البداية والنهاية

للحافظ عماد الدِّين أبى الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القُرَشىِّ الدِّمَشْقىِّ
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الجزء الأول

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

فهـــرس

الجزء الأول من البداية والنهاية

الموضـــوع | الصفحة

مقدمة التحقيق ..... (٥) - (١٠٣)

مقدمة المصنف رحمه اللَّه ٣

فصل : فى خلق السماوات والأرض ١١

فصل : فيما ورد فى صفة خلق العرش والكرسى ١٥

فصل : فى ذكر اللوح المحفوظ ٢٦

باب ما ورد فى خلق السماوات والأرض وما بينهما ٢٧

فصل : فى البحار والأنهار ٤٧

فصل : فى خلق اللَّه للسماوات والأرض والجبال ٦٢

باب ذكر ما يتعلق بخلق السماوات وما فيهن من الآيات ٦٤

فصل : فى الكلام على المجرة وقوس قزح ٨٥

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم عليهم السلام ٨٩

فصل : فى أقسام الملائكة ١١٢

فصل : فى اختلاف الناس فى تفضيل الملائكة على البشر ١٢٦

باب ذكر خلق الجان وقصة الشيطان ١٢٨

باب ما ورد فى خلق آدم عليه السلام ١٦١

ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام ١٩١

ذكر الأحاديث الواردة فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام ٢٠٠

ذكر قصة ابنى آدم قابيل وهابيل ٢١٦

ذكر وفاة آدم ووصيته إلى ابنه شيث ٢٣٠

ذكر إدريس عليه السلام ٢٣٤

قصة نوح عليه السلام ٢٣٧

ذكر شيء من أخبار نوح نفسه عليه الصلاة والسلام ٢٧٦

ذكر صومه عليه السلام ٢٧٧

ذكر حجة نوح عليه السلام ٢٧٨

ذكر وصيته لولده ، عليه الصلاة والسلام ٢٧٩

قصة هود عليه السلام ٢٨٢

قصة صالح نبى ثمود عليه الصلاة والسلام ٣٠٤

ذكر مرور النبى ﷺ بوادى الحجر من أرض ثمود عام تبوك ٣٢١

قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ٣٢٤

ذكر مناظرة إبراهيم الخليل مع من أراد أن ينازع العظيم ٣٤٢
ذكر هجرة الخليل عليه السلام إلى بلاد الشام ٣٤٦
ذكر مولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام من هاجر ٣٥٤
ذكر مهاجرة إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وأمّه هاجر إلى
جبال فاران ٣٥٧
قصة الذبيح عليه السلام ٣٦٣
ذكر مولد إسحاق عليه الصلاة والسلام ٣٧١
ذكر بناء البيت العتيق ٣٧٧
ذكر ثناء اللّه ورسوله الكريم ﷺ على عبد اللّه وخليله إبراهيم .. ٣٨٤
ذكر قَصْره فى الجنة ٣٩٩
ذكر صفة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٤٠٠
ذكر وفاة إبراهيم الخليل عليه السلام، وما قيل فى عمره ٤٠٢
ذكر أولاد إبراهيم الخليل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ... ٤٠٧
قصة قوم لوط عليه السلام ٤٠٨
قصة مدين قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ٤٢٥
باب ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٤٤١

ذكر إسماعيل عليه السلام ٤٤٢
ذكر إسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما الصلاة والتسليم ... ٤٤٧
ذكر ما وقع من الأمور العجيبة فى حياة إسرائيل عليه السلام ٤٥٦
قصة نبى اللّه أيوب عليه السلام ٥٠٦
قصة ذى الكفل عليه السلام ٥١٦

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى ، وأوله :

باب ذكر أمم أُهلِكوا بعامَّة

رقم الإيداع ١٩٩٧/٤٤٦٩ م
I.S.B.N : 977 – 256 – 145 – X

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

فهـــرس

الجزء الثانى من البداية والنهاية

الموضـــوع	الصفحة
باب ذكر أمم أهلكوا بعامة	٥
قصة قوم يس ، وهم أصحاب القرية	١٠
قصة يونس عليه الصلاة والسلام	١٦
ذكر فضل يونس عليه السلام	٢٨
ذكر قصة موسى الكليم عليه الصلاة والسلام	٣١
فصل : تحريض فرعون على قتل موسى وإسلام السحرة	٨١
ذكر هلاك فرعون وجنوده	١٠٣
فصل : فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون	١١٧
فصل : فى دخول بنى إسرائيل التيه	١٣١
سؤال الرؤية	١٣٨
قصة عبادتهم العجل فى غيبة كليم اللّه موسى عليه السلام	١٤٥
ذكر حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان	١٦٠
قصة بقرة بنى إسرائيل	١٦٥
قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام	١٦٩

ذكر الحديث الملقب بحديث الفتون ١٨١
ذكر بناء قبة الزمان ١٩٧
قصة قارون مع موسى عليه السلام ٢٠١
ذكر فضائل موسى عليه السلام ٢٠٩
ذكر حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق وصفته ٢١٨
ذكر وفاته عليه السلام ٢٢١
ذكر نبوة يوشع ... بعد موسى وهارون ٢٢٧
ذكر قصتى الخضر وإلياس عليهما السلام ٢٤٣
إلياس عليه السلام ٢٧٢
باب ذكر جماعة من أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى ٢٧٩
قصة حزقيل ٢٨٠
قصة اليسع ٢٨٥
فصل : فى اضطراب أمر بنى إسرائيل بعد اليسع ٢٨٧
قصة شمويل ٢٨٩
قصة داود عليه السلام ٣٠٠
ذكر كمية حياته وكيفية وفاته ٣١٩
قصة سليمان بن داود ٣٢٣

ذكر وفاته ومدة ملكه وحياته ٣٥٢
باب ذكر جماعة من أنبياء بنى إسرائيل بعد داود وسليمان ٣٥٧
أرميا بن حلقيا من سبط لاوى بن يعقوب ٣٦٠
ذكر خراب بيت المقدس ٣٦١
ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام ٣٧٥
ذكر عمارة بيت المقدس بعد خرابها ٣٨٠
قصة العزير ٣٨٣
فصل : عزير نبى من أنبياء بنى إسرائيل ٣٨٩
قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ٣٩٣
بيان سبب قتل يحيى عليه السلام ٤١١
قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام ٤١٦
ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم البتول ٤٣٧
باب بيـان أن اللّه تعالى منـزه عن الولد ٤٥٤
ذكر منشأ عيسى ابن مريم عليهما السلام ٤٦٥
بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها ٤٧٢
بيان شجرة طوبى ما هى ٤٧٤
ذكر خبر المائدة ٤٩١

فصل : فى مشى عيسى على الماء ٤٩٥
ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ٥٠٧
صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله ٥١٩
فصل : اختلاف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء ٥٣١
بيان بناء بيت لحم والقمامة ٥٣٣
كتاب أخبار الماضين ٥٣٥
خبر ذى القرنين ٥٣٦
بيان طلب ذى القرنين عين الحياة ٥٤٧
ذكر أمتى يأجوج ومأجوج وصفاتهم،... وصفة السد ٥٥٢
قصة أصحاب الكهف ٥٦١
قصة الرجلين؛ المؤمن والكافر ٥٧٢
قصة أصحاب الجنة ٥٧٨
قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا فى سبتهم ٥٨٢

تم بحمد اللّهِ وتوفيقه الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث ، وأوله :

قصة لقمان

فهرس

الجزء الثالث من البداية والنهاية

الموضوع	الصفحة
قصة لقمان	٥
قصة أصحاب الأخدود	٢٣
باب بيان الإذن في الرواية والتحديث عن أخبار بني إسرائيل	٣١
قصة جريج ، أحد عباد بنى إسرائيل	٣٨
قصة برصيصا	٤٤
قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار	٤٧
خبر الثلاثة ؛ الأعمى والأبرص والأقرع	٥٠
حديث الذى استسلف من صاحبه ألف دينار فأداها	٥٣
قصة أخرى شبيهة بهذه القصة فى الصدق فى الأمانة	٥٥
قصة أخرى	٥٨
قصة الملكين التائبين	٦٦
ذكر تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم	٧٨
كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين	٨٩
ذكر أخبار العرب	١٠٠
قصة سبأ	١٠٧
قصة ربيعة بن نصر	١١٧

قصة تبع أبى كرب ... مع أهل المدينة ، وكيف أراد غزو البيت الحرام ١٢٢
وثوب لخنيعة ذى شناتر على ملك اليمن ١٣٢
ذكر خروج الملك باليمن من حمير ، وصيرورته إلى الحبشة السودان ١٣٥
ذكر خروج أبرهة الأشرم على أرياط واختلافهما ١٣٧
ذكر سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ؛ ليخرب الكعبة ١٣٩
ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذى يزن ١٥٨
ذكر ما آل إليه أمر الفرس باليمن ١٦٧
قصة الساطرون صاحب الحضر ١٧١
خبر ملوك الطوائف ١٧٨
باب ذكر بنى إسماعيل ، وما كان من أمور الجاهلية
إلى زمان البعثة ١٧٩
قصة خزاعة وعمرو بن لحى ، وعبادة العرب للأصنام ١٨٥
خبر عدنان جد عرب الحجاز ٢٠٣
ذكر أصول أنساب عرب الحجاز إلى عدنان ٢١٥
الكلام على قريش نسبًا واشتقاقًا وفضلًا ٢١٩
خبر قصى بن كلاب ٢٣٣
ذكر جمل من الأحداث الواقعة فى زمن الجاهلية ٢٤٧
باب ذكر جماعة كانوا مشهورين فى زمن الجاهلية ٢٤٨
خبر خالد بن سنان العبسى ٢٤٨
ذكر حاتم الطائى ، أحد أجواد الجاهلية ٢٥٢
ذكر شىء من أخبار عبد اللّه بن جدعان ٢٦٥

ذكر امرئ القيس بن حجر الكندى ، صاحب إحدى المعلقات ٢٦٨
ذكر شيء من أخبار أمية بن أبى الصلت الثقفى ٢٧٤
بحيرى الراهب ٢٩٨
ذكر قُس بن ساعدة الإيادى ٢٩٩
زيد بن عمرو بن نفيل ، رضى اللَّه عنه ٣١٦
شيء من الحوادث فى زمن الفترة ، فمن ذلك بنيان الكعبة ٣٣٢
ذكر كعب بن لؤى ٣٣٣
ذكر تجديد حفر زمزم ٣٣٥
ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده ٣٤٤
ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد اللَّه ، من آمنة بنت وهب الزهرية ٣٤٨
كتاب سيرة رسول اللَّه ﷺ ٣٥٣
باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف ٣٥٣
باب مولد رسول اللَّه ﷺ ٣٧٣
صفة مولده الشريف ، عليه الصلاة والسلام ٣٨١
فصل : فيما وقع من الآيات ليلة مولده ، عليه الصلاة والسلام ٣٩١
ذكر ارتجاس إيوان كسرى ، وسقوط الشرفات ، وخمود النيران ،
ورؤيا الموبذان ، وغير ذلك من الدلالات ٣٩٥
ذكر حواضنه ومراضعه ، عليه الصلاة والسلام ٤٠٦
ذكر رضاعه ، عليه الصلاة والسلام ، من حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ٤٠٨
فصل : فى خروجه ، عليه الصلاة والسلام ، مع عمه أبى طالب إلى الشام ٤٣٥
قصة بحيرى ٤٤٣

فصل : فى منشئه ، عليه الصلاة والسلام ٤٤٤
ذكر شهوده ، عليه الصلاة والسلام ، حرب الفجار ٤٥١
فصل : فى تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، خديجة بنت خويلد ٤٦٢
فصل : فى تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين ٤٧٥
كتاب مبعث رسول الله ﷺ ، وذكر شيء من البشارات بذلك ٤٩٥
ذكر أخبار غريبة فى ذلك ٥٢٢
قصة عمرو بن مرة الجهنى ٥٢٩
قصة سيف بن ذى يزن الحميرى ، وبشارته بالنبى الأمى ، ﷺ ٥٥٤
باب فى هواتف الجان ٥٦٣

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع ، وأوله :

باب كيف بدأ الوحى إلى رسول الله ﷺ

فهرس الجزء الرابع

مـن البدايـة والنهايـة

الموضوع | الصفحة

باب كيف بدأ الوحى إلى رسول الله ﷺ ٥

ذكر عمره ﷺ وقت بعثته ١٠

فصل : فى كيفية إتيان الوحى إلى رسول الله ﷺ ٥١

فصل : فى ذكر أول من أسلم ٦١

ذكر إسلام أبى ذر ، رضى الله عنه ٨٥

ذكر إسلام ضماد ٩٢

باب أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام ٩٦

قصة الإراشى ١١٥

فصل : فى تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ١١٩

فصل : فى مبالغتهم فى الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين ١٢٥

باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ ١٥٢

باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى

أرض الحبشة ١٦٥

فصل : فيما جاء فى كتاب النبى ﷺ إلى النجاشى ٢٠٥

فصل : فى ذكر مخالفة قبائل قريش ؛ بنى هاشم وبنى عبد المطلب

فى نصر رسول اللّه ﷺ ٢٠٧

ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة ٢٣١

ذكر نقض الصحيفة ٢٣٦

فصل : فيما ذكر من قصص بعد إبطال الصحيفة ٢٤٣

قصة أعشى بنى قيس بن ثعلبة ٢٥٠

قصة مصارعة ركانة ٢٥٥

فصل : فى دعاء النبى ﷺ على قريش ٢٦٥

فصل : فى الإسراء برسول اللّه ﷺ ٢٦٩

تنبيه ٢٨٤

فصل : فى تعليم جبريل النبى ﷺ كيفية الصلاة وأوقاتها ٢٩١

فصل : فى انشقاق القمر فى زمان النبى ﷺ ٢٩٣

فصل : فى وفاة أبى طالب عم رسول اللّه ﷺ ٣٠٤

فصل : فى وفاة خديجة بنت خويلد ٣١٥

فصل : فى تزويجه ﷺ بعد خديجة بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة ٣٢٤

فصل : فى ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف ٣٣٧

فصل : فى ذكر سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ ٣٤٢

فصل : فى عرض رسول اللّه ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب ٣٤٤

فصل : فى قدوم وفود الأنصار ٣٦٤

إسلام إياس بن معاذ ٣٦٧

باب بدء إسلام الأنصار ، رضى اللّه عنهم ٣٧١

قصة بيعة العقبة الثانية ٣٩٤

فصل : فيما كان من الأنصار بعد بيعة العقبة الثانية ٤١٣

فصل : يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية ٤١٥

باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة ٤٢٠

فصل : فى سبب هجرة رسول اللّه ﷺ بنفسه الكريمة ٤٣٧

باب هجرة رسول اللّه ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ٤٤٣

فصل : فى دخوله عليه السلام المدينة ٤٨٥

فصل : فيما نالت المدينة من شرف بعد الهجرة النبوية ٥٠٦

ذكر وقائع السنة الأولى من الهجرة ٥١٠

فصل : فى بيان أول دارٍ نزل بها النبى ﷺ بعد الهجرة ٥١٦

فصل : فى إسلام عبد اللّٰه بن سلام ٥٢٠

فصل : فى أول جمعة صلاها النبى ﷺ بالمسلمين بعد الهجرة ٥٢٦

ذكر خطبة رسول اللّٰه ﷺ يومئذ..... ٥٢٦

فصل : فى بناء مسجده الشريف ٥٣٠

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف ٥٤١

فصل : فى بناء حُجر للنبى ﷺ حول المسجد ٥٤٥

فصل : فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة ٥٤٧

فصل : فى عقده ، عليه السلام ، الألفة بين المهاجرين والأنصار ٥٥٤

فصل : فى مؤاخاة النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ٥٥٩

فصل : فى موت أبى أمامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه ٥٦٦

فصل : فى ميلاد عبد اللّٰه بن الزبير رضى الله عنه ٥٦٨

فصل : وبنى رسول اللّٰه ﷺ بعائشة فى شوال من هذه السنة ٥٧٠

فصل : فى زيادة صلاة الحضر ركعتين ٥٧٢

فصل : فى الأذان ومشروعيته ٥٧٣

فصل : فى سرية حمزة بن عبد المطلب ، رضى اللّه عنه ٥٧٨

فصل : فى سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب ٥٧٨

فصل : فى عقد رسول الله ﷺ لواءً لسعد بن أبى وقاص فى السنة الأولى ٥٧٩

فصل : فى أول مولود وُلِدَ فى الإسلام بعد الهجرة ٥٨٠

تمَّ بحمد اللّهِ وتوفيقِه الجزءُ الرابع

ويليه الجزء الخامس، وأوله :

ذكر ما وقع فى السنة الثانية

من الهجرة من الحوادث

فهـرس

الجزء الخامس من البداية والنهاية

الموضـــوع	الصفحة
ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة من الحوادث	٥
كتاب المغازى	٥
فصل : ذكر من مالَ من المنافقين إلى اليهود	٩
فصل : ذكر من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية	١٤
ذكر أول المغازى وأول البعوث	١٧
فصل : بعث رسول اللّه ﷺ حمزة إلى سيف البحر	٢٦
غزوة بواط من ناحية رضوى	٢٩
غزوة بدر الأولى	٣٣
باب سرية عبد اللّه بن جحش التي كانت سببًا لغزوة بدر العظمى	٣٦
فصل : فى تحويل القبلة فى سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر	٤٥
فصل : فى فرضية صوم شهر رمضان	٥٢
غزوة بدر العظمى يوم الفرقان	٥٥
مقتل أبى البخترى بن هشام	١٣٠
فصل : فى مقتل أمية بن خلف	١٣٢

مقتل أبى جهل لعنه اللّه ١٣٥
رده عليه السلام عين قتادة ١٤٧
فصل : قصة أخرى شبيهة بها ١٤٨
ذكر طرح رءوس الكفر فى بئر بدر ١٥٠
فصل : فى اختلاف الصحابة فى شأن الأسارى ١٦١
فصل : فى ذكر عدد القتلى وعدد الأسارى ١٧٢
فصل : فى اختلاف الصحابة فى غنائم بدر لمن تكون ١٧٧
فصل : فى رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة ١٨٢
مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط لعنهما اللّه ١٨٨
ذكر فرح النجاشى ، رضى اللّه عنه ، بوقعة بدر ١٩٤
فصل : فى وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة ١٩٦
فصل : فى بعث قريش إلى رسول اللّه ﷺ فى فداء أسراهم ٢٠١
فصل : فيما نزل من القرآن فى قصة بدر ٢١٢
فصل : فى تسمية من شهد بدرًا من المسلمين ٢١٣
حرف الألف ٢١٤
حرف الباء ٢١٦
حرف التاء والثاء ٢١٧
حرف الجيم ٢١٨

حرف الحاء ٢٢٠
حرف الخاء ٢٢٢
حرف الذال ٢٢٣
حرف الراء ٢٢٤
حرف الزاى ٢٢٥
حرف السين ٢٢٦
حرف الشين ٢٢٩
حرفا الصاد والضاد ٢٣٠
حرفا الطاء والظاء ٢٣١
حرف العين ٢٣٢
حرفا الغين والفاء ٢٤٠
حرفا القاف والكاف ٢٤١
حرف الميم ٢٤٢
حرف النون ٢٤٥
حرفا الهاء والواو ٢٤٦
حرف الياء ٢٤٧
باب الكنى ٢٤٨
فصل : فى جملة من شهد بدرًا من المسلمين ٢٤٩

فصل : فى فضل من شهد بدرًا من المسلمين ٢٥٧
فصل : فى قدوم زينب بنت الرسول ﷺ مهاجرةً ٢٦١
فصل : فيما قيل من الأشعار فى غزوة بدر العظمى ٢٧٣
فصل : فى ذكر أشعار من جهة المشركين يرثون قتلاهم ٢٩٢
فصل : فى ذكر غزوة بنى سُليم سنة ثنتين من الهجرة النبوية ٣٠١
غزوة السويق فى ذى الحجة منها وهى غزوة قرقرة الكدر ٣٠٢
فصل : فى دخول على بن أبى طالب ، رضى اللّٰه عنه ، على زوجته
فاطمة بنت رسول اللّٰه ﷺ ٣٠٥
فصل : فى ذكر جُمل من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة ٣١١
سنة ثلاث من الهجرة ٣١٤
غزوة القُرُعِ من بُحْرانَ ٣١٧
خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة ٣١٨
سرية زيد بن حارثة إلى عير قريش ٣٢٣
مقتل كعب بن الأشرف اليهودى ٣٢٦
غزوة أحد فى شوَّال سنة ثلاث ٣٣٧
مقتل حمزة رضى اللّٰه عنه ٣٦٠
فصل : فى إنزال اللّٰه نصره على المسلمين ، ثم ترك الرماة مكانهم ... ٣٧٣
فصل : فيما لقى النبى ﷺ يومئذ من المشركين قبحهم اللّٰه ٣٩٤

فصل : فى إصابة عين قتادة بن النعمان ورد رسول اللّه ﷺ لها ٤٠٧
فصل : فى قتالِ أمِّ عُمارةَ ، نسيبةَ بنتِ كعبٍ ، يوم أحد ٤٠٩
فصل : فى أول من عرف أن رسول اللّه ﷺ لم يمت فى أحد ٤١١
ذكر دعاء النبى ﷺ بعد الوقعة يوم أحد ٤٢٢
فصل : فى فراغ الناس لقتلاهم ٤٢٣
ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد ٤٢٨
فصل : فى عدد الشهداء ٤٤٥
فصل : فى انصراف النبى ﷺ إلى المدينة وملاقاته حمنة بنت
جحش ٤٤٨
ذكر خروج النبى ﷺ بأصحابه فى أثر أبى سفيان ٤٥٤
فصل : فيما تقاول به المؤمنون والكفار فى وقعة أحد من الأشعار ٤٦٥
آخر الكلام على وقعة أحد ٤٩٣
سنة أربع من الهجرة النبوية ٤٩٥
غزوة الرجيع ٤٩٨
سرية عمرو بن أمية الضمرى على إثر مقتل خبيب ٥١٧
سرية بئر معونة ٥٢٤
غزوة بنى النضير ٥٣٣
قصة عمرو بن سعدى القرظى حين مر على ديار بنى النضير ٥٥٠

غزوة بنى لحيان التى صَلّى فيها صلاة الخوف بعسفان ٥٣٣
غزوة ذات الرقاع ٥٥٩
قصة غورث بن الحارث ٥٦٢
قصة الذى أصيبت امرأته فى هذه الغزوة ٥٦٦
قصة جمل جابر فى هذه الغزوة ٥٦٩
غزوة بدر الآخرة ٥٧٣
فصل : فى جُمل من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة ٥٧٩

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء الخامس ويليه

الجزء السادس ، وأوله :

غزوة دُومة الجندل

رقم الإيداع ١٩٩٧/٩٩٤٥
I . S . B . N : 977 - 256 - 158 - 1

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

فهـــرس

الجزء السادس من البداية والنهاية

الموضوع | الصفحة

سنة خمس من الهجرة النبوية ٥

غزوة دُومة الجندل فى ربيع الأول منها ٥

غزوة الخندق وهى غزوة الأحزاب ٨

فصل : فى موقف الأحزاب بعد فراغ رسول اللّه ﷺ من الخندق ،

وقوله تعالى : ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ..﴾ ٣٤

فصل : فى دعائه ، عليه الصلاة والسلام ، على الأحزاب ٥٧

فصل : فى غزوة بنى قريظة ٧٠

وفاة سعد بن معاذ ، رضى اللّه عنه ٩٨

فصل : فيما قيل من الأشعار فى الخندق وبنى قريظة ١١١

مقتل أبى رافع ١٢٧

مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى ١٣٦

قصة عمرو بن العاص مع النجاشى بعد وقعة الخندق وإسلامه على يديه ... ١٤٠

فصل : فى تزويج النبى ﷺ بأم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ١٤٤

تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بزينب بنت جحش بن رئاب بن
يعمر الأسدية أم المؤمنين ١٥٠
ذكر نزول آية الحجاب صبيحة عرسها الذى وَلِىَ اللَّه عقد نكاحه ١٥٥
سنة ستٍّ من الهجرة النبوية ١٦٢
غزوة ذى قَرَدٍ ١٦٥
غزوة بنى المصطلِق من خزاعة ١٨١
قصة الإفك ١٩٢
غزوة الحديبية ٢٠٦
ذكر سياق البخارى لعمرة الحديبية ٢٢٩
فصل : فى ذكر السرايا والبعوث التى كانت فى سنة ست من الهجرة ٢٤٠
فصل : فيما وقع من الحوادث فى هذه السنة ٢٤٧
سنة سبع من الهجرة النبوية غزوة خيبر فى أوَّلها ٢٤٩
فصل : فى فتح رسول اللَّه ﷺ حصون خيبر ، وذكر نهيه ﷺ
عن أشياء ٢٧٨
ذكر قصة صفية بنت حيى بن أخطب النضرية ، رضى اللَّه عنها ٢٩٠
فصل : فى حصار رسول اللَّه ﷺ أهل خيبر فى حصنيهم ؛
الوطيح والسُّلالم ٢٩٥

فصل : فى فتح حصونها وقسم أرضها ٢٩٦

فصل : فيمن شهد خيبر من العبيد والنساء ممن لم يُسْهَم لهم ٣١١

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب ومن كان بقى بالحبشة ٣١٥

ذكر قصة الشاة المسمومة ٣٢٤

فصل : فى قصة مِدْعَمٍ ، وفيه ذكر نوم بلال ، رضى اللَّه عنه ،

عن صلاة الصبح ٣٣٤

فصل : فمن استشهد بخيبر من الصحابة ٣٤٠

خبر الحجاج بن علاط البهزى ، رضى اللَّه عنه ٣٤٣

فصل : فى مروره ﷺ بوادى القرى ، ومحاصرته قومًا من اليهود ... ٣٥١

فصل : فى معاملة النبى ﷺ يهود خيبر ٣٥٣

سرية أبى بكر الصديق ، رضى اللَّه عنه ، إلى بنى فزارة ٣٥٧

سرية عمر بن الخطاب ، رضى اللَّه عنه ، إلى تربة من أرض هوازن ... ٣٥٨

سرية عبد اللَّه بن رواحة إلى يُسير بن رزام اليهودى ٣٥٩

سرية أخرى مع بشير بن سعد ٣٦٠

سرية أبى حدرد إلى الغابة ٣٦٤

السرية التى قَتَلَ فيها محلّمُ بنُ جثامة عامرَ بنَ الأضبط ٣٦٦

سرية عبد اللَّه بن حذافة السهمى ٣٧٢

عمرة القضاء ٣٧٣

قصة تزويجه عليه الصلاة والسلام ، بميمونة ٣٨٨

ذكر خروجه ﷺ ، من مكة بعد قضاء عمرته ٣٩٣

فصل : فى سرية ابن أبى العوجاء إلى بنى سُليم ٣٩٧

فصل : فى رد رسول اللّه ﷺ ابنته زينب على زوجها أبى العاص ٣٩٨

سنة ثمان من الهجرة النبوية ٣٩٩

فصل : فى إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان

ابن طلحة ، رضى اللّه عنهم ٣٩٩

طريق إسلام خالد بن الوليد ٤٠٥

سرية شُجاع بن وهب الأسدى إلى نفر من هوازن ٤٠٩

سرية كعب بن عمير إلى بنى قضاعة ٤١١

غزوة مؤتة ٤١٢

فصل : فى إخبار النبى ﷺ أصحابه باستشهاد جعفر وصاحبيه ٤٣٩

فصل : فى استقبال رسول اللّه ﷺ عبد اللّه بن جعفر بعد

استشهاد أبيه ٤٤٥

فصل : فى فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة ٤٤٨

فصل : فى ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين ٤٦٠

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السرية ٤٦٢
فصل : فيما قيل من الأشعار فى غزوة مؤتة ٤٦٤
كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق ٤٦٨
ذكر إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام ٤٨٣
ذكر بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس ٤٨٣
بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الإسكندرية ٤٩٢
غزوة ذات السلاسل ٤٩٥
سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى سِيف البحر ٥٠٢
غزوة الفتح الأعظم ٥٠٨
قصة حاطب بن أبى بلتعة ٥٢١
فصل : فى ميقات خروج النبى ﷺ لفتح مكة ٥٢٥
فصل : فى إسلام العباس ، وأبى سفيان ، وعبد الله بن أمية ،
رضى الله عنهم ٥٣١
فصل : فى نزوله ﷺ بمر الظهران ومجىء أبى سفيان وإسلامه ٥٣٣
صفة دخوله ﷺ مكة ٥٤٥
فصل : فى عدد من شهد فتح مكة من المسلمين ، وفيه ذكر
ما قيل من الشعر يوم الفتح ٥٩٠

بعثه ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة ٥٩٨
بعث خالد بن الوليد لهدم العزى ٦٠٧
فصل : فى مدة إقامته ، عليه الصلاة والسلام ، بمكة ٦٠٩
فصل : فيما حكم به ﷺ بمكة من الأحكام ٦١٢
فصل : فى مبايعة النبى ﷺ الناس يوم الفتح ٦١٦

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء السادس ،

ويليه الجزء السابع ، وأوله :

غزوة هوازن يوم حنين

رقم الإيداع ١٩٩٧/٩٩٤٦
I . S . B . N : 977 - 256 - 159 - X

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

فهرس

الجزء السابع من البداية والنهاية

الموضوع	الصفحة
غزوة هوازن يوم حنين	٥
فصل : فى كيفية الوقعة وما كان فى أول الأمر من الفرار، ثم كانت العاقبة للمتقين	١٤
فصل : انهزام هوازن ووقوف ملكهم مالك بن عوف على ثنية مع طائفة من أصحابه	٤٢
فصل : أمر الرسول ﷺ بجمع الغنائم	٤٣
فصل : مرور الرسول ﷺ بالمرأة التى قتلها خالد	٤٣
سرية أوطاس	٤٤
فصل : فيمن استشهد يوم حنين وسرية أوطاس	٥٠
فصل : فيما قيل من الأشعار فى غزوة هوازن	٥١
غزوة الطائف ...	٦٣
فصل : فى مرجعه عليه الصلاة والسلام من الطائف	٨٢
ذكر قدوم مالك بن عوف النصرى على الرسول ﷺ	١٠٢
اعتراض بعض الجهلة على رسول الله ﷺ فى القسمة العادلة	١٠٥
ذكر مجىء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة إليه وهو بالجعرانة، واسمها الشيماء	١١٠
عمرة الجعرانة فى ذى القعدة	١١٣

إسلام كعب بن زهير وذكر قصيدته ١٢٣
فصل : فيما كان من الحوادث المشهورة فى سنة ثمان ١٤١
سنة تسع من الهجرة . ذكر غزوة تبوك فى رجب منها ١٤٤
فصل : فيمن تخلف معذورا من البكائين وغيرهم ١٥٠
فصل : فى خروج النبى ﷺ إلى تبوك وخلفه على بن أبى طالب
على أهله ١٥٤
ذكر مروره فى ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود وصرحتهم بالحجر ١٦٣
ذكر خطبته ، عليه الصلاة ، إلى تبوك إلى نخلة هناك ١٦٩
ذكر الصلاة على معاوية بن معاوية ١٧٢
قدوم رسول قيصر إلى رسول اللّه ﷺ بتبوك ١٧٤
ذكر مصالحة النبى ﷺ ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح ، وهو مخيم
على تبوك قبل رجوعه ١٧٧
بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ١٧٩
فصل : فى إقامة الرسول ﷺ بتبوك ١٨١
قصة مسجد الضرار ١٨٧
ذكر أقوام تخلفوا من العصاة ١٩٨
ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوع النبى ﷺ إلى المدينة ٢٠١
قدوم وفد ثقيف على رسول اللّه ﷺ فى رمضان سنة تسع ٢٠٤
ذكر موت عبد اللّه بن أُبَى ٢١٨
فصل : فى كون غزوة تبوك آخر غزوة وقصيدة حسان بن ثابت ٢٢٠
ذكر بعث رسول اللّه ﷺ أبا بكر أميرا على الحج ٢٢٣
فصل : فى الأمور الحادثة فى سنة تسع ٢٢٩

كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ ٢٣٢
حديث فى فضل بنى تميم ٢٤٥
وفد بنى عبد القيس ٢٤٦
قصة ثمامة ووفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب ٢٥٢
وفد أهل نجران ٢٦٢
وفد بنى عامر، وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ٢٧٢
قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ وافدا عن قومه بنى
سعد بن بكر ٢٨٢
فصل : فى قدوم ضماد الأزدى ٢٨٧
وفد طيىء مع زيد الخيل ٢٨٨
قصة عدى بن حاتم الطائى ٢٨٩
قصة دوس والطفيل بن عمرو ٣٠١
قدوم الأشعريين وأهل اليمن ٣٠٢
قصة عمان والبحرين ٣٠٤
وفود فروة بن مسيك المرادى ٣٠٦
قدوم عمرو بن معدى كرب فى أناس من زبيد ٣٠٨
قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة ٣١١
قدوم أعشى بنى مازن على النبى ﷺ ٣١٤
قدوم صرد بن عبد الله الأزدى فى نفر من قومه ثم وفود أهل
جرش بعدهم ٣١٦
قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ ٣١٧
قدوم جرير بن عبد الله البجلى وإسلامه ٣٢٤

وفادة وائل بن حجر بن ربيعة أحد ملوك اليمن ٣٣٠
وفادة لقيط بن عامر المنتفق إلى رسول اللّه ﷺ ٣٣٢
وفادة زياد بن الحارث الصدائى ٣٣٩
وفادة الحارث بن حسان البكرى إلى رسول اللّه ﷺ ٣٤٣
وفادة عبد الرحمن بن أبى عقيل مع قومه ... .٣٤٥
قدوم طارق بن عبد اللّه وأصحابه ٣٤٦
قدوم وافد فروة بن عمرو الجذامى صاحب بلاد معان بإسلامه
على رسول اللّه ﷺ ٣٤٨
قدوم تميم الدارى على رسول اللّه ﷺ وإخباره إياه بأمر الجساسة
وما سمع من الدجال ٣٥٠
وفد بنى أسد ٣٥١
وفد بنى عبس ٣٥٢
وفد بنى فزارة ٣٥٣
وفد بنى مرة ٣٥٤
وفد بنى ثعلبة ٣٥٥
وفد بنى محارب ٣٥٥
وفد بنى كلاب ٣٥٦
وفد بنى رؤاس بن كلاب ٣٥٧
وفد بنى عقيل بن كعب ٣٥٧
وفد بنى قشير بن كعب ٣٥٨
وفد بنى البكاء ٣٥٩
وفد كنانة ٣٦٠

وفد أشجع ٣٦٠
وفد باهلة ٣٦١
وفد بنى سليم ٣٦١
وفد بنى هلال بن عامر ٣٦٢
وفد بنى بكر بن وائل ٣٦٣
وفد بنى تغلب ٣٦٤
وفادات أهل اليمن . وفد تجيب ٣٦٤
وفد خولان ٣٦٥
وفد جعفى ٣٦٥
وفد الصدف ٣٦٦
وفد خشين ٣٦٦
وافد السباع ٣٦٨
فصل : فى قدوم الأزد على رسول اللّه ﷺ ٣٧٠
فصل : فى ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة ٣٧١
سنة عشر من الهجرة النبوية . باب بعث رسول اللّه ﷺ
خالد بن الوليد ٣٧٦
بعث رسول اللّه ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن ٣٧٨
باب بعث رسول اللّه ﷺ على بن أبى طالب وخالد بن الوليد
إلى اليمن قبل حجة الوداع ٣٩٠
كتاب حجة الوداع فى سنة عشر ٤٠٤
باب بيان أنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة إلا حجة
واحدة وأنه اعتمر قبلها ثلاث عمر ٤٠٦

باب تاريخ خروجه ﷺ من المدينة لحجة الوداع ٤١٠
باب صفة خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة إلى مكة للحج ٤١٥
فصل : فى صلاة النبى ﷺ بوادى العقيق ٤٢٠
باب بيان الموضع الذى أهلَّ منه ، عليه الصلاة والسلام ، وذكر من قال إنه أحرم من المسجد الذى بذى الحليفة بعد الصلاة ٤٣١
باب بسط البيان لما أحرم به عليه الصلاة والسلام فى حجته هذه من الإفراد والتمتع والقران وذكر الأحاديث الواردة بأنه كان مفردا . ٤٤٠
ذكر من قال أنه ﷺ جمع متمتعا ٤٤٧
ذكر حجة من ذهب إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان قارنا ٤٥٧
فصل : فى الجمع بين الآراء المختلفة ٤٨٧
فصل : الجواب عن حديث الطيالسى ٤٨٨
ذكر مستند من قال إنه ﷺ أطلق الإحرام ٤٩٢
ذكر تلبية الرسول ﷺ ٤٩٥
فصل : فى إيراد حديث جابر بن عبد اللّٰه فى حجة رسول اللّٰه ﷺ ٥٠٣
ذكر الأماكن التى صلَّى فيها رسول اللّٰه ﷺ وهو ذاهب من المدينة إلى مكة فى عمرته وحجته ٥١٠
باب دخول النبى ﷺ إلى مكة ٥١٥
صفة طوافه ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه ٥١٩
ذكر رمله عليه الصلاة والسلام فى طوافه واضطباعه ٥٢٨
ذكر طوافه ﷺ بين الصفا والمروة ٥٣٨
فصل : فى دلالة من ذهب إلى أن السعى أربعة عشر والرد عليهم ... ٥٥٢
فصل : فى نقل الخلاف فيمن لم يسق الهدى ، هل له فسخ الحج أم لا .. ٥٥٢

فصل : فى نزول النبى ﷺ بالأبطح شرقى مكة ٥٥٥
فصل : فى قدوم علىّ على النبى ﷺ بالأبطح وإيجاده فاطمة قد حلّت ٥٥٦
فصل : فى ركوب النبى ﷺ قاصدًا إلى منى قبل الزوال ٥٥٩
فصل : فيما حفظ من دعائه عليه الصلاة والسلام بعرفة ٥٧٣
ذكر ما نزل على رسول اللّه ﷺ من الوحى المنيف فى هذا الموقف الشريف ٥٨١
ذكر إفاضته عليه الصلاة والسلام من عرفات إلى المشعر الحرام ٥٨٣
فصل : فى تقديمه عليه الصلاة والسلام الضعفة من أهله بالليل ٥٩٣
ذكر تلبيته عليه الصلاة والسلام بالمزدلفة ٥٩٨
فصل : فى وقوفه عليه الصلاة والسلام بالمشعر الحرام ودفعه من المزدلفة قبل المزدلفة قبل طلوع الشمس وإيضاعه فى وادى محسر ٥٩٩
ذكر رميه عليه الصلاة والسلام جمرة العقبة وحدها يوم النحر وكيف رماها ومتى رماها ٦٠٦
فصل : فى انصراف النبى إلى المنحر ونحره ثلاثا وستين بيده ٦١٢
صفة حلق رأسه الكريم ﷺ ٦١٦
فصل : فى لبسه ثيابه وتطيبه بعد رميه جمرة العقبة ٦١٨
ذكر إفاضته ﷺ إلى البيت العتيق ٦٢٢
فصل : فى اكتفاء النبى ﷺ بالطواف الأول ٦٢٩
فصل : فى رجوع النبى ﷺ إلى منى بعد ما صلى الظهر بمكة ٦٣٠
فصل : فى خطبة النبى ﷺ أيام منى ٦٣٠
فصل : فى نزول النبى ﷺ بمنى حيث المسجد اليوم ٦٤٤

فصل : فيما ورد من الأحاديث الدالة على أنه عليه الصلاة السلام
خطب الناس بمنى فى اليوم الثانى ٦٤٨
ذكر إيراد حديث فيه أن رسول اللّه ﷺ كان يزور البيت فى كل
ليلة من ليالى منى ٦٥٤
فصل : فى ذكر تسمية أيام الحج ٦٥٤
فصل : فى خروج النبى ﷺ من أسفل مكة ٦٦٣

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء السابع ،

ويليه الجزء الثامن ، وأوله :

سنةُ إحدى عشْرةَ مِن الهجرةِ

رقم الإيداع ١٩٩٧/٩٩٤٧
I . S . B . N : 977 - 256 - 160 - 3

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

فهرس

الجزء الثامن من البداية والنهاية

الموضـــوع الصفحة

سنة إحدى عشرة من الهجرة ٥

فصل: فى الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة رسول اللّه ﷺ وكيف ابتدئ رسول اللّه ﷺ بمرضه الذى مات فيه ٢٤

ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك ٣٨

ذكر أمره، عليه الصلاة والسلام، أبا بكر الصديق رضى اللّه عنه، أن يصلى بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم ٤٥

فصل: فى كيفية احتضاره ووفاته، عليه الصلاة والسلام ٦١

فصل: فى ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه، عليه الصلاة والسلام ...٧٩

قصة ثقيفة بنى ساعدة ٨١

ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم الثقيفة ٨٧

فصل: فى إجماع الصحابة على تقديم أبى بكر، وأن النبى ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحدٍ من الناس ٩٤

فصل: فى ذكر الوقت الذى توفى فيه رسول اللّه ومبلغ سنه حال وفاته ١٠٤

صفة غسله عليه الصلاة والسلام ١١٩

فصل: فى صفة كفنه عليه الصلاة والسلام ١٢٥

فصل: في كيفية الصلاة عليه ﷺ ١٣٢

فصل: فى صفة دفنه، وأين دفن، وذكر الخلاف فى دفنه ليلًا كان أم نهارًا .. ١٣٦

ذكر من كان آخر الناس به عهدا عليه الصلاة والسلام ١٤٦

متى وقع دفنه، عليه الصلاة والسلام ١٤٨

فصل: فى صفة قبره، عليه الصلاة والسلام ١٥٣

ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاته ﷺ ١٥٦

ذكر ما ورد من التعزية به، عليه الصلاة والسلام ١٦٤
فصل: فيما روى من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته، عليه الصلاة والسلام ... ١٦٩
فصل: فى أمور وقعت بعد وفاته ﷺ ١٧٢
فصل: فيما قيل فى رثائه ﷺ ١٧٣
باب بيان أن النبى ﷺ لم يترك شيئًا يورث عنه ١٧٩
باب بيان أنه، عليه الصلاة والسلام قال: «لا نورث» ١٨٥
بيان رواية الجماعة لما رواه الصديق وموافقتهم على ذلك ١٩١
فصل: فى ذكر كلام الرافضة فى ميراث النبى ﷺ ١٩٧
باب ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه، ورضى عنهن، وأولاده ٢٠١
فصل: فيمن خطبها عليه الصلاة والسلام ولم يعقد عليها ٢٢٢
فصل: فى ذكر سراريه، عليه الصلاة والسلام ٢٢٧
فصل: فى ذكر أولاده، عليه وعليهم الصلاة والسلام ٢٣٧
باب ذكر عبيده ﷺ ٢٥١
إماؤه عليه الصلاة والسلام ٢٨٣
فصل: فى خدامه الذين خدموه من أصحابه ٣٠١
فصل: فى كتاب الوحي وغيره بين يديه ﷺ ٣٢١
فصل: فيمن ذُكر من أمنائه ﷺ ٣٥٧
باب ما يذكر من آثار النبى وما اختص به من ثياب وسلاح وغيره ٣٦١
ذكر الخاتم الذى كان يلبسه ﷺ ٣٦١
ذكر سيفه عليه الصلاة والسلام ٣٦٩
ذكر نعله التى كان يمشى فيها عليه الصلاة والسلام ٣٧٢
صفة قدح النبى ﷺ ٣٧٥
ذكر ما ورد فى المكحلة التى كان يكتحل منها ﷺ ٣٧٦
البردة ٣٧٧
ذكر أفراسه ومراكيبه، عليه الصلاة والسلام ٣٧٨

فصل : ٣٨٤
كتاب الشمائل ٣٨٥
بيان خلقه الظاهر وخلقه الطاهر ٣٨٥
باب ما ورد فى حسنه الباهر ٣٨٥
صفة لون رسول اللّه ﷺ ومحاسنه ٣٩٠
صفة وجه رسول اللّه ﷺ ٣٩٧
ذكر شَعْره عليه الصلاة والسلام ٤١١
ذكر ما ورد فى منكبيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه ﷺ ٤١٨
صفة قوامه عليه الصلاة والسلام، وطيب رائحته ٤٢١
صفة خاتم النبوة الذى بين كتفيه ﷺ ٤٣١
باب جامع لأحاديث متفرقة وردت فى صفة رسول اللّه ﷺ ٤٣٩
حديث أم معبد ٤٤١
حديث هند بن أبى هالة ٤٤٧
باب ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ﷺ ٤٥٥
ذكر كرمه ﷺ ٤٧٧
تواضعه ﷺ ٤٨١
ذكر مزاحه، عليه الصلاة والسلام ٤٨٨
باب زهده وإعراضه عن الدنيا واجتهاده للآخرة ﷺ ٤٩٤
فصل : فى عبادته واجتهاده فى ذلك ٥٢٠
فصل : فى شجاعته ﷺ ٥٢٦
فصل : فيما يذكر من صفاته ﷺ فى الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين ٥٢٨
كتاب دلائل النبوة ٥٣٩

فصل: فى الدلائل المعنوية ٥٤٩
باب الدلائل الحسية المشاهدة بالأبصار ٥٥٨
حديث رد الشمس بعد مغيبها ٥٦٥
فصل: فى إيراد طرق هذا الحديث من أماكن متفرقة ٥٧١
ما يتعلق بالآيات السماوية فى دلائل النبوة ٥٨٩
استسقاؤه ربَّه المطر فأجابه سريعًا ٥٨٩
فصل: فى المعجزات الأرضية ٦٠٤
باب تكثيره الأطعمة للحاجة إليها فى غير ما موطن ٦٢٤
تكثيره عليه الصلاة والسلام السمن لأم سليم ٦٢٨
ذكر ضيافة أبى طلحة الأنصارى رسولَ اللَّه ﷺ وما حدث من دلائل النبوة . ٦٣٢
قصة قصعة بيت الصديق ٦٤٩
قصة سلمان فى تكثيره ﷺ تلك القطعة من الذهب لوفاء دينه فى مكاتبته ٦٥٩
باب انقياد الشجر لرسول اللَّه ﷺ ٦٧٣
باب حنين الجذع شوقًا لرسول اللَّه ﷺ ٦٧٩
باب تسبيح الحصى فى كفه عليه الصلاة والسلام ٦٩٤

تم بحمد اللَّه وتوفيقه الجزء الثامن

ويليه الجزء التاسع، وأوله:

باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

رقم الإيداع ١٩٩٧/١٥٣٣٩

I . S . B . N : 977 - 256 - 169 - 7

فهرس

الجزء التاسع من البداية والنهاية

الموضوع — الصفحة

باب مايتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة، قصة البعير الناد ٥

حديث فى سجود الغنم له ﷺ ٢٢

قصة الذئب وشهادته بالرسالة ٢٢

قصة الوحش الذى كان فى بيت النبى ﷺ ٣١

قصة الأسد ٣١

حديث الغزالة ٣٢

حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة ٣٧

حديث الحمار ٤١

حديث الحُمَّرَة وهى طائر مشهور ٤٢

حديث آخر فيه كرامة لتميم الدارى ٤٨

حديث آخر فيه كرامة لولى من هذه الأمة ٤٨

قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمى ٥٠

قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت ٥٥

قصة الصبى الذى كان يصرع ٦٢

فصل : فى دعائه عليه الصلاة والسلام على بعض الناس ٨٥

باب المسائل التى سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب فيها بما يطابق الحق ٩٠

فصل : فيه دعوة النصارى إلى المباهلة وأنهم نكلوا عن ذلك ٩٧

حديث يتضمن اعتراف اليهود بأنه رسول الله ﷺ ويتضمن تحاكمهم إليه ٩٨
فصل : فى اشتمال الكتب المتقدمة على البشارة بالنبى ﷺ ١٠٢
حديث فى جوابه ﷺ لمن سأل عما سأل قبل أن يسأله عن شىء منه ١١٢
باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة فى حياته وبعده ١١٤
فصل : فى ذكر الأخبار المستقبلة ١٢٢
فصل : فى الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلة ١٣٣
فصل : فى ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده ﷺ ١٣٦
ومن كتاب دلائل النبوة فى باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة ١٦١
ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة فى آخر أيام عثمان ، وفى خلافة على رضى الله عنهما ١٧٧
ذكر إخباره ﷺ عن خروج الخوارج وقتالهم وعلاماتهم بالرجل المُخْدَج ... ١٩٨
إخباره ﷺ بمقتل على بن أبى طالب فكان كما أخبر ٢٠٤
ذكر إخباره ﷺ بسيادة ولده الحسن بن على وأنه يصلح بين فئتين ٢٠٨
إخباره ﷺ عن غزاة البحر إلى قبرس ٢١٥
الإخبار عن غزوة الهند ٢١٨
فصل : فى الإخبار عن قتال الترك كما وقع ٢١٩
خبر عبد الله بن سلام ٢٢٢
الإخبار عن موت ميمونة بنت الحارث بسَرِفَ ٢٢٤
ما روى فى إخباره ﷺ عن مقتل حجر بن عدى وأصحابه ٢٢٥
خبر رافع بن خديج ٢٢٩
ذكر إخباره عليه الصلاة والسلام بما وقع من الفتن بعد معاوية ٢٣٠

الإخبار بمقتل الحسين بن على رضى اللّه عنه ٢٣٤
ذكر الإخبار عن وقعة الحرة التى كانت فى زمن يزيد ٢٤٣
معجزة أخرى ٢٤٩
فصل : فى ذكر الحجاج فتى ثقيف ٢٥٠
ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز ٢٥٦
حديث فى ذكر وهب بن منبه بالمدح وذكر غيلان بالذم ٢٦١
الإشارة إلى محمد بن كعب القرظى وعلمه ٢٦٢
ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة ٢٦٣
ذكر الإخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد ٢٦٦
ذكر الإخبار عن خلفاء بنى أمية ٢٧٠
ذكر الإخبار عن دولة بنى العباس ٢٧٥
ذكر الإخبار عن الأئمة الاثنى عشر ٢٨٣
- ذكر الإخبار عن أمور وقعت فى دولة بنى العباس إلى زماننا هذا ٢٩٠
باب فى معجزات الرسول ﷺ وأنها مماثلة لمعجزات الأنبياء وأعلى ... ٣٠٥
القول فيما أوتى نوح ، عليه السلام ٣١٠
قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمى ٣١٤
قصة أخرى شبيهة بذلك ٣١٥
القول فيما أوتى هود ، عليه السلام ٣٢٧
القول فيما أوتى صالح ، عليه السلام ٣٢٧
القول فيما أوتى إبراهيم الخليل ، عليه السلام ٣٢٨
القول فيما أوتى موسى ، عليه السلام ٣٤٥
القول فيما أعطى إدريس ، عليه السلام ٣٦٨
القول فيما أوتى داود ، عليه السلام ٣٧٤

القول فيما أوتى سليمان ، عليه السلام ٣٨١
القول فيما أوتى عيسى ابن مريم ، عليه السلام ٣٨٩
قصة أخرى ٣٩٢
قصة الأعمى الذى رد اللّه عليه بصره ٣٩٨
قصة أخرى ٣٩٩
كتاب تاريخ الإسلام الأول من الحوادث الواقعة فى الزمان ،
ووفيات المشاهير والأعيان سنة إحدى عشرة من الهجرة ٤١٣
- خلافة أبى بكر الصديق ، وما كان فى أيامه من الحوادث والأمور ٤١٤
فصل : فى تنفيذ جيش أسامة بن زيد ٤٢٠
مقتل الأسود العنسى لعنه اللّه ٤٢٥
صفة خروجه وتملكه ومقتله ٤٢٥
خروج الأسود العنسى ٤٢٩
فصل : فى تصدى الصديق لقتال أهل الردة ومانعى الزكاة ٤٣٧
ذكر خروج الصديق إلى ذى القصة ٤٤٥
فصل : فى مسير الأمراء من ذى القصة على ما عوهدوا عليه ٤٥٠
قصة الفجاءة ٤٥٦
قصة سجاح وبنى تميم ٤٥٧
فصل : فى خبر مالك بن نويرة اليربوعى ٤٦١
مقتل مسيلمة الكذاب لعنه اللّه ٤٦٥
.. ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام ٤٧٥
ذكر ردة أهل عمان ومهرة واليمن ٤٨٠
- ذكر من توفى فى هذه السنة (سنة إحدى عشرة من الهجرة) ٤٨٥
ومنهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب ٥٠٦

سنة ثنتى عشرة من الهجرة النبوية ٥١٠
بعث خالد بن الوليد إلى العراق ٥١١
فصل : فى سير خالد إلى الخورنق والسدير والنجف ٥٢٢
فتح خالد للأنبار وتسمى هذه الغزوة ذات العيون ٥٢٦
وقعة عين التمر ٥٢٨
خبر دومة الجندل ٥٣٠
خبر وقعتى الحُصيد والمُصيَّخ ٥٣٢
وقعة الفِراض ٥٣٤
فصل : فيما كان من الحوادث فى هذه السنة ٥٣٦
فصل : فيمن توفى فى هذه السنة ٥٣٧
سنة ثلاث عشرة من الهجرة ٥٤١
وقعة اليرموك ٥٤٥
انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبى عبيدة ٥٧٠
وقعة جرت بالعراق بعد مجىء خالد إلى الشام ٥٧١
خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه وأرضاه ٥٧٤
ذكر فتح دمشق ٥٧٧
فصل : فى اختلاف العلماء فى فتح دمشق صلحًا أو عنوة ٥٨٥
فصل : فى بعث أبى عبيدة خالدًا إلى البقاع ، وبعثه سرية إلى الروم
فالتقوا بعين ميسنون ٥٨٧
وقعة فِحْل ٥٨٩
فصل : فيما وقع بأرض العراق فى هذه المدة من القتال ٥٩٠
وقعة النمارق ٥٩٢
وقعة جسر أبى عبيد التى قُتل فيها أمير المسلمين وخلق كثير منهم ... ٥٩٤

وقعة البويب التى اقتص فيها المسلمون من الفرس ٥٩٧
فصل : فى بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص
على العراق ٥٩٩
ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم ٦٠٠
ذكر ما وقع فى هذه السنة من الحوادث ٦٠١
ذكر المتوفَّين فى هذه السنة مرتبين على الحروف ٦٠٤
سنة أربع عشرة من الهجرة ٦١٣
فصل : فى غزوة القادسية ٦١٨
فصل : فيما حدث فى القادسية من أمور وما أصباب سعدًا يومئذ ... ٦٢٩
ذكر من توفى فى هذا العام من المشاهير والأعيان ٦٤١
سنة خمس عشرة من الهجرة ٦٤٨
وقعة حمص الأولى ٦٤٩
وقعة قِنِّسرِين ٦٥٠
وقعة قيسارية ٦٥٢
وقعة أجنادين ٦٥٣
فتح بيت المقدس على يدى عمر بن الخطاب ٦٥٥
وقعة بَهُرَسِير ٦٦٧

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء التاسع
ويليه الجزء العاشر، وأوله :
سنة ست عشرة من الهجرة

فهرس

الجزء العاشر من البداية والنهاية

ثم دخلت سنة ست عشرة ٥

ذكر فتح المدائن التى هى مستقر ملك كسرى ٨

وقعة جلولاء ٢٠

ذكر فتح حلوان ٢٥

فتح تكريت والموصل ٢٦

فتح ماسبذان من أرض العراق ٢٨

فتح قرقيسياء وهيت فى هذه السنة ٢٩

ثم دخلت سنة سبع عشرة ٣٤

قصة أبى عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر إلى الشام
أيضا لينصره ٣٥

فتح الجزيرة ٣٧

ذكر شيءٍ من أخبار طاعون عَمَواسَ ٤١

كائنة غريبة فيها عُزِلُ خالد عن قنسرين أيضا ٤٦

فتح الأهواز ومَناذر ونهر تِيرَى ٥١

فتح تستر المرة الأولى صلحا ٥٣

ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين ٥٤

ذكر فتح تستر ثانية عَنوة والسُّوس ورامَهُرمز وأسر الهرمزان وبعثه
إلى عمر بن الخطاب ٥٧

فتح السوس ٦١
ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ٦٨
ذكر طائفة من أعيان من توفى فى طاعون عمواس ٧٧- ٨٤
ثم دخلت سنة تسع عشرة ٨٥
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٨٧
سنة عشرين من الهجرة ٨٩
صفة فتح مصر مجموعا من كلام ابن إسحاق وسيف وغيرهما ٨٩
قصة نيل مصر ٩٦
ذكر المتوفين فى هذه السنة من الأعيان ١٠١- ١١٠
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ١١١
ذكر من توفى فى هذه السنة أعنى سنة إحدى وعشرين ١٢٨
ثم دخلت سنة ثِنتينِ وعشرين ١٥٠
فتح الرى ١٥٣
فتح قومس ١٥٣
فتح جرجان ١٥٣
فتح أذربيجان ١٥٤
فتح الباب ١٥٥
أول غزو الترك ١٥٦
قصة السد ١٥٨
قصة يزدَجِرْد بن شهريار بن كسرى (ملك الفرس) ١٦٣
غزو المسلمينَ بلاد خراسان مع الأحنف بن قيس ١٦٥
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وفيها وفاة عمر بن الخطاب ١٧٢

فتح فسا ودارا بُجِرْدَ وقصة سارية بن زنيم ١٧٣
غزوة الأكراد ١٧٨
خبر سلمة بن قيس الأشجعى والأكراد ١٧٩
صفة عمر بن الخطاب ، رضى اللّه عنه ١٩٢
ذكر زوجاته وأبنائه وبناته ١٩٤
ذكر بعض ما رُئِىَ به ١٩٧
ذكر من توفى فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى اللّه عنه ٢٠٠- ٢٠٧
ثم استهلت سنة أربع وعشرين ٢٠٨
خلافة عثمان بن عفان ، رضى اللّه عنه ٢٠٨
وفيها توفى سراقة بن مالك بن جعشم المدلجىُّ ٢٢١
ثم دخلت سنة خمس وعشرين ٢٢٣
ثم دخلت سنة ست وعشرين ٢٢٤
ثم دخلت سنة سبع وعشرين ٢٢٥
غزوة إفريقية ٢٢٥
غزوة الأندلس ٢٢٦
وقعة جُرجيرَ والبربر مع المسلمين ٢٢٦
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ٢٢٨
فتح قبرس ٢٢٨
ثم دخلت سنة تسع وعشرين ٢٣٠
سنة ثلاثين من الهجرة النبوية ٢٣٢
فصل : فيمن توفى فى هذه السنة ٢٣٥
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين فيها غزوة الصوارى وغزوة الأساودة ٢٣٧

كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزْدَجِرد ..... ٣٩،
ثم دخلت سنة ثِنتَين وثلاثين ٢٤٣
ذكر من توفى من الأعيان فى هذه السنة ٢٤٧- ٢٧٥
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ٢٥٨
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ٢٦١
ذكر من مات فى هذه السنة ٢٦٨- ٢٦٩
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وفيها مقتل عثمان بن عفان، رضى اللّه عنه .. ٢٧٠
ذكر مجيءِ الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر وغيرها
فى شوال من هذه السنة ٢٧٧
صفة حصر أمير المؤمنين عثمان ، رضى اللّه عنه ٢٨٥
صفة قتله ، رضى اللّه عنه ٣٠٥
فصل : فى مدة حصاره ، رضى اللّه عنه ٣٢١
ذكر صفته ، رضى اللّه عنه ٣٢٨
ذكر بعض ما رُئِى به ، رضى اللّه عنه ٣٤١
فصل : فى كيفية قتل عثمان بالمدينة وبها جماعة من كبار الصحابة ٣٤٤
فصل : فى الإشارة إلى شىء من الأحاديث الواردة فى فضائل
عثمان بن عفان ، رضى اللّه عنه ..... ٣٤٧ - ٣٨٤
القسم الأول : فيما ورد فى فضائله مع غيره ٣٥٢
القسم الثانى : فيما ورد فى فضائله وحدَه ٣٦٦
فصل : فى ذكر شىء من سيرته وهى دالّة على فضيلته ، رضى اللّه عنه ... ٣٨٥
فصل : فى ذكر شىء من خطبه ٣٩٠
فصل : فى مناقبه ، رضى اللّه عنه ٣٩٣

ذكر زوجاته وبنيه وبناته ، رضى اللّه عنه ٣٩٨
فصل : فى ذكر من توفى فى زمان دولته ٤٠٠
خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى اللّه عنه ٤١١
ذكر بيعة على ، رضى اللّه عنه ، بالخلافة ٤٢٠
ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين من الهجرة ٤٢٩
ابتداء وقعة الجمل ٤٣١
ذكر مسير أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب من المدينة إلى البصرة
بدلاً عن مسيره إلى الشام ٤٤٠
فصل : ولما فرغ على من أمر الجمل ٤٧٠
فصل : فى ذكر أعيان من قتل يوم الجمل ٤٧٣
فصل : فى ذكر وقعة صفين بين أهل العراق وبين أهل الشام ٤٩٠
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ٥٠٢
مقتل عمار بن ياسر مع أمير المؤمنين علىّ ، رضى اللّه عنه ٥٢٦
ذكر رفع أهل الشام المصاحف مكرًا وخديعة بأهل العراق ٥٤٣
قصة التحكيم ٥٥٤
ذكر خروج الخوارج ٥٥٩
صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ،
رضى اللّه عنهما ، بدومة الجندل ٥٧٠
ذكر خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم عليًا بالعداوة والمخالفة
وقتال علىّ إياهم وما ورد فى ذلك من الأحاديث ..... ٥٧٧ - ٦٣٨
ذكر مسير أمير المؤمنين علىّ ، رضى اللّه عنه ، إلى الخوارج ٥٨٥
ما ورد فيهم من الأحاديث المرفوعة ٥٩٢

فصل : فيما دار بين على وأصحابه بعد فراغهم من قتال الخوارج ٦٣٨
فصل : فيما ذكر الهيثم بن عدى ، من خروج الحارث بن راشد
الناجى على علىّ بن أبى طالب بعد النهروان ٦٤٣
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٤٧
ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين ٦٥٤
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٦٩
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ٦٧٤
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٨٠
سنة أربعين من الهجرة النبوية ٦٨٢

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء العاشر ،
ويليه الجزء الحادى عشر ، وأوله :
ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ،
رضى اللّه عنه

رقم الإيداع ١٩٩٨/٣١٣٩
I . S . B . N : 977 - 256 - 171 - 9

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٢٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

فهرس

الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية

الموضـوع **الصفحة**

ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى اللّه عنه ،

وما ورد فى ذلك وفى فضله من الأحاديث النبوية ٥

صفة مقتله ، رضى اللّه عنه ١٢

صورة الوصية التى تركها على بن أبى طالب ، رضى اللّه عنه ١٦

فصل : فى ذكر زوجاته وبنيه وبناته ، رضى اللّه عنهم أجمعين ٢٤

باب ذكر شىء من فضائل أمير المؤمنين على بن أبى

طالب ، رضى اللّه عنه ٢٩

حديث المؤاخاة ٣٦

تزويج على فاطمة الزهراء ، رضى اللّه عنهما ٥٣

حديث الطير ٧٥

حديث رد الشمس له حتى صلى العصر ٨٩

حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع ٩٣

فصل : فى ذكر شىء من سيرته العادلة ، وطريقته الفاضلة ،

ومواعظه وقضاياه الفاصلة ١٠٢

غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد ١٢٣

خلافة الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى اللّه عنهما ١٣١

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية ١٣٥

ذكر أيام معاوية بن أبى سفيان ، رضى اللّه عنه ، وملكه ١٤٣

فضل معاوية بن أبى سفيان ، رضى اللّه عنه ١٤٦
خروج طائفة من الخوارج عليه ١٤٨
ومن أعيان من توفى فى هذا العام ١٥٠
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ١٥٤
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ١٥٦
ثم دخلت سنة أربع وأربعين ١٦٤
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ١٦٨
ثم دخلت سنة ست وأربعين ١٧٣
ثم دخلت سنة سبع وأربعين ١٧٦
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ١٧٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين ١٨٠
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ، الحسن بن على بن أبى طالب ١٨١
سنة خمسين من الهجرة ٢١٣
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ٢٢٧
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ٢٥١
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٢٥١
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ٢٥٩
ثم دخلت سنة أربع وخمسين ٢٧٠
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٢٧١
ثم دخلت سنة خمس وخمسين ٢٨١
ذكر من توفى من الأعيان فى هذه السنة ٢٨٢
ثم دخلت سنة ست وخمسين ٣٠٥

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ٣١١
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ٣١٣
قصة غريبة ٣١٤
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٣١٧
قصة عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق مع ليلى بنت الجودى
ملك عرب الشام ٣٣٢
ثم دخلت سنة تسع وخمسين ٣٤٤
قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى مع ابنى زياد عبيد اللّه وعباد ٣٤٥
ذكر من توفى فى هذه السنة من المشاهير والأعيان ٣٤٩
سنة ستين من الهجرة النبوية ٣٩١
ترجمة معاوية ، رضى اللّه عنه ، وذكر شىء من أيامه ودولته
وما ورد فى مناقبه وفضائله ٣٩٦
ذكر من تزوج من النساء ومن وُلد له ٤٦٢
فصل : فيمن اتخذهم معاوية على القضاء والحراسة والحُجابة والشرطة ... ٤٦٤
فصل : فيمن توفى فى هذه السنة ٤٦٥
إمارة يزيد بن معاوية وما جرى فى أيامه ٤٦٦
قصة الحسين بن على ، رضى اللّه عنهما ، وسبب خروجه بأهله من
مكة إلى العراق فى طلب الإمارة وكيفية مقتله ، رضى اللّه عنه ٤٧٣
صفة مخرج الحسين وما جرى له بعد ذلك ٤٩٤
ثم دخلت سنة إحدى وستين ٥٢١
صفة مقتله ، رضى اللّه عنه ، مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن
لا كما يزعمه أهل التشيع ٥٢١

فصل : فى الإخبار بمقتل الحسين بن على رضى اللّه عنهما ٥٦٩
فصل : فى ذكر شىء من فضائله ٥٨٢
فصل : فى ذكر شىء من أشعاره التى رويت عنه ٥٩٣
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٦٠١
ثم دخلت سنة ثنتين وستين ٦٠٧
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦١٠
ثم دخلت سنة ثلاث وستين ٦١٤
ثم دخلت سنة أربع وستين ٦٣٣
ترجمة يزيد بن معاوية ٦٣٧
ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم ٦٦٠
إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية ٦٦٢
إمارة عبد اللّه بن الزبير ، رضى اللّه عنه ٦٦٦
ذكر بيعة مروان بن الحكم ٦٦٨
وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهرى ، رضى اللّه عنه .. ٦٧٣
ذكر هدم الكعبة وبنائها فى أيام ابن الزبير ٦٩١
ثم دخلت سنة خمس وستين ٦٩٥
وقعة عين وردة ٦٩٩
ترجمة مروان بن الحكم ، جد خلفاء بنى أمية الذين كانوا بعده ٧٠٦
خلافة عبد الملك بن مروان ٧١٥

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء

الحادى عشر ويليه الجزء الثانى عشر

وأوله : سنة ست وستين

فهرس

الجزء الثانى عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة ست وستين	٥
فصل فى تتبع المختار لقَتَلةِ الحسين	١٥
ذكر مقتلِ شمر بن ذى الجوشن أمير السرية التى قتلت حسينا	١٩
مقتل خَوْلىّ بن يزيد الأصبحى الذى احتزَّ رأس الحسين	٢٤
مقتل عمر بن سعد بن أبى وقاص	٢٥
فصل فى مصانعة المختارِ ابنَ الزبيرِ ... يريدُ خداعَه	٣٢
فصل فى شخوص إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد اللّه بن زياد	٣٧
بدء عبد الملك بن مروان فى بناء القبة على صخرة بيت المقدس	٤١
ثم دخلت سنة سبع وستين	٤٥
مقتل عبيد اللّه بن زياد	٤٥
مقتل المختار بن أبى عبيد الثقفى الكذاب	٥٨
فصل : ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة	٧٢
وممن توفى فيها من الأعيان	٧٣
ثم دخلت سنة ثمان وستين	٧٤
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان	٧٧
ذكر وفاة عبد اللّه بن عباس ترجمان القرآن	٧٨
فصل فى تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان	١٠٥
صفة ابن عباس ، رضى اللّه عنه	١١٠
ثم دخلت سنة تسع وستين	١١٤

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق ١١٤
وممن توفى فيها من الأعيان ١٢٨
ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة ١٣٠
وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٠
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ١٣٥
مقتل مصعب بن الزبير ١٣٥
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ١٥٨
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ١٦٣
ترجمة ابن خازم ١٦٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٩
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ١٧٧
مقتل عبد اللّه بن الزبير على يدى الحجاج (المبير) ١٧٧
ترجمة أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير ، رضى اللّه عنه ١٨٦
وممن قتل مع ابن الزبير فى هذه السنة من الأعيان ٢٢٠
وممن توفى فيها غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير ٢٢٥
ثم دخلت سنة أربع وسبعين ٢٢٨
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٣١
ثم دخلت سنة خمس وسبعين ٢٤٣
وممن توفى فى هذه السنة ٢٥٣
ثم دخلت سنة ست وسبعين ٢٥٧
دخول شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ٢٥٩
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٦٥
ثم دخلت سنة سبع وسبعين ٢٦٩

ذكر مقتل شبيب فى هذه السنة عند ابن الكلبى ٢٧٤
وفيها توفى من الأعيان ٢٧٨
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ٢٨٠
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٨١
ثم دخلت سنة تسع وسبعين ٢٨٥
مقتل الحارث بن سعيد المتنبئ الكذاب على يدى عبد الملك بن مروان .. ٢٨٥
مقتل قطرى بن الفجاءة أبو نعامة الخارجى ٢٩٣
ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية ٢٩٦
تجهيز الحَجَّاجِ الجيوشَ من البصرة والكوفة لقتال رتبيل ملك الترك ٢٩٦
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٩٩
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ٣٠٥
فتنة ابن الأشعث ٣٠٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣١١
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ٣١٦
وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج ٣١٦
وقعة دير الجماجم ٣١٨
وفاة المهلب بن أبى صفرة ٣٢٢
وفيها توفى من الأعيان ٣٢٤
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ٣٣٧
بناء واسط ٣٤٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٤٥
مِنْ أعيان من قَتَلَ الحجاجُ ٣٤٨
ثم دخلت سنة أربع وثمانين ٣٥٠

وممن توفى فيها ٣٥١
ثم دخلت سنة خمس وثمانين ٣٥٩
عبد العزيز بنَ مروان ، رحمه اللّه ٣٦٣
ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم لأخيه سليمان ٣٧٠
ذكر من توفى فى هذه السنة ٣٧١
ثم دخلت سنة ست وثمانين ٣٧٥
وفيها توفى أبو أمامة الباهلى ٣٧٦
وفاة عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين ٣٧٧
وممن توفى فى هذه السنة تقريبًا ٣٩٧
خلافة الوليد بن عبد الملك بانى جامع دمشق ٤٠٢
ثم دخلت سنة سبع وثمانين ٤٠٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٩
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ٤١٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١٦
ثم دخلت سنة تسع وثمانين ٤١٨
وفيها توفى من الأعيان ٤٢٠
ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة ٤٢٢
وفيها توفى من الأعيان ٤٢٧
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ٤٣١
وفيها توفى ٤٣٤
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ٤٣٦
وفيها توفى من الأعيان ٤٣٧
ثم دخلت ثلاث وتسعين ٤٣٩

فتح سمرقند ٤٤٠
فيها توفى من الأعيان ٤٤٦
ثم دخلت سنة أربع وتسعين ٤٦٠
مقتل سعيد بن جبير ، رحمه اللّه ٤٦٢
ذكر من توفى فيها من المشاهير والأعيان ٤٦٨
ثم دخلت سنة خمس وتسعين ٥٠٥
ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى وذكر وفاته ٥٠٧
فصل فى كيفة دخول الحجاج الكوفة سنة خمس وسبعين ٥١٨
فصل فيما روى عنه من الكلمات الناقصة والجراءة البالغة ٥٣٢
وممن توفى سنة خمس وتسعين ٥٥٤
ثم دخلت سنة ست وتسعين ٥٥٧
فصل فيما روى فى جامع دمشق من الآثار ٥٨٧
الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا ٥٩٣
ذكر الساعات التى على بابه ٥٩٩
ذكر ابتداء أمر السُّبع بالجامع الأموى ٦٠١
فصل فى ابتداء عمارة جامع دمشق ٦٠٤
ترجمة الوليد بن عبد الملك وذكر وفاته ٦٠٥
وممن هلك أيام الوليد بن عبد الملك ٦١٢
خلافة سليمان بن عبد الملك ٦١٣
ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم ٦١٥
ثم دخلت سنة سبع وتسعين ٦٢١
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢٢
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ٦٣١

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٣٧
ثم دخلت سنة تسع وتسعين ٦٣٨
خلافة عمر بن عبد العزيز ، رضى اللّه عنه ٦٥٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٥٩
سنة مائة من الهجرة النبوية ٦٦٤
بدوُّ دعوة بنى العباس ٦٦٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٩
ثم دخلت سنة إحدى ومائة ٦٧٥
ترجمة عمر بن عبد العزيز ، رحمه اللّه ٦٧٦
فصل فى مناقبه ، رضى اللّه عنه ٦٨٦
فصل فى ردِّه المظالمَ ٧١١
ذكر سبب وفاته ، رحمه اللّه ٧١٤
خلافة يزيد بن عبد الملك ٧٢١
وفيها توفى مع عمر بن عبد العزيز ٧٢٣
ثم دخلت سنة ثنتين ومائة ٧٢٤
ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان ٧٢٩
ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين ٧٢٩
وممن توفى فيها من الأعيان ..... ٧٣١، ٧٣٢

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء
الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر
وأوله : ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فهرس

الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة ثلاث ومائة	٥
وممن توفى فيها من الأعيان	٥
ثم دخلت سنة أربع ومائة	٨
وممن توفى فيها من الأعيان	١٠
ثم دخلت سنة خمس ومائة	١٢
خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان	١٧
وممن توفى فيها من الأعيان	١٨
ثم دخلت سنة ست ومائة	٢٠
وممن توفى فيها من الأعيان	٢١
ثم دخلت سنة سبع ومائة	٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٣
ثم دخلت سنة ثمان ومائة	٣٧
ثم دخلت سنة تسع ومائة	٣٩
سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية	٤٠
ذكر من توفى فيها من الأعيان	٤١
ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة	٦٠
ثم دخلت سنة ثنتى عشرة ومائة	٦١

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٣
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة ٦٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٥
ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة ٦٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩
ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة ٧٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢
ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة ٧٤
ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ٧٦
ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة ٨١
ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة ٨٥
سنة عشرين ومائة من الهجرة النبوية ٩٢
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة ٩٨
ذكر من توفى فيها من الأعيان ١٠١
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ١٠٦
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ١١٦
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ١٢٨
ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة ١٣٠
ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة ١٥٠
ذكر وفاة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وترجمته ، رحمه اللّه ١٥١
خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، قبحه اللّه وأبعده ١٦٠
وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٦

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة ١٦٨
صفة مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وزوال دولته ١٧٠
ذكر قتل يزيد بن الوليد الذى يقال له : الناقص . للوليد بن يزيد
وكيف قتل ١٧٤
خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ١٨٣
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ١٩٤
ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة ٢٠٥
ذكر دخول مروان الحمار دمشق فيها وولايته الخلافة ، وعزله إبراهيم
ابن الوليد عنها ٢٠٧
وممن توفى فى هذه السنة ٢١٤
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة ٢١٦
وممن توفى فى هذه السنة ٢٢١
ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة ٢٢٣
أول ظهور أبى مسلم الخراسانى بخراسان ٢٢٤
مقتل الكرمانى ٢٢٩
وممن توفى فى هذه السنة ٢٣٤
سنة ثلاثين ومائة ٢٣٥
مقتل شيبان بن سلمة الحرورى ٢٣٥
ذكر دخول أبى حمزة الخارجى المدينة النبوية واستيلائه عليها
مدة ثلاثة أشهر حتى ارتحل منها ٢٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤١
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة ٢٤٢

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة ٢٤٥
ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الإمام ٢٤٦
خلافة أبى العباس السفاح ٢٤٩
ذكر مقتل مروان بن محمد بن مروان ٢٥٤
صفة مقتل مروان الحمار ٢٥٧
شيء من ترجمة مروان الحمار ٢٦٢
ذكر ما ورد فى انقضاء دولة بنى أمية وابتداء دولة بنى العباس من الأخبار النبوية وغيرها ٢٦٦
ذكر استقلال أبى العباس عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس الملقب بالسفاح ، وما اعتمده فى أيامه من السيرة الحسنة والعدالة التامة ٢٧٥
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٢٨٢
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة ٢٨٦
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة ٢٨٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨٩
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة ٢٩١
ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة ٢٩٢
ترجمة أبى العباس السفاح وذكر وفاته ٢٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠٠
خلافة أبى جعفر المنصور ٣٠١
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة ٣٠٣
ذكر خروج عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن عباس على ابن أخيه

المنصور ٣٠٣
ذكر مهلك أبى مسلم الخراسانى ٣٠٦
ترجمة أبى مسلم الخراسانى ٣١٣
ومن مشاهير من توفى فى هذه السنة ٣٢٨
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة ٣٢٩
وممن توفى فيها ٣٣٠
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة ٣٣٢
ثم دخلت سنة أربعين ومائة ٣٣٤
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة ٣٣٦
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة ٣٤١
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة ٣٤٨
ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة ٣٤٩
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة ٣٥٥
فصل : فى ذكر مقتل محمد بن عبد اللّٰه بن حسن ٣٦٢
خروج إبراهيم بن عبد اللّٰه بن حسن ٣٦٣
ذكر خروج إبراهيم بن عبد اللّٰه بن حسن بالبصرة وكيفية مقتله ٣٧٢
ذكر من توفى فى هذه السنة ٣٨٠
وممن توفى فيها أيضًا من المشاهير ٣٨٣
ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة ٣٨٧
ذكر ما ورد فى ذكر مدينة بغداد من الآثار ، والتنبيه على ضعف ما
رُوى فيها من الأخبار ٣٩٨
فصل : فى ذكر محاسن بغداد ، وما روى فيها عن الأئمة النقاد ٤٠٠

وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٤
ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة ٤٠٦
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة ٤٠٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة ٤١١
ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة ٤١٤
وفاة الإمام أبى حنيفة وذكر ترجمته ٤١٥
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة ٤٢١
بناء الرصافة ٤٢٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٢٤
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة ٤٢٥
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة ٤٢٦
ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة ٤٣٠
ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة ٤٣٥
بناء الرافقة ، المدينة المشهورة ٤٣٥
ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة ٤٤٠
ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة ٤٤٢
ذكر شيء من ترجمة الأوزاعى ، رحمه اللّه ٤٤٣
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة ٤٥٧
ترجمة أبى جعفر المنصور ٤٥٩
ذكر أولاد المنصور ٤٧٤
ذكر خلافة المهدى بن المنصور ٤٧٤

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة ٤٧٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٠
ثم دخلت سنة ستين ومائة من الهجرة ٤٨١
ذكر البيعة لموسى الهادى وهارون الرشيد ٤٨١
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٥
ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة ٤٨٨
ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة ٤٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٩٤
ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة ٥١٩
ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة ٥٢٣
ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة ٥٢٥
ثم دخلت سنة ست وستين ومائة ٥٢٧
ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة ٥٣٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٣٣
ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة ٥٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٣٧
ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة ٥٤٠
خلافة موسى الهادى بن المهدى ٥٥٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٥
ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية ٥٥٦
ذكر شيء من ترجمة الهادى ٥٥٨
خلافة هارون الرشيد بن المهدى ٥٦١

ذكر من توفى فيها من الأعيان ٥٦٣
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة ٥٦٦
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة ٥٦٧
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة ٥٦٨
وممن توفى فى هذه السنة ٥٧٢
ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة ٥٧٥
ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة ٥٧٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧٧
ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة ٥٨٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٨٦
ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة ٥٩١
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٥٩١
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة ٥٩٣
ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة ٥٩٧
ذكر من توفى فيها من السادة الأعيان ٥٩٨
ثم دخلت سنة ثمانين ومائة ٦٠٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٤
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة ٦٠٩
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٦٠٩
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة ٦١٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١٤
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة ٦٢٢

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢٢
ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة ٦٢٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢٦
ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة ٦٣٠
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٣١
ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة ٦٣٤
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٦٣٥
ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة (مهلك البرامكة) ٦٣٩
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٦٥٠
حكاية غريبة ٦٥٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٠
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة ٦٦٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٥
ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة ٦٦٨
ذكر من توفى فيها من الأعيان ٦٦٩
سنة تسعين ومائة من الهجرة ٦٧٤
ذكر من توفى فيها من المشاهير والأعيان ٦٧٥

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء الثالث عشر ،

ويليه الجزء الرابع عشر ، وأوله :

سنة إحدى وتسعين ومائة

فهرس

الجزء الرابع عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة	٥
ذكر من توفى فيها من الأعيان	٧
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة	٩
وممن توفى فيها من الأعيان	١٠
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة	٢٥
ذكر وفاة هارون الرشيد	٢٦
خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد	٥٠
ذكر اختلاف الأمين والمأمون	٥١
وفيها توفى من الأعيان	٥٣
ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة	٥٦
وقد توفى فيها من الأعيان	٥٨
ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة	٦١
وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان	٦٣
ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة	٨٧
ذكر سبب خلع الأمين	٨٨
وفيها توفى	٩٢
ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة	٩٤

وفيها توفى من السادة الأعيان ٩٧
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة ٩٩
خلافة عبد اللّه المأمون بن هارون الرشيد ١٠٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٠٨
ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة ١٠٩
وممن توفى فيها من الأعيان ١١١
ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة النبوية ١١٣
وفيها توفى من الأعيان ١١٦
ثم دخلت سنة إحدى ومائتين ١١٨
ذكر بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدى ١٢٠
وفيها توفى من الأعيان ١٢١
ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين ١٢٢
وفيها توفى من الأعيان ١٢٥
ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين ١٢٦
ذكر خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدى ودعائهم للمأمون ١٢٧
وممن توفى من الأعيان ١٢٨
ثم دخلت سنة أربع ومائتين ١٢٩
وفيها توفى من الأعيان ١٣١
سنة خمس ومائتين ١٤٢
وفيها توفى من الأعيان ١٤٣
ثم دخلت سنة ست ومائتين ١٥٨
وفيها توفى من الأعيان ١٥٩
ثم دخلت سنة سبع ومائتين ١٦١

وفيها توفى من الأعيان ١٦٥
ثم دخلت سنة ثمان ومائتين ١٦٨
وفيها توفى من الأعيان ١٦٩
ثم دخلت سنة تسع ومائتين ١٧٤
وفيها توفى من مشايخ الحديث ١٧٤
ثم دخلت سنة عشر ومائتين ١٧٦
ظهور إبراهيم بن المهدى بعد اختفائه ١٧٦
عرس بوران ١٧٩
وفيها توفى من الأعيان ١٨١
ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين ١٨٢
وفيها من توفى من الأعيان ١٨٢
ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين ١٨٦
وفيها توفى من الأعيان ١٨٧
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين ١٨٨
وفيها توفى من الأعيان ١٨٩
ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين ١٩٤
وفيها توفى من الأعيان ١٩٥
ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين ١٩٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٨
ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين ٢٠٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٢
ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين ٢٠٥
وفيها توفى من الأعيان ٢٠٦

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين ٢٠٧
ذكر أول محنة الإمام أحمد ٢٠٧
خلافة المعتصم باللّه بن هارون الرشيد ٢٣٢
وممن توفى من المشاهير والأعيان ٢٣٣
سنة تسع عشرة ومائتين ٢٣٧
وفيها من توفى من الأعيان ٢٣٨
ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة النبوية ٢٣٩
وفيها توفى من الأعيان ٢٤٠
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين ٢٤٢
وفيها توفى من الأعيان ٢٤٢
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين ٢٤٤
فيها توفى ٢٤٧
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين ٢٤٨
ذكر فتح عمورية على يدى المعتصم ٢٥٢
ذكر مقتل العباس بن المأمون ٢٥٩
وفيها من توفى من الأعيان ٢٦١
ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين ٢٦٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٦٧
ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين ٢٧٢
وفيها توفى من الأعيان ٢٧٤
ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين ٢٧٧
وفيها توفى من سادات المحدثين ٢٧٧
ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين ٢٨١

ذكر وفاة المعتصم ٢٨٢
خلافة الواثق هارون بن المعتصم ٢٨٩
وممن توفى فى هذه السنة من المشاهير ٢٨٩
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين ٢٩٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠١
ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين ٣٠٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠٤
ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين ٣٠٦
وفى هذه السنة توفى ٣٠٦
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين ٣١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢١
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين ٣٢٤
خلافة المتوكل على اللّه بن المعتصم ٣٣١
وفيها توفى من الأعيان ٣٣٢
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ٣٣٣
وفيها توفى ٣٣٥
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين ٣٣٧
وفيها توفى من الأعيان ٣٣٨
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين ٣٤٠
وفيها توفى ٣٤٤
ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين ٣٤٦
وفيها توفى ٣٤٦
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين ٣٤٨

وفيها توفى ٣٥١
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين ٣٥٣
وفيها توفى ٣٥٤
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين ٣٥٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٥٧
ثم دخلت سنة أربعين ومائتين من الهجرة النبوية ٣٦١
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧٢
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين ٣٧٥
توفى فيها من الأعيان ٣٨٠
ذكر شيء من أخبار الإمام أحمد وفضائله ومنافيه ومآثرة ٣٨٠
ذكر ما جاء فى محنة أحمد بن حنبل ٣٩٣
ثناء الأئمة على الإمام أحمد ٤٠٦
ذكر ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة ٤١١
وفاة الإمام أحمد ٤٢٠
ذكر ما رئى من المنامات الصالحة ٤٢٦
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين ٤٣٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٣٠
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين ٤٣٣
وفيها توفى ٤٣٥
ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين ٤٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٣٨
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين ٤٤٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤١

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين ٤٤٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٥
ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين ٤٥٠
ترجمة المتوكل على اللّه ٤٥١
خلافة محمد المنتصر بن المتوكل ٤٥٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٥٧
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين ٤٦٠
خلافة المستعين باللّه ٤٦٤
وفيها توفى من الأعيان ٤٦٥
ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين ٤٦٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٧١
ثم دخلت سنة خمسين ومائتين ٤٧٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٧٨
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين ٤٨٠
وفيها توفى من الأعيان ٤٨٧
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائتين ٤٨٨
ذكر مقتل المستعين ٤٩١
وفى هذه السنة مات ٤٩٢
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين ٤٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٩٥
ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين ٥٠١
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٠١
ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين ٥٠٤

مقتل الخليفة المعتز باللّه ٥٠٥
خلافة المهتدى باللّه ٥٠٨
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٥١٤
ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين ٥١٨
ذكر خلع المهتدى وولاية المعتمد بن المتوكل وإيراد شىء من فضائل المهتدى ٥٢٠
خلافة المعتمد على اللّه، ويعرف بابن فتيان ٥٢٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٦
ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين ٥٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٣٨
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين ٥٤٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤٢
ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين ٥٤٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤٤
ثم دخلت سنة ستين ومائتين ٥٤٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤٦
ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين ٥٤٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٠
ذكر شىء من أخبار مسلم بن الحجاج ٥٥١
ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائتين ٥٥٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٩
ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين ٥٦٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٦٠

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين ٥٦٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٦٣
ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين ٥٦٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٦٧
ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين ٥٦٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧١
ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين ٥٧٣
ذكر مسير أبى أحمد الموفق إلى المدينة التى فيها صاحب الزنج ٥٧٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧٧
ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين ٥٧٩
وفيها توفى من الأعيان ٥٨٠
ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين ٥٨١
فيها توفى ٥٨٣
ثم دخلت سنة سبعين ومائتين من الهجرة ٥٨٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٨٧
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين ٥٩٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٩٩
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائتين ٦٠٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٣
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين ٦٠٦
وفيها كانت وفاة ٦٠٦
ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين ٦١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١٠

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين ٦١٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١٤
ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين ٦٢٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢١
ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين ٦٢٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢٥
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين ٦٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٤٠
ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين ٦٤٢
خلافة المعتضد بالله ٦٤٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٤٥
ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين ٦٥٠
ذكر بناء دار الخلافة ببغداد ٦٥١
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٥٢
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين ٦٥٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٥٦
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائتين ٦٥٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٠
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين ٦٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٤
ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين ٦٧١
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٧٤
ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين ٦٧٧

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٧٨
ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين ٦٨٢
ظهور أبى سعيد الجنابى رأس القرامطة ٦٨٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨٤
ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين ٦٨٩
وممن توفى فيها ٦٩١
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ٦٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٣
ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين ٦٩٧
خلافة المكتفى باللّه ٧١٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧١٦
ثم دخلت سنة تسعين ومائتين ٧١٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٠
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين ٧٢٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٥
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين ٧٢٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٨
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين ٧٣١
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٣٣
ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين ٧٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٣٦
ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين ٧٤١
خلافة المقتدر باللّه جعفر بن المعتضد ٧٤٤

وممن توفى فيها من الأعيان ٧٤٥
ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين ٧٤٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٥١
ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين ٧٥٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٥٧
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين ٧٦٣
وفيها توفى من الأعيان ٧٦٤
ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين ٧٧٤
وفيها توفى من الأعيان ٧٧٥
ثم دخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة ٧٧٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٧٩
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة ٧٨٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٨٦
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة ٧٨٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٩٠
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة ٧٩٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٩٢
ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة ٨٠٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٠١
ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة ٨٠٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٠٦
ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة ٨٠٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٠٨

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة ٨١٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٨١٢
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة ٨١٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٨١٥
ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة ٨١٨
ذكر أشياء من حيل الحلاج ٨٢٦
ذكر صفة مقتل الحلاج ٨٣٣
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٨٤٣
ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة ٨٤٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٤٥

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الرابع عشر،
ويتلوه الجزء الخامس عشر ويبدأ بأحداث
سنة إحدى عشر وثلاثمائة
ولله الحمد والمنة

فهرس

الجزء الخامس عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة	٥
وممن توفى فيها من الأعيان	٧
ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة	١١
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان	١٤
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة	١٨
ذكر من توفى فيها من الأعيان	١٩
ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة	٢١
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٣
ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة	٢٤
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٧
ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة	٣١
وممن توفى فيها من الأعيان	٣٣
ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة	٣٥
ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم	٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان	٤٤
ثم دخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة	٤٨
وممن توفى فيها من الأعيان	٥٠

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة ٥٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤
ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة ٥٧
وهذه ترجمة المقتدر باللّه أمير المؤمنين ٦٠
خلافة القاهر ٦٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٤
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ٦٧
ذكر ابتداء أمر بنى بويه وظهور دولتهم فى هذه السنة ٦٩
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٧١
شغب أم أمير المؤمنين المقتدر باللّه الملقبة بالسيدة ٧٤
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ٧٧
ذكر خلع القاهر وسمل عينيه ٧٩
خلافة الراضى باللّه أبى العباس محمد بن المقتدر باللّه ٨٠
وفاة المهدى صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين فيما زعموا ٨٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٥
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ٨٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٩١
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ٩٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٩٦
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ١٠٣
وفيها توفى من الأعيان ١٠٤
ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة ١٠٦
وفيها توفى أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسى ١٠٨

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ١٠٩
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ١١١
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ١١٥
وممن توفى فى هذه السنة ١١٧
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ١٢٧
ذكر خلافة المتقى أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر باللّه ١٣١
وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٥
ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة ١٣٩
وممن توفى فيها من الأعيان ١٤٤
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ١٤٩
وممن توفى فيها من الأعيان ١٥٢
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة ١٥٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٥٨
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ١٦١
خلافة المستكفى باللّه أبى القاسم عبد اللّه بن المكتفى بن المعتضد ١٦٢
موت القائم الفاطمى وولاية ولده المنصور ١٦٣
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ١٦٦
ذكر أول دولة بنى بويه وحكمهم ببغداد ١٦٧
خلافة المطيع للّه ١٦٨
وممن توفى فيها من الأعيان ١٧١
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ١٨٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٨
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ١٩٤

وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٤
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ١٩٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٧
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ١٩٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٠
وفيها كانت وفاة الخليفة المستكفى باللّه ٢٠١
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ٢٠٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٥
سنة أربعين وثلاثمائة ٢٠٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٩
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ٢١٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢١٣
ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ٢١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٢١٦
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ٢١٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢١٩
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ٢٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢٣
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ٢٢٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢٧
ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة ٢٣١
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٣٢
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ٢٣٤

وممن توفى فيها من الأعيان ٢٣٥
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ٢٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٣٧
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ٢٤٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤٣
ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة ٢٤٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤٩
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة – دخول الروم إلى حلب ٢٥٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٥٦
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ٢٦١
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٣
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ٢٦٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٧
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ٢٦٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٧٢
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ٢٨٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨٥
ترجمة النقفور ملك الأرمن، واسمه الدمستق ٢٨٧
ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ٣٠٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠٧
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ٣١٣
وممن توفى فيها ٣١٤
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ٣١٧

دخول جوهر القائد إلى الديار المصرية ٣١٧
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ٣٢٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢٥
ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة ٣٢٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣١
ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة ٣٣٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣٥
ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة ٣٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٤٠
وممن توفى فيها ٣٤٢
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ٣٤٤
خلافة الطائع وخلع أبيه المطيع للّه ٣٤٥
ذكر الحرب بين المعز الفاطمى والحسن بن أحمد القرمطى ٣٤٦
ملك المعز الفاطمى دمشق وانتزاعه إياها من يد القرامطة ٣٤٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٥٠
ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة ٣٥٥
ذكر أخذ دمشق من أيدى الفاطميين ٣٥٨
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٣٦١
ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة ٣٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٦٤
المعز الفاطمى ٣٦٥
ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة ٣٦٩

ابتداء ملك سبكتكين والد محمود صاحب غزنة ٣٧٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧٧
ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة ٣٨٢
صفة مقتل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وأخذ عضد الدولة الموصل وأعمالها ٣٨٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٨٧
ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة ٣٨٩
ذكر ملك قسام التراب لدمشق ٣٨٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٩١
ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة ٣٩٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٩٩
ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة ٤٠٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٤٠٢
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ٤٠٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٥
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة ٤١٠
ذكر شيء من أخبار عضد الدولة ٤١٠
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ٤١٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١٧
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ٤١٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٢٠
ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ٤٢٢
ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة ٤٢٦

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ٤٢٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٢٨
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ٤٣٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٣٠
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ٤٣٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٤٣٣
ثم استهلت سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة ٤٣٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٣٦
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ٤٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٠
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة ٤٤٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٤
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ٤٤٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٧
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ٤٤٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٩
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ٤٥٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٥٣
ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة ٤٦٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٦٦
العزيز صاحب مصر ٤٦٨
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ٤٧٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٧٠

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ٤٧٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٧٩
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ٤٨٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٣
ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة ٤٨٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٥
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ٤٩٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٩٢
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة ٤٩٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٩٧
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ٥٠٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٠١
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ٥٠٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٠٦
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ٥٠٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٠٨
ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة ٥١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥١١
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ٥١٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥١٦
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ٥١٨
قصة مصحف عبد اللّه بن مسعود، رضى اللّه عنه، وتحريفه عن
فتيا الشيخ أبى حامد الإسفراييني مما ذكره ابن الجوزى فى «المنتظم» ٥١٩

ذكر تخريب قمامة فى هذه السنة ٥٢١
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٢
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ٥٢٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٦
سنة أربعمائة من الهجرة النبوية ٥٢٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٩
ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة ٥٣٢
وممن توفى فيها من الأعيان والأشراف ٥٣٣
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة ٥٣٧
ذكر الطعن فى نسب الفاطميين من أئمة بغداد وغيرها من البلدان ٥٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤٠
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة ٥٤٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤٦
ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة ٥٥٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٤
ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة ٥٥٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٦
ثم دخلت سنة ست وأربعمائة ٥٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٦٤
ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة ٥٧٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧١
ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة ٥٧٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧٥

ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة ٥٧٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧٦
ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة ٥٨٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٨٠
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة ٥٨٢
صفة مقتل الحاكم العبيدى صاحب مصر ، لعنه اللّه ٥٨٤
ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وأربعمائة ٥٨٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٨٧
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ٥٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٩٤
ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة ٥٩٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٩٩
ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة ٦٠٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٢
ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة ٦٠٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٧
ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة ٦١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١١
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة ٦١٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١٧
ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة ٦٢١
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢١
ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة ٦٢٥

ومن توفى فيها من الأعيان ٦٢٦
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ٦٢٨
ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٣١
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ٦٣٦
خلافة القائم بالله ٦٣٦
ومن توفى فيها من الأعيان والكبراء غير الخليفة، رحمه الله ٦٣٨
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ٦٤١
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٤٣
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة ٦٤٦
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٤٧
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة ٦٤٨
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٥٠
ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة ٦٥٣
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٥٣
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة ٦٥٨
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٥٩
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ٦٦١
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٦٢
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة ٦٦٩
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٧١
ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة من الهجرة النبوية ٦٧٣
ومن توفى فيها من الأعيان ٦٧٤
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ٦٧٩

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٧٩
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة ٦٨١
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨٣
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ٦٨٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨٥
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ٦٨٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨٨
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ٦٨٩
ذكر مُلك أبى كاليجار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة ابن بهاء الدولة ... ٦٨٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٠
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة ٦٩٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٣
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ٦٩٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٧
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ٧٠٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٠٠
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ٧٠٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٠٣
ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة ٧٠٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٠٧
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ٧١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٧١٢
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة ٧١٦

وممن توفى فيها من الأعيان ٧١٧
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ٧١٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٠
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة ٧٢١
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢١
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة ٧٢٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٥
ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة ٧٢٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٧
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة ٧٢٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٣٢
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ٧٣٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٣٨
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ٧٤١
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٤٥
ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة ٧٥٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٦٠
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ٧٦٥
فصل : لما تخلص السلطان طغرلبك من حصره بهمذان ٧٦٦
صفة أخذ البساسيرى قبحه اللّه ٧٧٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٧٣
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة ٧٧٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٧٨

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ٧٨١
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٧٨٣
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ٧٨٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٨٦
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ٧٨٨
دخول الملك طغرلبك على بنت الخليفة ٧٨٨
وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير ٧٩١
ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة ٧٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٩٥

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء الخامس عشر

ويليه الجزء السادس عشر

ويبدأ بأحداث سنة سبع وخمسين وأربعمائة

وللّه الحمد والمنة

فهرس

الجزء السادس عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة	٥
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة	٧
وممن توفى فيها من الأعيان	٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة	١٢
وممن توفى فيها من الأعيان	١٣
ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية	١٤
وممن توفى فيها من الأعيان	١٥
ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة	١٨
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٠
ثم دخلت سنة ثنتين وستين وأربعمائة	٢١
وفيها توفى فيها من الأعيان والمشاهير	٢٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة	٢٥
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٧
ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة	٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان	٣٥
ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة	٣٧

وممن توفى فيها من الأعيان ٣٩
ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة ٤٤
غرق العراق ٤٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٥
ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة ٤٧
صفة موت الخليفة القائم بأمر اللّه ٤٧
خلافة المقتدى بأمر اللّه ٤٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٥١
ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة ٥٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥
ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة ٥٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١
ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة من الهجرة النبوية ٦٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ٧١
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ٧٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٤
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ٧٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٦
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة ٧٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٩

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ٨٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٢
ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة ٨٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٦
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة ٩٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٩١
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٩٤
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة ١٠٢
وممن توفى فيها من الأعيان ١٠٥
ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة ١٠٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٠٨
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ١١٢
وممن توفى فيها من الأعيان ١١٢
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة ١١٣
وممن توفى فيها من الأعيان ١١٤
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ١١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ١١٧
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ١١٨
وممن توفى فيها من الأعيان ١٢٠
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ١٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان ١٢٥

السلطان ملكشاه ١٢٩
ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة ١٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٧
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ١٤٠
شيء من ترجمة المقتدى بأمر اللّه ١٤١
خلافة المستظهر باللّه ١٤١
وممن توفى فيها من الأعيان ١٤٣
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ١٤٦
وممن توفى فيها من الأعيان ١٤٨
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة ١٥٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٥٧
ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة ١٦١
وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٢
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ١٦٤
وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٥
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ١٦٦
وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٨
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ١٧١
وممن توفى فيها من الأعيان ١٧٣
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ١٧٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٧٧
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ١٨١

وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٢
ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ١٨٣
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٤
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة ١٨٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٦
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ١٨٨
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٨
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ١٩١
وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٢
ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة النبوية ١٩٤
وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٦
ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة ٢٠١
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٢
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة ٢٠٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٤
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ٢٠٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٧
ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة ٢٠٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٩
ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة ٢١٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢١٣
ثم دخلت سنة ست وخمسمائة ٢١٦

وممن توفى فيها من الأعيان ٢١٦
ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة ٢٢٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢١
ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة ٢٢٥
ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة ٢٢٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢٧
ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة ٢٢٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢٩
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة ٢٣٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٣٣
ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وخمسمائة ٢٣٦
وفاة الخليفة المستظهر باللّه ٢٣٦
خلافة المسترشد باللّه ٢٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٣٨
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ٢٤٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤١
ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة ٢٤٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤٨
ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة ٢٥٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٥٢
ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ٢٥٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٥٨

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة ٢٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٤
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة ٢٦٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٥
ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة ٢٦٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٧
ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة من الهجرة النبوية ٢٦٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٧١
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ٢٧٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٧٦
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ٢٧٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٧٩
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ٢٨١
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨٢
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ٢٨٤
قتل خليفة مصر الفاطمى ٢٨٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨٥
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ٢٨٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨٨
ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ٢٩٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٩٣
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة ٢٩٥

وممن توفى فيها من الأعيان ٢٩٦
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ٣٠٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠٠
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ٣٠٣
ذكر شيء من ترجمة المسترشد ٣٠٥
خلافة الراشد باللّه ٣٠٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠٦
ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ٣٠٩
خلافة المقتفى لأمر اللّه ٣١٠
فائدة حسنة ٣١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣١١
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ٣١٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣١٤
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ٣١٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣١٦
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ٣٢١
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢٢
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ٣٢٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢٧
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ٣٢٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢٨
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة ٣٣١

وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣١
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ٣٣٣
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ٣٣٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣٤
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ٣٣٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣٦
ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة ٣٣٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣٨
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ٣٤٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٤٢
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ٣٤٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٤٥
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ٣٤٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٥٠
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة ٣٥٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٥٥
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة ٣٥٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٦٠
ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة ٣٦٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٦٣
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة ٣٦٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٦٦

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ٣٦٨
وفيها كانت وفاة ٣٦٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة ٣٧٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧١
ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة ٣٧٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧٤
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ٣٧٦
ذكر حصار بغداد ٣٧٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧٨
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة ٣٨١
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٨٢
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ٣٨٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٨٦
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة ٣٩٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٩١
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ٣٩٣
خلافة المستنجد باللّه ٣٩٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٩٦
ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة ٣٩٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٢
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة ٤٠٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٣

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ٤٠٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٧
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة ٤٠٩
وقعة حارم ٤١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١١
ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة ٤١٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١٤
ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة ٤١٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١٨
ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة ٤٢١
فتح الإسكندرية على يد أسد الدين شيركوه ٤٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٢٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة ٤٢٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٢٦
ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة ٤٢٨
صفة الخلعة التى لبسها صلاح الدين ٤٣١
ذكر قتل الطواشى وأصحابه على يد صلاح الدين ٤٣٣
وقعة السودان ٤٣٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٣٥
ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة ٤٤٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٢
ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة ٤٤٤

خلافة المستضىء ٤٤٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٨
ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة ٤٥٠
موت العاضد آخر خلفاء العبيديين ٤٥٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٦١
ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة ٤٦٣
فتح بلاد النوبة ٤٦٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٦٤
ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة ٤٧٠
مقتل عمارة بن أبى الحسن بن زيدان الحكمى ٤٧٤
فصل : فى وفاة الملك العادل نور الدين محمود وذكر شىء من سيرته ٤٨٠
صفة الملك نور الدين ٤٩٣
فصل : فلما مات نور الدين بويع من بعده لولده الصالح إسماعيل ٤٩٤
وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير ٤٩٦
ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة ٤٩٩
وفيها توفى من الأعيان ٥٠٧
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ٥٠٩
وفيها توفى من الأعيان ٥١٤
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ٥١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٠
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ٥٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٥

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة ٥٢٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٣١
ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ٥٣٥
تخريب حصن بيت الأحزان ٥٣٧
وفاة المستضىء بأمر اللّه ، وشىء من ترجمته ٥٤٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤١
خلافة الناصر لدين اللّه أحمد بن المستضىء ٥٤٢
ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة ٥٤٤
وفاة تورانشاه أخى السلطان ٥٤٥
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٥٤٨
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة ٥٥١
ذكر وفاة الملك الصالح إسماعيل ، وما جرى بعده من الأمور ٥٥١
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٥
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ٥٥٦
فصل : فى وفاة الملك المنصور عز الدين ٥٥٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٥٩
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة ٥٦٢
ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة ٥٦٧
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ٥٦٩
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٥٧١
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ٥٧٦
وممن توفى فى هذه السنة من المشاهير ٥٧٨

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ٥٧٩
ذكر فتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدى النصارى ٥٨٥
ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه فى الدولة الصلاحية ٥٨٨
نكتة غريبة ٥٩٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٥٩٧
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ٦٠٠
فصل: فى صفة فتح صفد وحصن كوكب ٦٠٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٠٤
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ٦٠٧
قصة عكا وما كان من أمرها ٦٠٧
وقعة مرج عكا ٦٠٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٩
ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة ٦١٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٢٥
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ٦٢٧
فصل: فى كيفية أخذ العدو مدينة عكا من يد السلطان ٦٢٨
فصل: فيما جرى من الحوادث بعد أخذ الفرنج عكا ٦٣٣
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٣٦
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ٦٣٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٤٨
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة ٦٥١
ذكر تركته وشىء من ترجمته ٦٥٤

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٠
ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة ٦٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٥
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ٦٦٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٩
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة ٦٧١
وفيها توفى ٦٧٢
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ٦٧٤
وفى هذه السنة توفى ٦٧٧
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة ٦٨٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨١
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة ٦٨٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٠
ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة ٦٩٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٤
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة ٧٠٣
وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان ٧٠٦
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ٧١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٧١٧
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة ٧٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٢٣
سنة ستمائة من الهجرة النبوية ٧٢٨

وممن توفى فيها من الأعيان ٧٣١
ثم دخلت سنة إحدى وستمائة ٧٣٨
وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان ٧٣٩
ثم دخلت سنة ثنتين وستمائة ٧٤٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٤٥
ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة ٧٥٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٥١
ثم دخلت سنة أربع وستمائة ٧٥٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٥٩
ثم دخلت سنة خمس وستمائة ٧٦٣
وممن توفى فيها أيضًا ٧٦٥

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء السادس عشر،
ويتلوه الجزء السابع عشر ويبدأ بأحداث
سنة ست وستمائة
وللّه الحمد والمنة

فهرس

الجزء السابع عشر من « البداية والنهاية »

الموضـوع | الصفحة

ثم دخلت سنة ست وستمائة ٥
وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان ٦
ثم دخلت سنة سبع وستمائة ١٥
ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين ١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠
ثم دخلت سنة ثمان وستمائة ٢٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨
ثم دخلت سنة تسع وستمائة ٣٢
وفيها توفى ٣٣
ثم دخلت سنة عشر وستمائة ٣٥
وفيها توفى ٣٦
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة ٤١
وممن توفى فيها من الأعيان وغيرهم ٤٣
ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وستمائة ٤٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٦

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة ٥١
وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير ٥٢
ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة ٦١
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٤
ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة ٧٠
صفة أخذ الفرنج دمياط ٧٣
وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان ٧٦
ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة ٧٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٨٣
ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة ٨٨
وممن توفى فيها من الأعيان ١٠٠
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ١٠٦
وممن توفى فيها من الأعيان ١٠٨
ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة ١١٢
وممن توفى فيها من الأعيان ١١٤
ثم دخلت سنة عشرين وستمائة ١١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ١١٦
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة ١٢٧
وممن توفى فيها من الأعيان ١٢٩
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة ١٣٢
وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر ١٣٣
خلافة الظاهر بن الناصر ١٣٦

وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٨
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة ١٤٧
وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر ١٤٨
خلافة المستنصر بالله العباسى أمير المؤمنين أبى جعفر منصور بن
الظاهر محمد بن الناصر أحمد ١٥٠
وممن توفى فيها من الأعيان ١٥٢
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة ١٥٨
وممن توفى فيها من الأعيان ١٥٩
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة ١٧١
ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة ١٧٣
وممن توفى فيها من الأعيان ١٧٤
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة ١٨٠
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٢
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة ١٨٣
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٦
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة ١٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٤
سنة ثلاثين وستمائة ٢٠٠
وممن توفى فيها من المشاهير ٢٠٢
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة ٢١٢
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢١٤
ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ٢٢٠

وفيها توفى ٢٢٠
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ٢٢٣
وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان ٢٢٣
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة ٢٢٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢٩
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة ٢٣١
ذكر وفاة الملك الكامل محمد بن العادل ٢٣٥
ذكر ما جرى بعده ٢٣٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٣٩
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة ٢٤٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤٣
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة ٢٤٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤٩
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة ٢٥١
وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير ٢٥٢
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة ٢٥٥
وفيها توفى ٢٥٦
ثم دخلت سنة أربعين وستمائة ٢٦٠
خلافة المستعصم بالله أمير المؤمنين ٢٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٦
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة ٢٦٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٦٩

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة ٢٧٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٧٤
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة ٢٧٧
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٢٨١
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة ٢٨٨
وفيها توفى ٢٩٠
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة ٢٩٢
وممن توفى فيها من المشاهير ٢٩٣
ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة ٢٩٧
وممن توفى فيها ٢٩٩
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة ٣٠٣
وممن قتل فى هذه السنة ٣٠٥
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة ٣٠٧
تمليك الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى مصر بعد بنى أيوب ،
وتداول دولة الأتراك ٣٠٨
ذكر ملك الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر فاتح القدس صاحب
حلب لدمشق حرسها الله تعالى ٣٠٨
ذكر شيء من ترجمة الصالح أبى الخيش إسماعيل واقف تربة
أم الصالح ٣١٠
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان والمشاهير ٣١٠
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة ٣١٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣١٥

سنة خمسين وستمائة ٣١٦
وفيها توفى ٣١٧
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة ٣٢١
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستمائة ٣٢٣
وممن توفى فيها من المشاهير ٣٢٤
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة ٣٢٦
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة ٣٢٨
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٣٤٢
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة ٣٤٧
وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٣٥٠
ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة ٣٥٦
ذكر من توفى فى هذه السنة من المشاهير والأعيان ٣٦٤
أرجوزة لبعض الفضلاء انتظم فيها ذكر جميع الخلفاء ٣٦٨
فصل ٣٧٤
فصل ٣٧٥
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة ٣٨٦
ولاية الملك المظفر قطز ٣٨٨
وفيها توفى من الأعيان ٣٨٩
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة ٣٩٥
أخذ التتار حلب ودمشق ٣٩٥
صفة أخذهم لدمشق وزوال ملكهم عنها سريعًا ٣٩٧
وقعة عين جالوت ٣٩٩

ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضارى بيبرس البندقدارى ٤٠٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٨
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة ٤٢١
ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبى القاسم ٤٢٥
تولية الخليفة المستنصر بالله الملكَ الظاهر السلطنة ٤٢٨
ذكر تجهيز الخليفة قاصدًا إلى بغداد ٤٢٩
ثم دخلت سنة ستين وستمائة ٤٣٥
ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسى ٤٣٦
وفيها توفى من الأعيان ٤٤٠
ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة ٤٤٥
ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الأمير أبى على القبى ٤٤٥
ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها ٤٤٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٤٩
ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمائة ٤٥٣
وفيها كانت وفاة ٤٥٤
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة ٤٥٩
وممن توفى فيها ٤٦٢
ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة ٤٦٤
وممن توفى فيها ٤٦٧
ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة ٤٦٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٧١
ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة ٤٧٥

فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر ٤٧٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٠
ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة ٤٨١
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٤
ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة ٤٨٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٨٨
ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة ٤٩٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٩٦
ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة ٤٩٩
وفيها توفى ٥٠١
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة ٥٠٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٠٧
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وستمائة ٥١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥١١
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة ٥١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٥١٧
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة ٥١٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢١
ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة ٥٢٣
وقعة البلستين وفتح قيسارية ٥٢٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٢٦
ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة ٥٣٠

وممن توفى فيها من الأعيان ٥٣٧
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة ٥٤٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٤٤
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة ٥٥٧
ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامس ٥٥٩
ذكر بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى ٥٦٠
ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق ٥٦٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٦١
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة ٥٦٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٦٨
ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة ٥٧١
وقعة حمص ٥٧٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٧٨
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة ٥٨٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٨٦
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وستمائة ٥٨٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٩٠
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة ٥٩٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٩٤
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة ٥٩٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٥٩٨
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة ٦٠٢

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٣
ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة ٦٠٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٠٨
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة ٦١٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١٤
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة ٦١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٦١٨
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة ٦٢٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٢٦
ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة ٦٣١
ذكر فتح عكا وبقية السواحل ٦٣٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٤٠
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة ٦٤٦
فتح قلعة الروم ٦٤٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٥٤
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة ٦٥٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٠
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة ٦٦٣
واقعة عسّاف النصرانى ٦٦٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٦٧
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة ٦٧٢
ذكر سلطنة الملك العادل كَتْبُغا ٦٧٣

وفيها توفى من الأعيان ٦٧٦
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة ٦٨٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨٧
ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة ٦٩١
سلطنة الملك المنصور لاجين السلحدار ٦٩٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٦٩٩
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة ٧٠٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٠٥
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة ٧٠٨
ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون . ٧٠٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٧١٢
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة ٧١٧
وقعة قازان ٧١٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٣١
ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية ٧٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٤٠

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء السابع عشر ويليه الجزء

الثامن عشر ، وأوله : ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة

فهرس

الجزء الثامن عشر من « البداية والنهاية »

الموضـوع — الصفحة

ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة ٥

وممن توفى فيها من الأعيان ١١

خلافة المستكفى باللّه أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر اللّه العباسى ١٢

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمائة ١٦

عجيبة من عجائب البحر ١٩

أوائل وقعة شقحب ٢٢

وقعة شقحب ٢٦

وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة ٣٣

وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧

ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة ٤٥

وممن توفى فيها من الأعيان ٤٩

ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة ٥٠

ذكر ما جرى للشيخ تقى الدين ابن تيمية مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة ٥١

أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥٣

وممن توفى فيها من الأعيان ٥٨

ثم دخلت سنة ست وسبعمائة ٦٢

وممن توفى فيها من الأعيان ٦٨
ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة ٧٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٧٧
ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة ٧٨
ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ٨٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٨١
ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة ٨٣
صفة عـود الملك الناصر محمد بن الملك المنصـــور قلاوون إلى الملك وزوال دولة الملك المظفر الجاشنكير وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجى الاتحادى الحلولى ٨٨
ذكر مقتل الجاشنكير ٩٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٩٨
ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة ١٠١
وممن توفى فيها من الأعيان ١٠٧
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة ١٠٩
وممن توفى فيها من الأعيان ١١٦
ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ١٢٠
نيابة تنكز على الشام ١٢٢
وممن توفى فيها من الأعيان ١٢٧
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ١٣٠
وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٢
ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة ١٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٣٩

ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة ١٤٢
فتح ملطية ١٤٢
وممن توفى فيها من الأعيان ١٤٦
ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة ١٤٩
وممن توفى فيها من الأعيان ١٥٥
ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة ١٦٣
صفة خروج المهدى الضال بأرض جبلة ١٦٨
وممن توفى فيها من الأعيان ١٦٩
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة ١٧٥
وممن توفى فيها من الأعيان ١٨٢
ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة ١٩٠
وممن توفى فيها من الأعيان ١٩٤
ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة ١٩٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٠٤
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ٢٠٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٢١١
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة ٢١٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٢١٩
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ٢٢٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٢٧
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة ٢٣٨
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٤٥
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة ٢٥٣

وممن توفى فيها من الأعيان ٢٥٧
ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة ٢٦٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٧١
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة ٢٧٧
وممن توفى فيها من الأعيان ٢٨٢
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ٢٨٩
ذكر وفاة الشيخ تقى الدين ابن تيمية ٢٩٥
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٠٤
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة ٣١٠
وممن توفى فيها من الأعيان ٣١٤
ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمائة ٣٢١
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٢٥
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ٣٣٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٣٨
ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ٣٤٣
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٤٦
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ٣٥٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٥٦
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ٣٦١
قضية القاضى ابن جملة ٣٦٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٦٦
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ٣٧٤
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٧٧

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة ٣٨٢
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٨٦
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ٣٩١
وممن توفى فيها من الأعيان ٣٩٤
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ٣٩٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٤٠٢
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ٤٠٩
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١٠
ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة ٤١٤
سبب مسك تنكز ٤١٦
وممن توفى فيها من الأعيان ٤١٧
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ٤١٨
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وسبعمائة ٤٢٦
كائنة غريبة جدا ٤٢٩
كائنة غريبة جدا ٤٣٣
عجيبة من عجائب الدهر ٤٣٧
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ٤٤٨
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة ٤٦٤
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة ٤٧١
ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة ٤٧٩
وفاة الملك الصالح إسماعيل ٤٨٠
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة ٤٨٤
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ٤٩٢

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر ٤٩٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة ٥٠٢
ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة ٥١١
مسك نائب السلطنة أرغون شاه ٥١٢
كائنة عجيبة غريبة جدا ٥١٣
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ٥٢٠
ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ٥٢٣
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ٥٣٠
كائنة غريبة جدا ٥٣٤
مملكة السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر
محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ٥٣٥
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ٥٣٨
ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق ٥٣٩
بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة
بل يقارب الخمسة ٥٤١
دخول بيبغا آروس إلى دمشق ٥٤٤
قتل الأمراء السبعة من أصحاب بيبغا ٥٥٠
خروج السلطان من دمشق متوجها إلى بلاد مصر ٥٥١
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة ٥٥٣
ذكر أمر غريب جدا ٥٥٥
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمائة ٥٥٩
نادرة من الغرائب ٥٦٠
عودة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ٥٦٣

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة ٥٦٥
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمائة ٥٦٩
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ٥٧٧
كائنة غريبة جدا ٥٧٧
وفاة أرغون الكاملى بانى البيمارستان بحلب ٥٧٩
وفاة الأمير شيخون ٥٧٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة ٥٨١
دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة ٥٨٦
عزل القضاة الثلاثة بدمشق ٥٨٧
مسك الأمير صرغتمش أتابك الأمراء بالديار المصرية ٥٨٩
إعادة القضاة ٥٩٠
عزل منجك عن دمشق ٥٩١
ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة ٥٩٣
مسك الأمير على المارداني نائب الشام ٥٩٥
كائنة وقعت بقرية حوران فأوقع اللّه بهم بأسا شديدا فى
هذا الشهر الشريف ٥٩٦
دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسندمر اليحياوى ٥٩٧
ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة ٦٠٠
الاحتياط على الكتبة والدواوين ٦٠٥
كائنة عجيبة جدا وهى هدم المعلم سنجر مملوك ابن هلال ٦٠٦
مسك نائب السلطنة أسندمر اليحياوى ٦١٠
دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى دمشق ٦١٢
الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم ٦١٥

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة ٦١٧
سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجى
ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد اللّه
الصالحى وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر
محمد بن الملك المنصور قلاوون ٦٢٤
تنبيه على واقعة غريبة واتفاق عجيب ٦٢٩
خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق إلى غزة ٦٣٤
وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربى عقبة سجورا ٦٣٨
سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك ٦٣٩
دخول السلطان محمد بن الملك أمير حاج بن الملك محمد بن
الملك قلاوون إلى دمشق فى جيشه وأمرائه ٦٤٠
خروج السلطان من دمشق قاصدا مصر ٦٤٤
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمائة ٦٤٨
منام غريب جدا ٦٥٠
موت الخليفة المعتضد باللّه ٦٥٥
خلافة المتوكل على اللّه ٦٥٥
أعجوبة من العجائب ٦٥٨
عزل الأمير على عن نيابة دمشق المحروسة ٦٦٠
طلب قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى
الشافعى إلى الديار المصرية معزولًا عن قضاء دمشق ٦٦٠
أعجوبة أخرى غريبة ٦٦١
دخول نائب السلطنة سيف الدين قشتمر ٦٦٢
قدوم قاضى القضاة بهاء الدين أحمد بن قاضى القضاة تقى الدين

عوضًا عن أخيه قاضى القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب ٦٦٣
ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة ٦٦٦
بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم ٦٧٠
غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب ٦٧٣
سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن حسين بن الملك
الناصر محمد بن قلاوون فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان ٦٧٦
وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة المحجى الشافعى،
ومباشرة قاضى القضاة تاج الدين الشافعى بعده ٦٧٨
دخول نائب السلطنة منكلى بغا ٦٨٢
ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة ٦٨٣
فتح باب كيسان بع غلقه نحوًا من مائتى سنة ٦٨٩
تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق ٦٩١
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة ٦٩٣
قتل الرافضى الخبيث ٦٩٥
استنابة ولى الدين بن أبى البقاء السبكى ٦٩٦
ولاية قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء السبكى قضاء مصر
بعد عزل عز الدين بن جماعة نفسه ٦٩٧
طرح مكس القطن المغزول البلدى والمجلوب ٧٠٢
ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة ٧٠٣
استيلاء الفرنج لعنهم اللّه على الإسكندرية ٧٠٤
عقد مجلس بسبب قاضى القضاة تاج الدين السبكى ٧٠٨
عود قاضى القضاة تاج الدين السبكى إلى دمشق ٧١٢
الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية ٧١٣

مما يتعلق بأمر بغداد ٧١٤
وفاة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن حاتم الشافعى ٧١٥
درس التفسير بالجامع الأموى ٧١٩
ثم دخلت سنة ثمان وستين وسبعمائة ٧٢٠
سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية ٧٢٠
مقتل يلبغا الأمير الكبير ٧٢٤

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الثامن عشر
ويليه الجزء التاسع عشر، وهو أول
الفتن والملاحم

رقم الإيداع ١٣٣٠٨/١٩٩٨م
I . S . B . N : 977 - 256 - 188 - 3

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٢٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٢٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٢٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

فهرس

الجزء التاسع عشر من « البداية والنهاية »

الفتن والملاحم

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	(ا) - (هـ)
مقدمة المصنف	٣
خبر الأبلة	٥
ذكر قتال الهند	١٠
حديث معاوية بن أبى سفيان فى قتال الترك	١٦
حديث عبادة فيما يتعلق بما بعد المائة سنة	٢٢
حديث فيما بعد المائتين من الهجرة	٢٣
ذكر سنة خمسمائة	٢٤
ذكر الخبر الوارد فى ظهور نار من أرض الحجاز أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى	٢٦
ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلة بعد زماننا هذا	٢٨
باب ذكر الفتن جملة ثم نفصل ذكرها بعد ذلك إن شاء اللّه تعالى	٣٣
باب افتراق الأمم	٣٦
ذكر شرور تحدث فى هذه الأمة فى آخر الزمان	٤٦
فصل : فى ذكر المهدى الذى يكون فى آخر الزمان	٥٥

ذكر أنواع من الفتن وقعت وستكثر وتتفاقم فى آخر الزمان ٦٧
فصل : فى تعداد الآيات والأشراط الواقعة ٩٢
ذكر قتال الملحمة مع الروم الذى يكون آخره فتح القسطنطينية ٩٩
ذكر خروج الدجال بعد وقوع الملحمة الرومية وفتح القسطنطينية ١١٣
الكلام على أحاديث الدجال ١٢٠
حديث فاطمة بنت قيس فى الدجال ١٢٧
حديث النواس بن سمعان الكلابى فى معناه ، وأبسط منه ١٤١
حديث عن أبى أمامة الباهلى صدى بن عجلان فى معنى
حديث النواس بن سمعان ١٤٧
ذكر أحاديث منثورة فى الدجال ١٥٥
ذكر ما يعصم من الدجال ١٩٩
ملخص سيرة الدجال ، لعنه اللّه تعالى ٢٠٣
صفة الدجال ، قبحه اللّه ولعنه وأخزاه وأخساه ٢٠٨
خبر عجيب ونبأ غريب ٢١١
ذكر نزول عيسى ابن مريم من السماء الدنيا إلى الأرض فى
آخر الزمان ٢١٧
ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك ٢١٩
حديث عن ابن مسعود ٢٢٥
صفة المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه ، عليه السلام ٢٢٧
ذكر خروج يأجوج ومأجوج ٢٣٣
ذكر تخريب الكعبة ، شرفها اللّه ، على يدى ذى السويقتين
الأفحج الحبشى ، قبحه اللّه ٢٤١

ذكر تخريبه إياها ، قبحه اللّه ، وشرفها ٢٤٣
فصل : ٢٤٥
خروج الدابة ٢٤٧
حديث عن ابن أمامة ٢٥٥
ذكر طلوع الشمس من مغربها ٢٥٥
ذكر الدخان الذى يكون قبل يوم القيامة ٢٦٥
ذكر الصواعق التى تكون عند اقتراب الساعة ٢٦٨
ذكر وقوع المطر الشديد قبل يوم القيامة ٢٦٩
باب ذكر أمور لا تقوم الساعة حتى تكون ، منها ما قد وقع ومنها ما لم يقع بعد ٢٧٠
صفة أهل آخر الزمان ٢٨١
ذكر طرق الحديث الذى روى عن النبى ﷺ كل طرفة عين ، أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ٢٨٦
حديث فى تقريب يوم القيامة بالنسبة إلى ما سلف من الأزمنة ٢٩٠
ذكر دنو الساعة واقترابها ٢٩٧
ذكر زوال الدنيا وإقبال الآخرة ٣٠٣
حديث الصور بطوله ٣١٠
فصل : ٣٢٤
ذكر أمر هذه النار ، وحشرها الناس إلى أرض الشام ٣٢٨
نفخة الصعق ٣٣٤
فصل : ٣٣٦
فصل : ٣٣٨

فصل : ٣٣٩
نفخة البعث ٣٤٢
ذكر أحاديث فى البعث ٣٤٥
حديث أبى رزين فى البعث والنشور ٣٤٧
ذكر أسماء يوم القيامة ٣٥٩
ذكر أن يوم القيامة ، هو يوم النفخ فى الصور لبعث الأجساد
من قبورها ، وأن ذلك يكون فى يوم الجمعة ٣٦١
ذكر أن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة رسول اللّه ﷺ ٣٦٦
ذكر بعث الناس حفاة عراة غرلًا ، وذكر أول من يكسى يومئذ
من الناس ٣٧٠
ذكر شىء من أهوال يوم القيامة ٣٨٠
ذكر الأحاديث والآثار الدالة على أهوال يوم القيامة ٣٨٥
فصل : ٣٩٦
ذكر طول يوم القيامة ، وما ورد فى مقداره ٤٠١
ذكر المقام المحمود الذى خُص به رسول اللّه ﷺ ٤٠٩
ذكر ما ورد فى الحوض النبوى المحمدى ٤٢٣
ذكر أن لكل نبى حوضًا وأن حوض نبينا محمدٍ ﷺ وعليهم
أجمعين أعظمها وأجلها ٤٦٧
فصل : ٤٦٩
فصل : ٤٧١
فصل : فى مجىء الرب سبحانه وتعالى كما يشاء يوم القيامة لفصل
القضاء بين خلقه ٤٧٣

ذكر كلام الرب تعالى مع آدم ، عليه السلام ٤٨٢
كلام الرب تعالى مع نوح ، عليه السلام ٤٨٤
ذكر تشريف إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، يوم القيامة
على رءوس الأشهاد ٤٨٦
ذكر موسى ﷺ وظهور شرفه وجلالته وكرامته يوم القيامة ٤٨٧
ذكر عيسى ، عليه الصلاة والسلام ، وكلام الرب معه يوم القيامة ... ٤٨٨
ذكر ما ورد فى كلام الرب سبحانه مع العلماء يوم فصل القضاء ٤٩١
ذكر أول كلامه ، عز وجل ، للمؤمنين ٤٩٢
فصل : ٤٩٣
فصل : فى إبراز النيران والجنان ، ونصب الميزان ، ومحاسبة الديان ٤٩٥
ذكر إبداء عنق من النار إلى المحشر فيطلع على الناس ٤٩٥
ذكر الميزان ٤٩٨
بيان كون الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان ٤٩٩
فصل : ٥١٣
فصل : ٥١٦

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء التاسع عشر
ويليه الجزء العشرون ، وأوله : ذكر العرض
على اللّه ، عز وجل ، يوم القيامة وتطاير الصحف
ومحاسبة الرب ، عز وجل ، عباده

فهرس

الجزء العشرين من « البداية والنهاية »
الفتن والملاحم

الموضـــوع **الصفحة**

ذكر العرض على اللّه ، عز وجل ، يوم القيامة ، وتطاير الصحف ومحاسبة الربِّ ، عز وجل ، عبادَه ٥

فصل : أول ما يقضى اللّه تعالى بينهم لمن المخلوقات الحيوانات ١١

فصل : فى أول ما يقضى اللّه فيه الدماء ١٧

ذكر أول ما يُقضى بين الناس فيه يوم القيامة ومن يناقش فى الحساب ومن يسامح فيه ١٨

حديث فيه أن اللّه تعالى يصالح عن عبده الذى له به عناية ، مَن ظلمَه بما يريه من قصور الجنة ونعيمها ٣٩

فصل : فى ما يدعى الناس يوم القيامة بآبائهم ٤٦

فصل : فى حال الناس عند أخذ الكتب ، يوم القيامة ٤٧

فصل : فى ما يرجى من رحمة اللّه يوم القيامة ٥٠

ذكر من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب ٥٦

ذكر كيفية تفرق العباد عن موقف الحساب ، وما إليه أمرهم يصير ففريق فى الجنة وفريق فى السعير ٧٠

فصل : فى ذكر الصراط غيرما ذُكر آنفًا من الأحاديث الصحيحة ٨٠

فصل : فى ورود الناس جميعهم جهنم ٩١

فصل : فى كيفية الحشر ١٠٢

فصل : فى صفة من يدخل الجنة وأن أول زمرة تكون على صورة القمر ليلة البدر ١١٠

كتاب صفة النار – أجارنا اللّه منها – وما فيها من العذاب الأليم ١١٥

ذكر جهنم وشدة سوادها ١١٩

ذكر بُعد قعر جهنم واتساعها وضخامة أهلها ١٣٢

ذكر تعظيم خلقهم فى النار ١٣٨

ذكر أن البحر يسجر يوم القيامة ويكون من جملة جهنم ١٤٤

ذكر أبواب جهنم ، وصفة خزنتها ، وزبانيتها ١٤٦

ذكر سرادق النار ؛ وهو سورها المحيط بها ، وما فيها من المقامع والأغلال والسلاسل والأنكال ١٥٠

ذكر طعام أهل النار وشرابهم ١٥٦

ذكر أماكن فى النار وردت بأسمائها الأحاديث وبيان صحيح ذلك وسقيمه ١٦١

الهاوية ؛ هى أسفل درك فى النار ١٦١

سجن فى جهنم يقال له : بولس ١٦٣

جُبّ الحزن ١٦٣

جب الفلق ١٦٤

وادى لَمْلَم ١٦٥

ذِكر نهر فيها هو منها بمنزلة نهر القلوط من أنهار الدنيا ١٦٦

ذكر وادٍ أو بئر فيها يقال له : هبهب ١٦٧

ذكر ويلٍ وصعودٍ ١٦٧

ذكر حيّاتها وعقاربها ١٦٩

فصل : فى دركات جهنم ١٧٦
ذكر بكاء أهل النار فيها ١٧٨
أحاديث شتى فى صفة النار وأهلها ١٨٠
أثر غريب وسياق عجيب ١٨٢
أثر آخر من أغرب الآثار عن كعب الأحبار ١٨٣
ذكر الأحاديث الواردة فى شفاعةِ رسول اللّه ﷺ يوم القيامة
وبيان أنواعها وتعدادها ١٨٦
النوع الأول من الشفاعة : وهى العظمى الخاصة به من بين
سائر إخوانه من النبيين والمرسلين ١٨٦
النوع الثانى والثالث من الشفاعة : شفاعته فى أقوام قد تساوت
حسناتهم وسيئاتهم ١٨٩
النوع الرابع من الشفاعة : شفاعته فى رفع درجات من يدخل
الجنة ١٩٢
النوع الخامس من الشفاعة : وهو فى أقوام يدخلون الجنة بغير
حساب ١٩٣
النوع السادس من الشفاعة : وهو شفاعته فى عمه أبى طالب ١٩٣
النوع السابع من الشفاعة : شفاعته لجميع المؤمنين قاطبة ١٩٣
النوع الثامن من الشفاعة :شفاعته فى أهل الكبائر من أمته ١٩٤
بيان طرق الأحاديث وألفاظها ١٩٥
رواية أُبَىّ بن كعب ١٩٥
رواية أنس بن مالك ١٩٥
رواية بريدة بن الحصيب ٢٠٦

رواية جابر بن عبد اللَّه ٢٠٦
حديث عبادة بن الصامت ٢٠٩
رواية عبد اللَّه بن عباس ٢١٠
رواية عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنهما ٢١٣
رواية عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ٢١٤
رواية عبد اللَّه بن مسعود ٢١٤
رواية عبد الرحمن بن أبى عقيل ٢١٥
رواية أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى اللَّه عنه ٢١٥
رواية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه ٢١٦
رواية عوف بن مالك ٢١٦
رواية كعب بن عجرة ٢١٨
رواية أبى بكر الصديق رضى اللَّه عنه ٢١٨
رواية أبى سعيد الخدرى ٢٢١
رواية أبى هريرة ٢٢٤
رواية أم حبيبة ٢٢٩
ذكر شفاعة المؤمنين لأهاليهم ٢٣٠
الأحاديث الواردة فى شفاعة المؤمنين لأهاليهم ٢٣٤
حديث فيه شفاعة الأعمال الصالحة لصاحبها عند اللَّهِ يوم القيامة ٢٤٢
فصل : فى أصحاب الأعراف ٢٤٥
ذكر آخر من يخرج من النار ٢٤٦
فصل : فى آخر من يدخل الجنة ٢٥٠
فصل : فى خلود الكافرين فى النار ٢٥٤
ذكر صفة الجنة ونعيمها المقيم الدائم على الأبد ٢٥٧

ذكر ما ورد فى عدد أبواب الجنة واتساعها وعظمة جناتها ٢٥٧
ذكر تعداد محال الجنة وارتفاعها واتساعها ٢٦٦
ذكر ما يكون لأدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم من اتساع الملك
العظيم والنعيم المقيم ٢٧١
ذكر غرف الجنة وارتفاعها وعظمها ٢٧٤
ذكر أعلى منزلة فى الجنة وهى الوسيلة مقام الرسول ﷺ ٢٧٧
ذكر بنيان الجنة ومم قصورها ٢٧٨
ذكر الخيام فى الجنة ٢٨٧
ذكر تربة الجنة ٢٨٩
ذكر أنهار الجنة وأشجارها وثمارها ٢٩١
صفة الكوثر وهو أشهر أنهار الجنة ٢٩٤
رواية ابن عمر ٢٩٧
رواية ابن عباس ٢٩٨
رواية عائشة رضى اللّه عنها ٢٩٨
ذكر نهر البيذخ فى الجنة ٣٠٠
نهر بارق على باب الجنة ٣٠١
ذكر ما فى الدنيا من أنهار الجنة ٣٠١
فصل : فى أشجار الجنة ٣٠٣
شجرة الخلد ٣٠٧
شجرة طوبى ٣٠٨
سدرة المنتهى ٣٠٩
فصل : فى غراس الجنة ٣١١
فصل : فى ثمار الجنة ٣١٢

فصل : فى طير الجنة ٣١٦
ذكر طعام أهل الجنة وأكلهم فيها وشربهم ٣١٧
أحاديث أخر شتى ٣٢٢
ذكر أول طعام يأكله أهل الجنة بعد دخولهم الجنة ٣٢٣
ذكر لباس أهل الجنة فيها وحليتهم وصفات ثيابهم ٣٢٧
صفة فرش أهل الجنة ٣٣٣
صفة الحور العين وبنات آدم وشرفهن وفضلهن عليهن وكم
لكل واحدٍ منهن ٣٣٥
ما ورد من غناء الحور العين فى الجنة ٣٤٥
ذكر جماع أهل الجنة لنسائهم من غير منى ولا أولادٍ
إلا إن شاء أحدهم الولد ٣٤٨
ذكر أن أهل الجنة لا يموتون فيها لكمال حياتهم ٣٥٣
ذكر إحلال الرضوان عليهم وذلك أفضل ما لديهم ٣٥٦
ذكر نظر الرب تعالى إلى أهل الجنة وتسليمه عليهم ٣٥٨
ذكر رؤية أهل الجنة ربهم، عز وجل، فى مثل أيام الجمع فى
مجتمع لهم معد لذلك ٣٦٠
ذكر سوق الجنة ٣٧٠
ذكر ريح الجنة وطيبه وانتشاره حتى إنه يشم من سنين عديدة
ومسافة بعيدة ٣٧٦
ذكر نور الجنة وبهائها وطيب فنائها وحسن منظرها فى وقتى
صباحها ومسائها ٣٨٠
ذكر الأمر بطلب الجنة وترغيب اللّه عباده فيها وأمرهم بالمبادرة
إليها ٣٨٣

ذكر أن الجنة حفت بالمكاره، ... ، والنار حفت بالشهوات ٣٨٧
فصل : النار حفت بالشهوات ، والجنة حفت وحجبت بالمكاره ٣٨٩
حديث أبى هريرة ٣٩٠
حديث أبى سعيد ٣٩١
حديث أنس ٣٩١
حديث ابن أبى أوفى ٣٩٢
حديث ابن عمر ٣٩٢
حديث أبى أمامة ٣٩٢
نوع آخر من السماع أعلى من الذى قبله ٣٩٤
نوع آخر أعلى مما عداه ٣٩٦
ذكر خيل الجنة ٣٩٧
ذكر تزاور أهل الجنة بعضهم بعضًا وتذاكرهم أمورًا كانت بينهم
فى الدنيا من طاعات وزلات ٤٠١
ذكر أول من يدخل الجنة ٤١٠
باب جامع لأحكام تتعلق بالجنة وأحاديث شتى وردت فيها ٤١٤
ذكر دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء ٤١٧
فصل : فى أن الجنة والنار موجودتان الآن ٤٢١
فصل : فى صفة أهل الجنة حال دخولهم إليها ٤٢٥
فصل : فى أن أعلى الخلق فى الجنة منزلة رسول الله ﷺ ٤٢٨
فصل : فى أن هذه الأمة أكثر أهل الجنة وأعلاهم منازل ، وأول
من يدخل الجنة صدرها ٤٣٣
فصل : فى بيان وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان
خلافًا لمن زعم خلاف ذلك ٤٣٦

فصل : فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا ٤٤٢
فصل : فى كلام أهل الجنة ٤٤٣
فصل : فى المرأة تتزوج فى الدنيا بأزواج ثم تدخل الجنة ؛ فلمن تكون ؟ ٤٤٣

تم بحمد اللّه وتوفيقه الجزء العشرون
ويليـــه
الفهارس العامة للكتاب
وللّه الحمد والمنة

رقم الإيداع ١٧٤٠٠/١٩٩٨م
I . S . B . N : 977 - 256 - 199 - 1

هجـر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٢٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٢٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٢٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومَن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ .

أما بعد ؛ فإن كتاب « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير واحد من أمهات كتب التاريخ والتراجم التى تقوم عليها المكتبة التاريخية الإسلامية والعربية ، وهو واسطة عقد هذه المكتبة ، حيث صُنِّف فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، ونحن اليوم فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر ، وهو كذلك من تصنيف عالم من علماء الحديث عرف به وبرز فيه وصنَّف فى قواعده ، وبلغ فيه مرتبة الحفّاظ ، وقد انعكس ذلك على كتابه هذا ، والذى ذكر فيه بدء الخليقة ، وقصص الأنبياء والأمم الماضية على ما جاء فى القرآن الكريم والأخبار

الصحيحة ، وبيَّن الغرائب والمناكير والإسرائيليات ، ثم حقَّق السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى إلى زمنه ، ثم انتقل إلى الفتن وأشراط الساعة والملاحم وأحوال الآخرة ، فكان بحق كتابًا موسوعيًّا فى التاريخ الإسلامى ، تهفو إلى مطالعته النفوس ، فتروى ظمأها من أمجاد تاريخ أمتنا الإسلامية العظيمة ، الضاربة فى أغوار التاريخ ، التى سادت الدنيا قرونًا ، فملأتها حقًّا وعدلًا بعد أن مُلِئت ظلمًا وجَوْرًا .

عرض ابن كثير - رحمه اللَّه - لبدء الخليقة ، وقصص الأنبياء ، والسيرة النبوية ، والفتن والملاحم عرضًا فائقًا ، نسج مادته من القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة ، وربط بين تفسيره وتاريخه ، وعرض التاريخ الإسلامى إلى سنة سبع وستين وسبعمائة جامعًا بين الحوادث والتراجم .

وقد تَلْمَذَ هو نفسه لعلمين من أعلام هذا الباب ، هما القاسم بن محمد البِرْزالى وشمس الدين الذهبى ، وأثرى كتابه بما صنفا وجمعا ، وأضاف ما كان بعدهما وما عاصره وعاشه حتى قبيل وفاته فى الثلث الأخير من القرن الثامن ، يقول ابن كثير فى آخر حوادث سنة تسع وثلاثين وسبعمائة : هذا آخر ما أرَّخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالى فى كتابه الذى ذيَّل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبى شامة المقدسى ، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وقد فرغت من الانتقاء من تاريخه فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وإلى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم إلى زماننا هذا ، وللَّه الحمد والمنة .

وكذلك قرأ ابن كثير الموسوعة التاريخية « تاريخ الإسلام » للذهبى ،

ونقل عنه، وحذا فى كتابه «البداية والنهاية» حذو ابن الأثير فى الكامل، فرتب أحداثه على السنين الهجرية بعد هجرة النبى ﷺ فاستوعب كل الأحداث باسطا.

ولم يكن لحافظٍ مثل ابن كثير أن يذكر رواية ويتركها على عِلَّتها، ويترك المطالع حبيس هذه الرواية لا يدرى صحتها من ضعفها، بل ذهب يسوق الروايات وطرقها وأقوال سابقيه مبينًا صحة كل رواية من ضعفها، وشاهد كل قول، وقد كان كثير من العلماء - منهم ابن جرير الطبرى فى تاريخه - يرون أنهم أبرءوا ذمتهم حين أوردوا ما أوردوه مشفوعا بأسانيده، وكان ذلك كافيا إلى حد بعيد فى تلك العصور التى كان علم التراجم والرجال وأحوالهم من جملة علوم لا يخلو من الإلمام بها طلبة العلم فضلا عن العلماء، وكان الأخذ من الكتب على يد العلماء سماعا ومدارسة وشرحا، ومع توالى السنين ثم القرون تغير من الأحوال الكثير، ومن أبرز ما أصابه التغيير هذا العِلم الجليل التراجم والرجال، والجرح والتعديل، وأصبح محصورًا بين طائفة عزيزة من أهل العلم، فلم يعد الاكتفاء بذكر السند فى هذه الأيام - التى كثر فيها التخبط والخلط بين الروايات، والمطبوعات غير المحققة - كافيا للاطمئنان لصحة الرواية من علَّتها.

لقد كان من الضروري تحقيق هذا السِّفر العظيم، الذى يعد كنزًا من كنوز التراث، وتخليصه مما اعتراه من تصحيفات وتحريفات، وسَقط، وخلط بين الروايات، التى قلَّ أن تخلو منها طبعة من طبعاته على كثرتها، فكان هذا حافزاً قوياً لتحقيقه، وتقديمه فى الصورة التى تليق به، فتاريخ

ابن كثير هو - كما ذُكر - من المطولات التى تجمع بين الحوادث والتراجم، ويميزه الإسناد.

لقد كثر الكذب والانتحال فى أواخر عصر الصحابة وواجه التابعون ذلك بأفضل وأنجع علاج وهو الإسناد، قال ابن المبارك: الإسناد من الدِّين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. وقال ابن سِيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم. لقد تفطن علماء التابعين وتابعيهم لهذا الداء فى وقت مبكر من تاريخ هذه الأمة، ووُضعت قواعد الرواية والتلقى والجرح والتعديل وطرق التحديث، وقيض اللَّه سبحانه وتعالى كما قال عبد اللَّه بن المبارك بحق «الجهابذة»، ولم يكن هذا الوصف عن انتفاخ كاذب ولا دعوى فارغة، بل عن حقيقة صادقة يدركها من يطالع مدى الجهد والتحصيل والتحرى الذى كانوا عليه رحمهم اللَّه، قيضهم اللَّه لتمييز الصحيح من غيره، وللحفاظ على سُنة رسول ﷺ.

وقد كثرت التصانيف فى موضوع التاريخ على اختلاف زواياه، مما يصب فى النهاية فى المادة التى يتكون منها ذلك النسيج الذى يصل إلى الأجيال ناقلاً لهم تاريخ أسلافهم. وهذه الكثرة مع اختلاف الأزمان والبلدان والمشارب والأهداف خلَّفَت تراثا غزيرًا فى كَمِّه، إلا أنه لا يخلو من بعض اضطراب وتضارب وضعف، وينتج عن هذا عدم وضوح فى هذا التاريخ وخطأ فى الأحكام المبنية عليه والمأخوذة منه، ثم - وهو الأخطر - أن يجد أصحاب الأهواء مادة خصبة للطعن فى تاريخ الأمة وأسلافها.

من هذا كله تظهر ميزة أن يكون مصنِّف كتاب التاريخ عالما من علماء الحديث عارفا بأصول الرواية وضوابطها ونقدها وما يُقبل منها وما يُرَدّ. وإذا

كانت هذه الميزة تظهر فى الكثير من المواضع من هذا الكتاب إلا أن مواضع أخرى قد خلت منه ، سواء أكان ذلك فى الحكم على الأحاديث أم فى نقد الروايات أم فى الترجيح بين الأخبار المتعارضة المختلفة ، مثل الاختلاف فى السَّنة التى حدثت فيها حادثة معينة أو فى ترتيب حادثتين أو أكثر ، أو فى وفاة شخص ، أو شهود وقعة معينة ، وهكذا .

وهذا ما تمت معالجته فى أثناء تحقيق الكتاب .

لقد جاء ابن كثير فى القرن الثامن ، وقد سُبِق بتصانيف قرون ستة ، وفَّرت له مادة فسيحة وكشفت بين يديه ما لعله لم يظهر لمن سبقه ، لأن كل علم يكون فى أول وضعه أشق ، ثم لا يزال فى ازدياد وظهور حتى يصل إلى تمام النضج ، فصنف كتابه هذا وجعله بمثابة المصفِّى والمدقق لما سبقه ، بل لعلَّه لا يُبالغ مَن يقول : إنه يمثل خاتمة هذا النهج من التصنيف التاريخى الذى يبدأ بخلق المخلوقات وما يتبع ذلك من أخبار السابقين ، ثم يسهب ويفصِّل فى مرحلة السيرة النبوية العطرة ، ثم ما بعد ذلك من حوادث وأخبار تمتزج فيها الحوادث بالتراجم والمكان بالناس ، وهما مادتا التاريخ ، إلى أن ينتهى قبل وفاته بسنوات .

وابن كثير فى هذا كله لم يدَّع لنفسه ولم ينسب لكتابه ما ليس فيه ، فهو يعتمد على سابقيه فى الفترات التى سجلوا حوادثها ويعزو إلى مَن نقل عنه ، بل إنه لَيُوقَفُ من خلاله على تواريخ غير متوافرة الآن كالبرزالى ، ومن أبرز من نقل عنهم غير البرزالى ؛ ابن إسحاق ، وابن هشام ، والسهيلى .

إن إخراج هذه الموسوعة العلمية الكبيرة ، يحتاج إلى النية الصالحة ، وتضافر الجهود وتكاتفها ، وتوفر الإمكانات المالية اللازمة .

حيث يصعب تحقيق ذلك بجهدٍ فردى ، وكم من الأعمال العلمية الكبيرة يتعثر القيام بها نتيجةً لعدم توفر الإمكانات والوسائل المعينة .

ولقد مَنَّ اللهُ ووفّق وأعان على العزم والبدء فى تحقيق هذه الموسوعة التاريخية الشاملة ، وإخراجها لطلاب العلم والمعرفة ، ومؤسسات العلم والثقافة والحضارة .

وكان من أقوى الأسباب فى ذلك تفضل الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحى ، بتوفير الإمكانات المالية لتحقيقها وطبعها وتوزيعها على نفقته الخاصة ، جزاه الله خيرًا ، وأحسن إليه ، وجعل ما أنفق فى موازين حسناته يوم يلقاه .

فما إن علم - حفظه اللَّه - بالعزم على إصدارها ، والحاجة إلى وجودها بأيدى طلاب العلم ، وصعوبة أن يحصل عليها بعض طلاب العلم الذين لا تتوفر لديهم الإمكانات المالية لشراء موسوعةٍ علمية كبيرة الحجم ، كثيرة المجلدات ، حتى سارع بتأمين ما تحتاجه ، خدمةً للعلم وأهله ، واحتسابًا للأجر من اللَّه تعالى .

فله من طلاب العلم والمعرفة الشكر والتقدير ، ونسأل اللَّه أن يُخلِفَ عليه ما ينفقه فى سُبل الخيرالمتعددة ، من بناء المساجد ، وطبع الكتب ، وعون المحتاجين من الفقراء والمساكين واليتامى والعَجزة ، وعون الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن ، وغير ذلك مما يسهم فيه من مجالات الخير المتعددة .

وهو وأمثاله من المحسنين فى المملكة العربية السعودية يضربون أروع الأمثلة وأحسنها فى التعاون والتكاتف ، وتآزر جهودهم مع جهود حكومتنا الرشيدة ، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، وسمو

ولى عهده الأمين الأمير عبد اللّه بن عبد العزيز آل سعود، وسمو النائب الثانى الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، حفظهم اللّه، ووفقهم لما يحب ويرضى، وأعزَّ بهم الإسلام والمسلمين.

تلك الجهود التى فاقت التصور فى أعمال الخير فى داخل المملكة وخارجها، وخدمة المسلمين أينما كانوا.

وعلى الرغم من أن قادة المملكة العربية السعودية وحكامها فى مختلف فتراتهم، إلى العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، يبذلون قُصارى جهدهم فى الإنفاق والبذل والعطاء لشعبهم والمقيمين على أرض المملكة، وللمسلمين أينما كانوا، فإنهم - حفظهم اللّه وأعانهم - يشجعون أهل الخير والإحسان من مواطنيهم بالإسهام فى وجوه الخير وبذل المستطاع، فيما يخدم الإسلام والمسلمين فى مختلف المناسبات.

ومن أهم المجالات النافعة، بل التى يفوق نفعها غيرها؛ مجال العلم، وخدمة المنتسبين إليه.

وعلى وجه الخصوص العلوم الشرعية، وما تركه لنا علماؤنا الأفاضل فى تاريخنا الإسلامى العلمى الحافل فى مختلف الفنون.

خاصة أولئك العلماء الربانيون الذين تشتد الحاجة للتَّتلمُذِ عليهم، من سلف الأمة الصالح، الذين يعتصمون بالكتاب والسنة، ويَردون إليهما، ويتابعون نبيهم ﷺ، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان.

لقد تميز قادة المملكة من عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه اللّه - وإلى الآن بفضلٍ من اللّه ونعمة، فكانوا قدوة لغيرهم فى

العمل بالكتاب والسنة، والدعوة إلى الاستمساك بهما، وتطبيق أحكامهما، ونشر كتب السلف الصالح.

ولا غرابة فى أن يتبعهم المحسنون من شعبهم، ويسهموا فيما يسهم فيه قادتهم من عمل الخير.

فلصاحب الفضل والإنفاق الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحى الشكر والدعاء بحُسنِ المثوبة، وعسى أن نرى مزيدًا من التنافس من أهل الخير والإحسان فى هذا العمل الخيرى النافع.

لقد تطلب تحقيق هذا الكتاب جهودًا عظيمة لكى يتحقق ذلك الحُلم الذى داعب خيال الكثيرين من مطالعى التراث، فى أن يروا كتاب «البداية والنهاية» محققًا تحقيقًا علميًا، يتسم بالدقة والتحرى والتوثيق، وقد كان من توفيق اللَّه أن يتم التعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، فى إخراج هذا الأثر النفيس. وإذ نحمد اللَّه أن هدانا لهذا، نسأله سبحانه وتعالى أن يُيسِّر لنا إتمامه، وأن يرزقنا فيه التوفيق إلى الصواب، ويجعله فى صحائف أعمالنا، ويعُمَّ النفع به، إنه سميع مجيب.

عبد اللَّه بن عبد المحسن التركى

الرياض فى ١٤١٨/٢/١ هـ

ترجمة الحافظ ابن كثير(*) :

هو الإمام الحافظ العُمْدَة شيخ المحدِّثين المؤرِّخ المفسِّر ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء القُرشيُّ البُصْرَويُّ ، ثم الدِّمشقيُّ الفقيه الشافعيُّ . ولد بمجْدَل ، وهى قرية شرقيُّ بُصْرَى من أعمال دمشق ، فى سنة إحدى وسبعمائة[1] ، إذ كان أبوه خطيبًا بها ، ثم انتقل إلى دمشق سنة سبع وسبعمائة مع أخيه كمال الدين عبد الوهّاب بعد موت أبيه .

ونفسح المجال لابن كثير ليحدثنا عن نشأته بنفسه وذلك حين ترجم لوالده - في كتابه هذا - عند دخول سنة ثلاث وسبعمائة ، فيقول : وفيها توفى الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشى من بنى حصلة - وهم ينتسبون إلى الشرف وبأيديهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المِزِّى فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب فى نسبى بسبب ذلك : القرشى - من قرية يقال لها : الشركوين غربىّ بُصْرى ، بينها وبين أذرِعات ، ولد بها فى حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله

(*) ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ١٥٠٨/٤، وذيل تذكرة الحفاظ ٥٧-٥٩، والذيل على العبر ٣٥٨/٢-٣٦٠، والبداية والنهاية حوادث سنة ٧٠٣هـ، والسلوك ٢٠٨/١/٣، والدرر الكامنة ٣٩٩/١، ٤٠٠، وإنباء الغمر ٣٩/١، ٤٠، والنجوم الزاهرة ١٢٣/١١، ١٢٤، والذيل التام على دول الإسلام ٢٥٩، وذيل طبقات الحفاظ ٣٦١، ٣٦٢، وطبقات الحفاظ ٥٢٩، ٥٣٠، والدارس فى تاريخ المدارس ٣٦/١، ٣٧، وبدائع الزهور ١١٦/٢/١، وطبقات المفسرين للداودى ١١٠/١-١١٢، وكشف الظنون ١٠/١، ١٩، ٢٢٨، ٢٨٠، ٤٣٩، ٤٧١، ٥٥٠، ٨٣٤، ١١٠٢/٢، ١١٠٥، ١١٦٢، ١٥٢١، وشذرات الذهب ٢٣١/٦، ٢٣٢، والبدر الطالع ١٥٣/١، وإيضاح المكنون ١٩٤/٢، وهدية العارفين ٢١٥/١، ومعجم المؤلفين ٢٨٣/٢، ٢٨٤، والأعلام للزركلى ٣١٧/١، ٣١٨.

(١) اختلف فى تعيين سنة مولده هل هى سنة سبعمائة أم سنة إحدى وسبعمائة ؟ وما ذكرناه هو الراجح إن شاء الله .

بنى عقبة ببصرى ، فقرأ « البداية » فى مذهب أبى حنيفة ، وحفظ « جُمَل الزجَّاجى » ، وعنى بالنحو والعربية واللغة وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق فى المدح والمراثى وقليل من الهجاء ، وقُرِّر بمدارس بُصْرَى بمبرك الناقة شماليّ البلد .

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقى بصرى وتمذهب للشافعى ، وأخذ عن النواوى والشيخ تقى الدين الفَزارى ، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرنى شيخنا العلامة ابن الزَّمْلَكانِيّ ، فأقام بها نحوًا من ثنتى عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجدل القرية التي منها الوالدة ، فأقاما بها مدة طويلة فى خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان يخطب جيدًا ، وله قبول عند الناس ، ولكلامه وقع ؛ لديانته وفصاحته وحلاوته ، وكان يؤثر الإقامة فى البلاد ، لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله ، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ، ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وسُمِّيتُ باسم الأخ إسماعيل ؛ لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده ، وقرأ مقدمة فى النحو ، وحفظ « التنبيه » و« شرحه » على العلامة تاج الدين الفَزارى ، وحصَّل « المنتخب » فى أصول الفقه ، قاله لى شيخنا ابن الزملكانى ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أيامًا ومات ، فوجد الوالد عليه وجدًا كثيرًا ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سمانى باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل ، فرحم اللَّه من سلف ، وختم بخير لمن بقى ، توفى والدى فى شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة ، فى قرية مجدل القرية ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون ، وكنت إذ ذاك صغيرًا ابن ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالحُلْم ، ثم تحولنا من

بعده فى سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة الأخ كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقًا ، وبنا رفيقًا شفوقًا ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين - أى مات سنة خمسين وسبعمائة - فاشتغلت على يديه فى العلم ، فيسَّر اللَّه تعالى منه ما يسَّر ، وسهَّل منه ما تعسَّر ، واللَّه أعلم . انتهى .

هكذا نشأ ابن كثير منذ نعومة أظفاره على مائدة العلم ينهل من أصناف العلوم ، فبدأ على يد أخيه عبد الوهاب ، ثم اجتهد فى تحصيلها على يد كبار علماء عصره .

فحفظ القرآن الكريم وختم حفظه فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقرأ بالقراءات وبرع فى التفسير ، حتى عدَّه الداودى من المفسِّرين ، وترجم له فى طبقاتهم ، وحفظ « التنبيه » وعرضه سنة ثمانى عشرة ، وحفظ « مختصر ابن الحاجب » ، وتفقه على الشيخين ، برهان الدين الفَزارى ، وكمال الدين بن قاضى شهبة ، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزِّى فتزوَّج ابنته « زينب » ولازمه ، وأخذ عنه ، وأقبل على علم الحديث فتخرَّج عليه فيه ، وصحب الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وكانت له به خصوصية ، ومناضلة عنه ، واتباع له فى كثير من آرائه ، وكان يفتى برأيه فى مسألة الطلاق ، وامتُحن بسبب ذلك وأوذى ، وقرأ الأصول على الأصفهانى ، وسَمِعَ على أبى نصر ابن الشِّيرازى ، وابن السويدى ، وأبى القاسم بن عساكر ، وأبى العباس الحجار ، وابن الزَّرّاد ، وآخرين كثيرين جدًّا ، وأقبل على حفظ المتون ، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ ، حتى برع فى ذلك وهو شاب ، وأفتى ودرَّس وناظر وبرع فى الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر فى الرجال والعلل .

وولى مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبى ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية

بعد موت السبكى[1] مدة يسيرة ثم أُخذت منه بعد أن انتزعها كمالُ الدين المَعَرِّىُّ .

وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، أثنى عليه الأئمة ، وأضرّ فى أواخر عمره ، وهو القائل :

تمرُّ بنا الأيام تترى وإنما ... نُساقُ إلى الآجال والعَيْنُ تَنْظُرُ

فلا عائدٌ ذاك الشباب الذى مضَى ... ولا زائلٌ هذا المشيبُ المكدِّرُ

ومن بَعْدِ ذا فالعَبْد إمّا مُنعَّمٌ ... كريمٌ وإمّا بالجحيم يُسَعَّرُ

مكانته العلمية :

تبرز مكانة ابن كثير العلمية من خلال ما وَلِيه من مدارس العلم ، والمساجد التى كان يلقى فيها دروسه ، وفى مؤلفاته التى صنفها فى التفسير والتاريخ والحديث .

فأما المدارس التى وليها فهى ؛ مدرسة دار الحديث الأشرفية ، والمدرسة الصالحية ، أو أم الصالح ، والمدرسة النجيبية ، والمدرسة التنكزية ، والمدرسة النُّورية الكبرى ، وكانت هذه المدارس بغية طلاب العلم فى الشرق والغرب ، وكان لشيوخها وأساتذتها منزلة علمية عظيمة ، فلم يكن يتولى التدريس فيها إلا من كان ذا قدم راسخة فى العلم ، ومكانة مرموقة بين العلماء ، فيجله العلماء ، وترنو إليه أفئدة طلاب العلم .

---

(١) لم يجزم النعيمى فى « الدارس فى تاريخ المدارس » بعد موت السبكى بمَن ولى مشيخة دار الحديث ، بل قال : ثم وليها جماعات أخر لم أتحقق الترتيب بينهم ، فمنهم الحافظ العلامة عماد الدين إسماعيل بن كثير . الدارس ١/ ٣٦.

وأمَّا المساجد المهمة التى ألقى فيها دروسه؛ فأشهرها، الجامع الأموى، ومسجد ابن هشام، وجامع تنكز، والجامع الفوقانى، وكان يقوم بالخَطابة فيه أيضًا، بالإضافة إلى مؤلفاته التى ملأت الأرض عِلمًا، وانتفع الناس بها فى حياته وبعد مماته، وسيأتى الحديث عنها.

ثناء العلماء عليه:

قال الذهبى: وسمعت مع الفقيه المفتى المحدِّث ذى الفضائل عماد الدين ابن عمر بن كثير البُصروى الشافعى، ولد بعد السبعمائة أو فيها، وسمع من ابن الشِّحنة وابن الزَّراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والتفقه، وخرَّج وناظر وصنَّف وفسَّر وتقدَّم[1].

وقال أيضًا فى «المعجم المختص»، فيما نقل تلميذه أبو المحاسن الحسينى: هو فقيه متقن، ومحدث محقق، ومفسِّر نَقَّاد، وله تصانيف مفيدة[2].

وقال ابن حجر: كان كثير الاستحضار حسن المفاكهة، سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته[3].

وقال ابن حبيب فيما نقله ابن حجر: إمام ذوى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنَّف، وأطرب الأسماع بأقواله وشنَّف، وحدَّث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير[4].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٥٠٨/٤.
(٢) ذيل تذكرة الحفاظ ٥٨.
(٣) الدرر الكامنة ٤٠٠/١.
(٤) إنباء الغمر ٣٩/١.

وقال العينى فيما نقله ابن تَغْرِى بَرْدِى : كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعانى والألفاظ ، وسمع وجمع ، وصنَّف ودرَّس ، وحدَّث وألَّف ، وكان له اطلاع عظيم فى الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير ، وله مصنفات عديدة مفيدة[1] .

وقال تلميذه الحافظ ابن حجى السعدى : كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ، وكان يستحضر شيئًا كثيرًا من التفسير والتاريخ ، قليل النسيان ، وكان فقيهًا جيد الفهم ، صحيح الدين ، ويحفظ « التنبيه » إلى آخر وقت ، ويشارك فى العربية مشاركة جيدة ، ونظم الشعر ، وما أعرف أنى اجتمعت به على كثرة تردُّدى إليه إلا وأخذت منه[2] .

شيوخه :

نشأ ابن كثير فى بيت صالح يُظِلُّه العِلم والتقوى وبين أسرة أخذت بحظ وافر من العلم ، فأمه مريم بنت فرج بن على ، كانت حافظة لكتاب اللَّه ، وما أعظم أن يستقى الطفل لغته من فم يَلْهج بذكر اللَّه وتلاوة آياته ، وأخوه عبد الوهاب كان ذا علم وفضل ، تلقى عليه فى مبدأ أمره ، ثم درَس على شيوخ كثيرين لهم أقدام راسخة فى العلم ، ومكانة عظيمة فى قلوب العامة والخاصة ، نوردهم على حسَب حروف المعجم :

---

(١) النجوم الزاهرة ١٢٣/١١ .

(٢) الدارس فى تاريخ المدارس ٣٦/١ ، ٣٧، شذرات الذهب ٢٣٢/٦ .

١- إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سِباع الفَزارى، المعروف ببرهان الدين ابن الفِرْكاح، كان ملازمًا للشغل بالعلم والإفادة والتعليق، سديد السيرة، كثير الورع، مُجمَعًا على تقدمه فى الفقه، ومشاركته فى الأصول والنحو والحديث. توفى فى جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة[(١)]. سمع عليه ابن كثير صحيح مسلم وغيره.

٢- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبى طالب بن نعمة بن حسن الصالحى الحجار، المعروف بابن الشِّحنة، سمع من ابن الزَّبيدى وابن اللَّتِّى، ورأى من العز والإكرام ما لا مزيد عليه. توفى سنة ثلاثين وسبعمائة[(٢)]. سمع عليه بدار الحديث الأشرفية.

٣- شيخ الإسلام تقى الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد اللَّه بن أبى القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحرّانى، ثم الدمشقى، شيخ الإسلام وعلم الأعلام. توفى فى العشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[(٣)]. قال العراقى فى أثناء ترجمته لابن كثير: وكانت له خصوصية بالشيخ تقى الدين ابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له فى كثير من آرائه[(٤)].

٤- حمزة بن مؤيد الدين أبى المعالى أسعد بن عز الدين أبى غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبى المعالى ابن أسعد بن العميد أبى يعلى بن حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى ابن القَلانِسى. توفى سنة تسع

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ٣١٢، ٣١٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢٧٩، والبداية والنهاية، وفيات سنة ٧٢٩هـ، والدرر الكامنة ١/ ٣٤، والدارس ١/ ٢٠٨.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ١٥٢، وشذرات الذهب ٦/ ٩٣.

(٣) البداية والنهاية، وفيات سنة ٧٢٨هـ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧ - ٤٠٨.

(٤) الذيل على العبر ٢/ ٣٦٠.

وعشرين وسبعمائة[1] . سمع عليه .

٥- زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلى الشافعى ، المعروف بركن الدين البجلى ، نائب الخطابة ، ومدرس الطَّيّبيّة والأسدية . توفى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة[2] .

٦- ضياء الدين عبد اللَّه الزربندى النحوى . قال ابن كثير : كنت ممن اشتغل عليه فى النحو . توفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[3] .

٧- شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد اللَّه ، التُّركُمانى الأصل الفارقى ثم الدمشقى ، المعروف بالذهبى . قال السبكى عنه : « إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا ، وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال فى كل سبيل ، كأنما جمعت له الأمة فى صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها » . تتلمذ على يده ابن كثير فى التاريخ والحديث والتفسير ، وكان من أبرز شيوخه . توفى ثالث ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة[4] .

٨- شمس الدين النابلسى ، أبو محمد عبد اللَّه بن العفيف محمد ابن الشيخ تقى الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى النابلسى الحنبلى . قال ابن كثير : كان كثير العبادة حسن الصوت ، عليه البهاء والوقار ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعَنا من القدس ، كثيرا من الأجزاء والفوائد .

---

(١) البداية والنهاية ، حوادث سنة ٧٢٩هـ .

(٢) البداية والنهاية ، وفيات سنة ٧٢٢هـ .

(٣) نفس المصدر السابق ، وفيات سنة ٧٢٣هـ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٩/١٠٠ - ١٢٣، وشذرات الذهب ٦/١٥٣ - ١٥٦.

توفى ثانى عشرين ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة[1] .

٩- الشيخ عمر بن أبى بكر بن الهيتى البسطى ، سمع الحديث من الشيخ فخر الدين بن البخارى وغيره . قال ابن كثير : قرأت عليه عن ابن البخارى « مختصر المشيخة » . ولازم مجالس الشيخ تقى الدين ابن تيمية . توفى فى تاسع وعشرين من رجب سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة[2] .

١٠- بهاء الدين أبو القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبى غالب المظفر بن نجم الدين بن أبى الثناء محمود ابن الإمام تاج الأمناء ، ابن عساكر الدمشقى ، سمع حضورا وسماعا على الكثير من المشايخ ، اشتغل بالطب ، وكان يعالج الناس بغير أجرة . توفى خامس وعشرين شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[3] . قال ابن كثير فى صدر ترجمته له : شيخنا الجليل المعمَّر الرُّحَلَة بهاء الدين .

١١- ابن الخباز الحنبلى شمس الدين محمد بن إسماعيل بن إبراهيم . سمع من المسلم بن عَلَّان « المسند » بكامله وأجازه عمر الكرمانى والشيخ النووى ، وسمع منه المزى والذهبى والسبكى وابن كثير وغيرهم . توفى ثالث رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة[4] .

١٢- محمد بن جعفر بن فرعوش ، ويقال له : اللباد ، ويعرف بالمؤله ، كان يقرئ الناس بالجامع نحوًا من أربعين سنة . توفى فى مستهل صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة[5] . قال ابن كثير : وقد قرأت عليه شيئا من القراءات .

---

(١) البداية والنهاية ، وفيات سنة ٧٣٧هـ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٨.
(٢) البداية والنهاية ، وفيات ٧٤٢هـ .
(٣) المصدر السابق ، وفيات ٧٢٣هـ .
(٤) شذرات الذهب ٦/ ١٨١.
(٥) البداية والنهاية ، وفيات سنة ٧٢٤هـ .

١٣- ابن الزَّمْلَكانِى ، محمد بن على بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان بن سلطان بن أحمد بن خليل بن عبد اللَّه بن محمد بن أنس ، شيخ الشافعية ، انتهت إليه رياسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة . توفى سادس عشر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة[١] . قال ابن كثير : أما دروسه فى المحافل فلم أسمع أحدا من الناس درَّس أحسن منها .

١٤- الشيخ عفيف الدين محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصِّقِلِّى ، ثم الدمشقى ، إمام مسجد الرأس . توفى فى صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة[٢] . قال ابن كثير : آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقى ، سمعنا عليه شيئا منها .

١٥- شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهانى . سمع كلامه الشيخ تقى الدين ابن تيمية فبالغ فى تعظيمه ، وكان بارعا فى العقليات ، صحيح الاعتقاد ، محبًّا لأهل الصلاح ، أفاد منه ابن كثير فى الأصول . توفى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة[٣] .

١٦- نجم الدين موسى بن على بن محمد الحلبى ، ثم الدمشقى ، الكاتب الفاضل المعروف بابن البُصيْص ، شيخ صناعة الكتابة فى زمانه ، وقد أقام يُكَتِّبُ[٤] الناسَ خمسين سنة . قال ابن كثير : وأنا ممن كتب عليه . توفى عاشر ذى القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة[٥] .

---

(١) المصدر السابق ، وفيات سنة ٧٢٧هـ ، وطبقات الشافعية ٩/١٩٠ - ٢٠٦.
(٢) البداية والنهاية ، وفيات سنة ٧٢٥هـ .
(٣) شذرات الذهب ٦/ ١٦٥.
(٤) أى : يُعلِّمهم الكتابة .
(٥) البداية والنهاية ، وفيات سنة ٧١٦هـ .

١٧- شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبى الفضل محمد ابن شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة اللّه بن محمد بن يحيى بن بُندار بن مَمِيل الشيرازى، سمع الكثير وأسمع وأفاد فى علية شيخنا المزى، توفى فى يوم عرفة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[١]. قال ابن كثير فى صدر ترجمته: شيخنا الأصيل شمس الدين.

١٨- محيى الدين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيبانى الشافعى، اشتغل على النووى ولازم ابن المقدسى، وولى الحكم بزُرَع وغيرها، ثم قام بدمشق يشتغل فى الجامع، ودرس فى الصارمية وأعاد فى مدارس عدة إلى أن توفى فى سلخ ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة[٢]. قال ابن كثير: وسمعنا عليه الدارقطنى وغيره.

١٩- جمال الدين أبو الحجاج المِزِّى يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف، القضاعى الكلبى الدمشقى الشافعى، العالم الحبر الحافظ الأوحد، محدث الشام، نشأ بالمزة وحفظ القرآن، سمع المسند والكتب الستة، ونظر فى اللغة ومهر فيها، حامل لواء معرفة الرجال القائم بأعبائها، لم تر العيون مثله، من مصنفاته «تهذيب الكمال»، و «تحفة الأشراف». توفى فى صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة[٣]. وقد سبق أنه والد «زينب» امرأة ابن كثير المصنِّف.

---

(١) نفس المصدر السابق، وفيات سنة ٧٢٣هـ.
(٢) نفس المصدر السابق، وفيات سنة ٧٢٤هـ.
(٣) البداية والنهاية، وفيات سنة ٧٤٢هـ.

تلاميذه :

درَّس ابن كثير - كما ذُكر آنفا - فى مدارس ومساجد كثيرة ، فأفاد من علمه الكثيرون وتخرجوا عليه ، ومن أبرزهم :

١- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حِجِّى بن موسى بن أحمد بن سعد بن غشم بن غزوان ، السعدى الحسبانى الدمشقى الشافعى الحافظ ، مؤرخ الإسلام ، تخرج فى علوم الحديث بالحافظين ابن كثير وابن رافع ، ودرَس الفقه والنحو ، فدرَّس وأفتى وأعاد ، وله مصنفات عدة ، منها شرحه على المحرر لابن عبد الهادى . توفى سادس المحرم سنة ست عشرة وثمانمائة[(١)] .

٢- شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الحريرى الدمشقى ، المعروف بالسلاوى الشافعى ، سمع من ابن رافع وابن كثير ، قرأ الصحيح مرارا على عدة مشايخ وعلى العامة ، ولى قضاء بعلبك ثم قضاء المدينة ثم تنقل فى ولاية القضاء . وتوفى فى صفر سنة ثلاث عشرة وثمانمائة[(٢)] .

٣- أبو المحاسن الحسينى ، محمد بن على بن الحسن بن حمزة بن محمد ابن ناصر بن على ، الدمشقى الشافعى شمس الدين ، يرتفع نسبه إلى على بن أبى طالب رضي اللّه عنه ، ذكره الذهبى فى معجمه المختص وأثنى عليه . توفى فى رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة[(٣)] . وقد ذكر الحسينىُّ روايته عن ابن كثير ، فقال فى ذيل تذكرة الحفاظ : أخبرنا الحافظ عماد الدين ابن كثير بقراءتى عليه ...[(٤)] .

---

(١) شذرات الذهب ٧/ ١١٦، والضوء اللامع ١/ ٢٦٩.
(٢) شذرات الذهب ٧/ ١٠٠، والضوء اللامع ٢/ ٨١.
(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ١٥٠، ١٥١.
(٤) نفس المصدر السابق ٥٩.

مؤلفاتـــه :

أثرى الحافظ ابن كثير - رحمه اللّه - المكتبة الإسلامية بمؤلفات عديدة متنوعة ، تنمُّ عن غزارة علمه ، ونذكر منها ما وقفنا عليه :

[١] الاجتهاد فى طلب الجهاد :

ذكره حاجى خليفة ، وقال : وهى رسالة كتبها للأمير منجك لما حاصر الفرنج قلعة إياس[(١)] . كما ذكره الزركلى[(٢)] .

وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عبد اللّه عُسَيلان فى مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠١ هـ .

[٢] أحكام التنبيه :

ذكره ابن كثير فى « البداية والنهاية »[(٣)] ، وذكره ابن العماد[(٤)] ، والداودى[(٥)] ، والبغدادى[(٦)] ، وابن حجر فى إنباء الغُمر[(٧)] ، كلهم باسم « أحكام التنبيه » ، ثم ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة[(٨)] وقال : وخرج أحاديث أدلة التنبيه . وكذلك ذكره السيوطى[(٩)] باسم « تخريج أدلة التنبيه » .

---

(١) كشف الظنون ١/ ١٠.
(٢) الأعلام ١/ ٣١٨.
(٣) فى أحداث سنة ست وأربعين وأربعمائة ، أثناء ترجمة أبى إسحاق الشيرازى .
(٤) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.
(٥) طبقات المفسرين ١/ ١١٠.
(٦)هدية العارفين ١/ ٢١٥.
(٧) ١/ ٣٩.
(٨) ١/ ٤٠٠.
(٩) طبقات الحفاظ ٥٣٠، ذيل طبقات الحفاظ ٣٦١.

وقد صنف هذا الكتاب فى صغره كما ذكره ابن حجر وغيره ، وهو شرح لكتاب التنبيه لأبى إسحاق الشيرازى ، وجاء مبوبا على أبوابه ، كما خرج أحاديثه . ولعل العلماء بعده قصروا التسمية على جانب واحد من عمل ابن كثير فيه .

طبع الكتاب بتحقيق بَهجة يوسف حَمد فى مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٦هـ .

[٣] الأحكام الصغرى فى الحديث :

ذكره حاجى خليفة[١] .

[٤] الأحكام الكبير :

ذكره ابن كثير[٢] ، والداودى[٣] ، وابن العماد[٤] . وهو كتاب مبسوط فى شرح الحديث .

[٥] اختصار علوم الحديث :

المعروف بالباعث الحثيث ذكره الزركلى[٥] ، وذكره كحالة فى معجم المؤلفين باسم مختصر علوم الحديث[٦] ، وذكره حاجى خليفة[٧] ، وذكره ابن العراقى ، قال : ونقده علوم الحديث لابن الصلاح[٨] . وذكره ابن حجر ، وقال : واختصر كتاب ابن الصلاح[٩] .

---

(١) كشف الظنون ١/ ١٩.
(٢) البداية والنهاية ٥/ ٥٠ طبعة دار هجر.
(٣) طبقات المفسرين ١/ ١١١.
(٤) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.
(٥) الأعلام ١/ ٣١٨.
(٦) ٢/ ٢٨٤.
(٧) كشف الظنون ٢/ ١١٦٢.
(٨) الذيل على العبر ٢/ ٣٥٩.
(٩) الدرر الكامنة ١/ ٤٠٠.

طبع الكتاب فى المطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣ بتصحيح وتعليق محمد عبد الرازق حمزة.

ثم شرحه الشيخ أحمد محمد شاكر، ونشره بمكتبة محمد على صبيح.

[٦] البداية والنهاية:

الذى نحن بصدده، ذكره الحافظ الحسينى، وقال: كتاب البداية والنهاية فى ٥٤ جزءًا[١]. وابن العراقى[٢]. وابن حجر، وقال: وجمع التاريخ الذى سماه البداية والنهاية[٣]. وذكره ابن تغرى بردى، وقال: والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية، حذا فيه حذو ابن الأثير رحمه اللّه فى الكامل، فى عشر مجلدات[٤]. وذكره حاجى خليفة، وقال: البداية والنهاية فى التاريخ عشر مجلدات[٥]. وذكره السيوطى[٦]، والداودى[٧]، والسخاوى[٨]، وابن العماد[٩]، وذكره الشوكانى، وقال: هو فى ٥٤ جزءًا[١٠]. وذكره كحالة[١١]، وصاحب أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون[١٢]، والزركلى،

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ٥٨.
(٢) الذيل على العبر ٢/ ٣٥٩.
(٣) الدرر الكامنة ١/ ٣٩٩، ٤٠٠.
(٤) النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣.
(٥) كشف الظنون ١/ ٢٢٨، ٢٨٠، ٨٣٤.
(٦) طبقات الحفاظ ٥٣٠. ذيل طبقات الحفاظ ٣٦١.
(٧) طبقات المفسرين ١/ ١١٠، ١١١.
(٨) الذيل التام على دول الإسلام ٢٥٩.
(٩) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.
(١٠) البدر الطالع ١/ ١٥٣.
(١١) معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٤.
(١٢) ٧٩.

وقال : البداية والنهاية على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧هـ[١] .

[٧] تخريج أحاديث «مختصر ابن الحاجب» :

ذكره ابن حجر ، وقال : رأيت نسخة منه بعضها بخط تقى الدين بن رافع[٢] ، وذكره ابن تغرى بردى[٣] ، والسيوطى[٤] ، والداودى[٥] .

وقد خرج مطبوعًا باسم تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب . بتحقيق عبد الغنى بن حميد بن محمود الكبيسى ، دار حراء مكة المكرمة ١٤٠٦ هـ .

[٨] التفسير ، تفسير القرآن العظيم :

ذكره العراقى[٦] ، وابن تغرى بردى[٣] ، والسخاوى[٧] ، والسيوطى[٤] ، والداودى[٥] ، وحاجى خليفة باسم تفسير ابن كثير ، قال : عشرة مجلدات ، فسر بالأحاديث والآثار مسندة من أصحابها ، مع الكلام على ما يحتاجه إليه جرحا وتعديلا[٨] . وابن العماد[٩] ، والشوكانى ، وقال : وهو فى عشرة

---

(١) الأعلام ١/ ٣١٨.
(٢) الدرر الكامنة ١/ ٤٠٠، وإنباء الغمر ١/ ٣٩.
(٣) النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣.
(٤) طبقات الحفاظ ٥٣٠، وذيل طبقات الحفاظ ٣٦١.
(٥) طبقات المفسرين ١/ ١١١.
(٦) الذيل على العبر ٢/ ٣٥٩.
(٧) الذيل التام على دول الإسلام ٢٥٩.
(٨) كشف الظنون ١/ ٤٣٩.
(٩) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.

مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير، إن لم يكن أحسنها[1]. وذكره كحالة[2]، والزركلى باسم تفسير القرآن الكريم[3].

وهو مطبوع فى عدة طبعات، منها: طبعة الحلبى، وتمتاز عن غيرها بذكر فضائل القرآن فى آخره، وتقع فى أربع مجلدات، وطبعة دار الشعب وتقع فى ثمان مجلدات، وطبعة دار التراث وتقع فى أربع مجلدات.

[٩] التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل:

ذكره الحسينى، وقال: جمع فيه بين كتاب التهذيب، والميزان، وهو خمس مجلدات[4]. وذكره الداودى، وقال: اختصر تهذيب الكمال وأضاف إليه ما تأخر فى الميزان وسماه التكميل[5]. وذكره ابن العماد[6]، وحاجى خليفة[7]، والشوكانى، وقال: فى خمسة مجلدات[1]. وذكره الزركلى، وقال: خمس مجلدات فى رجال الحديث[3].

[١٠] جامع المسانيد:

ذكره الحافظ الحسينى، وقال: وله كتاب الهدى والسنن، فى أحاديث

---

(١) البدر الطالع ١/ ١٥٣.
(٢) معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٤.
(٣) الأعلام ١/ ٣١٨.
(٤) ذيل تذكرة الحفاظ ٥٨.
(٥) طبقات المفسرين ١/ ١١١.
(٦) شذرات الذهب ٧/ ٢٣١.
(٧) كشف الظنون ١/ ٤٧١.

المسانيد والسنن، جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبى يعلى وابن أبى شيبة إلى الكتب الستة[1] . وذكره ابن حجر[2] ، والسيوطى ، وقال : رتب مسند أحمد على الحروف وضم إليه زوائد الطبرانى وأبى يعلى[3] . وذكره الداودى[4] ، وابن العماد ، وقال : إن له كتابا فى جمع المسانيد العشرة[5] . والشوكانى ، وقال : كتاب الهدى والسنن فى أحاديث المسانيد والسنن، جمع فيه بين مسند الإمام أحمد والبزّار وأبى يعلى وابن أبى شيبة إلى الكتب الستة[6] ، وذكره كحالة[7] ، والزركلى[8] .

طبع الكتاب فى دار الفكر ، بيروت ١٤١٥- ١٩٩٤ ووثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه د . عبد المعطى أمين قلعجى .

[١١] سيرة أبى بكر الصديق :

ذكره ابن كثير[9] .

[١٢] سيرة عمر ابن الخطاب :

ذكره ابن كثير[9] .

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ٥٨.
(٢) إنباء الغمر ١/ ٤٠.
(٣) طبقات الحفاظ ٥٣٠، وذيل طبقات الحفاظ ٣٦١.
(٤) طبقات المفسرين ١/ ١١١.
(٥) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.
(٦) البدر الطالع ١/ ١٥٣.
(٧) معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٤.
(٨) الأعلام ١/ ٣١٨.
(٩) البداية والنهاية فى الصفحة ٦٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة ، وفى بدء الحديث عن خلافة عمر ابن الخطاب .

[١٣] شرح قطعة من البخارى :

ذكره الداودى[١] ، وابن العماد[٢] ، وحاجى خليفة[٣] ، والزركلى[٤] ، وابن تغرى بردى ، وذكر أن له شرحا على البخارى لم يكمله[٥] .

كما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية[٦] .

[١٤] شرح قطعة من التنبيه :

ذكره الداودى[١] .

[١٥] طبقات الشافعية :

ذكره السخاوى[٧] ، وابن حجر[٨] ، وابن تغرى بردى ، باسم طبقات الفقهاء[٥] ، والسيوطى[٩] ، والداودى[١] ، وحاجى خليفة[١٠] ، وابن العماد[٢] ، والزركلى[٤] .

[١٦] طبقات العلماء :

ذكره البغدادى[١١] .

---

(١) طبقات المفسرين ١/١١١
(٢) شذرات الذهب ٦/٢٣١
(٣) كشف الظنون ١/ ٥٥٠.
(٤) الأعلام ١/ ٣١٨.
(٥) النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣.
(٦) فى الصفحة ٨ و ٥٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٧) الذيل التام على دول الإسلام ٢/٢٥٩ .
(٨) الدرر الكامنة ١/ ٤٠٠.
(٩) طبقات الحفاظ ٥٣٠، وذيل طبقات الحفاظ ٣٦١.
(١٠) كشف الظنون ٢/ ١١٠٥.
(١١) هدية العارفين ٢/ ٢١٥.

[١٧] طبقات عماد الدين:

ذكره حاجى خليفة[١].

[١٨] الفصول فى اختصار سيرة الرسول:

ذكره فى إيضاح المكنون[٢] باسم «الفصول فى سيرة الرسول». وذكره ابن كثير فى التفسير، فى نهاية الحديث عن غزوة الخندق فى تفسير سورة الأحزاب[٣].

وقد طبع بتحقيق محمد العيد الخطراوى، ومحيى الدين مستو، فى مؤسسة علوم القرآن، ودار القلم بيروت ١٣٩٩- ١٤٠٠هـ.

[١٩] فضائل القرآن:

طبع الكتاب عام ١٣٤٨ هـ بمصر.

[٢٠] الكواكب الدرارى فى التاريخ:

منتخب من تفسيره الكبير، ذكره حاجى خليفة[٤].

[٢١] مختصر المدخل إلى كتاب السنن للبيهقى:

ذكره ابن كثير فى مقدمة كتاب «اختصار علوم الحديث»[٥].

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١١٠٥.
(٢) إيضاح المكنون ٢/ ١٩٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٩٨.
(٤) كشف الظنون ٢/ ١٥٢١.
(٥) اختصار علوم الحديث الصفحة الأولى.

[٢٢] مسند الشيخين (أبى بكر وعمر):

ذكره السيوطى[١].

[٢٣] مسند عمر والآثار والأحكام المروية عنه:

ذكره ابن كثير فى كتاب «البداية والنهاية»[٢]، فى أثناء حديثه عن خلافة عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه.

[٢٤] مناقب الإمام الشافعى:

ذكره ابن تغرى بردى[٣]، والداودى[٤].

[٢٥] الواضح النفيس فى مناقب الإمام محمد ابن إدريس:

أشار إليه حاجى خليفة[٥]، والبغدادى[٦]، وقال: «رسالة كتبها للأمير منجك لما حاصر الفرنج فى قلعة إياس».

وفاتـــه:

عاش ابن كثير رحمه اللّه حياة حافلة كما ذكرنا - فتعلَّم وعلَّم، وصنَّف حتى آخر حياته، ففقد بصره وهو يؤلف كتاب «جامع المسانيد»، فأكمله إلّا بعض مسند أبى هريرة، وفيه قال: لا زلت أكتب فيه فى الليل والسراج ينونص حتى ذهب بصرى معه. فبارك اللّه فى عمره إلى أن توفى فى يوم الخميس

---

(١) طبقات الحفاظ ٥٣٠، وذيل طبقات الحفاظ ٣٦١.
(٢) البداية والنهاية أحداث سنة ثلاث عشرة.
(٣) النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣.
(٤) طبقات المفسرين ١/ ١١١.
(٥) كشف الظنون ٢/ ١٨٤٠.
(٦) هدية العارفين ١/ ٢١٥.

سادس عشرين شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة - رحمه اللَّه تعالى - بدمشق ودفن قريبًا من شيخه ابن تيمية ، رحمهما اللَّه . ولما مات رثاه بعض طلبته بقوله :

لِفَقْدِك طُلّابُ العلومِ تأسَّفُوا وجادُوا بدمْعٍ لا يَبِيدُ غَزِيرِ

ولو مَزَجُوا ماءَ المَدامِعِ بالدِّما لكان قليلًا فِيك يا ابن كَثِيرِ

طبعات كتاب « البداية والنهاية » :

طبع الكتاب عدة طبعات ، وهذا ما عُرِف منها ، وأسماء دور النشر التى نشرتها وهى :

ا - نشرة مطبعة كردستان العلمية فى القاهرة :

أصدرت منه ثلاثة أجزاء : الأول ، والثانى ، والثالث ، سنة : ١٣٤٨هـ .

من هذه الطبعة نسخة فى دار الكتب المصرية رقمها : ٣٩٥٤.

وهى مذكورة فى فهرس دار الكتب المصرية ٨/ ٣٣.

ومن هذه الطبعة نسخة أخرى تشتمل على الجزء الأول فقط محفوظة فى المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ورقمها فيها : [٢٨٥٩] بخيت : ٤٥٣٣٥.

وهى مذكورة فى فهرس مخطوطات الأزهرية ٥/ ٣٤٥.

ب - الطبعة التى أنفقت عليها مطبعة السعادة ، والمطبعة السلفية ، ومكتبة الخانجى ، وطبعت فى مطبعة السعادة ، وصدرت سنة : ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م .

استهلت هذه الطبعة بالكلام التالى :

« طبع هذا المجلد عن النسخة المخطوطة المحفوظة بالمدرسة الأحمدية بمدينة حلب (وعليها اعتمادنا) بعد معارضتها على النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية ، ومراجعة مختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام وشرحها الروض الأنف للسهيلى ، ودلائل النبوة للحافظ أبى نعيم ، والسيرة النبوية الهشامية ومعاجم اللغة » .

وهذه الطبعة هى أقدم طبعات الكتاب ، وتقع فى ١٤ مجلَّدًا .

ج - الطبعة التى أصدرتها مكتبة المعارف ببيروت - لبنان . وكانت أول نشرة منها سنة ١٩٦٦م ، بالاشتراك مع مكتبة النصر بالرياض ، وجاءت فى ١٤ جزءا ، فى ٧ مجلدات ثم أعيدت هذه النشرة مصورة فى سنوات متعددة : ١٩٨٠- ١٩٨٣- ١٩٨٥.

وقد استهلت هذه النشرة فى طبعاتها المصورة كلها . بما استهلَّتْ به طبعة السعادة بمصر السابقة ، مع تغيير فى بعض العبارات .

وهذا نص ما جاء بها :

طبع هذا المجلد .... ألخ .

وهذه الإصدارات الثلاثة استهلت بالكلام الذى استهلت به طبعة مطبعة السعادة بعد تعديل صيغته ، ونص ما استهلت به :

« طبع هذا المجلد نقلًا عن المخطوطة الموجودة فى المدرسة الأحمدية بمدينة حلب من الجمهورية العربية السورية ، بعد أن قارنها جمهور من المحققين على أمهات الكتب التاريخية وكتب السير الأقدم منها زمنا ، والتى تم تحقيقها إلى أن غدت معتمدة لدى الدارسين ، وبعد أن حققوا ألفاظها على معاجم اللغة » .

وقد أُشير فى طبعتنا هذه إلى طبعة المعارف تلك بالرمز (م).

د - طبعة أصدرتها دار الكتب العلمية فى بيروت.

قام بتحقيق هذه الطبعة حسب ما جاء فى صفحة عنوانها: الدكتور أحمد أبو ملحم، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها فى الجامعة اللبنانية، وفؤاد سيد، ودكتور على نجيب عطوى، ومهدى ناصر الدين. ووضع لها الدكتور أحمد أبو ملحم مقدمة.

وصدر منها خمس طبعات:

الأولى سنة: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥.

الثانية سنة: ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦.

الثالثة سنة: ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧.

الرابعة فى سنة: ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨.

الخامسة فى سنة: ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩.

وهذه الطبعات ماهى إلا إعادة طبع للطبعة الأولى دون زيادة أو نقصان.

هـ - طبعة صدرت بتحقيق وتعليق محمد عبد العزيز النجار.

أخرج منها أحد عشر جزءا، طُبِعت الأجزاء الأربعة الأولى بمطبعة الفجالة بالاشتراك مع مكتبة الفلاح بالرياض، وطُبِعت باقى الأجزاء بمطبعة السعادة بمصر بالاشتراك مع مكتبة الفلاح فى الجزأين الخامس والسادس، ومع مؤسسة دار العربى فى الجزء السابع، ومع دار الأصمعى فى بقية الأجزاء.

و - طبعة دار الريان للتراث - القاهرة.

صدرت سنة : ١٩٨٨.

وهى صورة فوتوغرافية للطبعة التى أصدرتها دار الكتب العلمية فى بيروت ، التى ذكرناها فى الفقرة (د) .

ز - طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت .

كتب على صفحة عنوان هذه الطبعة :

« حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه : على شيرى » .

صدرت هذه الطبعة فى ١٤ جزءًا يضمها ٧ مجلدات .

وهى الطبعة الأولى ، نجزت عام : ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨.

ح - طبعة دار إحياء التراث العربى ، ومؤسسة التاريخ العربى بيروت :

كتب على صفحة عنوان هذه الطبعة :

« حققه ودقق أصوله وعلق عليه : مكتب تحقيق التراث » .

وهى أيضًا فى ١٤ جزءًا يضمها ٧ مجلدات .

صدرت هذه الطبعة سنة : ١٤١٣هـ = ١٩٩٣.

وهى صورة فوتوغرافية للطبعة السابقة التى أصدرتها دار إحياء التراث العربى سنة : ١٩٨٨.

ط - طبعة دار الحديث - القاهرة .

اضطلع بتحقيقها ، حسبما ذكر فى صفحة عنوانها : أحمد عبد الوهاب فتيح .

صدرت عام : ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ .

وجاءت فى ١٤ جزءًا يضمها ٧ مجلدات .

ى - طبعة دار الفكر بيروت .

رُقِم على صفحة العنوان منها : « طبعة جديدة منقحة » ، ولم يُذكر اسم محقق للكتاب .

خرج من هذه الطبعة إصداران :

ا - إصدار أرّخ سنة : ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨.

ب - إصدار ثان هو صورة فوتوغرافية للإصدار الأول ، وقد أغفل ذكر تاريخ الإصدار .

ك - طبعة دار الغد العربى - القاهرة .

لم يذكر اسم محقق لها ، وذكر فقط فى صفحة العنوان منها : « الطبعة الثانية » .

جاءت فى ٨ مجلدات ، وصدرت سنة : ١٤١١هـ = ١٩٩٠م :

طبعات النهاية (الفتن والملاحم) :

وهو القسم الثانى من (البداية والنهاية) ، وماأطّلع عليه من طبعات هذا القسم أربع :

أولاها : بتحقيق : الدكتور طه محمد الزينى . الأستاذ بالأزهر .

أصدرتها فى جزأين دار الكتب الحديثة فى القاهرة سنة : ١٩٦٩.

وقد رمزنا إليها فى تعليقات هذه الطبعة بالرمز (م) .

ثانيتها : بتحقيق : محمد فهيم أبو عبية .

أصدرتها مكتبة النصر الحديثة فى الرياض سنة : ١٩٦٨ فى ثلاثة أجزاء .

ثالثتها : قام بنشرها : الشيخ إسماعيل الأنصارى .

أصدرتها دار الإفتاء فى الرياض سنة : ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩ فى جزأين .

رابعتها : تولى تحقيقها : أحمد عبد الشافى .

أصدرتها دار الكتب العلمية بيروت سنة : ١٩٨٨.

المُستَخْرَجات من البداية والنهاية :

عمد بعض الناشرين إلى استخراج بعض الموضوعات الخاصة من كتاب « البداية والنهاية » وأخرجوها للناس ، على أنها كتب خاصة فى موضوعاتها لابن كثير ، وماهى إلاَّ مُسْتَلَّات من الكتاب . وهذا بيان بما عُرِف منها :

أولا : بداية الخلق : باب مستلٌّ من أول البداية والنهاية .

لم يُوقَف إلا على طبعة واحدة منه .

قام بتحقيقها : إبراهيم محمد الجمل .

وصدرت فى جزء واحد عن دار الكتاب العربى فى بيروت سنة : ١٩٨٥.

ثانيا : قصص الأنبياء :

وهو مستلٌّ من أول الكتاب :

١- طبع بتحقيق مصطفى عبد الواحد فى جزأين، فى دار الكتب الحديثة سنة ١٩٦٨.

٢- ثم طبع بتحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، فى دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨١.

٣- ثم صدر فى جزأين فى المكتبة التوفيقية بمصر سنة ١٩٨٢.

ثالثا : السيرة النبوية : صدر منها عدة طبعات :

١- الطبعة الأولى : حققها مصطفى عبد الواحد، ومهد لها بمقدمة تناول فيها السيرة وتحقيقها وترجمة مبسوطة لابن كثير.

صدرت فى أربع مجلدات فى مطبعة عيسى البابى الحلبى، المجلد الأول منها صدر دون تاريخ طبع، وطبع الثانى سنة ١٩٦٤ والثالث سنة ١٩٦٥ والرابع ١٩٦٦.

٣- نشرة ثانية للمحقق نفسه.

أصدرتها دار المعرفة بيروت سنة : ١٩٧٦ فى أربعة أجزاء.

٣ - نشرة ثالثة للمحقق نفسه :

صورة فوتوغرافية للنشرة السابقة، أصدرتها دار إحياء التراث العربى بالاشتراك مع دار الفكر بيروت فى أربعة أجزاء أيضًا.

٤- نشرة رابعة : قام بضبطها وتصحيحها، كما جاء على صفحة العنوان منها، أحمد عبد الشافى، ولم يقدم لها.

أصدرتها دار الكتب العلمية بيروت. دون تاريخ. فى جزأين.

رابعًا : مختصر سيرة ابن كثير : اختصار محمد على قطب .

صدر فى دار المسيرة سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

خامسا :شمائل الرسول ، ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه :

وهو مستل من حديث ابن كثير فى سيرة النبى ﷺ :

١- طبع بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، فى مطبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٦٧.

٢- ثم صدر فى جزأين بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ، فى المكتبة الأدبية العربية - أنور أحمد الدرينى سنة ١٩٨٢.

سادسا : علامات يوم القيامة :

استلَّه مُخْتَصِرًا عبد اللطيف عاشور من الفتن والملاحم ، طبع فى مكتبة السنة بمصر بدون تاريخ .

منهج التحقيق :

لعل أهم ما يتميز به عمل التحقيق هو خدمة نص الكتاب فى الدرجة الأولى ، وذلك بالعناية بتوثيقه ، والتعليق عليه بحيث يخرج فى صورة صَحيحة يقل فيها الوهم أو اللبس أو الخلط ، وقد تحقَّق ذلك بالآتى :

١- مقابلة المخطوطات التى تيسرت من المكتبات على النسخة المطبوعة ، التى أُشير لها بالرمز (م) وتم إثبات الفروق التى تخالف ما أُثبت فى المتن فى الحاشية ، وقد أُهملت بعض الفروق الهَيِّنة ، التى تبدو كأنها من حشو النُّساخ ، وبعض هذه الفروق أُثبتت وذُكر أنها من حشو النُّساخ .

وقد روعى فى إثبات الفروق أن تتفق مع المصادر المحال إليها سواء أكانت فى رواية ، أو لفظ أثر ، فإذا خالفت جميع النسخ المصدر المحال إليه ، وتم التأكد من صحة ما فى المصدر ، أُثْبِتَ ما فى المصدر ، وأُشيرَ إلى ما فى النسخ فى الحاشية . ولا يلتزم دائما بإثبات ما فى الأصل ، بل يُثْبَتُ غيره إذا كان أَوْلى منه فى صحَّة النصِّ وسلامته .

٢- ضبط النص ، ويشمل :

ا - الآيات القرآنية ، أُثبتت من المصحف المطبوع بالرسم العثمانى .

ب - الأحاديث ، ضُبِطَت ضبطا شبه تام .

جـ - الأعلام والأماكن ، وتضبط بما يزيل اللبس ويدفع الوهم .

٣- تخريج الآيات والأحاديث : حيث تم عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف .

أما الأحاديث : فقد انتُهج فى تخريجها منهج تعدَّى مجرد العزو إلى المصادر ، حيث كانت قضية توثيق الأحاديث من المصادر التى نقل عنها ابن كثير ، أو التى لم يعزها ، ثم بيان حالها من صحة وضعف ، من أهم جوانب العمل التى أُوليَت اهتمامًا كبيرًا ، على الرغم من كثرتها واتباع ابن كثير لطريقة نقل الحديث بإسناد بعينه وطريق بعينه أو بلفظ بعينه ، وما يتطلبه التوثيق حينئذ من الوصول إلى موضع بعينه من صحيح البخارى أو مسند أحمد أو غيرهما . ولأن الاقتصار على مجرد العزو إلى موضع الحديث من كتب الحديث لا يفى بالغرض المقصود من تحقيق هذا الكتاب ، حيث لم تلتزم عامة هذه الكتب بإخراج الصحيح من الحديث دون السقيم ، بل جمعتْ هذا وذاك اعتمادًا على

ذكر الإسناد ، الأمر الذى لا يكفى لمعرفة مدى صحة نسبة الحديث إلى قائله ، فقد أُتبع ذلك ببيان درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف قدر المستطاع .

وقد استُفيد ذلك من علماء هذا الشأن الذين وفقهم اللَّه سبحانه فأثروا المكتبة الإسلامية بالكثير من التصانيف التى تعرِّف بدرجات الأحاديث وأحوال الأسانيد ، سواء أكانت تصانيف مستقلة لهذا الغرض أم تخريجات وتحقيقات لكتب العلم .

فأُثْبِت ما وَفَّق اللَّه إليه مما قرره العلماء ، كالترمذى ، والحاكم ، والذهبى ، والهيثمى ، وابن حجر ، وغيرهم من القدامى والمُحْدَثين .

وحرصًا على عدم إثقال الكتاب بالحواشى ، ورغبة فى تقليل حجمه وعدد أجزائه ؛ تخفيفا لتناوله ، وتيسيرًا لاقتنائه ، فقد اتبعت طريقة التخريج بأرقام الحديث ، حيث اشتهرت الطبعات المرقمة لعامة كتب الحديث واعتمدها الشيوخ فى تخريجاتهم .

ومما جرى عليه العمل ألَّا يَخْرُجَ عَزْوُ الأحاديث عن نطاق الكتب الستة إلَّا إذا نقل المصنِّف عن غيرها ، وكذلك إذا وُجد الحديث فى الصحيحين أو أحدهما ، اكتُفى بذلك ما لم ينص المصنّف على مرجع آخر ، فيرجع إليه .

وإذا لم يتيسر الكتاب الذى عزا إليه المصنف اتجه النَّظرُ إلى تأكيد هذا العزو بذكر من وافقه فى هذا العزو ؛ كالدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسُّيوطى أو تفسير ابن كثير نفسه ، أو تاريخ الطبرى ، أو تاريخ دمشق لابن عساكر ، أو دلائل النبوة للبيهقى فيما نقلوه عن ابن إسحاق وغيره ... وهكذا .

٤- **توثيق النقول** من كتب التاريخ والسير وغيرها السابقة للمصنف، كالطبرى، وابن عساكر، وابن الأثير، والذهبى، وابن هشام، والسهيلى، وغيرهم بما توافر من مصادر مطبوعة ومخطوطة. واعتُمد فى شرح غريب السيرة بصفة خاصة على غريب السيرة لأبى ذر الخُشَنِىّ، وما يذكره السهيلى فى الروض الأنف. وكذلك النهاية لابن الأثير، فضلا عن المعاجم اللغوية.

٥- **المقابلة** بين روايات ابن كثير وروايات غيره للأحداث؛ لتحرير وتصحيح الترتيب الزمنى للحوادث.

٦- **التعريف** بالأماكن، والأعلام الذين لم يترجم لهم ابن كثير. وقد روعى فى توثيق الأعلام وضع الصواب عند اختلاف النسخ فى العَلَم، سواء فى الإسناد أو غيره، وسواء خالف النسخ كلها أم لم يخالفها، ويُستعان فى ذلك بكتب التراجم، فإن كان فى السند اعتُمد فى المقام الأول على تهذيب الكمال لشيخه المزى، وذلك لأنه أكثر المصادر ذكرًا لشيوخه وتلاميذه المترجم لهم.

٧- **شرح الغريب** من الألفاظ والمصطلحات، وتخريج الأشعار. وقد أُوليت الأشعار عناية كبيرة، حيث تم ضبطها ووزنها والمقارنة بين ما أورده المصنف، ومصدر تخريج الشعر، وإثبات الصواب منها.

٨- **الربط** بين تاريخ ابن كثير وتفسيره فى فترة الأنبياء السابقين والأمم السابقة.

٩- وبعد الفراغ من تحقيق مادة الكتاب - إن شاء اللّه - سيُتبع بفهارس فنية شاملة للآيات، والأحاديث، والآثار، والأشعار، والأعلام، والبلدان، والوقائع، والقبائل والأمم، والكتب.

وسوف يجد القارئ - إن شاء اللّه - ثمرة هذا المنهج عند مطالعته للكتاب وسيلمس بنفسه مدى الجهد الذى بُذِل للعناية به ، واللّه من وراء القصد وهو ولىّ التوفيق .

وصف النسخ الخطية المعتمدة

ولما استقرَّ العزم على تحقيق هذا الكتاب كان لابد من الاعتماد على أكبر عدد من النسخ الخطية الموثوقة التى يُعتمد عليها - بعد اللّه تعالى - فى إخراج نصٍّ صحيح للكتاب ، خالٍ من السَّقط والتصحيف والتحريف ، فيسر اللَّه منها الآتى :

أولًا : من مكتبة أحمد الثالث بإستانبول :

نسخة محفوظة هناك برقم ٢٩٢٣ ، ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٨٠ تاريخ ، وهى نسخة ملفقة من أجزاء من نسخ مختلفة الخطوط والتواريخ والنساخ ، ويحمل كل جزء منها ثلاثة أختام مختلفة متكررة ، منها خاتم مكتبة أحمد الثالث ، وفى بعض أجزائها لا يوجد إلا خاتمان فقط . وهى تُمثِّل الفترة من أول الكتاب إلى آخر خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ست وعشرين ومائة ، ما عدا الفترتين : من أثناء الكلام على مبعث رسول اللَّه ﷺ ، عند قصة عمرو بن مرة الجهنى إلى أول سنة ثمان ، ومن كتاب دلائل النبوة إلى أثناء سنة ست عشرة ، منها :

الجزء الأول : ٢٩٢٣/١/ف ١٠٨٦ :

يبدأ بأول الكتاب ، وينتهى بقصة بقرة بنى إسرائيل .

وعلى وجه الورقة الأولى منه من أعلى : الجزء الأول من تاريخ البداية والنهاية ، ومن أعلاه دعاء : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بركنك الذى لا يضام

واغفر لى بقدرتك علىّ فلا أهلك وأنت رجائى . وعلى جانبه : اللهم بك أدفع فى نحره وأستعيذ بك من شره . وتحتها : المجلد الأول من كتاب البداية والنهاية فى التواريخ لابن كثير . ثم بنفس خط الدعاء : الأول من تاريخ ابن كثير . ثم توقيع ، ويتكرر هذا التوقيع فى الأجزاء كلها ، فوق الورقة الأولى .

وأوله : بسم اللّه الرحمن الرحيم رب يسر وبه أستعين قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير رحمه اللّه : الحمد للّه الأول الآخر ...

وآخره : آخر المجلد الأول من البداية والنهاية تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى الفداء إسماعيل بن كثير قدس اللّه روحه ونوَّر ضريحه ، وكان الفراغ منه نهارَ الأحد ثالث عشر ذى قعدة الحرام سنة أربعين وثمانمائة ، يتلوه إن شاء اللّه تعالى فى المجلد الثانى بعده ذكر قصة موسى والخضر عليهما أفضل الصلاة والسلام . كاتبه لنفسه على بن أحمد بن على ، والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الجزء يقع فى (٢٥٢) ورقة من القطع الصغير ، ومسطرته ١٧ سطرًا ، كتب بخط نسخى جميل خال من الضبط . وقد ظهر من مقابلات النسخ أن هذه النسخة كثيرة الخطأ والاختلاف عن بقية النسخ بتقديم وتأخير ، وكذلك عن مصادر التوثيق ، وقد أُشير إلى ما له فائدة من ذلك فى الحواشى ، وأُهمل ما لا فائدة فى الإشارة إليه .

وقد أُشير إلى هذه النسخة بالرمز (ا) .

نسخة ثانية برقم ١٣/٢٩٢٣/ ف ١٠٩٢ :

تبدأ بأول الكتاب ، وتنتهى بآخر أخبار الأنبياء المتقدمين .

وعلى الورقة الأولى منه: الحمد للّه رب العالمين كتاب البداية والنهاية للشيخ الإمام العلامة عماد الدين، رحمه اللّه ورضى عنه وعنا أجمعين وللمسلمين. وتحته تملكات غير واضحة، وبأسفلها: الأول من تاريخ ابن كثير. و: طالع فيه العبد الفقير أبو بكر بن محمد بن على الكلابى (؟) بلدًا والحجازى مولدًا واليمنى منشأً والحنفى مذهبًا.

وتحته: قال كاتبه:

لقد سقت فى التاريخ كل عجيبة ... وصححت جمعا فيه جبر كسير

وأوضحتَ ما قد أبهم الناس كلهم ... وما ذا قليل منك يا ابن كثير!

وكتبه ناظمه محمد بن إبراهيم الدمشقى، الشهير بالبدر البشتكى[1] لطف اللّه تعالى به آمين. وفى آخره: آخر الجزء الأول من البداية والنهاية يتلوه إن شاء اللّه تعالى فى أول الجزء الثانى مقدمات سيرة النبى ﷺ. وكان الفراغ من تعليقه منتصف شوال سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة على يد العبد الفقير إلى اللّه تعالى محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الدمشقى، الشهير بالبدر البشتكى. وقلتُ:

لك الحمدُ أنهيتُ البداية راجيًا ... رضاك عسى أنْ أنتهِى للنهايةِ

وقد كنتُ بدرًا صَيّرتنى كتابتى ... هلالاً وأرجو للكمال إعادتى

على أنَّ خطى مثل حظِّىَ ساقطٌ ... ولكنْ به دهرى يُريدُ مَسَاءتى

---

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصارى، البشتكى، بدر الدين، أبو البقاء، ينسب إلى خانقاه «بشتك» أديب من الشعراء، دمشقى الأصل، مولده ووفاته بالقاهرة، من كتبه «طبقات الشعراء»، و«ديوان شعر»، و«مركز الإحاطة» اختصر به «الإحاطة فى أخبار غرناطة» فى مجلدين. وتوفى سنة ثلاثين وثمانمائة. الضوء اللامع ٦/٢٧٧- ٢٧٩.

فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل ، كتبتُ هذا الجزء للعلامة أوحد أهل زمانه شهاب الدين بن أبى حجلة[1] صاحب النثر الفائق والنظم الرائق أبقاه اللّه وقلتُ :

أمولانا شهابَ الدِّين يا مَنْ غَدَا فى الفضل يُحرزُ كلَّ غايهْ
رأيتُك فُقْتَ أهلَ العصرِ طُرًا بفهمك والرواية والدرايهْ
وَرُحتَ نهايةً فى كل عِلمٍ فعلقتُ البدايةَ للنهايهْ

والجزء يقع فى (٣٠٨) ورقة من القطع الكبير ، مسطرته ٢٥ سطرًا كتب بخط نسخى جيد مشكول .

وقد اعتُمد هذا الجزء أصلًا إلى حيث ينتهى قبل مقدمات السيرة النبوية فى الجزء الثالث صفحة ٩٩ من تحقيقنا ؛ لما يتميز به من صحة ، وقد كُتب فى حياة المؤلف ، قبل وفاته بسنتين ، تقريبًا مما يقوى أن يكون على الصورة الأخيرة لما كتبه المصنف .

وأُشير إليه بالأصل ، وتجد أرقام أوراقه بين معقوفين فى موضعها من النص المحقق .

---

(١) أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمسانى ، ابن أبى حجلة ، شهاب الدين ، أبو العباس . عالم بالأدب ، شاعر ، من أهل تلمسان ، سكن دمشق ، وولى مشيخة الصوفية بالقاهرة ، وكان حنفيًا يميل إلى مذهب الحنابلة ويكثر من الحط على أهل الوحدة وخصوصًا ابن الفارض ، وامتحن بسببه ، صنف « مقامات » ، و« ديوان الصبابة » ، و« ديوان شعر » وغير ذلك . توفى سنة ست وسبعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ١/٣٥٠ - ٣٥٢.

نسخة ثالثة : ١٥/٢٩٢٣/ف ١٠٨٩:

وهى نسخة تحمل أوراقها أرقامًا متسلسلة من ١- ٣٠٨، وعلى وجه الورقة الأولى : الجزء الأول من كتاب البداية والنهاية تأليف الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام حسنة الأيام ، أوحد المحققين مفيد الطالبين حجة المحدثين حافظ سنة رسول اللّه ﷺ من إفك الوضّاعين وتحريف المبطلين عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن الشيخ الإمام العالم الخطيب أبى حفص عمر بن كثير القرشى البُصْرَوِىّ قدّس اللّه روحه ونوّر ضريحه بمنه وكرمه آمين يا رب العالمين. وبأسفلها : الأول من تاريخ ابن كثير.

وتبتدئ بأول الكتاب ويتصل السياق إلى آخر الورقة التاسعة[1] ، ثم تبتدئ الورقة العاشرة فى أثناء الكلام فى باب إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلة ، من كتاب دلائل النبوة ، وهذا موضعه بعد وفاة رسول اللّه ﷺ فى حوادث سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ويتصل السياق إلى سنة ثنتين وثلاثين ، فى أثناء الكلام فى ذكر من توفى من الأعيان فى هذه السنة فى ترجمة عبد اللّه بن مسعود ، وذلك فى الورقة ١٦٨.

وعلى وجه الورقة ١٦٩ عنوان : الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية. وتحته اسم المؤلف. وتبتدئ صفحة الظهر بفصل فى الإسراء برسول اللّه ﷺ ، ويتصل السياق إلى آخر ظهر الورقة ٢٣٧ فى سياق ذكر قصة أم معبد الخزاعية ، إلى ٢٤٤ وقبل ذكر سياق محمد بن إسحاق حديث

---

(١) فى أسفل الورقة ما نصه : هذا التعقيب غير صحيح وهذا الجزء كله مجمّع من عدة أماكن مفرّقة وأنت ترى الكلام غير ملتئم واللّه أعلم قاله على الحموى.

الإفك ، ثم يتصل السياق إلى ذكر حوادث سنة ست من الهجرة النبوية إلى آخر الورقة ٢٩٧.

وتبتدئ الورقة ٢٩٨ بأثناء الكلام فى مناقب عثمان بن عفان رضى اللّه عنه ، ويتصل السياق إلى فصل من توفى فى زمان دولة عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته ، وذلك فى آخر الموجود من الجزء فى الورقة ٣٠٨، وآخرها غير موجود .

والذى يترجح أن هذا الجزء هو ما تبقى من أجزاء ثلاثة ، لم يبق من الأول إلا تسع ورقات من أوله ، والثانى يبدأ بفصل فى الإسراء والمعراج ، وينتهى الموجود منه فى سنة ست ، والثالث يبدأ الموجود منه فى سنة إحدى عشرة وينتهى فى آخر خلافة عثمان .

ولعل هذه النسخة ملفقة من أجزاء متفرقة من الكتاب ، والله أعلم . وهى مع ذلك نسخة متقنة بخط نسخىّ جيد جدا ، من خطوط القرن التاسع ظَنًّا . وتقع فى (٣٠٨) ورقة من القَطْع المتوسط ، ومسطرتها (٢٣) سطرا .

وقد أُشير إلى هذه النسخة بالرمز (ا ١٥) .

نسخة رابعة . يوجد منها :

الجزء الرابع : ٢٩٢٣/٤/ف ١٠٨٧:

يبدأ بفصل فى إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة ، وينتهى فى أثناء باب دلائل النبوة الحِسية قبل الآيات السماوية فى باب دلائل النبوة .

وعلى الورقة الأولى منه : الجزء الرابع من البداية والنهاية للشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه اللّه تعالى .

وعلى جانب الورقة الأيسر تملُّك ليوسف بن حسن بن عبد الهادى ، وهو ناسخ المخطوط كما سيأتى . ومن أسفلها : الرابع من تاريخ ابن كثير .

وآخره : آخر هذا الجزء وللّه الحمد والمنة وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وفُرغ منه ليلة الأربعاء ثالث ليلة من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثمانمائة على يد يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى[1] بصالحية دمشق بسفح جبل قاسيون بمنزله بالسهم الأعلى ، والحمد للّه وحده وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، يتلوه فى الذى بعده فصل ومما يتعلق بالآيات .

والجزء يقع فى (٢٢٩) ورقة من القطع الكبير مسطرته من ٢٠ إلى ٣٠ سطرًا ، كتب بخط سريع قليل النَّقْط ، وفى قراءته بعض العُسْر .

وقد أُشير له بالرمز (ا ٤) .

نسخة خامسة . يوجد منها :

الجزء الرابع : ٩/٢٩٢٣/ف ١٠٨٧:

يبدأ بـ : كتاب جامع لأخبار الأنبياء المتقدمين عليهم الصلاة والسلام . وينتهى بقصة عمرو بن مرة الجهنى .

---

(١) جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى الشهير بابن المِبْرَد الصالحى الحنبلى ولد سنة أربعين وثمانمائة وقرأ على الشيخ أحمد المصرى والشيخ محمد والشيخ عمر العسكريين ، له مؤلفات كثيرة وغالبها أجزاء ، ودرس وأفتى . وألف تلميذه شمس الدين بن طولون فى ترجمته مؤلفا ضخمًا وتوفى سنة تسع وتسعمائة . شذرات الذهب ٨/ ٤٣.

وعلى وجه الورقة الأولى منها : الجزء الرابع من تاريخ ابن كثير .

وتحته تملك نصه : ملك محمد بن عبادة . وبأسفلها : الرابع من تاريخ ابن كثير . وفى أسفلها : اشترى هذا الجزء وما معه محمد بن عمر الحمصى الشهير بابن المؤذن من القاضى الحورانى على يد داود الدلال فى الكتب بتاريخ عاشر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وثمانمائة .

وفى آخرها : تم الجزء الرابع بحمد اللّه تعالى وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه فى أول الخامس بعد الاسم الشريف قال الإمام أحمد ثنا أبو النضر ثنا الفرج يعنى ابن فضالة ثنا لقمان بن عامر ... كتبه العبد المفتقر إلى رحمة ربه العلى ، أحمد بن علوى بن حمزة الحنبلى ...

والجزء يقع فى (٢٣٩) ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته ١٧ سطرًا ، وكتب بخط نسخى حَسَن ، فيه كثير من الضبط ، وهو من خطوط القرن التاسع ظَنًّا . ويلاحظ أن بهذا الجزء زيادات عن سائر النسخ ، والظاهر أنها من زيادات الناسخ ، ولذلك لم نُنبِّه على كثير منها . واللّه أعلم .

وقد أُشير له بالرمز (٩١) .

نسخة سادسة . يوجد منها :

الجزء السادس : ٢٩٢٣/٦/ف ١٠٨٧:

أوله : بسم اللّه الرحمن الرحيم خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى اللّه عنه . وينتهى بآخر ترجمة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه عنهم .

وعلى وجه الورقة الأولى منه : الجزء السادس من كتاب البداية والنهاية .

ويوجد إصلاح فى كلمة السادس حيث كانت الخامس ، ونجد ذلك أيضًا على نفس الورقة الأولى من أسفل : سادس من تاريخ ابن كثير . وتحته : تأليف الشيخ الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره أبى الفداء إسماعيل بن كثير عفا اللّه عنه .

وتحته تملك ليوسف بن حسن بن عبد الهادى الحنبلى ، وهو ناسخ النسخة الرابعة السابق وصفها .

وفى آخره : آخر الجزء السادس من البداية لابن كثير رحمه اللّه وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا سرمدًا وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وفى الحاشية ما نصه : بلغ مقابلة فى يوم الخميس من العشر الأوسط من شهر شوال سنة سبع وستين وثمانمائة .

ثم بعده : زيادة قدر ورقتين كتب فى أولها : تلحق بترجمة معاوية بن يزيد .

وفى آخرها : فرَّغه الفقير إلى اللّه تعالى فى جميع مطالبه وحاجاته المُسَيْكين فى جميع حالاته أبو محمد سعيد بن سعادة بن عمر بن مفلح المقدسى المرداوى الحنبلى ، وذلك بسفح جبل قاسيون المبارك ... مدرسة شيخ الإسلام أبى عمر تغمده اللّه برحمته وأسكنه وإيانا غرف الجنان بمنه وكرمه وجوده وإحسانه تاب اللّه علينا وعلى إخواننا وأصحابنا وجيراننا ومن أحسن إلينا توبة نصوحًا آمين .

والجزء يقع فى (١٩١) ورقة من القطع الكبير ومسطرته ٢٩ سطرًا بخط معتاد ، وقد كتبت اللوحة الأولى منه بنفس الخط الذى كتبت به النسخة الرابعة ، والمرموز لها (ا ٤) ، وعليه نفس التملك .

وقد أُشير له بالرمز (٦١).

نسخة سابعة . يوجد منها :

الجزء السادس : ١١/٢٩٢٣/ف ١٠٩٢:

يبدأ بحوادث سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وينتهى بآخر إخبار النبى ﷺ بالمغيبات .

وعلى وجه الورقة الأولى منها : السادس من البداية والنهاية وهو الرابع من السيرة النبوية وتحته : السادس من تاريخ ابن كثير . وآخره : آخر المجلد السادس من البداية والنهاية ، وهو الرابع من السيرة النبوية يتلوه فى الذى بعده إن شاء اللَّه تعالى . وبعدها بياض ، ثم :

والحمد للَّه رب العالمين وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل .

والجزء يقع فى (٢٣٠) ورقة من القطع الكبير ومسطرته ٢٥ سطرًا . وكتب بخط نسخى جميل به بعض الضبط وهو من خطوط القرن التاسع ظنًّا .

وقد أُشير له بالرمز (١١١).

نسخة ثامنة . يوجد منها :

الجزء السابع : ٧/٢٩٢٣/ف ١٠٨٧:

يبدأ بحوادث أربع وثلاثين ، وينتهى فى أثناء ذكر فضائل أمير المؤمنين أبى الحسنين على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه : فصل فى ذكر شيءٍ من سيرته العادلة ، وطريقته الفاضلة ....

وعلى وجه الورقة الأولى منه : السابع من تاريخ ابن كثير .

والجزء مبتور من آخره والموجود منه يقع فى ١٣٠ ورقة من القطع الكبير ومسطرته ٢٥ سطرًا فى الورقات الأولى حتى ورقة ١٣ حيث تغيرت المسطرة إلى ٢١ سطرًا ، إلى آخر الجزء ، وكتب بخط نسخى جيد به ضبط غير قليل ، من خطوط القرن التاسع ظَنًّا .

وقد أُشير له بالرمز (٧١) .

نسخة تاسعة . يوجد منها :

الجزء الثامن : ١٠٨٧/٢/٢٩٢٣ :

يبدأ بإمارة عبد اللّه بن الزبير ، وينتهى بآخر خلافة يزيد بن الوليد .

وعلى الورقة الأولى منه : المجلد الثامن من التاريخ لابن كثير تغمده اللّه برحمته والمسلمين . وتحته : الثامن من تاريخ ابن كثير .

وآخره : تم الجزء الثامن من التاريخ لابن كثير رحمه اللّه تعالى ورضى عنه نهار الجمعة سادس شهر ذى قعدة الحرام من شهور سنة سبعين وثمانمائة على يد يوسف بن إبراهيم لطف اللّه به وبالمسلمين أجمعين .

وبحاشيته : بلغ مقابلةً بحسب الطاقة على أصله الذى كتب منه على يد أفقر عبيد اللّه وأحوجهم إلى رحمته علىّ بن محمد ... لطف اللّه تعالى به ، فصَحّ إن شاء اللّه تعالى والحمد للّه وحده .

والجزء يقع فى (٢٥٥) ورقة من القطع الكبير ومسطرته ٢٣ سطرًا . كتب بخط نسخى جيد .

وقد أُشير له بالرمز (٢١).

نسخة عاشرة . يوجد منها :

الجزء الثامن : ٢٩٢٣/٨/ف ١٠٨٦:

يبدأ بذكر فتح المدائن التى هى مستقر مملكة الأكاسرة، وينتهى بمقتل على بن أبى طالب.

وعلى وجه الورقة الأولى منه : المجلد الثامن من كتاب البداية والنهاية فى التواريخ لابن كثير، وبأسفلها : الثامن من تاريخ ابن كثير. وفى آخرها : يتلوه إن شاء اللّه تعالى صورة وصية على بن أبى طالب والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. فراغه الخميس خامس شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وثمانمائة.

والجزء يقع فى (٢٤٤) ورقة من القطع الصغير، مسطرته ١٧ سطرًا، وكتب بخط نسخى جيد.

وقد أُشير له بالرمز (٨١).

الجزء العاشر من النسخة الأولى الموصوفة فى ص (٤٤) : ٢٩٢٣/ ٣/ف ١٠٨٦:

ويبدأ بذكر من توفى فى سنة إحدى وستين : وممن توفى فيها عبد المطلب ابن ربيعة ... وينتهى بذكر مقتل سعيد بن جبير.

وعلى وجه الورقة الأولى منه : المجلد العاشر من كتاب البداية والنهاية فى التواريخ لابن كثير، وبأسفلها : العاشر من تاريخ ابن كثير.

وفى آخره: الحمد للّه رب العالمين... آخر الجزء من البداية والنهاية لابن كثير رحمه اللّه وعفا عنه ويتلوه إن شاء اللّه تعالى فى الذى يليه ذكر من توفى فيها من المشاهير والأعيان سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوابلى... وكان الفراغ منه يوم الأربعاء سلخ شوال المبارك سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة. علّقه لنفسه العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير على بن أحمد بن عمر الشافعى عفا اللّه عنه آمين آمين، وحسبنا اللّه تعالى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم.

والجزء يقع فى (٢٥٤) ورقة من القطع الصغير، ومسطرته ١٧ سطرًا، وكتب بخط نسخى، وهو نفس الخط الذى نسخت به النسخة (ا).

وقد أُشير له بالرمز (ا٣).

ثانيًا: المكتبة الأحمدية فى حلب:

نسخة محفوظة بمكتبة الأسد بدمشق بأرقام (١٤٥٠٨-١٤٥١٦) وتضم هذه النسخة الكتاب كاملًا، عدا الفترة من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة إلى آخر سنة سبع وستين وسبعمائة. وهى نسخة جيدة بها مقابلات وتصنويبات مفيدة، ولذلك فقد اعتمدناها أصلًا بعد انتهاء المخطوط الأصل السابق ذكره، ونرمز لها بالرمز (ح) وتوجد أرقام أوراقها بين معقوفين فى مواضعها من النص المحقق، وذلك بدءًا من صفحة ١٠٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

الجزء الأول: رقم ١٤٥٠٨:

يبدأ بأول الكتاب، وينتهى بآخر خبر زيد بن عمرو بن نفيل.

وعلى وجه الورقة الأولى منه: الجزء الأول من البداية والنهاية للشيخ الإمام

العالم العلامة عماد الدين ... إسماعيل بن كثير ... روحه ونور ضريحه آمين .
وبأعلاه يمينا : اللَّه حسبى من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانى .
ويسارًا : تشرف بتملكه العبد الفقير عفتى عفا اللَّه عنه . وتحته تملَّكه الفقير عبد الحى مصطفى عمر عفى عنه . وبأسفلها خاتم المكتبة الأحمدية . ومن تحته : الحمد للَّه ربنا الطف بمحمد ، طالع فيه داعيا لمالكه فقير عفو ربه البارى ، محمد بن عبد البر الأنصارى عفا اللَّه عنهما سنة ٩٢٣ حامدًا للَّه على نعمه مصليًا على نبيه محمد وآله ومسلمًا . وعن يمينه خاتم مكتبة الأسد ، وعن يساره : من كتب عبد اللَّه .. فى شهور سنة ٨٧٤ من كتب فقير عفو اللَّه عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح [المتوفى سنة ٨٧٢] .

وأوله : بسم اللَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه عليه توكلت الحمد للَّه الأول الآخر الباطن الظاهر ...

وعلى جانب الورقة : وقف مدرسة الأحمدية بمدينة حلب المحمية .

وفى آخره : ذكر شىء مما وقع من الحوادث فى زمن الفترة .

والجزء يقع فى (٤٨٥) ورقة من القطع المتوسط ، ومسطرته ٢٩ سطرًا ، كتب بخط نسخى جيد ، وعليه مقابلات وتصحيحات .

نسخة ثانية . يوجد منها :

الجزء الثانى : رقم ١٤٥٠٩:

يبدأ بذكر شىء مما وقع من الحوادث فى زمن الفترة ، وينتهى بآخر سنة أربعة من الهجرة .

وعلى الورقة الأولى منه : الجزء الثانى من تجزئة ... من تاريخ الإسلام المسمى بالبداية والنهاية تصنيف الشيخ الإمام الهمام العالم المفتى المحدث عماد الدين إسماعيل بن كثير رحمة اللّه عليه .

وعلى الورقة الثانية : الحمد للّه الجزء الثانى من تاريخ ابن كثير رحمه اللّه من نعم المولى الغفور على عبده عثمان بن يغمور ثم على الفقير أحمد بن العجمى سنة ١٠٧٤. وخاتم الوقف للمدرسة الأحمدية .

وفى آخره : تم الجزء الثانى من البداية والنهاية يتلوه فى الذى يليه : ثم دخلت سنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل ، واللّه أعلم .

والجزء يقع فى (٥٠٤) ورقة من القطع المتوسط ومسطرته ٢٥ سطرًا ، كتب بخط نسخى معتاد ، وعليه مقابلات وتصحيحات .

نسخة ثالثة . يوجد منها :

الجزءان الثالث والرابع فى مجلد واحد : رقم ١٤٥١٠:

يبدأ بسنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل فى ربيع الأول ، وينتهى فى أثناء السنة الحادية عشرة عند وفاة رسول اللّه ﷺ ، فصل فى ترتيب الأخبار بالغيوب المستقبلة بعده عليه الصلاة والسلام .

وعلى وجه الورقة الأولى منه : الثالث من تاريخ العلامة ابن كثير رحمه اللّه تعالى آمين وتحته وعن جانبه خاتم الوقف للمدرسة الأحمدية وبأسفلها خاتم مكتبة الأسد .

وآخره : آخر المجلد الرابع من البداية والنهاية ، يتلوه فى الذى يليه إن شاء اللّه تعالى : ومن كتاب دلائل النبوة فى باب إخباره عليه الصلاة والسلام من

الغيوب المستقبلة ... وافق الفراغ من كتابة هذا المجلد المبارك نهار السبت تاسع عشرين شهر رمضان من شهور سنة أربع وعشرين وثمانمائة العبد الفقير إلى اللّه تعالى أضعف العبيد ... بالتوحيد الراجى عفو الحميد المجيد عربى بن عبد اللّه ... محمد بن الشهيد عفا اللّه عنه وغفر له ولمن نظر فيه ولجميع المسلمين حسبنا اللّه ونعم الوكيل.

والجزء ان يقعان فى (١١١٠) ورقة من القطع المتوسط ، ومسطرتهما ٢٣ سطرًا ، والخط نسخى جميل ، فيه بعض الضبط .

وهذه النسخة تضم الجزأين الثالث والرابع ، لأن عنوانه الثالث ، وفى آخره : آخر المجلد الرابع . ولم نجد الورقة التى يبدأ بها الجزء الرابع ، والسياق كله متصل .

نسخة رابعة . يوجد منها :

الجزء الخامس : رقم ١٤٥١١:

يبدأ بباب إخباره عليه السلام عن الغيوب المستقبلة من كتاب دلائل النبوة ، وينتهى بآخر خلافة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه .

وعلى وجه الورقة الأولى منه : خاتم الوقف على المدرسة الأحمدية وبأعلاها يمينًا : اللّه حسبى من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانى . ويسارًا : استصحبه الفقير عفتى كان اللّه له .

وليس فى آخره ما يدل على تاريخ كتابته أو اسم ناسخه أو انتهاء الجزء .

والجزء يقع فى (١٨٠) ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته ٢٩ سطرًا ، وكتب بخط نسخى جيد .

نسخة خامسة . يوجد منها :

الجزء السادس : رقم ١٤٥١٢:

يبدأ بخلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه ، وينتهى بآخر إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية رضى اللَّه عنه فى سنة أربع وستين .

وعلى وجه الورقة الأولى منه : الجلد السادس من تاريخ ابن كثير . وتحته من كتب التواريخ المعتبرة كتاب البداية والنهاية . وتحته : من جملة ما أنعمه اللَّه على عبده الحقير نعمة اللَّه . وتحته خاتم المكتبة الأحمدية . وبأسفلها خاتم مكتبة الأسد . وبجانبها : تملكه العبد الفقير إلى اللَّه الصمد ، محمد بن شيخ محمد الشهير بجوى زاده عفى عنهما . وبأعلاها يمينا : اللَّه حسبى من كتب أبى بكر ابن رستم بن أحمد الشروانى . ويسارا : استصحبه العبد الفقير عفتى عفا اللَّه عنه .

وآخره : آخر الجزء من البداية لابن كثير رحمه اللَّه تعالى وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وعلى أزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . [كتبه] الفقير إلى اللَّه تعالى يوسف بن يوسف اللوبيانى فى مُدَّة آخرها خامس شوال سنة أربعين وثمانمائة .

يتلوه فى الذى بعده إمارة عبد اللَّه بن الزبير رضى اللَّه عنهما .

والجزء يقع فى (٢٤٠) ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته ٢٥ سطرًا ، وكتب بخط نسخى معتاد ، وعليه مقابلات وتصحيحات .

نسخة سادسة . يوجد منها :

الجزء السابع : رقم ١٤٥١٣:

يبدأ بحوادث ثلاث وستين ، وينتهى بترجمة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان فى وفيات سنة ست وعشرين ومائة .

وعلى الورقة الأولى منه : الجزء الثامن - وصححت فوقها السابع - من كتاب البداية والنهاية تأليف الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام حسنة الأيام أوحد المحققين مفيد الطالبين حجة المحدثين حافظ سنة رسول اللّه ﷺ من إفك الوضاعين وتحريف المبطلين عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن الشيخ الإمام العالم الخطيب أبى حفص عمر بن كثير القرشى البُصْرَوِىّ قدس اللّه روحه ونوَّر ضريحه . وتحته : فيه من سنة ثلاث وستين إلى سنة ست وعشرين ومائة من وقعة الحرَّة إلى خلافة اليزيد بن الوليد بن عبد الملك . وبجانبه : فى نوبة الفقير يحيى بن محمد الملاح عفى عنه .

وبجانبها خاتم المكتبة الأحمدية . وبأعلاها : اللّه حسبى من كتب أبى بكر ابن رستم الشروانى . وعلى يسار الورقة : من كتب الفقير إلى اللّه تعالى عبد اللّه الأكشرى عفا اللّه عنه والمسلمين سنة ٧٢٦ [هكذا ، وهو خطأ ، لأن ابن كثير نفسه توفى سنة ٧٧٤] وتحته :

استصحبه الفقير عفتى عفا اللّه عنه .

وآخره : آخر المجلد ويتلوه فى الذى بعده إن شاء اللّه من توفى فى هذه السنة من الأعيان والحمد للّه وحده وصلى اللّه على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وحسبنا اللّه ونعم الوكيل نعم المولى ونعم

النصير. ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

والجزء يقع فى (٢٢٥) ورقة من القطع المتوسط، ومسطرته ٢٣ سطرًا، كتب بخط نسخى معتاد خال من الضبط.

الجزء الثامن من النسخة السابقة: رقم ١٤٥١٤:

يبدأ بذكر من توفى سنة ست وعشرين ومائة من الأعيان وينتهى بآخر سنة ثلاثمائة من الهجرة.

وآخره: ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة من الهجرة.

والجزء يقع فى (٢٨٣) ورقة.

نسخة سابعة. يوجد منها:

الجزء التاسع: رقم ١٤٥١٥:

يبدأ بسنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية، وينتهى بآخر سنة ثمان عشرة وستمائة.

وعلى الورقة الأولى منه: الجزء التاسع - وكلمة التاسع كانت مكتوبة السابع ثم غُيِّرت - من البداية والنهاية تأليف الإمام الحافظ الرَّحَلَة المحصل المفيد القدوة إسماعيل عماد الدين ابن الخطيب عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن ضو الدمشقى الشافعى، كذا نسب المصنف نفسه عند الكلام على وفاة أبيه فى سنة ثلاث وسبعمائة، وأما ميلاد المصنف فإنه فى سنة إحدى وسبعمائة. وصلى اللَّه على سيدنا محمد وسلم.

وتحته بخطوط مغايرة تملكات؛ أحدها: مما ساقه سابق التقدير إلى سلك

ملك الفقير إلى الغنى القدير، أحمد بن حسن الحقير عفا عنهما الملك العلى الكبير .

وتملك آخر نصه : ثم بنوبة مصطفى بن يوسف صانه اللّه عن التلحّف والتأسف بمنه جل وعلا سنة ٩٩٤.

وتملك آخر نصه : ثم آل إلى نوبة الفقير المحتاج إلى ألطاف مولاه الغنى القدير مصطفى ابن المولى على المفتى المرحوم ولى الدين ... دار النصر فنصر به المعمورة عفى عنهما سنة ١٠٩٧. وتحته خاتم غير واضح . وعلى جانبها خاتم المكتبة الأحمدية، وبأسفلها خاتم مكتبة الأسد . وبأعلاها يمينا : اللّه حسبى من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانى . ويسارًا : استصحبه الفقير عفتى كان اللّه له .

وآخره : ثم دخلت سنة تسع عشر وستمائة . ولم يذكر أنه آخر الجزء، وكذلك لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ . ومن الواضح أن هذا الجزء قد تناوب على نسخه ناسخان، لأن القلم تغيَّر فى النسخة .

والجزء يقع فى (٧١٠) ورقة من القطع المتوسط، مسطرته ٢٧ سطرًا، كتب بخط نسخى مختلف، وبالنسخة تصويبات ومقابلات .

نسخة ثامنة . يوجد منها :

الجزء العاشر : رقم ١٤٥١٦ وهو آخر كتاب البداية :

يبدأ بأول سنة سبع عشرة وستمائة، وينتهى بآخر ما كتبه المؤلف فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وعلى الورقة الأولى منه بخط حديث : الجزء العاشر من تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية والنهاية وهو نهاية التاريخ فيه من سنة ٦١٨ إلى سنة ٧٣٨. تاريخ ابن كثير الشامى صاحب التفسير الذى طبع بمصر المحمية سنة ١٣٠٢. وفى وسط الورقة الثانية خاتم الوقف على المدرسة الأحمدية .

وفى آخره : فهذا آخر ما أرخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالى فى كتابه الذى ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبى شامة ، وقد كانت وفاة البرزالى فى العام القابل وهو محرم بمنزلة خليص ، وقد ذيلت على تاريخه رحمه اللّه إلى زماننا هذا ، وكان فراغى من الانتقاء من تاريخه فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أحسن اللّه خاتمتها آمين إلى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إلى زماننا هذا والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وتحته بخط حديث : يتلوه إن شاء اللّه تعالى الجزء ، وهو النهاية فى أمور الآخرة آخر البداية فى البعث والنشور .

والجزء يقع فى (٧٦٦) ورقة من القطع المتوسط ومسطرته ٢٥ سطرًا ، كتب بخط فارسى جيد .

جزء أخير فى مجموع : برقم ١٤٥١٦:

وهو النهاية فى أمور الآخرة ، فى البعث والنشور . ويسمى الفتن والملاحم .

أوله : الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد : فهذا كتاب الفتن والملاحم الواقعة فى آخر الزمان ...

وآخره : ثم قال : يا أم حبيبة ، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ... آخره والحمد للَّه وحده وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . والجزء يقع فى (١٨٩) ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته ٢٥ سطرًا ، وكتب بخط نسخى واضح خال من الضبط وعلى النسخة مقابلات وتصحيحات .

ثالثًا : المكتبة الظاهرية بدمشق :

جزء مفرد محفوظ بمكتبة الأسد بدمشق برقم (٦٧٩٧) :

وهو ناقص من أوله ، ويبدأ الموجود منه بأثناء الكلام عن صفة مقتل مروان ابن محمد بن مروان آخر خلفاء بنى أمية ، وذلك من حوادث سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وينتهى بآخر سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

وعلى الورقة الأولى خاتم دار الكتب الظاهرية الأهلية بدمشق ، وفوقه بقايا ورقة ممزقة يبدو أنها اسم الكتاب والجزء واسم المؤلف ، بالإضافة إلى خاتم غير واضح .

وبأعلى الورقة الثانية بخط حديث : البداية والنهاية للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقى المؤرخ المتوفى سنة ٧٧٤.

وآخره : آخر المجلد والحمد للَّه وحده وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، ويتلوه فى المجلد الثانى سبع وثلاثين . كتبه أحقر العباد حبيب اللَّه بن قمر الدين . تمت من تاريخ سبع وعشرين من رمضان سنة ألف ومائة وإحدى وثمانين سنة ١١٨١.

وهذا الجزء يقع فى (١٥٤) ورقة من القطع الكبير ، ومسطرته ٣٣

سطرًا ، كتب بخط نسخى دقيق ، كتبت بدايات السنين بحمرة واضحة .

وقد أُشير له بالرمز (ظ) .

رابعًا : من دار الكتب المصرية :

نسخة محفوظة برقم ١١١٠ تاريخ ، وهى نسخة كاملة تقع فى أربعة مجلدات كبار من القطع الكبير ، مسطرتها ٤٣ سطرًا ، كتبت بخط نسخى معتاد سنة ١١٢٣ .

وهى مصورة عن أصلها بمكتبة ولى الدين أفندى باستانبول .

وقد سقط من الميكروفيلم - فى التصوير - القسم الأول من الجزء الرابع .

وقد ختمت الصفحة الأولى والأخيرة من كل جزء بخاتم وقف نصه : وقف شيخ الإسلام ولى الدين أفندى ابن المرحوم الحاج مصطفى أغا ابن المرحوم الحاج حسين أغا سنة ١١٧٥.

وبأسفل الورقة الأولى من كل جزء : قد استنسخ فى محل الفوتوغراف « شهبال » قبالة الباب العالى بالأستانة . وتحته بالتركية : باب عالى قارشوسنده شهبال فطوغرافخانه شده استنساخ ايد لمشدد .

وقد أُشير لهذه النسخة بالرمز (ص) .

المجلد الأول :

يبدأ بأول الكتاب ، وينتهى بآخر سرية أبى عبيدة إلى سِيف البحر من حوادث سنة ثمان من الهجرة .

وعلى وجه الورقة الأولى منه : الجزء الأول من البداية والنهاية .

وأوله : بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه ثقتى ورجائى ، الحمد للّه الأول الآخر الباطن الظاهر الذى هو بكل شىء عليم ...

وفى آخره : آخر المجلد الأول ويتلوه الثانى إن شاء اللّه تعالى وأوله غزوة الفتح نجز على يد الفقير إلى اللّه تعالى مصطفى أحمد حجازى المقرى نفعه اللّه بالعلم ووفقه للعمل ولمن دعا له بالمغفرة آمين وذلك فى يوم السبت المبارك خامس عشر شهر رجب من شهور سنة ١١٢٣ وصلى اللّه على محمد وآله والجزء يقع فى (٨٠٣) صفحة .

المجلد الثانى من النسخة نفسها :

يبدأ بغزوة الفتح ، وينتهى بآخر سنة سبع وسبعين .

وعلى الورقة الأولى منه : الجزء الثانى من البداية والنهاية لابن كثير .

وآخره : آخر المجلد الرابع فى أصله من البداية والنهاية ويتلوه الخامس إن شاء اللّه تعالى ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ، واللّه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ويقع المجلد فى (٨٦٤) صفحة .

المجلد الثالث من النسخة نفسها :

يبدأ بسنة ثمان وسبعين ، وينتهى بآخر سنة أربع عشرة وستمائة .

وآخره : تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية كثر اللّه فوائده وأبقاه نَجِز على يد أفقر العباد إلى اللّه الغنى الجواد موسى بن عمرو المنشاوى بلدًا الشافعى مذهبًا نفعه اللّه ببركة العلم ووفقه للعمل به سابع عشرين جمادى

الأول من شهور سنة ١١٢٣ على صاحبها الصلاة والسلام آمين.

وتحته: ... يليه الجزء الرابع سنة خمس عشرة وستمائة والحمد للّه وحده وصلى اللّه على سيدنا محمد من لا نبى بعده.

والمجلد يقع فى (٩٧١) صفحة.

المجلد الرابع من النسخة نفسها:

وهو ناقص الربع الأول منه، ويبدأ الموجود منه عند قوله: القعدة وولى قضاء الحنابلة الشيخ تقى الدين سليمان بن حمزة المقدسى. وفى أواخر سنة خمس وتسعين وستمائة.

وفى الورقة ٤٢٢ منه ما نصه: آخر ما وجد من التاريخ والحمد للّه وحده وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد من لا نبى بعده وآله وصحبه أجمعين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فهذا كتاب الفتن والملاحم فى آخر الزمان مما أخبر به رسول اللّه ﷺ وذكر أشراط الساعة والأمور العظام...

وفى الورقة الأخيرة منه: كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك ليلة الاثنين المبارك نصف الليل سابع عشر رجب المبارك من شهور سنة ١١٢٣ هلالية هجرية أحسن اللّه عاقبتها وذلك على يد العبد الفقير إلى ربه القدير المذنب المقصر راجى عفو ربه ورحمته موسى المنشاوى الأزهرى الشافعى عفى اللّه عنه ولمن طالع فى هذه النسخة ودعا له بالمغفرة آمين وصلى اللّه على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا والحمد للّه رب العالمين آمين .

وعلى جانبى الخاتمة من اليمين بيتان من الشعر ، نصهما :

أُفٍّ لـرزق الـكَـتَـبَـــــهْ أُفٍّ له مـــــــــا أَنْصَبَه

أُفٍّ لـــرزق نـــــازل من شق تلك القصبه

وعلى يسارها :

ولقد سئمت من الكتابة واشتهت نفسى بأن أرتاح منها مطلقا

فَأرى هناك أبا شحاذة لابثًا فأعود فى أذيالها متعلقا

ويقع المجلد فى (٦٧٨) صفحة .

خامسًا : من المكتبة السعيدية العامة بتونك ، بالهند :

نسخة محفوظة برقم ١٥ تاريخ ، منها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، محفوظة برقم ١/٩٢٥ تاريخ .

منها : مجلد ناقص من أوله وآخره . يبدأ بقوله : عليه بالعربية :

كـــل حى وإن بقـــى فمـن العمـــــر يستقـــى

فى أثناء ترجمة إبراهيم بن أدهم ، فى وفيات سنة اثنتين وستين ومائة . وينتهى عند قوله : قال رويم بن محمد : كنا يومًا عند داود إذ دخل عليه محمد باكيًا فقال : ما لك ؟ فقال : إن الصبيان يلقبوننى . فى أثناء ترجمة محمد بن داود بن على ، فى وفيات سنة سبع وتسعين ومائتين .

والموجود منه يقع فى (١٦٢) ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته ٢٧ سطرًا ، كتب بخط نسخى معتاد يرجع إلى القرن التاسع ظَنًّا .

وقد أُشير لها بالرمز « س » .

سادسًا : من المكتبة الخليلية بالقدس :

نسخة غير واضح رقمها ، منها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة محفوظة برقم ٢/٩٢٥ تاريخ .

منها : مجلد ناقص من أوله . يبدأ الموجود منه بقوله : وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة . فى أول حوادث سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ومن أعلى الورقة : سابع . وينتهى بآخر حوادث سنة تسع وستين وخمسمائة . وعلى حاشيته : بلغ مقابلة بأصله .

وفى آخره : والحمد للَّه وحده وصلى اللَّه على النبى محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كبيرًا إلى يوم الدين وكان الفراغ من كتابته يوم الجمعة وقت المغرب الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة يتلوه فى الذى يليه ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة والحمد للَّه رب العالمين .

والقدر الموجود من المجلد يقع فى (١٨٥) ورقة من القطع الصغير ، مسطرته ١٩ سطرًا ، كتب بخط نسخى معتاد عليه مقابلات وتصحيحات .

وأُشير لها بالرمز « خ » .

سابعًا : مكتبة برنستون بأمريكا :

نسخة محفوظة برقم 175H، يوجد منها قطعتان : القطعة الأولى ، مبتورة الأول ، ويبدأ الموجود منها فى أثناء ترجمة « الوليد بن عبد الملك » من أحداث سنة ست وتسعين ، وتنتهى بنهاية أحداث سنة إحدى وأربعين ومائتين ودخول سنة ثنتين وأربعين ومائتين .

وآخرها : فرغت منه مستهل شوال سنة تسع وثمانين وثمانمائة ، والحمد للّه وحده وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم .

والقطعة تقع فى (٢٢٢) ورقة من القطع المتوسط ، ومسطرتها ٢٧ سطرًا ، كتبت بخط نسخى حسن مشكول فى صفحاته الأولى ثم يخلو من الضبط إلى آخر الجزء ، وبه تصويبات .

والقطعة الثانية . مبتورة الأول أيضا . ويبدأ الموجود منها فى أثناء حوادث سنة ثنتين وأربعين ومائتين إلى آخر سنة سبع وسبعين ومائتين ، حيث كتب على الورقة الأخيرة منه : حملت السنوات المؤرخة فى هذا المجلد مائتى سنة وثلاثة وعشرين سنة أولها سنة اثنتين وأربعين ومائتين وآخرها سنة خمس وستين وأربعمائة رحم اللّه مؤرخه .

وصفحاتها الأولى بها أثر أرضة حتى الورقة الثامنة ، ثم تأتى الورقة السادسة عشرة ويختلف خط الناسخ وهو بداية نسخ جديد ، أوله : بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه أستعين قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفداء ... وتستمر حتى ورقة ١٧٤ حيث السياق غير المتصل وهذا لوجود خرم يبدأ بدخول سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وينتهى فى أثناء أحداث سنة ست وثلاثين وأربعمائة عند بداية ترجمة الحسين بن على بن محمد بن جعفر ، ثم تتوالى ورقاتها التى تنتهى

بنهاية سنة خمس وستين وأربعمائة .

وجاء فى حاشية الورقة التاسعة والسبعين : طالع خطاب بن عمر الحنبلى فى هذا التاريخ إلى هنا وذلك سنة ثمانين وثمانمائة والحمد للّه وحده وصلى اللّه على من لا نبى بعده وآله وصحبه وسلم .

وفى آخره وبعد الانتهاء من ترجمة محمد بن على بن العريف : والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا وآله وصحبه وسلم يتلوه سنة ست وستين وأربعمائة .

ويقع هذا الجزء فى (٢٠٥) ورقة ، وكتب بخطين : الأول بخط نسخى حسن خال من الضبط ، ومسطرته ٢٥ سطرًا ، وليس عليه تصويبات . والثانى خط معتاد به بعض الضبط ، ومسطرته ٢٥ سطرًا ، وعليه بعض التصويبات .

وقد أشير إلى هذه النسخة بالرمز (ب) .

نماذج مِن مخطوطات البداية والنهاية

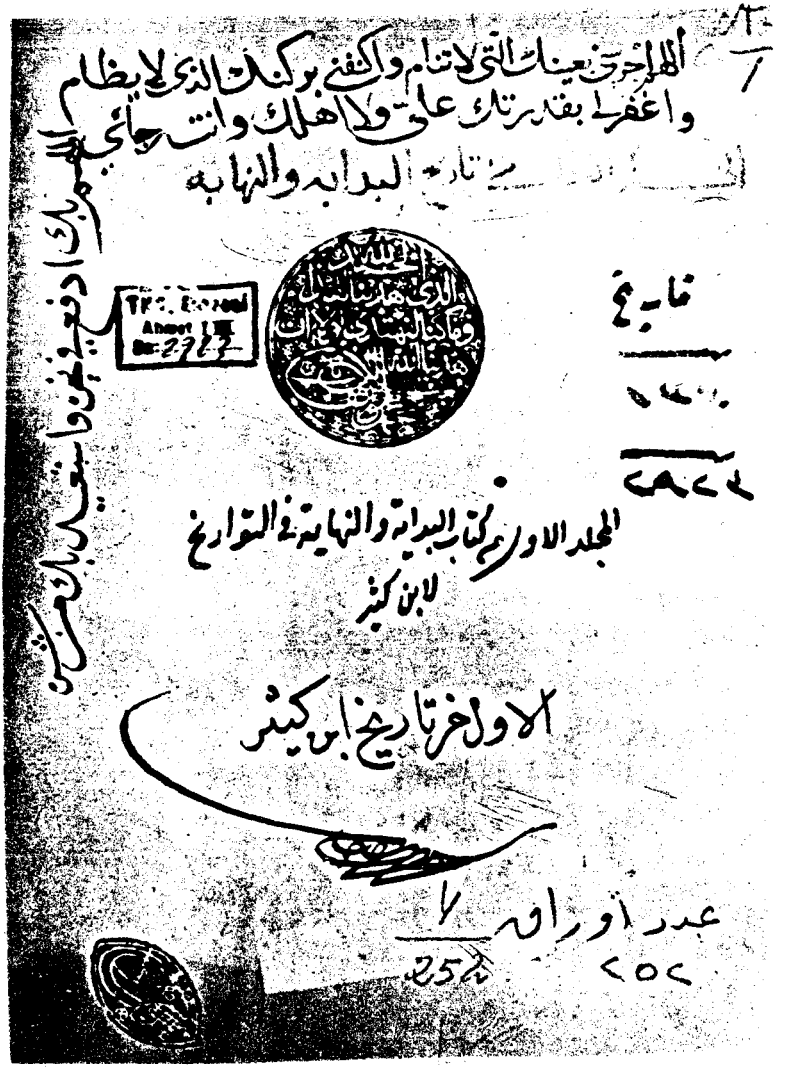

وجه الورقة الأولى من المخطوط (ا)

وجه الورقة الأولى من المخطوط الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم صل على محمد وآله
الحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر الذي هو بكل شيء عليم، الأول فليس قبله شيء
الآخر فليس بعده شيء الظاهر فليس فوقه شيء الباطن فليس دونه شيء الأزلي القديم
الذي لم يزل موجودا موصوفا بصفات الكمال ولا يزال دائما مستمرا باقيا مشهدا لا
انقضاء له ولا انفصال ولا زوال يعلم دبيب النملة على الصخرة في الليلة الظلماء عدد الرمال
وهو العلي الكبير المتعال العلي العظيم، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ورفع السموات
بغير عمد وبنى بالكواكب الطوالع وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا، وسوى فوقهن سبعا
شدادا عالية شيئا مشيدا مستديرا، هو العرش الكريم الذي قوائمه حفافه وتحمله
الملائكة الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ولهم جلبة بالتقديس والتعظيم
وكل ليلة السموات مشحونة بالملائكة وتقبضهم في كل يوم سجون الفلك الى البيت المعمور
بالشمس السابعة لا يعود الى البيت آخر ما عليهم في تهليله تحميد وتكبير وصلاة وتسليم
ووضع الأرض للأنام بحيث تيار الماء وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين قبل خلق السماء وأثبت فيها من كل زوجين
اثنين ذلك الآباء من جميع جباحها والحيتان في بحارها يهم صيفهم وكل ما
يأتي بالقول فيه ويكون من حيوان يهيم في الخلق الإنسان من طين، وجعل نسله
من سلالة من ماء مهين في قرار مكين فجعله سميعا بصيرا بعد أن لم يكن شيئا مذكورا
وشرفه بالعلم والتعليم خلق سيد الكريم آدم أبا البشر فنفخ روحه ونفخ فيه من
روحه فأسجد له الملائكة، وخلق منه حواء أم البشر فأنس بها وحدته، وأسكنها
جنته، وأسبغ عليها نعمته، ثم أهبطهما إلى الأرض لما سبق في ذلك من حكمه الحكيم
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقسمهم بقدره العظيم ملوكا ورعايا وفقراء وأغنياء وأحرارا
وعبيدا وصغارا وشبانا وشيوخا وأسكنهم أرجاء الأرض طولها والعرض وجعلهم خلائف فيها يخلف
البعض منهم البعض إلى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم، وسخر لهم الأنهار
من منهمر الأنهار تشق الأقاليم إلى الحصان ما بين صغار وكبار على مقدار الحاجات
والأوطار وأنبع لهم العيون والآبار وأرسل عليهم السحائب بالأمطار فأنبت لهم
شجرا صنوف الزرع والثمار وأتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم ومقالهم وإن تعدوا

ظهر الورقة الأولى من المخطوط الأصل

نقتل انفسنا وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة ثم رفع راسه فقال الجهد
في طاعة الله والصبر في معصية الله ورواه احمد ايضا من وكيع عن الاعمش به
وقال فيه ايضا انه لم يكن نبي قبلي الا كان حقا عليه ان يدل امته على ما يعلمه خيرا
لهم وينذرهم ما يعلمه شرا لهم وذكر تمامه بنحوه وهكذا رواه مسلم وابو داود
والنسائي وابن ماجه من طرق عن الاعمش به ورواه مسلم ايضا من حديث الشعبي
عن عبد الرحمن ابن عبد رب الكعبة عن عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

آخر الجزء الاول من البداية والنهاية يتلوه ان شاء الله تعالى
في اول الجزء الثاني مقدمات سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
وكان الفراغ من تعليقه منتصف شوال سنة ثنين وسبعين وسبعمائة
على يد العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن ابرهيم بن محمد بن ابرهيم
الدمشقي الشهير بالبدر البشتكي وقلت

لك الحمد لنهيت البداية راجيا رضاك عسى ان انتهي للنهاية
وقد كنت بدرا صيرتني كتابتي هلالا وارجو الكمال اعادتي
على ان خطي مثل خطي ساقط ولكن به دهري يريد مساءتي
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل

كتبت هذا الجزء للعلامة اوحد اهل زمانه شهاب الدين بن ابي حجله
صاحب النثر الفايق والنظم الرايق اتقاه الله وقلت

مولانا شهاب الدين يا من غدا في الفضل يحوز كل غاية
رايتك فقت اهل العصر طرا بفهمك والدراية والدراية
ورجت نهاية في كل علم فعلقت البداية للنهاية

ظهر الورقة الأخيرة من المخطوط الأصل

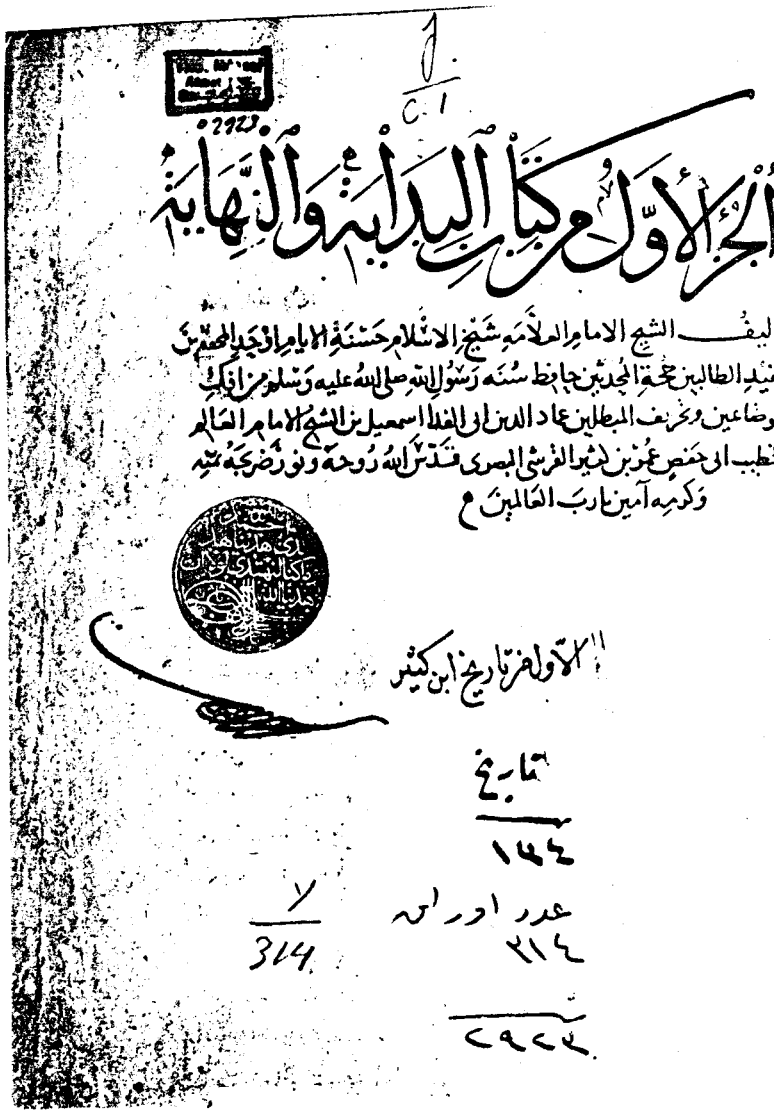

الجزء الأول من كتاب البداية والنهاية

تأليف الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام حسنة الايام اوحد المحدثين
مفيد الطالبين حجة المحدثين حافظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من افك
الوضاعين وتحريف المبطلين عماد الدين ابي الفدا اسمعيل بن الشيخ الامام العالم
الخطيب ابي حفص عمر بن كثير القرشي البصري قدس الله روحه ونور ضريحه بمنه
وكرمه آمين يا رب العالمين م

الاول من تاريخ ابن كثير

تاريخ
١٤٤

عدد اوراقه
٢١٤

٧
٣١٤

٢٩٢٤

وجه الورقة الأولى من المخطوط (١٠١)

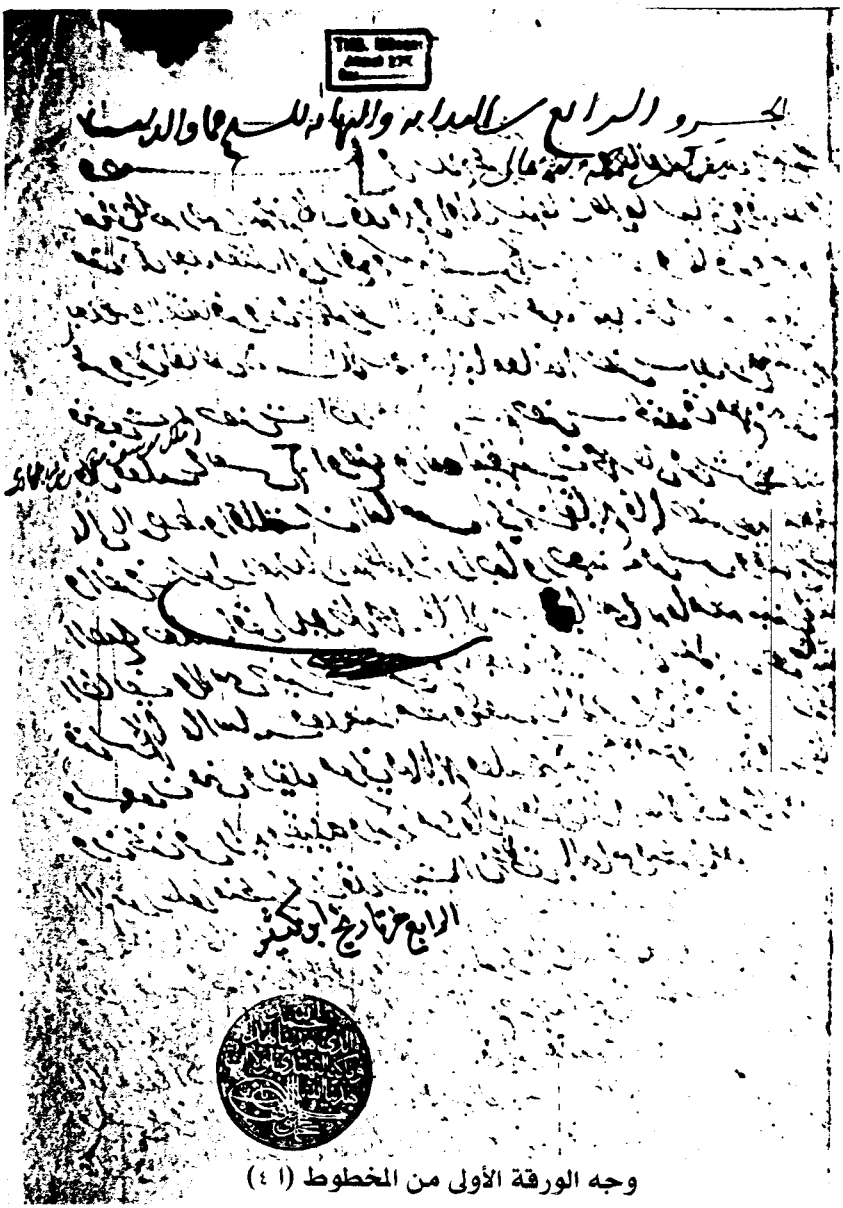

وجه الورقة الأولى من المخطوط (١ ٤)

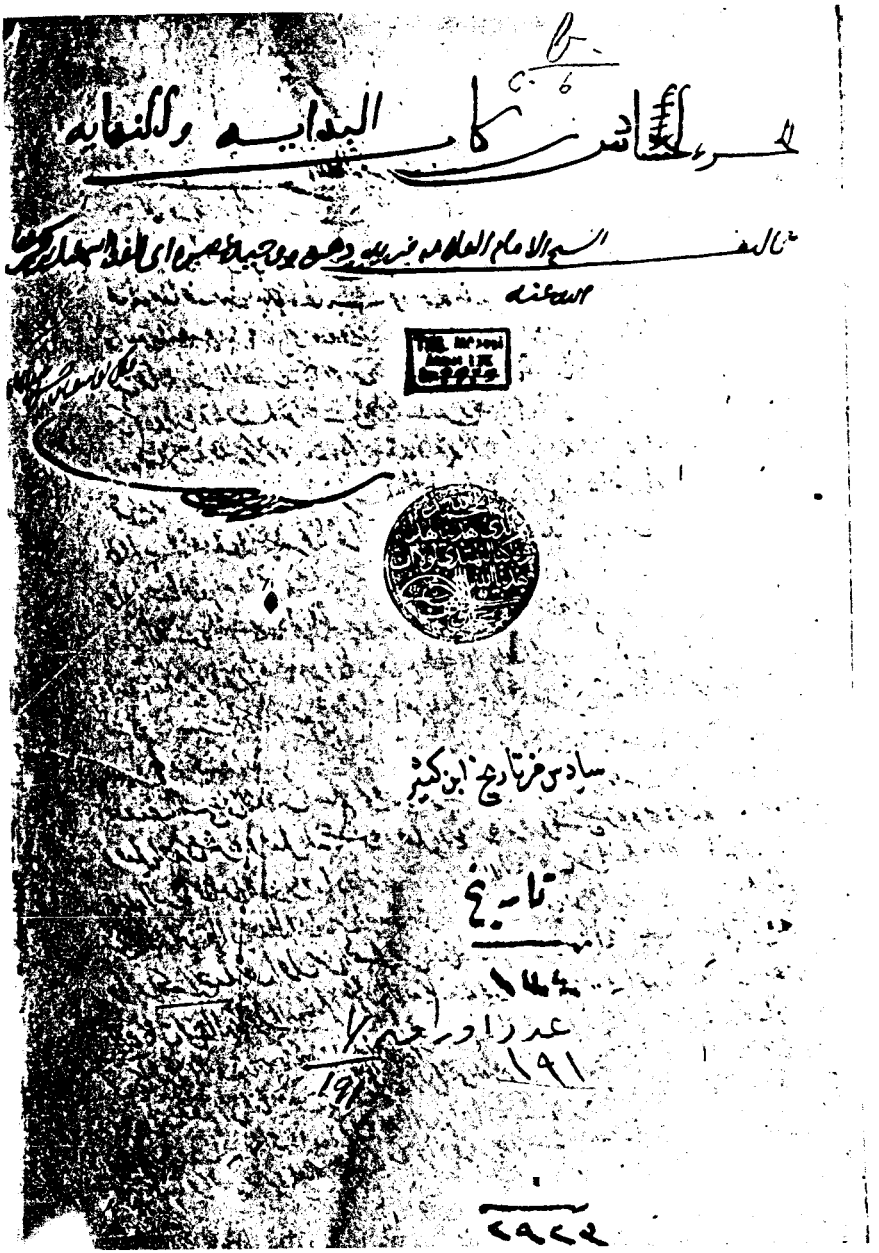

وجه الورقة الأولى من المخطوط (٦١)

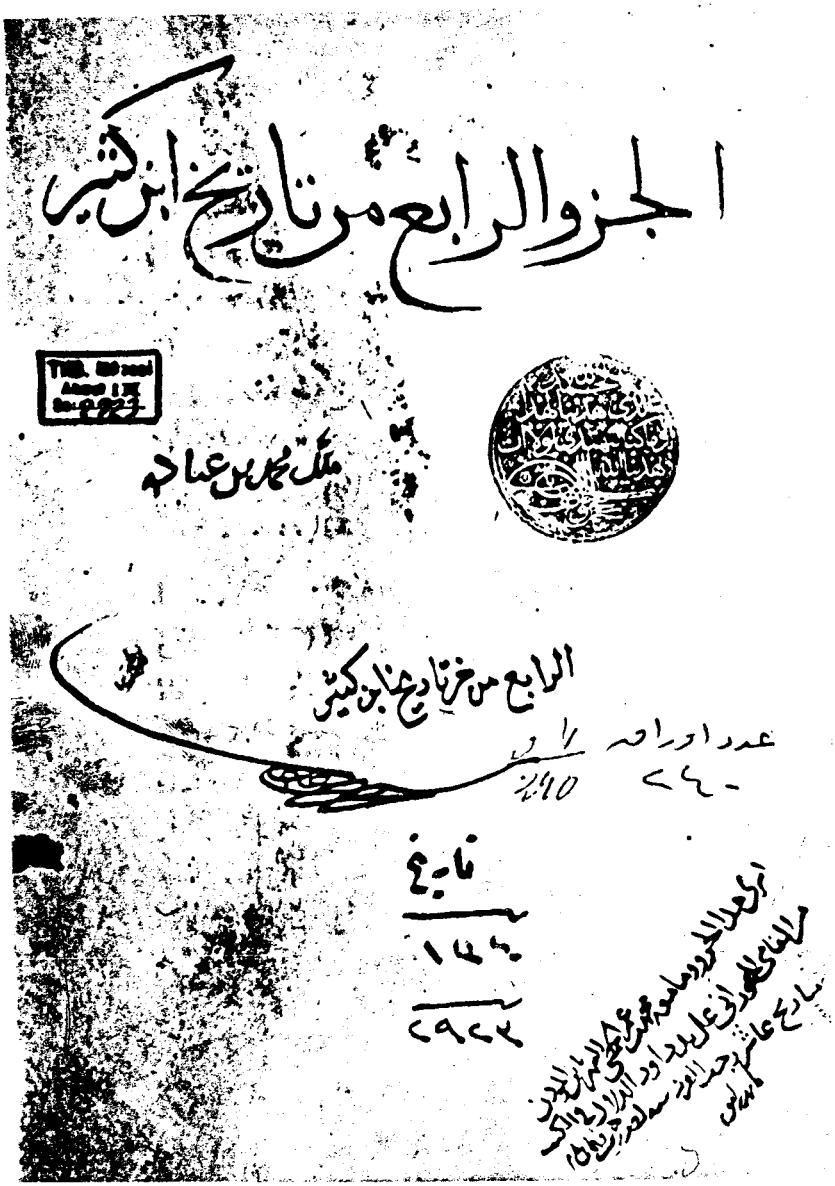

وجه الورقة الأولى من المخطوط (١٠)

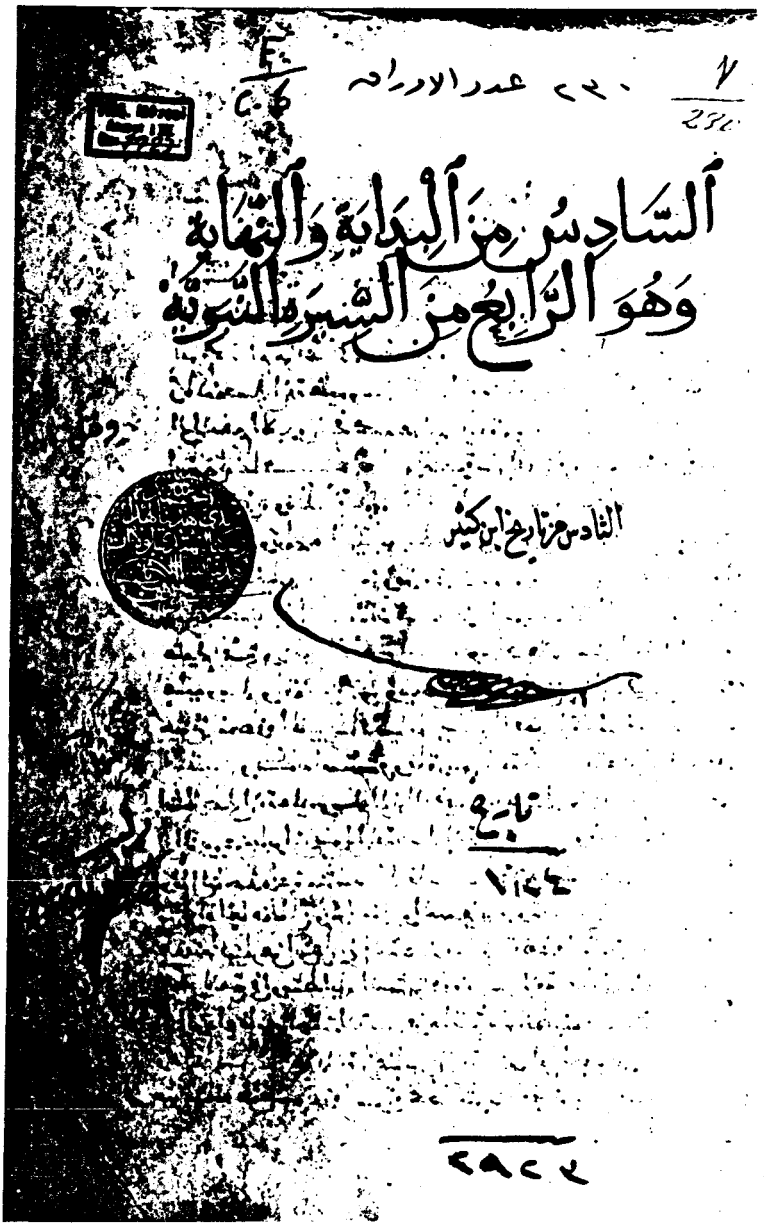

وجه الورقة الأولى من المخطوط (١ ب)

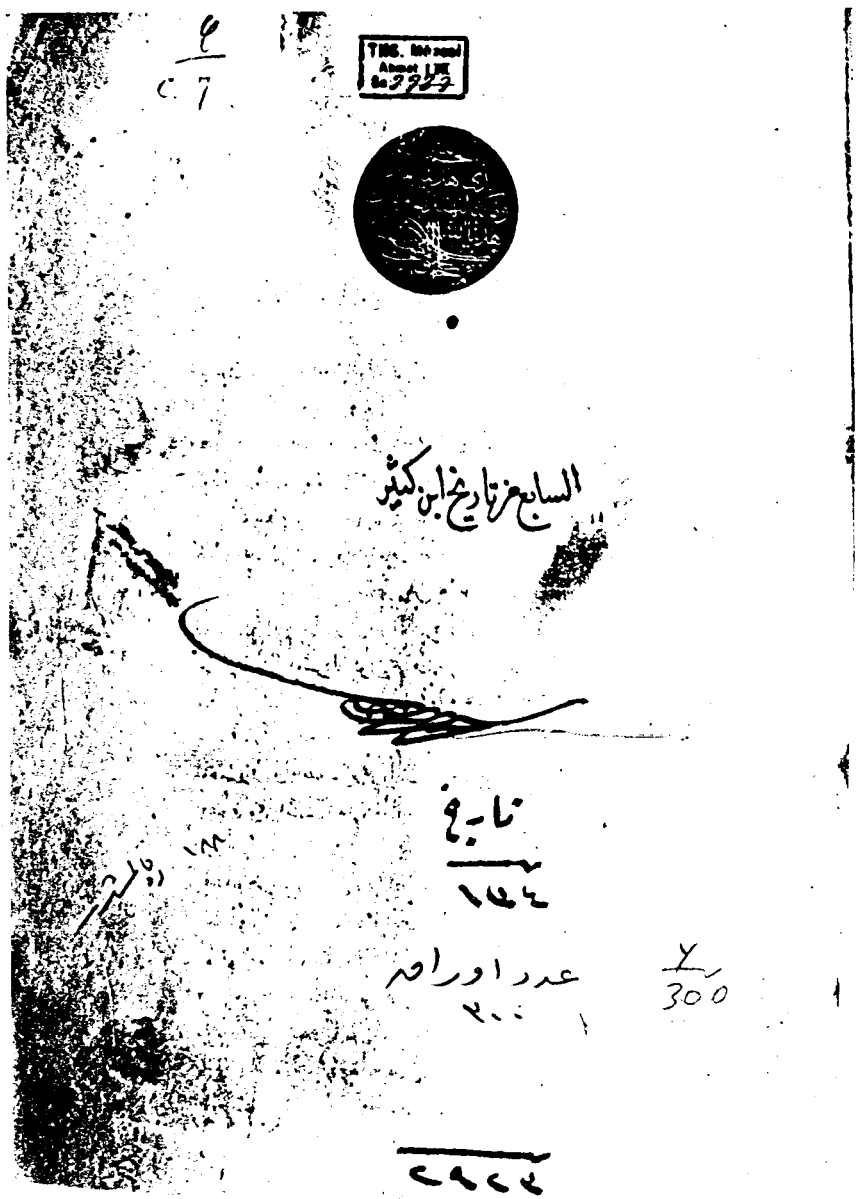

وجه الورقة الأولى من المخطوط (١ ٧)

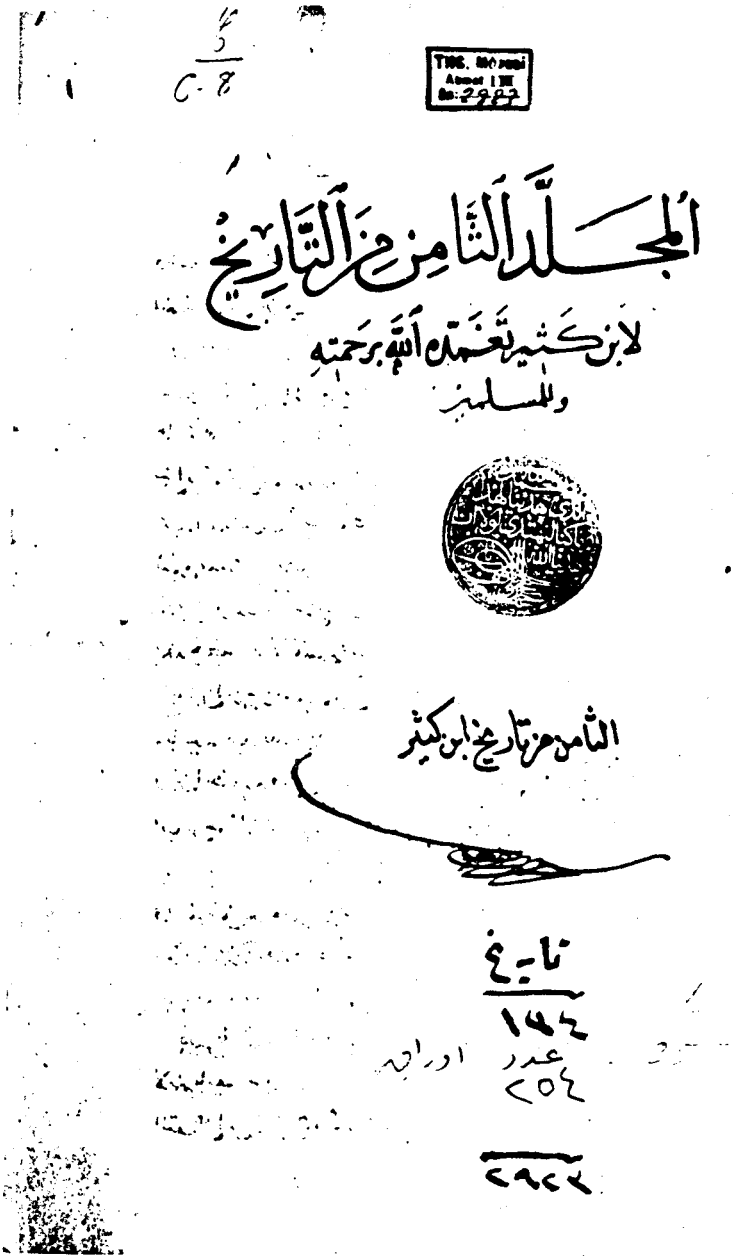

وجه الورقة الأولى من المخطوط (٢١)

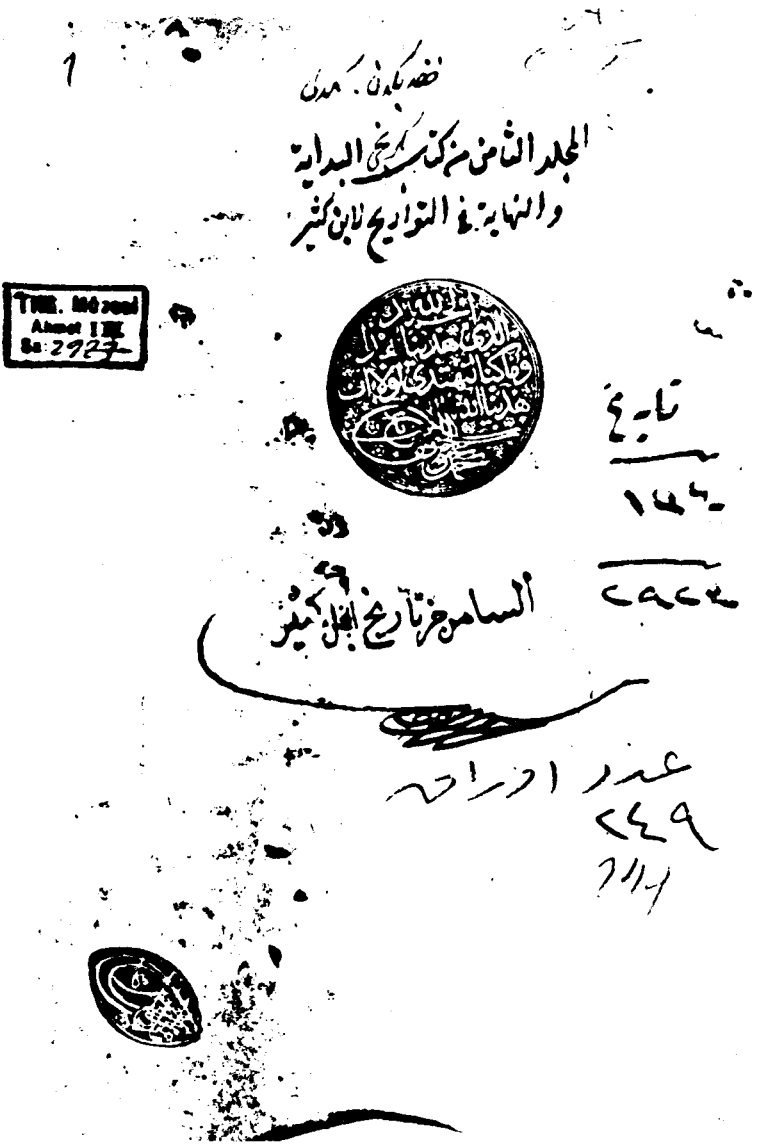

وجه الورقة الأولى من المخطوط (١ ٨)

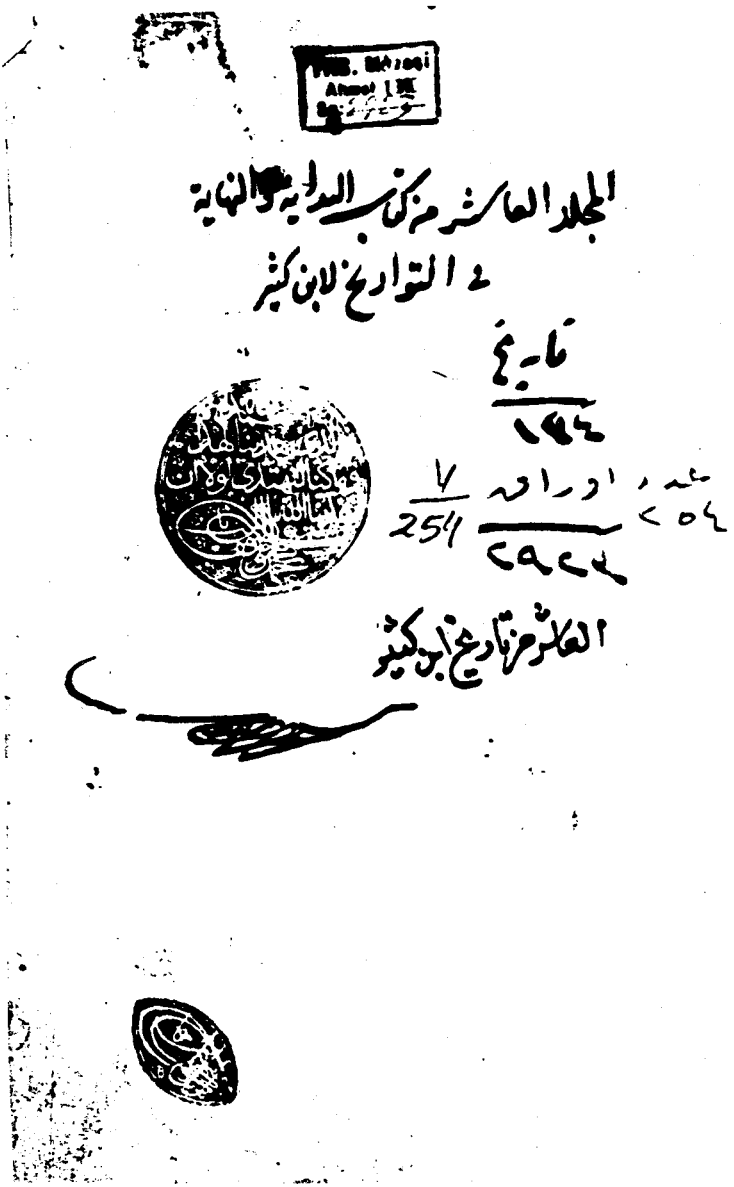

وجه الورقة الأولى من المخطوط (٣١)

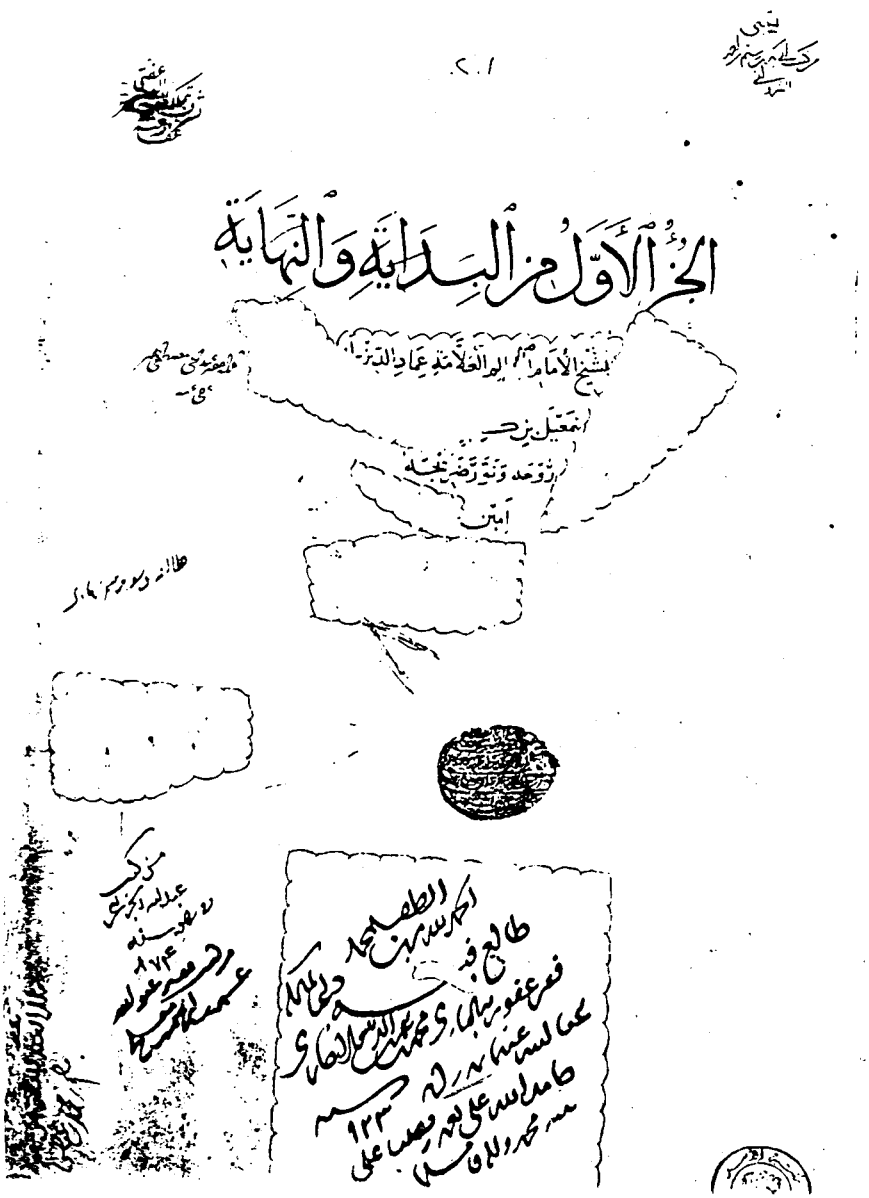

وجه الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط (ح)

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله عليه توكلت

الحمد لله الاول الاخر الباطن الظاهر الذي هو بكل شيء عليم الاول فليس قبله شيء الاخر فليس بعده شيء
الظاهر فليس فوقه شيء الباطن فليس دونه شيء الازلي القديم الذي لم يزل موجودا موصوفا بصفات
الكمال ولا يزال دائما مستمرا باقيا سرمدا بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال يعلم دبيب النملة
على الصخرة في الليلة الظلماء وعدد الرمال وهو العلي الكبير المتعال العلي العظيم الذي خلق
كل شيء فقدره تقديرا فرفع السموات بغير عمد وزينها بالكواكب الزاهرات وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا وسوى فوقهن سبعا شدادا شرجعا عاليا منيفا متسعا مقببا مستديرا هو العرش العظيم له قوائم
عظام تحمله الملائكة الكرام وتحفه الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ولهم زجل بالتقديس والتعظيم
وكذا ارجا السموات مشحونة بالملائكة ويفد منهم كل يوم سبعون الفا الى البيت المعمور بالسماء السابعة
لا يعودون اليه اخرا عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم ووضع الارض للانام على تيار
الماء وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام قبل خلق السماء وانبت فيها من
كل زوجين اثنين دلالة للانام من جميع ما يحتاج العباد اليه في شتائهم وصيفهم ولكل ما يحتاجون اليه
ويملكونه من حيوان بهيم وبدأ خلق الانسان من طين وجعل نسله من سلالة من ماء مهين في قرار مكين
فجعله سميعا بصيرا بعد ان لم يكن شيئا مذكورا وشرفه بالعلم والتعليم خلق سيده الكريم ادم ابا البشر
فصور جثته ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وخلق منه زوجه حواء ام البشر فانس بها وجدته
واسكنهما جنته واسبغ عليهما نعمته ثم اهبطهما الى الارض لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء وقسمهم بقدره العظيم ملوكا ورعايا وفقراء واغنياء واحرارا وعبيدا وحرائر واماء واسكنهم
ارجاء الارض طولها والعرض وجعلهم خلائف فيها يخلف البعض البعض الى يوم الحساب والعرض على
الحكيم العليم وسخر لهم الانهار من سائر الاقطار تشق الاقاليم الى الامصار بين صغار وكبار على مقدار
الحاجات والاوطار وانبع لهم العيون والابار وارسل عليهم السحاب بالامطار فانبت لهم سائر صنوف الزروع
والثمار وانامهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقالهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار
فسبحان الكريم العظيم الحليم وكان من اعظم نعمه عليهم واحسانه اليهم بعد ان خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل
وانطقهم ان ارسل رسله اليهم وانزل كتبه عليهم مبينة حلاله وحرامه واخباره واحكامه وتفصيل كل شيء
في المبدا والمعاد يوم القيمة فالسعيد من قابل الاخبار بالتصديق والتسليم والاوامر بالانقياد والنواهي
بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الرقوم والحميم والعذاب الاليم
احمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملا ارجا السموات والارضين دائما ابدا الابدين ودهر الداهرين
الى يوم الدين في كل ساعة وان ووقت وحين كما ينبغي لجلاله العظيم وسلطانه القديم ووجهه الكريم
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا نظير له ولا وزير له
ولا مشير له ولا عديد ولا نديد ولا قسيم واشهد ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله المصطفى من

وقف مدرسة الرحمية بدرية حلب

خلاصة

ظهر الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط (ح)

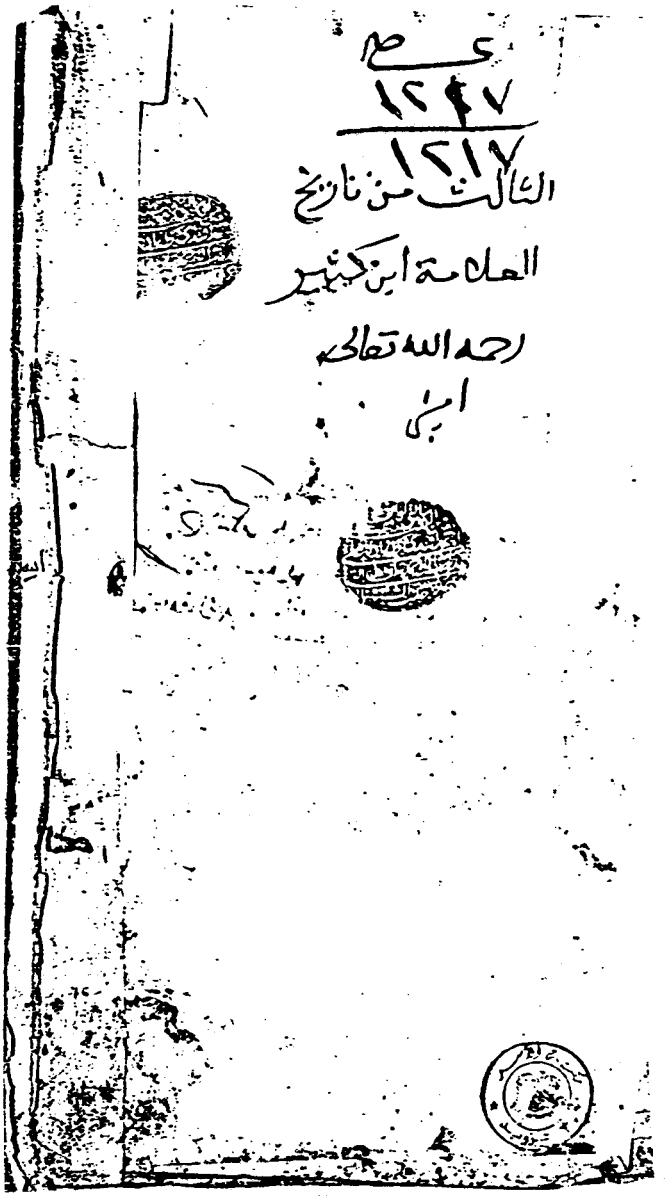

وجه الورقة الأولى من الجزء الثالث والرابع من المخطوط (ح)

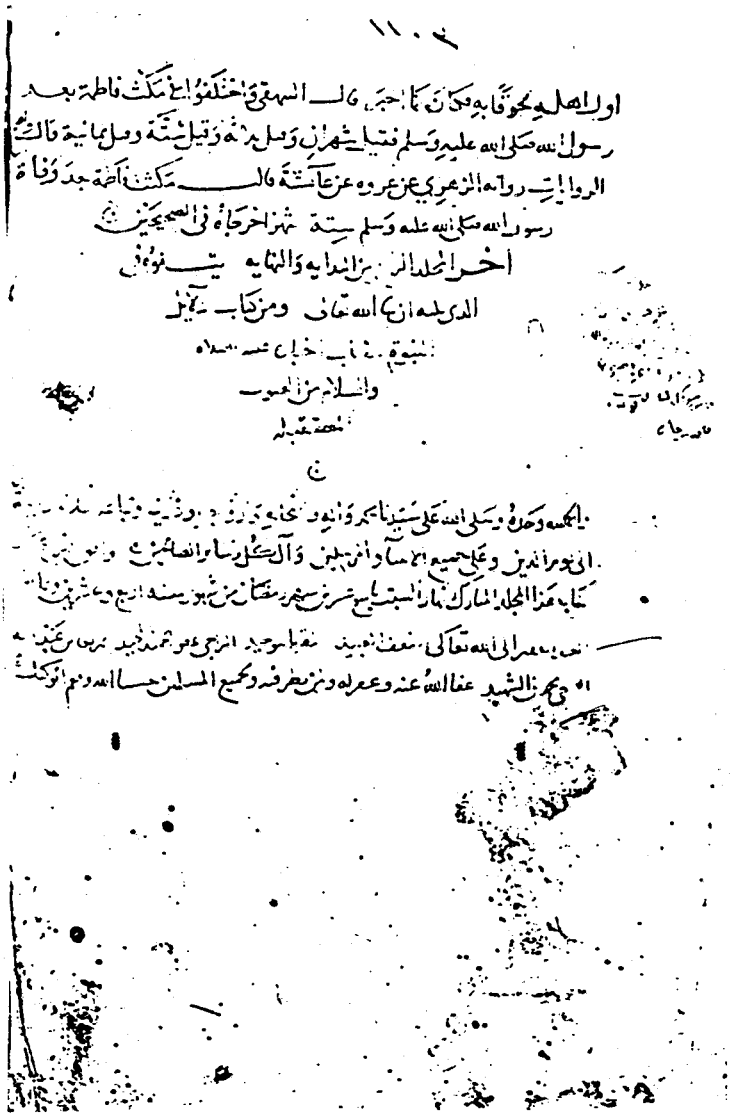

ظهر الورقة الأخيرة من الجزء الثالث والرابع من المخطوط (ح)

كتبا كثيرة جمة وكان حسن الاخلاق كريم المحاضر حسن الاعتقاد في الصالحين وكان معظما
عند الناس وقد اذن للجماعة من الطلبة في الافتاء وعمي في اخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ثم نزل
عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم وهو مع ذلك لا يقطع نظره عن المنصب توفي ليلة
الاربعاء عشرين عشرين ذي القعدة بعد ان صلي عليه العشاء فلم تفته فريضة ولا نافلة وصلي عليه
من الغد ودفن بعقبة نقير وله من العمر ثلث وتسعون سنة رحمه الله القاضي محي الدين ابن
فضل الله كاتب السر هو ابو المعالي يحيي ابن فضل الله بن المحلي بن دعجان بن خلف العدوي العمري
ولد في حادي عشر شوال سنة خمس واربعين وستمايه بالكرك وسمع الحديث واسمعه وكان
صدرا كبيرا معظما في الدولة في حياة اخيه شرف الدين وبعده كتب السر بالشام وبمصر توفي
ليلة الاربعاء تاسع رمضان بمصر وادفن من الغد بالقرافة وتولي المنصب بعده ولده القاضي
علاء الدين وهو اصغر اولاده الثلثة المعينين بهذا المنصب الشيخ الامام العلامة زين الدين ابن
الكتاني شيخ الشافعية بمصر وهو ابو حفص عمر بن ابي الحرم بن عبد الرحمن ابن يونس الدمشقي
الاصل ولد بالقاهرة وجد ودسنة خمسين وستمايه واشتغل بدمشق ثم رحل الي مصر واستوطنها
وتولي بها بعض الاقضية بالبر ثم ناب عن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في درت سيرته ودرت
في مدارس كبار وولي مشيخة حديث بالقبة المنصورية وكان بارعا فاضلا عنده فوايد جمة كثيرة جدا غير
انه كان سيء الاخلاق منقبضا عن الناس لم يتزوج قط وكان حسن الشكل بهي المنظر ياكل الطيبات
ويلبس من الثياب وله فوايد وزوايد علي الروضة وغيرها وكان فيه استهتار بعض العلما
فاسد بسامحه توفي يوم الثلثا نصف رمضان ودفن بالقرافة رحمه الله الشيخ الامام العلامة
ركن الدين بن الغريع ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف ابن عبد الرحمن بن عبد الجليل
القرشي الهاشمي الجعفري التونسي المالكي المعروف بابن الغريع كان من اعيان الفضلا وساده الادبا
وممن جمع الفنون الكثيرة والعلوم الغزيرة الدينية الشرعية والطبية وكان مدرسا بالمنصورية
وله وظيفة في المارستان المنصوري وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذي الحجة عن اربع
وسبعين سنة وقد ترك مالا واثاثا كثيرا ورثه بيت المال والله سبحانه وتعالي اعلم
والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل قلت
فهذا اخر ما ارخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به علي تاريخ الشيخ شهاب الدين
ابي شامة وقد كانت وفاة البرزالي في العام القابل وهو محرم بغزة بحلب وقد ذيلت علي

والوتر

تاريخه

تاريخه رحمه الله الي زماننا هذا وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الاربعا العشرين
من جمادي الاخر سنة احدي وخمسين وسبعمايه لصحة استنساخه امين الي هنا انتهي
ما كتبته من لدن خلق ادم عليه وعلي نبينا افضل الصلاة والسلام الي زماننا هذا والحمد لله
رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وتابعيهم باحسان الي يوم الدين

يتلوه ان شاء الله تعالى الجزء وهو النهاية في امور الاخرة اخر
البداية في البعث والنشور

زمانا لم يأذن لهم ثم جاء صهيب وبلال والمقداد وعمار فأذن لهم سريعا فدخلوا فوجدوا
الاشراف غيرهم من الضعفاء الذين سبقوا وجاءوا الرسول في اول ما دعاهم في انفسهم
حيث اذن للضعفاء ولم يأذن للضعفاء لهم وهم جلوس على الباب ادلا فقال لهم عمرو بن
العاص وقيل ان القائل حكيم بن حزام ان القوم دعوا ودعينا فاجابوا وتأخرنا ولين
حسد تموهم اليوم على باب عمر ودخولهم اليه لانتم غدا اشد حسدا لهم على باب الجنة ودخولهم
اليها قبلكم قال فاخذ القوم كلامه وبكوا حتى تخلفهم والله اعلم [illegible] قال الزهري
كلام اهل الجنة عربي وقال سفين بلغنا ان الناس يتكلمون يوم القيمة بالسريانية فاذا
دخلوا الجنة تكلموا بالعربية والله اعلم وقال بن ابي الدنيا حدثني الحسن بن هشام
حدثنا صفوان بن صالح حدثني داود بن الجراح العسقلاني حدثنا الاوزاعي عن هرون بن رباب
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل اهل الجنة الجنة على طول
ادم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلث وثلثين سنة وعلى
لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلين وقال بن عباس لسان اهل الجنة عربي والله
اعلم [illegible] في المراة تتزوج في الدنيا بازواج ثم تدخل الجنة فلمن تكون منهم فذكر
القرطبي في التذكرة من طريق بن وهب عن مالك ان اسما بنت ابي بكر شكت زوجها الزبير
الى ابيها فقال يا بنية اصبري فان الزبير رجل صالح ولعله ان يكون زوجك في الجنة قال
ولقد بلغني ان الرجل اذا ابتكر المراة اي تزوجها بكرا تكون زوجته في الجنة قال ابو بكر
بن العربي هذا حديث غريب وقد روي عن ابي الدرداء وحذيفة بن اليمان ان المراة تكون
لاخر ازواجها في الدنيا وجاء انها تكون لاحسنهم خلقا قال ابو بكر البخاري حدثنا جعفر
بن محمد بن شاكر حدثنا عبيد بن اسحق العطار حدثنا سيار بن هرون عن حميد عن انس
ان ام حبيبة قالت يا رسول الله المراة يكون لها الزوجان في الدنيا فايهما يكون في الاخرة
فقال لاحسنهما خلقا كان معها في الدنيا ثم قال يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا
والاخرة وقد روي عن ام سلمة نحو هذا والله سبحانه اعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل
والحمد لله رب العالمين اخرا والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

وجه الورقة الأخيرة من الجزء الحادى عشر من المخطوط (ح)

البداية والنهاية للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير
الدمشقي المولود سنة ٧٠١ والمتوفى سنة ٧٧٤ رحمه الله

عبد الله بن علي دمشق فنزل على الباب الشرقي ونزل صالح بن علي على الباب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان وسام
على باب الصغير وحميد بن قحطبة على باب توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب القرادين
فحاصروها أيام ثم افتتحها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان في هذه السنة فقتل من أهلها خلقا كثيرا في ثلاث ساعات
أباحها وهدم سورها ويقال إن أهلها لما حاصرهم عبد الله بن علي احتفروا فيما بينهم ما بين عباسي وأموي حتى اقتتلوا
فقتل بعضهم بعضا وقتلوا بهم ثم سلموا البلد وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبد الله
الطائي ومن ناحية باب الصغير سام بن إبراهيم ثم انهبت دمشق حتى قيل إنه قتل بها في هذه المدة نحوا من خمسين ألفا وذكر
الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبيد الله ابن الحسن الأعرج عن والد جعفر بن أبي طالب وكان أميرا على خمسة آلاف
مع عبيد الله بن علي في حصار دمشق أنهم أقاموا محاصرتها خمسة أشهر وقيل ما يزيد يوم وقيل شهرا ونصفا وإن البلد
كان قد حصنه نائب مروان تحصينا عظيما ولكن اختلف أهلها فيما بينهم بسبب اليمانية والمضرية وكان سبب
ذلك الفتح حتى أنهم جعلوا في كل مسجد محرابين للقبلتين حتى في المسجد الجامع منبرين وإمامين يخطبان
يوم الجمعة على المنبر وهذا من غريب ما وقع وغريب ما اتفق وقطيع ما أحدث بسبب الغش والهوى والعصبية
فسأل الله السلامة والعافية وقد بسط ذلك الحافظ في هذه الترجمة المذكورة وذكر في ترجمة محمد بن سليمان
ابن عبد الله النوفلي قال كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق فدخلها بالسيف ثلاث ساعات من النهار
وجعل مسجدها جامعها سبعين يوما اصطبلا لدوابه وجمالها ثم نبش قبور بني أمية فلم يجد في قبر معوية إلا خيطا
أسود مثل العباء ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد جمجمته وكان يوجد في القبر العضو بعد العضو غير هشام
بن عبد الملك فإنه وجده صحيحا لم يبل منه غير أرنبة أنفه فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياما ثم أحرقه بالنار
وذر رماده فذروه في الريح وذلك لأنه كان قد ضرب أخاه محمد بن علي حين كان قد أمكنه بقتل ولده صغيرا سبع مائة
سوط ثم ألقاه إلى الحمة قال ثم تتبع عبد الله ابن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فقتل منهم في يوم واحد اثنين وسبعين نفسا
عند نهر بالرملة وبسط عليهم الأنطاع وصف عليهم سماطا وهم يتلجلجون تحته وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت
يزيد بن معوية صاحبة الحال مع نفر من الخدم سائرين إلى البرية ماشية حافية حاسرة ثم قتلوها وأقام بها عبد الله بن علي
خمسة عشر يوما وقد استدعى بالأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعنا فقلت له الأمر أمرك
غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما الأعمال بالنيات فذكر الحديث قال الأوزاعي واسطرت راسي سقط بين رجلي فلم أرجع وبعث إلى مائة دينار ثم سار
وأمر مروان فنزل على نهر الكوسة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائبا على دمشق ثم ارتحل إلى الأردن فأتاه وقد سودوا أنه
سار إلى جبان ثم نزل مرج الروم من ناحية نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل الديار المصرية وجاءه كتاب السفاح
أن وجه صالح بن علي في طلب مروان ويقيم هو بالشام نائبا عليها فسار صالح بن علي في طلب مروان في ذي القعدة من هذه
السنة ومعه أبو عون وعامر بن إسمعيل فنزل على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل الفرما
فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتى العريش ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد فعبر
مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما وراءه من العلف والطعام ومضى صالح في طلبه فالتقى بخيل لمروان فهزمهم
ثم جعلوا كلما التقوا مع خيل لمروان هزموهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فدلوهم عليه وأدابه في كنيسة
بوصير فوافوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير معه فأحاطوا به حتى قتله
طعنه رجل من أهل البصرة يقال له معوية ولا يعرف حتى قال رجل صرخ أمير المؤمنين فابتدر إليه رجل من أهل
الكوفة كان سمع الصراخ فاحتز رأسه فبعث به عامر بن إسمعيل ما يزيد هذه فسرعه إلى أبي عون فبعث به أبو عون

وجه الورقة الأولى من المخطوط (ظ)

وجه الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط (ص)

ظهر الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط (ص)

وجه الورقة الأخيرة من الجزء الرابع من المخطوط (ص)

سابع

وقعت الفتنة بين الاشاعرة والحنابلة فقوي جانب الحنابلة قوة
عظيمة بحيث انه كان لا يتمكن احد من الاشاعرة ان يشهد الجمع و
الجماعات وان الخطيب كان ارسلان التركي ... وقد
بالبساسيري قد عظم امره واستفحل لعدم اقدام مقدمي
الاتراك واستولى على البلاد وطار اسمه وخافته امراء العرب والعجم
ودعي له على كثير من المنابر العراقية والاهواز ونواحيها ولم يكن
للخليفة قطع ولا وصل دونه ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته
وشهد عنده جماعة من الاتراك انه عازم على نهب دار الخليفة وانه
يريد القبض على الخليفة فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل
بن سلجوق الملقب طغرلبك يستنهضه على المسير الى العراق
فانفض اكثر من كان مع البساسيري وعادوا الى الخليفة سريعا
اجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي
فاحرقوها وهدموا انبيتها ووصل السلطان طغرلبك الى بغداد
في رمضان سنة سبع واربعين وقد تلقاه الى اثنا الطريق الامراء
والوزراء والحجاب ودخل بغداد في ابهة عظيمة جدا وخطب له بها
ثم بعد الملك الرحيم ثم قطعت خطبة الملك الرحيم ورفع الى القلعة
معتقلا عليه فكان اخر ملوك بني بويه وكانت مدة ولايتهم
قريب المائة وعشرين وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست
سنين وعشرة ايام ونزل طغرلبك دار المملكة بعد الفراغ من

بغداد

وجه الورقة الأولى من المخطوط (خ)

بعلمه بالعربية ... كلي حي وان بقي ... فمن الغد يستقي ... فاعمل اليوم واجتهد ... واحذر الموت ... يا شقي

فبينا انا واقف اقرا واكي ... اذا برجل اشعث اغبر عليه مدرعة من شعر فسلم

وقال لم تبكي فقلت من هذا احد جيدي وحضني غير بعيد فاذا صخرة عظيمة مثل المحراب

فقال ... وابك وتخضع وقام يصلي فاذا في ناحية منها

... لا تكن جاهلا وجاهلك ساقط ... عند المليك وكن جاهلا مصلحا

... من لم يثق بالقضاء والقدر ... لاقى هموما كثيرة الضرر

... الدنيا مزرعة الحسنات ... حسنات ماخوذ بما جناه وعند الله الجزاء ... وتحت ذلك

انما الفوز والغنى في تقى الله والعمل

فلما ... من القراءة التفت فاذا ليس الرجل هناك فما ادري انصرف او حجب

عني وقال ... ابرهيم بن ادهم اثقل الاعمال في الميزان اثقلها على الابدان ومن

وفي العمل وفي له الاجر ومن لم يعمل دخل من الدنيا الى الاخرة بلا قليل ولا كثير

وقال ايضا كل سلطان لا يكون عادلا فهو واللص بمنزلة واحدة وكل عالم لا يكون

ورعا فهو والذئب بمنزلة واحدة وكل غني يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة

وقال ايضا اعربنا المقال ولم نلحن ولحنا في الفعال حتى لم نعرب وقال كنا اذا

راينا الشاب يتكلم في المجلس يتشاءم من خيره وقال ابرهيم لاصحابه جانبوا الناس

ولا تقطعوا عن جمعة ولا جماعة وقال ابو بكر الخطيب سمعت القاضي ابو محمد الحسن

بن الحسن بن محمد بن رايس الاسترابادي انا عبد الله بن محمد الحميدي الشيرازي انا

القاضي احمد بن محمود بن خورزاد الاهوازي حدثني علي بن محمد القصري حدثني احمد بن محمد

الحلبي سمعت سريا السقطي يقول سمعت بشر بن الحافي يقول قال ابرهيم بن ادهم

وقعت على راهب في جبل لبنان فناديته فاشرف علي فقلت له عظني فانشاء يقول

خدعن الناس جانبا ... كي يعدوك راهبا ... ان دهرا اظاني ... قد اراني العجايبا

قلب الناس كيف شئت ... تجدهم عقاربا

قال بشر فقلت لابرهيم هذه موعظة الراهب فعظني انت فانشاء يقول

اوحش من الاخوان لا تبغ مونسا ... ولا تتخذ خلا ولا تبغ صاحبا

وكن سامري الفعل من نسل آدم ... وكن واحدا ما قدرت مجانبا

فقد فسد الاخوان والخل والاخا ... فلست ترى الا مذوقا وكاذبا

فقلت ولولا ان يقال بدهمه ... وتنكر حالاتي لاصبحت راهبا

وجه الورقة الأولى من المخطوط (س)

فاخبرني الاضرب الذي فيه عيناك فقال نعم يا امير المومنين كنت رجلا جالا فبينما انا
اسير بين مرج الصفر قاصدا الى الكسوة اذ زرمني البول فعدلت الى خربة لابول
فاذا بسرب نحو مرة فاذا مال صبيب فملات منه غرايري ثم انطلقت اتمودير راحلي
واذا بخلاء معي فيها طعام فالقيته منها وقلت اني ساتي الكسوة ورجعت الى
الخربة لاملا تلك المخلاة فلم اهتد الى المكان بعد الجهد في الطلب فلما ايست
رجعت الى الرواحل فلم اجدها فاتيت على نفسي اني لا اكل الا خبزا وترابا قال
فهل لك عيال قال نعم فرض له في بيت المال قال ابن جرير وبلغنا ان تلك
الرواحل سارت حتى اتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها في بيت المال
وقيل ان الوليد قال له ذلك المال وصل اليك فاذهب الى اهلك فخذها وقيل انه
دفع اليه شيئا من ذلك المال يقيته وعياله وقال محمد بن عبد الله الشعباني
عن ابيه قال قال الوليد بن عبد الملك لولا ان الله ذكر قوم لوط في القران ما ظننت
ان ذكرا يفعل هذا بذكر قالوا وكان الوليد يجانا كما جاء عن زوجه ان الوليد خطب
يوما فقال في خطبته ياليتها كانت القاضية فضم التاء من ليتها فقال عمر بن
عبد العزيز ياليتها كانت عليك وارحنا الله منك وكان يقول يا اهل المدينة
وقال عبد الملك يوما لرجل من قريش انك لرجل لولا انك تلحن فقال وهذا
ابنك الوليد يلحن فقال لكن ابن سليمان لا يلحن فقال الرجل واخي ابو فلان لا يلحن
وقال ابن جرير حدثني عمر بن علي عن يعني ابن محمد المدايني قال كان الوليد بن عبد
الملك عند اهل الشام افضل خلايفهم بنى المساجد بدمشق ووضع المنار
واعطى الناس واعطى المجذمين وقال لهم لا تسالوا الناس واعطى كل مقعد
خادما وكل ضرير قايدا وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظاما وكان يرسل بنيه
في كل غزوة الى بلاد الروم ففتح الهند والسند والاندلس واقاليم بلاد العجم
حتى دخلت جيوشه الى الصين وغير ذلك قال وكان مع هذا يمر بالبقال فياخذ
منه بزنة البقل بيده ويقول بكم تبيع هذه فيقول بفلس فيقول
زد فيها فانك ترى نحو ذكر وانه كان يعجبه القران ويكرمهم ويقضي عنهم ديونهم
قال وكانت همة الوليد في البنا وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول ما
ذا بنيت ماذا عمرت وكانت همة اخيه سليمان في النسا فكان الناس
كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول كم تزوجت ماذا عندك من السراري وكانت همة

وجه الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط (ب)

وحكم سنتنا وخمسين سنة وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه السنة وقد جاوز تسعين
سنة وكان يوم جنازته يوما مشهودا وروينا له مناقب صالحة حشره الله وإياكم
ورحمنا وإياكم إنه قريب مجيب رحيم ودود والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ٥

يتلو سنة ست وستين وأربعمائة

حملت السوار الموجود في هذا المجلد ثمانية سنة وثلاثة وعشرين سنة أولها
سنة أربع وأربعين وثمانمائة وآخرها سنة خمس وستين وأربعمائة رحم الله من وجد كاتبه
ومالكه ومن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والجميع المسلمين يا رب العالمين آمين آمين

وجه الورقة الأخيرة من الجزء الثانى من المخطوط (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الفهارس

الحمد لله الذى أتم علينا نعمته ، وأسبغ علينا فضله ، حمدًا يليق بجلاله ويوازى إنعامه وإحسانه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الهادى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فإن خدمة النص لا تكتمل إلا بصنع الفهارس الفنية لمادته ، التى تيسر للباحث الحصول على بغيته من الكتاب ، بجهد قليل ، وفى وقت يسير ، وليس ذلك فحسب ، بل وتَلْفِت نظره إلى إمكانية الاستفادة بمادة الكتاب ، وذلك من خلال الفهارس المتنوعة للكتاب ؛ لذلك صنعنا الفهارس على النحو التالى : فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية القولية ، وفهرس الأحاديث القدسية ، وفهرس الأحاديث النبوية غير القولية والآثار، وفهرس القوافى وأنصاف الأبيات ، وفهرس الغزوات والأيام والوقائع ، وفهرس القبائل والأمم والفرق ، وفهرس الأماكن والبلدان والمياه ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الكتب ، وفهرس كتب النبى ﷺ ، وفهرس الغرائب والكائنات ، وفهرس مراجع التحقيق ، ولما كانت مثل هذه الأعمال الموسوعية لا تخلو على جلالتها من الهفوات اليسيرة ، فقد ذيلنا فهارس الكتاب باستدراكاتنا على هذه الهفوات التى وقعت فى أثناء العمل .

ويجدر أن ننبه على أننا لم نتعرض فى فهرسة الأعلام لرجال السند ، إلا أول

السند وآخره ، وذلك منعًا للإطالة ، وقد أشرنا إلى موضع ترجمة العَلَم فى الكتاب بوضعه بين قوسين ، وقد نهجنا فى فهرستها نفس النهج فى كتبنا السابقة ، من ناحية الترتيب والإحالات ، إلا أننا قمنا بوضع النسبة بجوار الكنية ، لتحديد العَلَم بصورة أوضح وأسرع ، وفى حالة الاختلاف فى اسم العَلَم ؛ بحيث يأتى بقيل كذا ، وقيل كذا ، نضع إحالة على النحو التالى : موضع الاختلاف = الاسم المشهور الأصلى ، ثم نضع الأرقام عند الموضع المشهور .

وقد أفردنا لكتب النبى ﷺ إلى الأمراء والحكام فهرسًا خاصًا ، تيسيرًا للوصول إليها لمن أراد البحث عنها .

ولأنه كتاب تاريخ فقد حوى بين دفتيه العديد من الغرائب التى تبعث على الدهشة لخروجها عن المألوف فى حياة الناس ، وكذلك الكائنات التى وقعت فأحدثت اضطرابات عظيمة مثل الأوبئة الفتاكة والسيول والزلازل والبراكين ، فقد صنعنا لها فهرسًا لمن أراد الوقوف عليها ، لينتفع منها بعظة ، مستثنين فى ذكرها معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

فنسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح أعمالنا ، وأن يوفقنا دومًا لخدمة تراث الأمة الإسلامية ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الفهارس

الحمد لله الذى أتم علينا نعمته ، وأسبغ علينا فضله ، حمدًا يليق بجلاله ويوازى إنعامه وإحسانه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الهادى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فإن خدمة النص لا تكتمل إلا بصنع الفهارس الفنية لمادته ، التى تيسر للباحث الحصول على بغيته من الكتاب ، بجهد قليل ، وفى وقت يسير ، وليس ذلك فحسب ، بل وتَلْفِت نظره إلى إمكانية الاستفادة بمادة الكتاب ، وذلك من خلال الفهارس المتنوعة للكتاب ؛ لذلك صنعنا الفهارس على النحو التالى : فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية القولية ، وفهرس الأحاديث القدسية ، وفهرس الأحاديث النبوية غير القولية والآثار، وفهرس القوافى وأنصاف الأبيات ، وفهرس الغزوات والأيام والوقائع ، وفهرس القبائل والأمم والفرق ، وفهرس الأماكن والبلدان والمياه ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الكتب ، وفهرس كتب النبى ﷺ ، وفهرس الغرائب والكائنات ، وفهرس مراجع التحقيق ، ولما كانت مثل هذه الأعمال الموسوعية لا تخلو على جلالتها من الهفوات اليسيرة ، فقد ذيلنا فهارس الكتاب باستدراكاتنا على هذه الهفوات التى وقعت فى أثناء العمل .

ويجدر أن ننبه على أننا لم نتعرض فى فهرسة الأعلام لرجال السند ، إلا أول

السند وآخره ، وذلك منعًا للإطالة ، وقد أشرنا إلى موضع ترجمة العَلَم فى الكتاب بوضعه بين قوسين ، وقد نهجنا فى فهرستها نفس النهج فى كتبنا السابقة ، من ناحية الترتيب والإحالات ، إلا أننا قمنا بوضع النسبة بجوار الكنية ، لتحديد العَلَم بصورة أوضح وأسرع ، وفى حالة الاختلاف فى اسم العَلَم ؛ بحيث يأتى بقيل كذا ، وقيل كذا ، نضع إحالة على النحو التالى : موضع الاختلاف = الاسم المشهور الأصلى ، ثم نضع الأرقام عند الموضع المشهور .

وقد أفردنا لكتب النبى ﷺ إلى الأمراء والحكام فهرسًا خاصًا ، تيسيرًا للوصول إليها لمن أراد البحث عنها .

ولأنه كتاب تاريخ فقد حوى بين دفتيه العديد من الغرائب التى تبعث على الدهشة لخروجها عن المألوف فى حياة الناس ، وكذلك الكائنات التى وقعت فأحدثت اضطرابات عظيمة مثل الأوبئة الفتاكة والسيول والزلازل والبراكين ، فقد صنعنا لها فهرسًا لمن أراد الوقوف عليها ، لينتفع منها بعظة ، مستثنين فى ذكرها معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

فنسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح أعمالنا ، وأن يوفقنا دومًا لخدمة تراث الأمة الإسلامية ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخُ الإمامُ العالمُ العلَّامةُ أبو الفِداءِ عمادُ الدينِ إسماعيلُ بنُ كَثِيرٍ ، رحمَه اللهُ تعالى :

الحمدُ للهِ الأوَّلِ الآخِرِ ، الباطِنِ الظَّاهرِ ، الذى هو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، الأوَّلُ فليس قبلَه شيءٌ ، الآخِرُ فليس بعدَه شيءٌ ، الظاهرُ فليس فوقَه شيءٌ ، الباطِنُ فليس دُونَه شيءٌ ، الأزَلِيُّ القديمُ الذى لم يزلْ موجودًا موصوفًا[1] بصفاتِ الكَمالِ ، ولا يزالُ دائمًا مستمرًّا باقيًا سَرْمَديًّا بلا انْقِضاءٍ ولا انْفِصالٍ ولا زَوالٍ . يعلمُ دَبِيبَ النملةِ السوداءِ[1] ، على الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ[2] ، فى الليلةِ الظَّلماءِ ، وعددَ الرِّمالِ . وهو العلىُّ الكبيرُ المُتَعالِ ، العلىُّ العظيمُ الذى خلَق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا ، ورفَع السمٰواتِ بغيرِ عَمَدٍ ، وزيَّنها بالكواكبِ الزَّاهِراتِ ، وجعَل فيها سِراجًا وقمرًا مُنِيرًا ، وسوَّى فوقَهنَّ سَرِيرًا ، شَرْجَعًا[3] عاليًا مُنِيفًا مُتَّسِعًا مُقَبَّبًا مُستديرًا ، هو[4] العرشُ العظيمُ[5] ، له قوائمُ عِظامٌ ، تحمِلهُ الملائكةُ الكِرامُ ، وتحُفُّه[6] الكَرُوبِيُّون[7] – عليهم الصلاةُ والسلامُ – ولهم زَجَلٌ بالتَّقْديسِ والتَّعظيمِ ، وكذا أرْجاءُ السمٰواتِ مَشْحونةٌ بالملائكةِ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ا .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣) الشرجع : العالى المنيف ، المشرف على غيره المتناهى فى طوله وعلوه .

(٤) فى م : « وهو » .

(٥) فى الأصل : « الكريم » .

(٦) فى ا : « وتحته » .

(٧) الكروبيون : هم سادة الملائكة المقربين .

ويَفِدُ منهم فى كلِّ يومٍ سبعونَ ألفًا إلى البيتِ المَعْمورِ بالسماءِ السابعةِ[1] ، لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم ، فى تَهْليلٍ وتحْميدٍ وتكبيرٍ وصلاةٍ وتسليمٍ . ووَضَعَ الأرضَ للأنامِ على تيَّارِ الماءِ ، وجعل فيها رَواسِيَ من فَوْقِها ، وبارَك فيها ، وقدَّر فيها أقْواتَها فى أربعةِ أيَّامٍ [2]سواءً للسَّائلينَ[2] قبلَ خَلْقِ السماءِ ، وأنْبَتَ فيها مِن كلِّ زوجَيْن اثنَيْن ، دَلالةً للألِبَّاءِ[3] ، مِن جميعِ ما يَحتاجُ العبادُ إليه فى شِتائِهم وصَيْفِهم ، ولكلِّ ما يحتاجُونَ إليه ويَمْلِكونَه مِن حيوانٍ بَهِيمٍ .

وبدأَ خَلْقَ الإنسانِ مِن طينٍ ، وجعل نَسْلَه مِن سُلَالةٍ مِن ماءٍ مَهِينٍ ، فى قَرارٍ مَكِينٍ ، فجعله سميعًا بصيرًا ، بعدَ أنْ لم يكنْ شيئًا مذكورًا ، وشرَّفه بالعلمِ والتّعليمِ ، خلق بيدِه الكريمةِ آدمَ أبا البَشَرِ ، [4]وصوَّر جُثَّتَه[4] ، ونفَخ فيه مِن رُوحِه ، وأسْجدَ له ملائكتَه ، وخلق منه زَوْجَه[5] حوَّاءَ أُمَّ البشَرِ ، فآنس بها وحْدتَه ، وأسكنَهما جَنَّتَه ، وأسْبَغَ عليهما نعمتَه ، ثم أهْبَطهما إلى الأرضِ ؛ لمَا سبَق فى ذلك مِن حِكْمةِ الحَكِيمِ ، وبَثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً ، وقسَمهم بقَدَرِه العظيمِ مُلوكًا ورُعاةً[6] ، وفقراءَ وأغنياءَ ، وأحرارًا وعَبِيدًا ، وحَرائرَ وإماءً ، وأسْكنَهم أرجاءَ[7] الأرضِ ، طُولَها والعَرْضَ ، وجعَلهم خلائِفَ فيها ، يخلُفُ البعضُ منهم[8] البعضَ إلى يومِ الحسابِ والعَرْضِ على العليمِ الحكيمِ ، وسخَّر

---

(١) فى م ، ص : « الرابعة » .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣) فى ص : « للأولياء » .

(٤ - ٤) فى ا : « وأسكنه جنته » .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى ح : « رعايا » .

(٧) سقط من : ص .

(٨) سقط من : ح .

لهمُ[1] الأنهارَ من سائرِ الأقطارِ ، تشقُّ[1] الأقاليمَ إلى الأمصارِ ، ما بينَ صِغَارٍ وكبارٍ ، على مقدارِ الحاجاتِ والأوْطارِ ، وأنْبَعَ لهم العيونَ والآبارَ ، وأرسل عليهم السحابَ بالأمطارِ ، فأنْبَتَ لهم سائرَ صُنوفِ الزُّروعِ[2] والثِّمارِ ، وآتاهُم مِن كلِّ ما سألُوه بلسانِ حالِهم وقالِهم : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ [٢/١ و] نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، فسبحانَ الكريمِ الغنيِّ العظيمِ الحليمِ . وكان مِن أعْظَمِ نِعَمِه عليهم وإحسانِه إليهم ، بعدَ أن خلقَهم ورزقَهم ويسَّر لهم السبيلَ وأنْطقَهم ، أنْ أرسلَ رُسُلَه إليهم ، وأنزلَ كُتُبَه عليهم ، مُبَيِّنةً حلالَه وحرامَه ، وأخبارَه[3] وأحكامَه ، وتفصيلَ كلِّ شيءٍ فى المبدأ والْمَعادِ إلى[4] يومِ القيامةِ . فالسعيدُ مَن قابلَ الأخبارَ بالتَّصديقِ والتَّسْليمِ ، والأوامرَ بالانْقِيادِ ، والنَّواهِيَ بالتَّعْظيمِ ؛ ففاز بالنعيمِ المُقيمِ ، وزُحْزِحَ عن [5]مقامِ المكذِّبين فى[5] الجحيمِ ، ذاتِ الزَّقُّومِ والحَمِيمِ ، والعذابِ الأليمِ .

أحْمَدُه حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُبارَكًا فيه ، يملأُ أرْجاءَ السمـٰواتِ والأَرَضِينَ ، دائمًا أبَدَ الآبِدينَ ، ودهرَ الدَّاهِرينَ ، إلى يومِ الدينِ ، فى كلِّ ساعةٍ [6]وأوانٍ[6] ، ووقتٍ وحِينٍ ، كما ينْبغِى لجلالِه العظيمِ ، وسلطانِه القديمِ ، ووجهِه الكريمِ . وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، ولا ولدَ له ، ولا والدَ له ، ولا صاحبةَ له ، ولا نَظِيرَ له ، ولا وزيرَ له ، ولا مُشِيرَ له ، ولا عَدِيدَ ولا نَدِيدَ ولا قَسِيمَ ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وحبيبُه وخليلُه ، المصطَفَى مِن خُلاصةِ العربِ العَرْباءِ مِن

(١ – ١) فى ا : « الليل والنهار ، هذا لسكنهم وراحة الأبدان ، وهذا لمعاشهم فى سائر الأقطار ، شق » .

(٢) فى الأصل : « الزرع » .

(٣) فى ا : « شرعه » .

(٤) سقط من : ح ، ص .

(٥ – ٥) فى ا : « نار » .

(٦ – ٦) فى ح : « وآن » .

الصَّميمِ ، خاتَمُ الأنبياءِ ، وصاحبُ الحَوْضِ الأكبرِ الرَّوَاءِ[1] ، صاحبُ الشفاعةِ العظمى يومَ القيامةِ وحاملُ اللواءِ ، الذى يبعثُه اللهُ المقامَ المحمودَ الذى يرغبُ إليه فيه الخلْقُ كلُّهم ، حتى الخليلُ إبراهيمُ صلى اللهُ عليه وعلى سائرِ إخوانِه من النَّبيِّين والمُرسلين ، وسلَّم وشرَّف وكرَّم ، أزْكَى صلاةٍ وتسليمٍ ، وأعْلَى تشريفٍ وتكريمٍ ، ورَضِىَ اللهُ عن جميعِ أصحابِه الغُرِّ الكرامِ ، السادةِ النُّجَباءِ الأعلامِ ، خُلاصةِ العالَمِ بعدَ الأنبياءِ ، ما اخْتلَط الظلامُ بالضِّياءِ ، وأعْلَنَ الدَّاعِى بالنِّداءِ ، وما نسَخ[2] النهارُ ظلامَ الليلِ البَهيمِ .

أمَّا بعدُ ؛ فهذا كتابٌ أذكُرُ فيه – بعَوْنِ اللهِ وحُسْنِ توفيقِه – ما يسَّره اللهُ تعالى بحَوْلِه وقُوَّتِه ، مِن ذِكْرِ مَبْدأ المخلوقاتِ ؛ مِن خلقِ العَرْشِ ، والكُرْسِىِّ ، والسَّمٰواتِ ، والأَرَضِينَ ، وما فيهنَّ ، وما بينَهنَّ ، من الملائكةِ والجانِّ والشياطينِ ، وكيفيَّةِ خَلْقِ آدمَ ، عليه السلامُ ، وقَصَصِ النبيِّين ، وما جرَى مَجْرَى ذلك إلى أيَّامِ بنى إسرائيلَ ، وأيامِ الجاهليَّةِ ، حتى تنتهىَ النُّبُوَّةُ إلى أيامِ نبيِّنا محمدٍ ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ، فنذكرُ سِيرتَه كما ينبغِى ، فنَشفِى الصدورَ والغليلَ ، ونُزيحُ الدَّاءَ عن العليلِ . ثم نذكرُ ما بعدَ ذلك إلى زمانِنا ، ونذكرُ الفِتَنَ والْمَلاحِمَ ، وأشْراطَ السَّاعةِ ، ثم البعثَ والنُّشُورَ وأهوالَ القيامةِ ، ثم صِفَةَ ذلك ، وما فى ذلك اليومِ ، وما يقعُ فيه مِن الأُمورِ الهائِلةِ ، ثم صفةَ النارِ ، ثم صفةَ الجِنانِ ، وما فيها من الخَيْراتِ الحِسانِ ، وغيرَ ذلك ، وما يتعلَّقُ به ، وما ورَد فى ذلك من الكتابِ والسُّنَّةِ والآثارِ والأخبارِ المنقولةِ المقبولةِ [٢/١ ظ] عندَ العلماءِ ووَرثَةِ الأنبياءِ ، الآخِذينَ مِن مِشْكاةِ النُّبُوَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ المحمديَّةِ ، على مَن جاءَ بها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ .

---

(١) الرواء : الماء العذب ، والكثير المروى .

(٢) فى ا : « سلخ » .

ولسْنا نذكُرُ مِن الإسْرائيليَّاتِ إلَّا ما أذِن الشارعُ فى نَقْلِه ، مما لا يخالِفُ كتابَ اللهِ وسُنَّةَ رسولِه ﷺ ، وهو القِسمُ الذى لا يُصدَّقُ ولا يُكذَّب ، مِمَّا فيه بَسْطٌ لمُخْتَصَرٍ عندَنا ، أو تسميةٌ لمُبْهَمٍ ورَد به شرعُنا ، ممَّا لا فائدةَ فى تعْيينِه لنا ، فنذكُرُه على سبيلِ التَّحَلِّى به ، لا على سبيلِ الاحْتياجِ إليه والاعْتمادِ عليه . وإنَّما الاعتمادُ والاسْتِنادُ على كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ما صحَّ نَقْلُه أو حَسُنَ ، وما كان فيه ضَعْفٌ نُبَيِّنُه ، وباللهِ المُسْتعانُ ، وعليه التُّكْلانُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العزيزِ الحكيمِ ، العلىِّ العظيمِ ، فقد قال اللهُ تَعَالى فى كتابِهِ : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه : ٩٩] . وقد قَصَّ اللهُ على نَبِيِّه ﷺ خبرَ ما مضَى مِن خَلْقِ المخلوقاتِ ، وذكْرِ الأُمَمِ الماضِينَ ، وكيف فعَل بأوليائِه ، وماذا أحَلَّ بأعدائِه ، وبيَّن ذلك رسولُ اللهِ ﷺ لأُمَّتِه بَيانًا شافِيًا ، كما[1] سنُوردُ عندَ كلِّ فصلٍ ما وصلَ إلينا عنه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه من ذلك تِلْوَ الآياتِ الوارِداتِ فى ذلك ، فأخبَرنا بما نحتاجُ إليه مِن ذلك ، وترَك ما لا فائدةَ فيه ممَّا قد يَتَزاحَمُ على عِلْمِه ويتَراجَمُ فى فَهْمِه طوائفُ مِن علماءِ أهلِ الكتابِ ، ممَّا لا فائدةَ فيه لكثيرٍ من الناسِ ، وقد يستوعبُ نقْلَه طائفةٌ من علمائِنا أيضًا[2] ، ولسنا نَحْذُو حَذْوَهم ، ولا نَنْحُو نحوَهم ، ولا نذكرُ منها إلَّا القليلَ على سبيلِ الاختِصارِ ، ونُبَيِّنُ ما فيهِ حَقٌّ منها[3] يوافقُ ما عندَنا ، وما خالفَه يقعُ فيه الإنكارُ .

فأمَّا الحديثُ الذى رَواه البُخارِىُّ رحِمَه اللهُ فى « صَحِيحِه » ، عن [4]عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ[4] ، رَضِىَ اللهُ عنه ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال :

---

(١) سقط من : ح ، م .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) سقط من : م ، وفى الأصل : « فيها » .

(٤ - ٤) فى النسخ : « عمرو بن العاصِ » . والحديث عن عبد الله بن عمرو وليس عن أبيه عمرو . =

« بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَحَدِّثُوا عَنِّى وَلَا تَكْذِبُوا عَلَىَّ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . فهو محمولٌ على الإِسْرائيليَّاتِ المَسْكوتِ عنها عندَنَا ، فليس عندَنا ما يُصدِّقُها ولا ما يُكذِّبُها ، فيجوزُ رِوايتُها للاعتبارِ ، وهذا هو الذى نستعملُه فى كتابِنا هذا ، [1]فأمَّا ما شَهِدَ له شَرْعُنا بالصِّدْقِ فلا حاجةَ بنا إليه ، استغْناءً بما عندَنا[1] ، وما شَهِدَ له شَرْعُنا منها بالبُطْلانِ ، فذاك مَرْدودٌ لا يجوزُ حكايتُه إلَّا على سبيلِ الإِنْكارِ والإِبْطالِ ، فإذا كان اللهُ سُبحانَه وله الحمدُ قد أغْنانَا برسولِه[2] محمدٍ ﷺ عن سائرِ الشَّرائعِ ، وبكتابِه عن سائرِ الكُتُبِ ، فلسْنا نترامَى على ما بأيْديهِم [٣/١ و] ممَّا قد وقَع فيه خَبْطٌ وخَلْطٌ ، وكَذِبٌ ووَضْعٌ ، وتحريفٌ وتبديلٌ ، وبعدَ ذلك كلِّه نَسْخٌ وتغْييرٌ . فالمُحْتاجُ إليه قد بَيَّنه لنا رسولُنا ، وشرَحَه وأوْضَحَه ، عَرَفَه مَن عَرَفَه ، وجَهِله مَن جَهِله ، كما قال علىُّ بنُ أبِى طالبٍ : كتابُ اللهِ فيه خَبَرُ ما قبلَكم ، ونَبَأُ ما بعدَكم ، وحُكْمُ ما بينَكم ، وهو الفَصْلُ ليس بالهَزْلِ ، مَن ترَكَه مِن جبَّارٍ قَصَمَه اللهُ ، ومن ابْتَغَى الهُدَى فى غيرِه أضَلَّه[3] اللهُ[4] . وقال أبو ذَرٍّ رَضِىَ اللهُ عنه : لقد تُوُفِّىَ رسولُ اللهِ ﷺ وما طائرٌ يطيرُ بجَناحَيْه إلَّا أذْكَرَنا منه عِلْمًا[5] . وقال البُخارِىُّ فى كتابِ بَدْءِ الخَلْقِ[6] : ورَوَى عيسى[7] بنُ موسى غُنْجَارُ ، عن رَقَبَةَ ، عن قيسِ بنِ

= انظر البخارى (٣٤٦١) . وقوله : « وحدثوا عنى ولا تكذبوا على » ليست فى البخارى بل هى فى المسند ٤٦/٣ ، من حديث أبى سعيد .

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) فى م ، ص : « برسولنا » .

(٣) فى ح : « أخبله » .

(٤) أخرجه مرفوعًا : الترمذى (٢٩٠٦) (ضعيف الترمذى ٥٥٤) . والإمام أحمد ٩١/١ (ضعيف) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد ١٥٣/٥ ، ١٦٢ ، والطبرانى ، ورجال الطبرانى ثقات . المجمع ٢٦٣/٨ ، ٢٦٤ .

(٦) البخارى (٣١٩٢) معلقًا .

(٧) فى الأصل ، ح ، م : « عن عيسى » .

مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شهابٍ ، قال : سمعتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ رضىَ اللهُ عنه يقولُ : قامَ فينا رسولُ اللهِ ﷺ مَقامًا ، فأخبرنا عن بَدْءِ الخَلقِ حتى دخَل أهلُ الجنةِ منازلَهم ، وأهلُ النارِ منازلَهم ، حفِظَ ذلك مَن حفِظَه ، ونَسِيَه مَن نَسِيَه . قال أبو مسعودٍ الدِّمَشْقِيُّ فى « أطرافِه » : هكذا قال البخاريُّ ، وإنما رواه عيسى غُنْجارُ عن أبى حَمْزَةَ ، عن رَقَبَةَ . وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ ، رحمَه اللهُ ، فى « مُسْنَدِهِ »[1]: حدَّثنا أبو عاصمٍ ، حدَّثنا عَزْرَةُ بنُ ثابتٍ ، حدَّثنا عِلْباءُ بنُ أحْمَرَ اليَشْكُرِيُّ ، حدثنا أبو زيدٍ الأنْصارِيُّ ، قال : صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصبحِ ثم صَعِدَ المِنْبَرَ ، فخطَبنا حتى حضَرتِ الظُّهْرُ ، ثم نزَل فصَلَّى الظهرَ ، ثم صَعِدَ المِنْبَرَ ، فخطَبنا حتى حَضرتِ العصرُ ، ثم نزَل فصلَّى العصرَ ، ثم صَعِدَ المِنْبَرَ فخطَبنا حتى غابتِ الشمسُ ، فحدَّثنا بما كان ، وبما هو كائِنٌ ، فأعلَمُنا أحْفَظُنا . انْفرد بإخْراجِه مسلمٌ ، فرواه فى كتابِ الفِتَنِ من « صحيحِه »[2] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ الدَّوْرَقِيِّ ، وحَجَّاجِ بنِ الشاعِرِ ، جميعًا عن أبى عاصمٍ الضَّحَّاكِ بنِ مَخْلَدٍ النَّبيلِ ، عن عَزْرَةَ ، عن عِلْبَاءَ ، عن أبى زيدٍ عمرِو بنِ أخْطَبَ بنِ رِفاعةَ الأنْصارِيِّ ، رَضِىَ اللهُ عنه ، عن النَّبِيِّ ﷺ بنَحْوِه .

[3]وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ وعفَّانُ ، قالا : حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، أخبرنا علىُّ بنُ زَيْدٍ ، [5]عن أبى نَضْرةَ[5] ، عن أبى سعيدٍ قال : خطَبَنا رسولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً بعدَ العصرِ إلى مُغَيْرِبانِ الشَّمسِ ،

---

(١) المسند ٥/٣٤١ .

(٢) مسلم (٢٨٩٢) .

(٣) من هنا إلى آخر الصفحة التالية ليس فى : م ، ص .

(٤) المسند ٣/١٩ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ح .

حَفِظَها مَنْ حَفِظَها ، ونَسِيَها من نَسِيَها – قال عفَّانُ : قال حمَّادٌ : وأكثرُ حِفْظِى أنه قال : بما هو كائنٌ إلى يومِ القِيامَةِ – فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيْه ثمَّ قال : « أمَّا بعدُ ، فإنَّ الدُّنْيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، أَلَا فاتَّقُوا الدُّنْيا واتَّقُوا النِّساءَ » . وذكَر تمامَ الخُطْبَةِ إلى أن قال : فلمَّا كان عِنْدَ مُغَيْرِبانِ الشَّمْسِ قال: « أَلَا إنَّ مِثْلَ مَا بَقِىَ مِنَ الدُّنْيا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مثلُ ما بَقِىَ مِن يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى [٣/١ ظ] مِنْهُ » . ثُمَّ قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن عَلِيِّ بنِ زَيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن أبِى نَضْرَةَ ، عن أبِى سَعيدٍ ، قال : صَلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ العَصْرِ ذَاتَ يَوْمٍ نَهارًا ، ثُمَّ قامَ فخَطَبَنا إلى أنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، فلم يدَعْ شَيْئًا ممَّا يَكونُ إلى يومِ القِيامَةِ إلَّا حَدَّثَناهُ ، حفِظَ ذلك مَنْ حَفِظَه ونَسِىَ ذلكَ مَنْ نَسِيَهُ ، فكانَ مِمَّا قال : « يَا أيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها فَنَاظِرٌ كيفَ تَعْمَلُونَ ، فاتَّقُوا الدُّنْيا وَاتَّقُوا النِّساءَ » وذكَر تَمامَهَا إلى أنْ قال : ثمَّ دَنَتِ الشَّمْسُ أنْ تَغْرُبَ ، فقال : « وإنَّ ما بَقِىَ مِنَ الدُّنْيَا فيما مَضَى منها[2] مِثْلُ ما بَقِىَ مِن يَوْمِكُمْ هذا فيما مَضَى مِنْه » . وهذا هو المَحْفُوظُ ، واللهُ أعلَمُ .

---

(١) المسند ٦١/٣ . ضعيف وبعض فقراته صحيحة (ضعيف الترمذى ٣٨٥) .

(٢) سقط من : ح . وفى الأصل : « منك » .

فَصْــلٌ

قال اللهُ تَعَالَى فى كتابِه العَزيزِ : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، فكلُّ ما سِواه تَعالى فهو مخلوقٌ له ، مَرْبوبٌ مُدَبَّرٌ ، مُكَوَّنٌ بعدَ أن لم يكنْ ، مُحْدَثٌ بعدَ عَدَمِه ، فالعرشُ الذى هو سقْفُ المخلوقاتِ إلى ما تحتَ الثَّرَى ، وما بين ذلك مِن جَمادٍ وناطِقٍ ، الجميعُ خَلْقُه ، ومِلْكُه وعَبيدُه ، وتحتَ قَهْرِه وقُدرتِه ، وتحتَ تَصْريفِه (١ومشيئَتِه١) ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] . وقد أجْمَعَ (٢علماءُ الإسلامِ٢) قاطِبةً – لا يَشُكُّ فى ذلكَ مسلمٌ – أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ وما بينَهما فى سِتَّةِ أيَّامٍ ، كما (٣دَلَّ عليه٣)القرآنُ الحكيمُ . واختلفُوا فى هذه الأيَّامِ ؛ أهِىَ كأيَّامِنا هذه ، أو كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ ممَّا تعُدُّون ؟ على قولَيْن ، كما بَيَّنَّا ذلك فى « التَّفسيرِ »(٤) ، وسنتعَرَّضُ لإيرادِه فى موضعِه .

واختلفُوا هل كان قبلَ خَلْقِ السَّمٰواتِ والأرضِ شىءٌ مخلوقٌ قبلَهما ؟ فذهب طَوائفُ مِن المتكلِّمين إلى أنه لم يكُنْ قبلَهما شىءٌ ، وأنهما خُلِقَتا من العَدَمِ الْمَحْضِ . وقال آخرون : بلْ كان قبلَ السمٰواتِ والأرضِ مخلوقاتٌ أُخَرُ ؛ لقولِه تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

(١ – ١) فى ح : « وخشيته » .

(٢ – ٢) فى م : « العلماء » .

(٣ – ٣) فى ا : « نطق بذلك » .

(٤) التفسير ٣/٤٢٢ .

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ الآية [هود : ٧] . وفى حديثِ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، كما سيأتى : « كَانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وكَتَبَ فِى الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَق السَّمٰواتِ والْأَرْضَ »[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا بَهْزٌ ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، أنبأنا يَعْلَى[3] بنُ عَطَاءٍ ، عن وَكِيعِ بنِ حُدُسٍ ، عن عمِّه أبى رَزِينٍ لَقِيطِ بنِ عامرٍ العُقَيْلِىِّ ، أنه قال : يا رسولَ اللهِ ، أين كان ربُّنا قبلَ أن يخْلُقَ السَّمٰواتِ والأرضَ ؟ قال : « كَانَ فِى عَمَاءٍ ، مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، ومَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ » ورَواهُ عن يَزِيدَ بنِ [٤/١ و] هَارونَ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ به ، ولفظُه : أَينَ كانَ ربُّنا قَبْلَ أن يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ وباقِيه سواءٌ . وأخْرَجه التِّرْمِذِىُّ عن أحمدَ بنِ مَنِيعٍ ، وابنُ ماجَهَ عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، ومحمدِ بنِ الصَّباحِ ، ثلاثتُهم عن يزيدَ بنِ هارونَ ، وقال التِّرْمِذِىُّ : حَسَنٌ[4] .

واخْتلَف هؤلاءِ فى أيِّها خَلَقَ أوَّلًا ؟ فقالَ قائلون : خلَق القلمَ قبلَ هذه الأشياءِ كلِّها . وهذا هو اخْتيارُ ابنِ جَرِيرٍ[5] ، وابنِ الْجَوْزِىِّ[6] ، وغيرِهما . قال ابنُ جَرِيرٍ[7] : وبعدَ القلمِ السَّحابَ الرَّقِيقَ . [8]وبعدَه العَرْشُ[8] واحتجُّوا بالحديثِ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ ، وأبو داودَ ، والتِّرْمِذِىُّ ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ ، رَضِىَ اللهُ عنه ،

---

(١) البخارى (٣١٩١) مطولًا ، وفيه : « شىء غيره » بدلًا من « قبله شىء » . و(٧٤١٨) ويأتى بتمامه فى صفحة ١٣ .

(٢) المسند ١٢/٤ .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « أبو يعلى » .

(٤) أخرجه الترمذى (٣١٠٩) . وابن ماجه (١٨٢) . (ضعيف الترمذى ٦٠٢) .

(٥) تاريخ الطبرى ٣٤/١ .

(٦) المنتظم ١٢٠/١ ، ١٢١ .

(٧) تاريخ الطبرى ٣٧/١ .

(٨ - ٨) سقط من : م .

قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ . فَجَرَى فِى تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[1] لفظُ أحمدَ . وقال التِّرْمذِىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ غَرِيبٌ . والذى عليه الجُمهورُ - فيما نقَلَه الحافظُ أبو العلاءِ الهَمَذانِىُّ وغيرُه - أنَّ العرشَ مخلوقٌ قبلَ ذلك . وهذا هو الذى رواه ابنُ جَرِيرٍ[2] ، مِن طريقِ الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ . كما دلَّ على ذلك الحديثُ الذى رَواهُ مسلمٌ فى « صَحيحِه »[3] ، حيثُ قال : حدَّثنى أبو الطَّاهِرِ أحمدُ بنُ عَمْرِو بنِ السَّرْحِ ، حدثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرنى أبو هانئٍ الْخَوْلانِىُّ ، عن أبى عبدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِىِّ[4] ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » ، قال : « وعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » . قالوا : فهذا التَّقديرُ هو كِتَابتُه بالقلمِ الْمَقادِيرَ . وقد دلَّ هذا الحديثُ أنَّ ذلك بعدَ خَلْقِ العرشِ ، فثبَت (٥تَقَدُّمُ خَلقِ٥) العرشِ علَى القلمِ الذى كتَبَ به المقاديرَ ، كما ذهَب إلى ذلك الجماهيرُ . ويُحْمَلُ حديثُ القلمِ على أنَّه أوَّلُ المخلوقاتِ مِن هذا العالَمِ ، ويُؤَيِّدُ هذا ما رَواهُ البُخارِىُّ عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : قال أهلُ اليمَنِ لرسولِ اللهِ ﷺ : جئناك لنتَفَقَّه فى الدِّينِ ، ولنسألَك عن أوَّلِ هذا الأمرِ . فقال : « كَانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شَىْءٌ قَبْلَهُ - وفى روايةٍ : مَعَهُ . وفى روايةٍ : غَيْرُه - وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وكَتَبَ فِى الذِّكْرِ كُلَّ شَىْءٍ ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣١٧/٥ . وأبو داود (٤٧٠٠) . والترمذى (٢١٥٥) وقال : غريب . و(٣٣١٩) وقال : حسن غريب . وقال المزى فى الأطراف ٢٦١/٤ : حسن صحيح غريب . وصححه الشيخ شعيب (شرح العقيدة الطحاوية حاشية صفحة ٣٤٤) .

(٢) تاريخ الطبرى ٣٩/١ .

(٣) مسلم (٢٦٥٣) .

(٤) فى ح ، م : « الجيلى » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « تقديم » .

وخَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ » . وفى لفظٍ : « ثُمَّ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ »[1] . فسألُوه[2] عن ابْتداءِ خَلْقِ السَّمٰواتِ والأرضِ ، ولهذا قالوا : جئْناك نسألُك عن أوَّلِ هذا الأمرِ . فأجابَهم عمَّا سألوا فقط ، ولهذا لم يُخْبِرْهم بخَلْقِ العرشِ ، كما أخْبَر به فى حديثِ أبى رَزِينٍ المتقدِّمِ .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وقال آخرونَ : بل خَلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ الماءَ قبلَ العَرْشِ . رَواهُ السُّدِّىُّ ، عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، [١/٤ ظ] عن ابنِ عبَّاسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، قالوا : « إنَّ اللهَ كان عرشُه على الماءِ ، ولم يخْلُقْ شيئًا غيرَ ما خلَق قبلَ الماءِ » . وحكَى ابنُ جَرِيرٍ[4] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، أنه قال : أوَّلُ ما خلَق اللهُ عزَّ وجلَّ النُّورُ والظُّلْمةُ ، ثم ميَّز بينَهما ، فجعل الظلمةَ ليلًا أسودَ مُظْلِمًا ، وجَعل النُّورَ نهارًا مُضِيئًا مُبْصِرًا . قال ابنُ جَرِيرٍ[5] : وقد قيل : إنَّ الذى خلَق ربُّنا بعدَ القَلَمِ الكرسىُّ ، ثم خلَق بعدَ الكرسىِّ العَرْشَ ، ثم خلَق بعدَ ذلك الهواءَ والظُّلْمةَ ، ثم خلَق الماءَ ، [6]فوضَع عَرْشَه علَى الماءِ[6] . واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

---

(١) البخارى (٣١٩١) ، بلفظ : « غيره » . و(٧٤١٨) ، بلفظ : « قبله » . ولفظ : « معه » عند غير البخارى . انظر : فتح البارى ٢٨٩/٦ .

(٢) فى ح : « قالوه » .

(٣) تاريخ الطبرى ٣٩/١ .

(٤) تاريخ الطبرى ٣٤/١ .

(٥) تاريخ الطبرى ٣٩/١ .

(٦ - ٦) سقط من : ح .

فَصْلٌ
فيما ورَد فى صِفَةِ خَلْقِ العرشِ والكُرْسِىّ

قال اللهُ تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر : ١٥] . وقال تعالى : ﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٦] . وقال اللهُ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل : ٢٦] . وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [البروج : ١٤ ، ١٥] . وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] . وقال : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . فى غيرِ ما آيةٍ من القرآنِ ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] . وقال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] . وقال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] . وفى الدعاءِ المروىِّ فى « الصحيحِ »[1] فى دعاءِ الكَرْبِ : « لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ ورَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ » . وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، حدَّثنا يحيىٰ بنُ العَلَاءِ ، عن عمِّه شُعَيبِ بنِ

---

(١) البخارى (٦٣٤٥ ، ٦٣٤٦ ، ٧٤٢٦ ، ٧٤٣١) بألفاظ متقاربة .

(٢) مسند أحمد ٢٠٦/١ . (ضعيف جدا) .

خالِدٍ ، حدَّثَنِى سِمَاكُ بنُ حَرْبٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَيْرَةَ[1] ، عن عباسِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ ، قال : كنَّا جُلوسًا مع رسولِ اللهِ ﷺ بالبَطْحاءِ ، فمرَّتْ سحابةٌ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « أتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ » قال : قُلْنا : السَّحابُ . قال : « وَالْمُزْنُ » . قال : قُلْنا : والمُزْنُ . قال : « والْعَنَانُ » . قال : فسَكَتْنا . فقال : « هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ » قال : قُلْنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وكِثَفُ[2] كُلِّ سماءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، [3]ثُمَّ فَوْقَ ذلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ ، بَيْنَ رُكَبِهِنَّ وأَظْلَافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ [4]فوقَ [١/٥ و] ذلكَ[4] الْعَرْشُ ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ[3] ، واللهُ فَوْقَ ذٰلِكَ ، ولَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِى آدَمَ شَيْءٌ » . هذا لفظُ الإمامِ أحمدَ ، ورَواهُ أبو داودَ ، وابنُ ماجه ، والتِّرْمِذِىُّ ، مِن حديثِ سِمَاكٍ بإسْنادِه نحوَه[5] ، وقال التِّرْمِذِىُّ : هذا حديثٌ حَسَنٌ ، ورَوَى شَرِيكٌ بعضَ هذا الحديثِ عن سِمَاكٍ ووقَفَه[6] . ولفظُ أبى داودَ :

---

(١) بعده فى النسخ : « الأحنف بن قيس » ، وليست فى المسند ، ولعله الصواب . فقد أورده المصنف فى جامع المسانيد ٢٠٢/٧ . وليس فيه (الأحنف بن قيس) ، وأخرجه أبو يعلى فى مسنده ٧٥/١٢ من طريق عبد الرزاق أيضًا وليس فيه (الأحنف) . ومن نفس الطريق الحاكم فى المستدرك ٣٧٨/٢ ، ٤١٢ ، وابن الجوزى فى العلل ٨/١ . ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش (١٠) .

(٢) فى م : « كشف » ، وفى المسند : « كيف » . والمثبت موافق لما فى كتاب صفة العرش (١٠) .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤ - ٤) فى م : « على ظهورهم » .

(٥) أبو داود (٤٧٢٣) . والترمذى (٣٣٢٠) . وابن ماجه (١٩٣) . وانظر (ضعيف الترمذى ٦٥٤) .

(٦) فى ا : « ورفعه » .

« وهَلْ تَدْرُونَ بُعْدَ[1] مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ ؟ » قالوا : لا نَدْرِى . قال : « بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا إمَّا وَاحِدَةٌ أو اثْنَتَانِ أو ثَلاثَةٌ وسَبْعُونَ سَنَةً » . والباقى نحوُه . وقال أبو داودَ : حدثنا عبدُ الأعْلَى بنُ حمَّادٍ ، ومحمدُ بنُ الْمُثَنَّى ، ومحمدُ بنُ بَشَّارٍ ، وأحمدُ بنُ سعيدٍ الرِّبَاطِىُّ ، قالوا : حدَّثنا وَهْبُ بنُ جَرِيرٍ – قال[2] أحمدُ : كتبْناهُ مِن نُسْخَتِه ، وهذا لفظُه – قال : حدَّثنا أبى ، قال : سمعتُ محمَّدَ بنَ إسحاقَ يُحدِّثُ ، عن يعقوبَ بنِ عُتْبَةَ ، عن جُبَيرِ بنِ محمَّدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : أَتى رسولَ اللهِ ﷺ أعْرابِىٌّ ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، جُهِدَتِ الأنْفُسُ ، وجاعَتِ العِيالُ ، ونُهِكَتِ الأمْوالُ ، [3]وهَلَكَتِ الأنْعامُ[3] ، فاسْتَسْقِ اللهَ لنا ، فإنَّا نسْتَشْفِعُ بك علَى[4] اللهِ ، ونسْتَشْفِعُ باللهِ عليك . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « وَيْحَكَ ، أَتَدْرِى مَا تَقُولُ ؟ » وسبَّح رسولُ اللهِ ﷺ ، فما زال يُسبِّحُ حتى عُرِف ذلك فى وُجوهِ أصحابِه ، ثم قال : « وَيْحَكَ ، إنَّهُ لاَ يُسْتَشْفَعُ باللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَيْحَكَ ، أَتَدْرِى مَا اللهُ ؟ إنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمٰوَاتِهِ لهٰكذَا – وقال بأصابعِه مثلَ القُبَّةِ عليه – وإنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ » . قال ابنُ بَشَّارٍ[5] فى حديثِه : « إنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ ، وعَرْشُهُ فوقَ[6] سَمٰوَاتِهِ » . وساق الحديثَ . وقال عبدُ الأعْلَى ، وابنُ الْمُثَنَّى ، وابنُ بَشَّارٍ ، عن يعقوبَ بنِ عُتْبَةَ ، وجُبَيْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) عند أبى داود : « ما بعد » ، وفى ا : « كم بعد » .

(٢) بعده فى ح : « له » .

(٣ – ٣) سقط من : ح .

(٤) فى ص : « إلى » .

(٥) فى ص : « يسار » .

(٦) فى الأصل ، ا : « على » .

جَدِّه . والحديثُ بإسْنادِ أحمدَ بنِ سَعيدٍ ، [1]هو الصَّحيحُ ، وافقَه عليه جماعةٌ ؛ منهم يحيى بنُ مَعِينٍ ، وعلىُّ بنُ الْمَدِينِىِّ ، ورَواهُ جماعةٌ منهم عن ابنِ إسحاقَ ، كما قال أحمدُ[1] أيضًا . وكان سَماعُ عبدِ الأعْلَى وابنِ المُثَنَّى وابنِ بَشّارٍ من[2] نسخةٍ واحدةٍ فيما بلَغنِى . تفرَّد بإخْراجِها أبو داودَ[3] . وقد صنَّف الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عَساكِرَ الدِّمَشْقِىُّ جزءًا فى الرَّدِّ على هذا الحديثِ ، سَمَّاه بـ « بَيانِ الوَهْمِ والتَّخْلِيطِ الواقعِ فى حديثِ الأطِيطِ » ، واسْتَفْرَغ وُسْعَه فى الطَّعْنِ على محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[4] رَاوِيه ، وذكَر كلامَ الناسِ فيه ، ولكنْ قد رُوِىَ هذا اللفظُ مِن طريقٍ[5] أخرى ، عن غيرِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، فرَواهُ عبدُ بنُ حُمَيْدٍ وابنُ جَرِيرٍ فى « تَفْسيرَيْهِما » ، وابنُ أبى عاصِمٍ والطَّبَرانِىُّ فى كتابَىِ « السنةِ » لهما ، والبَزَّارُ فى « مُسْنَدِه » ، والحافظُ الضِّياءُ المَقْدِسِىُّ فى « مختارتِه » ، من طريقِ أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ ، عن [١/٥ ظ] عبدِ اللهِ بنِ خَلِيفةَ ، عن عمرَ بنِ الخطَّابِ ، رَضِىَ اللهُ عنه ، قال : أتَتِ امرأةٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالتْ : ادْعُ اللهَ أن يُدْخلَنِى الجنةَ . قال : فعَظَّم الرَّبَّ تبارك وتعالى ، وقال : « إنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وإنَّ لَهُ أَطِيطًا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الجَدِيدِ مِنْ ثِقَلِهِ »[6] . عبدُ اللهِ بنُ خَليفةَ هذا ليس بذاك المشهورِ ، وفى سَماعِه مِن عمرَ نَظَرٌ ، ثُم منهم مَن يَرْوِيه موقوفًا ومُرْسَلاً ، ومنهم مَن يَزِيدُ فيه زيادةً غريبةً ، واللهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح ، ا .

(٢) فى م : « فى » .

(٣) أبو داود (٤٧٢٦) (ضعيف أبى داود ١٠١٧) .

(٤) فى م : « بشار » .

(٥) فى ا : « طرق » .

(٦) تفسير الطبرى ١٠/٣ ، ١١ ، الدر المنثور ٣٢٨/١ ، وعزاه لعبد بن حميد وللضياء المقدسى ، =

وثبَت فى « صحيحِ البُخارىِّ »[1] عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « إذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوه الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وأَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ » . يُرْوَى : « وفَوْقَهُ » بالفتحِ على الظَّرفيةِ ، وبالضَّمِّ ، قال شيخُنا الحافظُ المِزِّىُّ : وهو أحسنُ ، أى : وأعْلاها عرشُ الرحمنِ . وقد جاء فى بعضِ الآثارِ ، أنَّ أهلَ الفِرْدَوْسِ يسمعونَ أطِيطَ العَرْشِ ، وهو تسبيحُه وتعظيمُه . وما ذاك إلَّا لقُرْبِهم منه . وفى « الصَّحيحِ »[2] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لَقَدِ اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » . وذكَر الحافظُ ابنُ الحافظِ ، محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، فى كتابِ « صِفةِ العرشِ » عن بعضِ السَّلَف ، أنَّ العرشَ مخلوقٌ مِن ياقُوتَةٍ حمراءَ[3] ، بُعْدُ ما بين قُطْرَيْه مَسِيرةُ خمسين ألفَ سنةٍ[4] . وذكرْنا عندَ قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] . أنَّه بُعْدُ ما بين العَرشِ إلى الأرضِ السَّابعةِ مَسِيرةُ خمسينَ ألفَ سنةٍ ، وأنَّ اتِّساعَه خمسونَ ألفَ سنةٍ[5] . وقد ذهب طائفةٌ مِن أهلِ الكلامِ إلى أنَّ العرشَ فَلَكٌ مُسْتديرٌ مِن جميعِ جَوانبِه ، مُحِيطٌ بالعالَمِ مِن كلِّ جهةٍ ، ورُبَّما[6] سَمَّوْهُ الْفَلَكَ التاسعَ[7] والفَلَكَ الأطْلَسَ والأثِيرَ . وهذا ليس بجيِّدٍ ؛ لأنَّه قد ثبَت فى الشرعِ

= كشف الأستار (٣٩) ، وقال الهيثمى : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١/٨٣ ، ٨٤ . وضعفه الألبانى (السنة لابن أبى عاصم ٥٧٤) . وانظر السلسلة الضعيفة (٨٦٦) .

(١) البخارى (٢٧٩٠ ، ٧٤٢٣) مطولًا .

(٢) البخارى (٣٨٠٣) ، مسلم (٢٤٦٦) .

(٣) صفة العرش (٧٣) . ولفظه : عن إسماعيل ابن أبى خالد قال : أخبرت أن العرش ياقوتة حمراء .

(٤) صفة العرش (٧٩) . ولفظه : عن وهب بن منبه قال : العرش مسيرة خمسين ألف سنة .

(٥) التفسير ٨/٢٤٨ .

(٦) فى م ، ص : « ولذا » .

(٧) فى ا : « اليافع » .

أنَّ له قوائمَ تحمِلُه المَلائكَةُ ، والفَلَكُ لا يكونُ له قوائمُ ، ولا يُحْمَلُ ، وأيضًا فإنَّه فوقَ الجنَّةِ ، والجنةُ فوقَ السمٰواتِ ، وفيها مائةُ درجةٍ ، ما بين كلِّ درجتَيْنِ كما بينَ السَّماءِ والأَرْضِ ، فالبُعْدُ الذى بينَه وبينَ الكُرْسِىِّ ليس هو نِسْبةَ فَلَكٍ إلى فَلَكٍ ، وأيضًا فإنَّ العرشَ فى اللغةِ عِبَارةٌ عن السَّرِيرِ الذى للمَلِكِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل : ٢٣] . وليس هو فَلَكًا ، ولا تَفْهَمُ منه العربُ ذلك ، والقرآنُ إنَّما نزَل بلُغَةِ العَرَبِ ، فهو سَرِيرٌ ذو قوائمَ تحملُه الملائكةُ ، وهو كالقُبَّةِ على العالَمِ ، وهو سَقْفُ المخلوقاتِ . قال تعالى[1] : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر : ٧] . وقد تَقدَّم فى حديثِ الأَوْعالِ أنهم ثمانيةٌ ، وفوقَ ظهورِهنَّ العرشُ ، وقال تعالى[2] : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] . وقال شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ[3] : حَمَلةُ العرشِ ثمانيةٌ ؛ أربعةٌ منهم يقولون : سُبْحانَك اللّهمَّ وبحمدِك ، لك الحمدُ على حِلْمِك بعد [٦/١ و] عِلْمِك . وأربعةٌ يقولون : سُبْحانَك اللهُمَّ وبحمدِك ، لك الحمدُ على عَفْوِك بعد قُدْرتِك . فأما الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ ، هو أبو بَكْرٍ ابنُ أبى شَيْبةَ[5] ، ثنا عبدةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يعقوبَ بنِ عُتْبَةَ[6] ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صدَّق أُمَيَّةَ بنَ أبى الصَّلْتِ فى شىءٍ من

---

(١) التفسير ١٢٠/٧ ، ١٢١ .

(٢) التفسير ٢٣٩/٨ .

(٣) صفة العرش (٦٣) .

(٤) مسند أحمد ٢٥٦/١ (صحيح) .

(٥) سقط من : ح .

(٦) فى م : « عقبة » .

شِعْرِه ، فقال[1] :

رجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجلِ يَمِينِه والنَّسْرُ للأُخرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[2]

فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « صدَق » . فقال :

والشَّمْسُ تَطْلُعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ حمراءَ [3] يُصْبِحُ لونُها يَتَوَرَّدُ[3]

[4]ليستْ بطالِعةٍ لهم[4] فى رِسْلِها إلا معذَّبةً وإلا تُجْلَدُ

فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « صَدَق » . فإنَّه حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ، رجالُه ثِقاتٌ . وهو يقتضى أنَّ حَملَةَ العَرْشِ اليومَ أربعةٌ ، فيُعارِضُه حديثُ الأوْعَالِ ، اللهم إلَّا أن يُقالَ : إنَّ إثْباتَ هؤلاءِ[5] الأربعةِ على هذه الصفاتِ لا ينْفِى ما عداهم . واللهُ أعلمُ .

ومن شِعْرِ أُمَيَّةَ ابنِ أبى الصَّلْتِ فى الْعرشِ قولُه[6] :

مَجِّدُوا اللهَ فَهُو للمجدِ أهلٌ رَبُّنا فِى السماءِ أمسَى كبيرَا

بالبناءِ العالِى الذى بَهَر النا سَ وسَوَّى فوقَ السماءِ سَريرَا

شَرْجَعًا لا ينالُه بَصَرُ العيـ ـنِ ترى حولَه الملائكَ صُورَا

---

(١) ديوان أمية ص ٢٩ .

(٢) فى ح : « يرصد » .

(٣ - ٣) فى م : « مطلع لونها متورد » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « تأتى كما تطلع لها » . وفى ح : « تأبى لما تطلع لما » . وفى ا : « تأبى فما تطلع لنا » . وفى م ، ص : « تأبى فلا تبدو لنا » .

(٥) فى ح : « هذه » .

(٦) ديوان أمية ص ٤٣ .

(١صُورٌ : جمعُ أصْوَرَ ، وهو المائلُ العُنقِ ؛ لنظرِه إلى العُلُوِّ . والشَّرْجَعُ : هو العالى المُنِيفُ . والسَّريرُ : هو العرشُ فى اللغةِ . ومن شعرِ عبدِ اللهِ بنِ رَواحةَ ، رضِى اللهُ عنه ، الذى عرَّض به عنِ القراءةِ لِامْرأتِه حين اتَّهَمَتْه بجارِيتِه :

شَهِدتُ بأنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ ... وأنَّ النارَ مَثْوَى الكافرينَا
وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ ... وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا
وتَحْمِلُه ملائكةٌ كرامٌ ... ملائكةُ الإلهِ مسوَّمينَا(٢)(١

ذكَره ابنُ عبدِ البرِّ ، وغيرُ واحدٍ من الأئمةِ(٣) . وقال أبو داودَ(٤) : ثنا أحمدُ بنُ حَفْصِ بنِ عبدِ اللهِ ، حدَّثنى أبى ، ثنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن موسى بنِ عُقْبةَ ، عن محمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « أُذِنَ لِى أنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، أنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلَى عاتقِه مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ » . (٥ورَواه ابنُ أبى حاتمٍ(٦) ، [٦/١ ظ] ولفظُه : « مَخْفِقُ(٧) الطيرِ(٨) سَبْعِمِائَةِ عَامٍ »٥) .

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) فى تاريخ دمشق ، والسير : « مقربينا » .
(٣) الاستيعاب ٩٠٠/٣ ، ٩٠١ ، تاريخ دمشق ١١٢/٢٨ ، ١١٣ . سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١ .
(٤) أبو داود (٤٧٢٧) (صحيح أبى داود ٣٩٥٣) .
(٥ - ٥) سقط من : ا .
(٦) فى م : « عاصم » .
(٧) فى م : « محقق » .
(٨) بعده فى م ، ص : « مسيرة » .

وأمّا الكرسيُّ: فروَى ابنُ جَرِيرٍ[1] ، من طريقِ جُوَيْبِرٍ - وهو ضعيفٌ - عن الحَسنِ البَصْرِيِّ ، أنه كان يقولُ : الكرسيُّ هو العرشُ . وهذا لا يصحُّ عن الحَسنِ ، بل الصحيحُ عنه وعن غيرِه من الصحابةِ والتابعين ، [2]أنَّ الكرسيَّ غيرُ العَرشِ[2] . وعن ابنِ عباسٍ ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أنَّهما قالا ، فى قولِه تعالى[3] : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] : أى عِلْمُه[4] . والمحفوظُ عن ابنِ عباسٍ ، كما رواه الحاكِمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[5] - وقال : إنَّه على شَرْطِ الشيخَيْن ولم يُخَرِّجاه - مِن طريقِ سفيانَ الثَّوْرِيِّ ، عن عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ[6] ، عن مسلمٍ البطينِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال[7] : « الكُرْسِيُّ موضِعُ القَدَمَيْنِ ، والعرشُ لا يَقْدُرُ قَدْرَه إلَّا اللهُ عزَّ وجَلَّ » . وقد رَواه شُجاعُ بنُ مَخْلَدٍ الفَلَّاسُ[8] ، فى « تفسيرِه » ، عن أبى عاصمٍ النَّبِيلِ ، عن الثَّوْرِيِّ . فجعلَه مرفوعًا ، والصَّوابُ أنَّه مَوْقوفٌ علَى ابنِ عباسٍ . وحكاه ابنُ جَرِيرٍ[9] ، عن أبى موسى الأشْعَرِيِّ ، والضَّحَّاكِ بنِ مُزاحِمٍ ، وإسماعيلَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ السُّدِّيِّ الكبيرِ ، ومسلمٍ البطَينِ ، وقال السُّدِّيُّ ، عن أبى مالكٍ : الكُرْسِيُّ تَحْتَ العَرْشِ . وقال السُّدِّيُّ : السَّمواتُ والأرضُ فى جوفِ الكرسيِّ ، والكرسيُّ بين يَدَيِ

---

(١) فى تفسيره ٣/١٠ .

(٢ - ٢) كذا فى ا . وفى بقية النسخ : « أنه غيره » .

(٣) التفسير ١/٤٥٧ .

(٤) تفسير الطبرى ٣/٩ ، ١١ ورجحه . والقرطبى ٣/٢٧٦ .

(٥) المستدرك ٢/٢٨٢ (السلسلة الضعيفة ٩٠٦) .

(٦) فى ح : « المدينى » .

(٧) سقط من : ح .

(٨) فى ح : « الدلاس » .

(٩) فى تفسيره ٣/١٠ .

العرشِ[1] . ورَوى ابنُ جَريرٍ ، وابنُ أبى حاتمٍ ، من طريقِ الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال : لو أنَّ السَّمـٰواتِ السبعَ والأرَضِينَ السبعَ بُسِطْنَ ، ثم وُصِلْنَ بعضُهنَّ إلى بعضٍ ، ما كُنَّ فى سَعَةِ الكرسىِّ إلَّا بمَنْزِلةِ الحَلْقَةِ فى المَفَازَةِ[2] . وقال ابنُ جَرِيرٍ[3] : حدثنى يونُسُ ، حدثنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : حدثنى أبى ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَا السَّمـٰوَاتُ السَّبْعُ فِى الْكُرْسِىِّ إلَّا كَدَراهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فى تُرْسٍ » . قال : وقال أبو ذَرٍّ : سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « ما الكُرْسِىُّ فى العَرْشِ إلَّا كحَلْقَةٍ من حديدٍ أُلْقِيَتْ بين ظَهْرَىْ فَلَاةٍ من الأرضِ » . أولُ الحديثِ مُرْسَلٌ . وعن أبى ذَرٍّ مُنْقَطِعٌ . وقد رُوِىَ عنه مِنْ طَرِيقٍ أُخْرى مَوْصُولًا ، فقال الحافظُ أبو بكرٍ ابنُ مَرْدَوَيْه فى « تفسيرِه »[4] : أخْبَرَنا سليمانُ بنُ أحمدَ الطَّبَرَانىُّ ، أنبأنا عبدُ اللهِ بنُ وُهَيبٍ[5] الغَزِّىُّ[6] ، أنا محمدُ بنُ أبى السَّرىِّ ، أنا محمدُ بنُ [7]عبدِ اللهِ[7] التمِيمىُّ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ الثَّقَفِىِّ ، عن أبى إدْرِيسَ الخَوْلانىِّ ، عن أبى ذَرٍّ الغِفَارىِّ ؛ أنه سَأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ عن الكُرْسىِّ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « والذِى نَفْسى بِيَدِهِ ما السَّمـٰواتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الكُرْسِىِّ إلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بأرضِ فَلاةٍ ، وإنَّ فَضْلَ العَرْشِ على الكُرْسِىِّ

---

(١) بعده عند الطبرى : « وهو موضع قدميه » ، وفى ا : « كالمرقاة إليه » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٨/١ لابن مردويه وابن أبى حاتم . ولم نجده عند الطبرى .

(٣) فى تفسيره ١٠/٣ . (ضعيف ، شرح العقيدة الطحاوية ٣٧٠/٢) .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٨/١ . وعزاه لابن مردويه . وأخرجه محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش (٧٧) . والبيهقى فى الأسماء والصفات ٤٠٥ . وهو ضعيف . انظر الإحسان (٣٦١) .

(٥) فى ص : « وهب » .

(٦) فى الأصل : « العزى » ، وفى ح : « العزبى » ، وفى م ، ص : « المغربى » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ح ، ا : « عبيد الله » .

كَفَضْلِ الفَلَاةِ على تِلْكَ الحَلْقَةِ » . وقال ابنُ جَرِيرٍ فى « تاريخِهِ »[1] : حدثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : حدثنا أبى ، عن سُفْيَانَ ، عن الأَعْمَشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عَمْرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : سُئِل ابنُ عباسٍ عن قولِه عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَكَانَ [١/٧ و] عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود : ٧] : على أىِّ شىءٍ كانَ الماءُ ؟ قال : على مَتْنِ الريحِ . قال[2] : والسَّمٰواتُ والأَرَضُونَ ، وكلُّ ما فِيهِنَّ مِنْ شىءٍ تُحيطُ بها البِحَارُ ، ويُحيطُ بذلك كُلِّه الهَيْكَلُ ويُحيطُ بالهَيْكَلِ - [3]فيما قيل[3] - الكرسِىُّ . ورَوَى عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ نحوَه[2] . وفَسَّرَ وهبٌ الهيكلَ فقال[2] : شىءٌ[4] من أطْرافِ السَّمٰواتِ مُحْدِقٌ[5] بالأَرَضِينَ والبِحارِ كأَطْنَابِ الفُسْطَاطِ .

وقد زعَمَ بعضُ من يَنْتَسِبُ إلى عِلْمِ الهَيْئَةِ أنَّ الكُرْسِىَّ عِبارَةٌ عن الفَلَكِ الثامِنِ الذى يُسَمُّونَه « فَلَكَ الكَواكِبِ الثَّوابِتِ » . وفيما زَعَموه نَظَرٌ ؛ لأنَّه قد ثَبَتَ أنّه أعْظَمُ من السَّمٰواتِ السَّبْعِ[6] بشىءٍ كَثيرٍ ، كما ورد به الحديثُ المتقدِّمُ ، أن نسبَتَها إليه كنِسْبَةِ حَلْقةٍ مُلْقَاةٍ بأرضِ فَلَاةٍ . وهذا ليس نسبةَ فَلَكٍ إلى فَلَكٍ . فإنْ قال قائِلُهم : نحن نعترِفُ بذلك ونُسَمِّيه مع ذلك فَلَكًا . فنقولُ : الكُرْسِىُّ ليس فى اللغةِ عِبَارةً عن الفلكِ ، وإنما هو ، كما قال غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ : [7]إنَّ الكرسىَّ[7] بين يَدَىِ العَرْشِ كالمِرْقَاةِ إليه . ومِثْلُ هذا لا يكُونُ فَلَكًا . [8]ومَن زَعَم منهم[8] أنَّ الكواكِبَ الثوابتَ مُرَصَّعةٌ فيه [9]فقد قال ما لا يعلمُ ، و[9] لا دَلِيلَ لَهُم عليه . هذا مَعَ اخْتِلَافِهِم فى ذلك أيضًا ؛ كَما هُو مُقَرَّرٌ فى كُتُبِهم ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٤٠ . وهو فى تفسيره ١٢/٤ ، ٥ .

(٢) تاريخ الطبرى ١/٤١ .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) فى ح ، ا ، ص : « هو » . والمثبت كما فى الموضع السابق من تاريخ الطبرى .

(٥) فى الأصل ، م : « يحدق » .

(٦) فى ا : « والأرض » .

(٧ - ٧)سقط من : ح ، م .

(٨ - ٨) فى ح : « وزعمهم » .

(٩ - ٩) سقط من : ح ، م ، ص .

فَصْلٌ
فى ذِكْرِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ

قال الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرانِىُّ[1] : حدثنا محمدُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، ثنا منجابُ بنُ الحَارِثِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ يُوسُفَ ، ثنا زِيَادُ بنُ عبدِ اللهِ ، عن لَيْثٍ ، عن عبدِ المَلِكِ بنِ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، [2]عن أبيه[2] ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ نبىَّ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا من دُرَّةٍ بَيْضَاءَ ، صَفَحَاتُها من ياقُوتَةٍ حَمْراءَ ، قَلمُه نورٌ ، وكتابُه نورٌ ، لِلهِ فِيهِ فى كُلِّ يَومٍ سِتُّونَ وثَلٰثُمائةِ لَحْظَةٍ[3] ، يَخْلُقُ ويرزُقُ ، ويُمِيتُ ويُحْيِى ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ ، ويَفْعَلُ ما يَشَاءُ » . وقال إسْحَاقُ بنُ بشرٍ[4] : أخبرنى مُقَاتِلٌ وابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : إنّ فى صَدْرِ اللَّوْحِ : لا إلهَ إلَّا اللهُ وحْدَه ، دينُه الإسلامُ ، ومحمدٌ عبدُه ورسولُه ، فَمَنْ آمَنَ باللهِ وصَدَّقَ بِوَعْدِهِ واتَّبَعَ رُسُلَه ، أَدْخَلَه الجَنَّةَ . قال : واللَّوْحُ لَوْحٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ ، طُولُهُ ما بينَ السَّمَاءِ والأرْضِ ، وعَرْضُهُ ما بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، وحافَّتاه الدُّرُّ والياقُوتُ ، ودَفَّتاهُ ياقُوتَةٌ حَمْرَاءُ ، وقلمُه نورٌ ، وكلامُهُ مَعْقُودٌ بالعَرْشِ ، وأصْلُه فى حِجْرِ مَلَكٍ . وقال أنسُ بنُ مَالكٍ ، وغَيْرُه مِنَ السلفِ : اللَّوْحُ المحفُوظُ فى جَبْهَةِ إسْرَافِيلَ[5] . وقال مُقَاتِلٌ[6] : هو عَنْ يَمِينِ العَرْشِ .

---

(١) المعجم الكبير (١٢٥١١) وقال محققه : فى إسناده زياد بن عبد الله البكائى وليث بن أبى سليم وهما ضعيفان . وقد روى من وجه آخر موقوفا عند الحاكم فى مستدركه (٤٧٤/٢) . وقال : صحيح . وتعقبه الذهبى بقوله : اسم أبى حمزة ثابت وهو واهٍ بمرة . انظر اللآلئ ٢٠/١ .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) فى ح : « نظرة » .

(٤) فى ا : « بشير » . ورواه البغوى فى تفسيره ٢٣٢/٧ . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٩٤/٨ .

(٥) أخرجه عن أنس الطبرى فى تفسيره ١٤٠/٣٠ . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٩٤/٨ . وذكره القرطبى فى تفسيره ٢٩٨/١٩ عن أنس ومجاهد .

(٦) ذكره ابن كثير والقرطبى فى الموضع السابق .

بَابُ ما ورَدَ فى خَلْقِ السماواتِ والأرْضِ وما بينَهما

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] . وقال تعالى[2] : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . فى غيرِ ما آيةٍ من القرآنِ [١ / ٧ ظ] . وقد اختلَفَ المفسِّرون فى مقدارِ هذه السِّتةِ الأيامِ على قَوْلَينِ[2] ، فالجُمْهورُ على أنَّها كأيامِنَا هذه . وعن ابنِ عبَّاسٍ ، ومُجَاهِدٍ ، والضَّحَّاكِ ، وكَعْبِ الأَحْبَارِ : أنَّ كُلَّ يومٍ منها كَأَلْفِ سَنةٍ مما تَعُدُّون . رَواهُنَّ ابنُ جَرِيرٍ[3] ، وابنُ أبى حَاتِمٍ . واخْتَارَ هذا القَوْلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ فى كتابِه الذى رَدَّ فيه على الجَهْمِيَّةِ ، واختاره[4] ابنُ جَرِيرٍ وطائِفَةٌ مِنَ المُتَأَخِّرين ، واللهُ أعلمُ . وسيأتى ما يَدُلُّ عَلَى هذا القَوْلِ . ورَوَى ابنُ جَرِيرٍ[5] عن الضحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ وغَيْرِه أنَّ أَسْماءَ الأيامِ السِّتَّةِ : أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّى كَلَمُنْ سَعْفَصْ قَرَشَتْ . وحَكَى ابنُ جريرٍ[6] فى أوَّلِ الأيامِ ثلاثةَ أقوالٍ ؛ فَرَوَى عَنْ محمدِ بنِ إسْحاقَ أنَّه قال : يَقُولُ أهلُ التَّوْراةِ : ابْتَدأَ اللهُ الخَلْقَ يومَ الأَحَدِ . ويَقُولُ أهلُ الإنْجيلِ : ابْتَدَأَ اللهُ الخَلْقَ

---

(١) التفسير ٣/٢٣٤ .

(٢) التفسير ٣/٤٢٢ .

(٣) تاريخ الطبرى ١/٥٩ ، ٦٠ .

(٤) زيادة من : ا .

(٥) تاريخ الطبرى ١/٤٢ .

(٦) تاريخ الطبرى ١/٤٤ .

يومَ الإثْنَيْنِ . ونَقُولُ نَحْنُ المسلمون[1] ، فِيما انْتهَى إلَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : ابْتَدَأَ اللهُ الخَلْقَ يومَ السَّبْتِ . وهذا القَوْلُ الذى حَكَاه ابنُ إسْحَاقَ عن المُسْلمينَ مَالَ إليهِ طَائِفَةٌ مِنَ الفُقَهَاءِ ، من الشَّافِعيَّةِ وغَيْرِهم . وَسَيأْتِى فيه حَدِيثُ أبى هُرَيْرَةَ : « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ »[2] . والقَوْلُ بِأَنَّه الأَحَدُ رَوَاه ابنُ جَرِيرٍ[3] عنِ السُّدِّىِّ عَنْ أبى مالِكٍ وأبى صَالِحٍ ، عَن ابنِ عَبّاسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعُودٍ ، وعَنْ جَماعَةٍ مِنَ الصَّحابةِ ، ورَوَاهُ أيضًا عَنْ عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ . واختاره ابنُ جَرِيرٍ[4] . وهو نَصُّ التَّوْرَاةِ ، ومَالَ إليهِ طَائِفَةٌ آخَرُونَ مِنَ الفُقَهاءِ ، وهو أشبهُ باشْتِقاقِ لفظِ الأَحَدِ ، ولهذا كَمَلَ الخَلْقُ فى سِتَّةِ أيامٍ ، فكَانَ آخِرُهُنَّ الجُمُعَةَ ، فاتَّخَذَه المُسْلمون عِيدَهم فى الأُسْبوعِ ، وهو اليَوْمُ الذى أَضَلَّ اللهُ عنه أَهْلَ الكتابِ[5] قَبْلَنا ، كما سيأْتِى بَيانُه إنْ شَاءَ اللهُ . وقَالَ تَعالى[6] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] . وقال تعالى[7] : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا

---

(١) كذا فى النسخ ، والوجه النصب على الاختصاص .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) ، أحمد ٣٢٧/٢ . فى سياق طويل .

(٣) تاريخ الطبرى : ٤٧/١ .

(٤) تاريخ الطبرى ٤٥/١ .

(٥) فى ا : « الكتابين » .

(٦) التفسير ٩٧/١ .

(٧) التفسير ١٥٤/٧ .

طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ٩ - ١٢] . فهذا يَدُلُّ على أَنَّ الأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّماءِ ؛ لأَنَّها كالأَسَاسِ للبِنَاء ؛ كما قَالَ تَعَالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤] . وقَالَ تعالى[1] : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ إلى أَنْ قَالَ : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا [٨/١ و] شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ٦ - ١٣] . وَقَال[2] : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . أَىْ فَصَلْنا ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ حتَّى هَبَّتِ الرِّياحُ ، ونَزَلتِ الأَمْطَارُ ، وجَرَتِ العُيُونُ والأَنْهَارُ ، وانْتَعَش الحَيَوانُ . ثُمَّ قال : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] . أى عَمَّا خُلِقَ فيها مِن الكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ ، والسَّيَّارَاتِ والنُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ ، والأَجْرَامِ النَّيِّرَاتِ ، وما فِى ذَلَك من الدَّلَالَاتِ عَلى حِكْمَةِ خَالِقِ الأَرضِ والسَّمَوَاتِ ، كما قَالَ تعالى[3] : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥ ، ١٠٦] . فأَمَّا قولُه تعالى[4] : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا *

---

(١) التفسير ٣٢٦/٨ .

(٢) التفسير ٣٣٢/٥ .

(٣) التفسير ٣٤١/٤ .

(٤) التفسير ٣٣٩/٨ .

مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴾ [النازعات ٢٧ - ٣٢] . فَقَدْ تَمَسَّكَ بَعْضُ النَّاسِ بهذهِ الآيةِ على تَقَدُّمِ خَلْقِ السماءِ على خَلْقِ الأَرْضِ . فَخَالَفُوا صَرِيحَ الآيَتَيْنِ المتقدِّمتَيْن ، ولَمْ يَفْهموا هذه الآيةَ الكَرِيمةَ ، فإنَّ مُقْتَضَى هَذِه الآيَةِ أَنَّ دَحْيَ الأَرْضِ ، وإخْرَاجَ المَاءِ والمَرْعَى مِنْها بالفِعْل ، بَعْدَ خَلْقِ السماءِ ، وقَدْ كانَ ذلك مُقَدَّرًا فيها بالقُوَّةِ ، كما قَالَ تعالى[1] : ﴿ وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت : ١٠] . أىْ هَيَّأَ أَماكِنَ الزَّرْعِ ومَواضِعَ العُيُونِ والأَنهارِ ، ثمَّ لَمّا أَكملَ خَلْقَ صُورَةِ العالَمِ السُّفْلِيِّ والعُلْوِيِّ دَحَى الأَرْضَ ؛ فَأَخْرَجَ مِنها ما كان مُودَعًا فِيها ، فَخَرَجَتِ العُيُونُ ، وَجَرَتِ الأَنْهَارُ ، ونَبَتَتِ الزُّروعُ والثِّمَارُ ، ولِهذَا فَسَّر الدَّحْيَ بإخْراجِ الماءِ والمَرْعَى منها وإرْسَاءِ الجِبَالِ ، فَقَالَ[2] : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ . وقولُه : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ . أى قَرَّرها فى أَماكِنِها التى وضَعَها فِيها وثَبَّتَها ، وأَكَّدَهَا وأَطَّدَهَا . وقَوْلُه[3] : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ * وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧ - ٤٩] . بأَيْدٍ أىْ بِقُوَّةٍ . وإنَّا لمُوسِعُون ؛ وذلك أَنَّ كُلَّ ما عَلَا اتَّسع ، فَكُلُّ سَمَاءٍ أَعْلَى مِنَ التى تَحْتَها ، فَهِىَ أَوْسَعُ مِنْها . ولِهذَا كَانَ الكُرْسِىُّ أَعْلى مِنَ السَّمَـٰواتِ ، وهُوَ أَوْسَعُ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ . والعَرْشُ أَعْظَمُ مِنْ ذلك كلِّه بِكَثِيرٍ . وقَوْلُه بَعْدَ هذا : ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا ﴾ . أىْ بَسَطْنَاها وجَعَلْناها مَهْدًا ؛ أىْ قَارَّةً سَاكِنَةً ، غَيْرَ مُضْطَرِبةٍ ولا مَائِدةٍ بِكُم . ولهذا قَال : ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴾ والواوُ لا تَقْتَضى التَرْتِيبَ فى الوُقُوعِ . وإنما تَقْتَضِى الإِخْبَارَ المُطْلَقَ فى اللُّغةِ ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) التفسير ١٥٥/٧ .

(٢) التفسير ٣٣٩/٨ .

(٣) التفسير ٤٠٠/٧ .

وقال البُخَارِىُّ[1] : حَدَّثَنا [2]عمرُ بنُ حَفْصٍ[2] بنِ غِيَاثٍ ، حدثنا أبى ، حَدَّثَنا الأَعْمَشُ ، حَدَّثَنا جَامِعُ بنُ شَدّادٍ ، عن صَفْوانَ بنِ مُحْرِزٍ ، أنّه حَدَّثَه عن عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ ، قَال : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِىِّ [٨/١ ظ] ﷺ وعَقَلْتُ ناقَتِى بالبابِ ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ ، فَقَالَ : « اقْبَلُوا البُشْرَىٰ يَا بَنِى تَمِيمٍ » . قالوا : قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا . مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْه نَاسٌ مِنَ اليَمَنِ ، فَقَالَ : « اقْبَلُوا البُشْرَى يا أَهْلَ اليَمَنِ إذْ[3] لَمْ يَقْبَلْها بَنُو تَمِيمٍ » . قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يا رَسُولَ اللهِ . قالوا : جِئناكَ نَسأَلُكَ عن هذا الأَمْرِ . قال : « كانَ اللهُ ولم يَكُنْ شَىءٌ غَيْرُهُ ، وكان عَرْشُه علَى الماءِ ، وَكَتَبَ فى الذِّكْرِ كُلَّ شَىءٍ ، وخَلَقَ السَّمَٰواتِ والأَرْضَ » . فَنَادَى مُنَادٍ : ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يا ابنَ الحُصَيْنِ . فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِىَ يَقْطَعُ[4] دُونَها السَّرابُ ، فواللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ تَرَكْتُها » . هكَذا رَواه هَاهنا ، وَقَدْ رَواهُ فى كِتَابِ المَغَازِى[5] ، وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ[6] ، وفِى بَعْضِ أَلْفَاظِه : « ثُمّ خَلَقَ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضَ » . وهُوَ لَفْظُ النَّسَائِىِّ[7] أَيْضًا .

وَقَال الإِمَامُ أحمدُ[8] : حدثنا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنى ابنُ جُرَيْجٍ ، أَخْبَرَنى إِسْمَاعيلُ بنُ أُمَيَّةَ ، عن أَيُّوبَ بنِ خَالِدٍ ، عن عَبْدِ اللهِ بنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ[9]

---

(١) البخارى (٣١٩١) .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « عمر بن جعفر » . وفى ا : « عمرو بن حفص » .

(٣) فى م ، ص : « إن » .

(٤) فى ح ، م ، ص : « تقطع » . وفى ا : « منقطع » .

(٥) البخارى (٤٣٦٥ ، ٤٣٨٦) مختصرًا .

(٦) البخارى (٧٤١٨) .

(٧) الكبرى (١١٢٤٠) . ولفظه : « ثم خلق سبع سمٰوات » .

(٨) مسند أحمد ٣٢٧/٢ (صحيح) .

(٩) فى ح : « أبى » .

سَلَمَةَ ، عن أَبِى هُرَيْرَةَ ، قال : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِى ، فَقَالَ : « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الجِبَالَ فيها[1] يَوْمَ الأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فيها[1] يومَ الإِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ ، وبَثَّ [2]فيها الدَّوَابَّ[2] يومَ الخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ يومَ الجُمُعَةِ ، آخِرَ الخَلْقِ فِى آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ ساعاتِ الجُمُعَةِ فِيما بَينَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ » . وهكذا رَوَاه مُسْلمٌ[3] ، عَنْ شُرَيْحِ بنِ يُونُسَ وهَارُونَ بنِ عبدِ اللهِ ، والنَّسَائِىُّ[4] ، عَنْ هَارُونَ ويُوسُفَ بنِ سَعِيدٍ ، ثَلاثَتُهم ، عَن حَجَّاجِ بنِ مُحمَّدٍ المِصِّيصِىِّ الأَعْوَرِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ بِه مِثْلُه سواءً . وقد رواه النَّسَائِىُّ فى التَّفْسِيرِ[5] ، عن إبراهيمَ بنِ يَعْقُوبَ الجُوزْجَانِىِّ ، عن محمدِ بنِ الصَّبَّاحِ ، عن أبى عَبِيدَةَ الحَدَّادِ ، عنِ الأخضَرِ[6] بنِ عَجْلانَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطَاءِ بنِ أبى رَبَاحٍ ، عن أبى هُرَيرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِى ، فَقَالَ : « يا أَبَا هُرَيْرَةَ ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرَضِينَ[7] وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَوْمَ السَّابِعِ ، وَخَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ » . وذَكَر تَمَامَه بِنَحْوِه ، فَقَدْ اخْتُلِفَ فيه عَلَى ابنِ جُرَيْجٍ . وقَدْ تَكَلَّم فى هذا الحَدِيثِ عَلِىُّ ابنُ المَدِينِىِّ ، والبُخَارِىُّ ، والبَيْهَقِىُّ ، وغيرُهم من الحُفَّاظِ[8] . قال البُخَارِىُّ فِى « التَّارِيخِ »[9] : وقَالَ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « الدواب فيها » . والمثبت هو المطابق لما فى صحيح مسلم ، ومسند أحمد ، وسنن النسائى الكبرى .

(٣) مسلم (٢٧٨٩) .

(٤) الكبرى (١١٠١٠) .

(٥) الكبرى (١١٣٩٢) .

(٦) فى ح : « الأحصن » .

(٧) فى ح ، م : « والأرض » .

(٨) انظر الأسماء والصفات ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٩) التاريخ الكبير ٤١٣/١ رقم (١٣١٧) .

بَعْضُهم : عَنْ كَعْبٍ وهُو أَصَحُّ . يَعْنِى[1] أَنّ هَذَا الحَدِيثَ مما سَمِعَهُ أبو هُرَيْرَةَ وتَلَقّاهُ من كَعْبِ الأَحْبَارِ ، فَإِنَّهُما كانَا يَصْطَحِبَانِ ويَتَجَالَسَانِ للحَدِيثِ ، فهذا يُحَدِّثُه عن صُحُفِه ، وهذا يُحَدِّثُه بما يُصَدِّقُه[2] عَن النَّبِىِّ ﷺ ، فَكَان هَذا الحَدِيثُ مِمَّا تَلَقّاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عن كَعْبٍ عن صُحُفِه ، فَوَهِمَ بَعْضُ الرُّوَاةِ فَجعَلَه مَرْفُوعًا إلى النَّبِىِّ ﷺ ، وأَكَّدَ رَفْعَه بِقَولِه : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِى . ثُمّ فى مَتْنِهِ [٩/١ و] غَرَابَةٌ شَدِيدَةٌ ؛ فَمِنْ ذَلك ، أَنَّه لَيسَ فِيه ذِكْرُ خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ ، وفِيهِ ذِكْرُ خَلْقِ [3]الأَرضِ ومَا فِيها[3] فى سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وهذا خِلافُ القُرْآنِ ؛ لأَنَّ الأَرضَ خُلِقَتْ فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ خُلِقَتِ السَّمَـٰوَاتُ فى يَوْمَيْنِ مِن دُخَانٍ ، وهو بُخَارُ المَاءِ الذى ارْتفعَ حِينَ اضْطَرَبَ الماءُ العظيمُ الذى خَلَقَ من زَبَدِه الأَرْضَ بالقُدْرَةِ العَظِيمةِ البَالِغَةِ ؛ كما قَال إِسْمَاعيلُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ السُّدِّىُّ الكَبيرُ فى خَبَرٍ ذَكَره عن أبى مَالكٍ ، وعن أبى صَالحٍ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدَانِىِّ ، عن ابنِ مَسعودٍ ، وعن نَاسٍ من أَصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فى قولِه[4] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] . قالوا : إنّ اللهَ كان عَرْشُه على الماءِ ، ولم يَخْلُقْ شيئًا مما خَلَق قَبْلَ الماءِ ، فَلَمّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ ، أَخْرَجَ مِن الماءِ دُخَانًا ، فارتَفَع فَوْقَ الماءِ ، فَسَمَا عَلَيْه ، فَسَمَّاه سَمَاءً ، ثُمّ أَيْبَسَ المَاءَ فَجَعَلَه أَرْضًا واحِدةً ، ثم فَتَقَها ، فجَعَلَ[5] سَبْعَ أَرَضِين فى يَوْمين – الأحدِ والإِثْنَينِ – وخَلَق الأَرْضَ علَى حُوتٍ ؛ وهُو النُّونُ الذى

---

(١) فى ا : « بنص البخارى على » .

(٢) فى ا : « يصادفه » .

(٣ – ٣) فى ا : « الأشياء » .

(٤) التفسير ٩٨/١ .

(٥) فى ا : « نجعلها » .

قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] . والحُوتُ فى المَاءِ ، والماءُ على صَفَاةٍ ، والصَّفَاةُ على ظَهْرِ مَلَكٍ ، والمَلَكُ على صَخْرَةٍ ، والصَّخْرةُ فى الرِّيحِ ؛ وهى الصَّخْرَةُ التى ذَكَر[1] لقُمْانُ ، ليست فى السَّماءِ ، ولا فى الأَرْضِ ، فَتحرّكَ الحُوتُ فاضْطَرَبَ ، فَتَزَلْزَلَتِ الأَرْضُ ، فَأَرْسَى عَلَيْها الجِبَالَ فَقَرَّت . وخَلَق اللهُ يومَ الثُّلاثَاءِ الجِبَالَ وما فِيهنّ[2] مِنَ المَنَافعِ ، وخَلَق يومَ الأَرْبِعاءِ الشَّجَرَ والماءَ والمَدائنَ والعُمْرانَ والخَرابَ وفَتقَ السَّماءَ[3] ، وكانَت رَتْقًا فجعَلَها سَبْعَ سَمَـٰواتٍ [4]فى يَوْمين[4] - الخَميسِ والجُمُعةِ - وإنَّما سُمِّىَ يومَ الجُمُعةِ ؛ لأنه جَمَع فيه خَلْقَ [5]السَّمَـٰواتِ والأَرْضِ[5] ، وَأَوْحى فى كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها . ثُمَّ قَال : خَلَق فى كلِّ سَماءٍ خَلْقَها ، منَ الملائِكَةِ والبِحارِ وجِبَالِ البَرَدِ ، ومَا لا يَعْلَمُه غَيْرُه ، ثم زَيَّنَ السماءَ بالكَواكِبِ ، فَجعلَهَا زِينَةً وحِفْظًا ، تُحْفَظُ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، فَلمّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ ما أَحَبّ ، اسْتَوى عَلَى العَرْشِ[6] . وهذا الإِسْنَادُ يَذْكُرُ بِه السُّدِّىُّ أَشْيَاءَ كثِيرةً فيها غَرَابَةٌ ، وكَانَ كَثِيرٌ مِنْهَا [7]مُتَلَقًّى من[7] الإِسْرائِيلِيَّاتِ ؛ فَإِنَّ كَعْبَ الأَحْبَارِ لَمّا أَسْلَم فى زَمَنِ عُمَرَ ، كَانَ يتَحدّثُ بَيْنَ يَدَىْ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، رَضِىَ اللهُ عنه ، بأَشْيَاءَ منْ عُلُومِ أَهْلِ الكِتَابِ ، فَيَسْتَمِعُ[8] لهُ عُمَرُ تَأْلِيفًا له ، وتَعَجُّبًا ممَّا عِنْدَه ، مِمّا يُوافِقُ كَثِيرٌ مِنْه الحَقَّ الذى وَرَدَ به الشَّرْعُ

---

(١) فى م : « ذكرها » .
(٢) فى ا : « فيها » .
(٣) سقط من : ح .
(٤ - ٤) فى ح : « يوم » .
(٥ - ٥) فى ا : « الأشياء » .
(٦) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١/١٩٤ بنحوه .
(٧ - ٧) فى ا : « يتلقاه من » .
(٨) فى ح ، ا : « فيسمع » .

المُطَهَّرُ ، فاسْتَجازَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ نَقْلَ ما يُورِدُه كَعْبُ الأَحْبَارِ ؛ لِهَذَا المعنَى[1] ، ولِمَا جَاءَ مِنَ الإِذْنِ فى التَّحْدِيثِ[2] عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، لَكِن كَثيرًا ما يَقَعُ فيما[3] يرْويه غَلَطٌ [4]وليس منْه ، ولكنَّه منَ الكتُبِ التى ينقُلُ عنها ؛ لأَنَّها قد دخلَها غَلَطٌ[4] كَبيرٌ وخَطَأٌ كَثِيرٌ .

وقَدْ رَوَى البُخَارِىُّ فى « صَحِيحِه »[5] عن مُعَاوِيَةَ بنِ أبى سفيانَ ، أنَّه كَانَ يقُولُ فى كَعْبِ الأَحْبَارِ : وإنْ [٩/١ ظ] كُنّا مع ذَلك لَنَبْلُو عليه الكَذِبَ[6] . أىْ فيما ينقُلُه ، لا أنَّه يَتعمَّدُ ذَلك ، واللهُ أَعْلمُ .

ونحن نُورِدُ ما نُورِدُه مِنَ الذى يَسُوقُه كَثيرٌ مِنْ كِبَارِ الأَئمَّةِ المُتَقَدِّمِين عَنْهم ، ثُمّ نُتْبِعُ ذَلك مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا يَشْهَدُ لَه بالصِّحَّةِ ، أو يُكَذِّبُه ، ويَبْقَى البَاقِى[7] مِمّا لا يُصَدَّقُ ولا يُكَذَّبُ ، وباللهِ المُسْتَعَانُ وعليه التُّكْلانُ .

قال البُخَارِىُّ[8] : حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنا مُغِيرَةُ بنُ عبدِ الرحمنِ القُرَشِىُّ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هُرَيرةَ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَمّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ ، كَتَبَ فِى كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ : إنَّ رَحْمَتِى غَلَبَتْ غَضَبى » . وكَذا رَواهُ مُسْلِمٌ ، والنَّسَائِىُّ ، عن قُتَيْبَةَ به[9] .

---

(١) سقط من : ح ، م .

(٢) فى ا : « التحدث » .

(٣) فى م : « مما » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) البخارى (٧٣٦١) . وأوله : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب.

(٦) سقط من : ح .

(٧) فى ا : « الثالث » .

(٨) البخارى (٣١٩٤) ، و (٧٤٠٤) بلفظ « خلق » بدل « قضى » ، و (٧٤٢٢ ، ٧٤٥٣) بلفظ « سبقت » بدل « غلبت » ، و (٧٥٥٣) باللفظين ، و (٧٤٥٤) وفيه : « قبل أن يخلق الخلق » .

(٩) مسلم (٢٧٥١) بلفظ : « تغلب » ، والنسائى فى الكبرى (٧٧٥٠) بلفظ : « غلبت » .

ثُمّ قَالَ البُخَارِىُّ : بابُ مَا جَاء فِى سَبْعِ أَرَضِينَ ، وَقَوْلِه تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] . ثُم قَال[١] : حَدَّثَنا عَلِىُّ بنُ عبدِ اللهِ ، أَخْبَرَنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن علىِّ بنِ المُبَارَكِ ، حَدَّثَنا يَحْيَى بنُ أبى كَثيرٍ ، عن محمَّدِ بنِ إبْرَاهيمَ بنِ الحارِثِ ، عن أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ، وكانَتْ بَيْنَه وبينَ أُناسٍ خُصُومَةٌ فى أَرْضٍ ، فدخَلَ عَلى عَائِشَةَ فَذكَرَ لَها ذلك ، فَقَالَتْ : يا أَبا سَلَمةَ ، اجْتَنِبِ الأَرْضَ ، فَإنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال : « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ من سَبْعِ أَرَضِينَ » . ورَوَاه أَيْضًا فى كِتَابِ المَظَالِمِ ، ومُسْلمٌ من طُرُقٍ[٢] عَنْ يَحْيَى بنِ أبى كَثِيرٍ بِه[٣] ، وَرَواه أَحْمدُ[٤] من حَدِيثِ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمَةَ به ، ورواه أحمدُ[٥] أيضًا عن يُونُسَ ، عن أبانَ ، عَنْ يَحْيَى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن عائِشَةَ بمثلِه .

ثم قال البُخَارِىُّ[٦] : حَدثَّنا بِشْرُ بنُ محمدٍ ، قَال : أَخْبَرَنا عَبْدُ اللهِ ، عَنْ مُوسَى بنِ عُقْبَةَ ، عن سَالِمٍ ، عَن أَبِيه ، قال : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَنْ أَخذَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ ، خُسِفَ بِه يَومَ القيامَةِ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ » . ورواه فى المَظالِمِ[٧] أيضًا عن مُسْلمِ بنِ إبْراهيمَ ، عن عبدِ اللهِ ، هو ابنُ المُبَارَكِ ، عن مُوسَى بنِ عُقْبَةَ به ، وهو من أَفْرَادِهِ .

---

(١) البخارى (٣١٩٥) .

(٢) فى ح : « طريق » .

(٣) البخارى (٢٤٥٣) ، مسلم (١٦١٢) .

(٤) المسند ٦/٧٩ ، ٢٥٢ .

(٥) زيادة من : الأصل . المسند ٦/٦٤ ، ٢٥٩ .

(٦) البخارى (٣١٩٦) .

(٧) البخارى (٢٤٥٤) .

وذكر البُخَارِىُّ هاهنا[1] حَدِيثَ محمَّدِ بنِ [2]سِيرِينَ ، عن[2] عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بَكْرَةَ ، عن أبيه[3] ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا » . الحَدِيث . ومُرَادُهُ ، واللهُ أعلمُ ، [4]تَقْرِيرُ معنى[4] قولِه تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] . أىْ فى العَدَدِ ؛ كَما أَنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ الآنَ اثْنَا عَشَرَ ، مُطَابِقَةً لِعِدَّةِ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ عزَّ وجلَّ فى كِتَابِه الأَوَّلِ ، فهذِه مُطَابَقَةٌ فى الزَّمانِ ، كما أَنّ تِلْك مُطَابَقَةٌ فِى المَكَانِ .

ثُمَّ قَال البُخَارِىُّ[5] : حَدَّثَنا [١/١٠ و] عُبَيْدُ بنُ إِسْماعيلَ ، حَدَّثَنا أبو أُسَامةَ ، عن هِشَامٍ ، عن أَبِيه ، عن سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ ، أَنّه خَاصَمَتْه أَرْوَى فى حَقٍّ زَعَمَتْ أَنّه انْتَقَصَه لهَا إلى مَروانَ ، فقال سَعيدٌ ، رضى اللهُ عنه ، : أَنَا أَنْتَقِصُ من حَقِّها شَيْئًا ؟ أشهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا ، فإِنَّه يُطَوَّقُهُ يومَ القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ »[6] .

وقال الإِمَامُ أحمدُ[7] : حَدَّثَنا حسنٌ وأبو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِى هَاشمٍ ، حَدَّثَنا

---

(١) البخارى (٣١٩٧) .

(٢ - ٢) فى ح : « بشر بن » .

(٣) سقطت من الطبعة السلفية وأوردها ابن كثير على الصواب ، وهى ثابتة فى النسخة التى شرح منها الحافظ ابن حجر ، وكذلك هى فى طبعة الشعب وأيضا فى نسخة الحافظ المزى . الأشراف ٤٩/٩ .

(٤ - ٤) فى ح : « تفسير » .

(٥) البخارى (٣١٩٨) .

(٦) بعده فى ح ، م ، ص : « ورواه » .

(٧) المسند ٣٩٦/١ ، ٣٩٧ . قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح وأخشى أن يكون منقطعا .

عبدُ اللهِ بنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثَنا عُبَيْدُ[1] اللهِ بنُ أبى جَعْفَرٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ ، عن ابنِ مَسْعودٍ قال : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، أىُّ الظُّلْمِ أعظَمُ ؟ قَالَ : « ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ [2]يَنْتَقِصُه المَرْءُ المُسْلِمُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ ، فَلَيْسَ حَصَاةٌ مِنَ الأَرْضِ[2] يَأْخُذُها أَحَدٌ إلا طُوِّقَها يَوْمَ القِيَامَةِ إلى قَعْرِ الأَرْضِ ، ولا يَعْلَمُ قَعْرَهَا إلَّا الذى خَلَقَها » . تَفَرَّدَ به أحمدُ ، وهَذا إسْنَادٌ لا بَأْسَ به .

وقالَ الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثَنا عَفَّانُ ، حدَّثَنا وُهَيْبٌ ، حَدَّثَنا سُهَيْلٌ ، عن أَبِيهِ ، عَنْ أبى هُرَيرةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّه ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » . تَفَرَّدَ بِه أيضًا من هَذا الوَجْهِ ، وهُوَ على شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وقَال أحمدُ[4] : حَدَّثَنا يَحْيَى ، عن ابنِ عَجْلانَ ، حَدَّثَنى أَبِى ، عَنْ أبى هُرَيرةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّه طُوِّقَهُ [5]يومَ القيامةِ[5] إلى سَبْعِ أَرَضِينَ » . تَفَرَّدَ بِه أَيْضًا ، وهُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلمٍ .

وقَال أحمدُ[6] أيضًا : حَدَّثَنا عَفَّانُ ، حَدَّثَنا أبو[7] عَوَانَةَ ، عَنْ عُمَرَ[8] بنِ

---

(١) فى النسخ : « عبد » . وهو عبيد الله بن أبى جعفر المصرى أبو بكر الفقيه .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) المسند ٣٨٨/٢ . وقال فى المجمع ١٧٥/٤ : رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح .

(٤) المسند ٤٣٢/٢ .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) المسند ٣٨٧/٢ . الشرح ٩٠٠٧ .

(٧) سقط من : ح .

(٨) فى ا : « عمرو » . وهو عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . تهذيب الكمال ٣٧٥/٢١ - ٣٧٩ .

أبى سَلَمَةَ ، عَنْ أَبيه ، عَن أبى هريرةَ ، أَنّ النبىَّ ﷺ قال : « مَنْ أَخذَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا بِغَيرِ حَقِّه ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » . تفرَّدَ به أَيْضًا . وقَد رَواه الطبَرانِىُّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا مِثْلَه[1] .

فَهَذِه الأَحاديثُ كالمُتَواتِرةِ فى إثْباتِ سَبْعِ أَرَضِينَ ، والمُرادُ بذلك أَنّ كُلَّ واحِدَةٍ فَوْقَ الأُخْرَى ، والتى تَحْتَها فى وَسَطِها ، عند أَهْلِ الهَيْئَةِ ، حتى يَنْتَهِىَ الأَمْرُ إلى السابِعةِ ، وهى صَمَّاءُ لا جَوْفَ لها ، وفى وَسطِها المَرْكَزُ ، وهو[2] نُقْطَةٌ مُقَدَّرَةٌ مُتَوَهَّمةٌ ، وهُو مَحَطُّ الأَثْقَالِ ، إليه يَنْتَهى ما يَهْبِطُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إذا لَمْ يُعاوِقْه مانِعٌ . واخْتَلفُوا : هل هُنّ مُتَراكِمَاتٌ بِلَا تَفَاصُلٍ ، أو بَيْنَ كُلِّ واحِدَةٍ والتى تَلِيها خَلاءٌ ؟ على قولين . وهذا الخِلافُ جارٍ فى الأَفْلاكِ أَيْضًا . والظاهِرُ أنّ بَيْنَ كُلِّ واحِدةٍ مِنْهُنّ وبَيْنَ الأُخْرَى مَسافَةً[3] ؛ لِظاهِرِ قَوْلِهِ تعالى[4] : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] . الآية .

وقال الإمَامُ أحمدُ[5] : حَدّثنا سُرَيْجٌ[6] ، حدثنا الحَكَمُ بنُ عبدِ المَلِكِ ، عن قَتَادَةَ ، عن الحَسَنِ ، عن أبى هريْرَةَ ، قال : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذْ مَرّتْ سَحَابَةٌ [١٠/١ ظ] ، فَقَالَ : « أَتَدْرونَ ما هَذِه ؟ » . قُلْنَا : اللهُ

---

(١) أورده الهيثمى فى سياق طويل ، وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك كذاب . مجمع الزوائد ١٧٥/٤ . وهو فى الكبير (١٢٩٢١) .

(٢) فى م : « هى » .

(٣) فى ح : « خلاء » .

(٤) التفسير ١٨٢/٨ .

(٥) المسند ٣٧٠/٢ . (ضعيف الترمذى ٦٥١) .

(٦) فى النسخ : « شريح » . وهو : سريج بن النعمان بن مروان أبو الحسين الجوهرى البغدادى . سير أعلام النبلاء ٢١٩/١٠ ، ٢٢٠ .

ورَسُولُه أعْلَمُ . قَالَ : « العَنَانُ[1] وَزَوايَا الأَرْضِ ، [2]يَسُوقُه اللهُ[2] إلى مَنْ لا يَشْكُرونَه مِنْ عِبَادِه ولا يَدْعُونَه . أَتَدرُونَ ما هَذِه فَوْقَكُم ؟ » قلنا : اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ . قَال : « الرَّقِيعُ[3] مَوْجٌ مَكْفُوفٌ ، وسَقْفٌ مَحْفُوظٌ . أَتَدْرونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَها ؟ » . قُلْنا : اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ . قَالَ : « مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عامٍ[4] » . ثُمّ قَالَ : « أَتَدْرونَ ما الَّذِى فَوْقَها ؟ » . قُلْنا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قَالَ : [5]« سَمَاءٌ أُخرى . أَتَدْرونَ كم بينَها[6] وبينَها ؟ » قلنا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قال :[5] « مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عامٍ » . [7]حَتّى عَدَّ سَبْعَ سَمَٰواتٍ ، ثُمّ قَال : « أَتَدْرونَ ما فَوْقَ ذَلك ؟ » . قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قَالَ : « العَرْشُ . أَتَدرونَ كَمْ بَيْنَهُ[8] وبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ؟ » . قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قَال : « مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ[7] » . ثُمَّ قَالَ : « أَتَدْرونَ ما هَذِه تَحتَكم ؟ » . قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قَالَ : « أَرْضٌ . أَتَدْرونَ مَا تَحْتَها ؟ » . قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قَالَ : « أرضٌ أُخرى . أَتَدْرونَ كم بينَهما ؟ » . [9]قُلنا : اللهُ ورسُولُه أَعْلَمُ[9] . قال : « مَسِيرَةُ سَبْعِمائَةِ عَامٍ » . حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرَضِينَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَايْمُ اللهِ لَوْ دَلَّيْتُم أَحَدَكُمْ إِلَى الأَرْضِ

---

(١) فى ا : « الغياث » .

(٢ - ٢) فى م : « تسوقه » .

(٣) فى النسخ « الرفيع » بالفاء . والمثبت كما فى المسند . والرقيع اسم للسماء الدنيا . اللسان (ر ق ع) .

(٤) فى م ، ص : « سنة » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى المسند : « بينكم » .

(٧ - ٧) سقط من : ا .

(٨) فى ص ، والمسند : « بينكم » .

(٩ - ٩) سقط من : ح .

السُّفْلَى السَّابِعَةِ لَهَبَطَ » . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

ورَواه التِّرْمِذِىُّ[1]، عن عَبْدِ بنِ حُمَيْدٍ وغَيْرِ واحِدٍ ، عن يُونُسَ بنِ محمدٍ المؤَدِّبِ ، عن شيبانَ بنِ عبدِ الرَّحمَنِ ، عن قَتادَةَ ، قال : حدّث الحَسَنُ عن أبى هريرةَ . وذكره ، إلَّا أنه ذَكَر أَنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْن خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وذَكَر فِى آخِرِه كَلِمَةً[2] ذَكَرْناها عِنْدَ تَفْسِيرِ هذه الآيةِ من سورةِ الحديدِ[3] ، ثُمَّ قَال التِّرْمِذِىُّ : هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هذا الوَجْهِ . قال[4] : ويُرْوَى عن أَيّوبَ ويُونُسَ بنِ عُبَيْدٍ وعلىِّ بنِ زَيدٍ أَنَّهُم قَالُوا : لم يَسْمَعِ الحَسَنُ من أبى هُريرةَ . ورَواه أَبُو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتِمٍ فى « تَفْسيرِهِ » ، مِنْ حَدِيثِ أبى جَعْفَرٍ الرَّازِىِّ ، عن قَتادَةَ ، عن الحَسَنِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، فذكَرَ[5] مِثْلَ لَفْظِ التِّرْمِذِىِّ سَواءً ، بِدُون الزِّيادةِ[6] فى آخِرِه . ورواه ابنُ جَريرٍ فى « تَفْسيرِه »[7] ، عن بِشْرٍ ، عن يَزِيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قَتادَةَ مُرْسَلًا . وقَدْ يَكُونُ هذا أَشْبَهَ ، واللهُ أعلَمُ . ورواه الحافظان[8] أبو بكرٍ البَزَّارُ

---

(١) الترمذى (٣٢٩٨) (ضعيف الترمذى ٦٥١) .

(٢) يعنى لفظ : « لهبط على الله » .

(٣) التفسير ٣٢/٨ .

(٤) زيادة من : م .

(٥) فى ص : « وذكر » .

(٦) فى م : « زيادة » .

(٧) تفسير الطبرى ٢١٦/٢٧ .

(٨) فى م ، ص : « الحافظ » . أورده المصنف فى جامع المسانيد ٨١٩/١٣ . وعزاه للبزار كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٣١/٨ . وعزاه للبزار ، وقال : رجاله رجال الصحيح إلا أبا نصر حميد ابن هلال لم يسمع من أبى ذر . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ٤٠١ . وقال الألبانى : ضعيف (السنة لابن أبى عاصم ٥٧٨) . وانظر العلل المتناهية ١١/١ ، ١٢ .

والبَيْهَقِىُّ من حَديثِ أبى ذَرٍّ الغِفارِىِّ عَن النَّبِىِّ ﷺ بنَحْوِه[1] ، ولَكِنْ لا يَصِحُّ إسْنادُه ، واللهُ أعلمُ .

وقَدْ تَقَدّم عِنْدَ ذكرِ صِفَةِ العَرْشِ من حَدِيثِ الأَوْعَال ما يُخَالِفُ هذا فى ارتِفَاعِ العَرْشِ عنِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، وما يَشْهَدُ لَه . وفيه : « وبُعْدُ مَا بَيْنَ كُلِّ سَماءَيْنِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ، وكِثَفُها[2] - أىْ سُمْكُها - خَمْسُمِائةِ عَامٍ »[3] .

وأمّا مَا ذَهَبَ إليه بَعْضُ المُتَكلِّمين على حديثِ : « طُوِّقَه مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ »[4] ، أنّها سَبْعَةُ أَقَالِيمَ ، فَهُو قولٌ [١١/١ و] يُخَالِفُ ظَاهِرَ الآيَةِ والحَديثَ الصَّحِيحَ وصَرِيحَ كَثِيرٍ من أَلْفَاظِه مع ما ذكَرْنا مِنَ الحدِيثِ الذى أورَدْناه من طَرِيقِ الحَسَنِ عَنْ أبى هُرَيْرَةَ . ثمّ إنّه حَمَلَ الحديثَ والآيةَ على خِلافِ ظَاهِرِهِمَا بلا مُسْتَنَدٍ ولا دَلِيلٍ ، واللهُ أعلمُ . وهكذا ما يَذْكُرُه كَثِيرٌ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ ، وتَلَقّاه عَنْهُم طَائِفَةٌ مِنْ عُلَمائِنَا ، مِنْ أنّ هذِه الأرضَ مِنْ تُرابٍ ، والتى تَحْتَها مِنْ حَدِيدٍ ، والأُخْرى مِنْ حِجَارةٍ مِنْ كِبْرِيتٍ ، والأُخْرى من كذا . فَكُلُّ هَذا إذا لم يُخْبَرْ به ويَصِحَّ سَنَدُه إلى مَعْصُومٍ ، فهو مَرْدُودٌ على قَائِلِه . وهكذا الأَثَرُ المَرْوِىُّ عن ابنِ عبَّاسٍ ، أنّه قَال : فى كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الخَلْقِ مِثْلُ ما فِى هَذِهِ الأرضِ[5] حتّى آدمُ كآدَمِكُم ، وإبراهيمُ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى ح : « كنفها » .

(٣) تقدم فى صفحة ١٦ .

(٤) تقدم فى صفحة ٣٦ .

(٥) زيادة من : ا .

كإبراهيمِكُمْ . فهذا ذَكَرَه ابنُ جَرِيرٍ مُخْتَصَرًا[1] ، واسْتَقْصَاه البَيْهَقِيُّ فى الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ[2] ، وهو مَحْمُولٌ - إنْ صَحّ نَقْلُه عنه - على أَنَّ ابنَ عَبَّاسٍ ، رضِى اللهُ عَنْه ، أَخذَه عَنِ الإِسْرَائِيلِيّاتِ ، واللهُ أعلمُ .

وقالَ الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا يَزِيدُ ، حدَّثنا العَوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ ، عن [4]سُلَيمانَ بنِ[4] أبى سليمانَ ، عن أَنَسِ بنِ مَالكٍ ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « لَمّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ ، فخَلَقَ الجِبَالَ فأَلْقَاهَا عَلَيْها فَاسْتَقَرّتْ ، فَتعجَّبَتِ المَلائِكةُ من خَلْقِ الجِبَالِ ، فَقَالَتْ : يا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَىْءٌ أَشَدُّ مِنَ الجِبَالِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الحَدِيدُ . قالت : يا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَىءٌ أَشَدُّ مِنَ الحَدِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، النّارُ . قَالَتْ : يا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَىءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ [5]الماءُ . قالت : يا رَبِّ فهل مِن خَلْقِك شىءٌ أشدُّ من الماءِ ؟ قال : نعم[5] الرِّيحُ . قَالَتْ : يا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَىءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ابنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِه يُخْفِيها من شِمَالِه » . تَفَرّدَ بإخراجِه أَحْمَدُ[6] .

وَقَدْ ذَكَرَ أَصْحابُ الهَيْئَةِ أَعْدَادَ جِبالِ الأَرْضِ فى سائِرِ بِقَاعِها ، شَرْقًا

---

(١) تفسير الطبرى ٨٥٣/٢٨ . ورواه الحاكم فى المستدرك ٤٩٣/٢ ، وقال : صحيح . وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٢٩٣/٦ .

(٢) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٣٨٩ ، ٣٩٠) . وقال : إسناد هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما صحيح ، وهو شاذ بمرة ، لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعا ، والله أعلم . وانظر فتح البارى ٢٩٣/٦ .

(٣) مسند أحمد ١٢٤/٣ .

(٤ - ٤) فى ا : « سلمان عن » .

(٥ - ٥) سقط من : ح ، م ، ص .

(٦) لم يتفرد به أحمد بل رواه الترمذى (٣٣٦٩) من طريق يزيد بن هارون وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه (ضعيف الترمذى ٦٦٨) .

وغَرْبًا ، وذَكَرُوا أطوالَها ، وبُعْدَ امتِدَادِها ، وارتِفَاعَها ، وأَوْسَعُوا القَوْلَ فى ذلك بما يَطُولُ شَرْحُه هنا[1] . وقد قَال اللهُ تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر : ٢٧] . قال ابنُ عباسٍ وغيرُ واحدٍ : الجُدَدُ الطَرَائِقُ[2] . وقَال عِكْرِمَةُ وغيرُه : الغَرابِيبُ الجِبالُ الطِّوَالُ السُّودُ . وهذا هو المُشاهَدُ[3] مِنَ الجِبالِ فى سائِرِ الأَرْضِ ، تَخْتَلِفُ باخْتِلافِ بِقَاعِهَا وأَلْوَانِهَا . وقد ذَكَر اللهُ تعالى فى كِتَابِه (الجُودِىَّ) على التَعْيِينِ ، وهو جَبَلٌ عَظيمٌ شَرْقىَّ جَزِيرةِ ابنِ عُمَرَ إلى جَانِبِ دِجْلَةَ عندَ المَوْصِلِ ، امتِدَادُه مِنَ الجَنُوبِ إلى الشَّمالِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وارتِفَاعُه مَسِيرَةُ نِصفِ يومٍ ، وهُو أَخْضَرُ ؛ لأنّ فيه شَجَرًا من البَلُّوطِ ، وإلى جَانِبِه قَرْيَةٌ يُقَالُ لها : قَرْيَةُ الثَّمانِين . لسُكْنَى الذين نَجَوْا فى السَّفِينَةِ مَعَ نُوحٍ عليه السلامُ فى مَوْضِعِها ، فيما ذَكَره غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ المُفَسِّرين ، واللهُ أَعْلَمُ . [4]وذكَر تعالَى طُورَ سَيْنَاءَ[4] .

[5]وقدْ ذكَر الحافظُ البَهاءُ ابنُ عَساكِرَ فى كتابِه « المُسْتَقْصَىٰ فى فضائلِ المسجدِ الأَقْصى » فى تَرْجَمةِ الجِبالِ المُقَدَّسَةِ ، مِن طريقِ عمرِو بنِ بكرٍ ، عن ثَورِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن أبى هريرةَ قال : أَقْسَم ربُّنا عز وجل بأَرْبَعةِ أَجْبُلٍ فقال : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين : ١ - ٣] . فالتينُ طُورُ ربِّنا مسجدُ بيتِ المَقْدِسِ ، والزَّيتونُ[5]

---

(١) انظر : كتاب مسالك الأبصار ، لابن فضل الله العمرى ١/٣٠ - ٤٤ .

(٢) التفسير ٦/٥٣٠ .

(٣) فى الأصل : « المشهود » ، وفى م : « الشاهد » .

(٤ - ٤) زيادة من : ا ، ص .

(٥ - ٥) زيادة من : ح .

(١طورُ ربِّنا ، وطورُ سِينين ، وهذا البلدُ الأمينُ جبلُ مكَّةَ١) . وقال قتادة : التينُ جَبلٌ عليه دمشقُ ، والزَّيْتونُ جبَلٌ عليه بيتُ المَقْدِسِ[٣] . وروى الحافِظُ ابنُ عساكرَ[٤] عن كعبِ الأحْبارِ أنَّه قال : أَرْبعةُ أَجْبُلٍ يومَ القيامةِ ، جبلُ الخليلِ (٥ولبنان٥) والطُّورُ والجُودىُّ ، يكونُ كلُّ واحدٍ مِنهنَّ يومَ القيامةِ لُؤلؤةً بيضاءَ تُضِىءُ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ ، يَرْجِعْنَ إلى بيتِ المَقْدِسِ حتى تُجْعَلَ فى زواياه نورًا ، ويضعُ عليها كُرْسيَّه حتى يَقْضِىَ بينَ أهلِ الجنةِ والنارِ . ﴿ وَتَرَى[٦] ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] . ومِن طريقِ الوليدِ ابنِ مسلمٍ ، ثنا (٧عثمانُ بنُ أبى عاتكةَ٧) ، عن علىِّ بنِ يزيدَ ، عن القاسمِ أبى عبدِ الرحمنِ قال : أوحىٰ اللهُ إلى جبلِ قاسْيونَ أن هَبْ ظلَّكَ وبَرَكَتَك لجبلِ (٨بيتِ المقدسِ . قال : ففعَل . فأوحَىٰ اللهُ تعالى إليه : أمَا إذ فعلتَ فإنِّى سأَبْنِى لى فى حِضْنِك بيتًا – قال عبدُ الرحمنِ : قال الوليدُ : فى حِضنِك . أى فى وسطِه ، وهو هذا المسجدُ٨) – يعنى مسجدَ دمشقَ – أُعْبَدُ فيه بعدَ خرابِ الدنيا أربعينَ عامًا ، ولا تذهبُ الأيامُ والليالى حتى أردَّ عَليك ظلَّك وبَركتَك . قال : فهو عندَ اللهِ بمنزلةِ المُؤْمنِ الضعيفِ المُتَضرِّعِ[٩]. وعن خليلِ بنِ١

(١ – ١) زيادة من : ح .

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٣٦ ، ٢٣٧ بنحوه عن قتادة ويزيد بن ميسرة .

(٣) رواه الطبرى فى التفسير ٣٠/٢٣٩ . وبنحوه عند ابن عساكر ٢/٢٣٧ .

(٤) تاريخ دمشق ٢/٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٥ – ٥) فى ح : « التين » ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) سقط من : ح .

(٧ – ٧) فى ح : « همار بن أبى العائلة » . والمثبت من التاريخ .

(٨ – ٨) سقط من : ح . والمثبت من التاريخ .

(٩) تاريخ دمشق ٢/٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(١دَعْلَجٍ أنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ أَتَتْ طرَفَ بيتِ المَقْدِسِ ، فصلَّتْ فيه وصَعِدَت إلى طورِ ربِّنا ، فصلَّت فيه وباتت على طرَفِ الجبلِ فقالت : مِن هاهنا يتفرقُ النَّاسُ يومَ القيامةِ إلى الجنَّةِ وإلى النَّارِ(٢)١) .

(١ - ١) زيادة من : ح .

(٢) أورده عبد الرحمن بن محمد المقدسى فى كتابه « الأنس الجليل » ١/٢٦٦ ، ٢٦٧ .

[١١/١ظ]

فصلٌ
فى البِحارِ والأَنْـهارِ

قَال اللهُ تعالى[١] : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٤ - ١٨] . وقَالَ تعالى[٢] : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر : ١٢] . وقَالَ تعالى[٣] : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] . وقَالَ تعالى[٤] : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ ، ٢٠] . فالمُرادُ بالبَحْرين البَحْرُ المِلْحُ[٥] المُرُّ وهو الأُجَاجُ ، والبَحْرُ العَذْبُ هو هذه الأَنْهَارُ السَّارِحَةُ بين أَقْطارِ الأَمْصارِ ، لمَصَالِحِ العِبَادِ . قَالَه ابنُ جُرَيْجٍ

---

(١) التفسير ٤/٤٨٠ .

(٢) التفسير ٦/٥٢٦ .

(٣) التفسير ٦/١٢٥ .

(٤) التفسير ٧/٤٦٧ .

(٥) فى ح ، ا : « المالح » .

وغَيْرُ واحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ[1] . وقَالَ تعالى[2] : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى ٣٢ - ٣٤] . وقَالَ تعالى[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان ٣١ ، ٣٢] . وقَالَ تعالَى[4] : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] . فامْتنّ تَعالَى على عِبَادِه بما خَلَق لهم مِنَ البِحَارِ والأنهارِ ، فالبَحْرُ المُحِيطُ بِسائِرِ[5] أرْجَاءِ الأرضِ ، وما يَنْبَثِقُ[6] مِنْه فى جَوَانِبِها ، الجميعُ مَالِحُ الطَّعْمِ مُرٌّ ، وفى هذا حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ لِصِحَّةِ الهَوَاءِ ؛ إذْ لَوْ كَانَ حُلْوًا لأَنْتَنَ الجَوُّ وفَسَدَ الهَواءُ ؛ بِسَبَبِ ما يَمُوتُ فِيه من الحَيَوانَاتِ العِظامِ ، فكان يؤدِّى إلَى تَفَانِى بنى آدَمَ ، [7]وفَسَادِ مَعايِشِهِمْ[7] ، فاقتَضَتِ الحِكْمَةُ البالِغَةُ أَنْ يكونَ على هذه الصِّفَةِ ، لهذه المَصْلَحَةِ . ولِهذا لما سُئِل رَسُولُ اللهِ ﷺ ، عَنِ البَحْرِ ، قال : « هُوَ

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢٤/١٩ ، ٢٥ .

(٢) التفسير ١٩٦/٧ .

(٣) التفسير ٣٥٣/٦ .

(٤) التفسير ٢٨٩/١ .

(٥) فى ا : « يبلغ » .

(٦) فى م : « ينبت » .

(٧ - ٧) سقط من : ح ، م .

الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ »[1] .

وأمّا الأَنْهارُ فاقتضتِ الحِكْمَةُ أن يكونَ ماؤها حُلوًا عَذْبًا جاريًا [١٢/١ و] فراتًا سائغًا للشارِبينَ ، وجَعَلَها جَارِيةً سَارِحةً ، يُنْبِعُها سُبْحانَه وتَعالَى فى أَرْضٍ ، ويَسُوقُها إلى أُخْرى ، رزْقًا لِلعبادِ ، ومِنْها كِبَارٌ وصِغَارٌ ، بِحَسَبِ الحاجَةِ والمَصْلَحَةِ .

وقَدْ تَكَلَّم [2]أَصْحَابُ عِلْمِ[2] الهَيْئَةِ والتَّسْيِيرِ[3] على تَعْدَادِ البِحارِ والأَنْهارِ الكِبَارِ ، وأُصُولِ مَنَابِعِها ، وإلى أَيْنَ يَنْتهِى مَسِيرُها ، بِكَلامٍ فيه حِكَمٌ ودَلالاتٌ على قُدْرَةِ الخالِقِ تَعالَى ، وأنّه فاعِلٌ بالاخْتِيارِ والحِكْمةِ[4] . وقَوْلُه تَعالى[5] : ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : ٦] . فِيه قَوْلاَن ؛ أَحَدُهما ، أَنّ المُرادَ به البَحْرُ الذى تَحْتَ العَرْشِ المَذْكورُ فى حَدِيثِ الأَوْعَالِ[6] ، [7]وأنّه فَوْقَ السّمواتِ السَبْعِ[7] بَيْنَ أَسْفَلِه وأَعْلاهُ كما بَيْنَ سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ ، وهُوَ الذى يَنْزِلُ منه المَطَرُ قَبْلَ البَعْثِ فَتَحْيا منه الأَجْسَادُ من قُبُورِها . وهذا القَوْلُ هو اخْتِيارُ الرَّبِيعِ بنِ أَنَسٍ . والثّانى ، أَنّ البَحْرَ اسمُ جِنْسٍ ، يَعُمُّ سائِرَ البِحَارِ التى فى الأَرْضِ ، وهُو قَوْلُ الجُمْهورِ .

واخْتَلَفُوا فى معنى البَحْرِ المَسْجُورِ ، فَقِيل : المَمْلُوءُ . وقيلَ : الذى يَصِيرُ يومَ القِيامَةِ نارًا تُؤَجَّجُ ، فيُحِيطُ بأَهْلِ المَوْقفِ . كما ذَكَرْناه فى

---

(١) أبو داود (٨٣) ، الترمذى (٦٩) وقال : حسن صحيح . النسائى (٥٩ ، ٣٣١) ، ابن ماجه (٣٨٦ - ٣٨٨) ، كلهم من حديث أبى هريرة . (صحيح الجامع ٦٩٢٥) .

(٢ - ٢) فى ا : « أهل » .

(٣) فى م ، ص : « التفسير » .

(٤) انظر : مسالك الأبصار ٤٤/١ - ٦٠ .

(٥) التفسير ٤٠٥/٧ .

(٦) تقدم فى صفحة ١٦ .

(٧ - ٧) فى ا : « السماء السابعة » .

« التَفْسِيرِ »[1] عن عَلِيِّ بنِ أبى طالبٍ ، وابنِ عباسٍ ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، ومُجاهدٍ[2] ، وغيرِهم . وقيلَ : المُرَادُ به المَمْنُوعُ المَكْفُوفُ ، المَحْرُوسُ عن أَنْ يَطْغَى فَيَغْمُرَ الأَرْضَ ومَنْ عليها فَيَغْرَقُوا[3] . رواه الوالبىُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ ، وهو قولُ السُّدِّىِّ وغيرِه . ويُؤَيِّدُه الحَديثُ الذى رَواه الإمَامُ أَحمدُ[4] : حدَّثنا يَزِيدُ ، حدَّثنا العَوّامُ ، حدَّثنى شَيْخٌ كان مُرَابِطًا بالسَّاحِلِ ، قال : لَقِيتُ أَبا صَالحٍ مَوْلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ، فقال : حَدَّثَنا عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قال : « لَيْسَ مِنْ لَيْلَةٍ إلَّا والبَحْرُ يُشْرِفُ فيها ثَلاثَ مَرّاتٍ ، يَسْتَأْذِنُ اللهَ عزَّ وجلَّ أَنْ يَنْفَضِخَ[5] عَلَيهم ، فَيَكُفُّه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » . ورَواه إسْحَاقُ ابنُ رَاهَوَيْه[6] ، عن يَزِيدَ بنِ هَـٰرونَ ، عن العَوّامِ ابنِ حَوْشَبٍ ، حَدّثنى شَيْخٌ مُرابِطٌ قال : خَرَجْتُ ليلةً لمَحْرَسٍ[7] ، لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ من الحَرَسِ غيرى ، فَأَتَيْتُ المِيناءَ ، فَصَعِدْتُ ، فَجَعَلَ يُخَيَّلُ إلىَّ أَنَّ البَحْرَ يُشْرِفُ ، يُحَاذِى برُؤُوسِ الجِبالِ ، فَعَل ذلك مِرارًا وأَنَا مُسْتَيْقِظٌ ، فَلَقِيتُ أبا صَالحٍ ، فقال : حدَّثَنا عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قال : « ما مِنْ لَيْلَةٍ إلَّا والبَحْرُ يُشْرِفُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، يَسْتَأْذِنُ اللهَ أَنْ ينفَضِخَ عليهم ، فَيَكُفُّه اللهُ عَزَّ وجَلَّ » . فى إسْنَادِه رَجُلٌ مُبْهَمٌ[8] ، واللهُ أعلَمُ .

---

(١) التفسير ٤٠٥/٧ .

(٢) فى م ، ص : « ابن مجاهد » .

(٣) فى ا : « جميعا » .

(٤) المسند ٤٣/١ . ضعيف .

(٥) فى م : « يتفصح » . وفى ص : « يتفضح » . وفى ا : « ينفصح » . وينفضخ : ينفتح ويسيل .

(٦) عزاه له ابن حجر فى المطالب العالية ١٧٦/٢ .

(٧) فى ح ، ا : « لمحرسى » . وفى المطالب : « بحرسى » .

(٨) فى ص : « متهم » .

وهذا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ تعالى عَلَى عِبَادِه أَنْ كَفَّ شَرَّ البَحْرِ أَنْ يَطْغَى عَليهم ، وسَخَّرَه لَهُم ، يَحْمِلُ مَرَاكِبَهُمْ ؛ لِيَبْلُغُوا عليها إلى الأَقَالِيمِ النَّائِيَةِ بالتِّجَاراتِ وغيرِها ، وهَداهم فِيه ، بما خَلَقه فى السَّماءِ والأَرْضِ من النُّجومِ (١)والجِبالِ ؛ التى جَعَلَها لهم عَلاماتٍ يَهْتَدُون بها فى سَيْرِهم(١) ، وبِما خَلَق لَهُم فيه (٢حِلْيَةً يَلْبَسُونها٢) مِنَ اللَّآلِئِ [١٢/١ ظ] والجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ العَزِيزَةِ الحَسَنَةِ الثَّمِينَةِ التى لا تُوجَدُ إلَّا فيه ، وبما خَلَق فِيه مِنَ الدَّوَابِّ الغَرِيبَةِ ، (٣وأَحَلَّها لهم٣) حتّى مَيْتَتَها ، كما قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ [المائدة : ٩٦] . وقَال النبىُّ ﷺ : « هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ »(٤) . وفى الحَدِيثِ الآخَرِ : « أُحِلَّتْ لنَا مَيْتَتانِ ودَمَانِ ؛ السَّمَكُ والجَرَادُ ، والكَبِدُ والطِّحَالُ » . رَواه أحمدُ وابنُ مَاجَه(٥) ، وفى إِسْنَادِه نَظَرٌ(٦) .

وقد قال الحافِظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مُسْنَدِه »(٧) : وجدتُ فى كتابى(٨) عن محمدِ بنِ معاويةَ البَغْدادىِّ ، حدثنا عبدُ الرَّحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ ، قال : « كَلَّمَ اللهُ هَذَا الْبَحْرَ الْغَرْبِىَّ ، وكَلَّمَ الْبَحْرَ الشَّرْقِىَّ ، فَقَالَ لِلْغَرْبِىِّ : إنِّى حَامِلٌ فِيكَ عِبَادًا مِنْ عِبَادِى ، فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ بِهِمْ ؟ قَالَ : أُغْرِقُهُمْ . قَالَ : بِأْسُكَ فِى

(١ - ١) فى ا : « والعلامات وهى الجبال الراسيات » .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، م .

(٣ - ٣) فى ا : « وأحل لهم ما فيه من السمك والدواب الغريبة كما رواه أحمد » .

(٤) تقدم فى صفحة ٤٩ .

(٥) مسند أحمد ٩٧/٢ . ابن ماجه (٣٢١٨ ، ٣٣١٤) بلفظ « الحوت » . (صحيح الجامع ٢٠٨) .

(٦) فإن فى إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال عبد الله بن الإمام أحمد : سمعت أبى يضعّف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : روى حديثا منكرا ، حديث : « أحلت لنا ميتتان » . ا هـ . ورواه غيره موقوفا ، لكن له حكم الرفع ، والخلاف شكلى ، وانظر السلسلة الصحيحة (١١١٨) .

(٧) كشف الأستار (١٦٦٩) . وقال الهيثمى ٢٨١/٥ : رواه البزار وجادة ، وفيه عبد الرحمن بن عمر العمرى وهو متروك .

(٨) فى م ، ص : « كتاب » .

نَوَاحِيكَ . وحَرَمَهُ الْحِلْيَةَ والصَّيْدَ ، وكَلَّمَ هَذَا الْبَحْرَ الشَّرْقِيَّ ، فَقَالَ : إنِّى حَامِلٌ فِيكَ عِبَادًا مِنْ عِبَادِى ، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِهِمْ ؟ قَالَ : أَحْمِلُهُمْ عَلَى يَدِى ، وأَكُونُ لَهُمْ كَالْوَالِدَةِ لِوَلَدِهَا . فأَثَابَهُ الْحِلْيَةَ والصَّيْدَ » . ثم قال : لا [1]نَعْلَمُ أحدًا رَوَاه[1] عن سُهَيْلٍ إلَّا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، وهو مُنْكَرُ الحديثِ . قال : وقد رَواه سُهَيْلٌ عن النُّعْمانِ[2] بنِ أبى عَيَّاشٍ ، عن عبدِ اللهِ ابنِ عَمْرٍو[3] مَوْقُوفًا[4] . قلتُ : الموقوفُ علَى عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ أشْبَهُ ؛ فإنَّه قد كان وَجَدَ يومَ اليَرْمُوكِ زَامِلَتَيْن مَمْلوءَتَيْن كُتُبًا مِن علومِ أهلِ الكتابِ ، فكان يُحدِّثُ منهما بأشياءَ كثيرةٍ من الإسْرائيليَّاتِ ، منها المعروفُ والمَشْهورُ والمَنْكورُ والمَرْدُودُ ، فأمَّا المرفوعُ[5] فتَفَرَّد به عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ[6] بنِ حَفْصِ بنِ عاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أبو القاسمِ المَدَنِيُّ قاضِيها ، قال فيه[7] الإمامُ أحمدُ : ليس بشىءٍ ، وقد سمِعْتُ منه ثم مَزَّقْتُ حديثَه ، كان كذَّابًا ، وأحاديثُه مَناكِيرُ . وكذا ضَعَّفَه ابنُ مَعِينٍ ، وأبو زُرْعَةَ ، وأبو حاتِمٍ ، والجُوزْجَانِيُّ ، والبُخارىُّ ، وأبو داودَ ، والنَّسائِيُّ[8] ، وقال ابنُ عَدِىٍّ[9] : عامَّةُ أحاديثِه مَناكِيرُ ، وأَفْظَعُها[10] حديثُ البَحْرِ .

(١ - ١) فى م : « تعلم أحدا . ما رواه » .

(٢) فى م ، ص : « عبد الرحمن » .

(٣) فى ص : « عمر » .

(٤) رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ٢٣٣/١٠ ، عن عبد الله بن عمرو موقوفا ، ورواه من طريق آخر عن عبد الله بن عمرو عن كعب الأحبار من قوله .

(٥) فى م ، ص : « المعروف » .

(٦) فى م ، ص : « عمرو » .

(٧) سقط من : ح .

(٨) الكامل لابن عدى ١٥٨٧/٤ ، ١٥٨٨ .

(٩) الكامل لابن عدى ١٥٨٨/٤ ، ١٥٩٠ .

(١٠) فى الأصل ، ا : « وأنكرها » .

قال علماءُ التَّسْييرِ[1] المتكلِّمون على العُروضِ ، والأطْوالِ ، والبِحارِ ، والأنْهارِ ، والجِبالِ ، والمِساحاتِ ، وما فى الأرضِ من المُدُنِ ، والخَرابِ ، والعِماراتِ[2] ، والأقاليمِ السَّبْعةِ الحقِيقِيةِ فى اصطِلاحِهم ، والأقاليمِ المتعدّدةِ العُرْفيةِ[3] ، وما فى البُلْدانِ والأقاليمِ من الخَواصِّ والنباتاتِ ، وما يُوجَدُ فى كلِّ قُطْرٍ من صُنوفِ المَعادنِ والتِّجاراتِ ، قالوا : الأرضُ مَعْمورةٌ بالماءِ العَظيمِ إلا مِقْدارَ الرُّبْعِ منها ، وهو تِسعونَ دَرَجةً ، والعِنايةُ الإلهيَّةُ اقْتَضتْ انحسارَ الماءِ عن هذا القَدْرِ منها ؛ لتعيشَ الحَيَواناتُ عليه ، ويَنْبُتَ الزَّرْعُ والثِّمارُ فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ * وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ * [١٣/١ و] فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٠ - ١٣] . قالوا[4] : المَعْمورُ[5] مِن هذا البادِى[6] منها قَريبُ الثُّلُثَينِ منه أو أكثرُ قليلًا . وهو خمسٌ وسِتونَ[7] درجةً . قالوا : فالبحرُ المُحيطُ الغربىُّ ، ويُقالُ له : أُوقيانوسُ . وهو الذى يُتاخِمُ بلادَ المَغْربِ[8] ، وفيه الجَزائرُ الخالِداتُ ، وبينَها وبينَ ساحِلِه عَشْرُ دَرَجٍ ، مسافةُ شَهْرٍ تقريبًا ، وهو بحرٌ لا يمكنُ سُلوكُه ولا ركوبُه ؛ لكثرةِ هَيْجِه واغْتِلامِه وما فيه مِن الرِّياحِ والأمواجِ ، وليس فيه صيدٌ ، ولا يُسْتَخرجُ منه شىءٌ ، ولا يُسافَرُ فيه لمتْجَرٍ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « التفسير » .

(٢) فى ا : « العمران » .

(٣) فى ا : « الغربية » .

(٤) انظر : نزهة المشتاق ، للإدريسى ١/٨ - ١٢ . ومسالك الأبصار ١/١٦ - ٢٣ .

(٥) فى ح : « المغمور » .

(٦) بعده فى ا : « وهو مقدار الربع » .

(٧) فى م ، ص : « وتسعون » .

(٨) فى ص : « العرب » .

ولا لغيرِه ، وهو آخِذٌ فى ناحِيَةِ الجَنوبِ حتى يُسامِتَ[1] الجبالَ القُمْرَ ، ويُقالُ : جبالُ القَمَرِ[2] . التى منها أصلُ منبعِ نيلِ مِصْرَ[3] ، ويَتَجاوزُ خطَّ الاسْتواءِ ، ثم يمتدُّ شرقًا ، ويصيرُ جَنوبىَّ الأرضِ ، وفيه هناك جَزائرُ الزِّنْجِ[4] ، وعلى سَوَاحِلِه خرابٌ كثيرٌ ، ثم يمتدُّ شرقًا وشمَالًا حتى يتصلَ ببحرِ الصينِ والهندِ ، ثم يمتدُّ شرقًا حتى يُسامِتَ نهايةَ الأرضِ الشرقيةِ المكشوفةِ ، وهناك بلادُ الصينِ ، ثم يَنْعَطِفُ فى شرقِ الصينِ إلى جهةِ الشَّمالِ ، حتى يُجاوزَ بلادَ الصينِ ، ويُسامِتَ سدَّ يأجوجَ ومأجوجَ ، ثم ينعطفُ ، ويستديرُ على أرضٍ غيرِ معلومةِ الأحوالِ ، ثم يمتدُّ مَغْرِبًا فى شَمالِ الأرضِ ، ويُسَامِتُ بلادَ الرُّوسِ ، ويتجاوزُها ، ويعطِفُ مَغْرِبًا وجنوبًا ، ويستديرُ على الأرضِ ، ويعودُ إلى جهةِ الغربِ ، ويَنْبَثِقُ[5] مِن الغربىِّ إلى مَتْنِ الأرضِ الزقاقِ ، الذى ينتهى أقصاهُ إلى أطرافِ الشامِ مِن الغربِ ، ثم يأخذُ فى بلادِ الرومِ ، حتى يتَّصلَ بالقُسْطَنْطِينيةِ وغيرِها من بلادِهم .

وينبعثُ من المحيطِ الشرقىِّ بحارٌ أُخَرُ ، فيها جزائرُ كثيرةٌ ، حتى إنه يُقالُ : إنَّ فى بحرِ الهندِ أَلفَ جزيرةٍ وسَبْعَمائةِ جزيرةٍ ، فيها مدُنٌ وعماراتٌ سِوَى الجزائرِ[6] العاطِلةِ ، ويُقالُ لها : البحرُ الأخضرُ . فشَرْقيُّه بحرُ الصينِ ، وغربيُّه بحرُ اليمنِ ، وشماليُّه بحرُ الهندِ ، وجنوبيُّه غيرُ معلومٍ .

وذكروا أَنَّ بينَ بحرِ الهندِ وبحرِ الصينِ جبالًا فاصلةً بينَهما ، وفيها فِجاجٌ تسلُكُ المراكِبُ بينَها ، يُسيِّرُها لهم الذى خلقَها ، كما جعل مثْلَها فى البرِّ أيضًا ،

---

(١) فى ا ، ص : « تسامت » .

(٢) انظر ص ٥٨ .

(٣) بعده فى ا : « وهى جبال عظام لا يوصل إليها » .

(٤) فى م : « الزاج » .

(٥) فى الأصل ، ا : « ينشق » .

(٦) فى ح : « المدن » .

قال الله تعالى[1] : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣١] . وقد ذكَر بَطْلَمْيُوسُ أحدُ ملوكِ الهندِ فى كتابِه المسمَّى « بالمِجِسْطِى »[2] ، الذى عُرِّبَ فى زمانِ المأمونِ ، وهو أصلُ هذه العلومِ ، أنّ البحارَ المتفجِّرةَ من المحيطِ ، الغربىِّ ، والشرقىِّ ، والجنوبىِّ ، والشَّمالىِّ كثيرةٌ جدًّا ؛ فمنها ما هو واحدٌ ، ولكن يُسمَّى بحَسَبِ البلادِ المتاخِمَةِ له ؛ فمِن ذلك بحرُ القُلْزُمِ ، والقُلْزُمُ قريةٌ على ساحلِه قريبٌ مِن أَيْلَةَ ، وبحرُ فارسَ ، وبحرُ الخَزَرِ ، وبحرُ ورنكَ ، وبحرُ الرومِ ، وبحرُ [3]بنطش[4] ، [١٣/١ ظ] وبحرُ الأزرقِ[3] مدينةٌ على ساحلِه ؛ وهو بحرُ القَرْمِ[5]أيضًا ، ويتضايقُ حتى يَصُبَّ فى[6] بحرِ الرومِ عند جنوبىِّ القُسْطنطينيةِ ، وهو خليجُ القُسْطنطينيةِ ؛ ولهذا تُسرِعُ المراكبُ فى سيرِها من القَرْمِ إلى بحرِ الرومِ ، وتُبْطِئُ إذا جاءت مِن الإسكندريةِ إلى القَرمِ ؛ لاستقبالِها جَرَيانَ الماءِ ، وهذا مِن العجائبِ فى الدنيا ، فَإنَّ كلَّ ماءٍ جارٍ فهو حُلْوٌ إلا هذا ، وكلَّ بحرٍ راكِدٍ فهو مِلْحٌ أُجاجٌ إلا ما يُذْكرُ عن بحرِ الخَزَرِ ، وهو بحرُ جُرْجانَ ، وبحرِ طَبَرِسْتانَ ، أنّ فيه قطعةً كبيرةً ماءً حُلوًا فُراتًا ، على ما أَخْبرَ به المسافرون عنه . قال أهلُ الهيئةِ : وهو بحرٌ مستديرُ الشكلِ ، إلى الطولِ ما هو . وقيل : إنّه مُثّلثٌ كالقِلْعِ وليس هو متصلًا بشيءٍ مِنَ البحرِ المحيطِ ، بل منفردٌ وحدَه ، وطولُه ثَمانُمائةِ ميلٍ ، وعرضُه سِتُّمِائةٍ . وقيل : أكثرُ مِن ذلك . والله أعلمُ .

---

(١) التفسير ٣٣٢/٥ .

(٢) فى ا : « بالمحيطى » .

(٣ - ٣) فى ا : « ينطنين وهو الأزرق وينتس » .

(٤) فى الأصل ، ح : « نيطس » .

(٥) فى ا : « القلزم » .

(٦) سقط من : ح .

ومن ذلك ، البحرُ الذى يخرجُ منه المَدُّ والجَزْرُ عند البَصْرةِ ، وفى بلادِ المغربِ نَظيرُه أيضًا يتزايدُ الماءُ من أولِ الشهرِ ، ولا يزالُ فى زيادةٍ إلى تمامِ الليلةِ الرابعةَ عشرَ منه ؛ (١وهو المَدُّ١) ، ثم يَشْرَعُ فى النَّقْصِ ؛ وهو الجَزْرُ ، إلى آخرِ الشهرِ .

وقد ذكروا تحديدَ هذه البحارِ ومُبتداها ومُنتهاها . وذكروا ما فى الأرضِ مِن البُحَيْراتِ المجتمعةِ مِنَ الأنهارِ وغيرِها مِن السيولِ ؛ وهى البَطائحُ . وذكروا ما فى الأرضِ مِن الأنهارِ المشهورَةِ الكِبارِ ، وذكروا ابتداءَها ، وانتهاءَها .

ولسنا بصددِ بَسْطِ ذلِك والتطويلِ فيه ، وإنَّما نتكلمُ على ما يتعلَّقُ بالأنهارِ الواردِ ذكرُها فى الحديثِ . وقد قال اللهُ تعالى[٢] : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٢ - ٣٤] . ففى « الصحيحين »[٣] من طريقِ قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن مالكِ ابنِ صَعْصَعَةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى قال : « فإذا يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِها نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ونَهْران ظاهِران ؛ فَأَمَّا الباطِنَانِ ففى الجَنَّةِ ، وأمّا الظَّاهِرانِ فالنِيلُ والفُرَاتُ » . وفى لفظٍ للبخارىِّ[٤] : « عُنْصُرُهما » . أى مادَّتُهما ، أو شكلُهما ، وعلى صِفَتِهما ونَعْتِهما ، وليس فى الدنيا مما فى الجنَّةِ إلا الأسماءُ[٥] . وفى صحيحِ مسلمٍ[٦] من حديثِ عُبيدِ اللهِ بنِ عمرَ ، عن

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) التفسير ٤/٤٢٩ .

(٣) البخارى (٣٢٠٧ ، ٣٨٨٧) ، مسلم (١٦٤) .

(٤) البخارى (٧٥١٧) .

(٥) فى م ، ص : « سماوية » .

(٦) مسلم (٢٨٣٩) .

خُبَيْبِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن حَفْصِ بنِ عاصِمٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، أَنّ رسولَ ٱللهِ ﷺ قال : [١٤/١ و] « سَيْحانُ وجَيْحانُ والفُراتُ والنِّيلُ ، كُلٌّ مِنْ أَنْهارِ الجَنَّةِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[١] : حدثنا ابنُ نُمَيْرٍ ويزيدُ ، أنبأنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال رسولُ ٱللهِ ﷺ : « فُجِّرَتْ أَرْبَعَةُ أَنْهارٍ مِنَ الجَنَّةِ ؛ الفُرَاتُ ، والنِّيلُ ، وسَيْحانُ ، وجَيْحانُ » . وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ . وكأَنَّ المرادَ ، وٱللهُ أعلمُ مِن هذا ، أَنّ هذه الأنهارَ تُشْبِهُ أَنْهارَ الجنةِ فى صفاتِها ، وعُذُوبتِها ، وجَرَيانِها ، ومِن جنسِ تلك فى هذه الصفاتِ ونحوِها ، كما قال فى الحديثِ الآخرِ الذى رواه الترمذىُّ[٢] وصَحَّحه ، من طريقِ سعيدِ بنِ عامرٍ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رسولَ ٱللهِ ﷺ قال : « العَجْوَةُ مِنَ الجَنَّةِ ، وفيها شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ » . أى تشبهُ ثَمَرَ الجنةِ ، لا أَنَّها مُجْتَنَاةٌ مِن الجنةِ ، فإنَّ الحسَّ يشهدُ بخلافِ ذلك ، فتعيَّن أَنّ المرادَ غيرُه . وكذا قولُه ﷺ : « الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فَأَبْرِدُوها بالماءِ »[٣] . وكذا قولُه : « شِدَّةُ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ »[٤] . وهكذا هذه الأنهارُ ، أصلُ مَنْبَعِها مُشاهَدٌ مِنَ الأرضِ[٥] .

---

(١) المسند ٢/٢٦٠ ، ٢٦١ . (صحيح) .

(٢) الترمذى (٢٠٦٦) . وقال : حسن غريب . (صحيح الجامع ٤٠٠٥) .

(٣) البخارى (٣٢٦٣ ، ٣٢٦٤ ، ٥٧٢٥) ، مسلم (٢٢٠٩ - ٢٢١٢) .

(٤) البخارى (٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٦٢٩ ، ٣٢٥٨ ، ٣٢٥٩) ، مسلم (٦١٥ - ٦١٧) .

(٥) قال الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١١٢) : « ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها ، كما أن أصل الإنسان من الجنة فلا ينافى الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة فى الأرض ، فإن لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه ، فالحديث من أمور =

أَمَّا النيلُ[1] ، وهو النهرُ الذى ليسَ فى أنهارِ الدنيا له نظيرٌ فى خِفَّتِه ، ولطافَتِه ، وبُعْدِ مَسْراه فيما بينَ مُبتداه إلى مُنْتهاه ؛ فَمُبْتداه مِن الجبالِ القُمْرِ ؛ أى البيضِ . ومنهم مَنْ يقولُ : جبالُ القَمَرِ . بالإضافَةِ إلى الكوكبِ . وهى فى غربىِّ الأرضِ ، وراءَ خطِّ الاستواءِ إلى الجانبِ الجنوبىِّ . ويُقالُ : إنَّها حُمْرٌ تَنْبُعُ من بينِها عيونٌ ، ثم تَجْتَمِعُ مِن عشرِ مَسِيلاتٍ متباعدةٍ ، ثم تَجتمعُ كلُّ خمسةٍ منها فى بحرٍ ، ثم تَخرجُ منها أنهارٌ ستةٌ ، ثم تجتمعُ كلُّها فى بُحَيْرةٍ أخرى ، ثم يخرجُ منها نهرٌ واحدٌ ، هو النيلُ ، فيمرُّ على بلادِ السودانِ بالحبشةِ[2] ، ثم على النوبةِ ومدينتِها العظمَى دُمْقُلَةَ ، ثم على أسوانَ ، ثم يَفِدُ على ديارِ مصرَ ، وقد تَحمَّل إليها من بلادِ الحبشةِ زياداتِ أمطارِها ، واجْتَرف من تُرابِها ، [3]وهى[3] مُحتاجةٌ إليهما معًا ؛ لأنَّ مطرَها قليلٌ لا يكفِى زُروعَها وأشْجارَها ، وتُربتَها رمالٌ لا تُنبتُ شيئًا حتى يجىءَ النِّيلُ بزِيادتِه وطِينِه فَيَنْبُتُ فيه ما يحتاجون إليه ، وهى من أحقِّ الأراضى بدُخولِها فى قولِه تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة : ٢٧] . ثم يتَجاوَزُ النيلُ مصرَ قليلًا ، فيفترِقُ شَطْرَيْن عندَ قريةٍ على شاطِئِه يُقال لها : شَطَّنَوْفُ . فيَمُرُّ الغربىُّ منه على رَشيدَ ، ويَصُبُّ فى البحرِ المالحِ ، [4]وأمَّا الشرقىُّ فَيَفترِقُ أيضًا عندَ جوجرَ فِرْقَتين ؛ تمُرُّ الغربيَّةُ [١٤/١ ظ] منهمًا على دِمْياطَ من غربيِّها ، ويصبُّ فى البحرِ ، والشَّرقيَّةُ[4] منهما

= الغيب التى يجب الإيمان بها ، والتسليم للمخبر عنها ، ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ . ويؤيد ذلك رواية البخارى : « عنصرهما » . والعنصر هو الأصل ، كما قال الحافظ فى الفتح ٤٨٢/١٣ ، ورواية : « فجرت أربعة أنهار من الجنة » .

(١) انظر : مسالك الأبصار ٤٥/١ - ٤٩ .

(٢) فى م : « الحبشة » .

(٣ - ٣) فى ا : « وأرض مصر » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

تمرُّ على أُشمونِ طنَّاحٍ ، فيصبُّ هناك فى بُحيرةٍ شرقىٍّ دِمْياطَ ، يُقالُ لها : بُحيرةُ تِنِّيسَ[1] ، وبُحيرةُ دِمْياطَ . وهذا بُعْدٌ عظيمٌ فيما بينَ مُبْتَدئِه إلى مُنْتهاهُ ؛ ولهذا كان ألطفَ المياهِ . قال ابنُ سينا : له خُصوصِيَّاتٌ دُونَ مياهِ سائرِ الأرضِ ؛ فمنها أنَّه أبعدُها مسافةً من مَجْراهُ إلى أَقْصاهُ ، ومنها أنَّه يجرِى على صُخورٍ ورِمالٍ ليس فيه خَزٌّ ولا طُحْلُبٌ ولا أوحالٌ ، ومنها أنَّه لا يخضَرُّ فيه حجرٌ ولا حصاةٌ ، وما ذاك إلا لصِحَّةِ مِزاجِه وحلاوتِه ولطافَتِه ، ومنها أنَّ زيادتَه تكونُ فى أيامِ نُقْصانِ سائرِ الأنهارِ ، ونُقْصانُه فى أيَّامِ زِيادَتِها وكَثْرتِها . وأمَّا ما يذكرُه بعضُ النَّاسِ مِن أنَّ أصلَ مَنْبعِ النِّيلِ مِن مكانٍ مُرْتفعٍ اطَّلع عليه بعضُ الناسِ ، فرأى هناك هَوْلًا عظيمًا ، وجَوارِىَ حِسانًا ، وأشياءَ غَريبةً ، وأنَّ الذى اطَّلع على ذلك لا يُمْكِنُه الكلامُ بعدَ هذا ، فهو مِن خُرافاتِ المؤرِّخينَ ، وهذياناتِ الأفَّاكينَ .

وقد قال عبدُ اللهِ بنُ لَهِيعةَ ، عن قيسِ بنِ الحجَّاجِ ، عَمَّن حدّثه قال : لَمّا فُتِحَتْ مِصرُ ، أتى أهلُها عمرَو بنَ العاصِ حينَ دَخَل شهرُ بَؤونةَ من أَشْهُرِ العَجَمِ القبطيةِ[2] ، فقالوا : أيُّها الأميرُ ، إنَّ لنيلِنا هذا سُنَّةً لا يجرِى إلَّا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كان لِثِنْتَىْ عشْرَةَ ليلةً خَلَت مِن هذا الشَّهرِ ، عَمَدْنا إلى جارِيةٍ بِكْرٍ بين أبَوَيْها ، فَأَرْضَيْنا أبَوَيْها ، وجعلنا عليها مِن الحَلْىِ والثِّيابِ أفضلَ ما يكونُ ، ثم أَلْقَيناها فى هذا النِّيلِ . فقال لهم عمرٌو : إنَّ هذا لا يكونُ فى الإسلامِ ، وإنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قبلَه . فأقاموا بؤونَةَ ، والنِّيلُ لا يَجْرى قليلًا ولا كثيرًا . وفى رِوايةٍ : فأقاموا بَؤونَةَ وأبيبَ ومِسْرَى ثلاثةَ أشْهُرٍ والنِّيلُ لا يجرِى . حتى هَمُّوا بالجَلاءِ ، فكتب عمرٌو إلى عُمَرَ بنِ الخطَّابِ بذلك ، فكتب إليه عمرُ : إنَّك قد أَصبْتَ بالذى فعلتَ ، وإنِّى قد بعثتُ إليك

---

(١) فى ح : « نبيس » .

(٢) زيادة من : م .

بطاقةً داخلَ كتابى هذا ، فألْقِها فى النِّيلِ . فلما قَدِمَ كتابُهُ أَخذَ عمرٌو البطاقةَ فَفَتَحها ؛ فإذا فيها : مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ أميرِ المؤمنين إلى نِيلِ أهلِ مِصْرَ ، أما بعدُ ، فإن كنتَ إنَّما تجرى من (١قِبَلِ نَفْسِك١) فلا تَجْرِ ، وإنْ كان اللهُ (٢الواحدُ القَهَّارُ٢) هو الذى يُجرِيكَ ، فنسألُ اللهَ أن يُجْرِيَك . فألقى عمرٌو البطاقةَ فى النيلِ ، فأصبحَ يومُ السبتِ ، وقد أجرى اللهُ سُبْحانَه لهم النِّيلَ ستةَ عشَرَ ذِراعًا فى ليلةٍ واحدةٍ ، وقَطَع اللهُ تلك السُّنَّةَ عن أهلِ مصرَ إلى اليومِ[٣] .

وأمّا الفُراتُ[٤] ، فأصلُها مِن شمالىِّ أَرْزَنِ الرومِ ، فتمرُّ إلى قُرْبِ مَلَطْيَةَ ، ثم تمرُّ على سُمَيْسَاطَ[٥] ، ثم على إلْبِيرَةَ قِبْلِيَّها ، ثم تُشرِّقُ إلى بالِسَ وقَلْعةِ [١٥/١ و] جَعْبَرَ ، ثم إلى الرَّقَّةِ ، ثم إلى الرَّحبةِ شماليَّها ، ثم إلى عَانَةَ ، ثم إلى هِيتَ ، ثم إلى الكُوفَةِ ، ثم تخْرُجُ إلى فضاءِ العِراقِ وتَصبُّ فى بطائِحَ[٦] كبارٍ ؛ أى بُحيراتٍ ، وتردُ إليها ، وتَخرُج منها أنهارٌ كِبارٌ معروفةٌ ، (٧تَصبُّ فى بَحْرِ البَصْرَةِ٧) .

وأما سَيْحانُ[٨] ، ويُقالُ له سَيْحُونُ أيضًا ، فأوَّلُه من بلادِ الرُّومِ ، ويجْرِى مِن الشَّمالِ والغربِ إلى الجَنُوبِ والشَّرْقِ ، وهو غربىُّ مَجْرى

(١ - ١) فى م : « قبلك » .

(٢ - ٢) فى ا : « القادر على كل شىء » .

(٣) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٩٤١) ، وابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها ١٥٠ ، ١٥١ . وابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٣/١٢٥ مخطوط) . وإسناده ضعيف .

(٤) انظر : مسالك الأبصار ٥٢/١ ، ٥٣ .

(٥) فى م : « شميشاط » . وفى ص : « شميساط » .

(٦) فى ح : « مصالح » .

(٧ - ٧) زيادة من : ا .

(٨) انظر : نزهة المشتاق ٦٤٧/٢ .

جَيْحانَ ، ودُونَه فى القَدْرِ ، وهو ببلادِ الأَرْمَنِ[1] التى تُعْرَفُ اليومَ ببلادِ سِيسَ ، وقد كانت فى أوَّلِ الدولةِ الإسلامِيَّةِ فى أيدى المُسلمين ، فلمَّا تغلَّبَ الفاطِميُّونَ على الدِّيارِ المصريَّةِ ومَلكوا الشامَ وأعمالَها ، عَجَزوا عن صَوْنِها من الأعداءِ ، فتغلَّب نِقفورُ الأرمنىُّ على هذه البلادِ ، أعنى بلادَ سِيسَ ، فى حُدودِ الثلاثِمائةِ وإلى يومِنا هذا فملَكُوها . واللهُ المسؤولُ عَوْدَها إلينا بحَوْلِه وقُوّتِه . ثم يجتمِعُ سَيْحانُ وجَيْحانُ عند أَذَنَةَ ، فيصيرانِ نهرًا واحدًا . ثم يَصُبَّانِ فى بحرِ الرُّومِ بينَ إياسَ وطَرَسُوسَ .

وأما جَيْحانُ[2] ، ويُقالُ له جَيْحُونُ أيضًا ، وتُسَمِّيه العامةُ جَاهانَ ، وأصلُه فى بلادِ الرُّومِ ، ويسيرُ فى بلادِ سِيسَ من الشَّمالِ إلى الجَنوبِ ، وهو نَهْرٌ يقارِبُ الفُراتَ فى القَدْرِ . ثم يجتمعُ هو وسَيْحانُ عند أَذَنَةَ ، فيَصيرانِ نهرًا واحِدًا ، ثم يصُبَّانِ فى البحرِ عند إياسَ وطَرَسُوسَ ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) فى م ، ص : « الأرض » .

(٢) نزهة المشتاق ٢/٦٤٦ .

فصـــلٌ

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٢ - ٤] . وقال تعالى[2] : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦٠ ، ٦١] . وقال تعالى[3] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ [١٥/١ ظ] فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٠ - ١٣] .

---

(١) التفسير ٤/٣٥٠ - ٣٥٤ .

(٢) التفسير ٦/٢١٠ .

(٣) التفسير ٤/٤٧٩ .

فذَكَر تعالى ما خلَق فى الأرضِ مِن الجِبالِ ، والأشْجارِ ، والثِّمارِ ، والسُّهولِ والأَوعارِ ، وما خلَق مِن صُنوفِ المَخْلوقاتِ ، مِن الجَماداتِ والحَيَواناتِ ، فى البَرارِى والقِفارِ والْبِحارِ ، ما يدُلُّ على عظمتِه وقدرتِه وحكمَتِه وبخلقِه الأَبْرارِ والفُجَّارِ ، وما سَهَّل لكلِّ دابَّةٍ مِن الرِّزقِ الذى هى مُحْتاجةٌ إليه فى ليلِها ونَهارِها ، وصَيْفِها وشِتائِها ، وصَباحِها ومَسائِها ؛ كما قال تعالى[1] : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] .

وقد روى الحافِظُ أبو يَعلَى[2] ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن عُبيدِ بنِ واقدٍ ، عن محمَّدِ بنِ عِيسى بنِ كَيْسانَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، عن عُمرَ بنِ الخَطَّابِ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « خَلَقَ اللهُ ألفَ أُمَّةٍ ؛ منها سِتُّمِائةٍ فى البَحْرِ ، وأَرْبَعُمِائةٍ فى البَرِّ ، وأَوَّلُ شَىءٍ يَهْلِكُ مِنْ هذهِ الأُمَمِ الجَرادُ ، فإذا هَلَكَتْ تَتابَعَتْ مِثْلَ النِّظَامِ إذَا قُطِعَ سِلْكُه » . عُبَيْدُ ابنُ واقِدٍ أبو عبَّادٍ البَصْرِىُّ ضعَّفه أبو حاتِمٍ ، وقال ابنُ عَدِىٍّ[3] : عامَّةُ ما يرويه لا يُتابَعُ عليه ، وشيخُه أضعَفُ منه . قال الفَلاَّسُ والبُخارِىُّ : مُنْكَرُ الحَديثِ . وقال أبو زُرْعَةَ : لا يَنْبغى أن يُحَدَّثَ عنه . وضعَّفه ابنُ حِبَّانَ ، والدَّارَقُطْنِىُّ ، وأنكَر عليه ابنُ عَدِىٍّ هذا الحديثَ بعينِه وغيرَه[4] ، واللهُ أعلمُ .

وقال تعالى[5] : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

---

(١) التفسير ٢٣٩/٤ .

(٢) عزاه له الهيثمى وقال : فيه عبيد بن واقد القيسى وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٣٢٢/٧ .

(٣) الكامل ١٩٩٠/٥ .

(٤) انظر الموضوعات لابن الجوزى ١٤/٣ .

(٥) التفسير ٢٤٨/٣ .

بابُ ذِكْرِ ما يتَعَلَّقُ بخَلْقِ السَّماواتِ وما فِيهِنَّ منَ الآيَاتِ

قد قدَّمنا أنّ اللهَ خلَقَ الأرضَ قبلَ خلقِ السَّماءِ[1] ؛ كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ٩ - ١٢] وقال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٠] . [2]وقد أجَبْنا عَن قولِه : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ بأنَّ[2] الدَّحْىَ غَيْرُ الخَلْقِ ، وهو بعدَ خلْقِ السَّماءِ[3] . وقال تعالى[4] : ﴿ تَبَٰرَكَ [١٦/١ و] ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ * ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٨ ، ٢٩ .

(٢ - ٢) زيادة من : ح .

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٣٠ .

(٤) التفسير ٢٠٣/٨ .

ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١ - ٥] . وقال تعالى[١] : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٢ - ١٣] . وقال تعالى[٢] : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٥ ، ١٦] . وقال تعالى[٣] : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] . وقال تعالى[٤] : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦١ ، ٦٢] . وقال تعالى[٥] : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٦ - ١٠] . وقال تعالى[٦] : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٦ - ١٨] . وقال تعالى[٧] :

---

(١) التفسير ٣٢٧/٨ .

(٢) التفسير ٢٦٠/٨ .

(٣) التفسير ١٨٢/٨ .

(٤) التفسير ١٢٩/٦ .

(٥) التفسير ٤/٧ .

(٦) التفسير ٤٤٦/٤ .

(٧) التفسير ٤٠٠/٧ .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] . وقال تعالى[١] : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢ ، ٣٣] . وقال تعالى[٢] : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٣٧ - ٤٠] . وقال تعالى[٣] : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٦ ، ٩٧] . وقال تعالى[٤] : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . والآياتُ فى هذا كثيرةٌ جدًا ، وقد تكلّمنا على كلٍّ منها فى « التفسيرِ » .

[١٦/١ ظ] والمقصودُ أنّه تعالى يُخبِرُ عن خلْقِ[٥] السَّمواتِ وعَظَمَةِ اتِّساعِها ، وارتفاعِها ، وأنّها فى غايةِ الحُسْنِ والبَهاءِ ، والكَمالِ[٦] والسَّناءِ ؛ كما قال تعالى[٧] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [الذاريات : ٧] . أى الخَلْقِ

---

(١) التفسير ٣٣٤/٥ .

(٢) التفسير ٥٦١/٦ .

(٣) التفسير ٢٩٧/٣ .

(٤) التفسير ٤٢٢/٣ .

(٥) فى ح : « عظمة » .

(٦) بعده فى ح : « والجمال » .

(٧) التفسير ٣٩١/٧ .

الحَسَنِ ، وقال تعالى[1] : ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣ ، ٤] ؛ أىْ خاسئًا عن أنْ يرى فيها نقصًا أو خللًا . وهو حسيرٌ ؛ أىْ كَليلٌ ضَعيفٌ[2] ، ولو نظر حتى يَعْىَ ويكِلَّ ويَضْعُفَ لَمَا اطلّع على نقصٍ فيها ولا عَيْبٍ ؛ لأنَّه تعالى قد أحكَمَ خَلْقَها ، وزيّنَ بالكَواكبِ أُفُقَها ، كما قال[3] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١] . أى النجومُ . وقِيل : مَحالُّ الحَرسِ التى يُرْمَى منها بالشُّهُبِ لمُسْتَرِقِ السَّمعِ . ولا مُنافاةَ بين القولَيْن . وقال تعالى[4] : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر : ١٦ ، ١٧] . فذكَر أنَّه زيّن منظرَها بالكَواكبِ الثَّوابتِ ، والسَّيَّاراتِ ؛ الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ الزَّاهِراتِ ، وأنَّه صان حَوْزَتَها عن حُلُولِ الشَّياطينِ بها ، وهذا زِينةُ مَعْنًى[5] فقال : ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ : كما قال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الصافات : ٦ - ٨] .

قال البُخارىُّ فى كتابِ بَدْءِ الخَلْقِ[6] : وقال قَتادةُ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [الملك : ٥] . خلَقَ هذه النجومَ لثلاثٍ ؛ جعلَها زينةً للسَّماءِ ، ورُجومًا للشَّياطِينِ ، وعلاماتٍ يُهتدَى بها ، فمن تأوَّل فيها[7] بغيرِ

---

(١) التفسير ٢٠٣/٨ .
(٢) سقط من : ح .
(٣) التفسير ٣٨٤/٨ .
(٤) التفسير ٤٤٦/٤ .
(٥) فى ح : « معناها » . وفى ص : « ومعناها » .
(٦) فتح البارى ٢٩٥/٦ ، وانظر التفسير لابن كثير ٢٠٤/٨ .
(٧) سقط من : م ، ص .

ذلك أخطأ وأضاعَ نصيبَه ، وتكلَّف ما لا عِلْمَ له به . وهذا الذى قاله قتادةُ ، مُصرَّحٌ به فى قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك : ٥] . وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام : ٩٧] . فَمَن تكلّف غيرَ هذه الثَّلاثِ ، أى مِنْ عِلْمِ أحكامِ ما تدلُّ عليه حركاتُها ، ومقارناتُها فى سَيْرِها ، وأنّ ذلك يدلُّ على حوادِثَ أرضيَّةٍ ، فقد أخطأ . وذلك أنّ أكثرَ كلامِهم فى هذا البابِ ليس فيه إلا حَدْسٌ وظُنونٌ كاذِبَةٌ ودعاوَى باطِلةٌ . وذكَر تعالى أنَّه خلَق سَبْعَ سَمَٰواتٍ طِباقًا ؛ أى واحدةً فوقَ واحدةٍ . واختلف أصحابُ الهَيْئةِ ، هل هُنّ مُتراكِماتٌ ؟ أو متُفاصلاتٌ بينَهنَّ خَلاءٌ ؟ على قولين . والصَّحِيحُ الثَّانِى ؛ لِمَا قدَّمنا من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَيْرَةَ ، عن الأحْنَفِ ، عن العبَّاسِ ، فى حديثِ الأوْعالِ[1] ، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « أتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ؟ » قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : « بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمائةِ سنةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ خَمْسُمِائةِ سنةٍ ، وكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمائةِ سَنَةٍ » . الحديثُ بتمامِه رواه أحمدُ ، وأبو داودَ ، وابنُ ماجه [١/١٧و] ، والترمذىُّ وحسَّنه . وفى « الصحيحين »[2] من حديثِ أنسٍ فى حديثِ الإسراءِ ، قال فيه : « وَوَجَدَ فى السَّمَاءِ الدُّنْيا آدَمَ ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : هذا أَبُوكَ آدمُ . فَسَلِّمْ عليه ، فَرَد عليه السَّلَامَ ، وَقَالَ : « مَرْحَبًا وأهلًا بابْنِى ، نِعمَ الابْنُ أَنْتَ » . إلى أَنْ قَال : « ثم عَرَجَ بى[3] إلى السمَاءِ الثانيةِ » . وكذا ذَكَر فى الثالِثةِ ، والرَّابعةِ ، والخامسةِ ، والسَّادِسَةِ ، والسابعةِ . فدلَّ على التَفاصُلِ بينَها ؛ لقولِه : « ثُمّ عُرِجَ بِنَا حتى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيةَ ، فاسْتَفْتَح ،

---

(١) تقدم فى صفحة ١٦ .

(٢) البخارى (٣٥٧٠ ، ٧٥١٧) ، مسلم (١٦٢ - ١٦٤) .

(٣) سقط من : ح .

فَقِيلَ : مَنْ هذَا ؟ » إلى آخرِ الحديثِ . وهذا يدلُّ على ما قُلْناه ، واللهُ أعلمُ .

وقد حكى ابنُ حزمٍ[1] ، وابنُ المُنادِى[2] ، وأبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزىِّ[3] ، وغيرُ واحدٍ من العلماءِ الإجماعَ على أنّ السمٰواتِ كُرِّيَّةٌ[4] مستديرةٌ ، واستُدِلّ على ذلك بقولِه[5] : ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] . قال الحسنُ[6] : يدورون . وقال ابنُ عباسٍ : فى فَلْكةٍ مثلِ فَلْكَةِ المِغْزَلِ[7] . قالوا : ويدلُّ على ذلكَ ، أنّ الشمسَ تغربُ كلَّ ليلةٍ من المغربِ ، ثم تطلُعُ فى آخرِها مِن المشرقِ ، كما قال أُمَيّةُ ابنُ أبى الصَّلْتِ[8] :

والشمسُ تطْلُعُ[9] كلَّ آخرِ ليلةٍ حمراءَ يُصْبِحُ[10] لوْنُها يَتَوَرَّدُ[11]
[12]ليستْ بطالِعةٍ لهم[12] فى رِسْلِها إلا مُعذَّبةً وإلا تُجْلَدُ

فأمّا الحديثُ الذى رواه البخارىُّ[13] ، حيث قال : حدثنا محمدُ بنُ

---

(١) الفصل ٢/٩٧ - ١٠٠ .
(٢) فى م ، ص : « المنير » .
(٣) المنتظم ١/١٨٣ .
(٤) فى م ، ص : « كرة » .
(٥) التفسير ٦/٥٦٥ .
(٦) سقط من : ح .
(٧) فلكة المغزل : القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل فى أعلاه وتثبت الصنارة من فوقها وعود المغزل من تحتها .
(٨) ديوان أمية ص ٢٩ .
(٩) فى الأصل : « فما تبدو » . وفى ص : « تبدو » .
(١٠) فى م : « مطلع » .
(١١) فى الأصل ، ح : « يتوقد » ، فى م : « متورد » .
(١٢ - ١٢) فى الأصل : « تأتى فما تبدو لنا » . وفى ح ، ا : « تأبى فما تبدو لنا » . وفى م ، ص : « تأبى فلا تبدو لنا » .
(١٣) البخارى (٣١٩٩) .

يوسفَ ، حدثنا سُفْيانُ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ التَّيمىِّ ، عن أبيه ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبى ذَرٍّ حينَ غرَبت الشمسُ : « تَدرِى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ » . قلتُ : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ . قال : « فَإِنّها تَذْهَبُ حتى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ ، فَتَستأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لها ، ويُوشِكُ أَن تَسْجُدَ فلا يُقْبَلَ مِنها ، وتَسْتَأْذِنَ فَلا يُؤْذَنَ لَهَا ، يُقَالُ لَهَا : ارجعى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ . فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِها . فَذَلِكَ قَولُهُ تعالى[1] : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨] . هذا لفظُه فِى بَدءِ الخلقِ . ورواه فى التفسيرِ ، وفى التوحيدِ ، من حديثِ الأَعْمَشِ أيضًا[2] . ورواه مسلمٌ فى الإيمانِ مِن طريقِ الأَعْمشِ ، ومِن طريقِ يُونسَ[3] بنِ عُبَيْدٍ . وأبو داودَ مِن طريقِ الحَكَمِ بنِ عُتَيْبَةَ[4] ، كلُّهم عن إبراهيمَ بنِ يزيدَ بنِ شَريكٍ ، عن أبيه ، عن أبى ذرٍّ ، به نحوَه[5] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

إذا عُلِمَ هذا ، فإنه حديثٌ لا يعارِضُ ما ذكرْناه مِنَ استِدارةِ الأفلاكِ ، التى هى السمواتُ على أشهرِ القَوْلين ، ولا يدلُّ على كُرِّيَّةِ العرشِ كما زعمه زاعمون قد أبطلْنا قولَهم فيما سلفَ[6] . ولا يدلُّ على أنها تَصْعَدُ إلى فوقِ السمواتِ من جِهتِنا حتى تسجدَ تحتَ العرشِ ، بل هى تغُربُ عن أعيننا ، وهى مستمرةٌ فى فَلَكِها الذى هى فيه ، وهو الرابعُ ، فيما قاله غيرُ واحدٍ مِن علماءِ التسييرِ[7] . وليس فى الشرعِ ما ينفيه ، بل فى الحِسِّ – وهو

---

(١) التفسير ٦/٥٦٢ .

(٢) البخارى (٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٢٤ ، ٧٤٣٣) .

(٣) فى ح : « ابن يونس » .

(٤) فى م : « عتبة » .

(٥) مسلم (١٥٩) ، أبو داود (٤٠٠٢) ، الترمذى (٢١٨٦ ، ٣٢٢٧) .

(٦) انظر صفحة ١٩ .

(٧) فى الأصل ، م : « التفسير » .

[١٧/١ ظ] الكسوفاتُ[١] – ما يدلُّ عليه ويقتضيه ، فإذا ذهبتْ فيه حتى تتوسَّطَه ، وهو وقتُ نصفِ الليلِ مثلًا فى اعتدالِ الزمانِ ، بحيثُ تكونُ بين القُطْبين الجنوبىِّ والشَّمالىِّ ، فإنَّها تكونُ أبْعَدَ ما يكونُ من العرشِ ؛ [٢]لأنّه مُقبَّبٌ[٢] من جهةِ وجهِ العالمِ ، وهذا مَحَلُّ سُجودِها كما يناسبُها ، كما أنّها أقربُ ما تكونُ مِنَ العرشِ وقتَ الزوالِ مِن جهتِنا ، فإذا كانت فى مَحَلِّ سُجُودِها استأذنتِ الربَّ جَلَّ جلالُه فى طلوعِها مِن المَشْرقِ ، فَيُؤْذنُ لها ، فتبدُو من جهةِ الشرقِ ، وهى مع ذلك كارهةٌ لعُصاةِ بنى آدمَ أنْ تطلُعَ عليهم : ولهذا قال أُمَيّةُ :

[٣]ليستْ بطالِعةٍ لهم[٣] فى رِسْلِها إلَّا مُعذَّبـــةً وإلَّا تُجْلَـــدُ

فإذا كان الوقتُ الذى يريدُ اللهُ طُلوعَها فيه[٤] من جهةِ مغرِبِها ، تسجدُ على عادتِها ، وتَستأذِنُ فى الطلوعِ من عادتِها[٥] ، فلا يؤذنُ لها ، فجاء أنها تَسجدُ أيضًا ثُم تَستأذِنُ فلا يُؤْذنُ لها ، ثم تسجدُ فلا يُؤْذنُ لها ، وتطولُ تلك الليلةُ كما ذَكَرْنا فى « التفسيرِ »[٦] ، فتقولُ : يا ربِّ إنّ الفجرَ قد اقتربَ ، وإنّ المَدَى بعيدٌ . فيقالُ لها : ارجعى مِن حَيْثُ جِئْتِ . فتطلُعُ من مغربِها ، فإذا رآها الناسُ آمنوا[٧] جميعًا ، وذلك حينَ لا ينفَعُ نفْسًا إيمانُها لم تكنْ آمنتْ مِن

---

(١) فى ص : « الكشوفات » .

(٢ – ٢) فى ا : « لأنها تغيب » .

(٣ – ٣) فى الأصل ، ح : « تأبى فما تبدو لنا » . وفى ص ، م : « تأبى فلا تبدو لنا » .

(٤) سقط من : ح ، م ، ص .

(٥) فى ا : « المشرق » .

(٦) التفسير ٥٦٢/٦ ، وتفسير عبد الرزاق ١٤٢/٢ .

(٧) فى ح : « آنسوا » .

قبلُ أو كسبتْ فى إيمانِها خيرًا . وفَسَّرُوا بذلك قولَه تعالى[1] : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس : ٣٨] . قيل : لوقتِها الذى تُؤمرُ فيه أن[2] تطلُعَ مِن مَغْرِبِها . وقيل : مُسْتَقَرُّها مَوْضِعُها الذى تسجدُ فيه تحتَ العرشِ . وقيل : منتهى سَيْرِها ، وهو آخرُ الدنيا[3] . وعن ابنِ عباسٍ أنّه قرأ : « وٱلشَّمْسُ تَجْرى لا مُسْتَقَرَّ لها »[4] . أى : ليست تَسْتَقِرُّ . فعلى هذا تسجدُ وهى سائرةٌ . ولهذا قال تعالى[5] : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] . أى : لا تدركُ الشمسُ القمرَ فتطلعَ فى سُلطانِه ودَوْلتِه ، ولا هو أيضًا ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ . أى : ليس سابقَه بمسافةٍ يتأخرُ ذلك عنه فيها ، بل [6]إذا ذهبَ اللَّيلُ جاء النهارُ فى إثْرِه مُتَعَقِّبًا له و[6] إذا ذهب النهارُ جاء الليلُ فى إثْرِه متعقِّبًا له ، كما قال فى الآيةِ الأخرى[7] : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . وقال تعالى[8] : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] . أى : يخلفُ هذا لهذا ، وهذا لهذا ، كما قال رسول الله ﷺ : « إذَا أَقْبَلَ الليلُ من ههنا ، وأَدْبرَ النهارُ مِن ههُنَا ، وغَرَبَتِ

---

(١) التفسير ٥٦٢/٦ .

(٢) زيادة من : ح .

(٣) بعده فى ا : « أى لا تزال تطلع وتغرب على هذا العالم إلى آخر وقت من الدنيا » .

(٤) المحتسب ، لابن جنى ٢١٢/٢ .

(٥) التفسير ٥٦٤/٦ .

(٦ - ٦) زيادة من : ح ، ص .

(٧) التفسير ٤٢٢/٣ .

(٨) التفسير ١٣٠/٦ .

الشمْسُ ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ »[1] . فالزمانُ المحقَّقُ ينقسمُ إلى ليلٍ ونهارٍ ، وليس بينهما غيرُهما ؛ ولهذا قال تعالى[2] : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى [١٨/١ و] لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر : ١٣] . [3]أى يولِجُ[3] مِن هذا فى هذا ، أى يأخذُ مِن طولِ هذا فى قِصَرِ هذا ، فيعتدلان ، كما فى أولِ فَصلِ الربيعِ ؛ يكونُ الليلُ قبلَ ذلك طويلًا والنهارُ قصيرًا ، فلا يزالُ الليلُ ينقُصُ والنهارُ يتزايدُ حتى يَعْتَدِلا ، وهو أولُ الربيعِ ، ثم يَشْرَعُ النهارُ يطولُ ويتزايدُ ، والليلُ يتناقصُ [4]إلى آخرِ فصلِ الربيعِ ، ثم يتراجعُ الأمرُ وينعكسُ الحال ، فيشرعُ النهارُ يتناقصُ والليل فى ازديادٍ[4] حتى يَعْتَدِلا أيضًا فى أولِ فصلِ الخريفِ ، ثم يَشْرَعُ الليلُ يطولُ ، ويقصرُ النهارُ ، إلى آخرِ فصلِ الخريفِ ، ثم يترجَّحُ النهارُ قليلًا قليلًا ويتناقصُ الليلُ شيئًا فشيئًا ، حتى يَعْتَدِلَا فى أولِ فصلِ الربيعِ كما قدمنا ، وهكذا فى كلِّ عامٍ . ولهذا قال تعالى[5] : ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [المؤمنون : ٨٠] . أى ؛ هو المتصرفُ فى ذلك كلِّه ، الحاكمُ الذى لا يُخَالَفُ ولا يُمانَعُ . ولهذا يقولُ فى ثلاثِ آياتٍ عند ذكرِ السمٰواتِ والنجومِ والليلِ والنهارِ : ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٨٠ ، يس : ٣٨ ، فصلت : ١٢] . أى العزيزُ الذى قد قهَر كلَّ شيءٍ ، ودان له كلُّ شيءٍ ، فلا يُمانَعُ ولا يُغالَبُ ، العليمُ بكلِّ شيءٍ ؛ فقدّر كلَّ شيءٍ تقديرًا ، على نظامٍ لا يَختَلِفُ ولا يَضْطرِبُ .

وقد ثبتَ فى « الصحيحيْن »[6] من حديثِ سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن الزُّهْرِىِّ ،

---

(١) البخارى (١٩٥٤) ، مسلم (١١٠٠) .

(٢) التفسير ٥٢٧/٦ .

(٣ - ٣) فى ح ، م ، ص : « فيولج » .

(٤ - ٤) زيادة من : ح ، ص .

(٥) التفسير ٤٨١/٥ .

(٦) البخارى (٤٨٢٦ ، ٧٤٩١) ، مسلم (٢٢٤٦) .

عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هُرَيْرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قَالَ ٱللهُ : يُؤْذِينِى ابنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدهرَ ، وأنا الدهرُ ، بيَدىَ الأمْرُ ، أقلِّبُ الليلَ والنهارَ » . وفى روايةٍ : « فَأَنَا الدهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَه ونَهارَه » .

قال العلماءُ ؛ كالشافعىِّ ، وأبى عُبيدٍ القاسمِ بنِ سلَّامٍ[1] ، وغيرِهما : يَسُبُّ الدهرَ ، أىْ يقولُ : فَعَلَ بنا الدهرُ كذا ، يا خَيْبَةَ الدهرِ ، أيتَمَ الأولادَ ، أرْمَلَ النساءَ . قال ٱللهُ تعالى : « وأَنَا الدهْرُ » . [2]أى أنا الدهرُ[2] الذى يَعْنِيه[3] ، فإنَّه فاعِلُ ذلك الذى أسنده إلى الدهرِ ، والدهرُ مخلوقٌ ، وإنما الذى فعَل هذا هو ٱللهُ الخالقُ ، فهو يَسُبُّ فاعِلَ ذلك ويعتقدُه الدهرَ ، وٱللهُ هو الفاعِلُ لذلك ، الخَالِقُ لكلِّ شىءٍ ، المتصرفُ فى كلِّ شىءٍ ، كما قال : « وأنَا الدَّهْرُ بيدىَ الأَمْرُ ، أقلبُ ليلَه ونَهارَه » . وكما قال تعالى[4] : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦ ، ٢٧] . وقال تعالى[5] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾

---

(١) غريب الحديث ، لأبى عبيد ٢/١٤٥ - ١٤٨ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل : « يعيبه » .

(٤) التفسير ٢/٢٢ .

(٥) التفسير ٤/١٨٥ .

[يونس : ٥ ، ٦] . أىْ ؛ فاوَتَ بينَ الشمسِ والقمرِ فى نورِهما ، وفى شكلِهما [١٨/١ ظ] ، وفى وقتِهما ، وفى سيرِهما ، فجعل هذا ضياءً ، وهو شعاعُ الشمسِ برهانٌ ساطِعٌ ، وضوءٌ باهرٌ ، والقمرَ نورًا ، أى أضْعَفُ من برهانِ الشمسِ ، وجعله مُستفادًا[1] مِن ضوئِها ، وقَدَّره منازلَ . أى ؛ يَطْلُعُ أولَ ليلةٍ مِنَ الشهرِ صغيرًا ضئيلًا قليلَ النورِ ؛ لقُرْبِه مِن الشمسِ وقِلَّةِ مقابلتِه لها ، فبِقَدْرِ مقابلتِه يكونُ نورُه ، ولهذا فى الليلةِ الثانيةِ يكونُ أبعدَ منها بضِعْفِ ما كان فى الليلةِ الأُولى ، فيكونُ نورُه بضِعْفِ النورِ أولَ ليلةٍ ، ثمَّ كلَّما بَعُدَ ازدادَ نورُه ، حتى يتكاملَ إبدارُه ليلةَ مقابلتِهِ إيّاها مِن المشرقِ ، وذلك ليلةَ أربعَ عشرةَ مِن الشهرِ ، ثمَّ يشرَعُ فى النقصِ ؛ لاقترابِه إليها مِن الجهةِ الأخرى إلى آخرِ الشهرِ ، فيستترُ ، حتى يعودَ كما بدأ فى أولِ الشهرِ الثانى ، فبِه تُعْرَفُ الشهورُ ، وبالشمسِ تُعْرَفُ الليالى والأيامُ ، وبذلك[2] تُعْرفُ السنونُ والأعوامُ ؛ ولهذا قال تعالى[3] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس : ٥] . وقال تعالى[4] : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] . وقال تعالى[5] : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] . وقد بسطنا القولَ على هذا كلِّه فى « التفسيرِ » .

---

(١) فى ح : « مستفادًا » .

(٢) فى ا : « وبهما » .

(٣) التفسير ١٨٥/٤ .

(٤) التفسير ٤٦/٥ .

(٥) التفسير ٣٢٦/١ .

فالكواكبُ التى فى السماءِ منها سَيَّاراتٌ ؛ وهى المُتَحَيِّرةُ[1] فى اصطلاحِ علماءِ التسييرِ[2] ، وهو علْمٌ غالِبُه صحيحٌ ، بخلافِ عِلمِ الأحكامِ ، فإنّ غالِبَه باطلٌ ودعوى ما لا دليلَ عليه ، وهى سبعةٌ ؛ القمرُ فى سماءِ الدنيا ، وعطاردُ فى الثانيةِ ، والزُّهرَةُ فى الثالثةِ ، والشمسُ فى الرابعةِ ، والمريخُ فى الخامسةِ ، والمُشْتَرَى فى السادسةِ ، وزُحَلُ فى السابعةِ . وبقيةُ الكواكبِ يسمونها الثوابِتَ ، وهى عندَهم فى الفَلَكِ الثامِنِ ، وهو الكرسِىُّ فى اصطلاحِ كثيرٍ من المتأخرين .

وقال آخرون : بلِ الكواكبُ كلُّها فى السماءِ الدنيا ، ولا مانعَ مِن كونِ بعضِها فوقَ بعضٍ . وقد يُستدلُ على هذا بقولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك : ٥] . وبقولِه : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ١٢] . فخصَّ سماءَ الدنيا من بينِهن بزينةِ الكواكبِ ؛ فإنْ دلّ هذا على كونِها مرصَّعةً فيها فذاك ، وإلا فلا مانِعَ مما قاله الآخَرون ، واللهُ أعلمُ .

وعندَهم أنَّ الأفلاكَ السبعةَ ، بل الثمانيةَ ، تدورُ بما فيها مِن الكواكبِ الثوابِتِ والسياراتِ [١٩/١ و] [3]فى اليومِ والليْلةِ دَوْرةً كُلِّيةً مِن الشَّرقِ إلى الْغَربِ ، وعندَهم أنَّ كلَّ واحدٍ من الكواكبِ السَّياراتِ[3] يَدورُ على خلافِ فَلَكِه من المغربِ إلى المشرقِ ؛ فالقمرُ يقطعُ فلَكَه فى شهرٍ ، والشمسُ تقطعُ فلَكَها ، وهو الرابعُ ، فى سنةٍ ، فإذا كان السَّيْرانِ ليس بينَهما تفاوُتٌ وحركاتُهما

---

(١) فى الأصل ، ا : « المتحيزة » . وفى م ، ص : « المتخيرة » .

(٢) فى م ، ص : « التفسير » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

متقاربةٌ ، كان قَدْرُ السماءِ الرابعةِ بقَدْرِ السماءِ الدنيا ثِنْتَىْ عشرةَ مرةً ، وزُحَلُ يقطعُ فلَكَه ، وهو السابعُ ، فى ثلاثينَ سنةً ، فعلى هذا يكونُ بقَدْرِ السماءِ الدنيا ثَلاثَمِائةٍ وستينَ مرةً .

وقد تكلموا على مقاديرِ أجرامِ هذه الكواكبِ وسيرِها وحركاتِها ، وتوسعوا فى هذه الأشياءِ ، حتى تعدَّوا إلى علْمِ الأحكامِ ، وما يترتبُ على ذلك مِن الحوادِثِ الأرضيةِ ، وممَّا لا عِلْمَ لكثيرٍ منهم به . وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكُنون الشامَ قبلَ زمنِ المسيحِ عليه السلامُ بدُهورٍ ، لهم فى هذا كلامٌ كثيرٌ يطُولُ بسْطُه ، وهم الذين بَنَوْا مدينةَ دِمَشْقَ ، وجعلوا لها أبوابًا سبعةً ، وجعلوا على رأسِ كلِّ بابٍ هَيْكَلًا على صفةِ الكواكبِ السبعةِ ، يَعْبُدون كلَّ واحدٍ فى هَيْكَلِه ، ويدْعُونه بدعاءٍ يأْثُرُه عنهم غيرُ واحدٍ مِن أهلِ التواريخِ وغيرِهم . وذكَره صاحبُ « السرِّ المكتومِ فى مخاطبةِ الشمسِ والقمرِ والنجومِ »[1] ، [2]وهو خرافاتٌ لا يُلْتفتُ إليها[2] ، وغيرُه من علماءِ الحرنانيّين [3]فلاسِفةِ حرانَ[3] فى قديمِ الزمانِ ، وقد كانوا مشركين يَعْبُدون الكواكبَ السبعةَ[4] ، وهم طائفةٌ من الصابئين ، ولهذا قال اللهُ تعالى[5] : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] . وقال تعالى[6] إخبارًا

---

(١) هو الإمام محمد بن عمر بن الحسن الفخر الرازى المفسر المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر : معجم المؤلفين ٧٩/١١ ، ٨٠ .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ا .

(٣ - ٣) فى ا : « والفلاسفة » .

(٤) سقط من : ح ، ص .

(٥) التفسير ١٧٠/٧ .

(٦) التفسير ١٩٦/٦ .

عن الهُدْهُدِ ، أنّه قال لسليمانَ (١عليه السلامُ ، مخبرًا عن بَلْقِيسَ وجنودِها ، مَلِكَةِ سبأٍ فى اليمنِ وما والاها١) : ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل : ٢٣ - ٢٦] . وقال تعالى(٢) : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج : ١٨] . وقال تعالى(٣) : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٤٨ - ٥٠] . وقال تعالى(٤) : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ [١٩/١ ظ] وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] . وقال تعالى(٥) : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] . والآياتُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا .

(١ - ١) فى ا : « عن تلك المرأة وقومها » .

(٢) التفسير ٣٩٨/٥ .

(٣) التفسير ٤٩٤/٤ .

(٤) التفسير ٣٦٨/٤ .

(٥) التفسير ٧٥/٥ .

ولما كان أشرفُ الأجرامِ المشاهَدةِ فِى السمواتِ والأرضِ هى الكواكِبَ ، وأشرَقُهنَّ[1] منظرًا وأشرفُهنّ مُعْتَبرًا الشمسَ والقمرَ ، استدَلّ الخليلُ على بُطلانِ إلٰهيةِ شيءٍ منهن ، وذلك فى قولِه تعالى[2] : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٧ - ٧٩] . فبيَّن بطريقِ البرهانِ القطْعِىِّ أنّ هذه [3]الأجرامَ المشاهداتِ مِن الكواكبِ والقمرِ والشمسِ[3] ، لا يصلحُ شىءٌ منها للإلٰهيةِ ؛ لأنَّها كلَّها مخلوقةٌ مربوبةٌ مدَبَّرةٌ مسخَّرةٌ فى سيرِها ، لا تَحِيدُ عمَّا خُلِقتْ له ، ولا تَزِيغُ عنه إلا بتقديرٍ مُتْقَنٍ مُحَرَّرٍ ، لا تَضْطَرِبُ ، ولا تَخْتَلِفُ ، وذلك دليلٌ على كونِها مربوبةً مصنوعةً مسخرةً مقهورةً ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] . وثبت فى « الصحيحين »[4] فى صلاةِ الكُسوفِ ، مِن حديثِ ابنِ عمرَ ، وابنِ عباسٍ ، وعائشةَ ، وغيرِهم من الصحابةِ ، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال فى خُطبتِه يومئذٍ : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ مِنْ آياتِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ ، وإنَّهُمَا لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوتِ أَحَدٍ ولا لِحَياتِه » .

وقال البخارىُّ فى بَدْءِ الخلقِ[5] : حدثنا مُسَدَّدٌ ، حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ

---

(١) فى م ، ا : « وأشرفهن » .
(٢) التفسير ٢٨٢/٣ .
(٣ - ٣) فى ا : « الأشياء » .
(٤) البخارى (١٠٤٠ - ١٠٤٤ ، ٣٢٠٢) ، مسلم (٩٠١) .
(٥) البخارى (٣٢٠٠) .

المختارِ ، حدثنا عبدُ ٱللهِ الداناجُ ، حدثنى أبو سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « الشمْسُ والقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يومَ القِيامةِ » . انفرد به البخارىُّ . وقد رواه الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[1] بأبسطَ مِن هذا السياقِ ، فقال : حدثنا إبراهيمُ بنُ زيادٍ البغدادىُّ ، حدثنا يُونسُ بنُ محمدٍ ، حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ المختارِ ، عن عبدِ ٱللهِ الداناجِ ، سمعتُ أبا سَلَمَةَ بنَ عبدِ الرحمنِ زَمَنَ خالدِ بنِ عبدِ ٱللهِ القَسْرىِّ[2] فى هذا المسجدِ مسجدِ الكوفةِ ، وجاء الحسنُ فجلسَ إليه فحدّث ، قال : حدثنا أبو هُرَيْرَةَ ، أَنّ رسولَ ٱللهِ ﷺ قال : « إنّ الشَّمْسَ والقَمَرَ ثَوْرانِ فى النَّارِ يومَ القِيامَةِ » . فقال الحسنُ : وما ذنبُهما[3] ؟ . فقال : أُحدِّثُك عن رسولِ اللهِ ﷺ وتقولُ : وما ذنبُهما[3] ؟ . ثم قال البزّارُ : لا يُرْوى عن أبى هُرَيْرَةَ إلَّا مِن هذا الوجهِ ، ولم [٢٠/١ و] يَرْوِ عبدُ اللهِ الداناجُ عن أبى سَلَمَةَ سِوَى هذا الحديثِ .

وروى الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[4] مِن طريقِ يزيدَ الرَّقاشىِّ ، وهو ضعيفٌ ، عن أَنسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الشَّمْسُ والقَمَرُ ثَوْران عَقِيرانِ فى النَارِ » . وقال [5]ابنُ أبى[5] حاتِمٍ : حدثنا أبو سعيدٍ الأَشَجُّ وعمرُو[6]

---

(١) وأخرجه الطحاوى بنحوه من طريق عبد العزيز بهذا الإسناد فى مشكل الآثار ٦٦/١ ، ٦٧ .

(٢) فى الأصل : « العسيرى » ، وفى ا : « العشيرى » .

قال ابن حجر : أخرجه الإسماعيلى وقال : فى مسجد البصرة . ولم يقل : خالد القسرى . وأخرجه الخطابى ... فقال : خالد بن عبد الله أى ابن أسيد . وهو أصح ؛ فإن خالدا هذا كان قد ولى البصرة لعبد الملك قبل الحجاج بخلاف خالد القسرى . فتح البارى ٢٩٩/٦ .

(٣) فى م ، ص : « دينهما » . قال الخطابى : ليس المراد تعذيبهما بذلك ، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما فى الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلة . فتح البارى ٣٠٠/٦ .

(٤) مسند أبى يعلى (٤١١٦) . إسناده ضعيف جدا .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ح : « أبو » .

(٦) فى م : « عمر » .

ابنُ عبدِ ٱللهِ الأَوْدِىُّ ، حدثنا أبو أسامةَ ، عن مجالدٍ ، عن شيخٍ مِن بَجِيلةَ ، عن ابنِ عباسٍ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] قال : يُكوِّرُ ٱللهُ الشمسَ والقمرَ والنجومَ يومَ القيامةِ فى البحرِ ، ويبعَثُ ٱللهُ ريحًا دبُورًا ، فتُضرِمُها نارًا[1] .

فدلّت هذه الآثارُ على أنّ الشمسَ والقمرَ من مخلوقاتِ ٱللهِ ، خَلَقَها لِمَا أَراد ، ثم يفعلُ فيهما ما يشاءُ ، وله الحُجّةُ الدامِغةُ[2] ، والحكمةُ البالِغةُ ، فلا يُسألُ عمَّا يفعلُ ؛ لعِلْمِه ، وحكمتِه ، وقُدْرتِه ، ومشيئتِه النافِذَةِ ، وحُكْمِه الذى لا يُرَدُّ ولا يُمانَعُ ولا يُغالَبُ .

وما أحسنَ ما أوردَه الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ[3] فى أولِ كتابِ « السيرةِ » من الشعرِ لزيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، فى خلقِ السماءِ والأرضِ والشمسِ والقمرِ وغيرِ ذلك ، قال ابنُ هشامٍ[4] : هى لأُميةَ ابنِ أبى الصَّلْتِ :

إلى ٱللهِ أُهْدِى مِدْحتى وثَنائيَا ... وقَوْلًا رَصِينًا[5] لا يَنِى[6] الدهرَ باقِيَا
إلى المَلِكِ الأعلى الذى ليس فوقَه ... إلـهٌ ولا ربٌّ يكـونُ مُدَانِيَـا
ألا أيُّها الإنسانُ إياكَ والـرَّدَى ... فإنك لا تُخْفِى منَ ٱللهِ خافِيَا
وإياك لا تجعلْ معَ ٱللهِ غيرَه ... فإنَّ سبيلَ الرُّشْدِ أصبحَ باديَا
حَنانَيْك إنَّ الجِنَّ كانت رجاءَهم ... وأنتَ إلهى ربَّنـا ورَجائيَـا

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣١٨/٦ ، وعزاه لابن أبى حاتم .
(٢) فى م ، ص : « الدافعة » .
(٣) فى ح : « بشار » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢٢٧/١ . وديوان أمية ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٥) فى الأصل ، ح ، ا ، م : « رضيًّا » . وفى ص : « رضيناه » .
(٦) لا ينى : لا يضعف .

رَضِيتُ بك اللّهمَّ رَبًّا فلَنْ أُرَى (١أَدِينُ إلهًا١) غيرَك ٱللهُ ثانِيَا
وأنتَ الذى مِنْ فَضْلِ مَنٍّ ورحمةٍ بَعثْتَ إلى(٢) موسى رسولًا مُنادِيَا
فقلتَ له يا اذهبْ(٣) وهرونَ فادْعُوَا إلَى ٱللهِ فِرعونَ الذى كان طاغِيَا
وقولا لـه أأنت(٤) سوَّيت هـذه بلا وَتَدٍ حتى اطمأنَّتْ كما هِيَا
وقولا لـه أأنت رفَّعتَ هـذه بلا عَمَدٍ أرفِقْ إذًا بك بانِيَا
وقولا له أأنتَ سوَّيْتَ وسْطَها مُنيرًا إذا ما جَنَّه الليلُ هادِيَا
وقولا له مَنْ يرسلُ الشمسَ غَدْوَةً فيصبحَ ما مسَّت مِن الأرضِ ضاحِيَا
وقولا له من يُنْبِتُ الحَبَّ فى الثَّرَى فيصبِحَ منه البَقلُ يهتَزُّ رابِيَا
ويُخْرِجُ منهُ حبَّه فى رُءُوسِـه وفى ذاك آياتٌ لمن كان واعِيَا
وأنتَ بفضلٍ منك نجَّيتَ يُونُسَا وقد باتَ فى أضعافِ حُوتٍ لياليَا [١/٢٠ظ]
وإنِّى ولو(٥) سبَّحتُ باسمِك ربَّنا لِأُكْثِرَ إلا ما غفرتَ خطائيَا
فربَّ العبادِ ألقِ سَيبًا(٦) ورحمةً علىَّ وبارِكْ فى بَنِىَّ ومالِيَا

فإذا عُلِم هذا . فالكواكِبُ التى فى السماءِ مِن الثَّوابتِ والسياراتِ ، الجميعُ مخلوقةٌ ، خلَقَها ٱللهُ تعالى ، كما قال(٧) : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ . [فصلت : ١٢] .

(١ - ١) فى ا : « إلها وربا » .
(٢) فى ا : « النبى » .
(٣) فى ح : « يذهب » . و : يا اذهب : على حذف المنادى .
(٤) فى ا : « هل أنت » .
(٥) فى الأصل ، ح ، ص : « وإن » . وفى م : « لو » .
(٦) السَّيْب : العطاء . القاموس (س ى ب) .
(٧) التفسير ١٩٩/١ .

وأمَّا ما يذكرُه كثيرٌ مِن المفسرين فى قصةِ هاروتَ وماروتَ ، مِن أنَّ الزُّهْرَةَ كانت امرأةً حسناءَ[1] ، فَراوَداها على نفسِها ، فأبَت ؛ إلَّا أنْ يُعَلِّماها الاسمَ الأعظمَ ، فعلّماها ، فقالته ، فرُفِعت كوكبًا إلى السماءِ ، فهذا أظنُّه مِن وضْعِ الإسرائيليين ، وإنْ كان قد [2]أخبر به[2] كعبُ الأحبارِ ، وتلقّاه عنه طائفةٌ مِنَ السلفِ ، فذكروه على سبيلِ الحكايةِ والتحديثِ عن بنى إسرائيلَ[3] . وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ ، وابنُ حبانَ فى « صحيحِه »[4] فى ذلك حديثًا ، رواه أحمدُ ، عن يحيى بن أبى بُكَيْرٍ ، عن زُهَيْرِ بنِ محمدٍ ، عن موسى بنِ جُبَيْرٍ ، عن نافِعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ ، وذكَر القصةَ بطُولِها . وفيه : « فمَثُلتْ لهما الزُّهْرةُ امرأةً مِن أحسنِ البشرِ ، فجاءتهما ، فسألاها نفسَها » . وذكرَ القصةَ . وقد رواه عبدُ الرزاقِ فى « تفسيرِهِ »[5] عن الثَّوْرىِّ ، عن موسى بنِ عُقْبةَ ، عن سالمٍ ، [6]عن ابنِ عمرَ[6] ، عن كعبِ الأحبارِ به . وهذا أصحُّ وأثبتُ . وقد روى الحاكِمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » ، وابنُ أبِى حاتِمٍ فى « تفسيرِه » ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكره ، وقال فيه : وفى ذلك الزمانِ امرأةٌ حسنُها فى النساءِ كحُسْنِ الزُّهْرةِ فى سائرِ الكواكبِ . وذكر تمامَه[7] . وهذا أحسنُ لفظٍ رُوِىَ فى هذه القصةِ ، واللهُ أعلمُ . وهكذا الحديثُ الذى رواه

---

(١) زيادة من : ا .

(٢ - ٢) فى م : « أخرجه » ، وفى ا : « قاله » .

(٣) انظر تفسير عبد الرزاق ١/٥٣ ، ٥٤ ، وابن جرير ١/٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٤) المسند ٢/١٣٤ ، وابن حبان (٦١٨٦) (ضعيف) .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/٥٣ .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) مستدرك الحاكم ٢/٢٦٦ مختصرًا . وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبى . وابن أبى حاتم ١/٣٠٥ ، من وجه آخر عن ابن عباس .

الحافظُ أبو بكرٍ البزّارُ[1] : حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الواسِطيُّ ، حدثنا يَزيدُ ابنُ هـٰرونَ ، حدثنا مُبَشِّرُ بنُ عُبَيْدٍ ، عن زيدِ[2]بنِ أسلمَ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبيِّ ﷺ ، وحدثنا عمرُو بنُ عيسى ، حدثنا عبدُ الأعلى ، حدثنا إبراهيمُ ابنُ يزيدَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذكرَ سُهَيلًا فقال : « كانَ عَشَّارًا ظَلُومًا ، فمَسَخَه اللهُ شِهَابًا » . ثم قال : لم يروِه عن زيدِ بنِ أسلمَ إلا مُبَشِّرُ بنُ عبيدٍ ، وهو ضعيفُ الحديثِ ، ولا عن عمرِو ابنِ دينارٍ إلا إبراهيمُ بنُ يزيدَ ، وهو لَيِّنُ الحديثِ[3] . وإنما ذكرْناه على ما فيه مِن عِلَّةٍ لأنّا لم نَحفظْه إلا مِن هذينِ الوجهينِ . قلتُ : أمَّا مُبَشِّرُ بنُ عُبَيْدٍ القرشيُّ فهو[4] أبو حفصٍ الحِمْصِيُّ وأصلُه مِن الكوفةِ ، فقد ضَعّفه الجميعُ ، وقال فيه الإمامُ أحمدُ ، والدارَقطنيُّ : كان يضعُ الحديثَ ويكْذِبُ . وأمّا إبراهيمُ ابنُ يزيدَ ، فهو الخُوزيُّ[5] وهو ضعيفٌ باتفاقِهم ، قال فيه أحمدُ [٢١/١و] والنسائيُّ : مَتْروكٌ . وقال ابنُ مَعِينٍ : ليس بثقةٍ ، وليس بشيءٍ . وقال البخاريُّ : سكتُوا عنه . وقال أبو حاتمٍ ، وأبو زُرْعةَ : مُنْكَرُ الحديثِ ، ضعِيفُ الحديثِ[6] . ومثلُ هذا الإسنادِ لا يثبُتُ به شيءٌ بالكليَّةِ ، وإذا أحسنَّا الظَّنَّ ، قلنا : هذا مِن أخبارِ بنى إسرائيلَ ، كما تقدَّم من رِوايةِ ابنِ عمرَ عن كعبِ الأحبارِ ، ويكونُ من خرافاتِهم التى لا يُعوَّلُ عليها ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) كشف الأستار (٩٠٣) . اللآلئ المصنوعة ١٥٩/١ ، ١٦٠ .

(٢) فى ح ، م ، ص : « يزيد » .

(٣) مجمع الزوائد ٨٨/٣ .

(٤) زيادة من : م .

(٥) فى ص : « الجوزى » .

(٦) انظر ميزان الاعتدال ٧٥/١ ، الجرح والتعديل ١٤٦/٢ ، ١٤٧ .

فصلٌ
فى الكلامِ على المَجرَّةِ وقَوْسِ قُزَحَ

قال أبو القاسمِ الطَّبَرانىُّ[1] : حدثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، حَدثنا عارِمٌ أبو النعمانِ ، حدثنا أبو عَوَانَةَ ، عن أبى بِشْرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ هِرَقْلَ كتب إلى معاويةَ وقال : إنْ كان بَقِىَ فيهم شىءٌ مِن النبوةِ فسيُخْبِرُنى عما أسألُهم عنه . قال : فكتب إليه يسألُه عن المَجرَّةِ ، وعن القَوْسِ ، وعن [2]البُقْعةِ التى[2] لم تُصِبْها الشمسُ إلا ساعةً واحدةً . قال : فلمَّا أتى معاويةَ الكتابُ والرسولُ ، قال : إنّ هذا الشىءَ ما كنتُ آبَهُ له أنْ أسألَ عنه إلى يومى هذا ، مَنْ لهذا ؟ قِيل : ابنُ عباسٍ . فطَوَى معاويةُ كتابَ هِرَقْلَ ، فبعثَ به إلى ابنِ عباسٍ ، فكتبَ إليه : إنَّ القَوْسَ أمانٌ لأهلِ الأرضِ مِن الغَرَقِ ، والمَجَرةَ بابُ السماءِ الذى تنشَقُّ منه[3] ، وأما البُقْعةُ التى لم تُصِبْها الشمسُ إلا ساعةً من النهارِ ، فالبحرُ الذى أُفْرِجَ عن بنى إسرائيلَ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ عباسٍ رضىَ اللهُ عنه .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه الطَّبَرانىُّ[4] : حدثنا أبو الزِّنْباعِ[5] رَوحُ بنُ

---

(١) المعجم الكبير (١٠٥٩١) وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٢٧٨/٩ .

(٢ - ٢) فى م : « بقعة » .

(٣) بعده فى م : « الأرض » .

(٤) المعجم الكبير (١٧٥٤) . وهو فى موضوعات ابن الجوزى ١٤٢/١ ، والكامل لابن عدى ٢٠٤٢/٦ . وقال فى مجمع الزوائد ١٣٥/٨ . وفيه الفضل بن مختار وهو ضعيف . وقال الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٢٨٤) : موضوع .

(٥) فى ص : « الرباع » .

الفَرَجِ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ مَخْلَدٍ ، حدثنا الفضلُ بنُ المختارِ عن محمدِ بنِ مسلمٍ الطائفيِّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ[1] ، عن مُجاهدٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يا مُعاذُ ، إنِّى مُرْسِلُكَ إلى قَوْمٍ أهْلِ كِتَابٍ ، فإذا سُئِلتَ عَن المَجَرَّةِ التى فى السَّمَاءِ فقُلْ : هِى لُعَابُ حَيَّةٍ تَحْتَ العَرْشِ » . فإنه حديثٌ مُنْكَرٌ جدًا ، بل الأشْبهُ أنّه موضوعٌ ، وراويهِ الفضلُ ابنُ المختارِ هذا أبو سهلٍ البَصْرِىُّ ، ثم انتقل إلى مصرَ ، قال فيه أبو حاتِمٍ الرازىُّ[2] : هو مجهولٌ [3]يُحدِّثُ بالأباطيلِ[3] . وقال الحافِظُ أبو الفتحِ الأَزْدِىُّ : منكَرُ الحديثِ جدًّا . وقال ابنُ عَدِىٍّ : لا يُتابَعُ على أحاديثِه ، لا متنًا ولا إسنادًا[4] . وقال اللهُ تعالى[5] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٢ ، ١٣] . وقالَ تعالَى[6] : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ [٢١/١ ظ] وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

---

(١) فى م : « يحيى » .

(٢) الجرح والتعديل ٦٧/٧ .

(٣ - ٣) فى ا : « الحديث باطل الرواية » .

(٤) انظر ميزان الاعتدال ٣٥٨/٣ ، الكامل ٢٠٤٢/٦ .

(٥) التفسير ٣٦٢/٤ .

(٦) التفسير ٢٨٩/١ .

وروى الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يزيدَ بنِ هَرُونَ ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، عن شيخٍ من بنى غِفَارٍ ، قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إنّ اللهَ يُنْشِئُ السحابَ ، فيَنْطِقُ أحسنَ النُّطْقِ ، ويَضْحَكُ أحْسَنَ الضَّحِكِ » . وروى موسى بنُ عبيدةَ [2]عن سعدِ[2] بنِ إبراهيمَ ، أنَّه قال : إن نُطْقَه الرعدُ ، وضِحْكَه البرقُ[3] . وقال [4]ابنُ أبى[4] حاتِمٍ[5] : حدثنا أبى ، حدثنا هشامٌ ، عن عبيدِ اللهِ الرازىِّ ، عن محمدِ بنِ مسلمٍ ، قال : بَلَغَنا أنّ البرقَ مَلَكٌ له أربعةُ وُجوهٍ ؛ وجهُ إنسانٍ ، ووجهُ ثَوْرٍ ، ووجهُ نَسْرٍ ، ووجهُ أسدٍ ، فإذا مَصَعَ[6] بذَنَبِه ، فذلك البرقُ . وقد روى الإمامُ أحمدُ ، والترمذىُّ ، والنسائىُّ ، والبخارىُّ فى كتابِ الأدبِ ، والحاكِمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » ، من حديثِ الحجاجِ بنِ أرطاةَ ، حدثنى أبو[7] مَطَرٍ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا سمع الرعدَ والصواعِقَ قال : « اللهُمّ لا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِك ، ولا تُهْلِكْنَا بِعذابِكَ ، وعَافِنَا قَبْلَ ذَلك»[8].

---

(١) المسند ٤٣٥/٥ . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢١٦/٢ ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ا : « عن سعيد » ، وفى م : « بن سعد » .

(٣) أخرج نحوه أبو الشيخ فى العظمة (٧٢٣) من قول إبراهيم بن سعد وليس من قول أبيه سعد بن إبراهيم (صحيح) .

(٤ - ٤) فى ح : « أبو » .

(٥) ذكره السيوطى فى الدر ٤٩/٤ ، ونسبه لابن أبى حاتم .

(٦) المصع : تحريك الذنب من غير عدو .

(٧) كذا فى الأصل ، وهو الصواب . وفى بقية النسخ : « ابن » . وانظر مصادر التخريج .

(٨) أحمد فى مسنده ١٠٠/٢ ، والترمذى (٣٤٥٠) وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والنسائى (١٠٧٦٣) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٧٢١) ، والحاكم فى المستدرك ٢٨٦/٤ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى ، والحديث صححه الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند (٥٧٦٣) وضعفه الشيخ الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٠٤٢) وقال معللا ذلك : ذلك لأن مداره عندهم جميعا على أبى مطر هذا ، وهو كما قال الذهبى نفسه فى الميزان : لا يدرى من هو . ومثله قول الحافظ فى التقريب : مجهول . وإنما صححه الشيخ شاكر لاعتماده توثيق ابن حبان .

وروى ابنُ جَريرٍ[1] مِن حديثِ ليثٍ ، عن رجلٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، رفَعَه ، كان إذا سمع الرعدَ قال : « سُبحانَ مَن يُسَبِّحُ الرعدُ بحمدِه » . وعن علىٍّ ، أنَّه كان يقولُ : سبحانَ من سبَّحَتْ له[1] . وكذا عن ابنِ عباسٍ ، والأسودِ ابنِ يزيدَ ، وطاوسٍ ، وغيرِهم . وروى مالكٌ[2] عن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ[3] ، أنَّه كان إذا سَمِعَ الرعدَ ترك الحديثَ ، وقال : سبحانَ مَن يُسبحُ الرعدُ بحمدِه والملائكةُ من خِيفَتِه ، ويقولُ : إنَّ هذا وعيدٌ شديدٌ لأهلِ الأرضِ . وروى الإمامُ أحمدُ[4] ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « قال ربُّكُم : لَوْ أنَّ عَبيدِى أطَاعُونِى لأسْقَيْتُهُمُ المطَرَ بالليلِ ، وأطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشمسَ بالنَّهارِ ، ولَمَا أسْمَعْتُهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ » . وروى الطبرانىُّ[5] عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا : « إذا سَمِعْتُمُ الرَّعدَ فَاذْكُرُوا اللهَ ، فإنَّه لَا يُصِيبُ ذَاكِرًا » . وكلُّ هذا مبسوطٌ فى « التفسيرِ »[6] ، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) تفسير الطبرى ١٢٤/١٣ .

(٢) الموطأ ٩٩٢/٢ (صحيح) .

(٣) فى النسخ : « عمر » ، والمثبت من الموطأ . وانظر الأدب المفرد ١٨٥/٢ ، والعظمة (٧٨٧) ، والتفسير ٣٦٤/٤ .

(٤) المسند ٣٥٩/٢ (حسن) .

(٥) المعجم الكبير (١١٣٧١) . وقال الهيثمى : فيه يحيى بن كثير أبو النضر وهو ضعيف . مجمع الزوائد ١٣٦/١٠ .

(٦) التفسير ٣٦٣/٤ ، ٣٦٤ .

بابُ ذكـــرِ خلْقِ الملائكةِ وصِفاتِهم
(١) عليهـــمُ الســـلامُ (١)

قال ٱللهُ تعالى(٢) : ﴿ شَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] . وقال(٣) : ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء : ١٦٦] . وقال تعالى(٤) : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ [١/٢٢و] كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ - ٢٩] . وقال تعالى(٥) : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥] . وقال تعالى(٦) : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ

(١ - ١) سقط من : م . وفى ا : « عليهم الصلاة والسلام » .

(٢) التفسير ١٨/٢ .

(٣) التفسير ٤٢٨/٢ .

(٤) التفسير ٣٣١/٥ .

(٥) التفسير ١٧٩/٧ .

(٦) التفسير ١٢٠/٧ .

وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر : ٧ ، ٨] . وقال تعالى[١] : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت : ٣٨] . وقال[٢] : ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] . وقال تعالى[٣] : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات : ١٦٤ - ١٦٦] . وقال تعالى[٤] : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤] . وقال تعالى[٥] : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[الانفطار : ١٠ - ١٢] . وقال تعالى[٦] : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] . وقال تعالى[٧] : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] . وقال تعالى[٨] : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر : ١] . وقال تعالى[٩] : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا * ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ

---

(١) التفسير ١٧٠/٧ .
(٢) التفسير ٣٢٩/٥ .
(٣) التفسير ٣٨/٧ .
(٤) التفسير ٢٤٣/٥ .
(٥) التفسير ٣٦٥/٨ .
(٦) التفسير ٢٩٥/٨ .
(٧) التفسير ٣٧٣/٤ .
(٨) التفسير ٥١٩/٦ .
(٩) التفسير ١١٤/٦ .

يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٥ ، ٢٦] . وقال تعالى[١] : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢١ ، ٢٢] . وقال تعالى[٢] : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] . وقال تعالى[٣] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

والآياتُ فى ذكْرِ الملائِكةِ كثيرةٌ جدًّا ، يصِفُهم تعالى بالقوةِ فى العبادةِ ، وفى الخَلْقِ ، وحُسنِ المنظرِ ، وعَظَمَةِ الأشكالِ ، وقوةِ الشكلِ فى الصُّوَرِ المتعدّدةِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ٧٧ ، ٧٨] . الآيات . فذكَرنا فى « التفسيرِ »[٤] ما ذكره غيرُ واحدٍ [١/٢٢ ظ] مِن العلماءِ مِن أنَّ الملائكةَ تبدو لهم فى صورةِ شبابٍ حِسانٍ ؛ امتحانًا واختبارًا ، حتى قامت على قومِ لوطٍ الحُجَّةُ وأخذَهم اللهُ أخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ . وكذلك كان جبريلُ يأتى إلى النبىِّ ﷺ فى صفاتٍ متعددةٍ ؛ فتارةً يأتِى فى صورةِ دِحْيَةَ بنِ خليفةَ الكَلْبِىِّ[٥] ، وتارةً فى صورةِ أعرابىٍّ[٦] ،

---

(١) التفسير ٦/١٠٩ .

(٢) التفسير ١/١٨٥ .

(٣) التفسير ٨/١٩٤ .

(٤) ٤/٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٥) العظمة (٣٥٨) ، أبو نعيم فى دلائل النبوة ١/٢٢٢ .

(٦) مسلم (٨) .

وتارةً فى صورتِه التى خُلِقَ عليها[1] ، له سِتُّمائةِ جناحٍ ، ما بينَ كلِّ جناحَيْن كما بين المشرقِ والمغربِ ، كما رآه على هذه الصفةِ مرتين ؛ مرةً مُنْهَبِطًا مِن السماءِ إلى الأرضِ ، ومرةً عندَ سِدْرَةِ المنتهَى ، عندَها جَنةُ المأوى ، وهو قولُه تعالى[2] : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم : ٥ - ٨] . أى جبريلُ . كما ذكرناه عن غيرِ واحدٍ مِن الصحابةِ ؛ منهمُ ابنُ مسعودٍ ، وأبو هريرةَ ، وأبو ذرٍّ ، وعائشةُ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ أى إلى عبدِ اللهِ محمدٍ ﷺ ، ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم ١٣ ، ١٤] . [3]وكلُّ ذلك المرادُ به جبريلُ[3] . وقد ذكرنا فى أحاديثِ الإسراءِ فى سورةِ « سبحان »[4] ، أنّ سِدْرةَ المنتهى فى السماءِ السابعةِ ، وفى رِوايَةٍ : فى السادسةِ [5]أى أصلُها[5] وفروعُها[6] فى السابعةِ [7]﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[7] قِيل : غَشِيهَا نورُ الربِّ جَلَّ جلالُه . وقِيل : غَشِيها فَراشٌ مِن ذهبٍ . وقِيل : غَشِيها ألوانٌ متعدِّدةٌ كثيرةٌ غيرُ مُنْحَصِرَةٍ . وقِيل : غَشِيهَا الملائكةُ مِثلَ الغِرْبانِ . وقِيل : غَشِيها مِن اللهِ أمْرٌ ، فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يَنْعَتَها . أى مِن حُسْنِها وبهائِها . ولا منافاةَ بين هذه الأقوالِ ؛ إذِ الجميعُ مُمْكِنٌ حصولُه فى حالٍ واحدةٍ . وذكرنا أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « ثم رُفِعَتْ لِىَ سِدْرةُ المُنْتَهى ، فإذا نَبْقُها كالقِلَالِ » . وفى روايةٍ : « كَقِلَالِ هَجَرَ ، وإذَا وَرَقُها كآذَانِ

---

(١) سيأتى فى صفحة ٩٩ - ١٠١ .

(٢) التفسير ٤١٩/٧ .

(٣ - ٣) زيادة من : ا .

(٤) التفسير ٢٨/٥ .

(٥ - ٥) فى ا : « والجمع بينهما أن يكون المراد أن أصلها فى السادسة » .

(٦) فى ص : « فرعها » .

(٧ - ٧) كذا فى : ا . وفى بقية النسخ : « فلما غشيها من أمر الله ما غشيها » .

الفِيلَةِ ، وَإِذَا يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْران بَاطِنَان ، ونَهْرَان ظَاهِران ؛ فَأَمَّا البَاطِنَان فَفِى الجَنَّةِ ، وأَمَّا الظَّاهِرانِ فالنِّيلُ والفُرَاتُ »[1] . وتقدم الكلامُ على هذا فى ذكْرِ خَلْقِ الأرضِ ، وما فيها مِن البحارِ والأنهارِ ، وفيه : « ثمّ رُفِعَ لىَ البيتُ المعمورُ ، وإذا هُوَ يَدْخُلُه فى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إليهِ آخِرَ ما عَلَيْهِم » . وذَكَرَ أنّه وجدَ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلامُ مُسْنِدًا ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ . [2]وذكرنا وجهَ المناسبةِ فى هذا ، أنَّ البيتَ المعمورَ[2] فى السماءِ السابعةِ بمنزلةِ الكعبةِ فى الأرضِ . وقد روى سفيانُ الثَّورىُّ ، وشُعبةُ ، [٢٣/١ و] وأبو الأحْوَصِ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، أنَّ ابنَ الكوَّاءِ سأل علىَّ بنَ أبى طالبٍ عن البيتِ المعمورِ ، فقال : هو مسجدٌ فى السماءِ يُقالُ له : الضُّراحُ ، وهو بحِيالِ الكعبةِ مِن فوقِها ، حُرْمتُه فى السماءِ كحُرْمةِ البيتِ فى الأرضِ ، يصلِّى فيه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفًا مِن الملائكةِ ، لا يعودونَ فيه أبدًا[3] . وهكذا رَوَى علىُّ بنُ ربيعةَ ، وأبو الطُّفَيْلِ ، عن علىٍّ مثلَه[3] . وقال الطبرانىُّ[4] : حدَّثنا الحسنُ ابنُ عَلُّويه القطانُ ، حدثنا إسماعيلُ ابنُ عيسى العطارُ ، حدثنا إسحاقُ بنُ بشرٍ أبو حُذيفةَ ، حدثنا ابنُ جُرَيجٍ ، عن صفوانَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « البيتُ المَعْمُورُ فى السماءِ يُقالُ له : الضُّرَاحُ[5] ، وهُوَ علَى مِثلِ البيتِ الحَرامِ بحِيالِه ، لو سَقَطَ لَسَقَطَ عَلَيْه ، يَدْخُلُه كلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ

---

(١) تقدم فى صفحة ٥٦ .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) التفسير ٤٠٤/٧ . وتفسير الطبرى ١٦/٢٧ ، ١٧ . وإسناده ضعيف (السلسلة الصحيحة ٤٧٧) .

(٤) الطبرانى (١٢١٨٥) قال الهيثمي : رواه الطبرانى وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك . مجمع الزوائد ١١٣/٧ . وضعفه الألبانى (الصحيحة ٤٧٧) .

(٥) عند الطبرانى : « الصراح » وكذلك فى : ص . قال ابن الأثير : من رواه بالصاد فقد صحف . النهاية ٨١/٣ .

مَلَكٍ ، ثُمّ لا يَرَوْنَه قَطُّ ، وإنَّ له فى السماءِ حُرْمةً علَى قَدْرِ حُرْمَةِ مَكَّةَ » . يعنى فى الأرضِ . وهكذا قال العَوْفِىُّ عن ابنِ عباسٍ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، والربيعُ بنُ أنسٍ ، والسُدِّىُّ ، وغيرُ واحدٍ[1] . وقال قَتادَةُ : ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال يومًا لأصحابِه : « هلْ تَدْرونَ ما البيْتُ المعْمُورُ ؟ » قالوا : اللهُ ورسُولُه أعلمُ . قال : « فإنَّه مَسْجِدٌ فى السماءِ بِحيَالِ الكَعْبَةِ ، لو خَرّ لَخَرّ عليها ، يُصَلِّى فيه كلَّ يومٍ سَبْعونَ ألفَ مَلَكٍ ، إذا خَرَجُوا مِنْه لَم يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِم »[2] . وزعم الضَّحّاكُ أنَّه تعمُرُه طائفةٌ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم الجِنُّ[3] ، مِن قبيلةِ إبليسَ لعنَهُ اللهُ ، كان يقولُ : سَدَنَتُه وخدّامُه منهم . واللهُ أعلمُ . وقال آخرون : فى كلِّ سماءٍ بيتٌ تعمُرُه مَلائكتُها بالعبادةِ فيه ، ويَفدُون إليه بالنَّوْبةِ والبَدلِ ؛ كما يعمُرُ أهلُ الأرضِ البيتَ العتيقَ بالحجِّ فى كلِّ عامٍ ، والاعتمارِ فى كلِّ وقتٍ ، والطّوافِ والصلاةِ فى كلِّ آنٍ .

قال سعيدُ بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأمويُّ ، فى أوائلِ كتابِه « المغازى » : حدثنا أبو عبيدٍ فى حديثِ مُجاهدٍ أنّ الحرمَ حرامٌ[4] مَناهُ - يعنى قدرُه - مِن السمٰواتِ السبعِ (5والأرَضينَ السبعِ5) وأنّه رابعُ أربعةَ عشرَ بيتًا ، فى كلِّ سماءٍ بيتٌ ، وفى كلِّ أرضٍ بيتٌ ، لو سقطتْ ، سقط بعضُها على بعضٍ . ثم رَوَى عن مُجاهدٍ قال : مَناه ؛ أى مقابلُه ، وهو حرفٌ مقْصورٌ . ثم قال : حدثنا أبو معاويةَ ، حدثنا الأعْمشُ ، عن أبى سليمانَ مؤذِّنِ الحجاجِ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو يقولُ : إنّ الحرمَ مُحرَّمٌ فى السمٰواتِ السبعِ مقدارُه من

---

(١) التفسير ٤٠٤/٧ ، تفسير الطبرى ١٧/٢٧ .

(٢) تفسير الطبرى ١٧/٢٧ وإسناده صحيح مرسلًا (الصحيحة ٤٧٧) .

(٣) انظر التفسير ١٠٧/١ حاشية (١) .

(٤) فى م : « حرم » .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

الأرضِ ، وإنّ بيتَ المقدسِ مُقدَّسٌ فى السمواتِ السبعِ مقدارُه من الأرضِ . كما قال بعضُ الشعراءِ[1] :

[١/٢٣ظ] إنّ الذى سَمَكَ السّماءَ بَنَى لنا[2] بَيْتًا دَعائِمُهُ أشدُّ وأطْوَلُ

واسمُ البيتِ الذى فى السماءِ الدُّنيا « بيتُ العِزَّةِ » ، واسمُ المَلَكِ الذى هو مُقَدَّمُ الملائكةِ فيها « إسماعيلُ » ، فعلى هذا يكونُ السبعونَ ألفًا مِن الملائكةِ الذين يدخُلونَ فى كلِّ يومٍ إلى البيتِ المعمورِ ثم لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم ، أى لا تَحْصُلُ لهم نَوْبةٌ فيه إلى آخرِ الدهرِ ، يكونون مِن سكانِ السماءِ السابعةِ وحدَها ، ولهذا قال تعالى[3] : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، حدثنا إسرائيلُ ، عن إبراهيمَ ابنِ مهاجرٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن مُوَرِّقٍ ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنِّى أرَى ما لا تَرَوْنَ ، وأسْمَعُ ما لا تَسْمَعُون ، أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ، ما فيها مَوْضِعُ أرْبَعِ أصابعَ إلَّا عليه مَلَكٌ ساجِدٌ ، لو عَلِمْتُم ما أعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قليلًا ولَبَكَيْتُمْ كثيرًا ، ولَمَا تَلَذَّذْتُم بالنساءِ على الفُرُشاتِ ، ولخَرَجْتُم إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرونَ إلى اللهِ عَزَّ وجلَّ » . فقال أبو ذَرٍّ : واللهِ لَوَدِدتُ أنِّى شجرةٌ تُعْضَد . رواه الترمِذِىُّ وابنُ ماجَه مِن حديثِ إسرائيلَ[5] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ ، ويُروَى عن أبى ذرٍّ موقوفًا[6] .

---

(١) هو الفرزدق ، ديوانه ٧١٤ .

(٢) فى م : « لها » . وفى ا : « بها » .

(٣) التفسير ٢٩٥/٨ .

(٤) المسند ١٧٣/٥ .

(٥) الترمذى (٢٣١٢) ، ابن ماجه (٤١٩٠) وهو حديث حسن (ضعيف ابن ماجه ٩١٧) . وانظر السلسلة الصحيحة (١٧٢٢) .

(٦) رواه الحاكم فى المستدرك ٥٧٩/٤ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وتعقبه =

وقال الحافِظُ أبو القاسمِ الطبَرانيُّ [1] : حدثنا حسينُ بنُ عرفةَ المِصريُّ ، حدثنا عُرْوةُ بنُ مروانَ[2] الرَّقيُّ[3] ، حدثنا عُبَيدُ ٱللهِ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ الكَريمِ بنِ مالكٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي رَباحٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ ٱللهِ قال : قال رسولُ ٱللهِ ﷺ : « ما في السمَـواتِ السَبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ ولا شِبْرٍ ولا كَفٍّ إلا وفيه مَلَكٌ قائِمٌ ، أو مَلَكٌ ساجِدٌ ، أو مَلَكٌ راكِعٌ ، فإذا كان يومُ القيامَةِ ، قَالُوا جَمِيعًا : ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ إلَّا أنَّا لم نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا » . فدلَّ هذان الحديثان على أنّه ما مِن موضعٍ في السمواتِ السبعِ إلَّا وهو مشغولٌ بالملائكةِ . وهم في صُنُوفٍ مِن العبادةِ ؛ منهم مَن هو قائِمٌ أبدًا ، ومنهم مَنْ هو راكِعٌ أبدًا ، ومنهم مَنْ هو ساجِدٌ أبدًا ، ومنهم مَن هو في صُنوفٍ أُخَرَ اللهُ أعلمُ بها ، وهم دائمونَ في عبادتِهم وتسبيحِهم وأذكارِهم وأعمالِهم التي أمرهمُ اللهُ بها ، ولهم[4] منازلُ عندَ ربِّهم ، كما قال تعالى[5] : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات : ١٦٤ - ١٦٦] . وقال ﷺ : « ألا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ الملائكةُ عندَ ربِّها » . قالوا : وكيفَ يَصُفُّونَ ؟ قال : « [6]يُتِمُّونَ الصُّفوفَ[6] الأُوَلَ ، ويتراصُّونَ في

= الذهبي بقوله : منقطع (أي بين مجاهد وأبي ذر) ثم يونس رافضي لم يخرجا له .

قلت : لكن توبع يونس ووُصل الحديث عند ابن أبي شيبة ٣٤١/١٣ ، وأبي نعيم في الحلية ١٦٤/١ فالسند صحيح . انظر العظمة (٥٠٩) .

(١) الطبراني في الكبير (١٧٥١) . ذكره الهيثمي في المجمع ٥١/١ ، ٥٢ وقال : فيه عروة بن مروان .

(٢) في م ، ص : « عمران » .

(٣) والرَّقي نسبة إلى سُكْناه الرقة لمدة ، ويقال العِرْقي - وعرقة قرية من عمل طرابلس الشام ، قال الدارقطني : كان أميا ليس بقوي في الحديث . ميزان الاعتدال ٦٤/٣ .

(٤) في ح ، ص : « هم » .

(٥) التفسير ٣٨/٧ .

(٦ - ٦) في الأصل ، م ، ح : « يكملون الصف » .

الصَّفِّ »[1] . وقال : « فُضِّلْنَا على الناسِ بِثَلاثٍ ؛ جُعِلَتْ لَنا الأرضُ مَسْجِدًا وتُرْبَتُها لَنا طَهُورًا ، وجُعِلَتْ صُفُوفُنا كَصُفُوفِ [١/٢٤و] المَلَائِكَةِ »[2] . [3]وكذلك يأتون يومَ القيامةِ بينَ يَدَيِ الربِّ جلَّ جلالُه صفوفًا[4][3] ؛ كما قال تعالى[5] : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] . ويقفون صفوفًا بين يدى ربِّهم عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ ؛ كما قال تعالى[6] : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] . والمرادُ بالروحِ هـٰهنا بنو آدَمَ . قاله ابنُ عباسٍ والحسنُ وقَتادةُ . وقِيل : ضَرْبٌ مِن الملائكةِ يُشْبِهونَ بنى آدمَ فى الشكلِ . قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهدٌ وأبو صالحٍ والأَعْمشُ . وقِيل : جبريلُ . قاله الشَّعْبىُّ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ والضَّحَّاكُ . وقِيل : مَلَكٌ يُقال له : الروحُ ، بقَدْرِ جميعِ المخلوقاتِ . قال علىُّ ابنُ أبى طَلْحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : قولُه : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ قال : هو مَلَكٌ مِن أعظمِ الملائكةِ خَلْقًا . وقال ابنُ جريرٍ[7] : حدثنى محمدُ بنُ خلفٍ العَسْقَلانىُّ ، حدثنا روّادُ[8] بنُ الجراحِ ، عن أبى حمزةَ ، عن الشَّعْبىِّ ، عن عَلْقمَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : الرُّوحُ فى السماءِ الرابعةِ هو أعظمُ مِنَ[9] السمـٰواتِ والجبالِ ومِن الملائكةِ ، يسبِّحُ كلَّ يومٍ اثْنَىْ عشرَ ألفَ تسبيحةٍ ،

---

(١) مسلم (٤٣٠) .

(٢) مسلم (٥٢٢) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ح .

(٥) التفسير ٤٢١/٨ .

(٦) التفسير ٣٣٣/٨ .

(٧) تفسير الطبرى ٢٢/٣٠ .

(٨) فى م ، ص : « داود » .

(٩) سقط من : م ، ص .

يَخْلُقُ اللهُ مِن كلِّ تسبيحةٍ مَلَكًا مِن الملائكةِ يجيءُ[1] يومَ القيامةِ صفًّا وحدَه . وهذا غريبٌ جدًّا .

وقال الطبرانىُّ[2] : حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُرسٍ[3] المصرىُّ ، حدثنا [4]وهبُ اللهِ بنُ رزقٍ[4] أبو هريرةَ[5] ، حدثنا بشرُ بنُ بكرٍ ، حدثنا الأَوْزاعىُّ ، حدثنى عطاءٌ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ للهِ مَلَكًا لو قِيل له : الْتَقِمِ السمَـٰواتِ والأرَضِينَ بِلَقْمَةٍ واحدةٍ . لَفَعل ، تَسْبِيحُهُ : سُبْحانَكَ حَيْثُ كُنْتَ » . وهذا أيضًا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، وقد يكونُ موقوفًا . وذكرنا فى صفةِ حَمَلةِ العرشِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أُذِنَ لى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِن مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ ، إنَّ ما بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبعمائةِ عامٍ »[6] . رواه أبو داودَ ، وابنُ أبى حاتمٍ ، ولفْظُه : « مَخْفِقُ الطيرِ سَبْعِمائةِ عامٍ » .

وقد ورد فى صفةِ جبريلَ عليه السلامُ أمرٌ عظيمٌ ، قال اللهُ تعالى[7] : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٥] . قالوا : كان مِن شدةِ قوتِه أنه رفع مَدائنَ قومِ لوطٍ ، وكُنَّ سَبْعًا ، بمن فيها مِن الأممِ ، وكانوا قريبًا مِن أربَعِمائةِ

---

(١) فى م ، ص : « يجيى » .

(٢) المعجم الكبير (١١٤٧٦) . وقال الهيثمى : تفرد به وهب بن رزق ولم أر من ذكر له ترجمة . المجمع ٨٠/١ .

(٣) فى م : « عبد الحكيم » .

(٤ - ٤) فى م : « ابن وهب بن رزق » . وفى ا : « وهب الله بن رزق الله » .

(٥) كذا فى : ا ، والمعجم الكبير . وفى هامش ا وبقية النسخ : « أبو هبيرة » . وانظر جامع المسانيد ١٩٢/٣١ .

(٦) تقدم فى صفحة ٢٢ .

(٧) التفسير ٤١٩/٧ .

ألفٍ ، وما معهم مِن الدوابِّ والحيواناتِ ، وما لتلك المَدائنِ مِن الأراضى والمُعْتَمَلَاتِ والعماراتِ وغيرِ ذلك ، رفع ذلك كلَّه على طَرَفِ جناحِه حتى بلغ بهنَّ عَنانَ السماءِ ، حتى سَمِعَتِ الملائكةُ نُباحَ كلابِهم[1] ، وصياحَ دِيَكَتِهم ، ثم قَلَبَها ، فجعل عالِيَهَا سافِلَها[2] . فهذا هو شديدُ القُوَى . وقولُه : ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أىْ ؛ ذو خَلْقٍ حَسَنٍ وبهاءٍ وسناءٍ ، كما قال فى الآيةِ الأخرى[3] : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير : ١٩] . أى ؛ جبريلُ رسولٌ مِن اللهِ ﴿ كَرِيمٍ ﴾ أى : حَسَنُ [٢٤/١ظ] المنظرِ ﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ أى ؛ له قوةٌ وبأسٌ شديدٌ ﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أى ؛ له مكانةٌ ومنزلةٌ عاليةٌ رفيعةٌ عندَ اللهِ ذى العرشِ المجيدِ ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى ؛ مُطاعٍ فى الملأِ الأعلَى ﴿ أَمِينٍ ﴾ أى ؛ ذو أمانةٍ عظيمةٍ ، ولهذا كان هو السفيرَ بينَ اللهِ وبينَ أنبيائِه عليهمُ السلامُ ، الذى ينزِلُ عليهم بالوحىِ ؛ فيه الأخبارُ الصادقةُ والشرائعُ العادلةُ . وقد كان يأتى إلى رسولِ اللهِ ﷺ وينزِلُ عليه فى صفاتٍ متعدِّدةٍ كما قدَّمْنا . وقد رآه على صِفَتِه التى خلَقَه اللهُ عليها مرتين ، له سِتُّمائةِ جناحٍ ، كما روى البخارىُّ[4] ، عن طلْقِ بنِ غَنَّامٍ ، عن زائدةَ ، عن[5] الشَّيْبانىِّ ، قال : سألتُ زِرًّا عن قولِه : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم ٩ ، ١٠] . قال : حدثنا عبدُ اللهِ ، يعنى ابنَ مسعودٍ ، أنَّ محمدًا ﷺ رأى جبريلَ له سِتُّمائةِ جَناحٍ .

---

(١) فى م : « الكلاب » .

(٢) انظر التفسير ٢٧١/٤ ، ٢٧٢ .

(٣) التفسير ٣٦١/٨ .

(٤) البخارى (٤٨٥٧) .

(٥) سقط من : م ، ص .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] حدثنا يحيى بنُ آدَمَ ، حدثنا شَرِيكٌ ، عن جامعِ [2]ابنِ أبِي راشدٍ[2] ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللهِ ، قال : رأى رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ فى صورتِه ، وله سِتُّمائةِ جَناحٍ ، كُلُّ جَناحٍ منها قد سدَّ الأفقَ ، يسقطُ من جناحِه من التهاويلِ[3] مِن الدُّرِّ والياقوتِ ما اللهُ به عليمٌ . وقال أحمدُ[4] أيضًا : حدثنا حسنُ بنُ موسى ، حدثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن عاصمِ ابنِ بَهْدَلَةَ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن ابنِ مسعودٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : ١٣ ، ١٤] . قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « رأيتُ جبريلَ وله سِتُّمائةِ جَنَاحٍ ، يَنْتَثِرُ[5] مِنْ ريشِهِ التَّهَاويلُ ؛ الدرُّ واليَاقُوتُ » . وقال أحمدُ[6] : حدثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، حدثنا حسينٌ ، حدثنى عاصمُ بنُ بَهْدَلَةَ ، سَمِعتُ شقيقَ بنَ سَلَمَةَ يقولُ : سَمِعتُ ابنَ مسعودٍ يقولُ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « رأيتُ جِبْريلَ على سِدْرَةِ المُنتهى وله سِتُّمائةِ جَنَاحٍ » . فسألتُ عاصِمًا عن الأجنِحَةِ ، فأبى أَنْ يُخبِرَنى ، قال : فأخبَرَنى بعضُ أصحابِهِ أَنَّ الجناحَ ما بينَ المشرقِ والمغربِ . وهذه أسانيدُ جيدةٌ قويةٌ ، انفرد بها أحمدُ .

وقال أحمدُ[6] : حدثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، حدثنى حسينٌ ، حدثنى

---

(١) لم نهتد إليه بهذا الإسناد ، وذكره ابن حجر فى المسند المعتلى ١٥٨/٤ ، وقال محققه : لم أجده . وكذا ذكره المصنف فى جامع المسانيد ١٤٤/٢٧ بهذا الإسناد . وقد أخرجه الإمام أحمد من طريق حجاج ثنا شريك عن عاصم عن أبى وائل به فى المسند ٣٩٥/١ ، وهو سند صحيح .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « بن راشد » . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٤٨٥/٤ .

(٣) التهاويل : الأشياء المختلفة الألوان .

(٤) المسند ٤٦٠/١ . وإسناده صحيح .

(٥) فى م : « ينتشر » . وهو لفظ أبى الشيخ فى العظمة (٥٠٣) .

(٦) المسند ٤٠٧/١ . وإسناده صحيح .

حُصَيْنٌ ، حدثنى شقيقٌ ، سمعتُ ابنَ مسعودٍ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أتانى جبريلُ فى خَضْرٍ تَعَلَّقَ به الدُّرُّ » . إسنادُهُ صحيحٌ . وقال ابنُ جريرٍ[1] : حدثنا ابنُ بزيع البغداديُّ ، قال : حدثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، قال : حدثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ ، عن عبدِ اللهِ فى قولِه : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] . قال : رأى رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ عليه [١/٢٥و] حُلَّتا رَفْرَفٍ ، قد مَلأَ ما بينَ السماءِ والأرضِ . إسنادٌ جيدٌ قويٌّ . وفى « الصحيحين »[2] من حديثِ عامرٍ الشَّعْبىِّ ، عن مسروقٍ ، قال : كنتُ عندَ عائشةَ ، فقلتُ : أليسَ اللهُ يقولُ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] . ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] . فقالتْ : أنا أولُ هذه الأمةِ سألَ رسولَ اللهِ ﷺ عنها ، فقال : « إنَّما ذاكَ جبريلُ » . لم يرَه فى صورَتِهِ التى خُلق عليها إلا مرَّتينِ ؛ رآه مُنْهَبِطًا مِن السماءِ إلى الأرضِ ، سادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بينَ السماءِ والأرضِ .

وقال البخاريُّ[3] : حدثنا أبو نُعَيْمٍ ، حدثنا عمرُ بنُ ذَرٍّ (ح) ، وحدثنى يحيى بنُ جعفرٍ ، حدثنا وَكيعٌ ، عن عمرَ بنِ ذَرٍّ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ لجبريلَ : « أَلَا تَزُورُنا أَكْثَرَ مما تَزُورُنا » . فنَزَلت[4] : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [مريم : ٦٤] الآيَةُ . وروى البخاريُّ[5] مِن حديثِ الزهريِّ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ الناسِ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٧/٤٩ . والترمذى (٣٢٨٣) ، والإمام أحمد فى المسند ١/٣٩٤ ، ٤١٨ . (صحيح) .

(٢) البخارى (٤٨٥٥) ، مسلم (١٧٧) . واللفظ لمسلم .

(٣) البخارى (٣٢١٨) .

(٤) التفسير ٥/٢٤٣ .

(٥) البخارى (٦ ، ٣٢٢٠ ، ٣٥٥٤) بدون لفظ « بالخير » ، و(١٩٠٢ ، ٤٩٩٧) بلفظ « بالخير » .

بالخيْرِ[1] ، وكان أجودَ ما يكونُ فى رمضانَ حينَ يَلْقاه جبريلُ ، وكان يَلْقاه فى كلِّ ليلةٍ مِن رمضانَ فيدارسُه القرآنَ ، فَلَرَسولُ اللهِ ﷺ أجودُ بالخيرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ . وقال البخاريُّ[2] : حدثنا قُتَيْبةُ ، حدثنا اللَّيْثُ ، عن ابنِ شهابٍ ، أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أَخَّرَ العصرَ شيئًا ، فقال له عروةُ : أَمَا إنَّ جبريلَ قد نزَل فصلَّى أمامَ رسولِ اللهِ ﷺ . فقال عمرُ : أعلمُ ما تقولُ يا عروةُ . قال : سمعتُ بَشِيرَ بنَ أبى مسعودٍ يقولُ : [3]سمعتُ أبا مسعودٍ يقولُ[3] : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « نزَل جبريلُ فأَمَّنى فصلَّيْتُ معه ، ثم صَلَّيْتُ معه ، ثم صلَّيتُ معه ، ثم صلَّيْتُ معه ، ثم صلَّيْتُ معه » . يَحْسِبُ بأصابِعِهِ خَمْسَ صَلَواتٍ .

ومِن صفةِ إسرافيلَ عليه السلامُ ، وهو أحدُ حَمَلَةِ العرشِ ، وهو الذى ينفخُ فى الصُّورِ بأمرِ ربِّه نَفَخاتٍ ثلاثًا ؛ أُولاهنَّ نفخةُ الفزعِ ، والثانيةُ نفخةُ الصَّعْقِ ، والثالثةُ نفخةُ البَعْثِ ، كما سيأتى بيانُه فى مَوْضِعِه من كتابِنا هذا بحولِ اللهِ وقوتِه وحُسنِ توفيقِه . والصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه ، كلُّ دارةٍ منه كما بينَ السماءِ والأرضِ ، وفيه موضِعُ أرواحِ العبادِ حينَ يأمرُه اللهُ بالنفخِ للبعثِ ، فإذا نفخَ ، تخرجُ الأرواحُ تتوهَّجُ ، فيقولُ الربُّ جلَّ جلالُه : وعزتى وجلالِى لترجِعَنَّ كلُّ رُوحٍ إلى البَدَنِ الذى كانت تَعْمُرُه فى الدنيا . فتدخلُ على الأجسادِ فى قبورِها ، فتدبُّ فيها كما يدبُّ [٢٥/١ظ] السمُّ فى اللديغِ ، فتَحْيَى الأجسادُ ، وتنشقُّ عنهم الأجداثُ ، فيَخْرُجون منها سِراعًا إلى مَقامِ المحشرِ : كما سيأتى تفصيلُه فى مَوْضِعِه[4] . ولهذا قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كيفَ أَنْعَمُ[5]

---

(١) زيادة من : ح .

(٢) البخارى (٣٢٢١) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) انظر التفسير ٢٢٦/٦ .

(٥) فى ا : « أنتم » .

وصاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ ، وحنَى جَبْهَتَه ، وانْتَظَرَ أَنْ يُؤْذَنَ لَه ؟! » قالوا : كَيْفَ نَقُولُ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : « قولوا : حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكِيلُ ، عَلى اللهِ توَكَّلْنَا » . رواه أحمدُ والتِّرمذىُّ مِن حديثِ عطيةَ العَوْفىِّ عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا أبو معاويةَ ، حدثنا الأَعْمَشُ ، عن سعدٍ الطائِىِّ ، عن عطيةَ العَوْفِىِّ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : ذكَر رسولُ اللهِ ﷺ صاحبَ الصُّورِ ، فقال : « عن يَمِينِه جِبْرِيلُ ، وعن يَسَارِه مِيكَائِيلُ ، عليهم السلامُ » . وقال الحافِظُ أبو القاسمِ الطبرانىُّ[3] : حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَضْرمىُّ ، حدثنا محمدُ بنُ عمرَ[4] بنِ أَبِى ليلَى ، حدثنى أَبِى ، (5عن ابن أَبِى ليلَى5) ، عن الحكمِ ، عن مِقْسمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : بَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ ومعه جبريلُ بناحيةٍ ، إذ انشقَّ أُفُقُ السماءِ ، فأقبلَ إسرافيلُ يدنو مِن الأرضِ ويَتَمايَلُ ، فإذا مَلَكٌ قد مَثَلَ بينَ يَدَىِ النَبِىِّ ﷺ فقال : يا محمدُ ، إنَّ اللهَ يأْمُرُكَ أَنْ تختارَ بينَ نَبِىٍّ عَبْدٍ أو مَلِكٍ نَبِىٍّ ؟ قال : « فأَشَار جبريلُ[6] إلىَّ بيدِه أَنْ تَواضَعْ ، فَعَرَفْتُ أنَّه لِى ناصِحٌ ، فقلتُ : عَبْدٌ نَبِىٌّ ، فَعَرَجَ ذلك المَلَكُ إلى السمَاءِ ، فَقُلْتُ : يا جبريلُ ، قد كنتُ أردتُ أَنْ أسأَلَكَ عَنْ هذا ،

---

(1) مسند أحمد ١/٣٢٦ عن عطية عن ابن عباس . الترمذى (٢٤٣١) عن عطية عن أبى سعيد ، وقال : حسن . وعطية بن سعد بن جنادة العوفى ضعيف . قال ابن حجر : صدوق يخطئ كثيرا ، كان شيعيا مدلسا . التهذيب ٧/٢٢٤ - ٢٢٦ . والتقريب ٢/٢٤ . وصححه الألبانى (صحيح الجامع ٤٤٦٨) .

(2) المسند ٣/٩ ، ١٠ .

(3) المعجم الكبير (١٢٠٦١) . وذكره الهيثمى فى المجمع ٩/١٩ وقال : فيه محمد بن أبى ليلى وقد وثقه جماعة ولكنه سيئ الحفظ ، وبقية رجاله ثقات .

(4) فى ح : « عمران » .

(5 - 5) فى م : « عن أبى ليلى » .

(6) سقط من : ح .

فرأيتُ مِنْ حالِكَ ما شَغَلَنِى عَن المسألةِ ، فَمَنْ هذا يا جِبْريلُ ؟ فقال : هذا إسْرافيلُ عليه السلامُ ، خَلَقَه اللهُ يومَ خَلَقَهَ بينَ يَدَيه ، صَافًّا قَدَمَيْهِ ، لا يرفَعُ طَرْفَه ، بينَه وبينَ الربِّ سبْعونَ نُورًا ، ما مِنْها مِن نُورٍ يَكادُ يَدْنُو مِنْهُ إلَّا احْتَرَقَ ، بينَ يَدَيْه لَوْحٌ ، فإذا أَذِنَ اللهُ فى شيءٍ مِنَ السمَاءِ أَوْ فى الأَرْضِ ، ارْتَفَع ذلكَ اللَّوْحُ فَضَرَبَ جَبْهَتَه ، فَيَنْظُرُ ، فإنْ كانَ مِنْ عَمَلِى ، أَمَرَنِى به ، وإنْ كانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ ، أَمَرَهُ بِه ، وإن كان مِنْ عَمَلِ مَلَكِ المَوْتِ ، أَمَرَه به . قلتُ : يا جبريلُ ، وعلى أىِّ شَىءٍ أَنْتَ ؟ قالَ : على الريحِ والجُنُودِ . قلتُ : وعلى أىِّ شىءٍ ميكائيلُ ؟ قالَ : على النباتِ والقَطْرِ . قلتُ : وعلى أىِّ شَىءٍ مَلَكُ المَوْتِ ؟ قال : على قَبْضِ الأَنْفُسِ ، وما ظَنَنْتُ أَنَّه نَزَل إلا لِقِيَامِ الساعَةِ ، وما الذى رأيتَ مِنِّى إلَّا خَوْفًا مِن قِيَامِ الساعَةِ » . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[1] ، عن عائشةَ ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا قام مِن الليلِ يُصَلِّى يقولُ : « اللهمَّ ربَّ جِبْريلَ وميكائِيلَ وإسْرَافيلَ ، فاطِرَ السمَـٰواتِ والأَرضِ ، عالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، أنتَ تَحْكُمُ بينَ عِبَادِكَ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُون ، اهدِنى لِمَا اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحقِّ بِإِذْنِك ، إنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

وفى حديثِ الصُّورِ[2] أَنَّ إسرافيلَ أولُ مَن يبعثُه اللهُ بعدَ الصَّعْقِ[3] لينفخَ فى الصُّورِ . وذكَر محمدُ بنُ [١/٢٦و] الحسنِ النَّقَّاشُ أَنَّ إسرافيلَ أولُ مَن سجَد مِن الملائكةِ ، فَجُوزِىَ بولايةِ اللوحِ المحفوظِ . حكاه أبو القاسمِ السُّهَيلىُّ

---

(١) مسلم (٧٧٠) .

(٢) رواه الطبرانى فى الأحاديث الطوال (٣٦) وإسناده ضعيف ، ويأتى فى صفحة ١٠٨ .

(٣) فى ح : « الصعقتين » .

فى كتابِه[1] « التعريفُ والإعلامُ بما أُبْهِم فى القرآنِ مِن الأَعلامِ » . وقال تعالى[2] : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ ﴾ [البقرة : ٩٨] . عَطَفهما على الملائكةِ ؛ لشرفِهما ، فجبريلُ مَلَكٌ عظيمٌ قد تقدَّم ذكرُه ، وأمَّا ميكائيلُ فمُوَكَّلٌ بالقَطْرِ والنباتِ ، وهو ذو مكانةٍ مِن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ ، ومِن أشرافِ[3] الملائكةِ المقرَّبين .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا أبو اليمانِ ، حدثنا ابنُ عيَّاشٍ[5] ، عن عمارةَ بنِ غَزِيَّةَ[6] الأنصاريِّ ، أنَّه سَمِع حُمَيْدَ بنَ عُبَيْدٍ مولى بنِى المُعَلَّى ، يقولُ : سمعتُ ثابتًا البنانيَّ يحدِّثُ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال لجبريلَ : « ما لِىَ لَمْ أرَ مِيكَائِيلَ ضاحِكًا قَطُّ ؟ فقال : ما ضَحِكَ مِيكَائيلُ منذُ خُلِقَت النارُ » . فهؤلاء الملائكةُ المصرَّحُ بذكرِهم فى القرآنِ وفى الصِّحاحِ هم المذكورون فى الدعاءِ النبويِّ : « اللهمَّ ربَّ جِبْرِيلَ وميكائيلَ وإسْرَافيلَ »[7] . فجبريلُ ينزلُ بالهُدَى على الرسلِ لتبليغِ الأممِ ، وميكائيلُ موكَّلٌ بالقَطْرِ والنباتِ اللذَيْن يُخْلَقُ منهما الأرزاقُ فى هذه الدارِ ، [8]وله أعوانٌ يفعلون ما يأمُرُهم به بأمرِ ربِّه ، يُصَرِّفون الرياحَ والسحابَ كما يشاءُ الربُّ جلَّ جلالُه . وقد رُوِّينَا أنَّه ما مِن قطرةٍ تنزلُ مِن السماءِ إلَّا ومعها مَلَكٌ يقدِّرُها[9] فى موضِعِها مِن الأرضِ[8] . وإسرافيلُ موكَّلٌ بالنفخِ فى الصُّورِ للقيامِ مِن

---

(١) ص ٥٧ .

(٢) التفسير ١/١٩٠ .

(٣) فى ص : « أشرف » .

(٤) المسند ٣/٢٢٤ . وحسنه الساعاتى فى الفتح ٢٠/١٨ ، ١٩ .

(٥) فى الأصل ، م : « عباس » . وهو إسماعيل بن عياش بن سليم . تهذيب الكمال ٣/١٦٣ .

(٦) فى النسخ : « عمارة بن غزنة » . وهو عمارة بن غزية بن الحارث . تهذيب الكمال ٢١/٢٥٨ .

(٧) مسلم (٧٧٠) .

(٨ - ٨) سقط من : ح .

(٩) فى م ، ص : « يقررها » .

القبورِ ، والحضورِ يومَ البعثِ والنُّشورِ ؛ ليفوزَ الشَّكُورُ ، ويُجازَى الكَفُورُ ، فذاك ذَنْبُه مغفورٌ وسعيُه مشكورٌ ، وهذا قد صار عملُه كالهَباءِ المنْثُورِ ، وهو يدعو بالويْلِ والثُّبورِ . فجبريلُ عليه السلامُ يَحْصُلُ بما ينزِلُ به الهُدَى ، وميكائيلُ يحصلُ بما هو موكَّلٌ به الرزقُ ، وإسرافيلُ يحصُلُ بما هو موكَّلٌ به النصرُ[1] والجزاءُ .

وأمَّا مَلَكُ الموتِ فليس بمصرَّحٍ باسمِه فى القرآنِ ، ولا فى الأحاديثِ الصِّحاحِ ، وقد جاء تسميتُه فى بعضِ الآثارِ بعزرائيلَ[2] ، واللهُ أعلمُ . وقد قال اللهُ تعالى[3] : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة : ١١] . وله أعوانٌ يستخرِجون رُوحَ العبدِ مِن جثتِه حتى تبلُغَ[4] الحُلقُومَ ، فيتناولَها مَلَكُ الموتِ بيدِه ، فإذا أخذها لم يَدَعُوها فى يدِه طَرْفَةَ عينٍ حتى يأخذُوها (٥من يدِه٥) ، فيَلُفُّوها فى أكفانٍ تَليقُ بها ، كما قد بُسِطَ عندَ قولِه[6] : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ [١/٢٦ظ] بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] . ثم يصعدُون بها ، فإنْ كانت صالحةً ، فُتِحتْ لها أبوابُ السماءِ ، وإلَّا غُلِّقَتْ دُونَها وأُلْقِىَ بها إلى الأرضِ . قال اللهُ تعالى[7] : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦١ ، ٦٢] .

---

(١) فى ا : « الحياة » .

(٢) انظر العظمة لأبى الشيخ (٤٤٥) .

(٣) التفسير ٣٦٢/٦ .

(٤) فى ا : « إذا بلغت » .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « منه » .

(٦) التفسير ٤١٣/٤ .

(٧) التفسير ٢٦١/٣ .

وعن ابنِ عباسٍ ومُجاهدٍ وغيرِ واحدٍ أنَّهم قالوا : إنَّ الأرضَ بينَ يَدَىْ مَلَكِ الموتِ مثلُ الطَّسْتِ ، يتناولُ منها حيثُ يشاءُ[1] . وقد ذكرْنا أنَّ ملائكةَ الموتِ يأتُون الإنسانَ على حَسَبِ عملِه ، إنْ كان مؤمنًا أتاه ملائكةٌ بِيضُ الوجوهِ بِيضُ الثيابِ ، طيّبةُ الأرواحِ ، وإنْ كان كافرًا فبالضِّدِّ[2] مِن ذلك ، عِياذًا باللهِ العظيمِ مِن ذلك .

وقد قال ابنُ أبى حاتمٍ[3] : حدثنا أبى ، حدثنا يحيى بنُ أبى يحيى المقرِى ، حدثنا عَمْرُو بنُ شَمْرٍ ، قال : سَمِعْتُ جعفرَ بنَ محمدٍ قال : سمعتُ أبى يقولُ : نظر رسولُ اللهِ ﷺ إلى مَلَكِ الموتِ عندَ رأسِ رجلٍ منَ الأنصارِ ، فقال له النبىُّ ﷺ : « يا مَلَكَ الموتِ ، ارفُقْ بصاحِبِى ، فإنَّه مُؤمِنٌ . فقال مَلَكُ الموتِ : يا محمدُ ، طِبْ نَفْسًا وقَرَّ عَيْنًا ، فإنِّى بكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ ، واعْلمْ أنَّ ما فى الأرضِ بيتُ مَدَرٍ ولا شَعَرٍ فى بَرٍّ ولا بَحْرٍ ، إلا وأنا أتَصَفَّحُهم[4] فى كلِّ يومٍ خَمْسَ مَرّاتٍ ، حتى إنِّى أَعْرَفُ بصغِيرِهم وكبيرِهم منهم[5] بأنْفُسِهم ، واللهِ يا محمدُ لو أنِّى أردتُ أنْ أقْبِضَ رُوحَ بَعُوضَةٍ ما قَدَرْتُ على ذلك حتى يكونَ اللهُ هو الآمِرَ بِقَبْضِها » . قال جعفرُ بنُ محمدٍ و[6] هو جَعْفرٌ[7] الصادقُ : بلغنى أنه يَتَصَفَّحُهم[8] عندَ مَوَاقيتِ الصلاةِ ، فإذا حضَر عندَ الموتِ ، فإذا كان مِمَّنْ يحافِظُ على الصلاةِ دنا منه المَلَكُ ، ودفَع عنه

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/٩٧ ، ٩٨ ، ٩/٢١٧ . والعظمة (٤٣٥) عن مجاهد .

(٢) فى ا : « أتوه على خلاف » .

(٣) ذكره السيوطى فى الدر ٥/١٧٤ وعزاه إلى ابن أبى حاتم ، وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٤٧٥) . وإسناده ضعيف جدا .

(٤) فى م ، ص : « أتفحصهم » .

(٥) سقط من : م .

(٦) سقط من : ح . وفى م ، ص : « أبى » .

(٧) زيادة من : ا .

(٨) فى م ، ص : « يتفحصهم » .

الشيطانَ ولقَّنه المَلَكُ : لا إلَهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ . فى تلكَ الحالِ العظيمةِ . هذا حديثٌ مُرْسَلٌ ، وفيه نظَرٌ . وذكرنا فى حديثِ الصُّورِ مِن طريقِ إسمٰعيلَ بنِ رافعٍ المدنىِّ القاصِّ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِىِّ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ الحديثَ بطُولِه . وفيه : « ويأمرُ اللهُ إسرافيلَ بنفخةِ الصَّعْقِ ، فينفُخُ نفخَةَ الصعقِ ، فَيُصْعَقُ أهلُ السمٰواتِ وأهلُ الأرضِ ، إلا مَنْ شاءَ اللهُ ، فإذا هم قد خَمَدوا ، جاءَ[1] مَلَكُ الموتِ إلى الجَبّارِ عزَّ وجلَّ ، فيقولُ : يا ربِّ قد ماتَ أهلُ السمٰواتِ والأرضِ إلا مَنْ شِئْتَ . فيقولُ اللهُ ، وهو أعلمُ بِمَنْ بَقِىَ : فَمَنْ بَقِىَ ؟ فيقولُ : يا ربِّ[2] بَقِيتَ أنتَ الحىُّ الذى لا يموتُ ، وبَقِيَتْ حَمَلَةُ [٢٧/١و] عَرْشِك ، وبَقِىَ جِبريلُ ومِيكَائيلُ . فيقولُ : لِيَمُتْ جبريلُ وميكائيلُ . فَيُنْطِقُ اللهُ العرشَ فيقولُ : يا ربِّ يموتُ جبريلُ وميكائيلُ ؟ فيقولُ : اسكُتْ فإنِّى كَتَبْتُ الموتَ على كلِّ مَنْ كان تحتَ عَرْشِى . فيموتان ، ثم يأتى مَلَكُ الموتِ إلى الجَبّارِ عَزَّ وَجَلَّ ، فيقولُ : يا ربِّ قد ماتَ جبريلُ وميكائيلُ . فيقولُ اللهُ ، وهو أعلمُ بِمَنْ بَقِىَ : فَمَنْ بَقِىَ ؟ فيقولُ : بَقِيتَ أنتَ الحىُّ الذى لا يموتُ ، وبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وبَقِيتُ أنا . فيقولُ اللهُ : لِتَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشِى . فَيموتون[3] ، ويأمرُ اللهُ العرشَ فيقبِضُ الصُّورَ مِنْ إسرافيلَ ، ثم يأتى مَلَكُ الموتِ فيقولُ : يا ربِّ قد مات حَمَلَةُ عَرْشِك . فيقولُ اللهُ ، وهو أعلمُ بِمَنْ بَقِىَ : فمن بَقِىَ ؟ فيقولُ : بَقِيتَ أنتَ الحىُّ الذى لا يموتُ ، وبَقِيتُ أنا . فيقولُ اللهُ : أنت خَلْقٌ مِن خَلْقِى ، خلقتُكَ لِمَا رأيْتَ[4] فَمُتْ . فيَمُوتَ ، فإذا لم يبْقَ إلا اللهُ الواحدُ القهّارُ الأحدُ الصمدُ الذى لم يلدْ ولم يولَدْ ولم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ ، كان آخِرًا كما كان أولًا » .

---

(١) فى ا : « فيجىء » .

(٢) زيادة من : ح .

(٣) فى ح ، م ، ص : « فتموت » .

(٤) فى النسخ : « أردت » . والمثبت من هامش (ح) ومصادر التخريج .

وذكر تمامَ الحديثِ بطولِه . رواه الطبرانيُّ وابنُ جريرٍ والبيهقيُّ[1] ، ورواه الحافِظُ أبو موسى المدينيُّ فى كتابِ « الطِّوالاتِ » ، وعندَه زيادةٌ غريبةٌ وهى قولُه : « فيقولُ اللهُ له : أنتَ خَلْقٌ مِن خَلْقى ، خلقتُكَ لِمَا أردْتُ ، فَمُتْ مَوْتًا لا تَحْيَى بعدَه أبدًا » .

ومن الملائكةِ المنصوصِ على أسمائِهم فى القرآنِ هارُوتُ ومارُوتُ ، فى قولِ جماعةٍ كثيرةٍ مِن السلفِ . وقد ورد فى قصتِهما وما كان مِن أمرِهما آثارٌ كثيرةٌ غالِبُها إسرائيلياتٌ . ورَوَى الإمامُ أحمدُ[2] حديثًا مرفوعًا عن ابنِ عمرَ وصحَّحه ابنُ حبانَ فى « تقاسيمِه » ، وفى صحتِه عِندِى نظرٌ ، والأشْبهُ أنه موقوفٌ على عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ[3] ويكونُ مما تلقَّاه عن كعبِ الأحبارِ ، كما سيأتى بيانُه واللهُ أعلمُ . وفيه : أنَّه تمثَّلتْ لهما الزُّهْرةُ امرأةً مِن أحسنِ البشرِ . وعن علىٍّ[4] ، وابنِ عباسٍ ، وابنِ عمَرَ أيضًا ، أنَّ الزُّهْرةَ كانت امرأةً ، وأنهما لَمّا طلبا منها ما ذُكِر ، أبَتْ إلَّا أنْ يُعلِّماها الاسمَ الأعظمَ ، فعلَّماها ، فقالتْه ، فارتفعتْ إلى السماءِ ، فصارتْ كوكبًا . وروى الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[5] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وفى ذلك الزمانِ امرأةٌ حُسنُها فى النساءِ كحُسْنِ الزُّهْرةِ فى سائرِ الكواكبِ . وهذا اللفظُ أحسنُ ما وردَ فى

---

(١) الطبرانى فى الأحاديث الطوال (٣٦) . وابن جرير فى تفسيره ٣٣٠/٢ ، ٣٣١ ، ٦١/٢٤ ، ١٨٦/٣٠ - ١٨٨ . والبيهقى فى البعث والنشور (٦٦٨ ، ٦٦٩) . وتقدم فى صفحة ١٠٤ .

(٢) مسند أحمد ١٣٤/٢ ، الإحسان (٦١٨٦) . (ضعيف) .

(٣) فى ا : « عمرو » .

(٤) تفسير الطبرى ٤٥٦/١ .

(٥) مستدرك الحاكم ٤٤٢/٢ .

شأنِ الزُّهْرةِ . ثم قيل : كان أمرُهما وقِصتُهما فى زمانِ إدريسَ . وقيل : فى زمانِ سُليمانَ بنِ داودَ . كما حرَّرنا ذلك فى « التفسيرِ »[1] .

وبالجملةِ فهو خبرٌ إسرائيليٌّ [١/٢٧ظ] مَرْجِعُه إلى كعبِ الأحبارِ ، كما رواه عبدُ الرزاقِ فى « تفسيرِه »[2] ، عن الثوريِّ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن كعبِ الأحبارِ بالقصةِ . وهذا أصحُّ إسنادًا وأثبتُ رجالًا ، واللهُ أعلمُ . ثم قد قيل : إن المرادَ بقولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] . قبيلانِ مِن الجانِّ . قاله ابنُ حزمٍ[3] ، وهذا غريبٌ وبعيدٌ مِن اللفظِ . ومِن الناسِ مَن قرأ : « وما أُنزِلَ على المَلِكَيْنِ » . بالكسرِ ، ويجعلُهما عِلْجَيْن مِن أهلِ فارسَ . قاله الضحّاكُ[4] . ومِن الناسِ مَن يقولُ : هما مَلَكان مِن السماءِ ، ولكن سبَق فى قَدَرِ اللهِ لهما ما ذكَره مِن أمرِهما ، إنْ صحّ به الخبرُ ، ويكونُ حكمُهما كحكمِ إبليسَ ، إنْ قِيل : إنَّه مِن الملائكةِ . لكنَّ الصحيحَ أنَّه مِن الجنِّ ، كما سيأتى تقريرُه .

ومِن الملائكةِ المُسَمَّين فى الحديثِ مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ ، عليهما السلامُ . وقد استفاض فى الأحاديثِ ذكرُهما فى سؤالِ القبرِ . وقد أوردناها عند قولِه تعالى[5] : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] . وهما فتَّانا القبرِ ، موكلان بسؤالِ الميِّتِ فى قبرِه عن ربِّه ، ودينِه ، ونبيِّه ، ويمتحنان البَرَّ والفاجرَ ، وهما أزرَقان أفْرقانِ ، لهما أنيابٌ وأشكالٌ مزعجةٌ وأصواتٌ مفزعةٌ ، أجارنا اللهُ مِن عذابِ القبرِ ، وثبتَنا بالقولِ الثابتِ ، آمينَ .

---

(١) التفسير ١٩٨ – ٢٠٠ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٥٣ ، ٥٤ .

(٣) انظر الفصل ٣/٢٦١ .

(٤) تفسير الطبرى ١/٤٥٩ . والمحتسب ، لابن جنى ١/١٠٠ .

(٥) التفسير ٤/٤١٣ .

[1]وقال البخاريُّ[2] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ ، حدثنا ابنُ وهبٍ ، حدثنى يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، حدثنى عُرْوةُ ، أنَّ عائشةَ زوجَ النبىِّ ﷺ حدثته أنَّها قالت للنبىِّ ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ ؟ قال : « لقد لَقِيتُ مِن قَومِكِ ، وكان أشدُّ ما لقِيتُ منهم يومَ العَقَبَةِ ؛ إذْ عَرَضْتُ نفسى على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ ، فلم يُجِبْنى إلى ما أردتُ ، فانطلقْتُ - وأنا مهمومٌ - على وجْهى ، فلم أسْتَفِقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثعالبِ ، فرَفَعْتُ رأسى ، فإذا أنا بِسحابةٍ قد أظلَّتْنِى ، فنظرتُ ، فإذا فيها جبريلُ ، فنادانى ، فقال : إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعَث لك مَلَكَ الجبالِ لِتَأْمُرَه بما شِئْتَ فيهم . فنادانى مَلَكُ الجبالِ ، فسلَّمَ عَلَىَّ ثم قال : يا محمدُ . فقال : ذلك فما[3] شئتَ ؟ إنْ شئتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخْشَبَين » . فقال النبىُّ ﷺ : « بل أرجو أنْ يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يعبدُ اللهَ وحدَه لا يُشْرِكُ به شيئًا » . ورواه مسلمٌ[4] من حديثِ ابنِ وهبٍ ، به[1] .

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) البخارى (٣٢٣١) .

(٣) فى البخارى : « فيما » .

(٤) مسلم (١٧٩٥) .

فصــلٌ

ثم الملائكةُ عليهمُ السلامُ بالنسبةِ إلى ما هيأهمُ اللهُ له أقسامٌ ؛ [٢٨/١و] فمنهم حملةُ العرشِ كما تقدم ذكرُهم ، ومنهم الكَرُوبِيُّون الذين هم حولَ العرشِ ، وهم أشْرفُ الملائكةِ مع حملةِ العرشِ ، وهمُ الملائكةُ المقرَّبون ؛ كما قال تعالى[1] : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء : ١٧٢] . ومنهم جبريلُ وميكائيلُ عليهما السلامُ ، وقد ذكر اللهُ عنهم أنَّهم يستغفرون للمؤمنينَ بظهرِ الغيبِ ، كما قال تعالى[2] : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر : ٧ - ٩] . ولمَّا كانت سَجاياهم هذه السجيةَ الطاهرةَ ، كانوا يحبُّون مَنِ اتَّصفَ بهذه الصفةِ ويَدْعُون[3] ، كما ثبَت فى الحديثِ ، عن الصادقِ المصدوقِ ، أنَّه قال : « إذا دعا العبدُ لأخيه بظهرِ الغيبِ ، قال المَلَكُ : آمينَ ولكَ بِمِثْلٍ »[4] .

ومنهم سكانُ السمٰواتِ السبعِ ، يعمُرُونها عبادةً دائبةً ليلًا ونهارًا ، صباحًا

---

(١) التفسير ٤٣٣/٢ .

(٢) التفسير ١٢٠/٧ .

(٣) زيادة من : ا .

(٤) مسلم (٢٧٣٢ ، ٢٧٣٣) .

ومساءً ، كما قال تعالى[1] : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] . فمنهم الراكِعُ دائمًا ، والقائمُ دائمًا ، والساجدُ دائمًا . ومنهم الذين يتعاقبون زُمْرةً بعدَ زُمْرةٍ إلى البيتِ المعمورِ ، كلَّ يومٍ سبعون ألفًا لا يعودون إليه ، آخرَ ما عليهم . ومنهم الموكَّلون بالجنانِ وإعدادِ الكرامةِ لأهلِها ، وتهيئةِ الضيافةِ لساكِنِيها ؛ من ملابسَ ، ومَصاغٍ ، ومساكنَ ، ومآكلَ ، ومشاربَ ، وغيرِ ذلك ، مما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سَمِعت ، ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ .

وخازِنُ الجنةِ مَلَكٌ يقالُ له رِضْوانُ ، جاء مصرَّحًا به فى بعضِ الأحاديثِ[2] . ومنهم الموكَّلُون بالنارِ ، وهم الزبانِيةُ ، ومُقدَّموهم تسعةَ عشرَ ، وخازنُها مالِكٌ ، وهو مقدَّمٌ على جميعِ الخزنةِ . وهم المذكورون فى قولِه تعالى[3] : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٩] الآيةُ . وقال تعالى[4] : ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧ ، ٧٨] . وقال تعالى[5] : ﴿ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] . وقال تعالى[6] : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ

---

(١) التفسير ٢٢٨/٥ .

(٢) الدر المنثور ٦٣/٥ ، وعزاه للواحدى وابن عساكر عن ابن عباس .

(٣) التفسير ١٣٩/٧ .

(٤) التفسير ٢٢٧/٧ .

(٥) التفسير ١٩٤/٨ .

(٦) التفسير ٢٩١/٨ .

فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣٠ ، ٣١] .

ومنهم[١] الموكَّلون بحفظِ بنى آدمَ ، كما قال تعالى[٢] : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ١٠ ، ١١] [١/٢٨ظ] الآيات . قال الوالبىُّ ، عن ابنِ عباسٍ ﴿ لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ : وهى الملائكةُ . وقال عِكْرِمةُ ، عنِ ابنِ عباسٍ ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ قال : ملائكةٌ يحفظونه مِن بينِ يديه ، ومن خلفِه ، فإذا جاء قدَرُ اللهِ ، خلَّوا عنه . وقال مجاهدٌ : ما مِن عبدٍ إلا ومَلَكٌ موكَّلٌ بحفظِه فى نومِه ويقظتِه مِن الجنِّ والإنسِ والهوامِّ ، [٣]فما مِن[٣] شيءٍ يأتيه يريدُه إلا قال : وراءَك . إلا شيءٌ يأذنُ اللهُ فيه فيصيبُه . وقال أبو أُمامةَ[٤] : ما مِن آدميٍّ إلا ومعه مَلَكٌ يذودُ عنه ، حتى يُسَلِّمَه للذى قُدِّرَ له . وقال أبو مِجْلزٍ[٥] : جاء رجلٌ إلى علىٍّ فقال : إنَّ نفرًا مِن مُرادٍ يريدون قتلَك . فقال : إنَّ مع كلِّ رجلٍ مَلَكَين يحفظانِه مِمَّا لم يُقدَّرْ ، فإذا جاء القدرُ خلَّيا بينَه وبينَه ، إنَّ الأجلَ جُنَّةٌ حصينةٌ .

ومنهم الموكَّلون بحفظِ أعمالِ العبادِ ، كما قال تعالى[٦] : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ

---

(١) فى م ، ص : « وهم » .

(٢) التفسير ٣٥٩/٤ – ٣٦٢ .

(٣ – ٣) فى م ، ص : « وليس » . وفى ابن جرير : « فما منهم » .

(٤) فى م ، ص : « أسامة » . وقد أورد المصنف هذا الأثر عن أبى أمامة فى التفسير ٣٦١/٤ . وهو فى تفسير الطبرى عنه كذلك ١١٩/١٣ .

(٥) تفسير الطبرى ١١٩/١٣ .

(٦) التفسير ٣٧٦/٧ .

وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٧ ، ١٨] . وقال تعالى[١] : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ * كِرَامًا كَـٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠ - ١٢] . قال الحافظُ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ الرازىُّ فى « تفسيرِه » : حدثنا أبى ، حدثنا علىُّ بنُ محمدٍ الطَّنافِسىُّ[٢] ، حدثنا وَكِيعٌ ، حدثنا سفيانُ ومِسْعَرٌ ، عن عَلْقمةَ بنِ مَرْثدٍ[٣] ، عن مُجاهدٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أكْرِمُوا الكِرامَ الكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ لا يُفَارِقُونَكُم إلَّا عِنْدَ إحْدَى حالَتَيْنِ ؛ الجَنَابَةِ ، والغائطِ ، فإذا اغتسل أحدُكم فليستترْ بِجِذْمِ[٤] حائِطٍ أو ببعيرِه أو ليسترْه أخوه »[٥] . هذا مُرسَلٌ مِن هذا الوجهِ ، وقد وصلَه البَزَّارُ فى « مُسنَدِه »[٦] ، مِن طريقِ حَفْصِ[٧] بنِ سُليمانَ القارِئِ[٨] - وفيه كلامٌ - عن عَلْقَمَةَ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رَسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ ينهاكم عن التعرِّى ، فاستحيُوا مِن [٩]ملائِكةِ اللهِ الذينَ معكم[٩] ، الكِرامِ الكاتبين ، الذين لا يفارقونَكُم إلَّا عندَ إحدى ثلاثِ حالاتٍ ؛ الغائِطِ ، والجَنابةِ ، والغُسْلِ ، فإذا اغتسل أحدُكم بالعراءِ فليستترْ بِثوبِه أو بِجِذْمِ حائطٍ أو ببَعيرِه . ومعنى إكرامِهم أن يستحىَ منهم ، فلا يُملِى عليهم الأعمالَ القبيحةَ التى يَكْتبونَها ؛ فإنَّ اللهَ خَلَقَهم كِرامًا

---

(١) التفسير ٨/٣٦٥ .

(٢) فى الأصل : « الطيالسى » . وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢١/١٢٠ .

(٣) فى الأصل ، ح ، م ، ص : « يزيد » . وهو علقمة بن مرثد الحضرمى ، ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٠/٣٠٨ .

(٤) فى ا : « جدم » . وجذم الحائط : أصله أو بقيته . النهاية ١/٢٥٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ٨/٣٦٥ .

(٦) كشف الأستار (٣١٧) . وقال الهيثمى : جعفر بن سليمان من رجال الصحيح . المجمع ١/٢٦٨ . والذى فى كشف الأستار حفص بن سليمان كما أثبتناه . وانظر جامع المسانيد ٣٢/٢٩٣ .

(٧) فى م : « جعفر » .

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩ - ٩) فى م : « الله والذين معكم » . وفى ص : « الله الذى معكم » .

فى خَلْقِهم وأخلاقِهم . ومِن كرمِهم أنه قد ثَبَت فى الحديثِ المَروىِّ فى « الصحاحِ » و « السنَنِ » و « المسانيدِ » مِن حديثِ جماعةٍ من الصحابَةِ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ ، أنَّه قال : « لا تدخلُ المَلائكةُ بيتًا فيه صُورةٌ ، ولا كلبٌ ، ولا جُنُبٌ »[1] . وفى روايةٍ ، عن عاصمِ بنِ ضَمْرَةَ ، عن علىٍّ : « ولا بولٌ »[2] . وفى روايةِ رافعٍ ، عن أبى سعيدٍ ، مرفوعًا : « لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه صورةٌ ولا تِمثالٌ »[3] . وفى روايةِ [١/٢٩و] مجاهدٍ ، عن أبى هريرةَ ، مرفوعًا : « لا تدخلُ المَلائكةُ بيتًا فيه كلبٌ أو تمثالٌ »[4] . وفى روايةِ ذَكْوانَ أبى[5] صالِحٍ السَّمَّانِ[6] ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا تصحبُ[7] الملائكةُ رُفْقَةً معهم كلبٌ أو جَرَسٌ »[8] . ورواه زُرارةُ بنُ أَوْفَى عنه : « لا تَصحبُ[7] الملائِكةُ رُفْقَةً معهم جرسٌ »[9] .

وقال البَزَّارُ[10] : حدثنا إسحاقُ بنُ سُليمانَ البغدادىُّ المعروفُ

---

(١) أخرجه بذكر الجنب أبو داود (٢٢٧ ، ٤١٥٢) ، النسائى (٢٦١ ، ٤٢٩٢) ، الدارمى ٢/٢٨٤ ، الإمام أحمد ١/٨٣ ، ١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٥٠ . ويشهد لذكر الجنب حديث عمار المرفوع : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة ... » . وذكر منهم الجنب ، أخرجه أبو داود (٤١٨٠) . وانظر السلسلة الصحيحة (١٨٠٤) .

وبدون ذكر الجنب أخرجه البخارى (٣٢٢٧ ، ٣٣٢٢ ، ٥٩٤٩ ، ٥٩٦٠) ، مسلم (٢١٠٦ ، ٢١٠٧) ، والترمذى (٢٨٠٤) وقال : حسن صحيح .

(٢) مسند أحمد ١/١٤٦ . وإسناده ضعيف جدا .

(٣) الترمذى (٢٨٠٥) وقال : حسن صحيح .

(٤) أخرجه بمعناه أبو داود (٤١٥٨) ، الترمذى (٢٨٠٦) وقال : حسن صحيح . النسائى (٥٣٨٠) .

(٥) فى ا : « عن أبى » . وهو خطأ . فهو ذكوان السمان أبو صالح . تهذيب التهذيب ٣/٢١٩ .

(٦) فى م : « السماك » .

(٧) فى ص : « تدخل » .

(٨) مسلم (٢١١٣) .

(٩) مسند أحمد ٢/٣٨٥ ، ٤١٤ .

(١٠) كشف الأستار (٣٢١٤) ، وذكره الهيثمى فى المجمع ١٠/٢٢٦ وقال : رواه البزار ، وفيه من لم أعرفهم .

بالفلوسىّ[1] ، حدثنا بَيانُ بنُ حُمْرانَ ، حدثنا سلَّامٌ ، عن منصورِ بنِ زاذانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ ملائكةَ اللهِ يَعرِفون بنى آدَمَ » . وأحْسَبُه قال : « ويعرفونَ أعمالَهم ، فإذا نظروا إلى عبدٍ يعملُ بِطاعةِ اللهِ ، ذكروه بينَهم وسمَّوْه ، وقالوا : أفلحَ الليلةَ فلانٌ ، نجا الليْلةَ فلانٌ . وإذا نظروا إلى عبدٍ يعملُ بمعصيَةِ اللهِ ذكروه بينَهم ، وسمَّوه ، وقالوا : هَلَكَ فلانٌ الليْلَةَ » . ثم قال البزَّارُ[2] : سلَّامٌ هذا ، أحسبُه سلَّامًا المَدائِنِىَّ[3] ، وهو لَيِّنُ الحديثِ . وقد قال البخارِىُّ[4] : حدثنا أبو اليمانِ ، حدثنا شعيبٌ ، حدثنا أبو الزِّنادِ ، عن الأعْرَجِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الملائكَةُ يتعاقبون[5] ؛ ملائكةٌ بالليلِ ، وملائكةٌ بالنهارِ ، ويجتمعون فى صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العصرِ ، ثم يعرجُ إليه الذين باتوا[6] فيكُم فيسألُهم - وهو أعلمُ - فيقولُ : كيف تركتم عبادِى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون » . هذا اللفظُ فى كتابِ بدءِ الخلقِ بهذا السياقِ . وهذا اللفظُ تفرَّد به دونَ مسلمٍ مِن هذا الوجهِ ، [7]وقد أخرجاه فى « الصَّحيحين » مِن حديثِ مالكٍ عن أبى الزِّنادِ به[7][8] . وقال البَزَّارُ[9] :

---

(١) فى ح : « بالقلوسى » ، وفى م ، ا ، ص : « بالقلوس » .

(٢) سقط من : ح ، م .

(٣) هو سلام بن سلم الطويل المدائنى . له ترجمة فى تاريخ بغداد ٩/١٩٥ وتهذيب الكمال ١٢/٢٧٧ وقال الحافظ فى التقريب ١/٣٤٢ : متروك .

(٤) البخارى (٣٢٢٣) .

(٥) بعده فى ا : « فيكم » .

(٦) فى ح : « يأتون » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) البخارى (٧٤٢٩) ، مسلم (٦٣٢) .

(٩) كشف الأستار (٣٢٥٢) . وذكره الهيثمى فى المجمع ١٠/٢٠٨ وقال : رواه البزار ، وفيه تمام بن نجيح ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه البخارى وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح . كما أخرجه الحافظ أبو يعلى من طريق مبشر بن إسماعيل (٢٧٧٥) وإسناده ضعيف .

حدثنا زِيادُ بنُ أيوبَ ، حدثنا مُبَشِّرُ بنُ إسماعيلَ الحَلَبِيُّ ، حدثنا تَمَّامُ بنُ نَجِيحٍ ، عن الحسنِ ، يعنِى البصرىَّ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِنْ حافظَين يرفعان إلى اللهِ - عزَّ وجلَّ - ما حفِظا فى يومٍ ، فيرى فى أولِ الصحيفةِ وفى آخرِها استغفارًا ، إلَّا قال اللهُ تعالى : قد[1] غفرتُ لعبدى ما بينَ طرفَىِ الصحيفةِ » . ثم قال : تفرَّد به تَمَّامُ بنُ نَجِيحٍ وهو صالِحُ الحَديثِ . قلت : وقد وثَّقه ابنُ مَعِينٍ ، وضعَّفه البخارىُّ ، وأبو حاتمٍ ، وأبو زُرْعَةَ ، والنَّسائِىُّ ، وابنُ عَدِىٍّ ، ورماه ابنُ حِبَّانَ بالوضعِ ، وقال الإمامُ أحمدُ : لا أعرفُ حقيقةَ أمرِه[2] . والمقصودُ أنَّ كلَّ إنسانٍ له حافظانِ مَلَكان اثنانِ ؛ واحدٌ مِن بينِ يديْه ، وآخرُ مِن خلفِه ، يحفظانِه مِن أمْرِ اللهِ بأمرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، ومَلَكانِ كاتِبانِ[3] ؛ عن يَمينِه وعن شِمالِه ، وكاتبُ اليمينِ أميرٌ على كاتبِ الشمالِ [4]يكتبُ حسناتِه ، وكاتبُ الشمالِ يكتبُ سيئاتِه ، فأرادَ صاحِبُ الشِّمالِ أنْ يَكتُبَها ، قالَ له صاحِبُ اليَمينِ : أمهلْه لعلَّه أن يتوبَ أو يستغفرَ . وإذا عمِلَ حسنةً ، كتَبَها صاحبُ اليمينِ مِن غيرِ توقُّفٍ ولا استئمارٍ مِن صاحبِ الشمالِ[4] . [١/٢٩ظ] كما ذكرْنا ذلك عندَ قولِه تعالى[5] : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ : ١٧ ، ١٨] .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، حدثنا

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) انظر ميزان الاعتدال ١/٣٥٩ . تهذيب الكمال ١/٥١٠ .

(٣) فى ا : « يكتبان عمله » .

(٤ - ٤) زيادة من : ا .

(٥) التفسير ٧/٣٧٧ .

(٦) مسند أحمد ١/٣٨٥ (صحيح) .

سُفيانُ ، حدثنا منصورٌ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ ، هو ابنُ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِنكم مِن أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ به قَرِينُه مِنَ الجِنِّ وقَرينُه مِنَ الملائكةِ » . قالُوا : وإيَّاكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « وإيَّاىَ ، ولكنَّ اللهَ أعانَنِى عليه فلا يأمُرُنى إلا بخيرٍ » . انفرد بإخراجِه مسلمٌ[1] ، مِن حديثِ مَنصورٍ به . فيحتملُ أنَّ هذا القرينَ مِن الملائكةِ غيرُ القرينِ بحفظِ الإنسانِ ، وإنما هو مُوَكَّلٌ به ليهديَه ويُرشدَه بإذنِ ربِّه إلى سبيلِ الخيرِ وطريقِ الرشادِ ، كما أنَّه قد وُكِّل به القرينُ مِن الشياطينِ ، لا يألُوه جَهدًا فى الخَبالِ والإضلالِ . والمَعصومُ مَن عَصَمَه اللهُ عزَّ وجلَّ ، وباللهِ المُستَعانُ .

وقال البخارىُّ[2] : حدثنا أحمدُ بنُ يونُسَ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، حدثنا ابنُ شِهابٍ ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ والأغَرِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا كان يومُ الجُمُعَةِ ، كان على كُلِّ بابٍ مِن أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبون الأوَّلَ فالأولَ ، فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوُا الصحفَ ، وجاءُوا يستمِعونَ الذكْرَ » . وهكذا رواه منفردًا به مِن هذا الوجهِ ، وهو فى « الصحيحَين » مِن وجهٍ آخرَ[3] . وقَد قال اللهُ تعالى[4] : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] . وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا أسباطٌ ، حدثنا الأعْمَشُ ، عن إبراهيمَ ، عن ابنِ مَسْعودٍ ، عن النَّبِىِّ ﷺ ، وحدَّثنا الأعْمَشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ فى قولِه : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ . قال : « تشهدُه

---

(١) مسلم (٢٨١٤) .

(٢) البخارى (٣٢١١) .

(٣) البخارى (٩٢٩) ، مسلم (٨٥٠) بسياق أطول .

(٤) التفسير ٥/٩٨ .

(٥) المسند ٢/٤٧٤ .

ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ » . ورواه الترمذىُّ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجَه مِن حديثِ أسباطٍ[1] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . قلتُ : وهو منقطعٌ[2] . وقال البخارىُّ[3] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ ، حدثنا عبدُ الرزَّاقِ ، أخبرنا معمَرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ وسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، [4]قال : « فضلُ صلاةِ الجَميعِ[5] على صلاةِ الواحدِ خمسٌ وعشرون درجةً[4] ، ويجتمعُ ملائكةُ الليلِ ، وملائكةُ النهارِ فى صلاةِ الفجرِ » . يقولُ أبو هريرةَ : اقْرَءُوا إن شئتُم ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ . وقال البخارىُّ[6] : حدثنا مُسَدَّدٌ ، حدثنا أبو عَوَانَةَ ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرَةَ ، [١/٣٠و] قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا دَعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فأبتْ ، فباتَ غضبانَ عليْها ، لَعَنَتها الملائكةُ حتى تُصبحَ » . تابعَه شعبةُ ، وأبو حمزةَ ، وابنُ داودَ[7] ، وأبو مُعاويةَ ، عن الأعْمَشِ . وثبَتَ فى « الصحيحَيْنِ »[8] أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنوا ، فإنَّه مَن وافَقَ تأمِينُه تأمينَ المَلائكةِ ، غُفِرَ له ما تَقَدَّم مِن ذنبِه » . وفى لفظٍ : « إذا قال الإمامُ : آمينَ . فإنَّ الملائكةَ تقولُ فى السماءِ : آمينَ . فمَن وافَقَ تأمِينُه تأمينَ الملائكةِ ، غُفِرَ له ما تَقَدمَ مِن

---

(١) الترمذى (٣١٣٥) ، النسائى (١١٢٩٣) ، ابن ماجه (٦٧٠) .

(٢) والانقطاع الذى أراده المصنف هو الحادث بين إبراهيم النخعى وابن مسعود . وانظر تهذيب التهذيب ١/١٧٧ .

(٣) البخارى (٤٧١٧) .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) فى النسخ : « الجمع » وما أثبتناه كما فى البخارى ، وكما أورده المصنف فى التفسير ٥/٩٩ .

(٦) البخارى (٣٢٣٧) .

(٧) فى النسخ : « وأبو داود » . والمثبت من صحيح البخارى . وأشار الحافظ فى الفتح ٦/٣١٦ إلى أنه عبد الله الخُريبى ، وهو عبد الله بن داود الخُرَيبى ، قال فى التقريب : ثقة عابد من التاسعة ١/٤١٢ .

(٨) البخارى (٧٨٠) ، مسلم (٤١٠) .

ذنبِه »[1] . وفى « صحيحِ البخارىِّ »[2] ، حدثنا إسماعيلُ ، حدثنى مالكٌ ، عن سُمَىٍّ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « إذا قال الإمامُ : سَمِعَ اللهُ لمَن حَمِدَه . فقولوا : اللهم ربَّنا لك الحمدُ . فإنَّه مَن وافَقَ قولُه قولَ المَلائكةِ ، غُفِرَ له ما تَقَدمَ مِنْ ذنبِه » . ورواه بقيَّةُ الجماعةِ ، إلا ابنَ ماجَه ، مِن حديثِ مالكٍ [3]عن سُمَىٍّ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا أبو معاوِيَةَ ، حدَّثنا الأَعْمَشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، أو عن أبى سعيدٍ - هو شَكَّ - يعنى الأَعْمَشَ - قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ لِلهِ ملائكةً سيَّاحين فى الأرضِ ، فضلًا عن كُتَّابِ الناسِ ، فإذا وجدوا أقوامًا يذكرون اللهَ ، تَنادَوا[5] هَلُمُّوا إلى بُغيتِكُم ، فَيجِيئونَ فيحُفُّونَ[6] بهم إلى السماءِ الدنيا ، فيقولُ اللهُ : أىَّ شىءٍ تَرَكتم عبادِى يصنعون ؟ فيقولون : تَركناهُمْ يحمَدُونك ويُمجِّدونك ويذكرونك . فيقولُ : وهل رأَونى ؟ فيقولون : لا . فيقولُ : فكيف لو رأَونى ؟ فيقولون : لوْ رأوك لكانوا أشدَّ تحميدًا وتمجيدًا وذكرًا . قال : فيقولُ : فأىَّ شىءٍ يطلبون ؟ فيقولون : يطلبون الجَنَّةَ . فيقولُ : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا . فيقولُ :

---

(١) البخارى (٧٨١) ، مسلم (٤١٠) .

(٢) البخارى (٣٢٢٨) .

(٣ - ٣) زيادة من ا . والحديث فى مسلم (٤٠٩) ، أبى داود (٨٤٨) ، الترمذى (٢٦٧) ، النسائى (١٠٦٢) .

(٤) المسند ٢/٢٥١ ، ٢٥٢ (صحيح) .

(٥) فى م : « فنادوا » . وغير واضحة فى ا ، ص . والمثبت كما فى الأصل ، وهو موافق لما فى المسند .

(٦) سقط من : م ، ص .

وكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشدَّ عليها حِرصًا ، وأشدَّ لها طَلَبًا . قالَ : فيقولُ : مِن أيِّ يتعَوَّذون ؟ فيقولون : من النارِ . فيقولُ : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا . فيقولُ : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها هربًا وأشدَّ منها خوفًا . قال : فيقولُ : أُشْهِدُكم أنِّى قد غفرتُ لهم . قال : فيقولون : إنَّ فِيهِم فلانًا الخطَّاءَ لم يُرِدْهم ، إنَّما جاء لحاجةٍ . فيقولُ : هم القومُ لا يشقَى بهم جَلِيسُهم » .

وهكذا رواه البخاريُّ ، عن قُتَيْبَةَ ، عن جريرِ بنِ عبدِ الحميدِ ، عن الأعْمَشِ به[1] ، وقال : رواه شعبةُ عن الأَعْمشِ ، ولم يرفعْه ، ورفعه سُهَيْلٌ عن أبيه . وقد رواه أحمدُ[2] ، عن عفَّانَ ، عن وُهَيْبٍ ، عن سُهَيلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ [١/٣٠ظ] بنحوِه ، كما ذكَره البُخاريُّ مُعَلَّقًا عن سُهَيلٍ[3] . ورواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ حاتِمٍ ، عن بَهْزِ بنِ أَسَدٍ ، عن وُهَيبٍ[4] به[5] . وقد رواه الإمامُ أحمدُ أيضًا[6] ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن سُلَيمانَ - هو الأَعْمَشُ - عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، [7]ولم يرفعْه ، نحوَه[7] ، كما أشار إليه البخاريُّ رحِمَه اللهُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدثنا أبو مُعاوِيةَ ، حدثنا الأعْمَشُ ، وابنُ نُمَيْرٍ ،

---

(١) البخارى (٦٤٠٨) .

(٢) المسند ٢/٢٥٢ ، ٣٨٢ (صحيح) .

(٣) انظر تغليق التعليق ٥/١٥٦ .

(٤) فى م ، ص : « وهب » .

(٥) مسلم (٢٦٨٩) .

(٦) المسند ٢/٢٥٢ إسناده صحيح .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص . وهى من تتمة كلام الإمام أحمد .

(٨) المسند ٢/٢٥٢ (صحيح) .

أخبرنا الأَعْمَشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنيا ، نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ ، ومن ستَر مسلمًا ستَره الله فى الدنيا والآخرةِ ، [1]ومَن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه فى الدنيا والآخرةِ[1] ، واللهُ فى عونِ العبدِ ما كان العبدُ فى عونِ أخيهِ ، ومَن سَلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيه علمًا ، سهَّلَ اللهُ له به طريقًا إلى الجنةِ ، وما اجْتَمَعَ قومٌ فى بيتٍ مِن بيوتِ اللهِ يتلُون كتابَ اللهِ ، ويتدارسونه بينَهم إلَّا نزلتْ عليهم السَّكِينَةُ وغَشِيَتْهم الرحمةُ ، وحَفَّتْهم المَلائكةُ وذَكرهم اللهُ فيمَنْ عندَه ، ومَن بَطَّأَ[2] به عملُه ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُه » . وكذا رواه مُسلمٌ مِن حديثِ أبى معاويةَ[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن أبى إسْحاقَ ، عن الأَغَرِّ أبى مُسلمٍ ، عن أبى هريرةَ ، وأبى سَعيدٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال : « ما اجتمع قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا حفَّتهم المَلائكةُ ، وتَغَشَّتْهم الرحمةُ ، ونزلتْ عليهم السَّكينَةُ ، وذَكرهمُ اللهُ فيمَن عندَه » . وكذا رواه أيضًا مِن حديثِ إسْرائيلَ ، وسُفيانَ الثَّوْرىِّ ، وشُعْبَةَ ، عن أبى إسْحاقَ به نحوَه[5] . ورواه مُسلمٌ مِن حَديثِ شُعْبَةَ ، والترمذىُّ مِن حديثِ الثورِىِّ ، وقال : حسنٌ صحيحٌ . ورواه ابنُ ماجَه ، عن أبى بكرِ ابنِ أبى شَيْبَةَ ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن عَمَّارِ بنِ رُزَيْقٍ[6] ، عن أبى إسحاق بإسنادِه[7]

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) كذا بالنسخ . وهو لفظ مسلم . وفى المسند : « أبطأ » .

(٣) مسلم (٢٦٩٩) .

(٤) المسند ٩٤/٣ (صحيح الجامع ٥٣٨٥) .

(٥) المسند ٤٤٧/٢ ، ٣٣/٣ ، ٤٩ ، ٩٢ .

(٦) فى ا ، م ، ص : « زريق » .

(٧) فى ا : « بزيادة » .

نحوَه[1] ، وفى هذا المعنى أحاديثُ كثيرةٌ .

وفى « مسندِ الإمامِ أحمدَ » و « السننِ » ، عن أبى الدَّرْداءِ مرفوعًا : « وإنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ ؛ رِضًا بما يصنعُ »[2] . أى تتواضعُ له ، كما قال تعالى[3] : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٤] . وقال تعالى[4] : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] . وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا وَكِيعٌ ، عن سُفيانَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ السائبِ ، عن زاذانَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ للهِ ملائكةً سَيَّاحين فى الأرضِ يُبَلِّغُونِى عن أُمَّتِى السلامَ » .

وهكذا رواه النَّسائىُّ ، مِن حديثِ سُفيانَ الثَّوْرِىِّ ، وسُلَيْمانَ الأعْمَشِ ، كلاهما عن عبدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ به[6] . وقال الإمامُ أحمدُ[7] : [٣١/١و] حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « خُلِقَتِ المَلائكةُ مِن نورٍ ، وخُلِقتِ[8] الجانُّ مِن

---

(١) مسلم (٢٧٠٠) ، الترمذى (٣٣٧٨) ، ابن ماجه (٣٧٩١) .

(٢) مسند أحمد ١٩٦/٥ ، أبو داود (٣٦٤١) ، الترمذى (٢٦٨٢) . (صحيح الجامع ٦١٧٣) .

(٣) التفسير ٦١/٥ .

(٤) التفسير ٤٦٤/٤ .

(٥) المسند ٤٤١/١ . (صحيح) .

(٦) النسائى فى الصغرى (١٢٨١) من طريق الثورى عن عبد الله بن السائب به ، وطريقُ الأعمش، عزاه صاحب تحفة الأشراف إلى النسائى فى الكبرى ، كتاب الملائكة . وقال : كتاب الملائكة ليس فى الرواية ولم يذكره أبو القاسم . تحفة الأشراف ٢١/٧ .

كما ذكره المصنف فى جامع المسانيد ٧٩/٢٧ من كلا الطريقين .

(٧) المسند ١٦٨/٦ .

(٨) فى الأصل ، ا : « وخلق » . وهو لفظ مسلم .

مارِجٍ مِن نارٍ ، وخُلِقَ آدَمُ مما وُصِفَ لكم » . ورواه مُسلمٌ[1] ، عن محمدِ ابنِ رافعٍ ، وعبدِ[2] بنِ حُمَيْدٍ ، كلاهما عن عبدِ الرَّزَّاقِ به .

[3]وكذلك الحديثُ الذى رُوِىَ أنَّ للمَلَكِ لَمَّةً بقلبِ العبدِ ، وللشيطانِ لَمَّةً بقلبِه ، فلمَّةُ المَلَكِ إيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ ، ولَمَّةُ الشيطانِ إيعادٌ بالفقرِ - وفى روايةٍ : بالشرِّ - وتكذيبٌ بالحقِّ »[4] . وكذلك الحديثُ الذى رُوِىَ : « إذا أصبح العبدُ ابتدرَه الشيطانُ والمَلَكُ ، فيقولُ المَلَكُ : افتحْ بخيرٍ . ويقولُ الشيطانُ : افتحْ بشرٍّ . فإذا ذَكَر اللهَ وحَمِدَه تولَّاه المَلَكُ وطرَد عنه الشيطانَ إلى الليلِ ، فإذا جاء الليلُ قال المَلَكُ : اختِمْ بخيرٍ . ويقولُ الشيطانُ : اختمْ بشرٍّ . فإن خَتَم نَهارَه بخيرٍ تولَّاه المَلَكُ حتى يُصبِحَ ، وطَرَدَ عنه الشيطانَ »[5] . وكذلك إذا خرج العبدُ من منزِله فقال : « بسمِ اللهِ توكلتُ على اللهِ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ . قال له المَلَكُ : هُدِيتَ وكُفيتَ ووُقِيتَ . ثم يتنَحَّى عنه الشيطانُ »[6] ... إلى آخرِه[3] . والأحاديثُ فى ذِكْرِ الملائكةِ كثيرةٌ جدًّا . وقد ذكرنا ما يسَّره اللهُ تعالى ، وله الحمدُ .

---

(١) مسلم (٢٩٩٦) .

(٢) فى م : « عبدة » .

(٣ - ٣) زيادة من : ا .

(٤) الترمذى (٢٩٨٨) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٥١) . (ضعيف الترمذى ٥٧٢) .

(٥) النسائى فى الكبرى (١٠٦٨٩ ، ١٠٦٩٠) . وانظر الإحسان (٥٥٣٣) .

(٦) أبو داود (٥٠٩٥) ، النسائى (٣٨٨٦) ، (صحيح الجامع ٥١٣) .

فصـــلٌ[1]

وقد اختلفَ الناسُ فى تَفْضيلِ الملائكةِ على البشرِ على أقوالٍ . فأكثرُ ما تُوجدُ هذه المَسألةُ فى كتبِ المتكلِّمين . والخلافُ فيها مع المعتزلَةِ ومَن وافَقَهم . وأقدمُ كلامٍ رأيتُه فى هذه المسألةِ ، ما ذَكره الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى « تاريخِه »[2] ، فى ترجمةِ أُمَيَّةَ بنِ عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العَاصِ ، أنَّه حضَر مَجْلِسًا لعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ وعندَه جماعةٌ ، فقال عمرُ : ما أحدٌ أكرمُ على اللهِ مِن كريمٍ بنى آدمَ . واستدلَّ بقولِه تعالى[3] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] . ووافقَه على ذلك أُمَيَّةُ بنُ عمرِو بنِ سَعيدٍ ، فقال عِراكُ بنُ مالكٍ : ما أحدٌ أكرمَ على اللهِ مِن ملائكتِه ؛ هم خَدَمةُ دارَيْه ، ورسُلُه إلى أنبيائِه . واستدلَّ بقولِه تعالى[4] : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] . فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لمحمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِىِّ : ما تقولُ أنت يا أبا حمزةَ ؟ فقال : قد أكرمَ اللهُ آدمَ فخلقَه بيَدِه ونفخَ فيه مِن رُوحِه ، وأسجدَ له المَلائكةَ ، وجعَل مِن ذريتِه الأنبياءَ والرسلَ ، ومَن يزورُه الملائكةُ . فوافق عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فى الحُكمِ ، واسْتدلَّ بغيرِ دليلِه ، وأضعفَ دلالةَ ما صرَّح به مِن الآيةِ ، وهو قولُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

---

(١) هذا الفصل ليس فى الأصل ، ح ، ا .

(٢) تاريخ دمشق ٣٠٣/٩ ، ٣٠٤ . بأطول من هذا .

(٣) التفسير ٤٧٧/٨ .

(٤) التفسير ٣٩٢/٣ .

مضمونُه أنَّها ليست بخاصةٍ بالبشرِ ، فإنَّ اللهَ قد وصفَ الملائكةَ بالإيمانِ فى قولِه : ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر : ٧] . وكذلك الجانُّ : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ [الجن : ١٣]. ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ [الجن : ١٤] . قلتُ : وأحسنُ ما يُستدَلُّ به فى هذه المسألةِ ما رواه عثمانُ بنُ سعيدٍ الدَّارِمىُّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو مرفوعًا ، وهو أصحُّ ، قال : « لمَّا خَلَقَ اللهُ الجنةَ قالت الملائكةُ : يا ربَّنا اجعلْ لنا هذه نأكلُ منها ونشربُ ، فإنَّك خلقتَ الدنيا لبنى آدمَ . فقال اللهُ : لن أجعلَ صالحَ ذريةِ مَن خلَقتُ بيدَىَّ ، كمَن قلتُ له : كنْ . فكان »[1] .

---

(١) وأخرج نحوه البيهقى فى الأسماء والصفات (٣١٧) من حديث عروة بن رويم عن الأنصارى ، وفى رواية سماه جابرًا ، وعند عبد الرزاق فى تفسيره ٣٨٢/٢ عن زيد بن أسلم قوله . وانظر الدر المنثور ١٩٣/٤ .

بابُ ذكرِ[1] خَلْقِ الجانّ وقصّةِ الشيطانِ

قال اللهُ تعالى[2] : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٤ - ١٦] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٦ ، ٢٧] . وقال ابنُ عباسٍ ، وعِكرمَةُ ، ومجاهدٌ ، والحسنُ ، وغيرُ واحدٍ ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ قالوا : مِن طَرَفِ اللهبِ . وفى روايةٍ : مِن خالصِه وأحسنِه[4] . وقد ذكرْنا آنفًا مِن طريقِ الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « خُلِقَتِ المَلائكةُ مِن نورٍ وخُلِقَ الجانُّ مِن [5]مارِجٍ مِن[5] نارٍ ، وخُلِق آدمُ مما وُصِفَ لكم » . رواه مسلمٌ[6] . قال كثيرٌ مِن علماءِ التفسيرِ : خُلِقتِ الجنُّ قبلَ آدمَ عليه السلامُ ، وكان قبلَهم فى الأرضِ الحِنُّ[7] والبِنُّ[8] ، فسلَّط اللهُ الجِنَّ عليهم ، فقتلُوهم وأجلَوْهم عنها وأبادُوهم منها وسكنُوها بعدَهم ؛ [9]بسبَبِ ما أحدَثوا[9] . وذكَر السُّدِّىُّ فى « تفسيرِه » ، عن أبى مالكٍ ، عن

---

(١) سقط من : م .
(٢) التفسير ٤٦٧/٧ .
(٣) التفسير ٤٥١/٤ .
(٤) تفسير الطبرى ١٢٦/٢٨ ، ١٢٧ .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦) مسلم (٢٩٩٦) .
(٧) الحن : هم ضعفة الجن وسفلتهم .
(٨) انظر مرآة الزمان ١٢٥/١ . كنز الدرر ٢٣٠/١ - ٢٣٥ .
(٩ - ٩) زيادة من : ا .

أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مَسعُودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ : لمَّا فرَغ اللهُ مِن خلقِ ما أحبَّ ، استَوَى على العرشِ ، فجعَل إبليسَ على مُلكِ سماءِ الدُّنيا ، وكان مِن قبيلةٍ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم الجِنُّ ، وإنَّما سُمُّوا الجنَّ ؛ لأنَّهم خُزَّانُ الجنَّةِ ، وكان إبليسُ مع مُلْكِه خازنًا ، فوقع فى صدرِه : إنما أعطانِى اللهُ هذا لمَزِيَّةٍ لى على الملائكةِ[1] . وذكَر الضحَّاكُ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ الجنَّ لمَّا أفسدوا فى الأرضِ وسفكوا الدماءَ ، بعَث اللهُ إليهم إبليسَ ومعه جندٌ مِن الملائكةِ ، فقتلوهم وأجلَوهم عن الأرضِ إلى جزائرِ البحورِ[2] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن خلَّادٍ ، عن عطاءٍ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ : كان اسمُ إبليسَ قبل أنْ يرتكبَ المعصيةَ عزازيلَ ، وكان مِن سكَّانِ الأرضِ ومِن أشدِّ الملائكةِ اجتهادًا ، وأكثرِهم عِلْمًا ، وكان مِن حَىٍّ يُقالُ لهم الجِنُّ[3] . وروَى ابنُ أبى حاتمٍ[4] عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عنه : كان اسمُه عزازيلَ وكان مِن أشرفِ الملائكةِ ، من أُولِى الأجْنِحَةِ الأربعةِ . [5]وقال سُنَيْدٌ[5] : عن حجاجٍ ، عن ابنِ [٣١/١ظ] جُرَيْجٍ ، قال ابنُ عباسٍ : كان إبليسُ مِن أشرفِ الملائكةِ وأكرمِهم قبيلةً ، وكان خازنًا على الجنانِ ، وكان له سلطانُ سماءِ الدنيا ، وكان له سلطانُ الأرضِ[1] . وقال صالحٌ مولَى التوأمةِ ، عن ابنِ عباسٍ : كان يسوسُ ما بينَ السماءِ والأرضِ . رواه

---

(١) تاريخ الطبرى ٨١/١ .

(٢) تاريخ الطبرى ٨٤/١ . مطولًا . التفسير ١٠١/١ .

(٣) تاريخ الطبرى ٨٦/١ .

(٤) تفسير ابن أبى حاتم ١٢٢/١ رجال إسناده ثقات لكن عباد بن العوام مع ثقته ففى حديثه لين واضطراب .

(٥ - ٥) فى م : « وقد أسند » .

ابنُ جريرٍ[1] ، وقال قَتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ : كان إبليسُ رئيسَ ملائكةِ سماءِ الدُّنيا[2] . وقال الحسنُ البصريُّ : لم يكنْ مِنَ الملائكةِ طرفةَ عينٍ ، وإنَّه لأَصلُ الجِنِّ ، كما أَنَّ آدمَ أصلُ البشرِ[3] . وقال شهرُ بنُ حَوْشَبٍ وغيرُه : كان إبليسُ مِن الجنِّ الذين طردوهم [4]الملائكةُ ، فأَسَره بعضُهم فذهب به إلى السماءِ . رواه ابنُ جريرٍ[5] . قالوا : فلمَّا أراد اللهُ خلْقَ آدمَ ليكونَ فى الأرضِ هو وذريتُه مِن بعدِه ، وصوَّرَ جثتَه منها جعل إبليسُ - وهو رئيسُ الجانِّ وأكثرُهم عبادةً إذ ذاك ، وكان اسمُه عزازيلَ - يَطيفُ به ، فلما رآه أجوفَ ، عرَف أنَّه خَلْقٌ لا يتمالكُ ، وقال : أَمَا لئِن سُلِّطتُ عليك لأُهلكَنَّك ، ولئنْ سُلِّطْتَ علىَّ لأعصِينَّك . فلمّا أنْ نَفَخ اللهُ فى آدمَ مِن رُوحِه - كما سيأتى - وأمَر الملائكةَ بالسجودِ له ، دخَل إبليسَ منه حسدٌ عظيمٌ ، وامتنعَ مِن السجودِ له ، وقال : أنا خيرٌ منه خلقتَنِى مِن نَارٍ وخلقتَه مِنْ طينٍ . فخالفَ الأمرَ واعترضَ على الربِّ - عزَّ وجلَّ - وأخطأَ فى قولِه ، وابتعد مِن رحمةِ ربِّه، وأُنزلَ مِن مرتبتِه التى كان قد نالها بعبادتِه ، وكان قد تشبَّه بالملائكةِ ، ولم يكنْ مِن جنسِهم ؛ لأنَّه مخلوقٌ مِن نارٍ ، وهم مِن نورٍ ، فخانه طبعُه فى أحوجِ ما كان إليه ، ورجع إلى أصلِه الناريِّ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[6] [ص : ٧٣ ، ٧٤] . وقال تعالى[7] : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨١/١ .
(٢) تاريخ الطبرى ٨٦/١ .
(٣) تفسير الطبرى ٢٦٠/١٥ .
(٤) فى ا : « طردهم » .
(٥) تاريخ الطبرى ٨٧/١ .
(٦) التفسير ٧٢/٧ .
(٧) التفسير ١٦٣/٥ .

ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] . فأهْبطَ إبليسَ مِن المَلإِ الأعلَى ، وحَرَّم عليه قَدَرًا أَنْ يسكنَه ، فنزَلَ إلى الأرضِ ، حقيرًا ذليلًا ، مذءُومًا مدحورًا ، مُتوعَّدًا بالنارِ ، هو ومَنِ اتَّبعه مِن الجنِّ والإنسِ ، إلا أنَّه مع ذلك جاهِدٌ كلَّ الجَهْدِ على إضلالِ بنى آدمَ بكلِّ طريقٍ وبكلِّ مرصَدٍ ، كما قال[1] : ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا * وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا * [١/٣٢و] إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٢ - ٦٥] . وسنذكرُ القصةَ مُسْتَفاضةً عندَ ذِكْرِ خلْقِ آدمَ عليه السلامُ .

والمقصودُ أنَّ الجانَّ خُلِقوا مِن النارِ ، وهم كبَنِى آدمَ يأكلون ويشربون ويتناسَلون ، ومنْهم المؤمنون ومنهم الكافرون ، كما أخبر تعالى عنهم فى سورةِ « الجن » و[2]فى قولِه تعالى[3] : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ - ٣٢] ، وقال تعالى[4] : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟

---

(١) التفسير ٥/٩٠ .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) التفسير ٧/٢٧٢ .

(٤) التفسير ٨/٢٦٥ .

إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا * وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن : ١ - ١٧] . وقد ذكرنا تفسيرَ هذه السورةِ وتمامَ القصَّةِ فى آخرِ سُورةِ « الأحْقاف »[١] ؛ وذكرنا الأحاديثَ المتعلِّقَةَ بذلك هنالك ، وأنَّ هؤلاءِ النَّفَرَ كانُوا مِن جِنِّ نَصِيبِينَ[٢] - وفى بعضِ الآثار مِن جِنِّ بُصْرَى[٣] - وأنَّهم مرُّوا برسولِ اللهِ ﷺ وهو قائمٌ يصلِّى بأصحابه ببَطْنِ نَخْلَةَ مِن أرضِ مَكَّةَ ، فوقفُوا فاستَمَعوا لقراءَتِه ، ثم اجتمعَ بهم النَّبِىُّ ﷺ لَيْلَةً كامِلَةً ، فسألُوه عن أشياءَ أَمَرَهُم بها ونَهاهُم عنها ، [٣٢/١ظ] وسألُوه الزَّادَ ، فقال : « لكم كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليْهِ تَجِدُونَه أَوْفَرَ ما

---

(١) التفسير : ٢٧٢/٧ - ٢٨٧ .

(٢) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام . معجم البلدان ٧٨٧/٤ .

(٣) بلدة بالشام من أعمال دمشق . معجم البلدان ٦٥٤/١ .

يكُون لَحْمًا ، وكُلُّ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُم »[1] . ونهَى النبىُّ ﷺ أن يُسْتَنْجَى بهما وقال : « إنَّهُمَا زَادُ إخْوَانِكُم الجِنِّ »[1] . ونَهَى عن البَوْلِ فى السَّرَبِ[2] ؛ لأنَّها مساكِنُ الجنِّ[3] . وقرأ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ سورةَ « الرحمن » ، فما جعل يمرُّ فيها بآيةِ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلَّا قالوا : ولا بشَىْءٍ مِن آلآئِك ربَّنا نُكذِّبُ ، فلك الحَمْدُ . وقد أثنَى عليهم النبىُّ ﷺ فى ذلك ، لما قرأ هذه السورةَ على الناسِ فسكَتُوا . فقال : « الجِنُّ كانوا أحْسَنَ مِنْكُم رَدًّا ، ما قرأتُ عليهم ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلَّا قالوا : ولا بشىْءٍ مِنْ آلائِك ربَّنا نُكَذِّبُ ، فلَكَ الحمدُ » . رواه الترمذىُّ[4] عن جابرٍ[5] ، وابنُ جَريرٍ والبَزَّارُ عن ابنِ عُمَرَ[6] .

وقد اختَلف العُلماءُ[7] فى مؤمنِى الجِنِّ ، هل يدخلُون الجنَّةَ ، أو يكونُ جزاءُ طائعِهم أنْ لا يُعَذَّبَ بالنَّارِ فقط ؟ على قولين . الصحيحُ أنهم يدخلونَ الجنَّةَ ؛ لعُموماتِ القرآنِ ولعُمومِ[8] قولِه تعالى[9] : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *

---

(١) مسلم (٤٥٠) .

(٢) فى ح : « الأسواق » .

(٣) أبو داود (٢٩) ، (ضعيف أبى داود ٨) .

(٤) الترمذى (٣٢٩١) ، (صحيح الترمذى ٢٦٢٤) .

(٥) فى م ، ص : « جبير » .

(٦) تفسير الطبرى ١٢٤/٢٧ ، كشف الأستار (٢٢٦٩) . وقال الهيثمى فى المجمع ١١٧/٧ : رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبى ، وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٧) سقط من : م .

(٨) كذا فى : م . وفى بقية النسخ : « ولخصوص » .

(٩) التفسير ٤٧٧/٧ . وانظر أضواء البيان للشنقيطى ٤٠١/٧ - ٤٠٧ .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦ ، ٤٧] . فامتَنَّ تعالى عليهم بذلك ، فلولا أنَّهم ينالُونَه ، لَمَا ذكره وعدَّه عليهم مِن النِّعَمِ . وهذا وحْدَه دَليلٌ مُسْتقلٌّ كافٍ فى المسألةِ ، واللهُ أعلمُ .

وقال البُخَارِىُّ[1] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، عن مالكٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ ، عن أبيه ، أنَّ أبا سعيدٍ الخُدْرِىَّ قال له : « إنِّى أراك تُحِبُّ الغَنَمَ والبَادِيَةَ ، فإذا كُنْتَ فى غَنَمِك وبادِيَتِك ، فأذَّنْتَ بالصلاةِ ، فارْفَعْ صوتَك بالنِّداءِ ، فإنَّه لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ ولا إنسٌ ولا شَىْءٌ إلا شَهِدَ له يَوْمَ القِيَامَةِ » . قال أبو سعيدٍ : سمعتُه مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ . انفرد به البُخارِىُّ دونَ[2] مُسْلِمٍ .

وأمَّا كافِرو الجِنِّ ، فمنهم الشياطِينُ ، ومقدَّمُهم الأكبرُ إبليسُ ، عدوُّ آدَمَ أبى البشرِ ، وقد سلَّطه هو وذريتَه على آدمَ وذريتِه ، وتكفَّلَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - بعصمةِ مَن آمنَ به وصدَّق رسُلَه واتَّبع شَرْعَه منهم ، كما قال[3] : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٥] . وقال تعالى[4] : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ : ٢٠ ، ٢١] . وقال تعالى[5] : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا

---

(١) البخارى (٣٢٩٦) .

(٢) فى ص : « و » . وليس الحديث فى صحيح مسلم .

(٣) التفسير ٥/٩٣ .

(٤) التفسير ٦/٥٠٠ .

(٥) التفسير ٣/٣٩٧ .

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ [١/٣٣و] أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقال[١] : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٢٨ - ٤٤] . وقد ذكر تعالى هذه القِصَّةَ فى سورةِ « البقرة » ، وفى « الأعراف » ، وهٰهنا ، وفى سورةِ « سبحان » ، وفى سُورةِ « طه » ، وفى سُورةِ « ص » . وقد تكلَّمْنا على ذلك كُلِّه فى مواضِعِه فى كتابِنا « التفسيرِ »[٢] ، وللهِ الحمدُ . وسنُورِدُها فى قِصَّةِ آدَمَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

والمقصودُ أنَّ إبليسَ أنْظرَه اللهُ وأخَّرَه[٣] إلى يومِ القِيامَةِ ؛ مِحْنةً لعبادِه ، واختبارًا منه لهم ، كما قال تعالى[٤] : ﴿ وَمَا كَانَ لَه عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾

---

(١) التفسير ٤/٤٥١ .

(٢) التفسير ١/١١١ ، ١١٢ ، ٣/٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥/٩٠ ، ٩١ ، ٣١٣ ، ٧/٧٢ .

(٣) سقط من : م . وفى ص : « أخزاه » .

(٤) التفسير ٦/٥٠٠ .

[سبأ : ٢١] . وقال تعالى[1] : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢ ، ٢٣] .

فإبليسُ ، لعنَه اللهُ ، حَىٌّ الآنَ ، مُنْظَرٌ إلى يومِ القيامَةِ بِنَصِّ القرآنِ ، وله عَرْشٌ على وَجْهِ البَحْرُ ، وهو جالِسٌ عليه ، ويبعثُ سَراياهُ ، يُلْقُون بينَ النَّاسِ الشَّرَّ والفِتَنَ . وقد قال اللهُ تعالى[2] : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] . وكان اسمُه قبلَ معصيتِه العظيمةِ عزازيلَ . قال النَّقَّاشُ[3] : وكنيتُه « أبو كُرْدوسٍ » . ولهذا لَمّا قال النبىُّ ﷺ لابنِ صَيَّادٍ : « ما تَرَى ؟ » قال : أَرَى عَرْشًا على الماءِ . فقال له النبىُّ ﷺ : « اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ »[4] [١/٣٣ظ] . (٥فعرَف أنَّ مادةَ مكاشفَتِه التى كاشفَه بها شَيْطانِيَّةٌ ، مستَمَدَّةٌ مِن إبليسَ الذى هو يُشاهِدُ عرشَه على البحرِ ، ولهذا قال له : « اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ٥) » . أى لن تجاوِزَ قيمتَك الدَّنيَّةَ الخَسيسةَ الحَقيرَةَ . والدَّليلُ

---

(١) التفسير ٤/٤٠٨ .

(٢) التفسير ٢/٣١٤ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن محمد أبو بكر الموصلى ثم البغدادى ، العلامة المفسر ، له « شفاء الصدور » فى التفسير ، وله كتاب « الإشارة فى غريب القرآن » ، وغيرها من المصنفات . سير أعلام النبلاء ١٥/٥٧٣ - ٥٧٦ .

(٤) البخارى (١٣٥٤ ، ٣٠٥٥ ، ٦١٧٣ ، ٦٦١٨) ، مسلم (٢٩٢٥ ، ٢٩٣٠) .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

على أنَّ عرشَ إبليسَ على البَحْرِ الحديثُ الذى رواهُ الإمامُ أحمدُ[1] ، حدَّثنا أبو المُغِيرةِ ، حدَّثنا صَفْوانُ ، حدَّثنى ماعزٌ[2] التَّمِيمىُّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « عَرْشُ إبْلِيسَ فى البَحْرِ ، يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فى كلِّ يَومٍ يَفْتِنُونَ النَّاسَ ، فأَعْظَمُهُم عِنْدَه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُم فِتْنَةً للنَّاسِ » . وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزُّبَيْرِ ، أنَّه سمِعَ جابِرَ بنَ عبدِ اللهِ ، يقولُ : سمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « عَرْشُ إبْليسَ على البَحْرِ ، يبعَثُ سَرَاياهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ ، فأعظَمُهُمْ عِنْدَه أعظَمُهُمْ فِتْنَةً » . تفرَّد به من هذا الوجْهِ . وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، حدَّثنا حَمَّادٌ ، حدَّثنا علىُّ بنُ زَيْدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لابنِ صائدٍ : « ما تَرَى ؟ » قال : أرَى عَرْشًا على المَاءِ - أو قال : على البَحرِ - حَوْلَه حَيَّاتٌ . قال ﷺ : « ذاك عَرْشُ إبْلِيسَ » . هكذا رواه فى مسندِ جابرٍ . وقال فى مسندِ أبى سعيدٍ[5] : حدَّثنا عفَّانُ ، حدَّثنا حمَّادُ ابنُ سَلَمَةَ ، أنبأنا علىُّ بنُ زَيْدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لابنِ صائدٍ : « ما تَرَى ؟ » قال : أرَى عَرْشًا على البَحْرِ ، حَوْلَه الْحَيَّاتُ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « صَدَقَ ، ذاكَ عَرْشُ إبْلِيسَ » .

وروى الإمامُ أحمدُ[6] مِن طريقِ ماعِزٍ[7] التَّمِيمِىِّ ، وأبى الزُّبَيْرِ ، عن جابرٍ

---

(١) المسند ٣/٣٥٤ . وهو فى صحيح مسلم (٢٨١٣) .

(٢) فى م ، ص : « معاذ » . انظر تعجيل المنفعة ٣٨٤ .

(٣) المسند ٣/٣٨٤ . مسلم (٢٨١٣) .

(٤) المسند ٣/٣٨٨ .

(٥) المسند ٣/٩٧ . وذكره فى المجمع ٨/٤ وقال : رواه أحمد ، وفيه على بن زيد ، وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات .

(٦) المسند ٣/٣٥٤ ، ٣٦٦ ، حديث صحيح (الصحيحة ١٦٠٨) .

(٧) فى م ، ص : « معاذ » .

ابنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الشَّيْطَانَ قد يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَه المُصَلُّونَ ، ولكنْ فى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُم » . وروى الإمامُ مسلمٌ[1] من حديثِ الأَعْمَشِ ، عن أبى سُفْيانَ طَلْحَةَ بنِ نافعٍ ، عن جابرٍ ، عن النَّبِىِّ ﷺ ، قال : « إنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ عَرْشَه على الماءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرايَاهُ فى النَّاسِ ، فَأَقْرَبُهُم عِنْدَه مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُم عِنْدَه فِتْنَةً ، يَجِىءُ أحدُهُم ، فيَقُولُ : ما زلتُ بفلانٍ حتى تَرَكْتُهُ وهو يقولُ كذا وكذا . فيقولُ إبْليسُ : لا واللهِ ما صَنَعْتَ شيئًا . ويَجِىءُ أحَدُهُم فيَقُولُ : ما تَرَكْتُه حتى فَرَّقْتُ بَيْنَه وبَيْنَ أهْلِهِ » . قال : « فَيُقَرِّبُه ويُدْنِيه ويَلْتَزِمُه[2] ، ويقولُ : نَعَمْ أَنْتَ » . يُرْوَى بفتحِ النونِ بمعنَى : نَعَمْ أنت ذاك الذى تَسْتَحِقُّ الإكْرامَ . وبكسرِها : أى نِعْمَ منك . وقد استدلَّ به بعضُ النُّحاةِ على جوازِ كَوْنِ فاعلِ نِعْمَ مُضْمرًا ، وهو [١/٣٤و] قليلٌ . واختار شيخُنا الحافِظُ أبو الحجَّاجِ الأوَّلَ ، ورجَّحه ، ووجَّهَه بما ذكرناه ، واللهُ أعلمُ .

وقد أوردنا هذا الحديثَ عندَ قولِه تعالى[3] : ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] . يعنِى أنَّ السحْرَ المُتَلَقَّى عن الشَّياطينِ مِن الإنسِ والجِنِّ يُتَوَصَّلُ به إلى التَّفرِقةِ بينَ المتآلِفِين غايةَ التَّآلُفِ المتوادِّين المتحابِّين ، ولهذا شَكَرَ إبليسُ سَعْىَ مَن كان السَّبَبَ فى ذلك . فالذى ذمَّه اللهُ يَمدحُه ، والذى يُغْضِبُ اللهَ يُرْضيه ، عليه لَعْنَةُ اللهِ . وقد أنزلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - سورَتَىِ « المُعَوِّذَتَيْنِ » ، مَطْرَدَةً لأنواعِ الشَّرِّ وأسبابِه وغاياتِه ؛ ولاسيَّما سورةُ[4] : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ . وثبت

---

(١) مسلم (٢٨١٣) .

(٢) سقط من : م ، ا . وفى الأصل : « ويكرمه » ، وفى صحيح مسلم : « فيلتزمه » .

(٣) التفسير ١/٢٠٦ .

(٤) التفسير ٨/٥٥٨ .

فى « الصحيحين » عن أنسٍ[1] ، [2]وفى « صحيحِ البُخارِىِّ » عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَىٍّ[2] ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِى مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ »[3] .

وقال الحافِظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِىُّ[4] : حدثنا محمدُ بنُ بَحْرٍ[5] ، حدثنا عَدِىُّ بنُ أبى عمارةَ ، حدَّثنا زيادٌ النُّمَيْرِىُّ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الشيطانَ واضِعٌ خَطْمَه[6] على قلبِ ابنِ آدَمَ ، فإنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ ، وإنْ نَسِىَ ، الْتقَمَ قَلْبَه ، فَذَلكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ » . ولَمّا كان ذكْرُ اللهِ مَطْرَدةً للشَّيْطانِ عن القلبِ ، كان فيه تَذْكارٌ للنَّاسى[7] ، كما قال تعالى[8] : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] . وقال فَتَى مُوسى[9] : ﴿ وَمَآ أَنسَـٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف : ٦٣] . وقال تعالى[10] : ﴿ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف : ٤٢] . يعنى السَّاقِىَ لَمّا قال له يوسُفُ : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ نسِىَ الساقِى أنْ يَذْكُرَه لربِّهِ ؛ يعنى مولاهُ المَلِكَ . وكان هذا

---

(١) لم نجد حديث أنس فى صحيح البخارى . ورواه مسلم (٢١٧٤) وإليه عزاه – وإلى أبى داود – المزى فى تحفة الأشراف ١٢٠/١ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به . وحماد بن سلمة ليس من رجال البخارى ، ولذلك رمز له المزى فى تهذيب الكمال ٢٥٣/٧ : « م ٤ » . والله أعلم .

(٢ – ٢) سقط من : ح .

(٣) حديث صفية هو الذى ثبت فى الصحيحين أخرجه البخارى (٢٠٣٥ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ ، ٣١٠١ ، ٣٢٨١ ، ٦٢١٩ ، ٧١٧١) ، مسلم (٢١٧٥) . انظر تحفة الأشراف ٣٣٧/١١ .

(٤) أبو يعلى (٤٣٠١) ، (ضعيف) .

(٥) فى م ، ص : « جبير » .

(٦) الخطم هو مقدم الأنف من الدواب .

(٧) فى م : « للناس » .

(٨) التفسير ١٤٥/٥ .

(٩) التفسير ١٧١/٥ . كذا فى ا . وهو موافق لسياق الآية ، وفى بقية النسخ : « صاحب موسى » .

(١٠) التفسير ٣١٦/٤ .

النِّسْيانُ مِن الشَّيْطانِ ، فلبِثَ يوسفُ فى السِّجنِ بِضْعَ سنينَ ، ولهذا قال بعدَه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف : ٤٥] . (١أى ؛ تذكَّرَ قَوْلَ يوسُفَ له : اذكُرْنى عندَ ربِّك . بعدَ مُدَّةٍ١) . وقُرِئَ : « بعد أَمَهٍ » . أى نِسيانٍ . وهذا الذى قلنا ، مِن أنَّ النَّاسِىَ هو السَّاقِى ، هو الصَّوابُ مِن القولين ، كما قَرَّرناه فى « التفسيرِ »(٢) ، واللهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ(٣) : حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن عاصمٍ ، سمعتُ أبا تَمِيمةَ يحدِّثُ عن رَديفِ(٤) رسولِ اللهِ ﷺ قال : عَثَرَ بالنبىِّ ﷺ حِمَارُه فقلت : تَعِسَ الشَّيْطانُ . فقال النبىُّ ﷺ : « لا تَقُلْ : تَعِسَ الشَّيْطانُ . فإنَّكَ إذا قُلْتَ : تَعِسَ الشَّيْطانُ . تَعاظَمَ ، وقال : بِقُوَّتِى صَرَعْتُه . وإذا قُلْتَ : بِسْمِ اللهِ . تَصَاغَرَ ، حتى يَصِيرَ مثلَ الذُّبَابِ » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو إسنادٌ جيِّدٌ . [١/٣٤ظ] . وقال أحمدُ(٥) : حدَّثنا أبو بكرٍ الحَنَفِىُّ ، حدَّثنا الضَّحَّاكُ ابنُ عثمانَ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أَحَدَكُم إذَا كانَ فى المَسْجِدِ ، جَاءَ الشَّيْطَانُ فَأَبَسَّ(٦) به كما يَبُسُّ الرَّجُلُ بدَابَّتِهِ ، فَإذا سَكَنَ له زَنَقَه ، أو أَلْجَمَهُ » . قال أبو هُرَيْرَةَ : وأنتم تَرَوْنَ ذلك ؛ أمّا المزنوقُ فتراه مائِلًا كذا ، لا يذكرُ اللهَ(٧) ، وأما المُلْجَمُ ، فَفاتِحٌ فاه لا يذكُرُ اللهَ عَزَّ وجلَّ . تفرَّد به أحمدُ . وقال الإمامُ أحمدُ(٨) : حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ،

(١ - ١) كذا فى : ا . وفى بقية النسخ : « أى مدة » .

(٢) التفسير ٣١٦/٤ .

(٣) المسند ٥٩/٥ (صحيح الجامع ٧٢٧٨) .

(٤) هو صحابى اسمه أسامة بن عمير والد أبى المليح . أسد الغابة ٨٢/١ .

(٥) المسند ٣٣٠/٢ ، (صحيح) .

(٦) أَبَسَّ : احتال عليه بالوسوسة كاحتيال الراعى بناقته إذا أراد حلبها .

(٧) فى م : « إلا الله » .

(٨) المسند ٤٣٩/٢ . قال الهيثمى ١٠٧/٥ : رجاله رجال الصحيح .

حدَّثنا ثَوْرٌ ، يعنى ابنَ يزِيدَ ، عن مَكْحُولٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « العَيْنُ حَقٌّ ويَحْضُرُها[1] الشَّيْطَانُ وحَسَدُ ابنِ آدَمَ » . وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا وَكِيعٌ ، عن سُفْيانَ ، عن مَنْصورٍ ، عن ذَرِّ بنِ عبدِ اللهِ الهَمْدَانِىِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ شدَّادٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِىِّ ، فقال : يا رسُولَ اللهِ ، إنى أُحَدِّثُ نَفْسِى بالشَّىْءِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إلىَّ مِنْ أَنْ أَتكَلَّمَ به . فقال النبىُّ ﷺ : « اللهُ أَكْبَرُ ، الحَمْدُ للهِ الذى رَدَّ كَيْدَهُ إلى الوَسْوَسَةِ » . ورواه أبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، مِن حديثِ منصورٍ ، زاد النسائىُّ : والأَعْمَشِ ، كلاهما عن ذَرٍّ[3] به .

وقال البُخارىُّ[4] : حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : أخبرنى عروةُ ، قال : قال أبو هُرَيْرَةَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يَأْتى الشيطانُ أَحَدَكُمْ ، فيقولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حتى يقولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فإذَا بَلَغَه فلْيَسْتَعِذْ باللهِ وَلْيَنْتَهِ » . وهكذا رواه مسلمٌ[5] مِن حديثِ اللَّيْثِ ، ومِنْ حديثِ الزُّهْرِىِّ وهِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، كلاهما عن عُرْوَةَ به . وقد قال اللهُ تعالى[6] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] . وقال تعالى[7] : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن

---

(١) فى المطبوع من المسند : « يحضر بها » ، وفى رواية : « يحضرها » الفتح الربانى ١٨٩/١٧.

(٢) المسند ٢٣٥/١ ، (صحيح) .

(٣) فى م ، ص : « أبى ذر » . وهو عند أبى داود (٥١١٢) ، النسائى فى الكبرى (١٠٥٠٤ ، ١٠٥٠٥) .

(٤) البخارى (٣٢٧٦) .

(٥) مسلم (١٣٤) .

(٦) التفسير ٥٣٨/٣ .

(٧) التفسير ٤٨٥/٥ .

يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨] . وقال تعالى[١] : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] . وقال تعالى[٢] : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٨ - ١٠٠] . وروى الإمامُ أحمدُ ، وأهلُ « السننِ »[٣] مِن حديثِ أبى المتَوَكِّلِ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : « أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، مِن هَمْزِه ، ونَفْخِه ، ونَفْثِه » . وجاء مِثلُهُ مِن روايةِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، وأبى أُمامَةَ الباهِلِىِّ[٤] . وتفسيرُه فى الحديثِ : [١/٣٥و] قال : « فهَمْزُه المَوْتَةُ ، وهو الخَنْقُ الذى هو الصَّرْعُ ، ونفخُه الكِبْرُ ، ونفثُه الشِّعْرُ » . وثبت فى « الصحيحين »[٥] ، عن أنسٍ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ، كان إذا دخل الخلاءَ قال : « أعوذُ باللهِ مِنَ الخُبُثِ والخبائثِ » . قال كثيرٌ مِن العلماءِ : استعاذ من ذُكْرانِ الشياطينِ وإناثِهم .

وروى الإمامُ أحمدُ[٦] ، عن سُرَيْجٍ[٧] ، عن عيسى بنِ يُونُسَ ، عن ثَوْرٍ ،

---

(١) التفسير ٣/٥٣٤ .

(٢) التفسير ٤/٥٢٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٥٠ ، أبو داود (٧٧٥) ، الترمذى (٢٤٢) ، الدارمى ١/٢٨٢ .

(٤) رواية جبير فى مسند أحمد ٤/٨٠ ، ٨٣ ، أبو داود (٧٦٤ ، ٧٦٥) ، ابن ماجه (٨٠٧) . ورواية ابن مسعود فى مسند أحمد ١/٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ابن ماجه (٨٠٧ ، ٨٠٨) . ورواية أبى أمامة فى مسند أحمد ٥/٢٥٣ .

(٥) البخارى (١٤٢ ، ٦٣٢٢) ، مسلم (٣٧٥) .

(٦) المسند ٢/٣٧١ (الضعيفة ١٠٢٨) .

(٧) فى م : « شريح » .

عن الحُصَيْنِ[1] ، عن [2]أبِى سَعْدٍ[2] الخَيْرِ ، وكان مِن أصحابِ عمرَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن أتَى الغائطَ فليستترْ ، فإن لم يجدْ إلَّا أنْ يَجمعَ كَثِيبًا[3] فليستدبرْه ، فإنَّ الشيطانَ يلعبُ بمقاعدِ بنى آدَمَ ، مَن فعَل فقد أحْسَنَ ، ومَن لا ، فلا حرجَ » . ورواه أبو داودَ ، وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ ثَوْرِ بنِ يزيدَ به[4] . وقال البخارىُّ[5] : حدثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدثنا جريرٌ ، عن الأعْمَشِ ، عن عَدِىِّ بنِ ثابتٍ ، قال : قال سليمانُ ابنُ صُرَدٍ : استبَّ رجلان عندَ النبىِّ ﷺ ونحن عندَه جلوسٌ ، فجعَل أحدُهما يسبُّ صاحِبَه مُغْضَبًا قد احمرَّ وجْهُه ، فقال النبىُّ ﷺ : « إنِّى لأعلمُ كلمةً لو قالها لذهَبَ عنه ما يجدُ ؛ لو قال : أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجِيمِ » . فقالوا للرجلِ : ألا تسمعُ ما يقولُ النبىُّ ﷺ ؟ فقال : إنِّى لست بمجنونٍ . ورواه أيضًا مُسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، مِن طُرُقٍ ، عن الأعْمَشِ به[6] .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ ، حدثنا عُبَيدُ اللهِ بنُ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لا يأكلْ أحدُكم بشمالِه ، ولا يشربْ بشِمالِه ، فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشِمالِه ويشربُ بشمالِه » . وهذا على شرطِ « الصحيحين » بهذا الإسنادِ ، وهو فى « الصحيحِ » مِن غيرِ هذا

---

(١) فى م ، ص : « الحسين » .

(٢ - ٢) فى ا : « أبى سعيد » ، وفى م ، ص : « ابن سعد » .

وانظر الفتح الربانى ٢٦٢/١ .

(٣) بعد فى ح : « من رمل » . وهو لفظ رواية أبى داود وابن ماجه .

(٤) أبو داود (٣٥) ، ابن ماجه (٣٣٧) .

(٥) البخارى (٦١١٥) .

(٦) سقط من : م . مسلم (٢٦١٠) ، أبو داود (٤٧٨١) ، النسائى فى الكبرى (١٠٢٢٤ ، ١٠٢٢٥) .

(٧) المسند ٨٠/٢ ، (صحيح) .

الوجهِ[1] . وروى الإمامُ أحمدُ[2] ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى حكيمٍ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائِشةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال : « مَن أكَل بشِمالِه أكَل معه الشيطانُ ، ومَن شَرِب بشِمالِه شَرِب معه الشيطانُ » . [١/٣٥ظ] وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، أنبأنا شُعْبةُ ، عن أبى زِيادٍ الطَّحَّانِ : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ عن النبىِّ ﷺ ، أنَّه رأى رجلًا يشربُ قائمًا ، فقال له : « قِهْ » . قال : لِمَ ؟ قال : « أَيَسُرُّكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الهِرُّ ؟ » قال : لا . قال : « فإنّه قَدْ شَرِبَ مَعَكَ مَن هو شرٌّ منه ؛ الشيطانُ » . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . وقال أيضًا[4] : حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن رجلٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لو يعلمُ الذى يشربُ وهو قائمٌ ما فى بطنِه لَاسْتَقاء » . قال : وحدثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بمثْلِ حديثِ الزُّهْرِىِّ[5] . [6]وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدثنا موسى ، حدثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن أبِى[8] الزبيرِ أنَّه سأل جابرًا : سمعتَ النبىَّ ﷺ قال : « إذَا دخَل الرجلُ بيتَه فذكَر اسمَ اللهِ حينَ يدخلُ وحينَ يَطعمُ قال الشيطانُ : لا[6]

---

(١) مسلم (٢٠١٩ ، ٢٠٢٠) .

(٢) المسند ٦/٧٧ . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، وفى إسناد أحمد رشدين بن سعد وهو ضعيف وقد وُثِّقَ ، وفى الآخر ابن لهيعة وحديثه حسن . المجمع ٥/٢٥ .

(٣) المسند ٢/٣٠١ ، (صحيح) .

(٤) المسند ٢/٢٨٣ ، (حديث صحيح) وإسناده ضعيف ، وقد أتبعه بحديث آخر صحيح . قال الهيثمى ٥/٧٩ : له حديث فى الصحيح بغير هذا السياق ، رواه أحمد بإسنادين والبزار ، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح . (الإحسان ٥٣٢٤) .

(٥) (إسناده صحيح) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ح .

(٧) المسند ٣/٣٤٦ ، وهو فى صحيح مسلم (٢٠١٨) من وجه آخر .

(٨) فى م ، ص : « ابن » .

(١مَبِيتَ لكم ولا عَشاءَ هٰهنا . وإنْ دخَل ولم يذكرِ اسمَ اللهِ عندَ دخولِه قال : أدْرَكْتم المَبِيتَ . وإنْ لم يذكرِ اسمَ اللهِ عندَ طعامِه قال : أدركْتم المَبِيتَ والعَشاءَ » ؟ قال : نَعَمْ١) . وقال البخارِىُّ(٢) : حدثنا محمدٌ ، حدثنا عَبْدَةُ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا طلَع حاجبُ الشمسِ فَدَعُوا الصلاةَ حتى تبرُزَ(٣) ، وإذَا غَابَ حاجبُ الشمْسِ فَدَعُوا الصلاةَ حتى تَغِيبَ(٤) ، ولا تحَيَّنُوا بصلاتِكم طلوعَ الشمسِ ولا غروبَها ، فإنَّها تطلعُ بينَ قرنَىْ شَيْطانٍ - أو - الشياطينِ » . لا أدْرِى أىَّ ذلك قال هشامٌ . ورواه مسلمٌ ، والنَّسائىُّ ، مِن حديثِ هشامٍ به(٥) . وقال البخارىُّ(٦) : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ مَسْلَمَةَ(٧) ، عن مالكٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، قال : رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يشيرُ إلى المَشرقِ ، فقال : « ها إنَّ الفتنةَ هٰهنا ، إنّ الفتنةَ هٰهنا ، مِن حيثُ يطلُعُ قرنُ الشيطانِ » . هكذا رواه البخارىُّ منفردًا به مِن هذا الوجهِ . وفى « السننِ »(٨) : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أنْ يَجلسَ بينَ الشمسِ والظِّلِّ . وقال : « إنَّه مجلسُ الشيطانِ »(٩) . وقد ذكروا فى هذا معانِىَ ؛ مِن أحسنِها ، أنَّه لَمّا كان الجُلوسُ فى مِثْلِ هذا الموضعِ فيه تشْويةٌ بالخلقةِ فيما يُرَى كان

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢) البخارى (٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٣٢٧٢ ، ٣٢٧٣) .

(٣) فى م ، ص : « يبرز » .

(٤) فى م ، ص : « يغيب » .

(٥) مسلم (٨٢٨ ، ٨٢٩) ، النسائى (٥٧٠) ، وفى الكبرى (١٥٥٠) .

(٦) البخارى (٣٢٧٩) .

(٧) فى ح : « سلمة » .

(٨) أبو داود (٤٨٢١ ، ٤٨٢٢) ، ابن ماجه (٣٧٢٢) ، (الصحيحة ٨٣٧ ، ٨٣٨) .

(٩) ابن ماجه (٣٧٢٢) ، ومسند أحمد ٤١٣/٣ ، (الصحيحة ٨٣٨) .

يحبُّه الشيطانُ ؛ لأنَّ خِلْقتَه فى نفسِه مُشَوَّهَةٌ وهذا مستقِرٌّ فى الأذْهانِ ؛ ولهذا قال تعالى[1] : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ [الصافات : ٦٥] . الصحيحُ [2]أنَّهم الشياطينُ ، لا ضربٌ مِن الحياتِ كما زَعَمه مَن زَعَمه مِن المفسرين ، واللهُ أعلمُ ، فإنّ النفوسَ مغروزٌ فيها قُبْحُ الشياطينِ ، وحسنُ خَلقِ الملائكةِ ، وإنْ لم يُشاهَدُوا[3] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ . وقال النسوةُ لمَّا شاهدن جمالَ يوسُفَ : ﴿ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[2] [يوسف : ٣١] . وقال البخاريُّ[4] : حدثنا يحيى بنُ جعفرٍ ، حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ ، حدثنا ابنُ جُرَيجٍ ، أخبرنى عطاءٌ ، عن جابرٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إذا استَجْنَح – أو : كان جُنْحُ الليلِ – فكُفُّوا صبيانَكم ، فإنَّ الشياطينَ تَنْتَشِرُ حينئذٍ ، فإذا ذَهَب ساعةٌ مِنَ العِشاءِ فخَلُّوهم[5] ، وأغلقْ بابَك واذكرِ اسمَ اللهِ ، وأطفِئْ مصباحَك واذكرِ اسمَ اللهِ ، وأوْكِ [١/٣٦و] سِقَاءَك واذكرِ اسمَ اللهِ ، وخمِّرْ إناءَك واذكرِ اسمَ اللهِ ، ولو تَعْرُضُ عليه شيئًا » .

ورواه أحمدُ[6] عن يحيى ، عن ابنِ جُرَيجٍ به[7] ، وعندَه : « فإنَّ الشيطانَ لا يفتحُ بابًا[8] مُغلقًا » . وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدثنا وَكِيعٌ ، عن فِطرٍ ، عن

---

(١) التفسير ١٦/٧ .

(٢ – ٢) سقط من : الأصل ، ا .

(٣) فى م : « يشاءوا » .

(٤) البخارى (٣٢٨٠) .

(٥) فى ا : « فحلوهم » . وقد وردت أكثر نسخ البخارى بالخاء ، وفى بعضها بالحاء . أفاده ابن حجر فى الفتح ٣٤١/٦ .

(٦) المسند ٣١٩/٣ . مسلم (٢٠١٢) .

(٧) زيادة من : ح .

(٨) زيادة من : ا .

(٩) المسند ٣٠١/٣ ، (صحيح الجامع ١٠٩١) .

أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أغلِقوا أبوابَكم ، وخَمِّروا آنيتَكم ، وأَوْكوا أسقيتَكمْ ، وأطفِئُوا سُرُجَكُم ، فإنَّ الشيطانَ لا يفتحُ بابًا مُغْلَقًا ، ولا يكشِفُ غطاءً ، ولا يَحُلُّ وِكاءً[1] ، وإنَّ الفويسقةَ تُضْرِمُ البيتَ على أهلِه » . يعنى الفأرةَ . وقال البخاريُّ[2] : حدثنا آدمُ ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن منصورٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن كُرَيبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لو أنَّ أحدَكم إذا أرادَ أنْ يأْتِيَ أهلَه قال : اللهمَّ جَنِّبْنى الشيطانَ ، وجنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنِى . فإنْ كان بينَهما ولدٌ لم يَضُرَّه الشيطانُ ، ولم يُسلَّطْ عليه » وحدثنا[3] الأَعْمَشُ ، عن سالمٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ مِثْلَه . ورواه أيضًا ، عن موسى بنِ إسماعيلَ ، عن همامٍ ، عن منصورٍ ، عن سالمٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « أمَا لو أنَّ أحدَكم إذا أتَى أهلَه قال : بسمِ اللهِ ، اللهمَّ جنِّبْنا الشيطانَ ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزَقْتَنا . فَرُزِقا ولدًا ، لم يَضُرَّه الشيطانُ »[4] .

وقال البخاريُّ[5] : حدثنا إسماعيلُ ، حدثنا أخى ، عن سليمانَ ، عن يحيى ابنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ، قال : « يَعقِدُ الشيطانُ على قافِيَةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ ، يضرِبُ على كلِّ عقدةٍ مكانَها ؛ عليك ليلٌ طويلٌ فارقدْ . فإنِ استيقظَ فذَكَر اللهَ انحلَّت عقدةٌ ، فإنْ توضأَ انحلَّت عقدةٌ ، فإنْ صلَّى انحلَّت عُقَدُه كلُّها ، فأصبَحَ نشيطًا طيبَ النفسِ ، وإلَّا أصْبَحَ خبيثَ النفسِ كسلانَ » . هكذا رواه ، منفردًا به

---

(١) فى ح : « وعاء » .

(٢) البخارى (٣٢٨٣) .

(٣) قائل ذلك هو شعبة . انظر الفتح ٣٤٢/٦ .

(٤) البخارى (٣٢٧١) .

(٥) البخارى (٣٢٦٩) .

مِن هذا الوجهِ. وقال البخاريُّ[1] : حدثنا إبراهيمُ بنُ[2] حمزةَ ، حدثنى ابنُ أبى حازمٍ ، عن يزيدَ ، يعنى ابنَ الهادِ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن عيسى ابنِ طَلْحَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إذا استَيقظَ أحدُكم مِن منامِه فتَوَضأَ فليستنثِرْ ثلاثًا ، فإنَّ الشيطانَ يَبِيتُ على خَيْشُومِه » . ورواه مسلمٌ ، عن بِشْرِ بنِ الحَكَمِ عن الدَّراوَرْدِىِّ ، والنَّسائىُّ [١/٣٦ظ] عن محمدِ ابنِ زُنْبورٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى حازمٍ ، كلاهما عن يزيدَ بنِ الهادِ به[3] . وقال البخاريُّ[4] : حدثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن عبدِ اللهِ قال : ذُكِرَ عندَ النبىِّ ﷺ رجلٌ نام لَيْلَةً حتى[5] أَصْبَحَ ، قال : « ذاك رجلٌ بالَ الشيطانُ فى أُذُنَيْه » . أو قال : « فى أذُنِه » . ورواه مسلمٌ ، عن عثمانَ ، وإسحاقَ ، كلاهما عن جريرٍ به[6] . وأخرجه البخاريُّ أيضًا والنَّسائىُّ وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ منصورِ بنِ المُعتَمرِ به[7] .

وقال البخاريُّ[8] : حدثنا محمدُ بنُ يُوسُفَ ، أنبأنا الأَوْزاعِىُّ ، عن يحيى ابنِ أبى كثيرٍ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا نُودِىَ بالصلاةِ أدْبر الشيطانُ وله ضُراطٌ ، فإذا قُضِىَ أقبلَ ، فإذا ثُوِّب بها أدبرَ ، فإذا قُضِىَ أقبلَ ، حتى يَخطِرَ بينَ الإنسانِ وقلبِه ، فيقولُ : اذكرْ

---

(١) البخارى (٣٢٩٥) .

(٢) فى م : « عن » ، وفى ا : « و » .

(٣) مسلم (٢٣٨) ، النسائى (٩٠) .

(٤) البخارى (٣٢٧٠) .

(٥) فى م : « ثم » .

(٦) مسلم (٧٧٤) .

(٧) البخارى (١١٤٤) ، النسائى فى الكبرى (١٣٠٢) ، ابن ماجه (١٣٣٠) .

(٨) البخارى (٣٢٨٥) .

كذا وكذا . حتى لا يدرِىَ أثلاثًا صلَّى أم أربعًا ؟ فإذا لم يدْرِ أثلاثًا صلَّى أم أربعًا ، سَجَد سَجْدتى السهوِ » . هكذا رواه منفردًا به مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا أَسْوَدُ بنُ عامرٍ ، حدثنا جعفرٌ ، يعنى الأَحْمَرَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « راصُّوا الصفوفَ ، فإنَّ الشَّياطِينَ تقومُ فى الخَلَلِ » . وقال أحمدُ[2] : حدثنا [3]عفانُ ، حدثنا[3] أَبَانٌ ، حدثنا قتادةُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ كان يقولُ : « راصُّوا صُفُوفَكم ، وقاربوا بينَها ، وحاذُوا بينَ الأعناقِ ، فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِه إنِّى لأَرَى الشيطانَ يدخلُ مِن خَلَلِ الصفِّ كأنَّه الحَذَفُ[4] » . وقال البخارىُّ[5] : حدثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدثنا عبدُ الوارثِ ، حدثنا يونسُ ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا مرَّ بينَ يدَىْ أحدِكم شىءٌ فلْيمنعْه ، فإنْ أَبَى فلْيَمنعْه ، فإنْ أَبَىٰ فَلْيُقاتلْه ، فإنَّما هو شيطانٌ » . ورواه أيضًا مسلمٌ وأبو داودَ ، مِن حديثِ سليمانَ بنِ المُغِيرَةِ ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ به[6] . وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدثنا أبو أحمدَ ، حدثنا مَسَرَّةُ[8] بنُ مَعْبَدٍ ، حدثنا أبو عُبَيدٍ صاحبُ[9] سليمانَ ، قال : رأيتُ عطاءَ بنَ يزيدَ اللَّيْثِىَّ قائمًا يصلِّى ، فذهبتُ

---

(١) المسند ١٥٤/٣ ، (صحيح الجامع ٣٤٤٨) .

(٢) المسند ٢٦٠/٣ ، ٢٨٣ ، (صحيح الجامع ٣٤٩٩) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند ، وانظر جامع المسانيد للمصنف ٣/٣ - ٥ ، وأطراف المسند ٤٨٣/١ لابن حجر .

(٤) الحذف : غنم سود صغار ليس لها آذان ولا أذناب .

(٥) البخارى (٣٢٧٤) .

(٦) مسلم (٥٠٥) ، أبو داود (٧٠٠) .

(٧) المسند ٨٢/٣ ، ٨٣ . قال الهيثمى فى المجمع ٨٧/٢ : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٨) فى الأصل ، ح : « بشر » ، وفى ص : « بسر » .

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « حاجب » ، وأبو عبيدة قيل : اسمه عبد الملك . وقيل غير ذلك . =

أَمُرُّ بينَ يدَيه فردَّنى ، ثمَّ قال : حدثنى أبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قام يصلِّى صلاةَ الصُّبْحِ وهو خلفَه فقرأ ، فالْتَبَستْ عليه القراءةُ ، فلمَّا فرَغ مِن صلاتِه قال : « لو رأيتُمُونِى وإبليسَ ، فأهْويتُ بِيَدِى فما زِلْتُ أخنُقُه حتى وجدْتُ بَرْدَ لُعابِهِ بينَ إِصْبعَىَّ هاتين ؛ الإبهامِ والتى تَلِيها ، ولولا دعوةُ أخى سليمانَ لأَصْبَحَ مرْبوطًا بِساريةٍ مِن سَوَارِى المسجدِ ، يتلاعبُ [١/٣٧و] به صبيانُ المدينةِ ، فمَن استَطاعَ مِنكم أَنْ لا يحولَ بينَه وبينَ القِبلةِ أحدٌ فليفعلْ » . وروى أبو داودَ[1] منه : « فَمَنِ اسْتَطَاعَ » . إلى آخرِه ، عن أحمدَ ابنِ أبى سُرَيجٍ عن أبى أحمدَ ، [2]محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ[2] ، الزُّبَيْرِىِّ[3] به . وقال البخارىُّ[4] : حدثنا محمودٌ حدثنا شَبَابَةُ حدثنا شُعْبةُ ، عن محمَدِ ابنِ زِيادٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : أنَّه صلَّى صلاةً فقال : « إنَّ الشيطانَ عرَضَ لى ، فشدَّ[5] علىَّ يقْطَعُ الصلاةَ علىَّ ، فأمْكننى اللهُ مِنه » . فذكر الحديثَ . وقد رواه مسلمٌ والنَّسائىُّ ، مِن حديثِ شُعْبَةَ به مطوَّلًا[6] . ولفْظُ البخارىِّ ، عندَ تفسيرِ قولِه تعالى ، إخبارًا عن سليمانَ عليه السلامُ ، أنَّه قال[7] : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] . مِن حديثِ رَوْحٍ وغُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن محمدِ بنِ زِيادٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إنَّ عِفْريتًا مِنَ الجنِّ

= وهو حاجب سليمان بن عبد الملك وصاحبه كما فى تهذيب التهذيب ١٢/١٥٨ .

(١) أبو داود (٦٩٩) ، (صحيح الجامع ٥٨٩٢) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « عبد الله بن محمد الزبير » ، وفى م : « محمد بن عبد الله بن محمد بن الزبير » .

(٣) زيادة من : ح .

(٤) البخارى (٣٢٨٤) .

(٥) فى الأصل ، م : « فسد » .

(٦) مسلم (٥٤١) ، النسائى (١١٤٤٠) .

(٧) التفسير ٧/٦١ .

تَفَلَّت علىَّ البارحةَ » . أو كلمةً نحوَها « ليقطعَ علىَّ الصلاةَ ، فأمْكَنَنِى اللهُ مِنه ، فأردتُ أنْ أربِطَه إلى ساريَةٍ مِنْ سوارِى المسجدِ حتى تُصْبِحوا وتَنْظرُوا إليه كلُّكم ، فذكرتُ قولَ أخى سليمانَ : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ قال رَوْحٌ : فَرَدَّه خاسِئًا[1] . وروى مسلمٌ[2] مِن حديثِ أبى إدْريسَ ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : قام رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّى ، فسمِعْناه يقولُ : « أعُوذُ باللهِ مِنْكَ » . ثم قال : « ألعنُك بلعْنةِ اللهِ » . ثلاثًا ، وبَسَط يدَه ، كأنَّه يَتناولُ شيئًا . فلمَّا فَرَغ مِن الصلاةِ ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ، قد سمِعْناك تقولُ فى الصلاةِ شيئًا لم نسْمعْك تقولُه قبلَ ذلك ، ورأيْناك بسطتَ يدَك . فقال : « إنَّ عدوَّ اللهِ إبليسَ ، جاءَ بشهابٍ مِنْ نارٍ ليجعلَهُ فى وجهِى ، فقلتُ : أعوذُ باللهِ مِنك . ثلاثَ مراتٍ ، ثم قلتُ : ألعنُك بلعنةِ اللهِ التامَّةِ . فلم يستأخرْ ، ثم أردتُ أخْذَه ، واللهِ لولا دعوةُ أخينا سليمانَ ، لأصبحَ مُوثَقًا ، يلعبُ به ولدانُ أهلِ المدينةِ » . وقال تعالى[3] : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣] . يعنى الشيطانَ . وقد قال تعالى[4] : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] . فالشيطانُ لا يألُو الإنسانَ خَبالًا جهدَه وطاقتَه ، فى جميعِ أحوالِه وحركاتِه وسكناتِه ، كما صنَّف الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا رَحِمَه اللهُ كتابًا فى ذلك سمَّاه : « مصائدَ الشيطانِ[5] » وفيه فوائدُ جَمَّةٌ .

---

(١) البخارى (٤٨٠٨) .

(٢) مسلم (٥٤٢) .

(٣) التفسير ٥٢١/٦ .

(٤) التفسير ٣٥٤/٦ .

(٥) فى ا : « مكائد الشيطان » . وكلا الكتابين لابن أبى الدنيا .

[٣٧/١ظ] وفى « سننِ أبى داودَ »[١] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقولُ فى دعائِه : « وأعوذُ بك أنْ يتخبَّطَنِى الشيطانُ عندَ الموتِ » . ورُوِّينا فى بعضِ الأخبارِ أنه قال : « يا ربِّ وعزَّتِكَ وجلالِك لا أزالُ أُغْوِيهم ما دامتْ أرواحُهم فى أجسادِهم . فقال اللهُ تعالى : وعزَّتِى وجلالِى ولا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفرونى »[٢] . وقال اللهُ تعالى[٣] : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] . فوعدُ اللهِ هو الحقُّ الصدقُ[٤] ، ووعدُ الشيطانِ هو الباطلُ . وقد روى الترمذىُّ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه » ، وابنُ أبى حاتِمٍ فى « تفسيرِه » مِن حديثِ عطاءِ بنِ السائِبِ ، عن مُرَّةَ[٥] الهَمْدانِىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ للشيطانِ لَمَّةً بابنِ آدَمَ ، وللمَلَكِ لَمَّةً ، فأمَّا لَمَّةُ الشيطانِ فإيعادٌ بالشرِّ ، وتكذيبٌ بالحقِّ ، وأمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فإيعادٌ بالخَيرِ ، وتصديقٌ بالحقِّ . فمَن وَجَدَ ذلك فليعلمْ أنَّه مِنَ اللهِ ، فليحمدِ اللهَ ، ومَن وَجَدَ الأخرَى ، فليتعوذْ مِنَ الشيطانِ » . ثم قرأ : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٦] .

وقد ذكرنا فى فضلِ سورةِ « البقرة » أنَّ الشيطانَ يفرُّ مِن البيتِ الذى تُقرأُ

---

(١) أبو داود (١٥٥٢) ، (صحيح الجامع ١٢٩٣) .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٩/٣ ، ٤١ (صحيح الجامع ١٦٤٦) .

(٣) التفسير ٤٧٥/١ .

(٤) فى م : « المصدق » .

(٥) فى ص : « عروة » .

(٦) الترمذى (٢٩٨٨) ، (ضعيف الترمذى ٥٧٢) ، النسائى (١١٠٥١) ، الإحسان (٩٩٧) . وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ وعزاه لابن أبى حاتم .

فيه[1] . وذكرنا فى فضلِ آيةِ الكرسىِّ أنَّ مَن قرأها فى ليلةٍ لا يقربُه الشيطانُ حتى يصبحَ[2] . وقال البخارىُّ[3] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ يُوسُفَ ، أنبأنا مالِكٌ ، عن سُمَىٍّ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « مَن قال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ . [4]فى يومٍ[4] مائةَ مرةٍ ، كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ وكُتِبَت له مائةُ حسنةٍ ، ومُحِيَتْ عنه مائةُ سيئةٍ ، وكانت له حِرزًا مِن الشيطانِ يومَه ذلك حتى يُمسِىَ ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ[5] عَمِلَ أكثرَ مِن ذلك » . وأخرجه مسلمٌ ، والترمذىُّ ، وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ مالِكٍ[6] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البخارىُّ[7] : ثنا أبو اليَمانِ ، أخبرَنا شُعَيْبٌ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرَجِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال ﷺ : « كلُّ بَنِى[8] آدَمَ يطعنُ الشيطانُ فى جَنْبَيْه بأُصبَعِه حين يُولَدُ غيرَ عيسَى ابنِ مَريمَ ؛ ذهب يطعنُ فطَعَنَ فى الحِجابِ » . تفرَّد به من هذا [١/٣٨و] الوجهِ . وقال البخارىُّ[9] : حدثنا عاصمُ بنُ علىٍّ ، حدثنا ابنُ أبى ذِئْبٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « التثاؤُبُ مِنَ الشيطانِ ، فإذا تثاءَبَ أحدُكم

---

(١) التفسير ١/٥١ ، ٥٢ .

(٢) التفسير ١/٤٥٢ .

(٣) البخارى (٣٢٩٣) .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « رجل » . وهو لفظ رواية للبخارى (٦٤٠٣) .

(٦) مسلم (٢٦٩١) ، الترمذى (٣٤٦٨) ، ابن ماجه (٣٧٩٨) .

(٧) البخارى (٣٢٨٦) .

(٨) فى م : « ابن » .

(٩) البخارى (٣٢٨٩) .

فليَرُدَّه ما استطاع ، فإنَّ أحَدَكم إذا قال : ها . ضحِك الشيطانُ » . ورواه أحمدُ وأبو داودَ والترمذىُّ وصحَّحه والنَّسائىُّ من حديثِ ابنِ أبى ذِئْبٍ به[1] . وفى لفظٍ : « إذا تثاءَبَ أحدُكم فلْيكظِمْ ما استَطاع ، فإنَّ الشيطانَ يدخلُ »[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، [4]عن أبيه[4] عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ، ويبغَضُ ، أو يكرهُ التثاؤبَ ، فإذا قال أحدُكم : ها ها . فإنَّما ذلك الشيطانُ يضحَكُ مِن جوفِه » . ورواه الترمذىُّ ، والنَّسائىُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ عَجْلانَ به[5] .

وقال البخارىُّ[6] : حدثنا الحَسَنُ بنُ الرَّبِيعِ ، حدثنا أبو الأحْوَصِ ، عن أشْعَثَ ، عن أبيه ، عن مَسْروقٍ ، قال : قالت عائشةُ : سألتُ النبىَّ ﷺ عن الْتِفاتِ الرجلِ فى الصلاةِ ، فقال : « هو اخْتلاسٌ يختلسُه الشيطانُ مِن صلاةِ أحدِكم » . وكذا رواه أبو داودَ والنَّسائىُّ مِن روايةِ أشْعَثَ بنِ أبى الشَّعْثاءِ سُلَيْمِ ابنِ أسْوَدَ المُحارِبِىِّ ، عن أبيه ، عن مَسْرُوقٍ به[7] .

وروى البخارىُّ[8] مِن حديثِ الأَوْزاعِىِّ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ : حدثنى عبدُ اللهِ بنُ أبى قَتادةَ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الرُّؤْيا

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٤٢٨ ، أبو داود (٥٠٢٨) ، الترمذى (٢٧٤٧) ، النسائى (١٠٠٤٣) (صحيح) .

(٢) مسلم (٢٩٩٤ ، ٢٩٩٥) .

(٣) المسند ٢/٢٦٥ ، (صحيح) .

(٤ - ٤) كذا فى : م . وسقط من بقية النسخ .

(٥) الترمذى (٢٧٤٦) ، النسائى (١٠٠٤٥) .

(٦) البخارى (٣٢٩١) .

(٧) أبو داود (٩١٠) ، النسائى (١١٩٥) .

(٨) البخارى (٣٢٩٢) .

الصالحةُ مِنَ اللهِ ، والحُلْمُ مِن الشيطانِ ، فإذا حَلَمَ أحدُكم حُلْمًا يخافُه فليَبْصُقْ عَنْ يَسارِه ، وليتعوذْ باللهِ مِن شرِّها ، فإنَّها لا تضرُّه » . وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، حدثنا مَعْمرٌ ، عن همَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَمْشِيَنَّ[2] أحدُكم إلى أخِيه بالسلاحِ ، فإنَّه لا يَدرِى أحدُكم لعل الشيطانَ أنْ يَنزِعَ[3] فى يدِه ، فيقعَ فى حفرةٍ مِن النارِ » . أخرجاه مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ[4] . وقال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٥] . وقال[5] : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٦ - ١٠] . وقال تعالى[6] : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا [٣٨/١ظ] لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٦ - ١٨] . وقال تعالى[7] : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ * وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢] . وقال تعالى إخبارًا عن الجانِّ[8] : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا

---

(١) المسند ٣١٧/٢ ، (صحيح) .

(٢) فى ح ، م : « يشيرن » .

(٣) فى ص : « ينزغ » . وهو لفظ رواية البخارى .

(٤) البخارى (٧٠٧٢) ، مسلم (٢٦١٧) .

(٥) التفسير ٤/٧ .

(٦) التفسير ٤٤٦/٤ .

(٧) التفسير ١٧٥/٦ .

(٨) التفسير ٢٦٧/٨ .

كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْأَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٨ ، ٩] .

وقال البخاريُّ[1] : وقال اللَّيْثُ : حدثنى خالدُ بنُ يَزِيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى هِلالٍ ، أنَّ أبا الأَسْوَدِ أخبَرَه ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « المَلائكةُ تَحَدَّثُ فى العَنانِ - والعَنانُ الغَمامُ - بالأمرِ يكونُ فى الأرضِ ، فتسمعُ الشياطينُ الكلمةَ فتَقُرُّها فى أُذُنِ الكاهنِ ، كما تُقَرُّ القارورةُ ، فيزيدُون معها مائةَ كَذِبَةٍ[2] » . هكَذَا رواه فى صفةِ إبليسَ معَلَّقًا عن اللَّيْثِ به . ورواه فى صفةِ الملائكةِ[3] ، عن سعيدِ بنِ أبى مريمَ ، عن اللَّيْثِ ، عن عُبَيدِ اللهِ بنِ أبى جَعْفَرٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ أبى الأَسْوَدِ ، عن عروةَ ، عن عائِشةَ بنحوِه . تفرَّد بهذين الطريقين دونَ مسلمٍ . وروى البخاريُّ فى موضعٍ آخرَ ، ومسلمٌ ، مِن حديثِ الزُّهرِىِّ ، عن يحيى بنِ عروةَ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه قال : قالت عائِشةُ : سأل ناسٌ النبىَّ ﷺ عن الكهَّانِ ؟ فقال : « إنَّهم ليسوا بشىءٍ » . فقالوا : يا رسولَ اللهِ ، فإنَّهم يُحدِّثونَ بالشىءِ يكونُ حقًّا . فقال ﷺ : « تلك الكلمةُ مِن الحقِّ ، [4]يخطفُها الجنىُّ[4] فيُقَرْقِرُها ، فى أُذُنِ وليِّه كَقَرْقَرَةِ الدجاجةِ[5] ، فيخلِطُون معها [6]أكثرَ مِن[6] مائةِ كذبةٍ »[7] . هذا لفظُ البُخارىِّ .

---

(١) البخارى (٣٢٨٨) .

(٢) فى م ، ص : « كلمة » .

(٣) البخارى (٣٢١٠) .

(٤ - ٤) فى م : « يخطفها من الجنى » ، وفى الأصل : « يحفظها الجنى » .

(٥) قرقرت الدجاجة : رددت صوتها كصوت الزجاجة إذا صب فيها الماء .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) البخارى (٧٥٦١) ، مسلم (٢٢٢٨) .

وقال البخاريُّ[1] : حدثنا الحُمَيْدِيُّ ، حدثنا سفيانُ ، حدثنا عمرٌو[2] قال : سمعتُ عِكْرِمةَ يقولُ : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قال : « إذا قَضَى اللهُ الأمرَ فى السماءِ ، ضَربَتِ المَلائكةُ بأجنحتِها خُضْعانًا لقولِه ، كأنَّه سلسلةٌ على صفوانٍ ، فإذا فُزِّعَ عن قلوبِهم قالوا : ماذا قال رُّبكم ؟ قالوا للَّذى قال : الحقَّ ، وهو العلىُّ الكبيرُ . فيسْمعُها مُسْتَرِقُ السمعِ ، ومُسترقُ السمعِ هكذا ، بعضُه فوقَ بعضٍ » . وَوَصَفَ سُفْيانُ بِكفِّه ، فحرَّفها وبدَّد بينَ أصابعِه « فيسمعُ الكلمةَ فيُلْقيها إلى مَن تحتَه ، ثم يُلْقِيها الآخرُ إلى مَن تحتَه ، حتى يُلقيَها على لسانِ الساحرِ أو الكاهنِ ، فربما أدْرَكَ الشِّهابُ قبلَ أنْ يُلقيَها ، وربما ألقاها قبلَ أنْ يُدرِكَه ، فيَكذبُ معها مائةَ كَذبةٍ ، فيُقالُ : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا . فيُصدَّقُ بتلك الكلمةِ التى سُمِعَت مِن السماءِ » . انفرد به [١/٣٩و] البخاريُّ . وروى مسلمٌ[3] ، مِن حديثِ الزُّهْرِيِّ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ زَيْنِ العابدين ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رجالٍ مِن الأنصارِ ، عن النبيِّ ﷺ نحوَ هذا . وقال تعالى[4] : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٦ - ٣٨] . وقال تعالى[5] : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فصلت : ٢٥] الآية . وقال تعالى[6] : ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ

---

(١) البخارى (٤٨٠٠) .

(٢) فى ح : « عمر » .

(٣) مسلم (٢٢٢٩) .

(٤) التفسير ٢١٤/٧ .

(٥) التفسير ١٦٢/٧ .

(٦) التفسير ٣٨١/٧ .

أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٧ - ٢٩] .

وقال تعالى[١] : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ ، ١١٣] .

وقد قدَّمنا فى صفةِ المَلائكةِ ما رواه أحمدُ ، ومسلمٌ مِن طريقِ مَنْصورٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن أبيه واسمُه رافِعٌ ، عن ابنِ مَسْعودٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِنكم مِن أحدٍ إلَّا وقد وُكِّل به [٢]قرينُه مِنَ الجنِّ[٢] ، وقرينُه مِنَ المَلائكةِ » . قالوا : وإيَّاك يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « وإيَّاىَ ، ولكنَّ اللهَ أعانَنِى عليه فلا يأمرُنى إلَّا بخَيرٍ »[٣] .

وقال الإمامُ أحمدُ[٤] : حدثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدثنا جَرِيرٌ ، عن قابوسٍ ، عن أبيه ، واسمُه حُصَينُ بنُ جُنْدَبٍ ، وهو أبو ظَبْيَانَ الجَنْبِىُّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ليس مِنكم مِن أحدٍ إلَّا وقد وُكِّل به قرِينُه مِن الشياطينِ » . قالوا : وأنت يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « نَعم ولكنَّ اللهَ أعانَنِى عليه فأَسلمَ » . تَفرَّد به أحمدُ ، وهو على شرطِ الصحيحِ . وقال الإمامُ أحمدُ[٥] : حدثنا هارُونُ ، حدثنا عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ ، أخبرنى أبو صَخْرٍ ، عن يزيدَ بنِ قُسَيطٍ ؛ حدثه أنَّ عروةَ بنَ الزبيرِ حدثه ، أنَّ عائشةَ

---

(١) التفسير ٣/٣١١ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تقدم فى صفحة ١١٩ .

(٤) المسند ١/٢٥٧ ، (صحيح) .

(٥) المسند ٦/١١٥ .

زوجَ النبيِّ ﷺ حدثتْه ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرَج مِن عندِها ليلًا ، قالت : فَغِرْتُ عليه . قالت : فجاء فرأى ما أصنعُ ، فقال : « ما لَكِ يا عائشةُ ، أغِرْتِ ؟ » قالت : فقلتُ : وما لِيَ أنْ لا يغارَ مِثْلِي على مِثْلِك ؟! فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « أفأخذَكِ شيطانُك ؟ » قالت : يا رسولَ اللهِ ، أوَ معيَ شيطانٌ ؟ قال : « نعم » . قلتُ : ومع كلِّ إنسانٍ ؟ قال : « نعم » . قلتُ : ومعك يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « نعمْ ، ولكنَّ ربِّي أعانَنِي [٣٩/١ظ] عليه حتى أسلمَ » . وهكذا رواه مسلمٌ ، عن هارونَ وهو ابنُ سعيدٍ الأيليُّ ، بإسنادِه نحوَه[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ ، حدثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن موسى ابنِ وَرْدانَ ، عن أبي هريرةَ ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ المؤمنَ لَيُنْضِي شيطانَه كما يُنْضِي أحدُكم بعيرَه في السفرِ » . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . ومعنى « لَيُنْضِي شيطانَه » : ليَأْخذُ بناصيتِه فيغلبُه ويقهرُه ، كما يفعلُ بالبعيرِ إذا شَرِدَ ثم غلَبَه . وقولُه تعالى[3] إخبارًا عن إبليسَ : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧] .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا هاشِمُ بنُ القاسِمِ ، حدثنا أبو عَقيلٍ ، هو عبدُ اللهِ بنُ عَقِيلٍ الثَّقَفِيُّ[5] ، حدثنا موسى بنُ المُسيَّبِ[6] ، عن سالمِ بنِ

---

(١) مسلم (٢٨١٥) .

(٢) المسند ٣٨٠/٢ . قال الهيثمي ١١٦/١ : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة .

(٣) التفسير ٣٨٩/٣ .

(٤) المسند ٤٨٣/٣ ، (صحيح الجامع ١٦٤٨) .

(٥) في المطبوع من مسند أحمد : « السقفي » وهو تصحيف .

(٦) في المسند : « المثنى » وهو تحريف . انظر تهذيب الكمال ٢٠٢/١٠ ، وتحفة الأشراف ٢٦٤/٣ ، وأطراف المسند ٤٢٥/٢ .

أبى الجَعْدِ ، عن سَبْرَةَ بنِ أبى فاكهٍ ، قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ الشيطانَ قَعَد لابنِ آدَمَ بأَطْرُقِه ، فَقعَد له بِطريقِ الإسلامِ ، فقال : أتُسلمُ وتذرُ دينَك ودِينَ آبائِك ؟ » قال : « فعصاه وأَسلَمَ » . قال : « وقَعَدَ له بطريقِ الهجرةِ ، فقال : أتهاجرُ وتذرُ أرضَك وسماءَك ، وإنما مَثَلُ المهاجرِ كالفرَسِ فى الطِّوَلِ[1] . فعصاه فهاجَرَ ، ثم قَعَدَ له بطريقِ الجهادِ ، وهو جَهْدُ النفسِ والمالِ ، فقال : أتقاتلُ فَتُقْتَلُ ، فَتُنْكَحُ المرأةُ ويُقْسَمُ المالُ ؟ » قال : « فعصاهُ فجاهَدَ » . قال رسولُ اللهِ ﷺ : « فَمَن فَعَل ذلك مِنهم ، كان حقًّا على اللهِ أنْ يدخلَهُ الجنةَ ، وإنْ قُتِلَ كان حقًّا على اللهِ أنْ يدخلَه الجنةَ ، وإنْ غَرِقَ كان حقًّا على اللهِ أنْ يدخلَه الجنةَ ، وإنْ وَقَصَتْه دابتُه كان حقًّا على اللهِ أنْ يدخلَه الجنةَ » . وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا وكِيعٌ ، حدثنا عُبادةُ[3] بنُ مُسْلِمٍ الفَزارِىُّ ، حدثنى جُبَيْرُ بنُ أبى سليمانَ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ عمَرَ يقولُ : لم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يدَعُ هذه الدعواتِ حينَ يُصبِحُ وحينَ يُمسِى : « اللهمَّ إنِّى أسألُك العافيةَ فى الدنيَا والآخرةِ ، اللهمَّ إنِّى أسألُك العفوَ والعافيةَ فى دينِى ودنياىَ وأهلِى ومالِى ، اللهمَّ استرْ عَوْراتِى ، وآمنْ رَوْعَاتِى ، اللهمَّ احفظنِى مِن بينِ يدَىَّ ومِن خلفِى ، وعن يَمِينِى وعن شِمالِى ومِن فَوْقِى ، وأعوذُ بعظَمتِك أنْ أُغْتالَ مِن تحتِى » . قال وَكِيعٌ : يعنى الخسفَ . ورواه أبو داودَ والنَّسائىُّ وابنُ ماجه وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ مِن حديثِ عُبادةَ بنِ مُسْلمٍ به[4] . وقال الحاكِمُ : صحيحُ الإسْنادِ . واللهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

---

(١) الطول : الحبل يربط به الفرس ليدور ويرعى ولا يذهب لوجهه .

(٢) المسند ٢/٢٥ ، (صحيح) .

(٣) فى المطبوع من المسند : « عمارة » وهو تصحيف ، وأورده ابن كثير على الصواب كما فى المصادر المذكورة بعدُ .

(٤) أبو داود (٥٠٧٤) ، النسائى (٥٥٤٤ ، ٥٥٤٥) مختصرًا ، وفى الكبرى (١٠٤٠١) ، ابن ماجه (٣٨٧١) ، الإحسان (٩٦١) ، المستدرك ١/٥١٧ .

[١/٤٠ و] بـابُ ما ورد فى خَلْقِ آدَمَ عليْه السَّلامُ

قال اللهُ تعالى[١] : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾

[البقرة : ٣٠ - ٣٩] .

وقال تعالى[٢] : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ

---

(١) التفسير ١/٩٩ .

(٢) التفسير ٢/٤٠ .

قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] . وقال تعالى[١] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] . كما قال[٢] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وقال تعالى[٣] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] الآية . وقال تعالى[٤] : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَـٰٓـَٔادَمُ [١/٤٠ظ] ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا

---

(١) التفسير ١٧٩/٢ .

(٢) التفسير ٣٦٤/٧ .

(٣) التفسير ٥٢٧/٣ .

(٤) التفسير ٣٨٦/٣ .

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف : ١١ - ٢٥] . كما قال فى الآيةِ الأُخرى[1] : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] .

وقال تعالى[2] : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌ بَشَرًا مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٢٦ - ٤٤] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَءَيْتَكَ

---

(١) التفسير ٥/٢٩٢ .

(٢) التفسير ٤/٤٥١ .

(٣) التفسير ٥/٩٠ .

هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا * وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦١ - ٦٥] . وقال تعالى[1] : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن [٤١/١و] دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ * قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١١٥ - ١٢٦] . وقال تعالى[3] : ﴿ قُلْ

---

(١) التفسير ١٦٣/٥ .

(٢) التفسير ٣١٣/٥ .

(٣) التفسير ٧١/٧ .

هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ * قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٦٧ - ٨٨] .

فهذا ذِكرُ هذه القصةِ مِن مواضِعَ متفرقةٍ مِنَ القرآنِ ، وقد تكلَّمنا على ذلك كلِّه فى « التفسيرِ » . ولْنذكرْ هٰهنا مضمونَ ما دلَّت عليه هذه الآياتُ الكريماتُ ، وما يتعلقُ بها مِنَ الأحاديثِ الواردةِ فى ذلك عن رسولِ اللهِ ﷺ ، واللهُ المُستعانُ .

فأخبرَ تعالى أنَّه خاطبَ الملائكةَ قائلًا لهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . أعْلَمَ بما يريدُ أنْ يخلقَ مِن آدمَ وذريتِه ، الذين يخلُفُ بعضُهم بعضًا ، كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] . وقال : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] . فأخبرهم بذلك على سبيلِ التَّنويهِ بخلْقِ آدمَ وذرِّيَّتِه ، كما يُخبَرُ بالأمرِ العظيمِ قبلَ كونهِ . فقالت الملائكةُ سائلين على وجهِ الاستكشافِ [١/٤١ظ] والاستعلامِ عن وجهِ الحكمةِ ، لا

على وجهِ الاعتراضِ والتنقُّصِ لبنى آدَمَ والحسدِ لهم ، كما قد يتوهَّمُه جَهَلَةُ المفسِّرينَ : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . قِيل : عِلموا أَنَّ ذلك كائنٌ بما رأَوْا مِمَّن كان قبلَ آدمَ مِن الجِنِّ والبِنِّ . قاله قَتادَةُ[1] . وقال عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو : كانت الجِنُّ والبِنُّ[2] قبلَ آدمَ بألفَيْ عامٍ ، فسفَكوا الدِّماءَ ، فبعَث اللهُ إليهم جُنْدًا مِن الملائكةِ ، فطرَدُوهم إلى جزائرِ البُحورِ[3] . وعن ابنِ عبَّاسٍ نحوُه[4] . وعن الحسَنِ : أُلْهِمُوا ذلك . وقِيل : لِمَا اطَّلَعُوا عليه مِن اللَّوْحِ المَحْفوظِ . فَقِيلَ : أَطْلَعهم عليه هاروتُ وماروتُ عن مَلَكٍ فوقَهما يُقالُ له : السِّجِلُّ[5] . رواه ابنُ أبى حاتمٍ[6] ، عن أبى جعفرٍ الباقِرِ . وقِيل : لأَنَّهم عَلِموا أَنَّ الأَرضَ لا يُخْلَقُ منها إلَّا مَن يكونُ بهذه المَثابَةِ غالبًا . ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أى ؛ نعبدُك دائمًا لا يَعْصيك منَّا أَحَدٌ ، فإنْ كان المُرادُ بخَلْقِ هؤلاء أنْ يعبدُوك ، فها نحنُ لا نَفْتُرُ ليلًا ولا نهارًا . ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أى ؛ أعلمُ من المصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ فى خلْقِ هؤلاءِ ما لا تَعلمونَ ، أى ؛ سيُوجَدُ منهم الأَنبياءُ والمرسَلُون والصِّدِّيقون والشُّهداءُ . ثم بَيَّن لهم شرفَ آدمَ عليهم فى العلمِ ، فقال : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال ابنُ عَبَّاسٍ[7] : هى هذه الأسماءُ التى يتعارفُ بها الناسُ ؛ إنسانٌ ، ودابَّةٌ ، وأرضٌ ، وسهْلٌ ، وبحرٌ ، وجبَلٌ ، وجمَلٌ ، وحِمارٌ ،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٤٢/١ ، وانظر التفسير ١٠٢/١ .

(٢) ليس عند ابن أبى حاتم ذكر البن ، وعنده الجن بالجيم المعجمة .

(٣) ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٩/١ وهو صحيح الإسناد .

(٤) أخرجه الحاكم فى مستدركه ٢٦١/٢ وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبى .

(٥) فى م : « الشجل » وفى الأصل : « السحل » . والمثبت كما عند ابن أبى حاتم .

(٦) فى تفسيره ١١٢/١ .

(٧) ابن أبى حاتم ١١٥/١ (ضعيف) ، تفسير الطبرى ٢١٥/١ .

وأشباهُ ذلك مِن الأُممِ وغيرِها . وفى روايةٍ : علَّمه اسمَ الصَّحْفةِ والقِدْرِ ، حتى الفَسْوَةِ والفُسَيَّةِ . وقال مُجاهِدٌ : علَّمه اسمَ كلِّ دابةٍ ، وكلِّ طيرٍ ، وكلِّ شيءٍ .

وكذا قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ، وقتادَةُ ، وغيرُ واحدٍ . وقال الرَّبيعُ : علَّمه أسماءَ الملائكةِ . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زَيْدٍ : علَّمه أسماءَ ذُرِّيَّتِه . والصحيحُ أنَّه علَّمه أسماءَ الذَّواتِ[1] وأفعالَهَا ؛ مُكَبَّرَها ومُصَغَّرَها . كما أشار إليه ابنُ عبَّاسٍ رضِىَ اللهُ عنهُما[2] .

وذكَر البخارِىُّ ههنا ما رواه هو ومسلمٌ[3] ، مِن طريقِ سعيدٍ[4] وهِشامٍ ، عن قَتادَةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال : « يَجْتَمِعُ المؤمِنونَ يومَ القِيامةِ فَيَقُولُونَ : لو اسْتَشْفَعْنَا إلى ربِّنا . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : أنْتَ أبو البَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بيَدِه ، وأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَه ، وعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كلِّ شَيءٍ » . وذكَر تمامَ الحديثِ . ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ قال الحسنُ البصرىُّ : لَمَّا أراد اللهُ خلْقَ آدمَ ، قالت الملائكةُ : لا يخلُقُ ربُّنا خَلْقًا [١/٤٢و] إلَّا كنَّا أعلمَ منه . فابْتُلُوا بهذا . وذلك قولُه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ وقِيلَ غيرُ ذلك ، كما بسطناه فى « التَّفْسيرِ »[5] . ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أى ؛ سُبْحانَك أنْ يحيطَ أحدٌ بشىءٍ مِن عِلْمِك مِن غيرِ تَعْليمِك ،

---

(١) فى ا : « الدواب » .

(٢) انظر أقوالهم فى تفسير الطبرى ١/٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) البخارى (٤٤٧٦) ، مسلم (١٩٣) .

(٤) فى ح : « معبد » .

(٥) ١/١٠٥ .

كما قال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أى ، أعلمُ السِّرَّ كما أعلمُ العلانِيةَ . وقِيل : إنَّ المُرادَ بقولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ ما قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . فهذا ما أبدَوْه ، وبقولِه : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ المُرادُ بهذا الكلامِ إبْلِيسُ ، (١)وما أسرَّه وكتَمَه فى نفسِه من الكِبْرِ والعَداوَةِ لآدَمَ ، عليه السَّلامُ(١) . قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ، ومُجاهِدٌ ، والسُّدِّىُّ ، والضَّحَّاكُ ، والثَّوْرِىُّ ، واختاره ابنُ جَريرٍ(٢) . وقال أبو العالِيَةِ ، والرَّبيعُ ، والحَسَنُ ، وقَتادَةُ : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قولُهم : لن يخلُقَ ربُّنا خَلْقًا إلَّا كنا أعلمَ منه ، وأكرمَ عليه منه(٣) . وقولُه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ هذا إكْرامٌ عَظيمٌ مِنَ اللهِ تعالى لآدَمَ ، حينَ خلقه بيَدِهِ ونفَخ فيه مِن رُوحِه ، كما قال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُ سَـٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] . فهذه أربعُ تَشريفاتٍ ؛ خَلْقُه له بيَدِه الكَريمَةِ ، وَنَفْخُه فيه مِن رُوحِه ، وأمْرُه الملائكةَ بالسُّجودِ له ، وتعليمُه أسماءَ الأشياءِ . ولهذا قال له مُوسى الكَليمُ حينَ اجتمعَ هو وإيَّاه فى المَلإِ الأَعْلَى ، وتناظَرا ، كما سيأتِى : « أنت آدمُ أبو البَشَرِ الذى خلقَكَ اللهُ بيَدِه ، ونَفَخَ فيك مِن رُوحِه ، وأسْجَدَ لك ملائكتَه ، وعلَّمَكَ أسماءَ كلِّ شىءٍ ؟ »(٤) . وهكذا يقولُ له(٥) أهلُ المَحْشرِ يومَ القيامَةِ ، كما تقدَّم ، وكما سيأتِى إن شاء اللهُ تَعالى .

(١ - ١) كذا فى : ا . وفى بقية النسخ : « حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام » .

(٢) تفسير الطبرى ٢٢٢/١ .

(٣) انظر التفسير ١٠٦/١ ، ١٠٧ .

(٤) مسلم (٢٦٥٢) . وأصله عند البخارى (٣٤٠٩) .

(٥) ليست فى : ا ، م .

وقال فى الآيةِ الأُخْرَى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١١ ، ١٢] . قال الحسنُ البصرىُّ : قاسَ إبليسُ ، وهو أوَّلُ مَن قاسَ . وقال محمدُ بنُ سِيرينَ : أوَّلُ مَن قاسَ إبليسُ ، وما عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ إلا بالمَقاييسِ . رواهما ابنُ جَريرٍ[1] . ومعنى هذا ، أنَّه نَظَرَ نفسَه بطريقِ المُقايَسَةِ بينَه وبينَ آدَمَ ، فرأى نفسَه أشرَفَ مِن آدَمَ ، فامتَنَعَ مِنَ السُّجودِ له ، مع وُجودِ الأمْرِ له ولسَائِرِ الملائِكَةِ بالسُّجودِ . والقِياسُ إذا كان مُقابَلًا بالنَّصِّ[2] ، كان فاسِدَ [٤٢/١ظ] الاِعْتِبارِ . ثم هو فاسدٌ فى نفسِه ؛ فإنَّ الطينَ أنفعُ وخَيْرٌ مِن النَّارِ ، فَإنَّ الطِّينَ فيه الرَّزانَةُ ، والحِلْمُ ، والأَناةُ ، والنُّمُوُّ ، والنَّارُ فيها الطَّيْشُ ، والخِفَّةُ ، والسُّرْعَةُ ، والإحْراقُ ، ثم آدمُ شرَّفه اللهُ بخَلْقِه له بيَدِه ، ونَفْخِه فيه مِن رُوحِهِ ؛ ولهذا أمَرَ الملائِكَةَ بالسُّجودِ له ، كما قال[3] : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر : ٢٨ - ٣٥] . استحَقَّ هذا مِن اللهِ تعالى ؛ لأنه استلزم تَنَقُّصه لآدَمَ وازْدِراؤُه به

---

(١) تفسير الطبرى ١٣١/٨ . وبعده فى ا : « وقال آخر من السلف : كل قايس فهو إبليسى » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ا : « للنص » .

(٣) التفسير ٤٥٢/٤ .

وترفُّعُه عليه مخالَفَةَ الأَمْرِ الإلـٰهيِّ ، ومُعاندةَ الحقِّ فى النَّصِّ على آدَمَ على التَّعيينِ ، وشَرَعَ فى الاعتذارِ بما لا يُجْدِى عنه شَيْئًا ، وكان اعتذارُه أشَدَّ مِن ذَنْبِه ؛ كما قال تعالى فى سورةِ « سُبْحان » : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا * وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦١ - ٦٥] . وقال فى سورةِ « الكهف » : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] . أى ؛ خرَج عن طاعةِ اللهِ عَمْدًا وعنادًا واستكبارًا عن امتثالِ أمرِه ، وما ذاك إلَّا لأنَّه خانه طَبْعُه ومادتُه الناريةُ[1] الخَبيثَةُ أخْوَجَ ما كان إليها ، فإنَّه مخلوقٌ من نارٍ كما قال ، وكما قدمنا[2] فى « صحيحِ مسلمٍ »[3] ، عن عائِشَةَ ، عن رَسولِ اللهِ ﷺ قال : « خُلِقَتِ الملائكةُ مِنْ نورٍ ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ ، وخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » .

قال الحسنُ البصرىُّ : لم يكنْ إبليسُ مِن الملائكةِ طَرْفَةَ عينٍ قطُّ . وقال شهرُ بنُ حَوْشَبٍ : كان مِنَ الجِنِّ ، فلمَّا أفسدُوا فى الأرضِ بعَث اللهُ إليهم جُنْدًا مِن الملائِكَةِ ، فقتلُوهم وأجلَوْهم إلى جَزائِرِ البِحارِ ، وكان إبليسُ مِمَّنْ أُسِرَ ، فأخذُوه معهم إلى السماءِ ، فكان هناك ، فلمَّا أُمِرَتِ الملائكَةُ بالسجودِ امتنَعَ إبليسُ

---

(١) زيادة من : ا .

(٢) فى م : « قدرنا » .

(٣) تقدم فى صفحة ١٢٤ .

منه . وقال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وجماعةٌ مِن الصحابةِ وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ وآخرونَ : كان إبليسُ رئيسَ الملائكةِ بالسماءِ الدنيا . قال ابنُ عبَّاسٍ : وكان [١/٤٣و] اسمُه عَزازيلَ . وفى روايةٍ عنه[1] : الحارثُ . قال النقَّاشُ[2] : وكُنْيَتُه أبو كُرْدُوسٍ . قال ابنُ عباسٍ : وكان مِن حَيٍّ من الملائكةِ ، يقالُ لهم الجِنُّ ، وكانوا خُزَّانَ الجِنانِ ، وكان مِن أشْرَفِهم وأكثرِهم عِلْمًا وعبادةً ، وكان مِن أُولِى الأجْنِحَةِ الأرْبَعَةِ ، فمسخَه اللهُ شيطانًا رجيمًا[3] . وقال فى سورةِ « صٓ » : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ * قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٧١ - ٨٥] . وقال فى سورة « الأعراف » : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧] . أى بسببِ إغوائِك إيَّاىَ لأقعدنَّ لهم كلَّ مرصدٍ ، ولآتينهم مِن كلِّ جهةٍ منهم . فالسعيدُ مَن خالَفَه ، والشقِىُّ من اتَّبَعَه .

كما قال الإمامُ أحمدُ : حدثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، حدثنا أبو عَقيلٍ - هو

---

(١) فى م : « عن » . وفى ا : « عبد » . وليست فى : ص .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٦ . وانظر التعريف والإعلام للسهيلى ص ٥٧ .

(٣) انظر الأقوال السابقة فى التفسير ١/١١٠ ، ١١١ ، ٥/١٦٤ ، ١٦٥ .

عبدُ اللهِ بنُ عَقيلٍ الثقفيُّ - حدثنا موسى بنُ المسيَّبِ ، عن سالِمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن سَبْرةَ بنِ أبى الفاكِهِ[1] قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ الشيْطانَ قعَد لِابنِ آدَمَ بأَطْرُقِه[2] » . وذكَر الحديثَ ، كما قدمناه فى صفةِ إبْليسَ[3] .

وقد اخْتَلَفَ المفسرون فى الملائكةِ المأمورين بالسجودِ لآدمَ ، أَهُمْ جميعُ الملائكةِ - كما دلَّ عليه عمومُ الآياتِ ، وهو قولُ الجمهورِ - أو المرادُ بهم ملائكةُ الأرضِ ، كما رواه ابنُ جريرٍ[4] مِن طريقِ الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، وفيه انقطاعٌ ، وفى السياقِ نَكَارَةٌ ، وإنْ كان بعضُ المتأخرين قد رجَّحَه ، ولكنَّ الأظهرَ من السياقاتِ الأوَّلُ ، ويدلُّ عليه الحديثُ : « وأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَه »[5] . وهذا عمومٌ أيضًا ، واللهُ أعلمُ . وقولُه تعالى لإبليسَ : ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ و ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ دليلٌ على أنَّه كان فى السماءِ ، فأُمِرَ بالهبوطِ منها والخروجِ مِنَ المنزلةِ والمكانةِ التى كان قد نالها بعبادتِه ، [١/٤٣ظ] وتَشَبُّهِهِ بالملائكةِ فى الطاعةِ والعبادةِ ، ثُمَّ سُلِبَ ذلك بِكِبْرِه وحسدِه ومخالفتِه لربِّهِ ، فأُهْبِط إلى الأرضِ مذْءُومًا مدْحورًا ، وأمر اللهُ آدمَ عليه السلامُ أن يسكنَ هو وزوجتُه الجنةَ ، فقال : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] . وقال فى « الأعراف » : ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ

---

(١) فى م : « فاتكة » .

(٢) فى ا : « بأطرقه كلها » وهو لفظ الطبرانى (٦٥٥٨) .

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ١٥٩ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٣/١٨٥ .

(٥) تقدم ص ١٦٩ .

ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٨ ، ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٦ - ١١٩] . وسياقُ هذه الآياتِ يقتضِى أنَّ خَلْقَ حواءَ كان قبلَ دخولِ آدمَ الجنةَ ؛ لقولِه : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] . وهذا قد صرَّح به [2]ابنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ[2] وهو ظاهرُ هذه الآياتِ .

ولكنْ حكَى السُّدِّىُّ ، عن أبى صالحٍ وأبى مالكٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عنِ ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِنَ الصحابةِ ، أنهم قالوا : أُخْرِج إبليسُ مِنَ الجنةِ ، وأُسْكِن آدمُ الجنةَ ، فكان يمشِى فيها وَحْشًا ليس له فيها زوجٌ يسكنُ إليها ، فنام نوْمةً ، فاستيقظ وعندَ رأسِه امرأةٌ قاعدةٌ ، خلقها اللهُ مِن ضِلْعِه ، فسألها : مَن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ . قال : ولِمَ خُلِقْتِ ؟ قالت : لتسكُنَ إلىَّ . فقالتْ له الملائكةُ ، ينظرون ما بلَغ مِن علمِه : ما اسمُها يا آدمُ ؟ قال : حواءُ . قالوا : ولِمَ كانتْ حواءَ ؟ قال : لأنها خُلقَتْ مِن شىءٍ حىٍّ[3] . وذَكَر محمدُ ابنُ إسحاقَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّها خُلِقتْ مِن ضِلْعِه الأقصرِ الأيسرِ وهو نائمٌ ، ولَأَمَ مكانَه لحمًا . ومصداقُ هذا فى قولِه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] الآيةُ . وفى قولِه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن

---

(١) انظر التفسير ١/١١١ ، ١١٢ .

(٢ - ٢) فى م : « إسحاق بن بشار » ، وفى ص : « إسحاق بن يسار » ، وفى ا : « إسحق » .

(٣) تفسير الطبرى ١/٢٢٩ .

نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّـٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ [الأعراف : ١٨٩] الآيةُ[١] . وسنتكلمُ عليها فيما بعدُ إن شاء اللهُ تعالى .

وفى « الصحيحين »[٢] مِن حديثِ زائدةَ ، عن مَيْسرةَ الأَشْجَعِيِّ ، عن أبِى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، عنِ النبىِّ ﷺ ، أنَّه قال : « اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خيرًا ، فإنَّ المرأةَ خُلِقَتْ مِنْ [١/٤٤و] ضِلَعٍ ، وإنَّ أَعْوَجَ شىءٍ فى الضلَعِ أَعلاهُ ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُه كَسَرْتَه ، وإنْ تَرَكْتَه لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فاسْتَوْصُوا بالنساءِ خَيْرًا » . لفظُ البخارىِّ .

وقد اختلف المفسرون فى قولِه تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ فقِيل : هى الكَرْمُ . ورُوِىَ عَنِ ابنِ عباسٍ ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، والشَّعْبىِّ ، وجَعْدَةَ بنِ هُبَيرَةَ ، ومحمدِ بنِ قيسٍ ، والسُّدِّىِّ ، فى روايةٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وناسٍ مِن الصحابةِ ، قال : وتزْعُمُ يهودُ أنَّها الحِنْطَةُ . وهذا مروىٌّ عنِ ابنِ عباسٍ ، والحسنِ البصْرىِّ ، ووهْبِ بنِ منبهٍ ، وعطيةَ العَوْفِىِّ ، وأبى مالكٍ ، ومُحارِبِ بنِ دِثارٍ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ أبِى ليلَى . قال وهْبٌ : والحبةُ[٣] منه أَلْيَنُ مِن الزبدِ وأحلَى مِن العسلِ . وقال الثَّوْرِىُّ ، عن حُصينٍ[٤] ، عن أبى مَالكٍ ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ : هى النخْلةُ . وقال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : هى التينَةُ . وبه قال قَتادَةُ ، وابنُ

---

(١) تفسير الطبرى ٤/٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) البخارى (٣٣٣١) ، مسلم (١٤٦٨) .

(٣) فى ا ، ص : « الخبز » ، وفى الأصل ، ح : « الخبر » .

(٤) فى م ، ص : « أبى حصين » .

جُرَيْجٍ . وقال أبو العاليةِ : كانت شجرةً ، مَن أكَل منها أحْدَث ، ولا ينبغِى فى الجنةِ حَدَثٌ[1] .

وهذا الخلافُ قريبٌ . وقد أبْهمَ اللهُ ذكرَها وتعيينَها ، ولو كان فى ذكرِها مصلحةٌ تعودُ إلينا لعيَّنها لنا ، كما فى غيرِها مِن المَحالِّ التى تُبْهَمُ فى القرآنِ .

وإنما الخلافُ الذى ذَكروه فى أنَّ هذه الجنةَ التى أُسْكِنَها آدمُ ، هل هى فى السماءِ أو فى الأرضِ ؟ هو الخلافُ الذى ينبغِى فصلُه والخروجُ منه . والجمهورُ على أنَّها هى التى فى السماءِ ، وهى جنةُ المأوَى ؛ لظاهرِ الآياتِ والأحاديثِ ، كقولِه تَعالَى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] . والألفُ واللامُ ليست للعُمومِ ، ولا لِمَعْهودٍ لفظىٍّ ، وإنَّما تعودُ على مَعْهودٍ ذهْنىٍّ ، وهو المستقِرُّ شرعًا مِن جنةِ المأوَى ، وكقولِ موسى عليه السلامُ لآدمَ عليه السلامُ : « علامَ أخرجْتَنا ونفسَك مِن الجنةِ » . الحديثُ . كما سيأتِى الكلامُ عليه[2] . وروى مسلمٌ فى « صحيحِه »[3] ، مِن حديثِ أبى مالكٍ الأشْجَعِىِّ واسمُه سعدُ بنُ طارقٍ ، عن أبى حازمٍ سَلَمَةَ بنِ دينارٍ ، عن أبى هريرةَ ، وأبى مالكٍ ، عن رِبْعىٍّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قالا : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يجمَعُ اللهُ الناسَ فيقومُ المؤمنون حينَ[4] تُزْلَفُ لهم الجنةُ ، فيأْتونَ آدمَ فيقولونَ : يا أبانا ، استفْتِح لنا الجنةَ . فيقولُ : وهل أخرَجَكُم مِن الجنةِ إلَّا خطيئةُ أبيكم ؟ » . وذكَر الحديثَ بطولِه ، وهذا فيه قوةٌ جيدةٌ ظاهرةٌ فى الدَّلالةِ على أنَّها جنةُ المأوَى ، وليست تخلُو عن نظرٍ .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١/٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) يأتى بطرقه فى صفحة ١٩١١ - ١٩٩ .

(٣) مسلم (١٩٥) .

(٤) فى صحيح مسلم : « حتى » .

وقال آخَرون : بل الجنةُ التى أُسْكِنَها آدمُ لم تكنْ جنةَ الخُلْدِ ؛ لأنَّه كُلِّف فيها أنْ لا يأكلَ [١/٤٤ظ] مِن تلك الشجرةِ ، ولأنَّه نام فيها ، وأُخْرِجَ منها ، ودخل عليه إبليسُ فيها ، وهذا مما ينافِى (١أنْ تكونَ١) جنةَ المأوَى . وهذا القولُ محكِىٌّ عن أُبىِّ بنِ كعبٍ ، وعبدِ اللهِ بنِ عباسٍ ، ووهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، وسفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، واختاره ابنُ قُتَيْبَةَ فى « المعارفِ »[٢] ، والقاضى منذرُ بنُ سعيدٍ البلُّوطىُّ فى « تفسيرِه » ، وأفرد له مُصنَّفًا على حِدَةٍ ، وحكاه عن أبى حنيفةَ الإمامِ وأصحابِه ، رحمهم اللهُ . ونقله أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ الرازىُّ ابنُ خطيبِ الرىِّ فى « تفسيرِه »[٣] ، عن أبى القاسمِ البلخِىِّ ، وأبى مسلمٍ الأصبهانىِّ . ونقله القرطبىُّ فى « تفسيرِه »[٤] عنِ المعتزلةِ والقَدَرِيَّةِ . وهذا القولُ هو نصُّ التوراةِ التى بأيدِى أهلِ الكتابِ[٥] . وممَّن حَكَى الخلافَ فى هذه المسألةِ ، أبو محمدٍ ابنُ حزمٍ فى « المِلَلِ والنِّحَلِ »[٦] . وأبو محمدٍ ابنُ عطيةَ فى « تفسيرِه »[٧] ، وأبو عيسى الرمانىُّ فى « تفسيرِه » ، وحكَى عن الجمهورِ الأولَ ، وأبو القاسمِ الراغبُ ، والقاضى الماوَردىُّ فى « تفسيرِه » فقال : واخْتُلِف فى الجنةِ التى أُسْكِناها - يعنى آدمَ وحواءَ - على قولين ؛ أحدُهما : أنَّها جنةُ الخُلْدِ . الثانى : جنةٌ أعدَّها اللهُ لهما ، وجعلها دارَ ابتلاءٍ وليستْ جنةَ الخلدِ التى جعلها اللهُ دارَ جزاءٍ . ومَن قال بهذا اختلفوا على قولين ؛ أحدُهما : أنَّها فى السماءِ ؛ لأنَّه أَهْبَطَهما منها . وهذا قولُ الحسنِ . والثانى :

(١ - ١) فى ا : « حال ساكنى » .

(٢) المعارف ١٥ .

(٣) تفسير الرازى ٣/٣ .

(٤) تفسير القرطبى ٣٠٢/١ .

(٥) سفر التكوين ، الأصحاح الثانى (٨ - ٢٢) .

(٦) الملل والنحل ٨٢/٤ ، ٨٣ .

(٧) تفسير ابن عطية ٢٣٦/١ .

أنَّها فى الأرضِ ؛ لأنَّه امْتَحَنَهما فيها بالنهىِ عنِ الشجرةِ التى نُهيا عنها دونَ غيرِها مِنَ الثمارِ . وهكذا قولُ (١ابنِ جبيرٍ١) ، وكان ذلك بعدَ أنْ أُمِر إبليسُ بالسجودِ لآدمَ . واللهُ أعلمُ بالصوابِ مِن ذلك . هذا كلامُه .

فقد تضمَّن كلامُه حكايةَ أقوالٍ ثلاثةٍ ، وأَشْعَرَ كلامُه أنه مُتوقِّفٌ فى المسألةِ ؛ ولهذا(٢) حكى أبو عبدِ اللهِ الرازىُّ فى « تفسيرِه » ، فى هذه المسألةِ أربعةَ أقوالٍ ؛ هذه الثلاثةَ التى أوردها الماوَرْدِىُّ . ورابعُها : الوقفُ . (٣ورجَّح القولَ الأوَّلَ . واللهُ أعلمُ٣) . (٤وحَكَى القولَ بأنَّها فى السماءِ وليست جنةَ المأوَى ، عن أبى علىٍّ الجُبَّائىِّ٤) .

وقد أورد أصحابُ القولِ الثانى سؤالًا يحتاجُ مثلُه إلى جوابٍ ، فقالوا : لا شكَّ أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى طرد إبليسَ حينَ امْتَنَعَ مِنَ السجودِ عن الحضرةِ الإلَـٰهيةِ ، وأمره بالخروجِ عنها والهبوطِ منها ، وهذا الأمرُ ليس مِن الأوامرِ الشرعيةِ بحيثُ يمكنُ مُخالَفتُه ، وإنَّما هو أمرٌ قَدَرِىٌّ لا يُخالَفُ ولا يُمانَعُ ؛ ولهذا قال : ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف : ١٨] . وقَال : ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [الأعراف : ١٣] . وقال : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر : ٣٤] . والضميرُ عائدٌ إلى الجنةِ أو السماءِ أو المنزلةِ ، وأيًّا ما كان ، فمعلومٌ أنَّه ليس له الكونُ (٥بعدَ هذا٥) فى المكانِ الذى طُرِدَ عنه ، وأُبْعِدَ منه [١/٤٥و] لا على سبيلِ الاستقرارِ ، ولا على سبيلِ المرورِ والاجتيازِ . قالوا : ومعلومٌ مِن ظاهرِ سياقاتِ القرآنِ أنَّه وسوسَ

(١ - ١) كذا فى : ا . وفى بقية النسخ : « ابن يحيى » .
(٢) فى ا ، م : « ولقد » .
(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .
(٤ - ٤) ليس فى : الأصل .
(٥ - ٥) فى ح ، م ، ص : « قدرا » .

لآدَمَ وخاطَبه بقولِه له : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . وبقولِه : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف : ٢٠ ، ٢١] الآيةُ . وهذا ظاهرٌ فى اجتماعِه معهما فى جنتِهما . وقد أُجيبوا عن هذا بأنَّه لا يمتنعُ أنْ يجتمعَ بهما فى الجنةِ على سبيلِ المرورِ فيها ، لا على سبيلِ الاستقرارِ بها ، أو أنَّه وسْوسَ لهما وهو على بابِ الجنةِ ، أو مِن تحتِ السماءِ . وفى الثلاثةِ نظرٌ . واللهُ أعلمُ .

ومما احتجَّ به أصحابُ هذه المقالةِ ، ما رواه عبدُ اللهِ بنُ الإمامِ أحمدَ ، فى الزياداتِ[1] ، عن هُدْبةَ بنِ خالدٍ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن حُميدٍ ، عنَ الحسنِ البصْرىِّ ، عن [2]عُتَىٍّ ، هو[2] ابنُ ضَمْرةَ السَّعْدِىُّ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ قال : إنَّ آدمَ لَمَّا احْتُضِر ، اشتَهَى قِطْفًا مِن عنبِ الجنةِ ، فانطَلق بنوه لِيَطلبوه له ، فلَقِيَتْهُم الملائكةُ فقالوا : أينَ تُريدون يا بنى آدمَ ؟ فقالوا : إنَّ أَبانَا اشتهَى قِطْفًا من عنبِ الجنةِ . فقالوا لهم : ارجعُوا فقد كُفِيتُمُوهُ . فانتهوْا إليه فقبضوا رُوحَه ، وغسَّلُوه ، وحنَّطوه ، وكفَّنوه ، وصلى عليه جبريلُ [3]وبَنُوه خلفَ[3] الملائكةِ ، ودفَنوه ، وقالوا : هذه سُنَّتُكم فى موتاكم . وسيأتى الحديثُ بِسندِه وتمامِ لفظِه عندَ ذكْرِ وفاةِ آدمَ ، عليه السلامُ . قالوا : فلولا أنَّه كان الوصولُ إلى الجنةِ التى كان فيها آدمُ التى اشتهَى منها القِطْفَ مُمْكِنًا لَمَا ذهبوا يطْلُبون ذلك ، فدلَّ على أنَّها فى الأرضِ لا فى السماءِ . واللهُ تعالى أعلمُ .

قالوا : والاحتجاجُ بأنَّ الألفَ واللَّامَ فى قولِه : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٣٦/٥ . قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح غير عتى بن ضمرة وهو ثقة . المجمع ١٩٩/٨ .

(٢ - ٢) فى ح ، م ، ص : « يحيى » .

(٣ - ٣) فى م : « ومن خلفه من » .

وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ لم يتقدمْ عهدٌ يعودُ عليه ، فهو المعهودُ الذهْنىُّ مُسَلَّمٌ ، ولكنْ هو ما دَلَّ عليه سياقُ الكلامِ ، فإنَّ آدمَ خُلِق مِن الأرضِ ، ولم يُنْقَلْ أنه رُفِع إلى السماءِ . وخُلِق ليكونَ فى الأرضِ ، وبهذا أَعلَمَ الربُّ الملائكةَ حيث قال : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

قالوا : وهذا كقولِه تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [القلم : ١٧] . فالألفُ واللامُ ليس للعُمومِ ، ولم يتقدمْ معهودٌ لفظىٌّ ، وإنما هى للمعهودِ الذهنىِّ الذى دلَّ عليه السياقُ ، وهو البُستانُ .

قالوا : وذِكْرُ الهبوطِ لا يدُلُّ على النزولِ مِنَ السماءِ ، بل هو كقولِه تعالى : ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [هود : ٤٨] الآيةُ . [١/٤٥ظ] وإنما كان فى السفينةِ حينَ اسْتَقرَّت على الجُودِىِّ ، ونَضَبَ الماءُ عن وجهِ الأرضِ ، أُمِر أَنْ يهبِطَ إليها هو ومَن معه مُبارَكًا عليه وعليهم . وقال اللهُ تعالى : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة : ٦١] الآيةُ . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] الآيةُ . وفى الأحاديثِ واللغةِ مِن هذا كثيرٌ .

قالوا : ولا مانِعَ ، بل هو الواقعُ ، أنَّ الجنةَ التى أُسْكِنَها آدمُ كانت مرتفعةً عن سائرِ بقاعِ الأرضِ ، ذاتَ أشجارٍ ، وثمارٍ ، وظلالٍ ، ونعيمٍ ، ونَضْرَةٍ ، وسرورٍ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه : ١١٨] . أى لا يُذَلُّ باطنُك بالجوعِ ، ولا ظاهرُك بالعُرْىِ . ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٩] . أى ، لا يَمَسُّ باطنَك حرُّ الظمأِ ولا ظاهِرَك حرُّ الشمسِ ؛ ولهذا قَرَنَ بينَ هذا وهذا ، وبينَ هذا وهذا ؛ لِمَا بينَهما مِن المقابلةِ[1] . فَلَمَّا كان منه ما كان مِن أكْلِه مِنَ الشجرةِ التى نُهِىَ عنها ، أُهْبِطَ

---

(١) فى م ، ص : « الملاءمة » .

إلى أرضِ الشقاءِ ، والتعبِ ، والنَّصَبِ ، والكَدَرِ ، والسَّعيِ ، والنَّكَدِ ، والابتلاءِ ، والاختبارِ ، والامتحانِ ، واختلافِ السُّكَّانِ ؛ دِينًا ، وأخلاقًا ، وأعمالًا ، وقُصودًا[1] ، وإراداتٍ ، وأقوالًا ، وأفعالًا ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] . ولا يلزمُ مِن هذا أنَّهم كانوا فى السماءِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء : ٢٠٤] . ومعلومٌ أنَّهم كانوا فيها ، لم يكونوا فى السماءِ .

قالوا : وليس هذا القولُ مُفرَّعًا على قولِ مَن ينكرُ وجودَ الجنةِ والنارِ اليومَ[2] ، وَلا تلازُمَ بينَهما ، فكلُّ مَن حُكِيَ عنه هذا القولُ مِنَ السلفِ وأكثرِ الخلفِ مِمَّن يُثْبِتُ وجودَ الجنةِ والنارِ اليومَ ، كما دلَّت عليه الآياتُ والأحاديثُ الصِّحاحُ ، كما سيأتى إيرادُها فى موضِعِها ، واللهُ سُبحانَه وتعالى أعلمُ بالصوابِ .

وقولُه تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ [البقرة : ٣٦] . أى ؛ عنِ الجنةِ ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أى ، مِن النعيمِ ، والنَّضرةِ ، والسُّرورِ إلى دارِ التعبِ والكدِّ والنَّكدِّ ، وذلك بما وَسْوَسَ لهما ، وزيَّنه فى صدورِهما ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] . يقولُ : ما نهاكما عن أكْلِ هذه الشجرةِ إلَّا أنْ تكونا مَلَكين أو تكونا مِن الخالدين ، أى ، ولو أكلتما منها ، لصِرْتُما كذلك ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ أى ، حَلَفَ لهما على ذلك ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾

---

(١) فى ح : « وتصورًا » .

(٢) زيادة من : م .

[الأعراف : ٢١] . كما قال فى الآيةِ الأخرَى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . أى ؛ هل أدلُّك على الشجرةِ التى [٤٦/١و] إذا أكلْتَ منها حصل لك الخلدُ فيما أنتَ فيه مِن النَّعيمِ ، واستمررْتَ فى مُلْكٍ لا يَبِيدُ ولا ينقضِى ؟ وهذا مِن التغريرِ والتزويرِ والإخْبارِ بخلافِ الواقعِ . والمقصودُ أنَّ قولَه : ﴿ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ التى إذا أكَلْتَ منها خلدتَ .

وقد تكونُ هى الشجرةَ التى قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدَىٍّ ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبى الضَّحّاكِ ، سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ فى الجَنَّةِ شَجَرَةً يسيرُ الرَّاكِبُ فى ظِلِّها مِائةَ عَامٍ لا يقطَعُها ؛ شَجَرةَ الخُلْدِ » . وكذا رواه أيضًا ، عن غُنْدَرٍ وحجاجٍ ، عن شعبةَ[2] . ورواه أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ فى « مُسْنَدِه » ، عن شُعْبةَ أيضًا به[3] . قال غُنْدرٌ : قلتُ لشُعْبةَ : هى شجرةُ الخُلْدِ ؟ قال : ليس فيها « هى » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ .

وقولُه : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] . كما قال فى « طه » : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ وكانت حواءُ أكلت مِنَ الشجرةِ قبلَ آدَمَ ، وهى التى حَدَتْه[4] على أكلِها ،

---

(١) المسند ٤٦٢/٢ (صحيح الجامع ٢١٢١) .
(٢) المسند ٤٥٥/٢ .
(٣) مسند الطيالسى (٢٥٤٧) .
(٤) فى ا : « حدثته » .

واللهُ أعلمُ . وعليه يُحْمَلُ الحديثُ الذى رواه البخارىُّ[1] ، حدثنا بِشْرُ بنُ محمدٍ ، حدثنا عبدُ اللهِ ، أنبأنا مَعْمَرٌ ، عن هَمّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ ، عنِ النبىِّ ﷺ : « لولا بَنُو إسْرائيلَ لم يَخْنَزِ[2] اللحمُ ، ولولا حَوّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا » . تفرَّد به مِن هذا الوجهِ . وأخرجاه فى « الصحيحَين » مِن حديثِ عبدِ الرَّزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ[3] . ورواه أحمدُ ومسلمٌ ، عن هارونَ بنِ معروفٍ ، عن أبى وَهْبٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن أبى يونسَ ، عن أبى هريرةَ[4] .

وفى كتابِ « التَّوراةِ » التى بينَ أيدِى أهلِ الكتابِ ، أَنَّ الذى دَلَّ حواءَ على الأَكْلِ مِنَ الشجرةِ هى الحيةُ[5] ، وكانت مِن أحسنِ الأشكالِ وأعظمِها ، فأَكلتْ حواءُ عن قولِها وأطعمتْ آدمَ عليه السلامُ - وليس فيها ذِكْرٌ لإبليسَ - فعندَ ذَلك انْفَتَحَتْ أعينُهما وعَلِما أَنَّهما عُرْيانان ، فَوَصلا مِن ورقِ التِّينِ ، وعَمِلا مَآزِرَ ، وفيها أَنَّهما كانا عُرْيانَيْن . وكذا قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : كان لباسُهما [6]نورًا على فَرْجِه وفَرْجِها[6][7] .

وهذا الذى فى هذه « التوراةِ » التى بأيديهم غلطٌ منهم وتحريفٌ وخطأٌ فى التعريبِ ، فإنَّ نقْلَ الكلامِ مِن لغةٍ إلى لغةٍ لا يكادُ يتيسَّرُ لكلِّ أحدٍ ، ولاسِيَّما

---

(١) البخارى (٣٣٣٠) .

(٢) يخنز : ينتن .

(٣) البخارى (٣٣٩٩) ، مسلم (١٤٧٠) .

(٤) مسند أحمد ٣٠٤/٢ ، ٣١٥ ، ٣٤٩ . مسلم (١٤٧٠) .

(٥) كما فى سفر التكوين الأصحاح الأول (١ - ٥) .

(٦ - ٦) فى ا : « يوارى فرجهما » .

(٧) رواه الطبرى فى تفسيره ١٤٣/٨ ، وصحح ابن كثير إسناده . التفسير ٣٩٤/٣ .

مِمَّنْ لا يعرِفُ كلامَ العربِ جيدًا ، ولا يُحِيطُ علمًا بِفَهْمِ كِتابِه أيضًا ؛ فلهذا وَقَع فى تعريبِهم لها خَطَأٌ كثيرٌ ، لفظًا ومعنًى .

وقد دَلَّ القرآنُ العظيمُ على أنَّه كان عليهما لِباسٌ فى قولِه : ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا [٤٦/١ظ] لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . فهذا لا يُرَدُّ لغيرِه مِنَ الكلامِ ، واللهُ تعالى أعلمُ .

وقال ابنُ أبى حاتِمٍ[1] : حدثنا علىُّ بنُ الحسينِ ابنِ إشكابَ ، حدثنا علىُّ ابنُ عاصمٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قَتادَةَ ، عن الحسنِ ، عن أُبَىِّ ابنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ رجلًا طُوَالًا ، كثيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ ، كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ[2] ، فلَمَّا ذَاقَ الشجرةَ سقَط عَنه لباسُه ، فأَوَّلُ ما بدَا منه عورتُه ، فلَمَّا نظرَ إلى عورتِه جعلَ يَشْتَدُّ فى الجنةِ ، فَأَخَذَتْ شَعْرَهُ شجرةٌ فنازَعَهَا ، فناداه الرحمنُ عز وجل : يا آدمُ ، مِنِّى تَفِرُّ . فَلَمَّا سَمِعَ كلامَ الرحمنِ قال : يا ربِّ ، لا ، ولكنِ اسْتِحياءً » . وقال الثَّوْرِىُّ ، عنِ ابنِ أبِى ليلَى ، عنِ المِنهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] قال : ورقِ التينِ[3] . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إليه ، وكَأَنَّه مأخوذٌ مِن أهلِ الكتابِ . وظاهرُ الآيةِ يقتضِى أعَمَّ مِن ذلك ، وبتقديرِ تسليمِه ، فلا يضرُّ ، واللهُ تعالى أعلمُ .

وروى الحافِظُ ابنُ عَساكرَ[4] مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عنِ الحسنِ

---

(١) فى تفسيره ١٢٩/١ . وإسناده صحيح بمجموع طرقه . وفى متنه غرابة .

(٢) سحوق : طويلة .

(٣) تفسير الطبرى ١٤٢/٨ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٠٤/٧ .

ابنِ ذَكْوانَ ، عن الحسنِ البصريِّ ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أباكمْ آدمَ كان كالنخلةِ السَّحُوقِ ، سِتينَ ذِراعًا ، كثيرَ الشَّعْرِ ، مُوَارَىٰ العَوْرَةِ ، فَلَمَّا أَصَابَ الخطيئةَ فى الجنةِ بدَتْ له سَوْأَتُه ، فخرجَ مِن الجنةِ ، فَلَقِيَتْه شجرةٌ ، فَأَخذتْ بِناصِيَتِهِ ، فَنَادَاهُ رَبُّه : أفرارًا مِنِّى يا آدَمُ ؟ قال : بل حياءً منك واللهِ يارَبِّ ممّا جِئْتُ به » . ثم رواه مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبِى عَروبَةَ ، عن قتادةَ ، عنِ الحسنِ ، عن عُتىٍّ[1] بنِ ضَمْرَةَ ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه[2] . وهذا أَصَحُّ ، فإنَّ الحسنَ لم يُدرِكْ أُبَيًّا . ثم أورده أيضًا مِن طريقِ خَيْثَمَةَ بنِ سليمانَ الأطرابلسىِّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ أبى قِرْصافةَ العسقلانىِّ ، عن آدمَ بنِ أبى إياسٍ ، عن شَيْبَانَ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، مرفوعًا بنحوِه[3] .

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4] [الأعراف : ٢٢ ، ٢٣] . وهذا اعترافٌ ، ورُجوعٌ إلى الإنابةِ ، وتَذَلُّلٌ ، وخُضوعٌ ، واستكانةٌ ، وافتقارٌ إليه تعالى فى الساعةِ الرَّاهنةِ . وهذا السِّرُّ ما سَرَى فى أحدٍ مِن ذريتِه إلَّا كانت عاقبتُه إلى خيرٍ فى دُنْياه وأُخْراه .

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[5] [الأعراف : ٢٤] . وهذا [١/٤٧و] خطابٌ لآدمَ وحواءَ وإبليسَ .

---

(١) فى ح ، م ، ص : « يحيى » .

(٢) تاريخ دمشق ٧/٤٠٥ .

(٣) تاريخ دمشق ٧/٤٠٤ .

(٤) التفسير ٣/٣٩٣ .

(٥) التفسير ٣/٣٩٥ .

قيل : والحَيّةُ معهم . أُمِرُوا أن يهبِطوا مِنَ الجنةِ فى حالِ كونِهم مُتعادِين مُتَحاربين[1] . وقد يُسْتَشهَدُ لذِكْرِ الحيةِ معهما بما ثبتَ فى الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه أمر بِقَتْلِ الحيَّاتِ ، وقال : « ما سالَمْناهنَّ منذ حارَبْناهُنَّ »[2] .

وقولُه[3] فى سورةِ « طه » : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [طه : ١٢٣] . هو أمرٌ لآدمَ وإبليسَ [4]وما تناسل منهما عداوةً مستمرةً[4] ، واستتبع آدمَ حواءُ ، وإبليسَ الحيةُ[5] . وقيل : هو أمرٌ لهم بصيغةِ التثنيةِ[6] ، كما فى قولِه تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] . والصحيحُ أنَّ هذا لَمَّا كان الحاكِمُ لا يحكُمُ إلا بينَ اثنينِ ؛ مُدَّعٍ ، ومدَّعًى عليه ، قال : ﴿ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ . وأمَّا تكريرُه الإهْباطَ فى سورةِ « البقرة » فى قولِه : ﴿ وقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٦ - ٣٩] . فقال بعضُ المفسِّرين : المرادُ بالإهباطِ

---

(١) فى ا : « متباغضين » .

(٢) أبو داود (٥٢٤٨) ، مسند أحمد ٢٣٠/١ ، ٢٤٧/٢ ، ٤٣٢ ، ٥٢٠ ، (صحيح) .

(٣) التفسير ٣١٥/٥ .

(٤ - ٤) زيادة من : ا .

(٥) يناسب اقتران إبليس بالحية الحديث الذى ذكره المصنف عن الإمام أحمد - وتقدم ص ١٣٦ - أن ابن صياد رأى عرش إبليس وحوله الحيات .

(٦) فى ح : « التنبيه » .

الأولِ الهبوطُ مِنَ الجنةِ إلى السَّماءِ الدنيا ، وبالثانى مِنَ السَّماءِ الدُّنيا إلى الأرضِ . وهذا ضعيفٌ ؛ لقولِه فى الأولِ : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . فَدَلَّ على أنهم أُهبطُوا إلى الأرضِ بالإهباطِ الأولِ ، واللهُ أعلمُ . والصحيحُ أنه كرره لفظًا ، وإنْ كان واحدًا ، وناطَ مع كلِّ مرةٍ حُكْمًا ، فَنَاطَ بالأولِ عَداوتَهم فيما بينَهم ، وبالثَّانِى الاشْتراطَ عليهم ، أنَّ مَن تَبِعَ هُداه الذى يُنَزِّلُه عليهم بعدَ ذلك فهو السعيدُ ، ومَن خالفه فهو الشقىُّ . وهذا الأُسْلوبُ فى الكلامِ له نظَائِرُ فى القرآنِ الحكيمِ .

وروى الحافِظُ ابنُ عساكِرَ[1] ، عن مُجاهدٍ ، قال : أَمَرَ اللهُ مَلَكَيْن أَنْ يُخْرِجا آدمَ وحواءَ مِن جِوارِه ، فنزَع جبريلُ التَّاجَ عن رأسِه ، وحَلَّ مِيكائيلُ الإِكْلِيلَ عن جَبينِه ، وتعلَّقَ به غُصْنٌ ، فظنَّ آدمُ أنَّه قد عُوجِل بالعقوبةِ ، فَنَكَّس رأسَه يقولُ : العَفْوَ العَفْوَ . فقال اللهُ سبحانه : فِرارًا مِنِّى يا آدمُ ؟ قال : بل حَياءً منك يا سيدِى . وقال الأَوْزاعىُّ عن حسّانَ ، هو ابنُ عطيةَ : مَكَث آدمُ فى الجنةِ مائةَ عامٍ . وفى روايةٍ : ستين عامًا ، وبكى على الجنةِ سبعين عامًا ، وعلى خطيئتِه سبعينَ عامًا ، وعلى ولَدِه حين قُتِل أربعينَ عامًا . [٤٧/١ظ] رواه ابنُ عساكِرَ[1] .

وقال ابنُ أبى حاتِمٍ[2] : حدثنا أبو زُرْعةَ ، حدثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدثنا جريرٌ ، [3]عن عطاء[3] عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أُهْبِطَ آدمُ ،

---

(١) تاريخ دمشق ٤٠٩/٧ .

(٢) تفسير ابن أبى حاتم ١٣٢/١ بإسناد ضعيف .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم .

عليه السلامُ ، إلى أرضٍ يُقالُ لها: دَحْنا . بينَ مكةَ والطائفِ . وعن الحسنِ ، قال : أُهْبِط آدمُ بالهنْدِ ، وحواءُ بجُدَّةَ ، وإبليسُ بدَسْتِمَيْسانَ[1] ، مِنَ البصرةِ على أميالٍ ، وأُهْبِطَت الحيّةُ بأصبهانَ . رواه ابنُ أبى حاتِمٍ أيضًا[2] . وقال السُّدِّىُّ : نَزَلَ آدمُ بالهندِ ، ونَزَل معه بالحجرِ الأسودِ ، وبِقَبْضَةٍ مِن ورقِ الجنةِ ، فبثَّه فى الهندِ ، فنبتَتْ شجرةُ الطِّيبِ هناك[3] . وعن ابنِ عُمَرَ ، قال : أُهْبِطَ آدمُ بالصَّفا ، وحواءُ بالمَرْوَةِ . رواه ابنُ أبى حاتِمٍ أيضًا[4] .

وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[5] : قال مَعْمَرٌ : أخبرنى عوفٌ ، عن قَسامةَ بنِ زُهَيرٍ ، عن أبى موسى الأشْعَرىِّ ، قال : إنَّ اللهَ حينَ أَهْبَطَ آدمَ مِنَ الجنةِ إلى الأرضِ علَّمه صَنْعَةَ كلِّ شىءٍ ، وزوَّدَه مِن ثمارِ الجنَّةِ ، فثمارُكم هذه مِن ثمارِ الجنةِ ، غيرَ أنَّ هذه تتغيَّرُ ، وتلك لا تتغيَّرُ . وقال الحاكِمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[6] : أنبأنا أبو بكرٍ ابنُ بالُويَه ، عن محمدِ بنِ أحمدَ بنِ النضرِ ، عن معاويةَ بنِ عَمرٍو[7] ، عن زائدَةَ ، عن عمَّارِ بنِ أبى معاويةَ البَجَلىِّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما أُسْكِنَ آدمُ الجنةَ إلَّا ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى غُروبِ الشمسِ . ثم قال : صحيحٌ على شرطِ الشيخين ولم يُخْرِجاه .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[8] مِن حديثِ الزهرِىِّ ، عنِ الأعرجِ ، عن أبى

---

(١) فى ا : « بميسان » .

(٢) تفسير ابن أبى حاتم ١٣٢/١ . حديث غريب .

(٣) تفسير ابن أبى حاتم ١٣٣/١ . والخبر غريب . وإسناده فيه مقال .

(٤) تفسير ابن أبى حاتم ١٣١/١ . والخبر منقطع .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٤٣/١ ، ٤٤ .

(٦) المستدرك ٥٤٢/٢ . ووافقه الذهبى .

(٧) فى م : « عمر » .

(٨) مسلم (٨٥٤) .

هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « خيرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فيه الشمسُ يومُ الجُمُعَةِ ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ ، وفيه أُخْرِجَ منها » . وفى « الصحيحِ » مِن وجهٍ آخَرَ : « وفيه تَقُومُ السَّاعةُ » . وقال أحمدُ[1] : حدثنا محمدُ بنُ مُصْعبٍ ، حدثنا الأَوْزاعىُّ ، عن أبى عمَّارٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ فَرُّوخٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « خيرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيه الشمسُ يومُ الجُمُعَةِ ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ ، وفيه أُخْرِجَ منها ، وفيه تقومُ الساعةُ » . وإسنادُه على شرْطِ مسلمٍ .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه ابنُ عساكِرَ[2] مِن طريقِ أبى القاسمِ البغوىِّ ، حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ الوَركانىُّ ، حدثنا سعيدُ بنُ مَيْسرةَ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « هَبَطَ آدمُ وحواءُ عُرْيانَيْنِ جَمِيعًا ، عليهما ورَقُ الجنَّةِ ، فأَصَابَه الحَرُّ حتى قَعَدَ يَبْكِى ويقولُ لها : يا حواءُ ، قَدْ آذَانِى الحرُّ » . قال : « فَجَاءَه [٤٨/١و] جبريلُ بقُطْنٍ وأمَرها أَنْ تَغْزِلَ وعلمها ، وأَمَرَ آدَمَ بالحِياكةِ ، وعلَّمَه أَنْ يَنْسِجَ » . قال : « وكان آدمُ لم يُجامِعِ امْرَأَته فى الجَنّةِ حتى هَبَطَ منها ؛ للخطيئةِ التى أصابَتْهُما بأكلِهما من الشجرةِ » . قال : « وكان كلُّ واحدٍ منهما ينامُ على حِدَةٍ ؛ ينامُ أَحَدُهُما فى البَطْحاءِ ، والآخرُ مِن ناحِيَةٍ أُخْرى ، حتى أَتاه جبريلُ فَأَمَره أَنْ يَأْتِىَ أَهْلَه » . قال : « وعَلَّمَه كيفَ يَأْتِيها ، فَلَمَّا[3] أَتَاها جاءه جِبريلُ ، فقال : كيفَ وَجَدْتَ امرأَتَكَ ؟ قال : صالِحَةً » . فإنَّه حديثٌ غريبٌ ، ورَفْعُه مُنْكَرٌ جدًّا ، وقد يكونُ من كلامِ بعضِ السلفِ ، وسعيدُ بنُ مَيْسَرَةَ هذا ، هو أبو عِمرانَ البَكرىُّ البصرىُّ ، قال فيه البخارىُّ :

---

(١) مسند أحمد ٥٤٠/٢ ، (صحيح الجامع ٣٣٢٨) .

(٢) تاريخ دمشق ٤١٣/٧ . وقال السيوطى : سنده ضعيف . الدر المنثور ٥٧/١ .

(٣) فى ح ، ا : « فكلما » .

مُنْكَرُ الحديثِ . وقال ابنُ حِبانَ : يروِى الموضوعاتِ . وقال ابنُ عَدِىٍّ : مُظْلِمُ الأمرِ[1] .

وقولُه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧] . قِيل : هى قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . رُوِىَ هذا عن مُجاهدٍ ، وسعيدِ ابنِ جُبَيرٍ ، وأبى العاليةِ ، والربيعِ بنِ أنسٍ ، والحسنِ ، وقتادَةَ ، ومحمدِ ابنِ كعبٍ ، وخالدِ بنِ مَعْدَانَ ، وعطاءٍ الخُرَاسانىِّ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ ابنِ أسلمَ[2] . وقال ابنُ أبى حاتِمٍ[3] : حدثنا علىُّ بنُ [4]الحسينِ ابنِ إشكابَ[4] ، حدثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادَةَ ، عنِ الحسنِ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قال آدمُ عليه السلامُ : أَرَأَيْتَ يا رَبِّ إنْ تُبْتُ ورَجَعْتُ ، أَعائدِى إلى الجَنَّةِ ؟ قالَ : نَعَمْ » . فذلك قولُه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . وهذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وفيه انقطاعٌ .

وقال ابنُ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : الكلماتُ : اللهمَّ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك وبحمدِك ، ربِّ إنِّى ظلَمتُ نفسى ، فاغفِرْ لى إنَّك خيرُ الغافرين ، اللهمَّ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك وبحمدِك ، ربِّ إنِّى ظلمتُ نفسى فاغفرْ لى إنَّك خيرُ الرَّاحِمِين ، اللهمَّ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك وبحمدِك ، رَبِّ إنِّى ظلمتُ نفسى فَتُبْ علَىَّ ، إنَّك أنت التَّوابُ الرحيمُ[5] . وروى الحاكِمُ فى

---

(١) انظر الكامل لابن عدى ١٢٢٣/٣ . ولسان الميزان ٤٥/٣ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٤٣/١ - ٢٤٥ . التفسير ١١٦/١ .

(٣) فى تفسيره ١٣٥/١ .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح ، ا : « الحسن بن إشكاب » . وفى ص : « الحسين بن إسكاب » .

(٥) تفسير الطبرى ٢٤٤/١ ، ٢٤٥ .

« مُسْتَدْرَكِه »[1] ، مِن طريقِ سَعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قال : قال آدمُ : يا ربِّ ، ألم تَخْلُقنى بيدِك ؟ قِيل له : بَلَى . ونَفخْتَ فِيَّ مِن رُوحِك ؟ قِيل له : بلى . وعَطَسْتُ ، فقلْتَ : يرحَمُك اللهُ ، وسبقَتْ رَحْمَتُك غَضَبَك ؟ قيل له : بلى . [2]وكَتَبْتَ علَيَّ أن أعملَ هذا ؟ قيل له : بلى[2] . قال : أفرأيْتَ إنْ تُبتُ ، هل أنت راجِعِى إلى الجنَّةِ ؟ [١/٤٨ظ] قال : نعم . ثم قال الحاكمُ : صحيحُ الإسنادِ ولم يُخرجاه . وروَى الحاكِمُ أيضًا ، والبَيْهقىُّ ، وابنُ عساكِرَ[3] مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عمرَ بنِ الخطَّابِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لمَّا اقترفَ آدمُ الخطيئةَ ، قال : يا ربِّ ، أسألُك بحقِّ محمدٍ ألَّا غَفَرْتَ لى ! فقال اللهُ : فكيفَ عرفْتَ محمدًا ولم أَخْلُقْه بعدُ ؟ فقال : يا ربِّ ، لأنك لَمَّا خَلَقْتَنِى بيدِك ونفخْتَ فِيَّ مِن رُوحِك رفَعْتُ رأسى فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا : لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ اللهِ ، فعلِمْتُ أنَّك لم تُضِفْ إلى اسمِك إلَّا أحبَّ الخَلْقِ إليك . فقال اللهُ : صدقْتَ يا آدَمُ ، إنَّه لأحبُّ الخلقِ إلىَّ ، وإذْ سَألْتَنِى بحقِّه فَقَدْ غفرْتُ لك ، ولولا محمدٌ ما خَلَقْتُك » . قال البَيْهَقِىُّ : تفرَّد به عبدُ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ ، مِن هذا الوجهِ ، وهو ضعيفٌ ، واللهُ أعلمُ . وهذه الآيةُ كقولِه تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ٢١ ، ٢٢] .

---

(١) المستدرك ٢/٥٤٥ . ووافقه الذهبى .

(٢ - ٢) ليس فى المستدرك .

(٣) المستدرك ٢/٦١٥ وقال الذهبى : رواه عبد الله بن مسلم الفهرى ولا أدرى من ذا . دلائل النبوة للبيهقى . ٥/٤٨٨ ، تاريخ دمشق ٧/٤٣٧ . وهو حديث موضوع (السلسلة الضعيفة ٢٥) .

ذِكْرُ احتجاجِ آدمَ وموسَى [1] عَلَيهما الصلاةُ والسَّلامُ [1]

قال البخاريُّ[2] : حدثنا قُتَيْبةُ ، حدثنا أيوبُ بنُ النَّجَّارِ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « حاجَّ موسَى آدمَ ، عليهما السَّلامُ ، فقال له : أنتَ الذى أخْرَجْتَ الناسَ مِن الجنةِ بِذَنْبِكَ وأَشْقَيْتَهُمْ ؟ قال آدمُ : يا موسَى ، أنتَ الذى اصطفاكَ اللهُ برسَالاتِه وبكلامِه ! أَتَلُومُنِى على أمرٍ كَتَبه اللهُ علىَّ قبلَ أن يَخْلُقَنِى - أَوْ - قدَّره علىَّ قبل أن يَخْلُقَنِى ؟ » . قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « فَحَجَّ آدمُ مُوسَى » . وقد رواه مسلمٌ عن عمرٍو الناقدِ ، والنَّسائىُّ عن محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ ، عن أيوبَ بنِ النَّجارِ به[3] . قال أبو مسعودٍ الدِّمشقىُّ : ولم يُخَرِّجا[4] عنه فى « الصحيحين » سِواه[5] . وقد رواه أحمدُ[6] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عَن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، ورواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرَّزاقِ به .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدثنا أبو كامِلٍ ، حدثنا إبراهيمُ ، حدثنا ابنُ شهابٍ[8] ، عن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال

(١ - ١) فى م ، ص : « عليهما السلام » .

(٢) البخارى (٤٧٣٨) .

(٣) مسلم (٢٦٥٢) ، النسائى (١١٣٢٩) .

(٤) فى م : « يخرجاه » .

(٥) انظر تحفة الأشراف ٦٥/١١ .

(٦) مسند أحمد ٣١٤/٢ ، وهو فى صحيح مسلم (٢٦٥٢) .

(٧) مسند أحمد ٢٦٤/٢ ، (صحيح) .

(٨) فى م ، ص : « أبو شهاب » .

رسولُ اللهِ ﷺ : « احتَجَّ آدمُ ومُوسى ، فقال له موسى : أَنت آدمُ الذى أخرجَتْك خطيئَتُكَ مِن الجنةِ ؟ فقال له آدمُ : وأنت موسى الذى اصْطفاكَ اللهُ برسالاتِه وبكلامِه ؟ تَلُومُنِى على أمرٍ قُدِّرَ عَلَىَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ » . قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « فَحَجَّ آدمُ موسى ، فَحَجَّ آدمُ موسى » مرتين . [١/٤٩و] قلْتُ : وقد روَى هذا الحديثَ البخاريُّ ومسلمٌ[١] ، مِن حديثِ الزهريِّ ، عن حُميدِ ابنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ نحوَه .

وقال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، حدثنا زائدةُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « احْتَجَّ آدَمُ وموسى ، فقال موسى : يا آدمُ ، أَنتَ الذى خلقكَ اللهُ بيَدِه ، ونفخَ فِيكَ مِنْ رُوحِه ، أَغْوَيْتَ الناسَ ، وأَخْرَجْتَهُمْ مِن الجنةِ » . قال : « فقال آدمُ : وأنتَ موسى الذى اصْطفاكَ اللهُ بكلامِه ، تلُومُنِى على عَمَلٍ أعملُه كَتَبَه اللهُ علىَّ قبلَ أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ ؟ » قال : « فَحَجَّ آدمُ موسى » . وقد رواه التِّرمذىُّ ، والنَّسائىُّ[٣] جميعًا ، عن يحيى بنِ حبيبِ [٤]بنِ عَرَبىٍّ[٤] ، عن مُعْتَمِرِ[٥] ابنِ سليمانَ ، عن أبيه ، عنِ الأَعْمشِ به . قال التِّرمذىُّ : وهو غريبٌ مِن حديثِ سليمانَ التيمىِّ ، عن الأَعْمشِ . قال : وقد رواه بعضُهم عنِ الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ [٦]عن أبى هريرةَ . قال : وقد رواه بعضُهم عن أبى صالحٍ[٦] ، عن أبى سعيدٍ . قلتُ : هكذا رواه الحافِظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مُسْندِه »[٧] عن

---

(١) البخارى (٣٤٠٩) ، مسلم (٢٦٥٢) .

(٢) مسند أحمد ٣٩٨/٢ .

(٣) الترمذى (٢١٣٤) ، والنسائى (١١٤٤٣) .

(٤ - ٤) فى النسخ : « بن عدى » . والتصويب من سنن النسائى والترمذى . وانظر تهذيب التهذيب ١٩٥/١١ .

(٥) فى الأصل ، ح ، م : « معمر » .

(٦ - ٦) زيادة من : ا .

(٧) كشف الأستار (٢١٤٧ ، ٢١٤٨) .

محمدِ بنِ مُثَنَّى ، عن مُعاذِ بنِ أسدٍ ، عنِ الفَضْلِ بنِ موسى ، عنِ الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ . ورواه البَزَّارُ أيضًا : حدثنا عمرُو ابنُ علىٍّ الفَلَّاسُ ، حدثنا أبو معاويةَ ، حدثنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، أو أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ . فذكر نحوَه .

وقال أحمدُ[1] : حدثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، سمعَ طاووسًا ، سمع أبا هريرةَ ، يقولُ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « احتَجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : يا آدمُ ، أنتَ أبونا ، خَيَّبْتنا وأخرجتنا مِن الجنةِ . فقال له آدمُ : يا موسى ، أنتَ اصْطَفَاك اللهُ بكلامِه . وقال مَرَّةً : بِرِسَالَتِه ، وخَطَّ لَكَ بِيَدِه ؟ أَتَلُومُنِى على أمرٍ قَدَّرَه اللهُ علىَّ قَبْلَ أن يَخْلُقَنِى بأربعينَ سنةً ؟ » قال : « حَجَّ آدمُ موسى ، حَجَّ آدمُ موسى ، حَجَّ آدمُ مُوسى » . وهكذا رواه البخارىُّ[2] عن علىِّ ابنِ المَدِينىِّ ، حدثنا سفيانُ ، قال : حَفِظْناه مِن عمرٍو ، عن طاووسٍ ، قال : سمعتُ أبا هريرةَ عنِ النبىِّ ﷺ قال : « احتَجَّ آدمُ وموسى ، فقالَ موسى : يا آدمُ ، أنتَ أبونا ، خَيَّبْتَنا وأخرجتنا مِن الجنةِ . فقال له آدمُ : يا موسى ، اصطفاكَ اللهُ بكلامِه وخَطَّ لَكَ بِيَدِه ، أَتَلُومُنِى على أمرٍ قَدَّرَه اللهُ علَىَّ قبلَ أن يَخْلُقَنِى بأربعينَ سنةً ؟ فَحَجَّ آدمُ موسى ، فَحَجَّ آدمُ موسَى » . هكذا ثلاثًا . قال سفيانُ : حدثنا أبو الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عنِ النَّبِىِّ ﷺ مثلَه[3] . وقد رواه الجماعةُ إلا ابنَ ماجَه ، مِن عشْرِ طُرُقٍ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، [4]عن عبدِ اللهِ بنِ طاووسٍ ، عن أبيه[4] ، عن

---

(١) مسند أحمد ٢/٢٤٨ (صحيح) .

(٢) البخارى (٦٦١٤) .

(٣) انظر فتح البارى ١١/٥٠٦ .

(٤ - ٤) كذا بالنسخ وهى كذلك فى تحفة الأشراف ١٠/١٢٢ . وذِكْرُ عبد الله بن طاووس مقحم ولم يرد فى مصادر التخريج . فالله أعلم .

أبى هريرةَ ، عنِ النبىِّ ﷺ بنحوِه[1] .

وقال أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ الرحمنِ ، حدثنا حمادٌ ، عن عَمَّارٍ ، عن أبى هريرةَ ، عنِ النبىِّ ﷺ ، قال : « لَقِىَ آدمُ موسى ، فقال : أَنتَ آدمُ [٤٩/١ظ] الذى خلقَكَ اللهُ بِيَدِه ، وأَسْجَدَ لك ملائكَتَه ، وأَسْكَنَك الجَنةَ ، ثم فعلتَ ؟ فقال : أنت موسى الذى كلمك اللهُ واصطفاكَ برسالتِه ، وأنزلَ عليكَ « التوْراةَ » ؟ أنا أَقْدمُ أَمِ الذِّكْرُ ؟ قال : لا ، بل الذِّكْرُ . فحَجَّ آدمُ موسَى » . قال أحمدُ : وحدثنا عفَّانُ ، حدثنا حَمادٌ ، عن عمّارِ بنِ أبى عمارٍ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ . وحميدٌ عنِ الحسنِ ، عن رُجُلٍ ، قال حمادٌ : أظنُّه جُنْدَبَ بنَ عبدِ اللهِ البَجَلىَّ ، عنِ النبىِّ ﷺ ، قال : « لَقِىَ آدمُ موسى » . فذكر معناه . تفرَّدَ به أحمدُ مِن هذا الوجهِ[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدثنا حُسينٌ[4] ، حدثنا جريرٌ ، هو ابنُ حازِمٍ ، عن محمدٍ ، هو ابنُ سِيرِينَ ، عن أبى هُريرَةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَقِىَ آدمُ موسى ، فقالَ : أنتَ آدمُ الذى خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِه وأَسْكَنَكَ جَنَّتَه ، وأَسْجَدَ لكَ مَلائِكَتَه ، ثم صَنَعْتَ ما صَنَعْتَ ؟ قالَ آدمُ : يا موسى ، أَنتَ الذى كَلَّمَه اللهُ ، وأنزلَ عليه « التوراةَ » ؟ قال : نَعَمْ . قال فهلْ تَجِدُه مَكتوبًا عَلَىَّ قَبلَ أن أُخْلَقَ ؟ قال : نعم . قال : فَحَجَّ آدمُ موسى ، فَحَجَّ آدمُ موسى » . وكذا رواه حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ وهشامٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ ،

---

(١) البخارى (٦٦١٤) ، مسلم (٢٦٥٢) ، أبو داود (٤٧٠١) ، النسائى (١١١٨٧) ، ابن ماجه (٨٠) .

(٢) مسند أحمد ٤٦٤/٢ .

(٣) مسند أحمد ٣٩٢/٢ .

(٤) فى ح : « حسين المعلم » . وفى م : « الحسن » . وهو حسين بن محمد بن بهرام التميمى شيخ الإمام أحمد . تهذيب التهذيب ٣٦٦/٢ .

رفَعَه . وكذا رواه عليُّ بنُ عاصِمٍ ، عن خالدٍ وهشامٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ . وهذا على شرطِهما مِن هذه الوجوهِ[1] .

وقال ابنُ أبى حاتِمٍ : حدثنا يونسُ بنُ عبدِ الأَعْلى ، أنبأنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى أنسُ بنُ عِيَاضٍ ، عنِ الحارثِ بنِ أبى ذُبابٍ ، عن يزيدَ بنِ هُرْمُزَ : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَى عندَ ربِّهما ، فَحَجَّ آدمُ مُوسى ؛ قالَ مُوسى : أَنتَ الذى خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِه ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِه ، وأَسْجَدَ لَكَ ملائكتَه ، وأَسْكَنَكَ جنتَه ، ثم أَهْبَطْتَ النَّاسَ إلى الأرضِ بِخَطِيئَتِكَ ؟ قال آدمُ : أنت موسى الذى اصْطَفَاكَ اللهُ بِرسالَتِه وكلامِهِ ، وأعطاكَ الألواحَ فيها تِبْيَانُ كلِّ شيءٍ وقَرَّبَكَ نَجِيًّا ، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ « التوراةَ » ؟ قالَ موسى : بأربعينَ عامًا . قال آدَمُ : فهل وجدتَ فيها : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ ؟ قال : نَعَمْ . قال أَفَتَلُومُنِى عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قبلَ أن يَخْلُقَنِى بأَربعينَ سنةً ؟ » . قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » . قال الحارِثُ : وحدثنى عبدُ الرحمنِ ابنُ هُرْمُزَ بذلك عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ . وقد رواه مسلمٌ[2] عن إسحٰقَ بنِ موسى الأنصاريِّ ، عن أنسِ بنِ عِياضٍ ، عنِ الحارثِ [١/٥٠و] ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ذُبابٍ ، عن يزيدَ بنِ هُرْمُزَ والأَعْرَجِ ، كلاهما عن أبى هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ بنحوِه .

وقال أحمدُ[3] : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « احتَجَّ آدمُ وموسَى ،

---

(١) تاريخ دمشق ٧/٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) مسلم (٢٦٥٢) .

(٣) مسند أحمد ٢/٢٦٨ (صحيح) .

فقال موسَى لِآدمَ : يا آدمُ ، أنتَ الذى أَدْخَلْتَ ذُرِّيَّتَكَ النارَ ؟ فقال آدمُ : يا موسى ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسالاتِه وبكلامِه ، وأنزلَ عليكَ « التَّوراةَ » ، فهل وجدتَ أنِّى أَهْبِطُ ؟ قال : نَعَمْ » . قال : « فَحَجّه آدَمُ » . وهذا على شَرْطِهما ، ولم يُخَرِّجاه مِن هذا الوجهِ . وفى قولِه : « أَدْخَلْتَ ذرِّيتَك النارَ » . نَكارةٌ .

فهذه طُرُقُ هذا الحديثِ عن أبى هريرةَ ، رواه عنه حُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، وذَكْوانُ أبو صالحٍ السَّمانُ ، وطاوُوسُ بنُ كَيْسانَ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ هُرْمُزَ الأعرجُ ، وعمّارُ بنُ أبى عمَّارٍ ، ومحمدُ بنُ سِيرِينَ ، وهَمَّامُ بنُ مُنَبِّهٍ ، ويزيدُ ابنُ هُرْمُزَ ، وأبو سلمةَ بنُ عبد الرحمنِ .

وقد رواه الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصلىُّ فى « مُسْنَدِه »[1] مِن حديثِ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ ، رَضِىَ اللهُ عنه ، فقال : حدثنا الحارِثُ بنُ مِسْكِينٍ المصرىُّ ، حدثنا عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ ، أخبرنى هشامُ بنُ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيه ، عن عمرَ بنِ الخطابِ ، عنِ النبىِّ ﷺ ، قال : « قال موسى عليه السَّلامُ : يا ربِّ ، أَرِنَا آدمَ الذى أَخْرَجَنَا ونَفْسَه مِن الجَنةِ . فأَرَاهُ آدمَ عليهِ السلامُ ، فقال : أنتَ آدمُ ؟ فقال له آدمُ : نعم . قال : أنتَ الذى نَفَخَ اللهُ فيكَ من رُوحِهِ ، وأَسْجَدَ لك ملائكتَه ، وعَلَّمَكَ الأسماءَ كُلَّها ؟ قال : نَعَم . قال : فما حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا ونَفْسَكَ مِن الجنةِ ؟ فَقَالَ له آدمُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا موسى . قال : أنتَ موسى نَبىُّ بنى إسرائيلَ ؟ أنتَ الذى كَلَّمَكَ اللهُ من ورَاءِ الحجابِ فلم يجعلْ بَيْنَكَ وبَيْنَه رسولًا من خَلْقِه ؟ قال : نَعَم . قال : تَلُومُنِى عَلَى أَمْرٍ قَدْ سَبَقَ من اللهِ عز وجل القضاءُ به قَبْلُ ؟! » قال رسولُ اللهِ ﷺ : « فَحَجّ آدمُ موسى ، فَحَجّ آدمُ موسى » . ورواه أبو داودَ[2] ، عن أحمدَ بنِ صالحٍ المصرىِّ ، عن ابنِ وَهْبٍ به . قال

---

(١) مسند أبى يعلى (٢٤٣) إسناده جيد .

(٢) أبو داود (٤٧٠٢) .

أبو يَعْلَى[1] : وحدثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، حدثنا عبدُ الملكِ بنُ الصبَّاحِ المِسْمَعِيُّ ، حدثنا عِمرانُ ، عنِ الرُّدَيْنِيِّ بنِ[2] أبى مِجْلَزٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمُرَ ، عنِ ابنِ عمرَ ، عن عمرَ - قال أبو محمدٍ : أكْثَرُ[3] ظَنِّى أنه رفَعَه - قال : « الْتَقَى آدمُ وموسى ، قال موسى لآدمَ : أنتَ أبو النَّاسِ[4] ، أَسْكَنَكَ اللهُ جنتَه ، وأسجَدَ لك ملائكتَه . قال آدمُ : يا موسى ، أَمَا تَجِدُه عَلَيَّ[5] مَكْتُوبًا ؟ » قال : « فَحَجَّ آدمُ مُوسَى ، [١/٥٠ظ] فَحَجَّ آدمُ موسى » . وهذا الإسْنادُ أيضًا لا بأْسَ به ، واللهُ أعلمُ .

وقد تقدَّم روايةُ الفَضْلِ بنِ موسى لهذا الحديثِ ، عنِ الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ . وروايةُ الإمامِ أحمدَ له ، عن عفانَ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن حُمَيدٍ ، عنِ الحسنِ ، عن رجلٍ . قال حَمَّادٌ : أَظُنُّه جُنْدَبَ بنَ عبدِ اللهِ البَجَلِيَّ ، عنِ النبىِّ ﷺ : « لَقِى آدَمُ مُوسَى » . فذكَر معناه[6] .

وقد اختلفتْ مسالِكُ الناسِ فى هذا الحديثِ ، فرَدَّه قومٌ مِنَ القدريةِ ؛ لِما تضمَّنَ مِن إثْباتِ القَدَرِ السابقِ . واحتجَّ به قومٌ من الجبريةِ ، وهو ظاهِرٌ لهم بادِىَ الرأىِ ؛ حيثُ قال : « فحجّ آدمُ موسى » . لَمَّا احتَجَّ عليه بِتَقْديمِ كتابِه ، وسيأتى الجوابُ عن هذا . وقال آخرون : إنَّما حَجَّه ؛ لأنَّه لامَه على ذنبٍ قد تابَ منه ، والتَّائبُ مِنَ الذنبِ كمن لا ذنبَ له . وقيل : إنما حَجَّه ؛ لأنَّه

---

(١) مسند أبى يعلى (٢٤٤) .

(٢) فى م ، ص : « عن » .

(٣) فى النسخ : « أكبر » . والمثبت من مسند أبى يعلى .

(٤) فى م ، ص : « البشر » .

(٥) ليست فى مسند أبى يعلى .

(٦) تقدم بهذه الأسانيد فى صفحة ١٩٢ - ١٩٥ .

أكْبَرُ منه وأقْدمُ . وقِيل : لأنَّه أبوه . وقِيل : لأنَّهما فى شريعتين مُتَغايرتين . وقيل : لأنَّهما فى دارِ البَرْزَخِ وقد انقطع التكليفُ فيما يزعمونه .

والتحقيقُ ، أنَّ هذا الحديثَ رُوِىَ بألْفاظٍ كثيرةٍ بعضُها مروىٌّ بالمعنَى وفيه نظَرٌ ، ومدارُ معظمِها فى « الصحيحين » وغيرِهما ، على أنَّه لامَه على إخْراجِه نَفْسَه وذُرِّيَّتَه من الجنةِ ، فقال له آدَمُ : أنَا لم أُخْرِجْكم ، وإنَّما أخْرَجَكُم الذى رتَّب الإخراجَ على أكلِى مِن الشجرةِ ، والذى رتَّب ذلك ، وقدَّره ، وكتَبه علىَّ قبلَ أنْ أخْلَقَ ، هو اللهُ عزَّ وجلَّ ، فأنت تلومُنى على أمرٍ ليس له نسبةٌ إلىَّ أكثرَ ما أنِّى نُهيتُ عن الأكلِ من الشجرةِ ، فأكلْتُ منها ، وكَوْنُ الإخراجِ مترَتِّبًا على ذلك ليس مِن فِعْلِى ، فأنَا لم أُخْرِجْكُم ولا نَفْسِى من الجنةِ ، وإنما كان هذا مِن قَدَرِ[1] اللهِ وصُنْعِه ، وله الحكمةُ[2] فى ذلك ؛ فلهذا حَجَّ آدمُ موسى .

ومن كذَّب بهذا الحديثِ فمُعانِدٌ ؛ لأنَّه متواترٌ عن أبى هريرةَ ، رضىَ اللهُ عنه ، وناهِيك به عَدَالةً ، وحِفْظًا ، وإتْقانًا . ثم هو مَرْوِىٌّ عن غيرِه مِن الصَّحابةِ ، كما ذكرنا . ومَن تَأَوَّلَه بتلك التَّأْويلاتِ المذكورةِ آنِفًا ، فهو بعيدٌ مِن اللَّفظِ والمعنَى ، وما فيهم مَن هو أقْوَى مَسْلَكًا مِن الجَبْرِيَّةِ . وفيما قالوه نظرٌ مِن وجوهٍ ؛ أحدُها ، أنَّ موسى ، عليه السلامُ ، لا يلومُ على أمْرٍ قد تاب منه فاعلُه . الثانى ، أنَّه قد قتل نَفْسًا ، لم يُؤْمَرْ بقَتْلِها ، وقد سأَلَ اللهَ فى ذلك بقولِه : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ ﴾ [القصص : ١٦] الآيةُ . الثالثُ ، أنَّه لو كان الجوابُ عنِ اللَّوْمِ على الذنْبِ بالقَدَرِ المُتَقَدِّمِ كتابتُه على العبدِ ، لانفتَح هذا لكلِّ مَن لِيمَ على أمرٍ قد فعلَه ، فيحتجُّ بالقَدَرِ السابقِ ،

---

(١) فى م ، ص : « قدرة » .

(٢) فى ح : « الحكم » .

فينْسَدُّ بابُ القِصاصِ والحدودِ ، ولو كان القَدَرُ حُجَّةً ، لاحتَجَّ [١/٥١و] به كلُّ أحدٍ فى الأُمورِ الكِبارِ والصغارِ ، وهذا يُفْضِى إلى لوازمَ فظيعةٍ ؛ فلهذا قال مَنْ قال مِن العلماءِ بِأنَّ جَوابَ آدمَ إنَّما كان احْتِجاجًا بالقَدَرِ على المُصِيبةِ ، لا على المعصيةِ . واللهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ ، وهو حسبِى ونعمَ الوكيلُ .

ذكرُ الأحاديثِ الواردَةِ فى خلقِ آدمَ عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا يحيى ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، حدثنا عوفٌ ، حدثنى قَسامةُ بنُ زُهَيرٍ ، عن أبى موسى ، عنِ النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ مِن قَبْضَةٍ قَبَضَها مِنْ جَميعِ الأرضِ ، فجاءَ بَنُو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ ، فجاءَ منهُم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبينَ ذلك ، والخبيثُ ، والطَّيِّبُ ، والسَّهْلُ والحَزْنُ وبينَ ذلك » . ورواه أيضًا[2] عن هَوذَةَ ، عن عَوْفٍ ، عن قَسامةَ بنِ زُهَيرٍ ، سَمِعْتُ الأشْعَرِىَّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ من قَبْضَةٍ قبضها من جَميعِ الأرضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ ، فجاءَ منهُم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبينَ ذلك ، والسَّهْلُ والحَزْنُ وبَيْنَ ذلك ، والخبيثُ والطَّيِّبُ وبَيْنَ ذلك » . وكذا رواه أبو داودَ والتِّرْمذىُّ وابنُ حبانَ فى « صحيحِه » ، مِن حديثِ عَوْفِ بنِ أبى جَميلةَ الأعرابىِّ ، عن قَسامةَ بنِ زُهَيرٍ المازِنىِّ البصرىِّ ، عن أبى موسى عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ الأشْعرىِّ ، عنِ النبىِّ ﷺ بنحوِه[3] . وقال الترمذىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ .

وقد ذكر السُّدِّىُّ[4] ، عن أبى مالكٍ وأبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ[5] ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ، قالوا : فبعثَ اللهُ عز وجل جبريلَ فى الأرضِ ليأتِيَه بِطِينٍ منها ، فقالتِ الأرضُ : أعوذُ

---

(١) مسند أحمد ٤/٤٠٠ (صحيح الجامع ١٧٥٥) .

(٢) مسند أحمد ٤/٤٠٦ .

(٣) أبو داود (٤٦٩٣) ، الترمذى (٢٩٥٥) ، الإحسان (٦١٦٠) صحيح .

(٤) تفسير الطبرى ١/٢٠٣ . التفسير ١/١٠٩ .

(٥) فى ح : « قرة » .

باللهِ منك أَنْ تَنْقُصَ مِنِّى أو تُشِينَنى . فرجَعَ ولم يأخُذْ ، وقال : ربِّ إنَّها عاذتْ بك فأَعَذْتُها . فبعَث ميكائيلَ ، فعاذَتْ منه ، فأَعاذَها ، فرجَعَ ، فقال كما قال جبريلُ ، فبعَث مَلَكَ المَوْتِ ، فعاذَتْ منه ، فقال : وأنا أعوذُ باللهِ أَنْ أَرْجِعَ ولم أُنْفِذْ أمْرَه . فأخَذَ مِن وجهِ الأَرضِ وخلَطَه ، ولم يأخذْ مِن مكانٍ واحدٍ ، وأخَذ مِن تُرْبَةٍ بيضاءَ وحمراءَ وسوداءَ ؛ فلذلك خرَج بنو آدمَ مُخْتَلِفينَ ، فصعد به فَبَلَّ الترابَ حتى عادَ طِينًا لازِبًا ؛ واللازِبُ ، هو الذى يلْزَقُ بعضُه ببعضٍ ، ثم قالَ للملائِكَةِ : ﴿ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] . فخَلَقَه اللهُ بيدِه ؛ لئلَّا يَتَكَبَّرَ إبليسُ عنه ، فَخَلَقَه [١/٥١ظ] بَشَرًا ، فكانَ جسدًا من طينٍ أربعينَ سنةً مِن مقدارِ يومِ الجُمُعةِ ، فَمَرَّتْ به الملائِكةُ فَفَزِعُوا مِنه لَمَّا رَأَوْه ، وكان أَشَدُّهم منه فَزَعًا إبْليسَ ، فكانَ يَمُرُّ به فَيَضْرِبُه فيُصَوِّتُ الجسدُ كما يُصَوِّتُ الفَخَّارُ ، يكونُ له صَلْصَلَةٌ ، فذلك حينَ يَقولُ : ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] . ويقولُ : لأمرٍ ما خُلِقْتَ . ودخَل من فِيه وخرَج مِن دُبُرِه ، وقال للمَلائِكَةِ : لا تَرْهَبُوا مِن هذا ، فإنَّ ربَّكُم صَمَدٌ ، وهذا أَجْوَفُ ، لَئِن سُلِّطْتُ عليه لَأُهْلِكَنَّه . فَلَمَّا بلغَ الحينَ الذى يريدُ اللهُ عز وجل أَنْ ينفُخَ فيه الرُّوحَ قال للملائكةِ : إذا نَفَخْتُ فيه من رُوحِى فاسْجُدوا له . فلَمَّا نفَخَ فيه الرُّوحَ ، فدَخَل الرُّوحُ فى رأْسِه عَطَسَ ، فقالتِ الملائكةُ : قل : الحمدُ للهِ . فقال : الحمدُ للهِ . فقال له اللهُ : رَحِمَك ربُّكَ . فَلَمَّا دخَلَتِ الرُّوحُ فى عَيْنَيْه[1] نظر إلى ثمارِ الجنةِ ، فلَمَّا دخَلَت الرُّوحُ فى جَوْفِه اشْتَهَى الطعامَ ، فوثَبَ قبلَ أن تَبْلُغَ الرُّوحُ إلى رِجْلَيْه عَجْلانَ إلى ثمارِ الجنةِ ، وذلك حِينَ يقُولُ اللهُ تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] . ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾

---

(١) فى ا : « عنقه » .

[الحجر : ٣٠] . وذكَر تمامَ القِصَّةِ .

ولبعضِ هذا السِّياقِ شاهِدٌ مِن الأحاديثِ ، وإنْ كان كثيرٌ منه مُتَلَقًّى مِنَ الإسرائيلياتِ ، فقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الصمدِ ، حدثنا حمادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ النبيَّ ﷺ ، قال : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ ترَكه ما شَاءَ أن يَدَعَه فجعَل إبليسُ يُطِيفُ به ، فَلَمَّا رآه أجْوفَ عَرَفَ أنَّه خَلْقٌ لا يَتَمَالَكُ » . وقال ابنُ حِبَّانَ[2] فى « صحيحِه » : حدثنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ ، حدثنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لَمَّا نُفِخَ فى آدَمَ فَبَلَغَ الرُّوحُ رَأْسَه عَطَسَ ، فقال : الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ . فقال له تباركَ وتعالى : يَرْحَمُكَ اللهُ » .

وقال الحافِظُ أبو بكرٍ البَزّارُ[3] : حدثنا يحيى بنُ محمدِ بنِ السَّكَنِ ، حدثنا حَبّانُ بنُ هلالٍ ، حدثنا مباركُ بنُ فَضالةَ ، عن عُبَيدِ اللهِ ، عن حبيبٍ ، عن حفصٍ ، هو ابنُ عاصمِ بنِ عُبَيدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، عن أبى هريرةَ رَفَعَه ، قال : « لَمَّا خلَق اللهُ آدَمَ عَطَسَ ، فقالَ : الحمدُ للهِ . فقال له ربُّه : رَحِمَكَ رَبُّكَ يا آدمُ » . وهذا الإسنادُ لا بأسَ به ، ولم يخرِّجوه .

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لَمَّا أُمِرت الملائكةُ بالسجودِ ؛ كان أولَ مَن سَجَدَ مِنْهم إسرافيلُ ، فأثابه[4] اللهُ أنْ كَتَبَ القرآنَ فى جَبْهَتِه . رواه ابنُ عساكِرَ[5] .

---

(١) مسند أحمد ١٥٢/٣ ، إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) الإحسان (٦١٦٥) ، إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) لم نجده فى كشف الأستار ، وأخرجه الترمذى (٣٣٦٨) مطولًا ، وابن حبان (٦١٦٧) مطولًا ، من وجه آخر ، وإسناده قوى على شرط مسلم .

(٤) فى ح : « فأتاه » .

(٥) تاريخ دمشق ٣٩٨/٧ .

[٥٢/١و] وقال الحافِظُ أبو يَعلَى[1] : حدثنا عقبةُ بنُ مكرمٍ ، حدثنا عمرُو بنُ محمدٍ ، عن إسمعيلَ بنِ رافِعٍ ، عن المقبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ اللهَ خلَق آدمَ مِن ترابٍ ، ثم جَعَلَه طِينًا ، ثم ترَكَه حتى إذا كان حَمَأً مَسْنُونًا خَلَقَه وصوَّرَه ، ثم تَرَكه حتى إذا كان صَلْصالًا كالفَخّارِ » . قال : « فكان إبليسُ يَمُرُّ به ، فيقولُ : لقد خُلِقْتَ لأمْرٍ عظيمٍ . ثم نفخَ اللهُ فيه مِن رُوحِه فكان أولَ ما جَرَى فيه الرُّوحُ[2] بَصَرُه وخَياشِيمُه ، فَعَطَس فلقَّاه اللهُ رحمةَ ربِّه ، فقال اللهُ : يَرْحَمُك رَبُّك . ثم قال اللهُ : يا آدمُ ، اذْهَبْ إلى هؤلاءِ النَّفَرِ فقُلْ لهم ، فانْظُرْ ماذا يقولون . فجاء فسَلَّم عليهم ، فَقَالوا : وعليكَ السلامُ ورَحْمَةُ اللهِ وبركاتُه . فقال : يا آدَمُ ، هذا تحيَّتُك وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِك . قال : يا رَبِّ ، وما ذُرِّيَّتِى ؟ قال : اخْتَرْ يدىَّ يا آدَمُ . قال : أَخْتَارُ يَمِينَ رَبِّى ، وكِلْتَا يَدَىْ ربى يَمِينٌ . وبَسَطَ كَفَّه ، فإذا مَنْ هو كائِنٌ مِن ذُرِّيَّتِه فى كفِّ الرَّحمنِ ، فَإذا رِجالٌ مِنْهم أفْواهُهُم النُّورُ ، فإذا رجُلٌ يُعْجِبُ آدمَ نُورُه ، قال يا ربِّ ، مَن هذا ؟ قال : ابنُكَ دَاودُ . قال : يا ربِّ ، فكَمْ جعلْتَ له مِن العُمُرِ ؟ قال : جَعَلْتُ له ستِّينَ . قال : يا ربِّ ، فَأَتِمَّ له مِن عُمُرِى حتى يَكُونَ له مِن العُمرِ مِائَةُ سَنَةٍ . فَفَعَل اللهُ ذلك ، وأُشْهِدَ على ذلك . فَلَمَّا نَفَدَ عُمُرُ آدمَ بعَثَ اللهُ مَلَكَ الموتِ ، فقَال آدمُ : أَوَ لَمْ يَبْقَ مِن عُمُرِى أربعونَ سنةً ؟ قال له الملَكُ : أَوَ لَم تُعْطِها ابْنَكَ داودَ ؟ فَجَحَدَ ذلكَ ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه ، ونَسِىَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُه » . وقد رواه الحافِظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ ، والتِّرْمذىُّ ، والنَّسائىُّ فى اليومِ والليلةِ[3] ، مِن حديثِ صَفْوانَ بنِ عيسى ، عن الحارثِ بنِ

---

(١) مسند أبى يعلى (٦٥٨٠) ، إسناده ضعيف .

(٢) فى ص : « الريح » .

(٣) الترمذى (٣٣٦٨) ، النسائى فى الكبرى (١٠٠٤٦) مختصرا .

عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ذُبابٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ عن النبىِّ ﷺ . وقال الترمذىُّ : حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجهِ . وقال النَّسائىُّ : هذا حديثٌ مُنْكَرٌ . وقد رواه محمدُ بنُ عجلانَ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ ، قولَه[1] .

وقد رواه [2]أبو حاتِمٍ ابنُ حِبّانَ[2] فى « صحيحِه »[3] فقال : حدثنا محمدُ ابنُ إسحاقَ بنِ خُزَيْمَةَ ، حدثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدثنا صَفْوانُ بنُ عيسى ، حدثنا الحارثُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ذُبابٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ ونَفَخَ فيه الرُّوحَ عطَسَ ، فقالَ : الحمدُ للهِ . فحَمِدَ اللهَ بإذْنِ [١/٥٢ظ] اللهِ ، فقالَ له ربُّه : يَرْحَمُكَ رَبُّكَ ، يا آدمُ اذْهَبْ إلى أُولَئِكَ المَلَائِكَةِ - إلى مَلَإٍ منهُم جلُوسٍ - فَسَلِّمْ عَلَيْهِم . فقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُم . فقالوا : وعليْكُم السلامُ ورحمةُ اللهِ . ثم رجَع إلى ربِّه ، فقال : هذه تحيَّتُكَ وتحيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُم . وقال اللهُ ويداه مَقْبوضتان : اخْتَرْ أيَّهُما شِئْتَ . فقال : اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّى ، وكِلْتَا يَدَىْ رَبِّى يَمِينٌ مُبارَكَةٌ . ثم بَسَطَهُما ، فإذا فيهما آدمُ وذُرِّيَّتُه ، فقال : أى رَبِّ ، ما هؤلاءِ ؟ قال : هؤلاءِ ذُرِّيَّتُكَ . وإذا كلُّ إنسانٍ منهُم مكتوبٌ عُمُرُه بينَ عَيْنَيْه[4] ، وإذا فيهِم رجلٌ أَضْوَؤُهُم - أو : من أضْوئِهِم - لم يُكْتَبْ له إلَّا أربعونَ سنةً ، قال : يا ربِّ ، ما هذا ؟ قال : هذا ابنُكَ داودُ . وقد كتَبَ اللهُ عمُرَه أربعِينَ سنةً . قال : أى ربِّ ، زِدْ فى عُمُرِه . فقال : ذاكَ الذى كُتِب

---

(١) سقط من : م ، ا .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « أبو حاتم وابن حبان » . وفى ا : « ابن أبى حاتم وابن حبان » .

(٣) الإحسان (٦١٦٧) ، إسناده قوى على شرط مسلم .

(٤) فى ص : « يديه » .

له . قال : فإنِّى قَدْ جَعَلْتُ له مِن عُمُرِى ستينَ سنةً . قال : أنْتَ وذاك ، اسْكُنِ الجَنَّةَ . فسَكَنَ الجنةَ ما شاءَ اللهُ ، ثُمَّ أُهْبِطَ منها ، وكانَ آدمُ يَعُدُّ لنَفْسِه ، فأتَاه مَلَكُ المَوْتِ ، فقال له آدمُ : قد عَجِلْتَ ، قد كُتِبَ لى أَلْفُ سنةٍ . قال : بلى ولكنكَ جَعَلْتَ لابْنِكَ داودَ منها ستِّينَ سنةً . فَجَحَدَ آدمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه ، ونَسِىَ فَنَسِيَتْ ذُريتُه ، فيومئذٍ أُمِر بالكِتَابِ والشُّهُودِ » . هذا لَفْظُه .

وقال التِّرْمذىُّ[1] : حدثنا عبدُ بنُ حُمَيْدٍ ، حدثنا أبو نُعَيْمٍ ، حدثنا هشامُ ابنُ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَه ، فَسَقَطَ مِن ظَهْرِه كُلُّ نَسَمَةٍ هو خَالِقُها مِن ذُرِّيَّتِه إلى يومِ القيامةِ ، وجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَىْ كلِّ إنسانٍ منهم وَبِيصًا من نُورٍ ، ثم عَرَضَهُم على آدمَ ، فقال : أىْ رَبِّ ، مَنْ هؤلاءِ ؟ قال : هؤُلاءِ ذُرِّيَّتُكَ . فرأى رجلًا منهم ، فأَعْجَبَه وَبِيصُ ما بَيْنَ عَيْنَيْه ، فقالَ : أىْ رَبِّ ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا رَجُلٌ مِن آخِرِ الأممِ مِن ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ له دَاودُ . قال : رَبِّ وَكَمْ جَعَلْتَ عُمُرَه ؟ قال : سِتِّينَ سَنَةً . قال : أى رَبِّ زِدْهُ مِن عُمُرِى أربعينَ سنةً . فَلَمَّا انقَضَى عُمُرُ آدمَ ، جاءَه مَلَكُ المَوْتِ ، قال : أَوَ لَمْ يَبْقَ مِن عُمُرِى أربعونَ سنةً ؟ قال : أَوَ لَمْ تُعْطِها ابْنَكَ داودَ ؟ » قال : « فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه ، ونَسِىَ آدمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُه ، وخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُه » . ثم قال التِّرْمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ ، وقد رُوِىَ مِن غيرِ وجهٍ ، عن أبى هريرةَ عن النبىِّ ﷺ . ورواه الحاكِمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[2] ، مِن حديثِ [١/٥٣و] أبى نُعَيْمٍ الفضلِ بنِ دُكينٍ ، وقال : صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخَرِّجاه . وروى ابنُ أبى حاتِمٍ[3] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ

---

(١) الترمذى (٣٠٧٦) ، (صحيح الجامع ٥٠٨٤) .

(٢) المستدرك ٣٢٥/٢ ووافقه الذهبى .

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١٤٢/٣ ، ١٤٣ . وعزاه لابن أبى حاتم . وإسناده ضعيف . العظمة (١٠٣٠) .

أسلمَ ، عن أبيه ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا ، فذكَره ، وفيه : « ثُمَّ عَرَضَهُمْ على آدمَ ، فقال : يا آدمُ ، هؤلاءِ ذُرِّيَّتُكَ . وإذا فيهم الأَجْذَمُ ، والأَبْرَصُ ، والأَعْمَى ، وأَنْواعُ الأَسْقامِ ، فقال آدَمُ : يا ربِّ ، لِمَ فَعَلْتَ هذا بِذُرِّيَّتِى ؟ قال : كَىْ تُشْكَرَ نِعْمَتِى » . ثم ذكَر قصةَ داودَ . وستأتى مِن روايةِ ابنِ عباسٍ أيضًا .

وقال الإمامُ أحمدُ فى « مُسْنَدِه »[1] : حدثنا الهَيْثَمُ بنُ خارجةَ ، حدثنا أبو الربيعِ ، عن يونسَ بنِ مَيْسَرةَ ، عن أبى إدريسَ ، عن أبى الدرداءِ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « خلَقَ اللهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَه ، فَضَرَبَ كَتِفَه اليُمْنَى ، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بيضاءَ كَأَنَّهُم الذَّرُّ ، وضَرَبَ كَتِفَه اليُسْرَى ، فأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سوداءَ كَأَنَّهُم الحُمَمُ ، فقالَ للذى فى يَمِينِه : إلى الجَنَّةِ ولا أُبَالِى . وقال للذى فى كَفِّه اليُسْرَى : إلى النَّارِ ولا أُبَالى » .

وقال ابنُ أبِى الدنيا[2] : حدثنا خَلَفُ بنُ هشامٍ ، حدثنا الحَكَمُ بنُ سِنانٍ ، عن حَوْشَبٍ ، عنِ الحسنِ ، قال : خَلَقَ اللهُ آدمَ حينَ خَلَقَه ، فَأَخْرَجَ أَهْلَ الجَنَّةِ مِن صَفْحَتِه اليُمْنَى ، وأَخْرَجَ أَهْلَ النارِ مِن صَفْحَتِه اليُسْرَى ، فَأَلْقُوا على وَجْهِ الأرضِ ؛ مِنهم الأَعْمَى ، والأَصَمُّ ، والمُبْتَلَى ، فقال آدَمُ : يا رَبِّ ، ألا سَوَّيْتَ بينَ وَلَدِى ؟ قالَ : يا آدمُ ، إنِّى أَرَدْتُ أَنْ أُشْكَرَ . وهكذا روى عبدُ الرزَّاقِ[3] ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ ، عنِ الحسنِ بنحوِه .

وقد قال البخارىُّ[4] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ ، حدثنا عبدُ الرزاقِ ،

---

(١) مسند أحمد ٦/٤٤١ ، (الصحيحة ٤٩) .

(٢) فى كتاب الشكر (١٦٥) .

(٣) فى تفسيره ٢/٢٤٢ .

(٤) البخارى (٣٣٢٦) .

أخبرنا مَعْمرٌ ، عن هَمّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ ، وطُولُه سِتُّون ذِراعًا ، ثم قال : اذْهَبْ فَسَلِّمْ على أُولئكَ من الملائكةِ ، فاسْتَمِعْ ما يُحيُّونك[1] ، فإنَّهَا تَحِيَّتُك وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِك . فقال : السلامُ علَيْكُم . فقالوا : السلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ . فزادُوه : ورَحْمَةُ اللهِ . فكُلُّ مَن يَدْخُلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ ، فلم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتَّى الآنَ » . وهكذا رواه البخاريُّ فى كتابِ الاستئذانِ عن يحيى بنِ جعفرٍ ، ومسلمٌ عن محمدِ ابنِ رافِعٍ ، كلاهما عن عبدِ الرَّزَّاقِ به[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا رَوحٌ ، حدثنا حَمّادُ بنُ سلمةَ ، عن عَلِىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « كانَ طُولُ آدَمَ سِتِّينَ ذراعًا فى سَبْعِ أَذْرُعٍ عَرْضًا » . انفرَد به أحمدُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عفّانُ ، حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن علىِّ بنِ [١/٥٣ظ] زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، قال : لَمَّا نزلَتْ آيةُ الدَّيْنِ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدمُ ، إنَّ[5] أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدمُ ، إنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدمَ ، ومسَح ظهرَهُ فَأَخْرَجَ منه ما هو ذارِئٌ[6] إلى يومِ القيامةِ ، فجعَل يَعْرِضُ ذُرِّيَّتَه عليه ، فرأَى فِيهِم رجلًا يَزْهَرُ ، قال : أى ربِّ ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا ابنُكَ داودُ . قال : أى ربِّ ، كم عمُرُه ؟ قال :

---

(١) فى م ، ص : « يجيبونك » .

(٢) البخارى (٦٢٢٧) ، مسلم (٢٨٤١) .

(٣) مسند أحمد ٥٣٥/٢ ، قال الهيثمى : إسناده حسن . المجمع ٣٩٩/١٠ .

(٤) مسند أحمد ٢٥١/١ ، (حسن لغيره) .

(٥) فى المسند : « أو » .

(٦) ذارئ : خالق .

ستونَ عَامًا . قال : أى ربِّ ، زِدْ فى عمرِه . قال : لا ، إلَّا أنْ أَزِيدَه مِنْ عُمُرِكَ . وكانَ عمُرُ آدمَ أَلفَ عامٍ ، فزادَه أَربعينَ عامًا ، فكتبَ اللهُ عَليه بذلك كتابًا وأشهدَ عليه الملائكةَ ، فَلَمَّا احْتُضِرَ آدمُ أَتَتْهُ الملائكةُ لتقبِضَه[1] قال : إنَّه قَدْ بَقِىَ مِن عُمُرِى أربعونَ عامًا . فَقِيلَ : إنكَ قد وَهَبْتَها لابْنِكَ داودَ . قال : ما فَعَلْتُ . وأَبْرَزَ[2] اللهُ عليه الكتابَ ، وشَهِدَتْ عليه الملائكةُ » .

وقال أحمدُ[3] : حدثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن علىِّ ابنِ زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أولَ مَن جَحَدَ آدمُ – قالها ثلاثَ مَرّاتٍ – إنَّ اللهَ عز وجل لَمَّا خَلَقَه مَسَحَ ظهرَه فأخرجَ ذريتَه ، فَعَرَضَهُم عليه ، فرأى فيهم رجلًا يَزْهَرُ ، قال : أى ربِّ ، زِدْ فى عمرِه . قال : لا ، إلَّا أنْ تَزِيدَه أنتَ مِن عمرِك . فزادَه أربعينَ سنةً مِن عمرِه . فَكَتَبَ اللهُ تعالى عليه كتابًا وأشهدَ عليه الملائكةَ ، فَلَمَّا أرادَ أنْ يَقْبِضَ رُوحَه قال : بَقِىَ مِنْ أجلِى أربعونَ سنةً . فقيلَ له : إنَّك قد جَعَلْتَهَا لابْنِكَ داودَ » .قال : « فَجَحَدَ » . قال : « فأَخْرَجَ اللهُ الكتابَ وأقامَ عليه البَيِّنَةَ فأتمّها لداودَ مائةَ سنةٍ ، وأتَمَّها لآدمَ عمرَه ألفَ سنةٍ » . تفرَّد به أحمدُ ، وعلىُّ بنُ زيدٍ فى حديثِه نَكارةٌ . ورواه الطَّبَرانىُّ[4] عن علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن حجاجِ بنِ مِنهالٍ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ عنِ ابنِ عباسٍ ، وغيرِ واحدٍ ، عنِ الحسنِ ، قال : لما نَزَلَتْ آيةُ الدَّيْنِ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أولَ مَنْ جَحَدَ آدمُ » . ثلاثًا . وذكَرَه .

---

(١) كذا فى : ا . وهو موافق لما فى المسند . وفى بقية النسخ : « لقبضه » .

(٢) فى ا : « فأبرز » .

(٣) مسند أحمد ٢٩٩/١ ، (حسن لغيره) .

(٤) المعجم الكبير (١٢٩٢٨) .

وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ فى « مُوَطَّئِه »[1] عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسَةَ ، أنَّ عبدَ الحميدِ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ أخْبره ، عن مُسْلمِ بنِ يَسَارٍ الجُهَنِىِّ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ سُئِل عن هذه الآيةِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] الآيةُ . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُسأَلُ [١/٥٤و] عنها ، فقال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عليه السلامُ ، ثم مَسَحَ ظهرَه بِيَمِينِه فاسْتَخْرَجَ منه ذُرِّيَّةً ، قال : خَلقْتُ هؤلاءِ للجنةِ وبعَمَلِ أهلِ الجنةِ يعملُون . ثم مَسَحَ ظَهْرَه فاسْتَخْرَجَ منه ذريةً ، قال : خلقتُ هؤلاءِ للنارِ وبعملِ أهلِ النارِ يعملُون » . فقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، ففيمَ العملُ ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا خَلَقَ اللهُ العبدَ للجنةِ ، استَعْمَلَه بعملِ أهلِ الجنةِ حتى يموتَ على عملٍ مِن أعمالِ أهلِ الجنةِ ، فيدخُلَ به الجنةَ ، وإذا خلقَ اللهُ العبدَ للنارِ ، استعملَه بعملِ أهلِ النارِ حتى يموتَ على عملٍ مِن أعمالِ أهلِ النارِ ، فيدخُلَ به النارَ » . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، وأبو داودَ ، والترمذىُّ والنسائىُّ ، وابنُ جريرٍ ، وابنُ أبى حاتِمٍ ، وأبو حاتِمٍ ابنُ حِبّانَ فى « صحيحِه » مِن طُرُقٍ ، عنِ الإمامِ مالكٍ به[2] . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ ، ومسلمُ بنُ يسارٍ لم يسمعْ عمرَ . وكذا قال أبو حاتمٍ وأبو زُرْعَةَ . زاد أبو حاتمٍ : وبينَهما نُعَيْمُ بنُ ربيعةَ . وقد رواه أبو داودَ[3] ، عن محمدِ بنِ مُصفًّى ، عن بقيةَ ، عن عمرَ بنِ جُعْثُمٍ[4] ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسَةَ ، عن

---

(١) موطأ مالك ٢/٨٩٨ ، ٨٩٩ .

(٢) مسند أحمد ١/٤٤ ، ٤٥ ، أبو داود (٤٧٠٣) ، الترمذى (٣٠٧٥) ، النسائى (١١١٩٠) ، تاريخ الطبرى ١/١٣٥ ، الإحسان (٦١٦٦) . (ضعيف الترمذى ٥٩٤) .

(٣) أبو داود (٤٧٠٤) .

(٤) فى ا : « خثعم » وفى م ، ص : « جثعم » .

عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ ، عن مسلمِ بنِ يَسارٍ ، عن نُعَيْمِ بنِ ربيعةَ ، قال : كنتُ عندَ عمرَ بنِ الخطابِ ، وقد سُئِل عن هذه الآيةِ . فذَكَرَ الحديثَ . قال الحافظُ الدارقطنِىُّ[1] : وقد تابع عمرَ بنَ جُعْثُمٍ[2] أبو فروةَ يزيدُ بنُ سنانٍ الرَّهاوىُّ ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسَةَ ، قال : وقولُهما أَوْلَى بالصَّوابِ مِن قولِ مالكٍ رَحِمَه اللهُ .

وهذه الأحاديثُ كلُّها دالَّةٌ على استخراجِه تعالى ذُرِّيَّةَ آدمَ مِن ظهرِه كالذَّرِّ ، وقِسْمَتِهم[3] قسمين ؛ أهلِ اليمينِ ، وأهلِ الشِّمالِ ، وقال : هؤلاء للجنةِ ولا أُبالِى ، وهؤلاءِ للنَّارِ ولا أُبالى . فَأمَّا الإشْهادُ عليهم واستِنْطاقُهم بالإقْرارِ بالوَحْدانيةِ ، فلم يَجِئْ فى الأحاديثِ الثَّابتةِ ، وتفسيرُ الآيةِ التى فى سورةِ « الأعراف » وحملُها على هذا فيه نَظَرٌ ، كما بَيَّنَّاه هناك ، وذكَرْنا الأحاديثَ والآثارَ مُسْتَقْصاةً بأسانيدِها ، وألفاظِ مُتُونِها ، فَمَنْ أراد تَحْريرَه فَلْيُراجِعْه ثَمَّ ، واللهُ أعلمُ[4] .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه أحمدُ[5] : حدثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، حدثنا جَريرٌ ، يعنى ابنَ حازِمٍ ، عن كُلْثُومِ [6]بنِ جبرٍ[6] ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، عنِ النَّبىِّ ﷺ قال : « إنَّ اللهَ أخذَ الميثاقَ مِن ظهرِ آدمَ عليه السلامُ بنَعْمانَ يومَ[7] عرفةَ ، فأَخْرجَ مِن صُلْبِه [١/٥٤ظ] كلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرأها ، فنثرَها

---

(١) العلل ٢/٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) فى م ، ح ، ص : « جثعم » .

(٣) فى الأصل : « قسمهم » .

(٤) التفسير ٣/٥٠٠ - ٥٠٦ .

(٥) مسند أحمد ١/٢٧٢ ، (صحيح) .

(٦ - ٦) فى الأصل : « عن جبر » . وفى ا : « بن جبير » .

(٧) فى المسند : « يعنى » . ونعمان وزن ظمآن وهو واد فى مكة .

بينَ يَدَيْه ، ثمَّ كلَّمَهُم قُبُلًا ، قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] . فهو بإسْنادٍ جيّدٍ قويٍّ على شرطِ مسلمٍ . رواه النَّسائىُّ ، وابنُ جريرٍ ، والحاكمُ فى « مستدركِهِ » ، مِن حديثِ حسينِ بنِ محمدٍ المَرُّوذِىِّ[1] به . وقال الحاكِمُ : صحيحُ الإسْنادِ ولم يُخرِّجاه . إلَّا أنَّه اخْتُلِفَ فيه على كُلْثُومِ بنِ جبرٍ ، فَرُوِىَ عنه مرفوعًا وموقوفًا . وكذا رُوِىَ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ مَرْفوعًا[2] . وهكذا رواه العَوْفِىُّ والوالبىُّ[3] والضَّحاكُ وأبو جمرةَ عنِ ابنِ عباسٍ قولَه . وهذا أكثرُ وأثْبَتُ واللهُ أعلمُ . وهكذا رُوِىَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو[4] موقوفًا ومرفوعًا ، والموقوفُ أصحُّ[5] .

واستأنَس القائلون بهذا القولِ ؛ وهو أخْذُ الميثاقِ على الذُّرِّيةِ – وهم الجُمْهورُ – بما قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا حجّاجٌ ، حدثنى شُعْبةُ ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنِىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يُقَالُ للرجلِ مِنْ أهلِ النارِ يومَ القيامةِ : لو كانَ لكَ ما على الأرضِ مِن شىءٍ أكُنْتَ مُفْتَدِيًا به ؟ قال : فيقولُ : نَعَم . فيقولُ : قد أرَدْتُ مِنْكَ ما هو أهْوَنُ مِن ذلك ، قد أخذتُ عليكَ فى ظهرِ آدمَ أنْ لا تُشْرِكَ بى شيئًا ، فأَبَيْتَ إلَّا أنْ تُشْرِكَ

---

(١) النسائى (١١١٩١) ، تفسير الطبرى ٩/١١٠ ، ١١١ ، مستدرك الحاكم ٢/٥٤٤ وأقره الذهبى . وعنده : « الحسن بن محمد المروروذى » وليس : « حسين بن محمد المروذى » . وانظر تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ٤/١٣٥٨ .

(٢) فى الأصل ، ا ، م ، ص : « موقوفًا » .

(٣) هو سعيد بن جبير أبو عبد الله الأسدى الوالبى . السير ٤/٣٢١ .

(٤) فى الأصل ، م : « عمر » .

(٥) روى الموقوف والمرفوع من جميع الطرق المتقدمة الطبرى فى تفسيره ٩/١١٠ – ١١٦ .

(٦) مسند أحمد ٣/١٢٧ ، ١٢٩ .

بى » . أخرَجاه مِن حديثِ شُعْبةَ به[1] . وقال أبو جعفرٍ الرازىُّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآيةُ والتى بعدَها ، قال : فَجَمَعَهُم له يَوْمَئِذٍ جميعًا ما هو كائِنٌ مِنْه إلى يومِ القِيامةِ ، فَخلَقَهُم ، ثُمَّ صَوَّرَهُم ، ثُمَّ اسْتَنطَقَهم ، فَتَكَلَّمُوا ، وأخذَ عليهِمُ العَهْدَ والميثاقَ ، وأَشْهَدَ عَلَيْهِم أنفُسَهُم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ الآيةُ . قال : فإنِّى أُشْهِدُ عليكم السَّمَواتِ السَّبْعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ ، وأُشْهِدُ عَلَيْكم أَباكُم آدمَ أنْ لا تقولوا يومَ القيامةِ : لمْ نعلمْ بهذا . اعْلَمُوا أنَّه لا إلهَ غَيْرِى ، ولا رَبَّ غَيْرِى ، ولا تُشْرِكُوا بى شيئًا ، وإنِّى سَأُرْسِلُ إليكمُ رُسُلًا ، يُنْذِرونكم عَهْدِى وميثاقِى ، وأُنْزِلُ عليكُم كتابى . قالُوا : نَشْهَدُ أنكَ رَبُّنا وإلَهُنا ، لا ربَّ لنا غيرُكَ ، ولا إلهَ لنا غيرُكَ . فأَقَرُّوا له يَوْمَئذٍ بالطاعةِ ، ورَفَعَ أباهُم آدمَ فنَظَر إليهِم ، فرأى فِيهِمُ الغنىَّ والفقيرَ ، وحَسَنَ الصورةِ ودُونَ ذلك ، فقال : يا ربِّ ، لو سَوَّيْتَ بينَ عبادِك ! فقال : إنِّى أحببتُ أنْ أُشْكَرَ . ورأى فيهم الأنبياءَ مِثْلَ السُّرُجِ عليهِمُ النورُ ، وخُصُّوا بِمِيثاقٍ آخرَ مِن الرسالةِ والنبوةِ ، فهو الذى يقولُ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] . [١/٥٥و] وهو الذى يقولُ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] . وفى ذلك قال : ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النجم : ٥٦] . وفى ذلك قال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] . رواه الأئمةُ ؛ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ ، وابنُ أبى حاتمٍ ، وابنُ جَريرٍ ، وابنُ مردويَه فى « تفاسيرِهم » ، مِن طريقِ

---

(١) البخارى (٣٣٣٤) ، مسلم (٢٨٠٥) .

أبى جعفرٍ[1] . ورُوِى عن مُجاهِدٍ ، وعكرمةَ ، وسعيدِ بنِ جبيرٍ ، والحسنِ البصرىِّ ، وقتادةَ ، والسُّدِّىِّ ، وغيرِ واحدٍ مِن علماءِ السَّلفِ بسياقاتٍ تُوافِقُ هذه الأحاديثَ[2] . وتقدَّم أنَّه تَعالى لَمَّا أمرَ الملائكةَ بالسجودِ لآدمَ ، امتثلوا كلُّهم الأمرَ الإلهىَّ ، وامتنع إبليسُ مِنَ السجودِ له ؛ حَسَدًا وعَداوةً له ، فطردَه اللهُ وأبْعَده ، وأخرجَه مِن الحَضْرَةِ الإلٰهيةِ ، ونَفَاه عنها ، وأهْبَطَه إلى الأرضِ طريدًا ، ملعونًا ، شيطانًا ، رجيمًا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا وكيعٌ ، ويَعْلَى ومحمدٌ ابنا[4] عُبَيْدٍ ، قالوا : حدثنا الأعْمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجَد اعتزلَ الشيطانُ يبكِى ، يقولُ : يا وَيْلَه ، أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجودِ فسجد فلَه الجنةُ ، وأُمِرْتُ بالسجودِ فَعَصَيْتُ فلِىَ النارُ » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ وَكِيعٍ وأبى معاويةَ ، عنِ الأعمشِ به[5] .

ثم لَمَّا أُسْكِن آدمُ الجنةَ التى أُسْكِنَها ، سواءٌ كانت فى السماءِ أو فى الأرضِ ، على ما تقدَّمَ مِنَ الخلافِ فيه[6] ، أقام بها هو وزوجتُه حواءُ عليهما السلامُ يأكُلان منها رَغَدًا حيثُ شاءَا ، فلما أَكَلا مِنَ الشجرةِ التى نُهيا عنها سُلِبا ما كانا فيه مِنَ اللِّباسِ ، وأُهْبِطا إلى الأرضِ . وقد ذكرنا الاختلافَ فى مواضعِ

---

(١) مسند أحمد ١٣٥/٥ ، وتفسير الطبرى ١١٥/٩ . وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١٤٢/٣ . وعزاه لابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١١٥/٩ - ١١٧ .

(٣) مسند أحمد ٤٤٣/٢ .

(٤) فى المسند والفتح الربانى : « أنبأنا » ، انظر أطراف المسند المعتلى ٢١٠/٧ .

(٥) مسلم (٨١) .

(٦) تقدم فى صفحة ١٧٦ .

هُبُوطِه[1] منها . واختلفوا فى مقدارِ مُقامِه فى الجنةِ فقِيل : بعضُ يومٍ مِن أيامِ الدنيا . وقد قدَّمنا[2] ما رواه مسلمٌ عن أبى هريرةَ مرفوعًا : « وخُلِقَ آدمُ فى آخرِ ساعةٍ مِن ساعاتِ يومِ الجُمُعةِ » . وتقدَّم أيضًا حديثُه عنه : « وفيه - يعنى يومَ الجمعةِ - خُلِقَ آدمُ ، وفيه أُخْرِج منها » . فإنْ كان اليومُ الذى خُلِق فيه ، فيه أُخْرِج ، وقلنا : إنَّ الأيامَ السِّتةَ كهذه الأيامِ ، فقد لَبِثَ بعضَ يومٍ مِن هذه . وفى هذا نظَرٌ . وإنْ كان إخراجُه فى غيرِ اليومِ الذى خُلِقَ فيه ، أو قلنا بِأَنَّ تلكَ الأيامَ مقدارُها ستةُ آلافِ سنةٍ كما تقدَّم عنِ ابنِ عباسٍ ومُجاهدٍ والضَّحَّاكِ ، واختاره ابنُ جريرٍ[3] ، فقد لَبِث هناك مدةً طويلةً . قال ابنُ جريرٍ[4] : ومعلومٌ أنَّه خُلِق فى آخرِ ساعةٍ مِن يومِ الجمعةِ ، والساعةُ منه ثلاثٌ وثمانون سنةً وأربعةُ أشهرٍ ، فمكث مُصَوَّرًا طينًا قبلَ أنْ يُنْفَخَ فيه الرُّوحُ أربعين سنةً ، وأقام فى الجنةِ قبلَ أنْ يهبِطَ ثلاثًا وأربعين سنةً وأربعةَ أشهرٍ ، واللهُ تعالى أعلمُ . وقد رَوَى عبدُ الرزاقِ[5] ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ ، عن سَوَّارٍ خَبَرَ عطاءِ بنِ أبى رباحٍ ، أنَّه كان لَمَّا أُهْبِط ، رِجْلاه فى الأرضِ ورأسُه فى السماءِ . فحطَّه اللهُ إلى ستين ذراعًا[6] . وقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ نحوُه[7] . وفى هذا نظرٌ ؛ لِمَا تقدّم مِنَ الحديثِ المتَّفقِ على صحتِه عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ وطولُه ستُّونَ ذِراعًا ،

---

(١) فى الأصل : « هبوطهم » . وفى ا : « هبوطهما » .

(٢) تقدم فى صفحة ٣٢ ، ١٨٨ .

(٣) تاريخ الطبرى ١/١٧ .

(٤) تاريخ الطبرى ١/١١٨ ، ١١٩ .

(٥) المصنف (٩٠٩٠) .

(٦) هذه العبارة رواها عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٤ ، من حديث قتادة .

(٧) أخرجه عنهما الطبرى فى تاريخه ١/١٢٤ .

فلم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتى الآنَ »[1] . وهذا يقتضِى أنَّه خُلِق كذلك ، لا أطولَ مِن ستين ذِراعًا ، وأنَّ ذريتَه لم يزالوا يتناقصُ خَلْقُهم حتى الآنَ .

وذكر ابنُ جريرٍ[2] عنِ ابنِ عباسٍ ، أنَّ اللهَ قال : يا آدمُ ، إنَّ لى حَرَمًا بِحِيالِ عَرْشى ، فانطَلِقْ فابْنِ لى فيه بَيْتًا فَطُفْ به كما تطوفُ مَلائِكَتِى بِعَرْشِى . وأَرْسَلَ اللهُ له [١/٥٩ظ] مَلَكًا فعرَّفَه مَكَانَه ، وعلّمَه المناسِكَ . وذكَر أنَّ مَوْضِعَ كُلِّ خُطْوَةٍ خَطاها آدمُ صارتْ قريةً بعدَ ذلك . وعنه[3] ، أنَّ أولَ طعامٍ أَكَله آدمُ فى الأرضِ أنْ جاءه جبريلُ بسبعِ[4] حبّاتٍ مِن حِنْطةٍ ، فقال : ما هذا ؟! قال : هذا مِن الشَّجرةِ التى نُهيتَ عنها فأكلْتَ منها . فقال : وما أصنعُ بهذا ؟! قال : ابذُرْه فى الأرضِ . فبَذَرَه ، وكان كلُّ حبةٍ منها زِنَتُها[5] أزْيَدُ مِن مائةِ ألفٍ ، فنبتتْ ، فحصدَه ، ثم دَرَسه ، ثم ذرَّاه ، ثم طَحَنَه ، ثم عَجَنه ، ثم خَبَزَه ، فأكله بعدَ جَهدٍ عظيمٍ ، وتعبٍ ، ونكدٍ ، وذلك قولُه تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] . وكان أولُ كِسْوتِهما مِن شعْرِ الضَّأْنِ ، جزَّاه ثم غَزَلاه ، فنَسَج آدمُ له جُبَّةً ولحواءَ دِرْعًا وخِمارًا .

واختلفوا ؛ هل وُلِد لهما بالجنةِ شىءٌ مِن الأولادِ ؟ فقِيل : لم يُولدْ لهما إلَّا فى الأرضِ . وقيل : بل وُلِدَ لهما فيها ، فكان قابِيلُ وأختُه ممن وُلِد بها ، واللهُ أعلمُ . وذكروا أنَّه كان يُولَدُ له فى كلِّ بطنٍ ذَكَرٌ وأنثَى ، وأُمِر أن يُزَوِّجَ كلَّ ابنِ أختَ أخيه التى وُلِدتْ معه ، والآخَرَ بالأخرَى ، وهَلُمَّ جرًّا ، ولم يكنْ تَحِلُّ أختٌ لأخيها الذى وُلِدتْ معه .

---

(١) تفسير الطبرى ٥٤٧/١ .

(٢) تاريخ الطبرى ١٢٤/١ .

(٣) تاريخ الطبرى ١٢٨/١ ، ١٢٩ .

(٤) فى الأصل : « بتسع » .

(٥) ليست فى : ح ، ا .

ذكرُ قِصَّةِ ابْنَىْ آدمَ قابيلَ وهَابيلَ

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ [١/٥٦و] قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧ - ٣١] . قد تكلمنا على هذه القصةِ فى سورةِ « المائدة » فى « التفسيرِ » بما فيه كفايةٌ ، وللهِ الحمدُ[١] .

ولنذكرْ هنا ملخَّصَ ما ذكره أئمةُ السَّلفِ فى ذلك ؛ فذكر السُّدِّىُّ[٢] ، عن أبى مالكٍ وأبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ عنِ ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن الصحابةِ ، أنَّ آدمَ كان يُزَوِّجُ ذَكَرَ كلِّ بطنٍ بأُنثى البطنِ الأخرى ، وأنَّ هابيلَ أراد أنْ يتزوجَ بأختِ قابيلَ ، وكان أكبرَ مِن هابيلَ ، وأختُ قابيلَ[٣] أحسنُ ، فأراد قابيلُ[٣] أن يستأثرَ بها على أخيه ، وأمره آدمُ عليه السلامُ أن يزوِّجَه إيّاها فأَبَى ، فأمرهما أنْ يقرِّبَا قُرْبانًا ، وذهب آدمُ لِيَحُجَّ

---

(١) التفسير ٣/٧٥ - ٨٦ .

(٢) هذه الرواية والروايات التى بعدها أوردها المصنف فى التفسير ٣/٧٦ - ٨٣ . والطبرى فى تفسيره ٦/١٨٨ - ١٩٣ ، وفى تاريخه ١/١٣٧ - ١٤٢ .

(٣) كذا فى : ا . و هو موافق لما فى المصادر . وفى بقية النسخ : « هابيل » .

إلى مكةَ ، واستحفظَ السمواتِ على بنيه فأبَيْنَ ، والأَرَضِين والجبالَ فَأَبَيْن ، فتَقَبَّل قابيلُ بحفْظِ ذلك ، فلَمَّا ذهبَ آدمُ قَرّبا قُرْبانَهما ، فقرَّب هابيلُ جَذَعَةً سمينةً ، وكان صاحبَ غنمٍ ، وقرّب قابيلُ حِزْمةً مِن زرعٍ مِن ردىءِ زَرْعِه ، فَنزلت نارٌ فأكلتْ قُرْبانَ هابيلَ ، وتركتْ قربانَ قابيلَ ، فغَضِب وقال : لأقتُلنَّك حتى لا تنْكِحَ أختى . فقال : إنَّما يتقبلُ اللهُ مِنَ المتقين . ورُوِىَ عنِ ابنِ عباسٍ مِن وُجُوهٍ أُخرَ ، وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو . وقال عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو : وايْمُ اللهِ إنْ كان المقتولُ لأَشَدَّ الرجلَيْن ، ولكنْ منعه التحرُّجُ أنْ يبسُطَ إليه يدَه .

وذكَر أبو جعفرٍ الباقِرُ ، أنَّ آدمَ كان مباشِرًا لتقرُّبِهما القربانَ والتقبُّلِ مِن هابيلَ دونَ قابيلَ ، فقال قابيلُ لآدمَ : إنَّما تُقُبِّلَ منه لأنَّك دعوْتَ له ولم تَدْعُ لى . وتوعَّدَ أخاه فيما بينَه وبينَه . فلما كان ذاتَ ليلةٍ ، أبطأ هابيلُ فى الرَّعىِ ، فبعث آدمُ أخاه قابيلَ لينظُرَ ما أبطأَ به ، فلما ذهب إذا هو به ، فقال له : تُقُبِّلَ منك ولم يُتَقَبَّلْ منى ؟ فقال : إنما يتقبلُ اللهُ من المتقين . فغضِبَ قابيلُ عندَها وضَرَبه بحديدةٍ كانت معَه فقتله . وقِيل : إنه إنما قتله بصَخْرَةٍ رماها على رأسِه وهو نائمٌ فشَدَخَتْه . وقِيل : بل خَنَقَه خَنْقًا شديدًا وعَضًّا كما تفعلُ السِّباعُ فمات . واللهُ أعلمُ .

وقولُه له لَمَّا توعَّده بالقتلِ : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . دلَّ على خُلُقٍ[1] حسنٍ ، وخَوْفٍ مِنَ اللهِ تعالى ، وخَشْيةٍ منه ، وتَوَرُّعٍ أنْ يُقابلَ أخاه[2] بالسوءِ الذى أراد منه أخوه مثلَه ؛ ولهذا ثبت فى « الصَّحيحَين »[3] [١/٥٦ظ]

---

(١) سقط من : ح .

(٢) فى ا : « من آذاه ».

(٣) البخارى (٣١ ، ٦٨٧٥ ، ٧٠٨٣) ، مسلم (٢٨٨٨) .

عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال : « إذا تواجَه المسلمانِ بسَيْفَيْهِما ، فالقاتلُ والمقتولُ فى النارِ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، هذا القاتلُ ، فما بالُ المقتولِ ؟ قال : « إنَّه كان حريصًا على قَتْلِ صاحِبِه » . وقولُه : ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أى ، إنِّى أريدُ ترْكَ مقاتَلَتِك وإنْ كنتُ أشدَّ منك وأقوَى ، إذ قد عَزَمْتَ على ما عَزَمْتَ عليه ﴿ أَن تَبُوٓءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾ أى ، تتحملُ إثْمَ قتلِى مع ما لَكَ مِنَ الآثامِ المتقدِّمةِ قبلَ ذلك . قاله : مُجاهِدٌ والسُّدِّىُّ وابنُ جريرٍ وغيرُ واحدٍ . وليس المرادُ أنَّ آثامَ المقتولِ تتحولُ بمجردِ قتْلِه إلى القاتلِ ، كما قد توهَّمه بعضُ الناسِ[1] ، فإنَّ ابنَ جريرٍ حكى الإجماعَ على خلافِ ذلك[2] .

وأمَّا الحديثُ الذى يُورِدُه بعضُ مَنْ لا يعلمُ عنِ النبىِّ ﷺ أنَّه قال : « ما ترَكَ القاتلُ على المقتولِ مِن ذَنْبٍ »[3] . فلا أصْلَ له ، ولا يُعْرَفُ فى شىءٍ مِن كتبِ الحديثِ بسندٍ صحيحٍ ولا حَسَنٍ ولا ضعيفٍ أيضًا . ولكنْ قد يَتَّفِقُ فى بعضِ الأشخاصِ يومَ القيامةِ أن يطالِبَ المقتولُ القاتِلَ ، فتكونَ حسناتُ القاتلِ لا تَفِى بهذه المظلمةِ ، فتُحَوَّلَ مِن سيئاتِ المقتولِ إلى القاتلِ ، كما ثبت به الحديثُ الصحيحُ فى سائرِ المظالِمِ[4] ، والقتْلُ مِن أعظمِها . واللهُ أعلمُ . وقد حرَّرنا هذا كلَّه فى « التفسيرِ »[5] ، وللهِ الحمدُ .

وقد روى الإمامُ أحمدُ ، وأبو داودَ ، والتِّرمذىُّ[6] ، عن سعدِ بنِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) ولفظه : لإجماع أهل التأويل عليه . تفسيره ٦/١٩٣ .

(٣) كشف الخفاء ٢/١٨٤ .

(٤) يشير إلى حديث المفلس ، الذى أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبى هريرة .

(٥) التفسير ٣/٨١ ، ٨٢ .

(٦) مسند أحمد ١/١٨٥ ، أبو داود (٤٢٥٧) ، الترمذى (٢١٩٤) وقال : حسن . (صحيح الجامع ٢٤٢٧) .

أبى وقّاصٍ ، أنَّه قال عندَ فِتْنةِ عثمانَ بنِ عفانَ : أشهدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّها سَتَكونُ فِتْنةٌ ؛ القاعدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائمِ ، والقائمُ خيْرٌ مِنَ الماشِى ، والماشِى خَيْرٌ مِنَ الساعِى » . قال : أفرأيْتَ إنْ دَخَل علىَّ بيتى فبسط يدَه إلىَّ ليقتُلَنى ؟ قال : « كُنْ كابنِ آدمَ » . ورواه ابنُ مَرْدَوَيْه[1] عن حُذيفةَ ابنِ اليَمَانِ مرفوعًا ، وقال : « كُنْ كَخَيرِ ابْنَىْ آدمَ » . وروى مسلمٌ وأهلُ « السُّننِ » إلَّا النَّسائىَّ عن أبى ذَرٍّ نحوَ هذا[2] .

وأمَّا الآخرُ فقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا أبو معاويةَ ووَكِيعٌ ، قالا : حدثنا الأعمشُ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مُرَّةَ ، عن مسروقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا تُقْتَلُ نفسٌ ظُلْمًا إلا كان على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِها ؛ لِأنَّه كانَ أولَ مَنْ سَنَّ القتلَ » . ورواه الجماعةُ سِوى أبى داودَ مِن حديثِ الأعمشِ به[4] . وهكذا رُوِىَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، وإبراهيمَ النَّخعىِّ أنَّهما قالا مِثْلَ هذا سواءً[5] . [6]وبجبلِ قاسِيونَ شَمالىَّ دِمَشْقَ مَغارَةٌ يُقالُ لها : مغارةُ الدَّمِ . مشهورةٌ بأنَّها المكانُ الذى قَتلَ قابيلُ أخاه هابيلَ عندَها . وذلك مما تَلَقَّوْه عن أهلِ الكتابِ ، فاللهُ أعلمُ بصحّةِ ذلك . وقد ذكر الحافِظُ ابنُ عساكرَ[7] فى ترجمةِ أحمدَ بنِ كثيرٍ ، وقال : إنه كان مِنَ الصالحين ، أنه رأى النبىَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ وهابيلَ ، وأنه[6]

---

(١) عزاه إليه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٧٤ .

(٢) أبو داود (٤٢٦١) ، ابن ماجه (٣٩٥٨) ولم نهتد إليه عند مسلم (صحيح الجامع ٧٦٩٦) ولم يعزه فى تحفة الأشراف ٩/١٧٣ ، إلا إلى أبى داود وابن ماجه .

(٣) مسند أحمد ١/٣٨٣ ، ٤٣٠ (صحيح) .

(٤) البخارى (٦٨٦٧) ، مسلم (١٦٧٧) ، الترمذى (٢٦٧٣) ، النسائى (٣٩٩٦) ، ابن ماجه (٢٦١٦) .

(٥) الطبرى ٦/١٩٤ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ح .

(٧) تاريخ دمشق ٥/١٧٧ .

(١استحلفَ هابيلَ أنَّ هذا دَمُه ، فَحَلَفَ له ، وذكر أنه سألَ اللهَ تعالى أنْ يجعلَ هذا المكانَ يُستجابُ عندَه الدُّعاءُ ، فأجابه إلى ذلك ، وصَدَّقه فى ذلك رسولُ اللهِ ﷺ ، وقال إنَّه وأبا بكرٍ وعمرَ يزورون هذا المكانَ فى كلِّ يومِ خميسٍ . وهذا مَنامٌ لو صَحَّ عن أحمدَ بنِ كثيرٍ هذا لم يَترتَّبْ عليه حُكْمٌ شرعىٌّ ، واللهُ أعلمُ١) .

وقولُه تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ [١/٥٧و] أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ . ذكر بعضُهم أنَّه لَمَّا قتله حَمَلَه على ظهرِه سنةً . وقال آخرون : حمله مائةَ سَنَةٍ ، ولم يَزَلْ كذلك حتى بعث اللهُ غرابَيْن – قال السُّدّىُّ بإسنادِه عنِ الصّحابةِ : أخوَيْن – فتقاتلا ، فقتل أحدُهما الآخرَ ، فلمَّا قتله عَمَد إلى الأرضِ فحفَر له فيها ، ثم ألقاه ودفَنه وواراه ، فلَمَّا رآه يصنعُ ذلك ، قال : ﴿ يا وَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ . ففعل مثلَ ما فعل الغرابُ ، فواراه ودفنه .

وذكر أهلُ التواريخِ والسِّيَرِ أنَّ آدمَ حزِن على ابنِه هابيلَ حُزْنًا شديدًا ، وأنَّه قال فى ذلك شِعْرًا ، وهو قولُه فيما ذكره ابنُ جريرٍ(٢) ، عن ابنِ حُميدٍ :

تغيَّرتِ البلادُ ومَنْ عَلَيْها ... فوَجْهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تغيَّر كلُّ ذى طَعْمٍ ولَونٍ ... وقلَّ بَشاشةُ الوجْهِ المَلِيحِ(٣)

(١ – ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢) تاريخ الطبرى ١/١٤٥ . وعنه ابن كثير فى التفسير ٣/٨٥ .

(٣) فى حاشية الأصل : فيه من عيوب القافية الإقواء وهو حرف الروى مجرور مع أن الأول مرفوع . ص ٩٥ .

فأُجيبَ آدمُ :

أبا هابيلَ قد قُتِلا جميعًا وصارَ الحَيُّ كالمَيْتِ[1] الذبيحِ
وجاء بِشَرَّةٍ[2] قد كان منها على خوفٍ فجاء بها يصيحُ

وهذا الشِّعرُ فيه نظرٌ ، وقد يكونُ آدمُ عليه السلامُ قال كلامًا يتحزّنُ به بلغتِه ، فألَّفه بعضُهم إلى هذا ، وفيه إقواءٌ ، واللهُ أعلمُ . وقد ذكر مُجاهِدٌ أنَّ قابِيلَ عُوجِل بالعقوبةِ يومَ قَتَلَ أخاه ، فعُلِّقتْ ساقُه إلى فخذِه ، وجُعِل وجهُه إلى الشمسِ كيفما دارت ؛ تنكيلًا به وتعجيلًا لذنبِه وبَغْيِه وحَسَدِه لأخيه لأبويْه . وقد جاء فى الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال : « ما مِن ذَنْبٍ أجْدَرُ أنْ يُعَجِّلَ اللهُ عقُوبَتَه فى الدنيا مع ما يَدَّخِرُ لصاحِبِه فى الآخرةِ مِنَ البَغْيِ وقَطِيعَةِ الرَّحِمِ »[3] .

والذى رأيتُه فى الكتابِ الذى بأيدى أهلِ الكتابِ[4] ، الذين يزعمُون أنه التوراةُ ، أنَّ اللهَ عز وجل أجَّلَه وأنظَره ، وأنَّه سكَن فى أرضِ نُودٍ[5] فى شرقِيِّ عَدَنَ ، وهم يسمُّونه قَيْنًا[6] ، وأنَّه وُلِدَ له خَنُوخُ ، ولخَنُوخَ ، عُندرُ[7] ،

---

(١) فى الأصل ، ح : « بالميت » .
(٢) فى الأصل : « يسوؤه » .
(٣) مسند أحمد ٣٦/٥ ، من حديث أبى بكرة (صحيح الجامع ٥٥٨٠) .
(٤) سفر التكوين ، الأصحاح ١٦/٤ .
(٥) فى ا : « قود » ، وفى تاريخ الطبرى ١٤٣/١ « بوذ » .
(٦) فى الأصل : « قتين » ، وفى بقية النسخ : « قنين » . والتصويب من تاريخ الطبرى ١٦٥/١ ، الكامل لابن الأثير ٥٦/١ . وفى القاموس : قايِنُ ابن لآدمَ عليه السلام . (ق ى ن) وكذلك فى مروج الذهب للمسعودى ٤٩/١ . فلعل الألف حذفت تسهيلا .
(٧) فى الأصل : « غبدز » ، وفى ا : « قيدز » ، وفى تاريخ الطبرى : « عيرد » ، وفى الكامل : « غيرد » .

ولعندرَ[1] مَحْواويلُ ، ولمحواويلَ مَتُّوشِيلُ[2] ، ولمَتُّوشِيلَ[2] لامَكُ ، وتزوّج هذا[3] امرأتين ؛ عَدَا ، وَصلَا ، فولدتْ عَدًّا وَلَدًا اسمُه أبلُ[4] ، وهو أولُ مَن سكن القِبابَ واقتنى المالَ[5] ، وولدت أيضًا توبلَ[6] ، وهو أولُ مَن أخذ فى ضَرْبِ الوَنَجِ والصَّنْجِ[7] . وولدتْ صلَا ولدًا اسمُه توبلقين[8] ، [١/٥٧ظ] وهو أولُ مَن صنع النُّحاسَ والحديدَ ، وبِنتًا اسمُها نُعْمَى . وفيها أيضًا أنَّ آدمَ طاف على امرأتِه فولدتْ غلامًا ودعتِ اسمَه شِيثَ[9] ، [10]وقالتْ : مِن أجلِ أنَّه قد وُهِبَ لى خلفًا مِن [11]هابيلَ الذى قتله[11] قابيلُ[10] . ووُلِدَ لشيثَ أنوشُ . قالوا : وكان عُمُرُ آدمَ يومَ وُلدِ له شيثُ ، مائةً وثلاثين سنةً ، وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةِ سنةٍ ، وكان عمرُ شيثَ يومَ وُلِد له أُنوشُ مائةً [12]وخمسَ سنين[12] ، وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةِ سنةٍ [13]وسبعَ سنين[13] . ووُلِد له بنونَ وبناتٌ غيرُ أنوشَ ، فوُلِد لأُنوشَ قَيْنَانُ[14] وله مِن العمرِ تسعون[15] سنةً ،

---

(١) فى الأصل : « ولغدد » ، وفى ا : « ولقيدر » .

(٢) فى ا : « متوشلح » . وفى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير : « أنوشيل » . وفيهما أيضا أن عيرد ومحواويل ومتوشيل إخوة ثلاثة وهم أبناء خنوخ .

(٣) فى ا : « كيدز » .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « تولين » ، وفى الكامل : « بولس » .

(٥) سفر التكوين الأصحاح ٤/٢٠ : « الذى كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى » .

(٦) فى تاريخ الطبرى : « توبيش » ، وفى الكامل : « توبلين » .

(٧) الوَنَجُ : هو المَزْهَر والعود . والصَّنْجُ : مِعْزَف ذو أوتار . فارسى معرب . اللسان (ص ن ج – و ن ج) .

(٨) فى الأصل : « توبلتين » ، وفى ا : « يومنتيل » . وفى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير أن توبلقين ابن عدا وليس ابن صلا ، ولم يذكرا لصلا أولادًا .

(٩) فى ا وفيما يأتى بعد : « شيت » .

(١٠ – ١٠) سقط من : ا .

(١١ – ١١) ليس فى الأصل .

(١٢ – ١٢) فى م : « وخمسا وستين » وفى ا : « وخمسا وخمسين » .

(١٣ – ١٣) فى ا : « وسبع وستين سنة » .

(١٤) فى م : « فتيان » . وانظر تاريخ الطبرى ١/١٦٣ ، الكامل لابن الأثير ١/٥٤ ، مروج الذهب ١/٤٩ .

(١٥) فى ا : « سبعون » .

وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةِ سنةٍ وخمسَ عشرةَ سنةً ، ووُلِدَ له بَنُونَ وبناتٌ ، فلَمَّا كان عمرُ قَيْنَانَ[1] سبعين سنةً وُلِد له مَهْلَائيلُ ، وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةِ سنةٍ وأربعين سنةً ، ووُلِدَ له بَنُونَ وبناتٌ ، فَلَمَّا كان لمَهْلَائيلَ مِن العمرِ خمسٌ وستون سنةً وُلِد له يَرْدُ[2] ، وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةٍ وثلاثين[3] سنةً ، ووُلِدَ له بَنُونَ وبناتٌ ، فلَمَّا كان ليَرْدَ مائةُ سنةٍ واثنتان وستون سنةً وُلِدَ له خَنُوخُ[4] ، وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةِ سنةٍ ، ووُلِد له بَنُونَ وبناتٌ ، فلَمَّا كان لخَنُوخَ خمسٌ وسِتُّون سنةً وُلِد له مَتُّوشَلَخُ[5] ، وعاش بعدَ ذلك ثمانِمائةِ سنةٍ ، ووُلِدَ له بَنُونَ وبناتٌ ، فلَمَّا لمَتُّوشَلَخَ مائةٌ وسبعٌ وثمانون سنةً وُلِد له لامَكُ ، وعاش بعدَ ذلك سبعَمائةٍ واثنتينِ وثمانينَ سنةً ، ووُلِد له بَنُونَ وبناتٌ ، فلَمَّا كان للامَكَ مِن العمرِ مائةٌ واثنتانِ وثمانونَ سنةً وُلِد له نوحٌ ، وعاش بعدَ ذلك خمسَمائةٍ وخمسًا وتسعين[6] سنةً ، ووُلِد له بَنُونَ وبناتٌ ، فلَمّا كان لنوحٍ خمسُمائةِ سنةٍ وُلِد له بَنُونَ ؛ سامٌ ، وحامٌ ، ويافثُ . هذا مضمونُ ما فى كتابِهم صريحًا[7] .

وفى كَوْنِ هذه التواريخِ محفوظةً فيما نزل مِن السماءِ نَظَرٌ ؛ كما ذكره غيرُ واحدٍ مِنَ العلماءِ طاعِنين عليهم فى ذلك . والظاهرُ أنَّها مُقْحَمَةٌ فيها . ذكرها

---

(١) فى م : « فتيان » . وانظر تاريخ الطبرى ١٦٣/١ ، الكامل لابن الأثير ٥٤/١ ، مروج الذهب ٤٩/١ .

(٢) فى ا هنا وفى الموضع الآتى : « برد » .

(٣) فى ا : « وستة وثلاثين » .

(٤) خنوخ هو أخنوخ ، وهو نبى الله إدريس عند أهل الكتاب . وعندهم أن الله رفعه إليه ، سفر التكوين الأصحاح ٢٤/٤ : « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » .

(٥) فى م ، ص هنا وفى الموضع الآتى : « متوشلح » بالحاء المهملة .

(٦) فى ا : « سبعين » .

(٧) سفر التكوين : الأصحاح الرابع والخامس .

بعضُهم[1] على سبيلِ الزّيادةِ والتّفسيرِ . وفيها غَلَطٌ كثيرٌ ؛ كما سنذكرُه فى مواضعِه إنْ شاء اللهُ تعالى[2] .

وقد ذكر الإمامُ أبو جعفرٍ ابنُ جَريرٍ فى « تاريخِه »[3] عن بعضِهم أنَّ حواءَ ولدتْ لآدمَ أربعينَ ولدًا فى عشرين بَطْنًا . [4]قاله ابنُ إسحٰقَ ، وسمَّاهم ، واللهُ تعالى أعلمُ . وقيل : مائةٌ وعشرينَ بطنًا[4] ، فى كلِّ واحدٍ ذكرٌ وأنثى ؛ أوَّلُهم قابيلُ وأختُه قِليما ، وآخِرُهم عبدُ المُغِيثِ ، وأختُه أَمَةُ[5] المُغِيثِ ، ثم انتشر الناسُ بعدَ ذلكَ ، وكَثُروا وامتدُّوا فى الأرضِ ، ونَمَوْا ، [١/٥٨و] كما قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات : ١٣] الآياتُ . وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] الآيةُ . وقد ذكَر أهلُ التاريخِ أنَّ آدمَ عليه السلامُ لم يمتْ حتى رأى مِن ذُرِّيَّتِه مِن أولادِه وأولادِ أولادِه أربعينَ[6] ألفَ[7] نسَمةٍ ، واللهُ أعلمُ . وقال تعالى[8] : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ

---

(١) فى ا : « بعض علمائهم » .

(٢) بعده فى ا : « اللهم إلا أن تكون هذه التواريخ قد تلقوها عن الأنبياء المتقدمين وكتب الأولين قرنا فقرنا وجيلا فجيلا » .

(٣) تاريخ الطبرى ١/١٤٥ .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى النسخ : « أم » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ١/١٤٥ .

(٦) فى ح ، م ، ص : « أربعمائة » وانظر تاريخ الطبرى ١/١٦٧ . مروج الذهب ١/٤٨ .

(٧) سقط من : ص .

(٨) التفسير ٣/٥٢٧ - ٥٣١ .

ءَاتَـٰهُمَا فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ ، ١٩٠] . فهذا تنبيهٌ أولًا بذِكرِ آدمَ ، ثم استَطْرد إلى الجنسِ ، وليس المرادُ بهذا ذِكْرَ آدمَ وحواءَ ، بل لَمَّا جَرَى ذكرُ الشَّخْصِ استَطرد إلى الجنسِ ، كما فى قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢ ، ١٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ﴾ [الملك : ٥] . ومعلومٌ أنَّ رجومَ الشياطينِ ليست هى أعيانَ مصابيحِ السَّماءِ ، وإنَّما استَطرَدَ مِن شخصِها إلى جِنْسِها .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[1] ، حدثنا عبدُ الصَّمدِ ، حدثنا عمرُ ابنُ إبراهيمَ ، حدثنا قتادةُ ، عنِ الحسنِ ، عن سَمُرَةَ ، عنِ النَّبىِّ ﷺ ، قال : « لما وَلَدت حواءُ ، طافَ بها إبليسُ ، وكان لا يعيشُ لها ولَدٌ ، فقال :سَمِّيه عبدَ الحارثِ ، فإنَّه يعيشُ . فسمّتْه عبدَ الحارِث فعاشَ ، وكان ذلك مِن وَحْىِ الشيطانِ وأَمْرِه » . وهكذا رواه التِّرمذىُّ ، وابنُ جَريرٍ ، وابنُ أبى حاتِمٍ ، وابنُ مَرْدَوَيْه فى « تفاسيرِهم »[2] عندَ هذه الآيةِ من سورةِ « الأعرافِ » ، وأخرجَه الحاكِمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » ، كلُّهم مِن حديثِ عبدِ الصَّمدِ بنِ عبدِ الوارِثِ به . وقال الحاكمُ : صحيحُ الإسنادِ ، ولم يُخَرِّجاه . وقال التِّرمذىُّ : حَسَنٌ غريبٌ لا نعرفُه مرفوعًا[3] إلا من حديثِ عمرَ بنِ إبراهيمَ ، ورواه بعضُهم عن عبدِ الصَّمدِ ولم يرفعْه . فهذه عِلَّةٌ قادِحةٌ فى الحديثِ ، أنَّه رُوِىَ موقوفًا

---

(١) مسند أحمد ٥/١١ .

(٢) الترمذى (٣٠٧٧) ، تفسير الطبرى ٩/١٤٦ مرفوعا وموقوفا على ابن عباس ، الدر المنثور ٣/١٥١ ، المستدرك ٢/٥٤٥ ، ووافقه الذهبى . انظر (الضعيفة ٣٤٢) .

(٣) سقط من النسخ والمثبت من سنن الترمذى .

على الصحابىِّ ، وهذا أشبهُ ، والظاهِرُ أنَّه تلقَّاه مِنَ الإسرائيليَّاتِ . وهكذا رُوِىَ موقوفًا على ابنِ عباسٍ . والظَّاهِرُ أنَّ هذا مُتَلقًّى عن كعبِ الأحبارِ (١ومَن دونَه١) ، واللهُ أعلمُ . وقد فسَّر الحسنُ البَصْرىُّ - راوى الحديثِ - هذه الآيةَ بخلافِ هذا ، فلو كان عندَه عن سَمُرةَ مرفوعًا ، لَمَا عَدَل عنه إلى غيرِه ، واللهُ أعلمُ . وأيضًا فاللهُ تعالى إنَّما خلق آدمَ وحواءَ ليكونا أصلَ البشرِ ، ولِيَبُثَّ منهما رِجالًا كثيرًا ونساءً ، فكيف كانتْ حواءُ لا يعيشُ لها ولدٌ ، كما ذُكِر فى هذا الحديثِ إنْ كان محفوظًا ؟ والمَظْنونُ ، بلِ المقطوعُ به ، أنَّ رَفْعَه إلى النبىِّ [١/٥٨ظ] ﷺ خطأٌ ، والصوابُ وَقْفُه ، واللهُ تعالى أعلمُ . وقد حرَّرنا هذا فى كتابِنا « التفسيرِ »[٢] وللهِ الحمدُ . ثم قد كان آدمُ وحواءُ أتقَى للهِ مِمَّا ذُكِر عنهما فى هذا ؛ فإنَّ آدمَ أبو البشرِ الذى خلَقه اللهُ بيدِه ، ونفَخ فيه مِن رُوحِه ، وأَسْجَد له ملائِكَتَه ، وعلَّمَه أسماءَ كلِّ شىءٍ ، وأَسْكَنَه جنَّتَه .

وقد روى ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[٣] عن أبى ذرٍّ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، كَمِ الأنبياءُ ؟ قال : « مائةُ ألفٍ (٤وأربعةٌ وعِشرون٤) ألفًا » . قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، كَمِ الرُّسُلُ مِنهم ؟ قال : « ثلاثُمائةٍ وثلاثةَ عَشَرَ ، جَمٌّ غَفِيرٌ » . قلت : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ كان أوَّلَهم ؟ قال : « آدمُ » . قلت : يا رسولَ اللهِ ، نبىٌّ مُرْسَلٌ ؟ قال : « نعم ، خلَقَه اللهُ بيدِه ، ثم نفَخَ فيه مِن رُوحِهِ ، ثم سَوَّاه(٥) قُبُلًا » .

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « وذويه » ، فى م ، ص : « ودونه » .

(٢) التفسير ٣/٥٢٧ - ٥٣١ .

(٣) الإحسان (٣٦١) ، إسناده ضعيف جدا .

(٤ - ٤) كذا بالنسخ . وفى صحيح ابن حبان : « وعشرون » . ولفظ : « وأربعة وعشرون » رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/١٦٦ ، ١٦٧ .

(٥) كذا بالنسخ . وفى صحيح ابن حبان : « كلَّمه » . ولفظة « سواه » رواها أبو نعيم فى الحلية ١/١٦٧ من طريق سليمان بن أحمد .

وقال الطَّبرانىُّ[1] : حدثنا إبراهيمُ بنُ نائلَةَ الأصبهانىُّ ، حدثنا شَيْبانُ بنُ فَرُّوخٍ ، حدثنا نافِعُ بنُ[2] هُرْمُزَ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَبَاحٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ قال : قال : رسولُ اللهِ ﷺ : « ألا أُخْبِرُكُم بأفضلِ الملائكةِ ؟ جبريلُ ، وأفضَلُ النَّبِيِّين آدَمُ ، وأفضَلُ الأيَّامِ يومُ الجُمُعَةِ ، وأفضلُ الشهورِ شهرُ رمضانَ ، وأفضلُ الليالِى لَيْلَةُ القَدْرِ ، وأفَضَلُ النِّساءِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ » . وهَذا إسنادٌ ضعيفٌ ، فإنَّ نافِعًا أبا هُرْمُزَ هذا كذَّبه ابنُ مَعِينٍ ، وضَعَّفه أحمدُ ، وأبو زُرْعَةَ ، وأبو حاتمٍ ، وابنُ حِبَّانَ ، وغيرُهم ، واللهُ أعلمُ .

وقال كعبُ الأحبارِ[3] : ليس أحدٌ فى الجنةِ له لِحْيَةٌ إلا آدمُ ، لحيتُه سوداءُ ، إلى سُرَّتِه ، وليس أحدٌ يُكْنَى فى الجنةِ إلا آدمُ ، كُنْيَتُه فى الدنيا أبو البشرِ ، وفى الجنةِ أبو محمدٍ .

وقد روى ابنُ عَدِىٍّ[4] من طريقِ شيخِ ابنِ أبى خالدٍ ، عن حمّادِ بنِ سلمةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، مرفوعًا : « أهلُ الجنةِ يُدْعَون بأسمائِهم إلا آدمَ ، فإنَّه يُكْنَى أبا محمدٍ » . ورواه ابنُ عدىٍّ[5] أيضًا ، مِن حديثِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وهو ضعيفٌ مِن كلِّ وجهٍ ، واللهُ أعلمُ .

وفى حديثِ الإسراءِ الذى فى « الصحيحين »[6] ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَمَّا

---

(١) المعجم الكبير (١١٣٦١) . وقال الهيثمى : فيه نافع أبو هرمز وهو ضعيف . المجمع ١٤٠/٣ ، ١٩٨/٨ . وهو حديث موضوع (الضعيفة ٤٤٦) .

(٢) كذا بالنسخ ، وفى المعجم الكبير : « أبو » . وهو يوافق كلام المصنف فى التعليق على الحديث . وانظر لسان الميزان ١٤٦/٦ .

(٣) رواه ابن عساكر ٣٨٩/٧ .

(٤) الكامل فى الضعفاء ١٣٦٨/٤ .

(٥) الكامل ٢٣٠٣/٦ .

(٦) البخارى (٣٤٩ ، ٣٣٤٢) ، مسلم (١٦٣) .

مَرَّ بآدمَ وهو فى السماءِ الدنيا ، قال له : « مرحبًا بالابنِ الصَّالحِ والنَّبىِّ الصالحِ . قال : وإذا عن يمينِه أَسْوِدَةٌ ، وعن يسارِه أَسْوِدَةٌ ، فإذا نظر عن يمينِه ضحِكَ ، وإذا نظر عن شِمالِه بكَى ، فقلتُ : يا جبريلُ ، ما هذا ؟ قال هذا آدَمُ ، وهؤلاءِ نسَمُ بَنِيه ، فإذا نظَر قِبَلَ أهلِ اليمينِ ، وهم أهلُ الجنةِ ، ضَحِك ، وإذا نظر قِبَلَ أهلِ الشِّمالِ ، وهم أهلُ النَّارِ ، بكَى » . هذا معنى الحديثِ . وقال أبو بكرٍ البزَّارُ[1] : حدثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأنا هشامُ بنُ حسَّانَ ، عنِ الحسنِ ، قال : كان عَقْلُ آدمَ مثلَ عقْلِ جميعِ ولدِه .

وقال بعضُ [١/٥٩و] العلماءِ[2] فى قولِه ﷺ : « فمررتُ بيوسُفَ ، وإذا هو قد أُعْطِىَ شَطْرَ الحُسْنِ »[3] . قالوا : معناه أنَّه كان على النِّصفِ مِن حُسْنِ آدمَ عليه السلامُ . وهذا مناسِبٌ ، فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ وصوَّرَه بيدِه الكريمةِ ، ونفَخ فيه مِن رُوحِه ، فما كان لِيخْلُقَ إلا أحسنَ الأشياءِ[4] . وقد رُوِّينا عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، وابنِ عمرٍو أيضًا ، موقوفًا ومرفوعًا : « إنَّ اللهَ تعالى لَمَّا خلق الجنةَ قالتِ الملائكةُ : يا رَبَّنا ، اجعْل لنا هذه ، فإنَّك خلقتَ لبنِى آدمَ الدنيا يأكلُون فيها ويشربُون . فقال اللهُ تعالى : وعزَّتِى وجَلَالِى لا أجْعَلُ صالِحَ ذُرِّيَّةِ مَن خلقْتُ بِيَدىَّ ، كَمَنْ قلتُ له : كُنْ . فكان »[5] . وقد ورد الحديثُ المَرْوِىُّ فى « الصحيحين »[6] وغيرِهما مِن طرقٍ أَنَّ رسولَ اللهِ

---

(١) لم نجده فى كشف الأستار .

(٢) انظر التفسير ٣١٢/٤ .

(٣) مسلم (١٦٢) .

(٤) فى م : « الأشباه » .

(٥) تقدم المرفوع عن ابن عمرو فى صفحة ١٢٧ ، والموقوف أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٣٢) من حديث ابن عمر .

(٦) البخارى (٣٣٢٦ ، ٦٢٢٧) ، مسلم (٢٦١٢ ، ٢٨٤١) .

ﷺ قال : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صُورَتِه » . [1]وفى غيرِ « الصحيحين » : « إن اللهَ خلق آدمَ على صورةِ الرحمنِ عز وجل »[1] . وقد تكلَّم العلماءُ على هذا الحديثِ ، فذكروا فيه مسالِكَ كثيرةً ، ليس هذا موضِعَ بَسْطِها ، واللهُ أعلمُ .

(١ - ١) زيادة من : ا . وهذه الرواية أخرجها البيهقى فى الأسماء والصفات ص ٢٩١ . وضعفها الألبانى فى السنة لابن أبى عاصم (٥١٧) . وانظر التوحيد لابن خزيمة ص ٢٧ .

ذكرُ وفاةِ آدمَ ووصيَّتِه إلى ابنِه شِيثٍ[1]

ومعنى شِيثٍ[1] ، هِبَةُ اللهِ . وسمَّياه بذلك ؛ لأنَّهما رُزِقاه بعد أنْ قُتِلَ هابيلُ . قال أبو ذرٍّ فى حديثِه[2] عن رسولِ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ أنزَلَ مائةَ صحيفةٍ وأرْبَعَ صُحُفٍ ؛ على شِيْثَ خمسينَ صحيفةً » . قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : ولما حضرتْ آدمَ الوفاةُ عَهِد إلى ابنِه شِيثٍ ، وعلَّمه ساعاتِ الليلِ والنهارِ ، وعلَّمه عباداتِ تلك الساعاتِ ، وأعْلَمه بوقوعِ الطُّوفانِ بعدَ ذلك . قال : ويُقَالُ : إنَّ أنسابَ[4] بنى آدمَ اليومَ كلَّها تنتهِى إلى شِيثٍ ، وسائِرُ أولادِ آدمَ غيرَه انقرضوا وبادُوا ، واللهُ أعلمُ .

ولما تُوُفِّىَ آدمُ عليه السلامُ ، وكان ذلك يومَ الجمعةِ ، جاءَتْه الملائكةُ بحَنُوطٍ وكَفَنٍ مِن عندِ اللهِ عزَّ وجل مِنَ الجنةِ ، وعزُّوا فيه ابنَه ووصيَّه شِيثٍ عليه السلامُ . قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكسفَتِ الشمسُ والقمرُ سبعةَ أيامٍ بلياليهنَّ . وقد قال عبدُ اللهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[5] : حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ ، حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن حُميدٍ ، عنِ الحسنِ ، عن عُتَىٍّ[6] - هو ابنُ ضَمْرةَ السَّعْدِىُّ - قال : رأيتُ شيخًا بالمدينةِ يتكلمُ ، فسألتُ عنه ، فقالوا : هذا أُبَىُّ بنُ كعبٍ . فقال : إن آدمَ لَمَّا حضره الموتُ قال لبَنِيه : أىْ بَنِىَّ ، إنِّى أشتَهِى مِن ثمارِ

---

(١) فى الأصل ، ا : « شيت » .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٢٦ .

(٣) تاريخ الطبرى ١٥٢/١ ، ١٥٣ . وأورده الثعلبى فى عرائس المجالس (٤١) بنحوه .

(٤) فى ح : « أسماء » .

(٥) مسند أحمد ١٣٦/٥ ، ورجاله رجال الصحيح غير ضمرة وهو ثقة . مجمع الزوائد ١٩٩/٨ .

(٦) فى م : « يحيى » .

الجنةِ . قال : فذهبوا يطلبُون له ، فاستقبلتْهمُ الملائكةُ ومعهم أكفانُه وحَنُوطُه ، ومعهم الفُئُوسُ والمَساحِى والمَكاتِلُ ، فقالوا لهم : يا بَنى آدمَ ، ما تريدون وما تَطلُبون – أو : ما تُريدونَ وأينَ تطلُبون – قالوا : أبونا مريضٌ واشتَهَى مِن ثمارِ الجنةِ . فقالوا لهم : ارجعوا فقد قُضِىَ قَضاءُ أبيكم . فجاءُوا ، فلما رأتْهم [٥٩/١ظ] حواءُ عرفَتْهم ، فلاذَتْ بآدمَ ، فقال : إليكِ عنِّى فإنِّى إنَّما أُتِيتُ مِن قِبَلِكِ ، فَخَلِّى بَيْنِى وبينَ ملائكةِ ربِّى عزَّ وجلَّ . فقبضوه ، وغسَّلُوه ، وكفَّنوه ، وحنَّطوه ، وحفَروا له ، وألْحَدُوه ، وصَلَّوْا عليه ، ثم دخلُوا[1] قبرَه فوضعوه فى قبرِه ، ثم حَثَوْا عليه ، ثم قالوا : يا بَنِى آدمَ هذه سُنَّتُكم[2] . إسنادٌ صحيحٌ إليه . وروى ابنُ عساكرَ[3] مِن طريقِ شَيْبانَ بنِ فرُّوخٍ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، عن ميمونِ بنِ مِهرانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « كبَّرَتِ الملائكةُ على آدمَ أربعًا » . وكبَّر أبو بكرٍ على فاطمةَ أربعًا ، وكبَّر عمرُ على أبى بكرٍ أربعًا ، وكبَّر صُهَيبٌ على عمرَ أربعًا . قال ابنُ عساكرَ : ورواه غيرُه عن ميمونٍ ، فقال : عنِ ابنِ عمرَ .

واختلفوا فى موضعِ دَفْنِه ؛ فالمشهورُ أنَّه دُفِنَ عندَ الجبلِ الذى أُهْبِطَ عليه[4] فى الهندِ . وقِيلَ : بجبلِ أبى قُبَيْسٍ بمكةَ . ويقالُ : إنَّ نوحًا عليه السلامُ لما كان زمنُ الطوفانِ حمَله هو وحواءَ فى تابوتٍ فدفَنَهما ببيتِ المَقدسِ . حكى ذلك ابنُ جَرِيرٍ[5] . وروى ابنُ عساكِرَ[6] عن بعضِهم أنَّه قال : رأسُه عندَ مسجدِ إبراهيمَ ، ورِجْلاه عندَ صَخْرةِ بيتِ المَقْدسِ . وقد

---

(١) فى م ، ص : « أدخلوه » .
(٢) بعده فى ا : « فى موتاكم » .
(٣) تاريخ دمشق ٤٥٨/٧ . ومحمد بن زياد كذاب . الكامل لابن عدى ٢١٤١/٦ .
(٤) فى الأصل ، ح ، م : « منه » .
(٥) تاريخ الطبرى ١٦١/١ .
(٦) تاريخ دمشق ٤٥٨/٧ .

ماتتْ بعدَه حواءُ بسنةٍ واحدةٍ .

واخْتُلِفَ فى مقدارِ عمرِه عليه السلامُ ، فقدَّمنا فى الحديثِ عنِ ابنِ عباسٍ وأبى هريرةَ مرفوعًا ، أنَّ عُمُرَه اكْتُتِبَ فى اللوحِ المحفوظِ ألفَ سنةٍ[1] . وهذا لا يعارِضُه ما فى التوراةِ مِن أنَّه عاش تِسعَمائةٍ وثلاثين سنةً ؛ لأنَّ قولَهم هذا مطعونٌ فيه مردودٌ إذا خالف الحقَّ الذى بأيدِينا مِمَّا هو المحفوظُ عن المعصومِ . وأيضًا فإنَّ قولَهم هذا يمكنُ الجمعُ بينَه وبينَ ما فى الحديثِ ؛ فإنَّ ما فى التوراةِ - إنْ كان محفوظًا - محمولٌ على مدةِ مُقامِه فى الأرضِ بعدَ الإهباطِ ، وذلك تِسعُمائةٍ وثلاثون سنةً شمسيةً ، وهى بالقمريةِ تِسعُمائةٍ وسبعٌ وخمسون سنةً ، ويضافُ إلى ذلك ثلاثٌ وأربعون سنةً ، مدةُ مُقامِه فى الجنةِ قبلَ الإهباطِ ، على ما ذكره ابنُ جَرِيرٍ[2] وغَيْرُه ، فيكونُ الجميعُ ألفَ سنةٍ .

وقال عطاءٌ الخُراسانىُّ : لَمَّا مات آدمُ ، بكتِ الخلائقُ عليه سبعةَ أيامٍ . رواه ابنُ عساكِرَ[3] . فلمّا مات آدمُ عليه السلامُ قام بأعباءِ الأمرِ بعدَه ولدُه شيثٌ عليه السلامُ ، وكان نبيًّا بنصِّ الحديثِ الذى رواه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[4] عن أبى ذرٍّ مرفوعًا أنه أُنْزِل عليه خمسونَ صحيفةً . فلمَّا حانتْ وفاتُه ، أَوْصَى إلى ابنِه أنوشَ[5] ، فقام بالأمرِ بعدَه ، ثم بعدَه ولَدُه قَيْنَنُ ، ثم مِن بعدِه ابنُه مَهلائيلُ ، وهو الذى تزْعُمُ الأعاجمُ مِنَ الفُرْسِ [١/٦٠و] أنَّه مَلَكَ الأقاليمَ السبعةَ ، وأنَّهُ أوَّلُ مَن قطَع الأشجارَ وبنى المدائِنَ ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٠٣ - ٢٠٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ١/١١٩ .

(٣) تاريخ دمشق ٧/٤٥٩ .

(٤) تقدم فى صفحة ٢٢٦ .

(٥) فى الأصل ، ص : « يانش » . وذكرها صاحب تاج العروس ٤/٢٨٠ .

والحصونَ الكِبارَ ، وأنَّه هو الذى بنى مدينةَ بابِلَ ، ومدينةَ السُّوسِ الأقصَى ، وأنَّه قهر إبليسَ وجنودَه وشرَّدهم عنِ الأرضِ إلى أطرافِها وشِعابِ جبالِها ، وأنَّه قتل خَلْقًا مِن مَرَدَةِ الجِنِّ والغِيلانِ ، وكان له تاجٌ عظيمٌ ، وكان يخطُبُ الناسَ ، ودامت دولَتُه أربعينَ سنةً . فلَمَّا مات ، قام بالأمرِ بعدَه ولَدُه يَرْدُ ، فلَمَّا حَضَرَتْه الوفاةُ ، أوصَى إلى ولدِه خَنُوخَ ، وهو إدريسُ عليه السلامُ على المشهورِ . واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ[1] .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ١/١٦٨ ، ١٦٩ .

ذكرُ إدريسَ عليه السلامُ

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٦ ، ٥٧] . فإدريسُ عليه السلامُ قد أثنى اللهُ عليه ، ووَصفَه بالنُّبوَّةِ والصِّديقيَّةِ ، وهو خَنُوخُ هذا ، وهو فى عَمودِ نَسَبِ رسولِ اللهِ ﷺ ، على ما ذكره غيرُ واحدٍ مِن علماءِ النَّسَبِ . وكان أوَّلَ بَنِى آدمَ أُعْطِىَ النُّبوةَ بعدَ آدمَ وشِيثٍ عليهما السلامُ . وذكر ابنُ إسحاقَ[2] أنَّه أولُ مَن خَطَّ بالقلمِ . وقد أدرك مِن حياةِ آدمَ ثلاثَمائةِ سنةٍ وثمانِىَ سنينَ . وقد قال طائفةٌ مِنَ النَّاسِ : إنَّه المُشارُ إليه فى حَديثِ معاويةَ بنِ الحكمِ السُّلَمىِّ لمّا سأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ عن الخَطِّ بالرملِ ، فقال : « إنَّه كان نبىٌّ يخُطُّ به ، فمن وافق خطَّه فذاك »[3] . ويزعُمُ كثيرٌ مِن علماءِ التَّسْييرِ[4] والأحكامِ أنَّه أوَّلُ مَن تكَلَّم فى ذلك ويُسَمُّونه « هَرْمِسَ الهرامسةِ » ويكْذِبون عليه أشياءَ كثيرةً ، كما كذَبوا على غيرِه مِن الأنبياءِ والعلماءِ والحكماءِ والأولياءِ .

وقولُه تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ . هو كما ثَبَتَ فى « الصحيحين » فى حديثِ الإسراءِ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ به وهو فى السماءِ الرابعةِ[5] . وقد روى ابنُ جريرٍ[6] عن يونسَ بنِ[7] عبدِ الأعلى ، عن ابنِ وهبٍ ، عن

---

(١) التفسير ٢٣٦/٥ .

(٢) وأورده مختصرًا الطبرى فى تاريخه ١٧١/١ .

(٣) مسلم (٥٣٧) ، أبو داود (٩٣٠) .

(٤) فى ا ، م ، ص : « التفسير » .

(٥) البخارى (٣٢٠٧) ، مسلم (١٦٢) .

(٦) تفسير الطبرى ٩٦/١٦ .

(٧) فى م : « عن » .

جَرِيرِ بنِ حازِمٍ ، عن الأعمشِ ، عن شِمْرِ بنِ عطيةَ ، عن هلالِ بنِ يَسافٍ ، قال : سَأَلَ ابنُ عباسٍ كعبًا ، وأنا حاضرٌ ، فقال له : ما قولُ اللهِ تعالى لإدريسَ : ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ؟ قال كعبٌ : أمَّا إدريسُ فإنَّ اللهَ أوحَى إليه : إنِّى أرفعُ لكَ كلَّ يومٍ مثلَ جميعِ عملِ بنى آدمَ - لعلّه مِن أهلِ زمانِه - فأَحبَّ أن يزدادَ عملًا ، فأتاه خليلٌ له مِن الملائكةِ ، فقال : إنَّ اللهَ أوحَى إلىَّ كذا وكذا ، فَكلِّمْ مَلَكَ الموتِ فليُؤَخِّرْنى حتى أزدادَ عملًا . فحمله بينَ جَناحَيْه ثم صَعَدَ به إلى السَّماءِ ، فلمَّا كان فى السماءِ الرابعةِ تَلَقَّاهم ملَكُ الموتِ مُنحدِرًا ، فكلَّمَ ملكَ [١/٦٠ظ] الموتِ فى الذى كلَّمه فيه إدريسُ ، فقال : وأين إدريسُ ؟ قال : هو ذا على ظهرِى . فقال مَلَكُ الموتِ : فالعجبُ ، بُعِثْتُ وقِيل لى : اقْبِضْ رُوحَ إدريسَ فى السماءِ الرابعةِ . فجعلْتُ أقولُ : كيف أقبضُ رُوحَه فى السَّماءِ الرابعةِ وهو فى الأرضِ ؟ فقبَض رُوحَه هناك . فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ورواه ابنُ أبى حاتِمٍ عندَ تفسيرِها[1] . وعندَه : فقال لذلك المَلَكِ : سَلْ لى مَلَكَ الموتِ كم بَقِىَ مِن عُمُرِى ؟ فسأله وهو معه : كم بَقِىَ مِن عمرِه ؟ فقال : لا أدرِى حتى أنظُرَ . فنظر ، فقال : إنك لتسألُنى عن رجلٍ ما بَقِىَ مِن عمرِه إلا طَرْفةُ عينٍ . فنظر المَلَكُ إلى تحتِ جناحِه ، إلى إدريسَ ، فإذا هو قد قُبِضَ وهو لا يشعرُ . وهذا من الإسرائيليّاتِ ، وفى بعضِه نَكَارةٌ . وقولُ ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال : إدريسُ رُفِع ولم يَمُتْ كما رُفِع عيسى[2] . إنْ أراد أنَّه لم يَمُتْ إلى الآن ، ففى هذا نَظَرٌ ، وإنْ أراد أنَّه رُفِع حيًّا إلى السَّماءِ ثم قُبِض هناك ، فلا يُنافِى ما تقدَّمَ عن كعبِ الأحبارِ ،

---

(١) الدر المنثور ٤/٢٧٤ .

(٢) تفسير الطبرى ١٦/٩٦ .

واللهُ أعلمُ . وقال العَوفىُّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال : رُفِع إلى السَّماءِ السادسةِ فمات بها . وهكذا قال الضَّحَّاكُ . والحديثُ المُتَّفقُ عليه مِن أنَّه فى السماءِ الرابعةِ أصحُّ ، وهو قولُ مُجاهدٍ وغيرِ واحدٍ[1] . وقال الحسنُ البَصْرىُّ ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال : إلى الجنةِ . وقال قائلون : رُفِع فى حياةِ أبيه يَرْدَ بنِ مَهْلائيل[2] ، واللهُ أعلمُ .

وقد زعَم بعضُهم أنَّ إدريسَ لم يكُنْ قبلَ نوحٍ ، بل فى زمانِ بنى إسرائيلَ . قال البخارىُّ[3] : ويُذْكَرُ عنِ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ أنَّ إلياسَ هو إدريسُ . واستأنَسُوا فى ذلك بما جاء فى حديثِ الزُّهْرىِّ عن أنسٍ فى الإسراءِ ، أنَّه لما مر به عليه السلامُ قال له : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ . ولم يَقُلْ كما قال آدمُ وإبراهيمُ : مرحبًا بالنَّبىِّ الصَّالحِ والابنِ الصَّالحِ . قالوا : فلو كان فى عمودِ نَسَبِه لقال له كما قال له . وهذا لا يدلُّ ولابدَّ على ذلك ؛ لأنه قد لا يكونُ الراوى حَفِظَه جيدًا ، أو لعلَّه قاله له على سبيل الهضْمِ والتواضُعِ ، ولم ينتَصِبْ له فى مقامِ الأُبُوَّةِ كما انتَصَب لآدمَ أبى البشرِ ، وإبراهيمَ الذى هو خليلُ الرحمنِ ، وهو أكبرُ أُولِى العزمِ بعدَ محمدٍ صلواتُ اللهِ عليهم أجمعينَ .

---

(١) تفسير الطبرى ٩٧/١٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ١٧٠/١ .

(٣) وقال ابن حجر : حديث ابن مسعود إسناده حسن ، وحديث ابن عباس إسناده ضعيف . فتح البارى ٣٧٣/٦ . وروى أثر ابن مسعود ابن عساكر فى تاريخه ٢٠٧/٩ .

قصَّةُ نوحٍ عَلَيه السَّلامُ

[٦١/١و] هو نوحُ بنُ لامَكَ بنِ متُّوشلخَ بنِ خنوخَ - وهو إدريسُ - بنِ يَرْدَ بنِ مهلائيلَ بنِ قينَنَ بنِ أَنُوشَ بنِ شِيثٍ بنِ آدمَ أبى البشرِ عليه السلامُ . كان مولِدُه بعدَ وفاةِ آدمَ بمائةِ سنةٍ وستٍّ وعشرين سنةً ، فيما ذكره ابنُ جريرٍ[1] وغيرُه . وعلى تاريخِ أهلِ الكتابِ المتقدِّمِ ، يكونُ بينَ مولدِ نوحٍ وموتِ آدمَ مائةٌ وستٌّ وأربعون سنةً ، وكان بينَهما عشرةُ قرونٍ ، كما [2]قال الحافظُ أبو حاتمٍ ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[3][2] حدثنا محمدُ بنُ عمرَ بنِ يوسفَ ، حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ زَنْجُويَه ، حدثنا أبو تَوْبةَ ، حدثنا معاويةُ بنُ سَلَّامٍ ، عن أخيه زيدِ بنِ سلَّامٍ ، سمعتُ أبا سلَّامٍ ، سمعتُ أبا أُمامةَ ، أنَّ رجلًا قال : يا رسولَ اللهِ ، أَنبِىٌّ كان آدمُ ؟ قال : « نعمْ ، مُكَلَّمٌ » . قال : فكم كان بينَه وبينَ نوحٍ ؟ قال : « عشَرةُ قرونٍ » . قلتُ : وهذا على شرطِ مسلمٍ ، ولم يخرجْه . وفى « صحيحِ البخارىِّ »[4] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان بينَ آدمَ ونوحٍ عشَرةُ قرونٍ ، كلُّهم على الإسلامِ . فإن كان المرادُ بالقَرْنِ مائةَ سنةٍ ، كما هو المتبادَرُ عندَ كثيرٍ من الناسِ ، فبينَهما

---

(١) تاريخ الطبرى ١٧٤/١ .

(٢ - ٢) فى ا : « روى ابن أبى حاتم » .

(٣) الإحسان (٦١٩٠) ، وإسناده صحيح .

(٤) لم نجده فى صحيح البخارى ، ورواه الحاكم فى المستدرك ٤٤٢/٢ ، ٥٤٦ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه. وأقره الذهبى . والبزار ، كشف الأستار (٢١٩٠) . وقال الهيثمى فى المجمع ٣١٩/٦ : رواه البزار ، وفيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين ، وقال غيره : ليس بالقوى . وأورده ابن كثير فى تفسيره ٣٦٤/١ ، وعزاه للحاكم ونقل قول الحاكم : صحيح ولم يخرجاه . وقال السيوطى فى الدر المنثور ٢٤٢/١ بسند صحيح .

ألفُ سنةٍ لا محالَةَ ، لكن لا ينفِى أن يكونَ أكثرَ باعتبارِ ما قَيَّد به ابنُ عباسٍ بالإسلامِ ؛ إذ قد يكونُ بينَهما قرونٌ أُخَرُ متأخرةٌ لم يكونوا على الإسلامِ ، لكنَّ حديثَ أبى أُمامةَ يدلُّ على الحَصْرِ فى عشَرةِ[1] قرونٍ ، وزادنا ابنُ عباسٍ أنهم كلُّهم كانوا على الإسلامِ . وهذا يردُّ قولَ مَن زعَم مِن أهلِ التواريخِ وغيرِهم مِن أهلِ الكتابِ ، أن قابيلَ وبَنِيه عبدُوا النَّارَ ، واللهُ أعلمُ . وإن كان المرادُ بالقرنِ الجيلَ من الناسِ ، كما فى قولِه تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء : ١٧] . وقولِه : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨] . وقال : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ [مريم : ٧٤] . وكقولِه عليه السلامُ : « خَيْرُ القُرونِ قَرْنِى » الحديث[2] . فقد كان الجيلُ قبلَ نوحٍ يُعَمَّرون الدُّهورَ[3] الطويلَةَ ، فعلى هذا يكونُ بينَ آدمَ ونوحٍ ألوفٌ من السِّنينَ ، واللهُ أعلمُ .

وبالجملةِ ، فنوحٌ عليه السلامُ إنَّما بعَثه اللهُ تعالى لمّا عُبِدتِ[4] الأصنامُ والطواغيتُ ، وشَرَع الناسُ فى الضلالةِ والكفرِ ، فبعَثَه اللهُ رحمةً للعبادِ ، فكان أولَ رسولٍ بُعِثَ إلى أهلِ الأرضِ ، كما يقولُ له أهلُ الموقفِ يومَ القيامةِ[5] . وكان قومُه يقالُ لهم : بنو راسبٍ . فيما ذكره ابنُ جريرٍ[6] وغيرُه .

واختلفوا فى مقدارِ سِنِّه يومَ بُعِث ؛ فقيل : كان ابنَ [١/٦١ظ] خمسينَ

---

(١) فى ح : « عشر » .

(٢) البخارى (٦٤٢٩) ، مسلم (٢٥٣٥) بألفاظ مقاربة . ولفظة : « القرون » لم يروها سوى أبى نعيم فى الحلية : « خير القرون القرن الذى أنا فيه » . ٤/١٧٢ .

(٣) فى : م « الدهر » .

(٤) فى : ص « عبدوا » .

(٥) صحيح البخارى (٣٣٤٠) .

(٦) فى : م « جبير » وهو فى تاريخ الطبرى ١/١٧٤ ، ١٧٩ . إلا أنه قال : بيوراسب . فى كل المواضع .

سنةً . وقيل : ابنَ ثلاثِمائةٍ وخمسينَ سنةً . وقيل : ابنَ أربعِمائةٍ وثمانينَ سنةً . حكاها ابنُ جريرٍ[1] وعزا الثالثَ منها إلى ابنِ عباسٍ .

وقد ذكر اللهُ قصتَه ، وما كان مِن قومِه ، وما أَنْزل بمَن كفَر به مِن العذابِ بالطُّوفانِ[2] ، وكيف أنجاه وأصحابَ السَّفينةِ ، فى غيرِ ما موضعٍ مِن كتابِه العزيزِ ؛ ففى « الأعراف » ، و « يونس » ، و « هود » ، و « الأنبياء » ، و « المؤمنون » ، و « الشعراء » ، و « العنكبوت » ، و « الصافات » ، و « اقتربت » ، وأَنْزل فيه سورةً كامِلة ، فقال فى سورةِ « الأعراف »[3] : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٩ - ٦٤] .

وقال فى سورة « يونس »[4] : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ

---

(١) تاريخ الطبرى ١/١٧٩ .

(٢) سقط من : ح .

(٣) التفسير ٣/٤٢٧ .

(٤) التفسير ٤/٢١٨ .

أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس : ٧١ - ٧٣] .

وقال تعالى فى سورة« هود »[1] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ * وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا [١/٦٢و] فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ * وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ *

---

(١) التفسير ٤/٢٤٩ .

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٢٥ - ٤٩] .

وقال تعالى فى سورةِ « الأنبياء »[1] : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٦ ، ٧٧] .

وقال تعالى فى سورةِ « قد أفلح المؤمنون »[2] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ

---

(١) التفسير ٣٤٨/٥ .

(٢) التفسير ٤٦٦/٥ .

قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ [٦٢/١ظ] إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣ - ٣٠] .

وقال تعالى فى سورةِ « الشعراء »[1] : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٠٥ - ١٢٢] .

---

(١) التفسير ٦/١٦٠ .

وقال تعالى فى سورةِ « العنكبوت »[1] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ١٤ ، ١٥] .

وقال تعالى فى سورةِ : « الصافات »[2] : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات : ٧٥ - ٨٢] .

وقال تعالى فى سورةِ « اقتربت »[3] : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ * فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٩ - ١٧] .

وقال تعالى[4] : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُوا۟ [٦٣/١و] ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *

---

(١) التفسير ٢٧٧/٦ .

(٢) التفسير ١٩/٧ .

(٣) التفسير ٤٥١/٧ .

(٤) التفسير ٢٥٨/٨ .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا * وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا * مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ١ - ٢٨] .

وقد تكلمنا على كلِّ موضعٍ مِن هذه فى « التفسيرِ » ، وسنذكرُ مضمونَ القصةِ مجموعًا مِن هذه الأماكنِ المتفرقةِ ، وممَّا دلّت عليه الأحاديثُ والآثارُ .

وقد جرى ذِكْرُه أيضًا فى مواضعَ متفرقةٍ من القرآنِ ، فيها مدحُه وذَمُّ مَن خالفَه ، فقال تعالى فى سورةِ « النساء »[1] : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ

---

(١) التفسير ٢/٤٢١ .

إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣ - ١٦٥] . وقال فى سورةِ « الأنعام »[1] : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ [١/٦٣ظ] كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٣ - ٨٧] الآيات . وتقدمت قصتُه فى « الأعراف » ، وقال فى سورةِ « براءة »[2] : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة : ٧٠] . وتقدمت قصتُه فى « يونس » و « هود » ، وقال فى سورةِ « إبراهيم »[3] : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم : ٩] . وقال فى

---

(١) التفسير ٣/٢٨٩ .

(٢) التفسير ٤/١١٤ .

(٣) التفسير ٤/٤٠٠ .

سورةِ « سبحان »[1] : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] . وقال فيها أيضًا[2] : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٧] . وتقدمت قصتُه فى « الأنبياء » ، و « المؤمنون » ، و « الشعراء » ، و « العنكبوت » . وقال فى سورةِ « الأحزاب »[3] : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] . وقال فى سورةِ « صٓ »[4] : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [صٓ : ١٢ - ١٤] . وقال فى سورةِ « غافر »[5] : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٥ ، ٦] . وقال فى سورةِ « الشورى »[6] : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] . وقال تعالى فى سورةِ « قٓ »[7] : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ

---

(١) التفسير ٥/٤٣ .
(٢) التفسير ٥/٥٩ .
(٣) التفسير ٦/٣٨٣ .
(٤) التفسير ٧/٤٨ .
(٥) التفسير ٧/١١٩ .
(٦) التفسير ٧/١٨٢ .
(٧) التفسير ٧/٣٧٥ .

وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق : ١٢ - ١٤] . [٦٤/١و] وقال فى « الذاريات »[١] : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الذاريات : ٤٦] . وقال فى « النجم »[٢] : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم : ٥٢] . وتقدمتْ قصتُه فى سورةِ « اقتربت الساعة » ، وقال تعالى فى سورةِ « الحديد »[٣] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٦] . وقال تعالى فى سورةِ « التحريم »[٤] : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] .

وأمَّا مضمونُ ما جرى له مع قومِه ، مأخوذًا مِن الكتابِ والسنَّةِ والآثارِ ، فقد قدَّمنا عن ابنِ عباسٍ أنَّه كان بينَ آدمَ ونوحٍ عشَرةُ قرونٍ ، كلُّهم على الإسلامِ . رواه البخاريُّ[٥] ، وذكَرنا أنَّ المرادَ بالقرنِ الجيلُ أو المدةُ على ما سلَف ، ثم بعدَ تلك القرونِ الصَّالحةِ حدثت أمورٌ اقتضت أنْ آلَ الحالُ بأهلِ ذلك الزَّمانِ إلى عبادةِ الأصنامِ ، وكان سببُ ذلك ما رواه البخاريُّ[٦] مِن حديثِ ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى :

---

(١) التفسير ٤٠٠/٧ .

(٢) التفسير ٤٤٢/٧ .

(٣) التفسير ٥٤/٨ .

(٤) التفسير ١٩٨/٨ .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٣٧ .

(٦) البخارى (٤٩٢٠) .

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] . قال : هذه أسماءُ رجالٍ صالحين (١مِن قومِ١) نوحٍ ، فلما هلَكوا أوحَى الشيطانُ إلى قومِهم ، أن انْصِبوا إلى مجالسِهم التى كانوا يجلِسون فيها[٢] أنْصابًا ، وسمُّوها بأسمائِهم ، ففعلوا ، فلم تُعْبَدْ ، حتى إذا هلَك أولئك ، ونُسِخَ العلمُ ، عُبِدَتْ . قال ابنُ عباسٍ : وصارت هذه الأوثانُ التى كانت فى قومِ نوحٍ فى العربِ بَعدُ[٣] . وهكذا قال عِكْرِمةُ والضحَّاكُ وقَتادَةُ ومحمدُ بنُ إسحاقَ[٤] .

وقال ابنُ جَريرٍ فى « تفسيرِه »[٥] : حدثنا ابنُ حُميدٍ ، حدثنا مِهرانُ ، عن سفيانَ ، عن موسى ، عن محمدِ بنِ قيسٍ ، قال : كانوا قومًا صالحين بينَ آدمَ ونوحٍ ، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابُهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلى العبادةِ إذا ذكَرْناهم . فصوَّرُوهم ، فلَمَّا ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليسُ ، فقال : إنَّما كانوا يعبدونهم ، وبهم يُسْقَوْن المطرَ . فعبدوهم . وروى ابنُ أبى حاتمٍ[٦] ، عن عُروةَ بنِ الزبيرِ ، أنَّه قال : ودٌّ ويَغوثُ ويَعوقُ وسُواعٌ ونَسْرٌ أولادُ آدمَ ، وكان ودٌّ أكبرَهم وأبَرَّهم به .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[٦] : حدثنا أحمدُ بنُ منصورٍ ، حدثنا الحسنُ بنُ

(١ - ١) فى ح : « رفقة » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) البخارى (٤٩٢٠) .

(٤) تفسير الطبرى ٩٩/٢٩ .

(٥) تفسير الطبرى ٩٨/٢٩ ، ٩٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢٦٢/٨ ، الدر المنثور ٢٦٩/٦ .

موسى ، حدثنا [١/٦٤ظ] يعقوبُ ، عن أبى المُطَهَّرِ ، قال : ذكروا عندَ أبِى جعفرٍ - هو الباقرُ ، وهو قائمٌ يصلِّى - يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ ، قال : فلما انفَتَلَ مِن صلاتِه قال : ذكرتُم يزيدَ[1] بنَ المُهلَّبِ ، أما إنه قُتِلَ فى أولِ أرضٍ عُبِدَ فيها غيرُ اللهِ . قال : ذكر ودًّا ، رجلًا مسلمًا[2] ، وكان مُحبَّبًا فى قومِه ، فلما مات عَسْكَروا حولَ قبرِه فى أرضِ بابلَ وجَزِعوا عليه ، فَلمَّا رأى إبليسُ جزَعَهم عليه تشَبَّه فى صورةِ إنسانٍ ، ثم قال : إنِّى أرى جَزعَكم على هذا الرجلِ ، فهل لكم أن أصَوِّرَ لكم مثْلَه ، فيكونَ فى نادِيكم فتَذْكُرونه ؟ قالوا : نعمْ . فصوَّر لهم مِثْلَه . قال : ووضعوه[3] فى ناديهم وجعلوا يذْكُرونَه ، فلما رأى ما بهم مِن ذِكْرِه ، قال : هل لكم أن أجعلَ فى منزلِ كلِّ واحدٍ منكم تمثالًا مثلَه ؛ ليكونَ له فى بيتِه فتذكرونه ؟ قالوا : نعمْ . قال : فمَثَّل لكلِّ أهلِ بيتٍ تمثالًا مثلَه ، فأقبلوا فجعلوا يذْكُرونه به . قال : وأدرَك أبناؤُهم فجعلوا يَرَوْن ما يصنعون به . قال : وتناسلوا ، ودَرَس أمرُ[4] ذِكْرِهم إياه ، حتى اتخذوه إلهًا يعبدونه مِن دونِ اللهِ أولادُ أولادِهم ، فكان أوّلَ ما عُبِدَ غيرَ اللهِ ودٌّ الصنمُ ، الذى سَمَّوه ودًّا .

ومقتضَى هذا السياقِ أنَّ كلَّ صنمٍ مِن هذه عبَده طائفةٌ من الناسِ ، وقد ذُكِر أنه لما تطاولت العهودُ والأزمانُ ، جعلوا تلك الصُّورَ تماثيلَ مُجَسّدةً ؛ ليكونَ أثبتَ لها[5] ، ثم عُبِدَتْ بعدَ ذلك مِن دونِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولهم فى عبادتِها مسالِكُ كثيرةٌ قد ذكرناها فى كتابِنا « التَّفسيرِ »[6] فى مواضعِها ، وللهِ

---

(١) فى ح : « زيد » .
(٢) فى م : « صالحًا » .
(٣) فى ص : « فصنعوهم » .
(٤) فى ح ، م ، ص : « أثر » .
(٥) فى : م ، ا « لهم » .
(٦) التفسير ٨/٢٦١ ، ٢٦٢ .

الحمدُ والمِنَّةُ . وقد ثَبَتَ فى « الصحيحين »[1] عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه لمّا ذكَرتْ عندَه أمُّ سَلَمَةَ وأمُّ حَبيبةَ تلك الكنيسةَ التى رأَيْنَها بأرضِ الحبشةِ ، يُقالُ لها : ماريَّةُ . فذكرتا مِن حُسْنِها وتصاويرَ فيها قال : « أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالحُ بَنَوْا على قَبرِه مسجِدًا ثم صَوَّرُوا فيه تلك الصُّورَ ، أولئكَ شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ » .

والمقصودُ أن الفسادَ لمّا انتشر فى الأرضِ ، وعمَّ البلاءُ بعُبَّادِ الأصنامِ فيها ، بعَث اللهُ عبدَه ورسولَه نوحًا ، عليه السلامُ ، يدعو إلى عِبادَةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، وينهَى عن عِبادَةِ ما سواه ، فكان أولَ رسولٍ بعثَه اللهُ إلى أهلِ الأرضِ ، كما ثبَت فى « الصحيحين »[2] من حديثِ أبى حيّانَ ، عن أبى زُرْعَةَ ابنِ عمرِو بنِ جَريرٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ عن النبىِّ ﷺ فى حديثِ الشَّفاعةِ ، قال : « فيأتون آدمَ فيقولون : يا آدمُ ، أنت أبو [١/٦٥و] البشرِ ، خلقَكَ اللهُ بيدِه ، ونفَخ فيك مِن رُوحِه ، وأمَر الملائكةَ فسجدوا لك ، وأسْكنَك الجنَّةَ ، ألا تشفَعُ لنا إلى ربِّك ؛ ألا ترى ما نحن فيه ، وما بلَغَنا ؟ فيقولُ : ربى قد غَضِب غضبًا لم يغضَبْ قبلَه مِثْلَه ، ولا يغضبُ بعدَه مِثْلَه ، ونهانِى عن الشجرةِ فعصَيْتُ ، نَفْسِى نَفْسِى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوحٍ . فيأتون نوحًا ، فيقولون : يا نوحُ ، أنت أولُ الرُّسلِ إلى أهلِ الأرضِ ، وسَمَّاك اللهُ عبدًا شكورًا [3]ألا ترى إلى ما نحن فيه[3] ، ألا ترى إلى ما بَلغَنا ؟ ألا تشفعُ لنا إلى ربِّك عزَّ وجلَّ ؟ فيقولُ : ربى قد غَضِب اليومَ غضبًا ، لم يغضبْ قبلَه مِثْلَه ، ولا يغضبُ بعدَه مثَله ، نفسى نفسى » . وذكر تمامَ الحديثِ بطُولِه ، كما أورَده

---

(١) البخارى (٤٢٧) ، مسلم (٥٢٨) .

(٢) البخارى (٣٣٤٠) ، مسلم (١٩٤) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

البخاريُّ فى قصةِ نوحٍ . فلما بعَث اللهُ نوحًا ، عليه السلامُ ، دعاهم إلى إفرادِ العبادةِ للهِ وحدَه لا شريكَ له ، وأن لا يعبدوا معه صنمًا ، ولا تِمثالًا ، ولا طاغوتًا ، وأن يعترفوا بوَحْدانيتِه ، وأنه لا إلَه غيرُه ، ولا ربَّ سواه ، كما أمَر اللهُ تعالى مَن بعدَه مِن الرسلِ الذين هم كلُّهم مِن ذريتِه ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] . وقال فيه وفى إبراهيمَ : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [الحديد : ٢٦] . أى ؛ كلُّ نبيٍّ مِن بعدِ نوحٍ فمِن ذريَّتِه وكذلك إبراهيمُ ، (١)قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] . وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . ولهذا قال نوحٌ(١) لقومِه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ٥٩] . (١)وقال : ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾(١) [هود : ٢٦] . وقال : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣] . وقال : ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم

(١ - ١) سقط من : ص .

مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح : ٢ - ١٤] . الآيات الكريمات . فذكر أنه دعاهم إلى اللهِ بأنواعِ الدعوةِ ، فى الليلِ والنهارِ والسرِّ والإجهارِ ، بالترغيبِ تارةً والترهيبِ أخرى ، وكلُّ هذا فلم يَنْجَحْ فيهم ، بل استمرَّ أكثرُهم على الضلالةِ ، والطغيانِ ، [١/٦٥ظ] وعبادةِ الأصنامِ والأوثانِ ، ونَصَبوا له العداوةَ فى كلِّ وقتٍ وأوانٍ ، وتَنَقَّصُوه وتَنَقَّصوا مَن آمَن به ، وتَوَعَّدُوهم بالرَّجمِ والإخراجِ ، ونالُوا منهم ، وبالغوا فى أمرِهم ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ﴾ أى ؛ السادةُ الكبراءُ منهم ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٠ ، ٦١] . (١أى ؛ لستُ كما تزعمون مِن أنى ضالٌّ ، بل على الهُدَى المستقيمِ ، رسولٌ مِن ربِّ العالمين١) ، أى ؛ الذى يقولُ للشىءِ : كنْ . فيكونُ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٢] . وهذا شأنُ الرسولِ ، أن يكونَ بليغًا ، أى ؛ فصيحًا ، ناصحًا ، أعلمَ الناسِ باللهِ عزَّ وجلَّ . وقالوا له فيما قالوا : ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود : ٢٧] . تَعجَّبوا أنْ يكونَ بَشَرًا رسولًا ، وتَنَقَّصوا بمَن اتَّبعَه ورَأَوهُم أراذِلَهم ، وقد قيل : إنَّهم كانوا مِن أقيادِ الناسِ وهم ضعفاؤُهم . كما قال هِرَقْلُ : وهم أتباعُ الرسلِ[٢] . وما ذاك إلا لأنه لا مانعَ لهم مِن اتباعِ الحقِّ . وقولُهم : ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ أى ؛ بمجردِ ما دعوتَهم استجابوا لك مِن غيرِ نَظَرٍ ولا روِيَّةٍ . وهذا الذى ذمُّوهم[٣] به

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) البخارى (٧) ، مسلم (١٧٧٣) .

(٣) فى ح : « سموهم » ، وفى م ، ص : « رموهم » .

هو عينُ ما يُمْدَحون بسببِه ، رضِيَ اللهُ عنهم ، فإنَّ الحقَّ الظاهِرَ لا يحتاجُ إلى رَوِيَّةٍ ولا فكرٍ ، ولا نظرٍ ، بل يجبُ اتِّباعُه والانقيادُ له متى ظهَر ؛ ولهذا قال رسولُ اللهِ ﷺ مادحًا للصِّدِّيقِ : « ما دعَوْتُ أحدًا إلى الإسلامِ إلَّا كانَتْ له كَبْوةٌ ، غيرَ أبى بكرٍ ؛ فإنَّه لم يَتَلَعْثَمْ »[1] . ولهذا كانت بيْعَتُه يومَ السَّقِيفةِ أيضًا سريعةً مِن غيرِ نظرٍ ولا رَوِيَّةٍ ؛ لأنَّ أفْضَلِيَّتَه على مَن عَداه ظاهرةٌ جليَّةٌ عندَ الصحابةِ ، رَضِيَ اللهُ عنهم ؛ ولهذا قال رسولُ اللهِ ﷺ لمَّا أراد أن يكتُبَ الكتابَ الذى أرادَ أن ينُصَّ فيه على خلافتِه فترَكَه ، وقال : « يأْبَى اللهُ والمؤمنون إلا أبا بكرٍ »[2]. رضِيَ اللهُ عنه . وقولُ كفرةِ قومِ نوحٍ له ولِمَن آمن به : ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ أى ؛ لم يَظْهَرْ لكم أَمْرٌ بعدَ اتِّصافِكم بالإيمانِ ولا مَزِيَّةٌ علينا ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴾ [هود : ٢٧ ، ٢٨] . وهذا تلَطُّفٌ فى الخطابِ معهم ، وترفُّقٌ بهم فى الدعوةِ إلى الحقِّ ، كما قال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] . وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . وهذا منه يقولُ لهم : ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى رَحْمَةً مِّنْ [١/٦٦و] عِندِهِ ﴾ أى ؛ النبوةَ والرسالةَ ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أى فلم تفهموها ، ولم تهتدوا إليها ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أى ؛ أنَغْصِبُكم[3] بها ونُجْبِرُكم[4] عليها ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٥٢ .

(٢) مسلم (٢٣٨٧) ، أحمد ٦/١٤٤ .

(٣) فى م ، ص : « أنغضبكم » .

(٤) فى ص : « نخيركم » .

كَـٰرِهُونَ ﴾ أى ؛ ليس لى فيكم حِيلَةٌ والحالةُ هذه ﴿ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ ٱللَّهِ ﴾ (١أى ؛ لستُ أريدُ منكم أُجْرَةً على إبلاغى إيَّاكم ما ينفعُكم فى دنياكم وأخراكم ، إنْ أطلبُ ذلك إلَّا مِن اللهِ الذى ثوابُه خيرٌ لى وأبْقَى مِمَّا تُعطُونَنى أنتم . وقولُه١) : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [هود : ٢٩] . كأنهم طلبوا منه أنْ يُبْعِدَ هؤلاء عنه ، ووعدوه أنْ يجتمعوا به إذا هو فعَل ذلك ، فأبَى عليهم ذلك ، وقال : ﴿ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ فأخاف(٢) إنْ طردتُهم أنْ يشْكونى إلى اللهِ عزَّ وجلَّ . ولهذا قال : ﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود : ٣٠] . ولهذا لَمَّا سأل كفارُ قريشٍ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يطرُدَ عنه ضعفاءَ المؤمنين ؛ كعَمَّارٍ ، وصُهَيبٍ ، وبلالٍ ، وخَبَّابٍ وأشباهِهم ، نهاه اللهُ عن ذلك كما بيَّنَّاه فى سورتَىْ « الأنعام » و « الكهف » . ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ أى ؛ بل أنا عبدٌ ، رسولٌ ، لا أعلمُ من عِلمِ اللهِ إلَّا ما أَعْلمنى به ، ولا أَقْدِرُ إلَّا على ما أَقْدَرَنى عليه ، ولا أَمْلِكُ لنفسى نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللهُ ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ يعنى من أتباعِه ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أى ؛ لا أشهدُ عليهم بأنَّهم لا خيرَ لهم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ ، اللهُ أعلمُ بهم وسيجازيهم على ما فى نفوسِهم ، إنْ خيرًا فخيرٌ ، وإنْ شرًّا فشرٌّ ، كما قالوا فى (٣الموضعِ الآخرِ٣) : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ح ، م : « أى فأخاف » .

(٣ - ٣) فى : م « المواضع الأخر » .

تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ١١١ - ١١٥] .

وقد تَطاوَل الزمانُ والمجادَلةُ بينَه وبينَهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] . أى ؛ ومع هذه المدةِ الطويلةِ ، فما آمن به إلا القليلُ منهمْ وكان كلَّما انقرَض جيلٌ وَصَّوْا مَن بعدَهم بعدمِ الإيمانِ به ومحاربتِه ومخالفتِه ، وكان الوالِدُ إذا بلَغ ولدُه وعَقَل عنه كلامَه ، وصَّاه فيما بينَه وبينَه أنْ لا يُؤْمِنَ بنوحٍ أبدًا ما عاش ، ودائمًا ما بَقِيَ ، وكانت سجاياهم تَأْبى الإيمانَ واتباعَ الحقِّ ؛ ولهذا قال : ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] . ولهذا قالوا : ﴿ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ [١/٦٦ظ] إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [هود : ٣٢ ، ٣٣] . أى ؛ إنما يَقْدِرُ على ذلك اللهُ عزَّ وجلَّ ، فإنَّه الذى لا يُعْجِزُه شىءٌ ، ولا يَكْتَرِثُه أمرٌ ، بل هو الذى يقولُ للشىءِ : كُنْ . فيكونُ . ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود : ٣٤] . أى ؛ مَن يُرِدِ اللهُ فِتنَتَه فلن يملِكَ أحدٌ هدايتَه ، هو الذى يهدِى مَن يشاءُ ، ويضلُّ مَن يشاءُ ، وهو الفَعَّالُ لما يريدُ ، وهو العزيزُ ، الحكيمُ ، العليمُ بِمَن يستحِقُّ الهدايةَ ، ومَن يستحقُّ الغوايَةَ ، وله الحكمةُ البالغةُ والحُجةُ الدامغةُ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود : ٣٦] . وهذه تعزيةٌ لنوحٍ ، عليه السلامُ ، فى قومِه أنَّه لن يُؤمِنَ منهم إلا مَن قد آمَن ، وتسليةٌ له عما كان منهم إليه ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ أى ؛ لا يَسُوأَنَّكَ ما جرَى ، فإنَّ النصرَ قريبٌ ، والنبأَ عجيبٌ ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم

مُّغْرَقُونَ ﴾ وذلك أنَّ نوحًا ، عليه السلامُ ، لما يَئِسَ مِن صلاحِهم وفلاحِهم ، ورأى أنَّهم لا خيرَ فيهم ، وتوصَّلوا إلى أذِيتِه ، ومُخالَفَتِه ، وتكْذِيبِه بكلِّ طريقٍ ، مِن فِعالٍ ومَقالٍ ، دعا عليهم دعوةَ غضَبٍ للهِ[1] فلبَّى اللهُ دعوتَه ، وأجاب طِلْبَتَه ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات : ٧٥ ، ٧٦] . وقال تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء : ٧٦] . وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٧ ، ١١٨] . وقال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠] . وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [المؤمنون : ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٥ - ٢٧] . فاجتَمَع عليهم خطاياهم ؛ مِن كفرِهم ، وفجورِهم ، ودعوةِ نبيِّهم عليهم ، فعندَ ذلك أمرَه اللهُ تعالى أنْ يصنَعَ الفُلْكَ ؛ وهى السفينةُ العظيمةُ التى لم يكنْ لها نظيرٌ قَبْلَها ، ولا يكونُ بعدَها مِثْلُها ، وتقدَّم[2] اللهُ تعالى إليه أنه إذا جاء أمرُه ، وحَلَّ بهم بأسُه الذى لا يُرَدُّ عنِ القومِ المجرمين ، أنَّه لا يعاوِدُه فيهم ولا يُراجِعُه ؛ فإنَّه لعلَّه قد تُدْرِكُه رِقَّةٌ على قومِه عندَ مُعاينةِ العذابِ النازِلِ بِهم ، فإنَّه ليس الخَبرُ كالمعاينةِ[3] ؛ ولهذا قال : ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ

---

(١) سقط من : م . وفى ص : « الله عليهم » .

(٢) فى م ، ص : « قدَّم » .

(٣) ورد مرفوعا من حديث ابن عباس ، مسند أحمد ٢١٥/١ . (صحيح الجامع ٥٢٥٠) .

مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ [١/٦٧و] مِنْهُ ﴾ أى ؛ يستهزئون به ، استبعادًا لوقوعِ ما توعّدَهم به ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ أى ؛ نحن الذين نسخَرُ منكم ، ونتعجّبُ منكم فى استمرارِكم على كفرِكم وعنادِكم الذى يَقتضِى وقوعَ العذابِ بكم ، وحُلُولَه عليكم ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ وقد كانت سَجاياهم الكفرَ الغليظَ ، والعنادَ البالِغَ فى الدنيا ، وهكذا فى الآخرةِ ؛ فإنَّهم يجحَدُون أيضًا أنْ يكونَ جاءهم (١مِن اللهِ١) رسولٌ ، كما قال البخارىُّ(٢) : حدثنا موسى بنُ إسمٰعيلَ ، حدثنا عبدُ الواحِدِ بنُ زيادٍ ، حدثنا الأَعْمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يجىءُ نوحٌ ، عليه السّلامُ ، وأُمَّتُه ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : هل بلّغْتَ ؟ فيقولُ : نعمْ ، أى ربِّ . فيقولُ لأُمتِه : هل بَلَّغَكُم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا مِن نَبِىٍّ . فيقولُ لِنُوحٍ : مَن يَشْهَدُ لك ؟ فيقولُ : محمدٌ وأُمَّتُهُ . فَتَشْهَدُ أنَّه قد بَلَّغَ » . وهو قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والوسَطُ : العَدْلُ . فهذه الأُمةُ تشهدُ على شهادةِ نَبِيِّها الصّادِقِ المصدوقِ ، بِأَنَّ(٣) اللهَ قد بعث نوحًا بالحقِّ ، وأنزلَ عليه الحقَّ وأمره به ، وأنّه بَلَّغه إلى أمتِه على أكملِ الوجوهِ وأَتمِّها ، ولم يَدَعْ شيئًا مِمَّا يَنْفَعُهم فى دينِهم إلَّا وقد أمَرَهم به ، ولا شيئًا مِمَّا قد يضرُّهم إلا وقد نهاهُم عنه وحذَّرَهم منه ، وهكذا شأْنُ جميعِ الرسلِ ، حتى أنَّه حَذَّر قومَه المسيحَ الدَّجّالَ ، وإنْ كان لا يَتوقَّعُ

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) البخارى (٣٣٣٩) .

(٣) فى : ص « فإن » .

خروجَه فى زمانِهم ؛ حَذَرًا عليهم ، وشَفَقَةً ورحمةً بهم ، كما قال البخارىُّ[1] : حدثنا عَبْدانُ ، حدثنا عبدُ اللهِ ، عن يونُسَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، قال سالمٌ : قال ابنُ عمرَ : قام رسولُ اللهِ ﷺ فى الناسِ ، فأثْنى على اللهِ بما هو أهلُه ، ثم ذكَرَ الدَّجَّالَ ، فقال : « إنِّى لَأُنْذِرُكُموه ، وما مِنْ نَبِىٍّ إلَّا وقد أَنْذَرَه قَوْمَه ؛ لقد أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَه ، ولكنِّى أقولُ لكم فيه قَولًا لم يَقُلْه نَبِىٌّ لِقَومِه : تعلمُونَ أنَّه أَعْورُ ، وأنّ اللهَ ليس بِأعْورَ » . وهذا الحديثُ فى « الصحيحين »[2] أيضًا مِن حديثِ شَيْبانَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن أبى سَلَمَةَ ابنِ عبدِ الرحمِن ، عن أبى هُريرَةَ ، عن النّبىِّ ﷺ قال : « ألا أُحدِّثُكم عن الدَّجّالِ حَدِيثًا ما حَدَّثَ به نَبِىٌّ قومَه ؟ إنَّه أَعْورٌ ، وإنه يَجىءُ معه بِمِثالِ الجَنَّةِ والنَّارِ ، فالتى يقولُ : إنها[3] الجنةُ . هى النَّارُ ، وإنِّى أُنْذِرُكُمْ ، كما أَنْذَرَ [١/٦٧ظ] به نُوحٌ قَوْمَه » . لفظُ البخارىِّ .

وقد قال بعضُ علماءِ السلفِ[4] : لما استجاب اللهُ له أمرَه أنْ يَغْرِسَ شجرًا ليعملَ منه السفينةَ ، فغرسه وانتظَره مائةَ سَنَةٍ ، ثم نَجَره فى مائةٍ أخرى ، وقيل : فى أَرْبَعِينَ سَنَةً . فاللهُ أعلمُ . قال محمدُ بنُ إسحقَ ، عن الثَّوْرىِّ : وكانت مِن خشبِ السَّاجِ . وقيل : مِن الصَّنَوْبَرِ . وهو نَصُّ التوراةِ[5] . قال الثورىُّ : وأمَرَه أنْ يجعلَ طولَها ثمانين ذِراعًا ، وعَرْضَها خمسينَ ذِراعًا ، وأنْ يَطْلِىَ ظَاهِرَها وباطِنَها بالقارِ ، وأنْ يجعلَ لها جُؤْجُؤًا أزْورَ[6] يُشقُّ الماءَ . وقال

---

(١) البخارى (٣٣٣٧) ، مسلم (٢٩٣١) .

(٢) البخارى (٣٣٣٨) ، مسلم (٢٩٣٦) .

(٣) فى : م ، ص ، ا : « عليها » .

(٤) انظر هذه الرواية وما بعدها فى تاريخ الطبرى ١/١٨٠ - ١٨٣ .

(٥) سفر التكوين الأصحاح ٦/١٤ ، وفيها : من خشب جُفْرٍ .

(٦) الجُؤْجُؤُ : الصدر . أزور : مائل .

قَتادةُ : كان طولُها ثلٰثمائةِ ذراعٍ فى عَرْضِ خمسينَ ذِراعًا . وهذا الذى فى التوراةِ على ما رأيتُه[1] . وقال الحسنُ البصرىُّ : ستُّمائةٍ فى عرضِ ثلٰثِمائةٍ . وعن ابنِ عباسٍ : ألفٌ ومائتا ذِراعٍ فى عرضِ ستِّمائةِ ذراعٍ . وقيل : كان طولُها ألْفَىْ ذِراعٍ ، وعرضُها مائةَ ذِراعٍ . قالوا كلُّهم : وكان ارتفاعُها ثلاثين ذِراعًا ، وكانت ثلاثَ طَبَقاتٍ ، كلُّ واحدةٍ عشَرةُ أَذْرُعٍ ، فالسُّفْلَى للدوابِّ والوحُوشِ ، والوُسْطَى للناسِ ، والعُلْيا للطُّيورِ ، وكان بابُها فى عَرْضِها ، ولها غِطاءٌ مِن فوقِها مُطْبَقٌ عليها .

قال اللهُ تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون ٢٦] . أى ؛ بأمرِنا لك ، وبِمَرْأًى مِنَّا لِصَنْعَتِك لها ومُشاهَدَتِنا لذلك ؛ لنرشدَك إلى الصوابِ فى صنعَتِها ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٧] . فتقدَّمَ إليه بأمرِه العظيمِ العالى ؛ أنّه[2] إذا جاء أمرُه وحلَّ بأسُه أَنْ يحمِلَ فى هذه السفينةِ مِن كلِّ زوجين اثنين ؛ مِن الحيواناتِ ، وسائرِ ما فيه روحٌ من المأكولاتِ وغيرِها ؛ لبقاءِ نَسْلِها ، وأن يحمِلَ معه أهلَه ، أى ؛ أهلَ بيتِه . ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ أى ؛ إلَّا مَن كان كافرًا ، فإنَّه قد نفَذت فيه الدعوةُ التى لا تُرَدُّ ، ووجَب عليه حُلولُ البأسِ الذى لا يُرَدُّ ، وأمَره أن لا يراجعَه فيهم إذا حلَّ بهم ما يعاينُه مِن العذابِ العظيمِ ، الذى قد حتَّمه عليهم الفَعَّالُ لِمَا يريدُ ، كما قدَّمنا بيانَه قَبْلُ .

---

(١) سفر التكوين الأصحاح ٦/١٥ .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

و[1] المرادُ بالتَّنُّورِ عند الجمهورِ وجهُ الأرضِ . أى ؛ [2]نَبعت الأرضُ[2] مِن سائرِ أرجائِها ، حتى نَبَعت التَّنانيرُ ؛ التى هى مَحالُّ النارِ . وعن ابنِ عباسٍ : التَّنُّورُ ، عينٌ فى الهندِ . وعن الشَّعْبىِّ : بالكوفةِ . وعن قَتادَةَ بالجزيرةِ . وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : المرادُ بالتَّنُّورِ فَلَقُ الصُّبحِ وتنويرُ الفجرِ ، أى ؛ إشراقُه وضياؤه . أى ؛ عند ذلك فاحمِلْ فيها مِن كل زوجين اثنين . وهذا قولٌ غريبٌ[3] . وقولُه تعالى [١/٦٨و] : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] . هذا أمرٌ ثانٍ[4] عند حُلولِ النِّقمةِ بهم ، أن يحمِلَ فيها مِن كلِّ زوجين اثنين ، وفى كتابِ أهلِ الكتابِ أنه أُمر أن يَحملَ من كلِّ ما يؤكَلُ سبعةَ أزواجٍ ، ومما لا يُؤكَلُ زوجين ؛ ذكرًا وأنثى . وهذا مُغايرٌ لمفهومِ قولِه تعالى فى كتابِنا الحقِّ : ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ إنْ جعلنا ذلك مفعولًا به ، وأما إنْ جعلناه توكيدًا لزوجين ، والمفعولُ به محذوفٌ ، فلا تَنافِىَ[5] . واللهُ أعلمُ .

وذكر بعضُهم ، ويُروَى عن ابنِ عباسٍ[6] ، أن أولَ ما دخل من الطيورِ الدُّرَّةُ[7] ، وآخِرَ ما دخل من الحيواناتِ الحمارُ ، ودخل إبليسُ متعلِّقًا بذَنَبِ الحمارِ . وقال ابنُ أبى حاتِمٍ[8] : حدثنا أبى ، حدثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ،

---

(١) فى ص : « وقيل » . وانظر تفسير الطبرى ١٢/٣٨ - ٤٠ .
(٢ - ٢) فى ا : « نبع الماء » . وانظر تاريخ الطبرى ١/١٨٦ ، ١٨٧ .
(٣) التفسير ٤/٢٥٤ .
(٤) فى ح ، م ، ص : « بأن » .
(٥) فى م ، ا : « ينافى » .
(٦) تفسير الطبرى ١٢/٣٦ ، ٣٧ ، وتاريخه ١/١٨٤ ، ١٨٥ .
(٧) الدرة : ضرب من الببغاوات . انظر الحيوان للجاحظ ٥/١٥١ ، حاشية (٣) .
(٨) تفسير ابن كثير ٤/٢٥٤ . وأخرجه الطبرى فى تفسيره ١٢/٣٧ عن ابن عباس .

حدثنى اللَّيثُ ، حدثنى هشامُ بنُ سعيدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لَمّا حَمل نوحٌ فى السفينةِ من كُلٍّ زوجين اثنين ، قال أصحابُه : وكيف نطمئنُّ - أو : كيف تطمئنُّ المواشِى - ومعنا الأسدُ ؟ فسَلَّط اللهُ عليه الحُمَّى . فكانت أولَ حُمَّى نزلت فى الأرضِ ، ثم شَكَوا الفَأْرَةَ ، فقالوا : الفُوَيْسِقَةُ تُفْسِدُ علينا طعامَنا ومتاعَنا . فأوحَى اللهُ إلى الأسدِ فعطَس ، فخرجت الهِرَّةُ منه[1] فَتَخَبَّأت الفأْرَةُ منها » . هذا مُرْسَلٌ . وقولُه : ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ أى ؛ مَن استَجبْتُ[2] فيهم الدعوةَ النافذةَ مِمَّنْ كفَر . فكان منهم ابنُه يامٌ الذى غَرِق ، كما سيأتى بيانُه ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ . أى ؛ واحمِلْ فيها مَن آمن بك مِن أُمّتِك ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . هذا مع طولِ المدَّةِ والمُقامِ بينَ أظهرِهم ، ودعوتِهم الأكيدةِ لِيلًا ونهارًا ، بضروبِ المقالِ وفنونِ التَّلطُّفاتِ ، والتهديدِ والوعيدِ تارةً ، والترغيبِ والوعدِ أخرى .

وقد اختُلِف[3] فى عدّةِ مَن كان معه فى السفينةِ ؛ فعن ابنِ عباسٍ : كانوا ثمانين نَفْسًا ، معهم نساؤُهم . وعن كَعْبِ الأحبارِ : كانوا اثنين وسبعين نَفْسًا . وقيل : كانوا عشرةً . وقيل : إنما كانوا نوحًا وبَنِيه الثلاثةَ وكَنَائنَه[4] الأربعَ ، بامرأةِ يامٍ الذى انخزَل وانْعزَل و (٥سلَك غيرَ٥) طريقِ النجاةِ ، فما عَدَلَ إذْ عَدَلَ . وهذا القولُ فيه مخالفةٌ لظاهرِ الآيةِ ، بل هى نصٌّ فى أنّه قد رَكِب معه

---

(١) فى ا : « من أنفه » .

(٢) فى ا ، ص : « استجيب » وفى ح ، م : « استجيبت » .

(٣) بعدها فى م : « العلماء » . وانظر تفسير الطبرى ٤٢/١٢ ، ٤٣ ، وتاريخه ١٨٧/١ - ١٨٩ .

(٤) فى م ، ا : « كنائنته » .

والكَنائنُ مفردها : الكَنَّة . وهى امرأة الابن أو الأخ . القاموس (ك ن ن) .

(٥ - ٥) فى ح ، م : « وسلك عن » .

مِن[1] غيرِ أهلِه طائفةٌ مِمّن آمن به ؛ كما قال : ﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨] . وقيل : كانوا سبعةً . [2]وأما امرأةُ نوحٍ[2] - وهى أُمُّ أولادِه كلِّهم ؛ وهم حامٌ وسامٌ ويافِثُ ويامٌ[3] ، وتُسمِّيه [١/٦٨ظ] أهلُ الكتابِ كنعانَ[4] ، وهو الذى غرِق ، وعابرُ[5] ، وقد مات[6] قبلَ الطوفانِ - قيل : إنها غَرِقت مع مَن غَرِق ، وكانت مِمّن سبَق عليه القولُ ؛ لكُفْرِها . وعندَ أهلِ الكتابِ ، أنها كانت فى السفينةِ . فيَحْتَملُ أنها كفَرت بعدَ ذلك ، أو أنها أُنْظِرَت ليومِ القِيامةِ ، والظاهرُ الأولُ ؛ لقولِه : ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّـٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٨ ، ٢٩] . أَمَره أَنْ يَحْمَدَ ربَّه على ما سَخَّر له مِن هذه السفينةِ ، فنَجَّاه بها ، وفتح بينَه وبينَ قومِه ، وأَقَرَّ عينَه مِمّن[7] خالفه وكذّبه ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٢ - ١٤] . وهكذا يُؤْمَرُ بالدعاءِ فى ابتداءِ الأمورِ ، أن يكونَ على الخيرِ والبركةِ ، وأنْ تكونَ عاقِبتُها محمودةً ؛ كما قال تعالى لرسولِه ﷺ حينَ هاجر : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ

---

(١) زيادة من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى م : « كعنان » .

(٥) فى الأصل : « عامر » . وانظر تاريخ الطبرى ١/١٩١ .

(٦) فى ا ، م : « ماتت » .

(٧) فى ص : « فيمن » .

صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] . وقد امتثل نوحٌ عليه السلامُ هذه الوصيةَ ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . أى ؛ على اسمِ اللهِ ابتداءُ سيرِها وانتهاؤُه ﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . أى ؛ وذو عقابٍ أليمٍ ، مع كَوْنِه غفورًا رحيمًا ، لا يُرَدُّ بأسُه عن القومِ المجرمين ، كما أحلَّ بأهلِ الأرضِ الذين كفروا به وعبدوا غيرَه . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ وذلك أن اللهَ تعالى أرسل من السماءِ مطرًا لم تعهَدْه الأرضُ قبلَه ، ولم تُمْطَرْه بعدَه ، كان كأفواهِ القِرَبِ ، وأمر الأرضَ فنَبَعتْ من جميعِ فجاجِها ، وسائرِ أرجائِها ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ * فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر : ١٠ - ١٣] . والدُّسُرُ : المساميرُ[1] ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ أى بحِفْظِنا وكلاءتِنا وحراستِنا ، ومشاهدتِنا لها ، ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ .

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ[2] وغيرُه ، أن الطوفانَ كان فى ثالثَ عشرَ شهرِ آبٍ فى [3]حَمارَةِ القَيْظِ[3] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ . أى السفينةِ ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ قال جماعةٌ مِن المفسّرين : ارتفع الماءُ على أعلى جبلٍ بالأرضِ خمسةَ عشرَ ذراعًا . وهو الذى عندَ [٦٩/١و] أهلِ الكتابِ . وقيل : ثمانين ذراعًا . وعَمَّ جميعَ الأرضِ ؛ طولَها والعرضَ ، سَهْلَها وحَزْنَها ، وجِبالَها ، وقِفارَها ورِمالَها ، ولم

---

(١) فى م : « السائر » .

(٢) تاريخ الطبرى ١٨٩/١ .

(٣ - ٣) فى ا : « قوة القيض وجمرته » . وفى م ، ص : « حساب القبط » . وحمارة القيظ : أى شدته .

يبقَ على وجهِ الأرضِ ممَّن كان بها من الأحياءِ عينٌ تَطْرِفُ ، ولا صغيرٌ ولا كبيرٌ . قال الإمامُ مالكٌ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ : كان أهلُ ذلك الزمانِ قد مَلَئُوا السَّهْلَ والجبلَ . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ : لم تكنْ بقعةٌ فى الأرضِ إلَّا ولها مالِكٌ وحائِزٌ . رَواهما ابنُ أبى حاتمٍ[1] . ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود : ٤٢ ، ٤٣] . وهذا الابنُ هو يامٌ ، أخو سامٍ وحامٍ ويافثَ ، وقيل : اسمُه كَنْعَانُ . وكان كافرًا عاملًا[2] غيرَ صالحٍ ، مُخالفًا[3] أباه فى دينِه ومذهبِه ، فهلَك مع مَن هَلَك . هذا وقد نجا مع أبيه الأجانبُ [4]فى النَّسبِ[4] ؛ لمَّا كانوا مُوافِقِين فى الدينِ والمذهبِ ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . أى ؛ لمَّا فُرِغ من أهلِ الأرضِ ، ولم يبْقَ منها أحدٌ ممن عَبَدَ غيرَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، أمر اللهُ الأرضَ أنْ تبلعَ ماءَها ، وأمر السماءَ أن تُقلِعَ ، أى تُمسِكَ عن المطرِ ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ . أى ؛ نَقَصَ عمَّا كان ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ . أى ؛ وقَع بهم الذى كان قد سبَق فى علمِه وقَدَرِه ، مِن إحلالِه بهم ما حلَّ بهم ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أى ؛ نُودِىَ عليهم بلسانِ القُدْرةِ[5] : بُعدًا لهم مِن الرحمةِ والمغفرةِ . كما قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٤] . وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ

---

(١) ذكرهما السيوطى فى الدر المنثور ٣/٩٥ . وعزاهما لابن أبى حاتم .

(٢) فى م ، ص : « عمل عملا » .

(٣) فى ح ، م ، ص : « فخالف » .

(٤ - ٤) فى ا : « من المؤمنين » .

(٥) فى الأصل ، ح : « القدر » .

فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس : ٧٣] . وقال تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٧] . وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١١٩ - ١٢٢] . وقال تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ١٤ ، ١٥] . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴾ [الصافات : ٨٢] . وقال : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٥ - ١٧] . وقال تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٥ - ٢٧] . وقد استجاب اللهُ تعالى ، وله الحمدُ والمنّةُ ، [٦٩/١ظ] دعْوتَه فلم يبْقَ منهم عينٌ تَطْرِفُ .

وقد روى الإمامان : أبو جعفرِ ابنُ جَرِيرٍ ، وأبو محمدٍ ابنُ أبى حاتِمٍ[(١)] ، فى « تفسيرَيْهما » مِن طريقِ [(٢)]موسى بنِ يعقوبَ الزَّمْعىِّ[(٢)] ، عن فائدٍ[(٣)] مولى عبيدِ[(٤)] اللهِ بنِ أبى رافعٍ ، أنّ إبراهيمَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ربيعةَ ، أخبرَه أنّ عائشةَ أمَّ المؤمنين

---

(١) تفسير الطبرى ٣٥/١٢ . وانظر الدر المنثور ٣٢٧/٣ .

(٢ - ٢) فى النسخ : « يعقوب بن محمد الزهرى » . والمثبت من تفسير الطبرى ، وتفسير ابن كثير ٣٥٨/٤ . وانظر مستدرك الحاكم ٣٤٢/٢ ، والجرح والتعديل ١٦٧/٨ .

(٣) فى ح ، م : « قائد » .

(٤) فى م ، ص : « عبد » .

أخبرتْه ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « فلو رَحِمَ اللهُ مِن قَومِ نُوحٍ أَحدًا لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ » . قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مكَثَ نوحٌ ، عليه السلامُ ، فى قومِه ألفَ سَنَةٍ - (١يَعْنى إلا خمسين عامًا١) - وغَرَسَ مائةَ سنَةٍ الشَّجَرَ ، فعَظُمَتْ وذَهَبَتْ كُلَّ مَذْهَبٍ ، ثم قَطَعَها ثم جَعَلَها سفينةً ، ويَمُرُّونَ عليه ويَسْخَرُونَ منه ، ويَقُولُونَ : تَعْمَلُ سفينةً فى البَرِّ ! كيف تَجْرِى ؟ قال : سوف تَعْلَمُون . فلَمّا فرَغَ ونَبَعَ الماءُ وصار فى السِّكَكِ ، خَشِيَتْ أُمُّ الصبِيِّ عليه ، وكانتْ تُحِبُّه حُبًّا شَديدًا ، خَرَجَتْ به إلى الجَبَلِ ، حتى بلغَتْ ثُلُثَه ، فلمّا بلغَها الماءُ خَرجَتْ به حتى اسْتَوَتْ على الجَبَلِ ، فلمّا بلغَ الماءُ رَقَبَتَها رفَعَتْه بيَدَيْها ، فَغَرِقَا[٢] ، فلو رَحِمَ اللهُ منهم أَحَدًا لَرَحِم أُمَّ الصَّبِيِّ » . وهذا حديثٌ غريبٌ . وقد رُوِى عن كعبِ الأحبارِ ، ومجاهدٍ ، وغيرِ واحدٍ شبيهٌ لهذه القصةِ ، وأَحْرَى بهذا الحديثِ أن يكونَ موقوفًا ، مُتلقًّى عن مِثلِ كعبِ الأحبارِ . واللهُ أعلمُ .

والمقصودُ ، أن اللهَ لم يُبْقِ من الكافرين دَيَّارًا ، فكيف يزعُمُ بعضُ المفسرين أن عُوجَ بنَ عُنُقَ ، ويُقالُ : ابنُ[٣] عَناقَ ، كان موجودًا مِن قبلِ نوحٍ إلى زمانِ موسى ؟! ويقولون : كان كافرًا مُتمرِّدًا جَبّارًا ، عنيدًا . ويقولون : كان لغيرِ رِشْدةٍ ، بل ولدتْه أمُّه عُنُقُ بنتُ آدمَ مِن زنًى ، وأنه كان يأخُذُ - مِن طولِه - السمكَ مِن قَرارِ البحارِ ، ويَشْويه فى عينِ الشمسِ ، وأنه كان يقولُ لنوحٍ ، وهو فى السفينةِ : ما هذه القُصَيْعةُ التى لك ؟! ويستهزِئُ به . ويذكرون أنه كان طولُه ثلاثَةَ آلافِ ذراعٍ ، وثلاثَمائةٍ وثلاثَةً وثلاثين ذِراعًا وثُلُثًا ، إلى غيرِ ذلك من الهَذَياناتِ التى لولا أنها مُسَطَّرةٌ فى كثيرٍ مِن كتبِ التفاسيرِ وغيرِها مِن التواريخِ وأيامِ الناسِ ، لَما تعرّضنا لحكايتِها ؛ لسقاطَتِها ورَكاكتِها ، ثم إنها مخالِفةٌ للمعقولِ والمنقولِ .

(١ - ١) زيادة من : ح ، م .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من : ص .

أما المعقولُ ؛ فكيف يَسُوغُ فيه أن يُهلِكَ اللهُ ولدَ نوحٍ لكُفرِه ، وأبوه نبيُّ الأمةِ ، وزعيمُ أهلِ الإيمانِ ، ولا يُهلِكَ عُوجَ بنَ عُنُقَ ، ويقالُ : عَنَاقُ ، وهو أَظلَمُ وأَطْغَى ، على ما ذكَروا ؟ وكيف لا يرحمُ اللهُ منهم أحدًا ، ولا أمَّ الصبيِّ ، (١ولا الصبيَّ١) ، ويَتركُ هذا الدَّعِيَّ(٢) الجبارَ العنيدَ ، الفاجرَ الشديدَ ، الكافرَ الشيطانَ المَرِيدَ ، على ما ذكروا ؟!

وأما المنقولُ ؛ فقد قال اللهُ تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴾ . [١/٧٠و] وقَالَ : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ . ثم هذا الطولُ الذى ذكروه مخالفٌ لما ثبت فى « الصحيحين »(٣) عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال : « إنّ اللهَ خلقَ آدمَ وطولُه سِتُّونَ ذِراعًا ، ثم لم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتى الآنَ » . فهذا نصُّ الصادقِ المصدوقِ المعصومِ ، الذى لا ينطقُ عن الهوَى ، إن هو إلا وحيٌ يُوحَى ، أنه لم يَزَلِ الخلقُ ينقُصُ حتى الآنَ ، أى ؛ لم يَزَلِ الناسُ فى نقصانٍ فى طولِهم من آدمَ إلى يومِ إخبارِه بذلك ، وهَلُمَّ جرًّا ، إلى يومِ القيامةِ . وهذا يقتضى أنه لم يُوجَدْ من ذريةِ آدمَ مَن كان أطولَ منه . فكيف يُترَكُ هذا ويُذْهَلُ عنه ، ويُصارُ إلى أقوالِ الكَذَبَةِ الكَفَرةِ مِن أهلِ الكتابِ الذين بدَّلوا كتبَ اللهِ المنزَّلَةَ ، وحرَّفُوها وأوَّلُوها ، ووضعوها على غيرِ مواضِعِها ؟ فما ظنُّك بما هم يستقلُّون بنقلِه ، أو يُؤْتَمَنون(٤) عليه ، (٥وهم الخونةُ الكذَبةُ ، عليهم لعائنُ اللهِ المتتابعةُ إلى يومِ القيامةِ٥) ؟ وما أظنُّ أن هذا الخبرَ عن عُوجِ ابنِ عناقَ ، إلا اختلاقًا مِن بعضِ زنادقتِهم وفُجّارِهم الذين كانوا أعداءَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ص : « المدعى » .

(٣) البخارى (٣٣٢٦) ، مسلم (٢٨٤١) .

(٤) فى ص : « يموتون » .

(٥ - ٥) سقط من : ا ، م .

الأنبياءِ . واللهُ أعلمُ .

ثم ذكر اللهُ تعالى مُناشدةَ نوحٍ ربَّه فى ولدِه ، وسؤالَه له عن غَرَقِه على وجهِ الاستعلامِ والاستكشافِ . ووجهُ السؤالِ : أنك وعدتنى بنجاةِ أهلى معى ، وهو منهم وقد غَرِق . فأُجيبَ بأنه ليس من أهلِك ، أى ؛ الذين وعدتُ بنجاتِهم ، أى ؛ أمَا قُلْنا لك : ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ ؟ فكان هذا ممن سبَق عليه القولُ منهم بأنْ سيَغْرَقُ بكفرِه ؛ ولهذا ساقته الأقدارُ إلى أنِ انْحازَ عن حَوْزَةِ أهلِ الإيمانِ ، فغَرِقَ مع حِزْبِه أهلِ الكُفرِ والطغيانِ . ثم قال تعالى : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هذا أمرٌ لنوحٍ ، عليه السلامُ ، لمَّا نَضَب الماءُ عن وجهِ الأرضِ ، وأمكن السَّعىُ فيها والاستقرارُ عليها ، أن يهبِطَ من السفينةِ التى كانت قد استَقَرت ، بعدَ سيرِها العظيمِ ، على ظهرِ جبلِ الجُودِىِّ ؛ وهو جبلٌ بأرضِ الجزيرةِ مشهورٌ ، وقد قدَّمنا ذكرَه عندَ خلقِ الجبالِ ﴿ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ ﴾ أى ؛ اهبِطْ سالمًا مُبارَكًا عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِمَّن سَيولدُ بعدُ ، أىْ من أولادِك . فإنَّ اللهَ لم يجعلْ لأحدٍ ممن كان معه من المؤمنين نَسْلًا ولا عَقِبًا ، سوى (١نوحٍ عليه السلامُ١) ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] . فكلُّ مَن على وجهِ الأرضِ اليومَ ، مِن سائرِ أجناسِ بنى آدمَ ، ينتسبون(٢) إلى أولادِ نوحٍ الثلاثةِ ؛ وهم سامٌ وحامٌ ويافثُ .

قال الإمامُ أحمدُ(٣) : [١/٧٠ظ] حدثنا عبدُ الوهَّابِ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادَةَ ، عنِ الحسنِ ، عن سَمُرةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ ، قال : « سامٌ أبو العَربِ ،

(١ - ١) فى ا : « أولاده » .

(٢) فى م ، ا : « ينسبون » .

(٣) المسند ٥/٩ .

وحامٌ أبو الحَبَشِ ، ويافثُ أبو الرُّومِ » . ورواه الترمذىُّ[1] عن بِشْرِ بنِ مُعاذٍ العَقَدىِّ[2] ، عن يزيدَ بنِ زُرَيعٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قَتادَةَ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرةَ مرفوعًا ، نحوَه .

وقال الشيخُ أبو عُمَرَ[3] ابنُ عبدِ البرِّ : وقد رُوِىَ عن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ ، عنِ النبىِّ ﷺ مثلُه[4] . قال : والمرادُ بالرُّومِ هنا الرُّومُ الأُوَلُ ؛ وهم اليونانُ المُنْتَسِبون إلى رُومىِّ بنِ ليطىِّ[5] بنِ يونانَ بنِ يافثَ بنِ نوحٍ عليه السلامُ . ثم روَى من حديثِ إسمعيلَ بنِ عيَّاشٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أنَّه قال : ولدُ نوحٍ ثلاثةٌ : سامٌ ويافثُ وحامٌ ، وولَدَ كلُّ واحدٍ من هؤلاءِ[6] ثلاثةً ؛ فولَد سامٌ العربَ وفارسَ والرومَ ، وولَد يافثُ التُّركَ والصَّقالِبَةَ ويَأْجوجَ ومَأْجوجَ ، وولَد حامٌ القِبْطَ والسودانَ والبربرَ . قلتُ : وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ فى « مُسْنَدِه »[7] : حدثنا إبراهيمُ بنُ هانئٍ ، وأحمدُ بنُ حسينِ بنِ عبَّادٍ أبو العباسِ ، قالا : حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ ابنِ سِنَانٍ الرُّهَاوىُّ ، حدثنى أبى ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « وُلِدَ لنوحٍ سامٌ

---

(١) الترمذى (٣٢٣١) (ضعيف الترمذى ٦٣٥) .

(٢) فى ح : « العندى » .

(٣) كذا فى : الأصل . وفى بقية النسخ : « عمرو » . وانظر : القصد والأمم ، لابن عبد البر صفحة ١٠ ، ١١ .

(٤) وحديث عمران أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢٠٩/١ ، والطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون . مجمع الزوائد ١٩٣/١ . المعجم الكبير ١٤٥/١٨ ، ١٤٦ .

(٥) فى ح ، م : « لبطى » وفى ص : « نبطى » . وفى الطبرى ٢٠٧/١ والكامل ٨١/١ : « لنطى » .

(٦) فى ح ، م ، ا : « هذه الثلاثة » .

(٧) كشف الأستار (٢١٨) . وقال الهيثمى فى المجمع ١٩٣/١ : وفيه محمد بن يزيد بن سنان الرهاوى عن أبيه ، فمحمد وثقه ابن حبان ، وقال أبو حاتم : صدوق . وضعفه يحيى بن معين والبخارى ، ويزيد بن سنان وثقه أبو حاتم ، فقال : محله الصدق . وقال البخارى : مقارب الحديث . وضعفه يحيى وجماعة .

وحامٌ ويافثُ ، فوُلِدَ لسامٍ العربُ وفارسُ والرُّومُ ، والخيرُ فيهم ، ووُلِدَ ليافثَ يأجوجُ ومأْجوجُ والتُّركُ والصَّقالِبَةُ ، ولا خيرَ فيهم ، ووُلِدَ لحامٍ القِبْطُ والبربرُ والسُّودانُ » . ثم قال : لا نعلمُه[1] يُروَى مرفوعًا إلَّا من هذا الوجهِ ، تفرَّد به محمدُ بنُ يزيدَ بنِ سنانٍ ، عن أبيه ، وقد حدَّث عنه جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ ، واحتمَلوا حديثَه ، ورواه غيرُه عن يحيى بنِ سعيدٍ مُرْسَلًا ، ولم يُسنِدْه ، وإنما جعَله مِن قولِ سعيدٍ . قلتُ : وهذا الذى ذكَره أبو عُمَرَ[2] هو المحفوظُ عن سعيدٍ قولَه ، وهكذا رُوِىَ عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ مثلُه[3] ، [4]واللهُ أعلمُ[4] . ويزيدُ ابنُ سنانٍ أبو فَرْوَةَ الرُّهَاوىُّ ضعيفٌ بمرَّةٍ لا يُعتمَدُ عليه .

وقد قيل : إن نوحًا ، عليه السلامُ ، لم يُولَدْ له هؤلاء الثَّلاثةُ الأولادُ إلَّا بعدَ الطوفانِ ، وإنما وُلِد له قبلَ السفينةِ كَنْعانُ الذى غَرِق ، وعابرُ مات قبلَ الطوفانِ . والصحيحُ أن أولادَه[5] الثلاثةَ كانوا معه فى السفينةِ ، هم ونساؤُهم وأُمُّهم ، وهو نصُّ التوراةِ[6] . وقد ذُكِر أن حامًا واقَع امرأتَه فى السفينةِ ، فدعا عليه نوحٌ أن تُشَوَّهَ[7] خِلْقَةُ نُطْفَتِه ، فوُلِد له ولدٌ أسودُ ، وهو كَنْعانُ ابنُ حامٍ ، جَدُّ السودانِ . وقيل : بل رأى أباه نائمًا[8] ، وقد بدتْ عورتُه فلم يسترْها وستَرها أخواه ؛ فلهذا دعا عليه [٧١/١و] أن تُغَيَّرَ نُطفتُه ، وأنْ يكونَ

---

(١) فى م ، ص : « لا نعلم » .

(٢) فى الأصل ، ا ، م : « عمرو » .

(٣) تاريخ الطبرى ٢٠١/١ .

(٤ - ٤) فى ا : « سواء » .

(٥) فى م ، ا : « الأولاد » .

(٦) سفر التكوين الأصحاح ٦/٧ .

(٧) فى الأصل ، ص : « يشوه » .

(٨) فى ص : « قائما » . وانظر تاريخ الطبرى ٢٠٢/١ .

أولادُه عبيدًا لإخوتِه[1] . وذكر الإمامُ أبو جعفرِ ابنُ جَرِيرٍ[2] ، مِن طريقِ عليِّ ابنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن يوسفَ بنِ مِهرانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنّه قال : قال الحَوَارِيُّون لعيسى ابنِ مريمَ : لو بعثْتَ لنا رجُلًا شَهِد السفينةَ فحدَّثَنا عنها ؟ قال : فانطلَق بهم حتى أتَى إلى كَثِيبٍ مِن ترابٍ ، فأَخَذ كفًّا مِن ذلك التُّرابِ بكفِّه ، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : هذا كعبُ[3] حامِ بنِ نوحٍ . قال : وضرَب الكَثِيبَ بعصاه ، وقال : قمْ بإذنِ اللهِ . فإذا هو قائمٌ ينفُضُ التُّرابَ عن رأسِه ، قد شاب ، فقال له عيسى عليه السلامُ : هكذا هلكْتَ ؟ قال : لا ، ولكنِّى مِتُّ وأنا شابٌّ ، ولكنِّى ظَنَنْتُ أنَّها الساعةُ ، فمِن ثَمَّ شِبْتُ . قال : حدِّثْنا عن سفينةِ نوحٍ . قال كان طولُها ألفَ ذراعٍ ومائتَى ذراعٍ ، وعرضُها سِتَّمائةِ ذراعٍ ، وكانت ثلاثَ طَبقاتٍ ؛ فطَبقةٌ فيها الدوابُّ والوحْشُ ، وطبقةٌ فيها الإنسُ ، وطبقةٌ فيها الطَّيرُ ، فلما كثُرَ أرواثُ الدَّوابِّ أَوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى نوحٍ ، عليه السلامُ ، أَنِ اغمِزْ ذَنَبَ الفيلِ ، فغَمَزَه ، فوقَع منه خنزيرٌ وخِنزيرةٌ ، فأقبَلا على الرَّوْثِ[4] ، ولمَّا وقَع [5]الفأرُ يخْرِزُ السفينةَ بقَرْضِه[5] ، أوحَى اللهُ عز وجل إلى نوحٍ ، عليه السلامُ ، أنِ اضربْ بينَ عَيْنَىِ الأسدِ ، فخرج من مِنْخَرِه سِنَّوْرٌ وسِنَّوْرَةٌ ، فأقبَلا على الفأرِ . فقال له عيسى : كيف عَلِم نوحٌ ، عليه السلامُ ، أن البلادَ

---

(١) هذه القصة مذكورة فى سفر التكوين الأصحاح ٩/٢١ - ٢٦ ، وفيها شنائع عظيمة منها ؛ أن نوحًا شرب الخمر فسكر فبدت عورته فرآها حام ، فلعن نوحٌ كنعان بن حام . ولا ندرى ما سبب لعن كنعان والذى رأى العورة إنما هو أبوه ، وعندهم فى كتبهم أن الابن لا يحمل إثم الأب ، والأب لا يحمل إثم الابن ، وبرُّ البار له ، وإثم الآثم عليه .

(٢) تفسير الطبرى ١٢/٣٥ ، وتاريخه ١/١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « قبر » .

(٤) بعده فى : ا « يأكلانه » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « الفساد يجرد السفينة بقرضه » .

قد غَرِقت ؟ قال : بعَث الغرابَ يأتيه بالخبرِ ، فوجَد جِيفةً فوقَع عليها ، فدعا عليه بالخوفِ ؛ فلذلك لا يألَفُ البيوتَ . قال : ثم بعَث الحمامةَ فجاءت بورقِ زَيتونٍ بمِنْقارِها وطينٍ برجلَيْها[1] ، فعَلِم أن البلادَ قد غَرِقت ، فطوَّقَها الخُضْرةَ التى فى عُنقِها ، ودعا لها أن تكونَ فى أُنْسٍ وأمانٍ ، فمِن ثَمَّ تألَفُ البيوتَ . قال : فقالوا : [2]يا رسولَ اللهِ[2] ، ألا ننطلقُ به إلى أهلينا ، فيجلِسَ معنا ، ويحدثَنا ؟ قال : كيف يَتْبَعُكم مَن لا رزقَ له ؟ قال : فقال له : عُدْ بإذنِ اللهِ . فعاد تُرابًا . وهذا أثرٌ غريبٌ جدًّا . وروَى عِلْباءُ بنُ أحمرَ ، عن عِكْرِمةَ عنِ ابنِ عباسٍ[3] ، قال : كان مع نوحٍ فى السفينةِ ثمانون رجلًا ، معهم أهلوهم ، وأنهم كانوا فى السفينةِ مائةً وخمسين يومًا ، وأن اللهَ وجَّه السفينةَ إلى مكَّةَ ، فدارت بالبيتِ أربعين يومًا ، ثم وجَّهها إلى الجُودِىِّ ، فاستقرت عليه ، فبعَث نوحٌ عليه السلامُ الغرابَ ليأتيَه بخبرِ الأرضِ ، فذهَب فوقَع على الجِيَفِ ، فأبطَأ عليه ، فبعَث الحمامةَ ، فأتَتْه بوَرَقِ الزَّيتونِ ، ولطَّختْ رجلَيْها بالطينِ ، فعرَف نوحٌ أن الماءَ قد نَضَب ، فهبَط إلى أسفلِ الجُودِىِّ ، فابْتنَى قريةً [١/٧١ظ] وسمَّاها ثمانينَ ، فأصبحوا ذاتَ يومٍ ، وقد تَبَلْبَلَتْ[4] ألسنتُهم على ثمانينَ لغةً ؛ إحداها لغةُ[5] العَرَبِىِّ ، فكان بعضُهم لا يفقهُ كلامَ بعضٍ ، فكان نوحٌ عليه السلامُ يُعبِّرُ عنهم . وقال قتادَةُ وغيرُه[6] : ركِبوا فى السفينةِ فى اليومِ العاشرِ مِن شهرِ رجبٍ ، فساروا مائةً وخمسين

---

(١) فى م ، ا : « برجلها » .

(٢ - ٢) فى ا : « لعيسى » .

(٣) التفسير ٤/٢٥٧ .

(٤) فى ص : « تبللت » .

(٥) سقط من : م .

(٦) تاريخ الطبرى ١/١٩٠ .

يومًا ، واستقرت بهم على الجُودِىِّ شهرًا ، وكان خروجُهم من السفينَةِ فى يومِ عاشوراءَ من المحرمِ . وقد روَى ابنُ جَرِيرٍ[1] خبرًا مرفوعًا يوافِقُ هذا ، وأنهم صاموا يومَهم ذلك .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا أبو جعفرٍ ، حدثنا عبدُ الصمدِ بنُ حبيبٍ الأَزْدىُّ ، عن أبيه حبيبِ بنِ عبدِ اللهِ ، عن شُبَيْلٍ[3] ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : مَرَّ النبىُّ ﷺ بأُناسٍ من اليهودِ ، وقد صاموا يومَ عاشوراءَ ، فقال : « ما هذا مِن[4] الصَّوْمِ ؟ » . فقالوا : هذا اليومُ الذى نَجَّى اللهُ موسى وبنى إسرائيلَ من الغرقِ ، وغَرِق فيه فرعونُ ، وهذا يومٌ استوت فيه السفينةُ [5]على الجُودِىِّ[5] ، فصام نوحٌ وموسى ، عليهما السلامُ ؛ شكرًا للهِ عزّ وجلّ . فقال النَّبىُّ ﷺ : « أنا أحقُّ بموسى ، وأحقُّ بصومِ هذا اليومِ » . وقال لأصحابِه : « مَن كانَ مِنْكم أصْبَح صائِمًا فليُتِمَّ صومَه ، ومَنْ كان أصابَ مِن غَدَاءِ أهلِه فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَومِه » . وهذا الحديثُ له شاهدٌ فى « الصحيحِ »[6] من وجهٍ آخرَ ، والمُسْتَغْرَبُ ذِكْرُ نوحٍ أيضًا . واللهُ أعلمُ .

وأمَّا ما يذكرُه كثيرٌ مِن الجهلةِ ، أنهم أكلوا مِن فضولِ أزوادِهم ، ومِن حبوبٍ كانت معهم قد استصحبوها ، وطحنُوا الحبوبَ يومَئذٍ ، واكتحلوا

---

(١) تفسير الطبرى ٤٧/١٢ ، وتاريخه ١٩٠/١ .

(٢) المسند ٣٥٩/٢ . وقال الهيثمى ١٨٤/٣ : وفيه حبيب بن عبد الله الأزدى لم يرو عنه غير ابنه .

(٣) فى النسخ : « شبل » . والمثبت من مسند الإمام أحمد ، والتفسير ٢٥٧/٤ . وانظر تهذيب التهذيب ٣١١/٤ . أطراف المسند ٣٠٩/٧ .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) البخارى (٢٠٠٤) .

بالإِثْمِدِ ؛ لتقويةِ أبصارِهم لَمّا ابْهَارَّت[1] من الضياءِ ، بعدَ ما كانوا فى ظُلمةِ السفينةِ ، فكلُّ هذا لا يصِحُّ فيه شيءٌ ، وإنما يُذْكَرُ فيه آثارٌ منقطعةٌ عن بنى إسرائيلَ ، لا يُعْتَمدُ عليها ، ولا يُقْتَدَى بها ، واللهُ أعلمُ . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : لمَّا أراد اللهُ أَنْ يكُفَّ ذلك الطُّوفانَ ، أرسل رِيحًا على وجهِ الأرضِ ، فسكَن الماءُ ، وانسدّت ينابيعُ الأرضِ ، فجعَل الماءُ ينقُصُ ويغِيضُ ويُدْبِرُ ، وكان استواءُ الفُلْكِ[3] على الجُودىِّ - فيما يزعمُ أهلُ التوراةِ[4] - فى الشهرِ السابعِ ، لسبعَ عَشْرةَ ليلةً مضت منه ، وفى أولِ يومٍ من الشهرِ العاشرِ رُئِيَتْ رءُوسُ الجبالِ ، فلمَّا مضَى بعدَ ذلك أربعون يومًا ، فتَح نوحٌ كُوَّةَ الفُلْكِ التى صنَع فيها ، ثم أرسَل الغرابَ لينظرَ له ما فعَل الماءُ ، فلم يرجِعْ إليه ، فأرسل الحمامةَ فرجعتْ إليه فلم يجدْ لرجلَيْها موضعًا ، فبسَط يدَه للحمامةِ فأخَذَها فأدخلَها ، ثم مضت سبعةُ أيامٍ ، ثم أرسلها لتنظُرَ له ، فرجعت حينَ أمست ، وفى فِيهَا ورقُ زيتونةٍ ، فعَلِم نوحٌ أن الماءَ قد قَلَّ عن وجهِ الأرضِ ، ثم مكَث سبعةَ أيامٍ ، ثم أرسلَها ، فلم [١/٧٢و] ترجِعْ إليه ، فعَلِم نوحٌ أن الأرضَ قد برزَتْ ، فلمَّا كَمَلت السنةُ فيما بينَ أن أرسل اللهُ الطوفانَ إلى أن أرسل نوحٌ الحمامةَ ، ودخل يومٌ واحدٌ من الشهرِ الأولِ مِن سنةِ اثنتَين ، برَز وجهُ الأرضِ وظهَر البرُّ ، وكشَف نوحٌ غطاءَ الفُلْكِ . وهذا الذى ذكره ابنُ إسحاقَ هو بعينِه مضمونُ سياقِ التوراةِ التى بأيدِى أهلِ الكتابِ . قال ابنُ إسحَٰقَ :

---

(١) فى م ، ص : « انهارت » .

(٢) تفسير الطبرى ١٢/٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سقط من : ص ، م .

(٤) سفر التكوين الأصحاح ٨/٤ - ١٣ .

وفى الشهرِ الثانى من سنةِ اثنتين فى ستٍّ وعشرين ليلةً منه . ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وفيما ذكر أهلُ الكتابِ ، أنَّ اللهَ كلَّم نوحًا قائلًا له : اخرُجْ من الفُلْكِ أنت وأمرأتُك وبنوك ونساءُ بنيك معك ، وجميعُ الدوابِّ التى معك ، ولتَنْمُوا ولْتكثُروا فى الأرضِ . فخرجوا ، وابْتَنَى نوحٌ مَذْبَحًا للهِ عزَّ وجلَّ ، وأخَذ مِن جميعِ الدوابِّ الحلالِ ، والطيرِ الحلالِ ، فذبَحها قُربانًا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وعَهِد اللهُ إليه أن لا يُعيدَ الطوفانَ على أهلِ الأرضِ ، وجعَل تذكارَ الميثاقِ إليه القوسَ الذى فى الغَمامِ ، وهو قوسُ قُزَحَ الذى قدَّمنا عن ابنِ عباسٍ ، أنه أمانٌ من الغَرَقِ[1] . قال بعضُهم : فيه إشارةٌ إلى أنه قوسٌ بلا وترٍ . أى أن هذا الغَمامَ لا يُوجَدُ منه طوفانٌ كأولِ مرةٍ . واللهُ أعلمُ . وقد أنكَرت طائفةٌ مِن جَهَلةِ الفُرْسِ وأهلِ الهندِ وقوعَ الطوفانِ ، واعترَف بهِ آخَرون منهم ، وقالوا : إنما كان بأرضِ بابلَ ، ولم يصِلْ إلينا . قالوا : ولم نَزَلْ نتوارثُ المُلْكَ كابرًا عن كابرٍ ، مِن لَدُنْ كيومرثَ[2] - يَعنُون آدَمَ - إلى زمانِنا هذا . وهذا قاله مَن قاله مِن زنادقةِ المَجوسِ عُبَّادِ النيرانِ وأتْباعِ الشيطانِ . وهذه سَفْسطَةٌ منهم وكفرٌ فظيعٌ وجهلٌ بليغٌ ، ومكابرةٌ للمحسوساتِ ، وتكذيبٌ لربِّ الأرضِ والسمواتِ ، وقد أجمع أهلُ الأديانِ ، الناقِلون عن رسلِ الرحمنِ ، مع ما تواتَر عندَ الناسِ فى سائرِ الأزمانِ ، على وقوعِ الطُّوفانِ ، وأنَّه عَمَّ جميعَ البلادِ ، ولم يُبْقِ اللهُ أحدًا مِن كَفَرةِ العبادِ ؛ استجابةً لدَعوةِ نبيِّه المؤيَّدِ المعصومِ ، وتنفيذًا لِمَا سبَق فى القَدَرِ المحتومِ .

---

(١) تقدم فى صفحة ٨٥ .

(٢) فى الأصل : « المورث » ، وفى ص : « كومرت » . وفى تاريخ الطبرى ١/١٩٢ ، والكامل لابن الأثير ١/٧٣ : « جيومرت » .

ذكرُ شيءٍ مِن أخبَارِ نوحٍ نفسِه[1] عَلَيه الصلاةُ والسَّلامُ

قال اللهُ تعالى[2] : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] . قيل : إنه كان يحمَدُ اللهَ على طعامِه وشرابِه ولباسِه وشأْنِه كلِّه . وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا أبو أُسامَةَ ، حدثنا زكريا بنُ أبِى زائدةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى بُردةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَه عَلَيها ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَه عَلَيها » . وكذا رواه مسلمٌ والترمذىُّ والنَّسائىُّ مِن حديثِ أبى أسامةَ[4] . والظاهرُ ، أن الشكورَ هو الذى يعملُ بجميعِ الطاعاتِ القلبيةِ والقوليةِ ، والعَمَليةِ ؛ فإن الشكرَ[5] يكونُ بهذا وبهذا ؛ كما قال الشاعرُ[6] :

أفادتْكُم النَّعماءُ منِّى ثلاثةً ... يدى ولِسانى والضميرَ المحجَّبا

---

(١) سقط من : م .

(٢) التفسير ٥/٤٢ ، ٤٣ .

(٣) المسند ٣/١١٧ .

(٤) مسلم (٢٧٣٤) ، الترمذى (١٨١٦) وقال : حسن . النسائى فى الكبرى (٦٨٩٩) .

(٥) فى ص : « الشكور » .

(٦) لم نهتد إليه .

(١) ذكرُ صومِه عليه السلامُ (١)

وقال ابنُ ماجَهْ(٢) : بابُ صيامِ نوحٍ عليه السلامُ : حدثنا سَهْلُ بنُ أبى سهلٍ ، حدثنا سعيدُ بنُ (٣أبى مريمَ٣) ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن أبى فِراسٍ ، أنه سَمِع عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « صامَ نوحٌ الدهرَ إلَّا يومَ الفِطْرِ ، ويومَ الأَضْحَى » . هكذا رواه ابنُ ماجَهْ مِن طريقِ عبدِ اللهِ بنِ لَهِيعةَ (٤بإسنادِه [٧٢/١ظ] ولَفْظِه ، وقد قال الطَّبَرانِىُّ(٥) : حدثنا أبو الزِّنْباعِ روحُ بنُ الفرجِ ، حدثنا عمرُو بنُ خالدٍ الحرَّانىُّ ، حدثنا ابنُ لَهِيعةَ٤) ، عن أبى قَنَّانٍ(٦) ، عن يزيدَ بنِ رباحٍ أبى فِراسٍ ، أنه سَمِع عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقولُ : « صام نوحٌ الدَّهرَ إلَّا يومَ الفِطْرِ والأَضْحَى ، وصامَ داودُ نِصفَ الدّهرِ ، وصامَ إبراهيمُ ثلاثةَ أيّامٍ مِنْ كلِّ شَهْرٍ ، صامَ الدهرَ وأَفْطَرَ الدَّهْرَ » .

(١ - ١) ليس فى : الأصل ، ا .

(٢) ابن ماجه (١٧١٤) وفى الزوائد : فيه ابن لهيعة وهو ضعيف . (ضعيف ابن ماجه ٣٧٦) .

(٣ - ٣) فى ح : « هريم » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٩٥/٣ إلى الطبرانى وقال : فيه أبو قنان ولم أعرفه .

(٦) فى الأصل ، ص ، م : « أبو قتادة » وفى ا : « أبو غسان » . وأبو قنان هو أيوب ابن أبى العالية ، وانظر الجرح والتعديل ٢٥٤/٢ . الإكمال ٩٨/٧ .

(١ ذكرُ حَجَّةِ نوحٍ ١) عليه السلامُ

وقال الحافِظُ أبو يعلَى(٢) : حدثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، حدثنا أبى ، عن زَمْعةَ هو ابنُ(٣) صالِحٍ ، عن سَلَمَةَ بنِ وَهْرامٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، قال : حجّ رسولُ اللهِ ﷺ ، فلمَّا أتى وادىَ عُسْفانَ ، قال : « يا أبا بَكْرٍ ، أىُّ وادٍ هذا ؟ » . قال : هذا وادى عُسْفانَ . قال : « لقد مرَّ بهذا الوادى نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ على بَكَراتٍ لهم حُمْرٍ ، خَطْمُهم اللِّيفُ ، أُزُرُهم العَباءُ ، وأرْدِيَتُهم النِّمارُ ، يَحُجُّون البيتَ العتيقَ » . (٤فيه غرابةٌ٤) .

(١ - ١) فى م : « حجه » .

(٢) لم نجده فى مسند أبى يعلى . وقال الهيثمى : رواه أحمد ، وفيه زمعة بن صالح وفيه كلام وقد وثق . المجمع ٣/٢٢٠ . وهو فى مسند أحمد ١/٢٣٢ ، من طريق وكيع بن الجراح به . وفيه : « هود وصالح » بدلا من : « نوح وهود وإبراهيم » . وسيأتى ص ٣٢٠ .

(٣) فى م : « ابن أبى » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « هذا حديث غريب » .

ذكرُ[1] وصيَّتِه لولدِه، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن الصَّقْعَبِ بنِ زُهَيرٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، قال حمادٌ : أظنُّه عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو ، قال : كُنا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فجاء رجلٌ مِن أهلِ البادِيةِ ، عليه جُبَّةُ سِيجانَ مَزْرورَةٌ بالدِّيباجِ ، فقال : ألَا إنَّ صاحِبَكُم هذا قد وضَع كُلَّ فارِسٍ ابنِ فارسٍ - [3]أو قال[3] : : يُريدُ أنْ يضعَ كُلَّ فارِسٍ بنِ فارسٍ - ورَفَعَ كلَّ راعٍ ابنِ راعٍ » . قال : فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بمَجامِعِ جُبَّتِه ، وقال : « ألَا[4] أرَى عليك لباسَ مَن لا يَعْقِلُ » . ثم قال : « إنَّ نَبِيَّ اللهِ نوحًا ، عليه السلامُ ، لمَّا حضرتْه الوفاةُ ، قال لابنِه : إنِّى قاصٌّ عليكَ الوصيَّةَ ، آمُرُكَ باثْنتين ، وأنْهاكَ عنِ اثْنتَيْن ؛ آمُرُكَ بلا إلهَ إلا اللهُ ؛ فإنَّ السَّمٰواتِ السَّبْعَ ، والأرَضِينَ السَّبْعَ لو وُضِعتْ فى كِفَّةٍ ، ووُضِعَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ فى كِفَّةٍ ، رجحَتْ بِهنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ ، ولو أنَّ السَّمٰواتِ السَّبْعَ ، والأرَضينَ السَّبعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمةً ، قصَمَتْهُنَّ[5] لا إلهَ إلَّا اللهُ، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه ، فإنَّها[6] صلاةُ[7] كلِّ شيءٍ ، وبها يُرزَقُ الخَلْقُ ، وأنْهاكَ عن الشِّرْكِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) مسند أحمد ١٦٩/٢ ، ١٧٠ ، (صحيح) .

(٣ - ٣) فى المسند « قال » .

(٤) فى م ، ا : « لا » ، وفى ص : « أن » .

(٥) فى ح : « فصمتهن » . وفى م ، ص : « فضمتهن » .

(٦) فى م ، ص : « فإن بها » .

(٧) فى م : « صلات » .

والكِبْرِ » . قال : قلتُ – أو : قيل – : يا رسولَ اللهِ ، هذا الشِّرْكُ قد عرَفناه ، فما الكِبْرُ ؟ قال[1] : أنْ يكونَ لأحدِنا نَعلان حَسَنَتانِ لهما شِراكانِ حَسَنانِ ؟ قال : « لا » . قال : هو أنْ يكونَ لأحدِنا حُلَّةٌ يلبَسُها ؟ قال : « لا » . قال : هو أنْ يكونَ لأحدِنا دابَّةٌ يركَبُها ؟ قال : « لا » . قال : أفهو أنْ يكونَ لأحدِنا أصحابٌ يجلِسونَ [١/٧٣و] إليه ؟ قال : « لا »[2] . قيلَ : يا رسولَ اللهِ ، فما الكِبْرُ ؟ قال : « سَفَهُ الحقِّ وغَمْصُ[3] النَّاسِ » . وهذا إسنادٌ صحيحٌ ولم يخرجوه . ورواه أبو القاسمِ الطَّبرانيُّ[4] مِن حديثِ عبدِ الرَّحيمِ بنِ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحٰقَ ، عن عمرِو[5] بنِ دينارٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ، قال : « كان فى وَصِيَّةِ نوحٍ لابْنِه : أُوصِيكَ بخَصْلَتَيْنِ ، وأَنْهاكَ عَن خَصْلَتَيْنِ » . فذكَر نحوَه . وقد رواه أبو بكرٍ البَزَّارُ[6] عن إبراهيمَ بنِ سعيدٍ ، عن أبى معاويَةَ الضريرِ ، عن محمدِ بنِ إسحٰقَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، عنِ النبىِّ ﷺ بنحوِه . والظَّاهِرُ أنَّه عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، كما رواه أحمدُ والطَّبرانىُّ . واللهُ أعلمُ .

ويزعمُ أهلُ الكتابِ أنَّ نوحًا عليه السلامُ لَمَّا رَكِبَ السَّفينةَ ، كان عمرُه ستَّمائةِ[7] سنةٍ . وقدمنا عن ابنِ عباسٍ مثلَه ، وزاد : وعاش بعدَ ذلك

---

(١) زيادة من : المسند .

(٢) بعدها فى الأصل ، ا : « قال : قلت : أو » وفى ح ، م ، ص : « قلت : أو » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « غمض » . وفى ح : « عمض » .

(٤) وذكره فى مجمع الزوائد ٤/٢٢٠ وقال : رواه كله أحمد ، ورواه الطبرانى بنحوه ... ورجال أحمد ثقات .

(٥) فى ص : « عبد الله » .

(٦) كشف الأستار (٣٠٦٩) وقال البزار : لا نعلم أحدًا رواه عن عمرو عن ابن عمر إلا ابن إسحاق ، ولا نعلم حدث به عن أبى معاوية إلا إبراهيم بن سعد . وقال الهيثمى : فيه محمد بن إسحاق وهو ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/٨٤ .

(٧) فى ص : « سبعمائة » . والمثبت هو الموافق لما فى سفر التكوين الأصحاح ٧/٦ .

ثلثمائةٍ وخمسين سنةً[1] . وفى هذا القولِ نَظَرٌ . ثم إنْ لم يُمْكنِ الجمعُ بينَه وبينَ دلالةِ القرآنِ ، فهو خطأٌ مَحْضٌ ؛ فإنَّ القرآنَ يقتضِى أنَّ نوحًا مكَث فى قومِه بعدَ البَعْثَةِ وقبلَ الطوفانِ ألفَ سنةٍ إلا خمسين عامًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] . ثم اللهُ أعْلمُ كم عاشَ بعدَ ذلك ، فإنْ كان ما ذُكِرَ عن ابنِ عباسٍ محفوظًا ؛ من أنه بُعِث وله أربعُمائةِ سنةٍ وثمانون سنةً ، وأنه عاشَ بعدَ الطوفانِ ثلاثَمائةٍ وخمسين سنةً ، فيكونُ قد عاش على هذا ألفَ سنةٍ وسبعَمائةٍ وثمانين سنةً .

وأما قَبْرُه ، عليه السلامُ ، فروَى ابنُ جريرٍ والأَزْرَقىُّ[2] ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ سابِطٍ ، أو غيرِه مِنَ التابعين مُرْسَلًا أنَّ قبرَ نوحٍ عليه السلامُ بالمسجدِ الحرامِ . وهذا أقوَى وأثْبتُ من الذى يذكُرُه كثيرٌ مِن المتأخرين من أنه ببلدةٍ بالبقاعِ ، تُعرَفُ اليومَ بكَرْكِ نوحٍ ، وهناك جامِعٌ قد بُنِىَ بسببِ ذلك ، [3]وأُوقِفت عليه أوقافٌ[3] فيما ذُكِرَ . واللهُ أعلمُ بالصوابِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ١/١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) لم نجده فيهما .

(٣ - ٣) زيادة من : ا .

قصَّةُ هودٍ علَيه السلَامُ

وهو هودُ بنُ شَالَخَ بنِ أَرْفَخْشَدَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليه السَّلامُ . ويُقالُ : إنَّ هودًا هو عابرُ بنُ شالَخَ بنِ[1] سامِ بنِ نوحٍ . ويُقالُ : هودُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ رباحِ بنِ الجارودِ[2] بنِ عادِ بنِ عَوْصِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليه السَّلامُ . [3]ذكره ابنُ جَرِيرٍ[3] . وكانوا عربًا يسكنون الأَحقافَ ؛ وهى جبالُ الرَّمْلِ ، وكانت باليمنِ مِن عُمانَ وحَضْرَمَوْتَ ، بأرضٍ مُطِلَّةٍ على البحرِ ؛ يُقالُ لها : الشِّحْرُ . واسمُ وادِيهم مُغِيثٌ . وكانوا كثيرًا ما يسكُنون الخِيامَ ذواتِ الأعمدةِ الضِّخامِ ؛ كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر : ٦ ، ٧] . أى ؛ عادُ إرَمَ . وهم عادٌ الأُولَى ، وأما عادٌ الثانيةُ [٧٣/١ظ] فمتأخِّرةٌ ، كما سيأتى بيانُ ذلك فى موضعِه . وأما عادٌ الأُولَى فهم عادُ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ [الفجر ٧ ، ٨] . أى ؛ مِثلُ القبيلةِ . وقيل : مِثْلُ العُمُدِ . والصحيحُ الأولُ ، كما بيّنّاه فى « التفسيرِ »[4] . ومَن زعَم أن إرَمَ مدينةٌ تدورُ فى الأرضِ ، فتارةً فى الشَّامِ ، وتارةً فى اليمنِ ، وتارةً فى الحجازِ ، وتارةً فى غيرِها ، فقد أبْعَد النُّجْعَةَ ، وقال ما لا دليلَ عليه ، ولا برهانَ يُعَوَّلُ علَيه ، ولا مُسْتَنَدَ يركَنُ

---

(١) بعدها فى ح ، م : « أرفخشذ بن » .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « الخلود » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وهو فى تاريخه ٢١٦/١ .

(٤) التفسير ٤١٧/٨ .

إليه . وفى « صَحيحِ ابنِ حِبَّانَ »[1] ، عن أبى ذرٍّ ، فى حديثِه الطويلِ فى ذكرِ الأنبياءِ والمرسَلين ، قال فيه : « منهم أربعةٌ من العربِ ؛ هودٌ وصالحٌ وشُعَيْبٌ ، ونَبيُّك يا أبا ذرٍّ » . ويُقالُ : إن هودًا ، عليه السَّلامُ ، أولُ مَن تكلَّم بالعربيةِ . وزعَم وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ أن أباه أوَّلُ مَن تكلم بها . وقال غيرُه : أولُ مَن تكلم بها نوحٌ . وقيل : آدمُ . وهو الأشبهُ . وقيل غيرُ ذلك . واللهُ أعلمُ . ويُقالُ للعربِ الذين كانوا قبلَ إسماعيلَ عليه السلامُ : العربُ العاربةُ . وهم قبائلُ كثيرةٌ ؛ منهم عادٌ ، وثمودُ ، وجُرْهُمٌ ، وطَسْمٌ ، وجَدِيسٌ ، وأميمٌ ، ومَدْينُ ، وعِمْلاقٌ ، وعَبِيلٌ ، وجاسِمٌ ، وقَحْطانُ ، وبنو يَقْطُنَ ، وغيرُهم . وأما العربُ المُسْتَعرِبةُ ، فهم مِن ولدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ ، وكان إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، عليهما السلامُ ، أولَ من تكلَّمَ بالعربيةِ الفصيحةِ البليغةِ[2] ، وكان قد أخَذ كلامَ العربِ مِن جُرْهُمٍ ، الذين نزلوا عندَ أمِّه هاجَرَ بالحرَمِ ، كما سيأتى بيانُه فى موضعِه إن شاء اللهُ تعالى ، ولكن أنطقَه اللهُ بها فى غايةِ الفصاحةِ والبيانِ ، وكذلك كان يتلفظُ بها رسولُ اللهِ ﷺ .

والمقصودُ أن عادًا ، وهم عادٌ الأُولَى ، كانوا أولَ مَن عبَد الأصنامَ بعدَ الطوفانِ ، وكان أصنامُهم ثلاثةً ؛ [3]صدٌّ وصمودٌ وهرا[3] ، فبعَث اللهُ فيهم أخاهم هُودًا ، عليه السلامُ ، فدعاهم إلى اللهِ ، كما قال تعالى بعدَ ذِكْرِ قومِ نوحٍ وما كان مِن أمرِهم فى سورةِ « الأعراف »[4] : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ

---

(١) الإحسان (٣٦١) ، ضعيف جدا .

(٢) انظر فيض القدير (٢٨٣٧) . (صحيح الجامع ٢٥٧٨) .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « صداء ، وصمود ، وهباء » .

(٤) التفسير ٣/٤٢٩ .

كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ [٧٤/١و] سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٥ - ٧٢] . وقال تعالى بعدَ ذِكر قصةِ نوحٍ فى سورةِ « هود »[1] : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ * قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

---

(١) التفسير ٢٦١/٤ .

هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود : ٥٠ - ٦٠] . وقال تعالى فى سورةِ « قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ »[1] بعدَ قصةِ قومِ نوحٍ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١ - ٤١] . وقال تعالى فى سورةِ « الشعراء »[2] بعدَ قصةِ قومِ نوحٍ أيضًا : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ [٧٤/١ظ] وَأَطِيعُونِ * وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّىٓ

---

(١) التفسير ٤٦٧/٥ .

(٢) التفسير ١٦٢/٦ .

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٢٣ - ١٤٠] . وقال تعالى فى سورةِ « حمٓ السَّجدة »[1] : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت : ١٥ ، ١٦] . وقال تعالى فى سورةِ « الأحقاف »[2] : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢١ - ٢٥] . وقال تعالى فى « الذاريات »[3] : ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ ، ٤٢] . وقال تعالى فى « النجم »[4] : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ * وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ

---

(١) التفسير ١٥٧/٧ .

(٢) التفسير ٢٦٨/٧ .

(٣) التفسير ٣٩٩/٧ .

(٤) التفسير ٤٤١/٧ .

فَغَشَّـٰهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠ - ٥٥] . وقال تعالى فى سورةِ « اقتربت »[1] : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٨ - ٢٢] . وقال فى « الحاقة »[2] : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦ - ٨] . وقال فى سورةِ « الفجر »[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ * وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَـٰدِ * فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٦ - ١٤] . وقد تكلَّمنا على كلٍّ مِن هذه القصصِ فى أماكنِها مِن كتابِنا « التفسيرِ » ولله الحمدُ والمِنَّةُ . وقد جرَى ذكرُ عادٍ فى سورةِ « براءة » ، و « إبراهيم » ، و « الفُرْقان » ، [٧٥/١و] و « العنكبوت » ، وفى سورةِ « ص » ، وفى سورة « ق » . ولنذكرْ مضمونَ القصةِ مجموعًا مِن هذه السِّياقاتِ ، مع ما يُضافُ إلى ذلك من الأخبارِ . وقد قدمنا أنهم أولُ الأممِ عبدوا الأصنامَ بعد الطُّوفانِ ، وذلك بَيِّنٌ فى قولِه لهم : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ [الأعراف : ٦٩] . أى ؛ جعَلَهم أشدَّ أهلِ زمانِهم فى الخِلْقَةِ والشِّدَّةِ والبَطْشِ . وقال فى « المؤمنون » : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ

---

(١) التفسير ٤٥٤/٧ .

(٢) التفسير ٢٣٥/٨ .

(٣) التفسير ٤١٣/٨ .

قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١] . وهم قومُ هودٍ على الصَّحيحِ ، وزعَم آخرون أنهم ثمودُ ؛ لقولِه : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ﴾ [المؤمنون : ٤١] . قالوا : وقَوْمُ صالحٍ هم الذين هلكوا بالصيحةِ ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦] . وهذا الذى قالوه لا يمنعُ من اجتماعِ الصيحةِ والريحِ العاتيةِ عليهم ، كما سيأتى فى قصةِ أهلِ مَدْيَنَ أصحابِ الأيْكَةِ ، فإنه اجتمع عليهم أنواعٌ مِن العُقوباتِ ، ثم لا خلَافَ أن عادًا قبلَ ثمودَ .

والمقصودُ أن عادًا كانوا عَرَبًا جُفاةً كافرين ، عُتاةً متمردين فى عبادةِ الأصنامِ ، فأرسل اللهُ فيهم رجلًا منهم يدعوهم إلى اللهِ وإلى إفرادِه بالعبادةِ والإخلاصِ له ، فكذبوه وخالفوه وتَنقَّصوه ، فأَخَذهم اللهُ أخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ ، فلمّا أمرَهم بعبادةِ اللهِ ، ورغّبَهم فى طاعتِه واستغفارِه ، ووعدَهم على ذلك خيرَ الدُّنيا والآخرةِ ، وتوعَّدهم على مخالفةِ ذلك عقوبةَ الدُّنيا والآخرةِ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ [الأعراف : ٦٦] . أى ؛ هذا الأمرُ الذى تدعونا إليه سَفَهٌ بالنسبةِ إلى ما نحن عليه من عبادةِ هذه الأصنامِ ، التى يُرتَجَى منها النصرُ والرزقُ ، ومع هذا نظنُّ أنك تكذبُ فى دعواك أن اللهَ أرسلك ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٧] . أى ؛ ليس الأمرُ كما تظنون ولا ما تعتقدون . ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٨] . والبلاغُ يستلزِمُ عدمَ الكذِبِ فى أصلِ المُبلَّغِ ، وعدمَ الزيادةِ فيه والنقصِ منه ، ويستلزمُ إبلاغَه بعبارةٍ فصيحةٍ وجيزةٍ ، جامعةٍ مانعةٍ ، لا لَبْسَ فيها ولا اختلافَ ولا اضطرابَ ، وهو مع هذا البلاغِ على هذه الصفةِ فى غايةِ النُّصحِ لقومِه والشفقَةِ عليهم والحرصِ على هدايتِهم ، لايبتغِى منهم أجرًا ولا يَطلبُ منهم جُعْلًا ، بل

هو مخلِصٌ للهِ عزّ وجلّ فى الدعوةِ إليه والنُّصحِ لخَلْقِه ، لا يطلبُ أجرَه إلا مِن الذى أرسلَه ، فإنَّ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ كلَّه فى يدَيْه ، وأمْرَه إليه ؛ ولهذا قَالَ : ﴿ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود : ٥١] . أى ؛ ما لكم عقلٌ تميزون به [١/٧٥ظ] وتفهمون أنى أدعوكم إلى الحقِّ المبينِ ، الذى تشهدُ به فِطَرُكم التى خُلِقْتُم عليها ، وهو دينُ الحقِّ الذى بعَث اللهُ به نوحًا ، وأهلك مَن خالفَه مِن الخلقِ ، وها أنا أدعوكم إليه ، ولا أسألُكم أجرًا عليه ، بل أبتغِى ذلك عندَ اللهِ ، مالِكِ الضُّرِّ والنَّفْعِ ؛ ولهذا قال مؤمنُ « يس » : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٢١ ، ٢٢] . وقال قومُ هودٍ له فيما قالوا : ﴿ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود : ٥٣] . يقولون : ما جئتَنا بخارقٍ يشهدُ لك بصدقِ ما جئتَ به ، وما نحن بالذين نتركُ عبادةَ أصنامِنا عن مجرَّدِ قولِك ، بلا دليلٍ أقمتَه ، ولا برهانٍ نَصَبتَه ، وما نظنُّ إلا أنك مجنونٌ فيما تزعُمُه ، وعندَنا ، أنما أصابَك هذا أن بعضَ آلهتِنا غَضِبَ عليك ، فأصابَك فى عقلِك ، فاعتراك جنونٌ بسببِ ذلك . وهو قولُهم : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود : ٥٤ ، ٥٥] . وهذا تحدٍّ منه لهم وتبرُّؤٌ[1] من آلهتِهم ، وتنقُّصٌ منه لها ، وبيانٌ أنها لا تنفعُ شيئًا ولا تضرُّ ، وأنّها جمادٌ ، حُكمُها حكمُه وفعلُها فعلُه ، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصرُ وتنفعُ وتضرُّ ، فها أنا برىءٌ منها ، لاعِنٌ لها ﴿ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ أنتم وهى[2] جميعًا ، بجميعِ ما يمكنُكم أن تصِلوا

---

(١) فى الأصل : « تبرى » .

(٢) سقط من : ا ، م .

إليه ، وتقدِروا عليه ، ولا تؤخِّرونى ساعةً واحدةً ولا طَرْفَةَ عينٍ ، فإنى لا أبالى بكم ، ولا أفكِّرُ فيكم ، ولا أنظرُ إليكم ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] أى ؛ أنا متوكلٌ على اللهِ ، ومتأيِّدٌ به ، وواثِقٌ بجَنابِه الذى لا يُضيعُ مَن لاذَ به ، واستنَد إليه ، فلستُ أبالى مخلوقًا سواه ، ولستُ أتوكلُ إلا عليه ، ولا أعبدُ إلَّا إياه . وهذا وحدَه برهانٌ قاطعٌ على أنَّ هودًا عبدُ اللهِ ورسولُه ، وأنهم على جهلٍ وضلالٍ فى عبادتِهم غيرَ اللهِ ؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوءٍ ، ولا نالوا منه مكروهًا ، فدلَّ على صِدْقِه فيما جاءهم به ، وبُطلانِ ما هم عليه ، وفسادِ ما ذهبوا إليه . وهذا الدليلُ بعينِه قد استدلَّ به نوحٌ ، عليه السَّلامُ ، قبلَه فى قولِه : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] . وهكذا قال الخليلُ عليه السلامُ : ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * [١/٧٦و] وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٨٠ - ٨٣] . ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾

[المؤمنون : ٣٣ - ٣٥] . استبعدوا أن يبعثَ اللهُ رسولًا بشريًّا ، وهذه الشُّبْهةُ أَدْلَى بها كثيرٌ مِن جهَلَةِ الكفرَةِ قديمًا وحديثًا ؛ كما قال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس : ٢] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا * قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٤ ، ٩٥] . ولهذا قال لهم هودٌ عليه السلامُ : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ . أى ؛ ليس هذا بعجيبٍ ؛ فإنَّ اللهَ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالَتَه . وقولُه : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٥ - ٣٩] . استبعَدوا المعادَ ، وأنكَروا قيامَ الأجسادِ بعدَ صَيْرورتِها ترابًا وعظامًا ، وقالوا : هيهاتَ هَيْهاتَ . أى ؛ بعيدٌ بعيدٌ هذا الوعدُ ، ﴿ إِن هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ . أى ؛ يموتُ قومٌ ويَحْيَا آخرون . وهذا هو اعتقادُ الدَّهْريّةِ ، كما يقولُ بعضُ الجهلةِ مِن الزَّنادقةِ : أرحامٌ تَدْفَعُ ، وأرضٌ تَبْلَعُ . وأمّا الدُّوريةُ ، فهم الذين يعتقدون أنهم يعودون إلى هذه الدارِ بعدَ كلِّ ستةٍ وثلاثين ألفَ سنةٍ . وهذا كلُّه كَذِبٌ وكفرٌ وجهلٌ وضلالٌ ، وأقوالٌ باطلةٌ ، وخيالٌ فاسِدٌ بلا برهانٍ ولا دليلٍ ، يستميلُ عقلَ الفجرةِ الكفرةِ مِن بنى آدمَ ، الذين لا يعقلون ولا يهتدون ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٣]. وقال لهم فيما وعظَهم به : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ . يقولُ لهم : أتَبْنُون بكلِّ مكانٍ مرتفعٍ بناءً عظيمًا هائلًا ، كالقصورِ ونحوِها ،

تعبثون ببنائِها ؛ لأنَّه لا حاجةَ لكم فيه . وما ذاك إلا لأنّهم كانوا يسكنون الخيامَ ؛ [٧٦/١ظ] كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ فعادُ إرَمَ هم عادٌ الأُولَى ، الذين كانوا يسكُنون الأعمدةَ التى تحمِلُ الخيامَ . ومن زعَم أن إرَمَ مدينةٌ من ذهبٍ وفضةٍ ، وهى تنتقلُ فى البلادِ ، فقد غَلَط وأخطأ ، وقال ما لا دليلَ عليه . وقولُه : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ قيل : هى القصورُ . وقيل : بروجُ الحمامِ . وقيل : مآخِذُ الماءِ . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أى ؛ رجاءً منكم أن تُعمَّروا فى هذه الدارِ أعمارًا طويلةً . ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وقالوا له فيما قالوا : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ . أى ؛ أجئتنا لنعبدَ اللهَ وحدَه ، ونخالِفَ آباءَنا وأسلافَنا وما كانوا عليه ؟ فإنْ كنتَ صادقًا فيما جئتَ به ، فأتِنا بما تعِدُنا مِن العذابِ والنَّكالِ ، فإنَّا لا نؤمنُ بك ولا نتَّبِعُك ولا نصدقُك . كما قالوا : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ * إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ أمَّا على قراءةِ فَتْحِ الخاءِ ، فالمرادُ به اختلاقُ الأولِين ، أى ؛ إنْ هذا الذى جئتَ به إلا اختلاقٌ منك ، وأخذتَه مِن كتبِ الأولين[1] . هكذا فسَّره غيرُ واحدٍ مِن الصحابةِ والتابعين . وأمّا على قراءةِ ضمِّ الخاءِ واللامِ ، فالمرادُ به الدِّينُ . أى ؛ إنْ هذا الدينُ الذى نحن عليه إلا دينُ الآباءِ والأجدادِ مِن أسلافِنا ، ولن نتحولَ عنه ، ولا نتغيرُ ، ولا نزالُ متمسِّكين به . ويناسبُ كلا القراءتين ؛ الأولى والثانيةِ ، قولُهم : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ قال : ﴿ قَدْ

---

(١) تفسير الطبرى ٩٧/١٩ .

وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ . أى ؛ قد استَحَقَّيْتُم بهذه المقالةِ الرِّجسَ والغضبَ من اللهِ ، أتعارضون عبادةَ اللهِ وحدَه لا شريكَ له بعبادةِ أصنامٍ أنتم نحتُّموها ، وسمَّيْتُموها آلهةً من تِلْقاءِ أنفسِكم ، اصطَلَحْتم عليها أنتم وآباؤُكم ﴿ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ﴾أى؛ لم يُنَزِّلْ على ما ذهبتم إليه دليلًا ولا برهانًا ، وإذا أبيتُم قَبولَ الحقِّ ، وتماديتُم فى[1] الباطلِ ، وسواءٌ عليكم أنَهيْتُكم عمّا أنتم فيه أم لا ، فانتظروا الآن عذابَ اللهِ الواقعَ بكم ، وبأسَه الذى لا يُرَدُّ ونكالَه الذى لا يُصَدُّ . وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [١/٧٧و] وقال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ وقد ذكَر اللهُ تعالى خبرَ إهلاكِهم فى غيرِ ما آيةٍ ، كما تقدم مُجْمَلًا ومُفَصَّلًا ؛ كقولِه : ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وكقولِه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ وكقولِه : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ

---

(١) فى الأصل : « على » .

غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ وقَالَ تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

وأما تفصيلُ إهلاكِهم ، فلمّا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ كان هذا أولَ ما ابتدأهم العذابُ ؛ أنَّهم كانوا مُمْحِلين مُسْنِتِين ، فطلبوا السُّقْيا[1] ، فرأَوا عارِضًا فى السماءِ وظنُّوه سُقْيَا رحمةٍ ، فإذا هو سُقْيَا عذابٍ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾ . أى ؛ من وُقوعِ العذابِ . وهو قولُهم : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ومِثْلُها فى « الأعراف » .

وقد ذكَر المفسرون وغيرُهم هـٰهنا الخبرَ الذى ذكَره الإمامُ محمدُ بنُ إسحقَ بنِ يَسَارٍ[2] ، قال : فلمّا أَبَوْا إلا الكفرَ باللهِ عزّ وجلّ ، أمسَك عنهم المطرَ ثلاثَ سنين ، حتى جَهَدهم ذلك . قال : وكان الناسُ إذا جَهَدهم أمرٌ فى ذلك الزمانِ ، فطلبوا مِن اللهِ الفرجَ منه ، إنما يطلبونه بِحَرَمِه ومكانِ بيتِه ، وكان معروفًا عندَ أهلِ ذلك الزمانِ ، وبه العَمَاليقُ مقيمون ، وهم مِن سُلالةِ عِمْلِيقِ بنِ لاوَذَ بنِ سامِ ابنِ نوحٍ ، وكان سيِّدُهم إذْ ذاك رجلًا يُقالُ له : مُعاويةُ بنُ بَكْرٍ . وكانت أمُّه مِن قومِ عادٍ ، واسمُها : جلهدةُ[3] ابنةُ الخَيْبَرِىِّ . قال : فبعَث عادٌ وفدًا قريبًا من سبعين رجلًا ليستَقُوا لهم عندَ الحرمِ ، فمرُّوا بمعاويةَ بنِ بكرٍ بظاهرِ مكةَ ، فنزلوا عليه فأقاموا عندَه شهرًا يشربون الخمرَ ، تُغنِّيهم الجَرَداتان – قَيْنَتان لمعاويةَ – وكانوا قد وصلوا إليه فى شهرٍ ، فلما طال [١/٧٧ظ] مُقامُهم عندَه ، وأخذتْه شفَقةٌ

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى م ، ص : « بشار » .

(٣) فى تاريخ الطبرى ١/٢١٩ : « كلهدة » .

على قومِه ، واستحيَى منهم أن يأمرَهم بالانصرافِ ، عَمِل شعرًا يُعَرِّضُ[1] لهم بالانصرافِ ، وأمر القَيْنَتَيْن أن تُغنِّيَاهم به ، فقال :

ألا يا قَيْلُ ويْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لعلَّ اللهَ يُصبحُنا[2] غَمامًا
فيَسقِى أرضَ عادٍ إنّ عادًا ... قدَ امْسَوْا لا يُبِينون الكلامَا
مِن العطشِ الشديدِ فليس نرجو ... به الشيخَ الكبيرَ ولا الغلامَا
وقد كانت نساؤُهُمُ بخيرٍ ... فقد أمستْ نساؤُهُمُ عَيَامَا[3]
وإنّ الوَحشَ يأتيهم جَهارا ... ولا يخشَى لعاديٍّ سِهامَا
وأنتمْ هٰهنا فيما اشتَهَيتم ... نهارَكُمُ وليلَكُمُ التَّمامَا[4]
فقُبِّحَ وفدُكم مِن وفدِ قومٍ ... ولا لُقُّوا التَّحيَّةَ والسَّلامَا

قال : فعندَ ذلك تنبَّه القومُ لِما جاءوا له ، فنهضوا إلى الحرمِ ، ودعَوْا لقومِهم ، فدعا داعِيهم ، وهو قَيْلُ بنُ عِتْرٍ ، فأنشأ اللهُ سحاباتٍ ثلاثًا ؛ بيضاءَ وحمراءَ وسوداءَ ، ثم ناداه منادٍ مِن السماءِ : اختَرْ لنفسِك ولقومِك من هذا السحابِ . فقال : اخترتُ السحابةَ السوداءَ ؛ فإنها أكثرُ السحابِ ماءً . فناداه منادٍ[5] : اخترتَ رَمادًا رِمْدَدًا ، لا تُبْقِى مِن عادٍ أحدًا ، لا والدًا تَترُكُ ولا ولدًا ، إلا جعلتْه هَمِدًا ، إلَّا بنِى اللَّوْذِيَّةِ المُهْدَا[6] . قال : وهو بطْنٌ مِن عادٍ كانوا مقيمين بمكةَ ، فلم يُصِبْهم ما أصاب قومَهم . قال : ومَن بَقِىَ مِن أنسابِهم

---

(١) فى ح : « فعرض » ، وفى م : « فيعرض » .

(٢) فى الطبرى : « يسقينا » .

(٣) فى م : « أياما » وفى ا : « عياسا » .
وعَيَامَا ؛ جمع : عَيْمَى . وهى المرأة التى مات زوجها ولا مال لها . اللسان (ع ى م) .

(٤) فى م : « تماما » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « الهمدا » .

وأعقابِهم هم عادٌ الآخِرةُ . قال : وساق اللهُ السحابةَ السوداءَ التى اختارها قَيْلُ بنُ عِتْرٍ ، بما فيها من النقمةِ إلى عادٍ ، حتى تخرجَ عليهم مِن وادٍ يقالُ له : المُغِيثُ . فلما رأَوْها استبشروا ، وقالوا : هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا . فيقولُ تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ . أى ؛ كلَّ شيءٍ أُمِرتْ به . فكان أوّلُ مَن أبصرَ ما فيها وعرَف أنها ريحٌ فيما يذكرون ، امرأةً مِن عادٍ يقالُ لها : مهدُ[1] . فلما تبينتْ ما فيها صاحتْ ثم صَعِقَتْ ، فلمَّا أفاقت قالوا : ما رأيتِ يا مهدُ[1] ؟ قالت : رأيتُ ريحًا فيها كشُهبِ النارِ ، أمامَها رجالٌ يقودونها . فسخرها اللهُ عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ والحُسُومُ : الدائمةُ . فلم تدعْ مِن عادٍ أحدًا إلا هلَك . قال : واعتزَل هودٌ ، عليه السلامُ ، فيما ذُكِر لى ، فى حظيرةٍ هو ومَن معه مِن المؤمنين ، ما يُصيبُهم إلَّا ما يُلينُ عليهم الجلودَ ، وتَلْتَذُّ الأنفسُ ، وإنها لَتَمُرُّ على عادٍ بالظَّعنِ فيما [٧٨/١و] بينَ السماءِ والأرضِ ، وتَدْمَغُهم بالحجارةِ . وذكَر تمامَ القصةِ[2] .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ حديثًا فى « مُسنَدِه »[3] ، يشبهُ هذه القصةَ ، فقال : حدثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، حدثنى أبو المنذرِ سلَّامُ بنُ سليمانَ النَّحْوىُّ، حدثنا عاصمُ بنُ أبى النَّجُودِ ، عن أبى وائلٍ ، عن الحارثِ ، وهو ابنُ حَسَّانَ ، ويقالُ : ابنُ يزيدَ البَكْرىُّ . قال : خرجْتُ أشكو العلاءَ بنَ الحَضْرَمِىِّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فمررتُ بالرَّبذَةِ ، فإذا عجوزٌ مِن بنى تميمٍ مُنْقَطِعٌ بها ، فقالت لى : يا عبدَ اللهِ ، إن لى إلى رسولِ اللهِ ﷺ حاجةً ، فهل أنت مُبَلِّغِى إليه ؟

---

(١) فى م : « فهد » . وفى الطبرى : « مهدد » .

(٢) الخبر فى تفسير الطبرى ٢١٧/٨ - ٢٢٠ ، وتاريخه ٢١٩/١ - ٢٢٤ .

(٣) المسند ٤٨٢/٣ .

قال : فحملتُها[1] ، فأتيتُ المدينةَ ، فإذا المسجدُ غاصٌّ بأهلِه ، وإذا [2]رايةٌ سوداءُ تَخفِقُ ، و[2] بلالٌ متقلِّدٌ السيفَ بينَ يَدَىْ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقلتُ : ما شأنُ الناسِ ؟ قالوا : يريدُ أَنْ يبعثَ عمرَو بنَ العاصِ وَجْهًا . قال : فجلستُ . قال : فدخل منزِلَه – أو قال : رَحْلَه – فاستأذنتُ عليه فأَذِنَ لى ، فدخلتُ فسلَّمتُ ، فقال : « هل كان بينَكم وبينَ بنى تَميمٍ شىءٌ ؟ » . فقلتُ : نعم . قال : وكانت لنا الدَّبْرَةُ[3] عليهم ، ومررتُ بعجوزٍ من بنى تميمٍ مُنْقطِعٍ بها ، فسألتْنى أن أحمِلَها إليك ، وها هى بالبابِ . فأَذِنَ لها فدخلتْ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، إنْ رأيتَ أَنْ تجعلَ بينَنا وبينَ بنى تميمٍ حاجزًا ، فاجعلِ الدَّهْنَاءَ[4] . فحَمِيتِ العجوزُ واستوفَزَتْ ، قالت : يا رسولَ اللهِ ، فإلى أين تَضْطَرُّ مُضَرَكَ ؟ قال : قلتُ : إن مِثْلى ما قال الأولُ : مِعْزًى حملتْ حتْفَها . حملتُ هذه ولا أشعرُ أنَّها كانت لى خَصْمًا ، أعوذُ باللهِ ورسولِه أن أكونَ كوافِدِ عادٍ ، قال : « هِيه ، وما وافدُ عادٍ ؟ » . وهو أعلمُ بالحديثِ منه ، ولكن يَستطعمُه ، قلتُ : إن عادًا قَحَطوا ، فبعثُوا وافدًا لهم يقالُ له : قَيْلٌ . فمرَّ بمُعاويةَ بنِ بكرٍ ، فأقام عندَه شهرًا يسقيه الخمرَ ، وتُغنِّيه جاريتان يُقالُ لهما : الجَرادَتان . فلمَّا مضَى الشهرُ خرَج إلى جبالِ تِهامَةَ فنادَى : اللهم إنَّك تعلمُ أنى لم أجِئْ إلى مريضٍ فأداويَه ، ولا إلى أسيرٍ فأفادِيَه ، اللهمَّ اسقِ عادًا ما كنتَ تسقيه . فمرت به سحاباتٌ سودٌ ، فنودِىَ منها : اختَرْ . فأَوْمَأَ إلى سحابةٍ منها سوداءَ ، فنُودِىَ منها : خُذْها رمادًا رِمْدَدًا ، لا تُبْقِى مِن عادٍ

---

(١) فى ح : « فحملها » .

(٢ – ٢) سقط من : ح .

(٣) فى الأصل ، ح : « الدائرة » . وهما بمعنى واحد .

(٤) بعدها فى الأصل ، م : « فإنها كانت لنا . قال » .

أحدًا . قال : فما بلغنى أنه بُعِث عليهم من الريحِ إلا كقَدْرِ ما يجرِى فى خاتَمِى هذا من الريحِ ، حتى هلكوا . قال أبو وائلٍ ، وصدَق : وكانت المرأةُ والرجلُ إذا بعثوا وفدًا لهم ، قالوا : لا تكنْ كوافدِ عادٍ . وهكذا رواه التِّرمِذِىُّ عن عبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ به . ورواه النَّسائىُّ مِن حديثِ سلَّامٍ أبى المنذرِ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ . ومن [١/٧٨ظ] طريقِه رواه ابنُ ماجَهْ[١] . وهكذا أورد هذا الحديثَ وهذه القصةَ عندَ تفسيرِ هذه القصةِ غيرُ واحدٍ مِن المفسرين كابنِ جَريرٍ[٢] وغيرِه .

وقد يكونُ هذا السياقُ لإهلاكِ عادٍ الآخِرةِ ؛ فإن فيما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه ذكْرًا لمكةَ ، ولم تُبْنَ إلا بعدَ إبراهيمَ الخليلِ ، حينَ أسكَن فيها هاجَرَ وابنَه إسماعيلَ ، فنزلتْ جُرْهُمٌ عندَهم ، كما سيأتى ، وعادٌ الأولى قبلَ الخليلِ . وفيه ذكْرُ معاويةَ بنِ بكرٍ وشعرِه ، وهو من الشعرِ المتأخرِ عن زمانِ عادٍ الأولى ، لا يُشْبهُ كلامَ المتقدمين. وفيه أن فى تلك السَّحابةِ شرَرَ نارٍ ، وعادٌ الأولى إنَّما أُهْلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ . وقد قال ابنُ مسعودٍ ، وابنُ عباسٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أئمةِ التابعين[٣] : هى الباردةُ والعاتيةُ الشديدةُ الهبوبِ ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة : ٧] . أى ؛ كوامِلَ متتابعاتٍ . قيل : كان أولَها الجمعةُ . وقيل : الأربعاءُ . ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧] . شبَّههم بأعجازِ النخلِ التى لا رءُوسَ لها ؛ وذلك لأن الريحَ كانت تجىءُ إلى أحدِهم فتحملُه ، فترفعُه فى الهواءِ ، ثم

---

(١) الترمذى (٣٢٧٤) ، النسائى فى الكبرى (٨٦٠٧) مختصرًا . ورواه ابن ماجه (٢٨١٦) من طريق عاصم بن بهدلة ولم يذكر أبا وائل ، وانظر تحفة الأشراف ٥/٣ ، وجامع المسانيد ٢١٠/٣ . (حسن . صحيح الترمذى ٢٦١١) . وانظر السلسلة الضعيفة (١٢٢٨) .

(٢) تفسير الطبرى ٢٢٠/٨ ، ٢٢١ ، وتاريخه ٢١٧/١ ، ٢١٨ .

(٣) تفسير الطبرى ٤٩/٢٩ .

تُنَكِّسُه على أمِّ رأسِه فتَشْدَخُه ، فيبقَى جثَّةً بلا رأسٍ ، كما قال[1] : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر : ١٩] . [2]أى ؛ فى يومِ نحسٍ عليهم ، مستمرٍّ[2] عذابُه عليهم ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر : ٢٠] . ومَن قال : إن اليومَ النَّحْسَ المستَمرَّ هو يومُ الأربعاءِ . وتشاءَمَ به [3]لهذا الفهمِ[3] ، فقد أخطأ وخالفَ القرآنَ ؛ فإنَّه قال فى الآيةِ الأخرى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[4] [فصلت : ١٦] . ومعلومٌ أنها ثمانيةُ أيامٍ متتابعاتٍ ، فلو كانت نَحِساتٍ فى أنفسِها ، لكانت جميعُ الأيامِ السبعةِ المُنْدَرِجةِ فيها مشؤومةً ، وهذا لا يقولُه أحدٌ ، وإنما المرادُ فى أيامٍ نحساتٍ ، أى ؛ عليهم . وقال تعالى : ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات : ٤١] . أى ؛ التى لا تُنْتِجُ خيرًا . فإن الريحَ المفردةَ لا تنثُرُ سحابًا ولا تَلْقِحُ شجرًا ، بل هى عقيمٌ لا نتيجةَ خيرٍ لها ؛ ولهذا قال : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤٢] . أى ؛ كالشىءِ البالِى الفانِى الذى لا يُنْتَفَعُ به بالكليةِ . وقد ثبَت فى « الصحيحين »[5] مِن حديثِ شُعْبَةَ عن الحَكَمِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ » . وأما قولُه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢١] . فالظاهرُ[١/٧٩و] أن عادًا هذه هى عادٌ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٧/٩٨ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) فى ح : « فهذا إليهم » .

(٤) التفسير ٧/١٥٨ .

(٥) البخارى (١٠٣٥) ، مسلم (٩٠٠) .

الأُولَى ، فإن سياقَها شبيهٌ بسياقِ قومِ هودٍ ، وهم الأولَى . ويَحتَملُ أن يكونَ المذكورون فى هذه القصةِ هم عادٌ الثانيةُ ، ويدلُّ عليه ما ذكرنا ، وما سيأتى من الحديثِ ، عن عائشةَ رضى اللهُ عنها . وأما قولُه : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . فإنَّ عادًا لما رأَوْا هذا العارضَ ، وهو الناشئُ فى الجوِّ كالسحابِ ، ظنُّوه سحابَ مطرٍ ، فإذا هو سحابُ عذابٍ ، اعتقدوه رحمةً فإذا هو نِقْمَةٌ ، رَجَوْا فيه الخيرَ فنالوا منه غايةَ الشرِّ . قال اللهُ تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . أى ؛ من العذابِ . ثم فسَّره بقولِه : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . يَحتَملُ أن ذلك العذابَ هو ما أصابهم من الريحِ الصَّرْصَرِ العاتيةِ الباردةِ ، الشديدةِ الهبوبِ ، التى استمرت عليهم سبعَ ليالٍ بأيامِها الثَّمانيةِ ، فلم تُبْقِ منهم أحدًا ، بل تتبَّعتْهم حتى كانت تدخلُ عليهم كهوفَ الجبالِ والغِيرانِ ، فتلُفُّهم وتُخْرِجُهم وتُهْلِكُهم ، وتدمرُ عليهم البُيوتَ المُحْكَمةَ ، والقصورَ المشيَّدةَ ، فكما مُنُوا بقوتِهم وشدتِهم ، وقالوا : مَن أَشَدُّ مِنَّا قوةً ؟ سلَّط اللهُ – (١الذى هو أشدُّ مِنهم قوةً١) – عليهم ما هو أشدُّ منهم قوةً وأقدرُ عليهم ، وهو الريحُ العقيمُ . ويَحتمِلُ أن هذه الريحَ أثارتْ فى آخرِ الأمرِ سحابةً ظَنَّ مَن بَقِىَ منهم أنها سحابةٌ فيها رحمةٌ بهم ، وغِياثٌ لِمَن بَقِىَ منهم ، فأرسلها اللهُ عليهم شررًا ونارًا ، كما ذكره غيرُ واحدٍ ، ويكونُ هذا كما أصابَ أصحابَ الظُّلَّةِ من أهلِ مَدْيَنَ ، وجمعَ لهم بينَ الريحِ الباردةِ وعذابِ النارِ ، وهو أشدُّ ما يكونُ من العذابِ بالأشياءِ المختلفةِ المتضادَّةِ ، مع الصيحةِ التى ذكرها فى سورةِ « قد أفلح المؤمنون » . واللهُ أعلمُ .

(١ – ١) زيادة من : الأصل ، ح .

وقد قال ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حدثنا أبى ، حدثنا محمدُ بنُ يحيى بنِ الضَّرِيسِ ، حدثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن مسلمٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما فَتحَ اللهُ على عادٍ مِنَ الرِّيحِ التى أُهْلِكُوا بها ، إلَّا مِثْلَ مَوْضِعِ الخاتَمِ ، فمرَّتْ بأهْلِ الباديةِ ، فحملَتْهُم ومواشِيَهُم وأمْوالَهم ، وحَمَلَتْهُم بينَ السَّماءِ والأَرْضِ ، فلمَّا رأى ذلك أهلُ الحاضِرَةِ من عادٍ الرِّيحَ وما فيها ﴿ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . فألقَتْ أهلَ الباديةِ ومواشِيَهم على أهلِ الحاضِرةِ » . وقد رواه الطَّبرانىُّ[2] عن عَبْدانَ ابنِ أحمدَ ، عن إسماعيلَ بنِ زكريا الكوفىِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن مسلمٍ المُلائىِّ ، عن مجاهدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ - [3]كذا قال[3] - قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما فُتِح على عادٍ مِن الرِّيحِ إلا مثْلُ مَوْضِعِ الخاتَمِ ، ثم أُرْسِلَتْ عليهم ، فَحَمَلَتْهُم[4] البَدْوَ إلى الحَضَرِ ، فلمَّا رآها أهلُ [٧٩/١ظ] الحضَرِ قالوا : هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا مُسْتَقْبِلُ أوْدِيَتِنا . وكان أهلُ البوادِى فيها ، فأُلْقِىَ أهلُ البادِيَةِ على أهلِ الحاضِرَةِ حتى هلَكُوا » . قال : عتتْ على خَزائِنِها[5] حتى خرجتْ مِن خلالِ الأبوابِ . قلت : وقال غيرُه : خرجَتْ بغيرِ حسابٍ . والمقصودُ أنّ هذا الحديثَ فى رفعِه نَظَرٌ ، ثم اخْتُلِفَ فيه على مُسلمٍ المُلائىِّ ، وفيه نوعُ اضطرابٍ . واللهُ أعلمُ .

وظاهرُ الآيةِ أنهم رأَوْا عارضًا ، والمفهومُ منه لغةً[6] السحابُ . كما دلَّ

---

(١) الدر المنثور ٤٤/٦ .

(٢) المعجم الكبير (١٢٤١٦) ، قال الهيثمى : فيه مسلم الملائى وهو ضعيف . مجمع الزوائد ١١٣/٧ .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) زيادة من الطبرانى .

(٥) فى الأصل : « خرابها » . وفى ح ، ا ، ومعجم الطبرانى : « خزانها » . والذى فى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير « عتت على الخَزَنة » .

(٦) فى ح ، م ، ص : « لمعة » .

عليه حديثُ الحارثِ بنِ حسَّانَ البَكْرىِّ ، إنْ جعلناه مفسِّرًا لهذه القصةِ ، وأصرحُ منه فى ذلك ما رواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[1] ، حيث قال : حدثنا أبو الطَّاهرِ ، حدثنا ابنُ وَهْبٍ ، سمعتُ ابنَ جُرَيْجٍ يحدثُنا ، عن عطاءِ بن أبى رَبَاحٍ ، عن عائشةَ ، رضى اللهُ عنها ، قالت : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا عصَفَت الرِّيحُ قال : « اللهمَّ إنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَها وخَيْرَ ما فيها وخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ به ، وأَعُوذُ بك مِن شَرِّها وشَرِّ ما فيها وشَرِّ ما أُرْسِلَتْ به » . قالت : وإذا تَخيَّلَت[2] السماءُ تغيَّر لونُه ، وخرج ودخَل ، وأقبلَ وأدبَر ، فإذا أمطرتْ سُرِّىَ عنه ، فعَرَفتْ ذلك عائشةُ ، فسألتْه ، فقال : « لعَلَّه يا عائشةُ كما قال قومُ عادٍ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ » . رواه التِّرمذىُّ والنَّسائىُّ وابنُ ماجَهْ ، من حديث ابنِ جُرَيْجٍ[3] .

طريقٌ أخرى ، قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا هَارونُ بنُ مَعْرُوفٍ ، أنبأنا عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ ، أنبأنا عمرٌو ، وهو ابنُ الحارِثِ ، أن أبا النَّضرِ حدَّثه ، عن سُلَيمانَ بنِ يَسارٍ ، عن عائشةَ ، أنها قالت : ما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ مُستجمِعًا ضاحكًا قَطُّ حتى أَرَى منه لَهَواتِه ، إنما كان يتبسَّمُ . وقالت : كان إذا رأَى غَيْمًا أو ريحًا عُرِفَ ذلك فى وجهِه . قالت : يا رسولَ اللهِ ، الناسُ إذا رأَوُا الغيمَ فرِحوا ؛ رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ ، وأراكَ إذا رأيْتَه عُرِفَ[5] فى وجْهِكَ الكراهيةُ؟ فقال : « يا عائشةُ ، ما يُؤَمِّنُنى أنْ يكونَ فيه عذابٌ ؛ قد عُذِّب

---

(١) مسلم (٨٩٩) .

(٢) فى م ، ص : « عببت » .

(٣) الترمذى (٣٤٤٩) ، النسائى (١٠٧٧٦ ، ١٠٧٧٧) ، ابن ماجه (٣٨٩١) . (صحيح الترمذى ٢٧٤٤) .

(٤) المسند ٦/٦٦ ، (صحيح الجامع ٧٨٠٧) .

(٥) كذا فى النسخ ، وهو لفظ البخارى ، وفى المسند : « عرفت » .

قومٌ[1] بالرِّيحِ ، وقد رأى قومٌ العذابَ فقالوا : هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا » . وهكذا رواه مسلمٌ[2] عن هارونَ بنِ معروفٍ ، وأخرجه البخاريُّ وأبو داودَ[3] مِن حديثِ ابنِ وهْبٍ . فهذا الحديثُ كالصريحِ فى تغايُرِ القصتين ، كما أشرنا إليه أولًا . فعلى هذا تكونُ القصةُ المذكورةُ فى سورةِ « الأحقاف » خبرًا عن قومِ عادٍ الثانيةِ ، وتكونُ بقيةُ السِّياقاتِ فى القرآنِ خبرًا عن عادٍ الأولى ، واللهُ أعلمُ بالصوابِ .

وقدمنا حجَّ هودٍ ، عليه السلامُ ، عندَ ذكْرِ حجِّ نوحٍ ، عليه السلامُ . ورُوِى عن أميرِ المؤمنين [١/٨٠و] علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، أنه ذكَر صفةَ قبرِ هودٍ ، عليه السلامُ ، فى بلادِ اليمنِ[4] . وذكر آخرون أنه بدمشقَ ، وبجامعِها مكانٌ فى حائطِه القِبْلِىِّ ، يزعُمُ بعضُ الناسِ أنَّه قبرُ هودٍ ، عليه السلامُ . واللهُ أعلمُ .

---

(١) بعده فى م ، ص : « نوح » .

(٢) مسلم (٨٩٩) .

(٣) البخارى (٤٨٢٨) ، أبو داود (٥٠٩٨) .

(٤) المستدرك ٢/٥٦٤ .

قصةُ صَالحٍ نَبِـيِّ ثمودَ عليه الصلاةُ والسلامُ

وهم قبيلةٌ مشهورةٌ يقالُ لهم : ثمودُ . باسمِ جَدِّهم ثمودَ أخِى جَدِيسٍ ، وهما ابْنا عابِرِ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وكانوا عربًا مِن العارِبةِ ، يسكنون الحِجْرَ الذى بينَ الحِجازِ وتبوكَ ، وقد مرَّ به رسولُ اللهِ ﷺ[1] وهو ذاهبٌ إلى تبوكَ بمَن معه مِن المسلمين ، كما سيأتى بيانُه . وكانوا بعدَ قومِ عادٍ ، وكانوا يعبدون الأصنامَ كأولئك ، فبعث اللهُ فيهم رجلًا منهم ، وهو عبدُ اللهِ ورسولُه صالحُ بنُ عُبَيْدِ بنِ ماسِخِ بنِ عُبَيْدِ بنِ حاجرِ بنِ ثمودَ بنِ عابرِ بنِ إرَمَ ابنِ سامِ بنِ نوحٍ ، فدعاهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، وأن يخلعوا الأصنامَ والأندادَ ، ولا يُشرِكوا به شيئًا ، فآمَنتْ به طائفةٌ منهم ، وكفَر جمهورُهم ، ونالوا منه بالمَقالِ والفَعالِ ، وهمُّوا بقتلِه ، وقتلوا الناقةَ التى جعَلها اللهُ حُجّةً عليهم ، فأخَذَهم اللهُ أخْذَ عزيزٍ مُقتدرٍ ؛ كما قال تعالى فى سورةِ « الأعراف »[2] : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ

---

(١) البخارى (٣٣٨٠) ، مسلم (٢٩٨٠) .

(٢) التفسير ٣/٤٣٤ - ٤٤١ .

ءَامَنتُم بِهِ كَـٰفِرُونَ * فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٣ - ٧٩] . وقال تعالى فى سورةِ « هود »[1] . ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَـٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى [٨٠/١ظ] مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ * وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦١ - ٦٨] . وقال تعالى فى سورةِ « الحِجْرِ »[2] : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ * وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر : ٨٠ - ٨٤] . وقال سبحانه وتعالى فى سورةِ « سبحان »[3] : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن

---

(١) التفسير ٢٦٣/٤ ، ٢٦٤ .

(٢) التفسير ٤٦٢/٤ ، ٤٦٣ .

(٣) التفسير ٨٧/٥ - ٨٩ .

نُرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] . وقال تعالى فى سورةِ « الشّعراءِ »[1] : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٤١ - ١٥٩] . وقال تعالى فى سورةِ « النمل »[2] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ * وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ

---

(١) التفسير ٦/١٦٤ - ١٦٧ .

(٢) التفسير ٦/٢٠٧ - ٢٠٩ .

خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً [٨١/١و] لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل : ٤٥ - ٥٣] . وقال تعالى فى سورةِ « حمٓ السجدة »[1] : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت : ١٧ ، ١٨] . وقال تعالى فى سورةِ « اقتربت »[2] : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ * فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٢٣ - ٣٢] . وقال تعالى[3] : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ * إِذِ ٱنبَعَثَ أَشْقَىٰهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشمس : ١١ - ١٥] . وكثيرًا ما يَقْرِنُ اللهُ فى كتابِه بينَ ذكرِ عادٍ وثمودَ ، كما فى سورةِ « براءةَ » و « إبراهيمَ » و « الفرقانِ » وسورةِ « صٓ » ، وسورةِ « قٓ » و « النَّجْمِ » و « الفجرِ » . ويُقالُ : إن هاتين الأمَّتين[4] لا يَعْرِفُ خبرَهما أهلُ الكتابِ ، وليس لهما ذِكْرٌ فى كتابِهم التوراةِ . ولكنْ فى القرآنِ ما يدُلُّ على أن موسى أخبرَ عنهما ؛ كما قال تعالى فى سورةِ « إبراهيم »[5] : ﴿وَقَالَ

---

(١) التفسير ١٥٧/٧ ، ١٥٨ .

(٢) التفسير ٤٥٤/٧ ، ٤٥٥ .

(٣) التفسير ٤٣٦/٨ ، ٤٣٧ .

(٤) فى الأصل : « الآيتين » .

(٥) التفسير ٣٩٩/٤ .

مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [إبراهيم : ٨ ، ٩] الآيةُ . الظاهرُ أن هذا مِن تمامِ كلامِ موسى مع قومِه ، ولكنْ لَمّا كان هاتان الأمتان[1] من العربِ ، لم يَضْبِطُوا خبرَهما جيدًا ، ولا اعتَنَوْا بحفظِه ، وإنْ كان خبرُهما كان مشهورًا فى زمانِ موسى عليه السلامُ . وقد تكلمنا على هذا كلِّه فى « التفسيرِ » مُسْتَقْصًى ، ولله الحمدُ والمِنّةُ .

والمقصودُ الآنَ ذكرُ قصتِهم ، وما كان مِن أمرِهم ، وكيف نجَّى اللهُ نبيَّه صالحًا ، عليه السلامُ ، ومَن آمنَ به ، وكيف قطَع دابرَ القومِ الذين ظلموا ؛ بكفرِهم ، وعُتُوِّهم ، ومخالفتِهم رسولَهم ، عليه السلامُ . وقد قدَّمنا أنهم كانوا عربًا ، وكانوا بعدَ عادٍ ، ولم يعتبِرُوا بما كان من أمرِهم ؛ ولهذا قال لهم نبيُّهم ، عليه السلامُ : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * [٨١/١ظ] وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[2] . أى ؛ إنما جعلكم خلفاءَ من بعدِهم ؛ لتعتبروا بما كان من أمرِهم ، وتعملوا بخلافِ عملِهم ، وأباح لكم هذه الأرضَ تبنُون فى سُهولِها القصورَ ، وتَنْحِتون مِن الجبالِ بيوتًا فارِهين . أى ؛ حاذِقِين فى صَنْعتِها وإتقانِها وإحكامِها ، فقابِلُوا نعمةَ اللهِ بالشكرِ والعملِ الصالحِ والعبادةِ له وحدَه لا شريكَ له ، وإيّاكم ومخالفَتَه ، والعدولَ عن طاعتِه ؛

---

(١) فى الأصل : « الآيتان » .

(٢) التفسير ٣/٤٣٤ .

فإن عاقبةَ ذلك وخيمةٌ ، ولهذا وعَظهم بقولِه[1] : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ أى ؛ متراكِمٌ ، كثيرٌ ، حَسَنٌ ، بَهِىٌّ ، ناضجٌ . ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ وقال لهم أيضًا[2] : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ . أى ؛ هو الذى خلَقكم ، فأنشأكم من الأرضِ ، وجعلكم عُمَّارَها ، أى أعطاكُموها بما فيها من الزروعِ والثِّمارِ ، فهو الخالقُ الرزاقُ ، فهو الذى يستحقُّ العبادةَ وحدَه لا سواهُ ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ . أى ؛ أقْلِعوا عما أنتم فيه ، وأقبلُوا على عبادتِه ، فإنه يقبلُ منكم ويتجاوزُ عنكم ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ﴾ . أى ؛ قد كنا نرجو أَنْ يكونَ عقلُك كاملًا قبلَ هذه المقالةِ ؛ وهى دعاؤُك إيانا إلى إفرادِ العبادةِ [3]للهِ وحدَه[3] ، وتَرْكِ ما كنا نعبدُه من الأندادِ ، والعدولِ عن دينِ الآباءِ والأجدادِ . ولهذا قالوا : ﴿ أَتَنْهَـٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ . وهذا تلطُّفٌ منه لهم فى العِبارةِ[4] ولِينِ الجانبِ ، وحُسْنُ تَأَتٍّ فى الدعوةِ لهم إلى الخيرِ . أى ؛ فما ظنُّكم إن كان الأمرُ كما أقولُ لكم وأدعوكم إليه ؟ ماذا عذرُكم عندَ اللهِ ؟ وماذا يُخلِّصُكم بينَ يَدَيْه ، وأنتم تطلبون منِّى أن أتركَ دُعاءَكم إلى طاعتِه ؟ وأنا لا

---

(١) التفسير ٦/١٦٥ .

(٢) التفسير ٤/٢٦٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى الأصل : « العذارة » .

يمكنُنى هذا ؛ لأنَّه واجبٌ علىَّ ، ولو تركتُه لَمَا قَدَر أحدٌ منكم ولا مِن غيرِكم أن يُجيرَنى منه ، ولا ينصرَنى ، فأنا لا أزالُ أدعوكم إلى اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، حتى يحكمَ اللهُ بينى وبينَكم . وقالوا له أيضًا[1] : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ أى ؛ من المسحُورين . يعنون : مسحورًا لا تدرى ما تقولُ فى دُعائِك إيَّانا إلى إفرادِ العبادةِ للهِ وحدَه ، وخَلْعِ ما سِواه من الأندادِ . [٨٢/١و] وهذا القولُ عليه الجمهورُ ؛ أن المرادَ بالمُسَحَّرِين المسحورون . وقيل : من المُسَحَّرِين . أى ؛ ممَّنْ له سَحْرٌ - وهى الرِّئَةُ - كأنهم يقولون : إنما أنت بَشَرٌ له سَحْرٌ . والأولُ أظهرُ ؛ لقولِهم بعدَ هذا : ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ . وقولُهم : ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ سألوه أن يأتِيَهم بخارقٍ يدُلُّ على صدقِ ما جاءهم به ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ .

وقد ذكَر المفسرون أن ثمودَ اجتمعوا يومًا فى ناديهم ، فجاءهم رسولُ اللهِ صالحٌ ، عليه السلامُ ، فدعاهم إلى اللهِ تعالى وذكَّرهم وحذَّرهم ووعظهم وأمرهم ، فقالوا له : إنْ أنت أخرجتَ لنا من هذه الصخرةِ - وأشاروا إلى صخْرةٍ هناك - ناقةً مِن صِفَتِها كَيْتَ وكَيْتَ - وذكروا أوصافًا سمَّوْها ، ونعتُوها وتعنَّتوا فيها - وأنْ تكونَ عُشَرَاءَ طويلةً ، مِن صِفَتِها كذا وكذا . فقال لهم النَّبىُّ صالحٌ ، عليه السلامُ : أرأيتُم إنْ أجبتُكم إلى ما سألتم على الوجهِ الذى طلبتم ، أتؤمنون بما جئتُكم به وتصدِّقُونى فيما أُرْسِلْتُ به ؟ قالوا : نعم .

---

(١) التفسير ١٦٦/٦ .

فأخذ عُهودَهم ومواثيقَهم على ذلك ، ثم قام إلى مُصلَّاه ، فصلَّى للهِ عزَّ وجلَّ ما قُدِّرَ له ، ثم دعا ربَّه عزَّ وجلَّ أَنْ يُجِيبَهم إلى ما طلبوا ، فأمَر اللهُ عزَّ وجلَّ تلك الصخْرةَ أن تَنْفَطِرَ عن ناقةٍ عظيمةٍ كَوْماءَ[1] عُشَراءَ ، على الوجهِ الذى طلبوا ، وعلى الصفةِ التى نَعَتُوا ، فلما عاينُوها كذلك ، رأَوْا أمرًا عظيمًا ، ومنظرًا هائلًا ، وقدرةً باهِرةً ، ودليلًا قاطعًا وبُرهانًا ساطعًا ، فآمَن كثيرٌ منهم ، واستمرَّ أكثرُهم على كفرِهم وضلالِهم ، وعنادِهم ؛ ولهذا قال : ﴿ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ أى ؛ جحَدوا بها ولم يَتَّبِعُوا الحقَّ بسببِها . أى ؛ أكثرُهم . وكان رئيسُ الذين آمنوا جُنْدَعَ بنَ عمرِو[2] بنِ مخلاةَ بنِ لَبيدِ بنِ جَوَّاسٍ ، [3]وكان مِن رؤسائِهم[3] ، وهَمَّ بقيَّةُ الأشرافِ بالإسلامِ ، فَصَدّهم ذُؤَابُ بنُ عمرَ بنِ لَبيدٍ [4]والحُبابُ صاحبُ[4] أوثانِهم ، ورِبابُ بنُ صَمْعَرِ بنِ جَلْهسٍ ، ودعا جُنْدَعٌ ابنَ عمِّه[2] شهابَ بنَ خليفةَ ، وكان مِن أشرافِهم ، فهَمَّ بالإسلامِ ، فنهاه أولئك ، فمال إليهم ، فقال فى ذلك رجلٌ من المسلمين ، يقالُ له : مِهْرَشُ بنُ غَنْمةَ بنِ الدُّمَيلِ ، رحمه اللهُ شعرًا :

[٨٢/١ظ] وكانتْ عُصْبةٌ مِن آلِ عمرٍو ... إلى دِينِ النبىِّ دَعَوْا شهابا
عزيزَ ثمودَ كلُّهُمُ جميعًا ... فهَمَّ بأن يُجيبَ ولو أجابَا
لأصبحَ صالحٌ فينا عزيزًا ... وما عَدَلوا بصاحِبِهِمْ ذُؤَابا[5]
ولكنَّ الغُواةَ مِنَ آلِ حِجْرٍ ... تولَّوْا بعدَ رُشدِهِمُ ذئابا

---

(١) ليست فى : م ، ص . والناقة الكوماء : العظيمة السنام .
(٢) فى الأصل : « همه » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤ - ٤) فى م ، ص : « الخباب صاحبا » .
(٥) فى الأصل ، ح : « درابا » .

ولهذا قال لهم صالحٌ ، عليه السلامُ[1] : ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ أضافها للهِ سبحانه وتعالى إضافةَ تشريفٍ وتعظيمٍ ؛ كقولِه : بيتُ اللهِ . و : عبدُ اللهِ . ﴿ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ أى ؛ دليلًا على صِدْقِ ما جئتُكم به ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ فاتفق الحالُ على أنْ تبقَى هذه الناقةُ بينَ أظهرِهم تَرْعَى حيث شاءت مِن أرضِهم ، وتَرِدَ الماءَ يومًا بعدَ يومٍ ، وكانت إذا ورَدت الماءَ تشربُ ماءَ البئرِ يومَها ذلك ، فكانوا يرفعون حاجتَهم من الماءِ فى يومِهم لغدِهم . ويقالُ : إنهم كانوا يشربون مِن لبنِها كفايتَهم . ولهذا قال : ﴿ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ أى ؛ اختبارًا لهم ؛ أيؤمنون بها ، أم يكفرون ؟ واللهُ أعلمُ بما يفعلون ﴿ فَٱرْتَقِبْهُمْ ﴾ أى ؛ انتظِرْ ما يكونُ مِن أمرِهم ﴿ وَٱصْطَبِرْ ﴾ على أذاهم فسيأتيك الخبرُ على جَلِيَّةٍ ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ فلمّا طال عليهم الحالُ هذا ، اجتمع ملؤُهم ، واتفق رأيُهم على أنْ يَعْقِروا هذه الناقةَ ؛ ليستريحوا منها ، ويتوفَّرَ عليهم ماؤُهم ، وزيَّن لهم الشيطانُ أعمالَهم . قال اللهُ تعالى[2] : ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] . وكان الذى تولَّى قَتْلَها منهم رئيسَهم قُدارَ بنَ سالِفِ بنِ جُنْدَعٍ ، وكان أحمرَ أزرقَ قصيرًا[3] ، وكان يقالُ : إنه وَلَدُ زانيةٍ ، وُلِدَ على فراشِ سالفٍ . وهو مِن[4] رجلٍ يقالُ له : صيبانُ[5] . وكان فعلُه ذلك باتفاقِ جميعِهم ؛ فلهذا نُسِب

---

(١) التفسير ٢٦٤/٤ .

(٢) التفسير ٤٣٧/٣ .

(٣) فى النسخ : « أصهب » . والمثبت من تفسير الطبرى ٢٢٨/٨ . والتفسير ٤٣٧/٣ .

(٤) فى م ، ص : « ابن » .

(٥) الذى فى الطبرى « صهياد » .

الفعلُ إلى جميعِهم كلِّهم .

وذكَر ابنُ جريرٍ[1] ، وغيرُه من علماءِ المفسرين ، أن امرأتَيْن من ثمودَ ، اسمُ إحداهما صَدُوفُ[2] بنتُ المحيَّا بنِ زهيرِ بنِ المحيَّا[3] . وكانت ذاتَ حَسَبٍ ومالٍ ، وكانت تحتَ رجلٍ مِن أَسْلَمَ ، ففارقَتْه ، فدعتِ ابنَ عمٍّ لها ، يقالُ له : مِصْدَعُ بنُ مَهْرَجِ بنِ المحيَّا . وعرضَتْ عليه نفسَها إنْ هو عقَر الناقةَ . واسمُ الأخرى عُنَيْزةُ بنتُ غُنْمِ بنِ مِجْلَزٍ ، وتُكْنَى أمَّ عثمانَ[4] ، وكانت عجوزًا كافرةً ، لها بناتٌ من زوجِها ذُؤابِ بنِ عمرٍو ، أحدِ الرؤساءِ ، فعرضت بناتِها الأربعَ [٨٣/١و] على قُدارِ بنِ سالِفٍ ، إنْ هو عقَر الناقةَ فله أيُّ بناتِها شاء ، فانتُدِب هذان الشَّابَّان لعَقْرِها ، وسَعَوْا فى قومِهم بذلك ، فاستجابَ لهم سبعةٌ آخرون ، فصاروا تسعةً ؛ وهم المذكورون فى قولِه تعالى : ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ وسَعَوْا فى بقيةِ القبيلةِ ، وحسَّنوا لهم عَقْرَها ، فأجابوهم إلى ذلك ، وطاوعوهم فى ذلك ، فانطلقوا يَرْصُدونَ الناقةَ ، فلما صدَرَتْ من وِرْدِها ، كَمَنَ لها مِصْدَعٌ ، فرماها بسهمٍ فانتظَم ساقَها ، وجاء النساءُ ؛ نساءُ القبيلةِ فى قتلِها ، وحَسَرْن عن وجوهِهن ؛ ترغيبًا لهم ، فابتدرَهم قُدارُ بنُ سالِفٍ ، فشدَّ عليها بالسيفِ ، فكشَف عن عُرْقُوبِها ، فخرَّتْ ساقطةً إلى الأرضِ ، ورَغَتْ رَغَاةً واحدةً عظيمةً ، تُحذِّرُ ولدَها ، ثم طعَن فى لَبَّتِها ، فنحَرَها ، وانطلق سَقْبُها ، وهو فَصِيلُها ، فصَعِد جبلًا منيعًا ، ورَغَا ثلاثًا .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢٦/٨ - ٢٢٩ .

(٢) فى م ، ص : « صدوق » .

(٣) فى النسخ : « المختار » . والمثبت من تفسير الطبرى ٢٢٧/٨ . وانظر التفسير ٤٣٧/٣ .

(٤) فى الطبرى : « أم غنم » .

وروَى عبدُ الرَّزَّاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عمَّن سَمِع الحسنَ ، أنه قال : يا ربِّ ، أين أمى ؟ ثم دخَل فى صخرةٍ فغاب فيها . ويقالُ : بل اتَّبعوه فعَقَروه أيضًا . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِذِ ٱنبَعَثَ أَشْقَىٰهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ أى ؛ احْذَرُوها ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴾ .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ نُمَيْرٍ ، حدثنا هشامٌ - هو ابنُ عُروةَ - عن أبيه عن عبدِ اللهِ بنِ زَمْعَةَ قال : خطَب رسولُ اللهِ ﷺ فذكَر النَّاقةَ ، وذكَر الذى عقَرها ، فقال : ﴿ إِذِ ٱنبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ . « انبَعَثَ لها رَجُلٌ[3] عارِمٌ ، عَزيزٌ مَنِيعٌ فى رَهْطِه ، مثْلُ أبى زَمْعَةَ » . أخرجاه[4] من حديثِ هشامٍ به[5] . عارِمٌ ؛ أى شهمٌ . عزيزٌ ؛ أى رئيسٌ . مَنيعٌ ؛ أى مُطاعٌ فى قومِه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[6] : حدثنى يزيدُ بنُ محمدِ بنِ خُثَيْمٍ ، عن محمدِ ابنِ كعبٍ ، عن محمدِ بنِ خُثَيْمٍ أبى يزيدَ ، عن عمَّارِ بنِ ياسرٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ لِعَلِىٍّ : « أَلَا أُحَدِّثُكَ بأَشْقَى النَّاسِ ؟ » . قال : بلى . قال :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٣١ . وانظر تفسير الطبرى ٨/٢٢٩ .

(٢) المسند ٤/١٧ .

(٣) بعده فى م : « من » .

(٤) البخارى (٤٩٤٢) ، مسلم (٢٨٥٥) .

(٥) فى م : « بن » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/٦٠٠ . وعنده « خيثم » بدل « خثيم » وهى كذلك فى م ، ص ، والمسند ٤/٢٦٣ ، وانظر التهذيب ٩/١٤٧ ، ١٤٨ .

« رجُلانِ ؛ أحدُهما أُحَيْمِرُ ثمودَ الذى عَقَرَ النَّاقَةَ ، والذى يَضْرِبُكَ يا عَلِيُّ عَلَى هذا – يعنى قَرْنَه – حتى تَبْتَلَّ منه هذه » . يعنى لِحْيَتَه . رواه ابنُ أبى حاتِمٍ[1] . وقال تعالى : ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] . فجمَعوا فى كلامِهم هذا بينَ كُفْرٍ بليغٍ مِن وجوهٍ ؛ منها أنهم خالَفوا اللهَ ورسولَه فى ارتكابِهم النهىَ الأكيدَ فى عقرِ الناقةِ ، [١/٨٣ظ] التى جعلها اللهُ لهم آيةً ، ومنها أنهم استعجلوا وقوعَ العذابِ بهم ، فاستحقُّوه مِن وجهَيْن ؛ أحدُهما الشَّرطُ عليهم فى قولِه : ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ وفى آيةٍ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ ، وفى الأخرى ﴿ أَلِيمٌ ﴾ والكلُّ حقٌّ . والثانى ، استعجالُهم على ذلك . ومنها أنهم كذَّبوا الرسولَ الذى قد قام الدليلُ القاطعُ على نُبُوَّتِه وصدقِه ، وهم يعلمون ذلك عِلْمًا جازمًا ، ولكنْ حمَلهم الكفرُ والضلالُ والعنادُ على استبعادِ الحقِّ ، ووقوعِ العذابِ بهم . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ . وذكروا أنهم لما عقروا الناقةَ ، كان أولَ مَن سطَا عليها قُدَارُ بنُ سالِفٍ ، لعنَه اللهُ ، فعَرْقَبها ، فسقطتْ إلى الأرضِ ، ثم ابتَدَروها بأسيافِهم يُقَطِّعونها ، فلما عايَن ذلك سَقْبُها ، وهو ولدُها ، شَرَد عنهم فَعَلا أعلى الجبلِ هناك ، ورغَا ثلاثَ مراتٍ ؛ فلهذا قال لهم صالحٌ : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ أى ؛ غيرَ يومِهم ذلك . فلم يصدِّقوه أيضًا فى هذا الوعدِ الأكيدِ ، بل لمّا أمسَوْا هَمُّوا بقتلِه ، وأرادوا ، فيما يزعُمون ، أن يُلحِقُوه بالناقةِ ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾ أى ؛ لنَكْبِسَنَّه فى دارِه مع أهلِه ، فلَنقتُلَنَّه ، ثم نَجحَدَنَّ قتْلَه ، ونُنكِرَنَّ ذلك إنْ طالَبَنا أولياؤُه بدمِه ؛ ولهذا قالوا : ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ قال اللهُ تعالى :

---

(١) وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٥٧ وعزاه لابن أبى حاتم .

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النَّفرِ الذين قصدوا قَتْلَ صالحٍ حجارةً رضَخَتْهم ، سلفًا وتعجيلًا قبلَ قومِهم ، وأصبحت ثمودُ يومَ الخميسِ ، وهو اليومُ الأولُ من أيامِ النَّظِرَةِ ، ووجوهُهم مُصْفَرَّةٌ كما أنذَرهم صالحٌ ، عليه السلامُ ، فلما أمسَوْا نادَوْا بأجمعِهم : ألَا قد مضَى يومٌ مِن الأجلِ . ثم أصبحوا فى اليومِ الثانى مِن أيامِ التأجيلِ ، وهو يومُ الجُمُعَةِ ، ووجوهُهم مُحْمَرَّةٌ ، فلمَّا أَمْسَوْا نادَوْا : أَلَا قد مضَى يومانِ مِن الأَجَلِ . ثم أصبَحوا فى اليومِ الثَّالثِ من أيامِ المتاعِ ، وهو يومُ السَّبْتِ ، ووجوهُهم مُسْوَدَّةٌ ، فلمَّا أَمْسَوْا نادَوْا : أَلَا قد مضَى الأَجَلُ . فلمَّا كَان صَبيحةُ يومِ الأحدِ ، تحنَّطوا وتأهَّبوا وقعَدوا ينتظرون ماذا يَحُلُّ بهم من العذابِ والنَّكالِ والنِّقمةِ ، لا يَدرون كيفَ يُفعَلُ بهم ، ولا مِن أىِّ جهةٍ يأتيهم العذابُ ، فلما أشرقت الشمسُ جاءتهم صَيْحَةٌ مِن السماءِ من فوقِهم ، ورَجْفَةٌ شديدةٌ من أسفَلَ منهم ، ففاضت الأرواحُ وزَهَقت النفوسُ ، وسكَنت الحركاتُ [٨٤/١و] وخشعت الأصواتُ ، وحُقَّتِ الحقائقُ ، ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ ؛ جُثَثًا لا أرواحَ فيها ولا حِراكَ بها . قالوا : ولم يَبْقَ منهم أحدٌ إلا جاريةٌ كانت مُقْعَدةً ، واسمُها : كَلْبَةُ بنتُ[1] السَّلْقِ . ويقالُ لها : الزُّرَيْعَةُ[2] . وكانت شديدةَ الكفرِ والعداوةِ لصالحٍ ، عليه السلامُ ، فلما رأت العذابَ أُطْلِقَتْ رِجلاها ، فقامت تسعَى كأسرعِ شيءٍ ، فأتتْ حيًّا من

---

(١) فى الأصل : « بن » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ص : « الذريعة » ، وفى ا ، م : « الدريعة » . والمثبت من تفسير الطبرى بتحقيق محمود محمد شاكر وأخيه ٥٣٦/١٢ .

العربِ ، فأخبرتهم بما رأت وما حلَّ بقومِها ، واستَسْقَتْهم ماءً ، فلما شَربت ماتت . قال اللهُ تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ ﴾ أى ؛ لم يُقيموا فيها فى سَعَةٍ ورزقٍ وغَناءٍ ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦٨] أى ؛ نادَى عليهم لسانُ القَدَرِ بهذا .

قال الإمامُ أحمد[1] : حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، حدثنا عبدُ اللهِ بنُ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : لمَّا مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالحِجْرِ ، قال : « لا تَسْأَلوا الآياتِ ، فقد سألها قومُ صالحٍ فكانت - يعنى الناقَةَ - تَرِدُ من هذا الفَجِّ ، وتَصدُرُ من هذا الفَجِّ ، فعَتَوْا عن أمرِ ربِّهم فعقروها ، وكانت تَشرَبُ ماءَهم يومًا ويشرَبونَ لبنَها يومًا ، فعقروها ، فأخذتهم صيحةٌ ، أهْمَدَ اللهُ مَن تحتَ أديمِ السماءِ منهم ، إلا رجلًا واحدًا ، كان فى حَرَمِ اللهِ » فقالوا : من هو يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « هو أبو رِغَالٍ ، فلما خرَج من الحرمِ أصابه ما أصابَ قومَه » . وهذا الحديثُ على شرطِ مسلمٍ ، وليس هو فى شيءٍ من « الكتب الستةِ »[2] . واللهُ أعلمُ .

وقد قال عبدُ الرزاقِ أيضًا[3] : قال مَعْمرٌ : أخبرنى إسماعيلُ بنُ أُمَيَّةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ مرَّ بقبرِ أبى رِغَالٍ ، فقال : « أتدرُون من هذا ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « هذا قبرُ أبى رِغَالٍ ؛ رجلٍ من ثمودَ كان فى حَرَمِ اللهِ ، فمَنَعه حرَمُ اللهِ عذابَ اللهِ ، فلمَّا خرَج أصابَه ما أصابَ قومَه ، فدُفِنَ ههنا ، ودُفِن معه غُصْنٌ مِن ذَهَبٍ » . فنزَل القومُ فابتدَروه بأسيافِهم ، فبحثوا عنه ،

---

(١) المسند ٢٩٦/٣ . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٩٤/٦ ، ٣٨/٧ وقال : رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح . وانظر الإحسان (٦١٩٧) .

(٢) وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٣٠/٨ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٣٢/٢ .

فاستخرجوا الغصنَ . قال عبدُ الرزاقِ[1] : قال مَعْمَرٌ : قال الزُّهْرِىُّ : أبو رِغَالٍ ؛ أبو ثَقِيفٍ . هذا مُرسَلٌ من هذا الوجهِ . وقد جاء مِن وجهٍ آخرَ متَّصِلًا ، كما ذكره محمدُ بنُ إسحاقَ فى « السيرةِ »[2] ، عن إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ ، عن بُجَيرِ بنِ أبى بُجَيرٍ ، سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ حينَ خرجنا معه إلى الطائفِ ، فمَرَرْنا بقبرٍ ، فقال : « إن هذا قبرُ أبى رِغَالٍ ، وهو أبو ثَقِيفٍ ، وكان من ثَمودَ ، وكان بهذا الحرَمِ يدفَعُ عنه ، فلما خرَج منه أصابَتْه النِّقْمَةُ التى أصابتْ قومَه بهذا المكانِ ، فدُفِنَ فيه ، [١/٨٤ظ] وآيةُ ذلك أنَّه دُفِنَ معه غُصْنٌ مِن ذهبٍ ، إنْ أنتم نَبَشْتُم عنه أُصِبْتُموه معه » . فابتَدَره الناسُ فاستخرجوا منه الغُصْنَ . وهكذا رواه أبو داودَ[3] مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ به[4] . قال شيخُنا الحافِظُ أبو الحجَّاجِ المِزِّىُّ ، رحمه اللهُ : هذا حديثٌ حسنٌ عزيزٌ . قلت : تفرَّد به بُجَيْرُ بنُ أبى بُجَيْرٍ هذا ، ولا يُعْرَفُ إلا بهذا الحديثِ ، ولم يَرْوِ عنه سوى إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ . قال شيخُنا : فيحتَملُ أنه وَهِم فى رفعِه ، وإنما يكونُ من كلامِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو ، مِن زامِلَتَيْه[5] ، واللهُ أعلمُ . [6]قلتُ : لكنْ فى المُرسَلِ الذى قبلَه ، وفى حديثِ جابرٍ أيضًا شاهدٌ لَه . واللهُ أعلمُ[6] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٣٢ .

(٢) لم نجده فى السيرة .

(٣) أبو داود (٣٠٨٨) . (ضعيف أبى داود ٦٧٨) .

(٤) سقط من : ح .

(٥) ١/٢٣٢ (ضعيف) .« زاملته » . والزامِلةُ : بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه . اللسان (ز م ل) .

وأراد بهما هنا الصحف التى أصابها يوم اليرموك من تلك الزاملتين من أخبار بنى إسرائيل .

(٦ - ٦) سقط من : ح .

وقولُه تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ إخبارٌ عن صالحٍ ، عليه السَّلامُ ، أنه خاطَب قومَه بعدَ هلاكِهم ، وقد أخَذ فى الذَّهابِ عن مَحِلَّتِهم إلى غيرِها ، قائلًا لهم : ﴿ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ أى ؛ جَهَدْتُ فى هدايتِكم بكلِّ ما أمكننى ، وحرَصتُ على ذلك بقولى وفعلى ونِيَّتى ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ أى ؛ لم تكنْ سَجَاياكم تقبَلُ الحقَّ ولا تريدُه ؛ فلهذا صِرتُم إلى ما أنتم فيه مِن العذابِ الأليمِ المستمِرِّ بكم ، المتصلِ إلى الأبدِ ، وليس لى فيكم حِيلةٌ ولا لى بالدَّفعِ عنكم يَدَانِ ، والذى وجَب علَىَّ من أداءِ الرسالةِ والنُّصحِ لكم قد فعلتُه وبذلتُه لكم ، ولكنَّ اللهَ يفعَلُ ما يريدُ . وهكذا خاطَب النَّبىُّ ﷺ أهلَ قَلِيبِ بَدْرٍ بعدَ ثلاثِ ليالٍ ، وقَف عليهم ، وقد رَكِب راحلتَه وأمَر بالرَّحيلِ من آخرِ الليلِ ، فقال : « يا أهلَ القَلِيبِ ، هل وجدتُم ما وعَدَكم ربُّكم حقًّا ؟ فإنِّى قد وجدتُ ما وعدَنى ربى حقًّا »[1] . وقال لهم فيما قال : « بئسَ عَشِيرةُ النَّبىِّ كنتُم لِنبيِّكُم ؛ كذَّبْتُمونى وصدَّقَنِى النَّاسُ ، وأخرجتُمونى وآوانِى النَّاسُ ، وقاتَلْتمُونى ونَصَرَنِى النَّاسُ ، فبئسَ عَشيرةُ النَّبِىِّ كنتُم لنبيِّكم » . فقال له عمرُ : يا رسولَ اللهِ ، تُخاطِبُ أقوامًا قد جَيَّفوا ؟ فقال : « والذى نَفْسى بيدِه ، ما أنتُم بأسمَعَ لِمَا أقُولُ منهم ، ولكنَّهم لا يُجِيبُون » . وسيأتى بيانُه فى موضعِه إن شاء اللهُ . ويقالُ : إنَّ صالحًا ، عليه السلامُ ، انتقلَ إلى حَرَمِ اللهِ ، فأقام به حتى مات[2] .

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا وَكِيعٌ ، حدثنا زَمْعةُ بنُ صالحٍ ، عن سَلَمةَ

---

(١) البخارى (٣٩٨٠) ، مسلم (٩٣٢) .

(٢) تاريخ الطبرى ٢٣٢/١ ، الكامل ٩٣/١ .

(٣) المسند ٢٣٢/١ ، (ضعيف) .

ابنِ وَهْرَامٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لَمَّا مرَّ النَّبِىُّ ﷺ بوادِى عُسْفَانَ حينَ حجَّ ، قال : « يا أبا بَكْرٍ : أىُّ وادٍ هذا ؟ » . قال : وادِى عُسْفَانَ . قال : « لقد مرَّ به هودٌ وصالحٌ ، عليهما السلامُ ، على بَكَراتٍ حُمْرٍ خُطُمُها اللِّيفُ ، أُزُرُهم العَباءُ ، وأردِيَتُهم النِّمارُ ، يُلَبُّونَ ، يَحُجُّونَ البيتَ [١/٨٥و] العَتِيقَ » . إسنادٌ حَسَنٌ . وقد تقدَّم فى قصةِ نُوحٍ[1] ، عليه السلامُ ، مِن روايةِ الطَّبرانىِّ[2] ، وفيه نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ .

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٧٨ .

(٢) هكذا نسبه هنا إلى الطبرانى ، ولم نجده فى مظانه من مسند ابن عباس ، ولم يعزه الهيثمى ٣/٢٢٠ إليه ، ولعل نسبته إلى الطبرانى سبقُ قلم من المصنف رحمه الله ، والذى تقدم ص ٢٧٨ نسبته إلى أبى يعلى عن شيخه سفيان بن وكيع عن أبيه وكيع به ، ولم نجده فى مسند ابن عباس من المطبوع ، ولعله فى مسنده الكبير ، ولكن نسبته إلى أبى يعلى هى الأصح فإن سفيان بن وكيع توفى سنة (٢٤٧ هـ) كما فى تهذيب الكمال ١١/٢٠٣ ، وولد الحافظ أبو يعلى سنة (٢١٠ هـ) كما فى سير أعلام النبلاء ١٤/١٧٤ وولد الحافظ الطبرانى سنة (٢٦٠ هـ) كما فى سير أعلام النبلاء ١٦/١٩ ، فعلى هذا فالذى يمكن أن يروى عن سفيان بن وكيع هو أبو يعلى لا الطبرانى ، والله أعلم .

ذكرُ مرورِ النبيِّ ﷺ بوادى الحِجْرِ من أرضِ ثَمُودَ عَامَ تَبُوكَ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الصَّمدِ ، حدثنا صَخْرُ بنُ جُوَيْرِيَةَ ، عن نافعٍ ، عنِ ابنِ عُمَرَ ، قال : لما نزَل رسولُ اللهِ ﷺ بالنَّاسِ عامَ تَبُوكَ ، نزَلَ بهم الحِجْرَ عندَ بيوتِ ثَمُودَ ، فاستَسْقَى النَّاسُ مِن الآبارِ التى كانت تشربُ منها ثمودُ ، فعَجَنُوا منها ونصَبوا القُدُورَ باللحمِ ، فأمرَهم رسولُ اللهِ ﷺ ، فأهْراقُوا القُدورَ ، وعلَفُوا العجينَ الإبلَ ، ثم ارتَحَل بهم حتى نزَل بهم على البئرِ التى كانت تشرَبُ منها الناقةُ ، ونهاهم أن يدخلوا على القومِ الذين عُذِّبُوا ، قال : « إنِّى أخشَى أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » .

وقال أحمدُ أيضًا[2] : حدثنا عَفَّانُ ، حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ مُسْلِمٍ ، حدثنا عبدُ اللهِ بنُ دينارٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ وهو بالحِجْرِ : « لا تدخُلوا على هؤلاءِ القومِ المُعَذَّبينَ ، إلَّا أنْ تكونوا باكِينَ ، فإنْ لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أنْ يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم » . أخرجاه فى « الصحيحين »[3] مِن غيرِ وجهٍ . وفى بعضِ الرواياتِ ، أنَّه ، عليه السلامُ ، لمَّا مرَّ بمنازِلِهم ، قنَّع رأسَه وأسرَع راحلَتَه ، ونهَى عن دخولِ منازِلِهم : « إلَّا أنْ تكونوا باكين » . وفى روايةٍ : « فإنْ لم تبكُوا فتباكَوْا ، خشْيةَ أنْ يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم » . صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه .

---

(١) المسند ٢/١١٧ (صحيح) .

(٢) المسند ٢/١٧٤ (صحيح) .

(٣) البخارى (٤٣٣) ، مسلم (٢٩٨٠) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدثنا المَسْعُودِىُّ ، عن إسماعيلَ بنِ أَوْسَطَ ، عن محمدِ بنِ أبى كَبْشَةَ الأنْمارِىِّ ، عن أبيه ، واسمُه عمرُو بنُ سعدٍ ، [2]ويقالُ : عامرُ بنُ سَعْدٍ[2] ، رضى اللهُ عنه قال : لَمَّا كان فى غزوةِ تَبُوكَ ، تسارَع الناسُ إلى أهلِ الحِجْرِ يدخُلون عليهم ، فبلَغ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فنادَى فى الناسِ : « الصلاةُ جامعةٌ » . قال : فأتيتُ النبىَّ ﷺ وهو مُمْسِكٌ بَعِيرَه ، وهو يقولُ : « ما تدخُلُونَ على قومٍ غَضِب اللهُ عليهم ؟ » . فناداه رجلٌ منهم : نَعْجَبُ منهم يا رسولَ اللهِ . قال : « أفلا أُنَبِّئُكم[3] بأعجبَ من ذلك ؟ رجُلٌ مِن أنفسِكم ينبِّئُكم بما كان قبلَكم ، وما هو كائنٌ بعدَكم ، فاستقيموا وسدِّدوا ، فإنَّ اللهَ لا يَعْبَأُ بعذابِكم شيئًا ، وسيأتى قومٌ لا يَدفَعُون عن أنفسِهم بشىءٍ » . إسنادُه حَسَنٌ ، ولم يُخَرِّجوه . وقد ذُكِرَ أنَّ قومَ صالحٍ كانت أعمارُهم طَويلةً ، فكانوا يبنُون البيوتَ من المَدَرِ[4]فتَخْرَبُ قبلَ موتِ الواحدِ منهم ، فنحتوا لهم بيوتًا فى الجبالِ . [١/٨٥ظ] وذكَروا أنَّ صالِحًا ، عليه السلامُ ، لمَّا سألوه آيةً فأخرَج اللهُ لهم النَّاقةَ من الصخرةِ ، أمرَهم بها وبالولدِ الذى كان فى جَوْفِها ، وحذَّرهم بأسَ اللهِ إنْ هم نالوها بسُوءٍ ، وأخبرهم أنهم سيَعْقِرونها ، ويكونُ سببُ هلاكِهم ذلك ، وذكَر لهم صفةَ عاقِرِها ، وأنَّه أحمرُ أزرقُ أصهبُ ، فبعثوا القَوابلَ فى البلدِ ، متى وجدوا مولودًا بهذه الصفةِ يَقْتُلْنَه ، فكانوا على ذلك دهرًا طويلًا وانقرضَ جيلٌ وأتَى جيلٌ آخرُ ، فلمَّا كان فى بعضِ الأعصارِ ، خطَب رئيسٌ

---

(١) المسند ٤/٢٣١ ، وقال الهيثمى : فيه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى وقد اختلط . مجمع الزوائد ٦/١٩٤ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر الإصابة ٧/٣٤١ .

(٣) كذا بالنسخ . وفى المسند : « أنذركم » .

(٤) المدَرُ : قطع الطين اليابس . القاموس (م د ر) .

مِن رؤسائِهم على ابنِه بنتَ آخَرَ مثلِه فى الرياسةِ ، فزوَّجه فوُلِدَ بينَهما عاقِرُ الناقَةِ ، وهو قُدَارُ بنُ سالِفٍ ، فلم تتمكنِ القوابلُ مِن قتلِه ؛ لشرفِ أبوَيْه وجَدَّيْه فيهم ، فنشَأ نشأةً سريعةً ، فكان يشِبُّ فى الجُمُعةِ كما يشِبُّ غيرُه فى شهرٍ ، حتى كان من أمرِه أنْ خرَج مُطاعًا فيهم ، رئيسًا بينَهم ، فسوَّلتْ له نفسُه عَقْرَ الناقَةِ ، واتَّبعَه على ذلك ثمانيةٌ من أشرافِهم ؛ وهم التسعةُ الذين أرادوا قتْلَ صالحٍ ، عليه السَّلامُ ، فلمَّا وقَع من أمرِهم ما وقَع من عَقْرِ الناقَةِ ، وبلَغ ذلك صالحًا ، عليه السلامُ ، جاءهم باكيًا عليها ، فتلقَّوْه يَعتذرون إليه ويقولون : إنَّ هذا لم يقعْ عن مَلَأٍ مِنَّا ، وإنما فعَل هذا هؤلاءِ الأحداثُ فينا . فيقالُ : إنه أمرَهم باستدراكِ سَقْبِها حتى يُحسِنوا إليه عِوضًا عنها ، فذهبوا وراءَه ، فصعِد جبلًا هناك ، فلمَّا تصاعدوا فيه وراءَه تعالَى الجبلُ ، حتى ارتفَع فلا ينالُه الطيرُ ، وبكَى الفصِيلُ حتى سالت دموعُه ، ثم استقبَل صالحًا ، عليه السلامُ ، ورغَا ثلاثًا ، فعندَها قال صالحٌ ﴿ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ وأخبرهم أنهم يُصبحون مِن غدِهم صُفْرًا ، ثم تَحْمَرُّ وجوهُهم فى الثانى ، وفى اليومِ الثَّالثِ تَسْوَدُّ وجوهُهم ، فلمَّا كان فى اليومِ الرابعِ أتتهم صيحةٌ فيها صوتُ كلِّ صاعقةٍ ، فأخمدَتْهُم ، فأصبَحوا فى دارِهم جاثمين . وفى بعضِ هذا السِّياقِ نظرٌ ، ومخالفَةٌ لظاهرِ ما يُفْهَمُ من القرآنِ فى شأنِهم وقصتِهم ، كما قدَّمنا . واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ بالصوابِ ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلُ .

قصَّةُ إبراهيمَ الخليلِ[1] ، عليه الصلاةُ والسلامُ

هو إبراهيمُ بنُ تارِخَ[2] « ٢٥٠ » بنِ ناحورَ « ١٤٨ » بنِ ساروغَ « ٢٣٠ » بنِ راغو[3] « ٢٣٩ » بنِ فالغَ « ٤٣٩ » بنِ عابرِ « ٤٦٤ » بنِ شالَخِ[4] « ٤٣٣ » بنِ أَرْفَخْشَدَ « ٤٣٨ » بنِ سامِ « ٦٠٠ » بنِ نوحٍ عليه السلامُ . هذا نصُّ أهلِ الكتابِ فى كتابِهم ، وقد أُعلمتُ على أعمارِهم تحتَ أسمائِهم بالهندِىِّ ، كما ذكروه مِن المُدَدِ[5] ، وقدمنا الكلامَ على عمرِ نوحٍ ، عليه السلامُ ، فأغنَى عن إعادَتِه .

[6]وحكَى الحافظُ ابنُ عساكِرَ[7] فى ترجمةِ إبراهيمَ الخليلِ مِن « تاريخِه » ، عن إسحاقَ بنِ بشرٍ الكاهِلِىِّ ، صاحبِ كتابِ « المبتدأ » أنَّ اسمَ أمِّ إبراهيمَ أميلةُ . ثم أوردَ عنه فى خبرِ ولادتِها له حكايةً طويلةً . وقال الكلبىُّ[8] : اسمُها نونا بنتُ كرنبا بنِ كوثى مِن بنى أَرْفَخْشَدَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ .

وروَى ابنُ عساكِرَ[9] مِن غيرِ وجهٍ ، عن عِكْرِمةَ ، أنه قال : كان إبراهيمُ ، عليه السَّلامُ يُكْنَى أبا الضِّيفانِ[6] . قالوا : ولما كان عُمُرُ تارِخَ خمسًا

---

(١) فى م ، ص : « خليل الرحمن » .

(٢) فى الأصل : « رباح » ، وفى م ، ص : « تسارخ » . وانظر تاريخ الطبرى ٢٣٣/١ ، الكامل ٩٤/١ ، تاريخ دمشق ١٦٤/٦ - ١٦٦ .

(٣) فى تاريخ الطبرى والكامل : « أرغوا » .

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى والكامل : « بن قينان » .

(٥) هذه المدد ليست فى : الأصل ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) تاريخ دمشق ١٦٥/٦ .

(٨) طبقات ابن سعد ٤٦/١ .

(٩) تاريخ دمشق ١٧٣/٦ .

وسبعين سنةً ، [٨٦/١و] وُلِدَ له إبراهيمُ ، عليه السلامُ ، وناحُورُ ، وهارَانُ ، ووُلِدَ لهارَانَ لوطٌ . وعندَهم أن إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، هو الأوسطُ ، وأن هارانَ مات فى حياةِ أبيه ، فى أرضِه التى وُلِدَ فيها ، وهى أرضُ الكَلْدَانِيِّين ؛ يعنُونَ أرضَ بابِلَ . (١)وهذا هو الصحيحُ المشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ والتواريخِ والأخبارِ ، وصحَّح ذلك الحافِظُ ابنُ عساكِرَ(٢) بعد ما روَى مِن طريقِ هشامِ بنِ عمَّارٍ ، عن الوليدِ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن مَكْحُولٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وُلِدَ إبراهيمُ بغُوطَةِ دِمشْقَ ، فى قريةٍ يقالُ لها : بَرْزَةُ . فى جبلٍ يقالُ له : قاسِيُونُ . ثم قال : والصّحيحُ أنه وُلِد ببابِلَ ، وإنَّما نُسِبَ إليه هذا المقامُ ؛ لأنَّه صلَّى فيه ، إذ جاء مُعينًا للوطٍ عليه السلامُ(١) . قالوا : فتزوج إبراهيمُ سارَّةَ ، وناحورُ مَلْكَا(٣) ابنةَ هارَانَ ؛ يعنون بابنةِ أخيه . قالوا : وكانت سارَّةُ عاقرًا لا تَلِدُ . قالوا : وانطَلقَ تارِخُ بابنِه إبراهيمَ وامرأتِه سارَّةَ ، وابنِ ابنِه لوطِ بنِ هارَانَ ، فخرج بهم من أرضِ الكَلْدَانِيِّين إلى أرضِ الكَنْعَانِيِّين ، فنزلوا حَرَّانَ ، فمات فيها تارخُ وله مائتان وخمسون سنةً . وهذا يدلُّ على أنَّه لم يُولَدْ بحرَّانَ ، وإنما مَولدُه بأرضِ الكَلْدَانِيِّين ، وهى أرضُ بابِلَ وما والَاها . ثم ارتحلوا قاصدِين أرضَ الكَنْعَانِيين ، وهى بلادُ بيتِ المقدسِ فأقاموا بحَرَّانَ ، وهى أرضُ الكَشْدَانِيين فى ذلك الزمانِ ، وكذلك أرضُ الجزيرةِ والشامِ أيضًا ، وكانوا يعبدون الكواكبَ السبعةَ ، والذين عَمَروا مدينةَ دمشقَ كانوا على هذا الدِّينِ ، يستقبلون القُطْبَ الشمالىَّ ، ويعبدون الكواكبَ السَّبْعةَ بأنواعٍ من الفَعالِ والمقالِ ؛ ولهذا كان على كلِّ بابٍ من أبوابِ دمشقَ السبعةِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا .

(٢) تاريخ دمشق ١٦٤/٦ وما بعدها .

(٣) سقط من : ح .

القديمةِ هيكلٌ لكوكبٍ[1] منها ، ويعملون لها أعيادًا وقرابينَ ، وهكذا كان أهلُ حَرَّانَ يعبدون الكواكِبَ والأصنامَ ، وكلُّ مَن كان على وجهِ الأرضِ كانوا كفَّارًا ، سوى إبراهيمَ الخليلِ وامرأتِه وابنِ أخيه لوطٍ ، عليهم السَّلامُ ، وكان الخليلُ ، عليه السلامُ ، هو الذى أزال اللهُ به تلك الشرورَ ، وأبطَل به ذاك الضلالَ ؛ فإن اللهَ سبحانه وتعالى آتاه رُشْدَهُ فى صِغَرِه ، وابتعثه رسولًا ، واتخذه خليلًا فى كِبَرِه ، قال تعالى[2] : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١] . أى ؛ كان أهلًا لذلك . وقال تعالى[3] : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ [١/٨٦ظ] إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ

---

(١) فى الأصل : « ككوكب » .

(٢) التفسير ٥/٣٤١ .

(٣) التفسير ٦/٢٧٩ .

ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ١٦ - ٢٧] . ثم ذكَر تعالى مُناظَرَته لأبيه وقومِه ، كما سنذكرُه إنْ شاء اللهُ تعالى . وكان أولُ دعوتِه لأبيه ، وكان أبوه ممَّن يعبدُ الأصنامَ ؛ لأنَّه أحقُّ النَّاسِ بإخلاصِ النَّصيحةِ له كما قال تعالى[1] : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا * قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم ٤١ - ٤٨] . يذكرُ[2] تعالى ما كان بينَه وبينَ أبيه من المحاورةِ والمجادلةِ ، وكيف دعا أباه إلى الحقِّ بألْطَفِ عبارةٍ ، وأحسنِ إشارةٍ ، بيَّنَ لَهُ بطلانَ ما هو عليه من عبادةِ الأصنامِ[3] التى [4]لا تَسمعُ[4] دعاءَ عابدِها ، ولا تُبْصِرُ مكانَه ، فكيف تُغْنِى عنه شيئًا أو تَفعَلُ به خيرًا مِن رِزقٍ أو نصرٍ ؟

---

(١) التفسير ٥/٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) فى م ، ص : « فذكر » .

(٣) فى م : « الأوثان » .

(٤ - ٤) فى ص : « لا يسمع » .

ثم قال له منبِّهًا على ما أعطاه اللهُ مِن الهدَى والعلمِ النافِعِ ، وإنْ كان أصغرَ سنًّا مِن أبيه : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ . أى ؛ مستقِيمًا واضحًا سهلًا حنيفًا ، يُفْضِى بك إلى الخيرِ فى دنياكَ وأخْرَاكَ . فلمَّا عرَض هذا الرُّشْدَ عليه ، وأهدَى هذه النَّصِيحةَ إليه ، لم يقبَلْها منه ولا أخذَها عنه ، بل تهدَّده وتوعَّده ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ . قيل : بالمقالِ . وقيل : بالفَعالِ . ﴿ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ . أى ؛ واقْطَعْنِى وأَطِلْ هِجْرانى . فعندَها قال له إبراهيمُ : ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ . أى ؛ لا يصلُك منِّى مكروهٌ ، ولا ينالُك منِّى أذًى ، بل أنت سالِمٌ من ناحِيتى . وزاده خيرًا فقال : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ . قال ابنُ عباسٍ وغيرُه[1] : أى لطيفًا . يعنى فى أنْ هدانى لعبادتِه والإخلاصِ له ؛ ولهذا قال : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ [١/٨٧و] وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ . وقد استغفر له إبراهيمُ ، عليه السلامُ ، كما وعَده فى أدعيتِه ، فلمّا تبيَّن له أنه عدوٌّ للهِ تبرَّأ مِنه ؛ كما قال تعالى[2] : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

وقال البخارىُّ[3] : حدثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ ، حدثنى أخى عبدُ الحميدِ ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يَلْقَى إبراهيمُ أباه آزرَ يومَ القيامةِ ، وعلى وَجْهِ آزرَ قَتَرةٌ وغَبَرَةٌ ، فيقولُ له إبراهيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لك : لا تَعْصِنى ؟ فيقولُ أبوه : فاليومَ

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/٩٢ .

(٢) التفسير ٤/١٦١ .

(٣) البخارى (٣٣٥٠) .

لا أعْصِيكَ . فيقولُ إبراهيمُ : يا ربِّ ، إنَّك وعَدتَنى أَنْ لا تُخْزِنى يَومَ يُبْعَثُون ، فأىُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِن أبى الأَبْعَدِ ؟ فيقولُ اللهُ : إنِّى حَرَّمْتُ الجنَّةَ على الكافرين . ثم يقالُ : يا إبراهيمُ ، ما تحتَ رِجْلَيْكَ ؟ فينظرُ ، فإذا هو بِذِيخٍ[1] مُتلَطِّخٍ ، فيُؤْخَذُ بقَوائِمِه فيُلْقَى فى النَّارِ » . هكذا رواه فى قصَّةِ إبراهيمَ مُنفَرِدًا .

وقال فى التفسيرِ[2] : وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمَانَ ، عن ابنِ أبى ذئبٍ[3] ، عن [4]سعيدِ ابنِ أبى[4] سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرةَ . وهكذا رواه النَّسائىُّ[5] ، عن أحمدَ بنِ حَفْصِ بنِ عبدِ اللهِ ، عن أبيه ، عن إبراهيمَ بنِ طَهْمَانَ ، به . وقد رواه البزَّارُ[6] مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنَحْوِه ، وفى سياقِه غَرابةٌ . ورواه أيضًا مِن حديثِ قَتادةَ ، عن عُقْبةَ بنِ عبدِ الغافرِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنَحْوِه . وقال تعالى[7] : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ هذا يدلُّ على أن اسمَ أبى إبراهيمَ آزَرُ ، وجمهورُ أهلِ النَّسَبِ ، منهم ابنُ عباسٍ ، على أن اسمَ أبيه تارِحُ[8] ، وأهلُ الكتابِ يقولون : تارخُ[9] . بالخاءِ المعجمةِ . فقِيل : إنه لُقِّب بصَنَمٍ كان يعبدُه اسمُه آزَرُ .

---

(١) الذيخ : ذكر الضباع الكثير الشعر . القاموس (ذ ى خ) .
(٢) البخارى (٤٧٦٨) .
(٣) فى ا ، م : « ذؤيب » .
(٤ - ٤) سقط من : ح ، م ، ص .
(٥) النسائى فى الكبرى (١١٣٧٥) .
(٦) لم نجده فى كشف الأستار . وقد عزاه للبزار ابن حجر . فتح البارى ٤٩٩/٨ .
(٧) التفسير ٢٨٢/٣ .
(٨) فى الأصل : « بارخ » .
(٩) فى الأصل : « نارخ » .

وقال ابنُ جريرٍ[1] : والصوابُ أن اسمَه آزَرُ ، ولعلَّ له اسمَيْن علَمَيْن ، أو أحدُهما لَقَبٌ والآخرُ عَلَمٌ . وهذا الذى قاله مُحْتَمَلٌ ، واللهُ أعلمُ .

ثم قال تعالى[2] : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * [١/٨٧ظ] وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٧٥ - ٨٣] .

وهذا المَقامُ مقامُ مناظرةٍ لقومِه ، وبيانٍ لهم أن هذه الأجرامَ المشاهَدَةَ مِن الكواكبِ النَّيِّرةِ [3]لا تَصلُحُ للألوهيَّةِ ، ولا أنْ تُعْبَدَ مع اللهِ عزّ وجلّ ؛ لأنَّها مخلوقةٌ مربوبةٌ مصنوعةٌ مدبَّرةٌ مسخَّرةٌ[3] ، تَطلُعُ تارةً وتأفُلُ أُخْرَى ، فتغيبُ عن[4] هذا العالمِ ، والربُّ تعالى لا يَغيبُ عنه شيءٌ ولا تَخْفَى عليه خافيةٌ ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢٤٤/٧ .

(٢) التفسير ٢٨٤/٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا .

(٤) فى ص : « بين » .

بل هو الدائمُ الباقِى بلا زوالٍ ، لا إلهَ إلا هو ، ولا ربَّ سواه . فبيَّنَ لهم أولًا عدَمَ صلاحيةِ الكوكبِ[1] – قيل : هو الزُّهَرةُ – لذلك ثم ترقَّى منها إلى القمرِ الذى هو أَضْوَأُ منها وأَبْهَى مِن حُسْنِها ، ثم ترقَّى منها إلى الشمسِ التى هى أشدُّ الأجرامِ المشاهَدَةِ ضياءً وسَناءً وبَهاءً ، فبيَّن أنها مُسخَّرةٌ مسيَّرةٌ ، مقدَّرةٌ مربُوبةٌ ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] . ولهذا قال : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ أى ؛ طالِعَةً ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ أى ؛ لستُ أُبالى فى هذه الآلهةِ التى تعبدونها من دونِ اللهِ ، فإنَّها لا تنفعُ شيئًا ، ولا تسمعُ ولا تَعقِلُ ، بل هى مربوبةٌ ، مسخَّرةٌ ، كالكواكبِ ونحوِها ، أو مصنوعةٌ منحوتةٌ مَنْجُورَةٌ .

والظاهرُ أن موعِظتَه[2] هذه فى الكواكبِ لأهلِ حَرَّانَ ، فإنَّهم كانوا يعبدونها . وهذا يردُّ قولَ مَن زعَم أنه قال هذا حينَ خرَج من السَّرَبِ لما كان صغيرًا كما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه[3] ، وهو مُستنِدٌ إلى أخبارٍ إسرائيليةٍ لا يُوثَقُ بها ، ولا سيما إذا خالفت الحقَّ . وأما أهلُ بابلَ ، فكانوا يعبدون الأصنامَ ، وهم الذين ناظَرهم فى عبادتِها ، وكسَرها عليهم ، وأهانها ، وبيَّن بُطلانَها ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

---

(١) فى م ، ا : « الكواكب » .

(٢) فى ص : « مناظرته » .

(٣) تاريخ الطبرى ١/٢٣٤ . قصص الأنبياء للثعالبى ص٦٤ ، ٦٥ . الكامل ١/٩٥ .

فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ وقال فى سورةِ « الأنبياء »[1] : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن [١/٨٨و] قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ * قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١ - ٧٠] . وقال فى سورةِ « الشعراء »[2] : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَءَيْتُم

---

(١) التفسير ٥/٣٤١ .

(٢) التفسير ٦/١٥٥ .

مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٩ - ٨٣] .

وقال تعالى فى سورةِ « الصَّافَّات »[1] : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٨٣ - ٩٨] . يُخبِرُ اللهُ تعالى عن إبراهيمَ خَليلِه ، عليه السلامُ ، أنه أنكَر على قومِه عبادةَ الأوثانِ ، وحقَّرها عندَهم وصغَّرها ، وتنقَّصها ، فقال : ﴿ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾ أى ؛ مُعتَكِفُون عندَها ، وخاضِعون لها . قالوا : ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴾ ما كان حُجَّتَهم إلا صنيعُ [١/٨٨ظ] الآباءِ والأجدادِ ، وما كانوا عليه مِن عبادةِ الأندادِ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال قَتادةُ[2] : فما ظنُّكم به أنَّه فاعلٌ بكم إذا لَقِيتُموه وقد عبدتُم غيرَه ؟ وقال لهم : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ سلَّموا

---

(١) التفسير ٧/٢٠ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/٧٠ .

له أنها لا تسمعُ داعيًا ولا تَنفَعُ ولا تَضرُّ شيئًا ، وإنما الحاملُ لهم على عبادتِها الاقتداءُ بأسلافِهم ، ومَن هو مِثْلُهم فى الضلالِ من الآباءِ الجُهَّالِ ؛ ولهذا قال لهم : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ وهذا بُرهانٌ قاطعٌ على بُطلانِ إلـٰهيةِ ما ادَّعَوْه من الأصنام ؛ لأنه تبرَّأ منها وتنقَّص بها ، فلو كانت تضرُّ لضَرَّته ، أو تؤثِّرُ لأثَّرتْ فيه ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴾ يقولون : هذا الكلامُ الذى تقولُه لنا وتَتنقَّصُ به آلهتَنا ، وتَطعَنُ بسببِه فى آبائِنا ، تقولُه مُحِقًّا جادًّا فيه أم لاعبًا ؟ ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ يعنى : بل أقولُ لكم ذلك جادًّا مُحِقًّا ؛ إنما إلهُكم اللهُ الذى لا إلهَ إلا هو ربُّكم وربُّ كلِّ شيءٍ ، فاطِرُ السَّمواتِ والأرضِ ، الخالقُ لهما على غيرِ مثالٍ سبَق ، فهو المستَحِقُّ للعبادةِ وحدَه لا شريكَ له ، وأنا على ذَلِكُم من الشاهدين . وقولُه : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ أقْسَم لَيكيدَنَّ هذه الأصنامَ التى يعبدونها بعدَ أنْ تولَّوْا مُدبِرين إلى عيدِهم . قيل : إنه قال هذا خُفْيَةً فى نفسِه[1] . وقال ابنُ مسعودٍ : سَمِعه بعضُهم[2] . وكان لهم عيدٌ يذهبون إليه فى كلِّ عامٍ مرةً إلى ظاهرِ البلدِ ، فدعاه أبوه ليحضُرَه ، فقال : إنى سَقِيمٌ . كما قال تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ عَرَّض لهم فى الكلامِ حتى توصَّل إلى مقصودِه مِن إهانةِ أصنامِهم ، ونُصرةِ دينِ اللهِ الحَقِّ فى بطلانِ ما هم عليه مِن عبادةِ الأصنامِ التى تَستحقُّ أن تُكَسَّرَ ، وأن تُهانَ غايةَ الإهانةِ . فلما خرجُوا إلى عيدِهم واستقرَّ هو فى بلدِهم ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ أى ذهب إليها مسرِعًا مُستَخْفِيًا ،

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/٣٧ .

(٢) التفسير ٥/٣٤٣ .

فوجَدها فى بَهْوٍ عظيمٍ ، وقد وضَعوا بينَ أيديها أنواعًا من الأطعمةِ ، قُرْبانًا إليها ، فقال لها على سبيلِ التَّهَكُّمِ والازْدراءِ : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ لأنَّها أقوى وأبْطَشُ وأسْرَعُ وأقْهَرُ . فكسَّرها بقَدُومٍ فى يدِه ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ أى ؛ حُطامًا . كسَّرها كلَّها ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ قيل[1] : إنه وضَع القَدُومَ فى يدِ الكبيرِ [٨٩/١و] ؛ إشارةً إلى أنه غارَ [2]أن تُعبَدَ[2] معه هذه الصِّغارُ . فلما رجَعوا من عيدِهم ، ووجَدوا ما حَلَّ بمعبُودِهم ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهذا فيه دليلٌ ظاهرٌ لهم ، لو كانوا يعقلون ، وهو ما حَلَّ بآلهتِهم التى كانوا يعبدُونها ، فلو كانت آلهةً لَدفَعتْ عن أنفسِها مَن أرادها بسوءٍ ، لكنهم قالوا مِن جهلِهم وقلةِ عقلِهم وكثرةِ ضلالِهم وخَبالِهم : ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ أى ؛ يذكرُها بالعَيْبِ والتنقُّصِ لها والازدراءِ بها ، فهو المُقِيمُ عليها والكاسرُ لها . وعلى قولِ ابنِ مسعودٍ يذكرُهم بقولِه : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ . ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أى فى الملإِ الأكبرِ على رءُوسِ الأشهادِ ، لعلَّهم يشهدون مقالَتَه ويسمعون كلامَه ، ويعاينون ما يَحِلُّ به من الاقتصاصِ منه[3] . وكان هذا من[4] أكبرِ مقاصدِ الخليلِ عليه السلامُ ؛ أن يجتمِعَ الناسُ كلُّهم ، فيُقيمَ على جميعِ عُبَّادِ الأصنامِ الحُجَّةَ على بطلانِ ما هم عليه ، كما قال موسى عليه السلامُ لفرعونَ : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ

---

(١) تفسير الطبرى ٣٨/١٧ ، ٣٩ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « من يعبد » ، وفى ص : « إلى أن تعبد » .

(٣) فى ص : « عنه » .

(٤) سقط من : م ، ا .

ضُحًى ﴾ [طه : ٥٩] . فلما اجتمعوا وجاءوا به كما ذكَروا ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ قيل : معناه ، هو[1] الحاملُ لى على تكسيرِها . وإنما عرَّض لهم فى القَولِ ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ وإنما أراد بقولِه هذا أن يبادروا إلى القولِ بأنَّ [2]هذه لا تَنطِقُ[2] ، فيعترفوا بأنها جَمادٌ كسائرِ الجماداتِ ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أى ؛ فعادُوا على أنفسِهم بالمَلامةِ ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أى ؛ فى تَرْكِها لا حافظَ لها ولا حارسَ عندَها ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ قال السُّدِّىُّ[3] : أى ثم رجعوا إلى الفتنةِ . فعلى هذا يكونُ قولُه : ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾ أى فى عبادتِها . وقال قتادةُ : أدرَكَت القومَ حَيْرةٌ[4] سَوْءٍ . أى فأطرَقوا ثم قالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ أى لقد علمتَ يا إبراهيمُ أن هذه لا تَنطِقُ ، فكيف تأمرُنا بسؤالِها ؟ فعندَ ذلك قال لهم الخليلُ عليه السلامُ : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ كما قال : ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ قال مُجاهِدٌ[5] : يُسرِعون . ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ أى كيف تعبدون أصنامًا أنتم تَنْحِتونها من الخشبِ والحجارةِ ، وتُصوِّرونها وتُشكِّلونها كما تريدون ؟ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وسواءٌ كانت « ما » مَصْدرِيةً أو بمعنى « الذى » فمقتضَى الكلامِ أنكم مخلوقون وهذه [٨٩/١ظ] الأصنامُ مخلوقةٌ ، فكيف يَعْبُدُ مخلوقٌ مخلوقًا مثلَه ؟ فإنَّه ليس عبادتُكم

---

(١) فى الأصل : « وهو » .

(٢ - ٢) فى ص : « هذا لا ينطق » .

(٣) تفسير الطبرى ٤٢/١٧ .

(٤) فى ص : « حسرة » .

(٥) تفسير الطبرى ٧٤/٢٢ .

لها بأَوْلَى مِن عبادتِها لكم ، وهذا باطلٌ ؛ فالآخَرُ باطلٌ للتحكُّمِ ، إذ ليست العبادةُ تجبُ ولا تصلُحُ إلا للخالقِ وحدَه لا شريكَ له ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ * فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ . عدَلوا عن الجِدالِ والمُناظرةِ لَمّا انقطَعوا وغُلِبوا ، ولم تَبْقَ لهم حُجَّةٌ ولا شُبْهَةٌ إلا استعمالُ قوَّتِهم وسلطانِهم ؛ لينصُروا ما هم عليه مِن سَفَهِهم وطُغْيانِهم ، فكادَهم الربُّ جلَّ جلالُه ، وأَعْلَى كلمتَه ودينَه وبرهانَه ؛ كما قال تعالى : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ * قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ وذلك أنهم شرَعوا يجمعُون حطبًا من جميعِ ما يمكنُهم من الأماكنِ ، فمكثُوا مدةً يجمعُون له ، حتى إن المرأةَ منهم كانت إذا مرِضتْ تَنْذِرُ ؛ لئِنْ عُوفِيَتْ لتحمِلَنَّ حطبًا لحريقِ إبراهيمَ ، ثم عمَدُوا إلى جَوْبَةٍ[1] عظيمةٍ ، فوضَعوا فيها ذلك الحطبَ وأطلَقوا فيه النارَ ، فاضطرمتْ[2] وتأجَّجتْ والْتهبتْ وعَلا لها شَرَرٌ لم يُرَ مثلُه قطُّ ، ثم وضَعوا إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، فى كِفَّةِ مَنْجَنِيقٍ ، صنَعه لهم رجُلٌ من الأكرادِ يقالُ له : هيزنُ[3] . وكان أولَ مَن صنَع المجانيقَ ، فخسَف اللهُ به الأرضَ ، فهو يتجَلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامةِ[4] . ثم أخَذوا يُقيِّدونه ويُكَتِّفونه ، وهو يقولُ : لا إلهَ إلا أنت ، سُبحانَك لك الحمدُ ولك المُلْكُ ، لا شريكَ لك[5] .

فلما وُضِع الخليلُ عليه السلامُ فى كِفَّةِ المَنْجَنيقِ مُقَيَّدًا مكتُوفًا ، ثم أُلْقِىَ

---

(١) الجَوْبَةُ : الحفرة . القاموس (ج و ب) .

(٢) فى ص : « اضطربت » .

(٣) فى م ، ص : « هزن » ، وفى تاريخ الطبرى : « هينون » ، وفى تفسيره : « هيزن » وكذلك فى الكامل .

(٤) تفسير الطبرى ١٧/٤٣ .

(٥) تفسير الطبرى ١٧/٤٥ .

منه إلى النارِ ، قال : حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ . كما روَى البخاريُّ[1] عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال : حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ ؛ قالها إبراهيمُ حينَ أُلْقِيَ فى النارِ ، وقالها محمدٌ حينَ قِيل له : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] الآيةِ .

وقال أبو يَعْلَى[2] : حدثنا أبو هشامٍ الرِّفاعيُّ ، حدثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، عن أبى جعفرٍ الرَّازىِّ ، عن عاصِمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قال ﷺ : « لَمّا أُلْقِيَ إبراهيمُ فى النّارِ ، قال : اللهم إنّكَ فى السماءِ واحدٌ ، وأنا فى الأرضِ واحدٌ أعبُدُك » .

وذكَر بعضُ السلفِ[3] أن جبريلَ عرَض له فى الهواءِ ، فقال : ألَكَ حاجةٌ ؟ فقال : أمّا إليك فلا . ويُروَى عن ابنِ عباسٍ ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنه قال : جعَل مَلَكُ المطرِ يقولُ : متى أُومَرُ فأُرسِلَ المطرَ ؟ فكان أمرُ اللهِ أَسْرَعَ ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : أى لا تَضُرِّيه . وقال ابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ : لولا أن اللهَ قال : ﴿ وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ لأذَى إبراهيمَ بردُها . وقال كعبُ الأحبارِ : لم ينتفعْ أهلُ الأرضِ يومئذٍ بنارٍ ، ولم يُحْرَقْ منه سوى وَثَاقِه . وقال الضَّحاكُ : [١/٩٠و] يُرْوَى أن جبريلَ ، عليه السلامُ ، كان معه يمسَحُ العرَقَ عن وجهِه ، لم يصبْه منها شىءٌ غيرُه . وقال السُّدِّىُّ : كان معه أيضًا مَلَكُ الظِّلِّ . وصار إبراهيمُ

---

(١) البخارى (٤٥٦٣) .

(٢) لم نهتد إليه فى مسنده . لكن رواه أبو نعيم فى الحلية ١/١٩ ، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/٣٤٦ كلاهما من طريق أبى هشام الرفاعى به . وذكره فى الدر المنثور ٤/٣٢٢ وعزاه إلى أبى يعلى .

(٣) أورد هذه الأقوال الطبرى فى تفسيره ١٧/٤٤ ، ٤٥ .

عليه السلامُ فى (١مِثْلِ الجُونَةِ١) ، حولَه النارُ وهو فى روضةٍ خضراءَ ، والناسُ ينظرون إليه ، لا يقدرون على الوصولِ إليه ، ولا هو يخرجُ إليهم . فعن أبى هُرَيرةَ ، أنه قال : أحسنُ كلمةٍ قالها أبو إبراهيمَ ، إذْ قال لما رأى ولدَه على تلك الحالِ : نِعمَ الربُّ ربُّك يا إبراهيمُ .

وروَى ابنُ عساكرَ[٢] ، عن عِكْرِمةَ ، أنّ أمَّ إبراهيمَ نظَرت إلى ابنِها ، عليه السلامُ ، فنادتْه : يا بنى ، إنى أريدُ أن أجيءَ إليك ، فادعُ اللهَ أن يُنجِّيَنى مِن حرِّ النارِ حولَك . فقال : نعم . فأقبلتْ إليه لا يَمَسُّها شيءٌ مِن حرِّ النارِ ، فلمّا وصلتْ إليه اعتنقته وقبَّلتْه ، ثم عادت .

وعن المِنْهَالِ بنِ عمرٍو[٣] أنه قال : أُخْبِرتُ أن إبراهيمَ مكَث هناك إمَّا أربعين وإمَّا خمسين يومًا ، وأنه قال : ما كنتُ أيامًا وليالىَ أطيبَ عيشًا إذ كنتُ فيها ، وودِدْتُ أن عَيْشِى وحياتِى كلَّها مثلُ إذ كنتُ فيها . صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه . فأرادوا أن ينتصروا فخُذِلوا ، وأرادوا أن يرتفِعوا فاتَّضَعُوا ، وأرادوا أنْ يَغْلِبوا فغُلِبوا . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ وفى الآيةِ الأخرى : ﴿ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ ففازوا بالخسارةِ والسَّفالِ ، هذا فى الدنيا ، وأمّا فى الآخرةِ فإن نارَهم لا تكونُ عليهم بردًا ولا سلامًا ، ولا يُلَقَّوْن فيها تحيةً ولا سلامًا ، بل هى كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٦] .

قال البخارىُّ[٤] : حدثنا عُبَيْدُ اللهِ بنُ موسَى أو ابنُ سَلَّامٍ عنهُ ، أنبأنا

(١ - ١) فى م : « ميل الجوبة » ، وفى ص : « ميل الحوبة » .

(٢) تاريخ دمشق ١٨٤/٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٦/٥ . والطبرى ٤٤/١٧ . دون ذكر مدة مقامه فى النار .

(٤) البخارى (٣٣٥٩) .

ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن أمِّ شَرِيكٍ ، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ أمَر بقتلِ الوَزَغِ[1] ، وقال : « كان ينفُخُ على إبراهيمَ » . ورواه مسلمٌ[2] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، وأخرجاه ، والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ[3] من حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، كلاهما عن عبدِ الحميدِ بنِ جُبَيْرِ ابنِ شَيْبَةَ به .

وقال أحمدُ[4] : حدثنا محمدُ بنُ بَكْرٍ ، حدثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرنى عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى أُمَيَّةَ ، أن نافِعًا مولى ابنِ عمرَ أخبره ، أن عائشةَ أخبَرتْه ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « اقتلوا الوَزَغَ ، فإنّه كان ينفُخُ على إبراهيمَ النَّارَ » . قال : فكانت عائشةُ تقتلُهنَّ .

وقال أحمدُ[5] : حدثنا إسماعيلُ ، حدثنا أيوبُ ، عن نافعٍ ، أن امرأةً دخلت على عائشةَ ، فإذا رُمْحٌ منصوبٌ ، فقالت : ما هذا الرُّمْحُ ؟ فقالت : نَقتلُ به الأَوْزَاغَ . ثم حدَّثتْ عن رسولِ اللهِ ﷺ أن إبراهيمَ لما أُلْقِىَ فى النّارِ ، جعَلت الدَّوابُّ كلُّها تُطْفِئُ عنه ، إلا الوزَغَ فإنه جعَل يَنفُخُها عليه . تفرد به أحمدُ من هذين الوجهين .

وقال أحمدُ[6] : حدثنا عَفَّانُ ، حدثنا جَرِيرٌ ، حدثنا نافِعٌ ، حدَّثتْنى سائِبةُ ، مولاةٌ للفاكِهِ بنِ المغيرةِ ، قالت : دخلتُ على [١/٩٠ظ] عائشةَ ،

---

(١) الوَزَغُ ؛ مفردها وَزَغَة : سامٌّ أبرص . سميت بها لخفتها وسرعة حركتها .

(٢) مسلم (٢٢٣٧) .

(٣) البخارى (٣٣٠٧) ، مسلم (٢٢٣٧) ، النسائى (٣٨٦٨) ، ابن ماجه (٣٢٢٨) .

(٤) المسند ٦/٢٠٠ .

(٥) المسند ٦/٢١٧ .

(٦) المسند ٦/٨٣ .

فرأيتُ فى بيتِها رُمْحًا موضوعًا ، فقلتُ : يا أمَّ المؤمنين ، ما تصنعون بهذا الرُّمْحِ ؟ قالت : هذا لهذه الأوزاغِ ، نقتُلُهنَّ به ؛ فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ حدثنا أن إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ حينَ أُلْقِىَ فى النّارِ لم تكنْ فى الأرضِ دابَّةٌ إلا تُطْفِئُ عنه النَّارَ ، غيرَ الوزَغِ كان يَنفُخُ عليه ، فأمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بقَتْلِه . ورواه ابنُ ماجَهْ[1] ، عن أبى بكرِ ابنِ أبى شَيْبَةَ ، عن يونُسَ بنِ محمدٍ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، به .

---

(١) ابن ماجه (٣٢٣١) . (صحيح ابن ماجه ٢/٢١٨) . وانظر الصحيحة (١٥٨١) .

ذكرُ مناظرةِ
إبراهيمَ الخليلِ مع من[1] أراد أن ينازعَ العظيمَ الجليلَ فى إزارِ العظمةِ ورداءِ الكبرياءِ فادَّعى[1] الربوبيَّةَ، وهو أحدُ العبيدِ الضعفاءِ

قال اللهُ تعالى[2] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] . يذكرُ تعالى مناظرةَ خليلِه مع هذا المِلكِ الجبارِ المتمرِّدِ ، الذى ادَّعى لنفسِه الربوبيةَ ، فأبطَل الخليلُ عليه السلامُ دليلَه ، وبيَّن كثرةَ جهلِه وقلةَ عقلِه ، وألْجَمه الحُجَّةَ وأوضَح له طريقَ المَحَجَّةِ .

قال المفسرون وغيرُهم من علماءِ النَّسَبِ والأخبارِ : وهذا الملكُ هو مِلكُ بابلَ ، واسمُه : النُّمْرُودُ بنُ كَنْعَانَ بنِ كُوشِ[3] بنِ سامِ بنِ نوحٍ . قاله مُجاهِدٌ . وقال غيرُه : نُمْرُودُ بنُ فالَحِ بنِ عابِرِ بنِ صالحِ[4] بنِ أَرْفَخْشَدَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ . قال مُجاهدٌ وغيرُه : وكان أحدَ ملوكِ الدنيا .

(١ - ١) فى م : « ادعى » .

(٢) التفسير ٤٦٢/١ .

(٣) فى ص : « لوش » ، وفى تاج العروس ٥١٩/٢ ، ونهاية الأرب ٢٨٩/٢ : « كوش بن حام » وليس « بن سام » .

(٤) سقط من : ا . وفى ح : « شالخ » ، وفى ص : « شالح » .

فإنه قد ملَك الدنيا فيما ذكروا أربعةٌ ؛ مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ذو القَرْنَيْن وسُلَيمانُ ، والكافران النُّمْرُودُ وبُخْتُنَصَّرَ . وذكروا أن نُمْرُودًا هذا استمر فى مُلكِه أربعَمائةِ سنةٍ ، وكان قد طغَى وبغَى ، وتجبّر وعتَى ، وآثَر الحياةَ الدنيا ، ولما دعاه إبراهيمُ الخليلُ إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، حمَله الجهلُ والضلالُ وطولُ الإمْهالِ[1] على إنكارِ الصانعِ ، فحاجَّ إبراهيمَ الخليلَ فى ذلك ، وادَّعَى لنفسِه الربوبيةَ . فلما قال له الخليلُ : ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِى وَأُمِيتُ ﴾ .

قال قَتادةُ والسُّدِّىُّ ومحمدُ بنُ إسحاقَ : يعنى أنه إذا أتَى بالرجلين قد تحتَّم قتْلُهما ، فإذا أمَر بقتلِ أحدِهما وعفَا عن الآخَرِ ، فكأنَّه قد أحيا هذا وأمات الآخَرَ[2] . وهذا ليس بمعارَضةٍ للخليلِ ، بل هو كلامٌ خارجىٌّ عن مَقامِ المُناظرةِ ، ليس بمَنْعٍ ولا بمعارضةٍ ، بل هو تَشْغِيبٌ مَحْضٌ ، وهو انقطاعٌ فى الحقيقةِ ؛ فإن الخليلَ استدلَّ على وجودِ الصانعِ [٩١/١و] بحدوثِ هذه المُشاهَدَاتِ - مِن إحياءِ الحيواناتِ وموتِها - على وجودِ فاعلِ ذلك الذى لا بدَّ مِن استنادِها إلى وجودِه [3]ضرورةً ، وعَدَمِ[3] قيامِها[4] بنفسِها ، ولا بدَّ مِن فاعلٍ لهذه الحوادثِ المشاهَدَةِ ؛ مِن خَلْقِها وتسخيرِها ، وتسْيِيرِ هذه الكواكبِ والرياحِ والسَّحابِ والمطرِ ، وخلقِ هذه الحيواناتِ التى توجَدُ مشاهَدَةً ، ثم إماتتِها ؛ ولهذا ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ ﴾ فقولُ

---

(١) فى ا ، م ، ص : « الآمال » .

(٢) تفسير الطبرى ٢٥/٣ - ٢٧ .

(٣ - ٣) كذا فى ا ، وفى بقية النسخ : « عدم » .

(٤) فى ص : « فنائها » .

هذا المِلِكِ الجاهلِ : ﴿ أَنَا۠ أُحْيِى وَأُمِيتُ ﴾ . إن عنَى أنه الفاعلُ لهذه المشاهَدَاتِ فقد كابَر وعانَد ، وإن عنَى ما ذكَره قَتادةُ والسُّدِّىُّ ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، فلم يقلْ شيئًا يتعلقُ بكلامِ الخليلِ ؛ إذْ لم يمنَعْ مقدِّمةً ولا عارَضَ الدليلَ .

ولمّا كان انقطاعُ مناظرةِ هذا المِلِكِ قد تَخْفَى على كثيرٍ من الناسِ مِمَّن حضَره وغيرِهم ، ذكَر دليلًا آخَرَ بيَّن وجودَ الصانعِ وبُطلانَ ما ادَّعاه النُّمْرودُ وانقطاعَه جَهْرةً ﴿ قَالَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ أى هذه الشمسُ مسخَّرةٌ ، كلَّ يومٍ تَطلُعُ من المشرقِ ، كما سخَّرها خالقُها ومسيِّرُها وقاهرُها ، وهو اللهُ الذى لا إلهَ إلا هو خالقُ كلِّ شيءٍ ، فإنْ كنتَ كما زعَمتَ مِن أنّك الذى تحيى وتُميتُ ، فَأْتِ بهذه الشمسِ مِن المغربِ ، فإن الذى يُحيى ويُميتُ هو الذى يفعلُ ما يشاءُ ولا يُمانَعُ ولا يُغالَبُ ، بل قد قهَر كلَّ شيءٍ ، ودان له كلُّ شيءٍ ، فإنْ كنتَ كما تزعُمُ فافعَلْ هذا ، فإنْ لم تَفعلْه فلستَ[1] كما زعمتَ ، وأنت تعلمُ وكلُّ أحدٍ ، أنّك لا تقدِرُ على شيءٍ مِن هذا ، بل أنت أعجزُ وأقلُّ من أنْ تَخلُقَ بَعوضةً أو تَنْتَصِرَ[2] منها . فبيَّن ضلالَه وجهْلَه وكَذِبَه فيما ادَّعاه وبُطْلانَ ما سلَكه وتبجَّحَ به عندَ جَهَلَةِ قومِه ، ولم يَبْقَ له كلامٌ يُجيبُ الخليلَ به ، بل انقَطَع وسكَت ؛ ولهذا قال : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وقد ذكَر السُّدِّىُّ أنَّ هذه المناظَرةَ كانت بينَ إبراهيمَ وبينَ النُّمرودِ يومَ خرَج من النارِ ، ولم يكنِ اجتمَع به إلا[3] يومئذٍ ، فكانت بينَهما هذه المناظَرةُ .

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى م ، ا : « تنصر » .

(٣) سقط من : م .

(١وقد روَى عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، أن النُّمرودَ كان عندَه طعامٌ ، وكان الناسُ يَفِدون إليه للمِيرَةِ ، فوفَد إبراهيمُ فى جُمْلَةِ مَن وفَد للمِيرَةِ ، فكان بينَهما هذه المناظَرةُ١) ، ولم يُعْطِ إبراهيمَ مِن الطعامِ كما أعطَى الناسَ ، بل خرَج وليس معه شيءٌ مِن الطعامِ ، فلما قَرُبَ من أهلِه ، عَمَد إلى كَثِيبٍ من الترابِ ، فملأ منه عِدْلَيْه ، وقال : أَشْغَلُ أهلى إذا قدِمتُ عليهم . فلما قَدِم وضَع رِحالَه ، وجاء فاتَّكأ فنام ، فقامتِ امرأتُه سارَّةُ إلى [٩١/١ظ] العِدْلَيْنِ فوجدتْهما ملآنَيْن طعامًا طيبًا ، فعَمِلت منه طعامًا ، فلمَّا استيقظ إبراهيمُ وجَد الذى قد أصلحوه ، فقال : أنَّى لكم هذا ؟ قالت : مِن الذى جئتَ به . فعرَف أنه رزقٌ رَزَقَهُمُوه اللهُ عز وجل .

قال زيدُ بنُ أَسْلَمَ(٢) : وبعث اللهُ إلى ذلك المِلِكِ الجبارِ ملَكًا يأمرُه بالإيمانِ باللهِ فأبَى عليه ، ثم دعاه الثانيةَ فأبَى عليه ، ثم الثالثةَ فأبَى عليه ، وقال : اجمَعْ جُمُوعَك وأَجْمَعُ جُمُوعى . فجمع النُّمرودُ جيشَه وجنودَه وقتَ طلوعِ الشَّمسِ ، فأرسَل اللهُ عليه ذبابًا من البَعُوضِ ، بحيثُ لم يَرَوْا عينَ الشمسِ ، وسلَّطها اللهُ عليهم ، فأكلتْ لحومَهم ودماءَهم وتركتهم عظامًا باليةً ، ودخلَتْ واحدةٌ منها فى مَنْخَرَيِ(٣) المِلِكِ ، فمكثت فى مَنْخَرَيْهِ(٤) أربعَمائةِ سنةٍ ، عذَّبه اللهُ تعالى بها ، فكان يُضْرَبُ رأسُه بالمَرازِبِ(٥) فى هذه المدةِ كلِّها ، حتى أهلكه اللهُ عز وجل بها . واللهُ تعالى أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ص . وهو فى تفسير عبد الرزاق ١/١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) تفسير الطبرى ٣/٢٥ .

(٣) فى م : « منخر » ، وفى الطبرى : « منخره » .

(٤) فى م : « منخرها » .

(٥) فى م : « بالمزارب » .

ذكرُ هجرةِ الخليلِ عليه السلامُ إلى بلادِ الشامِ، ودخولِه الديارَ المصريةَ، واستقرارِه فى الأرضِ المقدسةِ

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٦ ، ٢٧] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١ - ٧٣] . لمَّا هجَر قومَه فى اللهِ ، وهاجَر مِن بينِ أظْهُرِهم ، وكانت امرأتُه عاقِرًا ، لا يُولَدُ لها ، ولم يكنْ له مِن الولدِ أحدٌ ، بل معه ابنُ أخيه لوطُ بنُ هارَانَ بنِ آزَرَ ، وهبَه اللهُ تعالى بعدَ ذلك الأولادَ الصالحين ، وجعَل فى ذريتِه النُّبوةَ والكِتابَ ؛ فكلُّ نبىٍّ بُعِث بعدَه فهو من ذريتِه ، وكلُّ كتابٍ نزَل من السماءِ على نبىٍّ مِن الأنبياءِ مِن بعدِه فعلى أحَدِ نَسْلِه وعَقِبِه ، خِلْعَةً مِن اللهِ وكرامةً له حينَ ترَك بلادَه وأهلَه وأقرِباءَه[3] ، وهاجَر إلى بلدٍ يتمكنُ فيها مِن عبادةِ ربِّه عز وجل ، ودعوةِ الخلقِ إليه . والأرضُ التى قصَدها بالهجرةِ أرضُ الشامِ ، وهى التى قال اللهُ عز وجل[2] : ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قاله أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ ، وأبو العاليةِ ،

---

(١) التفسير ٦/٢٨٢ .

(٢) التفسير ٥/٣٤٧ .

(٣) فى ص : « قرباه » .

وقَتادةُ وغيرُهم[1] .

وروى العَوْفِيُّ عن ابنِ عباسٍ : قولُه : ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ مكةُ ، ألم تسمعْ إلى قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا [١/٩٢و] وَهُدًى لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] . وزعَم كعبُ الأحبارِ أنَّها[2] حَرَّانُ . وقد قدَّمنا عن نقلِ أهلِ الكتابِ أنه خرَج من أرضِ بابلَ ، هو وابنُ أخيه لوطٌ ، وأخوه ناحُورُ ، وامرأةُ إبراهيمَ سارَّةُ ، وامرأةُ أخيه مَلْكا ، فنزلوا حَرَّانَ ، فمات تارِخُ أبو إبراهيمَ بها .

وقال السُّدِّيُّ : انطلَق إبراهيمُ ولوطٌ قِبَلَ الشَّامِ ، فلقِيَ إبراهيمُ سارَّةَ ، وهى ابنةُ مِلِكِ حَرَّانَ ، وقد طعنَتْ على قومِها فى دينِهم ، فتزوَّجَها على أنْ لا يُغَيِّرَها . رواه ابنُ جَرِيرٍ ، وهو غريبٌ . والمشهورُ أنها ابنةُ عمِّه هارانَ الذى تُنْسَبُ إليه حَرَّانُ . ومَنْ زعَم أنها ابنةُ أخيه هارانَ ، أختُ لوطٍ ، كما حكاه السُّهَيْلِيُّ[3] عن القُتَبِيِّ[4] والنَّقاشِ ، فقد أبْعَدَ النُّجْعةَ ، وقال بلا علمٍ ، وادَّعَى أن تزْويجَ بنتِ الأخِ كان إذْ ذاك مشروعًا ، فليس له على ذلك دليلٌ . ولو فُرِض أن هذا كان مشروعًا فى وقتٍ ، كما هو منقولٌ عن الرَّبَّانيِّين من اليهودِ ، فإن الأنبياءَ لا تَتَعاطَاه . واللهُ أعلمُ . ثم المشهورُ أن إبراهيمَ عليه السلامُ لمَّا هاجَر مِن بابِلَ ، خرَج بسارَّةَ مهاجرًا من بلادِه كما تقدَّم . واللهُ أعلمُ . وذكَر أهلُ الكتابِ أنه لمّا قدِمَ الشامَ أوحَى اللهُ إليه : إنِّى جاعِلٌ هذه الأرضَ لخَلَفِك مِن بعدِك . فابْتَنَى إبراهيمُ مَذْبَحًا للهِ ؛ شكرًا على هذه النعمةِ ، وضرَب قُبَّته شرقىَّ بيتِ

---

(١) هذه الرواية والروايات التى بعدها فى تفسير الطبرى ١٧/٤٥ - ٤٧ .

(٢) فى ص : « أنه » .

(٣) الروض الأنف ١/٨٧ ، ٨٨ . وضعف هذا القول .

(٤) فى م ، ص : « القتيبى » .

المقدسِ ، ثم انطلَق مرتحِلًا إلى اليَمَنِ[1] ، وأنه كان جوعٌ ؛ أى قَحْطٌ وشدةٌ وغَلاءٌ ، فارتحَلوا إلى مصرَ ، وذكروا قصةَ سارَّةَ مع مَلِكِها ، وأن إبراهيمَ قال لها : قُولى : أنا أختُه . وذكروا إخدامَ المِلِكِ إياها هاجَرَ ، ثم أخرجهم منها فرجَعوا إلى بلادِ التيمُّنِ ؛ يعنى أرضَ بيتِ المقدسِ وما والاها ، ومعه دَوَابُّ وعبيدٌ وأموالٌ .

وقد قال البخارىُّ[2] : حدثنا محمدُ بنُ مَحْبُوبٍ ، حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن محمدٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : لم يَكْذِبْ إبراهيمُ إلَّا ثلاثَ كَذَباتٍ ؛ ثِنْتان منهنّ فى ذاتِ اللهِ ؛ قولُه : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقولُه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ وقال : بينا هو ذاتَ يومٍ وسارَّةُ ، إذ أتَى على جبَّارٍ من الجبابرةِ ، فقيل له : هـٰهنا رجلٌ معه امرأةٌ من أحسنِ الناسِ . فأرسَل إليه فسَـأَلَه عنها ، فقال : مَن هذه ؟ قال : أختى . فأتَى سارَّةَ ، فقال : يا سارَّةُ ، ليس على وجهِ الأرضِ مؤمِنٌ غيرى وغيرَك ، وإنَّ هذا سألنى فأخْبَرتُه أنَّك أختى ، فلا تُكَذِّبينى . فأرسَل إليها ، فلما دخلت عليه ذهَب يتناولُها بيدِه ، فأُخِذ ، فقال : ادْعِى اللهَ لى ولا أضُرُّكِ . فدعَت اللهَ فأُطْلِقَ ، ثم تناولها الثانيةَ ، فأُخِذ مثلَها أو أشدَّ ، فقال : ادعِى اللهَ لى ولا أضُرُّكِ . فدعتْ فأُطْلِقَ ، فدعا بعضَ حَجَبَتِه ، فقال : إنَّكَ [١/٩٢ظ] لم تأتنى بإنسانٍ ، وإنَّما أتيتَنِى بشيطانٍ . فأَخْدَمَها هاجَرَ . فأتَتْه وهو قائمٌ يصلِّى ، فأوْمأَ بيدِه ؛ مَهْيَمْ ؟ فقالت : ردَّ اللهُ كيدَ الكافرِ – أو : الفاجرِ – فى نَحْرِه ، وأَخْدَم هاجَرَ . قال أبو هُرَيرةَ : فتلك أمُّكم يا بنى ماءِ السماءِ . تفرَّد به مِن هذا الوجهِ موقوفًا .

---

(١) فى م : « التيمن » .

(٢) البخارى (٣٣٥٨) ، وبنحوه مرفوعا وموقوفا أيضًا (٥٠٨٤) .

وقد رواه الحافِظُ أبو بكرٍ البزّارُ ، عن عمرِو بنِ عليٍّ الفَلَّاسِ ، عن عبدِ الوهابِ الثَّقفيِّ ، عن هشامِ بنِ حسَّانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « إنَّ إبراهيمَ لم يَكذِبْ قَطُّ إلا ثلاثَ كَذَباتٍ ، كلُّ ذلك فى ذاتِ اللهِ ؛ قولُه : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقولُه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ، وبينما هو يسيرُ فى أرضِ جبَّارٍ مِن الجَبَابِرَةِ إذْ نَزَل مَنْزِلًا ، فأُتِىَ الجبارُ فقيل له : إنه قد نَزَل هٰهنا رجلٌ معه امرأةٌ مِن أحْسَنِ الناسِ . فأرْسَل إليه ، فسأله عنها ، فقال : إنها أختى . فلمّا رجَع إليها ، قال : إنَّ هذا سألَنِى عنكِ ، فقلْتُ إنَّكِ أُخْتِى ، وإنَّه ليس اليومَ مُسلمٌ غيرى وغيرَك ، وإنَّكِ أختى ، فلا تُكَذِّبينى عندَه . فانطَلَق بها ، فلما ذهَب يتناوَلُها أُخِذ ، فقال : ادْعِى اللهَ لى ولا أضرُّكِ . فدعَتْ له فأُرْسِل ، فذهب يتناوَلُها ، فأُخِذَ مثْلَها أو أشَدَّ منها ، فقال : ادْعى اللهَ لى ولا أضرُّكِ . فدَعَتْ فأُرسِل ، ثلاثَ مرَّاتٍ ، فدعا أدْنى حَشَمِه ، فقال : إنك لم تَأْتِنِى بإنسانٍ ؛ لكنْ أتيتَنِى بشَيْطانٍ ، أَخْرِجْها وأعْطِها هاجَرَ . فجاءتْ وإبراهيمُ قائِمٌ يصلِّى ، فلمَّا أحسَّ بها انْصرَفَ ، فقال : مَهْيَمْ ؟ فقالتْ : كفَى اللهُ كيدَ الظَّالِمِ ، وأَخْدَمَنِى هاجَرَ » . [1]وأخرجاه مِن حديثِ هشامٍ[1][2] . ثم قال البزَّارُ : لا نعلمُ أَسْنَده عن محمدٍ ، عن أبى هُرَيرةَ إلا هشامٌ ، ورواه غيرُه موقوفًا[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عليُّ بنُ حَفْصٍ ، عن وَرْقَاءَ ، هو ابنُ عُمَرَ اليَشْكُرِىُّ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعرَجِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) لم نجده فى الصحيحين من رواية هشام . وانظر تحفة الأشراف ١٠/٣٤٩ - ٣٥٩ . والفتح ٦/٣٩١ .

(٣) وليس كما قال البزار ، بل تابعه على الرفع أيوب عن محمد عن أبى هريرة كما رواه البخارى (٥٠٨٤) .

(٤) المسند ٢/٤٠٣ ، ٤٠٤ .

اللهِ ﷺ : « لم يكْذِبْ إبراهيمُ إلَّا ثلاثَ كَذَباتٍ ؛ قولُه حينَ دُعِيَ إلى آلهتِهم ، فقال : ﴿ إنِّى سَقِيمٌ ﴾ . وقولُه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ . وقولُه لسارَّةَ : إنها أختى » . قال : « ودخَلَ إبراهيمُ قريةً فيها مَلِكٌ مِن الملوكِ - أو جبّارٌ مِن الجبابرةِ - فقِيلَ : دخَل إبراهيمُ الليلةَ بامرأةٍ مِن أحسنِ النَّاسِ » . قال : « فأرسَل إليه المَلِكُ - أو الجبّارُ - : مَن هذه معك ؟ قال : أختى . قال : فأرْسِلْ بها » . قال : « فأرسَلَ بها إليه ، وقال : لا تُكَذِّبى قَولى ؛ فإنّى قد أخبرتُه أنَّكِ أختى ، إنْ على الأرضِ مؤمنٌ غيرى وغيرَك . فلمّا دخلتْ عليه قام إليها ، فأقبلتْ تَوَضَّأُ وتُصلِّى وتقولُ : اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنِّى آمنتُ بك وبرسولِك ، وأحصنتُ فَرْجِى إلَّا على زوجِى ، فلا تسلِّطْ علىَّ الكافرَ » . قال : « فغَطَّ حتى رَكَض برِجْلِه » . قال أبو الزِّنادِ : قال أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرَّحمنِ ، عن أبى هُرَيرةَ : إنها قالت [١/٩٣و] : اللهمَّ إنْ يَمُتْ يُقَلْ : هى قتلتْه . قال : « فأُرْسِلَ » . قال : « ثم قام إليها » . قال : « فقامت تَوَضَّأُ وتصلِّى ، وتقولُ : اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنِّى آمنتُ بك وبرسولِك ، وأحصَنْتُ فَرْجِى إلَّا على زوجى ، فلا تُسلِّطْ علىَّ الكافِرَ » . قال : « فغَطَّ حتى رَكَضَ بِرِجْلِه » . قال أبو الزِّنادِ : وقال أبو سَلَمةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، أنَّها قالت : اللهمَّ إنْ يَمُتْ يُقَلْ : هى قَتَلَتْه . قال : « فَأُرْسِلَ » . قال : فقال فى الثالثةِ أو الرابعةِ : « ما أرسلْتُم إلىَّ إلَّا شيطانًا ، أرجِعوها إلى إبراهيمَ ، وأعطُوها هاجَرَ » . قال : « فرجعتْ ، فقالت لإبراهيمَ : أَشَعَرْتَ ؟ إنَّ اللهَ رَدَّ كيدَ الكافرِ[1] ، وأخدَمَ وليدةً » . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ ، وهو على شرطِ « الصحيحِ » . وقد رواه البخارىُّ[2] ، عن أبى اليمانِ ، عن شُعَيبِ بنِ أبى حَمْزَةَ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن

---

(١) فى م : « الكافرين » .

(٢) البخارى (٢٢١٧) .

الأعرجِ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ به مختصَرًا .

وقال ابنُ أبى حاتِمٍ[1] : حدثنا أبى ، حدثنا سفيانُ ، عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعَانَ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ فى كلماتِ إبراهيمَ الثلاثِ التى قال : « ما مِنْها كلمةٌ إلَّا ماحَلَ[2] بها عن دينِ اللهِ ؛ فقال : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ ، وقال للمَلِكِ حينَ أراد امرأتَه : هى أختى » . فقولُه فى الحديثِ : « هى أختى » . أى فى دينِ اللهِ . وقولُه لها : « إنه ليس على وجْهِ الأرضِ مؤمِنٌ غيرى وغيرَكِ » . يعنى زَوْجَين مُؤْمِنَين غيرى وغيرَك . ويَتَعيَّنُ حملُه على هذا ؛ لأنَّ لوطًا كان معهم وهو نبىٌّ عليه السَّلامُ . وقولُه لها لمّا رجعتْ إليه : « مَهْيَمْ ؟ » . معناه : ما الخبرُ ؟ فقالت : « إنَّ اللهَ ردَّ كيدَ الكافرِ[3] » . وفى روايةٍ : « الفاجرِ » وهو : المَلِكُ . « وأَخْدَمَ جاريةً » . وكان إبراهيمُ عليه السَّلامُ مِن وقتِ ذهَب بها إلى المَلِكِ قام يُصلِّى للهِ عزَّ وجلَّ ، ويسألُه أن يدْفَعَ عن أهلِه ، وأن يرُدَّ بأسَ هذا الذى أراد أَهْلَه بسُوءٍ ، وهكذا فعلتْ هى أيضًا ، كلما[4] أراد عدوُّ اللهِ أنْ ينالَ منها أمرًا ، قامت إلى وُضوئِها وصلاتِها ، ودعَتِ اللهَ عزَّ وجلَّ بما تقدم مِن الدعاءِ العظيمِ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] . فعصَمَها اللهُ وصانها ؛ لِعِصْمَةِ عبدِه ورسولِه وحبيبِه وخليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢١/٧ .

(٢) ماحَل : دافع وجادل .

(٣) فى م : « الكافرين » .

(٤) فى الأصل ، ح ، م : « فلما » .

وقد ذهَب بعضُ العلماءِ إلى نبوةِ ثلاثِ نسوةٍ ؛ سارَّةُ ، وأمُّ موسى ، ومريمُ عليهن السلامُ . والذى عليه الجمهورُ أنَّهنَّ صِدِّيقاتٌ ، رضى اللهُ عنهن وأرضاهن . ورأيتُ فى بعضِ الآثارِ[1] أنَّ اللهَ عزّ وجلّ كشَف الحجابَ فيما بينَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وبينَها ، فلم يزَلْ يراها منذُ خرجتْ مِن عندِه إلى أن رجَعتْ إليه ، وكان مُشاهِدًا لها وهى عندَ الملكِ ، وكيف عصَمها اللهُ [١/٩٣ظ] منه ؛ ليكونَ ذلك أطيبَ لقلبِه ، وأقَرَّ لعينِه ، وأشَدَّ لطُمأنِينَتِه ، فإنَّه كان يحبُّها حبًّا شديدًا ؛ لدينِها وقَرابتِها منه وحُسْنِها الباهرِ ، فإنه قد قيل : إنَّه لم تكنِ امرأةٌ بعدَ حَوَّاءَ إلى زمانِها أحْسَنَ منها . رضى اللهُ عنها . وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وذكَر بعضُ أهلِ التواريخِ أن فِرْعونَ مصرَ هذا كان أخًا للضحاكِ ، المَلِكِ المشهورِ بالظلمِ ، وكان عامِلًا لأخيه على مصرَ . ويقالُ : كان اسمُه سِنَانَ ابنَ علوانَ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوجِ بنِ عِمْلَاقِ بنِ لاوَذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ . وذكَر ابنُ هشامٍ فى « التِّيجانِ » أن الذى أرادها عمرُو بنُ امرئِ القيسِ بنِ بايلبونَ[2] بنِ سَبَأٍ ، وكان على مصرَ . نقَله السُّهَيْلِىُّ[3] . فاللهُ أعلمُ .

ثم إنَّ الخليلَ عليه السَّلامُ رجَع مِن بلادِ مصرَ إلى أرضِ التيمنِ ، وهى الأرضُ المقدسةُ التى كان فيها ، ومعه أنعامٌ وعبيدٌ ومالٌ جَزِيلٌ ، وصُحْبَتُهم هاجَرُ القِبْطِيَّةُ المِصريةُ . ثم إن لوطًا عليه السَّلامُ نزَح بما له مِن الأموالِ الجزيلةِ ، بأمرِ الخليلِ له فى ذلك إلى أرضِ الغَوْرِ ، المعروفِ بغَوْرِ زُغَرَ ، فنزَل بمدينةِ سَدُومَ ، وهى أمُّ تلك البلادِ فى ذلك الزمانِ ، وكان أهلُها أشرارًا كفارًا فُجّارًا ،

---

(١) قصص الأنبياء للثعالبى ص ٧٠ .

(٢) فى م ، ص : « مايلون » .

(٣) الروض الأنف ١/٩١ .

وأوحَى اللهُ تعالى إلى إبراهيمَ الخليلِ يَأمرُه أَنْ يمُدَّ بصرَه ، وينظُرَ شمالًا وجَنوبًا وشَرقًا وغَربًا ، وبشَّره بأن هذه الأرضَ كلَّها سأجعلُها لك ولِخَلَفِك إلى آخرِ الدَّهرِ ، وسأُكثِّرُ ذرِّيَّتَك حتى يصيروا بعددِ ترابِ الأرضِ . وهذه البِشارةُ اتَّصلتْ بهذه الأمةِ ، بل ما كَمَلتْ ولا كانت أعظَمَ منها فى هذه الأمةِ المحمديةِ ، يؤيدُ ذلك قولُ رسولِ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ زوَى لىَ الأرضَ ، فرأيتُ مشارِقَها ومغارِبَها ، وسيبلغُ مُلْكُ أمتى ما زوَى لى منها »[1] . قالوا : ثم إنَّ طائفةً من الجبَّارين تسلَّطوا على لوطٍ عليه السلامُ فأَسَرُوه وأخذوا أموالَه واسْتاقُوا أنعامَه ، فلما بلَغ [2]الخبرُ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلامُ سار إليهم فى ثلاثِمائةٍ وثمانيةَ عشرَ رجلًا ، فاستنقَذ لوطًا عليه السلامُ واسترجَع[2] أموالَه ، وقتَل من أعداءِ اللهِ ورسولِه خَلْقًا كثيرًا وهزَمهم ، وساق فى آثارِهم حتى وصَل إلى شَمالىِّ[3] دِمَشْقَ ، وعَسْكَرَ بظاهرِها عندَ برزَةَ . وأظنُّ مقامَ إبراهيمَ [4]المنسوبَ إليه ببرزةَ اليومَ[4] إنَّما سُمِّى ؛ لأنَّه كان موضعَ موقفِ جيشِ الخليلِ ، واللهُ أعلمُ . ثم رجَع مؤيَّدًا منصورًا إلى بلادِه ، وتلقَّاه ملوكُ بلادِ بيتِ المقدسِ معظِّمينَ له مكرِّمين خاضعين ، واستَقَر ببلادِه ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه .

---

(١) مسلم (٢٨٨٩) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ح ، م : « شرق » .

(٤ - ٤) زيادة من : ا .

ذكرُ مولدِ إسماعيلَ عليه الصلاةُ والسلامُ مِن هاجَرَ

[١/٩٤و] قال أهلُ الكتابِ : إنَّ إبراهيمَ عليه السلامُ سألَ اللهَ ذريةً طيبةً ، وإنَّ اللهَ بشَّره بذلك ، وإنه لما كان لإبراهيمَ ببلادِ بيتِ المقدسِ (١عشرُ سنين١) ، قالت سارَّةُ لإبراهيمَ عليه السلامُ : إنَّ الربَّ قد أحرَمنى الولدَ ، فادْخُلْ على أَمَتِى هذه ، لعل اللهَ يرزقُنا(٢) منها ولدًا . فلما وهبَتْها له دخَل بها إبراهيمُ عليه السَّلامُ ، فحينَ دخَل بها حمَلت منه . قالوا : فلمّا حمَلتْ ارتفعت نفسُها وتعاظَمتْ على سيدتِها ، فغارت منها سارَّةُ ، فشَكَت ذلك إلى إبراهيمَ ، فقال لها : افْعَلى بها ما شئْتِ . فخافت هاجَرُ فهرَبَتْ ، فنزلَتْ عندَ عَيْنٍ هناك ، فقال لها مَلَكٌ مِن الملائكةِ : (٣لا تخافِى ، فإن اللهَ جاعِلٌ مِن هذا الغلامِ الذى حَمَلْتِ خيرًا٣) . وأمرَها بالرجوعِ ، وبشَّرها أنها ستلدُ ابنًا وتسمِّيه إسماعيلَ ، ويكونُ وحشَ الناسِ(٤) ، يدُه على الكلِّ ويدُ الكلِّ به ، ويملكُ جميعَ بلادِ إخوتِه . فشكَرَت اللهَ عزّ وجلّ على ذلك .

وهذه البِشارةُ إنَّما انطبَقَتْ على ولدِه محمدٍ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ؛ فإنه الذى سادَت به العربُ ، وملَكتْ جميعَ البلادِ غربًا وشرقًا ، وآتاها اللهُ مِن العلمِ النَّافعِ والعملِ الصَّالحِ ما لم يُؤْتِ أُمَّةً من الأممِ قبلَهم ، وما ذاك إلا بشَرفِ رسولِها على سائرِ الرسلِ ، وبركةِ رسالتِه ويُمْنِ بِشارتِه ، وكمالِه فيما جاء به ، وعمومِ بَعْثَتِه لجميعِ أهلِ الأرضِ .

(١ - ١) فى م ، ص : « عشرون سنة » .

(٢) فى م : « يرزقنى » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) بعده فى ا : « أى سيد الناس » .

ولما رجَعت هاجَرُ ، وضعتْ إسماعيلَ عليه السلامُ . قالوا : ولَدتْه ولإبراهيمَ من العمُرِ ستٌّ وثمانون سنةً ، قبلَ مولدِ إسحاقَ بثلاثَ عشرةَ سنةً . ولمّا وُلِد إسماعيلُ ، أوحَى اللهُ إلى إبراهيمَ يبشرُه بإسحاقَ مِن سارَّةَ ، فخرَّ للهِ ساجدًا ، وقال له : قد استجبتُ لك فى إسماعيلَ ، وباركتُ عليه وكثَّرتُه ونمَّيْتُه جدًّا كبيرًا ، ويُولَدُ له اثنا عشرَ عظيمًا ، وأجْعَلُه رئيسًا لشعبٍ عظيمٍ . وهذه أيضًا بِشارةٌ بهذه الأمةِ العظيمةِ ، وهؤلاء الاثنا عشَرَ عظيمًا هم الخلفاءُ الاثنا عشَرَ المبشَّرُ بهم فى حديثِ عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « يكونُ اثْنا عَشَرَ أميرًا » . ثم قال كلمةً لم أفهمْها ، فسألتُ أبى : ما قال ؟ قال : « كلُّهم مِن قُرَيْشٍ » . أخرجاه فى « الصحيحين »[1] . وفى روايةٍ : « لا يزالُ هذا الأمرُ قائمًا »[2] . وفى روايةٍ : « عزيزًا ، حتى يكونَ اثنا عشَرَ خليفةً ، كلُّهم مِن قُرَيْشٍ »[3] . فهؤلاء منهم الأئمةُ الأربعةُ ؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ . ومنهم عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أيضًا . ومنهم بعضُ بنى العباسِ . وليس المرادُ أنهم يكونون اثْنَىْ عشَرَ [١/٩٤ظ] نَسَقًا[4] ، بل لا بدَّ مِن وجودِهم . وليس المرادُ الأئمةَ الاثْنَىْ عَشَرَ الذين يعتقدُ فيهم الرافضةُ ، الذين أوَّلُهم علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وآخِرُهم المنتظِرُ بسِرْدابِ سامَرَّا ؛ (٥وهو محمدُ بنُ الحسنِ العسكرىُّ ، فيما يزعُمون٥) ، فإن أولئك لم يكنْ فيهم أنفعُ مِن علىٍّ وابنِه الحسنِ بنِ علىٍّ ، حينَ ترَك القتالَ وسلَّم الأمرَ لمعاويةَ ، وأخمَد نارَ

---

(١) البخارى (٧٢٢٢) ، مسلم (١٨٢١) . واللفظ للبخارى .

(٢) هى رواية الطبرانى (١٨٧٦) ، وعند مسلم (١٨٢٢) بلفظ « لا يزال هذا الدين قائمًا ... » .

(٣) مسلم (١٨٢١) بلفظ : « لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثنى عشر خليفة ... » .

(٤) نَسَقًا : متتابعين .

(٥ - ٥) زيادة من : ا ، م .

الفتنةِ ، وسكَّن رَحَى الحروبِ بينَ المسلمين ، والباقون من جملةِ الرَّعايَا ، لم يكنْ لهم حُكْمٌ على الأُمةِ فى أمرٍ من الأمورِ . وأما ما يعتقدونه بسِرْدَابِ سامَرَّا ، فذاك هَوَسٌ فى الرءُوسِ ، وهَذَيانٌ فى النفوسِ ، لا حقيقةَ له ولا عينٌ ولا أثرٌ .

والمقصودُ أن هاجَرَ عليها السلامُ لمّا وُلِد لها إسماعيلُ اشتدّتْ غَيْرَةُ سارَّةَ منها ، وطلَبتْ مِن الخليلِ أنْ يُغيِّبَ وجهَها عنها ، فذهب بها وبولدِها ، فسار بهما حتى وضعَهما حيثُ مكةُ اليومَ . ويقالُ : إن ولدَها كان إذْ ذاك رضيعًا ، فلمّا تركهما هناك وولَّى ظهْرَه عنهما ، قامت إليه هاجَرُ ، وتعلَّقتْ بثيابِه ، وقالت : يا إبراهيمُ ، أين تذهبُ وتَدَعُنا ههنا وليس معنا ما يَكْفِينا ؟ فلم يُجِبْها ، فلمّا ألحَّتْ عليه وهو لا يُجِيبُها ، قالت له : آللهُ أمرَك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : فإذًا لا يضيِّعُنا . (١)وقد ذكَر الشيخُ أبو محمدٍ بنُ أبى زيدٍ ، رحمه اللهُ ، فى كتابِ « النَّوادرِ » أنَّ سارَّةَ تغضَّبتْ على هاجَرَ ، فحلَفَتْ لَتَقْطَعَنَّ ثلاثَةَ أعضاءٍ منها ، فأمَرَها الخليلُ أنْ تَثقُبَ أُذُنَيْها ، وأنْ تَخفِضَها ، فتبرَّ قَسَمُها(١) . قال السُّهَيْلِىُّ(٢) : فكانت أولَ مَن اختَتَن من النساءِ ، وأولَ مَن ثَقَبتْ أُذُنَيْها منهن ، وأولَ مَن طوَّلتْ ذَيْلَها .

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر قصص الأنبياء للثعالبى ص ٧١ .

(٢) الروض الأنف ١/٩١ .

ذكرُ مُهَاجرةِ إبراهيمَ عليه السلامُ بابنِه إسماعيلَ وأمِّه هاجَرَ إلى جبالِ فارَانَ ؛ وهى أرضُ مكَّةَ ، وبنائِه البيتَ العتيقَ

قال البخارىُّ[1] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ ، حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ السَّخْتيانىِّ وكثيرِ بنِ كثيرِ بنِ المطَّلِبِ بنِ أبى وَدَاعَةَ ، يزيدُ أحدُهما على الآخَرِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أوَّلَ ما اتَّخذَ النِّساءُ المِنْطَقَ[2] مِن قِبَلِ أمِّ إسماعيلَ ؛ اتخذتْ مِنْطَقًا لتُعْفِىَ أثَرَها على سارَّةَ . ثم جاء بها إبراهيمُ ، وبابنِها إسماعيلَ ، وهى تُرضعُه ، حتى وضعَهما عندَ البيتِ عندَ دَوْحةٍ فوقَ زَمْزَمَ ، فى أعلَى المسجدِ ، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ ، وليس بها ماءٌ ، فوضَعهما هنالك ، ووضَع عندَهما جِرابًا فيه تَمْرٌ ، وسِقاءً فيه ماءٌ ، ثم قفَّى إبراهيمُ منطلِقًا ، فتَبِعتْه أمُّ إسماعيلَ ، فقالت : يا إبراهيمُ ، أين تذهبُ وتتركُنا بهذا الوادِى الذى ليس فيه إنسٌ ولا شىءٌ ؟ فقالت له ذلك مِرارًا ، وجعَل لا يلتَفِتُ إليها ، فقالت له : آللهُ أمَرك بهذا ؟ قال : نعمْ . قالت : إذًا لا يُضيِّعُنا . ثم رجَعت ، فانطلَق إبراهيمُ ، حتى إذا كان عندَ الثَّنيَّةِ حيثُ [١/٩٥و] لا يَرَوْنه ، استَقبَل بوجهِه البيتَ ، ثم دعا بهؤلاء الكلماتِ[3] ، ورفَع يَدَيْه ، فقال : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم

---

(١) البخارى (٣٣٦٤) .

(٢) المِنْطَقُ : حبل تشد به المرأة وسطها .

(٣) فى ح ، م : « الدعوات » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى .

مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1] [إبراهيم : ٣٧] . وجعَلت أمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إسماعيلَ ، وتَشرَبُ مِن ذلك الماءِ ، حتى إذا نَفِد ما فى السِّقاءِ عَطِشتْ ، وعَطِش ابنُها ، وجعَلت تَنْظُرُ إليه يَتَلوَّى . أو قال : يَتَلبَّطُ . فانطلَقت كراهيةَ أنْ تَنظُرَ إليه ، فوجَدت الصَّفَا أقربَ جبلٍ فى الأرضِ يَلِيها ، فقامت عليه ، ثم استقبَلت الوادىَ ، تَنظُرُ هل تَرَى أحدًا ، فلم تَرَ أحدًا ، فهبَطَتْ من الصَّفَا ، حتى إذا بلغَت الوادىَ ، رفَعت طَرَفَ دِرْعَها[2] ، ثم سعَت سَعْىَ الإنسانِ المجهودِ حتى جاوزَت الوادىَ ، ثم أتَت المَرْوةَ ، فقامت عليها ، ونظرت هل ترَى أحدًا ، فلم تَرَ أحدًا ، ففعَلَت ذلك سبْعَ مراتٍ . قال ابنُ عباسٍ : قال النَّبىُّ ﷺ : « فذلك سَعْىُ النَّاسِ بينَهما » . فلمَّا أشرفَت على المروةِ ، سمِعت صوتًا ، فقالت : صَهٍ . تريدُ نفسَها . ثم تسمَّعَت أيضًا ، فقالت : قد أسمَعْتَ إنْ كان عندَك غُوَاثٌ . فإذا هى بالمَلَكِ عندَ موضِعِ زَمْزَمَ ، فبحَث بعَقِبِه – أو قال : بجَنَاحِه – حتى ظهَر الماءُ ، فجعَلت تُحَوِّضُه ، وتقولُ بيدِها هكذا ، وجعَلت تَغرِفُ من الماءِ فى سِقائِها ، وهو يفُورُ بعدَ ما تَغرِفُ . قال ابنُ عبَّاسٍ : قال النَّبىُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ أمَّ إسماعيلَ ، لو ترَكَتْ زَمْزَمَ – أو قال – لو لم تَغرِفْ مِن الماءِ لكانت زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا » . قال : فشرِبت وأرضعَت ولدَها ، فقال لها المَلَكُ : لا تخافوا الضَّيْعةَ ؛ فإن ههنا بيتَ اللهِ يَبْنِى هذا الغلامُ وأبوه ، وإن اللهَ لا يُضَيِّعُ أهلَه . وكان البيتُ مرتفعًا من الأرضِ كالرَّابيةِ ، تأتيه السيولُ فتأخذُ عن يمينِه وشِمالِه ، فكانت كذلك حتى مرَّت بهم رُفْقَةٌ مِن جُرْهُمٍ ، أو أهلُ بيتٍ من جُرْهُمٍ ، مُقبِلين من طريقِ كَدَاءَ ، فنزَلوا فى أسفلِ مكةَ ، فرأَوْا طائرًا عائفًا ، فقالوا : إنَّ هذا الطائرَ لَيَدورُ على الماءِ ، لَعَهْدُنا بهذا الوادى

---

(١) التفسير ٤/٤٣٢ .

(٢) فى م : « ذراعها » .

وما فيه ماءٌ . فأرسَلوا جَرِيًّا أو جَرِيَّيْنِ ، فإذا هم بالماءِ ، فرجَعوا فأخبروهم بالماءِ ، فأقْبَلوا . قال : وأمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ ، فقالوا : أتأْذَنِين لنا أنْ نَنْزِلَ عندَك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حَقَّ لكم فى الماءِ . قالوا : نعمْ . قال عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ : قال النبىُّ ﷺ : « فألْفَى ذلك أمَّ إسماعيلَ ، وهى تحبُّ الأُنْسَ » . فنزَلوا وأرسَلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم ، وشَبَّ الغلامُ وتعلَّم العربيةَ منهم ، وأنْفَسَهم[1] وأعجَبَهم حينَ شَبَّ ، [١/٩٥ظ] فلمَّا أدرَكَ زوَّجُوه امرأةً منهم ، وماتت أمُّ إسماعيلَ ، فجاء إبراهيمُ بعدَ ما تزوَّج إسماعيلُ ، يطالِعُ تَرْكَتَه ، فلم يجدْ إسماعيلَ ، فسأل امرأتَه عنه فقالت : خرَج يبتغِى لنا . ثم سألها عن عَيْشِهم وهيئَتِهم ، فقالت : نحن بشَرٌ ، نحن فى ضِيقٍ وشدةٍ . وشكَتْ إليه ، قال : فإذا جاء زوجُك فاقْرَئى عليه السلامَ وقولى له يغُيِّرُ عَتَبَةَ بابِه . فلما جاء إسماعيلُ كأنه آنسَ شيئًا فقال : هل جاءكم مِن أحدٍ ؟ فقالت : نعمْ ، جاءنا شيخٌ كذا وكذا ، فسألَنَا عنك فأخبرتُه ، وسألنى كيف عيشُنا ، فأخبرتُه أنَّا فى جَهْدٍ وشِدَّةٍ . قال : فهل أوْصَاكِ بشىءٍ ؟ قالت : نعمْ ، أمَرنى أن أقرأَ عليكَ السلامَ ، ويقولُ : غَيِّرْ عتَبَةَ بابِك . قال : ذاك أبى ، وأمَرنى أن أُفارِقَكِ ، فالْحَقِى بأهلِك . فطلَّقها وتزوَّج منهم أخرى ، ولَبِث عنهم إبراهيمُ ما شاء اللهُ ، ثم أتاهم بعدُ ، فلم يجدْه ، فدخَل على امرأتِه ، فسألها عنه ، فقالت : خرَج يبتغِى لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عَيْشِهم وهيئَتِهم ، فقالت : نحن بخيرٍ وسَعَةٍ . وأثْنَتْ على اللهِ ، فقال : ما طعامُكم ؟ قالت : اللَّحمُ . قال : فما شرابُكم ؟ قالت : الماءُ . قال : اللهمَّ بارِكْ لهم فى اللَّحمِ والماءِ . قال النَّبىُّ ﷺ : « ولم يكنْ لهم يومئذٍ حَبٌّ ، ولو كان لهم

---

(١) أنْفَسَهم : أعجبهم وصار عندهم نفيسًا : النهاية ٥/٩٦ .

حَبٌّ لدعَا لهم فيه ، فَهُما لا يَخْلُو عليهما أحدٌ بغَيْرِ[1] مكةَ إلَّا لم يُوافِقَاه »[2] . قال : فإذا جاء زوجُك فاقرَئى عليه السلامَ ، ومُرِيه يُثبِّتْ عَتَبَةَ بابِه . فلمّا جاء إسماعيلُ قال : هل أتاكم مِن أحدٍ ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخٌ حَسَنُ الهيئةِ - وأثنَتْ عليه - فسألنى عنك فأخبرتُه ، فسألنى كيف عيشُنا فأخبرتُه أنَّا بخيرٍ . قال : فأوصاكِ بشىءٍ ؟ قالت : نعم ، هو يقرأُ عليك السَّلامَ ، ويأمرُك أنْ تُثبِّتَ عتَبةَ بابِك . قال : ذاك أبى ، وأنتِ العَتَبَةُ ، وأمرنى أنْ أُمسِكَكِ . ثم لبِث عنهم ما شاء اللهُ ، ثم جاء بعدَ ذلك وإسماعيلُ يَبْرِى نَبْلًا له تحتَ دَوْحةٍ قريبًا مِن زَمْزَمَ ، فلمَّا رآه قام إليه ، فصنَعا كما يصنعُ الولدُ بالوالدِ ، والوالدُ بالولدِ ، ثم قال : يا إسماعيلُ ، إن اللهَ أمرَنى بأمرٍ . قال : فاصنَعْ ما أمَرك ربُّك . قال : وتُعِينُنى ؟ قال : وأُعِينُك . قال : فإن اللهَ أمَرنى أنْ أَبْنِيَ ههنا بيتًا . وأشار إلى أَكَمَةٍ مرتفعةٍ على ما حولَها . قال : فعندَ ذلك رفعَا القواعِدَ مِن البيتِ ، فجعَل إسماعيلُ يأتى بالحجارةِ ، وإبراهيمُ يَبنِى ، حتى إذا ارتفَع البناءُ ، جاء بهذا الحجَرِ ، فوضَعَه له ، فقام عليه وهو يَبْنِى ، وإسماعيلُ يُناوِلُه الحجارةَ ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] . قال : وجعَلا يبنيان حتى يَدُورَا حولَ البيتِ ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

ثم قال البخارىُّ[3] : حدثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ ، حدثنا أبو[4] [١/٩٦و] عامرٍ عبدُ المِلكِ بنُ عمرٍو ، حدثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ ، عن كثيرِ بنِ كثيرٍ ، عن

---

(١) فى ح ، م : « بعين » .

(٢) يعنى لا ينفردُ أحدٌ بغير مكة بالماء واللحم إلا اشتكى بطنه . النهاية ٢/٧٦ . فتح البارى ٦/٤٠٥ .

(٣) البخارى (٣٣٦٥) .

(٤) فى الأصل : « ابن » .

سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما كان بينَ إبراهيمَ وأهلِه ما كان ، خرَج بإسماعيلَ وأمِّ إسماعيلَ ، ومعهم شَنَّةٌ فيها ماءٌ . وذكر تمامَه بنحوِ ما تقدَّم . وهذا الحديثُ مِن كلامِ ابنِ عباسٍ ، ومُوَشَّحٌ برَفْعِ بعضِه ، وفى بعضِه غرابةٌ ، وكأنه مما تلقَّاه ابنُ عباسٍ عن الإسرائيلياتِ . وفيه أنَّ إسماعيلَ كان رضيعًا إذْ ذاك . وعندَ أهلِ التوراةِ ، أن إبراهيمَ أمَره اللهُ بأن يَختِنَ ولدَه إسماعيلَ وكلَّ مَن عندَه مِن العبيدِ وغيرِهم ، فختَنَهم ، وذلك بعدَ مُضِىِّ تسعٍ وتسعين سنةً مِن عمرِه ، فيكونُ عمرُ إسماعيلَ يومئذٍ ثلاثَ عشْرةَ سنةً . وهذا امتثالٌ لأمرِ اللهِ عزّ وجلّ فى أهلِه ، فيدلُّ على أنَّه فعَله على وجهِ الوجوبِ ؛ ولهذا[1] كان الصحيحُ مِن أقوالِ العلماءِ أنَّه واجبٌ على الرِّجالِ ، كما هو مقرَّرٌ فى موضعِه .

وقد ثَبَت فى الحديثِ الذى رواه البخارىُّ[2] : حدثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ ، حدثنا مُغيرَةُ بنُ عبدِ الرحمنِ القُرَشىُّ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعرَجِ ، عن أبى هُرَيرَةَ ، قال : قال النبىُّ ﷺ : « اختتَن إبراهيمُ النَّبىُّ عليه السَّلامُ وهو ابنُ ثمانينَ سنةً بالقَدُومِ » . تابعَه عبدُ الرحمنِ بنُ إسحَاقَ ، عن أبى الزِّنادِ ، وتابعَه عَجْلَانُ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، ورواه محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ . وهكذا روَاه مسلمٌ[3] عن قُتَيْبَةَ به . وفى بعضِ الألفاظِ[4] : « اختتَن إبراهيمُ بعدَ ما أتتْ عليه ثمانون سنةً ، واختتَن بالقَدُومِ » . والقَدُومُ هو الآلَةُ .

---

(١) فى ص : « ولما » .

(٢) البخارى (٣٣٥٦) .

(٣) مسلم (٢٣٧٠) .

(٤) البخارى (٦٢٩٨) ، المسند ٢/٣٢٢ .

وقيل : موضِعٌ . وهذا اللفظُ لا ينافِى الزيادةَ على الثمانين - واللهُ أعلمُ - لِما سيأتى مِن الحديثِ عندَ ذِكْرِ وفاتِه ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « اختَتَن إبراهيمُ وهو ابنُ مائةٍ وعشرين سنةً ، وعاش بعدَ ذلك ثمانينَ سنةً » . رواه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[1] . وليس فى هذا السِّياقِ ذِكْرُ قصةِ الذبيحِ وأنه إسماعيلُ ، ولم يَذْكُرْ فى قَدَماتِ إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، إلا ثلاثَ مرَّاتٍ ؛ أولاهن بعدَ أن تزوَّج إسماعيلُ بعدَ موتِ هاجَرَ ، وكيف يَترُكُهم مِن حينِ صِغَرِ الولدِ ، على ما ذُكِر ، إلى حينِ تزْويجِه لا يَنظُرُ فى حالِهم ؟ وقد ذُكِر أن الأرضَ كانت تُطْوَى له ، وقيل : إنه كان يَركَبُ البُراقَ إذا سار إليهم . فكيف يتخلفُ عن مطالعةِ حالِهم ، وهم فى غايةِ الضرورةِ الشديدةِ ، والحاجةِ الأكيدةِ ؟ وكأنَّ بعضَ هذا السِّياقِ مُتَلَقًّى من الإسرائيلياتِ ، ومُطرَّزٌ بشىءٍ مِن المرفوعاتِ . ولم يُذْكَرْ فيه قصةُ الذبيحِ ، وقد دلَّلنا على أن الذبيحَ هو إسماعيلُ ، على الصحيحِ ، فى سورةِ « الصافات »[2] .

---

(١) الإحسان (٦٢٠٥) إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) التفسير ٧/٢٢ - ٣٠ .

[٩٦/١ظ] قصةُ الذبيحِ عليه السلامُ

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ٩٩ - ١١٣] . يذكرُ تعالَى عن خليلِه إبراهيمَ أنه لما هاجَر مِن بلادِ قومِه ، سأل ربَّه أنْ يَهَبَ له ولدًا صالحًا ، فبشَّرَه اللهُ تعالى بغلامٍ حليمٍ ، وهو إسماعيلُ[2] عليه السلامُ ؛ لأنَّه أولُ مَن وُلِد له على رأسِ ستٍّ وثمانين سنةً مِن عُمُرِ الخليلِ . وهذا ما لا خلافَ فيه بينَ أهلِ المِلَلِ ؛ أنَّه أولُ ولدِه وبِكْرُه . وقولُه : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ أى شبَّ وصار يَسْعَى فى مصالِحِه كأبيه . قال مُجاهدٌ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ أى ؛ شبَّ وارتَحَلَ وأطَاق ما يفعلُه أبوه مِن السَّعْىِ والعملِ . فلمّا كان هذا ، أُرِىَ إبراهيمُ عليه السلامُ فى المنامِ أنه يُؤْمَرُ بذبحِ ولدِه هذا .

وفى الحديثِ عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا[3] : « رُؤْيَا الأنبياءِ وَحْىٌ » . قاله

---

(١) التفسير ٢٢/٧ - ٣١ .

(٢) فى ص : « إسحاق » .

(٣) عزاه ابن حجر فى الفتح ٢٣٩/١ إلى مسلم مرفوعا ، ولم نهتد إليه . ورواه الطبرانى فى الكبير (١٢٣٠٢) موقوفا على ابن عباس ، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد ابن أبى مريم وهو ضعيف ، وبقية رجاله رجال الصحيح . المجمع ١٧٦/٧ .

عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ[1] أيضًا[2] . وهذا اختبارٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ لخليلِه فى أنْ يَذبَحَ هذا الولدَ العزيزَ ، الذى جاءه على كِبَرٍ ، وقد طَعَنَ فى السِّنِّ ، بعدَ ما أُمِر بأنْ يُسكِنَه هو وأمَّه فى بلادٍ قَفْرٍ ، ووادٍ ليس به حَسِيسٌ ولا أَنِيسٌ ، ولا زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ ، فامتثَل أَمْرَ اللهِ فى ذلك ، وتركَهما هناك ثِقةً باللهِ وتوكُّلًا عليه ، فجَعَل اللهُ لهما فرَجًا ومَخْرَجًا ، ورزَقَهما مِن حيثُ لا يحتسبان ، ثم لمّا أُمِر بعدَ هذا كلِّه بذَبْحِ ولدِه هذا ، الذى أَفْرَدَه عن أمرِ ربِّه ، وهو بِكْرُه ووحيدُه الذى ليس له غيرُه ، أجاب ربَّه وامتثَل أمرَه وسارَع إلى طاعتِه ، ثم عرَض ذلك على ولدِه ؛ ليكونَ أَطْيَبَ لقلبِه ، وأَهْوَنَ عليه مِن أنْ يأخُذَه قَسْرًا ويذبَحَه قَهْرًا ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ . فبادَر الغلامُ الحليمُ بَرٌّ[3] والدَه الخليلَ إبراهيمَ ، فقال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . وهذا الجوابُ فى غايةِ السَّدادِ والطاعةِ للوالدِ ولربِّ العبادِ . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ . قيل[4] : أَسْلَما ؛ أى استسلَما لأمرِ اللهِ ، وعزَما على ذلك . وقيل : [١/٩٧و] هذا من المقدَّمِ والمؤخَّرِ ، والمعنَى ﴿ تَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ أى ؛ ألقاه على وجهِه . قيل : أراد أن يذبَحَه من قَفاه لِئَلَّا يشاهدَه فى حالِ ذَبْحِه . قاله ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، وقَتادةُ ، والضحاكُ . وقيل : بل أَضْجَعَه كما تُضْجَعُ الذبائحُ ، وبَقِيَ طَرَفُ جبينِه لاصقًا بالأرضِ . ﴿ أَسْلَمَا ﴾ أى ؛ سمَّى إبراهيمُ وكبَّر ، وتشهَّد وسلَّم الولدَ للموتِ . قال السُّدِّىُّ وغيرُه : أَمَرَّ السِّكينَ على حَلْقِه فلم

---

(١) فى الأصل : « عمر » .

(٢) البخارى (١٣٨ ، ٨٥٩) .

(٣) فى م ، ص : « سر » .

(٤) هذه الرواية وما بعدها من روايات فى تفسير الطبرى ٢٣/٧٩ - ٨٨ .

تَقطَعْ شيئًا . ويقالُ : جُعِلَ بينَها وبينَ حَلْقِه صفيحةٌ مِن نُحاسٍ . واللهُ أعلمُ . فعندَ ذلك نُودِىَ من اللهِ عز وجل : ﴿ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ . أى قد حصَل المقصودُ من اختبارِك وطاعتِك ، ومبادرتِك إلى أمرِ ربِّك ، وبَذْلِكَ ولَدَكَ للقُرْبانِ ، كما سمَحْتَ[1] ببدنِك للنيرانِ ، وكما مالُك مبذولٌ للضِّيفانِ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ . أى ؛ الاختبارُ الظاهرُ البيِّنُ . وقولُه : ﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . أى ؛ وجعلنا فداءَ ذَبْحِ ولَدِه ما يَسَّرَه اللهُ تعالى له من العِوَضِ عنه . والمشهورُ عن الجمهورِ أنه كَبْشٌ أبيضُ أَعْيَنُ أَقْرَنُ ، رآه مربوطًا بسَمُرَةٍ فى ثَبِيرٍ[2] . قال الثورىُّ ، عن عبدِ اللهِ ابنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كَبْشٌ قد رَعَى فى الجنةِ أربعين خريفًا[3] . وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : كان يَرْتَعُ فى الجنةِ حتى تشقّقَ عنه ثَبِيرٌ ، وكان عليه عِهْنٌ أحمرُ[3] . وعن ابنِ عباسٍ : هبَط عليه مِن ثَبيرٍ كَبْشٌ أَعْيَنُ أَقْرَنُ له ثُغَاءٌ فذبَحَه ، وهو الكَبْشُ الذى قرَّبه ابنُ آدمَ فتُقُبِّلَ منه . رواه ابنُ أبى حاتِمٍ[4] . قال مُجاهدٌ : فذبحَه بِمِنًى . وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ[5] : ذبَحَه بالمَقامِ . فأمَّا ما رُوِى عن ابنِ عباسٍ ، أنَّه كان وَعْلًا ، وعن الحسنِ ، أنه كان تَيْسًا مِن الأَرْوَى واسمُه جريرٌ ، فلا يكادُ يصحُّ عنهما . ثم غالِبُ ما ههنا من الآثارِ مأخوذٌ من الإسرائيلياتِ ، وفى القرآنِ كفايةٌ عما جرَى من الأمرِ العظيمِ ، والاختبارِ الباهرِ ، وأنه فُدِىَ بذِبْحٍ عظيمٍ .

---

(١) بعده فى الأصل : « بولدك للقربان » .

(٢) السمرة : الشجرة . وثبير : جبل بظاهر مكة .

(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره ٨٧/٢٣ .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢٨٤/٥ وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) فى الأصل : « عمر » .

وقد ورَد فى الحديثِ أنه كان كَبْشًا ، قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا سُفيانُ ، حدثنا منصورٌ ، عن خالِه مُسافِعٍ ، عن صفيةَ بنتِ شَيْبَةَ ، قالت : أخبرتنى امرأةٌ مِن بنى سُلَيمٍ ولَّدتْ عامَّةَ أهلِ دارِنا ، قالت : أرسَل رسولُ اللهِ ﷺ إلى عثمانَ بنِ طَلْحةَ - وقال مرَّةً : إنها سألت عثمانَ : لِمَ دعاك رسولُ اللهِ ﷺ ؟ - قال : « إنِّى كنتُ رأيتُ قَرْنَىِ الكبشِ ، حينَ دخلتُ البيتَ ، فنَسِيتُ أنْ آمُرَكَ أنْ تُخمِّرَهما ، فخمِّرْهما ؛ فإنه لا يَنبغِى أنْ يكونَ فى البيتِ شىءٌ يَشْغَلُ المصلِّىَ » . قال سُفيانُ : لم تَزَلْ قَرْنَا الكبشِ فى البيتِ حتى [١/٩٧ظ] احْتِراقِ البيتِ فاحتَرقا . وهكذا رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ ، أن رأسَ الكبشِ لم يَزَلْ معلَّقًا عندَ ميزابِ الكعبةِ ، قد يَبِسَ . وهذا وحدَه دليلٌ على أن الذبيحَ إسماعيلُ ؛ لأنه كان هو المقيمَ بمكةَ ، وإسحاقُ لا نعلَمُ أنه قَدِمها فى حالِ صِغَرِه . واللهُ أعلمُ . وهذا هو الظاهرُ مِن القرآنِ ، بل كأنه نصٌّ على أن الذبيحَ هو إسماعيلُ ؛ لأنَّه ذكَر قصةَ الذبيحِ ، ثم قال بعدَه : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ومن جعَله حالًا فقد تكلَّف ، ومستَنَدُه أنه إسحاقُ إنما هو إسرائيلياتٌ ، وكتابُهم فيه تحريفٌ ، ولاسيما ههنا قَطْعًا لا مَحيدَ عنه ؛ فإن عندَهم أن اللهَ أمَر إبراهيمَ أن يَذْبَحَ ابنَه وحيدَه ، وفى نسخةٍ مِن المُعرَّبةِ[2] : بِكْرَه إسحاقَ . فلَفْظَةُ « إسحاقَ » ههنا مُقْحَمةٌ مكذوبةٌ مفتراةٌ ؛ لأنه ليس هو الوحيدَ ، ولا البِكْرَ ، وإنما الوحيدُ البِكْرُ إسماعيلُ ، وإنّما حملَهم على هذا حسدُ العربِ ؛ فإن إسماعيلَ أبو العربِ الذين يسكنون الحجازَ ، الذين منهم رسولُ اللهِ ﷺ ، وإسحاقَ والدُ يعقوبَ ، وهو إسرائيلُ الذين ينتسبون

---

(١) المسند ٤/٦٨ (صحيح الجامع ٢٥٠٠) .

(٢) سفر التكوين ، الأصحاح ٢٢/٢ .

إليه ، فأرادوا أن يَجُرُّوا هذا الشرفَ إليهم ، فحرَّفوا كلامَ اللهِ وزادُوا فيه ، وهم قومُ بُهْتٍ ، ولم يُقِرُّوا بأنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيه مَن يشاءُ . وقد قال بأنه إسحاقُ طائفةٌ كثيرةٌ مِن السَّلَفِ وغيرِهم[1] ، وإنما أخذوه ، واللهُ أعلمُ ، مِن كعبِ الأحبارِ ، أو صُحُفِ أهلِ الكتابِ ، وليس فى ذلك حديثٌ صحيحٌ عن المعصومِ ، حتى نَتركَ لأجلِه ظاهرَ الكتابِ العزيزِ ، ولا يُفْهَمُ هذا مِن القرآنِ ، بل المفهومُ ، بل المنطوقُ ، بل النصُّ عندَ التأملِ على أنه إسماعيلُ .

وما أَحسَنَ ما استدَلَّ محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ ، على أنه إسماعيلُ وليس بإسحاقَ ، مِن قولِه : ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] . قال : فكيف تقعُ البِشارةُ بإسحاقَ ، وأنه سيُولدُ له يعقوبُ ، ثم يُؤْمَرُ بذَبْحِ إسحاقَ وهو صغيرٌ قبل أَنْ يُولَدَ له ؟ هذا لا يكونُ ؛ لأنه يناقضُ البِشارةَ المتقدِّمةَ ، واللهُ أعلمُ . وقد اعترَض السُّهَيْلِيُّ[2] على هذا الاستدلالِ بما حاصِلُه ، أن قولَه : ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ ﴾ جملةٌ تامةٌ ، وقولَه : ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ جملةٌ أخرى ليست فى حَيِّزِ البِشارةِ . قال : لأنه لا يَجُوزُ مِن حيثُ العربيةُ أن يكونَ مخفوضًا ، إلا أن يُعادَ معه حرفُ الجرِّ ، فلا يجوزُ أن يُقالَ : مررتُ بزيدٍ ، ومِن بعدِه عمرٍو . حتى يقالَ : ومِن بعدِه بِعمرٍو . وقال : فقولُه : ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ تقديرُه : ووهبنا لإسحاقَ يعقوبَ . وفى هذا الذى قاله نظرٌ . ورجَّح أنه إسحاقُ ، واحتَجَّ بقولِه : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ قال : وإسماعيلُ لم يكنْ عندَه ، إنما كان فى حالِ صِغَرِه هو وأُمُّه بحِيالِ مكةَ ، فكيف يبلغُ معه السَّعْىَ ؟ وهذا أيضًا فيه نَظَرٌ ؛ لأنَّه قد رُوِى أن الخليلَ كان يذهَبُ فى كثيرٍ من الأوقاتِ

---

(١) انظر التفسير ٢٧/٧ ، ٢٨ .

(٢) فى التعريف والإعلام ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

راكبًا البُراقَ إلى مكةَ ، يَطَّلِعُ على ولدِه وابنِه ثم يرجعُ . واللهُ أعلمُ .

فممَّن حُكِي القولُ عنه بأن الذبيحَ إسحاقُ : كعبُ الأحبارِ . ورُوِىَ عن عمرَ ، والعباسِ ، وعلىٍّ ، وابنِ مسعودٍ ، ومسروقٍ ، وعِكْرِمةَ ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، ومُجاهِدٍ ، وعطاءٍ ، والشَّعْبىِّ ، ومُقاتِلٍ ، وعُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ[1] ، وأبى مَيْسَرةَ ، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ ، وعبدِ اللهِ بنِ شَقيقٍ ، والزُّهْرىِّ ، والقاسمِ [2]بنِ أبى بزَّةَ[2] ، ومكحولٍ ، وعثمانَ بنِ حاضِرٍ ، والسُّدِّىِّ ، والحسنِ ، وقَتادةَ ، وأبى الهُذَيْلِ ، وابنِ سابِطٍ . وهو اختيارُ ابنِ جَريرٍ[3] ، وهذا عجبٌ منه ، وهو إحدى الروايتين عن ابنِ عباسٍ . ولكنَّ الصَّحيحَ عنه وعن أكثرِ هؤلاء أنه إسماعيلُ عليه السلامُ . قال مُجاهِدٌ ، وسعيدٌ ، والشَّعْبىُّ ، [١/٩٨و] ويوسفُ بنُ مِهْرَانَ ، وعطاءٌ ، وغيرُ واحدٍ عن ابنِ عباسٍ : هو إسماعيلُ عليه السلامُ . وقال ابنُ جَريرٍ[4] : حدثنى يونُسُ ، أنبأنا ابنُ وهْبٍ ، أخبرنى عُمَرُ بنُ قَيْسٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَبَاحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال : المَفْدِىُّ إسماعيلُ ، وزعَمت اليهودُ أنه إسحاقُ ، وكذَبت اليهودُ . وقال عبدُ اللهِ ابنُ الإمامِ أحمدَ ، عن أبيه : هو إسماعيلُ . وقال ابنُ أبى حاتِمٍ : سألتُ أبى عن الذبيحِ ، فقال : الصحيحُ أنه إسماعيلُ عليه السلامُ .

قال ابنُ أبى حاتمٍ[5] : ورُوِى عن علىٍّ ، وابنِ عُمَرَ ، وأبى هُرَيرةَ ، وأبى الطُّفَيْلِ ، وسعيدِ بنِ المسيَّبِ ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، والحسنِ ، ومُجاهدٍ ،

---

(١) فى الأصل : « عمر » .

(٢ - ٢) فى م : « وابن أبى بردة » .

(٣) تفسير الطبرى ٨٥/٢٣ .

(٤) تفسير الطبرى ٨٤/٢٣ .

(٥) التفسير ٢٩/٧ .

والشَّعْبىِّ ، ومحمدِ بنِ كعبٍ ، وأبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ ، وأبى صالحٍ ، أنهم قالوا : الذبيحُ هو إسماعيلُ عليه السلامُ . وحكاه البَغَوِىُّ[1] أيضًا عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، والكَلْبىِّ ، وأبى عمرِو بنِ العلاءِ .

قلتُ : ورُوِى عن معاويةَ . وجاء عنه أن رجلًا قال لرسولِ اللهِ ﷺ : يا ابنَ الذَّبيحَيْن . فضحِك رسولُ اللهِ ﷺ[2] . وإليه ذهَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ ، وكان الحسنُ البصرىُّ يقولُ : لا شكَّ فى هذا . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] ، عن بُرَيْدَةَ بنِ[4] سفيانَ بنِ فَرْوةَ الأَسْلَمىِّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، أنَّه حدثهم أنه ذكَر ذلك لعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وهو خليفةٌ إذ[5] كان معه بالشَّامِ - [6]يعنِى استدلالَه بقولِه بعدَ القصةِ[7] : ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[6] - فقال له عمرُ : إن هذا الشىءَ ما كنتُ أَنظُرُ فيه ، وإنى لأُراه كما قلتَ . ثم أرسَل إلى رجلٍ كان عندَه بالشامِ ، كان يهوديًّا فأسلَم وحَسُن إسلامُه ، وكان يُرَى أنه مِن علمائِهم . قال : فسأله عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عن ذلك . قال محمدُ بنُ كعبٍ : وأنا عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقال له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : أىُّ ابْنَىْ إبراهيمَ أُمِر بذَبْحِه ؟ فقال : إسماعيلُ واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، وإنَّ يهودَ لتعْلَمُ

---

(١) تفسير البغوى ٦/٢٧ .

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره ٢٣/٨٥ ، والحاكم فى مستدركه ٢/٥٥٤ وسكت عليه ، وعلق عليه الذهبى بقوله : إسناده واه . وقال السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢٨١ : بسند ضعيف .

(٣) تفسير الطبرى ٢٣/٨٤ ، ٨٥ .

(٤) فى م : « عن » .

(٥) فى الأصل : « أو » .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

(٧) فى م : « العصمة » .

بذلك ، ولكنَّهم يَحسُدونكم - مَعْشَرَ العربِ - على أنْ يكونَ أباكم ؛ الذى كان مِن أمرِ اللهِ فيه ، والفضلِ الذى ذَكَره اللهُ مِنْه ، لصبرِه لِمَا أُمِر به ، فهم يَجْحَدون ذلك ، ويزعُمون أنه إسحاقُ ؛ لأن إسحاقَ أبوهم . وقد ذكرنا هذه المسألةَ مستقصَاةً بأدلَّتِها وآثارِها فى كتابِنا « التفسيرِ »[1] . وللهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) التفسير ٧/٢٧ - ٣٠ .

ذكرُ مولدِ إسحاقَ عليه الصلاةُ والسلامُ

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٢ ، ١١٣] . وقد كانت البشارةُ به من الملائكةِ لإبراهيمَ وسارَّةَ ، لَمّا مرُّوا عليهم مُجتازِين ذاهِبين إلى مدائِنِ قومِ لُوطٍ ليدمِّروا عليهم ؛ لكُفْرِهم وفجورِهم ، [١/٩٨ظ] كما سيأتى بيانُه فى موضعِه إن شاء اللهُ تعالى . قال اللهُ تعالى[2] : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٦٩ - ٧٣] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥١ - ٥٦] . وقال تعالى[4] : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ

---

(١) التفسير ٧/٣٠ ، ٣١ .

(٢) التفسير ٤/٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٣) التفسير ٤/٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٤) التفسير ٧/٣٩٧ ، ٣٩٨ .

حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٤ - ٣٠] . يذكرُ تعالى أن الملائكةَ - قالوا : وكانوا ثلاثةً ؛ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ - لمّا ورَدوا على الخليلِ حَسِبهم أولًا[1] أضيافًا ، فعامَلهم معاملةَ الضيوفِ ؛ شوَى لهم عِجْلًا سمينًا من خيارِ بَقَرِه ، فلما قرَّبه إليهم وعرَض عليهم ، لم يَرَ لهم هِمَّةً إلى الأكلِ بالكليةِ ؛ وذلك لأن الملائكةَ ليس فيهم قوةُ الحاجةِ إلى الطعامِ ، فنَكِرَ منهم أَمْرَهم ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خيفةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ أى ؛ لندمِّرَ عليهم . فاستَبشَرت عندَ ذلك سارَّةُ غضبًا للهِ عليهم ، وكانت قائمةً على رءُوسِ الأضيافِ ، كما جرَت به عادةُ الناسِ من العربِ وغيرِهم ، فلمّا ضَحِكَت استبشارًا بذلك ، قال اللهُ تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ أى ؛ بشَّرَتْها الملائكةُ بذلك ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ ﴾ أى فى صَرْخةٍ ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ أى كما يَفعلُ النِّساءُ عند التعجُّبِ ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ أى كيف يَلِدُ مثلى وأنا كبيرةٌ وعقيمٌ أيضًا . ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِى ﴾ أى زوجى ﴿ شَيْخًا ﴾ تعجَّبت مِن وجودِ ولَدٍ والحالةُ هذه ؛ ولهذا قالت : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾. وكذلك تعجَّب إبراهيمُ ، عليه السلامُ ، استبشارًا بهذه البِشارةِ ، وتثبيتًا لها ، [١/٩٩و] وفرحًا بها ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) سقط من : م ، ص .

فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴾ . أكَّدوا الخبرَ بهذه البِشارةِ ، وقرَّروه معه ، فبشَّروهما ﴿ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ وهو إسحاقُ ، وأخوه إسماعيلُ غلامٌ حليمٌ ، مناسِبٌ لمَقامِه وصبرِه ، وهكذا وصَفه ربُّه بصدقِ الوعدِ والصَّبرِ . وقال فى الآيةِ الأُخْرَى : ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ . وهذا مما استدَلَّ به محمدُ ابنُ كعبٍ القُرَظىُّ وغيرُه على أن الذبيحَ هو إسماعيلُ ، وأن إسحاقَ لا يجوزُ أن يُؤمَرَ بذبحِه ، بعدَ أن وقَعَت البشارةُ بوجودِه ووجودِ ولدِه يعقوبَ المشتَقِّ مِن العَقِبِ مِن بعدِه .

وعندَ أهلِ الكتابِ[1] أنه أحضَر مع العجلِ الحَنِيذِ - وهو المَشْوِىُّ - رغيفًا مِن مَلَّةٍ[2] فيه ثلاثةُ أكيالٍ وسمنٌ ولبنٌ . وعندَهم أنهم أكَلوا . وهذا غَلَطٌ مَحْضٌ . وقِيل : كانوا يُورُون[3] أنهم يأكلون ، والطعامُ يتلاشَى فى الهواءِ . وعندَهم أن اللهَ تعالى قال لإبراهيمَ : أمَّا سارَّةُ امرأتُك فلا يُدْعَى اسمُها سارا ، ولكنِ اسمُها سارَّةُ ، وأبارِكُ عليها ، وأعطيك منها ابنًا وأُبارِكُه ، ويكونُ للشُّعوبِ[4] وملوكُ الشُّعوبِ منه . فخرَّ إبراهيمُ على وجهِه - يعنى ساجدًا - وضحِك قائلًا فى نفسِه : أبَعْدَ مائةِ سنةٍ يُولَدُ لى غلامٌ ، أو سارَّةُ تَلِدُ وقد أتَت عليها[5] تسعون سنةً ؟ وقال إبراهيمُ للهِ تعالى : ليت إسماعيلَ يعيشُ قُدَّامَك ! فقال اللهُ لإبراهيمَ : بحَقِّى ، إن امرأتَك سارةَ تَلدُ لك غلامًا

---

(١) سفر التكوين الأصحاح ٦/١٨ وما بعده .

(٢) فى م ، ص : « مكة » . والملة هى التراب الحار أو الرماد أو الجمر يخبز عليه ويطبخ عليه .

(٣) فى م : « يودون » ، وفى ا : « يرون » .

(٤) فى م : « الشعوب » .

(٥) فى ص : « عليه » .

وتدعُو اسمَه إسحاقَ إلى مثلِ هذا الحينِ مِن قابِلٍ ، وأُواثِقُه[1] ميثاق إلى الدهرِ ، ولِخَلَفِه من بعدِه ، وقد استجبتُ لك فى إسماعيلَ ، وباركتُ عليه وكبَّرتُه[2] ، ونَمَّيتُه جَدًّا كبيرًا ، ويُولَدُ له اثنا عشَرَ عظيمًا ، وأَجعلُه رئيسًا لشعبٍ عظيمٍ . وقد تكلمنا على هذا بما تقدم . واللهُ أعلمُ .

فقولُه تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ دليلٌ على أنها تَستمتِعُ[3] بوجودِ ولدِها إسحاقَ ، ثم مِن بعدِه يولَدُ ولدُه يعقوبُ ؛ أى يولَدُ فى حياتِهما ، لتَقَرَّ أعينُهما به ، كما قرَّت بوالدِه[4] . ولو لم يَرِدْ هذا ، لم يكنْ لذِكْرِ يعقوبَ وتخصيصِ التنصيصِ عليه مِن دونِ سائرِ نسلِ إسحاقَ فائدةٌ ، ولمَّا عُيِّن بالذِّكرِ ، دلَّ على أنَّهما يتمتعان به ويُسَرَّان بمَولدِه[5] ، كما سُرَّا بمولدِ أبيه مِن قبلِه . وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام : ٨٤] . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [مريم : ٤٩] . وهذا إن شاء اللهُ ظاهرٌ قوىٌّ ، ويؤيدُه ما ثبَت فى « الصحيحين »[6] من حديثِ سليمانَ بنِ مِهْرَانَ الأعمشِ ، عن إبراهيمَ بنِ يزيدَ التَّيْمِىِّ ، عن أبيه ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، [١/٩٩ظ] أىُّ مسجدٍ وُضِعَ أوَّلَ ؟ قال : « المسجدُ الحرامُ » . قلت : ثم أىٌّ ؟ قال : « المسجدُ الأقْصَى » . قلت : كم بينَهما ؟ . قال :

---

(١) فى م ، ص : « وأوثقه » .

(٢) فى ص : « كثرته » .

(٣) فى ص : « ستمتع » .

(٤) فى م ، ص : « بولده » .

(٥) فى م : « بولده » ، وفى ا : « به » .

(٦) البخارى (٣٣٦٦) ، مسلم (٥٢٠) .

« أربعون سنةً » . قلت : ثم أيٌّ ؟ . قال : « ثم حيثُ أدركْتَ الصلاةَ فصلِّ ، فكلُّها مَسْجِدٌ » . وعندَ أهلِ الكتابِ أن يعقوبَ ، عليه السلامُ ، هو الذى أسَّس المسجدَ الأقْصَى ، وهو مسجدُ إيلِيَا ، (١وهو مسجدُ١) بيتِ المقدسِ ، شرَّفه اللهُ . وهذا مُتَّجِهٌ ، ويشهدُ له ما ذكرناه من الحديثِ .

فعلَى هذا يكونُ بناءُ يعقوبَ - وهو إسرائيلُ عليه السلامُ - بعدَ بناءِ الخليلِ وابنِه إسماعيلَ المسجدَ الحرامَ بأربعين سنةً سواءً ، وقد كان بناؤُهما ذلك بعدَ وجودِ إسحاقَ ؛ لأن إبراهيمَ عليه السلامُ لما دعا قال فى دعائِه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ * رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ * رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ - ٤١] .

وما جاء فى الحديثِ[٢] من أن سليمانَ بنَ داودَ عليهما السلامُ لَمَّا بَنَى بيتَ المقدسِ سأل اللهَ خِلالًا ثلاثًا ، كما ذكرناه عندَ قولِه[٣] : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) رواه النسائى (٦٩٢) وابن ماجه (١٤٠٨) . وانظر (صحيح ابن ماجه ١١٠٦) .

(٣) التفسير ٦٣/٧ .

وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] . وكما سنورِدُه فى قصتِه . فالمرادُ مِن ذلك ، واللهُ أعلمُ ، أنَّه جدَّد بناءَه ، لِمَا تقدم من أن بينَهما أربعين سنةً ، ولم يقُلْ أحدٌ : إن بينَ سليمانَ وإبراهيمَ أربعينَ سنةً سوى ابنِ حِبَّانَ فى « تقاسيمِه وأنواعِه »[1] ، وهذا القولُ لم يُوافَقْ عليه ولا سُبِقَ إليه ، واللهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ[2] .

---

(١) الإحسان (٦٢٢٨) .

(٢) انظر أعلام المساجد للزركشى ص ٢٩ ، ٣٠ . وزاد المعاد ٤٩/١ ، ٥٠ .

ذكرُ بناءِ البيتِ العتيقِ

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ * وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٦ ، ٢٧] .

وقال تعالى[2] : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَإِذِ [١/١٠٠و] ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٤ - ١٢٩] . يذكرُ

---

(١) التفسير ٤٠٩/٥ ، ٤١٠ .

(٢) التفسير ٦٣/٢ - ٧٠ .

(٣) التفسير ٢٣٧/١ - ٢٦٩ .

تعالى عن عبدِه ورسولِه وصَفِيِّه وخليلِه ، إمامِ الحُنَفاءِ ووالدِ الأنبياءِ إبراهيمَ ، عليه أفضلُ صلاةٍ وتسليمٍ ، أنه بنَى البيتَ العتيقَ الذى هو أولُ مسجدٍ وُضِع لعمومِ الناسِ يعبدون اللهَ فيه ، وبوَّأه اللهُ مكانَه ، أى أرشَدَه إليه ودلَّه عليه . وقد رُوِّينا عن أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالِبٍ ، وغيرِه ، أنه أُرْشِد إليه بوحْىٍ مِن اللهِ عز وجل[1] . وقد قدمنا فى صفةِ خلقِ السَّمٰواتِ أنَّ الكعبةَ بحِيالِ البيتِ المعمورِ ، بحيث إنَّه لو سقَط لسقَط عليها[2] . وكذلك معابِدُ السَّمٰواتِ السبعِ ، كما قال بعضُ السلفِ : إن فى كلِّ سماءٍ بيتًا يَعبُدُ اللهَ فيه أهلُ كلِّ سماءٍ ، وهو فيها كالكعبةِ لأهلِ الأرضِ . فأمرَ اللهُ تعالى إبراهيمَ عليه السلامُ أن يَبْنِىَ له بيتًا ، يكونُ لأهلِ الأرضِ كتلك المعابدِ لملائكةِ السَّمٰواتِ ، وأرشَده اللهُ إلى مكانِ البيتِ المهيَّإِ له ، المعيَّنِ لذلك منذ خلَق السَّمٰواتِ والأرضَ . كما ثبَت فى « الصَّحيحين »[3] : « إن هذا البلَدَ حرَّمه اللهُ يومَ خلَق السَّمٰواتِ والأرضَ ، فهو حَرامٌ بحُرْمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ » . ولم يجئْ فى خبرٍ صحيحٍ عن معصومٍ أن البيتَ كان مبنيًّا قبلَ الخليلِ عليه السلامُ ، ومَن تَمسَّك فى هذا بقولِه : ﴿ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ فليس بناهِضٍ ولا ظاهِرٍ ؛ لأن المرادَ مكانُه المقدَّرُ فى علمِ اللهِ ، [4]المقدَّرُ فى قدرِه[4] ، المعظَّمُ عندَ الأنبياءِ موضِعُه ، مِن لَدُنْ آدمَ إلى زمانِ إبراهيمَ .

وقد ذكَرنا أن آدمَ نصَب عليه قُبَّةً ، وأن الملائكةَ قالوا له : قد طُفْنا قبْلَك بهذا البيتِ . وأن السفينةَ طافت به أربعين يومًا ، أو نحوَ ذلك . [١/١٠٠ظ]

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٢٥١ .

(٢) فى الأصل : « عليه » . وتقدم فى صفحة ٩٣ ، ٩٤ فى باب ذكر خلق الملائكة ، وليس كما ذكر المصنف فى باب صفة خلق السمٰوات .

(٣) البخارى (١٥٨٧) ، مسلم (١٣٥٣) واللفظ لمسلم .

(٤ - ٤) فى م : « المقرر فى قدرته » .

ولكنْ كلُّ هذه أخبارٌ عن بنى إسرائيلَ ، وقد قرَّرنا أنها لا تُصدَّقُ ولا تُكذَّبُ ، فلا يُحتَجُّ بها ، فأمَّا إنْ ردَّها الحقُّ ، فهى مردودةٌ . وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، أى ؛ أولُ بيتٍ وُضِع لعمومِ الناسِ للبركةِ والهدَى ، البيتُ الذى ببكَّةَ . قِيل : مكةُ . وقِيل : مَحَلَّةُ الكعبةِ ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ ﴾ أى على أنه بناءُ الخليلِ والدِ الأنبياءِ مِن بعدِه وإمامِ الحنفاءِ مِن ولدِه ، الذين يقتدون به ويتمسكون بسنَنِه ؛ ولهذا قال : ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أى ؛ الحَجرُ الذى كان يقفُ عليه قائمًا لَمَّا ارتفَع البناءُ عن قامتِه ، فوضَع له ولدُه هذا الحَجَرَ المشهورَ ليرتفعَ عليه لَمَّا تعالَى البناءُ وعَظُمَ الفِناءُ ، كما تقدّم فى حديثِ ابنِ عباسٍ الطويلِ[1] . وقد كان هذا الحَجَرُ مُلْصَقًا بحائطِ الكعبةِ على ما كان عليه مِن قديمِ الزمانِ إلى أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللهُ عنه ، فأخَّرَه عن البيتِ قليلًا ؛ لِئَلَّا يَشْغَلَ المُصلُّون عندَه الطَّائفين بالبيتِ ، واتَّبع عمرُ بنُ الخطابِ رضى اللهُ عنه فى هذا ، فإنه قد وافقَه ربُّه فى أشياءَ ؛ منها فى قولِه لرسولِه ﷺ : لو اتخذْنا مِن مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى . فأنزَل اللهُ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى ﴾[2] . وقد كانت آثارُ قَدَمَىِ الخليلِ باقيةً فى الصخرةِ إلى أولِ الإسلامِ . وقد قال أبو طالبٍ فى قَصيدتِه اللاميَّةِ المشهورةِ[3] :

وثَوْرٍ ومَن أرسَى ثَبيرًا مكانَه ... وراقٍ لِيَرْقَى فى حِراءَ ونازِلِ
وبالبيتِ حقِّ البيتِ مِن بطنِ مكَّةَ ... وباللهِ إنَّ اللهَ ليس بغافِلِ
وبالحجَرِ المُسْوَدِّ إذ يَمْسحُونه ... إذا اكتَنَفوه بالضُّحَى والأَصَائِلِ
ومَوْطِئُ إبراهيمَ فى الصَّخْرِ رَطْبةٌ ... على قَدَميْهِ حافيًا غيرَ ناعِلِ

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٥٧ وما بعدها .

(٢) البخارى (٤٤٨٣) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢٧٢ - ٢٨٠ . والروض الأنف ٣/٦٣ - ٦٩ .

يعنى أن رِجْلَه الكريمةَ غاصَت فى الصخرةِ ، فصارت على قدرِ قدمِه ، حافيةً لا مُنْتَعِلةً ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ أى فى حالِ قولِهما : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فهما فى غايةِ الإخلاصِ والطاعةِ للهِ عز وجل ، وهما يسألان مِن اللهِ السميعِ العليمِ أن يتقبَّلَ منهما ما هما فيه من الطاعةِ العظيمةِ والسَّعْىِ المشكورِ ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

والمقصودُ أن الخليلَ بنَى أشرفَ المساجدِ فى [١٠١/١و] أفضلِ البِقاعِ ، فى وادٍ غيرِ ذى زرعٍ ، ودعَا لأهلِها بالبركةِ وأن يُرزَقوا من الثمراتِ ، مع قلةِ المياهِ وعدمِ الأشجارِ والزروعِ والثمارِ ، وأنْ يجعَلَه حَرَمًا محرَّمًا وأمْنًا محتَّمًا ، فاستجاب اللهُ – وله الحمدُ – له مسألتَه ، ولبَّى دعوتَه ، وآتاه طِلْبَتَه ؛ فقال تعالى[1] : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] . وقال تعالى[2] : ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص : ٥٧] . وسأل اللهَ أن يَبعَثَ فيهم رسولًا منهم ؛ أى مِن جِنْسِهم ، وعلى لغتِهم الفصيحةِ البليغةِ النَّصيحةِ ؛ لتتمَّ عليهم النِّعمتان ؛ الدنيويةُ والدينيةُ ، بسعادةِ الأُولَى والآخرةِ . وقد استجاب اللهُ له ، فبعَث فيهم رسولًا ، وأىَّ رسولٍ ، ختَم به أنبياءَه ورسلَه ، وأكمَل له من الدينِ ما لم يؤْتِ أحدًا قبلَه ، وعمَّ بدعوتِه أهلَ الأرضِ على اختلافِ أجناسِهم ولغاتِهم وصفاتِهم ، فى سائرِ الأقطارِ والأمصارِ والأعصارِ إلى يومِ القيامةِ . وكان هذا من خصائِصِه من بينِ سائرِ الأنبياءِ ؛ لشَرَفِه فى نفسِه ،

---

(١) التفسير ٣٠٢/٦ .

(٢) التفسير ٢٥٥/٦ – ٢٥٧ .

وكمالِ ما أُرْسِل به ، وشَرَفِ بقعتِه ، وفصاحةِ لغتِه ، وكمالِ شَفَقَتِه على أُمتِه ، ولطفِه ورحمتِه ، وكريمِ مَحْتِدِه[1] ، وعظيمِ مولدِه ، وطِيبِ مصدرِه ومَوْردِه . ولهذا استحَق إبراهيمُ الخليلُ عليه السلامُ - إذ كان بانىَ كعبةِ أهلِ الأرضِ - أن يكونَ مَنْصِبُه ومَحَلُّه وموضِعُه فى منازلِ السمٰواتِ ورفيعِ الدرجاتِ عندَ البيتِ المعمورِ ، الذى هو كعبةُ أهلِ السماءِ السابعةِ ، المبارَكِ المبرورِ ، الذى يدخلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفًا مِن الملائكةِ يتعبَّدُون فيه ، ثم لا يعودون إليْه إلى يومِ البعثِ والنُّشورِ . وقد ذكرنا فى « التفسيرِ »[2] فى سورةِ « البقرة » صفةَ بِنائِه للبيتِ ، وما ورَد فى ذلك من الأخبارِ والآثارِ بما فيه كفايةٌ ، فَمَن أراده فلْيُراجِعْه ثَمَّ . ولله الحمدُ .

فمِن ذلك ما قال السُّدِّىُّ[3] : لَمّا أمَر اللهُ إبراهيمَ وإسماعيلَ أنْ يَبْنِيا البيتَ ، لم يَدْرِيا أينَ مكانُه ، حتى بعَث اللهُ ريحًا يقالُ لها : الخَجُوجُ . لها جَناحانِ ورأسٌ ، فى صورةِ حيَّةٍ ، فكَنَسَتْ[4] لهما ما حولَ الكعبةِ عن أساسِ البيتِ الأولِ ، وأتْبعَاها بالمعاوِلِ يَحْفُران ، حتى وضَعا الأساسَ ، وذلك حيثُ[5] يقولُ تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الحج : ٢٦] . فلما بلَغا القواعدَ ، بنيا الرُّكْنَ ، قال إبراهيمُ لإسماعيلَ : يا بُنَىَّ ، اطلُبْ لى [6]حجَرًا حسنًا أضعْه ههنا . قال : يَا أبت ، إنى كسلانُ تعِبٌ . قال : علىَّ ذلك . فانطَلق وجاءه جبريلُ[6] بالحجَرِ الأسودِ [١/١٠١ظ] من الهندِ ، وكان

---

(١) محتده : أصله وطبعه .

(٢) التفسير ١/٢٤٧ وما بعدها .

(٣) تاريخ الطبرى ١/٢٥٢ .

(٤) فى ص : « فكشفت » .

(٥) فى ح ، م ، ص : « حين » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

ياقوتَةً بيضاءَ مثلَ الثَّغَامةِ[1] ، وكان آدمُ هبَط به من الجنةِ ، فاسودَّ مِن خطايا الناسِ[2] ، فجاءه إسماعيلُ بحَجَرٍ ، فوجَده عندَ الرُّكْنِ ، فقال : يا أبت ، مَن جاءك بهذا ؟ قال : جاء به مَن هو أنشَطُ منك . فبَنَيا وهما يدعُوَان اللهَ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

وذكَر ابنُ أبى حاتِمٍ[3] أنه بنَاه مِن خمسةِ أجْبُلٍ ، وأن ذا القَرْنَيْن - وكان مَلِكَ الأرضِ إذ ذاك - مرَّ بهما وهما يَبْنِيانه ، فقال : مَن أمرَكُما بهذا ؟ فقال إبراهيمُ : اللهُ أمَرَنا به . فقال : وما يُدْرِينى بما تقولُ ؟ فشَهِدَت خمسةُ أَكْبُشٍ أنه أمَرَه بذلك ، فآمَنَ وصدَّقَ . وذكَر الأَزْرَقىُّ[4] أنَّه طاف مع الخليلِ بالبيتِ .

وقد كانت على بناءِ الخليلِ مدةً طويلةً ، ثم بعدَ ذلك بنَتْها قريشٌ ، فقَصُرت بها عن قواعدِ إبراهيمَ من جهةِ الشَّمالِ ، ممّا يلِى الشامَ[5] ، على ما هى عليه اليومَ . وفى « الصحيحين »[6] مِن حديثِ مالكٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمٍ ، أن عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ أبى بكرٍ أَخْبَرَ ابنَ عُمَرَ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « ألم تَرَىْ أن قومَكِ لمَّا بَنَوُا الكعبةَ اقتصَروا عن قواعِدِ إبراهيمَ ؟ ». فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، ألا تَرُدُّها على قواعدِ إبراهيمَ ؟ فقال :

---

(١) فى م : « النعامة » . والثغامة شجرة بيضاء الثمر والزهر وإذا يبست اشتد بياضها .

(٢) أخرج الترمذى (٨٧٧) مرفوعا : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بنى آدم » . وقال : حسن صحيح . (صحيح الترمذى ٦٩٥) .

(٣) تفسير ابن أبى حاتم ٣٨٠/١ . إسناده ضعيف ومتنه منكر .

(٤) أخبار مكة ٣٩/١ .

(٥) فى الأصل : « الشمال » .

(٦) البخارى (١٥٨٣) ، مسلم (١٣٣٣) .

« لولا حِدْثانُ قومِكِ – وفى روايةٍ[1] : لولا أَنَّ قومَكِ حديثو[2] عهدٍ بجاهليةٍ . أو قال : بكُفْرٍ – لأَنفقْتُ كَنْزَ الكعبةِ فى سبيلِ اللهِ ، ولجعَلْتُ بابَها بالأرضِ ، ولأدْخَلْتُ فيها الحِجْرَ » . وقد بناها ابنُ الزُّبَيْرِ رحمه اللهُ فى أيامِه [3]على ما أشار إليه رسولُ اللهِ ﷺ[3] حَسْبَما أخبرَتْه خالتُه عائشةُ أُمُّ المؤمنين عنه ، فلما قتَلَه الحجَّاجُ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين ، كتَب إلى عبدِ الملِكِ بنِ مَرْوانَ ، الخليفةِ إذ ذاك ، فاعتَقَدوا أن ابنَ الزُّبَيْرِ إنَّما صنَع ذلك مِن تِلْقاءِ نفسِه ، فأمرَ بردِّها إلى ما كانت عليه ، فنَقَضُوا الحائِطَ الشَّامىَّ ، وأخرجوا منْها الحِجْرَ ، ثم سَدُّوا الحائطَ ، ورَدَمُوا الأحجارَ فى جوفِ الكعبةِ ، فارتفَع بابُها الشَّرقىُّ ، وسدُّوا الغربىَّ بالكُلِّيةِ ، كما هو مشاهَدٌ اليومَ ، ثم لمَّا بلَغهم أَنَّ ابنَ الزُّبَيْرِ إنما فعَل هذا لَمَّا أخبرَتْه عائشةُ أُمُّ المؤمنين ، ندِمُوا على ما فعَلوا ، وتأسَّفُوا أنْ لو كانوا ترَكوه وما تولَّى مِن ذلك ، ثم لمَّا كان فى زمَنِ المهدىِّ ابنِ المنصورِ ، استشَار الإمامَ مالكَ بنَ أنسٍ فى ردِّها على الصِّفةِ التى بناها ابنُ الزبيرِ ، فقال له : إنِّى أخشَى أنْ يَتَّخذَها الملوكُ لُعبةً . يعنى كلَّما جاء مَلِكٌ بناها على الصِّفةِ التى يريدُ . فاستَقَرَّ الأمرُ على ما هى عليْه اليومَ .

---

(١) هى إحدى روايات مسلم (١٣٣٣) .

(٢) فى النسخ : « حديث » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٣ – ٣) سقط من : ص .

ذكرُ ثناءِ اللَّهِ ورسولِه الكريمِ، على عبدِ اللَّهِ وخليلِه إبراهيمَ

[١٠٢/١و] قال اللهُ تعالى[١] : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] . لَمَّا وفَّى ما أمَره ربُّه به مِن التكاليفِ العظيمةِ ، جعَله للناسِ إمامًا ، يَقتَدُون به ويأْتَمُّون بهَدْيِه ، وسأَل اللهَ أن تكونَ هذه الإمامةُ متصلةً بسببِه ، وباقيةً فى نَسَبِه ، وخالدةً فى عَقِبِه ، فأُجيبَ إلى ما سأَل ورامَ ، وسُلِّمتْ إليه الإمامةُ بزِمَامٍ ، واسْتُثْنِىَ مِن نَيْلِها الظالمون ، واخْتُصَّ بها مِن ذريتِه العلماءُ العاملون ؛ كما قال : تعالى[٢] : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] . وقال تعالى[٣] : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٤ - ٨٧] . فالضَّميرُ فى قولِه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ عائدٌ على إبراهيمَ ، على المشهورِ ، ولوطٌ وإنْ كان ابنَ أخيه ، إلَّا أنَّه دخَل فى الذريةِ تغليبًا ، وهذا هو الحاملُ للقائلِ الآخَرِ : إن الضميرَ عائدٌ على نوحٍ . كما قدمنا فى قصتِه . واللهُ أعلمُ .

---

(١) التفسير ٢٣٧/١ - ٢٤٢ .

(٢) التفسير ٢٨٢/٦ - ٢٨٥ .

(٣) التفسير ٢٩٠/٣ - ٢٩٢ .

وقال تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الحديد : ٢٦] الآية . فكلُّ كتابٍ أُنْزِلَ من السماءِ على نبيٍّ من الأنبياءِ بعدَ إبراهيمَ الخليلِ فمِن ذريتِه وشِيعَتِه ، وهذه خِلْعَةٌ سَنيَّةٌ لا تُضاهَى ، ومرتبةٌ علِيّةٌ لا تُباهَى ؛ وذلك أنه وُلِد له لصُلْبِه ولدانِ ذَكَرانِ عظيمانِ ، إسماعيلُ من هاجَرَ ، ثم إسحاقُ مِن سارَّةَ ، ووُلِدَ لهذا يعقوبُ ، وهو إسرائيلُ الذى يَنتسبُ إليه سائِرُ أسباطِهم ، فكانت فيهم النبوةُ ، وكَثُرُوا جِدًّا بحيثُ لا يَعلَمُ عددَهم إلا الذى بعَثَهم ، واختَصَّهم بالرِسالةِ والنبوةِ ، حتى خُتِموا بعيسى ابنِ مريمَ مِن بنى إسرائيلَ .

وأمّا إسماعيلُ عليه السلامُ فكانت منه العربُ على اختلافِ قَبائِلِها ، كما سنبيِّنُه فيما بعدُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، ولم يُوجَدْ من سُلالتِه من الأنبياءِ سوى خاتَمِهم على الإطلاقِ وسيِّدِهم ، وفَخْرِ بنى آدمَ فى الدنيا والآخرةِ ؛ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطَّلبِ بنِ هاشمٍ القُرَشِيِّ الهاشمِيِّ المَكِّيِّ ثم المَدَنِيِّ ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ، فلم يُوجَدْ من هذا الفرعِ الشريفِ والغُصنِ المُنِيفِ سِوى هذه الجوهرةِ الباهرةِ ، [١٠٢/١ظ] والدُّرَّةِ الزاهرةِ وواسطةِ العِقْدِ الفاخرةِ ، وهو السيدُ الذى يَفْتَخِرُ به أهلُ الجَمْعِ ، ويَغْبِطُه الأوَّلون والآخِرون يومَ القيامةِ .

وقد ثبَت عنه فى « صحيحِ مسلمٍ »[2] ، كما سنوردُه ، أنه قال : « سأقومُ مَقامًا يَرْغَبُ إلىَّ الخلقُ كلُّهم ، حتى إبراهيمُ ». فمدَح إبراهيمَ أباه مِدْحةً عظيمةً فى هذا السياقِ ، ودلَّ كلامُه على أنه أفضلُ الخلائقِ بعدَه عندَ الخَلَّاقِ فى هذه

---

(١) التفسير ٥٤/٨ .

(٢) مسلم (٨٢٠) .

الحياةِ الدُّنيا ، ويومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ .

وقال البخاريُّ[1] : حدثنا عثمانُ ابنُ أبى شَيْبةَ ، حدثنا جَرِيرٌ ، عن منصورٍ ، عن المنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذُ الحسنَ والحسينَ ، ويقولُ : « إن أباكما كان يُعَوِّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ : أَعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِن كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ ، ومِن كلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ »[2] . ورواه أهلُ « السُّننِ »[3] ، مِن حديثِ منصورٍ ، به .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] . ذكر المفسرون لهذا السؤالِ أسبابًا ، بسطْناها فى « التفسيرِ »[4] وقرَّرْناها بأتمِّ تقريرٍ . والحاصلُ أن اللهَ ، عز وجل ، أجابه إلى ما سأل ، فأمَرَه أن يَعْمِدَ إلى أربعةٍ من الطيورِ ، واختلفوا فى تَعْيِينِها[5] على أقوالٍ ، والمقصودُ حاصِلٌ على كلِّ تقديرٍ ، فأمَرَه أن يُمزِّقَ لُحومَهن وريشَهن ، ويَخْلِطَ ذلك بعضَه فى بعضٍ ، ثم يَقْسِمَه قِسَمًا ، ويَجعلَ على كلِّ جبلٍ منهن جزْءًا ، ففعَل ما أُمِر به ، ثم أُمِر أن يَدْعُوَهن بإذنِ ربِّهن ، فلما دعاهن جعَل كلُّ عضوٍ يطيرُ إلى صاحبِه ، وكلُّ ريشةٍ تأتى إلى أختِها ، حتى اجتَمع بدنُ كلِّ طائرٍ على ما كان عليه ، وهو يَنظرُ إلى قدرةِ الذى يقولُ

---

(١) البخارى (٣٣٧١) .

(٢) الهامَّةُ : كل ذات سمٍّ يقتل . النهاية ٥/٢٧٥ . والعينُ اللامَّةُ : المصيبة بسوء . القاموس (ل م م) .

(٣) أبو داود (٤٧٣٧) ، الترمذى (٢٠٦٠) ، النسائى فى الكبرى (١٠٨٤٤ ، ١٠٨٤٥) ، ابن ماجه (٣٥٢٥) . (صحيح سنن أبى داود ٣٩٦٣) .

(٤) التفسير ١/٤٦٥ - ٤٦٧ .

(٥) فى ص : « تعينها » .

للشيءِ : كنْ . فيكونُ . فأتَيْنَ إليه سَعْيًا ؛ ليكونَ أَبْيَنَ له ، وأوضَحَ لمشاهدتِه مِن أن يأتِينَ طَيَرانًا . ويقالُ : إنه أُمِر أن يأخُذَ رءُوسَهن فى يدِه ، فجعَل كلُّ طائرٍ يأتى فتَلْقَاه رأسُه ، فيتَركَّبُ على جثَّتِه كما كان ، فلا إلهَ إلا اللهُ . وقد كان إبراهيمُ عليه السلامُ يَعْلَمُ قدرةَ اللهِ تعالَى على إحياءِ الموتَى عِلْمًا يقينيًّا لا يَحتَمِلُ النقيضَ ، ولكنْ أحَبَّ أنْ يُشاهِدَ ذلك عَيَانًا ، ويتَرقَّى من علمِ اليقينِ إلى عينِ اليقينِ ، فأجابه اللهُ إلى سؤالِه ، وأعطاه غايةَ مأمولِه .

وقال تعالى[1] : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ [١/١٠٣و] لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٥ - ٦٨] . يُنكِرُ تعالى على أهلِ الكتابِ ، من اليهودِ والنصارَى ، فى دَعْوَى كلٍّ مِن الفريقَين كَوْنَ الخليلِ على مِلَّتِهم وطريقتِهم ، فبرَّأه اللهُ منهم وبيَّن كثْرةَ جهلِهم وقِلَّةَ عقلِهم ، فى قولِه : ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ أى فكيف يكونُ على دينِكم ، وأنتم إنما شُرِع لكم ما شُرِع بعدَه بمُدَدٍ متطاوِلةٍ ؛ ولهذا قال : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ إلى أنْ قال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . فبيَّن أنه كان على دينِ اللهِ الحنيفِ ؛ وهو القَصْدُ إلى الإخلاصِ ، والانحرافُ عَمْدًا عن الباطِلِ إلى الحقِّ الذى هو مخالِفٌ لليهوديةِ والنصرانيةِ والمُشرِكيَّةِ ؛ كما قال تعالى[2] : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ

---

(١) التفسير ٢/٤٧ ، ٤٨ .

(٢) التفسير ١/٢٦٩ - ٢٧٣ .

إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ * قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ * أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٠ - ١٤٠] . فنزَّه اللهُ عزّ وجلّ خليلَه عليه السلامُ عن أن يكونَ يهوديًّا أو نصرانيًّا ، [١/١٠٣ظ] وبيَّن أنه إنما كان حنيفًا مسلمًا ، ولم يكنْ من المشركين ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ يعنى الذين كانوا على مِلَّتِه مِن أتباعِه فى زمانِه ، ومَن تمسَّكَ بدينِه مِن بعدِهم ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ يعنى محمدًا ﷺ فإن اللهَ شرَع له الدِّينَ الحنيفَ الذى شرَعه للخليلِ ، وكمَّله اللهُ تعالى له ،

وأعطاه ما لم يُعْطِ نبيًّا ولا رسولًا قبلَه ؛ كما قال تعالى[1] : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١ - ١٦٣] . وقال تعالى[2] : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢٣] .

وقال البخاريُّ[3] : حدثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، حدثنا هشامٌ ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النَّبيَّ ﷺ لما رأى الصُّوَرَ فى البيتِ لم يدخُلْ حتى أَمَر بها فمُحِيَتْ ، ورأى إبراهيمَ وإسماعيلَ بأيْديهما الأزلامُ ، فقال : « قاتَلَهم اللهُ ، واللهِ إنِ استَقْسَما بالأزلامِ قَطُّ » . لم يخرِجْه مسلمٌ . وفى بعضِ ألفاظِ البخاريِّ : « قاتَلَهم اللهُ ، لقد عَلِموا أنَّ شيخَنا لم يَستَقْسِمْ بها قطُّ »[4] .

فقولُه : ﴿ أُمَّةً ﴾ أى ؛ قدوةً إمامًا مهتديًا ، داعيًا إلى الخيرِ ، يُقْتَدَى به فيه ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ أى ؛ خاشعًا له فى جميعِ حالاتِه وحركاتِه وسَكَناتِه ﴿ حَنِيفًا ﴾ أى ؛ مخلصًا على بصيرةٍ ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ أى ؛ قائمًا بشكرِ ربِّه بجميعِ جوارحِه ؛ مِن قلبِه ولسانِه وأعمالِه

---

(١) التفسير ٣/٣٧٦ - ٣٧٨ .

(٢) التفسير ٤/٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٣) البخارى (٣٣٥٢) .

(٤) البخارى (١٦٠١ ، ٤٢٨٨) وليس فيه لفظ : « شيخنا » .

﴿ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ أى ؛ اختارَه اللهُ لنفسِه ، واصطفاه لرسالتِه ، واتخذَه خليلًا ، وجمَع له بينَ خَيْرَىِ الدنيا والآخرةِ . وقال تعالى[1] : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] . يُرَغِّبُ تعالى فى اتِّباعِ إبراهيمَ عليه السلامُ ؛ لأنَّه كان على الدينِ القويمِ ، والصراطِ المستقيمِ ، وقد قام بجميعِ ما أمرَه به ربُّه ، ومدَحه تعالى بذلك فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] . ولهذا اتخذه اللهُ خليلًا ، والخُلَّةُ : هى غايةُ المحبةِ . كما قال بعضُهم[2] :

قد تخلَّلتَ مسلكَ الرُّوحِ منى ... وبذا سُمِّىَ الخليلُ خليلًا

وهكذا نال هذه المنزلةَ خاتَمُ الأنبياءِ وسيدُ الرسلِ محمدٌ ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ، [١٠٤/١و] كما ثبَت فى « الصحيحين »[3] وغيرِهما مِن حديثِ جُنْدَبٍ البَجَلىِّ ، وعبدِ اللهِ بنِ عمرٍو ، وابنِ مسعودٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « أيها الناسُ ، إن اللهَ اتَّخَذَنى خليلًا ، كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلًا » . وقال أيضًا فى آخرِ خُطبةٍ خَطَبها : « أيها النَّاسُ ، لو كنتُ متَّخِذًا مِن أهلِ الأرضِ خَليلًا ، لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خَليلًا ، ولكنَّ صاحبَكم خليلُ اللهِ » . أخرجاه[4] مِن حديثِ أبى سعيدٍ . وثبَت أيضًا مِن حديثِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، وابنِ عباسٍ ، وابنِ مسعودٍ[5] .

---

(١) التفسير ٣٦٩/٢ - ٣٧٦ .

(٢) نسب هذا البيت إلى النظار الفقعسى . انظر : الدر الفريد لابن أيدمر ٣٠٠/٤ .

(٣) حديث جندب أخرجه مسلم (٥٣٢) . وحديث عبد الله بن عمرو أخرجه ابن ماجه (١٤١) . وحديث ابن مسعود أخرجه مسلم (٢٣٨٣) . وانظر تحفة الأشراف ٤٤٢/٢ ، ٣٧٥/٦ ، ١٢٣/٧ .

(٤) البخارى (٣٦٥٤) ، مسلم (٢٣٨٢) كلاهما من حديث أبى سعيد .

(٥) حديث ابن الزبير أخرجه البخارى (٣٦٥٨) ، وحديث ابن عباس أخرجه البخارى (٣٦٥٦ ، ٣٦٥٧) ، وحديث ابن مسعود أخرجه مسلم (٢٣٨٣) .

وروَى البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] : حدثنا سُليمانُ بنُ حربٍ ، حدثنا شعبةُ ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، قال : إنَّ مُعَاذًا لمَّا قَدِمِ اليَمنَ صلَّى بهم الصبحَ ، فقرَأ : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . فقال رجلٌ مِن القومِ : لقد قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إبراهيمَ . وقال ابنُ مَرْدَوَيْه[2] : حدثنا عبدُ الرَّحيمِ بنُ محمدِ بنِ مسلمٍ ، حدثنا إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ أُسَيدٍ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ يعقوبَ الجُوزْجَانِيُّ[3] بمكَّةَ ، حدثنا عبدُ اللهِ الحَنَفِيُّ ، حدثنا زَمْعَةُ بنُ صالحٍ ، عن سَلَمَةَ بنِ وَهْرَامٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جلَس ناسٌ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ينتظرونه ، فخرَج ، حتى إذا دنا منهم سمِعهم يتذاكَرون ، فسَمِع حديثَهم ، وإذا بعضُهم يقولُ : عَجَبٌ أنَّ اللهَ اتَّخَذَ مِن خَلْقِه خليلًا ، فإبراهيمُ خليلُه . وقال آخَرُ : ماذا بأَعْجَبَ مِن أنَّ اللهَ كلَّم موسى تكليمًا . وقال آخَرُ : فعيسى رُوحُ اللهِ وكلمتُه . وقال آخَرُ : آدَمُ اصطفاه اللهُ . فخَرَج عليهم فسلَّم ، وقال : « قد سمِعتُ كلامَكم ، وعَجَبَكم أنَّ إبراهيمَ خليلُ اللهِ وهو كذلك ، وموسى كليمُه وهو كذلك ، وعيسى رُوحُه وكلمتُه وهو كذلك ، وآدَمُ اصطفاه اللهُ وهو كذلك ، أَلَا وإنِّى حبيبُ اللهِ ولا فَخْرَ ، أَلَا وإنِّى أوَّلُ شافِعٍ ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ ولا فَخْرَ ، وأنا أوَّلُ مَن يُحرِّكُ حَلْقَةَ بابِ الجنَّةِ ، فيفتَحُه اللهُ ، فيُدْخِلُنِيها ومعِى[4] فُقراءُ المؤمنين ، وأنا أَكْرَمُ الأوَّلين والآخِرين يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ » . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وله شواهدُ مِن وجوهٍ أُخَرَ . واللهُ أعلمُ .

---

(١) البخارى (٤٣٤٨) .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣٠ وعزاه لابن مردويه . وأخرجه الترمذى (٣٦١٦) من طريق زمعة بن صالح وقال : غريب . (ضعيف الترمذى ٧٤٢) .

(٣) فى الأصل : « الجوزانى » .

(٤) فى ح : « ويبقى » .

وروى الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[1] ، مِن حديثِ قَتادةَ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أَتُنْكِرون أَنْ تكونَ الخُلَّةُ لإبراهيمَ ، والكلامُ لموسى ، والرُّؤيةُ لمحمدٍ . صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين . وقال ابنُ أبى حاتمٍ[2] : حدثنا أبى ، حدثنا محمودُ بنُ خالدٍ السُّلَمِىُّ ، حدثنا الوليدُ ، عن إسحاقَ بنِ يسارٍ[3] ، قال : لمّا اتَّخَذ اللهُ إبراهيمَ خليلًا ، أُلْقِىَ فى قلبِه الوجَلُ ، حتى إنْ كان خَفَقَانُ قلبِه ليُسْمَعُ مِن بُعْدٍ ، كما يُسْمَعُ خَفَقانُ الطيرِ فى الهواءِ . وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ : كان إبراهيمُ عليه السلامُ يُضِيفُ [١/١٠٤ظ] الناسَ ، فخرَجَ يومًا يَلتَمسُ إنسانًا يُضِيفُه ، فلم يجدْ أحدًا يُضِيفُه ، فرجَع إلى دارِه ، فوجَد فيها رجلًا قائمًا ، فقال : يا عبدَ اللهِ ، ما أدخَلَك دارى بغيرِ إذنى ؟ قال : دخلتُها بأذنِ ربِّها . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مَلَكُ الموتِ ، أُرسَلنى ربى إلى عبدٍ مِن عبادِه أبشِّرُه بأن اللهَ قد اتَّخَذَه خليلًا . قال : من هو ؟ فواللهِ إنْ أخبَرتَنِى به ، ثم كان بأَقصَى البلادِ لآتِيَنَّه ، ثم لا أَبرَحُ له جارًا حتى يُفَرِّقَ بينَنا الموتُ . قال : ذلك العبدُ أنت . قال : أنا ؟ قال : نعم . قال : فبِمَ اتَّخذَنى ربى خليلًا ؟ قال : بأنك تُعطِى الناسَ ولا تسألُهم . رواه ابنُ أبى حاتِمٍ[2] .

وقد ذكَره اللهُ تعالى فى القرآنِ كثيرًا فى غيرِ ما موضِعٍ بالثناءِ عليه والمدحِ له ، فقِيل : إنه مذكورٌ فى خمسةٍ وثلاثين موضعًا[4] ، منها خمسةَ عَشَرَ فى « البقرة » وحدَها . وهو أحدُ أُولِى العزمِ الخمسةِ المنصوصِ على أسمائِهم ،

---

(١) المستدرك ١/٦٥ . وقال : صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٧٦ .

(٣) فى م ، ص : « بشار » .

(٤) ذكر فى تسعة وستين موضعًا على سبيل المدح والذكر ، منهم خمسة عشر موضعا فى سورة البقرة كما فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

تخصيصًا مِن بينِ سائرِ الأنبياءِ فى آيَتَىِ « الأحزاب » و « الشُّورَى » ؛ وهما قولُه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] . وقولُه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] الآية . ثم هو أشرَفُ أُولِى العزمِ بعدَ محمدٍ ﷺ وهو الذى وجدَه عليه الصلاةُ والسلامُ فى السماءِ السابعةِ ، مُسنِدًا ظهرَه بالبيتِ المعمورِ ، الذى يدخلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفًا من الملائكةِ ، ثم لا يعودون إليه آخرَ ما عليهم . وما وقع فى حديثِ شَريكِ بنِ أبى نَمِرٍ[1] عن أَنسٍ ، فى حديثِ الإسراءِ[2] ، من أن إبراهيمَ فى السادسةِ ، وموسى فى السابعةِ فمِمَّا انتُقِد على شَرِيكٍ فى هذا الحديثِ ، والصحيحُ الأولُ . ثم ممّا يدلُّ على أن إبراهيمَ أفضلُ مِن موسى ، الحديثُ الذى قال فيه : « وأخَّرْتُ الثالثةَ ليومٍ يَرْغَبُ إلىَّ الخلقُ كلُّهم ، حتى إبراهيمُ » . رواه مسلمٌ[3] مِن حديثِ أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، رضى اللهُ عنه . وهذا هو المقامُ المحمودُ الذى أخبرَ عنه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه بقولِه : « أنا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ » . ثم ذكَر استشفاعَ الناسِ بآدمَ ، ثم بنوحٍ ، ثم بإبراهيمَ ، ثم موسى ، ثم عيسى ، فكلُّهم يَحِيدُ عنها ، حتى يأتوا محمدًا ﷺ فيقولَ : « أنا لها ، أنا لها » . الحديث[4] .

قال البخارىُّ[5] : حدثنا علىُّ بنُ عبدِ اللهِ ، حدثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، حدثنا

---

(١) فى م ، ص : « نمير » .

(٢) البخارى (٧٥١٧) .

(٣) مسلم (٨٢٠) .

(٤) البخارى (٣٣٤٠) ، مسلم (١٩٤) .

(٥) البخارى (٣٣٥٣) .

عُبَيْدُ اللهِ ، حدثنى سعيدٌ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قيل : يا رسولَ اللهِ ، مَن [١٠٥/١و] أكرمُ الناسِ ؟ قال : « أتْقاهُم » . قالوا : ليس عن هذا نَسألُك . قال : « فيوسُفُ نبىُّ اللهِ ابنُ نبىِّ اللهِ ابنِ نبىِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ » . قالوا : ليس عن هذا نَسألُك . قال : « فعَن معادِنِ العربِ تسألونى ؟ خِيارُهم فى الجاهليَّةِ خيارُهم فى الإسلامِ إذا فَقِهوا » . وهكذا روَاه البخارىُّ فى مواضِعَ أُخَرَ ، ومسلمٌ والنَّسائىُّ مِن طرقٍ[1] ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، عن عُبَيْدِ اللهِ ، وهو ابنُ عُمَرَ العُمَرِىُّ ، به[2] . ثم قال البخارىُّ : قال أبو أسامةَ ومُعْتَمِرٌ : عن عُبَيْدِ اللهِ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ[3] . قلتُ : وقد أسنَده فى موضِعٍ آخَرَ مِن حديثِهما وحديثِ عَبْدَةَ بنِ سليمانَ ، والنَّسائىُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ بِشْرٍ ، أَرْبَعَتُهم عن عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ[4] ، (٥ولم يذكروا أباه٥) .

وقال أحمدُ[6] : حدثنا محمدُ بنُ بِشْرٍ ، حدثنا محمدُ بنُ عَمْرٍو ، حدثنا أبو سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الكريمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ اللهِ » . تفرَّد به أحمدُ . وقال البخارىُّ[7] : حدثنا عَبْدَةُ ، حدثنا عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن ابنِ عُمَرَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ

---

(١) فى م ، ص : « طريق » .
(٢) البخارى (٣٤٩٠) ، مسلم (٢٣٧٨) ، النسائى (١١٢٤٩) .
(٣) البخارى (٣٣٥٣) .
(٤) البخارى (٣٣٧٤ ، ٣٣٨٣ ، ٤٦٨٩) ، النسائى (١١٢٤٩) .
(٥ - ٥) زيادة من : الأصل .
(٦) المسند ٣٣٢/٢ . إسناده صحيح .
(٧) البخارى (٣٣٩٠) .

إسحاقَ بنِ إبراهيمَ » . تفرَّد به مِن طريقِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عُمَرَ ، به .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا يَحْيَى ، عن سفيانَ ، حدثنى مُغِيرَةُ بنُ النُّعْمانِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النَّبىِّ ﷺ : « يُحشَرُ الناسُ حُفاةً عُراةً غُرْلًا ، فأوَّلُ مَن يُكْسَى إبراهيمُ عليه السلامُ » . ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] . فأخرجاه فى « الصَّحيحين »[2] مِن حديثِ سُفيانَ الثَّوْرىِّ وشُعبةَ بنِ الحجَّاجِ ، كلاهما عن مُغيرَةَ بنِ النُّعمانِ النَّخَعِىِّ الكوفىِّ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، به . وهذه الفضيلةُ المُعَيَّنَةُ لا تَقْتَضِى الأفضليةَ بالنسبةِ إلى ما قبْلَها مِمّا ثبَت لصاحبِ المَقامِ المحمودِ ، الذى يَغْبِطُه به الأوَّلون والآخِرون . وأمَّا الحديثُ الآخَرُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا وَكِيعٌ وأبو نُعَيْمٍ ، حدثنا سفيانُ ، هو الثورىُّ ، عن مُخْتَارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنسِ بنِ مالِكٍ ، قال : قال رجلٌ للنبىِّ ﷺ : يا خيرَ البريَّةِ . فقال : « ذاك إبراهيمُ » . فقد رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ الثَّورِىِّ ، وعبدِ اللهِ بنِ إدريسَ ، وعلىِّ بنِ مُسْهِرٍ ، ومحمدِ بنِ فُضَيْلٍ ، أَرْبَعَتُهم عن المختارِ بنِ فُلْفُلٍ . [١/١٠٥ظ] وقال التِّرمِذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . وهذا من بابِ الهَضمِ والتَّواضُعِ مع والدِه الخليلِ عليه السلامُ ، كما قال : « لا تُفَضِّلونى على الأنبياءِ » . وقال : « لا تُفَضِّلونى على موسى ، فإنَّ النَّاسَ يُصْعَقُون يومَ القيامةِ ، فأكونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ ، فأجدُ موسَى

---

(١) المسند ١/٢٢٣ .

(٢) البخارى (٤٦٢٥) ، مسلم (٢٨٦٠) .

(٣) المسند ٣/١٧٨ .

(٤) مسلم (٢٣٦٩) ، الترمذى (٣٣٥٢) .

باطِشًا بقائِمةِ العرْشِ ، فلا أدْرِى أَفاقَ قبلى أم جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ ؟ »[1] . وهذا كلُّه لا يُنافِى ما ثبَت بالتَّواتُرِ عنه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ، من أنَّه سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ . وكذلك حديثُ أُبَىِّ بنِ كعبٍ فى « صحيحِ مسلمٍ »[2] : « وأخَّرتُ الثالثةَ ليومٍ يَرْغَبُ إلىَّ الخلقُ كلُّهم ، حتى إبراهيمُ » . ولمّا كان إبراهيمُ عليه السّلامُ أفضلَ الرسلِ وأُولِى العزمِ بعدَ محمدٍ ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين ، أُمِر المُصلِّى أنْ يقولَ فى تشهُّدِه ما ثَبت فى « الصَّحيحين »[3] ، مِن حديثِ كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ ، وغيرِه ، قال : قُلنا : يا رسولَ اللهِ ، هذا السلامُ عليك قد عرَفناه ، فكيف الصّلاةُ عليك ؟ قال : « قولوا : اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، كما صلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ ، إنك حميدٌ مجيدٌ ، وبارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، كما بارَكتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ ، إنَّك حميدٌ مَجيدٌ » .

وقال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ . قالوا : وفَّى جميعَ ما أُمِر به ، وقام بجميعِ خصالِ الإيمانِ وشُعَبِه ، وكان لا يَشْغَلُه مراعاةُ الأمرِ الجليلِ عن القيامِ بمصلحةِ الأمرِ القليلِ ، ولا يُنْسِيه القيامُ بأعباءِ المصالحِ الكبارِ عن الصغارِ . قال عبدُ الرَّزّاقِ[4] : أنبأنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٢٤] . قال : ابتَلاه اللهُ بالطَّهارةِ ؛ خمسٌ فى الرأسِ ، وخمسٌ فى الجسدِ . فأمَّا التى فى الرَّأسِ ؛ قَصُّ الشَّاربِ ، والمضمضةُ ، والسِّواكُ ، والاستنشاقُ ، وفَرْقُ

---

(١) البخارى (٣٤١٤) ، مسلم (٢٣٧٣) بلفظ : « لا تفضلوا بين أنبياء الله » .

(٢) مسلم (٨٢٠) .

(٣) البخارى (٣٣٧٠) ، مسلم (٤٠٦) .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٥٧ .

الرأسِ . وأمَّا التى فى الجسدِ ؛ تقليمُ الأظفارِ ، وحَلْقُ العانةِ ، والخِتانُ ، ونَتْفُ الإبْطِ ، وغَسْلُ أثَرِ الغائطِ والبولِ بالماءِ . رواه ابنُ أبى حاتِمٍ[1] ، وقال : ورُوِىَ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، ومُجاهدٍ ، والشَّعبىِّ ، والنَّخَعِىِّ ، وأبى صالحٍ ، وأبى الجَلْدِ[2] ، نحوُ ذلك . قلتُ : وفى « الصَّحيحين »[3] عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « الفِطْرةُ خَمْسٌ ؛ الخِتانُ ، والاستحدادُ ، وقصُّ الشاربِ ، وتقليمُ الأظفارِ ، ونَتْفُ الإبْطِ » . وفى « صحيحِ مسلمٍ » وأهلِ « السُّننِ »[4] مِن حديثِ وَكِيعٍ ، عن زكريَّا بنِ أبى زائدةَ ، عن مُصْعَبِ بنِ شَيْبَةَ العَبْدَرِىِّ المكِّىِّ الحَجَبِىِّ ، عن طَلْقِ بنِ حبيبٍ العَنَزِىِّ[5] ، عن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « عشْرٌ مِن الفِطْرَةِ ؛ قَصُّ [١٠٦/١و] الشاربِ ، وإعفاءُ اللحيةِ ، والسِّواكُ ، واستنشاقُ الماءِ ، وقَصُّ الأظفارِ ، وغسلُ البراجِمِ ، ونَتفُ الإبْطِ ، وحَلْقُ العانَةِ ، وانتقاصُ الماءِ » . قال مُصْعَبٌ : ونسيتُ العاشرةَ إلا أن تكونَ المضمضةَ . قال وكيعٌ : « انتقاصُ الماءِ » يعنى الاستنجاءَ . [6]وسيأتى فى ذِكرِ مقدارِ عُمُرِه الكلامُ على الخِتانِ[6] . والمقصودُ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان لا يَشْغَلُه القيامُ بالإخلاصِ للهِ عزّ وجلّ ، وخشوعُ العبادةِ العظيمةِ عن مراعاةِ مصلحةِ بدنِه ، وإعطاءِ كلِّ عضوٍ ما يَستحقُّه من الإصلاحِ والتحسينِ ، وإزالةِ ما

---

(١) تفسير ابن أبى حاتم ٣٥٩/١ .

(٢) فى الأصل : « الخلد » .

(٣) البخارى (٥٨٨٩) ، مسلم (٢٥٧) .

(٤) مسلم (٢٦١) ، أبو داود (٥٣) ، الترمذى (٢٧٥٧) ، النسائى فى المجتبى (٥٠٥٥) وفى الكبرى (٩٢٨٦) ، ابن ماجه (٢٩٣) .

(٥) فى م : « العترى » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

يَشِينُ مِن زيادةِ شَعْرٍ أو ظُفُرٍ ، أو وجودِ قَلَحٍ[1] أو وَسَخٍ ، فهذا من جملةِ قولِه تعالىٰ فى حقِّه ، من المدحِ العظيمِ : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ .

(١) القلح : تغير لون الأسنان بصفرة وخضرة تعلوها .

ذكرُ قصرِه فى الجنةِ

قال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[1] : حدثنا أحمدُ بنُ سِنَانٍ القطَّانُ الواسِطىُّ ومحمدُ بنُ موسى القطَّانُ ، قالا : حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدثنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن أبِى هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : [2]« إن فى الجنةِ قَصْرًا – أحسَبُه قال : مِن لؤلؤةٍ – ليس فيه فَصْمٌ ولا وَهْنٌ ، أعَدَّه اللهُ لخَليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ نُزُلًا » . قال البزّارُ : وحدثنا أحمدُ بنُ جميلٍ[3] المَرْوَزِىُّ ، حدثنا النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، حدثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ[2] بنحوِه . ثم قال : وهذا الحديثُ لا نَعْلَمُ رواه عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ فأسنَدَه إلا يزيدُ ابنُ هارونَ والنَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، وغيرُهما يَرْوِيه موقوفًا . قلتُ : لولا هذه العِلَّةُ لكان على شرطِ « الصحيحِ » ، ولم يُخرِّجوه .

---

(١) كشف الأستار (٢٣٤٦) ورجاله رجال الصحيح . وانظر مجمع الزوائد ٨/٢٠١ .

(٢ – ٢) سقط من : ص .

(٣) فى كشف الأستار : « حميد » .

ذكرُ صفةِ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا يُونسُ وحُجَيْنٌ ، قالا : حدثنا اللَّيْثُ ، عن أبى الزُّبيْرِ ، عن جابرٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ ، أنه قال : « عُرِض علىَّ الأنبياءُ ، فإذا موسى ضَرْبٌ مِن الرِّجالِ كأنَّه مِن رجالِ شَنُوءَةَ ، ورأيتُ عيسى ابنَ مَرْيَمَ ، فإذا أَقْرَبُ مَن رأيتُ به شَبَهًا عُرْوةُ بنُ مسعودٍ ، ورأيتُ إبراهيمَ ، فإذا أَقْرَبُ مَن رأيتُ به شَبَهًا [2]صاحِبُكم - يعنى نَفْسَه ﷺ - ورأيتُ جبريلَ ، عليه السلامُ ، فإذا أقربُ من رأيتُ به شَبَهًا[2] دِحْيةُ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ مِن هذا الوجهِ وبهذا اللفظِ . وقال أحمدُ[3] : حدثنا أَسْوَدُ بنُ عامِرٍ ، حدثنا إسرائيلُ ، عن عثمانَ ، يعنى ابنَ المغيرةِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « رأيتُ عيسى ابنَ مَرْيَمَ وموسى وإبراهيمَ ؛ فأمَّا [١٠٦/١ظ] عِيسى فأَحْمَرُ جَعْدٌ عريضُ الصَّدْرِ ، وأمَّا موسى فآدَمُ جَسِيمٌ » . قالوا له : فإبراهيمُ ؟ قال : « انظُروا إلى صاحِبِكم » . يعنى نفسَه . وقال البخاريُّ[4] : حدثنا بَيَانُ[5] بنُ عَمْرٍو ، حدثنا النَّضْرُ ، أنبأنا ابنُ عَوْنٍ ، عن مُجاهدٍ ، أنَّه سَمِع ابنَ عباسٍ ، وذكروا له الدَّجّالَ ؛ بينَ عَيْنَيْه مكتوبٌ : كافرٌ . أو : ك ف ر . فقال : لم أسمعْه ، ولكنَّه قال ﷺ : « أمَّا إبراهيمُ فانظُروا إلى صاحِبِكم ، وأمَّا موسى فَجَعْدٌ آدَمُ ، على جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ

---

(١) المسند ٣٣٤/٣ (صحيح الجامع ٣٨٩٩) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، ومستدركة من المسند لينتظم السياق .

(٣) المسند ٢٩٦/١ (إسناده صحيح) .

(٤) البخارى (٣٣٥٥) .

(٥) فى م ، ص : « بنان » .

بخُلْبةٍ ، كأنّى أَنْظُرُ إليه انْحدَرَ فى الوادِى » . وهكذا رواه البخارىُّ أيضًا فى كتابِ الحجِّ وفى اللباسِ ، ومسلِمٌ جميعًا عن محمدِ بنِ المثنَّى ، عن ابنِ أبى عدىٍّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عونٍ ، به[1] .

(١) البخارى فى الحج (١٥٥٥) مختصرًا ، وفى اللباس (٥٩١٣) ، مسلم (١٦٦) .

ذكرُ وَفاةِ إبرَاهيمَ الخليلِ عليه السلامُ، وما قيل فى عمُرِه

ذكَر ابنُ جَريرٍ فى « تاريخِه »[1] أن مولدَه كان فى زمنِ النُّمْرودِ بنِ كَنْعَانَ ، وهو - فيما قيلَ - الضَّحاكُ المِلكُ المشهورُ ، الذى يقالُ : إنه مَلَكَ ألفَ سنةٍ ، وكان فى غايةِ الغَشَمِ والظلمِ . وذكَر بعضُهم أنه مِن بنى راسِبٍ[2] ، الذين بُعِث إليهم نوحٌ عليه السلامُ ، وأنَّه كان إذْ ذاك مَلِكَ الدنيا . وذكَروا أنه طلَع نَجْمٌ أخفَى ضَوْءَ الشمسِ والقمرِ ، فهال ذلك أهلَ ذلك الزمانِ ، وفَزِع النُّمْرودُ ، فجَمع الكَهَنةَ والمُنجِّمين وسألهم عن ذلك ، فقالوا : يُولَدُ مولودٌ فى رعيَّتِك ، يكونُ زوالُ مُلكِك على يديه . فأمَر عندَ ذلك بمنعِ الرِّجالِ عن النساءِ ، وأن يُقْتَلَ المولودون مِن ذلك الحينِ ، فكان مولِدُ إبراهيمَ الخليلِ فى ذلك الحينِ ، فحماه اللهُ عزّ وجلّ وصانه من كيدِ الفُجَّارِ ، وشَبَّ شبابًا باهرًا ، وأنْبتَه اللهُ نباتًا حسنًا ، حتى كان من أمرِه ما تقدَّم . وكان مولدُه بالسُّوسِ ، وقِيل : ببابِلَ . وقِيل : بالسَّوادِ مِن ناحيةِ كُوثَى[3] . وتقدم عن ابنِ عباسٍ أنه وُلِد ببَرْزَةَ ، شرقِيَّ دِمَشْقَ . فلما أَهْلَكَ اللهُ نُمْرُودَ على يَدَيْه ، وهاجَر إلى حَرَّانَ ، ثم إلى أرضِ الشَّامِ ، وأقام ببلادِ إيلِيا ، كما ذكرنا ، ووُلِدَ له إسماعيلُ وإسحاقُ ، وماتت سارَّةُ قبلَه ، بقريةِ حَبْرُونَ ، التى فى أرضِ كَنْعَانَ ، ولها مِن العمُرِ مائةٌ وسبعٌ وعشرون سنةً ، فيما ذكَر أهلُ

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٢٣٣ .

(٢) فى الطبرى : « بيوراسب » .

(٣) بضم أوله ، على وزن فُعْلَى : بلدة بالعراق معلومة ، وهى التى ولد بها إبراهيم عليه السلام . معجم ما استعجم (ك و ث) .

الكتابِ[1] ، فحزِن عليها إبراهيمُ عليه السلامُ ورَثَاها ، رحِمَها اللهُ ، واشتَرَى مِن رجلٍ مِن بنى حِيثَ ، يقالُ له : عفرُونُ بنُ صَخْرٍ . مغارةً بأربعِمائةِ مثقالٍ فضةً[2] ، ودفَن فيها سارَّةَ هنالك . قالوا : ثم خَطَبَ إبراهيمُ على ابنِه إسحاقَ ، فزوَّجَه رفقا بنتَ ثبويلَ بنِ ناحورَ بنِ تارِخَ ، وبعَث مولاه فحمَلها مِن بلادِها ، ومعها مُرضِعتُها وجَواريها على الإبلِ . قالوا : ثم تزوَّجَ إبراهيمُ [١٠٧/١و] عليه السّلامُ قَنْطُورَا ، فولدتْ له زمرانَ ويقشانَ ومادانَ ومدينَ وشياقَ وشوحَ . وذكَروا ما وَلَد كلُّ واحدٍ مِن هؤلاء أولادِ قَنْطُورَا .

وقد روَى ابنُ عساكِرَ[3] ، عن غيرِ واحدٍ من السلفِ ، عن أخبارِ أهلِ الكتابِ ، فى صفةِ مجيءِ مَلَكِ الموتِ إلى إبراهيمَ عليه السلامُ أخبارًا كثيرةً ، اللهُ أعلمُ بصحتِها . وقد قيل : إنَّه مات فجأةً ، وكذا داودُ وسليمانُ . والذى ذكَره أهلُ الكتابِ وغيرُهم خلافُ ذلك . قالوا : ثم مَرِض إبراهيمُ عليه السلامُ ، ومات عن مائةٍ وخمسٍ وسبعين[4] سنةً ، ودُفِن فى المغارةِ المذكورةِ عندَ امرأتِه سارَّةَ ، التى فى مزرعةِ عفرونَ الحيثىِّ ، وتولَّى دَفْنَه إسماعيلُ وإسحاقُ ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين .

وقد ورَد ما يدلُّ أنه عاش مائتَىْ سنةٍ ، كما قاله ابنُ الكَلْبىِّ[5] . وقد قال أبو حاتمِ بنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[6] : أنبأنا المفضَّلُ بنُ محمدٍ الجَنَدِىُّ

---

(١) سفر التكوين ، الأصحاح ١/٢٣ ، ٢ .

(٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ٢٥٢/٦ - ٢٥٨ .

(٤) بعده فى ح ، م : « وقيل وتسعين » . وانظر سفر التكوين الأصحاح ٧/٢٥ .

(٥) تاريخ الطبرى ٣١٢/١ .

(٦) الإحسان (٦٢٠٤) صحيح .

بمكَّةَ ، حدثنا عليُّ بنُ زِيادٍ اللَّحْجيُّ[1] ، حدثنا أبو قُرَّةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، [2]عن أبى هُرَيرةَ[2] ، أن النَّبىَّ ﷺ قال : « اختَتَن إبراهيمُ بالقَدُومِ وهو ابنُ عشرين ومائةِ سنةٍ ، وعاش بعدَ ذلك ثمانين سنةً » . [3]وقد رواه الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] مِن طريقِ عكرمةَ ابنِ إبراهيمَ وجعفرِ بنِ عونٍ العَمْرىِّ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ موقوفًا[3] .

ثم قال ابنُ حِبَّانَ[5] : ذِكرُ الخبرِ المُدْحِضِ قولَ مَن زعَم أنَّ رفْعَ هذا الخبرِ وَهْمٌ ، أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ الجنيدِ ببُسْتَ ، حدثنا قُتَيبة بنُ سعيدٍ ، حدثنا ، اللَّيْثُ ، عن ابنِ عَجْلَانَ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « اختَتَن إبراهيمُ حينَ بَلَغَ مائةً وعشرين سنةً ، وعاش بعدَ ذلك ثمانينَ سنةً ، واختَتَن بقَدومٍ » . وقد رواه الحافظُ ابنُ عساكِرَ[6] ، مِن طريقِ يحيى ابنِ سعيدٍ ، عن ابنِ عَجْلَانَ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ : « وقد أَتَتْ عليه ثمانون سنةً » . ثم روَى ابنُ حِبَّانَ[7] عن عبد الرَّزَّاقِ ، أنه قال : القَدومُ اسمُ القريةِ . قلتُ : الذى فى « الصحيحِ » أنه اختَتَن وقد أتتْ عليه ثمانون سنةً . وفى روايةٍ : وهو ابنُ ثمانين سنةً . وليس فيهما تَعَرُّضٌ لِما عاش بعدَ ذلك ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) فى النسخ : « اللخمى » . والتصويب من ابن حبان ، والثقات ٨/٤٧٠ ، والأنساب (ل ح ج) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح .

(٤) تاريخ دمشق ٦/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٥) الإحسان (٦٢٠٥) ، إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٦) تاريخ دمشق ٦/١٩٧ .

(٧) الإحسان ١٤/٨٥ .

وقال محمدُ بنُ إسماعيلَ الحَسَّانىُّ[1] الواسِطىُّ ، راوى[2] تفسيرِ وَكيعٍ عنه ، فيما ذكَره مِن الزياداتِ : حدثنا أبو معاويةَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : كان إبراهيمُ أوَّلَ مَن تَسَرْوَلَ ، وأوَّلَ مَن فَرَقَ ، وأوَّلَ مَن استَحَدَّ ، وأوَّلَ مَن اختَتَن بالقَدومِ ، وهو ابنُ عشرينَ ومائةِ سنةٍ ، وعاش بعدَ ذلك ثمانين سنةً ، وأوَّلَ مَن قَرَى الضَّيْفَ ، وأوَّلَ مَن شابَ . هكذا رواه موقوفًا[3] ، وهو أشبَهُ بالمرفوعِ ، خلافًا لابنِ حِبَّانَ . واللهُ أعلمُ . [4]وقال مالكٌ[5] : عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : كان إبراهيمُ أوَّلَ مَن أضاف الضَّيْفَ ، وأولَ النَّاسِ اختَتَن ، وأولَ النَّاسِ قصَّ شارِبَه ، وأولَ النَّاسِ[6] رأى الشَّيْبَ ، فقال : ياربِّ ما هذا ؟ فقال اللهُ : وَقارٌ . فقال : ياربِّ زِدْنِى وقارًا . وزاد غيرُهما : وأوَّلَ مَن قصَّ شارِبَه ، وأوَّلَ مَن استَحَدَّ ، وأوَّلَ مَن لَبِسَ السَّراويلَ[4] .

فقبْرُه ، وقبرُ ولدِه إسحاقَ ، وقبرُ وَلَدِ ولدِه يعقوبَ ، فى المَرْبَعةِ التى بناها سُليمانُ بنُ داودَ عليه السلامُ ببلدِ حَبْرُونَ ، وهو البلدُ المعروفُ بالخليلِ اليومَ . وهذا مُتَلَقًّى بالتَّواتُرِ ، أمةً بعدَ أمةٍ ، وجيلًا بعدَ جيلٍ ، مِن زمنِ بنى إسرائيلَ وإلى زمانِنا هذا أن قبرَه بالمربعةِ تحقيقًا . فأما تعيينُه منها فليس فيه خبرٌ صحيحٌ عن معصومٍ ، فينبَغِى أنْ تُراعَى تلك المَحَلَّةُ ، وأنْ تُحتَرَمَ احترامَ مثلِها ، وأنْ

---

(١) فى ح : « الحيانى » . والمثبت هو الصواب . انظر تهذيب التهذيب ٥٦/٩ ، ٥٧ .

(٢) فى ح ، م ، ص : « زاد فى » .

(٣) تاريخ دمشق ١٩٩/٦ بنحوه .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) الموطأ ٩٢٢/٢ .

(٦) بعدها فى ص : « لبس السراويل » .

تُبجَّلَ ، وأنْ تُجَلَّ أنْ يُداسَ فى أرجائِها ؛ خشيةَ [١٠٧/١ظ] أن يكونَ قبرُ الخليلِ أو أحدٍ مِن أولادِه الأنبياءِ عليهم السلامُ تحتَها . وروَى[1] ابنُ عساكِرَ[2] بسندِه إلى وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال : وُجِد عندَ قبرِ إبراهيمَ الخليلِ ، على حَجَرٍ ، كتابَةٌ خَلِقَةٌ :

أَلْهَى جَهولًا أمَلُهْ ... يموتُ مَن جا أجَلُهْ
ومَن دنا مِن حَتْفِه ... لم تُغنِ عنه حِيَلُهْ
وكيفَ يبقَى آخِرُهْ[3] ... مَن ماتَ عنه أوَّلُهْ[4]
والمرءُ لا يَصْحَبُهْ ... فى القبرِ إلَّا عملُهْ

---

(١) من هنا إلى آخر أبيات الشعر ليس فى : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ٢٥٨/٦ .

(٣) فى تاريخ دمشق « آخر » .

(٤) فى تاريخ دمشق بعد هذا البيت قال : وزادنى فيه بعض أهل العلم . ثم ذكر البيت الأخير . تاريخ دمشق ٢٥٨/٦ .

ذكرُ أولادِ إبراهيمَ الخليلِ عليه وعليهم أفضلُ الصلاةِ والسلامِ

أَوَّلُ مَن وُلِد له إسماعيلُ ، مِن هاجَرَ القِبطيةِ المصريةِ ، ثم وُلِد له إسحاقُ مِن سارَّةَ بنتِ عمِّ الخليلِ ، ثم تزوَّج بعدَها قَنْطُورَا بنتَ يَقْطُنَ الكنعانيةَ ، فولَدَتْ له ستةً ؛ مدين ، وزمران ، [1]وسرج ، ويقشان ، ونشق[1] ، ولم يُسَمَّ السَّادسُ ، ثم تزوَّج بعدَها حجون بنتَ أمين[2] ، فولدتْ له خمسةً ؛ كيسان ، وسورج[3] ، وأميم ، ولوطان ، ونافس[4] . هكذا ذكَره أبو القاسمِ السُّهَيْليُّ فى كتابِه « التعريفُ والإعلامُ »[5] .

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى ٣١١/١ : « سوح ، يقسان ، أسبق » ، وفى ص : « تمناق » بدلا من : « يقشان » .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « أرهير » . وفى التعريف والإعلام : « أهين » .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « شورخ » . وفى التعريف والإعلام : « سورح » .

(٤) فى التعريف والإعلام : « نافش » .

(٥) ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

ومما وقَع فى حياةِ إبراهيمَ الخليلِ مِـن الأمـورِ العظيمـةِ قصةُ قومِ لوطٍ عليه السلامُ وما حَلَّ بهم مِن النِّـقمةِ العميمةِ

وذلك أن لوطًا ابنُ هارانَ بنِ تارِخَ ، وهو آزَرُ كما تقدّم ، ولوطٌ ابنُ أخى إبراهيمَ الخليلِ ، فإبراهيمُ وهارانُ وناحورُ إخوةٌ ، كما قدَّمنا . ويُقالُ : إن هارانَ هذا هو الذى بنَى حَرَّانَ . وهذا ضعيفٌ ؛ لمُخالفتِه ما بأيدى أهلِ الكتابِ ، واللهُ أعلمُ . وكان لوطٌ قد نزَح عن مَحَلَّةِ عمِّه الخليلِ عليهما السلامُ بأمرِه له وإذنِه ، فنزَل بمدينةِ سَدُومَ ، مِن أرضِ (١غَوْرِ زُغَرَ١) ، وكانت أمُّ تلك(٢) المَحَلَّةِ ، ولها أرضٌ ومُعْمَلاتٌ(٣) وقُرًى مضافَةٌ إليها ، ولها أهلٌ من أفْجرِ الناسِ وأكفرِهم ، وأسوَئِهم طَوِيَّةً وأردئِهم سرِيرةً وسيرةً ، يقطعَون السَّبيلَ ، ويأتون فى نادِيهم المنكرَ ، ولا يَتناهَوْن عن منكرٍ فعَلوه ، لبِئسَ ما كانوا يَفْعَلون . ابتدَعُوا فاحشةً لم يَسبِقْهم إليها أحدٌ مِن بنِى آدمَ ، وهى إتْيانُ الذُّكرانِ من العالمين ، وتَركُ ما خلَق اللهُ من النِّسوانِ لعبادِه الصالحين ، فدعاهم لوطٌ إلى عبادةِ اللهِ تعالى وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن تعاطِى هذه المُحرَّماتِ ، والفواحشِ المنكَراتِ ، والأفاعيلِ المستقبَحاتِ ، فتمادَوْا على ضلالِهم وطُغيانِهم ، واستمرُّوا على فجورِهم وكُفرانِهم ، فأحلَّ اللهُ بهم مِن البأسِ الذى لا يُردُّ ما لم يكنْ فى خَلَدِهم وحسبانِهم ، وجعَلهم مَثُلَةً فى العالمين وعِبرةً يَتَّعِظُ بها

(١ - ١) فى ص : « عزعز » .

(٢) فى ص : « ملك » .

(٣) فى م ، ص : « معتملات » وفى ا : « معاملات » وكلها بمعنى واحد .

الأَلِبَّاءُ مِن العالمين ؛ ولهذا ذكَر اللهُ تعالى قصتَهم فى غيرِ ما موضعٍ مِن كتابِه المُبينِ ، فقال تعالى فى سورةِ « الأعرافِ »[1] : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ [١٠٨/١و] يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٠ - ٨٤] . وقال تعالى فى سورةِ « هود »[2] : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ * يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ * قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ

---

(١) التفسير : ٤٤١/٣ ، ٤٤٢ .

(٢) التفسير : ٢٦٤/٤ - ٢٧٢ .

قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٦٩ - ٨٣] . وقال تعالى فى سورةِ « الحِجْر »(١) : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ * فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ [١/١٠٨ظ] مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ * وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ * وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٥١ - ٧٧] . وقال تعالى فى سورةِ « الشعراءِ »(٢) : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ

---

(١) التفسير : ٤/٤٥٨ - ٤٦٢ .

(٢) التفسير : ٦/١٦٧ .

ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ - ١٧٥] . وقال تعالى فى سورةِ « النمل »[1] : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [النمل : ٥٤ - ٥٨] . وقال تعالى فى سورةِ « العنكبوت »[2] : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ

---

(١) التفسير : ٦/٢٠٩ .

(٢) التفسير : ٦/٢٨٥ .

بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ * إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ * وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢٨ - ٣٥] . وقال تعالى فى سورةِ « الصَّافَّات »[1] : ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَٰهُ [١٠٩/١و] وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٣ - ١٣٨] . وقال تعالى فى « الذاريات »[2] بعدَ قصةِ ضيفِ إبراهيمَ ، وبشارتِهم إياه بغلامٍ عليمٍ : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات : ٣١ - ٣٧] . وقال فى سورةِ « الانشقاق »[3] : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ * نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ * فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٣٣ - ٤٠] .

---

(١) التفسير : ٣٢/٧ .

(٢) التفسير : ٣٩٨/٧ .

(٣) قد أورد المصنف فى أكثر من موضع تسمية سورة القمر بسورة الانشقاق ولعل ذلك أن أولها : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وانظر التفسير ٤٥٥/٧ .

وقد تكلمنا على هذه القِصَصِ فى أماكنِها مِن هذه السُّورِ فى « التفسيرِ » ، وقد ذكَر اللهُ لوطًا وقومَه فى مواضعَ أُخَرَ مِن القرآنِ ، تقدَّم ذكرُها مع قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ . والمقصودُ الآن إيرادُ ما كان مِن أمرِهم ، وما أحَلَّ اللهُ بهم ، مجموعًا مِن الآياتِ والآثارِ ، وباللهِ المستعانُ . وذلك أن لوطًا ، عليه السلامُ ، لمَّا دعاهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن تعاطِى ما ذكَر اللهُ عنهم من الفواحشِ ، فلم يَستجِيبوا له ولم يؤمنوا به ، حتى ولا رجلٌ واحدٌ منهم ، ولم يتركوا ما عنه نُهُوا ، بل استمرُّوا على حالِهم ، ولم يَرْعَوُوا[1] عن غَيِّهم وضلالِهم ، وهمُّوا بإخراجِ رسولِهم مِن بينِ ظَهرانَيْهم ، وما كان حاصِلُ جوابِهم عن خطابِهم ، إذ كانوا لا يَعقِلُون : ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ . فجعلوا غايةَ المدحِ ذَمًّا يَقتضِى الإخراجَ ، وما حَمَلَهم على مقالتِهم هذه إلَّا العنادُ واللَّجاجُ ، فطهَّره اللهُ وأهلَه إلا امرأتَه ، وأخرَجهم منها أَحْسَنَ إخراجٍ ، وترَكَهم فى مَحَلَّتِهم خالدين ، لكنْ بعدَ ما صيَّرها عليهم بَحْرَةً[2] مُنْتِنةً ذاتَ أمواجٍ ، لكنها عليهم فى الحقيقةِ نارٌ تأَجَّجُ ، وحرٌّ يتوهَّجُ ، وماؤُها مِلْحٌ أُجاجٌ ، وما كان هذا جوابَهم إلا لمَّا نهاهم عن الطَّامَّةِ العُظمَى والفاحشةِ الكُبرَى ، التى لم يَسبِقْهم إليها أحدٌ من أهلِ الدنيا ؛ ولهذا صارَوا مَثُلَةً فيها، وعبرةً لمَن عليها ، وكانوا مع ذلك يَقْطَعون الطريقَ ، ويخونون الرفيقَ ، ويأْتُون فى ناديهم – وهو مجتمَعُهم ومَحَلُّ حديثِهم وسَمَرِهم – المنكرَ من الأقوالِ والأفعالِ على اختلافِ أصنافِه ، [١٠٩/١ظ] حتى قِيل : إنهم كانوا يَتَضارَطُون فى مجالسِهم ولا يَستَحْيُون من مُجالِسِهم . وربما وقَع منهم الفَعْلَةُ العظيمةُ فى المحافِلِ ولا

---

(١) فى م : « يرتدعوا » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ا : « بخرة » . وانظر التفسير ٣٩٩/٧ .

يَستنكِفون ، ولا يَرْعَوُون لوَعْظِ واعظٍ ، ولا نصيحةٍ من ناقلٍ[1] ، وكانوا فى ذلك وغيرِه كالأنعامِ بل أضلُّ سبيلًا ، ولم يُقلِعوا عمَّا كانوا عليه فى الحاضرِ ، ولا نَدِموا على ما سلَف مِن الماضى ، ولا رامُوا فى المستقبَلِ تحويلًا ، فأخذَهم اللهُ أخْذًا وَبِيلًا ، وقالوا له فيما قالوا : ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فطلَبوا منه وُقوعَ ما حذَّرهم عنه من العذابِ الأليمِ ، وحُلولِ البأسِ العظيمِ ، فعندَ ذلك دعا عليهم نبيُّهم الكريمُ ، فسأل مِن ربِّ العالمين وإلهِ المرسَلين أن يَنْصُرَه على القومِ المفسدين ، فغار اللهُ لغَيْرَتِه وغَضِب لغَضْبَتِه ، واستجاب لدعوتِه وأجابه إلى طِلْبَتِه ، وبعَث رُسُلَه الكرامَ ومَلائكتَه العظامَ ، فمرُّوا على الخليلِ إبراهيمَ ، وبشَّرُوه بالغلامِ العليمِ ، وأخبروه بما جاؤُوا له مِن الأمرِ الجَسِيمِ ، والخَطْبِ العَمِيمِ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ . وقال : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ . وقال اللهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ . وذلك أنه كان يرجُو أن يُنيبُوا ويُسلِموا ، ويُقلِعوا ويَرجِعُوا ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ * يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ أى ؛ أعرِضْ عن هذا ، وتكلَّمْ فى غيرِه ، فإنَّه قد حُتِمَ أمرُهم [2]ووجَب عذابُهم وتدميرُهم وهلاكُهم . ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أى ؛ قد أَمَر به مَن لا يُرَدُّ أمرُه ، ولا يُردُّ بأسُه ، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[2] .

---

(١) فى م : « عاقل » .

(٢ - ٢) زيادة من : م ، ص .

وذكَر سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[1] ، والسُّدِّيُّ ، وقَتادةُ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ أن إبراهيمَ عليه السلامُ جعَل يقولُ : أتُهلِكون قريةً فيها ثلاثُمائةِ مؤمنٍ ؟ قالوا : لا . قال : فمِائتا مؤمنٍ ؟ قالوا : لا . قال : فأربعون مؤمنًا ؟ قالوا : لا . قال : فأربعةَ عشَرَ مؤمنًا ؟ قالوا : لا . قال ابنُ إسحاقَ : إلى أن قال : أفرأيتم إن كان فيها مؤمنٌ واحدٌ ؟ قالوا : لا . ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا * قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ الآية . وعندَ أهلِ الكتابِ[2] أنه قال : يا ربِّ ، أتُهلِكُهم وفيهم خمسون رجلًا صالحا ؟ فقال اللهُ : لا أُهلِكُهم وفيهم خمسون صالحًا . ثم تنازَلَ إلى عشَرةٍ ، فقال اللهُ : لا أُهلِكُهم وفيهم عشرةٌ صالحون .

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ قال المفسرون : لمَّا فصَلَتِ الملائكةُ [١/١١٠و] مِن عندِ إبراهيمَ ؛ وهم جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ، أقبَلوا حتى أتَوْا أرضَ سَدُومَ ، فى صورةِ شُبَّانٍ حِسانٍ ، اختبارًا مِن اللهِ تعالى لقومِ لوطٍ ، وإقامةً للحُجَّةِ عليهم ، فاستضَافوا لوطًا عليه السلامُ ، وذلك عندَ غروبِ الشمسِ ، فخَشِيَ إنْ لم يُضِفْهم [3]أن يُضِيفَهم[3] غيرُه من القومِ الفاسقين ، وحَسِبهم بَشَرًا من الناسِ و ﴿ سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ، وقَتادةُ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ : شديدٌ بلاؤُه[4] . وذلك لِما يَعلَمُ مِن مُدافعتِه الليلةَ عنهم ، كما كان يصنعُ بغيرِهم معهم ، وكانوا قد اشتَرطوا عليه أن لا يُضِيفَ أحدًا ، ولكن رأى مَنْ لا يُمكِنُ المَحِيدُ عنه . وذكَر

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٩٧/١ ، ٢٩٨ .

(٢) سفر التكوين الأصحاح ٢٣/١٨ - ٣٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تفسير الطبرى ٨٢/١٢ ، ٨٣ .

قَتادةُ[1] أنهم ورَدُوا عليه وهو فى أرضٍ له يَعمَلُ فيها ، فتَضَيَّفُوه ، فاستَحْيَى منهم وانطلَق أمامَهم ، وجعَل يُعرِّضُ لهم فى الكلامِ ، لعلهم يَنصرفون عن هذه القريةِ ويَنزِلون فى غيرِها ، فقال لهم فيما قال : واللهِ يا هؤلاءِ ، ما أَعلَمُ[2] على وجهِ الأرضِ أهلَ بلدٍ أخبَثَ من هؤلاءِ . ثم مشَى قليلًا ، ثم أعاد ذلك عليهم ، حتى كرَّره أربعَ مراتٍ . قال : وكانوا قد أُمِروا أن لا يُهلِكُوهم حتى يَشْهَدَ عليهم نبيُّهم بذلك . وقال السُّدِّىُّ[3] : خرَجت الملائكةُ مِن عندِ إبراهيمَ نحوَ قومِ لوطٍ ، فأَتَوْها نصفَ النهارِ ، فلما بلَغوا نهرَ سَدُومَ ، لَقُوا ابنةَ لوطٍ تَسْتقِى من الماءِ لأهلِها - وكانت له ابنتانِ ؛ اسمُ الكبرَى أريثا ، والصغرَى دَغُوْثا[4] - فقالوا لها : يا جاريةُ ، هل مِن مَنزِلٍ ؟ فقالت لهم : مكانَكم ، لا تدخلوا حتى آتِيَكمْ . فَرِقَت[5] عليهم من قومِها ، فأتت أباها فقالت : يا أَبَتاه ، أرادَك[6] فِتْيانٌ على بابِ المدينةِ ، ما رأيتُ وجوهَ قومٍ قَطُّ[7] هى أحسنَ منهم ، لا يأخذْهم قومُك فيَفْضَحوهم . وقد كان قومُه نَهَوْه أن يُضِيفَ رجلًا ، فجاء بهم ، فلم يَعْلَمْ أحدٌ إلا أهلُ البيتِ ، فخرجَت امرأتُه فأخبرَت قومَها ، فقالت : إنَّ فى بيتِ لوطٍ رجالًا ما رأيتُ مثلَ وجوهِهم قَطُّ . فجاءه قومُه يُهْرَعُون إليه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٩٩/١ .

(٢) بعده فى ح : « أحدًا » .

(٣) تاريخ الطبرى ٢٩٩/١ ، ٣٠٠ .

(٤) فى م : « ذعرتا » ، وفى ا : « زعوقا » ، وفى الطبرى : « رعزيا » .

(٥) فى ا : « خوفا » ، وفى ص : « شفقة » .

(٦) فى ا : « أدرك » .

(٧) فى ص : « لوط » .

وقولُه : ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أى هذا مع ما سلَف لهم مِن الذُّنوبِ العظيمةِ الكبيرةِ الكثيرةِ ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ يُرشِدُهم إلى غِشيانِ نسائِهم ، وهنَّ بناتُه شرعًا ؛ لأنَّ النَّبىَّ للأُمَّةِ بمنزلةِ الوالدِ ، كما ورَد فى الحديثِ[1] ، وكما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] . وَفِى قراءةِ[2] بعضِ الصحابةِ والسلفِ : « وهو أبٌ لهم » . وهذا كقولِه : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦] . وهذا هو الذى نصَّ عليه [١/١١٠ظ] مُجاهدٌ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ ، وقَتادةُ ، والسُّدِّىُّ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، وهو الصَّوابُ[3] . والقولُ الآخَرُ خطأٌ مأخوذٌ من أهلِ الكتابِ ، وقد تَصحَّف عليهم ، كما أخْطَأُوا فى قولِهم : إن الملائكةَ كانوا اثنين ، وإنَّهم تَعَشَّوْا عندَه . وقد خبَّط أهلُ الكتابِ فى هذه القصةِ تخبيطًا عظيمًا[4] .

وقولُه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ نَهْىٌ لهم عن تَعاطِى ما لا يليقُ مِن الفاحشةِ ، وشهادةٌ عليهم بأنه ليس فيهم رجلٌ رشيدٌ له مُسْكَةٌ[5] ، ولا فيه خيرٌ ، بل الجميعُ سفهاءُ ، فجرةٌ أقوياءُ ، كفرةٌ أعتِياءُ[6] . وكان هذا من جُملةِ ما أراد الملائكةُ أن يَسمَعوه منه مِن قبلِ

---

(١) تفسير الطبرى ١٢/٦٤ . أبو داود (٨) بلفظ : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد ... » ، حديث حسن (صحيح أبى داود ٦) .

(٢) فى م : « قول » .

(٣) تفسير الطبرى ١٢/٨٤ ، ٨٥ .

(٤) سفر التكوين الأصحاح ١٩/١ - ٣ .

(٥) المُسْكَةُ : العقلُ . المصباح المنير (م س ك) .

(٦) فى ح ، م : « أغبياء » .

أن يسألوه عنه . فقال قومُه ، عليهم لعنةُ اللهِ الحميدِ المجيدِ ، مُجيبين لنبيِّهم فيما أمَرَهم به مِن الأمرِ السَّديدِ : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ يقولون ، عليهم لعائِنُ اللهِ : لقد عَلِمتَ يا لوطُ أنه لا أَرَبَ لنا فى نسائِنا ، وإنَّك لَتعلَمُ مرادَنا وغرَضَنا . واجَهُوا بهذا الكلامِ القبيحِ رسولَهم الكريمَ ، ولم يخافُوا سَطْوةَ العظيمِ ، ذى العذابِ الأليمِ ؛ ولهذا قال عليه السلامُ : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ودَّ أن لو كان له بهم قوةٌ ، أو له مَنَعةٌ وعشيرةٌ ينصرونه عليهم ؛ ليُحِلَّ بهم ما يستحقونه من العذابِ على هذا الخطابِ . وقد قال الزُّهْرِىُّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، وأبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، مرفوعًا : « نحن أحقُّ بالشَّكِّ مِن إبراهيمَ ، ويَرحَمُ اللهُ لوطًا ، لقد كان يَأْوِى إلى رُكْنٍ شديدٍ ، ولو لَبِثتُ فى السِّجْنِ طُولَ ما لَبِث يوسفُ لأجبتُ الدَّاعىَ »[1] . ورواه أبو الزِّنادِ ، عن الأعرَجِ ، عن أبى هُرَيرةَ[2] . وقال محمدُ بنُ عمرِو بنِ عَلْقَمةَ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « رحمةُ اللهِ على لوطٍ ، لقد كان يَأْوِى إلى رُكْنٍ شديدٍ » . يعنى اللهَ عزَّ وجلَّ . « فما بعَث اللهُ بعدَه مِن نبىٍّ إلَّا فى ثَرْوةٍ مِن قومِه »[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ * وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوٓاْ أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ * قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ . فأمرَهم بقُربانِ نسائِهم ، وحذَّرهم الاستمرارَ على طريقتِهم وسيِّآتِهم ، هذا وهُمْ فى ذلك لا يَنتَهون ولا يَرْعَوُون ،

---

(١) البخارى (٣٣٧٢) ، مسلم (١٥١) .

(٢) البخارى (٣٣٧٥) .

(٣) المسند ٢/٣٣٢ . (إسناده صحيح) .

بل كلما نهاهم يبالغون فى تَحصيلِ هؤلاء الضِّيفانِ ويَحْرِصون[1] ، و لم يَعلَمُوا ما حَمَّ به القَدَرُ[2] ، ممَّا هم إليه صائرون[3] ، وصَبيحةَ ليلتِهم مُنتقلون[4] ؛ ولهذا قال تعالى ، مقسِمًا بحياةِ نبيِّه محمدٍ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ [١١١/١و] فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ . ذكَر المفسرون وغيرُهم أنَّ نبىَّ اللهِ لوطًا ، عليه السلامُ ، جعَل يمانِعُ قومَه الدُّخولَ ويدافِعُهم ، والبابُ مغلَقٌ ، وهم يَرُومون فتحَه ووُلُوجَه ، وهو يَعظِهُم وينْهاهم مِن وراءِ البابِ[5] ، فلما ضاق الأمرُ وعَسِر الحالُ قال [6]ما قال[6] : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ لأحللتُ بكم النَّكَالَ . قالت الملائكةُ : ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ﴾ وذكَروا أن جبريلَ ، عليه السَّلامُ ، خرَج عليهم فضرَب وجوهَهم خَفْقةً بطَرَفِ جَناحِه ، فطمَسَت أعينَهم ، حتى قيل : إنها غارَت بالكليةِ و لم يَبْقَ لها محلٌّ ولا عينٌ ولا أثرٌ . فرجَعوا يتجسَّسون مع الحيطانِ ، ويتوعَّدون رسولَ الرَّحمنِ ، ويقولون : إذا كان الغدُ كان لنا وله شأنٌ . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ . فذلك

---

(١) فى م : « يحرضون » .

(٢) حَمَّ به القدرُ : قضَى وقدَّر . القاموس (ح م م) .

(٣) فى ص : « صاغرون » .

(٤) فى م ، ص : « منقلبون » .

(٥) بعده فى الأصل : « وكلما نهاهم فى إلحاح والعاج » ، وفى ا : « وكلما نهاهم فى التمادى واللجاج » ، وفى ح ، م ، ص : « وكل ما لهم فى الجاج والعاج » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

أن الملائكةَ تقدَّمت إلى لوطٍ ، عليهم السلامُ ، آمِرين له بأَن يَسْرِىَ هو وأهلُه مِن آخرِ الليلِ ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ يعنى عندَ سماعِ صوتِ العذابِ إذا حَلَّ بقومِه . وأمَرُوه أن يكونَ سيرُه فى آخرِهم كالسَّاقةِ لهم . وقولُه : ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ على قراءة النصبِ ، يَحتَملُ أن يكونَ مستثنًى مِن قولِه : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ كأنَّه يقولُ : إلا امرأتَك فلا تَسْرِ بها . ويَحتَملُ أن يكونَ من قولِه : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ أى ؛ فإنها ستلتفتُ فيصيبُها ما أصابهم . ويقوِّى هذا الاحتمالَ قراءةُ الرَّفعِ ، ولكنَّ الأولَ أظهرُ فى المعنى ، واللهُ أعلمُ . قال السُّهَيْلِىُّ : واسمُ امرأةِ لوطٍ والهةُ ، واسمُ امرأةِ نوحٍ والغةُ . وقالوا له ، مبشِّرين له بهلاكِ هؤلاءِ البغاةِ العُتاةِ الملعونين النُّظَراءِ[1] والأشباهِ ، الذين جعلهم اللهُ سلفًا لكلِّ خائنٍ مُريبٍ : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ فلما خرَج لوطٌ عليه السلامُ بأهلِه ، وهم ابنتاه ، ولم يَتْبَعْه منهم رجلٌ واحدٌ . ويقالُ : إن امرأتَه خرجتْ معه ، فاللهُ أعلمُ . فلما خلَصوا من بلادِهم وطلَعت الشمسُ ، فكان عندَ شروقِها ، جاءهم مِن أمرِ اللهِ ما لا يُردُّ ، ومن البأسِ الشديدِ ما لا يُمكِنُ أن يُصَدَّ . وعندَ أهلِ الكتابِ[2] أن الملائكةَ أمَروه أن يَصْعَدَ إلى رأسِ الجبلِ الذى هناك ، فاستَبْعَده ، وسأل منهم أن يذهَبَ إلى قريةٍ قريبةٍ منهم ، فقالوا : اذهَبْ ، فإنَّا ننتَظرُك حتى تصيرَ إليها وتستقرَّ فيها ، ثم نُحِلَّ بهم العذابَ . فذكَروا أنه ذهَب إلى قريةِ صُغَرَ ، التى يقولُ [١/١١١ظ] الناسُ : غَوْرُ زُغَرَ . فلما أشرَقت الشمسُ نزَل بهم العذابُ . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

---

(١) فى ص : « المنظر » .

(٢) سفر التكوين ، الأصحاح ١٩/١٧ - ٢٢ .

قالوا[1] : اقتلَعهنَّ جبريلُ بطَرَفِ جناحِه مِن قرارِهن ، وكنَّ سبعَ مُدُنٍ ، بمَن فيهن مِن الأممِ - يقالُ[2] : إنهم كانوا أربعَمائةِ ألفِ[3] نَسَمةٍ . وقيل : أربعةَ آلافِ ألفِ[3] نَسَمةٍ - وما معهم من الحيواناتِ ، وما يَتْبَعُ تلك المدنَ من الأراضى والأماكنِ والمعتَمَلاتِ ، فرفَع الجميعَ حتى بلَغ بهن عَنانَ السماءِ ، حتى سَمِعَت الملائكةُ أصواتَ دِيَكَتِهم ونُباحَ كلابِهم ، ثم قَلَبها عليهم فجعَل عالِيَها سافِلَها . قال مُجاهدٌ[1] : فكان أولَ ما سقَط منها شُرُفاتُها . ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ والسِّجِّيلُ : فارسيٌّ مُعرَّبٌ ؛ وهو الشَّديدُ الصُّلبُ القوىُّ ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ أى ؛ يَتْبَعُ بعضُها بعضًا فى نزولِها عليهم من السماءِ ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ أى ؛ معلَّمةً ، مكتوبٌ على كلِّ حَجَرٍ اسمُ صاحبِه الذى يَهبِطُ عليه فيدمَغُه ، كما قال ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ . وكما قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [النجم : ٥٣ ، ٥٤] . يعنى قَلَبها فأهوَى بها مُنكَّسةً ؛ عالِيَها سافلَها ، وغشَّاها بمطرٍ من حجارةٍ مِن سِجِّيلٍ متتابعةٍ مسوَّمةٍ[4] ، مرقومٍ ، على كلِّ حَجَرٍ اسمُ صاحبِه الذى سقَط عليه مِن الحاضرين منهم فى بلدِهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحينِ والشَّاذِّين منها . ويُقالُ : إن امرأةَ لوطٍ مكَثَت مع قومِها . ويقالُ : إنها خرجَت مع زوجِها وبنتَيْها ، ولكنَّها لمَّا سَمِعت الصَّيْحةَ وسقوطَ البَلدةِ ، والتَفَتتْ إلى قومِها ، وخالفَتْ أَمْرَ ربِّها قديمًا وحديثًا ،

---

(١) تفسير الطبرى ١٢/٩٧ .

(٢) فى م : « فقالوا » .

(٣) سقط من : م .

(٤) سقط من : ح ، م .

وقالت : واقَوْمَاه . فسقَط عليها حجَرٌ فدَمَغها وألْحقَها بقومِها ؛ إذ كانت على دينِهم ، وكانت عَيْنًا لهم على مَن يكونُ عندَ لوطٍ مِن الضِّيفانِ ، كما قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] . أى ؛ خانتاهما فى الدينِ فلم تَتْبَعَاهما فيه . وليس المرادُ أنهما كانتَا على فاحشةٍ ؛ حاشا وكلَّا ، فإن اللهَ لا يُقَدِّرُ على نبيِّه أنْ تَبْغِيَ امرأتُه ؛ كما قال ابنُ عباسٍ وغيرُه من أئمةِ السلفِ والخلفِ : ما بَغَتِ امرأةُ نبيٍّ قطُّ[1] . ومَنْ قال خلافَ هذا فقد أخطأ خطأً كبيرًا[2] . قال اللهُ تعالى فى قصةِ الإفكِ ، لمَّا أنزَلَ براءةَ أمِّ المؤمنين عائشةَ بنتِ الصِّدِّيقِ ، زوجِ رسولِ اللهِ ﷺ ، [١/١١٢و] حينَ قال لها أهلُ الإفكِ ما قالوا ، فعاتَب اللهُ المؤمنين ، وأنَّب وزجَر ، ووعَظ وحذَّر ، وقال فيما قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥ ، ١٦] . أى ؛ سبحانَك أن تكونَ زوجةُ نبيِّك بهذه المثابةِ .

وقولُه ههنا : ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ . أى ؛ وما هذه العقوبةُ ببعيدةٍ مِمَّن أشْبَهَهم فى فعلِهم . ولهذا ذهَب مَن ذهَب مِن العلماءِ إلى أنَّ اللائِطَ يُرجَمُ ، سواءٌ كان مُحصَنًا أوْ لَا . نصَّ عليه الشافعىُّ وأحمدُ بنُ حنبلٍ ، وطائفةٌ

---

(١) رواه ابن عساكر ١٤/٦٣٦ مخطوط ، عن أشرس الخرسانى مرفوعا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢٤٥ إلى ابن المنذر عن ابن عباس موقوفًا .

(٢) فى ص : « كثيرا » ، وفى ا : « فاحشا » .

كثيرةٌ مِن الأئمةِ . واحتَجُّوا أيضًا بما رواه الإمامُ أحمدُ وأهلُ « السُّننِ »[1] مِن حديثِ عمرِو بنِ أبى عمرٍو ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « مَن وجدتُموه يَعْمَلُ عملَ قومِ لوطٍ فاقتُلُوا الفاعِلَ والمفعولَ به » . وذهَب أبو حنيفةَ إلى أن اللائِطَ يُلْقَى مِن شاهِقٍ ، ويُتْبَعُ بالحجارَةِ ؛ كما فُعِل بقومِ لوطٍ ؛ لقولِه تعالى : ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وجعَل اللهُ مكانَ تلك البلادِ بَحْرَةً[2] مُنتِنةً لا يُنْتفَعُ بمائِها ، ولا بما حولَها من الأراضى المُتاخِمةِ لفنائِها ؛ لرداءتِها ودناءتِها ، فصارت عِبْرةً ومَثُلَةً وعِظةً ، وآيةً على قدرةِ اللهِ تعالى وعظمتِه وعزَّتِه فى انتقامِه ممن خالَف أمرَه وكذَّب رُسُلَه واتَّبَع هواه وعصَى مولاه ، ودليلًا على رحمتِه بعبادِه المؤمنين فى إنجائِه إياهم مِن المُهلِكاتِ ، وإخراجِه إياهم من الظلماتِ إلى النورِ ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ٨ ، ٩] . وقال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٧٣ - ٧٧] أى ؛ مَنْ نظَر بعينِ الفِراسَةِ والتَّوسُّمِ فيهم ، كيف غيَّرَ اللهُ تلك البِلادَ وأهلَها ؟ وكيف جعلها ، بعدما كانت آهِلةً عامرةً هالكةً غامرةً ؟ كما روَى التِّرمذىُّ وغيرُه مرفوعًا[3] : « اتَّقُوا فِراسَةَ المؤمنِ ؛ فإنَّه يَنظُرُ بنورِ اللهِ » . ثم قرَأ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ .

---

(١) المسند ١/٣٠٠ ، الترمذى (١٤٥٦) ، أبو داود (٤٤٦٢) ، ابن ماجه (٢٥٦١) ، (صحيح الترمذى ١١٧٧) .

(٢) فى ا : « بحرة » .

(٣) الترمذى (٣١٢٧) وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . (ضعيف الترمذى ٦٠٧) .

وقولُه : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ . أى ؛ لَبِطريقٍ مَهْيَعٍ مسلوكٍ إلى الآنَ ، كما قال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٣٥] . وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات : ٣٥ - ٣٧] . أى ؛ تركناها عبرةً وعظةً [١/١١٢ظ] لمن خاف عذابَ الآخرةِ ، وخَشِيَ الرحمنَ بالغيبِ ، وخاف مقامَ ربِّه ونهَى النفسَ عن الهوَى ، فانزَجر عن محارمِ اللهِ ، وترَك معاصِيَه ، وخاف أن يُشابِهَ قومَ لوطٍ . و « مَن تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم »[1] . وإن لم يكنْ مِن كلِّ وجهٍ ، فمِن بعضِ الوجوهِ ؛ كما قال بعضُهم :

فإن لم تكونوا قومَ لُوطٍ بعينِهمْ فما قَومُ لُوطٍ مِنْكُمُ ببعيدِ

فالعاقلُ اللبيبُ ، الخائفُ من ربِّه ، الفاهِمُ يمتَثِلُ ما أمرَه اللهُ به عزّ وجلَّ ويَقبَلُ ما أرشَده إليه رسولُ اللهِ ؛ من إتيانِ ما خُلِق له مِن الزوجاتِ الحلالِ ، والجوارِى من السَّرَارِىِّ ذَواتِ الجَمالِ ، وإيّاه أن يَتَّبِعَ كلَّ شيطانٍ مَريدٍ ، فيَحِقَّ عليه الوعيدُ ، ويدخلَ فى قولِه تعالى : ﴿ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] .

---

(١) رواه أحمد ٢/٥٠ ، أبو داود (٤٠٣١) ، حديث حسن صحيح (صحيح أبى داود ٣٤٠١) .

قصةُ مَدْيَنَ قومِ شُعَيْبٍ عليه الصلاةُ والسلامُ

قال اللهُ تعالى فى سورةِ « الأعراف » بعدَ قصةِ قومِ لوطٍ[1] : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ * قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥ - ٩٣] . وقال فى سورةِ « هود » بعدَ قصةِ قومِ لوطٍ أيضًا[2] : ﴿ وَإِلَىٰ

---

(١) التفسير : ٣/٤٤٣ - ٤٤٥ .

(٢) التفسير : ٤/٢٧٢ - ٢٧٦ .

مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ [١١٣/١و] بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود : ٨٤ - ٩٥] . وقال فى « الحِجْر » بعدَ قصةِ قومِ لوطٍ أيضًا[1] : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر : ٧٨ ، ٧٩] . وقال تعالى فى « الشعراء » بعدَ

---

(١) التفسير : ٤٦٢/٤ .

قصتِهم[1] : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ * قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[الشعراء : ١٧٦ - ١٩١] .

كان أهلُ مَدْيَنَ قومًا عربًا ، يسكنون مدينتَهم مَدْيَنَ ، التى هى قريةٌ من أرضِ مُعَانٍ من أطرافِ الشامِ مِمَّا يلِى ناحيةَ الحجازِ قريبًا مِن بُحيرةِ قومِ لوطٍ . وكانوا بعدَهم بِمُدةٍ قريبةٍ . ومَدْيَنُ قبيلةٌ عُرِفت بهم المدينةُ[2] ، وهم مِن بنِى مَدْيَنَ بنِ مديانَ بنِ إبراهيمَ [١/١١٣ظ] الخليلِ عليه الصلاةُ والسلامُ . وشُعَيبٌ نبيُّهم هو ابنُ ميكيلَ بنِ يشجنَ . ذكَره ابنُ إسحاقَ[3] . قال : ويقالُ له بالسُّريانيةِ : بثرونُ[4] . وفى هذا نَظَرٌ . ويقالُ : شُعَيبُ بنُ يشجنَ بنِ لاوِى بنِ يعقوبَ . ويُقالُ : شعيبُ بنُ ثويبِ بنِ عبقا بنِ

---

(١) التفسير : ٦/١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) فى م ، ص : « القبيلة » .

(٣) تفسير الطبرى ٨/٢٣٧ . وفيه : « يشجر » بدل « يشجن » .

(٤) فى م ، ص : « بنزون » ، وفى تاريخ الطبرى ١/٣٢٥ : « يزون » ، وفى الكامل ١/١٥٧ : « يثرون » ، وفى تفسير الطبرى : « بثرون » .

مَدْيَنَ بنِ إبراهيمَ . ويقالُ : شعيبُ بنُ صيفورَ بنِ عبقا بنِ ثابتِ بنِ مَدْيَنَ ابنِ إبراهيمَ . وقِيل غيرُ ذلك فى نسبِه[1] . قال ابنُ عساكِرَ[2] : ويقالُ : جَدَّتُه - ويقالُ : أمُّه - بنتُ لوطٍ[3] . وكان مِمّن آمَن بإبراهيمَ وهاجَر معه ، ودخَل معه دمشقَ . وعن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ أنه قال : شعيبٌ وبلعمُ[4] مِمَّن آمَن بإبراهيمَ يومَ أُحْرِق بالنارِ ، وهاجَرا معه إلى الشامِ ، فزوَّجَهما بنتَىْ لوطٍ عليه السلامُ . ذكره ابنُ قُتَيْبَةَ[5] . وفى هذا كلِّه نظرٌ أيضًا . واللهُ أعلمُ .

وذكَر أبو عُمَرَ بنُ عبدِ البَرِّ فى « الاستيعابِ »[6] ، فى ترجمةِ سَلَمَةَ بنِ سعيدٍ[7] العَنَزِىِّ : قَدِم على رسولِ اللهِ ﷺ فأسلَم ، وانتسَب إلى عَنَزَةَ ، فقال : « نِعْمَ الحىُّ عَنَزَةُ مَبْغِىٌّ عليهم ، منصورون ، قومُ شُعَيْبٍ وأَخْتانُ موسى » . فلو صحَّ هذا ، لدَلَّ على أنَّ شُعيبًا صِهرُ[8] موسى ، وأنه من قبيلةٍ من العربِ العاربةِ يقالُ لهم : عَنَزَةُ . لا أنَّهم مِن عَنَزَةَ بنِ أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانَ ؛ فإن هؤلاء بعدَه بدهرٍ طويلٍ . واللهُ أعلمُ .

وفى حديثِ أبى ذَرٍّ الذى فى « صحيحِ ابنِ حِبَّانَ »[9] ، فى ذِكْرِ الأنبياءِ والرُّسلِ ، قال : « أربعةٌ مِن العربِ ؛ هودٌ ، وصالحٌ ، وشُعَيبٌ ، ونَبِيُّك يا

---

(١) وفى نسبه اختلاف شديد بين النسخ وكذلك فى المصادر .

(٢) لعله من الجزء الساقط من تاريخ دمشق . انظر التاريخ ٦٦/٨ من المخطوط ، و٧٠/٢٣ من المطبوع .

(٣) تاريخ الطبرى ٣٢٥/١ ، الكامل ١٥٧/١ . وفيها أن جدته بنت لوط ، بالجزم .

(٤) فى م ، ص : « ملغم » .

(٥) المعارف ص ٤١ .

(٦) الاستيعاب ٦٤٤/٢ . وفيه : « وأحبار موسى » بدل « وأختان موسى » .

(٧) فى م ، ص : « سعد » .

(٨) فى م ، ص : « من » .

(٩) الإحسان (٣٦١) إسناده ضعيف جدا .

أبا ذَرٍّ » . وكان بعضُ السلفِ يسمِّى شعيبًا خطيبَ الأنبياءِ . يعنى لفصاحتِه وعُلُوِّ عبارتِه ، وبلاغتِه فى دِعايةِ قومِه إلى الإيمانِ برسالتِه . وقدْ روَى (١إسحاقُ بنُ١) بشرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ومُقاتلٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا ذكَر شعيبًا قال : « ذاكَ خَطِيبُ الأنبياءِ »(٢) .

وكان أهلُ مَدْيَنَ كفارًا ، يقطَعون السَّبيلَ ويُخيفون المارَّةَ ، ويعبُدون الأَيْكَةَ ؛ وهى شجرةٌ من الأَيْكِ ، حولَها غَيْضَةٌ مُلتفَّةٌ بها ، وكانوا مِن أسوإِ الناسِ معاملةً ، يَبْخَسُون المِكيالَ والميزانَ ويُطَفِّفون فيهما ، يأخذون بالزائدِ ويَدفَعُون بالناقصِ ، فبعَث اللهُ فيهم رجلًا منهم ؛ وهو رسولُ اللهِ شعيبٌ عليه السلامُ ، فدعاهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن تعاطِى هذه الأفاعيلِ القبيحةِ ؛ مِن بَخْسِ الناسِ أشياءَهم ، وإخافَتِهم لهم فى سُبُلِهم وطُرُقاتِهم ، فآمَن به بعضُهم وكفَر أكثرُهم ، حتى أحَلَّ اللهُ بهم البأسَ الشديدَ ، وهو الوليُّ الحميدُ ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ [١/١١٤و] ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى ؛ دلالةٌ وحُجَّةٌ واضحةٌ ، وبرهانٌ قاطعٌ على صدقِ ما جئتُكم به ، وأنه أرسَلَنى . وهو ما أَجْرَى اللهُ على يَدَيْه مِن المعجزاتِ التى لم تُنْقَلْ إلينا تفصيلًا ، وإنْ كان هذا اللفظُ قد دلَّ عليها إجمالًا . ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ أمَرَهم بالعدلِ ، ونهاهم عن الظلمِ ، وتوعَّدهم على خلافِ ذلك ، فقال : ﴿ ذَٰلِكُمْ

(١ - ١) فى م ، ص : « ابن إسحاق بن » .

(٢) عزاه فى الدر المنثور ٣/١٠٣ إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر ضمن حديث طويل . ورواه ابن عساكر ١٠/٦٠ عن أبى إدريس الخولانى عن النبى ﷺ . ورواه الحاكم فى المستدرك ٢/٥٦٨ من حديث ابن إسحاق يبلغ به النبى ﷺ . ورواه الطبرى فى تاريخه ١/٣٢٧ من حديث ابن إسحاق عن يعقوب بن أبى سلمة يبلغ به النبى ﷺ .

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾ أى ؛ طريقٍ ﴿ تُوعِدُونَ ﴾ أى ؛ تتوعدون الناسَ ، بأخْذِ أموالِهم مِن مُكُوسٍ وغيرِ ذلك ، وتُخِيفُون السَّبيلَ . قال السُّدِّىُّ[1] فى « تفسيرِه » عن الصحابةِ ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾ : أنهم كانوا يأخذون العُشُورَ من أموالِ المارَّةِ . وقال إسحاقُ بنُ بِشرٍ ، عن جُوْيبرٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ[2] ، قال : كانوا قومًا طُغاةً بُغاةً ، يجلِسون على الطريقِ يبخسون الناسَ ، يعنى يَعْشُرُونهم ، وكانوا أَوَّلَ مَنْ سَنَّ ذلك . ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ فنهاهم عن قطعِ الطريقِ الحِسِّيةِ الدنيويةِ والمعنويةِ الدينيةِ ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ذكَّرهم بنعمةِ اللهِ تعالى عليهم فى تكثيرِهم بعدَ القلةِ ، وحذَّرهم نِقْمةَ اللهِ بهم إنْ خالفوا ما أرشَدَهم إليه ودلَّهم عليه ؛ كما قال لهم فى القصةِ الأخرى : ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ أى ؛ لا تَركَبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه ، فيمحَقَ اللهُ بركةَ ما فى أيديكم ويُفقِرَكم ويُذهِبَ ما به يُغْنِيكم ، وهذا مُضافٌ إلى عذابِ الآخرةِ ، ومَنْ جُمِع له هذا وهذا ، فقد باءَ[3] بالصَّفْقةِ الخاسرةِ . فنهاهم أولًا عن تعاطِى ما لا يَليقُ من التطفيفِ ، وحذَّرهم سَلْبَ نعمةِ اللهِ عليهم فى دنياهم ، وعذابَه الأليمَ فى أُخْرَاهم ، وعنَّفهم أشدَّ تعنيفٍ ، ثم قال لهم آمِرًا بعد ما كان عن ضدِّه زاجرًا : ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم

---

(١) تفسير الطبرى ٢٣٨/٨ .

(٢) عزاه فى الدر المنثور ١٠٢/٣ إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر .

(٣) فى الأصل ، ح : « فاز » .

مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ قال ابنُ عباسٍ والحسنُ البصريُّ : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أى ؛ رزقُ اللهِ خيرٌ لكم مِن أخْذِ أموالِ الناسِ بالتطفيفِ[1] . وقال ابنُ جَريرٍ[2] : ما فَضَل لكم من الربحِ بعدَ وفاءِ الكَيْلِ والميزانِ خيرٌ لكم مِن أخْذِ أموالِ الناسِ بالتطفيفِ . قال : وقد رُوِى هذا عن ابنِ عباسٍ . وهذا الذى قاله وحكَاه حسنٌ ، وهو شبيهٌ بقولِه تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة : ١٠٠] . يعنى أن القليلَ من الحلالِ خيرٌ لكم من الكثيرِ من الحرامِ ؛ فإن الحلالَ مبارَكٌ وإنْ قَلَّ ، والحرامَ ممحوقٌ وإنْ كَثُر ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] . وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « إن الرِّبا وإنْ كَثُرَ ، فإنَّ مَصِيرَه إلى قُلٍّ » . رواه أحمدُ[3] . أى إلى قِلَّةٍ . وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يَتَفرَّقا ، فإن صَدَقَا وبيَّنَا بُورِكَ لهما فى بَيْعِهما ، وإنْ كَتَمَا وكَذَبا مُحِقَتْ بَرَكَةُ [١/١١٤ظ] بَيْعِهما »[4] .

والمقصودُ أن الربحَ الحلالَ مبارَكٌ فيه وإن قَلَّ ، والحرامَ لا يُجدِى وإن كَثُر ؛ ولهذا قال نبىُّ اللهِ شعيبٌ : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . وقولُه : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ أى ؛ افعلوا ما آمُرُكم به ابتغاءَ وجهِ اللهِ ورجاءَ ثوابِه ، لا لأُرَاكم أنا وغيرى ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ يقولون هذا على سبيلِ الاستهزاءِ والتنقُّصِ والتهكُّمِ ؛ أصلواتُك هذه التى تُصلِّيها

---

(١) سقط من : ح ، م ، ص .

(٢) تفسير الطبرى ١٢/١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) المسند ١/٣٩٥ (إسناده صحيح) .

(٤) البخارى (٢٠٧٩) ، مسلم (١٥٣١) .

هى الآمِرةُ لك بأن تَحْجُرَ علينا ، فلا نَعبُدَ إلا إلَـٰهَكَ ، ونَترُكَ ما يَعبُدُ آباؤُنا الأَقْدَمون وأسلافُنا الأوَّلون ؟ أو أنَّا لا نَتعامَلُ إلا على الوجهِ الذى تَرْتضِيه أنت ، ونَترُكُ المعاملاتِ التى تأباها وإن كنا نحن نرضاها ؟ ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ قال ابنُ عباسٍ ، وميمونُ بنُ مِهْرَانَ ، وابنُ جُرَيْجٍ ، وزيدُ بنُ أَسْلَمَ ، وابنُ جَريرٍ[1] : يقولون ذلك - أعداءُ اللهِ - على سبيلِ الاستهزاءِ .

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَـٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هذا تلطُّفٌ معهم فى العبارةِ ، ودعوةٌ لهم إلى الحقِّ بأبْيَنِ إشارةٍ ؛ يقولُ لهم : أرأيتُم أيها المكذِّبون ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ أى ؛ على أَمْرٍ بَيِّنٍ مِن اللهِ تعالى أنه أَرْسَلنى إليكم ﴿ وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يعنى النبوةَ والرسالةَ . يعنى : وعمَّى عليكم معرفتَها ، فأىُّ حيلةٍ لى بكم ؟ وهذا كما تقدَّم عن نوحٍ عليه السلامُ أنَّه قال لقومِه سواءً .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَـٰكُمْ عَنْهُ ﴾ أى لستُ آمُرُكم بالأمرِ إلا وأنا أولُ فاعلٍ له ، وإذا نهيتُكم عن الشىءِ فأنا أولُ مَن يَتْرُكُه . وهذه هى الصفةُ المحمودةُ العظيمةُ ، وضِدُّها هى المردودةُ الذميمةُ ، كما تَلبَّسَ بها علماءُ بنى إسرائيلَ فى آخِرِ زمانِهم ، وخطباؤُهم الجاهلون . قال اللهُ تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] . وذكَرنا[2] عندَها فى « الصحيحِ »[3] ، عن رسولِ اللهِ ﷺ ، أنه قال : « يُؤتَى بالرجُلِ ، فيُلقَى فى النارِ ، فتَنْدَلِقُ أَقْتابُ[4] بطنِه ». أى

---

(١) تفسير الطبرى ١٢/١٠٣ .

(٢) فى م ، ص : « وذكر » .

(٣) البخارى (٣٢٦٧) ، مسلم (٢٩٨٩) .

(٤) فى الأصل : « أفنان » .

تَخرُجُ أمعاؤُه من بطنِه « فيَدُورُ بها كما يَدُورُ الحمارُ بِرَحَاهُ ، فيجتمِعُ إليه أهلُ النَّارِ ، فيقولون : يا فُلانُ ، مَا لَكَ ؟ ألم تكنْ تأمُرُ بالمعروفِ وتَنْهَى عن المنكرِ ؟ فيقولُ : بلى ، كنتُ آمُرُ بالمعروفِ ولا آتِيه ، وأَنْهَى عن المنكَرِ وآتِيه » . وهذه صفةُ مخالِفِى الأنبياءِ من الفجارِ والأشقياءِ ، فأما السادةُ من النُّجَباءِ والأَلِبَّاءِ ، من العلماءِ الذين يخشَوْن ربَّهم بالغيبِ ، فحالُهم[1] كما قال نبيُّ اللهِ شعيبٌ : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ [١/١١٥و] مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ أى ؛ ما أُريدُ فى جميعِ أمرِى إلا الإصلاحَ فى الفَعالِ والمقالِ ، بجَهْدِى وطاقتى ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ ﴾ أى فى جميعِ أحوالى ﴿ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أى عليه أتوكَّلُ فى سائرِ الأمورِ ، وإليه مَرْجِعى ومصيرى فى كلِّ أمرى . وهذا مَقامُ ترغيبٍ . ثم انتقل إلى نوعٍ من الترهيبِ ، فقال : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ أى ؛ لا تَحْمِلَنَّكم مخالفتى وبغضُكم ما جئتُكم به على الاستمرارِ على ضلالِكم وجهلِكم ومخالفتِكم ، فَيُحِلَّ اللهُ بكم من العذابِ والنَّكالِ نظيرَ ما أحَلَّه بنُظَرائِكم وأشباهِكم ، مِن قومِ نوحٍ وقومِ هودٍ وقومِ صالحٍ ، مِن المكذِّبين المخالِفين .

وقولُه : ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ قيل : معناه فى الزمانِ . أى ما بالعهدِ مِن قِدَمٍ ممّا قد بلغَكم ما أحلَّ اللهُ بهم على كُفْرِهم وعُتُوِّهم . وقيل : معناه وما هم منكم ببعيدٍ فى المَحَلَّةِ والمكانِ . وقيل : فى الصفاتِ والأفعالِ المستقبَحاتِ ؛ مِن قطعِ الطريقِ ، وأخذِ أموالِ الناسِ جَهْرةً وخُفيةً ، بأنواعِ الحِيَلِ والشبهاتِ . والجمعُ بينَ هذه الأقوالِ ممكنٌ ، فإنهم لم يكونوا بَعيدِين منهم ؛ لا زمانًا ولا مكانًا ولا صفاتٍ . ثم مزَج الترهيبَ بالترغيبِ ، فقال :

---

(١) فى الأصل : « فخالفهم » .

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ أى أقلِعوا عما أنتم فيه ، وتوبوا إلى ربِّكم الرحيمِ الودودِ ؛ فإنه مَن تاب إليه تاب عليه ، فإنه ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بعبادِه ، أرحَمُ بهم مِن الوالدةِ بولدِها ﴿ وَدُودٌ ﴾ وهو الحبيبُ ، ولو بعدَ التوبةِ على عبدِه ، ولو من المُوبِقاتِ العِظامِ .

﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ رُوِىَ عنِ ابنِ عباسٍ ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، والثَّوْرِىِّ أنَّهم قالوا : كان ضريرَ البصرِ[1] . وقد رُوى فى حديثٍ مرفوعٍ ، أنَّه بكَى من حُبِّ اللهِ حتى عَمِىَ ، فرَدَّ اللهُ عليه بصَرَه ، وقال : « يا شعيبُ ، أتَبكِى خوفًا من النارِ أو من شوقِك إلى الجنةِ ؟ فقال : بل مِن محبتِك ، فإذا نَظَرتُ إليك فلا أبالى ماذا يُصنَعُ بى . فأوحَى اللهُ إليه : هنيئًا لك يا شعيبُ [2]لقائى ، فلذلك أخدمتُك[2] موسى بنَ عِمرانَ كليمى » . رواه الواحدِىُّ ، عن أبى الفتحِ محمدِ بنِ علىٍّ الكوفىِّ ، عن علىِّ بنِ الحسنِ بنِ بُنْدَارٍ[3] ، عن أبى عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسحاقَ الرملىِّ[4] ، عن هشامِ بنِ عمَّارٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ[5] ، عن [6]بَحِيرِ ابنِ سَعْدٍ[6] ، عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحْوِه . وهذا غريبٌ جدًّا ، وقد ضعَّفه الخطيبُ البغدادىُّ[7] . وقولُهم : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ

---

(١) أثر ابن عباس رواه الحاكم فى مستدركه ٥٦٨/٢ ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧١/٢٣ وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . وانظر تفسير الطبرى ١٠٥/١٢ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « هنيئًا لك . فقال : فلذلك أخدمك » .

(٣) فى الأصل : « بيدار » .

(٤) فى م ، ص : « التربلى » .

(٥) فى م ، ص : « عباس » .

(٦ - ٦) فى ح ، م ، ص : « يحيى بن سعيد » ، وفى الأصل : « بحير بن سعيد » ، والأكثر على أنه « بحير بن سعد » . وانظر : تهذيب الكمال ٢٠/٤ ، ٢١ .

(٧) رواه الواحدى كما فى الدر المنثور ٣٤٨/٣ ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٣/٢٣ والخطيب فى تاريخ بغداد ٣١٥/٦ واستنكره ، ومن طريق الخطيب رواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية ٤٩/١ وقال : لا أصل له .

لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ وهذا [١/١١٥ظ] مِن كفرِهم البليغِ وعنادِهم الشنيعِ حيث قالوا : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ أى ؛ ما نفهمُه ولا نتعقَّلُه ؛ لأنا لا نحبُّه ولا نريدُه ، وليس لنا هِمَّةٌ إليه ولا إقبالٌ عليه . وهو كما قال كفارُ قريشٍ لرسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ [فصلت : ٥] . وقولُهم : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ أى ؛ مضْطَهَدًا مهجورًا ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ أى ؛ قَبيلتُك وعَشِيرتُك فينا ﴿ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أى ؛ تخافون قبيلتى وعشيرتى وتراعونى بسببِهم ، ولا تخافون جَنَبَةَ اللهِ ولا ترعونى لأنى رسولُ اللهِ ، فصار رهْطِى أعزَّ عليكم من اللهِ ﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ أى ؛ جعلتم جانبَ اللهِ وراءَ ظهورِكم ﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ أى ؛ هو عليمٌ بما تعملونه وما تصنعونه ، محيطٌ بذلك كلِّه ، وسيجزيكم عليه يومَ تُرجَعون إليه ﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ وهذا أمرُ تهديدٍ شديدٍ ، ووعيدٍ أكيدٍ بأن يستمرُّوا على طريقتِهم ومنهجِهم وشاكلتِهم ، فسوف تعلمون مَن تكونُ له عاقبةُ الدارِ ، ومَن يَحِلُّ عليه الهلاكُ والبَوَارُ ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ أى ؛ فى هذه الحياةِ الدنيا ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أى ؛ فى الأُخْرَى ﴿ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ﴾ أى ؛ مِنِّى ومنكم فيما أخبرَ وبشَّر وحذَّر ﴿ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ . وهذا كقولِه : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ * قَدِ ٱفْتَرَيْنَا

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ [١/١١٦و] نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴾ . طلبوا بزعمِهم أن يَرُدُّوا مَنِ آمَن مِنهم إلى ملَّتِهم ، فانتصَب شعيبٌ للمُحاجَّةِ عن قومِه ، فقال : ﴿ أَوَ لَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴾ أى ؛ هؤلاء لا يعودون إليكم اختيارًا ، وإنما يعودون إليه ، إن عادوا ، اضطرارًا مُكْرَهِين ؛ وذلك لأن الإيمانَ إذا (١خالَطَتْ بشَاشَتُه القلوبَ١) لا يَسْخَطُه أحدٌ ، (٢ولا يريدُ أحدٌ أن يزولَ عنه٢) ، ولا مَحِيدَ لأحدٍ منه ؛ ولهذا قال : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ أى فهو كافِينا وهو العاصِمُ لنا ، وإليه مَلْجأُنا فى جميعِ أمرِنا .

ثم استفتَح على قومِه واستنصَر ربَّه عليهم(٣) فى تعجيلِ ما يستحقُّونه إليهم ، فقال : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴾ أى ؛ الحاكِمين . فدعا عليهم ، واللهُ لا يَرُدُّ دعاءَ رسلِه إذا استَنْصَروه على الذين جحَدوه وكفَروه ، ورسولَه خالفوه ، ومع هذا صمَّموا على ما هم عليه مشتَمِلون وبه مستمسكون(٤) ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ ذكَر فى سورةِ « الأعراف » أنهم أخذَتْهم

(١ - ١) فى الأصل ، ا : « خالطته بشاشة الوجوه القلوب » ، وفى ح ، م : « خالطته بشاشة القلوب » .

(٢ - ٢) فى ح ، م ، ص : « ولا يرتد أحد عنه » .

(٣) فى م : « عليه » .

(٤) فى ح ، م : « متلبسون » ، وفى ص : « ملتبسون » .

رَجْفَةٌ ، أى رَجَفَتْ بهم أرضُهم ، وزُلزِلتْ زلزالًا شديدًا ، أزْهَقَت أرواحَهم من أجسادِهم ، وصيَّرتْ حيواناتِ أرضِهم كجمادِها ، وأصبَحت جُثَثُهم جاثيةً لا أرواحَ فيها ولا حركاتٍ بها ولا حَوَاسَّ لها .

وقد جمَع اللهُ عليهم أنواعًا من العقوباتِ ، وصنوفًا مِن المَثُلاتِ ، وأشكالًا مِن البَلِيَّاتِ ؛ وذلك لِمَا اتَّصَفُوا به مِن قبيحِ الصِّفاتِ ، سلَّط اللهُ عليهم رَجْفةً شديدةً أسكَنتِ الحركاتِ ، وصيحةً عظيمةً أخمَدتِ الأصواتَ ، وظُلَّةً أرسَل عليهم منها شَرَرَ النارِ من سائرِ أرجائِها والجهاتِ . ولكنه تعالَى أخبرَ عنهم فى كلِّ سورةٍ بما يناسبُ سِياقَها ويوافقُ طِباقَها ؛ فى سِياقِ قصةِ « الأعراف » أرجَفوا نبيَّ اللهِ وأصحابَه ، وتوعَّدوهم بالإخراجِ مِن قريتِهم أو لَيَعُودُنَّ فى مِلَّتِهم راجعِين ، فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ فقابَل الإرجافَ بالرَّجْفةِ ، والإخافةَ بالخِيفةِ ، وهذا مناسبٌ لهذا السياقِ ، ومتعلِّقٌ بما تقدَّمه مِن السياقِ . وأما فى سورةِ « هود » فذكَر أنهم أخَذَتهم الصَّيْحةُ فأصبَحوا فى ديارِهم جاثِمِين ؛ وذلك لأنهم قالوا لنبيِّ اللهِ ، على سبيلِ التهكُّمِ والاستهزاءِ والتنقُّصِ : ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ فناسَب أن يَذكُرَ الصيحةَ التى هى كالزَّجْرِ عن تعاطِى هذا الكلامِ القبيحِ ، الذى جَهَّلُوا[1] به هذا الرسولَ الكريمَ الأمينَ الفصيحَ ، فجاءتهم صَيْحةٌ أسكَتَتهم مع رجفةٍ أسكَنَتهم . وأما فى سورةِ « الشعراء » فذكَر أنه أخذَهم عذابُ يومِ الظُّلَّةِ ، وكان ذلك إجابةً لِما طلبوا ، وتقريبًا لِمَا إليه رَغِبُوا ؛ فإنَّهم قالوا : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ *

---

(١) فى ح ، م ، ص : « واجهوا » .

[١١٦/١ظ] قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١٨٥ - ١٨٨] . قال اللهُ تعالى ، وهو السميعُ العليمُ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ومن زعَم من المفسرين كقَتادةَ وغيرِه ، أن أصحابَ الأَيْكَةِ أُمَّةٌ أُخْرَى غيرُ أهلِ مَدْيَنَ فقولُه ضعيفٌ[1] ، وإنما عمدتُهم شيئانِ ؛ أحدُهما ، أنه قال : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ ولم يقُلْ : أخوهم . كما قال : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ . والثانى ، أنه ذكَر عذابَهم بيومِ الظُّلَّةِ ، وذكَر فى أولئك الرَّجْفةَ ، أو الصَّيحةَ . والجوابُ عن الأولِ ، أنَّه لم يَذكُرِ الأُخُوَّةَ بعدَ قولِه : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لأنَّه وصفَهم بعبادةِ الأَيْكةِ ، فلا يُناسِبُ ذِكْرُ الأُخُوَّةِ ههنا ، ولمَّا نَسَبَهم إلى القبيلةِ ساغ[2] ذِكْرُ شُعَيْبٍ بأنه أخوهم . وهذا الفرقُ مِن النفائسِ اللطيفةِ العزيزةِ الشريفةِ . وأما احتجاجُهم بيومِ الظُّلَّةِ ، فإن كان دليلًا بمجرَّدِه على أن هؤلاء أمةٌ أُخْرَى ، فلْيكُنْ تَعْدادُ الانتقامِ بالرَّجْفةِ والصَّيحةِ دليلًا على أنَّهما[3] أمتانِ أُخرَيَانِ ، [4]وهذا لا يقولُه أحدٌ يَفهَمُ شيئًا من هذا الشَّأنِ[4] . [5]فأما الحديثُ الذى أورَدَه الحافِظُ ابنُ عساكِرَ[6] فى ترجمةِ النَّبىِّ شُعيبٍ عليه السلامُ من طريقِ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن أبيه ، عن معاويةَ بنِ هشامٍ ،[5]

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٤٨/١٤ .

(٢) فى م ، ص : « شاع » .

(٣) فى الأصل : « أنها » .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ، ص .

(٦) لعله فى الجزء الساقط من تاريخ دمشق . انظر التاريخ ٦٦/٨ من المخطوط ، ٧٠/٢٣ من المطبوع .

(١عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن شقيقِ بنِ أبى هلالٍ ، عن رَبيعةَ بنِ سيفٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو مرفوعًا : « إنَّ مَدْيَنَ وأصحابَ الأَيكةِ أُمَّتان ، بَعَثَ اللهُ إليهما شُعَيبًا النَّبىَّ عليه السَّلامُ » . فإنه حديثٌ غريبٌ ، وفى رجالِه مَنْ تُكُلِّمَ فيه ، والأشبَهُ أنه منِ كلامِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو ، مما أصابَه يومَ اليَرْمُوكِ مِن تلك الزَّامِلَتَيْن مِن أخبارِ بنى إسرائيلَ . واللهُ أعلمُ١) . ثم قد ذكَر اللهُ عن(٢) أهلِ الأَيْكةِ من المَذَمَّةِ ما ذكَره عن أهلِ مَدْيَنَ من التَّطْفيفِ فى المِكيالِ والميزانِ ، فدلَّ على أنهم أمةٌ واحدةٌ أُهلِكوا بأنواعٍ من العذابِ ، وذكَر فى كلِّ مَوْضعٍ ما يناسبُ ذلك(٣) الخطابَ .

وقولُه : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ذكَروا أنهم أصابَهم حَرٌّ شديدٌ ، وأسكَن اللهُ هُبوبَ الهواءِ عنهم سبعةَ أيامٍ ، فكان لا يَنفَعُهم مع ذلك ماءٌ ولا ظِلٌّ ولا دخولُهم فى الأسرابِ ، فهرَبوا من مَحَلَّتِهم إلى البَرِّيَّةِ ، فأَظَلَّتْهم سحابةٌ فاجتمَعوا تحتَها ليَستظِلُّوا بظلِّها ، فلما تكامَلوا فيه أرسَلَها اللهُ عَلَيْهم تَرميهم بِشَرَرٍ وشُهُبٍ (٤من نارٍ٤) ، ورجَفَت بهمُ الأرضُ ، وجاءتهم صَيْحةٌ مِن السماءِ فأزهَقت الأرواحَ وخرَّبَت الأشباحَ ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ونجَّى اللهُ شُعيبًا ومَن معه مِن المؤمنين ؛ كما قال تعالى وهو أصدقُ القائلين : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ، ص .

(٢) فى الأصل : « من » .

(٣) فى م : « من » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ . وهذا فى مقابلةِ قولِهم : ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا [١/١١٧و] لَّخَسِرُونَ ﴾ . ثم ذكَر تعالى عن نبيِّهم أنه نعَاهم إلى أنفسِهم مُوَبِّخًا ومؤنِّبًا ومقرِّعًا ، فقال تعالى :﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ أى ؛ أعرَضَ عنهم مولِّيًا عن مَحَلَّتِهم بعدَ هَلاكِهم قائلا : ﴿ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ أى قد أدَّيْتُ ما كان واجبًا علىَّ من البلاغِ التامِّ والنُّصحِ الكاملِ ، وحرَصتُ على هدايتِكم بكلِّ ما أقدِرُ عليه وأتوصَّلُ إليه ، فلم يَنْفَعْكم ذلك ؛ لأن اللهَ لا يَهدِى مَن يُضِلُّ وما لهم مِن ناصرين ، فلستُ أتأسَّفُ بعدَ هذا عليكم ؛ لأنكم لم تكونوا تقبلون النَّصيحةَ ، ولا تخافون يومَ الفضيحةِ ؛ ولهذا قال : ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أى أحزَنُ ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ أى ؛ لا يَقْبَلون الحقَّ ولا يَرْجعون إليه ولا يلتفتون عليه ، فَحَلَّ عليهم مِن بأسِ اللهِ الذى لا يُردُّ ما لا يُدافَعُ ولا يُمانَعُ ، ولا مَحِيدَ لأحدٍ أُريدَ به عنه ، ولا مَناصَ مِنه . (١وقد ذكَر الحافِظُ ابنُ عساكِرَ(٢) فى « تاريخِه » ، عن ابنِ عباسٍ ، أن شُعَيبًا عليه السلامُ كان بعدَ يُوسُفَ عليه السلامُ . وعن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، أن شُعَيبًا عليه السلامُ مات بمكةَ ومَن معه مِن المؤمنين ، وقبورُهم غربِىَّ الكعبةِ ، بينَ دارِ النَّدْوةِ ودارِ بنى سَهْمٍ١) .

(١ - ١) زيادة من : ح ، م .

(٢) تاريخ دمشق ٢٣/٨٠ .

بابُ ذكرِ ذريةِ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ

قد قدمنا قصتَه مع قومِه ، وما كان مِن أمرِهم ، وما آلَ إليه أمرُه عليه السلامُ والتحيةُ والإكرامُ . وذكرنا ما وقَع فى زمانِه مِن قصةِ قومِ لوطٍ ، وأَتْبَعنا ذلك بقصةِ مَدْيَنَ قومِ شُعَيبٍ عليه السلامُ ؛ لأنَّها قرينتُها فى كتابِ اللهِ عز وجل ، فى مواضعَ متعددةٍ يذكرُ[1] تعالى بعدَ قصةِ قومِ لوطٍ قصةَ مَدْيَنَ ، وهم أصحابُ الأَيْكَةِ على الصَّحيحِ كما قدمنا ، فذكرناها تبَعًا لها ؛ اقتداءً بالقرآنِ العظيمِ . ثم نَشرَعُ الآنَ فى الكلامِ على تفصيلِ ذريةِ إبراهيمَ عليه السلامُ ؛ لأن اللهَ جعَل فى ذريتِه النبوةَ والكتابَ ، فكلُّ نبىٍّ أُرْسِلَ بعدَه فمِن ولدِه .

---

(١) فى ح ، م ، ص : « فذكر » .

ذكرُ إسماعيلَ عليه السلامُ

وقد كان للخليلِ بَنُونَ كما ذكَرنا ، ولكنَّ أَشْهَرَهم الأَخوانِ النَّبيَّانِ العظيمانِ الرَّسُولانِ ؛ أَسَنُّهما وأَجَلُّهما الذى هو الذبيحُ ، على الصحيحِ ، إسماعيلُ بِكْرُ إبراهيمَ الخليلِ مِن[1] هاجَرَ القِبطيةِ المصريةِ عليها السلامُ مِن العظيمِ الجليلِ . ومن قال : إن الذبيحَ هو إسحاقُ . فإنما تلقَّاه مِن نَقَلَةِ بنى إسرائيلَ ، الذين بدَّلوا وحرَّفوا وأَوَّلوا التوراةَ والإنجيلَ ، وخالفوا ما بأيديهم فى هذا مِن التنزيلِ . فإن إبراهيمَ أُمِر بذَبْحِ ولدِه البِكْرِ . وفى روايةٍ : الوحيدِ . وأيًّا ما كان فهو إسماعيلُ بنصِّ الدليلِ ؛ ففى نَصِّ كتابِهم أن إسماعيلَ وُلِد ولإبراهيمَ مِن العُمُرِ ستٌّ وثمانون سنةً[2] ، وإنَّما وُلِد إسحاقُ بعدَ مُضِىِّ مائةِ سنةٍ مِن عُمُرِ الخليلِ[3] ، فإسماعيلُ هو البِكْرُ لا مَحالةَ ، وهو الوحيدُ صورةً ومعنًى على كلِّ حالةٍ ؛ [١١٧/١ظ] أمَّا فى الصورةِ ، فلأنه كان وحدَه ولَدَه أَزْيَدَ مِن ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً . وأما أنه وحيدٌ فى المعنى ، فإنه هو الذى هاجَر به أبوه ومعه أمُّه هاجَرُ ، وكان صغيرًا رضيعًا فيما قيل ، فوضَعَهما فى وِهادِ[4] جبالِ فارانَ ، وهى الجبالُ التى حولَ مكةَ ، نِعْمَ المَقِيلُ ، وتركَهما هنالك ليس معهما مِن الزَّادِ والماءِ إلا القليلُ ، وذلك ثقةً باللهِ وتوكُّلًا عليه ، فحاطَهما اللهُ تعالى بعِنايتِه وكِفايتِه ، فنِعْمَ الحسيبُ والكافى والوكيلُ والكفيلُ . فهذا هو الولدُ الوحيدُ

---

(١) فى ص : « ابن » .

(٢) سفر التكوين الأصحاح ١٦/١٦ ، ٢٤/٢٧ - ٢٦ .

(٣) سفر التكوين الأصحاح ٥/٢١ .

(٤) وهاد جمع وهْدة ، وهى الأرض المنخفضة .

فى الصورةِ والمعنى ، ولكنْ أين مَن يَتفطَّنُ لهذا السِّرِّ ؟ وأين مَن يَحُلُّ بهذا المَحَلِّ ؟ والمعنى[1] لا يُدرِكُه ويُحيطُ بعلمِه إلا كلُّ نبيهٍ نبيلٍ .

وقد أثنَى اللهُ تعالى عليه ، ووصفَه بالحِلْمِ والصبرِ وصِدْقِ الوعدِ والمحافظةِ على الصلاةِ والأمرِ بها لأهلِه ؛ لِيَقيَهم العذابَ ، مع ما كان يدعُو إليه من عبادةِ ربِّ الأربابِ . قال تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠١ ، ١٠٢] . فطاوَع أباه على ما إليه دعاه ، ووعَده بأنْ سيَصبِرُ ، فوفَّى بذلك وصبَر[2] . وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤ ، ٥٥] . وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ * إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ * وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ - ٤٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [النساء : ١٦٣] الآية . وقال تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة : ١٣٦] الآية . ونظيرتُها من

---

(١) فى الأصل : « والمغنى » ، وفى ا : « وهذا » .

(٢) بعده فى م ، ص : « على ذلك » .

السورةِ الأخرى . وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] الآية . فذكَر اللهُ عنه كلَّ صفةٍ جميلةٍ ، وجعَله نبيَّه ورسولَه ، وبرَّأه مِن كلِّ ما نَسَبَ إليه الجاهلون ، وأَمَرَ بأَنْ يُؤمِنَ بما أُنْزِل عليه عبادُه المؤمنون .

وذكَر علماءُ النَّسَبِ وأيامِ الناسِ أنه أولُ مَن رَكِب الخيلَ[1] ، وكانت قبلَ ذلكَ وُحوشًا ، فأنَّسَها ورَكِبها . وقد قال [١١٨/١و] سعيدُ بنُ يَحْيَى الأُمَوِيُّ [2]في « مَغَازيه »[2] : حدثنا شيخٌ مِن قُرَيْشٍ ، حدثنا عبدُ الملكِ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « اتَّخِذوا الخيلَ واغْتَبِقُوها[3] ؛ فإنها ميراثُ أبيكم إسماعيلَ » . وكانت هذه العِرَابُ وحشًا ، فدعا لها بدعوتِه التى كان أُعْطِى فأجابته . وأنه أولُ مَن تكلَّم بالعربيةِ الفصيحةِ البليغةِ ، وكان قد تعلَّمها مِن العربِ العاربةِ ، الذين نزلَوا عندهم بمكةَ مِن جُرْهُمٍ والعَماليقِ وأهلِ اليمنِ ، مِن الأممِ المتقدِّمين مِن العربِ قبلَ الخليلِ . قال الأُمَوِيُّ : حدثنى علىُّ بنُ المغيرةِ ، حدثنا أبو عبيدَةَ ، حدثنا مِسْمَعُ بنُ مالِكٍ ، عن محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ ، عن آبائه[4] ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « أولُ مَن فَتَقَ[5] لسانُه بالعربيةِ البَيِّنةِ إسماعيلُ ، وهو ابنُ أربعَ عشْرةَ سنةً »[6] . فقال له يونُسُ :

---

(١) الأوائل لأبى هلال العسكرى ١٨٢/٢ . محاضرات الأوائل ٦٨ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حدثنا معاوية » .

(٣) فى م : « واعتبقوها » ، وفى ص : « وأعتقوها » وفى ا : « اعتنقوها » . واغْتَبِقُوها ؛ اشرَبوا لبَنها المحلوبَ وقت المغرب . اللسان (غ ب ق) .

(٤) فى الأصل : « أمامة » .

(٥) فَتَق الكلامَ : قوَّمه . اللسان (ف ت ق) .

(٦) عزاه الحافظ ابن حجر للزبير بن بكار فى كتاب النسب من حديث على وحسن إسناده . الفتح ٤٠٣/٦ . كما عزاه العلامة المناوى فى فيض القدير إلى الطبرانى والديلمى من حديث ابن عباس وقال : وقال ابن حجر : وإسناده حسن . فيض القدير ٩٢/٣ ، ٩٣ . وقال الشيخ الألبانى : صحيح (صحيح الجامع ٢٥٧٨) .

صَدَقْتَ يا أبا يسارٍ[1] ، هكذا أبو جُرَيٍّ حدَّثنى .

وقد قدّمنا أنه تزوَّجَ لمّا شبَّ مِن العماليقِ امرأةً ، وأن أباه أمَره بِفِراقِها ففارقَها . قال الأُمويُّ : وهى عمارةُ بنتُ سعدِ بنِ أسامةَ بنِ أكيلَ العِمْلاقيِّ . ثم نكَح غيرَها ، فأمَره أن يستمرَّ بها ، فاستمر بها ، وهى السيدةُ بنتُ مُضاضِ ابنِ عمرٍو الجُرْهُمىِّ[2] . وقيل : هذه ثالثةٌ . فولَدت له اثنَىْ عشَرَ ولدًا ذكرًا . وقد سمَّاهم محمدُ بنُ إسحاقَ[3] رحمه اللهُ ؛ وهم نابتٌ ، وقَيْدَرٌ[4] ، وأذبلُ[5] ، وميشى[6] ، ومِسْمَعٌ ، وماشٌ[7] ، ودُمَا[8] ، وأُدَرُ[9] ، ويَطُورُ[10] ، وبنشٌ[11] ، وطيما[12] ، وقَيْذُما[13] . وهكَذا ذكَرهم أهلُ الكتابِ فى كتابِهم[14] ، وعندَهم أنهم الِاثنا عشَرَ عظيمًا المبشَّرُ بهم المتقدِّمُ ذكرُهم ،

---

(١) فى ح ، م ، ص ، ا : « سيار » .

(٢) تاريخ الطبرى ٣١٤/١ . الكامل ١٢٥/١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٤/١ ، ٥ . وانظر : تاريخ الطبرى ٣١٤/١ ، الكامل ١٢٥/١ ، طبقات ابن سعد ٥١/١ ، نهاية الأرب ٣٢٤/٢ .

(٤) فى ح ، م ، ص : « قيذر » وكذلك فى الطبقات وابن هشام . وفى الطبرى : « قيدر » ، وفى الكامل : « قيدار » ، وفى القاموس : « قيذار » .

(٥) فى الطبرى : « أربيل » ، وفى الكامل : « أذيل » ، وفى الطبقات : « أذبل » . وفى نهاية الأرب : « إديال » .

(٦) فى الطبرى والسيرة : « مبشا » ، وفى الكامل : « ميشا » ، وفى الطبقات : « منشى » ، وفى نهاية الأرب : « مبشام » .

(٧) فى السيرة والطبقات : « ماشى » ، وفى الطبرى : « ماس » ، وفى الكامل : « ماش » ، وفى نهاية الأرب : « مسا » .

(٨) فى الأصل : « درما » ، وفى م ، ص : « دوصا » ، وفى الكامل : « رما » ، والباقى : « دما » .

(٩) فى م ، ص : « أرر » ، وفى الطبرى : « أدد » وفى السيرة والكامل والطبقات : « أذر » .

(١٠) فى الطبرى : « وطور » ، وفى الكامل : « قطورا » .

(١١) فى الطبرى : « نفيس » ، وفى الكامل : « قافس » ، وفى الطبقات : « ينش » ، وفى نهاية الأرب : « نافيس » .

(١٢) فى الطبرى : « طما » ، وفى الكامل : « طميا » .

(١٣) فى الطبرى والكامل : « قيدمان » ، وفى السيرة والطبقات : « قيذما » .

(١٤) سفر التكوين الأصحاح ١٢/١٥ - ١٤ .

وكذَبوا فى تأويلِهم ذلك . وكان إسماعيلُ عليه السلامُ رسولًا إلى أهلِ تلك الناحيةِ وما والاها مِن قبائلِ جُرْهُمٍ والعماليقِ وأهلِ اليمنِ ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه . ولما حضَرَتْه الوفاةُ أوصَى إلى أخيه إسحاقَ . وزوَّجَ ابنتَه نسمةَ مِن ابنِ أخيه العِيصِ بنِ إسحاقَ فولَدت له الرُّومَ ، ويُقالُ لهم : بنو الأَصفرِ . لصُفْرَةٍ كانت فى العِيصِ . وولَدت له اليونانَ فى أحدِ الأقوالِ . ومِن ولدِ العِيصِ الأشبانُ . وقيل : منهما أيضًا . وتوقَّف ابنُ جَرِيرٍ رحمه اللهُ[1] .

ودُفِن إسماعيلُ نبىُّ اللهِ بالحِجْرِ مع أمِّه هاجَرَ ، وكان عمرُه يومَ مات مائةً وسبعًا وثلاثين سنةً . ورُوِى عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أنَّه قال : شكَا إسماعيلُ عليه السلامُ إلى ربِّه عزّ وجلّ حَرَّ مكةَ ، فأوحَى اللهُ إليه : إنِّى سأفتَحُ لك بابًا إلى الجنةِ إلى الموضِعِ الذى تُدْفَنُ فيه ، تَجْرِى عليك رَوْحُها إلى يومِ القيامةِ[2] .

وعَرَبُ الحجازِ كلُّهم يَنتَسبون إلى ولدَيْه نابتٍ وقَيْدارٍ . وسنتكلمُ على أحياءِ العربِ [١/١١٨ظ] وبطونِها وعمائرِها وقبائلِها وعشائرِها مِن لَدُنْ إسماعيلَ عليه السلامُ إلى زمانِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وذلك إذا انتهينا إلى أيامِه الشريفةِ وسِيرتِه المُنِيفَةِ ، بعدَ الفراغِ مِن أخبارِ أنبياءِ بنى إسرائيلَ [3]إلى زمانِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، خاتَمِ أنبيائِهم ومحقِّقِ أنبائِهم ، ثم نذكرُ ما كان فى زمنِ بنى إسرائيلَ[3] ، ثم ما وقعَ فى أيامِ الجاهليةِ ، ثم يَنتهِى الكلامُ إلى سيرةِ نبيِّنا رسولِ اللهِ إلى العَربِ والعَجَمِ وسائرِ صنوفِ بنى آدمَ مِن الأممِ إن شاء اللهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ وعليه التُّكلانُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العلىِّ العظيمِ العزيزِ الحكيمِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٣١٤ - ٣١٧ .

(٢) تاريخ الطبرى ١/٣١٤ ، ٣١٥ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

ذكرُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، الكريمِ، ابنِ الكريمِ، عليهما الصلاةُ والتسليمُ

قد قدمنا أنه وُلِد ولأبيه مائةُ سنةٍ ، بعدَ أخيه إسماعيلَ بأربَعَ عشْرَةَ سنةً ، وكان عمُرُ أمِّه سارَّةَ حينَ بُشِّرَت به تسعين سنةً . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٢ ، ١١٣] . وقد ذكَره اللهُ تعالى بالثَّناء عليه فى غيرِ ما آيةٍ من كتابِه العزيزِ ، وقدَّمنا فى حديثِ أبى هُرَيرَةَ[١] ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أن الكريمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ . وذكَر أهلُ الكتابِ[٢] أن إسحاقَ لمَّا تزوَّج رفقا بنتَ ثبوائيلَ[٣] فى حياةِ أبيه كان عمرُه أربعين سنةً ، وأنها كانت عاقرًا ، فدعا اللهَ لها فحمَلتْ ، فولَدتْ غلامَيْن توأَمَيْن ؛ أولُهما [٤]سمَّوْه عِيصُو ، وهو الذى[٤] تُسَمِّيه العربُ العِيصَ . وهو والدُ الرُّومِ[٥] ، والثانى خرَج وهو آخِذٌ بعَقِبِ أخيه ، فسمَّوْه يعقوبَ ، وهو إسرائيلُ الذى يَنتسِبُ إليه بنو إسرائيلَ . قالوا : وكان إسحاقُ يحبُّ العِيصَ أكثَرَ مِن يعقوبَ ؛ لأنه بِكْرُه ، وكانت أمُّهما[٦] رفقا

---

(١) المسند ٢/٣٣٢ . (إسناده صحيح) .

(٢) سفر التكوين الأصحاح ٢٥/٢٠ - ٢٤ . وانظر تاريخ الطبرى ١/٣١٧ - ٣٢١ .

(٣) فى م ، ص : « بتوائيل » ، وفى ا : « بثوائيل » ، وفى الطبرى ١/٣١٣ ، ٣١٧ : « بتويل » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « سموه وهو » .

(٥) بعده فى الأصل : « الثانية » .

(٦) فى ح : « أمه » .

تحبُّ يعقوبَ أكثَرَ ؛ لأنّه الأصغرُ . قالوا : فلما كَبِرَ إسحاقُ وضَعُفَ بصرُه ، اشتهَى على ابنِه العِيصِ طعامًا ، وأمَره أن يَذهبَ فيَصطادَ له صيدًا ويَطبُخَه له ، ليُباركَ عليه ويَدعُوَ له ، وكان العِيصُ صاحبَ صيدٍ ، فذهَب يبتغِى ذلك ، فأمَرَت رفقا ابنَها يعقوبَ أن يَذبَحَ جَدْيَيْن مِن خِيارِ غنمِه ، ويَصنَعَ منهما طعامًا كما اشتهاه أبوه ، ويأتِىَ إليه به قبلَ أخيه ؛ ليَدْعُوَ له ، وقامت[1] فألبسَتْه ثيابَ أخيه ، وجعَلتْ على ذراعَيْه وعُنقِه مِن جلدِ الجَدْيَين ؛ لأن العِيصَ كان أشعرَ الجسدِ ، ويعقوبُ ليس كذلك ، فلما جاءه به وقرَّبه إليه ، قال : مَن أنت ؟ قال : ولَدُك . فضمَّه إليه وجَسَّه ، وجعَل يقولُ : أما الصوتُ فصوتُ يعقوبَ ، وأمّا الجَسُّ والثِّيابُ فالعِيصُ . فلما أكَل وفرَغ ، دعا له أن [١١٩/١و] يكونَ أكبرَ إخوتِه قدْرًا وكلمتُه عليهم وعلى الشعوبِ بعدَه ، وأن يَكثُرَ رزقُه وولدُه . فلما خرَج مِن عندِه جاء أخوه العِيصُ بما أمَره به والدُه يُقرِّبُه إليه ، فقال له : ما هذا يا بُنىَّ ؟ قال : هذا الطعامُ الذى اشتهيتَه . فقال : أما جِئتَنى به قبلَ الساعةِ وأكَلتُ منه ودعوتُ لك ؟ فقال : لا واللهِ . وعرَف أن أخاه قد سبَقه إلى ذلك ، فوجَدَ فى نفسِه عليه وَجْدًا كثيرًا . وذكَروا أنه تواعَدَه بالقتلِ إذا مات أبوهما ، وسأل أباه فدعا له بدعوةٍ أخرى ، وأن يَجْعَلَ لذريتِه غليظَ الأرضِ ، وأنْ يُكْثِرَ أرزاقَهم وثمارَهم ، فلما سمِعَت أمُّهما ما يَتواعَدُ به العِيصُ أخاه يعقوبَ ، أمرَتْ ابنَها يعقوبَ أن يَذهبَ إلى أخيها لابانَ ، الذى بأرضِ حَرَّانَ ، وأن يكونَ عندَه إلى حينِ يسكُنُ غضبُ أخيه عليه ، وأن يتزوَّجَ مِن بناتِه ، وقالت [2]لزوجِها إسحاقَ أن يأمُرَه بذلك ويوصِيَه ويدعوَ له ، ففعَل[2] ، فخرَج يعقوبُ عليه السلامُ مِن عندِهم آخرَ ذلك اليومِ ، فأدرَكه المساءُ فى موضعٍ فنام فيه ؛ أخذ حَجَرًا فوضَعه تحتَ رأسِه

---

(١) فى م ، ص : « فقامت » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لزوجة إسحاق أن تأمره بذلك وتوصيه وتدعو له » .

ونام ، فرأى فى نومِه ذلك مِعْرَاجًا منصوبًا من السماءِ إلى الأرضِ ، وإذا الملائكةُ يَصْعَدُون فيه وينزلون ، والربُّ تبارك وتعالى يُخاطبُه ويقولُ له : إنى سأبارِكُ عليك وأُكْثِرُ ذريتَك ، وأجعَلُ لك هذه الأرضَ ولعَقِبِكَ مِن بعدِك . فلما هبَّ مِن نومِه فرِح بما رأى ، ونذَر للهِ لئن رجَع إلى أهلِه سالمًا ليَبنِيَنَّ فى هذا الموضعِ مَعْبَدًا للهِ عز وجل ، وأنَّ جميعَ ما يُرزَقُه مِن شيءٍ يكونُ للهِ عُشرُه . ثم عَمَد إلى ذلك الحَجَرِ فجعَل عليه دُهْنًا ؛ يَتعرَّفُه به ، وسَمَّى ذلك المَوْضِعَ : بيتَ إيلَ . أى بيتَ اللهِ ، وهو موضعُ بيتِ المقدسِ اليومَ الذى بناه يعقوبُ بعدَ ذلك ، كما سيأتى . قالوا : فلما قَدِم يعقوبُ على خالِه أرضَ حَرَّانَ إذا له ابنتان ؛ اسمُ الكبرى ليا واسمُ الصغرى راحيلُ ، فخطَب إليه راحيلَ ، وكانت أحسَنَهما وأجمَلَهما ، فأجابه إلى ذلك بشرطِ أن يَرْعَى على غنمِه سَبْعَ سنين ، فلما مضَتِ المدةُ (١عَمِل خالُه لابانُ١) طعامًا وجَمعَ الناسَ عليه ، وزَفَّ إليه لَيْلًا ابنتَه الكبرى ليا ، وكانت ضعيفةَ العينين قبيحةَ المنظرِ ، فلما أصبَحَ يعقوبُ إذا هى ليا ، فقال لخالِه : لِمَ غدَرْتَ بى ، وأنت إنما خطَبتُ إليك راحيلَ . فقال : إنه ليس مِن سُنَّتِنا أن نُزوِّجَ الصغرى قبلَ الكبرى ، فإن أحببتَ أختَها فاعمَلْ سبعَ سنين أخرى [١١٩/١ظ] وأُزوِّجُكَها . فعمِل سبْعَ سنين ، وأدخَلها عليه مع أختِها ، وكان ذلك سائغًا فى ملتِهم ثم نُسِخ فى شريعةِ التوراةِ . وهذا وحدَه دليلٌ كافٍ على وقوعِ النسخِ(٢) ؛ لأن فِعلَ يعقوبَ عليه السلامُ دليلٌ على جوازِ هذا وإباحتِه ؛ لأنه معصومٌ . ووهَب لابانُ لكلٍّ واحدةٍ من ابنتَيْه جاريةً ؛

(١ - ١) فى م ، ص : « على خاله لابان صنع » .

(٢) كأن ابن كثير يرد دعوى أهل الكتاب فى امتناع وقوع النسخ فى الشرائع ، وبالتالى يقولون : لا يصح أن يدّعى النبى ﷺ أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل . وانظر الفِصَل ١/١٠٠ - ١٠١ .

فوهَب لليا جاريةً اسمُها زلفا ، ووهَب لراحيلَ جاريةً اسمُها بلها ، وجبَر اللهُ تعالى ضَعْفَ ليا بأن وهَب لها أولادًا ، فكان أولَ مَن ولَدت ليعقوبَ روبيلُ ثم شمعونُ ثم لاوِى ثم يهوذا ، فغارت عندَ ذلك راحيلُ ، وكانت لا تَحْبَلُ ، فوهَبت ليعقوبَ جاريتَها بلها ، فوطِئها فحمَلتْ وولَدَتْ له غلامًا سمَّتْه دان ، وحملَت وولَدت غلامًا آخرَ سمَّتْه يفثالى[1] ، فعمَدت عندَ ذلك ليا فوهَبتْ جاريتَها زلفا مِن يعقوبَ عليه السّلامُ ، فولَدت له جادَ وأشيرَ ؛ غلامَيْن ذَكَرَيْن ، ثم حمَلت ليا أيضًا ، فولَدت غلامًا خامسًا منها وسمَّتْه أيساخرَ[2] ، ثم حمَلت وولَدت غلامًا سادسًا سمَّتْه زابلونَ ، ثم حمَلت وولَدت بنتًا سمَّتْها دينا[3] ، فصار لها سبعةٌ من يعقوبَ ، ثم دعَت اللهَ تعالى راحيلُ وسألَته أن يَهَبَ لها غلامًا من يعقوبَ ، فسمِع اللهُ نداءها وأجاب دعاءَها ؛ فحمَلتْ مِن نبيِّ اللهِ يعقوبَ ، فولَدت له غلامًا عظيمًا شريفًا حسنًا جميلًا سمَّتْه يوسفَ . كلُّ هذا وهم مقيمون بأرضِ حَرَّانَ ، وهو يَرْعَى على خالِه غَنَمَه بعدَ دخولِه على البنتين ستَّ سنين أخرى ، فصار مدةُ مُقامِه عشرين سنةً ، فطلَب يعقوبُ مِن خالِه لابانَ أن يُسرِّحَه ليمرَّ إلى أهلِه ، فقال له خالُه : إنِّى قد بُورِك لى بسببِك ، فسَلْنِى مِن مالى ما شئتَ . فقال : تُعطِينى كلَّ حَمَلٍ يُولَدُ مِن غَنَمِك هذه السنةَ أَبْقَعَ ، وكلَّ حَمَلٍ مُلْمِعٍ أبيضَ بسوادٍ ، وكلَّ أَمْلَحَ ببياضٍ ، وكلَّ أَجْلَحَ أبيضَ مِن المَعْزِ . فقال : نعمْ . فعَمَد بنوه ، فأبرَزوا مِن غنمِ أبيهم ما كان على هذه الصفاتِ مِن التُّيُوسِ ؛ لِئَلَّا يُولَدَ شيءٌ مِن الحُمْلَانِ على هذه الصفاتِ ، وساروا بها مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ عن غنمِ أبيهم . قالوا : فعَمَدَ يعقوبُ

---

(١) فى م ، ص : « نيفتالى » ، وفى ا : « تقيالى » ، وفى الطبرى : « نفثالى » .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « يسحر » .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « دينة » .

عليه السلامُ إلى قُضْبانٍ رطْبةٍ بِيضٍ ، مِن لَوْزٍ ودُلْبٍ[1] ، فكان يُقشِّرُها بَلْقَاءَ[2] وبيضاءَ ، ويضعُها[3] فى مساقِى الغنمِ مِن المياهِ ؛ لينظُرَ الغنمُ إليها فتفزَعَ وتتحرَّكَ أولادُها فى بطونِها ، فتصيرَ ألوانُ حُمْلَانِها كذلك . وهذا يكونُ من بابِ خوارقِ العاداتِ ، ويَنتَظِمُ [١٢٠/١و] فى سِلْكِ المعجزاتِ . فصار ليعقوبَ عليه السلامُ أغنامٌ كثيرةٌ ودوابُّ وعبيدٌ ، وتغيَّر له وجهُ خالِه وبنيه ، وكأنَّهم انحصَروا منه[4] . وأوحَى اللهُ تعالى إلى يعقوبَ أن يرجِعَ إلى بلادِ أبيه وقومِه ، ووعَدَه بأن يكونَ معه ، فعرَض ذلك على أهلِه فأجابوهُ مبادِرِين إلى طاعتِه ، فتحَمَّلَ بأهلِه ومالِه ، وسرقتْ راحيلُ أصنامَ أبيها ، فلمّا جاوزوا وتحيَّزوا عن بلادِهم ، لحِقَهم لابانُ وقومُه ، فلما اجتمَع[5] لابانُ بيعقوبَ عاتبه فى خروجِه بغيرِ [6]إذنِه و[6]علمِه ، وهلَّا أعْلَمه فيُخرِجَهم فى فرحٍ ومزامِرَ وطبولٍ ، وحتى يُودِّعَ بناتِه وأولادَهنَّ ، ولِمَ أخذوا أصنامَه معهم ، ولم يكنْ عندَ يعقوبَ علمٌ مِن أصنامِه ، فأنكَرَ أن يكونوا أخذوا له أصنامًا ، فدخَل بيوتَ بناتِه وإمَائِهن[7] يفتشُ ، فلم يجدْ شيئًا ، وكانت راحيلُ قد جعَلتهن فى بَرْدَعةِ الجَمَلِ ، وهى تحتَها ، فلم تَقُمْ واعتذَرتْ بأنها طامِثٌ ، فلم يَقدِرْ عليهن ، فعندَ ذلك تواثَقُوا على رابيةٍ هناك يقالُ لها : جَلْعَادُ . على أنه لا يُهِينُ بناتِه

---

(١) فى م ، ص : « وولب » والدُّلْب : شجر يعظم ويتسع ، ولا نَوْر له ولا ثمر ، شبيه بورق الكَرْم . اللسان (د ل ب) .

(٢) البَلَق : سواد وبياض فى اللون . اللسان (ب ل ق) .

(٣) فى م ، ص : « ينصبها » .

(٤) حَصِر الرجل : لم يقدر على الكلام ، وضاق صدره . اللسان (ح ص ر) .

(٥) بعده فى الأصل : « بهم » .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل .

(٧) فى الأصل : « أمهاتهن » .

ولا يَتزوَّجُ عليهنَّ ، ولا يجاوزُ هذه الرابيةَ أحدُهما ذاهبًا إلى بلادِ الآخَرِ ، لا لابانُ ولا يعقوبُ ، وعمِلا طعامًا وأكَل القومُ معهم ، وتَودَّعَ كلٌّ منهما مِن الآخرِ ، وتفارَقُوا راجعين إلى بلادِهم ، فلما اقترَب يعقوبُ من أرضِ ساعِيرَ[1] تلقتْه الملائكةُ يبشِّرونه بالقُدُومِ ، وبعَث يعقوبُ البُرُدَ إلى أخيه العِيصِ يترقَّقُ له ويَتَواضعُ له ، فرجَعت البُرُدُ وأخبَرت يعقوبَ بأن العِيصَ قد رَكِب إليك فى أربعِمائةِ راجلٍ ، فخَشِى يعقوبُ مِن ذلك ، ودعا اللهَ عز وجل وصَلَّى له ، وتضَرَّع إليه وتَمسكَنَ لديه ، وناشدَه عهدَه ووَعْدَه الذى وعَده به ، وسأله أن يكُفَّ عنه شرَّ أخيه العِيصِ ، وأعَدَّ لأخيه هديةً عظيمةً ؛ وهى مائتا شاةٍ وعشرون تَيْسًا ، ومائتا نَعجةٍ وعشرون كَبْشًا ، وثلاثون لِقْحةً[2] ، وأربعون بقرةً وعشَرةٌ من الثِّيرانِ ، وعشرون أتَانًا وعشرةٌ من الحُمُرِ ، وأمَر عبيدَه أن يسوقوا كُلًّا من هذه الأصنافِ وحدَه ، ولْيكُنْ بينَ كلِّ قَطِيعٍ وقَطيعٍ مسافةٌ ، فإذا لَقِيَهم العِيصُ فقال للأولِ : لِمَنْ[3] أنت ؟ ولِمَن هذه معك ؟ فليَقُلْ : لعبدِك يعقوبَ ، أهداها لسيدى العِيصِ . ولْيَقُلِ الذى بعده كذلك ، وكذا الذى بعدَه ، [4]وكذا الذى بعده[4] ، ويقولُ كلٌّ منهم : وهو جاءٍ بعدَنا . وتأخَّر يعقوبُ بزوجَتَيْه وأمَتَيْه [5]وبَنِيه الأحدَ عشَرَ[5] ، بعدَ الكلِّ بليلتين ، وجعَل يسيرُ فيهما ليلًا ويَكْمُنُ نهارًا ، فلما كان وقتُ الفجرِ [١٢٠/١ظ] من الليلةِ الثانيةِ تبدَّى له مَلَكٌ من الملائكةِ فى صورةِ رَجُلٍ ، فظنَّه

---

(١) ساعيرُ : اسم لجبال فلسطين فى التوراة . معجم البلدان ١١/٣ .

(٢) اللقحة : الناقة من حين يسمن سَنام ولدها حتى يمضى لها سبعة أشهر . اللسان (ل ق ح) .

(٣) فى م ، ص : « من » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل : « وبنتيه » .

يعقوبُ رجلًا مِن الناسِ ، فأتاه ليُصارِعَه ويُغالبَه ، فظهَر عليه يعقوبُ فيما يُرَى ، إلا أن المَلَكَ أصاب وَرِكَه ، فعَرَجَ يعقوبُ ، فلما أضاء الفجرُ قال له المَلَكُ : ما اسمُك ؟ قال : يعقوبُ . قال : لا ينبغى أن تُدعَى بعدَ اليومِ إلا إسرائيلُ . فقال له يعقوبُ : ومَن أنت ؟ وما اسمُك ؟ فذهَب عنه ، فعَلِم أنه مَلَكٌ من الملائكةِ ، وأصبَح يعقوبُ وهو يَعْرُجُ من رِجْلِه . فلذلك لا يأكُلُ بنو إسرائيلَ عِرْقَ النَّسَا[1] . ورفَع يعقوبُ عينَيْه فإذا أخوه عِيصُ قد أَقبَلَ فى أربعِمائةِ راجلٍ ، فتقدَّم أمامَ أهلِه ، فلما رأى أخاه العِيصَ سجَد له سبعَ مرَّاتٍ ، وكانت هذه تحيتَهم فى ذلك الزمانِ ، وكان مشروعًا لهم ، كما سجَدت الملائكةُ لآدَمَ تحيةً له وكما سجَد إخوةُ يوسُفَ وأبواه له ، كما سيأتى ، فلما رآه العِيصُ تَقَدَّمَ إليه واحتَضَنه وقَبَّله وبكَى ، ورفَع العِيصُ عينيه ونظَر إلى النساءِ والصبيانِ ، فقال : من أين لك هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين وهَب اللهُ لعبدِك . فدنَتْ الأَمَتَان وبنوهما فسجَدوا له ، ودنَت ليا وبنوها فسجدوا له ، ودنَت راحيلُ وابنُها يوسفُ [2]آخِرًا فسجَدا[2] له ، وعرَض عليه أَنْ يَقبَلَ هديتَه وأَلَحَّ عليه ، فقَبِلَها ، ورجَع العِيصُ فتقدَّم أمامَه ، ولَحِقَه يعقوبُ بأهلِه وما معه من الأنعامِ والمواشى والعبيدِ قاصِدِين جبالَ ساعِيرَ ، فلما مر بساحورا ابتَنَى له بيتًا ولدَوَابِّه ظِلالًا ، ثم مرَّ على أورشليمَ[3] قريةِ سحيمٍ[4] ، فنزَل قِبَلَ القريةِ ، واشتَرى مزرعةَ [5]بنى حمورٍ أبى سحيمٍ[5] بمائةِ نَعْجةٍ ، فضرَب هنالك فُسطاطَه ، وابتَنى ثَمَّ مذبَحًا ، فسمَّاه إيلَ إلهَ إسرائيلَ ، وأمره اللهُ ببنائِه ليَستعلِنَ

---

(١) النَّسَا : عصب يمتد من الوَرِك إلى الكعب . الوسيط ٢/٩٥٦ .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « فخرًا سجدًا » .

(٣) فى الأصل : « ساليم » ، وفى ا : « شاليم » .

(٤) فى م ، ص : « شخيم » . وكذلك فى المواضع الآتية كلها .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « شخيم بن جمور » .

فيه[1] ، [١٢١/١و] وهو بيتُ المَقْدِسِ اليومَ ، الذى جدَّده بعدَ ذلك سليمانُ ابنُ داودَ عليهما السلامُ ، وهو مكانُ الصخرةِ التى أَعْلَمَها بوضعِ[2] الدُّهْنِ عليها قبلَ ذلك ، كما ذكَرنا أولًا[3] .

[4]وذكَر أهلُ الكتابِ[5] هنا قصةَ دينا بنتِ يعقوبَ ، مِن ليا ، وما كان مِن أمرِها[6] مع سحيمِ بنِ حمورٍ ، [7]الذى قهَرها[7] على نفسِها وأدخلَها منزلَه ، ثم خطَبها من[8] أبيها وإخوتِها ، فقال إخوتُها : لا نفعلُ إلا أن تَخْتَتِنُوا كلُّكم ، فنُصاهرَكم وتُصاهرونا ، فإنّا لا نُصاهِرُ قومًا غُلْفًا . فأجابوهم إلى ذلك واختَتَنوا كلُّهم ، فلمّا كان اليومُ الثالثُ ، واشتَدَّ وجَعُهم مِن ألمِ الخِتانِ ، مال عليهم بنو يعقوبَ فقتلوهم عن آخرِهم ، وقتلوا سحيمًا وأباه حمورًا ؛ لقبيحِ ما صنعوا إليهم ، مضافًا إلى كفرِهم ، وما كانوا يعبدونه مِن أصنامِهم ، فلهذا قتَلهم بنو يعقوبَ ، وأخَذوا أموالَهم غنيمةً . واللهُ أعلمُ[4] .

ثم حمَلت راحيلُ فولَدتْ غلامًا ، وهو بنيامينُ ، إلَّا أنها جَهَدَت فى طَلْقِها به جَهْدًا شديدًا وماتت عَقِيبَه ، فدفَنها يعقوبُ فى أفراثٍ ، وهى بيتُ لَحْمٍ ، وصنَع يعقوبُ على قبرِها حَجرًا ، وهى الحجارةُ المعروفةُ بقبرِ راحيلَ إلى اليومِ .

---

(١) يستعلن فيه : يجهر فيه بدينه . اللسان (ع ل ن) .
(٢) فى الأصل : « موضع » .
(٣) وانظر سفر التكوين الأصحاح ٢٥ - ٣٥ .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ح .
(٥) سفر التكوين الأصحاح ٣٤ .
(٦) فى الأصل : « أمره » .
(٧ - ٧) فى الأصل : « التى قررها » .
(٨) فى م ، ص : « عن » .

وكان أولادُ يعقوبَ الذُّكورُ اثْنَىْ عشَرَ رجلًا ، فمِن ليا ؛ روبيلُ ، وشمعونُ ، ولاوِى ، ويهوذا ، وأيساخرُ ، وزابلونُ . ومِن راحيلَ ؛ يوسفُ ، وبنيامينُ . ومِن أَمَةِ راحيلَ ؛ دانُ ، ونفثالى . ومن أَمَةِ ليا ؛ جادُ ، وأَشيرُ ، عليهم السلامُ . وجاء يعقوبُ إلى أبيه إسحاقَ ، فأقام عندَه بقريةِ حبرونَ التى فى أرضِ كَنْعَانَ حيث كان يسكُنُ إبراهيمُ ، ثم مَرِض إسحاقُ وماتَ عن مائةٍ وثمانين سنةً ، ودفنَه ابناه العِيصُ ويعْقوبُ مع أبيه إبراهيمَ الخليلِ ، فى المغارةِ التى اشتراها كما قدَّمنا[1] . واللهُ سبحانه أعلمُ بذلك .

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٣٣٠ . وفيه أن عمر إسحاق عند وفاته مائة وستون سنة . وانظر سفر التكوين الأصحاح ٣٥/١٦ - ٢٩ .

ذكرُ ما وقَع من الأمورِ العجيبةِ فى حيَاةِ إسرائيلَ عليه السلامُ، فمِن ذلك قصةُ يوسُفَ بنِ راحيلَ

وقد أنزَل اللهُ عز وجل فى شأنِه وما كان مِن أمرِه سورةً من القرآنِ العظيمِ ، ليُتَدبَّرَ ما فيها مِن الحكمِ والمواعظِ والآدابِ والأمرِ الحكيمِ . أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ١ - ٣] . قد تكلَّمنا على الحروفِ المقطَّعةِ فى أولِ تفسيرِ سورةِ « البقرة » فمَن أراد تحقيقَه فلْينظُرْه ثَمَّ[1] ، وتكلمنا على هذه السورةِ مستقصًى فى موضعِها مِن « التفسيرِ »[2] ، ونحن نذكُرُ ههنا نُبَذًا مما هناك على وجهِ الإيجازِ والنَّجازِ .

وجملةُ القولِ فى هذا المَقامِ ، أنه تعالى يَمدَحُ كتابَه العظيمَ ، الذى أنزَله على عبدِه ورسولِه الكريمِ ، بلسانٍ عربىٍّ فصيحٍ بيِّنٍ واضحٍ جَلِىٍّ ، يفهمُه كلُّ عاقلٍ ذكىٍّ زكىٍّ ، فهو أشرَفُ كتابٍ نزَل من السماءِ ، أنزَله أشرفُ الملائِكةِ على أشرفِ الخلقِ ، فى أشرفِ زمانٍ ومكانٍ ، بأفصحِ لغةٍ وأظهرِ بيانٍ ، فإن كان السِّياقُ فى الأخبارِ الماضيةِ أو الآتيةِ ، ذكَر أحسنَها وأبْيَنَها ، وأظهَرَ الحقَّ مِمّا اختلَف الناسُ فيه ، ودمَغ [١٢١/١ظ] الباطلَ وزيَّفه وردَّه ، وإن كان فى الأوامرِ والنَّواهِى ، فأعْدَلُ الشرائعِ وأوضحُ المناهجِ ، وأبْيَنُ حُكْمًا

---

(١) التفسير ٥٦/١ - ٦٠ .

(٢) التفسير ٢٩٤/٤ .

وأعدَلُ حَكَمًا ، فهو كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] . يعنى صِدْقًا فى الأخبارِ عدلًا فى الأوامرِ والنواهِى . ولهذا قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ . أى ؛ بالنسبةِ إلى ما أُوحِىَ إليك فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٢ ، ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا * مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا * خَـٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴾ [طه : ٩٩ - ١٠١] . يعنى مَن أعرَضَ عن هذا القرآنِ واتَّبَعَ غيرَه من الكتبِ ، فإنه ينالُه هذا الوعيدُ ، كما قال فى الحديثِ المروىِّ فى « المُسنَدِ » و « التِّرمذىِّ »[1] ، عن أميرِ المؤمنين علىٍّ ، مرفوعًا وموقوفًا : « مَن ابتَغَى الهُدَى فى غيرِه أضلَّه اللهُ » . وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا سُرَيْجُ ابنُ النعمانِ ، حدثنا هُشَيْمٌ[3] ، أنبأنا مُجالدٌ[4] ، عن الشَّعْبىِّ ، عن جابرٍ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ أتَى النبىَّ ﷺ بكتابٍ أصابَه من بعضِ أهلِ الكتابِ ، فقرَأه

---

(١) المسند ٩١/١ مرفوعًا (إسناده ضعيف جدًّا) ، الترمذى (٢٩٠٦) مرفوعًا ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول وفى حديث الحارث مقال (ضعيف الترمذى ٥٥٤) . وانظر الكلام عليه فى تخريج شرح العقيدة الطحاوية ١٠/١ .

(٢) المسند ٣٨٧/٣ ، قال فى المجمع ١٧٤/١ : وفيه مجالد بن سعيد ، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما .

(٣) فى الأصل : « هاشم » ، وفى م ، ص : « هشام » .

(٤) فى م ، ص : « خالد » .

(١على النبىِّ١) ﷺ ، فغَضِب وقال : « أمُتَهَوِّكُون(٢) فيها يا ابنَ الخطابِ ؟ والذى نفسِى بيدِه ، لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيةً ، لا تسألوهم عن شىءٍ ، فيخبروكم بحقٍّ فتُكذِّبوا به ، أو بباطلٍ فتُصدِّقوا به ، والذى نفسى بيده ، لو أنَّ موسَى كان حيًّا ما وَسِعَه إلا أنْ يَتَّبِعَنى » . إسنادٌ صحيحٌ . ورواه(٣) مِن وجهٍ آخرَ ، عن عُمَرَ وفيه : فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « والذى نفسِى بيدِه ، لو أصبَح فيكم موسى ثم اتَّبعتُموه وتركتمونى لضَلَلتُم ، إنَّكم حظِّى مِن الأممِ وأنا حظُّكم مِن النَّبِيِّين » . وقد أوردتُ طرقَ هذا الحديثِ وألفاظَه فى أولِ سورةِ « يوسف »(٤) وفى بعضِها أن رسولَ اللهِ ﷺ خطَب الناسَ ، فقال فى خُطبتِه : « أيها الناسُ ، إنّى قد أُوتيتُ جوامِعَ الكَلِمِ وخواتِيمَه واختُصِرَ لىَ اختصارًا ، ولقد أَتَيْتُكم بها بيضاءَ نَقِيَّةً ، فلا تَتَهوَّكوا ولا يَغُرَّنَّكم المُتَهَوِّكون » . ثم أَمَر بتلك الصحيفةِ ، فمُحِيَت حرفًا حرفًا .

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ * قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ [١٢٢/١و] فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٤ - ٦] . (٥قد قدمنا أن يعقوبَ كان له من البَنِينَ اثنا عشَرَ ولدًا ذَكَرًا وسَمَّيْناهم ، وإليهم يَنْتسِبُ أسباطُ بنى إسرائيلَ كلُّهم ، وكان أشرفُهم وأَجَلُّهم٥)

(١ - ١) فى المسند : « النبى » .

(٢) المتهَوِّكُ : الذى يقع فى الأمر بغير رويَّةٍ . النهاية ٢٨٢/٥ .

(٣) المسند ٤٧٠/٣ ، ٤٧١ . قال فى المجمع ١٧٣/١ : ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابرا الجعفى وهو ضعيف .

(٤) انظر التفسير ٢٩٦/٤ ، ٢٩٧ .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

(١وأعظمُهم يوسفَ عليه السلامُ . وقد ذهَب طائفةٌ مِن العلماءِ إلى أنه لم يَكُنْ فيهم نبيٌّ غيرُه وباقِى إخوتِه لم يُوحَ إليهم . وظاهِرُ ما ذُكِر من فَعالِهم ومَقالِهم فى هذه القصةِ يدلُّ على هذا القولِ . ومَن استدَلَّ على نبوتِهم بقولِه : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة : ١٣٦] . وزعَم أن هؤلاء هم الأسباطُ ، فليس استدلالُه بقوىٍّ ؛ لأن المرادَ بالأسباطِ شعوبُ بنى إسرائيلَ ، وما كان يُوجَدُ فيهم مِن الأنبياءِ الذين ينزلُ عليهم الوحْىُ مِن السماءِ ، واللهُ أعلمُ . ومما يؤيدُ أن يوسُفَ عليه السلامُ هو المختَصُّ من بينِ إخوتِه بالرسالةِ والنبوةِ ، أنه نَصَّ على (٢نبوتِه والإيحاءِ إليه فى غيرِ ما آيةٍ من كتابِه العزيزِ ، ولم يَنُصَّ على٢) واحدٍ مِن إخوتِه سواه ، فدلَّ على ما ذكرناه . ويُستأنَسُ لهذا بما قال الإمامُ أحمدُ(٣) : حدثنا عبدُ الصمدِ ، حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ(٤) عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عُمَرَ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ ، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ » . انفرَد به البخارىُّ(٥) ، ورواه عن عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ (٦وعَبْدَةَ ، عن٦) عبدِ الصَّمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، به . وقد ذكرنا طُرُقَه فى قصةِ إبراهيمَ بما أغنَى عن إعادتِه ههنا ، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ١) .

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣) المسند ٢/٩٦ . (إسناده صحيح) .

(٤) فى م ، ص : « عن » .

(٥) البخارى (٣٣٩٠ ، ٤٦٨٨) .

(٦ - ٦) فى الأصل : « بن » .

قال المفسرون وغيرُهم[1] : رأى يوسُفُ عليه السلامُ وهو صغيرٌ قبلَ أنْ يَحتَلِمَ ، كأنَّ ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ وهم إشَارةٌ إلى بقيةِ إخوتِه ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ وهما عبارةٌ عن أَبَوَيْه ، قد سجَدوا له ، فهَالَه ذلك ، فلما استيقَظ قصَّها على أبيه ، فعرَف أبوه أنه سيَنالُ منزلةً عاليةً ورِفْعةً عظيمةً فى الدنيا والآخرةِ ، بحيث يَخضَعُ له أَبَواه وإخوتُه فيها ، فأمَره بكِتمانِها وأن لا يَقُصَّها على إخوتِه ؛ كيلا يَحسُدُوه ويَبْغُوا له الغوائِلَ ويَكِيدُوه بأنواعِ الحِيَلِ والمكرِ . وهذا يدُلُّ على ما ذكرناه[2] ، ولهذا جاء فى بعضِ الآثارِ[3] : « استعينوا على قضاءِ حوائِجِكم بكِتْمانِها ؛ فإنَّ كلَّ ذِى نِعمةٍ محسودٌ » . وعندَ أهلِ الكتابِ ، أنه قصَّها على أبيه وإخوتِه معًا . وهو غَلَطٌ منهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أى ؛ وكما [١٢٢/١ظ] أراك هذه الرؤيا العظيمةَ فإذا كتَمْتَها ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أى ؛ يَخُصُّك بأنواعِ اللُّطْفِ والرحمةِ ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ أى ؛ يُفَهِّمُك مِن معانى الكلامِ وتعبيرِ المَنامِ ما لا يَفْهَمُه غيرُك ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أى ؛ بالوحىِ إليك ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ أى ؛ بسببك ، ويَحصُلُ لهم بك خيرُ الدنيا والآخرةِ ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ أى ؛ يُنعِمُ عليكَ ويُحسِنُ إليك بالنبوةِ كما أعطاها أباك يعقوبَ وجَدَّك إسحاقَ ووالدَ جَدِّك إبراهيمَ الخليلَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . ولهذا قال رسولُ اللهِ ﷺ لمَّا سُئِل : أىُّ الناسِ أَكْرَمُ ؟ قال : « يوسفُ نبىُّ اللهِ ابنُ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٥١/١٢ .

(٢) يعنى أنه لم يكن فيهم نبى غيره .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١٨٣) ، والأوسط (٢٤٧٦) ، والصغير (٤٠٨) . من حديث معاذ . والسهمى فى تاريخ جرجان ص ١٨٢ . من حديث أبى هريرة . وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٥٣) .

نبيِّ اللهِ ابنِ نبيِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ »[1] . وقد روَى ابنُ جَريرٍ[2] وابنُ أبى حاتمٍ فى « تفسيرَيْهما » ، وأبو يَعْلَى والبزَّارُ فى « مُسْنَدَيْهما » ، مِن حديثِ الحَكَمِ بنِ ظُهَيْرٍ - وقد ضعَّفه الأئمةُ - عن السُّدِّىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابِطٍ ، عن جابرٍ قال : أتى النبىَّ ﷺ رجلٌ من اليهودِ يقالُ له : بستانةُ[3] اليهودىُّ . فقال : يا محمدُ ، أَخْبِرْنى عن الكواكبِ التى رآها يوسفُ أنها ساجدةٌ له ؛ ما أسماؤُها ؟ قال : فسكَت النبىُّ ﷺ فلم يُجِبْه بشىءٍ ، ونزَل جبريلُ عليه السلامُ بأسمائِها . قال : فبعَث إليه رسولُ اللهِ ، فقال : « هل أنت مُؤمِنٌ إنْ أخبرتُك بأسمائِها ؟ » . قال : نعم . فقال : « هى جربانُ ، والطارقُ ، والذيالُ ، وذو الكنفاتِ[4] ، وقابسُ ، ووثابُ ، وعمودانُ[5] ، والفيلقُ[6] ، والمصبحُ ، والصروحُ ، وذو الفرعِ ، والضياءُ ، والنورُ » . فقال اليهودىُّ : إى واللهِ ، إنَّها لأسماؤُها . وعندَ أبى يَعْلَى[7] : فلمّا قصَّها على أبيه ، قال : هذا أمرٌ مشتَّتٌ يَجمَعُه اللهُ ، والشمسُ أبوه والقمرُ أمُّه .

---

(١) البخارى (٣٣٧٤) ، مسلم (٢٣٧٨) .

(٢) تفسير الطبرى ١٥١/١٢ ، كشف الأستار (٢٢٢٠) ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٩/٧ : رواه البزار ، وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك . ورواه العقيلى فى الضعفاء ٢٥٩/١ ، وقال : لا يصح . ورواه ابن حبان فى المجروحين ٢٥٠/١ ، ٢٥١ عن أبى يعلى ، وقال : وهذا لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ .

(٣) فى كشف الأستار : « بسنان » .

(٤) فى م ، ص : « الكتفان » ، وفى تفسير الطبرى : « الكتفين » .

(٥) فى الأصل : « عمروان » ، وفى م ، ص : « عمردان » .

(٦) فى الأصل : « الفليق » .

(٧) لم نجده فى مسنده .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ [يوسف : ٧ - ١٠] . ينبِّهُ تعالى على ما فى هذه القصةِ مِن الآياتِ والحِكَمِ والدِّلالاتِ والمواعظِ والبيناتِ . ثم ذكَر حسدَ إخوةِ يوسفَ له على محبَّةِ أبيه له ولأخيه - يعنون شقيقَه لأمِّه بنيامينَ - أكثرَ منهم وهم عُصْبةٌ ؛ أى جماعةٌ . يقولون : فكنَّا نحن أحقَّ بالمحبةِ مِن هذَيْن ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أى بتقديمِه حبَّهما علينا . ثم اشتَوَرُوا [١٢٣/١و] فيما بينَهم فى قتلِ يوسفَ أو إبعادِه إلى أرضٍ لا يَرجِعُ منها ، ليَخلوَ لهم وجهُ أبيهم ؛ أى لتتمحَّضَ محبتُه لهم وتَتوفَّرَ عليهم ، وأضْمَروا التوبةَ بعدَ ذلك . فلمّا تمالَأُوا على ذلك وتوافَقُوا عليه ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ قال مُجاهدٌ[1] : هو شمعونُ . وقال السُّدِّىُّ[2] : هو يَهُوذَا . وقال قتادةُ ومحمدُ بنُ إسحاقَ[1] : هو أكبرُهم روبيلُ . ﴿ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ أى المارَّةُ من المسافرين ﴿ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ ما تقولون لا محالةَ فليكُنْ هذا الذى أقولُه لكم ، فهو أقربُ حالًا مِن قَتْلِه أو نَفْيِه وتغريبِه . فأجمَعوا رأيَهم على هذا ، فعندَ ذلك ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَـٰصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ * قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ * قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ [يوسف : ١١ - ١٤] . طلبوا مِن أبيهم أنْ

---

(١) تفسير الطبرى ١٢/١٥٦ .

(٢) تفسير الطبرى ١٢/١٦٠ .

يُرسِلَ معهم أخاهم يوسفَ ، وأظهَروا له أنهم يريدون أن يَرْعَى معهم ، وأَنْ يلعبَ ويَنبَسِطَ ، وقد أضمَروا له ما اللهُ به عليمٌ ، فأجابهم الشيخُ عليه مِن اللهِ أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ : يا بَنِيَّ ، يَشُقُّ عليَّ أن أفارقَه ساعةً من النهارِ ، ومع هذا أَخْشَى أن تشتَغِلوا فى لَعِبِكم وما أنتم فيه فيأتىَ الذئبُ فيأكُلَه ، ولا يَقدِرُ على دفعِه عنه ؛ لصِغَرِه وغفلتِكم عنه . ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ أى لئن عدَا عليه الذئبُ فأكَله مِن بيننا ، أوِ اشتغَلنا عنه حتى وقَع هذا ونحن جماعةٌ ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ أى ؛ عاجِزون هالِكون . وعندَ أهلِ الكتابِ أنه أرسَله وراءَهم يَتْبَعُهم ، فضَلَّ عن الطريقِ حتى أرشدَه رجلٌ إليهم . وهذا أيضًا مِن غَلَطِهم وخَطَئِهم فى التَّعريبِ ؛ فإن يعقوبَ عليه السلامُ كان أحرَصَ عليه مِن أنْ يَبعثَه معهم ، فكيف يبعثُه وحدَه ؟!

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَجَآءُوٓاْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ * وَجَآءُواْ عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٥ - ١٨] . لم يزالوا بأبيهم حتى بعَثه معهم ، فما كان إلا أن غابُوا عن عينِه ، فجعلوا يَشتُمونه ويُهِينونه بالفَعالِ والمَقالِ ، وأجمَعُوا [١٢٣/١ظ] على إلقائِه فى غَيَابَةِ الجُبِّ ؛ أى فى قَعْرِه ، على راعُوفَتِه - وهى الصخرةُ التى تكونُ فى وسطِه يقفُ عليها المائِحُ ؛ وهو الذى يَنزِلُ ليَملأَ الدِّلاءَ إذا قلَّ الماءُ ، والذى يرفعُها بالحبلِ يُسمَّى الماتِحَ[1] - فلما ألقَوْه فيه أوحَى اللهُ إليه أنه لا بُدَّ لك مِن فَرَجٍ

---

(١) فى الأصل : « المائح » .

ومَخْلَصٍ ومَخْرَجٍ مِن هذه الشِّدَّةِ التى أنت فيها ، ولَتُخْبِرَنَّ إخوتَك بصَنيعِهم هذا ، فى حالٍ أنت فيها عزيزٌ وهم محتاجون إليك خائفون منك ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال مُجاهدٌ وقَتادةُ[1] : وهم لا يشعرون بإيحاءِ اللهِ إليه ذلك . وعن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أى ؛ لَتُخْبِرَنَّهم بأمرِهِم هذا فى حالٍ لا يعرفونك فيها . رواه ابنُ جريرٍ[2] عنه ، فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قميصَه فلطَّخُوه بشىءٍ مِن دمٍ ، ورجعوا إلى أبيهم عِشاءً وهم يبكون ؛ أى على أخيهم . ولهذا قال بعضُ السلفِ : لا يَغُرَّنَّك بكاءُ المتظلِّمِ ، فرُبَّ ظالمٍ وهو باكٍ . وذكَر بكاءَ إخوةِ يوسفَ . وقد جاءوا أباهم عِشاءً يبكون ، أى ؛ فى ظُلمةِ الليلِ ليَكونَ أَمْشَى لغَدْرِهم لا لعُذْرِهم ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا ﴾ أى ؛ ثيابِنا ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ أى ؛ فى غَيْبتِنا عنه فى استباقِنا . وقولُهم : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ أى ؛ وما أنت بمصدِّقٍ لنا فى الذى أخبرناك مِن[3] أكْلِ الذِّئبِ له ، ولو كنَّا غيرَ متَّهَمين عندَك ، فكيف وأنت تتَّهِمُنا فى هذا ؟ فإنك خشيتَ أنْ يأكُلَه الذئبُ وضَمِنَّا لك أن لا يَأكُلَه لكثرتِنا حولَه ، فصِرْنا غيرَ مُصَدَّقِين عندَك ، فمعذورٌ أنت فى عدمِ تصديقِك لنا والحالةُ هذه ﴿ وَجَآءُوا۟ عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أى مكذوبٍ مفتعَلٍ . لأنهم عَمَدوا إلى سَخْلَةٍ[4] ذبَحوها فأخذوا من دمِها فوضعوه على قميصِه ؛ ليُوهِموا أنه أكَله الذئبُ[5] . قالوا : ونَسَوْا أن يُخَرِّقوه . وآفةُ الكذبِ النِّسيانُ . ولما ظهَرت عليهم علائمُ الرِّيبةِ لم يَرُجْ

---

(١) تفسير الطبرى ١٢/١٦١ .

(٢) تاريخ الطبرى ١/٣٣٣ .

(٣) فى الأصل ، ص : « فى » .

(٤) السَّخْلَةُ : ولدُ الشاة . القاموس (س خ ل) .

(٥) تفسير الطبرى ١٢/١٦٣ .

صنيعُهم على أبيهم ؛ فإنه كان يَفهَمُ عداوتَهم له وحسَدَهم إياه على محبتِه له مِن بينِهم أكثرَ منهم ، لِما كان يَتوسَّمُ فيه مِن الجلالةِ والمهابةِ التى كانت عليه فى صِغَرِه ، لِما يريدُ اللهُ أَنْ يَخُصَّه به مِن نبوتِه ، ولمَّا راودُوه عن أخذِه ، فبمجرَّدِ ما أخذوه أعدَموه وغيَّبوه عن عينِه ، وجاءُوا وهم يتباكون وعلى ما تمالأوا عليه يتواطَئُون ؛ ولهذا ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] . وعندَ أهلِ الكتابِ[1] أن روبيلَ أشار بوَضْعِه فى الجُبِّ ؛ ليَأخذَه مِن حيثُ لا يشعرون ويَرُدَّه إلى أبيه ، فغافَلُوه وباعُوه لتلك القافلةِ ، [١٢٤/١و] فلما جاء روبيلُ مِن آخرِ النهارِ ليُخرِجَ يوسفَ لم يَجِدْه ، فصاح وشقَّ ثيابَه وحَزِن[2] ، وعَمَد أولئك إلى جَدْيٍ فذبَحوه ولطَّخُوا مِن دمِه جُبَّةَ يوسفَ ، فلما عَلِم يعقوبُ شقَّ ثيابَه ولَبِس مِئْزَرًا أسودَ وحزِن على ابنِه أيامًا كثيرةً . وهذه الرَّكاكةُ جاءت مِن خطئِهم فى التعبيرِ والتصويرِ .

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٩ - ٢٢] . يخبرُ تعالى عن قصةِ يوسفَ حينَ وُضِع فى الجُبِّ ، أنه جلَس ينتظِرُ فرَجَ اللهِ ولطفَه به ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ أى ؛ مسافرون . قال أهلُ الكتابِ : كانت بضاعتُهم من الفُسْتُقِ والصَّنَوْبَرِ والبُطْمِ ، قاصدين ديارَ مصرَ

---

(١) وقصة يوسف عليه السلام وردت فى سفر التكوين الأصحاح (٣٧ - ٥٠) .

(٢) زيادة من : الأصل .

من الشامِ ، فأرسلوا بعضَهم ليَستَقُوا مِن ذلك البئرِ ، فلما أَدْلَى أحدُهم دَلْوَه تعلَّق فيه يوسفُ ، فلما رآه ذلك الرجلُ ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ أى ؛ يا بِشارتِى ﴿ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ أى ؛ أوهَموا أنَّ معهم غلامًا مِن جُملةِ مَتْجَرِهم . ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أى ؛ هو عالِمٌ بما تمالأ عليه إخوتُه ، وبما يُسِرُّه واجدُوه مِن أنه بضاعةٌ لهم ، ومع هذا لا يُغيِّرُه تعالى ؛ لِمَا له فى ذلك من الحكمةِ العظيمةِ والقَدَرِ السابقِ والرحمةِ بأرضِ[1] مصرَ ، بما[2] يُجْرِى اللهُ على يَدَىْ هذا الغلامِ الذى يَدخُلُها فى صورةِ أسيرٍ رقيقٍ ، ثم بعدَ ذلك يُمَلِّكُه أَزِمَّةَ الأمورِ ، ويَنفعُهم اللهُ به فى دنياهم وأخراهم بما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ .

ولمّا استَشعَر إخوةُ يوسفَ بأخذِ السَّيَّارةِ له لَحِقوهم وقالوا : هذا غلامُنا أَبِقَ منَّا . فاشتَرَوْه منهم بثمنٍ بخسٍ ؛ أى قليلٍ نَزْرٍ . وقِيل : هو الزَّيْفُ ﴿ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ قال ابنُ مسعودٍ ، وابنُ عباسٍ ، ونَوْفٌ البِكَالىُّ ، والسُّدِّىُّ ، وقَتادةُ ، وعطيةُ العَوْفىُّ : باعُوه بعشرين درهمًا ، اقتَسَموها دِرْهَمَيْن دِرْهَمَيْن . وقال مُجاهدٌ : اثنانِ وعشرون درهمًا . وقال عِكْرِمةُ ومحمدُ بنُ إسحاقَ : أربعون درهمًا[3] . فاللهُ أعلمُ . ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ أى ؛ أحسِنى إليه [4]﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ وهذا مِن لطفِ اللهِ به ورحمتِه وإحسانِه إليه[4] بما يريدُ أن يُؤهِّلَه له ويُعطِيَه من خيرِ الدنيا [١/١٢٤ظ] والآخرةِ . قالوا : وكان الذى اشتَراه من أهلِ مصرَ عزيزَها ؛ وهو الوزيرُ بها الذى الخزائنُ مسلَّمةٌ إليه . قال

---

(١) فى م ، ص : « بأهل » .

(٢) فى الأصل ، ص : « فيما » .

(٣) تفسير الطبرى ١٢/١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

ابنُ إسحاقَ[1] : واسمُه أطفيرُ بنُ روحيبَ . قال : وكان مَلِكُ مصرَ يومئذٍ الرَّيَّانَ بنَ الوليدِ رجلٌ من العماليقِ . قال : واسمُ امرأةِ العزيزِ راعيلُ بنتُ رعائيلَ . وقال غيرُه : كان اسمُها زَلِيخا . [2]والظاهرُ أنه لقبُها[2] . وقيل : فكا بنتُ ينوس . رواه الثَّعلبيُّ[3] ، عن أبى هشامٍ الرفاعيِّ . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بن السائِبِ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ : كان اسمُ الذى باعه بمصرَ - يعنى الذى جَلَبه إليها - مالكَ بنَ دغرِ بنِ ثويبِ بنِ [4]عفقا بنِ مَدْيانَ[4] بنِ إبراهيمَ . فاللهُ أعلمُ . وقال ابنُ إسحاقَ ، عن أبى عبيدَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : أَفْرَسُ الناسِ ثلاثَةٌ ؛ عزيزُ مصرَ حينَ قال لامرأتِه : ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ . والمرأةُ التى قالت لأبيها عن موسى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] . وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ حينَ استخلَف عمرَ بنَ الخطابِ رضى اللهُ عنهما[5] . ثم قِيل : اشتراه العزيزُ بعشرين دينارًا . وقيل : بوزْنِه مسكًا ووزنِه حريرًا ووزنِه وَرِقًا . فاللهُ أعلمُ . وقولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أى ؛ وكما قيَّضْنا هذا العزيزَ وامرأتَه يُحسِنان إليه ويَعتنيان به ، مكَّنَّا له فى أرضِ مصرَ ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ أى ؛ فهمِها ، وتعبيرُ الرؤيا من ذلك ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٣٥/١ .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) قصص الأنبياء ص ١٠٣ ، وعنده « بكا بنت فيوش » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « غفقا بن عدنان » ، وفى تفسير الطبرى : « عنقاء بن مديان » .

(٥) تفسير الطبرى ١٧٦/١٢ . والحاكم فى مستدركه ٩٠/٣ وقال : صحيح . ورواه من وجه آخر الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود ١٨٥/٩ . والحاكم فى مستدركه ٣٤٥/٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٦٨/١٠ : رواه الطبرانى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح إن كان محمد بن كثير - أحد الرواة - هو العبدى ، وإن كان هو الثقفى فقد وثق على ضعف كثير فيه .

وقد تابعه وكيع فى رواية الحاكم .

أَمْرِهِ ﴾ أى ؛ إذا أراد شيئًا فإنه يُقيِّضُ له أسبابًا وأمورًا لا يَهتدِى إليها العبادُ . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فدَلَّ على أن هذا كلَّه وهو قبلَ بلوغِ الأَشُدِّ ؛ وهو حَدُّ الأربعين الذى يُوحِى اللهُ فيه إلى عبادِه النبيِّين عليهم الصلاةُ والسلامُ مِن ربِّ العالمين . وقد اختَلفوا فى مدةِ العمرِ الذى هو بلوغُ الأَشُدِّ[1] ؛ فقال مالِكٌ ، وربيعةُ ، وزيدُ بنُ أَسْلَمَ ، والشَّعْبىُّ : هو الحُلُمُ . وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : ثمانَى عشْرةَ سنةً . وقال الضحاكُ : عشرون سنةً . وقال عِكْرمةُ : خمسٌ وعشرون سنةً . وقال السُّدِّىُّ : ثلاثون سنةً . وقال ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ، وقَتادةُ : ثلاثٌ وثلاثون سنةً . وقال الحسنُ : أربعون سنةً . ويَشهَدُ له قولُه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف : ١٠٥] .

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ * وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ [١٢٥/١و] مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٠٦/٤ ، تفسير الطبرى ٨٥/٨ ، ١٧٧/١٢ .

[يوسف : ٢٣ - ٢٩] . يذكرُ تعالى ما كان من أمرِ[1] مُراودةِ امرأةِ العزيزِ ليوسفَ عليه السلامُ عن نفسِه ، وطَلَبِها منه ما لا يَلِيقُ بحالِه ومَقامِه ، وهى فى غايةِ الجمالِ والمالِ والمَنْصِبِ والشبابِ ، وكيف غَلَّقَت الأبوابَ عليها وعليه ، وتهيَّأت له وتصنَّعَت ولَبِسَت أحسنَ ثيابِها وأفخرَ لباسِها ، وهى مع هذا كلِّه امرأةُ الوزيرِ . قال ابنُ إسحاقَ : وبنتُ أختِ الملكِ الرَّيَّانِ بنِ الوليدِ صاحبِ مصرَ . وهذا كلُّه مع أنَّ يوسفَ عليه السلامُ ، شابٌّ بديعُ الجمالِ والبهاءِ ، إلَّا أنه نَبىٌّ مِن سُلالةِ الأنبياءِ ، فعصَمه ربُّه عن الفحشاءِ وحماه عن مَكرِ النِّساءِ ، فهو سيدُ السادةِ النُّجَباءِ السبعةِ الأتقياءِ المذكورين فى « الصحيحين »[2] عن خاتَمِ الأنبياءِ ، فى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ من ربِّ الأرضِ والسماءِ : « سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ فى ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه ؛ إمامٌ عادِلٌ ، ورجلٌ ذكَر اللهَ خاليًا ففاضَت عَيْناه ، ورجلٌ مُعلَّقٌ قلبُه بالمسجِدِ إذا خرَج منه حتى يعودَ إليه ، ورجلانِ تحابَّا فى اللهِ اجتَمعا عليه وتفرَّقا عليه ، ورجلٌ تَصَدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه ، وشابٌّ نشَأ فى عبادةِ اللهِ ، ورجلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وجمالٍ فقال : إنِّى أخافُ اللهَ » .

والمقصودُ أنها دعَته إليها وحرَصَت على ذلك أشَدَّ الحرصِ ، فقال : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ ﴾ يعنى زوجَها صاحبَ المنزلِ سيِّدِى ﴿ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ أى ، أحسَن إلىَّ وأكرمَ مُقامى عندَه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ وقد تكلَّمنا على قولِه : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ بما فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ فى « التَّفسيرِ »[3] . وأكثرُ أقوالِ المفسِّرين ههنا متلَقًّى من كتبِ أهلِ

---

(١) زيادة من : الأصل ، ح .

(٢) البخارى (٦٦٠) ، مسلم (١٠٣١) . وسياق ابن كثير فيه تقديم وتأخير عن سياق الصحيحين .

(٣) التفسير ٤/٣٠٨ ، ٣٠٩ .

الكتابِ ، فالإعراضُ عنه أَوْلَى بنا . والذى يجبُ أنْ يُعْتَقَدَ أن اللهَ تعالى عصَمه وبرَّأه ، ونزَّهَه عن الفاحشةِ وحمَاه عنها وصانه منها . ولهذا قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ * وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ أى ؛ هرَبَ منها طالبًا إلى البابِ [١٢٥/١ظ] ليخرُجَ منه فرارًا مِنها ، فاتَّبَعته فى أثرِه ﴿ وَأَلْفَيَا ﴾ (١أى ؛ وجَدَا١) ﴿ سَيِّدَهَا ﴾ أى زوجَها ﴿ لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ فبَادَرَته بالكلامِ وحرَّضَته عليه ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ اتَّهَمته وهى المتَّهَمةُ ، وبَرَّأت عِرضَها ونزَّهت ساحتَها ؛ فلهذا قال يوسفُ عليه السلامُ : ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ احتاج إلى أن يقولَ الحقَّ عندَ الحاجةِ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ قِيل : كان صغيرًا فى المهْدِ . قاله ابنُ عباسٍ . ورُوِى عن أبى هُرَيرةَ ، وهلالِ بنِ يسَافٍ ، والحسنِ البصرىِّ ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، والضحاكِ ، واختاره ابنُ جَريرٍ[٢] ، ورَوَى فيه حديثًا مرفوعًا عن ابنِ عباسٍ ، ووقَفه غيرُه عنه[٣] . وقِيل : كان رجلًا قريبًا إلى أطفيرَ بعلِها . وقِيل : قريبًا إليها . وممَّن قال إنَّه كان رجلًا ؛ ابنُ عباسٍ ، وعِكْرِمةُ ، ومُجاهدٌ ، والحسنُ ، وقَتادةُ ، والسُّدِّىُّ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، وزيدُ بنُ أَسْلَمَ . فقال : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أى ؛ لأنه يكونُ قد راودها فدافعَتْه حتى قَدَّت مُقَدَّمَ قميصِه ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أى ؛ لأنه يكونُ قد هرَب منها فاتَّبَعَتْه وتعلَّقتْ فيه فانشَقَّ قميصُه لذلك . وكذلك كان ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢) تفسير الطبرى ١٢/١٩٣ - ١٩٥ .

(٣) أما المرفوع فرواه ابن جرير فى التفسير ١٢/١٩٤ والحاكم فى المستدرك ٢/٤٩٥ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأما الموقوف فرواه ابن جرير فى تفسيره ١٢/١٩٣ .

إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ أى ؛ هذا الذى جرَى مِن مَكرِكن ، أنتِ راودْتِه عن نفسِه ثم اتَّهَمْتِه بالباطلِ . ثم أضرَبَ بعلُها عن هذا صفحًا ، فقال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ أى ؛ لا تذكُرْه لأحدٍ ؛ لأن كِتْمانَ مثلِ هذه الأمورِ هو الأَلْيَقُ والأحسنُ ، وأمَرَها بالاستغفارِ لذنبِها الذى صدَر منها والتوبةِ إلى ربِّها ؛ فإن العبدَ إذا تاب إلى اللهِ تاب اللهُ عليه . وأهلُ مِصرَ ، وإن كانوا يعبدون الأصنامَ ، إلَّا أنهم يَعلَمون أن الذى يغفرُ الذنوبَ ويؤاخِذُ بها هو اللهُ وحدَه لا شريكَ له فى ذلك . ولهذا قال لها بعلُها - وعذَرَها مِن بعضِ الوجوهِ ؛ لأنها رأت ما لا صَبْرَ لها على مثلِه ، إلا أنه عفيفٌ نزيهٌ برىءُ العِرضِ سليمُ الناحيةِ - فقال : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ [١٢٦/١و] ٱلصَّٰغِرِينَ * قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٠ - ٣٤] . يذكُرُ تعالى ما كان مِن قِبَلِ نساءِ المدينةِ - (١يعنى مصرَ١) - مِن نساءِ الأمراءِ وبناتِ الكُبَراءِ ، فى الطَّعنِ على امرأةِ العزيزِ وعَيْبِها ، والتَّشنيعِ عليها فى مراوَدتِها فتاها ، وحبِّها الشَّديدِ له ، يَعْنِينَ(٢) :

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ح .

(٢) فى م : « تعنين » .

وهو لا يساوى هذا ؛ لأنَّه مولًى من الموالِى ، وليس مثلُه أهلًا لهذا . ولهذا قُلْنَ : ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أى ؛ فى وضعِها الشىءَ فى غيرِ مَحَلِّه ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ أى ؛ بتشنيعِهِنَّ عليها والتَّنقُّصِ لها ، والإشارةِ إليها بالعيبِ والمَذمَّةِ بحبِّ مولاها وعِشْقِ فتاها . فأظْهَرْنَ ذَمًّا ، وهى معذورةٌ فى نفسِ الأمرِ ، فلهذا أحبَّت أن تَبسُطَ عذرَها عندَهن ، وتُبيِّنَ أن هذا الفتى ليس كما حَسِبْنَ ولا مِن قَبيلِ ما لديهن ، فأرسَلَت إليهن فجمعَتْهن فى منزلِها ، وأعتَدَت لهن ضيافةَ مِثلِهن وأحضَرت فى جملةِ ذلك شيئًا مما يُقْطَعُ بالسكاكينِ ؛ كالأُتْرُجِّ ونحوِه ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ وكانت قد هيَّأت يوسفَ عليه السلامُ وألْبَسَته أحسنَ الثيابِ ، وهو فى غايةِ طَرَاوةِ الشبابِ ، وأمَرته بالخروجِ عليهن بهذه الحالةِ ، فخرَج وهو أحسنُ من البدرِ لا محالةَ ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ أى ؛ أعظَمْنَه وأجْلَلْنَه وهَبْنَه ، وما ظَنَنَّ أن يكونَ مثلُ هذا فى بنى آدمَ ، وبَهَرَهُن حسنُه ، حتى اشتغَلْنَ عن أنفسِهن وجعَلْنَ يَحْزُزْنَ فى أيديهن بتلك السكاكينِ ولا يَشْعُرْنَ بالجراحِ ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وقد جاء فى حديثِ الإسراءِ[1] : « فمرَرتُ بيوسفَ ، وإذا هو قد أُعْطِىَ شَطْرَ الحُسنِ » . قال السُّهَيْلِىُّ وغيرُه مِن الأئمةِ : معناه أنه كان على النِّصفِ مِن حُسنِ آدمَ عليه السلامُ ؛ لأن اللهَ تعالى خلَق آدمَ بيدِه ونفَخ فيه مِن روحِه ، فكان فى غايةِ نهاياتِ الحُسنِ البشرىِّ ؛ ولهذا يَدخُلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ على طولِ آدمَ وحُسنِه ، ويوسفُ كان على النِّصفِ مِن حُسنِ آدمَ ، ولم يكنْ بينَهما أحسنُ منهما ، كما أنه لم تكنْ أنثى بعدَ حواءَ أَشْبَهَ بها مِن سارَّةَ امرأةِ الخليلِ عليه السلامُ . قال ابنُ مسعودٍ : وكان وجهُ يوسفَ مثلَ البرقِ ، وكان إذا أتَتْه

---

(١) مسلم (١٦٢) .

امرأةٌ لحاجةٍ غطَّى وجهَه . وقال غيرُه : كان فى الغالبِ مُبَرْقَعًا ؛ لئلا يراه الناسُ . ولهذا لَمّا قام عُذْرُ[1] امرأةِ العزيزِ فى محبتِها لهذا المعنى المذكورِ ، وجرَى لهن وعليهن ما جرَى مِن تقطيعِ أيديهن بجراحِ السكاكينِ ، وما رَكِبَهن من المهابةِ[2] والدَّهْشِ عندَ رؤيتِه ومعاينتِه [١٢٦/١ظ] ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ ثم مدَحته بالعفَّةِ[3] التامةِ ، فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ أى ؛ امتنَع ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ وكان بقيةُ النساءِ حَرَّضْنَه على السمعِ والطاعةِ لسيدتِه ، فأبَى أشدَّ الإباءِ ، ونأَى ؛ لأنه من سلالةِ الأنبياء ، ودعا فقال فى دعائِه لربِّ العالمين : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يعنى : إنْ وَكلْتَنى إلى نفسِى فليس لى مِن نفسى إلا العجزُ والضعفُ ، ولا أَمْلِكُ لنفسى نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللهُ ، فأنا ضعيفٌ إلا ما قوَّيْتَنى وعصَمتَنى وحفِظتَنى وحُطتَنى بحولِك وقوتِك . ولهذا قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ * وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ

---

(١) فى ص : « عذرن » .

(٢) فى الأصل : « البهاء » .

(٣) فى م : « بالعصمة » .

ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٣٥-٤١] . يذكُرُ تعالى عن العزيزِ وامرأتِه أنهم بدا لهم ؛ أى ظهَر لهم من الرأيِ ، بعدما عَلِموا براءةَ يوسفَ أن يَسْجُنوه إلى وقتٍ ؛ ليكونَ ذلك أقلَّ لكلامِ الناسِ فى تلك القضيةِ وأَخْمَدَ لأمرِها ، ولِيُظْهِروا أنه راوَدها عن نفسِها فسُجِن بسببِها ، فسجَنوه ظُلمًا وعُدوانا . وكان هذا مما قدَّر اللهُ له ، ومن جملةِ ما عصَمه به ؛ فإنه أَبْعَدُ له عن معاشرتِهم ومخالطتِهم . ومِن ههنا استَنْبَط[1] بعضُ الصوفيةِ ما حكاه عنهم الشَّافِعىُّ ، أن من العِصْمةِ أن لا تَجِدَ . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ قيل[2] : كان أحدُهما ساقىَ المَلِكِ واسمُه فيما قيل بنو . والآخَرُ خبَّازَه - يعنى الذى يَلِى طعامَه ، وهو الذى يقولُ [١٢٧/١و] له التُّرْكُ : الجاشَنْكِيرُ - واسمُه فيما قيل مجلثُ . كان المَلِكُ قد اتَّهَمهما فى بعضِ الأمورِ فسجَنهما ، فلما رأَيا يوسفَ فى السجنِ أعجبَهما سَمْتُه وهَدْيُه ، ودَلُّه وطريقتُه ، وقولُه وفعلُه ، وكثرةُ عبادتِه ربَّه ، وإحسانُه إلى خَلْقِه ، فرأَى كلُّ واحدٍ منهما رؤيا تُناسبُه . قال أهلُ التفسيرِ : رأَيا فى ليلةٍ واحدةٍ ؛ أما الساقى فرأَى كأنَّ ثلاثَ قُضْبانٍ من حَبْلةٍ قد أُورقَت ، وأَينَعت عناقيدُ العنبِ ، فأخذَها فاعتَصَرها فى كأسِ المَلِكِ وسقاه . [3]ورأَى الخبازُ[3]

---

(١) فى ح : « قال » .

(٢) تفسير الطبرى ٢١٤/١٢ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « وأما الآخر فرأى كأن » .

على رأسِه ثلاثَ سِلالٍ مِن خبزٍ ، وضَوارِى الطيورِ تأكُلُ مِن السَّلِّ الأَعْلَى . فقَصَّاها عليه وطلَبا منه أَنْ يَعْبُرَهما[1] لهما ، وقالا : ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فأخبرَهما أنه عليمٌ بتعبيرِهما خبيرٌ بأمرِهما و ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ قيل[2] : معناه : مهما رأيتُما مِن حُلْمٍ فإنى أَعْبُرُه لكما قبلَ وقوعِه ، فيكونُ[3] كما أقولُ . وقِيل[4] : معناه أنى أُخبرُكما بما يأتيكما من الطعامِ قبلَ مجيئِه ؛ حُلْوًا أو حامضًا ، كما قال عيسى عليه السلامُ : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران : ٤٩] . وقال لهما : إنَّ هذا مِن تعليمِ اللهِ إياىَ ؛ لأنِّى مؤمنٌ به موحدٌ له متَّبِعٌ ملةَ آبائى الكرامِ ؛ إبراهيمَ الخليلِ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ أى ؛ بأن هدانا لهذا ﴿ وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أى ؛ بأن أمَرَنا أن ندعوَهم إليه ونُرشِدَهم وندُلَّهم عليه ، وهو فى فِطَرِهم مركوزٌ وفى جِبِلَّتِهم مغروزٌ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

ثم دعاهم إلى التوحيدِ ، وذَمَّ عبادةَ ما سوى اللهِ عز وجل ، وصَغَّر أَمْرَ الأصنامِ وحقَّرها وضعَّف أَمْرَها ، فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [5]أى ؛ هو المتصرفُ فى خَلْقِه الفَعَّالُ لِمَا يريدُ ، الذى يَهدى من يشاءُ ويُضِلُّ من يشاءُ[5]

---

(١) فى ص : « يعبرها » .

(٢) تفسير الطبرى ٢١٧/١٢ .

(٣) فى الأصل : « ليكون » .

(٤) تفسير ابن كثير ٣١٤/٤ ، ٣١٥ .

(٥ - ٥) زيادة من : ح ، م .

﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أى ؛ وحدَه لا شريكَ له ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أى ؛ المستقيمُ والصراطُ القويمُ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أى ؛ فهم لا يهتدون إليه مع وضوحِه وظهورِه[1] . وكانت دعوتُه لهما فى هذه الحالِ فى غايةِ الكمالِ ؛ لأنَّ نفوسَهما معظِّمةٌ له ، مُنبَعِثةٌ على تَلَقِّى ما يقولُ بالقَبولِ ، فناسَب أن يدعوَهما[2] إلى ما هو الأنفعُ لهما مما سألا عنه وطلَبا منه . ثم لمَّا قام بما وجَب عليه وأرشَدَ إلى ما أرشَدَ إليه قال : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ قالوا : وهو الساقى . ﴿ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ [١/١٢٧ظ] فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾ قالوا : وهو الخبازُ . ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ أى ؛ وقَع هذا لا محالةَ ، ووجَب كونُه على كلِّ حالةٍ . ولهذا جاء فى الحديث[3] : « الرُّؤيا على رِجْلِ طائرٍ ما لم تُعَبَّرْ ، فإذا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ » . وقد رُوِىَ عن ابنِ مسعودٍ ، ومُجاهدٍ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ أنهما قالا : لم نَرَ شيئًا . فقال لهما[4] : ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] . يخبرُ تعالى أن يوسفَ عليه السلامُ قال للذى ظنَّ أنه ناجٍ منهما وهو الساقى : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعنى : اذكُرْ أمرى وما أنا فيه من السَّجْنِ بغيرِ جُرْمٍ عندَ المَلِكِ . وفى هذا دليلٌ على جوازِ السَّعْىِ فى الأسبابِ ، ولا ينافى ذلك التوكلَ على ربِّ الأربابِ . وقولُه : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ أى ؛ فأنْسَى الناجىَ منهما الشيطانُ

---

(١) سقط من : ح .

(٢) فى ص : « يدعوها » .

(٣) رواه أحمد فى المسند ٤/١٠ ، وأبو داود (٥٠٢٠) ، والترمذى (٢٢٧٨) ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٣٩١٤) . (صحيح أبى داود ٤١٩٨) .

(٤) سقط من : ح ، ا .

أن يذكُرَ ما وصَّاه به يوسفُ عليه السلامُ . قاله مُجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، وغيرُ واحدٍ[1] . وهو الصوابُ وهو منصوصُ أهلِ الكتابِ ﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ والبِضعُ ؛ ما بينَ الثلاثِ إلى التسعِ[2] . وقيل : إلى السبعِ . وقيل : إلى الخمسِ . وقيل : ما دونَ العشَرةِ . حكاها الثَّعْلبىُّ[3] . ويقالُ : بِضْعُ نِسوةٍ ، وبِضْعَةُ رجالٍ . ومنَع الفَرّاءُ استعمالَ البِضْعِ فيما دونَ العشْرِ ، قال : وإنما يقالُ : نَيِّفٌ . وقال اللهُ تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم : ٤] . وهذا ردٌّ لقولِه . قال الفرَّاءُ : ويقالُ : بِضعةَ عشَرَ وبِضعةٌ وعشرون . إلى التسعين ، ولا يقالُ : بِضعٌ ومائةٌ ، وبِضعٌ وألفٌ . وخالَفَ الجَوْهَرىُّ فيما زاد على بِضعةَ عشَرَ ، فمنَع أن يقالَ : بِضْعةٌ وعشرون . إلى تسعين[4] ، وفى « الصحيحِ »[5] : « الإيمانُ بِضْعٌ وسِتُّون » . وفى روايةٍ[6] : « وسبعون شُعْبةً ؛ أعلاها[7] قولُ : لا إلهَ إلا اللهُ . وأدناها إماطَةُ الأذَى عن الطريقِ » .

ومن قال : إن الضميرَ فى قولِه : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ عائدٌ على يوسفَ . فقد ضَعُفَ ما قاله ، وإن كان قد رُوى عن ابنِ عباسٍ وعِكْرِمةَ . والحديثُ الذى رواه ابنُ جَريرٍ[8] فى هذا الموضِعِ ضعيفٌ من كلِّ وجهٍ ؛

---

(١) تفسير ابن كثير ٣١٧/٤ ، تفسير الطبرى ٢٢٤/١٢ عن ابن إسحاق .

(٢) الترمذى مرفوعا من حديث ابن عباس (٣١٩١) وقال : غريب . (صحيح الجامع ٢٨٨٤) .

(٣) قصص الأنبياء ص ١٠٩ .

(٤) الصحاح للجوهرى ١١٨٦/٣ .

(٥) البخارى (٩) ، مسلم (٣٥) واللفظ للبخارى .

(٦) هى رواية مسلم فى صحيحه .

(٧) فى ص : « أرفعها » .

(٨) تفسير الطبرى ٢٢٣/١٢ .

تفردَ بإسنادِهِ إبراهيمُ بنُ يزيدَ الخُوزِىُّ[1] المكىُّ ، وهو متروكٌ ، ومُرسَلُ الحسنِ وقَتادةَ لا يُقبَلُ[2] ، ولاسيَّما[3] ههنا بطريقِ الأَوْلَى والأَحْرَى . واللهُ أعلمُ . فأما قولُ ابنِ حبَّانَ فى « صحيحِه »[4] : ذِكْرُ السببِ الذى مِن أجلِه لَبِثَ يوسفُ فى السجنِ ما لَبِثَ ؛ أخبرنا الفضلُ بنُ الحُبَابِ الجُمَحىُّ ، ثنا مُسَدَّدُ بنُ مُسَرْهَدٍ ، ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللهِ ، ثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ [١٢٨/١و] ﷺ : « رَحِم اللهُ يوسفَ ، لولا الكَلِمةُ التى قالها ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ ما لَبِثَ فى السِّجنِ ما لَبِثَ ، ورَحِمَ اللهُ لوطًا إنْ كان لَيَأْوِى إلى رُكْنٍ شديدٍ ، إذْ قال لقومه : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] » . قال : « فما بَعَثَ اللهُ نبيًّا بعدَه إلا فى ثروةٍ مِن قومِه » . فإنه حديثٌ مُنْكَرٌ مِن هذا الوجهِ . ومحمدُ بنُ عمرِو بنِ عَلْقَمَةَ له أشياءُ يَنْفَرِدُ بها وفيها نكارةٌ ، وهذه اللَّفْظةُ[5] مِن أنْكرِها وأشَدِّها . والذى فى « الصحيحين »[6] يَشهَدُ بغَلَطِها . واللهُ أعلمُ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ

---

(١) فى ح : « الخوزنى » ، وفى ا : « الجوزى » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من : ح ، م ، ص .

(٤) الإحسان (٦٢٠٦) ، (إسناده حسن) .

(٥) يعنى قوله فى الحديث : « رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التى قالها ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ ما لبث فى السجن » .

(٦) البخارى (٣٣٧٢) ، مسلم (١٥١) ولفظه : « ولو لبثتُ فى السجنِ طولَ لَبْثِ - ولفظ البخارى : ما لَبِثَ - يوسفَ ، لأجبتُ الداعىَ » .

سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٣ - ٤٩] . هذا كلُّه[1] من جملةِ أسبابِ خروجِ يوسفَ عليه السلامُ من السجنِ على وجهِ الاحترامِ والإكرامِ ؛ وذلك أن مَلِكَ مصرَ - وهو الرَّيَّانُ بنُ الوليدِ بنِ ثروانَ بنِ أراشةَ[2] بنِ فارانَ بنِ عمرِو بنِ عِمْلاقِ بنِ لاوَذِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ - رأى هذه الرؤيا . قال أهلُ الكتابِ : رأى كأنَّه على حافّةِ نهرٍ ، وكأنه قد خرَج منه سبعُ بَقراتٍ سِمانٍ ، فجعَلْنَ يَرْتَعْنَ فى روْضَةٍ هناك ، فخرَجَت سبعٌ هِزالٌ ضِعافٌ من ذلك النهرِ فرتَعْنَ معهن ، ثم مِلْنَ عليهن فأكَلْنهن ، فاستيقَظ مذعورًا ، ثم نام فرأى سبعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ فى قَصَبةٍ واحدةٍ ، وإذا سبعٌ أُخَرُ دِقاقٌ يابساتٌ تأكُلُهنَّ ، فاستيقَظ مذعورًا ، فلما قصَّها على مَلإِه وقومِه لم يكنْ فيهم مَن يُحسِنُ تَعبيرَها ، بل ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ أى ؛ أخلاطُ[3] أحلامٍ من الليلِ لعلَّها لا تعبيرَ لها ، ومع هذا فلا خِبْرةَ لنا بذلك . ولهذا قالوا :

---

(١) فى ح ، م ، ص : « كان » .

(٢) فى ص : « راشة » .

(٣) فى الأصل : « أضغاث » .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ﴾ فعندَ ذلك تَذكَّرَ الناجِى منهما ، الذى وصَّاه يوسفُ بأَنْ يذكُرَه عندَ ربِّه ، فنَسِىَ إلى حينِه هذا ، وذلك عن تقديرِ اللهِ عز وجل ، وله الحكمةُ فى ذلك ، فلما سمِع رؤيا المِلكِ ورأى عَجْزَ الناسِ عن تعبيرِها ، تذكَّرَ أَمْرَ [١٢٨/١ظ] يوسفَ وما كان أوصاه به من التَّذْكارِ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ ﴾ أى تذكَّرَ ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ أى ؛ بعدَ مُدَّةٍ مِن الزمانِ ؛ وهو بِضْعُ سنين . وقرأ بعضُهم ، كما حُكِى عن ابنِ عباسٍ ، وعِكْرِمةَ ، والضحاكِ[1] : « وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ » أى ؛ بعدَ نسيانٍ . وقرأها مُجاهدٌ : « بَعْدَ أَمْهٍ » بإسكانِ الميمِ ، وهو النسيانُ أيضًا ، يقالُ : أَمِهَ الرجلُ يَأْمَهُ أَمَهًا وأَمْهًا . إذا نَسِىَ . قال الشاعرُ[2] :

أَمِهْتُ وكنتُ لا أَنْسَى حديثًا ... كذاك[3] الدَّهرُ يُرْدِى[4] بالعقولِ

فقال لقومِه وللمِلكِ : ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ أى ؛ فأرسلونى إلى يوسفَ . فجاءه فقال : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . وعندَ أهلِ الكتابِ أن المِلكَ لما ذكَره له الناجى[5] استدعاه إلى حضرتِه ، وقصَّ عليه ما رآه ففسَّره له . وهذا غَلَطٌ ، والصوابُ ما قصَّه اللهُ فى كتابِه القرآنِ ، لا ما عرَّبه هؤلاء الجهلةُ الثيرانُ مِن قَرَائِئ[6]

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢٨/١٢ ، ٢٢٩ .

(٢) البيت فى الصحاح ، للجوهرى ٢٢٤/٦ ، واللسان (أ م هـ) غير منسوب .

(٣) فى الأصل : « كذلك » .

(٤) فى م : « يزرى » ، وفى ص : « يودى » ، وكذلك فى الصحاح واللسان .

(٥) فى ح ، م ، ص : « الساق » .

(٦) جمع قُرَّاء .

ورُبَّانٍ . فبذَل يوسفُ عليه السلامُ ما عندَه مِن العلمِ بلا تأخرٍ ولا شرطٍ ، ولا طلَبَ الخروجَ سريعًا ، بل أجابهم إلى ما سألوا وعَبَّرَ لهم ما كان مِن منامِ الملكِ ، الدَّالِّ على وقوعِ سبعِ سنينَ من الخِصْبِ ، ويَعْقُبُها سبعٌ جُدْبٌ . ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ يعنى يأتيهم الغَيْثُ والخِصْبُ والرَّفاهيةُ ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ يعنى ما كانوا يَعْصِرونه مِن الأقصابِ والأعنابِ والزَّيتونِ والسِّمْسِمِ وغيرِها . فعَبَّر لهم وعلى الخيرِ دَلَّهم ، وأرشَدهم إلى ما يَعتمدونه فى حالَتَىْ خِصْبِهم وجَدْبِهم ، وما يفعلونه[1] من ادِّخارِ حبوبِ سِنِىِّ الخِصْبِ فى[2] السبعِ الأُوَلِ فى سُنْبُلِه ، إلا ما يُرْصَدُ بسببِ الأكلِ ، ومن تقليلِ البَذْرِ فى سِنِىِّ الجَدْبِ فى السبعِ الثانيةِ ؛ إذ الغالبُ على الظنِّ أنه لا يَرُدُّ البَذْرَ مِن الحقلِ ، وهذا يدُلُّ على كمالِ العلمِ ، وكمالِ الرأيِ والفَهمِ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ * وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ [١٢٩/١و] رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٠ - ٥٣] . لمَّا أحاط الملكُ علمًا بكمالِ علمِ يوسفَ عليه الصلاةُ والسلامُ ، وتمامِ عقلِه ورأيِه السديدِ وفَهمِه ، أمَر بإحضارِه إلى حضرتِه ؛ ليكونَ مِن جملةِ خاصَّتِه ، فلما جاءه الرسولُ بذلك ، أَحَبَّ أنْ لا يَخرجَ حتى يَتبيَّنَ لكلِّ أحدٍ أنه حُبِس ظلمًا وعُدوانًا ، وأنه برىءُ الساحةِ مما نسَبوه إليه

---

(١) فى الأصل : « يفعلوه » .

(٢) فى الأصل ، ح : « من » .

بُهتانًا ﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ يعنى الملكَ ﴿ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ قِيل : معناه : أن سيدى العزيزَ يَعلَمُ براءتى مما نُسِب إلىَّ . أى : فمُرِ الملكَ فلْيَسْألْهن كيف كان امتناعى الشديدُ عندَ مراودَتِهنّ إيَّاى ، وحَثِّهن لى على الأمرِ الذى ليس برشيدٍ ولا سديدٍ . فلما سُئِلْنَ عن ذلك اعْتَرَفْنَ[1] بما وقَع مِن خَطَأٍ[2] الأمرِ ، وما كان منه من الأمرِ الحميدِ ، و ﴿ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ فعندَ ذلك ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ وهى زَلِيخَا ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ أى ظهَر وتَبيَّنَ ووَضَح . والحقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ أى : فيما يقولُه من أنه برىءٌ وأنه لم يراودْنى ، وأنه حُبِس ظلمًا وعدوانًا وزورًا وبهتانًا . وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ قيل : إنه من كلامِ يوسفَ[3] . أى : إنما طلبتُ تحقيقَ هذا ؛ ليَعلَمَ العزيزُ أنى لم أَخُنْه بظهرِ الغيبِ . وقيل : إنه من تمامِ كلامِ زَلِيخَا[4] . أى : إنما اعترفتُ بهذا ليَعلَمَ زوجى أنى لم أَخُنْه فى نفسِ الأمرِ ، وإنما كان مُراوَدةً لم يَقَعْ معها فِعلُ فاحشةٍ . وهذا القولُ هو الذى نصَره طائفةٌ كثيرةٌ من أئمةِ المتأخرين وغيرِهم ، ولم يَحْكِ ابنُ جريرٍ وابنُ أبى حاتمٍ سوى الأولِ . ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قيل : إنه من كلامِ يوسفَ . وقيل : من كلامِ زَلِيخَا . وهو مفرَّعٌ على القولَيْن الأولَيْن . وكونُه مِن تمامِ كلامِ زَلِيخَا أظهَرُ وأنسَبُ وأقوى ، واللهُ أعلمُ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا

---

(١) فى ح ، م ، ص : « أعرفن » .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣) تفسير الطبرى ٢٣٨/١٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣١٩/٤ ، ٣٢٠ .

مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف : ٥٤ - ٥٧] . لما ظهَر للملكِ براءةُ عِرْضِه ، ونزاهةُ ساحتِه عما كانوا أظهَروا عنه مِما نسَبوه[1] إليه قال : ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ أى : أجعَلْه مِن خاصَّتى ، ومِن أكابرِ دولتى ، ومِن أعيانِ حاشيَتى . فلما كلَّمه وسَمِع مقالَه ، [١٢٩/١ظ] وتبيَّنَ حالَه ﴿ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ أى ؛ ذو مكانةٍ وأمانةٍ ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ طلَب أن يولِّيَه النظرَ فيما يتعلقُ بالأَهْرَاءِ[2] ؛ لِما يَتوقَّعُ مِن حصولِ الخَلَلِ فيما بعدَ مُضِىِّ سبعِ سِنِىِّ[3] الخِصْبِ ؛ لينظُرَ فيها بما يُرضِى اللهَ فى خَلْقِه مِن الاحتياطِ لهم والرِّفقِ بهم ، وأخبَرَ الملِكَ أنه ﴿ حَفِيظٌ ﴾ أى ؛ قوىٌّ على حفظِ ما لديه ، أمينٌ عليه ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بضبطِ الأشياءِ ومصالحِ الأَهْرَاءِ . وفى هذا دليلٌ على جوازِ طلبِ الولايةِ لِمَنْ عَلِم مِن نفسِه الأمانةَ والكفاءةَ . وعندَ أهلِ الكتابِ أن فرعونَ عظَّم يوسفَ عليه السلامُ جِدًّا وسلَّطه[4] على جميعِ أرضِ مصرَ ، وألبَسَه خاتَمَه ، وألبَسَه الحريرَ ، وطوَّقه الذهبَ ، وحمَلَه على مَرْكَبِه الثانى ، ونُودِىَ بينَ يديه : أنت ربٌّ - [5]أى ؛ مالكٌ[5] - ومُسلَّطٌ . وقال

---

(١) فى الأصل : « كانوا ينسبوه » .

(٢) الأَهْرَاءُ واحدها هُرِىٌّ ؛ وهو بيت كبير يُجمع فيه طعام البر ونحوه ليوزعه السلطان . الوسيط ١٠٢٣/٢ .

(٣) فى الأصل : « سنين » .

(٤) فى الأصل : « سلطنه » .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل .

له : لستُ أعظمَ منك إلا بالكرسيِّ . قالوا : وكان يوسفُ إذ ذاك ابنَ ثلاثين سنةً ، وزوجه امرأةً عظيمةَ الشأنِ . وحكَى الثعلبيُّ[1] أنه عزَل قطفيرَ عن وظيفتِه وولَّاها يوسفَ . وقِيل : إنه لما مات زوَّجه امرأتَه زَلِيخا فوجدها عذراءَ ؛ لأن زوجَها كان لا يأتى النِّساءَ ، فولَدت ليوسفَ عليه السلامُ رجلين ؛ وهما [2]أفراثيمُ ومنشا[2] . قال : واستَوْثَق ليوسفَ مُلْكُ مصرَ ، وعَمِل فيهم بالعدلِ ، فأحبَّه الرجالُ والنساءُ . وحكَى[3] أن يوسفَ كان يومَ دخَل على المِلكِ عمرُه ثلاثين سنةً ، وأن المِلكَ خاطَبه بسبعين لغةً ، وكلُّ ذلك يجاوبُه بكلِّ لغةٍ منها ، فأعجبَه ذلك مع حدَاثةِ سِنِّه . فاللهُ أعلمُ .

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أى ؛ بعدَ السَّجْنِ والضيقِ والحصرِ صار مُطْلَقَ الرِّكابِ بديارِ مصرَ . ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أى ؛ أين يشاءُ حَلَّ منها مُكْرَمًا محسودًا معظَّمًا ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أى ؛ هذا كلُّه من جزاءِ اللهِ وثوابِه للمؤمنِ ، مع ما يَدَّخِرُ له فى آخرتِه من الخيرِ الجزيلِ والثوابِ الجميلِ ؛ ولهذا قال : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ . ويُقالُ : إن أطفيرَ زوجَ زَلِيخا كان قد مات ، فولَّاه المِلكُ مكانَه ، وزوَّجه امرأتَه زَلِيخا ، فكان وزيرَ صِدقٍ . وذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[4] أن صاحبَ مصرَ ، الوليدَ بنَ الرَّيَّانِ ، أَسْلَمَ على يَدَىْ يوسفَ عليه السلامُ . فاللهُ أعلمُ . وقد قال

---

(١) قصص الأنبياء ص ١١٢ .

(٢ - ٢) فى م : « أفرايم ومنشا » ، وفى ص : « أفريطم ومنشا » ، وفى قصص الأنبياء : « أفرثيم وميشا » ، وفى تاريخ الطبرى ٣٤٧/١ كما هو مثبت .

(٣) قصص الأنبياء ص ١١١ .

(٤) تفسير الطبرى ٦/١٣ عن مجاهد .

بعضُهم[1] :

وراءَ مَضِيقِ الخوفِ يَتَّسعُ الأَمنُ وأَوَّلُ مَفْروحٍ به آخِرُ[2] الحُزْنِ

[١٣٠/١و] فلا تَيْأَسَنْ فاللهُ ملَّك يوسُفًا خزائنَه بعدَ الخلاصِ مِن السِّجنِ

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨ - ٦٢] . يخبرُ تعالى عن قُدومِ إخوةِ يوسفَ عليه السلامُ إلى الديارِ المصريةِ يَمْتَارون طعامًا ، وذلك بعدَ إتيانِ سِنِيِّ الجدْبِ وعمومِها على سائرِ البلادِ والعبادِ . وكان يوسفُ عليه السلامُ ، إذ ذاك ، الحاكمَ فى أمورِ الديارِ المصريةِ دينًا ودنيا ، فلما دخَلوا عليه عرَفهم ولم يَعْرِفوه ؛ لأنهم[3] لم يَخْطِرْ ببالِهم ما صار إليه يوسفُ عليه السلامُ من المكانةِ والعظمةِ ، فلهذا عرَفهم وهم له مُنكِرون . وعندَ أهلِ الكتابِ[4] أنهم لما قَدِموا عليه سجَدوا له فعرَفهم ، وأراد أن لا يَعرفوه فأغْلَظَ لهم فى القولِ وقال : أنتم جواسيسُ جئتُم لتأخذوا خبرَ بلادى . فقالوا : معاذَ اللهِ ، إنما جئنا نَمتارُ لقومِنا من الجَهدِ والجوعِ الذى أصابنا ، ونحن بنو أبٍ واحدٍ مِن كَنْعَانَ ، ونحن اثنا عشَرَ رجلًا ، ذهب منا واحدٌ ، وصغيرُنا عندَ أبينا . فقال : لا بدَّ أن أستعلِمَ أَمْرَكم . وعندَهمْ أنه حبَسَهم ثلاثةَ أيامٍ ثم

---

(١) البيتان فى تفسير القرطبى ٢٢٠/٩ غير منسوبين . وقد نسبا إلى زيد بن محمد بن الحسين . انظر : الدر الفريد ، لابن أيدمر ٢٨٠/٥ .

(٢) فى ح ، م : « غاية » .

(٣) فى الأصل ، ص : « لأنه » .

(٤) تاريخ الطبرى ٣٤٨/١ عن السدى .

أخرَجهم ، واحتبَس شمعونَ عندَه ؛ ليأتوه بالأخِ الآخرِ . وفى بعضِ هذا نَظَرٌ . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أى ؛ أعطاهم من المِيرَةِ ما جرَتْ به عادتُه فى إعطاءِ كلِّ إنسانٍ حِمْلَ بَعيرٍ ، لا يَزيدُه عليه ﴿ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ وكان قد سألهم عن حالِهم وكم هم ، فقالوا : كنا اثْنَىْ عشَرَ رجلًا ، فذهَب منا واحدٌ وبَقِىَ شقيقُه عندَ أبينا . فقال : إذا قَدِمتُم مِن العامِ المُقبلِ فأْتُونى به معكم ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ أى ؛ قد أحسنتُ نُزُلَكم وقِراكم . فرغَّبهم ليأتوه به ، ثم رهَّبهم إنْ لم يأتوه به ، قال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ أى ؛ فلستُ أُعطيكم مِيرةً ولا أَقْرَبُكم بالكليةِ . عكسُ ما أَسْدَى إليهم أولًا ، فاجتَهد فى إحضارِه معهم ؛ ليَبُلَّ شوقَه منه بالترغيبِ والترهيبِ ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أى ؛ سنَجتهدُ فى مجيئِه معنا ، وإتيانِه إليك بكلِّ ممكنٍ ﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ أى ؛ وإنا لقادرون على تحصيلِه . ثم أمَر فِتْيانَه أن يَضعوا بضاعتَهم – وهى ما جاءوا [١٣٠/١ظ] به يتعوَّضون به عن المِيرَةِ – فى أمتعتِهم مِن حيثُ لا يشعرون بها ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . قيل : أراد أن يَرُدُّوها إذا وجَدوها فى بلادِهم . وقيل : خَشِى أن لا يكونَ عندَهم ما يَرْجِعون به مرةً ثانيةً . وقيل : تَذَمَّمَ أن يأْخُذَ منهم عِوضًا عن المِيرَةِ . وقد اختلَف المفسرون فى بضاعتِهم على أقوالٍ سيأتى ذكرُها . وعندَ أهلِ الكتابِ أنها كانت صُرَرًا مِن وَرِقٍ[1] . وهو أَشْبَهُ . واللهُ أعلمُ .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ * قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٣/٧ – ٩ .

رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَـٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٦٣ - ٦٨] .

يَذكرُ تعالى ما كان من أمرِهم بعدَ رجوعِهم إلى أبيهم وقولِهم له : ﴿ مُنِع مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ أى ؛ بعد عامِنا هذا إن لم تُرسِلْ معنا أخانا ، فإن أرسَلتَه معنا لم يُمنَعْ منا ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ أىْ ؛ أىَّ شىءٍ تريدُ[1] وقد رُدَّتْ إلينا بضاعتُنا ؟ ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ أى ؛ نمتارُ لهم ونأتيهم بما يُصلِحُهم فى سَنَتِهم ومَحْلِهم[2] ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ ﴾ بسببِه ﴿ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ قال اللهُ تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أى فى مقابلةِ ذَهابِ ولدِه الآخَرِ . وكان يعقوبُ عليه السلامُ أَضَنَّ شىءٍ بولدِه بنيامينَ ؛ لأنه كان يَشُمُّ فيه رائحةَ أخيه يوسفَ ، ويَتَسلَّى به عنه ويتعوَّضُ بسببِه منه ؛ فلهذا قال : ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ أى إلا أن تُغْلَبوا كلُّكم عن الإتيانِ به ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أكَّد المواثِيقَ وقرَّر العهودَ ، واحتَاط لنفسِه فى ولدِه ، ولن يُغنىَ حذَرٌ من قَدَرٍ ، ولولا حاجتُه

---

(١) فى ح ، م ، ص : « نريد » .

(٢) فى الأصل : « محلتهم » .

وحاجةُ قومِه إلى الميرةِ لَمَا بعَث الولدَ العزيزَ ، ولكنَّ الأقدارَ لها أحكامٌ ، والربُّ تعالى يُقدِّرُ ما [١٣١/١و] يشاءُ ، ويختارُ ما يريدُ ، ويحكمُ ما يشاءُ ، وهو الحكيمُ العليمُ . ثم أمَرهم أن لا يدخُلوا المدينةَ من بابٍ واحدٍ ، ولكنْ لِيدخُلوا مِن أبوابٍ متفرقةٍ . قيل : أراد أن لا يُصيبَهم أحدٌ بالعينِ ؛ وذلك لأنهم كانوا أشكالًا حَسنةً ، وصُورًا بديعةً . قاله ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ كعبٍ ، وقَتادةُ ، والسُّدِّيُّ ، والضحاكُ[1] . وقيل : أراد أن يَتفرَّقوا لعلهم يجدون خبرًا ليوسفَ ، أو يُحَدِّثون عنه بأيسرِ شيءٍ . قاله إبراهيمُ النَّخَعيُّ . والأولُ أظهرُ . ولهذا قال : ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . وعندَ أهلِ الكتابِ أنه بعَث معهم هديةً إلى العزيزِ ، مِن الفُسْتُقِ واللَّوْزِ والصَّنَوْبَرِ والبُطْمِ والعَسَلِ ، وأخذوا الدراهمَ الأُولَى وعَرْضًا[2] آخَرَ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ * قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ * قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ * قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ * قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا

---

(١) تفسير الطبرى ١٣/١٣ .

(٢) فى ح ، م : « عوضا » ، وفى ص : « عوضوا » والعَرْضُ : المتاعُ .

لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ * قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٦٩ - ٧٩] .

يَذكرُ تعالى ما كان مِن أمرِهم حينَ دخَلوا بأخِيهم بنيامينَ على شقيقِه يوسفَ ، وإيوائِه إليه وإخبارِه له سرًّا عنهم بأنه أخوه ، وأمْرِه بكَتْمِ ذلك عنهم ، وسلَّاه عما كان منهم مِن الإساءةِ إليه ، ثم احتال على أخذِه منهم ، وتَرْكِه إياه عندَه دونَهم ، فأمَر فِتْيانَه بوضْعِ سِقايَتِه - وهى التى كان [١٣١/١ظ] يَشربُ بها ويَكيلُ بها للناسِ الطعامَ (١مِن عِزَّتِه١) - فى متاعِ بنيامينَ ، ثم أعْلَمَهم بأنهم قد سَرَقوا صُواعَ المِلكِ ، ووعَدهم جِعَالةً على رَدِّه حِمْلَ بعيرٍ ، وضَمِنه المُنادِى لهم ، فأقبَلوا على مَن اتَّهمَهم بذلك ، فأنَّبوه وهَجَّنوه فيما قاله لهم و﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ يقولون : أنتم تعلمون منا خلافَ ما رميتمونا به من السَّرِقةِ ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ * قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . وهذه كانت شريعتَهم ، أنَّ السارقَ يُدْفَعُ إلى المسروقِ منه ؛ ولهذا قالوا : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ ليكونَ ذلك أبعدَ للتُّهمةِ وأبلغَ فى الحِيلةِ . ثم قال اللهُ تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ أى لولا اعترافُهم بأنَّ جزاءَه مَن وُجِد

(١ - ١) فى م : « عن غرته » . ومن عزَّته : يعنى من قلة الطعام حينئذ .

فى رَحْلِه فهو جزاؤُه ، لَمَا كان يَقدِرُ يوسفُ على أخذِه منهم فى سياسةِ مَلِكِ مصرَ ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ أى فى العلمِ ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ وذلك لأن يوسفَ كان أعلمَ منهم وأتمَّ رأيًا ، وأقوى عزمًا وحزمًا ، وإنما فعَل ذلك عن أمرِ اللهِ له فى ذلك ؛ لأنه يترتبُ على هذا الأمرِ مصلحةٌ عظيمةٌ بعدَ ذلك ؛ مِن قُدومِ أبيه وقومِه عليه ووُفودِهم إليه . فلما عايَنوا استخراجَ الصُّواعِ مِن حِمْلِ بنيامينَ ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ يعْنُون يوسفَ . قيل : كان قد سرَق صنمَ جَدِّه أبى أمِّه ، فكسَره[1] . وقيل : كانت عمَّتُه قد علَّقت عليه بينَ ثيابِه وهو صغيرٌ مِنْطَقةً كانت لإسحاقَ ، ثم استخرجوها مِن بينِ ثيابِه ، وهو لا يَشعُرُ بما صنعتْ ، وإنما أرادت أن يكونَ عندَها وفى حضانتِها لمحبتِها له . وقيل : كان يأخذُ الطعامَ مِن البيتِ فيُطعِمُه الفقراءَ . وقيل غيرُ ذلك . فلهذا ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ ﴾ وهى كلمتُه بعدَها . وقولُه : ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ أجابهم سرًّا لا جهرًا ، حِلْمًا وكَرَمًا وصفحًا وعفوًا . فدخلوا معه فى التَّرقُّقِ والتَّعطُّفِ ، فقالوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ أى إن أطلقنا المتَّهمَ وأخذْنا البرىءَ ، [١٣٢/١و] هذا ما لا نفعله ولا نسمَحُ به ، وإنما نأخذُ مَن وجدنا متاعَنا عندَه . وعندَ أهلِ الكتابِ أن يوسفَ تعَرَّفَ إليهم[2] حينئذٍ . وهذا مما غَلِطوا فيه ولم يفهموه جيدًا[3] .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/١٣ .

(٢) تعرَّف إليهم : جعلهم يعرفونه . اللسان (ع ر ف) .

(٣) فى م ، ص : « جدًّا » .

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ * وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٠ - ٨٧] . يقولُ تعالى مخبرًا عنهم أنهم لمّا استيأسوا مِن أخذِه منه خَلَصوا يتناجَوْن فيما بينهم ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ وهو روبيلُ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وقد أخلفتُم عهدَه[1] وفرَّطتُم فيه كما فرَّطتُم فى أخيه يوسفَ مِن قبلِه ، فلم يَبْقَ لى وجهٌ أقابلُه به ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ أى ؛ لا أزالُ مقيمًا ههنا ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ فى القُدومِ عليه ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾ بأن يُقدِّرَنى على ردِّ أخى إلى أبى ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾ أى ؛ أخبِروه بما رأيتُم من الأمرِ فى ظاهرِ المشاهدةِ ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ * وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أى ؛ فإن هذا الذى أخبرناك به ، مِن أخذِهم

---

(١) فى ص : « موعده » .

أخانا[1] لأنه سرَق ، أمرٌ اشتَهر بمصرَ ، وعِلْمُه مع العِيرِ التى كنا نحن وهم هناك ﴿ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أى ؛ ليس الأمرُ كما ذكرتم ، لم يَسرِقْ فإنه ليس بسَجِيَّةٍ له ولا خُلُقه ، وإنما سوَّلَت لكم أنفسُكم أمرًا ، فصبرٌ جميلٌ . قال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[2] : لما كان التفريطُ منهم فى بنيامينَ مترتبًا على صنيعِهم فى يوسفَ قال لهم ما قال . وهذا كما قال بعضُ [١٣٢/١ظ] السلفِ : إنَّ من جزاءِ السيئةِ السيئةَ بعدَها . ثم قال : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ يعنى يوسفَ وبنيامينَ وروبيلَ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أى ؛ بحالى وما أنا فيه مِن فِراقِ الأحِبَّةِ ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فى جميعِ ما يُقدِّرُه ويفعلُه ، وله الحكمةُ البالغةُ والحُجةُ القاطعةُ ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أى ؛ أعرَضَ عن بنيه ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ ذكَّره[3] حزنُه الجديدُ بالحزنِ القديمِ ، وحرَّك ما كان كامِنًا ، كما قال بعضُهم[4] :

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئتَ منَ الهوَى ... ما الحبُّ إلا لِلحبيبِ الأوَّلِ

وقال آخر[5] :

لقد لامنى عندَ القبورِ على البُكا ... رفيقى لتَذْرافِ[6] الدموعِ السَّوافِكِ
فقال أتبكى كلَّ قبرٍ رأيتَه ... لقبرٍ ثَوَى بينَ [7]اللِّوَى فالدَّكادِكِ[7] ؟

---

(١) فى ص : « إحدانا » .
(٢) تفسير الطبرى ٣٨/١٣ .
(٣) فى ح : « ذكرناه » .
(٤) البيت لأبى تمام فى شرح ديوانه ٢٥٣/٤ .
(٥) هو متمم بن نويرة . شرح ديوان الحماسة ٧٩٧/٢ .
(٦) فى الأصل : « لبدران » .
(٧ - ٧) اللِّوَى : ما التوى من الرمل . والدَّكادِك واحدها دَكْدَاك ؛ وهو ما تكبَّس من الرمل واستوى . ورواية الحماسة : « فالدوانك » . وصدر البيت الأخير روايته هكذا : « فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا » .

فقلتُ له إن الأسى يَبعثُ الأسى فدَعْنى فهذا كلُّه قبرُ مالِكِ

وقولُه : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ أى ؛ من كثرةِ البكاءِ ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أى ؛ مُكْمَدٌ[1] من كثرةِ حزنِه ، وأسفِه وشوقِه إلى يوسفَ . فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوَحْدةِ[2] وألمِ الفِراقِ . قَالُواْ له على وجهِ الرَّحمةِ له والرأفةِ به والحرصِ عليه : ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴾ يقولون : لا تزالُ تتذكرُه حتى يَنْحَلَ جسدُك ، وتَضعُفَ قوَّتُك ، فلو رفَقْتَ بنفسِك كان أَوْلَى بك ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يقولُ لبنيه : لستُ أشكو إليكم[3] ولا إلى أحدٍ من الناسِ ما[4] أنا فيه ، إنما أشكوه إلى اللهِ عز وجل ، وأَعلمُ أن اللهَ سيجعلُ لى مما أنا فيه فرجًا ومخرجًا ، وأَعلمُ أن رؤيا يوسفَ لا بدَّ أن تقعَ ، ولا بدَّ أن أسجدَ له أنا وأنتم حَسَبَ ما رأى . ولهذا قال : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال لهم محرِّضًا على تطلُّبِ يوسفَ وأخيه ، وأن يبحثوا عن أمرِهما : ﴿ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ أى ؛ لا تيأسوا من الفرجِ بعدَ الشدةِ ؛ فإنه لا ييأسُ من رَوْحِ اللهِ وفرجِه وما يقدِّرُه من المخرجِ فى المضايقِ إلا القومُ الكافرون .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَـٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ

---

(١) فى ح : « مكضم » ، وفى م : « مكظم » .

(٢) فى م : « الوجد » .

(٣) بعده فى الأصل : « إنما أشكو أى بثى وحزنى » .

(٤) فى الأصل : « وما » .

عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ * قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ * [١٣٣/١و] قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف : ٨٨ - ٩٣] . يخبرُ تعالى عن رجوعِ إخوةِ يوسفَ إليه ، وقُدومِهم عليه ، ورغبتِهم فيما لديه من المِيرةِ ، والصَّدقةِ عليهم بردِّ أخيهم بنيامينَ إليهم ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ أى ؛ من الجَدْبِ وضيقِ الحالِ وكثرةِ العيالِ ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ أى ؛ ضعيفةٍ لا يُقْبلُ مِثلُها مِنَّا إلَّا أنْ يُتَجاوزَ عنا . قيل : كانت دراهمَ رديئةً . وقيل : قليلةً . وقيل : حبَّ الصَّنَوْبَرِ وحَبَّ البُطْمِ ونحوَ ذلك . وعن ابنِ عباسٍ : كانت خَلَقَ الغَرائرِ[1] والحبالِ ونحوَ ذلك ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ قيل : بقَبولِها . قاله السُّدِّىُّ . وقِيل : بردِّ أخينا إلينا . قاله ابنُ جُرَيْجٍ . وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ : إنما حُرِّمت الصدقةُ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ . ونزَع بهذه الآيةِ . رواه ابنُ جريرٍ[2] . فلما رأى ما هم فيه من الحالِ ، وما جاءوا به مما لم يَبْقَ عندَهم سواه من ضعيفِ المالِ ، تعرَّف إليهم وعطَف عليهم قائلًا لهم عن أمرِ ربِّه وربِّهم ، وقد حسَر لهم عن جبينِه الشريفِ ، وما يَحْويه مِن الخالِ[3] فيه الذى يعرفون منه : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ * قَالُوٓاْ ﴾ وتعجَّبوا كلَّ العجبِ ، وقد تردَّدوا إليه مِرارًا عديدةً وهم لا يعرفون أنه هو ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾

---

(١) الغرائر واحدتها غِرارة ؛ وهى وعاءٌ من الخيش ونحوِه يوضع فيه القمح ونحوه .

(٢) تفسير الطبرى ٥٤/١٣ .

(٣) الخالُ : شامة فى البدن .

يعنى : أنا يوسفُ الذى صنعتم معه ما صنعتم ، وسلَف مِن أمرِكم فيه ما فرَّطتم .
وقولُه : ﴿ وَهَـٰذَآ أَخِى ﴾ تأكيدٌ لِمَا قال ، وتنبيهٌ على ما كانوا أضمَروا لهما من الحسدِ ، وأعملوا فى أمرِهما من الاحتيالِ ؛ ولهذا قال : ﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾ أى ؛ بإحسانِه إلينا وصدقتِه علينا ، وإيوائِه لنا وشَدِّه معاقِدَ عِزِّنا ؛ وذلك بما أسلفنا من طاعتِه ، وصبْرِنا على ما كان منكم إلينا ، وطاعتِنا وبِرِّنا لأبينا ، ومحبتِه الشديدةِ لنا وشفقتِه علينا ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أى ؛ فضَّلك وأعطاك ما لم يُعطِنا ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴾ أى ؛ فيما أسدَيْنا إليك ، وها نحن بينَ يديك ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ أى ؛ لستُ أُعاتِبُكم[1] على ما كان منكم بعدَ يومِكم هذا . ثم زادهم على ذلك فقال : ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ . ومن زعَم أن الوقفَ على قولِه : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ وابتدأ بقولِه : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [١/١٣٣ظ] . فقولُه ضعيفٌ ، والصحيحُ الأولُ . ثم أمَرهم بأن يذهبوا بقميصِه ، وهو الذى يلى جسدَه ، فيضعوه على عينَىْ أبيه ، فإنه يرجعُ إليه بصرُه بعدما كان ذهَب بإذنِ اللهِ . وهذا من خوارقِ العاداتِ ودلائِلِ النُّبوَّاتِ وأكبرِ المعجزاتِ . ثم أمَرهم أن يتحمَّلوا بأهلِهم أجمعين إلى ديارِ مصرَ ، إلى الخيرِ والدَّعَةِ ، وجمعِ الشملِ بعدَ الفرقةِ ، على أكملِ الوجوهِ وأعلى الأمورِ .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ * فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ

---

(١) فى م : « أعاقبكم » .

ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٤ - ٩٨] . قال عبدُ الرَّزَّاقِ[١] : أنبأنا إسرائيلُ ، عن أبى سِنَانٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبى الهُذَيْلِ ، سمعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ . قال : لما خَرَجَت العِيرُ هاجت ريحٌ ، فجاءت يعقوبَ بريحِ قميصِ يوسفَ ، فقال : ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ . قال : فوجد ريحَه من مسيرةِ ثمانيةِ أيامٍ . وكذا رواه الثَّوْرىُّ وشعبةُ ، وغيرُهما[٢] ، عن أبى سنانٍ ، به[٣] . وقال الحسنُ البصرىُّ وابنُ جُرَيْجٍ المكىُّ : كان بينَهما مسيرةُ ثمانين فَرْسَخًا[٤] ، وكان له منذ فارقه ثمانون سنةً[٥] . وقولُه : ﴿ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ أى ؛ تقولون : إنما قلتَ هذا من الفَنَدِ . وهو الخَرَفُ[٦] وكِبَرُ السِّنِّ . قال ابنُ عباسٍ ، وعطاءٌ ، ومُجاهدٌ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، وقتادةُ : ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ تُسفِّهونِ . وقال مُجاهدٌ أيضًا والحسنُ : تُهَرِّمُونِ . ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ قال قتادةُ والسُّدِّىُّ : قالوا له كلمةً غليظةً . قال اللهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ أى ؛ بمجرَّدِ ما جاء ألقَى القميصَ على وجهِ يعقوبَ ، فرجَع مِن فَوْرِه بصيرًا بعد ما كان ضريرًا ، وقال لبنيه عندَ ذلك : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أى ؛ أعلمُ أن اللهَ سيَجمعُ شملِى بيوسفَ ، وستَقَرُّ عينى به ، وسيُرِينى فيه ومِنه ما يَسُرُّنى . فعندَ ذلك ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ طلبوا إليه أن يستغفرَ لهم اللهَ عز وجل عما كانوا فعلوا ونالوا

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٣٢٩/٢ .

(٢) سقط من : ح ، وفى م : « وغيرهم » .

(٣) تفسير الطبرى ٥٧/١٣ ، ٥٨ .

(٤) الفَرْسَخُ : مقياس قديم من مقاييس الطول ، يقدر بثلاثة أميال . الوسيط ٧٠٧/٢ .

(٥) تفسير الطبرى ٥٨/١٣ . إلا أنه فيه : « وكان قد فارقه قبل ذلك سبعًا وسبعين سنة » .

(٦) فى الأصل : « الخوف » .

منه ومِن ابنِه ، وما كانوا عزموا عليه . ولمَّا كان مِن نيَّتِهم التوبةُ قبلَ الفعلِ ، وفَّقهم[1] اللهُ للاستغفارِ عندَ وقوعِ ذلك منهم ، فأجابهم أبوهم إلى ما سألوا ، وما عليه عوَّلوا قائلًا : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . [١/١٣٤و] .

قال ابنُ مسعودٍ ، وإبراهيمُ التَّيمىُّ ، وعمرُو بنُ قَيْسٍ ، وابنُ جُرَيْجٍ[2] ، وغيرُهم : أرجأهم إلى وقتِ السَّحَرِ . قال ابنُ جَريرٍ[3] : حدثنى أبو السائبِ ، حدثنا ابنُ إدريسَ ، سمعتُ عبدَ الرحمنِ بنَ إسحاقَ يَذكُرُ عن مُحارِبِ بنِ دِثَارٍ[4] قال : كان (٥عمٌّ لى٥) يأتى المسجدَ ، فسمِع إنسانًا يقولُ : اللهم دعَوْتَنى فأجبتُ ، وأمرتَنى فأطعتُ ، وهذا السَّحَرُ فاغفرْ لى . قال : فاستمَع الصوتَ ، فإذا هو من دارِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، فسأل عبدَ اللهِ عن ذلك فقال : إن يعقوبَ أخَّرَ بنيه إلى السَّحَرِ بقولِه : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] . وثبَت فى « الصَّحيحين »[6] عن رسولِ اللهِ ﷺ قال : « يَنْزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا ، فيقولُ : هل مِن تائبٍ فأتوبَ عليه ، هل مِن سائلٍ فأُعطيَه ، هل مِن مستغْفرٍ فأغفِرَ له » . وقد ورَد فى حديثٍ أن يعقوبَ أرجأ

---

(١) فى الأصل : « قيضهم » . وفى ح : « قيدهم » .

(٢) فى الأصل : « جرير » .

(٣) تفسير الطبرى ٦٤/١٣ .

(٤) فى الأصل : « دينار » .

(٥ - ٥) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من تفسير الطبرى . وأخرج هذا الأثر الطبرانى (٨٥٤٨) من طريق عبد الرحمن به . وقال فى المجمع ١٥٥/١٠ : وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفى وهو ضعيف .

(٦) البخارى (١١٤٥) ، مسلم (٧٥٨) .

بَنيه إلى ليلةِ الجُمُعَةِ ، قال ابنُ جريرٍ[1] : حدَّثنى المُثَنَّى[2] ، ثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أيوبَ الدمشقىُّ ، حدثنا الوليدُ ، أنبأنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ وعِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ يقولُ : « حتى تأتىَ ليلةُ الجمعةِ ، وهو قولُ أخى يعقوبَ لبَنِيه » . وهذا غريبٌ من هذا الوجهِ ، وفى رفعِه نظرٌ . والأشبهُ أن يكونَ موقوفًا على ابنِ عباسٍ رضى اللهُ عنهما .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩ - ١٠١] . هذا إخبارٌ عن حالِ اجتماعِ المتحابِّين بعدَ الفُرقةِ الطويلةِ التى قِيل[3] : إنها ثمانون سنةً . وقِيل : ثلاثٌ وثمانون سنةً . وهما روايتان عن الحسنِ . وقيل : خمسٌ وثلاثون سنةً . قاله قتادةُ . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ : ذكروا أنه غاب عنه ثمانىَ عشرةَ سنةً . قال : وأهلُ الكتابِ يزعُمون أنه غاب عنه أربعين سنةً . وظاهرُ سياقِ القصَّةِ يرشدُ إلى تحديدِ المدةِ تقريبًا ؛ فإن المرأةَ راوَدته وهو شابٌّ ابنُ سبعَ عشرةَ سنةً فيما قاله غيرُ واحدٍ ، فامتنَع فكان فى السجنِ بضعَ [١٣٤/١ظ] سنين ، وهى

---

(١) تفسير الطبرى ٦٥/١٣ .

(٢) فى الأصل : « ابن المثنى » .

(٣) تفسير الطبرى ٦٩/١٣ - ٧١ ، الدر المنثور ٣٨/٤ .

سبعٌ عندَ عِكْرِمةَ وغيرِه ، ثم أُخرِج فكانت سنواتُ الخِصْبِ السبعُ ، ثم لما أَمْحلَ الناسُ فى السبعِ البواقى جاء إخوتُه يَمتارون فى السنةِ الأولَى وحدَهم ، وفى الثانيةِ ومعهم أخوه بنيامينُ ، وفى الثالثةِ تَعرَّف إليهم ، وأمَرَهم بإحضارِ أهلِهم أجمعين ، فجاءوا كلُّهم . ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ اجتَمع بهما خصوصًا وحدَهما دونَ إخوتِه ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ . قيل : هذا من المُقدَّمِ والمُؤَخَّرِ ، تقديرُه : قال ادخلوا مصرَ ، وآوَى إليه أبوَيْه . وضعَّفه ابنُ جريرٍ[1] ، وهو معذورٌ . وقيل : بل تلقَّاهما وآواهما فى منزِلِ الخيامِ ، ثم لمَّا اقتَرَبوا من بابِ مصرَ قال : ﴿ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ قاله السُّدِّىُّ . ولو قِيل : إن الأمرَ لا يَحتاجُ إلى هذا أيضًا ، وأنه ضُمِّنَ قولُه : ﴿ ٱدْخُلُواْ ﴾ معنى : اسكنوا مصرَ وأقيموا بها ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ، لكان صحيحًا مَليحًا أيضًا .

وعندَ أهلِ الكتابِ أن يعقوبَ لما وصَل إلى أرضِ جاشرَ ؛ وهى أرضُ بُلْبَيْسَ[2] ، خرَج يوسفُ لِتلقِّيه[3] ، وكان يعقوبُ قد بعَث ابنَه يهوذا بينَ يديه مبشرًا بقُدومِه . وعندَهم أن المِلِكَ أطلَق لهم أرضَ جاشرَ ، يكونون فيها ويقيمون بها ، بِنَعَمِهم ومواشِيهم . وقد ذكَر جماعةٌ من المفسرين[4] أنه لما أَزِفَ قُدومُ نبىِّ اللهِ يعقوبَ ، وهو إسرائيلُ ، أراد يوسفُ أن يَخرُجَ لِتلقِّيه ، فرَكِب معه المِلِكُ وجنودُه ؛ خدمةً ليوسفَ وتعظيمًا لنبىِّ اللهِ إسرائيلَ ، وأنه دعا للمِلِكِ ، وأن اللهَ رفَع عن أهلِ مصرَ بقيةَ سِنِىِّ الجَدْبِ ببركةِ قُدومِه إليهم . فاللهُ أعلمُ . وكان جملةُ مَن قَدِم مع يعقوبَ مِن بنيه وأولادِهم – فيما

---

(١) تفسير الطبرى ١٣/٦٥ ، ٦٦ ، وانظر هذه الأقوال فى تفسيره أيضا ١٣/٧٠ ، ٧١ ، ١٢/٢٢٤ .

(٢) فى ح : « بلقيس » .

(٣) فى الأصل : « ليلتقيه » .

(٤) تفسير الطبرى ١٣/٦٦ .

قاله أبو إسحاقَ السَّبِيعىُّ[1] ، عن أبى عبيدةَ ، عن ابنِ مسعودٍ - ثلاثةً وستين إنسانًا . وقال موسى بنُ عُبَيْدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ شَدَّادٍ : كانوا ثلاثةً وثمانين إنسانًا[2] . وقال أبو إسحاقَ ، عن مسروقٍ : دخلوا وهم ثلثُمائةٍ وتسعون إنسانًا . قالوا : وخرجوا مع موسى وهم أزيَدُ مِن ستِّمائةِ ألفِ مقاتلٍ . وفى نصِّ أهلِ الكتابِ أنهم كانوا سبعين نَفْسًا ، وسمَّوْهم[3] .

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قيل : كانت أمُّه قد ماتت ، كما هو عندَ علماءِ التوراةِ . قال بعضُ المفسرين : فأحياها اللهُ تعالى . وقال آخرون : بل كانت خالَتَه ليا ، والخالةُ بمنزلةِ الأمِّ . وقال ابنُ جريرٍ[4] وآخرون : بل ظاهرُ القرآنِ يقتضى بقاءَ حياةِ أمِّه إلى يومئذٍ ، فلا يُعوَّلُ على نقلِ أهلِ الكتابِ فيما خالفه . وهذا قوىٌّ ، واللهُ أعلمُ . ورفَعهما على العرشِ ، أى ؛ أجلَسهما معه على سريرِه ﴿ وَخَرُّواْ [١/١٣٥و] لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ أى ؛ سجَد له الأبوان والإخوةُ الأحدَ عشَرَ ؛ تعظيمًا وتكريمًا . وكان هذا مشروعًا لهم ، ولم يَزَلْ ذلك معمولًا به فى سائرِ الشرائعِ حتى حُرِّم فى مِلَّتِنا . ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ أى ؛ هذا تعبيرُ[5] ما كنتُ قصَصْتُه عليك ؛ مِن رؤيتِى الأحدَ عشَرَ كوكبًا والشمسَ والقمرَ ، حينَ[6] رأيتُهم لى ساجدين ، وأمَرتَنى بكتمانِها ، ووعَدتَنى ما وعَدتَنى عندَ ذلك ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى

---

(١) فى ح : « السمعى » .

(٢) تفسير الطبرى ٧٢/١٣ . وفيه أنهم كانوا ستة وثمانين إنسانًا .

(٣) انظر الفِصَل ١٦٥/١ - ١٦٨ . ومقدمة ابن خلدون ١٢/١ .

(٤) تفسير الطبرى ٦٧/١٣ .

(٥) فى ص : « تعيين » .

(٦) سقط من : الأصل .

حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ أى ؛ بعدَ الهمِّ والضِّيقِ جعلنى حاكمًا نافذَ الكلمةِ فى الدِّيارِ المصريةِ حيث شئتُ ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ أى ؛ الباديةِ . وكانوا يسكنون أرضَ العَرَبَاتِ[1] [2]من بلادِ الخليلِ[2] ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ أى ؛ فيما كان منهم إلىَّ مِن الأمرِ الذى تقدَّم وسبَق ذكرُه . ثم قال : ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ أى ؛ إذا أراد شيئًا هيَّأ أسبابَه ويسَّرها وسهَّلها مِن وجوهٍ لا يَهتدِى[3] إليها العبادُ ، بل يُقدِّرُها ويُيسِّرُها بلطيفِ صُنعِه وعظيمِ قدرتِه ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أى ؛ بجميعِ الأمورِ ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فى خلقِه وشرعِه وقَدَرِه .

وعندَ أهلِ الكتابِ أن يوسفَ باع أهلَ مصرَ وغيرَهم ، من الطعامِ الذى كان تحتَ يدِه بأموالِهم كلِّها ؛ من الذهبِ والفضةِ والعَقَارِ والأثاثِ وما يَملِكونه كلَّه ، حتى باعهم بأنفسِهم فصاروا أَرِقَّاءَ ، ثم أطلَق لهم أرضَهم وأعتَق رقابَهم ، على أن يَعمَلوا ويكونَ خُمْسُ ما يشتغلون[4] مِن زرعِهم وثمارِهم للمَلِكِ ، فصارت سُنَّةَ أهلِ مصرَ بعدَه . وحكَى الثَّعلبىُّ[5] أنه كان لا يَشبعُ فى تلك السنين حتى لا يَنسَى الجِيعانَ ، وأنه إنما كان يأكلُ أَكْلةً واحدةً نصفَ النهارِ ، قال : فمِنْ ثَمَّ اقتدَى به الملوكُ الأخيارُ فى ذلك . قلتُ : وقد كان أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ رضى اللهُ عنه لا يَشْبَعُ بطنُه عامَ الرَّمَادَةِ حتى ذهَب الجَدْبُ وأتَى الخِصْبُ . قال الشافعىُّ : قال رجلٌ من الأعرابِ لعُمَرَ[6] بعدما ذهَب عامُ الرَّمَادةِ : لقد انجَلتْ عنك وإنك لَابنُ حُرَّةٍ .

---

(١) العربات جمع عربة ؛ وهى بلاد العرب . معجم البلدان ٦٣٢/٣ ، اللسان (ع ر ب) .

(٢ - ٢) فى ص : « بعد الجليل » .

(٣) فى الأصل : « تهتدى » .

(٤) فى ح : « يستغلون » .

(٥) قصص الأنبياء ص ١١٣ .

(٦) سقط من : الأصل .

ثم لمّا رأى يوسفُ عليه السلامُ نعمتَه قد تمَّت وشملَه قد اجتَمع ، عرَف أنَّ هذه الدارَ لا يَقِرُّ بها مِن قَرَارٍ ، وأن كلَّ شيءٍ فيها ومَن عليها فَانٍ ، وما بعدَ التمامِ إلا النقصانُ ، فعندَ ذلك أثنَى على ربِّه بما هو أهلُه ، واعترَف له بعظيمِ إحسانِه وفضلِه ، وسأل منه ، وهو خيرُ المسئُولينِ ، أن يَتوفَّاه – أى[1] حينَ يتوفَّاه – على الإسلامِ ، وأن يُلحِقَه بعبادِه الصالحين . وهذا كما يقالُ فى الدعاءِ : اللهم [١٣٥/١ظ] أَحْيِنا مسلمين وتَوفَّنا مسلمين . أى[1] حينَ تَتوفَّانا . ويَحتملُ أنه سأل ذلك عندَ احتضارِه عليه السلامُ ، [2]كما سأل النبىُّ ﷺ عندَ احتضارِه[2] أن يَرْفَعَ رُوحَه إلى الملإِ الأعلَى ، والرُّفَقَاءِ الصالحين من النبيين والمرسلين ، كما قال : « اللهمَّ فى الرَّفيقِ الأَعْلَى » . ثلاثًا ، ثم قَضَى[3] . ويَحتملُ أن يوسفَ عليه السلامُ سأل الوفاةَ على الإسلامِ ، مُنْجِزًا فى صحةٍ منه[4] وسلامةٍ ، وأن ذلك كان سائغًا فى مِلَّتِهم وشِرْعَتِهم ، كما رُوِى عن ابنِ عباسٍ[5] أنه قال : ما تمَنَّى نبىٌّ قَطُّ الموتَ قبلَ يوسفَ . فأما فى شريعتِنا ، فقد نُهِىَ عن الدعاءِ بالموتِ إلا عندَ الفتنِ ، كما فى حديثِ مُعَاذٍ ، فى الدعاءِ الذى رواه أحمدُ[6] : « وإذا أردتَ بقومٍ فِتْنةً ، فتوفَّنا إليكَ غيرَ مَفْتونِين » . وفى الحديثِ الآخرِ[7] : « ابنَ آدَمَ ، الموتُ خيرٌ لك مِن الفتنةِ » . وقالت مريمُ عليها السلامُ : ﴿ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] . وتمنَّى الموتَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ لمّا تفاقَمت الأمورُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « إلى » .

(٢ – ٢) زيادة من : م .

(٣) البخارى (٥٦٧٤) ، مسلم (٢١٩١) .

(٤) فى م ، ص : « بدنه » .

(٥) تفسير الطبرى ٧٣/١٣ .

(٦) المسند ٢٤٣/٥ ، صحيح (إرواء الغليل ٦٨٤) .

(٧) المسند ٤٢٧/٥ ، (صحيح الجامع ١٣٨) .

وعظُمَت الفتنُ ، واشتدَّ القتالُ وكَثُر القِيلُ والقالُ . وتمنَّى ذلك البخارِىُّ أبو عبدِ اللهِ صاحبُ « الصحيحِ » لَمَّا اشتَدَّ عليه الحالُ ولَقِىَ مِن مُخالِفيه الأهوالَ . فأما فى حالِ الرفاهيةِ ، فقد روَى البخارىُّ ومسلمٌ فى « صحيحَيْهما »[1] ، مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يتَمنَّى أحدُكم الموتَ لضُرٍّ نزَل به ، إمَّا مُحسِنًا فيزَدادُ ، وإمَّا مُسيئًا فلعلَّه يَستَعْتِبُ ، ولكنْ لِيقُلْ : اللهم أَحْيِنى ما كانت الحياةُ خيرًا لى ، وتوَفَّنى إذا كانت الوفاةُ خيرًا لى » . والمرادُ بالضُّرِّ ههنا : ما يَخُصُّ العبدَ فى بدنِه ؛ مِن مرضٍ ونحوِه ، لا فى دينِه . والظاهرُ أن نبىَّ اللهِ يوسفَ عليه السلامُ سأل ذلك ، إمَّا عندَ احتضارِه ، أو[2] إذا كان ذلك أن يكونَ كذلك .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[3] عن أهلِ الكتابِ ، أن يعقوبَ أقام بديارِ مصرَ عندَ يوسفَ سبعَ عشرةَ سنةً ، ثم تُوُفِّى عليه السلامُ ، وكان قد أوصَى إلى يوسفَ عليه السلامُ أنْ يُدْفَنَ عندَ أبَوَيْه إبراهيمَ وإسحاقَ . قال السُّدِّىُّ[4] : فصَبَره[5] وسيَّره إلى بلادِ الشامِ ، فدفَنه بالمغارةِ عندَ أبيه إسحاقَ وجَدِّه الخليلِ عليهم السلامُ . وعندَ أهلِ الكتابِ أن عُمُرَ يعقوبَ ، يومَ دخَل مصرَ ، مائةٌ وثلاثون سنةً . وعندَهم أنه أقام بأرضِ مصرَ سبعَ عشرةَ سنةً ، ومع هذا قالوا : فكان جميعُ عِمرِه مائةً وأربعين سنةً . هذا نصُّ كتابِهم ، وهو غلَطٌ ؛

---

(١) البخارى (٥٦٧١) ، مسلم (٢٦٨٠) .
ويَستَعْتِبُ : يرجع عن الإساءة ، ويطلب الرضا . النهاية ٣/١٧٥ .
(٢) فى ص : « و » .
(٣) تاريخ الطبرى ١/٣٦٤ .
(٤) تفسير الطبرى ١٣/٧٥ .
(٥) فى م : « فصبر » . وصبره : أوثقه . اللسان (ص ب ر) .

إما فى النُّسخةِ ، أو منهم ، أو قد أسقَطوا الكَسْرَ ، وليس بعادتِهم فيما هو أكثرُ مِن هذا ، فكيف يستعملون هذه الطريقةَ ههنا ؟! .

وقد قال اللهُ تعالى فى [١٣٦/١و] كتابِه العزيزِ : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] . فوصَّى بنيه بالإخلاصِ ، وهو دينُ الإسلامِ ، الذى بعَث اللهُ به الأنبياءَ عليهم السلامُ . وقد ذكَر أهلُ الكتابِ أنه أوصَى بَنيه واحدًا واحدًا ، وأخبَرهم بما يكونُ مِن أمرِهم ، وبشَّر يهوذا بخروجِ نبىٍّ عظيمٍ مِن نَسْلِه تُطيعُه الشُّعوبُ ، وهو عيسى ابنُ مريمَ . واللهُ أعلمُ .

وذكَروا أنه لما مات يعقوبُ بكَى عليه أهلُ مصرَ سبعين يومًا ، وأمَر يوسفُ الأطباءَ فطيَّبوه بطِيبٍ ، ومكَث فيه أربعين يومًا ، ثم استأذَن يوسفُ مَلِكَ مصرَ فى الخروجِ مع أبيه ليَدفنَه عندَ أهلِه ، فأذِن له ، وخرَج معه أكابرُ مصرَ وشيوخُها ، فلما وصلوا حبرونَ ، دفنوه فى المغارةِ التى كان اشتراها إبراهيمُ الخليلُ مِن عفرونِ بنِ صخرٍ الحِيثىِّ ، فدفنوه فيها وعمِلوا له عَزَاءً سبعةَ أيامٍ . قالوا : ثم رجعوا إلى بلادِهم ، وعزَّى إخوةُ يوسفَ ليوسفَ فى أبيهم وترقَّقوا له ، فأكرمهم وأحسنَ مُنقَلَبَهم ، فأقاموا ببلادِ مصرَ . ثم حضرَت يوسفَ عليه السلامُ الوفاةُ ، فأوصَى أن يُحملَ معهم إذا خرجوا مِن مصرَ ، فيُدفَنَ عندَ آبائِه ، فحنَّطُوه ووضَعوه فى تابوتٍ ، فكان بمصرَ حتى أخرَجه معه موسى عليه السلامُ ، فدفَنه عندَ آبائِه كما سيأتى . قالوا : فمات وهو ابنُ مائةِ سنةٍ وعشرِ سنين . هذا نصُّهم فيما رأيتُه ، وفيما حكاه ابنُ جريرٍ[1] أيضًا . وقال مُباركُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٦٤/١ .

ابنُ فَضَالةَ ، عن الحسنِ[1] : أُلْقِيَ يوسفُ فى الجُبِّ وهو ابنُ سبعَ عشرةَ سنةً ، وغاب عن أبيه ثمانين سنةً ، وعاش بعدَ ذلك ثلاثًا وعشرين سنةً ، ومات وهو ابنُ مائةِ سنةٍ وعشرين سنةً . وقال غيرُه : أوصَى إلى أخيه يهوذا[2] . صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى الأنبياءِ أجمعين .

---

(١) تفسير الطبرى ٧١/١٣ .

(٢) قصص الأنبياء للثعالبى ص ١٢٥ .

قصةُ نبىِّ اللهِ أيُّوبَ عليه السلامُ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : كان رجلًا من الرُّومِ ، [2]وهو أيوبُ[2] بنُ مُوصِ بنِ رَزَاحِ[3] بنِ العِيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ . وقال غيرُه : هو أيوبُ بنُ مُوصِ بنِ رغويلَ بنِ العيصِ بنِ إسحاقَ بنِ يعقوبَ . وقيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه . وحكَى ابنُ عساكِرَ[4] أنَّ أمَّه بنتُ لوطٍ عليه السلامُ . وقيل : كان أبوه ممَّن آمَن بإبراهيمَ عليه السلامُ يومَ أُلْقِىَ فى النارِ فلم تَحرِقْه . والمشهورُ الأوَّلُ ؛ لأنه مِن ذريةِ إبراهيمَ ، كما قرَّرنا عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُۥدَ [١٣٦/١ظ] وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ الآيات [الأنعام : ٨٤] . مِن أن الصحيحَ أن الضميرَ عائدٌ على إبراهيمَ دونَ نوحٍ عليهما السلامُ ، وهو من الأنبياءِ المنصوصِ على الإيحاءِ إليهم فى سورةِ « النساء » فى قولِه تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ﴾ [النساء : ١٦٣] الآية . فالصحيحُ أنه من سلالةِ العِيصِ بنِ إسحاقَ . وامرأتُه قيل : اسمُها ليا بنتُ يعقوبَ . وقيل : رحمةُ بنتُ أفرائيمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ . وهذا أشهر ، فلهذا ذكرناه هـٰهنا ، ثم نَعطِفُ بذكرِ أنبياءِ بنى إسرائيلَ بعدَ ذكرِ قصتِه إن شاء الله ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٢٢/١ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الطبرى : « رازح » .

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/١٠ .

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤] . وقال تعالى فى سورةِ « صٓ »[2] : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [صٓ : ٤١ - ٤٤] . [3]وروَى ابنُ عساكِرَ[4] من طريقِ الكَلْبىِّ ، أنه قال : أولُ نبىٍّ بُعِث إدريسُ ، ثم نوحٌ ، ثم إبراهيمُ ، ثم إسماعيلُ ، ثم إسحاقُ ، ثم يعقوبُ ، ثم يوسفُ ، ثم لوطٌ ، ثم هودٌ ، ثم صالحٌ ، ثم شُعَيبٌ ، ثم موسى وهارونُ ، ثم إلياسُ ، ثم اليسَعُ ، ثم عرفى بنُ سويلخِ بنِ أفرائيمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ ، ثم يونسُ بنُ مَتَّى مِن بنى يعقوبَ ، ثم أيوبُ بنُ رَزَاحِ بنِ آموصِ بنِ ليفرز بنِ العِيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ . وفى بعضِ هذا الترتيبِ نَظَرٌ ، فإن هودًا وصالحًا المشهورُ أنَّهما بعدَ نوحٍ وقبلَ إبراهيمَ ، واللهُ أعلمُ[3] .

قال علماءُ التفسيرِ والتاريخِ وغيرُهم[5] : كان أيوبُ رجلًا كثيرَ المالِ ، من سائرِ صنوفِه وأنواعِه ؛ من الأنعامِ والعبيدِ والمواشى والأراضى المتسعةِ بأرضِ البَثْنِيَّةِ من أرضِ حُورَانَ . وحكَى ابنُ عساكِرَ أنها كلَّها كانت له ، وكان له أولادٌ وأهلون كثيرٌ ، فسُلِب مِن ذلك جميعِه ، وابْتُلِىَ فى جسدِه

---

(١) التفسير ٣٥٣/٥ .

(٢) التفسير ٦٥/٧ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/١٠ ، ٥٩ .

(٥) تفسير الطبرى ٥٧/١٧ ، تاريخ دمشق ٥٩/١٠ .

بأنواعِ البلاءِ ، ولم يَبْقَ منه عضوٌ سليمٌ سوى قلبِه ولسانِه ، يَذكُرُ اللهَ عز وجل بهما ، وهو فى ذلك كلِّه صابرٌ محتسِبٌ ذاكرٌ للهِ عز وجل فى ليلِه ونهارِه ، وصباحِه ومَسائِه . وطال مرضُه حتى عافَه الجليسُ ، وأَوْحَش منه الأنيسُ ، وأُخرِج من بلدِه ، وأُلْقِى على مَزْبَلَةٍ خارجَها ، وانقطَع عنه الناسُ ، ولم يَبْقَ أحدٌ يَحنُو عليه سوى زوجَتِه ، كانت تَرْعَى له حقَّه وتَعرِفُ قديمَ إحسانِه إليها وشفقتِه عليها ، فكانت تَتردَّدُ إليه ، فتُصلحُ مِن شأنِه ، وتُعينُه على قضاءِ حاجتِه ، وتقومُ بمصلحتِه ، وضَعُف حالُها ، وقلَّ مالُها ، حتى كانت تَخدُمُ الناسَ بالأجرِ ؛ لتُطعِمَه وتقومَ بأَوَدِه ، رضى اللهُ عنها وأرضاها ، وهى صابرةٌ معه على ما حَلَّ بهما من فِراقِ المالِ والولدِ ، وما يَختصُّ بها من المصيبةِ بالزوجِ ، وضِيقِ ذاتِ اليدِ ، وخِدمةِ الناسِ ، بعدَ السعادةِ والنِّعمةِ والخِدمةِ والحُرْمةِ ، فإنا للهِ وإنا إليه [١/١٣٧و] راجعون .

وقد ثبت فى « الصحيحِ »[١] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « أشدُّ الناسِ بَلاءً الأنبياءُ ثم الصالحون ثم الأمثلُ فالأمثلُ ؛ يُبْتَلَى الرجلُ على حَسَبِ دِينِه ، فإنْ كان فى دينِه صلابَةٌ زِيدَ فى بلائِه » . ولم يزِدْ هذا كلُّه أيوبَ عليه السلامُ إلا صبرًا واحتِسابًا وحمدًا وشكرًا ، حتى إن المَثَلَ لَيُضربُ بصبرِه عليه السلامُ ، ويُضْربُ المَثَلُ أيضًا بما حصَل له من أنواعِ البَلَايَا . وقد رُوى عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ وغيرِه مِن علماءِ بنى إسرائيلَ ، فى قصةِ أيوبَ ، خبرٌ طويلٌ فى كيفيةِ ذَهابِ مالِه وولدِه وبلائِهِ فى جسدِه ، واللهُ أعلمُ بصحتِه[٢] . وعن مُجاهدٍ أنه قال : كان أيوبُ عليه السلامُ أولَ مَن أصابه الجُدَرِىُّ . وقد اختلفوا فى مدةِ

---

(١) لم يعزه صاحب تحفة الأشراف ٣/٣١٨ إلى أى الصحيحين ، لكن رواه الإمام أحمد فى مسنده ١/١٧٢ ، والترمذى (٢٣٩٨) ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٤٠٢٣) ، والدارمى (٢٧٨٣) ، وانظر الإحسان (٢٩٠٠ ، ٢٩٠١ ، ٢٩٢٠) ، (صحيح الترمذى ١٩٥٦) .

(٢) أورده الطبرى فى تفسيره ١٧/٥٧ - ٦٥ .

بَلْواه على أقوالٍ ؛ فزعَم وَهْبٌ أنه ابْتُلِيَ ثلاثَ سنينَ لا تَزيدُ ولا تَنْقُصُ[1] . وقال أنسٌ : ابتُلِيَ سبعَ سنين وأشهرًا ، وأُلْقِيَ على مَزْبَلَةٍ لِبنى إسرائيلَ ، تختلفُ الدَّوابُّ فى جسدِه ، حتى فرَّج اللهُ عنه ، وعظَّم له الأجرَ ، وأحسَن الثناءَ عليه . وقال حُميدٌ : مكَث فى بَلْواه ثمانىَ عشْرةَ سنةً . وقال السُّدِّىُّ : تَساقَط لحمُه حتى لم يَبْقَ إلا العظْمُ والعَصَبُ ، فكانت امرأتُه تأتيه بالرَّمَادِ تَفْرُشُه تحتَه ، فلما طال عليها قالت : يا أيوبُ ، لو دَعْوتَ ربَّك لَفرَّجَ عنك . فقال : قد عشتُ سبعينَ سنةً صحيحًا ، فهو قليلٌ للهِ أن أَصبِرَ له سبعينَ سنةً . فجَزِعَت مِن هذا الكلامِ .

وكانت تَخدُمُ الناسَ بالأجرِ ، وتُطعِمُ أيوبَ عليه السلامُ . ثم إن الناسَ لم يكونوا يستخدمونها ؛ لِعلمِهم أنها امرأةُ أيوبَ ، خوفًا أن ينالَهم من بلائِه ، أو تُعْدِيَهم بمخالطتِه ، فلما لم تجدْ أحدًا يستخدمُها ، عَمَدَت فباعت لبعضِ بناتِ الأشرافِ إحدى ضَفيرَتَيْها بطعامٍ طيبٍ كثيرٍ ، فأتت به أيوبَ ، فقال : مِن أين لكِ هذا ؟ وأنكَره ، فقالت : خدمتُ به أناسًا . فلما كان الغدُ لم تجدْ أحدًا ، فباعت الضَّفيرةَ الأخرى بطعامٍ ، فأتَتْه به فأنكره أيضًا ، وحلَف لا يأكلُه حتى تُخبرَه مِن أين لها هذا الطعامُ ، فكشَفت عن رأسِها خِمارَها ، فلما رأى رأسَها محلوقًا قال فى دعائِه : ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[2] : حدثنا أبى ، حدثنا أبو[3] سَلَمَةَ ، حدثنا جَريرُ بنُ

---

(١) تفسير الطبرى ٦٦/١٧ .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٨/٤ وعزاه إلى ابن أبى حاتم . والمصنف فى التفسير ٣٥٦/٥ .

(٣) فى الأصل : « ابن » .

حازمٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ[1] ، قال : كان لأيوبَ أخَوان ، فجاءا يومًا فلم يستطيعا أن يَدْنُوَا منه مِن رِيحِه ، فقاما من بعيدٍ ، فقال أحدُهما لصاحبِه : لو كان اللهُ عَلِم من أيوبَ خيرًا ما ابتلاه بهذا . فجَزِع أيوبُ مِن قولِهما جَزَعًا لم يَجْزَعْ مِن شيءٍ قَطُّ مثلَه ، فقال : اللهمَّ [١٣٧/١ظ] إن كنتَ تعلمُ أنى لم أَبِتْ ليلةً قَطُّ شبعانًا وأنا أَعلمُ مكانَ جائِعٍ فصدِّقْنى[2] . فصُدِّقَ من السماءِ وهما يسمعان . ثم قال : اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنى لم يكُنْ لى قميصانِ قَطُّ وأنا أَعلمُ مكانَ عارٍ فصدِّقْنى . فصُدِّقَ من السماءِ وهما يسمعان . ثم قال : اللهمَّ بعزَّتِك - وخرَّ ساجدًا ، فقال - : اللهمَّ بعزَّتِك ، لا أَرفعُ رأسى أبدًا حتى تكشِفَ عنِّى . فما رفَع رأسَه حتى كُشِف عنه .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ وابنُ جريرٍ[3] جميعًا : حدثنا يونُسُ بنُ عبدِ الأَعْلَى ، أنبأنا ابنُ وهْبٍ ، أخبرنى نافعُ بنُ يَزيدَ ، عن عُقيلٍ ، عن الزُّهرىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « إن نبىَّ اللهِ أيوبَ لَبِثَ به بلاؤُه ثمانىَ عشْرةَ سنةً ، فرَفَضَه القريبُ والبعيدُ ، إلا رجلَيْن مِن إخوانِه كانا مِن أخصِّ إخوانِه له ، كانا يَغدُوَان إليه ويَرُوحان ، فقال أحدُهما لصاحبِه : [4]تَعْلَمُ واللهِ[4] ، لقد أذنَب أيوبُ ذنبًا ما أذنبَه أحدٌ مِن العالمين . قال له صاحبُه : وما ذاك ؟ قال : منذُ ثمانىَ عشرةَ سنةً لم يَرْحَمْه ربُّه فيَكْشِفَ ما به . فلما راحَا إليه ، لم يَصبرِ الرجلُ حتى ذكَر ذلك له ، فقال أيوبُ : لا أدرى ما تقولُ ،

---

(١) فى الأصل : « عمر » .

(٢) صدَّقْتُه : نسبتُه إلى الصدق ، وقلتُ له : صَدَقْتَ . المصباح المنير (ص د ق) .

(٣) تفسير الطبرى ١٦٧/٢٣ ، وعزاه فى الدر المنثور ٣٣٠/٤ إلى ابن أبى حاتم . وانظر الإحسان (٢٨٩٨) .

(٤ - ٤) فى م : « يعلم الله » .

غيرَ أن اللهَ عز وجل يَعلمُ أنى كنتُ أمُرُّ على الرجلينِ يتنازعانِ فيَذكُرانِ اللهَ ، فأَرجِعُ إلى بيتى فأُكفِّرُ عنهما ؛ كراهيةَ أنْ يَذكُرَا اللهَ إلا فى حقٍّ » . قال : « وكان يَخرُجُ فى حاجتِه ، فإذا قضاها أمسكَت امرأتُه بيدِه حتى يَرجعَ ، فلما كان ذاتَ يومٍ أبطأَت عليه ، فأوحَى اللهُ إلى أيوبَ فى مكانِه أنِ : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فاستَبْطَأَتْه فتلقَّتْه تَنظُرُ ، وأقبَلَ عليها قد أذهَبَ اللهُ ما به من البلاءِ ، وهو على أحسَنِ ما كان ، فلما رأته ، قالت : أىْ بارَكَ اللهُ فيك ، هل رأيتَ نبىَّ اللهِ هذا المُبْتَلَى ؟ فواللهِ على ذلك ما رأيتُ رجلًا أشبهَ به منك إذْ كان صحيحًا . قال : فإنِّى أنا هو » . قال : « وكان له أَنْدَرَانِ[1] ؛ أَنْدَرٌ للقمحِ ، وأَنْدَرٌ للشَّعيرِ ، فبعَث اللهُ سحابَتَيْن ، فلما كانت إحداهما على أندرِ القمحِ أفرَغَتِ فيه الذهبَ حتى فاض ، وأفرَغَت الأخرى فى أندَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ حتى فاض » . هذا لفظُ ابنِ جَريرٍ ، وهكذا رواه بتمامِه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[2] ، عن محمدِ بنِ الحسنِ بنِ قُتَيبةَ ، عن حَرْمَلَةَ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، به . وهذا غريبٌ رَفْعُه جدًّا ، والأشبَهُ أنْ يكونَ موقوفًا . وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3] : حدثنا أبى ، ثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، حدثنا حمادٌ ، حدثنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرَانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وأَلبسَه اللهُ حُلَّةً مِن الجنةِ ، فتنحَّى [١٣٨/١و] أيوبُ وجلَس فى ناحيةٍ ، وجاءت امرأتُه فلم تَعْرِفْه ، فقالت : يا عبدَ اللهِ ، هذا المُبْتَلَى الذى كان ههنا ، لعلَّ الكلابَ ذهَبت به أو الذئابَ ؟ وجعلَت تُكلِّمُه ساعةً . قال : وَيْحَكِ[4] أنا أيوبُ . قالت : أَتَسْخَرُ منِّى يا عبدَ اللهِ ؟ فقال : وَيْحَكِ ، أنا أيوبُ قد

---

(١) الأَنْدَرُ : البَيْدَرُ . وهو الموضع الذى تُداس فيه الحبوب . القاموس المحيط (ن د ر) .

(٢) الإحسان (٢٨٩٨) .

(٣) عزاه فى الدر المنثور ٣١٥/٥ لابن أبى حاتم . وانظر تفسير ابن كثير ٣٥٦/٥ .

(٤) فى ح ، م : « ولعل » .

ردَّ اللهُ عليَّ جسَدى . قال ابنُ عباسٍ : ورَدَّ اللهُ عليه مالَه ، وولدَه بأعيانِهم ومثْلَهم معهم . وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : أوحَى اللهُ إليه : قد رَدَدْتُ عليك أهلَك ومالَك ومثلَهم معهم ، فاغتسِلْ بهذا الماءِ فإن فيه شفاءَك ، وقرِّبْ عن صحابَتِك قُربانًا واستغفِرْ لهم ؛ فإنهم قد عصَوْنى فيك . رواه ابنُ أبى حاتمٍ[1] .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[2] : ثنا أبو زُرْعَةَ ، حدثنا عمرُو بنُ مرزوقٍ ، حدثنا همَّامٌ ، عن قَتادةَ ، عن النَّضْرِ بنِ أنسٍ ، عن بَشِيرِ بنِ نَهِيكٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لما عافَى اللهُ أيوبَ عليه السلامُ ، أَمْطَر عليه جَرَادًا مِن ذهَبٍ ، فجعَل يأخذُ بيدِه ويَجعَلُ فى ثوبِه » . قال : « فقيل له : يا أيوبُ ، أمَا تَشبَعُ ؟ قال : يا ربِّ ، ومَنْ يشبَعُ مِن رحمتِك ؟! » . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ[3] ، عن أبى داودَ الطَّيَالِسِىِّ وعبدِ الصَّمدِ ، عن همامٍ ، عن قَتادةَ ، به . ورواه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[4] عن عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ الأَزْدِىِّ ، عن إسحاقَ ابنِ راهَوَيْه ، عن عبدِ الصَّمدِ به . ولم يُخرِّجْه أحدٌ من أصحابِ الكتبِ ، وهو على شرطِ « الصحيحِ » . فاللهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا سفيانُ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هُرَيرةَ : أُرْسِلَ على أيوبَ رِجْلٌ[6] من جَرادٍ من ذهبٍ ، فجعَل يَقبِضُها فى ثوبِه ، فقِيل : يا أيوبُ ، ألم يَكفِكَ ما أعطيناك ؟ قال : أَىْ ربِّ ، ومَن يَستغنى عن فضلِك . هذا موقوفٌ . وقد رُوى عن أبى هُرَيرةَ مِن وجهٍ آخرَ مرفوعًا .

---

(١) انظر التفسير ٥/٢٥٦ .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣١ وعزاه لابن أبى حاتم .

(٣) المسند ٢/٣٠٤ ، ٤٩٠ من طريق الطيالسى ، وفى ٢/٣٤٧ من طريق عبد الصمد ، وإسناده صحيح .

(٤) الإحسان (٦٢٣٠) .

(٥) المسند ٢/٢٤٣ ، وأخرجه مرفوعا فى المسند ٢/٣٠٤ ، وإسنادهما صحيح .

(٦) رِجْلٌ من جَرَاد : الجرادُ الكثير . النهاية ٢/٢٠٣ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، قال : هذا ما حدثنا أبو هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « بينما أيوبُ يَغتَسِلُ عُرْيانًا خَرَّ عليه جَرادٌ مِن ذهبٍ ، فجعَل أيوبُ يَحْثِى فى ثوبِه ، فناداه ربُّه عز وجل : يا أيوبُ ، ألم أكُنْ أغنيتُك عما ترى ؟ قال : بلى يا ربِّ ، ولكنْ لا غِنَى لى عن بَرَكَتِك » . رواه البخارىُّ[2] مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ ، به .

وقولُه : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ أي اضْرِبِ الأرضَ برجلِك . فامتَثَل ما أُمِر به ، فأنْبَع اللهُ له عينًا باردةَ الماءِ ، وأُمِر أن يَغتسلَ فيها ويَشربَ منها ، فأذهبَ اللهُ عنه ما كان يجدُه مِن الألمِ والأذى والسَّقَمِ والمرضِ الذى كان فى جسدِه ، ظاهرًا وباطنًا ، وأبْدَلَه اللهُ [١٣٨/١ظ] بعدَ ذلك كلِّه صحةً ظاهرةً وباطنةً ، وجمالًا تامًّا ، ومالًا كثيرًا ، حتى صَبَّ له من المالِ صَبًّا ؛ مطرًا عظيمًا جَرادًا من ذهبٍ ، وأخلَفَ اللهُ له أهلَه ، كما قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ فقيل : أحياهم اللهُ بأعيانِهم . وقِيل : آجَرَه فيمَن سلَف ، وعوَّضَه عنهم فى الدنيا بدَلَهم ، وجمَع له شملَه بكلِّهم فى الدَّارِ الآخرةِ . وقولُه : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ أى ؛ رفعنا عنه شِدَّتَه ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ رحمةً منا به ورأفةً وإحسانًا ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴾ أى ؛ تذكرةً لمن ابتُلِىَ فى جسدِه أو مالِه أو ولدِه ، فله أُسْوةٌ بنبىِّ اللهِ أيوبَ ، حيث ابتلاه اللهُ بما هو أعظمُ من ذلك ، فصبَر واحتسَب حتى فرَّج اللهُ عنه . ومن فَهِم مِن هذا اسمَ امرأتِه ، فقال : هى رحمةُ . من هذه الآيةِ ، فقد أَبْعَدَ النُّجْعَةَ [3]وأَغْرَقَ فى النَّزْعِ[3] .

---

(١) المسند ٣١٤/٢ ، (صحيح) .

(٢) البخارى (٣٣٩١) .

(٣ - ٣) فى م : « وأغرق النزع » .

وقال الضحاكُ ، عن ابنِ عباسٍ : ردَّ اللهُ إليها شبابَها وزادها ، حتى ولدَتْ له ستةً وعشرين ولدًا ذكرًا ، وعاش أيوبُ بعدَ ذلك سبعين سنةً بأرضِ الرومِ على دينِ الحَنيفيَّةِ ، ثم غيَّروا بعدَه دينَ إبراهيمَ .

وقولُه : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ . هذه رخصةٌ من اللهِ تعالى لعبدِه ورسولِه أيوبَ عليه السلامُ فيما كان مِن حَلِفِه لَيَضْرِبَنَّ امرأتَه مائةَ سَوْطٍ . فقيل : حَلِفُه ذلك لِبَيْعِها ضفائِرَها . وقيل : لأنه اعترَضها[1] الشيطانُ فى صورةِ طبيبٍ يصفُ لها دواءً لأيوبَ ، فأتَتْه فأخبَرته ، فعرَف أنه الشيطانُ ، فحلَف لَيَضْرِبَنَّها مائةَ سَوْطٍ . فلما عافاه اللهُ عز وجل أفتاه أن يأخُذَ ضِغْثًا ؛ وهو كالعِثْكالِ الذى يَجمعُ الشَّماريخَ[2] ، فيَجمعَها كلَّها ويَضربَها به ضربةً واحدةً ، ويكونُ هذا مُنْزَلًا مَنزِلةَ الضربِ بمائةِ سَوْطٍ ، ويَبَرُّ ولا يَحْنَثُ . وهذا من الفرجِ والمخرجِ لمن اتقَى اللهَ وأطاعه ، ولا سيما فى حقِّ امرأتِه الصابرةِ المحتسبةِ المكابِدةِ ، الصِّدِّيقةِ البارَّةِ الراشِدةِ ، رضى اللهُ عنها . ولهذا عقَّب اللهُ هذه الرُّخصةَ وعلَّلها بقولِه : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ وقد استَعمَل كثيرٌ مِن الفقهاءِ هذه الرُّخصةَ فى بابِ الأَيْمانِ والنُّذورِ ، وتوسَّع آخرون فيها حتى وضَعوا كتابَ الحِيَلِ فى الخلاصِ مِن الأَيْمانِ ، وصدَّرُوه بهذه الآيةِ الكريمةِ ، وأَتَوْا فيه بأشياءَ من العجائبِ والغرائبِ ، وسنَذكرُ طَرَفًا مِن ذلك فى كتابِ الأحكامِ عندَ الوصولِ إليه ، إن شاء اللهُ تعالى .

وقد ذكر ابنُ جَريرٍ[3] وغيرُه مِن علماءِ التاريخِ أن أيوبَ عليه السلامُ لما

---

(١) فى م : « عرضها » .

(٢) العِثْكالُ : العِذْقُ من أعذاق النخل الذى يكون فيه الرُّطَبُ . النهاية ٣/١٨٣ ، ٢/٥٠٠ . والشماريخ واحدها شِمْرَاخ ؛ وهو الغُصْنُ .

(٣) تاريخ الطبرى ١/٣٢٤ ، ٣٢٥ .

تُوُفِّى كان عمرُه ثلاثًا وتسعين سنةً . وقِيل : إنَّه عاش أكثرَ من ذلك . وقد رَوى ليثٌ ، عن مُجاهدٍ ما معناه أن اللهَ يَحْتَجُّ يومَ القيامةِ بسليمانَ عليه السلامُ على الأغنياءِ ، وبيوسفَ عليه السلامُ على الأَرِقَّاءِ ، وبأيوبَ عليه السلامُ على أهلِ البلاءِ . رواه ابنُ عساكِرَ[1] بمعناه . وأنه أوصَى إلى ولده حَوْمَلٍ ، وقام بالأمرِ بعدَه ولدُه بشرُ بنُ أيوبَ ، وهو الذى يَزعُمُ كثيرٌ من الناسِ أنه ذو الكِفْلِ ، فاللهُ أعلمُ . ومات ابنُه هذا - وكان نبيًّا فيما يَزْعُمون - وكان عمرُه من [١٣٩/١و] السِّنين خمسًا وسبعين . ولنذكُرْ هٰهنا قصةَ ذِى الكِفْلِ ؛ إذ قال بعضُهم : إنه ابنُ أيوبَ عليهما السلامُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٨٢/١٠ .

وهذه[1] قصةُ ذى الكِفْلِ الذى زعَم قومٌ أنه ابنُ أيوبَ عليه السلامُ

قال اللهُ تعالى[2] ، بعدَ قصةِ أيوبَ ، فى سورةِ « الأنبياءِ » : ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] . وقال تعالى[3] ، بعدَ قصةِ أيوبَ أيضًا ، فى سورةِ « صٓ » : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ * إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ * وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [صٓ : ٤٥ - ٤٨] . فالظاهرُ من ذكرِه فى القرآنِ العظيمِ بالثناءِ عليه ، مقرونًا مع هؤلاء السادةِ الأنبياءِ ، أنه نبىٌّ عليه مِن ربِّه الصلاةُ والسلامُ ، وهذا هو المشهورُ . وقد زعَم آخَرون أنه لم يكنْ نبيًّا ، وإنما كان رجلًا صالحًا ، وحَكَمًا مُقسِطًا عادلًا . وتوقَّف ابنُ جَريرٍ[4] فى ذلك ، فاللهُ أعلمُ . وروَى ابنُ جُرَيْجٍ وابنُ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، أنه لم يكنْ نبيًّا ، وإنما كان رجلًا صالحًا ، وكان قد تَكفَّلَ لنبىٍّ قومِه أن يَكْفيَه أمْرَهم ويَقضِىَ بينَهم بالعدلِ ، ففعَل[5] ،

---

(١) زيادة من : الأصل ، ح .

(٢) التفسير ٣٥٧/٥ .

(٣) التفسير ٦٦/٧ .

(٤) تفسير الطبرى ٧٣/١٧ .

(٥) زيادة من : ص .

فسُمِّىَ ذا الكِفْلِ . وروى ابنُ جريرٍ[1] ، وابنُ أبى حاتمٍ ، من طريقِ داودَ ابنِ أبى هندٍ ، عن مُجاهدٍ ، أنه قال : لما كَبِرَ اليَسَعُ قال : لو أنِّى استخلَفتُ رجلًا على الناسِ يَعملُ عليهم فى حياتى ، حتى أَنظُرَ كيف يَعملُ . فجمَع الناسَ ، فقال : مَن يَتقبَّلْ لى بثلاثٍ أَستخلِفْه ؛ يَصومُ النهارَ ، ويَقومُ الليلَ ، ولا يَغضبُ ؟ قال : فقام رجلٌ تَزْدَرِيه العينُ فقال : أنا . فقال : أنت تَصومُ النهارَ ، وتقومُ الليلَ ، ولا تَغضبُ ؟ قال : نعم . قال : فرَدَّهم ذلك اليومَ ، وقال مثلَها اليومَ الآخَرَ ، فسكَتَ الناسُ وقام ذلك الرجلُ . فقال : أنا . فاستَخْلَفَه . قال : فجعَل إبليسُ يقولُ للشياطينِ : عليكم بفلانٍ . فأعْياهم ذلك ، فقال : دَعُونى وإيَّاه . فأتاه فى صورةِ شيخٍ كبيرٍ فقيرٍ ، وأتاه حينَ أخَذ مَضْجَعَه للقائلةِ ، وكان لا يَنامُ الليلَ والنهارَ إلا تلكَ النَّومةَ ، فدَقَّ البابَ ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : شيخٌ كبيرٌ مظلومٌ . قال : فقام ، ففتَح البابَ ، فجعَل يَقُصُّ عليه ؛ فقال : إن بينى وبينَ قومى خصومةً ، وإنهم ظلمونى وفعلوا بى وفعلوا . [2]وجعل يُطَوِّلُ عليه[2] ، حتى حضَر الرَّوَاحُ وذهبَت القائِلةُ . وقال : إذا رُحْتُ فأْتِنى آخُذْ لك بحقِّك . فانطَلق وراح ، فكان فى مَجْلِسِه ، فجعَل يَنظرُ هل يرى الشيخَ ، فلم يَرَه ، فقام يَتْبَعُه ، فلما كان الغدُ جعَل يَقضِى بينَ الناسِ ، ويَنتظرُه فلا يراه ، فلما رجَع إلى القائلةِ فأخَذ مَضْجَعَه ، أتاه فدقَّ البابَ ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : الشيخُ الكبيرُ المظلومُ . ففتَح له ، فقال : ألم أَقُلْ لك : إذا قعَدتُ فأْتِنى ؟ فقال : إنهم أخبثُ قومٍ ، إذا عرَفوا أنَّك قاعدٌ قالوا : نحن نُعطيك حقَّك . وإذا قمتَ جحَدونى . قال : [١٣٩/١ظ] فانطَلِقْ ، فإذا رحتُ فأْتِنى . قال : ففاتَتْه القائلةُ ، فراح فجعَل يَنتَظِرُ فلا يَراه ، وشقَّ

---

(١) تفسير الطبرى ٧٤/١٧ ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٣١/٤ . وعزاه لابن أبى حاتم .
(٢ - ٢) سقط من : ح ، م .

عليه النُّعاسُ ، فقال لبعضِ أهلِه : لا تَدَعَنَّ أحدًا يَقرُبُ هذا البابَ حتى أنامَ ، فإنى قد شقَّ علىَّ النومُ . فلما كان تلك الساعةَ جاء ، فقال له الرجلُ : وراءَك وراءَك . فقال : إنى قد أتيتُه أمْسِ فذكرتُ له أمرى . فقال : لا ، واللهِ لقد أَمَرنا أنْ لا نَدَعَ أحدًا يَقْرُبُه . فلما أعياه ، نظَر فرأى كُوَّةً فى البيتِ ، فتسَوَّرَ منها فإذا هو فى البيتِ ، وإذا هو يدُقُّ البابَ مِن داخلٍ . قال : فاستيقظ الرجلُ ، فقال : يا فلانُ ، ألم آمُرْك ؟ قال : أمَّا مِن قِبَلِى ، واللهِ لم تُؤْتَ ، فانظُرْ مِن أين أُتِيتَ ؟ قال : فقام إلى البابِ ، فإذا هو مُغلَقٌ كما أغلَقه ، وإذا الرجلُ معه فى البيتِ ، فعرَفه ، فقال : أعدوَّ اللهِ ؟ قال : نعم ، أَعْيَيْتَنى فى كلِّ شيءٍ ، ففعلتُ ما تَرى لأُغضِبَك . فسمَّاه اللهُ ذا الكِفْلِ ؛ لأنه تكفَّلَ بأمرٍ فوفَّى به .

وقد روَى ابنُ أبى حاتمٍ[1] أيضًا عن ابنِ عباسٍ قريبًا من هذا السياقِ . وهكذا رُوى عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ ، ومحمدِ بنِ قيسٍ ، وابنِ حُجَيْرَةَ الأكبرِ ، وغيرِهم من السلفِ نحوُ هذا[2] . وقال ابنُ أبى حاتمٍ : حدثنا أبى ، حدثنا أبو الجَماهِرِ ، أنبأنا سعيدُ بنُ بشيرٍ ، حدثنا قَتادةُ ، عن كِنَانَةَ بنِ الأَخْنَسِ ، قال : سمعتُ الأشعرىَّ - يعنى أبا موسى - رضى اللهُ عنه وهو على هذا المِنبرِ يقولُ : ما كان ذو الكِفلِ نبيًّا ، ولكن كان رجلًا صالحًا يصلِّى كلَّ يومٍ مائةَ صلاةٍ ، فتكفَّلَ له ذو الكفلِ مِن بعدِه ، يُصلِّى كلَّ يومٍ مائةَ صلاةٍ ، فسُمِّىَ ذا الكِفْلِ . ورواه ابنُ جَريرٍ[3] ، مِن طريقِ عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قَتادةَ ، قال : قال أبو موسى الأشعرىُّ . فذكَره منقطِعًا .

---

(١) التفسير ٥/٣٥٨ ، ٣٥٩ . وعزاه فى الدر المنثور ٤/٣٣١ إلى ابن أبى حاتم .

(٢) تفسير الطبرى ١٧/٧٣ - ٧٥ .

(٣) تفسير الطبرى ١٧/٧٥ ، ٧٦ .

فأما الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا أسباطُ بنُ محمدٍ ، حدثنا الأعمشُ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ ، عن سعدٍ مَوْلَى طلحةَ ، عن ابنِ عُمَرَ ، قال : سمعتُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ حديثًا لو لم أَسْمَعْه إلا مرةً أو مرتين – حتى عَدَّ سبعَ مِرَارٍ – ولكنْ قد سمِعتُه أكثرَ مِن ذلك ، قال : « كان الكِفْلُ مِن بنى إسرائيلَ ، لا يَتورَّعُ من ذنبٍ عَمِله ، فأتَتْه امرأةٌ فأعطاها ستين دينارًا على أن يَطَأَها ، فلما قعَد منها مَقْعَدَ الرجُلِ مِن امرأتِه أُرْعِدَتْ وبكَتْ ، فقال لها : ما يُبْكيكِ ؟ أَكْرَهْتُكِ ؟ قالت : لا ، ولكنْ هذا عملٌ لم أَعمَلْه قَطُّ ، وإنما حمَلَتْنى عليه الحاجةُ . قال : فتفعلين هذا و لم تفعليه قَطُّ ؟ ثم نزَل فقال : اذهبى بالدنانيرِ لك . ثم قال : واللهِ لا يَعْصِى اللهَ الكفلُ أبدًا . فمات مِن ليلتِه ، فأصبَح مكتوبًا على بابِه : قد غفَر اللهُ للكِفْلِ » . ورواه الترمذىُّ[2] مِن حديثِ [١/١٤٠و] الأعمشِ به ، وقال : حسنٌ . وذكَر أن بعضَهم رواه فوقَفه على ابنِ عُمَرَ ، فهو حديثٌ غريبٌ جدًّا ، وفى إسنادِه نَظَرٌ ، فإن سَعْدًا هذا ، قال أبو حاتمٍ : لا أَعرِفُه إلا بحديثٍ واحدٍ . ووثَّقه ابنُ حِبَّانَ . و لم يَرْوِ عنه سوى عبدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ الرازىِّ هذا . فاللهُ أعلمُ . [3]وإن كان محفوظًا فليس هو ذا الكِفْلِ ، وإنما لفظُ الحديثِ « الكِفلُ » من غير إضافةٍ ، فهو رجلٌ آخرُ غيرُ المذكورِ فى القرآنِ الكريمِ . واللهُ أعلمُ بالصوابِ[3] .

---

(١) المسند ٢/٢٣ ، إسناده صحيح .

(٢) الترمذى (٢٤٩٦) ، (ضعيف الترمذى ٤٤٨) .

(٣ – ٣) سقط من : م .

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ ذِكرِ أممٍ أُهلِكوا بعَامَّةٍ

وذلك قبلَ نزولِ التوراةِ؛ بدليلِ قولِه تعالى[1]: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [القصص: ٤٣]. كما رواه ابنُ جريرٍ وابنُ أبى حاتمٍ، والبزَّارُ[2] مِن حديثِ عَوفٍ الأعْرابِيِّ، عن أبى نَضْرَةَ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِيِّ، قال: ما أهلَكَ اللَّهُ قومًا بعذابٍ من السماءِ أو مِنَ الأرضِ، بعدَ ما أُنزِلتِ التَّوْراةُ على وجهِ الأرضِ، غيرَ القريةِ التى مُسِخوا قِرَدةً؛ ألم تَرَ أنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾. ورفَعه البزَّارُ فى روايةٍ له، والأشْبَهُ، واللَّهُ أعلمُ، وقْفُه، فدَلَّ على أنَّ كلَّ أمَّةٍ أُهلِكَتْ بعامَّةٍ، قبلَ موسى عليه السلامُ.

فمنهم: أصحابُ الرَّسِّ، قال اللَّهُ تعالى، فى سورةِ «الفرقانِ»[3]: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨، ٣٩]. وقال تعالى، فى سورةِ «ق»[4]: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ

---

(١) التفسير ٦/ ٢٤٨.

(٢) ابن جرير فى تفسيره ٢٠/ ٨٠، والبزار (٢٢٤٧) موقوفا، (٢٢٤٨) مرفوعا. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (١٢٩/٥) إلى ابن أبى حاتم.

وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٨٨: رواه البزار مرفوعا وموقوفا، ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) التفسير ٦/ ١١٩.

(٤) التفسير ٧/ ٣٧٥.

ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢- ١٤]. وهذا السياقُ والذى قبلَه يدلُّ على أنَّهم أُهْلِكوا، ودُمِّروا، وتُبِّرُوا، وهو الهلاكُ. وهذا يرُدُّ اختيارَ ابنِ جريرٍ؛ مِن أنَّهم أصحابُ الأُخْدودِ، الذين ذُكِروا فى سورةِ «البروجِ»[(١)]؛ لأنّ أولئك، عند ابنِ إسحاقَ، وجماعةٍ، كانوا بعدَ المسيحِ، عليه السلامُ. وفيه نَظَرٌ أيضًا[(٢)]. وروَى ابنُ جريرٍ[(٣)]، قال: قال ابنُ عباسٍ: أصحابُ الرَّسِّ أهلُ قريةٍ مِن قُرَى ثَمودَ.

[(٤)]وقد ذكَر الحافِظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عساكِرَ فى أولِ «تاريخِه»[(٥)]، عندَ ذكرِ بناءِ دِمَشْقَ، عن «تاريخِ» أبى القاسمِ عُبيدِ[(٦)] اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خُرداذبةَ[(٧)]، وغيرِه، أنَّ أصحابَ الرَّسِّ كانوا بحَضورِ[(٨)]، فبعَث اللَّهُ إليهم نبيًّا يقالُ له: حَنْظَلةُ بنُ صَفوانَ. فكذَّبوه وقتَلوه، فسار عادُ بنُ عَوْصِ بنِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، بولدِه مِن الرَّسِّ، فنزَلَ الأحقافَ، وأهلَكَ اللَّهُ أصحابَ الرَّسِّ، وانتشَروا فى اليمنِ كلِّها، وفَشَوْا مع ذلك فى الأرضِ كلِّها، حتى نزَل جَيْرُونُ ابنُ سعدِ بنِ عادِ بنِ عَوْصِ بنِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ دِمَشْقَ، وبنَى مدينتَها، وسمَّاها جَيْرُونَ، وهى إِرَمُ ذاتُ العِمادِ، وليس أعمدةُ الحجارةِ فى موضعٍ أكْثرَ منها بدِمَشْقَ، فبعثَ اللَّهُ هودَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ رَبَاحِ بنِ خالدِ بنِ الخلودِ[(٩)] بنِ[(٤)]

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٠/ ١٤.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٤- ٣٦.

(٣) فى الأصل، ح: «جريج». والأثر أخرجه ابن جرير فى التفسير ١٩/ ١٣.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا.

(٥) تاريخ دمشق ١/ ١٢، ١٣.

(٦) فى ح، م: «عبد».

(٧) فى ح، ص: «جردا»، وفى م: «جرداد». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر ذيل تاريخ بغداد ١٧/ ١١، ١٢. ولسان الميزان ٤/ ٩٦.

(٨) بلدة باليمن من أعمال زبيد. معجم البلدان ٢/ ٢٨٩.

(٩) فى ح، م: «الحلود»، وفى ص: «الجلود». والمثبت من التاريخ.

(١) عادٍ إلى عادٍ - يَعْنى أولادَ عادٍ - بالأحقافِ ، فكذَّبوه ، وأهلكهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ . فهذا يَقتَضى أنّ أصحابَ الرَّسِّ قبلَ عادٍ بدُهورٍ متطاولةٍ . فاللَّهُ أعلمُ (١) .

وروَى ابنُ أبى حاتمٍ (٢) ، عن أبى بكرِ بنِ أبى عاصمٍ ، عن أبيه ، عن شَبيبِ ابنِ بِشْرٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال (٣) : الرَّسُّ بئرٌ بأَذْرَبِيجانَ . وقال الثَّوريُّ ، عن أبى بُكَيرٍ (٤) ، عن عِكْرِمةَ ، قال : الرَّسُّ بئرٌ رَسُّوا فيها نبيَّهم . أى ؛ دفَنوه فيها . وقال ابنُ جُرَيجٍ : قال عِكْرِمةُ : أصحابُ الرَّسِّ بفَلَجٍ ، وهم أصحابُ ياسينَ . وقال قَتادةُ : فَلَجٌ مِن قُرَى اليمامةِ . قلتُ : فإن كانوا أصحابَ ياسينَ ، كما زعَمه عِكْرِمةُ ، [١/١٤٠ظ] فقد أُهْلِكوا بعامَّةٍ ، قال اللَّهُ تعالى فى قصتِهم (٥) : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس: ٢٩] . وستأتى قصتُهم بعدَ هؤلاءِ . وإنْ كانوا غيرَهم - وهو الظاهرُ - فقد أُهْلِكوا أيضًا وتُبِّرُوا . وعلى كلِّ تقديرٍ فيُنافِى ما ذكَرَه ابنُ جَريرٍ .

وقد ذكَر أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ النَّقَّاشُ ، أنّ أصحابَ الرَّسِّ كانت لهم بئرٌ تَرْوِيهم ، وتَكفِى أرضَهم جميعَها ، وكان لهم مَلِكٌ عادلٌ حَسَنُ السِّيرةِ ، فلمّا مات وَجَدُوا عليه وَجْدًا عظيمًا ، فلما كان بعدَ أيامٍ تَصوَّرَ لهم الشيطانُ فى صورتِه ، وقال : إنى لم أمُتْ ، ولكنْ تغيَّبْتُ عنكم حتى أرى صنيعَكم . ففَرِحوا أشدَّ الفَرحِ ، وأمَر بضَرْبِ حِجابٍ بينَهم وبينَه ، وأخبرَهم أنه لا يموتُ أبدًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٧١، وعزاه لابن أبى حاتم .

(٣) بعده فى الأصل : « أصحاب » .

(٤) فى النسخ : « بكر » . والمثبت من التفسير ٦/ ١٢٠. وانظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٨٧، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٨/ ٢٦٣.

(٥) التفسير ٦/ ٥٥٧.

فصدَّق به أكثرُهم، وافْتُتِنوا به، وعبَدوه، فبعَث اللَّهُ فيهم نبيًّا، وأخبرَهم أنَّ هذا شيطانٌ يخاطِبُهم مِن وراءِ الحجابِ، ونهاهم عن عبادتِه، وأمَرهم بعبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له. قال السُّهَيْلِيُّ[1]: وكان يُوحَى إليه فى النومِ، وكان اسمُه حَنْظَلَةَ بنَ صَفْوانَ، فعَدَوْا عليه فقَتَلوه، وأَلْقَوْه فى البئرِ، فغار ماؤُها، وعَطِشوا بعدَ رِيِّهم ويَبِستْ أشجارُهم، وانقطَعتْ ثمارُهم، وخَرِبتْ ديارُهم، وتبدَّلوا بعدَ الأُنسِ بالوَحشةِ، وبعدَ الاجتماعِ بالفُرْقةِ، وهلَكوا عن آخرِهم، وسكَنَ فى مساكنِهم الجِنُّ والوحوشُ، فلا يُسمَعُ ببقاعِهم إلا عَزِيفُ[2] الجِنِّ، وزئيرُ الأُسْدِ، وصوتُ الضِّباعِ.

فأمّا ما رواه - أعنى ابنَ جريرٍ[3] - عن محمدِ بنِ حُمَيدٍ، عن سَلَمَةَ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِىِّ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ الناسِ يَدخُلُ الجنةَ يومَ القيامةِ العبدُ الأسودُ؛ وذلك أنَّ اللَّهَ تعالى بعَثَ نبيًّا إلى أهلِ قريةٍ، فلم يُؤمِنْ به مِن أهلِها إلا ذلك الأسودُ، ثُم إنَّ أهلَ القريةِ عَدَوْا على النَّبِىِّ، فحفَروا له بئرًا، فألقَوْه فيها، ثُم أطبَقوا عليه بحَجَرٍ أصَمَّ». قال: «فكان ذلك العبدُ يذهبُ فيَحْتَطِبُ على ظهرِه، ثُم يأتى بحطَبِه فيبيعُه، ويشترى به طعامًا وشرابًا، ثُم يأتى به إلى ذلك البئرِ، فيرَفعُ تلك الصَّخرةَ، ويُعينُه اللَّهُ عليها، ويُدْلِى إليه طعامَه وشرابَه، ثُم يَرُدُّها كما كانت». قال: «فكان كذلك ما شاء اللَّهُ أن يكونَ، ثُم إنَّه ذهَب يومًا يحتطِبُ، كما كان يصنعُ، فجمَعَ حطَبَه، وحزَم حُزْمتَه وفرَغ منها، فلمّا أراد أنْ يَحتمِلَها، وجَدَ

---

(١) فى التعريف والإعلام ص ٢١٥- ٢١٨.
(٢) فى الأصل: «غريف». وعزيف الجن أى صوت الجن. الصحاح (ع ز ف).
(٣) تفسير الطبرى ١٩/ ١٤، ١٥.

سِنَةً ، فاضطَجَع فنام ، فضرَب اللَّهُ على أذُنِه [١٤١/١و] سبعَ سنينَ نائمًا ، ثُم إنَّه هبَّ ، فتمطَّى وتحوَّل لشِقِّه الآخَرِ فاضطجَعَ ، فضرَب اللَّهُ على أذُنِه سبعَ سنينَ أخرى ، ثُم إنَّه هبَّ ، واحتمَل حُزْمتَه ، ولا يَحْسَبُ إلا أنَّه نام ساعةً مِن نَهارٍ ، فجاء إلى القريةِ ، فباع حُزْمتَه ، ثُم اشترى طعامًا وشرابًا ، كما كان يصنعُ ، ثُم إنَّه ذهَب إلى الحفرةِ ، إلى مَوْضِعِها التى كانت فيه ، فالتمسَه فلم يَجِدْه ، وقد كان بدَا لقومِه فيه بَدَاءٌ ، فاستخرجوه ، وآمَنوا به وصدَّقوه » . قال : « فكان نبيُّهم يسألُهم عن ذلك الأسودِ : ما فعل ؟ فيقولون له : ما ندرِى . حتى قبَض اللَّهُ النبيَّ ، عليه السلامُ ، وأَهَبَّ الأسودَ مِن نومِه بعدَ ذلك » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ ذلك الأسودَ لَأوَّلُ مَن يَدخُلُ الجنةَ » . فإنّه حديثٌ مُرْسلٌ ، ومثلُه فيه نَظَرٌ ، ولعلَّ بَسْطَ قصتِه من كلامِ محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِيِّ . واللَّهُ أعلمُ . ثم قد ردّه ابنُ جريرٍ نفسُه[1] ، وقال : لا يَجوزُ أن يُحمَلَ هؤلاءِ على أنهم أصحابُ الرَّسِّ المذكورون فى القرآنِ . قال : لأن اللَّهَ أخبرَ عن أصحابِ الرَّسِّ أنَّه أهلَكَهم ، وهؤلاء قد بدَا لهم فآمَنُوا بنبيِّهم ، اللهمَّ إلا أن يكونَ حدثَت لهم أحداثٌ ، آمَنُوا بالنبيِّ بعدَ هلاكِ آبائِهم . واللَّهُ أعلمُ . ثم اختار أنَّهم أصحابُ الأُخدودِ ، وهو ضعيفٌ ؛ لِمَا تقدَّمَ ، ولِما ذُكِر فى قصةِ أصحابِ الأخدودِ ، حيث تُوُعِّدوا بالعذابِ فى الآخرةِ إن لم يتوبوا ، ولم يُذْكَرْ هلاكُهم ، وقد صُرِّح بهلاكِ أصحابِ الرَّسِّ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى تفسيره ١٩/ ١٥.

[1]قصّةُ قومِ يس

وهم[2] أصحابُ القريةِ

قال اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا

---

(١) هذه القصة ساقطة من: ا.

(٢) فى الأصل، ح: «ومنهم».

(٣) التفسير ٦/ ٥٥٤- ٥٥٩.

صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ [١٤١/١ظ] خَٰمِدُونَ ﴾ [يس: ١٣- ٢٩]. اشتهر عن كثيرٍ من السلفِ والخلفِ أنَّ هذه القريةَ أَنْطَاكِيَةُ. رواه ابنُ إسحاقَ، فيما بلَغه عن ابنِ عباسٍ، وكعبِ الأحبارِ، ووهبِ بنِ مُنَبِّهٍ[(١)]. [(٢)] وكَذا رُوِى عن بُرَيْدةَ ابنِ الحُصَيْبِ، وعِكْرِمةَ، وقَتادةَ، والزُّهرىِّ، وغيرِهم[(٣)]. قال ابنُ إسحاقَ، فيما بلَغه عن ابنِ عباسٍ، وكعبٍ، ووهبٍ[(٢)] أنَّهم قالوا: وكان لها مَلِكٌ اسمُه أنطيخسُ بنُ أنطيخسَ، وكان يعبدُ الأصنامَ، فبعَث اللَّهُ إليه ثلاثةً من الرسلِ؛ وهم صادقٌ، وصدوقٌ، وشلَومُ[(٤)]، فكذَّبهم. وهذا ظاهرٌ أنَّهم رسلٌ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ. وزعَم قتادةُ أنَّهم كانوا رسلًا من المسيحِ. وكذا قال ابنُ جُرَيْجٍ[(٥)]، عن وهبِ[(٦)] بنِ سليمان، عن شُعَيْبٍ الجبَائِىِّ: كان اسمُ الرَّسولَيْنِ الأوَّلَيْنِ: شمعونَ ويوحنا، واسمُ الثالثِ بولسَ، والقريةِ أَنْطَاكِيَةَ. وهذا القولُ ضعيفٌ جدًّا؛ لأنَّ أهلَ أَنْطَاكِيَةَ، لمَّا بعَث إليهم المسيحُ ثَلاثةً مِن الحواريِّين، كانوا أولَ مَدينةٍ آمنَت بالمسيحِ فى ذلك الوقتِ، ولهذا كانت إحدى المدنِ الأربعِ التى يكونُ فيها بطارِقةُ[(٧)] النَّصارى؛ وهنَّ أَنْطَاكِيَةُ، والقدسُ، وإسكندريةُ، ورُومِيَةُ. ثُم بعدَها إلى القُسْطنطينيةِ ولم يُهْلَكوا، وأهلُ هذه القريةِ المذكورةِ فى

---

(١) رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٢/ ١٥٦، عن ابن إسحاق به.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٢٦١.

(٤) فى تفسير الطبرى: «سلوم».

(٥) فى م: «جرير». وهو تحريف. وانظر التفسير ٦/ ٥٥٤.

(٦) بعده فى م: «عن». والصواب: وهب بن سليمان؛ فإنه يروى عن شعيب الجبائى ويروى عنه ابن جريج. انظر الجرح والتعديل ٩/ ٢٧.

(٧) فى النسخ: «بتاركة». وأصلها كلمة لاتينية «باتريكيوس»، وعربت إلى «بطريق» رسمًا ونطقًا، وكذلك اعتمدها أصحاب المعاجم بالطاء والقاف. انظر الوسيط (ب ط ر). ودائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٣١٣.

القرآنِ أُهْلِكوا، كما قال فى آخرِ قصتِها بعد قَتْلِهم صِدِّيقَ المرسَلِين: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ لكنْ إنْ كانت الرسلُ الثَّلاثةُ المذْكورونَ فى القرآنِ، بُعِثوا إلى أهلِ أَنْطَاكِيَةَ قديمًا، فكذَّبوهم وأهلكهم اللَّهُ ثُم عُمِرَت بعدَ ذلك، فلمَّا كان فى زمنِ المسيحِ آمَنوا برُسُلِه إليهم، فلا يُمْنَعُ هذا. واللَّهُ أعلمُ. فأمّا القولُ بأنَّ هذه القصةَ المذكورةَ فى القرآنِ هى قصةُ أصحابِ المسيحِ، فضعيفٌ؛ لِمَا تقدَّم، ولأنَّ ظاهرَ سِياقِ القرآنِ يَقْتَضِى أنَّ هؤلاءِ الرسلَ مِن عندِ اللَّهِ[1].

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ يعنى: لقومِك يا محمدُ ﴿ أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ يعنى: المدينةَ ﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أى؛ أيَّدناهما بثالثٍ فى الرسالةِ ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ فرَدُّوا عليهم بأنّهم[2] بَشَرٌ مثلُهم، كما قالتِ الأممُ الكافرةُ لرسلِهم، يَستبعدون أن يَبْعثَ اللَّهُ نبيًّا بَشَرِيًّا، فأجابوهم بأنَّ اللَّهَ يَعلمُ أنَّا رُسُلُه إليكم، ولو كنا كذَبْنا عليه لعاقَبَنا وانْتقَم مِنَّا أشَدَّ الانتقامِ ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أى؛ إنّما علينا، أن نبلِّغكم ما أُرْسِلْنا به إليكم، واللَّهُ هو الذى يَهدِى من يَشاءُ، ويُضِلُّ من يشاءُ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أى؛ تشاءمْنا بما جئتُمونا به ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ قيل[3]: بالمقالِ. وقيل: بالفِعالِ. ويؤيدُ الأوَّلَ قولُه: ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تَوَعَّدوهم [١٤٢/١و] بالقتلِ والإهانةِ. ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ أى؛ مردودٌ

---

(١) وانظر التفسير ٦/ ٥٥٩.

(٢) فى الأصل: «بأنه».

(٣) سقط من: م.

عليكم ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أى ؛ بسببِ أنَّا ذكَّرناكم بالهُدى ودعَوناكم إليه ، تَوَعَّدْتُمونا بالقتلِ والإهانةِ ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أى ؛ لا تَقبَلون الحقَّ ، ولا تريدونه .

وقولُه تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ يعنى : لنُصرةِ الرُّسلِ ، وإظهارِ الإيمانِ بهم ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أى ؛ يَدْعونَكم إلى الحقِّ المَحْضِ ، بلا أُجْرةٍ ولا جِعالَةٍ . ثُم دَعاهم إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، ونهاهم عن عبادةِ ما سواه ، ممَّا لا يَنفعُ شيئًا لا فى الدنيا ولا فى الآخرةِ ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أى ؛ إن تركتُ عبادةَ اللَّهِ وعبدتُ سواه . ثم قال مخاطبًا للرسلِ : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ قيل : فاسْمَعُوا مقالَتى ، واشْهَدوا لى بها عندَ ربِّكم . وقيل : معناه فاسمَعوا يا قومى إيمانى برُسلِ اللَّهِ جَهْرةً . فعندَ ذلك قَتَلوه . قيل : رَجْمًا . وقيل : عَضًّا . وقِيل : وثَبوا إليه وَثْبَةَ رجلٍ واحدٍ فقتلوه . وحكَى ابنُ إسحاقَ[1] عن بعضِ أصحابِه ، عن ابنِ مسعودٍ قال : وَطِئوه بأرجُلِهم حتى أخرجوا قُصْبَه[2] .

وقد روَى الثَّورىُّ ، عن عاصمٍ الأحولِ ، عن أبى مِجْلَزٍ : كان اسمُ هذا الرجلِ حبيبَ بنَ مُرَى . ثُم قيل : كان نَجَّارًا . وقيل : حبَّالًا . وقيل : إسْكافًا . وقيل : قَصَّارًا . وقيل : كان يَتعبَّدُ فى غارٍ هناك . فاللَّهُ أعلمُ . وعن ابنِ عباسٍ : كان حبيبٌ النَّجَّارُ قد أسرَع فيه الجُذامُ ، وكان كثيرَ الصدَقةِ ، قتَلَه قومُه[3] .

---

(١) انظر هذا الأثر وما بعده ، فى تفسير الطبرى ٢٢/ ١٦١.

(٢) فى ح ، م ، ص : « قصبته » . والقُصْب : المعى . النهاية ٤/ ٦٧.

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٢/ ١٥٩.

ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾ يعنى: لمَّا قتلَه قومُه أدخله اللَّهُ الجنةَ، فلمّا رأى ما فيها مِن النَّضْرةِ والسرورِ ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَۙ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ يعنى: ليؤمنوا بما آمنتُ به، فيحصُلَ لهم ما حصَل لى. قال ابنُ عباسٍ: نصَح قومَه فى حياتِه: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾، وبعد مماتِه: ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَۙ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾. رواه ابنُ أبى حاتمٍ[1]. وكذلك قال قَتادةُ: لا تَلْقَى المؤمنَ إلا ناصحًا، لا تَلْقاه غاشًّا، لمَّا عايَن ما عايَن من كرامةِ اللَّهِ قال: ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَۙ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ تمنَّى، و[2]اللَّهِ، أن يَعْلمَ قومُه بما عايَن مِن كرامةِ اللَّهِ وما هجَم[3] عليه. قال قَتادةُ: فلا واللَّهِ، ما عاتَبَ اللَّهُ قومَه بعدَ قَتْلِه ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ [١٤٢/١ظ] أى؛ ما احتَجْنا فى الانتقامِ منهم إلى إنزالِ جندٍ منَ السماءِ عليهم. هذا معنى ما رواه ابنُ إسحاقَ[4]، عن بعضِ أصحابِه، عن ابنِ مسعودٍ. وقال مجاهدٌ، وقتادةُ: وما أَنْزَلَ عليهم جُندًا، أى رسالةً أخرى. قال ابنُ جريرٍ[4]: والأولُ أَوْلَى. قلتُ: وأقوى. ولهذا قال: ﴿ وَمَا كُنَّا

---

(١) التفسير ٦/ ٥٥٧.

(٢) كذا فى النسخ. وفى تفسير الطبرى: «على»، وهو ما رجحه محققو ابن كثير، وانظر التفسير ٦/ ٥٥٧.

(٣) فى م: «هو»، وفى ص: «هم».

(٤) تفسير الطبرى ٢٣/ ١، ٢.

مُنزِلِينَ ﴾ أى ؛ وما كنا نحتاجُ فى الانتقامِ إلى هذا ، حينَ كذَّبوا رُسُلَنا وقَتلوا وَلِيَّنا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ .

قال المفسِّرون : بعَثَ اللَّهُ إليهم جبريلَ ، عليه السلامُ ، فأخذ بعِضَادَتَي البابِ الذى لبلدِهم ، ثُم صاح بهم صَيحةً واحدةً ﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ : أى ؛ قد أُخْمِدَت أصواتُهم ، وسَكَنَت حركاتُهم ، ولم يَبْقَ منهم عَيْنٌ تَطْرِفُ . وهذا كلُّه مما يدُلُّ على أنَّ هذه القريةَ ليست أَنْطَاكِيَةَ ؛ لأنَّ هؤلاء أُهلِكوا بتَكْذيبِهم رُسُلَ اللَّهِ إليهم ، وأهلُ أَنْطَاكِيَةَ آمَنوا ، واتَّبَعوا رُسُلَ المسيحِ مِن الحواريينَ إليهم ؛ فلهذا قيل : إنَّ أَنْطَاكِيَةَ أوّلُ مدينةٍ آمنَت بالمسيحِ . فأمّا الحديثُ الذى رواه الطَّبرانىُّ[1] ، مِن حديثِ حُسينِ الأَشْقَرِ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « السُّبَّقُ ثلاثَةٌ ؛ فالسَّابِقُ إلى موسى يُوشَعُ بنُ نُونٍ ، والسَّابِقُ إلى عيسى صاحِبُ يس ، والسَّابِقُ إلى محمدٍ علىُّ بنُ أبى طالبٍ » . فإنّه حديثٌ لا يَثْبُتُ ؛ لأنَّ حُسينًا هذا متروكٌ ، وشِيعِىٌّ مِن الغُلاةِ ، وتفرُّده بهذا مِمَّا يدُلُّ على ضَعْفِه بالكُليةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى المعجم الكبير (١١١٥٢) . وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٠٢: فيه حسين بن حسن الأشقر ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الجمهور . والحديث ضعيف جدا (السلسلة الضعيفة ٣٥٨) .
وسقط من السند فى النسخة المطبوعة من معجم الطبرانى : « عن ابن أبى نجيح عن مجاهد » .

قصَّةُ يونسَ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال اللَّهُ تعالى فى سورةِ «يونُسَ»[1]: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨]. وقال تعالى فى سورةِ «الأنبياء»[2]: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]. وقال تعالى فى سورةِ «الصَّافَّاتِ»[3]: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات: ١٣٩- ١٤٨]. وقال تعالى فى سورةِ «نون»[4]: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ [١٤٣/١و] ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ

---

(١) التفسير ٤/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٢) التفسير ٥/ ٣٦٠- ٣٦٤.

(٣) التفسير ٧/ ٣٣- ٣٦.

(٤) التفسير ٨/ ٢٢٦- ٢٣٤.

مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القلم: ٤٨- ٥٠]. قال أهلُ التفسيرِ[1]: بعَث اللَّهُ يونسَ، عليه السلامُ، إلى أهلِ نِينَوَى؛ مِن أرضِ المَوْصِلِ، فدعَاهم إلى اللَّهِ عز وجل، فكذَّبوه وتمرَّدوا على كفرِهم وعنادِهم، فلمَّا طال ذلك عليه مِن أمرِهم، خرَج مِن بينِ أظهرِهم، ووعَدهم حُلولَ العذابِ بهم بعدَ ثلاثٍ. قال ابنُ مسعودٍ، ومُجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ، وغيرُ واحدٍ مِنَ السلَفِ والخلَفِ[2]: فلمَّا خرَج مِن بينِ ظَهْرانَيْهِم وتحقَّقوا نزولَ العذابِ بهم، قذَف اللَّهُ فى قلوبِهم التوبةَ والإنابةَ، ونَدِموا على ما كان مِنهم إلى نبيِّهم، فلبِسوا المُسوحَ، وفرَّقوا بينَ كلِّ بهيمةٍ وولدِها، ثُم عَجُّوا إلى اللَّهِ عز وجل، وصرَخوا وتضرَّعوا إليه، وتَمَسْكَنوا لديه، وبكَى الرِّجالُ والنساءُ، والبنونَ والبناتُ، والأمهاتُ، وجأَرَتِ الأَنْعامُ والدَّوابُّ والمواشى، ورَغَتِ الإبلُ وفُصْلانُها، وخارَتِ البقرُ وأولادُها، وثَغَت الغَنَمُ وحُمْلانُها، وكانت ساعةً عظيمةً هائلةً، فكشَفَ اللَّهُ العظيمُ، بحولِه وقوتِه، ورأْفتِه ورحمتِه، عنهم العذابَ الذى كان قد اتَّصَل بهم سببُه، ودار على رؤوسِهم كقِطَعِ الليلِ المظلمِ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ أى؛ هلَّا وُجِدَت فيما سلَف من القرونِ قَرْيةٌ آمنَت بكمالِها. فدَلَّ على أنه لم يَقَعْ ذلك، بل كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤]. وقولُه: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أى؛ آمَنوا بكمالِهم. وقد اختلف المفسِّرون؛ هل ينفَعُهم

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/ ٧٦، وتفسير القرطبى ٨/ ٣٨٤. تفسير ابن كثير ٥/ ٣٦٠.
(٢) تفسير الطبرى ١١/ ١٧١- ١٧٣، والتفسير ٤/ ٢٣٢.

هذا الإيمانُ فى الدارِ الآخرةِ ، فيُنقِذُهم مِن العذابِ الأُخْرَوِىِّ ، كما أنقذَهم مِن العذابِ الدُّنْيَوِىِّ ؟ على قولَيْنِ ، الأظهرُ من السياقِ : نعم [1]إن شاء اللَّهُ[1] . واللَّهُ أعلمُ . كما قال تعالى : ﴿ لَمَّآ ءَامَنُواْ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وهذا المتاعُ إلى حينٍ لا يَنْفى أن يكونَ معه غيرُه مِن رفعِ العذابِ الأُخْرَوِىِّ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد كانوا مائةَ ألفٍ لا محالةَ . واختلَفوا فى الزِّيادةِ ؛ فعن مكحولٍ : عشَرةُ آلافٍ . وروَى التِّرمِذىُّ ، وابنُ جريرٍ ، وابنُ أبى حاتمٍ[2] ، مِن حديثِ زُهَيْرٍ ، عمَّن سَمِع أبا العاليةِ ؛ حدثنى أُبَىُّ بنُ كعبٍ ، أنَّه سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن قولِه : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ قال : « يَزيدون عشرين ألفًا » . فلولا هذا الرجلُ المُبْهَمُ لكان هذا الحديثُ فاصلًا فى هذا البابِ . وعن ابنِ عباسٍ : [١٤٣/١ظ] كانوا مائةَ ألفٍ وثلاثين ألفًا . وعنه ، وبِضْعةً وثلاثين ألفًا . وعنه ، وبِضْعةً وأربعين ألفًا . وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : كانوا مائةَ ألفٍ وسبعين ألفًا[3] . واختَلفوا ؛ هل كان إرسالُه إليهم قبلَ الحوتِ أو بعدَه ، أو هما أُمَّتانِ ؟ على ثلاثةِ أقوالٍ ، هى مبسوطةٌ فى « التفسيرِ » .

والمقصودُ أنَّه ، عليه السلامُ ، لمّا ذهَب مُغاضِبًا بسببِ قومِه ، رَكِب سفينةً فى البحرِ ، فلَجَّت بهم واضطَرَبَت ، وماجَت بهم وثَقُلت بما فيها ، وكادوا

(١- ١) زيادة من : الأصل .

(٢) الترمذى (٣٢٢٩) وقال : حديث غريب . وابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٠٤، وعزاه فى الدر المنثور ٢٩١/٥ إلى ابن أبى حاتم . ضعيف الإسناد (ضعيف الترمذى ٦٣٣) .

(٣) تفسير الطبرى ٢٣/ ١٠٤، التفسير ٧/ ٣٥.

يَغْرَقون، على ما ذكَره المفسِّرون[1]، قالوا: فاشتَوَرُوا فيما بينَهم على أن يقْتَرعوا، فمَن وقَعت عليه القُرعةُ ألقَوْه مِنَ السفينةِ؛ لِيَتَخَفَّفُوا[2] منه، فلما اقترعوا وقَعت القرعةُ على نبيِّ اللَّهِ يونُسَ، فلم يَسْمَحوا به، فأعادُوها ثانيةً فوقَعت عليه أيضًا، فشمَّر ليَخلعَ ثيابَه ويُلقىَ بنفسِه، فأبَوْا عليه ذلك، ثم أعادُوا القرعةَ ثالثةً فوقَعت عليه أيضًا؛ لِمَا يريدُه اللَّهُ به مِن الأمرِ العظيمِ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ وذلك أنه لمَّا وقَعت عليه القرعةُ، أُلْقِىَ فى البحرِ، وبعَث اللَّهُ، عز وجل، حوتًا عظيمًا من البحرِ الأخضرِ فالتقَمَه، وأمَره اللَّهُ تعالى: أن لا تأكُلْ له لحمًا، ولا تَهْشِمْ له عظمًا، فليس لك برزقٍ، فأخَذه فطاف به البحارَ كلَّها. وقيل: إنه ابتلَع ذلك الحوتَ حوتٌ آخرُ أكبرُ منه. قالوا: ولما استقرَّ فى جَوفِ الحوتِ، حَسِب أنه قد مات، فحرَّك جوارحَه فتحركَت، فإذا هو حَىٌّ، فخرَّ للَّهِ ساجدًا، وقال: يا ربِّ، اتخذتُ لك مسجدًا لم يَعْبُدْك أحدٌ فى مثلِه.

وقد اختلَفوا[3] فى مقدارِ لُبْثِه فى بطنِه؛ فقال مُجالدٌ عن الشَّعْبِىِّ: التقَمه ضُحًى، ولَفَظَه عَشِيَّةً. وقال قَتادةُ: مكَث فيه ثلاثًا. وقال جعفرٌ الصادقُ: سبعةَ أيامٍ. ويَشْهَدُ له شعرُ أُميَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[4]:

وأنتَ بفضلٍ مِنك نَجَّيْتَ يُونُسًا ... وقدْ باتَ فى أضعافِ حُوتٍ لَياليا

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/ ٧٦، ٢٣/ ١٩٨، تفسير القرطبى ١٥/ ١٢١، التفسير ٥/ ٣٦٠.

(٢) فى م: «ليتحفظوا».

(٣) انظر تفسير القرطبى ١٥/ ١٢٣. التفسير ٧/ ٣٣.

(٤) ديوان أمية ص ٣٨.

وقال سعيدُ بنُ أبى الحسنِ، وأبو مالكٍ: مكَث فى جَوْفِه أربعينَ يومًا. واللَّهُ أعلمُ كم مقدارُ ما لَبِث فيه.

والمقصودُ أنه لمّا جعَل الحوتُ يَطوفُ به فى قَرَارِ البحارِ اللُّجِّيَّةِ، ويَقتحمُ به لُجَجَ الموجِ الأُجاجىِّ، فسَمِع تسبيحَ الحيتانِ للرحمنِ، وحتى سَمِع تسبيحَ الحصَى لفالقِ الحَبِّ والنَّوَى، وربِّ السماواتِ السبعِ، والأرَضِينَ السبعِ، وما بَينَهما[1]، وما تحتَ الثَّرَى، فعندَ ذلك وهنالك قال ما قال بلسانِ [١/١٤٤و] الحالِ والمقالِ، كما أخبَرَ عنه ذو العِزَّةِ والجلالِ، الذى يَعْلَمُ السرَّ والنَّجوى، ويَكشِفُ الضُّرَّ والبلوَى، سامعُ الأصواتِ وإن ضَعُفت، وعالمُ الخَفِيَّاتِ وإن دَقَّت، ومُجيبُ الدَّعَواتِ وإن عَظُمَت، حيث قال فى كتابِه المبينِ، المنزَّلِ على رسولِه الأمينِ، وهو أصدقُ القائلين، وربُّ العالمين، وإلهُ المرسَلين: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ أى؛ نضيِّقَ. وقيل: معناه نُقَدِّرُ، مِن التقديرِ. وهى لُغةٌ مَشْهورةٌ: قدَر، وقدَّر. كما قال الشاعرُ[2]:

فلا عائدٌ ذاك الزمانُ الذى مضَى تباركْتَ ما تَقْدِرْ يَكُنْ فلك الأمرُ

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ قال ابنُ مسعودٍ، [3]وابنُ عباسٍ، وعمرُو بنُ[3]

---

(١) فى م: «بينها».

(٢) أورده القرطبى فى تفسيره ١١/ ٣٣٢. ولم يذكر قائله، بل قال: وأنشد ثعلب.

(٣- ٣) سقط من: الأصل.

(١ ميمونٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، ومحمدُ بنُ كعبٍ، والحسنُ ١)، وقَتادةُ، والضَّحّاكُ[٢]: ظلمةُ بطنِ[٣] الحوتِ، وظُلمةُ البحْرِ، وظُلمةُ الليلِ. وقال سالمُ ابنُ أبى الجَعْدِ: ابتلَع الحوتَ حوتٌ آخرُ، فصار ظُلمةُ الحوتَيْنِ مع ظُلمةِ البحرِ. وقولُه تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قيل: معناه؛ لولا أنَّه سبَّح اللَّهَ هنالك، وقال ما قال مِن التهْليلِ والتسْبيحِ، والاعترافِ للَّهِ بالخضوعِ، والتَّوبةِ إليه، والرجوعِ إليه، لَلَبِث هنالك إلى يومِ القيامةِ، ولَبُعِث مِن جَوفِ ذلك الحوتِ.. هذا معنى ما رُوِى عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ فى إحدى الروايتين عنه[٤]. وقيل: معناه: فلولا أنّه كان مِن قبلِ أَخْذِ الحوتِ له مِن المسبِّحين أى؛ المُطيعينَ المصلينَ الذاكرينَ اللَّهَ كثيرًا. قاله الضحاكُ بنُ قَيْسٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العاليةِ، ووهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، والضَّحَّاكُ[٥]، والسُّدِّىُّ، وعطاءُ بنُ السائبِ، والحسنُ البصرىُّ، وقَتادةُ، وغيرُ واحدٍ. واختاره ابنُ جَريرٍ[٦]. ويَشْهَدُ لهذا ما رواه الإمامُ أحمدُ وبعضُ أهلِ السُّنَنِ[٧]، عن ابنِ عباسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ: قال لى: «يا غلامُ، إنِّى مُعلمُك كلماتٍ؛ احفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللَّهَ تَجِدْه تُجاهَك، تَعرَّفْ إلى اللَّهِ فى الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ فى الشِّدَّةِ». وروَى ابنُ جَريرٍ فى «تفسيرِه»،

(١- ١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ١٧/ ٨٠. والتفسير ٥/ ٣٦١.

(٣) زيادة من: ا.

(٤) تفسير الطبرى ١٧/ ٨١، تفسير ابن كثير ٥/ ٣٦١، ٧/ ٣٤.

(٥) هو ابن مزاحم.

(٦) تفسير الطبرى ٢٣/ ٩٩- ١٠١. التفسير ٧/ ٣٤.

(٧) المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧. من طرق، والترمذى (٢٥١٦). وقال: حسن صحيح. (صحيح).

والبَزَّارُ فى « مسندِه »[1] ، مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عمَّن حدَّثه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، سمِعتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمَّا أراد اللَّهُ حَبْسَ يونُسَ فى بطنِ الحوتِ ، أوْحَى اللَّهُ [١/١٤٤ظ] إلى الحوتِ ، أَنْ خُذْ ، ولا تَخدِشْ لحمًا ، ولا تَكسِرْ عَظْمًا . فلمَّا انتهَى به إلى أسفلِ البحرِ ، سَمِع يونُسُ حِسًّا ، فقال فى نفسِه : ما هذا ؟ فأوحَى اللَّهُ إليه ، وهو فى بطنِ الحوتِ : إنَّ هذا تسبيحُ دوابِّ البحرِ » . قال : « فسبَّح وهو فى بطنِ الحوتِ ، فسَمِعت الملائكةُ تسبيحَه ، فقالوا : يا ربَّنا ، إنَّا نَسمعُ صوتًا ضَعيفًا بأرضٍ غَريبةٍ . قال : ذاك عبدى يونُسُ ، عَصَانى فحبَسْتُه فى بطنِ الحوتِ فى البحرِ . قالوا : العبدُ الصَّالحُ الذى كان يَصْعَدُ إليك منه فى كلِّ يومٍ وليلةٍ عملٌ صالحٌ ؟ قال : نعم » . قال : « فشَفَعوا له عندَ ذلك ، فأمَر الحوتَ فقذَفه فى الساحلِ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ » . هذا لفظُ ابنِ جَريرٍ إسنادًا ومَتْنًا . ثم قال البَزَّارُ : لا نعلمُه يُروَى عن النبىِّ ﷺ إلا بهذا الإسنادِ . كذا قال .

وقد قال ابنُ أبى حاتمٍ فى « تفسيرِه »[2] : حدثنا أبو عُبيدِ[3] اللَّهِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنُ[4] أخى ابنِ وهْبٍ ، حدثنا عَمِّى ، حدثنى أبو صَخْرٍ ، أن يزيدَ الرَّقاشِيَّ حدَّثه قال : سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ ، ولا أَعلمُ إلا أنَّ أنسًا يَرفعُ الحديثَ

---

(١) تفسير الطبرى ١٧/ ٨١. وكشف الأستار (٢٢٥٤) .
قال الهيثمى ٧/ ٩٨: رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
(٢) عزاه فى الدر المنثور ٥/٢٨٧ إلى ابن أبى حاتم .
(٣) فى النسخ : « عبد » . والمثبت من التفسير ٧/ ٣٤، وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ١/ ٣٨٧.
(٤) سقط من : ح ، م ، ص .

إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ: «إن يونُسَ النبيَّ، عليه السلامُ، حين بَدَا له أن يدعوَ بهذه الكلماتِ، وهو فى بطنِ الحوتِ قال: اللهمَّ لا إلهَ إلا أنتَ سبحانَك إنِّى كنتُ مِن الظالِمين. فأقبلَتِ الدعوةُ تحِنُّ بالعرشِ، فقالت الملائكةُ: يا ربِّ، صوتٌ ضعيفٌ معروفٌ من بلادٍ غريبةٍ. فقال: أما تَعرفون ذاك؟ قالوا: يا ربِّ، ومَن هو؟ قال: عبدى يونسُ. قالوا: عبدُك يونُسُ الذى لم يَزَلْ يُرفَعُ له عملٌ متقبلٌ ودعوةٌ مجابةٌ؟ قال: نعمْ. قالوا: يا ربِّ، أوَ لا تَرحمُ ما كان يصنعُ فى الرخاءِ، فتُنجِّيَه مِن البلاءِ؟ قال: بلى. فأمَرَ الحوتَ فطرَحه فى العراءِ». ورواه ابنُ جريرٍ[1]، عن يونُسَ، عن ابنِ وهْبٍ به. زاد ابنُ أبى حاتمٍ[2]: قال أبو صَخْرٍ حُمَيْدُ بنُ زيادٍ: فأخبرنى ابنُ قُسَيْطٍ وأنا أحدِّثُه هذا الحديثَ، أنه سَمِع أبا هُرَيْرةَ يقولُ: طُرِح بالعَراءِ، وأَنبَت اللَّهُ عليه اليَقْطِينةَ. قلنا: يا أبا هُرَيرةَ، وما اليَقْطِينةُ؟ قال: شجرةُ الدُّبَّاءِ. قال أبو هُرَيرةَ: وهيَّأ اللَّهُ له أُرْوِيَّةً[3] وحْشيةً تأكلُ مِن خَشاشِ الأرضِ - أو قال: هَشاشِ الأرضِ - قال: فتَنفشِخُ عليه فتَرْوِيه مِن لبنِها، كلَّ عَشِيَّةٍ وبُكْرَةٍ، حتى نبتَ. وقال أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[4] فى ذلك بيتًا مِن شعرِه:

فأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَليهِ برحمةٍ مِن اللَّهِ لولا اللَّهُ (٥أُلْفِيَ ضاحِيًا٥) [١/١٤٥و]

وهذا غريبٌ أيضًا مِن هذا الوجهِ، ويزيدُ الرَّقاشِيُّ ضعيفٌ، ولكن يَتقوَّى

---

(١) فى تفسيره ٢٣/ ١٠٠.
(٢) عزاه فى الدر المنثور ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨ إلى ابن أبى حاتم.
(٣) الأروية - بضم الألف وكسرها - أنثى الوعول.
(٤) ديوان أمية ص ٦٥.
(٥ - ٥) فى الأصل: «ألقى ضاحيا». وفى ح، م: «أصبح ضاويا».

بحديثِ أبى هُرَيرةَ المتقدِّمِ ، كما يَتقوَّى ذاك بهذا . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ ﴾ أى ؛ ألْقيْناه ﴿ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ وهو المكانُ القَفْرُ الذى ليس فيه شىءٌ مِن الأشجارِ ، بل هو عارٍ منها ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ أى ؛ ضعيفُ البدنِ . قال ابنُ مسعودٍ : كهيئةِ الفَرْخِ ، ليس عليه ريشٌ[2] . وقال ابنُ عباسٍ ، والسُّدِّىُّ ، وابنُ زيدٍ : كهيئةِ الصَّبِىِّ حينَ يُولدُ ، وهو المَنْفوسُ[3] ، ليس عليه شىءٌ ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ . قال ابنُ مسعودٍ ، وابنُ عباسٍ ، [4]وعِكْرِمةُ ، ومُجاهدٌ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[4] ، ووهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ ، وهلالُ بنُ يَسافٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ طاووسٍ ، والسُّدِّىُّ ، وقَتادةُ ، والضحاكُ ، وعطاءٌ الخُراسانىُّ ، وغيرُ واحدٍ : هو القَرْعُ[5] .

قال بعضُ العلماءِ : فِى إنباتِ القَرْعِ عليه حِكَمٌ جَمَّةٌ ؛ منها ، أنّ ورَقَه فى غايةِ النعومةِ ، وكثيرٌ وظَليلٌ ، ولا يَقْرَبُه ذُبابٌ ، ويُؤكَلُ ثمرُه من أولِ طُلوعِه إلى آخرِه ، نِيئًا ومطبوخًا ، وبقِشْرِه وبِزْرِه أيضًا ، وفيه نفعٌ كثيرٌ ، وتقويةٌ للدماغِ ، وغيرُ ذلك . وتقدَّم كلامُ أبى هُرَيرةَ فى تسخيرِ اللَّهِ تعالى له تلك الأُرْوِيَّةَ التى كانت تُرضِعُه لبنَها ، وتَرْعَى فى البرِّيَّةِ ، وتأتِيه بُكْرةً وعَشِيَّةً . وهذا مِن رحمةِ اللَّهِ به ، ونعمتِه عليه ، وإحسانِه إليه ، ولهذا قال اللَّه تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ أى ؛ الكربِ والضيقِ الذى كان فيه ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى

---

(١) التفسير ٧/٣٤ وما بعدها . تفسير الطبرى ٢٣/ ١٠٢.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١١/ ٥٤١، ٥٤٢ من حديث ابن مسعود مطولا .

(٣) فى الأصل ، ح : « المنقوش » .

(٤ - ٤) فى ا : « وأصحابه » .

(٥) تفسير الطبرى ٢٣/ ١٠٢، ١٠٣، التفسير ٧/ ١٣٥.

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى ؛ وهذا صنيعُنا بكلِّ مُؤْمنٍ[1] دعانا واستَجار بنا .

قال ابنُ جريرٍ[2] : حدثنى عِمْرانُ بنُ بكَّارٍ الكَلَاعىُّ ، حدثنا يَحيى بنُ صالحٍ ، حدثنا أبو يَحيى بنُ عبدِ الرحمنِ ، حدثنى بشرُ بنُ منصورٍ ، عن علىِّ ابنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، قال : سمعتُ سعدَ بنَ مالكٍ - وهو ابنُ أبى وقاصٍ - يقولُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اسمُ اللَّهِ الذى إذا دُعِىَ به أَجاب ، وإذا سُئِل به أَعْطَى ، دعوةُ يُونُسَ بنِ مَتَّى » . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هى ليونُسَ خاصَّةً أم لجماعةِ المسلمين؟ قال : « هى لِيونُسَ خاصَّةً ، وللْمُؤمِنينَ عامّةً إذا دَعَوْا بها ، ألمْ تَسمعْ قولَ اللَّهِ تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فهو شرطٌ مِن اللَّهِ لمن دعاه به[3] » . وقال ابنُ أبى حاتمٍ[4] : حدثنا أبو سعيدٍ الأَشَجُّ ، حدثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن كثيرِ بنِ زيدٍ ، عن المطَّلِبِ بنِ حَنْطَبٍ - قال أبو خالدٍ : أَحسَبُه عن مُصْعبٍ . يعنى ابنَ سعدٍ - [١/١٤٥ظ] عن سعدٍ[5] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن دعا بدعاءِ يونُسَ استُجِيبَ له » . قال أبو سعيدٍ الأَشَجُّ : يريدُ به ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وهذانِ طريقانِ عن سعدٍ .

---

(١) فى الأصل ، ح ، ص : « من » .
(٢) تفسير الطبرى ١٧/ ٨٢.
(٣) فى ابن جرير : « بها » .
(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٤/٤ إلى ابن أبى حاتم ، وانظر ما بعده .
(٥) فى الأصل: « سعيد » .

وثالثٌ أحسنُ منهما ؛ قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا إسماعيلُ بنُ عمرَ ، حدثنا يونُسُ بنُ أبى إسحاقَ الهَمْدَانِىُّ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سعدٍ ، حدثنى والدى محمدٌ ، عن أبيه سعدٍ - وهو ابنُ أبى وقاصٍ - قال : مَرَرْتُ بعثمانَ بنِ عفانَ فى المسجدِ ، فسلّمتُ عليه ، فملأ عينَيْه مِنِّى ، ثُم لم يَرُدُّ علىَّ السلامَ ، فأتيتُ عمرَ بنَ الخطابِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، هل حَدَث فى الإسْلامِ شَىْءٌ ؟ مرَّتَيْنِ . قال : لا ، وما ذاك ؟ قلتُ : لا ، إلا أَنى مرَرتُ بعثمانَ آنِفًا فى المسجدِ ، فسلَّمتُ عليه ، فمَلأ عينَيْه مِنِّى ، ثُم لم يردُدْ علىَّ السَّلامَ . قال : فأرسَل عمرُ إلى عثمانَ فدعاه ، فقال : ما منَعَك أن لا تكونَ ردَدتَ على أخيك السلامَ ؟ قال : ما فعلتُ . قال سعْدٌ : قلتُ : بلى . حتى حلَفَ وحلفْتُ . قال : ثُم إنَّ عثمانَ ذكَر ، فقال : بلى ، وأَستغفِرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه ، إنك مررتَ بى آنِفًا ، وأنا أُحدِّثُ نفسى بكلمةٍ سَمِعْتُها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لا واللَّهِ ، ما ذكرتُها قَطُّ إلا تَغَشَّى بصرى وقلبى غِشاوةٌ . قال سعدٌ : فأنا أنبئُك بها ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر لنا أوَّلَ دعوةٍ ، ثم جاء أعرابىٌّ فشغَله ، حتى قام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فاتَّبَعْتُه ، فلمَّا أشْفَقْتُ أنْ يَسْبِقَنى إلى منزلِه ، ضربتُ بقَدَمِى الأرضَ ، فالتفتَ إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « مَن هذا ؟ أبو إسحاقَ ؟ » قال : قلتُ : نعمْ ، يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فَمَهْ ؟ » قلتُ : لا واللَّهِ ، إلا أنَّك ذكَرتَ لنا أولَ دعوةٍ ، ثم جاء هذا الأعرابىُّ فشغلَك . قال : « نعمْ ، دعوةُ ذى النُّونِ ؛ إذ

---

(١) فى المسند ١/ ١٧٠. (إسناده صحيح).

هو فى بطنِ الحوتِ: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فإنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ ربَّه فى شَىْءٍ قطُّ إلا استجاب له». ورواه التِّرْمِذىُّ، والنَّسائىُّ، مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ سعدٍ به[1].

(١) الترمذى (٣٥٠٥). والنسائى فى الكبرى (١٠٤٩١، ١٠٤٩٢). كلاهما مختصرًا. (صحيح الترمذى ٢٧٨٥).

ذكرُ فضلِ يونسَ، عليه السلامُ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٩] . وذكَره تعالى في جملةِ الأنبياءِ الكِرامِ، في سورتَي «النساءِ» و«الأنعامِ»، عليهم مِن اللَّهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا وكيعٌ، حدثنا سفيانُ، عن الأعمشِ، عن أبي وائلٍ، عن عبدِ اللَّهِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَنبغِي لأَحدٍ أن يقولَ: أنا خيرٌ مِن يونُسَ بنِ مَتَّى». ورواه البخاريُّ[3] مِن حديثِ سُفيانَ الثَّوْريِّ به. وقال البخاريُّ أيضًا[4] : حدثنا حَفْصُ بنُ عُمَرَ، [١/١٤٦و] حدثنا شعبةُ، عن قَتادةَ، عن أبي العاليةِ، عن ابنِ عباسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «ما يَنبغِي لعبدٍ أن يقولَ: إنِّي خيرٌ مِن يونُسَ بنِ مَتَّى». ونَسَبَه إلى أبيه[5] . ورواه أحمدُ، ومسلمٌ، وأبو داودَ، مِن حديثِ شُعبةَ به[6] . قال شُعبةُ فيما حكاه أبو داودَ عنه[7] : لم يَسْمَعْ قَتادةُ مِن أبي العاليةِ سوى أربعةِ أحاديثَ، هذا أحدُها. وقد رواه الإمامُ أحمدُ[8] ، عن عفانَ، عن حمادِ بنِ سَلَمَةَ، عن عليِّ بنِ زيدٍ،

---

(١) التفسير ٧/ ٣٣.
(٢) في المسند ١/ ٣٩٠. (إسناده صحيح).
(٣) البخاري (٣٤١٢، ٤٦٠٣).
(٤) البخاري (٣٤١٣).
(٥) انظر فتح الباري ٦/ ٤٥٢.
(٦) أحمد ١/ ٣٤٢. ومسلم (٢٣٧٦). وأبو داود (٤٦٦٩).
(٧) قاله أبو داود عقب حديث (٢٠٢) من سننه، من كتاب الطهارة.
(٨) في المسند ١/ ٢٥٤. (إسناده صحيح).

عن يوسُفَ بنِ مِهْرَانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « وما ينبغى لعبدٍ أن يقولَ : أنا خيرٌ مِن يونُسَ بنِ مَتَّى » . تفرَّد به أحمدُ .

ورواه الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرَانىُّ[1] ، حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ كَيْسانَ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رجاءٍ ، أنبأنا إسرائيلُ ، عن أبى يحيى القتاتِ[2] ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « لا ينبغى لأحدٍ أن يقولَ : أنا عندَ اللَّهِ خيرٌ مِن يونُسَ بنِ مَتَّى » . إسنادُه جيِّدٌ ، ولم يُخرِّجوه .

وقال البخارىُّ[3] : حدثنا أبو الوليدِ ، حدثنا شعبةُ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، سمعتُ حُمَيْدَ بنَ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « لا ينبغى لعبدٍ أن يقولَ : أنا خيرٌ مِن يونُسَ بنِ مَتَّى » . وكذا رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ شُعبةَ به . وفى « البخارىِّ » و « مسلمٍ »[5] مِن حديث عبدِ اللَّهِ بنِ الفَضْلِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ الأَعْرَجِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، فى قصةِ المسلمِ الذى لطَم وجهَ اليهودىِّ حين قال : لا ، والذى اصطَفَى موسى على العالمين . قال البخارىُّ فى آخرِه : « ولا أقولُ : إنّ أحدًا خيرٌ مِن يونُسَ بنِ مَتَّى » . أى ؛ ليس لأحدٍ أن يُفضِّلَ نفسَه على يونسَ . وفى روايةٍ : « لا ينبغى لأحدٍ أن

---

(١) المعجم الكبير (١١١٢٢) . وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٠٩: وفيه أبو يحيى القتات . وهو ضعيف وقد وثق .

(٢) فى ح ، م ، ص : « العتاب » ، وفى ا : « القطاف » .
وهو أبو يحيى القتات واسمه زاذان . انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٧.

(٣) البخارى (٣٤١٦) .

(٤) مسلم (٢٣٧٦) .

(٥) البخارى (٣٤١٤، ٣٤١٥) ، مسلم (٢٣٧٣) .

يفضِّلَنى على يونُسَ بنِ مَتَّى». كما قد ورَد فى بعضِ الأحاديثِ[1]: «لا تُفضِّلونى على الأنبياءِ، ولا على يُونُسَ بنِ مَتَّى». وهذا من بابِ الهَضْمِ والتَّواضعِ مِنه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، وعلى سائرِ أنبياءِ اللَّهِ والمرسَلِين.

---

(١) أورده القاضى عياض فى الشفا ١/١٧٠ بنحوه.

ذِكـرُ قصّةِ موسـى الكليـمِ، عليه الصلاةُ والسلامُ

وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ قاهثَ[1] بنِ عازرَ بنِ لَاوِى بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، عليهم السلامُ، قال اللَّهُ تعالى[2]: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١- ٥٣]. [3]ذَكره بالرسالةِ والنُّبُوَّةِ والإخلاصِ والتَّكْليمِ والتَّقْريبِ، ومَنَّ عليه بأن جعَل أخاه هارونَ نبيًّا[3] وقد ذكَره اللَّهُ تعالى فى مواضعَ كثيرةٍ متفرقةٍ من القرآنِ، وذكَرَ قصتَه فى مَوَاضِعَ متعددةٍ مبسوطَةً، ومتوسِّطةً، ومختصَرةً، وقد تكَلَّمْنا [١/ ١٤٦ظ] على ذلك كلِّه فى مواضِعِه من «التفسيرِ»، وسَنُورِدُ[4] سِيرتَه ههنا، مِن ابتْدِائِها إلى آخِرِها مِن الكتابِ والسنَّةِ، وما ورَد فى الآثارِ المنْقُولَةِ من الإسرائيلياتِ، التى ذكَرها السَّلَفُ وغيرُهم، إن شاء اللَّهُ، وبه الثِّقةُ وعليه التُّكْلانُ.

قال اللَّهُ تعالى[5]: ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟

---

(١) فى الأصل، ص: «ماهث»، وفى ا: «قاهب».
(٢) التفسير ٥/ ٢٣٢، ٢٣٣.
(٣- ٣) زيادة من: ا.
(٤) سقط من: الأصل.
(٥) التفسير ٦/ ٢٣٠، ٢٣١.

عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ١- ٦].

يذكرُ تعالى مُلخَّصَ القِصَّةِ ثم يَبسُطُها بعد هذا، فذكَر أنه سبحانَه يَتْلُو على نبيِّه خبرَ موسى وفرعونَ بالحقِّ؛ أى بالصِّدقِ الذى كأنَّ سامعَه مُشاهِدٌ للأمرِ مُعايِنٌ له ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أى؛ تجبَّرَ وعتا، وطغَى وبغَى، وآثَرَ الحياةَ الدُّنيا وأَعْرَضَ عن طاعةِ الربِّ الأعلى. ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أى؛ قسَّم رَعِيَّتَه إلى أقسامٍ وفِرَقٍ وأَنْواعٍ ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ وهم شعبُ بنى إسرائيلَ، الذين هم مِن سُلالةِ نبىِّ اللَّهِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ. وكانوا إذ ذاك خِيارَ أهلِ الأرضِ، وقد سَلَّطَ اللَّهُ عليهم هذا الملِكَ الظالمَ الغاشمَ الكافرَ الفاجرَ، يَستعبِدُهم ويَستخدمُهم فى أخسِّ الصنائعِ والحِرَفِ، وأرْدَئِها، (١وأدناها، ومع هذا١) ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾. وكان الحامِلَ له على هذا الصَّنيعِ القَبيحِ، أنَّ بنى إسرائيلَ كانوا يتَدارَسون فيما بينَهم ما كانوا يَأْثُرونَه عن إبراهيمَ الخليلِ، عليه السلامُ، مِن أنه سَيَخرجُ مِن ذُرِّيَّتِه غلامٌ يكونُ هلاكُ مَلِكِ مصرَ على يدَيْهِ، وذلك، واللَّهُ أعلمُ، حينَ جرَى على سَارَّةَ امرأةِ الخليلِ مِن مَلِكِ مصرَ، (٢ما جرى٢) مِن إرادتِه إيَّاها على السُّوءِ، وعِصْمَةِ اللَّهِ لها.

(١ - ١) فى ا: «وما كفاه هذا حتى».

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

وكانت هذه البِشارةُ مَشْهُورةً فى بنى إسرائيلَ ، فتحَدَّثَ بها القِبْطُ فيما بينَهم ، ووصلَت إلى فرعونَ (١) فى مَجْلسِ مُسامَرتِه مع (١) أُمَرائِه وأَسَاوِرَتِه (٢) وهم يَسمُرون عندَه ، فأمَر عند ذلك بقتلِ أبناءِ بنى إسرائيلَ ؛ حَذَرًا مِن وجودِ هذا الغُلامِ ، ولن يُغْنِىَ حذَرٌ مِن قَدَرٍ .

وذكر السُّدِّىُّ (٣) عن أبى صالحٍ ، وأبى مَالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن أناسٍ من الصَّحابةِ أن فرعونَ رأى فى منامِه كأنَّ نارًا قد أقْبلَت مِن نحوِ بيتِ المقدسِ ، فأحْرَقَت دُورَ مصرَ وجميعَ القِبْطِ ، ولم تَضُرَّ بنى إسرائيلَ ، فلمَّا استيقَظَ هالَه ذلك [١٤٧/١و] فجمع الكَهَنَةَ والحُزَاةَ (٤) والسَّحَرةَ وسألهم عن ذلك ، (٥) فقال له الكَهَنَةُ (٥) : هذا غلامٌ يُولَدُ مِن (٦) بنى إسرائيلَ (٦) ، يكونُ سببُ هلاكِ أهلِ مصرَ على يدَيْه . فلهذا أمَر بقتلِ الغِلمانِ وتَرْكِ النِّسوانِ . ولهذا قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وهم بنو إسرائيلَ ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أى ؛ الذين يَئُولُ مُلْكُ مصرَ وبلادُها إليهم ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ أى ؛ سنجعلُ الضعيفَ قويًّا ، والمقهورَ قاهرًا (٧) ، والذليلَ عزيزًا . وقد جرَى هذا كلُّه لبنى إسرائيلَ ؛ كما قال

(١ - ١) فى الأصل ، م : « فذكرها له بعض » .
(٢) الإسوار : بكسر الهمزة قائد العجم كالأمير فى العرب والجمع أساورة .
(٣) ابن جرير فى تاريخه ١/ ٣٨٨.
(٤) جمع « حازٍ » وهو الكاهن .
(٥ - ٥) فى ح ، م ، ص : « هؤلاء » .
(٦ - ٦) فى ح ، م ، ص: « فقالوا » .
(٧) فى م : « قادرا » .

تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧- ٥٩]. وسيأتى تفصيلُ ذلك فى موضِعِه إن شاء اللَّهُ تعالى.

والمقصودُ أن فرعونَ احترَز كلَّ الاحترازِ أن لا يُوجَدَ موسى، حتى جَعَلَ رجالًا وقَوابلَ يدُورون على الحَبَالَى، ويَعلَمون مِيقاتَ وَضْعِهنَّ، فلا تِلدُ امرَأةٌ ذكرًا إلا ذَبَحه أولئك الذَّبَّاحون (١مِن ساعتِه١). (٢وعندَ أهلِ الكتابِ(٣) أنَّه إنَّما كان يأمرُ بذَبْحِ الغِلْمانِ لِتَضْعُفَ شوكةُ بنى إسرائيلَ، فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم. وفى هذا نظرٌ، بل هو باطلٌ، وإنما وقع هذا بعدَ بَعْثَةِ موسى فجعل يَقْتُلُ الوِلْدانَ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾ [غافر: ٢٥]٢). (٤ولهذا قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فالصحيحُ أن فرعونَ إنما أمر بقتلِ الغِلمانِ أولًا حَذَرًا من وجودِ موسى(٤) عليه السلامُ. هذا، والقَدَرُ يقولُ: يا أيُّها المَلِكُ الجبارُ، المغرورُ بكثرةِ جنودِه، وسُلْطَةِ بأسِه واتِّساعِ سلطانِه(٥)، قد حكَم العظيمُ الذى لا

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢ - ٢) سقط من: ح.
(٣) سفر الخروج الأصحاح ١/ ٨- ٢٢.
(٤ - ٤) سقط من: ح.
(٥) سقط من: ص.

يُغالَبُ ولا يُمانَعُ، ولا تُخالَفُ أقدارُه أن هذا المولودَ الذى تَحترِزُ منه، وقد قَتلْتَ بسببِه مِن النفوسِ ما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى، لا يكونُ مَرْبَاه إلا فى دارِك وعلى فِرَاشِك، ولا يُغَذَّى إلا بطَعامِك وشَرَابِك [1] فى مَنْزِلِك [1]، وأنت الذى تتبنَّاه وتُربِّيه وتَتَعَدّاه [2]، ولا تَطَّلِعُ على سرِّ معناه، ثم يكونُ هلاكُك فى دُنياك وأُخراك على يدَيْه؛ لمُخالَفَتِك ما جاءَك به مِن الحقِّ المبينِ، وتَكْذِيبِك ما أوحِىَ إليه، لتَعْلَمَ أنت وسائِرُ الخَلْقِ أن ربَّ السمواتِ والأرضِ هو الفعَّالُ لِمَا يريدُ، وأنه هو القوىُّ الشديدُ، ذو البأسِ [١٤٧/١ظ] العظيمِ، والحَوْلِ والقوةِ والمشيئةِ، التى لا مَرَدَّ لها.

وقد ذكر غيرُ واحدٍ من المفسرين، أن القِبْطَ شَكَوْا إلى فرعونَ قلةَ بنى إسرائيلَ، بسببِ قتلِ وِلْدانِهم الذكورِ، وخَشَوْا أن تَتَفانَى الكبارُ مع قتلِ الصِّغارِ، فَيَصِيرون هم الذين يَلُون ما كان يَليه [3] بنو إسرائيلَ [4] مِن الأعمالِ الشّاقَّةِ [4]، فأمَر فرعونُ بقتلِ الأبناءِ عامًا، وأن يُترَكوا عامًا، فَوُلِدَ هارونُ، عليه السلامُ، فى عامِ المسامحةِ عن قتلِ الأبناءِ، ووُلِدَ موسى، عليه السلامُ، فى عامِ قتلِهم، فضاقَت أمُّه به ذَرْعًا، واحترَزَتْ من أولِ ما حَبِلَتْ بِهِ، ولم يكنْ يَظهرُ عليها مَخَايِلُ [5] الحَبَلِ، فلمَّا وَضَعَت أُلْهِمت أنِ اتَّخَذَتْ له تابوتًا، فربَطَتْه فى حبلٍ، وكانت دارُها متاخِمةً للنيلِ، فكانت تُرضِعُه، فإذا خَشِيَت مِن أحدٍ وضَعَتْه فى ذلك التابوتِ فأرسلَتْه فى البحرِ، وأمسكَتْ طَرَفَ الحبلِ عندَها،

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢) فى ح: «تتفداه».
(٣) سقط من: م، ص.
(٤- ٤) فى ح، م، ص: «يعالجون».
(٥) أى دلائل.

فإذا ذهَبوا استرْجَعَته إليها به .

قال اللّه تعالى[1] : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٧ - ٩] . هذا الوحيُ وحْيُ إلهامٍ وإرشادٍ ، كما قال تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩] . وليس هو بوحيِ نُبُوَّةٍ ؛ كما زعَمه ابنُ حزمٍ[2] ، وغيرُ واحدٍ من المتكلِّمين ، بل الصحيحُ الأولُ ، كما حكاه أبو الحسنِ الأشعريُّ عن مذهبِ[3] أهلِ السنةِ والجماعةِ . قال السُّهَيْليُّ[4] : واسمُ أمِّ موسى ياوخ[5] . وقيل : أياذخت .

والمقصودُ أنها أُرشدَت إلى هذا الذى ذَكَرْناه ، وأُلْقِىَ فى خَلَدِها ورُوعِها أن لا تخافى ولا تَحْزَنِى ، فإنه إن ذهَب فإن اللّهَ سيردُّه إليكِ ، وإنَّ اللّهَ سيجعلُه نبيًّا مرسَلًا ، يُعلِى كلمتَه فى الدنيا والآخِرةِ ، فكانت تصنعُ ما أمِرَت به ، فأَرسلَته ذاتَ يومٍ ، وذَهَلَتْ أن تَرْبِطَ طَرَفَ الحبلِ عندَها ، فذهَبَ مع النِّيلِ ، فمرَّ على

---

(١) التفسير ٦/ ٢٣١- ٢٣٣.

(٢) انظر الفصل ٥/ ١٧، ١٨.

(٣) سقط من : م .

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٣٩.

(٥) فى الأصل : «أيارخا» . وفى ح ، ص : «أتارخا» . وفى م : «أيادخا» . والمثبت من التعريف والإعلام .

دارِ فرعونَ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قال بعضُهم : هذه لامُ العاقبةِ . وهو ظاهرٌ إن كان متعلِّقًا بقولِه : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ . وأما إن جُعِل متعلِّقًا بمضمونِ الكلامِ ؛ وهو أنَّ آلَ فرعونَ قُيِّضُوا لالتقاطِه ؛ ليكونَ لهم عدوًّا وحَزَنًا ، صارت اللامُ معلِّلةً لِغيرها ، واللَّهُ أعلمُ . ويقوِّى هذا التفسيرَ[1] الثانىَ قولُه[2] : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وهو الوزيرُ السُّوءُ ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ المتابعين لهما ﴿كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ أى ؛ كانوا على خلافِ الصوابِ ، فاستحقُّوا هذه العقوبةَ والحسرةَ .

وذكر المفسِّرون أن الجوارِىَ التقَطْنَه مِن البحرِ فى تَابوتٍ مُغْلَقٍ عليه ، فلم يَتجاسَرْنَ على فَتْحِه ، حتى وضَعْنَه بين يدَىِ امرأةِ فرعونَ ؛ آسِيَةَ بنتِ مُزَاحِمِ بنِ عُبَيْدِ بنِ الرَّيَّانِ بنِ الوليدِ ، الذى كان فرعونَ مصرَ فى زمنِ يوسفَ . وقيل : إنها كانت مِن بنى إسرائيلَ مِن سِبْطِ موسى . وقيل : بل كانت عمَّتَه . حكاه السُّهَيْلِىُّ[3] . فاللَّهُ أعلمُ . وسيأتى مدحُها والثَّناءُ عليها[4] فى قِصةِ مَرْيَمَ بنتِ عمرانَ ، وأنّهما يكونانِ يومَ القيامةِ مِن أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الجنَّةِ[5] . فلمّا فَتَحَتِ البابَ وكَشفَتِ الحِجابَ ، رأت وجْهَه يَتَلَأْلَأُ بتلك الأنوارِ النبويةِ والجلالةِ المُوسَوِيَّةِ ، فلمَّا رأتْه ووقَع نظرُها عليه أحبَّتْه حُبًّا شديدًا ، فلمّا جاء

---

(١) فى م : « التقدير » .

(٢) بعده فى الأصل : « ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ أى ؛ هم أهل لهذا التقييض [١/ ١٤٨و] ليكون أبلغ فى إهانتِهم ، وأقوى فى حسرتِهم ، أن يربوا عدوَّهم فى دارهم . ولهذا قال : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ » .

(٣) التعريف والإعلام ص ٢٣٩.

(٤) انظر صفحات ٤٢٦ - ٤٣١.

(٥) انظر صفحة ٤٣٣ .

فرعونُ قال: ما هذا؟ وأمَر بذَبْحِه، فاستوهَبَتْه منه ودَفَعَت عنه، وقالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾. فقال لها فرعونُ: أمّا لكِ فنَعَمْ، وأمّا لى فلا. أى؛ لا حاجةَ لى به. والبلاءُ مُوكَلٌ بالمَنْطِقِ. وقولُها: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ وقد أنالَها اللَّهُ ما رجَت مِن النّفْعِ؛ أمّا فى الدنيا فهَداها اللَّهُ به، وأمّا فى الآخِرةِ فأسكَنها جَنّتَه بسببِه ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ وذلك لأنّهما تبنَّياه؛ لأنه لم يكنْ لهما ولدٌ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أى؛ لا يَدرون ماذا يريدُ اللَّهُ بهم، أن قَيّضهم لالتقاطِه، مِن النِّقْمةِ العَظِيمةِ بفرعونَ وجنودِه. [1] وعندَ أهلِ الكتابِ أنَّ الذى التقطتْ موسى ورَبّتْه ابنةُ فرعونَ، وليس لامرأتِه ذِكْرٌ بالكُلِّيَّةِ [2]. وهذا مِن غلطِهم على كتابِ اللَّهِ، عَزَّ وجَلَّ. قال اللَّهُ تعالى [1]: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3] [القصص: ١٠- ١٣]. قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعِكْرِمةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وأبو عُبَيْدَةَ، والحسنُ، وقَتادةُ، والضَّحّاكُ، وغيرُهم: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ أى؛ مِن كلِّ شَىْءٍ مِن أمُورِ الدنيا إلا مِن

(١- ١) زيادة من: ص.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢/ ٥- ١٠.

(٣) التفسير ٦/ ٢٣٣، ٢٣٤.

أمرِ[1] مُوسى ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ أى ؛ لَتُظْهِرُ أمرَه وتسألُ عنه جَهْرَةً . ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أى ؛ صبَّرْناها وثبَّتْناها ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ [١٤٨/١ ظ] وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ ﴾ وهى ابنتُها الكبيرةُ : ﴿ قُصِّيهِ ﴾ أى ؛ اتَّبِعِى أَثَرَه واطلُبِى لى خَبَرَه ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ . قال مُجاهدٌ : عن بُعْدٍ . وقال قَتادةُ : جعلَت تَنظُرُ إليه وكأنّها لا تريدُه . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وذلك لأن موسى ، عليه السلامُ ، لمّا استقرَّ بدارِ فرعونَ أرادوا أن يُغَذُّوه برضَاعةٍ ، فلم يَقْبَلْ ثَدْيًا ولا أخَذ طعامًا ، فحارُوا فى أمرِه ، واجتهدوا فى ذلك ، أى على تَغْذِيَتِه بكلِّ ممكنٍ فلم يَفْعَلْ ، كما قال تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ فأرسَلُوه مع القوابِلِ والنساءِ إلى السُّوقِ ؛ لعلهم يجدونَ مَن يُوافِقُ رَضَاعَتَه ، فبينما هم وُقوفٌ به والناس عُكُوفٌ عليه ، إذ بَصُرَت به أختُه ، فلم تُظْهِرْ أنها تَعْرِفُه ، بل قالت : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ[2] : لمّا قالت ذلك ، قالوا لها : ما يُدْرِيكِ بنُصْحِهم وشَفَقَتِهم عليه ؟ فقالت : رغبةً فى صِهْرِ المَلِكِ ، ورجاءَ منفعتِه . فأطلَقُوها وذهَبوا معها إلى منزلِهم ، فأخذَتْه أمُّه ، فلمّا أرضَعَتْه التقَمَ ثَدْيَها وأخَذَ يَمْتَصُّه ويَرْتَضِعُه ، ففرِحوا بذلك فرحًا شديدًا ، وذهَبَ البَشيرُ إلى آسيةَ يُعْلِمُها بذلك ، فاستَدْعَتْها إلى منزلِها ، وعَرَضَتْ عليها أن تكونَ عندَها ، وأن تُحْسِنَ إليها ، فأبَتْ عليها وقالت : إن لى بَعْلًا وأولادًا ، ولستُ

---

(١) سقط من : ص ، م .

(٢) رواه النسائى فى الكبرى (١١٣٢٦) ، والطبرى فى تفسيره ١٦/ ١٦٥ ، وأبو يعلى (٢٦١٨) . وغيرهم .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٥٦- ٦٦:... ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم ابن أبى أيوب وهما ثقتان . والحديث معروف بحديث الفتون الطويل .

أَقدِرُ على هذا إلا أن تُرسِليه معى . فأرسلَته معها ، ورتَّبتْ لها رواتِبَ ، وأَجْرَت عليها النفقاتِ والكُساوَى والهِباتِ ، فرجَعَت به تَحوزُه إلى رَحْلِها ، وقد جَمَع اللَّهُ شملَه بشملِها ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ أى ؛ كما وعدْناها بردِّه ورسالتِه ، فهذا رَدُّه ، وهو دَليلٌ على صدقِ البشارةِ برسالتِه ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد امتَنَّ اللَّهُ بهذا على موسى ليلةَ كلَّمه ، فقال له فيما قال له[1] : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ [طه : ٣٧- ٣٩] . [2]وذلك أنَّه لا يَراه أحدٌ إلَّا أحبَّه[2] ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ قال[3] قَتادةُ ، وغيرُ واحدٍ من السلفِ[4] : أى تُطْعَمُ وتُرَفَّهُ وتُغذَّى بأطيبِ المآكِلِ ، وتَلبَسُ أحسنَ الملابِسِ ؛ بمَرْأًى منِّى ، وذلك كلُّه بحِفْظِى وكَلاءَتِى لك فيما صنعتُ بك ولك ، وقَدَّرْتُه من الأمورِ التى لا يَقدِرُ عليها غيرى ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾ [طه : ٤٠] . وسنُورِدُ حديثَ [١٤٩/١و] الفُتُونِ فى موضعِه بعدَ هذا ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) التفسير ٥/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢ - ٢) سقط من : ح ، م .

(٣) قبله فى ح ، م ، ص : « إذ » .

(٤) التفسير ٥/ ٢٧٨.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾
وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن
شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] [القصص: ١٤- ١٧]. لمّا ذكر تعالى أنه أنعم على أُمِّه بردِّه إليها، وإحسانِه بذلك، وامتنانِه عليها، شرَع فى ذِكْرِ أنه لمّا بلَغَ أَشُدَّه واستوَى؛ وهو احتكامُ الخَلْقِ والخُلُقِ، وهو سنُّ الأربعين، فى قولِ الأكثرينَ، آتاهُ اللَّهُ حُكْمًا وعلمًا؛ وهو النُّبوةُ والرسالةُ التى كان بشَّر بها أمَّه، حيثُ قال: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾. ثم شرَع فى ذكرِ سببِ خروجِه من بلادِ مصرَ، وذَهابِه إلى أرضِ مَدْيَنَ وإقامتِه هنالِك، حتى كَمَلَ الأجلُ، وانقضَى الأمَدُ، وكان ما كان مِن كلامِ اللَّهِ له، وإكرامِه بما أكرَمَه به كما سيأتى.

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾. قال ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمةُ، وقَتادةُ، والسُّدِّىُّ: وذلك نصفَ النهارِ. [2]وفى روايةٍ[2] عن ابنِ عباسٍ: بينَ العِشاءَيْنِ[3] ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ أى؛ يَتضاربان ويَتهاوشان ﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أى؛ إسرائيلىٌّ ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ أى؛ قِبْطِىٌّ. قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّىُّ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ

---

(١) التفسير ٦/ ٢٣٤، ٢٣٥.
(٢ - ٢) سقط من الأصل، ح، م.
(٣) تفسير الطبرى ٢٠/ ٤٤. التفسير ٦/ ٢٣٥.

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ وذلك أن موسى، عليه السلامُ، كانت له بديارِ مصرَ صَوْلَةٌ؛ بسببِ نسبتِه إلى تَبَنِّى فرعونَ له وتربيتِه فى بيتِه، وكانت بنو إسرائيلَ قد عَزُّوا وصارت لهم وَجَاهةٌ، وارتفَعت رءوسُهم بسببِ أنهم أرضَعُوه، وهم أخوالُه، أى من الرَّضاعةِ، فلمَّا اسْتَغاثَ ذلك الإسرائيلىُّ موسى، عليه السلامُ، على ذلك القِبْطِىِّ، أقبَل إليه موسى ﴿ فَوَكَزَهُۥ ﴾ قال مُجاهدٌ: أى طَعَنه بجُمْعِ[1] كَفِّه. وقال قَتادةُ: بِعَصًا كانت معه ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أى؛ فمات منها. وقد كان ذلك القِبْطِىُّ كافرًا مشركًا باللَّهِ العظيمِ، ولم يُرِدْ موسى قَتْلَه بالكليةِ، وإنما أراد زَجْرَه ورَدْعَه، ومع هذا قال موسى: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ [١/ ١٤٩ظ] بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾. [2]أى، مِن العزِّ والجاهِ[2] ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] [القصص: ١٨ - ٢١]. يخبرُ تعالى

---

(١) فى ح، ص: «بجميع».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.
(٣) التفسير ٦/ ٢٣٥، ٢٣٦.

أنّ موسى أصْبَح بمدينةِ مصرَ خـائفًا أى مِن فرعونَ ومَلَئِه ، أن يعلموا أن هذا القتيلَ الذى رُفِع إليه أمرُه إنما قتَلَه موسى فى نُصْرةِ رجلٍ مِن بنى إسرائيلَ ، فتَقْوَى ظُنونُهم أنَّ موسى مِنهم ويَتَرَتَّبَ على ذلك أَمرٌ عظيمٌ ، فصار يسيرُ فى المدينةِ فى صبيحةِ ذلك اليومِ ﴿ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أى ؛ يَتلفَّتُ . فبينَما هو كذلك ، إذا ذلك الرجلُ الإِسْرائيليُّ الذى استَنْصَره بالأمْسِ ﴿ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ أى ؛ يَصرُخُ به ، ويَستغيثُه على آخَرَ قد قاتَلَه ، فعنَّفه موسى ولامَه على كَثْرةِ شرِّه ، ومُخاصَمَتِه ، قال له :﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، ثُم أرادَ أن يَبْطِشَ بذَلك القِبْطىِّ ، الذى هو عدوٌّ لموسى وللإِسرائيلىِّ ، فيَرْدَعَه عنه ويُخلِّصَه منه ، فلما عزَم على ذلك وأقبَل على القِبْطىِّ ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩] ، قال بعضُهم : إنما قال هذا الكلامَ الإِسرائيلىُّ الذى اطَّلَع على ما كان صنَع موسى بالأمسِ ، وكأنَّه لما رأَى موسى مُقْبِلًا إلى القِبطىِّ ، اعتقَد أنه جاءَ إليه لمَّا عنَّفه قبلَ ذلك بقولِه : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ . فقال ما قال لموسى ، وأَظْهَر الأمرَ الذى كان وقَع بالأمسِ ، فذهب القِبطىُّ (١ فاستَعْدَى فِرعونَ على موسى ١) . وهذا الذى لم يَذْكُرْه كَثيرٌ من الناسِ سواه . ويَحتمِلُ أنَّ قائلَ هذا هو القِبْطىُّ ، وأنَّه لمَّا رآه مُقْبِلًا إليه خافَه ؛ ورأَى مِن سَجيَّتِه انتصارًا جيِّدًا للإِسرائيلىِّ ، فقال ما قال مِن بابِ الظَّنِّ والفِراسةِ ، أنَّ هذا لعلَّه قاتلُ ذاك القتيلِ بالأمسِ ، أو لعلَّه فَهِم من كلامِ الإِسْرائيلىِّ ، حينَ اسْتَصْرَخَه عليه ، ما دَلَّه على هذا . واللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أن فرعونَ بلَغه أن موسى هو قاتلُ ذلك المقتولِ بالأمسِ ، فأرسَلَ

(١ - ١) فى النسخ : « فاستعدى موسى إلى فرعون » . والمثبت كما فى قصص الأنبياء للمصنف ٢/ ١٤. لتستقيم العبارة .

فى طلبِه ، وسَبَقَهم رجلٌ ناصحٌ من طريقٍ أقربَ إليه ، ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ ساعيًا إليه مشفقًا عليه [١/١٥٠و] فقال : ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ ﴾ أى ؛ مِن هذه البلدةِ ﴿ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ أى ؛ فيما أقولُهُ لك . قال اللَّهُ تعالى : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أى ؛ فخرَج مِن مدينةِ مصرَ مِن فورِه ، على وجهِه ، لا يَهتدِى إلى طريقٍ ولا يَعرِفُه ، قائلًا : ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] [القصص : ٢٢- ٢٤] . يُخبِرُ تعالى عن خروجِ عبدِه ورسولِه وكَلِيمِه مِن مصرَ ﴿ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أى ؛ يَتَلَفَّتُ خَشْيةَ أنْ يُدرِكَه أحدٌ مِن قومِ فرعونَ ، وهو لا يَدرِى أين يتوجَّهُ ، ولا إلى أين يذهبُ ؛ وذلك لأنَّه لم يَخرجْ من مصرَ قبلَها ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [2]أى ؛ اتَّجَه له طريقٌ يذهبُ فيه[2] ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . أى ؛ عسى أن تكونَ هذه الطريقُ مُوَصِّلةً إلى المَقْصودِ . وكذا وقَع ، أوْصَلَتْه إلى مقصودٍ ، وأىُّ مقصودٍ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ وكانت بئرًا يَسْتَقُون منها . ومَدْيَنُ هى المَدينةُ التى أهلك اللَّهُ فيها أصحابَ الأَيْكَةِ ، وهم قومُ شُعَيْبٍ عليه السلامُ ، وقد

---

(١) التفسير ٦/ ٢٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ا .

كان هلاكُهم قبلَ زمنِ موسى، عليه السلامُ، فى أحدِ قَوْلَيِ العلماءِ. ولمّا ورد الماءَ المذكورَ ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أى؛ تُكَفكِفانِ غَنَمَهما أن تَخْتَلِطَ بغَنَمِ الناسِ.[1] وعندَ أهلِ الكتابِ[2]، أنهنَّ كُنَّ سبعَ بَناتٍ. وهذا أيضًا مِن الغَلَطِ. ولَعَلَّه كان له سَبْعٌ، ولكن إنما كان تَسْقى اثنتانِ منهنَّ. وهذا الجمعُ ممكنٌ إن كان ذلك محفوظًا، وإلا فالظاهرُ أنَّه لم يَكُنْ له سوى بنتين[1].

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ أى؛ لا نَقدِرُ على وِرْدِ الماءِ إلا بعدَ صُدُورِ الرِّعاءِ؛ لِضَعفِنا، وسببُ مُباشَرَتِنا هذه الرَّعِيَّةَ ضَعفُ أبينا وكِبَرُه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾. قال المفسِّرون: وذلك أن الرِّعاءَ كانوا إذا فرَغُوا مِن وِرْدِهم، وضَعوا على فَمِ البئرِ صَخْرةً عَظِيمةً، فتجيءُ هاتانِ المرأتانِ فيُشْرِعان غنمَهما فى فضلِ أغنامِ الناسِ، فلمّا كان ذلك اليومُ جاء موسى فرفَع تلك الصخْرةَ وحدَه، ثُم استَقَى لهما، وسقَى غَنَمَهما، ثُم رَدَّ الصخْرةَ كما كانت. قال أميرُ المؤمنين عُمَرُ: وكان لا يَرْفَعُه إلا عشَرةٌ[3]. وإنما [١/١٥٠ظ] استَقَى ذَنُوبًا واحدًا فكَفَاهما، ثم تولَّى إلى الظِّلِّ. قالوا: وكان ظلَّ شجرةٍ من السَّمُرِ[4]. وروَى ابنُ جريرٍ[5]،

(١ - ١) سقط من: ح.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢/ ١٦.

(٣) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف ١١/ ٥٣٠ مطولًا. وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٢٤، ١٢٥ وعزاه لابن أبى حاتم والحاكم وغيرهما.

وقال ابن كثير فى التفسير ٦/ ٢٣٧: إسناد صحيح.

(٤) فى الأصل: «الشمس».

(٥) فى تفسيره ٢٠/ ٥٨.

عن ابنِ مَسعودٍ، أنه رآها خَضْراءَ تَرِفُّ. ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. قال ابنُ عباسٍ: سار مِن مصرَ إلى مَدْيَنَ، لم يأكلْ إلا البَقْلَ ووَرَقَ الشجرِ، وكان حافيًا فسقَطَتْ نَعْلَا قدَمَيْه من الحَفاءِ، وجلَسَ فى الظِّلِّ، وهو صفوةُ اللَّهِ مِن خَلْقِه، وإنَّ بطنَه لاصقٌ بظَهْرِه مِن الجوعِ، وإنَّ خُضْرةَ البَقْلِ لَتُرَى مِن داخلِ جَوْفِه، وإنه لمُحتاجٌ إلى شِقِّ تمرةٍ[1]. قال عطاءُ بنُ السَّائبِ[2]: لمّا قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. أَسْمَعَ المرأةَ.

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٥- ٢٨]. لمَّا جلَس موسى، عليه السّلامُ، فى الظِّلِّ، وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. سَمِعَته المرْأتان، فيما قيل، فذهَبَتا إلى أبيهما، فيقالُ: إنَّه استَنكَر سرعةَ رُجوعِهما، فأخبَرَتاه ما كان من أمرِ موسى عليه السلامُ، فأمَرَ إحداهما أن تذهبَ إليه فتدعُوَه ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى

---

(١) رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٠/٥٩ مختصرًا، وأورده فى الدر المنثور ٥/١٢٥ مختصرًا أيضًا، وعزاه إلى أحمد فى الزهد وابن أبى حاتم وابن المنذر، كلهم من قول ابن عباس.

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٠/٥٩.

ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ أى ؛ مَشْىَ الحَرَائِرِ. [1] قال عمرُ، رَضِىَ اللَّهُ عنه : تَسْتُرُ وجْهَها بكُمِّ دِرعِها [1][2] ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ صرَّحَتْ له بهذا ؛ لِئلَّا يُوهِمَ كلامُها رِيبةً، وهذا مِن تمامِ حيائِها وصيانتِها. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ أى ؛ وأخبرَه خبَرَه، وما كان من أمرِه ؛ فى خروجِه مِن بلادِ مصرَ فِرارًا من فِرعونِها، قال له ذلك الشيخُ [3] : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أى ؛ خرجتَ مِن سُلْطانِهم، فلستَ فى دَوْلَتِهم.

وقد اخْتَلفوا فى هذا الشيخِ ؛ مَن هو؟ فَقيل : هو شُعَيْبٌ، عليه السلامُ. وهذا هو المشهورُ عندَ كثيرين. ومِمَّن نَصَّ عليه الحسنُ البصرىُّ، ومالكُ بنُ أنسٍ، وجاء مصرَّحًا به فى حديثٍ [4] ، ولكنْ فى إسنادِه نَظَرٌ. وصرَّح طائفةٌ بأنَّ شُعَيْبًا، عليه السلامُ، عاش عُمْرًا طَويلًا بعدَ هلاكِ قومِه، حتى أدرَكَه موسى، عليه السلامُ، وتزوَّج بابنتِه. وروَى ابنُ أبى حاتمٍ وغيرُه [5] ، عن الحسنِ البصرىِّ، أنَّ صاحبَ موسى، عليه السلامُ، هذا اسمُه [١/١٥١و] شُعَيبٌ، وكان سيدَ الماءِ، ولكن ليس بالنبىِّ صاحبِ مَدْيَنَ. وقيل : إنه ابنُ أخى شُعَيْبٍ. وقيل : ابنُ عمِّه. وقيل : رجلٌ مؤمنٌ مِن قومِ شُعَيْبٍ. وقيل : رجلٌ

(١ - ١) زيادة من حاشية الأصل.

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٠/ ٦٠.

(٣) انظر التفسير ٦/ ٢٣٨.

(٤) ذكره المصنف فى تفسيره ٦/ ٢٤٢، ٢٤٣. وعزاه إلى البزار وابن أبى حاتم. وانظر الدر المنثور ٥/ ١٢٦.

(٥) ذكره فى الدر المنثور ٥/ ١٢٦. وعزاه لابن أبى حاتم وابن المنذر. ورواه ابن جرير فى تفسيره ٢٠/ ٦٢.

اسمُه يثرونُ . هكذا هو فى كتبِ أهلِ الكتابِ[1] : يثرونُ كاهنُ مَدْيَنَ . أى ؛ كبيرُها وعالِمُها . قال ابنُ عباسٍ ، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ عبدِ اللَّهِ : اسمُه يثرونُ . زاد أبو عُبَيْدَةَ : وهو ابنُ أخى شعيبٍ . زاد ابنُ عباسٍ : صاحبُ مَدْيَنَ .

والمقصودُ أنه لمَّا أضافه وأكرمَ مثواه ، وقصَّ عليه ما كان من أمرِه ، بشَّره بأنه قد نجا ، فعندَ ذلك قالت إحدى البِنْتَيْنِ لأبيها ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ أى ؛ لرَعْيِ غنمِك . ثم مدَحته بأنَّه قويٌّ أمينٌ . قال عُمَرُ ، وابنُ عباسٍ ، وشُرَيْحٌ القاضى ، وأبو مالكٍ ، وقَتادةُ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، وغيرُ واحدٍ : لَمَّا قالت ذلك قال لها أبوها : وما عِلْمُك بهذا ؟ فقالت : إنه رفَع صخرةً لا يُطيقُ رَفْعَها إلا عشَرةٌ ، وإنَّه لمَّا جِئتُ معه تقدَّمْتُ أمامَه ، فقال : كونى مِن ورائى ، فإذا اختلف الطريقُ فاحْذِفِى لى بحصاةٍ أَعْلَمْ بها كيف الطريقُ . قال ابنُ مسعودٍ : أفرسُ الناسِ ثلاثةٌ ؛ صاحبُ يوسفَ حين قال لامرأتِه : ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ ، وأبو بكرٍ حين استَخْلَف عمرَ بنَ الخطابِ[2] .

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ استدلَّ بهذا جماعةٌ من أصحابِ أبى حنيفةَ ، رحِمه اللَّهُ ، على صحةِ ما إذا باعه أحدَ هذَيْن العبدَيْنِ أو الثوْبَيْنِ ، ونحوَ ذلك ، أنه يَصِحُّ ؛ لقولِه : ﴿ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾ وفى هذا نَظَرٌ ؛ لأن هذه مراوَضةٌ لا معاقَدةٌ .

---

(١) سفر الخروج الأصحاح ٣/ ١.

(٢) تقدم تخريجه ١/ ٤٦٧.

واللَّهُ أعلمُ. واستَدَلَّ أصحابُ أحمدَ على صحة الإيجارِ بالطُّعْمةِ والكُسْوةِ، كما جرَت به العادةُ، واستأنسوا بالحديثِ الذى رواه ابنُ ماجَه[1] فى «سننِه» مترجِمًا فى كتابه «بابُ استئجارِ الأجيرِ على طعامِ بطنِه»: حدَّثنا محمدُ بنُ المُصَفَّى الحِمْصِىُّ، حدثَّنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ، عن مَسْلَمَةَ بنِ عَلِىٍّ، عن سعيدِ بنِ أبى أيُّوبَ، عن الحارثِ بنِ يزيدَ، عن علىِّ بنِ رَبَاحٍ، قال: سمعتُ عُتْبَةَ بنَ النُّدَّرِ[2] يقولُ: كنَّا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقرأ «طسم»[3] حتى إذا بلَغ قصةَ موسى قال: «إنَّ موسى، عليه السلامُ، آجَرَ نفسَه ثمانىَ سِنِينَ، أو عَشْرًا، على عفّةِ فرجِهِ وطعامِ بطنِه». وهذا من هذا الوجهِ لا يصحُّ؛ لأن مَسْلَمَةَ بنَ عَلِىٍّ الخُشَنىَّ الدمشقىَّ البَلَاطىَّ ضعيفٌ عندَ [١٥١/١ظ] الأئمةِ، لا يُحْتَجُّ بتفردِه، ولكن قد رُوِى مِن وجهٍ آخرَ؛ فقال ابنُ أبى حاتمٍ[4]: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا يَحيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكَيْرٍ[5]، حدَّثنى ابنُ لَهِيعَةَ، (ح). وحدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا صَفْوانُ، حدَّثنا الوليدُ؛ حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ لَهِيعَةَ، عن الحارثِ بنِ يزيدَ الحَضْرَمىِّ، عن علىِّ بنِ رَباحٍ اللَّخْمِىِّ، قال: سمعتُ عُتْبَةَ بنَ النُّدَّرِ السُّلمىَّ، صاحبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يُحدِّثُ أنّ رسولَ اللَّهِ قال: «إن موسى، عليه السلامُ، آجَرَ نَفْسَه لعفةِ فَرْجِه وطُعْمَةِ بَطْنِه».

---

(١) ابن ماجه (٢٤٤٤). (ضعيف ابن ماجه ٥٣٣)، وانظر الإرواء (١٤٨٨).

(٢) فى الأصل: «العدد»، وفى م: «الدر».

(٣) فى ح، م، ص: «طس».

(٤) ذكره المصنف فى تفسيره ٢٤٢/٦ من كلا الطريقين وعزاه لابن أبى حاتم. وأورده السيوطى فى الدر المنثور ١٢٦/٥ وعزاه أيضًا لابن أبى حاتم.

(٥) فى ح، م: «بكر».

ثُم قال تعالى[1] : ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٨]. يقولُ: إن موسى قال لصِهْرِه: الأمرُ على ما قلتَ، فأيَّهما قضيتُ فلا عدوانَ عليَّ، واللَّهُ على مقالتِنا سامعٌ وشاهِدٌ، ووكيلٌ عليَّ وعليك. ومع هذا فلم يَقْضِ موسى إلا أكملَ الأجلَيْنِ وأتمَّهما، وهو العشرُ سنينَ كواملَ تامَّةً.

قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ عَبدِ الرَّحيمِ، حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ، حدَّثنا مَرْوانُ بنُ شُجَاعٍ، عن سالمٍ الأَفْطَسِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، قال: سألَني يهوديٌّ من أهلِ الحيرةِ: أيَّ الأجلَيْنِ قضَى موسى؟ فقلتُ: لا أدْرى، حتى أَقْدَمَ على حَبْرِ العربِ فأَسألَه. فقَدِمتُ، فسألتُ ابنَ عباسٍ، فقال: قضَى أَكثَرَهما وأَطيَبَهما، إنّ رسولَ اللَّهِ إذا قال فعَل. تفرَّدَ به البخاريُّ من هذا الوجهِ. وقد رواه النَّسائيُّ[3] فى حديثِ الفُتُونِ، كما سيأتى مِن طريقِ القاسمِ ابنِ أبى أيوبَ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ به[4]. وقد رَواه ابنُ جريرٍ، عن أحمدَ بنِ محمدٍ الطُّوسيِّ، وابنُ أبى حاتمٍ[5] عن أبيه، كلاهما عن الحُمَيْدِيِّ، عن سفيانَ ابنِ عُيَيْنةَ، حدثنى إبراهيمُ بنُ يحيى بنِ أبى يعقوبَ، عن الحكَمِ بنِ أَبَانَ، عن عِكرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «سألتُ جبريلَ: أيَّ الأجلَيْنِ قضى موسى؟ قال: أتَمَّهما وأكملَهما». وإبراهيمُ هذا غيرُ معروفٍ إلا

---

(١) التفسير ٦/ ٢٤١.

(٢) البخارى (٢٦٨٤).

(٣) انظر تخريجه فى صفحة ١٨١.

(٤) سقط من: ح، م.

(٥) ابن جرير فى تفسيره ٢٠/٦٨ وتاريخه ١/ ٣٩٩. وعزاه فى الدر المنثور ٥/١٢٦ إلى ابن أبى حاتم. والمصنف فى تفسيره ٦/ ٢٤١. صحيح (صحيح الجامع ٣٥٨٥).

بهذا الحديثِ . وقد رواه البَزَّارُ[1] عن أحمدَ بنِ أَبانَ القُرَشيِّ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن إبراهيمَ بنِ أَعْيَنَ ، عن الحكَمِ بنِ أَبَانَ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، فذكَره . وقد روَاهُ سُنَيْدٌ[2] عن حجَّاجٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ مُرسَلًا ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سأَل عن ذلك جبريلَ ، فسأَل جبريلُ إسرافيلَ ، فسأَل إسرافيلُ الرَّبَّ ، عز وجلَّ ، فقال : « أبرَّهما وأوفاهما » . وبنحوِه رَواه ابنُ أبى حاتمٍ مِن حديثِ يوسفَ بنِ سَرْجٍ مرسَلًا . ورواه ابنُ جَريرٍ[3] من طريقِ محمدِ بنِ كعبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل : أىَّ الأجلَيْن قضى موسى ؟ [١٥٢/١و] قال : « أوفاهما وأتمَّهما » . وقد رَواه البزَّارُ وابنُ أبى حاتمٍ[4] ، من حديثِ عُوَيْدِ بنِ أبى عِمْرانَ الجَوْنىِّ - وهو ضعيفٌ - عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ ، عن أبى ذرٍّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سُئل : أىَّ الأجلَيْن قضى موسى ؟ قال : « أوْفاهما وأبرَّهما » . قال : « وإن سُئلتَ : أىَّ المرْأتَيْن تزوَّجَ ؟ فقل : الصغرى منهما » . وقد رواه البزَّارُ وابنُ أبى حاتمٍ[5] من طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ لَهِيعَةَ ، عن الحارثِ بنِ يزيدَ الحَضْرَمىِّ ، عن علىِّ بنِ رَبَاحٍ ، عن عُتْبَةَ بنِ النُّدَّرِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إن موسَى آجَرَ نفسَه بعفَّةِ فَرْجِه وطعامِ

---

(١) كشف الأستار (٢٢٤٥) . وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٨٧: رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان وهو ثقة ، ورواه البزار .

(٢) فى ص : « مسدد » . والحديث رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٠/ ٦٨، ٦٩. من طريق سنيد به .

(٣) فى تفسيره ٢٠/ ٦٨.

(٤) كشف الأستار (٢٤٤٤) . وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٨٨: فيه إسحاق بن إدريس وهو متروك ، ورواه الطبرانى فى الصغير والأوسط بأطول من هذا ، وإسناده حسن . وعزاه فى الدر المنثور ١٢٧/٥ إلى ابن أبى حاتم .

(٥) كشف الأستار (٢٢٤٦) . وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٨٧، ٨٨: رواه البزار والطبرانى ... وفى إسنادهما ابن لهيعة ، وفيه ضعف وقد يحسن حديثه ، وبقية رجالهما رجال الصحيح .

وعزاه فى الدر المنثور ١٢٦/٥ إلى ابن أبى حاتم .

بَطْنِه . فلمَّا وفىَّ الأجَلَ » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، أىَّ الأجلَيْنِ ؟ قال : « أبرَّهما وأوفاهما ، فلمَّا أراد فِراقَ شُعَيْبٍ ، أمَر امرأتَه أن تسألَ أباها أن يُعْطِيَها من غنمِه ما يعيشون به ، فأعْطاها [1]ما ولَدَتْ غَنَمُه[1] مِن قالبِ لونٍ[2] مِن وَلَدِ ذلك العامِ ، وكانت غنمُه سُودًا حِسانًا ، فانطلَقَ موسى ، عليه السلامُ ، إلى عصًا قسَمها من طرَفِها ، ثُم وضَعها فى أدنَى الحَوضِ ، ثُم أوْرَدَهَا فسقاها ، ووَقَف موسى ، عليه السلامُ ، بإزاءِ الحوضِ ، فلم تَصْدُرْ منها شاةٌ إلا ضرَبَ جَنْبَها شاةً شاةً قال : فأتأَمَت وأثْلَثَت[3] ووضَعت كلُّها قَوالبَ ألوانٍ ، إلا شاةً أو شاتَيْنِ ؛ ليس فيها فَشُوشٌ ، ولا ضَبُوبٌ ، ولا عَزُوزٌ ، ولا ثَعُولٌ ، ولا كَمْشةٌ تَفُوتُ الكفَّ » . قال النبىُّ ﷺ : « لو افْتَتَحْتُم الشامَ وَجَدتُم بقايا تلك الغنمِ ، وهى السّامِرِيَّةُ » . قال ابنُ لَهِيعةَ : الفَشُوشُ : واسعةُ الشَّخْبِ . والضَّبوبُ : طويلةُ الضَّرْعِ تجرُّه . والعَزُوزُ : ضيِّقةُ الشّخبِ . والثَّعُولُ : الصَّغيرةُ الضَّرْعِ كالحلَمتَيْنِ . والكَمْشَةُ التى لا يُحكَمُ الكفُّ على ضَرْعِها لصِغَرِه . وفى صحةِ رفعِ هذا الحديثِ نَظَرٌ ، وقد يكونُ موقوفًا[4] ، كما قال ابنُ جريرٍ[5] : حدثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدثنا مُعَاذُ بنُ هشامٍ ، حدثنا أبى ، عن قَتادةَ ، حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، قال : لمّا دعا نبىُّ اللَّهِ موسى صاحبَه إلى الأجلِ الذى كان بينَهما ، قال له صاحبُه : كلُّ شاةٍ ولدَتْ على لونِها فلَك ولدُها . فَعَمَد فوضَع خيالًا على الماء ، فلمّا رأتِ الخيالَ فَزِعَتْ ، فجالت جَوْلةً ، فولَدْنَ كلُّهن بُلْقًا إلا شاةً واحدةً ،

(١ - ١) فى الأصل ، ح ، م : « ما ولدت من غنمه » . وفى ص : « ولد من ولدت من غنمه » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣١٤/٢٥ .

(٢) قالب لون : ما لونها على غير لون أمها .

(٣) فى الأصل : « وأثبت » ، وفى باقى النسخ : « وأنثت » . والمثبت من الدر المنثور ، وتفسير ابن كثير ٦/ ٢٤٣. وأتأمت الحامل : ولدت أكثر من واحد فى بطن واحد . وأثلثت الحامل : ولدت الثالث .

(٤) فى ا : « مرفوعًا » .

(٥) فى تفسيره ٢٠/ ٦٩.

فذهَب بأولادِهنَّ ذلك العامَ . وهذا إسنادٌ رجالُه ثقاتٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد تقدَّم ، عن نقلِ أهلِ الكتابِ[1] ، عن يعقوبَ عليه السلامُ ، حين فارَقَ خالَه لابانَ ، أنه أَطْلَق له ما يُولَدُ مِن غنَمِه بُلْقًا ، ففعَل نحوَ ما ذُكِر عن [١/١٥٢ظ] موسى ، عليه السلامُ ، فاللَّهُ أعلمُ .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[2] [القصص: ٢٩- ٣٢] .

تقدَّمَ أن موسى قضى أتمَّ الأجلين وأكملَهما ، وقد يُؤخَذُ هذا من قولِه : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ . وعن مُجاهِدٍ ، أنه أكمَل عشرًا ، وعشرًا بعدَها . وقولُه : ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ أى ؛ مِن عندِ صِهْرِه ذاهِبًا ، فيما ذكَره غيرُ واحدٍ من المفسِّرين وغيرِهم ، أنه اشتاق إلى أهلِه ، فقصَد زيارتَهم ببلادِ مصرَ ، فى صورةِ مُخْتَفٍ ، فلمّا سار بأهلِه ، ومعه وِلدانٌ منهم ، وغنمٌ قد استفادها مدةَ مُقامِه . قالوا : واتَّفَقَ ذلك فى ليلةٍ مظلمةٍ باردةٍ ، وتاهُوا فى طريقِهم ، فلم يَهتدوا إلى

---

(١) تقدم فى ١/ ٤٥٠، ٤٥١. وهو عند أهل الكتاب فى سفر الخروج الأصحاح ٣/ ٦.
(٢) التفسير ٦/ ٢٤٣- ٢٤٥.

السُّلوكِ فى الدَّرْبِ المألوفِ ، وجعَل يُورِى زِنادَه فلا يُورِى شيئًا ، واشتَدَّ الظلامُ والبردُ ، فبينَما هو كذلك إذْ أَبْصَر عن بُعْدٍ نارًا تَأَجَّجُ فى جانبِ الطُّورِ ، وهو الجبلُ الغربىُّ منه عن يمينِه ، فقال لأهلِه : ﴿ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ وكأنه - واللَّهُ أعلمُ - رآها دونَهم ؛ لأن هذه النارَ هى نورٌ فى الحقيقةِ ، ولا تَصلُحُ رؤيتُها لكلِّ أحدٍ ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أى ؛ لعلِّى أَسْتَعْلِمُ مَن عندَها عن الطريقِ ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فدَلَّ على أنَّهم كانوا قد تاهُوا عن الطريقِ فى ليلةٍ باردةٍ ومظلمةٍ ؛ لقولِه فى الآيةِ الأخرى[1] : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ٩، ١٠] . فدلَّ على وجودِ الظلامِ ، وكونِهم تاهُوا عن الطريقِ .

وجَمَع الكُلَّ فى سورةِ « النملِ » فى قولِه تعالى[2] : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [١٥٣/١و] [النمل : ٧] . وقد أتاهم منها بخبرٍ ، وأىُّ خبرٍ ؟ ووجد عندَها هدًى ، وأىُّ هدًى ؟ واقتبَس منها نورًا ، وأىُّ نورٍ ؟ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . وقال تعالى فى « النمل »[3] : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [النملِ : ٨] .

---

(١) التفسير ٥/ ٢٧٠.
(٢) التفسير ٦/ ١٩٠.
(٣) التفسير ٦/ ١٩٠.

أى ؛ سبحانَ اللَّهِ الذى يفعلُ ما يشاءُ ويَحكُمُ ما يُريدُ . ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [النمل: ٩] . وقال فى سورةِ « طه »[(١)] : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١١- ١٦] . قال غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرين ، من السلفِ والخلفِ : لمَّا قصَد موسى إلى تلك النارِ التى رآها ، فانتَهَى إليها ، وجدها تَأَجَّجُ فى شجرةٍ خضراءَ من العَوْسَجِ[(٢)] ، وكلُّ ما لتلك النارِ فى اضطِّرامٍ ، وكلُّ ما لخُضْرةِ تلك الشجرةِ فى ازديادٍ ، فوقَف متعجِّبًا ، وكانت تلك الشجرةُ فى لِحْفِ[(٣)] جبلٍ غربىٍّ[(٤)] عن يمينِه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [القصص: ٤٤] . وكان موسى فى وادٍ اسمُه طُوًى ، فكان موسى مُستقبِلَ القبلةِ ، وتلك الشجرةُ عن يمينِه من ناحيةِ الغربِ ، فناداه ربُّه بالوادِ المقدَّسِ طُوًى ، فأُمِر أولًا بخَلْعِ نَعْلَيْه ؛ تعظيمًا وتكريمًا وتوقيرًا لتلك البقعةِ المبارَكةِ ، ولا سِيَّما فى تلك الليلةِ المبارَكةِ . وعندَ أهل الكتاب[(٥)] أنه وضَع يدَه على وجهِهِ من شدةِ ذلك النورِ ؛ مهابةً له ، وخوفًا على بصرِه .

---

(١) التفسير ٥/ ٢٧٠- ٢٧٣.
(٢) العوسج : جنس نبات شائك . الوسيط (عوسج) .
(٣) لحف - بكسر اللام - أصل الجبل . القاموس المحيط (ل ح ف) .
(٤) بعده فى الأصل، ح، م، ص : « منه » .
(٥) سفر الخروج الأصحاح ٣/ ٦.

ثُم خاطَبه تعالى كما يشاءُ قائلًا له: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ أى؛ أنا اللَّهُ ربُّ العالَمين، الذى لا تَصْلُحُ العبادةُ وإقامةُ الصلاةِ إلا له. ثُم أخبَرَه أنَّ هذه الدنيا ليست بدارِ قَرَارٍ، وإنما الدارُ الباقيةُ يومَ القيامةِ، التى لا بدَّ من كونِها ووجودِها ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ أى؛ مِن خيرٍ وشرٍّ. وحضَّه وحثَّه على العملِ لها، ومُجانبةِ مَن لا يُؤمِنُ بها، ممَّن عَصَى مولاه، واتَّبَع هَواه. ثُم قال له مخاطبًا ومؤانِسًا، ومُبيِّنًا له أنه القادرُ على كلِّ شَيْءٍ الذى يقولُ للشيءِ: كنْ. فيكونُ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧]. أى؛ أَمَا هذه عصاك التى تَعرِفُها منذُ صَحِبْتَها؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ١٨]. أى؛ بل هذه عصاى التى أعرفُها وأَتحقَّقُها ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٩، ٢٠]. وهذا خارِقٌ عظيمٌ، وبرهانٌ قاطعٌ على أن الذى يكلِّمُه هو الذى يقولُ للشيءِ: كنْ. فيكونُ، وأنه الفعَّالُ بالاختيارِ.

وعندَ أهلِ الكتابِ[1] أنه سأل [١٥٣/١ظ] برهانًا على صدقِه عندَ مَن يكذِّبُه مِن أهلِ مصرَ، فقال له الربُّ، عزَّ وجلَّ: ما هذه التى فى يَدِك؟ قال: عصاىَ. قال: أَلْقِها إلى الأرضِ ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ فهرَب موسى مِن قُدَّامِها، فأمَره الربُّ، عزَّ وجلَّ، أن يَبْسُطَ يدَه ويأخذَها بذَنَبِها، فلمَّا استَمْكَنَ مِنها ارتدت عصًا فى يدِه. وقد قال اللَّهُ تعالى فى الآيةِ الأخرى[2]: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ

---

(١) سفر الخروج الأصحاح ٤/ ١.
(٢) التفسير ٦/ ٢٤٥.

يُعَقِّبْ ﴾ أى ؛ صارت حَيَّةً عظيمةً ، لها ضَخامةٌ هائِلةٌ ، وأنْيابٌ تَصْطَكُّ[1] ، وهى مع ذلك فى سُرعةِ حركةِ الجانِّ ؛ وهو ضربٌ من الحيَّاتِ ، يقالُ له : الجانُّ والجنانُ . وهو لَطيفٌ ، ولكنه سريعُ الاضطرابِ والحركةِ جدًّا ، فهذه جمعَت الضخامَةَ والسرعةَ الشديدةَ ، فلمّا عايَنَها موسى ، عليه السلامُ ، ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ أى ؛ هاربًا مِنها ؛ لأن طبيعتَه البشريةَ تَقْتَضى ذلك ، ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أى ؛ ولم يلْتَفِتْ ، فناداه ربُّه قائلًا له : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ فلما رجع أمره اللهُ تعالى أن يُمسِكَها ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ فيقالُ : إنه هابَها شديدًا ، فوضَع يدَه فى كُمِّ مِدْرَعَتِه ، ثُم وضَع يدَه فى وسَطِ فَمِها - وعند أهلِ الكتابِ[2] : بذَنَبِها - فلمَّا استَمْكَنَ منها ، إذا هى قد عادت كما كانت عصًا ذاتَ شُعْبَتَيْنِ . فسبحانَ القديرِ العظيمِ ، ربِّ المشرِقَيْنِ وربِّ المغْرِبَيْنِ . ثُم أمَره تعالى بإدخالِ يدِه فى جَيْبِه ، ثُم أمَره بنَزْعِها فإذا هى تَتَلألأُ كالقمرِ بَياضًا ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أى ؛ من غيرِ بَرَصٍ ولا بَهَقٍ . ولهذا قال : ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ قيل : معناه إذا خِفْتَ ، فضَعْ يَدَكَ على فؤادِك ، يَسْكُنْ جأشُك . وهذا وإن كان خاصًّا به ، إلا أنَّ بِبَرَكَةِ الإيمانِ به حَقَّ الإيمانِ[3] يَنْتَفِعُ مَن استَعمل ذلك على وجهِ الاقتداءِ بالأنبياءِ . وقال فى سورةِ « النملِ »[4] : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ

---

(١) تصطك : تضطرب . الوسيط (ص ك ك) .
(٢) سفر الخروج الأصحاح ٤/ ١- ٤.
(٣) فى ح ، م : « بأن » .
(٤) التفسير ٦/ ١٩١.

غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢].

أى؛ هاتانِ الآيتانِ وهما العصَا واليدُ، وهما البُرهانانِ المشارُ إليهما فى قولِه: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ ومع ذلك سبعُ آياتٍ أُخَرَ، فذلك تسعُ آياتٍ بيِّناتٍ، وهى المذكورةُ فى آخرِ سورةِ «سبحان» حيثُ يقولُ تعالى[1]: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ [١٥٤/١و] عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢]. وهى المبسوطةُ فى سورةِ «الأعرافِ» فى قولِه: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠- ١٣٣]. كما سيأتى الكلامُ على ذلك فى موضعِه. وهذه التِّسعُ الآياتُ غيرُ العشْرِ كلماتٍ؛ فإن التسعَ من آياتِ[2] اللَّهِ القَدَريَّةِ، والعشْرَ من كلماتِه الشَّرعيَّةِ. وإنما نبَّهْنَا على هذا؛ لأنَّه قد اشتَبَهَ أمرُها على بعضِ الرواةِ، فظنَّ أن هذه هى هذه، كما قررْنا ذلك فى تفسيرِ آخرِ سورةِ بنى إسرائيلَ[3].

---

(١) التفسير ٥/ ١٢٢.

(٢) فى ح، م: «كلمات».

(٣) التفسير ٥/ ١٢٤.

والمقصودُ أنَّ اللَّهَ سبحانَه لمَّا أمَر موسى ، عليه السلامُ ، بالذَّهابِ إلى فرعونَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] [القصص: ٣٣- ٣٥] . يقولُ تعالى مخبرًا عن عبدِه ورسولِه وكَلِيمِه موسى ، عليه السلامُ ، فى جوابِه لربِّه ، عزَّ وجلَّ ، حينَ أمَره بالذَّهابِ إلى عدوِّه ، الذى خرَج مِن ديارِ مصرَ فِرارًا من سَطْوَتِه وظُلْمِه ، حينَ كان مِن أَمْرِه ما كان فى قتلِ ذلك القِبْطىِّ ، ولهذا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ أى ؛ اجعَلْه مَعى مُعينًا ورِدْءًا ووزيرًا يساعدُنى ويُعِينُنى على أداءِ رسالتِكَ إليهم ؛ فإنه أفصَحُ مِنِّى لسانًا وأبلغُ بيانًا . قال اللَّهُ تعالى ، مُجيبًا له إلى سُؤالِه : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا ﴾ أى ؛ برهانًا ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ أى ؛ فلا ينالون مِنكما مَكْروهًا بسببِ قيامِكما بآياتِنا . وقيل : ببركةِ آياتِنا ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ . وقال فى سورةِ « طه »[2] : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٤- ٢٨] . قيل : إنه أصابه فى لسانِه لُثْغةٌ ؛ بسببِ تلك الجَمْرةِ التى وضَعها على لسانِه ، التى كان فرعونُ أراد [١/١٥٤ظ] اختبارَ عقلِه ، حينَ

---

(١) التفسير ٦/ ٢٤٥- ٢٤٧.

(٢) التفسير ٥/ ٢٧٥- ٢٧٧.

أخذَ بلحيتِه وهو صغيرٌ، فهَمَّ بقتلِه، فخافت عليه آسيةُ، وقالت: إنه طفلٌ. فاختبَرَه بوضعِ تَمْرةٍ وجَمْرةٍ بينَ يدَيْه، فهَمَّ بأخذِ التمرةِ، فصَرَفَ المَلَكُ يدَه إلى الجمرةِ، فأخَذَها، فوضَعها على لسانِه، فأصابَه لُثْغَةٌ بسببِها، فسأَل زَوالَ بعضِها بمقدارِ ما يفْهَمون قولَه، ولم يَسألْ زوالَها بالكُلِّيَّةِ. قال الحسنُ البصريُّ: والرُّسلُ إنما يَسألون بحسَبِ الحاجةِ. ولهذا بَقِيَتْ فى لسانِه بَقِيَّةٌ، ولهذا قال فرعونُ، قَبَّحه اللَّهُ، فيما زعَم أنه يَعِيبُ به الكَليمَ: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢]. أى؛ يُفصِحُ عن مرادِه، ويُعبِّرُ عمَّا فى ضميرِه وفؤادِه. ثم قال موسى، عليه السلامُ: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[1] [طه: ٢٩- ٣٦]. أى؛ قد أجَبْناك إلى جميعِ ما سألتَ، وأعطيناك الذى طلبتَ. وهذا مِن وَجَاهتِه عندَ ربِّه، عزَّ وجلَّ، حين شفَع أن يُوحِيَ اللَّهُ إلى أخيه، فأَوْحَى إليه، وهذا جاهٌ عظيمٌ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣]. وقد سَمِعَتْ أمُّ المؤمنين عائشةُ رجلًا يقولُ لأناسٍ، وهم سائرون فى طريقِ الحجِّ: أىُّ أخٍ أَمَنُّ على أخيه؟ فسكَت القومُ، فقالت عائشةُ لِمَن حوْلَ هَوْدَجِها: هو موسى بنُ عِمْرانَ حين شفَع فى أخيه أن يكونَ نبيًّا يُوحى إليه[2]. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾.

---

(١) التفسير ٥/ ٢٧٧.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/٢٧٧ بنحوه.

وقال تعالى فى سورةِ «الشُّعراءِ»[1] : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠- ١٩]. تقديرُ الكلامِ: فأتِيَاه فَقُولَا له ذلك، وبَلِّغاه ما أُرْسِلْتُما به؛ مِن دعوتِه إلى عبادةِ اللَّهِ تعالى وحدَه لا شريكَ له، وأن يَفُكَّ أُسَارَى بنى إسرائيلَ مِن قَبْضَتِه وقَهْرِه وسَطْوتِه، ويَتْرُكَهم يَعْبُدون ربَّهم حيث شاءوا، ويتفرَّغون لتوحيدِه، ودعائِه، والتضرُّعِ[2] لَدَيْه. فتكبَّر فرعونُ فى نفسِه، وعتَا وطغَى، ونظَر إلى موسى، عليه السلامُ، بعينِ الازْدِراءِ والتَنقُّصِ، قائلًا له: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ أى؛ أمَا [١/ ١٥٥و] أنت الذى ربَّيْناه فى مَنْزِلِنا وأحْسنَّا إليه، وأَنْعَمْنا عليه مدةً من الدَّهرِ؟ وهذا يدُلُّ على أن فرعونَ الذى بُعِث إليه هو الذى فَرَّ منه، خِلافًا لِمَا عندَ أهلِ الكتابِ[3] مِن أن فرعونَ الذى فرَّ منه مات فى مدةِ مُقامِه بمَدْيَنَ، وأن الذى بُعِث إليه فرعونُ آخَرُ. وقولُه: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى؛ وقتلتَ الرجلَ القِبْطِىَّ، وفرَرْتَ منَّا، وجَحَدْتَ نِعْمتَنا

---

(١) التفسير ٦/ ١٤٦.

(٢) بعده فى الأصل: «لدعائه».

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٤/ ١٩- ٢٣.

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1] أى ؛ قبلَ أن يُوحَى إلىَّ ، ويُنَزَّلَ علىَّ ، ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] [الشعراء: ٢١] . ثم قال مُجيبًا لفرعونَ عمَّا امتنَّ به عليه[2] من التربيةِ والإحسانِ إليه ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3] [الشعراء: ٢٢] . أى ؛ وهذه النعمَةُ التى ذكَرْتَ ، مِن أنك أَحسنتَ إلىَّ ، وأنا رجلٌ واحدٌ مِن بنى إسرائيلَ ، تُقابِلُ ما استخدمتَ هذا الشعبَ العظيمَ بكمالِه ، واستعبدتَهم فى أعمالِك وخدمتِك وأشغالِك .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4] [الشعراء: ٢٣- ٢٨] . يَذكرُ تعالى ما كان بينَ[5] فرعونَ وموسى ، مِن المُقاوَلةِ والمُحاجَّةِ والمُناظَرَةِ ، وما أقامَه الكَليمُ على فرعونَ اللئيمِ مِن الحُجَّةِ العَقْليةِ المَعْنويةِ ثُم الحِسِّيةِ . وذلك أن فرعونَ ، قبَّحه اللَّهُ ، أَظْهَر جَحْدَ الصانعِ تبارك وتعالى ، وزعم أنه الإلهُ ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[6] [النازعات: ٢٣، ٢٤] . وقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨] . وهو فى هذه المقالةِ معانِدٌ ،

---

(١) التفسير ٦/ ١٤٧.
(٢) ليست فى : ح ، م .
(٣) التفسير ٦/ ١٤٧.
(٤) التفسير ٦/ ١٤٧، ١٤٨.
(٥) فى الأصل ، ص : « من » .
(٦) التفسير ٨/ ٣٣٨.

يَعلمُ أنه عبدٌ مَرْبوبٌ ، وأنَّ اللَّهَ هو الخالقُ البارئُ المُصوِّرُ ، الإلهُ الحقُّ ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤] . ولهذا قال لموسى ، عليه السلامُ ، على سبيلِ الإنكارِ لرسالتِه ، والإظهارِ أنَّه ما ثَمَّ ربٌّ أَرْسَلَه : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] . لأنَّهما قالا له : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكأنه يقولُ لهما : ومَنْ ربُّ العالمين ، الذى تَزعُمان أنه أَرسَلكما وابتَعَثكما ؟ فأجابه موسى قائلًا : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] . يعنى ربَّ العالمين ، خالقَ هذه السمواتِ والأرضِ المُشاهَدةِ ، وما بينَهما من المخلوقاتِ المتجدِّدةِ ؛ من السحابِ والرياحِ والمطرِ والنباتِ والحيواناتِ ، التى يَعلمُ[1] كلُّ موقِن أنها [١/١٥٥ظ] لم تَحدُثْ بأَنْفُسِها ، ولابدَّ لها من مُوجِدٍ ومُحْدِثٍ وخَالقٍ ، وهو اللَّهُ الذى لا إلهَ إلا هو ربُّ العالمين . ﴿ قَالَ ﴾ أى ؛ فرعونُ ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ ﴾ مِن أمرائِه ، ومَرازِبَتِه[2] ووُزَرائِه ، على سَبيلِ التَّهكُّمِ والتَّنقُّصِ لِما قرَّره موسى ، عليه السلامُ : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ يعنى كلامَه هذا . قال موسى مخاطبًا له ولهم : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦] . أى ؛ هو الذى خلَقَكم والذين مِن قبلِكم ؛ من الآباءِ والأجدادِ والقرونِ السالفةِ فى الآبادِ ، فإنَّ كلَّ أحدٍ يَعْلمُ أنه لم يَخلُقْ نفسَه ولا أبوه ولا أمُّه ، ولم يَحْدُثْ من[3] غيرِ مُحدِثٍ ، وإنما أوْجَدَه وخلَقَه اللَّهُ ربُّ العالَمِين . وهذانِ المَقامانِ هما

---

(١) بعده فى الأصل : « اللَّه الذى لا إله إلا هو و » .

(٢) فى الأصل : « ومرازبة » . والمَرْزُبان - بضم الزاى - هو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرب . اللسان (ر ز ب) .

(٣) فى الأصل : « عن » .

المذكورانِ فى قولِه تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. ومع هذا كلِّه لم يَسْتَفِقْ فرعونُ من رَقْدَتِه، ولا نزَع عن ضلالتِه، بل استمرَّ على طُغيانِه وعنادِه، وكفرانِه ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٧، ٢٨]. أى؛ هو المسخِّرُ لهذه الكواكبِ الزاهرةِ، المسيِّرُ للأفلاكِ الدائرةِ، خالقُ الظلامِ والضياءِ، وربُّ الأرضِ والسماءِ، ربُّ الأوَّلِينَ والآخِرينَ، خالقُ الشمسِ والقمرِ، والكواكبِ السائرةِ والثوابتِ الحائرةِ[1]، خالقُ الليلِ بظَلامِه والنهارِ بضيائِه، والكلُّ تحتَ قهرِه وتسخيرِه وتَسْييرِه سائرونَ، وفى فلَكٍ يَسْبَحون، يَتعاقَبون فى سائرِ الأوقاتِ ويَدُورون، فهو تعالى الخالقُ المالِكُ المتصرِّفُ فى خلقِه بما يشاءُ.

فلمّا قامتِ الحُجَجُ على فرعونَ وانقطعَتْ شُبَهُه، ولم يَبْقَ له قولٌ سِوى العنادِ، عدَل إلى استِعمالِ سلطانِه وجاهِه وسَطْوتِه، قال: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[2] [الشعراء: ٢٩- ٣٣]. وهذان هما البرهانانِ اللذانِ أيَّده اللَّهُ بهما، وهما العصا واليدُ. وذلك مَقامٌ أَظْهَرَ فيه الخارقَ العظيمَ، الذى بهرَ به العقولَ والأبصارَ، حينَ ألقى عصاه فإذا هى ثعبانٌ مبينٌ، أى عظيمُ الشكلِ، بديعٌ فى الضَّخامةِ والهَوْلِ، والمَنْظرِ العظيمِ الفَظيعِ الباهرِ، حتى قيل: إن فرعونَ

---

(١) فى الأصل: «الجائرة».

(٢) التفسير ٦/ ١٤٨، ١٤٩.

لمَّا شاهَد ذلك وعاينَه، أخَذَه رُعْبٌ شديدٌ، وخوفٌ عظيمٌ، بحيثُ إنه حصَل له إسْهالٌ عظيمٌ أكثرَ من أربعينَ مرَّةً فى يومٍ واحدٍ[1]، وكان قبلَ ذلك لا يَتبرَّزُ فى كلِّ أربعينَ يومًا إلا مرةً واحدةً، فانعكَسَ عليه الحالُ. وهكذا لمَّا أدخَل موسى، عليه السلامُ، يدَه فى جَيْبِه واستخرَجَها، [١/١٥٦و] أخرَجَها وهى كفِلْقَةِ القمرِ، تَتَلأْلأُ نورًا يَبْهَرُ الأبصارَ، فإذا أعادها إلى جَيْبِه رجعَت إلى صفَتِها الأولى، ومع هذا كلِّه لم يَنتَفِعْ فرعونُ، لعنه اللَّهُ، بشىءٍ من ذلك، بل استَمَرَّ على ما هو عليه، وأظْهَرَ أنَّ هذا كلَّه سِحْرٌ، وأراد معارضَتَه بالسَّحَرةِ، فأرْسَلَ يَجْمَعُهم مِن سائرِ مَمْلَكتِه، ومَن فى رَعيَّتِه وتحتَ قهرِه ودَوْلتِه، كما سيأتى بَسْطُه وبيانُه فى موضعِه؛ من إظهارِ اللَّهِ الحقَّ المبينَ، والحُجةَ الباهرةَ القاطعةَ على فِرْعونَ وملئِه، وأهلِ دولتِه ومِلَّتِه، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وقال تعالى فى سورةِ «طه»[2]: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٠- ٤٦]. يقولُ تعالى مخاطِبًا لموسى، فيما كَلَّمه به ليلةَ أَوْحَى إليه، وأَنْعَمَ بالنبُوةِ عليه، وكَلَّمه مِنه إليه: قد كنتُ مشاهِدًا لك وأنتَ فى دارِ فرعونَ، وأنتَ تحتَ كَنَفِى وحِفْظِى ولُطْفى، ثُم أخْرَجْتُك مِن أرضِ مصرَ إلى أرضِ مَدْيَنَ بمشيئَتِى، وقُدْرَتِى[3] وتَدْبيرى، فلَبِثْتَ

---

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) التفسير ٥/ ٢٨٧- ٢٨٩.

(٣) فى الأصل، ح: «وقدرى».

فيها سنينَ ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ أى ؛ مِنِّى لذلك ، فوافَقَ ذلك تَقْديرى وتَسْيِيرى ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ أى ؛ اصْطَفَيْتُك لِنَفْسِى برسالَتِى وبكَلامِى ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ يَعنى : ولا تَفْتُرا فى ذكرى ، إذ قدِمْتُما عليه ، ووَفَدْتُما إليه ؛ فإن ذلك عونٌ لكما على مخاطبتِه ومجاوَبَتِه ، وإهداءِ النصيحَةِ إليه ، وإقامةِ الحُجَّةِ عليه . وقد جاء فى بعضِ الأحاديثِ[1] : « يقولُ اللَّهُ تعالى : « إن عَبْدِى كُلَّ عَبْدِى الَّذِى يَذْكُرُنِى وَهو مُلاقٍ قِرْنَه » . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

ثُم قال تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ وهذا من حِلمِه[2] تعالى ، وكرمِه ورَأفتِه ورحمتِه بخلقِه ، مع علمِه بكفرِ فرعونَ وعُتُوِّه ، وتَجَبُّرِه ، وهو إذ ذاك أرْدَى خلقِه ، وقد بعَث إليه صفوتَه مِن خلقِه فى ذلك الزمانِ ، ومع هذا يقولُ لهما ويأمرُهما أن يَدْعُوَاه إليه بالتى هى أحسنُ ؛ برِفْقٍ ولِينٍ ، ويُعامِلَاه معاملةَ مَن يَرجُو أن يتذكَّرَ أو يخشَى ، كما قال تعالى لرسولِه ﷺ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ [١٥٦/١ظ] ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ الآية [العنكبوت : ٤٦] . قال الحسنُ البصرىُّ : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ ؛ أعْذِرَا إليه ، قولا له : إنَّ لك ربًّا ، ولك مَعادًا ، وإنَّ بينَ يدَيْكَ جنة

---

(١) رواه الترمذى (٣٥٨٠) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . (ضعيف الترمذى ٧٢١) .

(٢) فى الأصل : « حكمة الله » . فى ص : « علمه » .

ونارًا[1] . وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : قولا له : إنى إلى العفوِ والمَغْفِرةِ أقربُ منِّى إلى الغَضَبِ والعُقُوبةِ . وقال يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عندَ هذه الآيةِ : يا مَن يَتحبَّبُ إلى مَن يُعاديه ، فكيف بمَن يتولَّاه ويُناديه[2] ؟ ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ وذلك أن فرعونَ كان جبَّارًا عَنيدًا ، شيطانًا مَريدًا ، له سلطانٌ فى بلادِ مصرَ طويلٌ عريضٌ ، وجاهٌ وجنودٌ وعساكرُ وسَطْوةٌ ، فهاباه من حيثُ البشريةُ ، وخافا أن يَسْطُوَ عليهما فى بادئِ الأمرِ ، فثبَّتَهما اللَّهُ تعالى ، وهو العليُّ الأعلى ، فقال : ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ ، كما قال فى الآيةِ الأخرى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[طه: ٤٧، ٤٨] . يذكرُ تعالى أنَّه أمَرهما أن يَذْهَبا إلى فرعونَ ، فيَدْعُوَاه إلى اللَّهِ تعالى ؛ أن يعبدَه وحدَه لا شريكَ له ، وأن يُرسِلَ معهم بنى إسرائيلَ ، ويُطْلِقَهم مِن أسْرِه وقَهْرِه ، ولا يُعَذِّبَهم ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ وهو البرهانُ العظيمُ فى العصا واليدِ ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ تَقْييدٌ مفيدٌ بليغٌ عظيمٌ . ثم تهدَّداه وتوعَّداه على التكذيبِ ، فقالا : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى ؛ كذَّب بالحقِّ بقلبِه ، وتولَّى عن العملِ بقالَبِه .

وقد ذكَر السُّدِّىُّ وغيرُه[3] ، أنه لما قَدِم من بلاد مَدْيَنَ ، دخَل على أُمِّه

---

(١) ذكره فى الدر المنثور ٤/ ٣٠١، وعزاه إلى ابن أبى حاتم .
(٢) ذكره فى الدر ٤/٣٠١ وعزاه إلى ابن أبى حاتم من حديث الفضل بن عيسى الرقاشى .
(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٤٠٣.

وأخيه هارونَ ، وهما يَتعشَّيانِ من طعامٍ فيه الطَّفَيْشَلُ[1] ؛ وهو اللِّفْتُ ، فأكَل معَهما ، ثُم قال : يا هارونُ ، إن اللَّهَ أمَرنى وأمَرك أن نَدعُوَ فرعونَ إلى عبادتِه ، فقُم معى . فقاما يَقصِدانِ بابَ فرعونَ ، فإذا هو مُغْلَقٌ ، فقال موسى للبوَّابينَ والحَجَبَةِ : أَعْلِموه أنَّ رسولَ اللَّهِ بالبَابِ . فجعَلوا يسخَرون منه ويستهزئون به . وقد زعَم بعضُهم أنه لم يُؤذَنْ لهما عليه إلا بعدَ حينٍ طويلٍ . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ : أُذِنَ لهما بعدَ سنتينِ[2] ؛ لأنه لم يَكُ أحدٌ يَتجاسَرُ على الاستئذانِ لهما . فاللَّهُ أعلمُ . ويقالُ : إن موسى تقدَّم إلى البابِ فطرَقه بعصاه ، فانزعَج فرعونُ ، وأمرَ بإحضارِهما ، فوقفا بينَ يديْه ، فدَعَواه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، كما أمَرهما . وعندَ أهلِ الكتابِ[3] ، أنَّ اللَّهَ قال لموسى ، عليه السلامُ : إنَّ هارونَ اللَّاوِىَّ - يعنى الذى مِن [١٥٧/١و] نسلِ لاوِى بنِ يعقوبَ - سيخْرجُ ويتلقَّاك . وأَمَرَه أن يأخذَ معه مشايخَ بنى إسرائيلَ إلى عندِ فرعونَ ، وأمَره أن يُظهرَ ما آتاه من الآياتِ . وقال له : سأُقسِّى قلبَه فلا يُرْسِلُ الشعبَ ، وأُكْثِرُ آياتِى وأعاجيبى[4] بأرضِ مصرَ . وأَوْحَى اللَّهُ إلى هارونَ أن يَخْرُجَ إلى أخيه ، يتَلقَّاه بالبَرِّيَّةِ عندَ جبلِ حوريب ، فلمَّا تَلَقَّاه ، أخبرَه موسى بما أمَرَه به ربُّه ، فلمَّا دخَلا مصرَ ، جَمعَا شُيوخَ بنى إسرائيلَ ، وذهَبا إلى فرعونَ ، فلمَّا بلَّغَاه رسالةَ اللَّهِ ، قال : مَن هو اللَّهُ ؟ لا أعرِفُه ، ولا أُرسِلُ بنى إسرائيلَ .

وقال اللَّهُ[5] مُخْبِرًا عن فرعونَ : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا

---

(١) نوع من المرق . تاج العروس (طفشل) .
(٢) فى الأصل : « سنين » . انظر تاريخ الطبرى ١/ ٤٠٥.
(٣) سفر الخروج الأصحاح ٤/ ١٤- ٢١، ٢٧- ٣٠.
(٤) فى الأصل : « وإياى » .
(٥) التفسير ٥/ ٢٩١، ٢٩٢.

ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [طه: ٤٩- ٥٥]. يَقُولُ تعالى مُخْبِرًا عن فرعونَ أنه أنكر إثباتَ الصانعِ تعالى، قائلًا: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ أى؛ هو الذى خلَقَ الخلقَ، وقدَّر لهم أعمالًا وأرْزاقًا وآجالًا، وكتَب ذلك عندَه فى كتابِه اللوحِ المحفوظِ، ثُم هدَى كلَّ مخلوقٍ إلى ما قدَّره له، فطابَق عِلْمَه فيهم على الوجهِ الذى قدَّره وعَلِمه؛ لكمالِ عِلْمِه وقُدْرَتِه وقَدَرِه. وهذه الآيةُ كقولِه تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ١- ٣]. أى؛ قَدَّر قَدَرًا، وهدَى الخلائقَ إليه ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ يقول فرعونُ لموسى: فإذا كان ربُّك هو الخالقَ المقدِّرَ، الهادىَ الخلائِقَ، لِمَا قدَّره، وهو بهذه المثابةِ مِن أنه لا يَستحقُّ العبادةَ سواه، فلِمَ عَبَدَ الأولون غيرَه، وأشرَكُوا به مِن الكواكبِ والأندادِ ما قد عَلِمتَ؟ فهلَّا اهتَدَى إلى ما ذَكَرْتَهُ القرونُ الأولى؟ ﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ أى؛ هم وإن عبدُوا غيرَه فليس ذلك بحُجَّةٍ لك، ولا يدُلُّ على خلافِ ما أقولُ؛ لأنَّهم جَهَلَةٌ مثلُك، وكلُّ شَىْءٍ فَعَلوه مُسْتَطَرٌ عليهم فى الزُّبُرِ، من صغيرٍ وكبيرٍ، وسيَجزِيهم على ذلك ربِّى، عز وجل، ولا يَظْلِمُ أحدًا مثقالَ ذرةٍ؛ لأن جميعَ أفعالِ العبادِ مكتوبةٌ عندَه فى كتابٍ لا يَضِلُّ عنه شَىْءٌ، ولا يَنْسَى ربِّى شيئًا. ثم ذكَر له عظمةَ الربِّ، وقدرتَه على خلقِ الأشياءِ وجَعْلَه الأرضَ

مِهادًا، والسماءَ سقفًا محفوظًا، وتسخيرَه السحابَ والأمطارَ لرزقِ العبادِ ودَوَابِّهم وأنعامِهم، كما قال: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ أى؛ لِذَوِى العقولِ (١) الصحيحةِ المستقيمةِ والفِطَرِ القويمةِ غيرِ السَّقيمةِ. فهو تعالى الخالقُ الرّازِقُ. وكما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]. ولَمَّا ذكَر إحياءَ الأرضِ بالمطرِ، واهتزازَها بإخراجِ نباتِها فيه، نبَّه به على المَعادِ فقال: ﴿ مِنْهَا ﴾ أى؛ من الأرضِ ﴿ خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

ثم قال تعالى (٢): ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٦- ٥٩]. يخبِرُ تعالى عن شقاءِ فرعونَ وكثرةِ جهلِه، وقِلَّةِ عقلِه فى تكذيبِه بآياتِ اللَّهِ، واستكبارِه عن اتِّباعِها، وقولِه لموسى: إنَّ هذا الذى جئتَ به سِحرٌ، ونحن نعارضُك بمثلِه. ثُم طلَب من موسى (١)

(١- ١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٥/ ٢٩٢، ٢٩٣.

[1]أن يواعدَه إلى وقتٍ معلومٍ ومكانٍ معلومٍ، وكان هذا من أكبرِ مقاصدِ موسى، عليه السلامُ؛ أن يُظْهِرَ آياتِ اللَّهِ وحُجَجَه وبراهينَه جَهْرةً بحضرةِ الناسِ، ولهذا قال: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ وكان يومَ عيدٍ من أعيادِهم، ومجتمَعٍ لهم ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ أى؛ من أولِ النهارِ، فى وقتِ اشتدادِ ضياءِ الشمسِ، فيكونُ الحقُّ أَظْهرَ وأَجْلَى. ولم يَطْلُبْ أن يكونَ ذلك ليلًا فى ظَلامٍ، كَيْما يُرَوِّجَ عليهم مِحالًا وباطلًا، بل طلَب أن يكونَ نهارًا جَهْرةً؛ لأنه على بَصيرةٍ من ربِّه، ويقينٍ أن اللَّهَ سيُظهرُ كلمتَه ودينَه، وإنْ رَغِمَت أنوفُ القِبْطِ.

قال اللَّهُ تعالى[2]: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٠- ٦٤]. يخبرُ تعالى عن فرعونَ أنه ذهَب، فجمَع مَن كان ببلادِه من السحَرةِ، وكانت بلادُ مصرَ فى ذلك الزَّمانِ مملوءةً سَحَرةً، فُضَلاءَ، فى فَنِّهم غايةً، فجُمعوا له من كلِّ بلدٍ، ومن كلِّ مكانٍ، فاجتَمع منهم خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ. فقيل: كانوا ثَمانينَ ألفًا. قاله محمدُ بنُ كعبٍ. وقيل: سبعين ألفًا. قاله القاسمُ بن أبى بَزَّةَ[3]. وقال السُّدِّىُّ: بِضعةً وثلاثين ألفًا. وعن أبى أمامةَ: تسعةَ عشَرَ ألفًا. وقال[1]

(١- ١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٥/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) فى ا، م، ص: «بردة». وانظر التقريب ٢/ ١١٥.

[1] محمدُ بنُ إسحاقَ : خمسةَ عشَرَ ألفًا . وقال كعبُ الأحبارِ : كانوا اثنَيْ عشَرَ ألفًا . وروَى ابنُ أبى حاتمٍ عن ابنِ عباسٍ : كانوا سَبْعينَ رجلًا . وروَى عنه أيضًا أنهم كانوا أربعين غُلَامًا من بنى إسرائيلَ ، أمَرهم فرعونُ أن يَذهبوا إلى العُرَفاءِ ، فيتعلَّموا السِّحرَ . ولهذا قالوا : ﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ وفى هذا نَظَرٌ[2] .

وحضَر فرعونُ وأمراوه وأهلُ دَوْلتِه وأهلُ مِصْرَ عن بَكْرَةِ أبيهم ؛ وذلك أن فرعونَ نادَى فيهم أن يَحضُروا هذا الموقفَ العظيمَ ، فَخَرَجوا وهم يقولون : ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[3] [الشعراء : ٤٠] ، وتَقَدَّم موسى عليه السلامُ إلى السحرةِ ، فوعَظَهم وزجَرَهم عن تعاطِى السحْرِ الباطلِ ، الذى فيه معارَضةٌ لآياتِ اللَّهِ وحُجَجِه ، فقال : ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ قيل : معناه أنهم اختلَفوا فيما بينَهم ؛ فقائِلٌ يقولُ : هذا كلامُ نبىٍّ وليس بساحرٍ . وقائلٌ منهم يَقولُ : بل هو ساحرٌ . فاللَّهُ أعلمُ . وأسرُّوا التَّناجىَ بهذا وغيرِه ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ يقولون : إنَّ هذا وأخاه هارونَ ساحرانِ ، عَلِيمانِ ، مُطْبقانِ مُتْقِنانِ لهذه الصناعةِ ، ومرادُهم أن يَجتمعَ الناسُ عليهما ، ويَصُولَا على المَلِكِ وحاشيتِه ، ويَستأصِلاكم عن آخِرِكم ، ويَستأمِرا عليكم بهذه الصناعةِ[1]

(١- ١) سقط من : الأصل .

(٢) انظر الأقوال السابقة فى التفسير ٥/ ٢٩٦. والدر المنثور ٣/ ١٠٦. وقصص الأنبياء للثعلبى ص ١٦٣.

(٣) التفسير ٦/ ١٤٩، ١٥٠.

(١ ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ وإنما قالوا الكلامَ الأولَ ليتدبَّروا ويتَواصَوْا، ويأتُوا بجميعِ ما عندَهم من المكيدةِ والمكرِ والخديعةِ والسحرِ والبُهْتانِ. وهَيْهاتَ، كذَبَتْ واللَّهِ الظنونُ، وأخْطَأتِ الآراءُ، أنَّى يُعارِضُ البهتانُ والسِّحْرُ والهَذَيانُ خوارِقَ العاداتِ، التى أَجْراها الدَّيَّانُ على يَدَىْ عبدِه الكَليمِ ورَسولِه الكَريمِ، المؤيَّدِ بالبُرْهانِ الذى يَبْهَرُ[٢] الأبصارَ، وتَحارُ فيه العقولُ والأذْهانُ. وقولُهم: ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ أى؛ جميعَ ما عِندَكم، ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ﴾ أى؛ جملةً واحدةً. ثُم حَضَّ بعضُهم بعضًا على التقَدُّمِ فى هذا المقامِ؛ لأنَّ فرعونَ كان قد وعَدهم ومنَّاهم، وما يَعِدُهمُ الشيطانُ إلا غُرورًا.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ ١ [١/١٥٧ظ] وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾[٣] [طه: ٦٥- ٦٩]. لمَّا اصْطَفَّ السحَرةُ ووقَفَ موسى وهارونُ، عليهما السلامُ، تُجاهَهم، قالوا له: إمَّا أن تُلقِيَ قبلَنا، وإمَّا أن نُلقِيَ قبلَك. قال: بلْ أَلْقُوا أنتم. وكانوا قد عَمَدوا إلى حِبالٍ وعِصِيٍّ، فأوْدَعوها الزِّئْبَقَ وغيرَه من الآلاتِ التى تَضطرِبُ بسبَبِها[٤] تلك الحبالُ والعِصِيُّ اضطرابًا يُخَيِّلُ للرائى أنها تَسْعَى

(١- ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى ح: «بهر».

(٣) التفسير ٥/ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٤) فى ص: «فشبهها».

باختيارِها، وإنما تَتحرَّكُ بسببِ ذلك، فعندَ ذلك سَحَروا أعينَ النَّاسِ واسترْهَبوهم، وألْقَوْا حبالَهم، وعِصِيَّهم وهم يقولون: ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ أى؛ خاف على الناسِ أن يَفْتَتِنوا بسحْرِهم ومِحالِهم قبل أن يُلقِيَ ما فى يدِه، فإنه لا يَضَعُ شيئًا قبلَ أن يُؤمَرَ، فأَوْحَى اللَّهُ إليه فى الساعةِ الراهنةِ: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾، فعندَ ذلك أَلْقَى موسى عصاه، وقال: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢]. وقال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٥]. ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨- ١٢٢]. وذلك أنَّ موسى، عليه السلامُ، لمَّا (١)تَقَدَّمَ و(١) ألقاها، صارَتْ حيَّةً عظيمةً ذاتَ قوائمَ - فيما ذكَره غيرُ واحدٍ من علماءِ السلفِ - وعُنُقٍ عَظيمٍ، وشَكْلٍ هائلٍ مُزْعِجٍ، بحيثُ إنَّ الناسَ انحازُوا مِنها، وهرَبوا سِراعًا، وتأَخَّروا عن مَكانِها، وأَقْبلَت هى على ما أَلْقَوْه من الحيالِ والعِصِيِّ، فجعَلَت تَلْقَفُه واحدًا واحدًا، فى أسرعِ ما يكونُ من الحركةِ،

(١- ١) زيادة من: الأصل.

والناسُ يَنظرون إليها، ويَتعجبون مِنها. وأمَّا السحرةُ فإنهم رأَوْا ما هالَهم وحيَّرَهم فى أمرِهم، واطَّلَعوا على أمرٍ لم يكنْ فى خَلَدِهم ولا بالِهم، ولا يَدْخلُ تحتَ صناعاتِهم وأشغالِهم، فعندَ ذلك وهنالِك تحقَّقُوا بما عندَهم من العلمِ أن هذا ليس بسحْرٍ، ولا شَعْبَذَةٍ، ولا مِحالٍ ولا خيالٍ [١/١٥٨و] ولا زورٍ ولا بهتانٍ ولا ضلالٍ، بل حقٌّ لا يَقدِرُ عليه إلا الحقُّ الذى ابتَعَث هذا المؤيَّدَ به بالحقِّ، وكشَف اللَّهُ عن قلوبِهم غِشاوةَ الغفلةِ، وأنارها بما خلَق فيها من الهُدَى، وأزاح عنها القسوةَ، وأنابوا إلى ربِّهم، وخرُّوا له ساجدينَ، وقالوا جَهْرةً للحاضرين، ولم يَخْشَوْا عقوبةً ولا بَلْوَى: آمَنّا بربِّ موسى وهارونَ.

كما قال تعالى[1]: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٠- ٧٦]. قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمةُ، والقاسمُ بنُ أبى بَزَّةَ[2]، والأوزاعىُّ، وغيرُهم: لمّا سجَد السحرةُ، رأَوْا منازلَهم وقصورَهم فى

---

(١) التفسير ٥/٢٩٧ - ٣٠٠.

(٢) فى الأصل، م: «بردة».

الجنةِ تُهَيَّأُ لهم، وتُزَخْرَفُ لقُدومِهم، ولهذا لم يَلْتفِتوا إلى تَهْويلِ فرعونَ، وتهْديدِه ووَعيدِه. وذلك لأن فرعونَ لمَّا رأى هؤلاءِ السحرةَ قد أسْلَموا، وأشْهَروا ذِكْرَ موسى وهارونَ فى الناسِ على هذه الصفةِ الجميلةِ، أفزَعه ذلك، ورأى أمرًا بَهَره، وأَعْمَى بصيرتَه وبصَرَه، وكان فيه كيدٌ ومكرٌ وخِداعٌ، وصَنْعةٌ بَلِيغةٌ فى الصَّدِّ عن سبيلِ اللَّهِ، فقال مُخاطِبًا للسحَرةِ بحضرةِ الناسِ: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أى؛ هلَّا شَاوَرْتُمونى فيما صَنَعتُم من الأمرِ الفظيعِ بحَضْرةِ رَعِيَّتى. ثُم تَهدَّد وتوعَّد، وأَبْرَقَ وأَرْعَدَ، وكذَب فَأَبْعَدَ، قائلًا: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾. وقال فى الآيةِ الأخرى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣]. وهذا الذى قاله مِن البهتانِ الذى يَعلمُ كلُّ فردٍ عاقلٍ ما فيه من الكفرِ والكذبِ والهَذَيانِ، بل لا يَرُوجُ مثلُه[1] على الصِّبيانِ؛ فإنَّ النّاسَ كلَّهم، مِن أهلِ دولتِه وغيرِهم، يَعلمون أن موسى لم يَرَهُ هؤلاءِ يومًا مِن الدهرِ، فكيفَ يكونُ كَبيرَهَم الذى علَّمهمُ السحْرَ؟! ثُم هو لم يَجمَعْهم ولا عَلِم باجتماعِهم، حتى كان فرعونُ هو الذى استدعاهم واجتباهم من كلِّ فجٍّ عميقٍ ووادٍ سَحيقٍ، ومِن حواضِرِ بلادِ مِصرَ والأطرافِ، ومن المدنِ والأَرْيافِ [١/١٥٨ظ].

قال اللَّهُ تعالى فى سورةِ «الأعرافِ»[2]: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ

---

(١) فى ح: «قبله».
(٢) التفسير ٣/ ٤٤٩- ٤٥٥.

﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ
أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ
ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا
نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن
تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ
ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾
فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ
هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا
صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٣ - ١٢٦].

وقال تعالى فى سورة «يونس»[1] : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ
وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا

---

(١) التفسير ٤/٢٢٠ - ٢٢٢.

جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ
فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ
أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٧٥- ٨٢].

وقال تعالى فى سورةِ «الشعراءِ»[1]: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى
لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا
هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم [١/١٥٩و] بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ
وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ
ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ
أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ
﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ
﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ

---

(١) التفسير ٦/ ١٤٨- ١٥١.

ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩- ٥١].

والمقصودُ أن فرعونَ كذَّب وافترى، وكفَر غايةَ الكفرِ فى قولِه: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ وأتى ببهتانٍ يَعْلمُه العالِمُونَ، بل العالَمُونَ فى قولِه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وقولِه: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ يعنى: يَقطعُ اليدَ اليُمنى والرِّجلَ اليُسرى وعَكْسَه، ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أى؛ لِيَجْعلُهم مَثُلَةً ونَكالًا؛ لئلَّا يَقتدِىَ بهم أحدٌ من رعيتِه وأهلِ مِلَّتِه، ولهذا قال: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أى؛ على جُذوعِ النخْلِ؛ لأنَّها أَعْلَى وأَشْهَرُ ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ يعنى: فى الدنيا ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أى؛ لن نُطيعَك ونَترُكَ ما وقَر فى قلوبِنا مِن البيناتِ، والدَّلائلِ القاطعاتِ، ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ قيل: مَعْطوفٌ. وقيل: قَسَمٌ ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أى؛ فافْعَلْ ما قَدَرْتَ عليه، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ أى؛ إنما حُكْمُك علينا فى هذه الحياةِ الدنيا، فإذا انتقَلْنا مِنها إلى الدارِ الآخرةِ، صِرْنا إلى حكمِ الذى أسلَمْنا له واتَّبَعْنا رُسُلَه، ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٣] أى؛ وثوابُه خيرٌ مِمَّا وعَدْتَنا به من (التَّقْريبِ والترْغيبِ)[1]، ﴿ وأبقى ﴾ أى؛ وأَدْوَمُ مِن هذه الدارِ الفانيةِ. وفى الآيةِ الأخرى: ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ

(١- ١) فى ص: «الترهيب والترغيب».

أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ ﴾ أى ؛ ما اجترمْناه من المـآثمِ والمحارِمِ ﴿ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى ؛ من القبطِ ، بموسى وهارونَ ، عليْهما السلامُ . وقالوا له أيضًا : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ [1] أى ؛ ليس لنا عندَك ذنبٌ إلا إيمانُنا بما جاءنا به رسولُنا ، واتباعُنا آياتِ ربِّنا لمَّا جاءتنا [1] ، ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ أى ؛ ثَبِّتْنا على ما ابْتُلِينا به ، [١٥٩/١ظ] مِن عقوبةِ هذا الجبَارِ العَنيدِ ، والسلْطانِ الشديدِ ، بل الشيطانِ المَريدِ ، ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ وقالوا أيضًا يَعِظونَه ويُخَوِّفونه بأسَ ربِّه العَظيمِ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ يَقولون له : فإيَّاك أن تكونَ منهم . فكان منهم . ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ أى ؛ المَنازلُ العَاليةُ ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ فاحرِصْ أن تكونَ منهم . فحالت بينَه وبينَ ذلك الأقدارُ التى لا تُغالَبُ ، ولا تُمانَعُ ، وحكمُ العَليِّ العَظيمِ بأنَّ فرعونَ ، لعنَه اللَّهُ ، مِن أهلِ الجحيمِ ، ليُباشِرَ العذابَ الأليمَ ، يُصَبُّ مِن فوقِ رأسِه الحميمُ . ويقالُ له ، على وجهِ التَّقْريعِ والتَّوْبيخِ ، وهو المَقْبوحُ المَنْبوحُ ، الذَّميمُ اللئيمُ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] .

والظاهِرُ من هذه السياقاتِ أن فرعونَ ، لعَنَه اللَّهُ ، صَلَبَهم وعذَّبهم ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم . قال عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، وعُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ : كانوا مِن أوَّلِ النهارِ سحَرَةً ، فصاروا مِن آخِرِه شهداءَ بَرَرَةً [2] . ويؤيدُ هذا قولُهم : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تفسير الطبرى ٩/ ٢٤. والتفسير ٣/ ٤٥٥.

فَصْلٌ

ولَمَّا وقَع ما وقَع من الأمرِ العظيم، وهو الغَلَبُ الذى غُلِبَه فِرْعونُ وقومُه مِن القِبْطِ فى ذلك الموقفِ الهائلِ، وأَسلَمَ السَّحَرةُ، الذين استَنصَروا بِهم[1] لم يَزِدْهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا وبُعْدًا عن الحقِّ.

قال اللَّهُ تعالى، بعدَ قَصَصِ ما تقدَّم فى سورةِ «الأَعْرافِ»[2]: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧- ١٢٩]. يخبرُ تعالى عن الملأِ من قومِ فرعونَ، وهم الأُمَراءُ والكُبَراءُ، أنَّهم حَرَّضوا مَلِكَهم فرعونَ على أذيَّةِ نبىِّ اللَّهِ موسى، عليه السلامُ، ومقابلتِه - بدلَ التَّصديقِ بما جاء به - بالكفرِ والرَّدِّ والأذى، فقالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ يَعْنون، قبَّحَهم اللَّهُ، أنَّ دعوتَه إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، والنَّهْىَ عن عبادةِ ما سواه فسادٌ بالنسْبةِ إلى اعتقادِ القِبْطِ، لعنهم اللَّهُ. وقرأ بَعْضُهم[3]:

---

(١) فى م: «ربهم».

(٢) التفسير ٣/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) سقط من: ح. والقراءة قراءة ابن عباس ومجاهد. انظر تفسير الطبرى ٩/ ٢٥، ٢٦. والتفسير ٣/ ٤٥٦.

(وَيَذَرَكَ وَإِلَٰهَتَكَ) أى ؛ وعِبادتَك . ويَحتَمِلُ شيئين ؛ أحدُهما ، ويَذَرُ دينَك . وتُقَوِّيه القراءةُ الأخرى . الثانى ، ويذَرُ أن يَعبدَك ، فإنه كان يَزْعُمُ أنه إلهٌ ، لَعَنَه اللَّهُ ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ [١/١٦٠و] وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ أى ؛ لِئَلَّا تَكْثُرَ مُقاتِلَتُهم ، ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ أى ؛ غالبون ، ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) أى ؛ إذا هَمُّوا هم بأذيَّتِكم والفَتْكِ بكم فاسْتَعينُوا أنتم برَبِّكم ، واصْبِروا على بَلِيَّتِكم ، ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) أى ؛ فكونوا أنتم مِنَ (٢) المتقين ؛ لتكونَ لكم العاقِبةُ ، كما قال تعالى فى الآيةِ الأخرى (٣) : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُمْ بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٤- ٨٦] . وقولُهم : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ أى ؛ قد كانتِ الأبْناءُ تُقْتَلُ قبلَ مَجيئِكِ ، وبعدَ مجيئِكِ إلينا ، ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال اللَّهُ تعالى ، فى سورةِ « حم المؤمن » (٤) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٣، ٢٤] . وكان فرعونُ الملكَ ، وهامانُ الوزيرَ ، وكان

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) زيادة من : الأصل .
(٣) التفسير ٤/ ٢٢٣، ٢٢٤.
(٤) التفسير ٧/ ١٢٨.

قارونُ إسرائيليًّا من قومِ موسى، إلا أنَّه كان على دينِ فرعونَ ومَلِئِه، وكان ذا مالٍ جزيلٍ جدًّا، كما ستأتى قصتُه فيما بعدُ، إن شاء اللَّهُ تعالى.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر: ٢٥]. وهذا القتلُ للغِلْمانِ، مِن بعدِ بَعْثةِ موسى، إنما كان على وجهِ الإهانةِ والإذلالِ، والتقليلِ لملأِ بنى إسْرَائيل؛ لِئَلَّا تكونَ لهم شَوْكَةٌ يَمتَنِعون بها أو[1] يَصُولون على القِبْطِ بسببِها، وكانت القِبْطُ مِنهم يَحْذَرون، فلم يَنْفَعْهم[2] ذلك؛ ولم [3]يرُدَّ عَنهم[3] قَدَرَ الذى يقولُ للشىءِ: كُنْ. فيكونُ. ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[4] [غافر: ٢٦]. ولهذا يقولُ الناسُ على سبيلِ التَّهَكُّمِ: صار فرعونُ مُذَكِّرًا. وهذا منه، فإن فرعونَ فى زَعْمِه يَخافُ على الناسِ أن يُضِلَّهم موسى، عليه السلامُ. ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[5] [غافر: ٢٧]. أى؛ عُذْتُ باللَّهِ، ولَجَأْتُ إليه واسْتَجَرْتُ[6] بِجَنابِه[7] مِن أن يَسطُوَ فرعونُ أو غيرُه علىَّ بسوءٍ. وقولُه: ﴿ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أى؛ جَبارٍ عَنيدٍ، لا يَرْعَوِى[8] ولا

---

(١) فى م، ص: «و».
(٢) فى الأصل: «يمنعهم».
(٣ - ٣) فى الأصل: «يردعهم».
(٤) التفسير ٧/ ١٢٩.
(٥) التفسير ٧/ ١٢٩.
(٦) سقط من: م، ص.
(٧) فى ص: «بجانبه».
(٨) أى يكف ويرتدع.

يَنتَهِى ، ولا يَخافُ عذابَ اللَّهِ وعقابَه ؛ لأنه لا يَعْتقدُ مَعادًا ولا جَزاءً ، ولهذا قال : ﴿ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ [١/١٦٠ظ] ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[1] [غافر: ٢٨، ٢٩] . هذا الرجلُ هو ابنُ عمِّ فرعونَ ، وكان يَكْتُمُ إيمانَه من قَومِه ، خوفًا مِنهم عَلى نَفْسِه . وزعَم بعضُ الناسِ أنه كان إسرائيليًّا ، وهو بعيدٌ ومخالفٌ لسياقِ الكلامِ لفظًا ومعنًى[2] . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : لم يُؤْمِنْ من القِبْطِ بموسى إلا هذا ، والذى جاء مِن أقْصى المدينةِ ، وامرأةُ فرعونَ . رواه ابنُ أبى حاتمٍ[3] . قال الدَّارقُطْنىُّ : لا يُعْرفُ مَن اسمُه شَمْعانُ - بالشين المُعْجَمةِ - إلا مؤمنُ آلِ فِرْعونَ . حكاه السُّهَيْلىُّ[4] . وفى « تاريخِ الطبَرِىِّ »[5] أن اسمَه : جبرٌ[6] . فاللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أن هذا الرجلَ كان يَكتُمُ إيمانَه ، فلمَّا هَمَّ فِرعونُ ، لعنه اللَّهُ ،

---

(١) التفسير ٧/ ١٢٩- ١٣٢.

(٢) انظر تفسير الطبرى ٢٤/ ٥٧، ٥٨.

(٣) ذكره فى الدر المنثور ٥/ ٣٥٠ وعزاه إلى ابن أبى حاتم . وانظر التفسير ٧/ ١٣٠.

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٤١. وانظر الإكمال لابن ماكولا ٤/ ٣٦٥.

(٥) تاريخ الطبرى ١/ ٤٠٧.

(٦) فى ح ، م ، ص : « خير » ، وفى ا : « خبر » . وفى تاريخ الطبرى : « حبرك » . وفى تفسير الطبرى : « جبريل » .

وذكر السهيلى فى « التعريف والإعلام » ص ٢٨٣ عن الطبرى فى تاريخه أن اسمه : « جبر » .

بقَتْلِ، موسى، عليه السلامُ، وعزَم على ذلك وشاوَر ملأَه فيه، خاف هذا المؤمنُ على موسى، فتلطَّفَ فى ردِّ فرعونَ بكلامٍ جمَع فيه الترْغيبَ والترْهيبَ، فقال [(١] كَلِمةَ الحقِّ [١)] على وجهِ المَشورَةِ والرأْيِ. وقد ثبَت فى الحديثِ [(٢)] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّه قال: «أفْضلُ الجهادِ كلمةُ عَدْلٍ عندَ سُلْطانٍ جَائرٍ». وهذا مِن أعلى مَراتبِ هذا المَقامِ، فإنَّ فِرْعونَ لا يكونُ أشدَّ [(٣)] جوْرًا مِنه، وهذا الكلامُ لا أعدلَ منه؛ لأنَّ فيه عِصمةَ دمِ [(٤)] نبىٍّ. ويَحتمِلُ أنه [(٥] شارَّ لهم [٥)] بإظهارِ إيمانِه، وصرَّح لهم بما كان يكتُمُه. والأولُ أظْهَرُ. واللَّهُ أعلمُ. قال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ أى؛ مِن أجلِ أنه قال: ربِّىَ اللَّهُ. فمِثْلُ هذا لا يُقابَلُ بمثلِ هذا، بل بالإكرامِ والاحْترامِ والمُوادَعةِ وتركِ الانتقامِ، يعنى: لأنه ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أى؛ بالخوارقِ التى دَلَّت على صدقِه فيما جاء به عَمَّن أرسَلَه، فهذا إن وادعْتُمُوه [(٦)] كنتُم فى سلامةٍ؛ لأنه ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ ولا يَضرُّكم ذلك، ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا ﴾ [(٧] وقد تعرَّضتُم له [٧)] ﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ أى؛ وأنتم تُشْفِقون أن يَنالَكم أيسرُ جَزاءٍ مِمَّا يَتوعدُكم به، فكيفَ بكم إن حَلَّ جميعُه عليكم؟ وهذا

(١ - ١) زيادة من: ا.

(٢) فى الأصل، «الصحيح». والحديث أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذى (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١). كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى. وقال الترمذى: حسن غريب من هذا الوجه. (صحيح أبى داود ٣٦٥٠). وانظر السلسلة الصحيحة (٤٩١).

(٣) فى ح، م، أ، ص: «لأشد».

(٤) زيادة من: ا.

(٥ - ٥) فى ح، م، ص: «كاشرهم». وشارَّ لهم أى خاصمهم.

(٦) فى الأصل: «أودعتموه». وفى ا: «تركتموه».

(٧ - ٧) ليست فى: الأصل.

الكلامُ فى هذا المَقام مِن أعلى مَقاماتِ التلطفِ والاحترازِ والعَقْلِ التامِّ . وقولُه : ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يحذِّرُهم أن يُسْلَبوا هذا المُلْكَ العزيزَ ، فإنه ما تَعرَّضَتِ الدُّولُ للدينِ إلا سُلِبوا مُلْكَهم وذَلُّوا[1] بعدَ عزِّهم ، وكذا وقَع لآلِ فرعونَ ؛ ما زالوا فى شكٍّ ورَيْبٍ ، ومخالفةٍ ومُعاندةٍ لِمَا جاءهم موسى به ، حتى أخرَجهم اللَّهُ ممّا [١٦١/١و] كانوا فيه من المُلْكِ والأملاكِ[2] ، والدُّورِ والقصورِ ، والنعْمةِ والحُبُورِ ، ثُم حُوِّلوا إلى البحرِ مُهانِين ، ونُقِلَتْ أرواحُهم بعدَ العُلُوِّ والرِّفْعةِ إلى أسْفلِ السافلين . ولهذا قال هذا الرجلُ المؤمنُ الصادِقُ ، البارُّ الرَّاشِدُ ، التابعُ للحقِّ الناصحُ لقومِه ، الكاملُ العقلِ : ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أى ؛ عالِينَ على الناسِ حاكِمينَ عليهم ، ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ ﴾ أى ؛ لو كنتم أضعافَ ما أنتم عليه[3] من العَدَدِ والعُدَّةِ والقوةِ والشدَّةِ ، لمَا نَفعنا ذلك ولا ردَّ عنا بأسَ مالِكِ الممالكِ . ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ أى ؛ فى جواب هذا كلِّه : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ أى ؛ ما أقولُ لكم إلا ما عندى ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ وكذَب فى كلٍّ من هذينِ القولين ، وهاتَيْنِ المقدِّمَتَيْنِ ، فإنَّه قد كان يَتَحَقَّقُ ويَعْلمُ[4] فى باطنِه وفى نفسِه أن هذا الذى جاء به موسى حقٌّ[5] مِن عندِ اللَّهِ لا محالةَ ، وإنما كان يُظْهِرُ خلافَه بَغيًا وعُدْوانًا ، وعُتُوًّا وكفرانًا .

قال اللَّهُ تعالى إخبارًا عن موسى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) فى الأصل : « الآمال » .
(٣) سقط من : ح . وفى م ، ص : « فيه » .
(٤) زيادة من : الأصل ، ص .
(٥) زيادة من : ا .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٣، ١٤]. وأما قوله: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾. فقد كذب أيضًا، فإنه لم يكنْ على رشادٍ مِن الأمرِ، بل كان على سَفَهٍ وضَلالٍ، وخَبالٍ، وكان أولًا مِمَّن يعبدُ الأصنامَ والأمثالَ، ثُم دعا قومَه الجَهَلَةَ الضُّلَّالَ إلى أن اتَّبَعُوه وطاوَعُوه، وصدَّقُوه فيما زعم من الكفرِ المُحالِ فى دعواه أنه ربٌّ، تعالى اللَّهُ ذو الجلالِ والإكرامِ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥١- ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٠- ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ [١/١٦١ظ] وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود: ٩٦- ٩٩]. والمقصودُ بيانُ كَذِبِه فى قولِه: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾، وفى قولِه: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] [غافر: ٣٠- ٣٥]. يحذِّرُهم وليُّ اللَّهِ، إن كذَّبوا برسولِ اللَّهِ موسى[2]، أن يَحِلَّ بهم ما حَلَّ بالأُمَمِ مِن قبلِهم مِن النِّقماتِ والمَثُلاتِ، ممَّا تواتَر عِندَهم وعندَ غيرِهم؛ ما حَلَّ بقومِ نوحٍ، وعادٍ، وثمودَ، ومَن بعدَهم إلى زمانِهم ذلك، مما أقام اللَّهُ[3] به الحُجَجَ على أهلِ الأرضِ قاطِبةً، في صدقِ ما جاءَت به الأنبياءُ، بما أَنزَلَ من النِّقْمَةِ بمكذِّبيهم من الأعداءِ، وما أَنْجَى اللَّهُ من اتَّبعهم من الأوْلياءِ، وخوَّفَهم يومَ القيامةِ، وهو يومُ التَّنادِ؛ أي حينَ يُنادِي الناسُ بعضُهم بعضًا حينَ يُولُّون مُدْبِرينَ، إن قَدَروا على ذلك، ولا إلى ذلك سبيلٌ. ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: ١٠- ١٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا

---

(١) التفسير ٧/ ١٣٢، ١٣٣.

(٢) سقط من: ص.

(٣) زيادة من: ح.

تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣- ٣٦]. وقرأ بعضُهم: (يَوْمَ التَّنَادِّ) بتشديدِ الدالِ، أى يومَ الفِرارِ. ويَحْتَمِلُ أن يكونَ يومَ القيامةِ، ويَحتَمِلُ أن يكونَ يومَ يُحِلُّ اللَّهُ بهمُ البأسَ، فيَوَدُّون الفِرارَ ولاتَ حينَ مَناصٍ. ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٢، ١٣]. ثُم أَخْبَرهم عن نبوةِ يوسفَ فى بلادِ مصرَ؛ ما كان منه مِن الإحسانِ إلى الخلقِ فى دنياهم وأُخراهم، وهذا مِن سُلالتِه وذُرِّيَّتِه، ويَدْعُو الناسَ إلى توحيدِ اللَّهِ وعبادتِه، وأن لا يُشْرِكوا به أحدًا من بريَّتِه، وأَخبَرَ عن أهلِ الديارِ المِصْريةِ فى ذلك الزمانِ، أنَّ مِن سَجيَّتِهم التَّكْذيبَ بالحقِّ ومخالفةَ الرسلِ؛ ولهذا قال: ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ أى؛ [١٦٢/١و] وكذَّبْتُم فى هذا. ولهذا قال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾ أى؛ يَرُدُّونَ[1] حُججَ اللَّهِ وبراهينَه ودلائلَ توحيدِه بلا حُجّةٍ ولا دليلٍ عندَهم مِنَ اللَّهِ، فإنَّ هذا أمرٌ يَمْقُتُه اللَّهُ غايةَ المَقْتِ؛ أى يُبْغِضُ مَن تَلبَّس به من الناسِ، ومَن اتَّصف به مِنَ الخلْقِ، ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ قُرِئَ بالإضافةِ وبالنعتِ، وكلاهما مُتَلازِمٌ؛ أى هكذا إذا خالفَتِ القلوبُ الحقَّ، ولا تخالفُه إلا بلا برهانٍ، فإنَّ اللَّهَ يَطْبَعُ عليها؛ أى يَخْتِمُ عليها.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ

---

(١) فى م: «يريدون».

ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[1] [غافر: ٣٦، ٣٧] . كذَّب فرعونُ موسى، عليه السلامُ، فى دَعْواه أنَّ اللَّهَ أَرْسلَه، وزعَم فرعونُ لقومِه ما كذَبه وافتراه، فى قولِه لهم: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨] . وقال هٰهنا: ﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أى؛ طُرُقَها ومسالكَها ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ ﴾ ويحتَملُ هذا معنيَيْنِ؛ أحدُهما، وإنى لأظنُّه كاذبًا فى قولِه: إن للعالَمِ ربًّا غيرى.[2] والثانى، فى دعواه أن اللَّهَ أَرْسلَه. والأولُ أَشْبَهُ بظاهرِ حالِ فرعونَ، فإنَّه كان يُنكِرُ ظاهرَ إثباتِ الصانعِ[2]، والثانى أقربُ إلى اللفظِ؛ حيث قال: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ أى؛ فأسألَه هل أَرْسَلَه أم لا، ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ ﴾ أى؛ فى دَعْواه ذلك. وإنَّما كان مَقْصودُ فرعونَ أن يَصُدَّ الناسَ عن تَصْديقِ موسى، عليه السلامُ، وأن يَحُثَّهم على تكذيبِه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ ﴾، وقُرِئَ: (وصَدٌّ عَنِ السَّبِيلِ) قال ابنُ عباسٍ ومُجاهدٌ[3]: يقولُ: إلا فى خَسارٍ. أى باطلٍ، لا يحصُلُ له شىءٌ مِن مَقْصودِه الذى رامَه، فإنَّه لا سبيلَ للبَشَرِ أن يَتوصَّلوا بقُوَاهم إلى نَيْلِ السماءِ أبدًا - أعْنى السماءَ الدنيا - فكيف بما بعدَها مِن السماواتِ العُلَى، وما فوقَ

---

(١) التفسير ٧/ ١٣٤.

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) تفسير الطبرى ٢٤/ ٦٦. وانظر الدر المنثور ٥/ ٣٥١.

ذلك من الارتفاعِ الذى لا يَعلمُه إلا اللَّهُ عز وجل.

وذكَر غيرُ واحدٍ من المفسِّرين[1] أن هذا الصَّرْحَ، وهو القَصْرُ الذى بناه وزيرُه هامانُ له، لم يُرَ بناءٌ أَعْلَى منه، وأنَّه كان مبنيًّا من الآجُرِّ المشوىِّ بالنارِ، ولهذا قال: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا ﴾. وعندَ [١٦٢/١ظ] أهلِ الكتابِ[2] أن بنى إسرائيلَ كانوا يُسخَّرون فى ضَرْبِ اللَّبِنِ، وكان ممَّا حُمِّلوا مِن التكاليفِ الفِرْعَوْنيةِ أنَّهم لا يُساعَدون على شَيْءٍ ممَّا يَحتاجون إليه فيه، بل كانوا هم الذين يَجْمَعون ترابَه وتِبْنَه وماءَه، ويُطْلَبُ مِنهم كلَّ يومٍ قِسْطٌ معينٌ، إن لم يَفْعلُوه وإلا ضُرِبوا وأُهينوا غايةَ الإهانةِ، وأُوذوا غايةَ الأذيَّةِ. ولهذا قالوا لموسى: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾، فوعَدهم بأن العاقبةَ لهم على القِبْطِ، وكذلك وقَع، وهذا من دلائِلِ النُّبوةِ.

ولْنَرْجِعْ إلى نَصِيحةِ المؤمنِ ومَوْعِظتِه واحتجاجِه، قال اللَّه تعالى[3]: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٣٨-٤٠]. يدعوهم، رَضِى اللَّهُ عنه، إلى طريقِ الرَّشادِ والحقِّ، وهى مُتابَعَةُ نبىِّ اللَّهِ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٠/ ٧٧، قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٦٧، التفسير ٦/ ٢٤٨.
(٢) سفر الخروج الأصحاح ١/ ١٤.
(٣) التفسير ٧/ ١٣٤.

موسى، وتصديقُه فيما جاء به من ربِّه، ثُم زهَّدَهم فى الدنيا الدَّنيَّةِ الفانيةِ المُنْقَضيةِ لا محالةَ، ورغَّبَهم فى طَلَبِ الثوابِ عندَ اللَّهِ، الذى لا يَضِيعُ عملُ عاملٍ لديه، القديرِ الذى ملكوتُ كلِّ شيءٍ بيدَيْه، الذى يُعطِى على القليلِ كثيرًا، ومِن عَدْلِه لا يُجازِى على السَّيِّئةِ إلا مِثلَها. وأخبرَهم أن الآخرةَ هى دارُ القرارِ، التى مَن وافاها مُؤمِنًا قد عَمِل الصالحاتِ، فلهم الجناتُ العالياتُ، والغُرَفُ الآمِناتُ، والخَيْراتُ الكثيرةُ الفائِقاتُ، والأرْزاقُ الدائمةُ التى لا تَبِيدُ، والخيرُ الذى كلُّ ما لهم منه فى مزيدٍ.

ثم شرَع فى إبطالِ ما هم عليه، وتَخْويفِهم مِما يَصيرون إليه، فقال[1]: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤١- ٤٦]. كان يَدْعوهم إلى عبادةِ ربِّ السمواتِ والأرضِ، الذى يَقُولُ للشيءِ: كُنْ. فيكونُ، وهم يَدْعُونه إلى عِبادةِ فرعونَ الجاهلِ الضالِّ الملعونِ، ولهذا قال [١٦٣/١و] لهم على سبيلِ الإنكارِ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي

---

(١) التفسير ٧/ ١٣٥- ١٣٨.

بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ ، ثُم بيَّن لهم بُطلانَ ما هم عليه من عِبادةِ ما سِوى اللَّهِ من الأندادِ والأوْثانِ ، وأنها لا تَملِكُ مِن نفعٍ ولا إضرارٍ . فقال : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ أى ؛ لا تَملِكُ تَصرُّفًا (١ولا حُكمًا١) فى هذه الدَّارِ ، فكَيْف تَمْلِكُه يومَ القرارِ ؟ وأمَّا اللَّهُ ، عز وجل ، فإنَّه الخالقُ الرازقُ للأبرارِ والفُجَّارِ ، وهو الذى أَحْيا العبادَ ويُميتُهم ويَبْعَثُهم ، فيُدْخِلُ طائِعَهم الجنةَ ، وعاصيَهم النارَ . ثُم توعَّدهم إنْ هم اسْتَمَرُّوا على العنادِ ، بقولِه : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ أى ؛ بإنكارِه سَلِم مِمَّا أصابَهم مِن العُقوبةِ على كُفرِهم باللَّهِ ، ومكرِهم فى صدِّهم عن سبيلِ اللَّهِ ، مِمَّا أَظْهَروا للعامَّةِ مِن الخَيالاتِ والمحَالاتِ التى لَبَّسوا بها على عَوامِّهم وطَغَامِهم ؛ ولهذا قال : ﴿ وَحَاقَ ﴾ أى ؛ أحاطَ ﴿ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ أى ؛ تُعرَضُ أرْواحُهم فى بَرْزَخِهم صَباحًا ومَساءً على النارِ ، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ ، وقد تكلَّمْنا على دَلالةِ هذه الآيةِ على عذابِ القبرِ فى « التفسيرِ »(٢) . وللَّهِ الحمدُ .

والمَقْصودُ أن اللَّهَ تعالى لم يُهْلِكْهم إلا بعدَ إقامةِ الحُجَجِ عليهم ، وإرسالِ الرَّسولِ إليهم ، وإزاحةِ الشُّبَهِ عنهم ، وأَخْذِ الحُجَّةِ عليهم مِنهم ، فبالتَّرْهيبِ تارةً

(١- ١) سقط من : ح .
(٢) التفسير ٧/ ١٣٦- ١٣٨.

والترغيبِ أخرى، كما قال تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠- ١٣٣]. يخبرُ تعالى أنه ابتَلَى آلَ فرعونَ، وهم قومُه من القِبْطِ، بالسِّنينَ، وهى أعوامُ الجَدْبِ التى لا يُستغلُّ فيها زَرْعٌ، ولا يُنْتفَعُ بضَرْعٍ. وقولُه: ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ وهى قِلَّةُ الثمارِ من الأشْجارِ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أى؛ فلم يَنتفِعوا ولم يَرْعَوُوا، بل تَمرَّدوا واستمَرُّوا على كُفرِهم وعنادِهم، ﴿ فَإِذَا [١٦٣/١ظ] جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ وهو الخِصْبُ ونحوُه ﴿ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أى؛ هذا الذى نَستحقُّه، وهذا الذى يَليقُ بنا، ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ أى؛ يقولون هذا؛ بشُؤمِهم أصابنا هذا. ولا يقولون فى الأوَّلِ: إنه بركتُهم وحسنُ مجاورَتِهم، ولكنْ قلوبُهم مُنْكِرةٌ مُسْتَكْبِرةٌ نافرةٌ عن الحقِّ، إذا جاء الشَّرُّ أَسنَدوه إليه، وإن رأَوْا خيرًا ادَّعَوه لأنفسِهم. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أى؛ اللَّهُ يَجزِيهم على هذا أوْفَرَ الجزاءِ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أى؛ مَهْما جِئْتَنا به مِن الآياتِ، وهى الخوارِقُ للعاداتِ، فلَسْنا نُؤمِنُ بك ولا نَتَّبِعُك ولا نُطيعُك ولو جِئْتَنا بِكلِّ آيةٍ. وهكذا أخبرَ اللَّهُ عنهم فى

---

(١) التفسير ٣/ ٤٥٧- ٤٦٢.

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

أمَّا الطُّوفانُ، فعن ابنِ عباسٍ: هو كثرةُ الأمطارِ المُتْلِفةِ للزُّروعِ والثمارِ. وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاكُ. وعن ابنِ عباسٍ، وعطاءٍ: هو كَثرةُ الموتِ. وقال مُجاهدٌ: الطوفانُ الماءُ، والطاعونُ على كلِّ حالٍ. وعن ابنِ عباسٍ: أمرٌ طافَ بهم[1]. وقد روَى ابنُ جَريرٍ وابنُ مَرْدَوَيْهِ[2]، من طريقِ يحيى بنِ يَمَانٍ، عن المِنْهالِ بنِ خليفةَ، عن الحجَّاجِ، عن الحكَمِ بنِ مَيْنَاءَ، عن عائشةَ، عن النبيِّ ﷺ: «الطوفانُ الموْتُ» وهو غريبٌ.

وأمَّا الجَرَادُ فمعروفٌ. وقد روَى أبو داودَ[3]، عن أبى عثمانَ، عن سلمانَ الفارسيِّ، قال: سُئِلِ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الجرَادِ، فقال: «أكثَرُ جنودِ اللَّهِ، لا آكُلُه ولا أُحرِّمُه». وتَرْكُ النبيِّ ﷺ أَكْلَه إنَّما هو على وجْهِ التَّقذُّرِ له؛ كما ترَكَ أَكْلَ الضَّبِّ[4]، وتَنزُّه عن أَكْلِ البصلِ والثُّومِ والكُرَّاثِ[5]، لِمَا ثبَت فى

---

(١) أخرج هذه الأقوال الطبرى فى تفسيره ٩/ ٣٠، ٣١. وانظر الدر المنثور ٣/ ١٠٨، والتفسير ٣/ ٤٥٨.

(٢) الطبرى فى تفسيره ٩/ ٣١. وذكره فى الدر المنثور ٣/١٠٨ وعزاه إلى ابن مردويه. وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح ٨/ ٣٠٠: وعند ابن مردويه بإسنادين ضعيفين عن عائشة. وانظر تفسير ابن جرير بتحقيق أحمد شاكر ١٣/٥١ حاشية (١).

(٣) أبو داود (٣٨١٣). (ضعيف أبى داود ٨١٩).

(٤) البخارى (٥٥٣٦)، مسلم (١٩٤٣).

(٥) البخارى (٨٥٥)، مسلم (٥٦٤).

« الصحيحين »[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى ، قال : غَزَوْنَا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَواتٍ نَأكلُ الجَرَادَ . وقد تكلَّمْنا على ما ورَد فيه مِن الأحاديثِ والآثارِ فى « التفسيرِ »[2] .

والمقصودُ أنه استاق خَضْرَاءَهم ، فلم يَترك لهم زُرُوعًا ولا ثِمارًا ، ولا سَبَدًا ولا لَبَدًا[3] .

وأما القُمَّلُ ، فعن ابنِ عباسٍ : هو السُّوسُ الذى يَخرجُ من الحِنْطةِ ، وعنه ، أنه الجرادُ الصِّغارُ الذى لا أجنحةَ له . وبه قال مُجاهدٌ ، وعِكْرمةُ ، وقَتادةُ . وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، والحسنُ : هو [١/١٦٤و] دوَابُّ سُودٌ صِغارٌ . وقال عبدُ الرحمنِ ابنُ زيدِ بنِ أَسْلَمَ : هى البراغيثُ . وحكَى ابنُ جَريرٍ عن أهلِ العربيَّةِ[4] أنها الحَمْنانُ . وهى صِغارُ القِرْدانِ ، فَوْقَ القَمْقَامَةِ[5] ، فدخَل معهم البيوتَ والفُرُشَ ، فلم يَقِرَّ لهم قرارٌ ، ولم يُمْكِنْهم معه الغَمْضُ ولا العيشُ . وفسَّره عطاءُ ابنُ السائبِ بهذا القُمَّلِ المعروفِ . وقرأها الحسنُ البصرىُّ كذلك بالتَّخْفيفِ[6] .

وأمَّا الضَّفادِعُ فمَعْروفةٌ ، لَبِسَتْهم حتى كانت تَسقطُ فى أَطعِماتِهم وأوانيهم ، حتى إن أحدَهم إذا فتَح فَمَه لطعامٍ أو شرابٍ ، سقَطت فى فِيه ضِفْدِعَةٌ من تلك الضَّفادعِ .

---

(١) البخارى (٥٤٩٥) ، مسلم (١٩٥٢) .
(٢) التفسير ٣/ ٤٥٨- ٤٦١.
(٣) ولا سَبَدًا ولا لَبَدًا أى ؛ ولا قليلًا ولا كثيرًا .
(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١/ ٢٢٦.
(٥) القمقام : صغار القردان ، وضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر . واحدتها قمقامة . اللسان (ق م م) .
(٦) تفسير الطبرى ٩/ ٣٢، ٣٣. التفسير ٣/ ٤٦١. وانظر الدر المنثور ٣/ ١١٠.

وأمَّا الدَّمُ فكان قد مُزِج ماؤهم كلُّه به ، فلا يَسْتَقُون من النِّيلِ شيئًا إلا وجدوه دَمًا عَبِيطًا[1] ، ولا مِن نهْرٍ ولا بئرٍ ولا شيءٍ إلا كان دَمًا فى الساعةِ الراهنةِ . هذا كلُّه ، ولم يَنَلْ بَنِى إسرائيلَ من ذلك شيءٌ بالكليةِ . وهذا من تمامِ المعجزةِ الباهرةِ ، والحُجَّةِ القاطعةِ أنَّ هذا كلَّه يَحصُلُ لهم عن فعلِ موسى ، عليه السلامُ ، فيَنالُهم عن آخرِهم ، ولا يَحصُلُ هذا لأحدٍ مِن بنى إسرائيلَ ، وفى هذا أدلُّ دليلٍ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : فرجَع عدوُّ اللَّهِ فرعونُ حينَ آمنَت السَّحَرةُ مغلوبًا مَفْلولًا ، ثُم أَبَى إلا الإقامةَ على الكُفرِ والتَّمادىَ فى الشَّرِّ ، فتابَعَ اللَّهُ عليه بالآياتِ ، فأخذَه بالسِّنينَ ، فأرْسَلَ عليه الطُّوفانَ ، [3]ثُم الجَرَادَ ، ثُم القُمَّلَ ، ثُم الضَّفادِعَ ، ثم الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ ؛ فأرَسَلَ الطُّوفانَ[3] - وهو الماءُ - ففاض على وجهِ الأرضِ ، ثُم ركَدَ ، لا يَقدِرُون على أن يَحْرُثُوا[4] ولا أن يَعْمَلُوا شيئًا ، حتى جُهِدُوا جُوعًا ، فلمَّا بَلَغهم ذلك ، ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤] . فدعا موسى ربَّه ، فكشَفه عنهم ، فلمْ يَفُوا له بشَىْءٍ ، فأَرسَلَ اللَّهُ عليهم الجَرَادَ ، فأَكَل الشَّجَرَ ، فيما بَلَغَنى ، حتى إنْ كان لَيأكُلُ مساميرَ الأبوابِ مِن الحديدِ ، حتى تَقَعَ دورُهم ومساكنُهم ، فقالوا مثلَ ما قالوا ، [5]فدعا ربَّه فكشَف عنهم ، فلم يَفُوا له بشىءٍ ممَّا قالُوا[5] ، فأَرسَل اللَّهُ عليهم القُمَّلَ ، فذُكِر لى أنَّ موسى ، عليه السلامُ ، أُمِرَ أنْ يَمْشِىَ إلى كَثِيبٍ حتى يَضْرِبَه بعَصاه ، فمَشَى إلى كَثِيبِ أَهْيَلٍ عظيمٍ ، فضَرَبَه بها ، فانثال

---

(١) عبيطًا أى طريًّا .

(٢) تفسير الطبرى ٩/ ٣٧. والتفسير ٣/ ٤٦٢ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، والطبرى ، والتفسير . وفى باقى النسخ : « يخرجوا » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

عليهم قُمَّلًا ، حتى غلَب على البُيُوتِ والأَطْعِمةِ ، ومنَعهم النَّومَ والقرارَ ، فلمّا جَهَدَهم ، قالوا له مثلَ ما قالوا له ، فدعا ربَّه ، فكشف عنهم ، فلمْ يَفُوا له بشَيْءٍ ممَّا قالوا ، فأَرْسَل اللَّهُ عليهم الضَّفادِعَ ، فَمَلأَتِ البُيوتَ والأَطْعِمةَ والآنيةَ ، فلم يَكْشِفْ أحدٌ ثوْبًا ولا طعامًا إلا وَجَد فيه الضّفادِعَ قد غلبت عليه ، فلمّا جَهَدَهم ذلك ، قالوا له مثلَ ما قالوا ، فدعا ربَّه ، فكشفَ عنهم ، فلم يَفُوا له[1] بشَيْءٍ ممَّا قالوا ، فأرسَل اللَّهُ عليهم الدَّمَ [١/١٦٤ظ] فصارتْ مياهُ آلِ فِرْعَوْنَ دَمًا ، لا يَسْتَقُون مِن بِئْرٍ ، ولا نَهْرٍ ولا[2] يَغْتَرِفُون مِن إناءٍ ، إلَّا عادَ دمًا عَبِيطًا . وقال زيدُ ابنُ أسلمَ : المرادُ بالدَّمِ الرُّعافُ . رواه ابنُ أبى حاتمٍ[3] .

قال اللَّهُ تعالى[4] : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤- ١٣٦] . يُخبرُ تعالى ، عن كفرِهم ، وعُتُوِّهم ، واستمرارِهم على الضَّلالِ والجَهْلِ ، والاستكبارِ عن اتِّباعِ آياتِ اللَّهِ ، وتصديقِ رَسولِه ، مع ما أُيِّدَ به مِن الآياتِ العَظيمةِ الباهِرةِ ، والحُجَجِ البَليغةِ القاهرةِ ، التى أراهم اللَّهُ إياها عِيَانًا ، وجعَلها عليهم دَليلًا وبُرْهانًا ، وكلّما شاهدُوا آيةً وعايَنُوها ، وجَهَدَتْهم وأضْنَكَتْهم ، حَلَفُوا وعاهَدُوا مُوسى ؛ لَئِنْ كَشَفَ عنهم

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) سقط من : ح ، م ، ص .

(٣) رواه ابن جرير ٩/ ٣٩. وعزاه فى الدر ٣/ ١١٠ إلى ابن أبى حاتم . وانظر التفسير ٣/ ٤٦٣.

(٤) التفسير ٣/ ٤٦٢، ٤٦٣.

هذه، لَيُؤمِنُنَّ به، ولَيُرْسِلُنَّ معه مَنْ هو مِن حِزْبِه، فكلَّما رُفِعَتْ عنهم تلك الآيةُ، عادُوا إلى شَرٍّ مِمَّا كانوا عليه، وأَعْرَضُوا عمّا جاءَهم به مِن الحقِّ، ولم يَلْتَفِتُوا إليه، فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهم آيةً أخرى، هى أشدُّ مِمَّا كانت قبلَها وأَقْوَى، فيقولُون، فيَكْذبون. ويَعِدُون ولا يَفُون ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ فيُكْشَفُ عنهم ذلك العذابُ الوَبِيلُ. ثم يَعُودُون إلى جَهْلِهم العريضِ الطَّويلِ. هذا، والعظيمُ الحليمُ القديرُ يُنْظِرُهم ولا يَعْجَلُ عليهم، ويؤخِّرُهم ويتقدَّمُ بالوعيدِ إليهم، ثم أَخَذَهم - بعدَ إقامةِ الحُجَّةِ عليهم، والإعذارِ[1] إليهم - أَخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ، فجعلَهم عِبْرَةً، ونَكَالًا وسَلَفًا لِمَنْ أَشْبَهَهم مِن الكافرين، ومَثَلًا لِمَن اتَّعَظَ بهم مِن عبادِه المؤمنين.

وقال اللَّهُ تبارك وتعالى، وهو أَصْدَقُ القائلين، فى سورةِ «حم والكتابِ المبينِ»[2]: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ [١٦٥/١و] ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ

---

(١) فى ح، م: «الإنذار».
(٢) التفسير ٧/ ٢١٧- ٢١٩.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٤٦- ٥٦].

يَذْكُرُ تعالى إرسالَهَ عبدَه الكليمَ الكريمَ[1]، إلى فِرْعَوْنَ الخسيسِ اللَّئِيمِ، وأنَّه تعالى أَيَّدَ رسولَه بآياتٍ بيِّناتٍ واضِحاتٍ، تستَحِقُّ أَن تُقابَلَ بالتَّصْديقِ والتَّعْظيمِ، وأَنْ يَرْتَدِعُوا عمَّا هم فيه مِن الكُفرِ، ويَرْجِعوا إلى الحقِّ والصِّراطِ المُستقيمِ، فإذا هم منها يَضْحَكُون، وبها يَسْتَهْزِئُون، وعن سبيلِ اللَّهِ يَصُدُّون، وعن الحَقِّ يَحِيدُونَ، فأرسلَ اللَّهُ عليهمُ الآياتِ تَتْرَى، يَتْبَعُ بعضُها بعضًا، وكلُّ آيةٍ أكبرُ مِن أُخْتِها[2] التى تَتْلُوها؛ لأنَّ المُؤَكَّدَ[3] أبلغُ مِمَّا قبلَه، ﴿ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّٰحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾، لم يكنْ لفظُ السَّاحِرِ فى زَمانِهم نقصًا ولا عَيْبًا؛ لأنَّ علماءَهم، فى ذلك الوقتِ، همُ السَّحَرَةُ؛ ولهذا خاطبُوه بِهِ فى حالِ احتياجِهم إليه، وضَراعَتِهم لَدَيْه، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾، ثُم أخبرَ تعالى عن تَبَجُّحِ فِرْعَوْنَ بمُلْكِه، وعَظَمَةِ بَلَدِه وحُسنِها، وتَحَرُّقِ الأنهارِ فيها، وهى الخُلْجانُ التى يَكْسِرُونها أمامَ زيادةِ النِّيلِ، ثُم تَبَجَّحَ بنفسِه وحِلْيَتِه، وأَخَذَ يَتَنَقَّصُ رسولَ اللَّهِ موسى، عليه السلامُ، ويَزْدَرِيه بكَوْنِه ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يَعْنِى كلامَه، بسببِ ما كان فى لسانِه مِن بَقِيَّةِ تلك اللُّثْغَةِ، التى هى شَرَفٌ له، وكمالٌ وجمالٌ، ولم تكنْ مانعةً له أَنْ كلَّمه اللَّهُ تعالَى، وأَوْحَى إليه، وأَنْزَلَ بعدَ ذلك التَّوراةَ عليه، وتَنَقَّصَه فِرْعَوْنُ، لَعَنَه اللَّهُ، بكونِه لا

---

(١) زيادة من: ح، م.
(٢) زيادة من: الأصل.
(٣) فى ح، م، ص: «التوكيد».

أساوِرَ فى يَديه[1] ولا زِينةَ عليه، وإنَّما ذلك مِن حِلْيَةِ النِّساءِ، لا يَلِيقُ بشهامةِ الرِّجالِ، فكيف بالرُّسُلِ الذين هم أكملُ عَقْلًا، وأتمُّ معرفةً، وأَعْلَى هِمَّةً، وأزهدُ فى الدُّنيا، وأعلمُ بما أعدَّ اللَّهُ لأَوْليائِه فى الأُخْرَى. وقولُه: ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ لا يحتاجُ الأمرُ إلى ذلك، إنْ كان المرادُ أنْ تعظِّمَه الملائكةُ. فالملائكةُ يُعَظِّمُون ويتواضَعُون لِمَن هو دونَ موسى، عليه السَّلامُ، بكثيرٍ، كما جاء فى الحديثِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَصْنَعُ»[2]. فكَيْف يكونُ تواضُعُهم وتعظيمُهم لموسى الكَليمِ، عليه الصّلاةُ والتَّسليمُ والتّكريمُ؟ وإن كان[3] المرادُ شهادتَهم له بالرِّسالةِ، فقد أُيِّد مِن المُعْجزاتِ بما يَدُلُّ قطعًا لذوى الألبابِ، ولِمَن قصدَ إلى الحقِّ والصَّوابِ، ويَعْمَى عمّا جاءَ به مِن البيِّناتِ والحُجَجِ الواضِحاتِ، مَن نَظَرَ إلى القُشُورِ، وتَرَكَ لُبَّ اللُّبابِ، وطبَع على قلبِه ربُّ الأرْبابِ، وخَتَم عليه بما فيه [١٦٥/١ظ] مِن الشَّكِّ والارْتيابِ، كما هو حالُ فِرْعَوْنَ القِبْطىِّ العَمِىِّ الكذَّابِ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ أى؛ اسْتَخَفَّ عقولَهم، ودَرَّجَهم مِن حالٍ إلى حالٍ، إلى أن صَدَّقُوه فى دَعْواه الرُّبوبيَّةَ، لَعَنَه اللَّهُ وقبَّحهم، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾. ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أى؛ أَغْضَبُونا؛ ﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أى؛ بالغَرَقِ، والإهانةِ، وسَلْبِ العِزِّ، والتَّبَدُّلِ بالذُّلِّ وبالعَذَابِ بعدَ النِّعْمَةِ، والهوانِ بعدَ الرَّفاهِيَةِ، والنَّارِ بعدَ طِيبِ العَيْشِ، عِياذًا باللَّهِ العظيمِ وسلطانِه القَديمِ مِن ذلك، ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾ أى؛ لِمَنِ اتَّبعَهم فى الصِّفاتِ، ﴿ وَمَثَلًا ﴾ أى؛ لِمَنِ اتَّعَظَ بهم، وخافَ مِن وَبيلِ

---

(١) فى ح، م، ص: «بدنه».
(٢) تقدم تخريجه ١/ ١٢٤.
(٣) بعده فى الأصل، ح: «إنما».

مَصْرَعِهم، مِمَّن بلغَه جَلِيَّةُ خَبَرِهم، وما كان مِن أمرِهم؛ كما قال اللَّهُ تعالى[1]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٣٦- ٤٢].

يُخبِرُ تعالى أنَّهم لمَّا اسْتَكْبَرُوا عن اتِّباعِ الحقِّ، وادَّعَى مَلِكُهم الباطلَ، ووافقُوه عليه، وأطاعُوه فيه، اشْتَدَّ غضبُ الرَّبِّ القديرِ العَزيزِ، الذى لا يُغالَبُ ولا يُمانَعُ، عليهم، فانتقَمَ منهم أشدَّ الانتقامِ، وأغْرَقه هو وجنودَه فى صَبيحةٍ واحدةٍ، فلمْ يَفْلِتْ مِنهم أحدٌ، ولم يَبْقَ مِنهم دَيَّارٌ، بل كلٌّ قد غَرِق، فدَخَلَ النَّارَ، وأُتْبِعُوا فى هذه الدَّارِ لعنةً بينَ العالمينَ، ويومَ القيامةِ، بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ، ويومَ القيامةِ هم مِنَ المَقْبُوحِينَ.

---

(١) التفسير ٦/٢٤٧، ٢٤٨.

ذكرُ[1] هلَاكِ فِرْعَوْنَ وجنودِه

لمَّا تمادَى قِبْطُ مصرَ على كفرِهم، وعُتُوِّهم، وعنادِهم، متابَعَةً لِمَلِكِهم فِرْعَوْنَ، ومخالفَةً لنبيِّ اللَّهِ ورسولِه وكليمِه، موسى بنِ عِمْرَانَ، عليه السَّلامُ، وأقامَ اللَّهُ على أهلِ مصرَ الحُجَجَ العظيمةَ القاهرةَ، وأراهم مِن خوارقِ العاداتِ ما بَهَرَ الأبصارَ وحَيَّرَ العقولَ، وهم مع ذلك لا يَرْعَوُون، ولا يَنْتَهُون، ولا يَنْزِعُون[2]، ولا يَرْجِعُون، ولم يُؤْمِنْ [١٦٦/١و] منهم إلا القليلُ، قيل: ثلاثةٌ؛ وهم امرأةُ فِرْعَوْنَ، ولا عِلْمَ لأهلِ الكتابِ بخبرِها، ومؤمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، الذى تَقدَّم حكايةُ موعظتِه، ومَشورتِه، وحُجَّتِه عليهم، والرَّجلُ النّاصحُ، الذى جاء يَسْعَى مِن أَقْصَى المدينةِ، فقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾. قاله ابنُ عباسٍ، فيما رواه ابنُ أبى حاتمٍ عنه[3]. ومُرادُه غيرُ السَّحَرةِ، فإنّهم كانوا مِنَ القِبْطِ. وقيل: بل آمَنَ به طائفةٌ مِن القِبْطِ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ، والسَّحرةُ كلُّهم، وجميعُ شَعْبِ بنى إسرائيلَ. ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣]. فالضّميرُ فى قولِه: ﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ عائدٌ على فِرْعَوْنَ؛

---

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) فى الأصل: «يقترعون». وفى ا: «يفزعون».

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٨٤.

لأنَّ السّياقَ يدلُّ عليه. وقِيل: على موسى؛ لقُرْبِه. والأوَّلُ أَظْهرُ، كما هو مُقَرَّرٌ فى «التَّفسيرِ»[1]. وإيمانُهم كان خُفْيةً؛ لمخافَتِهم مِن فِرْعَوْنَ وسَطْوَتِه، وجَبَرُوتِه وسُلْطتِه، ومِن مَلَئِهم أنْ يَنِمُّوا عليهم إليه، فيَفتِنَهم عن دينِهم، قال اللَّهُ تعالى، مُخْبِرًا عن فِرْعَوْنَ، وكفى باللَّهِ شهيدًا: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾. أى؛ جَبَّارٌ، عَنِيدٌ، مُسْتَعْلٍ بغيرِ الحقِّ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أى؛ فى جميعِ أمورِه وشئونِه وأحوالِه، ولكنَّه جُرْثُومَةٌ قد حانَ انجِعافُها، وثَمَرَةٌ خَبِيثَةٌ قد آنَ قِطافُها، ومُهْجَةٌ مَلْعُونَةٌ قد حُتِم إتْلافُها. وعندَ ذلك قال موسى[2]: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٤- ٨٦]. يأمرُهم بالتوكُّلِ على اللَّهِ، والاستعانةِ به والالتجاءِ إليه، فأتَمَرُوا بذلك، فجعَل اللَّهُ لهم مِمَّا كانوا فيه فَرَجًا ومَخْرَجًا. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَوْحَى اللَّهُ تعالى إلى موسى وأخيه هارونَ، عليهما السّلامُ، أنْ يَتَّخِذا لقَوْمِهما بيوتًا مُتَمَيِّزَةً فيما بينَهم عن بيوتِ القِبْطِ؛ ليكُونُوا على أُهْبَةٍ من الرَّحيلِ، إذا أُمِرُوا به، ليَعْرِفَ بعضُهم بيوتَ بعضٍ. وقولُه[3]: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قِيل: مساجدَ. وقِيل: معناه كَثْرَةُ الصّلاةِ فيها. قالَه مُجاهدٌ، وأبو مالكٍ، وإبراهيمُ النَّخَعِىُّ، والرّبيعُ، والضَّحّاكُ، وزيدُ بنُ أَسْلَمَ، وابنُه عبدُ الرَّحمنِ، وغيرُهم[4].

---

(١) التفسير ٤/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) التفسير ٤/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) التفسير ٤/ ٢٢٤.

(٤) انظر تفسير الطبرى ١١/ ١٥٣- ١٥٥. والتفسير ٤/ ٢٢٤.

ومعناه على هذا، الاستعانةُ على ما هم فيه مِن الضُّرِّ، والشِّدَّةِ، والضِّيقِ، بكَثْرةِ الصّلاةِ؛ كما قال تعالَى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ [١/١٦٦ظ] وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]. وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ صَلَّى[1]. وقِيل: معناه أنّهم لم يكونُوا حينَئِذٍ يَقْدِرُون على إظهارِ عبادتِهم فى مجتمعاتِهم، ومعابدِهم، فأُمِرُوا أنْ يُصَلُّوا فى بُيُوتِهم، عِوَضًا عمّا فاتَهم مِن إظهارِ شِعَارِ الدِّينِ الحقِّ فى ذلك الزّمانِ، الذى اقْتَضَى حالُهم إخفاءَه؛ خوفًا مِن فِرْعَوْنَ ومَلَئِه. والمعنى الأولُ أَقْوَى؛ لقولِه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإنْ كان لا يُنافِى الثّانىَ أيضًا، واللَّهُ أعلمُ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[2]، ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ أى: متقابلةً.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] [يونس: ٨٨، ٨٩]. هذه دعوةٌ عظيمةٌ، دعا بها كليمُ اللَّهِ موسى، على عدوِّ اللَّهِ فِرْعَوْنَ؛ غضبًا للَّهِ عليه، لتكبُّرِه عن اتِّباعِ الحقِّ، وصَدِّه عن سبيلِ اللَّهِ، ومعاندتِه، وعُتُوِّه، وتَمَرُّدِه، واستمرارِه على الباطلِ، ومكابرتِه الحقَّ الواضحَ الجَلِىَّ الحِسِّىَّ والمعنوىَّ، والبرهانَ القَطْعِىَّ، فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ ﴾ يعنى: قومَه مِن القِبْطِ، ومَن كان على مِلَّتِه، ودانَ بدِينِه ﴿ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن

---

(١) رواه أبو داود (١٣١٩) من حديث حذيفة. حديث حسن (صحيح أبى داود ١١٧١).
(٢) تفسير الطبرى ١١/ ١٥٥. والتفسير ٤/ ٢٢٤.
(٣) التفسير ٤/ ٢٢٥، ٢٢٦.

سَبِيلِكَ ﴾ أى ؛ وهذا يَغْتَرُّ به مَن يُعظِّمُ أمرَ الدّنيا ، فيَحْسَبُ الجاهلُ أنّهم على شىءٍ ؛ لكَوْنِ هذه الأموالِ[1] ، وهذه الزِّينةِ ؛ مِن اللّباسِ ، والمراكِبِ الحسنةِ الهَنِيَّةِ ، والدُّورِ الأَنِيقَةِ ، والقُصورِ المَبْنِيَّةِ ، والمآكلِ الشَّهِيَّةِ ، والمناظرِ البَهِيَّةِ ، والمُلْكِ العزيزِ ، والتَّمْكِينِ ، والجاهِ العَرِيضِ ، فى الدُّنيا لا الدِّينِ ، ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ قال ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ . أى ؛ أَهْلِكْها . وقال أبو العَالِيةِ ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ ، والضَّحّاكُ : اجْعَلْها حجارةً مَنْقوشةً كهَيْئةِ ما كانت . وقال قَتادةُ : بَلَغَنا أنّ زُرُوعَهم صارتْ حِجارةً . وقال محمدُ بنُ كَعْبٍ : جعل سُكَّرَهم حجارةً[2] . وقال أيضًا : صارتْ أموالُهم كلُّها حجارةً . ذُكِر ذلك لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لغلامٍ له : ائْتِنى بكِيسٍ . فجاءَه بكِيسٍ ، فإذا فيه حِمَّصٌ وبَيْضٌ [3]قدْ قُطِّعَ[3] ، قد حُوِّل حجارةً . رواه ابنُ أبى حاتمٍ[4] . وقولُه : ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ قال ابنُ عباسٍ : أى ؛ اطْبَعْ عليها . وهذه دعوةُ غضبٍ للّهِ تعالى ولدِينِه ، ولبراهينِه ، فاستجابَ اللّهُ تعالى لها ، وحقَّقَها ، وتقبَّلها ؛ كما استجابَ لنوحٍ فى قومِه ، حيثُ قال [١٦٧/١و] : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦، ٢٧] . ولهذا قال تعالى ، مخاطِبًا لموسى ، حينَ دعا على فِرْعَوْنَ ومَلَئِه ، وأَمَّنَ أخوه هارونُ على دعائِه ، فنَزَلَ ذلك منزلةَ الدّاعِى أيضًا : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت

---

(١) فى الأصل : « الأمور » .
(٢) انظر هذه الأقوال فى تفسير الطبرى ١٩/ ١٥٧، ١٥٨. والتفسير ٤/ ٢٢٥. والدر المنثور ٣/ ٣١٥.
(٣ - ٣) سقط من : م، ص.
(٤) ذكره فى الدر المنثور ٣/٣١٥ وعزاه لابن أبى حاتم من حديث محمد بن كعب القرظى . وانظر التفسير ٤/ ٢٢٥.

دَعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال المفسِّرُون وغيرُهم مِن أهلِ الكتابِ: استأذَنَ بنو إسرائيلَ فرعونَ، فى الخروجِ إلى عِيدٍ لهم، فأَذِنَ لهم وهو كارِهٌ، ولكنَّهم تجَهَّزُوا للخُروجِ، وتأَهَّبُوا له، وإنَّما كان فى نفسِ الأمرِ مَكِيدَةً بفِرْعَوْنَ وجنودِه؛ لِيتَخلَّصُوا مِنهم، ويَخْرُجُوا عنهم، وأمرَهم اللَّهُ تعالى - فيما ذَكَرَه أهلُ الكتاب - أنْ يَسْتَعِيرُوا حُلِيًّا مِنهم، فأعارُوهم شيئًا كثيرًا، فخَرَجُوا بلَيْلٍ، فسارُوا مستمرِّين ذاهِبين مِن فَوْرِهم، طالِبِين بلادَ الشَّامِ، فلمَّا عَلِمَ بذَهابِهم فِرْعَونُ، حَنِقَ عليهم كلَّ الحَنَقِ، واشتدَّ غَضَبُه عليهم، وشَرَع فى اسْتِحْثاثِ جيشِه، وجمعِ جنودِه ليَلْحَقَهم، ويَمْحَقَهم، قال اللَّهُ تعالى[1]: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٥٢- ٦٨]. قال علماءُ التَّفسيرِ[2]: لمَّا رَكِبَ فِرْعَوْنُ فى جنودِه، طالبًا بَنى إسرائيلَ، يَقْفُو أَثَرَهم، كان فى جيشٍ كَثيفٍ عَرَمْرَمٍ[3]،

---

(١) التفسير ٦/ ١٥١- ١٥٥.

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٩/ ٧٤ وما بعدها. قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٧٣، ١٧٤. التفسير ٦/ ١٥٣. الدر المنثور ٥/ ٨٤، ٨٥.

(٣) جيش عرمرم: كثير. الوسيط (ع ر م).

حتى قِيل : كان فى خيولِه مائةُ ألفِ فَحْلٍ أدْهَمَ . وكانت عِدَّةُ جنودِه تزيدُ على ألفِ ألفٍ ، وستِّمائةِ ألفٍ . فاللَّهُ أعلمُ . وقِيل : إنّ بنى إسرائيلَ كانوا نحوًا مِن ستِّمائةِ ألفِ مقاتِلٍ غيرَ الذّرّيّةِ ، وكان بينَ خُروجِهم مِن مصرَ صُحْبَةَ موسى ، عليه السّلامُ ، ودخولِهم إليها صُحْبَةَ أبيهم إسرائيلَ ، أربعُمائةِ سنةٍ وستٍّ وعِشرون سنةً شَمْسِيَّةً[1] .

والمقصودُ أنَّ فِرْعَوْنَ لَحِقَهم بالجنودِ ، فأَدْرَكَهم عندَ شُروقِ الشَّمسِ ، وتراءَى الجَمْعَان ، [١٦٧/١ظ] ولم يَبْقَ ثَمَّ رَيْبٌ ، ولا لَبْسٌ ، وعايَنَ كلٌّ مِن الفَرِيقَيْنِ صاحبَه ، وتحقَّقَه ورآه ، ولم يَبْقَ إلا المُقاتَلَةُ ، والمُجَاوَلَةُ[2] ، والمُحاماةُ ، فعندَها قال أصحابُ موسى ، وهم خَائِفون : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وذلك لأنَّهم اضطُرُّوا فى طريقِهم إلى البحرِ ، فليس لهم طريقٌ ولا مَحِيدٌ إلا سلوكُه وخَوْضُه ، وهذا ما لا يَسْتَطِيعُه أحدٌ ، ولا يَقْدِرُ عليه ، والجبالُ عن يَسْرَتِهم ، وعن أيمانِهم ، وهى شاهِقةٌ مُنِيفةٌ ، وفِرْعَوْنُ قد غالقَهم وواجَهَهم ، وعاينُوه فى جُنودِه وجُيوشِه وعَدَدِه وعُدَدِه ، وهم منه[3] فى غايةِ الخوفِ والذُّعْرِ ، لِما قاسَوْا فى سلطانِه مِن الإهانةِ والنُّكْرِ ، فَشَكَوْا إلى نبىِّ اللَّهِ ما هم فيه ، مِمَّا قد شاهدُوه وعاينُوه ، فقال لهم الرَّسولُ الصّادقُ المصْدُوقُ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ . وكان فى السّاقةِ ، فتقدَّم إلى المقدِّمةِ ، ونظَر إلى البحْرِ ، وهو يَتَلاطَمُ بأمواجِه ، ويتزايدُ زَبَدُ أُجاجِه ، وهو يقولُ : هٰهنا أُمِرْتُ . ومعه أخوه هارونُ ؛ ويُوشَعُ بنُ نُونٍ ، وهو يومَئِذٍ مِن ساداتِ بنى إسرائيلَ ، وعُلَمائِهم ،

---

(١) انظر ما تقدم ١/ ٤٩٩، ٥٠٠.

(٢) فى الأصل ، م : « المجادلة » . وفى ص : « المحاولة » .

(٣) فى الأصل : « منهم » .

وعُبَّادِهم الكِبارِ، وقد أَوْحَى اللَّهُ إليه، وجعلَه نبيًّا بعدَ موسى وهارونَ، عليهما السَّلامُ، كما سنذكُرُه فيما بعدُ إن شاءَ اللَّهُ تعالى، ومعهم أيضًا مؤمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وهم وُقوفٌ، وبنو إسرائيلَ بكمالِهم عليهم عُكُوفٌ. ويقالُ: إنّ مؤمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ جعَل يَقْتَحِمُ بفَرَسِه مِرارًا فى البحرِ، هل يمكنُ سُلُوكُه؟ فلا يُمْكِنُ، ويقولُ لموسى، عليه السَّلامُ: يا نبيَّ اللَّهِ، أهـهنا أُمِرْتَ؟ فيقولُ: نعم. فلمَّا تَفاقَمَ الأمرُ، وضاقَ الحالُ، واشتدَّ الأمرُ، واقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ وجنودُه فى جِدِّهم، وحَدِّهم وحَديدِهم، وغضَبِهم، وحَنَقِهم، وزاغتِ الأبْصارُ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ، فعندَ ذلك أَوْحَى الحليمُ العظيمُ القديرُ، ربُّ العرشِ الكريمُ إلى موسى الكليمِ: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾. فلمّا ضربَه، يقالُ: إنَّه قال له: انفلِقْ بإذنِ اللَّهِ. ويُقالُ: إنَّه كَنَّاه بأبى خَالدٍ[1]. فاللَّهُ أعلمُ[2]. قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ويُقالُ: إنَّه انفَلَقَ اثْنَىْ عشَرَ طريقًا، لكلِّ سِبْطٍ طريقٌ يَسِيرُون فيه، حتى قيل: إنَّه صارَ أيضًا شَبابيكَ؛ ليَرَى بعضُهم بعضًا. وفى هذا نَظَرٌ؛ لأنَّ الماءَ جِرْمٌ شَفّافٌ، إذا كان مِن ورائِه ضياءٌ حَكَاه. وهكذا كان ماءُ البحرِ قائمًا مثلَ الجبالِ، مَكْفُوفًا بالقُدْرةِ العظيمةِ الصَّادرةِ عن الذى [١٦٨/١و] يقولُ للشىءِ: كُنْ. فيكونُ. وأَمَرَ اللَّهُ ريحَ الدَّبُورِ، فَلَفَحَتْ[3] حالَ[4] البحرِ، فأَذْهَبَتْه حتى صار يابسًا لا يَعْلَقُ فى سَنابكِ الخُيُولِ والدَّوابِّ.

---

(١) فى ح، م، ص: «خلد».

(٢) انظر تاريخ الطبرى ١/ ٤١٣- ٤١٥. قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٧٥. التفسير ٦/ ١٥٣، ١٥٤.

(٣) فى ح، م: «فلقحت». وفى ص: «فلحقت».

(٤) فى ص: «جبال». والحال: الطين الأسود.

قالَ اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه : ٧٧ - ٧٩] .

والمقصودُ أنّه لَمّا آلَ أمرُ البحرِ إلى هذه الحالِ ، بإذْنِ الربِّ العظيمِ الشَّديدِ المحالِ ، أُمِرَ موسى ، عليه السَّلامُ ، أن يَجُوزَه ببنى إسرائيلَ ، فانْحَدَرُوا فيه مُسْرِعِينَ ، مُسْتَبْشِرِينَ ، مُبادِرِينَ ، وقد شاهدُوا مِن الأمرِ العظيمِ ما يُحَيِّرُ النّاظرين ، ويَهْدِى قلوبَ المُؤْمِنين ، فلمَّا جاوَزُوه ، وجاوَزَه وخرجَ آخِرُهم منه ، وانْفَصَلُوا عنه ، كان ذلك عندَ قدُومِ أوَّلِ جيشِ فِرْعَوْنَ إليه ، ووُفودِهم عليه ، فأرادَ موسى ، عليه السّلامُ ، أنْ يَضْرِبَ البحرَ بعصاه ، ليَرْجِعَ كما كان عليه ؛ لِئَلَّا يكونَ لفِرْعَوْنَ وجنودِه وصولٌ إليه ، ولا سبيلٌ عليه ، فأَمَرَه القديرُ ذو الجَلالِ ، أَنْ يَتْرُكَ البحرَ على هذه الحالِ ، كما قال ، وهو الصّادقُ فى المَقالِ[2] .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ

---

(١) التفسير ٥/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) التفسير ٧/ ٢٣٧- ٢٤١.

ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان: ١٧- ٣٣]. فقولُه تعالى: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أى؛ ساكنًا على هَيئتِه، لا تغيِّرْه عن هذه الصِّفةِ. قاله عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعِكْرِمَةُ، والرَّبيعُ، والضَّحّاكُ، وقَتادةُ، وكَعْبُ الأحبارِ، وسِماكُ بنُ حَرْبٍ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ، وغيرُهم[1]. فلمّا تَرَكه على هيئتِه وحالتِه، وانتهَى فِرْعَوْنُ، فَرَأَى ما رَأَى، وعايَنَ ما عايَنَ، هالَه هذا المنظَرُ العظيمُ، [١/١٦٨ظ] وتحقَّقَ ما كان يتحقَّقُه قبلَ ذلك، مِن أنَّ هذا مِن فِعْلِ ربِّ العرشِ الكريمِ، فأَحْجَمَ ولم يتقدّمْ، ونَدِم فى نفسِه على خروجِه فى طلبِهم، والحالةُ هذه، حيثُ لا ينفعُه النَّدَمُ، لكنَّه أظهَرَ لجنودِه تجلُّدًا، وعامَلَهم معاملةَ العِدَا، وحملتْه النّفسُ الكافرةُ، والسَّجيَّةُ الفاجرةُ، على أنْ قال لِمَن استخفَّهم فأطاعُوه، وعلى باطلِه تابعُوه[2]: انْظُرُوا كيف انْحَسَرَ البحرُ لى؛ لأُدْرِكَ عبيدِى الآبِقين مِن يدِى، الخارِجينَ عن طاعتِى وبلدِى؟ وجعَل يُورِى فى نفسِه أنْ يَذْهَبَ خلْفَهم، ويَرجُو[3] أنْ يَنْجُوَ، وهَيْهاتَ، ويُقْدِمُ تارةً، ويُحْجِمُ تاراتٍ. فذَكَرُوا أنّ جِبريلَ، عليه السّلامُ، تَبَدَّى فى صورةِ فارسٍ، راكِبٍ على رَمَكَةٍ حائلٍ[4]، فمرَّ بينَ يَدَىْ فحلِ فرعونَ، لَعَنَه اللَّهُ، فحَمْحَمْ إليها، وأَقْبَلَ عليها، وأَسْرَعَ جبريلُ بينَ يَدَيْه، فاقْتَحَمَ البحرَ، واسْتَبَقَ الجَوادَ، وقد أجادَ، فبادرَ مُسْرِعًا، هذا وفرعونُ لا يملِكُ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥/ ١٢١، ١٢٢. والتفسير ٧/ ٢٣٨.

(٢) فى الأصل، ص: «بايعوه».

(٣) فى الأصل: «يجوز». وفى ح: «يجور».

(٤) رمَكَة حائل: فرس أنثى مشتهاة غير حامل.

مِنْ نفسِه (١ولا لِنَفْسِه١) ضَرًّا ولا نَفْعًا، فلمّا رأتْه الجنودُ قد سَلَكَ البحرَ، اقْتَحَمُوا وراءَه مُسْرِعِينَ، فحَصَلُوا فى البحرِ أَجْمَعِينَ أَكْتَعِينَ أَبْصَعِينَ، حتى همّ أولُهم بالخروجِ منه، فعندَ ذلك، أمَر اللَّهُ تعالى كليمَه ﷺ فيما أوْحاه إليه، أن يَضْرِبَ البحرَ بعصاه، فضرَبه، فارتطم(٢) عليهم البحرُ كما كان، فلم يَنْجُ مِنهم إنسانٌ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أى فى إنجائِه أولياءَه، فلم يَغرَقْ منهم أحدٌ، وإغراقِه أعداءَه، فلم يَخْلُصْ منهم أحدٌ، آيةٌ عظيمةٌ، وبرهانٌ قاطِعٌ على قدرتِه تعالى العظيمةِ، وصِدْقِ رسولِه فيما جاءَ به عن ربِّه مِن الشَّريعَةِ الكريمةِ، والمناهِجِ المُسْتَقيمةِ.

وقال تعالى(٣): ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠- ٩٢]. يُخْبِرُ تعالَى، عن كيفيةِ غَرَقِ فِرْعَوْنَ، زعيمِ كَفَرَةِ القِبْطِ، وأنّه لَمَّا جَعَلَتِ الأمواجُ تَخْفِضُه تارةً، وتَرْفَعُه أُخْرَى، وبنو إسرائيلَ يَنْظُرُون إليه، وإلى جُنُودِه، ماذا أحلَّ اللَّهُ به وبهم مِن البأسِ العَظيمِ، والخَطْبِ الجَسيمِ، ليكونَ أقرَّ لأَعْيُنِ بنى إسرائيلَ، وأَشْفَى لنفوسِهم، فلمّا عايَنَ فرعونُ الهَلَكَةَ [١/١٦٩و]، وأُحِيطَ به، وباشرَ سَكَراتِ

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

(٢) فى الأصل: «فانتظم».

(٣) التفسير ٤/ ٢٢٦- ٢٢٩.

الموتِ ، أنابَ حينَئِذٍ ، وتابَ ، وآمَنَ حينَ لا يَنْفَعُ نفسًا إيمانُها ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥] .

وهكذا دعا موسى على فِرْعَوْنَ وملئِه ، أنْ يُطْمَسَ على أمْوالِهم ، ويُشْدَدَ على قلوبِهم ، ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ أى ؛ حينَ لا ينفعُهم ذلك ، ويكونُ حَسْرةً عَليهم ، وقد قال تعالى لهما ؛ أى لموسى وهارونَ ، حين دَعَوا بهذا : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ . فهذا مِن إجابةِ اللَّهِ تعالى دَعْوَةَ كليمِه وأخيه هارونَ ، عَليهما السَّلامُ .

ومِن ذلك ، الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[1] : حدثّنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ ، حدّثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن علىِّ بنِ زَيْدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمّا قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ » قال : « قالَ لِى جِبْرِيلُ : ل وْ رَأَيْتَنى وقدْ أخَذْتُ مِنْ حالِ البَحْرِ فَدَسَسْتُه فى فيهِ ، مَخافَةَ أَن تَنالَهُ الرَّحْمَةُ » . ورواه التِّرْمِذِىُّ ، وابنُ جريرٍ ، وابنُ أبى حاتمٍ ، عندَ هذه الآيةِ ، مِن حديثِ حمّادِ بنِ سَلَمَةَ[2] . وقال التِّرمذىُّ : حديثٌ حَسَنٌ .

---

(١) أحمد فى المسند ١/ ٣٠٩. (إسناده صحيح) .
(٢) الترمذى (٣١٠٧)، تفسير الطبرى ١١/ ١٦٣. وعزاه فى الدر المنثور ٣/٣١٥ إلى ابن أبى حاتم . (صحيح الترمذى ٢٤٨٣) .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ[1] : حدّثنا شُعْبَةُ ، عن عَدِيِّ بنِ ثابتٍ ، وعطاءِ بنِ السّائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال لى جِبريلُ : لو رَأَيْتَنى وأنا آخُذُ مِن حالِ البحرِ فأَدُسُّه فى فَمِ فِرْعَوْنَ ؛ مخافةَ أنْ تُدْرِكَه[2] الرَّحْمةُ » . ورواه التِّرْمِذِىُّ ، وابنُ جريرٍ ، مِن حديثِ شُعْبَةَ ، وقال التِّرْمِذِىُّ : حَسَنٌ غريبٌ صحيحٌ . وأشارَ ابنُ جريرٍ فى روايةٍ إلى وَقْفِه[3] .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[4] : حدّثنا أبو[5] سعيدٍ الأَشَجُّ ، حدّثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن عمرَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يَعْلَى الثَّقفىِّ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لمّا أغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ ، أشارَ بأُصْبُعِه ، ورفَع صَوْتَه : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . قال : فخاف جبريلُ أن تَسْبِقَ رحمةُ اللَّهِ فيه غضبَه ، فجعَل يأخذُ الحالَ بجَناحَيْه ، فيَضْرِبُ به وجهَه فيرمُسُه . ورواه ابنُ جَريرٍ ، مِن حديثِ أبى [١٦٩/١ظ] خالدٍ به . وقد رواه ابنُ جَريرٍ ، مِن طريقِ كثيرِ بنِ زاذانَ ، وليس بِمَعْروفٍ[6] ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « قالَ لِى جِبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، لَوْ رَأَيْتَنِى ، وَأَنَا أَغطُّهُ ، وَأَدُسُّ مِن الحَالِ فِى فِيهِ ، مَخافَةَ أَنْ تُدْرِكَه رَحْمَةُ اللَّهِ ؛ فَيَغْفِرَ لَهُ »[7] . يعْنى

---

(١) مسند أبى داود الطيالسى (٢٦١٨) .

(٢) فى ح ، م ، ص : « يناله » .

(٣) الترمذى (٣١٠٨) وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . ابن جرير فى التفسير ١٦٣/١١ مرفوعًا ، ١٦٤/١١ موقوفًا . (صحيح الترمذى ٢٤٨٤) .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر ٣١٥/٣ وعزاه إلى ابن أبى حاتم مطولا .

(٥) فى الأصل : « ابن » .

(٦) بعده فى الأصل ، م ، ص : « و » . وهو خطأ .

(٧) ابن جرير فى تفسيره ١٦٤/١١ من حديث أبى خالد الأحمر به مختصرا ، وفى ١٦٣/١١ من طريق كثير بن زاذان عن أبى حازم عن أبى هريرة .

فِرْعَوْنَ . وقد أرْسلَه غيرُ واحدٍ مِن السّلَفِ ؛ كإبراهيمَ التَّيْمِىِّ ، وقَتادةَ ، ومَيْمونِ ابنِ مِهْرَانَ ، ويُقالُ : إنّ الضَّحاكَ بنَ قَيْسٍ خَطَبَ به النّاسَ[1] . وفى بعضِ الرِّواياتِ : « إنّ جبريلَ قال : ما بَغَضْتُ أحدًا بُغْضِى لِفِرْعَوْنَ ، حينَ قال : أنا ربُّكم الأعْلَى . ولقد جَعَلْتُ أَدُسُّ فى فِيه الطِّينَ حين قال ما قال » . وقولُه تعالى : ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ استفهامُ إنكارٍ ، ونصٌّ على عدمِ قَبولِه تعالَى منه ؛ ذلك لأنّه ، واللَّهُ أعلمُ ، لو رُدَّ إلى الدُّنْيا كما كان ، لَعادَ إلى ما كان عَليه ، كما أخبرَ تعالى عن الكفارِ ، إذا عاينُوا النّارَ وشاهدُوها ، أنّهم يقولُون : ﴿ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] . قال اللَّهُ : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨] . وقولُه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ قال ابنُ عباسٍ ، وغيرُ واحدٍ : شَكَّ بعضُ بنى إسرائيلَ فى موتِ فِرْعَوْنَ ، حتى قال بعضُهم : إنّه لا يموتُ . فأمَر اللَّهُ البَحْرَ ، فرَفَعه على مُرْتَفَعٍ - قِيل : على وجهِ الماءِ . وقِيل : على نَجْوَةٍ مِن الأرضِ - وعليه دِرْعُه التى يَعْرِفُونها مِن ملابِسه ؛ ليتحقَّقُوا بذلك هلاكَه ، ويعلمُوا قُدرةَ اللَّهِ عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أى ؛ مُصاحِبًا دِرْعَكَ المَعْروفَةَ بك ﴿ لِتَكُونَ ﴾ أى ؛ أنتَ آيةً ﴿ لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾ أى ؛ مِن بنى إسرائيلَ ، دليلًا على قُدْرةِ اللَّهِ الذى أَهْلَكَه . ولهذا قَرَأَ بعضُ السَّلفِ : (لِتكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً)[2] . ويَحْتَمِلُ أن يكونَ المرادُ : نُنَجِّيك مصاحِبًا دِرْعَك[3] ؛ ليكونَ دِرْعُك علامةً لِمَن

---

(١) تفسير الطبرى ١١/ ١٦٣، ١٦٤. والتفسير ٤/ ٢٢٨.

(٢) انظر القرطبى ٨/ ٣٨١.

(٣) سقط من : م ، ص .

وراءَك مِن بنى إسرائيلَ، على معرفتِك، وأنَّك هَلَكْتَ، واللَّهُ أعلمُ. وقد كان هلاكُه وجنودِه فى يومِ عَاشُوراءَ.

كما قال الإمامُ البخاريُّ فى «صحيحِه»[1]: حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ[2]، حدثنا غُنْدَرٌ، حدّثنا شُعْبَةُ، عن أبى[3] بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قَدِم النَّبىُّ ﷺ المدينةَ، واليهودُ تَصومُ يومَ عاشوراءَ، فقالوا: هذا يومٌ ظَهَرَ فيه موسى على فِرْعَوْنَ. قال النَّبىُّ ﷺ: «أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنهم فَصومُوا». وأصلُ هذا الحديثِ فى «الصَّحيحَيْنِ» وغيرِهما[4]. واللَّهُ أعلمُ [١/١٧٠و].

---

(١) البخارى (٤٦٨٠).

(٢) فى الأصل: «يسار». وانظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩/ ٧٠.

(٣) فى الأصل: «ابن».

(٤) البخارى (٢٠٠٤، ٣٣٩٧، ٣٩٤٣، ٤٧٣٧). مسلم (١١٣٠). والنسائى فى الكبرى (٢٨٣٤، ٢٨٣٥). ابن ماجه (١٧٣٤).

فصلٌ فيما كانَ مِن

أمْرِ بنى إسرائيلَ بعدَ هلاكِ فِرْعَوْنَ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٦- ١٤١]. يَذْكُرُ تعالى ما كان مِن أمرِ فِرْعَوْنَ وجنودِه، فى غَرَقِهِم، وكيف سَلَبَهُم عِزَّهم، ومالَهم، وأنفسَهم، وأَوْرَثَ بنى إسرائيلَ جميعَ أموالِهم وأملاكِهم، كما قال: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩]. وقال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

---

(١) التفسير ٣/ ٤٦٣، ٤٦٤.

وقال هاهنا: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أى: أَهْلَكَ ذلك جميعَه، وسَلَبَهم عِزَّهم العزيزَ العريضَ فى الدُّنيا، وهَلَكَ المَلِكُ وحاشيتُه، وأُمراؤُه، وجنودُه، ولم يَبْقَ ببلدِ مصرَ سوى العامّةِ والرَّعايا. فذكَر ابنُ عبدِ الحكمِ، فى «تاريخِ مصرَ»[1]، أنَّه مِن ذلك الزّمانِ تسلَّط نساءُ مصرَ على رجالِها؛ بسببِ أنّ نساءَ الأمراءِ والكُبَراءِ تزوَّجْنَ بِمَنْ دونَهنَّ مِن العامّةِ، فكانت لهنّ السَّطوةُ عليهم، واسْتَمَرَّتْ هذه سُنّةَ نساءِ مصرَ إلى يومِك هذا.

وعندَ أهلِ الكتابِ، أنَّ بنى إسرائيلَ لَمَّا أُمِرُوا بالخروجِ مِن مصرَ، جَعَل اللَّهُ ذلك الشَّهرَ أولَ سَنَتِهم، وأُمِرُوا أَنْ يَذْبَحَ كلُّ أهلِ بيتٍ حَمَلًا[2] مِن الغَنَمِ، فإنْ كانوا لا يحتاجُون إلى حملٍ[3]، فلْيشترِكِ الجارُ وجارُه فيه، فإذا ذبحُوه فَلْينضَحُوا مِن دمِه على أعتابِ أبوابِهم؛ ليكونَ علامةً لهم على بُيُوتِهم، ولا يَأْكُلُونه مطبوخًا، ولكنْ مَشْويًّا برأسِه، وأكارِعه، وبَطْنِه، ولا يُبْقُوا منه شيئًا، ولا يَكْسِرُوا له عَظْمًا، ولا يُخْرِجُوا مِنه شيئًا إلى خارجِ بيوتِهم، ولْيَكُنْ خُبْزُهم فَطِيرًا سبعةَ أيامٍ، ابتداؤُها مِن الرّابعَ عَشَرَ مِن الشّهرِ الأولِ مِن سَنَتِهم، وكان ذلك فى فصلِ الرّبيعِ، فإذا أَكَلُوا، فَلْتَكُنْ أوساطُهم مَشْدُودةً، وخِفافُهم فى أرجلِهم، وعِصِيُّهم فى أيديهم، ولْيَأْكلُوا بسرعةٍ، قِيامًا، ومَهْمَا فضَل عن [١/

---

(١) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٢٨.
(٢) فى ح، م، ص: «جملًا».
(٣) فى ح، م، ص: «جمل».

١٧٠ظ] عَشائِهم، فما بَقِيَ إلى الغدِ فَلْيَحْرِقُوه بالنَّارِ، وشُرِع لهم هذا عيدًا لأعقابِهم، ما دامتِ التّوراةُ مَعْمولًا بها، فإذا نُسِخَتْ، بَطَلَ شَرْعُها، وقد وَقَع. قالوا: وقَتَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فى تلك الليلةِ أبكارَ القِبْطِ، وأبكارَ دوابِّهم، ليَشْتَغِلُوا عنهم، وخَرَج بنو إسرائيلَ حين انتصفَ الليلُ[1]، وأهلُ مصرَ فى مَناحةٍ عظيمةٍ، على أبْكارِ أولادِهم، وأبْكارِ أموالِهم، ليس مِن بيتٍ إلَّا وفيه عَوِيلٌ. وحينَ جاءَ الوَحْىُ إلى موسَى، خرجُوا مسرِعينَ، فحمَلُوا العجينَ قبل اختمارِه، وحملُوا الأزوادَ فى الأَرْدِيَةِ، وألقَوْها على عواتِقِهم، وكانوا قد استعارُوا مِن أهلِ مصرَ حُلِيًّا كثيرًا، فخرجُوا وهم ستُّمائةِ ألفِ رجلٍ، سوى الذَّرارِىِّ، بما معهم مِن الأنعامِ، وكانت مدةُ مُقامِهم بمصرَ أربعَمائةِ سنةٍ وثَلاثين سنةً. هذا نصُّ كتابِهم[2]. وهذه السَّنةُ عندَهم تسمَّى سَنَةَ الفَسخِ، وهذا العيدُ عيدُ الفسخِ، ولهم عيدُ الفَطيرِ، وعيدُ الحَمَلِ، وهو أولُ السَّنةِ. وهذه الأعيادُ الثّلاثةُ آكَدُ أعيادِهم، منصوصٌ عليها فى كتابِهم. ولمَّا خَرَجُوا مِن مصرَ، أَخْرَجُوا معهم تابوتَ يوسفَ، عليه السّلامُ، وخرجُوا على طريقِ بَحْرِ سُوفَ. وكانوا فى النّهارِ يسيرُون، والسّحابُ بينَ أيدِيهم يسيرُ أمامَهم، فيه عامودُ نورٍ، وبالليلِ أمامَهم عامودُ نارٍ، فانتهى بهمُ الطَّريقُ إلى ساحلِ البحرِ، فنَزَلُوا هُنالِكَ، وأدرَكَهم فِرْعَوْنُ وجنودُه مِن المصريِّين، وهم هناك حُلُولٌ على شاطئِ اليَمِّ، فقَلِقَ كثيرٌ مِن بنى إسرائيلَ، حتى قال قائلُهم: كان بقاؤُنا بمصرَ أحبَّ إلينا مِن الموتِ بهذه البَرِّيَّةِ. وقال موسى، عليه السّلامُ، لِمَن قال هذه المقالةَ: لا

---

(١) كذا فى الأصل وهو الموافق لما عند أهل الكتاب وتاريخ الطبرى. وقصص الأنبياء للثعلبى.
(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٢/ ١- ٤٠.

تخشَوْا ، فإنّ فِرْعَوْنَ وجنودَه لا يَرجعُون إلى بلدِهم بعدَ هذا . قالوا : وأمرَ اللّهُ موسى ، عليه السّلامُ ، أنْ يضرِبَ البحرَ بعصاه ، وأنْ يَقْسِمَه ؛ ليدخلَ بنو إسرائيلَ فى البحرِ واليَبَسِ . وصارَ الماءُ مِن هاهنا وهاهنا كالجبلَيْنِ ، وصار وسَطُه يَبَسًا ؛ لأنَّ اللّهَ سَلَّطَ عليه ريحَ الجَنُوبِ والسَّمُومِ ، فجاز بنو إسرائيلَ البحرَ ، وأَتْبَعَهم فِرْعَوْنُ وجنودُه ، فلمَّا توسَّطُوه ، أمَر اللّهُ موسى ، فضَرَبَ البحرَ بعصاه ، فرجَع الماءُ كما كان عليهم . لكنْ عندَ أهلِ الكتابِ ، أنّ هذا كان فى الليلِ ، وأنّ البحرَ ارْتَطَمَ عليهم عندَ الصُّبْحِ ، وهذا مِن غَلَطِهم ، وعدمِ فَهْمِهم فى تَعْرِيبِهم ، واللّهُ أعلمُ . قالوا : ولَمَّا أَغْرَقَ اللّهُ فِرْعَوْنَ وجنودَه ، حينَئذٍ سبَّحَ موسى وبنو إسرائيلَ بهذا التسْبيحِ للرَّبِّ ، وقالُوا : نُسَبِّحُ الربَّ البَهِىَّ الذى قهَر الجنودَ ، ونبَذ فُرْسانَها فى البحرِ المنيعِ المحمودِ . وهو تَسبِيحٌ طويلٌ . قالوا : وأخذتْ مريمُ النَّبِيَّةُ ، أختُ هارونَ [١/١٧١و] دُفًّا بيدِها ، وخرج النِّساءُ فى أثرِها ، كُلُّهن بدفوفٍ وطُبولٍ ، وجعلتْ مريمُ تُرتِّلُ لهنَّ ، وتقولُ : سبحانَ الرَّبِّ القهّارِ ، الذى قَهَرَ الخُيُولَ ورُكْبانَها ، إلقاءً فى البحرِ . هكذا رأيتُه فى كتابِهم[1] . ولعلَّ هذا هو مِن الذى حَمَلَ محمدَ بنَ كعبٍ القُرَظِىَّ على زعمِه أنّ مريمَ بنتَ عِمْرَان ، أمَّ عيسى ، هى أُخْتُ هارونَ وموسَى ، مع قولِه : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ . وقد بيَّنَّا غَلَطَه فى ذلك[2] ، وأنَّ هذا لا يمكنُ أَنْ يُقالَ ، ولم يتابِعْه أحدٌ عليه ، بل كلُّ واحدٍ خالَفَه فيه ، ولو قُدِّرَ أَنَّ هذا محفوظٌ ، فهذه مريمُ بنتُ عِمْرانَ ، أختُ موسى وهارونَ ، عليهما السَّلامُ ، [3]وأمُّ عيسى عليها السّلامُ[3] ، وافقتْها فى

---

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٤/ ١٠- ٣١، ١٥/ ١- ٣، ٢٠، ٢١.
(٢) انظر التفسير ٥/ ٢٢١، ٢٢٢.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

الاسمِ، واسمِ الأبِ، واسمِ الأخِ؛ لأنّهم، كما قال رسولُ اللَّهِ، ﷺ، للمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ لَمَّا سَأَلَه أهلُ نَجْرانَ، عن قولِه: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾. فلم يَدْرِ ما يقولُ لهم، حتى سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، عن ذلك، فقال: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُم كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ أَنْبِيائِهِمْ». رواه مسلمٌ[1]. وقولُهم: النَّبِيَّةُ. كما يُقالُ للمرأةِ مِن بيتِ المَلِك: مَلِكَةٌ. ومِن بيتِ الإِمْرَةِ: أَميرةٌ. وإن لمْ تكنْ مباشِرةً شيئًا مِن ذلك، فكذا هذه اسْتِعارةٌ لها، لا أَنَّها نَبِيَّةٌ حقيقةً يُوحَى إليها. وضَرْبُها بالدُّفِّ فى مثلِ هذا اليومِ - الذى هو أعظمُ الأعيادِ عندَهم - دليلٌ على أنَّه قد كان شَرْعُ مَن قبلَنا ضَرْبَ الدُّفِّ فى العيدِ. وهذا مَشْروعٌ لنا أيضًا فى حقِّ النِّساءِ؛ لحديثِ الجاريَتَيْنِ اللتَيْنِ كانتا عندَ عائشةَ تضرِبان بالدُّفِّ فى أيامِ مِنًى، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعٌ، مُوَلٍّ ظهرَه إليهم، ووجهُه إلى الحائطِ، فلمَّا دخَل أبو بكرٍ زَجَرَهُنّ، وقال: أَبِمَزْمُورِ الشَّيطانِ فى بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقال: «دَعْهُنَّ يَا أَبَا بَكْرٍ، فإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا»[2]. وهكذا يُشْرَعُ عندَنا فى الأعْراسِ، ولِقُدومِ الغُيَّابِ، كما هو مُقَرَّرٌ فى موضِعِهِ. واللَّهُ أعلمُ.

وذكرُوا أنّهم لَمّا جاوزُوا البحرَ، وذهبُوا قاصدين إلى بلادِ الشّامِ، مكثُوا ثلاثةَ أيامٍ، لا يجدُون ماءً، فتَكَلَّمَ مَن تَكَلَّم مِنهم بسببِ ذلك، فوجَدُوا ماءً زُعاقًا[3] أُجاجًا، لم يستطيعُوا شُرْبَه، فأَمَرَ اللَّهُ موسى، عليه السلامُ، فأَخَذَ خَشَبَةً فوضَعَها فيه، فَحَلَا وساغ شُرْبُه، وعلَّمَه الرَّبُّ هنالِكَ فرائضَ وسُنَنًا، ووصَّاه وصايَا كثيرةً. وقد قال اللَّهُ تعالى، فى كتابِه العزيزِ، المُهَيْمِنِ على ما

---

(١) مسلم (٢١٣٥).

(٢) رواه البخارى (٩٤٩). ومسلم (٨٩٢).

(٣) فى ح: «زهاقًا». والماء الزعاق: المالح.

عداه مِن الكتبِ : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [١/١٧١ظ] .

قالوا هذا الجهلَ والضّلالَ ، وقد عاينُوا مِن آياتِ اللّهِ وقُدْرتِه ، (١ما دلَّهم على صِدْقِ١) ما جاءَهم به رسولُ ذى الجلالِ والإكرامِ ، وذلك أنَّهم مَرُّوا على قومٍ يَعْبُدُون أصنامًا ، قِيل : كانتْ على صُوَرِ البَقَرِ . فكأنّهم سألُوهم : لِمَ يَعْبُدُونها ، فزعمُوا لهم أنّها تَنْفعُهم وتضرُّهم ، ويَسْتَرْزِقُون بها عندَ الضّروراتِ ، فكأنَّ بعضَ الجُهّالِ مِنهم صَدَّقُوهم فى ذلك ، فسألُوا نبيَّهم الكليمَ الكريمَ العظيمَ ، أنْ يجعَلَ لهم آلهةً كما لأُوْلَئِكَ آلهةٌ ، فقال لهم ، مبيِّنًا لهم أنَّهم لا يعقِلُون ولا يَهْتَدُون : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ . ثُم ذكَّرهم نعمةَ اللّهِ عليهم ، فى تفضيلِه إيَّاهم على عالَمى زمانِهم بالعلمِ ، والشَّرعِ ، والرّسولِ الذى بينَ أَظْهُرِهم ، وما أحسنَ به إليهم ، وما امتَنَّ به عليهم ، مِن إنجائِهم مِن قَبْضةِ فِرْعَوْنَ الجبّارِ العنيدِ ، وإهلاكِه إيَّاه وهم يَنْظُرون ، وتوريثِه إيّاهم ما كان فِرْعَوْنُ ومَلَؤُه يَجْمعُونه مِن الأموالِ والسَّعادةِ ، وما كانوا يعرِشُون ، وبيَّنَ لهم أنَّه لا تَصْلُحُ العبادةُ إلا للّهِ وحدَه ، لا شريكَ له ؛ لأنَّه الخالِقُ الرَّازِقُ القهَّارُ ، وليس كلُّ بنى إسرائيلَ سَأَلَ هذا السؤالَ ، بل الضّميرُ عائِدٌ على الجنسِ فى قولِه : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ أى ؛ قال بعضُهم ، كما فى قولِه : ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾

(١- ١) سقط من : الأصل .

وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨]. فالذين زَعَمُوا هذا بعضُ النَّاسِ، لا كلُّهم.

وقد قال الإِمَامُ أحمدُ[(١)]: حدّثنا عبدُ الرّزاقِ، حدثنا مَعْمَرٌ، عن الزّهْرِيِّ، عن سنانِ بنِ أبى سنانٍ الدِّيلىِّ، عن أبى واقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قال: خَرجْنا مع رسولِ اللَّهِ، ﷺ، قِبَلَ حُنينٍ[(٢)]، فمرَرْنا بسِدْرَةٍ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، اجعلْ لنا ذاتَ أَنْواطٍ، كما للكُفارِ ذاتُ أَنْواطٍ. وكان الكُفارُ يَنُوطُون سلاحَهم بسِدْرَةٍ، ويَعْكُفُون حوْلَها، فقال النبىُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هذا كما قالتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾. إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ». ورواه النَّسائىُّ، عن محمدِ بنِ رافعٍ، عن عبدِ الرّزاقِ به. ورواه التِّرْمِذِىُّ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ المَخْزُومِىِّ، عن سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عن الزُّهْرِىِّ به[(٣)]. ثم قال: حَسَنٌ صحيحٌ[(٤)]. وقد روَى ابنُ جريرٍ[(٥)]، مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، ومَعْمَرٍ، وعَقيلٍ، عن الزُّهْرِىِّ، عن سنانِ بن أبى سنانٍ، عن أبى واقدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهم خَرَجُوا مِن مكةَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى حُنَينٍ[(٦)]، قال: وكان للكفارِ [١/١٧٢و] سِدْرَةٌ، يعكُفُون عندَها، ويعلِّقُون بها أسلحتَهم، يُقالُ لها: ذاتُ أَنْواطٍ. قال: فمَرَرْنا بسِدْرَةٍ خضراءَ عظيمةٍ، قال: فقلنا: يا رسولَ

---

(١) فى المسند ٥/ ٢١٨.

(٢) فى الأصل، ا: «خيبر». وهو لفظ الترمذى.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) النسائى فى الكبرى (١١١٨٥). والترمذى (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح (صحيح الترمذى ١٧٧١).

(٥) ابن جرير فى تفسيره ٩/ ٤٥، ٤٦.

(٦) فى م، ح، ا: «خيبر».

اللَّهِ ، اجعلْ لنا ذاتَ أنْواطٍ ، كما لهم ذاتُ أنْواطٍ . قال : « قُلْتُمْ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، كَما قالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى . ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ » .

والمقصودُ أنّ موسَى ، عليه السّلامُ ، لمَّا انْفَصَلَ مِن بلادِ مصرَ ، وواجَهَ بلادَ بيتِ المقدسِ ، وَجَدَ فيها قومًا مِن الجبّارِينَ ، مِن الحيثانِيِّين ، والفزارِيِّين[1] ، والكَنْعانِيِّين ، وغيرِهم ، فأمرَهم موسى ، عليه السّلامُ ، بالدّخولِ عليهم ، ومقاتلَتِهم ، وإجلائِهم إيّاهم عن بيتِ المَقْدِسِ ، فإنّ اللَّهَ كَتَبَه لهم ، ووعَدَهم إيّاه ، على لسانِ إبراهيمَ الخليلِ ، وموسى الكَليمِ الجليلِ ، فأَبَوْا ونَكَلُوا عن الجهادِ ، فسَلَّطَ اللَّهُ عليهم الخوفَ ، وألقاهم فى التِّيهِ ؛ يَسيرُون ، ويَحِلُّون ، ويَرْتحِلُون ، ويَذهبُون ، ويَجيئُون ، فى مُدّةٍ مِن السِّنينَ طويلةٍ ، هى مِن العَدَدِ أربَعُون ؛ كما قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ

---

(١) فى ح : « الفرزانيين » .
(٢) التفسير ٣/ ٦٧- ٧٥.

﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيَ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠- ٢٦]. يذكِّرهم نبيُّ اللَّهِ نعمةَ اللَّهِ عليهم، وإحسانَه إليهم بالنِّعمِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، ويأمرُهم بالجهادِ فى سبيلِ اللَّهِ، ومقاتلةِ أعدائِه فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ (أى؛ تَنْكِصُوا على أعْقابِكم، وتَنْكِلُوا على قتالِ أعدائِكم)[1]. ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ أى؛ فتَخْسَرُوا بَعد الرِّبْحِ، وتنقُصُوا بعدَ الكمالِ. ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ أى؛ عُتاةً كَفَرةً، متمرِّدين، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾، خافوا مِن هؤلاءِ الجبّارين، وقد عاينُوا هلاكَ فِرْعَوْنَ، وهو أكثرُ تَجَبُّرًا مِن هؤلاءِ، وأشدُّ بَاسًا، وأكثرُ جَمْعًا، وأعظمُ جُنْدًا. [١/١٧٢ظ] وهذا يدلُّ على أنَّهم مَلُومون فى هذه المَقالةِ، ومَذْمُومونَ على هذه الحالةِ، مِن الذِّلةِ عن مُصاوَلةِ الأعداءِ، ومُقاومةِ المَرَدَةِ الأشْقِياءِ.

وقد ذَكَرَ كثيرٌ مِن المفسِّرين ههنا آثارًا، فيها مُجازَفاتٌ كثيرةٌ باطلةٌ، يدلُّ العقلُ والنَّقْلُ على خلافِها؛ مِن أنَّهم كانوا أَشْكالًا هائلةً ضِخامًا جدًّا، حتى إنَّهم ذَكَرُوا أنَّ رُسُلَ بنى إسرائيلَ، لَمَّا قَدِمُوا عليهم، تلقّاهم رجلٌ مِن رُسُلِ الجبَّارين، فَجَعَل يأخذُهم واحدًا واحدًا، ويلُفُّهم فى أكمامِه وحُجْزَةِ سَرَاويلِه، وهم اثنا عَشَرَ رجلًا، فجاء بهم، فنَثَرَهم بين يَدَىْ مَلِكِ الجبّارين، فقال: ما هؤلاءِ؟ ولم يَعْرِفْ أنَّهم مِن بنى آدمَ حتى عَرَّفُوه. وكلُّ هذه هَذَياناتٌ

(١- ١) سقط من: ح، م، ص.

وخُرافاتٌ لا حقيقةَ لها، وأَنّ المَلِكَ بعَث معهم عِنَبًا، كلُّ عِنَبةٍ تَكْفِى الرَّجُلَ، وشيئًا مِن ثمارِهم؛ ليعلمُوا ضَخامةَ[1] أشكالِهم، وهذا ليس بصحيحٍ[2].

وذكروا هاهنا أَنَّ عُوجَ بنَ عُنُقَ، خرج مِن عندِ الجبَّارين إلى بنى إسرائيلَ؛ ليُهلِكَهم، وكان طولُه ثلاثةَ آلافِ ذِراعٍ، وثلثَمائةِ ذراعٍ، وثلاثةً وثلاثين ذراعًا، وثُلُثَ ذراعٍ، هكذا ذكره البَغَوىُّ وغيرُه[3]، وليس بصحيحٍ، كما قدَّمْنا بيانَه[4] عندَ قولِه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، طُولُه سِتُّون ذِرَاعًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»[5]. قالوا: فعَمَدَ عُوجُ إلى قِمَّةِ جبلٍ، فاقْتَلَعَها، ثم أخذَها بيدَيْه؛ ليُلْقِيَهَا على جيشِ موسى، فجاءَ طائرٌ، فنَقَرَ تلك الصَّخرةَ، فخرَقَها، فصارتْ طَوْقًا فى عُنُقِ عُوجَ بنِ عُنُقَ، ثُم عَمَدَ موسى إليه، فوَثَب فى الهواءِ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ، وطولُه عَشَرَةُ أَذْرُعٍ، وبيدِه عصاه، وطولُها عَشَرَةُ أَذْرُعٍ، فوصَل إلى كعبِ قَدمِه فقتلَه. يُرْوَى هذا عن نَوْفٍ[6] البِكَالِىِّ[7]، ونقلَه ابنُ جَريرٍ، عن ابنِ عباسٍ، وفى إسنادِه إليه نَظَرٌ[8]. ثُم هو مع هذا كلِّه من الإسرائيليّاتِ، وكلُّ هذه مِن وَضْعِ جُهّالِ بنى إسرائيلَ، فإنَّ الأخبارَ الكَذِبةَ قد كَثُرَتْ عندَهم، ولا تَمْييزَ لهم بينَ صَحيحِها وباطِلِها. ثُم لو كان هذا

---

(١) فى الأصل: «أصحابه».

(٢) انظر تفسير الطبرى ٦/ ١٧٤، تاريخه ١/ ٤٢٩، تفسير القرطبى ٦/ ١٢٥، التفسير ٣/ ٧٠.

(٣) لم نجده فى مظانه من تفسير البغوى، وانظر قصص الأنبياء للثعلبى ص ٢١٣- ٢١٥، تفسير القرطبى ٦/ ١٢٥- ١٢٧.

(٤) تقدم فى ١/ ٢٦٦، ولم ينسبه لأحد بعينه من المفسرين.

(٥) تقدم تخريجه ١/ ٢٦٧.

(٦) فى ح، م، ا: «عوف». وانظر التقريب ٢/ ٣٠٩.

(٧) رواه ابن جرير فى تاريخه ١/ ٤٣١، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٠٤)، وإسناد أبى الشيخ موضوع.

(٨) فى تاريخه ١/ ٤٣١، وبنحوه عن ابن عباس، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٠٢)، وإسناد أبى الشيخ موضوع.

صحيحًا، لكان بنو إسرائيلَ مَعْذُورِين فى النُّكُولِ عن قتالِهم، وقد ذمَّهم اللَّهُ تعالى على نُكُولِهم، وعاقَبَهم بالتِّيهِ على تركِ جهادِهم، ومُخالَفَتِهم رسولَهم، وقد أشارَ عليهم رَجُلان صالحان منهم[1] بالإِقدامِ، ونَهَيَاهم عن الإِحْجامِ. ويُقالُ: إنّهما يُوشَعُ بنُ نونٍ، وكالِبُ بنُ يُوفنّا. قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعِكْرِمةُ، وعطيَّةُ، والسُّدِّىُّ، والربيعُ بنُ أنسٍ، وغيرُ واحدٍ[2].

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أى؛ يَخافون اللَّهَ، وقرَأ بعضُهم: (يُخَافُون)؛ أى؛ يُهابُون، ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أى؛ بالإِسْلامِ، والإِيمانِ، والطَّاعةِ، والشَّجاعةِ: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ [١/١٧٣و] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى؛ إذا توكَّلْتُم على اللَّهِ، واسْتَعَنْتُم به، ولَجَأْتُم إليه، نصرَكم على عدوِّكم، وأيَّدكُم عليهم، وأَظْفَرَكم بهم.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ فصمَّم مَلَؤُهم على النُّكُولِ عن الجهادِ، ووَقَعَ أمرٌ عظيمٌ، وَوَهَنٌ كبيرٌ. فيُقالُ: إنّ يوشَعَ، وكالَبَ لَمّا سَمِعا هذا الكلامَ شَقَّا ثيابَهما، وإنَّ موسى وهارونَ، عليهما السلامُ، سجَدَا؛ إعظامًا لهذا الكلامِ، وغضبًا للَّهِ، عزَّ وجلَّ، وشفَقَةً عليهم مِن وَبيلِ هذه المقالةِ.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ٦/ ١٧٦، ١٧٧، التفسير ٣/ ٧١.

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال ابنُ عباسٍ : اقْضِ بينى وبَيْنَهم . ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ، عُوقِبُوا على نُكُولِهم بالتِّيهان فى الأرضِ ، يَسيرون إلى غيرِ مقصِدٍ ، ليلًا ونهارًا ، وصباحًا ومساءً . ويُقالُ : إنَّه لم يَخرجْ أحدٌ مِن التِّيهِ مِمَّن دخلَه ، بل ماتوا كلُّهم فى مدةِ أربعينَ سنةً ، ولم يَبْقَ إلَّا ذرارِيُّهم سوى يُوشَعَ ، وكالِبَ ، عليهما السّلامُ .

لكنَّ أصحابَ محمدٍ ، ﷺ ، يومَ بدرٍ ، لم يقولُوا له كما قال قومُ موسى لموسى ، بل لمّا استشارَهم فى الذَّهابِ إلى النَّفيرِ ، تكلَّمَ الصِّدِّيقُ فأحسنَ ، وغيرُه مِن المهاجرين ، ثم جَعل يقولُ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » حتى قال سعدُ بنُ مُعاذٍ : كأنَّك تُعَرِّضُ بنا يارسولَ اللَّهِ ، فوالذى بعثَك بالحقِّ لو اسْتَعْرَضْتَ بنا هذا البَحْرَ فخُضْتَه لخُضْناه معك ، ما تخلَّفَ مِنّا رجلٌ واحدٌ ، وما نَكْرَهُ أنْ تَلقَى بنا عدوَّنا غدًا ، إنّا لَصُبُرٌ فى الحربِ ، صُدُقٌ فى اللِّقاءِ ، لعلَّ اللَّهَ يُرِيك مِنَّا ما تَقَرُّ به عينُك . فَسِرْ بنا على بَرَكَةِ اللَّهِ . فَسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بقَوْلِ سعدٍ ، وبَسَطَه ذلك[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدّثنا وَكيعٌ ، حدّثنا سفيانُ ، عن مُخارِقِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأَحْمَسِيِّ ، عن طارقٍ هو ابنُ شِهابٍ ، أَنَّ المِقْدادَ قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، يومَ بَدْرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى :

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه الطبرى فى التفسير ٩/ ١٨٥، ١٨٦. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦١٥. والتفسير ٣/ ٧٥٧، كلهم من حديث ابن عباس . وأصل الحديث فى مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس بن مالك .
(٢) فى المسند ٤/ ٣١٤.

﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ . ولكن اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلَا إنَّا معكم مقاتِلون . وهذا إسنادٌ جيدٌ مِن هذا الوجهِ ، وله طُرقٌ[1] أخرى .

قال أحمدُ[2] : حدّثنا أسودُ بنُ عامرٍ[3] ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن مُخارِقٍ ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه : لقد شَهِدْتُ مِن المِقْدادِ مَشْهَدًا ، لَأَنْ أكونَ أنا صاحبَه ، أحبُّ إليَّ ممَّا عُدِل به ؛ أَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو يدعُو على المشرِكين ، فقال : واللَّهِ [١/١٧٣ظ] يا رسولَ اللَّهِ ، لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ . ولكنَّا نقاتِلُ عن يمينِك ، وعن يسارِك ، ومِن بينِ يدَيْك ، ومِن خلفِك . فرأيتُ وَجْهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يُشْرِقُ لذلك ، وسُرَّ بذلك . رواه البخاريُّ فى التفسيرِ والمَغازِى ، مِن طرقٍ ، عن مُخارِقٍ به[4] .

وقال الحافظُ أبو بكرِ بنُ مَرْدَوَيْهِ[5] : حدّثنا علىُّ بنُ الحسنِ بنِ علىٍّ ، حدَّثنا أبو حاتمٍ الرّازِىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ ، حدثنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، لَمَّا سار إلى بدرٍ ، استشارَ المسْلِمين ، فأشارَ عليه عمرُ ، ثُم استشارَهم ، فقالتِ الأنصارُ : يا معشرَ الأنصارِ ، إيَّاكم يريدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالوا : إذًا لا نقولَ له كما قال بنو إسرائيلَ لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ والذى بعثَك بالحقِّ ، لو ضربتَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغِمَادِ لاتَّبَعْناك . رَواه الإمامُ أحمدُ ، عن عَبِيدةَ بنِ حُمَيْدٍ ، عن حُمَيْدٍ

---

(١) فى الأصل ، ص : « طريق » .
(٢) فى المسند ١/ ٣٨٩. إسناده صحيح .
(٣) فى الأصل : « عباس » .
(٤) البخارى (٣٩٥٢، ٤٦٠٩) .
(٥) ذكره المصنف فى التفسير ٣/٧٢ وعزاه لابن مردويه بسنده .

الطَّويلِ، عن أنسٍ به. ورواه النّسائيُّ عن محمدِ بنِ المثنى، عن خَالدِ بنِ الحارِثِ، عن [1]حُمَيْدٍ عن[1] أنسٍ به نحوَه. وأخْرَجَه ابنُ حِبّانَ فى «صحيحِه»، عن أبى يَعْلَى، عن عبدِ الأَعْلَى بنِ حمادٍ، عن معتمرٍ[2] عن [1]حُمَيْدٍ، عن[1] أنسٍ به نحوَه[3].

(١- ١) فى الأصل: «حند بن».

(٢) فى الأصل: «معمر».

(٣) أحمد فى المسند ٣/ ١٨٨، والنسائى فى الكبرى (١١١٤١). والإحسان (٤٧٢١). وقال الشيخ شعيب: صحيح على شرط الشيخين.

فصلٌ فى دخولِ بنى إسْرائيلَ التّـيهَ

ومَا جرَى لهم فيه مِن الأمورِ العجيبةِ

قد ذَكَرْنا نُكُولَ بنى إسرائيلَ عن قتالِ الجبّارين، وأَنَّ اللَّهَ تعالى عاقبَهم بالتِّيهِ، وحكَم بأنَّهم لا يَخْرُجُون مِنه إلى أربعينَ سنةً، ولم أرَ فى كتابِ أهلِ الكتابِ قصةَ نُكُولِهم عن قتالِ الجبَّارين، ولكن فيها[1] أَنّ يُوشَعَ جَهّزَه موسى لقتالِ طائفةٍ مِن الكُفّارِ، وأَنّ موسى وهارونَ، وخورَ، جلسُوا على رأسِ أَكَمَةٍ، ورَفَعَ موسى عصاه، فكُلّما رفعَها انتصرَ يُوشَعُ عليهم وكلَّما مالتْ يدُه بها، مِن تَعَبٍ أو نحوِه، غلَبه أولئك، وجعل هارونُ وخورُ يُدعِّمان يدَيْه مِن عن يمينِه وشِمالِه ذلك اليومَ إلى غروبِ الشّمسِ، فانتصرَ حزبُ يُوشَعَ، عليه السّلامُ[2]. وعندَهم؛ أنّ يثْرونَ كاهنَ مَدْينَ، وخَتَنَ موسى، عليه السلامُ، بلغَه ما كان مِن أمرِ موسى، وكيف أَظْفَرَه اللَّهُ بعدوِّه فِرْعَوْنَ، فقدِم على موسى مُسْلِمًا، ومعه ابنتُه صِفُّورَا زوجةُ موسى، وابناها منه؛ جرْشونُ، وعَازرُ، فتلقّاه موسى وأكرَمَه، واجتمعَ به شيوخُ بنى إسرائيلَ، وعَظَّموه وأَجَلُّوه[3]. وذكرُوا أَنَّه رأى كثرةَ اجتماعِ بنى إسرائيلَ على موسى، فى الخُصُوماتِ التى تقعُ [١/ ١٧٤و] بينَهم، فأشار على موسى أنْ يجعلَ على النّاسِ رجالًا أُمناءَ، أتقياءَ،

---

(١) كذا فى النسخ. ولعلها: «فيه».
(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٧/ ٨- ١٣.
(٣) سفر الخروج الأصحاح ١٨/ ١- ١٢.

أَعِفّاءَ ، يُبْغِضون الرِّشا والخيانةَ ، فيجعَلَهم على النّاسِ رءوسَ أُلوفٍ ، ورُءوسَ مِئينَ ، ورُءوسَ خَمسينَ ، ورءوسَ عشَرَةٍ ، فيَقْضُوا بينَ النّاسِ ، فإذا أَشْكَلَ عليهم أمرٌ جاءُوك ، ففَصَلْتَ بينَهم ما أَشْكَلَ عَليهم ، ففعلَ ذلك موسى ، عليه السّلامُ[1] . قالوا : ودخَل بنو إسرائيلَ البَرِّيَّةَ ، عندَ سَيْناءَ فى الشّهرِ الثّالثِ مِن خروجِهم مِن مصرَ ، وكان خروجُهم فى أولِ السّنةِ التى شُرِعَتْ لهم ، وهى أولُ فَصلِ الرَّبيعِ . فكأنّهم دخلُوا التِّيهَ فى أولِ فصلِ الصَّيْفِ . واللَّهُ أعلمُ . قالوا : ونزلَ بنو إسرائيلَ حولَ طُورِ سَيْناءَ ، وصَعِدَ موسى الجبلَ ، فكلَّمه ربُّه ، وأَمَرَه أنْ يُذكِّرَ بَنى إسرائيلَ ما أنعمَ اللَّهُ به عليهم مِن إنجائِه إيّاهم مِن فرعونَ وقومِه ، وكيف حملَهم على مِثْلِ جَناحَىْ نَسْرٍ مِن يدِه وقبضِته ، وأَمَرَه أن يَأْمُرَ بنى إسرائيلَ بأن يتطهَّرُوا ويَغْتَسِلُوا ، ويَغْسِلُوا ثيابَهم ، ولْيستعدُّوا إلى اليومِ الثّالثِ ، فإذا كان فى اليومِ الثالثِ ، فليَجتمِعُوا حولَ الجبلِ ، ولا يَقْتَرِبَنَّ أحدٌ منهم إليه ، فمَن دنا مِنه قُتِلَ ، حتى ولا شَىْءٌ مِن البهائمِ ، ما دَامُوا يسْمعُون صوتَ القَرْنِ ، فإذا سَكَن القَرْنُ ، فقد حلَّ لكم أنْ ترتقُوه ، فسَمِعَ بنو إسرائيلَ ذلك ، وأطاعُوا ، واغْتَسَلُوا ، وتَنَظَّفُوا ، وتَطَيَّبُوا ، فلمّا كان اليومُ الثّالثُ ، رَكِبَ الجبلَ غَمامةٌ عظيمةٌ ، وفيها أصواتٌ وبُرُوقٌ ، وصوتُ الصُّورِ شديدٌ جدًّا ، ففَزِعَ بنو إسرائيلَ مِن ذلك فَزَعًا شديدًا ، وخرجُوا ، فقاموا فى سَفْحِ الجبلِ ، وغَشِىَ الجبلَ دُخانٌ عظيمٌ فى وسَطِه عمودُ نُورٍ ، وتَزَلْزَلَ الجبلُ كلُّه زَلزلةً شَديدةً ، واستَمَرَّ صَوْتُ الصُّورِ ، وهو البُوقُ ، واشتدَّ ، وموسى ، عليه السّلامُ ، فوقَ الجبلِ ، واللَّهُ يكلِّمُه ويناجِيه ، وأَمَر الرَّبُّ ، عزَّ وجلَّ ، موسى أنْ يَنزِلَ ، فيأمرَ بنى

---

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٨/ ١٣- ٢٧.

إسرائيلَ أَنْ يقترِبُوا مِن الجبلِ؛ ليسمعُوا وَصيَّةَ اللَّهِ، ويأمرَ الأحبارَ، وهم علماؤُهم، أَنْ يَدْنُوا، فيصْعَدوا الجبلَ؛ ليتقدَّمُوا بالقُرْبِ - وهذا نصٌّ فى كتابِهم على وقوعِ النسخِ لا محالةَ[1] - فقال موسى: يا ربِّ، إنَّهم لا يستطيعُون أَن يَصْعَدُوه، وقد نهَيْتَهم عن ذلك، فأَمَرَه اللَّهُ تعالى أنْ يذْهبَ، فيأْتِىَ معه بأخيه هارونَ، ولْيَكُنِ الكَهَنةُ، وهم العلماءُ، والشَّعْبُ، وهم بقيّةُ بنى إسرائيلَ، غيرَ بعيدٍ. ففعل موسى، وكلّمه ربُّه، عزّ وجلَّ، فأَمَرَه حينَئِذٍ بالعَشْرِ كَلِماتٍ[2].

وعندَهم؛ أنَّ بنى إسرائيل سَمِعُوا كلامَ اللَّهِ، ولكن لم يفهمُوا حتى فهَّمهم موسى، وجعلُوا يقولُون لموسى: بلِّغْنا أنتَ عن [١/١٧٤ظ] الرَّبِّ، فإنّا نخافُ أنْ نموتَ. فبلَّغَهم عنه، فقال هذه العشْرَ الكلماتِ؛ وهى الأمرُ بعبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، والنَّهْىُ عن الحَلِفِ باللَّهِ كاذبًا، والأمرُ بالمحافظةِ على السَّبْتِ، ومعناه تفرُّغُ يومٍ مِن الأُسْبوعِ للعبادةِ. وهذا حاصِلٌ بيومِ الجُمُعةِ، الذى نَسَخَ اللَّهُ به السَّبْتَ، أكرِمْ أباك وأمَّك، ليطولَ عمُرُك فى الأرضِ، الذى يُعْطِيك اللَّهُ ربُّك، لا تَقتُلْ، لا تزْنِ، لا تَسرِقْ، لا تَشْهَدْ على صاحبِك شَهادةَ زُورٍ، لا تَمُدَّ عينَك إلى بيتِ صاحبِك، ولا تشتَهِ امرأةَ صاحبِك، ولا عبدَه، ولا أَمَتَه، ولا ثَوْرَه، ولا حِمارَه، ولا شيئًا مِن الذى لصاحبِك، ومعناه النَّهْىُ عن الحسدِ[3].

وقد قال كثيرٌ مِن علماءِ السّلفِ وغيرِهم: مضمونُ هذه العشْرِ الكلماتِ

---

(١) انظر ما تقدم فى ١/٤٤٩ حاشية (٢).
(٢) سفر الخروج الأصحاح التاسع عشر.
(٣) سفر الخروج الأصحاح ٢٠/ ١- ١٧.

فى آيتَيْنِ مِن القرآنِ ، وهما قولُه تعالى فى سورةِ « الأنعامِ » : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣] . وذَكَروا بعدَ العشْرِ الكلماتِ وصايَا كثيرةً ، وأحكامًا متفرِّقةً عزيزةً ، كانت فزالتْ وعُمِلَ بها حينًا مِن الدَّهْرِ ، ثُم طَرَأَ عليها عِصْيانٌ مِن المُكَلَّفين بها ثم عَمَدُوا إليها فبدَّلُوها ، وحرَّفُوها ، وأَوَّلُوها . ثُم بعدَ ذلك كلِّه سُلِبُوها ، فصارتْ مَنْسوخةً مَبدَّلةً ، بعدَ ما كانت مَشْرُوعةً مُكَمَّلةً ، فللَّهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بَعْدُ ، وهو الذى يَحْكُمُ ما يشاءُ ، ويَفْعلُ ما يريدُ ، ألا له الخَلْقُ والأمرُ ، تباركَ اللَّهُ ربُّ العالَمين .

وقد قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٠- ٨٢] . يذكرُ تعالى مِنَّته

---

(١) التفسير ٥/ ٣٠١، ٣٠٢.

وإحسانَه إلى بنى إسرائيلَ، بما أنجاهم مِن أعدائِهم، وخلَّصَهم مِن الضِّيقِ والحَرَجِ، وأنّه وَعَدَهم صُحْبةَ نبيِّهم كَلِيمِه إلى جانبِ الطُّورِ الأيمنِ، أىْ منهم، ليُنزِّلَ عليه[1] أحكامًا عظيمةً، فيها مصلحةٌ لهم فى دُنْياهم [١/١٧٥و] وأُخْراهم، وأنّه تعالى أَنزلَ عليهم فى حالِ شِدَّتِهم وضَرُورتِهم، فى سَفَرِهم فى الأرضِ التى ليس فيها زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ، مَنًّا مِن السّماءِ، يُصْبِحُون فيجدُونه خِلَالَ بُيُوتِهم، فيأخذُون منه قَدْرَ حاجتِهم فى ذلك اليومِ إلى مثلِه مِن الغدِ، ومَن ادَّخَر منه لأكثرَ مِن ذلك فَسَدَ، ومَن أخذَ منه قليلًا كفاه، أو كثيرًا لم يَفْضُلْ عنه، فيَصْنَعُون منه مثلَ الخُبْزِ، وهو فى غايةِ البَياضِ والحلاوةِ، فإذا كان مِن آخِرِ النَّهارِ غَشِيَهم طَيْرُ السَّلْوَى، فيَقتَنِصُون منه بلا كُلْفَةٍ ما يحتاجُون إليه، حَسَبَ كفايتِهم لِعَشائِهم، وإذا كان فصلُ الصَّيْفِ، ظَلَّلَ اللَّهُ عليهم الغَمامَ، وهو السّحابُ الذى يَسْتُرُ عنهم حرَّ الشَّمسِ، وضَوْءَها الباهرَ. كما قال اللَّهُ تعالى فى سورةِ «البقرةِ»[2]: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤١]. إلى أن قال: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ

---

(١) فى الأصل: «عليهم».
(٢) التفسير ١/١١٧- ١٤٧.

ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ
ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن
نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم
مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٩- ٥٧]. إلى أن قال: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا
ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ
قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ
مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا [١/١٧٥ظ] وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى
هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾
[البقرة: ٦٠، ٦١]. يَذْكُرُ تعالى إنْعامَه عليهم، وإحسانَه إليهم بما يَسَّرَ لهم مِن المَنِّ والسَّلْوَى، طعامَيْنِ شَهِيَّيْنِ، بِلا كُلْفَةٍ، ولا سعيٍ لهم فيه، بل يُنَزِّلُ اللَّهُ المَنَّ باكِرًا، ويُرْسِلُ عليهم طيرَ السَّلْوَى عَشِيًّا، وأَنْبَعَ الماءَ لهم بضَرْبِ موسى، عليه السّلامُ، حجرًا كانوا يَحْمِلُونه معهم، بالعصا فتفجَّرَ منه اثْنَتا عَشْرَةَ عينًا، لكلِّ سِبْطٍ عينٌ منه تَنْبَجِسُ، ثُم تَتَفَجَّرُ ماءً زُلالًا، فيسْتَقُون ويَشْرَبُون ويَسْقُون دوابَّهم، ويدَّخِرُون كفايتَهم. وظلَّلَ عليهم الغَمامَ مِن الحرِّ. وهذه نِعَمٌ مِن اللَّهِ

عظيمةٌ وعَطِيَّاتٌ جَسيمةٌ، فما رَعَوْها حقَّ رِعايتِها، ولا قامُوا بشُكْرِها وحقِّ عبادتِها، ثم ضَجِر كثيرٌ مِنها، وتبرَّمُوا بها، وسألُوا أنْ يستبدِلُوا منها بِبَدَلِها، مِمَّا تُنبِتُ الأرضُ مِن بَقْلِها، وقِثَّائِها، وفُومِها، وعَدَسِها، وبَصَلِها. فقرَّعَهم الكَليمُ، ووبَّخهم، وأنَّبهم على هذه المَقالَةِ، وعنَّفهم قائلًا[1]: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ أى؛ هذا الذى تَطْلُبونه، وتريدُونه بدلَ هذه النِّعمِ التى أنتم فيها، حاصِلٌ لأهلِ الأمصارِ الصِّغارِ والكبارِ، موجودٌ بها، وإذا هَبَطْتُم إليها، أى؛ ونَزَلْتُم عن هذه المَرْتَبَةِ التى لا تَصْلُحون لمَنْصِبِها، تجدُوا بها ما تَشْتَهُون، وما تَرومُون مِمَّا ذكَرْتُم مِن المآكلِ الدَّنِيَّةِ والأغذيةِ الرَّدِيَّةِ، ولكنِّى لستُ أُجيبُكم إلى سؤالِكم ذلك ههنا، ولا أُبلِّغُكم ما تعنَّتُّم[2] به مِن المُنَى، وكلُّ هذه الصِّفاتِ المذكورةِ عنهم الصَّادرةِ مِنهم، تدُلُّ على أنَّهم لم يَنْتَهُوا عمَّا نُهُوا عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١]. أى؛ فقد هَلَكَ، وحُقَّ له واللَّهِ الهلاكُ والدَّمارُ، وقد حلَّ عليه غضبُ المَلِكِ الجبّارِ، ولكنَّه تعالى، مَزَج هذا الوعيدَ الشَّديدَ بالرَّجاءِ لِمَنْ أنابَ وتابَ، ولم يستمرَّ على مُتابعةِ الشَّيطانِ المَريدِ، فقال: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

---

(١) التفسير ١/ ١٤٤.

(٢) فى الأصل: «بعثت».

(١سُؤالُ الرُّؤْيَةِ١)

قال اللَّهُ تعالى(٢) : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ [١/١٧٦و] ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢- ١٤٧] . قال جماعةٌ مِن السَّلفِ ؛ مِنهم ابنُ عباسٍ ، ومَسْرُوقٌ ، ومُجاهِدٌ(٣) : الثَّلاثون ليلةً هى ؛ شهرُ ذى القَعْدَةِ

(١- ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٣/ ٤٦٥- ٤٧٣.

(٣) تفسير الطبرى ٩/ ٤٧، ٤٨، التفسير ٣/ ٤٦٥، الدر المنثور ٣/ ١١٤، ١١٥.

بكمالِه ، وأتمّتْ أربعينَ ليلةً بعَشْرِ ذى الحِجَّةِ . فعلى هذا يكونُ كلامُ اللَّهِ له يومَ عيدِ النَّحْرِ ، وفى مِثْلِه أكملَ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، لمحمدٍ ﷺ دِينَه ، وأقام حُجَّتَه ، وبراهينَه .

والمقصودُ أنّ موسى ، عليه السّلامُ ، لمّا استكملَ الميقاتَ ، وكان فيه صائمًا ، يُقالُ : إنّه لم يَسْتَطْعِمِ الطَّعامَ . فلمّا كَمَلَ الشَّهْرُ ، أخَذ لِحا شجرةٍ فمَضَغَه ، ليُطَيِّبَ رِيحَ فمِه ، فأمرَ اللَّهُ أنْ يُمسِكَ عَشْرًا أخرى ، فصارتْ أربعين ليلةً . ولهذا ثَبَت فى الحديثِ أنَّ : « خُلُوفَ فَمِ الصّائمِ أطيبُ عندَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ »[1] . فلمّا عَزَم على الذَّهابِ ، استَخْلَفَ على شَعْبِ بنى إسرائيل أخاه هارونَ المُحَبَّبَ ، المُبجَّلَ ، الجليلَ ، وهو ابنُ أمِّه وأبيه ، ووَزِيرُه فى الدَّعْوةِ إلى مصطَفِيه ، فوصَّاه وأَمَرَه ونهاه ، وليس فى هذا لِعُلُوِّ منزلتِه فى نُبُوَّتِه مُنافاةٌ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ أى ؛ فى الوقتِ الذى أُمِرَ بالمَجِيءِ فيه ، ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ أى ؛ كلَّمه اللَّهُ مِن وراءِ حِجابٍ ، إلا أنَّه أسْمَعَه الخطابَ ، فنَادَاه وناجَاه ، وقرَّبه وأَدْناه ، وهذا مَقامٌ رفيعٌ ، ومَعْقِلٌ منيعٌ ، ومَنْصِبٌ شريفٌ ، ومنزِلٌ مُنِيفٌ ، فصلواتُ اللَّهِ عليه تَتْرَى ، وسلامُه عليه فى الدُّنيا والأخرى . ولمّا أُعْطِىَ هذه المَنْزِلةَ العَلِيَّةَ والمَرْتبةَ السَّنِيَّةَ ، وسَمِعَ الخطابَ ، سأَل رَفْعَ الحِجابِ ، فقال للعَظيمِ ، الذى لا تُدْرِكُه الأبصارُ ، القوىِّ البُرْهانِ : ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ . ثُم بيَّنَ تعالى أنّه لا يَسْتَطيعُ أنْ يَثْبُتَ عندَ تَجَلِّيه تبارَكَ وتعالَى ؛ لأنَّ الجَبَلَ الذى هو أَقْوى وأَكْبرُ ذاتًا ، وأشدُّ ثَباتًا مِن الإنسانِ ، لا يَثْبُتُ عندَ [١/١٧٦ظ] التَّجَلِّى مِن الرَّحمنِ ، ولهذا قال :

---

(١) البخارى (١٨٩٤، ١٩٠٤، ٥٩٢٧، ٧٤٩٢، ٧٥٣٨) ، ومسلم (١١٥١) .

﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ .

وفى الكُتبِ المُتقدِّمَةِ أنَّ اللَّهَ تعالى قال له : يا موسى ، إنه لا يرانِى حَىٌّ إلا ماتَ ، ولا يابِسٌ إلا تَدَهْدَهَ[1] . وفى « الصَّحِيحَيْنِ »[2] ، عن أبى موسى ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « حِجَابُهُ النُّورُ » . وفى رِوايةٍ : « النَّارُ ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » . وقال ابنُ عباسٍ ، فى قولِه تعالَى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ : ذاكَ نُورُهُ ، الذى هو نورُه ، إذا تجلَّى لشَىْءٍ ، لا يقومُ له شَىْءٌ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال مُجاهدٌ : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ فإنه أكبرُ منكَ ، وأشدُّ خَلْقًا ، فلمّا تَجَلَّى ربُّه للجَبَلِ ، فنَظَرَ إلى الجبلِ لا يتمالَكُ ، وأقبلَ الجبلُ فدُكَّ على أَوَّلِه ، ورأى موسى ما يَصْنَعُ الجبلُ ، فخرَّ صَعِقًا .

وقد ذكرْنا فى « التّفسيرِ » ما رَواه الإمامُ أحمدُ ، والتِّرمذىُّ ، وصحَّحه[3] ، وابنُ جَريرٍ ، والحاكمُ ، مِن طريقِ حمّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، زادَ ابنُ جريرٍ ، وليثٍ ، عن أنسٍ ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قرأ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ قال : هكذا بأُصْبُعِهِ ، ووَضَعَ النَّبىُّ ﷺ ، الإبْهامَ على المَفْصِلِ الأَعْلَى

---

(١) وهو لفظ حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥. من حديث ابن عباس.
(٢) أخرجه مسلم (١٧٩). وابن ماجه (١٩٦). ولم نجده فى البخارى، وانظر تحفة الأشراف ٦/ ٤٧٢.
(٣) زيادة من: ح.

مِن الخِنْصَرِ، فساخ الجبلُ. لفظُ ابنِ جريرٍ[1]. وقال السُّدِّىُّ، عن عِكْرِمةَ، عن[2] ابن عباسٍ: ما تجلَّى - يَعْنى مِن العَظَمَةِ - إلا قَدْرُ الخِنْصَرِ، فجعل الجبلَ دَكًّا، قال: ترابًا ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ أى؛ مَغْشِيًّا عليه[3]. وقال قَتادةُ: مَيِّتًا. والصَّحِيحُ الأوَّلُ؛ لقولِه: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾. فإنّ الإفاقَةَ إنّما تكونُ عن غَشْيٍ. قال: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تَنْزِيهٌ، وتعظيمٌ، وإجلالٌ أن يراه بعَظَمتِه أحدٌ. ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾، أى: فلَسْتُ أسألُ بعدَ هذا الرُّؤْيَةَ: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنَّه لا يراك حَىٌّ إلا مات، ولا يابِسٌ إلا تَدَهْدَهَ. وقد ثَبَتَ فى «الصَّحيحَيْنِ»[4]، مِن طريقِ عمرِو بنِ يَحْيَى بنِ عمارةَ بنِ أبى حَسَنٍ المازِنىِّ الأنصارىِّ، عن أبيه، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِى مِن بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِى أَفاقَ قَبْلِى، أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ». لفظُ البخارىِّ، وفى أوَّلِه قصةُ اليهودىِّ الذى لَطَم وَجْهَه الأنصارِىُّ، حينَ قال: لا والذى اصطفَى موسى على البشرِ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ [١/١٧٧و]: «لَا تُخَيِّرُونِى مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ». وفى

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٣/ ٢٠٩. الترمذى (٣٠٧٤) وقال: حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. وابن جرير فى تفسيره ٩/ ٥٣. والحاكم فى المستدرك ٢/ ٥٧٧. أما رواية ليث عن أنس، عند ابن جرير، فقال الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى ١٣/ ٩٩: وليس ذلك كما نقل - أى ابن كثير - فإن الثابت فى المخطوطة والمطبوعة «حماد، عن ثابت، عن أنس»، ليس فيها «ليث»، فلا أدرى كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين؟.

(٢) فى ح: «وعن». وهو خطأ.

(٣) تفسير ابن جرير ٩/ ٥٢، ٥٣. تاريخ الطبرى ١/ ٤٢٣.

(٤) البخارى (٤٦٣٨، ٦٩١٧)، مسلم (٢٣٧٤).

« الصّحيحَيْنِ »[1] ، مِن طريقِ الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، وعبدِ الرحمنِ الأَعْرَجِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، بنَحْوِه ، وفيه : « لَا تُخَيِّرُونِى على موسى » . وذكَر تَمامَه . وهذا مِن بابِ الهَضْمِ والتَّواضُعِ ، أو نَهْىٌ عن التَّفْضِيلِ بينَ الأنبياءِ على وَجْهِ الغَضَبِ والعَصَبِيَّةِ ، أو ليس هذا إليكم ، بلِ اللَّهُ هو الذى رَفَعَ بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ، وليس يُنالُ هذا بمجردِ الرأيِ ، بل بالتَّوْقيفِ . ومَن قال : إنّ هذا قالَه قبلَ أَنْ يَعْلَمَ أنّه أفضلُ ، ثُم نُسِخَ باطّلاعِه على أفضليَّتِه عليهم كلِّهم . ففى قَوْلِه نَظَرٌ ؛ لأَنّ هذا مِن روايةِ أبى سَعيدٍ ، وأبى هُرَيرةَ ، وما هاجَرَ[2] [3]أبو هُرَيْرةَ[3] إلَّا عامَ خَيْبَرَ[4] متأخِّرًا ، فيَبْعُدُ أنّه لم يَعْلَمْ بهذا إلا بعدَ هذا . واللَّهُ أعلمُ . ولا شكَّ أنّه ، صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، أفضلُ البَشَرِ ، بل الخَلِيقةِ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وما كَمُلُوا إلا بشَرَفِ نبيِّهم ، وثَبَتَ بالتَّواتُرِ عنه ، صلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، أنّه قال : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ »[5] . ثُم ذكَر اختصاصَه بالمَقامِ المحمودِ ، الذى يَغْبِطُه به الأوَّلُون والآخِرُون ، الذى تَحِيدُ عنه الأَنْبياءُ والمُرْسَلون ، حتى أُولو العَزْمِ الأَكْمَلُون ؛ نوحٌ ، وإبراهيمُ ، ومُوسى ، وعيسى ابنُ مَرْيَمَ . وقولُه ﷺ : « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَأَجِدُ موسَى باطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ - أَىْ ؛ آخِذًا بها - فَلَا أَدْرِى أَفَاقَ قَبْلِى ، أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ »[6] .

---

(١) البخارى (٢٤١١) . ومسلم (٢٣٧٣) .
(٢) فى الأصل : « هاجرا » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى ح ، م ، ص : « حنين » .
(٥) مسلم (٢٢٧٨) . أبو داود (٤٦٧٣) . الترمذى (٣١٤٨ ، ٣٦١٥) .
(٦) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

دليلٌ على أنّ هذا الصَّعْقَ، الذى يَحْصُلُ للخلائِقِ فى عَرَصاتِ القِيامةِ، حينَ يَتَجَلَّى الرّبُّ لفَصْلِ القضاءِ بينَ عبادِه، فيُصْعَقُون مِن شدَّةِ الهَيْبَةِ والعظمةِ والجَلالِ؛ فيكونُ أولَهم إفاقةً محمدٌ، خاتَمُ الأنبياءِ، ومُصْطَفَى ربِّ الأرضِ والسّماءِ على سائرِ الأنبياءِ، فيجدُ موسى باطِشًا بقائمةِ العَرْشِ. قال الصّادِقُ المَصْدُوقُ: «فلا أَدْرِى أَصُعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِى»[1]. أىْ، وكانت صَعْقَتُه خفيفةً؛ لأَنّه قد نالَه بهذا السَّببِ فى الدُّنْيا صَعْقٌ، أو جُوزِىَ بصَعْقَةِ الطُّورِ، يَعْنى فلم يُصْعَقْ بالكُلِّيَّةِ، وهذا فيه شَرَفٌ كَبيرٌ وعُلُوُّ مَرْتَبةٍ لموسى، عليه السلامُ، مِن هذه الحَيْثِيَّةِ، ولا يَلْزَمُ تفضيلُه بها مطلقًا مِن كلِّ وجهٍ؛ ولهذا نَبَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ على شَرفِه وفَضيلتِه بهذه الصِّفةِ؛ لأنّ المسْلِمَ لَمّا ضَرَبَ وَجْهَ اليهودىِّ، حينَ قال: لا والذى اصطفى موسى على البشرِ. قد يَحْصُلُ فى نفوسِ بعْضِ[2] المشاهِدين لذلك هَضْمٌ بجَنَابِ موسى، عليه السّلامُ، فبيَّنَ النّبىُّ ﷺ فضيلتَه وشَرفَه [١/١٧٧ظ]. وقولُه تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ أىْ فِى ذلك الزّمانِ، لا ما قبلَه؛ لأنّ إبراهيمَ الخليلَ أفضلُ منه، كما تقدَّمَ بيانُ ذلك فى قصةِ إبراهيمَ[3]، ولا ما بعدَه؛ لأنّ محمدًا ﷺ أفضلُ مِنهما؛ كما ظهرَ شرفُه ليلةَ الإسراءِ على جميعِ المُرْسَلين والأنبياءِ، وكما ثَبَت أنّه قال: «سَأَقُومُ مَقَامًا يرغَبُ إِلَىَّ الخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ»[4]. وقولُه تعالى: ﴿ فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ أى؛ فخُذْ ما أعطيتُك مِن الرّسالةِ

---

(١) أبو داود (٤٦٧١). (صحيح أبى داود ٣٩٠٥).
(٢) زيادة من: الأصل، ا.
(٣) انظر ما تقدم فى ١/ ٣٨٤- ٣٩٨.
(٤) تقدم تخريجه فى ١/ ٣٨٥.

والكلامِ، ولا تسألْ زيادةً عليه، وكُنْ مِن الشَّاكِرين على ذلك.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ وكانتِ الألواحُ مِن جوهَرٍ نَفيسٍ، ففى «الصَّحيحِ» أنَّ اللَّهَ كتَب له التَّوراةَ بيدِه، وفيها مواعِظُ عن الآثامِ، وتفْصيلٌ لكلِّ ما يَحْتاجُونَ إليه مِن الحلالِ والحرامِ (١والحُدودِ والأحْكامِ١)(٢)، ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ أىْ؛ بعَزْمٍ ونيَّةٍ صَادقةٍ قويّةٍ، ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ أى، يضعُوها على أحسنِ وُجوهِها، وأجْملِ محامِلِها، ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أى؛ ستَرَوْا عاقبةَ الخارجِين عن طاعتى، المخالِفِين لأمرِى، المكذِّبين لرُسُلِى. ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ﴾ أى؛ عن فَهْمِها، وتَدَبُّرِها، وتَعَقُّلِ معناها الذى أُرِيدَ منها، ودلَّ عليه مقتضاها، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴾ أىْ؛ ولو شاهدُوا مهما شاهدُوا مِن الخَوارِقِ، والمُعْجِزاتِ، لا يَنْقادُوا لاتِّباعِها، ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ أىْ؛ لا يَسْلُكُوه، ولا يتَّبِعُوه، ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أىْ؛ صَرَفْناهم عن ذلك؛ لتَكْذِيبِهم بآياتِنا، وتغافُلِهم عَنها، وإعْراضِهم عن التَّصْديقِ بها، والتَّفَكُّرِ فى مَعْناها، وتَرْكِ العملِ بمُقْتَضاها، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

(١- ١) زيادة من: الأصل.

(٢) رواه البخارى (٦٦١٤). مسلم (٢٦٥٢).

قصَّةُ عِبادتِهم العِجْلَ فى

غَيْبَةِ كَلِيمِ اللهِ موسى، عليه السلامُ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَٰحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى [١/١٧٨و] وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَٰحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾

[الأعراف: ١٤٨- ١٥٤].

وقال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ

---

(١) التفسير ٣/ ٤٧٣- ٤٧٧.

(٢) التفسير ٥/ ٣٠٢- ٣٠٨.

عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ
وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ
يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ
غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا
حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن
قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن
نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟
﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى
خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ
أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ
لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ
ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٨٣- ٩٨].

يَذكُرُ تعالى ما كان مِن أمرِ بنى إسرائيلَ، حينَ ذهبَ مُوسى، عليه السّلامُ، إلى ميقاتِ ربِّه، فمَكَثَ على الطُّورِ يُناجِيه ربُّه، ويسألُه موسى، عليه السّلامُ، عن أشياءَ كثيرةٍ، وهو تعالى يُجِيبُه عنها، فعَمَدَ رجلٌ مِنهم يُقالُ له[1]: السّامِرِىُّ.

---

(١) بعده فى الأصل، ح، م، ص: «هارون». وقد صرح المصنف - رحمه الله - فى التفسير =

فأخَذ ما كان اسْتَعارُوه مِن الحُلِيِّ فصاغ منه عِجْلًا، وألقَى فيه قَبْضةً مِن التُّرابِ، كان أخذَها مِن أثرِ فرسِ جِبْرِيلَ، حينَ رآه يومَ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَون على يدَيْه، فلمَّا أَلْقَاها فيه[1]، خارَ كما يَخُورُ العِجْلُ الحَقيقيُّ، ويُقالُ: إنّه اسْتَحال عِجْلًا جَسَدًا. أى، لحمًا ودَمًا، حيًّا يَخُورُ. قاله قَتادةُ وغيرُه[2]. وقيل: بل كانت الرِّيحُ إذا دَخَلَتْ [١/١٧٨ظ] مِن دُبُرِه، خَرجَتْ مِن فَمِه، فَيَخُورُ كما تَخُورُ البَقَرَةُ، فيرْقُصُون حولَه ويَفْرحُون[3]. ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ أى؛ فنَسِيَ موسى ربَّه عندَنا، وذهَب يتطلَّبُه، وهو هٰهنا. تعالَى اللَّهُ عمّا يَقُولُون عُلوًّا كبيرًا، وتقدَّسَتْ أسماؤُه وصِفاتُه، وتضاعفَتْ آلاؤُه وعِداتُه. قال اللَّهُ تعالى، مُبيِّنًا لهم بطلانَ ما ذهبُوا إليه، وما عَوَّلُوا عليه، مِن إلـهيَّةِ هذا الذى قُصاراه أنْ يكونَ حيوانًا بَهِيمًا وشَيْطانًا رَجيمًا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾. وقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ فذَكَرَ أنّ هذا الحيوانَ لا يتكلَّمُ، ولا يَرُدُّ جَوَابًا، ولا يَمْلِكُ ضَرًّا ولا نَفْعًا، ولا يَهْدِى إلى رُشْدٍ، اتَّخذوه وهم ظالمون لأنفسِهم، عالِمون فى أنفسِهم بُطْلانَ ما هم عليه مِن الجَهْلِ والضَّلالِ، ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى؛ نَدِمُوا على ما صَنَعُوا، ﴿ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

= ٥/٣٠٣، أنه من الكتب الإسرائيلية. واسم السامرى: موسى بن ظفر. انظر: تاريخ الطبرى ١/ ٤٢٥، المعارف ص ٤٤، التعريف والإعلام ص ٢٠٥، الدر المنثور ٤/ ٣٠٥.

(١) ليست فى: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٢٠٠، التفسير ٥/ ٣٠٧.

(٣) انظر قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٨٦. التفسير ٥/ ٢٨٥.

ولمّا رَجَع موسى، عليه السّلامُ، إليهم، ورأى ما هم عليه مِن عبادةِ العِجْلِ، ومعه الألواحُ المتضمِّنَةُ التَّوراةَ، ألقاها، فيُقالُ: إنّه كَسَرَها. وهكذا هو عندَ أهلِ الكتابِ[1]، وإنَّ اللَّهَ أَبْدَلَه غيرَها. وليس فى اللفظِ القرآنىِّ ما يدلُّ على ذلك، إلَّا أنَّه ألقاها حينَ عاينَ ما عاينَ. وعندَ أهلِ الكتابِ[2]، أنَّهما كانا لَوْحَيْنِ. وظاهِرُ القرآنِ أنَّها ألواحٌ متعدِّدةٌ، ولم يتأثرْ بمجردِ الخبرِ مِن اللَّهِ تعالى، عن عبادتِهم العِجْلَ، فأَمَرَه بمعاينةِ ذلك. ولهذا جاء فى الحديثِ الذى رواه الإمامُ أحمدُ[3]، وابنُ حِبّانَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ». ثُم أَقْبَلَ عليهم فعنَّفَهم، ووبَّخَهم، وهَجَّنَهم فى صنيعِهم، هذا القَبيحِ، فاعتذرُوا إليه بما ليسَ بصَحيحٍ؛ قالوا: إنا ﴿ حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾، تَحَرَّجُوا مِن تَمَلُّكِ حُلِيِّ آلِ فرعونَ، وهم أهلُ حربٍ، وقَد أَمَرَهم اللَّهُ بأخْذِه، وأباحَه لهم، ولم يَتَحَرَّجُوا بجهلِهم، وقِلَّةِ عِلْمِهم وعَقلِهم مِن عبادةِ العِجْلِ الجَسَدِ، الذى له خُوَارٌ، مع الواحدِ الأَحَدِ، الفَرْدِ الصَّمَدِ القَهَّارِ. ثُم أقبلَ على أخيه هارونَ، عليهما السّلامُ، قائلًا له: ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ أى؛ هلَّا لمّا رأيتَ ما صَنَعُوا اتَّبَعْتَنى فأعْلَمْتَنى بما فعلُوا، فقال: ﴿ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أى؛ تَرَكْتَهم وجِئْتَنى، وأنتَ قد اسْتَخْلَفْتَنى فيهم، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ وقد كان هارونُ، عليه السّلامُ، [١/١٧٩و]

---

(١) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/ ١٩.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/ ١٥، ١٦.

(٣) فى المسند ١/ ٢١٥، ٢٧١، والإحسان (٦٢١٣). (صحيح).

نهاهم عن هذا الصَّنيعِ الفَظِيعِ أشدَّ النَّهْيِ، وزَجَرَهم عنه أتمَّ الزَّجْرِ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم ﴾ أى؛ إنما قَدَّرَ اللَّهُ أمرَ هذا العِجْلِ، وجعلَه يَخورُ فِتْنةً واختبارًا لكم. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أىْ؛ لا هذا العِجْلُ، ﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ أى؛ فيما أقولُ لكم، ﴿ وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ يشهدُ اللَّهُ لهارونَ، عليه السّلامُ، وكَفَى باللَّهِ شهيدًا، أنّه نهاهم وزَجَرَهم عن ذلك، فلم يُطيعُوه ولم يَتَّبِعُوه، ثُم أقبَل موسى، عليه السلامُ، على السّامِرِىِّ، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾ أى؛ ما حَمَلَك على ما صَنَعْتَ. ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ أى؛ رأيتُ جَبْرائيلَ، (1)وهو راكبٌ فرسًا ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أى؛ مِن أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ(1). وقد ذَكَرَ بعضُهم أنَّه رآه وكان كُلَّما وَطِئَتْ بحوافِرِها على موضعٍ، اخْضَرَّ وأَعْشَبَ، فأخذَ مِن أثرِ حافِرِها، فلمَّا ألقاه فى هذا العِجْلِ المصنوعِ مِن الذَّهَبِ، كان مِن أمرِه ما كان، ولهذا قال: ﴿ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ وهذا دعاءٌ عليه بأنْ لا يَمَسَّ أحدًا؛ معاقبةً له على مَسِّه ما لم يكنْ له مَسُّه. هذا معاقبةٌ له فى الدُّنيا، ثُم توعَّدَه فى الأُخْرَى، فقال: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ وقُرِئَ: (لَنْ نُخْلِفَهُ)(2). ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ قال: فعَمَدَ موسى، عليه السّلامُ، إلى هذا العِجْلِ فحَرَّقَه، قيل: بالنّارِ. كما

(1 - 1) سقط من: الأصل.

(2) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو. تفسير القرطبى ١١/ ٢٤٢. وانظر تفسير الطبرى ١٦/ ٢٠٦، ٢٠٧.

قالَه قَتادةُ، وغيرُه. وقيل: بالمَبارِدِ. كما قاله علىٌّ، وابنُ عباسٍ، وغيرُهما[1]. وهو نصُّ أهلِ الكتابِ[2]. ثم ذَرَّاه فى البحْرِ، وأمرَ بنى إسرائيلَ فشَرِبُوا، فمَن كان مِن عابدِيه، عَلِقَ على شِفاهِهم مِن ذلك الرَّمادِ مِنه ما يدلُّ عليه، وقِيل: بلِ اصْفَرَّتْ ألوانُهم.

ثم قال تعالَى إخبارًا عن موسى أنّه قال لهم: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾. وهكذا وَقَع، وقد قال بعضُ السَّلَفِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾: مُسَجَّلةٌ لكلِّ صاحبِ بِدْعَةٍ إلى يوم القيامةِ[3]. ثُم أخبرَ تعالى عن حِلْمِه ورحْمتِه بخَلْقِه، وإحسانِه على عَبيدِه، فى قَبولِه توبةَ مَن تاب إليه، بتوبتِه عليه فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. لكن لم يقبلِ اللَّهُ توبةَ عابدِى العِجْلِ إلا بالقَتْلِ، كما قال تعالى[4]: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ [١٧٩/١ظ] فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤] فيُقالُ: إنَّهم أصبحُوا يومًا، وقد أَخَذَ مَن لم يَعْبُدِ العِجْلَ فى أيْديهم السُّيوفَ، وأَلْقَى اللَّهُ عليهم ضَبابًا، حتى لا يَعْرِفَ القريبُ قريبَه، ولا النَّسِيبُ نَسِيبَه، ثم مالُوا على

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/ ٢٠٨، ٢٠٩، والقرطبى ١١/ ٢٤٢، ٢٤٣، والتفسير ٥/ ٣٠٧.
(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/ ٢٠.
(٣) انظر أقوال السلف فى التفسير ٣/ ٤٧٥، والقرطبى ٧/ ٢٩٢.
(٤) التفسير ١/ ١٣٠- ١٣٢.

عابدِيه ، فقتلُوهم ، وحصدُوهم . فيُقالُ : إنّهم قَتَلُوا فى صبيحةٍ واحدةٍ سبعينَ ألفًا . ثُم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ استدلَّ بعضُهم بقولِه : ﴿ وَفِى نُسْخَتِهَا ﴾ على أنّها تَكَسَّرَتْ ، وفى هذا الاستدلالِ نَظَرٌ ، وليس فى اللَّفظِ ما يدلُّ على أنّها تكَسَّرَتْ ، واللَّهُ أعلمُ[1] . وقد ذَكَرَ ابنُ عباسٍ فى حديثِ الفُتُونِ ، كما سيأتِى ، أَنّ عبادتَهم العِجْلَ ، كانت على أَثَرِ خُروجِهم مِن البحرِ ، وما هو ببعيدٍ ؛ لأنَّهم حين خرجُوا ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ .

وهكذا عندَ أهلِ الكتابِ ، فإنّ عبادتَهم العِجْلَ ، كانت قبلَ مجيئِهم بلادَ بيتِ المقدسِ ، وذلك أنَّهم لمّا أُمِرُوا بقَتْلِ مَن عبدَ العِجْلَ ، قَتَلُوا فى أولِ يومٍ ثلاثةَ آلافٍ[2] . ثُم ذهب موسى يَستغفِرُ لهم ، فغُفِرَ لهم ، بشرطِ أنْ يَدْخُلُوا الأرضَ المقدَّسةَ .

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٧/ ٢٨٨، والتفسير ٣/ ٤٧٦.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/ ٢٨.

ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] [الأعراف: ١٥٥- ١٥٧]. ذكر السُّدِّىُّ، وابنُ عباسٍ، وغيرُهما، أنّ هَؤلاءِ السَّبْعين كانوا علماءَ بنى إسرائيلَ، ومعهم موسى، وهارونُ، ويُوشَعُ، وناداب، وأَبِيهُو، ذهبُوا مع موسى، عليه السّلامُ، لِيَعتذِروا عن بنى إسرائيلَ فى عبادةِ مَن عَبَد مِنهم العِجْلَ، وكانوا قد أُمِرُوا أنْ يَتَطَيَّبُوا، ويَتَطَهَّرُوا، ويَغْتَسِلُوا، فلمَّا ذهبُوا معه، واقتربُوا مِن الجبلِ، وعليه الغَمامُ، وعمودُ النُّورِ ساطِعٌ، وصَعِد موسى الجبلَ، فذَكَرَ بنو إسرائيلَ أنّهم سَمِعُوا كلامَ اللَّهِ، وهذا قد وافَقَهم [١/١٨٠و] عليه طائفةٌ مِن المفسِّرين[2]، وحمَلُوا عليه قولَه تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]. وليس هذا بلازمٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ﴾ أَىْ؛ مُبَلِّغًا، وهكذا هَؤلاءِ سَمِعُوه مُبَلِّغًا مِن[3] موسى، عليه السّلامُ. وزَعَمُوا أيضًا أنّ السَّبْعين رَأَوُا اللَّهَ، وهذا غَلَطٌ منهم؛ لأنّهم لمّا سَأَلُوا الرُّؤْيةَ، أخَذَتْهم الرَّجفةُ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]. وقال هاهنا:

---

(١) التفسير ٣/ ٤٧٧- ٤٨٨.

(٢) انظر تفسير الطبرى ١/ ٣٦٧، والتفسير ١/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) فى الأصل، ص: «عن».

﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ﴾ . قال محمدُ بنُ إسحاقَ : اختار موسى مِن بنى إسرائيلَ سبعينَ رجلًا ، الخَيِّرَ فالخَيِّرَ ، وقال : انطلِقُوا إلى اللَّهِ ، فتوبُوا إليه ممّا صَنعْتُم ، وسَلُوه التّوْبةَ على مَن تركتُم وراءَكم مِن قَوْمِكم ، صومُوا وتَطَهَّرُوا ، وطَهِّرُوا ثيابَكم . فخرجَ بهم إلى طُورِ سَيْناءَ لميقاتٍ وقَّتَه له ربُّه ، وكان لا يأْتِيه إلا بإذنٍ مِنه وعِلْمٍ ، فطلَب[1] منه السَّبْعون أن يَسْمَعُوا كلامَ اللَّهِ ، فقال : أَفْعَلُ . فلمّا دنا موسى مِن الجبلِ ، وقَع عليه عمودُ الغَمامِ ، حتى تَغَشَّى الجبلَ كلَّه ، ودنا موسى فدخَلَ فى الغَمامِ ، وقال للقومِ : ادْنُوا . وكان موسى إذا كَلَّمَه اللَّهُ وَقَع على جَبْهتِه نورٌ ساطعٌ ، لا يَسْتَطيعُ أحدٌ مِن بنى آدمَ أنْ يَنْظُرَ إليه ، فضُرِب دونَه بالحجابِ ، ودنا القومُ ، حتى إذا دَخَلُوا فى الغَمامِ ، وَقَعُوا سُجُودًا ، فسَمِعُوه وهو يُكَلِّمُ موسى ، يأمُرُه ويَنْهاه ؛ افعَلْ . ولا تفعلْ . فلمّا فرَغ اللَّهُ مِن أمْرِه ، وانكَشفَ عن موسى الغَمامُ أَقْبَلَ إليهم قالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ - وهى الصَّاعِقَةُ - فافتُلِتَتْ[2] أرْوَاحُهُم ، فماتُوا جميعًا فَقام موسى يُناشِدُ ربَّه ، ويدعُوه ، ويَرْغَبُ إليه ، ويقولُ : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ أى ؛ لا تُؤاخِذْنا بما فعَل السّفهاءُ الذين عَبَدُوا العجلَ منّا ، فإنا بُرَآءُ ممّا عَمِلُوا[3] . وقال ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ،

---

(١) فى الأصل ، ح : « فقال له وطلب » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ا ، م : « فالتقت » . وكذا فى تاريخ الطبرى . وفى ص : « فأثبت » . وما أثبت هو الصواب إن شاء الله . فيقال : افتُلِتت نفسه . أى مات فلتة ، أى بغْتة . وفى البخارى : أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال : إن أمى افتُلِتت نفسها ، فماتت ولم توص . فأتصدق عنها ؟ انظر النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٦٧ .

(٣) تفسير الطبرى ١/ ٢٩١ ، وتاريخ الطبرى ١/ ٤٢٧ ، والتفسير ٣/ ٤٧٧ .

وقَتادةُ، وابنُ جُرَيْجٍ: إنّما أخَذَتْهم الرَّجْفةُ لأنّهم لم يَنْهَوْا قومَهم عن عبادةِ العِجلِ. وقولُه: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ أى؛ اختبارُك، وابتلاؤُك، وامتحانُكَ. قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وأبو العاليةِ، والرّبيعُ بنُ أنسٍ، وغيرُ واحدٍ مِن علماءِ السّلَفِ والخَلَفِ. يعنى: أنت الذى قَدَّرْتَ هذا، وخلقْتَ [١/١٨٠ظ] ما كان مِن أمرِ العِجْلِ، اختبارًا تَخْتَبِرُهم به، كما قال لهم هارونُ مِن قَبْلُ: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ أى؛ اختُبِرْتم به، ولهذا قال: ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ أى؛ مَن شِئْتَ أضْلَلْتَه باخْتِبارِك إيّاه، ومَن شِئْتَ هَدَيْتَه، لك الحُكْمُ والمَشيئةُ، فلا مانعَ ولا رادَّ لِما حَكَمْتَ وقَضَيْتَ. ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أى؛ تُبْنا إليك، ورَجَعْنا، وأَنَبْنا. قاله، ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وأبو العاليةِ، وإبراهيمُ التَّيْمِىُّ، والضَّحّاكُ، والسُّدِّىُّ، وقَتادةُ، وغيرُ واحدٍ، وهو كذلك فى اللغةِ[1]. ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أى؛ أنا أعذِّبُ مَن شِئْتُ بما أشاءُ مِنَ الأمورِ، التى أخْلُقُها وأقدِّرُها، ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ كما ثَبَت فى «الصَّحيحَيْنِ»[2]، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنّه قال: «إنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، كَتَبَ كِتابًا، فهو مَوْضُوعٌ عندَه فوقَ العرشِ: إنَّ رَحْمَتِى تَغْلِبُ غَضَبِى». ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

---

(١) التفسير ٣/ ٤٧٩.

(٢) البخارى (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

أى ؛ فسأُوجِبُها حَتْمًا لِمَن يَتَّصِفُ بهذه الصِّفاتِ ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ الآية . وهذا فيه تَنْوِيهٌ بذِكرِ محمدٍ ﷺ ، وأمَّتِه ، مِن اللَّهِ تعالى لموسى ، عليه السّلامُ ، فى جُمْلةِ ما ناجاه به ، وأعْلَمَه وأطْلَعَه عليه . وقد تكلّمْنا على هذه الآيةِ وما بعدَها فى « التّفسيرِ » ، بما فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنّةُ[1] . وقال قَتادةُ : قال موسى : ياربِّ ، أجِدُ فى الألواحِ أُمّةً ، خيرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ ، يأمرُون بالمعروفِ ، ويَنهَوْن عن المُنْكَرِ ، ربِّ ، اجعلْهم أُمَّتى . قال : تلك أُمَّةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنِّى أجدُ فى الألْواحِ أُمَّةً ، هم الآخِرون فى الخَلْقِ ، السّابقون فى دخولِ الجنَّةِ ، ربِّ ، اجْعَلْهم أُمَّتى . قال : تلك أمّةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً أناجِيلُهم فى صُدورِهم ، يقرؤُونها ، وكان مَن قَبْلَهم يقرؤُون كتابَهم نَظَرًا ، حتى إذا رَفعُوها لم يَحْفَظُوا شيئًا ، ولم يَعْرِفُوه ، وإن اللَّهَ أعْطاكُم أيَّتُها الأُمَّةُ مِن الحفظِ شيئًا ، لمْ يُعطِه أحدًا مِن الأُمَمِ . قال : ربِّ ، اجْعَلْهم أُمَّتى . قال : تلك أُمَّةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً يؤمِنُون بالكتابِ الأوَّلِ ، وبالكتابِ الآخِرِ ، ويقاتِلُون فضُولَ الضَّلالةِ ، حتى يُقاتِلُوا الأعورَ الكذَّابَ ، فاجْعلْهم أُمَّتى . قال : تلك أُمَّةُ أحمدَ . قال : رَبِّ ، إنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، صَدَقاتُهم [١٨١/١و] يأْكُلُونها فى بطونِهم ، ويُؤْجَرُون عليها ، وكان مَن قَبْلَهم إذا تصدَّقَ بصَدقةٍ ، فقُبِلتْ منه ، بعثَ اللَّهُ عليها نارًا فأكَلَتها ، وإن رُدَّتْ عليه ، تُرِكتْ فتأْكلُها السِّباعُ والطَّيرُ ، وإنّ اللَّهَ أخذَ صَدَقاتِكم مِن غَنِيِّكم لفقيرِكم ، قال : رَبِّ ، فاجْعلْهم أُمَّتى . قال : تلك أُمَّةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، فإنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً إذا هَمَّ أحدُهم

---

(١) انظر التفسير ٣/ ٤٧٩- ٤٨٨.

بحَسَنةٍ ، ثُم لم يَعْملْها كُتِبتْ له حَسَنةٌ ، فإنْ عَمِلها كُتِبتْ له عَشْرُ أمْثالِها ، إلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ ، قال : رَبِّ ، اجْعلْهم أُمَّتِى . قال : تلك أُمَّةُ أحمدَ . قال : رَبِّ ، إنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً هم المُشفَّعُون ، المشْفوعُ لهم ، فاجْعلْهم أُمَّتِى . قال : تلك أمّةُ أحمدَ . قال قَتادةُ : فذُكِر لنا أَنّ موسى ، عليه السّلامُ ، نَبَذَ الألواحَ ، وقال : اللهم ، اجعلْنِى مِن أُمَّةِ أحمدَ[1] . وقد ذَكَرَ كثيرٌ مِن النّاسِ ما كان مِن مُناجاةِ موسى ، عليه السّلامُ ، وأَوْرَدُوا أشياءَ كثيرةً لا أصلَ لها ، ونحن نَذْكُرُ ما تَيَسَّرَ ذِكْرُه مِن الأحاديثِ والآثارِ ، بعَوْنِ اللَّهِ وتوْفيقِه ، وحُسنِ هدايتِه ومَعُونتِه وتَأْييدِه .

قال الحافِظُ أبو حاتمٍ ، محمدُ بنُ حاتمِ بنِ حِبّانَ فى « صحيحِه »[2] : ذِكْرُ سؤالِ كليمِ اللَّهِ ربَّه ، عزَّ وجلَّ ، عن أَدْنَى أهلِ الجنّةِ وأرفعِهم منزلةً ؛ أخبرَنا عمرُ بنُ سعيدٍ الطائىُّ بمَنْبِجٍ ، حدّثنا حامدُ بنُ يَحْيَى البَلْخِىُّ ، حدثنا سُفْيانُ ، حدثنا مُطَرِّفُ بنُ طريفٍ ، وعبدُ الملكِ بنُ أَبْجَرَ[3] - شيخان صالحان - سَمِعْنا الشَّعْبِىَّ يقولُ : سَمِعْتُ المُغيرةَ بنَ شُعْبَةَ يقولُ على المنبرِ ، عن النَّبىِّ ﷺ : « إنَّ موسى ، عليه السّلامُ ، سَأَلَ رَبَّه ، عزَّ وجلَّ : أَىُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً ؟ فَقالَ : رَجُلٌ يَجِئُ بَعْدَمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، فيُقالُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : كَيْفَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَزَلَ النّاسُ مَنازِلَهُمْ وأَخَذُوا أَخَذاتِهم[4] . فيُقالُ لَهُ : تَرْضَى أَن يَكُونَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلُ ما كان لِمَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَىْ رَبِّ .

---

(١) تفسير الطبرى ٩/ ٦٥.

(٢) الإحسان (٦٢١٦) . إسناده صحيح .

(٣) فى ح : « الحر » . وانظر تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٤.

(٤) فى النسخ : « أخاذاتهم » . والمثبت من مصدر التخريج .

فيُقالُ : لكَ هذا ، ومِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ . فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، رَضِيتُ . فيُقالُ : [1]إِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ . فيقولُ : أى رَبِّ ، رَضِيتُ . فيُقالُ[1] له : لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ . وسَأَلَ رَبَّه : أَىُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : سَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بِيَدى ، وخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » ومِصْدَاقُ ذَلِكَ فِى كِتَابِ اللَّهِ تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية [السجدة : ١٧] . وهكذا رواه مسلمٌ ، والتِّرْمِذِىُّ[2] ، كلاهما عن ابنِ أبى عُمَرَ ، عن سُفْيانَ ، وهو ابنُ عُيَيْنَةَ ، به[3] ، ولفظُ مسلم : « فَيُقالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَك مِثْلُ مُلْكِ[4] مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . فَيَقُولُ : لك ذَلِك ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ [١٨١/١ظ] ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ . فَيَقُولُ فِى الخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ . فيقولُ : هَذَا لَكَ وعَشَرَةُ أمثالِه ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، ولَذَّت عَيْنُكَ . فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . قَالَ : رَبِّ ، فَأَعْلَاهُم مَنْزِلَةً ؟ قال : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ[5] كرامَتَهم بِيَدى ، وَخَتَمْتُ عَلَيْها ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ » . قَالَ : ومِصْدَاقُهُ مِن كتابِ اللَّهِ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . وقال التِّرْمِذِىُّ : حسنٌ صحيحٌ . قال : ورواه بَعضُهم عن الشَّعْبِىِّ ، عن المُغِيرَةِ ، فلم يَرْفَعْه ، والمَوْقُوفُ أَصَحُّ[6] .

(١- ١) سقط من : ح ، م ، ص .
(٢) مسلم (١٨٩) ، الترمذى (٣١٩٨) .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى م ، ص : « غرس » .
(٦) والرواية الموقوفة التى أشار إليها الترمذى عند مسلم (١٨٩) ، والطبرانى فى الكبير (٩٨٩) .

وقال ابنُ حِبّانَ[1] : ذِكْرُ سؤالِ الكَليمِ ربَّه عن خِصالٍ سَبْعٍ ؛ حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سَلْمٍ[2] ، ببَيْتِ المقدِسِ ، حدّثنا حَرْمَلَةُ بنُ يَحْيَى ، حدّثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، أَنّ أبا السَّمْحِ ، حدَّثَه عن ابنِ[3] حُجَيْرَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، أنّه قال : « سَأَلَ موسى رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَنْ سِتِّ خِصالٍ ، كانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لهُ خَالِصَةً ، والسَّابِعَةُ لَمْ يَكُنْ موسى يُحِبُّهَا ؛ قالَ : يارَبِّ ، أَىُّ عِبادِكَ أَتْقَى ؟ قالَ : الَّذِى يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى . قالَ : فَأَىُّ عِبادِكَ أَهْدَى ؟ قالَ : الَّذِى يَتَّبِعُ الْهُدَى . قالَ : فَأَىُّ عِبادِكَ أَحْكَمُ ؟ قال : الَّذِى يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ . قالَ : فَأَىُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : عَالِمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إلى عِلْمِه . قالَ : فَأَىُّ عبادِكَ أَعَزُّ ؟ قالَ : الَّذِى إِذَا قَدَرَ غَفَرَ . قال : فَأَىُّ عِبَادِكَ أَغْنَى ؟ قالَ : الَّذِى يَرْضَى بما يُؤْتَى . قال : فأَىُّ عبادِك أَفْقَرُ ؟ قال : صاحِبٌ منقُوصٌ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرٍ ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، وإذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِناه فى نفسِه ، وتُقاه فى قَلْبِه ، وإذا أرادَ بعبدٍ شَرًّا ، جعلَ فَقْرَه بينَ عَيْنَيْهِ » .

قال ابنُ حِبَّانَ : قولُه : صاحِبٌ منقُوصٌ . يريدُ به مَنْقُوصَ حالتِه ، يَسْتَقِلُّ ما أُوتِىَ ، ويَطْلُبُ الفَضْلَ .

وقد رواه ابنُ جريرٍ فى « تاريخِه »[4] ، عن ابنِ حُمَيدٍ ، عن يعقوبَ

---

(١) الإحسان (٦٢١٧) . إسناده حسن .
(٢) فى النسخ : « مسلم » . والمثبت من الإحسان . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٠٦.
(٣) فى الأصل: « أبى » . وانظر تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٠.
(٤) ابن جرير ١/ ٣٧١.

القُمّىّ[1] ، عن هارونَ بنِ عَنترةَ[2] ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سأل موسى ربَّه ، عَزَّ وجَلَّ ، فذكر نحوَه ، وفيه : قال : أىْ رَبِّ ، فأىُّ عبادِك أعْلَمُ ؟ قال : الذى يَبْتَغِى عِلْمَ النّاسِ إلى علمِه ، عسى أنْ يُصِيبَ كَلِمةً تَهْدِيه إلى هُدًى ، أو تَرُدُّه عن رَدًى . قال : أىْ رَبِّ ، فهل فى الأرْضِ أحدٌ أعْلَمُ[3] منِّى ؟ قال : نَعَمْ ، الخَضِرُ . فسأَل السَّبيلَ إليْه ، فكان ما سنَذْكُرُه بعدُ ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ .

---

(١) فى الأصل ، ا : « العمى » . وفى م ، ص : « التميمى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) فى ح ، م : « عبيرة » . وانظر تهذيب التهذيب ١١/ ٩.

(٣) فى ص : « أعمر » .

ذِكرُ حديثٍ آخرَ بمعنى مَا ذَكَرَه ابنُ حِبَّانَ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدّثنا يَحْيَى بنُ إسحاقَ ، حدّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن درَّاجٍ ، [2]عن أبى الهيثمِ[2] ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ [١/١٨٢و] ، عن النَّبىِّ ﷺ ، أنَّه قال : « إنَّ موسى قالَ : أَىْ رَبِّ ، عَبْدُكَ الْمُؤْمِنُ مُقَتَّرٌ عَلَيْهِ فى الدُّنْيَا . قالَ : فَفُتِحَ لَهُ بابٌ مِن الجنَّةِ ، فنَظَرَ إلَيْها ، قَالَ : يا موسى ، هَذَا ما أَعْدَدْتُ له . فقالَ موسى : يا رَبِّ ، وعزَّتِكَ وجَلالِكَ ، لوْ كان أَقْطعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، يُسْحَبُ عَلى وَجْهِه مُنْذُ يومَ خَلَقْتَه إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، وكان هذا مصيرَه ، لم يَرَ بُؤسًا قَطُّ . قالَ : ثُمَّ قالَ : أَىْ رَبِّ ، عَبْدُكَ الْكَافِرُ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيا . قالَ : فَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يا موسى ، هذَا ما أَعْدَدْتُ له . فقال : أَىْ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ وَجلالِكَ ، لو كانتْ له الدُّنيا مُنْذُ يومَ خَلَقْتَهُ إلى يومِ القِيامَةِ ، وكان هذا مَصيرَه ، لمْ يَرَ خَيْرًا قَطُّ » . تَفَرَّدَ به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . وفى صحَّتِه نَظَرٌ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ حِبّانَ[3] : ذِكْرُ سؤالِ كليمِ اللَّهِ رَبَّه ، جَلَّ وَعَلَا ، أنْ يعلِّمَه شيئًا يَذْكُرُه به ، حدَّثنا [4]ابنُ سَلْمٍ[4] ، حدَّثنا حَرْمَلَةُ بنُ يَحْيَى ، حدّثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرَنى عمرُو بنُ الحارِثِ ، أنَّ درَّاجًا حدَّثه ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ،

---

(١) فى المسند ٣/ ٨١. وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٦٧: وفيه ابن لهيعة ودرّاج ، وقد وثقا على ضعف فيهما . وقال الساعاتى فى « بلوغ الأمانى » ١٩/ ١١٦: وقصارى القول أن هذا الحديث ضعيف .

(٢- ٢) فى الأصل : « بن أبى الهيثم » . وانظر التقريب ١/ ٢٣٥.

(٣) الإحسان (٦٢١٨) . إسناده ضعيف .

(٤- ٤) فى ا : « أبو مسلم » . وفى م ، ص : « ابن سلمة » . وانظر صفحة ١٥٨ حاشية (٢) .

عن النَّبىِّ ﷺ، أنّه قال: «قالَ موسى: يارَبِّ، عَلِّمْنى شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ. قال: قُلْ يا موسى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قال: يارَبِّ، كُلُّ عِبادِكَ يقولُ هَذَا. قالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قالَ: إِنَّما أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنى به. قالَ: يا موسى، لوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، والْأَرَضِينَ السَّبْعِ فى كِفَّةٍ، ولَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فى كِفَّةٍ، مالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». ويَشْهَدُ لهذا الحديثِ حديثُ البِطاقةِ[1]. وأَقْرَبُ شَىْءٍ إلى معناه، الحديثُ المَرْوِىُّ فى «السُّنَنِ»[2]، عن النَّبىِّ ﷺ أنَّه قال: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ، دُعَاءُ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ ما قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وهو على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ».

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3]، عندَ تفسيرِ آيةِ الكُرْسِىِّ: [4]حدّثنا أحمدُ بنُ القاسمِ ابنِ عَطِيَّةَ، حدّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الدَّشْتَكىُّ[5]، حدّثنى أَبِى، عن أبيه، حدّثنا أشعثُ بنُ إسحاقَ، عن جَعْفَرِ بنِ أبى المغيرةِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ[4]، عن ابنِ عباسٍ، أَنّ بنى إسرائيلَ قالُوا لموسى: هل ينامُ ربُّكَ؟ قال: اتّقُوا اللَّهَ. فناداه ربُّه: يا موسى، سألُوك هل ينامُ ربُّكَ، فخُذْ زُجاجَتَيْنِ فى يَدَيْكَ، فقُمِ اللَّيْلَ، ففعَل موسى، فلمّا ذهبَ مِن الليْلِ ثُلُثٌ، نَعَسَ، فوَقَعَ لرُكْبَتَيْه، ثُم انتعشَ،

---

(١) رواه الترمذى (٢٦٣٩) وقال: حديث حسن غريب. ابن ماجه (٤٣٠٠). (صحيح الترمذى ٢١٢٧).

(٢) الترمذى (٣٥٨٥). وقال: حديث غريب... (صحيح الترمذى ٢٨٣٧). وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٠٣).

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٢٧ وعزاه إلى ابن أبى حاتم. وابن كثير فى التفسير ١/ ٤٥٦. ورواه أبو الشيخ فى العظمة (١٤٠) عن ابن أبى حاتم به. وإسناده حسن.

(٤ - ٤) سقط من: ا.

(٥) فى ح، م: «الدسكى». وفى ص: «الدسيلى». وانظر تهذيب التهذيب ١/ ٥٣.

فضَبَطَهما ، حتى إذا كان آخِرُ الليلِ نَعَسَ ، فسَقَطَتِ الزُّجاجتان ، فانْكَسَرَتا . فقال : يا موسى ، لو كنتُ أنامُ ، لسَقَطَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ ، فهَلَكْنَ كما [١٨٢/١ظ] هَلَكَتِ الزُّجاجتانِ فى يَدَيْكَ . قال : وأَنْزَلَ اللَّهُ على رسولِه آيةَ الكُرْسِيِّ .

وقال ابنُ جَريرٍ[(١)] : حدّثنا إسحاقُ بنُ أبى إسرائيلَ ، حدّثنا هشامُ بنُ يوسُفَ ، عن أُمَيَّةَ بنِ شبلٍ ، عن الحكَمِ بنِ أبَانَ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِى عن موسى ، عليه السّلامُ ، على المِنْبرِ ، قال : « وَقَعَ فِى نَفْسِ موسى ، عليه السّلامُ ، هَلْ يَنامُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إليه مَلَكًا ، فأَرَّقَه ثلاثًا ، ثُم أعطاه قارُورَتَيْنِ ، فى كُلِّ يدٍ قارُورَةٌ ، وأمَرَه أنْ يَحْتَفِظَ بهما ، قال : فجَعَلَ ينامُ ، وكادت يداه تَلتقيان فيَسْتَيْقِظُ ، فيَحْبِسُ إِحْدَاهما على الأخرى ، حتى نامَ نَوْمةً ، فاصْطَفَقَتْ يداه ، فانْكَسَرَتِ القارُورَتان » . قال : ضَرَبَ اللَّهُ له مَثَلًا ، أَنْ لو كان ينامُ ، لم تَسْتَمْسِكِ السّماءُ والأرضُ . وهذا حديثٌ غريبٌ رَفْعُه ، والأَشْبَهُ أَنْ يكونَ مَوْقوفًا ، وأن يكونَ أصلُه إسْرَائيليًّا[(٢)] .

وقال اللَّهُ تعالى[(٣)] : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ

---

(١) فى تفسيره ٣/ ٧، ٨.

(٢) قال ابن الجوزى فى العلل المتناهية ٢٧/١ بعد أن رواه من طريق هشام بن يوسف به : ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وغلط من رفعه ، والظاهر أن عكرمة رأى هذا فى كتب اليهود فرواه ، فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء ، لا يجوز أن يخفى هذا على نبى الله عز وجل . وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل فى كتاب السنة عن سعيد بن جبير قال : إن بنى إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام : هل ينام ربنا ؟ وهذا هو الصحيح . فإن القوم كانوا جهالا بالله . اهـ .

(٣) التفسير ١/ ١٤٩، ١٥٠.

ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٣، ٦٤]. وقال تعالى[1]: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]. قال ابنُ عباسٍ، وغيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ: لَمَّا جاءَهم موسى بالألواحِ فيها التَّوْراةُ، أَمَرَهم بقَبُولِها، والأخذِ بها بقُوةٍ وعَزْمٍ، فقالوا: انشُرْها علينا، فإنْ كانت أوامرُها ونواهيها سَهْلَةً، قَبِلْناها. فقال: بل اقْبَلُوها بما فيها. فراجَعُوه مِرارًا، فأَمَر اللَّهُ الملائكةَ، فرفعُوا الجبلَ على رؤوسِهم حتى صارَ كأنَّه ظُلَّةٌ، أَىْ غَمامةٌ على رءوسِهم، وقِيلَ لهم: إنْ لم تَقْبلُوها بما فيها، وإلا سقَطَ هذا الجبلُ عليكم. فقَبِلُوا ذلك، وأُمِرُوا بالسُّجودِ فسَجَدُوا، فجعلُوا يَنْظُرُون إلى الجبلِ بشِقِّ وجُوهِهم، فصارَتْ سُنَّةً لليهودِ إلى اليومِ، يقولُون: لا سَجْدَةَ أعظمُ مِن سَجْدَةٍ رَفَعَتْ عنَّا العذابَ. وقال سُنَيْدُ بنُ داودَ[2]، عن حَجاجِ بنِ محمدٍ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: فلمّا نَشَرَها لم يَبْقَ على وجهِ الأرْضِ جَبلٌ، ولا شَجَرٌ، ولا حَجَرٌ، إلَّا اهتزَّ، فليس على وجهِ الأرضِ يَهودِىٌّ صغيرٌ ولا كبيرٌ تُقْرَأُ عليه التَّوْراةُ إلا اهْتزَّ، ونفَضَ لها رأسَه.

---

(١) التفسير ٣/ ٤٩٩، ٥٠٠.

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره ٩/ ١٠٩ من طريق سنيد بن داود. كما ذكره المصنف فى التفسير ٣/ ٤٩٩ عن سنيد.

قال اللّهُ تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أى ؛ ثُم بعدَ مشاهدةِ هذا الميثاقِ العظيمِ ، والأمرِ الجَسيمِ ، نَكَثْتُم عهودَكم ومواثيقَكم ، ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بأن تَدَارَكَكم بالإرسالِ إليكم [١٨٣/١و] ، وإنزالِ الكِتابِ عَليكم ﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

قِصَّةُ بَقَرَةِ بنى إسرائيلَ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧- ٧٣]

قال ابنُ عباسٍ، وعَبِيدَةُ السّلْمَانِىُّ، وأبو العاليةِ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّىُّ، وغيرُ واحدٍ مِن السّلَفِ: كان رَجُلٌ فى بنى إسرائيلَ كثيرَ المالِ، وكان شيخًا كبيرًا، وله بَنُو أخٍ، وكانوا يتمنَّوْن موتَه؛ ليرِثُوه، فعَمَدَ أحدُهم فقَتَلَه فى الليلِ، وطَرَحَه فى مَجْمَعِ الطرقِ، ويُقالُ: على بابِ رجلٍ منهم. فلما أَصْبَحَ النّاسُ، اخْتَصَمُوا فيه، وجاءَ ابنُ أخيه، فجعلَ يَصْرُخُ ويتظَلَّمُ، فقالوا: ما لكم تَخْتَصِمُون ولا تَأْتون نبىَّ اللَّهِ، فجاءَ ابنُ أخيه، فشَكَى أمرَ عمِّه إلى رسولِ اللَّهِ موسى ﷺ، فقال موسى، عليه السّلامُ: أَنْشُدُ اللَّهَ رجلًا عندَه عِلْمٌ مِن أمرِ

---

(١) التفسير ١/ ١٥٤- ١٦٢.

هذا القَتيلِ إلَّا أعْلَمَنا به . فلم يكنْ عند أحدٍ منهم عِلْمٌ ، وسألُوه أن يسألَ فى هذه القضيةِ رَبَّه ، عزَّ وجلَّ ، فسألَ ربَّه ، عزَّ وجلَّ ، فى ذلك فأَمَره اللَّهُ أنْ يأمُرَهم بذَبْحِ بَقَرَةٍ ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ ﴾ ، يَعْنُون ؛ نحن نسألُك عن أمرِ هذا القتيلِ ، وأنتَ تقولُ هذا . ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أى ؛ أعوذُ باللَّهِ أنْ أقولَ عنه غيرَ ما أَوْحَى إلىَّ . وهذا هو الذى أجابَنى حينَ سألْتُه عما سألْتُمُونى عنه أن أَسْأَلَه فيه . قال ابنُ عباسٍ ، وعَبِيدَةُ ، ومُجاهدٌ وعِكْرِمَةُ ، والسُّدِّىُّ ، وأبو العاليةِ ، وغيرُ واحدٍ : فلو أنَّهم عَمَدُوا إلى أىِّ بَقَرَةٍ ، فذَبَحُوها ، لحَصَلَ المقصودُ مِنها ، ولكنَّهم شَدَّدُوا ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عليهم[1] . وقد ورَد فيه حَديثٌ مَرفوعٌ ، وفى إسنادِه ضَعْفٌ[2] ، فسألُوا عن صفتِها ، ثُم عن لَوْنِها ، ثُم عن سِنِّها فأجِيبُوا بما عَزَّ وُجُودُه عليهم ، وقد ذكَرْنا تَفْسيرَ ذلك كلِّه فى «التَّفسيرِ»[3] .

والمقصودُ أنَّهم [١٨٣/١ظ] أمِرُوا بذَبحِ بَقَرَةٍ عَوَانٍ ؛ وهى الوَسَطُ بينَ النِّصفِ الفارضِ ، وهى الكبيرةُ ، والْبِكْرِ ، وهى الصَّغِيرةُ . قاله ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ، وأبو العاليةِ ، وعِكْرِمَةُ ، والحسنُ ، وقَتادةُ ، وجماعةٌ . ثم شَدَّدُوا ، وضَيَّقُوا على أنفسِهم ، فسألُوا عن لونِها ، فأُمِرُوا بِصَفْراءَ فاقِعٍ لونُها ، أَىْ مُشْرَبٍ بحُمْرةٍ ، تَسُرُّ الناظِرين ، وهذا اللونُ عَزيزٌ . ثم شَدَّدُوا أيضًا فقالوا : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن

---

(١) التفسير ١/ ١٥٨.

(٢) سيأتى بعد قليل كما ذكره المصنف فى التفسير ١/ ١٥٩ سندا ومتنا ، وعزاه لابن مردويه من حديث أبى هريرة مرفوعًا ، وقال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبى هريرة . وبنحوه مرفوعا رواه سعيد بن منصور فى سننه ٢/ ٥٦٥ فى كتاب التفسير من حديث عكرمة يرفعه . وسنده ضعيف لإرساله .

(٣) التفسير ١/ ١٥٨ وما بعدها .

لَنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ففى الحديثِ المرفوعِ، الذى رواه ابنُ أبى حاتمٍ، وابنُ مَرْدَوَيْهِ[1]: «لولا أنّ بنى إسرائيلَ استثْنَوْا لَمَا أُعْطُوا». وفى صحَّتِه نَظَرٌ. واللَّهُ أعلمُ. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وهذه الصّفاتُ أَضْيَقُ مِمّا تقدَّمَ، حيثُ أُمِرُوا بذَبْحِ بَقَرَةٍ، ليستْ بالذَّلُولِ؛ وهى المُذَلَّلَةُ بالحِراثةِ وسَقْيِ الأرضِ بالسّانِيَةِ، مُسَلَّمَةٍ؛ وهى الصّحيحةُ التى لا عَيْبَ فيها. قاله أبو العاليةِ، وقَتادةُ. وقولُه: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ﴾ أى؛ ليس فيها لَوْنٌ يخالِفُ لونَها، بل هى مُسَلَّمَةٌ مِن العُيوبِ، ومِن مخالطةِ سائرِ الألْوانِ غيرَ لَوْنِها، فلمَّا حدَّدَها بهذه الصّفاتِ، وحَصَرَها بهذه النُّعوتِ والأَوْصافِ، ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ ويقالُ: إنّهم لم يَجِدُوا هذه البقرةَ بهذه الصّفةِ إلا عندَ رجلٍ منهم، كان بارًّا بأبيه، فطَلَبُوها منه، فأبى عليهم، فأَرْغَبُوه فى ثَمنِها، حتى أعطَوْه - فيما ذَكَره السُّدِّىُّ - بوزنِها ذهبًا، فأبى عليهم، حتى أعطَوْه بوزنِها عَشْرَ مرّاتٍ، فباعَها مِنهم، فأمرَهم نبىُّ اللَّهِ موسى بذَبْحِها، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أى؛ وهم يَتَرَدَّدُون فى أمرِها. ثم أَمَرَهم عن اللَّهِ أَنْ يضرِبُوا ذلك القتيلَ ببعضِها، قِيل: بلَحْمِ فَخِذِها. وقِيل: بالعظمِ الذى يَلِى الغُضْرُوفَ. وقِيل: بالبَضْعَةِ التى بينَ الكَتِفَيْنِ، فلمَّا ضربُوه ببعْضِها، أحياه اللَّهُ تعالى، فقام(*) وهو تَشْخَبُ أوداجُه، فسألَه نبىُّ اللَّهِ: مَن قتلَكَ؟ قال: قَتَلَنى ابنُ أخِى. ثم عادَ

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر ١/٧٧ وعزاه لابن أبى حاتم وابن مردويه. وذكره المصنف فى التفسير ١/ ١٥٩ وعزاه إليهما.

(*) إلى هنا ينتهى الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث والمشار لها بـ (ا).

مَيِّتًا كما كان ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أى ؛ كما شاهَدْتم إحياءَ هذا القتيلِ ، عن أمرِ اللَّهِ له ، كذلك أَمْرُه فى سائرِ المَوْتَى ، إذا شاء إحياءَهم أحياهم فى ساعةٍ واحدةٍ ، كما قال : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ الآية [لقمان : ٢٨] .

قِصّةُ موسى والخَضِرِ، عليهما الصلاةُ والسلامُ

قال اللّهُ تعالى[1]: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ [١/١٨٤و] لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِىْ ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن

---

(١) التفسير ٥/ ١٧٠- ١٨٢.

يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠- ٨٢].

قال بعضُ أهلِ الكتابِ: إنَّ موسى هذا الذى رَحَلَ إلى الخَضِرِ، هو موسى بنُ ميشا بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ. وتابَعَهم على ذلك بعضُ مَن يَأْخُذُ مِن صُحُفِهم، ويَنْقُلُ عن كُتُبِهم، منهم نوفُ بنُ فَضَالةَ الحِمْيَرِىُّ الشّامِىُّ البِكَالِىُّ، ويُقالُ: إنّه دِمَشْقِىٌّ. وكانت أمُّه زوجةَ كعبِ الأحبارِ[1]. والصّحيحُ الذى دَلَّ عليه ظاهرُ سياقِ القرآنِ، ونصُّ الحديثِ الصحيحِ الصريحِ المتفقِ عليه، أنّه موسى بنُ عِمْرانَ، صاحبُ بنى إسرائيلَ.

قال البخارىُّ[2]: حدّثنا الحُمَيْدِىُّ، حدّثنا سفيانُ، حدّثنا عمرُو[3] بنُ دينارٍ، أخبرنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، قال: قلتُ لابنِ عباسٍ [١٨٤/١ظ]: إنّ نوْفًا البِكالِىَّ يَزْعُمُ أنّ موسى صاحبَ الخَضِرِ ليس هو موسى صاحبَ بنى إسرائيلَ. قال ابنُ عباسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللّهِ؛ حدّثنا أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ، أنّه سَمِعَ رسولَ اللّهِ

---

(١) انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٣٠/ ٦٥.

(٢) البخارى (٤٧٢٥).

(٣) فى الأصل، م: «عمر».

ﷺ يقولُ : « إنّ موسى قامَ خَطِيبًا فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فقالَ : أَنَا . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّ لِى عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قالَ موسى : يَارَبِّ ، وَكَيْفَ لِى بِهِ ؟ قالَ : تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فى مِكْتَلٍ فحيثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فهو ثَمَّ . فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ بِمِكْتَلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ ، وَضَعَا رُءُوسَهُما فناما ، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِى المِكْتَلِ ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِى الْبَحْرِ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ سَرَبًا ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِىَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِما ، حَتَّى إِذا كان مِنَ الْغَدِ ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ . ولمْ يَجِدْ موسى النَّصَبَ حَتَّى جاوَزَ الْمَكانَ الَّذِى أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ﴿ قَالَ ﴾ له فَتاه : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قالَ : فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا ، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قالَ : فَرَجَعَا يَقُصَّانِ أَثَرَهُما ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلى الصَّخْرَةِ ، فإذا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ . قَالَ : أَنَا مُوسَى . قَالَ : مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِى مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ، يَا مُوسَى ، إِنِّى عَلَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ ، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ على عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ ، فَقَالَ موسى : ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ . قال لهُ الْخَضِرُ : ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ على سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ ، فَكَلَّمَهُمْ أَن يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ ، فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ ، فَلَمَّا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا والْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِن أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بالقَدُومِ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ » . قال : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَكَانَتِ [١/١٨٥و] الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا . قَالَ : وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ على حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَنَقَرَ فى الْبَحْرِ نَقْرَةً ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ : مَا عِلْمِى وَعِلْمُكَ فِى عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مثلُ مَا نقَص هذا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ . ثُم خرجا مِن السَّفِينةِ ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيانِ عَلَى السَّاحِلِ ، إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مع الغِلْمَانِ ، فَأَخَذَ الخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ ، فاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ قَالَ : وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى ، ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِىۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [1]قَال : مَائِلٌ . فقال الْخَضِرُ بِيَدِهِ[1] ﴿ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾ [2]فقالَ موسى : قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونا ، وَلَمْ يُضيِّفُونَا[2] ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ

(١- ١) سقط من : الأصل .

(٢- ٢) فى الأصل : « قال » .

صَبَرَ، حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا». قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: (وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا). وكان يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ).

ثم رواه البخاريُّ أيضًا عن قُتَيْبَةَ، عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، بإسنادِه نحوَه[1].

وفيه: «فَخَرَجَ مُوسَى، وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَمَعَهُمَا الْحُوتُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَنَزَلَا عِنْدَهَا. قَالَ: فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَنَامَ». قال سفيانُ: وفى حديثِ غيرِ عمرٍو، قال: «وَفِى أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الْحَيَاةُ. لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ، فَأَصَابَ الْحُوتُ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ، قَالَ: فَتَحَرَّكَ، وَانْسَلَّ مِنَ الْمِكْتَلِ، وَدَخَلَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قال موسى لفتاه: آتنا غداءَنا». كذا قال. وساقَ الحديثَ، وقالَ: «وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِى الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عِلْمِى وَعِلْمُكَ وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ، فِى عِلْمِ اللَّهِ، إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ» وذَكَرَ تمامَ الحديثِ.

وقال البخاريُّ[2]: حدّثنا إبراهيمُ بنُ موسى، حدّثنا هشام بنُ يوسفَ، أنّ ابنَ جُرَيْجٍ أخبرَهم، قال: أخبرنى يَعْلى بنُ مُسْلمٍ، وعمرُو بنُ دينارٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ - [3]يزيدُ أحدُهما على صاحبِه، وغيرُهما قد سَمِعْتُه يُحَدِّثُه عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ[3] - قال: إنّا لَعِنْدَ ابنِ عباسٍ فى بيتِه، إذ قال: سَلُونى. فقلتُ: أىْ أبا عباسٍ، جَعَلَنى اللَّهُ فِداكَ، بالكوفةِ رجلٌ قاصٌّ، يُقالُ له: نوفٌ. يَزْعُمُ أنّه ليس بموسى بنى إسرائيلَ. أمّا عمرٌو فقال لى: قال: قد كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ.

---

(١) البخارى (٤٧٢٧).

(٢) البخارى (٤٧٢٦).

(٣- ٣) سقط من: ح. وانظر معناه فى فتح البارى ٨/ ٤١٢.

وأمّا يَعْلَى ، فقال لى[1] : قالَ ابنُ عباسٍ : حدَّثَنِى أبىُّ بنُ كَعْبٍ [١٨٥/١ظ] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ ، قال : ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا ، حَتَّى إِذَا فَاضَتِ العُيونُ ورَقَّتِ القُلُوبُ ، ولَّى ، فأَدْرَكَه رجلٌ ، فقال : أىْ رسولَ اللَّهِ ، هَلْ فِى الْأَرْضِ أَحَدٌ[2] أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَا . فعتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ . قِيلَ : بَلَى . قَالَ : أَىْ رَبِّ ، فَأَيْنَ ؟ قَالَ : بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ . قَالَ : أَىْ رَبِّ ، اجْعَلْ لِى[3] عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ . قال لى عَمْرٌو : قال : حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ . وقال لى يَعْلَى : قَالَ : خُذْ حُوتًا[4] مَيِّتًا ، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَأَخَذَ حُوتًا ، فَجَعَلَهُ فِى مِكْتَلٍ ، فَقَالَ لِفَتَاهُ : لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِى بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ . قَالَ مَا كَلَّفْتَ كَبِيرًا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ يُوشَعَ بنِ[5] نُونٍ - ليست عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ[6] - قَال : « فَبَيْنَمَا هُوَ فِى ظِلِّ صَخْرَةٍ ، فِى مَكَانٍ ثَرْيَانَ[7] ؛ إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ ، وَمُوسَى نَائِمٌ ، فَقَالَ فَتَاهُ : لَا أُوقِظُهُ . حَتَّى إذا اسْتَيْقَظَ ، نَسِىَ أَن يُخْبِرَه ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ[8] ، حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَه فِى حَجَرٍ » . قال لى عمرٌو[9] : « هكذا كأنَّ أثرَه فى[10] حَجَرٍ » وحَلَّقَ بينَ إبْهامَيْه واللَّتَيْنِ تَلِيانِهما . « ﴿ لَقَدْ

---

(١) سقط من : ص .
(٢) فى الأصل ، ص : « رجل » .
(٣) سقط من : ح .
(٤) فى ح مكتوبٌ فوقها : « نونًا » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى . انظر الفتح ٨/ ٤١٤ .
(٥) فى م : « بين » .
(٦) القائل هو ابن جريج . الفتح ٨/ ٤١٤ .
(٧) أى مبلول . الفتح ٨/ ٤١٤ .
(٨) فى الأصل ، ح : « الماء » .
(٩) القائل هو ابن جريج . الفتح ٨/٤١٦ .
(١٠) سقط من : الأصل ، ص .

لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ » قال : « وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ » ليستْ هذه عن سعيدٍ ، « أَخْبَرَهُ فَرَجَعَا ، فَوَجَدَا خَضِرًا ، قال لى عثمانُ بنُ أبى سليمانَ : « عَلَى طِنْفِسَةٍ[1] خَضْرَاءَ ، عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ » . قال سعيدٌ[2] : « مُسَجًّى بِثَوْبِهِ ، قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : هَلْ بِأَرْضٍ مِنْ سَلَامٍ ؟ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مُوسَى . قَالَ : مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ لـ ﴿ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ قَالَ : أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ وَأَنَّ الْوَحْىَ يَأْتِيكَ ؟ يَا مُوسَى ، إِنَّ لِى عِلْمًا لَا يَنْبَغِى لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ ، وإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِى لِى أَنْ أَعْلَمَهُ ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عِلْمِى وَعِلْمُكَ فِى جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ ، إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِه مِنَ الْبَحْرِ ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ ﴾ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا ، تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الآخَرِ ، عَرَفُوهُ ، فقالُوا : عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ ؟ » قال : فقلنا لسعيدٍ : خَضِرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . « لَا نَحْمِلُه بِأَجْرٍ فَخَرَقَهَا وَوَتَّدَ فيها وَتِدًا ﴿ قَالَ ﴾ مُوسَى : ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ - قال مُجاهدٌ : مُنْكَرًا[3] - ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ كَانَتِ الْأُولَى نِسْيَانًا ، والْوُسْطَى شَرْطًا ، والثَّالثةُ عَمْدًا ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ [١٨٦/١و] وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ » قال يَعْلَى : قال سَعيدٌ : وَجَدَ غِلْمانًا يلعبُون ، فأَخَذَ غُلامًا كافِرًا ظَرِيفًا ، فأَضْجَعَه ، ثُمَّ ذَبَحَه بالسِّكِّينِ ﴿ قَالَ

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٤١٧: والطنفسة : فرش صغير. وهى بكسر الطاء والفاء بينهما نون ساكنة ، وبضم الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وبفتح الفاء ، لغات .

(٢) القائل هو ابن جريج . الفتح ٨/ ٤١٦.

(٣) هى رواية ابن جريج عن مجاهد . الفتح ٨/ ٤١٩.

أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ لم تَعْمَلْ بالخَبَثِ[1] » . ابنُ عباسٍ قَرَأَها : (زَكِيَّةً زَاكِيَةً مُسْلِمَةً) . كقولِكَ : غُلامًا زكِيًّا[2] . فانطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أن يَنقَضَّ فَأَقامه » ، قال[3] بيدِه هكذا ، وَرَفَعَ يدَه فاسْتَقَامَ . قال يَعْلَى : حَسِبْتُ أن سعيدًا قال : « فَمَسَحَه بيدِه فاسْتَقَامَ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ » . قال سعيدٌ : أجرًا نَأْكُله « ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم ﴾ » (وَكَانَ أَمَامَهُمْ) قَرَأَهَا ابنُ عباسٍ . أمامَهم ﴿ مَّلِكٌ ﴾ يَزْعُمُون عن غيرِ سَعيدٍ أنّه هُدَدُ بنُ بُدَدَ ، والغلامُ المقتولُ يَزْعُمُون : جَيْسُورُ[4] « ﴿ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ ، فإذا هى مَرَّتْ به يدَعُها بعَيْبِها ، فإذا جاوَزُوا أَصلَحُوها فانْتَفَعُوا بها . مِنهم مَن يقولُ : سَدُّوها بقارُورَةٍ . ومِنهم مَن يقولُ : بالقارِ . ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ وكان كافرًا ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَنًا وَكُفْرًا ﴾ » أى ؛ يَحْمِلَهما حُبُّه على أنْ يُتابِعَاه على دِينِه ، ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ لقولِه : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ ﴾ وَ ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ هما به أَرْحَمُ مِنْهما بالأَوَّلِ ، الذى قَتَلَ خَضِرٌ . (٥ وزعم غيرُ سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ أنَّهما أُبْدِلا جَارِيَةً ٥) ، وأمّا داودُ بنُ أبى عاصمٍ فقال عن غيرِ واحدٍ : إنَّها جَارِيَةٌ .

---

(١) كذا بالنسخ . وهى أحد ألفاظ روايات الصحيح . انظر متن صحيح البخارى ٦/ ١١٤.

(٢) هو تفسير من الراوى . يشير به إلى القراءتين ؛ قراءة ابن عباس وقراءة غيره . واختلف فى ضبط « مسلمة » فالأكثر بسكون السين وكسر اللام . ولبعضهم بفتح السين وتشديد اللام المفتوحة . انظر الفتح ٨/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) بعده فى صحيح البخارى : « سعيد » . والقائل هو ابن جريج .

(٤) فى الأصل : « حيسور » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى . والقائل هو ابن جريج . الفتح ٨/ ٤٢٠.

(٥ - ٥) فى الأصل ، ح : « وزعم عن سعيد بن جبير أنهما أبدلا جارية » . وفى م : « وزعم سعيد بن جبير ، أنه ابن لا جارية » . وفى ص : « وزعم سعيد بن جبير إنه ابن أبدلا جارية » . والمثبت من صحيح البخارى .

وقد رَواه عبدُ الرَّزّاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : خَطَبَ مُوسَى بنى إسرائيلَ ، فقالَ : ما أَحَدٌ أَعْلَمُ باللَّهِ وبأَمْرِه مِنِّى . فأُمِرَ أنْ يَلْقَى هذا الرّجلَ . فذَكَر نحوَ ما تقدَّمَ .

وهكذا رواه محمدُ بنُ إسحاقَ[2] ، عن الحسنِ بنِ عُمارةَ ، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبَةَ[3] ، عن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ كنَحْوِ ما تقدَّمَ أيضًا ، ورواه العَوفىُّ[4] عنه موقوفًا .

وقال الزّهْرِىُّ[5] ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّه تمارَى هو والحرُّ بنُ قَيْسِ بنِ حِصنٍ الفَزَارِىُّ ، فى صاحبِ موسى ، فقال ابنُ عباسٍ : هو خَضِرٌ . فمرَّ بهما أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ ، فدعاه ابنُ عباسٍ ، فقال : إنِّى تَمارَيْتُ أنا وصاحبِى هذا ، فى صاحبِ موسى الذى سألَ السَّبيلَ إلى لُقِيِّه ، فهل سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ فيه شيئًا ؟ قال : نَعَمْ . وذَكَرَ الحديثَ ، وقد تَقَصَّيْنا طُرُقَ هذا الحديثِ ، وألفاظَه فى تفسيرِ سورةِ الكَهْفِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ[6] .

وقولُه : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى [١٨٦/١ظ] ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا

---

(١) عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٤٠٥.
(٢) رواه ابن جرير من طريق ابن إسحاق به . تفسير ابن جرير ١٥/ ٢٧٩. تاريخه ١/ ٣٧٢.
(٣) فى الأصل ، م ، ص : « عيينة » .
(٤) فى الأصل : « البغوى » . والأثر فى التفسير ٥/ ١٧٦.
(٥) رواه ابن جرير من طريق الزهرى به . تفسير ابن جرير ١٥/ ٢٨٢.
(٦) التفسير ٥/ ١٧٢- ١٧٧.

وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ قال السُّهَيْلِىُّ[1] : وهما أصرمُ وصريمُ، ابنا كاشحَ. ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قِيل: كان ذَهَبًا. قاله عِكْرِمَةُ، وقِيل: عِلْمًا. قاله ابنُ عباسٍ، والأَشْبَهُ أنّه كان لَوْحًا مِن ذَهَبٍ، مكتوبًا فيه عِلْمٌ[2].

قال البَزَّارُ[3] : حدّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهَرِىُّ، حدّثنا بِشْرُ بنُ المُنْذِرِ، حدّثنا الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ اليَحْصُبِىُّ، عن عياشِ بنِ عباسٍ الغَسّانىِّ، عن ابنِ حُجَيرةَ، عن أبى ذَرٍّ، رَفَعَه، قال: «إنّ الكَنْزَ الذى ذَكَرَ اللَّهُ فى كتابِه لَوْحٌ مِن ذَهَبٍ مُصْمَتٍ: عَجِبْتُ لمَنْ أيقنَ بالقَدَرِ، كَيْفَ نَصِبَ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النّارَ[4] ثُم ضَحِكَ، وعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ المَوْتَ ثُم غَفَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وهكذا رُوِىَ عن الحسنِ البَصْرِىِّ، وعمرَ مولى غُفْرَةَ[5]، وجَعْفَرٍ الصّادقِ، نحوُ هذا[6]. وقولُه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾. وقد قِيل: إنّه كان الأَبَ السّابعَ، وقِيل: العاشرَ. وعلى كلِّ تقديرٍ، فيه دَلالةٌ على أنّ الرَّجُلَ الصّالحَ يُحْفَظُ فى ذُرِّيَّتِه، فاللَّهُ المستعانُ.

وقولُه: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ دليلٌ على أنّه كان نَبِيًّا، وأنّه ما فعلَ شيئًا مِن تِلقاءِ نفسِه، بل بأمرِ ربِّه، فهو نَبِىٌّ، وقِيل: رسولٌ. وقيل: وَلِىٌّ. وأَغْرَبُ

---

(١) التعريف والإعلام ص ١٩٣.

(٢) التفسير ٥/ ١٨٢.

(٣) كشف الأستار (٢٢٢٩). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٥٤: رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبى ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى ح، م، ص: «عفرة». وانظر التقريب ٢/ ٥٩.

(٦) رواها ابن جرير فى تفسيره عن الحسن وعمر وجعفر ١٦/ ٥، ٦.

مِن هذا مَن قال: كان مَلِكًا. (١) قلتُ: وقد أَغْرَبَ جِدًّا مَن قال: هو ابنُ فِرْعَوْنَ. وقِيل: إنَّه ابنُ ضحَّاكٍ الذى مَلَكَ الدّنيا ألفَ سنةٍ. قال ابنُ جَريرٍ[٢]: والذى عليه جُمهورُ أهلِ الكتابِ، أنّه كان فى زَمَنِ أفريدونَ. ويُقالُ: إنّه كان على مُقَدِّمَةِ ذى القَرْنَيْنِ، الذى قِيل: إنّه كان أفريدونَ، وذُو الفرسِ هو الذى كان فى زَمَنِ الخليلِ. وزَعَمُوا أنّه شَرِبَ مِن ماءِ الحياةِ، فَخَلَدَ، وهو باقٍ إلى الآنَ. وقيل: إنّه مِن وَلَدِ بعضِ مَنْ آمَنَ بإبراهيمَ وهاجَرَ معه مِن أرضِ بَابِلَ. وقِيل: اسْمُه ملكانُ. وقِيل: أرميا بنُ حلقيا. وقِيل: كان نبيًّا فى زَمَنِ سباسبَ ابنِ لهراسبَ. قال ابنُ جَريرٍ: وقد كان بينَ أفريدونَ وبينَ سباسبَ دُهُورٌ طويلةٌ، لا يَجْهَلُها أحدٌ مِن أهلِ العلمِ بالأنسابِ[٣]. قال ابنُ جَريرٍ: والصّحيحُ أنّه كان فى زَمَنِ أفريدُونَ، واستمرّ حيًّا إلى أنْ أَدْرَكَه موسى، عليه السّلامُ، وكانت نُبُوَّةُ موسى فى زَمَنِ منُوشِهْرَ، الذى هو مِن وَلَدِ إيرَجَ بنِ أفريدُونَ، أحدِ ملوكِ الفُرْسِ، وكان إليه المُلْكُ بعد جَدِّه أفريدونَ لعهدِه، وكان عادلًا، وهو أَوَّلُ مَن خَنْدَقَ الخَنادِقَ، وأوّلُ مَن جَعَلَ فى كلِّ قريةٍ دِهْقانًا، وكانت مدَّةُ مُلْكِه قريبًا مِن مائةٍ وخمسين سنةً[٤]. ويُقالُ: إنّه كان مِن سُلالةِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ. وقد ذُكِرَ عنه مِن الخُطَبِ الحِسانِ، والكَلِمِ البَليغِ النّافعِ الفَصيحِ، ما يَبْهَرُ العقلَ، ويُحَيِّرُ السّامعَ، وهذا يدلُّ على أنّه مِن سُلالةِ الخليلِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم (١)

(١ - ١) سقط من: الأصل، ح.

(٢) تاريخ الطبرى ١/ ٣٦٥.

(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٣٦٦.

(٤) تاريخ الطبرى ١/ ٣٧٦.

(١ مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٨١].

فأخذَ اللَّهُ ميثاقَ كلِّ نَبيٍّ على أنْ يُؤْمِنَ بمَنْ يَجِيءُ بعدَه مِن الأنبياءِ، ويَنْصُرَه، فلو كان الخَضِرُ حيًّا فى زمانِه، لَمَا وَسِعَه إلا اتِّباعُه، والاجتماعُ به، والقيامُ بنَصْرِه، ولكان مِن جُمْلةِ مَن تحتَ لوائِه يومَ بَدْرٍ، كما كان تحتَها جِبْرِيلُ وسَاداتٌ مِن الملائكةِ، وقُصارَى الخَضِرِ، عليه السّلامُ، أنْ يكونَ نبيًّا، وهو الحقُّ، أو رسولًا، كما قِيل، أو مَلِكًا فيما ذُكِرَ، وأيًّا ما كان، فجِبْرِيلُ رئيسُ الملائكةِ، وموسى أشرفُ مِن الخَضِرِ، ولو كان حَيًّا لوَجَبَ عليه الإيمانُ بمحمدٍ، ونُصْرتُه، فكَيْفَ إن كان الخَضِرُ وَلِيًّا، كما يقولُه طوائفُ كَثيرون، فأَوْلَى أنْ يَدْخُلَ فى عُمومِ البَعْثَةِ، وأَحْرَى.

ولم يُنْقَلْ فى حديثٍ حسنٍ، بلْ ولا ضَعِيفٍ يُعتَمَدُ، أنّه جاء يومًا واحدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا اجتمعَ به، وما ذُكِرَ مِن حديثِ التَّعْزِيَةِ فيه، وإن كان الحاكِمُ قَدْ رَوَاهُ، فإسنادُه ضعيفٌ[٢]. واللَّهُ أعلمُ. وسنُفْرِدُ لِخَضِرٍ ترجمةً على حِدَةٍ بعدَ هذا[١].

(١- ١) سقط من: الأصل، ح.

(٢) الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٨. وسيرد فى الصفحة ٢٥٧.

ذِكرُ الحديثِ المُلَقَّبِ بحديثِ الفُتُونِ المتَضمنِ قِصّةَ موسى مبسوطةً مِن أوَّلِها إلى آخرِها

قال الإمامُ أبو عبدِ الرَّحمنِ النَّسائيُّ، فى كتابِ التَّفسيرِ مِن سُنَنِه[1]، عندَ قولِه تعالى فى سورةِ «طه»: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾.

(حديث الفتون):

حدّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ، حدّثنا يَزيدُ بنُ هارُونَ، أنبأَنا أَصْبَغُ بنُ زَيدٍ، حدّثنا القاسمُ بنُ أبى أيوبَ، أخبرنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، قال: سألتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ عن قولِ اللَّهِ تعالى لموسى[2]: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾. فسألتُه عن الفُتونِ: ما هو؟ فقال: اسْتَأْنِفِ النَّهارَ يا بنَ جُبَيْرٍ، فإنّ لها حَدِيثًا طويلًا. فلمّا أَصْبَحْتُ، غَدَوْتُ إلى ابنِ عباسٍ؛ لأنْتَجِزَ منه ما وَعَدَنى مِن حديثِ الفُتونِ، فقال: تذاكرَ فِرعونُ وجُلساؤُه ما كان اللَّهُ وعَد إبراهيمَ، عليه السّلامُ، أن يَجْعَلَ فى ذُرِّيَّتِه أنْبياءَ ومُلوكًا، فقال بَعضُهم: إنَّ بنى إسرائيلَ يَنتظِرُون ذلك، ما يَشُكُّون فيه، وكانوا يَظُنُّون أنّه يوسفُ بنُ يعقوبَ، فلمَّا هَلَكَ، قالوا: ليس هكذا كان[3] وعدُ إبراهيمَ. فقال فرعونُ: فكيفَ تَرَوْن؟ فَائْتَمَرُوا، وأجْمَعُوا أَمْرَهم على أنْ يَبْعَثَ رِجالًا مَعهم الشِّفارُ، يطوفون فى بنى إسرائيلَ، فلا يَجِدُون مَوْلودًا ذَكَرًا

---

(١) النسائى فى الكبرى (١١٣٢٦).

(٢) زيادة من: الأصل، ص.

(٣) ليست فى: الأصل.

إلا ذَبَحُوه ، [١٨٧/١و] ففعلُوا ذلك ، فلمَّا رَأَوْا أنّ الكِبارَ مِن بنى إسرائيلَ يموتون بآجالِهم ، والصّغارَ يُذْبَحُون ، قالوا : تُوشِكُون أنْ تُفْنُوا بنى إسرائيلَ ، فتَصيرُوا إلى أن تُباشِرُوا مِن الأعْمالِ والخِدْمةِ ، الذى كانوا يَكْفُونَكم ، فاقتلُوا عَامًا كلَّ مولودٍ ذَكَرٍ ، فيقِلُّ نباتُهم[1] ، ودَعُوا عامًا فلا تَقْتُلُوا مِنهم أحدًا فيَشِبُّ الصِّغارُ مكانَ مَن يموتُ مِن الكبارِ ، فإنَّهم لن يكْثُرُوا بمَنْ تستَحْيُون مِنهم ، فتخافُوا مُكاثَرَتَهم إيَّاكم ، ولن يَفْنَوْا[2] بِمَن تَقْتلُون ، وتَحْتاجُون إليهم . فأجْمَعُوا أمرَهم على ذلك ، فحَمَلَتْ أمُّ موسى بهارونَ فى العامِ الذى لا يُذْبَحُ فيه الغِلْمانُ ، فولدتْه عَلانِيَةً آمِنَةً . فلمَّا كان مِن قَابِلٍ ، حَمَلَتْ بموسى ، عليه السّلامُ ، فوَقَعَ فى قَلْبِها الهمُّ والحُزْنُ - وذلك مِن الفُتُونِ يا بنَ جُبَيْرٍ - ما دخلَ عليه فى بطنِ أمِّه مِمَّا يُرادُ به[3] ؛ فأَوْحَى اللَّهُ إليها : أن لا تخافِى ولا تَحْزَنِى ، إنّا رادُّوه إليكِ ، وجاعِلُوه مِن المُرْسَلين . فأَمَرَها إذا وَلَدَتْ أَن تجعَلَه فى تابوتٍ ، وتُلْقِيَه فى اليَمِّ ، فلمَّا وَلَدَتْ فعلتْ ذلك ، فلمّا توارَى عنها ابنُها ، أتاها الشّيطانُ ، [4]فقالتْ فى نفسِها[4] : ما فعلْتُ بابْنِى ؟ لو ذُبِحَ عندِى فَوارَيْتُه وكَفَّنْتُه ، كان أحبَّ إلىَّ مِن أن أُلْقِيَه إلى دَوابِّ البحرِ وحِيتانِه . فانتهى الماءُ به حتى أوْفَى به عندَ فُرْضَةٍ[5] ، [6]تَسْتَقِى منها[6] جَوارِى امْرَأةِ فِرْعَوْنَ ، فلمّا رأَيْنَه أَخَذْنَه ، فهَمَمْنَ أنْ يَفْتَحْنَ

---

(١) فى الأصل ، ح ، م : « بناتهم » . وفى ص : « أبناؤهم » . وكذا فى التفسير . والمثبت من سنن النسائى .

(٢) فى ح ، م : « تفتنوا » . وفى ص : « يفتنوا » .

(٣) زيادة من : ص .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) فرضة النهر : مشرب الماء منه .

(٦ - ٦) فى سنن النسائى : « مستقى » .

التّابوتَ ، فقال بعضُهنّ : إنّ فى هذا مالًا ، وإنا إن فَتَحْناه ، لم تصدِّقْنا امرأةُ المَلِكِ بما وَجَدْنا فيه ، فَحَمَلْنه كهَيْئَتِه لم يُخْرِجْن منه شيئًا حتى دَفَعْنَه إليْها ، فلمّا فَتَحَتْه رَأَتْ فيه غُلامًا ، فأُلْقِىَ عليه منها مَحَبَّةٌ ، لم تُلْقَ مِنها على أحدٍ قَطُّ ، وأصبحَ فؤادُ أمِّ موسى فارِغًا مِن ذِكْرِ كلِّ شىءٍ، إلا مِن ذِكْرِ موسى ، فلمَّا سَمِع الذبَّاحُون بأمرِه ، أَقْبَلُوا بشِفارِهم إلى امرأةِ فِرْعونَ ؛ ليَذْبَحُوه - وذلك مِن الفُتُونِ يا بنَ جُبَيْرٍ - فقالت لهم : أَقِرُّوه ، فإنَّ هذا الواحدَ لا يَزِيدُ فى بنى إسرائيلَ ، حتى آتِىَ فرعونَ ، فأَسْتَوْهِبَه مِنه ، فإن وَهَبَه لى[1] ، كنتُم قد أحْسنتُم وأجْمَلْتُم ، وإن أَمَرَ بذَبْحِه ، لم أَلُمْكم . فأَتَتْ فرعونَ ، فقالت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ﴾ [القصص : ٩] . فقال فرعونُ : يكونُ لكِ ، فأمّا لى ، فلا حاجةَ لى فيه[2] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى يُحْلَفُ به ، لو أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أنْ يَكُونَ لَه قُرَّةَ عَيْنٍ كما أَقَرَّتِ امْرَأَتُه ، لَهَدَاه اللَّهُ كما هَدَاهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَه ذلك » . فأرْسلَتْ إلى مَن حولَها ، إلى كلِّ امرأةٍ لها لَبَنٌ[3] ، تختارُ له ظِئْرًا ، فجعلَ كلّما أَخَذَتْه امرأةٌ مِنهنَّ لتُرْضِعَه ، لم يُقْبِلْ على ثَدْيِها ، حتى أَشْفَقَتِ امرأةُ فِرْعونَ أنْ يمتنِعَ مِن اللَّبَنِ فيموتَ ، فأحزَنَها ذلك فأمرتْ به ، فأُخْرِجَ إلى السّوقِ ومَجْمَعِ النّاسِ [١/ ١٨٧ظ] ترجُو أن تجِدَ له ظِئْرًا تأخُذُهُ مِنها ، فلم يَقبلْ ، وأصبحتْ أمُّ موسى والِهًا ، فقالتْ لأختِه : قُصِّى أَثَرَه ، واطلُبِيه ، هل تَسْمَعِين له ذِكْرًا ؟ أحيٌّ ابْنى ، أم أَكَلَتْه الدّوابُّ ؟ ونَسِيَتْ ما كان اللَّهُ وَعَدَها فيه ، فبَصُرَتْ به أختُه عن جُنُبٍ - والجُنُبُ ؛ أن يَسْمُوَ بصرُ الإنسانِ إلى شَىْءٍ بعيدٍ ، وهو إلى جَنْبِه لا

---

(١) فى النسخ : « منى » . والمثبت من سنن النسائى .

(٢) زيادة من : النسخ .

(٣) فى النسخ : « لأن » . والمثبت من سنن النسائى .

يَشْعُرُ به - فقالت مِن الفرَحِ ، حينَ أعياهم الظُّؤُوراتُ : أنا أَدُلُّكم على أهلِ بيتٍ يَكْفُلُونه لكم ، وهم له ناصحون . فأخَذُوها[1] فقالوا : ما يُدرِيكِ ما نُصْحُهم ؟ هل تَعْرِفُونَه ؟ حتى شَكُّوا فى ذلك - وذلك مِن الفُتونِ يابنَ جُبَيْرٍ - فقالت : نُصْحُهم له وشَفَقَتُهم عليه ، رَغْبَتُهم[2] فى صِهْرِ المَلِك ، ورجاءُ مَنْفعةِ المَلِكِ . فأرسلُوها ، فانطلقتْ إلى أمِّها ، فأَخْبَرَتْها الخبرَ ، فجاءتْ أمُّه ، فلمّا وَضَعَتْه فى حِجْرِها نَزا إلى ثَدْيِها ، فمصَّه حتى امتلأَ جَنْباه رِيًّا ، وانطلقَ البَشِيرُ إلى امرأةِ فرعونَ يُبَشِّرُونها أن قد وَجَدْنا لابنِك ظِئْرًا ، فأَرْسَلَتْ إليها ، فأتتْ بها وبه . فلمّا رَأَتْ ما يَصنعُ بها ، قالت : امْكُثِى تُرْضِعِى ابنى هذا ؛ فإنِّى لم أُحِبَّ شيئًا حُبَّه قَطُّ . قالت أمُّ موسى : لا أَسْتطيعُ أَن أتركَ بيتى وولدِى فيَضِيعَ ، فإن طابتْ نفسُك أنْ تُعْطِينِيه ، فأَذْهبَ به إلى بيتى فيكونَ معى لا آلُوه خيرًا ، فَعَلْتُ ، فإنِّى غيرُ تاركةٍ بيتى وولَدِى . وذَكَرَتْ أُمُّ موسى ما كان اللَّهُ وَعَدَها ، فتعاسَرَتْ على امرأةِ فرعونَ ، وأيقنَتْ أنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ مَوْعودَه ، فرجعَتْ إلى بيتِها مِن يومِها ، وأنبتَه اللَّهُ نباتًا حَسَنًا ، وحَفِظَه لِما قد قَضَى فيه ، فلم يَزَلْ بنو إسرائيلَ ، وهم فى ناحيةِ القريةِ ، مُمتنِعين مِن السُّخْرَةِ والظُّلْمِ ما كان فيهم ، فلمّا تَرَعْرَعَ ، قالتِ امرأةُ فرعونَ لأُمِّ موسى : أَرِينى ابنى . فوَعَدَتْها يومًا تُرِيها إيَّاه فيه ، وقالتِ امرأَةُ فرعونَ لخُزّانِها وظُؤورِها وقَهَارِمَتِها[3] : لا يَبْقَيَنَّ أحدٌ مِنكم إلا استقبلَ ابنىَ اليومَ بهَديّةٍ وكرامةٍ ؛ لأرى ذلك فيه ، وأنا باعثةٌ أمينًا يُحصِى كلَّ ما يَصْنَعُ كلُّ إنسانٍ مِنكم . فلم تَزَلِ الهدايا والكرامةُ والنِّحَلُ تستَقبلُه مِن حينَ خَرَجَ مِن بيتِ

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) فى الأصل : «فى رغبتهم» . وفى ح ، م : «ورغبتهم» .

(٣) قهارمتها جمع قهرمان ؛ وهو أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخَرْجه . وهو فارسى معرب .

أمِّه ، إلى أن دخَل على امرأةِ فِرعونَ ، فلمّا دخَل عليها نحَلَتْه ، وأكرمَتْه وفرِحَتْ به ، ونَحَلَتْ أمَّه بحُسْنِ أَثَرِها عليه ، ثُم قالت : لآتِيَنَّ به[1] فرعونَ ، فَلَيَنْحَلَنَّه ، ولَيُكْرِمَنَّه . فلمّا دخلتْ به عليه ، جعَله فى حِجْرِه ، فتناولَ موسى لِحْيَةَ فرعونَ فمدَّها إلى الأرضِ ، فقال الغُواةُ مِن أعداءِ اللَّهِ لفرعونَ : ألا تَرَى ما وَعَد اللَّهُ إبراهيمَ نبيَّه ، أنّه زَعَم أنْ يَرُبَّك[2] ويَعْلُوَك ، ويَصْرَعَك ؟ فأَرْسَلَ إلى الذّبّاحِين ليَذْبَحُوه - وذلك مِن الفُتونِ يابنَ جُبَيْرٍ ، بعدَ كلِّ بلاءٍ ابْتُلِيَ به [١/١٨٨و] وأُرِيدَ به فُتُونًا - فجاءَتِ امرأةُ فرعونَ تَسْعَى إلى فرعونَ ، فقالت : ما بدا لكَ فى هذا الغلامِ الذى وَهَبْتَه لى ؟ فقال : ألا تَرَيْنَه يَزْعُمُ أنَّه يَصْرَعُنى ويَعْلُونى ؟ فقالت : اجعلْ بينِى وبينَك أمرًا تَعْرِفُ فيه الحقَّ ؛ ائتِ بجَمْرَتَيْنِ ، ولُؤْلُؤَتَيْنِ ، فقَرِّبْهنّ إليه ، فإن بَطَش باللُّؤْلُؤَتَيْنِ واجْتَنَبَ الجَمْرَتَيْنِ ، عَرَفْتَ أنّه يَعْقِلُ . وإن تناولَ الجَمْرتَيْنِ ، ولم يُرِدِ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ ، عَلِمْتَ أنّ أحدًا لا يُؤْثِرُ الجَمْرَتَيْنِ على اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وهو يَعْقِلُ . فقَرَّبَ إليه ، فتَناوَل الجَمْرَتَيْنِ ، فانْتَزَعَهما مِنه مخافَةَ أنْ يَحْرِقا يدَه ، فقالتِ المرأةُ : ألا تَرَى ؟ فصَرَفَه اللَّهُ عنه ، بعدَ ما كان هَمَّ به ، وكان اللَّهُ بالِغًا فيه أمرَه ، فلمّا بَلَغَ أَشُدَّه ، وكان مِن الرِّجالِ ، لم يكنْ أحدٌ مِن آلِ فرعونَ يَخْلُصُ إلى أحدٍ مِن بنى إسرائيلَ معه ، بظُلْمٍ ولا سُخْرَةٍ ، حتى امتنعُوا كلَّ الامتناعِ ، فبينَما موسى ، عليه السّلامُ ، يمشى فى ناحيةِ المدينةِ ، إذ هو برَجُلَيْنِ يَقْتَتِلان ، أحدُهما فِرْعَوْنِىٌّ ، والآخَرُ إسرائيلىٌّ ، فاسْتَغاثَه الإسرائيلىُّ على الفِرْعَوْنِىِّ ، فغضِب موسى غضبًا شديدًا ؛ لأنّه تناولَه ، وهو يعلمُ منزلتَه مِن بنى

---

(١) زيادة من : النسخ .

(٢) فى ح ، م : « يرثك » . وفى ص : « بثرك » .

إسرائيلَ ، وحِفْظَه لهم (١لا يَعْلَمُ الناسُ إلَّا أنَّه مِن الرَّضاعِ إلَّا أُمُّ مُوسى ، إلَّا أن يكونَ اللَّهُ أطْلعَ مُوسى مِن ذلك عَلى١) ما لم يُطْلِعْ عليه غيرَه ، فوَكَزَ موسى الفِرْعونيَّ ، فقتلَه ، وليس يراهما أحدٌ إلا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، والإسرائيليُّ ، فقال موسى حينَ قتَلَ الرَّجلَ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ثم قال : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٥، ١٦] . فأَصْبحَ فى المدينةِ خائفًا يَتَرَقَّبُ الأخبارَ ، فأُتِىَ فرعونُ ، فقيل له : إنّ بنى إسرائيلَ قَتلُوا رجلًا مِن آلِ فِرْعونَ ، فخُذْ لنا بحقِّنا ، ولا تُرخِّصْ لهم . فقال : ابْغُونى قاتلَه ، مَنْ يشهدُ عليه ؟ فإنّ المَلِكَ ، وإن كان صَفْوُه مع قومِه ، لا يَسْتَقِيمُ له أن يُقِيدَ بغيرِ بَيِّنَةٍ ولا ثَبَتٍ ، فاطْلُبُوا لى عِلْمَ ذلك ، آخُذْ لكم بحقِّكُم . فبينَما هم يَطوفُونَ لا يَجِدون بَيِّنَةً ، إذا موسى مِن الغَدِ قد رأى ذلك الإسرائيليَّ ، يقاتِلُ رجلًا مِن آلِ فرعونَ آخَرَ ، فاسْتَغَاثَه الإسْرائيليُّ على الفِرعونيِّ ، فصادفَ موسى قد نَدِم على ما كان مِنه ، وكَرِه الذى رأى ، فغَضِبَ الإسرائيليُّ ، وهو يريدُ أن يَبْطِشَ بالفِرْعَونيِّ ، فقال للإسرائيليِّ ، لِمَا فَعَل بالأمسِ واليومِ : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٨] . فَنَظَرَ الإسرائيليُّ إلى موسى ، بعد ما قالَ له ما قال ، فإذا هو غَضْبانُ كغَضَبِه بالأمسِ ، الذى قَتَل فيه الفِرْعونيَّ ، فَخَافَ أن يكونَ بعدَ ما قال له : إنّك لَغَوِىٌّ مُبينٌ [١/١٨٨ظ] . أن يكونَ إيَّاه أرادَ ، ولم يَكُنْ أرادَه ، إنّما أرادَ الفِرْعونيَّ ، فخاف الإسرائيليُّ ، وقالَ : يا موسى ، أتريدُ أنْ تَقْتُلَنى كما قَتَلْتَ نفسًا بالأمسِ ؟ وإنّما قال له ؛ مخافةَ أنْ يكونَ إيَّاه أرادَ موسى ليقتلَه ، فتتارَكَا ،

(١- ١) زيادة من : الأصل .

وانْطَلَقَ الفِرْعونيُّ، فأَخْبَرَهم بما سَمِعَ مِن الإِسرائيليِّ مِن الخبرِ، حينَ يقولُ: أتريدُ أنْ تَقْتُلَني كما قَتَلْتَ نفسًا بالأمسِ؟ فأرسلَ فرعونُ الذَّبّاحين ليقتلُوا موسى، فأَخَذ رُسُلُ فِرْعونَ الطّريقَ الأَعْظَمَ، يَمْشُون على هِينَتِهم[1] يطلُبُون موسى، وهم لا يخافُون أن يفوتَهم، فجاء رجلٌ مِن شِيعةِ موسى، مِن أقْصى المدينةِ، فاختصرَ طريقًا حتى سَبَقَهم إلى موسى فأَخْبَرَه - وذلك مِن الفُتُونِ يا بنَ جُبَيْرٍ - فخرَج موسى مُتَوَجِّهًا نحوَ مَدْيَنَ، لم يَلْقَ بلاءً قبلَ ذلك، وليس له بالطّريقِ علمٌ إلَّا حُسْنُ ظَنِّه بربِّه، عزَّ وجلَّ، فإنه قال: ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾ [القصص: ٢٢، ٢٣]. يعنى بذلك حابِسَتَيْنِ غَنَمَهما، فقال لهما: ﴿ مَا خَطۡبُكُمَاۖ ﴾ مُعْتَزِلَتَيْنِ، لا تَسْقِيان مع النّاسِ؟ قالتا: ليس لنا قوةٌ نزاحِمُ القومَ، وإنّما ننتظِرُ فُضُولَ حِياضِهم. فسقَى لهما، فجعلَ يَغْرِفُ مِن الدَّلْوِ ماءً كَثِيرًا، حتى كان أولَ الرِّعاءِ، وانصرَفَتا بغَنمِهما إلى أبِيهما، وانْصَرَفَ موسى، فاسْتَظَلَّ بشَجَرَةٍ، ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٤]. واسْتَنْكَرَ أبوهما سُرْعَةَ صُدورِهما بغَنَمِهما حُفَّلًا بِطانًا، فقال: إنَّ لكما اليومَ لَشَأْنًا. فأخبرَتاه بما صَنَع موسى، فأَمَر إحداهما أَنْ تدعُوَه، فأتتْ موسى فدَعَتْه، فلمّا كَلَّمه قال: ﴿ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥] ليس لفرعونَ ولا لِقومِه علينا مِن سلطانٍ، ولسنا فى مَمْلَكَتِه ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]. فاحْتَمَلَتْه الغَيْرَةُ على

---

(١) فى سنن النسائى: «هيئتهم». وعلى هينتهم أى على رِسْلهم.

أن قال لها : ما يُدْرِيكِ ما قُوّتُه ، وما أمانتُه ؟ فقالت : أمّا قوّتُه فما رأيتُ منه فى الدَّلْوِ حين سَقَى لنا ، لم أرَ رَجُلًا قَطُّ أقْوَى فى ذلك السَّقْيِ منه ، وأمّا الأمانةُ فإنه نظَر إلىَّ حينَ أقبلْتُ إليه ، وشَخَصْتُ له ، فلمّا عَلِمَ أنّى امرأةٌ صَوَّب رأسَه ، فلم يَرْفَعْه حتى بَلَّغْتُه رسالَتَك ، ثم قال لى : امشِى خَلْفِى ، وانْعَتِى لىَ الطّريقَ . فلم يفعلْ هذا إلا وهو أمينٌ . فسُرِّىَ عن أبيها ، وصدَّقها ، وظنَّ به الذى قالت ، فقال له : هل لك ﴿ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧] . ففعل ، فكانت على نبىِّ اللّه موسى ثمانى سنينَ واجبةً ، وكانت السّنتان عِدَةً منه [١٨٩/١و] ، فقضى اللّهُ عنه عِدَتَه ، فأتَمَّها عَشْرًا .

قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ : فلَقِيَنى رجلٌ مِن أهلِ النّصْرانيّةِ ، مِن علمائِهم ، قال : هل تَدْرِى أىَّ الأجلَيْنِ قَضَى موسى ؟ قلتُ : لا . وأنا يَوْمَئِذٍ لا أَدْرِى ، فلقِيتُ ابنَ عباسٍ ، فذكرتُ ذلك له فقال : أما عَلِمْتَ أنَّ ثمانيةً كانت على نبىِّ اللّهِ واجبةً ؟ لم يَكُنْ نبىُّ اللّهِ لِيُنْقِصَ منها شيئًا وتعلمُ أنَّ اللّهَ كان قاضِيًا عن موسى عِدَتَه التى وَعَدَه ، فإنّه قَضَى عَشْرَ سنينَ . فلَقِيتُ النَّصْرانىَّ ، فأخبرْتُه ذلك ، فقال : الذى سألتَه فأخبرَك أعلمُ مِنك بذلك . قلتُ : أَجَلْ ، وأَوْلَى .

فلمّا سار موسى بأهلِه ، كان مِن أمرِ النّارِ ، والعصا ، ويدِه ، ما قصَّ اللّهُ عليك فى القرآنِ ، فشكا إلى اللّهِ تعالى ما يتخوَّفُ مِن آلِ فِرعونَ فى القتيلِ ، وعُقْدَةَ لِسانِه ، فإنّه كان فى لسانِه عُقْدةٌ تمنعُه مِن كثيرٍ مِن الكلامِ ، وسأل ربَّه أنْ يُعينَه بأخيه هارونَ ، يكونُ له رِدْءًا ويتكلمُ عنه بكثيرٍ مما لا يُفْصِحُ به لسانُه ،

فآتاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، سُؤْلَه[1] وحَلَّ عُقْدَةً مِن لسانِه ، وأَوْحَى اللَّهُ إلى هارونَ ، فأَمَره أنْ يَلْقاه ، فانْدَفَعَ موسى بعصَاه حتى لَقِيَ هارونَ ، فانطلقا جميعًا إلى فِرْعَوْنَ ، فأقاما على بابِه حِينًا لا يُؤْذَنُ لهما ، ثم أُذِنَ لهما بعدَ حِجابٍ شديدٍ ، فقالا : إنَّا رسولا ربِّك . فقال : فَمَن رَبُّكما ؟ فأَخْبَرَه بالذى قَصّ اللَّهُ عليكَ فى القرآنِ ، قال : فما تُريدان ؟ وذكَّره القتيلَ ، فاعْتَذَرَ بما قد سَمِعْتَ ، قال : أريدُ أن تُؤْمِنَ باللَّهِ ، وتُرْسِلَ مَعِى بنى إسرائيلَ . فأَبَى عليه ، وقال : ائتِ بآيةٍ إن كنتَ مِن الصَّادقين . فأَلْقَى عصاه فإذا هى حيَّةٌ عَظيمةٌ ، فاغِرةٌ فاها ، مُسْرِعةً إلى فِرْعَوْنَ ، فلمَّا رآها فِرْعونُ قاصِدةً إليه خافها ، فاقْتَحَمَ عن سَريرِه ، واستغاثَ بموسى أنْ يَكُفَّها عنه ، ففعَل ، ثُم أخرجَ يدَه مِن جَيْبِه ، فرآها بيضاءَ مِن غيرِ سُوءٍ - يَعْنى مِن غيرِ بَرَصٍ - ثم رَدَّها فعادتْ إلى لونِها الأولِ ، فاستشارَ الملأَ حولَه فيما رأى ، فقالوا له : هذانِ ساحران يُرِيدان أن يُخْرِجاكم مِن أرضِكم بِسِحْرِهما ويَذْهبا بطريقتِكم المُثْلَى . يَعْنِى مُلْكَهمُ الذى هم فيه ، والعَيْشَ ، وأَبَوْا على موسى أَنْ يُعْطُوه شيئًا ممّا طَلَبَ ، وقالوا له : اجْمَعِ السّحرةَ ، فإنّهم بأرضِك كثيرٌ ؛ حتى تَغْلِبَ بسِحْرِك سِحْرَهما . فأرسلَ إلى المدائنِ ، فحُشِرَ له كلُّ ساحرٍ مُتَعالِمٍ ، فلّما أَتَوْا فِرْعونَ ، قالوا : بِمَ يَعْمَلُ هذا الساحرُ ؟ قالوا : يَعْمَلُ بالحيّاتِ . قالوا : فلا واللَّهِ ما أحدٌ فى الأرضِ يَعْملُ بالسِّحْرِ بالحيّاتِ والحبالِ والعِصِىِّ الذى نعملُ ، وما أَجْرُنا إن نحن غَلَبْنَا ؟ قال لهم : أنتم أقارِبِى وخاصَّتى [١/ ١٨٩ظ] ، وأنا صانعٌ إليكم كلَّ شَىْءٍ أَحْبَبْتُم . فتواعَدُوا يومَ الزِّينةِ وأَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى . قال سعيدٌ : فحدَّثَنى ابنُ عباسٍ أَنَّ يومَ الزِّينةِ اليومَ الذى أَظْهَرَ اللَّهُ فيه موسى على فِرْعونَ والسَّحَرةِ ، هو يومُ عاشوراءَ ، فلمَّا اجْتمعُوا فى

---

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من سنن النسائى الكبرى .

صعيدٍ قال النَّاسُ بعضُهم لبعضٍ: انطلِقُوا فلْنَحْضُرْ هذا الأمرَ؛ لعلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إن كانوا همُ الغالبين. يَعْنُون موسى وهارونَ، اسْتِهزاءً بهما، فقالوا: يا موسى - بقُدْرَتِهم بسِحْرِهم - إمّا أن تُلْقِيَ وإمّا أن نكونَ نحن المُلْقِين. قال: بل أَلْقُوا. ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]. فرأى موسى مِن سِحْرِهم ما أَوْجَسَ فى نفسِه خِيفَةً، فأَوْحَى اللَّهُ إليه: أن أَلْقِ عصاك، فلمّا ألقاها، صارتْ ثُعبانًا عظيمةً، فاغِرَةً فاها، فجعلتِ العِصِيُّ تَلْتَبِسُ بالحبالِ، حتى صارتْ جُرَزًا[1] على الثّعبانِ تدْخلُ فيه، حتى ما أبقَتْ عصًا ولا حَبْلًا إلا ابتلعتْه، فَلَمَّا عرَف السَّحَرَةُ ذلك، قالوا: لو كان هذا سِحْرًا لم تَبْلُغْ[2] مِن سِحْرِنا كلَّ هذا، ولكنَّه أمرٌ مِن اللَّهِ تعالى، آمنّا باللَّهِ وبما جاء به موسى، ونتوبُ إلى اللَّهِ ممَّا كُنّا عليه. فكَسَرَ اللَّهُ ظَهْرَ فِرْعونَ فى ذلك الموطِنِ وأشياعِه، وظهَر الحقُّ وبطَل ما كانوا يعملُون، فغُلِبُوا هنالِك وانْقَلَبُوا صاغِرِين، وامرأةُ فرعونَ بارِزةٌ مُتَبَذِّلَةٌ تدعُو اللَّهَ بالنَّصْرِ لموسى على فرعِونَ وأشياعِه، فَمَنْ رآها مِن آلِ فِرْعونَ ظَنَّ أنَّها إنّما ابْتَذَلَتْ للشَّفقةِ على فِرْعونَ وأشياعِه، وإنّما كان حُزْنُها وهمُّها لموسى، فلمَّا طال مُكْثُ موسى بمواعيدِ فِرْعونَ الكاذبةِ، كلَّما جاء بآيةٍ وَعَدَه عندَها أن يُرْسِلَ معه بنى إسرائيلَ، فإذا مَضَتْ أَخْلَفَ مَوْعِدَه وقال: هل يستطيعُ ربُّك أن يصنَعَ غيرَ هذا؟ فأرسلَ اللَّهُ على قومِه الطُّوفانَ، والجَرادَ، والقُمَّلَ، والضَّفادِعَ، والدّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ، كلُّ ذلك يَشْكُو إلى موسى ويطْلُبُ إليه أن يَكُفَّها عنه، ويُوافِقُهُ على أن يُرْسِلَ معه بنى إسرائيلَ، فإذا كَفَّ ذلك عنه، أَخْلَفَ مَوْعِدَه، ونَكَثَ عَهْدَه، حتى

---

(١) الجُرَزُ جمع جُرْزة، وهى الحُزْمة من القَتِّ ونحوه.

(٢) فى ح، م: «تبلع». والمثبت موافق لما فى سنن النسائى ومسند أبى يعلى.

أُمِرَ موسى بالخروجِ بقومِه ، فخرَج بهم ليلًا ، فلمَّا أصبحَ فرعونُ ، ورأى أنَّهم قد مَضَوْا ، أَرْسَلَ فى المدائنِ حاشرين ، فَتَبِعَه بجنودٍ عظيمةٍ كثيرةٍ ، وأَوْحَى اللَّهُ إلى البَحْرِ : إذا ضَرَبَكَ عبدِى موسى بعصاه ، فانْفَلِقْ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ فِرْقَةً ، حتى يَجوزَ موسى ومَن معه ، ثم الْتَقِ على مَن بَقِىَ بعدُ مِن فِرْعونَ وأشياعِه . فَنَسِىَ موسى أن يَضرِبَ البحرَ بالعَصا ، وانتهى إلى البحرِ وله قَصِيفٌ[1] ، مخافةَ أنْ يَضْرِبَه موسى بعصاه وهو غافلٌ [١٩٠/١و] فيصيرَ عاصيًا للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فلمّا تراءى الجَمْعان وتقاربا ، قال أصحابُ موسى : إنّا لَمُدْرَكُون ، افعل ما أَمَرَكَ به ربُّك ، فإنَّه لم يَكْذِبْ ولم تَكْذِبْ . قال : وَعَدَنى ربِّى إذا أَتَيْتُ البحرَ انفرَق اثْنَتَىْ عَشْرَةَ فِرقَةً حتى أُجاوِزَه ، ثم ذَكَرَ بعدَ ذلك العَصَا ، فضَرَبَ البحرَ بعصاه ، حينَ دنا أوائلُ جُندِ فِرْعونَ مِن أواخِرِ جُندِ موسى ، فانفَرَق البَحْرُ كما أَمَرَه رَبُّه ، وكما وَعَد موسى ، فلمّا أن جاوَز موسى وأصحابُه كلُّهم البحرَ ، ودخَل فِرْعونُ وأصحابُه ، الْتَقَى عليهم البحرُ ، كما أُمِر ، فلمّا جاوَز موسى ، قال أصحابُه : إنّا نخافُ أن لا يكونَ فرعونُ غَرِقَ ، ولا نُؤمِنُ بهلاكِه . فدعا ربَّه ، فأَخْرَجَه له ببَدِنه ، حتى اسْتَيْقَنُوا بهلاكِه ، ثم مَرُّوا بعدَ ذلك على قَومٍ يَعْكُفُون على أصنامٍ لهم ، ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨، ١٣٩] . قد رَأَيْتُم مِن العِبَرِ ، وسَمِعْتم ما يَكْفِيكمْ ومَضَى ، فأَنزَلهم موسى مَنْزِلًا ، وقال : أطيعُوا هارونَ ، فإنِّى قد اسْتَخْلَفْتُه عليكم ، فإنِّى ذاهِبٌ إلى ربِّى . وأَجَّلَهم ثَلَاثين يومًا أَنْ يَرْجِعَ إليهم فيها ، فلمّا أتى ربَّه ، عزَّ وجلَّ ، وأرادَ أنْ

---

(١) له قصيف ؛ أى له صوت شديد يشبه صوت الرعد .

يُكَلِّمَه فى ثلاثين يومًا ، وقد صامَهُنَّ ، لَيْلَهن ونهارَهُنَّ ، وكَرِه أنْ يُكَلِّمَ ربَّه وريحُ فِيه رِيحُ فمِ الصّائمِ ، فتناولَ موسى شيئًا مِن نباتِ الأرضِ فمضغَه ، فقال له ربُّه حينَ أتاه : لِمَ أَفْطَرْتَ ؟ وهو أعلمُ بالذى كان ، قال : ياربِّ ، إنِّى كَرِهْتُ أَنْ أُكَلِّمَك إلا وفَمِى طَيِّبُ الرِّيحِ . قال : أَوَ ما عَلِمْتَ يا موسى أنّ ريحَ فمِ[1] الصّائمِ أطيبُ مِن ريحِ المِسْكِ ، ارْجِعْ فصُمْ عَشْرًا ، ثم ائْتِنِى . ففَعَل موسى ما أَمَرَه به ربُّه ، فلمّا رأى قومُ موسى أنّه لم يَرْجِعْ إليهم فى الأجَلِ ، ساءَهم ذلك ، وكان هارونُ قد خَطَبَهَم وقال : إنّكم خَرَجْتُم مِن مصرَ ، ولِقَوْمِ فِرْعونَ عندَكم عَوارِىُّ وودائعُ ، ولكم فيها مِثْلُ ذلك ، وأنا أَرَى أنْ تَحْتَسِبُوا ما لَكُم عندَهم ، ولا أُحِلُّ لكم وديعةً استُودِعْتُموها ، ولا عاريّةً ، ولسنا برادِّين إليهم شيئًا مِن ذلك ، ولا مُمْسِكيه لأنفُسِنا . فحفَر حَفِيرًا ، وأَمَرَ كلَّ قومٍ عندَهم مِن ذلك مِن متاعٍ أو حِلْيَةٍ أَن يَقْذِفُوه فى ذلك الحَفِيرِ . ثُم أَوْقَد عليه النَّارَ فأَحْرَقه ، فقال : لا يكونُ لنا ولا لهم .

وكان السّامِرىُّ مِن قومٍ يعبُدُون البَقَرَ ، جيرانٍ لبنى إسرائيل ، ولم يكنْ مِن بنى إسرائيلَ ، فاحتملَ مع موسى وبنى إسرائيلَ حينَ احْتَمَلُوا ، فقُضِىَ له أَن رَأَى أثرًا فَقَبَضَ منه قَبْضَةً ، فمرَّ بهارونَ ، فقال له هارونُ : يا سامِرِىُّ ، ألا تُلْقِى ما فى يدِكَ ؟ وهو قابِضٌ عليه ، لا يراه أحدٌ طوالَ [١٩٠/١ظ] ذلك ، فقال : هذه قَبْضَةٌ مِن أثرِ الرّسولِ الذى جاوزَ بِكم البحرَ ، ولا أُلْقِيها لشىءٍ إلا أن تَدْعُوَ اللَّهَ إذا أَلْقَيْتُها أن يكونَ ما أُريدُ . فألقاها ودَعَا له هارونُ ، فقال : أريدُ أن تكونَ عِجْلًا . فاجْتَمَع ما كان فى الحُفرةِ مِن متاعٍ أو حِلْيَةٍ ، أو نُحاسٍ ، أو حديدٍ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ح .

فصار عِجْلًا أجوفَ، ليس فيه رُوحٌ، له خُوارٌ.

قال ابنُ عباسٍ: لا واللَّهِ ما كان له صَوْتٌ قَطُّ، إنّما كانتِ الرِّيحُ تدخلُ مِن دُبُرِه، وتخرجُ مِن فِيه، فكان ذلك الصّوتُ مِن ذلك، فتَفَرَّق بنو إسرائيلَ فِرَقًا، فقالتْ فِرْقةٌ: يا سَامِرِيُّ، ما هذا، وأنت أعلمُ به؟ قال: هذا رَبُّكم، ولكنَّ موسى أَضَلَّ الطَّريقَ. وقالتْ فِرْقةٌ: لا نُكَذِّبُ بهذا حتى يَرْجِعَ إلينا موسى، فإن كان ربَّنا، لم نَكُنْ ضَيَّعْناه وعَجَزْنا فيه حينَ رأيْناه، وإن لم يكنْ ربَّنا، فإنا نَتَّبِعُ قولَ موسى. وقالت فِرْقةٌ: هذا عملُ الشَّيطانِ، وليس بربِّنا، ولا نُؤْمِنُ به، ولا نُصدِّقُ. وأُشْرِبَ فِرْقةٌ في قلوبِهمُ الصِّدْقَ بما قال السَّامِرِيُّ في العِجْلِ، وأَعْلَنُوا التكْذِيبَ به، فقال لهم هارونُ عليه السّلامُ: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [طه: ٩٠]. ليس هذا، قالوا: فما بالُ موسى وَعَدَنا ثلاثينَ يومًا ثُم أَخْلَفَنا؟ هذه أربَعونَ يومًا قد مَضَت. فقال سفهاؤُهم: أخطأَ ربَّه، فهو يطلُبُه ويَبْتَغِيه. فلمّا كلَّمَ اللَّهُ موسى وقال له ما قال، أَخْبَرَه بما لَقِيَ قومُه مِن بعدِه، فرَجَع إلى قومِه غَضْبانَ أَسِفًا، فقال لهم ما سَمِعْتُم في القُرْآنِ، وأخذ بَرأسِ أخيه يَجُرُّه إليه، وأَلْقَى الألواحَ مِن الغَضَبِ، ثم إنّه عَذَرَ أخاه بعُذْرِه، واسْتَغْفَرَ له، فانْصَرَفَ إلى السّامِرِيِّ، فقال له: ما حَمَلَك على ما صَنَعْتَ؟ قال: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ وفَطِنْتُ لها، وعُمِّيَتْ عليكم فَقَذَفْتُها ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٦، ٩٧]. ولو كان إلهًا لم نخْلُصْ إلى ذلك منه، فاسْتَيْقَنَ بنو إسرائيلَ بالفِتْنةِ، واغتبطَ

الذين كان رأيُهم فيه مثلَ رَأْيِ هارونَ ، فقالوا جَماعَتُهم[1] : يا موسى ، سَلْ لنا أنْ يُفْتَحَ لنا بابُ توبةٍ نصنعُها ، فَيُكَفَّرَ عنّا ما عَمِلْنا . فاختار موسى قومَه سبعين رجُلًا لذلك ، لا يألُو الخيرَ ، خيارَ بنى إسرائيلَ ، ومَن لم يُشْرِكْ فى العِجْلِ[2] ، فانطَلَقَ بهم يسألُ لهم التّوبةَ ، فرجَفَتْ بهمُ الأرضُ ، فاستَحْيَا نبيُّ اللَّهِ ، عليه السّلامُ ، مِن قومِه ، ومِن وَفْدِه ، حينَ فُعِلَ بهم ما فُعِل ، فقال : ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ وفيهم مَنْ كان اللَّهُ اطَّلَعَ منه على ما أُشْرِبَ قلبُه [١/١٩١و] مِن حبِّ العِجْلِ ، وإيمانٍ به ، فلذلك رجَفَتْ بِهم الأرضُ ، فقال : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٦، ١٥٧] . فقال : ياربِّ ، سألتُك التَّوبةَ لقومِى ، فقلتَ : إنّ [3]رَحْمتَك كَتَبْتَها[3] لقومٍ غيرِ قومِى ، فليتَك أخَّرْتَنى حتى تُخْرِجَنى فى أُمّةِ ذلك الرَّجلِ المرحومةِ . فقال له : إنَّ توبتَهم أن يَقْتُلَ كلُّ رجلٍ مَن لَقِىَ مِن والدٍ وولدٍ ، فيقتلَه بالسَّيفِ ، لا يُبالِى مَن قَتَل فى ذلك الموطِنِ . وتاب[4] أولئك الذين كان خَفِىَ على موسى وهارونَ ، واطَّلَعَ اللَّهُ مِن ذنوبِهم ، فاعترفُوا بها ، وفعلُوا ما أُمِرُوا ، وغَفَر اللَّهُ للقاتلِ والمقتولِ ، ثم سار بهم موسى ، عليه السّلامُ ، مُتَوَجِّهًا نحوَ الأرضِ المقدَّسةِ ، وأخَذ الألواحَ بعدَما سكتَ عنه الغضبُ ، فأَمَرهم بالذى أمِرَ به مِن الوظائفِ فثَقُلَ ذلك عَليهم ، وأَبَوْا أنْ يُقِرُّوا بها ، ونَتَقَ

---

(١) فى النسخ : « لجماعتهم » . والمثبت من مسند أبى يعلى .

(٢) فى النسخ : « الحق » . والمثبت من سنن النسائى .

(٣ - ٣) فى النسخ : « رحمتى كتبتها » . والمثبت من مسند أبى يعلي .

(٤) فى سنن النسائى : « ويأتى » .

اللَّهُ عليهمُ الجبلَ كأنَّه ظُلَّةٌ، ودنا مِنهم حتى خافُوا أن يَقَع عليهم، فأخَذُوا الكتابَ بأيمانِهم وهم (١يُصْغُونَ(٢) يَنظُرون إلى الجبلِ، والكتابُ بأيديهم وهم مِن١) وراءِ الجبلِ، مخافةَ أنْ يقَعَ عليهم، ثم مَضَوْا حتى أتَوُا الأرض المقدَّسةَ، فوَجَدُوا مَدينةً فيها قومٌ جبّارون، خَلْقُهم خَلْقٌ مُنْكَرٌ - وذكَر مِن ثمارِهم أمرًا عَجِيبًا مِن عِظَمِها - فقالوا: يا موسى، إنّ فيها قومًا جبّارين لا طاقةَ لنا بهم، ولا نَدْخُلُها ما دامُوا فيها، فإن يَخْرُجُوا مِنها فإنا داخلُون. قال رجلان مِن الذين يَخافون - قِيل ليزيدَ: هكذا قَرَأه؟ قال: نعم - مِن الجبّارين آمَنَا بموسى، وخرجا إليه، فقالوا: نحنُ أعلمُ بقومِنا، إن كنتم إنّما تَخافون ما رأيتُم مِن أجسامِهم وعددِهم، فإنَّهم لا قلوبَ لهم، ولا مَنَعَةَ عندَهم، فادْخُلُوا عليهم البابَ، فإذا دَخَلْتُمُوه فإنَّكم غالِبون. ويقول أُناسٌ: إنَّهما(٣) مِن قومِ موسى. فقال الذين يَخافون؛ بنو إسرائيلَ: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]. فأَغْضَبُوا موسى، فَدَعَا عليهم، وسَمَّاهم فاسِقين، ولم يَدْعُ عليهم قبلَ ذلك؛ لِما رأى مِنهم مِن المعصيةِ وإساءتهم، حتى كان يومَئِذٍ، فاستَجابَ اللَّهُ له وسمَّاهم كما سمَّاهم فاسِقين، فحرَّمَها عليهم أربعين سَنَةً، يَتِيهُون فى الأرضِ، يُصْبِحُون كلَّ يوم، فيسيرُون ليس لهم قرارٌ، ثم ظَلَّلَ عليهم الغَمامَ فى التِّيهِ، وأنزلَ عليهمُ المَنَّ والسَّلْوَى، وجعَل لهم ثيابًا لا تَبْلَى ولا تَتَّسِخُ، وجعَل بينَ ظَهْرانَيْهِمْ حَجَرًا مُرَبَّعًا [١/١٩١ظ]، وأَمَر موسى فضرَبه بعصاه،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) كذا فى النسخ وفى مسند أبى يعلى. وفى سنن النسائى: «مصْطفُون».

(٣) فى النسخ: «إنهم». والمثبت من سنن النسائى.

فانْفَجَرَتْ منه اثنتا عَشْرَةَ عينًا ، فى كلِّ ناحيةٍ ثلاثةُ أَعْيُنٍ ، وأَعْلَمَ كلَّ سِبْطٍ عينَهم التى يَشْربون مِنها ، فلا يَرْتَحِلُون من مَنْقَلَةٍ إلا وَجَدُوا ذلك الحَجَرَ بالمكانِ الذى كان فيه بالأمسِ . رَفَع ابنُ عباسٍ هذا الحديثَ إلى النَّبىِّ ﷺ ، وصَدّق ذلك عندِى أنَّ معاويةَ سَمِعَ ابنَ عباسٍ حدَّثَ هذا الحديثَ ، فأنكرَ عليه أن يكونَ الفِرْعَوْنىُّ الذى أَفْشَى على موسى أَمْرَ القتيلِ الذى قَتَل ، فقال : كيف يُفْشِى عليه ، ولم يَكُنْ عَلِمَ به ولا ظَهَرَ عليه إلا الإسرائيلىُّ الذى حَضَر ذلك ؟ فَغَضِب ابنُ عباسٍ ، فأَخَذَ بيدِ معاويةَ ، فانطَلَقَ به إلى سعدِ بنِ مالكٍ الزُّهْرِىِّ ، فقال له : يا أبا إسحاقَ ، هل تَذْكُرُ يومَ حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ عن قَتيلِ موسى الذى قَتَل مِن آلِ فرعونَ ؟ الإسرائيلىُّ الذى أَفْشَى عليه ، أم الفِرْعَونىُّ ؟ [1] قال : إنّما أَفْشَى عليه الفِرْعَوْنىُّ بما سَمِع الإسرائيلىُّ الذى شَهِد ذلك وحَضَره [1] . هكذا ساقَ هذا الحديثَ الإمامُ النّسائىُّ ، وأَخْرَجه ابنُ جَريرٍ ، وابنُ أبى حاتمٍ فى تفْسيرَيْهما ، مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ [2] ، والأَشْبَهُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنّه موقوفٌ ، وكونُه مرفوعًا فيه نَظَرٌ ، وغالبُه مُتَلَقًّى مِن الإسرائيليّاتِ ، وفيه شىءٌ يسيرٌ مُصَرَّحٌ برفْعِه فى أثناءِ الكلامِ ، وفى بعضِ ما فيه نَظَرٌ ونَكَارةٌ ، والأغلبُ أنّه من كلامِ كعبِ الأحبارِ ، وقد سَمِعْتُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجّاجِ المِزِّىَّ يقولُ ذلك ، واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) ابن جرير فى تفسيره ١٦/ ١٦٤. وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢٩٦/٤ وعزاه إلى ابن أبى حاتم وغيره . كما أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٢٦١٨) .

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٦٦: رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبى أيوب وهما ثقتان .

ذِكرُ[1] بناءِ قُبَّةِ الزَّمانِ

قال أهلُ الكتاب[2] : وقد أَمَر اللَّهُ موسى ، عليه السّلامُ ، بعَمَلِ قُبَّةٍ مِن خَشَبِ الشّمشارِ ، وجلودِ الأنعامِ ، وشَعْرِ الأغْنامِ ، وأَمرَ بزِينتِها بالحريرِ المُصَبَّغِ ، والذَّهَبِ ، والفِضَّةِ ، على كيفيّاتٍ مفصَّلَةٍ عندَ أهلِ الكتابِ ، ولها عَشْرُ سُرادِقاتٍ ، طولُ كلِّ واحدٍ ثمانيةٌ وعِشرون ذِراعًا ، وعَرْضُه أربعةُ أَذْرُعٍ ، ولها أربعةُ أبوابٍ ، وأطنابٌ مِن حريرٍ ودِمَقْسٍ مُصبَّغٍ ، وفيها رفوفٌ[3] وصفائحُ من ذهبٍ وفضّةٍ ، ولكلِّ زاويةٍ بابانِ ، وأبوابٌ أُخرُ كبيرةٌ ، وستورٌ من حريرٍ مصَبَّغٍ ، وغيرُ ذلك ممّا يطولُ ذِكْرُه ، وبعَمَلِ تابوتٍ مِن خَشَبِ الشّمشارِ ، يكونُ طولُه ذِراعَيْنِ ونِصْفًا ، وعَرْضُه ذراعَيْنِ ، وارتفاعُه ذراعًا ونِصْفًا ، ويكونُ مُضبَّبًا بذَهَبٍ خالِصٍ ، مِن داخِلِه وخارجِه ، وله أربعُ حِلَقٍ ، فى أربعِ زواياه ، ويكونُ [١/ ١٩٢و] على حافَّتَيْه كَرُوبِيّانِ مِن ذَهَبٍ ، يَعْنُون صِفَةَ مَلَكَيْنِ بأَجْنِحَةٍ ، وهما متقابلان ، صنَعه رجلٌ اسمُه بصليالُ . وأَمَرَه أنْ يَعْمَلَ مائدةً مِن خَشَبِ الشّمشارِ ، طولُها ذراعَان ، وعَرْضُها ذراعٌ ونصفٌ ، لها ضِبابُ ذهبٍ ، وإكليلُ ذَهَبٍ بشَفَةٍ مرْتفِعةٍ ، بإكليلٍ مِن ذَهَبٍ ، وأربعُ حِلَقٍ مِن نَوَاحِيها مِن ذهبٍ ؛ خَرزُه مثلُ الرّمّانِ مِن خشبٍ مُلَبَّسٍ ذَهَبًا ، واعمَلْ صِحافًا ومصافِيَ وقِصاعًا على المائدةِ ، واصنَعْ منارةً مِنَ ذَهبٍ دُلِّيَ فيها سِتُّ قَصَباتٍ مِن ذهبٍ ، مِن كلِّ

---

(١) سقط من : م .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢٥ - ٢٧.

(٣) فى الأصل ، ح : « دفوف » . ورفوف جمع رف ، وهو شبه الطاق تجعل عليه طرائف البيت .

جانبٍ ثلاثٌ، على كلِّ قَصَبَةٍ ثلاثُ سُرُجٍ، وليكنْ فى المنارةِ أربعُ قناديلَ، ولتكنْ هى وجميعُ هذه الآنيةِ مِن قِنطارٍ مِن ذهبٍ، صنَعَ ذلك بصليَالُ أيضًا، وهو الذى عَمِل المذْبَحَ أيضًا، ونَصَبَ هذه القُبّةَ أولَ يومٍ مِن سَنَتِهم، وهو أولُ يومٍ مِن الرَّبيعِ، ونَصَبَ تابوتَ الشّهادةِ، وهو - واللَّهُ أعلمُ - المذكورُ فى قولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقد بُسِطَ هذا الفصلُ فى كتابِهم مُطولًا جدًّا، وفيه شرائعُ لهم، وأحكامٌ، وصفةُ قُرْبانِهم، وكَيْفِيَّتُه، وفيه أنَّ قُبَّةَ الزّمانِ كانت موجودةً قبلَ عبادتِهم العجْلَ، الذى هو مُتقدِّمٌ على مَجيئِهم بيتَ المقدسِ، وأنَّها كانت لهم كالكعبةِ يُصَلُّون فيها وإليها، ويَتَقَرَّبُون عندَها، وأنَّ موسى، عليه السّلامُ، كان إذا دخلَها يَقِفُون عندَها، وينزلُ عمودُ الغَمامِ على بابِها، فيَخِرُّون عندَ ذلك سُجَّدًا للَّهِ، عزّ وجلّ، ويكلِّمُ اللَّهُ موسى، عليه السّلامُ، من ذلك العمودِ الغمامِ، الذى هو نورٌ، ويخاطبُه، ويناجِيه، ويَأْمُرُه[1]، ويَنْهاه، وهو واقفٌ عندَ التّابوتِ، صامِدٌ إلى ما بينَ الكَرُوبِيَّيْنِ فإذا فُصِل الخطابُ، يخبرُ بنى إسرائيلَ بما أوحاه اللَّهُ، عزّ وجلّ، إليه مِن الأوامرِ والنّواهِى، وإذا تحاكَمُوا إليه فى شىءٍ، ليس عندَه مِن اللَّهِ فيه شىءٌ، يَجِىءُ إلى قُبَّةِ الزّمانِ، ويَقِفُ عندَ التّابوتِ، ويَصمُدُ لما بينَ ذَيْنِكَ الكَروبِيَّيْنِ، فيأتِيه الخِطابُ بما فيه فَصْلُ تلك الحُكومةِ، وقد كان هذا مشروعًا لهم فى زَمانِهم، أَعْنِى اسْتعمالَ الذّهبِ والحريرِ المُصَبَّغِ،

---

(١) سقط من: الأصل.

واللَّآلِئَ فى معبدِهم، وعندَ مُصَلَّاهم، فأمَّا فى شريعتِنا فلا، بل قد نُهِينا عن زَخْرَفَةِ المساجدِ، وتَزْيِينِها؛ لِئَلَّا تَشْغَلَ المصلِّين، كما قال عمرُ بنُ الخطابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، لَمَّا وسَّعَ فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال [١/١٩٢ظ] للذى وكَّله على عِمارتِه: ابنِ للنّاسِ ما يُكِنُّهم، وإياكَ أنْ تُحَمِّرَ أو تُصَفِّرَ، فَتَفْتِنَ النّاسَ[(١)]. وقال ابنُ عباسٍ: لتُزَخْرِفُنَّها كما زَخْرَفَتِ اليهودُ والنّصارَى كنائسَهم[(٢)].

وهذا مِن بابِ التَّشْريفِ والتَّكْريمِ والتَّنْزيهِ، فهذه الأُمَّةُ غَيرُ مشابِهةٍ مَن كان قبلَهم مِن الأممِ؛ إذْ جمَع اللَّهُ هَمَّهم فى صَلاتِهم على التَّوجُّهِ إليه، والإقبالِ عليه، وصان أبصارَهم وخواطِرَهم عن الاشْتِغالِ والتفكُّرِ فى غيرِ ما هم بِصَدَدِه مِن العبادةِ العظيمةِ، فللهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وقد كانت قُبَّةُ الزّمانِ هذه مع بنى إسرائيلَ فى التِّيهِ، يُصَلُّون إليها، وهى قِبْلَتُهم وكَعْبَتُهم، وإمامُهم كليمُ اللَّهِ موسى، عليه السّلامُ، ومقدِّمُ القُربانِ أخوه هارونُ، عليه السّلامُ.

فلمّا مات هارونُ، ثُم موسى، عليهما السّلامُ، استمرّتْ بنو هارونَ فى الذى كان يَلِيه أبوهم مِن أمْرِ القُرْبانِ، وهو فيهم، إلى الآنَ، وقام بأعباءِ النُّبوّةِ بعدَ موسى وتدبيرِ الأمرِ بعدَه، فتاه يوشَعُ بنُ نونٍ، عليه السّلامُ، وهو الذى دخَل بهم بيتَ المقدِسِ؛ كما سيأتى بيانُه.

---

(١) أخرجه البخارى ١/٥٣٩ معلقًا. وقال الحافظ فى الفتح ١/ ٥٣٩: هو طرف من قصة فى ذكر تجديد المسجد النبوى. وبيَّض له فى تغليق التعليق ٢/ ٢٣٦.

(٢) البخارى معلقًا بصيغة الجزم ١/ ٥٣٩. وأبو داود (٤٤٨). (صحيح أبى داود ٤٣١). وانظر الإحسان (١٦/٥).

والمقصودُ هنا أنَّه لمَّا اسْتَقَرَّتْ يدُه على البيتِ المقدَّسِ، نَصَب هذه القُبَّةَ على صَخْرَةِ بيتِ المقدِسِ، فكانوا يُصَلُّون إليها، فلمَّا بادتْ صلَّوْا إلى مَحِلَّتِها، وهى الصَّخْرَةُ، فلهذا كانت قِبْلَةَ الأنبياءِ بعدَه إلى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد صلَّى إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ قبلَ الهجرةِ، وكان يجعلُ الكعبةَ بينَ يَدَيْه، فلما هاجر، أُمِر بالصّلاةِ إلى بيتِ المقدِسِ، فصلّى إليها سِتَّةَ عَشَرَ، وقِيل: سَبْعَةَ عَشَرَ شَهرًا. ثم حُوِّلَتِ القِبْلَةُ إلى الكعبةِ، وهى قِبلةُ إبراهيمَ، فى شعبانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ، فى وقتِ صلاةِ العصرِ. وقِيل: الظُّهْرِ[1]، كما بَسَطْنا ذلك فى «التّفسيرِ»[2]، عندَ قولِه تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ إلى قولِه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٢- ١٤٤].

---

(١) انظر صحيح البخارى (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢). ومسلم (٥٢٥).
(٢) التفسير ١/٢٧٣ - ٢٨٢.

قصةُ قارونَ مع موسى، عليه السلامُ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن [١٩٣/١و] كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٧٦- ٨٣] . قال الأعمشُ : عن المِنْهالِ بنِ عمْرٍو، عن[2] سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كان قارونُ ابنَ عمِّ

---

(١) التفسير ٦/٢٦٣ - ٢٦٩.

(٢) في الأصل، م: «بن».

موسى . وكذا قال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، وسِماكُ ابنُ حَرْبٍ ، وقَتادةُ ، ومالكُ بنُ دينارٍ ، وابنُ جُرَيجٍ ، وزاد فقال : هو قارونُ بنُ يصهرَ بنِ قاهثَ ، وموسى بنُ عمرانَ بنِ قاهثَ[1] . قال ابنُ جَريرٍ[2] : وهذا قولُ أكثرِ أهْلِ العِلمِ ؛ أنَّه كان ابنَ عمِّ موسى . وردَّ قولَ ابنِ إسحاقَ أنّه كان عمَّ موسى . قال قَتادةُ : وكان يُسمَّى المنوِّرَ[3] ؛ لحُسنِ صَوتِه بالتَّوراةِ ، ولكنَّ عدوَّ اللَّهِ نافَق ، كما نافَق السّامِرِيُّ ، فأهلَكه البَغْيُ ؛ لكَثْرةِ مالِه . وقال شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ : زاد فى ثيابِه شِبْرًا طولًا ؛ ترفُّعًا على قومِه . وقد ذكَر اللَّهُ تعالى كثرةَ كُنوزِه ؛ حتى إنَّ مَفاتيحَه كان يَثقُلُ حَمْلُها على الفِئامِ[4] مِن الرِّجالِ الشِّدادِ ، وقد قِيل : إنَّها كانَت مِن الجُلودِ ، وإنَّها كانَت تُحمَلُ على ستينَ بَغْلًا . فاللَّهُ أعلمُ . وقد وعَظه النُّصحاءُ مِن قومِه ؛ قائلين : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ أى ؛ لا تَبْطَرْ بما أُعطِيتَ ، وتفْخَرْ على غيرِك . ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ يقولون : لِتَكُنْ هِمَّتُك مصروفةً لتَحْصيلِ ثوابِ اللَّهِ فى الدّارِ الآخِرةِ ، فإنّه خيرٌ وأبقى ، ومع هذا ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أى ؛ وتَناوَلْ منها بمالِك ما أحلَّ اللَّهُ لك ، فتمتَّعْ لنفسِك بالملاذِّ الطَّيبةِ الحلالِ ، ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أى ؛ وأحسِن إلى خَلْقِ اللَّهِ ، كما أحسنَ اللَّهُ خالقُهم وبارئُهم إليك ، ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أى ؛ ولا تسئْ إليهم ، ولا تُفسِدْ فيهم [١/١٩٣ظ] فتقابلَهم ضدَّ ما

---

(١) فى ح : « فاهث » ، وفى م : « هافث » . وانظر الأقوال السابقة فى التفسير ٦/ ٢٦٣.
(٢) فى الأصل ، ح ، م : « جريج » . وانظر كلام ابن جرير فى تفسيره ٢٠/ ١٠٥.
(٣) فى ح ، م : « النور » .
(٤) فى الأصل ، م ، ص : « القيام » . والفئام : الجماعة من الناس .

أُمِرْتَ فيهم، فيُعاقِبَك ويَسلُبَك ما وهبَك، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ فما كان جوابَه[1] لهذه النَّصيحَةِ الصَّحيحَةِ الفَصيحَةِ، إلا أنْ ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ يعنى: أنا لا أحتاجُ إلى استعمالِ ما ذكرْتُم، ولا إلى ما إليه أشَرْتُم؛ فإنَّ اللَّهَ إنما أعطانى هذا لعلمِه أنِّى أستحقُّه، وأنِّى أهلٌ له، ولولا أنِّى حبيبٌ إليه، وحَظِىٌّ عنده، لَمَا أعطانى ما أعطانى. قال اللَّهُ تعالى رادًّا عليه فيما ذهَب إليه: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أى؛ قد أَهْلَكْنا مِن الأُمَمِ الماضين بذُنوبِهم وخَطاياهم، مَن هو أشدُّ مِن قارونَ قوةً، وأكثرُ أمْوالًا وأوْلادًا، فلو كان ما قال صَحيحًا لمْ نُعاقِبْ أحدًا مِمَّن كان أكثرَ مالًا منه، ولمْ يكنْ مالُه دليلًا على محبَّتِنا له، واعتنائِنا به، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [سبأ: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]. وهذا الرَّدُّ عليه يدلُّ على صحّةِ ما ذهَبْنا إليه مِن معنى قولِه: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾.

وأمَّا مَن زعم أنَّ المُرادَ مِن ذلك، أنَّه كان يَعرِفُ صَنْعةَ الكِيمِياءِ[2]، أو أنَّه كان يَحْفَظُ الاسمَ الأعظمَ، فاستعْمَلَه فى جمعِ الأموالِ، فليس بِصَحيحٍ؛ لأنَّ

---

(١) فى م، ص: «جواب قومه».

(٢) الكيمياء: الحيلة والحِذق، وكان يراد بها عند القدماء: تحويل بعض المعادن إلى بعض. وعلم الكيمياء عندهم: علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصّة جديدة إليها، ولاسيما تحويلها إلى ذهب. الوسيط ٢/ ٨٤٠.

الكِيمِياءَ تَخْييلٌ وصِبْغةٌ لا تُحِيلُ الحقائقَ، ولا تشابِهُ صَنْعةَ الخالِقِ، والاسمُ الأعظمُ لا يَصْعَدُ الدُّعاءُ به مِن كافرٍ به، وقارونُ كان كافرًا فى الباطنِ، منافِقًا فى الظّاهِرِ، ثُم لا يَصِحُّ جوابُه لهم بهذا، على هذا التَّقْديرِ، ولا يَبْقَى بينَ الكَلامَيْنِ تَلازُمٌ، وقدْ وضَّحْنَا هذا فى كِتابِنا «التّفسيرِ»[1]، وللَّهِ الحمدُ.

قال اللَّهُ تعالى[2]: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ ذكَر كَثيرٌ مِنَ المُفسِّرينَ أنَّه خرَج فى تَجَمُّلٍ عَظيمٍ؛ مِن مَلابِسَ، ومَراكِبَ، وخدَمٍ، وحَشَمٍ، فلمَّا رآه مَن يُعظِّمُ زَهْرةَ الحياةِ الدُّنيا تَمَنَّوْا أنْ لو كانوا مثلَه، وغَبطُوه بما عليه وله، فلما سَمِع مَقَالَتَهم العلماءُ ذَوُو الفَهْمِ الصَّحيحِ، الزُّهّادُ الأَلِبّاءُ، قالوا لهم: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أى؛ ثوابُ اللَّهِ فى الدَّارِ الآخِرَةِ خيرٌ وأبقَى، وأجلُّ وأَعْلَى، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ أى؛ وما يُلَقَّى هذه النَّصيحَةَ، وهذه المَقالَةَ، وهذه الهِمَّةَ السَّامِيَةَ إلى[3] الدّارِ الآخِرةِ العَلِيَّةِ، عندَ النّظَرِ إلى زَهْرةِ هذه الدُّنيا الدَّنِيَّةِ، إلا مَن هدى اللَّهُ قلبَه، وثبَّت فؤادَه، وأَيَّد لُبَّه، وحَقَّق مُرادَه [١/١٩٤و]، وما أحسنَ ما قال بعضُ السّلفِ: إنّ اللَّهَ يُحِبُّ البَصرَ النافِذَ عندَ وُرودِ الشُّبُهاتِ، والعقلَ الكامِلَ عندَ حُلولِ الشَّهَواتِ.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ

---

(١) التفسير ٦/ ٢٦٤، ٢٦٥.
(٢) التفسير ٦/ ٢٦٥. وتفسير الطبرى ٢٠/ ١١٤، ١١٥.
(٣) فى الأصل: «فى».

يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ . لمّا ذكَر تعالى خُروجَه فى زينتِه ، واختيالَه فيها ، وفَخْرَه على قومِه بها ، قال : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ .

كما رَوى البخاريُّ[1] مِن حديثِ الزُّهْرِيِّ ، عن سَالمٍ ، عن أبيه ، عن النَّبيِّ ﷺ ، قال : « بَيْنا رَجلٌ يجرُّ إزارَه ، إذْ خُسِف به ، فهو يَتَجَلْجَلُ فى الأَرْضِ إلى يومِ القيامةِ » . ثُم رواه البخاريُّ[2] مِن حديثِ جريرِ بنِ زيدٍ ، عن سالمٍ ، عن أبى هُرَيْرةَ ، عن النَّبيِّ ﷺ نحوَه .

وقد ذُكِرَ عن ابنِ عباسٍ والسُّدِّيِّ أنَّ قارونَ أعطَى امرأةً بَغِيًّا مالًا ، على أنْ تَقولَ لموسى ، عليه السّلامُ ، وهو فى ملأٍ مِن النَّاسِ : إنَّك فعلتَ بى كذا وكذا . فيُقالُ : إنّها قالت له ذلك ، فأَرْعَدَ مِن الفَرَقِ ، وصلَّى ركعتين ، ثُم أَقبَل عليها ، فاستحْلَفَها : [3]مَنْ دَلَّكِ[3] على ذلك ، وما حَمَلَكِ عليه ؟ فذكرَتْ أنَّ قارونَ هو الذى حملَها على ذلك ، واسْتَغْفَرَتِ اللَّهَ ، وتابتْ إليه ، فعندَ ذلك خَرَّ موسى للَّهِ ساجدًا ، ودعا اللَّهَ على قارونَ ، فأوحى اللَّهُ إليه : إنِّى قدْ أَمرْتُ الأرضَ أنْ تُطيعَك فيه ، فأمر موسى الأرضَ أَنْ تبتَلِعَه ودارَه ، فكان ذلك[4] . فاللَّهُ أعلمُ . وقد قِيل : إنَّ قارونَ لمّا خَرَج على قومِه فى زينتِه ، مرَّ بجَحْفَلِه ، وبغالِه ، وملابِسِه ، على مجلسِ موسى ، عليه السَّلامُ ، وهو يذكِّرُ قومَه بأيَّامِ اللَّهِ ، فلمّا رآه النَّاسُ انصرفتْ وجوهُ كثيرٍ مِن الناسِ يَنْظُرون إليه ، فدعاه

---

(١) البخارى (٣٤٨٥، ٥٧٩٠) .
(٢) البخارى (٥٧٩٠) .
(٣ - ٣) في النسخ : « من ذلك » .
(٤) تفسير الطبرى ٢٠/ ١١٧. والتفسير ٦/ ٢٦٧.

موسى ، عليه السّلامُ ، فقال له : ما حملَك على هذا ؟ فقال : يا موسى ، أما لَئِنْ كنتَ فُضِّلْتَ عليَّ بالنُّبوةِ ، فلَقدْ فُضِّلتُ عليك بالمالِ ، ولَئِنْ شئتَ لتَخْرُجَنَّ فلَتَدْعُوَنَّ عليَّ ، ولأَدْعُوَنَّ عليكَ . فخرَج ، وخرَج قارونُ فى قومِه ، فقال له موسى : تَدْعو أو أَدْعو ؟ قال : أَدْعو أنا . فدعا قارونُ ، فلم يُجَبْ فى موسى ، فقال موسى : أدعو ؟ قال : نعمْ . فقال موسى : اللَّهُمَّ مُرِ الأرضَ فلْتُطِعْنى اليومَ . فأوْحَى اللَّهُ إليه : إنِّى قَدْ فعلتُ . فقال موسى : يا أرضُ خُذيهم . فأخَذتْهم إلى أَقْدامِهم ، ثُم قال : خُذيهم . فأخَذتْهم إلى رُكَبِهم ، ثُم إلى مَناكِبِهم ، ثُم قال : أَقْبِلى بكنوزِهم وأموالِهم . فأَقْبَلتْ بها ، حتى نَظَروا إليها ، ثُم أشار موسى بيدِه ، فقال : اذْهَبوا بَنى لاوِى . فاسْتَوتْ بهمُ الأرضُ . وقد رُوى عن قَتادةَ أنَّه قال : يُخْسَفُ بهم كلَّ يومٍ قامةً ، إلى يومِ القيامةِ . [١/١٩٤ظ] وعن ابنِ عباسٍ أنَّه قال : خُسِف بهم إلى الأرضِ السَّابعةِ[1] . وقد ذكَر كثيرٌ مِن المُفَسِّرين ههنا إسْرائيلياتٍ كثيرةً ، أَضْرَبْنا عنها صَفْحًا ، وتركناها قَصْدًا .

وقولُه تعالى[2] : ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ ، لم يكنْ له ناصرٌ مِن نفسِه ، ولا مِن غيرِه ، كما قال : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ١٠] . ولمّا حلّ به ما حلَّ مِن الخَسْفِ ، وذَهابِ الأمْوالِ ، وخَرابِ الدَّارِ ، وهَلاكِ النَّفسِ والأَهْلِ والعَقارِ ، ندِم مَن كان تَمَنَّى مثلَ ما أُوتِىَ ، وشكروا اللَّهَ تعالى الذى يُدَبِّرُ عبادَه بما يشاءُ ، مِن حُسْنِ التَّدْبيرِ المخْزونِ ، ولهذا قالوا : ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا

---

(١) التفسير ٦/ ٢٦٧.

(٢) التفسير ٦/ ٢٦٧.

يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ، وقد تكلَّمْنا على لفظِ : « وَيْكَ » فى « التّفسيرِ »[1] ، وقد قال قَتادةُ : ويكأَنّ بمعنى أَلم تَر أَنَّ . [2]وهذا قولٌ حَسنٌ مِن حيثُ المعنى . واللَّهُ أعلمُ . ثُم أخبَر تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ وهى دارُ[2] القَرارِ . وهى الدّارُ التى يُغْبَطُ مَن أُعْطِيَها ، ويُعَزَّى مَن حُرِمَها ، إنَّما هى مُعَدَّةٌ للذين لا يُريدونَ عُلُوًّا فى الأرضِ ولا فسادًا . فالعُلُوُّ هو التَّكَبُّرُ والفَخْرُ والأَشَرُ والبَطَرُ . والفسادُ هو عملُ المَعاصى اللَّازِمةِ والمُتَعَدِّيةِ ؛ مِن أَخْذِ أموالِ النَّاسِ ، وإفسادِ معايِشِهم ، والإساءةِ إليهم ، وعدمِ النُّصْحِ لهم ، ثم قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقصَّةُ قارونَ هذه ، قد تكونُ قبلَ خروجِهم مِن مصرَ ؛ لقولِه : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ ، فإنّ الدَّارَ ظاهرةٌ فى البُنْيانِ ، وقَد تكونُ بعدَ ذلك فى التِّيهِ ، وتَكونُ الدَّارُ عبارةً عن المَحِلَّةِ التى تُضْرَبُ فيها الخِيامُ ، كما قال عَنْتَرةُ[3] :

يا دارَ عبلةَ بالجَواءِ[4] تكلَّمى ... وعِمى صَباحًا دارَ عبلةَ واسْلَمِى

واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذكَر اللَّهُ تعالى مَذَمَّةَ قارونَ فى غيرِ ما آيةٍ مِن القرآنِ ؛ قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤] . وقال تعالى فى سورةِ « العَنْكبوتِ » بعدَ ذِكْرِ عادٍ وثمودَ : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا

---

(١) التفسير ٦/ ٢٦٨.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) ديوان عنترة ص ٩٨.

(٤) الجواء اسم موضع.

أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩، ٤٠]. فالذى خُسِف به الأرضُ قارونُ، كما تقدَّمَ، والذى أُغرِق فِرْعَونُ وهَامَانُ وجُنُودُهما، إنَّهم كانوا خاطِئِينَ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا أبو عبدِ الرَّحمنِ، حدَّثنا سَعِيدٌ، حدَّثنا كَعْبُ بنُ عَلْقَمَةَ، عن عيسى بنِ هِلَالٍ الصَّدَفِىِّ[2]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، عن النَّبىِّ ﷺ، أنَّه ذكَر الصَّلاةَ يومًا، فقال: «مَن حافَظَ عَلَيها كانَتْ لَه نُورًا وبُرْهَانًا ونَجاةً يومَ القِيامَةِ [١٩٥/١و]، ومَن لمْ يُحافِظْ عَليها، لم يَكنْ لَه نورٌ ولا بُرهانٌ ولا نَجاةٌ، وكَان يومَ القِيامةِ مَع قارونَ وفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وأُبَىِّ بنِ خَلَفٍ». انْفَرَد به أحمدُ، رَحِمَه اللَّهُ.

---

(١) فى المسند ٢/ ١٦٩. (إسناده صحيح).

(٢) فى الأصل: «الصندلى».

ذِكْرُ فضَائِلِ مُوسى، عَليه السلامُ

وَشمائِلِه وصِفاتِه ووَفاتِه[1]

قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١- ٥٣]. وقال تعالى[3] : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وتَقَدَّم فى «الصَّحيحَيْنِ»[4] ، عن رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : «لا تُفَضِّلُونى عَلى مُوسى ، فإنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يومَ القيامةِ ، فأكونُ أولَ مَن يُفيقُ ، فأَجِدُ مُوسى باطِشًا بقائِمةِ العَرْشِ ، فَلَا أَدْرِى أَصُعِق فأَفاقَ قَبْلى ، أَمْ جُوزِىَ بصَعْقَةِ الطُّورِ» . وقدَّمنا[5] أنَّ هذا من رسولِ اللَّهِ ﷺ ، مِن باب الهَضْمِ والتَّواضُعِ ، وإلَّا فهو ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، خاتَمُ الأَنْبياءِ ، وسيِّدُ ولدِ آدمَ فى الدُّنْيا والآخرةِ ، قَطْعًا جَزْمًا لا يَحْتَمِلُ النَّقِيضَ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ

---

(١) فى م : «ووفائه» .

(٢) التفسير ٥/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) التفسير ٣/ ٤٧١.

(٤) تقدم فى ١/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) تقدم ص ٣٠ .

نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ البخاريُّ[1]: حدثنا إسْحاقُ بنُ إبراهيمَ حدَّثنا[2] رَوْحُ بنُ عُبادةَ، عن عَوْفٍ، عن الحسنِ ومحمدٍ وخِلَاسٍ، عن أبى هُرَيرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ موسى كان رجلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لا يَرَى جِلْدَه شيءٌ؛ اسْتِحْياءً مِنه، فآذاه مَن آذاه مِن بَنى إسْرائيلَ، فقالوا: ما يَسْتَتِرُ هذا التَّستُّرَ إلا مِن عَيْبٍ بجلْدِه؛ إمّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُدْرَةٌ، وإمَّا آفةٌ، وإنَّ اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، أرَادَ أن يُبَرِّئَه ممَّا قالوا لموسى، فخَلا يومًا وَحْدَه، فوَضَعَ ثيابَه على الحَجَرِ، ثُم اغْتَسَلَ، فلمَّا فَرَغ، أقْبَلَ إلى ثِيابِه لِيَأْخُذَها، وإنَّ الحَجَرَ عَدَا بثَوْبِه، فأخَذ مُوسى عَصَاهُ، وطَلَب الحَجَرَ، فجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِىَ حَجَرُ، ثَوْبِىَ حَجَرُ. حتى انتهى إلى ملأٍ مِن بَنِى إسْرائيلَ، فَرَأَوْه عُرْيانًا، أحْسَنَ ما خَلَق اللَّهُ وأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وقام الحَجَرُ، فأخَذَ ثوبَه فلَبِسَه، وطَفِق بالحَجَرِ ضَرْبًا بعَصَاه، فَوَاللَّهِ إنَّ بالحَجَرِ لنَدَبًا مِن أَثَرِ ضَرْبِه ثَلاثًا أوْ أرْبَعًا، أو خَمْسًا» قال: «فذلك قولُه عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ [١٩٥/١ظ] لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾». وقَدْ رَواهُ الإمامُ أحمدُ[3] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ، وهَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ، عن أبى هُرَيرةَ به[4]، وهو فى

---

(١) البخارى (٣٤٠٤).

(٢) فى م، ص: «بن». وهو خطأ.

(٣) مسند أحمد ٣٢٤/٢ من حديث عبد الله بن شقيق، ٣١٥/٢ من حديث همام بن منبه.

(٤) سقط من: الأصل، ص.

«الصّحيحين»[1] مِن حديثِ عَبدِ الرَّزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن هَمَّامٍ، عنه به، ورواه مُسْلِمٌ[2] مِن حديثِ عَبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ عنه.

قال بعضُ السَّلَفِ: كان مِن وَجاهتِه أنَّه شفَع فى أَخيه عندَ اللَّهِ، وطَلَب مِنه أن يكونَ مَعَه وزيرًا، فأجابه اللَّهُ إلى سؤالِه، وأعْطاه طَلِبَتَه، وجعلَه نبيًّا؛ كما قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾. ثُم قال البُخارىُّ[3]: حدَّثنا أبو الوَليدِ، حدَّثنا شُعْبَةُ، عن الأَعْمشِ، سألتُ أبا وائِلٍ، قال: سمعتُ عبدَ اللَّهِ، قال: قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ، قَسْمًا، فقال رجلٌ: إنَّ هذه لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بها وجهُ اللَّهِ. فأَتَيْتُ النَّبىَّ ﷺ، فأَخْبَرْتُه[4]، فغَضِبَ حتى رأيتُ الغَضَبَ فى وجهِه، ثُم قال: «يَرحَمُ اللَّهُ موسى، قدْ أُوذِىَ بِأكثَرَ مِن هَذا فصَبَرَ». وكذا رواه مُسْلِمٌ[5]، مِن غيرِ وجهٍ، عن سُلَيمانَ بنِ مِهْرَانَ الأَعْمَشِ بهِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا[7] حَجَّاجٌ، سَمِعتُ إسْرائيلَ بنَ يُونُسَ، عن الوَليدِ بنِ أبى هاشِمٍ[8]، مَوْلًى لهَمْدَانَ، عن زيدِ بنِ أبى زائدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحابِهِ: «لا يبلِّغْنى أحدٌ عن أحدٍ شيئًا،

---

(١) البخارى (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٢) مسلم (١٥٦) (٠٠٠) من كتاب الفضائل.

(٣) البخارى (٣٤٠٥).

(٤) سقط من: ح، م.

(٥) مسلم (١٠٦٢) من حديث حفص بن غياث عن الأعمش به. وهو وجه واحد. ولعل ابن كثير أخطأ - على ما ورد فى تحفة الأشراف ٤٤/٧ - فى عزو الحافظ المزى على طرق البخارى فجعلها طرقًا لحديث الإمام مسلم. وهو ما وقع خطأ فى المطبوع من التحفة. فانظره.

(٦) مسند أحمد ١/ ٣٩٥، ٣٩٦. (إسناده حسن).

(٧) بعده فى م، ص: «أحمد بن».

(٨) فى المسند: «هشام» وكلاهما ورد. انظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٠٤.

فإنِّى أُحِبُّ أن أَخْرُجَ إِلَيْكمْ ؛ وأَنا سَلِيمُ الصَّدْرِ » قال : وأتى رسولَ اللَّهِ ﷺ مَالٌ فقسَمَه ، قال : فمَرَرْتُ برَجُلَيْنِ ، وأحدُهما يقولُ لصاحبِه : واللَّهِ ما أراد محمدٌ بقِسْمَتِه وجهَ اللَّهِ ، ولا الدَّارَ الآخِرةَ ، فثَبَتُّ[1] حتى سَمِعتُ ما قالا . ثم أَتيتُ رسولَ اللَّهِ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّك قلتَ لنا : « لا يُبَلِّغْنِى أحدٌ عن أحدٍ مِن أصحابى شيئًا » . وإنِّى مَرَرْتُ بفلانٍ وفلانٍ ، وهما يقولان كذا وكذا ، فاحمرَّ وجْهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وشقَّ عليه ، ثُم قال : « دعْنا مِنك ، فقد أُوذِىَ مُوسى أكثرَ مِن ذلك فصَبَرَ » . وهكذا رواه أبو داودَ ، والتِّرمذىُّ[2] ، مِن حديثِ إسرائيلَ ، عن الوليدِ بنِ أبى هاشمٍ به ، وفى روايةٍ للتِّرْمِذِىِّ ، ولأبى داود[3] ، مِن طريقِ [4]الحسينِ بنِ محمدٍ[4] عن إسْرائيلَ ، عن السُّدِّىِّ ، عن الوليدِ به . وقال التِّرمذىُّ : غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقد ثَبَت فى « الصَّحيحِ »[5] فى أحاديث الإسراءِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، مرَّ بموسى ، وهو قَائمٌ يصلِّى فى قَبْرِه . ورَواه مسلمٌ[6] عن أَنَسٍ .

وفى « الصَّحيحَين »[7] ، مِن رِوايةِ قَتادَةَ ، عن أَنَسٍ ، عن مَالِكِ بنِ صَعْصَعَةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، أنَّه مرَّ ليلةَ أُسْرِىَ به ، بموسى فى السَّماءِ السَّادِسَةِ ، فقال لَهُ جِبْرِيلُ : هذا موسى ، فسلِّمْ عليه . [١٩٦/١و] قال : « فسَلَّمْتُ عليه . فقال :

---

(١) فى المسند : « فتثبت » .

(٢) أبو داود (٤٨٦٠) ، الترمذى (٣٨٩٦) . (ضعيف الترمذى ٨١٧) .

(٣) أبو داود (٤٨٦٠) ، الترمذى (٣٨٩٧) . (ضعيف أبى داود ١٠٣٥) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح ، ص : « ابن العبد » . وفى م : « ابن عبد » . والمثبت من سنن أبى داود والترمذى .

(٥) فى ح ، ص ، م : « الصحيحين » . وتقدم تخريجه ص ٩٧ .

(٦) مسلم (٢٣٧٥) .

(٧) البخارى (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

مرحبًا بالنَّبىِّ الصّالحِ، والأَخِ الصّالحِ. فلمَّا تجاوَزْتُ بكى؛ قِيل له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: أَبْكِى لأنَّ غُلامًا بُعِثَ بَعدِى يدْخُلُ الجنَّةَ مِن أمّتِه أكثرُ ممَّا يدْخُلُها مِن أمَّتى». وذكَر إبراهيمَ فى السّماءِ السَّابعَةِ. وهذا هو المحفوظُ، وما وقَع فى حديثِ شَرِيكِ بنِ أبى نَمِرٍ، عن أَنَسٍ، مِن أنَّ إبراهيمَ فى السّادسةِ، وموسى فى السّابعةِ، بتَفْضيلِ كَلامِ اللَّهِ، فقدْ ذكَر غيرُ واحدٍ مِن الحُفّاظِ أنَّ الذى عليه الجادَّةُ أنَّ موسى فى السّادسةِ، وإبراهيمَ فى السّابعةِ، وأنَّه مُسْنِدٌ ظهْرَه إلى البيتِ المَعْمورِ، الذى يدْخُلُه كلَّ يومٍ سَبْعون ألفًا مِن الملائكةِ، ثُم لا يَعودُونَ إليه آخِرَ ما عَليهم. واتفقتِ الرِّواياتُ كلُّها على أنَّ اللَّهَ تعالى، لَمَّا فَرَض على محمدٍ ﷺ، وأمَّتِه، خَمْسينَ صلاةً فى اليومِ والليلةِ، فمرَّ بموسى، قال: «ارجِعْ إلى ربِّك فاسْأَلْه التَّخفيفَ لأُمَّتِك، فإنِّى قد عالَجْتُ بنى إسرائيلَ قَبْلَك أشَدَّ المعالَجَةِ، وإنَّ أمَّتَك أضعفُ أسماعًا، وأبصارًا، وأفئدةً» فلم يَزَلْ يتردَّدُ بينَ موسى وبينَ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ويخفِّفُ عنه فى كلِّ مَرَّةٍ، حتى صارتْ خمسَ صَلَواتٍ فى الْيومِ والليْلَةِ. وقال اللَّهُ تعالى: «هى خمسٌ، وهى خَمْسون»[1]. أى؛ بالمضاعَفَةِ، فجزى اللَّهُ عنَّا محمدًا ﷺ خيرًا، وجزى اللَّهُ عنَّا موسى، عليه السّلامُ، خيرًا.

وقال البُخارىُّ[2]: حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا حُصَينُ بنُ نُمَيْرٍ، عن حُصَينِ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا، فقال: «عُرِضَتْ علىَّ الأُمَمُ، ورأَيتُ سَوادًا كثيرًا، سدَّ الأُفُقَ،

---

(١) البخارى (٣٤٩).

(٢) البخارى (٥٧٥٢).

فقِيل: هذا موسى فى قومِه». هكذا رَوى البخارىُّ هذا الحديثَ هـهنا مختَصَرًا.

وقد رواه الإمامُ أحمدُ[1] مطوَّلًا، فقال: حدَّثنا سُرَيجٌ[2]، حدَّثنا هُشَيْمٌ[3]، حدَّثنا حُصَينُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ، قال: كنتُ عندَ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، قال: أيُّكم رأَى الكوكبَ الذى انقضَّ البارِحةَ؟ قُلتُ: أنا. ثُم قلت: أَمَا إنِّى لم أَكُنْ فى صلاةٍ، ولكنى[4] لُدِغْتُ. قال: وكيفَ فعلتَ؟ قلتُ: استرْقَيْتُ. قال: وما حمَلَك على ذلك؟ قال: قلتُ: حديثٌ حدثناه الشَّعْبىُّ، عن بُرَيْدَةَ الأسلمىِّ، أنَّه قال: «لا رُقْيَةَ إلا مِن عينٍ أو حُمَةٍ». فقال سَعيدٌ - يَعْنى ابنَ جُبَيْرٍ -: قد أحْسنَ مَن انتهى إلى ما سَمِع. ثُم قال: حدَّثنا ابنُ عباسٍ، عن النَّبىِّ ﷺ، قال: «عُرِضَتْ علىَّ الأممُ، فرأيتُ النَّبىَّ ومعه الرَّهْطَ، والنَّبىَّ معه الرَّجُلَ والرجُلَيْنِ[5]، والنَّبىَّ وليس معه أحدٌ؛ إذ رُفِع لى سوادٌ عظيمٌ، فقلتُ: هذه أمَّتى. فقِيل: هذا موسى وقومُه، ولكنِ انظُرْ إلى الأُفُق. فإذا سَوادٌ عظيمٌ، [١٩٦/١ظ] ثُم قِيل: انظُرْ إلى هذا الجانِبِ. فإذا سَوادٌ عظيمٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، ومعهم سَبْعُونَ ألفًا، يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بِغيرِ حسابٍ وَلا عَذابٍ». ثُم نَهَضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فدخَل، فخاض القومُ فى ذلك، فقالوا: مَن هؤلاءِ الذين يدْخُلُون الجنّةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ؟ فقال بَعْضُهم: لعلَّهم الذين صَحِبوا النَّبىَّ ﷺ. وقال بَعْضُهْم: لعلَّهم الذين وُلِدُوا فى الإِسْلامِ، ولم يُشْرِكوا باللَّهِ

---

(١) مسند أحمد ١/ ٢٧١.

(٢) فى الأصل، م، ص: «شريح».

(٣) فى م، ص: «هشام».

(٤) فى النسخ: «ولكن». والمثبت من مصدر التخريج.

(٥) كذا فى الأصل، ح، ص، والمسند. وفى م وصحيح مسلم (٢٢٠): «الرجلان».

شيئًا قطُّ . وذكروا أشْياءَ ، فخرَج إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ما هذا الذى كُنتم تخوضُونَ فيه ؟ » . فَأَخْبَرُوه بمقالَتِهم ، فقال : « هم الذين لا يَكْتَوُونَ ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يَتَطَيَّرونَ ، وعلى ربِّهم يتوكَّلونَ » . فقام عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِىُّ ، فقال : أنا مِنهم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أنتَ مِنهم » . ثُم قام آخَرُ فقال : أنا مِنهم يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « سَبَقَك بها عُكَّاشةُ » . وهذا الحديثُ له طُرُقٌ كثيرةٌ جدًّا ، وهو فى الصِّحاحِ والحِسانِ ، وغَيْرِها ، وسنورِدُها إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى فى بابِ صفةِ الجنَّةِ ، عندَ ذِكْرِ أحوالِ القيامةِ وأهْوَالِهَا . وقد ذكَر اللَّهُ تعالى موسى ، عليه السّلامُ ، فى القرآنِ كثيرًا ، وأَثْنَى عليه ، وأوْرَدَ قِصّتَه فى كتابِه العزيزِ مِرارًا ، وكرَّرَها كثيرًا ، مطوَّلةً ومَبْسوطةً ، ومَخْتَصَرَةً ، وأثْنى عليه بليغًا . وكثيرًا ما يَقْرِنُه[1] اللَّهُ ، ويذكرُه ، ويذكرُ كتابَه مع محمدٍ ﷺ ، وكتابِه ، كما قال فى سورةِ « البقرةِ » : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١] . وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ١- ٤] . وقال تعالى فى سورةِ « الأنْعامِ » : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ

---

(١) فى الأصل : « يقربه » .

ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١، ٩٢]. فأثنى تعالى على التَّوراةِ، ثُم مدَح القرآنَ العَظِيمَ مدحًا عَظيمًا، وقال تعالى فى آخرِها: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤، ١٥٥]. وقال تعالى فى سورةِ «المائدةِ»: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ [١٩٧/١و] يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. إلى أن قال: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ الآية. [المائدة: ٤٧، ٤٨]. فجعَل القرآنَ حاكِمًا على سائرِ الكُتُبِ غيرِه، وجعَله مُصَدِّقًا لهَا، ومُبيِّنًا ما وقَع فيها مِن التحْريفِ والتبْديلِ، فإنَّ أهلَ الكتابِ استُحْفِظُوا على[1] ما بأيديهم مِن الكتبِ، فلم يَقْدِروا على حِفْظِها، ولا على ضَبْطِها وصَوْنِها، فلهذا دَخَلَها ما دَخَلَها مِن تَغْييرِهم وتَبديلِهم؛ لسوءِ فُهُومِهم، وقُصُورِهم فى عُلومِهم، ورَداءةِ قُصودِهم، وخيانَتِهم لِمَعْبُودِهم، عَليهم لَعائِنُ اللَّهِ المُتَتابعةُ[2] إلى يومِ القِيامةِ، ولهذا يُوجَدُ فى كُتُبِهم مِن الخطأِ البَيِّنِ على اللَّهِ، وعلى رُسُلِه[3]، ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، وما لا

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) فى الأصل، ح: «التابعة».

(٣) فى م: «رسوله».

يُوجَدُ مِثلُه ولا يُعْرفُ . وقال تعالى فى سورةِ « الأنبياءِ » : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨- ٥٠] . وقال اللَّهُ تعالى فى سورةِ « القَصص » : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٨، ٤٩] . فأثنى اللَّهُ على الكِتابَيْنِ ، وعلى الرَّسولَيْنِ ، عَلَيْهما السَّلامُ ، وقالتِ الجِنُّ لقومِهم : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ٣٠] . وقال وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ ، لَمَّا قَصَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خَبَرَ ما رأَى مِن أَوَّلِ الوحيِ ، وتَلا عليه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١- ٥] . قال : سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ ، هذا النّاموسُ الذى أُنْزِلَ على مُوسى بنِ عِمْرانَ[1] .

وبالجُمْلَةِ ، فشَريعةُ موسى ، عَليه السّلامُ ، كانت شَريعةً عَظِيمةً ، وأُمَّتُه كانت أُمَّةً كَثيرةً ، ووُجِدَ فيهم أنبياءُ ، وعلماءُ ، وعُبادٌ ، وزُهّادٌ ، وأَلِبّاءُ ، ومُلوكٌ ، وأُمَراءُ ، وساداتٌ ، وكُبَراءُ ، لكنَّهم كانوا ، فبَادُوا وتبدَّلوا ، كما بُدِّلتْ شَرِيعتُهم ، ومُسِخوا قردةً وخَنازيرَ ، ثُم نُسِختْ بعدَ كلِّ حِسابِ مِلَّتُهم ، وجَرَت[2] عليهم خُطُوبٌ ، وأُمورٌ يَطُولُ ذكْرُها ، [١/١٩٧ظ] ولكن سَنورِدُ ما فِيه مَقْنَعٌ لِمَنْ أرادَ أن يَبْلُغَه خبرُها ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) البخارى (٣، ٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).
(٢) فى الأصل: «حق». وفى ح: «حرمت».

ذِكْرُ حَجِّ موسى، عليه السَّلامُ، إلى البيتِ العتيقِ وصفتِه

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا هشيمٌ، حدثنا داودُ بنُ أبى هِندٍ، عن أبى العاليةِ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، مَرَّ بوادى الأزرقِ، فقال: «أىُّ وادٍ هذا؟» قالوا: وادِى الأزْرَقِ. قال: «كأنِّى أنْظُرُ إلى موسى، وهو هابِطٌ مِن الثَّنِيَّةِ، وله جُؤَارٌ[2] إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، بالتَّلْبِيَةِ». حتى أتى على ثَنِيَّةِ هَرْشَاء[3]، فقال: «أىُّ ثَنِيَّةٍ هذه؟» قالوا: هذه ثنيةُ هَرْشاءَ. قال: «كأنِّى أنظرُ إلى يونُسَ بنِ مَتَّى على ناقَةٍ حمراءَ، عليه جُبَّةٌ مِن صُوفٍ، خِطامُ ناقتِه خُلْبَةٌ - قال هُشَيْمٌ: يعنى لِيفًا - وهو يُلَبِّى». وأخْرَجَه مسلمٌ مِن حديثِ داودَ بنِ أبى هندٍ به[4]. ورَوَى الطَّبَرَانِىُّ[5]، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: «إنَّ موسى حَجَّ على ثَوْرٍ أحمرَ». وهذا غريبٌ جدًّا.

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا محمدُ بنُ أبى عَدِىٍّ، عن ابنِ عونٍ، عن مُجاهدٍ، قال: كنّا عندَ ابنِ عباسٍ، فذكرُوا الدَّجَّالَ، فقال: إنَّه مكتوبٌ بين

---

(١) أحمد فى المسند ١/ ٢١٥، ٢١٦. (إسناده صحيح).

(٢) الجؤار: التضرع والاستغاثة بصوت مرتفع.

(٣) ثنية بين مكة والمدينة، وقيل: جبل قرب الجحفة فى طريق مكة.

(٤) مسلم (١٦٦).

(٥) الطبرانى فى الكبير (١٢٥١٠). قال الهيثمى «مجمع الزوائد» ٣/ ٢٢١: رواه الطبرانى وفيه ليث ابن أبى سليم وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات.

(٦) المسند ١/ ٢٧٦، ٢٧٧. (إسناده صحيح).

عَيْنَيْه : (ك ف ر) . قال : ما تقولون ؟ قال : يقولون : مكتوبٌ بين عينَيْه (ك ف ر) ، فقال ابنُ عباسٍ : لم أسْمَعْه قال ذلك ، ولكن قال : « أمّا إبراهيمُ فانظروا إلى صاحِبِكم ، وأمّا موسى ، فرجُلٌ آدَمُ جَعْدٌ ، على جَمَلٍ أحمرَ مخطُومٍ بخُلْبَةٍ ، كأنّى أنْظُرُ إليه وقد انْحَدَرَ مِن الوادى يُلَبِّى » . قال هُشَيْمٌ : الخُلْبَةُ اللِّيفُ .

ثم رواه الإمامُ أحمدُ[1] عن أسودَ ، عن إسرائيلَ ، عن عثمانَ بنِ المغيرةِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رأيتُ عيسى ابنَ مريمَ ، وموسى ، وإبراهيمَ ؛ فأمّا عيسى ، فأبيضُ ، جَعْدٌ ، عريضُ الصّدرِ ، وأمّا موسى فآدَمُ جَسِيمٌ » قالوا : فإبراهيمُ ؟ قال : « انظرُوا إلى صاحِبِكم » . وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يونسُ ، حدَّثنا شَيْبانُ ، قال : حَدَّثَ قَتادةُ ، عن أبى العاليةِ ، حدثنا ابنُ عمِّ نبيِّكم ، ابنُ عباسٍ ، قال : قال نبىُّ اللَّهِ ﷺ : « رأيتُ ليلةَ أُسْرِىَ بى موسى بنَ عِمْرَانَ ، رجلًا طُوَالًا ، جَعْدًا ، كأنّه مِن رجالِ شَنُوءَةَ ، ورأيتُ عيسى ابنَ مريمَ مَرْبوعَ الخَلْقِ ، إلى الحُمْرةِ والبَياضِ ، سَبْطَ الرّأسِ » . وأخرجاه مِن حديثِ قَتادةَ به[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عبدُ الرّزّاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، قال الزُّهْرِىُّ : وأخبرنى سعيدُ بنُ المسيّبِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ ، حينَ أُسْرِىَ به : « لَقِيتُ موسى » . فنَعَتَه ، فقال رجلٌ : قال : حَسِبْتُه قال :

---

(١) المسند ١/ ٢٩٦. (إسناده صحيح) .
(٢) المسند ١/ ٢٤٥. (إسناده صحيح) .
(٣) البخارى (٣٢٣٩، ٣٣٩٦) ، ومسلم (١٦٥) .
(٤) المسند ٢/ ٢٨٢. (إسناده صحيح) .

« مضطرِبٌ رَجِلُ الرَّأسِ ، كأنَّه مِن [١٩٨/١و] رجالِ شَنُوءَةَ . ولقيتُ عيسى » . فنَعَتَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « رَبْعَةٌ أحمرُ ، كأنَّما خَرَجَ مِن دِيماسٍ » . يعنى حمّامًا ، قال : « ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشْبَهُ ولدِه به » . الحديث . وقد تقدَّم غالِبُ هذه الأحاديثِ فى ترجمةِ الخليلِ[1] ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه .

---

(١) انظر ما تقدم فى ١/ ٤٠٠، ٤٠١.

ذِكْرُ وفاتِه، عليه السّلامُ

قال البخاريُّ[1] في « صحيحِه » : (وفاةُ موسى ، عليه السّلامُ) : حدَّثنا يحيى بنُ موسى ، حدَّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، أخْبَرَنا مَعْمَرٌ عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرةَ ، قال : أُرْسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، عليه السّلامُ ، فلمّا جاءَه صَكَّه ، فرجع إلى ربِّه ، عزَّ وجلَّ ، فقال : أرسلْتَني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ ، قال : ارجِعْ إليه ، فقُلْ له يَضَعُ يدَه على مَتْنِ ثَوْرٍ ، فله بما غَطَّتْ يدُه ، بكلِّ شَعْرةٍ سَنَةٌ . قال : أيْ ربِّ ، ثُم ماذا ؟ قال : ثُم الموتُ ، قال : فالآنَ . قال : فَسَأَلَ اللَّهَ تعالى أنْ يُدْنِيَه مِن الأرضِ المقدَّسَةِ ، رَمْيَةً بحجَرٍ ، قال أبو هُرَيرةَ : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فلو كنتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَه ، إلى جانِبِ الطَّرِيقِ ، عندَ الكَثِيبِ الأحمرِ » .

قال[2] : وأنبأنا مَعْمَرٌ ، عن همّامٍ ، عن أبي هُرَيرةَ ، عن النّبيِّ ﷺ نحوَه . وقد روى مسلمٌ الطّريقَ الأوَّلَ مِن حديثِ عبدِ الرَّزّاقِ به[3] . ورواه الإمامُ أحمدُ ، مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن عمَّارِ بنِ أبي عمَّارٍ ، عن أبي هُرَيرةَ مرفوعًا ، وسيأتي[4] .

---

(١) البخاري (١٣٣٩، ٣٤٠٧) موقوفًا ومرفوعًا .
(٢) أي : البخاري .
(٣) مسلم (٢٣٧٢) موقوفًا .
(٤) أحمد في المسند ٢/ ٣١٩.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : [2]حدَّثنا الحسنُ[2] ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثنا أبو يونسَ ، يعنى سُلَيْمَ بنَ جُبَيْرٍ ، عن أبى هُرَيرةَ - قال الإمامُ أحمدُ : لم يَرْفَعْه - قال : جاءَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، عليه السّلامُ ، فقال : أجِبْ ربَّك . فلَطَمَ موسى عينَ مَلَكِ الموتِ ، ففَقَأَها ، فَرَجَع المَلَكُ إلى اللَّهِ ، فقال : إنَّك بَعَثْتَنى إلى عبدٍ لك لا يريدُ الموتَ . قال : وقد فقأَ عينى ، قال : فردَّ اللَّهُ عينَه ، وقال : ارجِعْ إلى عبدِى ، فقلْ له : الحياةَ تريدُ ؟ فإنْ كنتَ تريدُ الحياةَ ، فضَعْ يَدَكَ على مَتْنِ ثَوْرٍ ، فما وارَتْ يَدُكَ مِن شَعْرِه ، فإنّك تعيشُ بها سنةً ، قال : ثُم مَهْ ؟ قال : ثُم الموتُ ، قال : فالآنَ ياربِّ ، مِن قريبٍ . تفرَّدَ به أحمدُ ، وهو موقوفٌ بهذا اللَّفظِ .

وقد رواه ابنُ حِبَّانَ[3] فى « صحيحِه » ، مِن طريقِ مَعْمَرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، [4]عن أبى هُرَيرةَ[4] ، قال مَعْمَرٌ : وأخبَرَنى مَن سَمِعَ الحسنَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فذكره ، ثم استَشْكَلَه ابنُ حِبّانَ ، وأجاب عنه بما حاصلُه : أنّ مَلَكَ الموتِ ، لَمّا قالَ له هذا لم يعرِفْه ؛ لمجيئِه له على غيرِ صورةٍ يعرفُها موسى ، عليه السّلامُ ، كما جاء جبريلُ ، عليه السلام ، فى صُورةِ [١/١٩٨ظ] أعرابىٍّ[5] ، وكما وَرَدَتِ الملائكةُ على إبراهيمَ ولوطٍ ، فى صورةِ شبابٍ ، فلم يعرفْهم إبراهيمُ ولا لوطٌ أوَّلًا ، وكذلك موسى ، لعلَّه لم يعرِفْه لذلك ، ولطَمَه ففَقَأَ عينَه ؛ لأنَّه دخلَ دارَه بغيرِ إذْنِه ، وهذا موافِقٌ لشَرِيعَتِنا فى جوازِ فَقْءِ عينِ مَن

---

(١) أحمد فى المسند ٢/ ٣٥١. (إسناده صحيح).
(٢ - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) الإحسان (٦٢٢٣). إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) أخرجه مسلم (٨).

نظرَ إليك فى دارِك بغيرِ إذنٍ . ثم أوردَ الحديثَ مِن طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن همّامٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « جاء مَلَكُ الموتِ إلى موسى ليَقبِضَ رُوحَه ، فقال له : أجِبْ رَبَّك . فلَطَمَ موسى عينَ مَلَكِ الموتِ ، ففَقَأَ عينَه » . وذكرَ تمامَ الحديثِ - كما أشار إليه البخاريُّ - ثم تأوَّلَه على أنّه لمّا رفعَ يدَه ليَلْطِمَه ، قال له : أجِبْ ربَّك . وهذا التّأويلُ لا يَتَمَشَّى على ما وردَ به اللفظُ ، مِن تعقيبِ قولِه : أجِبْ ربَّك . بلَطْمِه ، ولو استمرَّ على الجوابِ الأولِ ، لتمشَّى له . وكأنّه لم يَعرِفْه فى تلك الصُّورةِ ، ولم يَحْمِلْ قولَه هذا على أنّه [2]مُطابِقٌ ؛ إذ[2] لم يتحقَّقْ فى السّاعةِ الرّاهنةِ أنّه مَلَكٌ كريمٌ ؛ لأنّه كان يرجو أمورًا كثيرةً ، كان يُحِبُّ وُقوعَها فى حياتِه ؛ مِن خروجِه مِن التِّيهِ ، ودخولِهم الأرضَ المقدَّسةَ ، وكان قد سبقَ فى قَدَرِ[3] اللَّهِ ، أنَّه ، عليه السّلامُ ، يموتُ فى التِّيهِ ، بعدَ هارونَ أخيه ، كما سنبيِّنُه إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى ، وقد زعمَ بعضُهم[4] أنّ موسى ، عليه السّلامُ ، هو الذى خرج بهم مِن التِّيهِ ، ودخلَ بهم الأرضَ المقدَّسَةَ . وهذا خلافُ ما عليه أهلُ الكتاب ، وجمهورِ المسلمين . وممّا يَدُلُّ على ذلك قولُه ، لمّا اختارَ الموتَ : ربِّ ، أَدْنِنى إلى الأرضِ المقدَّسةِ ، رمْيَةً بحجَرٍ . ولو كان قد دَخَلَها ، لم يَسْألْ ذلك ، ولكنْ لمّا كان مع قومِه بالتِّيهِ ، وحانَتْ وفاتُه ، عليه السَّلامُ ، أَحَبَّ أنْ يَتَقَرَّبَ إلى الأرضِ التى هاجرَ إليها ، وحثَّ قَوْمَه عليها ، ولكنْ حالَ بينَهم وبينَها القَدَرُ ، رَميةً بحجَرٍ ، ولهذا قال

---

(١) الإحسان (٦٢٢٤) (صحيح) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م ، ص : « قدرة » .

(٤) انظر التفسير ٣/ ٧٤، ٧٥. وتفسير الطبرى ٦/ ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥.

سيِّدُ البشرِ، ورسولُ اللَّهِ إلى أهلِ الوَبَرِ والمَدَرِ: «فلو كنتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قبرَه، عندَ الكَثِيبِ الأحمرِ»[1].

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا عفانُ، حدَّثنا حمادٌ، حدَّثنا ثابتٌ وسليمانُ التَّيميُّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَمّا أُسْرِىَ بى، مَرَرْتُ بموسى، وهو قائمٌ يُصَلِّى فى قبرِه، عندَ الكَثِيبِ الأحمرِ». ورواه مسلمٌ مِن حديثِ حمّادِ بنِ سَلَمَةَ به[3].

وقال السُّدِّىُّ[4]، عن أبى مالكٍ، وأبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، وعن مُرّةَ، عن ابنِ مسعودٍ، وعن ناسٍ مِن الصّحابةِ، قالوا: ثُمَّ إنّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى موسى: إنِّى مُتَوَفٍّ هَارُونَ، فائْتِ به جبلَ كذا وكذا. فانطلَقَ موسَى وهَارُونُ [١٩٩/١و] نحوَ ذلك الجبلِ، فإذا هم بشجرةٍ لم تُرَ شجرةٌ مثلُها، وإذا هم ببيتٍ مبنىٍّ، وإذا هم فيه بِسَريرٍ عليه فُرُشٌ، وإذا فيه رِيحٌ طيبةٌ، فلمّا نظر هَارُونُ إلى ذلك الجبلِ والبيتِ وما فيه، أعجَبَه، قال: يا موسى، إنِّى أُحِبُّ أنْ أنامَ على هذا السّريرِ. قال له موسى: فَنَمْ عليه، قال: إنِّى أخافُ أنْ يأتىَ رَبُّ هذا البيتِ فيغضبَ علىَّ. قال له: لا ترهَبْ، أنا أكفيكَ ربَّ هذا البيتِ، فنَمْ. قال: يا موسى، بل نَمْ معى، فإنْ جاء ربُّ هذا البيتِ، غَضِبَ علىَّ وعليك جميعًا. فلمّا ناما، أخذ هارونَ الموتُ، فلمّا وجد حِسَّه، قال: يا موسى، خَدعْتَنى. فلمّا قُبِضَ، رُفِعَ ذلك البيتُ، وذَهَبَتْ تلك الشَّجرةُ، ورُفِعَ السّريرُ

---

(١) تقدم تخريجه صفحة ٢٢١.
(٢) أحمد فى المسند ٣/ ٢٤٨.
(٣) سقط من: الأصل. مسلم (٢٣٧٥).
(٤) تاريخ الطبرى ١/ ٤٣٢.

به إلى السّماءِ، فلمّا رجعَ موسى إلى قومِه، وليس معه هَارُونُ، قالوا: فإنَّ موسى قتلَ هارون، وحَسَدَه حُبَّ بنى إسرائيلَ له. وكان هَارُونُ أَكَفَّ عَنهم وأَلْيَنَ لهم مِن موسى، وكان فى موسى بعضُ الغِلْظةِ عليهم، فلمَّا بلغَه ذلك قال لهم: ويحَكُم، كان أخى أَفَتَرَوْنى أقتُلُه؟ فلمّا أكثَرُوا عليه، قام فصلَّى ركعتَيْنِ، ثم دَعا اللَّهَ فنزل السَّريرُ حتى نظروا إليه بينَ السَّماءِ والأرضِ، ثم إنَّ موسى، عليه السّلامُ، بينَما هو يمشِى ويُوشَعُ فَتَاهُ، إذْ أقبلَتْ ريحٌ سوداءُ، فلمّا نظرَ إليها يُوشَعُ ظَنَّ أنّها السّاعةُ، فالتزمَ موسى وقال: تقومُ السّاعةُ وأنا مُلتزِمٌ موسى نبىَّ اللَّهِ، فاسْتُلَّ موسى، عليه السّلامُ، مِن تحتِ القميصِ، وتُرِكَ القميصُ فى يَدَىْ يُوشَعَ، فلمّا جاءَ يُوشَعُ بالقميصِ آخَذَتْه بنو إسرائيلَ، وقالوا: قتلتَ نبىَّ اللَّهِ؟ فقال: لا واللَّهِ ما قَتَلْتُه، ولكنَّه اسْتُلَّ مِنِّى. فلم يُصَدِّقُوه وأرادُوا قَتْلَه. قال: فإذا لم تصدِّقُونى فأَخِّرُونى ثلاثةَ أيامٍ. فدَعا اللَّهَ، فأُتِى كلُّ رجلٍ ممّن كان يحرسُه فى المنامِ، فَأُخبرَ أنَّ يُوشعَ لم يَقْتُلْ موسى، وأنّا قد رَفَعْناه إلينا، فتركُوه، ولم يَبْقَ أحدٌ مِمّن أَبَى أنْ يَدْخُلَ قَريةَ الجبّارينَ مع موسى، إلّا مات، ولم يَشْهَدِ الفَتْحَ. وفى بعضِ هذا السّياقِ نَكَارةٌ وغَرَابةٌ. واللَّهُ أعلمُ. وقد قَدَّمْنا أنّه لم يَخْرُجْ أحدٌ مِن التِّيهِ، ممّن كان مع موسى، سوى يُوشَعَ بنِ نونٍ، وكالبَ ابنِ يُوفَنَّا، وهو زوجُ مريمَ، أختِ موسى وهَارُونَ، وهما الرَّجلان المذكوران فيما تقدَّم، اللذان أشارا على ملأٍ بنى إسرائيلَ بالدُّخولِ عليهم، وذكر وَهْبُ ابنُ مُنَبِّهٍ[1] أنَّ موسى، عليه السّلامُ، مرَّ بملأٍ مِن الملائكةِ يَحْفِرُون قبرًا، فلم يَرَ أَحسنَ منه، ولا أَنْضَرَ ولا أَبْهَجَ، فقال: يا ملائكةَ اللَّهِ، لِمَنْ تَحْفِرون هذا القبرَ؟

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٤٣٣، ٤٣٤.

فقالوا : لعبدٍ مِن عبادِ اللَّهِ كريمٍ ، فإنْ كنتَ تُحِبُّ أنْ تكونَ هذا العبدَ ، فادخلْ هذا القبرَ ، وتمدَّدْ فيه ، وتوجَّهْ إلى رَبِّكَ ، وتنفَّسْ أسهلَ تنفُّسٍ . ففعل ذلك ، فماتَ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه [١/١٩٩ظ] فصَلَّتْ عليه الملائكةُ ، ودَفَنُوه . وذَكَر أهلُ الكتابِ وغيرُهم أنّه ماتَ وعمرُه مائةٌ وعشرون سنةً[١] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدّثنا أميةُ بنُ خالدٍ ، ويونسُ ، قالا : حدثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن عمَّارِ بنِ أبى عمّارٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : يونسُ رفَع هذا الحديثَ إلى النبىِّ ﷺ ، قال : « كان مَلَكُ الموتِ يأتى النّاسَ عِيانًا ، قال : فأتى موسى ، عليه السّلامُ ، فلَطَمَه ، ففَقَأَ عينَه ، فأتى ربَّه ، فقال : ياربِّ ، عبدُك موسى فقأَ عينى ، ولولا كرامتُه عليك لَعَنُفْتُ به »[٣] . وقال يونسُ : « لَشَقَقْتُ عليه » . « قال له : اذهبْ إلى عبدِى ، فقلْ له : فليضَعْ يدَه على جِلْدِ - أو مَسْكِ - ثَوْرٍ ، فله بكلِّ شَعْرَةٍ وارَتْ يدُه سنَةٌ . فأتاه ، فقال له ، فقال : ما بعدَ هذا ؟ قال : الموتُ ، قال : فالآنَ » . قال : « فشمَّه شمّةً ، فقبض رُوحَه » . قال يونسُ : « فردَّ اللَّهُ عليه عينَه ، وكان يأتى النّاسَ خُفْيةً » . وكذا رواه ابنُ جَريرٍ[٤] ، عن أبى كُرَيبٍ ، عن مُصْعبِ بنِ المِقدامِ ، عن حَمادِ بنِ سَلَمَةَ به ، فرَفَعَه أيضًا . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) سفر التثنية الأصحاح ٣٤/ ٧.

(٢) أحمد فى المسند ٢/ ٥٣٣. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٠٥ رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

(٣) فى النسخ : « عليه » . والمثبت من المسند .

(٤) تاريخ الطبرى ١/ ٤٣٤.

ذِكْرُ نُبُوَّةِ يوشعَ وقيامِه بأعباءِ بنى إسْرائيلَ بعدَ موسى وهارونَ، عليهم السلامُ

هو يُوشَعُ بنُ نونِ بنِ أفراييمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهم السّلامُ، (١وأهلُ الكِتابِ يقولون: يُوشَعُ ابنُ عمِّ هودٍ١). وقد ذكره اللَّهُ تعالى فى القرآنِ غيرَ مصرَّحٍ باسمِه فى قصةِ الخَضِرِ، كما تقدَّم[٢] فى قولِه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾، [الكهف: ٦٠] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٢]. وقدَّمْنا[٣] ما ثَبَتَ فى «الصَّحيحِ»، مِن رِوايةِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، عن النَّبىِّ ﷺ، مِنْ أنّه يُوشَعُ بنُ نونٍ، وهو مُتَّفَقٌ على نُبُوَّتِه عندَ أهلِ الكتابِ[٤]، فإنّ طائِفَةً منهم، وهم السّامِرَةُ لا يُقِرُّون بنُبُوَّةِ أحدٍ بعدَ موسى إلَّا يُوشَعَ بنِ نونٍ؛ لأنَّه مُصَرَّحٌ به فى التَّوْراةِ، ويَكْفُرون بما وراءَه، وهو الحقُّ مِن ربِّهم، فعليهم لعائِنُ اللَّهِ المُتَتابِعَةُ إلى يومِ القِيامةِ.

وأمّا ما حكاه ابنُ جَرِيرٍ[٥] وغيرُه مِن المفسِّرين، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، مِنْ أنّ النُّبوَّةَ حُوِّلَتْ مِن موسى إلى يُوشَعَ فى آخِرِ عُمْرِ موسى، فكان موسى يَلْقَى يُوشَعَ فيسألُه ما أحْدَثَ اللَّهُ إليه من الأوامرِ والنّواهِى، حتى قال له: يا كليمَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تقدم فى صفحة ١٦٩.

(٣) تقدم فى صفحة ١٧٤.

(٤) سفر يشوع الأصحاح ١/ ١، ٢.

(٥) تاريخ الطبرى ١/ ٤٣٣.

اللَّهِ ، إنِّى كنتُ لا أسألُك عمّا كان يوحِى اللَّهُ إليكَ ، حتى تُخْبِرَنى أنتَ ابتداءً مِن تلقاءِ نفسِك . فعندَ ذلك كَرِه موسى الحياةَ ، وأَحَبَّ الموتَ . ففى هذا نَظَرٌ ؛ لأنّ موسى ، عليه السّلامُ ، لم يَزَلِ الأمرُ والوَحْىُ ، والتّشريعُ ، والكلامُ مِن اللَّهِ تعالى إليه فى جميعِ أحوالِه ، حتى تَوَفّاه اللَّهُ ، عزّ وجلّ ، ولم يَزَلْ معزَّزًا ، مُكَرَّمًا ، مُدَلَّلًا ، وَجِيهًا عندَ اللَّهِ ، كما قدَّمْنا[1] فى « الصّحيحِ » ، مِن قِصةِ فَقْئِه عينَ مَلَكِ الموتِ ، ثُم [١/٢٠٠و] بَعَثَه اللَّهُ إليه إنْ كان يريدُ الحياةَ فَلْيَضَعْ يدَه على جِلْدِ ثَوْرٍ ، فله بكلِّ شَعْرَةٍ وارَتْ يدُه سَنةٌ يعيشُها ، قال : ثُمَّ ماذا ؟ قال : المَوتُ . قال : فالآنَ ياربِّ . وسألَ اللَّهَ أنْ يُدْنِيَه إلى بيتِ المَقْدِسِ رَمْيةً بحَجَرٍ ، وقد أُجِيبَ إلى ذلك ، صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه ، فهذا الذى ذكره محمدُ بنُ إسحاقَ ، إنْ كان إنّما يقولُه مِن كُتُبِ أهلِ الكتاب ، ففى كتابِهم الذى يُسمُّونه التّوراةَ ، أنّ الوحىَ لم يَزَلْ يَنزِلُ على موسى فى كلِّ أمرٍ[2] يحتاجون إليه ، إلى آخرِ مدةِ موسى ، كما هو المعلومُ مِن سياقِ كتابِهم عندَ تابُوتِ الشّهادةِ فى قُبَّةِ الزّمانِ[3] . وقد ذَكَرُوا فى السِّفْرِ الثّالثِ[4] ، أنّ اللَّهَ أمرَ موسى وهارونَ أَنْ يَعُدَّا بَنى إسرائيلَ على أسباطِهم ، وأنْ يَجْعلا على كلِّ سِبْطٍ من الاثْنَىْ عَشَرَ أميرًا ، وهو النّقيبُ ، وما ذاك إلا ليَتَأَهَّبُوا للقتالِ ؛ قتالِ الجبّارين عندَ الخروجِ مِن التِّيهِ ، وكان هذا عندَ اقترابِ انقضاءِ الأربعين سنةً . ولهذا قال بعضُهم : إنّما فقأ موسى ، عليه السّلامُ ، عينَ مَلَكِ الموتِ ؛ لأنّه لم يَعْرِفْه فى صورتِه تلك ، ولأنّه

---

(١) تقدم ص ٢٢١ .
(٢) فى م : « حين » .
(٣) سفر الخروج الأصحاح ٧/٣٣ - ١١.
(٤) أى الأصحاح الأول من سفر العدد ، فيما هو موجود الآن فى كتابهم .

كان قد أُمِرَ بأَمْرٍ كان يَرْتَجِى وقُوعَه فى زمانِه، ولم يَكُنْ فى قَدَرِ اللَّهِ أنْ يقعَ ذلك فى زمانِه، بل فى زمانِ فتاه يُوشَعَ بنِ نونٍ، عليه السّلامُ، كما أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قد أرادَ غَزْوَ الرُّومِ بالشّامِ، فوصلَ إلى تَبُوكَ، ثم رَجَعَ عامَه ذلك فى سنةِ تِسْعٍ، ثم حجَّ فى سنةِ عَشْرٍ، ثم رَجَعَ فجهَّزَ جيشَ أسامةَ إلى الشّامِ، طليعةً بينَ يديه، ثُم كان على عَزْمِ الخروجِ إليهم؛ امتثالًا لقولِه تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]. ولمّا جهّز رسولُ اللَّهِ جيشَ أسامةَ، تُوُفِّىَ، عليه الصّلاةُ والسّلامُ، وأسامةُ مُخَيِّمٌ بالجُرْفِ، فنَفَّذَه صديقُه وخليفتُه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، ثم لمّا لمَّ شَعَثَ جزيرةِ العربِ، وما كان وَهِىَ[1] مِن أمرِ أهلِها، وعاد الحقُّ إلى نِصابِه، جَهّزَ الجيوشَ يَمْنةً ويَسْرةً إلى العِراقِ، أصحابِ كِسْرَى مَلِكِ الفُرسِ، وإلى الشّامِ أصحابِ قَيْصَرَ مَلِكِ الرّومِ، ففتحَ اللَّهُ لهم، ومكَّن لهم وبهم، وملَّكهم نواصِىَ أعدائِهم، كما سنوردُه فى موضِعِه، إذا انتهيْنا إليه مفصَّلًا، إنْ شاء اللَّهُ تعالى، بعونِه وتوفيقِه، وحُسْنِ إرشادِه. وهكذا موسى عليه السلامُ؛ كان اللَّهُ تعالى قد أَمَرَه أَنْ يُجَنِّدَ بنى إسرائيلَ، وأنْ يَجْعَل عليهم نُقَبَاءَ، كما قال تعالى[2]: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ [١/٢٠٠ظ] نَقِيبًا ﴾. وقال اللَّهُ[2]: ﴿ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا

---

(١) فى م: «دهى».

(٢) التفسير ٣/٦٠ - ٦٢.

حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢]. يقولُ لهم: لَئِنْ قُمْتم بما أوْجَبْتُ عليكم، ولم تَنْكِلُوا عن القتالِ، كما نَكَلْتُم أوّلَ مرةٍ، لأُجْعَلنَّ ثوابَ هذه مكفِّرًا لِمَا وَقَعَ عليكم مِن عقابِ تلك، كما قال تعالى لِمَنْ تَخَلَّفَ مِن الأعرابِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى عمرةِ[1] الحُدَيْبِيَةِ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. [الفتح: ١٦] وهكذا قال تعالى لبنى إسرائيلَ: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾. ثم ذمَّهُم اللَّهُ تعالى على سُوءِ صَنِيعِهم، ونَقْضِهم مَواثِيقَهم، كما ذمَّ مَن بعدَهم مِن النَّصارَى على اختلافِهم فى دينِهم وأديانِهم. وقد ذكرْنا ذلك فى «التَّفسيرِ»[2] مُسْتَقْصًى، وللَّهِ الحمدُ.

والمقصودُ أَنَّ اللَّهَ تعالى أَمَرَ موسى، عليه السّلامُ، أنْ يَكْتُبَ أسماءَ المُقاتِلةِ مِن بنى إسرائيلَ، مِمَّن يَحمِلُ السِّلاحَ ويقاتِلُ، مِمّن بَلَغَ عشرين سنةً فصاعِدًا، وأنْ يجعلَ على كلِّ سِبْطٍ نَقِيبًا منهم؛ السِّبْطُ الأولُ سِبطُ رُوبيلَ؛ لأنّه بِكْرُ يعقوبَ، كان عِدَّةُ المُقاتِلةِ منهم ستةً وأربعين ألفًا وخمسَمائةٍ، ونقيبُهم منهم، وهو أَلِيصُورُ بنُ شَدَيْئُورَا، السِّبطُ الثانى سِبْطُ شمعونَ، وكانوا تِسْعَةً وخمسين ألفًا وثلاثَمائةٍ، ونقيبُهم شَلُومِيئِيلُ بنُ هُورِيشَدَّاى، السِّبطُ الثّالثُ سِبطُ يَهُوذَا،

---

(١) فى م: «غزوة».
(٢) التفسير ٣/ ٦٢.

وكانوا أربعةً وسبعين ألفًا وستَّمائةٍ، ونقيبُهم نَحْشُونُ بنُ عَمِّيناداب، السِّبطُ الرّابعُ سِبْطُ إِيسَّاخَرَ، وكانوا أربعةً وخمسين ألفًا وأربعَمائةٍ، ونقيبُهم نَشائِيلُ بنُ صُوغَرَ، السِّبْطُ الخامسُ سِبْطُ يوسفَ، عليه السَّلامُ، وكانوا أربعين ألفًا وخمسَمائةٍ، ونقيبُهم يُوشَعُ بنُ نونٍ، السِّبْطُ السّادسُ سِبْطُ ميشا، وكانوا أحدًا وثلاثين ألفًا ومائتين، ونقيبُهم جَمْلِيئِيلُ بنُ فَدَهْصُورَ. السِّبْطُ السّابعُ سِبطُ بنيامينَ، وكانوا خمسةً وثلاثين ألفًا وأربعَمائةٍ، ونقيبُهم أَبِيدَنُ بنُ جِدعُونَ، السِّبْطُ الثّامنُ سِبْطُ جادَ، وكانوا خمسةً وأربعين ألفًا وستَّمائةٍ وخمسين رجلًا، ونقيبُهم الياسافَ بنُ رَعُوئِيلَ، السِّبطُ التّاسعُ سِبْطُ أَشِيرَ، وكانوا أحدًا وأربعين ألفًا وخمسَمائةٍ، ونقيبُهم فجْعِيئِيلُ بنُ عُكْرَنَ، السِّبطُ العاشرُ سِبْطُ دانَ، وكانوا اثنين وستين ألفًا وسبعَمائةٍ، ونقيبُهم أَخِيعَزَرُ [٢٠١/١و] بنُ عَمِّيشَدَّاى، السِّبطُ الحادىَ عَشَرَ سِبْطُ نِفْتالى، وكانوا ثلاثةً وخمسين ألفًا وأربعَمائةٍ، ونقيبُهم أَخِيرَعُ بنُ عينَ، السِّبطُ الثانىَ عَشَرَ سبطُ زَبُولُونَ، وكانوا سبعةً وخمسين ألفًا وأربعَمائةٍ، ونقيبُهم ألبابُ بنُ حِيلُونَ. هذا نصُّ كتابِهم[1] الذى بأيديهم. واللَّهُ أعلمُ. وليس منهم بنو لاوى، فأَمَرَ اللَّهُ موسى أنْ لا يَعُدَّهم معهم؛ لأنَّهم مُوَكَّلون بحَمْلِ قُبَّةِ الشّهادةِ، وخَزْنِها[2] ونَصْبِها، إذا ارْتَحَلُوا، وهم سِبْطُ موسى وهَارُونَ، عليهما السّلامُ، وكانوا اثنين وعشرين ألفًا، مِن ابنِ شهرٍ فما فوقَ ذلك، وهم فى أنفسِهم قبائلُ، إلى كلِّ قبيلةٍ طائفةٌ مِن قُبَّةِ الزّمان يَحْرُسونها، ويَحْفظُونها، ويَقُومون بمَصالِحِها، ونَصْبِها، وحَمْلِها، وهم كلُّهم

---

(١) سفر العدد، الأصحاح ٢٠/١ - ٤٧.

(٢) فى م: «وضربها».

حولَها يَنزِلون ويَرتحِلُون أمامَها ويمينَها وشِمالَها ووراءَها .

وجملةُ ما ذُكِر مِن المقاتِلةِ ، غيرَ بنى لاوى ، خمسُمائةِ ألفٍ وأحدٌ وسبعون ألفًا وستُّمائةٍ وستةٌ وخمسون ، لكنْ قالوا : فكان عددُ بنى إسرائيلَ ، مِمّن عمرُه عشرون سنةً فما فوقَ ذلك ، مِمّن حَمَل السِّلاحَ ، ستَّمائةِ ألفٍ وثلاثةَ آلافٍ وخمسَمائةٍ[1] وخمسين رجلًا ، سوى بنى لاوى . وفى هذا نَظَرٌ ؛ فإنّ جميعَ الجملِ المتقدِّمةِ ، إنْ كانت كما وجدْنا فى كتابِهم ؛ لا تطابِقُ الجملةَ التى ذَكَرُوها . واللَّهُ أعلمُ . فكان بنو لاوى ، المُوَكَّلون بحِفْظِ قُبَّةِ الزّمانِ ، يسيرون فى وَسْطِ بنى إسرائيلَ وهُمُ القلبُ ، ورأسُ المَيْمَنَةِ بنو روبيلَ ، ورأسُ الميسرةِ بنو رَانَ ، وبنو نفتالى يكوِّنون ساقَةً ، وقرّر موسى ، عليه السّلامُ ، بأمرِ اللَّهِ تعالى له ، الكهانةَ فى بنى هارونَ ، كما كانت لأبيهم مِن قبلِهم ، وهم : ناداب ، وهو بِكْرُه ، وأبيهو ، والعازرُ ، ويثمرُ .

والمقصودُ أنّ بنى إسرائيلَ لم يَبْقَ منهم أحدٌ مِمّن كان نَكَل عن دخولِ مدينةِ الجبّارين ، الذين قالوا : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . قاله الثّورِىُّ ، عن أبى سعيدٍ[2] عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ[3] . وقالَه قَتادةُ وعِكْرِمةُ ، ورواه السُّدِّىُّ ، عن ابنِ عباسٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وناسٍ مِن الصّحابةِ[4] ، حتى قال ابنُ عباسٍ ، وغيرُه مِن علماءِ السّلفِ والخَلَفِ : ومات موسى ، وهارونُ قبلَه ، كلاهما فى التِّيهِ جميعًا . وقد زَعَمَ ابنُ

---

(١) بعده فى ح : « وخمسة » .

(٢) فى الأصل : « سعد » .

(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٤٣٥، وتفسيره ٦/ ١٨٣.

(٤) تاريخ الطبرى ١/ ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٧، وتفسيره ١/ ١٨٢، ١٨٣.

إسحاقَ أنّ الذى فَتَحَ بيتَ المقدسِ هو موسى ، وإنّما كان يُوشَعُ على مُقدِّمتِه ، وذكر فى مُرورِه إليها قِصةَ بلعامَ بنِ باعوراء ، الذى قال تعالى فيه : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ [١/ ٢٠١ظ] هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥- ١٧٧] . وقد ذكرْنا قصّتَه فى « التّفسيرِ »[1] ، وأنه كان فيما قالَه ابنُ عباسٍ وغيرُه ، يعلمُ الاسمَ الأعظمَ ، وأنَّ قومَه سألوه أنْ يدعوَ على موسى وقومِه ، فامْتَنَعَ عليهم ، فَلَمَّا أَلَحُّوا عليه ، رَكِبَ حِمارةً له ، ثم سار نحوَ مُعَسْكرِ بنى إسرائيلَ ، فلمّا أشرفَ عليهم ، رَبَضَتْ به حِمارتُه ، فضربَها حتى قامَتْ ، فسارتْ غيرَ بعيدٍ ورَبَضَتْ ، فضربَها ضَرْبًا أَشَدَّ مِن الأولِ فقامتْ ، ثم رَبَضَتْ فضربها ، فقالتْ له : يا بِلعامُ ، أين تذهبُ ؟ أما ترى الملائكةَ أمَامى ، تَرُدُّنى عن وَجْهِى هذا ، أتذهبُ إلى نَبِىِّ اللَّهِ والمؤمنين تدعُو عليهم ؟ فلم يَنْزِعْ عنها ، فضربها حتى سارتْ به ، حتى أشرفَ عليهم مِن رأسِ جبلِ حُسْبَانَ ، ونظرَ إلى مُعَسْكَرِ موسى وبنى إسرائيلَ ، فأخذ يدعُو عليهم ، فجعل لسانُه لا يُطِيعُه إلا أنْ يدعوَ لموسى وقومِه ، ويدعوَ على قومِ نفسِه ، فلامُوه على ذلك ، فاعْتَذَر إليهم بأنّه لا يَجْرِى على لسانِه إلَّا هذا ، وانْدَلَعَ لسانُه حتى وَقَع على صدرِه ، وقال لقومِه : ذهبتْ منِّى الآنَ الدُّنيا والآخرةُ ، ولم يَبْقَ إلَّا المكْرُ والحيلةُ . ثم أَمَرَ قومَه

---

(١) التفسير ٣/٥٠٧ - ٥١٢. وانظر تفسير الطبرى ٩/١٢٤ - ١٢٦.

أنْ يُزَيِّنُوا النّساءَ ، ويَبْعَثُوهُنَّ بالأمْتِعةِ يَبِعْن عليهم ، ويتَعَرَّضْنَ لهم ، حتى لعلَّهم يَقَعُون فى الزِّنى ، فإنّه متى زنَى رجلٌ منهم كُفِيتُموهم . ففَعَلُوا وزيَّنوا نساءَهم ، وبَعَثُوهنَّ إلى المعسكرِ ، فمرّتِ امرأةٌ منهم اسمُها كستى ، برجُلٍ مِن عظماءِ بنى إسرائيلَ ، وهو زِمْرِىُّ بنُ شلومَ ، يُقالُ : إنّه كان رأسَ سِبْطِ بنى شمعونَ بنِ يعقوبَ . فدخل بها قُبّتَه ، فلمّا خلا بها ، أرسلَ اللَّهُ الطّاعونَ على بنى إسرائيلَ ، فجعل يَجُوسُ فيهم الموتُ ، فلمّا بَلَغ الخبرُ إلى فنحاصَ بنِ العيزارِ بنِ هارونَ ، أخذ حَرْبَتَه ، وكانت مِن حديدٍ ، فدَخَل عليهما القُبّةَ ، فانْتَظَمَهما جميعًا فيها ، ثم خرجَ بهما على النّاسِ والحَرْبَةُ فى يدِه ، وقد اعتمدَ على خاصِرَتِه ، وأسندَها إلى لِحيَتِه ، ورَفَعَهما نحوَ السّماءِ ، وجعل يقولُ : اللهمَّ هكذا نَفعَلُ بمَن يَعصِيكَ . ورَفَعَ اللَّهُ الطّاعونَ ، فكان جملةُ مَن مات منهم فى تلك السّاعَةِ سبعين ألفًا ، والمُقَلِّلُ يقول : عشرين ألفًا . وكان فنحاصُ بِكْرَ أبيه العيزارِ بنِ هارونَ ، فلهذا يَجْعَلُ بنو إسرائيلَ لولدِ فنحاصَ (١مِنَ الذّبيحةِ١) القِبَةَ(٢) والذِّراعَ واللَّحْىَ ، ولهم البِكرَ مِن كلِّ أموالِهم وأنفُسِهم . وهذا الذى ذَكَره ابنُ إسحاقَ مِن قصةِ بلعامَ صحيحٌ قد ذكره غيرُ واحدٍ مِن علماءِ السَّلفِ ، لكنْ [٢٠٢/١و] لعلَّه لمّا أراد موسى دخولَ بيتِ المقدِسِ ، (٣أوّلَ مَقْدَمِه مِن الدِّيارِ المصريةِ ، ولعلَّه مُرادُ ابنِ إسحاقَ ، ولكنْ ما فَهِمَه بعضُ النّاقلين عنه . وقد قدَّمْنا عن نصِّ التَّوْراةِ ما يشهدُ لبعضِ هذا . واللَّهُ أعلمُ . ولعلَّ هذه قصةٌ أخرى كانت فى خلالِ٣)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « اللية » . والقِبَة من الشاة - بكسر القاف وفتح الباء مخففة - : هَنَةٌ ذاتُ أطباق أسفل الكَرِش إلى جنبها ، لا يخرج منها الفرث أبدًا . الوسيط (ق ب و) .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

[1] سَيْرِهم فى التِّيهِ ، فإنَّ فى هذا السّياقِ ذِكْرَ حُسْبَانَ ، وهى بعيدةٌ عن أرضِ بيتِ المَقْدِسِ ، أو لعلَّه كان هذا لجيشِ موسى ، الذين عليهم يُوشَعُ بنُ نونٍ ، حينَ خَرَج بهم مِن التِّيهِ قاصدًا بيتَ المقدِسِ [1] ، كما صرَّح به السُّدِّىُّ [2] . واللَّهُ أعلمُ .

وعلى كلِّ تقديرٍ ، فالذى عليه الجمهورُ ، أنّ هارونَ تُوُفِّىَ بالتِّيهِ قَبْلَ موسى أخيه بنحوٍ مِن سنتين . وبعدَه موسى فى التِّيهِ أيضًا ، كما قدَّمْنا [3] ، وأنّه سأل ربَّه أنْ يُقَرِّبَ إلى بيتِ المقدسِ ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، فكان الذى خَرَج بهم مِن التِّيهِ وقَصَدَ بهم بيتَ المقدِسِ هو يُوشَعُ بنُ نونٍ ، عليه السّلامُ ، فذَكَرَ أهلُ الكتابِ ، وغيرُهم مِن أهلِ التّاريخِ [4] ، أنّه قَطَعَ بِبَنِى [5] إسرائيلَ ، نهرَ الأُرْدُنِّ ، وانتهى إلى أَرِيحَا ، وكانت مِن أحْصَنِ المدائنِ سُورًا ، وأعلاها قُصورًا ، وأكثرِها أهلًا ، فحاصَرَها ستةَ أشهُرٍ ، ثُم إنَّهم أحاطوا بها يومًا ، وضربوا بالقُرونِ ، يعنى الأبواقَ ، وكبَّروا تكبيرةَ رجلٍ واحدٍ ، فتَفَسَّخ سُورُها ، وسَقَطَ وَجْبَةً واحدةً ، فدَخَلُوها ، وأخَذُوا ما وَجَدُوا فيها مِن الغنائمِ ، وقَتَلُوا اثْنَىْ عَشَرَ أَلْفًا مِن الرّجالِ والنّساءِ ، وحاربوا مُلُوكًا كثيرةً ، ويُقالُ : إنَّ يُوشَعَ ظَهَرَ على أحدٍ وثلاثين مَلِكًا مِن ملوكِ الشّامِ . وذكروا أنّه انتهى محاصرتُه لها إلى يومِ جُمُعَةٍ بعد العصرِ ، فلمّا غَرَبتِ الشّمسُ ، أو كادتْ تَغْرُبُ ، ويَدْخُلُ عليهم السّبتُ الذى جُعِل

(١ - ١) سقط من : ح .
(٢) تقدم ص ٢٢٣ .
(٣) تقدم ص ٢٢٣ .
(٤) تاريخ الطبرى ١/ ٤٤١، ٤٤٢. سفر يشوع الأصحاح ١ - ١٠.
(٥) فى النسخ : « بنى » . وأثبتنا ما يستقيم به السياق .

عليهم، وشُرِع لهم ذلك الزّمانَ، قال لها: إنّك مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهمَّ احبِسْها عليَّ. فحبسَها اللَّهُ عليه، حتى تمكَّن مِن فَتْحِ البلدِ، وأُمِرَ القمرُ، فوَقَف عن الطُّلُوعِ، وهذا يقْتَضِى أنَّ هذه الليلةَ كانت الليلةَ الرّابعةَ عَشْرَةَ مِن الشّهرِ. والأولُ[1]، وهو قصّةُ الشّمسِ مذكورةٌ[2] فى الحديثِ الذى سأذكرُه. وأمّا قصةُ القمرِ، فمن عندِ أهلِ الكتابِ، ولا يُنافِى الحديثَ، بل فيه زيادةٌ تُستَفادُ، فلا تُصَدَّقُ ولا تُكَذَّبُ، ولكنَّ ذِكْرَهم أنّ هذا كان فى فتحِ أَرِيحَا، فيه نَظَرٌ، والأشبهُ، واللَّهُ أعلمُ، أَنَّ هذا كان فى فتحِ بيتِ المقدِسِ، الذى هو المقصودُ الأعظمُ، وفتحُ أَرِيحَا كان وسيلةً إليه. واللَّهُ أعلمُ.

قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا أسْوَدُ بنُ عامرٍ، حدَّثنا أبو بكرٍ، عن هشامٍ، عن ابنِ سِيرِينَ، عن أبى هُرَيْرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنّ الشَّمسَ [١/٢٠٢ظ] لم تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إلَّا ليُوشَعَ لَيالِىَ سارَ إلى بيتِ المقدِسِ». انفردَ به أحمدُ مِن هذا الوجهِ، وهو على شرطِ البخارىِّ. وفيه دَلالةٌ على أنّ الذى فَتَحَ بيتَ المقدِسِ هو يُوشَعُ بنُ نونٍ، عليه السّلامُ، لا موسى، وأنَّ حَبْسَ الشَّمسِ كان فى فتحِ بيتِ المقدِسِ لا أَرِيحَا، كما قُلْنا. وفيه أنّ هذا كان مِن خَصائصِ يُوشَعَ، عليه السّلامُ، فيَدُلُّ على ضَعْفِ الحديثِ الذى رَوَيْنَاه؛ أنّ الشَّمسَ رَجَعَتْ حتى صلَّى علىُّ بنُ أبى طالبٍ صلاةَ العصرِ، بعدَما فاتَتْه، بِسببِ نومِ النَّبىِّ ﷺ على رُكْبَتِه، فسأل رسولَ اللَّه ﷺ أنّ يَرُدَّها عليه، حتى يُصلِّىَ

---

(١) فى م: «الأول».

(٢) فى م: «المذكورة».

(٣) أحمد فى المسند ٢/ ٣٢٥. (السلسلة الصحيحة ٢٠٢).

العصرَ، فرَجَعَتْ[1]. وقد صحَّحه أحمدُ[2] بنُ صالحٍ المصريُّ، ولكنَّه مُنكَرٌ، ليس فى شَىْءٍ مِن الصِّحاحِ ولا الحِسانِ، وهو ممّا تتوفَّرُ الدّواعِى على نقْلِه، وتفرَّدَتْ بنقلِه امرأةٌ مِن أهلِ البيتِ مجهولةٌ، لا يُعْرَفُ حالُها. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدثنا عبدُ الرَّزّاقِ، حدثنا مَعْمَرٌ، عن همّامٍ، عن أبى هُرَيرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نبىٌّ مِن الأنبياءِ، فقال لقومِه: لا يَتْبَعْنِى رجلٌ قد مَلَكَ بُضْعَ امرأةٍ، وهو يريدُ أنْ يَبْنِىَ بها، ولمَّا يَبْنِ، ولا آخرُ قد بَنَى بُنْيانًا ولم يَرْفَعْ سَقْفَها، ولا آخرُ قد اشترى غَنَمًا أو خَلِفاتٍ، وهو يَنتظرُ أولادَها. فغَزَا، فدَنَا مِن القريةِ حين صَلَّى العصرَ أو قريبًا مِن ذلك، فقال للشمسِ: أنتِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهمَّ احبِسْها علىَّ شيئًا. فحُبِسَتْ عليه، حتى فَتَحَ اللَّهُ عليه، فَجَمَعُوا ما غَنِمُوا، فأَقْبَلَتِ النارُ لتأكُلَه، فأَبَتْ أنْ تَطْعَمَه فقال: فيكم غُلُولٌ، فَلْيُبايِعْنِى مِن كلِّ قبيلةٍ رجلٌ. فبايَعوه، فلَصِقَتْ يدُ رَجُلٍ بيدِه، فقال: فيكم الغُلُولُ، ولتُبايِعْنِى قبيلتُك. فبايَعَتْه قبيلَتُه، فلصِقَ بيدِ رَجُلَيْنِ أو ثلاثةٍ، فقال: فيكُمُ الغُلُولُ، أنتم غَللتُم. فأخرَجُوا له مثلَ رَأسِ بَقَرَةٍ مِن ذَهَبٍ، قال: فوضعوه بالمالِ، وهو بالصّعيدِ، فأقبلَتِ النّارُ فأكلَتْه، فلم تَحِلَّ الغنائمُ لأحدٍ مِن قَبْلِنَا، ذلك بأنّ اللَّهَ رأى ضَعْفَنا وعَجْزَنا، فطيَّبها لنا». انفردَ به مسلمٌ مِن هذا الوجهِ[4].

---

(١) الطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٨، ٩. والطبرانى فى الكبير (٣٨١). موضوع (السلسلة الضعيفة ٩٧١).

(٢) فى ح، م: «على». انظر تهذيب الكمال ١/ ٣٤٠ - ٣٥٤.

(٣) المسند ٢/ ٣١٨. (صحيح).

(٤) مسلم (١٧٤٧).

وقد روى البزّارُ[1] مِن طريقِ مباركِ [2]بنِ فَضَالةَ[2]، عن عُبيدِ اللَّهِ، عن سعيدِ المَقْبُرِيِّ، عن أبى هُرَيرةَ، عن النَّبىِّ ﷺ [3]نحوَه. قال: ورواه محمدُ بنُ عَجْلانَ، عن سعيدِ المَقْبُرِيِّ، قال: ورواه قَتادةُ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، عن أبى هُرَيْرةَ، عن النّبىِّ ﷺ[3].

والمقصودُ أنّه لمّا دخَل بهم بابَ المدينةِ، أُمِروا أنْ يَدْخُلوها سُجَّدًا؛ أى رُكَّعًا مُتَواضِعينَ شَاكِرين للَّهِ، عزَّ وجلَّ، على ما مَنَّ به عليهم مِن الفتحِ العظيمِ، الذى كان اللَّهُ وَعَدَهم إيّاه، وأن يقولوا حالَ دخولِهم: حِطَّةٌ. أَىْ؛ حُطَّ عنّا خَطَايَانا التى سَلَفَتْ مِن نُكُولِنا الذى تقدَّم منّا. ولهذا لمّا دخلَ [١/ ٢٠٣و] رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ فَتَحَها، دَخَلَها وهو راكبٌ ناقتَه، وهو متواضِعٌ حامِدٌ شاكِرٌ، حتى إنَّ عُثْنُونَه، وهو طَرَفُ لِحْيتِه، لَيَمَسُّ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، ممّا يُطَأْطِئُ رأسَه خُضْعانًا للَّهِ، عزَّ وجلَّ، ومعه الجنودُ والجيوشُ، مِمّن لا يُرَى منه إلا الحَدَقُ لا سيَّما الكتيبةُ الخضراءُ، التى فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثُم لمّا دَخَلَها، اغتسلَ وصلَّى ثمانىَ رَكَعاتٍ[4]. وهى صلاةُ الشُّكْرِ على النّصرِ، على المنصورِ مِن قَوْلَىِ العلماءِ. وقيل: إنّها صلاةُ الضُّحَى. وما حَمَل هذا القائلَ على قولِه هذا، إلّا لأنّها وقعتْ وقتَ الضُّحَى[5]. وأمّا بنو إسرائيلَ، فإنّهم خالَفُوا ما أُمِرُوا به قولًا وفعلًا؛ دَخَلُوا البابَ يزحَفون[6] على أَسْتاهِهم وهم

---

(١) ومن طريق مبارك بن فضالة، أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٣٩/٢ وقال: غريب صحيح، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى.

(٢ - ٢) فى الأصل: «وفضالة».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) البخارى (١١٧٦). مسلم (٣٣٦).

(٥) انظر فتح البارى ٥٢/٣ - ٥٥.

(٦) فى الأصل: «يرجفون».

يقولون : حَبَّةٌ فى شَعْرَةٍ[1] . وفى روايةٍ[2] : حِنْطَةٌ فى شَعْرَةٍ . وحاصِلُه : أنّهم بدَّلُوا ما أُمِرُوا به ، واستهزءوا به ، كما قال تعالى ، حاكِيًا عنهم فى سورةِ « الأعرافِ » ، وهى مَكيةٌ : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦١، ١٦٢] . وقال تعالى فى سورةِ « البَقَرَةِ » وهى مَدَنِيَّةٌ مُخاطِبًا لهم : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٨، ٥٩] . قال الثَّوْرِىُّ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ[3] عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ قال : رُكَّعًا مِن بابٍ صغيرٍ . رواه الحاكمُ ، وابنُ جَريرٍ ، وابنُ أبى حاتمٍ[4] ، وكذا رَوَى العَوفِىُّ[5] ، عن ابنِ عباسٍ . وكذا رَوَى الثورىُّ[6] ، عن أبى[7] إسحاقَ ، عن البَرَاءِ . قال مجاهدٌ والسُّدِّىُّ ،

---

(١) البخارى (٣٤٠٣) . مسلم (٣٠١٥) .

(٢) المسند ٢/ ٣١٢. (إسناده صحيح) .

(٣) فى الأصل : « عن » .

(٤) الحاكم فى المستدرك ٢/٢٦٢ مطولًا . والطبرى فى التفسير ١/ ٣٠٠. وابن أبى حاتم فى التفسير ١/ ١٨٢.

(٥) التفسير ١/ ١٤٠.

(٦) التفسير ١/ ١٤٢.

(٧) فى م ، ص : « ابن » .

والضَّحّاكُ[1] : البابُ هو بابُ حِطّةٍ مِن بيتِ إيلِيَاءَ، بيتِ المقدسِ. قال ابنُ مسعودٍ[2] : فدخلُوا مُقْنِعِى رءُوسِهم، ضدَّ ما أُمِروا به. وهذا لا يُنافى قولَ ابنِ عباسٍ، أنّهم دَخَلُوا يَزحَفون على أَسْتَاهِهم[3] . وهكذا فى الحديثِ الذى سنوردُه بعدُ، فإنّهم دخلُوا يَزحَفُون وهم مُقْنِعُو رءُوسِهم. وقولُه: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ الواوُ هنا حاليّةٌ، لا عاطفةٌ أى ادْخُلُوا سُجَّدًا فى حالِ قَوْلِكم: حِطَّةٌ. قال ابنُ عباسٍ، وعَطاءٌ، والحسنُ، وقَتادةُ، والرّبيعُ: أُمِرُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا[4] .

قال البخاريُّ[5] : حدثنا محمدٌ، حدثنا عبدُ الرّحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، عن ابنِ المباركِ، عن مَعْمَرٍ، عن همّامٍ [١/٢٠٣ظ] بنِ مُنَبِّهٍ، عن أبى هُرَيرةَ، عن النّبىِّ ﷺ، قال: «قِيل لبنى إسرائيلَ: ادخُلُوا البابَ سُجَّدًا، وقولُوا حِطَّةٌ. فدَخَلُوا يَزحَفُون على أَسْتاهِهم، فبدَّلوا وقالوا: حِطّةٌ؛ حَبَّةٌ فى شَعْرَةٍ». وكذا رواه النّسائىُّ مِن حديثِ ابنِ المباركِ ببعضِه[6] ، ورواه عن محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، عن ابنِ مَهْدِيٍّ به موقوفًا[7] . وقد قال عبدُ الرّزّاقِ: أنبأنا مَعْمَرٌ، عن همّامِ بنِ مُنَبِّهٍ، أنّه سَمِع أبا هُرَيرةَ يقولُ: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «قال اللّهُ لبنى إسرائيلَ ﴿ ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ فبدَّلُوا فدَخَلُوا البابَ يَزحَفُون على

---

(١) التفسير ١/ ١٤٠. تفسير الطبرى ١/ ٢٩٩. تفسير ابن أبى حاتم ١/ ١٨٢.

(٢) التفسير ١/ ١٤٠. تفسير ابن أبى حاتم ١/ ١٨٣.

(٣) أخرج الطبرى فى التفسير ١/ ٣٠٤ بإسناده إلى ابن عباس، قال: فدخلوا على أستاههم مقنعى رءُوسهم.

(٤) التفسير ١/ ١٤٠. تفسير الطبرى ١/ ٣٠٠. تفسير ابن أبى حاتم ١/ ١٨٣، ١٨٤.

(٥) البخارى (٤٤٧٩).

(٦) النسائى فى الكبرى (١٠٩٩٠).

(٧) النسائى فى الكبرى (١٠٩٨٩).

أَسْتَاهِهِم ، فقالوا : حَبَّةٌ فى شَعْرَةٍ » . ورواه البخارىُّ ، ومسلمٌ ، والتِّرْمِذِىُّ ، مِن حديثِ عبدِ الرَّزّاقِ[1] ، وقال التِّرْمِذِىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : كان تبديلُهم ، كما حدّثنى صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عن صالحٍ مولَى التَّوْأَمَةِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، وعمّن لا أتَّهِمُ ، عن ابنِ عباسٍ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « دَخَلُوا البابَ الذى أُمِرُوا أنْ يَدْخُلُوا فيه سُجَّدًا ، يَزْحَفُون على أَسْتَاهِهِم ، وهم يقولُون : حِنْطَةٌ فى شعيرةٍ » . وقال أسباطٌ[3] عن السُّدِّىِّ ، عن مرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال فى قولِه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ قال : قالوا : (هطى سمقاثا أزبة مزبا) فهى بالعربيّةِ : حبّةٌ حِنْطَةٍ حمراءُ مثقوبةٌ ، فيها شعرةٌ سوداءُ . وقد ذكرَ اللَّهُ تعالى أنّه عاقبَهم على هذه المُخالفةِ بإرسالِ الرِّجْزِ الذى أنزلَه عليهم ، وهو الطّاعونُ ، كما ثَبَت فى «الصَّحيحَيْنِ»[4] مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ[5] ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، ومِن حديثِ مالكٍ[6] ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ وسالمٍ أبى النَّضْرِ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنّه قال : « إنّ هذا الوَجَعَ - أو السَّقَمَ - رِجْزٌ عُذِّبَ به بعضُ الأُمَمِ قبلكم » . ورَوى النّسائىُّ ، وابنُ أبى حاتمٍ[7] ، وهذا لفظُه ، مِن حديثِ الثَّورِىِّ ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن إبراهيمَ بنِ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ ،

---

(١) البخارى (٣٤٠٣، ٤٦٤١) . مسلم (٣١٠٥) . الترمذى (٢٩٥٦) .
(٢) تفسير الطبرى ١/ ٣٠٣. سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٥.
(٣) التفسير ١/ ١٤٢. تفسير ابن أبى حاتم ١/ ١٨٦. الحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٢١. وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبى .
(٤) فى ص : « الصحيح » .
(٥) البخارى (٦٩٧٤) . مسلم (٢٢١٨) .
(٦) البخارى (٣٤٧٣) . مسلم (٢٢١٨) .
(٧) النسائى فى الكبرى (٧٥٢٣) . تفسير ابن أبى حاتم ١/ ١٨٦، ١٨٧. (صحيح الإسناد) .

عن أبيه ، وأسامةَ بنِ زيدٍ ، وخُزَيمةَ بنِ ثابتٍ ، قالوا : (1) قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الطَّاعونُ رِجْزُ عذابٍ ، عُذِّب به مَن كان قبلَكم » . و(1) قال الضَّحّاكُ ، عن ابنِ عباسٍ : الرِّجْزُ : العذابُ . وكذا قال مُجاهدٌ ، وأبو مالكٍ ، والسُّدِّيُّ ، والحسنُ ، وقَتادةُ ، وقال أبو العاليةِ : هو الغضبُ . وقال الشَّعْبِيُّ : الرِّجْزُ إمَّا الطّاعونُ ، وإمّا البردُ . وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ : هو الطّاعونُ(2) .

ولمّا استقَرَّتْ يدُ بنى إسرائيلَ على بيتِ المقدِسِ ، استمرُّوا فيه ، وبين أَظْهُرِهم نبيُّ اللَّهِ يُوشَعُ ، يَحْكُمُ بينَهم بكتابِ اللَّهِ التَّوراةِ ، حتى قبضَه اللَّهُ إليه ، وهو ابنُ مائةٍ وسبعٍ وعشرين [١/٢٠٤و] سنةً ، فكان مدةُ حياتِه بعدَ موسى ، سبعًا وعشرين سنةً . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) انظر الأقوال السابقة فى تفسير الطبرى ١/ ٣٠٥، ٣٠٦. تفسير ابن أبى حاتم ١/ ١٨٧. التفسير ١/ ١٤٢.

[1] ذِكرُ قِصَّتَيِ [1] الخَضِرِ وإلْيَاسَ، عليهما السلامُ

أما الخَضِرُ، فقد تقدّمَ أنّ موسى، عليه السّلامُ، رَحَلَ إليه فى طَلَبِ ما عندَه مِن العلمِ اللَّدُنِّيِّ[2]، وقصَّ اللَّهُ مِن خبرِهما فى كتابِه العزيزِ، فى سورةِ «الكهفِ»[3]، وذكرْنا فى تفسيرِ ذلك هُنالِكَ[4]، وأوردْنا هنا ذِكْرَ الحديثِ[5] المصرِّحِ بذكرِ الخَضِرِ، عليه السّلامُ، وأنّ الذى رَحَل إليه هو موسى بنُ عِمْرانَ، نبيُّ بَنى إسرائيلَ، عليه السّلامُ، الذى أُنْزِلتْ عليه التّوراةُ.

وقد اخْتُلفَ فى الخَضِرِ؛ فى اسمِه، ونَسَبِه، ونبوّتِه، وحياتِه إلى الآنَ، على أقوالٍ سأذكرُها لك ههنا إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى وبحَولِه وقوّتِه.

قال الحافِظُ ابنُ عساكرَ[6]: يقال: إنّه الخَضِرُ بنُ آدمَ، عليه السّلامُ، لصُلْبِه. ثم رَوَى مِن طريقِ الدّارَقُطْنِيِّ[7]: حدَّثنا محمدُ بنُ الفتحِ القلانِسِيُّ، حدَّثنا العباسُ بنُ عبدِ اللَّهِ التَّرْقُفِيُّ حدثنا رَوَّادُ بنُ الجرّاحِ، حدَّثنا مُقَاتِلُ بنُ سُلَيْمانَ، عن الضَّحّاكِ، عن ابنِ عباسٍ قال: الخَضِرُ ابنُ آدمَ لصُلْبِه، ونُسِيَ له فى أَجَلِه حتى يُكذِّبَ الدَّجّالَ. وهذا منقَطِعٌ وغريبٌ. وقال أبو حاتمٍ سهلُ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ السِّجِسْتانِيُّ: سمِعتُ مَشْيَخَتَنا؛ منهم، أبو عبيدةَ وغيرُه،

(١ - ١) فى م: «قصتا».
(٢) سقط من: الأصل، ص.
(٣) التفسير ٥/١٧٠ - ١٨٥.
(٤) انظر ما تقدم ص ١٦٨.
(٥) تقدم ١٦٨ - ١٧٠.
(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٩.
(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٩، ٤٠٠.

قالوا : إنّ أطولَ بَنِى آدمَ عُمُرًا الخَضِرُ ، واسمُه : خَضِرونُ بنُ قابيلَ بنِ آدمَ[1] .

قال[2] : وذكرَ ابنُ إسحاقَ أَنَّ آدمَ ، عليه السّلامُ ، لمّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ أخبرَ بَنِيه أنّ الطُّوفانَ سيقعُ بالنّاسِ ، وأوصاهم إذا كان ذلك أَنْ يَحْمِلُوا جَسَدَه معهم فى السَّفينةِ ، وأنْ يَدْفِنُوه فى مكانٍ عيَّنَه لهم . فلمّا كان الطّوفانُ ، حملُوه معهم ، فلمّا هَبَطوا إلى الأرضِ ، أَمَر نوحٌ بنِيه أنْ يذهَبُوا ببدَنِه ، فيَدْفِنُوه حيثُ أَوْصَى ، فقالوا : إنّ الأرضَ ليس بها أنيسٌ ، وعليها وَحْشَةٌ ، فحرَّضَهُم ، وحثَّهم على ذلك . وقال : إنّ آدمَ دعا لِمَن يَلِى دفنَه بطولِ العُمُرِ ، فهابوا المسيرَ إلى ذلك الموضعِ فى ذلك الوقتِ ، فلم يَزَلْ جسدُه عندَهم ، حتى كان الخَضِرُ هو الذى تولَّى دفنَه ، وأَنْجَزَ اللَّهُ ما وعدَه ، فهو يَحْيَى إلى ما شاء اللَّهُ له أنْ يَحْيَى . وذكر ابنُ قُتَيْبَةَ فى « المعارفِ »[3] ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، أنّ اسمَ الخَضِرِ بَلْيا[4] . ويُقال : إيليا بنُ ملكانَ بنِ فالغَ بنِ عَابرَ بنِ شالخَ بنِ أَرْفَخْشَذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، عليه السّلامُ . وقال إسماعيلُ بنُ أبى أُوَيْسٍ[5] : اسمُ الخَضِرِ ، فيما بَلَغَنا - واللَّه أعلمُ - المُعَمَّرُ بنُ مالكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نصرِ بنِ الأَزْدِ . وقال غيرُه : هو خَضِرونُ بنُ عميايِيلَ بنِ اليَفز بنِ العيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ . ويُقالُ : هو أرميا [١/ ٢٠٤ظ] بنُ حلقيا . فاللَّهُ أعلمُ . وقِيل : إنّه كان ابنَ فِرْعَونَ صاحبِ موسى ، مَلِكِ مِصْرَ . وهذا غريبٌ جِدًّا . قال ابنُ الجَوْزِىِّ : رواه محمدُ بنُ أيوبَ ، عن ابنِ لَهِيعَةَ ، وهما ضعيفان . وقيل : إنّه ابنُ مالكٍ ، وهو أخو إلياسَ . قاله السُّدِّىُّ كما سيأتى .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠٠.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠٠.

(٣) المعارف ص ٤٢.

(٤) فى الأصل : « يليا » .

(٥) فى الأصل : « إدريس » . وانظر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٩.

وقيل: إنه كان على مُقَدِّمَةِ ذى القَرْنَيْنِ. وقِيل: كان ابنَ بعضِ مَن آمنَ بإبراهيمَ الخليلِ وهاجرَ معه. وقِيل: كان نبيًّا فى زمنِ بشتاسبَ بنِ لهراسبَ.

قال ابنُ جَريرٍ[1]: والصّحيحُ أنَّه كان متقدِّمًا فى زمنِ أفريدونَ بنِ أثفيانَ، حتى أدركَه موسى، عليهما السّلامُ. وروى الحافظُ ابن عساكرَ[2]، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنّه قال: الخَضِرُ أمُّه رُوميَّةٌ، وأبوه فارسيٌّ.

[3]وقد ورد ما يدلُّ على أنّه كان مِن بنى إسرائيلَ فى زمانِ فِرْعَوْنَ أيضًا. قال أبو زُرْعَةَ، فى «دلائلِ النُّبوةِ»[4]: حدّثنا صَفْوَانُ بنُ صالحٍ الدّمشقىُّ، حدثنا الوليدُ، حدثنا سعيدُ بنُ بَشيرٍ، عن قَتادةَ، عن مُجَاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّه ليلةَ أُسْرِىَ به وَجَدَ رائحةً طيبةً فقال: «يا جبريلُ، ما هذه الرّائحةُ الطَّيبةُ؟ قال: هذه ريحُ قَبْرِ الماشِطةِ، وابنيْها[5]، وزوجِها. وقال: «وكان بَدْءُ ذلك أنّ الخَضِرَ كان مِن[3] [6]أشرافِ بنى إسرائيلَ، وكان ممرُّه براهبٍ فى صومعتِه، فتطلّعَ عليه الرّاهبُ، فعلَّمَه الإِسلامَ، فلمّا بلَغ الخَضِرُ، زوَّجه أبوه امرأةً، فعلَّمَها الإِسلامَ، وأخذ عليها أنْ لا تُعْلِمَ أحدًا، وكان لا يَقْرَبُ النّساءَ، ثُم طلَّقَها، ثُم زوَّجه أبوه بأخرى فعلَّمها الإِسلامَ، وأخذ عليها أنْ لا تُعْلِمَ أحدًا، ثُم طلَّقها، فكتمتْ إحداهما،[6]

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٣٦٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٠)، وابن عساكر فى تاريخ «دمشق» ١٦/ ٤١٨ من طريق الوليد بن مسلم به.

(٥) فى ح، م: «وابنتها». والمثبت من تاريخ دمشق. والدر المنثور ٤/ ٢٣٦.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

[1] وأفْشَتْ عليه الأخرى، فانطلق هارِبًا حتى أتى جَزيرةً فى البحرِ، فَأقبلَ رجلان يَحتطبان فرأياه، فكتَم أحدُهما وأَفْشَى عليه الآخرُ، قال: [2] قد رأيتُ الخَضِرَ. فقيل [2]: ومَن رآه معك؟ قال: فلانٌ. فسُئِل فكَتَم، وكان مِن دينِهم أنّه مَن كَذَب قُتِل، فقُتِل وكان قد تَزَوَّجَ الكاتمُ المرأةَ الكاتِمَةَ، قال: فبينَما هى تُمَشِّطُ بنتَ فِرْعَوْنَ، إذ سَقَط المُشْطُ مِن يدِها، فقالتْ: تَعِسَ فِرْعَوْنُ. فأخبرتْ أباها، وكان للمرأةِ ابنان وزَوْجٌ، فأَرْسَلَ إليهم، فرَاوَدَ المرأةَ وزوجَها أنْ يَرجِعا عن دينِهما فأبَيَا، فقال: إنِّى قاتلُكما. فقالا: إحسانٌ منك إلينا إنْ أنتَ قَتَلْتَنَا أنْ تجعلَنا فى قبرٍ واحدٍ. فجَعَلَهما فى قبرٍ واحدٍ». فقال: «وما وجدتُ ريحًا أطيبَ منهما، وقد دخلتِ الجنةَ». وقد تقدَّمَتْ قصةُ مائلةَ[3] بنتِ فِرْعَوْنَ، وهذا المُشْطُ[4] فى أمرِ الخَضِرِ قد يكونُ مُدْرجًا من كلامِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، أو عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، واللَّهُ أعلمُ[1]. وقال بعضُهم[5]: كُنْيتُه أبو العباسِ. والأشبهُ - واللَّهُ أعلمُ - أَنَّ الخَضِرَ لَقَبٌ غَلَبَ عليه.

قال البخاريُّ[6]، رَحِمَه اللَّهُ: حدَّثنا محمدُ بنُ سعيدٍ الأصبهانيُّ، حدَّثنا ابنُ المباركِ، عن مَعْمَرٍ، عن هَمّامٍ، عن أبى هُرَيرةَ، عن النّبىِّ ﷺ قال: «إنّما سُمِّىَ الخَضِرَ؛ لأنّه جَلَسَ على فَرْوَةٍ بيضاءَ، فإذا هى تَهْتَزُّ مِن خلفِه خضراءَ». تفرَّدَ به البخاريُّ، وكذلك رواه عبدُ الرّزّاقِ[7]، عن مَعْمَرٍ به. ثم قال عبدُ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) سقط من. الأصل، ص، وفى ح، م: «قد رأيت العزقيل». والمثبت من سنن ابن ماجه.

(٣) كذا بالنسخ، ولعلها ماشطة، وقصتها لم تتقدم، بل سترد في صفحة ٢٥٥.

(٤) كذا فى: النسخ. ولعلها: «البسط».

(٥) هو الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٦. حيث صرح به المصنف فى تفسيره ٥/ ١٨٤.

(٦) البخارى (٣٤٠٢).

(٧) الترمذى من طريق عبد الرزاق (٣١٥١). (صحيح الترمذى ٢٥١٩).

الرّزّاقِ : الفَرْوةُ ؛ الحَشِيشُ الأبيضُ وما أشبهَه ، يعنى الهَشِيمَ اليابسَ . وقال الخطّابيُّ[1] : وقال أبو عمرَ : الفَرْوةُ ؛ الأرضُ البيضاءُ ، التى لا نباتَ فيها ، وقال غيرُه : هو الهَشِيمُ اليابسُ ، شَبَّهَه بالفروةِ ، ومنه قيل : فَرْوَةُ الرّأسِ . وهى جِلْدَتُه بما عليها مِن الشّعْرِ كما قال الرّاعِى[2] :

ولقدْ تَرَى الحَبَشِيَّ [3]حولَ بُيوتِنا[3] جَذِلًا[4] إذا ما نالَ يومًا مَأْكَلا

[5]صَعِلًا أسَكَّ[5] كأنَّ فروةَ رأسِه [6]بُذِرَتْ فأَنبتَ جَانباهُ[6] فُلْفُلَا

وقال الخطّابِيُّ[7] : إنما سُمِّىَ الخَضِرُ خَضِرًا ؛ لحُسْنِه وإشراقِ وجهِه .

قلت : هذا لا يُنافِى ما ثَبَتَ فى « الصحيحِ »[8] ، فإن كان ولا بُدَّ مِن التّعليلِ بأحدِهما ، فما ثَبَتَ فى « الصّحيحِ » أَوْلَى وأَقْوَى ، بل لا يُلْتَفَتُ إلى ما عداه .

وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[9] هذا الحديثَ أيضًا مِن طريقِ [10]أبى إسماعيلَ[10] حفصِ بنِ عُمرَ الأَيْلِىِّ ، حدثنا عثمانُ ، وأبو جزىٍّ ، وهَمّامُ بنُ يَحْيَى ، عن قَتادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إنّما سُمِّىَ الخَضِرُ خَضِرًا ؛ لأنّه صلَّى على فروةٍ بيضاءَ ، فاهتزّتْ خضراءَ » . وهذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ . وقال قَبِيصةُ ، عن الثّورِىِّ ، عن

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠٢.

(٢) البيتان فى ديوان الراعى النميرى ص ٢١٨.

(٣- ٣) فى الديوان : « وهو يصكها » .

(٤) فى الديوان : « أشرا » .

(٥- ٥) فى م : « جعدا أصك » . وفى الديوان : « وسم الثياب » .

(٦- ٦) فى الديوان : « زرعت فأنبت جانباها » .

(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٢٠٤.

(٨) فى الأصل : « الحديث » .

(٩) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠١، ٤٠٢.

(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « إسماعيل بن » .

منصورٍ، عن مُجاهدٍ، قال: إنّما سُمِّىَ الخَضِرَ؛ لأنّه كان إذا صلّى اخْضَرَّ ما حولَه[1]. وتقدّم[2] أنّ موسى، ويُوشَعَ، عليهما السّلامُ، لمّا رَجَعا يَقُصّان الأثَرَ، وجداه على طِنْفِسَةٍ[3] خضراءَ، على كَبِدِ البحرِ، وهو [٢٠٥/١و] مُسَجًّى بثوبٍ، قد جُعِل طَرَفَاه مِن تحتِ رأسِه وقَدَمَيْه، فسلَّم عليه موسى، عليه السّلامُ، فكَشَفَ عن وَجْهِه، فردَّ وقال: أنّى بأرضِك السّلامُ! مَنْ أنتَ؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيلَ؟ قال: نعم. فكان مِن أمرِهما ما قصَّه اللَّهُ فى كتابِه عنهما.

وقد دلَّ سياقُ القصّةِ على نُبوَّتِه مِن وجوهٍ؛ أحدُها، قولُه تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. الثانى، قولُ موسى له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦- ٧٠]. فلو كان وليًّا وليس بنبىٍّ، لم يُخاطِبْه موسى بهذه المُخاطَبَةِ، ولم يردَّ على موسى هذا الردَّ، بل موسى إنّما سأل صُحبتَه لينالَ ما عنده مِن العلم، الذى اختصَّه اللَّهُ به دونَه، فلو كان غيرَ نبىٍّ لم يكنْ معصومًا، ولم يَكُنْ لموسى - وهو نبىٌّ عظيمٌ، ورسولٌ كريمٌ، واجِبُ العِصْمةِ - كبيرُ رغبةٍ، ولا

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠٢. من طريق قبيصة به.
(٢) تقدم ص ١٦٩ فى قصة الخضر وموسى.
(٣) أى نمرقة.

عظيمُ طَلِبَةٍ فى علمِ ولىٍّ غيرِ واجبِ العِصْمةِ ، ولمَا عَزَمَ على الذَّهابِ إليه ، والتّفتيشِ عليه ، ولو أنّه يَمْضِى حُقُبًا مِن الزّمانِ ، قِيل : ثمانين سنةً . ثم لمّا اجتمعَ به ، تواضَعَ له ، وعظَّمه ، واتَّبعه فى صورةِ مستفيدٍ منه ، دلَّ على أنّه نبىٌّ مثلُه ، يُوحَى إليه كما يُوحَى إليه ، وقد خُصَّ مِن العلومِ اللَّدُنِّيَّةِ ، والأسرارِ النّبويَّةِ بما لم يُطْلِعِ اللَّهُ عليه موسى الكليمَ ، نبىَّ بنى إسرائيلَ الكريمَ ، وقد احتجَّ بهذا المَسْلكِ بعينِه الرُّمَّانىُّ ، على نبوةِ الخَضِرِ ، عليه السّلامُ . الثّالثُ ، أنّ الخَضِرَ أقدمَ على قَتْلِ ذلك الغلامِ ، وما ذاك إلا للوَحْيِ إليه فيه مِن المَلِكِ العلَّامِ . وهذا دليلٌ مستقِلٌّ على نبوتِه ، وبرهانٌ ظاهِرٌ على عِصْمَتِه ؛ لأنَّ الولىَّ لا يجوزُ له الإقدامُ على قتلِ النُّفوسِ بمجرَّدِ ما يُلْقَى فى خَلَدِه ، لأنَّ خاطِرَه ليس بواجبِ العِصْمَةِ ؛ إذ يجوزُ عليه الخطأُ بالاتّفاقِ . ولمّا أقدمَ الخَضِرُ على قَتْلِ ذلك الغلامِ ، الذى لم يبلغِ الحُلُمَ ، علمًا منه بأنه إذَا بلَغ يَكْفُرُ ، ويَحْمِلُ أبويه على الكفرِ ؛ لِشدَّةِ محبَّتِهما له ، فيتابعانه عليه ، ففى قَتْلِه مصلحةٌ عظيمةٌ تَرْبُو على بقاءِ مُهْجَتِه ؛ صيانةً لأبويه عن الوقوعِ فى الكفرِ وعقوبتِه ، دلَّ ذلك على نبوَّتِه ، وأنّه مؤيَّدٌ مِن اللَّهِ بعصمتِه . وقد رأيتُ الشّيخَ أبا الفرجِ ابنَ الجَوْزِىِّ طَرَقَ هذا المسلكَ بعينِه فى الاحتجاجِ على نبوةِ الخَضِرِ وصحَّحَه . وحكى الاحتجاجَ عليه الرُّمَّانىُّ أيضًا . الرّابعُ ، أنّه لمّا فسَّر الخَضِرُ تأويلَ تلك الأفاعيلِ لموسى ، ووضَّح له عن حقيقةِ أمرِه ، وجَلَّى ، قال بعدَ ذلك كلِّه : ﴿ رَحْمَةً [١/٢٠٥ ظ] مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾ يعنى : ما فعلتُه مِن تلقاءِ نفسى ، بَل أُمِرْتُ به ، وأُوحِىَ إلىَّ فيه ، فدلَّتْ هذه الوجوهُ على نبوّتِه . ولا يُنافى ذلك حصولُ ولايتِه ، بل ولا رسالتِه ، كما قال آخرون . وأمّا كونُه مَلَكًا مِن الملائكةِ ، فغريبٌ جِدًّا . وإذا ثَبَتَتْ نبوّتُه كما ذكرْناه ، لم يَبْقَ لِمَن قال بولايتِه - وأنَّ الولىَّ قد يطَّلِعُ على

حقيقةِ الأمورِ دون أربابِ الشَّرْعِ الظّاهرِ - مُسْتَنَدٌ يستندون إليه، ولا مُعْتَمَدٌ يَعْتَمِدون عليه.

وأمّا الخلافُ في وجودِه إلى زمانِنا هذا، فالجمهورُ على أنّه باقٍ إلى اليومِ، قِيل: لأنّه دَفَنَ آدمَ بعدَ خروجِهم مِن الطُّوفانِ، فنالَتْه دعوةُ أبيه آدمَ بطولِ الحياةِ. وقيل: لأنّه شَرِبَ مِن عينِ الحياةِ فحَيِيَ.

وذَكَرُوا أخبارًا استشهدُوا بها على بقائِه إلى الآنَ، وسنُورِدُها مع غيرِها، إن شاءَ اللّهُ تعالى، وبه الثقةُ. وهذه وصيَّتُه لموسى حين ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨]. رُوِي في ذلك آثارٌ مُنقطِعةٌ كثيرةٌ. قال البَيْهَقِيُّ[١]: أنبأنا أبو سعيدِ بنُ أبي عمرٍو، حدَّثنا أبو عبدِ اللّهِ الصَّفّارُ، حدثنا أبو بكرٍ ابنُ أبي الدُّنيا، حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ، حدثنا جَريرٌ، حدَّثني أبو عبدِ اللّهِ المَلَطِيُّ، قال: لمّا أراد موسى أنْ يُفارِقَ الخَضِرَ، قال له موسى: أوصِني. قال: كنْ نَفّاعًا ولا تكُنْ ضَرّارا، كنْ بَشّاشًا ولا تكن غضبانَ، ارجِعْ عن اللَّجاجةِ، ولا تَمْشِ في غيرِ حاجةٍ. وفي روايةٍ من طرقٍ أخرى زيادةُ: ولا تَضْحَكْ إلّا مِن عَجَبٍ[٢]. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[٣]: قال الخَضِرُ: يا موسى، إنّ النّاسَ معذَّبون في الدُّنيا على قَدْرِ همومِهم بها. وقال بشرُ بنُ الحارثِ الحافِي[٤]: قال موسى للخَضِرِ: أوصِني. فقال: يسَّرَ[٥] اللّهُ

---

(١) في ح: «السهيلي».
وقد أخرجه من طريق البيهقي، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٤١٥، ٤١٦.
(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٤١٦. الزهد لأحمد ٦١.
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٤١٦.
(٤) تاريخ دمشق ١٦/ ٤١٦، ٤١٧.
(٥) في تاريخ دمشق: «ستر».

عليك طاعتَه. وقد ورد فى ذلك حديثٌ مرفوعٌ، رواه ابن عساكرَ[1]، مِن طريقِ زكريا بنِ يَحْيَى الوَقَارِ[2]، إلا أنّه مِن الكَذَّابِين الكِبارِ. قال: قُرِئَ على عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ، وأنا أسمعُ، قال الثَّوريُّ: قال مُجالِدٌ: قال أبو الوَدَّاكِ: قال أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ: قال عمرُ بنُ الخطابِ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «قال أخى موسى: ياربِّ. ذكرَ كلمةً[3]، فأتاه الخَضِرُ، وهو فتًى طيِّبُ الرِّيحِ، حَسَنُ بياضِ الثِّيابِ، مُشَمِّرُها، فقال: السّلامُ عليكَ ورحمةُ اللَّهِ يا موسى بنَ عِمْرَانَ، إنّ ربَّكَ يَقْرَأُ عليك السّلامَ. قال موسى: هو السّلامُ، وإليه السّلامُ، والحمدُ للَّهِ رَبِّ العالمين، الذى لا أُحْصِى نِعَمَه، ولا أَقْدِرُ على أداءِ شُكْرِه إلا بمعونتِه. ثُمَّ قال موسى: أُرِيدُ أنْ تُوصِيَنى بوصيَّةٍ، يَنفعُنى اللَّهُ بها بعدَك. فقال الخَضِرُ: يا طالبَ [١/٢٠٦و] العلمِ، إنَّ القائلَ أقلُّ مَلالَةً[4] مِن المُسْتَمِعِ، فلا تُمِلَّ جُلساءَك إذا حدَّثْتَهم، واعلمْ أنّ قَلْبَك وعاءٌ فانظرْ ماذا تَحْشُو به وعاءَك؟ واعزِفْ عن الدّنيا وانبِذْها وراءَك، فإنّها ليستْ لك بدارٍ، ولا لك فيها مَحِلٌّ قَرَارٍ. وإنّما جعِلَتْ بُلْغَةً للعبادِ، والتزوُّدِ منها ليومِ المَعَادِ. ورُضْ نفسَك على الصَّبرِ، تَخْلُصْ مِن الإِثْمِ، يا موسى، تَفَرَّغْ للعلمِ[5] إنْ كنتَ تُرِيدُه، فإنّما العِلمُ لِمَن تَفَرَّغَ له، ولا تكنْ مِكْثارًا بالمَنطقِ[6] مِهْدارًا[7][5]؛ فإنّ كثرةَ المَنطِقِ تَشِينُ

---

(١) فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤١٤، ٤١٥.

(٢) فى ح: «الوتار». وفى م: «الوقاد»، انظر الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٣٩٦. والكامل فى الضعفاء لابن عدى ٣/ ١٠٧١، ١٠٧٢.

(٣) فى م: «كلمته».

(٤) فى ح، م: «ملامة».

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) فى الأصل: «للعلم». وفى ح، م: «بالعلم».

(٧) فى م: «مهذارا».

العلماءَ، وتُبْدِى مساوِئَ السُّخَفاءِ، ولكن عليك بالاقتصادِ، فإنّ ذلك مِن التَّوفيقِ والسَّدادِ. وأعرِضْ عن الجُهّالِ وبَاطِلِهم[1]، واحلُمْ عن السُّفهاءِ، فإنَّ ذلك فِعلُ الحكماءِ، وزَيْنُ العلماءِ، إذا شَتَمَك الجاهلُ فاسكُتْ عنه حِلْمًا، وجانِبْه حَزْمًا؛ فإنّ ما بَقِيَ مِن جَهْلِه عليك، وسبِّه إيّاكَ، أكثرُ وأعظمُ. يا بنَ عِمْرَانَ، ولا تَرَ أنّك أُوتيتَ مِن العلمِ إلا قليلًا؛ فإنّ الاندِلاثَ[2] والتعسُّفَ، مِن الاقتِحامِ والتّكلُّفِ. يا بنَ عِمْرانَ، لا تَفْتَحَنَّ بابًا لا تَدْرِى ما غلْقُه، ولا تُغْلِقَنَّ بابًا لا تَدْرِى ما فتْحُه. يا بنَ عِمْرانَ مَن لا تنتهى مِن الدّنيا نَهْمَتُه، ولا تَنْقَضِى منها رغبتهُ [3]كيف يكون عابدًا[3]؟! ومَن يَحقِرُ حالَه ويتّهِمُ اللَّهَ فيما قَضَى له، كيف يكونُ زاهدًا؟! هل يكفُّ عن الشّهواتِ مَن غَلَبَ عليه هواه، أو يَنفعُه طلبُ العلمِ، والجهلُ قد حَوَاه؛ لأنّ سعْيَه إلى آخرتِه وهو مُقْبِلٌ على دنياه؟! يا موسى، تعلَّمْ ما تعلَّمْتَ لِتَعْمَلَ به، ولا تَعَلَّمْه لَتُحَدِّثَ به، فيكونَ عليكَ بَوارُه ولغيرِك نورُه. يا موسَى بنَ عِمْرانَ، اجعلِ الزُّهْدَ والتَّقْوَى لباسَك، والعلمَ والذِّكرَ كلامَك، واستَكثِرْ مِن الحسناتِ، فإنّك مصيبٌ السّيِّئاتِ، وزَعْزِعْ بالخوفِ قلبَك، فإنّ ذلك يُرضِى ربَّكَ، واعملْ خيرًا فإنَّك لابُدَّ عاملٌ سُوءًا. قد وُعِظْتَ إنْ حَفِظْتَ». قال: «فتولَّى الخَضِرُ، وبَقِيَ موسى مَحْزُونًا مَكْروبًا يَبْكِى».

لا يصِحُّ هذا الحديثُ[4]، وأظنُّه مِن صَنْعةِ زكريا بنِ يَحْيَى الوَقَّارِ[5]

---

(١) فى ح، م: «ماطلهم».
(٢) الاندلاث: التقدم بلا فكرة ولا رويّة. اللسان (د ل ث).
(٣ - ٣) سقط من: ح، م.
(٤) انظر تنزيه الشريعة لابن عراق ١/٢٤٣، ٢٤٤.
(٥) فى م: «الوقاد». وانظر ص ٢٥١ حاشية (٢).

المِصرِىّ، كذَّبه غيرُ واحدٍ [1]من الأئمةِ[1]، والعَجَبُ أنّ الحافظَ ابنَ عساكرَ سَكَتَ عنه. وقال الحافظُ أبو[2] نُعَيْمٍ الأَصْبَهَانِىّ[3]: حدَّثنا سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ الطَّبَرانىُّ، ثنا عمرُو بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ العلاءِ الحِمْصِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ الفضلِ بنِ عِمرانَ الكِنْدِىُّ، حدثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ، عن محمدِ بنِ زِيادٍ، عن أبى أُمامةَ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأصحابِه: «ألا أحدِّثُكُمْ عن الخَضِرِ؟» قالوا: بلى يارسولَ اللَّهِ. قال: [١/٢٠٦ظ] «بينَما هو ذاتَ يومٍ يَمشِى فى سُوقِ بنى إسرائيل، أبْصَرَه رجلٌ مُكاتَبٌ، فقال: تَصَدَّقْ علىَّ، باركَ اللَّهُ فيك. فقال الخَضِرُ: آمنتُ باللَّهِ، ما شاءَ اللَّهُ مِن أمرٍ يكونُ، ما عندى مِن شىءٍ أُعْطِيكَه. فقال المِسْكينُ: أسألُك بوجهِ اللَّهِ لَمَا تصدَّقْتَ علىَّ، فإنِّى نظرْتُ السِّيماءَ[4] فى وَجْهِك، ورجوْتُ البركةَ عندَك. فقال الخَضِرُ: آمنتُ باللَّهِ، ما عندى شىءٌ أُعطِيكه، إلا أنْ تَأْخُذَنى فتَبِيعَنى. فقال المسكينُ: وهل يستقيمُ هذا؟ قال: نعم، الحقَّ أقولُ لك، لقد سألتَنى بأمرٍ عظيمٍ، أَما إنِّى لا أُخيِّبُك بوجهِ ربِّى، بِعْنى. قال: فقدَّمه إلى السُّوقِ فباعَه بأربعِمائةِ دِرْهَمٍ، فمَكَث عند المُشترِى زمانًا لا يَستعمِلُه فى شىءٍ؛ فقال له: إنّك إنما ابْتَعْتَنى التِماسَ خيرٍ عندِى، فأَوْصِنى بعملٍ. قال: أكرهُ أنْ أَشُقَّ عليك، إنّك شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ. قال: ليس تَشُقُّ علىَّ. قال: فانقُلْ هذه الحجارةَ. وكان لا ينقُلُها دونَ ستَّةِ نَفَرٍ فى يومٍ، فخرج الرّجُلُ لبعضِ حاجَتِه، ثم انصرَفَ وقد نقَلَ

(١ - ١) سقط من: ح، م.

(٢) فى الأصل: «ابن».

(٣) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤١٧، ٤١٨. وأخرجه الطبرانى شيخ أبى نعيم فى المعجم الكبير (٧٥٣٠). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢١٣: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون، إلا أن فيه بقية بن الوليد، وهو مدلس. وزاد فى موضع آخر ٣/ ١٠٣:.. ولكنه ثقة.

(٤) فى م، ص: «إلى السماء».

الحجارةَ فى ساعةٍ. فقال: أحسنْتَ وأجملْتَ، وأطقْتَ ما لم أَرَكَ تُطِيقُه. ثم عَرَضَ للرجلِ سَفَرٌ فقال: إنِّى أَحْسَبُك أمينًا، فاخْلُفْنى فى أهلِى خلافةً حَسَنَةً. قال: فأوصِنى بعملٍ. قال: إنِّى أكرهُ أنْ أشُقَّ عليك. قال: ليس تَشقُّ علىَّ. قال: فاضرِبْ مِن اللَّبِن لبَيْتِى حتى أقدَمَ عليك. فمضى الرَّجُلُ لسفرِه، فرَجَعَ وقد شَيَّدَ بِناءَه. فقال: أسألُك بوجهِ اللَّهِ ما سَبَبُك[1] وما أمرُك؟ فقال: سَأَلْتَنى بوجهِ اللَّهِ، والسّؤالُ بوجهِ اللَّهِ أوقَعَنى فى العبوديَّةِ، سأُخبِرُك مَن أنا، أنا الخَضِرُ الذى سَمِعْتَ به[2]، سألَنى مِسكينٌ صدقةً، فلم يكنْ عندى شىءٌ أُعْطِيه، فسألنى بوجهِ اللَّهِ فأمكنْتُه مِن رَقَبَتِى، فباعَنى، وأُخْبِرُك أنّه مَن سُئِل بوجهِ اللَّهِ، فرَدَّ سائلَه وهو يَقْدِرُ، وَقَفَ يومَ القيامةِ؛ جلدُه لا لحمَ له، ولا عَظْمَ يَتَقَعْقَعُ. فقال الرَّجُلُ: آمنتُ باللَّهِ، شقَقْتُ عليك يا نبىَّ اللَّهِ ولم أعلمْ. فقال: لا بَأْسَ، أحسنْتَ وأبقَيْتَ. فقال الرّجُلُ: بأبى وأمى يا نبىَّ اللَّهِ، احكُمْ فى أهلِى ومالِى بما أراكَ اللَّهُ، أو أُخيِّرُك فأُخَلِّى سبيلَك. فقال: أُحِبُّ أنْ تُخَلِّىَ سبيلى فأعبُدَ ربِّى. فخلَّى سبيلَه، فقال الخَضِرُ: الحمدُ للَّهِ الذى أوقَعَنى فى العبوديَّةِ ثم نَجّانى منها». وهذا حديثٌ رفْعُه خطأٌ، والأشْبهُ أنْ يكونَ موقوفًا، وفى رجالِه مَن لا يُعْرَفُ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد رواه ابنُ الجَوْزِىِّ، فى كتابِه «عُجالةِ المنتظِرِ فى شرْحِ حالِ الخَضِرِ» مِن طريقِ عبدِ الوهَّابِ بنِ الضَّحّاكِ [١/٢٠٧و]، وهو متروكٌ [3]عن بَقِيَّةَ[3]. وقد

---

(١) فى م: «سبيلك».
(٢) سقط من: ح.
(٣ - ٣) فى الأصل: «غير ثقة».

روى الحافِظُ ابنُ عساكرَ[1] ، بإسنادِه إلى السُّدِّىِّ ، أنّ الخَضِرَ وإلياسَ كانا أَخَوَيْن ، وكان أبوهما مَلِكًا ، فقال إلياسُ لأبيه : إنّ أخى الخَضِرَ لا رغبةَ له فى المُلْكِ ، فلو أنَّك زَوَّجْتَه ؛ لعلَّه يَجِىءُ منه ولدٌ يكونُ المُلْكُ له . فزوَّجَه أبوه بامرأةٍ حسناءَ بِكْرٍ ، فقال لها الخَضِرُ : إنّه لا حاجةَ لى فى النِّساءِ ، فإنْ شِئْتِ أطلقْتُ سَراحَكِ ، وإنْ شئتِ أقمْتِ معى تَعْبُدِينَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، وتَكْتُمِين علىَّ سِرِّى . فقالت : نعمْ . وأقامتْ معه سنةً ، فلمّا مضتِ السَّنَةُ دعاها المَلِكُ فقال : إنّكِ شابَّةٌ وابنى شابٌّ ، فأين الولدُ ؟ فقالت : إنما الولدُ مِن عندِ اللَّهِ ، إنْ شاءَ كان ، وإنْ لم يشأْ لم يكنْ . فأمره أبوه فطلَّقَها ، وزوَّجَه أُخْرَى ثَيِّبًا قد وُلِدَ لها ، فلمّا زُفَّتْ إليه ، قال لها كما قال لِلَّتى قبلَها ، فأجابتْ إلى الإقامةِ عندَه ، فلمّا مضتِ السَّنةُ ، سألَها المَلِكُ عن الولدِ ، فقالت : إنَّ ابنَك لا حاجةَ له فى النِّساءِ . فتَطَلَّبَه أبوه فهَرَب ، فأرْسَل وراءَه ، فلم يَقدِرُوا عليه ، فيُقالُ : إنّه قَتَلَ المرأةَ الثّانيةَ ، لكونِها أفشَتْ سرَّه[2] ، فهَرَبَ مِن أجلِ ذلك ، وأُطْلِقَ سراحُ الأُخرَى ، فأقامتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فى بعضِ نواحِى تلك المدينةِ ، فمرّ بها رجلٌ يومًا ، فسمِعتْه يقول : بسمِ اللَّهِ . فقالتْ له : أَنَّى لك هذا الاسمُ ؟ فقال : إنّى مِن أصحابِ الخَضِرِ . فتَزَوَّجَتْه ، فولدَتْ له أولادًا ، ثم صار مِن أمرِها أنْ صارتْ ماشِطَةَ بنتِ فِرْعَوْنَ ، فبينَما هى يومًا تُمَشِّطُها ؛ إذ وَقَع المُشْطُ مِن يدِها ، فقالت : بسمِ اللَّهِ . فقالتِ ابنةُ فِرْعَوْنَ : أبى ؟ فقالت : لا ، رَبِّى وربُّكِ وربُّ أبيك ، اللَّهُ . فأعلمَتْ أباها ، فأمرَ بِبَقَرَةٍ[3] مِن نُحاسٍ ، فأُحْمِيَتْ ، ثم أُمِرَ بها ، فأُلْقِيَتْ فيه ، فلمّا عاينَتْ

---

(١) تاريخ دمشق ٤١٨/١٦ - ٤٢٠. وقد ذكره ابن كثير هنا بمعناه لا بلفظه.

(٢) الذى قتل المرأة لأنها أفشت سرَّ ولده ؛ هو الملك والدُ الخضر، كما فى تاريخ دمشق مفصَّلًا.

(٣) فى م، ص: «بنقرة». والبقرة: قِدْرٌ واسعة كبيرة. تاج العروس (ب ق ر).

ذلك ، تقاعستْ أنْ تقعَ فيها ، فقال لها ابنٌ معها صغيرٌ : يا أُمَّهْ ، اصْبِرِى فإنّكِ على الحقِّ . فألقَتْ نفسَها فى النّارِ ، فماتتْ ، رَحِمَها اللَّهُ تعالى .

وقد رَوَى ابنُ عساكرَ[1] ، عن أبى داودَ الأعمَى نُفَيْعٍ ، وهو كذّابٌ وضّاعٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، ومِن طريقِ كَثِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عوفٍ ، وهو كذّابٌ أيضًا ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، أنّ الخَضِرَ جاء ليلةً فسَمِعَ النَّبىَّ ﷺ كلامَه[2] وهو يدعُو ويقولُ : اللهمّ أعِنِّى على ما يُنَجِّينى ممّا خَوَّفْتَنى ، وارْزُقْنى شوقَ الصّالحين إلى ما شوَّقْتَهم إليه . فبعَث إليه رسولُ اللَّهِ أنسَ بنَ مالكٍ ، فسلَّم عليه ، فردّ عليه السّلامَ ، وقال له : قُل له : إنّ اللَّهَ فضَّلك على الأنبياءِ ، كما فضَّلَ شهرَ رمضانَ على سائرِ الشُّهورِ ، وفضَّل أُمَّتَك على الأممِ ، [١/٢٠٧ظ] كما فضَّل يومَ الجُمُعةِ على غيرِه . الحديث ، وهو مكذوبٌ ، لا يصحُّ سندًا ولا مَتْنًا ؛ كيف لا يتمثَّلُ بين يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويَجِىءُ بنفسِه مُسَلِّمًا ومتعلِّمًا ، وهم يَذْكُرون فى حكاياتِهم ، وما يُسْنِدُونه عن بعضِ مشايخِهم ، أَنّ الخَضِرَ يأتِى إليهم ، ويسلِّمُ عليهم ، ويعرِفُ أسماءَهم ومنازلَهم ومَحالَّهم ، وهو مع هذا لا يعرِفُ موسى بنَ عِمْرانَ ، كليمَ اللَّهِ الذى اصطفاه اللَّهُ فى ذلك الزّمانِ على مَن سواه ، حتى يتعرَّفَ إليه بأنّه موسى بنى إسرائيلَ . وقد قال الحافظُ أبو الحسينِ ابنُ المُنادِى بعد إيرادِه حديثَ أنسٍ هذا : وأهلُ الحديثِ مُتَّفِقون على أنّه حديثٌ مُنْكَرُ الإسنادِ ، سَقِيمُ المَتْنِ ، يَتَبَيَّنُ فيه أثرُ الصَّنعةِ . فأمّا الحديثُ الذى رواه

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٣، ٤٢٤. وساقه ابن كثيرٍ هنا بتصرفٍ مختصرًا . وانظر الموضوعات لابن الجوزى ١/١٩٣ - ١٩٥.

(٢) سقط من : م .

الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[1] ، قائِلًا : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو بكرٍ ابن بالَوَيْهِ ، حدَّثنا محمدُ بنُ بِشرِ بنِ مَطَرٍ ، حدثنا كاملُ بنُ طلْحةَ ، حدثنا عَبَّادُ ابنُ عبدِ الصَّمدِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : لمّا قُبِضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أَحْدَقَ به أصحابُه ، فبَكَوْا حولَه ، واجتمعُوا ، فدخل رجُلٌ أَشْهَبُ اللِّحيةِ ، جَسيمٌ ، صَبِيحٌ ، فتخطَّى رقابَهم فبَكَى ، ثم التفتَ إلى أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : إن فى اللَّهِ عزاءً مِن كلِّ مُصيبةٍ ، وعِوَضًا مِن كلِّ فائتٍ ، وخَلَفًا مِن كلِّ هالِكٍ ، فإلى اللَّهِ فأَنِيبُوا ، وإليه فارغَبُوا ، ونَظَرُه إليكم فى البلاءِ فانظُرُوا ، فإنَّ المُصابَ مَن لم يُجْبَرْ . وانصرفَ[2] ، فقال بعضُهم لبعضٍ : تعرِفون الرَّجُلَ ؟ فقال أبو بكرٍ ، وعلىٌّ : نَعَمْ ، هذا أخو رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [3]الخَضِرُ عليه السّلامُ[3] . وقد رواه أبو بكرٍ ابنُ أبى الدّنيا[4] ، عن كاملِ بنِ طلحةَ به[5] ، وفى مَتْنِه مُخالَفَةٌ لسياقِ البيهقىِّ ، ثم قال البيهقىُّ[6] : عَبَّادُ بنُ عبدِ الصَّمدِ ضعيفٌ ، وهذا مُنْكَرٌ بمرةٍ . قلتُ : عَبَّادُ بنُ عبدِ الصَّمدِ هذا ، هو أبو[7] مَعْمَرٍ البصرىُّ ؛ رَوَى عن أنسٍ نُسْخَةً . قال ابنُ حِبّانَ والعُقَيْلِىُّ[8] : أكثَرُها موضوعٌ . وقال البخارىُّ[9] : مُنْكَرُ الحديثِ . وقال أبو حاتمٍ[10] : ضعيفُ الحديثِ جِدًّا مُنْكَرُه .

---

(١) فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٩. والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٨، ومن طريق البيهقى ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٤.

(٢) سقط من: ح .

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة بسنده ٢/ ٣١٦.

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٩.

(٧) فى الأصل، ح، م: «ابن».

(٨) انظر المجروحين لابن حبان ٢/ ١٧١. والضعفاء الكبير ٣/ ١٣٩.

(٩) فى التاريخ الكبير ٦/ ٤١.

(١٠) فى الجرح والتعديل ٦/ ٨٢.

وقال ابنُ عَدِيٍّ[1] : عامّةُ ما يَرْوِيه فى فضائلِ عليٍّ ، وهو ضعيفٌ ، غالٍ فى التَّشيُّعِ .

وقال الشّافعيُّ فى « مسندِه »[2] : أخبَرَنا القاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عليِّ بنِ الحسينِ ، قال : لمَّا تُوفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وجاءتِ التَّعْزِيَةُ ، سَمِعوا قائلًا يقولُ : إنّ فى اللَّهِ عزاءً مِن كلِّ مصيبةٍ ، وخَلَفًا مِن كلِّ هالكٍ ، ودَرَكًا مِن كلِّ فائتٍ ، فباللَّهِ فثِقُوا ، وإيّاه فارجُوا ، فإنّ المُصابَ مَن حُرِم الثَّوابَ . قال عليُّ بنُ الحسينِ : أتدرون [١/ ٢٠٨و] مَن هذا ؟ هذا الخَضِرُ . شيخُ الشّافعيِّ القاسمُ العُمَرِيُّ متروكٌ . قال أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، ويحيى بنُ مَعِينٍ[3] : يَكْذِبُ . زاد أحمدُ : ويَضَعُ الحديثَ[3] . ثم هو مرسَلٌ ، ومثلُه لا يُعْتَمَدُ عليه هٰهنا . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ ضعيفٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أبيه ، عن عليٍّ[4] . ولا يصحُّ .

وقد رَوَى عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[5] ، عمَّن حدَّثَه ، عن محمدِ بنِ عَجْلَانَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بينَما هو يُصلِّى على جِنازةٍ ؛ إذْ سَمِعَ هاتفًا وهو يقولُ : لَا تسبِقْنا يرحمُك اللَّهُ . فانتظرَه حتى لَحِقَ بالصفِّ ، فذَكَر دعاءَه للميّتِ ؛ إنْ تُعذِّبْه فكثيرًا عصاك ، وإنْ تَغفِرْ له ففقيرٌ إلى رحمتِك . ولمّا

---

(١) فى الكامل فى الضعفاء ٤/ ١٦٤٨.
(٢) ترتيب مسند الشافعى ١/ ٢١٦. ومن طريق الشافعى أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٨.
(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ٢١٢. وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٧٧.
(٤) فى دلائل النبوة للبيهقى ٧/٢٦٧ مطولًا .
(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٤، ٤٢٥.

دُفِن قال : طُوبَى لك يا صاحبَ القبرِ ، إنْ لم تكُنْ عَرِيفا ، أو جابيًا ، أو خازِنا ، أو كاتبًا ، أو شُرْطِيًّا . فقال عمرُ : خذوا الرَّجُلَ نسألُه عن صلاتِه وكلامِه عمَّن هو . قال : فتَوارَى عنهم ، فنَظَروا فإذا أثَرُ قَدَمِه ذِراعٌ . فقال عمرُ : هذا واللَّهِ الخَضِرُ الذى حدَّثنا عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ . وهذا الأثَرُ فيه مُبْهَمٌ ، وفيه انقطاعٌ ، ولا يصحُّ مثلُه .

وروى الحافِظُ ابنُ عساكرَ[1] ، عن الثَّورِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بن المحُرَّرِ[2] ، عن يزيدَ بنِ الأصمِّ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : دخلْتُ الطَّوافَ فى بعضِ الليلِ ، فإذا أنا برَجُلٍ مُتعلِّقٍ بأستارِ الكعبةِ ، وهو يقولُ : يا مَن لا يَمنعُه سمعٌ عن سَمْعٍ ، ويا مَن لا تُغْلِطُه المسائلُ ، ويا مَن لا يُبْرِمُه إلحاحُ المُلِحِّين ، ولا مسألةُ السّائلين ، ارزُقْنى بَرْدَ عفوِك ، وحلاوةَ رحمتِك . قال : فقلتُ : أعِدْ علىَّ ما قلتَ . فقال لى : أوَ سَمِعْتَه ؟ قلتُ : نعم . فقال لى : والذى نفسُ الخَضِرِ بيدِه - قال : وكان هو الخَضِرَ - لا يَقولُها عبدٌ خَلْفَ صلاةٍ مكتوبةٍ ؛ إلَّا غفرَ اللَّهُ له ذنوبَه ، ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ[3] ، [4]وورقِ الشَّجرِ[4] ، وعددِ النُّجومِ ؛ لَغَفَرَها اللَّهُ له . وهذا ضعيفٌ مِن جهةِ عبدِ اللَّهِ بن المحُرَّر ؛ فإنّه متروكُ الحديثِ ، ويزيدُ بنُ الأصمِّ لم يُدْرِكْ عليًّا . ومثلُ هذا لا يصحُّ . واللَّهُ أعلمُ . وقد رواه أبو

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٦. ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٩٨ من طريق سفيان الثورى ، وقال : هذا حديث لا يصح . وانظر تنزيه الشريعة ١/ ٢٣٥.

(٢) فى م : « محرز » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢٩.

(٣) بعده فى تاريخ دمشق : « ورمل عالج » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

إسماعيلَ التِّرْمِذِىُّ[1] : حدَّثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا صالحُ بنُ أبى الأسودِ ، عن محفوظِ بنِ عبدِ اللَّهِ الحَضْرَمِىِّ ، عن محمدِ بنِ يَحْيَى ، قال : بينَما علىُّ بنُ أبى طالبٍ يطوفُ بالكعبةِ ، إذا هو برَجُلٍ متعلِّقٍ بأستارِ الكعبةِ ، وهو يقولُ : يا مَنْ لا يَشْغَلُه سَمْعٌ عن سَمْعٍ ، ويا مَن لا يُغْلِطُه السّائلون ، ويا مَن لا يَتبرَّمُ بإلحاحِ المُلِحِّين ، أذِقْنِى بَرْدَ عفوِك ، وحلاوةَ رحمتِك . قال : فقال له علىٌّ : يا عبدَ اللَّهِ ، أعِدْ دُعاءَك هذا . قال : وقد سمعتَه ؟ [١/٢٠٨ظ] قال : نعم . قال : فادْعُ به فى دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ، فوالذى نفسُ الخَضِرِ بيدِه ، لو كان عليك مِن الذُّنُوبِ عددُ نجومِ السّماءِ ومطرِها ، وحَصْباءِ الأرضِ وتُرابِها ، لَغُفِرَ لك أسرعَ مِن طَرْفةِ عينٍ . وهذا أيضًا منقَطِعٌ ، وفى إسنادِه مَن لا يُعْرَفُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد أوْرَدَه ابنُ الجَوزىِّ[2] ، مِن طريقِ أبى بكرٍ ابنِ أبى الدّنيا : حدَّثنا يعقوبُ بنُ يوسفَ ، حدثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، فذكَرَ نحوَه . ثم قال : وهذا إسنادٌ مجهولٌ منقطِعٌ ، وليس فيه ما يدلُّ على أنّ الرَّجُلَ الخَضِرُ .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[3] : أنبأنَا أبو القاسمِ بنُ الحُصَينِ ، أنبأنا أبو طالبٍ محمدُ بنُ محمدٍ ، أنبأنا أبو إسحاقَ المُزَكِّى[4] ، حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ ، حدثنَا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ زيدٍ[5] ، أمْلَه علينا بعَبّادانَ ، أنبأنا عمرُو بنُ عاصمٍ ، حدّثنا الحسنُ بنُ رَزِينٍ[6] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن

---

(١) فى الأصل : « اليزيدى » .
وقد أخرجه من طريق أبى إسماعيل الترمذى ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٦.
(٢) ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٣٢٠ من طريق ابن أبى الدنيا .
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٦، ٤٢٧. ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٩٥.
(٤) فى الأصل : « المزلى » .
(٥) فى م : « يزيد » .
(٦) فى م : « زريق » .

ابنِ عباسٍ - قال : ولا أعْلَمُه إلَّا مرفوعًا إلى النَّبيِّ ﷺ - قال : « يَلتقِى الخَضِرُ وإلياسُ كلَّ عامٍ فى المَوسمِ ، فيَحلِقُ كلُّ واحدٍ منهما رأسَ صاحبِه ، ويَتَفرَّقان عن هؤلاءِ الكلماتِ : بسمِ اللَّهِ ما شاء اللَّهُ ، لا يَسُوقُ الخيرَ إلَّا اللَّهُ ، ما شاءَ اللَّهُ ، لا يَصْرِفُ الشَّرَّ إلَّا اللَّهُ ، ما شاءَ اللَّهُ ، ما كان مِن نِعمةٍ فمِن اللَّهِ ، ما شاءَ اللَّهُ ، لا حَوْلَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ » . قال : وقال ابنُ عباسٍ : مَن قالَهنَّ حينَ يُصبِحُ وحينَ يُمْسِى ثلاثَ مرّاتٍ ، آمَنَه اللَّهُ مِن الغَرَقِ ، والحَرْقِ ، والسرَقِ . قال : وأحسَبُه قال : ومِن الشَّيطانِ ، والسُّلطانِ ، والحَيَّةِ ، والعقربِ .

قال الدّارَقُطْنِىُّ فى « الأفرادِ » : هذا حديثٌ غريبٌ مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، لم يُحدِّثْ به غيرُ هذا الشّيخِ عنه . يعنى الحسنَ بنَ رَزِينٍ[1] هذا . وقد رَوَى عنه محمدُ بنُ كَثِيرٍ العَبْدِىُّ أيضًا ، ومع هذا قال فيه الحافظُ أبو أحمدَ ابنُ عدىٍّ : ليس بالمعروفِ . وقال الحافظُ أبو جعفرٍ العُقيلىُّ[2] : مجهولٌ ، وحديثُه غيرُ محفوظٍ . وقال أبو الحُسينِ[3] ابنُ المُنادى : هو حديثٌ واهٍ ، بالحسنِ بنِ رَزِينٍ[4] .

وقد رَوَى ابنُ عساكرَ[5] نحوَه مِن طريقِ علىِّ بنِ الحسنِ الجَهْضَمِىِّ ، وهو كذّابٌ ، عن ضَمْرةَ بنِ حَبيبٍ المقدسىِّ ، عن أبيه ، عن العلاءِ بنِ زِيادٍ

---

(١) فى م : « زريق » .
وانظر الكامل فى الضعفاء ٢/ ٧٤٠.
(٢) الضعفاء الكبير ١/ ٢٢٤، لسان الميزان ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦.
(٣) فى م ، ص : « الحسن » .
(٤) الإصابة : ٢/ ٣٠٥.
(٥) فى ح ، م : « زريق » .
(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٧. ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٩٦، ١٩٧.

القُشَيْرِىِّ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ مرفوعًا ، قال : يَجتمعُ كلَّ يومِ عرفةَ بعَرَفاتٍ جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ ، والخَضِرُ . وذكر حديثًا طويلًا موضوعًا ، تركْنا إيرادَه قَصْدًا . وللَّهِ الحمدُ .

ورَوَى ابنُ عساكرَ[2] ، مِن طريقِ هشامِ بنِ خالدٍ ، عن الحسنِ بنِ يَحْيَى الخُشَنِىِّ ، عن ابنِ[3] أبى رَوَّادٍ[4] قال : إلياسُ والخَضِرُ يَصُومان شهرَ رمضانَ فِى بيتِ [٢٠٩/١و] المقدِسِ ، ويحجّان فى كلِّ سنةٍ ، ويشربان مِن ماءِ زمزمَ شَرْبةً تَكفِيهما إلى مِثْلِها مِن قابِلٍ .

ورَوَى ابنُ عَساكرَ[5] أنّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، بانِىَ جامعِ دِمَشْقَ ، أحبَّ أنْ يتعبَّدَ ليلةً فى المسجدِ فأمرَ القَوَمَةَ أنْ يُخْلوه له ، ففَعَلوا ، فلمّا كان مِن الليلِ ، جاء مِن بابِ السّاعاتِ ، فدَخَل الجامعَ ، فإذا رجلٌ قائمٌ يصلِّى فيما بينَه وبينَ بابِ الخضراءِ[6] ، فقال للقَوَمَةِ : ألم آمُرْكم أنْ تُخْلُوه ؟ فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، هذا الخَضِرُ ، يَجِىءُ كلَّ ليلةٍ يُصلِّى ههنا .

وقال ابنُ عساكرَ[7] أيضًا : أنبأنا أبو القاسمِ[8] إسماعيلُ بنُ أحمدَ ، أنبأنا أبو

---

(١) فى تاريخ دمشق : « النشيرى » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣١٥، ٣١٦.
(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٨.
(٣) سقط من : ص .
(٤) فى الأصل : « زياد » .
(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٠٢، ٤٠٣.
(٦) فى الأصل : « الخضر » .
(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٣٢. رواه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٩٨، ١٩٩.
(٨) بعد هذا فى م : « بن » .

بكرِ ابنُ الطَّبَرِىِّ ، أنبأنا أبو الحسينِ بنُ الفضلِ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، حدّثنا يعقوبُ - هو ابنُ سفيانَ - الفَسَوىُّ[1] ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، حدثنا ضَمْرةُ[2] ، عن السّرىِّ بنِ[3] يحيَى ، عن[4] رِياحِ[5] بنِ عَبِيدَةَ ، قال : رأيتُ رجلًا يُماشِى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، مَعتمِدًا على يدَيْه ، فقلتُ فى نفْسى : إنّ هذا الرَّجُلَ جافٍ[6] . قال : فلّما انصرفَ مِن الصلاةِ ، قلتُ : مَن الرَّجُلُ الذى كان معتمِدًا على يدكِ آنفًا ؟ قال : وهل رأيتَه يا رياحُ[7] ؟ قلتُ : نعم . قال : ما أحْسَبُك إلا رجلًا صالحًا . ذاك أخى الخَضِرُ ، بَشَّرنى أنّى سَأَلِى وأَعْدِلُ . قال الشّيخُ أبو الفرجِ ابنُ الجَوْزِىِّ : الرّملىُّ مجروحٌ عندَ العلماءِ . وقد قدَح أبو الحسينِ ابنُ المُنادِى فى ضَمْرةَ ، والسّرىِّ ، ورياحٍ . ثم أَوْرَدَ مِن طرقٍ أخرى ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أنّه اجتمع بالخَضِرِ . وضعَّفها كلَّها . وروى ابنُ عساكرَ[8] أيضًا ، أنّه اجتمع بإبراهيمَ التّيمىِّ[9] ، وبسفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، وجماعةٍ يَطُولُ ذِكْرُهم .

وهذه الرّواياتُ والحكاياتُ ، هى عمدةُ [10]مَن ذَهَب[10] إلى حياتِه إلى اليومِ . وكلٌّ مِن الأحاديثِ المرفوعةِ ضعيفةٌ جِدًّا ، لا يقومُ بمثلِها حُجَّةٌ فى

---

(١) فى ص : « الثورى » .
(٢) فى الأصل ، ح ، م : « حمزة » .
(٣) فى ص : « عن » .
(٤) فى ص : « بن » .
(٥) فى الأصل ، م ، ص : « رباح » . انظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٥٨، ٢٥٩.
(٦) فى ح ، م ، ص : « حافى » .
(٧) فى النسخ : « رباح » . وراجع حاشية (٥) .
(٨) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٢٩ - ٤٣٣ .
(٩) فى تاريخ دمشق : « التميمى » . وهو خطأ ، وانظر الإصابة لابن حجر ٢/ ٣٢٩.
(١٠ - ١٠) فى الأصل : « ابن وهب » .

الدِّينِ. والحكاياتُ لا يَخْلو أكثرُها عن ضعفٍ فى الإسنادِ، وقُصَاراها أنّها صحيحةٌ إلى مَن ليس بمعصومٍ؛ مِن صحابىٍّ أو غيرِه؛ لأنّه يجوزُ عليه الخطأُ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال عبدُ الرَّزاقِ[1]: أخْبَرَنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِىِّ، أخْبَرَنى عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ أنّ أبا سعيدٍ، قال: حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ حديثًا طويلًا عن الدَّجّالِ، فقال فيما يحدِّثُنا: «يَأتى الدَّجّالُ، وهو مُحرَّمٌ عليه أنْ يَدْخُلَ نِقابَ المدينةِ، فيَخْرُجُ إليه يومَئذٍ رجلٌ، هو خيرُ النّاسِ، أو مِن خيرِهم، فيقولُ: أشهدُ أنّك أنتَ الدَّجّالُ الذى حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بحديثِه. فيقولُ الدَّجّالُ: أرأيتم إنْ قتلتُ هذا ثم أَحْيَيْتُه، أتَشكُّون فى الأمرِ؟ فيقولون: لا. فيَقْتُلُه [١/ ٢٠٩ظ] ثم يُحْيِيه، فيقولُ حين يُحْيَى: واللَّهِ ما كنتُ أشدَّ بَصِيرةً فيكَ مِنِّى الآنَ. قال: فيُريدُ قَتْلَه الثّانيةَ فلا يُسلَّطُ عليه» قال مَعْمَرٌ: بَلَغَنى أنّه يَجْعَلُ [2]على حَلْقِه[2] صَفِيحةً[3] مِن نُحاسٍ، وبلغنى أنّه الخَضِرُ الذى يَقتلُه الدَّجّالُ، ثم يُحْيِيه. وهذا الحديثُ مخرَّجٌ فى «الصَّحيحَيْنِ»[4]، مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ به. وقال أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ، الفقيهُ الرّاوِى عن مسلمٍ: الصَّحيحُ أنْ يُقالَ: إنّ هذا الرَّجُلَ الخَضِرُ. وقَوْلُ مَعْمَرٍ وغيرِه: بَلَغَنى. ليس فيه حُجّةٌ، وقد وَرَد فى بعضِ ألفاظِ الحديثِ: «فيَأتى بشابٍّ مُمْتَلِئٍ شبابًا فيَقتُلُه»[5]. وقولُه: «الذى حدَّثنا عنه رسولُ اللَّه ﷺ». لا يَقْتَضِى المُشافَهةَ،

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٢٤).

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى الأصل، م: «صحيفة».

(٤) البخارى (١٨٨٢، ٧١٣٢). مسلم (٢٩٣٨).

(٥) مسلم (٢٩٣٧). ابن ماجه (٤٠٧٥). الترمذى (٢٢٤٠). كلهم من حديث النواس بن=

بل يَكفى التَّواتُرُ.

وقد تصدَّى الشيخُ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوزِىِّ[1]، رَحِمَه اللَّهُ فى كتابِه: «عُجالةُ المنتظرِ، فى شرحِ حالِ الخَضِرِ» للأحاديثِ الواردةِ فى ذلك مِن المرفوعاتِ، فبَيَّنَ أنَّها موضوعاتٌ، ومِن الآثارِ عن الصَّحابةِ والتَّابعين ومَن بعدَهم، فبيَّنَ ضعْفَ أسانيدِها ببَيانِ أحوالِها، وجَهالَةِ رجالِها، وقد أجادَ فى ذلك، وأحسنَ الانتقادَ.

وأمّا الذين ذهبوا إلى أنّه قد مات، ومنهم البخارىُّ، وإبراهيمُ الحربىُّ، وأبو الحسينِ ابنُ المنادى، والشّيخُ أبو الفرجِ ابنُ الجوزىِّ، وقد انتصر لذلك وصَنّف فيه كتابًا سمّاه: «عُجالةُ المُنتظِرِ فى شرحِ حالِ الخَضِرِ» فيُحتَجُّ لهم بأشياءَ كثيرةٍ؛ منها، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. فالخَضِرُ، إنْ كانَ بشرًا، فقد دخل فى هذا العمومِ لا مَحالةَ، ولا يجوزُ تخصيصُه منه إلا بدليلٍ صحيحٍ، والأصلُ عدمُه حتى يَثْبُتَ، ولم يُذْكَرْ ما فيه دليلٌ على التّخصيصِ عن معصومٍ يجبُ قبولُه. ومنها، أنّ اللَّهَ تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال ابنُ عباسٍ[2]: ما بعثَ اللَّهُ نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاقَ: لَئِنْ بُعِثَ

= سمعان رضى اللَّه عنه. وفى هذه المواضع ليس فيها: «فيقتله». ولكن فيها: «فيضربه بالسيف فيقطعه».

(١) انظر الموضوعات لابن الجوزى ١/١٩٣ - ١٩٩. وترجمة الخضر فى الإصابة لابن حجر ٢/ ٢٨٦ - ٣٣٥.

(٢) التفسير ٢/ ٥٦.

محمدٌ ، وهو حَىٌّ ؛ لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَنْصُرَنَّه . [1] وأَمَرَه أنْ يأخذَ على أُمَّتِه الميثاقَ : لَئِنْ بُعِث محمدٌ وهم أحياءٌ ؛ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه [1] . ذكره البخاريُّ عنه . فالخَضِرُ إنْ كان نبيًّا أو وليًّا ، فقد دخل فى هذا الميثاقِ ، فلو كان حيًّا فى زمنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لكان أشرفَ أحوالِه أنْ يكونَ بينَ يَدَيْه ، يُؤْمِنُ بما أنْزَل اللَّهُ عليه ، ويَنصرُه إن وَصَل أحدٌ مِن الأعداءِ إليه ؛ لأنّه إنْ كان [١/٢١٠و] وليًّا ؛ فالصِّدِّيقُ أفضلُ منه ، وإنْ كان نبيًّا ؛ فموسى أفضلُ منه .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ فى « مسندِه » [2] : حدَّثنا سُرَيْجُ [3] بنُ النُّعمانِ ، حدّثنا هُشيمٌ ، أنبأنا مُجَالِدٌ [4] ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « والذى نَفْسِى بيدِه ، لو أنَّ موسى كان حَيًّا ما وَسِعَه إلَّا أنْ يَتَّبِعَنى » . وهذا الذى يُقْطَعُ به ، ويُعْلَمُ مِن الدِّينِ عِلْمَ الضّرورةِ ، وقد دَلَّتْ عليه هذه الآيةُ الكريمةُ ؛ أَنّ الأنبياءَ كلَّهم لو فُرِضَ أَنَّهم أحياءٌ [5] فى زمنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لكانوا كلُّهم أتباعًا له ، وتحتَ أوامرِه ، وفى عمومِ شَرعِه ، كما أنّه صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه لمّا اجتَمعَ معهم ليلةَ الإسراءِ ، رُفِع فوقَهم كلِّهم ، ولمَّا هَبَطُوا معه إلى بيتِ المقدِسِ ، وحانتِ الصّلاةُ ؛ أمَره جبريلُ عن أمرِ اللَّهِ أنْ يَؤُمَّهم ، فصلَّى بهم فى مَحَلِّ وِلايتِهم ، ودارِ إقامتِهم ، فدَلَّ على أنّه الإمامُ الأعظمُ ، والرّسولُ الخاتَمُ ، المُبَجَّلُ ، المُقَدَّمُ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أجمعين . فإذا عُلِم هذا - وهو معلومٌ عندَ كلِّ مؤمنٍ - عُلِم أنّه لو كان الخَضِرُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢) تقدم فى ١/٤٥٧ .

(٣) فى م ، ص : « شريح » .

(٤) فى الأصل : « مجاهد » .

(٥) بعد هذا فى ح ، م : « مكلفون » .

حَيًّا ، لكان مِن جُمْلةِ أمةِ محمدٍ ﷺ ، ومِمَّن يَقْتَدِى بشرعِه ، لا يَسَعُه إلَّا ذلك . هذا عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السّلامُ ، إذا نزلَ فى آخرِ الزّمانِ ، يَحْكُمُ بهذه الشّريعةِ المُطهَّرةِ ، لا يَخْرُجُ منها ، ولا يَحِيدُ عنها ، وهو أحدُ أُولِى العَزمِ الخمسةِ المُرسَلين ، وخاتمُ أنبياءِ بنى إسرائيلَ . ومعلومٌ أنّ الخَضِرَ ، لم يُنْقَلْ بسندٍ صحيحٍ ولا حسنٍ تَسْكُنُ النَّفْسُ إليه ، أنّه اجتمعَ برسولِ اللَّهِ ﷺ فى يومٍ واحدٍ ، ولم يَشهدْ معه قِتالًا فى مَشْهَدٍ مِن المَشاهِدِ ، وهذا يومُ بدرٍ ، يقولُ الصّادقُ المصدوقُ ، فيما دعا به لربِّه عزّ وجلّ ، واسْتَنْصَرَه ، واسْتَفْتَحَه على مَن كفَره : « اللهمَّ إنْ تَهلِكْ هذه العِصابةَ لا تُعْبَدْ بعدَها فى الأرضِ »[1] ، وتلك العِصابةُ كان تحتَها سادةُ المسلمينَ يَوْمَئِذٍ ، وسادةُ الملائكةِ ، حتى جبريلُ ، عليه السّلامُ ، كما قال حسّانُ بنُ ثابتٍ[2] فى قصيدةٍ له ، فى بيتٍ يقالُ : إنّه أَفْخَرُ بيتٍ قالتْه العربُ :

وبِبِئْرِ[3] بدْرٍ إذْ يرُدُّ وُجوهَهم ... جِبْريلُ تحتَ لِوائِنا ومُحمدُ

فلو كان الخَضِرُ حيًّا لكان وقوفُه تحتَ هذه الرّايةِ أشرفَ مَقاماتِه ، وأعظمَ غَزَوَاتِه .

قال القاضى أبو يَعْلَى محمدُ بنُ الحُسينِ بنِ الفَرّاءِ الحَنبلىُّ : سُئِل بعضُ

---

(١) مسلم (١٧٦٣) . والترمذى (٣٠٨١) . ومسند أحمد ٢/ ٣٠، ٣٢.

(٢) أورده ابن هشام فى السيرة ١/١٥٨ فى : ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد ، ونسبه إلى كعب بن مالك ، وليس كما قال ابن كثير أنه من شعر حسان . وكذا أورده ابن كثير نفسه فى مصنفه - البداية المطبوع - ٤/٥٨ فى : فصل فيما تقاول به المؤمنون والكفار فى وقعة أحد من الأشعار ، وقال : قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها - أى القصيدة - لحسان . وقال ابن إسحاق : قال كعب بن مالك . أى ينسبها له .

(٣) فى ح : « وسين » . وفى م ، ص : « وثبير » .

أصحابِنا عن الخَضِرِ: هل مات؟ فقال: نعم. قال: وبلغنى مثلُ هذا عن أبى طاهرٍ ابنِ الغُبارِىِّ قال: وكان يحتجُّ بأنَّه لو كان حيًّا، لجاءَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. نَقَلَه ابنُ الجَوْزِىِّ [١/٢١٠ظ] فى «العُجالةِ»[١]. فإنْ قِيل: فهلَّا يُقالُ: إنّه كان حاضِرًا فى هذه المواطنِ كلِّها، ولكنْ لم يكنْ أحدٌ[٢] يراه. فالجوابُ أنّ الأصلَ عدمُ هذا الاحتمالِ البعيدِ، الذى يلزَمُ منه تخصيصُ العموماتِ بمجرَّدِ التَّوَهُّمَاتِ، ثم ما الحَامِلُ[٣] له على هذا الاختفاءِ؟ وظهورُه أعظمُ لأَجْرِه، وأعلَى فى مَرْتَبَتِه، وأظهرُ لمُعْجِزَتِه. ثم لو كان باقيًا بعدَه، لكان تبليغُه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الأحاديثَ النبويةَ والآياتِ القرآنيةَ، وإنكارُه لِما وقعَ مِن الأحاديثِ المكذوبةِ، والرِّواياتِ المقلوبةِ، والآراءِ البِدْعِيَّةِ، والأهواءِ العَصَبِيَّةِ، وقتالُه مع المسلمين فى غَزَواتِهم، وشُهودُه جُمَعَهم وجماعاتِهم، ونَفْعُه إيّاهم، ودفعُه الضَّررَ عنهم، ممَّن سواهم، وتسديدُه العُلماءَ والحُكّامَ، وتقريرُه الأدلَّةَ والأحكامَ، أفضلَ مم[٤] يُقالُ عنه مِن كُنونِه فى الأمصارِ، وجَوْبِه الفَيافِىَ والأقطارَ، واجتماعِه بعُبَّادٍ لا يُعْرَفُ أحوالُ كثيرٍ منهم، وجَعْلِه لهم كالنَّقيبِ المُتَرْجِمِ عنهم. وهذا الذى ذَكَرْناه لا يَتوقَّفُ أحدٌ فيه بعد التَّفَهُّمِ، واللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ. ومِن ذلك ما ثَبَتَ فى «الصَّحيحَيْنِ» وغيرِهم[٥]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى ليلةَ العِشاءَ، ثم

---

(١) وذكره نقلًا عن ابن الجوزى، الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٢٩٩، وعنده: «أبو طاهر ابن العبادى»، والصحيح ما هو مثبت هنا، وانظر طبقات الحنابلة ٢/ ١٨٨، والمنهج الأحمد ٢/ ٩٩.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «الحاصل».

(٤) فى ح، م: «ما».

(٥) البخارى (٦٠١). مسلم (٢٥٣٧). الترمذى (٢٢٥١). أبو داود (٤٣٤٨). النسائى فى الكبرى (٥٨٧١). كلهم من حديث عبد الله بن عمر.

قال: «أرأيتُم ليلتَكم هذه، فإنّه إلى مائةِ سنةٍ، لا يَبْقَى ممَّن هو على وَجْهِ الأرضِ اليومَ أحدٌ». وفي روايةٍ[1]: «عينٌ تَطْرِفُ». قال ابنُ عمرَ: فَوَهِلَ[2] النّاسُ في مقالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ هذه، وإنّما أرادَ انْخِرَامَ قَرْنِهِ.

قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا عبدُ الرّزّاقِ، أنبأنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، قال: أخبرَني سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ، وأبو بكرِ بنُ سليمانَ بنِ أبي حَثْمَةَ[4]، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال: صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ صلاةَ العِشاءَ في آخِرِ حياتِه، فلمّا سَلَّمَ قام، فقال: «أرأيتُم ليلتَكم هذه، فإنَّ على رأسِ مائةِ سنةٍ لا يَبْقَى مِمَّنْ على ظَهْرِ الأرضِ أحدٌ». وأخرجَه البخاريُّ، ومسلمٌ، مِن حديثِ الزُّهريِّ[5].

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ أبي عَدِيٍّ، عن سليمانَ التَّيْميِّ، عن أبي نَضْرَةَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ، قبلَ مَوْتِه بقليلٍ أو بشَهْرٍ: «ما مِن نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ - أو: ما منكم مِن نفسٍ اليومَ منفوسةٍ - يأتي عليها مائةُ سنةٍ وهي يَوْمَئِذٍ حيَّةٌ».

وقال أحمدُ[7]: حدَّثنا موسى بنُ داودَ، حدَّثنا ابْنُ لَهِيعَةَ، عن أبي الزُّبيرِ، عن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ، أنّه قال، قبلَ أنْ يموتَ بشَهْرٍ: «يَسألُونى عن السّاعةِ، وإنّما عِلْمُها عندَ اللَّهِ، أُقْسِمُ باللَّهِ، ما على الأرضِ نفسٌ منْفُوسَةٌ اليومَ،

(١) مشكل الآثار ١/١٦١ من حديث أبي مسعود.
(٢) قال ابن حجر الفتح ٢/ ٧٥: أي غلطوا أو توهموا، أو فزعوا أو نسوا، والأول أقرب هنا، وقيل: وهَل - بالفتح - بمعنى وهِم بالكسر، ووهل - بالكسر - مِثْله. وقيل: بالفتح؛ غَلِطَ. وبالكسر؛ فَزِع.
(٣) أحمد في المسند ٢/ ٨٨. (إسناده صحيح).
(٤) البخاري (١١٦، ٥٦٤)، ومسلم (٢٥٣٧).
(٥) في الأصل، م: «خيثمة». وفي ص: «حتمة». وانظر تقريب التهذيب ٢/ ٣٩٧.
(٦) مسند أحمد ٣/ ٣٠٥، ٣٠٦.
(٧) المسند ٣/ ٣٤٥.

يَأتى عليها مائةُ سنةٍ». وهكذا رواه مسلمٌ، مِن طريقِ أبى نَضْرَةَ، [١/٢١١و] وأبى الزُّبيرِ، كلٌّ منهما عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ به نحوَه[١].

وقال التِّرْمِذِىُّ[٢]: حدَّثنا هنادٌ[٣]، حدثنا أبو معاويةَ، عن الأعمشِ، عن أبى سفيانَ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما على الأرضِ نفسٌ مَنْفوسةٌ[٤]، يأتِى عليها مائةُ سنةٍ». وهذا أيضًا على شرطِ مسلمٍ. قال ابنُ الجَوزِىِّ[٥]: فهذه الأحاديثُ الصِّحاحُ تَقْطَعُ دَابِرَ دَعْوَى حياةِ الخَضِرِ. قالوا: فالخَضِرُ إنْ لم يكنْ قد أَدْرَكَ زمانَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، كما هو المَظْنُونُ الذى يَتَرَقَّى فى القوةِ إلى القَطْعِ، فلا إِشْكالَ. وإنْ كان قد أَدْرَكَ زمانَه، فهذا الحديثُ يَقْتَضِى أنّه لم يَعِشْ بعدَه[٦] مائةَ سنةٍ، فيكونُ الآنَ مفقودًا لا موجودًا؛ لأنّه داخِلٌ فى هذا العمومِ، والأصلُ عدمُ المُخَصِّصِ له، حتى يَثْبُتَ بدليلٍ صحيحٍ يَجِبُ قبولُه. واللَّهُ أعلمُ.

وقد حَكَى الحافِظُ أبو القاسمِ السُّهَيْلِىُّ فى كتابِه: «التَّعْرِيفُ والإِعْلَامُ»[٧] عن البخارىِّ وشيخِه أبى بكرٍ ابنِ العربىِّ، أنّه أَدْرَكَ حياةَ النَّبىِّ ﷺ، [٨]ولكنْ ماتَ[٨] بعدَه؛ لهذا الحديثِ. وفى كَوْنِ البخارىِّ، رَحِمَه اللَّهُ، يقولُ بهذا، وأنّه بَقِىَ إلى زمانِ النَّبىِّ ﷺ، نَظَرٌ. ورجَّحَ السُّهَيْلِىُّ بقاءَهَ، وحَكاه عنِ

---

(١) مسلم (٢٥٣٨).
(٢) الترمذى (٢٢٥٠). (صحيح الترمذى ١٨٣٤).
(٣) فى ح، م: «عباد».
(٤) بعدها فى الترمذى: «يعنى اليوم».
(٥) لعل هذا القول فى كتاب ابن الجوزى «عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر».
(٦) فى م: «بعد».
(٧) التعريف والإعلام ١/ ١٩٠.
(٨ - ٨) سقط من: ص.

الأَكْثَرِين[1] ؛ قال : وأمّا اجتماعُه مع النَّبيِّ ﷺ ، وتعزِيتُه لأهلِ البيتِ ، فَمَرْوِيٌّ مِن طُرُقٍ صحاحٍ[2] . ثم ذَكَرَ ما تقدَّمَ مِمّا ضعَّفْناه[3] ، ولم يُورِدْ أسانيدَها . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) التعريف والإعلام ١/ ١٩٠.

(٢) التعريف والإعلام ١/ ١٩٠.

(٣) التعريف والإعلام ١/١٩٥ - ١٩٨.

أمّا إلْياسُ، عليه السّلامُ

فقال اللّهُ تعالى، بعدَ قصةِ موسى وهارونَ مِن سورةِ «الصّافّاتِ»[1]:

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣- ١٣٢]. قال علماءُ النَّسَبِ: هو إلياسُ بن[2] تسبى[3]. ويُقال: ابنُ ياسينَ بنِ فنحاصَ بنِ العيزارِ[4] بنِ هارونَ. وقِيل: إلياسُ بنُ العازرِ بنِ العيزارِ[4] بنِ هارونَ بنِ عِمْرانَ. قالوا: وكان إرسالُه إلى أهلِ بَعْلَبَكَّ، غربيَّ دِمَشْقَ[5]، فدعاهُم إلى عبادةِ اللّهِ، عزَّ وجلَّ، وأنْ يَتْرُكوا عبادةَ صَنَمٍ لهم، كانوا يُسمُّونه بَعْلًا. وقِيل: كانت امرأةً اسمُها بَعْلٌ[6]. والأولُ أصحُّ. ولهذا قال لهم: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فكذَّبُوه وخالفوه، وأرادوا قتْلَه، فيُقالُ: إنّه هَرَبَ منهم، واختَفَى عنهم.

---

(١) التفسير ٧/ ٣١، ٣٢.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «التشبى». وفى ص: «تشبى».

(٤) فى الأصل: «الغيزار».

(٥) تاريخ دمشق ٩/ ٢٠٥.

(٦) انظر القولين وقائليهما فى تفسير الطبرى ٢٣/ ٩٢، ٩٣.

قال أبو يعقوبَ الأَذْرَعِيُّ[1] ، عن يزيدَ بنِ عبدِ الصَّمدِ ، عن هشام بن عمار [١٠/٢١١ظ] قال : وسَمِعْتُ مَن يَذْكُرُ عن كعبِ الأحبارِ ، أنّه قال : إنّ إلياسَ اخْتَبَأَ مِن مَلِكِ قومِه ، فى الغارِ الذى تحتَ الدَّمِ[2] ، عشرَ سِنِينَ ، حتى أهلكَ اللَّهُ المَلِكَ ، ووَلِىَ غيرُه ، فأتاه إلياسُ ، فعَرَض عليه الإسلامَ ، فأسْلَمَ ، وأسلَم مِن قومِه خَلْقٌ عظيمٌ غيرَ عشَرةِ آلافٍ منهم ، فأمَرَ بهم فقُتِلُوا عن آخرِهم .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : حدَّثنى أبو محمدٍ القاسمُ بنُ هاشمٍ ، حدّثنا عمرُ ابنُ سعيدٍ الدِّمَشْقِيُّ ، حدثنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن بعضِ مَشْيَخَةِ دِمَشْقَ ، قال : أقامَ إلياسُ ، عليه السّلامُ ، هاربًا مِن قومِه فى كهفِ جبلٍ عشرين ليلةً ، أو قال : أربعين ليلةً ، تَأْتِيه الغِرْبانُ برِزْقِه .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ ، كاتبُ الواقِدِىِّ[4] : أنبأنا هشامُ بنُ محمدِ بنِ السّائِبِ الكَلْبِىُّ ، عن أبيه ، قال : أَوَّلُ نبىٍّ بُعِث إدريسُ ، ثم نوحٌ ، ثم إبراهيمُ ، ثم إسماعيلُ وإسحاقُ ، ثم يعقوبُ ، ثم يوسفُ ، ثم لوطٌ ، ثم هودٌ ، ثم صالحٌ ، ثم شعيبٌ ، ثم موسى وهارونُ ابنا عِمْرانَ ، ثم إلياسُ بنُ[5] تسبى بنِ العازرِ بنِ هارونَ بنِ عِمْرانَ بنِ قاهثَ بنِ لاوى بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، عليهم السّلامُ . هكذا قال ، وفى هذا التّرتيبِ نَظَرٌ . وقال مكحولٌ عن كعبٍ[6] :

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢٠٥.

(٢) فى ح : « المدم » .

(٣) وأخرجه من طريق ابن أبى الدنيا ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٠٦.

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٥٤، ٥٥ مطولًا . ومن طريق ابن سعد ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٢٠٦ بنحو ما أورده ابن كثير .

(٥) سقط من : م . وفى ح : « ثم » .

(٦) أخرجه بإسناده ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٧. وعنده : « اليوم » ، بدل « أحياء » . و : « فى الدنيا » ، بدل « فى الأرض » .

أربعةُ أنبياءَ أحياءٌ؛ اثنان فى الأرضِ: إلياسُ والخَضِرُ، واثنان فى السَّماءِ: إدريسُ وعيسى. وقد قدَّمْنا قولَ مَن ذَكَرَ أنَّ إلياسَ والخَضِرَ يجتمِعانِ فى كلِّ عامٍ فى شهرِ رمضانَ ببيتِ المقدِسِ، وأنّهما يحُجّان كلَّ سنةٍ، ويشربان مِن زمزمَ شَرْبَةً تَكفيهما إلى مِثلِها مِن العامِ المُقْبِلِ. وأوْرَدْنا الحديثَ الذى فيه أنّهما يجتمعان بعَرَفاتٍ كلَّ سَنَةٍ، وبَيَّنّا أنّه لم يَصِحَّ شىءٌ مِن ذلك، وأنَّ الذى يقومُ عليه الدّليلُ: أنّ الخَضِرَ مات، وكذلك إلياسُ، عليهما السّلامُ. وما ذَكَرَه وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ وغيرُه[1]؛ أنّه لمَّا دعا ربَّه، عزَّ وجلَّ، أنْ يَقبِضَه إليه لمّا كذَّبوه، وآذَوْه فجاءتْه دابّةٌ، لونُها لونُ النّارِ، فرَكِبَها، وَجَعَل اللَّهُ له رِيشًا، وألْبَسَه النُّورَ، وقَطَع عنه لَذَّةَ المَطْعَمِ والمشربِ، وصار مَلَكِيًّا بَشَرِيًّا سماويًّا أرضيًّا، وأوْصَى إلى اليَسَعَ بنِ أخْطُوبَ، ففى هذا نَظَرٌ، وهو مِن الإِسْرَائِيلِيّاتِ، التى لا تُصدَّقُ ولا تُكذَّبُ، بل الظّاهِرُ أنّ صحتَها بعيدةٌ. واللَّهُ أعلمُ.

فأمّا الحديثُ الذى رَواه الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[2]: أخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثَنى [3]أبو العباسِ أحمدُ بنُ سعيدٍ المَعْدَانىُّ[4] بِبُخارَى، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمودٍ، حدّثنا عَبْدَانُ بنُ سِنانٍ، حدّثنى[3] أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢١٠. عن وهب. وتاريخ الطبرى ١/٤٦٢ - ٤٦٤ مطولًا، وتفسيره ٢٣/ ٩٣، ٩٤، عن ابن إسحاق مطولًا.

(٢) فى دلائل النبوة ٥/ ٤٢١. وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٦١٧ وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبى: بل موضوع قبّح اللّه من وضعه. كما قال ابن كثير نفسه عقب الحديث. وقال ابن حجر فى لسان الميزان ٦/ ٢٩٥: حديث باطل.

وأخرجه من طريق البيهقى، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٢١٢ وذكر عقبه كلام البيهقى الذى ذكره ابن كثير.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى الأصل: «العدانى». وفى دلائل النبوة: «البغدادى». وانظر الأنساب ٥/ ٣٣٩.

البَرْقِيُّ[1] ، حدَّثَنا يزيدُ بنُ يزيدَ البَلَوِيُّ[2] ، حدّثنا أبو إسحاقَ الفَزَارِيُّ ، عن الأوْزاعِيِّ ، عن مَكْحُولٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال [١/٢١٢و] : كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سَفَرٍ ، فَنَزَلْنا مَنْزِلًا ، فإذا رجُلٌ فى الوادِى ، يقولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنى مِن أُمَّةِ محمدٍ ﷺ المرحومةِ ، المغفورةِ ، المُثابِ لها . قال : فأشرفْتُ على الوادى ، فإذا رجلٌ طولُه أكثرُ مِن ثلثمائةِ ذراعٍ ، فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلتُ : أنسُ بنُ مالكٍ ، خادِمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فأين هو ؟ قلتُ : هو ذا يسمعُ كلامَك . قال : فَأْتِه فأقْرِئْه السّلامَ ، وقُلْ له : أخوك إلياسُ يُقْرِئُك السَّلامَ . قال : فأتيتُ النَّبىَّ ﷺ فأخبرتُه ، فجاء حتى لَقِيَه ، فعانقَه وسلَّم ، ثم قَعَدَا يتحَدَّثان ، فقال له : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى ما آكُلُ فى سَنَةٍ إلا يومًا ، وهذا يومُ فِطْرِى ، فآكلُ أنا وأنت . قال : فنزلتْ عليهما مائدةٌ مِن السّماءِ عليها خُبْزٌ ، وحُوتٌ ، وكَرَفْسٌ ، فأكَلا وأطْعَمانى ، وصَلَّيْنا العصرَ ، ثم ودَّعه ، ورأيتُه مرَّ فى السّحابِ نحوَ السّماءِ . فقد كَفانا البيهقىُّ أمرَه ، وقال : هذا حديثٌ ضعيفٌ بمرَّةٍ . والعَجَبُ أنّ الحاكِمَ أبا عبدِ اللَّهِ النَّيْسابُورِىَّ أخرجَه فى « مُستدرَكِه على الصَّحيحَيْنِ » ، وهذا مِمّا يُسْتدرَكُ به على « المستدرَكِ » ، فإنّه حديثٌ موضوعٌ ، مُخالِفٌ للأحاديثِ الصِّحاحِ مِن وجوهٍ . ومعناه لا يَصِحُّ أيضًا ، فقد تقدّم فى « الصَّحيحين »[3] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنّ اللَّهَ خَلَقَ آدمَ طُولُه ستُّون ذِراعًا فى السَّماءِ » ، إلى أنْ قال : « ثم لم يَزَلِ الخَلْقُ ينقُصُ ، حتى الآنَ » . وفيه أنّه لم يأتِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى كان هو الذى ذهبَ إليه . وهذا لا يصِحّ ؛ لأنّه

---

(١) فى دلائل النبوة : « الرقى » . وانظر ميزان الاعتدال ٤/ ٤٤١ . ولسان الميزان ٦/ ٢٩٥ .
(٢) فى دلائل النبوة : « العلوى » . وانظر ميزان الاعتدال ٤/ ٤٤١ . ولسان الميزان ٦/ ٢٩٥ .
(٣) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٠٦ .

كان أحقَّ بالسَّعى إلى بينِ يَدَىْ خاتَمِ الأنبياءِ. وفيه أنّه يأكلُ فى السَّنةِ مرّةً، وقد تقدّمَ عن وَهْبٍ أنّه سَلَبَه اللَّهُ لذّةَ المطعَمِ والمشرَبِ، وفيما تقدّم عن بعضِهم أنّه يشربُ مِن زَمْزَمَ كُلَّ سنةٍ شَرْبةً تَكْفِيه إلى مثلِها مِن الحَوْلِ الآخَرِ. وهذه أشياءُ مُتعارِضةٌ، وكلُّها باطلةٌ، لا يصحُّ شىءٌ منها.

وقد ساق ابنُ عساكرَ هذا الحديثَ مِن طريقٍ أُخرى[1]، واعترفَ بضَعْفِها، وهذا عَجَبٌ منه، كيف تكلَّمَ عليه، فإنّه أورَدَه مِن طريقِ [2]خَيْرِ بنِ عرفةَ[2]، عن هانِئِ بنِ الحسنِ[3]، عن بَقِيَّةَ، عن الأوْزاعِىِّ، عن مكحولٍ، عن واثِلَةَ[4] بنِ الأسْقَعِ، فذَكَر نحوَ هذا مطوَّلًا، وفيه أنَّ ذلك كان فى غزوةِ تَبوكَ، وأنّه بعثَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ أنسَ بنَ مالكٍ، وحُذَيفَةَ بنَ اليمانِ، قالا: فإذا هو أعلى جِسمًا مِنَّا[5] بذراعين أو ثلاثةٍ، واعتذرَ بعدمِ قدومِه[6] لِئَلَّا تَنفِرَ الإبلُ. وفيه أنّه لمّا اجْتَمَع به رسولُ اللَّهِ ﷺ [١/٢١٢ظ] أكَلا مِن طعامِ الجنّةِ، وقال: إنّ لى فى كلِّ أربعينَ يومًا أَكْلَةً، وفى المائدةِ خبزٌ، ورُمّانٌ، وعنبٌ، ومَوزٌ، ورُطَبٌ، وبَقْلٌ ما عدا الكُرّاثَ. وفيه أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سألَه عن الخَضِرِ، فقال: عهدِى به عامَ أوّلَ، وقال لى: إنّك ستَلْقاه قبلى، فأَقْرِئْه منى السّلامَ. وهذا يدلُّ على أنّ الخَضِرَ وإلياسَ، بتقديرِ وجودِهما وصحةِ هذا الحديثِ، لم يَجتَمِعا

---

(١) تاريخ دمشق ٩/٢١٢ - ٢١٤ مطولًا. وقال ابن عساكر عقبه: هذا حديث منكر وليس بالقوى.

(٢ - ٢) فى تاريخ دمشق: «خبر بن عوفة». والصحيح ما أثبتناه. وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٣، ٤١٤. والإصابة لابن حجر ٢/٣٠٧ حيث ذكر الخبر عن ابن شاهين، وحقّق اسم «خير» ص ٣٠٩.

(٣) فى الأصل: «الحسين». والمثبت موافق لما عند ابن عساكر. وفى الإصابة: «هانئ بن المتوكل».

(٤) بعده فى م: «عن».

(٥) سقط من: م.

(٦) فى ح، م: «قدرته».

به إلى سنةِ تِسعٍ مِن الهِجْرةِ ، وهذا لا يُسَوَّغُ شرعًا ، وهذا موضوعٌ أيضًا . وقد أورد ابنُ عساكرَ طُرُقًا فى مَن اجْتَمَع بإلياسَ مِن العُبَّادِ[1] ، وكلُّها لا يُفْرَحُ بها ؛ إمَّا لضَعْفِ إسنادِها ، أو لجَهالةِ المُسنَدِ إليه فيها . ومِن أحسنِها ما قال أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنيا[2] : حدَّثنى بشرُ بنُ مُعاذٍ ، حدّثنا حمَّادُ[3] بنُ واقِدٍ ، عن ثابتٍ ، قال : كنَّا مع مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ ، بسَوادِ الكوفةِ ، فدخلتُ حائطًا أصلِّى فيه ركعتين ، فافتتحتُ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: ١- ٣] . فإذا رجُلٌ مِن خَلْفِى على بَغْلةٍ شَهْباءَ ، عليه مُقَطَّعَاتٌ يَمَنِيَّةٌ ، فقال لى : إذا قلتَ : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ . فقُل : يا غافرَ الذّنبِ ، اغفِرْ لى ذنبى . وإذا قلتَ : ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ . فقُل : يا قابِلَ التَّوْبِ ، تقبَّلْ تَوْبَتى . وإذا قلتَ : ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ . فقُل : يا شديدَ العِقاب ، لا تُعاقِبْنى . وإذا قلتَ : ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾. فقُل : يا ذا الطَّولِ ، تَطَوَّلْ علىَّ برحْمةٍ . فالتَفَتُّ فإذا لا أحدَ ، وخَرَجْتُ فسألتُ : مرَّ بكم رجُلٌ على بَغْلةٍ شهباءَ ، عليه مُقَطَّعاتٌ[4] ، يَمَنِيَّةٌ ؟ فقالوا : ما مرَّ بنا أحدٌ . فكانوا لا يَرَوْنَ إلَّا أنَّه إلياسُ . وقولُه تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ . أى ؛ للعذابِ ؛ إمّا فى الدّنيا والآخِرةِ ، وإمّا فى الآخِرةِ ، والأولُ أظهرُ ، على ما ذكره المفسّرون والمؤرِّخون . وقولُه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . أى ؛ إلا مَن آمَن منهم ، وقولُه : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ . أى ؛ أبقينا بعدَه ذِكْرًا حسنًا له فى

---

(١) انظرها فى تاريخ دمشق ٩/٢١٤ - ٢١٧.
(٢) أخرجه ابن عساكر من طريقه ، فى تاريخ دمشق ٩/٢١٦، ٢١٧.
(٣) فى تاريخ دمشق : «أحمد» . وما أثبتناه هو الصحيح . وانظر تهذيب الكمال ٧/٢٨٩، ٢٩٠.
(٤) المقطعات : بُرُودٌ عليها وَشْىٌ مُقَطَّع . الوسيط (ق ط ع) .

العالَمين، فلا يُذْكَرُ إلا بخيرٍ، ولهذا قال[1]: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾. أى؛ سلامٌ على إلياسَ. والعربُ تُلْحِقُ النُّونَ فى أسماءٍ كثيرةٍ، وتُبدِلُها مِن غيرِها، كما قالوا: إسماعيلُ وإسماعينُ، وإسرائيلُ وإسرائينُ، وإلياسُ وإلياسينُ. ومَن قرأ (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) أى؛ على آلِ محمدٍ، وقرأ ابنُ مسعودٍ وغيرُه: (سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ)[2]. ونُقِل عنه مِن طريقِ إسحاقَ، عن عَبِيدَةَ بنِ رَبيعةَ، عن ابنِ مسعودٍ[3]، أنّه قال: إلياسُ هو إدريسُ. وإليه ذهب الضَّحّاكُ بنُ مُزاحِمٍ، وحكاه قَتادةُ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ، والصّحيحُ [١/٢١٣و] أنّه غيرُه كما تقدَّم، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ.

---

(١) انظر التفسير ٧/ ٣٢.

(٢) انظر التفسير ٧/ ٣٢. وتفسير الطبرى ٢٣/ ٩٦. والقرطبى ١٥/ ١١٨، ١١٩.

(٣) أورده المصنف فى التفسير ٧/ ٣١ وعزاه لابن أبى حاتم.

بابُ ذِكْرِ جَماعَةٍ من أنبياءِ بنى إسرائيلَ بَعْدَ موسى، عليه السَّلامُ

ثم نُتْبِعُهم بذِكْرِ داودَ وسليمانَ، عليهما السّلامُ. قال ابنُ جريرٍ، فى «تاريخِهِ»[1]: لا خلافَ بين أهلِ العلْمِ بأخبارِ الماضِينَ، وأُمورِ السَّالِفِين من أُمَّتِنا[2]، وغيرِهم؛ أنَّ القَيِّمَ بأمُورِ بنى إسرائيلَ بعدَ يوشعَ، كالبُ بنُ يُوفَنَّا. يَعْنِى أحَدَ أصحابِ موسى، عليه السلامُ، وهو زَوْجُ أُخْتِه مريمَ، وهو أحدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْن مِمَّن يَخافُونَ اللَّهَ، وهما يوشعُ وكالبُ، وهما القائلانِ لبنى إسْرائيلَ حين نَكَلُوا عن الجهادِ[3]: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. قال ابنُ جريرٍ[4]: ثُمَّ مِن بَعْدِه كان القائمُ بأمورِ بنى إسْرائيلَ حِزْقيلَ بنَ بوذى[5]. وهو الذى دعا اللَّهَ فأحْيا الَّذينَ خرجُوا مِن ديارِهم وهم أُلُوفٌ حَذَرَ الموتِ.

---

(١) ١/ ٤٥٧.

(٢) فى ص: «أئمتنا».

(٣) التفسير ٣/ ٧١.

(٤) فى تاريخه ١/ ٤٥٧.

(٥) فى الأصل: «لورى». وفى ح: «يورى». وفى ص: «نورى».

قصَّةُ حِزْقِيلَ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ : إن كالبَ بنَ يُوفنّا[3] لَمَّا قَبَضَه اللَّهُ إليه [4]بعدَ يوشعَ[4] ، خلَف فى بنى إسْرائيلَ حِزْقيلَ بنَ بوذى ، وهو ابنُ العَجُوزِ ، وهو الذى دعا للقومِ الذين ذكَرَهمُ اللَّهُ فى كتابِه ، فيما بلَغَنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ . [5]قال ابنُ إسحاقَ[5] : فَرُّوا مِنَ الوَباءِ ، فنَزَلُوا بصَعيدٍ مِن الأرضِ ، فقال لهمُ اللَّهُ : مُوتُوا . فماتوا جميعًا ، فحَظَرُوا عليهم حَظِيرةً[6] دُونَ السِّباعِ ، فمضتْ عليهم دُهورٌ طويلةٌ ، فَمَرَّ بهم حِزقيلُ ، عليه السَّلامُ ، فوقَفَ عليهم مُتفكِّرًا[7] ، فقيل له : أتُحِبُّ أن يبعثَهمُ اللَّهُ وأنت تنظُرُ؟ فقال : نعم . فأُمِر أن يدْعُوَ تلكَ العظامَ أن تكْتَسِيَ لَحْمًا ، وأن يتَّصِلَ العَصَبُ بعضُه ببعضٍ . فناداهم عن أمْرِ اللَّهِ له بذلك ، فقام القومُ

---

(١) التفسير ١/ ٤٤٠.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/ ٤٥٩، ٤٦٠ من قول محمد بن إسحاق . وفى تفسيره ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.

(٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

(٦) فى ح : « خطرة » .

(٧) فى ح : « مفكرًا » .

أجمعونَ ، وكبَّرُوا تكْبيرةَ رجُلٍ واحدٍ[1] . وقال أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ[2] ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن أُناسٍ مِن الصحابةِ[3] ، فى قولِه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ . قالوا : كانتْ[4] قريةٌ يُقال لها : « دَاوَرْدَانُ »[5] ، قِبَلَ « وَاسِطٍ » ، وقعَ بها الطَّاعونُ ، فهرَب [١/ ٢١٣ظ] عامَّةُ أهلِها ، فنزلُوا ناحيةً منها ، فهلَكَ مَن بَقِىَ فى القريةِ ، وسَلِمَ الآخَرون ، فلم يَمُتْ منهم كثيرٌ ، فلمَّا ارْتفَع الطاعونُ ، رجعُوا سالِمِين ، فقال الذين بَقُوا : أصحابُنا هؤلاءِ كانوا أحْزَمَ مِنَّا ، لو صَنَعْنا كما صنعُوا بَقِينَا ، ولئِنْ وقع الطاعونُ ثانيةً لَنَخْرُجَنَّ معهم . فوقَعَ فى[6] قابِلٍ ، فهَرَبُوا وهم بِضعةٌ وثلاثون ألفًا ، حتى نزلُوا ذلك المكانَ ، وهو وادٍ أفيحُ ، فناداهم مَلَكٌ مِن أسْفلِ الوادى ، وآخَرُ مِن أعْلاه : أن مُوتُوا . فماتُوا ، حتى إذا هَلَكُوا ، وبَقِيَتْ أجسادُهم ، مَرَّ بهم نَبِىٌّ ، يقال له : حِزْقِيلُ[7] . فلمَّا رآهم وقَفَ عليهم ، فجعل يتفكَّرُ فيهم ، ويَلْوِى شِدْقَيْهِ وأصابِعَه ، فأوْحَى اللَّهُ إليه : تُرِيدُ أن أُرِيَكَ كيف أُحْيِيهم ؟ قال : نعم . وإنَّما كان تفكُّرُه أنَّه تعجَّبَ[8] مِن قُدرةِ اللَّهِ عليهم ، فقيل له : نَادِ . فنادَى : يا أيَّتُها العظامُ ، إنَّ اللَّهَ يأمرُكِ أن تجْتمِعِى . فجعلتِ العظامُ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/ ٤٦٠ مطولًا من طريق محمد بن إسحاق .
(٢) فى الأصل : « عروة » .
(٣) سقط من : ص .
(٤) سقط من : ص .
(٥) فى الأصل ، ح ، ص : « دراوردان » .
(٦) سقط من : ص .
(٧) فى التاريخ : « هزقيل » .
(٨) سقط من : ح ، ص .

يطيرُ بعضُها إلى بعضٍ، حتى[1] كانتْ أجسادًا مِن عظامٍ، ثم أوْحَى اللَّهُ إليه؛ أنْ نادِ: يا أيَّتها العظامُ، إنَّ اللَّهَ يأمُرُكِ أن تكْتَسِى [2]لحمًا. فاكتست[2] لحمًا ودمًا، وثيابَها[3] التى ماتتْ[4] فيها. ثم قيلَ له: نادِ. فنادى: أيتُها الأجسادُ، إنَّ اللَّهَ يأمُرُكِ أنْ تقومى. فقاموا. قال أَسْباطُ: فزعمَ منصورٌ، عن مجاهدٍ، أنهمْ قالوا حينَ أُحْيُوا: سُبْحَانَكَ رَبَّنا، وبحَمْدِكَ، لا إلَهَ إلا أنت. فَرَجَعُوا إلى قومِهم أحياءً، يَعْرِفُونَ أنهم كانوا موتى، سَحْنَةَ الموتِ على وجوهِهم، لا يَلْبَسُون ثوبًا إلَّا عادَ [5]كَفَنًا دَسْمًا[5]، حتى ماتوا لآجالِهِمُ التى كُتِبَتْ لهم[6].

وعن ابنِ عباسٍ؛ أنهم كانوا أربعةَ آلافٍ. وعنه: ثمانِيَةَ آلافٍ. وعن أبى صالِحٍ: تسعةَ آلافٍ. وعن ابنِ عباسٍ أيضًا: كانوا أربعينَ ألفًا. وعن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ: كانوا من أهلِ «أَذْرِعَاتٍ». وقال ابنُ جُرَيْجٍ، عن عطاءٍ: هذا مَثَلٌ[7]. يعنى أنه سِيقَ مثلًا مُبَيِّنًا أنهُ لن يُغْنِىَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ. وقولُ الجُمهورِ أقوى؛ أَنَّ هذا وَقَعَ.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ وصاحبا «الصحيحِ»[8]، مِنْ طريقِ الزُّهْرِىِّ، عن عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ زَيدِ بنِ الخطَّابِ، عن عبدِ اللَّهِ [9]بنِ عبدِ اللَّهِ[9] بنِ الحارثِ

---

(١) بعده فى ح: «إذا».
(٢ - ٢) سقط من: ص.
(٣) فى ح: «ونباتها».
(٤) فى ص: «تجافت».
(٥ - ٥) فى ح: «كفنًا وسخًا». وفى م: «رسمًا». والدَّسْم: المطموس المَمْحِىّ.
(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/ ٤٥٨، ٤٥٩ من طريق أسباط به. وانظر تفسير الطبرى ٢/ ٥٨٧.
(٧) التفسير ١/ ٤٤٠.
(٨) أحمد فى المسند (١/١٩٤). البخارى (٥٧٢٩). مسلم (٢٢١٩).
(٩ - ٩) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر التخريج.

ابنِ نَوْفَلٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ خرجَ إلى الشامِ، حتى إذا كان بِسَرْغٍ، لَقِيَهُ أمراءُ الأَجنادِ، أبو عبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ وأصحابُه، فأخبروه أنَّ الوباءَ وقعَ بالشامِ، فَذَكَرَ الحديثَ. يعنى فى مُشاوَرَتِه المهاجرين والأنصارَ، فاختلَفُوا عليه، فجاءَه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، وكان مُتَغَيِّبًا ببعضِ حاجتِه، فقال: إنّ عندى مِنْ هذا عِلمًا؛ سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إذا كانَ بأرْضٍ وأنتمْ بها، فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه، وإذا سَمِعْتُم به بأرضٍ؛ فلا تَقْدَمُوا عليه». فحمِدَ اللَّهَ [١/٢١٤و] عمرُ ثم انصرف.

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)]: حدَّثَنا حجَّاجٌ ويزيدُ المَعْنَى[(٢)] قالا: حدَّثنا ابنُ أبى ذئبٍ[(٣)]، عن الزُّهْرِىِّ، عن سالمٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عَوفٍ [(٤)]أَخْبَرَ عمرَ[(٤)] وهو فى الشامِ، عن النبى ﷺ: «إن هذا السَّقَمَ عُذِّبَ به الأُمَمُ قَبْلَكُم، فإذا سَمِعْتُمْ به فى أرضٍ، فلا تَدْخُلُوها، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتم بها، فلا تَخْرُجوا فرارًا منه». قال: فَرَجَعَ عمرُ من الشامِ. وأخرجاه[(٥)] من حديثِ مالكٍ عن الزُّهْرِىِّ، بنَحْوِه.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٦)]: ولم يُذْكَرْ لنا مُدَّةُ لُبْثِ حِزْقيلَ فى بنى إسْرائيلَ، ثم إنّ اللَّهَ قَبَضَهُ إليه، فلمَّا قُبِضَ نَسِىَ بنو إسْرائيلَ عَهْدَ اللَّهِ إليهم، وَعَظُمَتْ

---

(١) سقط من: ح، م.
أحمد فى المسند ١/ ١٩٣. (إسناده صحيح).
(٢) فى ح: «العنى». وفى م، ص: «المفتى».
(٣) فى م: «ذؤيب». وانظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٣.
(٤ - ٤) فى ص: «أخبرهم».
(٥) البخارى (٥٧٣٠، ٦٩٧٣). مسلم (٢٢١٩).
(٦) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٠، ٤٦١.

فيهمُ الأحداثُ، وعبدُوا الأوثانَ، وكان فى جملةِ ما يَعبُدُونَهُ مِن الأصنامِ، صنمٌ يُقالُ له: بَعْلٌ. فَبَعَثَ اللَّهُ إليهم إلياسَ بنَ ياسينَ[1] بنِ فِنْحاصَ بنِ العِيزارِ ابنِ هارونَ بنِ عِمرانَ. قلتُ: وقد قدَّمْنا قصةَ إلياسَ تَبَعًا لقصَّةِ الخَضِرِ؛ لأنَّهما يُقْرَنَانِ فى الذِّكْرِ غالبًا، ولأجْلِ أنها بعدَ قصةِ موسى فى سورةِ الصَّافَّاتِ، فتَعَجَّلْنا قصَّتَه لذلك. واللَّهُ أعلمُ. قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]، فيما ذُكِرَ له عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: ثُمَّ تنبَّأ فيهم بعدَ إلياسَ، وَصِيُّه اليَسَعُ بنُ أخطوبَ، عليه السَّلامُ. وهذه:

---

(١) فى ص: «الياسين».

(٢) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٤.

قصَّةُ اليَسَعِ، عَلَيه السَّلامُ

وقد ذَكَرَه اللَّهُ تعالى مع الأنبياءِ، فى سورةِ «الأنعامِ» فى قولِه: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٦].

وقال تعالى فى سورةِ «ص»[(١)]: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨]. قال إسحاقُ[(٢)] بنُ بِشْرٍ، أبو حُذَيْفَةَ: أنبأنا سعيدٌ، عنْ قَتادَةَ، عنِ الحسَنِ قالَ: كان بعدَ إلياسَ، اليَسَعُ - عليهما السَّلامُ - فَمَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ أن يَمْكُثَ؛ يَدْعُوهم إلى اللَّهِ، مُسْتَمْسِكًا بمنهاجِ إلياسَ وشريعتِهِ، حتى قبضَهُ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، إليه، ثم خَلَفَ فيهم الخُلُوفُ[(٣)]، وعَظُمَتْ فيهمُ الأحْداثُ والخطايا، وكَثُرَتِ الجبابرةُ، وقَتَلُوا الأنبياءَ، وكان فيهم مَلِكٌ جبارٌ[(٤)] عنيدٌ طاغٍ، ويُقالُ: إنَّه الذى تَكَفَّلَ له ذو الكِفْلِ إنْ هو تابَ وراجَعَ، دَخَلَ الجنَّةَ؛ فسُمِّىَ ذا الْكِفْلِ. قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٥)]: هو اليَسَعُ بنُ أخطوبَ.

وقال الحافظُ أبو القاسم ابنُ عَساكِرَ، فى حرفِ الياءِ من «تاريخِه»[(٦)]: اليَسَعُ؛ وهو: الأسْباطُ بنُ عَدِىِّ بنِ شوتلمَ بنِ أفرائيمَ بنِ يُوسُفَ بنِ يعقوبَ بنِ

---

(١) التفسير ٧/ ٦٧.

(٢) فى ص: «ثنا».

(٣) الخُلُوف: التَّغيُّر والفَسَاد.

(٤) زيادة من: الأصل، ص.

(٥) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٢.

(٦) لعله من الجزء الساقط من مخطوط تاريخ دمشق. وانظر تاريخ دمشق ١٧/١٠٩ حاشية ٣، ومختصرة لابن منظور ٢٨/٣٦.

إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ. ويُقالُ: هو ابنُ عمِّ إلياسَ النبيِّ، عليهما السَّلامُ [١/٢١٤ظ]. ويقالُ: كان مُسْتَخْفِيًا معه بجَبَلِ قاسِيُونَ من مَلِكِ بَعْلَبَكَّ، ثُمَّ ذَهَبَ معه إليها، فلمَّا رُفِعَ إلياسُ خَلَفَه اليَسَعُ فى قومِهِ، وَنَبَّأَهُ اللَّهُ بعدَه. ذَكَر ذلك عبدُ المنعمِ بنُ إِدْرِيسَ (١بنِ سِنانٍ١)، عن أبيه، عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ. قال: وقال غيرُه: كان الأسباطُ(٢) بيانْياسَ. ثم ذكَر ابنُ عساكرَ قراءةَ مَنْ قَرَأَ: ﴿الْيَسَعَ﴾، بالتخفيفِ وبالتَّشديدِ، وَمَنْ قرَأَ: «اللَّيْسَعَ»(٣)، وهو اسمٌ واحِدٌ لنبيٍّ من الأنبياءِ. قلتُ: قد قدَّمْنا(٤) قصَّةَ ذِى الكِفْلِ بعدَ قصَّةِ أيُّوبَ، عليهما السَّلامُ؛ لأنه قد قِيلَ: إنَّه ابنُ أيُّوبَ، فاللَّهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

(١ - ١) سقط من: ح، م.
(٢) سقط من: م.
(٣) فى الأصل: «اليسع».
(٤) تقدم فى ١/٥١٦.

فصـــل

قال ابنُ جريرٍ[1] وغيرُهُ: ثم مَرَجَ أمرُ بنى إسْرائيلَ، وعَظُمتْ فيهم الأحداثُ والخُطُوبُ والخَطايا، وقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِن الأنبياءِ، وسَلَّطَ اللَّهُ عليهم بَدَلَ الأنبياءِ مُلُوكًا جبَّارِينَ يَظلِمُونَهم، ويَسْفِكُون دِماءَهم، وسلَّطَ اللَّهُ عليهم الأعداءَ مِنْ غيرِهم أيضًا. وكانوا إذا قاتلوا أحدًا مِنَ الأعداءِ، يكونُ معهم تابوتُ الميثاقِ الذى كان فى قُبَّةِ الزَّمانِ، كما تقدَّمَ ذِكْرُه[2]، فكانوا يُنْصَرُونَ ببَرَكَتِهِ، وبما جعلَ اللَّهُ فيهِ مِن السَّكِينةِ والبَقِيَّةِ، ممَّا تركَ آلُ موسى وآلُ هارونَ، فلمَّا كان فى بعضِ حروبِهم مَعَ أهلِ غَزَّةَ وعَسْقَلانَ، غلبوهم عليه[3]، وقَهَرُوهم على أخْذِهِ، فانتزعوه من أيديهم، فلمَّا عَلِمَ بذلكَ مَلِكُ بنى إسرائيلَ فى ذلك الزَّمانِ، مالتْ عُنُقُه فمات كَمَدًا، وبَقِىَ بنو إسْرائيلَ كالغنمِ بلا راعٍ، حتى بَعَثَ اللَّهُ فيهم نبيًّا من الأنبياءِ، يُقالُ له: شمويلُ. فَطَلَبُوا منه أَنْ يُقيمَ لهم مَلِكًا لِيُقاتِلوا معه[4] الأعداءَ، فكانَ من أمرِهم ما سنَذْكُرُه ممَّا قَصَّ اللَّهُ فى كتابِهِ.

قال ابنُ جريرٍ[5]: فكان بينَ[6] وفاةِ يوشعَ بنِ نونٍ إلى أن بعَثَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ

---

(١) فى ص: «جريج». وانظر تاريخ الطبرى ١/٤٦٤ - ٤٦٦. وعرائس المجالس ٢٣٤، ٢٣٥.
(٢) تقدم فى صفحة ١٩٧.
(٣) سقط من: م.
(٤) سقط من: الأصل.
(٥) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٥.
(٦) فى م، ص: «من».

شمويلَ بنَ بالى[1] ، أربعُمائةِ سنةٍ وستُّون سنةً . ثم ذَكَرَ تَفْصِيلَها بمُدَدِ الملوكِ الذين مُلِّكُوا عليهم ، وسمَّاهم واحدًا واحدًا ، تركْنا ذِكْرَهم قَصْدًا .

(١) فى الأصل : « مالى » .

قصَّةُ شمويلَ،

وفيها بَدَأَ أمرُ داودَ، عَلَيهما السَّلامُ

هو شمويلُ - ويُقال: أشمويلُ - بنُ بالى بنِ عَلْقَمَةَ بنِ يرخامَ[1] بنِ أليهو ابنِ [2]تهو بنِ صوفَ[2] بنِ عَلْقَمَةَ بنِ ماحثَ[3] بنِ عموصا بنِ عزريا. قال مُقاتِلٌ: هو من ذُرِّيَّةِ[4] هارونَ. وقال مجاهدٌ: هو أشمويلُ بنُ هلفاقا. ولم يَرْفَعْ فى نَسَبِه أكْثَر مِن هذا، فاللَّهُ أعلمُ[5].

حكَى السُّدِّىُّ بإسنادِه، عنِ ابنِ عباسٍ، وابنِ مسعودٍ، وأُناسٍ من الصَّحابةِ - والثَّعْلَبِىُّ[6] - وغيرُهم؛ أنَّه لَمَّا غَلَبَتِ العمالقةُ من أرضِ غَزَّةَ وعَسْقَلانَ على بنى إسرائيلَ، وقتلُوا منهم [١/٢١٥و] خَلْقًا كثيرًا، وسَبَوْا من أبنائهم جمعًا كثيرًا، وانقطعتِ النُّبوَّةُ من سِبْطِ لاوِى، ولم يَبْقَ فيهم إلَّا امرأةٌ حُبْلَى، فجعلتْ تَدْعُو اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، أن يَرْزُقَها ولدًا ذَكَرًا، فولدتْ غُلامًا فسَمَّتْه أشمويلَ، ومعناه بالعِبْرَانِيَّةِ[7] إسماعيلُ؛ أىْ سَمِعَ اللَّهُ دُعائى، فلمَّا

---

(١) فى الأصل، ح، ص: «حام».

(٢ - ٢) فى الأصل: «بهر صون». وفى ح: «بهر صوب». وفى ص: «صوب».
وراجع فى هذا الاسم وما سبقه: تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٧.

(٣) فى الأصل، ص: «ماحب».

(٤) فى ح، م، ص: «ورثة».

(٥) التفسير ١/ ٤٤٣. وانظر عرائس المجالس ٢٣٥.

(٦) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٧، ٤٦٨. وانظر عرائس المجالس ٢٣٣، ٢٣٤.

(٧) فى ص: «بالعربية».

تَرَعْرَعَ بَعَثَتْه إلى المسجدِ ، وأسْلَمَتْه عندَ رجُلٍ صالحٍ فيه ؛ يكون عندَه ليَتَعَلَّمَ مِنْ خيرِه وعبادتِهِ ، فكانَ عندَه ، فلمَّا بَلَغَ أشُدَّه بينَما هو ذاتَ ليلةٍ نائمٌ ، إذا صَوْتٌ يَأْتِيهِ مِنْ ناحيةِ المسجدِ ، فانْتَبَهَ مَذْعُورًا ، فَظَنَّهُ الشيخُ يَدعُوه ، فسألَهُ : أدَعَوْتَنى ؟ فَكَرِهَ أنْ يُفْزِعَهُ فقال : نعم ، نَمْ . فنامَ . ثم ناداه الثانيةَ ، فكذلك ، ثم الثالثةَ ، فإذا جبريلُ يَدعُوه ، فجاءه فقال : إنَّ ربَّك قد بَعَثَكَ إلى قومِك[1] . فكان من أمرِهِ معهم ما قصَّ اللَّهُ فى كتابِهِ ، قال اللَّهُ تعالى فى كتابِهِ العزيزِ[2] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) التفسير ١/٤٤٣ - ٤٤٨.

يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[البقرة: ٢٤٦- ٢٥١].

قالَ أكثرُ المفسِّرينَ: كان نبيُّ هؤلاءِ القومِ [١/٢١٥ظ] المذكُورِينَ فى هذهِ القصَّةِ، هو شمويلُ. وقيلَ: شمعونُ. وقيلَ: هما واحدٌ. وقيل: يوشعُ. وهذا بعيدٌ؛ لما ذَكَرَه الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جَرِيرٍ فى «تاريخِهِ»[1]، أنّ بينَ موتِ يوشَعَ وبِعْثَةِ شَمويلَ أربعَمائةِ سنةٍ وستِّينَ سنةً. فاللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّ هؤلاءِ القومَ لَمَّا أنْهَكَتْهُمُ الحروبُ وقَهَرَهم الأعداءُ، سألوا نبيَّ اللَّهِ فى ذلكَ الزَّمانِ، وطلبُوا منه أن يُنَصِّبَ[2] لهم مَلِكًا يكونون تحتَ طاعتِه؛ ليُقاتِلُوا مِن ورائِهِ ومعه، وبينَ يديْهِ، الأعداءَ، فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أىْ: وأىُّ شىءٍ يَمْنَعُنا مِن القتالِ ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا

---

(١) ١/ ٤٦٥.

(٢) فى الأصل: «ينصبوا».

وَأَبْنَآئِنَا ﴾ . يقولون : نحن محروبون موتورونَ ، فحَقِيقٌ لنا أن نُقاتِلَ عن أبنائِنا المَنْهُوبِينَ[1] المُستضْعَفِينَ فيهم ، المأْسُورِينَ فى قَبْضَتِهم . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ كما ذكَر[2] فى آخِرِ القصَّةِ ، أنه لم يُجاوِزِ النهرَ [3]مع الملكِ[3] إلَّا القليلُ ، والباقُونَ رجعُوا ونَكَلُوا عن القتالِ : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ، قال الثَّعْلَبِىُّ[4] : وهو طالوتُ بنُ قيسِ[5] بنِ أفيلَ بنِ صارو[6] بن نحورت[7] بنِ أفيحَ بنِ أنيسَ[8] بنِ بنيامينَ بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ الخليلِ . قال عِكرمةُ والسُّدِّىُّ : كان سَقَّاءً . وقالَ وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ : كان دبَّاغًا . وقِيل غيرُ ذلك . فاللَّهُ أعلمُ . ولهذا ﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ .

وقد ذكَرُوا أن النُّبوَّةَ كانت فى سِبْطِ لاوِى ، وأنّ المُلْكَ كان فى سِبْطِ يَهُوذا ، فلمَّا كان هذا مِنْ سِبْطِ بنيامينَ ، نَفَرُوا منه وَطَعَنُوا فى إمارَتِهِ عليهم ، وقالوا : نحنُ أحَقُّ بالمُلْكِ منه . وذكَرُوا أنَّه فقيرٌ لا سَعَةَ من المالِ معه ، فكيفَ يكونُ مِثْلُ هذا مَلِكًا ؟ ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى

---

(١) فى ح ، م : « المنهورين » . والمنهوبون : المأخوذون قهرًا .
(٢) فى ص : « ذكروا » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى عرائس المجالس ٢٣٥ .
(٥) فى م : « قيش » .
(٦) فى الأصل ، ح ، ص : « صرار » .
(٧) فى الأصل : « نحوث » . غير منقوطة . وفى ح : « لحوب » . وفى م : « تحورت » . وفى ص : « لموب » . والمثبت من عرائس المجالس .
(٨) فى الأصل ، ح ، ص : « أريش » .

ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾. قيل: كان اللَّهُ قد أوْحَى إلى شمويلَ، أنَّ أيَّ بنى إسْرائيلَ كان طُولُه على طُولِ هذه العصا، وإذا حَضَرَ عندَك يَفُورُ هذا القَرْنُ الذى فيه من دُهْنِ القُدْسِ، فهو مَلِكُهم. فجعلُوا يَدخُلُون ويَقيسون أنْفُسَهم بتلك العصا، فلم يكنْ أحدٌ منهم على طُولِها سوى طالوتَ، ولَمَّا حَضَرَ عند شمويلَ فار ذلك القرنُ، فدَهَنَهُ منه وعَيَّنَه المِلكَ عليهم، وقال لهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ ﴾؛ قيل: فى أمرِ الحروبِ. وقيل: بل مطلقًا. ﴿ وَٱلْجِسْمِ ﴾؛ قيل: الطُّولُ. وقيل: الجَمَالُ. والظَّاهِرُ من السِّياقِ، أنه كانَ أجْمَلَهم وأعْلَمَهم [١/٢١٦و] بعدَ نبيِّهم عليه السَّلامُ. ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ فله الحُكمُ، وله الخَلْقُ والأمرُ ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا أيضًا مِن بَرَكَةِ وِلايةِ هذا الرجُلِ الصالحِ عليهم ويُمْنِهِ عليهمْ؛ أن يَرُدَّ اللَّهُ عليهمُ التابوتَ الذى كان سُلِبَ منهم، وَقَهَرَهُمُ الأعداءُ عليه، وقد كانوا يُنْصَرُون على أعدائِهم بسَبَبِهِ. ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، قِيلَ: طَسْتٌ[1] من ذهبٍ كان يُغْسَلُ فيه صُدُورُ الأنبياءِ. وقيل: السَّكِينَةُ مِثْلُ الرِّيحِ الخَجُوجِ[2]. وقيل: صُورتُها مِثلُ الهِرَّةِ، إذا صَرَخَتْ فى حالِ الحربِ، أيْقَنَ بنو إسرائيلَ بالنصرِ. ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ

---

(١) فى ح، م، ص: «طشت».

(٢) الخَجُوج: الشديدة المُرُور فى غير استواءٍ. اللسان (خ ج ج).
وهو أثر عن علىٍّ رضى الله عنه، رواه ابن جرير فى تفسيره ٢/ ٦١١.

وَءَالُ هَـٰرُونَ ﴾ قيل: كان فيه رُضَاضُ[1] الألواحِ وشيءٌ مِن المَنِّ الذى كان يَنزِلُ عليهم بالتِّيهِ. ﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ أى؛ تَأْتِيكُم به الملائكةُ يَحْمِلُونه وأنتم تَرَوْن ذلك عِيانًا؛ ليَكُونَ آيةً للَّهِ عليكم، وحُجَّةً[2] باهرةً على صِدْقِ ما أقُولُه لكم، وعلى صحَّةِ وِلايةِ هذا المَلِكِ الصالحِ عليكم، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. وقيل: إنه لمَّا غَلَبَ العمالقةُ على هذا التابوتِ، وكان فيه ما ذُكِر من السَّكِينةِ والبقيَّةِ المُبارَكَةِ - وقيل: كان فيه التَّوْراةُ أيضًا - فلمَّا استقرَّ فى أيْدِيهم، وَضَعُوه تحتَ صَنَمٍ لهم بأرضِهم، فلمَّا أصْبَحُوا إذا التَّابوتُ على رأسِ الصنمِ فوضعوه تحتَه، فلمَّا كان اليومُ الثانى إذا التابوتُ فوقَ الصَّنَمِ، فلمَّا تَكَرَّرَ هذا علموا أن هذا أمرٌ مِن اللَّهِ تعالى، فأخْرَجُوه من بلدِهم وجَعَلُوه فى قريةٍ من قُراهم، فأخَذَهم داءٌ فى رِقابِهم، فلمَّا طال عليهم هذا جَعَلُوه فى عَجَلَةٍ ورَبَطُوها فى بَقَرَتَيْنِ وأرسلوهما، فيُقالُ: إن الملائكةَ ساقَتْهما حتى جاءوا[3] بهما مَلأَ بنى إسْرائيلَ وهم يَنظُرُون، كما أخْبَرَهم نبيُّهم بذلك. فاللَّهُ أعلمُ على أىِّ صفةٍ جاءتْ به الملائكةُ، والظَّاهِرُ أن الملائكةَ كانت تَحْمِلُه بأنْفُسِهم، كما هو المفهومُ[4] من الآيةِ. واللَّهُ أعلمُ. وإنْ كان الأوَّلُ قد ذَكَرَه كثيرٌ مِنَ المُفسِّرِينَ أو أكْثَرُهم.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾ قال

---

(١) رُضَاض الشىء: فُتاتُه.

(٢) فى الأصل: «وحجته».

(٣) فى ص: «جاوزوا».

(٤) فى الأصل، ح، ص: «المفهوم بالجنود».

ابنُ عباسٍ وكثيرٌ من المفسِّرين: هذا النهرُ هو نهرُ الأُرْدُنِّ. وهو المُسَمَّى بالشَّريعةِ، فكان مِن أمرِ طالوتَ بجنودِه عندَ هذا [١/٢١٦ظ] النهرِ، عن أمرِ نبيِّ اللَّهِ له[(١)]، عن أمرِ اللَّهِ له، اختبارًا وامتحانًا؛ أنَّ مَن شَرِبَ مِن هذا النهرِ اليومَ[(٢)] فلا يَصْحَبْنى فى هذه الغزوةِ، ولا يَصحبْنى إلَّا مَن لم يَطْعَمْهُ، إلَّا غُرْفَةً فى يدِه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾. قال السُّدِّىُّ: كان الجيشُ ثمانينَ ألفًا، فشَرِبَ منه ستَّةٌ وسبعونَ ألفًا، وتَبَقَّى معه أربعةُ آلافٍ. كذا قال.

وقد رَوَى البُخَارِىُّ فى «صحيحِه»[(٣)]، من حديثِ إسْرائيلَ وزُهَيْرٍ والثَّوْرِىِّ، عن أبى إسْحاقَ، عن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ قال: كُنَّا أصحابَ محمدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ أنَّ عِدَّةَ أصحابِ بَدرٍ على عِدَّةِ أصحابِ طالوتَ - الذين جاوزوا معه النهرَ، ولم يُجاوِزْ معه إلَّا [(٤)]مُؤْمِنٌ - بِضْعَةَ عَشَرَ وثلثُمائةٍ[(٤)]. وقولُ السُّدِّىِّ أنَّ عِدَّةَ الجيشِ كانوا ثمانين ألفًا، [(٥)]فيه نَظَرٌ؛ لأنَّ أرضَ بيتِ المَقْدِسِ لا تَحْتَمِلُ أن يَجتمعَ فيها جيشُ مُقَاتِلَةٍ يَبْلُغُون ثمانينَ ألفًا[(٥)]. واللَّهُ أعلمُ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾، أى؛ اسْتَقَلُّوا أنْفُسَهم واسْتَضْعَفُوها عن مُقاوَمَةِ أعدائِهم، بالنِّسبةِ إلى قِلَّتِهم وكثرةِ عَدَدِ عَدُوِّهم، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ

---

(١) فى الأصل: «لهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) البخارى (٣٩٥٨). من حديث إسرائيل. و(٣٩٥٧) من حديث زهير. و(٣٩٥٩) من حديث الثورى.

(٤ - ٤) فى م: «بضعة عشر وثلثمائة مؤمن».

(٥ - ٥) سقط من: ص.

أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ؛ (١يَعْنى : ثَبَّتَهُم الشُّجعانُ منهم والفُرْسانُ١) أهلُ الإيمانِ والإيقانِ، الصابرون على الجِلَادِ والجدالِ(٢) والطِّعانِ. ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ طلبُوا من اللَّهِ أن يُفرِغَ عليهمُ الصبرَ؛ أىْ يَغْمُرَهم به مِن فوقِهم، فتستَقِرَّ(٣) قلوبُهم ولا تَقْلَقَ، وأن يُثَبِّتَ أقدامَهم فى مجالِ الحربِ، ومُعْتَرَكِ الأبطالِ، وحَوْمَةِ الوَغَى، والدعاءِ إلى النِّزَالِ، فسألُوا التثبُّتَ الظاهرَ والباطنَ، وأن يُنْزِلَ عليهم النصرَ على أعدائِهم وأعدائِه، من الكافرِينَ الجاحِدينَ بآياتِه وآلائِه، فأجابهمُ العظيمُ القديرُ السميعُ البصيرُ الحكيمُ الخبيرُ إلى ما سألوا، وأنالهُم ما إليه فيه رَغِبُوا، ولهذا قال: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ أىْ؛ بحَوْلِ اللَّهِ لا بحَوْلِهِم، وبقُوَّةِ اللَّهِ ونصْرِه لا بقُوتِهم وعَدَدِهم، مع كثْرةِ أعدائِهم وكمالِ عددِهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ ﴾ فيه دَلالةٌ على شجاعةِ دَاودَ، عليه السَّلامُ، وأنه قَتَلَه قَتْلًا أَذَلَّ به جندَه (٤وكَسَرَ جيشَهُ٤)، ولا أعْظَمَ مِن غَزْوَةٍ يَقْتُلُ فيها(٥) مَلِكٌ عَدُوَّه، [٢١٧/١و] فيَغْنَمُ بسببِ ذلك الأموالَ الجَزِيلَةَ، ويَأْسِرُ الأبطالَ

(١ - ١) فى ح: «يعنى ثبتهم الفرسان منهم والفرسان». وفى م: «يعنى بها الفرسان منهم والفرسان».
(٢) الجدال: المخاصمة والصراع. تاج العروس (ج د ل).
(٣) فى ص: «فتستتر».
(٤ - ٤) فى ح، م: «وكسره».
(٥) سقط من: الأصل، ح، ص.

والشُّجعانَ والأقْرانَ[1] ، وتعلو كلمةُ الإيمانِ على الأوثانِ ، ويُذَالُ لأولياءِ اللَّهِ على أعدائِه ، ويَظهرُ الدِّينُ الحقُّ على الباطلِ وأوليائِه . وقد ذكر السُّدِّىُّ فيما يَرْوِيه ، أنَّ داوُدَ ، عليه السَّلامُ ، كان أصغَرَ[2] أولادِ أبيه ، وكانوا ثلاثةَ عشرَ ذَكَرًا ، كان سَمِعَ طالوتَ ملكَ بنى إسْرائيلَ وهو يُحَرِّضُ بنى إسرائيلَ على قَتْلِ جالوتَ وجنودِهِ ، وهو يقولُ : مَن قتل جالوتَ زَوَّجْتُهُ بابنتِى ، وأشركْتُه فى مُلْكِى . وكان داودُ ، عليه السلامُ ، يَرْمِى بالقَذَّافَةِ - وهو المِقْلاعُ - رَمْيًا عَظيمًا ، فَبَيْنَا هو سائرٌ مع بنى إسرائيلَ إذْ ناداهُ حَجَرٌ ، أنْ خُذْنِى فإنَّ بى تَقْتُلُ جَالوتَ . فأخَذَه ، ثُمَّ حجرٌ آخرُ كذلك ، ثم آخَرُ كذلك ، فأخَذَ الثلاثةَ فى مِخْلاتِهِ ، فلمَّا تَواجَهَ الصَّفَّانِ ، بَرَزَ جالوتُ ودعا إلى نَفْسِه ، فتقدَّمَ إليه داودُ ، فقال له : ارجِعْ ، فإنِّى أكْرَهُ قَتْلَك . فقال : لكنِّى أُحِبُّ قَتْلَكَ . وأخذَ تلكَ الأحجارَ الثلاثةَ [3]مِن مِخْلاتِهِ[3] فوَضَعَها فى القَذَّافَةِ ثم أدارَها ، فصارَتِ الثلاثةُ حجرًا واحدًا ، ثم رمَى بها جالوتَ ففَلَقَ رأسَه ، وفَرَّ جيشُهُ مُنْهَزِمًا ، فوَفَّى له طالوتُ بما وعدَه ؛ فزوَّجَه ابنتَهُ [4]وأَجْرَى حُكْمَه فى مُلْكِه[4] ، وعَظُمَ داودُ ، عليه السَّلامُ ، عندَ بنى إسْرائيلَ ، وأحبُّوه ومالُوا إليه أكْثَرَ مِنْ طالوتَ ، فذَكَرُوا أنَّ طالوتَ حَسَدَه وأرادَ قَتْلَه ، واحتالَ على ذلك ، فلم يَصِلْ إليه ، وجَعَلَ العلماءُ يَنْهَوْنَ طالوتَ عن قتْلِ داودَ ، فتسلَّطَ عليهم فقتلَهم ، حتى لم يَبْقَ منهم إلَّا القليلُ ، ثم حَصَلَ له توبةٌ ونَدمٌ وإقلاعٌ عما سلَفَ منه ، وجعلَ يُكْثِرُ من البُكاءِ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .
(٢) فى الأصل : « صغيرا » .
(٣ - ٣) زيادة من : ص .
(٤ - ٤) فى ح : « وأخرى حلمه فى ملله » .

ويَخْرُجُ إلى الجبَّانةِ فيبكِى حتى يَبُلَّ الثَّرَى بدُمُوعِه، فنُودِىَ ذاتَ يومٍ من الجبَّانَةِ: أن يا طالوتُ، قَتَلْتَنا ونحنُ أحياءٌ، وآذَيْتَنا ونحنُ أمواتٌ. فازدادَ لذلك بكاؤُه وخَوْفُهُ، واشتدَّ وَجَلُه، ثم جعلَ يسألُ عَنْ عَالِمٍ يسألُه عن أمرِهِ، وهل له مِن توبةٍ، فقِيل له: وهل أبقيتَ عالمًا؟ حتى دُلَّ على امرأةٍ مِن العابداتِ، فأَخَذَتْه فذهبت به إلى قبرِ يوشعَ، عليه السَّلامُ، قالوا: فدَعَتِ اللَّهَ، فقام يُوشعُ من قبرِه، فقال: أقامتِ القيامةُ؟ فقالتْ: لا، ولكنَّ هذا طالوتُ يسألُكَ: هل له من توبةٍ؟ فقال: نعم، يَنْخَلِعُ من المُلْكِ، ويَذهبُ فيُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ حتى يُقْتَلَ. ثم عاد ميتًا. فتَرَكَ[1] المُلْكَ لداودَ، عليه السَّلامُ، وذهبَ ومعه ثلاثةَ عشَرَ مِن أولادِه، فقاتلُوا فى سبيلِ اللَّهِ حتى قُتِلوا. قالوا: فذلك قولُه تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ [١/٢١٧ظ] ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾. هكذا ذَكَرَه ابنُ جَرِيرٍ فى «تاريخِه»[2]، مِن طريقِ السُّدِّىِّ بإسنادِه. وفى بعضِ هذا نظرٌ ونَكَارَةٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: النبىُّ الذى بُعِثَ فأخْبَرَ طالوتَ بتوبتِه، هو اليسعُ ابنُ أخطوبَ. حكاه ابنُ جريرٍ أيضًا[3]. وذكر الثَّعْلَبِىُّ[4] أنها أتتْ به إلى قبرِ أشمويلَ، فعاتَبَهُ على ما صنعَ بعدَه من الأمورِ. وهذا أنْسَبُ. ولعلَّه إنَّما رآه فى النومِ، لا أنَّه قام من القبرِ حيًّا؛ فإنَّ هذا إنما يكونُ معجزةً لنبىٍّ، وتلك المرأةُ لم

---

(١) فى ح: «فذهب».
(٢) ١/٤٧٢ - ٤٧٥. مطولًا.
(٣) فى تاريخه ١/ ٤٧٥.
(٤) عرائس المجالس ٢٤٣.

تكنْ نَبِيَّةً. واللَّهُ أعلمُ. (١قال ابنُ جَريرٍ١): وزَعَم أهلُ التوراةِ أن مُدَّةَ مُلْكِ طالوتَ إلى أن قُتِلَ مع أولادِه، (٢كانتَ أربعينَ٢) سنةً. فاللَّهُ أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر تاريخ الطبرى ١/ ٤٧٥.

(٢ - ٢) فى ح: «أربعين». وفى م: «أربعون».

قصّةُ داوُدَ عليه السَّلامُ

وَمَا كان فى أيامِه وذِكْرُ[1]

فضائِلِه وَشمائِلِه وَدَلائلِ نُبُوَّتِه وأعْلامِهِ

هو داودُ بنُ إيشا بنِ عُوَيدَ بنِ باعزَ[2] بنِ سلمونَ بنِ نحشونَ[3] بنِ عويناذبَ[4] بنِ إرمَ بنِ حصرونَ بنِ فارصَ[5] بنِ يهوذا[6] بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ الخليلِ، عبدُ اللّهِ ونبيُّه وخليفتُه فى أرضِ بيتِ المقدسِ.

قال محمدُ بنُ إسْحاقَ[7] عن بعضِ أهلِ العِلمِ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ: كان داودُ، عليه السلامُ، قصيرًا أزرقَ العَيْنَيْنِ، [8]قليلَ الشَّعْرِ[8]، طاهرَ القلبِ نَقِيَّه. تَقدَّمَ أنَّه لمَّا قَتَل جالوتَ، وكان قَتْلُه له - فيما ذَكَرَ ابنُ عساكرَ[9] - عند قَصْرِ أُمِّ حَكِيمٍ بقربِ مَرْجِ الصُّفَّرِ. فأحَبَّتْه بنو إسرائيلَ ومالُوا إليه وإلى مُلْكِه عليهم، فكان مِن أمرِ طالوتَ ما كان، وصار المُلْكُ إلى داودَ، عليه السلامُ، وجمَع اللّهُ

---

(١) فى م: «ثم».
(٢) فى ح، م، ص: «عابر».
(٣) فى ح: «لحسون». وفى ص: «بحشون».
(٤) فى ح: «عوسادب». وفى ص: «عوسادب».
(٥) فى الأصل: «مارض».
(٦) فى الأصل، ح، ص: «يهودا».
وراجع فى هذا الاسم وما سبقه: تاريخ الطبرى ١/ ٤٧٦.
(٧) تاريخ الطبرى ١/ ٤٧٦.
(٨ - ٨) سقط من: ح. وفى ص: «حسن الشعر».
(٩) تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٨٠.

له بين المُلْكِ والنُّبُوَّةِ ؛ بين خَيْرَيِ[1] الدنيا والآخرةِ ، وكان المُلْكُ يكون فى سِبْطٍ والنُّبوَّةُ فى سِبْطٍ[2] آخَرَ ، فاجتمعَ فى داودَ هذا وهذا ، كما قال تعالى[3] : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] . أى ؛ لولا إقامةُ المُلوكِ حُكّامًا على الناسِ ، لأَكَلَ قَوِىُّ الناسِ ضعيفَهم . ولهذا جاء فى بعضِ الآثارِ : « السُّلطانُ ظِلُّ اللَّهِ فى أرضِه »[4] . وقال أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفَّانَ : إنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بالسُّلطانِ ما لا يَزَعُ بالقرآنِ[5] . وقد ذَكَرَ ابنُ جريرٍ فى « تاريخِه »[6] : أنَّ جالوتَ لمَّا بارزَ طالوتَ ، فقال له : اخرُجْ إلىَّ أو أخرُجُ إليك . فندب طالوتُ الناسَ ، فانْتَدَبَ داودُ ، فَقَتَلَ جالوتَ . قال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ : فمال الناسُ إلى داودَ ، حتى لم يكُنْ لطالوتَ ذِكْرٌ ، وخلعُوا طالوتَ وولَّوْا عليهم داودَ . وقيل : إنَّ [١/٢١٨و] ذلك عن أمرِ شمويلَ ، حتى قال بعضُهم : إنَّه ولَّاه قبلَ الوَقْعَةِ .

قال ابنُ جريرٍ[7] : والذى عليه الجمهورُ ، أنه إنما وَلِىَ المُلْكَ[8] ، بعدَ قَتْلِ

---

(١) فى ح ، م ، ص : « خير » .
(٢) زيادة من : الأصل .
(٣) التفسير ١/ ٤٤٧ .
(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٠١٧، ١٠٢٤) . وهو عن أبى بكرة عن النبى ﷺ . وقال الألبانى : حديث حسن .
(٥) ذكر السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ١٩٩ نحوه من قول عمر بن الخطاب ، وعزاه للخطيب البغدادى . وذكره المصنف فى تفسيره ٥/ ١٠٩ مرفوعًا .
(٦) ١/ ٤٧٨ .
(٧) فى تاريخه ١/ ٤٧٨ .
(٨) فى ح ، م : « ذلك » .

جالوتَ . واللَّهُ أعلمُ . [1] وروى ابنُ عساكرَ [2] ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ : أن قَتْلَه جالوتَ كان عندَ قصرِ أمِّ حكيمٍ ، وأنَّ النهرَ الذى هناك هو المذكورُ فى الآيةِ . فاللَّهُ أعلمُ [1] .

وقال تعالى [3] : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١] .

وقال تعالى [4] : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩، ٨٠] . أعانه اللَّهُ على عَمَلِ الدُّرُوعِ من الحديدِ ؛ ليُحْصِنَ المُقاتِلَةَ من الأعداءِ ، وأَرْشَدَه إلى صَنْعَتِها وكَيْفِيَّتِها ، فقال : ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ . أى ؛ لَا تُدِقَّ [5] المِسمارَ فيَقْلَقَ [6] ، ولا تُغَلِّظْه فيَفْصِمَ . قاله مجاهدٌ ، وقتادةُ ، والحكَمُ ، وعِكْرِمَةُ ، وغيرُهم [7] . قال الحسنُ البصرىُّ ، وقتادةُ ، والأعمشُ : كان اللَّهُ قد أَلَانَ له الحديدَ حتى كان يَفْتِلُه بيدِه ، لا يحتاجُ إلى نارٍ ولا مِطْرَقَةٍ . قال قَتادَةُ : فكان أوَّلَ مَن عَمِلَ الدُّرُوعَ مِن زَرَدٍ [8] ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى تاريخ دمشق ١٧/ ٨٠.

(٣) التفسير ٦/ ٤٨٥، ٤٨٦.

(٤) التفسير ٥/ ٣٥٢.

(٥) فى الأصل : « ترق » . وتدق أى لا تجعله دقيقا رقيقا .

(٦) فى الأصل : « فبفلق » . وفى ح : « مبعلق » . وفى م : « فيغلق » . وما أثبتناه هو الموافق للمعنى ، ولما أورده ابن كثير فى التفسير . ويقلق : يتقلقل ويتحرك ويكون غير ثابت .

(٧) سقط من : ح ، م . وانظر التفسير ٦/ ٤٨٦.

(٨) الزرد : حِلَق المِغْفَر والدِّرع .

وإنما كانت قبلَ ذلك صفائحَ. قال ابنُ شَوْذَبٍ: كان يعملُ كلَّ يومٍ دِرْعًا يبيعُها بستَّةِ آلافِ دِرْهَمٍ.

وقد ثَبَتَ فى الحديثِ الصحيحِ[1]: «إنَّ أطْيَبَ ما أكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وإنَّ نبيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كان يَأْكُلُ مِن كَسْبِ يَدِهِ».

وقال تعالى[2]: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ١٧- ٢٠]. قال ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ: الأيْدُ: القوةُ فى الطاعةِ. يعنى: كان[3] ذا قوَّةٍ فى العبادةِ والعملِ الصالحِ. قال قتادةُ: أُعْطِىَ قوةً فى العبادةِ وفِقْهًا فى الإسلامِ. قال: وقد ذُكِرَ لنا أنه كان يقومُ الليلَ ويصومُ نصفَ الدهرِ.

وقد ثَبَتَ فى «الصحيحَيْنِ»[4]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إلى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وأَحَبُّ الصِّيامِ إلى اللَّهِ صِيامُ دَاوُدَ؛ كانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، ويَقُومُ ثُلُثَه، ويَنامُ سُدُسَهُ، وكان يَصُومُ يَوْمًا ويُفْطِرُ يَوْمًا، ولا يَفِرُّ إذا لَاقَى». وقولُه: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، كما قال: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ أى؛

---

(١) سقط من: ح، م.
والحديث أخرجه البخارى (٢٠٧٢) بلفظ: «ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ اللَّه داودَ - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده».
(٢) التفسير ٤٩/٧ - ٥١.
(٣) سقط من: ح، م.
(٤) فى مواضع متعددة، وأقربها إلى لفظ المصنف: البخارى (١١٣١، ٣٤١٩، ٣٤٢٠). مسلم (١١٥٩).

سَبِّحِى معه . قاله ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ وغيرُ واحدٍ فى تفسيرِ هذه الآيةِ ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ ؛ أى عندَ آخِرِ النهارِ وأوَّلِه ؛ وذلك أنه كان اللَّهُ تعالى قد وَهَبَه من الصوتِ [١/٢١٨ظ] العظيمِ ما لم يُعْطِه أحدًا ، بحيثُ إنه كان إذا تَرَنَّمَ بقراءةِ كتابِه ، يَقِفُ الطيرُ فى الهواءِ ، يُرَجِّعُ بتَرْجِيعِه ويُسَبِّحُ بتسبيحِهِ ، وكذلك الجبالُ تُجيبُه وتُسَبِّحُ معه كلَّما سَبَّحَ بُكْرَةً وعَشِيًّا ، صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه . وقال الأَوْزَاعِىُّ : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ قال : أُعْطِىَ داودُ من حُسْنِ الصوتِ ما لم يُعْطَ أحدٌ قَطُّ ؛ حتى إنْ كان الطيرُ والوحشُ لَيَعْكُفُ[1] حولَه حتى يموتَ عَطَشًا وجُوعًا ، وحتى إنَّ الأنهارَ لَتَقِفُ . وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ : كان لا يَسْمَعُه أحدٌ إلَّا حَجَلَ كهيئةِ الرَّقْصِ ، وكان يَقرأُ الزَّبُورَ بصوتٍ لم تَسْمَعِ الآذانُ بمثْلِه ، فيَعْكُفُ الجِنُّ والإِنسُ والطيرُ[2] والدَّوابُّ على صوتِه حتى يَهْلِكَ بعضُها جُوعًا .

وقال أبو عَوَانَةَ الإِسْفِرايِينىُّ[3] : حَدَّثَنا أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنْيا ، حدَّثنا محمدُ ابنُ منصورٍ الطُّوسِىُّ ، سَمِعتُ صُبَيْحًا[4] أبا تُرابٍ . « ح »[5] ، قال أبو[6] عَوَانَةَ : وحدَّثنى أبو العبَّاسِ المُرِّىُّ[7] ، حدثنا محمدُ بنُ صالحٍ العَدَوِىُّ ، حدثنا سَيَّارٌ[8] ، هو ابنُ[9] حاتمٍ ، عن جعفرٍ ، عن مالكٍ قال : كان داودُ ، عليه السَّلامُ ، إذا أَخَذَ

---

(١) فى ح ، م ، ص : « ينعكف » .
(٢) ليست فى : ح .
(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ١٠٠.
(٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى م : « أنبئنا براد » . و « ح » معناها تحويل الإسناد .
(٦) فى ص : « ابن » .
(٧) فى النسخ : « المدنى » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٨) فى ص : « سنان » .
(٩) فى ص : « أبو » .

فى قراءَةِ الزَّبُورِ، تَفَتَّقَتِ[1] الْعَذَارَى. وهذا غريبٌ. وقال عبدُ الرزاقِ[2]، عن ابنِ جُرَيْجٍ: سألتُ عطاءً عن القراءةِ على الغناءِ، فقال: وما بأسٌ بذلك؟ سمعتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ[3] يقول: كان داودُ، عليه السلامُ، يأخذُ المِعْزَفَةَ[4]، فيَضْرِبُ بها، فيقرأُ عليها، فَتَرُدُّ عليه صوتَهُ؛ يريدُ بذلك أن يَبْكِيَ ويُبْكِيَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ، عن عائشةَ قالت: سَمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَ أبى موسى الأَشْعَرِيِّ وهو يقرأُ، فقال: «لَقَدْ أُوتِيَ أبو مُوسَى مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». وهذا على شرطِ الشيخَيْنِ، ولم يُخْرِجاه مِن هذا الوجهِ.

وقال أحمدُ[6]: حدَّثنا [7]حسنٌ، حدَّثنا حمَّادُ[7] بنُ سَلَمَةَ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو[8]، عن أبى سَلَمَةَ، عن أبى هُرَيْرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَقَدْ أُعْطِيَ أبو مُوسَى مِن مَزَامِيرِ دَاوُدَ». على شرطِ مسلمٍ.

وقد رُوِّينا عن أبى عُثمانَ النَّهْدِيِّ[9]، أنَّه قال: لَقَدْ سَمِعْتُ

---

(١) أي: ظهرت وبرزت، يقال: أفتقَ القمرُ. إذا برز بين سحابتين سوداوين. «اللسان» (ف ت ق).
(٢) مصنف عبد الرزاق ٢/ ٤٨١. ومن طريقه ابن عساكر ١٧/ ١٠١.
(٣) فى م: «عمر».
(٤) فى ح: «الغرفة». وفى م: «العزفة». وفى ص: «المغرفة».
(٥) أحمد فى المسند ٦/ ١٦٧.
(٦) أحمد فى المسند ٢/ ٣٥٤. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٥٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو حسن الحديث.
(٧ - ٧) فى ص: «حسن بن حماد».
(٨) فى م: «عمر».
(٩) فى ح، م: «الترمذى».

الْبَرْبَطَ[1] والمِزْمَارَ، فما سَمِعْتُ صَوْتًا أحْسَنَ مِنْ صَوْتِ أبى مُوسَى الأشْعَرِىِّ.

وقد كان مع هذا الصوتِ الرَّخِيمِ، سريعَ القراءةِ لكتابِهِ الزَّبُورِ، كما قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن همامٍ، عن أبى هُريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ القِرَاءَةُ، فكانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ فَتُسْرَجُ، فَكَانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ مِن قَبْلِ أن تُسْرَجَ دَابَّتُهُ، وكان لا يَأْكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يدَيْهِ».

وكذلك رواه البخارِىُّ[3] مُنْفَرِدًا به عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ به، [١/٢١٩و] ولفظُه «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ القُرآنُ، فكانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرآنَ قَبْلَ أن تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، ولا يَأْكُلُ إلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ». ثم قال البخارِىُّ: ورواه موسى بنُ عُقْبَةَ[4]، عن صَفْوانَ - هو ابنُ سُلَيْمٍ[5] - عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبى هُرَيْرَةَ، عن النبىِّ ﷺ. وقد أسْنَدَهُ ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ داودَ، عليه السَّلامُ، فى «تاريخِه»[6] من طرقٍ عن إبراهيمَ بنِ طَهْمَانَ، عن موسى بنِ عُقْبَةَ، ومن طريقِ أبى عاصمٍ، عن أبى بكرٍ السَّبْرِىِّ، عن صَفْوَانَ بنِ سُليمٍ به.

والمرادُ بالقرآنِ هـهنا الزَّبُورُ الذى أنزلَهُ اللَّه[7] عليه وأوحاه إليه. وذِكْرُ

---

(١) البَرْبَط: العُود؛ من آلات الموسيقى.
(٢) أحمد فى المسند ٢/ ٣١٤. (صحيح).
(٣) البخارى (٣٤١٧).
(٤) فى ص: «عيينة».
(٥) فى الأصل: «سلم».
(٦) تاريخ دمشق ١٧/ ٨٩، ٩٠.
(٧) زيادة من: الأصل.

دَوَابِّهِ[1] أشبهُ أن يكونَ محفوظًا؛ فإنه كان مَلِكًا له أتباعٌ، فكان يَقرأُ الزَّبُورَ بمقدارِ ما تُسْرَجُ الدَّوابُّ، وهذا أمرٌ سريعٌ مع التَّدَبُّرِ والتَّرَنُّمِ والتَّغنِّى به على وَجْهِ التَّخشُّعِ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه. وقد قال اللَّهُ تعالى[2]: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣]. والزبورُ كتابٌ مشهورٌ، وذَكَرْنا فى «التفسيرِ» الحديثَ الذى رواه أحمدُ[3] وغيرُه[4]، أنه أُنْزِلَ فى شهرِ رمضانَ، وفيه مِن المواعظِ والحِكَمِ ما هو مشهورٌ[5] معروفٌ لمن نَظَرَ فيه.

وقوله تعالى[6]: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠]. أى؛ أَعْطَيْناه مُلْكًا عظيمًا وحُكْمًا نافِذًا. روَى ابنُ جريرٍ وابنُ أبى حاتمٍ[7]، عن ابنِ عباسٍ، أن رَجُلَيْنِ تَداعَيا إلى داودَ، عليه السَّلامُ، فى بَقَرٍ، ادَّعَى[8] أحدُهما على الآخَرِ أنه اغتصبَها منه، فأنكرَ المُدَّعَى عليه[9]، فأرْجَأَ أمرَهما إلى الليلِ، فلمَّا كان الليلُ، أوحَى اللَّهُ إليه أن يَقْتُلَ المُدَّعِىَ، فلمَّا أصبحَ قال له داودُ: إنَّ اللَّهَ قد أوحَى إلىَّ أن أَقْتُلَكَ، فأنا قاتِلُكَ لا مَحَالَةَ، فما خَبَرُك فيما ادَّعَيْتَه على هذا؟ قال: واللَّهِ يا نبىَّ اللَّهِ، إنِّى لَمُحِقٌّ فيما ادَّعَيْتُ عليه،

---

(١) فى م، ص: «رواية».

(٢) التفسير ٢/ ٤٢٢.

(٣) فى المسند ٤/ ١٠٧. عن واثلة بن الأسقع، وليس فيه ذكر «الزبور» وكذا فى جامع المسانيد للمصنف ١٢/ ٣٤١. وحسَّنه الألبانى فى الصحيحة (١٥٧٥). أما الذى فيه لفظ «الزبور» فهو فى الأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٣٣، ٢٣٤، من طريق عمران به.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) زيادة من: الأصل.

(٦) التفسير ٧/ ٥٠، ٥١.

(٧) ابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٣٨، ١٣٩. الدر المنثور ٥/ ٢٩٩، ٣٠٠. وعزاه لابن أبى حاتم.

(٨) فى الأصل: «ادعاها».

(٩) سقط من: ح.

ولكنِّى كنتُ اغْتَلْتُ أباه قبلَ هذا فَقَتَلْتُهُ[1] . فأمرَ به داودُ فقُتِلَ ؛ فَعَظُمَ أمرُ داودَ فى بنى إسْرائيلَ جِدًّا ، وخضعُوا له خُضُوعًا عظيمًا . قال ابنُ عباسٍ : فهو قولُه تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ . وقولُه تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ ، أى ؛ النُّبُوَّةَ . ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ ، قال شُرَيْحٌ ، والشَّعْبِىُّ ، وقَتادَةُ ، وأبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىُّ ، وغيرُهم ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ : الشُّهُودُ والأيمانُ . يَعْنُون بذلك البَيِّنَةُ على المُدَّعِى ، واليمينُ على مَنْ أَنْكَرَ . وقال مجاهدٌ والسُّدِّىُّ : هو إصابةُ القضاءِ وفَهْمُه . وقال مجاهدٌ : هو الفَصْلُ فى الكلامِ وفى الحُكْمِ . واختارَه ابنُ جريرٍ . وهذا لا يُنافِى ما رُوِىَ عن أبى موسى ، أنه قَوْلُ : أمّا بَعْدُ . وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : لَمَّا كَثُر الشَّرُّ وشَهاداتُ الزُّورِ فى بنى إسْرائيلَ ، أُعْطِىَ داودُ سلسلةً [٢١٩/١ظ] لفَصْلِ القضاءِ ، فكانت ممدودةً من السماءِ إلى صخْرةِ بيتِ المقدسِ ، وكانت مِن ذَهَبٍ ، فإذا تشاجرَ الرجُلانِ فى حقٍّ ، فأيُّهما كان مُحِقًّا نالَها ، والآخرُ لا يَصِلُ إليها ، فلم تَزَلْ كذلك حتى أَوْدَعَ رجلٌ رجلًا لؤلؤةً ، فجَحَدَها منه ، واتَّخَذَ عُكَّازًا وأَوْدَعَها فيه ، فلمَّا حَضَرَا عند السِّلسِلةِ[2] ، تناولَها المُدَّعِى ، فلمَّا قيلَ للآخرِ : خُذْها بيَدِكَ . عَمَدَ إلى العُكّازِ ، فأعطاه المُدَّعِىَ ، وفيه تلك اللُّؤْلؤةُ ، وقال : اللَّهمَّ إنك تعلمُ أنِّى دفعتُها إليه . ثم تناولَ السِّلسِلةَ فنالَها ، فأَشْكَلَ أمرُها على بنى إسْرائيلَ ، ثم رُفِعَتْ سريعًا من بينِهم[3] . ذَكَرَه بمعناه غيرُ واحدٍ من المفسِّرين . وقد رواه إسحاقُ بنُ بشرٍ ، عن إدريسَ بنِ سِنانٍ[4] ، عن وهبٍ به بمعناه .

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) فى ح ، م ، ص : « الصخرة » .

(٣) ذكره الثعلبى فى عرائس المجالس ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، بنحوها ص ٢٤٦ .

(٤) فى الأصل : « يسار » .

قال تعالى[1] : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٢١-٢٥].

وقد ذَكَرَ كثيرٌ من المُفسِّرينَ، من السَّلَفِ والخَلَفِ، ههنا قَصَصًا وأخبارًا أكثرُهَا إسرائيليّاتٌ، ومنها ما هو مَكْذُوبٌ لا مَحالةَ، تَرَكْنَا إيرادَها فى كتابِنا قَصْدًا؛ اكْتِفَاءً واقْتِصَارًا على مُجَرَّدِ تِلاوةِ القِصَّةِ من القُرْآنِ العَظِيمِ، واللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقد اختلفَ الأئمةُ فى سَجْدَةِ «ص»؛ هل هى مِن عَزَائِمِ السُّجودِ، أو إنَّما هى سَجْدَةُ شُكْرٍ ليستْ مِن عزائمِ السُّجودِ؟ على قَوْلَيْنِ.

قال البُخَارِىُّ[2] : حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِىُّ، عن العَوَّامِ قال: سألْتُ مجاهدًا عن سَجْدَةِ «ص»، فقال: سألتُ ابنَ عباسٍ: من أين سَجَدْتَ؟ فقال: أَوَ ما تَقرأُ: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾

---

(١) التفسير ٧/٥١ - ٥٤.

(٢) البخارى (٣٤٢١).

[الأنعام: ٩٠]، فكان داودُ ممَّن أُمِرَ نبيُّكُمْ ﷺ أن يَقْتَدِىَ بِهِ، فَسَجَدَها داودُ عليه السلامُ؛ فسجدَها رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا إسماعيلُ، هو ابنُ عُلَيَّةَ، عن أيوبَ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال فى السجودِ فى «ص»: ليستْ مِن عزائمِ السُّجُودِ، وقد رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يَسْجُدُ فيها. وكذا رواه البخاريُّ، وأبو داودَ [١/٢٢٠و]، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسائيُّ[2]، مِن حديثِ أيوبَ، وقال التِّرْمِذِيُّ: حسنٌ صحيحٌ.

وقال النَّسائيُّ[3]: أخْبَرَنى إبراهيمُ بنُ الحسنِ المِقْسَمِيُّ[4]، حدَّثنا حجَّاجُ بنُ محمدٍ، عن عُمَرَ بنِ ذَرٍّ، عن أبيه، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، أن النبيَّ ﷺ سَجَدَ فى «ص»، وقال: «سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، ونَسْجُدُهَا شُكْرًا». تفرَّدَ به أحمدُ[5] ورجالُه ثِقَاتٌ.

وقال أبو داودَ: حَدَّثَنا أحمدُ بنُ صالحٍ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، أخبرنى عمرُو ابنُ الحارثِ، عن سعيدِ بنِ أبى هِلالٍ، عن عِيَاضِ بنِ[6] عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو على المِنْبَرِ «ص»، فلمَّا بلَغ السَّجْدَةَ، نزلَ فسَجَدَ وسجدَ الناسُ معه، فلمَّا كان يومٌ آخَرُ

---

(١) فى المسند ١/ ٣٦٠. (إسناده صحيح).
(٢) البخارى (٣٤٢٢). وأبو داود (١٤٠٩). والترمذى (٥٧٧). والنسائى فى الكبرى (١١١٧٠).
(٣) النسائى (٩٥٦). وفى الكبرى (١١٤٣٨).
(٤) فى الأصل: «المعنمى». وفى ص: «لمسمى».
(٥) زيادة من: «م». والمقصود به أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى.
(٦) فى الأصل: «عن».

قرأَها ، فلمَّا بَلَغَ السَّجْدةَ تَشَزَّنَ[1] الناسُ للسجودِ ، فقال : « إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةُ نَبِيٍّ ، ولكِنْ رَأَيْتُكُمْ تَشَزَّنْتُم[2] » . فَنَزَلَ وسَجَدَ . تفرَّدَ به أبو داودَ ، وإسنادُه على شَرْطِ الصحيحِ[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عفَّانُ ، حدَّثنا يَزِيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، حدثنا حُمَيْدٌ ، حدَّثنا بَكْرٌ ، هو ابنُ عمرَ ، وأبو الصِّدِّيقِ النَّاجِيُّ ، أنه أخْبَره أن أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ رأى رُؤْيا ، أنه يَكْتُبُ « ص » ، فلمَّا بلَغَ إلى التى يَسْجُدُ بها ، رأى الدَّوَاةَ والقَلَمَ وكلَّ شيْءٍ بِحَضْرَتِه انقلبَ ساجدًا . قال : فقصَّها على النبيِّ ﷺ ، فلم يَزَلْ يَسْجُدُ بها بَعْدُ . تَفَرَّدَ به أحمدُ .

وروَى التِّرْمِذِيُّ ، وابنُ ماجه[5] ، من حديثِ محمدِ بنِ يَزِيدَ [6]بنِ خُنَيْسٍ[6] ، عن الحسنِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أبى يَزِيدَ ، قال : قال لى[7] ابنُ جُرَيْجٍ : حَدَّثنى جَدُّكَ عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى يَزِيدَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال : يارسولَ اللَّهِ ، إنِّى رَأَيْتُ فيما يَرَى النائمُ كأنى أُصَلِّى خلفَ شَجَرَةٍ ، فقرأْتُ السَّجْدَةَ فسجدتُ[8] ، فَسَجَدَتِ الشجرةُ لسُجُودِى[9] ، فسَمِعْتُها تقولُ وهى ساجدةٌ : اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِى بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا ، واجْعَلْهَا لِى

---

(١) فى ح ، م : «تشرف» . والتشزن : التأهب والتهيؤ للشىء ، والاستعداد له . النهاية (ش ز ن) .
(٢) فى ح ، م : « تشرفتم » .
(٣) أبو داود (١٤١٠) . صحيح (صحيح أبى داود ١٢٥٣) .
(٤) أحمد فى المسند ٣/ ٧٨.
(٥) الترمذى (٥٧٩) . وابن ماجه (١٠٥٣) . حسن (صحيح الترمذى ٤٧٣) .
(٦ - ٦) فى الأصل : « بن حبيس » . وفى ص : « وحسن » .
(٧) فى الأصل ، ص : « عبد » .
(٨) سقط من : ح ، م .
(٩) فى ح ، م : « بسجودى » .

عِنْدَكَ ذُخْرًا ، وضَعْ عَنِّى بها وِزْرًا ، واقْبَلْهَا مِنِّى كما قَبِلْتَ من عَبْدِكَ دَاوُدَ . قال ابنُ عباسٍ : فرَأَيْتُ النبىَّ ﷺ قَامَ فَقَرَأَ السَّجْدَةَ ثُمَّ سَجَدَ ، فَسَمِعْتُه يقولُ وهو ساجدٌ كما حَكَى الرجلُ عن كلامِ الشَّجَرَةِ . ثم قال التِّرْمِذِىُّ : غريبٌ لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوَجْهِ .

وقد ذَكَرَ بعضُ المُفسِّرِين : أنه ، عليه السَّلامُ ، مَكَثَ ساجِدًا أربعينَ يومًا . وقاله مجاهدٌ والحسنُ وغيرُهما[1] . ووَرَدَ فى ذلك حديثٌ مرفوعٌ ، لكنَّه من روايةِ يزيدَ الرَّقَاشِىِّ ، وهو ضعيفٌ متروكُ الرِّوايةِ[2] .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥] . أى ؛ وإنَّ له يومَ القيامةِ لزُلْفَى ، وهى القُرْبَةُ التى يُقَرِّبُه اللَّهُ بها ويُدْنِيهِ مِن [١/٢٢٠ظ] حَظِيرَةِ قُدُسِه بسببِها ، كما ثَبَتَ فى الحديثِ[3] : « المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يُقْسِطُونَ فى أَهْلِيهِمْ وحُكْمِهِمْ وما وَلُوا » .

وقال الإمامُ أحمدُ فى « مسندِه »[4] : حَدَّثنا يَحْيَى بنُ آدمَ ، حدَّثنا فُضَيْلٌ ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ . قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، وإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ

---

(١) تفسير الطبرى ١٤٨/٢٣ - ١٥٠.

(٢) فى ح : « البداية » .

والحديث رواه ابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٥٠، ١٥١، وقال السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٣٠٠: بسند ضعيف .

(٣) فى م : « حديث » . والحديث أخرجه مسلم (١٨٢٧) .

(٤) المسند ٣/ ٢٢.

إِلَى اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وأَشَدَّهُمْ عَذَابًا ، إِمَامٌ جَائِرٌ » . وهكذا رواه التِّرْمِذِىُّ[1] من حديثِ فُضَيْلِ بنِ مَرْزُوقٍ الأَغَرِّ به ، وقال : لا نَعْرِفُه مرفوعًا إلَّا مِن هذا الوجهِ . وقال ابنُ أبى حاتِمٍ[2] : حدَّثنا أبو زُرْعَةَ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى زِيَادٍ ، حدَّثَنا سَيَّارٌ ، حدثنا جَعْفَرُ بنُ سُليمانَ ، سَمِعْتُ مالكَ بنَ دِينَارٍ فى قولِه : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ قال : يُقامُ[3] داودُ ، عليه السَّلامُ ، يومَ القيامةِ عندَ ساقِ العَرْشِ ، فيقولُ اللَّهُ : يا دَاوُدُ ، مَجِّدْنى اليَوْمَ بذلكَ الصَّوْتِ الحَسَنِ الرَّخِيمِ ، الذى كُنْتَ تُمَجِّدُنى به[4] فى الدُّنْيَا . فيقولُ : وكيف وقد سُلِبْتُه ؟ فيقولُ : إنِّى أَرُدُّه عليكَ اليَوْمَ . قال : فيَرْفَعُ دَاودُ بصوتٍ يَسْتَفْرِغُ نعيمَ أهلِ الجِنانِ .

(5 قوله تعالى 5) : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] . هذا خطابٌ من اللَّهِ تعالى مع داودَ ، والمرادُ : وُلاةُ الأمورِ وحُكَّامُ الناسِ ، وأمْرُهم بالعدْلِ واتِّباعِ الحَقِّ المُنَزَّلِ من اللَّهِ لا ما سواه من الآراءِ والأَهْواءِ ، وتَوَعُّدُ مَن سَلَكَ غيرَ ذلك وحَكَمَ بغيرِ ذلك ، وقد كان داودُ ، عليه السَّلامُ ، هو المُقْتَدَى به فى ذلك الزَّمانِ ، فى

---

(١) الترمذى (١٣٢٩) . ضعيف . (ضعيف الترمذى ٢٢٥) . وانظر (السلسلة الضعيفة ١١٥٦) .
(٢) التفسير ٧/ ٥٤. وذكره فى الدر المنثور ٥/٣٠٥ وعزاه إلى ابن أبى حاتم .
(٣) فى ح ، ص : « مقام » . وفى م : « يقوم » .
(٤) فى ص : « تحمدنى » .
(٥ - ٥) سقط من : ح ، م ، ص . وانظر التفسير ٧/ ٥٤.

العَدْلِ وكثْرةِ العبادةِ وأنواعِ القُرُباتِ، حتى إنه كان لا تَمْضِى ساعةٌ من آناءِ الليلِ وأطرافِ النهارِ، إلَّا وأهلُ بيتِه فى عبادةٍ ليلًا ونَهارًا، كما قال تعالى[1]: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. قال أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنيا[2]: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ بَسَّامٍ، حدَّثنا صالحٌ المُرِّىُّ[3]، عن أبى[4] عِمْرانَ الجَوْنِىِّ، عن أبى الجَلْدِ[5] قال: قَرَأْتُ فى مسألةِ داودَ، عليه السَّلامُ، أنه قال: يا ربِّ، كيف لى أنْ أشْكُرَك وأنا لا أَصِلُ إلى شُكْرِك إلا بنِعمتِك؟ قال: فأتاه الوَحْىُ: أن يا داودُ، أليس تَعلمُ أنَّ الذى بك من النِّعَمِ منِّى؟ قال: بلى يا ربِّ. قال: فإنِّى أَرْضَى بذلك منك.

وقال البَيْهَقِىُّ[6]: أخبرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأنا أبو بكرِ بنُ بالَوَيْهِ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ يونسَ القُرَشِىُّ، حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادَةَ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ لاحِقٍ، عن ابنِ شِهَابٍ قال: [١/٢٢١و] قال داودُ: الحمدُ للَّهِ كما يَنْبَغِى لكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جلالِه. فأَوْحَى اللَّهُ إليه: إنكَ أَتْعَبْتَ الحَفَظَةَ يا داودُ. ورواه أبو بَكْرٍ ابنُ أبى الدُّنْيا[7]، عن عَلِىِّ بنِ الجعْدِ، عن الثَّوْرِىِّ مِثْلَه.

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ فى كتابِ «الزُّهْدِ»[8]: أنبأَنا سُفيانُ الثَّوْرِىُّ، عن

---

(١) التفسير ٦/ ٤٨٨، ٤٨٩.
(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر ص ٧.
(٣) فى م: «المزى».
(٤) سقط من: الأصل.
(٥) فى ح: «الجلل».
(٦) فى شعب الإيمان (٤٤١٦).
(٧) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر ص ١٩.
(٨) الزهد لابن المبارك (٣١٣).

رجُلٍ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال: إنَّ فى حِكْمَةِ آلِ دَاودَ: حقٌّ على العاقِلِ أن لا يَغْفُلَ عن أَرْبَعِ ساعاتٍ؛ ساعةٌ يُناجِى فيها ربَّه، وساعةٌ[1] يُحاسِبُ فيها نفْسَه، وساعةٌ يُفْضِى فيها إلى إخوانِه الذين يُخْبِرُونه بعُيُوبِه ويَصْدُقُونه عن نفسِه، وساعةٌ يُخَلِّى[2] بين نَفْسِه وبين لَذَّاتِها فيما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ؛ فإنَّ هذه الساعةَ عَوْنٌ على هذه الساعاتِ وإجْمامٌ للقلوبِ، وحقٌّ على العاقلِ أن يَعْرِفَ زَمانَه، ويَحفظَ لسانَه، ويُقْبِلَ على شأنِه، وحقٌّ على العاقلِ أن لا يَظْعَنَ إلَّا فى إحدى ثلاثٍ: زادٌ لمَعادِهِ، ومَرَمَّةٌ[3] لمعاشِه، ولَذَّةٌ فى غيرِ مُحَرَّمٍ.

وقد رَواه أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنْيا[4]، عن أبى بكرِ بنِ أبى خَيْثَمَةَ[5]، عن ابنِ مَهْدِىٍّ، عن سُفيانَ عن أبى[6] الأَغَرِّ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، فذَكَرَه. ورَواه أيضًا عن علىِّ بنِ الجَعْدِ، عن عُمَرَ بنِ الهَيْثَمِ الرَّقَاشِىِّ، عن أبى الأَغَرِّ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، فذَكَرَه. وأبو الأَغَرِّ هذا، هو الذى أَبْهَمَه[7] ابنُ المباركِ فى روايتِه. قاله ابنُ عساكرَ[8].

وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[9]: أنبأَنا بِشْرُ بنُ رافعٍ، حَدَّثنا شيخٌ من أهلِ صَنْعاءَ، يُقالُ له: أبو عبدِ اللَّهِ. قال: سَمِعْتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ، فذَكَرَ مِثْلَه.

---

(١) سقط من: ص.
(٢) فى الأصل: «يخلوا».
(٣) فى ص: «مرة». والمَرَمَّة: متاع البيت.
(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت مختصرا حديث رقم (٣١).
(٥) فى ص: «حتمة».
(٦) فى ص: «ابن».
(٧) فى الأصل: «اتهمه».
(٨) لعله فى الجزء الذى سقط من تاريخ ابن عساكر، راجع تاريخ دمشق ١٧/١٠٩ حاشية ٣.
(٩) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ١١/٢١، ٢٢، رقم (١٩٧٩٠).

(١ وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[٢] فى ترجمةِ داودَ، عليه السَّلامُ، أشياءَ كثيرةً مَلِيحةً، منها قولُه: كُنْ لليتيمِ كالأبِ الرَّحيمِ، واعلمْ أنك كما تَزرعُ كذلك تَحْصُدُ. وَرُوِىَ بسندٍ غريبٍ مرفوعًا، قال داودُ: يا زارِعَ السَّيئاتِ، أنت تَحْصُدُ شَوْكَها وحَسَكَهَا[٣]. وعن داودَ، عليه السَّلامُ، أنَّه قال[٤]: مَثَلُ الخَطِيبِ الأحْمَقِ فى نادِى القومِ، كَمَثَلِ المُغَنِّى عندَ رأسِ الميِّتِ. وقال أيضًا: ما أقْبَحَ الفقرَ بعدَ الغِنَى، وأقبحُ من ذلك الضَّلالةُ بعدَ الهُدَى. وقال: انْظُرْ ما تَكْرهُ أن يُذْكَرَ عنك فى نادِى القومِ، فلا تَفْعَلْه إذا خَلَوْتَ. وقال: لا تَعِدَنَّ أخاك بما لا تُنْجِزهُ له. فإن ذلك عداوةُ ما بينَك وبينَه١).

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[٥]: أنبأنا محمدُ بنُ عُمَرَ الواقِدِىُّ، حَدَّثنى هِشامُ بنُ سَعدٍ، عن عُمَرَ مَوْلَى غُفْرةَ[٦]، قال: قالتْ يَهُودُ لَمَّا رَأَتْ رسولَ اللَّه ﷺ يَتَزَوَّجُ النساءَ: انْظُروا إلى هذا الذى لا يَشْبَعُ مِنَ الطعامِ، ولا واللَّهِ ما له هِمَّةٌ إلَّا إلى النِّساءِ. حَسَدُوه لكثْرةِ نسائِه، وعابُوه بذلك، فقالُوا: لو كان نبيًّا ما رَغِبَ فى النِّساءِ. وكان أشدَّهم فى ذلك حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ، فأَكْذَبَهمُ اللَّهُ، وأَخْبَرَهم بفضلِ اللَّهِ وسَعَتِه على نبيِّه، صَلَواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه، فقال[٧]: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]. يَعْنى بالناسِ:

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) لعله فى الجزء الذى سقط من تاريخ ابن عساكر، راجع تاريخ دمشق ١٧/١٠٩ حاشية ٣.

(٣) فى ص: «وعسكها». والحَسَك: نباتٌ له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم. اللسان (ح س ك).

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١٣/٢٠٣.

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/٢٠٢.

(٦) فى النسخ: «عفرة». والصحيح ما أثبتناه: غُفْرة؛ بضم المعجمة وسكون الفاء. انظر التقريب ٢/ ٥٩.

(٧) فى ص: «عليه». وانظر التفسير ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦.

رسولَ اللَّهِ ﷺ ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٥٤]. يَعْنى ما آتى اللَّهُ سُليمانَ بنَ داودَ، كانت له ألفُ امرأةٍ؛ سبعُمائةٍ مَهِيرَةٌ[1] وثلثُمائةٍ سُرِّيَّةٌ. وكانت لداودَ، عليه السَّلامُ، مائةُ امرأةٍ، منهنَّ امرأةُ أوريا أُمُّ سُليمانَ بنِ داودَ، التى تزوَّجها بعدَ الفتنةِ، هذا أكْثَرُ مِمَّا لمحمدٍ ﷺ. وقد ذَكَر الكَلْبِىُّ نحوَ هذا، وأنه كان لداودَ، عليه السلامُ، مائةُ امرأةٍ، ولسليمانَ ألفُ امرأةٍ، منهنَّ ثلثُمائةٍ سُرِّيَّةٌ.

[2]ورَوَى الحافظُ فى «تاريخِه»[3]، فى ترجمةِ صَدَقَةَ الدِّمَشْقِىِّ الذى يَرْوِى عن ابنِ عباسٍ، من طريقِ الفَرَجِ[2] [4]بنِ فَضَالَةَ الحِمْصِىِّ، عن أبى هُرَيْرَةَ الحِمْصِىِّ، عن صَدَقَةَ الدِّمَشْقِىِّ، أن رجلًا سألَ ابنَ عباسٍ عن الصِّيامِ فقال: لَأُحَدِّثَنَّكَ بحديثٍ كان عِندِى فى التَّخْتِ[5] مَخْزُونًا، إن شئتَ أنبأْتُكَ بصوْمِ داودَ؛ فإنَّه كانَ صَوَّامًا قوَّامًا، وكان شُجَاعًا لا يَفِرُّ إذا لاقَى، وكان يصومُ يومًا ويُفْطِرُ يَوْمًا، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ». وَكَانَ يَقْرَأُ الزَّبُورَ بِسَبْعِينَ صَوْتًا يُلَوِّنُ فِيهَا، وَكَانَتْ لَهُ رَكْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يُبْكِى فِيهَا نَفْسَه، ويَبْكِى بِبُكَائِهِ كُلُّ شَىْءٍ، ويَطْرَبُ بصوتِه المَهمومُ والمَحمومُ. وإن شئتَ أنبأْتُكَ بصومِ ابنِه سُليمانَ؛ فإنَّه كان يصومُ من أوَّلِ الشهرِ ثلاثةَ أيَّامٍ، ومن وَسَطِه ثلاثةَ أيامٍ، ومن آخِرِه ثلاثةَ أيامٍ، يَسْتَفْتِحُ الشهرَ بصيامٍ ووَسَطَه بصيامٍ ويَخْتِمُه[4]

---

(١) فى م: «مهرية». والمهيرة: الحُرَّة. اللسان (م هـ ر).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٧.

(٤- ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) فى م: «البحث». والتخت: وعاء تُصان فيه الثياب. اللسان (ت خ ت).

[1] بصيامٍ . وإن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ ابنِ العَذْراءِ البَتُولِ عيسَى ابنِ مريمَ ؛ فإنَّه كانَ يَصومُ الدَّهْرَ ويأكُلُ الشَّعِيرَ ويَلْبَسُ الشَّعْرَ ، يأكُلُ ما وَجَدَ ولا يَسألُ عمَّا فَقَد ، ليس له ولدٌ يموتُ ولا بَيْتٌ يَخْرَبُ ، وكان أينَما أَدْرَكَه الليلُ [2] صفَن بينَ قَدميْه [2] وقام يُصَلِّى حتى يُصْبِحَ ، وكان راميًا لا يَفُوتُه صَيْدٌ يُريدُه ، وكان يَمُرُّ بمجالسِ بنى إسرائيلَ فيَقْضِى لهم حَوَائِجَهم . وإن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ أُمِّه مريمَ بنتِ عِمْرَانَ ؛ فإنَّها كانتْ تصومُ يومًا وتُفْطِرُ يومَيْنِ . وإن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ النبىِّ العَرَبِىِّ الأُمِّىِّ محمدٍ ﷺ ؛ فإنَّه كان يَصومُ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ ويقولُ : « إنَّ ذلك صومُ الدَّهْرِ » .

وقد رَوَى [نَحْوَهُ] [3] الإمامُ أحمدُ [4] ، عن أبى النَّضْرِ ، عن فَرَجِ بنِ فَضَالَةَ ، عن أبى هَرِمٍ [5] ، عن صَدَقَةَ ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا فى صومِ داودَ [1] .

(١- ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢- ٢) فى الأصل ،ص : « صفق يديه » . وصفن الرجل : صفَّ قدميه ، وكل صاف قدميه قائمًا فهو صافن . « اللسان » (ص ف ن) .

(٣) زيادة ليستقيم المعنى . وفى م بياض .

(٤) المسند ١/ ٣١٤ . (ضعيف) .

(٥) كذا فى النسخ ، وفى المطبوع من المسند . والصواب أبو هريرة الحمصى ، كما نص على ذلك الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٦ . والحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ . وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على الحديث فى المسند (٢٨٧٨) .

[١/٢٢١ظ] ذِكْرُ[1] كَمّيَّةِ حياتِه وَكَيْفِيَّةِ وفاتِهِ، عليه السَّلامُ

قد تقدَّم فى ذِكْرِ الأحاديثِ الواردةِ فى خَلْقِ آدمَ، أنَّ اللَّهَ لَمَّا استخرجَ ذُرِّيَّتَه من ظَهْرِه، فرَأَى فيهمُ الأنبياءَ، عليهم السَّلامُ، ورأى فيهم رَجُلًا يَزْهَرُ، فقال: «أَىْ ربِّ، مَنْ هذا؟ قال: هذا ابنُك داودُ، قال: أىْ ربِّ، كم عُمُرُه؟ قال: ستون عامًا. قال: أىْ رَبِّ، زِدْ فى عُمُرِه. قال: لا، إلَّا أن أَزِيدَه مِن عُمُرِكَ. وكان عُمُرُ آدمَ ألفَ عامٍ، فزادَه أربعين عامًا، فلمَّا انْقَضَى عمرُ آدمَ جاءَه مَلَكُ الموتِ، فقال: بَقِىَ مِن عُمُرِى أربعون سنةً. ونَسِىَ آدمُ ما كان وَهَبَه لولدِه داودَ، فأَتَمَّها اللَّهُ لآدمَ ألفَ سنةٍ، ولداودَ مائةَ سنةٍ». رواه أحمدُ عن ابنِ عباسٍ[2]، والتِّرْمِذِىُّ وصحَّحَه عن أبى هريرةَ، وابنُ خُزَيمة، وابنُ حِبَّانَ، وقال الحاكمُ: على شَرْطِ مسلمٍ. وقد تقدَّم ذِكْرُ طرقِه وألفاظِه فى قصةِ آدمَ[3]. قال ابنُ جريرٍ[4]: وقد زَعَمَ بعضُ[5] أهلِ الكتابِ أن عُمُرَ داودَ كان سبعًا وسبعين سنةً. قُلْتُ: هذا غَلَطٌ مردودٌ عليهم. قالوا: وكان مدةُ مُلْكِه أربعين سنةً. وهذا قد يُقْبلُ نَقْلُه؛ لأنه ليس عندَنا ما يُنافِيه ولا ما يَقتضِيه.

---

(١) سقط من: م.
(٢) تقدم تخريجه فى ١/٢٠٧ بنحوه.
(٣) تقدم تخريجه فى ١/٢٠٥ - ٢٠٨.
(٤) فى تاريخه ١/ ٤٨٥.
(٥) سقط من: الأصل.

وأمَّا وفاتُه، عليه السلامُ، فقال الإمامُ أحمدُ فى «مسندِه»[1]: حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ[2]، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ، عن[3] عمرِو بنِ أبى عمرٍو، عن المُطَّلِبِ، عن أبى هُريرَةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «كَانَ دَاوُدُ النَّبِىُّ فيه غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وكان إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتِ الأَبْوَابُ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ»، قال: «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغُلِّقَتِ الدّارُ، فأَقْبَلَتِ امْرَأَتُه تَطَّلِعُ إِلَى الدّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِى البَيْتِ: مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالدّارُ مُغْلَقَةٌ؟ واللَّهِ لَتُفْتَضَحُنَّ[4] بِدَاوُدَ. فجاءَ دَاوُدُ، فإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسطَ الدّارِ، فقالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أَنَا الَّذِى لَا أَهَابُ المُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ منِّى شىءٌ. فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّهِ[5] مَلَكُ المَوْتِ، فمَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ. فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حيثُ قُبِضَتْ رُوحُه، حتَّى فُرِغَ مِنْ شَأْنِه، وطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فقَالَ سُلَيْمَانُ للطَّيْرِ: أَظِلِّى عَلَى دَاوُدَ. [6]فَأَظَلَّتْ عليه[6] الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِما الأَرْضُ، فقالَ لها سُلَيمانُ: اقْبِضِى جَنَاحًا جَنَاحًا[7]». قَال أبو هريرةَ: يُرِينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كيف فَعَلَتِ الطيرُ. وقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[8] بيده، «وغَلَبَتْ عليه [١/ ٢٢٢و] [9]يومَئِذٍ المَضْرَحِيَّةُ[9]». انْفَرَدَ بإخراجِه الإمامُ أحمدُ، وإسنادُه جَيِّدٌ

---

(١) أحمد فى المسند ٢/ ٤١٩.

(٢) فى م: «قبيصة».

(٣) فى الأصل، م: «بن».

(٤) فى النسخ: «لنفتضحن».

(٥) فى النسخ: «والله إذن».

(٦- ٦) فى الأصل، ح: «فأظلت عليهم». وفى م: «فأظلته».

(٧) سقط من: م.

(٨) فى ص: «بيديه».

(٩- ٩) فى ص: «المضرحية يومئذ». وفى المسند: «يومئذ المصرحية»؛ بالصاد بدل الضاد، وقد أثبتنا ما فى النسخ «المضرحية»؛ لأنه الموافق لما ذكره ابن كثير بعد ذلك.

قَوِيٌّ ؛ رجالُه ثِقاتٌ . ومعنى قولِهِ : « وغلبتْ عليه يومئذٍ المَضْرَحِيَّةُ » ؛ أىْ : وغَلَبَتْ على التَّظْلِيلِ عليه (١المضرحيَّةُ ، وهى١) الصُّقُورُ الطِّوالُ الأَجْنِحَةِ ، واحِدُها مَضْرَحِيٌّ ، قال الجَوْهَرِيُّ : وهو الصَّقْرُ الطَّوِيلُ الجَنَاحِ . وقال السُّدِّيُّ عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ماتَ دَاوُدُ ، عليه السلامُ ، فجأةً ، وكان يُسْبِتُ ، وكانتِ الطيرُ تُظِلُّه . وقال السُّدِّيُّ أيضًا عن أبى مالكٍ ، وعن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : ماتَ داودُ ، عليه السلامُ ، يومَ السَّبْتِ فجأةً . وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، قال : مات داودُ ، عليه السَّلامُ ، وهو ابنُ مائةِ سنةٍ ، وماتَ يومَ الأَرْبِعاءِ فجأةً . وقال أبو السَّكَنِ الهَجَرِيُّ : مات إبراهيمُ الخليلُ فَجْأَةً ، وداودُ فَجْأَةً ، وابْنُه سُليمانُ فجأةً ، صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أجمعين . رواهُ ابنُ عساكرَ(٢) . ورَوى عن بعضِهم : أن مَلَكَ الموتِ جاءه وهو نازلٌ من مِحْرابِه ، فقال له : دَعْنِى أَنْزِلُ أو أَصْعَدُ . فقال : يا نَبِيَّ اللَّهِ ، قد نَفِدَتِ السِّنونَ والشهورُ والآثارُ والأَرْزاقُ . قال : فخرَّ سَاجِدًا على مَرْقاةٍ من تلك المَرَاقِى ، فَقَبَضَه وهو ساجدٌ . وقال إسحاقُ بنُ بشرٍ : أنبأنا وافرُ بنُ سليمانَ ، عن أبى سليمانَ الفِلَسْطِينِيِّ ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال : إن الناسَ حَضَرُوا جِنازةَ داودَ ، عليه السلامُ ، فجلسوا فى الشمسِ فى يومٍ صائفٍ . قال : وكان قد شَيَّعَ جِنازَتَه يومئذٍ أربعون ألفَ راهبٍ ، عليهم البَرَانِسُ ، سِوَى غيرِهم من الناسِ ، ولم يَمُتْ فى بنى إسرائيلَ - بعدَ موسى وهارونَ - أحدٌ كانت بنو إسرائيلَ أشدَّ جَزَعًا عليه منهم على داودَ . قال :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) لم نجده فى تاريخ دمشق ، ولعله فى الجزء الساقط منه . وهو فى مختصره ٨/ ١٤٠ .

فآذاهم الحرُّ فنادَوْا سليمانَ، عليه السلامُ، أن [1]يَعْجَلَ عليهم[1]؛ لما أصابَهم من الحَرِّ، فخرجَ سليمانُ فنادَى الطيرَ فأجابتْ، فأمَرَها فأظَلَّتِ الناسَ. قال: فتراصَّ بعضُها إلى بعضٍ من كلِّ وَجْهٍ، حتى اسْتَمْسَكَتِ الريحُ، فكاد الناسُ أن يَهْلِكُوا غَمًّا، فصاحُوا إلى سليمانَ، عليه السَّلامُ، من الغَمِّ، فخرجَ سليمانُ فنادَى الطَّيْرَ؛ أن أَظِلِّى الناسَ من ناحيةِ الشمسِ، وتَنَحَّىْ عن ناحيةِ الرِّيحِ. ففعلتْ، فكان الناسُ فى ظِلٍّ وتَهُبُّ عليهم الريحُ، فكان ذلك مِنْ أولِ ما رَأَوْا من مُلْكِ سليمانَ[2].

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[3]: حَدَّثنا أبو هَمَّامٍ الوليدُ بنُ شُجَاعٍ، حدَّثنى الوليدُ ابنُ مسلمٍ، عن الهَيْثَمِ بنِ[4] حُمَيْدٍ، عن الوَضِينِ[5] بنِ عَطاءٍ، عن نصرِ بنِ عَلْقَمَةَ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ[6]، عن أبى الدَّرْدَاءِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد قَبَضَ اللَّهُ دَاودَ مِن بينِ أصحابِه ما فُتِنُوا ولا بَدَّلوا، ولقد مَكَثَ أصحابُ [١/٢٢٢ظ] المسيحِ على سُنَّتِهِ وهَدْيِهِ مائتَىْ سنةٍ». هذا حديثٌ غريبٌ، وفى رَفْعِه نَظَرٌ، والوضينُ بنُ عطاءٍ كان ضعيفًا فى الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ.

(١- ١) فى م: «يعمل لهم وقاية».

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٤٠- ١٤١.

(٣) رواه ابن حبان (الإحسان ٦٢٣٦) من طريق أبى يعلى. وإسناده ضعيف.

(٤) فى ص: «عن».

(٥) فى الأصل: «الوصبر».

(٦) فى الأصل: «لقنن».

قصَّةُ سليمـــانَ بنِ داودَ، عليهمـــا السَّـلامُ

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] : هو سليمانُ بنُ داودَ بنِ إيشا بنِ عُوَيدَ بنِ باعزَ[2] بنِ سلمونَ بنِ نحشونَ[3] بنِ عميناذب بنِ إرمَ بنِ حصرون[4] ، بنِ فارصَ بنِ يهودا بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، أبو الرَّبيعِ ، نبيُّ اللَّهِ ، ابنُ نبيِّ اللَّهِ .

جاء فى بعضِ الآثارِ أنه دَخَلَ دِمَشْقَ . قال ابن مَاكُولَا[5] : فارصُ ؛ بالصادِ المهملةِ . وذَكَرَ نَسَبَهُ قريبًا ممَّا ذَكَرَه ابنُ عساكرَ . قال اللَّهُ تعالى[6] : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦] . أى : وَرِثَه فى النُّبُوَّةِ والمُلْكِ . وليس المرادُ : وِرَاثَةَ[7] المالِ ؛ لأنه قد كان له بَنُونَ غيرُه ، فما كان لِيُخَصَّ بالمالِ دونَهم . ولأنه قد ثَبَت فى « الصِّحَاحِ »[8] من غيرِ وَجْهٍ ، عن جماعةٍ من الصَّحابةِ ، أن

---

(١) فى تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٣٠.

(٢) فى م : « عابر » . وفى تاريخ دمشق : « ناعر » .

(٣) فى ح : « تحشون » . وفى تاريخ دمشق : « يخشون » .

(٤) فى تاريخ دمشق : « خضرون » .

(٥) فى الإكمال ٧/ ٥٢.

(٦) التفسير ٦/ ١٩٢، ١٩٣.

(٧) فى م : « ورثه فى » .

(٨) البخارى (٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبى بكر الصديق . ورواه البخارى (٣٠٩٤، ٤٤٠٣)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب . =

رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «لَا نُورَثُ، ما تَرَكْنَا فهو صَدَقَةٌ». وفى لفظٍ[1]: «إنَّا[2] مَعَاشِرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ». فأخبرَ الصادقُ المصدوقُ أن الأنبياءَ لا تُورَثُ أموالُهم عنهم كما يُورَثُ غيرُهم، بل تكونُ أموالُهم صدقةً من بعدِهم على الفقراءِ والمَحَاوِيجِ، لا يَخُصُّونَ بها أَقْرِباءَهم؛ لأن الدنيا كانتْ أهْوَنَ عليهم وأحقرَ عندَهم من ذلك، كما هى عندَ الذى أَرْسَلَهُمْ واصْطَفَاهم وفضَّلَهم. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾؛ يَعْنى أنه، عليه السلامُ، كان يعرِفُ ما تَتَخَاطَبُ به الطُّيورُ بِلُغَاتِها، ويُعَبِّرُ للناسِ عن مقاصِدِها وإراداتِها.

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ: أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأَنا علىُّ بن حَمْشَاذَ[3]، حَدَّثَنا إسماعيلُ بنُ قُتَيْبَةَ، حدَّثنا علىُّ بنُ قُدَامةَ، حدَّثنا أبو جعفرٍ الأُسْوَانِىُّ - يَعْنِى محمدَ بنَ عبدِ الرحمنِ - عن[4] يعقوبَ القُمِّىِّ[5]، حَدَّثنى أبو مالكٍ، قال: مرَّ سُليمانُ بنُ دَاودَ بعُصْفُورٍ يدورُ حولَ عصفورةٍ، فقال لأصحابِه: أَتَدْرُون ما يقولُ؟ قالوا: وما يقولُ يا نبىَّ اللَّهِ؟ قال: يخطُبُها إلى نفسِه، ويقولُ: زَوِّجِينِى أُسْكِنْكِ أىَّ غُرَفِ دِمَشْقَ شِئْتِ. قال سليمانُ، عليه السلامُ: لأن غُرَفَ دِمَشْقَ مَبْنِيَّةٌ بالصَّخْرِ لا يَقْدِرُ أن يَسْكُنَها أحدٌ، ولكنْ كلُّ

= ورواه مسلم (١٧٦١) من حديث أبى هريرة.

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٢/ ٤٦٣، وابن عبد البر فى التمهيد ٨/ ١٧٥. من حديث أبى هريرة.

(٢) فى النسخ: «نحن». والمثبت من المسند والتمهيد.

(٣) فى ح، م، ص: «حشاد». وفى تاريخ دمشق: «حمشاد». والمثبت من مصادر ترجمته: السير ١٥/ ٣٩٨. ومرآة الجنان ٢/ ٣٢٧. وانظر الأنساب ٢/ ٢٦٢.

(٤) بعد هذا فى م، ص: «أبى».

(٥) فى م، ص: «العمى».

خاطبٍ كذَّابٌ. [1]رواه ابنُ عساكرَ[2] عن أبى القاسمِ زاهرِ بنِ طاهرٍ، عن البَيْهَقِيِّ به[1]. وكذلك ما عداها من الحيواناتِ وسائرِ صُنُوفِ المخلوقاتِ؛ والدليلُ على هذا قولُه بعدَ هذا من الآياتِ: ﴿ وَأُوتِينَا [١/٢٢٣و] مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أىْ؛ مِن كلِّ ما يَحتاجُ المَلِكُ إليه؛ من العُدَدِ، والآلاتِ، والجُنُودِ، والجُيوشِ، والجماعاتِ، من الجِنِّ، والإنسِ، والطيورِ، والوحوشِ، والشياطينِ السّارِحاتِ، والعلومِ والفُهومِ، والتعبيرِ عن ضمائرِ المخلوقاتِ من النَّاطقاتِ والصَّامتاتِ. ثم قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾، أى؛ مِن بَارئِ البَرِيَّاتِ وخالقِ الأرضِ والسمواتِ، كما قال تعالى[3]: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٧- ١٩]. يُخْبِرُ تعالى عن عبدِه ونبيِّه وابنِ نبيِّه سُلَيْمانَ ابنِ داودَ، عليهما الصلاةُ والسلامُ، أنَّه رَكِبَ يومًا فى جَيْشِه جميعِه من الجنِّ والإنسِ والطَّيرِ؛ [4]فالجنُّ والإنسُ[4] يَسِيرون معه، والطَّيرُ سائرةٌ معه تُظِلُّه بأجنحتِها من الحرِّ وغيرِه، وعلى كلٍّ من هذه الجيوشِ الثلاثةِ وَزَعَةٌ[5]؛ أىْ

(١- ١) سقط من: ص.

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٣٢.

(٣) التفسير ٦/ ١٩٣، ١٩٤.

(٤- ٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى ح: «ورعة». والوَزَعَة: جمع وازِعٍ، وهو الحابس العَسْكر الموكَّل بالصفوف، يتقدَّم الصفَّ فيُصلحه، ويقدِّم ويؤخِّر. اللسان (و ز ع).

نُقَباءُ يَرُدُّون أَوَّلَه على آخِرِه، فلا يتقدَّمُ أحدٌ عن موضعِه الذى يَسِيرُ فيه ولا يتأخَّرُ عنه، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ فأَمَرَتْ، وَحَذَّرَتْ، واعْتَذَرَتْ عن سليمانَ وجنودِه بعَدَمِ الشُّعورِ. وقد ذَكَرَ وَهْبٌ أنَّه مرَّ وهو على البِسَاطِ بوادٍ بالطائفِ، وأن هذه النملةَ كان اسمُها «جرسَ»، وكانت مِن قبيلةٍ يُقالُ لهم: بنو الشَّيْصَبانِ، وكانت عَرْجَاءَ، وكانتْ بقَدْرِ الذِّئْبِ. وفى هذا كلِّه نظرٌ، بل فى هذا السِّياقِ دليلٌ على أنَّه كان فى مَوْكِبِه راكبًا فى خُيولِه وفرسانِه، لا كما زَعَمَ بعضُهم من أنَّه كان إذ ذاك على البِسَاطِ؛ لأنه لو كان كذلك لم يَنَلِ النملَ منه شَيْءٌ ولا وَطْءٌ؛ لأنَّ البِسَاطَ كان عليه جميعُ ما يَحتاجُون إليه مِن الجُيوشِ والخُيولِ والجِمالِ والأَثْقالِ والخِيامِ والأَنْعامِ، والطَّيْرُ مِن فوقِ ذلك كلِّه، كما سنُبَيِّنُه بعدَ ذلك، إن شاء اللَّهُ تعالى.

والمقصودُ أن سليمانَ، عليه السَّلامُ، فَهِمَ ما خاطبَتْ به تلك النملةُ لِأُمَّتِها من الرَّأْيِ السَّدِيدِ والأمرِ الحميدِ، وتبسَّمَ من ذلك على وَجْهِ الاستبشارِ والفَرَحِ والسُّرورِ بما أَطْلَعَه اللَّهُ عليه دونَ غيرِه، وليس كما يقولُه بعضُ الجَهَلَةِ، من أن الدَّوَابَّ كانت تَنْطِقُ قبلَ سليمانَ، وتُخاطِبُ [١/٢٢٣ظ] الناسَ، حتى أَخَذَ عليهم سليمانُ بنُ داودَ العهدَ وأَلْجَمَها، فلم تَتَكَلَّمْ مع الناسِ بعدَ ذلك، فإن هذا لا يقولُه إلَّا الذين لا يعلمون، ولو كان هذا هكذا لم يَكُنْ لسليمانَ فى فَهْمِ لُغاتِها مَزِيَّةٌ على غيرِه؛ إذ كان الناسُ كلُّهم يَفْهَمُون ذلك، ولو كان قد أَخَذَ عليها العهدَ أن لا تتكلَّمَ مع غيرِه، وكان هو يَفْهَمُها، لم يكنْ فى هذا

أيضًا فائدةٌ يُعَوَّلُ عليها، ولهذا قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ أىْ؛ أَلْهِمْنى وأَرْشِدْنى، ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، فطَلَبَ من اللَّهِ أن يُقَيِّضَه للشكرِ على ما أنعمَ به عليه، وعلى ما خصَّه به من المَزِيَّةِ على غيرِه، وأن يُيَسِّرَ عليه العملَ الصَّالحَ، وأن يَحْشُرَه إذا تَوَفَّاه مع عبادِه الصالحين، وقد استجابَ اللَّهُ تعالى له. والمرادُ بوالدَيْه داودُ، عليه السَّلامُ، وأمُّه، وكانت من العابداتِ الصالحاتِ كما قال سُنَيْدُ بنُ داودَ، عن يوسفَ بنِ محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، عن أبيه، عن جابرٍ، عن النبىِّ ﷺ قال: «قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمانَ بنِ دَاوُدَ: يا بُنَىَّ لَا تُكْثِرِ النَّوْمَ باللَّيْلِ؛ فإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ باللَّيْلِ تَدَعُ العَبْدَ فَقِيرًا يَوْمَ القِيامَةِ». رواه ابنُ ماجَهْ[1] عن أربعةٍ من مشايخِه، عنه به نحوَه.[2] وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[3]، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِىِّ: إنَّ سُليمانَ بنَ داودَ، عليه السَّلامُ، خَرَجَ هو وأصحابُه يَسْتَسْقُون، فرأَى نملةً قائمةً رافعةً إحدى قوائمِها تَسْتَسْقِى، فقال لأصحابه: ارْجِعُوا فقد سُقِيتُمْ، إنَّ هذه النَّملةَ اسْتَسْقَتْ فاستُجِيبَ لها. قال ابنُ عساكرَ[4]: وقد رُوِى مرفوعًا ولم يُذْكَرْ فيه سليمانُ. ثم ساقَه[5] من طريقِ محمدِ بن عُزَيْزٍ، عن سَلَامَةَ بنِ رَوْحِ بنِ خالدٍ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شِهَابٍ، حدَّثنى أبو سَلَمَةَ، عن أبى هُريرةَ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «خَرَجَ نَبِيٌّ من الأَنْبِياءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ اللَّهَ، فإذا هُمْ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضَ قَوَائِمِها إلى[2]

---

(١) ابن ماجه (١٣٣٢). (ضعيف ابن ماجه ٢٧٩).
(٢- ٢) سقط من: الأصل، ص.
(٣) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٨.
(٤) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٨.
(٥) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٨. والحاكم ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(1) السَّماءِ فَقالَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ النَّمْلَةِ » . وقال السُّدِّيُّ : أصابَ الناسَ قَحْطٌ على عهدِ سُليمانَ ، عليه السلامُ ، فأمَرَ الناسَ فَخَرَجُوا ، فإذا بنملةٍ قائمةٍ على رِجْلَيْها ، باسطةٍ يَدَيْها وهى تقولُ : اللَّهُمَّ إنّا خَلْقٌ مِن خَلْقِك ، ولا غَنَاءَ بنا عن فَضْلِكَ . قال : فصَبَّ اللَّهُ عليهم المطرَ (1) .

قال تعالى (2) : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ص .

(2) التفسير ٦/ ١٩٥ - ٢٠٠ .

يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا [١/٢٢٤و] جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٢٠- ٣٧]. يَذْكُرُ تعالى ما كان من أمرِ سُليمانَ والهُدْهُدِ؛ وذلك أنَّ الطيورَ كان على كلِّ صِنْفٍ منها مُقَدَّمون يَقُومُون بما يُطْلَبُ منهم، ويَحْضُرُون عندَه بالنَّوْبَةِ، كما هى عادَةُ الجنودِ مع المُلوكِ، وكانت وظيفةُ الهدهدِ على ما ذَكَرَه ابنُ عباسٍ وغيرُه[1]، أنهم كانوا إذا أعْوَزُوا الماءَ فى القِفَارِ، فى حالِ الأسْفارِ، يَجِىءُ فيَنْظُرُ لهم هل بهذه البِقاعِ مِن ماءٍ، وفيه من القُوَّةِ التى أودَعَها اللَّهُ تعالى فيه، أن يَنظُرَ إلى الماءِ تحتَ تُخُومِ الأرضِ، فإذا دَلَّهُم عليه، حَفَرُوا عنه واستَنْبَطُوه وأَخْرَجُوه، واسْتَعْمَلُوه لحاجَتِهم، فلمَّا تَطَلَّبَه سُليمانُ، عليه السَّلامُ، ذاتَ يومٍ، فَقَدَه ولم يَجِدْه فى مَوْضِعِه من مَحَلِّ خِدْمَتِه ﴿ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ أى؛ ما لَه، أمفقودٌ[2] مِن ههنا، أوْ قد غابَ عن بَصَرِى، فلا أراه بحَضْرَتِى؟ ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾، تَوَعَّدَه بنَوْعٍ من العذابِ اخْتَلَفَ المُفسِّرون فيه، والمقصودُ حاصِلٌ على كلِّ تَقْدِيرٍ. ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أىْ؛ بحُجَّةٍ تُنْجِيه مِن هذه الوَرْطَةِ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أىْ؛ فغابَ الهُدْهُدُ غَيْبَةً ليست بطويلةٍ، ثم قَدِمَ منها ﴿ فَقَالَ ﴾ لسليمانَ: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أى؛ اطَّلَعْتُ على ما لم تَطَّلِعْ عليه. ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أى؛ بخبرٍ صادقٍ. ﴿ إِنِّى

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٩/ ١٤٣، بسياقات مختلفة.

(٢) فى م: «مفقود».

وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . يَذْكُرُ ما كان عليه مُلُوكُ سبأٍ فى بلادِ اليمنِ مِنَ المملكةِ العظيمةِ والتَّبابِعَةِ[1] المُتَوَّجِين، وكان المُلْكُ قد آلَ فى ذلك الزمانِ إلى امرأةٍ منهم ابنةِ مَلِكِهم، لم يُخْلِفْ غيرَها، فمَلَّكُوها عليهم.

وذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ وغيرُه[2]، أن قومَها ملَّكُوا عليهم بعدَ أبيها رجُلًا، فعمَّ به الفسادُ، فأرسلَتْ إليه تَخْطُبُه فتَزَوَّجَها، فلمَّا دَخَلَتْ عليه سَقَتْه خمرًا، ثُمَّ حَزَّتْ رأسَه ونَصَبَتْه على بابِها، فأقبلَ الناسُ عليها ومَلَّكُوها عليهم. وهى بَلْقِيسُ بنتُ البشرخِ[3]، وهو الْهَذْهَاذُ. وقيل: شَراحِيلُ بنُ ذِى جَدَنِ بنِ البشرخِ بنِ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ صَيْفِيِّ بنِ سَبَأِ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ. وكان أبوها من أكابرِ الملوكِ، وكان [4]قد تَأَبَّى[4] أن يَتَزَوَّجَ مِن أهلِ اليمنِ، فيُقالُ: إنَّه تَزَوَّجَ بامرأةٍ مِن الجِنِّ، اسمُها رَيْحَانَةُ بنتُ الشَّكرِ، فولَدَتْ له هذه المرأةَ واسمُها بَلْعَمَةُ[5]، ويُقالُ لها: بَلْقِيسُ.

وقد رَوَى الثَّعْلَبِيُّ[6] مِن طريقِ سعيدِ بنِ بَشِيرٍ[7]، عن قتادةَ، عن [١/ ٢٢٤ظ] النَّضْرِ بنِ أنسٍ، عن بَشِيرِ بنِ نَهِيكٍ، عن أبى هُريرةَ عن النبىِّ ﷺ، أنَّه

---

(١) فى ص: «والتابعة».
(٢) فى عرائس المجالس ٢٧٨، ٢٧٩ مطولًا. وانظر الكامل لابن الأثير ١/ ٢٣٠- ٢٣٣.
(٣) فى الأصل، ص: «الشيرح». وفى ح، م: «السيرح». والمثبت هنا من عرائس المجالس، وكذا بقية الأسماء التالية.
(٤ - ٤) فى م: «يأبى».
(٥) فى النسخ: «تلقمة».
(٦) فى عرائس المجالس ٢٧٨ مختصر الإسناد.
(٧) فى ص: «بشر».

قال: «كَانَ أَحَدُ أَبَوَىْ بَلْقِيسَ جِنِّيًّا». وهذا حديثٌ غريبٌ، وفى سندِهِ ضَعْفٌ.

وقال الثَّعْلَبِىُّ[1]: أخبرنى أبو عبدِ اللَّهِ بنُ قبحونةَ، حَدَّثنا أبو بكرِ بنُ جُرْجَةَ، حدَّثنا ابنُ أبى اللَّيْثِ، حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدثنا أبو مُعاويةَ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ، عن الحسنِ، عن أبى بَكْرَةَ، قال: ذُكِرَتْ بَلْقِيسُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً». إسماعيلُ بنُ مُسْلِمٍ هذا هو المكِّىُّ، ضَعِيفٌ.

وقد ثَبَتَ فى «صحيحِ البخارىِّ»[2]، من حديثِ عَوْفٍ، عن الحَسَنِ، عن أبى بَكْرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا بلغَه أنَّ أهلَ فارسَ ملَّكُوا عليهم ابنةَ كِسْرَى، قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً». ورَواه التِّرْمِذِىُّ والنَّسائىُّ[3] مِن حديثِ حُمَيْدٍ، عن الحَسَنِ، عن أبى بَكْرَةَ، عن النبىِّ ﷺ، وقال التِّرْمِذِىُّ: حَسَنٌ صحيحٌ. وقولُه: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أىْ؛ ممَّا مِن شَأْنِهِ أن تُؤْتاهُ المُلُوكُ ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يَعْنِى: سريرَ مَمْلَكَتِها، كان مُزَخْرَفًا بأنواعِ الجواهرِ واللَّآلِئِ والذهبِ والحُلِىِّ الباهِرِ. ثم ذَكَرَ كُفْرَهم باللَّهِ وعِبادَتَهم الشمسَ من دونِ اللَّهِ، وإضلالَ الشيطانِ لهم وصَدَّه إيَّاهم عن عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أى: يَعْلَمُ السَّرائرَ والظَّواهِرَ من المحسوساتِ والمَعْنَوِيَّاتِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ

---

(١) فى عرائس المجالس ٢٧٩ مختصر الإسناد، وفيه: «عن أبى بكر». وليس «بكرة».
(٢) البخارى (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).
(٣) الترمذى (٢٢٦٢)، وقال: حسن صحيح. النسائى فى الكبرى (٥٩٣٧).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أى ؛ له العرشُ العظيمُ ، الذى لا أعْظَمَ منه فى المخلوقاتِ . فعندَ ذلك بَعَثَ معه سليمانُ ، عليه السَّلامُ ، كتابَهُ ، يَتَضَمَّنُ دعوتَه لهم إلى طاعةِ اللَّهِ وطاعةِ رسولِه ، والإنابةِ والإذْعانِ إلى الدُّخولِ فى الخُضوعِ لمُلْكِهِ وسُلطانِه ؛ ولهذا قال لهم : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ ﴾ أى ؛ لا تَسْتَكْبِرُوا عن طاعتى وامتثالِ أَوامِرِى . ﴿ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ أى ؛ واقْدَمُوا علىَّ سامِعِينَ مُطِيعِينَ بلا مُعاوَدَةٍ ولا مُراوَدَةٍ ، فلمَّا جاءَها الكتابُ مع الطيرِ ، ومِن ثَمَّ اتَّخَذَ الناسُ البَطائِقَ ، ولكنْ أينَ الثُّرَيَّا من الثَّرَى ؟! تلك البطاقةُ كانت مع طائرٍ سامعٍ مُطيعٍ فاهمٍ ، عالمٍ بما يقولُ ويُقالُ له ؛ فذَكَرَ غيرُ واحدٍ من المفسِّرين وغيرِهم[1] ، أنَّ الهدهدَ حملَ الكتابَ وجاء إلى قَصْرِها ، فألقاه إليها وهى فى خَلْوَةٍ لها ، ثم وَقَفَ ناحيةً ينتظرُ ما يكونُ من جوابِها عن كتابِها ، فجمعتْ أُمَرَاءَها ووُزَراءَها وأَكابرَ دولَتِها وأُولى[2] مَشُورَتِها ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ ثُمَّ قرأَتْ عليهم عُنْوانَه أوَّلًا : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ . ثم قرأَتْه : ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [١/٢٢٥و] ثم شاوَرَتْهم فى أمرِها وما قد حَلَّ بها وتَأَدَّبَتْ معهم ، وخاطَبَتْهم وهم يَسْمَعُون : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ تَعْنى : ما كنتُ لِأَبُتَّ أمرًا إلَّا وأنتم حاضرُون : ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ يَعْنُونَ : لنا قُوَّةٌ وقُدرةٌ على الجِلَادِ والقتالِ ومُقاومةِ الأبطالِ ، فإن أردْتِ منَّا ذلك ، فإنَّا عليه مِن القادِرِينَ ﴿ و ﴾ مع هذا ﴿ ٱلْأَمْرُ

---

(١) تفسير الطبرى ١٩/ ١٥٢، تاريخه ١/ ٤٩٠، ٤٩١. وعرائس المجالس ٢٨٠.

(٢) فى ح ، م : « إلى » .

إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ . فَبَذَلُوا لها السَّمْعَ والطاعةَ ، وأخبرُوها بما عندَهم من الاستطاعةِ ، وفَوَّضُوا إليها فى ذلك الأمرَ ؛ لتَرَى فيه ما هو الأرْشَدُ لها ولهم ، فكان رَأْيُها أتَمَّ وأسَدَّ مِن رَأْيِهم ، وعَلِمَتْ أنَّ صاحِبَ هذا الكتابِ ، لا يُغالَبُ ولا يُمانَعُ ولا يُخالَفُ ولا يُخادَعُ . ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ تقولُ برَأْيِها السَّديدِ : إنَّ هذا المَلِكَ ، لو قد غَلَبَ على هذه المملكةِ ، لم يَخْلُصِ الأمرُ مِن بَيْنِكم إلَّا إلَىَّ ، ولم تَكُنِ الحِدَّةُ الشَّدِيدةُ والسَّطْوَةُ البليغةُ إلَّا عَلَىَّ . ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ أرادتْ أن تُصانِعَ عن نفسِها وأهلِ مملكتِها بهَدِيَّةٍ تُرْسِلُها ، وَتُحَفٍ تَبْعَثُها ، ولم تَعْلَمْ أنَّ سليمانَ ، عليه السَّلامُ ، لا يَقْبَلُ منهم - والحالةُ هذه - صَرْفًا ولا عَدْلًا ؛ لأنَّهم كافرون ، وهو وجنودُه عليهم قادِرُونَ ، ولهذا ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِىَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ ، هذا وقد كانت تلك الهدايا مُشْتَمِلَةً على أُمُورٍ عَظِيمةٍ ، كما ذَكَره المُفسِّرونَ . ثم قال لِرَسُولِها إليه ووافِدِها الذى قَدِمَ عليه ، والناسُ حاضرون يَسْمَعُون . ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ ، يقولُ : ارجِعْ بِهَدِيَّتِكَ التى قَدِمْتَ بها ، إلى مَنْ قَدْ مَنَّ بها ، فإنَّ عِندِى ممَّا قد أنْعَمَ اللَّهُ علىَّ وأسْداهُ إلَىَّ ، مِن الأموالِ والتُّحَفِ والرِّجالِ ، ما هو أضعافُ هذا وخيرٌ مِن هذا الذى أنتم تَفْرَحُون به ، وتَفْخَرُون على أبناءِ جِنْسِكم بسَبَبِه . ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ أى ؛ فَلَأَبْعَثَنَّ إليهم بجنودٍ لا يَسْتَطِيعُون دِفَاعَهم ولا نِزَالَهم ولا مُمانَعَتَهم ولا قِتالَهم ، ولَأُخْرِجَنَّهم مِن بلَدِهم وحَوْزَتِهم ومُعامَلَتِهم ودَوْلَتِهم أَذِلَّةً ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ ، عليهم الصَّغارُ والعارُ والدَّمارُ . فلمَّا بَلَغَهم ذلك عن نبىِّ اللَّهِ ، لم يَكُنْ لهم بُدٌّ

من السَّمعِ والطاعةِ، فبادَرُوا إلى إجابتِه فى تلك الساعةِ، وأقْبَلُوا صُحْبَةَ المَلِكَةِ أجمعين، سامِعِين مُطِيعِين خاضِعِين [١/٢٢٥ظ]، فلمَّا سَمِعَ بقُدُومِهم عليه (١) ووُفُودِهم إليه (١)، قال لمَنْ بينَ يَدَيْه مِمَّنْ هو مُسَخَّرٌ له مِن الجانِّ، ما قصَّه اللَّهُ عنه فى القرآنِ (٢): ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨- ٤٤]. لمَّا طَلَبَ سُليمانُ من الجانِّ أن يُحْضِرُوا له عَرْشَ بَلْقِيسَ، وهو سَرِيرُ مملكتِها الذى تَجْلِسُ عليه وقتَ حُكْمِها، قبلَ قُدُومِها عليه ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾، يَعْنى: قبلَ أن يَنْقَضِىَ مَجْلِسُ حُكْمِك، وكان - فيما يُقالُ - مِن أوَّلِ النهارِ إلى قُرَيْبِ الزَّوالِ يَتَصَدَّى لمُهِمّاتِ بنى إسرائيلَ وما لهم مِن الأَشْغالِ: ﴿ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ أى؛ وإنِّى لَذُو قُوَّةٍ على إحضارِه (٣)

(١- ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٦/ ٢٠١- ٢٠٦.

(٣) فى م، ص: «إحضارى».

إليك ، وأمانةٍ على ما فيه من الجواهرِ النفيسةِ لديكَ . ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، المشهورُ أنَّه آصفُ بنُ برخيا ، وهو ابنُ خالةِ سليمانَ . وقيل : هو رجلٌ من مُؤْمِنِى الجانِّ ، كان فيما يُقالُ يَحْفَظُ الاسمَ الأَعْظَمَ . وقيل : رجلٌ من بنى إسرائيلَ ، من عُلَمائِهم . وقيل : إنه سليمانُ . وهذا غريبٌ جدًّا . وضَعَّفَه السُّهَيْلِىُّ بأنَّه لا يَصِحُّ فى سِياقِ الكلامِ . قال : وقد قِيلَ فيه قولٌ رابعٌ ، أنَّه جبريلُ[1] . ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، قيل : معناه ، قبلَ أن تَبْعَثَ رسولًا إلى أقصَى ما يَنْتَهِى إليه طَرْفُك من الأرضِ ، ثم يَعُودَ إليك . وقيل : قبلَ أن يَصِلَ إليك أبعدُ مَنْ تَراهُ مِنَ النَّاسِ . وقِيلَ : قَبْلَ أن يَكِلَّ طَرْفُكَ إذا أَدَمْتَ النَّظَرَ به قبلَ أن تُطْبِقَ جَفْنَكَ . وقيل : قبلَ أن يَرْجِعَ إليك طَرْفُكَ إذا نظرْتَ به إلى أبْعَدِ غايةٍ منكَ ثُمَّ أَغْمَضْتَه[2] . وهذا أقْرَبُ ما قِيلَ . ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ أى ؛ فلمَّا رَأَى عرشَ بَلْقيسَ مُسْتَقِرًّا عنده فى هذه المُدَّةِ القريبةِ ، من بلادِ اليمنِ إلى بيتِ المقدسِ ، فى طَرْفَةِ عَيْنٍ ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [٢٢٦/١و] أى ؛ هذا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ علىَّ وفضلِه على عَبِيدِه ؛ ليَخْتَبِرَهم على الشُّكرِ أو خلافِه . ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أى ؛ إنَّما يَعُودُ نَفْعُ ذلك عليه . ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ أى ؛ غَنِىٌّ عن شُكرِ الشَّاكِرين ، ولا يَتَضَرَّرُ بكُفْرِ الكافرينَ . ثُمَّ أَمَر سُليمانُ عليه السَّلامُ أن يُغَيِّرَ حَلْىَ هذا العرشِ ويُنَكِّرَ لها ؛ ليَخْتَبِرَ فَهْمَها وعَقْلَها ، ولهذا قال : ﴿ نَظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ

---

(١) التعريف والإعلام ٢٣٧.

(٢) انظر جميع هذه الأقوال المتقدمة فى تفسير الطبرى ١٩/١٦٣، ١٦٤.

قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ ، وهذا مِن فِطْنَتِها وغَزارَةِ فَهْمِها ؛ لأنَّها اسْتَبْعَدَتْ أن يكونَ عَرْشَها ؛ لأنَّها خَلَّفَتْه وراءَها بأرضِ اليمنِ ، ولم تَكُنْ تعلمُ أنَّ أحدًا يَقْدِرُ على هذا الصُّنعِ العجيبِ الغريبِ . قال اللَّه تعالى إخْبارًا عن سليمانَ وقومِه : ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ أى ؛ ومنَعَها عبادةُ الشمسِ التى كانت تَسْجُدُ لها هى وقومُها من دونِ اللَّهِ ، اتِّباعًا لدِينِ آبائِهم وأسْلافِهم ، لا لِدَليلٍ قادَهُم إلى ذلك ولا حَداهُم على ذلك ، وكان سليمانُ قد أَمَرَ ببناءِ صَرْحٍ مِن زُجاجٍ ، وعَمِلَ فى مَمَرِّهِ ماءً ، وجعلَ عليه سَقْفًا من زجاجٍ ، وجَعَلَ فيه من السَّمَكِ وغيرِها من دَوَابِّ الماءِ ، وأُمِرَتْ بدُخُولِ الصَّرْحِ ، وسليمانُ جالِسٌ على سَرِيرِه فيه ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . وقد قيل : إن الجِنَّ أرادُوا أن يُبَشِّعُوا مَنْظَرَها عندَ سليمانَ ، وأن تُبْدِىَ عن ساقَيْها لِيَرَى ما عليها من الشَّعْرِ فيُنَفِّرَه ذلك منها ، وخَشُوا أن يَتَزَوَّجَها ؛ لأن أُمَّها من الجانِّ فَتَتَسَلَّطَ عليهم معه . وذكَر بعضُهم أنَّ حافرَها كان كحافِرِ الدَّابَّةِ[1] . وهذا ضعيفٌ . وفى الأوَّلِ أيضًا نظرٌ ، واللَّهُ أعلمُ . إلَّا أنَّ سليمانَ قِيلَ : إنَّه لمَّا أرادَ إزالَتَه حين عَزَمَ على تَزَوُّجِها ، سألَ الإنْسَ عن زَوالِه ، فذَكَرُوا له المُوسَى ، فامْتَنَعَتْ مِن ذلك ، فسأل الجانَّ فصَنَعُوا له النُّورَةَ ، ووَضَعُوا له الحَمَّامَ ، فكان أوَّلَ مَن دَخَلَ الحمَّامَ ، فلمَّا وَجَدَ مَسَّهُ قال : أَوْهِ مِن عذابِ اللَّهِ[2] ، أَوْهِ أَوْهِ قَبْلَ

---

(١) تفسير الطبرى ١٩/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) سقط من ح ، م ، ص .

أن لا يَنْفَعَ أَوْهِ. رواه الطَّبَرَانِيُّ مرفوعًا[1]. وفيه نظرٌ.

وقد ذَكَر الثَّعْلَبِيُّ وغيرُه[2]، أنَّ سليمانَ لمَّا تَزَوَّجها، أَقَرَّها على مَمْلَكَةِ اليمنِ، وردَّها إليه، وكان يَزُورُها فى كلِّ شهرٍ مرَّةً، فيُقِيمُ عِندَها ثلاثةَ أيامٍ ثم يَعُودُ على البِساطِ، وأمَرَ الجانَّ فَبَنَوْا لها ثلاثةَ قُصُورٍ باليمنِ: غُمْدَانَ، وسَالِحِينَ، وبنيونَ[3]، فاللَّهُ أعلمُ. [١/٢٢٦ظ] وقد رَوى ابنُ إسحاقَ[4]، عن بعضِ أهلِ العلمِ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، أنَّ سليمانَ لم يَتَزَوَّجْها، بل زَوَّجَها بِمَلِكِ هَمْدَانَ، وأَقَرَّها على مُلْكِ اليمنِ، وسَخَّرَ زَوْبَعَةَ مَلِكَ[5] جِنِّ اليمنِ، فبَنَى لها القصورَ الثلاثةَ التى ذَكَرْناها باليمنِ، والأوَّلُ أَشْهَرُ وأَظْهَرُ، واللَّهُ أعلمُ.

وقال تعالى فى سورةِ «ص»[6]: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ٢٧٩، ٨/ ٢٠٧. وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث أبى موسى مرفوعًا، وقال: وفيه إسماعيل بن عبد الرحمن الأودى، وهو ضعيف. وأخرجه البخارى فى تاريخه الكبير (١١٤٧). وقال: فيه نظر - إسماعيل بن عبد الرحمن - لا يُتابع فيه.

(٢) فى عرائس المجالس ٢٨٦، وانظر الكامل لابن الأثير ١/ ٢٣٧.

(٣) فى النسخ: «بيتون». والمثبت من عرائس المجالس.

(٤) عرائس المجالس ٢٨٦، وتاريخ الطبرى ١/ ٤٩٤، ٤٩٥، والكامل ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٥) فى عرائس المجالس: «أمير».

(٦) التفسير ٧/ ٥٥- ٦٤.

لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٣٠- ٤٠]. يَذْكُرُ تعالى أنَّه وَهَبَ لداودَ سليمانَ[(١)]، عليهما السَّلامُ، ثم أَثْنَى اللَّهُ عليه تعالى فقال: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ أى؛ رَجَّاعٌ مُطِيعٌ للَّهِ. ثم ذَكَرَ تعالى ما كان مِن أمرِه فى الخَيْلِ الصَّافِنَاتِ - وهى التى تَقِفُ على ثَلاثٍ وطَرَفِ حافِرِ الرابعةِ - الجِيَادِ؛ وهى الْمُضَمَّرَةُ السِّرَاعُ: ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ يَعْنِى الشمسَ. وقيل: الخَيْلُ، على ما سَنَذْكُرُه من القَوْلَيْنِ. ﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ قيل: مَسَحَ عَراقِيبَها وأَعْناقَها بالسُّيوفِ. وقيل: مَسَحَ عَنْها العَرَقَ لمَّا أَجْراها وسابَقَ بينَها وبينَ يَدَيْهِ، على القولِ الآخَرِ. والذى عليه أَكْثَرُ السَّلَفِ الأَوَّلُ؛ فقالُوا: اشْتَغَلَ بعَرْضِ تلك الخُيولِ حتى خَرَجَ وقتُ العصرِ وَغَرَبَتِ الشمسُ. رُوِىَ هذا عن علىِّ بنِ أبى طالِبٍ وغيرِه[(٢)]. والذى يُقْطَعُ به، أنَّه لم يَتْرُكِ الصلاةَ عَمْدًا مِن غيرِ عُذْرٍ، اللَّهمَّ إلَّا أن يُقالَ: إنه كان سائغًا فى شريعتِهم تَأْخِيرُ الصلاةِ لأجْلِ أسبابِ الجِهادِ، وعَرْضُ الخيلِ مِن ذلك. وقد ادَّعى طائفةٌ من العلماءِ فى تأخيرِ النبىِّ ﷺ، صلاةَ العصرِ يومَ الخَنْدَقِ، أنَّ هذا كان مشروعًا إذ ذاك، حتى نُسِخَ بصلاةِ الخَوْفِ. قاله الشافعىُّ وغيرُه. وقال مَكْحُولٌ والأَوْزاعِىُّ: بل هو حُكْمٌ مُحْكَمٌ إلى اليومِ، أنَّه يَجوزُ تأخيرُها لعُذْرِ القتالِ الشديدِ. كما ذَكَرْنا تقريرَ ذلك فى سُورةِ «النساءِ» عندَ صلاةِ الخَوْفِ[(٣)]. وقال آخَرون: بل كان تأخيرُ النبىِّ ﷺ صلاةَ العصرِ يومَ الخَنْدَقِ نِسْيانًا. وعلى هذا فيُحْمَلُ فِعلُ سليمانَ، عليه السَّلامُ، على هذا.

---

(١) سقط من: ح.
(٢) انظر تفسير الطبرى ٢٣/ ١٥٥، والدر المنثور ٥/ ٣٠٩. وتفسير القرطبى ١٦/ ١٩٦.
(٣) التفسير ٢/ ٣٥٣.

واللَّهُ أعلمُ . وأمّا مَن قال : الضميرُ فى قولِه : ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَنۡ ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ [١/٢٢٧و] تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾ عائدٌ على الخيلِ ، وإنَّه لم يَفُتْه وَقْتُ صلاةٍ ، وإنَّ المرادَ بقولِه : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ يعنى : مَسَحَ العَرَقَ عن عَراقِيبِها وأعناقِها . فهذا القولُ اختارَه ابنُ جريرٍ[(١)] ، ورَواهُ الوالِبِىُّ عن ابنِ عباسٍ فى مَسْحِ العَرَقِ[(٢)] . ووَجَّه هذا القَوْلَ ابنُ جريرٍ ؛ بأنه ما كان لِيُعَذِّبَ الحيوانَ بالعَرْقَبَةِ ، ويُهْلِكَ مالًا بلا سببٍ ولا ذَنْبٍ لها . وهذا الذى قالَه فيه نظرٌ ؛ لأنَّه قد يكونُ هذا سائغًا فى مِلَّتِهم . وقد ذهبَ بعضُ عُلَمائِنا إلى أنَّه إذا خاف المسلمون أن يَظْفَرَ الكُفّارُ على شَىْءٍ مِن الحيواناتِ ، مِن أغنامٍ ونَحْوِها[(٣)] ؛ جاز ذَبْحُها وإهْلاكُها ؛ لِئَلَّا يَتقَوَّوْا بها ، وعليه حُمِلَ صَنِيعُ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ يومَ عَقَرَ فَرَسَه بموتِه . وقد قيل : إنَّها كانت خَيْلًا عَظِيمَةً ؛ قيل : كانت عشَرةَ آلافِ فَرَسٍ . وقيل : كانت عشرين ألفَ فرسٍ[(٤)] . وقيل : كان فيها عشرونَ فرسًا مِن ذَواتِ الأَجْنِحَةِ[(٥)] .

وقد رَوَى أبو داودَ فى « سُنَنِه »[(٦)] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عوفٍ[(٧)] ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ ، أنبأنا يَحْيَى بنُ أيُّوبَ ، حدَّثنى عُمارَةُ بنُ غَزِيَّةَ[(٨)] ، أنَّ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٣/ ١٥٥، ١٥٦.
(٢) تفسير الطبرى ٢٣/ ١٥٦، والتفسير ٧/ ٥٧.
(٣) فى ص : « ذبحوها » .
(٤) عزاه فى الدر المنثور ٥/ ٣٠٩ للفريابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم . وانظر التفسير ٧/ ٥٦.
(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٣/ ١٥٤.
(٦) أبو داود (٤٩٣٢) . (صحيح أبى داود ٤٢١٣) .
(٧) فى ح : « عرف » .
(٨) فى ح ، م : « عزية » .

محمدَ بنَ إبراهيمَ حَدَّثَه عن[1] أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائشةَ قالتْ: قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، مِن غَزْوَةِ تَبُوكَ - أو خَيْبَرَ - وفى سَهْوَتِها سِتْرٌ، فهبَّتِ الريحُ فكَشَفَتْ ناحِيَةَ السِّتْرِ، عن بَنَاتٍ لعائشةَ لُعَبٍ[2]، فقال: «مَا هَذَا يا عَائِشَةُ!» فَقَالَتْ: بَنَاتِى. ورَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا له جَناحانِ مِنْ رِقَاعٍ، فقال: «مَا هَذَا الَّذِى أَرَى وَسْطَهُنَّ؟» قالت: فَرَسٌ. قال: «وَمَا الَّذِى عَلَيْهِ هَذَا؟». قالت: جَناحانِ. قال: «فَرَسٌ له جَنَاحَانِ؟» قالت: أَمَا سَمِعْتَ أنَّ لِسُليمانَ خَيْلًا لها أَجْنِحَةٌ! قالتْ: فضَحِكَ حتى رَأَيْتُ نَواجِذَه ﷺ.

وقال بعضُ العُلماءِ: لَمَّا تَرَكَ الخيلَ للَّهِ، عَوَّضَه اللَّهُ عنها بما هو خَيْرٌ له منها، وهو الرِّيحُ التى كان غُدُوُّها شهرًا ورَواحُها شهرًا، كما سيأتى الكلامُ عليها، كما قال الإمامُ أحمدُ[3]: حَدَّثنا إسماعيلُ، حدَّثنا سليمانُ بنُ المُغِيرَةِ، عن حُمَيْدِ بنِ هِلالٍ، عن أبى قَتَادَةَ وأبى الدَّهْماءِ، وكانا يُكْثِرانِ السَّفَرَ نحوَ البيتِ، قالا: أَتَيْنا على رجُلٍ مِن أهلِ البادِيَةِ، فقال البَدَوِىُّ: أَخَذ بيدِى رسولُ اللَّهِ ﷺ، فجعلَ يُعَلِّمُنى مِمَّا عَلَّمَه اللَّهُ، عَزَّ وجَلَّ، وقال: «إِنَّكَ لَا تَدَعُ شَيْئًا اتِّقاءَ اللَّهِ، عَزَّ وجَلَّ، إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾. ذَكَرَ ابنُ جريرٍ، وابنُ أبى حاتمٍ، وغيرُهما من المفسِّرين، ههنا، آثارًا كثيرةً عن جماعةٍ مِن السَّلفِ، وأكْثَرُها أو [١/ ٢٢٧ظ] كلُّها مُتَلَقَّاةٌ مِن الإسرائيليَّاتِ، وفى كثيرٍ منها نَكَارَةٌ شديدةٌ، وقد

---

(١) بعد هذا فى م، ص: «محمد بن».
(٢) فى م: «تلعب».
(٣) فى المسند ٥/ ٧٨، ٧٩.

نَبَّهْنا على ذلك فى كتابِنا « التفسيرِ »[1] ، واقْتَصَرْنا هـهُنا على مجرَّدِ التِّلاوةِ . ومضمونُ ما ذَكَروه ، أنَّ سليمانَ ، عليه السَّلامُ ، غابَ عن سَرِيرِه أربعينَ يومًا ، ثم عاد إليه ، ولمَّا عاد أُمِرَ ببناءِ بيْتِ المقدسِ ، فبناه بِناءً مُحْكَمًا ، وقد قَدَّمْنا أنَّه جُدِّدَ ، وأنَّ أوَّلَ مَنْ جَعَلَه مَسْجِدًا ، إسرائيلُ ، عليه السَّلامُ[2] ، كما ذَكَرْنا ذلك عندَ قولِ أبى ذَرٍّ : قلتُ : يارسولَ اللَّهِ ، أىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أوَّلَ ؟ قال : « المَسْجِدُ الحَرَامُ » . قلتُ : ثُم أىٌّ ؟ قال : « مَسْجِدُ بَيْتِ المَقْدِسِ » . قلتُ : كم بينَهما ؟ قال : « أَرْبَعُونَ سَنَةً »[3] . ومعلومٌ أنَّ بينَ إبراهيمَ الـذى بَنَى المسجدَ الحرامَ ، وبينَ [4]سُليمانَ بنِ[4] داودَ ، عليهما السَّلامُ ، أَزْيَدَ من ألفِ سنةٍ ، دَعْ أربعينَ سنةً ، وكان سؤالُه المُلْكَ الذى لا يَنْبَغِى لأحدٍ من بعدِه ، بعدَ إكمالِه بِناءَ البيتِ المقدَّسِ ، كما قال الإمامُ أحمدُ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجَهْ ، وابنُ خُزَيْمَةَ ، وابنُ حِبّانَ ، والحاكمُ[5] ، بأسانيدِهم عن عبدِ اللَّهِ بنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عَمْرِو[6] بنِ العاصِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ سُلَيمانَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ المَقْدِسِ سَأَلَ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، خِلَالًا ثَلَاثًا ، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا الثَّالِثَةُ ؛ سأَلَهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَسَـأَلَـهُ أَيُّما رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا

---

(١) التفسير ٧/ ٥٧- ٦١.

(٢) تقدم فى ١/ ٤٥٣، ٤٥٤.

(٣) البخارى (٣٣٦٦، ٣٤٢٥). مسلم (٥٢٠).

(٤- ٤) سقط من: الأصل.

(٥) المسند ٢/ ١٧٦. النسائى (٦٩٢) وفى الكبرى (٧٧٢). ابن ماجه (١٤٠٨). ابن خزيمة (١٣٣٤). الإحسان (١٦٣٣). الحاكم ١/ ٣٠. وقال: هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة.

(٦) فى الأصل: «عمر».

الصَّلَاةَ فِى هَذَا المَسْجِدِ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، فَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَعْطانا إِيَّاهَا » . فأمَّا الحُكْمُ الذى يُوافِقُ حُكْمَ اللَّهِ تعالَى ، فقد أَثْنَى اللَّهُ تعالى عليه وعلى أبيه ، فى قولِه : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨، ٧٩] . وقد ذَكَر شُرَيْحٌ القاضِى ، وغيرُ واحدٍ مِن السَّلفِ[(١)] ، أنَّ هؤلاءِ القومَ كان لهم كَرْمٌ ، فَتَفَشَتْ فيه غَنَمُ قومٍ آخَرِين أَىْ رَعَتْه بالليلِ فأَكَلَتْ شَجَرَهُ بالكُلِّيَّةِ ، فتحاكَمُوا[(٢)] إلى داودَ ، عليه السَّلامُ ، فحَكَمَ لِأَصحابِ الكَرْمِ بِقِيمَتِهِ ، فلمَّا خَرَجُوا على سليمانَ قال : بِمَ حَكَمَ لَكُمْ نَبِىُّ اللَّهِ ؟ فقالُوا : بكَذَا وكَذَا . فقال : أمَا لو كنتُ أنا لَمَا حكمتُ إلَّا بتسليمِ الغَنَمِ إلى أصحابِ الكَرْمِ ، فيَسْتَغِلُّونَها نِتَاجًا وَدَرًّا حتى يُصْلِحَ أصحابُ الغنمِ كَرْمَ أولئك ويَرُدُّوه إلى ما كان عليه ، ثم يَتَسَلَّمُوا غَنَمَهم . فبَلَغَ داودَ ، عليه السَّلامُ ، ذلك فحَكَمَ به .

[(٣)]وقريبٌ[(٣)] مِن هذا ما ثَبَتَ فى « الصحيحَيْنِ »[(٤)] من حديثِ أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرَجِ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَما امْرَأَتَانِ مَعَهُما ابْناهُما ، إذْ عَدَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ ابْنَ إِحْدَاهُمَا فَتَنَازَعَتَا فى الآخَرِ ، فَقَالَتِ [١/ ٢٢٨و] الْكُبْرَى : إِنَّمَا ذَهَبَ بابْنِكِ . وَقَالَتِ الصُّغْرَى : إِنَّمَا ذَهَبَ بابْنِكِ . فَتَحَاكَمَتَا إلى دَاوُدَ فَحَكَمَ بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَقَالَ : ائْتُونِى

---

(١) التفسير ٥/ ٣٤٩، ٣٥٠. وانظر تفسير الطبرى ١٧/ ٥٠- ٥٤.

(٢) فى ح : « فتحاملوا » .

(٣- ٣) فى ح : « وقد ثبت » .

(٤) البخارى (٣٤٢٧، ٦٧٦٩) وفيه زيادة : قال أبو هريرة : واللَّه إن سمعت بالسكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المدية . مسلم (١٧٢٠) .

بالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ نِصْفَيْنِ ، لِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا نِصْفُهُ . فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لَا تَفْعَلْ ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، هُوَ ابْنُهَا . فقَضَى به لَهَا » . ولعلَّ كُلًّا من الحُكْمَيْنِ كان سائغًا فى شريعَتِهم ، ولكنَّ ما قاله سليمانُ أرْجَحُ ، ولهذا أَثْنَى اللَّهُ عليه بما أَلْهَمَه إيَّاه ، (١) وَمَدَحَ بعدَ ذلك أباه (١) فقال : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أى ؛ وسَخَّرْنا لسليمانَ الريحَ عاصِفةً ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠- ٨٢] . وقال تعالى فى سورةِ « ص » : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ . لمَّا تَرَكَ الخيلَ ابتغاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، عَوَّضَه اللَّهُ منها الرِّيحَ ، التى هى أسرعُ سَيْرًا ، وأقوى وأعظمُ ، ولا كُلْفَةَ عليه لها . ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أى ؛ حيثُ أرادَ مِن أىِّ البلادِ . كان له بِساطٌ مُرَكَّبٌ مِن أخشابٍ ، بحيثُ إنه يَسَعُ جميعَ ما يحتاجُ إليه ؛ من الدُّورِ المبنيَّةِ ، والقُصُورِ ، والخيامِ ، والأمتعةِ ، والخيولِ ، والجِمالِ ، والأثْقالِ ، والرِّجالِ من الإنسِ والجانِّ ، وغيرِ ذلك من الحيواناتِ والطيورِ ، فإذا أراد سَفَرًا أو مُسْتَنْزَهًا ، أو قِتالَ مَلِكٍ أو أعداءٍ من أىِّ بلادِ اللَّهِ شاءَ ، فإذا حَمَلَ هذه الأمورَ المذكورةَ على البِساطِ ، أَمَرَ الريحَ فدَخَلَتْ تَحْتَه فرَفَعَتْه ، فإذا اسْتَقَلَّ

(١- ١) سقط من : ح .

بينَ السماءِ والأرْضِ أَمَرَ الرُّخاءَ فسارتْ به ، فإن أراد أسْرَعَ مِن ذلك أَمَر العاصِفَةَ فحَمَلَتْه أسْرَعَ ما يكونُ ، فوَضَعَتْه فى أىِّ مكانٍ شاءَ ، بحيثُ إنَّه كان يَرْتَحِلُ فى أوَّلِ النهارِ مِن بيتِ المَقْدِسِ ، فتَغْدُو به الرِّيحُ فتَضَعُه بإصْطَخْرَ ، مسيرةَ شهرٍ فيُقيمُ هناك إلى آخِرِ النهارِ ، ثم يَرُوحُ مِن آخِرِه ، فتَرُدُّه إلى بيتِ المقدسِ ، كما قال تعالى[1] : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣] . قال الحسنُ البَصْرِىُّ[2] : [١/٢٢٨ظ] كان يَغْدُو مِن دِمَشْقَ فيَنْزِلُ بإصْطَخْرَ فيَتَغَدَّى بها ، ويَذهبُ رائحًا منها فيَبِيتُ بكابُلَ ، وبينَ دِمَشْقَ وبينَ إصْطَخْرَ مسيرةُ شهرٍ ، وبينَ إصْطَخْرَ وكَابُلَ مسيرةُ شهرٍ . قلتُ : قد ذَكَرَ المُتَكَلِّمُون على العُمْرانِ والبُلْدانِ ، أنَّ إصْطَخْرَ بَنَتْها الجانُّ لسليمانَ ، وكان فيها قَرارُ مَمْلَكَةِ التُّرْكِ قديمًا ، وكذلك غيرُها من بُلدانٍ شَتَّى ؛ كتَدْمُرَ ، وبيتِ المقدسِ ، وبابِ جَيْرُونَ[3] ، وبابِ البَرِيدِ ، اللَّذَيْن بدِمَشْقَ ، على أحدِ الأَقْوالِ . وأمَّا القِطْرُ ، فقال ابنُ عباسٍ ، ومجاهدٌ ، وعِكْرِمَةُ ، وقَتادَةُ ، وغيرُ واحدٍ : هو النُّحاسُ . قال قَتادَةُ : وكانتْ باليمنِ ؛ أَنْبَعَها اللَّهُ له . قال السُّدِّىُّ : ثلاثةُ أيامٍ فَقَطْ ، أَخَذ منها جميعَ ما يحتاجُ إليه للبِناياتِ وغيرِها[4] .

---

(١) التفسير ٦/ ٤٨٦- ٤٨٩.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٦٩ مختصرًا .

(٣) فى ح ، م ، ص : « جبرون » .

(٤) انظر الأقوال المتقدمة فى تفسير الطبرى ٢٢/ ٦٩، الدر المنثور ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨.

وقولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أى ؛ وسَخَّرَ اللَّهُ له مِنَ الجنِّ عُمّالًا يَعْمَلون له ما يشاءُ ، لا يَفْتُرُون ولا يَخْرُجُون عن طاعتِه ، ومَن خَرَجَ منهم عن الأمرِ عَذَّبَه وَنَكَّلَ به . ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ وهى الأماكنُ الحَسَنَةُ وصُدُورُ المجالسِ . ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ وهى الصُّوَرُ فى الجُدْرانِ ، وكان هذا سائغًا فى شريعتِهم ومِلَّتِهم . ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾ ، قال ابنُ عباسٍ : الجَفْنَةُ كالجَوْبَةِ مِن الأرضِ . وعنه : كالحياضِ . وكذا قال مجاهدٌ ، والحسنُ ، وقتادةُ ، والضَّحَّاكُ ، وغيرُهم[1] . وعلى هذه الرِّوايةِ يكونُ الجَوابُ : جمعَ جَابيةٍ ؛ وهى الحَوْضُ الذى يُجْبَى فيه الماءُ ، كما قال الأَعْشَى[2] :

(3)نَفَى الذَّمَّ عن(3) آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كجابِيَةِ السَّيْحِ(4) العِرَاقِىِّ تَفْهَقُ(5)

وأمَّا القُدُورُ الرّاسِياتُ ، فقال عِكْرِمَةُ : أَثَافِيُّها منها . يَعْنى أنَّهُنَّ ثَوابتُ لَا يَزُلْنَ عن أماكِنِهنَّ . وهكذا قال مجاهدٌ وغيرُ واحدٍ . ولمَّا كان هذا بصَدَدِ إطعامِ الطَّعامِ ، والإحسانِ إلى الخَلْقِ من إنسٍ وجانٍّ ، قال تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [ص : ٣٧، ٣٨] . يَعْنى أنَّ منهم مَن قد سَخَّرَه فى البناءِ ، ومنهم مَن يَأْمُرُه بالغَوْصِ فى الماءِ ؛ لاستخراجِ ما هُنالِكَ مِن

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧١، ٧٢.

(٢) سقط من : الأصل . وانظر ديوانه ٢٢٥.

(٣ - ٣) فى ح ، م ، ص : « تروح على آل » . والمثبت من الديوان .

(٤) فى النسخ : « الشيخ » . والمثبت من الديوان .

(٥) فى ح : « مفهق » . وفى م ، ص : « يفهق » .

الجَواهِرِ واللَّآلِئِ، وغيرِ ذلك ممَّا لا يُوجَدُ إلَّا هُنالِكَ . وقولُه : ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ أى ؛ قد عَصَوْا ؛ فَقُيِّدُوا مُقَرَّنِينَ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ فى الأَصْفادِ ، وهى القُيودُ . هذا كلُّه من جملةِ ما هَيَّأَ اللَّهُ وسخَّر له من الأشياءِ التى هى من تَمامِ المُلْكِ الذى لا يَنْبَغِى لأحَدٍ مِن بعدِه ، ولم يكنْ أيضًا لمَن كان قَبْلَه .

وقد قال البخارىُّ[1] : حَدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنا شُعْبَةُ ، [٢٢٩/١و] عن محمدِ بنِ زيادٍ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ[2] البارِحَةَ ؛ لِيَقْطَعَ عَلَىَّ صَلاتِى ؛ فَأَمْكَنَنِى اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ إلَى سارِيَةٍ مِنْ سَوارِى المَسْجِدِ ؛ حَتَّى تَنْظُرُوا إلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِى سُلَيْمانَ : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [ص: ٣٥] . فَرَدَدْتُهُ خاسِئًا » . وكذا رواه مسلمٌ ، والنَّسائىُّ ، من حديثِ شُعْبَةَ[3] .

وقال مسلمٌ[4] : حَدَّثَنا محمدُ بنُ سَلَمَةَ المُرادِىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ وَهْبٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، حدَّثنى رَبِيعَةُ بنُ يَزِيدَ ، عن أبى إدْرِيسَ الخَوْلانِىِّ ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يُصَلِّى ، فسَمِعْناه يقولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ » ثلاثًا ، وبَسَطَ يَدَه كأنَّه يَتناوَلُ شيئًا ، فلمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ قُلْنا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْناك تقولُ فى الصَّلاةِ شيئًا لم نَسْمَعْك تقولُه قَبلَ ذلك ، ورَأَيْناكَ بَسَطْتَ يَدَكَ . قال : « إنَّ عَدُوَّ اللَّهِ ، إبْلِيسَ ، جاءَ بِشِهابٍ

---

(١) البخارى (٣٤٢٣) .
(٢) بعد هذا فى ح ، م ، ص : « على » .
(٣) مسلم (٥٤١) . والنسائى فى الكبرى (١١٤٤٠) .
(٤) مسلم (٥٤٢) .

مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِى وَجْهِى ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قُلْتُ : أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ . فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ ، وَاللَّهِ ، لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ » . وكذا رواه النَّسَائِىُّ عن محمدِ بنِ سَلَمَةَ به[1] .

وقال أحمدُ[2] : حَدَّثنا أبو أحمدَ ، حدَّثنا مَسَرَّةُ[3] بنُ مَعْبَدٍ ، ثَنَا أبو عُبَيْدٍ صاحِبُ[4] سُليمانَ قال : رَأَيْتُ عطاءَ بنَ يَزِيدَ اللَّيْثِىَّ قائمًا يُصَلِّى[5] ، فذَهَبْتُ أَمُرُّ بينَ يَدَيْهِ فرَدَّنِى ، ثم قال : حَدَّثَنِى أبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قام فصَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ وهو خَلْفَه ، فقَرَأَ فالْتَبَسَتْ عليه القراءةُ ، فلمَّا فَرَغَ مِن صَلاتِهِ قال : « لَوْ رَأَيْتُمُونِى وَإِبْلِيسَ ، فَأَهْوَيْتُ بِيَدِى ، فَمَازِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ أُصْبُعَىَّ هَاتَيْنِ - الإِبْهَامِ وَالَّتِى تَلِيهَا - وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِى سُلَيْمَانَ ، لأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِى الْمَسْجِدِ ، يَتَلَاعَبُ بِهِ صِبْيَانُ الْمَدِينَةِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ » . رَوَى أبو داودَ منه : « فَمَنِ اسْتَطَاعَ » إلى آخِرِه ، عن أحمدَ بنِ أبى[6] سُرَيْجٍ ، عن أبى[7] أحمدَ الزُّبَيْرِىِّ[8] به .

---

(١) النسائى (١٢١٤) .

(٢) فى المسند ٣/ ٨٢.

(٣) فى م : « مرة » . وفى ص : « ميسرة » .

(٤) فى ح ، م ، ص : « حاجب » . والمثبت من المسند . وفى أبى داود : « صاحب » . وانظر ١/ ١٤٩ حاشية ٩.

(٥) بعد هذه اللفظة فى المسند « معتمًّا بعمامةٍ سوداء مرخ طرفها من خلف مصفر اللحية » .

(٦) سقط من : ح ، م ، ص .

(٧) سقط من : ح ، م ، ص . والحديث عند أبى داود ، الجزء الأخير منه (٦٩٩) .

(٨) فى الأصل : « الدينورى » .

وقد ذَكَرَ غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ ، أنَّه كانتْ لسليمانَ من النساءِ ألفُ امرأةٍ ؛ سَبْعُمائةٍ بمُهُورٍ ، وثلثُمائةٍ سَرَارِىُّ . وقِيلَ بالعَكْسِ : ثَلثُمائةٍ حَرَائِرُ وسَبْعُمائةٍ مِن الإِماءِ[1] .

وقد كان يُطِيقُ من التَّمتُّعِ بالنِّساءِ أمرًا عظيمًا جدًّا .

قال البخارىُّ[2] : حَدَّثَنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، حدَّثنا مُغِيرَةُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى الزِّنادِ ، عنِ الأَعْرَجِ ، عنْ أبى هُريرةَ ، [١/٢٢٩ظ] عن النبىِّ ﷺ ، قال : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً ، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُه : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمْ يَقُلْ ، فَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا ، إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ » . فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ » . وقال شُعَيْبٌ وابنُ أبى الزِّنادِ : « تِسْعِينَ » . وهو أَصَحُّ . تفرَّدَ به البخارىُّ مِن هذا الوَجْهِ .

وقال أبو يَعْلَى[3] : حَدَّثَنا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنا يَزِيدُ ، أنبأنا هشامُ بنُ حَسَّانَ ، عن محمدٍ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ تَلِدُ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ . وَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَطَافَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ ، إِلَّا امْرَأَةٌ وَلَدَتْ نِصْفَ إِنْسَانٍ » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ قَالَ :

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٤٨٧ بإسناده إلى محمد بن كعب القرظى . وعرائس المجالس ٢٦١ . والكامل لابن الأثير ١/ ٢٣٠ .

(٢) البخارى (٣٤٢٤) .

(٣) لم نجده فى مسند أبى يعلى .

إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَوَلَدَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . إسنادُه على شرطِ « الصحيحِ »، ولم يُخْرِجُوه مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثَنا هُشَيْمٌ ، ثنا هشامٌ ، عن ابنِ سِيرِينَ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال سليمانُ بنُ داودَ : لَأَطُوفَنَّ الليلةَ على مائةِ امرأةٍ ، تَلِدُ كُلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ غُلامًا يُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ . ولم يَسْتَثْنِ ؛ فما وَلَدَتْ إلَّا واحدةٌ مِنْهُنَّ بِشِقِّ إنسانٍ . قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوِ اسْتَثْنَى لَوُلِدَ لَهُ مِائَةُ غُلَامٍ ، كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . تفرَّد به أحمدُ أيضًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، ثَنَا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ طَاوُسٍ ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فى سَبِيلِ اللَّهِ » . قال : « وَنَسِىَ أَنْ يَقُولَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فأَطافَ بِهِنَّ » . قال : « فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ ، إِلَّا واحدةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لم يَحْنَثْ ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ » . وهكذا أخرجاه فى « الصحيحَيْنِ » مِن حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ به مِثْلَه[3] .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[4] : أنبأَنا مُقاتِلٌ ، عن أبى الزِّنادِ ، وابنُ أبى الزِّنادِ عن أبيه ، عن عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هُريرةَ : أنَّ سليمانَ بنَ داودَ كان له أَرْبَعُمِائَةِ امرأةٍ وَسِتُّمائَةِ سُرِّيَّةٍ ، فَقَالَ يَوْمًا : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى أَلْفِ امرأةٍ ، فتَحْمِلُ كلُّ

---

(١) فى المسند ٢/ ٢٢٩. (إسناده صحيح).
(٢) المسند ٢/ ٢٧٥. (إسناده صحيح).
(٣) البخارى (٥٢٤٢). مسلم (١٦٥٤).
(٤) ومن طريق إسحاق بن بشر، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥/ ٢٥٨.

واحدةٍ مِنْهُنَّ بفارِسٍ يُجَاهِدُ فى سبيلِ اللَّهِ. ولم يَسْتَثْنِ، فطافَ عَلَيْهِنَّ فلم تَحْمِلْ واحدةٌ مِنْهُنَّ إلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ جَاءَتْ [١/٢٣٠و] بِشِقِّ إنْسَانٍ. فقال النبىُّ ﷺ: «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَوِ اسْتَثْنَى فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَوُلِدَ لَهُ مَا قَالَ، فُرْسَانٌ، وَلَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ». وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لحالِ إسحاقَ بنِ بِشْرٍ، فإنه مُنْكَرُ الحديثِ، ولاسِيَّما وقد خالفَ الرِّواياتِ الصِّحاحَ. وقد كان له، عليه السَّلامُ، مِن أُمُورِ المُلْكِ، واتِّساعِ الدَّوْلَةِ، وكثْرةِ الجُنُودِ وتَنَوُّعِها، ما لم يَكُنْ لأحدٍ قَبْلَه، ولا يُعطِيه اللَّهُ أحدًا بعدَه، كما قال: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ١٦]. وقال: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾. وقد أعطاه اللَّهُ ذلك بنصِّ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ. ولما ذَكَر تعالى ما أَنْعَمَ به عليه، وأَسْدَاه من النِّعَمِ الكاملةِ العظيمةِ إليه، قال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾. أى؛ أَعْطِ مَن شِئْتَ واحْرِمْ مَن شِئْتَ، فلا حسابَ عليكَ، أىْ تَصَرَّفْ فى المالِ كيف شِئْتَ؛ فإنَّ اللَّهَ قد سَوَّغَ لك كلَّ ما تَفْعَلُه مِن ذلك، ولا يُحاسِبُك على ذلك، وهذا شأنُ النبىِّ المَلِكِ، بخلافِ العبدِ الرَّسولِ؛ فإنَّ مِن شأنِهِ أنْ لا يُعْطِىَ أحدًا، ولا يَمْنَعَ أحدًا، إلَّا بإذنِ اللَّهِ له فى ذلك.

وقد خُيِّر نبيُّنا محمدٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه، بينَ هذيْن المَقامَيْنِ؛ فاخْتارَ أن يكونَ عبدًا رسولًا[(١)]. وفى بعضِ الرِّواياتِ[(٢)]: أنَّه اسْتَشارَ جِبْرِيلَ فى ذلك، فأشارَ إليه أنْ تَوَاضَعْ. فاختارَ أن يكونَ عبدًا رسولًا، صَلَوَاتُ اللَّهِ

---

(١) فى المسند ٢/ ٢٣١. (إسناده صحيح).
(٢) الطبرانى فى المعجم الكبير (١٣٣٠٩).

وسلامُه عليه . وقد جَعَلَ اللَّهُ الخِلافةَ والمُلْكَ مِن بَعْدِه فى أُمَّتِه إلى يومِ القيامةِ ، فلا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتِهِ ظاهِرِينَ حتى تَقُومَ الساعةُ[1] . فللهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ولَمَّا ذَكَر تعالى ما وَهَبَه لنبيِّه سليمانَ ، عليه السَّلامُ ، مِن خَيْرِ الدنيا ، نَبَّهَ على ما أَعَدَّهُ له فى الآخِرةِ مِن الثَّوابِ الجَزِيلِ والأَجْرِ الجميلِ ، والقُرْبَةِ التى تُقَرِّبُه إليه ، والفوزِ العظيمِ والإِكْرامِ بينَ يَدَيْه ، وذلك يومَ المَعادِ والحسابِ ، حيثُ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ .

---

(١) البخارى (٣١١٦، ٧٣١١، ٣٦٤٠، ٣٦٤١، ٧٤٥٩، ٧٤٦٠) . مسلم (١٠٣٧، ١٩٢٠، ١٩٢١) .

ذِكْرُ[1] وَفاتِهِ وَمُدَّةِ مُلْكِه وحَياتِه

قال اللَّهُ تبارك وتعالى[2] : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤]. رَوَى ابنُ جريرٍ، وابنُ أبى حاتمٍ، وغيرُهما[3]، مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ طَهْمَانَ، عن عطاءِ بنِ السَّائِبِ، عن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن النبىِّ ﷺ قال: «كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِىُّ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا. فَيَقُولُ [١/٢٣٠ظ]: لِأَىِّ شَىْءٍ أَنْتِ؟ فَإِنْ كَانَتْ لِغَرْسٍ، غُرِسَتْ، وَإِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ، كُتِبَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّى ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ قَالَتِ: الْخَرُّوبُ. قَالَ: لِأَىِّ شَىْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لِخَرَابِ هَذَا الْبَيْتِ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَى الْجِنِّ مَوْتِى؛ حَتَّى تَعْلَمَ الإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ. فَنَحَتَهَا عَصًا، فَتَوَكَّأَ عليها حَوْلًا والجِنُّ تَعْمَلُ، فَأَكَلَتْها الأَرَضَةُ، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنسُ أَنَّ الجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلًا فى الْعَذَابِ الْمُهِينِ». قال: وكان ابنُ عباسٍ يَقْرَؤُها كذلك. قال: فَشَكَرَتِ الجِنُّ للأَرَضَةِ، فكانتْ تأتيها بالماءِ. لَفْظُ ابنِ جريرٍ. وعطاءٌ الخُراسانىُّ فى حديثِه نَكارَةٌ. وقد رَواه الحافظُ ابنُ عساكرَ، مِن طريقِ سَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ،

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) التفسير ٦/ ٤٨٩- ٤٩١.

(٣) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٤. عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٢٣٠ لابن أبى حاتم وابن المنذر وابن مردويه.

عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ موقوفًا[1]، وهو أشْبَهُ بالصَّوابِ. واللَّهُ أعلمُ. وقال السُّدِّيُّ فى خبرٍ ذَكَرَه[2] عن أبى مالكٍ وعن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، وعن مُرَّةَ، عن ابنِ مسعودٍ، وعن أُناسٍ من الصحابةِ: كان سليمانُ، عليه السلامُ، يَتَجَرَّدُ[3] فى بيتِ المَقْدِسِ السَّنَةَ والسَّنَتَيْنِ، والشهرَ والشهرَيْنِ، وأقَلَّ مِن ذلك وأكْثَرَ، يُدْخِلُ طَعامَه وشرابَه، فأدْخَلَه فى المرَّةِ[4] التى تُوُفِّىَ فيها، فكان بَدْءَ ذلك أنَّه لم يَكُنْ يومٌ يُصْبِحُ فيه إلَّا نَبَتَتْ فى بيتِ المقدسِ شجرةٌ، فيأتِيها فيسألُها: ما اسْمُكِ؟ فتقولُ الشَّجرةُ: اسْمِى كَذَا وَكَذَا. فإنْ كانتْ لِغَرْسٍ غَرَسَها، وإن كانتْ نَبَتَتْ دواءً، قالتْ: نَبَتُّ دواءً لِكَذَا وَكَذَا. فَيَجْعَلُها كذلك، حتى نَبَتَتْ شجرةٌ يُقالُ لها: الخَرُّوبَةُ. فسألَهَا: ما اسْمُكِ؟ فقالت: أنا الخَرُّوبَةُ. فقال: ولأىِّ شىءٍ نَبَتِّ؟ فقالت: نَبَتُّ لِخَرابِ هذا المسجدِ. قال سليمانُ: ما كان اللَّهُ لِيُخْرِبَه وأنا حىٌّ، أنتِ التى على وَجْهِكِ هَلاكِى وخرابُ بيتِ المَقْدِسِ. فنَزَعَها وغَرَسَها فى حائِطٍ له، ثم دَخَل المحرابَ، فقام يُصَلِّى مُتَّكِئًا على عصاه، فماتَ ولم تَعْلَمْ به الشياطينُ، وهم فى ذلك يَعملُون له، يَخافُون أن يَخْرُجَ فيُعاقِبَهم، وكانتِ الشياطينُ تَجْتَمِعُ حَوْلَ المِحْرابِ، وكان المحرابُ له كُوًى بين يَدَيْه وخَلْفَه، فكان الشيطانُ الذى يُريدُ أن يَخْلَعَ، يقول: ألستُ جَلِيدًا[5] إنْ دخلْتُ فخرجْتُ من ذلك الجانبِ؟ فيَدْخُلُ حتى يَخْرُجَ مِن الجانبِ الآخَرِ، فدَخَلَ شيطانٌ من أُولئك فَمَرَّ - ولم يكنْ

---

(١) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٥. وتاريخه ١/ ٥٠٢، ٥٠٣.

(٣) فى الأصل: «يتحرر». وفى ح: «يتحرز».

(٤) فى الأصل: «المدة».

(٥) الجَلْد والجَلِيد: القوىّ.

شيطانٌ يَنظُرُ إلى سُليمانَ، عليه السَّلامُ، وهو فى المحرابِ إلَّا احْتَرَقَ - ولم يَسْمَعْ صوتَ سليمانَ، ثم رَجَعَ فلم يَسْمَعْ، ثم رَجَعَ فوَقَع فى البيتِ ولم يَحْتَرِقْ، ونَظَرَ إلى سليمانَ، عليه السَّلامُ، قد سَقَطَ ميِّتًا، فخَرَجَ فأَخْبَرَ الناسَ أنَّ سليمانَ قد مات، ففَتَحُوا عَنْه فأَخْرَجُوه، ووَجَدُوا مِنْسَأَتَه - وهى العَصَا بلسانِ الحَبَشَةِ [١/٢٣١و] - قَدْ أَكَلَتْها الأَرَضَةُ، ولم يَعْلَمُوا مُنْذُ كَمْ ماتَ، فوضَعُوا الأَرَضَةَ على العَصَا، فأَكَلَتْ منها يومًا وليلةً. ثم حَسَبُوا على ذلك النَّحْوِ، فوَجَدُوه قد ماتَ منذُ سنةٍ، وهى قراءةُ ابنِ مسعودٍ: (فَمَكَثُوا يَدْأَبونَ له مِن بعدِ موتِه حولًا كامِلًا). فَأَيْقَنَ الناسُ عندَ ذلك أنَّ الجِنَّ كانوا يَكْذِبُون، ولو أنَّهم عَلِمُوا الغَيْبَ لَعَلِمُوا بمَوْتِ سليمانَ، ولم يَلْبَثُوا فى العذابِ سنةً يعملُون له، وذلك قولُ اللَّهِ، عَزَّ وجَلَّ: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يقولُ: تَبَيَّنَ أمْرُهم للناسِ، أنَّهم كانوا يَكْذِبُونَهم. ثم إنَّ الشياطينَ قالُوا للأَرَضَةِ: لو كُنْتِ تَأْكُلِينَ الطَّعامَ لأَتَيْناكِ بأَطْيَبِ الطعامِ، ولو كُنْتِ تَشْرَبِينَ الشرابَ سَقَيْناكِ أَطيبَ الشَّرابِ، ولكنَّا سنَنْقُلُ إليكِ الماءَ والطِّينَ. قال: فهم يَنْقُلُون إليها ذلك حيثُ كانتْ، قال: ألَمْ تَرَ إلى الطِّينِ الذى يكونُ فى جَوْفِ الخشبِ، فهو ما تَأْتِيها به الشَّياطِينُ شُكْرًا لها. وهذا فيه من الإِسْرائِيلِيَّاتِ التى لا تُصَدَّقُ ولا تُكَذَّبُ.

وقال أبو داودَ فى كتابِ «القَدَرِ»[1]: حَدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ، حدّثنا قَبِيصَةُ حَدَّثنا سفيانُ، عن الأَعْمَشِ، عن خَيْثَمَةَ، قال: قال سليمانُ بنُ داودَ،

---

(١) ومن طريقه رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢/ ٩٥.

عليهما السَّلامُ ، لمَلَكِ الموتِ : إذا أردْتَ أن تَقْبِضَ رُوحِى فأَعْلِمْنِى . قال: ما أنا بأعْلَمَ بذلك مِنك ؛ إنما هى كُتُبٌ تُلْقَى إلىَّ ، فيها تَسْمِيَةُ مَن يَمُوتُ .

وقال أَصْبَغُ بنُ الفَرَجِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ وَهْبٍ[1] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، قال : قال سليمانُ لمَلَكِ الموتِ : إذا أُمِرْتَ بى فأَعْلِمْنِى . فأتاه فقال : يا سليمانُ ، قد أُمِرْتُ بك ، قد بَقِيَتْ لك سُوَيْعَةٌ . فدعا الشياطينَ فَبَنَوْا عليه صَرْحًا من قَوارِيرَ ، ليس له بابٌ ، فقام يُصَلِّى فاتَّكَأَ على عصاه . قال : فدَخَلَ عليه مَلَكُ الموتِ ، فَقَبَضَ رُوحَه وهو مُتَوَكِّئٌ على عصاه . ولم يصنعْ ذلك فِرارًا من مَلَكِ الموتِ . قال : والجِنُّ تَعْمَلُ بينَ يَدَيْه ويَنْظُرُون إليه ، يَحْسَبُون أنَّه حىٌّ . قال : فبعثَ اللَّهُ دابَّةَ الأَرْضِ ، يَعْنِى إلى مِنْسَأَتِه ، فأَكَلَتْها حتى إذا أكَلَتْ جوفَ العَصَا ضَعُفَتْ وثَقُلَ عليها فخرَّ ، فلمَّا رَأَتِ الجِنُّ ذلك ، انْفَضُّوا وذَهَبُوا . قال : فذلك قولُه : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ . قال أَصْبَغُ : وبَلَغَنِى عن غيرِه ، أنَّها مَكَثَتْ سنةً تأكلُ فى مِنْسَأَتِه حتى خرَّ . وقد رُوِىَ نَحْوُ هذا عن جماعةٍ مِن السلفِ وغيرِهم[2] . واللَّهُ أعلمُ .

قال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزُّهْرِىِّ وغيرِه : إنَّ سليمانَ ، عليه السَّلامُ ، عاش [١/٢٣١ظ] ثِنْتَيْنِ وخَمْسِين سنةً ، وكان مُلْكُه أربعين سنةً . وقال إسحاقُ[3] : أنبأَنا أبو رَوْقٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٥، ٧٦ من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه . وعزاه فى الدر المنثور ٥/ ٢٣٠ لابن أبى حاتم عن ابن زيد بنحوه .

(٢) منهم عبد اللَّه بن مسعود رضى اللَّه عنه ، انظر الدر المنثور ٥/ ٢٣١.

(٣) تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٩٩.

مُلْكَه كان عشرين سنةً . فاللَّهُ أعلمُ . وقال ابنُ جريرٍ : فكان جميعُ عُمرِ سليمانَ ابنِ داودَ ، عليهما السَّلامُ ، نَيِّفًا وخمسينَ سنةً . وفى سنةِ أربعٍ من مُلْكِه ، ابْتَدَأَ ببناءِ بيتِ المَقْدِسِ فيما ذُكِرَ[1] . ثم مَلَكَ بعدَه ابنُه رُحُبْعُمُ[2] ، مُدَّةَ سبعَ عَشْرَةَ سنةً فيما ذَكَرَه ابنُ جريرٍ . قال : ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بعدَه مملكةُ بنى إسْرائيلَ[3] .

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٥٠٣.

(٢) فى الأصل: «زخمتم». وفى ح، ص: «رخعيم». وفى م: «رحبعام». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٣) تاريخ الطبرى ١/٥١٧.

(١) بابُ ذِكْرِ (١) جَماعَةٍ مِن أنبياءِ بنى إسْرائيلَ بعدَ داودَ وسليمانَ وقبلَ زكرِيّا وَيَحْيَى، عليهمُ السَّلَامُ

فمنهم شعيا[٢] بنُ أمصيا. قال محمدُ بنُ إسحاقَ[٣]: وكان قَبْلَ زَكَرِيّا ويَحْيَى، وهو ممَّن بَشَّرَ بعيسَى ومحمدٍ، عليهما السَّلامُ، وكان فى زمانِه مَلِكٌ اسْمُه صديقةُ[٤] على بنى إسرائيلَ ببلادِ بيتِ المقدسِ، وكان سامعًا مُطِيعًا لشعيا فيما يَأْمُرُه به ويَنْهاه عنه من المصالحِ، وكانتِ الأحْداثُ قد عَظُمَتْ فى بنى إسْرائيلَ، فَمَرِضَ المِلِكُ وخَرَجَتْ فى رِجْلِه قُرْحَةٌ، وقَصَدَ بيتَ المقدسِ ملكُ بابِلَ فى ذلك الزمانِ، وهو سنحاريبُ، قال ابنُ إسحاقَ: فى سِتِّمائةِ ألفِ رايةٍ. وفَزِعَ الناسُ فَزَعًا عظيمًا شديدًا، وقال المَلِكُ للنبىِّ شعيا: ماذا أَوْحَى اللَّهُ إليك فى أمْرِ سنحاريبَ وجُنُودِه؟ فقال: لم يُوحِ إلىَّ فيهم شيئًا بَعْدُ. ثم نَزَلَ عليه الوَحْىُ بالأمرِ للمَلِك صديقةَ، بأن يُوصِىَ ويَسْتَخْلِفَ على مُلْكِه مَن يشاءُ؛ فإنَّه قد اقْتَرَبَ أجَلُه، فلمَّا أخْبَرَه بذلك أقْبَلَ المِلِكُ على القِبْلَةِ، فصَلَّى وسبَّحَ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى ص: «شعيب».

(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٥٣٢- ٥٣٥.

(٤) فى م: «حزقيا».

ودَعا وبَكَى ، فقال وهو يَبْكِى ويَتَضَرَّعُ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، بقَلْبٍ مُخْلِصٍ وتَوَكُّلٍ وصَبْرٍ : اللَّهُمَّ ربَّ الأربابِ وإلَهَ الآلهةِ ، يا رحمنُ يا رحيمُ ، يا مَن لا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْمٌ ، اذْكُرْنِى بعِلْمِى ، وفِعْلِى ، وحُسْنِ قَضائِى على بنى إسرائيلَ ، وذلك كلُّه كان منكَ ، فأنتَ أعْلَمُ به مِن نَفْسِى ، سِرِّى وإعلانِى لك . قال : فاستجابَ اللَّهُ له ورَحِمَه ، وأَوْحَى اللَّهُ إلى شعيا أن يُبَشِّرَه بأنَّه قد رَحِمَ بُكاءَه ، وقد أَخَّرَ فى أجَلِه خَمْسَ عَشْرَةَ سنةً ، وأنْجاه من عَدُوِّه سنحاريبَ . فلمَّا قال له ذلك ذَهَبَ عنه الوَجَعُ ، وانقطعَ عنه الشَّرُّ والحُزْنُ ، وخرَّ ساجدًا ، وقال فى سُجُودِه : اللَّهُمَّ أنتَ الذى تُعْطِى المُلْكَ مَن تشاءُ ، وتَنْزِعُه ممَّن تشاءُ ، وتُعِزُّ مَن تشاءُ ، وتُذِلُّ مَن تشاءُ ، عالمُ الغيبِ والشَّهادةِ ، أنت الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ ، وأنتَ تَرْحَمُ وتَسْتَجِيبُ دَعْوَةَ المُضطَرِّينَ . فلمَّا رَفَع رأسَه ، أَوْحَى اللَّهُ إلى شعيا أن يَأْمُرَه أن يَأْخُذَ ماءَ التِّينِ ، فيَجْعَلَه [١/ ٢٣٢و] على قُرْحَتِه ، فَيَشْفَى ويُصْبِحَ قد بَرِئَ . ففَعَلَ ذلك فَشُفِىَ ، وأَرْسَلَ اللَّهُ على جيشِ سنحاريبَ الموتَ ، فأصْبَحُوا وقد هَلَكُوا كلُّهم سِوَى سنحاريبَ وخمسةٍ من أصحابِه ، منهم بُخْتُ نَصَّرَ ، فأرْسَلَ مَلِكُ بنى إسرائيلَ فجاءَ بهم ، فجعلَهم فى الأغلالِ ، وطافَ بهم فى البلادِ على وجهِ التَّنْكِيلِ بهم والإهانةِ لهم سبعين يومًا ، ويُطْعَمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ رغيفَيْنِ من شَعِيرٍ ، ثم أَوْدَعَهم السِّجْنَ ، وأَوْحَى اللَّهُ تعالى إلى شعيا أن يَأْمُرَ المَلِكَ بإرسالِهم إلى بلادِهم ، ليُنْذِرُوا قومَهم ما قد حَلَّ بهم ، فلمَّا رَجَعُوا جَمَعَ سنحاريبُ قومَه

وأخبرَهم بما قد كان مِن أمْرِهم ، فقال له السَّحَرَةُ والكَهَنَةُ : إنَّا أَخْبَرْناك عن شأنِ ربِّهم وأنبيائِهم فلم تُطِعْنا ، وهى أُمَّةٌ لا يَستطِيعُها أحدٌ مِن ربِّهم . فكان أمرُ سنحاريبَ ممَّا خوَّفَهم اللَّهُ به . ثم مات سنحاريبُ بعدَ سبعِ سِنينَ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُمَّ لمَّا ماتَ صديقةُ مَلِكُ بنى إسرائيلَ ، مَرِجَ أمرُهم واخْتَلَطَتْ أحداثُهم ، وكَثُر شَرُّهم ، فأَوْحَى اللَّهُ تعالى إلى شعيا ، فقام فيهم فوَعَظَهم وذَكَّرَهم ، وأخبرَهم عن اللَّهِ بما هو أهلُه ، وأَنْذَرَهم بَأْسَه وعِقابَه إن خالَفُوه وكذَّبُوه ، فلمَّا فَرَغَ مِن مقالتِه عَدَوْا عليه وطلبُوه ليَقْتُلُوه ، فهَرَبَ منهم ، فمرَّ بشجرةٍ فانْفَلَقَتْ له ، فدَخَلَ فيها ، وأَدْرَكَه الشيطانُ فأخذَ بِهُدْبَةِ ثَوْبِهِ فأَبْرَزَهَا ، فلمَّا رَأَوْا ذلك جَاءُوا بالْمِنْشَارِ فوَضَعُوه على الشجرةِ ، فنَشَرُوها ونَشَرُوه معها ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُون .

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٥٣٦، ٥٣٧.

ومنهم أرْميَا بنُ حَلْقِيا

مِن سِبْطِ لَاوِى بنِ يعقوبَ

وقد قِيل : إنَّه الخَضِرُ . رَواه الضَّحّاكُ عن ابنِ عباسٍ[1] . وهو غريبٌ وليس بصحيحٍ . قال ابنُ عساكرَ[2] : جاء فى بعضِ الآثارِ ، أنَّه وَقَفَ على دَمِ يَحْيَى ابنِ زكريّا وهو يَفُورُ بدِمَشْقَ ، فقال : أيُّها الدَّمُ ، فَتَنْتَ الناسَ فاسْكُنْ . فسَكَن ورَسَبَ حتى غابَ . وقَال أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنيا : حَدَّثَنى علىُّ بنُ أبى مريمَ ، عن أحمدَ بنِ حَبَّابٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ . قال : قال أَرْميا : أَىْ ربِّ ، أَىُّ عبادِكَ أحبُّ إليكَ ؟ قال : أكْثَرُهم لى ذِكْرًا الَّذين يَشْتَغِلُون بذِكْرِى عن ذِكْرِ الخَلَائِقِ ، الذين لا تَعْرِضُ لهم وساوِسُ الغَنَاءِ[3] ، ولا يُحَدِّثُون أنْفُسَهم بالبقاءِ ، الذين إذا عَرَضَ لهم عَيْشُ الدُّنيا قَلَوْه ، وإذا زُوِىَ عنهم سُرُّوا بذلك . أُولئك أنْحَلُهم مَحَبَّتِى وأُعْطِيهم فوقَ غاياتِهم .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/٣٦٥ ، ٣٦٦ ، عن وهب بن منبه .

(٢) تاريخ دمشق ٨/ ٢٨.

(٣) فى الأصل : «المعا» . وفى م : «الفناء» . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق .

ذِكْرُ[1] خَرابِ بَيْتِ المَقْدِسِ

وقولُه تعالى[2] : ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ [١/٢٣٢ظ] ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢- ٨]. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: أَوْحَى اللَّهُ إلى نبيٍّ مِن أنبياءِ بنى إسْرائيلَ، يُقالُ له: أرْميا، حين ظَهَرَتْ فيهمُ المعاصِى، أن قُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ قومِك، فأخْبِرْهم أنَّ لهم قلوبًا ولا يَفْقَهُون، وأَعْيُنًا ولا يُبْصِرُونَ، وآذانًا ولا يَسْمَعُون، وإنِّى تَذَكَّرْتُ صَلاحَ آبائِهم، فعَطَفَنى ذلك على أبنائِهم، فَسَلْهُم: كيف وَجَدُوا غِبَّ طاعتى؟ وهل سَعِد أحدٌ ممَّن عَصانى بمعصيتى؟ وهل شَقِىَ أحدٌ ممَّن أطاعنى بطاعتى؟ إنَّ الدَّوابَّ تَذْكُرُ أوْطانَها فَتَنْزِعُ إليها، وإنَّ هؤلاءِ القومَ تَرَكُوا الأمرَ الذى أَكْرَمْتُ عليه آباءَهم، والْتَمَسُوا الكرامةَ مِن غيرِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٥/ ٤٢- ٤٥.

وجهِها ، أمَّا أحْبارُهم فأنْكَرُوا حَقِّى ، وأمَّا قُرَّاؤُهم فعَبَدُوا غيرِى ، وأمَّا نُسّاكُهم فلم يَنْتَفِعُوا بما عَلِمُوا ، وأمَّا وُلاتُهم فكَذَبُوا علىَّ وعَلَى رُسُلِى ، خَزَنُوا المكرَ فى قلوبِهم ، وَعَوَّدُوا الكَذِبَ ألسنتَهم . (١ وإنِّى أُقْسِمُ بِجَلالِى وعِزَّتِى ، لأُهَيِّجَنَّ عليهم جيولًا لا يَفْقَهُون ألسنتَهم ١) ، ولا يَعْرِفُون وُجُوهَهم ، ولا يَرْحَمُون بُكاءَهم ، ولأَبْعَثَنَّ فيهم مَلِكًا جَبّارًا قاسِيًا ، له عَساكرُ كقِطَعِ السَّحابِ ، ومواكبُ كأمثالِ العَجَاجِ (٢) ، كأَنَّ خَفَقَانَ راياتِهِ طَيَرَانُ النُّسُورِ ، وكأنَّ حَمْلَ فرسانِهِ كرُّ العِقْبانِ ، يُعِيدُون العُمْرانَ خَرابًا ، ويَتْرُكُون القُرَى وَحْشَةً ، فيا وَيْلَ إيلِيَاءَ وسُكّانِها ، كيف أُذَلِّلُهم للقتلِ ، وأُسَلِّطُ عليهم السِّبَاءَ (٣) ، وأُعِيدُ بَعْدَ لَجَبِ (٤) الأَعْراسِ صُرَاخًا ، وبعدَ صَهِيلِ الخَيْلِ عُوَاءَ الذِّئابِ ، وبعدَ شُرَافَاتِ القُصُورِ مَساكِنَ السِّباعِ ، وبعدَ ضَوْءِ السُّرُجِ وَهَجَ العَجَاجِ ، وبالعِزِّ الذُّلَّ ، وبالنِّعْمَةِ العُبُودِيَّةَ ، وأُبَدِّلَنَّ نساءَهم بعدَ الطِّيبِ التُّرابَ ، وبالمَشْيِ على الزَّرَابِيِّ (٥) الخَبَبَ (٦) . ولأَجْعَلَنَّ أجسادَهم زِبْلًا للأرضِ ، وعِظامَهم (٧) ضاحِيةً للشمسِ ، ولأَدُوسَنَّهم بألْوانِ العَذابِ ، ثُمَّ لآمُرَنَّ السماءَ فَلَتَكُونَنَّ طَبَقًا من حديدٍ ، والأرضَ سَبِيكَةً مِن نُحاسٍ ، فإن أمْطَرَتْ ، لم تُنْبِتِ الأرضُ ، وإن أنبتتْ شيئًا فى خِلالِ ذلك ، فبرَحْمَتِى للبهائمِ ، ثُمَّ أَحْبِسُه فى زمانِ الزَّرْعِ ، وأُرْسِلُه فى زمانِ الحَصَادِ [١/٢٣٣و] ، فإن زَرَعُوا فى خلالِ ذلك شيئًا ، سلَّطْتُ عليه الآفَةَ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ح ، م : « الفجاج » .

(٣) السِّباء : الأسْر .

(٤) فى الأصل : « صخب » . وفى ح : « لحب » . واللجب : ارتفاع الأصوات .

(٥) والزرابى : كلُّ ما بُسط واتُّكئ عليه .

(٦) الخبب : العَدْو .

(٧) فى ح ، م : « عظامهن » .

فإن خَلَصَ منه شَيْءٌ نَزَعْتُ منه البَرَكَةَ ، فإن دَعَوْنِى لم أُجِبْهم ، وإن سَأَلُوا لم أُعْطِهم ، وإن بَكَوْا لم أَرْحَمْهم ، وإن تَضَرَّعُوا صَرَفْتُ وَجْهِى عنهم . رَواه ابنُ عساكرَ بهـذا اللفظِ[1] .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2] : أنبأنا إدريسُ ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال : إنّ اللَّهَ تعالى لَمَّا بَعَث أرْميَا إلى بنى إسرائيلَ ، وذلك حينَ عَظُمَتِ الأَحْداثُ فيهم ؛ فعَمِلُوا بالمعاصِى وقَتَلُوا الأنبياءَ ، طَمِعَ بُخْتُ نَصَّرَ فيهم ، وقَذَفَ اللَّهُ فى قلبِه ، وحَدَّثَ نَفْسَه بالمَسِيرِ إليهم ؛ لَمَّا أرادَ اللَّهُ أن يَنْتَقِمَ به منهم ، فأَوْحَى اللَّهُ إلى أرْميا ؛ أنِّى مُهْلِكٌ بنى إسْرائيلَ ، ومُنْتَقِمٌ منهم ، فَقُمْ على صَخْرَةِ بيتِ المقدسِ ؛ يأتيكَ أمرِى ووَحْيِى . فقام أرْميَا فشَقَّ ثِيابَه ، وجَعَلَ الرَّمادَ على رأسِه ، وخَرَّ ساجِدًا ، وقال : ياربِّ ، وَدِدْتُ أُمِّى لم تَلِدْنِى حين جَعَلْتَنِى آخِرَ أنبياءِ بنى إسْرائيلَ ، فيَكونُ خَرابُ بيتِ المقدسِ ، وبَوارُ بنى إسرائيلَ من أجلِى . فقيل له : ارْفَعْ رَأْسَك . فرَفَع رأسَه فبَكَى ، ثم قال : يا رَبِّ ، مَنْ تُسَلِّطُ عليهم ؟ قال : عَبَدَةَ النِّيرانِ ؛ لا يَخافُون عِقابِى ، ولا يَرْجُون ثوابِى ، قُمْ يا أرْميا فاسْتَمِعْ وَحْيِى ، أُخْبِرْكَ خَبَرَك وخبرَ بنى إسْرائيلَ ؛ مِن قَبْلِ أن أَخْلُقَكَ اخْتَرْتُكَ ، ومِن قبلِ أن أُصَوِّرَكَ فى رَحِمِ أُمِّك ، قَدَّسْتُك ، ومِن قبلِ أن أُخْرِجَك من بطنِ أُمِّك طَهَّرْتُك ، ومِن قبلِ أن تَبْلُغَ نَبَّأْتُكَ ، ومِن قبلِ أن تَبْلُغَ[3] الأَشُدَّ اخْتَرْتُك ، ولأمرٍ عظيمٍ اجْتَبَيْتُكَ ، فقُمْ مع المِلِكِ ، تُسَدِّدُه وتُرْشِدُه . فكان مع المِلِكِ يُرْشِدُه ويَأتِيه

---

(١) فى تاريخ دمشق ٨/ ٢٩، ٣٠.

(٢) أخرجه من طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨/ ٣٤- ٤١. ومن طريقه أيضًا ابن الجوزى فى المنتظم ١/ ٤٠١- ٤٠٦ مختصرًا عن هذا.

(٣) بعده فى الأصل : « الحلم » .

الوَحْىُ من اللَّهِ، حتى عَظُمَتِ الأحْداثُ، ونَسُوا ما نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِن عَدُوِّهم سنحاريبَ وجُنُودِه، فأَوْحَى اللَّهُ إلى أرْميَا؛ قُمْ فاقْصُصْ عليهم ما آمُرُكَ به، وذَكِّرْهم نِعْمَتِى عليهم، وعَرِّفْهم أحْداثَهم. فقال أرْميا: يا ربِّ، إنِّى ضعيفٌ إن لم تُقَوِّنِى، عاجِزٌ إن لم تُبَلِّغْنِى، مُخْطِئٌ إن لم تُسَدِّدْنِى، مَخْذُولٌ إن لم تَنْصُرْنى، ذَلِيلٌ إن لم تُعِزَّنِى. فقال اللَّهُ تعالى له: أَوَ لَمْ تَعْلَمْ أنَّ الأُمُورَ كلَّها تَصْدُرُ عن مَشِيئَتِى، وأنَّ (١الخَلْقَ و١) الأمرَ كلَّه لى، وأنَّ القُلُوبَ والألْسِنَةَ كلَّها بيدِى، فأُقَلِّبُها كيف شِئْتُ فتُطِيعُنِى(٢)، فأنا اللَّهُ الذى ليس شَىْءٌ مِثْلِى، قامتِ السمواتُ والأرضُ وما فيهنَّ بكَلِمَتِى، وأنَّه لا يَخْلُصُ التوحيدُ ولم تَتِمَّ القُدرةُ إلَّا لِى، ولا يَعلمُ ما عندِى غيرِى، وأنا الذى كَلَّمْتُ البحارَ ففَهِمَتْ قَوْلِى، وأَمَرْتُها ففَعَلَتْ أمرِى، وحَدَدْتُ عليها حُدُودًا، فلا تَعْدُو حَدِّى، وتأتِى بأمْواجٍ كالجبالِ، فإذا بَلَغَتْ حَدِّى أَلْبَسْتُها مَذَلَّةً لطاعتِى، وخوفًا، واعْتِرافًا لأَمْرِى، وإنِّى معكَ، ولن يَصِلَ إليكَ شىءٌ معى، وإنِّى بَعَثْتُكَ إلى خَلْقٍ [١/٢٣٣ظ] عظيمٍ مِن خَلْقِى؛ لِتُبَلِّغَهم رسالاتِى، فتَسْتَوْجِبَ لذَلك(٣) أَجْرَ (٤مَنِ اتَّبَعَكَ٤)، ولا يَنْقُصُ ذلك مِن أُجُورِهم شيئًا (٥وإن تُقَصِّرْ عنها، تَسْتَحِقَّ بذلك وِزْرَ مَن تَرَكْتَه فى عمايَةٍ، ولا يَنْقُصُ ذلك من أوْزارِهم شيئًا٥)، انْطَلِقْ إلى قومِك، فَقُمْ فيهم، وقُلْ لهم: إنَّ اللَّهَ قد ذَكَرَكُم بصلاحِ آبائِكم؛ فلذلك استبقاكم يا معشرَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) سقط من: ص.
(٣) فى ح: «كذلك».
(٤ - ٤) فى ح: «منى أنفعك».
(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

أبناءِ الأنبياءِ، كيف وَجَدَ آباؤُكم مَغَبَّةَ طاعتى، وكيف وجدتُم مَغَبَّةَ معصيتى؟ وهل وجدُوا أحدًا عصانى فَسَعِدَ بمعصيتى؟ وهل عَلِمُوا أحدًا أطاعنى فشَقِىَ بطاعتى؟ إنَّ الدَّوَابَّ إذا ذَكَرَتْ أوطانَها الصالحةَ نَزَعَتْ إليها، وإنَّ هؤلاءِ القومَ رَتَعُوا فى مُرُوجِ الهَلَكَةِ، وتَرَكُوا الأمرَ الذى به أكرمْتُ آباءَهم، وابْتَغَوُا الكرامةَ مِن غيرِ وجهِها. أمَّا أَحْبارُهم وَرُهْبانُهم، فاتَّخَذُوا عبادِى[1] خَوَلًا يَتَعَبَّدُونهم، ويَحْكُمُون فيهم بغيرِ كتابِى، حتى أَجْهَلُوهم أمْرِى وأَنْسَوْهم ذِكْرِى وسُنَّتِى، وَغَرُّوهم[2] عنِّى، فدانَ لهم عبادِى بالطاعةِ، التى لا تَنْبَغِى [3]إلَّا لى[3]، فهم يُطيعُونهم فى معصيتِى. وأمَّا ملوكُهم وأُمراؤُهم، فَبَطِرُوا نعمتِى، وأَمِنُوا مَكْرِى، وغَرَّتْهُم الدُّنْيا، حتى نَبَذُوا كتابِى، وَنَسُوا عهدِى، فهم يُحَرِّفُون كتابى، ويَفْتَرُون على رُسُلِى؛ جُرْأَةً منهم علىَّ وَغِرَّةً بى. فسبحانَ جَلالِى وعُلُوِّ مكانى، وعظمةِ شأنِى، هل يَنبغِى أن يكونَ لى شَرِيكٌ فى مُلْكِى! وهل يَنبغِى لبَشَرٍ أن يُطاعَ فى معصيتِى! وهل يَنبغِى لى أن أَخْلُقَ عبادًا أجْعَلُهم أربابًا مِن دونى! أو آذَنَ لأحَدٍ بالطاعةِ لأحدٍ! وهى لا تَنْبَغِى إلَّا لى! وأمَّا قُرَّاؤُهم وفقهاؤُهم، فَيَدْرُسُون ما يَتَخَيَّرُونَ، فيَنْقادُون للملوكِ، فيُتابعُونهم[4] على البِدَعِ التى يَبْتَدِعُون فى دِينِى، ويُطيعُونهم فى معصيتى، ويُوفُون لهم بالعُهُودِ النّاقِضَةِ لعَهْدِى، فهم جَهَلَةٌ بما يَعْلَمُون، لا يَنْتَفِعُون بشَىْءٍ ممَّا عَلِمُوا من كتابِى. وأمّا

---

(١) فى الأصل: «عبادتى».
(٢) فى الأصل: «وغزوهم». وفى ح، م: «وعزوهم».
(٣ - ٣) سقط من: ح.
(٤) فى ص: «يبايعونهم».

أولادُ النَّبِيِّين، فَمَقْهُورون ومَفْتُونون؛ يَخُوضُون مع الخائِضِين، يَتَمَنَّوْن مِثْلَ نَصْرِى آباءَهم، والكرامةَ التى أَكْرَمْتُهم بها، ويَزْعُمُون أنَّه لا أحدَ أَوْلَى بذلك مِنْهم، بغيرِ صِدْقٍ منهم، ولا تَفَكُّرٍ، ولا يَذْكُرون كيف كان صبرُ آبائِهم، وكيف كان جُهْدُهم فى أمرِى، حتى[1] اغْتَرَّ المُغْتَرُّون، وكيف بَذَلُوا أنفسَهم ودماءَهم، فصَبَرُوا وصَدَقُوا، حتى عَزَّ أمرِى، وظَهَرَ دِينى، فتَأَنَّيْتُ هؤلاءِ القومَ، [2]لعلَّهم يَسْتَحْيُونَ[2] مِنِّى ويَرْجِعُون، فَتَطَوَّلْتُ عليهم وصَفَحْتُ عنهم، فأَكْثَرْتُ ومَدَدْتُ لهم فى العُمُرِ، وأَعْذَرْتُ لهم[3] لعلَّهم يَتَذَكَّرُون، وكُلُّ ذلك أُمْطِرُ عليهم السماءَ، وأُنْبِتُ لهمُ الأَرضَ، وأُلْبِسُهم العافِيَةَ، وأُظْهِرُهم على العَدُوِّ، ولا يَزْدادُون إلَّا طُغْيَانًا وبُعْدًا منِّى، فحتى متى هذا! أَبِى يَسْخَرُون! أَم بى يَتَمَرَّسُون[4]! أم إيَّاىَ يُخادِعُون! أم عَلَىَّ [١/٢٣٤و] يَجْتَرِئُونَ! فإنِّى أُقْسِمُ بِعِزَّتِى، لَأُتِيحَنَّ لهم[5] فتنةً يَتَحَيَّرُ فيها الحليمُ[6]، ويَضِلُّ فيها رَأْىُ ذَوِى الرَّأْىِ، وحكمةُ الحكيمِ، ثُمَّ لَأُسَلِّطَنَّ عليهم جَبّارًا قاسيًا عاتيًا، أُلْبِسُه الهَيْبَةَ، وأَنْزِعُ من قَلْبِه الرَّأْفَةَ والرحمةَ، وآلَيْتُ أن يَتَّبِعَه عددٌ وسَوَادٌ مثلُ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، له فيه عساكرُ مِثْلُ قِطَعِ السَّحابِ، ومواكبُ مِثْلُ العَجَاجِ، وكأنَّ حَفِيفَ راياتِه طَيَرَانُ النُّسورِ، وحَمْلَ فُرْسانِه كسِرْبِ العِقْبان، يُعِيدُون العُمْرانَ خَرابًا، والقُرَى وَحْشًا، ويَعِيثُون فى الأرضِ فسادًا، ويُتَبِّرُون ما عَلَوْا تَتْبِيرًا، قاسيةٌ قلوبُهم؛ لا

---

(١) فى ح، م: «حين».

(٢ - ٢) فى ص: «يستخفون».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «يتحرشون». وفى ص: «يتمرشون».

(٥) فى م: «عليهم».

(٦) فى م: «الحكيم».

يَكْتَرِثُون ، ولا يَرِقُّون[1] ، ولا يَرْحَمُون ، ولا يُبْصِرُون ، ولا يَسْمَعُون ، يَجُولُون فى الأسواقِ بأصواتٍ مُرتفعةٍ مِثْلِ زَئِيرِ الأُسْدِ ، تَقْشَعِرُّ من هَيْبَتِها الجُلُودُ ، وتَطِيشُ مِن سَمْعِها الأحلامُ ، بأَلْسِنَةٍ لا يَفْقَهُونَها ، ووُجُوهٍ ظاهرٍ عليها المُنْكَرُ لا يَعْرِفُونها . فَوَعِزَّتِى لأُعَطِّلَنَّ بُيُوتَهم مِن كُتُبِى[2] وقُدُسِى ، ولأُخْلِيَنَّ مَجالِسَهم مِن حَدِيثِها ودُرُوسِها ، ولأُوحِشَنَّ مساجدَهم من عُمَّارِها وزُوَّارِها ، الذين كانوا يَتَزَيَّنُون بعمارتِها لغَيْرِى ، ويَتَهَجَّدُون فيها ويَتَعَبَّدُون لكَسْبِ الدُّنيا بالدِّينِ ، ويَتَفَقَّهُون فيها لغيرِ الدِّينِ ، ويَتعلَّمُون فيها لغيرِ العملِ . لأُبَدِّلَنَّ ملوكَها بالعزِّ الذُّلَّ ، وبالأَمْنِ الخَوْفَ ، وبالغِنى الفقرَ ، وبالنِّعْمَةِ الجُوعَ ، وبطُولِ العافِيَةِ والرَّخاءِ ألْوانَ البَلاءِ ، وبِلِبَاسِ الدِّيباجِ والحريرِ مَدارِعَ الوَبَرِ والعَبَاءَ ، وبالأَرْواحِ الطَّيِّبَةِ والأَدْهانِ جِيَفَ القَتْلَى ، وبلِباسِ التِّيجانِ أطواقَ الحديدِ والسلاسلَ والأغلالَ . ثُمَّ لأُعِيدَنَّ فيهم بعدَ القُصُورِ الواسعةِ والحُصُونِ الحَصِينةِ الخرابَ ، وبعدَ البُرُوجِ المُشَيَّدَةِ مَساكِنَ السِّباعِ ، وبعدَ صَهِيلِ الخَيْلِ عُواءَ الذِّئابِ ، وبعدَ ضَوْءِ السِّراجِ دُخانَ الحريقِ ، وبعدَ الأُنْسِ الوَحْشةَ والقِفارَ . ثُمَّ لأُبَدِّلَنَّ نساءَها بالأَسْوِرَةِ الأغلالَ ، وبقَلائِدِ الدُّرِّ والياقُوتِ سلاسلَ الحديدِ ، وبألوانِ الطِّيبِ والأدْهانِ النَّقْعَ والغُبارَ ، وبالمَشْيِ على الزَّرَابِيِّ عُبُورَ الأسواقِ والأنهارِ والخَبَبَ إلى الليلِ فى بطونِ الأسواقِ ، وبالخُدُورِ والسُّتُورِ الحُسُورَ عن الوُجُوهِ والسُّوقِ والإِسْفارَ ، وَالأرواحِ السَّمُومَ ، ثُمَّ لأَدُوسَنَّهم بأنْواعِ العَذابِ ، حتى لو كان الكائِنُ منهم فى حالِقٍ ، لَوَصَلَ ذلك إليه . إنِّى إنَّما أُكْرِمُ مَن أَكْرَمَنى ، وإنَّما أُهِينُ مَن هَانَ عليه أَمْرِى . ثُمَّ لآمُرَنَّ السماءَ خِلالَ ذلك ؛ فَلَتَكُونَنَّ عليهم طَبَقًا مِن حديدٍ ، ولآمُرَنَّ

---

(١) فى الأصل : « يرمون » . وفى م : « يرقبون » .
(٢) فى الأصل : « كنفى » .

الأرضَ ، فَلَتَكُونَنَّ سَبِيكَةً مِن نُحاسٍ ، فلا سماءَ تُمطِرُ ولا أرضَ تُنبِتُ ، فإن أمطرَتْ [١/٢٣٤ظ] خلالَ ذلك شيئًا ، سَلَّطْتُ عليه[١] الآفةَ ، فإن خَلُصَ منه شَيْءٌ نَزَعْتُ منه البركةَ ، وإن دَعَوْنِى لم أُجِبْهُم ، وإن سألُونى لم أُعْطِهم ، وإن بَكَوْا لم أَرْحَمْهم ، وإن تَضَرَّعُوا إلىَّ ، صَرَفْتُ وَجْهِى عنهم . وإن قالوا : اللَّهُمَّ أنتَ الذى ابْتَدَأْتَنا وآباءَنا مِن قَبْلِنا برحمتِك وكرامتِك ، وذلك بأنَّك اخْتَرْتَنا لنَفْسِكَ ، وجَعَلْتَ فينا نُبُوَّتَك وكِتابَك ومساجدَك ، ثم مَكَّنْتَ لنا فى البلادِ ، واسْتَخْلَفْتَنا فيها ، وَرَبَّيْتَنا[٢] وآباءَنا مِن قَبْلِنا بنعمتِك صِغارًا ، وَحَفِظْتَنا وإيَّاهم بِرَحْمَتِك كبارًا ، فأنْتَ أَوْفَى المُنْعِمِين ، [٣]فلا تُغَيِّرُ[٣] وإنْ غَيَّرْنا ، ولا تُبَدِّلُ وإنْ بَدَّلْنا ، [٤]وأنْ تُتِمَّ فَضْلَكَ وَمَنَّكَ وَطَوْلَك وإحسانَكَ[٤] . فإن قالُوا ذلك ، قلتُ لهم : إنى أَبْتَدِئُ عبادِى بِرَحْمَتِى ونِعْمَتِى ، فإن قَبِلُوا أَتْمَمْتُ ، وإن استَزادُوا زِدْتُ ، وإنْ شَكَرُوا ضاعَفْتُ ، وإن بَدَّلُوا[٥] غَيَّرْتُ ، وإذا غَيَّرُوا غَضِبْتُ ، وإذا غَضِبْتُ عَذَّبْتُ ، وليس يَقومُ شيْءٌ لغَضَبِى . قال كَعْبٌ : فقال أرميا : برَحْمَتِك أصْبَحْتُ أتكلَّمُ[٦] بينَ يَدَيْكَ ، وهل يَنْبَغِى ذلك لى ، وأنا أَذَلُّ وأَضْعَفُ مِن أن يَنبغِىَ لى أن أتكلَّمَ بينَ يَدَيْك ، ولكنْ برَحْمَتِك أبقَيْتَنى لهذا اليومِ ، وليس أحدٌ أحقَّ أن يَخافَ هذا العذابَ وهذا الوعيدَ منِّى ، بما رَضِيتَ به مِنِّى طَوْلًا ، والإقامةِ فى دارِ الخاطِئِين وهم يَعْصُونَكَ حَوْلِى بغيرِ نَكِيرٍ[٧] ولا تغييرٍ منِّى ، فإنْ

---

(١) فى ح ، م : « عليهم » .

(٢) فى الأصل : « وزينتنا » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، م ، ص .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح ، والتاريخ : « وأن تتم نعمته وفضله ومَنُّه وطَوله وإحسانه » . وفى ص : « وأن يتم نعمته وفضله وطَوله وإحسانه » .

(٥) فى ح : « غيرلوا » . وفى م ، ص : « غيروا » .

(٦) فى النسخ : « أتعلم » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٤/٢٤٣ .

(٧) فى ح ، م : « نكر » .

تُعَذِّبْنِى فبِذَنْبِى ، وإنْ تَرْحَمْنِى فذلك ظَنِّى بك . ثُمَّ قال: يا ربِّ ، سُبحانَك وبحمدِك ، وتبارَكْتَ رَبَّنا وتعالَيْتَ ، أَتُهْلِكُ هذه القريةَ وما حَوْلَها ، وهى مساكنُ أنبيائِك ، ومَنْزِلُ وَحْيِكَ ؟ يا ربِّ ، سُبحانَك وبحمدِك ، وتبارَكْتَ ربَّنا وتعالَيْتَ لِمَخْرَبِ هذا المسجدِ وما حولَه من المساجدِ ، ومِن البُيُوتِ التى رُفِعَتْ لِذِكْرِكَ ؟ يا ربِّ ، سُبحانَك وبحمدِك ، وتبارَكْتَ وتعالَيْتَ لِمَقْتِكَ[1] هذه الأُمَّةَ وعذابِكَ إيَّاهم وهم مِن وَلَدِ إبراهيمَ خَلِيلِك ، وأُمَّةِ موسى نَجِيِّكَ ، وقومِ داودَ صَفِيِّكَ ، يا ربِّ ، أىُّ القُرَى تَأْمَنُ عُقُوبتَك [2]بَعْدَ أورشليمَ ؟[2] وأىُّ العبادِ يأمنُون سَطْوَتَكَ بعدَ ولدِ خليلِك إبراهيمَ ، وأُمَّةِ نَجِيِّك موسَى ، وقومِ خَلِيفَتِك داودَ ؟ تُسَلِّطُ عليهم عَبَدَةَ النيرانِ ! قال اللَّهُ تعالى : يا أرْمِيَا ، مَن عَصَانِى فلا يَسْتَنْكِرْ نِقْمَتِى[3] ؛ فإنِّى أكْرَمْتُ هؤلاءِ القومَ على طاعتِى ، ولو أنَّهم عَصَوْنى لأَنْزَلْتُهم دارَ العاصِينَ ، إلَّا أن أتَدارَكَهُم بِرَحْمَتِى . قال أرْمِيَا : يا ربِّ ، اتَّخَذْتَ إبراهيمَ خَلِيلًا ، وحَفِظْتَنا به ، وموسى قَرَّبْتَه نَجِيًّا ، فنسألُكَ أن تَحْفَظَنا ولا تَتَخَطَّفَنَا ، ولا تُسَلِّطَ عَلَينا عَدُوَّنا . فأَوْحى اللَّهُ إليه : يا أرْمِيَا ، إنِّى قَدَّسْتُكَ فى بَطْنِ أُمِّكَ ، وأَخَّرْتُكَ إلى هذا اليومِ ، فلو أَنَّ قومَكَ حَفِظُوا اليتامَى والأرامِلَ والمساكينَ وابنَ السَّبيلِ ، لكُنْتُ[4] الدّاعمَ لهم ، وكانوا [١/٢٣٥و] عِنْدِى بمنزلةِ جَنَّةٍ ناعمٍ شَجَرُها ، طاهرٍ ماؤُها ، ولا يَغُورُ ماؤُها ، ولا تَبُورُ ثِمارُها ولا تَنْقَطِعُ ،

---

(١) فى ح ، م ، ص : « لمقتل » .
(٢ - ٢) سقط من : م . وفى الأصل : « بعذرِ وسالم » . وفى ح : « بعد روشلم » . وفى ص : « وسلم » . والتصحيح من تاريخ دمشق .
(٣) فى ص : « نعمتى » .
(٤) فى م : « لمكنت » .

ولكنْ سأَشْكُوا إليكَ بنى إسرائيلَ؛ إنِّى كنتُ لهم بمنزلةِ الرَّاعى[1] الشفيقِ، أُجَنِّبُهُمْ كُلَّ قَحْطٍ وكُلَّ عسرةٍ[2]، وأُتْبِعُ بهم الخصْبَ، حتى صاروا كِبَاشًا يَنْطَحُ بعضُها بعْضًا، فيا وَيْلَهُم ثُمَّ يا وَيْلَهم، إنَّما أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَنى، وأُهِينُ مَنْ هان عليْهِ أَمْرِى، إنَّ مَنْ كان قَبْلَ هؤلاءِ القومِ مِن القُرُونِ يَسْتَخْفُون بمعصيتى، وإنَّ هؤلاءِ القومَ يَتَبَرَّعُون بمعصيتِى تَبَرُّعًا؛ فيُظْهِرُونها فى المساجدِ والأسْواقِ، وعلى رُؤُوسِ الجبالِ، وظِلالِ الأَشْجارِ، حتى عَجَّتِ السَّماءُ إلىَّ منهم، وَعَجَّتِ الأرضُ والجبالُ، ونَفَرَتْ منها الوُحُوشُ بأطْرافِ الأَرضِ وأقاصِيها، وفى كُلِّ ذلك لا يَنْتَهُون ولا يَنْتَفِعُون بما عَلِمُوا مِنَ الكِتابِ. قال: فلَمَّا بَلَّغَهم أَرْمِيَا رسالةَ رَبِّهِمْ، وسَمِعُوا ما فيها مِن الوعيدِ والعَذَابِ، عَصَوْه وكَذَّبُوه واتَّهَمُوه، وقالوا: كَذَبْتَ وعَظَّمْتَ على اللَّهِ الفِرْيَةَ، فتَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ مُعَطِّلٌ أَرْضَه ومساجِدَه مِن كتابِه وعبادَتِه[3] وتوحيدِهِ، فَمَنْ يعبُدُهُ حينَ لا يَبْقَى له فى الأَرضِ عابدٌ ولا مَسْجِدٌ ولا كِتابٌ؟ لقد أعْظَمْتَ الفِرْيَةَ على اللَّهِ، واعْتَرَاكَ الجنونُ. فَأَخَذُوه وَقَيَّدُوه وسَجَنُوه، فعِنْدَ ذلك بَعَثَ اللَّهُ عليهم بُخْتُ نَصَّرَ، فأَقْبَلَ يَسِيرُ بجُنُودِهِ حتى نَزَلَ بساحَتِهم، ثُمَّ حاصَرَهُم، فكان كما قال تعالى[4]: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء: ٥]. قال: فلَمَّا طالَ بهمُ الحَصْرُ، نزلُوا على حُكْمِه، ففَتَحُوا الأَبْوابَ، وتخلَّلُوا الأَزِقَّةَ، وذلك قولُه تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾. وحَكَمَ فيهم حُكْمَ الجاهليَّةِ وبَطْشَ

---

(١) فى م، ص: «الداعى».
(٢) فى الأصل، والتاريخ: «غرة».
(٣) فى الأصل: «وعباده».
(٤) التفسير ٥/ ٤٤.

الجبَّارين ، فقَتَلَ منهم الثُّلُثَ ، وَسَبَى الثُّلُثَ ، وتَرَك الزَّمْنَى والشُّيوخَ والعَجائِزَ ، ثم وَطِئَهم بالخيلِ ، وهَدَم بيْتَ المقْدِسِ ، وساق الصِّبْيانَ ، وأَوْقَفَ النِّساءَ فى الأَسواقِ مُحْسَرَاتٍ ، وقَتَلَ المُقَاتِلَةَ ، وخَرَّبَ الحُصُونَ ، وَهَدَّم المساجِدَ ، وَحَرَّقَ التَّوْراةَ ، وسألَ عن دانيالَ ، الذى كان كتبَ له الكتابَ ، فوَجَدَه قد مات ، وأَخْرَجَ أهلُ بَيْتِهِ الكتابَ إليه ، وكان فيهم دانيالُ بنُ حِزْقِيلَ الأَصْغَرُ ، ومِيشائِيلُ ، وعزْرائِيلُ ، ومِيخائِيلُ ، فأَمْضَى لهم ذلك الكتابَ ، وكان دانيالُ بنُ حِزْقِيلَ خَلَفًا مِن دانيالَ الأَكبرِ ، ودَخَلَ بُخْتُ نَصَّرَ بجنودِه بيْتَ المقدسِ ، وَوَطِئَ الشَّامَ كلَّها ، وقَتَلَ بنى إسرائيلَ حتى أَفْناهم ، فلمَّا فَرَغَ منها ، انصرفَ راجِعًا ، وحَمَلَ الأموالَ التى كانتْ بها ، وساق السَّبايا ، فبَلَغ معه عِدَّةُ صِبْيانِهم من أَبْنَاءِ الأَحْبَارِ والملوكِ ، تسعينَ[1] ألفَ غُلامٍ ، وقذَفَ الكُناساتِ فى بيتِ المَقْدِسِ [١/٢٣٥ظ] ، وذَبَحَ فيهِ الخنازيرَ ، وكان الغلمانُ سبعةَ آلافِ غُلامٍ مِن بيْتِ داودَ ، وأَحَدَ عَشَرَ ألفًا مِن سِبْطِ يوسفَ بنِ يعقوبَ وأخيه بِنْيامينَ ، وثمانيةَ آلافٍ مِن سِبْطِ إيشا بنِ يعقوبَ ، وأربعةَ عَشَرَ ألفًا مِن سِبْطِ زبالونَ ونفتالى ابنَىْ يعقوبَ ، وأربَعَةَ عَشَرَ أَلفًا مِن سِبْطِ دانِ بنِ يعقوبَ ، [2]وثمانيَةَ آلافٍ مِن سِبْطِ يستاخرَ بنِ يعقوبَ[2] ، وألفَيْنِ مِن سِبْطِ رايلونَ[3] بنِ يعقوبَ ، وأربعَةَ آلافٍ مِن سِبْطِ روبيلَ ولاوِى ، واثْنَىْ عَشَرَ ألفًا مِن سائرِ بنى إسرائيلَ ، وانْطلَقَ حتى قَدِمَ أرضَ بابِلَ .

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى تاريخ الطبرى ١/ ٥٥٣: « سبعين ألف » . ومجموع الغلمان المذكورين فى أثر كعب : « ثمانون ألفًا » .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) فى م : « زبالون » . وفى التاريخ : « رالون » .

قال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ : قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : فلمَّا فَعَلَ ما فَعَلَ ، قيلَ له : كان لهم صاحبٌ يُحَذِّرُهم ما أَصابَهُم ، وَيَصِفُكَ وخَبَرَكَ لهمْ ، ويُخْبِرُهُم أنَّكَ تقتُلُ مُقاتِلَتَهُم ، وتَسْبِي ذَرارِيَّهم ، وتَهْدِمُ مساجِدَهم ، وتَحْرِقُ كنائِسَهم ، فكَذَّبُوه ، واتَّهَمُوه ، وضربُوه ، وقيَّدُوه وحَبَسُوه . فأَمَرَ بُخْتُ نَصَّرَ ، فأُخْرِجَ أَرْمِيَا مِن السِّجْنِ ، فقال له : أَكُنْتَ تُحَذِّرُ هؤلاءِ القومَ ما أصابَهُم ؟ قال : نَعَمْ . قال : فإنِّي عَلِمْتُ ذلك . قال : أَرْسَلَنِي اللَّهُ إليهم فكذَّبُونى . قال : كَذَّبُوك وضربُوكَ وسجنُوك ؟ قال : نعم . قال : بئسَ القومُ قومٌ كذَّبُوا نبيَّهم ، وكَذَّبوا رسالةَ ربِّهم ، فهلْ لَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِي ، فأُكْرِمَك وأُواسِيَك ، وإنْ أَحْبَبْتَ أنْ تُقِيمَ فى بلادِك ، فَقَد أَمَّنْتُكَ . قال له أرْمِيَا : إنِّى لم أَزَلْ فى أمانِ اللَّهِ منذُ كنتُ ، لم أَخْرُجْ مِنه ساعةً قَطُّ ، ولو أنَّ بنى إسرائيلَ لم يَخْرُجُوا منه ، لم يخافُوكَ ولا غيرَكَ ، ولم يَكُنْ لكَ عليهم سُلْطانٌ . فلمَّا سَمِعَ بُخْتُ نَصَّرَ هذا القولَ منه ، تَرَكَه ، فَأَقَامَ أَرْمِيَا مكانَه بأَرْضِ إِيلِيَاءَ . وهذا سياقٌ غريبٌ ، وفيه حِكَمٌ ومَواعِظُ وأشياءُ مَلِيحَةٌ ، وفيه مِن جِهَةِ التَّغْرِيبِ غَرابةٌ .

وقال هشامُ بنُ محمدِ بنِ السَّائبِ الكَلْبِيُّ[1] : كان بُخْتُ نَصَّرَ أَصْفَهْبَذًا[2] لِمَا بينَ الأَهوازِ إلى الرُّومِ ؛ لِلْمَلِكِ على[3] الفُرْسِ وهو لهراسبُ ، وكان قد بَنَى مدينةَ بَلْخَ التى تُلَقَّبُ بـ « الخَنْساءِ »[4] ، وقاتَلَ التُّرْكَ ، وأَلْجَأَهُم إلى أَضْيَقِ الأَماكِنِ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٥٣٨، ٥٣٩.

(٢) الأَصْفَهْبَذ : الأمير . وهى فارسية . وهى فى تاريخ الطبرى - كما جاءت بالمعاجم - : « أصبهبذ » ، بالباء .

(٣) فى ح : « جاء » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « الحسناء » .

وبَعَثَ بُخْتُ نَصَّرَ لِقِتَالِ بنى إسرائيلَ بالشامِ ، فلَمَّا قَدِمَ الشَّامَ صالَحَهُ أهلُ دِمَشْقَ ، وقد قِيلَ: إنَّ الذى بَعَثَ بُخْتُ نَصَّرَ ، إنَّما هو بهمنُ مَلكُ الفرسِ بعدَ بشتاسبَ بنِ لهراسبَ ؛ وذلك لتَعَدِّى بنى إسْرائِيلَ على رُسُلِه إليهم . وقد رَوَى ابنُ جريرٍ[1] ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأَعْلَى ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأَنصارىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، أنَّ بُخْتُ نَصَّرَ لَمَّا قَدِمَ دِمَشْقَ ، وَجَدَ بها دَمًا يَغْلِى على كِبًا - يَعْنِى القمامةَ - فسألَهم : ما هذا الدَّمُ ؟ فقالوا : أَدْرَكْنَا آباءَنا على هذا ، وكُلَّما ظَهَرَ عَلَيْهِ الْكِبَا ظَهَرَ . قال : فقَتَلَ على ذلكَ سبعين [١/٢٣٦و] ألفًا من المسلمين وغيرِهم ، فَسَكَنَ . وهذا إِسْنَادٌ صحيحٌ إلى سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، وقد تَقَدَّمَ مِن كلامِ الحافظِ ابنِ عَساكرَ[2] ما يدلُّ على أنَّ هذا دَمُ يَحْيَى بنِ زكريّا ، وهذا لا يَصِحُّ ؛ لأَنَّ يَحْيَى بنَ زَكَرِيَّا بعدَ بُخْتُ نَصَّرَ بمُدَّةٍ ، والظَّاهِرُ أَنَّ هذا دَمُ نبىٍّ مُتقدِّمٍ ، أو دَمٌ لبعضِ الصَّالحينَ ، أَوْ لمن شَاءَ اللَّهُ مِمَّنِ اللَّهُ أعلمُ به . قال هشامٌ ابنُ الكَلْبِىِّ : ثُمَّ قَدِمَ بُخْتُ نَصَّرَ بيْتَ المقدسِ ، فصالَحَه مَلِكُها ، وكان مِن آلِ داودَ ، وصانَعَه عن بنى إسرائيلَ ، وأَخَذَ منه بُخْتُ نَصَّرَ رَهائِنَ ورَجَعَ ، فلمَّا بَلَغَ طَبَرِيَّةَ بَلَغَه أنَّ بنى إسرائيلَ ثارُوا على مَلِكِهم فقَتَلُوه لأَجْلِ أنَّه صالَحَه ، فَضَرَبَ رِقابَ مَنْ معه من الرَّهائِنِ ورَجَعَ إليهم ، فأَخَذَ المدينةَ عَنْوَةً ، وَقَتَلَ المُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ . قال : وَبَلَغَنا أَنَّه وَجَدَ فى السِّجْنِ أَرْمِيا النبىَّ ، فأَخْرَجَه ، وقَصَّ عليه ما كانَ مِن أمْرِه إيَّاهم ، وتَحْذيرِه لهم عن ذلك ، فَكَذَّبُوه وسَجَنُوه ، فقال بُخْتُ نَصَّرَ : بِئْسَ القومُ قومٌ عَصَوْا رَسُولَ

---

(١) فى تفسيره ١٥/ ٢٩، ٣٠.

(٢) تقدم ص ٣٦٠ .

اللَّهِ . وخَلَّى سبيلَه وأحْسَنَ إليهِ . واجْتَمَعَ إليْه مَن بَقِىَ مِن ضُعَفَاءِ بنى إسرائيلَ ، فقالوا : إنَّا قد أَسَأْنا وظَلَمْنا ، ونحنُ نَتُوبُ إلى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، ممَّا صَنَعْنا ، فادْعُ اللَّهَ أَن يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا . فدعا رَبَّه ، فأَوْحَى اللَّهُ إليْهِ أَنَّه غيرُ فاعلٍ ، فإن كانوا صادِقِينَ فلْيُقِيمُوا معك بهذه البَلْدَةِ . فأَخْبَرَهم ما أَمَرَه اللَّهُ تعالى به ، فقالوا : كيف نُقِيمُ بهذه البَلْدَةِ وقد خَرِبَتْ ، وَغَضِبَ اللَّهُ على أهلِها ! فَأَبَوْا أَن يُقِيمُوا . قال ابنُ الكَلْبِيِّ : ومِن ذلك الزَّمانِ تَفَرَّقَتْ بنو إسرائيلَ فى البلادِ ، فنَزَلَتْ طائفةٌ منهم الحِجازَ ، وطائفةٌ يَثْرِبَ ، وطائفةٌ وادِىَ القُرَى ، وَذَهَبَتْ شِرْذِمَةٌ منهم إلى مِصْرَ ، فكَتَبَ بُخْتُ نَصَّرَ إلى مَلِكِها ، يطلبُ منه مَنْ شَرَدَ منهم إليه ، فَأَبَى عليه ، فَرَكِبَ فى جيشِه ، فقاتَلَه وقَهَرَه وغَلَبَه ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهم ، ثُمَّ رَكِبَ إلى بلادِ المَغْرِبِ ، حتى بَلَغَ أَقْصَى تلكَ النَّاحِيَةِ . قال : ثم انْصَرَفَ بِسَبْيٍ كثيرٍ مِن أرضِ المَغْرِبِ ، ومصرَ ، وأهلِ بيْتِ المَقْدِسِ ، وأرضِ فِلَسْطِينَ ، والأُرْدُنِّ ، وفى السَّبْيِ دانيالُ . قلتُ : والظَّاهِرُ أَنَّه دانيالُ بنُ حِزْقِيلَ الأَصغرُ لا الأَكبرُ ، على ما ذَكَرَه وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[1] ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تقدم ص ٣٦٣ حاشية (٢) .

ذِكْـــرُ[1] شـىءٍ مِـن خَـبَرِ

دَانيالَ، عليه السَّلامُ

قال ابنُ أبى الدُّنْيا : حَدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الأَعْلَى الشَّيْبانىُّ ، قال : إِنْ لم أَكُنْ سَمِعْتُه مِن شُعَيْبِ بنِ صَفْوانَ ، فحدَّثنى بعضُ أصْحابِنا عنه ، عن الأَجْلَحِ الكِنْدِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بْنِ أَبى الهُذَيْلِ قال : ضَرَّى[2] بُخْتُ نَصَّرَ أَسَدَيْن ، فأَلْقاهُما فى جُبٍّ وجَاءَ بدانيالَ فَأَلْقاه [١/٢٣٦ظ] عليهما ، فَلَمْ يَهِيجَاهُ[3] فَمَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ ، ثمَّ اشْتَهى ما يَشْتَهِى الآدَمِيُّون مِن الطَّعامِ والشَّرابِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلى أَرْميَا وهو بالشَّامِ : أَن أَعْدِدْ طَعَامًا وَشَرابًا لدانيالَ . فقال : يا ربِّ ، أنا بالأَرضِ المقَدَّسةِ ، ودانيالُ بِأَرْضِ بابِلَ مِن أَرضِ العِراقِ . فأَوْحَى اللَّهُ إِليْهِ : أَن أَعْدِدْ ما أَمَرْناك بِهِ ، فإِنَّا سنُرْسِلُ مَن يَحْمِلُك وَيَحْمِلُ ما أَعْدَدْتَ . ففَعَلَ ، وأرسلَ اللَّهُ إِليه مَن حَمَلَه وحَمَلَ ما أعدَّ ، حتى وَقَفَ على رأسِ الجُبِّ فقال : دانيالُ ، دانيالُ . فقال : مَنْ هذا ؟ [4]قال : أنا أرميَا . فقال : ما جاءَ بكَ ؟ فقال : أَرْسَلَنى إليك رَبُّك . قال : وقد ذَكَرَنى رَبِّى ؟[4] قال : نعم . فقال دانيالُ : الحمدُ للَّهِ الذى لا يَنْسَى مَن ذَكَره ، والحمدُ للَّهِ الذى [5]لا يُخَيِّبُ[5] مَنْ رَجَاه ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) أى جعلهما مولعَيْن بأكل اللحم ، فلا يكادان يصبران عنه .

(٣) فى الأصل : « يصحباه » .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥ - ٥) فى م : « يجيب » .

والحمدُ للَّهِ الذى مَن وَثِقَ به لم يَكِلْهُ إلى غَيْرِه ، والحمدُ للَّهِ الذى يَجْزِى بالإحسانِ إحسانًا ، والحمدُ للَّهِ الذى يَجْزِى بالصَّبْرِ نَجَاةً ، والحمدُ للَّهِ الذى هو يَكْشِفُ ضُرَّنا بعدَ كَرْبِنا ، والحمدُ للَّهِ الذى هو ثِقَتُنا حينَ تَسُوءُ ظُنُونُنا بأعمالِنا ، والحمدُ للَّهِ الذى هو رَجاؤُنا حين تَنْقَطِعُ الحِيَلُ عنَّا .

وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن[1] محمدِ بنِ إسحاقَ عن أبى خَلْدَةَ خالِدِ بنِ دينارٍ ، حدَّثنا أبو العاليَةِ قال : لمَّا افْتَتَحْنا تُسْتَرَ وَجَدْنا فى مالِ بَيْتِ الهُرْمُزَانِ سريرًا ، عليه رجلٌ مَيِّتٌ ، عندَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ ، فأَخَذْنا المصحفَ ، فحَمَلْناه إلى عمرَ بنِ الخطَّاب ، فدعا له كَعْبًا فنَسَخَه بالعَرَبِيَّةِ ، فأَنا أولُ رَجُلٍ مِن العَرَبِ قَرَأَه ، قَرَأْتُه مِثْلَ ما أَقْرَأُ القرآنَ هذا . فقلتُ لأَبِى العاليةِ : ما كانَ فيه ؟ قال : سِيَرُكُم وأمورُكم ولُحُونُ كَلامِكُم ، وما هو كائِنٌ بعدُ . قلتُ : فما صَنَعْتُم بالرَّجُلِ ؟ قال : حَفَرْنَا بالنَّهارِ ثلاثةَ عشرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً ، فلمَّا كانَ باللَّيْلِ دفَنَّاه ، وسوَّيْنَا القُبُورَ كُلَّها ؛ لنُعَمِّيَه على النّاسِ فلا يَنْبُشُونَه . قلتُ : فما يَرْجُونَ مِنْه ؟ قال : كانتِ السَّماءُ إذا حُبِسَتْ عنهم ، بَرَزُوا بسَرِيرِه ، فيُمْطَرُون . قلتُ : مَنْ كنتم تَظُنُّونَ الرَّجُلَ ؟ قال : رجلٌ يُقالُ له : دانيالُ . قلتُ : مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوه قد مات ؟ قال : منذُ ثلثِمائةِ سَنَةٍ . قلتُ : ما تَغَيَّرَ منه شَىْءٌ ؟ قال : لا ، إلَّا شَعَرَاتٌ مِن قَفَاهُ ؛ إنّ لحومَ الأَنبياءِ لا تُبْلِيها الأَرضُ ولا تَأْكُلُها السِّباعُ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى أبى العاليةِ ، ولكن إن كانَ تاريخُ وفاتِهِ محفوظًا مِن ثَلثِمائة سنةٍ ، فليس بنبىٍّ ، بل هو رجلٌ صالحٌ ؛ لأنَّ عيسى ابنَ مريمَ ليس بينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى ص : « بن » .

ﷺ نبيٌّ ، بنصِّ الحديثِ الذى فى البخارىِّ[1] ، والفَتْرَةُ التى كانت بينَهما أَربعُمائةِ سنةٍ ، [2]وقيل : ستُّمائةٍ[2] . وقيل : ستُّمائةٍ وعشرون سنةً . وقد يكونُ تاريخُ وفاتِهِ مِن ثَمانِمائةِ سنةٍ ، وهو قريبٌ من وقتِ دانيالَ ، إن كان [١/٢٣٧و] كونُه دانيالَ هو المطابقَ لِمَا فى نَفْسِ الأَمْرِ ؛ فإنَّه قد يكونُ رجُلًا آخَرَ ؛ إمَّا مِن الأَنبياءِ أو الصّالحين ، ولكنْ قَرَّبَتِ الظُّنُونُ أَنَّه دانيالُ ؛ لأَنَّ دانيالَ كان قد أَخَذَه مَلِكُ الفُرْسِ ، فأقامَ عندَه مسجونًا ، كما تقدَّمَ . وقد رُوِىَ بإسنادٍ صحيحٍ إلى أبى العاليةِ ، أَنَّ طُولَ أَنْفِهِ شِبْرٌ . وعن أَنَسِ بنِ مالِكٍ ، بإسنادٍ جَيِّدٍ ، أَنَّ طُولَ أَنْفِه ذِراعٌ . فَيَحْتَمِلُ على هذا أنْ يكونَ رَجُلًا من الأنبياءِ الأَقْدَمِين قَبْلَ هذه المُدَدِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنيا فى كتابِ « أحكامِ القُبورِ[3] » : حدَّثنا أبو بلالٍ محمدُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ بنِ[4] أبى موسى الأَشْعَرِىِّ ، حَدَّثنا أبو محمدٍ القاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى الأَشْعَثِ الأَحْمَرِىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ دَانيَالَ دَعَا رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ تَدْفِنَهُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ » . فلمَّا افْتَتَح أبو موسى الأَشْعَرِىُّ تُسْتَرَ ، وَجَدَه فى تابُوتٍ ، تَضْرِبُ[5] عُرُوقُه ووَرِيدُه ، وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ دَلَّ عَلَى دَانيَالَ ، فَبَشِّرُوهُ بِالْجَنَّةِ » . فكان الذى دَلَّ عليه رجلٌ يُقالُ له : حُرْقُوصٌ ، فكَتَبَ أبو موسى إلى عمرَ بخَبَرِه ،

---

(١) البخارى (٣٤٤٢) .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣) فى الأصل : « الفتور » .
(٤) فى الأصل : « عن » .
(٥) فى الأصل ، ص : « فضرب » . وتضرب : تَنْبِض .

فكتبَ إليهِ عُمَرُ، أَنِ ادْفِنْه، وابعثْ إلى حُرْقُوصٍ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ بَشَّرَه بالجنَّةِ. وهذا مُرْسَلٌ من هذا الوجْهِ، وفى كَوْنِه محفُوظًا نَظَرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

ثم قال ابنُ أبى الدُّنيا: حَدَّثنا أبو بلالٍ، حَدَّثنا قاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ، عن عَنْبَسَةَ بنِ سعيدٍ - وكان عَالِمًا - قال: وَجَدَ أبو موسى مع دانيالَ مُصْحَفًا، وجَرَّةً فيها وَدَكٌ[1] ودَراهِمَ، وخاتَمَه، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمرَ، فكتبَ إليه عمرُ: أَمَّا المصحفُ فابْعَثْ به إلَيْنَا، وأَمَّا الوَدَكُ فابْعَثْ إلَيْنا منه، ومُرْ مَن قِبَلَكَ مِن المسلمين يَسْتَشْفُون[2] به، واقْسِم الدَّراهمَ بينَهم، وأمَّا الخاتَمُ فقد نَفَلْنَاكَهُ. ورَوَى ابنُ أبى الدُّنْيا مِن غيرِ وجهٍ، أنَّ أبا موسى لَمَّا وَجَدَه، وذَكَرُوا له أنَّه دانيالُ، الْتَزَمَه وعانَقَه وقَبَّلَه، وكَتَبَ إلى عُمَرَ يَذْكُرُ له أَمْرَه، وأنَّه وَجَدَ عندَه مالًا موضوعًا، قريبًا مِن عَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، وكان مَنْ جَاءَ اقْتَرَضَ منها، فإنْ رَدَّها، وإلَّا مَرِضَ[3]، وأنَّ عندَه رَبْعَةً[4]، فأَمَرَ عمرُ بأَنْ يُغَسَّلَ بماءٍ وسِدْرٍ، ويُكَفَّنَ ويُدْفَنَ، ويُخْفَى قَبْرُه، فلا يَعْلَمَ به أَحَدٌ، وأَمَرَ بالمالِ أن يُرَدَّ إلى بيْتِ المالِ، وبالرَّبْعَةِ فتُحْمَلُ إليه، ونَفَلَه خَاتَمَه. ورُوِىَ عن أبى موسى، أنَّه أمَرَ أَربعةً مِن الأُسَرَاءِ فسَكَرُوا[5] نهرًا، وحَفَرُوا فى وَسَطِهِ قَبْرًا، فدَفَنَه فيهِ، ثمَّ قَدَّمَ الأربعَةَ الأُسَراءِ فضَرَبَ أَعناقَهم، فلم يَعْلَمْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ غيرُ أبى موسى الأَشْعَرِىِّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه [١/٢٣٧ظ].

---

(١) الوَدَك: الدَّسَم.

(٢) فى ص: «يستسقون».

(٣) فى الأصل، ص: «برص».

(٤) الربعة: جؤنة العطار، والجونة: سُلَيْلَة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين.

(٥) فى الأصل: «سكرا». وسكروا النهر: سدُّوه.

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنا أَحمدُ بنُ عمرِو ابنِ السَّرْحِ ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيهِ قال : رأيتُ فى يَدِ أبى[1] بُرْدَةَ بنِ أبى موسى الأَشْعَرِىِّ خاتَمًا ، نَقْشُ فَصِّهِ أسَدَانِ بَيْنَهُما رَجُلٌ ، يَلْحَسَانِ ذلكَ الرَّجُلَ ، قال أبو بُرْدَةَ : هذا خاتَمُ ذلكَ الرَّجُلِ المَيِّتِ ، الذى زَعَمَ أهْلُ هذه البَلْدَةِ أنَّه دانيالُ ، أخَذَه أبو موسى يومَ دَفَنَه . قال أبو بُرْدَةَ : فسأل أبو موسى علماءَ تلكَ القريةِ عنْ نَقْشِ ذلك الخاتَمِ ، فقالوا : إنَّ المِلِكَ الذى كان دانيالُ فى سُلطانِه ، جاءَه المُنَجِّمُون وأَصْحَابُ العِلْمِ ، فقالوا له : إنَّه يُولَدُ ليلةَ كذا وكذا غلامٌ يَعُورُ[2] مُلْكَكَ ويُفْسِدُه . فقال المِلِكُ : واللَّهِ لا يَبْقَى تلكَ الليلةَ غلامٌ إلَّا قَتَلْتُه . إلَّا أنَّهم أَخَذُوا دانيالَ ، فألْقَوْه فى أَجَمَةِ الأَسَدِ ، فباتَ الأَسَدُ ولَبْوَتُه يَلْحَسانِهِ ، ولم يَضُرَّاه ، فجاءتْ أُمُّه فَوَجَدَتْهُما يَلْحَسَانِه ، فَنَجَّاه اللَّهُ بذلك ، حتى بَلَغَ ما بَلَغَ . قال أبو بُرْدَةَ : قال أبو موسى : قال علماءُ تلك القريةِ : فَنَقَشَ دانيالُ صُورَتَه وصورةَ الأَسَدَيْنِ يَلْحَسَانِه فى فَصِّ خَاتَمِهِ ؛ لِئَلَّا يَنْسَى نِعْمَةَ اللَّهِ عليه فى ذلك . إسنادٌ حَسَنٌ .

---

(١) فى ح ، م : « ابن » .
(٢) فى ص : « يغور » . وعار يَعُور : أتْلَفَ .

(١) وهذا ذِكْرُ (١) عمارةِ بَيْتِ المَقْدِسِ بَعْدَ خَرابِها، واجتماعِ بنى إسرائيلَ بعدَ تَفرُّقِهم فى بِقاعِ الأرضِ

قال اللَّهُ تعالى فى كتابِه المُبِينِ، وهو أَصْدَقُ القائلين(٢): ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. قال هشامٌ ابنُ الكَلْبِىِّ: ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تعالى إلى أَرْمِيَا، عليه السلامُ - فيما بَلَغَنى - أَنِّى عامِرٌ بيتَ المَقْدِسِ، فاخْرُجْ إليها، فانْزِلْها. فَخَرَجَ حتى قَدِمَها وهى خَرابٌ، فقال فى نَفْسِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَمَرَنِى اللَّهُ أَنْ أَنْزِلَ هذِهِ البَلْدَةَ، وَأَخْبَرَنى أَنَّه عَامِرُها، فمتَى يَعْمُرُها، ومتى يُحْيِيها اللَّهُ بعدَ مَوْتِها؟ ثُمَّ وَضَعَ رأسَهُ فنامَ ومعه حمارُه وَسَلَّةٌ من طعامٍ، فَمَكَثَ فى نَوْمِهِ سبعين سنةً

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) التفسير ١/ ٤٦٤، ٤٦٥.

حتى هَلَكَ بُخْتُ نَصَّرَ، والمِلِكُ الذى فوقَه وهو لهراسبُ، وكان مُلْكُهُ مائةً وعشرين سنةً، وقامَ بعدَه وَلَدُه بشتاسبُ بنُ لهراسبَ، وكان موتُ بُخْتُ نَصَّرَ فى دولتِه، فَبَلَغَهُ عن بلادِ الشَّامِ أَنَّهَا خَرابٌ، وأنَّ السِّباعَ قد كَثُرَتْ فى أَرضِ فِلَسْطِينَ، فلم يَبْقَ بها من الإِنْسِ أَحدٌ، فنادَى فى أَرْضِ بابِلَ، فى بنى إسرائيلَ [١/٢٣٨و]، أنَّ مَن شَاءَ أَنْ يَرْجِعَ إلى الشَّامِ، فَلْيَرْجِعْ، وملَّكَ عليهم رَجُلًا مِن آلِ داودَ، وأَمَرَه أَن يَعْمُرَ بيتَ المَقْدِسِ، ويَبْنِىَ مَسْجِدَها، فَرَجَعُوا فَعَمَرُوها، وفَتَحَ اللَّهُ لأَرْميا عَيْنَيْه، فنَظَرَ إلى المدينةِ، كيف تُبْنَى وكيفَ تُعَمَّرُ، ومَكَثَ فى نومِهِ ذَلك حتى تَمَّتْ له مِائةُ سنةٍ، ثم بَعَثَه اللَّهُ، وهو لا يَظُنُّ أَنَّه نامَ أَكْثَرَ مِن ساعةٍ، وقد عَهِدَ المدينةَ خَرابًا، فلمَّا نَظَرَ إليها عامِرَةً آهِلَةً قال: أعلمُ أَنَّ اللَّهَ على كلِّ شئٍ قديرٌ. قالَ: فَأَقَامَ بنو إسرائيلَ بها، ورَدَّ اللَّهُ عليهم أَمْرَهم[(١)]، فمَكَثُوا كذلك حتى غَلَبَتْ عليهم الرومُ فى زَمَنِ ملوكِ الطَّوائِفِ، ثُمَّ لم يَكُنْ لهم جماعةٌ ولا سلطانٌ، يَعْنى بعدَ ظُهُورِ النَّصارَى عليهم. هكذا حكاهُ ابنُ جريرٍ فى «تاريخِه» عنه[(٢)]. [(٣)]وذكر ابنُ جريرٍ[(٤)]، أنَّ لهراسبَ كان مَلِكًا عادلًا سائِسًا لمَمْلَكَتِه، قد دانَتْ له العبادُ والبلادُ، والملوكُ والقُوَّادُ[(٣)] وأنَّه كان ذا رَأْيٍ جَيِّدٍ فى عِمارةِ الأَمْصَارِ والأَنْهارِ والمعاقلِ، ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ عن تدبيرِ المملكةِ، بعدَ

---

(١) فى ح: «أمره».
(٢) فى تاريخه ١/ ٥٣٩، ٥٤٠.
(٣ - ٣) سقط من: ح.
(٤) فى تاريخه ١/ ٥٤٠، ٥٤١.

مائةِ سنةٍ ونَيِّفٍ ، نَزَلَ عن المُلْكِ لوَلَدِه بشتاسبَ ، فكان فى زمانِه ظهورُ دِينِ المَجُوسِيَّةِ ؛ وذلك أنّ رجلًا كان اسمُه زَرَادُشْتَ ، كان قد صَحِبَ أَرْميا ، عليه السَّلامُ ، فأغْضَبَه ، فدَعا عليه أَرْميا ، فبَرِصَ زَرَادُشتُ ، فذَهَبَ فلَحِقَ بأرضِ أَذْرَبِيجانَ ، وصَحِبَ بشتاسبَ فلَقَّنَه دِينَ المَجُوسِيَّةِ الذى اخْتَرَعَه من تِلْقاءِ نَفْسِه ، لَعَنَه اللَّهُ ، فقَبِلَه منه بشتاسبُ ، وحَمَلَ النَّاسَ عليه ، وقَهَرَهم ، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيرًا مِمَّن أَباه منهم . ثم كان بعدَ بشتاسبَ ، يهمنُ بنُ بشتاسبَ ، وهو مِن مُلوكِ الفُرْسِ المَشْهورِينَ والأَبطالِ المَذْكُورِينَ ، وقَدْ نابَ بُخْتُ نَصَّرَ لكُلِّ واحدٍ مِن هؤلاءِ الثلاثةِ ، وعُمِّرَ دَهْرًا طويلًا ، قَبَّحَه اللَّهُ .

والمقصودُ أنَّ هذا الذى ذَكَرَه ابنُ جريرٍ ، مِن أنَّ هذا المارَّ على هذه القريةِ ، هو أَرْميا ، عليه السَّلامُ ، قاله[1] وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ ، وغيرُهما[2] ، وهو قوىٌّ مِن حيثُ السِّياقُ المتقدِّمُ . وقد رُوِىَ عن علىٍّ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، وابنِ عَبّاسٍ ، والحسنِ ، وقتادةَ ، والسُّدِّىِّ ، وسليمانَ بنِ بُرَيْدَةَ ، وغيرِهم[3] أنَّه عُزَيْرٌ . وهذا أَشْهَرُ عندَ كثيرٍ من السَّلَفِ والخَلَفِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م : « قال » .
(٢) تفسير الطبرى ٣/ ٢٩. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٣٣ لابن المنذر وابن أبى حاتم وغيرهما .
(٣) تفسير الطبرى ٣/ ٢٨. والدر المنثور ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

وَهذه قِصَّةُ العُزَيْرِ

قال الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عَسَاكِرَ[1] : هو عُزَيْرُ بنُ حَيْوَةَ[2] ، ويُقَال : ابنُ سوريقَ بنِ عرنا[3] بنِ أيوبَ بنِ درثنا[4] بنِ عرى بنِ تقى بنِ السبوعِ[5] بنِ فنحاصَ بنِ العازِرِ بنِ هارونَ بنِ عِمْرانَ . ويُقالُ : عُزيرُ بنُ شروخا[6] . جاء فى بعضِ الآثارِ[7] ، أنَّ قَبْرَه بدِمَشْقَ . ثُمَّ ساق [١/٢٣٨ظ] من طريقِ أبى القاسمِ البَغَوِىِّ ، عن داودَ بنِ عمرٍو ، عن حِبَّانَ[8] بنِ علىٍّ ، عن محمّدِ بنِ كُرَيْبٍ ، عن أبيه[9] ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا : « لَا أَدْرِى أَلُعِنَ تُبَّعٌ أَمْ لَا ، وَلَا أَدْرِى أَكَانَ عُزَيْرٌ نَبِيًّا أَمْ لَا ؟ » . ثُمَّ رَواه من حَديثِ مُؤَمَّلِ بنِ الحَسَنِ[10] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ السِّجْزِىِّ ، عن عبدِ الرَّزّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ[11] ، عن سَعِيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هُريرةَ مرفوعًا نحوَه . ثم رَوَى من طريقِ إسحاقَ بنِ

---

(١) تاريخ دمشق ١١/ ٦٠١، ٦٠٢ مخطوط .

(٢) فى النسخ : « جروة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) فى ص ، م : « عديا » .

(٤) فى ح ، م : « درزنا » .

(٥) فى النسخ : « أسبوع » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) فى الأصل : « سردخا » . وفى ح ، م ، ص : « سروخا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٧) أخرجه ابن عساكر بسنده فى تاريخ دمشق ٢/ ٣٢٣- ٣٢٥.

(٨) كذا بالنسخ وهو الصواب ، وفى تاريخ دمشق المخطوط : « جبار » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٩- ٣٤١.

(٩) كذا بالنسخ ، وهو الصواب . وفى تاريخ دمشق المخطوط : « ابنه » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٣٦، ٣٣٧.

(١٠) فى تاريخ دمشق : « الحسين » . وهو خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢١.

(١١) فى م : « ذؤيب » .

بِشْرٍ، وهو متروكٌ، عن جُوَيْبِرٍ ومُقاتِلٍ، عن الضَّحّاكِ، عن ابْنِ عباسٍ، أنَّ عُزَيْرًا كان مِمَّنْ سَبَاه بُخْتُ نَصَّر وهو غلامٌ حَدَثٌ، فلما بلغَ أربعين سَنَةً أَعطاه اللَّهُ الحِكْمَةَ، قال: ولم يَكُنْ أَحَدٌ أَحْفَظَ ولا أَعْلَمَ بالتوراةِ منه. قال: وكان يُذْكَرُ مع الأَنبياءِ، حتى مَحَا اللَّهُ اسْمَه مِن ذلك، حينَ سألَ رَبَّه عن القَدَرِ. وهذا ضعيفٌ وَمُنْقَطِعٌ وَمُنْكَرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[1]، عن سعيدِ بنِ[2] أبى عَرُوبَةَ، عن قَتادَةَ، عن الحسنِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ: إنَّ عُزَيْرًا هو العبدُ الذى أماتَه اللَّهُ مائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَه.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3]: أنبأَنا سعيدُ بنُ بَشِيرٍ، عن قَتادَةَ، عن كعبٍ، وسعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ، عن قَتادةَ، عن الحسنِ، ومُقاتِلٌ، وجُوَيْبِرٌ، عن الضَّحّاكِ، عن ابنِ عباسٍ، وعبدُ اللَّه بنُ إسماعيلَ السُّدِّىُّ، عن أبيه، عن مُجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، وإدْرِيسُ، عن جَدِّه وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. قال إسحاقُ بنُ بِشرٍ: كلُّ هؤلاءِ حَدَّثونى عن حديثِ عُزَيْرٍ، وزاد بعضُهم على بَعْضٍ، قالوا بإسنادِهم: إنَّ عُزَيْرًا كان عبدًا صالحًا حكيمًا، خَرَجَ ذاتَ يومٍ إلى ضَيْعَةٍ له يَتَعَاهَدُها، فلمَّا انْصَرَفَ انْتَهَى إلى خَرِبَةٍ حينَ قامتِ الظَّهِيرَةُ وأصابَه الحَرُّ، ودَخَلَ الخَرِبَةَ وهو على حِمارِه، فنزل عن حِمارِه ومعه سَلَّةٌ فيها تِينٌ، وسَلَّةٌ فِيها عِنَبٌ، فنَزَلَ فى ظِلِّ تلك الخَرِبَةِ وأَخْرَجَ قَصْعَةً معه، فاعْتَصَرَ مِنَ العنبِ الذى

---

(١) تاريخ دمشق ١١/٦٠٣ مخطوط.

(٢) فى م: «عن».

(٣) تاريخ دمشق ١١/٦٠٣- ٦٠٥ مخطوط.

كان معه فى القَصْعَةِ، ثم أَخْرَجَ خُبْزًا يابِسًا معه، فألقاه فى تلك القَصْعَةِ فى العَصِيرِ؛ ليَبْتَلَّ ليَأْكُلَه، ثم اسْتَلْقَى على قَفاه وأَسْنَدَ رِجْلَيْه إلى الحائطِ، فنَظَرَ سَقْفَ تلكَ البُيُوتِ، وَرَأَى ما فيها وهى قائمةٌ على عُرُوشِها وقد باد أَهْلُها، ورأى عِظَامًا بالِيَةً فقال: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِيها، ولكنْ قالها تَعَجُّبًا، فبَعَثَ اللَّهُ مَلَكَ الموتِ فَقَبَضَ رُوحَه فأَماتَه اللَّهُ مِائةَ عامٍ، فلمَّا أَتَتْ عليه مِائةُ عامٍ، وكانت فيما بينَ ذلك فى بنى إسرائيلَ أُمُورٌ وأَحْداثٌ. قال: فبَعَثَ اللَّهُ إلى عُزَيْرٍ مَلَكًا، فَخَلَقَ قَلْبَه ليَعْقِلَ به[1]، وعَيْنَيْهِ ليَنْظُرَ بهما؛ فيَعْقِلَ كيف يُحْيِى اللَّهُ الموتَى، ثُمَّ رَكَّبَ خَلْقَه وهو يَنْظُرُ، ثم كَسَا عِظامَه [١/٢٣٩و] اللَّحْمَ والشَّعْرَ والجِلْدَ، ثم نَفَخَ فيه الرُّوحَ، كلُّ ذلك وهو يَرَى ويَعْقِلُ، فاسْتَوَى جَالِسًا، فقال له المَلَكُ: ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾، قال: ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾. وذلك أنَّه كان [2]نامَ فى[2] صَدْرِ النَّهارِ عندَ الظَّهِيرَةِ، وبُعِثَ فى آخِرِ النهارِ والشَّمْسُ لم تَغِبْ، فقال: أو بعضَ يومٍ، ولم يَتِمَّ لى يومٌ. فقال له المَلَكُ: ﴿ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾. يَعْنى الطَّعامَ؛ الخُبْزَ اليابسَ، وشرابَه؛ العصيرَ الذى كان اعْتَصَرَ فى القَصْعةِ[3]، فإذا هُما على حالِهما لم يَتَغَيَّرِ العصيرُ، والخبزُ يابسٌ، فذلك قولُه: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾. يَعْنى لم يَتَغَيَّرْ، وكذلك التِّينُ والعنبُ غَضٌّ لم يَتَغَيَّرْ

---

(١) فى ح، م: «قلبه».
(٢ - ٢) فى ح، م: «لبث».
(٣) وفى التاريخ: «القصيعة».

عن شيءٍ مِن حالِهما، فكأنَّه أَنْكَرَ فى قلبِه، فقال له المَلَكُ: أَنْكَرْتَ ما قلتُ لكَ؟ انظُرْ إلى حِمَارِكَ. فنَظَرَ، فإذا[1] حمارُه قدْ بَلِيَتْ عِظامُه وصارت نَخِرَةً، فنادَى المَلَكُ عِظَامَ الحِمارِ فأجابتْ، وأقبلتْ مِن كلِّ ناحِيَةٍ، حتى رَكَّبه المَلَكُ وعُزَيْرٌ يَنْظُرُ إليه، ثُمَّ أَلْبَسَهَا العُرُوقَ والعَصَبَ، ثُمَّ كَسَاهَا اللَّحْمَ، ثُمَّ أَنْبَتَ عليها الجِلْدَ والشَّعْرَ، ثم نَفَخَ فيه المَلَكُ، فقام الحمارُ رافعًا رَأْسَه وأُذُنَيْهِ إلى السَّماءِ، ناهقًا يَظُنُّ القيامةَ قد قامتْ، فذلك قولُه: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. يَعْنى، انظرْ إلى عِظَامِ حمارِك، كيف نُرَكِّبُ بعضَها بعضًا فى أَوْصَالِها، حتى إذا صارتْ عِظَامًا مُصَوَّرًا حمارًا بلا لَحْمٍ، ثم انظرْ كيف نَكْسُوها لَحْمًا، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ مِنْ إحياءِ الموتَى وغيرِه. قال: فَرَكِبَ حمارَه حتى أتى مَحِلَّتَه، فأَنْكَرَه النَّاسُ، وأَنْكَرَ[2] الناسَ، وأنكر منازِلَهم[2]، فانطلقَ على وَهْمٍ منه، حتى أَتَى مَنْزِلَه، فإذا هو بعجوزٍ عَمْيَاءَ مُقْعَدَةٍ، قد أَتَى عليها مِائةٌ وعشرون سنةً، كانت أَمَةً لهم، فخَرَجَ عنهم عُزَيْرٌ وهى بنتُ عشرين سنةً، كانت عَرَفَتْه وعَقَلَتْه، فلَمَّا أصابَها الكِبَرُ، أصَابَها الزَّمَانَةُ، فقال لها عُزَيْرٌ: يا هذه، أَهذا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ؟ قالت: نعم، هذا منزِلُ عُزَيْرٍ فبَكَتْ وقالت: ما رأيتُ أَحدًا مِن كَذَا وكَذَا سَنةً يَذْكُرُ عُزَيْرًا، وقَدْ نَسِيَهُ

---

(١) فى ح، م: «إلى».

(٢ - ٢) فى ح، م: «الناس وأنكر منزله». وفى ص: «منازله». وفى تاريخ دمشق: «الناس منازله».

النَّاسُ. قال: فإنِّى أنا عُزَيْرٌ، كان اللَّهُ أَماتَنِى مِائةَ سَنةٍ ثُمَّ بَعَثَنى. قالتْ: سبحانَ اللَّهِ! فإنَّ عُزَيْرًا قد فَقَدْناه منذُ مِائَةِ سَنةٍ، فلم نَسْمَعْ له بِذِكْرٍ. قال: فإنِّى أنا عُزَيْرٌ. قالت: فإنَّ عُزَيْرًا رجُلٌ مستجابُ الدَّعْوَةِ، يَدْعُو للمريضِ ولصاحبِ البَلاءِ بالعافيَةِ والشِّفاءِ، فادْعُ اللَّهَ أن يَرُدَّ علىَّ بَصَرِى حتى أَراكَ، فإنْ كُنتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُك. قال: فدعا رَبَّهُ ومَسَحَ بيدِه على عَيْنَيْها فصَحَّتا [١/ ٢٣٩ظ]، وأخَذَ بيدِها وقال: قُومِى بإذنِ اللَّهِ. فأَطْلَقَ اللَّهُ رِجْلَيْها، فقامت صحيحةً كأنَّما نَشِطَتْ مِن عِقَالٍ، فنَظَرَتْ فقالتْ: أَشْهَدُ أنَّك عُزَيْرٌ، وانطلقتْ إلى مَحِلَّةِ بنى إسرائيلَ، وهم فى أَنْدِيَتِهم ومجالِسِهم، وابنٌ لِعُزَيْرٍ شيخٌ ابنُ مِائةِ سنةٍ وثمانى عَشْرَةَ سنةً، وبنو بَنِيهِ شُيوخٌ فى المجْلِسِ، فنادَتْهُم فقالت: هذا عُزَيْرٌ قد جاءكم. فكَذَّبُوها، فقالت: أنا فلانةُ مولاتُكم، دَعَا لى رَبَّه، فرَدَّ علىَّ بَصَرِى، وأَطْلَقَ رِجْلَىَّ، وزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أماتَه مِائَةَ سنةٍ، ثُمَّ بَعَثَه. قال: فنَهَضَ النَّاسُ فأَقْبلُوا إليه، فنَظَرُوا إليه، فقال ابنُه: كانت لأَبى شامَةٌ سَوْداءُ بينَ كَتِفَيْه. فكَشَفَ عن كَتِفَيْه فإذا هو عُزَيْرٌ، فقالت بنو إسرائيلَ: فإنه لم يَكُن فينا أحدٌ حَفِظَ التَّوْراةَ فيما حُدِّثْنَا، غيرَ عُزَيْرٍ، وقد حَرَقَ بُخْتُ نَصَّرَ التَّوراةَ، ولم يَبْقَ منها شَىْءٌ، إلَّا ما حَفِظَتِ الرِّجالُ، فاكْتُبْها لنا. وكان أَبُوهُ سروخا قد دَفَنَ التَّوراةَ أيامَ بُخْتُ نَصَّرَ، فى موضعٍ لم يَعْرِفْه أَحدٌ غيرُ عُزَيْرٍ، فانْطَلَقَ بهم إلى ذلكَ الموضِعِ، فَحَفَرَه فاسْتَخْرَجَ التَّوراةَ، وكان قد عَفِنَ الوَرَقُ، وَدَرَسَ الكِتَابُ. قال: وجَلَس فى ظِلِّ شجرةٍ وبنو إسرائيلَ حَوْلَه، فجَدَّدَ لهم التوراةَ،

ونَزَلَ من السَّماءِ شِهابانِ ، حتى دَخَلَا جَوْفَه ، فتَذَكَّرَ التَّوراةَ ، فجَدَّدَها لبنى إسرائيلَ . فَمِنْ ثَمَّ قالتِ اليهودُ : عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ - جَلَّ اللَّهُ وعَزَّ - لِلَّذى كانَ مِن أمْرِ الشِّهابَيْنِ وتجديدِهِ التَّوْراةَ ، وقيامِه بأَمرِ بنى إسرائيلَ ، وكان جَدَّدَ لهم التَّوراةَ بأرضِ السَّوادِ بدَيْرِ حِزْقيلَ . والقريةُ التى ماتَ فيها يُقالُ لها : سايراباذُ . قال ابنُ عباسٍ : فكان كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . يَعْنى لبنى إسرائيلَ . وذلك أنَّه كان يَجْلِسُ مع بَنِيه وهم شيوخٌ وهو شابٌّ ؛ لأَنَّه ماتَ وهو ابنُ أَربعين سنةً ، فبَعَثَه اللَّهُ شابًّا ، كهَيْئَةِ يومَ مات . قال ابنُ عباسٍ : بُعِثَ بعدَ بُخْتُ نَصَّرَ . وكذلك قال الحَسَنُ .

وقد أَنْشَدَ أبو حاتمٍ السِّجِسْتانِىُّ[1] فى معنى ما قاله ابنُ عباسٍ :

وأَسْوَدُ رَأْسٍ شابَ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ ... وَمِنْ قَبْلِهِ ابْنُ ابْنِهِ فَهْوَ أَكْبَرُ
يَرَى ابنَ[2] ابنِه شَيْخًا يَدِبُّ على عَصًا ... ولِحْيَتُهُ سَوْدَاءُ والرَّأْسُ أَشْقَرُ
وما لابْنِهِ حَيْلٌ ولا فَضْلُ قُوَّةٍ ... يَقُومُ كما يَمْشِى الصَّبِىُّ فيَعْثِرُ
يُعَدُّ ابنُه فى الناسِ تِسْعِينَ حِجَّةً ... وعشرين لا يَجْرِى ولا يَتَبَخْتَرُ
وعُمْرُ أبيهِ أرْبَعُون أَمَرَّها ... ولابْنِ ابْنِهِ تِسْعونَ فى النَّاسِ غُبَّرُ
[١/٢٤٠و] فما هُوَ فى المَعْقولِ إنْ كُنتَ دارِيًا ... وإن كنتَ لا تَدْرِى فبالجَهْلِ تُعْذَرُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٦٠٥، ٦٠٦. مخطوط ، من قول أبى حاتم .
(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

فَصْــلٌ

المشْهورُ أنَّ عُزَيْرًا نبيٌّ مِن أَنْبياءِ بنى إِسرائيلَ، وأنَّه كان فيما بينَ داودَ وسليمانَ، وبينَ زكريا ويَحْيَى، وأنَّه لمَّا لم يَبْقَ فى بنى إِسرائيلَ مَن يَحْفَظُ التَّوراةَ، أَلْهَمَه اللَّهُ حِفْظَها، فسَرَدَها على بنى إِسرائيلَ، كما قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[1]: أَمَرَ اللَّهُ مَلَكًا فنَزَلَ بِمَغْرَفَةٍ مِن نورٍ، فقَذَفَهَا فى فِى[2] عُزَيْرٍ، فنَسَخَ التَّوراةَ حَرْفًا بحَرْفٍ، حتى فَرَغَ منها.

وروَى ابنُ عساكرَ[3]، عن ابنِ عباسٍ، أنَّه سأل عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ عن قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]. لِمَ قالوا ذلك؟ فذَكَرَ له ابنُ سَلَامٍ ما كان مِن كَتْبِهِ لبنى إسرائيلَ التَّوراةَ مِن حِفْظِهِ، وقَوْلِ بنى إسرائيلَ: لم يستطعْ موسى أن يَأْتِيَنا بالتَّوراةِ إلَّا فى كتابٍ، وإنَّ عُزَيْرًا قد جاءَنَا بها مِن غيرِ كتابٍ. فرَماه طَوائِفُ منهم، وقالوا: عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ.

ولهذا يقولُ كثيرٌ مِنَ العلماءِ: إنَّ تَواتُرَ التَّوراةِ انْقَطَعَ فى زَمَنِ العُزَيْرِ. وهذا مُتَّجِهٌ جِدًّا إذا كان العُزَيْرُ غيرَ نَبِيٍّ، كما قاله عَطَاءُ بنُ أبى رَبَاحٍ، والحسنُ البَصْرِيُّ فيما رَواه إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[4]، عن مُقاتِلِ بنِ سليمانَ، عن عطاءٍ، وعن

---

(١) تاريخ دمشق ٦٠٦/١١ مخطوط.

(٢) سقط من: م. و «فى» هنا بمعنى: «فم».

(٣) تاريخ دمشق ٦٠٦/١١- ٦٠٨ مخطوط. مطوّلًا، وأورد ابن كثير هنا قطعة منه مختصرةً جدًّا بالمعنى.

(٤) تاريخ دمشق ٦١٤/٦ مخطوط.

عثمانَ بنِ عطاءٍ الخُراسَانِيِّ، عن أبيه، ومقاتلٌ، عن عطاءِ بنِ أبى رَبَاحٍ[1] قال: كان فى الفَتْرَةِ تسعةُ أشياءَ: بُخْتُ نَصَّرَ، وجَنَّةُ صَنْعاءَ، وجَنَّةُ سَبَأٍ، وأصحابُ الأُخْدُودِ، وأَمْرُ حاصورا، وأصحابُ الكَهْفِ، وأصحابُ الفيلِ، ومدينةُ أنْطاكِيَةَ، وأمرُ تُبَّعٍ.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2]: أنْبَأنا سعيدٌ، عن قَتادةَ، عنِ الحسنِ قال: كان أمرُ عُزَيْرٍ وبُخْتُ نَصَّرَ فى الفَتْرةِ. وقد ثَبَتَ فى «الصَّحيحِ»[3] أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بابْنِ مَرْيَمَ لأَنَا، إِنَّه لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَه نَبِيٌّ». وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[4]: كان فيما بينَ سليمانَ وعيسى، عليهما السَّلامُ.

وقد رَوَى ابنُ عساكرَ[5]، عن أنسِ بنِ مالكٍ، وَعَطَاءِ بنِ السَّائبِ، أنَّ عُزَيْرًا كان فى زَمَنِ موسى بنِ عِمْرانَ، وأنَّه اسْتَأْذَنَ عليه، فلم يَأْذَنْ له - يَعْنِى لِمَا كان مِن سُؤَالِه عنِ القَدَرِ - وأنَّه انْصَرَفَ وهو يقولُ: مِائةُ مَوْتَةٍ أَهْوَنُ مِن ذُلِّ ساعةٍ. [6]وفى معنى قولِ عُزَيْرٍ: مِائةُ مَوْتَةٍ أَهْوَنُ مِن ذُلِّ ساعةٍ. قولُ بعضِ الشُّعَرَاءِ:

قد يَصْبِرُ الحُرُّ على السَّيْفِ ... ويَأْنَفُ الصَّبْرَ على الحَيْفِ
ويُؤْثِرُ المَوْتَ على حَالةٍ ... يَعجِزُ فيها عَنْ قِرَى الضَّيْفِ[6]

---

(١) فى الأصل: «رواح».
(١٢ تاريخ دمشق ١١/ ٦١٤، ٦١٥ مخطوط.
(٣) تقدم ص ٣٧٧ بمعناه.
(٤) تاريخ دمشق ١١/٦١٥ مخطوط.
(٥) المصدر السابق ١١/ ٦١٤.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

فأمَّا ما روَى ابنُ عساكرَ وغيرُه[1] ، عن ابنِ عباسٍ ، ونَوْفٍ البِكَالِيِّ ، وسُفيانَ الثَّوْرِيِّ ، وغيرِهم ، مِن أنَّه سَأَلَ عن القَدَرِ ، فَمُحِيَ اسمُه مِن ذِكْرِ الأَنبياءِ . فهو مُنْكَرٌ ، وفى صحَّتِهِ نَظَرٌ ، وكأنَّه مأخوذٌ عنِ الإِسْرائيليّاتِ . وقد رَوَى عبدُ الرَّزَّاقِ[2] وقُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ[3] ، عن جَعْفَرِ بنِ سليمانَ ، عن أبى عِمْرانَ الجَونِيِّ[4] ، عن نَوْفٍ [١/٢٤٠ظ] البِكَالِيِّ قال : قال عُزَيْرٌ فيما يُناجِى ربَّه : يا ربِّ ، تَخْلُقُ خَلْقًا ، فتُضِلُّ مَن تَشاءُ ، وتَهْدِى مَن تَشَاءُ . فقِيلَ له : أَعْرِضْ عن هذا . فعادَ ، فقيلَ له : لَتُعْرِضَنَّ عن هذا ، أَوْ لَأَمْحُونَّ اسْمَكَ مِنَ الأَنبياءِ ، إنِّى لا أُسْأَلُ عمَّا أَفْعَلُ ، وهـم يُسْأَلُون . وهذا[5] يَقْتَضِى وُقوعَ ما تُوُعِّدَ عليه لو عَاد ، [6]فما عادَ[6] ، فما مُحِيَ اسمُه . واللَّهُ أعْلَم .

وقد رَوَى الجماعةُ سِوى التِّرْمِذِيِّ[7] ، مِن حديثِ يُونُسَ بنِ يزيدَ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن سعيدٍ وأبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، وكذلكَ رَواه شُعَيْبٌ[8] ، عن أَبِى الزِّنَادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : « نَزَلَ نَبِيٌّ

---

(١) المصدر السابق ١١/٦١١ - ٦١٣.
(٢) ومن طريقه رواه ابن عساكر، فى تاريخ دمشق ١١/٦١٢ مخطوط.
(٣) فى الأصل : « سعد » .
(٤) فى الأصل : « الجوى » .
(٥) بعده فى الأصل، ح، م : « لا » .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) البخارى (٣٣٠٩) . مسلم (٢٢٤١) . أبو داود (٥٢٦٦) . النسائى (٤٣٦٩) . ابن ماجه (٣٢٢٥) .
(٨) تاريخ دمشق ١١/٦١٣ مخطوط .

مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فأَمَرَ بِجَهَازِهِ ، فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا[1] ، ثمَّ أَمَرَ بِها ، فأُحْرِقَتْ بِالنَّارِ ، فأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : فَهَلَّا نَمْلَةً واحِدَةً » . فرَوَى إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ[3] مجاهدٍ ، عن أبيه ، أنَّه عُزَيْرٌ . وكذا رُوِىَ عن ابنِ عَبَّاسٍ ، والحَسَنِ البَصْرِىِّ[4] ، أنَّه عُزَيْرٌ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « لحمها » .
(٢) المصدر السابق .
(٣) فى الأصل : « عن » .
(٤) المصدر السابق ١١/ ٦٠٩- ٦١١ مطوّلًا .

قِصَّةُ زَكَرِيَّا ويَحْيَى،

عليهما السَّلامُ

قال اللَّهُ تعالى فى كتابِه العزيزِ[1] : ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١- ١٥].

وقال تعالى[2] : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ

---

(١) التفسير ٥/ ٢٠٥- ٢١٣.

(٢) التفسير ٢/ ٢٨- ٣١.

عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ [١/٢٤١و] مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران: ٣٧- ٤١].

وقال تعالى فى سورةِ «الأنبياءِ»[(١)]: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠]. وقال تعالى[(٢)]: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٥]. قال الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ فى كتابِه «التاريخِ»[(٣)] المشهورِ الحافلِ: زَكَرِيّا بنُ حَنّا[(٤)]، ويُقالُ: زكريّا بنُ دانٍ، ويقال: زكريّا بنُ أدنِ[(٥)] بنِ مُسْلمِ بنِ صدوقِ

---

(١) التفسير ٥/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) التفسير ٣/ ٢٩٠.

(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٤٨.

(٤) فى النسخ: «برخيا». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٥) فى النسخ: «لدن». والمثبت من تاريخ دمشق.

ابنِ محمانَ[1] بنِ داودَ بنِ سليمانَ بنِ [2]مسلمِ بنِ[2] صديقةَ بنِ برحيةَ[3] بنِ[4] ملقاطيةَ[5] بنِ ناحورَ[6] بنِ سلومِ[7] بنِ بهفانيا[8] بنِ [9]حاشِ بنِ[9] أني[10] بنِ خَثْعَمَ[11] بنِ سليمانَ بنِ داودَ، أبو يَحْيَى النَّبِيُّ، عليهِ السَّلامُ، مِن بَنِى إسرائيلَ، دَخَلَ البَثَنِيَّةَ من أَعْمالِ دِمَشْقَ فى طَلَبِ ابْنِه يَحْيَى. وقيلَ: إنَّهُ كان بدِمَشْقَ حينَ قُتِلَ ابنُه يَحْيَى. واللَّهُ أعلمُ. وقد قِيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه. ويُقالُ فيه: زَكَرِيّاءُ؛ بالمدِّ وبالقَصْرِ. ويُقالُ: زَكَرِيٌّ، أَيْضًا.

والمقصودُ أنَّ اللَّهَ تَعالى أَمَرَ رسولَه ﷺ أَنْ يَقُصَّ على النَّاسِ خَبَرَ زكريّا، عليه السَّلامُ، وما كان مِن أمْرِهِ حينَ وَهَبَهُ اللَّهُ وَلَدًا على الكِبَرِ، وكانَتِ امرَأَتُه عَاقِرًا فى حالِ شَبِيبَتِها، وقد أَسَنَّتْ أَيْضًا؛ حتى لا يَيْأَسَ أحدٌ مِن فَضْلِ اللَّهِ ورحمَتِه، ولا يَقْنَطَ مِن فَضْلِهِ، تعالى وتَقَدَّسَ، فقال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾. قال قتادةُ عندَ تفسيرِها[12]: إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ القلْبَ النَّقِيَّ، ويَسْمَعُ الصَّوْتَ الخَفِيَّ. وقال بعضُ

---

(١) فى الأصل: «خشبان». وفى ح، م: «حشبان». وفى ص: «حنشبان». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى الأصل: «مرحية». وفى م: «برخيا». وفى ص: «برخية».

(٤) فى تاريخ دمشق: «من».

(٥) فى الأصل: «تلفاطية». وفى ح، م: «بلعاطة». وفى ص: «بلفاطة». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) وفى ح: «ياحور». وفى تاريخ دمشق: «ماجور». وانظر تاريخ الطبرى ٢/٥٩٠.

(٧) فى النسخ: «شلوم». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٨) فى النسخ: «بهفاشاط». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٩ - ٩) سقط من النسخ، وأثبتناه من تاريخ دمشق.

(١٠) فى ح، م: «أينا من». وفى ص: «أيتا».

(١١) فى الأصل، ح، ص: «رخيعم». وفى م: «رحبعام». والمثبت من تاريخ دمشق.

(١٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٤٥. الدر المنثور ٤/ ٢٥٩.

السَّلَفِ[1] : قام منَ اللّيلِ فنادى رَبَّه مُناداةً أسَرَّها عمَّن كان حاضِرًا عندَه ؛ مُخافَتَةً ، فقال : يا ربِّ ، يا ربِّ ، يا ربِّ . فقال اللَّهُ : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ . ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أى ؛ ضَعُفَ وخارَ مِن الكِبَرِ . ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ استعارةٌ مِن اشتعالِ النَّارِ فى الحَطَبِ ، أىْ غَلَبَ عَلَى سَوَادِ الشَّعْرِ شَيْبُهُ[2] ، كما قال ابنُ دُرَيْدٍ فى مَقْصُورَتِه[3] :

إِمَّا تَرَىْ رَأْسِىَ حَاكَى لَوْنُهُ[4] طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيالِ الدُّجَى
واشْتَعَلَ المُبْيَضُّ فِى مُسْوَدِّهِ مِثْلَ اشْتِعالِ النَّارِ فى جَزْلِ[5] الغَضَا

[٢٤١/١ظ]

وآضَ رَوْضُ[6] اللَّهْوِ[7] يَبْسًا ذاوِيًا مِن بَعْدِ ما قَدْ كان مَجَّاجَ الثَّرَى

يَذْكُرُ أَنَّ الضَّعْفَ قد استحْوَذَ عليه باطِنًا وظاهِرًا ، وهكذا قال زكريّا عليه السَّلامُ : ﴿ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ . وقولُه : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أىْ ؛ ما عَوَّدْتَنى فيما أَسْأَلُكَ فيه إلَّا الإجابةَ . وكان الباعِثُ له على هذه المسألةِ ، أنَّه لَمَّا كَفَلَ مَرْيَمَ بنتَ عِمْرَانَ بنِ ماثانَ ،

---

(١) التفسير ٥/ ٢٠٦، بمعناه .
(٢) فى ص : « بما فيه » .
(٣) تخميس مقصورة ابن دريد ٣١ - ٣٣، ٣٧. والمقصورة من الشعر : ما كانت قافيته مختومة بألف مقصورة .
(٤) فى الأصل : « كونه » .
(٥) فى الأصل، ح، م : « جمر » . وفى ص : « جدد » . والمثبت من تخميس المقصورة .
(٦) فى الأصل، ح، م : « عود » .
(٧) فى ص : « اللبس » .

وكان كُلَّمَا دَخَلَ عليْها مِحْرابَها ، وَجَدَ عِنْدَها فاكهةً فى غيرِ أوَانِها ولا فى أَوانِها ، وهذه مِن كراماتِ الأَوْلياءِ ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّازِقَ للشَىءِ فى غيرِ أَوَانِه ، قادرٌ عَلَى أن يَرْزُقَه وَلَدًا ، وإن كان قَدْ طَعَنَ فى سِنِّه ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ . وقولُه : ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ . قيلَ : المرادُ بالمَوَالِى العَصَبَةُ ، وكأنَّه خافَ مِن تَصَرُّفِهِمْ بعدَه فى بنى إِسرائيلَ بِما لا يُوافِقُ شَرْعَ اللَّهِ وطاعَتَه ، فسألَ وُجودَ وَلَدٍ مِن صُلْبِه ، يكونُ بَرًّا تَقِيًّا مَرْضِيًّا ، ولهذا قال : ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ﴾ أى ؛ مِن عِنْدِك بِحَوْلِكَ وقُوَّتِكَ ﴿ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى ﴾ أى ؛ فى النُّبُوَّةِ والحُكْمِ فى بنى إِسرائيلَ . ﴿ وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يَعْنى كما كان آباؤُه وأَسْلافُه من ذُرِّيَّةِ يعقوبَ أَنبياءَ[1] ، فاجْعَلْه مِثْلَهُم فى الكرامةِ التى أَكْرَمْتَهم بها مِن النُّبُوَّةِ والوَحْيِ . وليس المرادُ هٰهنا وِراثَةَ المالِ ، كما زَعَمَ ذلك مَن زَعَمَه مِنَ الشِّيعَةِ ، ووافَقَهم ابنُ جريرٍ هٰهنا ، وحَكاه[2] عن أبى[3] صالحٍ مِن[4] السَّلَفِ ؛ لوُجُوهٍ : أَحدُها ، ما قدَّمْنا[5] عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل : ١٦] أى ؛ فى النُّبُوَّةِ والمُلْكِ ، كما ذَكَرْنا فى الحديثِ المتَّفَقِ عليه بينَ العلماءِ[6] ، المَرْوِىِّ فى

---

(١) فى الأصل : « أبينا » .

(٢) فى تفسيره ١٦/ ٤٧، ٤٨.

(٣) فى ح : « ابن » .

(٤) فى الأصل : « بن » .

(٥) تقدم تخريجه ص ٣٢٤ .

(٦) تقدم تخريجه ص ٣٢٤ . وهو كذلك فى مسند أحمد ١/ ٤، ٦، ٩، ١٠، ٤٧، ٤٩، ٦٠، ٢٠٨. الترمذى (١٦١٠) . أبى داود (٢٩٧٦، ٢٩٧٧) . النسائى (٤١٥٩) .

«الصِّحَاحِ» و«المسانيدِ» و«السُّنَنِ» وغيرِها، مِن طُرُقٍ عن جماعةٍ من الصَّحَابَةِ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُو صَدَقَةٌ». فهذا نَصٌّ على أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يُورَثُ، ولهذا مَنَعَ الصِّدِّيقُ أَنْ يُصْرَفَ ما كان يختصُّ به فى حياتِهِ إلى أَحَدٍ مِن وُرَّاثِهِ، الذين لولا هذا النصُّ لَصُرِفَ إليهم[1]، وهم: ابنتُه فاطمةُ، وأزواجُه التِّسْعُ، وعَمُّه العبَّاسُ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، واحْتَجَّ عليهم الصِّدِّيقُ فى مَنْعِه إيّاهم بهذا الحديثِ، وقد وافَقَه على رِوايَتِه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وعثمانُ بنُ عفَّانَ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ، والعبّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، وطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وأبو هريرةَ، وآخَـرون، رَضِىَ اللَّهُ عنهم. الثانى، [٢٤٢/١و] أنَّ التِّرْمِذِىَّ رواه بِلَفْظٍ يَعُمُّ سَائِرَ الأَنبياءِ: «نَحنُ مَعَاشِرَ الأَنبياءِ [2]لَا نُورَثُ[2]» وَصَحَّحَه. الثالثُ، أنَّ الدُّنيا كانت أحْقَرَ عندَ الأَنْبياءِ مِن أَن يَكْنِزُوا لها، أَوْ يَلْتَفِتُوا إليها، أو يُهِمَّهم أَمرُها، حتى يَسْأَلُوا الأَوْلادَ ليَحُوزُوها بَعْدَهم؛ فإنَّ مَنْ لا يَصِلُ إلى قَرِيبٍ مِن مَنَازِلِهم فى الزَّهَادَةِ، لا يَهْتَمُّ بهذا المقدارِ أَنْ يَسْأَلَ ولدًا يكونُ وارِثًا له فيها. الرابعُ، أَنَّ زكريّا، عليه السّلامُ، كان نجّارًا يَعْمَلُ بيدِه، ويَأْكُلُ مِن كَسْبِها، كما كان داودُ، عليه السَّلامُ، يأكُلُ[3] مِن كَسْبِ يدِه، والغالبُ - ولاسِيَّما مَنْ مِثْلُ حالِ الأَنبياءِ - أَنَّه لا يُجْهِدُ نَفْسَهُ فى العملِ إجْهادًا يَسْتَفْضِلُ منه مالًا يكونُ ذَخِيرَةً له يَخْلُفُه مِنْ بَعْدِه، وهذا أمرٌ بَيِّنٌ واضِحٌ لِكُلِّ مَنْ تَأَمَّلَهُ بتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ، إنْ شاءَ اللَّهُ.

---

(١) فى ص: «عليهم».
(٢ - ٢) سقط من: ح.
(٣) فى الأصل، ص: «يعمل».

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثَنَا يزيدُ - يعنى ابنَ هارونَ - أَنْبأنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن ثابتٍ، عن أبى رافعٍ، عن أبى هُريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «كان زَكَرِيَّا نَجَّارًا». وهكذا رواه مسلمٌ، وابنُ ماجه مِن غيرِ وَجْهٍ عن حَمَّادِ ابنِ سَلَمَةَ به[2]. قولُه: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾. وَهذا مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾، فَلَمَّا بُشِّرَ بالوَلَدِ وتحقَّقَ البِشَارَةَ، شَرَعَ يَسْتَعْلِمُ - على وَجْهِ التَّعَجُّبِ - وُجُودَ الوَلَدِ، والحالةُ هذه، له: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ أى؛ كيف يُوجَدُ ولدٌ مِنْ شيخٍ كبيرٍ، قِيلَ: كان عُمْرُه إذ ذاك سَبْعًا وسبعينَ سنةً. والأَشْبَهُ، واللَّهُ أعلمُ، أنَّهُ كان أَسَنَّ مِن ذلكَ. ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ يَعْنِى، وكانت امْرَأَتِى فى حَالِ شَبِيبَتِها عاقِرًا لا تَلِدُ. واللَّهُ أعلمُ. كما قالَ الخَلِيلُ: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر: ٥٤]، وقالت سَارَّةُ: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]. وهكذا أُجِيبَ زكريّا، عليه السلام؛ قال له المَلَكُ الذى يُوحِى إليه بأَمْرِ رَبِّهِ: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ أى؛ هذا سهلٌ يَسِيرٌ عليه. ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ أى؛ قُدْرَتُه أَوْجَدَتْكَ بعدَ أن لم تَكُنْ شيئًا مَذْكُورًا، أفلا يُوجِدُ مِنك

---

(١) المسند ٢/ ٢٩٦. (إسناده صحيح).

(٢) مسلم (٢٣٧٩). وابن ماجه (٢١٥٠).

وَلدًا وإنْ كُنْتَ شَيْخًا كبيرًا ؟! وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ [١/ ٢٤٢ظ] يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ومعنى إصْلاحِ زَوْجَتِه ، أنَّها كانَتْ لا تَحِيضُ فحاضَتْ . وقيلَ : كَانَ فى لِسَانِها شىءٌ ؛ أىْ بَذَاءَةٌ[١] . ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ﴾ أى ؛ عَلامةً على وَقْتِ تَعْلَقُ مِنِّى المرأةُ بهذا الوَلَدِ المُبَشَّرِ به . ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ يقولُ : علامةُ ذلك أن يَعْتَرِيَك سَكْتٌ ، لا تَنْطِقُ معه ثلاثةَ أيامٍ إلَّا رَمْزًا ، وأنْتَ فى ذلك سَوِىُّ الخَلْقِ ، صحيحُ المزاجِ ، مُعْتَدِلُ البِنْيَةِ . وأُمِر بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ فى هذهِ الحالِ بالقَلْبِ ، واسْتِحْضارِ ذلك بِفُؤَادِه بالعَشِىِّ والإبْكَارِ ، فَلَمَّا بُشِّرَ بهذه البِشَارَةِ ، خَرَجَ مسرورًا بها على قَوْمِه مِنْ محرابِه . ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، والوَحْىُ هٰهنا هو الأَمرُ الخَفِىُّ ؛ إمَّا بِكِتَابَةٍ ، كما قاله مُجاهِدٌ ، والسُّدِّىُّ ، أو إشارةٍ ، كما قاله مجاهدٌ - أيضًا - ووَهْبٌ ، وقَتَادَةُ[٢] . قال مجاهدٌ ، وعِكْرِمَةُ ، وَوَهْبٌ ، والسُّدِّىُّ ، وَقَتادَةُ : اعْتُقِلَ لسانُهُ مِن غَيْرِ مَرَضٍ[٣] . وقال ابنُ زَيْدٍ[٤] : كان يَقرأُ ويُسبِّحُ ، ولكنْ لا يستطيعُ كلامَ أحدٍ . وقولُه : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ، يُخْبِرُ تعالى عن [٥]وُجودِ الوَلَدِ[٥] وَفْقَ البِشارةِ الإلهيَّةِ لأَبِيهِ زِكريّا ، عليه السَّلامُ ، وأنّ

---

(١) فى الأصل ، ص : « بذاء » . وفى ح : « بذاذة » . والبذاء والبذاءة : الفُحش . والبذاذة : سُوء الحال ورثاثة الهيئة .

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٥٣، ٥٤.

(٣) التفسير ٥/ ٢١٠.

(٤) تفسير الطبرى ١٦/ ٥٤. التفسير ٥/ ٢١٠.

(٥ - ٥) سقط من : ح .

اللَّهَ عَلَّمَه الكِتَابَ والحِكْمَةَ وهو صغيرٌ فى حالِ صِبَاه. قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبَارَكِ[1] : قال مَعْمَرٌ : قال الصِّبْيانُ ليَحْيَى بنِ زكريّا : اذهبْ بِنا نلعبُ . فقال : ما لِلَّعبِ خُلِقْنَا . قال : وذلك قولُه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ . وأمَّا قولُه : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ فرَوَى ابنُ جريرٍ[2] ، عن عَمْرِو بنِ دِينارٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّه قال : لا أَدْرِى ما الحنانُ . وعن ابنِ عباسٍ ، ومجاهدٍ ، وعِكْرِمَةَ ، وقتادةَ ، والضَّحّاكِ[3] : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ أى ؛ رَحْمَةً مِن عِنْدِنا رَحِمْنا بها زكريّا ، فوَهَبْنا له هذا الولدَ . وعن عِكْرِمَةَ : ﴿ وَحَنَانًا ﴾ أى ؛ محبَّةً عليه . ويَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ ذلك صفةً لتَحَنُّنٍ يَحْيَى على النّاسِ ، ولاسِيَّما على أَبَوَيْه ، وهو محبَّتُهُما والشَّفَقَةُ عليهما ، وبِرُّه بهما . وأَمَّا الزَّكاةُ فهو طهارةُ القلبِ[4] وسلامَتُهَ من النَّقائِصِ[5] والرَّذائِلِ . والتَّقْوَى طاعةُ اللَّهِ ؛ بامتثالِ أوامرِهِ ، وتَرْكِ زواجرِهِ . ثم ذَكَرَ بِرَّهُ بوالِدَيْهِ وطاعَتَه لهما أَمْرًا ونَهْيًا ، وتَرْكَ عُقُوقِهِمَا قولًا وفِعْلًا ، فقال : ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ . ثم قال : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، هذه الأوقاتُ الثلاثةُ أشدُّ ما تكونُ على الإنسانِ ؛ فإنَّه يَنْتَقِلُ فى كلٍّ منها ، مِن عالَمٍ إلى عالَمٍ آخَرَ [٢٤٣/١و] ، فيَفْقِدُ الأَوَّلَ بعدَ ما كان أَلِفَه وعَرَفَه ، ويصيرُ إلى الآخَرِ ، ولا يَدْرِى ما بينَ يَدَيْه ؛ ولهذا يَسْتَهِلُّ صارِخًا إذا خَرَجَ مِن بَيْنِ الأَحْشاءِ وفارَقَ لِينَها وضَمَّها ، ويَنْتَقِلُ إلى هذه الدَّارِ ، ليُكابِدَ هُمُومَها وغُمُومَها ، وكذلك إذا فارَقَ

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/ ٥٥. التفسير ٥/ ٢١٠.
(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٥٠٦. التفسير ٥/ ٢١١.
(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ٥٥، ٥٦. التفسير ٥/ ٢١١.
(٤) فى ح ، م ، ص : « الخلق » .
(٥) فى ح : « القابض » .

هذه الدّارَ، وانْتَقَل إلى عالَمِ البَرْزَخِ بينَها وبينَ دارِ القَرارِ، وصار بَعْدَ الدُّورِ والقُصُورِ، إلى عَرْصَةِ الأَمْواتِ سُكّانِ القُبورِ، وانتظرَ هُناكَ النَّفْخَةَ فى الصُّورِ ليومِ البَعْثِ والنُّشُورِ، فمِن مَسْرُورٍ ومَحْبُورٍ، ومِنْ مَحْزُونٍ ومَثْبُورٍ، وما بينَ مَجْبُورٍ ومَكْسُورٍ، وفريقٍ فى الجَنَّةِ وفريقٍ فى السَّعِيرِ. ولقد أَحْسَنَ بعضُ الشعراءِ حيثُ قال:

وَلَدَتْكَ أُمُّكَ باكِيًا مُسْتَصْرِخًا ... والنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورًا

فاحْرِصْ لِنَفْسِكَ أن تَكُونَ إذا بَكَوْا ... فى يومِ مَوْتِكَ ضاحِكًا مَسْرُورًا

ولَمَّا كانت هذه المواطِنُ الثلاثةُ أَشَقَّ ما تكونُ على ابنِ آدمَ، سَلَّمَ اللَّهُ[1] على يَحْيَى فى كُلِّ مَوْطِنٍ منها، فقال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾. وقال سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ، عن قتادةَ، أنَّ الحسنَ قال[2]: إنَّ يَحْيَى، وعيسى الْتَقَيَا فقال له عيسى: اسْتَغْفِرْ لى، أنتَ خيرٌ مِنِّى. فقال له الآخَرُ: استغفِرْ لى، أنتَ خيرٌ مِنِّى. فقال له عيسى: أنتَ خيرٌ منِّى؛ سَلَّمْتُ على نَفْسِى، وسلَّمَ اللَّهُ عليك. فعَرَفَ واللَّهِ فَضْلَها[3]. وأمَّا قولُه فى الآيةِ الأُخْرَى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، فقيل: المرادُ بالحَصُورِ، الذى لا يَأْتِى النِّساءَ. وقِيلَ غيرُ ذلك. وهو أَشْبَهُ؛ لقولِه: ﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾.

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٥٩. والتفسير ٥/ ٢١٣.

(٣) فى م: «فضلهما».

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا حَمَّادٌ ، أنبأنا عليُّ بنُ زَيْدٍ ، عن يوسُفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا وَقَدْ أَخْطَأَ ، أَوْ هَمَّ بخَطِيئَةٍ ، لَيْسَ يَحْيَى بنَ زَكَرِيَّا ، وَمَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ[2] يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِن يُونُسَ بنِ مَتَّى » . عَلِيُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعَانَ تَكَلَّمَ فيه غيرُ واحِدٍ من الأَئِمَّةِ ، وهو مُنْكَرُ الحديثِ ، وَقَدْ رَواه ابنُ خُزَيْمَةَ[3] ، والدَّارَقُطْنِيُّ[4] ، مِن طريقِ أبي عَاصِمٍ العَبّادانِيِّ ، عن عليِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، [5]به مُطَوَّلًا ثُم[5] قال ابنُ خُزَيْمَةَ : وليس على شَرْطِنا .

وقال ابنُ وَهْبٍ[6] : حَدَّثَنِي ابنُ لَهِيعَةَ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، قال : خرجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على أصحابِه يومًا وهم يَتَذاكَرُون فَضْلَ الأَنبياءِ ، فقال قائل : موسى كليمُ اللَّهِ . وقال قائلٌ : عيسى رُوحُ اللَّهِ وكَلِمَتُه[7] . وقائلٌ يقولُ : إبراهيمُ خليلُ اللَّهِ . [9]فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ[9] [10]وهم يَذْكُرُون[10] [١/٢٤٣ظ] ذلك ، فقال : « أَيْنَ الشَّهِيدُ ، أَيْنَ[11] الشهيدُ يَلْبَسُ الوَبَرَ ، ويَأْكُلُ الشَّجَرَ ، مخافَةَ

---

(١) أحمد فى المسند ١/ ٢٥٤. (إسناده صحيح) .
(٢) سقط من : الأصل ، ح ، م .
(٣) فى ص : « جرير » .
(٤) أخرجهما ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/ ٩٠، ٩١ مخطوط . من طريق ابن خزيمة والدارقطنى به .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦) المصدر السابق ١٨/ ٩١.
(٧) فى الأصل : « وكليمه » .
(٩ - ٩) تكملة من تاريخ دمشق ليتضح المعنى .
(١٠ - ١٠) سقط من : ح ، م .
(١١) فى ح : « ابن » .

الذَّنْبِ[1] » قال ابنُ وَهْبٍ : يُريدُ يَحْيَى بنَ زكريّا .

وقد رواهُ محمدُ بنُ إسحاقَ[2] ، وهو مُدَلِّسٌ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأنْصَارِيِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، حدَّثنى ابنُ العاصِ : أنه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « كُلُّ بَنِى آدَمَ يَأْتِى يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا » . فهذا مِن روايةِ ابنِ إسْحَاقَ ، وهو مِنَ المدلِّسين ، وقد عَنْعَنَ هـهنا . ثم [3]قد رَواه[3] عبدُ الرَّزّاقِ[4] ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ مُرْسَلًا . ثم رأيتُ ابنَ عَسَاكرَ ساقَه مِن طريقِ أبى أُسامةَ[5] ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأنْصارِيِّ به .

ثُمَّ قد رواهُ ابنُ عساكرَ[6] مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ يَعْقُوبَ الجُوزْجَانِيِّ ، خطيبِ دِمَشْقَ ، حَدَّثَنَا محمدُ بنُ الأَصْبَهَانِيِّ ، حدَّثنا أبو خالدٍ الأَحْمَرُ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قال : ما أَحَدٌ إلَّا يَلْقَى اللَّهَ بذَنْبٍ ، إلَّا يَحْيَى بنَ زكريَّا . ثُمَّ تلا . ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، ثم رَفَع شيئًا مِن الأرضِ فقال : ما كان معه إلَّا مِثْلُ هذا ، ثم ذُبِحَ ذَبْحًا . وهذا موقوفٌ مِنْ هذه الطريقِ[7] ، وكَوْنُه مَوْقُوفًا أَصَحُّ مِن رَفْعِه . واللَّهُ أعلمُ . وأَوْرَدَهُ ابنُ عساكرَ مِن طُرُقٍ ، [8]عن مَعْمَرٍ[8] ، من ذلكَ ما أَوْرَدَهُ من حديثِ إسحاقَ بنِ

---

(١) فى الأصل : « الذيب » .
(٢) تاريخ دمشق مخطوط ١٨/ ٨٢.
(٣ - ٣) فى ح ، م : « قال » .
(٤) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٦.
(٥) فى ح : « أمامة » . والحديث أخرجه ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ٩٤/١٨ مخطوط .
(٦) المصدر السابق .
(٧) سقط من : ح .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ح .

بِشْرٍ[1] ، وهو ضعيفٌ ، عن عثمانَ بنِ ساجٍ[2] ، عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن مُعَاذٍ ، عن النبيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ .

وَرُوِيَ مِن طريقِ أبى دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ[3] ، وغَيْرِه ، عن الحكَمِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى نُعْمٍ[4] ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحَسَنُ والحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا ابْنَيِ الخَالَةِ يَحْيَى ، وعيسى ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » .

وقال أبو نُعَيْمٍ الحافظُ الأَصْبَهَانِيُّ[5] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ أحمدَ ، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ يوسُفَ ، حَدَّثَنا أَحمدُ بنُ أبى الحَوَارِيِّ سَمِعْتُ أبا سليمانَ يقولُ : خَرَجَ عيسى ابنُ مريمَ ، ويَحْيَى بنُ زكريَّا يَتَمَاشَيَانِ ، فَصَدَمَ يَحْيَى امرأةً ، فقال له عيسى : يا بنَ خَالَةِ ، لقد أَصَبْتَ اليومَ خَطِيئَةً ، ما أَظُنُّ أَنْ يُغْفَرَ لك أبدًا . قال : وما هى يا بنَ خَالَةِ ؟ قال : امرأةٌ صَدَمْتَها . قال : واللَّهِ ما شَعَرْتُ بها . قال : سبحانَ اللَّهِ ! بَدَنُكَ[6] معى ، فأَينَ رُوحُك ؟ قال : مُعَلَّقٌ بالعرشِ ، ولو أنَّ قلبِيَ اطْمَأَنَّ إلى جِبْرِيلَ ، لَظَنَنْتُ أَنِّى ما عَرَفْتُ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ . فيه غرابةٌ ، وهو مِن الإسرائيليّاتِ . وقال إسرائيلُ[7] عن أَبى حُصَيْنٍ ، عن خَيْثَمَةَ قال : كان عيسى ابنُ مَرْيَمَ ويَحْيَى بنُ زكريّا ابْنَىْ خَالةٍ ، وكان عيسى يَلْبَسُ الصُّوفَ ،

---

(١) المصدر السابق .
(٢) فى الأصل ، ص : « ساح » . وفى م : « سباح » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٦٧ .
(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٩٢ مخطوط . (صحيح الجامع الصغير ٣١٧٦) .
(٤) فى م : « نعيم » .
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٨، ٢٦٩ .
(٦) فى ح : « قدمك » .
(٧) تاريخ دمشق ١٨/ ٩٦ مخطوط .

وكان يَحْيَى يَلْبَسُ الوَبَرَ، ولم يَكُنْ لواحدٍ منهما دِينارٌ ولا دِرْهمٌ، ولا عَبْدٌ ولا أَمَةٌ، ولا ما يَأْوِيَانِ إليه، أيْنَما جَنَّهُما [١/٢٤٤و] اللّيلُ أَوَيَا، فلَمَّا أرادا أن يَتَفَرَّقا، قال له يَحْيَى: أَوْصِنِى. قال: لا تَغْضَبْ. قال: لا أَستطيعُ إلَّا أن أَغْضَبَ. قال: فلا تَقْتَنِ مالًا. قال: أَمَّا هذه فعَسَى.

وقد اخْتَلَفَتِ الرِّوايةُ عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، هل ماتَ زَكريّا عليه السَّلامُ موتًا، أو قُتِلَ قَتْلًا؟ عَلَى روايتَيْنِ؛ فرَوَى عبدُ المنعمِ بنُ إدريسَ بنِ سِنانٍ، عن أبيه، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، أنه قال: هَرَبَ مِن قومِه، فدَخَلَ شجرةً فجاءُوا فَوَضَعُوا المِنْشَارَ عليها[1]، فلمَّا وَصَلَ المِنْشَارُ إلى أَضْلَاعِه أَنَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ إليهِ: لَئِن لمْ يَسْكُنْ أَنِينُكَ، لأَقْلِبَنَّ الأَرضَ ومَن عليها. فَسَكَنَ أنِينُه حتى قُطِعَ باثنتَيْنِ[2]. وقَدْ رُوِىَ هذا فى حديثٍ مَرْفُوعٍ، سنُورِدُه بَعْدُ إن شَاءَ اللَّهُ. وَرَوَى إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3]، عَن إدريسَ بنِ سِنَانٍ، عَنْ وَهْبٍ أَنَّه قال: الذى انْصَدَعَتْ له الشجرةُ هو أَشْعِيا، فَأَمَّا زكريّا فماتَ مَوْتًا. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حَدَّثنا عَفَّانُ، ثنا أبو خَلَفٍ موسى بنُ خَلَفٍ، وكان يُعَدُّ مِنَ البُدَلَاءِ، حَدَّثنا يَحْيَى بنُ أبى كَثِيرٍ، عن زَيْدِ بنِ سَلَّام، عن جَدِّهِ مَمْطُورٍ، عن الحارِثِ الأَشْعَرِىِّ، أَنَّ النبىَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وأنْ يَأْمُرَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أن يَعْمَلُوا بِهِنَّ،

---

(١) فى م: «عليهما».
(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ٥٤، ٥٥.
(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٥٦.
(٤) أحمد فى المسند ٤/ ١٣٠. كما أخرجه ابن حبان من طريق يحيى بن أبى كثير به. الإحسان (٦٢٣٣). (إسناده صحيح).

وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ ، فَقَالَ له عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ ، وإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ . فَقَالَ : يَا أَخِى ، إِنِّى أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِى أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِى . قال : فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فى بَيْتِ المَقْدِسِ ، حتّى امْتَلأَ المَسْجِدُ ، فقَعَدَ على الشَّرَفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِى بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُم أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ مَنِ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ ويُؤَدِّى غَلَّتَهُ إِلى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، فَاعْبُدُوه ولا تُشْرِكُوا به شَيْئًا ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ ، فإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ قِبَلَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا . وآمُرُكُمْ بالصِّيَامِ ، فإِنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فى عِصَابَةٍ ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ ، (١) وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ (١) . وآمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ ، فإِنَّ مَثَلَ ذلكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ ، فَشَدُّوا يَدَهُ إِلى عُنُقِهِ ، وَقَدَّمُوه لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فقال : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِىَ نَفْسِى مِنْكُمْ ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ . وآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ [٢٤٤/١ظ] ، كَثِيرًا ، فإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فى إِثْرِه ، فأَتَى حِصْنًا حَصِينًا ، فَتَحَصَّنَ فِيهِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، إذا كَانَ فِى ذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . قال : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ ، اللَّهُ أَمَرَنِى بِهِنَّ ؛ بالجماعةِ ، والسَمْعِ ، وَالطَّاعةِ ،

(١ - ١) سقط من : ح .

وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فى سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ». قالُوا: يا رسولَ اللَّهِ، وإن صامَ وصَلَّى؟ قال: «وإنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، ادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمائِهِمْ، بِمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الْمُسْلِمِينَ[1] الْمُؤْمِنِينَ عِبادَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ».

وهكذا رَواهُ أبو يَعْلَى[2] عَنْ هُدْبَةَ[3] بنِ خالدٍ، عن أَبَانَ بنِ يزيدَ، عن يَحْيَى بنِ أبى[4] كَثِيرٍ به.

وكذلك رَواه التِّرْمِذِىُّ[5] مِن حديثِ أبى داودَ الطَّيالِسِىِّ، وموسى بنِ إسماعيلَ، كلاهما عن أَبَانَ بنِ يزيدَ العطَّارِ به. ورواه ابنُ ماجَهْ[6] عن هشامِ ابنِ عَمَّارٍ، عن محمدِ بنِ شُعَيْبِ بنِ[7] سابُورَ، عن معاويةَ بنِ سَلَّامٍ، عن أَخِيه زيدِ بنِ سَلَّامٍ، عن أبى[8] سَلَّامٍ، عن الحارثِ الأَشْعَرِىِّ به. ورواه الحاكمُ[9] من طريقِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ الطَّاطَرِىِّ، عن مُعاويةَ بنِ سَلَّامٍ، عن أخيه به.[10] ثم قال: تَفَرَّدَ به[10] مَرْوانُ الطَّاطَرِىُّ، عن معاويةَ بنِ سَلَّامٍ. قلتُ[11]: وليسَ كما

---

(١) سقط من: ص.
(٢) مسند أبى يعلى (١٥٧١). (إسناده صحيح).
(٣) فى الأصل: «هريمه».
(٤) سقط من: الأصل.
(٥) الترمذى (٢٨٦٣، ٢٨٦٤). (صحيح الترمذى ٢٢٩٨).
(٦) لم يعزه فى التحفة (٣٢٧٤) إلى ابن ماجه.
(٧) فى الأصل: «عن».
(٨) فى ص: «زيد بن».
(٩) فى المستدرك ١١٨/١ مختصرًا.
(١٠ - ١٠) سقط من: ص.
(١١) القائل ابن كثير.

قال . ورَواه الطَّبَرانِىُّ[1] ، عن محمدِ بنِ عَبْدَةَ ، عن أبى تَوْبَةَ الرَّبِيعِ بنِ نافِعٍ[2] ، عن معاويةَ بنِ سَلَّامٍ ، عن أبى سَلَّامٍ ، عن الحارثِ الأَشْعَرِىِّ ، فذَكَرَ نَحْوَهُ ، فَسَقَطَ ذِكْرُ زيدِ بنِ سَلَّامٍ مِن هذه الرِّوايةِ . ثم رَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ الرَّازِىِّ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ بنِ أَنَسٍ ، قال : ذُكِرَ لنا عن أصْحَابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيما سَمِعُوا مِن عُلَمَاءِ بنى إسرائيلَ ، أنَّ يَحْيَى بنَ زكريَّا أُرْسِلَ بِخَمْسِ كلماتٍ . وَذَكَرَ نحوَ ما تَقَدَّم . وقد ذَكَرُوا[4] أَنَّ يَحْيَى ، عليه السَّلامُ ، كان كثيرَ الانْفرادِ مِن النَّاسِ ، إنَّما كان يَأْنَسُ إلى البَرَارِىِّ ، ويَأْكُلُ مِن وَرَقِ الأَشْجَارِ ، وَيَرِدُ ماءَ الأَنْهَارِ ، ويَتَغَذَّى بالجَرَادِ فى بعضِ الأَحْيانِ ، ويقولُ : مَنْ أَنْعَمُ منكَ يا يَحْيَى . وَرَوَى ابنُ عساكرَ[5] ، أنَّ أَبَوَيْه خَرَجَا فى تَطَلُّبِهِ ، فوَجَدَاه عندَ بُحَيْرَةِ الأُرْدُنِّ ، فلمَّا اجْتَمَعَا به ، أَبْكَاهُما بُكَاءً شديدًا ؛ لِمَا هو فيه مِن العِبَادةِ والخَوْفِ مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . وقال ابنُ وَهْبٍ[6] ، عن مالكٍ ، عن حُمَيْدِ بنِ قَيْسٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كان طَعَامُ يَحْيَى بنِ زكريَّا العُشْبَ ، وإنْ كان لَيَبْكِى مِن خَشْيَةِ اللَّهِ ، حتى لو كان القَارُ على عَيْنَيْهِ لَحَرَقَه[7] . وقال محمدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْلِىُّ[8] : حَدَّثَنَا أبو صالحٍ ، حدَّثنا

---

(١) المعجم الكبير (٣٤٣٠) .
(٢) فى ح : « بافع » . وفى م : « يافع » .
(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٨٩، ٩٠. مخطوط .
(٤) المصدر السابق ١٨/ ٩٥.
(٥) تاريخ دمشق ١٩/ ٥٤ مطوّلًا .
(٦) تاريخ دمشق ١٨/ ٩٦ مخطوط .
(٧) فى الأصل : « لخزقه » . وفى ح ، م ، ص : « لخرقه » . والمثبت من التاريخ .
(٨) المصدر السابق ١٨/ ٩٥، ٩٦.

اللَّيْثُ ، حدّثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، قال [١/٢٤٥و] : جَلَسْتُ يومًا إلى أبى إدْرِيسَ الخَوْلَانِىِّ وهو يَقُصُّ ، فقال : أَلَا أُخْبِرُكُم بِمَنْ كان أَطْيَبَ النَّاسِ طعامًا ؟ فلَمَّا رأى النَّاسَ قد نَظَرُوا إليه قال : إنَّ يَحْيَى بنَ زكريّا ، كان أَطْيَبَ النَّاسِ طَعَامًا ؛ إنَّما كان يأكُلُ مع الوَحْشِ ؛ كَراهَةَ أن يُخَالِطَ النَّاسَ فى معايِشِهم . وقال ابنُ المَبَارَكِ[1] ، عن وُهَيْبِ بنِ الوَرْدِ ، قال : فَقَدَ زكريّا ابْنَهُ يَحْيَى ثلاثةَ أيامٍ ، فَخَرَجَ يَلْتَمِسُهُ فى البَرِّيَّةِ ، فإذا هو قد احْتَفَرَ قَبْرًا ، وأقامَ فيه يَبْكِى على نَفْسِهِ ، فقال : يا بُنَىَّ ، أنا أَطْلُبُكَ مِنْ ثَلاثَةِ أيامٍ ، وأَنْتَ فى قَبْرٍ قَدْ احْتَفَرْتَه ، قائمٌ تَبْكِى فيه ؟! فقال : يا أَبَتِ ، أَلَسْتَ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِى أَنَّ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ مَفَازَةً[2] ، لا تُقْطَعُ إلَّا بِدُمُوعِ البَكَّائِين ؟ فقال له : ابْكِ يا بُنَىَّ . فَبَكَيَا جَمِيعًا . وهكذا حَكاهُ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ ، ومجاهدٌ بنَحْوِهِ[3] . ورَوَى ابنُ عساكرَ[4] عنه ، أنَّه قال : إنّ أَهْلَ الجَنَّةِ لا يَنامُون لِلَذَّةِ ما همْ فيه مِن النَّعيمِ ، فكذا يَنْبَغِى للصِّدِّيقِينَ أن لا ينامُوا ؛ لِمَا فى قلوبِهم مِن نَعِيمِ المَحَبَّةِ للَّهِ ، عزَّ وجلَّ . ثُمَّ قال : كَم بينَ النَّعيمَيْنِ وكم بَيْنَهُما . وذَكَرُوا أنَّه كان كثيرَ البُكاءِ ، حتى أَثَّرَ البُكاءُ فى خَدَّيْهِ مِن كَثْرَةِ دُمُوعِهِ[5] .

---

(١) المصدر السابق ١٨/ ٩٧.

(٢) فى ح : « مقام » .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق ١٨/ ٩٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق المخطوط ١٨/ ٩٧ بمعناه ، بسنده إلى مجاهد .

(١) بيانُ سببِ قَتْلِ يَحْيَى، عليه السلامُ (١)

وذَكَرُوا فى قَتْلِهِ أَسْبابًا كثيرةً؛ مِن أَشْهَرِها أَنَّ بَعْضَ مُلوكِ ذلك الزَّمانِ بِدِمَشْقَ، كانَ يُريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ببعْضِ محارِمِهِ، أو مَن لا يَحِلُّ له تَزْويجُها، فَنَهَاه يَحْيَى، عليه السَّلامُ، عَنْ ذلك، فبَقِيَ فى نَفْسِها منه، فلمَّا كان بَيْنَها وبينَ الملكِ ما يُحِبُّ منها، اسْتَوْهَبَتْ منه دَمَ يَحْيَى، فَوَهَبَه لها فَبَعَثَتْ إليه مَن قَتَلَه، وجاء برأْسِهِ وَدَمِهِ فى طَسْتٍ إلى عِنْدِها، فيُقالُ: إنَّها هَلَكَتْ مِن فَوْرِها وساعَتِها. وقيل: بل أَحَبَّتْه امرأةُ ذلك المَلِكِ وراسَلَتْه، فَأَبَى عليها، فلمَّا يَئِسَتْ منه، تَحَيَّلَتْ فى أنِ اسْتَوْهَبَتْه مِن المَلِكِ، فَتَمَنَّع عليها المَلِكُ، ثمَّ أجابها إلى ذلك، فبَعَثَتْ(٢) مَن قَتَلَه وأَحْضَرَ إليها رَأْسَهَ وَدَمَهُ فى طَسْتٍ.

وقد وَرَدَ مَعْناه فى حديثٍ، رَواه إسحاقُ بنُ بِشْرٍ فى كتابِه «المُبْتَدَأ»(٣) حيثُ قال: أنبأنا(٤) يعقوبُ الكوفىُّ، عن عَمْرِو بنِ مَيْمُونٍ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ أُسْرِىَ بِهِ رَأَى زكريَّا فى السَّماءِ، فَسَلَّمَ عليه وقال له: «يَا أَبَا يَحْيَى، خَبِّرْنِى عَنْ قَتْلِكَ؛ كَيْفَ كَانَ؟ ولِمَ قَتَلَكَ بَنُو

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) فى م: «فبعث».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٥، ٥٦، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٤) بعده فى الأصل: «أبو». وبعده فى ص: «ابن».

إسْرَائِيلَ ؟ » . قال : يا محمدُ ، أُخْبِرُكَ أَنَّ يَحْيَى كان خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِه ، وكان أَجْمَلَهُم وأَصْبَحَهُم وَجْهًا ، وكان كما قالَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ وكان لا يَحتاجُ إلى النِّساءِ ، فهَوِيَتْه[1] امْرَأَةُ مَلِكِ بنى إِسْرائيلَ ، وكانت بَغِيَّةً ، فأَرْسَلَتْ إِليه ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ ، وامْتَنَعَ يَحْيَى وَأَبَى عليها ، وأَجْمَعَتْ على قَتْلِ يَحْيَى ، ولهم عِيدٌ يَجْتَمِعُون فى كُلِّ عامٍ ، وكانت سُنَّةُ المَلِكِ أَن [١/٢٤٥ظ] يُوعِدَ ولا يُخْلِفَ ولا يَكْذِبَ . قال : فَخَرَجَ المَلِكُ إلى العيدِ فقامتِ امْرَأَتُهُ فشَيَّعَتْهُ ، وكان بها مُعْجَبًا ، ولم تَكُنْ تَفْعَلُهُ فيما مَضَى ، فَلَمَّا أَنْ شَيَّعَتْهُ قال المَلِكُ : سَلِينِى ، فَمَا سَأَلْتِنِى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكِ . قالتْ : أُرِيدُ دَمَ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا . قال لها : سَلِينِى غَيْرَهُ . قالت : هو ذاك . قال : هو لَكِ . قال : فبَعَثَتْ جَلَاوِزَتَها[2] إِلى يَحْيَى ، وهو فى مِحْرَابِهِ يُصَلِّى ، وأنا إِلى جانِبِهِ أُصَلِّى . قال : فَذُبِحَ فى طَسْتٍ وَحُمِلَ رَأْسُه وَدَمُهُ إليها . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَمَا بَلَغَ مِنْ صَبْرِكَ ؟ » . قال : ما انْفَتَلْتُ مِن صَلاتِى . قال : فَلَمَّا حُمِلَ رأسُهُ إليها فَوُضِعَ بينَ يَدَيْها ، فلمَّا أَمْسَوْا[3] ، خَسَفَ اللَّهُ بالمَلِكِ وأهلِ بيتِهِ وَحَشَمِهِ ، فلمَّا أَصْبَحُوا قالتْ بنو إسرائيلَ : قد غَضِبَ إِلهُ زكريَّا لزكريَّا ، فَتَعَالَوْا حتى نَغْضَبَ لمَلِكِنا ، فَنَقْتُلَ زكريَّا . قال : فَخَرَجُوا فى طَلَبِى ليَقْتُلُونى ، وجاءَنى النَّذِيرُ فَهَرَبْتُ منهم ، وإبليسُ أمامَهم يَدُلُّهم عَلَيَّ ، فلمَّا أَنْ تَخَوَّفْتُ أَن لا أُعْجِزَهُم ، عَرَضَتْ لى شجرةٌ ، فنادَتْنى وقالتْ : إِلَيَّ ، إِلَيَّ . وانْصَدَعَتْ لى ، فدخلتُ فيها . قال : وجاء إبليسُ حتى أَخَذَ بِطَرَفِ رِدائى ، والْتَأَمَتِ الشجرةُ ، وبَقِىَ طَرَفُ رِدائى

---

(١) فى م : « فهوته » .

(٢) جلاوزتها : جمع جلواز وهو الشُّرطى .

(٣) فى الأصل : « استوى » .

خارِجًا مِن الشجرةِ ، وجاءت بنو إسرائيلَ ، فقال إبليسُ : أَمَا رَأَيْتُمُوه دَخَلَ هذه الشجرةَ ؟ هذا طَرَفُ رِدَائِهِ ، دَخَلَهَا بِسِحْرِه . فقالوا : نَحْرِقُ هذه الشجرةَ . فقال إبليسُ : شُقُّوهُ بالمِنْشارِ شَقًّا . قال : فَشُقِقْتُ مع الشَّجَرةِ بالمِنْشَارِ . فقال له النَّبِيُّ ﷺ : « هَلْ وَجَدْتَ لَهُ مَسًّا أَوْ وَجَعًا ؟ » . قال : لا ، إِنَّما وَجَدَتْ ذلك الشَّجَرَةُ ، جَعَلَ اللَّهُ رُوحِي فيها . هذا سياقٌ[1] غريبٌ[2] ، وحديثٌ عجيبٌ ، ورَفْعُه مُنْكَرٌ ، وفيه ما يُنْكَرُ على كلِّ حَالٍ ، ولم نَرَ فى شىءٍ مِن أحاديثِ الإِسْراءِ ذِكْرًا لزكريَّا ، عليهِ السَّلامُ ، إلَّا فى هذا الحديثِ ، وإنَّما المحفوظُ فى بعضِ أَلْفاظِ « الصَّحيحِ » ، فى حديثِ الإِسراءِ : « فَمَرَرْتُ بابْنَيِ الخالةِ ؛ يَحْيَى وعِيسَى » . وهما ابنا الخالةِ على قوْلِ الجُمهورِ ، كما هو ظاهرُ الحديثِ ؛ فإنَّ أُمَّ يَحْيَى أَشْيَاعَ بِنْتَ عِمْرانَ ، أُخْتُ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرانَ . وقيل : بل أَشْيَاعُ ، وهى امرأةُ زكَرِيّا أُمُّ يَحْيَى ، هى أختُ حَنَّةَ امرأةِ عِمْرانَ أُمِّ مَرْيَمَ ، فيكونُ يَحْيَى ابنَ خالةِ مَرْيَمَ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثُمَّ اخْتُلِفَ فى مَقْتَلِ يَحْيَى بنِ زكريّا ، هل كان فى المسْجِدِ الأَقْصَى ، أمْ بغيرِه ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ؛ فقال الثَّوْرِيُّ[3] ، عن الأَعْمَشِ ، عن شِمْرِ بنِ عَطِيَّةَ ، قال : قُتِلَ على الصَّخْرةِ التى بِبَيْتِ المَقْدِسِ ، سبعون نبيًّا ، منهم يَحْيَى بنُ زكريَّا ، عليه السلامُ . وقال أبو[4] عبيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ[5] : حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن اللَّيْثِ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، قال : قَدِمَ

---

(١) فى ص : « إسناد » .
(٢) بعده فى م : « جدا » .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/١٠٥ مخطوط ، من طريق سفيان به .
(٤) فى ح : « ابن » .
(٥) المصدر السابق من طريق أبى عبيد به .

بُخْتُ [٢٤٦/١و] نَصَّرَ دِمَشْقَ ، فإذا هو بِدَمِ يَحْيَى بنِ زكريَّا يَغْلِى ، فسَأَلَ عَنْه ، فأَخْبَرُوه ، فقَتَلَ على دَمِه سبعين ألفًا ، فسَكَنَ . وهذا إسْنَادٌ صحيحٌ إلى سعيدِ ابنِ المسَيَّبِ ، وهو يَقْتَضِى أَنَّه قُتِلَ بدِمَشْقَ ، وأَنَّ قِصَّةَ بُخْتُ نَصَّرَ كانت بعدَ المسيحِ ، كما قاله عَطَاءٌ ، والحَسَنُ البَصْرِىُّ . فاللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[(١)] ، من طريقِ الوليدِ بنِ مُسْلِمٍ ، عن زَيْدِ بنِ واقِدٍ قال : رأيتُ رَأْسَ يَحْيَى بنِ زَكريَّا حينَ أرادُوا بِنَاءَ مسجِدِ دِمَشْقَ ، أُخْرِجَ مِن تَحْتِ رُكْنٍ مِن أركانِ القِبْلَةِ ، الذى يلى المِحْرابَ ، ممَّا يلى الشَّرْقَ ، فكانتِ البَشَرَةُ والشَّعْرُ على حالِه ، لم يَتَغَيَّرْ . وفى روايةٍ : كأنَّما قُتِلَ السَّاعةَ . وَذَكَر فى بِنَاءِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ[(٢)] ، أَنَّه جُعلَ تحتَ العَمُودِ المعروفِ بعمودِ السَّكَاسِكَةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

[(٣)]وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[(٤)] فى « المُسْتَقْصَى فى فَضائِلِ الأَقْصَى »[(٥)] مِن طريقِ العبَّاسِ بنِ صُبْحٍ ، عن مَرْوانَ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن قُسَيْمٍ[(٦)] مولى معاويةَ ، قال : كان مَلِكُ هذه المدينةِ - يَعْنِى دِمَشْقَ - هدادَ[(٣)]

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤١.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) هو : القاسم بن على بن هبة اللَّه ، أبو محمد ابن عساكر ، بهاء الدين . محدِّث مؤرخ ، ولد فى جمادى الأولى ٥٢٧هـ ، وخلف أباه - أبا القاسم على بن الحسن بن هبة اللَّه بن عبد اللَّه الشافعى ، مصنِّف تاريخ دمشق - فى إسماع الحديث بالجامع الأموى ودار الحديث النورية ، ودخل مصر ، وتوفى بدمشق فى ٨ صفر ٦٠٠هـ . انظر معجم المؤلفين ٨/ ١٠٦ . وقد تقدم فى ١/ ٤٤ .

(٥) وأخرج هذا الأثر مطولا ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/ ١٠١- ١٠٣ مخطوط ، من طريق مروان به .

(٦) فى م : « قاسم » . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ١٤/ ٤٢١ مخطوط .

(١ ابنَ هدادٍ، وكان قد زوَّجَ[٢] ابنَه بابنةِ أخِيهِ[٣] أَريلَ، مَلِكَةِ صَيْدَا. قلتُ[٤]: وقد كان مِن جُمْلةِ أمْلَاكِها سوقُ الملوكِ بدِمَشْقَ، وهو الصَّاغَةُ العَتِيقَةُ. قال: وكان قد حَلَفَ بِطَلاقِها ثلاثًا، ثُمَّ إنَّه أرادَ مُراجَعَتَها، فاسْتَفْتَى يحيى بنَ زكريَّا، فقال: لا تَحِلُّ لَكَ حتى تَنْكِحَ زوْجًا غَيْرَك. فحَقَدَتْ عليه، وسألتْ مِن الملِكِ رَأْسَ يحيى بنِ زكريَّا، وذلك بإشارةِ أُمِّها، فأَبَى عليها، ثُمَّ أجابَها إلى ذلك، وبَعَثَ إليه، وهو قائمٌ يُصَلِّى بمَسْجِدِ جَيْرُونَ، مَن أتاه برَأْسِه فى صِينِيَّةٍ، فجعل الرَّأْسُ يقول: لا تَحِلُّ له، لا تَحِلُّ له حتى تَنْكِحَ زوجًا غَيْرَه. فأَخَذَتِ المرأةُ الطَّبَقَ، فحَمَلَتْه على رَأْسِها وأَتَتْ به أُمَّها، وهو يقولُ كذلك، فلمَّا تَمَثَّلَتْ بينَ يَدَىْ أُمِّها، خُسِفَ بها إلى قَدَمَيْها، ثُمَّ إلى حَقْوَيْها، وجَعَلَتْ أُمُّها تُوَلْوِلُ، والجَوارِى يَصْرُخْنَ وَيَلْطِمْنَ وُجُوهَهُنَّ، ثم خُسِفَ بها إلى مَنْكِبَيْها، فأَمَرَتْ أُمُّها السَّيَّافَ أن يَضْرِبَ عُنُقَها لتَتَسَلَّى برَأْسِها، ففَعَلَ، فَلَفَظَتِ الأَرْضُ جُثَّتَها عندَ ذلك، ووَقَعُوا فى الذُّلِّ والفَناءِ، ولم يَزَلْ دَمُ يَحْيَى يَفُورُ، حتى قَدِم بُخْتُ نَصَّرَ فقَتَلَ عليه خمسةً وسبعين أَلْفًا. قال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ: وَهى دَمُ كلِّ نبىٍّ. ولم يَزَلْ يَفُورُ، حتى وَقَفَ عِنْدَه أَرْميا، عليه السّلامُ، فقال: أيُّها الدَّمُ، أَفْنَيْتَ بنى إسرائيلَ، فاسْكُنْ بإذْنِ اللَّهِ. فَسَكَنَ، فرُفِعَ السَّيْفُ، وَهَرَبَ مَن هَرَبَ مِن أهلِ دِمَشْقَ إلى بيتِ المقدسِ، فتَبِعَهم إليها، فقَتَلَ خَلْقًا كثيرًا لا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وسَبا منهم، ثُمَّ رَجَعَ عنهم[١].

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) فى م: «زوجه».

(٣) بعده فى تاريخ دمشق: «تحت أخيه».

(٤) سقط من: م.

قِصَّةُ عيسى ابنِ مريمَ،

عليه مِن اللَّهِ أفضلُ الصّلاةِ والسّلامِ

قال اللَّهُ تعالى فى سورةِ «آل عِمْرانَ»، التى أُنْزِلَ صَدْرُها، وهو ثلاثُ وَثَمانونَ آيةً مِنْها، فى الرَّدِّ على النَّصارَى، عليهم لعائنُ اللَّهِ، الَّذين زَعَمُوا أنَّ للَّهِ وَلَدًا، تعالى اللَّهُ عمّا يقولونَ عُلُوًّا كَبيرًا، وكان قَدْ قَدِم وَفْدُ نَجْرانَ منهم على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلُوا يَذْكُرُون ما هم عليه مِن الباطِلِ، مِن التَّثْليثِ فى الأَقانيمِ، وَيَدَّعُونَ - بِزَعْمِهم - أنّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ؛ وهم الذَّاتُ المُقَدَّسَةُ، وعيسى، ومريمُ، على اختلافِ فِرَقِهم، فأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وجَلَّ، صَدْرَ هذه السورةِ، بَيَّن فيها أنَّ عيسى عَبْدٌ مِن عبادِ اللَّهِ، خَلَقَه وصَوَّرَه فى الرَّحِمِ، كما صَوَّرَ غَيْرَه مِن المخلوقاتِ، وأنَّه خَلَقَه مِن غَيْرِ أَبٍ، (1)كما خَلَقَ آدمَ مِن غيرِ أَبٍ، ولا أُمٍّ(1) وقال له: كُنْ. فَكَانَ، وبَيَّنَ تعالى أَصْلَ ميلادِ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وكيف كان مِن أَمْرِها، وكيفَ حَمَلَتْ بوَلَدِها عيسى، وكذلك بَسَطَ ذلك فى سورةِ «مريمَ»، كما سنتكلَّمُ على ذلك كُلِّه بِعَوْنِ اللَّهِ وحُسْنِ توفيقِه وهدايتِهِ، فقال تعالى وهو أَصْدَقُ القائلين(2): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ

(1- 1) سقط من: الأصل.

(2) التفسير ٢/ ٢٦- ٢٩.

ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٣- ٣٧].

يذكُرُ تعالى أنَّه اصطفى آدمَ، عليه السَّلامُ، والخُلَّصَ من ذُرِّيَّتِه، المُتَّبِعِينَ [٢٤٦/١ظ] شَرْعَه، المُلازِمِينَ طاعَتَه، ثم خَصَّصَ فقال: ﴿ وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، فدَخَلَ فيهم بنو إسماعيلَ وبنو إسحاقَ. ثم ذَكَرَ فَضْلَ هذا البيتِ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ، وهم آلُ عِمْرَانَ، والمُرادُ بِعِمْرانَ هذا، والدُ مريمَ عليهما السّلامُ، قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: وهو عِمْرانُ بنُ باشمَ[2] بنِ أمونَ بنِ منشا[3] بنِ حزقيا بنِ أحزيقَ[4] بنِ موثمَ[5] بنِ عزاريا[6] بنِ أمصيا بنِ ياوشَ بنِ أحزيهو[7] بنِ يارمَ[8] ابنِ يهفاشاطَ[9] بنِ أيش[10] بنِ أبانَ[11] بنِ رحبعامَ[12] بنِ سليمانَ بنِ داودَ.

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٥٨٥، ٥٨٦.
(٢) فى تاريخ الطبرى: «ياشهم».
(٣) فى ح، م، ص: «ميشا».
(٤) فى الأصل، م، ح: «احريق».
(٥) فى ح: «مرثم». وفى ص: «موشم». وفى تاريخ الطبرى: «يوثام».
(٦) فى م، ص: «عزازيا». وفى تاريخ الطبرى: «عزريا».
(٧) فى الأصل، ح، م: «أحريهو».
(٨) فى ح، م: «يازم». وفى ص: «بازم».
(٩) فى تاريخ الطبرى: «يهشافاظ».
(١٠) فى تاريخ الطبرى: «أسا».
(١١) فى م: «أيان». وفى تاريخ الطبرى: «أبيا».
(١٢) فى الأصل، ح، ص: «رخيعم». وفى تاريخ الطبرى: «رحبعم».

وقال أبو القاسم ابنُ عساكرَ[1] : مريمُ بنتُ عِمْرانَ بنِ ماتانَ[2] بنِ اليعازر[3] ابنِ اليودِ بنِ أجبنَ[4] بنِ صادوقَ بنِ عيازورَ[5] بنِ الياقيمِ بنِ أيبودَ بنِ زربائيلَ بنِ شالتانَ[6] بنِ يوحنيا بنِ برستيا[7] بنِ آمونَ بنِ ميشا بنِ حزقيلَ[8] بنِ أجازَ بنِ يوثامَ[9] بنِ عزريا بنِ بورامَ بنِ بوسافاطَ[10] بنِ أسا[11] بنِ أبيا[12] بنِ رخيعمَ[13] ابنِ سليمانَ بنِ داودَ ، عليه السلامُ . وفيه مُخالَفَةٌ لما ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ ، ولا خِلَافَ أنَّها مِن سُلالةِ داودَ ، عليه السَّلامُ ، وكان أبوها عمرانُ صاحبَ صَلاةِ بنى إسرائيلَ فى زمانِه ، وكانت أُمُّها ، وهى حَنَّةُ بنتُ فاقودَ بنِ قبيلٍ ، مِن العابداتِ ، وكان زكريَّا نبىُّ ذلك الزَّمانِ ، زوجَ أُخْتِ مريمَ أَشْياعَ ، فى قولِ الجمهورِ ، وقيل : زوجَ خالتِها أَشْياعَ . فاللَّهُ أعلَمُ . وقد ذَكَرَ محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُه[14] ، أنَّ أمَّ مريمَ كانت لا تَحْبَلُ ، فَرَأَتْ يومًا طائرًا يَزُقُّ[15] فَرْخًا له ،

---

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٤٣.
(٢) فى النسخ : « ماثان » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٣) فى م ، ص : « العازر » . والمثبت كما فى مختصر تاريخ دمشق ٦٩/٢٦ .
(٤) فى الأصل : « أخيز » . وفى ح : « أخير » . وفى م ، ص : « أخنر » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٥) فى الأصل : « عيارزو » . وفى ح : « عيازرو » . وفى م : « عيازوز » . وفى ص : « عيازور » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٦) فى الأصل : « شاليال » . وفى ح : « شالثال » . وفى م ، ص : « شالتال » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٧) فى الأصل ، ح : « برشيا » . وفى م : « برشا » . وفى ص : « يرشا » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٨) فى الأصل ، ص : « حزقيا » . وفى ح ، م : « حزقا » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٩) فى النسخ : « موثام » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(١٠) فى الأصل ، م ، ص : « يوشافاط » .
(١١) فى ح : « أشا » . وفى م ، ص : « أيشا » .
(١٢) فى الأصل : « أينا » . وفى ح ، م : « أيبا » . وفى ص : « أسبا » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(١٣) فى م : « رحبعام » .
(١٤) انظر تفسير الطبرى ٣/ ٢٣٥.
(١٥) يزق : أى يطعمه فى فيه .

فاشْتَهَتِ الولدَ فنَذَرَتْ للَّهِ إنْ حَمَلَتْ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا مُحَرَّرًا ؛ أَىْ حَبِيسًا فى خِدمةِ بَيْتِ المَقْدِسِ . قالوا : فحاضَتْ مِن فَوْرِها ، فلمَّا طَهُرَتْ واقَعَها بَعْلُها ، فَحَمَلَتْ بمريَمَ ، عليها السَّلامُ ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ وقُرِئَ بِضَمِّ التَّاءِ ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ أى ؛ فى خِدْمَةِ بيْتِ المقدسِ ، وكانوا فى ذلك الزَّمَانِ يَنْذِرون لبيتِ المَقْدِسِ خُدَّامًا مِن أولادِهم . وقَوْلُها : ﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ استُدِلَّ بِهِ على تَسْمِيَةِ المولودِ يومَ يُولدُ ، وكما ثَبَتَ فى « الصَّحِيحَيْنِ »[1] عن أنسٍ ، فى ذهَابِهِ بِأَخِيه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فَحَنَّكَ أَخاه وسَمَّاه عبدَ اللَّهِ . وجاء فى حديثِ الحَسَنِ ، عن سَمُرَةَ مَرْفُوعًا : « كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ ، وَيُسَمَّى وَيُحْلَقُ رَأْسُه » . رواه أَحمدُ ، وأهلُ السُّنَنِ ، وصَحَّحه التِّرْمِذِىُّ[2] ، وجاءَ فى بعضِ ألفاظِه : و « يُدَمَّى » بَدَلَ : « ويُسَمَّى » . وصحَّحَهُ بعضُهم . واللَّهُ أعلمُ . وقولُها : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ قد استُجِيبَ لها فى هذا ، كما تُقُبِّلَ مِنْها نَذْرُها ؛ فقال الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثَنَا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن ابنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هُريرةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ ، قال [١/٢٤٧و] : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا الشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ ، فيَسْتَهِلُّ صارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إيَّاهُ ، إِلَّا مَرْيَمَ وابْنَهَا » . ثُمَّ يقولُ أبو هريرةَ : واقْرَءُوا إنْ شِئْتُم : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ أَخْرَجَاه مِن حديثِ عبدِ

---

(١) البخارى (٥٤٧٠) . مسلم (٢١٤٤) .

(٢) فى المسند ٥/ ١٢، ١٧، ٢٢. أبى داود (٢٨٣٧، ٢٨٣٨) . الترمذى (١٥٢٢) . النسائى (٤٢٣١) . ابن ماجه (٣١٦٥) . (صحيح أبى داود ٢٤٦٢، ٢٤٦٣) .

(٣) فى المسند ٢/ ٢٧٤. (إسناده صحيح) .

الرَّزَّاقِ[1] . ورواه ابنُ جريرٍ[2] عن أحمدَ بنِ الفَرَجِ ، [3]عن بَقِيَّةَ[3] ، عن الزُّبَيْدِيِّ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ، [4]بنَحْوِه[4] .

وقال أَحمدُ[5] أَيضًا : حَدَّثنا إسماعيلُ بنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنَا ابنُ أبى ذِئْبٍ[6] ، عن عَجْلانَ مَوْلَى المُشْمَعِلِّ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ[4] ، قال : « كُلُّ مَوْلودٍ مِنْ بَنِى آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ بأُصْبُعِه ، إِلَّا مَرْيَمَ ابنةَ عِمْرَانَ ، وابْنَهَا عِيسَى » . تَفَرَّدَ بِهِ مِن هذا الوجهِ . ورَواه مسلمٌ[7] ، عن أبى الطَّاهِرِ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن عَمْرِو[8] بنِ الحارِثِ ، عن أبى يُونسَ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِهِ .

وقال أَحمدُ[9] : حَدَّثَنا هَيْثَمٌ[10] ، حَدَّثَنا حَفْصُ بنُ[11] مَيْسَرَةَ ، عن العَلاءِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ أَنَّ النبىَّ ﷺ ، قال : « كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكُزُهُ الشَّيْطانُ بحِضْنَيْهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ وَابْنِهَا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الصَّبِيِّ حينَ يَسْقُطُ كَيْفَ يَصْرُخُ ؟ » . قالوا : بَلَى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فذلك حين يَلْكُزُه الشَّيْطَانُ بِحِضْنَيْه » . وهذا على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجْه مِن هذا الوجهِ .

ورواه قَيْسٌ[12] ، عن الأَعْمَشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : قال

---

(١) البخارى (٤٥٤٨) . مسلم (٢٣٦٦) .
(٢) فى تفسيره ٣/ ٢٤٠.
(٣ - ٣) سقط من : ح . وبعده فى ح ، م : « عبد الله بن » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) المسند ٢/ ٢٨٨. (إسناده صحيح) .
(٦) فى م : « ذؤيب » .
(٧) مسلم (٢٣٦٦) .
(٨) فى م : « عمر » .
(٩) المسند ٢/ ٣٦٨.
(١٠) فى الأصل ، ح ، م : « هشيم » . وفى ص : « هشام » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٧٤.
(١١) فى الأصل : « عن » .
(١٢) تفسير الطبرى ٣/ ٢٣٩، ٢٤٠.

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطانُ عَصْرَةً أو عَصْرَتَيْنِ ؛ إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَرْيَمَ » . ثُمَّ قَرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ . وكذا رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ[1] ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النَّبِىِّ ﷺ ، بأَصْلِ الحديثِ .

وقال الإمامُ أَحمدُ[2] : حَدَّثنا عبدُ الملِك ، حَدَّثَنَا المُغِيرَةُ ، هو ابنُ عبدِ الرحمنِ[3] الحِزَامِىُّ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كُلُّ بَنِى آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطانُ فى جَنْبِهِ حِينَ يُولَدُ ، إِلَّا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فى الحِجَابِ » . وهذا على شَرْطِ « الصَّحيحَيْنِ » ، ولم يُخْرِجاه مِن هذا الوَجْهِ . وقولُه : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ذَكَرَ كثيرٌ مِن المفَسِّرين[4] أنَّ أُمَّها حينَ وضَعَتْها ، لَفَّتْها فى خُروقِها ، ثم خَرَجَتْ بِها إلى المسْجِدِ ، فَسَلَّمتها إلى العُبّادِ الذين هُم مُقِيمُونَ به ، [5]وكانت ابنةَ إِمَامِهم وصاحِبِ صَلَاتِهم[5] ، فتَنازَعُوا فيها . والظَّاهِرُ أنَّها إنَّما سَلَّمَتْها إليهم بعدَ رَضَاعِها وكَفَالَةِ مِثْلِها فى صِغَرِها ، ثُمَّ لَمَّا دَفَعَتْها إليهم ، تَنازَعُوا [١/٢٤٧ظ] فى أَيِّهم يَكْفُلُها ، وكانَ زكريَّا نَبِيُّهُم فى ذلكَ الزَّمانِ ، قد أرادَ أَنْ يَسْتَبِدَّ بها دُونَهم ؛ مِن أَجْلِ أَنَّ زَوْجَتَهُ أُخْتُها أو خالتُها ، على القَوْلَيْنِ ، فَشَاحُّوه فى ذلك ، وطلبُوا أن يَقْتَرِعَ معهم ،

---

(١) تفسير الطبرى ٣/ ٢٣٩.
(٢) المسند ٢/ ٥٢٣.
(٣) فى ح ، م : « اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٨٧.
(٤) تفسير الطبرى ٣/ ٢٤٣. تفسير القرطبى ٤/ ٦٧. الدر المنثور ٢/ ١٩.
(٥ - ٥) سقط من : ح .

فَساعَدَتْه المَقادِيرُ، فَخَرَجَتْ قُرْعَتُه غَالِبَةً لهم، وذلك أنَّ الخالةَ بمنزلَةِ الأُمِّ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أى؛ بِسَبَبِ غَلَبِهِ لهم فى القُرْعةِ، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قالوا: وذلك أنَّ كُلًّا مِنْهم أَلْقَى قَلَمَهُ معروفًا به، ثُمَّ حَمَلُوها ووَضَعُوها فى مَوْضِعٍ، وأَمَرُوا غُلامًا لم يَبْلُغِ الحِنْثَ، فأَخْرَجَ واحدًا منها، فَظَهَرَ قَلَمُ زكريَّا، عليه السَّلامُ، فطلبُوا أن يَقْتَرِعُوا مَرَّةً ثانيةً، وأنْ يكونَ ذلك بأنَ يُلْقُوا أَقْلامَهم فى النَّهْرِ، فأَيُّهم جَرَى قَلَمُه (١) على خِلافِ جِرْيَةِ الماءِ فَهو الغالبُ، ففَعَلُوا، فكان قَلَمُ زكريَّا هو الذى جَرَى على خلافِ جِرْيَةِ الماءِ، وسارت أقلامُهم مع الماءِ، ثُمَّ طَلَبُوا منه أن يَقْتَرِعُوا ثالثةً فأَيُّهم جَرَى قلمُه (١) مع الماءِ (٢)، وتكونُ بَقِيَّةُ الأَقْلامِ قد انْعَكَسَ سَيْرُها صُعُدًا؛ فهو الغالِبُ، فَفَعَلُوا، فكان زكريَّا هو الغالِبَ لهم، فكَفَّلَها إذ كان أَحَقَّ بها شَرْعًا وقَدَرًا؛ لوجوهٍ عديدةٍ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال المُفَسِّرُون (٣): اتَّخَذَ لها زكريّا مَكَانًا شَرِيفًا من المسجدِ، لا يَدْخُلُه سِوَاها (٤)، فكانت تعبدُ اللَّهَ فيهِ، وتَقُومُ بما يَجِبُ عليها مِن سِدَانَةِ البيْتِ إذا جاءت نَوْبَتُها، وتقومُ بالعبادةِ ليلَها ونهارَها، حتى صارت يُضْرَبُ المَثَلُ بعبادتِها فى بنى

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سقط من: ح.

(٣) تفسير القرطبى ٤/ ٧١. الدر المنثور ٢/ ١٨.

(٤) فى م: «سواه».

إسْرائيلَ ، وَاشْتَهَرَتْ بما ظَهَرَ عليها مِن الأحوالِ الكريمةِ ، والصِّفاتِ الشَّريفةِ ، حتى إنَّه كان نبيُّ اللَّهِ زكريَّا كُلَّمَا دَخَلَ عليها مَوْضِعَ عبادَتِها ، يَجِدُ عنْدَها رِزْقًا غريبًا فى غيرِ أَوَانِهِ ، فكان يَجِدُ عندَها فاكهةَ الصَّيْفِ فى الشِّتاءِ ، وفاكهةَ الشِّتاءِ فى الصَّيْفِ ، فيسألُها : ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ فتقولُ : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أى ؛ رِزْقٌ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . فعِنْدَ ذلك وهُنَالِكَ ، طَمِعَ زكريَّا فى وُجُودِ وَلَدٍ مِن صُلْبِهِ ، وإن كان قد أَسَنَّ وَكَبِرَ . ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ ، قال بعضُهم[1] : قال : يا مَنْ يَرْزُقُ مريمَ الثَّمَرَ فى غيرِ أوَانِه ، هَبْ لى وَلَدًا ، وإنْ كان فى غَيْرِ أوانِه . فكان مِن خَبَرِه وقَضِيَّتِه ، ما قَدَّمْنا ذِكْرَهُ فى قِصَّتِه .

قال اللَّه تعالى[2] : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ [١/٢٤٨و] إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ

---

(١) تفسير الطبرى ٢/ ٢٤٨، القرطبى ٤/ ٧١. الدر المنثور ٢/ ٢٠، ٢١. وعزاه لإسحاق بن بشر.
(٢) التفسير ٢/ ٣٢- ٣٦.

جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٤٢- ٥١].

يذكُرُ تعالى أنَّ الملائكةَ بَشَّرَتْ مَرْيَمَ باصطِفاءِ اللَّهِ لها، مِن بينِ سائرِ نِسَاءِ عالَمى زَمَانِها، بأَنِ اختَارَها لإيجادِ وَلَدٍ مِنْها، مِن غَيْرِ أَبٍ، وبُشِّرَتْ بأَنْ يكونَ نبيًّا شريفًا ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ أى؛ فى صِغَرِهِ، يَدْعُوهم إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له، وكذلك فى حالِ كُهُولَتِهِ، فدَلَّ على أَنَّهُ يَبْلُغُ الكُهُولَةَ، ويَدعُو إلى اللَّهِ فيها، وأُمِرَتْ بكَثْرَةِ العبادَةِ والقُنُوتِ والسُّجُودِ والرُّكُوعِ؛ لتَكُونَ أَهْلًا لهذه الكرامةِ، ولتَقُومَ بِشُكْرِ هذهِ النِّعْمَةِ، فيقالُ: إنَّها كانت تَقُومُ فى الصَّلاةِ حتى تَفَطَّرَتْ قَدَماها، رَضِىَ اللَّهُ عنها ورَحِمَها، ورَحِمَ أُمَّها وأَباها. فقَوْلُ الملائِكَةِ: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ أى؛ اختارَكِ واجْتَبَاكِ. ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ أى؛ مِن الأَخْلاقِ الرَّذِيلَةِ، وأَعْطَاكِ الصِّفاتِ الجميلةَ.

﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ المرادُ عالَمى زَمَانِها، كقولِهِ لموسى: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، وكَقَوْلِه عن بنى إسرائيلَ: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢]. ومعلومٌ أنَّ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، أَفْضَلُ مِن موسَى، وأنَّ محمدًا ﷺ، أفضلُ

منهما ، وكذلك هذه الأُمَّةُ أفْضَلُ مِن سائرِ الأُمَمِ قَبْلَها ، وأكثرُ عَدَدًا ، وأفْضَلُ عِلْمًا ، وأزْكَى عَمَلًا[1] ، مِن بنى إسرائيلَ وغَيْرِهم . وَيَحْتَمِلُ أن يكونَ قولُه : ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ محفوظَ العُمُومِ ؛ فتكونَ أَفْضَلَ نِساءِ الدُّنْيا ، مِمَّن كان قبلَها ، ووُجِدَ بعدَها ؛ لأَنَّها إن كانت نَبِيَّةً ، على قَوْلِ مَن يَقولُ بِنُبُوَّتِها ، ونُبُوَّةِ سارَّةَ [١/٢٤٨ظ] أمِّ إسحاقَ ، ونُبُوَّةِ أُمِّ[2] موسى ، مُحْتَجًّا بكلامِ الملائكةِ ، والوَحْيِ إلى أمِّ موسى ، كما يَزْعُمُ ذلك ابنُ حَزْمٍ[3] وغيرُه ، فلا يَمْتَنِعُ على هذا ، أَن تكون مريمُ أفضلَ مِن سَارَّةَ وأُمِّ موسى ؛ لعمومِ قولِهِ : ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، إذ لم يُعارِضْه غَيْرُه . واللَّهُ أعلمُ . وأَمَّا على قولِ الجمهورِ ، كما قد حَكاه أبو الحسَنِ الأَشْعَرِىُّ وغيرُه عن أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ، مِن أنَّ النُّبُوَّةَ مُخْتَصَّةٌ بالرِّجَالِ ، وليس فى النِّساءِ نبيَّةٌ ، فيكونُ أَعْلَى مقاماتِ مريمَ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة : ٧٥] ، فَعَلَى هذا لا يَمْتَنِعُ أن تكُونَ أَفْضَلَ الصدِّيقاتِ المَشْهُورَاتِ ، مِمَّن كان قَبْلَها ، ومِمَّن يكونُ بَعْدَها . واللَّهُ أعلمُ . وقد جاء ذِكْرُها مَقْرُونًا مع آسِيةَ بنتِ مُزَاحِمٍ ، وخديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، وفاطمةَ بنتِ محمدٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ ، والبخارىُّ ، ومُسْلِمٌ ، والتِّرْمِذِىُّ ، والنَّسائِىُّ[4] ،

---

(١) فى الأصل ، ح : « تحملا » .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى الأصل : « جرير » . وانظر كلام ابن حزم فى الفصل ٥/١٧- ١٩ .

(٤) المسند ١/٨٤، ١١٦، ١٣٢. البخارى (٣٤٣٢، ٣٨١٥). مسلم (٢٤٣٠). الترمذى (٣٨٧٧). النسائى فى الكبرى (٨٣٥٤) .

مِن طُرُقٍ عديدةٍ ، عن هشامِ بنِ[1] عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وخَيْرُ نِسَائِها خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حَدَّثَنَا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أنبأَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ ، عن أَنَسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ بِأَرْبَعٍ ؛ مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ » . ورَواه التِّرْمِذِىُّ ، عن أبى بَكْرِ بنِ زَنْجَوَيْهِ ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ به ، وصَحَّحَه[3] .

ورَواه ابنُ مَرْدَوَيْهِ[4] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ الرَّازِىِّ[5] ، وابنُ عساكرَ[6] ، مِن طريقِ تميمِ بنِ زيادٍ[7] ، كلاهما عن أبى جعفرٍ الرَّازِىِّ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ نِسَاءِ العالَمِينَ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وفاطمةُ بنتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حَدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن ابنِ المُسَيَّبِ ، قال : كان أبو هُريرةَ يُحَدِّثُ أنَّ النبىَّ ﷺ ، قال : « خَيْرُ نساءٍ

---

(١) فى الأصل : « عن » .
(٢) المسند ٣/ ١٣٥.
(٣) الترمذى (٣٨٧٨) . (صحيح الترمذى ٣٠٥٣) .
(٤) فى الأصل : « سردق به » . والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣ وعزاه لابن مردويه .
(٥) سقط من : ص .
(٦) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٨.
(٧) فى الأصل : « زيادة » .
(٨) المسند ٢/ ٢٧٥. (إسناده صحيح) .

رَكِبْنَ الإِبِلَ ، صالِحُ نِساءِ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فى صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ لِزَوْجٍ فى ذَاتِ يَدِهِ » . قال أبو هُريرةَ : ولم تَرْكَبْ مريمُ بَعِيرًا قَطُّ . وقد رواهُ مُسْلِمٌ فى « صحيحِه »[1] ، عن محمدِ بنِ رافِعٍ وعَبْدِ بنِ حُمَيْدٍ ، كلاهما عن عبدِ الرّزّاقِ به[2] .

وقال أحمدُ[3] : حَدَّثَنَا زَيدُ بنُ الحُبَابِ ، حدَّثَنى موسى بنُ علىٍّ ، سَمِعْتُ أبى يقولُ : سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يقول : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ [٢٤٩/١و] الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ على وَلَدٍ فى صِغَرِهِ ، وَأَرْأَفُهُ بِزَوْجٍ عَلَى قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ » قال أبو هريرةَ : وَقَدْ عَلِمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ [4]ابنةَ عِمْرانَ[4] لم تَرْكَبِ الإِبِلَ . تَفَرَّدَ به ، وهو عَلَى شَرْطِ « الصَّحِيح »[5] . ولهذا الحديثِ طرقٌ أُخَرُ[6] عن أبى هريرةَ .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصِلِىُّ[7] : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا يونسُ بنُ محمدٍ ، حَدَّثنا داودُ بنُ أبى الفُرَاتِ ، عَن عِلْباءَ بنِ أَحْمَرَ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال :

---

(١) مسلم (٢٥٢٧) .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) روى أحمد فى مسنده الجزء الموقوف من الحديث ، وسقط المرفوع من المسند ؛ فقد قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٢٧١- بعدما أورد الحديث مرفوعه وموقوفه - : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح . كما عزاه الحافظ ابن حجر إلى أحمد فى الفتح ٦/ ٤٧٤. وقال محقق المسند المعتلى ٧/ ٤٢٤: وهو مذكور على التمام فى جامع المسانيد لابن كثير الورقة ١٥٥/ب .

(٤ - ٤) فى مسند أحمد : « ابنة الخطاب » . وانظر : مجمع الزوائد ٤/ ٢٧١، الفتح ٦/ ٤٧٤.

(٥) فى ص : « الصحيحين » .

(٦) من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة : المسند ٢/ ٥٠٢. وابن أبى عاصم فى السنة (١٥٣٣) . ومن طريق الأعرج عن أبى هريرة : البخارى (٥٣٦٥) . مسلم (٢٥٢٧) . المسند ٢/ ٢٩٣، ٤٤٩. ومن طريق ابن طاووس عن أبيه : البخارى (٥٣٦٥) . مسلم (٢٥٢٧) . ومن طريق سعيد بن المسيب عن أبى هريرة : ابن أبى عاصم فى السنة (١٥٣١، ١٥٣٢) .

(٧) مسند أبى يعلى (٢٧٢٢) . (إسناده صحيح) .

خَطَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى الأَرْضِ أربعَ خُطُوطٍ، فقال: «أَتَدْرُونَ ما هَذَا؟» قالوا: اللَّهُ ورسُولُه أعلمُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بنتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ». ورَواه النَّسائِىُّ[1] مِن طُرُقٍ عن داودَ بنِ[2] أبى الفُراتِ[3].

وقد رَواه ابنُ عساكرَ[4] مِن طريقِ أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى داودَ سليمانَ بنِ الأَشْعَثِ، حَدَّثنا يَحْيَى بنُ حاتِمٍ العَسْكَرِىُّ، حَدَّثَنَا بشرُ بنُ مِهْرانَ بنِ حَمْدانَ، حَدَّثَنَا محمدُ بنُ دِينارٍ، عن داودَ بنِ أَبى هِنْدٍ، عن الشَّعْبِىِّ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْهُنَّ أَرْبَعُ سَيِّداتٍ، نِساءُ العالمينَ؛ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ».

وقال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[5]: حَدَّثَنا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ[6]، حَدَّثَنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الواسِطِىُّ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو، عن[7] أبى سَلَمَةَ، عن عائشةَ أنَّها قالت لفاطمةَ: أَرَأَيْتِ حينَ أَكْبَبْتِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَيْتِ، ثُمَّ ضَحِكْتِ؟

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨٣٦٤).
(٢) سقط من: م.
(٣) فى النسخ: «هند». وما أثبتناه هو الصواب. انظر مصدر التخريج. وتهذيب الكمال ٨/ ٤٣٧. وتحفة الأشراف ٥/ ١٥٢.
(٤) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٨.
(٥) ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٩.
(٦) فى الأصل، ح، م: «منبه». وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١١٥.
(٧) فى الأصل: «على بن».

قالت : أخْبَرَنى أنَّه مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هذا فبكَيْتُ ، ثُمَّ أكْبَبْتُ عليه ، فَأَخْبَرَنى أنِّى أسْرَعُ أهْلِهِ لُحُوقًا به ، وأنِّى سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجنَّةِ ، إلَّا مريمَ بنتَ عِمْرانَ ، فَضَحِكْتُ . وأصلُ هذا الحديثِ فى « الصَّحيحِ »[1] . وهذا إسْنادٌ على شرطِ مسلمٍ ، وفيه أنَّهما[2] أَفْضَلُ الأَرْبَعِ المذْكُوراتِ .

وهكذا الحديثُ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ[3] ، حَدَّثَنَا عثمانُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن يزيدَ ، هو ابنُ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى نُعْمٍ[4] ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، إلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ » . إسْنادٌ حسنٌ ، وصَحَّحه التِّرْمِذِىُّ[5] ، ولم يُخْرِجُوه ، وقد رُوِىَ نَحْوُه مِن حديثِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ[6] ، ولكنْ فى إسنادِه ضَعْفٌ .

والمقصودُ أَنَّ هذا يَدُلُّ على أنَّ مريمَ وفاطمةَ أفضلُ هذه الأربعِ ، ثُمَّ يَحْتَمِلُ الاستثناءُ [١/٢٤٩ظ] أن تكونَ مريمُ أَفْضَلَ مِن فاطمةَ ، ويَحْتَمِلُ أن يكونا على

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٥٠) من طريق عروة بن الزبير ومسروق ، كلاهما عن عائشة .

(٢) فى الأصل ، ص : « أنها » .

(٣) فى المسند ٣/ ٨٠.

(٤) فى الأصل ، ح ، م : « نعيم » . وفى ص : « يعمر » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤٥٧.

(٥) أى إسناد أحمد ، فقد أخرج الترمذى حديثًا فى مناقب الحسن والحسين رقم (٣٧٦٨) من طريق جرير بن عبد اللَّه ، عن يزيد بن أبى زياد به ، وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وقال صاحب تحفة الأحوذى ٤/ ٣٣٩- عقب قول الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - : وأخرجه أحمد .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٠١: قلت : رواه الترمذى غير ذِكْر فاطمة ومريم . ثم قال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٠١ من حديث على بن أبى طالب ، وقال : رواه الطبرانى ، وفيه جابر الجعفى وهو ضعيف .

السَّواءِ فى الفضيلةِ ؛ لكنْ وَرَدَ حديثٌ ، إنْ صَحَّ عَيَّنَ الاحتمالَ الأوَّلَ ، فقال الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[1] : أخْبَرَنا أبو الحُسينِ[2] بنُ الفَرَّاءِ ، وأبو غالبٍ ، وأبو عبدِ اللَّهِ ، ابنا[3] البَنّا ، قالوا : أَنْبأنا أبو[4] جعفرِ بنُ المُسْلِمَةِ ، أنبأَنا أبو طاهِرٍ المُخَلِّصُ ، حَدَّثَنا أحمدُ بنُ سليمانَ ، حَدَّثنا الزُّبَيْرُ ، هو ابنُ بَكَّارٍ ، حدَّثنا محمدُ ابنُ الحَسَنِ[5] ، عن عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ ، عن موسى بنِ عُقْبَةَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، ثُمَّ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ خَدِيجَةُ ، ثُمَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ » . فإن كان هذا اللَّفْظُ محفوظًا بـ « ثُمَّ » التى للتَّرْتيبِ ، فهو مُبَيِّنٌ لأَحَدِ الاحْتِمَالَيْنِ اللذينِ دَلَّ عليهما الاستثناءُ ، ويُقَدَّمُ على ما تَقَدَّم مِن الألفاظِ التى وَرَدَتْ بواوِ العَطْفِ ، التى لا تَقْتَضِى الترتيبَ ولا تَنْفِيهِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوَى هذا الحديثَ أبو حاتِمٍ الرَّازِىُّ[6] ، عن داودَ الجَعْفَرِىِّ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ ، وهو الدَّرَاوَرْدِىُّ ، عن إبراهيمَ بنِ عُقْبَةَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ مَرْفُوعًا ، فذَكَرَه بواوِ العَطْفِ لا بـ « ثُمَّ » التَّرْتِيبِيَّةِ ، فخالَفَهُ إسنادًا وَمَتْنًا . فاللَّهُ أعلمُ .

فأمَّا الحديثُ الذي رَواهُ ابنُ مَرْدَوَيْهِ ، مِن حديثِ شُعْبَةَ ، عن مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ

---

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٤.
(٢) فى م : « الحسن » .
(٣) فى الأصل : « أنا » .
(٤) فى الأصل : « ابن » .
(٥) فى الأصل : « الحسين » .
(٦) ومن طريقه رواه ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٤.

يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلَّا ثَلَاثٌ ؛ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » .

وهكذا الحديثُ الذى رَواهُ الجماعةُ ، إلَّا أبا داودَ[1] ، مِن طُرُقٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ ، عن مُرَّةَ الهَمْدَانِىِّ ، عن أبى موسى الأشْعَرِىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وإنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سَائِرِ الطَّعَامِ » . فإنَّه حديثٌ صحيحٌ كما تَرَى ، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ على إخْراجِهِ ، ولَفْظُه يَقْتَضِى حَصْرَ الْكَمَالِ فى النِّساءِ فى مريمَ وَآسِيَةَ ، ولَعَلَّ المرادَ بذلك ، فى زمانِهِما ، فإنَّ كُلًّا منهما كَفَلَتْ نبيًّا فى حالِ صِغَرِه ، فآسِيَةُ كَفَلَتْ موسى الكَليمَ ، ومريمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا عبدَ اللَّهِ ورسولَه ، فلا يَنْفِى كمالَ غَيْرِهما فى هذه الأُمَّةِ ، كخديجةَ وفاطمةَ ؛ فخديجةُ خَدَمَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قبلَ البَعْثَةِ خمسَ عشْرةَ سنةً ، وبعدَها أَزْيَدَ مِن عشرِ سنينَ ، وكانت [١/٢٥٠و] له وزيرَ صِدْقٍ بنَفْسِها ومالِها ، رَضِى اللَّهُ عنها وأَرْضاها ، وأَمَّا فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنَّها خُصَّتْ بمَزِيدِ فَضِيلَةٍ على أَخَوَاتِها ؛ لأَنَّها أُصِيبَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وبَقِيَّةُ أَخَوَاتِها مِتْنَ فِى حَيَاةِ النبىِّ ﷺ ، وأَمَّا عَائشةُ ؛ فإنَّها كانت أَحَبَّ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إليه ، ولم يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا ، ولا يُعْرَفُ فى سائرِ النِّساءِ فِى هذهِ الأُمَّةِ ، بل ولا فى غَيْرِها ، أَعْلَمُ منهَا ولا أَفْهَمُ ، وقد غَارَ اللَّهُ لها حِينَ قال لها أَهْلُ الإفْكِ ما قالوا ، فأَنْزَلَ بَرَاءَتَها مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سماواتٍ ، وقد

---

(١) البخارى (٣٤١١، ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨) . مسلم (٢٤٣١) . الترمذى (١٨٣٤) . النسائى فى الكبرى (٨٣٥٣، ٨٣٥٦) . ابن ماجه (٣٢٨٠) . المسند ٤/ ٣٩٤، ٤٠٩ .

عُمِّرَتْ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قريبًا مِن خمسين سنةً ، تُبَلِّغُ عنه القُرْآنَ والسُّنَّةَ ، وتُفْتِى المسلمين ، وتُصْلِحُ بينَ المُخْتَلِفِين ، وهى أَشْرفُ أُمَّهاتِ المؤْمنِين ، حتى خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ أُمِّ البَنَاتِ والبنينَ ، فى قولِ طائفةٍ من العلماءِ السَّابِقِين ، واللَّاحِقِين ، والأَحْسَنُ الوَقْفُ فيهما ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، وما ذاك إلَّا لأَنَّ قولَه ﷺ : « وَفَضْلُ عائِشَةَ على النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطَّعامِ » يَحْتَمِلُ أن يَكُونَ عَامًّا بالنسبةِ إلى المذْكوراتِ وغيْرِهِنَّ ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ عَامًّا بالنسبةِ إلى ما عدا المذكوراتِ . واللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ هٰهنا ، ذِكْرُ ما يَتَعَلَّقُ بمريمَ بنتِ عِمْرانَ ، عليها السَّلامُ ، فإنَّ اللَّهَ طَهَّرَها واصْطَفَاها على نِساءِ[1] عالَمى زَمَانِها ، ويجوزُ أَنْ يكونَ تَفْضِيلُها على النِّساءِ مُطْلقًا ، كما قَدَّمْنا . وقد وَرَدَ فى حديثٍ[2] أنَّها تَكُونُ مِن أزواجِ النبىِّ ﷺ ، فى الجَنَّةِ ، هى وآسِيَةُ بنتُ مُزَاحِمٍ . وقد ذَكَرْنا فى « التفسيرِ »[3] عن بعضِ السَّلَفِ ، أنَّه قال ذلك ، واستأْنَسَ بقولِه : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] قال : فالثَّيِّبُ آسِيَةُ ، ومِن الأَبْكارِ مَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ . وقد ذَكَرْنَاه فى آخرِ سورةِ « التَّحْرِيمِ »[4] . فاللَّهُ أعلمُ .

قال الطَّبَرَانِىُّ[5] : حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ ناجِيَةَ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ سَعْدٍ العَوْفِىُّ[6] ، حَدَّثَنا أبى ، حَدَّثنا عمِّى الحُسَيْنُ ، حَدَّثَنَا يونسُ بنُ نُفَيْعٍ عن سعدِ بنِ

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) وهو الحديث الآتى من رواية الطبرانى وغيره .
(٣) التفسير ٨/ ١٩٣ .
(٤) التفسير ٨/ ٢٠٠ .
(٥) فى المعجم الكبير (٢/٥٤٨٥) .
(٦) فى الأصل : « الصوفى » .

جُنادَةَ[1] هو العَوْفِيُّ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِى فِى الجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَأُخْتَ مُوسَى».

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[2]: حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ عَرْعَرَةَ، حَدَّثَنا عبدُ النُّورِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثَنا يونُسُ بنُ شُعَيْبٍ، عن أبى أُمامَةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِى مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ بنتَ مُزَاحِمٍ، وَكَلْثَمَ[4] أُخْتَ مُوسَى» [١/٢٥٠ظ]. رواه أبو[3] جَعْفَرٍ العُقَيْلِيُّ مِن حديثِ عبدِ النُّورِ به[5]، وزاد: فقلتُ: هَنِيئًا لك يا رسولَ اللَّهِ. ثمَّ قال العُقَيْلِيُّ: وليس بمحفوظٍ.

وقال الزُّبَيْرُ[6] بنُ بَكَّارٍ[7]: حَدَّثَنِى محمدُ بنُ الحَسَنِ، عَنْ يَعْلَى بنِ المُغِيرَةِ، عن ابنِ أبى رَوَّادٍ[8]، قال: دخلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، على خَدِيجةَ وهى فى مرضِها الذى تُوُفِّيَت فيه، فقال لها: «بِالْكُرْهِ مِنِّى ما أَرَى مِنْكِ يا خديجةُ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فى الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا، أما عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَنِى مَعَكِ فى الجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَكلثمَ أُخْتَ مُوسى، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَونَ؟» قالت:

---

(١) فى الأصل: «حبارة».

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق أبى يعلى به، فى تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٤. والطبرانى فى الكبير (٨٠٠٦) من طريق عبد النور بن عبد الله به. وفيه عبد النور بن عبد الله، وهو كذاب. انظر المغنى فى الضعفاء ١/ ٥٨٠. والضعفاء والمتروكين ٢/ ١٥٥. وضعَّفه ابن كثير فى التفسير ٨/ ١٩٣.

(٣) فى ح، م: «ابن».

(٤) فى الضعفاء الكبير ٤/ ٤٥٩: «كلثوم» بدل «كلثم».

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) فى الأصل: «اليزيد».

(٧) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر، فى تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٤، ٣٨٥.

(٨) فى م: «داود».

وقد فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ذلك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «نَعَمْ». قالت: بالرِّفاءِ والبَنِينَ.

ورَوَى ابنُ عساكرَ[1]، مِن حديثِ محمدِ بنِ زكريّا الغَلَابِيِّ[2]، حَدَّثَنا العباسُ بنُ بَكّارٍ، حدَّثنا أبو بكرٍ الهُذَلِيُّ[3]، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، دَخَلَ على خَدِيجَةَ، وهى فى المَوْتِ، فقال: «يَا خَدِيجَةُ، إِذَا لَقِيتِ ضَرَائِرَكِ فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّى السَّلَامَ». قالت: يا رسولَ اللَّهِ، وهل تَزَوَّجْتَ قَبْلِى؟ قال: «لَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِى مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ بِنْتَ مُزَاحِمٍ، وكَلثَمَ أُخْتَ مُوسَى».

ورَوَى ابنُ عساكرَ[4]، من طريقِ سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ صالحِ ابنِ عُمَرَ، عن الضَّحَّاكِ ومُجَاهِدٍ، عن ابنِ عمرَ قال: نزل جِبْرِيلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، بما أُرْسِل به، وجلس يُحَدِّثُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، إذ مَرَّتْ خديجةُ، فقال جبريلُ: مَنْ هذه يا محمدُ؟ قال: «هَذِهِ صِدِّيقَةُ أُمَّتِى». قال جبريلُ: معى إليها رسالةٌ مِن الرَّبِّ، عزَّ وجلَّ، يُقْرِئُها السَّلامَ، ويُبَشِّرُها ببَيْتٍ فى الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ، بَعِيدٍ مِن اللَّهَبِ، لا نَصَبَ فيه ولا صَخَبَ. قالت: اللَّهُ السَّلامُ، ومنه السَّلامُ، والسَّلامُ عليكما ورحمةُ اللَّهِ، وبَرَكَاتُهُ على رسولِ اللَّهِ، ما ذلك البيتُ الذى مِن قَصَبٍ؟ قال: «لُؤْلُؤَةٌ جَوْفَاءُ بَيْنَ بَيْتِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَبَيْتِ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ، وَهُمَا مِنْ أَزْوَاجِى يَوْمَ القِيَامَةِ». وأَصْلُ السَّلامِ على خديجةَ مِن اللَّهِ، وبِشَارَتِها ببَيْتٍ فى الجَنَّةِ، مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ[5]، فى

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٤.
(٢) فى الأصل: «العلائى».
(٣) فى م: «الهزلى».
(٤) المصدر السابق ص ٣٨٣.
(٥) فى ح، م: «وصب».

« الصَّحيحِ »[1] . ولكنَّ هذا السياقَ بهذه الزياداتِ ، غريبٌ جِدًّا . وَكُلُّ هذه الأحاديثِ ، فى أسانيدِها نَظَرٌ .

ورَوَى ابنُ عساكرَ[2] ، مِن حديثِ أبى زُرْعَةَ الدِّمَشْقِىِّ ، حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حَدَّثَنى مُعاويةُ ، عَن صَفْوَانَ بنِ عَمْرٍو ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن كَعْبِ الأَحْبَارِ ، أَنَّ مُعاويةَ سأله عن الصَّخْرَةِ ؛ يعنى صَخْرَةَ بيْتِ المقدِسِ ، فقال : الصَّخرةُ على نَخْلَةٍ ، والنَّخْلَةُ على نَهْرٍ مِن أنهارِ الجنَّةِ ، وتحتَ النَّخْلَةِ مَرْيَمُ [١/٢٥١و] بنتُ عمرانَ ، وآسيةُ بنتُ مُزَاحِمٍ ، يَنْظِمانِ[3] سُمُوطَ أَهلِ الجنَّةِ ، حتى تَقُومَ السَّاعةُ . ثُمَّ رواهُ مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ[4] عَيَّاشٍ[5] ، عن ثَعْلَبَةَ ابنِ مُسْلِمٍ ، عن مَسْعودِ بنِ[6] عبدِ الرَّحمنِ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ، عن النبىِّ ﷺ ، بمثلِه . وهذا مُنْكَرٌ مِن هذا الوَجْهِ ، بل هو موضوعٌ .

ثُمَّ[7] قد رواه أبو زُرْعَةَ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ صَالِحٍ ، عن معاويةَ ، عن مَسْعودِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ عائِذٍ ، أنَّ معاويةَ سأل كَعْبًا عن صَخْرَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ ، فذَكَرَه . قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[9] : وكَوْنُه مِن كلامِ كَعْبِ الأَحْبَارِ ،

---

(١) البخارى (٣٨٢٠، ٧٤٩٧) ، مسلم (٢٤٣٢) . كلاهما من حديث أبى هريرة .
(٢) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٥، ٣٨٦.
(٣) فى ح : « يتنمطان » .
(٤) فى م : « عن » .
(٥) فى الأصل : « عباس » .
وأخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ص ٣٨٥.
(٦) فى م : « عن » .
(٧) سقط من : م .
(٨) المصدر السابق .
(٩) المصدر السابق .

أَشْبَهُ . قلتُ : وكَلَامُ كَعْبِ الأَحْبَارِ هذا ، إنَّما تَلَقَّاه مِن الإِسرائيليّاتِ ، التى منها ما هو مكذوبٌ مُفْتَعَلٌ ، وَضَعَه بعضُ زَنادِقَتِهم أو جُهَّالِهِم ، وهذا منه . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكْرُ[1] ميلادِ العبدِ الرّسولِ

عيسى ابنِ مَرْيَمَ البَتُولِ

قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ

---

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٥/٢١٣- ٢٢٦.

ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ [١/٢٥١ظ] فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم: ١٦- ٣٧].

ذَكَرَ تعالى هذه القِصَّةَ بعدَ قِصَّةِ زكريَّا، التى هى كالمقدِّمةِ لها والتَّوْطِئَةِ قبلَها، كما ذَكَرَ فى سورةِ «آلِ عِمْرانَ»، قَرَنَ بينَهما فى سياقٍ واحدٍ، وكما قال فى سورةِ «الأنبياءِ»[1]: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩- ٩١].

وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَرْيَمَ، لَمَّا جَعَلَتْها أُمُّها مُحَرَّرَةً، تَخْدِمُ بَيْتَ المقْدِسِ، وأنَّه كَفَّلَهَا زوجُ أُخْتِها أو خَالَتِها، نبيُّ ذلكَ الزَّمَانِ، زكريَّا، عليه السّلامُ، وأنَّه اتَّخذ لها مِحْرَابًا، وهو المكانُ الشَّرِيفُ مِن المسجدِ، لا يَدْخُلُه أَحَدٌ عليها سواه، وأنَّها لَمَّا بَلَغَتِ اجْتَهَدَتْ فى العِبَادَةِ، فلم يَكُنْ فى ذلك الزَّمانِ نظيرُها

---

(١) التفسير ٥/ ٣٦٤، ٣٦٥.

فى فُنُونِ العباداتِ ، وَظَهَر عليها مِن الأَحْوالِ ما غَبَطَهَا به زكريَّا ، عليه السّلامُ ، وأنَّها خَاطَبَتْها الملائكةُ بالبِشَارَةِ لها باصطِفَاءِ اللَّهِ لها ، وبأَنَّه سيَهَبُ لهَا وَلَدًا زكِيًّا ، يَكُونُ نبيًّا كريمًا طاهِرًا مُكَرَّمًا ، مُؤَيَّدًا بالمُعْجِزاتِ ، فتعجَّبَتْ مِن وُجُودِ وَلَدٍ مِن غيرِ والدٍ ؛ لأَنَّها لا زَوْجَ لها ، ولا هى مِمَّن تَتَزَوَّجُ ، فأَخْبَرَتْها الملائكةُ بأَنَّ اللَّهَ قادِرٌ على ما يشاءُ ، إذا قَضَى أَمْرًا فإنَّما يقولُ له : كُنْ . فيكونُ ؛ فاسْتَكَانَتْ لذلك وأَنابَتْ ، وسَلَّمَتْ لأَمْرِ اللَّهِ ، وعَلِمَتْ أَنَّ هذا فيه مِحْنَةٌ عظيمةٌ لها ؛ فإنَّ النَّاسَ يَتَكَلَّمُون فيها بسَبَبِه ، لأَنَّهم لا يَعْلَمُون حقيقةَ الأَمْرِ ، وإنَّما يَنظُرُون إلى ظاهِرِ الحالِ ، مِن غيرِ تَدَبُّرٍ ولا تَعَقُّلٍ ، وكانتْ إنَّمَا تَخْرُجُ مِن المسجدِ فى زَمَنِ حَيْضِها ، أو لحَاجَةٍ ضروريَّةٍ لابُدَّ منها ؛ مِن اسْتِقَاءِ ماءٍ أو تَحْصِيلِ غِذَاءٍ ، فبينَما هى يومًا قد خَرَجَتْ لبَعْضِ شُئُونِها و ﴿ ٱنتَبَذَتْ ﴾ أى ؛ انْفَرَدَتْ وَحْدَها شَرْقِيَّ المسجدِ الأَقْصَى ، إذ بَعَثَ اللَّهُ إليها الرُّوحَ الأَمينَ ، جِبْرِيلَ ، عَليه السَّلامُ ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، فلَمَّا رَأَتْه ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ . قال أبو العاليةِ[1] : عَلِمَتْ أَنَّ التَّقِيَّ ذو نُهْيَةٍ . وهذا يَرُدُّ قولَ مَن زَعَم أَنَّه كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ فاسقٌ مشهورٌ بالفِسْقِ ، اسْمُه تَقِيٌّ ، فإنَّ هذا قولٌ باطلٌ بلا دليلٍ ، وهو مِن أَسْخَفِ الأَقْوالِ . ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أى ؛ خَاطَبَها المَلَكُ قائلًا : إنَّما أنا رسولُ رَبِّكِ ، أىْ[2] ؛ لستُ بِبَشَرٍ ، ولكِنِّى مَلَكٌ بَعَثَنِى اللَّهُ إليكِ ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ أى ؛ ولدًا زَكِيًّا . ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾ أى ؛ كيف يكونُ لى غلامٌ ، أو يُوجَدُ لِى ولدٌ ،

---

(١) كذا فى النسخ . وفى التفسير ٥/٢١٤ نسب ابن كثير القول إلى أبى وائل . وكذا القرطبى ١١/ ٩١ نسبه إلى أبى وائل أيضًا . وذكره البخارى معلقا من قول أبى وائل . وانظر الفتح ٦/ ٤٧٦، ٤٧٩.

﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أى ؛ ولستُ ذاتَ زَوْجٍ [١/٢٥٢و] ، وما أنا مِمَّن يَفْعَلُ الفاحِشَةَ . ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أى ؛ فأَجابَها المَلَكُ عن تَعَجُّبِها مِن وُجُودِ ولدٍ مِنْها ، والحالةُ هذهِ قائلًا : ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أى ؛ وَعَدَ أنَّه سَيَخْلُقُ منكِ غُلامًا ولستِ بذاتِ بَعْلٍ ، ولا تَكُونينِ مِمَّن يَبْغِين . ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أى ؛ وهذا سَهْلٌ عليه ، ويَسِيرٌ لَدَيْه ، فإنَّه على ما يشاءُ قديرٌ . وقولُه : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أى ؛ ولنَجْعَلَ خَلْقَه ، والحالةُ هذه ، دليلًا على كمالِ قُدْرَتِنا على أنواعِ الخَلْقِ ؛ فإنَّه تعالى خَلَقَ آدمَ مِن غيرِ ذَكَرٍ ولا أُنْثَى ، وخَلَقَ حَوَّاءَ مِن ذَكَرٍ بلا أُنْثَى ، وخَلَقَ عيسى مِن أُنْثَى بلا ذَكَرٍ ، وخَلَقَ بَقِيَّةَ الخَلْقِ مِن ذَكَرٍ وأُنْثَى . وقولُه : ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أى ؛ نَرْحَمُ به العِبادَ ، بِأن يَدْعُوَهم إلى اللَّهِ فى صِغَرِه وَكِبَرِه ، فى طُفُولَتِه وكُهُولَتِه ، بِأَنْ يُفْرِدُوا اللَّهَ بالعبادَةِ وَحْدَه لا شريكَ له ، ويُنَزِّهُوه عن اتِّخاذِ الصَّاحِبَةِ والأولادِ ، والشُّرَكاءِ والنُّظَرَاءِ ، والأَضْدَادِ والأَنْدادِ . وقولُه : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا مِن تَمامِ كلامِ جِبْرِيلَ معها ، يَعْنِى أنَّ هذا أَمْرٌ قَد قَضاهُ اللَّهُ وحَتَمَه وقَدَّرَهُ وقَرَّرَه . وهذا معنى قولِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، واختاره ابنُ جريرٍ[1] ، ولم يَحْكِ سواه . واللَّهُ أعلمُ . ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ قولُه : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ كنايةً[2] عن نَفْخِ جبريلَ فيها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] . فَذَكَرَ غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ[3] ، أنَّ جبريلَ نَفَخَ فى جَيْبِ دِرْعِها ، فنَزَلَتِ النَّفْخَةُ إلى

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/ ٦٢.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ٦٢.

فَرْجِها ، فحَمَلَتْ مِن فَوْرِها ، كما تَحْمِلُ المرأةُ عندَ جِماعِ بَعْلِها . ومَن قال أنَّه نفَخَ فى فَمِها ، أو أنَّ الذى كان يُخاطِبُها هو الرُّوحُ الذى وَلَجَ فيها مِن فَمِها ، فقولُه خِلافُ ما يُفْهَمُ مِن سِياقَاتِ هذه القصّةِ فى مَحالِّها مِن القرآنِ ؛ فإنَّ هذا السِّياقَ يَدُلُّ على أنَّ الذى أُرْسِلَ إليها ، مَلَكٌ مِن الملائكةِ ، وهو جبريلُ ، عليه السَّلامُ ، وأنَّه إنَّما نَفَخَ فيها ، ولم يُواجِهِ الملَكُ الفَرْجَ ، بل نفَخَ فى جَيْبِها فنَزَلَتِ النَّفْخَةُ إلى فرجِها ، فانْسَلَكَتْ فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ ، فدَلَّ عَلَى أنَّ النَّفْخَةَ وَلَجَتْ فيه ، لا فى فَمِها ، كما رُوِىَ عن أُبَىِّ[1] ابنِ كعبٍ ، ولا فى صَدْرِها ، كما رواه السُّدِّىُّ بإسنادِه عن بعضِ الصحابةِ[2] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أى ؛ فَحَمَلَتْ وَلَدَها ، ﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ وذلك لأنَّ مريمَ ، عليها السّلامُ ، لَمَّا حَمَلَتْ ضاقَتْ به ذرْعًا ، وعَلِمَتْ أنَّ كثيرًا مِن النَّاسِ سيكونُ منهم كلامٌ فى حَقِّها ، فذَكَرَ غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ ، منهم وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[3] ، أنَّها لَمَّا ظَهَرَتْ [١/٢٥٢ظ] عليها مَخايِلُ الحَمْلِ ، كان أوَّلَ مَن فَطِنَ لذلك رجلٌ مِن عُبَّادِ بنى إسرائيلَ ، يُقالُ له : يوسفُ ابنُ يعقوبَ النَّجّارُ . وكان ابنَ خَالِهَا ، فجعَلَ يَتَعَجَّبُ مِن ذلك عَجَبًا شديدًا ، وذلك لِمَا يَعلمُ مِن دِيانَتِها ، ونَزَاهَتِها وعِبَادَتِها ، وهو مع ذلك يَراها حُبْلَى وليس لها زوجٌ ، فعَرَّضَ لها ذاتَ يومٍ فى الكلامِ ، فقال : يا مريمُ ، هَلْ يكونُ زَرْعٌ مِن غيرِ بَذْرٍ ؟! قالت : نَعَمْ ، فمَن خَلَقَ الزَّرْعَ الأَوَّلَ ؟! ثُمَّ قال : فهل يكونُ شَجَرٌ

---

(١) فى الأصل : « محمد » . وانظر تفسير الطبرى ٦/ ٣٦، ١٦/ ٦٨ حيث ساقه بإسناده إلى أبىّ . والدر المنثور ٤/ ٢٦٧، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص ٣٦٨.

(٢) تاريخ الطبرى ١/ ٥٩٩. والبيهقى في الأسماء والصفات ص ٣٦٣.

(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٥٩٤، ٥٩٥ مطوّلًا . وتفسيره ١٦/ ٦٤، ٦٥.

مِن غيرِ مَاءٍ ولا مَطَرٍ ؟! قالت : نَعَمْ ، فمَن خَلَقَ الشَّجَرَ الأَوَّلَ ؟! ثُمَّ قال : فهلْ يكونُ ولدٌ من غيرِ ذَكَرٍ ؟! قالتْ : نعم ، إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِن غَيْرِ ذَكَرٍ ولا أُنْثَى . قال لها : فأَخْبِرِينى خَبَرَكِ . فقالت : إنَّ اللَّهَ بَشَّرَنى ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥، ٤٦] . ويُرْوَى مِثْلُ هذا عن زكريَّا ، عليه السّلامُ[1] ، أنَّه سألها فأجابَتْه بمثْلِ هذا . واللَّهُ أعلمُ .

وَذَكَرَ السُّدِّىُّ بإسنادِه عن الصَّحابَةِ ، أَنَّ مَرْيَمَ دخلتْ يومًا على أُخْتِها ، فقالت لها أُخْتُها : أَشَعَرْتِ أَنِّى حُبْلَى ؟ فقالت مريمُ : وشَعَرْتِ أيضًا أَنِّى حُبْلَى ؟ فاعْتَنَقَتْها ، وقالتْ لها أُمُّ يحيى : إنِّى أرى ما فى بَطْنِى يَسْجُدُ لِمَا فى بَطْنِكِ . وذلك قولُه : ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٩] . ومعنى السُّجودِ ههنا ، الخُضُوعُ والتَّعْظيمُ ، كالسُّجُودِ عندَ المواجهةِ للسَّلامِ ، كما كان فى شَرْعِ مَن قَبْلَنا ، وكما أَمَر اللَّهُ الملائكةَ بالسُّجُودِ لآدَمَ . وقال ابنُ[2] القاسمِ : قال مالكٌ : بَلَغَنى أَنَّ عيسى ابنَ مريمَ ، ويَحْيَى بنَ زكريَّا ، ابنا خَالَةٍ ، وكان حَمْلُهُما جميعًا معًا ، فبَلَغَنِى أَنَّ أُمَّ يحيى قالت لمريمَ : إنِّى أَرَى ما فى بَطْنِى يَسْجُدُ لِما فى بَطْنِكِ . قال مالِكٌ : أرى ذلك لتفضيلِ عيسى ، عليه السَّلامُ ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى جَعَلَه يُحْيِى المَوْتَى وَيُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ . رَواه ابنُ أبى حاتمٍ[3] . ورَوَى عن مجاهدٍ[4] ، قال : قالت مريمُ : كنتُ إذا خَلَوْتُ حَدَّثَنى وكَلَّمنى ، وإذا كُنْتُ

---

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٥٩.

(٢) فى م : «أبو» .

(٣) التفسير ٥/ ٢١٦.

(٤) التفسير ٥/ ٢١٥. وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٩ مخطوط .

بينَ النَّاسِ سَبَّحَ فى بَطْنِى . ثُمَّ الظَّاهِرُ ، أَنَّها حَمَلَتْ به تسعةَ أَشْهُرٍ ، كما تَحْمِلُ النِّساءُ وَيَضَعْنَ لميقاتِ حَمْلِهِنَّ وَوَضْعِهِنَّ ، إذ لو كان خِلافَ ذلك لَذُكِر . وعن ابنِ عباسٍ وعِكرِمَةَ ، أَنَّها حَمَلَتْ به ثمانيةَ أَشْهُرٍ . وعن ابنِ عَبَّاسٍ : ما هو إلَّا أَنْ حَمَلَتْ به فَوَضَعَتْه[1] . قال بعضُهم[2] : حَمَلَتْ به تِسْعَ ساعاتٍ . واسْتَأْنَسُوا لذلك بقولِه : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ . والصَّحيحُ ، أَنَّ تَعْقِيبَ كُلِّ شَىْءٍ بحَسَبِه ؛ كقولِه[3] : ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج : ٦٣] ، وكقولِه : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا [١/ ٢٥٣و] ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] . ومعلومٌ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ حَالَيْنِ أَرْبَعينَ يومًا ، كما ثَبَتَ فى الحديثِ المُتَّفَقِ عليه[4] .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : ثُمَّ شاعَ أمرُها ، واشْتَهَرَ فى بنى إسرائيلَ أَنَّها حامِلٌ ، فما دَخَلَ على أَهْلِ بَيْتٍ ما دَخَلَ على آلِ زكريَّا . قال : واتَّهَمَها بعضُ الزَّنَادِقَةِ بيوسُفَ ، الذى كان يَتَعَبَّدُ معها فى المسجدِ ، وتَوارَتْ عنهم مريمُ ، واعتَزَلَتْهم وانْتَبَذَتْ مكانًا قَصِيًّا . وقولُه : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ أى ؛ فَأَلْجَأها واضطَرَّها الطَّلْقُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، وهو - بنَصِّ الحديثِ الذى رَواه النَّسائىُّ بإسنادٍ لا بأسَ به ، عن أَنَسٍ مَرْفوعًا[6] ، والبَيْهَقِىُّ

---

(١) انظر هذه الأقوال فى تفسير الطبرى ٤/ ٢٦٦، والتفسير ٥/ ٢١٦.
(٢) هو الحسن، كما ذكره فى الدر المنثور ٤/ ٢٦٦. وعزاه لابن عساكر.
(٣) فى ح، م: «لقوله».
(٤) البخارى (٣٢٠٨، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤). مسلم (٢٦٤٣).
(٥) التفسير ٥/ ٢١٧.
(٦) النسائى (٤٤٩). وانظر (ضعيف النسائى ١٤).

بإسنادٍ صَحَّحَهُ، عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ مَرْفوعًا[1] أيضًا - ببَيْتِ لَحْمٍ، الذى بَنَى عليه بعضُ ملوكِ الرُّومِ فيما بَعْدُ - على ما سنَذْكُرُه - هذا البِنَاءَ المُشاهَدَ الهائِلَ.

﴿ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ فيه دليلٌ على جَوَازِ تَمَنِّى الموتِ عندَ الفِتَنِ، وذلك أنَّها عَلِمَتْ أَنَّ النَّاسَ يَتَّهِمُونها[2] ولا يُصَدِّقُونها، بل يُكَذِّبُونَها حينَ تَأْتِيهِم بغُلامٍ على يدِها، مع أنَّها قد كانتْ عِنْدَهم مِنَ العابداتِ النَّاسِكاتِ، المُجاوِراتِ فى المسجدِ، المُنْقَطِعاتِ إليه، المُعْتَكِفَاتِ فيه، ومِن بَيْتِ النُّبُوَّةِ والدِّيانةِ، فَحَمَلَتْ بِسَبَبِ ذَلكَ مِن الهمِّ، ما تَمَنَّتْ أَنْ لو كانتْ ماتتْ قَبْلَ هذا الحالِ، أو كانت ﴿ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ أى؛ لَم تُخْلَقْ بالكُلِّيَّةِ.

وقولُه: (فَنَادَاهَا مَنْ تحتَها)، وقُرِئَ: ﴿ مِن تَحْتِهَآ ﴾ على الخفْضِ، وفى المُضْمَرِ قولان؛ أحَدُهُما، أنَّه جِبْرِيلُ. قاله العَوْفِىُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ. قال: ولم يَتَكَلَّمْ عيسى إلَّا بِحَضْرَةِ القَوْمِ[3]. وهكذا قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعمرُو بنُ مَيْمُونٍ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّىُّ، وقتادَةُ[4]. وقال مجاهدٌ، والحسنُ، وابنُ زيدٍ، وسعيدُ ابنُ جُبَيْرٍ، فى روايةٍ: هو ابنُها عيسى. واختارَه ابنُ جَريرٍ[5]. وقولُه: ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ قيل: النَّهْرُ. وإليه ذَهَبَ الجمهورُ[6]. وجاء فيه حديثٌ رواهُ الطَّبَرَانِىُّ[7]، لكنَّه ضعيفٌ، واخْتارَه ابنُ جَريرٍ[8]، وهو

---

(١) فى دلائل النبوة ٢/ ٣٥٥- ٣٥٧.

(٢) فى ح: «ينهونها».

(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ٦٨. والتفسير ٥/ ٢١٨.

(٤) تفسير الطبرى ١٦/ ٦٧، ٦٨. والتفسير ٥/ ٢١٨. ولم يذكر الطبرى قول سعيد بن جبير.

(٥) تفسير الطبرى ١٦/ ٦٨. والتفسير ٥/ ٢١٨.

(٦) انظر تفسير القرطبى ١١/ ٩٤.

(٧) المعجم الكبير (١٣٣٠٣). ولفظه: «إن السرى الذى قال الله عز وجل: ﴿قد جعل ربك تحتك سريًا﴾، نهر أخرجه الله لتشرب منه». قال فى مجمع الزوائد ٧/ ٥٥: فيه يحيى بن عبد الله البابلى، وهو ضعيف.

(٨) تفسير الطبرى ١٦/ ٧١.

الصَّحيحُ . وعن الحَسَنِ ، والرَّبيعِ بنِ أَنَسٍ ، وابنِ أَسْلَمَ ، وغيرِهم[1] ، أنَّه ابنُها . والصَّحيحُ الأَوَّلُ ؛ لقَوْلِه : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ ، فذَكَرَ الطَّعامَ والشَّرابَ ، ولهذا قال : ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ . ثُمَّ قيل : كان جِذْعُ النَّخْلَةِ يابِسًا . وقيل : كانت نخلةً مُثْمِرَةً . فاللَّهُ أعلمُ . ويَحْتَمِلُ أنَّها كانت نخلةً ، لكنَّها لم تَكُنْ مُثْمِرَةً إذ ذاك ؛ لأَنَّ مِيلادَه كان فى زَمَنِ الشِّتاءِ ، وليس ذاك وقتَ ثَمَرٍ ، وقد يُفْهَمُ ذلك مِن قولِه تعالى ، على سبيلِ الامتنانِ [١/٢٥٣ظ] : ﴿ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ . قال عَمْرُو بنُ مَيْمُونٍ[2] : ليس شَىْءٌ خَيْرًا للنُّفَساءِ مِنَ التَّمْرِ[3] والرُّطَبِ . ثُمَّ تلا هذه الآيةَ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[4] : حَدَّثنا علىُّ بنُ الحُسَيْنِ ، حَدَّثنا شَيْبانُ ، حَدَّثَنا مسرورُ بنُ سعيدٍ التَّميمىُّ ، حَدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ عَمْرٍو الأَوْزاعىُّ[5] عن عُرْوَةَ ابنِ رُوَيْمٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْرِمُوا عَمَّتَكُم النَّخْلَةَ ، فإنَّها خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِى خُلِقَ منه آدمُ ، وَلَيْسَ شَىْءٌ مِنَ الشَّجَرِ يُلَقَّحُ غَيْرَها » . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطْعِمُوا نِساءَكُم الوُلَّدَ الرُّطَبَ ، فَإِنْ لم يَكُنْ رُطَبٌ ، فَتَمْرٌ ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ أَكْرَمَ على اللَّهِ مِنْ شَجَرَةٍ نَزَلَتْ تَحْتَهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ » . وكذا رَواه أبو يَعْلَى فى « مُسْنَدِه »[6] ، عن

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/ ٧٠، ٧١. والتفسير ٥/ ٢١٩.

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٧٢. وتاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٦٣. والتفسير ٥/ ٢١٩.

(٣) فى الأصل : « الثمر » .

(٤) ومن طريق شيبان ، أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ص ٣٦٠.

(٥) فى ح : « الأفصارى » . وفى م : « الأنصارى » .

(٦) مسند أبى يعلى (٤٥٥) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٨٩: فيه مسرور بن سعيد التميمى ، وهو ضعيف .

شَيْبَانَ بنِ فَرُّوخَ، عن مَسْرُوقِ بنِ سعيدٍ. وفى روايةٍ: مسرورِ بنِ سعدٍ. والصحيحُ: مسرورُ بنُ سعيدٍ التَّميميُّ، أَوْرَدَ له ابنُ عَدِيٍّ هذا الحديثَ، عن الأَوْزَاعِيِّ بِهِ، ثُمَّ قال: وهو مُنْكَرُ الحديثِ، (١)ولم أَسْمَعْ بذِكْرِه إلَّا فى هذا الحديثِ(١). وقال ابنُ حِبَّانَ(٢): يَرْوِى عَنِ الأَوْزَاعِيِّ المناكيرَ الكثيرةَ التى لا يجوزُ الاحتجاجُ بِمَنْ يَرْوِيها. وقولُه: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾. وهذا مِن تَمَامِ كَلامِ الذى ناداها مِن تَحْتِها. قال: ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ أى؛ فإن رأيْتِ أَحدًا مِن النَّاسِ ﴿ فَقُولِىٓ ﴾ له، أى؛ بِلسانِ الحالِ والإشارةِ: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ أى؛ صَمْتًا. وكان مِن صَوْمِهم فى شريعتِهم، تَرْكُ الكلامِ والطَّعَامِ. قالَه قَتادَةُ والسُّدِّىُّ، وابنُ أَسْلَمَ(٣). ويدلُّ على ذلك قولُه: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ فأَمَّا فى شريعتِنا، فيُكْرَهُ للصَّائِمِ صَمْتُ يومٍ إلى اللَّيْلِ. وقولُه تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾، ذَكَرَ كثيرٌ من السَّلفِ، مِمَّنْ يَنْقُلُ عن أهلِ الكِتَابِ، أَنَّهم لَمَّا افْتَقَدُوها مِن بينِ أَظْهُرِهم، ذَهَبُوا فى طَلَبِها، فمَرُّوا عَلَى مَحِلَّتِها والأَنوارُ حَوْلَها، فلمَّا واجَهُوها وَجَدُوا معها وَلَدَها، فقالوا لها: ﴿ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ أى؛ أَمْرًا عظيمًا مُنْكَرًا. وفى هذا الذى قالوه نَظَرٌ، مع أَنَّه كلامٌ يَنْقُضُ أَوَّلُه آخِرَه؛ وذلك لأَنَّ ظاهِرَ سِياقِ القرآنِ العظيمِ، يَدُلُّ على أَنَّها حَمَلَتْ

(١ - ١) سقط من: ص. والحديث أخرجه ابن عدى، فى الكامل ٦/ ٢٤٢٤، ٢٤٢٥.

(٢) فى كتاب المجروحين ٣/ ٤٤.

(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ٧٤، ٧٥، ٧٦. والتفسير ٥/ ٢٢٠.

بِنَفْسِها ، وأَتَتْ به قَومَها وَهِيَ تَحْمِلُه ، قال ابنُ عباسٍ[1] : وذلكَ بعدَ ما تَعَالَّتْ[2] مِن نِفَاسِها بعدَ أربعينَ يومًا .

والمقصودُ أَنَّهم لَمَّا رَأَوْها تَحْمِلُ معها وَلَدَها ﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ ، والفِرْيَةُ هى الفِعْلَةُ المُنْكَرَةُ العظيمةُ مِن الفَعالِ والمَقَالِ . [١/ ٢٥٤و] ثُمَّ قالوا لها : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ قِيلَ : شَبَّهُوها بعابدٍ مِن عُبَّادِ زَمَانِهم ، كانت تُسَامِيه فى العِبَادةِ ، وكان اسْمُهُ هارونَ[3] . وقيلَ : شَبَّهُوها برَجُلٍ فاجِرٍ فى زمانِهم ، اسمُه هارونُ . قاله سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[4] . وقِيلَ : أرادُوا بهارونَ أَخَا موسى ، شَبَّهُوهَا به فى العِبَادةِ[5] . وأَخْطَأَ محمدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِىُّ فى زَعْمِه أَنَّها أُخْتُ موسى وهارونَ نَسَبًا[6] ؛ فإِنَّ بينَهما مِن الدُّهورِ الطَّويلةِ ، ما لا يَخْفَى على أَدْنَى مَنْ عِنْدَه مِن العِلْمِ ما يَرُدُّه عن هذا القَوْلِ الفَظِيعِ ، وكأَنَّه غَرَّه أَنَّ فى التوراةِ أَنَّ مريمَ أُختَ موسى وهارونَ ، ضَرَبَتْ بالدُّفِّ يومَ نَجَّى اللَّهُ موسى وقومَه ، وأَغْرَقَ فِرْعَونَ وملأَه ، فاعْتَقَدَ أَنَّ هذه هى هذه ، وهذا فى غايةِ البُطْلانِ والمُخالَفَةِ للحديثِ الصَّحيحِ[7] مع نَصِّ القرآنِ [8]كما قَرَّرْناهُ فى «التَّفْسيرِ»[9] مُطَوَّلًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ[8] . وقد ورَدَ الحديثُ الصَّحيحُ[10] الدَّالُّ

---

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع ، من تراجم النساء ص ٣٦٤. والدر المنثور ٤/ ٢٧٠.
(٢) فى م : « تعلت » . وفى ص : « يغالب » . وتعالَّتْ : خرجتْ من نِفاسها وطهُرتْ .
(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ٧٧. والتفسير ٥/ ٢٢١.
(٤) التفسير ٥/ ٢٢١. والدر المنثور ٤/ ٢٧٠. وعزاه كلاهما لابن أبى حاتم .
(٥) تفسير الطبرى ١٦/ ٧٨. والدر المنثور ٤/ ٢٧٠. وعزاه لابن أبى حاتم .
(٦) التفسير ٥/ ٢٢١.
(٧) تقدم ص ١٢١ حاشية (٢).
(٨ - ٨) سقط من : الأصل .
(٩) ٥/ ٢٢١.
(١٠) هو المذكور بعد ، عن أحمد وغيره .

على أنَّه قد كان لها أَخٌ اسمُه هارونُ، وليسَ فى ذِكْرِ قِصَّةِ وِلادَتِها وتحريرِ أُمِّها لها، ما يَدُلُّ على أَنَّها ليس لها أَخٌ سواها. واللَّهُ أعلمُ.

قال الإمامُ أحمدُ[1]: حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إِدْرِيسَ سَمِعْتُ أبى يَذْكُرُه عَنْ [2]سِمَاكٍ، عن عَلْقَمَةَ بنِ وائلٍ، عن المُغِيرَةِ[2] بنِ شُعْبَةَ، قال: بَعَثَنِى رسولُ اللَّهِ ﷺ، إلى نَجْرانَ، فقالوا: أرأيتَ ما تَقْرَءُون: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ وموسى قَبْلَ عيسى بكذا وكذا. قال: فرَجَعْتُ فذَكَرْتُ ذلكَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كانوا يُسَمُّونَ بالأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ». وكذا رواه مسلمٌ، والنَّسَائِىُّ، والتِّرْمِذِىُّ[3]، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ إدريسَ، وقال التِّرْمِذِىُّ: حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه. وفى روايةٍ: «أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُم كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْماءِ صَالِحِيهِمْ وأَنْبِيَائِهِمْ». وذَكَر قَتادَةُ وغيرُه[4] أَنَّهم كانوا يُكْثِرُون مِن التَّسْمِيَةِ بهارونَ، حتى قِيل: إِنَّه حَضَرَ بعضَ جنائِزِهم بَشَرٌ كثيرٌ منهم، مِمَّن يُسَمَّى بهارونَ، أربعون ألفًا. فاللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّهم قالوا: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾. ودَلَّ الحديثُ على أَنَّها قد كان لها أَخٌ نَسَبِىٌّ[5] اسمُهُ هارونُ، وكان مَشْهُورًا بالدِّينِ والصَّلاحِ والخَيْرِ؛ ولهذا قالوا: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ أى؛ لستِ مِن بيْتِ هذا شِيمَتُهُم ولا سَجِيَّتُهم؛ لا أَخُوكِ ولا أُمُّكِ ولا أَبُوكِ، فاتَّهَمُوها

---

(١) المسند ٤/ ٢٥٢.

(٢ - ٢) فى الأصل: «سماك بن علقمة بن المغيرة».

(٣) مسلم (٢١٣٥). النسائى (١١٣١٥). الترمذى (٣١٥٥). وانظر ما تقدم ص ١٢١.

(٤) تفسير الطبرى ١٦/ ٧٧. والتفسير ٥/ ٢٢٢.

(٥) فى الأصل: «نبى».

بالفاحِشَةِ العُظْمَى ، وَرَمَوْها بالدَّاهيةِ الدَّهْيَاءِ ، فذَكَرَ ابنُ جريرٍ فى « تاريخِهِ »[1] أَنَّهم اتَّهَمُوا بها زكريَّا ، وأرادوا قَتْلَه ، فَفَرَّ منهم ، فلَحِقُوهُ وقد انْشَقَّتْ له الشَّجَرَةُ ، فدَخَلَها ، وأَمْسَكَ إبليسُ بطَرَفِ رِدَائِه فنَشَرُوه فيها ، كما قَدَّمْنا[2] .

ومِن المنافقِين مَن اتَّهَمَهَا بابنِ خَالِها يوسفَ بنِ يعقوبَ النَّجَّارِ ، فلمَّا ضاقَ الحالُ ، وانْحَصَرَ [١/٢٥٤ظ] المجالُ وامْتَنَعَ[3] المقالُ ، عَظُمَ التَّوَكُّلُ على ذِى الجلالِ ، ولم يَبْقَ إلَّا الإخلاصُ والاتِّكَالُ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أى ؛ خَاطِبُوه وكَلِّمُوه ؛ فإنَّ جَوابَكم عليه ، وما تَبْغُونَ مِن الكلامِ لَدَيْهِ . فعندَها قال[4] مَنْ كان منهم جَبَّارًا شَقِيًّا : ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ أى ؛ كيفَ تُحِيلِينَنَا فى الجوابِ على صَبِيٍّ صغيرٍ لا يَعْقِلُ الخِطابَ ، وهو مع ذلك رَضِيعٌ فى مَهْدِهِ ، ولا يُمَيِّزُ بينَ مَحْضٍ[5] وزَبَدِه ، وما هذا منكِ إلَّا على سبيلِ التَّهَكُّمِ بِنَا والاسْتِهْزاءِ ، والتَّنَقُّصِ لنا والازْدِراءِ ؛ إذ لا تَرُدِّينَ علينا قَوْلًا نُطْقِيًّا ، بل تُحِيلِينَ فى الجوابِ على مَن كان فى المَهْدِ صَبِيًّا ، فعندَها ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ . هذا أَوَّلُ كلامٍ تَفَوَّهَ به عيسى ابنُ مريمَ ، فكان أَوَّلَ ما تكلَّمَ به أن ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ اعْتَرَفَ لربِّه تعالى بالعُبُودِيَّةِ ، وأَنَّ اللَّهَ رَبُّه ، فَنَزَّهَ جَنَابَ اللَّهِ عن قَوْلِ الظَّالمين ، فى زَعْمِهم أَنَّه ابنُ اللَّهِ ، بل هو عَبْدُهُ ورسولُهُ وابنُ أَمَتِه ، ثم بَرَّأَ أُمَّه مِمَّا نَسَبَهَا إليهِ الجاهلون ، وقَذَفُوها به ورَمَوْها

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٦٠٠، ٦٠١.

(٢) انظر ما تقدم ص ٤٠٦.

(٣) فى الأصل : « واتسع » .

(٤) فى م : « قالوا » .

(٥) فى الأصل : « مخض المحض » . والمحض : اللبن الخالص الذى لم يخالطه ماء .

بسَبِبِه ، بقولِه : ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ . فإنَّ اللَّهَ لا يُعْطِى النُّبُوَّةَ مَن هو كما زَعَمُوا ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وقَبَّحَهُم ، كما قال تعالى[1] : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] ، وذلك أنَّ طائفةً مِن اليهودِ فى ذلك الزَّمانِ ، قالوا : إنَّها حَمَلَتْ به مِن زِنًى فى زَمَنِ الحَيْضِ ، لَعَنَهم اللَّهُ . فبَرَّأَها اللَّهُ مِن ذلكَ ، وأَخْبَرَ عنها أنَّها صِدِّيقَةٌ ، واتَّخَذَ وَلَدَهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا ، أَحَدَ أُولِى العَزْمِ الخمسةِ الكِبارِ ، ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ وذلك أنَّه حيثُ كان ، دعا إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَهُ لا شريكَ له ، ونَزَّهَ جَنَابَه عن النَّقْصِ والعَيْبِ ؛ مِنَ اتِّخاذِ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ ، تَعالى وَتَقَدَّسَ . ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وهذه وظيفةُ العبيدِ فى القيامِ بحقِّ العزيزِ الحميدِ ؛ بالصلاةِ ، والإحسانِ إلى الخليقةِ بالزَّكاةِ ، وهى تَشْتَمِلُ على طهارةِ النُّفُوسِ مِن الأَخْلاقِ الرَّذِيلةِ ، وتَطْهِيرِ الأَمْوالِ الجَزِيلةِ ، بالعَطِيَّةِ للمَحاوِيجِ ، على اخْتِلافِ الأَصْنافِ ، وقِرَى الأَضْيافِ ، والنفقاتِ على الزَّوْجاتِ ، والأَرِقَّاءِ ، والقَرَاباتِ ، وسائرِ وُجوهِ الطَّاعاتِ ، وأَنْواعِ القُرُباتِ ، ثُمَّ قال : ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى ؛ وجَعَلَنِى بَرًّا بوالِدَتى ، وذلِكَ أَنَّه تَأَكَّدَ حَقُّها عليه ، لِتَمَحُّضِ جِهَتِها ، إذْ لا والدَ له سِواها ، فسُبْحانَ مَن خَلَقَ الخليقَةَ وبَرَأَها ، وأَعْطَى كلَّ نَفْسٍ هُداها . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [١/٢٥٥و] أى ؛ لَسْتُ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ، ولا يَصْدُرُ مِنِّى قولٌ ولا فِعْلٌ يُنافِى أَمْرَ اللَّهِ وطاعَتَه . ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، وهذه المَواطِنُ الثلاثةُ التى تَقَدَّمَ الكَلامُ عليها فى قصةِ يَحْيَى بنِ زكريَّا ، عليهما السَّلامُ ، ثم لمَّا ذَكَرَ تعالى قِصَّتَه على الجَلِيَّةِ ، وبيَّن أَمْرَه ووَضَّحَه وشَرَحَه ، قال : ﴿ ذَٰلِكَ

---

(١) التفسير ٢/ ٣٩٩.

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ كما قال تعالى بعدَ ذِكْرِ قِصَّتِه، وما كان مِن أَمْرِه فى آلِ عِمْرانَ: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٨- ٦٣]. ولهذا لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ، وكانوا سِتِّينَ راكبًا، يَرْجِعُ أَمْرُهم إلى أربعةَ عشَرَ منهم، ويَؤُولُ أَمرُ الجميعِ إلى ثلاثةٍ، هم أَشْرَافُهُم وساداتُهم، وهم؛ العاقِبُ، والسَّيِّدُ، وأبو حارِثَةَ ابنُ عَلْقَمَةَ، فجعلُوا يُناظِرون فى أمرِ المسيحِ، فأنزلَ اللَّهُ صَدْرَ سورةِ «آلِ عِمْرانَ» فى ذلك، وبَيَّنَ أَمْرَ المسيحِ، وابتداءَ خَلْقِهِ وخَلْقِ أُمِّه مِن قَبْلِه، وأَمَر رسولَه بأَن يُبَاهِلَهم إن لم يَسْتَجِيبُوا له ويَتَّبِعُوه[1]، فلمَّا رَأَوْا عَيْنَيْها، وأُذُنَيْها، نَكَلُوا ونَكَصُوا، وامتنعوا عن المُباهَلَةِ، وعَدَلُوا إلى المسالَمَةِ والمُوادَعَةِ، وقال قَائِلُهم، وهو العاقبُ عبدُ المسيحِ: يا مَعْشَرَ النَّصارَى، لقد عَلِمْتم أَنَّ محمّدًا لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولقد جاءَكم بالفَصْلِ مِن خَبَرِ صاحِبِكم، ولقد عَلِمْتُمْ أَنَّه ما لَاعَنَ قومٌ نبيًّا قَطُّ، فبَقِىَ كبيرُهم، ولا نَبَتَ صغيرُهم، وإنَّها لَلاسْتِئْصَالُ مِنْكم إنْ فَعَلْتُم، فإن كُنْتُم قد أَبَيْتُم إلَّا إِلْفَ دِينِكُم، والإقامةَ على ما أنتم عليه مِن القَوْلِ

---

(١) فى ح: «ويبيعوه».

فى صاحبِكم ، فوادِعُوا الرَّجُلَ وانْصَرِفُوا إلى بلادِكم . فطَلَبُوا ذلك مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسَأَلُوه أَن يَضْرِبَ عليهم جِزْيَةً ، وأَن يَبْعَثَ معهم رَجُلًا أمينًا ، فبَعَثَ معهم أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ ، وقد بَيَّنَّا ذلك فى تفسيرِ « آلِ عِمْرانَ »[1] ، وسيأتى بَسْطُ هذه القضيَّةِ فى السِّيرةِ النبويَّةِ مِن كتابِنا هذا ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ .

والمقصودُ ، أنَّ اللَّهَ تعالى لَمَّا[2] بيَّنَ أَمْرَ المسيحِ ، قالَ لرسولِه : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يَعْنِى مِن أَنَّه عبدٌ مخلوقٌ مِن امرأةٍ [١/٢٥٥ظ] مِن عبادِ اللَّهِ ، ولهذَا قالَ : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أى ؛ لا يُعْجِزُه شَىْءٌ ، ولا يَكْرُثُه[3] ولا يَؤُودُهُ ، [4]بَلْ هو القَدِيرُ الفَعَّالُ لِمَا يَشاءُ . ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4] [يس : ٨٢] . وقولُه : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ . هو مِن تَمامِ كلامِ عيسى لهم فى المَهْدِ ، أَخْبَرَهم أَنَّ اللَّهَ رَبُّه ورَبُّهم وإلَهُه وإلهُهُم ، وأَنَّ هذا هو الصِّراطُ المستقيمُ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أى ؛ فاخْتَلَفَ أَهْلُ ذلك الزَّمانِ ، ومَن بَعْدَهُم فيه ، فَمِن قائلٍ مِنَ اليهودِ : إنَّه ولدُ زَنْيَةٍ . واسْتَمَرُّوا على كُفْرِهم وعِنَادِهم ، وقابَلَهم آخَرُون فى الكُفْرِ ، فقالوا : هو اللَّهُ . وقال آخَرُون : هو ابنُ اللَّهِ . وقال المؤمنون :

---

(١) التفسير ٢/٣٨ - ٤٥.
(٢) سقط من : ح ، م .
(٣) فى ح ، م : « يكترثه » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

هو عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وابنُ أَمَتِه ، وكَلِمَتُه ألقاها إلى مريمَ ، ورُوحٌ منه . وهؤلاءِ هم النَّاجُون المُثابُون ، المُؤَيَّدُون المَنْصُورُون ، ومَن خَالفَهم فى شَىْءٍ مِن هذه القُيودِ ، فهم الكافِرُون الظَّالِمُون الضَّالُّون الجاهِلُونَ ، وقد تَوَعَّدَهم العَلِىُّ العظيمُ الحكيمُ العليمُ ، بقولِه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قال البُخارِىُّ[1] : حَدَّثنا صَدَقَةُ بنُ الفَضْلِ ، أنبأنا الوليدُ ، حَدَّثَنا الأَوْزَاعِىُّ ، حدَّثنى عُمَيْرُ بنُ هانئ ، حَدَّثَنى جُنادةُ بنُ أبى أُمَيَّةَ ، عن عُبادَةَ بنِ الصَّامتِ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « مَنْ شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ ورَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، والجَنَّةَ حَقٌّ ، والنَّارَ حقٌّ ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » .

قال الوليدُ : فحدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن عُمَيْرٍ ، عن جُنادَةَ ، وزَادَ : « مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ »[2] . وقد رواه مسلمٌ[3] عن داودَ بنِ رُشَيْدٍ ، عن الوليدِ ، عن ابن[4] جابرٍ[5] به ، ومِن طريقٍ أُخْرَى عن الأَوْزَاعِىِّ[3] بِهِ .

---

(١) البخارى (٣٤٣٥) .
(٢) انظر الفتح ٦/ ٤٧٥.
(٣) مسلم (٢٨) .
(٤) سقط من : م .
(٥) سقط من : الأصل .

بابُ بيَانِ أنَّ اللَّه تَعالى

مُنَزَّهٌ عَنِ الوَلَدِ

قال تعالى فى آخرِ هذه السورةِ[1] : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩] . أى؛ شيئًا عظيمًا، ومُنْكَرًا مِن القولِ وزُورًا . ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[2] [مريم: ٩٠- ٩٥] . فبيَّنَ أنَّه تعالى لا يَنْبَغِى له الولدُ؛ لأنَّه خالقُ كُلِّ شىءٍ ومالِكُه، وكُلُّ شىءٍ فقيرٌ إليه، خاضِعٌ ذليلٌ لَدَيْه، وجميعُ سُكَّانِ السَّماواتِ والأرضِ عبيدُه، وهو رَبُّهم، لا إلهَ إلَّا هو، ولا رَبَّ سواهُ، كما قال تعالى[3] : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ [١/٢٥٦و] وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٠- ١٠٣] . فبيَّنَ أنَّه خالقُ كلِّ

---

(١) التفسير ٥/ ٢٦١.

(٢) التفسير ٥/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) التفسير ٣/ ٣٠٠- ٣٠٥.

شَيْءٍ، فكيف يَكُونُ له وَلَدٌ، والولَدُ لا يكونُ إلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتناسِبَيْنِ! واللَّهُ تعالى لا نظيرَ له، ولا شبيهَ له، ولا عَدِيلَ له، ولا صاحبةَ له، فلا يكونُ له ولدٌ، كما قال تعالى[1]: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤]. فَتَقَرَّرَ أنَّه «الأَحدُ» الذى لا نظيرَ له فى ذاتِه، ولا فى صفاتِه، ولا فى أَفْعالِه ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ وهو السَّيِّدُ الذى كَمُلَ فى عِلْمِه وحِكْمَتِه ورحمتِه، وجميعِ صفاتِه. ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أى؛ لم يُوجَدْ منه وَلَدٌ. ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أى؛ ولم يَتَوَلَّدْ عن شَيْءٍ قَبْلَه. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أى؛ وليسَ له عِدْلٌ ولا مُكافِئٌ ولا مُساوٍ، فَقَطَعَ النَّظِيرَ المُدانِىَ والأَعْلَى والمُساوِىَ؛ فانْتَفَى أَن يكونَ له ولدٌ، إذ لا يكونُ الولدُ إلَّا مُتَوَلِّدًا بَيْنَ شيئَيْنِ مُتَعادِلَيْنِ أو مُتَقارِبَيْنِ، وتعالَى اللَّهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

وقال تبارَكَ وتعالَى وتقدَّسَ[2]: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟

---

(١) التفسير ٨/ ٥٣٨- ٥٤٨.

(٢) التفسير ٢/ ٤٣٠- ٤٣٣.

فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧١- ١٧٣]. يَنْهَى تعالى أَهْلَ الكِتابِ ومَن شَابَهَهُم، عن الغُلُوِّ والإِطْرَاءِ فى الدِّينِ، وهو مُجاوَزَةُ الحدِّ؛ فالنَّصارَى - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - غَلَوْا وأَطْرَوُا المسيحَ حتى جاوَزُوا الحدَّ، فكانَ الواجبُ عليهم أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه، وابنُ أَمَتِهِ العَذْرَاءِ البَتُولِ، التى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، فبعثَ اللَّهُ المَلَكَ جِبْرِيلَ إليها، فنَفَخَ فيها عن أَمْرِ اللَّهِ نفخةً حَمَلَتْ منها بولدِها عيسى، عليه السَّلامُ، والذى اتَّصَلَ بها مِن المَلَكِ هى الرُّوحُ المضافةُ إلى اللَّهِ إضافَةَ تَشريفٍ وتكريمٍ، وهى مخلوقةٌ مِن مخلوقاتِ اللَّهِ تعالى، كما يُقالُ: بَيْتُ اللَّهِ، وناقَةُ اللَّهِ، وعبدُ اللَّهِ. وكذا: رُوحُ اللَّهِ، أُضِيفَتْ إليه تَشْرِيفًا لها وتكريمًا، وسُمِّىَ عيسى بها؛ لأَنَّه كان بها من غيرِ أَبٍ، وهى الكلمةُ أيضًا التى [١/٢٥٦ظ] عنها خُلِقَ، وبسَبَبِها وُجِدَ، كما قال تعالى[1]: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى[2]: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧]. وقال تعالى[3]: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]. فأَخْبَرَ تعالى أَنَّ اليهودَ والنَّصارَى، عليهم لعائنُ اللَّهِ، كلٌّ مِن

---

(١) التفسير ٢/ ٤٠.

(٢) التفسير ١/ ٢٣٠ - ٢٣٢.

(٣) التفسير ٤/ ٧٦، ٧٧.

الفريقَيْنِ ادَّعَوْا على اللَّهِ شَطَطًا ، وزَعَمُوا أَنَّ له ولدًا ، تعالى اللَّهُ عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا ، وأَخْبَرَ أَنَّهم ليسَ لهم مستنَدٌ فيما زَعَمُوه ، ولا فيما ائْتَفَكُوه ، إلَّا مُجَرَّدُ القَوْلِ ومُشابَهَةُ مَن سَبَقَهُم إلى هذهِ المقالةِ الضَّالَّةِ ، تشابَهَتْ قُلوبُهُم ، وذلك أنَّ الفلاسفَةَ - عليهم لعنةُ اللَّهِ - زَعمُوا أنَّ العَقْلَ الأَوَّلَ صَدَرَ عن واجبِ الوُجُودِ ، الذى يُعبِّرُونَ عَنْه بعِلَّةِ العِلَلِ ، والمَبْدَأُ الأَوَّلِ ، وأَنَّه صَدَرَ عن العقْلِ الأَوَّلِ عَقْلٌ ثانٍ ، ونَفْسٌ وفَلَكٌ ، ثُمَّ صَدَرَ عن الثانِى كذلك ، حتى تَناهَتِ العقولُ إلى عَشَرَةٍ ، والنُّفُوسُ إلى تِسْعَةٍ ، والأَفْلاكُ إلى تِسْعَةٍ[1] ، باعْتِباراتٍ فاسِدَةٍ ذَكَرُوها ، واختياراتٍ باردةٍ أَوْرَدُوها ، ولِبَسْطِ الكلامِ معهم ، وبَيانِ جَهْلِهِم وَقِلَّةِ عَقْلِهم ، مَوْضِعٌ آخَرُ . وهكذا طوائفُ مِن مُشْركى العَرَبِ ؛ زَعَمُوا لجَهْلِهِم ، أَنَّ الملائكةَ بَناتُ اللَّهِ ، وأَنَّه صَاهَرَ سَرَواتِ الجِنِّ ، فتَوَلَّدَ منهما الملائكةُ ، تعالى اللَّهُ عمَّا يقولون ، وتَنَزَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، كما قال تعالى[2] : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] . وقال تعالى[3] : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات : ١٤٩- ١٦٠] .

---

(١) فى الأصل : « سبعة » .

(٢) التفسير ٧/ ٢١٠.

(٣) التفسير ٧/ ٣٦، ٣٧.

وقال تعالى[1] : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٩]. وقال تعالى فى أَوَّلِ سُورةِ «الكَهْفِ»[2]، وهِىَ مَكِّيَّةٌ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ [١/٢٥٧و] يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١- ٥]. وقال تعالى[3]: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٨- ٧٠]. فهذه الآياتُ المكِّيَّاتُ الكريماتُ تَشْمَلُ الرَّدَّ على سائرِ فِرَقِ الكَفَرَةِ؛ مِن الفلاسفةِ ومُشْرِكى العَرَبِ واليهودِ والنَّصارَى، الذين ادَّعَوْا وزَعَمُوا بلا عِلْمٍ، أَنَّ للَّهِ ولدًا، سُبْحانَه وتعالى عَمَّا يقولُ الظالمون المُعْتَدُون عُلُوًّا كبيرًا.

ولَمَّا كانتِ النَّصارَى، عليهم لَعائنُ اللَّهِ المُتَتابِعَةُ إلى يَوْمِ القيامةِ، مِن أَشْهَرِ

---

(١) التفسير ٥/ ٣٣١.

(٢) التفسير ٥/ ١٣٢، ١٣٣.

(٣) التفسير ٤/ ٢١٧، ٢١٨.

مَن قال بهذهِ المقالةِ، ذُكِرُوا فى القرآنِ كثيرًا؛ للرَّدِّ عليهم وبَيانِ تَناقُضِهم، وقِلَّةِ عِلْمِهم، وكَثْرَةِ جَهْلِهِم، وقد تَنَوَّعَتْ أَقْوالُهم فى كُفْرِهم؛ وذلك أَنَّ الباطلَ كثيرُ التَّشَعُّبِ والاخْتِلافِ والتَّناقُضِ، وأَمَّا الحَقُّ فلا يَخْتَلِفُ ولا يَضطرِبُ، قال اللَّهُ تعالى[1]: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. فدَلَّ على أَنَّ الحقَّ يتَّحِدُ وَيَتَّفِقُ، والباطِلَ يَخْتَلِفُ ويَضطربُ. فطائِفَةٌ مِن ضُلَّالِهم وجُهَّالِهم زَعَمُوا أَنَّ المسيحَ هو اللَّهُ. تعالى اللَّهُ، وطائفةٌ قالوا: هو ابنُ اللَّهِ، عزَّ اللَّهُ. وطائفةٌ قالوا: هو ثالثُ ثلاثةٍ. جَلَّ اللَّهُ. قال اللَّهُ تعالى فى أَوَّلِ سورةِ «المائدةِ»[2]: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧]. فأَخْبَرَ تعالى عن كُفْرِهم وجَهْلِهم، وبَيَّنَ أَنَّه الخالقُ القادرُ على كلِّ شَىْءٍ، المُتَصَرِّفُ فى كلِّ شىءٍ، وأَنَّه ربُّ كلِّ شَىْءٍ ومَلِيكُه وإِلَهُه. وقال فى أواخِرِها[3]: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا

---

(١) التفسير ٢/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) التفسير ٣/ ٦٣، ٦٤.

(٣) التفسير ٣/١٤٨ - ١٥٠.

يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥٓ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٢- ٧٥]. حَكَم تعالى بكُفْرِهم شَرْعًا وَقَدَرًا، وأَخْبَرَ [١/٢٥٧ظ] أَنَّ هذا صَدَرَ مِنهم، مع أَنَّ الرسولَ إليهم، وهو عيسى ابنُ مريمَ، قد بَيَّنَ لهم أَنَّه عبدٌ مَرْبُوبٌ مخلوقٌ، مُصَوَّرٌ فى الرَّحِمِ، داعٍ إلى عبادةِ اللَّهِ وَحْدَه لا شَرِيكَ له، وتَوَعَّدَهم على خِلافِ ذلكَ بالنَّارِ، وعَدَمِ الفَوْزِ بدارِ القَرارِ، والخِزْيِ فى الدَّارِ الآخرة، والهَوانِ والعارِ، ولهذا قال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ ثُمَّ قال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾. قال ابنُ جريرٍ، وغيرُه[1]: المرادُ [2]بذلك قَوْلُهم بالأَقانِيمِ[2] الثلاثةِ؛ أُقْنُومُ الأبِ، وأُقْنُومُ الابنِ، وأُقْنُومُ الكَلِمَةِ المُنْبَثِقَةِ مِنَ الأَبِ إلى الابنِ، على اختلافِهم فى ذلك ما بينَ المَلَكِيَّةِ[3] واليَعْقُوبِيَّةِ والنُّسْطُورِيَّةِ، عليهم لعائنُ اللَّهِ، كما سنُبَيِّنُ كيفيَّةَ اخْتِلافِهم فى ذلك، ومجامِعَهم الثلاثةَ فى زَمَنِ قُسْطَنْطِينَ [4]بنِ[5] قسطسَ[4]، وذلك بعدَ المسيحِ بثَلثِمائةِ سنةٍ، وقبلَ البَعْثَةِ المحمَّديَّةِ بثَلثِمائةِ سنةٍ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أى؛ وما مِن إلهٍ إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لا شريكَ له، ولا نظيرَ له، ولا كُفْءَ له، ولا

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ٣١٣. وانظر تفسير القرطبى ٦/ ٢٤٩.

(٢ - ٢) فى ص: «بتلك».

(٣) فى ح: «المليكة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى ح: «من».

صاحبةَ له ولا وَلَدَ، ثُمَّ تَوَعَّدَهم وتَهَدَّدَهم، فقال: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. ثم دعاهم برحمتِه ولُطْفِهِ إلى التوبةِ والاستغفارِ، مِن هذهِ الأُمورِ الكِبَارِ والعَظائِمِ التى تُوجِبُ النَّارَ، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. ثم بَيَّنَ حالَ المسيحِ وأُمِّه، وأنَّه عبدٌ رسولٌ، وَأُمَّه صِدِّيقَةٌ؛ أَىْ ليستْ بفاجِرَةٍ، كما يقولُه اليهودُ، لَعَنَهم اللَّهُ. وفيه دليلٌ على أنَّها ليست بِنَبِيَّةٍ، كما زَعَمَه طائفةٌ مِن علمائِنا[1]. وقولُه: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ كِنايَةٌ عن خُرُوجِه منهما، كما يَخْرُجُ من غَيْرِهما[2]، أَىْ؛ ومَنْ كان بهذه المَثَابَةِ، كيف يكونُ إلهًا؟! تعالى اللَّهُ عن قولِهم وجَهْلِهم عُلُوًّا كبيرًا. وقال السُّدِّىُّ وغيرُه[3]: المرادُ بقولِه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ زَعْمُهم فى عيسى وأُمِّهِ أنَّهما إلَهانِ مع اللَّهِ؛ يَعْنى كما بيَّنَ تعالى كُفْرَهم فى ذلك، بقولِه فى آخِرِ هذه السورةِ الكريمةِ[4]: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن

---

(١) انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٣/١٧ - ١٩. وتفسير القرطبى ٤/ ٨٣، ٨٤.

(٢) فى ص: «غيرها».

(٣) تفسير الطبرى ٦/ ٣١٤. والتفسير ٣/ ١٤٩. والدر المنثور ٢/٣٠٠ وعزاه لابن أبى حاتم.

(٤) التفسير ٣/٢٢٦ - ٢٣٠.

تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦- ١١٨]. يُخْبِرُ تعالى أنَّه يَسألُ عيسى ابنَ مريمَ [١/٢٥٨و] يومَ القيامةِ، على سبيلِ الإكرامِ له، والتَّقْرِيعِ والتَّوْبِيخِ لعابِدِيه، مِمَّن كَذَبَ عليه وافْتَرَى، وزَعَمَ أنَّه ابنُ اللَّهِ، أو أنَّه اللَّهُ، أوْ أنَّه شريكُه، تعالى اللَّهُ عَمَّا يقولُون، فيَسْأَلُه وهو يَعْلَمُ أنَّه لم يَقَعْ منه ما يسأَلُه عنه، ولكنْ لتَوْبيخِ مَن كَذَبَ عليه، فيقولُ له: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ أى؛ تَعالَيْتَ أن يكونَ معكَ شَريكٌ. ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ أى؛ ليس هذا يَسْتَحِقُّه أَحَدٌ سِواك. ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾. وهذا تَأَدُّبٌ عظيمٌ فى الخِطَابِ والجوابِ. ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾ حينَ أرْسَلْتَنى إليهم، وأنْزَلْتَ علىَّ الكتابَ الذى كان يُتْلَى عليهم، ثم فَسَّر[1] ما قالَ لهم بقوله: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أى؛ خالقى وخالِقَكُم، ورازقى ورازقَكُم. ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أى؛ رَفَعْتَنى إليكَ حينَ أرادُوا قَتْلى وصَلْبى، فرَحِمْتَنِى وخَلَّصْتَنى منهم، وأَلْقَيْتَ شِبْهِى على أحَدِهم، حتى انْتَقَمُوا منه، فلمَّا كان ذلك. ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ثُمَّ قال على وجهِ التَّفْوِيضِ إلى الرَّبِّ، عزَّ وجلَّ، والتَّبَرِّى مِن أهلِ النَّصْرَانِيَّةِ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ أى؛ وهم يَسْتحِقُّونَ ذلك[2]. ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، وهذا التَّفْويضُ والإسنادُ إلى المشيئةِ بالشَّرْطِ، لا يَقْتَضِى وُقُوعَ ذلك، ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

---

(١) فى ح: «قرأ».
(٢) فى ح: «لذلك».

ٱلْحَكِيمُ ﴾ ولم يَقُلِ: الغفورُ الرَّحِيمُ.

وقد ذَكَرْنا فى «التفسيرِ»[1]، ما رَواه الإمامُ أَحمدُ[2]، عن أبى ذَرٍّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قامَ بهذه الآيةِ الكريمةِ [3]ليلةً حتّى أَصْبَحَ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3]. وقال: «إنِّى سَأَلْتُ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِى فأَعْطَانِيهَا، وَهِىَ نَائِلَةٌ، إنْ شَاءَ اللَّهُ، لِمَنْ لَا يُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئًا». وقال تعالى[4]: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦- ٢٠]. وقال تعالى[5]: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى [١/ ٢٥٨ظ] ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر: ٤، ٥]. وقال تعالى[6]: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف: ٨١، ٨٢]. وقال

---

(١) التفسير ٣/ ٢٢٩.

(٢) فى المسند ٥/ ١٤٩.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) التفسير ٥/٣٢٨ - ٣٣٠.

(٥) التفسير ٧/ ٧٥، ٧٦.

(٦) التفسير ٧/ ٢٢٨، ٢٢٩.

تعالى[1] : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١] . وقال تعالى[2] : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ . وَثَبَتَ فى « الصَّحيحِ »[3] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : شَتَمَنى ابْنُ آدَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ؛ يَزْعُمُ أَنَّ لِى وَلَدًا ، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِى لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِى كُفُوًا أَحَدٌ » . وفى « الصَّحيحِ » أيضًا[4] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَه مِنَ اللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا ، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ » . ولكنْ ثَبَتَ فى « الصَّحيحِ » أَيْضًا[5] ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِى للظَّالِمِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، ثُمَّ قرأَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] . وهكذا قولُه تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٤٨] . وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠] . وقال تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق: ١٧] .

---

(١) التفسير ٥/ ١٢٨، ١٢٩.
(٢) التفسير ٨/ ٥٣٨ - ٥٤٨.
(٣) البخارى (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).
(٤) البخارى (٦٠٩٩، ٧٣٧٨) . مسلم (٢٨٠٤) .
(٥) البخارى (٤٦٨٦) واللفظ له . مسلم (٢٥٨٣) .

ذِكْرُ[1] مَنْشَأ عِيسى ابنِ مريمَ، عَلَيْهما السَّلامُ، وَبَيانُ بَدْءِ الوَحْيِ إليهِ مِن اللهِ تعالى

قد تقدَّم[2] أنَّه وُلِدَ ببَيْتِ لَحْمٍ، قريبًا[3] مِن بَيْتِ المقدسِ، وزعَم وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ أنَّه وُلِدَ بمصرَ، وأنَّ مريمَ سافرتْ هى ويوسفُ بنُ يعقوبَ النَّجّارُ، وهى راكِبةٌ على حمارٍ. ليس بينَها[4] وبينَ الإِكَافِ[5] شىءٌ. وهذا لا يَصِحُّ، والحديثُ الذى تقدَّم ذِكْرُه[6] دليلٌ على أنَّ مَوْلِدَه كان ببيْتِ لحْمٍ، كما ذَكَرْنا، ومَهْمَا عارضَه فباطِلٌ.

وذَكَرَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ[7]، أنَّه لما وُلِدَ خَرَّتِ الأَصْنَامُ يَوْمَئِذٍ فى مشارقِ الأَرْضِ ومغارِبِها، وأنَّ الشَّياطينَ حارَتْ فى سببِ ذلك، حتى كَشَفَ لهم إبليسُ الكَبيرُ أمْرَ عيسى، فوجَدَه فى حِجْرِ أُمِّه، والملائكةُ مُحْدِقَةٌ به، وأنَّه ظَهَرَ نَجْمٌ عظيمٌ فى السَّماءِ، وأَنَّ مَلِكَ الفُرْسِ أَشْفَقَ مِن ظهورِه، فسأل الكَهَنَةَ عن

---

(١) سقط من: م.
(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤٤.
(٣) سقط من: الأصل.
(٤) فى م: «بينهما».
(٥) الإكاف: برذعة الحمار.
(٦) تقدم ص ٤٤٤.
(٧) تاريخ الطبرى ١/٥٩٤ - ٥٩٨.

ذلك فقالوا: هذا لمولدٍ[1] عظيمٍ فى الأرْضِ. فبعَث رُسُلَهُ ومعهم ذَهَبٌ ومُرٌّ ولِبانٌ، هديةً إلى عيسى، فلمَّا قَدِمُوا الشَّامَ سَأَلَهم مَلِكُها عَمّا أَقْدَمَهُم، فَذَكَروا له ذلك، فسأَلَ عن ذلك الوقتِ، فإذا قد وُلِد فيه عيسى ابنُ مريمَ ببَيْتِ [١/ ٢٥٩و] المقْدِسِ، واشْتَهَرَ أَمْرُهُ بسببِ كَلامِهِ فى المَهْدِ، فأَرْسَلَهم إليه بما معهم، وأرْسَلَ معهم مَنْ يَعْرِفُه له؛ ليتَوَصَّلَ إلى قَتْلِه إذا انْصرفوا عنه، فلمَّا وصلوا إلى مريمَ بالهدايا ورَجَعوا، قيلَ لها: إنَّ رُسُلَ مَلِكِ[2] الشّامِ إنَّما جاءوا ليَقْتُلوا وَلَدَكِ. فاحْتَمَلَتْه، فذهَبت به إلى مِصْرَ، فأقامت بها حتى بَلَغَ عُمْرُه ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سنةً، وَظَهَرت عليه كراماتٌ ومُعْجِزاتٌ فى حالِ صِغَرِه، فَذَكَرَ منها، أَنَّ الدِّهْقانَ الذى نَزَلوا عندَه افتقَدَ مالًا مِن دارِه، وكانت دارُه [3]لا يسكُنُها إلَّا[3] الفقراءُ والضعفاءُ والمحاويجُ، فلم يَدْرِ مَنْ أخَذه، وعَزَّ ذلك على مريمَ، عليها السّلامُ، وشَقَّ على الناسِ وعلى رَبِّ المنزلِ، وأعْياهُمْ أَمْرُها، فلمَّا رأى عيسى، عليه السلامُ، ذلك، عَمَدَ إلى رَجُلٍ أعْمَى، وآخَرَ مُقْعَدٍ مِن جملةِ مَنْ هو منقطِعٌ إليه، فقال للأَعْمَى: احمِلْ هذا المُقْعَدَ وانهضْ به. فقال: إنى لا أستطيعُ ذلك. فقال: بلى، كما فعلتَ أنت وهو حينَ أخذتُما هذا المالَ مِن تلك الكُوَّةِ من الدّارِ. فلمّا قال ذلك، صدَّقاه فيما قال، وأَتَيَا بالمالِ، فَعَظُم عيسى فى أَعْيُنِ النَّاسِ وهو صغيرٌ جِدًّا.

ومِن ذلك، أنَّ ابنَ الدِّهْقَانِ عَمِل ضِيافةً للناسِ؛ بسببِ طُهورِ أَوْلادِه، فلمَّا اجتمعَ الناسُ وأَطْعَمَهم، ثُمَّ أَرادَ أن يَسْقِيَهم شَرابًا، يَعْنِى خمرًا، كما

---

(١) فى الأصل، ص: «لموعد».
(٢) سقط من: ص.
(٣ - ٣) فى ص: «إلى».

كانوا يَصْنعون فى ذلك الزَّمانِ ، لم يَجِدْ فى جِرَارِه شيئًا ، فشَقَّ ذلك عليه ، فلمّا رأى عيسى ذلك منه قام فجَعَلَ يَمُرُّ على تلكَ الجِرَارِ ويُمِرُّ يدَه على أفْواهِها ، فلا يفعلُ بِجَرَّةٍ منها ذلكَ إلا امْتَلأَتْ شرابًا مِن خِيارِ الشَّرابِ ، فتعجَّبَ الناسُ مِن ذلك جِدًّا ، وعَظَّمُوه وعَرَضُوا عليه وعلى أُمِّه مالًا عَظيمًا جَزِيلًا ، فلم يَقْبَلاه ، وارْتَحَلا قاصِدَيْنِ بِلادَ بيْتِ المقْدِسِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[1] : أَنْبَأَنَا عثمانُ بنُ السَّاجِ وغيرُه ، عن موسى بنِ وَرْدَانَ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، وعن مَكْحولٍ ، عن أبى هريرةَ قال : إنَّ عيسى ابنَ مريمَ أوَّلَ ما أَطْلَقَ اللَّهُ لِسانَه ، بعدَ الكلامِ الذى تكلَّم به وهو طفلٌ ، فمَجَّدَ اللَّهَ تَمْجِيدًا لم تَسْمَعِ الآذانُ بمثلِه ، لم يَدَعْ شمسًا ولا قَمرًا ولا جَبَلًا ولا نَهْرًا ولا عَيْنًا إلَّا ذَكَرَه فى تمجيدِه ، فقال : اللهمّ أنت القريبُ فى عُلُوِّك ، المُتَعَالى فى دُنُوِّكَ ، الرفيعُ على كُلِّ شَيْءٍ من خلقِك ، أنت الذى خلقْتَ سَبْعًا فى الهواءِ بكلماتِك ، مُسْتَوِياتٍ طِباقًا ، أَجَبْنَ وهُنَّ دُخانٌ من فَرَقِك ، فأَتَيْنَ طائعاتٍ لأَمْرِكَ ، فيهِنَّ ملائكتُك يُسبِّحون قُدْسَكَ لتقديسِكَ ، وجعلْتَ فيهنّ نورًا [١/٢٥٩ظ] على سَوَادِ الظَّلامِ ، وضياءً من ضَوْءِ الشَّمسِ بالنَّهارِ ، وجعلْتَ فيهنَّ الرَّعْدَ المسبِّحَ بالحمْدِ ، فبعِزَّتِكَ تَجْلُو ضَوءَ ظُلمَتِك ، وجعلْتَ فيهنَّ مصابيحَ يَهْتَدِى بهنَّ فى الظُّلُمَاتِ الحَيْرانُ ، فتباركْتَ اللَّهُمَّ فى مَفْطورِ سماواتِك ، وفيما دَحَوْتَ مِن أرضِكَ ، دَحَوْتَها على الماءِ ، فسَمَكْتَها[2]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٤٠، ٤١ مخطوط ، من طريق إسحاق بن بشر به .
(٢) فى الأصل : « فسمكها » .

على تَيّارِ الموْجِ المُتغامِرِ[1] فأَذْلَلْتَهَا إِذْلالَ [2]الماءِ المُتَطَاهِرِ[2] ، فَذَلَّ لطاعتِكَ صَعْبُها ، واستحْيَى لأَمْرِكَ أَمْرُها ، وخَضَعَتْ لعِزَّتِك أمواجُها ، فَفَجَّرْتَ فيها بعدَ البحورِ الأَنهارَ ، ومِن بعدِ الأنهارِ الجداولَ الصِّغَارَ ، ومن بعدِ الجداولِ ينابيعَ العُيونِ الغِزَارَ ، ثم أخرجْتَ منها الأَنهارَ والأَشْجَارَ والثِّمَارَ ، ثم جَعَلْتَ[3] على ظَهْرِها الجبالَ فَوَتَّدْتَهَا أَوْتادًا على ظَهْرِ الماءِ ، فأطاعتْ أَطْوَادُها وجُلْمُودُهَا ، فتباركْتَ اللهُمَّ ، فمَنْ يَبْلُغُ بِنَعْتِه نَعْتَكَ ؟ أَمَّنْ يَبْلُغُ بِصِفَتِه صِفَتَكَ ؟ تَنْشُرُ السَّحابَ ، وتَفُكُّ الرِّقابَ ، وتَقْضِى الحقَّ ، وأنتَ خيرُ الفاصلين ، لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك ، أَمَرْتَ أَن نستغْفِرَكَ مِن كُلِّ ذَنْبٍ ، لا إلهَ إلَّا أنتَ سُبْحانَك ، [4]سَتَرْتَ السّماواتِ[4] عن النَّاسِ ، لا إلهَ إلا أنتَ سبحانَك ، إنما يَخْشاكَ[5] مِن عبادِك الأَكْياسُ ، نَشْهدُ أَنَّكَ لستَ بإلهٍ استحْدَثْناكَ ، ولا ربٌّ يَبِيدُ ذِكْرُه ، ولا كان معكَ شُرَكَاءُ [6]يَقْضُون معك[6] فندْعُوَهم ونَذَرَك[7] ، ولا أعانَك على خَلْقِنا أحدٌ فَنَشُكَّ فيكَ ، نشهدُ أنَّك أَحدٌ صَمَدٌ ، لَم تَلِدْ ولَمْ تُولَدْ ، ولم يكنْ لكَ كُفُوًا أحدٌ .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[8] ، عن جُوَيْبِرٍ[9] ومقاتِلٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : إنَّ عيسى ابنَ مريمَ أَمْسَكَ عن الكلامِ بعدَ إذْ كَلَّمَهم طِفْلًا ، حتى بلَغَ

---

(١) فى ح ، م : « الغامر » .
(٢ - ٢) فى ح ، م : « التظاهر » .
(٣) فى ص : « خلقت » .
(٤ - ٤) فى ح : « استترت بالسماوات » .
(٥) فى م : « يغشاك » .
(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .
(٧) فى م : « نذكرك » .
(٨) المصدر السابق ١٤/٤٠ ، من طريق إسحاق .
(٩) سقط من : ص . وفى الأصل : « جرير » .

ما يَبْلُغُ الغِلْمَانُ ، ثُمَّ أَنْطَقَه اللَّهُ بعدَ ذلك بالحِكْمَةِ والبَيانِ ، فأَكْثَرَ اليهودُ فيه وفى أمِّه مِن القَوْلِ ، كانوا يُسَمُّونه ابنَ البَغِيَّةِ ، وذلك قولُه تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] . قال : فَلَمَّا بلَغ سَبْعَ سنينَ أسْلَمَتْه أُمُّه فى الكُتَّابِ ، فجعَل لا يُعَلِّمُه المُعَلِّمُ شيئًا إلَّا بَدَرَه إليه ، فعلَّمه أبا جادٍ ، فقال عيسى : ما أبو جادٍ ؟ فقال المُعَلِّمُ : لا أَدْرِى . فقال عيسى : كيفَ تُعَلِّمُنِى ما لا تَدْرِى ؟ فقال المُعَلِّمُ : إذًا فَعَلِّمْنى . فقالَ له عيسى : فَقُمْ مِن مَجْلِسِكَ . فقامَ فَجَلَس عيسى مَجْلِسَه ، فقال : سَلْنِى . فقال المُعَلِّمُ : فما أبو جادٍ ؟ فقال عيسى : الألِفُ آلاءُ اللَّهِ ، الباءُ بهاءُ اللَّهِ ، الجيمُ بَهْجَةُ اللَّهِ وجَمالُه . فَعَجِبَ المُعَلِّمُ مِن ذلك ، فكان أوَّلَ مَن فَسَّر أبا جادٍ .

ثم ذكَر أنَّ عثمانَ سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ ، عن ذلك ، فأَجابَه على كُلِّ كَلِمةٍ كَلَّمَه[1] ، بحديثٍ طَويلٍ [١/٢٦٠و] موضوعٍ ، لا [2]يُشَكُّ فيه ولا يُتَمَارَى[2] .

وهكذا رَوَى ابنُ عَدِىٍّ[3] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عَيّاشٍ ، عن إسماعيلَ ابنِ يَحْيَى ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عَمَّن حَدَّثَه عن ابنِ مَسْعودٍ ، وعن مِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ ، رَفَعَ الحديثَ فى دُخولِ عيسى إلى الكُتَّابِ وتعليمِه المُعَلِّمَ معنى حُروفِ أبى جادٍ ، وهو مُطَوَّلٌ لا يُفْرَحُ به . ثم قال ابنُ عَدِىٍّ : وهذا الحديثُ باطلٌ بهذا الإسنادِ ، لا يَرْويه غيرُ إسماعيلَ .

ورَوَى ابنُ لَهِيعَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ هُبَيْرَةَ[4] ، قال : كان عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) زيادة من : ح .
(٢ - ٢) فى ح : « لا يسأل ولا يتمارى » . وفى م : « لا يسأل ولا يتمادى » .
(٣) فى الكامل ١/ ٢٩٩.
(٤) فى ص : « نمرة » .

عَمْرٍو[1] يقولُ : كان عيسى ابنُ مريمَ وهو غلامٌ يَلعبُ مع الصِّبيانِ ، فكان يقولُ لأحَدِهم : تُريدُ أن أُخْبِرَكَ ما خَبَّأَتْ لكَ أمُّكَ ؟ فيقولُ : نَعَمْ . فيقولُ : خَبَّأَتْ لكَ كذا وكذا . فيذهبُ الغُلامُ منهم إلى أمِّه فيقولُ لها : أَطْعِمِينى ما خبَّأتِ لى . فتقولُ : وأَىُّ شىءٍ خَبَّأْتُ لك ؟ فيقولُ : كذا وكذا . فتقولُ له : مَن أخْبَرَكَ ؟ فيقولُ : عيسى ابنُ مريمَ . فقالوا : واللَّهِ لَئِن تركْتُم هؤلاءِ الصِّبيانَ مع ابنِ مريمَ لَيُفْسِدَنَّهم . فجَمعوهم فى بَيْتٍ وأَغْلَقوا عليهم ، فَخَرَج عيسى يَلْتَمِسُهم ، فلم يجدْهم ، فسَمِعَ ضَوْضَاءَهم فى بيْتٍ ، فسأل عنهم ، فقالوا : إنَّما هؤلاءِ قِرَدَةٌ وخنازيرُ . فقال : اللهمَّ كذلك . فكانوا كذلك . رواهُ ابنُ عساكرَ[2] .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3] ، عن جُوَيْبِرٍ ومقاتِلٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وكان عيسى يُرِى العَجَائبَ فى صِبَاهُ إلهامًا مِن اللَّهِ ، ففشا ذلك فى اليهودِ ، وتَرَعْرَعَ عيسى ، فهَمَّتْ به بنو إسرائيلَ ، فخافَتْ أمُّه عليه ، فَأَوْحَى اللَّهُ إلى أمِّه أَنْ تَنْطَلِقَ به إلى أَرْضِ مِصْرَ ؛ فذلك قولُه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

وقدِ اختَلَفَ السَّلفُ والمفسِّرون فى المرادِ بهذه الرَّبْوَةِ التى ذَكَرَ اللَّهُ مِن صِفَتِها أَنَّها ذاتُ قَرارٍ ومَعِينٍ ، وهذه صِفَةٌ غريبةُ الشَّكْلِ ؛ وهى أنَّها رَبْوَةٌ ، وهو المكانُ المرتفعُ مِن الأَرْضِ ، الذى أَعْلاهُ مُسْتَوٍ يُقَرُّ عليه ، فمع ارتِفَاعِه ، مُتَّسِعٌ ،

---

(١) فى م ، ص : « عمر » .
(٢) فى تاريخ دمشق ٣٩/١٤ المخطوط .
(٣) سبق تخريجه فى ص ٤٦٨ حاشية (٨) .

ومع عُلُوِّهِ، فيه (١عَيْنٌ مِن١) الماءِ مَعِينٌ؛ وهو الجارى السَّارحُ على وجْهِ الأَرضِ، فقيل: المرادُ المكانُ الذى وَلَدَت فيه المسيحَ. وهو مَحِلَّةُ بيْتِ المقْدِسِ، ولهذا ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾. وهو النَّهْرُ الصَّغيرُ، فى قولِ جُمهورِ السَّلَفِ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ بإسْنادٍ جَيِّدٍ، أنَّها أَنْهارُ دِمَشْقَ(٢). فلعلَّه أراد تَشْبِيهَ ذلك المكانِ بأَنْهارِ دِمَشْقَ. وقيلَ: ذلكَ بمِصْرَ. كما زَعَمَه مَنْ زَعَمَهُ مِنْ أَهْلِ الكتابِ وَمَنْ تلقَّاه عنهم. واللَّهُ أعلمُ. (٣وقيل: هى الرَّمْلَةُ.

و٣) قال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ(٤): [١/٢٦٠ظ] قال لنا إدريسُ، عن جَدِّه وَهْبِ ابنِ مُنَبِّهٍ، قال: إنَّ عيسى لَمَّا بَلَغ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنةً، أَمَرَه اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ مِن بلادِ مِصْرَ إلى بيْتِ إيلِيَا. (٥قال: فَقَدِمَ عليه يوسفُ ابنُ خَالِ أُمِّه، فحمَلَهما على حِمَارٍ، حتى جاءَ بهما إلى إيلِيَا٥)، وأَقَامَ بها حتى أَحْدَثَ اللَّهُ له الإِنْجِيلَ، وعلَّمه التَّوْراةَ، وأَعْطاه إِحْيَاءَ المَوْتَى، وإِبْرَاءَ الأَسْقَامِ، والعِلْمَ بالغُيوبِ مِمَّا يَدَّخِرُون فى بُيُوتِهم، وتحدَّثَ النَّاسُ بقُدُومِه، وفَزِعوا لِمَا كان يأتى مِن العجائبِ، فجعلوا يَعْجَبُون منه، فدعاهم إلى اللَّهِ ففشا فيهم أَمْرُه.

(١ - ١) فى ح، م: «عيون».
(٢) التفسير ٥/ ٤٧٠.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/١٤ مخطوط، من طريق إسحاق بن بشر به.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

[1]بَيَانُ نُزُولِ الكُتُبِ الأَرْبَعَةِ ومَواقيتِها[1]

قال أبو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ[2] : حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عَمَّن حَدَّثَه قال : أُنْزِلَتِ التَّوراةُ على موسى فى ستٍّ ليالٍ خَلَوْنَ مِن شَهْرِ رمضانَ ، ونزَل الزَّبُورُ على داودَ فى اثْنَتَىْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن شهرِ رَمضانَ ، [3]وذلكَ بعدَ التَّوْراةِ بأَرْبَعِمائَةِ سنةٍ واثنتين وثمانين سنةً ، وأُنْزِلَ الإنجيلُ على عيسى ابنِ مريمَ فى ثَمانِى عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن شهْرِ رَمضانَ[3] ، بعدَ الزَّبورِ بألْفِ عامٍ وخمسين عامًا ، وأُنْزِلَ الفُرْقانُ على محمدٍ ﷺ ، فى أربعٍ وعشرين مِن شهرِ رمضانَ . وقد ذَكَرْنا فى « التفسيرِ »[4] عندَ قولِه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الأحاديثَ الواردةَ فى ذلك ، وفيها أَنَّ الإنجيلَ أُنْزِلَ على عيسى ابنِ مريمَ ، عليه السلامُ ، فى ثمانِى عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من شهرِ رمضانَ .

وذَكَر ابنُ جريرٍ فى « تاريخِه »[5] أنَّه أُنْزِلَ عليه وهو ابنُ ثلاثين سنةً ، ومَكَثَ حتى رُفِعَ إلى السَّماءِ ، وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً . كما سيأتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[6] : وأنْبَأَنا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادةَ ، ومقاتِلٌ

(١ - ١) ليس فى : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٢/١٤ مخطوط ، من طريق أبى زرعة به .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) التفسير ١/ ٣٠٩.

(٥) ١/ ٥٩٨.

(٦) المصدر السابق ٤٣/١٤، من طريق إسحاق بن بشر به .

عن قتادةَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ آدمَ، عن أبى هريرةَ قال: أَوْحَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى عيسى ابنِ مريمَ: يا عيسى، جِدَّ فى أمرِى ولا تَهِنْ، واسْمَعْ وأَطِعْ يا ابنَ الطَّاهِرَةِ البِكْرِ البَتُولِ، إنّكَ مِن غيرِ فَحْلٍ، وأنا خلقْتُك آيةً للعالَمين، إيَّاىَ فاعْبُدْ، وعَلَىَّ فَتَوَكَّلْ، خُذِ الكتابَ بقوّةٍ، فَسِّرْ لأهْلِ السُّرْيانِيّةِ، بَلِّغْ مَنْ بينَ يَدَيْك أنّى أنا الحىُّ القائمُ الذى لا أَزولُ، صَدِّقوا النبىَّ الأُمِّىَّ[1] العربىَّ، صاحبَ الجَمَلِ والتَّاجِ - وهى العِمامَةُ - والمِدْرَعَةِ والنَّعْلَيْنِ والهِرَاوَةِ - وهى القَضِيبُ - الأَنْجَلَ العَيْنَيْنِ، الصَّلْتَ الجَبِينِ، الواضحَ الخَدَّيْن، الجَعْدَ الرَّأسِ، الكَثَّ اللِّحْيَةِ، المَقْرونَ الحاجِبَيْنِ، الأَقْنَى الأنفِ، المُفَلَّجَ الثَّنايا، البادىَ العَنْفَقَةِ، الذى كأنَّ عُنُقَه إبْرِيقُ فِضَّةٍ، وكأنَّ الذَّهَبَ يَجْرِى فى تَراقِيه، له شَعَراتٌ من لَبَّتِه إلى سُرَّتِه تَجْرِى كالقَضِيبِ، ليس على بَطْنِه ولا على صَدْرِه شَعْرٌ غيرُه، شَثْنَ الكَفِّ والقَدَمِ، إذا الْتَفَتَ، الْتَفَتَ جميعًا، وإذا مَشَى كأنَّما [٢٦١/١و] يَتَقَلَّعُ مِن صَخْرٍ ويَنْحَدِرُ من صَبَبٍ، عَرَقُه فى وجْهِه كاللُّؤْلُؤِ، ورِيحُ المِسْكِ ينْفَحُ منه، لم يُرَ قبلَه ولا بعدَه مِثْلُه، الحَسَنَ القامَةِ، الطيِّبَ الرِّيحِ، نَكَّاحَ النِّساءِ، ذا النَّسْلِ القليلِ، إنما نَسْلُه مِن مُبارَكَةٍ لها بيتٌ - يعنى فى الجَنَّةِ - مِن قَصَبٍ، لا نَصَبَ فيه ولا صَخَبَ، تُكَفِّلُه - يا عيسى - فى آخِرِ الزَّمانِ كما كَفَّل زكريّا أُمَّك، له منها فَرْخان مستشهِدان، وله عِنْدِى منزلةٌ ليست لأحدٍ مِن البَشَرِ، كلامُه القرآنُ، ودِينُه الإسلامُ، وأنا السّلامُ، طُوبَى لِمَن أَدْرَكَ زمانَه، وشَهِدَ أيَّامَه، وسَمِعَ كَلامَه.

---

(١) سقط من: ص.

(١) بيَانُ شَجَرَةِ طُوبَى مَا هى (١)

قال عيسى : يا ربِّ ، وما طُوبَى ؟ قال : غَرْسُ شجرةٍ أنا غَرَسْتُها بيدَىَّ فهى للجِنَانِ كلِّها ، أَصْلُها مِن رِضْوانٍ ، وماؤُها مِن تَسْنِيمٍ ، وبَرْدُها بَرْدُ الكافورِ ، وطَعْمُها طَعْمُ الزَّنْجَبِيلِ ، ورِيحُها رِيحُ المِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبَةً لم يَظْمَأْ بعدَها أبدًا . قال عيسى : ياربِّ ، اسْقِنِى منها . قال : حرامٌ على النَّبِيِّين أَنْ يَشْرَبُوا منها ، حتَّى يَشْرَبَ ذلك النَّبِىُّ ، وحـرامٌ على الأُمَمِ أَنْ يَشْرَبُوا منها ، حتَّى (٢تَشْرَبَ منها٢) أُمَّةُ ذلك النَّبِىِّ . قال : يا عيسى ، أَرْفَعُكَ إلىَّ . قال : يا رَبِّ ، ولِمَ تَرْفَعُنى ؟ قال : أَرْفَعُكَ ثُمَّ أُهْبِطُكَ فى آخِرِ الزَّمانِ ؛ لِتَرَى مِنْ أُمَّةِ ذلك النبىِّ العجائبَ ، ولِتُعِينَهم على قتالِ اللَّعِينِ الدَّجَّالِ ، أُهْبِطُكَ فى وَقْتِ صلاةٍ ، ثُم لا تُصَلِّى بهم ؛ لأَنَّها أُمةٌ مَرْحُومَةٌ ، ولا نَبِىَّ بعدَ نَبِيِّهم .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، عن الوليدِ بنِ مُسْلِمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زَيْدٍ ، عن أبيه ، أَنَّ عيسى قال : يا رَبِّ ، أَنْبِئْنِى عن هذه الأُمَّةِ المَرْحُومَةِ . قال : أُمَّةُ أَحْمَدَ ، هم علماءُ حكماءُ ، كأَنَّهم أنبياءُ ، يَرْضَوْنَ منِّى بالقليلِ مِن العطاءِ ، وأَرْضَى منهم باليَسيرِ مِن العملِ ، وأُدْخِلُهمُ الجَنَّةَ بلا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ، يا عيسى ، هم أَكْثَرُ سُكَّانِ الجَنَّةِ ؛ لأنه لمْ تَذِلَّ أَلْسُنُ قومٍ قَطُّ بلا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ كما ذَلَّتْ أَلْسِنَتُهم ، ولمْ تَذِلَّ رِقَابُ قَوْمٍ قَطُّ بالسُّجودِ كما ذَلَّتْ به رقابُهم . رواه ابنُ عساكرَ (٣) .

(١ - ١) ليس فى : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) في ص : « تشهد » .

(٣) فى تاريخ دمشق ٤٣/١٤ مخطوط .

ورَوَى[1] مِن طريقِ عبدِ بنِ بُدَيْلٍ العُقَيْلِيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْسَجَةَ ، قال : أَوْحَى اللَّهُ إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ : أَنْزِلْنِى مِن نَفْسِك كَهَمِّكَ ، واجْعَلْنِى ذُخْرًا لكَ فى مَعَادِكَ ، وتَقَرَّبْ إلىَّ بالنَّوافِلِ أُحِبَّكَ ، ولا تَوَلَّ غيرِى فأَخْذُلَكَ ، اصْبِرْ على البلاءِ ، وارْضَ بالقضاءِ ، وكُنْ لمَسَرَّتى فيكَ ، فإنَّ مَسَرَّتى أَنْ أُطاعَ فلا أُعْصَى ، وكُنْ مِنِّى قريبًا ، وأَحْيِ ذِكْرِى بلسانِكَ ، ولْتَكُنْ مَوَدَّتِى فى صَدْرِكَ ، تَيَقَّظْ مِنْ ساعاتِ الغَفْلَةِ ، واحْكُمْ لى لَطِيفَ الفِطْنَةِ ، وكُنْ لى راغِبًا راهِبًا ، وأَمِتْ قَلْبَكَ مِن الخَشْيَةِ لى ، ورَاعِ اللَّيْلَ لحَقِّ مَسَرَّتى ، وأَظْمِ نهارَكَ ليومِ الرَّىِّ عندِى ، نافِسْ فى [١/٢٦١ظ] الخيْراتِ جَهْدَكَ ، وأَعْرِفْ[2] بالخيرِ حيثُ تَوَجَّهْتَ ، وقُمْ فى الخلائقِ بنصيحتى ، واحكُمْ فى عبادِى بعَدْلِى ، فقد أَنْزلْتُ عليكَ شِفَاءَ وَسَاوِسِ الصُّدورِ مِن مرضِ النِّسْيانِ ، وجِلاءَ الأَبصارِ مِن غِشاءِ الكَلَالِ ، ولا تَكُنْ حَلِسًا[3] كأَنَّكَ مقبوضٌ وأنتَ حَىٌّ تَنَفَّسُ ، يا عيسى ابنَ مريمَ ، ما آمَنَتْ بِى خَلِيقَةٌ إلَّا خَشَعَتْ ، ولا خَشَعَتْ لى إلَّا رَجَتْ ثَوَابِى ، فَأُشْهِدُكَ أَنَّها آمِنةٌ مِن عِقابِى ، ما لم تُغَيِّرْ أو تُبَدِّلْ سُنَّتى ، يا عيسى ابنَ مريمَ البِكْرِ البَتُولِ ، ابْكِ على نَفْسِكَ أيامَ الحياةِ بُكاءَ مَنْ وَدَّعَ الأَهْلَ ، وَقَلَا الدُّنْيا ، وتَرَكَ اللَّذّاتِ لأَهْلِها ، وارْتَفَعَتْ رَغْبتُه فيما عِنْدَ إلَهِه ، وكُنْ فى ذلكَ تُلِينُ الكلامَ ، وتُفْشِى السَّلامَ ، وكُنْ يَقْظَانَ إذا نامتْ عُيونُ الأَبْرَارِ ، حَذَارِ ما هو آتٍ مِن أمرِ المَعَادِ ، وزلازلَ شدائِدِ الأَهْوالِ ، قبلَ أَن لا يَنْفَعَ أهلٌ ولا مالٌ ، واكْحَلْ عينَك بمُلْمُولِ[4] الحُزْنِ

---

(١) المصدر السابق ١٤/ ٤٤.

(٢) فى ح ، م ، ص : « اعترف » ، وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق : تفسيره ؛ ولتعرف بالخير .

(٣) رجل حلس ، أى ملازمٌ مكانه لا يبرحه .

(٤) فى الأصل : « بميل » . وح ، م ، ص « بملول » . والمثبت من تاريخ دمشق . والملمول المكحال . اللسان (م ل ل) .

إذا ضَحِكَ البَطَّالون ، وكُنْ فى ذلك صابِرًا مُحْتَسِبًا ، فطُوبَى لك إن نالكَ ما وَعَدْتُ الصَّابرين ، رَجٍّ مِن الدُّنيا باللَّهِ يومٌ بيومٍ ، وذُقْ مَذاقَةَ ما قَدْ هَرَبَ[1] مِنْك أين طَعْمُه ، وما لم يَأْتِكَ كيْفَ لذَّتُه ، فَرَجٍّ مِن الدنيا بالبُلْغَةِ ، ولْيَكْفِكَ منها الخَشِنُ الجَشِيبُ[2] ، قد رأيتَ إلى مَا تَصِيرُ ، اعملْ على حِسَابٍ فإنَّك مسئولٌ ، لو رَأَتْ عَيْنُك ما أعدَدْتُ لأَوْليائِى الصّالحين ، ذابَ قلبُك ، وزَهَقَتْ نَفْسُكَ .

وقال أبو داودَ فى كتابِ « القَدَرِ »[3] : حَدَّثنا محمدُ بنُ يَحْيَى ابنِ فارسٍ ، حدّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، حدّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، وعن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، قال : لَقِىَ عيسى ابنُ مريمَ إبليسَ ، فقال : أَمَا عَلِمْتَ أنه لن يُصِيبَكَ إلَّا ما كُتِبَ لك ؟ قال إبليسُ : فارْقَ بِذِرْوَةِ هذا الجبلِ ، فَتَرَدَّ منه ، فانْظُرْ تعيشُ أَمْ لا ؟ فقال ابنُ طاوُسٍ ، عن أبيه : فقال عيسى : أمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قال : لا يُجَرِّبُنِى عبدِى ، فإنِّى أَفْعَلُ ما شِئْتُ . وقال الزُّهْرِىُّ : إنَّ العبدَ لا يَبْتَلِى رَبَّهُ ، ولكنَّ اللَّهَ يَبْتَلِى عبدَه .

قال أبو داودَ[4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عَبْدَةَ ، أنبأنا سُفيانُ ، عن عمرٍو[5] ، عن طاوُسٍ قال : أتَى الشَّيطانُ عيسى ابنَ مريمَ ، فقال : أَلَيْسَ تَزْعُمُ أَنَّكَ صادقٌ ؟ فَأْتِ هذه[6] فَأَلْقِ نَفْسَكَ . قال : وَيْلَكَ ! أَلَيْس قالَ : يا ابنَ آدمَ ، لا تَسْأَلْنِى هَلاكَ نَفْسِك ، فإنِّى أَفْعَلُ ما أَشَاءُ .

---

(١) فى ح ، م : « حرب » .
(٢) أى الغليظ .
(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/١٤ مخطوط ، من طريق محمد بن يحيى به .
(٤) المصدر السابق من طريق أبى داود به .
(٥) فى الأصل : « عمر » . وفى ص : « عمرو بن طاوس » . وهو عمرو بن دينار . انظر مصدر التخريج .
(٦) فى ح ، م : « هوة » .

وَحَدَّثَنا[1] أبو تَوْبةَ الرَّبيعُ بنُ نافعٍ ، حدّثنا حسينُ بنُ طلحةَ ، سمعتُ خالدَ ابنَ يزيدَ ، قال : تَعَبَّدَ الشَّيطانُ مع عيسى عَشْرَ سنينَ أو سَنَتَيْنِ ، أَقامَ يومًا على شَفِيرِ جبلٍ ، فقال الشَّيْطانُ : أَرَأَيْتَ إنْ أَلقيْتُ نفسى ، هل يصيبُنى إلَّا ما كُتِبَ لى ؟ قال : إنِّى لستُ بالذى أبْتَلِى ربِّى [٢٦٢/١و] [2]ولكنَّ ربِّى[2] إذا شاءَ ابْتَلانى . وعَرَفَ أنّه الشَّيطانُ ، فَفَارَقَه .

وقال أبو بكرٍ ابنُ أبِى الدُّنيا[3] : حَدَّثَنا سُريجُ[4] بنُ يونُسَ ، حَدَّثنا علىُّ بنُ ثابتٍ ، عن الخطّابِ بنِ القاسِمِ ، عن أبى عثمانَ ، قال : كان عيسى ، عليه السلامُ ، يُصَلِّى على رَأْسِ جبلٍ ، فأتاه إبليسُ ، فقال : أنتَ الذى تَزْعُمُ أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ بقضاءٍ وقَدَرٍ ؟ قال : نعم . قال : أَلْقِ نَفْسَك مِن هذا الجبلِ وقُلْ : قَدَرٌ عَلَىَّ . فقال : يا لَعِينُ ، اللَّهُ يَخْتَبِرُ العِبَادَ ، وليس العبادُ يَخْتَبِرون اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ . وقال أيضًا[3] : حَدَّثَنا الفَضْلُ بنُ موسى البَصْرِىُّ ، حدّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ[5] ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ بنَ عُيَيْنَةَ يقولُ : لَقِىَ عيسى ابنَ مريمَ إبليسُ ، فقال له إبليسُ : يا عيسى ابنَ مريمَ ، أنتَ الذى بلَغ مِن عِظَمِ رُبُوبِيَّتِك أنَّكَ تَكَلَّمْتَ فى المَهْدِ صَبِيًّا ، ولم يتكلَّمْ فيه أَحَدٌ قَبْلَكَ . قال : بل الرُّبُوبِيَّةُ للإلهِ الذى أَنْطَقَنى ، ثم يُمِيتُنى ، ثم يُحْيِينى . قال : فأَنتَ الذى بلَغ مِن عِظَمِ رُبُوبِيَّتِك أَنَّكَ تُحْيِى المَوْتَى . قال : بل الرُّبُوبِيَّةُ للَّهِ الذى يُحْيِى ويُمِيتُ مَنْ أَحْيَيْتُ ثُمَّ يُحْيِيه . قال : واللَّهِ إنَّك

---

(١) القائل أبو داود . المصدر السابق من طريق أبي داود به .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) المصدر السابق ، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٤) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢١.
(٥) فى ص : « يسار » .

لإلهٌ فى السماءِ وإلهٌ فى الأرضِ. قال: فَصَكَّه جِبْرِيلُ صَكَّةً بجَناحِه، فَمَا تَنَاهَى دونَ قرونِ[1] الشَّمْسِ، ثم صَكَّه أُخْرَى بجَناحِه، فما تَنَاهَى دونَ العَيْنِ الحامِيَةِ، ثُم صَكَّه أُخْرَى، فأَدْخَلَه بحارَ السَّابعةِ، فَأَسَاخَه - وفى رِوايةٍ: فأَسْلَكَه - فيها حتى وجد طَعْمَ الحَمْأَةِ، فخرَج منها وهو يقولُ: ما لَقِيَ أَحَدٌ مِن أَحدٍ ما لَقِيتُ مِنْكَ يا ابنَ مريمَ.

وقد رُوِىَ نحوُ هذا بأَبْسَطَ منه مِن وجْهٍ آخَرَ؛ فقال الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ[2]: أخْبَرَنِى أبو الحسنِ بنُ رَزْقَوَيْه، أنْبَأَنَا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سِنْدِىٍّ[3]، حدّثنا أبو محمدٍ الحسنُ بنُ علىٍّ القَطّانُ، حَدَّثنا إسماعيلُ بنُ عيسى العطَّارُ، أنْبَأَنا علىُّ بنُ عاصمٍ، حدَّثنى أبو سَلَمَةَ سُوَيْدٌ عن بعضِ أصحابِه، قال: صَلَّى عيسى ببيتِ المَقْدِسِ فانصرفَ، فلمّا كان ببعضِ العقبةِ[4]، عَرَضَ له إبليسُ فاحْتَبَسَه، فجَعَل يَعْرِضُ عليه ويُكَلِّمُه ويقولُ له: إنّه لا ينْبَغِى لك أن تَكُونَ عَبْدًا. فأَكْثَرَ عليه، وجعَل عيسى يَحْرِصُ على أنْ يتَخَلَّصَ منه، فجعلَ لا يَتَخَلَّصُ منه، فقال له فيما يقولُ: لا ينْبَغِى لكَ يا عيسى أنْ تكونَ عَبْدًا. قال: فاستغاثَ عيسى بربِّهِ، فأَقْبَلَ جِبْرِيلُ وميكائيلُ، فلمّا رَآهما إبليسُ، كَفَّ، فَلَمَّا استقرَّا معه على العقبةِ، اكْتَنَفَا عيسى، وضرَب جِبْرِيلُ إبليسَ بجَناحِه، فقَذَفَه فى بَطْنِ الوادِى. قال: فعاد إبليسُ معه، وعَلِمَ أنَّهما لم يُؤْمَرَا بغيرِ ذلك، فقال لعيسى: قد أخْبَرْتُك أنَّه لا يَنْبَغِى أنْ تَكونَ عَبْدًا، إنَّ غَضَبَكَ [١/٢٦٢ظ] ليس

---

(١) كذا في النسخ. وفي تاريخ دمشق: «فوق».
(٢) المصدر السابق ١٤/٤٦، من طريق أبى بكر الخطيب به.
(٣) في الأصل: «مسدى». وفى م: «سبدى».
(٤) العقبة: طريق في الجبل وعر. اللسان (ع ق ب).

بِغَضَبِ عَبْدٍ ، وقد رأيتَ ما لَقِيتُ منك حينَ غَضِبْتَ ، ولكنْ أَدْعُوكَ إلى أَمْرٍ هو لكَ ؛ آمُرُ الشياطينَ فَلْيُطِيعُوكَ ، فإذا رَأَى البَشَرُ أنَّ الشياطينَ قد أطاعوكَ ، عَبَدُوكَ ، أَمَا إنّى لا أقولُ أنْ تَكونَ إلـهًا ليسَ معه إلـهٌ ، ولكنَّ اللَّهَ يكونُ إلـهًا فى السَّماءِ ، وتكونُ أنتَ إلـهًا فى الأرضِ . فلمّا سَمِعَ عيسى ذلك منه ، استغاثَ بربِّه ، وصَرَخ صَرْخَةً شديدةً ، فإذا إسرافيلُ قد هَبَطَ ، فنَظَرَ إليه جِبْرِيلُ وميكائيلُ ، فَكَفَّ إبليسُ ، فَلَمَّا استقرَّ معهم ، ضرَب إسرافيلُ إبليسَ بجَناحِه ، فَصَكَّ به عَيْنَ الشَّمْسِ ، ثم ضرَبَه ضَرْبَةً أُخْرَى ، فأَقْبَلَ إبليسُ يَهْوِى ، ومَرَّ بعيسى وهو بمكانِه ، فقال : يا عيسى ، لقد لَقِيتُ فيك اليومَ تَعَبًا شديدًا . فَرَمَى به فى عَيْنِ الشَّمْسِ ، فوجَد سَبْعَةَ أَمْلاكٍ عندَ العَيْنِ الحاميةِ . قال : فَغَطُّوه ، فجَعَل كُلَّما خرَج[1] غَطُّوه فى تلك الحَمْأَةِ . قال : واللَّهِ ما عادَ إليه بَعْدُ .

قال[2] : وَحَدَّثنا إسماعيلُ العَطّارُ ، حدَّثنا أبو حُذَيْفَةَ ، قال : واجْتَمَعَ إليهِ شَياطِينُه ، فقالوا : سَيِّدَنا ، قَدْ لَقِيتَ تَعَبًا . قال : إنَّ هذا عبدٌ مَعْصُومٌ ، ليس لى عليه مِن سبيلٍ ، وسَأُضِلُّ به بَشَرًا كثيرًا ، وأَبُثُّ فيهم أَهْوَاءً مختلفةً ، وأَجْعَلُهم شِيَعًا ، ويَجْعَلونَه وأُمَّه إلـهَيْنِ مِن دونِ اللَّهِ . قال : وأَنْزَلَ اللَّهُ فيما أَيَّدَ به عيسى وعَصَمَه مِن إبليسَ قرآنًا ناطِقًا بِذِكْرِ نِعْمَتِه على عيسى ، فقال : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . [3]يَعْنى : إذْ قَوَّيْتُكَ بُروحِ القُدُسِ ، يَعْنى جِبْرِيلَ[3] ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ

---

(١) فى ح ، م : « صرخ » .
(٢) المصدر السابق ٤٦/١٤ ، ٤٧ .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

﴿ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، يعنى ، الإنجيلَ والتَّوراةَ والحِكْمَةَ ، ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ الآية [المائدة : ١١٠] . وإذْ جَعَلْتُ المساكينَ لَكَ بِطَانَةً وصَحَابةً وأعْوَانًا تَرْضَى بهم ، وصحابةً وأعوانًا يَرْضَوْنَ بكَ هادِيًا وقائِدًا إلى الجنَّةِ ، فذلك ، فاعْلَمْ ، خُلُقَانِ عظيمان ، مَنْ لَقِيَنى بهما ، فقد لَقِيَنى بأَزْكَى الخلائقِ وأَرْضاها عِنْدِى ، وسيقولُ لك بنو إسْرائيلَ : صُمْنا فلم يَتَقَبَّلْ صِيامَنَا ، وصَلَّيْنَا فلم يَقْبَلْ صَلاتَنا ، وتَصَدَّقْنا فلم يَقْبَلْ صَدَقَتَنا ، وبَكَيْنَا بِمِثْلِ حَنِينِ الجِمالِ فلم يَرْحَمْ بكاءَنا . فَقُلْ لهم : وَلِمَ ذلك ؟ وما الذى يَمْنَعُنِى ؟ أَنَّ ذاتَ يدى قَلَّتْ ؟! أوَ ليس خزائنُ السماواتِ والأرضِ بِيَدِى أُنْفِقُ مِنْها كيفَ أَشَاءُ ، أَو أنّ البُخْلَ يَعْتَرِينى[1] ؟ أَوَ لستُ أَجْوَدَ مَنْ سُئِلَ ، وأَوْسَعَ مَنْ أَعْطَى ، أَوْ أنَّ رحمتى ضَاقَتْ ؟ وإنّما يتراحمُ المتراحِمون بفَضْلِ رَحْمَتِى ، ولولا أَنَّ هؤلاءِ القومَ ، يا عيسى ابنَ مريمَ ، عَدُّوا[2] أنفسَهم بالحِكْمَةِ التى تُورِثُ فى قلوبِهم ما اسْتَأْثَروا به الدُّنْيا أَثَرَةً على الآخِرَةِ ، لَعَرَفُوا مِن أَيْنَ أُتُوا ، وإذًا لأَيْقَنُوا أنَّ أَنْفُسَهم هى أَعْدَى الأَعْدَاءِ لهم ، وكيف أَقْبَلُ صيامَهم وهم يَتَقَوَّوْنَ عليه بالأَطْعِمَةِ [١/ ٢٦٣و] الحرامِ ؟! وكيف أَقْبَلُ صَلاتَهم وقُلوبُهم تَرْكَنُ إلى الذين يُحارِبونى ويَسْتَحِلُّون مَحارِمى ؟! وكيفَ أَقْبَلُ صَدَقاتِهم وهم يَغْصِبُونَ النَّاسَ عليها ، فيَأْخُذونها مِن غيرِ حِلِّها ؟! يا عيسى ، إنّما أَجْزِى عليها أَهْلَها ، وكيف أَرْحَمُ بُكَاءَهم وأَيْدِيهِم تَقْطُرُ مِن دِماءِ الأنبياءِ ، ازْدَدْتُ عليهم غَضَبًا ، يا عيسى ، وقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّماواتِ والأَرْضَ ، أنَّه مَنْ عَبَدَنى وقال فيكما بِقَوْلى ، أَنْ أَجْعَلَهُم جِيرانَكَ فى الدَّارِ ، ورُفَقاءَكَ فى المنازِلِ ، وشُرَكاءَكَ فى الكرامَةِ ،

---

(١) فى ح ، م : « لا يعترينى » .

(٢) كذا فى النسخ والتاريخ ، ولعلها « غروا » .

وقَضَيْتُ يومَ خَلَقْتُ السَّماواتِ والأَرضَ، [1]أَنَّه مَنِ اتَّخَذَك وأمَّكَ إلـهَيْنِ مِن دونِ اللَّهِ أَنْ أَجْعَلَهُم فى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النّارِ، وَقَضَيْتُ يومَ خَلَقْتُ السَّماواتِ والأَرْضَ[1]، أَنِّى مُثَبِّتٌ[2] هذا الأَمرَ على يَدَىْ عبدِى[3] محمدٍ، وأَخْتِمُ به الأَنبياءَ والرُّسُلَ، ومَوْلِدُه بمكَّةَ، ومُهاجَرُه بطَيْبَةَ، ومُلْكُه بالشَّامِ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخّابٍ فى الأَسواقِ، ولا مُتَزَيِّنٍ[4] بالفُحْشِ، ولا قَوَّالٍ بالخَنَا، أُسَدِّدُه لكلِّ أَمْرٍ جميلٍ، وأَهَبُ له كُلَّ خُلُقٍ كريمٍ، أَجْعَلُ التَّقْوَى ضَمِيرَه[5]، والحِكمَةَ مَعْقُولَه، والوَفاءَ طبيعَتَه، والعَدْلَ سيرَتَه، والحقَّ شريعَتَه، والإِسلامَ مِلَّتَه، واسمُه أحمدُ، أَهْدِى به بعدَ الضَّلالَةِ، وأُعَلِّمُ به بعدَ الجَهالَةِ، وأُغْنِى به بعدَ العائِلةِ، وأَرْفَعُ به بعدَ الضَّعَةِ، أَهْدِى به، وأَفْتَحُ به بينَ آذانٍ صُمٍّ وقلوبٍ وأهواءٍ مختلفةٍ متفرِّقَةٍ، أجعلُ أُمَّتَه خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ، تَأْمُرُ بالمَعْروف وتَنْهَى عن المُنْكَرِ؛ إخْلاصًا لاسْمِى، وتَصْدِيقًا لما جاءتْ به الرُّسُلُ، أُلْهِمُهم التَّسْبِيحَ والتَّهْليلَ والتَّقْدِيسَ فى مساجدِهم ومجالسِهم وبُيوتِهم ومنقَلَبِهم ومثواهُم، يُصَلُّون لى قِيامًا وقُعُودًا، ورُكَّعًا وسُجَّدًا، ويُقاتِلون فى سبيلى صُفُوفًا وزُحُوفًا، قُرْبانُهم دماؤُهم، وأَناجيلُهم فى صدورِهم، وقُرْبانُهم فى بطونِهم، رهبانٌ باللَّيلِ، لُيُوثٌ بالنَّهارِ، ذلك فَضْلِى أُوتِيه مَنْ أشاءُ، وأنا ذو الفَضْلِ العظيمِ.

(١ - ١) سقط من الأصل، ص.

(٢) فى ص: «شئت»، وفى تاريخ دمشق: «مسبب».

(٣) زيادة من: ح، م.

(٤) فى ح، م: «يزر».

(٥) فى الأصل: «ظهيره».

وسَنَذْكُرُ ما يُصَدِّقُ كثيرًا مِن هذا السِّياقِ ، بمَا سَنُورِدُه مِن سُورَتَي « المائدةِ » و « الصَّفِّ » ، إن شاءَ اللَّهُ تَعالَى ، وبه الثِّقَةُ . وقد رَوَى أبو حذيفةَ إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[1] بأسانيدِه عن كَعْبِ الأَحْبارِ ، ووَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، وابنِ عَبّاسٍ وسَلْمَانَ الفارسِيِّ - دَخَل حديثُ بعضِهم فى بعضٍ - قالوا : لَمَّا بُعِثَ عيسى ابنُ مريمَ وجاءَهم بالبَيِّناتِ ، جعَل الكافرون والمنافقون مِن بنى إسرائيلَ يَعْجَبُون منه ويَسْتَهْزِئون به فيقولون : ما أكَل فلانٌ البارحةَ ، وما ادَّخَر فى بَيْتِه ؟ فيُخْبِرُهم ، فَيَزْدادُ المؤمنون إيمانًا ، والكافرون والمنافقون شَكًّا وكُفْرَانًا ، وكان عيسى ، مع ذلك ، ليس له مَنْزِلٌ يَأْوِى إليه ، إنَّما يَسِيحُ فى الأَرْضِ ، ليس له قَرَارٌ ولا مَوْضِعٌ يُعْرَفُ به ، فكان أوَّلَ ما أَحْيَا مِن المَوْتَى ، أنَّه مَرَّ ذاتَ يَوْمٍ على امْرَأةٍ قاعِدَةٍ عندَ قَبْرٍ وهى تَبْكِى ، [١/٢٦٣ظ] فقال لها : مَا لكِ أَيَّتُها المرأةُ ؟ فقالت : ماتت ابنةٌ لى ، لَم يَكُنْ لى ولدٌ غَيْرَها ، وإنِّى عاهَدْتُ رَبِّى أن لا أَبْرَحَ مِنْ مَوْضِعى هذا ، حتّى أَذُوقَ ما ذاقتْ مِن المَوْتِ ، أو يُحْيِيَها[2] اللَّهُ لى فأَنْظُرَ إليها . فقال لها عيسى : أَرَأَيْتِ إنْ نَظَرْتِ إليها أراجِعَةٌ أنتِ ؟ قالت : نَعم . قالوا : فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جاءَ فجلَسَ عندَ القَبْرِ ، فنادَى : يا فلانةُ ، قُومِى بإذْنِ الرّحمنِ فاخْرُجِى . قال : فتَحَرَّكَ القبْرُ ، ثُمَّ نادَى الثانيةَ ، فانْصَدَعَ القَبْرُ بإذنِ اللَّهِ ، ثُمَّ نادى الثالثةَ ، فخَرَجَتْ وهى تَنْفُضُ رَأْسَها مِن التُّرابِ ، فقال لها عيسى : ما بَطَّأَ بكِ عنِّى ؟ فقالت : لَمَّا جاءَتْنى الصَّيْحَةُ الأُولَى بعَث اللَّهُ لى مَلَكًا فَرَكَّبَ خَلْقِى ، ثُمَّ جاءَتْنى الصَّيْحَةُ الثانيةُ ، فرَجَعَ إلىَّ رُوحِى ، ثم جاءَتْنى

---

(١) المصدر السابق ١٤/٤٧ ، ٤٨ ، من طريق إسحاق بن بشر به .

(٢) فى ح : « يهبها » .

الصَّيْحَةُ الثالثةُ ، فخِفْتُ أَنَّها صَيْحَةُ القيامةِ ، فشابَ رَأْسِى وحاجِبَاىَ وأَشْفَارُ عَيْنِى ؛ مِنْ مَخَافَةِ القِيامَةِ . ثُم أَقْبَلَتْ على أُمِّها فقالت : يا أُمَّتَاهُ ، ما حَمَلَكِ على أنْ أَذُوقَ كَرْبَ الموتِ مَرَّتَين ؟ يا أُمَّتَاهُ ، اصْبِرى واحْتَسِبى ، فلا حاجَةَ لى فى الدُّنْيا ، يا رُوحَ اللَّهِ وكلمتَه ، سَلْ رَبِّى أَنْ يَرُدَّنِى إلى الآخرةِ ، وأن يُهَوِّنَ علىَّ كَرْبَ الموتِ . فدَعا رَبَّه فقَبَضَهَا إليه ، واسْتَوَتْ عليها الأرضُ ، فبلَغ ذلك اليهودَ ، فازْدادوا عليه غَضَبًا .

وَقَدَّمْنَا فى قِصَّةِ نوحٍ ، أنَّ بنى إسرائيلَ سَأَلُوه أَن يُحْيِىَ لهم سامَ بنَ نوحٍ ، فدعا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، وصَلَّى له ، فأحياه اللَّهُ لهمْ ، فَحَدَّثَهم عن السَّفينةِ وأَمْرِها ، ثم دعا فعادَ تُرابًا[1] .

وقد روَى السُّدِّىُّ ، عن أبى صالحٍ وأبى مالكٍ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، فى خبرٍ ذَكَرَه ، وفيه أنَّ مَلِكًا مِن مُلوكِ بَنِى إسرائيلَ مات وحُمِلَ على سَريرِه ، فجاء عيسى ، عليه السلامُ ، فدعا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، [2]فأحْياهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ[2] ، فرأَى النّاسُ أَمْرًا هائِلًا ومَنْظَرًا عجيبًا .

قال اللَّهُ تعالى وهو أصدقُ القائلين[3] : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ

---

(١) تقدم ذلك ٢٧١/١ .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) التفسير ٢١٨/٣ ، ٢١٩ .

ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١٠، ١١١]. يُذَكِّرُه تعالى بنِعْمَتِه عليه، وإحْسَانِه إليه فى خَلْقِه إياه مِن غيرِ أَبٍ، بل مِن أمٍّ بلا ذَكَرٍ، وجَعْلِه له آيةً للنّاسِ، ودَلالةً على كمالِ قُدْرَتِه تعالى، ثُمَّ إرسالِه بعدَ هذا كلِّه ﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ فى اصطفائِها واختيارِها لهذه النِّعْمَةِ العظيمةِ، [١/٢٦٤و] وإقامةِ البُرْهانِ على بَراءَتِها مِمّا نَسَبَها إليه الجاهلون؛ ولهذا قال: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ وهو جبريلُ، بإلْقاءِ رُوحِه إلى أُمِّه، وقَرْنِه معه فى حالِ رِسالتِه، ومُدافَعَتِه عَنْه لِمَنْ كفَر به ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أى؛ تَدْعُو النّاسَ إلى اللَّهِ فى حالِ صغَرِك فى مَهْدِكَ، وفى كُهولَتِك ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أى؛ الخَطَّ والفَهْمَ. نَصَّ عليه بعضُ السَّلَفِ ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ وقولُه: ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة ﴾(٢) أى؛ تُصَوِّرُه وتُشَكِّلُه مِن الطِّينِ على هَيْئَتِه، عن أمْرِ اللَّهِ له بذلك ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ أى؛ بأَمْرِى. يُؤَكِّدُ تعالى بذِكْرِ الإِذْنِ له فى ذلك؛ لرَفْعِ التَّوَهُّمِ. وقولُه: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ قال بعضُ السَّلَفِ: وهو الذى يُولَدُ أَعْمَى، ولا سبيلَ لأَحَدٍ مِن الحُكَماءِ إلى مُداوَاتِهِ ﴿ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ وهو الذى لا طِبَّ فيه، بَلْ قَد مَرِضَ بالبَرَصِ وصارَ داؤُه(١) عُضالًا ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أى؛ مِن قبورِهم أحياءً بإذْنى. وقد تَقَدَّم ما فيه دلالةٌ على وقوعِ ذلك مِرارًا مُتَعَدِّدةً

---

(١) فى الأصل، ص: «دواؤه».

(٢) وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني -

ممّا فيه كِفايةٌ. وقولُه: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وذلك حينَ أرادُوا صَلْبَه فرَفَعَه اللَّهُ إليه، وأنْقَذَه مِن بينِ أَظْهُرِهم؛ صِيانةً لجَنابِه الكريمِ عن الأَذَى، وسلامَةً له مِن الرَّدَى. وقولُه: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ قيل: المرادُ بهذا الوَحْيِ وَحْيُ إِلْهامٍ[1]. أَيْ أَرْشَدَهم اللَّهُ إليه، ودَلَّهم عليه، كما قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨]. ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص: ٧]. وقيل: المرادُ وَحْيٌ بواسِطَةِ الرّسولِ، وتَوْفِيقٌ فى قلوبِهم لقَبولِ الحقِّ؛ ولهذا استجابُوا قائلين: ﴿ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

وهذا مِن جُمْلَةِ نِعَمِ اللَّهِ على عَبْدِه ورسولِه عيسى ابنِ مريمَ؛ أنْ جعَل له أنصارًا وأَعْوانًا وحَوَارِيين يَنْصُرونه ويَدْعُون معه إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، كما قال تعالى لعَبْدِه محمدٍ ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. وقال تعالى[2]: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ

---

(١) فى ص: «المنام».

(٢) التفسير ٢/٣٥ - ٣٧.

وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا [١/٢٦٤ظ] لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٨- ٥٤].

كانت مُعْجِزَةُ كُلِّ نبيٍّ فى زمانِه بما يُناسِبُ أهلَ ذلك الزمانِ؛ فذَكَرُوا أنَّ موسى، عليه السَّلامُ، كانت مُعْجِزَتُه مِمّا يُناسِبُ أهْلَ زمانِه، فكانوا سَحَرَةَ أذْكياءَ، فبُعِثَ بآياتٍ بَهَرَتِ الأَبْصارَ، وخَضَعَتْ لها الرِّقابُ، ولمّا كان السَّحَرَةُ خَبيرِين بفُنونِ السِّحْرِ وما يُنْتَهَى إليهِ، وعايَنُوا ما عايَنُوا مِن الأَمْرِ الباهرِ الهائلِ، الذى لا يمكنُ صدورُه إلَّا مِمَّن أَيَّدَه اللَّهُ وأَجْرَى الخارِقَ على يَدَيْه تَصْدِيقًا له، أَسْلَمُوا سِرَاعًا، ولم يَتَلَعْثَمُوا، وهكذا عيسى ابنُ مريمَ بُعِثَ فى زَمَنِ الطَّبَائِعِيَّةِ الحُكَماءِ، فأُرْسِلَ بمُعْجِزاتٍ لا يَسْتَطيعُونها ولا يَهْتَدُون إليها، وأَنَّى لحكيمٍ إبراءُ الأَكْمَهِ، الذى هو أَسْوَأُ حالًا مِنَ الأَعْمَى، والأَبْرَصِ، والمَجْذُومِ، ومَن به مَرَضٌ مُزْمِنٌ، وكيف يَتَوَصَّلُ أحدٌ مِن الخَلْقِ إلى أنْ يُقِيمَ الميِّتَ مِن قَبْرِه، هذا مِمّا يَعْلَمُ كُلُّ أحَدٍ أنَّه[1] معجزةٌ دالَّةٌ على صِدْقِ مَن قامَتْ بِهِ، وعلى قُدْرَةِ مَن أَرْسَلَه، وهكذا محمدٌ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أَجْمعين، بُعِثَ فى زَمَنِ

---

(١) سقط من: م.

الفُصَحاءِ البُلَغاءِ ، فأنْزَلَ اللَّهُ عليه القرآنَ العظيمَ ، الذى لا يَأْتِيهِ الباطلُ مِن بينِ يَدَيْه ولا مِن خَلْفِه ، تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَميدٍ ، فلَفْظُه مُعْجِزٌ ، تَحَدَّى به الإِنْسَ والجِنَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِه أو بعَشْرِ سُوَرٍ مِن مِثْلِه أو بسُورَةٍ ، وقطَع عليهم بأنَّهم لا يَقْدِرُون ، لا فى الحالِ ولا فى الاستقبالِ ، فإن لم يَفعلُوا ولن يَفعلُوا ، وما ذاك إلَّا لأنَّه كلامُ الخالقِ ، عزَّ وجلَّ ، واللَّهُ تعالى لا يُشْبِهُه شَىْءٌ لا فى ذاتِه ولا فى صِفاتِه ولا فى أفعالِه .

والمقصودُ أنَّ عيسى ، عليه السّلامُ ، لَمَّا أَقَامَ عليهم الحُجَجَ والبراهينَ ، استمرَّ أَكْثَرُهم على كفرِهم وضلالِهم وعِنادِهم وطُغْيانِهم ، فانْتَدَبَ له مِن بينِهم طائفةٌ صالحةٌ ، (1 فكانوا له 1) أَنْصارًا وأَعْوانًا ، قاموا بمُتابَعَتِه ونُصْرَتِه ومُنَاصَحَتِه ، وذلك حينَ هَمَّ به بنو إسرائيلَ ، ووَشَوْا به إلى بعضِ مُلوكِ ذلك الزَّمَانِ ، فعَزَمُوا على قَتْلِه وصَلْبِه ، فأنْقَذَه اللَّهُ منهم ، ورفَعَه إليه مِن بينِ أَظْهُرِهم ، وأَلْقَى شِبْهَه على أحدِ أصحابِه ، فأخَذُوه فقتلُوه وصَلَبُوه ، وهُم يعتقدُونه عيسى ، وهم فى ذلك غالِطون ، وللحقِّ مكابِرون ، وسَلَّمَ لهم كثيرٌ مِن النَّصارَى ما ادَّعَوْه ، [١/ ٢٦٥و] وكِلا الفريقَيْنِ فى ذلك مُخطِئُون ، كمَا قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ . وقال تعالى(2) : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ

(١ - ١) ليس فى : الأصل ، ص .
(٢) التفسير ٨/١٣٥- ١٣٨.

لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٦- ٩]. إلى أن قال بعدَ ذلك[(١)]:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤]. فعيسى، عليه السّلامُ، هو خَاتَمُ أنبياءِ بنى إسرائيلَ، وقد قام فيهم خطيبًا فبَشَّرَهم بخاتَمِ الأَنبياءِ الآتى بعدَه، ونَوَّهَ باسمِه، وذكَر لهم صِفَتَه ليَعْرِفُوه ويُتَابِعُوه إذا شاهَدُوه؛ إقامةً للحُجَّةِ عليهم، وإحْسانًا مِن اللَّهِ إليهم، كما قال تعالى[(٢)]:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٣)]: حدَّثنى ثورُ بنُ يزيدَ عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ، عن أَصْحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهم قالوا: يارسولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنا عن نَفْسِك. قال:

---

(١) التفسير ٨/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) التفسير ٣/ ٤٨١- ٤٨٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٦، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبرى فى تفسيره ١/ ٥٥٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٠، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى. وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

« دَعْوَةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى ، ورَأَتْ أُمِّى حينَ حَمَلَتْ بى كَأَنَّه خرَج منها نُورٌ أَضاءَتْ له قُصُورُ بُصْرَى مِن أَرْضِ الشَّامِ » . وقد رُوِى عن العِرْبَاضِ بنِ سارِيَةَ ، وأبى أمامةَ ، عن النبىِّ ﷺ نحوُ هذا[1] ، وفيه : « دَعْوَةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى » . وذلك أنّ إبراهيمَ لمّا بَنَى الكعبةَ قال : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩] . ولمّا انتهتِ النُّبُوَّةُ فى بنى إسرائيلَ إلى عيسى ، قام فيهم خَطيبًا ، فَأَخْبَرَهُم أَنَّ النُّبُوَّةَ قد انقطعتْ عنهم ، وأنَّها بعدَه فى النَّبِىِّ العربىِّ الأُمِّىِّ ، خاتَمِ الأَنبياءِ على الإِطْلاقِ ، أحمدَ ، وهوَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ ، الذى هو مِن سُلالَةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ ، عليهمُ السّلامُ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ . يُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّميرِ إلى عيسى ، عليه السلامُ ، [١/٢٦٥ظ] ويُحْتَمَلُ عَوْدُهُ إلى محمَّدٍ ﷺ ، ثُم حَرَّضَ تعالى عِبادَه المؤمنين على نُصْرَةِ الإِسلامِ وأَهْلِه ، ونُصْرَةِ نَبِيِّه ومؤازَرَتِه ومعاونَتِه على إقامَةِ الدِّينِ ونَشْرِ الدَّعْوَةِ ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أى ؛ مَنْ يساعدُنى فى الدَّعوةِ إلى اللَّهِ ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ وكان ذلك فى قريةٍ يُقالُ لها : النَّاصِرَةُ . فَسُمُّوا النَّصارَى بذلك . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ يَعْنى ، لمَّا دَعَا عيسى بنى إسرائيلَ وغيرَهم إلى اللَّهِ تعالى ، منهم مَن آمَن ومِنْهم مَن كَفَرَ ،

---

(١) حديث العرباض رواه ابن جرير فى تفسيره ١/ ٥٥٦. وحديث أبى أمامة رواه أحمد فى المسند ٥/ ٢٦٢، وابن سعد فى الطبقات ١/ ١٠٢، وابن عدى فى الكامل ٦/ ٢٠٥٥، وقال الهيثمى في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٢: رواه أحمد، وإسناده حسن، وله شواهد تقويه. قال الألباني فى السلسلة الصحيحة (١٥٤٦): قلت: منها الحديث الذى قبله أى حديث (١٥٤٥) .

فكان مِمَّن آمَن به أهلُ أَنْطاكِيَةَ بكَمَالِهم ، فيما ذَكَرَه غيرُ واحدٍ مِن أهْلِ السِّيَرِ والتواريخِ والتَّفْسيرِ ، بَعَثَ إليهم رُسُلًا[1] ثلاثةً ، أَحَدُهم شَمْعُونُ الصَّفا ، فآمنُوا واستجابُوا[2] ، وليس هؤلاءِ هم المذكورين فى سورةِ « يس » ؛ لِمَا تَقَدَّمَ تقريرُه فى قِصَّةِ أَصْحابِ القَرْيَةِ[3] ، وكَفَرَ آخرون مِن بنى إسرائيلَ ، وهم جمهورُ اليهودِ ، فأَيَّدَ اللَّهُ مَن آمَنَ بِه على مَن كفَر فيما بعدُ ، وأَصْبَحُوا ظاهِرين عليهم قاهِرين لهم ، كما قال اللَّهُ تعالى[4] : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية [آل عمران : ٥٥] . فكُلُّ مَن كان إليه أَقْرَبَ ، كان [5]غالبًا لِمَن دُونَه[5] ، ولَمَّا كان قولُ المسلمين فيه هو الحقَّ الذى لا شَكَّ فيه ، مِن أَنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، كانوا ظاهرين على النَّصارَى الذين غَلَوْا فيه وأَطْرَوْهُ ، وأَنْزَلُوه فوقَ ما أَنْزَلَه اللَّهُ به ، ولَمَّا كان النَّصارَى أَقْرَبَ فى الجُمْلَةِ مِمَّا ذهَب إليه اليهودُ فيه[6] ، عليهم لعائنُ اللَّهِ ، كان النَّصارَى قاهِرين لليهودِ فى أَزْمَانِ الفَتْرَةِ إلى زَمَنِ الإسلامِ وأَهْلِه . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) سقط من : ح .
(٢) في ص : « استعجلوا » .
(٣) تقدم في صفحة ٨- ١٣.
(٤) التفسير ٢/ ٣٧- ٣٩.
(٥ - ٥) في ح ، م ، ص : « عاليا فمن دونه » .
(٦) سقط من : ح ، م .

ذِكْرُ خَبرِ المَائدةِ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢- ١١٥] . قد ذَكَرْنا فى التفسيرِ الآثارَ الواردةَ فى نزولِ المائدةِ ، عنِ ابنِ عباسٍ ، وسَلْمَانَ الفارسىِّ ، وعَمَّارِ بنِ ياسرٍ ، وغيرِهم مِن السَّلَفِ[2] ، ومضمونُ ذلك ، أَنَّ عيسى ، عليه السلامُ ، أَمَرَ الحوارِيِّينَ [٢٦٦/١و] بصيامِ ثلاثين يومًا ، فلمّا أتمُّوها ، سألُوا مِن عيسى إنزالَ مائدةٍ مِن السَّماءِ عليهم ليأْكُلُوا منها ، وتَطْمَئِنَّ بذلك قلوبُهُم ، أنّ اللَّهَ قد تَقَبَّلَ صِيامَهم وأجابَهم إلى طَلِبَتِهم ، وتكونَ لهم عيدًا يُفْطِرونَ عليها يومَ فِطْرِهم ، وتكونَ كافيةً لأَوَّلِهم وآخِرِهم ، لِغَنِيِّهم وفقيرِهم ، فوَعَظَهم عيسى ، عليه السلامُ ، فى ذلك ، وخاف عليهم أن لا يقومُوا بِشُكْرِها ، ولا يُؤَدُّوا حَقَّ شُروطِها ، فأَبَوْا عليهِ إلَّا أَن يَسْأَلَ لهم ذلك مِن رَبِّه ، عَزَّ وجلَّ ، فلمَّا لم يُقْلِعُوا عن ذلك ، قامَ إلى مُصَلَّاهُ ولَبِسَ مِسْحًا مِن شَعْرٍ ، وصَفَّ بينَ قَدَمَيْه وأَطْرَقَ رَأْسَه ، وأَسْبَلَ عَيْنَيْه بِالبُكَاءِ ، وتَضَرَّعَ

---

(١) التفسير ٢١٩/٣ - ٢٢٦.

(٢) التفسير ٢١٩/٣ - ٢٢٥.

إلى اللَّهِ فى الدُّعاءِ والسُّؤالِ ، أَن يجابُوا إلى ما طَلَبوا ، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى المائدةَ من السَّماءِ ، والنَّاسُ ينْظُرُونَ إليها تَنحَدِرُ بينَ غَمامَتَيْنِ ، وجَعَلَتْ تَدْنُو قليلًا قليلًا ، وكلّما دَنَتْ سأل عيسى ، عليه السلامُ ، رَبَّه ، عزَّ وَجَلَّ ، أن يَجْعَلَها رحمةً لا نِقْمَةً ، وأنْ يجعلَها بركةً وسلامةً ، فلم تَزَلْ تدْنُو حتى استقرَّتْ بينَ يَدَىْ عيسى ، عليه السلامُ ، وهى مُغَطَّاةٌ بِمِنْدِيلٍ ، فقامَ عيسى يَكْشِفُ عَنْها ، وهو يقولُ : بسمِ اللَّهِ خيرِ الرَّازقين . فإذا عليها سبْعةٌ مِن الحيتَانِ ، وسبْعةُ أَرْغِفَةٍ ، ويُقالُ : وَخَلٌّ . ويقالُ : ورُمَّانٌ وثِمارٌ[1] . ولها رائحةٌ عظيمةٌ جدًّا . قال اللَّهُ لها : كونى . فكانت ، ثُمَّ أَمَرهم بالأَكْلِ منها ، فقالوا : لا نأكُلُ حتى تأكُلَ . فقال : إنَّكم الذين ابتدأْتُمُ السؤَالَ لها . فأَبَوْا أن يأكُلوا منها ابتداءً ، فأمَرَ الفقراءَ والمَحاوِيجَ والمَرْضَى والزَّمْنَى ، وكانوا قريبًا من ألفٍ وَثَلَثِمائةٍ[2] فأَكَلُوا منها فَبَرأَ كُلُّ مَن بِه عاهةٌ ، أو آفةٌ ، أو مرَضٌ مُزْمِنٌ ، فَنَدِمَ النَّاسُ على تَرْكِ الأَكْلِ منها ؛ لِمَا رَأَوْا مِن إصْلاحِ حَالِ أولئكَ ، ثُمَّ قيلَ : إنَّها كانت تَنْزِلُ كُلَّ يومٍ مَرَّةً[3] ، فيأْكُلُ النَّاسُ منها ، يأكُلُ آخِرُهم كما يأكلُ أَوَّلُهم ، حتى قيلَ : إنَّها كان يأكُلُ منها نحوُ سَبْعةِ آلافٍ . ثُم كانت تَنْزِلُ يومًا بعدَ يومٍ ، كما كانتْ ناقةُ صالحٍ يشْرَبُون لَبَنَها يومًا بعدَ يومٍ . ثُم أمَرَ اللَّهُ عيسى أن يَقْصُرَها على الفقراءِ أو المحاوِيجِ ، دونَ الأَغْنياءِ ، فَشَقَّ ذلكَ على كثيرٍ من النَّاسِ ، وتَكَلَّمَ مُنافِقُوهم فى ذلك ، فَرُفِعَتْ بالكُلِّيَّةِ ، ومُسِخَ الذين تَكَلَّمُوا فى ذلك خَنَازِيرَ .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) في الأصل : « ستمائة » . وانظر التفسير ٣/ ٢٢٤.

(٣) سقط من : الأصل ، ص .

وقد رَوَى ابنُ أبى حاتمٍ ، وابنُ جريرٍ[1] جميعًا ، حدَّثنا الحسنُ بنُ قَزَعَةَ[2] الباهِلِيُّ ، حدّثنا سفيانُ بنُ حبيبٍ ، حدّثنا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ عن خِلَاسٍ[3] ، عن عمّارِ بنِ ياسرٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « نزلتِ المائدةُ مِن السماءِ ، خُبْزٌ ولحمٌ ، وأُمِرُوا أَن لَّا يخونُوا ، ولا يَدَّخِرُوا ، ولَا يَرْفَعُوا لغدٍ ، فخانُوا ، وادَّخَرُوا ، ورَفَعوا ، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وخَنازيرَ » . ثم رواهُ ابنُ جَريرٍ[4] عن بُنْدارٍ ، عن ابنِ أبى عدِىٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ [١/٢٦٦ظ] عن خِلَاسٍ ، عن عمَّارٍ ، مَوْقُوفًا ، وهذا أَصحُّ ، وكذا رواهُ[5] من طريقِ سِماكٍ عن رَجُلٍ مِنْ بَنى عِجْلٍ[6] عن عمارٍ ، موقوفًا ، وهو الصوابُ . واللَّهُ أعلمُ . وخِلَاسٌ عن عمارٍ مُنْقَطِعٌ ، فلو صَحَّ هذا الحديثُ مَرْفُوعًا ، لكان فَيْصَلًا فى هذه القِصَّةِ ؛ فإنَّ العلماءَ اختلفوا فى المائدةِ ، هل نزلت أَمْ لا ؟ فالجمهورُ ، أَنَّها نَزَلَتْ ، كما دَلَّتْ عليه هذه الآثارُ ، وكما هو المفهومُ مِن ظاهرِ سياقِ القرآنِ ، ولا سِيَّما قولُه : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ كما قَرَّرَه ابنُ جريرٍ . واللَّهُ أعلمُ . وقد رَوَى ابنُ جريرٍ[7] بإسنادٍ صحيحٍ إلى مجاهدٍ ، وإلى الحَسَنِ بنِ أبى الحسنِ البصرىِّ ، أَنَّهما قالا : لمْ تَنْزِلْ وإنَّهم أَبَوْا نُزُولَها ، حينَ قال : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ

---

(١) عزاه فى الدر المنثور ٢/٣٤٨ إلى ابن أبى حاتم ، ورواه الطبرى فى تفسيره ٧/ ١٣٤. وانظر (ضعيف سنن الترمذى ٥٨٧) .

(٢) في الأصل : « نزعة » ، وفي ص : « عرفة » ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٠٣.

(٣) في الأصل : « جلاس » ، وفي « تفسير الطبرى » بتحقيق أحمد شاكر ١١/ ٢٢٨: « خلاس » . وهو الصواب انظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٦٤.

وقال الشيخ أحمد شاكر : في المطبوعة : « جلاس » ، وهو خطأ .

(٤) تفسير الطبري ٧/ ١٣٤.

(٥) تفسير ابن جرير ٧/ ١٣٤.

(٦) فى الأصل : « عجيل » . وهو خطأ . انظر تفسير الطبرى بتحقيق أحمد شاكر (١١/ ٢٢٨) .

(٧) تفسير الطبرى ٧/ ١٣٥.

أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . ولهذا قيل : إنَّ النَّصارى لا يعرِفون خَبَرَ المائدةِ ، وليس مَذْكورًا فى كِتابِهم مع أن خَبَرَها مِمّا تَتَوَفَّرُ الدَّواعِى على نَقْلِه . واللَّهُ أعلمُ . وقد تَقَصَّيْنَا الكلامَ على ذلك فى « التفسيرِ » ، فلْيُكْتَبْ مِن هناك ، ومن أرادَ مراجَعَتَه فلْيَنْظُرْه مِنْ ثَمَّ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

فصـــل

قال أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنْيا[1] : حَدَّثنا رَجُلٌ سقطَ اسمُه ، حَدَّثَنَا حَجّاجُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا أبو هلالٍ محمدُ بنُ سليمانَ ، عن بكْرِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَنِىِّ ، قال : فَقدَ الحواريُّون نَبِيَّهم عيسى ، فقيلَ لهم : تَوَجَّهَ نَحْوَ البَحْرِ . فانْطَلَقوا يَطْلُبونَه ، فَلَمَّا انْتَهَوا إلى البَحْرِ ، إذا هو يمشِى على الماءِ ، يَرْفَعُه الموجُ مَرَّةً ويَضَعُه أُخْرَى ، وعليه كِسَاءٌ مُرْتَدٍ بِنِصْفِه ، ومُؤْتَزِرٌ بِنِصفِه حتى انتهى إليهم ، فقال له بعضُهم - قال أبو هلالٍ : ظَنَنْتُ أَنَّه من أَفَاضِلِهم - : أَلَا أَجِىءُ إليكَ يا نبىَّ اللَّهِ ؟ قال : بَلَى . قال : فوضعَ إحدَى رِجْلَيْهِ على الماءِ ، ثم ذَهَبَ لِيَضَعَ الأُخْرَى ، فقال : أَوَّهْ ، غَرِقْتُ يا نبىَّ اللَّهِ . فقال : أَرِنى يدَك يا قصيرَ الإيمانِ ، لَوْ أَنَّ لابنِ آدمَ مِن اليقينِ قَدْرَ شَعيرَةٍ ، مشَى على الماءِ . ورواهُ أبو سعيدِ بنُ الأعرابىِّ[2] ، عن إبراهيمَ بنِ أبى الجَحيم[3] ، عن سليمانَ بنِ حَرْبٍ ، عن أبِى هِلالٍ ، عن بَكْرٍ ، بنحوِه . ثم قال ابنُ أبى الدُّنْيا[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسنِ ابنِ شَقِيقٍ[5] ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ الأَشْعَثِ[6] ، عن الفُضَيْلِ بنِ عِياضٍ قال : قِيل لعيسى ابنِ مريمَ : يا عيسى ، بأَىِّ شىءٍ تمشِى على الماءِ؟ قال :

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٥٦ مخطوط ، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٢) المصدر السابق من طريق أبى سعيد بن الأعرابى به .

(٣) فى الأصل ، ح : « الحيم » . وانظر تبصير المنتبه لابن حجر ١/ ٢٤٤.

(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٥٦. مخطوط .

(٥) في م : « سفيان » . وانظر تهذيب الكمال : ٢٦/ ١٣٤.

(٦) فى تاريخ دمشق : « إبراهيم بن أبى الأشعث » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/١٣٥ .

بالإيمانِ واليقينِ. قالوا: فإنَّا آمَنَّا كَمَا آمنتَ وأَيْقَنَّا كما أَيْقَنْتَ. قال: فامْشُوا إذًا. قال: فَمَشَوْا معه فى الموْجِ فَغَرِقُوا. فقال لهم عيسى: ما لكم؟ فقالوا: خِفْنا الموْجَ. قال: أَلَا خِفْتم ربَّ الموجِ. قال: فأَخْرَجَهم ثم ضَرَبَ بيدِه إلى الأَرضِ، فَقَبَضَ بها ثُمَّ بَسَطَها، فإذا فى إحدى يَدَيْهِ ذهبٌ، وفى الأُخرَى مَدَرٌ أو حَصًى، فقال: أَيُّهُما أَحْلَى فى قُلُوبِكم؟ قالوا: هذا الذَّهبُ. قال: فإنَّهما عندى سواءٌ. وقد قدَّمْنَا فى قصَّةِ يحيى بنِ زكريا[1] عن بعضِ السَّلفِ أنَّ عيسى، عليه السلامُ، كان يَلْبَسُ الشَّعْرَ، ويأكلُ [٢٦٧/١و] من وَرَقِ الشَّجَرِ، ولا يَأْوِى إلى مَنْزِلٍ ولا أهلٍ ولا مالٍ، ولا يدَّخِرُ شيئًا لغدٍ. وقال بعضُهم: كان يأكُلُ من غَزْلِ أُمِّهِ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه.

وروَى ابنُ عساكِرَ[2] عن الشَّعبىِّ، أنَّه قال: كان عيسى، عليه السلامُ، إذا ذُكِرَ عندَه الساعةُ صاحَ، ويقولُ: لا ينْبغِى لابنِ مَرْيمَ أَنْ تُذْكَرَ عندَه الساعةُ ويَسكُتَ. وعن عبد الملكِ بنِ سعيدِ بنِ أَبْجرَ[3]، أَنَّ عيسى كان إذا سَمِعَ الموْعِظَةَ صَرَخ صُراخَ الثَّكْلَى.

وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[4]: أنبأنا مَعْمَرٌ، حدَّثنا جعفرُ بنُ بُرْقانَ[5]: أَنَّ عيسى كان يقولُ: اللّهمَّ إنى أصْبحتُ لا أستطيعُ دَفْعَ ما أَكْرَهُ، ولا أملِكُ نَفْعَ ما أَرْجُو، وأصْبَحَ الأَمْرُ بيدِ غَيْرِى، وأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بعمَلِى، فلا فقيرَ أفقرُ مِنى،

---

(١) تقدم ص ٤٠٣ - ٤٠٥.
(٢) تاريخ دمشق ٥٧/٤ مخطوط.
(٣) في م، ص: «بحر»، انظر تهذيب الكمال ٣١٣/١٨.
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٨/١٤ مخطوط، من طريق عبد الرزاق به.
(٥) فى ح: «مروان»، وفى م: «بلقان». انظر تهذيب الكمال ١١/٥.

اللهمَّ لا تُشْمِتْ بِي عَدُوِّى، ولا تَسُؤْ بِي صديقى، ولا تَجْعَلْ مُصيبتى فى دينى، ولا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَن لا يرحَمُنى. وقال الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ[1]، عن يُونُسَ ابنِ عُبيْدٍ: كان عيسى يقولُ: لا [2]يُصِيبُ أَحَدٌ[2] حقيقةَ الإيمانِ حتى لا يُبالِيَ مِنْ أَكْلِ الدُّنيا. قال الفُضَيْلُ: وكان عيسى يقولُ: فكَّرْتُ فى الخلقِ، فوجدتُ مَنْ لم يُخْلَقْ أَغْبَطَ عندِى مِمَّنْ خُلِقَ.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3]، عن هشامِ بنِ حسّانَ، عن الحَسَنِ، قال: إنَّ عيسى رَأْسُ الزاهدينَ[4] يومَ القيامةِ. قال: وإنَّ الفَرَّارِينَ بِذُنوبِهم يُحْشَرُونَ يومَ القيامةِ مع عيسى. قال: وبينَما عيسى يومًا نائمٌ على حَجَرٍ قَدْ تَوَسَّدَه، وقد وجدَ لذَّةَ النَّوْمِ، إذْ مَرَّ به إبليسُ، فقال: يا عيسى، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لا تريدُ شيئًا من عَرَضِ الدُّنيا؟ فهذا الحجرُ مِن عَرَضِ الدّنيا. [5]فقام عيسى[5] فأخذَ الحجرَ فرَمَى به إليه، وقال: هذا لكَ مع الدُّنيا. وقال مُعتَمِرُ بنُ سُلَيمانَ: خرجَ عيسى على أصحابِهِ، وعليه جُبَّةٌ صوفٌ، وكِسَاءٌ وتُبَّانٌ، حافيًا باكيًا شَعِثًا، مُصْفَرَّ اللَّوْنِ مِن الجوعِ، يابسَ الشَّفَتَيْنِ من العطشِ، فقال: السلامُ عليكم يا بنى إسْرائِيلَ، أنا الذى أَنْزَلْتُ الدُّنيا مَنْزِلَتَها بإذنِ اللَّهِ، ولا عَجَبَ ولا فَخْرَ، أَتَدْرون أين بَيْتى؟ قالوا: أيْنَ بيتُكَ يا رُوحَ اللَّهِ؟ قال: بيتىَ المساجِدُ، وطِيبىَ الماءُ، وإدَامِىَ الجوعُ، وسِرَاجىَ القمرُ بالليلِ، وصلاتى فى الشتاءِ مشارقُ

---

(١) المصدر السابق، من طريق الفضيل به.

(٢ - ٢) فى م: «نصيب». وفى ص: «تصيب».

(٣) المصدر السابق ١٤/ ٥٩، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٤) بعده في ح: «يؤم الزاهدين».

(٥ - ٥) فى م، ح: «فقال». وبعده من التاريخ: «غضبانا».

الشَّمْسِ، ورَيْحَانى بُقُولُ الأَرْضِ، ولِبَاسىَ الصُّوفُ[1]، وشِعارِى خوفُ ربِّ العِزَّةِ، وجُلَسَائِىَ الزَّمْنَى والمساكينُ، أُصْبِحُ وليس لى شىءٌ، وأُمْسِى وليس لى شىءٌ، وأنا طَيِّبُ النَّفْسِ، [2]غَنِىٌّ مُكْثِرٌ[2]، فَمَنْ أَغْنَى مِنِّى، وأَرْبحُ؟ رواه ابنُ عساكرَ[3].

ورَوَى[4] فى ترجمةِ محمدِ بنِ الوليدِ بنِ أبانَ بنِ حِبَّانَ أبى الحسنِ العقيلىِّ المِصرِىِّ، حدَّثنا هانئُ بنُ المُتَوَكِّلِ الإِسكندرانىُّ، عن حَيْوَةَ بنِ شُرَيْحٍ، حدَّثنى الوليدُ بنُ أبى الوليدِ، عن [5]شُفَىِّ بنِ ماتعٍ[5]، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «أَوْحَى اللَّهُ تعالى إلى عيسى، أَن يا عيسى، انتَقِلْ مِن مَكانٍ إلى مكانٍ، لِئَلَّا تُعْرَفَ فَتُؤْذَى، فَوَعِزَّتِى وَجَلالِى، لَأُزَوِّجَنَّكَ أَلْفَ حَوْرَاءَ، ولَأُولِمَنَّ عليك أَرْبَعَمائةِ عامٍ». وهذا حديثٌ غريبٌ رَفْعُه، وقد يكونُ مَوْقُوفًا من روايةِ شُفَىِّ بنِ ماتعٍ عن كعبِ الأَحْبَارِ أو غيرِه من الإِسرائيليِّين. واللَّهُ أعلمُ.

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارِكِ[6]، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عن خلفِ بنِ حَوْشبٍ قال: قال عيسى للحواريِّين: كما تَرَكَ لكم الملوكُ الحِكْمةَ، فكذلِكَ فاتْرُكوا [١/٢٦٧ظ] لهم الدُّنيا.

---

(١) فى م: «الصون».
(٢ - ٢) فى النسخ: «غير مكترث». والمثبت من تاريخ دمشق.
(٣) تاريخ دمشق ١٤/٦١ مخطوط.
(٤) تاريخ دمشق ١٦/٨٦، ٨٧ مخطوط.
(٥ - ٥) فى م: «سفى بن نافع». انظر تهذيب الكمال ١٢/٥٤٣.
(٦) المصدر السابق ١٤/ ٦١، من طريق عبد الله بن المبارك به.

وقال قَتادةُ[1] : قال عيسى ، عليه السلامُ : سَلُونى فإنِّى لَيِّنُ القَلْبِ ، وإنِّى صغيرٌ عندَ نَفْسِى . وقال إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال عيسى ، عليه السلامُ ، للحواريِّين : كُلُوا خُبْزَ الشَّعيرِ ، واشْرَبوا الماءَ القَرَاحَ ، واخرُجُوا من الدُّنيا سالمينَ آمنينَ ، لَحَقٌّ ما أقولُ لكم : إنَّ حلاوةَ الدُّنيا مرارةُ الآخرةِ ، وإنَّ مرارةَ الدُّنيا حلاوةُ الآخرةِ ، وإنَّ عبادَ اللَّهِ لَيْسُوا بالمُتَنَعِّمينَ ، لَحَقٌّ ما أَقولُ لكم : إنَّ شَرَّكم عالمٌ يُؤْثِرُ هواهُ على عِلْمِه ، يَوَدُّ أَنَّ النَّاسَ كلَّهم مِثْلُه . ورُوِىَ نَحْوُهُ عن أبى هريرةَ[2] .

وقال أبو مُصْعَبٍ[3] ، عن مالكٍ : إنَّه بَلَغَه أَنَّ عيسى كان يقولُ : يا بنى إسرائيلَ ، عليكم بالماءِ القَرَاحِ ، والبَقْلِ البَرِّىِّ ، والخُبْزِ الشَّعيرِ ، وإيَّاكم وخُبْزَ البُرِّ ، فإنَّكم لن تَقومُوا بِشُكْرِه .

وقال ابنُ وَهْبٍ[4] ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، قال : كان عيسى يَقُولُ : اعْبُرُوا الدُّنْيا ولا تَعْمُرُوها . وكان يقولُ : حُبُّ الدُّنيا رأسُ كُلِّ خَطيئةٍ ، والنَّظَرُ يَزْرَعُ فى القلْبِ الشَّهْوَةَ . وَحَكَى وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ مِثْلَه ، وزاد : وَرُبَّ شَهْوَةٍ أَوْرَثَتْ أَهْلَها حُزْنًا طَوِيلًا[5] . وعن عيسى ، عليه السَّلامُ : يا ابنَ آدمَ الضَّعيفَ ، اتَّقِ اللَّهَ حيثُ ما كُنْتَ ، وكُنْ فى الدّنيا ضَيْفًا[6] ، واتَّخِذِ المساجدَ بَيْتًا ، وعَلِّمْ عينَك البُكاءَ ، وجَسَدَكَ الصَّبْرَ ، وقَلْبَكَ التَّفَكُّرَ ، ولا تَهْتَمَّ

---

(١) تاريخ دمشق ٦٢/١٤ مخطوط .
(٢) تاريخ دمشق ٦٢/١٤ مخطوط .
(٣) المصدر السابق ٦٣/١٤ من طريق أبى مصعب به .
(٤) المصدر السابق ٦٣/١٤ من طريق ابن وهب به .
(٥) تاريخ دمشق ٦٣/١٤ مخطوط .
(٦) في ص : « ضعيفًا » .

برزْقِ غَدٍ ، فإنَّها خَطيئةٌ[1] . وعنه ، عليه السَّلامُ ، أَنَّه قال : كما أنَّه لا يستطيعُ أحدُكم أن يتَّخِذَ علَى مَوْجِ البحْرِ دارًا ، فلا يَتَّخِذِ الدُّنْيا قَرارًا . وفى هذا يقولُ سَابِقٌ البَرْبَرِىُّ :

لكُم بيوتٌ بمسْتَنٍّ[2] السُّيولِ[3] وهَلْ يَبْقَى[4] على الماءِ بيتٌ أُسُّه مَدَرُ[5]

وقال سفيانُ الثَّوْرِىُّ[6] : قال عيسى ابنُ مريمَ : لا يستقيمُ حُبُّ الدُّنْيا وحُبُّ الآخرةِ فى قلْبِ مُؤْمِنٍ ، كما لا يَسْتَقِيمُ الماءُ والنَّارُ فى إناءٍ . وقال إبراهيمُ الحَرْبِىُّ[7] ، عن داودَ بنِ رُشَيدٍ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الصُّوفىِّ ، قال : قال عيسى : طالبُ الدُّنيا مِثْلُ شَاربِ ماءِ البَحْرِ ، كُلَّمَا ازدادَ شُرْبًا ازدادَ عَطَشًا ، حتى يَقْتُلَهُ . وعن عيسى ، عليه السّلامُ ، أنّ الشَّيْطانَ مع الدُّنيا ، [8]ومَكرَه مع[8] المالِ ، وتَزْيِينَه مَع الهوى ، واسْتِمْكانَه عندَ الشَّهَوَاتِ[9] . وقال الأعْمشُ[10] ، عن خَيْثَمَةَ : كان عيسى يَصْنعُ[11] الطَّعامَ لأَصْحابِه ، ويقومُ عليهم ، ويقولُ : هكذا فاصْنَعُوا بالقِرَى . وبه قالتِ امرأةٌ لعيسى ، عليه السّلامُ : طُوبَى لِحِجْرٍ حَمَلَكَ ، وَلِثَدْيٍ

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٦٣، ٦٤ مخطوط .
(٢) فى ح ، ص : « بمثن » .
(٣) فى م : « السيوف » .
(٤) فى م : « يبنى » .
(٥) المصدر السابق ١٤/ ٦٥.
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق ، من طريق إبراهيم الحربى به .
(٨ - ٨) فى م : « فكره من » .
(٩) تاريخ دمشق ١٤/٦٥ مخطوط .
(١٠) المصدر السابق ١٤/ ٦٦، من طريق الأعمش به .
(١١) في م : « يضع » .

أَرْضَعَك . فقال: طُوبَى لِمَنْ قَرَأَ كتابَ اللَّهِ واتَّبَعَه[1] . وعنه : طُوبَى لِمَنْ بَكَى مِن ذِكْرِ خطيئَتِه ، [١/٢٦٨و] وحَفِظَ لسانَهُ ، ووَسِعَهُ بَيْتُه[2] . وعنه : طُوبَى لِعَيْنٍ نامتْ ، ولم تُحَدِّثْ نَفْسَها بالمعْصِيةِ ، وانْتَبَهَتْ إلى غيرِ إثْمٍ[3] . وعن مالكِ بنِ دِينارٍ ، قال : مَرَّ عيسى وأَصْحَابُه بجيفةٍ ، فقالوا : ما أَنْتَنَ رِيحَها . فقال : ما أبيضَ أَسْنَانَها . لِيَنْهاهم عن الغِيبَةِ[4] . وقال أبو بكرٍ ابنُ أبى الدُّنيا[5] : حَدَّثَنا الحُسَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن زكريّا بنِ عَدِيٍّ ، قال : قال عيسى ابنُ مريمَ : يا مَعْشَرَ الحواريِّين ، ارْضَوْا بِدَنِيِّ الدُّنيا مع سلامةِ الدِّينِ ، كما رَضِيَ أهلُ الدُّنيا بِدَنِيِّ الدِّينِ مع سلامةِ الدُّنيا . قال زَكريّا[6] : وفى ذلك يقولُ الشَّاعرُ[7] :

أَرَى رِجالًا بأَدْنى الدينِ قد قَنَعوا ... ولا أَراهُم رَضُوا فى العيشِ بالدّونِ

فاستغنِ بالدِّينِ[8] عنْ دنيا الملوكِ كما ... اسْتَغْنَى الملوكُ بدُنياهُم عنِ الدِّينِ

وقال أبو مُصْعَبٍ[9] ، عن مالكٍ : قال عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السّلامُ : لا تُكْثِروا الحديثَ بغيرِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَتَقْسُوَ قُلوبُكم ، فإنّ القلبَ القاسِيَ بعيدٌ من اللَّهِ ولكنْ لا تعلَمونَ ، ولا تنظُروا فى ذُنوبِ العِبَادِ كأَنَّكُم أَرْبابٌ ، وانظُروا فيها

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٦٦ مخطوط .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ١٤/ ٦٧.

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٦٨.

(٥) أخرجه ابن أبى الدنيا ، فى كتاب « ذم الدنيا » برقم (٤٤٩) .

(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا ، فى كتاب « ذم الدنيا » برقم (٤٥٠) .

(٧) وفى حلية الأولياء ٦/ ٣٧٦: قال زكريا بن عدى : كان الثورى يتمثل . ثم ساق البيتين .

(٨) في ص : « بالله » .

(٩) في تاريخ دمشق : « مصعب » . انظر تهذيب الكمال (١/ ٢٧٨) . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٧٠ مخطوط ، من طريق أبى مصعب به .

كَأَنَّكُمْ عبيدٌ ، فإنَّما الناسُ رَجُلانِ مُعَافًى ومُبْتَلًى ، فارحموا أهلَ الْبَلاءِ ، واحْمَدُوا اللَّهَ على العافيةِ .

وقال الثَّوْرِيُّ[1] : سمعتُ أبي يقول ، عن إبراهيمَ التَّيْمِيِّ ، قال : قال عيسى لأصحابه : بِحقٍّ أَقُولُ لكم : مَنْ طَلَبَ الفِرْدَوْسَ ، فَخُبْزُ الشَّعيرِ له ، والنومُ في المزابلِ مع الكلابِ كثيرٌ .

وقال مالكُ بنُ دينارٍ : قال عيسى : إنَّ أَكْلَ الشَّعيرِ مع الرَّمَادِ ، والنَّوْمَ على المَزابلِ مع الكلابِ لَقَليلٌ في طَلَبِ الفِرْدَوْسِ[2] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبَارِكِ[3] : أَنْبأنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن سالمِ بنِ أبي الجَعْدِ ، قال : قال عيسى : اعْمَلوا للَّهِ ، ولا تَعْمَلوا لبطُونِكم ، انظروا إلى هذه الطَّيْرِ ، تَغْدُو وتَرُوحُ ، لا تَحْرُثُ ولا تَحْصُدُ ، واللَّهُ يَرْزقُها ، فإن قلتم : نحنُ أعظمُ بُطونًا من الطَّيْرِ . فانْظروا إلى هذه الأَباقِرِ[4] من الوحوشِ والحُمُرِ ، فإنَّها تَغْدُو وتَرُوحُ لا تَحْرُثُ ولا تَحْصُدُ ، واللَّهُ يَرْزُقُها .

وقال صفوانُ بنُ عَمْرٍو[5] ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ[6] ، عن يزيدَ بنِ مَيْسَرَةَ قال : قال الحواريون للمسيحِ : يا مسيحَ اللَّهِ ، انظرْ إلى مسجدِ اللَّهِ ما أَحْسَنَه . قال : آمين آمين ، بحقٍّ[7] أَقولُ لكمْ : لا يَتْرُكُ اللَّهُ مِن هذا المسْجِدِ حَجَرًا قائمًا

---

(١) المصدر السابق ، من طريق الثورى به .
(٢) تاريخ دمشق ١٤/٧٠ مخطوط .
(٣) المصدر السابق ١٤/ ٧١، من طريق عبد اللَّه بن المبارك به .
(٤) في م : « الأباقير » .
(٥) المصدر السابق ١٤/ ٧٥، من طريق صفوان بن عمرو به .
(٦) في م : « عبد اللَّه » . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤٦.
(٧) بعده في م : « ما » .

إلا أَهْلَكَهُ بذُنوبِ أَهْلِه، إنَّ اللَّهَ لا يصنَعُ بالذَّهبِ ولا بالفضَّةِ، ولا بهذه الأَحْجَارِ التى تُعْجِبُكم شيئًا، إنَّ أَحَبَّ[1] إلى اللَّهِ منها القلوبُ الصالحةُ، وبها يُعَمِّرُ اللَّهُ الأرضَ، وبها يُخَرِّبُ اللَّهُ الأرضَ إذا كانتْ على غيرِ ذلك.

وقال الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[2]: أَخْبَرَنا أبو منصورٍ أحمدُ ابنُ محمدٍ الصُّوفىُّ [١/٢٦٨ظ]، أخْبَرَتْنا عائشةُ بنتُ الحَسَنِ بنِ إبراهيمَ الوَرْكانيةُ[3]، قالت: حدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الهَيْثَمِ[4] إملاءً، حدَّثنا الوليدُ بنُ أبانَ إملاءً، حدثنا أحمدُ بنُ جعفرٍ[5] الرازِىُّ، حدَّثنا سَهْلُ[6] بنُ إبراهيمَ الحَنْظَلِىُّ[7]، حدَّثنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عبدِ العزيزِ، عن المعتمِرِ، عَن لَيْثٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن النبىِّ ﷺ، قال: مَرَّ عيسى، عليه السّلامُ، علَى مدينةٍ خَرِبَةٍ فأَعْجَبَه البُنْيانُ، فقال: أَىْ رَبِّ، مُرْ هذه المدِينةَ أن تُجِيبَنى. فأَوْحَى اللَّهُ إلى المدينةِ: أَيَّتُها المدينةُ الخَرِبَةُ، جاوِبِى عيسى. قال: فنادتِ المدينةُ[8] عيسى: حَبِيبى، وما تريدُ منِّى؟ قال: ما فعلَ أشجارُكِ، وما فعلَ أنهارُكِ، وما فعل قصورُكِ، وأينَ سُكَّانُكِ؟ قالت: حَبيبى، جَاءَ وَعْدُ ربِّكَ الحقُّ، فَيَبِسَتْ أشجارِى، وَنَشِفَتْ أَنْهارِى، وخَرِبَتْ قُصُورِى، وماتَ سُكَّانِى. قال: فأَيْنَ أموالُهم؟ قالتْ: جَمَعُوها من الحلالِ والحرامِ، مَوْضُوعةٌ فى بَطْنِى، للَّهِ ميراثُ

---

(١) بعده في الأصل: «ما».
(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٧٥، ٧٦ مخطوط.
(٣) فى الأصل: «الدركانية». وفى ص: «الدركلية».
(٤) في الأصل: «الهيتم». وفى م: «الهشيم».
(٥) سقط من: ح.
(٦) في م: «سهيل».
(٧) فى ح: «الخطلى».
(٨) فى تاريخ دمشق: «الملائكة». وهو خطأ.

السَّماواتِ والأَرضِ. قال: فنادى عيسى، عليه السلامُ: فَعَجِبْتُ من ثلاثِ أُنَاسٍ؛ طالبِ الدُّنيا والموتُ يطلبُه، وبانى القصورِ والقبرُ منزلُه، ومَن يضْحَكُ مِلْءَ فِيهِ والنارُ أَمامَه، ابنَ آدمَ، لا بالكثيرِ تَشْبَعُ، ولا بالقليلِ تَقْنَعُ، تَجْمَعُ مالَكَ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ، وتُقْدِمُ على رَبٍّ لا يَعْذُرُكَ، إِنَّما أنتَ عبدُ بَطْنِكَ وشهوَتِكَ، وإنّما تَمْلَأُ بَطْنَكَ إذا دَخَلْتَ قَبْرَكَ، وأنْتَ يا ابنَ آدمَ ترى حَشْدَ مالِكَ فى مِيزَانِ غَيْرِك. هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، وفيه موعظةٌ حَسَنَةٌ، فكتبناه لذلك.

وقال سفيانُ الثَّوْرِىُّ[1]، عن أبيهِ، عن إبراهيمَ التَّيْمِىِّ، قال: قال عيسى، عليه السلامُ: يا معشرَ الحواريِّين، اجْعلُوا كُنوزَكم فى السَّماءِ، فإنَّ قلبَ الرَّجُلِ حيثُ كَنْزُه. وقال ثَوْرُ بنُ يزيدَ[2]، عن عبدِ العزيزِ بنِ ظبيانَ، قال: قال عيسى ابنُ مَريمَ، عليه السلامُ: مَنَ تعلَّم وعلَّمَ وعَمِلَ، دُعِىَ عظيمًا فى ملكوتِ السَّماءِ. وقال أبو كُرَيْبٍ: رُوِىَ أَنَّ عيسى، عليه السلامُ، قال: لا خَيْر فى عِلْمٍ لا يَعْبُرُ معكَ الوادىَ، ولا يَعْمُرُ[3] بكَ النَّادِىَ[4].

ورَوَى ابنُ عساكرَ[5]، بإسنادٍ غريبٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفوعًا، أنَّ عيسى، عليه السلامُ، قام فى بنى إسرائيلَ فقال: يا معشرَ الحواريِّين، لا تُحَدِّثُوا بالحِكْمَةِ[6] غيرَ أَهْلِها، فَتَظْلِمُوها، ولا تَمْنَعُوها أَهْلَها، فَتَظْلِمُوهم، والأُمورُ ثلاثةٌ؛ أمرٌ تبينَّ رُشْدُه فاتَّبِعُوه، وأَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيُّه فاجْتَنبوه، وأَمْرٌ اخْتُلِفَ عليكم

---

(١) أخرجه فى تاريخ دمشق (٧٦/١٤) مخطوط، من طريق الثورى به.

(٢) المصدر السابق، من طريق ثور بن يزيد به.

(٣) فى ح، م «يعبر»، وفى الأصل، ص: «يعمر». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) تاريخ دمشق ٧٦/١٤ مخطوط.

(٥) المصدر السابق ٧٧/١٤.

(٦) في م: «بالحكم».

فيه[1] فرُدُّوا عِلْمَه إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ.

وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[2]: أَنْبَأنا مَعْمرٌ، عن رجلٍ، عن عِكْرِمَةَ، قال: قال عيسى: لا تطرَحوا اللُّؤْلُؤَ إلى الخِنْزِيرِ؛ فإنَّ الخِنْزيرَ لا يصنعُ باللؤْلُؤِ [١/٢٦٩و] شيئًا، ولا تُعْطُوا الحِكْمَةَ مَن لا يُريدُها؛ فإنَّ الحِكْمَةَ خيرٌ من اللُّؤلؤِ، ومَنْ لا يريدُها؛ شَرٌّ من الخِنْزيرِ. وكذا حَكَى وَهْبٌ وغيرُه عنه[3]. وعنه، أنَّه قال لأصحابِه: أنتم مِلْحُ الأَرْضِ، فإذا فَسَدْتم، فلا دَواءَ لكُم، وإنَّ فيكم خَصْلَتَيْنِ من الجهْلِ؛ الضَّحِكُ من غيرِ عَجَبٍ، والصُّبْحَةُ[4] من غيرِ سَهَرٍ[5]. وعنه، أنَّه قيلَ له: مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ فِتْنَةً؟ قال: زَلَّةُ العالِمِ، فإنَّ العَالِمَ إذا زَلَّ زلَّ بِزَلَّتِه عَالَمٌ كثيرٌ[6]. وعنه، أنَّه قال: يا علماءَ السُّوءِ، جعلتم الدُّنْيا عَلَى رُءُوسِكم، والآخرةَ تحتَ أقدامِكم، قولُكم شِفَاءٌ، وعَمَلُكم دَاءٌ، مَثَلُكم مَثَلُ شَجَرَةِ الدِّفْلَى[7]، تُعْجِبُ مَن رآها، وتَقْتُلُ مَنْ أَكَلَهَا[8]. وقال وَهْبٌ: قال عيسى: يا علماءَ السُّوءِ، جَلَسْتم على أبوابِ الجَنَّةِ، فلا أنتم[9] تدْخُلُونَها، ولا تَدَعُون المساكينَ يَدْخُلونها، إنَّ شَرَّ النَّاسِ عندَ اللَّهِ عالِمٌ يَطْلُبُ الدُّنيا بِعِلْمِهِ[10]. وقال مكْحُولٌ: التَقَى يحيى، وعيسى فصافَحه عيسى، وهو يضحكُ، فقال له

---

(١) سقط من: الأصل.
(٢) المصدر السابق، من طريق عبد الرزاق به.
(٣) تاريخ دمشق ١٤/٧٧ مخطوط.
(٤) فى الأصل: «الصحة». والصبحة: نومة الغداة.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) الدفلى: نبت مر، زهره كالورد الأحمر، يتخذ للزينة.
(٨) المصدر السابق ١٤/ ٨٧.
(٩) سقطت من: النسخ، وهى مثبتة من تاريخ دمشق.
(١٠) المصدر السابق.

يحيى : يا ابنَ خَالةٍ ، ما لى أراك ضاحكًا كأنَّكَ قَدْ أَمِنْتَ . فقال له عيسى : ما لى أراك عَابِسًا كأنَّكَ قَدْ يَئِسْتَ . فأوحى اللَّهُ إليهما : إنَّ أَحَبَّكما إلىَّ أَبَشُّكُمَا بِصَاحِبِه[1] . وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ : وقف عيسى هو وأصحابُه على قَبْرٍ ، وصاحِبُه يُدْلَى فيه ، فجعلوا يذكرون القَبْرَ وضِيقَهُ ، فقال : قَدْ كُنْتُم فيما هو أَضْيَقُ منه فى[2] أَرْحَامِ أمَّهاتِكم ، فإذا أحَبَّ اللَّهُ أَنْ يُوسِّعَ وَسَّعَ[3] . وقال أبو عُمرَ[4] الضريرُ : بلغنى أنَّ عيسى كان إذا ذَكَرَ الموتَ يَقْطُرُ جِلْدُه دَمًا[5] .

والآثارُ فى مثلِ هذا كثيرةٌ جدًّا ، وقد أوردَ الحافظُ ابنُ عساكرَ منها طَرَفًا صالحًا ، اقتصرنا منه على هذا القَدْرِ ، واللَّهُ تعالى الموفِّقُ للصَّوابِ .

---

(١) المصدر السابق ١٤/ ٨٠، ٨١ .
(٢) فى م : « من » .
(٣) المصدر السابق ١٤/ ٨١ .
(٤) فى الأصل : « عمرو » .
(٥) المصدر السابق .

ذِكْرُ[1] رَفْعِ عيسى، عليه السَّلامُ، إلى السَّماءِ فى حفظِ الرَّبّ، وبيانُ كذبِ اليهودِ والنصارى، عليهم لعائنُ اللهِ، فى دعوى الصَّلْبِ

قال اللَّهُ تعالى[2]: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥]. وقال تعالى[3]: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ [١/٢٦٩ظ] وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ

---

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٢/٣٧- ٣٩.

(٣) التفسير ٢/٣٩٩- ٤١٩.

بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ١٥٥- ١٥٩] فَأَخْبَرَ تعالى أَنَّه رَفَعَه إلى السَّمَاءِ بعدَ ما توفَّاه بالنَّومِ على الصَّحيحِ المقْطوعِ به، وخَلَّصَه مِمَّنْ كان أرادَ أَذِيَّتَه من اليهودِ الذين وَشَوْا به إلى بعضِ الملوكِ الكَفَرَةِ فى ذلك الزَّمانِ.

قال الحسنُ البَصْرىُّ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ[1]: كان اسمُه داودَ بنَ يورا[2] فأمَرَ بقتْلِه وصَلْبِه، فحصروه فى دارٍ ببلدِ[3] ببيتِ المَقْدسِ، وذلك عَشِيَّةَ الجُمُعةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، فَلَمَّا حانَ وقتُ دخولِهم أُلْقِىَ شَبَهُه على بَعْضِ أَصْحابِه الحاضرينَ عنْدَه، ورُفِعَ عيسى مِن رَوْزَنَةٍ[4] مِن ذلك البَيْتِ إلى السَّماءِ، وأَهْلُ البيْتِ يَنظرون، ودَخَلَ الشُّرَطُ فوجدوا ذلك الشَّابَّ الذى أُلْقِىَ عليه شَبَهُه، فأخذوه ظَانِّينَ أَنَّه عيسى، فَصَلبوه ووضعوا الشَّوْكَ على رَأْسِه إهانةً له، وسَلَّم لليهودِ عامةُ النَّصَارَى الذينَ لم يُشاهدوا ما كان من أمْرِ عيسى أنَّه صُلِبَ، وضَلُّوا بسببِ ذلك ضلالًا مبينًا كثيرًا فاحشًا بعيدًا، وأَخْبَرَ تعالى بقولِه: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ أى؛ بعْدَ نزولِه إلى الأَرضِ فى آخرِ الزَّمانِ، قبلَ قيامِ السَّاعةِ، فإنّه ينْزِلُ ويقْتُلُ الخِنْزيرَ، ويَكْسِرُ الصَّليبَ، ويَضَعُ الجِزْيَةَ، ولا يَقْبَلُ إلا الإِسْلامَ، كما بيَّنا ذلك بما ورد فيه من الأحاديثِ عندَ تفسيرِ هذه الآيةِ الكريمةِ مِن سورةِ «النِّساءِ»[5]، وكما سَنُورِدُ ذلك مُسْتَقْصًى

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٤، وتاريخ دمشق ٨٢/١٤ مخطوط.
(٢) فى الأصل، ح: «نودا». وفى م: «نورا». وفى ص: «فودا». والمثبت من تاريخ دمشق.
(٣) سقط من: م.
(٤) الروزنة: الكُوَّة.
(٥) التفسير ٤٠١/٢- ٤١٩.

فى كتابِ «الفِتَنِ والمَلاحِمِ» عندَ أَخْبَارِ المَسيحِ الدَّجَّالِ، [1]فنذكرُ ما وردَ فى نُزولِ المسيحِ المَهْدِىّ، عليه السّلامُ، مِن ذى الجلالِ؛ لقَتْلِ المسيحِ الدَّجَّالِ[1] الكَذَّابِ الدَّاعى إلى الضَّلالِ. وهذا ذِكْرُ ما وَرَدَ مِن[2] الآثارِ فى صِفَةِ رَفْعِه إلى السَّماءِ.

قال ابنُ أبى حاتمٍ[3]: حَدَّثنا أَحمدُ بنُ سِنانٍ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ، عنِ الأَعْمشِ، عن المِنْهالِ بنِ[4] عمرٍو، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لَمّا أرادَ اللَّهُ أنْ يرفعَ عيسى إلى السماءِ، خرجَ عَلَى أَصْحابِه، وفى البيْتِ اثنا عَشَرَ رجلًا منهم - مِن الحواريِّين يعنى - فخرجَ عليهم مِن عَيْنٍ فى البيتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ ماءً، فقالَ: إنَّ مِنكم منْ يَكْفُرُ بى اثْنَتَىْ عشْرةَ مرَّةً بعدَ أَن آمنَ بى. ثُم قال: أَيُّكم يُلْقَى عليهِ شَبَهى فَيُقْتَلَ مَكانى، ويكونَ [١/٢٧٠و] معى فى دَرَجتى؟ فقام شابٌّ مِن أَحْدَثِهم سِنًّا، فقالَ له: اجْلِسْ. ثم أَعَادَ عليهم، فقام الشّابُّ، فقال: اجْلِسْ. ثم أعادَ عليهم، فقامَ الشَّابُّ، فقال: أَنا. فقال: أنتَ هو ذاك. فأُلْقِىَ عليه[5] شَبَهُ عيسى، وَرُفِع عيسى من رَوْزَنَةٍ فى البيتِ إلى السَّماءِ. قال: وجاء الطُلَّبُ مِن اليهودِ، فأخذوا الشَّبَهَ فقتلوه ثُم صَلَبُوه، فَكَفَرَ به[6] بَعْضُهم اثْنَتَىْ عشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أن آمنَ به، وافترقوا ثلاثَ فِرَقٍ، فقالت طائِفةٌ: كان اللَّهُ فينا ما شاءَ، ثُم صَعَدَ إلى السَّماءِ. وهؤلاءِ اليَعْقُوبِيَّةُ، وقالت

(١ - ١) سقط من: ح.
(٢) فى م: «فى».
(٣) ذكره فى الدر المنثور ٢/ ٢٣٨. وعزاه لابن أبى حاتم.
(٤) فى الأصل: «عن». انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٦٨.
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) سقط من: الأصل.

فِرْقَةٌ : كان فِينا ابنُ اللَّهِ ما شاءَ ، ثُم رَفَعَه اللَّهُ إليه . وهؤلاءِ النَّسْطُورِيَّةُ ، وقالت فِرْقَةٌ : كان فِينا عبدُ اللَّه ورسولُه ما شاء اللَّهُ[1] ، ثمَّ رفعه اللَّهُ إليه ، وهؤلاءِ المسلمون ، فتظاهَرَتِ الكافرتان على المسْلِمَةِ فقتلوها ، فلم يَزَلِ الإسلامُ طامِسًا حتى بعثَ اللَّهُ محمدًا ﷺ . قال ابنُ عباسٍ : وذلك قولُه تعالى : ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤] . وهذا إسنادٌ صحيحٌ - إلى ابنِ عَبَاسٍ - على شَرْطِ مسلمٍ[2] ، ورواه النَّسَائِيُّ[3] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى مُعَاوِيَةَ به نَحْوَه ، ورواه ابنُ جريرٍ[4] عن سَلْمِ[5] بنِ جُنادَةَ ، عن أبى معاويةَ ، وهكذا ذَكَرَ غُيرُ واحدٍ من السَّلَفِ ، وممَّن ذكَر ذلك مُطوَّلًا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ[6] ، قال : وجَعَلَ عيسى ، عليه السلامُ ، يدعو اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، أَنْ يُؤَخِّرَ أَجَلَه ، يعنى ليُبَلِّغَ الرِّسالةَ ، ويُكْمِلَ الدَّعوةَ ، ويُكْثِرَ النَّاسُ الدُّخولَ فى دينِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . قيل : وكان عندَه من الحواريِّين اثْنَا عشرَ رجلًا ؛ بُطْرسُ ، ويَعْقُوبُ بنْ زَبْدِى[7] ، ويُحَنَّسُ أخو يَعْقُوبَ ، وأَنْدَرَاوُسُ ، وفِيلِبُّسُ ، وأَبْرَثَلْما ، ومَتَّى ، وتُوماس ، ويَعْقُوبُ بنُ حَلْقيا ، وتُدَّاوُسُ ، وفتاتيا ، يُودُسُ زكريا يُوطا ، وهذا هو الذى دَلَّ اليهودَ على عيسى . قال ابنُ إسحاقَ : وكان فيهم رجلٌ آخَرُ اسمُه سرجسُ ، كَتَمَتْه

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من تاريخ دمشق ١٤/٨٤ مخطوط .
(٢) وهو كما قال رحمه الله .
(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٩١) .
(٤) فى الأصل ، ص : « خزيمة » . ورواه ابن جرير فى تفسيره ٢٨/ ٩٢.
(٥) فى النسخ : « مسلم » . انظر تهذيب الكمال ١١/ ٢١٨.
(٦) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٦/ ١٤، ١٥ من طريق محمد بن إسحاق به .
(٧) فى الأصل : « ربدا » . وفى ح ، ص : « زيدا » . وفى م : « زبدا » . والمثبت من تفسير الطبرى .

النَّصارى ، وهو الذى أُلْقِى شَبَهُ المسيحِ عليه ، فَصُلِبَ عنه[1] . قال : وبعضُ النَّصارَى يَزْعُمُ أنَّ الذى صُلِبَ عن[2] المسيحِ ، وأُلْقِى عليه شَبَهُه ، يُودُسَ زكريا يوطا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الضَّحاكُ ، عن ابنِ عباسٍ : اسْتَخْلَفَ عيسى شَمعونَ ، وقتلتِ اليهودُ يُودُسَ زكريا يوطا الذى أُلْقِىَ عليه الشَّبَهُ[3] . وقال أَحمدُ بنُ مروانَ : حدَّثنا محمدُ بنُ الجَهْمِ[4] . قال : سمعتُ الفَرَّاءَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ قال : إنَّ عيسى غاب عن خالتِه زَمانًا ، فأتَاها فقام رأسُ الجالوتِ اليهوديُّ ، فضَرَبَ على عيسى ، حتى [١/٢٧٠ظ] اجتمعوا على بابِ دارِه ، فكَسَرُوا البابَ ، ودخلَ رأسُ الجالوتِ ليأخُذَ عيسى ، فطَمَسَ اللَّهُ عَيْنَيْه عن عيسى ثم خَرَجَ إلى أصحابِه ، فقال : لم أَرَهُ . ومعه سيفٌ مسلولٌ ، فقالوا : أنتَ عيسى . وأَلْقَى اللَّهُ شَبَهَ عيسى عليه ، فأَخذُوه ، فقتلوه ، وصَلَبوه ، فقالَ جلَّ ذِكْرُه : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[5] . وقال ابنُ جريرٍ[6] : حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدّثنا يَعْقُوبُ القُمِّىُّ ، عن هارونَ بنِ عَنْتَرَةَ ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، قال : أَتَى عيسى ومعه سبْعةَ عَشَرَ مِن الحوارِيِّين فى بيتٍ ، فأحاطوا بهم ، فَلَمَّا دخلوا عليهم ، صَوَّرَهُم اللَّهُ كُلَّهُم عَلَى صورةِ عيسى ، فقالوا لهم : سَحَرْتمونا ، لَتُبْرِزُنَّ لنا عيسى ، أَوْ لَنَقْتُلَنَّكُم جميعًا ، فقال

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٥.
(٢) فى الأصل : « هو » .
(٣) تاريخ دمشق ١٤/٨٥ مخطوط .
(٤) فى ح : « الحميم » . انظر لسان الميزان ٥/ ١١٠.
(٥) تاريخ دمشق ١٤/٨٤ مخطوط ، من طريق أحمد بن مروان به .
(٦) تفسير الطبرى ٦/ ١٢، ١٣.

عيسى لأَصحابِه : مَن يَشْترِى مِنكم نَفْسَه اليومَ بالجنَّةِ . فقال رجلٌ : أنا . فخرج إليهم ، فقال : أنا عيسى . وقد صَوَّرَه اللَّهُ على صُورَةِ عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصَلَبُوه ، فمِنْ ثَمَّ شُبِّه لهم ، وظَنُّوا أنَّهم قد قَتَلُوا عيسى ، وظَنَّتِ النَّصارَى مِثْلَ ذلك ، أنَّه عيسى ، ورَفَعَ اللَّهُ عيسى مِن يومِه ذلك .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وحدَّثنا المُثَنَّى ، حدَّثنا إسحاقُ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، حدَّثنى عبدُ الصَّمدِ بنُ مَعْقِلٍ أنه سَمِعَ وَهْبًا يقول : إن عيسى ابنَ مريمَ لَمَّا أَعْلَمَه اللَّهُ أنَّه خارجٌ من الدُّنيا جَزِعَ من الموْتِ ، وشَقَّ عليه ، فدعا الحواريِّين وصَنَعَ لهم طَعامًا ، فقال : احْضُرُونى الليلةَ ؛ فإنَّ لِى إليكم حاجةً . فلمَّا اجتمعوا إليه من الليلِ عَشَّاهم ، وقام يَخْدُمُهم[2] ، فلمَّا فَرَغُوا من الطَّعامِ ، أَخَذَ يُغَسِّلُ أيديَهمْ وَيُوَضِّئُهُم بيدِه ، ويَمْسَحُ أيْدِيَهم بِثِيَابِه ، فتعاظَمُوا ذلك وتَكَارَهُوه ، فقال : أَلَا مَنْ رَدَّ عَلَىَّ شَيْئًا الليلةَ مِمَّا أَصْنَعُ فليسَ مِنِّى ، ولا أنا منه . فأَقَرُّوه حتى إذا فَرَغَ مِن ذلك قال : أَمَّا ما صَنَعْتُ بكم اللَّيلةَ مِمَّا خَدمْتُكُم[3] على الطعام ، وغَسَلْتُ أيْدِيَكم بيدِى ، فلْيكُنْ لكم بى أُسْوَةٌ ، فإنَّكم تَرَوْنَ أَنِّى خَيْرُكم ، فلا يَتَعَظَّمْ بَعْضُكم على بَعْضٍ ، ولْيَبْذُلْ بعضُكم لبعضٍ نَفْسَه ، كما بَذَلْتُ نفْسِى لكم ، وأَمَّا حاجتى التى اسْتَعَنْتُكم عليها ، فتدْعُونَ لِىَ[4] اللَّهَ وتجْتَهِدُونَ فى الدُّعاءِ أنْ يُؤَخِّرَ أَجَلِى . فَلَمَّا نَصَبُوا أَنْفُسَهم للدُّعاءِ وأرادُوا أن يَجتَهِدُوا ، أخذَهم النَّوْمُ حتى لم يَسْتَطِيعُوا دُعاءً ، فجعل يُوقِظُهم ، ويقولُ : سبحانَ اللَّهِ ،

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٣. تاريخ الطبرى ١/ ٦٠١، ٦٠٢.
(٢) فى الأصل : « يحدثهم » .
(٣) فى الأصل : « حدثتكم » .
(٤) سقط من : م .

أما تَصْبِرون لى ليلةً واحدةً ، تُعِينُونى فيها ؟ فقالوا : واللَّهِ ما نَدْرى مَا لنا ، واللَّهِ لقد كُنَّا نَسْمُرُ فَنُكْثِرُ السَّمَرَ ، وما نطِيقُ الليلةَ سَمَرًا ، وما نُرِيدُ دُعَاءً إلا حِيلَ بيْنَنَا وبيْنَه . فقال : يُذْهَبُ بالراعِى وتَتَفَرَّقُ الغَنَمُ ، وجعلَ يأتى بكلامٍ نحوِ هذا ، يَنْعِى به نَفْسَه . [٢٧١/١و] ثم قال : الحقُّ لَيَكْفُرَنَّ بى أَحَدُكم قبلَ أَنْ يَصيحَ الدِّيكُ ثلاثَ مَرّاتٍ ، ولَيَبِيعَنِّى أحدُكم بدراهمَ يَسيرةٍ ، ولَيَأْكُلَنَّ ثَمَنِى . فخرجوا وتفرّقوا ، وكانتِ اليهودُ تَطْلُبُه فأَخذوا شمعونَ - أَحدَ الحواريِّين - فقالوا : هذا مِنْ أصحَابِهِ . فَجَحَدَ ، وقال : مَا أَنَا بصاحِبِه . فتركوه ، ثم أَخَذَه آخرونَ ، فَجَحَد كذلك ، ثُمَّ سَمِعَ صوتَ ديكٍ ، فبكى وأَحْزَنَه . فَلَمَّا أَصْبَحَ أتى أَحَدُ الحواريِّين إلى اليهودِ ، فقال : ما تجْعَلُون لى إنْ دَلَلْتُكم على المسيحِ . فجعلوا له ثلاثينَ دِرْهمًا فأخذَها وَدَلَّهُم عليه . وكان شُبِّه عليهم قبلَ ذلك فأخذوه ، واسْتوْثَقُوا منه ، ورَبَطوه بالحبلِ وجعلوا يقودُونَه ، ويقولون : أنت كُنْتَ تُحْيِى الموتى ، وتَنْتَهِرُ الشَّيطانَ ، وتُبْرِئُ المجْنُونَ ، (١أفَلَا تُنَجِّى١) نفْسَك من هذا الحبلِ ؟ ويَبْصُقون عليه ، ويُلْقُون عليه الشَّوْكَ ، حتى أَتَوْا به الخَشَبَةَ التى أرادُوا أَن يَصْلُبوه عليها ، فرفَعه اللَّهُ إليه ، وصَلَبوا ما شُبِّه لهم ، فَمَكَثَ سَبْعًا . ثُم إنَّ أُمَّه والمرأةَ التى كان يداويها عيسى ، فأبرأها اللَّهُ مِن الجنونِ ، جاءَتا تَبْكيان حيثُ كان المصلوبُ ، فجاءهما عيسى ، فقال : علام تَبْكيان . قالتا : عليك . فقال : إنِّى قَدْ رَفَعَنِى اللَّهُ إليه ، ولم يُصِبْنى إلَّا خيرٌ ، وإنَّ هذا شىءٌ شُبِّهَ لهم ، فَأَمَرَا الحواريِّين أَنْ يَلْقَوْنى إلى مكانِ كذا وكذا . فَلَقُوه إلى ذلك المكانِ أَحَدَ عَشَرَ ، وفَقَدَ الذى كان باعَه ودَلَّ عليه اليهودَ ، فسألَ عنه أَصحابَه ، فقالوا : إنَّه

(١-١) فى الأصل : «ألا تفك» . وفى ح ، ص : «ألا تفتك» .

نَدِمَ على ما صَنَعَ ، فاخْتَنَقَ وقَتَلَ نفسَه . فقال : لو تاب لتابَ اللَّهُ عليه . ثم سَأَلَهم عن غلامٍ يتبعُهم يقال له : يُحَنّا[1] . فقال : هو معكم . فانْطَلِقُوا فإنَّه سَيُصْبِحُ كُلُّ إنسانٍ مِنكم يحدِّثُ بلغةِ قومٍ فلْيُنْذِرْهم ولْيَدْعُهم . وهذا إسنادٌ غريبٌ عجيبٌ ، وهو أَصحُّ مِمّا ذَكَرَه النَّصارَى ، لَعَنَهم اللَّهُ ، مِن أَنَّ المسيحَ جاء إلى مَرْيَمَ ، وهى جالسةٌ تَبْكِى عندَ جِذْعِه ، فأراها مكانَ المساميرِ من جَسَدِه ، وأخبرها أن رُوحَه رُفِعَتْ ، وأَنَّ جسدَه صُلِبَ ، وهذا بَهْتٌ وكَذِبٌ واختلاقٌ وتَحْريفٌ وتبديلٌ وزيادةٌ باطلةٌ فى الإنْجيلِ على خِلافِ الحقِّ ومقتضى النَّقْلِ .

وحكى الحافظُ ابنُ عساكرَ[2] ، مِن طريقِ يَحْيَى بنِ حبيبٍ ، فيما بَلَغَه أَنَّ مريمَ سألتْ مِن بيتِ المَلِكِ - بعدَ ما صُلِبَ المصْلوبُ بسبعةِ أيامٍ ، وهى تَحْسَبُ أَنَّه ابنُها - أَنْ يُنْزِلَ جَسَدَه ، فأجابهم إلى ذلك ، ودُفِنَ هنالك ، فقالت مريمَ لأُمِّ يحيى : أَلا تَذْهَبين بِنَا نزورُ قَبْرَ المسيحِ . فذَهَبَتَا فلمَّا دَنَتَا مِن القبرِ ، قالت مريمُ لأُمِّ يَحْيى : أَلَا تَسْتَتِرين . فقالت : ومِمَّنْ أَسْتَتِرُ . فقالت : [١/٢٧١ظ] من هذا الرَّجلِ الذى هو عندَ القبرِ . فقالت أُمُّ يحيى : إنِّى لا أَرَى أَحَدًا . فَرَجَتْ مريمُ أن يكونَ جبريلَ ، وكانت قَدْ بَعُدَ عَهْدُها به ، فاسْتَوْقَفَتْ أُمَّ يحيى وذهبتْ نحوَ القَبْرِ ، فلمَّا دَنَتْ من القبْرِ ، قال لها جبريلُ ، وعَرَفَتْه : يا مريمُ ، أين تُريدينَ ؟ فقالت : أَزورُ قَبْرَ المسيحِ وأُسَلِّمُ عليه وأُحْدِثُ عهدًا به . فقال : يا مريمُ ، إنَّ هذا ليس المسيحَ ، إنَّ اللَّهَ قد رفعَ المسيحَ ، وطَهَّره مِن الذين كفروا ، ولكنَّ هذا الفَتَى الذى أُلْقِىَ شَبَهُه عليه وصُلِبَ وقُتِل مكانَه ، وعَلَامةُ ذلك أَنَّ أَهْلَه قد

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « يحيى » . انظر تفسير الطبرى ٩/ ٣٧٠، بتحقيق أحمد شاكر .
(٢) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٦، ٣٨٧.

فقدوه، فلا يَدْرون ما فُعِلَ به، فهم يَبْكُونَ عليه، فإذا كان يومُ كذا وكذا، فَأْتِى غَيْضَةَ[1] كذا وكذا، فإنَّك تَلْقِينَ المسيحَ. قال: فَرَجَعَتْ إلى أُخْتِها، وصَعِدَ جبريلُ، فأَخْبَرَتْها عن جبريل، وما قال لها من أَمْرِ الغَيْضَةِ. فلمَّا كان ذلك اليومُ، ذهبت فوجدَتْ عيسى فى الغَيْضَةِ، فلمّا رآها أَسْرَعَ إليها، فَأَكَبَّ عليها، فَقَبَّلَ رَأْسَها، وجعلَ يدْعُو لها كما كان يفعَلُ، وقال: يا أُمَّه، إنَّ القومَ لم يقْتُلونى، ولكنَّ اللَّهَ رَفَعَنِى إليه، وأَذِنَ لى فى لقائكِ، والموتُ يأتيك قريبًا، فاصْبرى واذْكُرِى اللَّهَ. ثُمَّ صَعِدَ عيسى فلم تَلْقَه إلَّا تلك المرَّةَ حتى ماتتْ. قال: وبلغنى أَنَّ مريمَ بَقِيَتْ بعدَ عيسى خَمْسَ سنينَ، وماتَتْ ولها ثلاثٌ وخمسون سَنَةً، رضى اللَّهُ عنها وأَرْضَاها.

وقال الحَسَنُ البَصْرِىُّ: كان عُمْرُ عيسى، عليه السَّلامُ، يومَ رُفِعَ، أَرْبَعًا وثلاثين سَنةً[2]. وفى الحديثِ: «إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ يَدْخُلُونها جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ، أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين سَنَةً»[3]. وفى الحديثِ الآخَرِ: «على ميلادِ عيسى، وحُسْنِ يوسفَ»[4]، وكذا قال حمادُ بنُ سَلَمَةَ، عَنْ علىِّ بنِ زيدٍ، عن سعيدِ ابنِ المسيّبِ، أَنَّه قال: رُفِعَ عيسى، وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً[5].

فأمَّا الحديثُ الذى رواه الحاكمُ فى «مُسْتَدْرَكِه»، ويعقوبُ بنُ سُفْيانَ الفَسَوِىُّ فى «تاريخِه»[6]، عن سعيدِ بنِ أبى مريمَ، عنْ نافِعِ بنِ يزيدَ، عن

---

(١) الغيضة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف.
(٢) تاريخ دمشق ٨٢/١٤ مخطوط.
(٣) الترمذى (٢٥٤٥). حسن (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٥).
(٤) أخرجه الطبرانى في الكبير ٢٥٦/٢٠ بنحوه.
(٥) تاريخ دمشق ٨٨/١٤ مخطوط.
(٦) المعرفة والتاريخ للفسوى ٣/ ٣١٦، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٧/١٤ مخطوط، من طريق الحاكم به.

عُمارَةَ بنِ غَزِيَّةَ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ، أَنَّ أُمَّه فاطمةَ بنتَ الحُسَيْنِ، حدَّثَتْه أَنَّ عائشةَ كانت تقولُ: أَخْبَرَتْنى فاطمةُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهَا أَنَّه «لم يكنْ نبيٌّ كان بعدَه نبيٌّ إلَّا عاشَ الذى بعدَه نصفَ عُمرِ الذى كان قبلَه، وأَنَّه أَخْبَرَنى: أَنَّ عيسى ابنَ مريمَ عاش عشرين ومِائةَ سنةٍ، فلَا أرانى إلا ذاهبٌ على رأسِ سِتِّين. هذا لفظُ الفَسَوِىِّ؛ فهو حديثٌ غريبٌ.

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[1]: والصَّحيحُ أَنَّ عيسى لم يبلغْ هذا العُمْرَ، وإنَّما أرادَ به مُدَّةَ مُقامِه فى أُمَّتِهِ، كما رَوَى سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ، عن يَحْيَى بنِ جَعْدَةَ، قال: قالت فَاطمةُ: قال [١/٢٧٢و] لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ عيسى ابنَ مريمَ مكثَ فى بنى إسرائيلَ أربعينَ سَنَةً. وهذا مُنْقَطِعٌ. وقال جريرٌ، والثَّوْرِىُّ، عن الأَعْمَشِ عن إبراهيمَ: مَكَثَ عيسى فى قومِه أربعينَ عامًا[2]. ويُرْوَى عن أميرِ المؤمنين عَلِىٍّ، أَنَّ عيسى، عليه السلامُ، رُفِعَ ليلةَ الثانى والعشرين مِن رمضانَ، وتلك الليلةُ فى مِثْلِها تُوُفِّىَ علىٌّ بعد طَعْنِهِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ[3]. وقد رَوَى الضَّحَّاكُ، عن ابنِ عباسٍ أَنَّ عيسى لَمَّا رُفِعَ إلى السماءِ جاءتْه سَحَابَةٌ فَدَنَتْ منه حتى جلسَ عليها، وجاءتْه مريمُ فودَّعَتْه وَبَكَتْ، ثم رُفِعَ وهى تنظرُ إليه وأَلْقَى إليها عيسى بُرْدًا له، وقالَ: هذا عَلَامةُ ما بَيْنى وبينَكِ يومَ القيامةِ. وأَلْقَى عِمامَتَه إلى[4] شَمْعونَ، وجعلتْ أُمُّه تُوَدِّعُه بأُصْبُعِها، تُشيرُ بها إليه حتى غابَ عنها[5]. وكانت تُحِبُّه حُبًّا شديدًا؛ لأَنَّه توفَّرَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٨٨ مخطوط.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١٤/٨٧.

(٤) فى م: «على».

(٥) تاريخ دمشق ١٤/٨٥ مخطوط.

عليها حُبُّه من جِهَتَي الوالدَيْنِ، إذْ لَا أَبَ له، وكانت لا تُفارِقُه سَفَرًا ولا حَضَرًا. قال بعضُ الشُّعَرَاءِ[1]:

وكنتُ أَرى كالموتِ من بينِ ساعةٍ فكيفَ بِبَيْنٍ كانَ مَوعِدَه الحشْرُ

وذكر إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن مُجاهدِ بنِ جَبْرٍ[2]، أَنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَبُوا ذلك الرَّجُلَ الذى شُبِّهَ لهم، وهم يَحْسَبونَهُ المسيحَ، وَسَلَّم لهم أَكْثَرُ النَّصارَى؛ بجهلِهِمْ ذلك، تَسَلَّطُوا على أصحابِه بالقَتْلِ والضَّرْبِ والحبْسِ فبلغَ أَمْرُهم إلى صاحبِ الرُّومِ، وهو مَلِكُ دِمَشْقَ فى ذلك الزَّمانِ، فقيل له: إنَّ اليَهُودَ قد تَسَلَّطوا على أَصحابِ رَجُلٍ كان يَذْكُرُ لهم أنَّه رسولُ اللَّهِ، وكان يُحْيِى الموتى، ويُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، ويفعلُ العجائبَ، فَعَدَوْا عليه فقتلُوهُ، وأهانُوا أَصْحابَه وحبسُوهم. فبعثَ فَجِئَ بهم، وفيهمْ يحيَى بنُ زكريَّا، وشَمْعُونُ، وجماعةٌ، فسألهم عن أَمْرِ المسيحِ، فأَخْبرُوه عنه، فتابَعَهَم[3] فى دينِهم، وأَعْلَى كلمتَهم، وظَهَرَ الحقُّ على اليهودِ، وَعَلَتْ كلمةُ النَّصارَى عليهم، وبَعَثَ إلى المصْلوبِ فَوُضِعَ عن جِذْعِه، وجِيءَ بالجِذْعِ الذى صُلِبَ عليه ذلكَ الرَّجلُ، فعظَّمَه، فَمِن ثَمَّ عَظَّمَتِ النَّصارَى الصَّليبَ، ومِن هـهنا دَخَلَ دينُ النَّصْرانِيَّةِ فى الرُّومِ[4]. وفى هذا نَظَرٌ مِن وجوهٍ؛ أَحَدُها، أَنَّ يَحْيَى ابنَ زكريَّا نبيٌّ، لا يُقِرُّ على أَنَّ المصلوبَ عيسى؛ فإنَّه مَعصُومٌ يعلمُ ما وَقَعَ على جِهَةِ الحَقِّ. الثانى، أَنَّ الرُّومَ لم يدخلُوا فى دينِ المسيحِ إلَّا بعدَ ثَلثِمائةِ سنةٍ،

---

(١) هو سلمة بن يزيد الجعفى. شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٣/ ١٠٨٠.
(٢) فى م: «جبير». انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨.
(٣) فى م: «فبايعهم».
(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٨٥ مخطوط.

وذلك فى زمانِ قسطنطينَ بنِ قسطسَ بانى المدينةِ المنسوبةِ إليه على ما سَنَذْكُرُه. الثالثُ، أَنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَبوا ذلك الرَّجُلَ، ثُم أَلْقَوْه بخَشَبَتِه جعَلُوا مكانَه مَطْرَحًا للقُمَامَةِ والنَّجَاسَةِ وَجِيَفِ [١/٢٧٢ظ] الميتَاتِ والقاذوراتِ، فلم يَزَلْ كذلكَ حتى كان فى زمانِ قسطنطينَ المذكورِ، فَعَمَدَتْ أُمُّه هيلانةُ الحرَّانيَّةُ الفندقانيةُ فاستَخْرَجَتْه من هُنالِك معتقدةً أَنَّه المسيحُ، ووجدوا الخشَبةَ التى صُلِبَ عليها المصْلوبُ، فذكرُوا أَنَّه ما مَسَّها ذُو عاهَةٍ إلا عُوفِى. فاللَّهُ أعلمُ أَكَانَ هذا أَمْ لا؟ وهَلْ كان هذا؛ لأَنَّ ذلك الرجلَ الذى بذلَ نَفْسَه كان رجلًا صالحًا، أو كان هذا مِحْنَةً وفِتنةً لِأُمَّةِ النَّصارَى فى ذلك اليومِ؟ حتى عَظَّموا تلك الخشَبَةَ، وغَشَّوْها بالذَّهبِ واللآلِئ، ومِن ثَمَّ اتخذُوا الصُلْباناتِ، وتَبَرَّكوا بِشَكْلِها وَقَبَّلُوها لَعَنَهم اللَّهُ، وأَمَرَتْ أُمُّ الملِكِ هيلانةُ فَأُزيلَتْ تلك القُمامةُ، وبُنِى مكانَها كنيسةٌ هائلةٌ مزخْرَفَةٌ بأَنْواعِ الزِّينةِ. فهى هذِه المشهورةُ اليومَ ببلدِ بَيْتِ المقْدِسِ، التى يُقَالُ لها: القُمامةُ. باعتبارِ ما كان عِنْدَها، ويُسَمُّونها القيامةَ، يعنون التى يقومُ جَسَدُ المسيحِ مِنها. ثم أَمَرَتْ هيلانةُ بأَنْ تُوضَعَ قُمَامَةُ البَلَدِ، وكُنَاسَتُه وقاذوراتُه على الصَّخْرةِ التى هى قِبْلةُ اليهودِ، فلم تَزَلْ كذلك حتى فتحَ عُمَرُ بنُ الخطّابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، بيْتَ المَقْدِسِ، فكَنَسَ عنها القُمامَةَ بِرِدَائِه، وطَهَّرها من الأَخْبَاثِ والأَنْجَاسِ، ولم يضعِ المسجدَ وراءَها، ولكن أمامَها، حيثُ صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ، ليلةَ الإِسراءِ بالأَنبياءِ، وهو الأَقْصَى.

صِفةُ عيسى، عليه السَّلامُ، وشمائلُه وفضائلُه

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ قيل: سُمِّىَ المسيحَ؛ لِمَسْحِهِ الأَرْضَ، وهو سياحَتُه فيها، وفِرَاره بدينِه من الفِتَنِ فى ذلك الزَّمَانِ؛ لشِدَّةِ تَكْذِيبِ اليهودِ له، وافْترائِهِم عليه وعلى أُمِّه، عليهما السّلامُ. وقيل: لأَنَّه كان مَمْسوحَ القَدَمَيْنِ. وقال تعالى[2] : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾. وقال تعالى[3] : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧]. والآياتُ فى ذلك كثيرةٌ جِدًّا. وقد تَقَدَّمَ ما ثَبَتَ فى «الصَّحيحَيْنِ»[4] : «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا والشَّيْطَانُ يَطْعَنُ فى خَاصِرَتِه حِينَ يُولدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا إلَّا مَرْيَمَ وابْنَهَا، ذهبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فى الحِجابِ». وَتَقَدَّمَ حديثُ عُميرِ بنِ هانئٍ، عن جُنادةَ، عن عُبادةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّه قال[5] : «من شَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه لا شريكَ له، وأَنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأَنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه، وكلمتُه التى أَلْقَاها إلى مريمَ، وروحٌ منه، والجنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَه اللَّهُ الجنَّةَ على

---

(١) التفسير ٣/١٤٨- ١٥٠.

(٢) التفسير ٣/ ١١٨.

(٣) التفسير ١/ ١٧٥، ١٧٦.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٢٠ .

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٥٣ .

ما كان من العَمَلِ» رواه البُخارِىُّ [١/٢٧٣و] ، وهذا لفظُه ، ومُسْلمٌ .

ورَوَى البُخَارِىُّ ، ومسلمٌ[1] مِن حَدِيثِ الشَّعْبِىِّ ، عن أبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسى ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «إذا أَدَّبَ الرَّجُلُ أَمَتَه ، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَها ، وعَلَّمَها فأَحْسَنَ تَعْلِيمَها ، ثُم أَعْتَقَهَا ، فَتَزَوَّجَها كان له أَجْرانِ ، وإذا آمنَ بعيسى ابنِ مريمَ ثُم آمَنَ بى ، فَلَه أَجْرانِ ، والعبدُ إذا اتَّقى رَبَّه وأَطاعَ مواليَه ، فله أَجْرانِ» . هذا لَفْظُ البُخارِىِّ .

وقال البخارىُّ[2] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، أَنْبَأَنا هشامٌ ، عن مَعْمَرٍ (ح) وحدَّثنى محمودٌ ، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أنبأنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، أَخْبرنى سعيدُ ابنُ المسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال النَّبِىُّ ﷺ ليلةَ أُسْرِىَ به : «لَقِيتُ موسى» . قال : فَنَعَتَه فإذا رجلٌ حسِبْتُه قال : «مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ ، كأَنَّه مِن رجالِ شَنُوءَةَ» . قال : «ولَقِيتُ عيسى» . فَنَعَتَه النبىُّ ﷺ ، فقال : «رَبْعَةٌ أَحْمَرُ ، كأَنَّما خرجَ مِن دِيماسٍ ، [3]يَعْنى الحمَّامَ[3] ، ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أَشْبَهُ وَلَدِه به» . الحديث . وقد تَقَدَّمَ فى قِصَّتَىْ إبراهيمَ وموسى . ثُمَّ قال[4] : حدَّثنا محمدُ ابنُ كثيرٍ ، أنبأَنا إسرائيلُ ، عن عثمانَ بنِ المُغِيرةِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، قال : قال النبىُّ ﷺ : «رأيتُ عيسى ، وموسى ، وإبراهيمَ ؛ فأمَّا عيسى فأَحْمرُ جَعْدٌ عريضُ الصَّدْرِ ، وأمَّا موسى فآدَمُ جَسيمٌ سَبْطٌ كأَنَّهُ من رِجَالِ الزُّطِّ» .

---

(١) البخارى (٣٤٤٦) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) البخارى (٣٤٣٧) . وقد تقدم هذا الحديث فى ١/٣١٦ مخرجًا فى المسند .

(٣ - ٣) قال ابن حجر : هو تفسير عبد الرزاق . فتح البارى ٦/ ٤٨٤ .

(٤) البخارى (٣٤٣٨) . عن ابن عباس وليس ابن عمر ، انظر تحفة الأشراف ، وكلام الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف . التحفة ٥/ ٢٢٢، ٢٢٣.

تَفَرَّدَ به البخاريُّ[1] .

وحدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ، حدَّثنا أبو ضَمْرَةَ[2]، حَدَّثنا موسى بنُ عُقْبَةَ، عن نافِعٍ، قال: قال عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ: ذَكَرَ النبيُّ ﷺ، يومًا بينَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ المسيحَ الدَّجَّالَ، فقال: «إن اللَّهَ ليس بأَعْوَرَ، أَلا إنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ أَعْورُ العينِ اليُمْنَى، كأَنَّ عَيْنَه عِنَبَةٌ طافيةٌ، وأَرَانِىَ الليلةَ عندَ الكَعْبَةِ فى المنامِ، فإذا رجلٌ آدَمُ كأحسنِ ما يُرَى مِن أُدْمِ الرِّجالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُه بينَ مَنْكِبَيْه، رَجِلُ الشَّعْرِ، يَقْطُر رَأْسُه ماءً، واضعًا يَدَيْهِ على مَنْكِبَىْ رَجُلَيْنِ، وهو يَطُوفُ بالبَيْتِ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: المسيحُ ابنُ مريمَ. ثم رأيتُ رَجُلًا وراءَه جَعْدًا قَطَطًا أَعْورَ عَينِ اليُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رأيتُ بابنِ قَطَنٍ، واضعًا يدَيه[3] على مَنْكِبَى رَجُلٍ يطوفُ بالبيْتِ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: المسيحُ الدَّجَّالُ». ورواه مسلمٌ[4] من حديثِ موسى بنِ عُقْبَةَ. ثم قال البُخاريُّ: تابعه عُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ نافعٍ. ثُمَّ ساقَهُ من طريقِ الزُّهريِّ، عن سالِمٍ، عن[6] ابنِ عُمَرَ[7]. قال الزُّهريُّ: وابنُ قَطَنٍ رجلٌ من خُزَاعةَ، هَلَكَ فى الجاهليةِ[8]. فَبَيَّنَ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، صِفَةَ المسِيحَيْنِ؛ مَسِيحِ الهُدَى[9] ومسيحِ الضَّلالَةِ [١/٢٧٣ظ]؛ ليُعْرَفَ

---

(١) البخارى (٣٤٣٩).
(٢) فى الأصل: «ضميرة».
(٣) فى م: «يده».
(٤) مسلم (١٦٩).
(٥) فى م: «عبد».
(٦) سقط من: م.
(٧) البخارى (٣٤٤١).
(٨) البخارى (٣٤٤١).
(٩) فى م: «المهدى».

هذا إذا نزلَ ، فيؤمِنَ به المؤمنون ، ويُعْرَفَ الآخرُ فيحذَرَه الموحِّدون .

وقال البُخاريُّ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أنبأَنا مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النَّبىِّ ، ﷺ ، قال : « رأى عيسى ابنُ مريمَ رجلًا يَسْرِقُ ، فقال له : أَسَرَقْتَ ؟ قال : كَلَّا ، والذى لَا إلهَ إلَّا هُو . فقال عيسى : آمنتُ باللَّهِ وكذَّبْتُ عَيْنَىَّ » . وكذا رواه [2]مسلمٌ[3] عن[2] محمدِ بنِ رافعٍ ، عن[4] عبدِ الرَّزَّاقِ .

وقال أحمدُ[5] : حَدَّثنا عفَّانُ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن حُمَيْدٍ الطَّويلِ ، عن الحسنِ وغيرِه ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : ولا أعلمُه إلَّا عن النبىِّ ﷺ ، قال : « رأى عيسى رجلًا يَسْرِقُ ، فقال : يا فلانُ ، أَسَرَقْتَ ؟ فقال : لَا ، واللَّهِ ما سَرَقْتُ . قال : آمنتُ باللَّهِ وكذَّبْتُ بَصَرِى » . وهذا يدلُّ على سَجِيَّةٍ[6] طاهرةٍ ؛ حيثُ قَدَّمَ حَلِفَ ذلك الرَّجُلِ - وظَنَّ أَنَّ أحدًا لا يَحْلِفُ بعظمةِ اللَّهِ كاذبًا - على ما شاهدَه مِنْه عِيانًا ، فقَبِلَ عُذْرَه ، ورَجَعَ على نفْسِهِ ، فقالَ : آمنتُ باللَّهِ . أَىْ ؛ صَدَّقْتُكَ . وَكَذَّبْتُ بَصَرِى ؛ لِأَجْلِ حَلِفِك .

وقال البُخاريُّ[7] : حدَّثَنا محمدُ بنُ يوسفَ ، حَدَّثنا سفيانُ ، عن المُغيرةِ بنِ النُّعْمانِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) البخارى (٣٤٤٤) .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) مسلم (٢٣٦٨) .
(٤) فى الأصل : « ابن » .
(٥) المسند ٢/ ٣٨٣.
(٦) السجية : الطبيعة والخُلُق .
(٧) البخارى (٣٤٤٧) .

«تُحْشَرونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا». ثم قرأ: «﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ فَأَوَّلُ الخَلْقِ يُكْسَى إبراهيمُ، ثم يُؤْخَذُ بِرِجالٍ من أَصْحَابِي ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ، فأقولُ: أصحابِي. فَيُقَالُ: إنَّهم لم[1] يَزالُوا مُرْتَدِّينَ على أعْقابِهم منذُ فَارَقْتَهم. فأقولُ كما قال العبدُ الصالحُ عيسى ابنُ مريمَ: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾». تَفَرَّدَ به دونَ مسلمٍ مِن هذا الوَجْهِ.

وقال[2] أيضًا: حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ الحُمَيْدِيُّ، حدَّثنا سُفيانُ، سمعتُ الزُّهْرِيَّ، يقولُ: أخبرنى عُبَيْدُ[3] اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّه، عن ابنِ عباسٍ، سَمِعَ عُمَرَ يقولُ على المِنْبَرِ: سمعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لا تُطْرُونى كما أَطْرَتِ النَّصارَى عيسى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللَّهِ ورسولُه».

وقال البُخارىُّ[4]: حَدَّثنا [5]مُسْلِمُ بنُ[5] إبراهيمَ، حَدَّثنا جريرُ بنُ حازمٍ، عن محمدِ بنِ سيرينَ، عن أبى هُرَيْرَةَ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «لم يَتَكَلَّمْ فى المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ؛ عيسى، وكان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ يُقَالُ له: جُرَيْجٌ. يُصَلِّى، إذْ جاءتْه أُمُّه فَدَعَتْه، فقال: أُجيبُها أَوْ أُصَلِّى؟ فقالتْ: اللهمَّ [١/٢٧٤و] لا تُمِتْه حتى تُرِيَه وُجُوهَ المُومِسَاتِ. وكان جُرَيْجٌ فى صومعتِه، فَتَعَرَّضَتْ له امرأةٌ وكَلَّمَتْه، فأَبَى، فأَتَتْ راعِيًا فأَمْكَنَتْه من نفْسِها، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فقيلَ لها:

---

(١) فى م: «لن».
(٢) البخارى (٣٤٤٥).
(٣) فى م: «عبد».
(٤) البخارى (٣٤٣٦).
(٥ - ٥) سقط من: م.

مِمَّن؟ فقالتْ: مِن جُرَيجٍ. فَأَتَوْه وكَسَرُوا صَوْمعتَه، فَأَنْزَلُوه وَسَبُّوهُ، فتوضّأَ وصلَّى، ثُم أتى الغلامَ، فقال: مَن أبوكَ يا غُلامُ؟ قال: فلانٌ الرَّاعى. قالوا: أَنَبْنِى صَوْمَعَتَكَ مِن ذَهَبٍ؟ قال: لا، إلَّا من طِينٍ. وكانت امرأةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لها فى بنى إسرائيلَ، فَمَرَّ بها رَجُلٌ راكبٌ ذُو شَارَةٍ، فقالت: اللَّهمَّ اجْعلِ ابنى مِثْلَه. فتركَ ثَدْيَها وأَقْبَلَ على الرَّاكبِ، فقال: اللهمَّ لا تجعلنى مِثْلَه. ثم أقبلَ على ثَدْيِها يَمَصُّه». قال أبو هريرةَ: كأَنِّى أنظرُ إلى النبىِّ ﷺ، يَمَصُّ أُصْبُعَه: «ثُم مُرَّ بأَمَةٍ، فقالَتْ: اللهمَّ لا تجعلِ ابنى مِثْلَ هذه. فتركَ ثَدْيَهَا، فقالَ: اللَّهمَّ اجْعلْنى مِثْلَها. فقالت: لِمَ ذلك؟ فقال: الرَّاكِبُ جَبّارٌ من الجبابِرَةِ، وهذه الأَمَةُ يقولون: سَرَقْتِ وَزَنَيْتِ. ولم تَفْعلْ».

وقال البُخارىُّ[1]: حَدَّثَنا أبو اليمانِ، حدَّثنا شُعَيْبٌ، عن الزُّهْرىِّ، أخبرنى أبو سَلَمَةَ، أنَّ أبا هُرَيرةَ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يقولُ: «أنا أَوْلَى النَّاسِ بابنِ مريمَ والأَنبياءُ أولادُ عَلَّاتٍ، ليس بَيْنى وبَيْنَه نبىٌّ». تفرَّدَ به البُخارىُّ مِن هذا الوَجْهِ. ورواهُ ابنُ حِبَّانَ[2] فى «صحيحِه»، مِن حديثِ أبى داودَ الحفَرى، عن الثَّوْرِىِّ عن أبى الزِّنادِ[3] عن الأَعْرجِ[3]، عن أبى سلَمَةَ، عن أبى هريرةَ.

وقال أحمدُ[4]: حدَّثنا وكيعٌ حدَّثنا سفيانُ، هو الثَّوْرِىُّ، عن أبى الزِّنادِ، عن الأَعْرجِ، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أنا أَوْلَى النَّاسِ بعيسى، عليه السلامُ، والأَنبياءُ إخوةٌ أولادُ عَلَّاتٍ، وليس بينى وبينَ عيسى

---

(١) البخارى (٣٤٤٢).
(٢) الإحسان (٦١٩٥).
(٣ - ٣) سقط من: النسخ. والمثبت من صحيح ابن حبان.
(٤) المسند ٢/ ٤٦٣.

نبيٌّ » . وهذا إِسْنادٌ صحيحٌ على شَرْطِهما ، ولم يُخْرِجُوه مِن هذا الوجهِ .

وأَخْرَجَه أحمدُ[1] ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحْوِه .

وأخرجه ابنُ حبَّانَ[2] مِن حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ به بنحوِهِ .

وقالَ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحْيَى ، عن ابنِ أبى عَرُوبَةَ ، حَدَّثنا قَتادةُ ، عن عبدِ الرَّحْمنِ بنِ آدمَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتٍ ، ودينُهم واحدٌ وأمَّهاتُهم شَتَّى ، وأنا أَوْلَى الناسِ بعيسى ابنِ مريمَ ؛ لأنَّه لم يكنْ بَيْنِى وبَيْنَه نبىٌّ ، وإنَّه نازلٌ ، فإذا رأَيْتموه فاعْرِفوه ، فإنَّه رجلٌ مَرْبوعٌ إلى الحُمْرَةِ والبياضِ ، سَبْطٌ ، كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ ، وإنْ لم يُصِبْه بَلَلٌ ، بين مُمَصَّرَتَيْنِ[4] فَيَكْسِرُ الصَّليبَ ، ويَقْتلُ الخِنْزيرَ ، ويَضَعُ الجِزْيةَ ، ويُعَطِّلُ المِلَلَ ، حتى تَهْلِكَ فى زمانِه المِللُ[5] كلُّها غيرَ الإِسلامِ ، ويُهْلِكُ اللَّهُ فى زمانِه المسيحَ الدَّجَّالَ الكذَّابَ ، وتقَعُ الأَمَنَةُ فى الأَرْضِ حتى تَرْتَعَ الإِبلُ مع الأُسْدِ [١/٢٧٤ظ] جميعًا ، والنُّمورُ مع البَقَرِ ، والذِّئابُ مع الغَنَمِ ، ويلعبُ الصِّبْيانُ والغِلْمَانُ بالحيَّاتِ ، لا يَضُرُّ بعضُهم بعضًا ،فَيَمْكُثُ ما شاء اللَّهُ أَنْ يمكُثَ ، ثُمَّ يُتَوَفَّى ، فَيُصَلِّى عليه المسلمون ، ويَدْفِنُونَه » . ثم رَوَاهُ أَحْمَدُ[6] عن عَفَّانَ ، عن همَّامٍ ، عن قَتادَةَ ،

---

(١) المسند ٢/ ٣١٩. (صحيح) .

(٢) الإحسان (٦١٩٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) المسند ٢/ ٤٣٧.

(٤) بياض بالأصل . وفى ح : « مخصرتين » . والممصرة من الثياب : التى فيها صفرة خفيفة . النهاية لابن الأثير (م ص ر) .

(٥) سقط من : م .

(٦) المسند ٢/ ٤٠٦. (إسناده صحيح) ، انظر السلسلة الصحيحة (٢١٨٢) .

عن عبدِ الرَّحْمنِ، [1]عن أبى هُرَيْرَةَ، فذكر نَحْوَه. وقالَ: «فيمكُثُ أَرْبعينَ سنةً، ثم يُتَوَفَّى ويُصَلِّى عليه المسلمون»[1]. ورَواه أبو دَاودَ[2]، عن هُدْبَةَ بنِ خالدٍ، عن همَّامِ بنِ يَحْيَى به نَحْوَه. وروى هشامُ بنُ[3] عُروةَ، عن صالحٍ مَوْلى[4] أبى هُرَيْرَةَ، عنه[5] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «فيمكُثُ فى الأَرضِ أربعين سنةً». وسيأتى بيانُ نزولِه، عليه السَّلامُ، فى آخرِ الزَّمانِ فى كتابِ «الملاحمِ»، كما بَسَطْنا ذلك أيضًا فى «التفسيرِ» عندَ قولِه تعالَى فى سورةِ «النِّساءِ»[6]: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. وقولِه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ الآية [الزخرف: ٦١]. وإنَّه يَنْزِلُ على المَنارةِ البَيضاءِ بدِمَشقَ، وقد أُقيمتْ صلاةُ الصُّبْحِ، فيقولُ له إمامُ المسلمين: تَقَدَّمْ يا رُوحَ اللَّهِ فَصَلِّ. فيقولُ: لا، بعضُكم على بعضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةُ اللَّهِ هذه الأُمَّةَ. وفى روايةٍ، فيقولُ له عيسى: إنَّما أُقِيمتِ الصَّلاةُ لَكَ. فَيُصَلِّى خَلْفَه، ثُم يَرْكبُ ومعه المسلمون فى طَلَبِ المسيحِ الدَّجَّالِ، فيلْحَقُه عندَ بابِ لُدٍّ، فيَقْتُلُه بيدِه الكريمةِ. وذَكَرْنا أنَّه قَوِىَ الرَّجَاءُ حينَ بُنِيَتْ هذه المنارةُ الشَّرْقيَّةُ بدمَشقَ التى هى مِن حِجارةٍ بيضٍ، وقد بُنِيَتْ أيضًا مِن أَمْوالِ النَّصارَى حينَ حَرَقوا التى هُدِمَتْ وما حَوْلَها، فينْزِلُ عليها عيسى ابنُ مريمَ، عليه السلامُ، فيقْتُلُ الخِنزيرَ، ويَكْسِرُ الصَّليبَ، ولا يَقْبَلُ من

(١ - ١) سقط من: ح.
(٢) أبو داود (٤٣٢٤) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٥).
(٣) فى الأصل: «عن».
(٤) فى الأصل: «عن».
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) التفسير ٢/٣٩٩- ٤١٩.

أَحَدٍ إلَّا الإِسلامَ ، وأنه يَحُجُّ مِن فَجِّ الرَّوْحَاءِ ، حاجًّا أو مُعْتَمِرًا ، أو لِثِنْتَيْهِمَا ، ويُقيمُ أربعينَ سنةً ثُم يموتُ فَيُدْفَنُ فيما قيلَ فى الحُجْرَةِ النبويّةِ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وصاحِبَيْهِ . وقد وَرَدَ فى ذلك حديثٌ ذَكَرَه ابنُ عساكرَ[1] فى آخرِ ترجمةِ المسيحِ ، عليه السلامُ ، فى كتابِه ، عن عائشةَ مَرْفُوعًا ، أَنَّه يُدْفَنُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأبى بكرٍ وعُمَرَ فى الحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ولكن لا يصحُّ إسنادُهُ .

وقال أبو عيسى التِّرْمِذِىُّ[2] : حدَّثَنا زيدُ بنُ أَخْزَمَ الطائىُّ حدَّثنا أبو قُتَيْبَةَ سَلْمُ[3] بْنُ قُتَيْبَةَ ، حدَّثنى أبو مَوْدُودٍ المَدَنىُّ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ الضَّحَّاكِ ، عن محمدِ بنِ يوسفَ بنِ عبد اللَّهِ بنِ سلامٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : مكتوبٌ فى التَّوْرَاةِ صِفَةُ محمدٍ ، وعيسى ابنُ مريمَ ، عليهما السَّلامُ ، يُدْفَنُ معه . قال أبو مَوْدُودٍ : وقد بَقِىَ فى البيْتِ موضعُ قبرٍ . ثم قال التِّرْمِذِىُّ : هذا حديثٌ حَسَنٌ . كذا قال . والصَّوابُ[4] الضَّحَّاكُ بنُ عثمانَ المَدَنىُّ . وقال البُخارىُّ[5] : هذا الحديثُ لا يصحُّ عِنْدِى ، ولا يُتَابَعُ عليه .

[١/٢٧٥و] وروى البُخارىُّ[6] عن يَحْيى بنِ حمادٍ ، عن أبى عَوَانَةَ ، عن عاصمٍ الأَحْولِ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِىِّ[7] ، عن سَلْمانَ ، قال : الفترةُ ما بينَ عيسى ومحمّدٍ ﷺ ، سِتُّمائةِ سنةٍ . وعن قَتادةَ : خَمْسُمائةٍ وسِتونَ سنةً[8] .

---

(١) فى الأصل : ماجه . والحديث فى تاريخ دمشق ١٤/١٠٥ مخطوط .
(٢) الترمذى (٣٦١٧) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٣) .
(٣) فى النسخ : « مسلم » . والمثبت من سنن الترمذى . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٣٢.
(٤) بعده فى الأصل : « قول » . وفى سنن الترمذى : « والمعروف » .
(٥) التاريخ الكبير (١/ ٢٦٣) .
(٦) البخارى (٣٩٤٨) .
(٧) فى الأصل : « المهدى » . وفى ص : « اليزيدى » . انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٤.
(٨) تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٨٦.

وقيلَ: خَمْسُمائةٍ وأربعونَ سَنةً. وعن الضَّحَّاكِ: أَرْبَعُمائةٍ وبِضْعٍ وثلاثونَ سنةً[1]. والمشهورُ ستُّمائةِ سنةٍ. ومنهم من يقولُ: سِتُّمائةٍ وعشرونَ سنةً بالقَمَرِيَّةِ فَتَكونُ سِتَّمائةٍ بالشَّمْسِيَّةِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال ابنُ حِبَّانَ[2] فى «صحيحِه»: ذِكْرُ المدَّةِ التى بقِيتْ فيها أُمَّةُ عيسى على هَدْيِهِ. حَدَّثَنا أبو يَعْلى، حدَّثنا أبو همَّامٍ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن الهَيْثَمِ بنِ حُمَيْدٍ، عن الوَضِينِ[3] بنِ عَطَاءٍ، عن نصرِ بنِ عَلْقَمَةَ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن أبى الدَّرْدَاءِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ قبضَ اللَّهُ داودَ مِن بينِ أصحابِه، فَما فُتِنُوا ولا بَدَّلوا، ولقد مَكثَ أصْحابُ المسيحِ على سُنَّتِه وهَدْيِه مِائتَىْ سنةٍ». وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، وإن صحَّحه ابنُ حِبَّانَ. وذكر ابنُ جريرٍ[4]، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، أنَّ عيسى، عليه السلامُ، قبْلَ أن يُرْفَعَ وَصَّى الحواريِّين بأن يَدْعُوا النَّاسَ إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، وعَيَّنَ كُلَّ واحدٍ منهم إلى طائفةٍ من النَّاسِ فى إقليمٍ من الأقاليمِ مِن الشَّامِ، والمشْرقِ، وبلادِ المغْرِبِ، فذكَرُوا أنَّه أصبحَ كُلُّ إنسانٍ منهم يَتَكَلَّمُ بلغةِ الذين أرْسَلَه المسيحُ إليهم. وذَكَرَ غيرُ واحدٍ أنَّ الإنجيلَ نقلَه عنه أربعةٌ؛ لُوقَا، ومَتَّى[5]، ومُرْقُسُ، ويُوحَنَّا[6]. وبينَ هذه الأناجيلِ الأربعةِ تفاوُتٌ كثيرٌ بالنسبةِ إلى كُلِّ نسخةٍ ونسخةٍ، وزياداتٌ كثيرةٌ ونقْصٌ بالنسبةِ إلى الأُخْرَى، وهؤلاءِ الأربعةُ

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٦٧.
(٢) الإحسان (٦٢٣٦). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف.
(٣) فى الأصل: «الوطين».
(٤) تاريخ الطبرى ١/ ٦٠٢، ٦٠٣.
(٥) فى الأصل: «حنا».
(٦) فى الأصل، ح: «يحنا».

منهم اثنانِ ممَّن أَدْرك المسيحَ ورآهُ، [1]وهُما مَتَّى ويوحَنَّا[1] ومنهم اثْنانِ مِن أَصْحابِ[2] أصحابِه. واللَّهُ أعلمُ. [3]وهما مُرْقسُ ولُوقَا. وكانَ مِمّن آمنَ بالمسيحِ وصَدَّقَه مِن أَهْلِ دمَشقَ رجلٌ يقالُ له: ضينا[4]، وكان مُخْتَفِيًا فى مَغَارَةٍ داخلَ البابِ الشَّرْقىِّ قريبًا مِن الكنيسةِ المُصَلَّبَةِ؛ خَوفًا مِن بولِصَ اليهودِىِّ، وكان ظالمًا غاشِمًا مُبْغِضًا للمسيحِ، ولِمَا جاءَ به. وكان قد حَلَقَ رأْسَ ابنِ أخيه حينَ آمنَ بالمسيحِ، وطافَ به فى البلدِ، ثم رَجَمَه حتى ماتَ، رحمهُ اللَّهُ. ولمَّا سمِعَ بولصُ أنَّ المسيحَ، عليه السلامُ، قد توجَّهَ نحوَ دمَشقَ جَهَّزَ بِغَالَه وخرجَ ليَقْتُلَه فتلقَّاه عندَ كوكبا، فلمّا واجهَ أصحابَ المسيحِ، جاءَ إليه مَلَكٌ فضربَ وجْهَه بِطَرَفِ جَناحِه فأَعْماهُ، فلمّا رأى ذلك وقع فى نفْسِه تَصديقُ المسيحِ، فجاء إليه واعْتذَرَ مِمَّا صنَع، وآمن به فَقَبِلَ منه، وسأَلَهُ أَنْ يَمسحَ عينَيْه؛ ليَرُدَّ اللَّهُ عليه بصرَه، فقال: اذْهبْ إلى ضينا عندَك بدمَشقَ فى طَرَفِ السُّوقِ المسْتطيلِ من

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سقط من: ح، ص.

(٣) من هنا إلى قوله: (كتاب أخبار الماضين) سقط من الأصل. وفى ص: وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافى فى كتابه «الرد على النصارى» لبعضهم يرد عليهم فى قولهم بصلب المسيح، وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن اللَّه، تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا:

عجبًا للمسيح بين النصارى ... وإلى والـــد نسبـــوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه

فإن كان ما تقولون حقًّا ... وصحيحًا فأين كان أبوه

حين خلى ابنه رهين الأعادى ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه

فلئن كان راضيًا بأذاهم ... فاعذروهم لأنهم وافقوه

ولئن كان ساخطًا فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه

(٤) فى ح: «حنينا».

المشْرِقِ ، فهو يَدْعُو لك . فجاء إليه فدَعَا ، فرُدَّ عليه بَصَرُه ، وحَسُنَ إيمانُ بولصَ بالمسيحِ ، عليه السلامُ ، أنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وبُنِيَتْ له كنيسةٌ باسْمِه ، فهى كنيسةُ بولصَ المشهورةُ بدمَشْقَ ، مِن زَمَنِ فَتَحَها الصَّحابةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، حتى خَرِبَتْ فى الزَّمانِ الذى سَنُورِدُه . إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

فَصْــلٌ

اختلف أصحابُ المسيحِ، عليه السَّلامُ - بَعدَ رَفْعِه إلى السماءِ - فيه على أقوالٍ، كما قالَه ابنُ عباسٍ وغيرُه من أَئِمَّةِ السَّلَفِ، كما أَوْرَدْناه عندَ قولِه: ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: قالَ قائلونَ منهم: كانَ فينا عبدُ اللَّهِ ورسولُه، فَرُفِعَ إلى السماءِ. وقال آخرونَ: (١هو اللَّهُ. وقال آخرون: هو ابنُ اللَّهِ١)(٢). فالأوَّلُ هو الحقُّ، والقَوْلان الآخَران كُفْرٌ عظيمٌ، كما قال: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم: ٣٧]، وقد اختلفوا فى نَقْلِ الأناجيلِ على أَرْبَعَةِ أقاويلَ، ما بينَ زيادةٍ ونُقْصَانٍ وتَحْريفٍ وتبديلٍ، ثم بعدَ المَسيحِ بثَلَثِمائةِ سنةٍ حَدَثَتْ فيه الطَّامَّةُ العُظْمى، والبَلِيَّةُ الكبرى اخْتلفَ البَطارِقةُ(٣) الأَربعةُ وجميعُ الأساقِفَةِ، والقساوِسَةِ، والشَّمامِسَةِ، والرُّهَابينِ فى المسيحِ على أَقوالٍ مُتعدِّدَةٍ، لا تَنْحَصِرُ ولا تنضَبِطُ، واجْتمَعوا وتحاكَموا إلى المَلِكِ قُسْطنطينَ، بانِى القُسْطَنْطِينةِ، وهم المَجْمَعُ الأوَّلُ، فصارَ المَلِكُ إلى قَوْلِ أَكْثَرِ فِرْقَةٍ اتَّفقتْ على قولٍ مِن تلك المقالاتِ، فَسُمُّوا الملائكةَ، ودَحَضَ مَن عَداهُم، وأَبْعَدَهُمْ، وتَفَرَّدَتِ الفِرْقةُ التَّابعةُ لعبدِ اللَّهِ بنِ أديوسَ، الذى ثبت على أَنَّ عيسى عبدٌ من عبادِ اللَّهِ، ورسولٌ مِن رُسلِه، فسَكَنُوا البَرارِىَّ والبَوادِىَ، وبَنَوُا الصَّوامِعَ

(١-١) فى ح: «كان فينا فارتفع إلى السماء».

(٢) تفسير الطبرى ٢٨/ ٩٢.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ١١ حاشية (٧).

والدِّيَاراتِ والقَلَّاياتِ ، وقَنَعُوا بالعَيْشِ الزَّهيدِ ، ولم يُخَالطوا أولئكَ المِلَلَ والنِّحَلَ ، وبَنَتِ الملائكةُ الكنائسَ الهائلةَ ، عمَدوا إلى ما كان من بناءِ اليونانِ ، فحوَّلوا محاريبَها إلى الشَّرقِ ، وقد كانت إلى الشَّمالِ إلى الجَدْيِ .

بيَانُ بناءِ بَيتِ لحمٍ والقُمامةِ

وبنى المِلكُ قُسطَنْطِينُ بيتَ لحمٍ على مَحَلِّ مَوْلِدِ المسيحِ، وبَنَتْ أُمُّهُ هيلانةُ القُمامَةَ، يعنى علَى قبرِ المصْلوبِ، وهم يُسَلِّمونَ لليهودِ أَنَّه المسيحُ، وقد كَفَرتْ هؤلاءِ وهؤلاءِ، ووضَعُوا القوانينَ والأحْكامَ، ومنها مُخالِفٌ للعتيقةِ التى هى التوراةُ، وأَحَلُّوا أشياءَ هى حرامٌ بنصِّ التوراةِ، ومِن ذلك الخِنزيرُ، وصلَّوْا إلى الشرقِ ولم يكنِ المسيحُ صَلَّى إلَّا إلى صَخْرَةِ بيْتِ المقدسِ، وكذلك جميعُ الأنبياءِ بعدَ موسى، ومحمدٌ خاتمُ النبيِّينَ صَلَّى إليها بعد هِجْرَتِهِ إلى المدينةِ، ستَّةَ عشَرَ أو سبعةَ عشَرَ شهرًا، ثم حُوِّلَ إلى الكعبةِ التى بناها إبراهيمُ الخليلُ[1]، وصوَّروا الكنائسَ ولم تكن مُصوَّرةً قبلَ ذلك، ووضَعُوا العقيدةَ التى يحفَظُها أطفالُهم ونساؤُهم ورجالُهم التى يسمُّونها بالأَمانةِ، وهى فى الحقيقةِ أكبرُ الكفْرِ والخيانةِ، وجميعُ الملَكِيَّةِ والنَّسطوريَّةِ أصحابِ نَسْطُورِسَ أهلِ المجمعِ الثانى، واليعقوبيةِ أصحابِ يعقوبَ البرادعىِّ، أصحابِ المجمعِ الثالثِ، يعتقدون هذه العقيدةَ، ويختلفون فى تفسيرِها، وها أنا أحْكيها، وحاكى الكفْرِ ليس بكافرٍ، لأَبُثَّ، على ما فيها، ركةَ الألفاظِ وكثرةَ الكفرِ والخَبَالِ المُفْضِى بصاحبِه إلى النَّارِ ذاتِ الشُّواظِ؛ فيقولون، عليهم لعائنُ اللَّهِ المتتابِعةُ إلى يومِ القيامةِ: نؤمنُ بإلهٍ واحدٍ ضَابطِ الكُلِّ خالقِ السَّماواتِ، والأرضِ؛ كلِّ ما يُرى، وكلِّ ما لا يُرى، وبرَبٍّ واحدٍ يسوعَ المسيحِ ابنِ اللَّهِ، الوحيدِ المولودِ مِن الأَبِ قبلَ

---

(١) انظر صحيح مسلم (٥٢٥).

الدُّهورِ، نورٍ مِن نورِ إلهٍ حقٍّ، مِن إلهٍ حقٍّ، مولودٍ غيرِ مَخْلُوقٍ، مساوٍ للأَبِ فى الجَوْهرِ الذى كان به كلُّ شىْءٍ مِن أَجْلِنا، نحن البشرَ، ومِن أجلِ خَلاصِنا نَزَلَ مِن السَّماءِ، وتَجَسَّدَ من رُوحِ القُدُسِ، ومِن مَرَيْمَ العَذْراءِ وتأنسَ، وصُلِبَ على عهدِ ملاطسَ النبطىِّ، وتألَّم وقُبِر، وقام فى اليومِ الثالثِ، كما فى الكتبِ، وصَعَد إلى السَّماءِ، وجلس عن يمينِ الأَبِ. وأيضًا فسيأتى بجسدِه[1]؛ ليدبِّرَ الأَحياءَ والأَمواتَ، الذى لا فناءَ لمُلكِه، ورُوحُ القُدُسِ الرَّبُّ المُحْيِى المُنْبَثِقُ مِن الأَبِ مع الأَبِ، والابنُ مسجودٌ له، وبمجدِ الناطقِ فى الأنبياءِ، كَنِسْبَةٍ واحدةٍ جامعةٍ مقدسةٍ يهوليَّةٍ، واعترفَ بمعموديَّةٍ واحدةٍ لمغفرةِ الخطايا، وأنه حىٌّ قيامةَ الموتى وحياةَ الدهرِ العتيدِ كَوْنُه. آمين.

---

(١) فى ح: «بمجده».

كتابُ أخْبَارِ الماضِينَ

مِن بنى إسرائيلَ وغيرِهم إلى آخرِ زَمنِ الفَتْرَةِ سوى أيامِ العربِ وجاهِلِيَّتِهم ، فإنَّا سنُورِدُ ذلك بعدَ فراغِنا مِن هذا الفَصْلِ إن شاءَ اللَّهُ تعالى . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه : ٩٩] . وقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

خبرُ ذِى القَرْنَيْنِ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ [١/٢٧٥ظ] وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٨٣- ٩٨].

ذكرَ اللَّهُ تعالى ذا القَرْنَيْنِ هذا، وأثْنى عليه بالعَدْلِ، وأنَّه بلغَ المشارقَ والمغاربَ، ومَلَكَ الأقاليمَ وقَهَرَ أهْلَها، وسارَ فيهم بالمَعْدَلَةِ التَّامَّةِ، والسُّلْطانِ

---

(١) التفسير ٥/١٨٥- ١٩٦.

المؤَيَّدِ المظَفَّرِ المنْصورِ القاهرِ المُقْسِطِ. والصَّحيحُ، أَنَّه كان مَلِكًا مِن الملوكِ العادلِين، وقيل: كان نبيًّا. وقيل: كان رسولًا. وأغربَ مَن قال: كان ملكًا مِن الملائكةِ. وقد حُكِيَ هذا عن أميرِ المؤمنِين عمرَ بنِ الخَطّابِ، فإنَّه سَمِع رجلًا يقولُ لآخرَ: يا ذا القَرْنَيْنِ، فقال: مَهْ، ما كفاكم أن تَتَسَمَّوْا بأسماءِ الأَنبياءِ حتى تَسَمَّيْتُم بأَسماءِ الملائكةِ[1]. ذكره السُّهَيْلِيُّ[2].

وقد رَوَى وكيعٌ، عن إسرائيلَ، عن جابرٍ، عن مجاهدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، قال: كان ذو القَرْنَيْنِ نبيًّا[3]. ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[4]، مِن حديثِ أبى محمدِ بنِ أبى نَصْرٍ، عن أبى إسحاقَ[5] إبراهيمَ بنِ محمدِ [6]بنِ أحْمدَ[6] بنِ أبى ثابتٍ[7]، حدَّثنا محمدُ بنُ حمّادٍ، أنبأنا عبدُ الرَّزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ أبِى ذئبٍ[8] عن المَقْبُرِيِّ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لاأَدْرِى أَتُبَّعٌ كَانَ لَعِينًا أَمْ لا، ولا أَدْرِى الحُدُودُ كَفَّاراتٌ لأَهْلِها أَمْ لا، ولا أَدْرِى ذو القَرْنَيْنِ كان نَبِيًّا أَمْ لَا». وهذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ. وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[9]، عن عثمانَ بنِ السَّاجِ، عن خُصَيْفٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره ١٦/ ١٧. وابن هشام فى السيرة ١/ ٣٠٧. وابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٣٩. وذكره الحافظ فى الفتح ٦/ ٣٨٣، وقال: حكاه الثعلبى.

(٢) الروض الأنف ٣/ ١٨١.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٧ من طريق وكيع به.

(٤) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٧.

(٥) بعده فى الأصل، م، ص: «بن». وهو خطأ. انظر تاريخ دمشق ٧/ ٩٩.

(٦-٦) سقط من النسخ، ومن تاريخ دمشق. والمثبت من ترجمته. انظر تاريخ دمشق ٧/ ٩٩.

(٧) فى م: «ذؤيب». وانظر تاريخ دمشق ٧/ ٩٩.

(٨) فى ح، م: «ذؤيب». وانظر تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٣.

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٩ من طريق إسحاق بن بشر به.

ذو القَرْنَيْن مَلِكًا صَالحًا، رَضِيَ[1] اللَّهُ عَمَلَه، وأَثْنَى عليه فى كتابِه، وكان مَنْصُورًا، وكان الخَضِرُ وزيرَه. وذكَر أَنَّ الخَضِرَ، عليه السّلامُ، كان على مُقَدِّمَةِ جيشِهِ، وكان عندَه بمَنْزِلةِ المُشَاوِرِ، الذى هو مِن المَلِكِ بمَنزلةِ الوزيرِ فى اصْطلاحِ [١/٢٧٦و] النَّاسِ اليومَ[2]. وقد ذَكَرَ الأَزْرَقِىُّ وغيرُه، أَنَّ ذَا القرنَيْن أَسْلَمَ على يَدَىْ إبراهيمَ الخليلِ، وطاف معه بالكَعْبَةِ المُكَرَّمَةِ هو وإسماعيلُ، عليه السلامُ[3]. [4]ورُوِىَ عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وابنِه عبدِ اللَّهِ وغيرِهما، أَنَّ ذا القَرْنَيْنِ حَجَّ ماشيًا، وأنَّ إبراهيمَ لما سَمِع بقُدُومِه، تلقّاه ودَعَا له ورضّاه، وأنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لذى القَرْنَيْنِ السَّحابَ يَحْمِلُه حيثُ أرادَ[5]. واللَّهُ أعلمُ.

واختلفُوا فى السببِ الذى سُمِّىَ به ذا القرنَيْنِ؛ فقيل: لأَنَّه كان له فى رأْسِه شِبْهُ القَرْنَيْنِ[4]. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: كان له قرنان مِن نُحاسٍ فى رأسِه. وهذا ضَعيفٌ. وقال بعضُ أَهْلِ الكتابِ: لأنّه مَلَكَ فارسَ والرُّومَ[6]. وقيل: لأَنَّه بلَغ قَرْنَيِ الشَّمسِ غَرْبًا وشَرْقًا، ومَلَكَ ما بينَهُما مِن الأرضِ. وهذا أَشْبَهُ مِن غيرِه، وهو قولُ الزُّهْرِىِّ[7]. [8]وقال الحَسَنُ البَصْرِىُّ: كانت له غَدِيرتان مِن شَعْرٍ يَطَأُ فيهما؛ فَسُمِّىَ ذا القَرْنَيْنِ[9]. وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن[8]

---

(١) فى التاريخ: «أرضى».
(٢) انظر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٤٥، ٣٤٨.
(٣) أخبار مكة المشرفة للأزرقى ص ٣٩.
(٤ - ٤) سقط من: ص.
(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٤٠، ٣٤١.
(٦) تفسير الطبرى ١٦/ ٩. التفسير ٥/ ١٨٦.
(٧) أخرجه عن الزهرى، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٦.
(٨ - ٨) سقط من: ص.
(٩) أخرجه عن الحسن، ابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٧/٣٣٦).

(١) عبدِ اللَّهِ بنِ زيادِ بنِ سَمْعانَ ، عن عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنه قال : دعا مَلِكًا جبَّارًا إلى اللَّهِ فضَرَبَه على قَرْنِه فكَسَرَه ورَضَّه ، ثُم دعاه فَدَقَّ قرنَهُ الثانِيَ ، فكَسَرَه ، فَسُمِّيَ ذا القَرْنَيْنِ(٢)(١) . ورَوَى الثَّوْرِيُّ(٣) عن حبيبِ بنِ أبِي ثابتٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، أنه سُئِلَ عن ذى القَرْنَيْنِ فقال : كان عبدًا ناصَحَ اللَّهَ فَنَاصَحَه ، دعا قَوْمَه إلى اللَّهِ فَضَرَبُوه على قَرْنِه فماتَ ، فَأَحْياه اللَّهُ فدعا قَوْمَه إلى اللَّهِ فضربوه على قَرْنِه الآخرِ فمات ، فَسُمِّيَ ذا القَرْنَيْنِ . وهكذا رواه شعبةُ ، عن(٤) القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ(٥) ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن عليٍّ به(٦) . وفى بعضِ الرواياتِ ، عن أبى الطُّفَيْلِ عن عليٍّ ، قال : لم يكنْ نَبيًّا ولا رسولًا ولا مَلَكًا ، ولكن كان عبدًا صالحًا(٧) .

وقد اخْتُلِفَ فى اسْمِه ؛ فرَوَى الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ : كان اسمُه عبدَ اللَّهِ بنَ الضَّحَّاكِ بنِ معدٍ(٨) . وقيل : مُصْعَبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قِنانَ بنِ منصورِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأزدِ بنِ غَوْثٍ(٩) بنِ نبتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كَهْلَانَ ابنِ سبإٍ بنِ قحْطانَ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٦، من طريق إسحاق بن بشر به .

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٦/ ٩، من طريق سفيان الثورى به .

(٤) سقط من : ح ، م .

(٥) فى ص : « مرة » . وانظر التقريب ٢/ ١١٥.

(٦) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٦/ ٩، من طريق شعبة به .

(٧) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٨) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣١. وعزاه الحافظ فى الفتح ٦/ ٣٨٤ للزبير بن بكار فى « كتاب النسب » ، وقال : وإسناده ضعيف جدًّا .

(٩) فى الأصل ، م : « عون » . وفى ح : « عوف » وفى ص : « عرب » .

وقد جاءَ فى حديثٍ[1] أنَّه كان مِن حِمْيَرٍ، وأُمُّه رومِيَّةٌ، وأنّه كان يُقالُ له: ابنُ الفيْلسوفِ؛ لِعَقْلِه. وقد أَنْشَدَ بعضُ الحِمْيَرِيِّين[2] فى ذلك شِعْرًا يفْخَرُ بكونِه أَحَدَ أَجْدَادِهِ فقال:

قَد كانَ ذُو القَرْنَيْنِ جَدِّىَ[3] مُسْلِمًا ... مَلِكًا تَدِينُ له الملوكُ وتُحشدُ[4]

بَلَغَ المشارِقَ والمغارِبَ يَبتَغِى ... أَسْبابَ أَمْرٍ مِن حَكيمٍ مُرْشِدِ

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عندَ غُرُوبِهَا ... فى عَيْنِ ذِى خُلُبٍ وثَأْطٍ[5] حَرْمَدِ

[١/٢٧٦ظ]مِن بَعْدِهِ بَلْقِيسُ كانَتْ عَمَّتِى ... مَلَكَتْهُمُ حتَّى أتاها الهُدهُدُ[6]

قال السُّهَيْلِىُّ[7]: وقيل: كان اسمُه مَرْزَبَى بنَ مَرْذَبَةَ[8]، ذَكَرَه ابنُ هشامٍ[9]، وذكَر فى موضعٍ آخَرَ[10] أَنَّ اسمَهُ الصَّعْبُ بنُ ذِى مَرَاثِدَ[11]. وهو أَوَّلُ التَّبَابِعَةِ، وهو الذى حَكَم لإبراهيمَ فى بئرِ السَّبعِ[12]. وقيلَ: إنه أفريدون

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٢.

(٢) هو تبع الحميرى، كما صرح به ابن عساكر فى تاريخه ١٧/ ٣٣٢. وابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» ص ٣٨، والحافظ فى الفتح ٦/ ٣٨٤.

(٣) فى قصص الأنبياء للثعلبي ص ٣٢٦، والتفسير الكبير للفخر الرازى ٢١/ ١٦٤: «قبلى».

(٤) فى قصص الأنبياء وتفسير القرطبى ١١/ ٤٩: «تسجد». وفى تاريخ دمشق: «تحسد». وفى البيت عيب وهو الإقواء.

(٥) خلب أى الطين. ثأط مفردها ثأطة وهى الطين، حمأة كان أو غير ذلك.

(٦) فى الأصل، ح، ص: «المزهد». وهو لفظ رواية ابن عساكر، وفى البيت عيب وهو الإقواء.

(٧) الروض الأنف ٣/ ١٧٨.

(٨) فى م، ص: «مرزبان بن مرزبة». وفى الفتح ٦/ ٣٨٤: «مرزبان بن مردية» بالدال المهملة.

(٩) السيرة النبوية ١/ ٣٠٧.

(١٠) التيجان فى ملوك حمير ص ١١٠، وفيه: الصعب بن ذى مرثد.

(١١) فى ح: «الصعب بن دنى مزايد». وفى م، ص: «الصعب بن ذى مرائد».

(١٢) فى ح: «اليسع». وانظر الروض الأنف ٣/ ١٧٩. والتعريف والإعلام ص ١٩٩.

ابنُ أَسْفيانَ ، الذى قَتَل الضَّحّاكَ[1] . وفى خطبةِ قُسٍّ : يا مَعْشَرَ إيادٍ ، أين[2] الصعبُ ذو القَرْنَيْنِ ، مَلَكَ الخافِقَيْنِ ، وأَذَلَّ الثَّقَلَيْنِ ، وعُمِّرَ أَلْفَيْنِ ، ثُمَّ كان كَلَحْظَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ أَنْشَدَ ابنُ هشامٍ للأَعْشَى[3] :

والصَّعْبُ ذو القَرنَيْنِ أصبحَ ثاوِيًا بالحِنْوِ[4] فى جَدَثٍ أُمَيْمَ[5] مُقِيم

[6]وذَكَرَ الدَّارَقُطْنِىُّ ، وابنُ ماكُولَا أنَّ اسمَه هرمسُ[7] . ويقالُ : هرديسُ[8] ابنُ فَيْطونَ بنِ رُومى بنِ لِنْطى بنِ كِسلوجينَ بنِ يونانَ بنِ يافثَ بنِ نوحٍ . فاللَّهُ أعلمُ . وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ ، عن سعيدِ بنِ بشيرٍ ، عن قَتادةَ قال : إسكندرُ هو ذو القَرْنَيْنِ ، وأبوه أَوَّلُ القياصِرَةِ ، وكان مِنْ وَلَدِ سامِ بنِ نُوحٍ ، عليه السَّلامُ[9][6] . فأمّا ذو القَرْنَيْنِ الثانى فهو إسكندرُ بنُ فيليبسَ بنِ مضريمَ بنِ هِرمسَ[10] بنِ هردسَ[10] بنِ ميطونَ بنِ رُومى بنِ لِنْطى[11] بنِ يونان بنِ يافثَ بنِ نونةَ بنِ سرحونَ بنِ رومةَ بنِ ثرنطَ بْنِ توفيلَ بنِ رومى بنِ الأصفرِ بنِ اليفزِ بنِ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ١/ ٢١١.

(٢) فى ح ، م ، ص : « بن » .

(٣) لم نجده فى ديوان الأعشى الكبير ، ولا فى ديوان أعشى همدان . والبيت في ديوان لبيد ص ١٠٩ ، وقد نسبه ابن منظور فى اللسان مادة (ص ع ب) إلى لبيد .

(٤) فى الأصل : « بالحر » . وفى ح : « بالخير » . وفى م ، ص : « بالجنو » . والمثبت من الروض الأنف ، وفتح البارى ٦/ ٣٨٤. قال الحافظ : والحنو بكسر المهملة وسكون النون فى ناحية المشرق . وقال السهيلى فى الروض ٣/ ١٨٠: وقوله : بالحنو . يريد حنو قُراقر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق .

(٥) فى م ، ص : « أشم » .

(٦ - ٦) سقط من الأصل .

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣١. والإكمال ١/ ٥٥٩، ٥٦٠.

(٨) فى ح : « هرويس » . وفى ص : « هروس » . والمثبت من التاريخ والإكمال .

(٩) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٣.

(١٠) فى الأصل : « بن مردس » . وسقط من : م ، ص .

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق : « أنطى » .

العيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ. كذا نَسَبَه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[1]، المَقْدُونِىُّ اليونانىُّ المصرىُّ، بانى إسْكَنْدَرِيَّةَ، الذى يُؤَرِّخُ بأيّامِه الرُّومُ، وكان متأخِّرًا عن الأَوَّلِ بدَهْرٍ طويلٍ، كان هذا قبلَ المسيحِ بنحوِ مِن ثَلَاثِمائةِ سنةٍ، وكان أرسطاطاليسُ الفيلسوفُ وزيرَه، وهو الذى قَتَلَ دارا بنَ دارا، وأَذَلَّ ملوكَ الفُرْسِ وأَوْطَأَ أَرْضَهم[2]. وإنَّما نَبَّهْنا عليه؛ لأَنَّ كثيرًا من النَّاسِ يَعْتقدُ، أَنَّهما واحدٌ، وأنَّ المذكورَ فى القرآنِ هو الذى كان أرسطاطاليسُ وزيرَه، فيقعُ بسببِ ذلك خطأٌ كبيرٌ وفسادٌ عريضٌ طويلٌ كثيرٌ، فإنَّ الأَوَّلَ كان عبدًا مُؤْمِنًا صالحًا، ومَلِكًا عادلًا، وكان وزيرُه الخَضِرَ، وقد كان نبيًّا على ما قَرَّرْناه قبلَ هذا. وأَمَّا الثانى، فكان مُشْرِكًا، وكان وزيرُه فَيلَسوفًا، وقد كان بَيْنَ زَمَانَيْهما أَزْيدُ مِن أَلْفَىْ سنةٍ. فأينَ هذا مِن هذا، لا يَسْتَوِيان، ولا يَشْتَبِهان، إلَّا على غَبِىٍّ لا يعرِفُ حقائقَ الأُمورِ.

قولُه تعالى[3]: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣]. كان سَبَبُه أَنَّ قريشًا سألُوا اليهودَ عن شىءٍ يَمْتَحِنُون به عِلْمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالوا لهم: سَلُوه عن رجلٍ طَوَّافٍ فى الأرضِ، وعن فِتْيَةٍ خَرَجُوا، لا يُدْرَى ما فعلُوا. فأنزلَ اللَّهُ تعالى قِصَّةَ أصحابِ الكَهْفِ وقِصَّةَ ذى القَرْنَيْنِ[4]. ولهذا قال: ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ أى؛ مِن خَبَرِهِ وشَأْنِه

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٠.

(٢) انظر التفسير ٥/ ١٨٥. والكامل لابن الأثير ١/ ٢٨٣.

(٣) التفسير ٥/ ١٨٥.

(٤) انظر أثر ابن عباس فى تفسير الطبرى ١٥/ ١٩١. وسيرة ابن هشام ١- ٣٠١، ٣٠٢، ودلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠.

﴿ ذِكْرًا ﴾ أى ؛ خبرًا نافعًا كافيًا فى تعريفِ أمْرِه وشَرْحِ حالِه فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ أى ؛ وَسَّعْنا مَمْلَكَتَه فى البلادِ [١/٢٧٧و] وأَعْطَيْناه مِن آلاتِ المَمْلَكَةِ ما يستعينُ به على تحصيلِ ما يحاولُه من المُهِمَّاتِ العظيمةِ والمقاصدِ الجَسيمةِ .

قال قُتَيْبَةُ ، عن أبى عَوَانَةَ ، عن سِمَاكٍ ، عن حبيبِ بنِ حِمَازٍ[(١)] ، قال : كنتُ عندَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وسأَله رجلٌ عن ذى القَرْنَيْنِ ، كيف بلَغَ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ ؟ فقال : سُخِّرَ له السّحابُ ، ومُدَّتْ له الأسبابُ ، وبُسِطَ له فى النُّورِ . وقال : أَزيدُك ؟ فسكت الرَّجلُ ، وسكتَ علىٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه[(٢)] .

وعن أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ ، عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ الوادعِىِّ ، سَمِعْتُ معاويةَ يقولُ : مَلَكَ الأَرضَ أربعةٌ ؛ سليمانُ بنُ داودَ النبىُّ ، عليهما السلامُ ، وذو القَرْنَيْنِ ، ورجلٌ مِن أهلِ حُلْوَانَ ، ورجلٌ آخرُ . فقيل له : الخَضِرُ ؟ قال : لا[(٣)] .

وقال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ[(٤)] : حدّثنى إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ ، عن محمدِ بنِ الضَّحَّاكِ ، عن أبيه ، عن سفيانَ الثَّوْرِىِّ ، قال: بلَغَنى أنَّه مَلَكَ الأَرضَ كُلَّها أربعةٌ : مؤمنان وكافران ؛ سليمانُ النبىُّ ، وذو القَرْنَيْنِ ، ونَمْرُودُ ، وبُخْتُ نَصَّرَ . وهكذا قال سعيدُ بنُ بَشِيرٍ[(٥)] ، سواءً .

---

(١) فى م ، ص : « حماد » . وانظر الاستيعاب ١/ ٤٤٢.

(٢) ذكره المصنف فى التفسير ٥/ ١٨٧، وعزاه إلى « المختارة » للحافظ الضياء المقدسى . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٣. من طريق أبى عوانة به .

(٣) المصدر السابق ١٧/ ٣٣٦ من طريق أبى إسحاق به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق الزبير به .

(٥) فى الأصل : « بشر » . وانظر السير ٧/ ٣٠٤. وقوله أخرجه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه ١٧/ ٣٣٧.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ، عن قتادةَ، عن الحسنِ قال: كان ذو القَرْنَيْنِ، مَلَكَ بعدَ النُّمرودِ، وكان من قِصَّتِه أنَّه كان رَجُلًا مُسلِمًا صالحًا أتى المَشْرِقَ والمَغْرِبَ، مدَّ اللَّهُ له فى الأَجلِ ونَصَرَه، حتى قهَر البلادَ واحْتَوَى على الأَمْوالِ، وفتَح المدائنَ وقتَل الرِّجالَ وجالَ فى البلادِ والقِلاعِ، فسار حتى أتى المَشْرِقَ والمَغْرِبَ، فذلك قولُ اللَّهِ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ أى؛ خبرًا ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ أى؛ عِلْمًا بطَلَبِ أَسْبابِ المنازِلِ[1].

قال إسحاقُ[2]: وزعم مُقاتلٌ أنَّه كان يَفْتَحُ المدائِنَ ويَجْمَعُ الكُنُوزَ، فَمَنِ اتَّبَعَه على دِينِه وتابعَه عليه، وإلَّا قَتَلَه. وقال ابنُ عبّاسٍ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمَةُ، وعُبَيْدُ بنُ يَعْلَى، والسُّدِّىُّ، وقتادةُ، والضَّحّاكُ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ يَعْنِى عِلْمًا[3]. وقال قتادةُ، ومَطَرٌ الوَرَّاقُ: معالمَ الأَرضِ ومنازِلَهَا وأعلامَها وآثارَها. وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أَسْلمَ: يَعْنِى تعليمَ الأَلْسِنَةِ، كان لا يَغْزُو قومًا إلا حدَّثهم بلُغَتِهم[4].

والصحيحُ أنَّه يَعُمُّ كلَّ سَبَبٍ يَتَوَصَّلُ به إلى نَيْلِ مَقْصُودِه فى المَمْلَكَةِ وغيرِها؛ فإنه كان يَأْخُذُ مِن كلِّ إقليمٍ مِن الأَمْتِعَةِ والمطاعمِ والزَّادِ ما يكفيه، ويُعِينُه على أهلِ الإقليمِ الآخَرِ.

وذكر بعضُ أَهْلِ الكتابِ أنه مكَث ألفًا وسِتَّمائةِ سنةٍ يَجُوبُ الأَرضَ،

---

(١) المصدر السابق ١٧/ ٣٣٩، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٢) هو ابن بشر. وأخرج هذه الزيادة من هذا الطريق ابن عساكر فى تاريخه ١٧/ ٣٤٠.

(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ٩. التفسير ٥/١٨٦، ١٨٧.

(٤) تفسير الطبرى ١٦/٩، ١٠. التفسير ٥/ ١٨٦، ١٨٧.

ويَدْعُو أَهْلَها إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، وفى كُلِّ هذه المدَّةِ نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد روَى البَيْهَقِىُّ ، وابنُ عساكرَ[1] [١/٢٧٧ظ] حديثًا متعلِّقًا بقولِه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ مُطَوَّلًا جدًّا ، وهو مُنْكَرٌ جدًّا . وفى إسنادِه محمدُ بنُ يونُسَ الكُدَيْمِىُّ[2] وهو مُتَّهَمٌ ، فلهذا لم نَكْتُبْه لسقوطِه عندَنا . واللَّهُ أعلمُ .

وقولُه : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أى ؛ طريقًا ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ يعنى مِن الأَرْضِ ، انتهى إلى حيثُ لا يمكنُ أَحدًا أن يُجاوِزَه ، ووَقَفَ على حافَّةِ البَحْرِ المُحيطِ الغربىِّ الذى يُقالُ له : أوقيانوسُ الذى فيه الجزائرُ المُسَمّاةُ بالخالداتِ ، التى هى مبدأُ الأَطْوالِ ، على أَحدِ قَوْلَىْ أرْبابِ الهيئَةِ ، والثانى مِن ساحلِ هذا البحرِ كما قَدَّمْنا[3] . وعندَه شاهدَ مَغِيبَ الشَّمْسِ - فيما رآه بالنِّسْبَةِ إلى مُشاهدتِه - ﴿ تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ والمرادُ بها البَحْرُ فى نظرِه ، فإنَّ مَن كان فى البحرِ أو على ساحلِه يَرَى الشَّمسَ كأَنَّها تَطْلُعُ مِن البحرِ ، وتَغْرُبُ فيه ؛ ولهذا قال : ﴿ وَجَدَهَا ﴾ أى ؛ فى نَظَرِه ، ولم يَقُلْ : فإذا هى . ﴿ تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أى ؛ ذاتِ حَمْأَةٍ . قال كعْبُ الأَحْبارِ : وهو الطِّينُ الأَسْوَدُ . وقرأه بعضُهم (حامِيَةٍ)[4] . فقيل : يَرجعُ إلى الأَوَّلِ . وقيل : من الحرارةِ . وذلك مِن شِدَّةِ المقابلةِ لِوَهَجِ ضَوْءِ الشَّمْسِ وشُعَاعِها .

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٩٥، ٢٩٦. تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٨.

(٢) فى الأصل، ص: «الكريمى». وانظر ترجمته فى الكامل فى ضعفاء الرجال، لابن عدى ٦/ ٢٢٩٤- ٢٢٩٦.

(٣) تقدم فى ١/ ٥٣ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ١٦/ ١١، ١٢. والتفسير ٥/ ١٨٨. والبحر المحيط ٦/ ١٥٩.

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ[1] عن يزيدَ بنِ هارونَ، عن العَوّامِ بنِ حَوْشَبٍ، حدَّثنى مولًى لعبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، عن عبدِ اللَّهِ قال: نَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الشمسِ حينَ غابتْ فقالَ: «فى نارِ اللَّهِ الحاميةِ، لولا ما يَزَعُها مِن أمرِ اللَّهِ لأَحْرَقَتْ[2] ما على الأَرْضِ» فيه غرابةٌ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ، ورَفْعُه فيه نَظَرٌ، وقد يكونُ مَوْقُوفًا مِن كلامِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، فإنّه أصاب يومَ اليَرْموكِ زامِلَتَيْنِ مِن كُتُبِ المتقدِّمِين، فكان يُحَدِّثُ منها. واللَّهُ أعلمُ.

ومَن زَعَم مِن القُصَّاصِ، أنَّ ذا القَرْنَيْنِ جاوزَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ، وصار يَمْشِى بجيوشِه فى ظُلُماتٍ مُدَدًا طَويلةً، فقد أخطأَ، وأَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وقال ما يُخالفُ العَقْلَ والنَّقْلَ.

---

(١) فى المسند ٢/ ٢٠٧. (إسناده ضعيف).
(٢) فى المسند: «لأهلكت».

(١) بَيانُ طلبِ ذى القَرْنَيْنِ عَيْنَ الحياةِ (١)

وقد ذَكَرَ ابنُ عساكرَ[٢] مِن طريقِ وَكيعٍ، عن أبيه، عن مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ، عن أبى جَعْفَرٍ الباقِرِ، عن أبيه زينِ العابدِين خبرًا مُطَوَّلًا جدًّا، فيه أنَّ ذا القَرْنَيْنِ كان له صاحبٌ مِن الملائكةِ يُقالُ له: رناقيلُ[٣]. فسأله ذو القرنَيْنِ: هل تَعْلَمُ فى الأرضِ عَيْنًا يقالُ لها: عينُ الحياةِ؟ فذَكَرَ له صفةَ مكانِها، فذهبَ ذو القرنَيْنِ فى طَلَبِها وجعَل الخَضِرَ على مُقَدِّمَتِه، فانتهى الخَضِرُ إليها فى وادٍ فى أرضِ الظُّلُمَاتِ، فشَرِبَ منها ولم يَهْتَدِ ذو القرنَيْنِ إليها. وذَكَرَ اجتماعَ ذى القَرْنَيْنِ ببعضِ الملائكةِ فى قَصْرٍ هناك، وأنَّه [١/٢٧٨و] أعطاه حَجَرًا، فلمّا رَجَعَ إلى جيشِه سأل العلماءَ عنه، فوضعوه فى كِفَّةِ ميزانٍ، وجعلوا فى مقابَلَتِه أَلْفَ حَجَرٍ مثلِه، فوزَنها، حتى سأل الخَضِرَ فَوَضَعَ قُبالَه حَجَرًا، وجعل عليه حَفْنَةً مِن ترابٍ فرَجَحَ به، وقال: هذا مَثَلُ ابنِ آدمَ لا يَشْبَعُ حتى يوارَى بالتُّرابِ. فسَجَدَ له العلماءُ تكريمًا له وإعْظامًا. واللَّهُ أعلمُ.

ثم ذَكَر تعالى أنَّه حَكَّمه[٤] فى أهلِ تلك الناحيةِ ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ أى؛ فيجتمعُ عليه عذابُ الدُّنيا والآخرةِ، وبدأ بعذابِ الدُّنيا؛ لأنَّه أَزْجَرُ عندَ الكافرِ ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً

(١ - ١) ليس فى الأصل، ص.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٣٤٦- ٣٥١.

(٣) فى تاريخ دمشق: «زيافيل».

(٤) فى ص: «حكمهم». وفى م: «حكم».

ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ فبدأ بالأَهَمِّ وهو ثوابُ الآخرةِ، وعطَف عليه الإحسانَ منه إليه، وهذا هو العَدْلُ والعِلمُ والإيمانُ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أى؛ سَلَكَ طريقًا راجِعًا مِن المَغْرِبِ إلى المَشْرِقِ، فيُقالُ: إنَّه رَجَعَ فى ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أى؛ ليس لهم بُيُوتٌ ولا أَكْنانٌ يَسْتَتِرُون بها مِن حَرِّ الشَّمْسِ. قال كثيرٌ مِن العلماءِ: ولكنْ كانوا يَأْوُون، إذا اشتدَّ عليهم الحَرُّ، إلى أسْرابٍ قد اتَّخَذُوها فى الأرْضِ، شِبْهِ القبورِ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ أى؛ ونحنُ نعلمُ ما هو عليه ونَحْفَظُه ونَكْلَؤُه بحراسَتِنا فى مسيرِه ذلك كلِّه مِن مغارِبِ الأَرْضِ إلى مشارِقِها.

وقد رُوِىَ عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وابنِه عبدِ اللَّهِ، وغيرِهما مِن السَّلَفِ، أَنَّ ذا القَرْنَيْنِ حَجَّ ماشِيًا، فلما سَمِعَ إبراهيمُ الخليلُ بقدُومِه، تَلَقَّاه، فلمَّا اجْتَمَعا، دعا له الخليلُ ووصَّاه بوصايا، ويُقالُ: إنه جِىءَ بِفَرَسٍ ليَرْكَبَها فقال: لا أركبُ فى بَلَدٍ فيه الخليلُ. فسَخَّرَ اللَّهُ له السَّحابَ، وبَشَّرَه إبراهيمُ بذلك، فكانت تَحْمِلُه إذا أَرَادَ[1].

قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ يَعْنِى غُتْمًا[2]. فيُقالُ: إنَّهم هم التُّرْكُ، أبناءُ عمِّ يأجوجَ ومأجوجَ، فذَكَرُوا له أَنَّ هاتَيْنِ القَبيلَتَيْنِ قد تَعَدَّوْا عليهم وأَفْسَدُوا فى بلادِهم، وقَطَعُوا السُّبُلَ عليهم، وبذلُوا له حِمْلًا، وهو الخَرَاجُ على

---

(١) روى معنى هذا، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٤٠، ٣٤١ عن عبيد بن عمير وابنه، من طرق متعددة.

(٢) غُتْم جمع أغتم؛ وهو الذى لم يفصح لعجمة فى منطقه.

أَن يُقِيمَ بينَهم وبينَهم حاجِزًا يمنعُهم مِن الوصولِ إليهم ، فامتنع مِن أَخْذِ الخَرَاجِ ؛ اكْتِفاءً بما أعطاه اللَّهُ مِن الأَموالِ الجزيلةِ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ ثُم طلَب مِنهم أَن يَجْمَعُوا له رِجالًا وآلاتٍ ، ليبنىَ [١/٢٧٨ظ] بينَهم وبينَهم سَدًّا ، وهو الرَّدْمُ بينَ الجَبَلَيْنِ ، وكانوا لا يستطيعون الخروجَ إليهم إلا مِن بينِهما ، وبَقِيَّةُ ذلك بحارٌ مُغْرِقَةٌ ، وجبالٌ شاهِقةٌ ، فبناه ، كما قال تعالى ، مِن الحديدِ والقِطْرِ ، وهو النُّحاسُ المذَابُ . وقيل : الرَّصاصُ . والصَّحيحُ الأَوَّلُ ، فجعَل بَدَلَ اللَّبِنِ حديدًا وبَدَلَ الطِّينِ نُحاسًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أى ؛ يَعْلُوا عليه بسلالِمَ ولا غيرِها ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أى ؛ بمعاوِلَ ، ولا فؤوسٍ ولا غيرِها ، فقابلَ الأَسْهَلَ بالأَسْهَلِ ، والأشدَّ بالأَشَدِّ ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ أى ؛ قَدَّرَ اللَّهُ وجودَه ، ليكونَ رَحْمَةً مِنه بعبادِه أن يَمْنَعَ بسببِه عُدْوانَ هؤلاءِ القومِ على مَن جاوَرَهم فى تلك المحِلَّةِ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أى ؛ الوقْتُ الذى قَدَّرَ اللَّهُ خروجَهم على النَّاسِ فى آخرِ الزمانِ ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ أى ؛ مساوِيًا للأَرْضِ ولا بُدَّ مِن كَوْنِ هذا ، ولهذا قال : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] . ولذا قال هـهنا : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ يَعْنى يومَ فَتْحِ السَّدِّ ، على الصحيحِ ، ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ وقد أَوْرَدْنا الأَحاديثَ المَرْوِيَّةَ ، (١) فى خروجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ فى « التفسيرِ »(٢) ، وسنُورِدُها ، إن شاءَ اللَّهُ(١) فى كتابِ « الفِتَنِ والملاحِمِ » مِن كتابِنا هذا ، إذا انتهَيْنا إليه ، بحَوْلِ اللَّهِ وقوتِه ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) التفسير من ١٩٢- ١٩٤.

وحُسْنِ توفيقِه، ومعونَتِه، وهدايتِه.

قال أبو داودَ الطَّيَالِسِيُّ، عن الثَّوْرِيِّ: بلَغَنا أَنَّ أَوَّلَ مَن صافحَ، ذو القَرْنَيْنِ. ورُوِىَ عن كعبِ الأَحْبارِ أنَّه قال لمعاويةَ: إنَّ ذا القَرْنَيْنِ لمَّا حَضَرَتْه الوفاةُ أَوْصَى أُمَّه؛ إذا هو مات أن تَصْنَعَ طعامًا، وتَجْمَعَ نِساءَ أهلِ المدينةِ، وتَضَعَه بينَ أيدِيهِنَّ، وتَأْذَنَ لهنَّ فيه، إلَّا مَن كانت ثَكْلَى، فلا تأْكُلْ منه شيئًا، فلمّا فَعَلَتْ ذلك، لم تَضَعْ واحدةٌ مِنهنَّ يَدَها فيه، فقالتْ لهنَّ: سُبْحانَ اللَّهِ! كُلُّكُنَّ ثَكْلَى! فقُلْنَ: إى واللَّهِ ما مِنَّا إلَّا مَن أُثْكِلَتْ. فكان ذلك تَسْلِيةً لأُمِّه[1].

وذكر إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ، عن بَعضِ أَهْلِ الكتابِ، وصيَّةَ ذى القرنَيْنِ، ومَوْعِظَتَه أُمَّه مَوْعِظَةً بَليغةً طويلةً، فيها حِكَمٌ وأمورٌ نافعةٌ، وأنَّه مات وعمْرُه ثلاثةُ آلافِ سنةٍ، وهذا غريبٌ.

قال ابنُ عساكرَ[3]: وبلغنى مِن وجهٍ آخرَ أنه عاش سِتًّا وثَلاثينَ سنةً، وقيل: كان عُمْرُه ثِنْتَيْنِ وثلاثين سنةً، وكان بعدَ داودَ بِسَبْعِمائةِ سنةٍ وأربعين سنةً، وكان بعدَ آدمَ بخمسةِ آلافٍ ومِائةٍ وإحْدى وثمانينَ[4] [١/٢٧٩و] سنةً، وكان مُلْكُه ستَّ عَشْرَةَ سنةً. وهذا الذى ذَكَره إنَّما يَنطبقُ على إسكندرَ الثانى لا الأوَّلِ، وقد خلَط فى أوَّلِ الترجمةِ وآخرِها بينَهما[5]، والصَّوابُ التَّفْرِقَةُ كما ذَكَرْنا، اقتداءً بجماعةٍ مِن الحُفَّاظِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق ١٧/٣٥٩ من طريق إسحاق بن بشر به.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٦١.

(٤) فى ص: «وثلاثين».

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٠، ١٦/ ٣٦١.

وممَّن جعلَهما واحدًا الإمامُ عبدُ المَلِكِ بنُ هشامٍ، راوى السيرةِ، وقد أَنْكَرَ ذلك عليه الحافظُ أبو القاسمِ السُّهَيْلِيُّ، رَحِمه اللَّهُ، إنْكَارًا بليغًا، ورَدَّ قولَه رَدًّا شَنِيعًا، وفَرَّقَ بينَهما تفريقًا جيدًا، كما قَدَّمْنا. قال: ولعلَّ جماعةً مِن الملوكِ المتقدِّمِين، تَسَمَّوْا بذى القرنَيْنِ تَشَبُّهًا بالأَوَّلِ[1]. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) انظر الروض الأنف ٣/ ١٨٠.

ذِكْرُ أُمَّتَىْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ وصفاتِهم، وما ورَد مِن أخبارِهم، وصفةِ السَّدّ

هم مِن ذُرِّيَّةِ آدمَ بلا خلافٍ نعلمُه، ثُم الدَّليلُ على ذلك، ما ثبَت فى «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِن طريقِ الأَعْمَشِ، عن أبى صالحٍ، عن أبى سعيدٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يقُولُ اللَّهُ تَعَالى يومَ القِيامَةِ: يا آدَمُ، قُمْ فابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ مِن ذُرِّيَّتِكَ. فيقُولُ: يا ربِّ، وما بَعْثُ النَّارِ؟ فيقُولُ: مِن كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمائةٍ وتِسْعةٌ وتِسْعون إلى النَّارِ، وواحِدٌ إلى الجَنَّةِ. فحينَئِذٍ يَشيبُ الصَّغِيرُ، وتضعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وما هُمْ بِسُكارَى، ولكنَّ عذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أَيُّنا ذلكَ الواحدُ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْشِرُوا؛ فإنَّ مِنكُم واحدًا، وَمِن يأجوجَ ومَأْجُوجَ أَلْفًا». وفى روايةٍ[2]: فقال: «أَبْشِرُوا؛ فإنَّ فيكم أُمَّتَيْنِ؛ ما كَانتَا فى شَىْءٍ إلَّا كَثَّرَتاه - أَى غَلَبَتَاه - كَثْرَةً». وهذا يَدُلُّ على كَثْرَتِهم، وأنَّهم أَضْعافُ النَّاسِ مِرارًا عَديدةً. ثم هُمْ مِن ذرِّيَّةِ نوحٍ؛ لأنَّ اللَّهَ تَعالى أَخْبَر أَنَّه استجابَ لعبدِه نوحٍ فى دعائِه على أَهْلِ الأَرضِ بقولِه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ

---

(١) البخارى (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣). مسلم (٢٢٢).

(٢) الترمذى (٣١٦٩). النسائى فى الكبرى (١١٣٤٠). صحيح (صحيح الترمذى ٢٥٣٤).

دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ [العنكبوت: ١٥]. وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]. وتَقَدَّمَ فى الحديثِ المَرْوِىِّ فى «المسندِ» و«السُّنَنِ»[(١)]: أنَّ نُوحًا وُلِدَ له ثلاثةٌ؛ وهم سامُ، وحامُ، ويافثُ، فسامُ أبو العَرَبِ، وحامُ أبو السُّودانِ، ويافثُ أبو التُّرْكِ، فَيَأْجوجُ ومَأْجوجُ طائفةٌ مِن التُّرْكِ، وهم مَغْلُ المَغُولِ، وهم أَشدُّ بَأْسًا وأكثرُ فسادًا مِن هؤلاءِ، ونِسْبتُهم إليهم كنسبةِ هؤلاءِ إلى غيرِهم. وقد قيلَ: إنَّ التُّرْكَ، إنَّما سُمُّوا بذلك، حينَ بنَى ذو القرنَيْنِ السَّدَّ[(٢)]، وأَلْجَأَ يأجوجَ ومأجوجَ إلى ما وراءَه، فبقِيَتْ منهم طائفةٌ لم [(٣)]يكنْ عندَهم كفسادِهم[(٣)] فتُرِكُوا مِن ورائِه. فلهذا قيل لهم: التُّرْكُ.

ومَن زعَمَ [١/٢٧٩ظ] أَنَّ يأجوجَ ومأجوجَ خُلِقُوا مِن نُطْفةِ آدمَ حينَ احتلمَ، فاختلطَتْ بترابٍ، فخُلِقُوا مِن ذلك، وأنَّهم ليسوا مِن حَوّاءَ، فهو قولٌ حكاه الشيخُ أبو زكريَّا النواوِىُّ، فى «شرحِ مُسلمٍ» وغيرِه[(٤)]، وضَعَّفوه، وهو جديرٌ بذلك؛ إذ لا دليلَ عليه، بل هو مخالفٌ لِمَا ذَكَرْناه؛ مِن أنَّ جميعَ النَّاسِ اليومَ مِن ذُرِّيَّةِ نوحٍ، بنصِّ القرآنِ. وهكذا مَن زعم أنَّهم على أَشْكالٍ مختلِفةٍ وأطوالٍ مُتَبايِنَةٍ جدًّا؛ فمِنهم مَن هو كالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ، ومِنهم مَن هو غايةٌ فى القِصَرِ، ومنهم مَن يَفْتَرِشُ أُذُنًا مِن أُذُنَيْه ويَتَغَطَّى بالأُخْرَى، فكلُّ هذه أقوالٌ بلا دليلٍ، ورَجْمٌ بالغيبِ بِغيرِ بُرْهانٍ.

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٦٩. وأخرجه كذلك الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٩. والترمذى (٣٢٣٠، ٣٢٣١، ٣٩٣١). ضعيف (ضعيف الترمذى ٨٢٦).

(٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) فى ص: «تكن عندهم لفسادهم».

(٤) شرح مسلم ٣/ ٩٨.

والصحيحُ، أنَّهم مِن بنى آدمَ وعلى أشْكَالِهم وصفاتِهم. وقد قال النبىُّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدمَ وطُولُه سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُم لم يَزَلِ الخلقُ يَنْقُصُ حتى الآنَ»[1]. وهذا فَيْصَلٌ فى هذا البابِ وغيرِه. وما قيل مِن أنَّ أَحَدَهم لا يموتُ حتى يَرَى مِن ذُرِّيَّتِه ألفًا، فإن صَحَّ فى خَبَرٍ قُلْنا به، وإلَّا فلا نَرُدُّه، إذ يحْتَمِلُه العقلُ، والنَّقْلُ أيضًا قد يُرشِدُ إليه. واللَّهُ أعلمُ. بل قد ورَد حديثٌ مُصَرِّحٌ بذلك، إن صَحَّ؛ قال الطبرانىُّ[2]: حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ العبّاسِ الأَصْبَهَانِىُّ، حدَّثنا أبو مسعودٍ أحمدُ بنُ الفُراتِ، حدّثنا أبو داودَ الطيالِسِىُّ، حدثنا المُغِيرَةُ عن مُسلمٍ، عن أبى إسحاقَ، عن وَهْبِ بنِ جابرٍ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرٍو، عن النبىِّ ﷺ قال: «إنَّ يَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، ولو أُرْسِلُوا لَأَفْسَدُوا على النَّاسِ معائِشَهُم، ولَن يَمُوتَ مِنهم رَجُلٌ إلَّا ترَك مِن ذُرِّيَّتِه أَلْفًا فَصَاعِدًا. وإنَّ مِن ورائِهم ثَلاثَ أُمَمٍ؛ تاويلَ، وتاريسَ، ومنسكَ». وهو حديثٌ غريبٌ جدًّا، وإسنادُه ضعيفٌ. وفيه نَكَارةٌ شديدةٌ. وأمّا الحديثُ الذى ذَكَره ابنُ جريرٍ فى «تاريخِه»[3]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذهَب إليهم لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ، فدعاهُم إلى اللَّهِ فامْتنعُوا مِن إجابتِه ومُتابَعَتِه، وأنَّه دعا تلكَ الأُمَمَ التى هناك؛ تاريسَ، وتاويلَ، ومنسكَ، فأجابوه، فهو حديثٌ مَوْضوعٌ اختلَقَه أبو[4] نُعيمٍ عمرُ[5] بنُ

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٢١٥.

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٦، وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وقد قال المصنف - رحمه الله - فى الفتن والملاحم ١/ ١٥٤: وقد يكون من كلام عبد الله بن عمرو من الزاملتين، والله أعلم.

قلت: يعنى الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك، وكانتا محملتين بكتب من أهل الكتاب.

(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٧٠.

(٤) فى الأصل: «ابن».

(٥) فى الأصل، ح، م: «عمرو»، وانظر الكامل لابن عدى ٥/ ١٦٨٣.

الصُّبْحِ ، أحدُ الكذَّابين الكِبارِ ، الذين اعترفوا بِوَضْعِ الحديثِ . واللَّهُ أعلمُ .

فإن قيلَ : فكيفَ دَلَّ الحديثُ المتفقُ عليه[1] أنَّهم فِداءُ المؤمِنِين يومَ القِيامةِ ، وأنَّهم فى النَّارِ ، ولم يُبْعَثْ إليهم رُسُلٌ ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]؟ فالجوابُ أنَّهم لا يُعَذَّبون إلا بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليهم ، والإعْذارِ إليهم ، كما قال تعالى [١/٢٨٠و] : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . فإن كانوا فى الزَّمَنِ الذى قبلَ بَعْثةِ محمدٍ ﷺ قدْ أتَتْهم رُسُلٌ منهم ، فقد قامتْ على أولئك الحُجَّةُ ، وإنْ لم يكنْ قد بَعَثَ اللَّهُ إليهم رُسُلًا ، فهم فى حُكمِ أهْلِ الفَتْرَةِ ، ومَن لم تَبْلُغْه الدَّعْوَةُ . وقد دَلَّ الحديثُ المرويُّ مِن طُرُقٍ ، عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّ مَنْ كَانَ كذلك يُمْتَحَنُ فى عَرَصَاتِ القِيامَةِ ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِىَ ، دَخَلَ الجنَّةَ ، ومَنْ أَبَى ، دَخَلَ النَّارَ . وقد أَوْرَدْنا الحديثَ بطُرقِهِ وألفاظِه ، وكلامِ الأئمةِ عليه [2]فى تَفْسِيرِنا[2][3] عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . وقد حَكاه الشيخُ أبو الحسنِ الأَشْعَرِىُّ إجماعًا عن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ، وامْتِحانُهم لا يَقْتَضِى نجاتَهم ، ولا يُنَافى الإخْبارَ عنهم بأنَّهم مِن أهلِ النَّارِ ؛ لأنَّ اللَّهَ يُطْلِعُ رسولَه ﷺ ، على ما يشاءُ مِن أَمْرِ الغَيْبِ ، وقد أَطْلَعَه على أَنَّ هؤلاءِ مِن أهلِ الشَّقَاءِ ، وأَنَّ سجاياهم تَأْبَى قَبُولَ الحقِّ والانقيادَ له ، فهُم لا يُجِيبُون الدَّاعِىَ[4] يومَ القيامةِ ، فَيُعْلَمُ مِن هذا أَنَّهم كانوا أَشَدَّ تَكْذِيبًا للحقِّ فى الدُّنيا لو بَلَغَهم

---

(١) هو حديث بعث النار ، الذى تقدم ص ٥٥٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، م ، ص .

(٣) انظر الحديث بطرقه وألفاظه فى التفسير ٥/٥٠ - ٥٤.

(٤) بعد هذا فى م ، ص : « إلى » .

فيها ؛ لأَنَّ فى عَرَصَاتِ القيامةِ يَنقادُ خَلْقٌ مِمَّن كانِ مُكَذِّبًا فى الدُّنيا ، فإيقاعُ الإيمانِ هناكَ ؛ لِمَا يشاهَدُ مِن الأهْوالِ ، أَوْلى وأَحْرَى منه فى الدُّنيا . واللَّهُ أعلمُ . كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم : ٣٨] . [1] وأمَّا الحديثُ الذى فيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعاهم ليلةَ الإسراءِ فلم يُجِيبُوا ، فإنَّه حديثٌ مُنْكَرٌ ، بل موضوعٌ ، وَضَعَه عمرُ[2] بنُ الصُّبْحِ[1] .

وأمَّا السَّدُّ فقد تَقَدَّمَ[3] أنّ ذا القَرْنَيْنِ بناه مِن الحديدِ والنُّحاسِ ، وساوى به الجبالَ الصُّمَّ الشامخاتِ الطِّوالَ ، فلا يُعْرَفُ على وَجْهِ الأَرضِ بناءٌ أجلُّ منه ، ولا أَنْفَعُ للخلقِ منه ، فى أَمْرِ دنياهُم . قال البخاريُّ : وقال رجلٌ للنبىِّ ﷺ : رأيتُ السَّدَّ . قال : « وكَيْفَ رَأَيْتَه ؟ » قال : مِثْلَ البُرْدِ المُحَبَّرِ . فقالَ : « رَأَيْتَهُ »[4] . هَكَذَا ذَكَرَه البخاريُّ مُعَلَّقًا بصيغةِ الجَزْمِ[5] ، ولم أَرَه مُسْنَدًا مِن وجهٍ مُتَّصِلٍ أَرْتَضِيه ، غيرَ أنَّ ابنَ جريرٍ رَواه فى « تفسيرِه » مُرْسَلًا[6] فقال : حَدَّثنا بِشْرٌ ، حَدَّثنا يزيدُ ، حَدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قال : ذُكِرَ لنا أَنَّ رَجُلًا قال : يا رسولَ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ح ، م : « عمرو » ، وراجع حاشية (٥) ص ٥٥٤ .

(٣) فى صفحة ٥٤٩ .

(٤) فى البخارى : « قد رأيته » .

(٥) الفتح ٦/ ٣٨١. وقال ٦/ ٣٨٦: وصله ابن أبى عمر ، من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ، عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ ... وقال فى تغليق التعليق ٤/ ١٢ تعليقًا على هذا الإسناد : هذا إسناد صحيح إلى قتادة ، فإن كان سمعه من هذا الرجل فهو صحيح ؛ لأن عدم معرفة اسم الصحابى لا يضر عند الجمهور . وانظر طرقه الموصولة فى التغليق ٤/ ١٢ - ١٣.

(٦) تفسير الطبرى ١٦/ ٢٣.

اللَّهِ ، قد رأيتُ سَدَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ . قال : « انْعَتْهُ لى » . قال : كالبُرْدِ المُحَبَّرِ ، طريقَةٌ سوداءُ وطريقَةٌ حمراءُ . قال : « قَدْ رَأَيْتَهُ » .

وقد ذُكِر[1] أنَّ الخليفةَ الواثِقَ بَعَثَ رُسُلًا مِن جِهَتِهِ ، وكَتَبَ لهم كُتُبًا إلى الملوكِ يُوصِلُونهم مِن [١/٢٨٠ظ] بلادٍ إلى بلادٍ حتى يَنْتَهُوا إلى السَّدِّ ، فيَكْشِفُوا عن خَبَرِه ، ويَنْظُرُوا كيفَ بناه ذو القَرْنَيْنِ ، وعلى أىِّ صِفَةٍ ، فلمَّا رَجَعُوا أَخْبَرُوا عن صِفَتِه ، وأَنَّ فيه بابًا عظيمًا وعليه أَقْفَالٌ ، وأَنَّه بِناءٌ مُحْكَمٌ شاهقٌ مُنيفٌ جدًّا ، وأَنَّ بَقِيَّةَ اللَّبِنِ الحديدِ والآلاتِ فى بُرْجٍ هناك ، وذَكَرُوا أَنَّه لا يزالُ هناك حَرَسٌ لتلك الملوكِ المُتاخِمَةِ لتلك البلادِ ، ومَحَلَّتُه[2] فى شَرْقِىِّ الأَرْضِ فى جِهَةِ الشَّمالِ ، فى زاوِيَةِ الأرضِ الشَّرقيَّةِ الشَّماليَّةِ . ويُقالُ : إنَّ بلادَهم متَّسِعَةٌ جدًّا ، وإنهم يَقْتاتُون بأصنافٍ مِن المعايشِ ، مِن حِراثَةٍ ، وزِراعةٍ ، واصطيادٍ مِن البَرِّ ومِن البحرِ ، وهم أُمَمٌ وخَلْقٌ لا يَعْلَمُ عددَهم إلَّا الذى خَلَقهم . فإنْ قيلَ : فما الجَمْعُ بينَ قولِه تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف : ٩٧] . وبينَ الحديثِ الذى رواه البخارىُّ ومسلمٌ[3] عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ أُمِّ المؤمِنِين ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، قالت : اسْتَيْقَظَ رسولُ اللَّهِ ﷺ من نومٍ ، مُحْمَرًّا وَجْهُهُ ، وهو يقولُ : « لا إِلَهَ إلا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذه » . وحَلَّقَ تِسْعِينَ . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟! قال : « نَعَمْ ، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ » . وأخرجاه فى « الصَّحيحَيْنِ »[4] ، مِن حديثِ وُهَيْبٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، عن أبى

---

(١) التفسير ٥/ ١٩٣.
(٢) فى الأصل : « ونحلته » .
(٣) البخارى (٣٣٤٦) . ومسلم (٢٨٨٠) .
(٤) البخارى (٣٣٤٧) . مسلم (٢٨٨١) .

هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ، مِثْلُ هذه » . وَعَقَدَ تِسْعِينَ ؟ فالجوابُ ؛ أمَّا على قولِ مَن ذَهَبَ إلى أَنَّ هذا إشارةٌ إلى فَتْحِ أبوابِ الشرِّ والفِتَنِ ، وأنَّ هذا استعارةٌ مَحْضَةٌ وضَرْبُ مَثَلٍ ، فلا إشكالَ . وأمَّا على قَوْلِ مَن جَعَلَ ذلك إخْبارًا عن أمْرٍ محسوسٍ ، كما هو الظَّاهِرُ المُتَبَادَرُ ، فلا إشكالَ أيضًا ؛ لأَنَّ قَوْلَه : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أى ؛ فى ذلك الزَّمانِ ، لأن هذه صيغةُ خبرٍ ماضٍ ، فلا يَنْفِى وُقُوعَه فيما يُسْتَقْبَلُ بإذنِ اللَّهِ لهم فى ذلك قَدَرًا ، وتسليطَهم عليه[1] بالتَّدْريجِ قليلًا قليلًا ، حتى يَتِمَّ الأجلُ ويَنْقَضِىَ الأَمَدُ[2] المقدورُ ، فيَخْرُجون ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] . ولكنَّ الحديثَ الآخرَ أَشْكَلُ مِن هذا ، وهو ما رَواه الإمامُ أحمدُ فى « مسنَدِه »[3] قائلًا : حدَّثنا رَوْحٌ ، حَدَّثنا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ ، عن قَتادةَ ، حَدَّثنا أبو رافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إذا كادوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِى عَلَيْهِم : ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا . فَيَعُودُونَ [١/٢٨١و] إلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ ، حَتَّى إذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ ، حَفَرُوا حَتَّى إذا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِى عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا ، إنْ شَاءَ اللَّهُ . وَيَسْتَثْنِى ، فَيَعُودُونَ إلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ[4] حِينَ[5] تَرَكُوهُ ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجونَ

---

(١) فى ص : « عليهم » .
(٢) فى ح ، م : « الأمر » .
(٣) المسند ٢/ ٥١٠، ٥١١. صحيح (السلسلة الصحيحة ١٧٣٥) .
(٤) فى الأصل ، ح ، م : « كهيئة » .
(٥) فى النسخ : « يوم » . والمثبت من المسند .

على النَّاسِ فَيَنْشِفُونَ[1] المِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ منهم[2] فى حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وعليها كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فيقولُونَ: قَهَرْنا أَهْلَ الأَرْضِ، وعَلَوْنا أَهْلَ السَّماءِ. فَيَبْعَثُ اللَّهُ [3]عليهم نَغَفًا[3] فى أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا». قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ[4] شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِم وَدِمَائِهِم». ورَواه أحمدُ أيضًا[5] عن حسنِ بنِ موسى، عن شَيْبانَ[6]، عن قَتادةَ به[7]. وهكذا رَواه ابنُ ماجَهْ مِن حديثِ سعيدٍ[8]، عن قتادةَ، إلَّا أَنَّه قال: حَدَّثَ[9] أبو رافعٍ. ورواه التِّرْمِذِىُّ مِن حديثِ أبى عَوَانَةَ[10]، عن قَتادةَ به. ثم قال: غريبٌ لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوَجْهِ. فقد أَخْبَرَ فى هذا الحديثِ، أَنَّهم [11]كلَّ يومٍ[11] يَلْحَسُونه، حتى كادُوا يَنْظُرُون[12] شُعاعَ الشَّمْسِ مِن ورائِه؛ لرِقَّتِهِ، فإنْ لم يكُنْ رَفْعُ هذا الحديثِ محفوظًا، وإنَّما هو مأخُوذٌ عن كَعْبِ الأحبارِ، كما قاله بعضُهم[13]، فقد استَرَحْنا مِن المؤُونَةِ، وإنْ كان محفوظًا فيكونُ محمولًا على أَنَّ صَنِيعَهم[14] هذا يكونُ فى آخرِ الزَّمَانِ

---

(١) فى م: «فيستقون». وفى ص: «فيسقون». ويَنشِفُون: يشربون.
(٢) سقط من: ح، م.
(٣ - ٣) فى الأصل: «بعثا».
(٤) بعد هذا فى النسخ: «وتشكر». وليست فى المسند. وشكرت الدابة شُكرًا: أصابت مرعى فسمنت عليه. الوسيط (ش ك ر).
(٥) المسند ٢/٥١١.
(٦) فى النسخ: «سفيان». والمثبت من المسند. وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٢، ٥٩٣.
(٧) سقط من: ح.
(٨) ابن ماجه (٤٠٨٠). صحيح (صحيح ابن ماجه ٣٢٩٨).
(٩) فى ح، م: «حديث».
(١٠) الترمذى (٣١٥٣). صحيح (صحيح الترمذى ٢٥٢٠).
(١١ - ١١) سقط من: الأصل.
(١٢) فى م: «ينذرون».
(١٣) انظر التفسير ٥/ ١٩٤.
(١٤) فى م: «ضيعهم».

عندَ اقترابِ خروجِهم، كما هو المَرْوِيُّ عن كعبِ الأَحْبَارِ، أو يكونُ المرادُ بقولِه: ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أى؛ نافِذًا منه، فلا يَنْفِى أن يَلْحَسُوه ولا يَنْفُذُوه. واللَّهُ أعلمُ. وعلى هذا فيُمْكِنُ الجمعُ بينَ هذا وبينَ ما فى «الصحيحَيْن» عن أبى هريرَةَ، رَضِى اللَّهُ عنه: «فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مثلُ هذه» وعَقَد تِسْعِينَ. أى؛ فُتِحَ فُتْحًا نافذًا فيه. واللَّهُ أعلمُ.

قِصّةُ أصحابِ الكَهْفِ

قال الله تعالى[1] : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ [١/٢٨١ظ] لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟

---

(١) التفسير ١٣٤/٥ - ١٤٧.

أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ
مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا
عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ
أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم
مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٩- ٢٦].

كان سببُ نزولِ قِصَّةِ أَصْحابِ الكَهْفِ، وخبرِ ذى القَرْنَيْنِ، ما ذكره محمدُ بنُ إسحاقَ، فى «السيرةِ» وغيرُه[1]، أنّ قريشًا بَعَثُوا إلى اليهودِ يَسْأَلُونهم عن أشياءَ يَمْتَحِنُون بها رسولَ اللَّهِ ﷺ، ويسألونَه عنها؛ ليَخْتَبِرُوا ما يُجِيبُ به فيها، فقالوا: سَلُوه عن أقوامٍ ذَهَبُوا فى الدَّهْرِ فلا يُدْرَى ما صَنَعُوا، وعن رجلٍ طَوّافٍ فى الأَرْضِ وعن الرُّوحِ. فأنزلَ اللَّهُ تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥]. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ وقال ههنا: ﴿أَمْ

(١) تقدم تخريجه ص ٥٤٢ حاشية (٤).

حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ أى؛ ليسوا بِعَجَبٍ عظيمٍ [٢٨٢/١و] بالنسبةِ إلى ما أَطْلَعْنَاكَ عليه مِن الأَخبارِ العظيمةِ، والآياتِ الباهرةِ والعجائبِ الغريبةِ. والكَهْفُ هو الغارُ فى الجبلِ. قال شُعَيْبٌ الجَبَائِىُّ[1]: واسمُ كَهْفِهِم حيزمُ. وأما الرَّقِيمُ، فعن ابنِ عباسٍ، أنه قال: لا أَدْرِى ما المرادُ به. وقيل: هو الكتابُ المرقومُ فيه أسماؤُهم وما جَرَى لهم، كُتِبَ مِن بعدِهم. اختارَه ابنُ جريرٍ وغيرُه. وقيل: هو اسمُ الجبلِ الذى فيه كَهْفُهُم. قال ابنُ عباسٍ، وشعيبٌ الجَبَائِىُّ: واسمُه بناجلوسُ. وقيل: هو اسمُ وادٍ[2] عندَ كَهْفِهم. وقيل: اسمُ قريةٍ هنالك. واللَّهُ أعلمُ.

قال شعيبٌ الجَبَائِىُّ: واسمُ كَلْبِهم حُمرانُ[3]. واعتناءُ اليهودِ بأمرِهم ومَعْرِفةِ خبرِهم، يدلُّ على أَنَّ زمانَهم متقدِّمٌ على ما ذَكَرَه بعضُ المفسِّرين أَنَّهم كانوا بعدَ المسيحِ، وأنَّهم كانوا نصارَى. والظاهرُ مِن السياقِ أنَّ قومَهم كانوا مُشْرِكِين يَعْبُدُون الأَصْنامَ. قال كثيرٌ مِن المفسِّرين والمؤرِّخِين وغيرِهم: كانوا فى زمَنِ مَلِكٍ يُقَالُ له: دقيانوسُ. وكانوا مِن أبناءِ الأَكابِرِ. وقيل: من أبناءِ المُلوكِ. واتَّفَقَ اجتماعُهم فى يومِ عيدٍ لقومِهم فَرَأَوْا ما يتعاطاه قومُهم، مِن السُّجودِ للأصنامِ والتعظيمِ للأَوثانِ، فنظروا بعينِ البصيرةِ، وكَشَفَ اللَّهُ عن قلوبِهم حِجابَ الغَفْلَةِ، وأَلْهَمَهُم رُشْدَهُم، فعَلِمُوا أَنَّ قَوْمَهم ليسوا على شَىْءٍ، فخرجوا عن دينِهم، وانتمَوْا إلى عبادةِ اللَّهِ، وحدَه لا شريكَ له. ويُقالُ: إنَّ كلَّ واحدٍ منهم لمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ فى نفسِه ما هداه إليه من التَّوْحيدِ، انحازَ عن

---

(١) تفسير الطبرى ١٥/ ١٩٩، والتفسير ٥/ ١٣٥.

(٢) فى ص: «واحد».

(٣) تفسير الطبرى ١٥/ ١٩٩. والتفسير ٥/ ١٣٥.

الناسِ ، واتَّفَقَ اجتماعُ هؤلاءِ الفِتيةِ فى مكانٍ واحدٍ ، كما صحَّ فى البخارىِّ[1] « الأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائْتَلَفَ ، وما تناكَرَ مِنها اخْتَلَفَ » . فكلٌّ منهم سأل الآخرَ عن أَمْرِه وعن شَأْنِه ، فأَخْبَرَه بما هو عليْه ، واتَّفَقُوا على الانحيازِ عن قومِهم ، والتَّبَرِّى منهم ، والخروجِ مِن بينِ أَظْهُرِهم ، والفِرارِ بدِينِهم منهمِ ، وهو المشروعُ حالَ الفِتَنِ وظهورِ الشُّرورِ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ أى ؛ بدليلٍ ظاهرٍ على ما ذَهَبُوا إليه ، وصارُوا مِن الأَمْرِ عليه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أى ؛ وإذْ قد[2] فارَقْتُمُوهم فى دِينِهم وتَبَرَّأْتُم مِمّا يَعْبُدُون مِن دونِ اللَّهِ ، وذلك لأَنَّهم كانوا يُشْرِكون [٢٨٢/١ظ] [3]مع اللَّهِ[3] ، كما قال الخليلُ : ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف : ٢٦، ٢٧] . وهكذا هؤلاءِ الفتيةُ قال بعضُهم لبعضٍ[4] : إذْ قد فارقْتُم قَوْمَكم فى دِينِهم ، فاعْتَزِلُوهم بأَبْدانِكم لِتَسْلَمُوا مِنهم أن يُوَصِّلُوا إليكم شَرًّا ﴿ فَأْوُوٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ أى ؛ يُسْبِلْ عليكم سِتْرَه ، وتكونوا تحتَ حِفْظِه وكَنَفِه ، ويجعلْ عاقبةَ

---

(١) البخارى (٣٣٣٦) .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من الأصل .

(٤) سقط من : م .

أمرِكم إلى خيرٍ، كما جاء فى الحديثِ[1] : «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عاقِبَتَنا فى الأُمورِ كُلِّها، وأَجِرْنا مِن خِزْيِ الدُّنْيا، وَمِنْ عذابِ الآخِرَةِ». ثُمَّ ذَكَرَ تعالى صفةَ الغارِ الذى آوَوْا إليه، وأنَّ بَابَه مُوَجَّهٌ إلى نَحْوِ الشَّمالِ، وأَعْماقَه إلى جِهَةِ القِبْلَةِ، وذلك أنْفَعُ الأماكنِ؛ أَنْ يكونَ المكانُ قِبْلِيًّا، وبابُه نَحْوَ الشَّمالِ، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ [2]وقُرِئَ: (تَزْوَرُّ)[2] ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ فأخْبَرَ أنَّ الشَّمسَ، يَعْنى فى زَمَنِ الصَّيْفِ وأشباهِه، تُشْرِقُ أَوَّلَ طُلُوعِها فى الغارِ فى جانبِه الغَرْبِيِّ، ثُمَّ تَشْرَعُ فى الخروجِ منه قليلًا قليلًا، وهو ازْوِرارُها ذاتَ اليمينِ فتَرْتَفِعُ فى جَوِّ السَّماءِ وتَتَقَلَّصُ عن بابِ الغارِ، ثُمَّ إذا تَضَيَّفَتْ للغُروبِ، تَشْرَعُ فى الدُّخولِ فيه مِن جهتِه الشَّرْقِيَّةِ قليلًا قليلًا إلى حينِ الغُروبِ، كما هو المشاهَدُ فى مثْلِ هذا المكانِ، والحِكْمَةُ فى دخولِ الشَّمسِ إليه فى بعضِ الأَحيانِ أَنْ لا يَفْسُدَ هواؤُه ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أى؛ بقاؤُهم على هذه الصِّفَةِ دَهْرًا طويلًا مِن السِّنينَ، لا يَأْكُلُون ولا يَشْرَبُونَ، ولا تَتَغَذَّى[3] أجسادُهم فى هذه [4]المدَّةِ الطَّويلةِ[4] مِن آياتِ اللَّهِ وبُرْهانِ[5] قدرتِه العظيمةِ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ قال بعضُهم: لأَنَّ أَعْيُنَهم مفتوحةٌ؛ لئلا تَفْسُدَ بطولِ الغَمْضِ

---

(١) رواه أحمد. فى المسند ٤/ ١٨١. والطبرانى فى الكبير (١١٩٨)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٧٨: رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبرانى ثقات.

(٢ - ٢) سقط من الأصل، ص.

(٣) فى الأصل: «تعدى».

(٤ - ٤) فى الأصل: «المدد الطوال».

(٥) فى ص: «برهانه و».

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ قيل: فى كلِّ عامٍ يَتَحَوَّلون مرَّةً مِن جَنْبٍ إلى جَنْبٍ، ويُحْتَمَلُ أكثرُ مِن ذلك. فاللَّهُ أعلمُ. ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ قال شُعَيْبٌ الجَبَائِىُّ: اسمُ كَلْبِهِم حُمرانُ. وقال غيرُه: الوَصِيدُ أُسْكُفَّةُ[1] البابِ. والمرادُ أَنَّ كَلْبَهم الذى كان معهم، وصَحِبَهم حالَ انفرادِهم مِن قومِهم، لَزِمَهم ولم يَدْخُلْ معهم فى الكَهْفِ، بل رَبَضَ على بابِه ووضَعَ يَدَيْه على الوَصيدِ، وهذا من جُمْلَةِ أَدَبِه، ومن جُمْلَةِ ما أُكْرِمُوا به؛ فإنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بيتًا فيه كلبٌ، ولمَّا كانتِ التَّبَعِيَّةُ مُؤَثِّرَةً، حتَّى[2] فى كلبِ هؤلاءِ، صار باقيًا معهم ببقائِهم؛ لأَنَّ مَنْ أَحبَّ قومًا سَعِد بهم، فإذا كان هذا فى حقِّ كلبٍ فما ظَنُّك بِمَنْ تَبِع أهلَ الخيرِ وهو أهلٌ للإِكْرَامِ. وقد ذَكَرَ كثيرٌ مِن القُصَّاصِ [١/٢٨٣و] والمفسِّرين لهذا الكلْبِ نبأً وخَبرًا طويلًا، أكثرُه مُتَلَقًّى مِن الإِسْرائيليّاتِ، وكثيرٌ منها كَذِبٌ، ومِمَّا لا فائدةَ فيه، كاختلافِهم فى اسمِه ولَوْنِه.

وأمَّا اختلافُ العلماءِ فى مَحَلَّةِ هذا الكَهْفِ، فقال كثيرون: هو بأَرْضِ أَيْلَةَ. وقيل: بأَرْضِ نِينَوَى. وقيل: بالبَلْقاءِ. وقيلِ: ببلادِ الرُّومِ. وهو أَشْبَهُ. واللَّهُ أعلمُ. ولمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تعالى ما هو الأنفعُ مِن خَبَرِهم[3] والأَهمُّ مِن أمرِهم، ووَصَفَ حالَهم، حتى كأَنَّ السَّامِعَ راءٍ، والمُخْبَرَ مشاهِدٌ لِصِفَةِ كَهْفِهِم[4]، وكيفيَّتِهم فى ذلك الكهفِ وتَقَلُّبِهم مِن جَنْبٍ إلى جَنْبٍ، وأنَّ كلبَهم باسِطٌ

---

(١) الأسكفة: عتبة الباب.

(٢) سقط من الأصل، وبعدها فى م: «كان».

(٣) فى ص: «خيرهم».

(٤) بعده فى ص: «وهيئتهم».

ذِراعَيْه بالوَصِيدِ . قال : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ أى ؛ لِما عليهم مِن المهابةِ والجَلالَةِ فى أمرِهم الذى صارُوا إليه ، ولعلَّ الخِطابَ هـهنا لجِنْسِ الإنسانِ المخاطَبِ ، لا لخُصُوصِيَّةِ[1] الرّسولِ ﷺ ، كقولِه : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ [التين : ٧] أى ؛ أيُّها الإنسانُ ؛ وذلك لأَنَّ طبيعتَه البشريَّةَ تَفِرُّ مِن رُؤْيَةِ الأَشْياءِ المَهِيبَةِ غالبًا ، ولهذا قال : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ، ودَلَّ على أَنَّ الخبرَ ليس كالمعايَنَةِ ، كما جاء فى الحديثِ[2] ؛ لأَنَّ الخبرَ قد حَصَلَ ولم يَحْصُلِ الفِرارُ ولا الرُّعْبُ . ثُمَّ ذكر تعالى أنّه بعثَهم مِن رَقْدَتِهم بعدَ نَوْمِهم بثَلاثِمائةِ[3] سنةٍ وتسعِ سنينَ ، فلمّا اسْتَيْقَظُوا ، قال بعضُهم لبعضٍ : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أى ؛ بدراهِمِكم هذه ، يَعْنى التى معهم ، إلى المدينةِ ، ويقالُ : كان اسمُها دفسوسَ[4] . ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أى ؛ أطيبُ مالًا ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ أى ؛ بطعامٍ تأكُلُونه ، وهذا من زُهْدِهم وَوَرَعِهم ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أى ؛ فى دُخُولِه إليها ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴾ أى ؛ إنْ عُدْتُم فى مِلَّتِهم بعدَ إذْ أَنقذَكُمُ اللَّهُ منها ؛ وهذا كلُّه لِظَنِّهم أنَّهُم إنّما رَقَدُوا يومًا أو بَعْضَ يَوْمٍ أَوْ أَكْثَرَ مِن ذلك ، ولم يَحْسَبُوا أنَّهم قَدْ رَقَدُوا أَزْيَدَ مِن ثَلاثِمائةِ سنةٍ وقد تَبَدَّلَتِ الدُّوَلُ أَطْوارًا عديدةً ، وتَغَيَّرَتِ البلادُ ومَنْ عليها ، وذهب أولئك القَرْنُ

---

(١) فى ح ، م ، ص : « بخصوصية » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٨ حاشية (٣) .

(٣) فى الأصل : « ثلاثمائة » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى تفسير الطبرى ١٥/ ١٢٦، والكامل لابن الأثير ١/ ٣٣٥، والقرطبى ١٠/ ٣٧٥: « أفسوس » . وانظر معجم البلدان ١/ ٣٣٠.

الذين كانوا فيهم، وجاء غيرُهم وذهبُوا، وجاء غيرُهم؛ ولهذا لَمَّا خَرَج أَحدُهم، وهو تيذوسيسُ[1] فيما قيل، وجاء إلى المدينةِ مُتَنَكِّرًا؛ لئلَّا يَعْرِفَه أحدٌ مِن قومِه فيما يَحْسَبُه، تَنَكَّرتْ له البلادُ[2] واسْتَنْكَرَه مَنْ رآه مِن أَهْلِها، واسْتَغْرَبوا شَكْلَه وصِفَتَه ودراهِمَه. فيقالُ: إنَّهم حَمَلُوه إلى مُتَوَلِّيهم، وخافُوا مِن أَمْرِه أَنْ يكونَ جاسوسًا، أو تكونَ له صَوْلَةٌ[3] يَخْشَوْن [١/٢٨٣ظ] مِن مَضَرَّتِها[4]، فَيُقَالُ: إنَّه هَرَبَ منهم. ويقالُ: بل أَخْبَرَهم خبرَه ومَنْ معه، وما كان من أمرِهم، فانطلَقُوا معه ليرِيَهُم مكانَهم، فَلَمَّا قَرُبُوا مِن الكَهْفِ، دَخَلَ إلى إخْوانِه، فأَخْبَرَهم حقيقةَ أَمْرِهم، ومِقدارَ ما رَقَدُوا، فَعَلِمُوا أنَّ هذا [5]مِن قُدرةِ[5] اللَّهِ. فيُقَالُ: إنَّهم اسْتَمَرُّوا راقِدين. ويقالُ: بل ماتوا بعدَ ذلك.

وأَمَّا أهلُ البَلْدَةِ، فيقالُ: إنَّهم لم يَهْتَدُوا إلى موضِعِهم مِن الغارِ، وعَمَّى اللَّهُ عليهم أَمْرَهم. ويقالُ: لم يَسْتَطِيعُوا دخولَه حِسًّا. ويقالُ: مهابةً لهم.

واختلفوا فى أمرِهم؛ فقائلون يقولون: ﴿ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ﴾ أى؛ سُدُّوا عليهم بابَ الكَهْفِ؛ لِئَلَّا يَخْرُجُوا أَوْ لِئَلَّا يصلَ إليهم ما يُؤْذِيهم، وآخرون، وهم الغالبون على أَمْرِهم، قالوا: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ أى؛ مَعْبَدًا يكونُ مُبارَكًا لمجاورتِه هؤلاءِ[6] الصَّالحين. وهذا كان شائعًا

---

(١) فى الأصل: «تندرسيس»، وفى ح: «تيذرسيس»، والذى فى تفسير الطبرى ١٥/٢١٧، ٢١٨: يمليخا، وأن تيذوسيس اسم الملك الذى كان على المدينة حين قيامهم.

(٢) فى ص: «البلد».

(٣) فى الأصل، ح: «طوية».

(٤) فى الأصل، ح: «معرتها».

(٥ - ٥) فى الأصل، ح، م: «أمر قدره».

(٦) سقط من الأصل.

فيمَنْ كان قَبْلَنا ، فأمّا فى شَرْعِنا ، فقد ثَبَتَ فى « الصحيحَيْنِ »[1] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ والنَّصارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيائِهم مَسَاجِدَ » . يُحَذِّرُ ما فَعَلوا . وأمّا قولُه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ فمعنى أَعْثَرْنا أَطْلَعْنا على أَمْرِهم النَّاسَ . قال كثيرٌ مِن المُفَسِّرين : ليعلمَ النّاسُ أَنَّ المَعَادَ حقٌّ ، وأنّ السّاعةَ لا رَيْبَ فيها ، إذا عَلِموا أَنَّ هؤلاءِ القومَ رَقَدُوا أَزْيَدَ مِن ثلاثمائة سنةٍ ، ثُمَّ[2] قاموا ، كَمَا كانوا مِن غيرِ تَغَيُّرٍ منهم ، فإنَّ مَن أَبْقاهم كما هُم قادِرٌ على إعادةِ الأَبْدَانِ وإنْ أَكَلَتْها الدِّيدانُ ، وعلى إِحْياءِ الأَمْواتِ وإنْ صارَتْ أجْسامُهم وعِظَامُهم رُفَاتًا ، وهذا مِمّا لا يَشُكُّ فيه المؤمِنون ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] . هذا ويُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّميرِ فى قولِه : ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ ﴾ إلى أصحابِ الكَهْفِ ، إذ عِلْمُهم بذلك مِن أنفسِهم أَبْلَغُ مِن عِلْمِ غيرِهم بهم ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يعودَ على[3] الجميعِ . واللَّهُ أعلمُ . ثُمَّ قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ فذَكَر اخْتِلافَ النَّاسِ فى كَمِّيَّتِهم ، فحَكَى ثلاثةَ أَقْوالٍ وضَعَّفَ الأَوَّلَيْنِ ، وقَرَّرَ الثالثَ ، فدَلَّ على أنّه الحقُّ ؛ إذ لو قيلَ غيرُ ذلك لحكاه ، ولو لم يكنْ هذا الثالثُ هو الصَّحيحَ لوَهّاه ، فدَلَّ على ما قُلْناه ، ولَمّا كان النِّزاعُ فى مِثْلِ هذا لا طائلَ تحتَه ولا جَدْوَى عندَه ، أَرْشَدَ نبيَّه ﷺ ، إلى الأَدَبِ فى مِثْلِ هذا [١/٢٨٤و] الحالِ ، إذا

---

(١) البخارى (١٣٣٠) ، ومسلم (٥٢٩) .
(٢) فى الأصل : « و » .
(٣) فى الأصل : « إلى » .

اختلفَ النَّاسُ فيه، أَنْ يقولَ: اللَّهُ أعلمُ. ولهذا قال: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾. وقولُه: ﴿ مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ﴾ أى؛ مِن النَّاسِ ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا ﴾ أى؛ سَهْلًا، ولا تَتَكَلَّفْ إِعمالَ الجِدالِ فِى مِثْلِ هذا الحالِ، ولا تَسْتَفْتِ فى أمْرِهم أَحَدًا مِن الرِّجالِ؛ ولهذا أَبْهَمَ تعالى عِدَّتَهم فى أَوَّلِ القِصَّةِ، فقال: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ ﴾ ولو كان فى تَعْيِينِ عِدّتِهم كبيرُ فائدةٍ[1] لذَكَرَها عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ. وقولُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ أدبٌ عظيمٌ أرْشَدَ[2] اللَّهُ تعالى إليه، وحَثَّ خَلْقَه عليه، وهو ما إذا قال أحدُهم: إنِّى سأفعلُ فى المستقبلِ كذا. فيُشْرَعُ له أن يقولَ: إن شاءَ اللَّهُ. ليكونَ ذلك تحقيقًا لعَزْمِه؛ لأَنَّ العبدَ لا يعلمُ ما فى غَدٍ ولا يَدْرِى أَهَذا الذى عَزَمَ عليه مُقَدَّرٌ أمْ لا، وليس هذا الاستثناءُ تعليقًا، وإنّما هو تَحْقِيقيٌّ، ولهذا قال ابنُ عَبَّاسٍ: إنّه[3] يصحُّ إلى سَنَةٍ. ولكن قَدْ يكونُ فى بعْضِ المَحالِّ لهذا ولهذا، كما تقدَّمَ[4] فى قِصّةِ سليمانَ، عليه السّلامُ، حينَ قال: لأَطُوفَنّ الليلةَ على تسعين امرأةً، تَلِدُ كُلُّ امرأةٍ[5] مِنْهُنَّ غلامًا يُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ. فقيل له: قُلْ: إنْ شاء اللَّهُ. فلم يَقُلْ، فطافَ، فلم تَلِدْ مِنهُنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ نصفَ إنسانٍ. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «والذِى نَفْسِى بيَدِه، لَوْ قال: إن شاء اللَّهُ. لَمْ يَحْنَثْ، وكان دَرْكًا لِحاجَتِه».

---

(١) سقط من: ح.

(٢) فى م، ص: «أرشده».

(٣) سقط من: م.

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٣٤٨.

(٥) فى م: «واحدة».

وقولُه: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾. وذلك لأَن النِّسْيانَ قد يكونُ مِن الشَّيطانِ، فذِكْرُ اللَّهِ يَطْرُدُه عن القَلْبِ، فيَذْكُرُ ما كان قد نَسِيَه. وقولُه: ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ أى؛ إذا اشْتَبَهَ أَمْرٌ وأَشْكَلَ حالٌ والْتَبَسَ أقوالُ الناسِ فى شىء، فارْغَبْ إلى اللَّهِ (١يُيَسِّرْه لك١)، ويُسَهِّلْهُ عليكَ، ثمَّ قال: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾. لَمَّا كان فى الإِخْبارِ بطُولِ مُدَّةِ لُبْثِهم فائدةٌ عظيمةٌ، ذَكَرَها تعالى، وهذه التِّسْعُ المَزِيدَةُ بالقَمَرِيَّةِ، وهى لتَكْميلِ ثلاثمائة شَمْسِيّةٍ، فإنَّ كُلَّ مِائةٍ قَمَرِيَّةٍ تَنْقُصُ عن الشَّمْسِيةِ ثلاثَ سنينَ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ أى؛ إذا سُئِلْتَ عن مِثْلِ هذا، وليس عندَك فى ذلك نَقْلٌ، فرُدَّ الأَمْرَ فى ذلك إلى اللَّهِ، عَزَّ وجلَّ ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى؛ هو العالِمُ بالغيبِ، فلا يُطْلِعُ عليه إلَّا مَنْ شَاء مِن خَلْقِه ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ يعنى، أنَّه يَضَعُ الأَشياءَ فى مَحَالِّها؛ لِعِلْمِه(٢) التَّامِّ بِخَلْقِه، وبِمَا يَسْتَحِقُّونه، ثُمَّ قال: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ أى؛ بل هو المُنْفَرِدُ بالمُلْكِ والمُتَصَرِّفُ فيه، وَحْدَه لا شريكَ له.

(١ - ١) فى ص: «يسرك».

(٢) فى الأصل، ص: «بعلمه».

قِصَّةُ الرجلَيْن؛ المؤمِنِ وَالكافرِ

قال اللَّهُ تعالى فى سورةِ «الكَهْفِ»، بعدَ قِصَّةِ أصحابِ الكهفِ[1]:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ [١/٢٨٤ظ] جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ۖ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٣٢- ٤٤]. قال بعضُ النَّاسِ: هذا مَثَلٌ مَضْرُوبٌ ولا يَلْزَمُ أن يكونَ واقعًا. والجمهورُ أنَّه أَمْرٌ قد وقَع، وقولُه: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ يَعْنى لِكُفَّارِ قُريشٍ،

---

(١) التفسير ١٥٣/٥ - ١٥٦.

فى عَدَمِ اجْتِماعِهم بالضُّعَفَاءِ والفقراءِ، وازْدِرائِهم بهم، وافْتِخَارِهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٣]. كما قَدَّمنا الكَلامَ على قِصَّتِهم قبلَ قصَّةِ، موسى، عليه السلامُ[1]، والمشهورُ أنَّ هذَيْنِ كانا رجلَيْنِ مُصْطَحِبَيْنِ، وكان أحدُهما مُؤْمِنًا والآخَرُ كافِرًا، ويُقالُ: إنّه كان لكلٍّ منهما مالٌ، فأنْفَقَ المؤمنُ مالَه فى طاعةِ اللَّهِ ومرضاتِه ابتغاءَ وَجْهِه، وأمّا الكافرُ فإنه اتَّخذَ له بُسْتانَيْنِ[2]، وهما الجنَّتان المذكورتان فى الآيةِ، على الصِّفَةِ والنَّعْتِ المذكورِ؛ فيهما أعْنابٌ، ونَخْلٌ تَحُفُّ تلك الأَعْنابَ، والزروعُ فى خِلَالِ[3] ذلك، والأنْهارُ سارحةٌ هٰهنا وهٰهنا للسَّقْيِ والتَّنَزُّهِ، وقد اسْتَوْسَقَتْ[4] فيهما الثِّمارُ، واضطَرَبَت فِيهما الأنهارُ، وابْتَهَجَت الزُّروعُ والثمارُ، وافْتَخَرَ مالِكُهما على صاحبِه المؤمنِ الفقيرِ قائلًا له: ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أى؛ وأَمْنَعُ[5] جَنَابًا[6]. ومرادُه أنّه خيرٌ منه، ومعناه، ماذا أَغْنَى عنك إنْفاقُك ما كُنتَ تَمْلِكُه فى الوجهِ الذى صَرَفْتَه فيه؟ كان الأَوْلَى بك أنْ تفعلَ كما فعلتُ لتكونَ مِثْلى. فافتخَرَ على صاحبِه ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ أى؛ وهو على غيرِ طريقةٍ مَرْضِيَّةٍ ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ وذلك لِمَا رأى مِن اتِّساعِ[7] أَرْضِها، وكثرةِ مائِها وحُسْنِ نباتِ [١/٢٨٥و] أَشْجارِها؛ ولو قد بادَتْ كُلُّ واحدةٍ مِن هذه

---

(١) انظر ما تقدم من ص ٨ - ١٣.

(٢) فى م: «بساتين».

(٣) سقط من: ح، م.

(٤) فى م، ص: «استوثق». واستوسق الشىء: اجتمع وانضم، الوسيط (و س ق).

(٥) فى الأصل: «أينع»، وفى ح، م: «أوسع».

(٦) فى ح، م، ص: «جنانا».

(٧) سقط من: ح.

الأشجارِ، لَاسْتَخْلَفَ مكانَها أَحْسَنَ منها، وزُرُوعُها دارَّةٌ[1] لكثرةِ مياهِها. ثم قَالَ: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ فوَثِقَ بزَهْرةِ[2] الحياةِ الدُّنيا الفانيةِ، وكَذَّبَ بوجودِ الآخرةِ الباقيةِ الدائمةِ، ثُمَّ قال: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أى؛ ولَئِنْ كان ثَمَّ آخِرَةٌ ومَعادٌ، فَلَأَجِدَنَّ هنالك خيرًا مِن هذا. وذلكَ لأَنَّه اغْتَرَّ بدُنياه، واعْتقدَ أَنَّ اللَّهَ لم يُعْطِه ذلك فيها إلَّا لحُبِّه له وحُظْوَتِه عندَه، كما قال العاصُ بنُ وائلٍ، فيما قَصَّ اللَّهُ مِن خبَرِه وخبَرِ خَبَّابِ ابنِ الأَرَتِّ فى قولِه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٧٧، ٧٨]. وقال تعالى إخبارًا عن الإنسانِ إذا أَنْعَمَ اللَّهُ عليه: ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠]. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠]. وقال قارونُ: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨]. أى؛ لعلمِ اللَّهِ فِىَّ[3] أنِّى أستَحِقُّه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]. وقد قَدَّمْنَا الكلامَ على قِصَّتِه فى أثناءِ قصةِ موسى[4]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن

---

(١) فى الأصل: «دائرة».

(٢) فى الأصل: «من هذه».

(٣) فى ح، م: «بى»، وفى ص: «ربى».

(٤) انظر ما تقدم من ص ٣٠٩ - ٣١٢.

مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]. ولَمَّا اغْتَرَّ هذا الجاهلُ بما خَوَّلَه اللَّهُ به فى الدنيا، فَجَحَدَ الآخِرَةَ، وادَّعى أَنَّها إنْ وُجِدَتْ لَيَجِدَنَّ عندَ ربِّه خيرًا مِمَّا هو فيه، وسَمِعَه صاحِبُه يقولُ ذلك ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أى؛ يُجادِلُه ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ أى؛ أَجَحَدْتَ المَعَادَ وأَنت تَعْلَمُ أنّ اللَّهَ خَلَقَك مِن ترابٍ، ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ طَوَّرَكَ[1] أَطْوارًا، حتى صِرْتَ رجلًا سَوِيًّا سَمِيعًا بَصِيرًا، تَعْلَمُ وتَبْطِشُ وتَفْهَمُ، فكيف أَنْكرتَ المَعَادَ واللَّهُ قادرٌ على البَدَاءَةِ ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ أى؛ لكنْ أنا أقولُ بخلافِ ما قُلْتَ، وأعتقِدُ خلافَ مُعْتَقَدِك ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ أى؛ لا أعبدُ سِوَاه، وأَعْتَقِدُ أَنَّه يَبْعَثُ الأَجْسادَ بعدَ فَنائِها، ويُعِيدُ الأَمْواتَ ويَجْمَعُ العِظَامَ الرُّفَاتَ، وأعلمُ أنّ اللَّهَ لا شريكَ له فى خَلْقِه، ولا فى مُلْكِه، ولا إلَهَ غيرُه، ثُمَّ أَرْشَدَه إلى ما كان الأَوْلَى به أَنْ يَسْلُكَه عندَ دخولِ جَنَّتِه، فقال: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ولهذا يُسْتَحَبُّ لكلِّ مَن أَعْجَبَه شَيْءٌ مِن مالِه أو أَهْلِه أو حالِه أنْ يقولَ كذلك.

[١/٢٨٥ظ] وقد ورَد فيه حديثٌ مرفوعٌ، فى صِحَّتِه نَظَرٌ؛ قال أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[2]: حَدَّثَنا جَرّاحُ بنُ مَخْلَدٍ، حدّثنا [3]عُمَرُ بنُ يونُسَ[3]، حدّثنا عيسى ابنُ عَوْنٍ، حدّثنا عبدُ الملكِ بنُ زُرَارَةَ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) فى م: «صورك».

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ٣٥٠، وعزاه لأبى يعلى من حديث أنس، والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٠ وقال: رواه الطبراني فى الصغير والأوسط وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف.

(٣ - ٣) فى ح: «عمر بن يوسف»، وفى م: «عمرو بن يوسف».

« مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً ؛ مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ ، فَيَقُولُ : مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ » . وكان يَتَأَوَّلُ هذه الآيةَ : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ . قال الحافظُ أبو الفتحِ الأَزْدِيُّ : عيسى بنُ عَوْنٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ زُرَارَةَ ، عن أَنَسٍ ، لا يَصِحُّ .

ثُمَّ قال المؤمنُ للكافرِ : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ أى ؛ فى الدارِ الآخرةِ ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال ابنُ عباسٍ والضَّحّاكُ وقتادةُ[1] : أى ؛ عذابًا مِن السَّماءِ . والظاهرُ أنَّه المطرُ المُزْعِجُ الباهرُ ، الذى يَقْتَلِعُ زُروعَها وأشجارَها ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ وهو الترابُ الأَمْلَسُ الذى لا نباتَ فيه ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ وهو ضِدُّ المَعِينِ السّارِحِ ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ يعنى ، فلا تَقْدِرُ على استِرْجَاعِه . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ أى ؛ جاءَه أَمْرٌ أَحاطَ بجميعِ حواصِلِه ، وخَرَّبَ جَنَّتَه ، ودَمَّرَها ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ أى ؛ خَرِبَتْ بالكُلِّيَّةِ ، فلا عَوْدَةَ لها ، وذلك [2]ضِدُّ ما كان عليه أَمَّلَ[2] ، حيثُ قال : ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ونَدِمَ على ما كان سَلَفَ مِنه مِن القَوْلِ الذى كَفَر بسَبَبِه باللَّهِ العظيمِ ، فهو يقولُ : ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ﴾ أى ؛ لم يكنْ له أحدٌ يَتَدارَكُ ما فَرَطَ مِن أَمْرِه ، وما كان له قدرةٌ فى نفسِه على[3] شَىْءٍ من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن فِئَةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

---

(١) تفسير الطبرى ١٥/ ٢٤٩. والتفسير ٥/ ١٥٥.

(٢ - ٢) فى الأصل: «ضد ما كان أمل فيها»، وفى ص: «بعد ما كان أقل منها».

(٣) سقط من: ح.

[الطارق: ١٠]. وقولُه: ﴿ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ ومنهم مَنْ يَبْتَدِئُ بقولِه: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو حَسَنٌ أيضًا، كقولِه: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦]. فالحُكْمُ الذى لا يُرَدُّ ولا يُمَانَعُ ولا يُغَالَبُ - فى تلك الحالِ وفى كلِّ حالٍ - للَّهِ الحقِّ. ومنهم مَنْ رَفَعَ ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ جَعَلَه صفةً لِـ ﴿ ٱلْوَلَٰيَةُ ﴾ وهما مُتَلَازِمَان[1]. وقولُه: ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [2]أى؛ مُعامَلَتُه خيرٌ لصاحبِها ثوابًا، وهو الجزاءُ، وخيرٌ عُقْبًا[2]؛ وهو العاقِبَةُ فى الدّنيا والآخرةِ.

وهذه القِصَّةُ تَضَمَّنَتْ أنّه لا يَنْبَغِى لأحدٍ أن يَرْكَنَ إلى الحياةِ الدُّنيا، ولا يَغْتَرَّ بها، ولا يَثِقَ بها، بل يَجْعَلَ طاعةَ اللَّهِ والتَّوَكُّلَ عليه فى كُلِّ حالٍ نُصْبَ عَيْنَيْه، ولْيَكُنْ بما فى يدِ اللَّهِ أَوْثَقَ منه بما فى يَدِه. وفيها، أَنَّ مَنْ قَدَّمَ شيئًا على طاعةِ اللَّهِ والإنفاقِ فى سبيلِه، عُذِّبَ به، ورُبَّما سُلِبَ منه؛ [١/٢٨٦و] مُعامَلَةً له بنقِيضِ قَصْدِه. وفيها، أنّ الواجبَ قَبولُ نَصيحةِ الأخِ المُشْفِقِ، وأنّ مُخالَفَتَه وَبَالٌ ودَمَارٌ على مَنْ رَدَّ النَّصيحةَ الصحيحةَ. وفيها، أَنَّ النَّدامةَ لا تَنْفَعُ إذا حانَ القَدَرُ، ونَفَذَ الأمْرُ الحَتْمُ. واللَّهُ المستعانُ وعليه التُّكْلانُ.

---

(١) فى ح، م: «متلازمتان».
(٢ - ٢) سقط من: ح.

قِصَّةُ أصحابِ الجَنَّةِ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ١٧- ٣٣] . وهذا مَثَلٌ ضرَبَه اللَّهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ ، فيما أَنْعَمَ به عليهم مِن إرْسالِ الرسولِ العظيمِ الكريمِ إليهم ، فقابَلُوه بالتَّكْذِيبِ والمخالَفَةِ ، كما قالَ تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩] . قال ابنُ عباسٍ : هم كفارُ قُرَيْشٍ . فضرَب تعالى لهم مَثَلًا بأصحابِ الجنَّةِ المُشْتَمِلَةِ على أنواعِ الزُّروعِ والثِّمارِ التى قَد انتهَتْ ، واسْتَحَقَّتْ أَنْ تُجَدَّ ؛ وهو الصِّرَامُ ، ولهذا قال : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ ﴾ . فيما بينَهم ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ أى ؛ ليَجُدُّنَّها ، وهو الاستغلالُ[2] ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ أى ؛ وقْتَ الصُّبحِ ، حيثُ لا يَراهم فقيرٌ ولا مُحتاجٌ فيُعْطُوه شيئًا ، فحَلَفُوا على ذلك ولم

---

(١) التفسير ٨/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) استغل الضيعة : أخذ غلتها . الوسيط (غ ل ل) .

يَسْتَثْنُوا فى يَمينِهم[1] ، فعَجَّزَهم اللَّهُ ، وسَلَّطَ عليها الآفَةَ التى أَحْرَقَتْها ؛ وهى السُّفْعَةُ[2] التى اجْتاحَتْها ولم تُبْقِ بها شيئًا يُنْتَفَعُ به ؛ ولهذا قال : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ أى ؛ كاللَّيْلِ الأَسْودِ المُنْصَرِمِ من الضِّياءِ ، وهذه معاملةٌ بنَقِيضِ المقْصودِ ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ أى ؛ فاسْتَيْقَظُوا من نومِهم ، فنادى بعضُهم بعضًا قائلين : ﴿ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ أى ؛ باكِرُوا إلى بُسْتَانِكم فاصْرِمُوه قبلَ أنْ يَرْتَفِعَ النهارُ ويَكْثُرَ السُّؤَّالُ ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ أى ؛ يتحَدَّثون فيما بينَهم خُفْيَةً قائلين : ﴿ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ أى ؛ اتَّفِقُوا على هذا ، واشْتَوِرُوا عليه ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ أى ؛ انْطَلَقوا مُجِدِّينَ فى ذلك قادرينَ عليه [3]مُصَمِّمِين مُصِرِّينَ[3] على هذه النِّيَّةِ الفاسدةِ . وقال عِكْرِمةُ والشَّعْبِىُّ[4] : ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ أى ؛ غَضَبٍ على المساكينِ . وأَبْعَدَ السُّدِّىُّ [٢٨٦/١ظ] فى قولِه ؛ أَنَّ اسمَ حَرْثِهِم حَرْدٌ ، ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ أىْ ؛ وصَلُوا إليها ، ونَظَرُوا إلى ما حَلَّ بها ، وما قد صَارَتْ إليه من الصِّفَةِ المُنْكَرَةِ بعدَ تلك النُّضْرَةِ والحُسْنِ والبَهْجَةِ ، فانقلبت بسببِ النِّيَّةِ الفاسدةِ ، فعندَ ذلك ﴿ قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى ؛ قد تُهْنَا[5] عنها وسَلَكْنا غيرَ طَرِيقِها . ثم قالوا : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى ؛ بَلْ عُوقِبْنا بسببِ سُوءِ قَصْدِنا ، وحُرِمْنا بركةَ حَرْثِنا ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ قال ابنُ عباسٍ ، ومُجاهدٌ ، وغيرُ

---

(١) فى ح : « نهيهم » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ص : « السقعة » . والسفعة : السواد والشحوب . والسوافع : لوافح السموم . اللسان (س ف ع) .

(٣ - ٣) فى ح ، م : « مضمرين » .

(٤) التفسير ٨/ ٢٢٢.

(٥) فى م : « نهينا » .

واحدٍ[1] : هو أعدَلُهم وخيرُهم. ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ قيلَ: تَسْتَثْنُون. قاله مجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، وابنُ جُرَيْجٍ[2]. وقيل: تقُولون خيرًا بَدَلَ ما قُلْتُم من الشَّرِّ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ فَنَدِموا حيثُ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ[3]، واعْتَرَفوا بالذَّنبِ بعدَ العُقُوبةِ، وذلك حيثُ لا يَنْجَعُ، وقد قيل: إنَّ هؤلاءِ كانوا إخْوَةً، وقد وَرِثوا هذه الجنَّةَ عن أبيهم، وكان يَتصدَّقُ منها كثيرًا، فلَمَّا صار أَمْرُها إليهم اسْتَهْجَنُوا أمْرَ أبيهم، وأرادُوا اسْتغْلالَها من غيرِ أَنْ يُعْطُوا الفقراءَ شيئًا، فعاقَبهم اللَّهُ هذه[4] العُقوبةَ؛ ولهذا أمَر اللَّهُ تعالى بالصَّدَقَةِ مِن الثِّمارِ، وحَثَّ على ذلك يومَ الجَدادِ، كما قال تعالى: ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤١]. ثُمَّ قِيلَ: كانوا مِن أهلِ اليَمَنِ مِن قريةٍ يُقالُ لها: ضَرَوَانُ[5]. وقيلَ: من أهلِ الحَبَشَةِ. واللَّهُ أعلمُ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أىْ؛ هكذا نُعَذِّبُ مِن خَالَفَ أَمْرَنا، ولم يَعْطِفْ على المَحاوِيجِ مِن خَلْقِنا ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أى؛ أعْظَمُ وأَطَمُّ[6] مِن عذابِ الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

وقِصَّةُ هؤلاءِ شَبِيهَةٌ بقولِه تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/ ٣٤. والتفسير ٨/ ٢٢٣.
(٢) فى ح، م: «جرير».
(٣) سقط من: الأصل، ح، ص.
(٤) فى ح، م: «أشد».
(٥) فى الأصل: «حفروان».
(٦) فى ح، م: «أحكم».

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣]. قيل: هذا مَثَلٌ مضروبٌ لأهلِ مكةَ. وقيل: هم أهلُ مكةَ أنفُسُهم، ضَرَبَهم مَثَلًا لأَنْفُسِهم. ولا يُنَافِي[1] ذلك، واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

---

(١) بعده فى الأصل: «شىء من».

قِصَّةُ أَصْحابِ

أَيْلَةَ الَّذين اعْتَدَوْا فى سَبْتِهِم

قال اللَّهُ تعالى ، فى سورةِ « الأَعْرافِ »[1] : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا [١/٢٨٧و] ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣- ١٦٦] .

وقال تعالى ، فى سورةِ « البقرةِ »[2] : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٦٥، ٦٦] .

وقال تعالى ، فى سورةِ « النساءِ »[3] : ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧] .

---

(١) التفسير ٣/ ٤٩١ - ٤٩٦.

(٢) التفسير ١/ ١٥٠ - ١٥٤.

(٣) التفسير ٢/ ٢٨٦.

قال ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ[1]، والسُّدِّيُّ، وغيرُهم[2]: هم أَهْلُ أيْلةَ. زادَ ابنُ عبّاسٍ[3]: بينَ مَدْيَنَ والطُّورِ. قالوا[4]: وكانوا مُتَمَسِّكِين بدِينِ التَّوْراةِ فى تحريمِ السَّبْتِ فى ذلك الزَّمانِ، فكانتِ الحيتانُ قد أَلِفَتْ منهم السَّكِينةَ فى مِثْلِ هذا اليومِ؛ وذلك أنَّه كانَ يَحْرُمُ عليهم الاصْطِيادُ فيه، وكذلك جميعُ الصنائِعِ والتِّجاراتِ والمكاسبِ، فكانت الحيتانُ فى مِثْلِ يومِ السبتِ، يَكْثُرُ غَشَيانُها لمَحِلِّهم مِن البَحْرِ؛ فتأْتِى مِن هـهنا وهـهنا ظاهِرةً آمِنةً مُسْتَرْسِلَةً، فلا يُهَيِّجُونها ولا يَذْعَرُونَها. ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ وذلك لأنَّهم كانوا يَصْطادُونها فيما عدا السبتِ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ أى؛ نَخْتَبِرُهم بكثْرةِ الحيتانِ فى يومِ السَّبْتِ. ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أى؛ بسَبَبِ فِسْقِهم المُتَقَدِّمِ، فلمَّا رَأَوْا ذلك، احْتالُوا على اصْطِيادِها فى يومِ السبتِ، بأَن نَصَبُوا الحِبالَ والشِّباكَ والشُّصُوصَ، وحَفَرُوا الحُفَرَ التى يَجْرِى معها الماءُ إلى مصانعَ قد أعَدُّوها، إذا دَخَلَها السَّمَكُ لا يستطيعُ أن يَخْرُجَ منها، فَفَعَلُوا ذلك فى يومِ الجُمُعَةِ، فإذا جاءتِ الحيتانُ مُسْتَرْسِلَةً يومَ السبتِ؛ عَلِقَتْ بهذه المَصايدِ، فإذا خَرَج سَبتُهُم أَخَذُوها، فَغَضِبَ اللَّهُ عليهمْ ولَعَنَهم؛ لَمَّا احْتالُوا على خِلافِ أمْرِه، وانْتَهَكُوا محارِمَه بالحِيَلِ التى هى ظاهِرَةٌ للنّاظِرِ، وهى فى الباطنِ مُخالَفَةٌ مَحْضَةٌ، فلمَّا فَعَل ذلكَ طائفةٌ منهم، افْتَرَقَ الذينَ لمْ يفْعلُوا ذلكَ فِرْقَتَيْنِ؛ فِرقةٌ أنْكَرُوا عليهم صَنِيعَهم

---

(١) سقط من: ص.

(٢) تفسير الطبرى ٩/ ٩٠، ٩١. والتفسير ٣/ ٤٩٢. والدر المنثور ٣/ ١٣٦.

(٣) تفسير الطبرى ١/ ٣٣٠، ٩/ ٩٠. والتفسير ٣/ ٤٩٢.

(٤) تفسير الطبرى ١/٣٢٩ - ٣٣١، ٩/٩٣ - ٩٥. والتفسير ١/ ١٥١، ١٥٢، ٣/٤٩٣ - ٤٩٥.

هذا ، واحْتيالَهُم على مُخالَفَةِ اللَّهِ وشَرْعِه فى ذلك الزَّمانِ ، وفرقةٌ أُخْرَى لمْ يفعلُوا ولمْ يَنْهَوْا ، بل أنْكَرُوا على الذين نَهَوْا ، وقالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يقولون لهم : ما الفائدةُ فى نهْيِكُم هؤلاءِ وقد اسْتَحَقُّوا العُقُوبةَ لا مَحالَةَ ؟ فأجابَتْهم الطائِفةُ المُنْكِرَةُ بأَن قالوا : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أى ؛ فيما أُمِرْنا به مِن الأمْرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المُنكَرِ ، فَنقومُ به خوفًا من عذابِه . ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أى ؛ ولعلَّ هؤلاءِ يَتْرُكُون ما هم عليه مِن هذا الصَّنيعِ ، فَيَقِيَهم اللَّهُ عذابَه ، ويَعْفُوَ عنْهم إذا هم رَجَعُوا واسْتَمَعُوا . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أى ؛ لَمْ يَلْتَفِتُوا إلى مَن نَهاهم [١/ ٢٨٧ظ] عن هذا الصَّنيعِ الشَّنيعِ الفظيعِ ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ (١) وهُم الفِرقةُ الآمِرَةُ بالمعروفِ والنَّاهيةُ عن المُنْكَرِ (١) ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المُرْتَكِبُون الفاحِشَةَ ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ وهو الشديدُ المُؤْلِمُ المُوجِعُ . ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ . ثُمَّ فَسَّر العذابَ الذى أصابَهم بقولِه : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ . وسَنَذْكُرُ ما وَرَدَ من الآثارِ (٢) فى ذلك .

والمقصودُ هنا أَنَّ اللَّهَ تعالى أَخْبَرَ أنَّه أَهْلَكَ الظَّالِمِينَ ، ونَجَّى المُؤْمِنِين المُنْكِرِينَ (٣) ، وسَكَتَ عن السَّاكِتِين ، وقد اخْتَلَفَ فيهم العلماءُ على قَوْلَيْنِ ؛ فقيل : إنَّهم مِن النَّاجِين . وقيل : إنَّهم مِن الهالِكِينَ . والصَّحِيحُ الأوَّلُ عند المُحَقِّقِين ، وهو الذى رَجَع إليه ابنُ عبّاسٍ ، إمامُ المُفَسِّرِين ، وذلك عند مُناظَرَةِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى ح ، م : « الآيات » .
(٣) سقط من : الأصل .

مَوْلاه عِكْرِمَةَ، فكَساهُ مِن أجْلِ ذلك حُلَّةً سَنِيَّةً؛ تَكْرِمَةً. قلتُ: وإنَّما لم يُذْكَرُوا مع النّاجِينَ؛ لأنَّهم وإنْ كَرِهُوا بِبَواطِنِهم تلك الفاحِشَةَ، إلَّا أنَّهم كان يَنْبَغِي لهم أن يَحْمِلُوا ظواهِرَهم بالعَمَلِ المأمُورِ به مِن الإنْكارِ القَوْلِيِّ، الذى هو أَوْسَطُ المَراتِبِ الثلاثِ، التى أَعْلاها الإنكارُ، باليدِ، ذاتِ البَنانِ، وبعدَها الإنكارُ القَوْلِيُّ باللسانِ، وثالثُها الإنكارُ بالجَنانِ. فلمَّا لم (١يُذَكِّرُوا، لم يُذْكَرُوا١) مع النّاجِينَ، إذْ لم يفعلوا الفاحشةَ، بل أنْكَرُوا. وقد رَوَى عبدُ الرَّزَّاقِ[٢]، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن رجُلٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عبّاسٍ، وحَكَى مالكٌ[٣]، عن ابنِ رُومانَ، وشَيْبانُ، عن قَتادَةَ، وعطاءٌ الخُراسانِيُّ[٤]، ما مَضْمُونُه أنَّ الذين ارْتَكَبُوا هذا الصُّنْعَ، اعْتَزَلَهم بقيَّةُ أَهْلِ البلدِ، ونَهاهُم مَن نَهاهُم منهم، فلم يَقْبَلُوا، فكانوا يَبِيتُون وَحْدَهم ويُغْلِقُون بينَهم وبينَهم أبوابًا، حاجِزًا لِما كانوا يَتَرَقَّبُون مِن هلاكِهم، فأصْبَحُوا ذاتَ يومٍ وأَبوابُ ناحِيَتِهم مُغْلقةٌ لم يَفْتَحُوها، وارْتَفَع النهارُ واشْتَدَّ الضَّحاءُ، فأَمَر بقيَّةُ أهلِ البلدِ رجُلًا[٥] أَن يَصْعَدَ على سَلالِمَ، ويُشْرِفَ عليهم مِن فوقِهم، فلمَّا أَشْرَفَ عليهم، إذا هُم قِرَدَةٌ لها أذنابٌ يَتعاوَوْنَ ويَتعادَوْنَ، فَفَتَحُوا عليهم الأَبوابَ فجَعَلَتِ القِرَدَةُ تَعْرِفُ قَراباتِهم، ولا تَعْرِفُهمْ قَراباتُهم، فجَعَلُوا يَلُوذُونَ بِهم، ويَقولُ لهم النَّاهُون: ألم نَنْهَكُم عن صَنيعِكُم؟ فتُشِيرُ القِرَدَةُ بِرُءُوسِها أَنْ نعم. ثُمَّ بَكَى عبدُ

(١ - ١) فى ح، م: «يذكروا نجوا». وفى ص: «يذكروا ولم ينكروا ونجوا».

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) الطبرى فى تفسيره ٩/ ٩٦، ٩٧ من طريق أشهب به، وذكره المصنف فى التفسير ٣/ ٤٩٥.

(٤) رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٢٠٩ من طريق شيبان به وقول عطاء ذكره المصنف فى تفسيره ١/ ١٥١.

(٥) سقط من: ح. وفى الأصل، ص: «لرجل».

اللَّهِ بنُ عباسٍ، وقال: إنَّا لَنَرَى مُنْكَراتٍ كثيرةً، ولا نُنْكِرُها، ولا نقولُ فيها شيئًا. وقال العَوْفِيُّ، عن ابنِ عباسٍ: صارَ شبابُ القريةِ قِرَدَةً، وشُيوخُها خَنازِيرَ[1]. ورَوَى ابنُ أبى حاتمٍ[2]، من طريقِ مُجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، [3]أنَّهم لم يعيشوا إلَّا فُوَاقًا[4]، ثُمَّ هَلَكُوا، ما كانَ لهم نَسْلٌ. وقال الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ[3]: إنَّه لم يَعِشْ مَسْخٌ قطُّ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ، ولم يأكلْ هؤلاءِ ولم يَشربُوا ولم يَنْسِلُوا. وقد اسْتَقْصَيْنا الآثارَ فى ذلك، فى تفسيرِ سُورَتَى «البقرةِ»، و«الأَعْرافِ». وللَّهِ الحمدُ [١/٢٨٨و] والمِنَّةُ. وقد رَوَى ابنُ أبى حاتمٍ[5]، وابنُ جريرٍ[6]، مِن طريقِ ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، أنَّه قال: مُسِخَتْ قلوبُهم، ولم يُمْسَخُوا قِرَدَةً وخنازيرَ[7]، وإنَّما هو مَثَلٌ ضَرَبَه اللَّهُ، كمثلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسْفارًا. وهذا صحيحٌ إليه، وغريبٌ منه جدًّا، ومُخالِفٌ لظاهِرِ القرآنِ، ولِمَا نَصَّ عليه غيرُ واحدٍ مِن السَّلفِ والخَلَفِ. واللَّهُ أعلمُ[8].

---

(١) تفسير الطبرى ٩/ ١٠١ . والتفسير ١/١٥١ . وتفسير ابن أبى حاتم ١/ ٢١٠.

(٢) تفسير ابن أبى حاتم ١/ ٢٠٩. وإسناده ضعيف.

(٣ - ٣) سقط من: ح.

(٤) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت.

(٥) تفسير ابن أبى حاتم ١/ ٢٠٩. وإسناده ضعيف.

(٦) فى ص: «جريج». والأثر أخرجه ابن جرير فى تفسيره ١/ ٣٣٢، بدون قوله: «وخنازير». قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١/١٥١ عقب إيراده الأثر من رواية ابن جرير: وهذا سند جيِّد عن مجاهد. قلت: وبه يتقوّى سند ابن أبى حاتم، حيث تابع عيسى أبا حذيفة.

(٧) سقط من: الأصل، ص. وهذا يوافق لفظ رواية ابن جرير، حيث أشرنا فى الحاشية السابقة.

(٨) بعده فى ح، م:

(قصة أصحاب القرية) - - تقدم ذكرها قبل قصة موسى، عليه السلام. (قصة سبإ): سيأتى ذكرها فى أيام العرب، إن شاء اللَّه تعالى، وبه الثقة. (قصة قارون وقصة بلعام): تقدمتا فى قصة موسى. وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة): كلها فى ضمن قصة موسى. و (قصة البقرة): تقدمت فى قصة موسى. وقصة ﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾: فى قصة حزقيل. وقصة ﴿ ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾: فى قصة شمويل. وقصة (الَّذِى مَرَّ على قَرْيَةٍ): فى قصة عزيرٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قصَّةُ لُقْمانَ

قال تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ

---

(١) التفسير ٦/٣٣٦ - ٣٤٩.

مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٢- ١٩]. هو لُقْمانُ ابنُ عنقاءَ بنِ سدونَ. ويقالُ: لُقمانُ بنُ ثارانَ[١]. حَكاه السُّهَيْلِيُّ[٢] عن ابنِ جريرٍ والقُتَيْبِيِّ[٣].

قال السُّهَيْلِيُّ[٤]: وكان نُوبِيًّا مِن أهْلِ أَيْلَةَ. قلتُ: وكان رَجُلًا صالحًا، ذا عِبادةٍ وعبارَةٍ وحِكْمَةٍ عظيمةٍ. ويُقالُ: كان قاضِيًا فى زَمَنِ داودَ، عليه السَّلامُ[٥]. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال سفيانُ الثَّوْرِيُّ عن الأَشْعَثِ، عن عِكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كان لُقمانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نجَّارًا[٦]. وقالَ قَتادةُ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ: قلتُ لجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ: ما انتهى إليكم فى شَأْنِ لُقمانَ؟ قال: كان قصيرًا أَفْطَسَ، مِن النُّوبَةِ[٧].

وقالَ يحيىَ بنُ سعيدٍ الأَنْصارِيُّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قال: كان لُقمانُ مِن سُودَانِ مِصْرَ، ذا مَشافِرَ، أعْطاهُ اللَّهُ الحِكمةَ، ومَنَعَه النُّبُوَّةَ[٨].

---

(١) فى ص: «ساران».

(٢) فى التعريف والإعلام ص ٢٤٩. والذى عنده: «اسم ابنه ثاران». وكذا عند المصنف فى تفسيره ٣٣٨/٦، وقد عزاه للسهيلى حكايةً.

(٣) فى كتابه: المعارف ص ٥٥.

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٤٩.

(٥) المعارف ص ٥٥.

(٦) تفسير الطبرى ٦٧/٢١، دون قوله: «نجارًا». والتفسير ٣٣٦/٦.

(٧) التفسير ٣٣٦/٦. والدر المنثور ١٦٠/٥.

(٨) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٦٧/٢١ بنحوه. وانظر التفسير ٣٣٦/٦.

وقال الأَوْزَاعِيُّ : حَدَّثَنِى عبدُ الرحمنِ بنُ حَرْمَلَةَ ، قال : جاءَ أَسْوَدُ إلى سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ يَسْأَلُه ، فقال له سعيدٌ : لَا تَحْزَنْ مِن أجْلِ أَنَّكَ أَسْوَدُ ؛ فإنَّه كان مِن أَخْيَرِ النَّاسِ ثلاثةٌ مِن السُّودانِ ؛ بلالٌ ، ومِهْجَعٌ ، مَوْلَى عُمَرَ ، ولُقمانُ الحكيمُ ، كان أسْودَ نُوبِيًّا ذا مَشافِرَ[1] .

وقالَ الأَعْمشُ[2] ، عن مجاهدٍ : كان لقمانُ عبدًا أَسودَ ، عظيمَ الشَّفَتَيْنِ ، مشَقَّقَ القَدَمَيْنِ . وفى روايةٍ[3] : مُصَفَّحَ القدمَيْنِ . وقال عَمْرُو[4] بنُ قيسٍ : كان عبدًا أسودَ ، غليظَ الشَّفَتَيْنِ ، [١/٢٨٨ ظ] مُصَفَّحَ القدمَيْنِ ، فأتاه رجلٌ وهو فى مجلسِ أُنَاسٍ يُحَدِّثُهم ، فقال له : ألستَ الذى كنتَ تَرْعَى معى الغنمَ فى مكانِ كذَا وكذَا ؟ قال : نعم . قال : فما بَلَغَ بِكَ ما أرَى ؟ قال : صِدْقُ الحديثِ ، والصَّمْتُ عمَّا لَا يَعْنِينِى . رَواه ابنُ جريرٍ ، عن ابنِ حُمَيْدٍ ، عن الحَكَمِ عنه به[5] .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[6] : حَدَّثنا أبو زُرْعَةَ ، حَدَّثنا صَفْوانُ ، حَدَّثَنا الوليدُ ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧. والتفسير ٦/ ٣٣٦.
(٢) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧. ومصنف ابن أبى شيبة ١٣/ ٢١٣. وانظر التفسير ٦/ ٣٣٦.
(٣) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧. والزهد للإمام أحمد ص ٤٨. وانظر التفسير ٦/ ٣٣٦.
(٤) فى الأصل، م: «عمر».
(٥) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٨.
(٦) التفسير ٦/ ٣٣٧.

حَدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ[1] يزيدَ بنِ جابرٍ، قال: إنَّ اللَّهَ رَفَعَ لُقمانَ الحكيمَ بحِكْمَتِه، فرآهُ رجلٌ كان يَعْرِفُه قبلَ ذلك، فقال: ألستَ [2]عَبْدَ بنى[2] فلانٍ، الذى كنتَ تَرْعَى[3] بالأمسِ؟ قال: بلَى. قال: فما بَلَغَ بكَ ما أرَى؟ قال: قَدَرُ اللَّهِ، وأداءُ الأمانةِ، وصِدْقُ الحديثِ، وتَرْكُ ما لا يَعْنِينى.

وقال ابنُ وَهْبٍ[4]: أخْبرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عَيَّاشٍ القِتْبانِيُّ[5]، عن عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ[6] قال: وَقَف رجُلٌ على لقمانَ الحكيمِ فقال: أنتَ لقمانُ؟ أنتَ عبدُ بنى الحَسْحَاسِ[7]؟ قال: نعم. قال: فأنت راعِى الغَنَمِ الأَسْودُ! قال: أَمَّا سَوادِى فظاهِرٌ، فما الذى يُعْجِبُك مِن أَمْرِى؟ قال: وَطْءُ الناسِ بِساطَك، وغَشْيُهم بابَك، ورِضاهم بقولِك. قال: يابنَ أخى، إن صَنَعْتَ ما أقولُ لكَ، كُنْتَ كذلكَ. قال لقمانُ: غَضِّى بَصَرِى، وكَفِّى لسانِى، وعِفَّةُ مَطْعَمِى[8]، وحِفْظِى فَرْجِى، وقيامِى بِعُدَّتِى، ووفائِى بعَهْدِى، وَتَكْرِمَتى ضَيْفى، وحِفْظى جارِى، وتَرْكِى ما لَا يَعْنِينى، فَذَاكَ الذى صَيَّرَنِى كما تَرَى.

---

(١) بعده فى م: «أبى».

(٢ - ٢) فى ح، م: «عبد بن». وفى ص: «عِبدى».

(٣) بعده فى م، ص: «غنمى».

(٤) التفسير ٦/ ٣٣٧.

(٥) فى الأصل، م، ص: «الفتيانى». وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٠، ٤١١.

(٦) فى الأصل، م، ص: «عفرة».

(٧) فى م، ص: «النحاس».

(٨) فى م: «مطمعى».

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حَدَّثنا أبى ، حَدَّثنا ابنُ نُفَيْلٍ[2] ، حَدَّثنا عَمْرُو بنُ واقِدٍ ، عن عَبْدَةَ[3] بنِ رَبَاحٍ ، عن رَبِيعَةَ ، عن أبى الدَّرْداءِ ، أنّه قال يومًا ، وذَكَرَ لقمانَ الحكيمَ فقال : [4]ما أُوتِىَ[4] ما أُوتِىَ عن أهلٍ ولا مالٍ ، ولا حَسَبٍ ولا خِصَالٍ ، ولكنَّه كانَ رَجُلًا صَمْصَامَةً[5] ، سِكِّيتًا ، طويلَ التَّفَكُّرِ ، عميقَ النَّظَرِ ، لم يَنَمْ نهارًا قَطُّ ، ولم يَرَه أحدٌ يَبْزُقُ ولا يَتَنَخَّعُ[6] ، ولا يَبُولُ ولا يَتَغَوَّطُ ، ولا يَغْتَسِلُ ، ولا يَعْبَثُ ولا يَضْحَكُ ، وكان لا يُعِيدُ مَنْطِقًا نَطَقَه ، إلَّا أن يَقُولَ حِكْمَةً يَسْتَعِيدُها إيَّاه أحدٌ ، وكان قد تَزَوَّجَ ، ووُلِدَ له أولادٌ فماتُوا فلم يَبْكِ عليهم ، وكان يَغْشَى السُّلطانَ ويَأْتِى الحُكَّامَ ؛ لِيَنْظُرَ ويَتَفَكَّرَ وَيَعْتَبِرَ ، فبذلكَ أُوتِىَ ما أُوتِىَ . ومنهم مَن زَعَمَ أنَّه عُرِضَتْ عليه النُّبُوَّةُ ، فخافَ أَن لا يَقُومَ بأعْبائِها ، فاخْتارَ الحِكْمَةَ ؛ لأَنَّها أسْهَلُ عليه . وفى هذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وهذا مَرْوِىٌّ عن قَتادةَ ، كما سَنَذْكُرُه[7] . وروَى ابنُ أَبِى حاتمٍ ، وابنُ جريرٍ[8] ، مِن طريقِ وَكِيعٍ ، عن إسْرائيلَ ، عن جابرٍ الجُعْفِىِّ ، عن عِكْرِمَةَ أنَّه قال : كان لقمانُ نَبِيًّا . وهذا ضعيفٌ ؛ لحالِ الجُعْفِىِّ .

---

(١) ذكره المصنف فى التفسير ٦/ ٣٣٧. والسيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٢، وعزياه إلى ابن أبى حاتم .

(٢) فى النسخ : « فضيل » . والمثبت من التفسير ، وابن نفيل هو عبد اللّه بن محمد بن علي ، أبو جعفر النُّفَيلى . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) فى الأصل : « عبيدة » .

(٤ - ٤) سقط من : ح ، م . وفى ص : « أوتى » .

(٥) فى م : « ضمضامة » . وفى ص : « صمصام » . ورَجُلٌ صَمْصامةٌ : مصَمِّم . وقيل : هو الشَّدِيد الصُّلْب . وقيل : المجْتَمِع الخَلْق . اللسان (ص م م) .

(٦) فى م : « يتنحنح » . وفى ص : « تنخم » .

(٧) يأتى فى صفحة ٢١.

(٨) عزاه فى الدر المنثور ٥/ ١٦١، ١٦٢ إلى ابن أبى حاتم . ورواه الطبرى فى تفسيره ٢١/ ٦٨.

والمشهورُ عن الجمهورِ، أنَّه كان حكيمًا وَلِيًّا، ولم يكنْ نبيًّا[1]. وقدْ ذَكَرَه اللَّهُ تعالى فى القرآنِ، فأثْنَى عليه، وحَكَى مِن كلامِه فيما وَعَظَ به وَلَدَه، الذى [١/٢٨٩و] هو أحَبُّ الخَلْقِ إليه، وهو أَشْفَقُ النَّاسِ عليه، فكان مِن أَوَّلِ ما وَعَظَه به أن قال: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾. فنَهاه عنه وحَذَّرَه منه.

وقد قال البخارِىُّ[2]: حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا جريرٌ، عن الأَعْمَشِ، عن إبراهيمَ، عن عَلْقَمَةَ، عن عبدِ اللَّهِ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. شَقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقالوا: أَيُّنَا لم يَلْبِسْ إيمانَهُ بِظُلْمٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾». ورَواه مسلمٌ، مِن حديثِ سليمانَ بنِ مِهرانَ الأعمشِ بِه[3]. ثُم اعْتَرَضَ تعالى بالوَصِيَّةِ بالوالِدَيْنِ، وبيانِ حَقِّهما على الوَلَدِ، وتَأَكُّدِه، وأَمَرَ بالإِحْسانِ إليهما، حتى ولو كانا مُشْرِكَيْنِ، ولكنْ لا يُطاعانِ علَى الدُّخُولِ فى دِينِهما، إلى أَن قالَ مُخْبِرًا عن لُقمانَ فيما وَعَظ به وَلَدَهُ: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ يَنْهاه عن ظُلْمِ النَّاسِ وَلو بِحَبَّةِ خَرْدَلٍ؛ فإنَّ اللَّهَ يَسألُ عنها ويُحْضِرُها حَوْزَةَ الحسابِ، ويَضَعُها فى الميزانِ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

---

(١) انظر تفسير القرطبى ١٤/٥٩.

(٢) البخارى (٤٧٧٦، ٦٩١٨).

(٣) سقط من: الأصل. والحديث أخرجه مسلم (١٢٤).

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وأَخْبَرَه أَنَّ هذا الظُّلْمَ لو كان فى الحَقارَةِ كالخَرْدَلَةِ، ولو كان فى جَوْفِ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، لا بابَ لها ولا كُوَّةَ، أَوْ لو كانت ساقِطَةً فى شَىْءٍ مِن ظُلُمَاتِ الأَرَضِينَ أو السَّماواتِ، فى اتِّساعِهما وامتدادِ أرْجائِهما، لَعَلِمَ اللَّهُ مَكانَها. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أى؛ عِلْمُه دَقِيقٌ، فلا يَخْفَى عليه الذَّرُّ مِمَّا تَرَاءى للنَّوَاظِرِ أو تَوارَى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥]. وقال: ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]. وقد زَعَم السُّدِّىُّ[(١)] فى خَبَرِه عن الصَّحابةِ، أَنَّ المُرادَ بهذه الصَّخْرَةِ، الصخرةُ التى تحتَ الأَرَضِينَ السَّبْعِ. وهكذا حُكِى عن عطيَّةَ العَوْفِىِّ، وأبى مالكٍ، والثَّوْرِىِّ، والمِنْهالِ بنِ عَمْرٍو[(٢)]، وغيرِهم[(٣)]. وفى صِحَّةِ هذا القَوْلِ مِن أَصلِه نَظَرٌ، ثُمَّ فى أَنَّ هذا هو المرادُ، نَظَرٌ آخرُ؛ فإنَّ هذه الآيةَ[(٤)] نَكِرَةٌ غيرُ مُعَرَّفَةٍ، فلو كان [١/٢٨٩ظ] المرادُ بها ما قالوه، لَقالَ: فَتَكُنْ فى الصَّخْرَةِ. وإنَّما المرادُ: فَتَكُنْ فى صَخْرَةٍ، أَىَّ صخرةٍ كانتْ، كما قال الإمامُ أَحمد[(٥)]: حَدَّثنا حسنُ بنُ موسى، حَدَّثَنا ابنُ لَهِيعَة، حَدَّثنا

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٢، والتفسير ٦/ ٣٤٠.

(٢) فى م، ص: «عمر».

(٣) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٢. وتفسير عبد الرزاق ٢/ ١٠٥، ١٠٦. والتفسير ٦/ ٣٤٠.

(٤) كذا بالنسخ. ولعل المراد بالآية الكلمة وهى: ﴿صخرة﴾.

(٥) فى المسند ٣/ ٢٨.

دَرَّاجٌ ، عن أبى الهَيْثَم ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قالَ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِى صَخْرَةٍ صَمَّاءَ ، لَيْسَ لَهَا بَابٌ ولا كُوَّةٌ ، لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ » . ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أى ؛ أدِّهَا بجميعِ واجِباتِها ؛ مِن حُدُودِها وأوْقاتِها ورُكُوعِها وسُجُودِها وطُمَأْنِينَتِها وخُشُوعِها ، وما شُرِعَ فيها ، واجْتَنِبْ ما نُهِىَ عنه فيها . ثم قال : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ أى ؛ بجُهْدِك وطاقَتِك ، إن اسْتَطَعْتَ باليَدِ فباليدِ ، وإلَّا فبلِسانِك ، فإن لم تَسْتَطِعْ فبقَلْبِكَ . ثم أَمَرَه بالصَّبْرِ فقال : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ وذلك أنَّ الآمِرَ بالمعروفِ والنَّاهِىَ عن المُنْكَرِ ، فى مَظِنَّةِ أن يُعادَى ويُنالَ منه ، ولكنْ له العاقِبَةُ ، ولهذا أَمَرَه بالصَّبْرِ على ذلك ، ومعلومٌ أَنَّ عاقبةَ الصَّبْرِ الفَرَجُ . وقولُه : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١أى ؛ إنَّ أمرَكَ بالمعروفِ ، ونَهْيَكَ عن المنكرِ ، وصَبْرَك على الأذى من عزائمِ الأمورِ١) التى لا بُدَّ منها ، ولا مَحِيدَ عنها . وقولُه : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ ، ومجاهدٌ ، وعِكْرِمَةُ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، والضَّحاكُ ، ويزيدُ بنُ الأَصَمِّ ، وأبو الجَوْزاءِ ، وغيرُ واحدٍ[٢] : معناه لا تَتَكَبَّرْ على النَّاسِ وتُمِيلُ خَدَّكَ حالَ كلامِك لهم وكلامِهم لكَ ، على وجهِ التَّكَبُّرِ عليهم والازْدِراءِ لهم . قال أهلُ اللغةِ : وأصلُ الصَّعَرِ داءٌ يأخُذُ الإبِلَ فى أعْناقِها ، فتَلْتَوِى رُءُوسُها ، فشُبِّه به الرجُلُ المُتَكَبِّرُ الذى يُمِيلُ وَجْهَه إذا كَلَّم النَّاسَ أو كلَّمُوه ، على وَجْهِ التَّعاظُمِ عليهم .

قال أبو طالبٍ فى شِعْرِه[٣] :

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٤، ٧٥. والتفسير ٦/ ٣٤١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٩.

وكُنَّا قديمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُها

وقال عمرو بن حُنَىٍّ[1] التَّغْلِبِىُّ[2]:

وكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّر خَدَّهُ أَقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فتَقَوَّمَا[3]

وقولُه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ يَنهاهُ عن التَّبَخْتُرِ فى المِشْيَةِ على وَجْهِ العَظَمَةِ والفَخْرِ على النَّاسِ، كما قالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]. يَعْنى لستَ بِسُرْعَةِ مَشْيِك، تقْطَعُ البلادَ فى مِشْيَتِكَ هذه، ولستَ بِدَقِّك الأرضَ برِجْلِك، تَخْسِفُ[4] الأَرضَ بوَطْئِك عليها، ولستَ بِتَشامُخِك وتَعاظُمِك وتَرَفُّعِك، تَبْلُغُ الجبالَ طُولًا، فاتَّئِدْ [١/٢٩٠و] على نَفْسِك، فلستَ تَعْدُو قَدْرَك.

وقد ثَبَت فى الحديثِ[5]: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِى فى بُرْدَيْهِ، يَتَبَخْتَرُ فِيهِمَا، إذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيها إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وفى الحديثِ الآخرِ[6]: «وإيَّاكَ وَإسْبَالَ الإزَارِ؛ فَإنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، والمَخِيلَةُ[7] لا يُحِبُّها اللَّهُ».

---

(١) فى الأصل، م، ص: «حيى». وفى ح: «حى». والتصحيح من معجم الشعراء ص ١٣.

(٢) فى الأصل: «الثعلبى». وذكر البيت المرزبانى فى معجم الشعراء ص ١٣، ونسبه إلى عمرو بن حنى.

(٣) فى معجم الشعراء للمرزبانى: «فتقوم». وما أثبتناه من النسخ موافق لما فى ديوان المتلمس ص ٢٤. وانظر حاشية (٣) من الديوان ص ٢٤، ٢٥.

(٤) فى م: «تخرق».

(٥) رواه مسلم (٢٠٨٨)، من حديث أبى هريرة.

(٦) رواه أبو داود (٤٠٨٤). صحيح (صحيح أبى داود ٣٤٤٢).

(٧) سقط من: م.

كما قال فى هذه الآيةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ولَمَّا نَهاه عن الاخْتيالِ فى المَشْيِ ، أَمَرَهُ بالقَصْدِ فيه ؛ فإنَّه لا بُدَّ له أَنْ يَمْشِىَ ، فنَهاه عن الشَّرِّ وأَمَرَه بالخيرِ ، فقال : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ أى ؛ لا تَتَباطَأْ مُفَرِّطًا ، ولا تُسْرِعْ إسْرَاعًا مُفْرِطًا ، ولكِنْ بَيْنَ ذلكَ قَوَامًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . ثُمَّ قال : ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ يَعْنى إذا تَكَلَّمْتَ ، فلا تَتَكَلَّفْ رَفْعَ صَوْتِكَ ؛ فإنَّ أَرْفَعَ الأَصواتِ وأَنْكَرَهَا ، صوتُ الحميرِ .

وقد ثَبَتَ فى « الصَّحيحَيْنِ »الأَمْرُ بالاسْتِعاذَةِ عندَ سماعِ صوتِ الحَمِيرِ بالليلِ[1] ؛ فإنَّها رَأَتْ شيطانًا ، ولهذا نُهِىَ عن رفْعِ الصَّوتِ حيثُ لا حاجةَ إليهِ ، ولا سِيَّما عندَ العُطاسِ ، فيُسْتَحَبُّ خَفْضُ الصوتِ وتَخْمِيرُ الوَجْهِ ، كما ثَبَتَ به الحديثُ[2] مِن صَنِيعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمَّا رَفْعُ الصَّوْتِ بالأذانِ ، وعندَ الدعاءِ إلى الفئةِ لِلقتالِ ، وعندَ الإهلالِ[3] ، ونحوِ ذلك ، فذلك مشروعٌ . فهذا ممَّا قَصَّه اللَّهُ تعالى عن لُقمانَ ، عليه السَّلامُ ، فى القرآنِ من الحِكَمِ والمَواعِظِ ، والوَصايا النَّافِعَةِ الجامعةِ للخيرِ ، المانعةِ مِن الشَّرِّ ، وقد وردَتْ آثارٌ كثيرةٌ فى أخبارِه ومواعظِه ، وقد كان له كتابٌ يُؤْثَرُ عنه ، يُسَمَّى بـ « حِكْمَةِ[4] لقمانَ » ، ونحنُ نذكرُ مِن ذلك ما تَيَسَّرَ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

---

(١) الذى ثبت فى الصحيحين هو الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير مطلقا ، وموضعه فى البخارى (٣٣٠٣) ، ومسلم (٢٧٢٩) . أما ما ثبت بقيد الليل فهو فى سنن أبى داود (٥١٠٣) . ومسند أحمد ٣/ ٣٠٦، ٣٥٥. صحيح (صحيح أبى داود ٤٢٥٦) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٧٤٥) . وأبو داود (٥٠٢٩) . حسن صحيح (صحيح أبى داود ٤٢٠٧) .

(٣) فى م ، ص : « الإهلاك » .

(٤) الأصل ، ح ، ص : « مجلة » .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثَنا عليُّ بنُ إسحاقَ ، أنبأَنا ابنُ المبارَكِ ، أنبأَنا سفيانُ ، أخبرنى نَهْشَلُ[2] بنُ مُجَمِّعٍ[3] الضَّبِّيُّ ، عن قَزَعَةَ ، عن ابنِ عُمرَ ، قال : أَخْبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قالَ : « إِنَّ لُقْمانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ » .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[4] : حَدَّثَنا أبو سعيدٍ الأَشَجُّ ، حَدَّثَنا عيسى بنُ يونسَ ، عن الأَوْزَاعِيِّ ، عن موسى بنِ سليمانَ ، عن القاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ والتَّقَنُّعَ ؛ فَإِنَّهُ مَخُوفَةٌ[5] باللَّيْلِ ، مَذَلَّةٌ[6] بَالنَّهَارِ » .

وقَال أيضًا[7] : حَدَّثَنا أبى ، حَدَّثنا عَمرُو بنُ عثمانَ[8] ، حَدَّثَنا ضَمْرَةُ ، حَدَّثَنا السَّرِيُّ[9] بنُ يحيَى قال : قال لُقْمانُ لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، إِنَّ الحِكمةَ أَجْلَسَتِ المساكينَ مجالسَ المُلُوكِ . وحَدَّثَنا أبى[10] ، حدَّثنا عَبْدَةُ بنُ [١/٢٩٠ظ] سليمانَ ، أَنْبأَنا ابنُ المُبارَكِ ، أنبأَنا عبدُ الرحمنِ المَسْعُودِيُّ ، عن عَوْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قالَ لُقْمانُ لابنِه : يا بُنَيَّ ، إذا أَتَيْتَ نادِيَ قومٍ ، فارْمِهم بسَهْمِ الإِسلامِ -

---

(١) فى المسند ٢/ ٨٧. (إسناده صحيح).

(٢) فى ح ، م : « نهيك » .

(٣) فى م : « يجمع » .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٢. وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) فى ح ، م : « مخونة » .

(٦) فى م : « مذمة » .

(٧) التفسير ٦/ ٣٤٣.

(٨) فى م : « عمارة » .

(٩) فى الأصل : « السدى » .

(١٠) التفسير ٦/ ٣٤٣.

يَعْنِى السّلامَ - ثُمَّ اجْلِسْ فى ناحِيَتِهِمْ ، فلا تَنْطِقْ حتى تَرَاهم قد نَطَقُوا ، فإنْ أَفاضُوا فى ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأَجِلْ سَهْمَكَ معهم ، وإن أَفاضُوا فى غيرِ ذلك ، فتَحَوَّلْ عنهم إلى غيرِهم . وحَدَّثَنا أبى[1] ، حَدَّثَنا عَمرُو بنُ عثمانَ ، حَدَّثنا ضَمْرَةُ ، عن حَفْصِ بنِ عمرَ قال : وَضَعَ لقمانُ جِرابًا مِن خَرْدَلٍ إلى جانِبِه ، وجَعَلَ يَعِظُ ابْنَه وَعْظَةً ، ويُخْرِجُ خَرْدَلَةً ، حتى نَفِدَ الخَرْدَلُ ، فقال : يا بُنَىَّ ، لقد وَعَظْتُك مَوْعِظَةً ، لو وُعِظَها جَبَلٌ ، لَتَفَطَّرَ . قال : فَتَفَطَّرَ ابنُه .

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرَانِىُّ[2] : حَدَّثَنا يحيى بنُ عبد الباقى المِصِّيصِىُّ ، حَدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحَرَّانِىُّ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ الطَّرَائِفِىُّ [3]حَدَّثَنا أَبْيَنُ[3] بنُ سُفْيانَ المَقْدِسِىُّ ، عن خَلِيفَةَ بنِ سَلَّامٍ ، عن عطاءِ بنِ أبِى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اتَّخِذُوا السُّودَانَ ، فَإِنَّ ثَلَاثَةً مِنْهُمْ مِنْ ساداتِ[4] أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ لُقْمانُ الْحَكِيمُ ، والنَّجَاشِىُّ ، وَبِلَالٌ المُؤَذِّنُ » . قال الطَّبَرَانِىُّ : يَعْنِى الحَبَشَةَ . وهذا حديثٌ غريبٌ ، بل مُنْكَرٌ .

وقد ذَكَرَ له الإمامُ أحمدُ ترجمةً فى كتابِ « الزُّهْدِ » ، ذَكَر فيها فوائدَ مُهِمَّةً وفَرائِدَ جَمَّةً ، فقال[5] : حَدَّثَنا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنا سُفيانُ ، عن رجُلٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ . قال : الفِقْهُ[6] والإصابةُ فى غيرِ

---

(١) التفسير ٦/ ٣٤٣.

(٢) فى المعجم الكبير (١١٤٨٢) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٢٣٦: وفيه أبين بن سفيان وهو ضعيف . والحديث فى السلسلة الضعيفة (٦٨٧) .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « حدثنا أنس » . وفى ح : « حدثنا اس » غير منقوطة . وفى م : « عن » .

(٤) سقط من : م .

(٥) الزهد ص ٤٨، ٤٩.

(٦) فى الأصل : « الفقر » .

نُبُوَّةٍ. وكَذا رُوِىَ عَنْ[1] وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ.

وحَدَّثَنا وكيعٌ، حدَّثنا سفيانُ، عن أشْعَثَ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان لُقمانُ عبدًا حَبَشِيًّا[2].

وحَدَّثَنا أَسْوَدُ، حَدَّثنا حَمَّادٌ، عن علىِّ بنِ زيدٍ[3]، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، أَنَّ لقمانَ كان خَيَّاطًا.

وحَدَّثَنا سَيَّارٌ، حَدَّثنا جعفرٌ، حَدَّثنا مالكٌ - يَعْنِى ابنَ دِينارٍ - قال: قال لقمانُ لابنِه: يا بُنَىَّ، اتَّخِذْ طاعةَ اللَّهِ تجارةً؛ تَأْتِك الأَرْباحُ مِن غيرِ بِضاعَةٍ[4].

وحَدَّثَنا يزيدُ، حَدَّثَنا أبو الأَشْهَبِ، عن محمدِ بنِ واسِعٍ، قال: كان لقمانُ يقولُ لابنِه: يا بُنَىَّ، اتَّقِ اللَّهَ ولا تُرِ[5] النَّاسَ أَنَّك تَخْشَى اللَّهَ لِيُكْرِمُوك بذلك، وقلبُك فاجِرٌ[6].

وحَدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ ووَكِيعٌ، قالا: حَدَّثَنا أبو الأَشْهَبِ، عن خالدٍ الرَّبَعِىِّ[7] قال: كان لقمانُ عبدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا، فقال له سيِّدُه: اذْبَحْ لى شاةً. فذَبَحَ له شاةً، فقال له: ائْتِنى بأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فِيها. فأَتاه باللِّسانِ والقَلْبِ، فقال: أَمَا كان فيها شَىْءٌ أَطْيَبَ مِن هَذَيْن؟ قال: لا. قال: فسَكَتَ عنه ما

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) الزهد ص ٤٩.

(٣) فى م: «يزيد».

(٤) الزهد ص ٤٩.

(٥) فى الأصل: «تروى».

(٦) الزهد ص ٤٩.

(٧) فى الأصل: «الذبعى».

سَكَت ، ثُمَّ قال له : اذْبَحْ لى شاةً . فذَبَحَ له شاةً ، فقالَ له : أَلْقِ أَخْبَثَها مُضْغَتَيْنِ . فرَمَى باللِّسانِ والقَلْبِ [٢٩١/١و] ، فقال : أَمَرْتُك أَنْ تَأْتِيَنى بأَطْيَبِها مُضْغَتَيْنِ ؛ فأَتَيْتَنى باللِّسانِ والقَلْبِ ، وأَمَرْتُك أَن تُلْقِيَ أَخْبَثَها مُضْغَتَيْنِ ؛ فأَلْقَيْتَ اللِّسَانَ والقَلْبَ . فقال : إِنَّه ليس شَىْءٌ أَطْيَبَ منهما إذا طابا ، ولا أَخْبَثَ منهما إذا خَبُثَا[1] .

وحَدَّثَنا داودُ بنُ رُشَيْدٍ ، حَدَّثَنا ابنُ المُبارَكِ ، حَدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن أبى عثمانَ ؛ رَجُلٍ مِن أهلِ البَصْرَةِ يُقالُ له : الجَعْدُ أبو عثمانَ . قال : قال لقمانُ لابْنِه : لا تَرْغَبْ فى وُدِّ الجاهِلِ ؛ فيَرَى أَنَّك تَرْضَى عَمَلَه ، ولا تَهاوَنْ بِمَقْتِ الحكيمِ فيَزْهَدَ فيك[2] .

وحَدَّثنا داودُ بنُ رُشَيْدٍ[3] ، حَدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن ضَمْضَمِ بنِ زُرْعَةَ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ الحَضْرَمِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ ، قال : قال لقمانُ : أَلَا إنَّ يدَ اللَّهِ على أفْواهِ الحُكَماءِ ، لا يَتَكَلَّمُ أَحَدُهم إلَّا ما هَيَّأَ اللَّهُ له .

وحَدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، سَمِعْتُ ابنَ جُرَيْجٍ قال : كنتُ أُقَنِّعُ رَأْسِى باللَّيْلِ ، فقال لى عَمْرٌو[4] : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لُقمانَ قال : القِنَاعُ بالنَّهار مَذَلَّةٌ ، مَعْذِرَةٌ - أو قال : مَعْجَزَةٌ - باللَّيْلِ ، فَلِمَ تُقَنِّعُ رَأْسَك بالليلِ ؟ قالَ : قلتُ له : إنَّ لقمانَ لم يَكُنْ عليه دَيْنٌ[5] . وحَدَّثَنى حسنُ بنُ الجُنَيْدِ ، حَدَّثنا سفيانُ ، قال : قال لقمانُ

---

(١) الزهد ص ٤٩.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٣، وعزاه لأحمد فى الزهد.

(٣) فى م : « أسيد » .

(٤) فى م : « عمر » .

(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لعبد اللَّه بن أحمد فى زوائده.

لابْنِه : يا بُنَيَّ ، ما نَدِمْتُ على الصَّمْتِ قَطُّ ، وإن كان الكلامُ مِن فِضَّةٍ ، فالسُّكُوتُ مِن ذَهَبٍ[1] .

وحَدَّثَنا عبدُ الصَّمَدِ ووكيعٌ ، قالَا : حَدَّثَنا أبو الأَشْهَبِ ، عن قَتادَةَ ، أَنَّ لقمانَ قال لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، اعْتَزِلِ الشَّرَّ يَعْتَزِلْك ؛ فإنَّ الشَّرَّ للشَّرِّ خُلِقَ[2] .

وحَدَّثَنا أبو معاوِيَةَ ، حَدَّثنا هشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : مكتوبٌ فى الحِكمةِ : يا بُنَيَّ ، إيَّاكَ والرَّغَبَ ؛ فإنَّ الرَّغَبَ كُلَّ الرَّغَبِ يُبْعِدُ القَرِيبَ مِن القريبِ ، ويُزِيلُ الحِلْمَ[3] كما يُزِيلُ الطَّرَبَ ، يا بُنَيَّ ، إيَّاكَ وشِدَّةَ الغَضَبِ ؛ فإنَّ شِدَّةَ الغَضَبِ مَمْحَقَةٌ [4]لفؤادِ الحكيمِ[4][5] .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثنا نافعُ بنُ عمرَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ ، قال : قال لقمانُ لابنِه وهو يَعِظُه : يا بُنَيَّ ، اخْتَرِ المَجالِسَ على عَيْنِكَ ، فإذا رَأَيْتَ المَجْلِسَ يُذْكَرُ فيه اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، فاجْلِسْ معهم ؛ فإنَّك إن تَكُ عالِمًا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ ، وإن تَكُ غَبِيًّا[7] يُعَلِّموك ، وإن يَطَّلِعِ اللَّهُ عليهم بِرَحْمَةٍ تُصِبْك معهم ، يا بُنَيَّ ، لا تَجْلِسْ فى المَجْلِسِ الذى لا يُذْكَرُ اللَّهُ فيه ؛ فإنَّكَ إن تَكُ عالِمًا لا يَنْفَعْك عِلْمُك ، وإن تَكُ غَبِيًّا يَزِيدُوكَ

---

(١) الزهد ص ٤٩.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد . وانظر الزهد ص ٤٩.

(٣) فى م : «الحكم» .

(٤ - ٤) فى الأصل : «لفرائد الحكمة» .

(٥) وجدتُ الإسناد فى الزهد ، لا المتن . وذكره - ببعض اختلافٍ - فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد .

(٦) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد .

(٧) فى الأصل : «عيا» . فى ح : «عبيا» . فى م : «عييا» . فى ص : «غيبا» .

غَبَاءً[1] ، وإن يَطَّلِعِ اللَّهُ إليهم بعدَ ذلكَ بِسَخَطٍ ، يُصِبْك معهم ، يا بُنَيَّ ، لا تَغْبِطَنَّ امْرَأً رَحْبَ الذِّراعَيْنِ يَسْفِكُ دِمَاءَ المؤمنين ، فإنَّ له عندَ اللَّهِ قاتِلًا لا يَمُوتُ .

وحَدَّثَنا أبو مُعاويةَ ، حَدَّثَنا هشامُ بنُ عُروةَ ، عن أبيه ، قال : مَكْتُوبٌ فى الحكمةِ : بُنَيَّ ، لِتَكُنْ كَلِمَتُك طَيِّبَةً ، ولْيَكُنْ وَجْهُكَ بَسْطًا ، [١/٢٩١ظ] تَكُنْ أَحَبَّ إلى النَّاسِ مِمَّنْ يُعطِيهم العَطَاءَ . وقال : مَكْتوبٌ فى الحِكْمةِ أوْ فى التَّوْراةِ : الرِّفْقُ رَأْسُ الحِكْمَةِ . وقال : مكتوبٌ فى التَّوْراةِ : كما تَرْحَمونَ تُرْحَمُون . وقال : مكتوبٌ فى الحِكْمَةِ : كما تَزْرَعُون تَحْصُدُونَ . وقال : مكتوبٌ فى الحكمةِ : أَحِبَّ خَلِيلَكَ وخَلِيلَ أبِيك[2] .

وحَدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلَابَةَ قال : قِيل لِلُقْمانَ : أَىُّ النَّاسِ أَصْبَرُ ؟ قال : صَبْرٌ لا يَتْبَعُه أَذًى . قيل : فأىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قال : مَن ازْدادَ مِن عِلْمِ النَّاسِ إلى عِلْمِه . قيل : فَأَىُّ النَّاسِ خيرٌ ؟ قال : الغَنِىُّ . قيل : الغَنِىُّ مِن المالِ ؟ قال : لا ، ولكن الغَنِىُّ الذى إذا الْتُمِسَ عندَه خَيْرٌ ، وُجِدَ ، وإلَّا أَغْنَى نَفْسَه عن النَّاسِ[3] .

وحَدَّثَنا سفيانُ - هو ابنُ عُيَيْنَةَ - قال : قيل لِلُقْمانَ : أَىُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قال : الذى لا يُبالِى أَنْ يَرَاه النَّاسُ مُسِيئًا[4] . وحَدَّثَنا أبو عبدِ الصَّمَدِ ، عن مالِكِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « عيا » . فى ح : « عبيا » . فى م : « غبيا » . فى ص : « غيبا » .

(٢) الزهد ٤٩، ٥٠، وعنده : « بسيطا » ، مكان : « بسطًا » . وحلية الأولياء ٢/ ١٧٨، من طريق أبى معاوية الضرير مختصرًا .

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد .

(٤) الزهد ص ٥٠.

دِينارٍ قال : وَجَدْتُ فى بعضِ الحِكْمَةِ : يُبَدِّدُ اللَّهُ عِظامَ الذينَ يَتَكَلَّمُون بأَهواءِ النَّاسِ . وَوَجَدْتُ فيها : لا خيرَ لك فى أَنْ تَعْلَمَ ما لَمْ تَعْلَمْ ، ولَمَّا تَعْمَلْ بما قد عَلِمْتَ ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك ، مَثَلُ رَجُلٍ احْتَطَبَ حَطبًا ، فحَزَمَ حُزْمَةً ، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْمِلُها فعَجَزَ عنها ، فضَمَّ إليها أُخْرَى[1] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[2] : حَدَّثَنا الحكَمُ بنُ أبى زُهَيرٍ ، وهو الحكمُ بنُ موسى ، حَدَّثنا الفَرَجُ بنُ فَضَالَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال لُقمانُ لابْنِه : يا بُنَيَّ ، لا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلَّا الأَتْقِياءُ ، وشاوِرْ فى أَمْرِك العُلَماءَ .

وهذا مجموعُ ما ذَكَره الإمامُ أحمدُ فى هذا المَوْضِعِ ، وقد قَدَّمْنا مِن الآثارِ كثيرًا لم يَرْوِها ، كما أَنَّه ذَكَرَ أشياءَ ليستْ عِندَنا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3] : حَدَّثَنا أبى ، حَدَّثَنا العَبَّاسُ بنُ الوليدِ ، حَدَّثَنا زيدُ بنُ يحيى بنِ[4] عُبَيْدٍ الخُزاعِىُّ ، حَدَّثَنا سعيدُ بنُ بَشِيرٍ ، عن قَتادَةَ قال : خَيَّرَ اللَّهُ لُقمانَ الحكيمَ بينَ النُّبُوَّةِ والحِكْمَةِ ، فاخْتارَ الحكمةَ على النُّبُوَّةِ . قال : فأتاه جِبْرِيلُ وهو نائمٌ ، فذَرَّ عليه الحِكمةَ . قال : فأَصْبَحَ يَنْطِقُ بها . قال سعيدٌ[5] : فسَمِعْتُ قَتادَةَ يقول : قِيل لِلُقْمانَ : كيف اخْتَرْتَ الحِكمةَ على النُّبُوَّةِ وقد خَيَّرَكَ رَبُّكَ ؟ فقال : إنَّه لو أُرْسِلَ إلَىَّ بالنُّبُوَّةِ عَزْمَةً ، لَرَجَوْتُ فيه الفَوْزَ منه ، ولَكُنْتُ

---

(١) الزهد ص ٥٠.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لعبد اللَّه بن أحمد فى زوائده .

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، والمصنف فى التفسير ٣/ ٣٣٧، ٣٣٨، وعزياه إلى ابن أبى حاتم .

(٤) فى الأصل : « عن » .

(٥) فى م : « سعد » .

أَرْجُو أَنْ أَقُومَ بها ، ولكِنَّه خَيَّرَنِى ، فخِفْتُ أَنْ أَضْعُفَ عن النُّبُوَّةِ ، فكانتِ الحِكْمةُ أَحَبَّ إلَىَّ . وهذا فيه نظرٌ ؛ لأَنَّ سعيدَ بنَ بَشِيرٍ عن قَتادَةَ ، قد تَكَلَّمُوا فيه . والذى رَواه سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ[1] ، عن قَتادَةَ ، فى قولِه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ ، قال : يَعْنِى الفِقْهَ فى الإِسْلامِ ، ولم يَكُنْ نَبِيًّا ، ولم يُوحَ إليه . وهكذا نَصَّ على هذا غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَفِ ؛ منهم مُجاهِدٌ ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، [٢٩٢/١و] وابنُ عباسٍ[2] واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) التفسير ٣/ ٣٣٨. تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧، حيث ساقه ابن جرير بإسناده إلى قتادة . الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لابن أبى حاتم .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧، ٦٨. والتفسير ٦/ ٣٣٦.

قصّةُ أصْحابِ الأُخْدُودِ

قال اللّه تعالى[1] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١- ١٠]. قد تَكَلَّمْنا على ذلكَ مُسْتَقْصًى فى تفسيرِ هذه السُّورةِ وللّهِ الحمدُ. وقد زعَم محمدُ بنُ إسحاقَ أنَّهم كانوا بعدَ مَبْعَثِ المسيحِ[2] ، وخَالفَه غيرُه ، فزَعَمُوا أنَّهم كانوا قَبْلَه[2] . وقد ذَكَرَ[3] غيرُ واحدٍ أنَّ هذا الصَّنِيعَ تَكَرَّرَ فى العالَمِ مِرَارًا فى حَقِّ المؤمنينَ مِن الجبّارينَ الكافرينَ ، ولكنْ هؤلاءِ المذْكورون فى القرآنِ قد وَرَدَ فيهم حديثٌ مَرْفُوعٌ وأَثَرٌ أَوْرَدَه ابنُ إسحاقَ ، وهما متعارِضان ، وها نحن نورِدُهما لتقِفَ عليهما .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : [5] حَدَّثَنا عَفَّانُ[5] ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن ثابِتٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن صُهَيْبٍ ، أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « كان مَلِكٌ فيمَن كان قَبْلَكم ، وكان له ساحِرٌ ، فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ قال للمَلِكِ : إنِّى

---

(١) التفسير ٨/ ٣٨٤ - ٣٩٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤.

(٣) فى ص: «زعم».

(٤) فى المسند ٦/ ١٦، ١٧.

(٥ - ٥) سقط من: م.

قد كَبِرَتْ سِنِّى ، وحَضَر أَجَلِى ، فَادْفَعْ إلىَّ غلامًا فَلِأُعَلِّمَه السِّحْرَ . فدفَع إليه غلامًا ، فكان يُعَلِّمُه السِّحْرَ ، وكان بَيْنَ السَّاحِرِ وبينَ المِلِكِ راهِبٌ ، فَأَتَى الغلامُ على الرَّاهبِ فسَمِعَ مِن كلامِه ، فَأَعْجَبَه نَحْوُه وكلامُه ، وكان إذا أَتَى السَّاحِرَ ضربَه ، وقال : ما حبَسَكَ ؟ وإذا أَتَى أَهْلَه ضَرَبُوه ، وقالوا : ما حَبَسَك ؟ فشَكَا ذلك إلى الرَّاهِبِ ، فقال : إذا أَرَاد السَّاحرُ أَنْ يَضْرِبَك فقُلْ : حَبَسَنى أَهْلِى . وإذا أَرَاد أَهْلُك أنْ يَضْرِبُوك فقُلْ : حَبَسَنى السَّاحِرُ » . قال : « فبَيْنَما هو ذاتَ يومٍ ، إذْ أَتَى على[1] دَابَّةٍ فَظِيعَةٍ عَظِيمَةٍ قد حَبَسَتِ النَّاسَ ، فلا يَسْتطِيعون أنْ يَجُوزُوا ، فقالَ : اليومَ أعلمُ أَمْرُ السّاحرِ أحبُّ إلى اللَّهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ » . قال : « فأَخَذ حَجَرًا ، فقال : اللهمَّ إنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إليك وأَرْضَى مِن أَمْرِ السَّاحِرِ ، فاقْتُلْ هذه الدَّابَّةَ حتى يَجُوزَ النَّاسُ . ورَمَاها فَقَتَلَها ، ومَضَى النّاسُ[2] ، فأَخْبَرَ الرَّاهبَ بذلك ، فقال : أَىْ بُنَىَّ ، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّى ، وإنَّك سَتُبْتَلَى ، فإنِ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ علىَّ . فكان الغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وسائِرَ الأَدْوَاءِ ويَشْفِيهم[3] ، وكان جَلِيسٌ للمَلِكِ فعَمِىَ ، فسَمِعَ به ، فأَتَاه بهَدايَا كثيرةٍ ، فقال : اشْفِنِى ولَكَ ما هَهُنا أَجْمَعُ . فقال : ما أنا أَشْفِى أحدًا ، إنَّما يَشْفِى [١/ ٢٩٢ظ] اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فإنْ آمَنْتَ به ، دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ . فآمَنَ ، فدَعَا اللَّهَ فشَفَاه ، ثُمَّ أَتَى المَلِكَ ، فجلَس منه نَحْوَ ما كان يَجْلِسُ ، فقال له المَلِكُ : يا فلانُ ، مَنْ رَدَّ عليكَ بَصَرَك ؟ فقال : رَبِّى . قال : أنا ؟ قال : لا ، رَبِّى ورَبُّك اللَّهُ . قال : ولكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قال : نَعَم ، رَبِّى ورَبُّك اللَّهُ . فلم يَزَلْ يُعَذِّبُه حتى

---

(١) بعده فى الأصل : « الناس » .

(٢) سقط من : ح ، م .

(٣) بعده فى ح ، م : « اللَّه على يديه » .

دَلَّ على الغُلَامِ، فأُتِيَ به، فقال: أَىْ بُنَىَّ، بلَغ مِن سِحْرِكَ أنْ تُبْرِئَ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وهذه الأَدْواءَ؟! قال: ما أَشْفِى أنا أَحَدًا، إنَّما يَشْفِى اللَّهُ، عزَّ وجَلَّ. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى؟ قال: رَبِّى ورَبُّك اللَّهُ». قال: «فأخذَه أيضًا بالعذابِ، ولم يَزَلْ به حتى دَلَّ على الرَّاهِبِ، فأُتِيَ بالرَّاهبِ، فقال: ارْجِعْ عن دِينِكَ. فأَبَى، فوَضَعَ المِنْشارَ فى مَفْرِقِ رَأْسِه حتى وقَع شِقّاه، وقال للأَعْمَى: ارْجِعْ عن دِينِك. فأَبَى، فوضَعَ المِنْشارَ فى مَفْرِقِ رأْسِه حتى وقَع شِقّاه، وقال للغلامِ: ارْجِعْ عن دِينِكَ. فأَبَى، فبَعث به مع نَفَرٍ إلى جَبَلِ كذا وكذا، وقال: إذا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَه، فإنْ رجَع عن دِينِه، وإلَّا فدَهْدِهُوه. فذهَبُوا به، فلمَّا عَلَوُا الجبلَ قال: اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ. فرَجَفَ بهم الجبَلُ، فدُهْدِهُوا أَجْمَعون، وجاءَ الغلامُ يَتَلَمَّسُ، حتى دخَل على المَلِكِ، فقال: ما فَعَل أصحابُك؟ فقال: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فبعَث به مع نَفَرٍ فى قُرْقُورٍ[1] فقال: إذا لَجَجْتُم البَحْرَ، فإنْ رجَع عن دِينِه، وإلَّا فغَرِّقُوه فى البَحْرِ. فلَجَجُوا به البحْرَ، فقال الغُلامُ: اللهمَّ اكْفِنِيهِم بما شِئْتَ. فَغَرِقُوا أجْمَعُون، وجاء الغُلامُ [يَتَلَمَّسُ][2] حتى دخَل على المَلِكِ، فقال: ما فَعَل أصحابُك؟ فقال: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. ثم قال للمَلِكِ: إنَّكَ لستَ بقاتِلِى حتى تَفْعَلَ ما آمُرُك به، فإنْ أنت فعلْتَ ما آمُرُك به قَتَلْتَنى، وإلَّا فإنَّكَ لا تَستطيعُ قَتْلِى. قال: وما هو؟ قال: تَجْمَعُ النَّاسَ فى صَعِيدٍ واحدٍ، ثُم تَصْلِبُنى على جِذْعٍ، وتَأْخُذُ سَهْمًا مِن كِنَانَتِى، ثُم قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلامِ. فإنَّك إذا فعلْتَ ذلك قَتَلْتَنى. ففَعَلَ

---

(١) فى الأصل: «قرقورة»، وفى ح، م: «قرقرة». والقرقور: ضرب من السفن، وقيل: هى السفينة العظيمة أو الطويلة. اللسان (ق ر ر).

(٢) ما بين المعكوفين سقط من النسخ، والمثبت من المسند.

ووضَعَ السَّهْمَ فى كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ رَمَاه وقال: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغلامِ. فوقَع السَّهْمُ فى صُدْغِه، فوضَع الغلامُ يدَه على موضِعِ السَّهْمِ ومَاتَ، فقال النَّاسُ: آمنَّا بربِّ الغلامِ. فقيل للمَلِكِ: أرأيتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ، فقَدْ واللَّهِ نزَل بكَ، قد آمَن النَّاسُ كلُّهم. فأمَر بأفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدِّدَتْ[1] فيها الأَخاديدُ، وأُضْرِمَتْ فيها النيرانُ، وقال: مَن رجَع عن دينِه فدَعُوه، وإلَّا فأَقْحِمُوه فيها». قال: «فكانوا يَتَعادَوْنَ فيها ويَتَدَافَعُون[2]، فجاءتِ امرأةٌ بابنٍ لها تُرْضِعُه، فكأنَّها تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فى النَّارِ، فقال الصَّبِيُّ: اصْبِرِى يا أُمَّاهُ، فإنَّكِ على الحقِّ». كَذَا رَوَاه الإمامُ أحمدُ. ورواه [١/٢٩٣و] مُسْلِمٌ، والنَّسَائِيُّ من حديثِ حَمَّادِ ابنِ سَلَمَةَ[3]. زادَ النَّسائيُّ: وحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ. كلاهما عن ثابتٍ به[4]. ورَواه التِّرْمِذِيُّ[5] من طريقِ عبدِ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن ثابتٍ بإسنادِه، نَحْوَه، وحَرَّرَ[6] إيرادَه، كما بَسَطْنا ذلك فى «التفسيرِ»[7].

---

(١) فى الأصل، ح: «فخدت»، وفى م: «فحفر». وفى ص: «فخد»، والمثبت من المسند.

(٢) فى النسخ: «يتواقعون»، والمثبت من المسند.

(٣) مسلم (٣٠٠٥). والنسائى فى الكبرى (١١٦٦١).

(٤) لم نجد طريق حماد بن زيد عند النسائى لا فى المجتبى ولا فى السنن الكبرى. وقد عزاه الحافظ المزى من هذا الطريق إلى النسائى فى الكبرى فى كتاب عمل اليوم والليلة من رواية ابن الأحمر. والذى فى الكبرى فى كتاب عمل اليوم والليلة برقم (١٠٤٥٠) عن سليمان بن المغيرة عن ثابت به.

وقد تعقب الحافظ ابن حجر الحافظ المزى فى النكت الظراف ٤/ ١٩٩، ٢٠٠، فقال:.. وفى اليوم والليلة من رواية ابن الأحمر عن «سليمان بن المغيرة» لا عن حماد بن زيد ولا عن حماد بن سلمة. انظر تحفة الأشراف ٤/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٥) الترمذى (٣٣٤٠). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦١).

(٦) فى ح، م: «جرد»، وفى ص: «جوز».

(٧) التفسير ٨/٣٨٧ - ٣٨٩.

وقد أَوْرَدَ محمدُ بنُ إسحاقَ هذه القصَّةَ على وجهٍ آخرَ[1] ، فقال : حدَّثنى يَزِيدُ بنُ زيادٍ ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ ، وحدَّثنى أَيْضًا بعضُ أَهْلِ نَجْرانَ عن أَهْلِها ، أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كانوا أَهْلَ شِرْكٍ يَعْبُدون الأَوْثانَ ، وكان فى قريةٍ مِن قُراها قريبًا مِن نَجْرَانَ - ونَجْرَانُ هى القريةُ العُظْمَى التى إليها جِمَاعُ أهلِ تلكَ البلادِ - ساحرٌ يُعَلِّمُ غِلْمانَ أهلِ نَجْرَانَ السِّحْرَ ، فلَمَّا نَزَلَهَا فَيْمَيُونُ[2] - ولم يُسَمُّوه لى بالاسْمِ الذى سَمَّاهُ لى ابنُ مُنَبِّهٍ ، قالوا : رَجلٌ نزَلَها - فابْتَنَى خَيْمَةً بينَ نَجْرانَ وبينَ تلك القَرْيةِ التى فيها السَّاحرُ ، وجعَل أهلُ نَجْرانَ يُرْسِلون غِلْمَانَهم إلى ذلك السَّاحرِ يُعَلِّمُهم السِّحْرَ ، فبعَث الثَّامِرُ[3] ابنَه عبدَ اللَّهِ بنَ الثَّامِرِ مع غِلْمَانِ أهلِ نَجْرانَ ، فكان إذا مَرَّ بصاحبِ الخَيْمَةِ أَعْجَبَه ما يَرَى مِن عِبادَتِه وصَلاتِه ، فجَعَلَ يَجْلِسُ إليه ويَسْمَعُ منه حتى أَسْلَمَ ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وعَبَدَه ، وجعَل يَسْأَلُه عن شرائعِ الإِسلامِ ، حتى إذا فَقُهَ فيه ، جعَلَ يَسْأَلُه عنْ الاسمِ الأَعْظَمِ ، وكان يَعْلَمُه فكَتَمَه إيّاه ، وقال له : يا ابنَ أخى ، إنَّك لن تَحْمِلَه ، أَخْشَى ضَعْفَك عنه . والثَّامِرُ [4]أبو عبدِ اللَّهِ[4] لا يَظُنُّ إلَّا أَنَّ ابنَه يَخْتَلِفُ إلى السَّاحرِ كما يَخْتَلِفُ الغِلْمانُ ، فلَمَّا رأَى عبدُ اللَّهِ أَنَّ صاحبَه قد ضَنَّ[5] به عنه ، وتَخَوَّفَ ضَعْفَه فيه ، عَمَدَ إلى قِدَاحٍ فجمَعَها ثُم لم يُبْقِ للَّهِ اسْمًا يَعْلَمُه إلَّا كَتَبَه فى قِدْحٍ ، لكلِّ اسمٍ قِدْحٌ ، حتى إذا أَحْصَاها أَوْقَدَ نَارًا ثم جَعَلَ يقذِفُها فيها قِدْحًا قِدْحًا ، حتى إذا مَرَّ بالاِسْمِ الأَعْظَمِ ، قَذَفَ فيها بقِدْحِه ، فوَثَبَ القِدْحُ حتى خرَج منها لم تَضُرَّه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤.

(٢) فى الأصل ، م : « فيمون » .

(٣) فى م فى هذا الموضع وفيما يأتى بعد : « التامر » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، ص : « ظن » .

شيئًا ، فأخَذَه ثُم أَتَى به صاحبَه ، فأخْبَرَه أَنّه قَد عَلِمَ الاسمَ الأعظمَ الذى قد كَتَمَه ، فقال : وما هو ؟ قال : كذا وكذا . قال : وكيف عَلِمْتَه ؟ فأخْبَرَه بما صنعَ ، قال : أَيِ ابنَ أخِى ، قد أَصَبْتَه ، فأَمْسِكْ على نَفْسِك ، وما أظنُّ أَنْ تَفْعَلَ[1] . فجعَل عبدُ اللَّهِ بنُ الثامِرِ إذا دخَل نَجْرانَ ، لم يَلْقَ أحدًا به ضُرٌّ إلَّا قال : يا عبدَ اللَّهِ ، أَتُوَحِّدُ اللَّهَ وَتَدْخُلُ فى دِينى ، وأَدْعُو اللَّهَ لك فيُعافِيَك مِمَّا أَنتَ فيه من البَلَاءِ ؟ [2]فيقولُ : نَعَم . فيُوَحِّدُ اللَّهَ ويُسْلِمُ ، ويَدْعو له فيُشْفَى ، حتى لم يَبْقَ بنَجْرانَ أحدٌ به ضُرٌّ إلَّا أَتَاه فاتَّبَعه على أَمْرِه[2] ودَعَا له فعُوفِىَ ، حتى رُفِعَ شَأْنُه إلى مَلِكِ نَجْرانَ ، فدَعاه فقال : أَفْسَدْتَ علىَّ أهْلَ قَرْيَتى ، وخَالَفْتَ دِينى ودِينَ آبائى ، لَأُمَثِّلَنَّ بك . [١/٢٩٣ظ] قال : لا تَقْدِرُ على ذلك . فجعَل يُرْسِلُ به إلى الجبلِ الطَّويلِ ، فيُطْرَحُ على رأسِه ، فيَقَعُ إلى الأرضِ ما به بَأْسٌ ، وجعَل يَبْعَثُ به إلى مياهٍ بنَجْرَانَ ؛ بُحُورٍ لا يُلْقَى فيها شىءٌ إلَّا هَلَكَ ، فيُلْقَى به فيها ، فيَخْرُجُ ليس به بَأْسٌ ، فلمَّا غلَبَه ، قال له عبدُ اللَّهِ بنُ الثامِرِ : إنك واللَّهِ لا تَقْدِرُ على قَتْلِى حتى تُوَحِّدَ اللَّهَ فتُؤمِنَ بما آمَنْتُ به ، فإنّك إنْ فَعَلْتَ ، سُلِّطْتَ علىَّ فقَتَلْتَنى . قال : فوَحَّدَ اللَّهَ ذلك المَلِكُ ، وشَهِدَ شَهادةَ عبدِ اللَّهِ بنِ الثامِرِ ، ثم ضَرَبَه بِعَصًا فى يَدِه ، فشَجَّه شَجَّةً غيرَ كبيرةٍ فقَتَلَه ، وهَلَكَ المَلِكُ مكانَه ، واسْتَجْمَع أهلُ نَجْرانَ على دِينِ عبدِ اللَّهِ بنِ الثَّامِرِ ، وكان على ما جاء به عيسَى ابنُ مريمَ مِن الإنجيلِ وحُكْمِه ، ثم أَصَابهم ما أَصابَ أهلَ دينِهم مِن الأحْداثِ[3] ، فَمِنْ هُنَالِكَ كان أَصْلُ[4] دينِ النَّصْرانِيَّةِ بِنَجْرَانَ .

---

(١) فى الأصل : « ينفعك » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ح ، م : « الأحزاب » .

(٤) سقط من : الأصل .

قال ابنُ إسحاقَ : فهذا حديثُ محمدِ بنِ كعبٍ وبعضِ أهْلِ نجرانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الثَّامِرِ ، فاللَّهُ أعْلمُ أىُّ ذَلكَ كان . قال : فسارَ إليهم ذُو نُوَاسٍ بجُنْدِهِ ، فدَعاهُم إلى اليهوديّةِ ، وخيَّرَهم بينَ ذلك أو القتلِ ، فاخْتاروا القتلَ ، فَخَدَّ الأُخْدودَ ، وحرَّق بالنَّارِ ، وقتَل بالسيفِ ، ومَثَّلَ بهم ، فَقَتَلَ منهم قريبًا من عشرينَ ألفًا ، ففى ذِى نُوَاسٍ وجُنْدِه أَنْزَلَ اللَّهُ على رسولِه ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ الآيات . وهذا يَقْتَضِى أَنَّ هذه القصّةَ غيرُ ما وقَع فى سياقِ مُسْلِمٍ .

وقد زعَم بعضُهم أَنَّ الأُخْدودَ وقَع فى العالَمِ كثيرًا ، كما قال ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حدّثنا أبى ، حدّثنا أبو اليَمَانِ ، أنبأنا صَفْوانُ ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : كانت الأُخْدودُ فى اليَمَنِ زمانَ تُبَّعٍ ، وفى القُسْطَنْطِينِيَّةِ زمانَ قُسْطَنْطِينَ ، حينَ[2] صرَف النَّصارَى قِبْلتَهم[3] عن دينِ المسيحِ والتَّوْحيدِ ، واتَّخَذَ أَتُّونًا ، وأَلْقَى فيه النَّصارَى الذين كانوا على دِينِ المسيحِ والتَّوْحيدِ ، وفى العراقِ فى أَرْضِ بابلَ فى زمانِ بُخْتُ نَصَّرَ ، حينَ صنَعَ الصَّنَمَ ، وأَمَرَ النَّاسَ فَسجدُوا له ، فامْتَنَعَ دانيالُ وصاحِباهُ عَزريا ومشايلُ ، فَأَوْقَدَ لهم أَتُّونًا وأَلْقَى فيها الحَطَبَ والنَّارَ ، ثُمَّ أَلْقاهُم فيها ، فجَعَلَها اللَّهُ عليهم بَرْدًا وسلَامًا ، وأنقَذَهُم منها ، وأَلْقَى فيها الذينَ بَغَوْا عليه ، وهم تسعةُ رَهْطٍ ، فأَكَلَتْهم النارُ .

وقال أسْباطٌ ، عن السُّدِّىِّ ، فى قولِه : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ قال :

---

(١) ذكره المصنف فى تفسيره ٨/ ٣٩٣. وعزاه لابن أبى حاتم .

(٢) فى الأصل ، ص : « حتى » .

(٣) فى الأصل : « فقتلهم » .

كان الأُخْدودُ ثلاثةً، خَدٌّ بالشامِ، وخَدٌّ بالعراقِ، وخَدٌّ باليمنِ. رَواه ابنُ أبى حاتمٍ.

وقد اسْتَقصَيْتُ ذِكْرَ أصحابِ الأخدودِ، والكلامَ على تفسيرِها فى تفسيرِ سورةِ «البُرُوجِ» من كتابِنا «التفسيرِ»، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

بابُ بَيَانِ الإِذْنِ فى الرّوَايةِ

(١)والتَّحْدِيثِ(١) عن أَخْبَارِ بَنِى إِسرَائيلَ

[١/٢٩٤و] قال الإمامُ أحمدُ(٢) : حدَّثَنا عبدُ الصَّمَدِ ، حدَّثَنا هَمَّامٌ ، حدّثَنا زيدٌ ، عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، رضى اللَّه عنه ، عن النبىِّ ﷺ ، أنَّه قال : « حَدِّثُوا عنِّى ولا تَكْذِبُوا علىَّ ، ومَن كذَب علىَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النَّارِ ، وحَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ » .

وقال أيضًا(٣) : حدَّثَنا عَفّانُ ، حدَّثنا هَمَّامٌ ، أنبأَنا زيدُ بنُ أَسْلَمَ ، عن عطاءِ ابنِ يَسَارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « لا تَكْتُبُوا عنِّى شَيْئًا غيرَ القرآنِ ، فمَن كتَب عنِّى شيئًا غيرَ القرآنِ فلْيَمْحُه » . وقال : « حَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ ، حَدِّثُوا عنِّى ولا تَكْذِبوا علىَّ » . قال : « ومَن كذَب علىَّ - قال همّامٌ : أحْسَبُه قال : مُتَعَمِّدًا - فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ » . وهكذا رواهُ مسلمٌ ، والنَّسائىُّ ، من حديثِ هَمّامٍ(٤) . ورَوَاه أبو عَوَانةَ الإِسْفِرَايِينىُّ(٥) ، عن أبى داودَ السِّجِسْتانىِّ ، عن هُدْبَةَ ، عن هَمَّامٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ به ، ثُم

(١ - ١) سقط من : م ، وفى الأصل : « والتحدث » .

(٢) فى المسند ٣/ ٤٦.

(٣) فى المسند ٣/ ٥٦. (صحيح الجامع الصغير ٧٣١١) .

(٤) مسلم (٣٠٠٤) ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٠٨، ٥٨٤٨) .

(٥) وقد عزاه صاحب التحفة إلى أبى عوانة عن أبى داود به ، كما ذكره المصنف . تحفة الأشراف ٣/ ٤٠٨.

قال : قال أبو داودَ : أَخْطَأَ فيه هَمَّامٌ ، هو مِن قولِ أبى سعيدٍ . كذا قال . وقد رَواه التِّرْمِذِىُّ ، عن سفيانَ بنِ[1] وكيعٍ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ بيعضِه مرفوعًا[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، أنبأنا الأَوْزَاعِىُّ ، حدَّثنا حَسّانُ بنُ عطيةَ ، حدّثنى أبو كَبْشَةَ السَّلُولِىُّ ، أَنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ ، حَدَّثَه أَنّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ - يعنى يقولُ -: « بَلِّغُوا عنِّى ولوْ آيةً ، وحدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ ، ومَن كذَب علىَّ مُتَعَمِّدًا ، فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النَّارِ » . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ وعبدِ الرَّزَّاقِ ، كِلاهما عن الأَوْزاعِىِّ به[4] . وهكذا رواه البخارىُّ ، عن أبى عاصمٍ النَّبيلِ ، عن الأَوْزَاعِىِّ به[5] . وكذا رواه التِّرْمِذىُّ ، عن بُنْدَارٍ ، عن أبى عاصمٍ[6] . ثُم رواه عن محمدِ ابنِ يحيَى الذُّهْلِىِّ ، عن محمدِ بنِ يوسُفَ الفِرْيَابِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ثابتِ ابنِ ثَوْبانَ ، عن حسّانَ بنِ عطيةَ به[6] ، وقال : حَسَنٌ صحيحٌ .

وقال أبو بكرٍ البَزَّارُ[7] : حدَّثَنا محمدُ بنُ المُثَنَّى أبو موسى ، حدَّثنا[8] مُعاذُ بنُ هِشامٍ[8] ، حدَّثنا أبى ، عن قَتَادَةَ ، عن أبى حَسّانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو قال :

---

(١) فى ح ، م : « عن » .
(٢) الترمذى (٢٦٦٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢١٤٧) .
(٣) أحمد فى المسند ٢/ ١٥٩ . (إسناده صحيح) .
(٤) أحمد فى المسند ٢/ ٢٠٢ . (إسناده صحيح) .
(٥) البخارى (٣٤٦١) .
(٦) سنن الترمذى (٢٦٦٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢١٥٠) .
(٧) انظر كلام البزار فى كشف الأستار ، تحت حديث رقم (٢٣٠) .
(٨ - ٨) فى ح : « هشام بن معاذ » ، وفى م : « هشام بن معاوية » . وانظر التقريب ٢/ ٢٥٧ .

كان نبيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنا عامَّةَ لَيْلِه عن بَنى إسرائيلَ حتى [1]يُصْبِحَ، ما يَقُومُ[1] فيها إلَّا لعُظْمِ[2] صَلاةٍ. [3]ورواه أبو داودَ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى[4]. ثم قال البَزَّارُ[5]: حَدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، حدَّثنا عفَّانُ، حدَّثنا أبو هلالٍ، عن قَتادَةَ، عن أبى حَسّانَ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ، قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنا عامّةَ لَيْلِه عن بنى إسرائيلَ لا يقومُ إلَّا لعُظْمِ[6] صلاةٍ[3]. قال البزَّارُ: وهشامٌ أحْفَظُ من أبى هِلالٍ. يعنى، أنَّ الصَّوابَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، لا عن عِمرانَ ابنِ حُصَيْنٍ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: حَدَّثنا يحيى [١/٢٩٤ظ]، هو القَطَّانُ، عن محمدِ ابنِ عَمْرٍو، حدَّثنا أبو سَلَمَةَ، عن أبى هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «حَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ» إسنادٌ صحيحٌ ولم يُخَرِّجُوه.

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[8]: حَدَّثَنا أبو خَيْثَمَةَ، حدّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا رَبيعُ بنُ

(١ - ١) فى الأصل، ح، م: «نصبح ما نقوم».

(٢) فى النسخ: «لمعظم»، والتصويب من كشف الأستار، ومعناه، أنه لا يقوم إلا إلى الفريضة، وانظر سنن أبى داود (٣٦٦٣).

(٣ - ٣) سقط من: ح.

(٤) أبو داود (٣٦٦٣). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣١١١).

(٥) كشف الأستار (٢٢٣). قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٩١: رواه البزار وأحمد والطبرانى فى الكبير، وإسناده صحيح.

(٦) فى النسخ: «لمعظم». والمثبت من كشف الأستار.

(٧) أحمد فى المسند ٢/ ٤٧٤.

(٨) ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية (٦٨٧)، وعزاه لأبى بكر البزار. وقد عزاه البوصيرى في إتحاف السادة المهرة إلى أبى يعلى وقال: بسند رجاله ثقات. كما فى حاشية المطالب العالية ١/ ١٩٢. كما أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٩/ ٦٢. من طريق وكيع به مختصرًا.

سعدٍ الجُعْفِيُّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابِطٍ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «حَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ، فإنَّه قد كان فيهم الأعاجِيبُ». ثُمَّ أَنْشَأَ يُحدِّثُ ﷺ قال: «خرَجَتْ طائفةٌ من بنى إسرائيلَ، حتى أَتَوْا مَقبَرةً مِن مقابِرِهم، فقالوا: لو صَلَّيْنا رَكْعَتَيْنِ ودَعَوْنا اللَّهَ، عَزَّ وجَلَّ، فيُخْرِجُ لنا رَجُلًا قد ماتَ نُسائِلُه، يُحَدِّثُنا عن الموتِ. ففعلوا، فبينَما هم كذلك، إذْ أَطْلَعَ رجلٌ رَأْسَه مِن قبرٍ مِن تلك القبورِ، رجلٌ[1] بينَ عَيْنَيْه أَثَرُ السُّجودِ، فقال: يا هؤلاءِ، ما أردتُم إلىَّ، فقد مِتُّ منذُ مِائةِ عامٍ، فما سَكَنَتْ عنِّى حرارةُ الموتِ حتى الآنَ، فادْعوا اللَّهَ أنْ يُعيدَنى كما كُنْتُ». وهذا حديثٌ غريبٌ.

إذا تَقَرَّرَ جوازُ الرِّوايةِ عنهم، فهو محمولٌ على ما يمكنُ أنْ يكونَ صحيحًا، فأمّا ما يُعْلَمُ أو يُظَنُّ بُطْلانُه؛ لمخالَفَتِه الحقَّ الذى بأيدينا عن المعصومِ، فذاك متروكٌ مرْدُودٌ لا يُعَرَّجُ عليه، ثم مع هذا كلِّه، لا يلزمُ مِن جوازِ روايتِه أَنْ يُعْتَقَدَ صِحَّتُه؛ لما رواه البخاريُّ قائلًا[2]: حدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ[3]، حدَّثَنا عثمانُ بنُ عُمَرَ، حدَّثَنا علىُّ بنُ المبارَكِ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ، عن أبى سَلَمَةَ، عن أبى هريرةَ قال: كان أهلُ الكتابِ يَقْرَءُون التوراةَ بالعِبْرَانيّةِ ويُفَسِّرُونها بالعربيةِ لأهلِ الإسلامِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبُوهم، وقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[4]» [البقرة: ١٣٦]. تَفَرَّدَ به

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) البخارى (٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢).

(٣) فى الأصل غير منقوطة، وفى ح، م، ص: «يسار».

(٤) بعده فى الأصل، ح، م: «وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون». وهذا اللفظ ليس فى كتاب اللَّه، فالجزء المثبت جزء من آية ١٣٦ من سورة البقرة. =

البُخَارِىُّ مِن هذا الوجْهِ .

وروَى الإمامُ أحمدُ[1] من طريقِ الزُّهْرِىِّ ، عن ابنِ[2] أبى نَمْلَةَ الأنصارىِّ ، عن أبيه ، أنه كان جالسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذْ جاء رجلٌ مِن اليهودِ ، فقال : يا محمدُ ، هل تَتَكَلَّمُ هذه الجِنازةُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أَعْلَمُ » . فقال اليهودِىُّ : أنا أَشْهَدُ أَنّها تَتَكَلَّمُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا حَدَّثَكُمْ أهلُ الكتابِ ، فَلَا تُصَدِّقُوهُم ولا تُكَذِّبوهم ، وقُولوا : آمَنَّا باللَّهِ وكُتُبِه وَرُسُلِه . فإن كان حَقًّا ، لَمْ تُكَذِّبُوهم ، وإنْ كانَ باطلًا ، لَمْ تُصَدِّقُوهم » . تَفَرَّدَ به أحمدُ .

وقال الإمامُ أَحمدُ[3] : حَدَّثَنا سُرَيْجُ[4] بنُ النُّعْمانِ ، حدَّثَنا هُشَيْمٌ ، أنْبأنا مُجالِدٌ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطّابِ أتَى النبِىَّ ﷺ ، بكتابٍ أصَابَه مِن بعضِ أهلِ الكتابِ ، فقَرَأَه [١/٢٩٥و] على النبىِّ ﷺ . قال : فغَضِبَ وقال : « أَمُتَهَوِّكُون فيها يا بنَ الخطَّابِ ؟ والذى نَفْسِى بيَدِه ، لقد جِئْتُكُم بِها بيضاءَ نَقِيَّةً ، لا تَسْأَلُوهم عن شىءٍ ، فيُخْبِروكم بحَقٍّ فتُكَذِّبُوا به ، أَوْ بباطلٍ فتُصَدِّقُوا به ، والذى نَفْسِى بيَدِه ، لو أَنَّ موسى كان حَيًّا ، ما وَسِعَه إلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِى » . تَفَرَّدَ به أحمدُ ، وإسنادُه على شَرْطِ مسلمٍ .

= وقد ذكر الحافظ فى الفتح ٨/ ١٧٠، ١٧١ عن مستخرج الإسماعيلى هذه الزيادة . وأما ص ففيها : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

(١) أحمد فى المسند ٤/ ١٣٦. (ضعيف الجامع الصغير ٤٦٣، ٥٠٥٢).

(٢) سقط من : م .

(٣) تقدم فى ١/ ٤٥٧.

(٤) فى الأصل ، م : « شريح » .

فهذه الأَحاديثُ دليلٌ على أنَّهم قد بَدَّلوا ما بأيديهِم مِن الكتبِ السماويةِ ، وحَرَّفُوها ، وأَوَّلُوها ، ووضَعُوها على غيرِ مواضِعِها ، ولاسِيَّما ما يُبْدونه من المُعَرَّبَاتِ ، التى لم يُحِيطوا بها عِلمًا وهى بِلُغَتِهم ، فكيفَ يُعَبِّرون عنها بغيرِها ؛ ولِأَجْلِ هذا وقَع فى تَعْرِيبِهم خطأٌ كبيرٌ ووَهْمٌ كثيرٌ مع ما لَهم مِن المقاصِدِ الفاسدةِ ، والآراءِ الباردَةِ ، وهذا يَتَحَقَّقُه مَن نظَر فى كُتُبِهم التى بأيديهِم ، وتَأَمَّلَ ما فيها من سُوءِ التَّعبيرِ ، وقبيحِ التَّبْديلِ والتَّغييرِ ، واللَّهُ المستعانُ ، وهو نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصيرُ .

هذه التوراةُ التى يُبْدُونَها ويُخْفُون منها كثيرًا فيما ذكَرُوه ، فيها تَحْريفٌ وتَبْديلٌ وتغييرٌ وسوءُ تَعبيرٍ ، يَعْلَمُه مَن نظَر فيها ، وتَأَمَّلَ ما قالوه وما أَبْدَوه وما أَخْفَوه ، (١وكيف يَصُوغُون١) عبارةً فاسدةَ البناءِ والتَّركيبِ ، باطلةً من حيثُ معناها وألفاظُها . وهذا كعبُ الأحْبارِ ، مِن أَجْودِ مَن يَنْقُلُ عنهم ، وقد أَسْلَمَ فى زمنِ عُمَرَ ، وكان يَنْقُلُ شيئًا عن كُتُبِ[٢] أهلِ الكتابِ ، فكان عُمَرُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يَسْتَحْسِنُ بعضَ ما يَنْقُلُه ؛ لِمَا يُصَدِّقُه من الحقِّ ، وتَأْليفًا لقلبِه ، فَتَوَسَّع كثيرٌ مِن النَّاسِ فى أَخْذِ ما عندَه ، وبالغَ أيضًا هو فى نَقْلِ تلك الأَشْياءِ ، التى كثيرٌ منها لا يُساوِى مِدَادَه ، ومنها ما هو باطلٌ لا مَحَالةَ ، ومنها ما هو صحيحٌ ، لِمَا يَشْهَدُ له مِن الحقِّ الذى بأيدينا .

وقد قال البخارىُّ[٣] : وقال أبو اليمانِ : حدّثنا شُعَيبٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ،

(١ - ١) فى ح ، م : « كيف يسوغون » ، وفى ص : « كانوا يضفون » .
(٢) سقط من : ح ، م .
(٣) البخارى (٧٣٦١) .

أخْبَرَنى حميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ، أنّه سَمِعَ معاويةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِن قُرَيْشٍ بالمدينةِ، وذكَرَ كَعْبَ الأحْبارِ، فقال: إنْ كان مِن أَصْدَقِ هؤلاءِ المُحَدِّثين الذين يُحَدِّثُون عن أهلِ الكتابِ، وإنْ كُنَّا - مع ذلك - لَنَبْلُو عليه الكَذِبَ. يَعْنِى، مِن غيرِ قَصْدٍ منه.

وروَى البخارِىُّ[1] مِن حديثِ الزُّهرِىِّ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عَبَّاسٍ، أنَّه قال: كيفَ تَسْألون أَهْلَ الكتابِ عن شىءٍ، وكتابُكم الذى أَنْزَلَ اللَّهُ علَى رسولِه أحدثُ الكُتُبِ[2] باللَّهِ، تَقْرَءُونَه مَحْضًا لم يُشَبْ؟ وقد حَدَّثَكم أَنَّ أهلَ الكتابِ بَدَّلُوا كتابَ اللَّهِ وغَيَّرُوه، وكَتَبُوا بأيديهِم الكتابَ، وقالوا: هو مِن عندِ اللَّهِ. لِيَشْتَرُوا به ثمنًا قليلًا، ألَا يَنْهاكم ما جاءَكم مِن العِلْمِ عن مَسْأَلَتِهِم، لَا واللَّهِ، ما رأَيْنا منهم رجلًا يَسْأَلُكم عن الذى أُنْزِلَ عليكم.

وروَى ابنُ جَريرٍ[3]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، أنه قال: [١/٢٩٥ظ] لا تَسْأَلُوا أهلَ الكتابِ عن شىءٍ؛ فإنّهم لن يَهْدُوكم وقد ضَلُّوا، إمَّا أن تُكَذِّبُوا[4] بحقٍّ، أو تُصَدِّقُوا[4] بباطلٍ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) البخارى (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٣).

(٢) كذا فى النسخ، وفى البخارى: «الأخبار».

(٣) تفسير الطبرى ٢١/٣.

(٤ - ٤) فى الأصل: «الحق أو تصدوا».

قِصَّةُ جُرَيْجٍ، أَحَدِ عُبّادِ بَنِى إسرائيلَ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا وَهْبُ بنُ جَرِيرٍ ، حدّثنى أَبِى ، سمِعتُ محمدَ ابنَ سِيرِينَ ، يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم يَتَكَلَّمْ فى المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ ؛ عيسَى ابنُ مريمَ » . قال : « وكان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ عابدٌ يُقالُ له : جُرَيْجٌ . فابْتنَى صَوْمَعَةً وتَعبَّدَ فيها » . قال : « فذكَر بنو إسرائيلَ عِبادةَ جُرَيْجٍ ، فقالتْ بَغِيٌّ مِنهم : لَئِنْ شِئْتُم لأَفْتِنَنَّه . فقالوا : قد شِئْنا ذلك » . قال : « فأَتَتْه فتَعَرَّضَتْ له ، فلَمْ يَلْتَفِتْ إليها ، فأَمْكَنَتْ نَفْسَها مِن راعٍ كان يَأْوِى غَنَمَه إلى أَصلِ صَوْمَعَةِ جُرَيْجٍ ، فحَمَلَتْ ، فوَلَدَتْ[2] غلامًا ، فقالوا : مِمَّنْ ؟ قالتْ : مِن جُرَيْجٍ . فأَتَوْه فاسْتَنْزَلُوه ، فشَتَمُوه وضَرَبُوه وهَدَمُوا صَوْمَعَتَه ، فقال : ما شَأْنُكمْ ؟ قالوا : إنَّكَ زَنَيْتَ بهذه البَغِيِّ ، فوَلَدَتْ غُلامًا . قال : وأينَ هو ؟ قالوا : هو ذا » . قال : « فقام فصَلَّى ودَعَا ، ثُم انصرَفَ إلى الغُلامِ ، فطَعَنَه بأُصْبُعِه ، فقال : باللَّهِ يا غُلامُ ، مَن أبوك ؟ فقال : أنا[3] ابنُ الرَّاعِى . فوَثَبُوا إلى جُرَيْجٍ فجَعَلُوا يُقَبِّلُونَه ، وقالوا : نَبْنِى صَوْمَعَتَك مِن ذَهَبٍ . قال : لَا حاجَةَ لى فى ذلكَ ، ابْنُوها مِن طِينٍ كما كانت » . قال : « وبيْنَما امْرَأَةٌ فى حِجْرِها ابنٌ لها تُرْضِعُه إذْ مَرَّ بها راكبٌ ذُو شَارَةٍ[4] ، فقالتْ : اللهمَّ اجْعَلِ ابْنِى مثلَ هذا » . قال : « فتَرَك ثَدْيَها

---

(١) فى المسند ٢/ ٣٠٧. (إسناده صحيح) .

(٢) فى ص : « فوضعت » .

(٣) سقط من : ح .

(٤) قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٤٨٣ : أى ؛ صاحب حُسن . وقيل : صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن ،=

وأَقْبَل على الراكبِ ، فقال : اللهمَّ لا تَجْعَلْنِى مِثْلَه » . قال : « ثُم عادَ إلى ثَدْيِها فَمَصَّه » . قال أبو هريرةَ : فكَأَنِّى أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يَحْكِى[1] صَنِيعَ الصَّبِىِّ ، ووَضْعَ أُصْبُعِه فى فَمِه يَمُصُّها . « ثم مُرَّ[2] بأَمَةٍ تُضْرَبُ ، فقالت : اللهمَّ لا تَجْعلِ ابنِى مِثْلَها » . قال : « فتَرَكَ ثَدْيَها وأَقْبلَ على الأَمَةِ ، فقال : اللهمَّ اجْعلْنِى مِثْلَها » . قال : « فذاك حينَ تَرَاجَعا الحديثَ ، فقالت : حَلْقَى[3] ! مَرَّ الرَّاكبُ ذو الشَّارَةِ فقلتُ : اللهمَّ اجْعَلِ ابْنِى مِثْلَه . فقلتَ : اللهمَّ لا تَجْعلْنِى مِثْلَه . وَمُرَّ[4] بهذه الأَمَةِ ، فقلتُ : اللهمَّ لَا تَجعلِ ابنى مِثْلَها . فقلْتَ : اللهمَّ اجْعلْنِى مِثْلَها ؟ ! فقال : يا أُمَّتَاه ، إنّ الرّاكبَ ذُو[5] الشَّارةِ جَبَّارٌ مِن الجبابرةِ ، وإنَّ هذه الأَمَةَ يقولون : زَنَتْ . ولَمْ تَزْنِ ، و : سَرَقَتْ . ولَمْ تَسْرِقْ ، وهى تقولُ : حَسْبِىَ اللَّهُ » . وهكذا رواه البخارىُّ فى أحاديثِ الأَنبياءِ ، وفى المظالِمِ عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، ومسلمٌ فى كتابِ الأدبِ ، عن زُهَيْرِ بنِ حَرْبٍ ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ ، كِلاهُما عن جَريرِ بنِ حازمٍ به[6] .

= يتعجب منه ويشار إليه .

(١) بعده فى المسند : « علىّ » .

(٢) فى م : « مرت » .

(٣) فى م : « خلفى » ، وفى ح غير منقوطة . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ١٥/ ٢١١ : حلقى بوزن غَضْبَى ، أصل معناها ؛ الدعاء عليها أن تئيم من زوجها فتحلق شعرها . ثم استعملت بمعنى التعجب ، ولا يقصد بها الدعاء .

(٤) فى م : « مررت » .

(٥) فى الأصل : « ذا » . والمثبت كما فى المسند . قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٤٨٣ : فى رواية أحمد : « فقال : يا أمتاه ، أما الراكب ذو الشارة فجبار من الجبابرة » .

(٦) البخارى فى الأنبياء ، تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وفى المظالم (٢٤٨٢) مختصرا . ومسلم (٢٥٥٠) .

طريقٌ أُخْرى وسياقٌ آخرُ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يَحيى بنُ سعيدٍ ، حدّثَنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، [٢٩٦/١و] حدّثنا حُميدُ بنُ هلالٍ ، عن أبى رافِعٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كان جُرَيْجٌ يتَعَبَّدُ فى صَوْمَعَتِه » . قال : « فأَتَتْه أُمُّه فقالت : يا جُرَيْجُ ، أنَا أُمُّك فَكَلِّمْنِى » . قال : وكان أبو هريرةَ يَصِفُ [2]كما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَصِفُها ، وَضَع[2] يدَه على حاجِبِه الأيمنِ ، قال : « فصادَفَتْه يُصَلِّى ، قال : يا ربِّ ، أُمِّى وصَلاتِى . فاخْتَارَ صَلاتَه ، فرَجَعَتْ ثُم أَتَتْه فصادَفَتْه يُصَلِّى ، فقالَتْ : يا جُرَيْجُ ، أنَا أُمُّك فكَلِّمْنِى . فقال : يا رَبِّ ، أُمِّى وصَلاتِى . فاخْتَارَ صَلاتَه فقالتْ : اللهمَّ هذا جُرَيْجٌ ، وإنَّه ابنى ، وإنِّى كَلَّمْتُه فأَبَى أنْ يُكَلِّمَنِى ، اللهمَّ فلا تُمِتْه حتَّى تُرِيَه المُومِساتِ[3] . ولو دَعَتْ عليه أَنْ يُفْتَتَنَ ، لَافْتُتِنَ » . قال : « وكان راعٍ يَأْوِى إلى دَيْرِه ، فخرَجَتِ امرأةٌ فوقَع عليها الراعِى ، فوَلَدَتْ غُلامًا ، فقيلَ : مِمَّن هذا ؟ فقالتْ : هو مِن صاحبِ الدَّيْرِ . فأَقْبَلوا بفُؤُوسِهم ومَسَاحِيهِمْ ، وأَقْبَلُوا إلى الدَّيْرِ فنادَوْه ، فلم يُكَلِّمْهم ، فأَقْبَلُوا يَهْدِمُون دَيْرَه ، فنزَلَ إليهم ، فقالُوا : سَلْ هذه المرأةَ » . قال : « أُرَاهُ تَبَسَّمَ » . قال : « ثُم مسَح رأسَ الصَّبِىِّ ، فقال : مَن أبوك ؟ قال : راعِى الضَّأْنِ . قالوا : يا جُرَيْجُ ، نَبْنِى ما هَدَمْنا مِن دَيْرِك بالذَّهَبِ والفِضَّةِ . قال : لَا ، ولكنْ أَعِيدُوه كما كان . ففعَلَوا » . ورَواه مسلمٌ فى الاسْتِئْذانِ ، عن شيبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن سليمانَ بنِ المُغيرةِ به[4] .

---

(١) المسند ٢/ ٤٣٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : « كيف كان رسول اللّه ﷺ ووضع » ، وفى ح ، م ، ص : « كيف كان رسول اللّه ﷺ وضع » . والمثبت من المسند .

(٣) المومسات : الزوانى البغايا المتجاهرات بذلك . ومفردها مومسة .

(٤) مسلم (٢٥٥٠) فى كتاب البر والصلة ، وليس فى كتاب الاستئذان كما قال المصنف - رحمه =

سِيَاقٌ آخَرُ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدّثَنا عفّانُ ، حدّثَنا حَمّادٌ ، أنبأَنا ثابتٌ ، عن أبى رافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ يُقَالُ له : جُرَيْجٌ . كان يَتَعَبَّدُ فى صَوْمَعَتِه ، فأَتَتْه أُمُّه ذاتَ يومٍ فنادَتْه ، فقالتْ : أَىْ جُرَيْجُ ، أَىْ بُنَىَّ ، أَشْرِفْ عَلَىَّ أُكَلِّمْكَ ، أنا أُمُّك ، أَشْرِفْ عَلَىَّ . فقال : أَىْ رَبِّ ، صَلَاتِى وأُمِّى . فأَقْبَلَ على صَلاتِه ، ثُم عادَت فنادَتْه مِرَارًا ، فقالت : أَىْ جُرَيْجُ ، أَىْ بُنَىَّ ، أَشْرِفْ عَلَىَّ . فقال : أَىْ رَبِّ ، صَلَاتِى وأُمِّى . فأَقْبَلَ على صَلاتِه ، فقالتْ : اللهمَّ لا تُمِتْه حتى تُرِيَه المُومِسَةَ . وكانت راعيةٌ تَرْعَى غَنَمًا لأَهْلِها ، ثُمَّ تَأْوِى إلى ظِلِّ صَوْمَعَتِه فأصابَتْ فَاحِشَةً فحَمَلَتْ فَأُخِذَتْ ، وكان مَن زَنَى مِنهم قُتِلَ ، فقالُوا : مِمَّنْ ؟ قالتْ : مِن جُرَيْجٍ صاحبِ الصَّوْمَعَةِ . فجاءُوا بالفُئُوسِ والمُرُورِ[2] فقالوا : أَىْ جُرَيجُ ، أَىْ مُرَاءٍ ، انْزِلْ . [3]فَأَبَى ، وأَقْبَلَ[3] على صَلاتِه يُصَلِّى ، فأخذوا فى هَدْمِ صَوْمَعَتِه ، فلمَّا رأَى ذلك نزَل فجَعَلُوا فى عُنُقِه وعُنُقِها حَبْلًا ، فجعَلوا يَطُوفُون بهما فى النَّاسِ ، فوضَع أُصْبُعَه على بَطْنِها ، فقال : أَىْ غُلامُ ، مَن أبوكَ ؟ فقال : أبى فُلانٌ رَاعِى الضَّأْنِ . فقَبَّلُوه ، وقالوا : إنْ شِئْتَ بَنَيْنَا لكَ صَوْمَعَتَك مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ . قال : أعيدُوها [١/٢٩٦ظ] كما كانت » . وهذا سِياقٌ غريبٌ ، وإسنادُه على شَرْطِ

= اللَّه - فإنه قد تابع الحافظ المزى فى عزوه لمسلم فى الاستئذان فى تحفة الأشراف ١٠/ ٣٨٨. وانظر تعليق الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف . تحفة الأشراف ١٠/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(١) فى المسند ٢/ ٣٨٥. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٥: قلت : هو فى الصحيح بغير هذا السياق ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) المرور : واحدها المر : وهو المسحاة . والمسحاة : المجرفة إلا أنها من حديد . اللسان (م ر ر) ، (س ح و) . أو لعله أراد به الحبال إذ المَر - بالفتح - الحبل . والجمع مرائر ، مِرار . ولم تذكر القواميس التى بين أيدينا هذا الجمع «مرور» - بمعنى الحبال - وإن كان هذا الجمع صحيحا قياسيًا ، فـ « مر » تجمع على مرور ، مثل فأس وفئوس . وكعب وكعوب .

(٣ - ٣) فى الأصل : « فأتى يقبل » ، وفى ص : « فأبى يقبل » .

مسلمٍ ، ولم يُخَرِّجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوَجْهِ .

فهؤلاءِ ثلاثةٌ تَكَلَّمُوا فى المَهْدِ ؛ عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السلامُ ، وقد تقدَّمَ الكلامُ على قِصَّتِه[1] ، وصاحبُ جُرَيْجٍ ابنُ البَغِيِّ مِنَ الراعى كما سَمِعْتَ[2] ، والثالثُ ، ابنُ المرأةِ التى كانتْ تُرْضِعُه ، فتَمَنَّتْ له أن يكونَ كصاحبِ الشارَةِ الحَسنةِ ، فتَمَنَّى أنْ يكونَ كتلكَ الأَمَةِ المَتْهُومَةِ بما هى بريئةٌ منه ، وهى تقولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ . كما تَقَدَّم فى روايةِ محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا . وقد رواه الإمامُ أحمدُ[3] ، عن هَوْذَةَ ، عن عَوْفٍ الأعرابىِّ ، عن خِلَاسٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بقصَّةِ هذا الغلامِ الرَّضيعِ ، وهو إسنادٌ حسنٌ .

وقال البخارىُّ[4] : حَدَّثَنا أبو اليَمَانِ ، أخبَرَنا شُعَيْبٌ ، حدَّثَنا أبو الزِّنَادِ ، عن عبدِ الرحمنِ الأَعْرَجِ ، حدّثَه أنّه سَمِعَ أبا هريرةَ ، أنّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « بينَما امرأةٌ تُرْضِعُ ابْنَها ، إذْ مَرَّ بها راكبٌ وهى تُرْضِعُه ، فقالت : اللهمَّ لا تُمِتِ ابْنِى حتى يَكونَ مِثْلَ هذا . فقال : اللهمَّ لا تَجْعَلْنِى مِثْلَه . ثم رجَع فى[5] الثَّدْيِ ، ومُرَّ بامْرأَةٍ تُجَرُّ ويُلْعَبُ بها ، فقالت : اللهمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِى مِثْلَ هذه . فقال : اللهُمَّ اجْعَلْنِى مِثْلَها . فقالَ : أَمّا الراكبُ فإنّه كافرٌ ، وأمّا المرأةُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « كلامه » . وتقدم ذلك فى ٢/٤١٦ - ٤٧١.

(٢) بعده فى ح ، م : « واسمه يابوس ، كما ورد مصرحا به فى صحيح البخارى » . ورد نحوه فى كتاب العمل فى الصلاة ، باب إذا دعت الأم ولدها فى الصلاة . انظر الفتح ٣/ ٧٨، ٧٩.

(٣) فى المسند ٢/ ٣٩٥.

(٤) البخارى (٣٤٦٦) .

(٥) فى الأصل : « إلى » . والمثبت موافق لما فى البخارى .

فإنَّهم يَقُولون لها[1] : تَزْنِى . وتَقُولُ : حَسْبِىَ اللَّهُ . ويَقُولون : تَسْرِقُ . وتَقُولُ : حَسْبِىَ اللَّهُ » . [2]وقَدْ ورَد فى مَن تَكَلَّمَ فى المَهْدِ أيْضًا شاهدُ يوسفَ كما تَقدَّم[3] ، وابنُ ماشِطَةِ آلِ فرعونَ[4] . فاللَّهُ أعلمُ[2] .

---

(١) فى ح ، م : « إنها » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تقدم فى ١/ ٤٧٠.

(٤) تقدم فى صفحة ٢٦.

قِصَّةُ بَرْصِيصَا

وهى عكسُ قصةِ جُرَيْجٍ ، فإنّ جُرَيْجًا عُصِمَ ، وذلك فُتِنَ .

قال ابنُ جريرٍ[1] : حَدَّثنى يحيى بنُ إبراهيمَ المسعودىُّ ، حدَّثَنا أبى ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن الأعْمَشِ ، عن عُمَارةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦، ١٧] . قال ابنُ مسعودٍ : كانتِ امرأةٌ تَرْعَى الغنمَ ، وكان لها إخوةٌ أربعةٌ ، وكانت تَأْوِى باللّيلِ إلى صَوْمَعةِ راهبٍ . قال : فنَزَل الراهبُ ففَجَرَ بها فحَمَلَتْ ، فأَتَاه الشيطانُ ، فقال له : اقْتُلْها ثم ادْفِنْها ، فإنَّك رجلٌ مُصَدَّقٌ يُسْمَعُ قَوْلُكَ . فقتَلَها ثُمَّ دَفَنها . قال : فأتَى الشيطانُ إخْوَتَها فى المنامِ ، فقال لهم : إنَّ الرَّاهبَ صاحبَ الصومعةِ فَجَرَ بأُخْتِكمْ ، فلَمَّا أَحْبَلَها ، قَتَلَها ثم دَفَنها فى مكانِ كذا وكذا . فلمّا أصْبحوا ، قال رجلٌ منهم : واللَّهِ لقدْ رأيتُ البارحةَ رؤيًا ما أَدْرِى [٢٩٧/١و] أقُصُّها عليكم أَمْ أَتْرُكُ ؟ قالوا : لا ، بل قُصَّها علَيْنا . قال : فقَصَّها ، فقال الآخَرُ : وأنا واللَّهِ لقد رأيتُ ذلك . فقال الآخرُ : وأنا واللَّهِ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٨/ ٤٩. ووقع فى سند الطبرى : « عبد الرحمن بن زيد » . وهو تحريف . والصواب : عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعى ، كما وقع فى كتابنا البداية . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٢.

لقدْ رأيتُ ذلك . قالوا : فواللَّهِ ما هذا إلَّا لِشيءٍ . فانْطلَقُوا فاسْتَعْدَوْا مَلِكَهم على ذلك الراهبِ ، فأَتَوْه[1] فأَنْزَلُوه ، ثُمَّ انْطلَقُوا به ، فأتاهُ الشَّيطانُ فقالَ : إنِّى أنا الذى أَوْقَعْتُك فى هذا ، ولن يُنَجِّيَك منه غيرى ، فاسجُدْ لى سجدَةً واحدةً وأُنَجِّيك مِمَّا أَوْقَعْتُك فيه . قال : فسجَد له ، فلَمَّا أَتَوْا به مَلِكَهُم ، تَبَرَّأَ منه ، وأُخِذَ فقُتِلَ . [2]وهكذا رُوِىَ عن ابنِ عبَّاسٍ ، وطاوُسٍ ، ومقاتلِ بنِ حَيّانَ نحوُ ذلك[2] .

وقد رُوِىَ عن أميرِ المؤمنين عَلِىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بسياقٍ آخرَ ، فقال ابنُ جريرٍ[3] : حدَّثَنا خَلّادُ[4] بنُ أَسْلَمَ ، حدَّثنا النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، أنبأنا شُعْبةُ ، عن أبى[5] إسحاقَ ، سَمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ نَهِيكٍ ، سمعتُ عليًّا يقولُ : إنّ راهبًا تَعَبَّدَ سِتِّينَ سنةً ، وإن الشيطانَ أرادَه فأَعْيَاه ، فعَمَد إلى امرأةٍ فأَجَنَّها ، ولها إخوةٌ ، فقال لإِخْوَتِها : عليكم بهذا القَسِّ فيُدَاوِيَها . قال : فجاءُوا بها إليه فداوَاها ، وكانت عندَه ، فبينَما هو يومًا عندَها ، إذْ أَعْجَبَتْه ، فأَتَاها فحَمَلَتْ ، فعمَدَ إليها فقَتَلَها ، فجاءَ إخْوَتُها ، فقال الشيطانُ للراهبِ : أنا صاحبُك ، إنَّك أعْيَيْتَنِى ، أنا صَنَعْتُ بك هذا فأَطِعْنِى أُنَجِّك مِمّا صَنَعْتُ بك ، اسجُدْ لى سجدةً . فسَجَد له ، [6]فلَمّا سَجَد له[6] قال : إنى بَرِىءٌ منك ، إنِّى أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالمينَ . فذلك قولُه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ

---

(١) فى الأصل : « فأمرهم » .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) تفسير الطبرى ٢٨/ ٤٩.

(٤) فى ص : « خالد » . وانظر ترجمته فى الثقات لابن حبان ٨/ ٢٢٩.

(٥) سقط من : ص . وهو أبو إسحاق عمرو بن عبد اللَّه السبيعى .

(٦ - ٦) سقط من : ح ، م .

ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

قِصَّةُ الثلاثةِ الذِين أَوَوْا إلى الغَارِ فانْطَبَق عليهم، فتَوَسَّلُوا إلى اللهِ تعالَى بصالحِ أعمالِهم، ففَرَّج عنهم

قال الإمامُ البخاريُّ[1] : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ خَلِيلٍ ، أخبرَنا عَلِيُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « بَيْنَما ثلاثةُ نَفَرٍ مِمَّن كان قَبْلَكم يَمْشُون إذ أَصَابَهم مطرٌ ، فأَوَوْا إلى غارٍ فانْطَبَقَ عليهم ، فقال بعضُهم لِبَعْضٍ : إنّه واللَّهِ يا هؤلاءِ لا يُنَجِّيكمْ إلَّا الصِّدْقُ ، فلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ منكم بما يَعْلَمُ أنَّه قَدْ صدَق فيه . فقال [2]واحِدٌ منهم[2] : اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنّه كان لى أَجِيرٌ ، عَمِلَ لى علَى فَرَقٍ[3] من أَرُزٍّ فذهَب وتَرَكَه ، وأنِّى عَمَدْتُ إلى ذلك الفَرَقِ ، فزرَعْتُه فصَارَ مِن أَمْرِه أنِّى اشتريتُ منه بَقَرًا ، وأنّه أتَانى يَطْلُبُ أَجْرَه ، فقلتُ : اعْمِدْ إلى تلكَ البَقَرِ فَسُقْها . فقالَ لِى : إنَّما لِى عندَك فَرَقٌ مِن أَرُزٍّ . فقلتُ له : اعْمِدْ إلى تلك البقرِ فإنَّها مِن ذلكَ الفَرَقِ . فسَاقَها ، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنِّى فَعَلْتُ ذلك مِن خَشْيَتِك ففَرِّجْ عَنّا . فانْسَاخَتْ[4]

---

(١) البخارى (٣٤٦٥) .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ح ، ص : « أحدهم » .

(٣) الفرق : مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ، أو يسع ستة عشر رطلا . يُجمع على فُرْقان . القاموس المحيط (ف ر ق) .

(٤) أى : انشقت .

عنهم الصَّخْرَةُ ، فقال الآخَرُ : اللهُمَّ إنْ كنتَ تَعْلَمُ أنّه[1] كان لى أبَوَانِ شَيْخَانِ كَبيرانِ ، وكُنْتُ آتِيهِما كلَّ ليلةٍ بلبَنِ غَنَمٍ لى فأَبْطَأْتُ عنهما [١/٢٩٧ظ] ليلةً ، فجئتُ وقد رَقَدَا ، وأَهْلِى وعِيَالى يَتَضَاغَونَ مِن الجوعِ ، وكنتُ لا أسْقِيهِم حتى يَشْرَبَ أَبَوَاىَ ، فكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهما ، وكَرِهْتُ أنْ أَدَعَهما فَيَسْتَكِنَّا[2] لِشَرْبَتِهِما ، فلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حتى طَلَعَ الفجرُ ، فإنْ كنتَ تَعْلَمُ أَنِّى فعلتُ ذلك مِن خَشْيَتِك ففَرِّجْ عنا . فانْسَاخَت عنهم[3] الصخرةُ حتى نَظَرُوا إلى السَّماءِ ، فقال الآخَرُ : اللهُمَّ إنْ كنتَ تَعْلَمُ أَنَّه كان لىَ ابْنَةُ عمٍّ مِن أَحَبِّ الناسِ إلىَّ ، وأنِّى راوَدْتُها عن نَفْسِها ، فأَبَتْ إلَّا أنْ آتِيَها بِمائَةِ دينارٍ ، فطَلَبْتُها حتى قَدَرْتُ ، فأَتَيْتُها بها فدفَعْتُها إليها ، فأَمْكَنَتْنِى مِن نفْسِها ، فلمَّا قَعَدْتُ بينَ رِجْلَيْها فقالتِ : اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّه . فقُمْتُ وتركْتُ المِائةَ دينارٍ ، فإنْ كُنتَ تَعْلَمُ أنِّى فعلتُ ذلكَ مِن خَشْيَتِك ، ففَرِّجْ عنا . ففرَّجَ اللَّهُ عنهم فخَرَجُوا » . ورواه مسلمٌ ، عن سُوَيدِ بنِ سعيدٍ ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ به[4] . وقد رواه الإمامُ أحمدُ منفردًا به[5] ، عن مَرْوَانَ بنِ معاويةَ ، عن عُمَرَ[6] بنِ حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه . [7]ورواه الإمامُ أحمدُ[8] ، مِن[7]

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « فيسكنا » ، وفى ح : « فيشتكيا » . ومعنى : فيستكنا لشربتهما : يستكينان لعدم شربتهما فيصيران ضعيفين مستكينين .

(٣) سقط من : الأصل ، ح ، وفى ص : « تلك » .

(٤) مسلم (٢٧٤٣) .

(٥) فى المسند ٢/ ١١٦ . (إسناده صحيح) .

(٦) فى ح ، م : « عمرو » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) أحمد فى المسند ٤/ ٢٧٤ . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٢ : رواه أحمد ... ورجال أحمد ثقات .

[1] حديثِ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ ، عن النَّبيِّ ﷺ ، بنحْوِ مِن هذا السياقِ ، وفيه زياداتٌ . ورواه البزَّارُ[2] مِن طريقِ أبى إسحاقَ ، عن رجلٍ مِن بَجِيلَةَ ، عن النُّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ ، مرفوعًا مِثْلَه[1] . ورواهُ البزَّارُ فى « مُسْنَدِه »[3] من حديثِ أبى حَنَشٍ[4] ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أورده المصنف ، رحمه الله ، فى جامع المسانيد ١٢/١٨٣ - ١٨٥، ١٩٦. من الطريق المذكور ، وعزاه للبزار . وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٢: رواه أحمد ، والطبرانى فى الأوسط والكبير ، والبزار بنحوه من طرق ، ورجال أحمد ثقات .

(٣) كشف الأستار (١٨٦٧) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٣: رواه البزار ، ورجاله ثقات .

(٤) فى الأصل : « خفس » ، وفى ص : « حنيش » . وهو الحارث بن لقيط النخعى الكوفى . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٧٥.

خَبرُ الثلاثةِ ؛ الأعْمَى والأبْرَصِ وَالأَقْرَعِ

رَوَى البخاريُّ ومسلِمٌ مِن غيرِ وجهٍ[1] ، عن همّامِ بنِ يَحْيى ، عن إسحاقَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى عَمْرَةَ ، أنّ أبا هريرةَ حدَّثَه ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، يقولُ : « إنَّ ثلاثَةً فى بَنِى إسْرائيلَ ؛ أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى ، بَدَا[2] للَّهِ أنْ يَبْتَلِيَهُم ، فبعثَ إليهم مَلَكًا ، فَأَتَى الأَبْرَصَ ، فقال : أَىُّ شَىءٍ أَحَبُّ إليْكَ ؟ فقال : لونٌ حَسَنٌ وجِلْدٌ حسنٌ ، قد قَذِرَنِى الناسُ » . قال : « فمَسَحَه فذهَبَ [3]عنه ، فأُعْطِىَ[3] لَوْنًا حَسَنًا وجِلْدًا حَسَنًا ، فقال : أىُّ المالِ أَحَبُّ إليك ؟ قال : الإبِلُ » - أو قال : « البَقَرُ » . هو[4] شَكَّ فى ذلكَ ، أنّ الأَبْرَصَ والأَقْرَعَ قال أحدُهما : الإبلُ . وقال الآخرُ : البَقَرُ - « فأُعْطِىَ ناقةً عُشَرَاءَ ، فقال : يُبَارَكُ لك فيها » . قال : « وأَتَى الأَقْرَعَ فقال : أَىُّ شىءٍ[5] أَحَبُّ إليك ؟ قال : شَعْرٌ حسنٌ ويَذْهَبُ عنى هذا ، قد قَذِرَنِى الناسُ . فمَسَحَه فذهبَ ، وأُعْطِىَ شَعْرًا حَسَنًا ، قال : فأَىُّ المالِ[6] أحَبُّ إليك ؟ قال : البقرُ . فأعطاه بقرةً حاملًا ، وقال : يُبَارَكُ لك فيها[7] . وأَتَى الأَعْمَى فقال : أَىُّ شَىءٍ

---

(١) البخارى (٣٤٦٤، ٦٦٥٣) . ومسلم (٢٩٦٤) .

(٢) فى الأصل ، ح ، ص : « أراد » ، وهو لفظ مسلم .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ح ، ص : « وأعطى » .

(٤) سقط من : الأصل ، ح ، ص . والضمير عائد إلى إسحاق بن عبد اللَّه كما هو مصرح به فى رواية مسلم .

(٥) فى م : « المال » .

(٦) فى الأصل ، ح ، ص : « شىء » .

(٧) بعده فى الأصل ، ح ، م : « قال » .

أَحَبُّ إليك ؟ قال : (١ يَرُدُّ اللَّهُ إلىَّ بَصَرِى فأُبْصِرُ به الناسَ » . قال : « فَمَسَحَه ، فرَدَّ اللَّهُ إليه بَصَرَه ، قال : فأىُّ المالِ أَحَبُّ إليكَ ١) . قال : الغَنَمُ . فأعطاه شاةً والدًا ، فأُنْتِجَ(٢) هذان وَوَلَّدَ هذا ، فكان لهذا وادٍ مِن الإبلِ ، ولهذا وادٍ مِن البقرِ ، ولهذا وادٍ مِن الغَنَمِ ، ثُم إنَّه أَتَى الأبرصَ [١/٢٩٨و] فى صورتِه وهَيْئَتِه ، فقال : رجلٌ مسكينٌ تَقَطَّعَتْ بِىَ الحِبَالُ(٣) فى سَفَرِى ، فلا بَلَاغَ اليومَ إلَّا باللَّهِ ، ثُم بك ، أَسْأَلُك بالذى أعْطَاك اللَّوْنَ الحسنَ والجِلْدَ الحسنَ والمالَ ، بعيرًا أَتَبَلَّغُ عليه فى سَفَرِى . فقال له : إنَّ الحقوقَ كثيرةٌ . فقال له : كأنِّى أَعْرِفُك ، أَلَمْ تَكُنْ أبْرَصَ يَقْذَرُك الناسُ ؟ فقيرًا فأعْطَاك اللَّهُ ؟ فقال : لقد (٤ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ ٤) عن كَابِرٍ . فقال : إنْ كنتَ كاذِبًا ، فصَيَّرَك اللَّهُ إلى ما كنتَ . وأَتَى الأَقْرَعَ فى صورتِه وهَيْئَتِه ، فقال له مِثْلَ ما قال لهذا ، فَرَدَّ عليه مِثْلَ ما رَدَّ عليه هذا ، فقال : إنْ كنتَ كاذِبًا ، فصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى ما كنتَ . وأَتَى الأَعْمَى فى صورَتِه ، فقال : رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ ، وتَقَطَّعَتْ بِىَ الحِبَالُ(٣) فى سَفَرِى ، فلا بَلَاغَ اليومَ إلَّا باللَّهِ ، ثُم بك ، أسْأَلُك بالذى رَدَّ عليك بَصَرَك ، شاةً أَتَبَلَّغُ بها فى

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) قال الإمام النووى فى شرح مسلم ١٨/ ٩٨: هكذا الرواية ؛ فأنتج - رباعى - وهى لغة قليلة الاستعمال ، والمشهور نتج ثلاثى ، وممن حكى اللغتين الأخفش . ومعناه تولى الولادة ، وهى النتج والإنتاج . ومعنى ولّد هذا - بتشديد اللام - معنى أنتج . والناتج للإبل ، والمولد للغنم وغيرها ، هو كالقابلة للنساء .

(٣) فى ح : « الجبال » . والحبال : الأسباب ، وقيل : الطرق .

(٤ - ٤) فى الأصل : « ورثته كما ترى كابرا » .

سَفَرِى . فقال : قد كُنْتُ أعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرى ، وفقيرًا[1] فقد أَغْنَانِى[1] ، فَخُذْ ما شِئْتَ ، فوَاللَّهِ لا أَجْهَدُك اليومَ بشىءٍ أَخَذْتَه للَّهِ . فقال : أَمْسِكْ مالَك ، فَإِنَّما ابتُلِيتُم ، فقد رَضِىَ اللَّهُ عنك ، وسَخِطَ على صاحِبَيْك . هذا لَفْظُ البخارىِّ فى أحاديثِ بنى إسرائيلَ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح ، ص .

حديثُ الذى اسْتَسْلَفَ

مِن صَاحبِه أَلْفَ دينارٍ فأَدَّاها

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا يونسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا لَيْثٌ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه ذكَر أَنَّ رجلًا مِن بنى إسرائيلَ سأَل بعضَ بنى إسرائيلَ أنْ يُسْلِفَه أَلْفَ دِينارٍ ، فقال : ائْتِنِى بشُهَدَاءَ أُشْهِدُهم . قال : كَفَى باللَّهِ شَهِيدًا . قال : ائْتِنِى بكَفِيلٍ . قال : كَفَى باللَّهِ كَفِيلًا . قال : صَدَقْتَ . فدَفَعَها إليه إلى أجلٍ مُسَمًّى ، فخرَجَ فى البحرِ فقَضَى[2] حاجَتَه ، ثُم الْتَمَس مَرْكَبًا يَقْدَمُ عليه ؛ للأَجَلِ الذى كان[3] أَجَّلَه ، فلَم يَجِدْ مَرْكَبًا ، فأَخَذَ خَشَبَةً فنقَرَها ، وأَدْخَلَ فيها أَلْفَ دِينارٍ وصَحِيفَةً معها إلى صاحِبِها ، ثُم زَجَّجَ[4] مَوْضِعَها ، ثُم أَتَى بها البحرَ ، ثُم قال : اللهمَّ إنَّكَ قد عَلِمْتَ أنِّى اسْتَلَفْتُ مِن فلانٍ ألفَ دِينارٍ فسألنى كَفِيلًا ، قلتُ : كَفَى باللَّهِ كفيلًا . فرَضِىَ بذلك ، وسأَلَنِى شهيدًا فقلتُ : كَفَى باللَّهِ شهيدًا . فرَضِىَ بذلك ، وإنِّى قد جَهَدْتُ أنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إليه بالذى له[5] ، فلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا ، وإنِّى اسْتَوْدَعْتُكَهَا . فرَمَى بها فى البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فيه ، ثُمّ انْصرَفَ

---

(١) فى المسند ٢/ ٣٤٨. (إسناده صحيح).

(٢) فى الأصل : « يقضى » .

(٣) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٤) زجج موضعها : أى سوى موضع النقر وأصلحه .

(٥) فى النسخ : « أعطانى » ، والمثبت من المسند .

يَنْظُرُ، وهو فى ذلك يَطْلُبُ مَرْكَبًا إلى بَلَدِه، فخرَجَ الرجلُ الذى كان أَسْلَفَه، يَنْظُرُ لَعلَّ مَرْكَبًا يَجِىءُ بمالِه، فإذا بالخشبَةِ [١/٢٩٨ظ] التى فيها المالُ، فأَخَذَها لأهْلِه حَطَبًا، فلمّا كسَرَها وجَد المالَ والصحيفةَ، ثُم قَدِمَ الرجلُ الذى كان تَسَلَّفَ منه، فأتَاهُ بألفِ دينارٍ وقال: واللَّهِ ما زلتُ جاهِدًا فى طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَك بمالِك، فما وجَدْتُ مَرْكَبًا قبلَ الذى أتيتُ فيه. قال: هل كنتَ بعثْتَ إلىَّ بشىءٍ؟ قال: أَلَمْ أُخْبِرْك أنِّى لم أَجِدْ مَرْكَبًا قبلَ هذا الذى جئتُ فيه؟! قال: فإنَّ اللَّهَ أَدَّى عنك الذى بَعَثْتَ به فى الخَشَبةِ، فانْصَرِفْ بِأَلْفِكَ راشِدًا». هكذا رواه الإمامُ أحمدُ مُسنَدًا. وقد عَلَّقَه البخاريُّ فى غيرِ مَوْضِعٍ مِن «صحيحِه» بصيغةِ الجَزْمِ عن اللَّيْثِ بنِ سعدٍ[(١)]، وأَسْنَدَه فى بعضِها عن عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ كاتِبِ اللَّيْثِ، عنه[(٢)]. والعَجَبُ مِن الحافظِ أبى بكرٍ البَزَّارِ[(٣)] كيف رواهُ فى «مُسندِه»[(٤)] عن الحَسَنِ بنِ مُدْرِكٍ، عن يَحْيَى بنِ حَمَّادٍ، عن أبى عَوَانةَ، عن عُمَرَ بنِ أبى[(٥)] سَلَمَةَ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ، بنحوِه، ثُم قال: لا يُرْوَى إلَّا مِن هذا الوَجْهِ بهذا الإِسْنادِ.

---

(١) البخارى معلقا (١٤٩٨، ٢٢٩١، ٢٤٠٤، ٢٤٣٠، ٢٧٣٤، ٦٢٦١).

(٢) البخارى مسندا (٢٠٦٣).

(٣) سقط من: ح.

(٤) انظر تغليق التعليق ٥/١٢٧، ١٢٨.

فقد ساقه الحافظ من هذا الطريق من مسند أبى بكر بن أبى عمر.

(٥) سقط من: الأصل، ص. وهو عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

قِصّةٌ أُخْرَى شَبِيهَةٌ

بهذه القصةِ فى الصّدقِ فى[1] الأمانةِ

قال البخاريُّ[2] : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ ، أخبَرَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن همّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اشترى رجلٌ مِن رجلٍ عَقَارًا له ، فوجَدَ الرَّجلُ الذى اشْتَرَى العَقَارَ فى عَقَارِه جَرَّةً فيها ذَهَبٌ ، فقال له[3] الذى اشْتَرَى العَقَارَ : خُذْ ذَهَبَك مِنِّى ، إنَّما اشْتَرَيْتُ منك الأرضَ ، ولَمْ أَبْتَعْ منك[4] الذَّهَبَ . وقال الذى له الأرضُ : إنّما بِعْتُكَ الأرضَ وما فيها . فتحاكَما إلى رجلٍ ، فقال الذى تَحاكَما إليه : أَلَكُما وَلَدٌ ؟ قال أحدُهما : لى غُلامٌ . وقال الآخرُ : لى جارِيةٌ . قال : أَنْكِحُوا الغلامَ الجاريةَ ، وأَنفِقُوا على أنْفُسِهِما منه ، وتَصَدَّقا » . هكذا روَى البخاريُّ هذا الحديثَ فى أخبارِ بنى إسرائيلَ . وأخْرَجَه مسلمٌ عن محمدِ بنِ رافِعٍ ، عن عبدِ الرّزّاقِ به[5] .

وقد رُوِىَ أنَّ هذه القصةَ[6] وَقَعَتْ فى زمنِ ذِى القرْنَيْنِ ، وقد كان قبلَ بنى إسرائيلَ بدُهُورٍ مُتَطَاوِلَةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م ، ص : « و » .

(٢) البخارى (٣٤٧٢) .

(٣) سقط من : ح .

(٤) زيادة من : م .

(٥) مسلم (١٧٢١) .

(٦) سقط من : ح .

قال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ فى كتابِه «المبتدأ»[1]، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ، عن قَتادةَ، عن الحَسَنِ: «إنَّ ذَا القرْنَيْنِ كان يتَفَقَّدُ أُمورَ مُلوكِه وعُمَّالِه بنفْسِه، وكان لا يَطَّلِعُ على أحدٍ منهم خيانةً إلَّا أَنْكَرَ ذلك عليه، وكان لا يَقْبَلُ ذلك حتى يَطَّلِعَ هو بنفسِه. قال: فبَيْنَما هو يَسِيرُ مُتَنَكِّرًا فى بعضِ المدائنِ، فجلَس إلى قاضٍ مِن قُضَاتِهم أيامًا لا يَخْتَلِفُ إليه أحدٌ فى خُصومةٍ، فلَمّا أَنْ طالَ ذلك بِذِى القرْنَيْنِ، [٢٩٩/١و] ولم يَطَّلِعْ على شَىءٍ مِن أَمْرِ ذلك القاضى وهَمَّ بالانْصرافِ، إذا هو برجُلَيْنِ قد اخْتَصما إليه، فادَّعَى أحدُهما فقال: أيُّها القاضى، إنِّى اشْتَرَيْتُ مِن هذا دارًا عَمَّرْتُها، ووجَدْتُ فيها كَنْزًا، وإنِّى دَعَوْتُه إلى أَخْذِه فأَبَى عَلَىَّ. فقال له القاضى: ما تقولُ؟ قال: ما دفَنْتُ ولا عَلِمْتُ به، فليس هو لى، ولا أَقْبِضُه منه. قال المُدَّعِى: أيُّها القاضى، مُرْ مَن يَقْبِضُه فيَضَعُه[2] حيثُ أَحْبَبْتَ. فقال القاضى: تَفِرُّ مِن الشَّرِّ وتُدْخِلُنِى فيه! ما أَنْصَفْتَنِى، وما أَظُنُّ هذا فى قضاءِ المِلِكِ. فقال القاضى: هل لكما فى[3] أَمْرٍ أَنْصَفَ مِمَّا دَعَوْتُمانِى إليه؟ قالَا: نعم. قال للمُدَّعِى: ألَكَ ابنٌ؟ قال: نَعَمْ. وقال للآخَرِ: ألَكَ ابنةٌ؟ قال: نَعَمْ. قال: اذْهَبَا فزَوِّجِ ابنَتَك مِن ابنِ هذا، وجَهِّزُوهما[4] مِن هذا المالِ، وادْفَعُوا فَضْلَ ما بَقِىَ إليهما يَعِيشَان به، [5]فتَكُونَا قد صَلَيْتُما[5] بخيرِه وشرِّه. فعَجِبَ ذُو القَرْنَيْنِ حينَ سَمِعَ ذلك، ثُم

---

(١) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٣٥٧، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٢) فى الأصل، ح، م: «فتضعه».

(٣) سقط من: م.

(٤) فى م: «جهزهما».

(٥ - ٥) فى الأصل: «فيكونا قد صليا»، وفى ح: «فتكونا قد صليا»، وفى م: «فتكونا مليا»، وفى ص: «ليكونا قد صليا». والمثبت من تاريخ ابن عساكر. =

قال للقاضى : ما ظننتُ أنَّ فى الأرضِ أحَدًا يَفْعَلُ مِثْلَ هذا ، أوَقاضٍ يَقْضِى بمثْلِ هذا ؟! فقال القاضى وهو لا يَعْرِفُه : وهل أحدٌ يَفْعَلُ غيرَ هذا ؟ قال ذُو القَرْنَين : نَعَمْ . قال القاضى : فهل يُمْطَرُونَ فى بلادِهم ؟ فعَجِبَ ذُو القَرْنَين مِن ذلك ، وقال : بمِثْلِ هذا قامتِ السماواتُ والأرضُ .

= ومعنى : قد صليتما بخيره وشره ؛ قد عانيتما شدته وتعبه . الوسيط (ص ل ى) .

قِصّةٌ أخرَى

قال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبى عَدِىٍّ ، عن شُعْبَةَ ، عن قَتادةَ ، عن أبى الصِّدِّيقِ النَّاجِى ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ قتلَ تسعةً وتِسْعينَ إنسانًا ، ثُم خرَجَ يَسْأَلُ ، فأَتَى راهبًا فسَأَلَه فقال له : هل مِن تَوْبَةٍ ؟ قال : لا . فقَتَلَه ، فجعَلَ يَسْأَلُ ، فقال له رجلٌ : ائْتِ قريةَ كذا وكذا . فأدْرَكَه الموتُ ، فَنَاءَ بصَدْرِه نَحْوَها ، فاخْتَصَمَتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائِكةُ العذابِ ، فأَوْحَى اللَّهُ إلى هذه أنْ تَقَرَّبى ، وأَوْحَى اللَّهُ إلى هذه أنْ تَبَاعَدِى ، وقال : قِيسُوا ما بينَهما . فوُجِدَ إلى هذه أَقْرَبَ بشِبْرٍ ، فغُفِرَ له » . هكذا رواه هـهُنا مُخْتَصَرًا . وقد روَاه مسلمٌ عن بُنْدَارٍ به ، ومِن حديثِ شعبةَ مِن وجهٍ آخرَ عن قَتادَةَ به مُطَوَّلًا[2] .

حَديثٌ آخَرُ : قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا سفيانُ ، حدَّثَنا أبو الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : صَلَّى[4] رسولُ اللَّهِ ﷺ ، صلاةَ الصبحِ ، ثُم أَقْبَلَ على الناسِ[5] فقال : « بَيْنَا رجلٌ يَسُوقُ بقَرةً ، إذْ رَكِبَها فضَرَبَها ، فقالت : إنّا لَمْ نُخْلَقْ لهذا ، [١/٢٩٩ظ] إنَّما

---

(١) البخارى (٣٤٧٠) .

(٢) مسلم (٢٧٦٦) .

(٣) البخارى (٣٤٧١) .

(٤) بعده فى الأصل ، ح ، ص : « بنا » .

(٥) بعده فى الأصل ، ح ، ص : « بوجهه » .

خُلِقْنا للحَرْثِ » . فقال الناسُ : سبحانَ اللَّهِ ، بقَرةٌ تَكَلَّمُ ! فقال : « فإنِّى أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعُمَرُ - [1]وما هما[1] ثَمَّ - وبَيْنَما رجلٌ فى غَنَمِه إذْ عَدَا الذئبُ فذهَب منها بشَاةٍ ، فطَلَبَ ، حتى كأَنَّه اسْتَنْقَذَها منه ، فقال له الذئبُ : هذا ، اسْتَنْقَذْتَها مِنِّى ! فمَن لها يومَ السَّبُعِ ، يومَ لا راعِىَ لها غيرِى ؟ » فقال النّاسُ : سُبْحانَ اللَّهِ ، ذئبٌ يَتَكَلَّمُ ! قال : « فإنِّى أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعُمَرُ » - ومَا هُما ثَمَّ .

قال[2] : وحدّثَنا[3] علىٌّ قال : حدّثنا[3] سفيانُ ، عن مِسْعَرٍ ، عن سَعْدِ[4] بنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بمثلِه . وقد أَسْنَدَه البخارىُّ فى المُزارَعَةِ عن [5]محمدِ بنِ بشَّارٍ[5] . ومسلمٌ ، عن محمدِ بنِ عبَّادٍ[6] ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ[7] . وأخرجاه من طريقِ شعبةَ كلاهُما عن سَعْدٍ[8] به . وقال التِّرْمِذِىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ[9] . وأَخْرَجَ مسلمٌ الطريقَ الأولَ من حديثِ سفيانَ بنِ

(١ - ١) فى ح : « وهاهما » .
وعبارة « وما هما ثم » من كلام الراوى ، والمقصود أنهما لم يكونا حاضرين .
(٢) أى البخارى .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح ، ص .
(٤) فى الأصل : « سعيد » .
(٥ - ٥) فى النسخ : « على بن المدينى » . وهو خطأ . والمثبت من صحيح البخارى (٣٤٧١) ، وتحفة الأشراف ١٠/ ٤٥٩ .
(٦) بعده فى النسخ : « كلاهما » . وهو خطأ بتصحيح اسم شيخ البخارى فى الحاشية السابقة .
(٧) مسلم (٢٣٨٨) .
(٨) فى النسخ : « مسعر » . وهو خطأ . والمثبت من تحفة الأشراف ١٠/ ٤٥٩ .
وقد أخرجه البخارى (٢٣٢٤) . ومسلم (٢٣٨٨) .
(٩) الترمذى (٣٦٧٧) .

عُيَيْنَةَ وسفيانَ الثَّوْرِىِّ ، كلاهما عن أبى الزِّنَادِ به[1] .

حديثٌ آخرُ : قال البخارىُّ[2] : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ[3] سعدٍ ، عن أبيه ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّه قد كان فيما مضَى قَبْلَكم مِن الأُمَمِ مُحَدَّثُون ، وإنه إنْ كان فى أُمَّتِى هذه منهم ، فإنَّه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ » . لَم يُخْرِجْه مسلمٌ مِن هذا الوجْهِ ، وقد رَوَى عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، [4]عن أبيه سعد بن إبراهيمَ[4] ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها[5] .

حديثٌ آخرُ : قال البخارىُّ[6] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ[7] ، عن مالكٍ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، عن حُمَيْدِ[8] بنِ عبدِ الرحمنِ ، أنَّه سَمِعَ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ ، عامَ حَجَّ ، على المِنْبَرِ ، فتَناوَلَ قُصَّةً مِن شَعْرٍ ، وكانتْ فى يَدَىْ حَرَسِىٍّ ، فقال : يا أهلَ المدينةِ ، أيْنَ علماؤُكم ؟ سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، يَنْهَى عن مِثْلِ هذه ويقولُ : « إنَّما هَلَكَتْ بنو إسرائيلَ حينَ اتَّخَذَها نِساؤُهم » . وهكذا رواهُ مسلمٌ ، وأبو داودَ من حديثِ مالكٍ[9] . وكذا رواه مَعْمَرٌ ،

---

(١) سقط من : م . والطريقان فى مسلم (٢٣٢٤) .

(٢) البخارى (٣٤٦٩) .

(٣) فى م : « عن » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم .

(٥) مسلم (٢٣٩٨) .

(٦) البخارى (٣٤٦٨) .

(٧) فى الأصل : « مسلم » .

(٨) فى ص : « محمد » .

(٩) مسلم (٢١٢٧) ، وأبو داود (٤١٦٧) .

ويونُسُ، وسفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عن الزُّهْرِىِّ بنحوِه. وقال التِّرْمِذِىُّ[1]: حديثٌ حَسَنٌ[2] صحيحٌ.

وقال البخارىُّ[3]: حدَّثَنا آدمُ، حدَّثَنا شُعْبَةُ، حدَّثَنا عَمْرُو بنُ مُرَّةَ قال: سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ قال: قَدِمَ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ المدينةَ آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَها، فَخَطَبَنا، فأَخْرَجَ[4] كُبَّةَ شَعْرٍ فقال: ما كنتُ أرَى أنَّ أحدًا يَفْعَلُ هذا غيرَ اليهودِ؛ إنَّ النبىَّ ﷺ، سَمّاهُ الزُّورَ. يعنِى الوِصَالَ فى الشَّعْرِ. تابَعَه غُنْدَرٌ، عن شُعْبَةَ[5]. والعَجَبُ أنَّ مُسْلِمًا[6] رَوَاه مِن غيرِ وجهٍ عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبَةَ به[7]، ومِن حديثِ قتادةَ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ[8].

حديثٌ آخرُ: قال البخارىُّ[9]: حدَّثَنا سعيدُ بنُ تَلِيدٍ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، قال: أخْبَرَنِى جريرُ بنُ حازِمٍ، عن [١/٣٠٠و] أيوبَ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ[10] كاد يَقْتُلُه العَطَشُ، إذْ رَأَتْه بَغِىٌّ مِن بَغَايَا بنى إسرائيلَ، فنَزَعَتْ مُوقَها[11] فسَقَتْه،

---

(١) الترمذى (٢٧٨١).
(٢) سقط من: ح، م.
(٣) البخارى (٣٤٨٨، ٥٩٣٨).
(٤) بعده فى النسخ: «من كمه».
(٥) القائل الإمام البخارى، فى الموضع السابق.
(٦) بياض فى الأصل.
(٧) سقط من: م. مسلم (١٢٣، ٢١٢٧).
(٨) مسلم (١٢٤، ٢١٢٧).
(٩) البخارى (٣٤٦٧).
(١٠) الركية: البئر.
(١١) الموق: الخف.

فَغُفِرَ لها به » . ورَوَاه مسلمٌ ، عن أبى الطَّاهِرِ بنِ السَّرْحِ ، عن ابنِ وَهْبٍ به[1] .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[2] : حدَّثَنا[3] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أَسْماءَ[3] ، حدَّثَنا جُوَيْرِيَةُ[4] ، عن نافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « عُذِّبَتِ امرأةٌ فى هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتى ماتَتْ ، فدَخَلَتْ فيها النَّارَ ، لا هى أَطْعَمَتْها ولا سَقَتْها إذْ حَبَسَتْها ، ولا هى تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرضِ » . وكذا رَوَاه مسلمٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أَسْمَاءَ به[5] .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا عثمانُ بنُ عُمَرَ ، حدَّثَنا المُسْتَمِرُّ ابنُ الرَّيَّانِ ، حدَّثَنا أبو نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « كان فى بنى إسرائيلَ امرأةٌ قَصِيرَةٌ ، فصَنَعَتْ رِجْلَيْنِ مِن خَشَبٍ ، فكانت تَمْشِى بينَ امرأتَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ ، واتَّخَذَتْ خَاتَمًا مِن ذَهَبٍ ، وحَشَتْ تحتَ فَصِّه أَطْيَبَ الطِّيبِ ؛ المِسْكَ ، فكانت إذا مَرَّتْ بالمَجْلِسِ ، حَرَّكَتْه ، فنَفَحَ رِيحُه » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ المُسْتَمِرِّ وخُلَيدِ بنِ جعفرٍ ، كِلَاهما عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا قريبًا منه[7] . وقال التِّرْمِذِىُّ[8] : حديثٌ حَسَنٌ[9] صحيحٌ .

---

(١) مسلم (٢٢٤٥) .

(٢) البخارى (٣٤٨٢) .

(٣ - ٣) فى م : « عبد اللَّه بن أسماء » ، وفى ص : « محمد بن عبد اللَّه بن أسماء » .

(٤) فى ص : « جرير » . وجويرية هو ابن أسماء .

(٥) مسلم (٢٢٤٢) .

(٦) فى المسند ٣/ ٤٠ . صحيح (السلسلة الصحيحة ٤٨٦) .

(٧) مسلم (٢٢٥٢) .

(٨) الترمذى (٩٩١) مختصرا .

(٩) سقط من : ح ، م .

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ[1] : حدثنا آدمُ، حَدّثنا شعبةُ، عن منصورٍ، سمِعتُ رِبْعِيَّ بنَ حِرَاشٍ، يُحَدِّثُ عن أبى مسعودٍ[2] قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناسُ مِن كلامِ النُّبُوَّةِ: إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ». تَفَرَّدَ به البخاريُّ دُونَ مسلمٍ. وقد رَوَاه بعضُهم عن رِبْعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، عن حُذَيْفَةَ مرفوعًا ومَوْقوفًا أيضًا[3]. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا هاشمُ بنُ القاسِمِ، حدَّثَنا عبدُ الحميدِ، يَعْنِى ابنَ بَهْرَامٍ، حدَّثنا شهرُ بنُ حَوْشَبٍ قال: قال أبو هريرةَ[5] : «بينما رجلٌ وامرأةٌ له، فى السَّلَفِ الخالِى، لا يَقْدِرَان على شىءٍ، فجاء الرجلُ مِن سَفَرِهِ، فدخَل على امرأتِه جائِعًا، قد أَصَابَتْه مَسْغَبَةٌ شديدةٌ، فقال لامرأتِه: أَعندَكِ شىءٌ؟. قالت: نَعَمْ أَبْشِرْ، أَتَاكَ رزقُ اللَّهِ. فاسْتَحَثَّها فقال: وَيْحَكِ، ابْتَغِى إنْ كان عندَكِ شىءٌ. قالت: نَعَمْ، هُنَيَّةً[6] نَرْجُو رحمةَ اللَّهِ. حتى إذا طالَ عليه الطَّوَى[7]، قال: وَيْحَكِ، قُومى، فابْتَغِى إنْ كان عِنْدَكِ خُبْزٌ[8] فائْتِينِى به، فإنِّى قد بَلَغْتُ وجَهَدْتُ. فقالتْ: نَعَمْ، الآنَ يُنْضِجُ التَّنُّورُ فلا تَعْجَلْ. فلَمَّا أَنْ سكَت عنها ساعةً، وتَحَيَّنَتْ أيضًا أَنْ يقولَ لها، قالت هى مِن

---

(١) البخارى (٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠).

(٢) فى الأصل، ح، م: «ابن مسعود». وأبو مسعود هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة الصحابى البدرى.

(٣) الإمام أحمد فى المسند ٥/٣٨٣ مرفوعا، وأبو نعيم فى الحلية ٤/٣٧٠ موقوفا على حذيفة.

(٤) فى المسند ٢/ ٤٢١. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥٧: رواه أحمد، ورجاله وُثِّقوا.

(٥) بعده فى م، ص: «قال: قال رسول الله ﷺ».

(٦) فى م: «هنيئة». وهنية مصغرة هَنَةٍ، ومعناها: انتظر قليلا. القاموس المحيط (هـ ن و).

(٧) فى الأصل، ح، ص: «الطول». وفى م: «المطال». والمثبت من المسند. والطوى: شدة الجوع.

(٨) فى النسخ: «شىء». والمثبت من المسند.

عندِ نَفْسِها : لو قُمْتُ فنَظَرْتُ إلى تَنُّورِى ، فقامت فوجَدَتْ تَنُّورَها [١/٣٠٠ظ] مَلْآنَ مِن جُنُوبِ الغَنَمِ ، (١ورَحْيَيْها تَطْحَنَانِ١) ، فقامتْ إلى الرَّحَى فنَفَضَتْها ، وأخْرَجَتْ ما فى تَنُّورِها مِن جُنُوبِ الغَنَمِ » . قال أبو هريرةَ : فوالذى نَفْسُ أبى القاسِمِ بيدِه ، عن قولِ محمدٍ ﷺ : « لو أَخَذَت ما فى رَحْيَيْها ولم تَنْفُضْها ، لَطَحَنَتْها(٢) إلى يومِ القيامةِ » .

وقال أحمدُ(٣) : حدّثنا (٤ابنُ عامرٍ٤) ، حدَّثَنا أبو بكرٍ ، عن(٥) هشامٍ ، عن محمدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : دخَل رجلٌ على أهلِه ، فلَمّا رأَى ما بهم مِن الحاجةِ خرَج إلى البَرِّيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرأَتُه(٦) قَامَتْ إلى الرَّحَى فَوَضَعَتْها ، وإلى التَّنُّورِ فَسَجَرَتْه ، ثُم قالت : اللهمَّ ارْزُقْنا . فَنَظَرَتْ ، فإذا الجَفْنَةُ قدِ امْتَلأَتْ . قال : وذَهَبت إلى التَّنُّورِ فوجَدَتْه مُمْتَلِئًا . قال : فرجَع الزوجُ ، قال : أَصَبْتُم بَعْدِى شيئًا ؟ قالت امرأتُه : نِعَمٌ مِن ربِّنا . (٧قامَ إلى الرَّحَى فرَفَعَها٧) ، فذُكِرَ للنبىِّ ﷺ ، فقال : « أَمَا إنه لو لم يَرْفَعْها ، لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إلى يومِ القيامةِ » . شَهِدْتُ

(١ - ١) فى م : « رحاها تطحن » .

(٢) فى م : « لطحنت » . وطحنتها ، أى طحنت للمرأة .

(٣) فى المسند ٢/ ٥١٣. قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧: رواه أحمد والبزار... ورواه الطبرانى فى الأوسط بنحوه ، ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار وشيخ الطبرانى ، وهما ثقتان .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أبو عامر » . وهو خطأ ، والمثبت من المسند . وابن عامر ، هو الأسود بن عامر ، أبو عبد الرحمن الشامى . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٢٦.

(٥) فى الأصل : « بن » . وأبو بكر هو ابن عياش ، وهشام هو ابن حسان .

(٦) بعده فى م : « ما لقى » .

(٧ - ٧) فى م : « فرفعتها إلى الرحى ثم قامت » . وفى المسند : « قام إلى الرحا » . والمثبت من باقى النسخ ومجمع الزوائد ، ليستقيم السياق . ولعل فى رواية المسند سقطا كما صرح بذلك صاحب الفتح الربانى ١٩/ ١٢٣.

النَّبِىَّ ﷺ، وهو يقولُ: «واللَّهِ لَأَنْ يَأْتِىَ أَحدُكُمْ صَبِيرًا[1] ثُمَّ يَحْمِلَه فيَبيعَه فيَسْتَعِفَّ منه، خَيْرٌ له مِن أنْ يَأْتِىَ رجلًا فيَسْأَلَهُ».

---

(١) سقط من: ص. وفى الأصل: «بحطبه»، وفى ح، م: «بحزمة حطب». والمثبت من المسند. وصبيرا، أى جبلا. وقوله: ثم يحمله. أى يحمل حطبا منه يبيعه. انظر الفتح الربانى ١٩/ ١٢٣.

قِصَّةُ المَلِكَيْنِ التائِبَيْنِ

(١ قال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدّثَنا المسعودِيُّ ، عن سِمَاكِ ابنِ حَرْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيهِ قال : بينَما رجلٌ ، فيمَن كان قَبْلَكم ، كان فى مَمْلَكَتِه ، فتَفَكَّرَ ، فعَلِمَ أنَّ ذلك مُنْقَطِعٌ عنه ، وأنَّ ما هو فيه قد شَغَلَه عن عبادةِ ربِّه ، فتَسَرَّبَ[٣] ، فانْسابَ ذاتَ ليلةٍ مِن قَصْرِه ، فأَصْبَحَ فى مَمْلَكَةِ غيرِه ، وأَتَى ساحلَ البحرِ ، وكان به يَضْرِبُ اللَّبِنَ بالأَجْرِ[٤] ، فيَأْكُلُ ويَتَصَدَّقُ بالفَضْلِ ، فلم يَزَلْ كذلك حتى رَقِىَ أَمْرُه إلى مَلِكِهم (٥ وعبادتُه وفضلُهُ٥) ، فأَرْسَلَ مَلِكُهم[٦] إليه (٥ أنْ يَأْتِيَه٥) ، فأَبَى أَنْ يَأْتِيَه ، (٥ فأَعاد ، ثُم أَعاد إليه ، فأَبَى أنْ يَأْتِيَه ، وقال : ما له وما لى ؟ ! قال٥) : فرَكِبَ إليه المَلِكُ ، فلَمّا رَآه الرجلُ وَلَّى هارِبًا ، (٥ فلَمّا رأَى ذلك المَلِكُ٥) رَكَضَ فى أَثَرِه فلم يُدْرِكْه . قال : فناداه : يا عبدَ اللَّهِ ، إنَّه ليس عليك مِنِّى بَأْسٌ . فأَقام حتى أَدْرَكَه ، فقال له : مَن أنتَ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ ، صاحبُ مُلْكِ كذا وكذا ، تَفَكَّرْتُ فى أَمْرِى ، فعَلِمْتُ أنَّ ما أنَا فيه مُنْقَطِعٌ ، فإنه قد١)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى المسند ١/ ٤٥١ . (إسناده حسن) .

(٣) سقط من : ح ، م ، والمثبت من المسند .

(٤) فى م : « بالآجر » .

(٥ - ٥) سقط من : ح ، م ، والمثبت من المسند .

(٦) سقط من : ح ، م . والمثبت من المسند .

(١) شَغَلَنِى عن عبادةِ ربِّى ، فتَرَكْتُه وجِئْتُ هاهنا أَعْبُدُ رَبِّى ، عزَّ وجلَّ . فقال له : ما أنت بأَحْوَجَ إلى ما صَنَعْتَ منِّى . قال : ثُم نَزَل عن دابَّتِه فسَيَّبَها ، ثُمَّ تَبِعَه ، فكانا جميعًا يَعْبُدَانِ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فدَعَوا اللَّهَ أن يُميتَهما جميعًا . قال : فماتا . قال عبدُ اللَّهِ : فلو كُنتُ بِرُمَيْلَةِ[٢] مِصْرَ ، لأَرَيتُكم قبورَهُما ، بالنَّعْتِ الذى نَعَت لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ[١] .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[٣] : حدَّثَنا أبو الوليدِ ، حدَّثَنا أبو عَوَانَةَ ، عن قتادةَ ، عن عُقْبَةَ بنِ عبدِ الغافرِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ : « إنَّ رجلًا كان قَبْلَكم رَغَسَه اللَّهُ ، مالًا[٤] ، فقال لبَنِيه لَمَّا حُضِرَ : أَىَّ أَبٍ كنتُ لكم ؟ قالوا : خَيْرَ أَبٍ . قال : فإنِّى لَمْ أَعْمَلْ خيرًا قَطُّ ، فإذا مِتُّ فأحْرِقُونِى ، ثُم اسْحَقُونى ، ثُم اذْرُونى فى يومٍ عاصِفٍ . ففعلوا ، فجمَعَه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فقال : ما حَمَلَك ؟ قال : مَخَافَتُك . فتَلَقَّاه برَحْمَتِه » . ورَواه فى مواضعَ أُخَرَ ، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ ، عن قتادةَ به[٥] . ثم رَوَاه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ رِبْعِىِّ ابنِ حِرَاشٍ ، عن حُذَيْفَةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه[٦] . [٧]ومِن حديثِ[٧]

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ح ، م : « بالرملية » وهو خطأ . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٦/ ١٥١ : ورميلة مصر : هى ميدان تحت قلعة الجبل ، كانت ميدان أحمد بن طولون ، وبها كانت قصوره وبساتينه ، وهى المعروفة الآن باسم « ميدان صلاح الدين » ، وباسم « المنشية » بالقاهرة . وانظر النجوم الزاهرة ٤/ ٤٩ .

(٣) البخارى (٣٤٧٨) .

(٤) رغسه اللَّه مالا : أى أكثر له وبارك له فيه . مختار الصحاح (ر غ س) .

(٥) البخارى (٦٤٨١، ٧٥٠٨) ، ومسلم (٢٧٥٧) .

(٦) البخارى (٣٤٥٢، ٣٤٧٩، ٦٤٨٠) ولم يروه مسلم من هذا الوجه . وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٩٢٥ .

(٧ - ٧) سقط من : ح .

[1] الزُّهْرِيِّ ، عن حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه[1][2] .

[3] **حديثٌ آخَرُ** : قال البخارىُّ[4] : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ سَعْدٍ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كان رجلٌ يُدَايِنُ الناسَ ، فكان يقولُ لفَتَاهُ : إذا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فتجاوزْ عنه ، لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَتَجَاوَزَ عنا » . قال : « فلَقِىَ اللَّهَ فتَجَاوَزَ عنه » . وقد رواه فى مواضعَ أُخَرَ ، ومسلمٌ مِن طريقِ الزُّهْرِيِّ به[5][3] .

حديثٌ آخَرُ : [6] قال البخارىُّ[6][7] : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنى مالكٌ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، و[8] عن أبى النَّضْرِ مولَى عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن عامِرِ بنِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، عن أبيه ، أنَّه سَمِعَه يَسْأَلُ أسامةَ بنَ زيدٍ : ماذا سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى الطاعُونِ ؟ فقال أسامةُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الطاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ على طائِفَةٍ من بنى إسرائيلَ - أو[9] على مَن كان قَبْلَكم - فإذا سَمِعْتُم به بأرضٍ ، فلا تَقْدَمُوا عليه ، وإذا وقَع بأرضٍ وأنتم

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) البخارى (٣٤٨١) ، ومسلم (٢٧٥٦) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) البخارى (٣٤٨٠) .

(٥) البخارى (٢٠٧٨) ، ومسلم (١٥٦٢) .

(٦ - ٦) سقط من : ح .

(٧) البخارى (٣٤٧٣) .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من الصحيح .

(٩) فى م : « و » .

بها ، فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه » . قال أبو النَّضْرِ : « لا يُخْرِجُكم إلَّا فِرَارًا منه » . ورَوَاه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ ، ومِن طُرُقٍ أُخَرَ عن عامرِ بنِ سعدٍ به[1] .

حدَّثَنا موسى بنُ [١/٣٠١و] إسماعيلَ ، حدَّثَنا داودُ بنُ أبى الفُرَاتِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدَةَ ، عن يَحْيَى بنِ يَعْمُرَ ، عن عائشةَ قالت : سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، عن الطاعونِ فأَخْبَرَنِى أنَّه عذابٌ يَبْعَثُه اللَّهُ على مَن يَشاءُ مِن عبادِه ، وأنَّ اللَّهَ جعَلَه رحمةً[2] للمؤمنين ، ليس مِن أحدٍ يَقَعُ الطاعونُ ، فيَمْكُثُ فى بَلَدِه صابرًا مُحْتَسِبًا ، يَعْلَمُ أنَّه لا يُصيبُه إلَّا ما كتَب اللَّهُ له ، إلَّا كان له مِثْلُ أَجْرِ شهيدٍ » . تَفَرَّدَ به البخاريُّ عن مسلمٍ مِن هذا الوجهِ[3] .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[4] : حدَّثَنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثَنا ليثٌ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، أنَّ قريشًا أَهَمَّهم شَأْنُ المرأةِ المَخْزُومِيَّةِ التى سَرَقَتْ ، فقالوا : مَن يُكَلِّمُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالوا : ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أسامةُ بنُ زيدٍ ، حِبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكَلَّمَه أسامةُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَشْفَعُ فى حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ ؟ » . ثُم قامَ فاخْتَطَبَ[5] . ثم قال : « إنَّما أَهْلَكَ الذِينَ مِن قَبْلِكُم أنَّهم كانوا إذا سرَق فيهم الشَّرِيفُ تَرَكُوه ، وإذا سَرَق فيهم الضعيفُ أَقامُوا عليه الحَدَّ ، وايْمُ اللَّهِ ، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سَرَقَتْ ، لَقَطَعْتُ يَدَها » . وأَخْرَجَه بَقِيَّةُ الجماعةِ مِن طُرُقٍ ، عن

---

(١) مسلم (٢٢١٨) .

(٢) سقط من : ح .

(٣) البخارى (٣٤٧٤) .

(٤) البخارى (٣٤٧٥) .

(٥) فى م : « فخطب » .

اللَّيْثِ بنِ سعدٍ به[1] .

حديثٌ آخَرُ : قال البخاريُّ[2] : حدَّثَنا آدَمُ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، حدَّثَنا عبدُ الملكِ ابنُ ميسرةَ ، سَمِعْتُ النَّزَّالَ بنَ سَبْرَةَ[3] الهِلَالِيَّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، قال : سَمِعْتُ رجلًا قرَأَ آيةً[4] ، وسَمِعْتُ النبيَّ ﷺ ، يَقْرَأُ خِلَافَها ، فجِئْتُ به النبيَّ ﷺ ، فأَخْبرْتُه ، فعَرَفْتُ فى وَجْهِه الكَرَاهِيَةَ ، وقال : « كِلاكُما مُحْسِنٌ ، ولا تَخْتَلِفوا ، فإنَّ مَنْ كان قَبْلكم اخْتَلَفُوا فهَلَكُوا » . تَفَرَّدَ به البخاريُّ دُونَ مسلمٍ .

حديثٌ آخَرُ : قال البخاريُّ[5] : حدّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن صالحٍ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : قال أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ : إنَّ أبا هريرةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، قال : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إنَّ اليَهودَ والنَّصارَى لا يَصْبُغُونَ[6] ، فخَالِفُوهم » . تفرَّدَ به دونَ مسلمٍ . وفى « سُنَنِ أبى داودَ »[7] : « صَلُّوا فى نِعالِكم ، خالِفوا اليهودَ » .

حديثٌ آخَرُ : قال البخاريُّ[8] : حدَّثَنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا سفيانُ ،

---

(١) مسلم (١٦٨٨) ، وأبو داود (٤٣٧٣) ، والترمذى (١٤٣٠) ، والنسائى (٤٩١٤) ، وابن ماجه (٢٥٤٧) .

(٢) البخارى (٣٤٧٦) .

(٣) فى ح : « ميسرة » .

(٤) سقط من : ح ، م ، ص .

(٥) البخارى (٣٤٦٢) .

(٦) فى الأصل : « يصنعون خيرا » .

(٧) أبو داود (٦٥٢) (صحيح سنن أبى داود ٦٠٧) .

(٨) البخارى (٣٤٦٠) .

عن عَمْرٍو، عن[1] طاوُسٍ، عن ابنِ عبّاسٍ، سَمِعْتُ عُمَرَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، يقولُ: قاتَلَ اللَّهُ فلانًا، أَلَمْ يَعْلَمْ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «لَعَنَ اللَّهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ، فجَمَلُوها[2]، فبَاعُوها». ورواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ عُيَيْنَةَ، ومِن حديثِ عَمْرِو بنِ دينارٍ به[3]. ثم قال البخاريُّ: تابَعَه جابرٌ، وأبو هريرةَ، عن [١/٣٠١ظ] النبيِّ ﷺ[4]. ولهذا الحديثِ طُرُقٌ كثيرةٌ، ستَأْتِى فى بابِ الحِيَلِ، مِن كتابِ «الأَحْكَامِ» إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثِّقَةُ.

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ[5]: حدَّثَنا عِمْرانُ بنُ مَيْسَرَةَ، حدَّثَنا عبدُ الوارثِ، حدَّثَنا خالدٌ، عن أبى قِلَابَةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: ذَكَرُوا النارَ والناقُوسَ، فذَكَرُوا اليهودَ والنَّصارَى، فأُمِرَ بلالٌ أَنْ يَشْفَعَ الأَذَانَ، وأنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ. وأَخْرَجَه بَقِيَّةُ الجماعةِ مِن حديثِ أبى قِلابةَ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ الجَرْمِىِّ به[6].

والمقصودُ مِن هذا مُخَالَفَةُ أهلِ الكتابِ فى جميعِ شِعَارِهم، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، لَمّا قَدِمَ المدينةَ، كان المسلمون يَتَحَيَّنُون وقتَ الصلاةِ بغيرِ دعوةٍ إليها، ثم أَمَرَ مَن يُنَادِى فيهم وقتَ الصلاةِ: الصلاةُ جامعةٌ. ثُم أرادوا أنْ يَدْعُوا إليها

---

(١) فى ص: «بن».

(٢) أى، أذابوها.

(٣) مسلم (١٥٨٢) من حديث ابن عيينة وعمرو بن دينار به.

(٤) قال الحافظ فى الفتح: قوله: تابعه جابر وأبو هريرة عن النبى ﷺ. يعنى فى تحريم شحوم الميتة دون القصة. فتح البارى ٦/ ٤٩٨.

(٥) البخارى (٦٠٣، ٣٤٥٧).

(٦) مسلم (٣٧٨)، وأبو داود (٥٠٨، ٥٠٩)، والترمذى (١٩٣)، والنسائى (٦٢٦)، وابن ماجه (٧٢٩، ٧٣٠).

بشيءٍ يَعْرِفُه الناسُ، فقال قائلون: نَضْرِبُ بالناقُوسِ. وقال آخرُون[1]: نُورِى نارًا[2]. فكَرِهُوا ذلك؛ لمُشابَهَتِه أهلَ الكِتابَيْنِ، فأُرِىَ عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ ربِّه الأنصارىُّ فى مَنَامِه الأذانَ فقَصَّها[3] على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَمَرَ بلالًا فنادى به[4]، كما هو مَبْسُوطٌ فى مَوْضِعِه مِن بابِ الأذانِ مِن كتابِ «الأحْكَامِ».

حديثٌ آخَرُ: قال البخارىُّ[5]: حدَّثَنا بِشْرُ بنُ محمدٍ، أَخْبَرَنا عبدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنى مَعْمَرٌ ويونُسُ، عن الزُّهْرِىِّ قال: أَخْبَرَنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ، أنّ عائشةَ وابنَ عباسٍ قالا: لمّا نُزِلَ برسولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً على وجهِه، فإذا اغْتَمَّ كشَفَها عن وجهِه، فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللَّهِ على اليهودِ [6]والنَّصارَى[6]، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبيائِهم مساجدَ». يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا. وهكذا رَوَاه فى غيرِ مَوْضِعٍ، [6]ومسلمٌ[6] مِن طُرُقٍ عن الزُّهْرِىِّ به[7].

حديثٌ آخَرُ: قال البخارىُّ[8]: حدَّثَنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ، حدثنا أبو غَسّانَ قال: حَدَّثَنى زيدُ بنُ أَسْلَمَ، عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبى سعيدٍ، أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكم شِبْرًا بشِبْرٍ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ

---

(١) فى م: «آخر».
(٢) فى الأصل، ح، ص: «بالنار».
(٣) أى الرؤيا.
(٤) سقط من: م.
(٥) البخارى (٣٤٥٣، ٣٤٥٤).
(٦ - ٦) سقط من: الأصل.
(٧) البخارى (٤٣٥، ٤٣٦، ٥٨١٥ - ٥٨١٧). مسلم (٥٣١).
(٨) البخارى (٣٤٥٦).

ضَبٍّ لَسَلَكْتُموه » . قلنا : يا رسولَ اللَّهِ : اليهودَ والنَّصارَى ؟ قال النبيُّ ﷺ : « فمَن ؟ ! » وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ به[1] .

والمقصودُ مِن هذا ، الإِخْبَارُ عَمّا يَقَعُ مِن الأَقْوالِ والأفعالِ المَنْهِيِّ عنها شَرْعًا ، مِمّا يُشَابِهُ أهلَ الكتابِ قَبْلَنا ، فإنَّ اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيَانِ عن مُشَابَهَتِهم فى أقوالِهِم وأفْعالِهِم ، حتى ولو كان قَصْدُ المؤمنِ خيرًا ، لكنّه [2]تَشَبُّهٌ بفعلِه فى الظاهرِ مِن فِعْلِهم[2] . كما نُهِىَ عن الصلاةِ عندَ طُلُوعِ الشمسِ وعِندَ غروبِها ؛ لِئَلَّا يُشَابِهَ المُشْرِكِينَ الذين يَسْجُدونَ [٣٠٢/١و] للشمسِ حينَئِذٍ ، وإنْ كان المؤمنُ لا يَخْطُرُ ببالِه شىءٌ مِن ذلك بالكُلِّيَّةِ . وهكذا قولُه تعالَى[3] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [البقرة : ١٠٤] . فكان الكفارُ يقولون للنبىِّ ﷺ ، فى كلامِهم معه : راعِ نَا . أَىْ ؛ انظُرْ إلينا ببَصَرِك واسْمَعْ كلامَنا . ويَقْصِدُون بقولِهِم : راعِنَا . من الرُّعُونَةِ ، فنُهِىَ المؤمنون أَنْ يقولوا ذلك ، وإنْ كان لا يَخْطُرُ ببالِ أحدٍ منهم هذا أَبَدًا .

وقد روَى الإِمامُ أحمدُ والتِّرْمِذِىُّ[4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنَّه قال : « بُعِثْتُ بالسيفِ بينَ يَدَيِ الساعةِ حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا

---

(١) مسلم (٢٦٦٩) .

(٢ - ٢) فى ح ، م : « تشبه ففِعله فى الظاهر فعلهم » . وفى ص : « بسببه يفعل فى الظاهر فعلهم » .

(٣) التفسير ١/ ٢١٣، ٢١٤.

(٤) أحمد فى المسند ٢/ ٥٠. (إسناده صحيح) .

والحديث بهذا اللفظ لم يخرجه الترمذى . وربما قصد المصنف أن يعزو الحديث إلى أبى داود ، فقد رواه عن ابن عمر (٤٠٣١) .

شريكَ له ، وجُعِلَ رِزْقى تحتَ ظِلِّ رُمْحِى ، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالَفَ أَمْرِى ، ومَن تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم » . فليس للمُسْلِمِ أنْ يَتَشَبَّهَ بهم ؛ لا فى عباداتِهم ، ولا فى مَواسِمِهم ، ولا فى أعيادِهم ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالَى شَرَّفَ هذه الأمَّةَ بخَاتَمِ الأنبياءِ ، الذى شرعَ له الدينَ العظيمَ القَوِيمَ ، الشّامِلَ الكاملَ ، الذى لو كان موسى بنُ عمرانَ الذى أُنْزِلَتْ عليه التوراةُ ، وعيسى ابنُ مريمَ الذى أُنْزِلَ عليه الإنجيلُ حَيَّيْنِ ، لم يَكُنْ لهما شَرْعٌ مُتَّبَعٌ ، بل لو كانا مَوْجُودَيْن ، بل وكُلُّ الأنبياءِ ، لَمَا ساغَ[1] لواحدٍ منهم[2] أَن يَكُونَ على غيرِ هذه الشريعةِ المُطَهَّرَةِ ، المُشَرَّفَةِ ، المُكَرَّمَةِ ، المُعَظَّمَةِ ، فإذا كان اللَّهُ تعالى قد مَنَّ علينا ، بأَنْ جَعَلَنا مِن أَتْباعِ محمدٍ ﷺ ، فكيف يَلِيقُ بنا أنْ نَتَشَبَّهَ بقومٍ قد ضَلُّوا مِن قبلُ ، وأَضَلُّوا كثيرًا ، وضَلُّوا عن سَوَاءِ السبيلِ ، قد بَدَّلُوا دينَهم ، وحَرَّفُوه ، وأَوَّلُوه ، حتى صارَ كأنَّه غيرُ ما شُرِعَ لهم أَوَّلًا ، ثُمَّ هو بعدَ ذلك كلِّه مَنْسُوخٌ ، والتَّمَسُّكُ بالمنسوخِ حرامٌ ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه قليلًا ولا كثيرًا ، ولا فَرْقَ بينَه وبينَ ما لم يُشْرَعْ بالكُلِّيَّةِ . واللَّهُ يَهْدِى مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ .

حديثٌ آخَرُ : قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّما أَجَلُكم فى أَجَلِ مَن خَلَا مِن الأُمَمِ ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ ، وإنما مَثَلُكم ومَثَلُ اليهودِ والنصارَى ، كرجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمّالًا فقال : مَن يَعْمَلُ لى إلى نِصْفِ النهارِ

---

(١) فى الأصل : « شرع » .

(٢) فى ص : « منهما » .

(٣) البخارى (٣٤٥٩) .

على قِيرَاطٍ قيراطٍ ؟ فعَمِلَتِ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ ، ثم قال : مَن يَعْمَلُ لى مِن نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراطٍ ؟ فعَمِلَتِ النصارَى مِن نِصْفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراطٍ ، ثم قال : مَن يَعْمَلُ لى مِن صلاةِ العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ على قيراطَيْنِ قيراطَيْنِ ؟ أَلَا فأَنتم الذين تعمَلون [٣٠٢/١ظ] مِن صلاةِ العصرِ إلى (١مَغْرِبِ الشمسِ١) على قيراطَيْنِ قيراطَيْنِ ، أَلَا لكم الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ . فغَضِبَتِ اليهودُ والنصارَى ، فقالوا : نحنُ أكثرُ عَمَلًا وأقلُّ عطاءً ! قال اللَّهُ : هل ظَلَمْتُكم مِنْ حَقِّكم شيئًا ؟ قالوا : لا . قال : فإنَّه فَضْلِى أُوتِيه(٢) مَنْ شِئْتُ » . وهذا الحديثُ فيه دَلِيلٌ على أنَّ مُدَّةَ هذه الأُمَّةِ قصيرةٌ ، بالنسبةِ إلى ما مضَى مِن مُدَدِ الأُمَمِ قَبْلَها ؛ لقولِه : « إنَّما أَجَلُكم فى أَجَلِ مَن خَلَا مِن الأُمَمِ(٣) ما بينَ صلاةِ العصْرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ » . فالماضِى لا يَعْلَمُه إلَّا اللَّهُ ، كما أَنَّ الآتِىَ لا يَعْلَمُه إلَّا هو ، ولكنَّه قَصيرٌ بالنسبةِ إلى ما سَبَق ، ولا اطِّلَاعَ لأَحدٍ على تَحْدِيدِ ما بَقِىَ إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] . وقال : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ [النازعات ٤٢- ٤٤] . وما يَذْكُرُه بعضُ الناسِ مِن الحديثِ المشهورِ عندَ العامَّةِ مِن أنَّه ، عليه السلامُ ، لا يؤلَّفُ تحتَ الأرضِ ، فليس له أصلٌ فى كُتُبِ الحديثِ ، ووَرَدَ فيه حديثٌ : « أنَّ الدنيا جُمُعَةٌ مِن جُمَعِ الآخِرَةِ »(٤) .

(١ - ١) فى م : « المغرب » .

(٢) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « أعطيه » .

(٣) بعده فى النسخ : « قبلكم » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٥/٤ لابن أبى حاتم عن ابن عباس موقوفا ، ولابن أبى الدنيا عن سعيد بن جبير .

وفى صحتِه نَظَرٌ. والمرادُ مِن هذا التَّشْبِيهِ بالعُمَّالِ، تفاوتُ أجورِهم، وأن ذلك ليس مَنُوطًا بكثرةِ العملِ ولا قِلَّتِه، بل بأمورٍ أُخَرَ مُعْتَبَرةٍ عندَ اللَّهِ تعالَى، وكم مِن عملٍ قليلٍ أَجْدَى ما لا يُجْدِيه العملُ الكثيرُ؛ هذه ليلةُ القَدْرِ، العملُ فيها أفضلُ مِن عبادةِ ألفِ شَهْرٍ سواها، وهؤلاء أصحابُ محمدٍ ﷺ، أَنْفَقُوا فى أوقاتٍ، لو أَنْفَقَ غيرُهم مِن الذهبِ مِثْلَ أُحُدٍ، ما بلَغ مُدَّ[1] أحدِهِم، ولا نَصِيفَه [2]مِنْ تَمْرٍ[2]، وهذا رسولُ اللَّهِ ﷺ، بعَثَه اللَّهُ على رأسِ أربعين سنةً مِن عُمْرِه، وقبَضَه وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً على المشهورِ، وقد برَز فى هذه المدَّةِ - التى هى ثلاثٌ وعشرون سنةً - فى العلومِ النافعةِ، والأعمالِ الصَّالحةِ، على سائرِ الأنبياءِ قَبْلَه؛ حتى على نوحٍ، الذى لَبِثَ فى قومِه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، يَدْعُوهم إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، ويَعْمَلُ بطاعةِ اللَّهِ ليلًا ونهارًا، وصباحًا ومَساءً، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعلى سائرِ الأنبياءِ أَجْمَعِينَ. فهذه الأُمَّةُ إنَّما شُرِّفَتْ وتَضَاعَفَ ثَوابُها، ببَرَكَةِ سيادةِ[3] نبيِّها وشَرَفِه وعَظَمَتِه، كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩].

---

(١) فى م: «من».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى الأصل، ص: «سفارة».

فصلٌ

وأخبارُ بنى إسرائيلَ كثيرةٌ [٣٠٣/١و] جدًّا فى الكتابِ وفى السُّنَّةِ النبويةِ ، ولو ذهَبْنا نَتَقَصَّى ذلك لَطَالَ الكتابُ ، ولكن ذكَرْنا ما ذكَرَه الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ البخاريُّ فى هذا البابِ ، ففيه مَقْنَعٌ وكِفايَةٌ ، وهو تَذْكِرَةٌ وأُنْمُوذَجٌ لهذا البابِ . واللَّهُ أعلمُ .

وأمّا الأخبارُ الإسرائيليةُ ، مِمّا[1] يَذْكُرُه كثيرٌ مِن المُفَسِّرين والمُؤَرِّخِين ، فكثيرةٌ جِدًّا ، ومنها ما هو صحيحٌ مُوَافِقٌ لِمَا وقَع ، وكثيرٌ منها - بل أَكْثَرُها - مِمّا يَذْكُرُه القُصَّاصُ مَكْذُوبٌ مُفْتَرًى ، وضَعَه زَنَادِقَتُهم وضُلَّالُهم ، وهى ثلاثةُ أقسامٍ ؛ منها ما هو صحيحٌ ؛ لِمُوَافَقَتِه ما قَصَّه اللَّهُ فى كتابِه أو أَخْبَرَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ومنها ما هو معلومُ البُطْلانِ ؛ لمخالفتِه كتابَ اللَّهِ وسُنَّةَ رسولِه ، ومنها ما يَحْتَمِلُ الصدقَ والكَذِبَ ، فهذا الذى أُمِرْنا بالتَّوَقُّفِ فيه ، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه ؛ لِمَا ثبَت فى « الصّحيحِ »[2] : « إذا حَدَّثَكم أهلُ الكتابِ ، فلا تُصَدِّقُوهم ولا تُكَذِّبُوهم ، وقُولوا : آمَنّا بالذى أُنْزِلَ إلينا وأُنْزِلَ إليكم » . وتَجُوزُ روايتُه مع هذا الحديثِ المتقَدِّمِ : « وحدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ »[3] .

---

(١) فى الأصل : « فيما » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٤.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٢.

ذِكْرُ[1] تَحْرِيفِ أهلِ الكتابِ، وتَبْدِيلِهم أَدْيَانَهم

أما اليهودُ فقد أَنْزَلَ اللَّهُ عليهم التوراةَ على يَدَىْ موسى بنِ عِمْرَانَ، عليه السلامُ، وكانت كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. [2]وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2] [الصافات: ١١٧، ١١٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. فكانوا يَحكُمونَ بها وهم مُتَمَسِّكُون بها، بُرْهَةً مِن الزمانِ، ثُم شَرَعُوا فى تَحْرِيفِها، وتَبْدِيلِها، وتَغْيِيرِها، وتَأْوِيلِها[3]، وإِبْدَاءِ ما ليس منها، كما قال

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سقط من: ص.

اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]. فأَخْبَرَ تعالى أنَّهم يُفَسِّرُونَها ويُؤَوِّلُونَها ويَضَعُونَها على غيرِ مَواضِعِها، وهذا ما لا خِلَافَ فيه بينَ العلماءِ؛ وهو أنَّهم يَتَصَرَّفُونَ فى مَعَانِيها، ويَحْمِلُونها على غيرِ المرادِ، كما بَدَّلُوا حُكْمَ الرَّجْمِ والتَّحْمِيمِ[1]، مع بقاءِ لفظِ الرَّجْمِ فيها، وكما أنَّهم [١/ ٣٠٣ظ] كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ تَرَكُوه، وإذا سرَق فيهم الضعيفُ أَقَامُوا عليه الحدَّ، مع أنَّهم مَأْمُورون بإقامةِ الحَدِّ والقَطْعِ على الشريفِ والوَضِيعِ.

فأمّا تبديلُ ألفاظِها، فقال قائلون بأنَّها جميعَها بُدِّلَتْ. وقال آخَرون: لَمْ تُبَدَّلْ. واحْتَجُّوا بقولِه تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]. وقولِه: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وبقولِه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. وبقصَّةِ الرَّجْمِ، فإنَّهم - كما ثبَت فى «الصحيحَيْنِ»[2]، عن ابنِ عُمَرَ، وفى «صحيحِ مسلمٍ»[3]، عن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، وفى «السُّنَنِ»[4] عن أبى هريرةَ وغيرِه: لَمَّا تحاكَمُوا

---

(١) التحميم: تسويد الوجه.

(٢) البخارى (١٣٢٩، ٣٦٣٥، ٤٥٥٦، ٦٨١٩، ٦٨٤١، ٧٣٣٢، ٧٥٤٣). مسلم (١٦٩٩).

(٣) حديث البراء عند مسلم (١٧٠٠)، وحديث جابر (١٧٠١).

(٤) أبو داود (٤٤٥٠، ٤٤٥١).

إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فى قِصَّةِ اليهودىِّ واليهوديَّةِ الَّذَيْنِ زَنَيَا، فقال لهم: «ما تَجِدُون فى التوراةِ فى شَأْنِ الرَّجْمِ؟» فقالوا: نَفْضَحُهم، ويُجْلَدُون. فأَمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ، بإحْضَارِ التوراةِ، فلَمَّا جاءُوا بها، وجَعَلوا يَقْرءُونَها ويَكْتُمُون آيةَ الرَّجْمِ التى فيها، ووضَع عبدُ اللَّهِ بنُ صُورِيا يَدَه على آيةِ الرَّجْمِ، وقرَأ ما قَبْلَها وما بعدَها، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْفَعْ يَدَك يا أَعْوَرُ». فرَفَع يَدَه، فإذا فيها آيةُ الرَّجْمِ، فأَمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، برَجْمِهما، وقال: «اللهُمَّ إنِّى أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَك إذْ أَمَاتُوهُ». وعندَ أبى داودَ[1]: أنَّهم لما جاءُوا بها[2]، نزَع الوِسَادَةَ مِن تَحْتِه، فوضَعَها تَحْتَها، وقال: «آمَنْتُ بكِ وبمَن أَنْزَلَكِ». وذكَر بعضُهم أنّه قامَ لها. ولَمْ أَقِفْ على إسنادِه. واللَّهُ أعلمُ.

وهذا كلُّه يُشْكِلُ على ما يقولُه كثيرٌ مِن المتكلِّمين وغيرِهم: إنَّ التوراةَ انْقَطَعَ تَوَاتُرُها فى زمنِ بُخْتُ نَصَّرَ، ولَمْ يَبْقَ مَن يَحْفَظُها إلَّا العُزَيْرُ. ثُم إنَّ العُزَيْرَ إنْ كان نبيًّا فهو معصومٌ، [3]والتواتُرُ إلى المعصومِ يَكْفِى[3]، اللهُمَّ إلَّا أن يُقَالَ: إنّها لم تَتَوَاتَرْ إليه. لكنْ بعدَه زكريا ويَحْيَى وعيسى، وكُلُّهم كانوا مُتَمَسِّكِين بالتَّوراةِ، فلو لَمْ تَكُنْ صحيحةً معمولًا بها، لَمَا اعْتَمَدُوا عليها، وهم أنبياءُ مَعْصُومون، ثُم قد قال اللَّهُ تعالى، فيما أَنْزَلَ على رسولِه محمدٍ، خاتَمِ الأنبياءِ، صلوَاتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعلى جَمِيعِ الأنبياءِ، مُنْكِرًا على اليهودِ فى

---

(١) أبو داود (٤٤٤٩). حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٧٣٩).

(٢) سقط من: ص. والضمير عائد إلى التوراة.

(٣ - ٣) فى الأصل: «والرواية إلى المعصوم تكفى».

قَصْدِهِم الفاسدِ، إذْ عَدَلُوا عَمّا يَعْتَقِدُون صحتَه عندَهم - وأنَّهم مَأْمُورون به حَتْمًا - إلى التَّحاكُم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهم يُعَانِدون ما جاءَ به، لكنْ لَمَّا كان - فى زَعْمِهم[1] - قد يُوافِقُهم على ما ابْتَدَعُوه؛ مِن الجَلْدِ والتَّحْمِيمِ، المُصادِمِ لِمَا أمَر اللَّهُ به حَتْمًا، قالوا: إنْ حكَم لكم بالجلدِ والتحميمِ فاقْبَلُوه، وتَكُونون قد اعْتَذَرْتُم بحُكْمِ نبيٍّ لكم عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ، [١/٣٠٤و] وإنْ لم يَحْكُمْ لكم بهذا، بل بالرَّجْمِ، فاحْذَرُوا أنْ تَقْبَلُوا منه. فأنْكَرَ اللَّهُ تعالى عليهم فى هذا القَصْدِ الفاسدِ، الذى إنَّما حَمَلَهم عليه الغَرَضُ الفاسدُ، وموافقةُ الهَوَى، لا الدينُ الحقُّ، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ٤٣، ٤٤]. ولهذا لَمّا[2] حكَم بالرَّجْمِ، قال: «اللهُمَّ إنِّى أوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَك إذْ أَمَاتُوه». وسَأَلَهم؛ ما حمَلَهم على هذا؟ ولِمَ تَرَكُوا أمْرَ اللَّهِ الذى بأيديهِم؟ فقالوا: إنّ الزِّنا قد كَثُرَ فى أَشْرَافِنا، ولَمْ يُمْكِنّا أنْ نُقِيمَه عليهم، وكنا نَرْجُمُ مَن زنَى مِن ضعفائِنا، فقُلْنا: تَعالَوْا إلى أَمْرٍ نِصْفٍ، نَفْعَلُه مع الشريفِ والوضيعِ، فاصْطَلَحْنا على الجَلْدِ والتَّحْمِيمِ. فهذا مِن جُمْلَةِ تَحْرِيفِهم، وتَبْدِيلِهم، وتغييرِهم، وتَأْوِيلِهم الباطلِ، وهذا إنما فعَلوه فى المعانِى، مع بَقَاءِ لَفْظِ الرَّجْمِ فى كتابِهم، كما دَلَّ عليه الحديثُ المتَّفَقُ عليه[3]، فلهذا قال مَن قال هذا مِن الناسِ: إنّه لم

---

(١) بعده فى ح، م: «ما».

(٢) سقط من: م.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٧٩.

يَقَعْ تبديلُهم إلَّا فى المعانِى ، وإنَّ الألفاظَ باقيةٌ ، وهى حُجَّةٌ عليهم ؛ إذ لو أقَاموا ما فى كتابِهم جميعَه ، لقادَهم ذلك إلى اتِّباعِ الحقِّ ، ومُتَابَعَةِ الرسولِ محمدٍ ﷺ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ الآية [المائدة : ٦٦] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية [المائدة : ٦٨] . وهذا المذهبُ - وهو القولُ بأنَّ التبديلَ إنَّما وقَع فى معانِيها لا فى ألفاظِها - حكاه البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ ، فى آخرِ كتابِه « الصحيحِ »[(١)] وقَرَّر عليه ، ولم يَرُدَّه ، وحكاه العَلّامةُ الإمامُ فخرُ الدينِ الرّازِيُّ فى « تَفْسِيرِه »[(٢)] عن أكثرِ المُتَكَلِّمِين[(٣)] .

وذهَب فقهاءُ الحَنَفِيَّةِ إلى أنَّه لا يَجُوزُ للجُنُبِ مَسُّ التوراةِ ، وهو مُحْدِثٌ ، وحَكَاه الحنَّاطِيُّ فى « فتاويه » عن بعضِ أصحابِ الشافعىِّ ، وهو غريبٌ جدًّا .

وذهَب آخرون مِن العلماءِ إلى التَّوَسُّطِ فى هذين القولين ؛ منهم شيخُنا

---

(١) البخارى (٧٥٤١) .

(٢) التفسير الكبير ٣/ ١٣٤، ١٣٥.

(٣) بعده فى هامش ح : « ليس للجنب أن يمس التوراة » . وهو عنوان فى م : « ليس للجنب لمس التوراة » . ومن الواضح أن المصنف لم يقر ذلك ، وإنما قاله على سبيل الحكاية .

الإمامُ العَلّامَةُ أبو العباسِ ابنُ تَيْمِيَةَ، رَحِمَه اللَّهُ، فقال[1]: أَمّا مَن ذَهَب إلى أنَّها كلَّها مُبَدَّلَةٌ مِن أَوَّلِها إلى آخِرِها [١/٣٠٤ظ]، ولم يَبْقَ منها حَرْفٌ إلَّا بَدَّلُوه، فهذا بعيدٌ، وكذا مَن قال: لم يُبَدَّلْ شيءٌ منها بالكلِّيَّةِ. بعيدٌ أيضًا. والحقُّ أنَّه دخَلَها تَبْدِيلٌ وتغييرٌ، وتَصَرَّفُوا فى بعضِ أَلْفاظِها بالزيادةِ والنقصِ، كما تَصَرَّفوا فى معانيها، وهذا معلومٌ عندَ التَّأمُّلِ، ولبَسْطِه موضعٌ آخرُ. واللَّهُ أعلمُ. كما فى قولِهم[2] فى قصةِ الذبيحِ[3]: اذْبَحِ ابنَكَ وحيدَك. وفى نسخةٍ: بِكْرَكَ إسحاقَ. فلَفْظَةُ «إسحاقَ» مُقْحَمَةٌ مَزِيدَةٌ بلا مِرْيةٍ؛ لأنَّ الوحيدَ - وهو البِكْرُ - إسماعيلُ؛ لأنَّه وُلِدَ قَبْلَ إسحاقَ بأربعَ عَشْرَةَ سنةً، فكيف يَكُونُ الوحيدُ البِكْرُ إسحاقَ؟!، وإنما حَمَلَهم على ذلك حَسَدُ العَرَبِ؛ أنْ يكونَ [4]أبوهم هو[4] الذبيحَ، فأَرادُوا أنْ يَذْهَبوا بهذه الفضيلةِ لهم، فزادوا ذلك فى كتابِ اللَّهِ، افتراءً على اللَّهِ وعلى رسولِه، وقد اغْتَرَّ بهذه الزيادةِ خَلْقٌ كثيرٌ مِن السَّلَفِ والخَلَفِ، ووافقوهم على أنَّ الذبيحَ إسحاقُ، والصحيحُ أنَّ الذبيحَ إسماعيلُ، كما قَدَّمْنا[5]. واللَّهُ أعلمُ.

وهكذا فى تَوْراةِ السّامِرَةِ، فى العَشْرِ الكلماتِ زيادةُ الأَمْرِ بالتَّوَجُّهِ إلى الطُّورِ فى الصلاةِ، وليس ذلك فى سائِرِ نُسَخِ اليهودِ والنصارَى. وهكذا يُوجَدُ

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٣٦٧ - ٤٩٥، ٢/٣ - ٢٠. ومجموع الفتاوى ١٣/١٠٣، ١٠٤.

(٢) فى ح، م: «قوله».

(٣) سفر التكوين، الأصحاح ٢٢/٢.

(٤ - ٤) فى ح، م: «إسماعيل غير».

(٥) انظر ما تقدم فى ١/٣٦٣ - ٣٧٠.

الزَّبُورُ المأثورُ عن داودَ، عليه السَّلامُ، مختلِفًا كثيرًا، وفيه أشياءُ مَزِيدَةٌ مُلْحَقَةٌ فيه وليست منه. واللَّهُ أعلمُ.

قلتُ: وأمّا ما بأيدِيهم مِن التوراةِ المُعَرَّبَةِ، فلا يَشُكُّ عاقلٌ فى تَبْدِيلِها وتحريفِ كثيرٍ من ألفاظِها، وتغييرِ القَصَصِ والألفاظِ، والزياداتِ، والنقصِ البَيِّنِ الواضحِ، وفيها مِن الكذبِ البَيِّنِ، والخطأِ الفاحشِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا، فأمّا ما يَتْلُونَه بلسانِهم، ويَكْتُبُونَه بأقلامِهم، فلا اطِّلَاعَ لنا عليه، والمَظْنُونُ بهم أنَّهم كَذَبَةٌ خَوَنَةٌ، يُكْثِرُون الفِرْيَةَ على اللَّهِ ورُسُلِه وكتبِه.

وأمَّا النصارَى، فأَناجيلُهم الأربعةُ مِن طُرُقٍ؛ مُرْقُسَ[1]، ولُوقَا، ومَتَّى، ويُوحَنَّا، أَشَدُّ اختلافًا، وأكثرُ زِيادةً ونقصًا، وأَفْحَشُ تَفَاوُتًا من التوراةِ، وقد خالَفُوا أحكامَ التوراةِ والإنجيلِ، فى غيرِ ما شىءٍ قد شَرَّعُوه لأنفسِهم؛ فَمِن ذلك، صلاتُهم إلى الشرقِ ليست مَنْصوصًا عليها، ولا مَأْمورًا بها فى شىءٍ مِن الأناجيلِ الأربعةِ، وهكذا تصويرُهم كنائسَهم، وتَرْكُهم الخِتانَ، ونَقْلُهم صيامَهم إلى زمنِ الربيعِ، وزيادتُهم فيه إلى خمسين يومًا، [2]وأَكْلُهم الخِنزيرَ[2]، ووضْعُهم الأمانةَ الكبيرةَ، وإنّما هى الخيانةُ الصغيرةُ[3] الحقيرةُ، والرهبانيةُ؛ وهى تركُ التَّزْويجِ لمَن أراد التَّعَبُّدَ، وتحريمُه عليه، وكَتْبُهم القوانينَ التى وضَعَتْها لهم الأساقِفةُ الثلاثُمائةِ والثمانيةَ عَشَرَ. فكلُّ هذه الأشياءِ ابتدعوها، ووضَعُوها فى [١/٣٠٥و] أيامِ قُسْطَنْطِينَ بنِ قسطسَ بَانِى القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وكان زمنُه بعدَ المسيحِ

---

(١) فى ح: «ملقس».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) سقط من: ح، م.

بثلاثِمائةِ سنةٍ، وكان أبوه أحدَ مُلُوكِ الرومِ، وتَزَوَّجَ أُمَّه هِيلَانَةَ فى بعضِ أسْفارِه للصَّيْدِ مِن بلادِ حَرَّانَ، وكانت نَصْرَانِيَّةً على دينِ الرَّهَابِينِ المُتقدِّمين، فلما وُلِدَ لها منه قُسْطَنْطِينُ المذكورُ، تَعَلَّمَ الفلسفةَ ومَهَرَ[1] فيها، وصار فيه مَيْلٌ بعضُ الشىءِ إلى النصرانيةِ، التى أُمُّه عليها، فعَظَّمَ القائِمِين بها بعضَ الشىءِ، وهو على اعتقادِ الفلاسفةِ، فلمّا مات أبوه واسْتَقَلَّ هو فى المَمْلَكَةِ، سار فى رَعِيَّتِه سِيرةً عادلةً؛ فأَحَبَّه الناسُ، وسادَ فيهم، وغلَب على مُلْكِ الشّامِ بأَسْرِه مع الجَزيرةِ، وعَظُمَ شَأْنُه، وكان أولَ القياصرةِ، ثُم اتَّفَقَ اختلافٌ فى زمانِه بينَ النَّصارَى، ومُنَازَعَةٌ وَقَعَتْ[2] بينَ بِطْرِيقِ[3] الإسكندريةِ إِكْصَنْدَرُوسَ، وبينَ رَجلٍ مِن علمائِهم يُقالُ له: عبدُ اللَّهِ بنُ أَرْيُوسَ. فذهَب إِكْصَنْدَرُوسُ إلى أَنَّ عيسى ابنُ اللَّهِ، تعالى اللَّهُ عن قولِه، وذهَب ابنُ أرْيوسَ إلى أنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه، واتَّبعه على هذا طائفةٌ مِن النصارَى، وأَصْفَقَ[4] الأكثرون الأَخسرون[5] على قولِ بَطْرِيقِهم[6]، ومُنِعَ ابنُ أَرْيُوسَ مِن دخولِ الكنيسةِ هو وأصحابُه، فذهَب يَسْتَعْدِى على إِكْصَنْدَرُوسَ وأصحابِه إلى المِلِكِ قُسْطَنْطِينَ، فسأَله المِلِكُ عن مَقَالَتِه، فعَرَض عليه عبدُ اللَّهِ ابنُ أَرْيُوسَ ما يقولُ فى المسيحِ؛ مِن أنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه، واحْتَجَّ على

---

(١) فى ح، م، ص: «بهر».

(٢) سقط من: م.

(٣) فى النسخ: «بترك». وانظر ما تقدم فى ٢/ ١١.

(٤) فى م: اتفق. وأصفقوا على الأمر: اجتمعوا عليه. اللسان (ص ف ق).

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) فى النسخ: «بتركهم».

ذلك ، فمالَ[1] إليه ، وجنَح إلى قولِه ، فقال له قائلون : فيَنْبَغِى أنْ تَبْعَثَ إلى خَصْمِه فتَسْمَعَ كلامَه . فأَمَرَ المِلِكُ بإحضارِه ، وطلَب مِن سائرِ الأقاليم كلَّ أُسْقُفٍ ، وكلَّ مَن عندَه عِلْمٌ[2] فى دينِ النصرانيةِ ، وجمَع البَطَارِقَةَ[3] الأربعةَ ، مِن القُدْسِ وأَنْطَاكِيَةَ ورُومِيَّةَ والإسكندريةِ ، فيُقالُ : إنَّهم اجْتَمَعُوا فى مُدَّةِ سنةٍ وشهرَين ما يَزِيدُ على ألْفَىْ[4] أُسْقُفٍ ، فجَمَعَهم فى مجلسٍ واحدٍ ، وهو المجْمَعُ الأوَّلُ من مَجَامِعِهم الثلاثةِ المشهورةِ ، وهم مختلفون اخْتلافًا مُتَبَايِنًا منتِشرًا جدًّا ؛ فمنهم الشِّرْذِمَةُ على المقالةِ التى لا يُوَافِقُهم أحدٌ مِن الباقِين عليها ، فهؤلاء خَمسون[5] على مقالةٍ ، وهؤلاء ثمانون على مقالةٍ أُخْرَى ، وهؤلاء عَشَرَةٌ على مقالةٍ ، وأربعون على أُخْرَى ، ومِائةٌ على مقالةٍ ، ومائتان على مقالةٍ ، وطائفةٌ على مقالةِ ابنِ أَرْيُوسَ ، وجماعةٌ على مقالةٍ أُخْرَى ، فلَمّا تفاقَمَ أَمْرُهم وانْتَشَرَ اختلافُهم ، حارَ فيهم المِلِكُ قُسْطَنْطِينُ ، مع أنَّه سَيِّئُ الظنِّ بما عَـدَا دينَ الصَّابِئِينَ مِن أسْلَافِه اليونانيين ، [١/٣٠٥ظ] فعمَد إلى أكثرِ جماعةٍ منهم على مقالةٍ مِن مقالاتِهم ، فوجَدَهم ثلاثَمائةٍ وثمانيةَ عَشَرَ أُسْقُفًا ، قد اجْتَمَعوا على مقالةِ إكْصَنْدَرُوسَ ، ولمْ يَجِدْ طائفةً بَلَغَتْ عِدَّتَهم ، فقال : هؤلاء أَوْلَى بِنَصْرِ قولِهم ؛ لأنَّهم أكثرُ الفِرَقِ . فاجْتَمَعَ بهم خصوصًا ، ووضَع سيفَه وخاتَمَه إليهم ، وقال : إنِّى رَأَيْتُكم أكثرَ الفِرقِ ، قد اجتمعْتم على مقالَتِكم هذه ، فأنا أنْصُرُها

---

(١) فى م : « فحال » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى النسخ : « البتاركة » .

(٤) فى ص : « ألف » .

(٥) فى ص : « خمسة » .

وأَذْهَبُ إليها . فسَجَدُوا له ، وطلب منهم أن يَضَعُوا له كتابًا[1] فى الأحكامِ ، وأن تكونَ الصلاةُ إلى الشرقِ ؛ لأنَّها مَطْلِعُ الكواكبِ النَّيِّرَةِ ، وأنْ يُصَوِّرُوا فى كنائِسِهم صُوَرًا لها جُثَثٌ ، فصَالَحُوه[2] على أن تكونَ فى الحِيطانِ ، فلَمّا تَوَافَقُوا على ذلك ، أخَذ فى نَصْرِهم ، وإظْهَارِ كلمتِهم ، وإقامةِ مقالَتِهم ، وإبعادِ مَن خالَفَهم ، وتَضْعِيفِ رأيِه وقولِه ، فظهَر أصحابُه بِجَاهِه على مُخالِفِهم ، وانتصروا عليهم ، وأمَر ببناءِ الكنائسِ على دينِهم ، وهم المَلَكِيَّةُ ؛ نِسْبَةً إلى دينِ المَلِكِ ، فبُنِىَ فى أيامِ قُسْطَنطِينَ ، بالشامِ وغيرِها فى المدائنِ والقُرَى ، أَزْيَدُ مِن ثِنْتَىْ عَشْرَةَ أَلْفَ كَنيسةٍ ، واعْتَنَى الملِكُ ببناءِ بيتِ لَحْمٍ ، يَعْنِى على مكانِ مَولدِ المسيحِ ، وبَنَتْ أُمُّه هِيلَانَةُ قُمَامَةَ بيتِ المَقْدِسِ على مكانِ المصلوبِ ، الذى زَعَمَتِ اليهودُ والنصارَى ، بجهلِهم وقِلَّةِ عَقْلِهم[3] ، أنَّه المسيحُ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ويقالُ : إنَّه قتَل مَن عَدَا أولئِكَ ، وخَدَّ لهم الأخاديدَ فى الأرضِ ، وأَجَّجَ فيها النارَ ، وأَحْرَقَهم بها . كما ذكرْناه فى تَفْسِيرِ سورةِ « البروجِ »[4] ، وعَظُمَ دينُ النصرانيةِ ، وظَهَر أَمْرُه جدًّا ؛ بسببِ الملكِ قُسْطَنْطِينَ ، وقد أَفْسَدَه عليهم فسادًا لا صَلَاحَ له ، ولا نجاحَ معه ، ولا فلاحَ عندَه ، وكَثُرَتْ أعيادُهم بسببِ عُظَمائِهم[5] ، وكَثُرَتْ كنائسُهم على أسماءِ عُبّادِهم ، وتَفَاقَمَ كفرُهم ، وغَلُظَتْ مُصيبتُهم ، وتَخَلَّدَ ضَلَالُهم وعَظُمَ وَبَالُهم ، ولم يَهْدِ اللَّهُ قلوبَهم ، ولا

---

(١) فى الأصل ، ص : « كتبا » .

(٢) فى ح : « فصالحوهم » .

(٣) فى ح ، م : « علمهم » .

(٤) التفسير ٨/ ٣٩٢.

(٥) فى ص : « عطائهم » .

أَصْلَحَ بالَهم ، بل صرَف قلوبَهم عن الحقِّ ، وأَمَالَ عن الاستقامةِ حالَهم[1] ، ثُم اجْتَمَعُوا بعدَ ذلك مَجْمَعَيْنِ فى قضيةِ النُّسْطُورِيَّةِ واليَعْقوبِيَّةِ ، وكلُّ فِرْقَةٍ مِن هؤلاء تُكَفِّرُ الأُخْرى ، وتَعْتَقِدُ تَخْلِيدَهم فى نارِ جهنمَ ، ولا ترَى مُجَامَعتَهم فى المعابدِ والكنائسِ ، وكلُّهم يقولُ بالأَقَانِيمِ الثلاثةِ ؛ أُقْنُومِ الأبِ ، وأُقْنومِ الابْنِ ، وأُقْنومِ الكلِمةِ ، ولكن بيْنَهما اخْتِلافٌ فى الحُلولِ والاتِّحادِ ، فيما بينَ اللَّاهوتِ والنَّاسُوتِ ؛ هل تَدَرَّعَه[2] ، أو حَلَّ فيه ، أو اتَّحَدَ به ، واختلافُهم فى ذلك شديدٌ ، وكفرُهم بسببِه غليظٌ ، وكلُّهم على الباطلِ ، إلَّا مَن قال مِن الأَرْيُوسِيَّةِ[3] ، أصحابِ عبدِ اللَّهِ بنِ أَرْيُوسَ : إنَّ المسيحَ عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وابنُ أمَتِه ، وكلمتُه أَلْقَاها إلى [٣٠٦/١و] مريمَ ، وروحٌ منه . كما يقولُه المسلمون فيه سواءً ، ولكنْ لَمَّا استقرَّ أمرُ الأَرْيُوسِيَّةِ على هذه المقالةِ ، تَسَلَّطَ عليهم الفِرَقُ الثلاثةُ بالإِبعادِ والطَّرْدِ حتى[4] قَلُّوا فلا يُعْرَفُ اليومَ منهم أحدٌ فيما نَعْلَمُ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

---

(١) سقط من : ح ، م .

(٢) تدرعه : لبسه .

(٣) فى ص : « الأريسية » .

(٤) فى ص : « حين » .

(*) كتابُ الجامعِ لأخبارِ الأنبياءِ المُتَقدمِين

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] . وقال تعالى[2] : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٥] . وقد روَى ابنُ حِبّانَ فى « صحيحِه » وابنُ مَرْدَوَيْهِ فى « تفسيرِه »[3] وغيرُهما ، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ هشامِ[4] بنِ يَحْيَى بنِ يحيى الغَسّانِىِّ الشّامِىِّ - وقد تَكَلَّمُوا فيه - حَدَّثنى أبى ، عن جَدِّى ، عن أبى إدْريسَ ، عن أبى ذَرٍّ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كم الأنبياءُ؟ قال : « مِائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا » . قلتُ : يا

(*) من هنا بداية النسخة الثانية من الجزء الرابع ، من نسخة أحمد الثالث ، ويشار إليها بـ (ا ٩) .

(١) التفسير ١/ ٤٤٨، ٤٤٩.

(٢) التفسير ٢/ ٤٢١ - ٤٢٨.

(٣) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٢٦.

وقال السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٦ عقب إيراده الحديث : أخرجه ابن حبان فى صحيحه ، وابن الجوزى فى الموضوعات ، وهما فى طرفى نقيض ، والصواب أنه ضعيف ، لا صحيح ولا موضوع .

(٤ - ٤) فى ح ، م : « عن يحيى بن محمد » . وفى ص : « بن يحيى بن فخر » .

رسولَ اللَّهِ، كم الرسلُ منهم؟ قال: «ثلاثُمائةٍ وثلاثةَ عَشَرَ، جَمٌّ غفيرٌ». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، مَن كان أَوَّلَهم؟ قال: «آدمُ». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، نبيٌّ مُرْسَلٌ؟ قال: «نَعَمْ، خلَقَه اللَّهُ بيَدِه، ونفَخ فيه مِن رُوحِه، ثُم سَوَّاه قِبَلًا». ثم قال: «يا أبا ذَرٍّ، أربعةٌ سُرْيَانِيُّون؛ آدمُ، وشِيثٌ، ونوحٌ، وخَنُوخُ، وهو إدْريسُ، وهو أوَّلُ مَن خَطَّ بالقلمِ، وأربعةٌ مِن العربِ؛ هودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ، ونبيُّك يا أبا ذَرٍّ، وأوَّلُ نبيٍّ مِن بنى إسرائيلَ موسى، وآخِرُهم عيسى، وأوَلُ النَّبِيِّين آدمُ، وآخِرُهم نَبِيُّك».

وقد أَوْرَدَ هذا الحديثَ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِيِّ فى «المَوْضُوعاتِ»[(١)]. وقد رواه ابنُ أبى حاتمٍ[(٢)] من وجهٍ آخرَ، فقال: حدَّثَنا محمدُ بنُ عَوْفٍ، حدَّثَنا أبو المغيرةِ، حدَّثَنا مُعَانُ بنُ رِفاعةَ، عن علىِّ بنِ يزيدَ[(٣)]، عن القاسمِ، عن أبى أُمامَةَ، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ، كم الأنبياءُ؟ قال: «مِائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرسلُ[(٤)] مِن ذلك ثلاثُمائةٍ وخمسةَ عَشَرَ، جَمًّا غفيرًا». وهذا أيضًا مِن هذا الوجهِ ضعيفٌ، فيه ثلاثةٌ مِن الضعفاءِ؛ مُعَانٌ، وشيخُه، وشيخُ شيخِه.

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[(٥)]: [١/٣٠٦ظ] حدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ أبو عبدِ اللَّهِ الجَوْهَرِيُّ البَصْرِيُّ، حدثنا مَكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثَنا موسى بنُ

---

(١) لم نجده فى موضوعات ابن الجوزى. وقد عزاه السيوطى له فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٦.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٦. وعزاه إلى ابن أبى حاتم.

(٣) فى الأصل، م: «زيد».

(٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) مسند أبى يعلى (٤١٣٢). قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٠: وفيه موسى بن عبيدة الربذى، وهو ضعيف جدا.

عُبيدةَ الرَّبَذِيُّ[1] ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بعَث اللَّهُ ثمانيةَ آلافِ نَبِيٍّ ؛ أرْبعةَ آلافٍ إلى بنى إسْرائيلَ ، وأرْبعةَ آلافٍ إلى سائرِ الناسِ » . موسى وشيخُه ضعيفان .

وقال أبو يَعْلَى أيضًا[2] : حدَّثَنا أبو الربيعِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ ثابتٍ العَبْدِيُّ ، حدَّثَنا مَعْبَدُ بنُ خالدٍ الأنْصارِيُّ ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كان فيمَن خَلَا مِن إخوانى مِن الأنبياءِ ثمانيةُ آلافِ نبيٍّ ، ثُم كان عيسى ابنُ مريمَ ، ثُم كُنْتُ أنا » . يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ضعيفٌ . وقد رَواه الحافظُ أبو بكرٍ الإسماعيلِيُّ[3] ، عن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ طارقٍ ، حدَّثَنا مسلمُ بنُ خالدٍ ، حدَّثَنا زيادُ بنُ سعدٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن صفوانَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بُعِثْتُ على إثْرِ ثَمانيةِ آلافِ نبيٍّ ، منهم أربعةُ آلافٍ من بنى إسرائيلَ » . وهذا إسنادٌ لا بأسَ به ، لكنِّى لا أعرفُ حالَ أحمدَ بنِ طارقٍ هذا ، فاللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخَرُ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[4] : وجدتُ فى كتابِ أبى

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « اليزيدى » ، وفى ح : « الزيدى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٠٤.

(٢) مسند أبى يعلى (٤٠٩٢) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١١: فيه محمد بن ثابت ، وهو ضعيف .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/١٦٢ فى ترجمة صفوان بن سليم من طريق مسلم بن خالد به ، وقال عقبه : غريب من حديث زياد . وأخرجه المصنف فى تفسيره ٢/٤٢٥ بسنده من طريق أبى بكر الإسماعيلى به ، وقال عقبه : وهذا غريب من هذا الوجه ، وإسناده لا بأس به ، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا ؛ فإنى لا أعرفه بعدالة ولا جرح .

(٤) أحمد فى المسند ٣/ ٧٩. قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٤٦: فيه مجالد بن سعيد ، وثقه النسائى فى رواية ، وقال فى أخرى : ليس بالقوى . وضعفه جماعة .

بِخَطِّه[1] : حدَّثَنى عبدُ المُتَعَالِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ الأُمَوِىُّ ، حدَّثَنا مُجَالِدٌ ، عن أبى الوَدّاكِ ، قال : قال أبو سعيدٍ : هل تُقِرُّ الخوارجُ بالدَّجَّالِ ؟ قال : قلتُ : لا . فقال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى خاتَمُ ألْفِ نبىٍّ ، أو[2] أكْثَرَ ، ما بُعِث نبىٌّ يُتَّبَعُ إلَّا وحَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ[3] ، وإنِّى قد بُيِّنَ لى [4]من أَمْرِه[4] ما لَمْ يُبَيَّنْ لأحدٍ[5] ، وإنَّه أَعْوَرُ ، وإنَّ رَبَّكم ليس بأَعْوَرَ ، وعَيْنُه اليُمْنَى عَوْرَاءُ جاحِظَةٌ لا تَخْفَى ، كأَنَّها نُخَامَةٌ فى حائِطٍ مُجَصَّصٍ ، وعَيْنُه اليُسْرَى كأَنَّها كوكبٌ دُرِّىٌّ ، معه مِن كلِّ لسانٍ ، ومعه صورةُ الجَنَةِ خضَراءُ ، يَجْرِى فيها الماءُ ، وصورةُ النارِ سوداءُ تَدْخَنُ » . وهذا حديثٌ غريبٌ .

وقد رُوِىَ عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزّارُ[6] : حدَّثَنا عَمْرُو بنُ علىٍّ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا مُجالِدٌ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى لخَاتَمُ ألفِ نبىٍّ أو أكثرَ ، وإنَّه ليس منهم نبىٌّ إلَّا وقد أَنْذَرَ قوْمَه الدَّجَّالَ ، وإنه قد تَبَيَّنَ لى فيه ما لم يَتَبَيَّنْ لأحدٍ منهم ، وإنَّه أَعْوَرُ ، وإن رَبَّكم ليس بأَعْوَرَ » . وهذا إسنادٌ حَسَنٌ ، وهو محمولٌ على ذِكْرِ عددِ مَن أَنْذَرَ قَوْمَه الدَّجَّالَ مِن الأنبياءِ ، لكنْ فى الحديثِ الآخَرِ[7] :

---

(١) هذه العبارة وردت فى المسند فى آخر الحديث الذى قبل هذا ، وهو خطأ ، وأورده الحافظ ابن حجر على الصواب ، فى أطراف مسند الإمام أحمد (٨٦٥١) مثل ما أورده المصنف هنا .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى أطراف المسند ٦/ ٣٨٣. وفى المسند : « و » .

(٣) فى النسخ : « منه » . والمثبت من المسند .

(٤ - ٤) فى النسخ : « فيه » . والمثبت من المسند .

(٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) كشف الأستار (٣٣٨٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٤٧: رواه البزار وفيه مجالد بن سعيد ، وقد ضعفه الجمهور ، وفيه توثيق .

(٧) أخرجه ابن حبان فى صحيحه ، الإحسان (٦٧٨٠) من حديث ابن عمر ، ومسلم (٢٩٣٣) ، =

« ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أَنْذَرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ » . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، حدثنا محمدُ بنُ جَعْفَرٍ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن فُرَاتٍ قال : [٣٠٧/١و] سَمِعْتُ أبا حازِمٍ قال : قاعَدْتُ أبا هريرةَ خمسَ سنينَ ، فسَمِعْتُه يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ ، قال : « كانت بنو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ ، كلَّمَا هلَكَ نبِيٌّ خلَفَه نبيٌّ ، وإنَّه لا نبيَّ بعْدِى ، وسيكونُ خُلَفَاءُ فيَكْثُرُون » . قالوا : فما تَأْمُرُنا يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « فُوا ببَيْعَةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ ، أَعْطُوهم حَقَّهم ، فإنَّ اللَّهَ سائلُهم عما اسْتَرْعَاهُم » . وكذا رواه مسلمٌ عن بُنْدَارٍ[2] ، ومِن وجهٍ آخرَ عن فراتٍ به نحوَه[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثَنا عُمَرُ[4] بنُ حَفْصٍ ، حدَّثَنا أَبِى ، حدَّثَنى الأَعْمَشُ ، حدَّثَنى شَقِيقٌ قال : قال عبدُ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - : كأنِّى أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يَحْكِى نبيًّا مِن الأنبياءِ ، ضَرَبَه قَوْمُه فأَدْمَوه ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقولُ : « اللهُمَّ اغْفِرْ لقَوْمِى ، فإنَّهم لا يَعْلَمون » . وكذا رَوَاه مسلمٌ من حديثِ الأَعْمَشِ به نحوَه[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أَنْبَأَنا مَعْمَرٌ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ،

= والترمذى (٢٢٤٥) ، وأحمد فى المسند ٣/ ١٧٣، ٢٧٦ من حديث أنس ، وعندهم : « الأعور » بدل « الدجال » .

(١) البخارى (٣٤٥٥) .

(٢) مسلم (١٨٤٢) .

(٣) البخارى (٣٤٧٧، ٦٩٢٩) .

(٤) فى م ، ص : « عمرو » .

(٥) مسلم (١٧٩٢) .

(٦) فى المسند ٣/ ٩٤.

عن رَجُلٍ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ قال: وضَع رجُلٌ يدَه[1] على النَّبىِّ ﷺ، فقال: واللَّهِ ما أُطِيقُ أَنْ أَضَعَ يَدِى عليك مِن شِدَّةِ حُمّاكَ. فقال النبىُّ ﷺ: «إنّا مَعْشَرَ الأَنْبياءِ يُضَاعَفُ لنا البَلاءُ، كما يُضَاعَفُ لنا الأَجْرُ، إنْ كان النبىُّ مِن الأنبياءِ يُبْتَلَى بالقَمْلِ حتى يَقْتُلَه، وإنْ كان النبىُّ مِن الأنبياءِ لَيُبْتَلَى بالفقرِ حتى يَأْخُذَ العَبَاءَةَ فيُحَوِّيَها[2]، وإنْ كانوا لَيَفْرَحُون بالبَلاءِ كما تَفْرَحُون[3] بالرَّخَاءِ». هكذا رَوَاه الإمامُ أحمدُ مِن طريقِ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عن رَجُلٍ، عن أبى سعيدٍ. وقد رَوَاه ابنُ ماجَه[4]، عن دُحَيْمٍ، عن ابنِ أبى فُدَيْكٍ، عن هشامِ ابنِ سعدٍ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ، عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبى سعيدٍ، فذَكَرَه.

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثَنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا سفيانُ عن[6] عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ، عن مُصْعَبِ بنِ سعدٍ، عن أبيه قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَىُّ الناسِ أَشَدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ، ثُمَّ الصالِحون، ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ مِن الناسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِه، فإنْ كان فى دِينِه صَلابَةٌ، زِيدَ فى بَلائِه، وإنْ كان فى دِينِه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه، وما يَزَالُ البلاءُ بالعَبْدِ حتى يَمْشِىَ على ظَهْرِ

---

(١) بعده فى ح، م، ص: «اليمنى».

(٢) فى م: «فيجوبها». وفى المسند: «فيخونها» وهو تصحيف. وفى سنن ابن ماجه كما هو مثبت. والتحوية: أن يدير كساءً حول سنام البعير فيركبه. النهاية (ح و ى). ووقع عند الحاكم فى المستدرك ٤/ ٣٠٧: «فيحويها ويلبسها».

(٣) فى م، ص: «يفرحون».

(٤) ابن ماجه (٤٠٢٤). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٥٠). وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٤).

(٥) فى المسند ١/ ١٧٢. (إسناده صحيح).

(٦) فى م: «بن».

الأرضِ وما عليه خَطِيئَةٌ » . ورَوَاه التِّرْمِذِىُّ والنَّسَائِىُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ به[1] . وقال التِّرْمِذِىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ . وتَقَدَّمَ فى الحديثِ[2] : « نحنُ مَعْشَرَ الأنبياءِ أولادُ عَلّاتٍ ، دينُنا واحدٌ ، وأُمَّهَاتُنا شَتَّى » . والمَعْنَى ، أنَّ شرائِعَهم وإنِ اختلَفَتْ فى الفروعِ ، ونَسَخ بعضُها بعضًا ، حتى انْتَهَى الجميعُ إلى ما شرَع اللَّهُ لمحمدٍ ، صلوَاتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أَجْمَعِين ، [١/٣٠٧ظ] إلَّا أنَّ كلَّ نبىٍّ بعَثَه اللَّهُ ، فإنَّما دينُه الإسلامُ ، وهو التَّوحيدُ ، أنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ الآية [النحل : ٣٦] . فأولادُ العَلَّاتِ أنْ يكونَ الأبُ واحدًا والأُمَّهاتُ مُتَفَرِّقَاتٍ ، فالأبُ بمنزلةِ الدِّينِ ، وهو التوحيدُ ، والأُمَّهاتُ بمنزلةِ الشرائعِ فى اختلافِ أحكامِها ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة : ٤٨] . وقال : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ ﴾ [الحج : ٦٧] . وقال ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ ﴾ [البقرة : ١٤٨] على أحدِ القولَين فى تفسيرِها .

---

(١) الترمذى (٢٣٩٨) ، النسائى فى الكبرى (٧٤٨١) ، ابن ماجه (٤٠٢٣) . حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٥٦) . وانظر (السلسلة الصحيحة ١٤٣) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٤، ٥٢٥.

والمقصودُ أنَّ الشرائعَ وإنْ تنوَّعَتْ فى أَوْقاتِها ، إلَّا أنَّ الجميعَ آمِرَةٌ بعبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، وهو دينُ الإسلامِ ، الذى شَرَعَه اللَّهُ لجميعِ الأنبياءِ ، وهو الدِّينُ الذى لا يَقْبَلُ اللَّهُ غيرَه يومَ القيامةِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٠- ١٣٢] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ الآية [المائدة : ٤٤] . فدينُ الإسلامِ هو عبادةُ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، وهو الإخلاصُ له وحدَه دونَ ما سِوَاه ، والإحسانُ أن يكونَ على الوَجْهِ المشروعِ فى ذلك الوقتِ المأمورِ به ؛ ولهذا لا يَقْبَلُ اللَّهُ من أَحدٍ عَمَلًا بعدَ أنْ بَعَث محمدًا ﷺ ، إلَّا[1] على ما شَرَعَه له ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . وقال تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [هود : ١٧] . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بُعِثْتُ إلى الأحمرِ والأسودِ »[2] . قيلَ : أرادَ العربَ والعَجَمَ . وقيل : الإنسَ والجِنَّ . وقال ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بيَدِه لَوْ أَصْبَحَ فيكُمْ مُوسَى ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه مسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد اللَّه .

ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وتَرَكْتُمُونِى لَضَلَلْتُمْ »[1] . والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا .

والمقصودُ أنَّ إِخْوَةَ العَلَّاتِ ، أَنْ يَكُونوا مِن أَبٍ واحدٍ وأُمَّهاتُهم شَتَّى ، مأخوذٌ[2] مِن شُرْبِ العَلَلِ بعدَ النَّهَلِ . [١/٣٠٨و] وأَمّا إِخْوَةُ الأَخْيَافِ ، فعَكْسُ هذا ؛ أنْ تَكُونَ أُمُّهُم واحدةً مِن آباءٍ شَتَّى . وإِخْوَةُ الأَعْيَانِ ، فهم الأَشِقَّاءُ مِن أَبٍ واحدٍ وأُمٍّ واحدةٍ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وفى الحديثِ الآخرِ[3] « نحنُ مَعْشَرَ الأَنْبياءِ لا نُورَثُ ، ما تَرَكْنَا فهو صَدَقَةٌ » . وهذا مِن خصائصِ الأَنبياءِ ؛ أنَّهم لا يُورَثُون ، وما ذاك إلَّا لأنَّ الدُّنْيا أَحْقَرُ عندَهم مِن أنْ تَكُونَ مُخَلَّفَةً عنهم ، ولأنَّ تَوَكُّلَهم على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فى ذَرَارِيِّهم أَعظمُ[4] وأشدُّ ، وآكَدُ مِن أنْ يَحْتَاجُوا معه إلى أنْ يَتْرُكُوا لوَرَثَتِهم - مِن بعدِهم - مالًا يَسْتَأْثِرون به عن النّاسِ ، بل يكونُ جميعُ ما تَرَكُوه صدقةً لفقراءِ النَّاسِ ومَحَاويجِهم وذَوِى خَلَّتِهم[5] . وسَنَذْكُرُ جميعَ ما يَخْتَصُّ بالأنبياءِ ، عليهم السلامُ ، مع خصائصِ نبيِّنا محمدٍ ، صلى اللَّه عليهم وسلم أَجْمَعِين ، فى أوَّلِ كتابِ النِّكاحِ ، مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ »[6] ، حيثُ ذكَرَه الأَئِمَّةُ مِن المُصَنِّفِين ؛ اقْتِدَاءً بالإِمامِ أبى عبدِ اللَّهِ الشافعىِّ ، رحمةُ اللَّهِ عليه وعليهم أجمعين .

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٤٥٨.

(٢) فى الأصل : « فأخوة العلات » .

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٤) سقط من : ح .

(٥) الخلة : الحاجة والفقر . المعجم الوسيط (خ ل ل) .

(٦) وهو مصنف كبير للإمام ابن كثير لم يكمله ، ووصل فيه إلى كتاب الحج . انظر : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٦١.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا أبو[2] معاويةَ ، عن الأَعْمَشِ ، عن زَيْدِ بنِ وَهْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ[3] عبدِ رَبِّ الكَعْبَةِ قال : انْتَهَيْتُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو وهو جالسٌ فى ظِلِّ الكعبةِ ، فسَمِعْتُه يقولُ : بَيْنَا نحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى سَفَرٍ ، إذْ نزَل مَنْزِلًا ، فمِنّا مَن يَضْرِبُ خِبَاءَه ، ومنّا مَن هو فى جَشَرِه[4] ، ومنّا مَن يَنْتَضِلُ[5] ، إذْ نادَى مُنَادِيهِ : الصلاةُ جامعةٌ . قال : فاجْتَمَعْنا . قال : فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فخَطَبَنا ، فقال : « إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِىٌّ قَبْلِى إلَّا دَلَّ أُمَّتَه على [6]ما يَعْلَمُه خيرًا[6] لهم ، ويُحَذِّرُهم ما يَعْلَمُه شَرًّا لهم ، وإن أُمَّتَكم هذه جُعِلَتْ عافِيَتُها[7] فى أَوَّلِها ، وإنَّ آخِرَها سيُصِيبُهم بلاءٌ شديدٌ وأمورٌ تُنْكِرُونها[8] ، تَجِىءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ[9] بعضُها لبعضٍ ، تَجِىءُ الفتنةُ ، فيقولُ المؤمنُ : هذه مُهلِكَتِى . ثم تَنْكَشِفُ ، ثُم تَجِىءُ الفتنةُ ، فيقولُ المؤمنُ : هذه . ثُم تَنْكَشِفُ ، فمَن سَرَّه منكم أنْ يُزَحْزَحَ عن النَّارِ وأنْ يُدْخَلَ الجَنَّةَ ، فلْتُدْرِكْه مَوْتَتُه وهو مؤمِنٌ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ ، ولْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليه ، ومَن بايَعَ[10]

---

(١) فى المسند ٢/ ١٦١. (إسناده صحيح) .

(٢) فى م : « أن » .

(٣) فى م : « أن » .

(٤) الجشر : الدواب التى ترعى وتبيت فى مكانها .

(٥) فى الأصل : « يتصلل » من الصليل وهو المقارعة بالسيوف . وينتضل : من المناضلة ، وهى المراماة بالسهام .

(٦ - ٦) فى النسخ : « خير ما يعلمه » . والمثبت من المسند .

(٧) فى ص : « عاقبتها » .

(٨) فى النسخ : « ينكرونها » . والمثبت من المسند .

(٩) فى م : « يريق » .

(١٠) فى الأصل : « تابع » .

إمامًا فأعْطَاه صَفْقَةَ يَدِه وثَمَرَةَ قَلْبِه ، فلْيُطِعْه ما استطاع ، فإن جاءَ آخَرُ يُنَازِعُه ، فاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ » . قال : فأدْخَلْتُ رَأْسِى مِن بينِ النّاسِ ، فقلتُ : أَنْشُدُكَ باللَّهِ آنْتَ سَمِعْتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : فأشارَ بيَدِه إلى أُذُنَيْه وقال : سَمِعَتْه أُذُنَاىَ ، ووَعَاهُ قَلْبِى . قال : فقلتُ : هذا ابنُ عَمِّكَ - (١) يَعْنِى معاويةَ (١) - يَأْمُرُنا بأَكْلِ أَمْوَالِنا بَيْنَنَا بالباطلِ ، وأَنْ [١/٣٠٨ظ] نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] . قال : فجمَع يَدَيْه فَوَضَعَهما على جَبْهَتِه ، ثُمَّ نَكَسَ هُنَيَّةً ، ثُمَّ رفَع رَأْسَه فقال : أَطِعْه فى طاعةِ اللَّهِ ، واعْصِه فى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وجَلَّ » . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن وَكِيعٍ ، عن الأَعْمَشِ به (٢) ، وقال فيه : « أَيُّها النَّاسُ ، إنَّه لَمْ يَكُنْ نبىٌّ قَبْلِى إلَّا كان حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَه على ما يَعْلَمُه خيرًا لهم ، ويُنْذِرَهم ما يَعْلَمُه شَرًّا لهم » . وذَكَرَ تَمَامَه بنحوِه . وهكذا رواه مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسَائىُّ وابنُ ماجَه ، مِن طُرُقٍ عن الأَعْمَشِ به (٣) . ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ الشَّعْبِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو (٤) ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه (٥) (*) .

(١ - ١) كذا بالنسخ . وفى المسند : « معاوية يعنى » .

(٢) فى المسند ١/ ١٩١.

(٣) مسلم (١٨٤٤) ، أبو داود (٤٢٤٨) ، والنسائى (٤٢٠٢) ، وابن ماجه (٣٩٥٦) .

(٤) فى الأصل ، م : « عمر » .

(٥) مسلم (١٨٤٤) .

(*) إلى هنا تنتهى النسخة الثانية من الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث ، والمشار إليها بـ « الأصل » .

(*) ذِكْرُ أخبارِ العربِ

قيل: إنَّ جميعَ العربِ يَنْتَسِبُون إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، عليهما السلامُ والتَّحيةُ والإكرامُ. والصَّحيحُ المشهورُ، أنَّ العربَ العارِبةَ قبلَ (١) إسماعيلَ، وقد قَدَّمْنا(٢) أنَّ العربَ العارِبةَ(١) مِنهم؛ عادٌ وثَمُودُ وطَسْمٌ وجَدِيسٌ وأُمَيْمٌ(٣) وجُرْهُمٌ والعماليقُ، وأُمَمٌ آخَرونَ، لا يعلمُهم إلَّا اللَّهُ، (٤) وكُلُّ هؤلاء(٤) كانوا قبلَ الخليلِ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وفى زمانِه أيضًا. فأمَّا العربُ المُسْتَعْرِبةُ، وهم عربُ الحجازِ فمِن ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، عليهما السَّلامُ، وأمَّا عربُ اليمنِ، وهم حِمْيَرُ، فالمشهورُ أنَّهم مِن قَحْطَانَ، واسمُه مُهَرِّمٌ(٥). قاله ابنُ ماكولا(٦). وذكَروا أنَّهم كانوا أربعةَ إخوةٍ؛ قحطانُ وقاحِطٌ ومِقْحَطٌ وفالِغٌ، وقحطانُ بنُ هودٍ، وقيل: هو هودٌ. وقيل: هودٌ أخوه. وقيل: مِن ذُرِّيتِه. وقيل: إنَّ قَحْطانَ مِن سُلالةِ إسماعيلَ، عليه الصَّلاةُ والسَّلام. حكاه ابنُ إسحاقَ(٧)،

(*) من هنا اعتمدت النسخة الأحمدية المشار لها بـ (ح) أصلا. ويشار إليها فى الحواشى بـ «الأصل».

(١ - ١) سقط من: ا ٩.

(٢) تقدم فى ١/ ٢٨٣.

(٣) فى ا ٩: «وكان أميم ملكا يقال: إنه أول من سقف البيوت بالخشب المنشور، وكانت الفرس تسميه آدم الأصغر، وبنوه قبيلة يقال لها: وبار. هلكوا بالرمل انثال عليهم فأهلكهم، وطم مناهلهم فهلكوا ومنهم».

(٤ - ٤) سقط من الأصل، م، ص.

(٥) فى الأصل، م، ص: «مهزم»، وفى ا ٩: «بهرم». والمثبت من الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٣٠٥.

(٦) الإكمال ٧/ ٣٠٥.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٧، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٧.

وغيرُه ، فقال بعضُهم : هو قحطانُ بنُ [1]الهَمَيْسَعِ بنِ[1] تَيْمَنَ بنِ قَيْذَرَ بنِ [2]نَبْتِ ابنِ[2] إسماعيلَ . وقيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه إلى إسماعيلَ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ترجَمَ البخاريُّ[3] فى « صحيحِه » على ذلك ، فقال : بابُ نِسْبَةِ اليمنِ إلى إسماعيلَ ، عليه السلامُ ؛ حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثنا يَحْيَى ، عن يَزِيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، حدَّثنا سَلَمَةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، على قومٍ [4]مِن أَسْلَمَ[4] يَتَنَاضلون بالسُّوقِ[5] ، فقال : « ارْمُوا بَنِى إسماعِيلَ ، وَأنا مع بنى فُلانٍ » . لأحدِ الفريقَيْنِ ، فأَمْسَكوا بأَيْديهم . فقال : « ما لكمْ » . قالوا : وكَيْف نَرْمِى ، وأنتَ مع بنى فلانٍ ؟! . فقال : « ارْمُوا وأنا معكم كُلِّكُمْ » . انفرد به البخاريُّ . وفى بعضِ أَلْفاظِه : « ارْمُوا بنى إسماعيلَ ، فإنَّ أباكُم كان رامِيًا ، ارْمُوا وأنا مع ابنِ الأَدْرَعِ » . فأمْسَك القومُ ، فقال : « ارْمُوا وأنا معكم كلِّكم »[6] . قال البخاريُّ : وأسلمُ بنُ أَفْصَى بنِ حارثةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامرٍ مِن خُزَاعةَ ، يعنى ؛ وخُزاعةُ فِرْقَةٌ مِمن كان تَمَزَّق مِن قبائلِ سبأ ، حينَ أرسَلَ اللَّهُ عليهم سَيْلَ العَرِمِ ، كما سيأتى بيانُه ، وكانت الأَوْسُ والخَزْرَجُ مِنهم . وقد قال لهم ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ . [١/٢١٣و] : « ارْمُوا بنى إسماعيلَ » . فدَلَّ على أنَّهم مِن سُلالَتِه ، وَتَأَوَّله آخرون على أنَّ المرادَ بذلك جِنْسُ العربِ ، لكنَّه تأويلٌ

(١ - ١) سقط من : ٩١ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) البخارى (٣٥٠٧) .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٩.

(٥) فى م : « بالسيوف » ، وسقط من : ص .

(٦) الإحسان (٤٦٩٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن .

بعيدٌ ؛ إذ هو خلافُ الظَّاهرِ بلا دليلٍ ، لكنَّ الجمهورَ على أنَّ العربَ القحطانيَّةَ مِن عربِ اليمنِ وغيرِهم ، ليسوا [1] مِن سُلالةِ إسماعيلَ ، وعندَهم أنَّ جميعَ العربِ يَنْقَسِمون إلى قِسْمَين ؛ قحطانيَّةٍ ، وعَدْنانيَّةٍ ، فالقحطانيَّةُ شَعْبَانِ ؛ سَبأ ، وحَضْرَمَوْتُ ، والعَدْنانيَّةُ شَعْبَانِ أيضًا ؛ ربيعةُ ومُضَرُ ابنا نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ . والشَّعبُ الخامسُ ؛ وهم قُضَاعَةُ ، مُخْتَلَفٌ فيهم ، فقيل : إنَّهم عَدْنانيُّون . قال ابنُ عبدِ البَرِّ [2] : وعليه الأكْثرون ، ويُرْوَى هذا عن ابنِ عَبَّاسٍ وابنِ عُمَرَ وجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، وهو اختيارُ الزُّبيرِ بنِ بَكَّارٍ ، وعَمِّه مُصْعبٍ الزُّبَيْرِيِّ ، وابنِ هشامٍ . وقد وَرَد فى حديثٍ : « قُضَاعةُ بنُ مَعَدٍّ » . ولكنْ لا يَصِحُّ . قاله ابنُ عبدِ البَرِّ ، وغيرُه [3] . ويُقالُ : إنَّهم لم [4] يزالوا فى جاهِليَّتِهم وصَدْرٍ مِن الإسلامِ يَنْتَسِبون إلى عَدْنانَ ، فلمَّا كان فى زمنِ خالدِ بنِ [5] يزيدَ ابنِ [5] معاويةَ ، وكانوا أخوالَه انتسبوا إلى قَحْطانَ ، فقال فى ذلك أعْشَى بنُ ثعلبةَ فى قصيدةٍ له :

أبلِغْ قُضاعةَ فى القِرطاسِ أنَّهمُ ... لولا خلائفُ آلِ [6] اللَّهِ ما عُتِقوا

قالت قضاعةُ إنا من ذَوِى يمنٍ ... واللَّهُ يَعلمُ ما برّوا وما [7] صَدَقوا

---

(١) سقط من : ا ٩.

(٢) الإنباه على قبائل الرواه ص ٥٩، وفيه عمر بدلا من ابن عمر.

(٣) الإنباه ص ٥٩.

(٤) فى م : « لن » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) سقط من : الأصل ، ص . وفى الإنباه ص ٦٢: « دين » .

(٧) فى الأصل ، ص : « لا » .

قدِ ادّعَوا والدًا ما نالَ[1] أُمَّهُمُ قَدْ يَعْلمونَ ولكنْ ذلكَ الفَرَقُ

وقد ذكَر أبو عَمْرٍو السُّهَيْلِيُّ أيضًا مِن شِعْرِ العربِ ما فيه إبداعٌ ، فى تفسيرِ قُضَاعةَ فى انتسابِهم إلى اليمنِ . واللَّهُ أعلمُ .

والقولُ الثانى : إنَّهم مِن قَحْطانَ . وهو قولُ ابنِ إسحاقَ والكَلْبىِّ وطائفةٍ مِن أهلِ النَّسَبِ[2] . قال ابنُ إسحاقَ[3] : وهو قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِميرَ بنِ سَبَأ ابنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ . [4]وقد قال بعضُ شعرائِهم ، وهو عمرُو بنُ مُرَّةَ - صحابىٌّ له حديثانِ - :

يا أيُّها الداعى ادْعُنا وأَبْشِرِ وكُنْ قُضَاعيًّا ولا تَنَزَّرِ

نحنُ بنو الشيخِ الهِجانِ الأَزْهَرِ قُضَاعَةَ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَرِ

النسَبُ المعروفُ غيرُ المنكَرِ [5]فى الحجَرِ المنقوشِ تحتَ المِنْبَرِ[5]

قال بعضُ أهلِ النَّسَبِ[6] : هو قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ عَمْرٍو[7] بنِ مُرَّةَ بنِ زَيْدِ ابنِ حِمْيَرَ . وقال[4] ابنُ لهيعةَ ، عن معروفِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن أبى عُشَّانةَ حَىِّ بنِ يُؤْمِنَ[8] ، عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أمَا نحن مِن مَعَدٍّ ؟

---

(١) فى الإنباه ص ٦٢: «مس».

(٢) انظر الإنباه ٦١. وسيرة ابن هشام ١/ ١٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.

(٤ - ٤) سقط من: ا ٩.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

(٦) الإنباه ص ٦١.

(٧) فى م: «عمر».

(٨) فى الأصل، ص، م: «عشابة محمد بن موسى». وفى ا ٩: «عشانة حجى بن يومن». وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٥.

قال : « لا » . قلتُ : فممَّن نحن ؟ قال : « أنتم قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حميرَ »[1] .

قال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ[2] : ولا يَخْتَلِفونَ أنَّ جُهَيْنَةَ بنَ زيدِ بنِ سَوْدِ[3] بنِ أسْلَمَ بنِ عمرانَ بنِ إلحافِ بنِ قُضاعةَ ، قبيلةُ عُقْبَةَ[4] بنِ عامرٍ الجُهَنِيِّ . فعلى هذا قُضاعةُ فى اليمنِ فى حِمْيَرَ بنِ سَبأ . وقد جَمَع بعضُهم بينَ هذين القولَيْنِ بما ذكَره الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ وغيرُه[5] ؛ مِن أنَّ قُضاعةَ امرأةٌ مِن جُرْهُمٍ تزوَّجَها مالكُ ابنُ حِمْيَرَ ، فوَلَدتْ له قَضاعةُ ، ثُم خلَف عليها مَعَدُّ بنُ عَدْنانَ ، وابنُها صغيرٌ . وزعَم بعضُهم أنَّه كان حَمْلًا فنُسِبَ إلى زَوْجِ أُمِّه ، كما كانت عادةُ كثيرٍ منهم ؛ يَنْسِبون الرجلَ إلى زوجِ أُمِّه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال محمدُ بنُ سلامٍ البصريُّ النَّسَّابةُ[6] : العربُ ثلاثةُ جراثيمَ ؛ العَدْنانيَّةُ ، والقَحْطانيَّةُ ، وقُضاعةُ . قيل له : فأيُّهما أكثرُ ، العدنانيَّةُ أو القَحْطانيَّةُ ؟ فقال : ما شاءت قُضاعةُ ؛ إن تيامَنَت ، فالقحطانيَّةُ أكثرُ ، وإنْ تَمَعْدَدَتْ[7] ، فالعدنانيَّةُ أكثرُ . وهذا يدلُّ على أنَّهم يتلوَّمونَ[8] فى نسبِهم ،

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٤. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٩٥: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وشيخه معروف بن سويد ، لم أر من ترجمه .

قلت : ومعروف بن سويد ذكره الحافظ فى التقريب ٢/٢٦٤ وقال : مقبول .

(٢) الإنباه ص ٦٠.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « أسود » .

وانظر الإنباه ص ٦٠، والروض الأنف ١/ ١١٨.

(٤) فى الأصل : « عتبة » .

(٥) انظر الإنباه ص ٦١، والروض الأنف ١/ ١٢١.

(٦) انظر الإنباه ص ٦٣.

(٧) فى م : « تعددت » .

(٨) فى ا ٩: « يتلونون » .

فإن صَحَّ حديثُ ابنِ لهيعةَ المقدَّمُ، فهو دليلٌ على أنَّهم مِن القَحْطانيَّةِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد قال اللَّهُ تعالى[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال علماءُ النَّسَبِ[2]: يقالُ: شعوبٌ، ثم قبائلُ، ثم عمائرُ، ثم بطونٌ، ثم أفخاذٌ، ثم فصائلُ، ثم عشائرُ. والعشيرةُ أقربُ النَّاسِ إلى الرَّجُلِ، وليس بعدَها شيءٌ. ولْنبدأْ أوَّلًا بذِكْرِ القَحْطانيَّةِ، ثمَّ نَذْكُرُ بعدَهم عربَ الحجازِ، وهم العدنانيَّةُ، وما كان من أمرِ الجاهليةِ؛ ليكونَ ذلك متَّصِلًا بسيرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثِّقةُ.

وقد قال البخاريُّ[3]: بابُ ذِكْرِ قَحْطانَ، حَدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثنا سليمانُ بنُ بلالٍ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ، عن أبي الغَيْثِ[4]، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِن قَحْطانَ يسوقُ النَّاسَ بعصاه». وكذا رواه مُسْلِمٌ، عن قُتَيْبَةَ، عن الدَّراوَرْدِيِّ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ به[5]. قال السُّهَيْليُّ[6]: وقحطانُ أوَّلُ مَن قِيلَ له: أَبيْتَ اللَّعْنَ[7]، وأوَّلُ مَن [١/٢١٣ظ] قيل له: أَنْعِمْ صباحًا.

---

(١) التفسير ٧/ ٣٦٤.

(٢) الإنباه ص ٤٥.

(٣) البخارى (٣٥١٧).

(٤) فى م: «المغيث».

(٥) مسلم (٢٩١٠).

(٦) الروض الأنف ١/ ١٠٠.

(٧) أبيت اللعن أى، أبيت أن تفعل شيئا تلعن به.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا أبو المُغِيرةِ ، عن حَرِيزٍ[2] ، حَدَّثنى راشدُ بنُ سعدٍ المَقْرائىُّ ، عن أبى حَىٍّ ، عن ذِى مِخْبَرٍ[3] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « كان هذا الأمرُ فى حِمْيرَ ، فنزَعه اللَّهُ منهم ، فجعله فى قُرَيشٍ (و س ى ع و د إ ل ى هـ م) » قال عبدُ اللَّهِ : [4]وكذا كان[4] فى كتابِ أبى مُقَطّعٌ[5] ، وحيث حدَّثنا به تكَلَّم به على الاستواءِ . يعنى ، « وسيعود إليهم » .

---

(١) فى المسند ٤/ ٩١. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٩٣: رواه أحمد والطبرانى باختصار الحروف ، ورجالهم ثقات .

(٢) فى النسخ : « جرير » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨.

(٣) فى الأصل ، ص : « فجر » . وفى المسند : « مخمر » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٥٣١.

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « كان هذا » . وفى ا ٩: « هكذا كان » . والمثبت من المسند ٤/ ٩١.

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

قِصَّةُ سَبَأ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٥- ١٩].

قال علماءُ النَّسَبِ؛ منهم محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : اسْمُ سَبَأ عبدُ شَمْسِ بنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ، قالوا: وكان أوَّل مَن سَبَى فى[3] العربِ، فَسُمِّىَ سَبَأً لذلك. وكان يقالُ له: الرَّائِشُ. لأنَّه كان يُعطِى النَّاسَ الأمْوالَ مِن متاعِه. قال السُّهَيْلِىُّ[4] : ويقالُ: إنَّه أوَّلُ مَن تَتَوَّجَ. وذكرَ بعضُهم أنَّه كان مُسْلِمًا، وكان له شِعْرٌ بَشَّرَ فيه بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فمِن ذلك قولُه:

سيَمْلِكُ بعدَنا مُلْكًا عظيمًا ... نبىٌّ لا يُرخِّصُ فى الحَرامِ

---

(١) التفسير ٦/٤٩١ - ٥٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.

(٣) فى ا ٩، م، ص: «من».

(٤) الروض الأنف ١/ ١٠٣.

وَيَمْلِكُ بعدَه منهم مُلُوكٌ يَدينون العبادَ بغيرِ ذامِ
وَيَمْلِكُ بعدَهم مِنَّا مُلُوكٌ يَصيرُ المُلْكُ فينا باقْتسامِ
وَيَمْلِكُ بعدَ قحطانٍ نبيٌّ تقيٌّ[1] خَبْتَةٌ[2] خيرُ الأنامِ
يُسَمَّى أحمدًا يا لَيْتَ أنِّى أُعَمَّرُ بعدَ مبعثِه بعامِ
فأعضُدَه وأحبُوَه بنَصْرى بكُلِّ مُدَجَّجٍ وبكلِّ رامِ
متى يَظهرْ فكونوا نَاصِريه ومَنْ يلقاهُ يُبْلِغْه سَلامى

حكاه ابنُ دِحيةَ فى كتابِه «التَّنويرُ فى مَوْلِدِ البَشيرِ النَّذِيرِ»[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ، [5]عن عبدِ اللَّهِ بنِ هُبَيْرَةَ السَّبائىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ وَعْلَةَ[5]، سَمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ يقولُ: إنَّ رَجُلًا سأَل النبىَّ ﷺ، عن سَبَأ، ما هو؟ أَرَجُلٌ أم امْرَأَةٌ أَم أَرْضٌ؟ قال: «بل هو رجلٌ، وَلَدَ عشَرَةً؛ فَسَكَن اليمنَ منهم سِتَّةٌ، وبالشَّامِ منهم أربعةٌ، فأمَّا اليمانيُّونَ؛ فمَذحِجٌ وكِنْدَةُ والأَزْدُ والأَشْعَرِيُّونَ وأَنْمارٌ وحِمْيَرُ، وأمَّا الشَّاميَّةُ؛ فلَخْمٌ وجُذامٌ وعامِلةُ وغَسَّانُ». وقد ذكرْنا فى «التفسيرِ» أنَّ

---

(١) فى الأصل: «نقى».
(٢) فى النسخ: «جبينه». ولا معنى لها هنا، ولا يستقيم عليها وزن البيت. والمثبت من التفسير ٦/ ٤٩٣. والخبتة: التواضع.
(٣) وقد ذكر هذه الأبيات المصنف فى التفسير ٦/ ٤٩٣.
(٤) المسند ١/ ٣١٦. (إسناده صحيح).
(٥ - ٥) فى النسخ: «عن عبد الله بن دعلة». والمثبت من المسند على الصواب. انظر أطراف ابن حجر ٣/ ١٥٤.

فَرْوَةَ بنَ مُسَيْكٍ الغُطَيْفىَّ هو السَّائِلُ عن ذلك، كما اسْتَقْصَيْنا طُرُقَ هذا الحديثِ وألفاظَهن هناك[1]. وللَّهِ الحمدُ.

والمقصودُ أنَّ سَبأً يَجْمَعُ هذه القبائلَ كُلَّها، وقد كان فيهم التَّبابِعةُ بأرضِ اليمنِ، واحدُهم تُبَّعٌ، وكان لمُلوكِهم تيجانٌ يَلْبَسُونَها وقتَ الحُكْمِ، كما كانت الأكاسِرَةُ مُلوكُ الفُرْسِ يَفْعَلُون ذلك، وكانت العربُ تُسَمِّى كُلَّ مَن ملَك اليمنَ مع الشِّحْرِ[2] وحَضْرَمَوْتَ تُبَّعًا، كما يُسَمُّون مَن مَلَك الشَّامَ مع الجزيرةِ قَيْصَرَ، ومَن مَلَك الفُرْسَ كِسْرَى، ومَن مَلَك مِصْرَ فِرْعَوْنَ، ومَن مَلَك الحَبَشَةَ النَّجاشِىَّ، ومَنْ مَلَك الهِنْدَ بَطْلَيْمُوسَ. وقد كان مِن جُمْلةِ مُلُوكِ حِمْيَرَ بأرضِ اليَمَنِ بِلْقِيسُ، وقَدْ قَدَّمنا[3] قِصَّتَها مع سُلَيْمانَ، عليه السّلامُ، وقد كانوا فى غِبْطَةٍ عظيمةٍ، وأَرْزاقٍ دارَّةٍ[4] وثمارٍ وزُروعٍ كثيرةٍ، وكانوا مع ذلك على الاستقامةِ والسَّدادِ وطريقِ الرَّشادِ، فلمَّا بدَّلوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أحَلُّوا قومَهم دارَ البَوارِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ: أرْسَل اللَّهُ إليهم ثلاثةَ عشَرَ نَبِيًّا. وزَعَم السُّدِّىُّ أنَّه أَرْسَلَ إليهم اثْنَىْ عشَرَ ألفَ نبىٍّ[6]. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) التفسير ٦/ ٤٩٢، ٤٩٣. وفيه استقصاء الطرق كما ذكر.

(٢) الشحر - بكسر أوله وسكون ثانيه -: هو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعى: هو بين عَدَن وعُمَان. معجم البلدان ٣/ ٢٦٣.

(٣) تقدمت فى ٢/ ٣٢٨، وما بعدها.

(٤) يقال: رزق دار. أى دائم لا ينقطع.

(٥) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٨.

(٦) التفسير ٦/ ٤٩٥. الدر المنثور ٥/ ١٠٥.

والمقصودُ أنَّهم لمَّا عَدَلوا عن الهُدَى إلى الضَّلالِ، وسجَدوا للشَّمْسِ مِن دونِ اللَّهِ، وكان ذلك فى زمانِ بِلْقِيسَ وقبلَها أيضًا، واستمر ذلك فيهم حتى أَرْسَل اللَّهُ عليهم سَيْلَ العَرِمِ، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧]. ذكَر غيرُ واحدٍ مِن علماءِ السَّلَفِ والخَلَفِ مِن المفسِّرين وغيرِهم[1] أنَّ سَدَّ مَأْرِبَ كان صنْعَتَه أنَّ المياهَ تَجْرِى مِن بين جَبَلَيْنِ، فعَمَدوا فى قديمِ الزَّمانِ فَسَدُّوا ما بينَهما ببناءٍ مُحْكَمٍ جدًّا، حتَّى ارْتَفَع الماءُ فحكم على أعالِى الجَبَلَيْنِ، وغَرَسوا فيهما البَساتِينَ والأَشجارَ المُثْمِرَةَ الأَنيقةَ، وزرَعوا الزُّروعَ الكثيرةَ، ويقالُ: كان أوَّلَ مَن بَناه سَبَأُ بنُ يَعْرُبَ، وسَلَّط إليه سبعينَ وادِيًا يَفِدُ إليه، وجعَل له ثلاثين فُرْضَةً يخرجُ منها الماءُ، ومات [١/٢١٤و] ولم يَكْمُلْ بناؤُه، فَكَمَّلَتْه حِمْيَرُ بعدَه، وكان اتِّساعُه فَرْسَخًا فى فَرْسَخٍ، وكانوا فى غِبْطَةٍ عظيمةٍ وعَيْشٍ رَغِيدٍ، وأيامٍ طيبةٍ، حتى ذكَر قتادةُ وغيرُه أنَّ المرأةَ كانت تَمُرُّ بالمِكْتَلِ على رَأْسِها فيَمْتَلِئُ مِن الثِّمارِ ممَّا يتساقطُ فيه مِن نُضْجِه وكَثْرتِه، وذكَروا أنَّه لم يَكُنْ فى بلادِهم شىءٌ مِن البَراغِيثِ، ولا الدَّوابِّ المُؤْذِيَةِ لصحَّةِ هوائِهم وطِيبِ فِنائِهم[2]. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]. وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٩، ٨٠. والبغوى ٥/ ٢٨٧. والقرطبى ١٤/ ٢٨٤.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٧.

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. فلمَّا عبَدوا غيرَ اللَّهِ، وبطَروا نِعْمَتَه، وسألوا، بَعْدَ تقارُبِ ما بينَ قُراهم، وطيبِ ما بينَها مِن البَساتِين، وأمْنِ الطُّرُقاتِ، سألوا أن يُباعَدَ بينَ أَسْفارِهم، وأن يكونَ سَفَرُهم فى مشاقَّ وتعبٍ، وطلَبوا أن يُبَدَّلوا بالخيرِ شَرًّا، كما سأل بنو إسرائيلَ بَدَلَ المَنِّ والسَّلْوَى البُقُولَ والقِثَّاءَ والفُومَ[1] والعَدْسَ والبَصَلَ، فسُلِبوا تلك النعمةَ العظيمةَ والحسَنةَ العميمةَ بتخريبِ البلادِ والشَّتاتِ على وجوهِ العبادِ، كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ [سبأ: ١٦]. قال غيرُ واحدٍ[2]: أرسلَ اللَّهُ على أصْلِ السَّدِّ الفارَ، وهو الجُرَذُ[3]. ويقالُ: الخُلْدُ[4]. فلمَّا فَطَنوا لذلك أَرْصَدُوا عندَها السَّنانيرَ، فلم تُغْنِ شيئًا إذ قد حُمَّ[5] القَدَرُ ولم يَنْفَعِ الحذَرُ، كَلَّا لا وزَرَ، فلمَّا تَحَكَّم فى أصلِه الفسادُ سقَطَ وانهارَ، فسلَك الماءُ القَرارَ، فقُطِّعت تلك الجداولُ والأنهارُ، وانْقَطَعت تلك الثمارُ، وبادَت تلك الزُّروعُ والأشجارُ، وتَبَدَّلوا بعدَها بِرَدِيءِ الأَشجارِ والأَثْمارِ، كما قال العزيزُ الجبَّارُ: ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾ [سبأ: ١٦]. قال ابنُ عَبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ: هو الأَرَاكُ وثَمَرُه البَرِيرُ[6]، وأَثْلٌ وهو الطَّرْفاءُ[7].

---

(١) الفوم: الثوم والحنطة والحمص والخبز وسائر الحبوب التى تخبز، وكل عقدة من بصلة أو ثومة أو لقمة عظيمة.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٨٠. والبغوى ٥/ ٢٨٧.

(٣) فى ا ٩، ص: «الجراد».

(٤) الخلد: الفأرة العمياء.

(٥) حم الأمر بالضم: قضى.

(٦) البرير: الأول من ثمر الأراك.

(٧) الطرفاء: شجر، وهى أربعة أصناف منها الأثل. والأثر فى تفسير الطبرى ٢٢/ ٨١، ٨٢.

وقيل: يُشْبِهُه. وهو حَطَبٌ لا ثَمَرَ له ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]. وذلك لأنَّه لمَّا كان يُثْمِرُ النَّبْقُ كان قليلًا مع أنَّه ذو شوكٍ كثيرٍ، وثمرُه بالنسبةِ إليه كما يقالُ فى المَثَلِ: لحمُ جَمَلٍ غَثٌّ على رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، ولا سَمينٍ فَيُنْتَقَى[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. أى؛ إنَّما نعاقبُ هذه العقوبةَ الشديدةَ مَن كَفَرَ بنا وكَذَّب رُسُلَنا وخالفَ أَمْرَنا، وانْتَهَكَ محارِمَنَا. وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ: ١٩]. وذلك أنَّهم لمَّا هَلَكَتْ أموالُهم وخُرِّبَتْ بلادُهم احتاجُوا أن يَرْتَحِلُوا منها ويَنْتَقِلُوا عنها فتَفَرَّقُوا فى غَوْرِ البلادِ ونَجْدِها؛ أيدىَ سَبَأ، شَذَرَ مَذَرَ. فنزلت طوائفُ منهم الحجازَ وهم[2] خزاعةُ، نَزَلُوا ظاهرَ مَكَّةَ، وكان مِن أَمْرِهم ما سنذكُرُه، ومنهم المدينةَ النَبَوِيَّةَ[3] اليومَ، فكانوا أوَّلَ مَن سَكنَها، ثم نَزَلَت عندَهم ثلاثُ قبائلَ مِن اليهودِ؛ بنو قَيْنُقاعَ، وبنو قُرَيْظَةَ، وبنو النَّضِيرِ، فحالفوا الأَوْسَ والخَزْرَجَ، وأقاموا عندَهم، وكان مِن أَمْرِهم ما سنذكُرُه، ونَزَلت طائفةٌ أخرى منهم الشَّامَ، وهم الذين تَنَصَّرُوا فيما بعدُ، وهم؛ غسَّانُ وعامِلةُ وبهراءُ ولَخْمٌ وجُذامٌ[4] وتنوخُ وتَغْلِبُ وغيرُهم، وسنذكُرُهم عندَ ذِكْرِ فُتُوحِ الشَّامِ فى زَمَنِ الشَّيْخَيْنِ، رضى اللَّهُ عنهما.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنى أبو عُبَيْدَةَ قال: قال الأَعْشَى بنُ قيسٍ

---

(١) فى الأصل، ص: «فينتقل».

(٢) فى م: «ومنهم».

(٣) فى الأصل: «المنورة».

(٤) سقط من: ص.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٤. والتفسير ٦/ ٤٩٩.

ابنِ ثعلبةَ ، وهو ميمونُ بنُ قُيسٍ[1] :

وفى ذاكَ للمؤْتَسِى أُسْوةٌ ومأرِبُ[2] عفَّى[3] عليها العَرِمْ

رُخامٌ بَنَتْه لهم حِمْيَرُ إذا جاءَ مَوَّارُه[4] لم يَرِمْ

فأَرْوَى الزُّروعَ[5] وأعنابَها على سَعَةٍ ماؤُهم إذ قُسِمْ

فصاروا أيادِىَ لا يَقْدِرو نَ منه[6] على شُربِ طفلٍ[7] فُطِمْ

وقد ذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[8] فى كتابِ « السِّيرَةِ » أَنَّ أوَّلَ مَنْ خَرَج مِن اليمنِ قبلَ سيلِ العَرِمِ عمرُو بنُ عامرٍ اللَّخْمِىُّ . ولَخْمٌ هو ابنُ عَدِىِّ بنِ[9] الحارثِ ابنِ مرَّةَ بنِ أُدَدَ[10] بنِ زيدِ بنِ هَمَيْسَعَ[11] بنِ عَمْرِو بنِ عَرِيبِ بنِ يَشْجُبَ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سَبَأ . ويقالُ : لَخْمُ بنُ عَدِىِّ بنِ عَمْرِو بنِ سبأ . قاله ابنُ هشامٍ[12] . قال ابنُ إسحاقَ[13] : وكان سببُ خروجِه مِن اليمنِ ، فيما حدَّثنى أبو زيدٍ الأنْصارىُّ ، أنَّه رأى جُرَذًا يَحْفِرُ فى سَدِّ مَأْرِبٍ ؛ الذى كان يحبِسُ

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٤٣ .

(٢) فى م : « مأرم » .

(٣) طمسها وأذهب معالمها .

(٤) الموار : الشديد المور ، يقال : مار الشىء يمور مورا ، إذا جعل يذهب ويجىء ويتردد .

(٥) فى م : « الزرع » .

(٦) سقط من : م .

(٧) بعده فى م : « إذا ما » .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٣.

(٩) سقط من : الأصل .

(١٠) فى النسخ : « أزد » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر الفتح ٦/ ٥٣٨.

(١١) فى النسخ : « مهع » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر الفتح ٦/ ٥٣٨.

(١٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٢.

(١٣) سيرة ابن هشام١/ ١٣.

عليهم[1] الماءَ، فيَصْرِفونه حيثُ شاءُوا مِن أرضِهم، فعَلِمَ أنَّه لا بقاءَ للسَّدِّ على ذلك، فاعْتَزَم على النُّقلةِ عن اليمنِ فكادَ قومَه، فأَمَرَ أَصْغَرَ وَلَدِه إذا أَغْلَظَ له[2] ولَطَمَه، أن يقومَ إليه فيَلْطِمَه، ففعلَ ابنُه ما أمَرَه به، فقال عمرٌو: لا أُقِيمُ ببلدٍ لَطَم وَجْهى فيه أصغرُ وَلَدِى. وعَرَضَ أموالَه، فقال أشرافٌ مِن أشرافِ اليمنِ: اغْتَنِمُوا غَضْبَةَ عَمْرٍو. فاشْتَرَوْا منه أموالَه، وانتقَل فى ولدِه ووَلَدِ وَلَدِه، وقالتِ الأَزْدُ: لا نتخلَّفُ عن عَمْرِو بنِ عامرٍ. فباعوا أموالَهم وخَرَجُوا معه فسارُوا حتى نَزَلُوا بلادَ عَكٍّ مجتازين [١/٢١٤ظ] [3]يرتادون البُلْدانَ[3]، فحاربَتْهُم عَكٌّ، فكانت حَرْبُهم سِجَالًا، ففى ذلك قال عباسُ بنُ مِرْدَاسٍ:

وعكُّ بنُ عدنانَ الذين تلعّبوا[4] بغَسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرَدِ

قال: فارْتَحَلُوا عنهم فتَفَرَّقوا فى البلادِ، فنزلَ آلُ جَفْنةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامرٍ الشَّامَ، ونزل الأَوْسُ والخَزْرَجُ يَثْرِبَ، ونزلتْ خُزاعةُ مَرًّا، ونزلَتْ أَزْدُ السَّراةِ السّراةَ، ونزلت أَزْدُ عُمانَ عُمانَ، ثُم أرسلَ اللَّهُ تعالى على السَّدِّ السَّيْلَ، فهَدَمَه، وفى ذلك أنْزَلَ اللَّهُ هذه الآياتِ، وقد رُوِى عن السُّدِّىِّ[5] قريبٌ مِن هذا، وعن محمدِ بنِ إسحاقَ[6] فى روايةٍ[7] أنَّ عَمْرَو بنَ عامرٍ كان كاهِنًا.

---

(١) فى الأصل، ص: «عنهم».

(٢) فى م: «عليه».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) فى سيرة ابن هشام ١/ ٩: «تلقبوا».

(٥) الدر المنثور ٥/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٦) تفسير الطبرى ٢٢/ ٨٦. وفيه: عمران بن عامر بدلا من عمرو بن عامر.

(٧) فى م: «روايته».

وقال غيرُه[1] : كانتِ امرأتُه طريفةُ بنتُ الخَيْرِ الحِمْيَرِيَّةُ كاهنةً ، فأُخْبِرَتْ بقُرْبِ هَلَاكِ بلادِهم ، وكأنَّهم رَأَوْا شاهِدَ ذلك فى الفَأْرِ الذى سُلِّطَ على سَدِّهِم ، ففعلوا ما فعلوا . واللَّهُ أعلمُ . [2]وقد ذكرْتُ قِصَّتَه مُطَوَّلةً عن عِكْرِمَةَ فيما رواه ابنُ أبى حاتمٍ فى « التَّفسيرِ »[2] .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢/ ٨٦.

(٢ - ٢) سقط من ص . والقصة فى الدر المنثور ٥/ ٢٣٢. والتفسير ٦/ ٤٩٧، ٤٩٨.

فَصْــلٌ

وليس جميعُ سَبَأ خَرجوا مِن اليمنِ لَمَّا أُصِيبوا بسيلِ العَرِمِ ، بل أقام أكثرُهم بها ، وذهبَ أهلُ مأرِبِ الذين كان لهم السَّدُّ ، فتَفَرَّقُوا فى البلادِ ، وهو مُقْتَضَى الحديثِ المتقدِّمِ عن ابنِ عباسٍ[1] ، أنَّ جميعَ قبائِلِ سَبَأ لم يَخْرُجوا مِن اليمنِ بل إنَّما تَشَاءمَ مِنهم أرْبَعَةٌ ، وبَقِىَ باليمنِ سِتَّةٌ وهم ؛ مَذْحِجٌ وكِنْدَةُ وأَنمارٌ والأَشْعَرِيُّون ، وأنمارٌ هو أبو خَثْعَمٍ وبَجِيلةَ وحِمْيَرُ ، فهؤلاء سِتُّ قبائلَ مِن سَبَأ أقاموا باليمنِ واستمرَّ فيهم المُلْكُ والتبابعةُ حتى سَلَبَهُم ذلكَ مَلِكُ الحبشةِ بالجيشِ الذى بَعَثَه صُحْبَةَ أميرَيْه أَبْرَهَةَ وأَرْياطٍ ، نحوًا مِن سبعين سنةً ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَه سيفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ ، وكان ذلك قبلَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بقليلٍ ، كما سنذكُرُه مفصَّلًا قريبًا إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ ، وعليه التُّكْلانُ . ثُم أَرْسَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى أهلِ اليمنِ عليًّا ، وخالدَ بنَ الوليدِ ، ثُمَّ أبا موسى الأَشْعَرىَّ ، ومعاذَ بنَ جبلٍ ، وكانوا يَدْعُون إلى اللَّهِ تعالى ، ويُبَيِّنُون لهم الحُجَجَ ، ثُمَّ تَغَلَّبَ على اليمنِ الأَسْودُ العَنْسِىُّ ، وأَخْرَجَ نُوّابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ منها فلمَّا قُتِل الأسودُ اسْتَقَرَّتِ اليَدُ الإسلاميةُ عليها فى أيامِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، كما سنُبَيِّنُ ذلك بعدَ البِعْثَةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١٠٨ .

قِصّةُ رَبيعةَ بنِ نصرِ ابنِ أبِى حَارثةَ بنِ عمرِو بنِ عامِرٍ، المتقدّمِ ذكْرُه، اللَّخْمِىّ

كذا ذَكَره ابنُ إسحاقَ[1] . وقال السُّهَيْلِىُّ[2] : ونُسّابُ اليمنِ تقولُ : نصرُ ابنُ ربيعةَ . [3]وهو ربيعةُ[3] بنُ نصرِ بنِ الحارثِ بنِ [4]نُمارَةَ بنِ لَخْمٍ[4] . وقال الزُّبَيْرُ ابنُ بَكَّارٍ : [5]ربيعةُ بنُ[5] نصرِ بنِ مالكِ بنِ شَعْوَذِ بنِ مالكِ بنِ عَجْمِ بنِ عَمْرِو ابنِ نُمارَةَ بنِ لَخْمٍ ، ولَخْمٌ أخو جُذامٍ ، وسُمِّىَ لَخْمًا ؛ لأنَّه لَخَمَ أخاه أىْ لَطَمَه ؛ فعضّه الآخرُ فى يدِه فجذَمَها ؛ فسُمِّى جُذامًا[6] . وكان ربيعةُ أحدَ ملوكِ حِمْيَرَ التبابعةِ ، وخَبَرُه مع شِقٍّ وسَطِيحٍ الكاهِنَيْنِ ، وإنذارُهما بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أما سَطِيحٌ ، فاسمُه ربيعُ بنُ ربيعةَ بنِ مسعودِ بنِ مازنِ بنِ ذِئبِ بنِ عَدِىِّ بنِ مازنِ[7] بنِ غَسّانَ ، وأما شِقٌّ فهو ابنُ صَعْبِ بنِ يَشْكُرَ بنِ رُهْمِ بنِ أَفْرَكَ بنِ قَسْرِ[8]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ١١١.

(٢) الروض الأنف ١/ ١٣٠.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «ربيعة بن نصر».

(٥ - ٥) غير موجودة فى الروض الأنف ١/ ١٣١.

(٦) الروض الأنف ١/ ١٣١. وجذمها أى؛ قطعها.

(٧) سقط من: ح، م.

(٨) فى م: «قيس».

ابنِ عَبْقَرَ بنِ أَنْمارِ بنِ نِزارٍ . ومنهم مَن يقولُ : أَنْمارُ بنُ إراشِ بنِ لَحْيانَ بنِ عمْرِو ابنِ الغَوْثِ بنِ نَبْتِ[1] بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهْلانَ بنِ سَبأ . ويقالُ : إنَّ سَطِيحًا كان لا أعضاءَ له ، وإنَّما كان مثلَ السَّطِيحةِ ، ووجهُه فى صَدْرِه ، وكان إذا غَضِبَ انتفخَ وجَلَسَ ، وكان شِقٌّ نصفَ إنسانٍ . ويُقالُ : إنَّ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ كان مِن[2] سُلالَتِه . وذكر السُّهَيْلِىُّ[3] أنَّهما وُلِدا فى يومٍ واحدٍ ، وكان يومَ ماتتْ طريفَةُ بنتُ الخَيْرِ الحِمْيَرِيَّةُ . ويقالُ : إنَّها تَفَلَتْ فى فَمِ كلٍّ منهما ، فَوَرِثَ الكِهانةَ عنها . وهى امرأةُ عَمْرِو بنِ عامرٍ المتقدِّمِ ذِكْرُه . واللَّهُ أعلمُ . قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : وكان ربيعةُ بنُ نَصْرٍ مِلِكَ اليمنِ بينَ أضْعَافِ ملوكِ التَّبابعةِ ، فرأى رؤيا[5] هالَتْه وفَظِع بها ، فلم يَدَعْ كاهِنًا ولا ساحِرًا ولا عائِفًا[6] ولا مُنَجِّمًا مِن أهلِ مملَكَتِه إلَّا جَمَعه إليه ، فقال لهم : إنِّى قد رأيتُ رؤيا هالَتْنِى وفَظِعْتُ بها ، فأَخْبِرُونى بها وبتأويلِها . فقالُوا : اقْصُصْها علينا ، نُخْبِرْكَ بتَأْويلِها . فقال : إنِّى إنْ أَخْبَرْتُكم بها ، لم أَطْمَئِنَّ إلى خَبَرِكم بتأويلِها ؛ لأنَّه لا يعرِفُ تأويلَها إلَّا مَنْ عَرَفَها قبلَ أن أُخْبِرَه بها . فقال له رَجلٌ [١/٢١٥و] منهم : فإن كان الملِكُ يريدُ هذا فَلْيَبْعَثْ إلى شِقٍّ وسَطِيحٍ ؛ فإنَّه ليس أحدٌ أعلمَ منهما ، فهما يُخْبِرانِه بما سَأَلَ عنه . فبعثَ إليهما ، فقَدِمَ إليه سَطِيحٌ قبلَ شِقٍّ ، فقال له : إنِّى قد رأيتُ رُؤْيا هالَتْنِى وَفَظِعْتُ بها ، فأَخْبِرْنى بها ، فإنَّك إنْ أَصَبْتَها أصبْتَ

---

(١) فى م : « نابت » .

(٢) سقط من : م .

(٣) الروض الأنف ١/ ١٣٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٥ - ١٨.

(٥) بعده فى م : « هائلة » .

(٦) العائف : هو المتكهن بالطير أو غيرها .

تأويلَها . فقال : أفْعلُ . رأيتَ حُمَمَةً[1] خَرَجَتْ مِن ظُلْمَةٍ ، فوقَعَتْ بأَرْضِ تَهَمَةٍ[2] ، فأكلَتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمَةٍ . فقال له الملِكُ : ما أخطأتَ منها شيئًا يا سَطِيحُ ، فما عندَك فى تأويلِها ؟ قال : أحْلِفُ بما بينَ الحرَّتَيْنِ مِن حَنَشٍ ، لتَهْبِطَنَّ أَرْضَكم الحبَشُ ، فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بينَ أَبْيَنَ إلى جُرَشَ . فقال له الملِكُ : وأبيك[3] يا سَطِيحُ ، إنَّ هذا لنا لَغائظٌ مُوجِعٌ ، فمتى هو كائنٌ ؟ أفى[4] زمانِى أَمْ بَعْدَه ؟ فقال : لا ، بل بعدَه بحينٍ ، أكْثَرَ مِن سِتِّينَ أو سَبْعينَ ، يَمْضِينَ مِن السنينَ . قال : أَفَيَدُومُ ذلك مِن سُلْطانِهم[5] أم ينقطعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ لِبِضْعٍ وسبعينَ مِن السنينَ ، ثُم يُقْتلون ، ويَخْرجون منها هارِبين . قال : ومَنْ يَلِى ذلك مِن قَتْلِهم وإخراجِهم ؟ قال : يليه[6] إرَمُ ذى يَزَنَ ، يَخرجُ عليهم مِن عَدَنٍ ، فلا يَترُكُ منهم أحَدًا باليمنِ . قال : أفيدومُ ذلك مِن سلطانِه أم يَنْقَطِعُ ؟ قال : بل يَنقطعُ . قال : ومَن يَقْطَعُه ؟ قال : نَبِىٌّ زَكِىٌّ ، يأتيه الوحىُ من قِبَلِ العَلِىِّ . قال : ومِمَّنْ هذا النبىُّ ؟ قال : رَجلٌ مِن وَلَدِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ ، يكونُ المُلْكُ فى قومِه إلى آخرِ الدَّهرِ . قال : وهل للدَّهْرِ مِن آخِرٍ ؟ قال : نَعَمْ ، يومٌ[7] يُجْمَعُ فيه الأوَّلون والآخِرون ، يَسْعَدُ فيه المحسِنُون ، ويَشْقَى فيه المُسِيئُون . قال : أحقٌّ ما تُخْبِرُنى ؟ قال : نعم ، والشَّفَقِ والغَسَقِ ، والفَلَقِ إذا

---

(١) الحممة : هى الفحمة ، وإنما أراد فحمة فيها نار .

(٢) تهمة : متصوِّبة نحو البحر .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، ص : « إلى » .

(٥) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « سلطانه » .

(٦) فى م : « لا يليهم » .

(٧) سقط من : الأصل ، ص .

اتَّسَقَ ، إنَّ ما أنبأْتُك به لَحَقٌّ . قال : ثُمَّ قَدِمَ عليه شِقٌّ ، فقال له كقولِه لسَطِيحٍ ، وكَتَمَه ما قال سَطِيحٌ ؛ لِيَنْظُرَ أيَتَّفِقان أم يَخْتَلِفان ، قال : نعم ، رأيتَ حُمَمَةً[1] خرجَتْ مِن ظُلْمَةٍ ، فوقعتْ بينَ رَوْضَةٍ وأَكَمَةٍ ، فأكلَتْ منها كُلَّ ذاتِ نَسَمَةٍ . فلمّا قال له ذلك عَرَفَ أنَّهُما قد اتَّفَقَا ، وأنّ قَوْلَهما واحدٌ ، إلَّا أن سَطِيحًا ، قال : وقعتْ بأرضٍ تَهَمَةٍ ، فأكَلَتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمَةٍ . وقال شِقٌّ : وقعتْ بينَ رَوْضَةٍ وأَكَمَةٍ ، فأكلتْ منها كلَّ ذاتِ نَسَمَةٍ ، فقال له المِلِكُ : ما أَخْطَأْتَ يا شِقُّ منها شيئًا ، فما عندَكَ فى تأويلِها ؟ فقال : أَحْلِفُ بما بينَ الحرَّتَيْنِ مِن إنسانٍ ، لَيَنْزِلَنَّ أرضَكم السُّودانُ ، فليَغْلِبُنَّ على كلِّ طَفْلَةٍ[2] البنانِ، وليَمْلِكُنَّ ما بينَ أَبْيَنَ إلى نَجْرانَ . فقال له المِلِكُ : وأبيك يا شِقُّ ، إنَّ هذا لنا لغائظٌ مُوجِعٌ ، فمتى هو كائنٌ ؟ أفى زمانى أم بعدَه ؟ قال : لا ، بل بعدَه بزمانٍ ، ثُم يَستنقِذُكم منهم عظيمٌ ذو شانٍ ، ويُذِيقُهم أَشَدَّ الهوانِ . قال : ومَنْ هذا العظيمُ الشانِ ؟ قال : غلامٌ ليس بِدَنِىٍّ ولا مُدَنٍّ[3] ، يَخْرُجُ عليهم مِن بيتِ ذى يَزَنَ . قال : أفيَدُومُ سُلْطانُه أمْ يَنقطعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ برسولٍ مُرْسَلٍ ، يَأتى بالحقِّ والعَدْلِ ، مِن أهلِ الدِّينِ والفَضْلِ ، يكونُ المُلْكُ فى قَوْمِه إلى يومِ الفَصْلِ . قال : وما يومُ الفَصْلِ ؟ قال : يومٌ تُجْزَى فيه الوُلاةُ ، يُدْعَى فيه من السماءِ بدَعَواتٍ يَسْمَعُ منها الأحياءُ والأمواتُ ، ويُجْمَعُ الناسُ فيه للمِيقاتِ ، يكونُ فيه لمَن اتَّقَى الفوزُ والخيراتُ . قال : أَحَقٌّ ما تقولُ ؟ قال : إِىْ ، وربِّ السَّماءِ والأرضِ ، وما بينَهما

---

(١) فى الأصل : « جمجمة » .

(٢) الطفلة : الناعمة اللينة .

(٣) المدنى : المقصر فى الأمور ، أو الذى يتبع خسيسها .

مِن رَفْعٍ وخَفْضٍ، إنَّ ما أنبأْتُك به لَحَقٌّ، ما فيه أَمْضُّ[1]. قال ابنُ إسحاقَ[2]: فوقَعَ فى نفسِ ربيعةَ بنِ نصرٍ ما قالا، فجهَّزَ بَنيه وأهلَ بَيْتِه إلى العراقِ، وكتبَ لهم إلى مَلِكٍ مِن ملوكِ فارسَ، يقالُ له: سابورُ بنُ خُرَّزاذَ[3]. فأسْكَنَهُم الحِيرَةَ. قال ابنُ إسحاقَ[4]: فمِنْ بقيَّةِ وَلَدِ ربيعةَ بنِ نَصْرٍ، النُّعمانُ بنُ المنذرِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ بنِ عَمْرِو بنِ عَدِىِّ بنِ ربيعةَ بنِ نَصْرٍ، يَعْنِى الذى كان نائبًا على الحِيرةِ لمُلوكِ الأكاسِرَةِ، وكانت العربُ تَفِدُ إليه وتَمْتَدِحُه. وهذا الذى قاله محمدُ بنُ إسحاقَ مِن أنَّ النُّعْمانَ بنَ المنْذِرِ مِن سُلالَةِ ربيعةَ بنِ نصْرٍ، قاله أكثرُ النَّاسِ. وقد رَوى ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ أميرَ المؤمنينَ عُمَرَ بنَ الخطّابِ، لَمّا جِىءَ بسيفِ النُّعْمانِ بنِ المنذرِ، سأل جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ عنه: مِمَّن كان؟ فقال: مِن أَشْلاءِ قُنُصِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ. قال ابنُ إسحاقَ: فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان.

---

(١) قال ابن هشام: أمض يعنى شكًّا بلغة حمير. سيرة ابن هشام ١/ ١٨. وانظر اللسان: (أ م ض).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٨.

(٣) فى الأصل: «حزّزاد».

(٤) فى سيرة ابن هشام ١/ ١٩.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٢.

قِصّةُ تُبَّعٍ أبى كَرِبٍ

(١)تُبَّانِ أَسْعَدَ ملِكِ اليمنِ(١)

مع أهــلِ المدينــةِ وكــيفَ

أرادَ غَزْوَ البيتِ الحرامِ، ثُمَّ شرَّفه

وعَظَّمه وكساه الحُلَلَ، فكان أَوَّلَ مَنْ كساه

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : فلمَّا هلكَ ربيعةُ بنُ نصرٍ رجَع مُلْكُ اليمنِ كلُّه إلى حسَّانَ بنِ تُبَّانِ أسعدَ أبى كَرِبٍ، [١/٢١٥ظ] وتُبَّانُ أسعدَ تُبَّعٌ الآخِرُ، ابنُ كُلْكِيكَرِبَ بنِ زيدٍ، وزيدٌ تُبَّعٌ الأوّلُ ابنُ عمْرٍو ذى الأذْعارِ بنِ أبْرَهةَ ذِى المنارِ ابنِ الرَّائشِ بنِ عَدِىٍّ بنِ صَيْفِىٍّ بنِ سبأ الأصغرِ بنِ كَعْبٍ - كَهْفِ الظُّلْمِ - بنِ زيدِ بنِ سَهْلِ بنِ عَمْرِو بنِ قيسِ بنِ معاويةَ بنِ جُشَمَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ وائلِ بنِ الغَوْثِ بنِ قطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زهَيرِ بنِ أنسٍ(٣) بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ العَرَنْجَجِ، والعَرَنْجَجُ هو حِمْيَرُ بنُ سبأ الأكبرِ بنِ يَعْرُبَ بنِ يَشْجُبَ بنِ قَحْطَانَ. قال عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ: سبأُ بنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩، ٢٠.

(٣) كذا فى النسخ، وفى سيرة ابن هشام ١/ ٢٠، وفى الروض الأنف ١/ ١٥٦: «أيمن».

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وتُبَّانُ أسعدَ أبو كَرِبٍ ، هو الذى قَدِمَ المدينةَ وساق الحَبْرَيْن[2] من اليهودِ إلى اليمنِ ، وعَمَّرَ البيتَ الحرامَ ، وكساه ، وكان مُلْكُه قبلَ مُلْكِ[3] ربيعةَ بنِ نَصْرٍ ، وكان قد جعل طريقَه حينَ رَجَع مِن غزوةِ بلادِ المشرِقِ على المدينةِ ، وكان قد مَرَّ بها فى بَدْأَتِه فلم يَهِجْ أهْلَها ، وخَلَّفَ بينَ أَظْهُرِهم ابْنًا له ، فقُتِلَ غِيلةً ، فَقَدِمَها وهو مُجْمِعٌ لإخْرَابِها واستِئْصَالِ أهْلِهَا وقَطْعِ نَخْلِها ، فجُمِعَ له هذا الحىُّ مِن الأنصارِ ، ورئيسُهُم عَمْرُو بنُ طَلَّةَ[4] أخو بنى النَّجّارِ ، ثُم أحَدُ بنى عَمْرِو بنِ مَبْذولٍ ، واسمُ مَبْذولٍ ، عامرُ بنُ مالكِ بنِ النَّجّارِ ، واسمُ النَّجّارِ ، تَيْمُ اللَّهِ بنُ ثعلبةَ بنِ عَمْرِو بنِ الخزرجِ بنِ حارِثَةَ بنِ ثعلبةَ بنِ[5] عمرِو بنِ عامرٍ .

وقال ابنُ هشامٍ[6] : عمْرُو بنُ طَلَّةَ[7] ، هو عَمْرُو بنُ معاويةَ بنِ عمرِو بنِ عامرِ بنِ مالكِ بنِ النَّجّارِ ، وطَلَّةُ أُمُّه ، وهى بنتُ عامرِ بنِ زُرَيقٍ الخزرجيّةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وقد كان رَجُلٌ مِن بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، يُقَالُ له : أحمرُ ، عَدَا على رَجُلٍ مِن أصحابِ تُبَّعٍ ، وَجَدَه يَجُدُّ عَذْقًا له فَضَرَبَهُ بِمِنْجَلِه فقَتَلَه ، وقال : إنما التَّمرُ لِمَنْ أَبَّرَه . فزاد ذلك تُبَّعًا حَنَقًا عليهم ، فاقْتَتَلُوا ، فَتَزْعُمُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠.
(٢) فى الأصل ، ص : « الحرير » .
(٣) زيادة من : ا ٩، م .
(٤) فى النسخ : « طلحة » . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٠.
(٥) سقط من : م .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.
(٧) فى م : « طلحة » .
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.

الأنصارُ أنَّهم كانوا يُقَاتِلونه بالنَّهارِ، ويَقْرونَه بالليلِ، فيُعْجِبُه ذلك منهم، ويقول: واللَّهِ، إنَّ قَوْمَنا لَكِرامٌ. وحَكَى ابنُ إسحاقَ[1] عن الأَنصارِ أَنَّ تُبَّعًا، إنَّما كان حَنَقُه على اليهودِ، أنَّهُم مَنَعُوهم مِنْه.

قال السُّهَيْلِيُّ[2]: ويُقالُ: إنَّه إنَّما جاء لنُصْرَةِ الأنصارِ - أبناءِ عمِّه - على اليهودِ، الذين نَزَلوا عندَهم فى المدينةِ على شروطٍ، فَلَمْ يَفُوا بِها واستَطَالوا عَلَيْهم. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فَبَيْنَا تُبَّعٌ على ذلك مِن قِتَالِهم، إذْ جاءَه حَبْرَان مِن أَحْبارِ اليهودِ من بنى قُرَيْظَةَ، عَالِمانِ رَاسِخَانِ، حين سَمِعا بما يُريدُ مِنْ إهْلاكِ المدينةِ وأَهْلِها، فقالا له: أَيُّها المِلِكُ، لا تفعلْ، فإنَّكَ إنْ أَبَيْتَ إلَّا ما تريدُ، حِيلَ بينَكَ وبَيْنَها، ولم نأمَنْ عليكَ عاجلَ[4] العقوبةِ. فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ قالا: هى مُهَاجَرُ نَبِيٍّ، يَخْرُجُ مِن هذا الحَرَمِ؛ مِن قُرَيْشٍ، فى آخِرِ الزَّمَانِ، تكونُ دارَه وقَرارَه. فَتَناهى، ورأى أنَّ لهما عِلْمًا، وأَعْجَبَه ما سَمِعَ مِنْهُما، فانْصَرَفَ عن المدينةِ، واتَّبَعَهما[5] على دِينِهِمَا. قال ابنُ إسحاقَ[6]: وكان تُبَّعٌ وقومُه أصحابَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَها، فَتَوَجَّه إلى مَكَّةَ، وهى طريقُه إلى اليمنِ، حتى إذا كان بينَ عُسْفانَ وأَمَجٍ، أتاه نَفَرٌ من هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣.
(٢) الروض الأنف ١/ ١٦١.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.
(٤) فى م: «جل».
(٥) فى الأصل: «أثبتهما».
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.

نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ ، فقالوا له : أيُّها المِلِكُ ، أَلَا نَدُلُّك على بيتِ مَالٍ دَاثِرٍ أَغْفَلَتْه المُلُوكُ قَبْلَكَ ، فيه اللؤلؤُ والزَّبَرْجَدُ والياقوتُ والذَّهَبُ والفِضَّةُ ؟ قال : بَلَى . قالوا : بَيتٌ بِمَكَّةَ يَعْبُدُه أهلُه ويُصَلُّون عندَه . وإنَّما أراد الهُذَلِيّون هلاكَه بذلك ؛ لِمَا عَرَفوا مِن هلاكِ مَن أرادَه مِن الملوكِ وبَغَى عندَه ، فلمّا أَجْمَعَ لِمَا قالوا أَرْسَلَ إلى الحَبْرَيْن فسألَهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلَّا هلاكَك وهلاكَ جُنْدِك ، ما نعلمُ بيتًا للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، اتّخذَه فى الأرضِ لنفسِه غيرَه ، ولَئِنْ فَعَلْتَ ما دَعَوْك إليه ، لَتَهْلِكَنَّ ، ولَيَهْلِكَنَّ مَن مَعك جميعًا . قال : فماذا تَأْمُرانِنِى أن أصنعَ إذا أنا قَدِمْتُ عليه ؟ قالا : تَصْنَعُ عندَه ما يصنعُ أهلُه ؛ تَطُوفُ به وتُعَظِّمُه وتُكَرِّمُه ، وتَحْلِقُ رَأْسَكَ عندَه ، وتَذِلُّ[1] له حتى تَخْرُجَ مِن عندِه . قال : فما يَمْنَعُكما أنتما مِن ذلك ؟ قالا : أمَا واللَّهِ ، إنَّه لَبَيْتُ أبينا إبراهيمَ[2] ، عليه السَّلامُ ، وإنَّه لَكَما أَخْبَرْناك ، ولكنَّ أهلَه حالُوا بيننا وبينَه بالأَوْثانِ التى نَصَبُوها حَوْلَه ، [١/٢١٦و] وبالدِّماءِ التى يُهَرِيقُون عندَه ، وهم نَجَسٌ ، أهلُ شِرْكٍ . أو كما قالا له ، فَعَرَفَ نُصْحَهما ، وصَدَّقَ حديثَهما ، وقَرَّبَ النَّفَرَ مِن هُذَيْلٍ ، فقطَّعَ أيديَهم وأرجُلَهُم ، ثُمَّ مضَى حتى قَدِمَ مَكَّةَ ، فطاف بالبَيْتِ ونَحَرَ عندَه ، وحَلَقَ رأسَه وأقام بمكةَ ستَّةَ أيامٍ ، فيما يذكُرون ، يَنْحَرُ بها للنّاسِ ، ويُطْعِمُ أهلَها ، ويَسْقِيهم العَسَلَ ، وأُرِىَ فى المنامِ أن يَكْسُوَ البيتَ ، فكساه الخَصَفَ[3] ، ثم أُرِىَ فى المنامِ أنْ يَكْسُوَه أحْسَنَ مِن ذلك ، فكساه المَعافِرَ[4] ، ثُمّ

---

(١) فى النسخ : « تذلل » . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٤.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) الخصف : جمع الخصفة وهى الثوب الغليظ جدا .

(٤) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن .

أُرِىَ أن يَكْسُوَه أحسنَ مِن ذلك فكساه المُلاءَ والوصائِلَ[1] ، فكان تُبَّعٌ ، فيما يَزعمون ، أولَّ مَن كَسَا البيتَ ، وأَوْصَى به وُلَاتَهُ مِن جُرْهُمٍ ، وأَمَرَهُم بتطهيرِه ، وأن لا يُقَرِّبوه دَمًا ولا مَيْتَةً ولا مِثْلاةً ، وهى المحايضُ ، وجَعَل له بابًا ومِفْتاحًا . ففى ذلك قالتْ سُبَيْعَةُ بنتُ الأحَبِّ - تُذَكِّرُ ابنَها خالدَ بنَ[2] عبدِ منافِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ، وتَنْهاه عن البَغْيِ بمكَّةَ ، وتَذْكُرُ له ما كان من أَمرِ تُبَّعٍ فيها - :

أَبُنَـــىَّ لا تَـــظلِمْ بِمَـــكَّـــةَ لا الصغيرَ ولَا الكَبيرْ
واحفَـــظْ محـــارِمَها بُـــنَـــىَّ ولا يَـــغُـــرَّنْـــكَ الغَـرورْ
أبُنَـــىَّ مَـــنْ يَظْـــلِمْ بمَـــكَّـــةَ يَـلْـقَ أطـرافَ الـشُّـرورْ
أبُـنَـىَّ يُـضْـرَبْ وجـهُـه ويَـلُـحْ[3] بـخـدّيـهِ الـسَّـعـيـرْ
أبُـنَـىَّ قـد جَـرَّبْـتُـهـا فـوجـدتُ ظـالمَهـا يَـبُـورْ
الـلَّـهُ أمَّـنَـهـا ومـا بُنِيَتْ بِعَرْصَتِهـا قُصـورْ
والـلَّـهُ أمَّـنَ طَـيـرَهـا والـعُـصْـمُ تـأمَـنُ فـى ثَـبـيـرْ
ولـقـدْ غـزَاهـا تُـبَّـعٌ فـكَـسـا بَـنِـيَّـتَـهـا الحَـبـيـرْ
وأَذَلَّ ربِّـىَ مُـلْـكَـه فيهـا فـأوْفـى بـالـنُّـذُورْ

---

(١) الوصائل : ثياب مخططة يمنية ، يوصل بعضها إلى بعض .
(٢) فى الأصل ، م : « به » . وانظر السيرة ١/ ٢٥.
(٣) فى النسخ : « يلج » . المثبت من السيرة ١/ ٢٦، وانظر الروض الأنف ١/ ١٧٨.

يَمْشِى إلَيها حافيًا بفِنائِها ألْفا بَعِيرْ
ويَظَلُّ يُطْعِمُ أهلَها لحمَ المَهارَى والجَزُورْ
يَسْقِيهُمُ العَسَلَ المُصَفّى والرَّحيضَ مِن الشَّعِيرْ
والفيلُ أُهلِكَ جَيْشُه يُرْمَوْن فيها بالصُّخورْ
والمُلْكُ فى أقصَى البلادِ وفى الأعاجمِ والخزيرْ[1]
فاسْمَعْ إذا حُدِّثْتَ وافْـ ـهَمْ كيفَ عاقبةُ الأُمورْ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُمَّ خَرَج تُبَّعٌ مُتَوَجِّهًا إلى اليمنِ بمَنْ معه مِن جنودِه وبالحَبْرَيْنِ، حتى إذا دَخَل اليمنَ دعا قومَه إلى الدُّخولِ فيما دَخَل فيه، فأَبَوْا عليه حتى يُحاكِموه إلى النّارِ التى كانت باليمنِ. قال ابنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى أبو مالكِ بنُ ثعْلبةَ بنِ أبى مالكٍ القُرَظىُّ، قال: سَمِعْتُ إبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ يحدِّثُ أَنَّ تُبَّعًا لمَّا دنا مِن اليمنِ ليَدْخُلَها حالت حِمْيَرُ بينَه وبينَ ذلك، وقالوا: لا تَدْخُلْها علينا وقد فارَقْتَ دينَنا. فدعَاهُم إلى دينِه، وقال: إنَّه خيرٌ مِن دِينِكم. قالوا: فَحاكِمْنا إلى النّارِ؟ قال: نعم. قال: وكانت باليمنِ، فيما يزعمُ أهلُ اليمنِ، نارٌ تَحْكُمُ بينَهم فيما يَخْتَلِفون فيه، تَأْكُلُ[4] الظالمَ ولا تَضُرُّ المَظْلومَ. فخرَج قومُه بأَوْثانِهم وما يَتَقَرَّبُون به فى

---

(١) فى الأصل: «الحرير»، وفى ص: «الجذور»، وفى م: «الخزور»، وفى ا ٩: «الجزير». والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٢٦، وانظر الروض الأنف ١/ ١٧٨. والخزير: أُمة من الترك. وقيل: من العجم. تاج العروس (خ ز ر).

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧.

(٤) فى م: «تأخذ».

دِينِهم ، وخرج الحَبْرانِ بمصاحِفِهما فى أَعْناقِهما مُتَقَلِّدَيْها ، حتى قَعَدُوا للنّارِ عندَ مَخْرَجِها الذى تَخْرُجُ منه ، فخرجَتِ النّارُ إليهم ، فلَمّا أَقْبَلَت نحوَهم حادُوا عنها وهابُوها فذَمَرهم[1] مَن حَضَرَهم مِن الناسِ ، وأَمَروهم بالصَّبْرِ لها ، فصَبَرُوا حتى غَشِيَتْهم ، فأَكَلَتِ الأَوْثانَ وما قَرَّبُوا معها ، ومَن حَمَل ذلك مِن رجالِ حِمْيَرَ ، وخرج الحَبْرَانِ بمصاحِفِهما فى أعناقِهما تَعْرَقُ جِباهُهما ، ولم تَضُرَّهما ، فأَصْفَقَتْ[2] عندَ ذلك حِمْيَرُ على دِينِه[3] ، فمِن هُنالِكَ [4]وعن ذلك[4] كان أصلُ اليهودِيَّةِ باليمنِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقد حدَّثنى مُحَدِّثٌ أنَّ الحَبْرَيْن ومَنْ خَرَج مِن حِمْيَرَ إنَّما اتَّبَعُوا النَّارَ ليَرُدُّوها ، وقالوا : مَنْ رَدَّها فهو أَوْلَى بالحقِّ . فدنا منها رجالُ حِمْيَرَ بأَوْثانِهم ليَرُدُّوها ، فدَنَتْ منهم لِتَأْكُلَهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا رَدَّها ، ودنا منها الحَبْران بعدَ ذلك ، وجَعَلَا يَتْلُوَانِ التَّوْراةَ ، وتَنْكُصُ[6] عنهما[7] ، حتى رَدَّاها إلى مَخرجِها الذى خَرَجَتْ منه ، فأَصْفَقَتْ عندَ ذلك حِمْيَرُ على دِينِهما . واللَّهُ أعلمُ أَىُّ ذلك كان .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وكان رِئامٌ بيتًا لهم يُعَظِّمونَه ، ويَنْحَرونَ عندَه ،

---

(١) فى النسخ : « فزجرهم » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٢٧. وذمرهم : خصهم وشجعهم .

(٢) يقال : أصفقوا على الأمر ، إذا اجتمعوا عليه .

(٣) فى م : « دينهما » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧.

(٦) فى م : « وهى تنقص » .

(٧) زيادة من : ا ٩، م .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧.

ويُكَلِّمون منه[1] ؛ إذ كانوا على شِرْكِهم ، فقال الحَبْران لِتُبَّعٍ : إنَّما هو شيطانٌ يَفْتِنُهم بذلك ، فَخَلِّ بينَنا وبينَه . قال : فشَأْنُكما به . فاستخرَجا منه ، فيما يَزْعُمُ أهلُ اليمنِ ، كلبًا أسودَ ، فذبحاه ، ثُمَّ هَدَما ذلك البيتَ ، فبقاياه اليومَ ، كما [١/٢١٦ظ] ذُكِر لى ، بها آثارُ الدِّماءِ التى كانت تُهَرَاقُ عليه . وقد ذَكَرْنا فى « التفسيرِ »[2] الحديثَ الذى وَرَدَ عن النبىِّ ﷺ « لا تَسُبُّوا تُبَّعًا ؛ فإنَّه قد كان أسلمَ »[3] .

قال السُّهَيْلِىُّ[4] : ورَوَى مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تَسُبُّوا أَسْعَدَ الحِمْيَرِىَّ ؛ فإنَّه أَوَّلُ مَن كَسا الكَعْبَةَ » .

قال السُّهَيْلِىُّ[5] : وقد قال تُبَّعٌ حينَ أَخْبَره الحَبْرَانِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ شِعْرًا :

شَهِدْتُ على أحمدٍ أنَّه ... نَبِىٌّ[6] مِنَ اللَّهِ بارى النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمْرِى إلى عُمْرِه ... لكُنْتُ وزيرًا له وابنَ عَمّ
وجاهَدْتُ بالسَّيْفِ أعداءَه ... وفَرَّجْتُ عن صَدْرِه كلَّ هَمّ

قال : ولم يَزَلْ هذا الشِّعْرُ تَتَوارَثُه الأنصارُ ويَحْفَظونَه بينَهم ، وكان عندَ أبى

---

(١) فى النسخ : « فيه » . والمثبت من السيرة لابن هشام ١/ ٢٨.
(٢) التفسير ٧/ ٢٤٤. بلفظ : « قد كان رجلا صالحًا » .
(٣) المسند ٥/ ٣٤٠. انظر (السلسلة الصحيحة ٢٤٢٣) .
(٤) الروض الأنف ١/ ١٦٤.
(٥) الروض الأنف ١/ ١٦٣.
(٦) فى النسخ : « رسول » . والمثبت من الروض الأنف .

أيوبَ الأَنْصارِىِّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه . قال السُّهَيْلِىُّ[1] : وذَكَر ابنُ أبى الدُّنيا فى كتابِ « القُبورِ » ، أنَّ قَبْرًا حُفِرَ بصَنْعاءَ ، فوُجِدَ فيه امرأتانِ معهما لَوْحٌ مِن فِضَّةٍ ، مَكْتُوبٌ بالذَّهَبِ ، وفيه : هذا قَبْرُ لَمِيسٍ وحُبَّى ، ابْنَتَىْ تُبَّعٍ ، ماتا وهما تَشْهدانِ أنْ لا إلٰه إلا اللَّهُ ، [2]وحْدَه لا شريكَ له[2] ، وعلى ذلك ماتَ الصالحونَ قبلَهما .

ثُم صار المُلْكُ فيما بعدُ إلى حسانَ بنِ تُبّانِ أسعدَ ، وهو أخو اليَمامةِ الزَّرْقاءِ التى صُلِبَتْ على بابِ مدينةِ جَوٍّ ، فسُمِّيَتْ مِن يومِئذٍ اليمامةَ . قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمّا مَلَك ابنُه حسّانُ بنُ أبى كَرِبٍ تُبّانِ أسعدَ ، سارَ بأهلِ اليمنِ يُريدُ أن يَطَأَ بهم[4] أرضَ العربِ وأرضَ الأعاجِمِ ، حتى إذا كانوا ببعضِ أَرْضِ العِراقِ ، كَرِهَتْ حِمْيَرُ وقبائلُ اليمنِ السَّيْرَ معه ، وأرادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادِهم وأهلِيهم ، فكَلَّموا أخًا له يُقالُ له : عمرٌو . وكان معه فى جيشِهِ ، فقالوا له : اقْتُلْ أخاكَ حَسّانَ ، ونُمَلِّكُكَ علينا ، وتَرْجِعُ بِنا إلى بلادِنا . فأجابَهم فاجْتَمَعُوا على ذلك إلَّا ذا رُعَيْنٍ الحِمْيرِىَّ ، فإنَّه نهَى عَمْرًا عن ذلك ، فلمْ يَقْبَلْ منه ، فكَتَبَ ذو رُعَيْنٍ رُقْعَةً فيها هذانِ البيتانِ :

أَلا مَن يَشْتَرِى [5]سَهَرًا بنومٍ[5] سعيدٌ مَن يَبِيتُ قَريرَ عَينِ

فأمّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ فمَعْذِرَةُ الإلٰهِ لِذى رُعَينِ

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٦٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٣) ذكره ابن هشام فى سيرته ١/ ٢٨.

(٤) زيادة من : م .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ا ٩: « شهرًا بيوم » . وانظر سيرة ابن هشام .

ثُم اسْتَوْدَعَها عَمْرًا ، فلمّا قَتَلَ عمرٌو أخاه حسانَ ورجَعَ إلى اليمنِ ، مُنِعَ منه النومُ ، وسُلِّطَ عليه السَّهَرُ فسأَلَ الأطباءَ والحُزاةَ[1] مِن الكُهَّانِ والعرَّافينَ عمّا به ، فقيل له : إنَّه واللَّهِ ما قَتَلَ رجلٌ أخاه قَطُّ أو ذا رَحِمِه ، بَغْيًا ، إلَّا ذهَب نَوْمُه وسُلِّطَ عليه السَّهَرُ[2] . فعندَ ذلك جَعلَ يَقْتُلُ كُلَّ مَن أَمَرَه بقَتْلِ أخيه ، فلمّا خَلَصَ إلى ذى رُعَيْنٍ قال له : إنَّ لى عندَك براءةً . قال : وما هى ؟ قال : الكِتابُ الذى دَفَعْتُه إليكَ . فأخْرَجَه فإذا فيه البيتانِ ، فترَكه ورأَى أنَّه قد نَصَحه ، وهلَكَ[3] عمروٌ . فمَرَجَ[4] أمرُ حِمْيَرَ عندَ ذلك ، وتَفَرَّقُوا .

---

(١) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « الحراة » ، وفى م : « الحذاق » . والمثبت من سيرة ابن هشام . الحزاة واحدهم حاز ؛ وهو الذى ينظر فى الأعضاء وفى خِيلان الوجه يتكهن . لسان العرب (ح ز ا) .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى الأصل ، ص : « ملك » .

(٤) مرج : التبس واختلط .

وُثوبُ لَخْنِيعَةَ ذِى شَنَاتِرَ[1]

على مُلْكِ اليَمَنِ

وقد مَلَكَها سَبْعًا وعِشْرِين سنةً . قال ابنُ إسحاقَ[2] : فوَثَبَ عليهم رَجُلٌ مِن حِمْيَرَ لم يَكُنْ مِن بُيُوتِ المَلِكِ ، يُقالُ له : لَخْنِيعَةُ يَنُوفُ[3] ذُو شَنَاتِرَ . فقَتَل خِيارَهم ، وعَبِث ببُيُوتِ أهلِ المَمْلَكَةِ منهم ، وكان مع ذلك امْرَأً فاسِقًا يَعْمَلُ عَمَلَ قومِ لُوطٍ ؛ فكان يُرْسِلُ إلى الغُلامِ مِن أبناءِ المُلُوكِ ، فيَقَعُ عليه فى مَشْرَبَةٍ[4] له ، قد صَنَعَها لذلك ؛ لِئَلَّا يَمْلِكَ بعدَ ذلك ، ثُمَّ[5] يَطَّلِعُ مِن مَشْرَبَتِه[6] تلك إلى حَرَسِه ومَن حَضَر مِن جُنْدِه ، قد أخَذ مِسْواكًا فجَعَلَه فى فِيهِ ؛ أىْ لِيُعْلِمَهم أنَّه قد فَرَغَ مِنه ، حتى بَعَث إلى زرعةَ ذِى نُواسِ بنِ تُبَّانِ أسْعَدَ ، أخى حَسَّانَ ، وكان صبيًّا صغيرًا حينَ قُتِلَ أخوه حَسّانُ ، ثم شَبَّ غُلامًا جَميلًا وَسِيمًا ذا هَيْئَةٍ[7] وعَقْلٍ ، فلمَّا أتاه رسولُه عَرَف ما يُرِيدُ منه ، فأخَذَ

---

(١) الشناتر : جمع شُنْتُرَة - بضمّ الشين والتاء وبينهما نون ساكنة - وهى الأُصْبُع بالحِمْيَرِيَّة . تاج العروس (شنتر) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٩ - ٣١. وتاريخ الطبرى ٢/١١٧ - ١١٩.

(٣) فى الأصل ، ص : « بنون » . وفى ا ٩: « ما نوف » . والمثبت موافق لما فى السيرة لابن هشام . وهو كذلك فى تاريخ الطبرى .

(٤) المَشْرَبَة والمشرُبة - بالفتح والضمّ - الغُرْفة . اللسان (ش ر ب) .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « لم » .

(٦) فى م : « شربته » .

(٧) فى الأصل ، ص : « هيبة » .

سِكِّينًا حَدِيدًا[1] لَطيفًا فخَبَّأَه[2] بين قَدَمَيْه ونَعْلِه ثُمَّ أتاه ، فلمَّا خلا معه وَثَب إليه فواثَبَه ذُو نُواسٍ ، فوَجَأَهُ[3] حتى قَتَلَه ، ثُمَّ حَزَّ رَأْسَه ، فوَضَعَه فى الكُوَّةِ التى كان يُشْرِفُ منها ، ووَضَع مِسْواكَه فى فيه ، ثُمَّ خَرَج على النّاسِ فقالوا[4] له : ذا نواسٍ ، أرَطْبٌ أم يَبَاسٌ ؟ فقال : سَلْ نَخْماسَ[5] اسْتُرطُبان ذُو نُواسٍ اسْتُرطُبان لا باس[6] . فنَظَرُوا إلى الكُوَّةِ ، فإذا رأسُ لَخْنِيعَةَ مقطوعٌ ، فخَرَجُوا فى أثَرِ ذى نُواسٍ حتى أدْرَكُوه ، فقالوا : ما يَنْبَغِى أن يَمْلِكَنا غيرُك ؛ إذ أرَحْتَنا مِن هذا الخبيثِ . فَمَلَّكُوه عليهم ، واجْتَمَعَتْ عليه حِمْيَرُ وقبائلُ اليَمَنِ ، فكان آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ ، وتَسَمَّى يُوسُفَ ، فأقامَ فى مُلْكِه زمانًا ، وبنَجْرانَ بقايا مِن أهلِ دِينِ عيسى ابنِ مريمَ ، عليه السَّلامُ ، على الإنجيلِ ، أهلُ فَضْلٍ واستقامةٍ مِن أهلِ دينِهم ، لهم رَأْسٌ يُقالُ له : عبدُ اللَّهِ [١/٢١٧و] بنُ الثَّامِرِ . ثُم ذَكَر ابنُ إسحاقَ[7] سَبَبَ دُخُولِ أهلِ نَجْرانَ فى دِينِ النَّصارَى ، وأنَّ ذلك كان على يَدَىْ رَجُلٍ يُقالُ له : فَيْمَيُونُ . كان مِن عُبَّادِ النَّصارَى بأطرافِ الشَّامِ ، وكان مُجابَ

---

(١) فى م : « جديدًا » .

(٢) فى الأصل ، ص : « فحثاها » .

(٣) وَجَأه باليد والسِّكين : ضربه . الوسيط (و ج أ) .

(٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « فقال » .

(٥) قال ابن هشام فى السيرة ١/ ٣١: هذا كلام حمير ، ونخماس : الرأس .

(٦) قال السهيلى فى الروض الأنف ١/ ١٩٠، ١٩١ موضِّحًا هذه العبارة : (وقوله : استرطبان ... إلى آخر الكلام ، بمشكلٍ يفسره ما ذكره أبو الفرج فى الأغانى ؛ قال : كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به ، قطعوا مَشافِر ناقته وذَنَبها ، وصاحوا به : أرَطب أم يَاس ؟ فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقةً له ، يُقال لها : السراب . قالوا : ذا نواس ، أرطب أم يياس ؟ فقال : « ستعلم الأحراسُ است ذى نواس ، است رَطْبان أم يياس » . فهذا اللفظ مفهوم . والذى وقع فى الأصل - أى سيرة ابن هشام - هذا معناه ، ولفظه قريب من هذا ، ولعلَّه تغيير فى اللفظ . واللَّه أعلم) .

(٧) سيرة ابن هشام ١/٣١ - ٣٤. وتاريخ الطبرى ٢/١١٩ - ١٢١. وقد ساقه المصنف هاهنا بمعناه .

الدَّعْوَةِ ، وصَحِبَه رجُلٌ يُقالُ له : صالحٌ . فكانا يَتَعَبَّدان يومَ الأحَدِ ، ويَعْمَلُ فَيْمَيُونُ بَقِيَّةَ الجُمُعَةِ فى البِناءِ ، وكان يَدْعُو للمَرْضَى والزَّمْنَى وأهْلِ العاهاتِ ، فَيُشْفَوْنَ ، ثُمَّ اسْتَأْسَرَه وصاحِبَه بعضُ الأعرابِ ، فباعُوهما بنَجْرانَ ، فكان الذى اشْتَرَى فَيْمَيُونَ ، يَراه إذا قام فى مُصَلَّاه بالبيتِ الذى هو فيه - فى اللَّيلِ - يَمْتَلِئُ عليه البيتُ نُورًا ، فأعْجَبَه ذلك مِن أمرِه ، وكان أهلُ نَجْرانَ يَعْبُدُون نخلةً طويلةً ، يُعَلِّقُونَ عليها حُلِيَّ نِسائِهم ، ويَعْكُفُون عندَها ، فقال فَيْمَيُونُ لسَيِّدِه : أرأيتَ إن دَعَوْتُ اللَّهَ على هذه الشَّجَرَةِ فهَلَكَتْ ، أتعلمون أنَّ الذى أنتم عليه باطِلٌ ؟ قال : نعم . فجَمَعَ له أهلَ نَجْرانَ ، وقام فَيْمَيُونُ إلى مُصَلَّاه ، فدعا اللَّهَ عليها ، فأرْسَلَ اللَّهُ عليها قاصِفًا ، فجَعَفَها مِن أصْلِها ورَماها إلى الأرضِ ، فاتَّبَعَه أهلُ نَجْرانَ على دِينِ النَّصْرانِيَّةِ ، وحَمَلَهم على شريعةِ الإنجيلِ ، حتى حَدَثَتْ فيهم الأحداثُ التى دَخَلَتْ على أهلِ دِينِهم بكُلِّ أرضٍ ، فمِن هُنالِك كانتِ النَصْرانِيَّةُ بنَجْرانَ ، مِن أرضِ العربِ . ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ[1] قِصَّةَ عبدِ اللَّهِ بنِ الثَّامِرِ حينَ تَنَصَّر على يَدَىْ فَيْمَيُونَ ، وكيف قَتَلَه وأصحابَه ذُو نُواسٍ ، وخَدَّ لهم الأُخْدُودَ - وقال ابنُ هِشَامٍ[2] : وهو الحَفْرُ المُسْتَطِيلُ فى الأرضِ مِثْلُ الخَنْدَقِ - وأجَّجَ فيه النّارَ وحَرَّقَهم بها ، وقَتَل آخَرِين ، حتى قَتَل قريبًا مِن عِشْرِين ألفًا ، كما قَدَّمْنا ذلك مَبْسُوطًا فى أخبارِ بنى إسْرائيلَ[3] ، وكما هو مُسْتَقْصًى فى تفسيرِ سُورةِ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١] من كتابِنا « التَّفْسِيرِ »[4] ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٤ - ٣٦. وتاريخ الطبرى ٢/١٢١ - ١٢٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٧ وما بعدها .

(٤) التفسير ٨/٣٨٧ - ٣٩٢.

ذِكْرُ[1] خُرُوجِ المُلْكِ باليمنِ مِن حِمْيَرَ، وصَيْرُورَتِه[1] إلى الحَبَشَةِ السُّودَانِ

كما أخْبَرَ بذلك شِقٌّ وسَطِيحٌ الكاهِنانِ[2]؛ وذلك أنَّه لم يَنْجُ مِن أهلِ نَجْرانَ إلَّا رَجُلٌ واحدٌ، يُقالُ له: دَوْسٌ ذُو ثُعْلُبانَ. على فَرَسٍ له[3]، فسَلَكَ الرَّمْلَ[4] فأَعْجَزَهم، فمَضَى على وَجْهِه ذلك حتى أتَى قَيْصَرَ مَلِكَ الرُّومِ، فاسْتَنْصَرَه على ذِى نُواسٍ وجُنُودِه، وأخْبَرَه بما بَلَغ منهم؛ وذلك لأنَّه نَصْرانِىٌّ على دِينِهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادُك مِنَّا، ولكنْ سأكْتُبُ لك إلى مَلِكِ الحَبَشَةِ، فإنَّه على هذا الدِّينِ، وهو أقْرَبُ إلى بلادِك. فكَتَبَ إليه يَأْمُرُه بنَصْرِه والطَّلَبِ بثَأْرِه. فقَدِمَ دَوْسٌ على النَّجاشِىِّ بكِتابِ قَيْصَرَ، فبَعَثَ معه سبعين ألفًا مِن الحَبَشَةِ، وأمَّر عليهم رَجُلًا منهم، يُقالُ له: أرْيَاطُ. ومعه فى جندِه أبْرَهَةُ الأَشْرَمُ، فرَكِبَ أرْياطُ البحرَ حتى نَزَل بساحِلِ اليمنِ ومعه دَوْسٌ، وسار إليه ذُو نُواسٍ فى حِمْيَرَ ومَن أطاعَه مِن قبائلِ اليمنِ، فلمَّا الْتَقَوْا انْهَزَمَ ذُو نُواسٍ

---

(١) سقط من: م.

(٢) تقدم فى صفحة ١١٧ - ١٢٠.

(٣) قصة دوسٍ هذا، إلى دخول أرياط اليمن، انظرها فى: سيرة ابن هشام ١/ ٣٧. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٢٤، ١٢٥.

(٤) فى الأصل: «الرجل».

وأصحابُه ، فلمَّا رَأَى ذُو نُواسٍ ما نَزَل به وبقَوْمِه ، وَجَّه[1] فَرَسَه فى البحرِ ثُمَّ ضَرَبَه ، فدَخَل فيه فَخاضَ به ضَحْضَاحَ البحرِ ، حتى أفْضَى به إلى غَمْرَةٍ ، فأدْخَلَه فيها ، فكان آخِرَ العَهْدِ به ، ودَخَل أرْياطُ اليمنَ فمَلَكَها .

وقد ذَكَر ابنُ إسحاقَ هـٰهنا أشعارًا للعربِ فيما وَقَع مِن هذه الكائِنَةِ الغريبةِ[2] ، وفيها فَصاحَةٌ وحَلاوَةٌ وبَلاغَةٌ وطَلاوَةٌ ، ولكنْ تَرَكْنا إيرادَها خَشْيَةَ الإطالةِ وخَوفَ المَلالَةِ . وباللَّهِ المستعانُ .

---

(١) فى الأصل : «وجد» .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٨ - ٤٠ . وتاريخ الطبرى ٢/١٢٥ - ١٢٧ .

ذِكْرُ[1] خُرُوجِ أبْرَهَةَ الأَشْرَمِ على أَرْيَاطَ، وَاخْتِلافِهما

قال ابنُ إسحاقَ[2]، فأقام أرْياطُ بأرضِ اليمنِ سنينَ[3] فى سُلْطانِه ذلك، ثُمَّ نازَعَه أبْرَهَةُ، حتى تَفَرَّقَتِ الحَبَشَةُ عليهما، فانْحاز إلى كُلٍّ منهما طائفةٌ، ثُمَّ سار أحَدُهما إلى الآخَرِ، فلمَّا تَقارَبَ النّاسُ، أرْسَلَ أبْرَهَةُ إلى أرْياطَ: إنَّك لا تَصْنَعُ بأن تُلْقِيَ الحَبَشَةَ بعضَها ببَعْضٍ، حتى تُفْنِيَها، شيئًا، فابْرُزْ لى وأبْرُزُ لك، فأيُّنا أصابَ صاحبَه، انْصَرَفَ إليه جُنْدُه. فأرْسَل إليه أرْياطُ: أنْصَفْتَ. فخَرَجَ إليه أبْرَهَةُ، وكان رَجُلًا قصيرًا لَحيمًا، وكان ذا دِينٍ فى النَّصْرانِيَّةِ، وخَرَج إليه أرْياطُ، وكان رجُلًا جميلًا عظيمًا طويلًا، وفى يَدِه حَرْبَةٌ له، وخَلْفَ أبْرَهَةَ غُلامٌ، يُقالُ له: عَتْوَدَةُ. يَمْنَعُ ظَهْرَه، فرَفَعَ أرياطُ الحَرْبَةَ فضَرَبَ أبْرَهَةَ يُرِيدُ يافُوخَه، فوَقَعَتِ الحَربةُ على جَبْهَةِ أبرهةَ، فشَرَمَتْ حاجِبَه وعَيْنَه وأنْفَه وشَفَتَه؛ فبذلك سُمِّىَ أبْرَهَةَ الأشْرَمَ، وحَمَلَ عَتْوَدَةُ على أرْياطَ مِن خَلْفِ أبرهةَ، [١/ ٢١٧ظ] فقَتَلَه. وانْصَرَف جُنْدُ أرْياطَ إلى أبْرَهَةَ، فاجْتَمَعَتْ عليه الحَبَشَةُ باليمنِ، ووَدَى أبرهةُ أرْياطَ، فلمَّا بَلَغ ذلك النَّجاشِىَّ - مَلِكَ الحَبَشَةِ الذى بَعَثَهم إلى

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١، ٤٢. وتاريخ الطبرى ٢/١٢٨ - ١٣٠.

(٣) فى الأصل، ص، ا ٩: «سنتين». وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٢٨، ومروج الذهب ٢/ ٥٢.

اليمنِ - غَضِب غضبًا شديدًا على أبْرَهَةَ ، وقال : عدا على أمِيرِى ، فقَتَلَه بغيرِ أمْرِى . ثم حَلَف لا يَدَعُ أبرهةَ حتى يَطَأَ بِلادَه ، ويَجُزَّ ناصِيَتَه . فحَلَقَ أبرهةُ رَأْسَه ، ومَلأَ جِرابًا مِن تُرابِ اليمنِ ، ثُمَّ بَعَث به إلى النَّجاشِىِّ ، ثُمَّ كَتَب إليه : أيُّها المَلِكُ ، إنَّما كان أرياطُ عَبْدَك ، وأنا عبدُك ، فاخْتَلَفْنا فى أمرِك ، وكُلٌّ طاعَتُه لك ، إلَّا أنِّى كنتُ أقْوَى على أمرِ الحَبَشَةِ ، وأضْبَطَ لها ، وأسْوَسَ منه ، وقد حَلَقْتُ رَأْسِى كُلَّه ، حين بَلَغَنِى قَسَمُ المَلِكِ ، وبَعَثْتُ إليه بجِرابِ ترابٍ مِن أرْضِى ليَضَعَه تحتَ قَدَمَيْه ، فيَبَرَّ قَسَمَه فىَّ . فلمّا انْتَهَى ذلك إلى النَّجاشِىِّ ، رَضِىَ عنه ، وكَتَب إليه ؛ أن اثْبُتْ بأرضِ اليمنِ حتى يَأْتِيَك أمْرِى . فأقامَ أبْرَهَةُ باليمنِ .

ذِكْرُ[1] سَبَبِ قَصْدِ أبْرَهَةَ بالفيلِ مَكَّةَ ؛ ليُخْرِبَ الكَعْبَةَ

كما قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١- ٥] .

قِيل : أوَّلُ مَن ذَلَّل الفِيَلَةَ أفْرِيدُونُ بنُ أثفيانَ[3] ، الذى قَتَل الضَّحَّاكَ . قاله[4] الطَّبَرِىُّ[5] . وهو أوَّلُ مَن اتَّخَذ للخَيْلِ السُّرُوجَ[5] . وأمَّا أولُ مَن سَخَّر الخيلَ ورَكِبَها فطهمورثُ ، وهو المَلِكُ الثالثُ مِن مُلُوكِ الدُّنيا[5] . ويُقالُ : إنَّ أولَ مَن رَكِبَها ، إسْماعيلُ بنُ إبْراهيمَ ، عليهما السَّلامُ[6] . ويَحْتَمِلُ أنَّه أولُ مَن رَكِبَها مِن العَرَبِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ . ويُقالُ : إنَّ الفيلَ مع عِظَمِ خِلْقَتِه يَفْرَقُ مِن الهِرِّ[7] . وقد احْتَال بعضُ أُمَراءِ الحُرُوبِ فى قِتالِ الهُنُودِ ، بإحْضَارِ سَنانِيرَ إلى حَوْمَةِ الوَغَى فنَفَرَتِ الفِيَلَةُ[8] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) التفسير ٨/٥٠٣ - ٥١١.

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « أسفيان » .

(٤) فى ا ٩: « ذكره » .

(٥) تاريخ الطبرى ١/ ٢١٤. وانظر الروض الأنف ١/ ٢٩١.

(٦) الروض الأنف ١/ ٢٩١.

(٧) الأوائل ، لأبى هلال العسكرى ٢/ ١٨٢.

(٨) الروض الأنف ١/ ٢٩١.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُمَّ إنَّ أبْرَهَةَ بَنَى القُلَّيْسَ بِصَنْعاءَ ، فبَنَى كَنِيسَةً لم يُرَ مِثْلُها - فى زَمانِها - بشىءٍ مِن الأرضِ ، ثُمَّ كَتَب إلى النَّجاشِىِّ : إنِّى قد بَنَيْتُ لك كنيسةً ، لم يُبْنَ مِثْلُها لمَلِكٍ كان قَبْلَك ، ولستُ بمُنْتَهٍ حتى أصْرِفَ إليها حَجَّ العَرَبِ .

فذَكَرَ السُّهَيْلِىُّ[2] ، أنَّ أبْرَهَةَ اسْتَذَلَّ أهلَ اليمنِ فى بِناءِ هذه الكنيسةِ الخَسِيسَةِ ، وسَخَّرَهم فيها أنْواعًا مِن السُّخَرِ ، وكان مَن تَأَخَّر عن العَمَلِ حتى تَطْلُعَ الشمسُ ، يَقْطَعُ يَدَه لا مَحَالَةَ ، وجَعَل يَنْقُلُ إليها مِن قَصْرِ بِلْقِيسَ رُخامًا[3] وأحْجَارًا وأمْتِعَةً عظيمةً ، ورَكَّب فيها صُلْبانًا مِن ذهبٍ وفِضَّةٍ ، وجَعَل فيها مَنابِرَ مِن عاجٍ وآبِنُوسَ ، وجَعَل ارْتِفاعَها عظيمًا جدًّا ، واتِّساعَها باهِرًا ، فلمَّا هَلَك بعدَ ذلك أبْرَهَةُ ، وتَفَرَّقَتِ الحَبَشَةُ ، كان مَن تَعَرَّضَ لأَخْذِ شىءٍ مِن بِنائِها وأمْتِعَتِها ، أصابَتْه الجِنُّ بسُوءٍ ؛ وذلك لأنَّها كانت مَبْنِيَّةً على اسمِ صَنَمَيْن ؛ كُعَيْبٍ[4] وامْرَأَتِه ، وكان طُولُ كلٍّ منهما سِتِّين ذِراعًا ، فتَرَكَها أهلُ اليمنِ على حالِها ، فلم تَزَلْ كذلك إلى زمنِ السَّفَّاحِ ؛ أوَّلِ خُلَفاءِ بنى العَبَّاسِ ، فبَعَثَ إليها جماعةً مِن أهلِ العَزْمِ والحَزْمِ والعِلْمِ ، فنَقَضُوها حَجَرًا حجرًا ، ودَرَسَتْ آثارُها إلى يومِنا هذا .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فلمَّا تَحَدَّثَتِ العربُ بكتابِ أبْرَهَةَ إلى النَّجاشِىِّ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٠.

(٢) الروض الأنف ١/ ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٣) فى الأصل : «ركاما» .

(٤) فى الأصل ، ص : «لعيب» .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٠.

غَضِب رجُلٌ مِن النَّسَأَةِ[1] مِن كِنانَةَ ، الذين يَنْسَئُون[2] الشَّهْرَ الحرامَ إلى الحِلِّ ، بمَكَّةَ أيامَ المَوْسِمِ ، كما قَرَّرْنا ذلك عندَ قولِه تعالى[3] : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ٣٧] . قال ابنُ إسحاقَ[4] . فخَرَجَ الكِنانِىُّ حتى أتَى القُلَّيْسَ ، فقَعَدَ فيه ؛ أىْ أحْدَثَ حيثُ لا يَراه أحدٌ ، ثُمَّ خَرَج فلَحِق بأرضِه ، فأُخْبِرَ أبرهةُ بذلك ، فقال : مَن صَنَع هذا ؟ فقِيلَ له : صَنَعَه رجلٌ مِن أهلِ هذا البيتِ الذى تَحُجُّه العربُ بمكَّةَ ؛ لمَّا سَمِع بقَوْلِك أنَّك تُرِيدُ أنْ تَصْرِفَ حَجَّ العربِ إلى بَيْتِك هذا ، فغَضِبَ ، فجاء فقَعَدَ فيه ؛ أىْ أنَّه ليس لذلك بأهلٍ . فغَضِبَ أبرهةُ عندَ ذلك ، وحَلَف لَيَسِيرَنَّ إلى البيتِ حتى يَهْدِمَه ، ثُمَّ أمَر الحَبَشَةَ فتَهَيَّأَتْ وتَجَهَّزَتْ ، ثُمَّ سار وخَرَج معه بالفيلِ . وسَمِعَتْ بذلك العربُ ، فأعْظَمُوه وفَظِعُوا[5] به ، ورَأَوْا جِهادَه حقًّا عليهم حينَ سَمِعُوا بأنَّه يُرِيدَ هَدْمَ الكعبةِ ؛ بيتِ اللَّهِ الحرامِ ، فخَرَجَ إليه رجُلٌ كان مِن أشْرافِ أهلِ اليمنِ ومُلُوكِهم ، يُقالُ له : ذو نَفْرٍ . فدعا قَوْمَه ومَن أجابَه مِن سائِرِ العربِ ، إلى حَرْبِ أبْرَهَةَ وجهادِه عن بيتِ اللَّهِ الحرامِ ، وما يُرِيدُه مِن هَدْمِه وإخْرابِه ، فأجابَه مَن أجابَه إلى ذلك ، [١/٢١٨و] ثُمَّ عَرَضَ له فقاتَلَه ، فهُزِمَ ذُو نَفْرٍ وأصحابُه ، وأُخِذ له ذُو نفْرٍ ، فأُتِى به أسيرًا ، فلمَّا أرادَ قَتْلَه ، قال له ذُو نَفْرٍ : يا أيُّها المَلِكُ ، لا تَقْتُلْنى ؛ فإنَّه عسى أن يَكُونَ بَقائى معك خيرًا لك مِن القَتْلِ . فتَرَكَه مِن

---

(١) فى الأصل : « النشاءة » .

(٢) فى الأصل : « ينشون » .

(٣) التفسير ٤/٩١ - ٩٤.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٤٥ - ٤٧. وتاريخ الطبرى ٢/١٣٠ - ١٣٢.

(٥) فى الأصل : « قطعوا » . وفظع بالأمر : اسْتَعْظَمَه . الوسيط (ف ظ ع) .

القتلِ ، وحَبَسَه عندَه فى وَثاقٍ ، وكان أبْرَهَةُ رَجُلًا حليمًا ، ثُمَّ مَضَى أبْرَهَةُ على وجهِه ذلك ، يُرِيدُ ما خَرَج له ، حتى إذا كان بأرْضِ خَثْعَمٍ ، عَرَض له نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ الخَثْعَمِيُّ فى قَبِيلَتَىْ خَثْعَمٍ ؛ وهما : شَهْرَانُ ونَاهِسٌ ، ومَن تَبِعَه مِن قبائلِ العربِ ، فقاتَلَه ، فهَزَمَه أبْرَهَــةُ وأُخِذ له نُفَيْلٌ أسيرًا ، فأُتِى به ، فلمَّا هَمَّ بقَتْلِه ، قال له نُفَيْلٌ : أيُّها الملِكُ ، لا تَقْتُلْنِى ؛ فإنِّى دَلِيلُك بأرضِ العربِ ، وهاتانِ [1]يَدَاىَ لك[1] على قَبِيلَتَىْ خَثْعَمٍ - شَهْرَانَ ونَاهِسٍ - بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ . فخلَّى سَبِيلَه ، وخَرَج به معه يَدُلُّه ، حتى إذا مَرَّ بالطَّائِفِ خَرَج إليه مَسْعُودُ بنُ مُعَتِّبِ[2] ابنِ مالكِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ سعدِ بنِ عَوْفِ بنِ ثَقِيفٍ ، فى رِجالِ ثَقِيفٍ ، فقالوا له : أيُّها الملِكُ ، إنَّما نحن عَبِيدُك ، سامِعُون لك ، مُطِيعُون ، ليس عندَنا لك خِلافٌ ، وليس بَيْتَنا[3] هذا البيتُ الذى تُرِيدُ - يَعْنُون اللَّاتَ - إنَّما تُرِيدُ البيتَ الذى بمَكَّةَ ، ونحن نَبْعَثُ معك مَن يَدُلُّك عليه . فتَجاوَزَ عنهم .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : واللَّاتُ بَيْتٌ لهم بالطَّائِفِ ، كانوا يُعَظِّمُونَه نَحْوَ تعظيمِ الكعبةِ . قال[5] : فبَعَثُوا معه أبا رِغَالٍ يَدُلُّه على الطَّرِيقِ إلى مَكَّةَ ، فخَرَج أبرهةُ ومعه أبو رِغالٍ ، حتى أَنْزَلَه بالمُغَمِّسِ ، فلمّا أَنْزَلَه به مات أبو رِغالٍ هُنالِك ، فرَجَمَتْ قَبْرَه العربُ ، فهو القبرُ الذى يَرْجُمُ النّاسُ بالمُغَمِّسِ . وقد تَقَدَّم فى قِصَّةِ ثَمُودَ[6] ، أنَّ أبا رِغالٍ كان رَجُلًا منهم ، وكان يَمْتَنِعُ بالحَرَمِ ، فلمَّا خَرَج منه ،

(١ - ١) فى الأصل : « يراى ذلك » .

(٢) فى الأصل : « متعب » . وفى ص : « مصعب » .

(٣) فى الأصل : « بيننا » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧.

(٥) أى ابن إسحاق ، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٧، ٤٨. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٢.

(٦) تقدم ١/ ٣١٨.

أصابَه حَجَرٌ فقَتَلَه ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لأَصحابِه : « وآيَةُ ذَلِكَ أنَّه دُفِنَ مَعَهُ غُصْنَانِ مِنْ ذَهَبٍ »[1] . فحَفَرُوا فوَجَدُوهما ، قال : وهو أبو ثَقِيفٍ .

قلتُ : والجَمْعُ بينَ هذا وبينَ ما ذَكَر ابنُ إسحاقَ ، أنَّ أبا رِغالٍ هذا المُتَأَخِّرَ ، وافَقَ اسمُه اسمَ جَدِّه الأعْلَى ، ورَجَمَه النَّاسُ كما رَجَمُوا قبرَ الأوَّلِ أيضًا . واللَّهُ أعلمُ . وقد قال جَرِيرٌ[2] :

إذا ماتَ الفَرَزْدَقُ فارْجُمُوهُ ... كرَجْمِكُمُ لِقَبْرِ أبى رِغَالِ

الظَّاهِرُ أنَّه الثَّانِى .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا نَزَل أبْرَهَةُ بالمُغَمِّسِ[4] ، بَعَث رجُلًا مِن[5] الحَبَشَةِ ، يُقالُ له : الأسْوَدُ بنُ مَقْصُودٍ[6] . على خَيْلٍ له ، حتى انْتَهَى إلى مكَّةَ ، فساقَ إليه أمْوالَ أهلِ تِهامَةَ ، مِن قُرَيْشٍ وغيرِهم ، وأصاب فيها مِائَتَىْ بعيرٍ لعبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ ، وهو يومَئذٍ كبيرُ قريشٍ وسَيِّدُها ، فهَمَّتْ قريشٌ وكِنانَةُ وهُذَيْلٌ ومَن كان بذلك الحَرَمِ بقِتالِه ، ثُمَّ عَرَفُوا أنَّه لا طاقَةَ لهم به . فتَرَكُوا ذلك ، وبَعَث أبْرَهَةُ حُناطَةَ الحِمْيَرِىَّ إلى مكَّةَ ، وقال له : سَلْ عن سَيِّدِ أهلِ هذا

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٣١٨.

(٢) ديوان جرير ٢/ ٥٤٧. وعنده الشطر الثانى هكذا :

* كما تَرمُون قبرَ أبى رغالِ *

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨ - ٥٠. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٢ - ١٣٤.

(٤) فى الأصل : « المنغمس » .

(٥) فى الأصل : « إلى » .

(٦) فى الأصل، ص : « منصور » . وفى ا ٩، م : « مفصود » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٤٨. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٢.

البلدِ وشريفِهم ، ثُمَّ قُل له : إنَّ المَلِكَ يَقُولُ : إنِّى لم آتِ لحَرْبِكم ، إنَّما جِئْتُ لهَدْمِ هذا البيتِ ، فإن لم تَعَرَّضُوا لنا دُونَه بحربٍ ، فلا حاجَةَ لى بدمائِكم ، فإن هو لم يُرِدْ حَربِى فَأْتِنِى به . فلمَّا دَخَل حُناطَةُ مَكَّةَ سَأَل عن سَيِّدِ قُرَيْشٍ وشريفِها ، فقِيلَ له : عبدُ المُطَّلِبِ بنُ هاشمٍ . فجاءَه فقال له ما أمَرَه به أَبْرَهَةُ ، فقال له عبدُ المُطَّلِبِ : واللَّهِ ما نُرِيدُ حربَه ، وما لنا بذلك مِن طَاقةٍ ، هذا بيتُ اللَّهِ الحرامُ ، وبيتُ خَلِيلِه إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ - أوْ كما قال - فإن يَمْنَعْه منه ، فهو حَرَمُه[1] وبيتُه ، وإن يُخَلِّ[2] بينَه وبينَه ، فواللَّهِ ما عندَنا دَفْعٌ عنه . فقال له حُناطَةُ : فانْطَلِقْ معى إليه ، فإنَّه قد أمَرَنى أن آتِيَه بك . فانْطَلَق معه عبدُ المُطَّلِبِ ، ومعه بعضُ بَنِيهِ ، حتى أَتَى العَسْكَرَ ، فسَأَل عن ذِى نَفْرٍ ، وكان له صديقًا ، حتى دَخَل عليه وهو فى مَحْبِسِه ، فقال له : يا ذا نَفْرٍ ، هل عندَك مِن غَنَاءٍ فيما نَزَل بنا ؟ فقال له ذُو نَفْرٍ : وما غَناءُ رجُلٍ أسيرٍ بيَدَىْ مَلِكٍ ، يَنْتَظِرُ أن يَقْتُلَه غُدُوًّا أو عَشِيًّا ؟ ما عندِى غَناءٌ فى شىءٍ ممَّا نَزَل بك ، إلَّا أنَّ أُنَيْسًا سائِسَ الفيلِ صديقٌ لى ، فسأُرْسِلُ إليه وأُوصِيه بك ، وأُعْظِمُ عليه حَقَّك ، وأسْأَلُه أن يَسْتَأْذِنَ لك على المَلِكِ ، فتُكَلِّمَه بما بَدا لك ، ويَشْفَعَ لك عندَه بخيرٍ ، إن قَدَر على ذلك . فقال : حَسْبِى . فبَعَثَ ذو نَفْرٍ إلى أُنَيْسٍ فقال له : إنَّ عبدَ المُطَّلِبِ سَيِّدُ قريشٍ ، وصاحبُ عِيرِ[3] مَكَّةَ ، يُطْعِمُ النَّاسَ بالسَّهْلِ ، والوُحُوشَ فى رُءُوسِ الجبالِ ، وقد أصابَ له المَلِكُ مائَتَىْ بعيرٍ ، فاسْتَأْذِنْ له عليه ، وانْفَعْه[4] عندَه بما

---

(١) فى الأصل ، ص : « حرمته » .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) فى النسخ كلها : « عين » . وكذا فيما سيأتى فى كلام المصنف . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٤٩ . وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٣ .

(٤) فى الأصل : « وانفقه » .

[٢١٨/١ظ] اسْتَطَعْتَ . قال : أَفْعَلُ . فكَلَّمَ أُنَيْسٌ أبْرَهَةَ ، فقال له : أيُّها المَلِكُ ، هذا سيِّدُ قُرَيشٍ ببابِك يَسْتَأْذِنُ عليك ، وهو صاحِبُ عِيرِ مكَّةَ ، وهو الذى يُطْعِمُ النَّاسَ بالسَّهْلِ ، والوُحُوشَ فى رُءُوسِ الجبالِ ، فَأْذَنْ له عليك ، فَلْيُكَلِّمْك فى حاجَتِه . فأَذِنَ له أبرهةُ . قال : وكان عبدُ المُطَّلِبِ أوْسَمَ النَّاسِ وأعْظَمَهم وأجْمَلَهم ، فلمَّا رآه أبرهةُ ، أجَلَّه وأكْرَمَه عن أن يُجْلِسَه تحتَه ، وكَرِه أن تَراه الحَبَشَةُ يُجْلِسُه معه على سريرِ مُلْكِه ، فنَزَل أبرهةُ عن سَريرِه ، فجَلَسَ على بِساطِه وأجْلَسَه معه عليه إلى جانِبِه ، ثُمَّ قال لتُرْجُمانِه : قُل له : حاجَتَك . فقال له ذلك التُّرْجُمانُ ، فقال : حاجَتِى أن يَرُدَّ عَلَىَّ المَلِكُ مائَتَىْ بعيرٍ أصابَها لى . فلمَّا قال له ذلك ، قال أبرهةُ لتُرْجُمانِه : قُل له : لقد كُنتَ أعْجَبْتَنِى حينَ رَأَيْتُكَ ، ثُمَّ قد زَهِدْتُ فيك حينَ كَلَّمْتَنِى ، أتُكَلِّمُنى فى مائَتَىْ بعيرٍ أصَبْتُها لك ، وتَتْرُكُ بَيْتًا هو دِينُك ودينُ آبائِك ، قد جِئتُ لأَهْدِمَه ، لا تُكَلِّمُنى فيه ؟ فقال له عبدُ المُطَّلِبِ : إنِّى أنا رَبُّ الإبِلِ ، وإنَّ للبيتِ ربًّا سيَمْنَعُه . فقال : ما كان ليَمْتَنِعَ مِنِّى . قال : أنت وذاك . فرَدَّ على عبدِ المُطَّلِبِ إبِلَه . قال ابنُ إسحاقَ[1] : ويُقالُ : إنَّه كان قد دَخَل مع عبدِ المُطَّلِبِ على أبْرَهَةَ يَعْمَرُ بنُ نُفَاثَةَ ابنِ عَدِىِّ بنِ الدُّئِلِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ ، سَيِّدُ بنى بَكْرٍ ، وخُوَيْلِدُ بنُ واثِلَةَ[2] ، سَيِّدُ هُذَيْلٍ ، فعَرَضُوا على أبرهةَ ثُلُثَ أموالِ تِهامَةَ ، على أن يَرْجِعَ عنهم ولا يَهْدِمَ البيتَ ، فأبَى عليهم ذلك . فاللَّهُ أعلمُ أكان ذلك أم لا . فلمَّا انْصَرَفُوا عنه انْصَرَف عبدُ المُطَّلِبِ إلى قُرَيْشٍ فأخْبَرَهم الخَبَرَ ، وأمَرَهم بالخُرُوجِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠، ٥١، وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) فى م : « واثلة » .

مِن مكَّةَ والتَّحَرُّزِ فى رُءُوسِ الجبالِ ، ثُمَّ قام عبدُ المُطَّلِبِ فأخَذَ بحَلْقَةِ بابِ الكعبةِ ، وقام معه نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ ، يَدْعُون اللَّهَ ويَسْتَنْصِرُونَه على أبرهةَ وجُندِه . وقال عبدُ المُطَّلِبِ وهو آخِذٌ بحَلْقةِ بابِ الكعبةِ :

لَاهُمَّ[1] إنَّ العَبْدَ[2] يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ[3]

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... ومِحَالُهُمْ[4] غَدْوًا[5] مِحالَكْ

[6]إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْـ ... ـلَتَنا فأَمْرٌ ما بَدَا لَكْ[6]

قال ابنُ هِشامٍ[7] : هذا ما صَحَّ له منها . قال ابنُ إسحاقَ[8] : ثُمَّ أرْسَلَ عبدُ المُطَّلِبِ حَلْقَةَ بابِ الكعبةِ ، وانْطَلَق هو ومَن معه مِن قُرَيشٍ إلى شَعَفِ[9] الجبالِ ، يَتَحَرَّزُون فيها ، يَنْتَظِرون ما أبْرَهَةُ فاعِلٌ . فلمَّا أصْبَحَ أبرهةُ ، تَهَيَّأَ لدُخُولِ مَكَّةَ ، وهَيَّأَ فِيلَه ، وعَبَّى جيشَه ، وكان اسمُ الفيلِ محمودًا ، فلمَّا وَجَّهُوا الفيلَ إلى مَكَّةَ ، أقْبَلَ نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ حتى قام إلى جَنْبِ الفيلِ ، ثُمَّ أخَذ

---

(١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « اللهم » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، ص : « المرء » .

(٣) فى ا ٩، م ، ص : « رحالك » . والحِلال : القوم النُّزُول . وجماعة بيوت الناس .

(٤) المحال : التدبير ، والقُدرة ، والقوة ، والشِّدَّة . وله معان أخرى غير ذلك . انظر القاموس المحيط (م ح ل) .

(٥) فى الأصل ، ا ٩: « عدوا » . والغَدْو : الغَدُ . ولم يستعمل تامًّا إلا فى الشعر .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٥١.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢، ٥٣. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٥، ١٣٦.

(٩) فى الأصل : « سقف » . والشَّعَف : جمع شَعَفَة ، بفتح الشين والعين والفاء ؛ رأس الجبل . القاموس المحيط (ش ع ف) .

بأُذُنِه فقال : ابْرُكْ محمودُ ، وارْجِعْ راشِدًا مِن حيثُ أتَيْتَ ؛ فإنَّك فى بلدِ اللَّهِ الحَرامِ . وأرْسَل أُذُنَه ، فبَرَكَ الفيلُ .

قال السُّهَيْلِىُّ[1] : أى سَقَط إلى الأرضِ ، وليس مِن شَأْنِ الفِيَلَةِ أن تَبْرُكَ ، وقد قِيل : إنَّ منها ما يَبْرُكُ كالبعيرِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وخَرَج نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُّ حتى أصْعَدَ[2] فى الجبلِ ، وضَرَبُوا الفيلَ ليَقُومَ ، فأبَى ، فضَرَبوا فى رَأْسِه بالطَّبَرْزِينِ[3] ليَقُومَ ، فأبَى ، فأدْخَلُوا مَحَاجِنَ[4] لهم فى مَرَاقِّه[5] ، فبَزَغُوه[6] بها ليَقُومَ ، فأبَى ، فوَجَّهُوه راجِعًا إلى اليمنِ ، فقام يُهَرْوِلُ ، ووَجَّهُوه إلى الشَّامِ ، ففَعَلَ مِثْلَ ذلك ، ووَجَّهُوه إلى المَشْرِقِ ، ففَعَلَ مثلَ ذلك ، ووَجَّهُوه إلى مَكَّةَ فبَرَكَ ، وأرْسَل اللَّهُ عليهم طَيْرًا مِن البَحْرِ أمْثَالَ الخَطَاطِيفِ[7] والبَلَسانِ[8] ، مع كلِّ طائرٍ منها ثلاثةُ أحْجارٍ يَحْمِلُها ؛ حَجَرٌ فى مِنْقارِه ، وحَجَرانِ فى رِجْلَيْه ، أمْثالُ الحِمَّصِ والعَدَسِ ، لا تُصِيبُ منهم أحدًا إلَّا

---

(١) الروض الأنف ١/ ٢٦٩.

(٢) أصعد : ارتقى . الوسيط (ص ع د) .

(٣) الطَّبَرْزِين : فارسىٌّ . وتفسيره : فَاس السَّرْجِ . لأن فرسان العجم تحمله معها يُقاتلون به . المعرب للجواليقى ص ٢٧٦.

(٤) فى الأصل ، ص : « محاجز » . وفى ا ٩: « محاز » . والمحاجِن : جمع مِحْجَن ، وهو العصا المُعْوَجَّة . القاموس المحيط (ح ج ن) .

(٥) فى الأصل ، ص : « مراته » . والمَرَاقُّ : ما سَفَل من البطن عند الصِّفاق أسْفَل من السُّرَّة . اللسان (ر ق ق) .

(٦) فى الأصل : « فبرعنوه » . وفى ا ٩: « فنزعوه » . وفى ص : « فبرغوه » . وبَزَغ دَمَه : أساله . اللسان (ب ز غ) .

(٧) الخطاطيف : جمع خُطَّاف ، وهو طائرٌ أسود . القاموس المحيط (خ ط ف) .

(٨) فى الأصل ، ص : « اللسان » . والبَلَسان : « قال عباد بن موسى : أظنُّها الزرازير » . غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٥٢. والزرازير : جمع زُرْزُور ؛ طائر من رُتبة العُصفوريّات . الوسيط (ز ر ز ر) .

هَلَك ، وليس كُلُّهم أصابَتْ ، وخَرَجُوا هارِبين ، يَتَتَدِرُون الطَّرِيقَ التى منها جاءوا ، ويسألون عن نُفَيْلِ بنِ حَبِيبٍ ؛ ليَدُلَّهم على الطريقِ إلى اليمنِ ، فقال نُفَيْلٌ فى ذلك :

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يا رُدَيْنَا ... نَعِمْناكُم مَعَ الإِصْباحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لو رَأَيْتِ[1] ولا تَرَيْهِ ... لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ[2] ما رَأَيْنا
إِذَنْ لَعَذَرْتِنى [3]وحَمِدْتِ أمْرِى[3] ... ولم تَأْسَىْ على ما فاتَ بَيْنَا[4]
حَمِدْتُ اللَّهَ إذْ أبْصَرْتُ طَيْرًا ... وخِفْتُ حِجارَةً تُلْقَى[5] عَلَيْنا
وكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عن نُفَيْلٍ ... كأَنَّ عَلَىَّ لِلحُبْشَانِ دَيْنَا

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فخَرَجُوا يَتَساقَطُون بكلِّ طَرِيقٍ ، ويَهْلِكُون بكلِّ مَهْلِكٍ ، على كلِّ مَنْهَلٍ ، وأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فى جَسَدِه ، وخَرَجُوا به معهم ، تَسْقُطُ أنامِلُه أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً ، كُلَّما سَقَطَتْ أُنْمُلَةٌ ، أتْبَعَتْها منه مِدَّةٌ تَمِثُّ[7] قَيْحًا ودَمًا ، حتى قَدِمُوا به صَنْعاءَ ، وهو مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ ، فما مات حتى انْصَدَع صَدْرُه عن قَلْبِه ، فيما يَزْعُمُون .

---

(١) فى الأصل ، ص : « ترين » .
(٢) المُحَصَّب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب ، وهو بطحاء مكة . معجم البلدان .
(٣ - ٣) فى ص : « جهدت أمورى » .
(٤) البَيْن : الفِراق والفَوات .
(٥) فى الأصل ، ا ٩، ص : « ترمى » .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤، وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٦، ١٣٧.
(٧) فى النسخ : « تمت » . والتصحيح من سيرة ابن هشام . وتَمِثُّ : تَسِيل .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حَدَّثَنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ ، أنَّه حُدِّث [١/٢١٩و] أَنَّ أوَّلَ ما رُئِيَتِ الحَصْبَةُ والجُدَرِيُّ بأرضِ العربِ ، ذلك العامُ ، وأنَّه أوَّلُ ما رُئِىَ بها مَرَائِرُ الشَّجَرِ الحَرْمَلِ والحَنْظَلِ والعُشَرِ[2] ، ذلك العامُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا بَعَث اللَّهُ محمَّدًا ﷺ ، كان مِمَّا يَعُدُّ اللَّهُ على قُرَيشٍ مِن نِعْمَتِه عليهم وفَضْلِه ، ما رَدَّ عنهم مِن أمرِ الحَبَشَةِ ، لبَقاءِ أمرِهم ومُدَّتِهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل : ١- ٥] .

ثُمَّ شَرَع ابنُ إسحاقَ وابنُ هِشامٍ يَتَكَلَّمان على تفسيرِ هذه السُّورةِ والتى بعدَها[4] ، وقد بَسَطْنا القولَ فى ذلك فى كتابِنا « التفسيرِ »[5] ، بما فيه كفايةٌ ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وله الحمدُ والمِنَّةُ .

قال ابنُ هِشامٍ[6] : الأبابِيلُ : الجَماعاتُ ، ولم تَتَكَلَّمْ لها العربُ بواحِدٍ عَلِمْناه . قال : وأمَّا السِّجِّيلُ ، فأخْبَرَنى يونسُ النَّحْوِىُّ وأبو عُبَيْدَةَ ، أنَّه عندَ العربِ : الشَّدِيدُ الصُّلْبُ . قال[6] : وزَعَم بعضُ المُفَسِّرِين أنَّهما كَلِمَتان

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٦، ١٣٧. وتفسيره ٣٠/ ٣٠٣.

(٢) المرائر : جمع مُرَّة . والحَرْمَل : حبٌّ كالسمسم ، واحدته حَرْمَلَة . اللسان (حرمل) . والعشر : شجرٌ له صَمغٌ ، وفيه حُراقٌ مِثْل القُطن يُقتدَح به . اللسان (ع ش ر) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤، ٥٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥ - ٥٧.

(٥) التفسير ٨/ ٥٠٣ - ٥١٣.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥.

بالفارِسِيَّةِ ، جَعَلَتْهما العربُ كلمةً واحدةً ، وأنَّها « سِنْجٌ » و « جِلٌّ » ؛ فالسِّنْجُ : الحَجَرُ ، والجِلُّ : الطِّينُ . يقولُ[1] : الحِجارةُ[2] مِن هذَيْن الجِنْسَيْنِ ؛ الحَجَرِ والطِّينِ . قال : والعَصْفُ : وَرَقُ الزَّرْعِ الذى لم يُقْصَبْ[3] . وقال الكِسائِىُّ[4] : سَمِعتُ بعضَ النَّحْوِيِّين يقولُ : واحدُ الأَبابِيلِ : إِبِّيلٌ . وقال كَثِيرٌ مِن السَّلَفِ[5] : الأَبابِيلُ : الفِرَقُ مِن الطَّيْرِ التى يَتْبَعُ بعضُها بَعْضًا مِن هاهنا وهاهنا . وعن ابنِ عباسٍ[6] : كان لها خَراطِيمُ كخَراطِيمِ الطَّيْرِ ، وأكُفٌّ كأكُفِّ الكِلابِ . وعن عِكْرِمَةَ[7] : كانت رُءُوسُها كرُءُوسِ السِّباعِ ، خَرَجَتْ عليهم مِن البحرِ ، وكانت خُضْرًا . وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ[8] : كانت سُودًا بَحْرِيَّةً ، فى مَناقِيرِها وأكُفِّها الحِجارَةُ . وعن ابنِ عباسٍ[9] : كانت أشكالُها كعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ[10] . وعن ابنِ عباسٍ[11] : كان أصْغَرُ حَجَرٍ منها كرأسِ الإنسانِ ، ومنها ما هو كالإِبِلِ . وهكذا ذَكَره يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن ابن إسحاقَ[11] . وقيل : كانت

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « يعنى » .

(٢) سقط من : الأصل ، ١ ٩.

(٣) قَصَب الشىءَ : قَطَعَه . تاج العروس (ق ص ب) .

(٤) انظر التفسير ٨/ ٥٠٨. وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٦.

(٥) التفسير ٨/ ٥٠٨. وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٧. ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ١٢٣.

(٦) التفسير ٨/ ٥٠٨. وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٧، ٢٩٨ ، من طريقين عن ابن عباس . ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ١٢٢، ١٢٣.

(٧) التفسير ٨/ ٥٠٨. وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٨.

(٨) التفسير ٨/ ٥٠٨. وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٨.

(٩) التفسير ٨/ ٥٠٨.

(١٠) عنقاءُ مُغرِبٌ ، ومُغرِبةٌ ، ومُغْرِبٍ - مضافةً - : طائر معروفُ الاسم لا الجسم ، أو طائر عظيم يُبعِد فى طيرانه . القاموس المحيط (غ ر ب) .

(١١) الروض الأنف ١/ ٢٧٠.

صِغَارًا[1] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[2] : حَدَّثَنا أبو زُرْعَةَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حَدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى سُفيانَ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ قال : لمَّا أراد اللَّهُ أن يُهْلِكَ أصحابَ الفيلِ ، بَعَث عليهم طَيْرًا أُنْشِئَتْ مِن البَحْرِ ، أمْثالَ الخَطاطِيفِ ، كلُّ طَيْرٍ منها يَحْمِلُ ثلاثةَ أحْجارٍ مُجَزَّعَةً[3] ، حَجَرَيْن فى رِجْلَيْه ، وحَجَرًا فى مِنْقارِه . قال : فجاءتْ حتى صَفَّتْ[4] على رُءُوسِهم ، ثُمَّ صاحَتْ وأَلْقَتْ ما فى رِجْلَيْها ومَناقِيرِها ، فما يَقَعُ حَجَرٌ على رأسِ رَجُلٍ ؛ إلَّا خَرَج مِن دُبُرِه ، ولا يَقَعُ على شىءٍ مِن جَسَدِه ، إلَّا خَرَج مِن الجانِبِ الآخَرِ ، وبَعَث اللَّهُ رِيحًا شديدةً فضَرَبَتِ الحِجارَةَ فزادَتْها شِدَّةً ؛ فأُهْلِكُوا جميعًا .

وقد تَقَدَّم أنَّ ابنَ إسحاقَ قال : وليس كُلُّهم أصابَتْه الحِجارةُ . يَعْنِى : بل رَجَع منهم راجِعُون إلى اليمنِ ، حتى أخْبَرُوا أهْلَهم بما حَلَّ بقَوْمِهم مِن النَّكالِ . وذَكَرُوا أنَّ أبْرَهَةَ رَجَع وهو يَتَساقَطُ أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً ، فلمَّا وَصَل إلى اليمنِ ، انْصَدَع صَدْرُه فمات ، لَعَنَه اللَّهُ . [5]ورَوَى ابنُ إسحاقَ[6] قال : حَدَّثَنِى[5]

---

(١) أكبر من العَدْسة وأصغر من الحمصة ، كما روى الطبرى بإسناده إلى موسى بن أبى عائشة وغيره . انظر تفسيره ٣٠/ ٢٩٩.

(٢) التفسير ٨/ ٥٠٨، ٥٠٩. وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٩٥، وعزاه لابن أبى حاتم وغيره .

(٣) سقط من : م . وفى الأصل ، ص : « فجرعه » . وفى ا ٩: « مجزأه » . والمجزَّع : كل ما فيه سواد وبياض . القاموس المحيط (ج ز ع) .

(٤) فى الأصل : « صفقت » .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧. ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ١٢٥.

(١) عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، عن عَمْرَةَ(٢)(١)، عن عائشةَ قالت: لقد رأيتُ قائِدَ الفيلِ وسائِسَه بمكَّةَ أعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمان. وتَقَدَّم أنَّ سائِسَ الفيلِ كان اسمُه أُنَيْسًا، فأمَّا قائِدُه فلم يُسَمَّ. واللَّهُ أعلمُ.

وذَكَر النَّقَّاشُ فى «تفسيرِه»، أنَّ السَّيْلَ احْتَمَلَ جُثَثَهم، فألْقاها فى البحرِ(٣).

قال السُّهَيْلِىُّ(٤): وكانت قِصَّةُ الفيلِ أوَّلَ المُحَرَّمِ مِن سَنَةِ سِتٍّ وثَمانِين وثَمانِمائةٍ مِن تاريخِ(٥) ذِى القَرْنَيْنِ(٦).

قلتُ: وفى عامِها وُلِد رسولُ اللَّهِ ﷺ، على المَشْهُورِ. وقيل: كان قبلَ مَوْلِدِه بِسِنِين(٧)، كما سنَذْكُرُ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى، وبه الثِّقَةُ.

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ ما قالتْه العربُ مِن الأشعارِ(٨) فى هذه الكائِنَةِ العظيمةِ، التى نَصَر اللَّهُ فيها بيتَه الحرامَ، الذى يُرِيدُ أن يُشَرِّفَه ويُعَظِّمَه ويُطَهِّرَه ويُوَقِّرَه ببِعْثَةِ محمَّدٍ ﷺ، وما يَشْرَعُ له مِن الدِّينِ القويمِ، الذى أحدُ أرْكانِه

(١ - ١) سقط من: ا ٩.

(٢) فى النسخ: «سمرة». والتصحيح من سيرة ابن هشام والدلائل للبيهقى.

(٣) انظر الروض الأنف ١/ ٢٧٠.

(٤) الروض الأنف ١/ ٢٧٠.

(٥) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٦) كذا فى النسخ. والذى عند السهيلى، فى الروض: «من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين». والصواب ما أثبتناه من النسخ، وهو ما قرره المصنف نفسه فيما سيأتى فى صفحة ١٥٧.

(٧) انظر فى إيراد الأقوال المتعلقة بعام مولد النبى ﷺ، تفسير القرطبى ٢٠/ ١٩٤، ١٩٥.

(٨) سيرة ابن هشام ١/٥٧ - ٦١.

الصَّلاةُ، بل عِمادُ دِينِه، وسيَجْعَلُ قِبْلَتَه إلى هذه الكعبةِ المُطَهَّرَةِ، ولم يَكُنْ ما فَعَلَه بأصحابِ الفيلِ نُصْرَةً لقُرَيشٍ إذ ذاك على النَّصارَى، الذين هم الحَبَشَةُ؛ فإنَّ الحبشةَ [١/٢١٩ظ] إذ ذاك كانوا أقْرَبَ لها مِن مُشْرِكى قُرَيشٍ، وإنَّما كان النَّصْرُ للبيتِ الحرامِ، وإرْهاصًا وتَوْطِئَةً لبِعْثَةِ محمدٍ ﷺ. فمِن ذلك ما قاله عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى[١] السَّهْمِيُّ:

فَتَنَكَّلُوا[٢] عن بَطْنِ مَكَّةَ إنَّها ... كانتْ قديمًا لا يُرامُ حَرِيمُها

لم تُخْلَقِ الشِّعْرَى[٣] لَيالِيَ حُرِّمَتْ ... إذْ لا عَزِيزَ مِن الأنامِ يَرُومُها

سَائِلْ أميرَ الجَيْشِ[٤] عنها ما رَأى ... فَلَسوْفَ يُنْبِى الجاهِلِينَ عَلِيمُها

سِتُّونَ ألفًا لم يَئُوبُوا أرْضَهُمْ ... بل لم يَعِشْ بعدَ الإيابِ سَقِيمُها

كانتْ بها عادٌ وجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ[٥] ... واللَّهُ مِنْ فَوْقِ العِبادِ يُقِيمُها

ومِن ذلك قولُ أبى قيسِ بنِ الأسْلَتِ الأنْصارِىِّ المَدَنِىِّ:

ومِنْ صُنْعِه يومَ فِيلِ الحُبُو ... شِ[٦] إذْ كُلَّما بَعَثُوهُ رَزَمْ[٧]

---

(١) فى الأصل، ص: «الزهرى».

(٢) فى م، ص: «تنكلوا». وكذا فى سيرة ابن هشام. والوزن لا يستقيم بغير إثبات الفاء. وتنكلوا: تراجعوا.

(٣) الشِّعْرَى: كوكبٌ نيِّرٌ يطلع عند شدَّة الحرّ. وهما شِعْرَيان: الشعرى العَبُور والشعرى الغُمَيصاء. الوسيط (ش ع ر).

(٤) فى م: «الحبش».

(٥) فى الأصل: «قبلة». وفى ص: «قبله».

(٦) فى الأصل: «الجيوش».

(٧) رَزَم: ثَبَت على الأرض.

مَحَاجِنُهُمْ[1] تَحْتَ أَقْرابِهِ وقد شَرَّمُوا[2] أَنْفَهُ فانْخَرَمْ
وقد جَعَلُوا سَوْطَه مِغْولًا إذا يَمَّمُوهُ قَفاهُ كُلِمْ[3]
فَوَلَّى وأَدْبَرَ أدْراجَهُ وقد باءَ بالظُّلْمِ مَن كانَ ثَمّ
فأرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حاصِبًا فَلَفَّهُمُ مِثْلَ لَفِّ القُزُمْ[4]
تَحُضُّ[5] على الصَّبْرِ أحْبارُهُمْ وقد ثَأَجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ[6]

ومِن ذلك قولُ أبى الصَّلْتِ، رَبِيعةَ بنِ أبى رَبِيعةَ وهبِ بنِ عِلاجٍ الثَّقَفِىِّ - قال ابنُ هِشامٍ[7] : ويُرْوَى لأُمَيَّةَ[8] بنِ أبى الصَّلْتِ - :

إنَّ آياتِ رَبِّنا ثاقِباتٌ[9] ما يُمارِى فِيهِنَّ إلَّا الكَفُورُ
خَلَقَ الليلَ والنَّهارَ فكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حِسابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهارَ رَبٌّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ[10] شُعاعُها مَنْشُورُ[11]

---

(١) فى الأصل: «محاجتهم».
(٢) شرَّموا أنفه: قطعوا من أعلاها شيئًا يسيرًا.
(٣) المِغْوَل: حَدِيدة تُجعَل فى السوط، فيكون لها غِلافًا. يمَّموه: وجَّهُوه. كُلِم: جُرِح.
(٤) القُزُم: جمع قَزَم، وهو الصغير الجسم. والقُزُم - أيضًا -: صِغار الغَنَم.
(٥) فى الأصل، ص: «تحث».
(٦) الثُّؤاج: صياح الغنم.
(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠.
(٨) فى الأصل، ص: «لابنه أمية». والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام.
(٩) فى الأصل، ا ٩، ص: «باقيات».
(١٠) المهاة: الشمس.
(١١) فى سيرة ابن هشام: «مبشور».

حَبَسَ الفيلَ[1] بالمُغَمِّسِ[2] حتى صارَ يَحْبُو كأنَّهُ مَعْقُورُ

لازمًا حَلْقَةَ الجِرانِ[3] كما قُـطِّـرَ[4] مِنْ صَخْرِ[5] كَبْكَبٍ مَحْدُورُ[6]

حَوْلَه مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أبْطالٌ مَلاوِيثُ[7] فى الحُرُوبِ صُقُورُ[8]

خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا[9] جَمِيعًا كُلُّهُمْ عَظْمُ ساقِهِ مَكْسُورُ

كلُّ دِينٍ يومَ القِيامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إلَّا دِينَ الحَنِيفَةِ[10] بُورُ[11]

ومِن ذلك قولُ أبى قيسِ بنِ الأسْلَتِ أيضًا :

فقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكم وتَمَسَّحُوا بأرْكانِ هذا[12] البيتِ بَيْنَ[12] الأخاشِبِ[13]

فعِنْدَكُمُ منه بَلاءٌ مُصَدَّقٌ[14] غداةَ أبى يَكْسُومَ هادِى الكَتائِبِ

---

(١) فى الأصل، ص: «الليل».

(٢) المُغَمِّس: موضع بطريق الطائف.

(٣) فى الأصل: «الحبران». والجِران: باطن العنق من البعير وغيره.

(٤) فى م: «قد». وقُطِّر: رُمِى وأُلقِى.

(٥) سقط من: ا ٩، وفى الأصل: «طهر»، وفى ص: «ظهر».

(٦) كبكب: جبل بعرفات. والمحدور: المُلقَى من عُلوٍ إلى سُفل.

(٧) ملاويث: جمع مَلاث ومِلْوَث؛ وهو الشريف.

(٨) فى الأصل: «وصقور». وفى ا ٩: «صبور».

(٩) فى الأصل، ص: «اندعروا». وابْذَعَرُّوا: تَفَرَّقُوا.

(١٠) فى ص: «الحنيفية».

(١١) فى الأصل، ص: «زور».

(١٢ - ١٢) فى ص: «المبيت من».

(١٣) الأخاشب: جبلا مكة؛ أبو قُبَيْس والأحمر، وجبلا منى.

(١٤) فى الأصل، ص: «ومصدق».

كَتِيبَتُه[1] بالسَّهْلِ تُمْسِى[2] ورَجْلُهُ[3] على القاذِفاتِ[4] فى رُءُوسِ المَناقِبِ[5]

فلمَّا أتاكُمْ نَصْرُ ذِى العَرْشِ رَدَّهُمْ جُنُودُ المَلِيكِ بينَ سَافٍ وحَاصِبِ[6]

فَوَلَّوْا سِراعًا هارِبِينَ ولم يَؤُبْ إلى أهْلِهِ مِلْحَبْشِ[7] غيرُ عَصائِبِ

ومِن ذلك قولُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ[8] فى عَظَمَةِ البيتِ، وحِمايتِه بهلاكِ مَن أرادَه بسُوءٍ:

كادَه[9] الأشْرَمُ الذى جاءَ بالفِيـ ـلِ فَوَلَّى وجَيْشُهُ مَهْزُومُ

واسْتَهَلَّتْ عليهمُ الطَّيْرُ بالجَنْـ ـدَلِ[10] حتى كأنَّهُ مَرْجُومُ

ذاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعْ وَهْوَ فَلٌّ[11] مِنَ الجُيُوشِ ذَمِيمُ

قال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[12]: فلمَّا هَلَكَ أبْرَهَةُ، مَلَكَ الحَبَشَةَ بعدَه ابنُه

---

(١) فى ص: «كتيبة».

(٢) فى م: «تمشى».

(٣) الرَّجْل: المُشاة على أرجلهم.

(٤) القاذفات: أعالى الجبال ونواحيها البعيدة.

(٥) فى الأصل، ص: «المقانب». والمناقب: جبل فيه ثنايا وطرق إلى اليمامة واليمن وغيرها. واسم طريق الطائف من مكة. القاموس المحيط (ن ق ب).

(٦) السافى: هو من غطّاه السَّفَى؛ أى التراب. والحاصب: من أصابته الحَصْبَة؛ أى الحجارة.

(٧) فى الأصل، ص: «ملجيش». وملحبش: من الأحباش.

(٨) ديوان عبيد اللّه بن قيس الرقيات ص ١٩٢.

(٩) فى الأصل، ص: «كمادة».

(١٠) فى ص: «بالجند». والجَنْدل: بفتح الجيم وكسرها؛ ما يُقِلُّه الرجل من الحجارة.

(١١) قوم فَلٌّ: منهزمون.

(١٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦١، ٦٢. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٩، ١٤٢.

يَكْسُومُ[1] ، ثُمَّ مِن بعدِه أخوه مسروقُ بنُ أبْرَهَةَ . وهو آخِرُ مُلُوكِهم ، وهو الذى انْتَزَع سيفُ بنُ ذِى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ المُلْكَ مِن يدِه ، بالجيشِ الذين قَدِم بهم مِن عندِ كِسْرَى أنُو شِرْوانَ ، كما سيأتى بيانُه .

وكانتْ قصَّةُ الفيلِ فى المُحَرَّمِ سنةَ سِتٍّ وثمانِين وثمانِمائةٍ مِن تاريخِ[2] ذِى القَرْنَيْنِ ، وهو الثَّانى إسكندرُ بنُ فِلِبسَ المَقْدُونِىُّ ، الذى يُؤَرِّخُ له الرُّومُ ، ولمَّا هَلَكَ أبْرَهَةُ وابناه ، وزال مُلْكُ الحَبَشَةِ عن اليمنِ ، هُجِرَ القُلَّيْسُ الذى كان بناه أبْرَهَةُ وأراد صَرْفَ حَجِّ العربِ إليه ، لجهْلِه وقِلَّةِ عَقْلِه ، وأصْبَح يَبابًا ، لا أنِيسَ به ، وكان قد بناه على صَنَمَيْنِ ؛ وهما كُعَيْبٌ وامْرأتُه ، وكانا مِن خَشَبٍ ، طُولُ كلٍّ منهما سِتُّون ذِراعًا فى السَّماءِ ، وكانا مَصْحُوبَيْن من الجانِّ ، ولهذا كان لا يَتَعَرَّضُ أحدٌ إلى أخْذِ شىءٍ مِن بناءِ القُلَّيْسِ وأمْتِعَتِه ، إلَّا أصابُوه بسُوءٍ ، فلم يَزَلْ كذلك إلى أيامِ السَّفَّاحِ ، أوَّلِ خُلَفاءِ بنى العَبَّاسِ ، فذُكِرَ له أمرُه وما فيه مِن الأمْتِعَةِ ، والرُّخامِ الذى كان أبرهةُ نَقَلَه إليه مِن صَرْحِ بِلْقِيسَ الذى كان باليمنِ ، فبَعَثَ إليه مَن خَرَّبَه حَجَرًا حجرًا ، وأخَذ جميعَ ما فيه مِن الأمتعةِ والحَواصِلِ . هكذا ذَكَرَه السُّهَيْلِىُّ[3] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « يكشوم » . وفى ا ٩ : « مكسوم » .

(٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، ص .

(٣) الروض الأنف ١/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

ذِكْرُ[1] خُرُوجِ المُلْكِ عن الحَبَشَةِ ورُجُوعِه إلى سَيْفِ بنِ ذِى يَزَنَ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] ، رحِمَه اللَّهُ : [١/٢٢٠و] فلمَّا هَلَك أَبْرَهَةُ ، مَلَكَ الحَبَشَةَ يَكْسُومُ بنُ أبرهةَ ، وبه كان يُكْنَى ، فلمَّا هَلَك يكسومُ ، مَلَك اليمنَ فى الحبشةِ أَخوه مَسْرُوقُ بنُ أبرهةَ . قال[2] : فلمَّا طالَ البَلاءُ على أهلِ اليمنِ ، خَرَج سيفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ - وهو سيفُ بنُ ذى يَزَنَ بنِ ذى أَصْبَحَ بنِ مالِكِ ابنِ زيدِ بنِ سَهْلِ بنِ عَمْرِو بنِ قيسِ بنِ مُعاويةَ بنِ جُشَمَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ وائلِ ابنِ الغَوْثِ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَيْمَنَ[3] بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ العَرَنْجَجِ ، وهو حِمْيَرُ بنُ سَبَأٍ ، وكان سيفٌ يُكْنَى أبا مُرَّةَ[4] - حتى قَدِمَ على قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، فشَكَا إليه ما هم فيه ، وسَأَلَه أن يُخْرِجَهم [5]عنه ، ويَلِيَهم[5] هو ، ويُخْرِجَ إليهم مَن شاءَ مِن الرُّومِ ، فيَكُونَ له مُلْكُ اليمنِ ، فلم يُشْكِه ، فخَرَجَ حتى أَتَى النُّعْمانَ بنَ المُنْذِرِ ، وهو عاملُ كِسْرَى على الحِيرَةِ وما يَلِيها مِن أَرْضِ العِراقِ ، فشَكَا إليه أمْرَ الحَبَشَةِ ، فقال له النُّعْمانُ : إنَّ لى على كِسْرَى وِفادَةً فى كلِّ عامٍ ، فأَقِمْ عندِى حتى يَكُونَ ذلك . ففعَلَ ، ثُمَّ خَرَج معه ، فأَدْخَلَه على

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٦١ - ٦٥. وتاريخ الطبرى ٢/١٣٩ - ١٤٢.

(٣) فى الأصل ، ص : « أهن » .

(٤) ما بين الحاصرتين من كلام ابن كثير ، أخذه من السهيلى فى الروض ١/ ٢٢١، ٣٠٠.

(٥ - ٥) فى الأصل : « عن ويلهم » .

كِسْرَى ، وكان كِسْرَى يَجْلِسُ فى إيوانِ مَجْلِسِه الذى فيه تاجُه ، وكان تاجُه مِثْلَ القَنْقَلِ[1] العظيمِ ، فيما يَزْعُمُون ، يُضْرَبُ فيه الياقُوتُ والزَّبَرْجَدُ واللُّؤْلُؤُ بالذهبِ والفضَّةِ ، مُعَلَّقًا بسلسلةٍ مِن ذهبٍ فى رأسِ طاقةٍ ، فى مَجْلِسِه ذلك ، وكانت عُنُقُه لا تَحمِلُ تاجَه ، إنَّما يُسْتَرُ بالثيابِ حتى يَجلِسَ فى مجْلِسِه ذلك ، ثُمَّ يُدْخِلُ رأسَه فى تاجِهِ ، فإذا اسْتَوَى فى مجلِسِه ، كُشِفَ عنه الثِّيابُ ، فلا يَراه أحدٌ لم يَرَهُ قبْلَ ذلكَ إلَّا بَرَك هَيْبَةً له ، فلمَّا دَخَل عليه طَأْطَأ رأسَه ، فقال المِلِكُ : إنَّ هذا الأحْمَقَ يَدْخُلُ عَلَىَّ مِن هذا البابِ الطَّوِيلِ ، ثُمَّ يُطَأْطِئُ رأسَه ! فقِيلَ ذلك لسيفٍ ، فَقال : إنَّما فَعَلْتُ هذا لهمِّى[2] ؛ لأنَّه يَضِيقُ عنه كلُّ شىءٍ . ثُمَّ قال : أيُّها المَلِكُ : غَلَبَتْنا على بلادِنا الأَغْرِبَةُ[3] . قال كِسْرى : أىُّ الأَغْرِبَةِ ؛ الحَبَشَةُ أم السِّنْدُ ؟ قال : بل الحَبَشَةُ ، فجِئْتُك لِتَنْصُرَنى ، ويَكُونُ مُلْكُ بِلادِى لك . فقال له كِسْرَى : بَعُدَتْ بلادُكَ مع قِلَّةِ خَيْرِها ، فلم أَكُنْ لِأُوَرِّطَ جيشًا مِنْ فارِسَ بأرضِ العربِ ، لا حاجَةَ لى بذلك . ثُمَّ أجازَه بعشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وافٍ ، وكَسَاه كُسْوَةً حَسَنَةً ، فلمَّا قَبَض ذلك منه سيفٌ ، خَرَج فجَعَلَ يَنْثُرُ ذلك الوَرِقَ للنَّاسِ ، فبَلَغَ ذلك المَلِكَ ، فقالَ : إنَّ لِهذا لَشَأْنًا . ثُمَّ بَعَث إليه فقال : عَمَدْتَ إلى حِباءِ[4] المِلِكِ تَنْثُرُه للنَّاسِ ! قال : وما أَصْنَعُ بهذا[5] ؟ ما

---

(١) القَنْقَل : مكيال عظيم ضخم . اللسان (قنقل) .

(٢) فى الأصل ، ص : « لهمتى » .

(٣) يعنى بالأَغْرِبَة : سُود البَشَرة . والأغربة جمع غُراب . وفى اللسان (غ ر ب) : أَغْرِبَة العرب : سُودانهم ؛ شُبهوا بالأَغْربة فى لونهم .

(٤) الحباء : العطاء .

(٥) سقط من : الأصل . وفى م : « بحباك » . وفى ص : « باحباك » .

جبالُ أَرْضى التى جئتُ منها إلَّا ذهبٌ وفِضَّةٌ . يُرَغِّبُه فيها . فجَمَعَ كِسرَى مَرازِبَتَه ، فقال لهم : ما تَرَوْنَ فى أمْرِ هذا الرَّجُلِ ، وما جَاء له ؟ فقال قائِلٌ : أيُّها المِلِكُ ، إنَّ فى سُجُونِكَ رجالًا قد حَبَسْتَهم للقَتْلِ ، فلو أنَّك بَعَثْتَهم معه ، فإن يَهْلِكُوا كان ذلك الذى أرَدْتَ بهم ، وإن ظَفِرُوا كان مُلْكًا ازْدَدْتَه . فبَعَثَ معه كِسْرَى مَن كان فى سُجُونِه ، وكانوا ثمانِمائةِ رَجُلٍ ، واسْتَعْمَل عليهم وَهْرِزَ ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وأفضَلَهم حَسَبًا وبَيْتًا ، فخَرَجُوا فى ثمانِ سَفائِنَ ، فغَرِقَتْ سَفِينَتانِ ، ووَصَل إلى ساحلِ عَدَنَ ستُّ سفائِنَ ، فجَمَعَ سيفٌ إلى وَهرِزَ مَن اسْتَطاعَ مِن قومِه ، وقالَ له : رِجْلى ورِجْلُك حتى نَمُوتَ جميعًا ، أو نَظْفَرَ جميعًا . فقالَ له وَهرِزُ : أنْصَفْتَ . وخَرَج إليه مَسْرُوقُ بنُ أَبْرَهَةَ ، مَلِكُ اليمنِ ، وجَمَع إليه جُنْدَه ، فأرْسَلَ إليهم وَهرِزُ ابنًا له ؛ لِيُقاتِلَهم فيَخْتَبِرَ قِتالَهم ، فقُتِلَ ابنُ وهرزَ ، فزادَه ذلك حَنَقًا عليهم ، فلمَّا تَواقَفَ النَّاسُ على مَصافِّهِم ، قال وَهْرِزُ : أَرُونِى مَلِكَهم . فقالوا له : أتَرَى رَجُلًا على الفيلِ عاقِدًا تاجَه على رأسِه ، بينَ عَيْنَيْه ياقوتةٌ حَمْراءُ ؟ قال : نَعَم . قالوا : ذلك مَلِكُهم . فقال : اتْرُكُوه . قال : فوَقَفُوا طويلًا ، ثُمَّ قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تَحَوَّل على الفَرَسِ . قال : اتْرُكُوه . فتَرَكُوه طويلًا ، ثُمَّ قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : على البَغْلَةِ . قال وَهرِزُ : بِنْتُ الحِمارِ ، ذَلَّ وذَلَّ مُلْكُه ، إنِّى سَأَرْمِيه ، فإنْ رأَيْتم أصحابَه لم يَتحَرَّكُوا ؛ فاثْبُتُوا حتى أُوذِنَكم ، فإنِّى قد أخْطَأْتُ الرَّجُلَ ، وإن رأيْتُم القومَ قد اسْتَدارُوا به ولاثُوا[1] ، فقد أصَبْتُ الرجُلَ ؛ فاحْمِلُوا عليهم . ثُمَّ وَتَرَ[2] قَوْسَه ، وكانت -

---

(١) لاثُوا : أى التفُّوا حولَه .

(٢) وَتَر القوسَ : شَدَّ وَتَرَها ؛ وهو مُعَلَّقُ القوس .

فيما يَزْعُمُون - لا يُوتِرُها غيرُه ؛ مِن شِدَّتِها ، وأمَرَ بحَاجِبَيْه فعُصِّبَا له ، ثُمَّ رماه فصَكَّ الياقُوتَةَ التى بينَ عَيْنَيْه ، وتَغَلْغَلَتِ النُّشَّابَةُ[1] فى رَأْسِه حتى خَرَجَتْ مِن قَفاه ، ونُكِسَ عن دابَّتِه ، واسْتَدارتِ الحَبَشَةُ ولاثَتْ به ، وحَمَلَتْ عليهم الفُرْسُ ، وانْهَزَمُوا ؛ فقُتِلُوا وهَرَبُوا فى كلِّ وَجْهٍ ، وأقْبَلَ وَهْرِزُ ليَدْخُلَ صنعاءَ ، حتى إذا أَتَى بابَها قال : لا تَدْخُلُ رايَتِى مُنَكَّسَةً أبَدًا ، اهْدِمُوا هذا البابَ . [١/ ٢٢٠ظ] فهُدِمَ ، ثُمَّ دَخَلَها ناصِبًا رايَتَه ، فقال سيفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ :

يَظُنُّ النَّاسُ بالمَلْكَيْـ ... ـنِ أَنَّهما قد الْتَأَمَا
ومَنْ يَسْمَعْ بِلَأْمِهِما[2] ... فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُما[3]
قَتَلْنا القَيْلَ[4] مَسْرُوقًا ... ورَوَّيْنا الكَثِيبَ[5] دَمَا
وإنَّ القَيْلَ قَيْلَ النَّا ... سِ[6] وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَما
يَذُوقُ[7] مُشَعْشَعًا[8] حتى ... نُفِىءَ السَّبْىَ والنَّعَما[9]

ووَفَدَتِ العربُ مِنْ الحِجازِ وغيرِها[10] على سيفٍ يُهَنِّئُونَه بعَوْدِ المُلْكِ إليه ،

---

(١) النُّشّابة : النَّبْل .
(٢) فى الأصل ، ص : « ملامها » .
(٣) فى الأصل : « نقما » . وفقُم : اسْتَفْحَل شرُّه .
(٤) القيل : المَلِك من ملوك حِمْيَر .
(٥) فى الأصل : « الكسيب » . والكثيب : التَّلُّ من الرمل .
(٦) فى الأصل : « للناس » .
(٧) فى الأصل ، ص : « يروق » .
(٨) المشعشع : الخمر التى أُرِقَّ مَزْجُها .
(٩) فى الأصل ، ص : « نعى » . ونُفىء : نَغْنَم .
(١٠) فى الأصل : « وغيرهما » .

وامْتَدَحُوه، فكان مِن جُمْلَةِ مَن وفَدَ عليه قُرَيشٌ، وفيهم عبدُ المطَّلِبِ ابنُ هاشمٍ، فبَشَّرَه سَيْفٌ برسولِ اللَّهِ ﷺ، وأخْبَرَه بما يَعْلَمُ مِن أمْرِه[1]. وسيأْتِى ذلك مُفَصَّلًا فى بابِ البِشاراتِ به، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وقال أبو الصَّلْتِ بنُ أبى رَبِيعةَ الثَّقَفِىُّ - قال ابنُ هِشَامٍ[3]: وتُرْوَى [4]لأُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[4] -:

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أمْثالُ ابنِ ذِى يَزَنٍ ... رَيَّمَ[5] فى البحرِ للأعْداءِ أحْوالَا

يَمَّمَ قَيْصَرَ[6] لَمَّا حانَ رِحْلَتَهُ ... فلم يَجِدْ عِندَهُ بعضَ الذى سالا

[7]ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بعدَ عاشِرَةٍ ... مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ والمالا[7]

حتى أَتَى بِبَنِى الأَحْرارِ يَحْمِلُهُمْ ... إنَّكَ عَمْرِى لقد أسْرَعْتَ قِلْقالا[8]

للَّهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا ... ما إن أَرَى[9] لهم فى النَّاسِ أمْثَالا

---

(١) خبر وِفادةِ العرب على ابن ذى يزن، وتبشيرِه عبدَ المطلب بالنبى ﷺ، ساقه ابن كثير هنا مختصرًا جدًّا، وهو عند أبى نعيم فى الدلائل ١/٩٥ - ٩٩ مطولًا بإسناده.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥، ٦٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «لابن أمية».

(٥) فى الأصل: «ديم». ورَيَّم: أقام.

(٦) فى الأصل، ص: «لقيصر».

(٧ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

(٨) القِلْقال: الحركة.

(٩) فى سيرة ابن هشام: «رأى».

(١ غُلْبًا مَرَازِبَةً بِيضًا أَساوِرَةً ١) أُسْدًا تُرَبِّبُ (٢) فى الغَيْضاتِ (٣) أَشْبَالا

يَرْمُون عن شُدُفٍ (٤) كأنَّها غُبُطٌ (٥) بِزَمْخَرٍ (٦) يُعْجِلُ المَرْمِيَّ إعْجَالا

أرْسَلْتَ أُسْدًا على سُودِ الكِلابِ فقد أضْحَى شَرِيدُهُمُ فى الأرْضِ فُلَّالا (٧)

فاشْرَبْ هَنِيئًا عليكَ التّاجُ مُرْتَفِقًا (٨) فى رأسِ غُمْدانَ دارًا مِنْكَ مِحْلالا (٩)

واشْرَبْ هنيئًا فقد شَالتْ (١٠) نَعَامَتُهمْ وأَسْبلِ اليومَ فى بُرْدَيْك إسْبالا

تلكَ المَكَارِمُ لا قَعْبانِ (١١) مِن لَبَنٍ شِيبَا (١٢) بماءٍ فعادا بَعْدُ أَبْوَالا

يُقالُ : إنَّ غُمْدانَ قصرٌ باليمنِ (١٣) ، بناه يَعْرُبُ بنُ قَحْطَانَ ، وأكْمَلَه (١٤)

(١ - ١) فى سيرة ابن هشام :

* بيضًا مرازبةً غُلبًا أساورة *

والغُلْب : جمع أغْلَب ؛ وهو غليظ العنق ، يعنى أنهم أشدَّاء . والمَرَازِبَة جمع مَرْزُبان وهو رئيس الفُرس . والأساورة : جمع إسْوار ؛ وهو قائد الفُرس ، والجيد الرَّمْى بالسهام وغيرها . وكان أساورة الفرس رُماة الحدق .

(٢) تُرَبِّب : تُربِّى .

(٣) الغيضات : جمع غَيْضَة ، وهى الموضع الذى يكثر فيه الشجر ويلتفُّ .

(٤) فى الأصل ، ص : « سدف » . والشُّدُف هى الأقواس العُوج الفارسيَّة .

(٥) فى الأصل : « الغيط » . والغُبُط ؛ يعنى بها الأخشاب التى يُصنع منها الهودج .

(٦) الزَّمْخَر : السهام المُتَّخَذَة من القَصَب .

(٧) الفلال : المُنهزمون .

(٨) المُرتَفِق : المُتَّكِئ .

(٩) المحلال : المكان الكثير الرُّوَّاد . يعنى سكناه بها وعمرانه إياها .

(١٠) فى الأصل : « سالت » . وشالت نعامتهم : هلكوا .

(١١) فى الأصل : « تعبان » . والقَعْبان : مثنى القَعْب ، وهو القَدَح الضخم الغليظ .

(١٢) شِيبا : مُزِجا وخُلِطا .

(١٣) انظر معجم البلدان ٣/ ٨١١.

(١٤) فى م : « وملكه » .

بعدَه واحْتَلَّه وائِلَةُ[1] بنُ حِمْيَرَ بنِ سَبَأٍ[2] . ويُقالُ : كان ارتفاعُه عِشْرِين طَبَقَةً[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقال عَدِيُّ بنُ زيدٍ الحِيرِيُّ[5] ، وكان أحَدَ بنى تَمِيمٍ :

ما بَعْدَ صنعاءَ كان يَعْمُرُها ... وُلاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ[6] مَواهِبُها

رَفَّعَها مَنْ بَنَى لِذِى[7] قَزَعِ الـ ... ـمُزْنِ[8] وتَنْدَى مِسْكًا مَحَارِبُها[9]

مَحْفُوفَةٌ بالجِبالِ دُونَ عُرَى الـ ... ـكائِدِ[10] ما يُرْتَقَى غَوارِبُها[11]

يَأْنَسُ فيها صَوْتُ النُّهامِ[12] إذا ... جَاوَبَها[13] بالعَشِيِّ قَاصِبُها[14]

ساقَتْ إليها الأسْبابُ جُنْدَ بَنِى الـ ... أحْرارِ فُرْسانُها مَواكِبُها[15]

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى الروض الأنف : « وائل » .

(٢) انظر الروض الأنف ١/ ٣٠٦.

(٣) انظر معجم ما استعجم ، للبكرى ٣/ ١٠٠٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٧، ٦٨.

(٥) فى النسخ : « الحميرى » وهو خطأ . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٦٧. وانظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٠.

(٦) الجَزْل : الكثير العظيم من كل شىء .

(٧) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : « لدى » .

(٨) قَزَع المُزْنِ : القِطَع المُتفرِّقة من السحاب .

(٩) مَحَارِبُها : المَحارِب : الغُرَف المرتفعة .

(١٠) فى ص : « المكائد » .

(١١) غواربها : أعاليها .

(١٢) النهام : طائر شبه الهام . وقيل : البُوم . وقيل : ذَكَر البوم .

(١٣) فى ص : « جاءوا بها » . وجاوبها : رد عليها .

(١٤) فى الأصل : « قاصيها » . والقاصِب : الزَّمَّار .

(١٥) فى الأصل : « كمواكبها » .

وفُوِّزَتْ[1] بالبِغالِ تُوسَقُ[2] بالْـ ـحَتْفِ وتَسْعَى بها تَوَالِبُها[3]

حتى رآها[4] الأقْوالُ[5] مِنْ طَرَفِ الْـ ـمَنْقَلِ[6] مُخْضَرَّةً كَتائِبُها

يومَ يُنادُون آلَ بَرْبَرَ[7] والْـ ـيَكْسُومَ لا يُفْلِحَنَّ هارِبُها

فكان يومًا باقى الحديثِ وزا لَتْ[8] إمَّةٌ[9] ثابِتٌ مَراتِبُها

وبُدِّلَ الفَيْجُ[10] بالزَّرَافَةِ[11] والأيَّا مُ خُونٌ[12] جَمٌّ عَجائِبُها

بَعْدَ بَنِى تُبَّعٍ نَخاوِرَةٌ[13] قد اطْمَأَنَّتْ بها مَرازِبُها

قال ابنُ هِشَامٍ[14] : وهذا الذى عَنَى سَطِيحٌ بقولِه : يليه إرَمُ ذى يَزَنْ ، يَخْرُجُ عليهم مِن عَدَنْ ، فلا يَتْرُكُ أحدًا منهم باليمنْ . والذى عَنَى شِقٌّ بقولِه : غلامٌ ليس بِدَنِىٍّ ولا مُدَنٍّ ، يَخْرُجُ مِن بيتِ ذى يَزَنْ .

---

(١) فُوِّزت : يعنى قُطِعت المَفازَة ، وهى الصحْراء .

(٢) وَسَق : حَمل .

(٣) فى الأصل : « لواليها » . والتوالب : جمع تَوْلَب ، وهو ولد الحمار .

(٤) فى الأصل ، م : « يراها » .

(٥) فى ص : « الأفوال » . والأقوال : الملوك ، واحده قَيْل .

(٦) المَنْقَل : الطريق فى الجبل .

(٧) يقصد بهم الأحباش .

(٨) فى الأصل : « زالت » . وفى ص : « نالت » .

(٩) الإمَّة : النعمة .

(١٠) فى النسخ : الهيج ، والمثبت من سيرة ابن هشام . والفيج : هو المنفرد فى مشيته .

(١١) فى الأصل ، ص : « بالزراقة » . والزرافة : الجماعة من الناس .

(١٢) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : « جون » . والخُون : جمع خائنة .

(١٣) فى الأصل ، ص : « نحاورة » . والنخاورة : الأشراف ، واحدهم نِخْوار ونَخْوَرِىّ ، ويقال : هم المُكبَّرون .

(١٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وأقام وَهْرِزُ والفُرْسُ باليمنِ ، فَمِن بَقِيَّةِ ذلك الجيشِ مِن الفُرْسِ ، الأَبْناءُ الذين باليمنِ اليومَ . وكان مُلْكُ الحَبَشَةِ باليمنِ ، فيما بينَ أن دَخَلَها أرْياطُ ، إلى أن قَتَلَتِ الفُرْسُ مسروقَ بنَ أَبْرَهَةَ وأخْرَجَتِ الحبشةَ ، اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ سنةً ، تَوارَثَ ذلك منهم أربعةٌ ؛ أرياطُ ، ثُمَّ أبْرَهَةُ ، ثُمَّ يَكْسُومُ بنُ أبرهةَ ، ثُمَّ مسروقُ بنُ أبرهةَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨، ٦٩.

ذِكْرُ[1] ما آلَ إليه أمرُ الفُرْسِ باليمنِ

قال ابنُ هِشَامٍ[2] : ثُمَّ مات وَهْرِزُ ، فأَمَّرَ كِسْرَى ابنَه المَرْزُبانَ بنَ وَهْرِزَ على اليمنِ ، ثُمَّ مات [١/٢٢١و] المرزبانُ ، فأمَّرَ كسرى ابنَه التَّيْنُجانَ ، ثُمَّ مات فأمَّر ابنَ التَّيْنُجانِ ، ثُمَّ عَزَلَه عَن اليمنِ ، وأمَّرَ عليها باذانَ ، وفى زَمَنِه بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قال ابنُ هِشامٍ[2] : فبَلَغَنِى عن الزُّهْرِىِّ أنَّه قال : كَتَب كِسْرَى إلى باذانَ : إنَّه بَلَغَنى أَنَّ رجُلًا مِن قُرَيْشٍ خَرَج بمكَّةَ ، يَزْعُمُ أَنَّه نَبِىٌّ ، فَسِرْ إليه فاسْتَتِبْه ، فإن تابَ ، وإلَّا فابْعَثْ إِلَىَّ برَأْسِه . فبَعَثَ باذانُ بكِتابِ كِسْرَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكَتَبَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : «إنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِى أَنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فى يَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، مِنْ شَهْرِ كذَا» . فلمَّا أتَى باذانَ الكتابُ ، [3]وَقَف لِيَنْتَظِرَ[3] ، وقال : إن كان نَبِيًّا فسَيَكُونُ ما قال . فقَتَلَ اللَّهُ كسْرَى فى اليومِ الذى قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال ابنُ هِشَامٍ[2] : على يَدَىْ ابنِه شِيرَوَيْهِ . قلتُ : وقال بعْضُهم : بَنُوه تَمالَئُوا على قَتْلِه . وكِسْرَى هذا هو أبْرَوِيزُ بنُ هُرْمُزَ بنِ أنُو شِرْوَانَ ابنِ قُبازَ ، وهو الذى غَلَب الرُّومَ[4] ، فى قولِه تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم : ١- ٣] . كما سيأتى بيانُه .

قال السُّهَيْلِىُّ[5] : وكان قَتْلُه ليلةَ الثُّلاثاءِ لعَشْرٍ خَلَوْنَ مِن جُمَادَى الأُولى ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : «توقَّف لينظر» .

(٤) انظر الروض الأنف ١/ ٣٠٠، ٣١٥. وفيه : «قباذ» .

(٥) الروض الأنف ١/ ٣١٥. وعنده : «سنة سبع من الهجرة» .

سنةَ تِسْعٍ مِن الهجرةِ. وكان، واللَّهُ أعلمُ، لمَّا كتَبَ إليه رسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَدْعُوه إلى الإِسْلامِ، فغَضِبَ ومَزَّق كتابَه، كَتَبَ إلى نائِبِه باليمنِ يَقُولُ له ما قال. وفى بَعْضِ الرِّوَاياتِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال لرسولِ باذانَ: «إنَّ ربِّى قد قَتَلَ الليلةَ رَبَّكَ»[1]. فكان كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ، قُتِلَ تلك الليلةَ بعَيْنِها، قَتَلَه بنُوه لِظُلْمِه بعدَ عَدْلِه، بعدَما خَلَعُوه وَوَلَّوُا ابنَه شِيرَوَيْهِ، فلم يَعِشْ بعدَ قَتْلِه أباه إلَّا سِتَّةَ أشْهُرٍ أو دُونَها. وفى هذا يقولُ خالدُ بنُ حِقٍّ الشَّيْبَانِىُّ:

وكِسْرَى [2]إذ تَقَسَّمَهُ[2] بَنُوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحَامُ[3]

تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيَوْمٍ ... أنَى[4] وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمامُ

قال الزُّهْرِىُّ: فلمَّا بلَغَ ذلك باذانَ، بَعَث بإسْلامِه وإسلامِ مَن معه مِن الفُرْسِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالت الرُّسُلُ: إلى مَنْ نحنُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «أنْتُم مِنَّا وإلينا، أهْلَ البَيْتِ». قال الزُّهْرِىُّ: ومِن ثَمَّ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ»[5]. قلتُ: والظَّاهرُ أَنَّ هذا كان بعدَما هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ، ولهذا بعَثَ الأُمَراءَ إلى اليمنِ لتعليمِ النَّاسِ الخيرَ ودعوتِهم إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، فبَعَثَ أَوَّلًا خالدَ بنَ الوليدِ، وعلىَّ بنَ أبى طالبٍ، ثُمَّ

---

(١) أخرجها أحمد فى المسند ٥/ ٤٣. من حديث أبى بكرة، رضى اللَّه عنه (السلسلة الصحيحة ١٤٢٩).

(٢ - ٢) فى الأصل: «إذا تقاسمه». وفى ص: «إذ تقاسمه».

(٣) اللحام: جمع لحْم.

(٤) فى الأصل: «إفى». وفى م: «ألا». وأنى: حان وجاء.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٩٨. والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٤١٨. والطبرانى فى المعجم الكبير (٦٠٤٠). (ضعيف الجامع ٣٢٧٢).

أتْبَعَهما أبا موسى الأشْعَرِىَّ، ومُعاذَ بنَ جَبَلٍ، ودانَتِ اليمنُ وأَهْلُها للإِسْلامِ، وماتَ باذانُ، فقام بعدَه ولدُه شَهْرُ بنُ باذانَ، وهو الذى قَتَلَه الأسْوَدُ العَنْسِىُّ، حين تَنَبَّأَ، وأَخَذَ زَوْجَتَه - كما سيأْتِى بيانُه - وأَجْلى عن اليمنِ نُوَّابَ رسولِ اللَّهِ، فلمَّا قُتِل الأسودُ عادَتِ اليدُ الإِسلاميَّةُ عليها. وقال ابنُ هِشامٍ[1]: وهذا هو الذى عَنَى به سَطِيحٌ بقولِه: نبىٌّ زَكِىّ، يَأْتِيهِ الوَحْىُ مِنْ قِبَلِ العَلِىّ. والذى عَنَى شِقٌّ بقولِه: بل يَنْقَطِعُ برسولٍ مُرْسَلْ، يَأْتِى بالحقِّ والعَدْل، بينَ أهلِ الدِّينِ والفَضْل، يكونُ المُلْكُ فى قومِه إلى يومِ الفَصْل.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وكان فى حَجَرٍ باليمنِ، فيما يَزْعُمُون، كِتابٌ بالزَّبُورِ، كُتِب فى الزَّمانِ الأَوَّلِ: لِمَن مُلْكُ ذِمارْ؟ لِحِمْيَرَ الأَخْيارْ، لِمَن مُلكُ ذِمارْ؟ للحَبَشَةِ الأَشْرارْ، لِمَن مُلكُ ذِمارْ؟ لِفارِسَ الأحرارْ، لِمَن مُلكُ ذِمارْ؟ لِقُرَيشِ التُّجّارْ. وقد نَظَم بعضُ الشُّعَراءِ هذا المعنى، فيما ذَكَره المَسْعُودِىُّ[3]:

حِينَ شِيدَتْ[4] ذِمارُ قِيلَ: لِمَنْ أنتِ[5]؟ ... فقالتْ لِحِمْيَرَ الأَخْيارِ
ثُمَّ سِيلَتْ: مَنْ بَعْدَ ذاك؟ فقالتْ: ... [6]أنا للحُبْشِ أخْبَثِ الأَشْرارِ[6]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٧٠.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٧٠.
(٣) مروج الذهب ٢/ ٦٣.
(٤) فى م: «شدت».
(٥) عند المسعودى:
* يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت *
(٦ - ٦) عند المسعودى:
* إن ملكى للأحبش الأشرار *

(١ثُمَّ قالوا١) : مِنْ بعدِ ذاك (٢لِمَنْ أنْـ ـتِ؟ فقالتْ٢) : لفارِسَ الأحْرارِ

(٣ثم قالوا٣) : مِنْ بعدِ ذاك لمَنْ أنْـ ـتِ؟ فقالتْ : (٤إلى قُرَيْشٍ٤) التِّجارِ(٥)

ويُقَالُ : إنَ هذا الكلامَ الذى ذكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ ، وُجِدَ مكتوبًا عندَ قبرِ هُودٍ ، عليه السَّلامُ ، حينَ كَشَفَتِ الرِّيحُ عن قبرِه بأرضِ اليمنِ ، وذلك قبلَ زمنِ بِلْقِيسَ بيسيرٍ ، فى أيَّامِ مالكِ بنِ ذى المَنارِ ، أخى عَمْرٍو ذِى الأذْعارِ بنِ ذى المنارِ(٦) . ويُقَالُ : كان مَكْتوبًا على منبرِ(٧) هودٍ أيضًا ، وهو مِن كلامِه ، عليه السّلامُ . حَكاه السُّهَيْلِىُّ(٨) . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) عند المسعودى : ثم سيلت .

(٢ - ٢) عند المسعودى : فقالت إن ملكى ..

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « ثم سئلت » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « لقريش » .

(٥) جاء هذا البيت هكذا عند المسعودى :

ثم سيلت ما بعد ذاك فقالت إن ملكى إلى قريش التجار

وهناك ثلاثة أبيات أخرى بعده أوردها المسعودى فى المروج ٢/ ٦٣، ٦٤.

(٦) فى الأصل : « النار » .

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « قبر » .

(٨) الروض الأنف ١/ ٣٢١.

قِصّةُ السَّاطِرُونِ [١/٢٢١ظ] صَاحِبِ الحَضْرِ

وقد ذَكَر قِصَّته هٰهنا عبدُ الملكِ بنُ هِشامٍ[١] ، لأجْلِ ما قاله بعضُ عُلماءِ النَّسَبِ ؛ أنَّ النُّعمانَ بنَ المُنْذِرِ ، الذى تَقَدَّم ذِكْرُه[٢] فى وُرُودِ سيفِ بنِ ذى يَزَنَ عليه ، وسُؤالِه فى مُساعَدَتِه فى ردِّ مُلْكِ اليمنِ إليه ، أنَّه مِن سُلالةِ السَّاطِرُونِ صاحِبِ الحَضْرِ ، وقد قَدَّمْنا عن ابنِ إسحاقَ[٣] ، أنَّ النُّعْمانَ بنَ المُنذِرِ مِن ذُرِّيَّةِ ربيعةَ بنِ نَصْرٍ ، وأنَّه رَوَى عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، أنَّه مِن أَشْلاءِ قُنُصٍ[٤] بنِ مَعَدِّ ابنِ عَدْنانَ[٣] ، فهذه ثلاثةُ أقوالٍ فى نَسَبِه . فاسْتَطْرَد ابنُ هِشامٍ فى ذِكْرِ صاحبِ الحَضْرِ . والحَضْرُ حِصْنٌ عظيمٌ ، بَناه هذا المِلِكُ ، وهو السَّاطِرُونُ على حافّةِ الفُراتِ ، وهو مُنِيفٌ مُرتَفِعُ البِناءِ ، واسِعُ الرَّحْبَةِ[٥] والفِناءِ ، دَوْرُه بقَدْرِ مدينةٍ عظيمةٍ ، وهو فى غايةِ الإِحْكامِ والبَهاءِ ، والحُسْنِ وَالسَّنَاءِ ، وإليه يُجْبَى ما حولَه مِن الأقطارِ والأَرْجاءِ ، واسْمُ السَّاطِرُونِ : الضَّيْزَنُ بنُ مُعاويةَ بنِ عَبِيدِ بنِ [٦]أَجْرَمَ ، مِن بَنِى[٦] سَلِيحِ بنِ حُلْوانَ بنِ الحافِ بنِ قُضَاعةَ . كذا نَسَبَه ابنُ الكَلْبِىِّ . وقال غيرُه : كان مِن الجَرَامِقَةِ[٧] ، وكان أحَدَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وكان

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧١ - ٧٣.

(٢) انظر ما تقدم صفحة ١٥٨.

(٣) تقدم فى صفحة ١٢١.

(٤) فى النسخ : «قيصر» . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٢١، وسيرة ابن هشام ١/ ١٢.

(٥) الرَّحْبَة : ساحة المكان .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ا ٩، ص .

(٧) فى الأصل، ص : «الجرامعة» .

يَقْدُمُهم إذا اجْتَمَعُوا [1]لحربِ عدوٍّ مِن غيرِهم[1]، وكان حِصْنُه بينَ دِجْلَةَ والفُراتِ.

قال ابنُ هِشامٍ[2]: وكان كِسْرَى سابورُ ذو الأكْتافِ، غَزا السَّاطِرُونَ مَلِكَ الحَضْرِ. وقال غيرُ ابنِ هِشامٍ[3]: إنَّما الذى غَزا صاحِبَ الحَضْرِ، سابُورُ بنُ أَرْدَشِيرَ[4] بنِ بابكَ، أَوَّلُ مُلُوكِ بنى ساسانَ، أَذَلَّ مُلُوكَ الطَّوائِفِ، ورَدَّ المُلْكَ إلى الأكاسِرَةِ. وأمَّا سابورُ ذُو الأكْتافِ بنُ هُرْمُزَ، فبَعْدَ ذلك بدهرٍ طويلٍ. واللَّهُ أعلمُ. ذَكَرَه السُّهَيْلِيُّ[5].

قال ابنُ هِشامٍ[6]: فحَصَرَهُ سنَتَيْنِ. وقال غيرُه: أربعَ سِنِين. وذلك لأنَّه كان أغارَ على بلادِ سابُورَ فى غَيْبَتِه بأَرْضِ العِراقِ، فأَشْرَفَتْ بنتُ السَّاطِرُونِ، وكان اسْمُها النَّضِيرَةَ، فنَظَرَتْ إلى سابُورَ وعليه ثيابُ دِيباجٍ، وعلى رَأسِهِ تاجٌ مِن ذهبٍ، مُكَلَّلٌ بالزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ واللُّؤْلُؤِ، وكان جميلًا، فدَسَّتْ إليه: أَتَتَزَوَّجُنِى إن فَتَحْتُ لكَ بابَ الحَضْرِ؟ فقالَ: نعم. فلمَّا أمْسَى ساطرونُ، شَرِب حتى سَكِر، وكان لا يَبِيتُ إلَّا سَكْرانَ، فأخَذَتْ مَفاتِيحَ بابِ الحَضْرِ مِن تحتِ رَأْسِه، وبَعَثَتْ بها مع مَوْلًى لها، ففَتَحَ البابَ. ويُقالُ: بل دَلَّتْهُم على نهرٍ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٧١.

(٣) انظر الروض الأنف ١/ ١٤٥، ٣٢٨.

(٤) فى م: «أردشير».

(٥) الروض الأنف ١/ ٣٢٨.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٧١.

يَدْخُلُ منه الماءُ، مُتَّسِعٍ، فوَلَجُوا[1] منه إلى الحَضْرِ. ويُقالُ: بل دَلَّتْهم على طِلَّسْمٍ[2] كان فى الحَضْرِ، [3]وكان فى عِلْمِهم[3] أنَّه لا يُفْتَحُ حتى تُؤْخَذَ حَمامةٌ ورْقاءُ، وتُخَضَّبَ رِجْلاها بحَيْضِ جاريةٍ بِكْرٍ زَرْقاءَ، ثُمَّ تُرْسَلَ، فإذا وَقَعَتْ على سُورِ الحَضْرِ، سَقَط ذلك الطِّلَّسْمُ، فيُفْتَحُ البابُ، ففَعَلَ ذلك، فانْفَتَحَ البابُ، فدَخَلَ[4] سَابُورُ فقَتَلَ ساطِرُونَ، واسْتَباحَ الحَضْرَ وخَرَّبَه، وسارَ بها معه فتَزَوَّجَها، فبَيْنَا هى نائمةٌ على فِراشِها لَيْلًا، إذ جَعَلَتْ تَمْلَمَلُ لا تَنامُ، فدَعا لها بالشَّمْعِ، ففَتَّشَ فِراشَها، فوَجَدَ عليه وَرَقَةَ آسٍ، فقالَ لها سَابُورُ: أهذا الذى أَسْهَرَكِ[5]؟ قالتْ: نعم. قال: فما كانَ أبُوك يَصْنَعُ بكِ؟ قالَتْ: كانَ يَفْرِشُ لى الدِّيباجَ، ويُلْبِسُنِى الحَرِيرَ، ويُطْعِمُنى المخَّ، ويَسْقِينِى الخَمْرَ. قال: أفكانَ جَزاءُ أبِيكِ ما صَنَعْتِ به؟! أنتِ إلىَّ بذلك أسْرَعُ. ثُمَّ أمَرَ بها، فرُبِطَتْ قُرُونُ رَأْسِها بِذَنَبِ فَرَسٍ، ثُمَّ رَكَضَ الفَرَسَ، حتَّى قَتَلَها. ففيه يقولُ أَعْشَى بنُ قَيْسِ ابنِ ثَعْلَبَةَ[6]:

ألم تَـرَ لِـلْـحَـضْـرِ إذْ أَهْـلُـه ... بنُعْمَى وهل خالِدٌ مَنْ[7] نَعِمْ

---

(١) فى الأصل، ص: «فلجوا».

(٢) الطِّلَّسْم: خطوط وأعداد، يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السُّفلية؛ لجلْب محبوب أو دفع أذى، وهو لفظ يونانى لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجى. الوسيط (طلسم).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٤) بعده فى الأصل: «على».

(٥) فى الأصل: «أشهرك».

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٧٢. والأبيات الثلاثة الأخيرة ليست فيه، وهى فى الروض ١/ ٣٣٥. والأبيات فى ديوان الأعشى ص ٤٣ باختلاف فى الترتيب وبعض الألفاظ.

(٧) فى الأصل: «بن».

أقـامَ بـه شـاهْـبُـورُ الجُنُـو ... دَ حَوْلَيْـنِ تَضْرِبُ فيه القُدُمْ[1]

فَـلَـمَّـا دَعـا رَبُّـهُ[2] دَعْـوَةً ... أنـابَ إلَـيْـه فـلـم يَـنْـتَـقِـمْ

فـهـل زادَه رَبُّـهُ قُـوَّةً ... ومِـثْـلُ مُـجَـاوِرِهِ لم يُـقِـمْ

وكـانَ دَعـا قَـوْمَـهُ دَعْـوَةً ... هَلُمُّوا إلى أمْرِكُم قد صُرِمْ[3]

فَـمُـوتُـوا كِـرامًـا بـأسْـيـافِـكُـمْ ... أرَى المَوْتَ يَجْشَمُه[4] مَنْ جَشِمْ

وقال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ فى ذلك[5] :

والحَضْرُ صَابَتْ[6] عليه داهِيَةٌ ... مِـنْ فَـوْقِـهِ أيِّـدٌ[7] مَـنـاكِـبُـهـا

رَبِـيَّـةٌ[8] لم تُـوَقَّ والِـدَهـا ... لحَيْنِهـا[9] إذ أضـاعَ راقِـبُـهـا

إذ غَـبَـقَـتْـه[10] صَـهْـبَـاءَ صَـافِيَةً ... والخَمْرُ وَهْلٌ[11] يَـهِـيمُ شارِبُها

---

(١) القُدُم : جمع قَدُوم ، وهى آلة للنَّجر والنَّحت .

(٢) يعنى به صاحب حِصنِ الحَضْر .

(٣) صُرم : قُطِع .

(٤) جَشِم الأمر يَجْشمه : تَكَلَّفه على مشقَّةٍ .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٧٣.

(٦) صابت : سقطت .

(٧) الأيِّد : القوى الشديد .

(٨) الربيَّة : تحتمل أن تكون من ربيتُ أى من ربا ؛ بمعنى نما وزاد ونشأ ، أى التى رَبَتْ ونشأت فى نعمةٍ ، فى كنف أبيها . أو من ربأ فيكون أصلها « الربيئة » ، وسُهِّلت الهمزة : فصارت « الربية » ، والربيئة الطليعة التى ترقُب العدوّ من مكانٍ عالٍ لئلَّا يفاجِئ قومه .

(٩) الحين : الهلاك ، والمحنة .

(١٠) فى الأصل : « غنفته » . وفى ص : « عنقته » . وغَبَقَتْه : سَقَتْه الغَبُوق - وهو ما يُشرب أو يُحلب بالعَشِىّ - ويقصد هنا : سقتْه .

(١١) الوَهْل : السَّهْو ، وذَهاب وهْمِ الإنسان إلى غير ما يريده .

فأسْلَمَتْ أهْلَها بلَيْلَتِها تَظُنُّ أنَّ الرَّئِيسَ خاطِبُها

فكانَ حَظُّ العَرُوسِ إذ جَشَرَ[1] الـصُّبْحُ دِماءً تَجْرِى سَبائِبُها[2]

وخُرِّبَ الحَضْرُ واسْتُبِيحَ وقد أُحْرِقَ فى خِدْرِها مَشَاجِبُها[3]

وقال عَدِىُّ بنُ زَيْدٍ[4] أيضا [١/٢٢٢و]:

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْـ ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أم لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَيَّـامِ بل أنتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ

مَن رَأَيْتَ المَنُونُ خَلَّدْنَ أم مَنْ ذا عليه مِن أن يُضامَ خَفِيرُ[5]

أين كِسْرَى كسرَى المُلُوكِ أنُو شِرْ وَانَ أمْ أين قَبْلَه سابُورُ

وبَنُو الأصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ الرُّومِ لم يَبْقَ منهمُ مَذْكُورُ

وأخُو الحَضْرِ إذ بَناهُ وإذ دِجْـ لَةُ تُجْبَى إليه والخَابُورُ[6]

شادَهُ[7] مَرْمَرًا[8] وجَلَّلَهُ كِلْـ سًا[9] فَلِلطَّيْرِ فى ذُراه وُكُورُ

---

(١) فى الأصل: «جثر». وفى ا ٩: «حسر». وجَشَر: طَلَع.

(٢) سبائب الدماء: طرائقُها. والمفرد: سَبِيبَة.

(٣) المشاجِب: جمع مِشْجَب، وهو ما تُعلَّق عليه الثيابُ ونحوها.

(٤) الروض الأنف ١/ ٣٣٢. بزيادة بيتٍ عمّا أورده هنا.

(٥) فى الأصل، ص: «حقير».

(٦) الخابور: نهر بين رأس عين والفرات، وآخر شرقىّ دجلة الموصل، ووادٍ. القاموس المحيط (خ ب ر).

(٧) فى الأصل، ص: «ساده».

(٨) فى الأصل: «مزمرا».

(٩) الكِلْس: الجير.

لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فبَانَ المُلْـ ـكُ عنه فبَابُهُ مَهْجُورُ

وتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ـرَفَ يَوْمًا وللهُدَى[1] تَفْكِيرُ[2]

سَرَّهُ مالُه وكَثْرَةُ ما يَمْـ ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضًا[3] والسَّدِيرُ[4]

فارْعَوَى قَلْبُهُ وقالَ وما غِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إلى المماتِ يَصِيرُ

ثُمَّ أضْحَوا كأنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فألْوَتْ[5] به الصَّبَا والدَّبُورُ[6]

قُلْتُ : ورَبُّ الخَوَرْنَقِ[7] الذى ذَكَرَه فى شِعْرِه ، رَجُلٌ مِن المُلُوكِ المُتَقَدِّمِين ، وَعَظَه بعضُ عُلماءِ زَمانِه فى أمْرِه الذى كان قد أَسْرَفَ فيه وعَتَا ، وَتَمَرَّدَ فيه ، وأَتْبَع نَفْسَه هَواها ، ولم يُراقِبْ فيها مَوْلاها ، فوعَظَه بمَن سَلَفَ قَبْلَه مِن المُلُوكِ والدُّوَلِ ، وكيفَ بادُوا ولم يَبْقَ منهم أحدٌ ، وأنَّه ما صارَ إليه عن غيرِه إلَّا وهو مُنْتَقِلٌ عنه إلى مَن بَعْدَه ، فأخَذَتْه مَوْعِظَتُه ، وبَلَغَتْ منه كُلَّ مَبْلَغٍ ، فارْعَوَى لنَفْسِه ، وفَكَّر فى يَوْمِه وأمْسِه ، وخافَ مِن ضِيقِ رَمْسِه ، فتابَ وأنابَ ، ونَزَعَ عَمَّا كان فيه ، وتَرَكَ المُلْكَ ولَبِسَ زِيَّ الفُقَراءِ ، وساحَ فى الفَلَواتِ ، وحَظِىَ بالخَلَواتِ ، وخَرَج عمَّا كانَ النَّاسُ فيه مِن اتِّباعِ الشَّهَواتِ ، وعِصْيانِ ربِّ

---

(١) فى الأصل : « للهدى » .

(٢) فى الأصل ، ص : « تذكير » .

(٣) فى الأصل ، ا ٩ : « معرض » . ومُعرِضًا : مُتَّسِعًا .

(٤) السدير : نهر ، ويقال : قصر . اللسان (س د ر) .

(٥) فى الأصل : « نالوت » . وألوتْ به : ذهبتْ به .

(٦) الصَّبا والدَّبُور : رِيح .

(٧) قال السهيلى : الخورنق نفسه ؛ اسمُ قصرٍ ، بناه النعمانُ الأكبر ملكُ الحيرة لسابور ؛ ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بناءً أعجميًّا ، لم تر العرب مثله . الروض الأنف ١/ ٣٨٠.

السَّماواتِ ، وقد ذَكَرَ قِصَّتَه مَبْسُوطةً الشَّيْخُ الإمامُ مُوَفَّقُ ابنُ قُدامةَ المَقْدِسِيُّ ، رحِمَه اللَّهُ ، فى كِتابِ « التَّوَّابِين »[1] ، وكذلك أوْرَدها بإسْنادٍ مَتِينٍ الحافظُ أبو القاسِمِ السُّهَيْلِيُّ فى كِتابِ « الرَّوْضِ الأُنفِ »[2] ، المُرَتَّبِ أحْسَنَ تَرْتِيبٍ وأوْضَحَ تَبْيِينٍ .

---

(١) التوابين ص ٣٩ - ٤٢ .

(٢) الروض ١/٣٢٩ - ٣٣٢.

خبرُ مُلوكِ الطَّوائِفِ

وأمَّا صاحبُ الحَضْرِ، وهو ساطِرُونُ، فقد تَقَدَّم أنَّه كان مُقَدَّمًا على سائرِ مُلُوكِ الطَّوائِفِ، وكان مِن زَمَنِ إسْكَنْدرَ بنِ فيلبسَ المَقْدُونِيِّ اليُونانيِّ، وذلك لأنَّه لمَّا غَلَب[1] على مَلِكِ الفُرْسِ دَارَا بنِ دَارَا، وأذَلَّ مَمْلَكَتَه وخَرَّبَ بلادَه، واسْتَباح بَيْضَةَ قومِه ونَهَب حواصِلَه، ومَزَّق شَمْلَ الفُرْسِ شَذَرَ مَذَرَ، عَزَم أن لا يَجْتَمِعَ لهم بعدَ ذلك شَمْلٌ، ولا يَلْتَئِمَ لهم أمرٌ، فجَعَل يُقِرُّ كلَّ مَلِكٍ على طائفةٍ مِن النَّاسِ فى إقليمٍ مِن أقاليمِ الأرضِ، ما بينَ عَرَبِها وأعاجِمِها، فاسْتَمَرَّ كلُّ ملكٍ منهم يَحْمِى حَوْزَتَه، ويَحْفَظُ حِصَّتَه، وَيَسْتَغِلُّ مَحِلَّتَه، فإذا هَلَك، قام وَلَدُه مِن بعدِه، أو أَحَدُ قومِه، فاسْتَمَرَّ الأمرُ كذلك قريبًا مِن خمسِمائةِ سَنَةٍ، حتى كان أَرْدَشِيرُ بنُ بابَكَ مِن بنى سَاسانَ بنِ بَهْمَنَ بنِ إسفندِيارَ بنِ يَشتاسبَ بنِ لهراسبَ، فأعادَ مُلْكَهم إلى ما كان عليه، ورَجَعَت المَمالِكُ برُمَّتِها إليه، وأزالَ ممالكَ مُلُوكِ الطَّوائِفِ، ولم يَبْقَ منهم تالِدٌ و لا طَارِفٌ، وكان تَأَخَّرَ عليه حِصارُ صَاحِبِ الحَضْرِ، الذى كان أَكْبَرَهم وأَشَدَّهم وأَعْظَمَهم، إذ كان رَئِيسَهم وَمُقَدَّمَهم، فلمَّا مات أردشيرُ، تَصَدَّى له وَلَدُه سابورُ، فحاصَرَه حتى أخَذَه، كما تَقَدَّمَ. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

---

(١) الذى غَلَب مِلكَ الفُرس دارا بن دارا، هو إسكندرُ بن فيلبس المقدونىُّ، كما يبين من سياق القصة مفصّلًا عند السهيلى، فى الروض الأنف ١/ ١٤٤، ١٤٥.

بابُ[1] ذِكْرِ بنى إسماعيلَ

وما كان مِن أُمورِ الجاهِلِيَّةِ إلى زمانِ البِعْثَةِ

تَقَدَّم ذِكْرُ إسماعيلَ نَفْسِه ، عليه السَّلامُ ، مع ذِكْرِ الأنبياءِ[2] ، وكيف كان مِن أمْرِه حينَ احْتَمَلَه أبوه إبراهيمُ الخليلُ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مع أُمِّه هاجَرَ فأَسْكَنَهما بوادِى مَكَّةَ بينَ جبالِ فارَانَ ، حيثُ لا أَنِيسَ به ولا حَسِيسَ ، وكان إسْمَاعِيلُ رَضِيعًا ، ثُم ذَهَب وتَرَكَهُما هُنالِك عن أمْرِ اللَّهِ له بذلك ، ليس عندَ أُمِّه سوى جِرابٍ فيه تَمْرٌ ، وَوِكَاءٍ فيه ماءٌ ، فلمَّا نَفِدَ ذلك ، أَنْبَعَ اللَّهُ لهاجَرَ زَمْزَمَ ، التى هى طعامُ طُعْمٍ وشِفَاءُ سُقْمٍ ، كما تَقَدَّم بَيانُه فى حديثِ ابنِ عباسٍ الطَّوِيلِ[3] الذى رَواه البُخارِىُّ ، رَحِمَه اللَّهُ . ثُمَّ نَزَلَتْ جُرْهُمٌ ، وهم طائفةٌ مِن العَرَبِ العارِبةِ مِن أُمَمِ العربِ الأقْدَمِين ، عندَ هَاجَرَ بمَكَّةَ ، على أنْ ليس لَهم فى الماءِ شىءٌ ، إلَّا ما يَشْرَبُون منه ويَنْتَفِعُون به ، فَاسْتَأْنَسَتْ هَاجَرُ بهم [١/٢٢٢ظ] ، وجَعَل الخليلُ ، عليه السَّلامُ ، يُطالِعُ أَمْرَهم فى كُلِّ حِينٍ ؛ يُقالُ : إنَّه كان يَرْكَبُ البُرَاقَ مِن بلادِ بيتِ المَقْدِسِ فى ذَهابِه وإيَابِه ، ثُمَّ لمَّا تَرعْرَعَ الغُلامُ وشَبَّ ، وبَلَغ مع أبيه السَّعْىَ ، كانتْ قِصَّةُ الذَّبْحِ . كما تَقَدَّمَ بَيانُ أنَّ الذَّبِيحَ هو

---

(١) سقط من : م .

(٢) انظر ما تقدم فى ١/٣٥٤ - ٣٦٢، ٣٧٧ - ٣٨٣، ٤٤٢ - ٤٤٦.

(٣) تقدم تخريجه فى ١/٣٥٧.

إسماعيلُ ، على الصَّحِيحِ . ثُمَّ لمَّا كَبِرَ ، تَزَوَّجَ مِن جُرْهُمٍ امْرَأَةً ، ثُمَّ فارَقَها وَتَزَوَّجَ غَيْرَها ، وَتَزَوَّجَ بالسيِّدةِ بنتِ مُضَاضِ بنِ عَمْرٍو الجُرْهُمِيِّ ، وجاءته بالبَنِينَ الاثْنَىْ عشَرَ ، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُهم ، وهم : نابِتٌ ، وقَيْذَرُ ، ومِيشا ، ومِسْمَعٌ ، وماشى ، ودُمَا ، وأُدَرُ ، ويَطُورُ ، ونَبِشٌ ، وطيما ، وقَيْذُما . هكذا ذَكَرَهُ محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُه[1] عن كُتُبِ أهلِ الكتابِ ، وله ابنةٌ واحدةٌ اسمها نسمةٌ وهى التى زَوَّجَها مِن ابنِ أخِيه العِيصِ[2] بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، فوُلِدَ له منها الرُّومُ واليُونانُ[3] ، والأشبانُ أيضًا ، فى أَحَدِ القَوْلَيْنِ . ثُمَّ جميعُ عَرَبِ الحِجازِ على اختلافِ قبائِلِهم ، يَرْجِعُون فى أنْسابِهم إلى وَلَدَيْهِ نابِتٍ وقَيْدَرٍ . وكان الرئيسُ بعدَه والقائمُ بالأُمُورِ الحاكِمُ فى مكَّةَ ، والنّاظِرُ فى أمرِ البيتِ وزَمْزَمَ ، نابتَ بنَ إسماعيلَ[4] ، وهو ابنُ أُختِ الجُرْهُمِيِّينَ ، ثم تَغَلَّبَتْ جُرْهُمٌ على البيتِ ؛ طَمَعًا فى بنى أُخْتِهم ، فحَكَمُوا بِمَكَّةَ وما والاها ، عِوَضًا عن بنى إسماعيلَ ، مُدَّةً طويلةً ، فكان أَوَّلُ مَنْ صَارَ إليه أَمْرُ البَيْتِ بعدَ نابِتٍ مُضاضَ بنَ عَمْرِو بنِ سعدِ ابنِ الرَّقِيبِ بنِ هينِ[5] بنِ نبتِ بنِ جُرْهُمٍ . وَجُرْهُمُ بنُ قَحْطَانَ ، ويقُال : جُرْهُمُ ابْنُ يقطنَ بنِ عيبرِ بنِ شالخِ بنِ أَرْفَخْشَذَ بنِ سَامِ بنِ نُوحٍ الجُرْهُمِيُّ . وكان نازِلًا بِأَعْلى مَكَّةَ بقُعَيْقِعانَ ، وكان السَّمَيْدَعُ ، سيِّدُ قَطُوراءَ ، نازِلًا بقومِه فى أَسْفَلِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤، ٥. وتاريخ الطبرى ١/ ٣١٤. وطبقات ابن سعد ١/ ٥١. والكامل لابن الأثير ١/ ١٢٥.

(٢) فى م: «العيصو».

(٣) فى م: «فارس».

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١١١.

(٥) فى الأصل، ص: «هبير». وفى م: «عيبر». وكذا فى الموضع الذى يأتى. وعند السهيلى: «هَىّ». والمُثبت أقرب شىء إليه. انظر الروض ٢/ ١٩.

مَكَّةَ ، وكلٌّ منهما يَعْشُرُ[1] مَنْ مَرَّ به مُجتازًا إلى مَكَّةَ ، ثُمَّ وَقَع بين جُرْهُم وقَطُوراءَ ، فاقْتَتَلُوا ، فقُتِل السَّمَيْدَعُ ، واسْتوثَق الأمرُ لمُضاضٍ ، وهو الحاكمُ بمَكَّةَ والبيتِ ، لا يُنازِعُه فى ذلك وَلدُ إسْمَاعِيلَ ، مع كَثْرَتِهم وشَرَفِهم وانْتِشَارِهم بِمَكَّةَ وبغيرِها ؛ وذلك لخُؤُولَتِهم له ، ولعَظَمَةِ البيتِ الحرَامِ[2] ، ثُمَّ صارَ المُلْكُ بَعْدَه إلى ابنِه الحارِثِ ، ثُمَّ إلى عَمْرِو بنِ الحارِثِ . ثُمَّ بَغَتْ جُرْهُمٌ بِمَكَّةَ ، وَأَكْثَرَتْ فيها الفسادَ ، وأَلْحَدُوا بالمسجدِ الحرامِ ، حتى ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا منهم ، يُقالُ له : إِسَافُ ابنُ بَغْيٍ . وامْرَأَةٌ يُقالُ لها : نائِلةُ بنتُ وائِلٍ . اجْتَمَعَا فِى الكعبةِ ، فكانَ منه إليْها الفاحِشةُ ؛ فمَسَخَهما اللَّهُ حَجَرَيْن[3] فنَصَبَهما النَّاسُ قريبًا مِن البيتِ ؛ ليَعْتَبِرُوا بِهِمَا ، فلمَّا طالَ المَطَالُ بعدَ ذلك بِمُدَدٍ ، عُبِدا مِن دُونِ اللَّهِ ، فى زَمَنِ خُزَاعَةَ ، كما سيَأْتِى بيانُه فى مَوْضِعِه ، فكانا صَنَمَيْنِ مَنْصُوبَين ، يقالُ لهما : إِسَافٌ ونَائِلَةُ . فلمَّا أَكْثَرَتْ جُرْهُمٌ البَغْىَ بالبلدِ الحرامِ ، تَمالَأَتْ عليهم خُزاعَةُ الذين كانوا نَزَلُوا حَوْلَ الحَرَمِ[4] ، وكانوا مِن ذُرِّيَّةِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ ، الذى خَرَج مِن اليَمَنِ لِأَجْلِ ما تَوَقَّعَ مِن سَيْلِ العَرِمِ ، كما تقدَّمَ[5] . وقِيل : إِنَّ خُزاعَةَ مِن بنى إسماعيلَ . فاللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أنَّهم اجْتَمَعُوا لحَرْبِهم ، وآذَنُوهم بالحَرْبِ واقْتَتَلُوا ، واعْتَزَل بنو إسماعيلَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ ، فغَلَبَتْ خُزاعَةُ ، وهم بنو بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ وغُبْشَانُ ،

---

(١) يَعْشُر : يأخُذ عُشْر الأموال .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١١٢، ١١٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٨٢. وعنده : « نائلة بنت ديك » . وانظر الأصنام للكلبى ص ٩ وعنده : « إساف ابن يعلى » و « نائلة بنت زيد » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١١٣، ١١٤.

(٥) انظر ما تقدم فى صفحة ١١٣ .

وأَجْلَوهم عن البيتِ ، فعَمَدَ عَمرُو بنُ الحارِثِ بنِ مُضاضٍ الجُرْهُمِيُّ - وهو سيِّدُهُم - إلى غَزَالَي الكعبةِ ، وهُما مِن ذَهَبٍ ، وحَجَرِ الركْنِ - وهو الحَجَرُ الأسْوَدُ - وإلى سُيُوفٍ مُحَلَّاةٍ وأَشْيَاءَ أُخَرَ ، فدَفَنَها فى زَمْزَمَ وعَلَّمَ زَمْزَمَ ، وارْتَحَلَ بقومِهِ فَرَجَعُوا إلى اليمَنِ . وفى ذلك يقولُ عمرُو بنُ الحارِثِ بنِ مُضاضٍ :

(١وَقَائِلَةٍ وَالدَّمْعُ سَكْبٌ مُبادِرٌ ... وقد شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا المَحَاجِرُ١)
كأنْ لم يكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا ... أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
(٢فقُلتُ لها وَالْقَلْبُ مِنِّى كأنَّما ... يُلَجْلِجُهُ بَيْنَ الجَنَاحَيْنِ طَائِرُ٢)
بلى نحنُ كُنَّا أَهْلَها فأزالَنا ... صُرُوفُ اللَّيالى وَالْجُدُودُ(٣) العَوَاثِرُ
وكُنّا وُلَاةَ البيتِ مِن بعدِ نابِتٍ ... نَطُوفُ بذاكَ البَيْتِ والخَيْرُ ظاهِرُ
ونحنُ وَلِينا البَيْتَ مِن بعدِ نابِتٍ ... بِعِزٍّ فما يَحْظَى لَدَيْنا المُكاثِرُ
مَلَكْنا فعَزَّزْنَا فأَعْظِمْ بِمُلْكِنا ... فليس لحَيٍّ غَيْرِنا(٤) ثَمَّ فاخِرُ
ألم تُنْكِحُوا مِن خَيْرِ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ(٥) ... فأبْناؤُهُ مِنَّا ونحنُ الْأَصاهِرُ
فَإِنْ تَنْثَنِ الدُّنْيا علينا بِحالِها ... فإنَّ لها حالًا وفيها التَّشاجُرُ
[١/٢٢٣و] فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا المَلِيكُ بِقُدْرَةٍ ... كذلك يا لَلنّاسُ تَجْرِى المَقَادِرُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .
(٣) فى الأصل : « والجذوذ » . والجدود : جمع جَدٍّ ، وهو الحَظُّ .
(٤) فى الأصل : « عزنا » .
(٥) فى الأصل ، ص : « علمتم » .

أقُـولُ إذا نـامَ الخَلِـيُّ ولم أَنَمْ ... أَذَا العَرْشِ لا يَبْعُدْ سُهَيْلٌ وعامِرُ

وَبُدِّلْتُ منها أَوْجُهًا لا أُحِبُّها ... قَبائِلُ منها حِمْيَرٌ وَيَحَابِرُ[1]

وصِرْنا أحادِيثًا وكُنَّا بِغِبْطَةٍ ... بذلك عَضَّتْنا السِّنُونَ الْغَوابِرُ

فسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِى لِبَلْدَةٍ ... بِهَا حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المَشَاعِرُ

وتَبْكِى لبيتٍ ليس يُؤْذَى حَمامُهُ ... يَظَلُّ به[2] أَمْنًا وفيه العَصافِرُ

وَفِيه وُحُوشٌ لَا تُرامُ أَنِيسَةٌ ... إذا خَرَجَتْ منه فَلَيْسَتْ تُغادِرُ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقال عَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ مُضاضٍ - أيضًا - يَذْكُرُ بنى بكرٍ وغُبْشانَ ، الذين خَلَفُوا بَعْدَهم بمكةَ :

يا أَيُّها النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمُ[4] ... أَن تُصْبِحُوا ذاتَ يَوْمٍ لا تَسِيرُونا

حُثُّوا المَطِيَّ وأَرْخُوا مِنْ أَزِمَّتِها ... قَبْلَ المَماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا

كُنَّا أُناسًا كما كُنتُمْ فغَيَّرَنا ... دَهْرٌ فأَنْتُمْ كما صِرْنا تَصِيرُونا

قال ابنُ هِشامٍ[3] : هذا ما صَحَّ له منها ، وحَدَّثَنى بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ ، أنَّ هذه الأبياتَ أوَّلُ شِعْرٍ قِيل فى العَرَبِ ، وأَنَّها وُجِدَتْ مكتوبةً فى حَجَرٍ باليمنِ ، ولم يُسَمِّ قائِلَها . وذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ[5] لهذه الأبياتِ إخْوةً ، وحَكَى

---

(١) فى الأصل : «ويحاير» . ويحابر من قبائل اليمن . ويقال : هى مراد .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١١٦.

(٤) فى م : «قصاركم» . وقَصْركم : غايتكم .

(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٦.

عندَها حِكايةً مُعْجِبَةً وإنْشاداتٍ مُعْرِبةً. قال: وزادَ أبو الوَلِيدِ الأَزْرَقِيُّ، فى كتابِه «فَضائلِ مَكَّةَ»، على هذه الأبياتِ المَذْكُورةِ المَنْسُوبةِ إلى عَمْرِو بنِ الحارِثِ بنِ مُضَاضٍ:

قد مالَ دَهْرٌ علينا ثُمَّ أهْلَكَنا ... بالبَغْيِ فينا[1] وبَزَّ[2] النَّاسَ ناسونا[3]

[4]إنَّ التَّفَكُّرَ لا يُجدِى[5] بِصاحِبِه ... عِندَ البَدِيهَةِ فى عِلْمٍ له دُونا

قَضُّوا أُمُورَكُمُ بالحزْمِ إنَّ لها ... أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثمَّ مسنونا[6][4]

واسْتَخْبِرُوا فى صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمُ ... كما اسْتَبانَ طَرِيقٌ عِندَهُ الْهُونا

كُنَّا زَمانًا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمُ ... بِمَسْكَنٍ فى حَرامِ اللَّهِ مَسْكُونا

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «فيه».

(٢) فى الأصل، ا ٩: «وفذ». وفى ص: «وفد». وبزَّ: غَلَب.

(٣) فى الأصل: «يأسونا».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) فى ا ٩: «يجرى». والمثبت من الروض.

(٦) فى ا ٩: «مسونا». والمثبت من الروض.

قِصّةُ خُزاعَةَ وعَمْرِو بنِ لُحَىٍّ، وَعِبادةِ العَرَبِ للأصْنامِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ غُبْشانَ مِن خُزاعَةَ ، وَلِيَتِ البيتَ دونَ بنى بكرِ ابنِ عبدِ مَناةَ ، وكان الذى يَلِيه مِنهم عَمْرَو بنَ الحارِثِ الغُبْشانِىَّ ، وقُرَيْشٌ إذ ذاك حُلُولٌ وصِرْمٌ[2] ، وبُيُوتاتٌ مُتَفَرِّقُون فى قومِهم مِن بنى كِنانَةَ . قالوا[3] : وإنَّما سُمِّيَتْ خُزَاعَةُ خُزَاعةَ ؛ لأنَّهم تَخَزَّعُوا[4] مِن وَلَدِ عَمْرِو بنِ عامرٍ ، حِينَ أقْبَلُوا مِن اليمنِ يُرِيدُونَ الشَّامَ ، فنَزَلُوا بمَرِّ الظَّهْرانِ ، فأقامُوا به . قال عونُ بنُ أَيُّوبَ الأنْصارِىُّ ، ثُمَّ الخَزْرَجِىُّ فى ذلك :

فلمَّا هَبَطْنا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ ... خُزاعَةُ مِنَّا فى حُلُولٍ[5] كَراكِرِ[6]

حَمَتْ كُلَّ وادٍ مِن تِهامَةَ واحْتَمَتْ ... [7]بِصُمِّ القَنا[7] والمُرْهَفاتِ البَواتِرِ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١١٧.

(٢) الحلول : النازلون بالمكان أو الساكنون بالبيت . والصرم : الجماعة المنعزلة ، والقطعة من كل شىء .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٩١، ٩٢.

(٤) تخزعوا : تأخروا .

(٥) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : « الخيول » .

(٦) الكراكر : جمع كِرْكِرَة ، وهى الجماعة من الناس .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « بضم الفنا » . والقنا : جمع قَناة ؛ وهى الرُّمح الأجوف . والصُّمّ جمع أصمّ وصمّاء ؛ والقناة الصمّاء : المُكْتَنِز جَوْفُها .

(٨) المرهفات : رَهَف السيفَ : رقَّقه . والبواتر : القواطع .

وقال أبو المُطَهَّرِ إسماعيلُ بنُ رافِعٍ الأَنصارِىُّ الأَوْسِىُّ :

فلمَّا هَبَطْنا بَطْنَ مَكَّةَ أَحْمَدَتْ[1] خُزاعَةُ دارَ الآكِلِ المُتَحامِلِ

نَحَلْتُ[2] أَكارِيسًا[3] وَشَتَّتْ[4] قَنابِلًا[5] عَلى كُلِّ حَىٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وسَاحِلِ

نَفَوْا جُرْهُمًا عن بَطْنِ مَكَّةَ وَاحْتَبَوْا بِعِزٍّ خُزَاعِىٍّ شَدِيدِ الْكَواهِلِ

فَوَلِيَتْ خُزَاعةُ البيتَ ، يَتَوارَثُون ذلكَ كابِرًا عن كابِرٍ ، حتى كان آخِرَهم حُلَيْلُ[6] بنُ حُبْشِيَّةَ بنِ سَلُولِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو [١/٢٢٣ظ] بنِ رَبِيعَةَ الخُزاعِىُّ ، الذى تَزَوَّج قُصَىُّ بنُ كِلابٍ ابْنَتَه حُبَّى ، فوَلَدَتْ له بَنِيهِ الأربعةَ ؛ عبدَ الدّارِ ، وعبدَ مَنافٍ ، وعبدَ العُزَّى ، وعَبْدًا ، ثُمَّ صارَ أمرُ البيتِ إليه ، كما سيأتى بيانُه وتفصيلُه فى موضِعِه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ . واسْتَمَرَّتْ خُزاعَةُ على ولايةِ البيتِ نَحْوًا مِن ثَلثِمِائَةِ سنةٍ ، وقيل : خَمسِمائةِ سَنَةٍ . واللَّهُ أعْلَمُ . وكانوا مَشْئُومِين[7] فى وِلايتِهم ، وذلك لأنَّ فى زَمانِهم كان أوَّلُ عبادةِ الأوْثانِ بالحِجازِ ، وذلك بسببِ رئيسِهم عَمْرِو بنِ لُحَىٍّ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ؛ فإنَّه أوَّلُ مَن دَعاهم إلى ذلك ، وكان ذا مالٍ جَزِيلٍ جِدًّا ؛ يُقالُ : إنَّه فَقَأَ أعْيُنَ عِشرِينَ بعيرًا . وذلك عبارةٌ عن أنَّه مَلَكَ عِشْرِين ألفَ بعيرٍ ، وكان مِن عادةِ العربِ أنَّ مَن مَلَكَ ألفَ

---

(١) فى الأصل ، ص : « أخمدت » .

(٢) فى الأصل : « فحنت » . وفى ص : « فحنث » .

(٣) الأكاريس : جمع كِرْس ، وهو بيوت من الناس مجتمعة .

(٤) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « فشنت » . وشتَّتْ : تَفَرَّقَتْ .

(٥) فى الأصل : « قبائلا » . وفى ا ٩ ، ص : « قبايلا » . والقنابل : جمع قَنْبَل ، وهو الطائفة من الناس والخيل .

(٦) فى الأصل ، ص : « خليل » . وفى ا ٩ : « شليد » .

(٧) فى الأصل ، ص : « مسوس » . وفى م : « سوس » .

بعيرٍ، فَقَأَ عينَ واحدٍ منها؛ لأنَّه يَدْفَعُ بذلك العينَ عنها. وممَّن ذَكَر ذلك الأَزْرَقِيُّ[1]. وذَكَر السُّهَيْلِيُّ[2] أنَّه رُبَّما ذَبَح أيَّامَ الحَجِيجِ عَشَرةَ آلافِ بَدَنَةٍ، وكَسَا عَشَرةَ آلافِ حُلَّةٍ، فى كلِّ سَنَةٍ يُطعِمُ العَرَبَ، ويَحِيسُ لهم الحَيْسَ[3] بالسَّمْنِ والعَسَلِ، ويَلُتُّ لهم السَّوِيقَ[4]. قالوا: وكان قولُه وفِعْلُه فيهم كالشَّرْعِ المُتَّبَعِ؛ لشَرَفِه فيهم، ومَحِلَّتِه عندَهم وكَرَمِه عليهم.

قال ابنُ هِشامٍ[5]: حَدَّثَنى بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ عمرَو بنَ لُحَىٍّ خَرَج مِن مَكَّةَ إلى الشَّامِ فى بعضِ أُمُورِه، فلمَّا قَدِمَ مآبَ مِن أرضِ البَلْقاءِ، وبها يومَئذٍ العَمالِيقُ؛ وهم وَلَدُ عِمْلَاقٍ، ويقالُ: ولدُ عِمْليقِ بنِ لاوَذَ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ، رآهم يَعْبُدُون الأَصْنامَ، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التى أراكم تَعْبُدُون؟ قالوا له: هذه أصنامٌ نَعْبُدُها؛ فنَسْتَمْطِرُها فتُمْطِرُنا، ونَسْتَنْصِرُها فتَنْصُرُنا. فقال لهم: ألا تُعْطُونَنى منها صَنَمًا، فأَسِيرَ به إلى أرضِ العربِ، فيَعْبُدُوه؟ فأَعْطَوْه صنمًا يُقالُ له: هُبَلُ، فقَدِم به مكَّةَ فنَصَبَه، وأَمَر النَّاسَ بعبادَتِه وتَعْظِيمِه.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: ويَزْعُمُون أنَّ أوَّلَ ما كانتْ عبادةُ الحِجارَةِ فى بنى إسماعيلَ، عليه السَّلامُ؛ أنَّه كان لا يَظْعَنُ مِن مَكَّةَ ظاعِنٌ منهم، [7]حينَ ضاقَتْ عليهم والْتَمَسُوا الفُسَحَ فى البِلادِ[7]، إلَّا حَمَل معه حَجَرًا مِن حِجارَةِ

---

(١) فى أخبار مكة ص ٥٨.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٥٧.

(٣) فى الأصل: «الحسيس». والحَيْس: تمرٌ وأقِطٌ وسمنٌ، تُخلَط وتُعجَن وتُسوَّى كالثَّرِيد.

(٤) السَّوِيق: طعامٌ يُتَّخذ من مدقوق الحِنطة والشعير.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٧٧.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٧٧.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

الحَرَمِ ؛ تَعْظِيمًا للحَرَمِ ، فحيثُما نَزَلُوا وضَعُوه ، فطافُوا به كطَوافِهم بالكعبةِ ، حتى سَلَخ[1] ذلك بهم إلى أن كانوا يَعْبُدُون ما اسْتَحْسَنُوا مِن الحجارَةِ وأَعْجَبَهم ، حتى خَلَفَتِ الخُلُوفُ ونَسُوا ما كانوا عليه .

وفى « صحِيحِ البخارىِّ »[2] ، عن أبى رَجاءٍ العُطارِدِىِّ ، قال : كُنَّا فى الجاهِلِيَّةِ إذا لم نَجِدْ حَجَرًا ، جَمَعْنا حَثْيَةً مِن التُّرابِ ، وجِئْنا بالشَّاةِ فحَلَبْناها عليه ، ثُمَّ طُفْنا بها .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : واسْتَبْدَلُوا بِدِينِ إبراهيمَ وإسماعيلَ ، عليهما السَّلامُ ، غيرَه ، فعَبَدُوا الأوثانَ ، وصارُوا إلى ما كانتْ عليه الأُمَمُ قَبْلَهم مِن الضَّلالاتِ ، وفيهم على ذلك بقايا مِن عهدِ إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ ، يَتَمَسَّكُون بها ؛ مِن تعظيمِ البيتِ والطَّوافِ به ، والحَجِّ والعُمْرَةِ ، والوُقُوفِ على عَرَفَاتٍ والمُزْدَلِفَةِ ، وهَدْيِ البُدْنِ ، والإِهْلالِ بالحَجِّ والعُمْرَةِ ، مع إِدْخالِهم فيه ما ليس منه ، فكانت كِنانةُ وقُرَيْشٌ ، إذا أَهَلُّوا قالوا : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريكَ لكَ ، إلَّا شريكًا هو لك ، تَمْلِكُه وما مَلَك . فيوحِّدُونَه بالتَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ يُدْخِلُون معه أصْنامَهم ، ويَجْعَلُون مِلْكَها بيَدِه ؛ يقولُ اللَّهُ تعالى لمحمدٍ ﷺ[4] : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] . أى ؛ ما يُوَحِّدُونَنِى لمعرفةِ حَقِّى ، إلَّا جَعَلُوا معى شَرِيكًا مِن خَلْقِى .

---

(١) سلخ : مضى .

(٢) البخارى (٤٣٧٦) . وعنده : « جُثْوَة » بدل « حَثْيَة » . والحثية : الغَرْفَة من التراب .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٧٧، ٧٨.

(٤) التفسير ٤/ ٣٤١.

وقد ذَكَر السُّهَيْلِيُّ وغيرُه[1] ؛ أَنَّ أَوَّلَ مَن لَبَّى هذه التَّلْبِيَةَ ، عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ ، وأَنَّ إبليسَ تَبَدَّى له فى صورةِ شَيْخٍ ، فجَعَلَ يُلَقِّنُه ذلك ، فيَسْمَعُ منه ، ويقولُ كما يقولُ ، واتَّبَعَه العَرَبُ فى ذلك . وثَبَت فى « الصحيحِ »[2] ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا سَمِعَهم يَقُولُون : لَبَّيْكَ لا شريكَ لك . يقولُ : « قَدْ قَدْ » . أىْ ؛ حَسْبُ حَسْبُ .

وقد قالَ البُخَارِىُّ[3] : ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، حَدَّثَنا يحيى بْنُ آدَمَ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى حَصِينٍ[4] ، [5]عن أبى صالحٍ[5] ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : [6]« عَمْرُو بْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أبُو خُزَاعَةَ »[6] . تَفَرَّد به البخارىُّ مِن هذا الوجِه .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[7] : قرأتُ على أبى ؛ حدَّثَك عَمْرُو بنُ مُجَمِّعٍ ، حَدَّثنا إبراهيمُ الهَجَرِىُّ ، عن أبى الأحْوَصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال[6] : « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَعَبَدَ الأَصْنَامَ ، أَبُو خُزَاعَةَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَإِنِّى رَأَيْتُهُ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فى النَّارِ » . تَفَرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . وهذا

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) مسلم (١١٨٥).

(٣) البخارى (٣٥٢٠).

(٤) فى الأصل، م، ص: «أبى حفص». وهو عثمان بن عاصم أبو حصين الأسدى الكوفى. انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٠١.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م، ص. وهو أبو صالح السمان الزيات المدنى، واسمه ذكوان. انظر تهذيب الكمال ٨/ ٥١٣.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م، ص.

(٧) مسند أحمد ١/ ٤٤٦. (إسناده ضعيف).

يَقْتَضِى أنَّ عَمْرَو بنَ لُحَىٍّ ، هو أبو خُزاعَةَ الذى تُنْسَبُ إليه القبيلةُ بكَمالِها ، كما زَعَمَه [١/٢٢٤و] بعضُهم مِن أهلِ النَّسَبِ ، فيما حَكاه ابنُ إسحاقَ وغيْرُه[١] . ولو تَرَكْنَا مُجَرَّدَ هذا ، لكان ظاهرًا فى ذلك ، بل كالنَّصِّ ، ولكنْ قد جاءَ ما يُخالِفُه مِن بعضِ الوجوهِ ، فقال البخارىُّ[٢] : حَدَّثَنا[٣] أبو اليَمَانِ : أخبرنا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ قال : البَحِيرَةُ ؛ التى يُمْنَعُ دَرُّهَا[٤] للطَّوَاغِيتِ ، فلا يَحْلُبُها أحدٌ مِن النَّاسِ ، والسَّائِبَةُ ؛ التى كانوا يُسَيِّبُونَها لآلِهَتِهم[٥] ، لا يُحْمَلُ عليها شىءٌ . قال : وقال أبو هريرةَ : قال النبىُّ ﷺ : « رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ [٦]عامِرِ بْنِ لُحَىٍّ[٦] الخُزَاعِىَّ ، يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ؛ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ » . وهكذا رَواه البخارىُّ أيضًا ومسلمٌ[٧] ، مِن حديثِ صالحِ بنِ كَيْسانَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هُرَيرةَ به . ثمَّ قال البُخَارِىُّ : ورواه ابنُ الهادِ ، عن الزُّهْرِىِّ . قال الحاكمُ[٨] : أرادَ البُخَارِىُّ : ورواه ابنُ الهادِ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ بُخْتٍ ، عن الزُّهْرِىِّ . كذا قال .

وقد رواه أحمدُ[٩] ، عن عَمْرِو بنِ سَلَمَةَ الخُزاعِىِّ ، عنِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ ، عن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩١، والأصنام للكلبى ص ٨.

(٢) البخارى (٣٥٢١) .

(٣) فى م، ص : « وقال » .

(٤) فى الأصل : « ردها » . وفى ص : « بردها » .

(٥) فى الأصل، ١ ٩، ص : « لأهليهم » .

(٦ - ٦) فى الأصل، ١ ٩، ص : « لحى بن عامر » . وفى م : « عامر » . والتصحيح من البخارى .

(٧) البخارى (٤٦٢٣) . مسلم (٢٨٥٦) . وعند مسلم : « السيوب » ، بدل « السوائب » .

(٨) نقله المصنف من كلام شيخه المزى ، انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٣٢، وقد تعقب الحافظ ابنُ حجر الحافظ المزى فى النكت الظراف ١٠/٣٢ فقال: بل رواه يزيد بن الهاد عن الزهرى بلا واسطة . ثم ذكر رواية أحمد الآتية ، رادًا بها كلام الحاكم ومتابعة المزى له . وانظر تغليق التعليق ٤/٢٠٦ - ٢٠٨.

(٩) فى المسند ٢/ ٣٦٦. (إسناده صحيح) .

يزيدَ بنِ الهادِ، عن الزُّهْرِيِّ، عن سعيدٍ، عن أبى هريرةَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يقولُ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عَامِرٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ، وَبَحَرَ البَحِيرةَ». ولم يَذكُرْ بَيْنَهُمَا عَبْدَ الوهَّابِ بنَ بُخْتٍ، كما قال الحاكمُ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال أَحمدُ أيضًا[1]: حَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن أبى هُرَيرةَ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ، وهو أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ». وهذا مُنْقَطِعٌ مِن هذا الوَجْهِ، والصَّحِيحُ: الزُّهْرِيُّ، عن سعيدٍ عنه، كما تَقَدَّم. وقولُه فى هذا الحديثِ، والذى قَبْلَه: «الخُزَاعِيَّ». يَدُلُّ على أنَّه ليس والِدَ القَبِيلَةِ، بل مُنْتَسِبٌ إليها، فلعلَّ[2] ما وَقَع فى الرِّوايةِ مِن قولِهِ: «أبو خُزاعَةَ». تصحيفٌ مِن الرَّاوِى مِن: أخِى خُزاعةَ، أو أنَّه كان يُكْنَى بأبى خُزاعةَ، ولا يكونُ ذلك مِن بابِ الإخبارِ بأنَّه أبو خُزاعةَ كلِّهِم. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3]: حَدَّثَنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ، أنَّ أبا صالحٍ، السَّمَّانَ حَدَّثَهُ أنَّه سَمِعَ أبا هُرَيْرَةَ يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لأَكْثَمَ بنِ الجَوْنِ الخُزَاعِيِّ: «يا أَكْثَمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَه فى النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ». فقال أَكْثَمُ: عسى أَنْ يَضُرَّنِى شَبَهُه يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «لا[4]، إنَّكَ

---

(١) فى المسند ٢/ ٢٧٥. (إسناده ضعيف).

(٢) فى م: «مع».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٧٦. إسناده حسن. انظر (السلسلة الصحيحة ١٦٧٧).

(٤) سقط من: الأصل، ص.

مُؤْمِنٌ ، وهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّه كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، فَنَصَبَ الأَوْثَانَ ، وَبَحَرَ البَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، ووَصَلَ الْوَصِيلَةَ ، وَحَمَى الحَامِىَ » . ليسَ فى الكُتُبِ مِن هذا الوجْهِ ، وقد رَواه ابنُ جريرٍ[1] ، عن هَنَّادٍ ، عن[2] عَبْدَةَ ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ بنَحْوِه ، أو مِثْلَه ، وليس فى الكُتُبِ أيضًا .

وقال البخارىُّ[3] : حَدَّثنِى محمدُ بنُ أبى يعقوبَ أبو عبدِ اللَّهِ الْكِرْمانِىُّ ، حَدَّثنا حَسّانُ بنُ إبراهيمَ ، حَدَّثنا يونسُ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضًا ، ورَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ » . تَفَرَّدَ به البخارىُّ . وَرَوَى الطَّبَرَانِىُّ[4] ، مِن طريقِ صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ مَرْفُوعًا ، فى ذلك .

والمقصودُ أَنَّ عَمْرَو بنَ لُحَىٍّ ، لَعَنَه اللَّهُ ، كان قد ابْتَدَعَ لهم أشياءَ فى الدِّينِ ، غَيَّرَ بها دِينَ الخليلِ ، فَاتَّبَعَهُ العَرَبُ فى ذلك ، فضَلُّوا بذلك ضلالًا بعيدًا ، بَيِّنًا فظيعًا شنيعًا ، وقد أَنْكَرَ اللَّهُ تعالى عليهم فى كتابِه العزيزِ ، فى غيرِ ما آيةٍ منه ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ الآيـة [النحل: ١١٦] . وقال تعالى :

---

(١) تفسير الطبرى ٧/ ٨٧، وأخرجه أيضا من الطريق الأول به فى ٧/ ٨٦.

(٢) فى الأصل، م، ص: « بن » .

(٣) البخارى (٤٦٢٤) .

(٤) فى الكبير (١٠٨٠٨) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١١٦: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه صالح مولى التوأمة، وضعف بسبب اختلاطه، وابن أبى ذئب سمع منه قبل الاختلاط، وهذا من رواية ابن أبى ذئب عنه .

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وقد تكلَّمْنا على هذا كلِّه مبسوطًا، وبيَّنَّا اختلافَ السَّلَفِ فى تفسيرِ ذلك[(١)]، فَمَنْ أَرَادَه فليأْخُذْهُ مِن ثَمَّ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ. وقال تعالى[(٢)]: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]. وقال تعالى[(٣)]: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ [١/ ٢٢٤ظ] مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٦- ١٤٠].

---

(١) التفسير ٣/٢٠٣ - ٢٠٦، ٤/ ٥٢٩.

(٢) التفسير ٤/ ٤٩٦.

(٣) التفسير ٣/٣٣٦ - ٣٤٠.

قال البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] : بابُ جهلِ العربِ : حَدَّثَنا أبو النُّعمانِ ، حَدَّثَنا أبو عَوَانَةَ ، عن أبى بِشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قال : إذا سَرَّك أن تَعْلَمَ جهلَ العرَبِ ، فاقْرَأْ ما فَوْقَ الثَّلَاثِين ومِائَةٍ ، فى سورةِ « الأنعامِ » : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] . وقد ذَكَرْنا تفسيرَ هذه الآيَةِ[2] ، وما كانوا ابْتَدَعُوه مِن الشَّرائعِ الباطِلَةِ الفاسِدةِ ، التى ظَنَّها كبيرُهم عَمْرُو بنُ لُحَىٍّ ، قَبَّحَه اللَّهُ ، مصلحةً ورحمةً بالدَّوابِّ والبَهائِمِ ، وهو كاذِبٌ مُفْتَرٍ فى ذلك ، ومع هذا الجهلِ والضَّلالِ ، اتَّبَعَه هؤلاءِ الجَهَلَةُ الطَّغَامُ فيه ، بل قد تابَعُوه فيما هو أطَمُّ مِن ذلك وأَعْظَمُ بكثيرٍ ، وهو عبادةُ الْأَوْثانِ مع اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وبَدَّلُوا ما كان اللَّهُ بَعَثَ به إبراهيمَ خَلِيلَه مِن الدِّينِ القَوِيمِ والصِّراطِ المُستقيمِ ؛ مِن توحيدِ عبادةِ اللَّهِ وَحْدَه لا شَرِيكَ له ، وتحريمِ الشِّرْكِ ، وغَيَّرُوا شعائرَ الحَجِّ ومَعالِمَ الدِّينِ ، بغيرِ عِلْمٍ ولا بُرْهانٍ ، ولا دليلٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ ، واتَّبَعُوا فى ذلك مَن كان قَبْلَهم مِن الْأُمَمِ المُشرِكِين ، وشابَهُوا قَوْمَ نُوحٍ ، وكانوا أوَّلَ مَنْ أَشْرَكَ باللَّهِ وعَبَدَ الأصْنامَ ، ولهذا بَعَثَ اللَّهُ إليهم نُوحًا ، وكان أَوَّلَ رسولٍ بُعِثَ يَنْهَى عن عبادةِ الأصْنامِ ، كما تَقَدَّمَ بيانُه فى قِصَّةِ نُوحٍ[3] : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ الآية [نوح : ٢٣، ٢٤] . قال ابنُ عبَّاسٍ[4] : كان هؤلاء قومًا صالحينَ فى

---

(١) البخارى (٣٥٢٣) .

(٢) التفسير ٣/ ٣٤٠.

(٣) انظر ما تقدم فى ١/٢٣٧ - ٢٥٠. وانظر التفسير ٨/٢٦١ - ٢٦٣.

(٤) البخارى (٤٩٢٠) .

قومِ نوحٍ، فلمَّا ماتُوا عَكَفُوا على قُبُورِهم، فلمَّا طالَ عليهم الأَمَدُ عَبَدُوهُم. وقد بَيَّنَّا كَيْفِيَّةَ ما كان مِن أمْرِهم فى عِبادَتِهم بما أغْنَى عن إعادَتِه هٰهنا.

قال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[1]: ثُمَّ صارَتْ هذه الأصنامُ فى العربِ، بعدَ تَبْدِيلِهم دِينَ إسماعيلَ، فكانَ وَدٌّ لبَنِى كَلْبِ بنِ وَبْرَةَ[2] بنِ تَغْلِبَ بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعَةَ، وكان مَنْصُوبًا بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وكان سُوَاعٌ لبنى هُذَيْلِ بنِ [3]مُدْرِكَةَ بنِ إلْيَاسَ[3] بنِ مُضَرَ، وكان مَنْصُوبًا بمكانٍ يقالُ له: رُهَاطٌ. وكان يَغُوثُ لبَنِى أَنْعُمٍ مِن طَيِّئٍ ولأهلِ جُرَشَ مِن مَذْحِجٍ، وكان منصوبًا بجُرَشَ، وكان يَعُوقُ منصوبًا بأرضِ هَمْدَانَ مِنَ اليَمَنِ، لبنى خَيْوانَ؛ بَطْنٍ مِن هَمْدانَ، وكان نَسْرٌ منصوبًا بأَرضِ حِمْيَرَ لقبيلةٍ يُقالُ لهم: ذو الْكُلَاعِ.

قال ابنُ إسْحَاقَ[4]: وكان لخَوْلانَ بأَرْضِهِم صَنَمٌ يُقالُ له: عُمْيانِسُ[5]. يَقْسِمُون له مِن أنْعامِهم وحُرُوثِهم قِسْمًا بينَه وبينَ اللَّهِ، فيما يَزْعُمُون، فما دَخَل فى حقِّ عُمْيانِسَ مِن حقِّ اللَّهِ الذى قَسَمُوه له، تَرَكُوه له، وما دَخَل فى حقِّ اللَّهِ مِن حقِّ عُمْيانِسَ، رَدُّوه عليه، وفيهم أَنْزَلَ اللَّه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧٨ - ٨٠، والأصنام للكلبى ص ٩ - ١١، باختلافٍ يسير.

(٢) فى الأصل، م، ص: «مرة».

(٣ - ٣) فى م: «إلياس بن مدركة».

(٤) سيرة ابن هشام ١/٨٠، ٨١.

(٥) الذى فى النسخ، هنا وفيما يأتى: «عم أنس». والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر الأصنام للكلبى ص ٤٣. والقاموس المحيط، وتاج العروس (عمينس).

مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]. قال[١]: وكان لبنى مِلْكانَ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ صَنَمٌ، يُقالُ له: سَعْدٌ. صَخْرَةٌ بفَلاةٍ مِن أرْضِهم طويلةٌ، فأَقْبَل رجلٌ منهم بِإبِلٍ له مُؤَبَّلةٍ[٢] ليَقِفَها عليه، التِماسَ بَرَكَتِه، فيما يَزْعُمُ، فلمَّا رَأَتْهُ الإبِلُ، وكانت مَرْعِيَّةً لا تُرْكَبُ، وكان الصَّنَمُ يُهَرَاقُ عليه الدِّماءُ، نَفَرَتْ منه فذَهَبَتْ فى كُلِّ وَجْهٍ، وغَضِبَ رَبُّها وأَخَذ حَجرًا فرَماه به، ثُمَّ قال: لا بارَكَ اللَّهُ فيك، نَفَّرْتَ عَلَىَّ إبِلى. ثُمَّ خَرَج فى طَلَبِها، فلمَّا اجْتَمَعَتْ له قال:

أَتَيْنَا إلَى سَعْدٍ ليَجْمَعَ شَمْلَنا[٣] فشَتَّتَنا سَعْدٌ فلا نحنُ مِنْ سَعْدِ

وهل سَعْدُ إلَّا صَخْرَةٌ بِتَنُوفَةٍ[٤] مِنَ الأرضِ لا يَدْعُو[٥] لغَىٍّ ولا رُشْدِ

قال ابنُ إسحاقَ[٦]: وكان فى دَوْسٍ صَنمٌ لعَمْرِو بنِ حُمَمَةَ[٧] الدَّوْسِىِّ. قال: وكانت قُرَيشٌ قد اتَّخَذَتْ صَنَمًا على بِئرٍ فى جوفِ الكعبةِ يُقالُ له: هُبلُ. وقد [١/٢٢٥و] تَقَدَّمَ فيما ذكَره ابنُ هِشامٍ، أنَّه أوَّلُ صَنَمٍ نَصَبَه عَمْرُو بْنُ لُحَىٍّ، لَعَنَه اللَّهُ.

قال ابنُ إسْحَاقَ[٨]: واتَّخذوا إسافًا ونائِلَةَ على موضعِ زَمْزَمَ، يَنْحَرُون

---

(١) ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٨١.

(٢) المُؤَبَّلة: التى تُتَّخذ للاقتناء.

(٣) فى الأصل، ا ٩، ص: «بيننا».

(٤) فى الأصل، ص: «تبنونة». والتنوفة: الفَلاة لا ماءَ فيها ولا أنيس.

(٥) فى الأصل، ا ٩، ص: «يهدى».

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٨١.

(٧) فى الأصل، ص: «جميمة».

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٨٢.

عندَهما. ثُمَّ ذَكَر أنَّهما كانا رجُلًا وامرأةً، فوَقَعَ عليها فى الكعبةِ، فمَسَخَهما اللَّهُ حَجَرَيْن. ثُمَّ قال: حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ، عن عَمْرَةَ أنَّها قالتْ: سَمِعْتُ عائشةَ تقولُ: مازِلْنا نَسْمَعُ أنَّ إِسافًا ونائِلَةَ كانا رجُلًا وامرأةً مِن جُرْهُم، أَحْدَثَا فى الكعبةِ، فمَسَخَهما اللَّهُ، عزَّ وجَلَّ، حَجَرَيْن. واللَّهُ أعلمُ. وقدْ قِيلَ[1]: إنَّ اللَّهَ لم يُمْهِلْهما حتى فَجَرا فيها، بل مَسَخَهما قَبْلَ ذلك؛ فعِندَ ذلكَ نُصِبا عند الصَّفا والمَرْوَةِ، فلمَّا كان عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ، نَقَلَهُما فوَضَعَهما على زمزمَ، وطافَ النَّاسُ بِهِما. وفى ذلك يقولُ أبو طالبٍ[2]:

وحيثُ يُنِيخُ الأَشْعَرُونَ رِكابَهُمْ ... بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ ونَائِلِ

وقد ذَكَر الْواقِدِىُّ[3]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أمَر بكَسْرِ نائِلَةَ يومَ الفَتْحِ، خَرَجَتْ منها سَوْداءُ شَمْطاءُ، تَخْمِشُ وجهَها وتَدْعُو بالوَيْلِ والثُّبُورِ. وقد ذكَر السُّهَيْلِىُّ[4]: أنَّ أجَأً وسَلْمَى، وهما جَبَلان بأرضِ الحِجازِ، إنَّما سُمِّيا باسمِ رجُلٍ، اسمُه أَجَأُ بنُ عبدِ الحىِّ، فَجَر بسَلْمَى بنتِ حامٍ، فصُلِبا فى هذيْن الجَبَلَيْنِ، فعُرِفا بهما. قال: وكان بين أَجأٍ وسَلْمَى صنمٌ لطَيِّئٍ يُقالُ له: فِلْسٌ[5].

قال ابنُ إِسحاقَ[2]: واتَّخَذ أهلُ كلِّ دارٍ فى دارِهم صنمًا يَعْبُدُونه، فإذا

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٦٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣.

(٣) فى المغازى ١/ ٨٤١.

(٤) الروض الأنف ١/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٥) هنا وفيما سيأتى، فى م: «قلس». وكذا عند السهيلى. وانظر الأصنام للكلبى ص ١٥. والقاموس المحيط، وتاج العروس (ف ل س).

أرادَ الرَّجُلُ منهم سَفَرًا ، تَمَسَّح به حينَ يَرْكَبُ ، فكان ذلك آخِرَ ما يَصْنَعُ حينَ يَتَوَجَّهُ إلى سفرِه ، وإذا قَدِمَ مِن سفرِه تَمَسَّحَ به ، فكان ذلك أوَّلَ ما يَبْدَأُ به قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ على أهلِه . قال : فلمَّا بَعَث اللَّهُ محمَّدًا ﷺ ، بالتَّوْحيدِ ، قالتْ قُرَيشٌ : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

قال ابنُ إسْحاقَ[(١)] : وقد كانتِ العربُ اتَّخَذَتْ مع الكعبةِ طَواغِيتَ ، وهى بيوتٌ تُعَظِّمُها كتعظيمِ الكعبةِ ، لها سَدَنَةٌ وحُجَّابٌ ، وتُهْدِى لها كما تُهْدِى للكعبةِ ، وتَطُوفُ بها كطوافِها بها ، وتَنْحَرُ عندَها ، وهى مع ذلك تَعْرِفُ فضلَ الكعبةِ عليها ؛ لأنَّها بناءُ إبراهيمَ الخليلِ ، عليه السَّلامُ ، ومَسجِدُه ، فكانتْ لقُرَيْشٍ وبنى كِنانَةَ العُزَّى بِنَخْلَةَ ، وكانتْ سَدَنَتُها وحُجَّابُها بنى شَيْبَانَ ، مِن سُلَيْمٍ حُلَفاءِ بنى هاشمٍ . وقد خَرَّبها خالدُ بنُ الوليدِ زَمَنَ الفتْحِ ، كما سيأْتِى .

قال[(٢)] : وكانتِ اللَّاتُ لثَقِيفٍ بالطَّائِفِ ، وكانتْ سَدَنَتُها وَحُجَّابُها بنى مُعَتِّبٍ ، مِن ثَقِيفٍ . وخَرَّبَها أبو سُفيانَ والمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ ، بعدَ مَجِىءِ أهلِ الطَّائفِ ، كما سيأْتِى .

قال[(٣)] : وكانت مَناةُ للأَوْسِ والخَزْرَجِ ، ومَن دانَ بدِينِهم مِن أهلِ المدينةِ ، على ساحلِ البحرِ مِن ناحيةِ المُشَلَّلِ[(٤)] بقُدَيْدٍ . وقد خَرَّبها أبو سُفيانَ أيضًا ، وقيل : علىُّ بنُ أبى طالبٍ . كما سيأْتِى .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣، ٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٨٥.

(٤) فى الأصل، ص : «الملل» . وفى ا ٩: «المشكل» .

قال[1] : وكان ذو الخَلَصَةِ لدَوْسٍ وخَثْعَمٍ وبَجِيلَةَ ، ومَن كان ببلادِهم مِن العربِ بتَبَالَةَ . وكان يُقالُ[2] له : الكعبةُ اليَمَانيَّةُ . ولبيتِ مكَّةَ : الكعبةُ الشَّامِيَّةُ . وقد خرَّبَه جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيُّ ، كما سيأْتِى .

قال[3] : وكان فِلْسٌ لطَيِّئٍ [4]ومَن يَلِيها بجَبَلَىْ طيِّئٍ[4] ، بينَ أَجَأٍ وسَلْمَى . وهما جَبَلانِ مشهورانِ كما تَقَدَّم .

قال[3] : وكان رِئامٌ بَيْتًا لحِمْيَرَ وأهلِ اليمنِ ، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُه[5] فى قِصَّةِ تُبَّعٍ أَحَدِ مُلوكِ حِمْيَرَ ، وَقِصَّةِ الحَبْرَيْنِ حينَ خَرَّباه ، وقَتَلا منه كَلْبًا أَسْودَ . قال[6] : وكانتْ رُضَاءُ بَيْتًا لبنى رَبيعَةَ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مَناةَ[7] بنِ تَميمٍ ، ولها يقولُ المُسْتَوْغِرُ ، واسمُه كَعْبُ بنُ رَبيعَةَ بنِ كعبٍ :

ولقد شَدَدْتُ عَلى رُضاءِ شَدَّةً ... فَتَرَكْتُها قَفْرًا بِقاعٍ أَسْحَما[8]

وأعانَ عبدُ اللَّهِ فى مَكْرُوهِها ... وبِمِثْلِ عبدِ اللَّهِ أَغْشَى المَحْرَمَا

ويُقالُ : إنَّ المُسْتَوْغِرَ هذا عاشَ ثلاثَمائةِ سنةٍ وثلاثينَ سنةً ، وكان أَطْولَ مُضَرَ كُلِّها عُمْرًا ، وهو الذى يقولُ :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٦.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٧٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٨٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ا ٩، ص.

(٥) تقدم فى صفحة ١٢٨.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٨٧، ٨٨. وانظر البيت الثانى للمستوغر فى الروض ١/ ٣٧٩. ولم يورده فى السيرة.

(٧) سقط من : الأصل، ص.

(٨) الأسحم : سَحَّم الشىءَ : سَوَّدَه.

ولقد سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِها وَعُمِرْتُ مِن عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينا

مائةً حَدَثْها بَعْدَها مِائَتانِ لى وازْدَدْتُ مِن عددِ الشُّهُورِ سِنِينا

هل ما بَقِى إلَّا كما قد فاتَنا يَـوْمٌ يَمُـرُّ ولـيـلـةٌ تَحْـدُونـا

قال ابنُ هِشَامٍ[1] : ويُرْوَى لِزُهَيْرِ بنِ جَنَابِ بنِ هُبَلَ.

قال السُّهَيْلِىُّ[2] : وَمِنَ المُعَمَّرِين الَّذِينَ جاوَزُوا المِائتَيْن والثلثَمائَةِ، زُهَيْرٌ هَذا، وعُبَيْدُ بنُ شَرِيَّةَ[3]، ودَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ النَّسّابَةُ، والرَّبِيعُ بنُ ضُبَعَ الفَزارِىُّ، وَذُو الأُصْبُعِ العَدْوَانِىُّ، ونَصْرُ بنُ دُهْمانَ بنِ أَشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، وكان قد اسْوَدَّ شَعْرُه [١/٢٢٥ظ] بعدَ ابْيِضاضِه، وتَقَوَّمَ ظَهْرُه بعدَ انْحِنائِه. قال[4] : وكان ذو الكَعَباتِ لبَكْرٍ وتَغْلِبَ ابْنَىْ وائِلٍ وإيادٍ بِسَنْدادَ، وله يقولُ أَعْشَى بنى قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ :

بَيْـنَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ والبيتِ ذِى الشُّرُفاتِ مِن سَنْدَادِ

وَأَوَّلُ هَذِه القَصِيدةِ[5] :

ولقد عَلِمْتُ[6] وَإِنْ تَطاوَلَ بِى الْمَدَى أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِى الْأَعْوادِ

مَـاذَا أُؤَمِّـلُ بـعـدَ آلِ مُـحَـرِّقٍ تَـرَكُـوا مَـنـازِلَـهُـمْ وبـعـدَ إِيـادِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٨.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٧٨.

(٣) فى الأصل، م، ص: «شربة». وفى ا ٩: «سريه». والتصحيح من الروض. وانظر المعارف ص ٥٣٤.

(٤) أى ابن إسحاق، سيرة ابن هشام ١/ ٨٨.

(٥) انظر الروض الأنف ١/ ٣٨١.

(٦) فى الروض: «عمرت».

نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ[1] يَسِيلُ عليهِمُ مَاءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِن أَطوادِ
أرضُ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ والبيتِ ذِى الْكَعَبَاتِ مِن سَنْدادِ
جَرَتِ الرياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ فكأَنَّما كَانُوا على مِيعادِ
وَأَرَى النَّعِيمَ وكُلَّ ما يُلْهَى به يَوْمًا يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

قال السُّهَيْلِيُّ[2] : الخَوَرْنَقُ قَصْرٌ بَناه النُّعمانُ الأَكْبَرُ لسابُورَ ، لِيَكُونَ وَلَدُهُ فِيه عِندَه ، وَبَناه رَجُلٌ يُقالُ لَه : سِنِمَّارُ . فى عِشْرِين سنةً ، ولمْ يُرَ بِناءٌ أَعْجبُ منه ، فخَشِىَ النُّعْمانُ أن يَبْنِىَ لغيرِه مِثْلَه ، فألْقاه مِن أعْلاه ، فقَتَلَه ، ففى ذلك يقولُ الشَّاعِرُ :

جَزانِى جَزاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزائِهِ جَزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذَا ذَنْبِ
سِوَى رَصْفِهِ[3] البُنْيانَ عِشرِينَ حِجَّةً يَعُدُّ[4] عليه بالقَرَامِدِ[5] والسَّكْبِ[6]
فلمَّا انْتَهَى الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ وَآضَ كَمِثْلِ الطَّوْدِ وَالْبَاذِخِ الصَّعْبِ
رَمَى بسِنِمَّارٍ عَلَى حُقِّ رَأْسِهِ وذاكَ لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَقْبَحِ الْخَطْبِ

---

(١) الأنقرة : جمع نَقِير ، وهو ما نُقِر من الحجر والخشب وغيرهما ، والجِذع يُنقر ويُجعل فيه كالمراقى يُصعد عليه إلى الغُرَف .
(٢) الروض الأنف ١/ ٣٨٠.
(٣) فى م : « رضفه » . وفى ص : « رصعه » . وعند السهيلى : « رصه » . والرصْف : ضمُّ الحجارة بعضها إلى بعضٍ فى البناء .
(٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « يغل » . وعند السهيلى : « يُعلِّى » .
(٥) القرامد : حجارة مصنوعة تُنضَج بالنار ويُبنى بها ، أو يُغطَّى بها وجه البناء .
(٦) السَّكْب : النحاس ، والرصاص .

قال السُّهَيْلِيُّ[1] : أَنْشَدَهُ الجاحِظُ فى كتابِ «الحَيَوانِ»[2] ، والسنِمَّارُ مِن أَسماءِ القَمَرِ .

والمقصودُ أنَّ هذه البُيُوتَ كُلَّهَا هُدِمَتْ ، لمَّا جاء الإِسلامُ ، جَهَّز رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى كُلِّ بيتٍ مِن هذه سَرايا تُخَرِّبُه ، وإلى تلك الأَصْنامِ مَن كَسَّرَها ، حتى لم يَبْقَ لِلْكَعْبَةِ ما يُضَاهِيها ، وعُبِدَ اللَّهُ وَحْدَه لا شريكَ له ، كما سيأْتِى بيانُه وتفصيلُه فى مواضِعِه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ .

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٨١.

(٢) الحيوان للجاحظ ١/ ٢٣، ٢٤.

خَبَرُ عَدْنانَ جَدّ عربِ الحِجازِ

لا خلافَ أنَّ عَدْنَانَ مِن سُلالةِ إسْماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهما السَّلامُ، واخْتَلَفُوا فى عِدَّةِ الآباءِ بينَه وبينَ إسماعيلَ على أقوالٍ كثيرةٍ، فأكْثَرُ ما قِيلَ، أربعونَ أَبًا، وهو الموجودُ عندَ أهلِ الكِتابِ، أخَذُوه من كِتابِ رخيا، كاتبِ أَرْمِيا بْنِ حَلْقِيا، على ما سنَذْكُرُه. وقيلَ: بينَهما ثلاثونَ. وقيل: عِشْرُونَ. وقيل: خمسةَ عَشَرَ. وقِيل: عَشَرَةٌ. وقِيل: تِسعةٌ. وقِيل: سبعةٌ. وقيل: إنَّ أقلَّ ما قِيلَ فى ذلك أرْبعةٌ؛ لِمَا رَوَاه موسى بنُ يعقوبَ[1]، عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ وَهْبِ بنِ زَمْعَةَ الزَّمْعِيِّ، عن عَمَّتِه، عن أُمِّ سَلَمَةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ، أنَّه قالَ: «مَعَدُّ بنُ عَدْنَانَ بنِ أُدَدَ بنِ زَنْدِ بنِ يَرَى بنِ أعْرَاقِ الثَّرَى». قالت أمُّ سلمةَ: فَزَنْدٌ هو الهَمَيْسَعُ، واليَرَى هو نبتٌ[2]، وأعْراقُ الثَّرَى هو إسماعيلُ؛ لأنَّه ابنُ إبراهيمَ، وإبراهيمُ لم تَأْكُلْه النَّارُ، كما أنَّ النَّارَ لا تأكُلُ الثَّرَى. قال الدَّارَقُطْنِيُّ[3]: لا نَعرِفُ زَنْدًا إلَّا فى هذا الحديثِ، وزَنْدَ بنَ الجَوْنِ، وهو أبو دُلامَةَ الشَّاعِرُ.

---

(١) ومن طريق موسى بن يعقوب، أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٤٦٥. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى. والطبرى فى تاريخه ٢/ ٢٧١. والبيهقى فى الدلائل ١/ ١٧٧، ١٧٨. وأورده السهيلى فى الروض ١/ ٦٦، ٦٧. وأورده ابنُ عبد البر فى الإنباه على قبائل الرواة ص ٤٧، وقال: فهذا أرفع ما رُوى فى ذلك، وأولى ما قيل به فيه. واللَّه أعلم.

(٢) فى م: «نابت».

(٣) الروض الأنف ١/ ٦٧.

قال الحافظُ أبو القاسمِ السُّهَيْلِيُّ ، وغيرُه مِن الأَئِمَّةِ[1] : مُدَّةُ ما بينَ عَدْنانَ إلى زمنِ إسماعيلَ ، أكثرُ مِن أن يكُونَ بينَهما أربعةُ آباءٍ ، أو عشَرةٌ ، أو عِشرُونَ وذلك أنَّ مَعَدَّ بنَ عَدْنانَ كان عمرُه زَمَنَ بُخْتُ نَصَّرَ ، ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنةً . وقد ذكَر أبو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ وغيرُه ، أنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى [2]فى ذلك الزَّمَانِ[2] إلى أرمياءَ بنِ حَلْقيا : أنِ اذْهَبْ إلى بُخْتُ نَصَّرَ ، فأَعْلِمْهُ أنِّى قد سَلَّطْتُه على العَرَبِ . وأمَرَ اللَّهُ أرميا أن يحمِلَ معه مَعَدَّ بنَ عَدْنانَ على البُراقِ ؛ كى لا تُصِيبَه النِّقْمَةُ فيهم ، فإنِّى مُستَخْرِجٌ مِن صُلْبِه نَبِيًّا كريمًا أَخْتِمُ به الرُّسُلَ . ففَعَلَ أرميا ذلك ، واحتمَلَ مَعَدًّا على البُراقِ إلى أرضِ الشَّامِ ، فنَشَأَ مع بنى إسرائيلَ ، ممَّن بَقِىَ منهم بعدَ خرابِ بيتِ المَقْدِسِ ، وتَزَوَّجَ هناك امرأةً اسمُها مُعانَةُ بنتُ جَوْشَنَ ، مِن بنى دُبِّ بنِ جُرْهُمٍ ، قبلَ أن يَرْجِعَ إلى بلادِه ، ثُمَّ عاد بعدَ أنْ هَدَأَتِ الفِتنُ وتمَحَّضَتْ جزيرةُ العَرَبِ ، وكان رخيا كاتبُ أرمياءَ ، قد كَتَب نَسَبَه فى كتابٍ عندَه ، ليكونَ فى خَزانةِ أرمياءَ ، فيَحْفَظَ نَسَبَ مَعَدٍّ كذلك . واللَّهُ أعلمُ . ولهذا كَرِه مالكٌ ، رحِمَه اللَّهُ ، رَفْعَ النَّسَبِ إلى ما بعدَ عَدْنانَ .

قال السُّهَيْلِيُّ[3] : وإنَّما تَكَلَّمْنا فى رفْعِ هذه الأَنْسابِ ، على مذهبِ مَنْ يَرَى ذلك ولم يَكْرَهْه ، كابنِ إسحاقَ والبُخارىِّ والزُّبَيْرِ [١/٢٢٦و] بنِ بَكَّارٍ والطَّبَرِىِّ ، وغيرِهم مِن العُلماءِ ، وأمَّا مالِكٌ ، رحِمه اللَّهُ ، فقد سُئِل عن الرَّجلِ يَرفَعُ نَسَبَه إلى آدمَ ، فكَرِهَ ذلك ، وقال له : مِن أينَ له عِلْمُ ذلك ؟ فقيل له : فإلى

---

(١) الروض الأنف ١/٦٧ - ٦٩. وانظر ما ذكره الطبرى فى تاريخه ١/٥٥٩، ٥٦٠. وانظر أيضًا الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٤٦، ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٣) الروض الأنف ١/٨٣، ٨٤.

إسماعيلَ . فأنْكَرَ ذلك أيضًا ، وقال : ومَن يُخْبِرُه به ؟ وكَرِه أيضًا أن يُرْفَعَ فى نسبِ الأنبياءِ ، مثلَ أن يُقالَ : إبراهيمُ بنُ فلانِ بنِ فلانٍ . هكذا ذَكَره المُعِيطِىُّ فى كتابِه . قال[1] : وقولُ مالكٍ هذا نحوٌ مِمّا رُوِىَ عن [2]عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[3] ، أنَّه قال : ما وَجَدْنا أحدًا يَعرِفُ ما بينَ عَدْنانَ وإسماعيلَ . وعن[2] ابنِ عَبَّاسٍ ، أنَّه قال[4] : بينَ عَدْنانَ وإسماعيلَ ثلاثون أَبًا ، لا يُعْرَفون . ورُوِى عن ابنِ عباسٍ[5] أيضًا ، أنَّه كان إذا بَلَغ عَدْنانَ يقولُ : كَذَب النَّسَّابُون . مَرَّتَيْن أو ثلاثًا . والأصَحُّ عن ابنِ مسعودٍ ، مِثْلُه[6] . وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ[7] : إنَّما نَنْتَسِبُ[8] إلى عَدْنانَ . وقال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ ، فى كتابِه « الإنْباهُ فى معرفةِ قبائلِ الرُّواةِ »[9] : رَوَى ابنُ لَهِيعَةَ ، عن أبى الأسْوَدِ ، أنَّه سَمِع عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ يَقولُ : ما وَجَدْنا أحدًا يَعرِفُ ما وراءَ عَدْنانَ ، ولا ما وراءَ قَحْطانَ إلَّا تَخَرُّصًا . وقال أبو الأسودِ[10] : سمِعْتُ أبا بكرِ بنَ سُليمانَ بنِ أبى حَثْمَةَ[11] - وكان مِن أعْلَمِ قُرَيْشٍ بأشْعارِهم وأنْسابِهم - يَقولُ : ما وَجَدْنا أحدًا يَعرِفُ ما وراءَ مَعَدِّ بنِ

---

(١) أى السهيلى .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، ص .

(٣) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ٥٨، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٥٢. وذكره الزرقانى فى شرح المواهب ١/ ٨١.

(٤) ذكره الزرقانى فى شرح المواهب ١/ ٨١. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٧٢ إلى أبى عبيد وابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٥٦. ضعيف . (انظر السلسلة الضعيفة ١١١) .

(٦) رواه الطبرى فى تفسيره ١٣/ ١٨٧.

(٧) ذكره الزرقانى فى شرح المواهب ١/ ٨١. وذكره أيضا فى الإنباه ص ٤٨.

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « تنسب » .

(٩) الإنباه ص ٤٧.

(١٠) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٤٨، وابن عبد البر فى الإنباه ص ٤٨.

(١١) فى الأصل : « خيثة » . وفى م ، ص : « خيثمة » .

عَدْنانَ فى شِعْرِ شاعرٍ، ولا عِلْمِ عالمٍ. قال أبو عُمَرَ[1]: وكان قومٌ من السَّلَفِ، منهم عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وعَمْرُو بنُ مَيْمُونٍ الأَوْدِىُّ[2]، ومحمدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِىُّ إذا تَلَوْا: ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]. قالوا: كَذَب النَّسَّابُون.

قال أبو عُمرَ، رحِمَه اللهُ[1]: والمعْنَى عندَنا فى هذا، غيرُ ما ذَهَبُوا، والمرادُ أنَّ مَن ادَّعَى إحْصاءَ بنى آدمَ، فإنَّهم لا يَعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ الذى خَلَقَهم، وأمَّا أنْسابُ العربِ؛ فإنَّ أهلَ العِلْمِ بأيامِها وأَنْسابِها قد وَعَوْا وحَفِظُوا جماهيرَها وأُمَّهاتِ قبائِلها، واخْتَلَفُوا فى بعضِ فُرُوعِ ذلك.

قال أبو عُمرَ[1]: والذى عليه أئمَّةُ هذا الشَّأْنِ فى نسبِ عَدْنانَ، قالوا: عدنانُ بنُ أُدَدَ بنِ مُقَوَّمِ بنِ ناحورِ [3]بنِ تَيْرَحَ[3] بنِ يَعْرُبَ بنِ يَشْجُبَ بنِ نابِتِ ابنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهما السَّلامُ، وهكذا ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ فى «السيرةِ»[4].

قال ابنُ هشامٍ[5]: ويُقالُ عَدْنانُ بنُ أُدٍّ يعنى: عَدْنانَ بنَ أُدِّ بنِ أُدَدَ. ثُمَّ ساقَ أبو عُمرَ[6] بَقِيَّةَ النَّسَبِ إلى آدمَ، كما قَدَّمْناه فى قصَّةِ الخليلِ، عليه

---

(١) الإنباه ص ٤٩.

(٢) فى النسخ: «الأزدى»، والمثبت من الإنباه، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٦١.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٧، ٨.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٨.

(٦) الإنباه ص ٤٩، ٥٠.

السَّلامُ[1] ، وأمَّا الأنْسابُ إلى عَدْنانَ مِن سائرِ قبائلِ العربِ ، فمحفوظةٌ شهيرةٌ جدًّا ، لا يَتَمارَى فيها اثنان ، والنَّسَبُ النَّبَوِيُّ إليه أظهرُ وأوضحُ مِن فَلَقِ الصُّبْحِ ، وقد وَرَد حديثٌ مرفوعٌ بالنَّصِّ عليه ، كما سنُورِدُه فى مَوْضِعِه بعدَ الكلامِ على قبائلِ العربِ ، وذِكْرِ أنْسابِها وانتظامِها فى سِلْكِ النسبِ الشَّرِيفِ والأصلِ المُنِيفِ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكْلانُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ . وما أحْسَنَ ما نظَمَ النَّسَبَ النَّبَوِيَّ ، الإمامُ أبو العبَّاسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ النَّاشِئُ ، فى قصيدَتِهِ المشهورةِ المنسوبةِ إليه[2] ، وهى قولُهُ :

مدَحْتُ رَسولَ اللَّهِ أَبْغِى بمَدْحِهِ ... وُفُورَ حُظُوظى مِن كريمِ المآرِبِ
مدَحْتُ امرءًا فاقَ المديحَ مُوَحَّدًا ... بأوصافِهِ عن مُبعِدٍ ومُقارِبِ
نبيًّا تَسامَى فى المَشارِقِ نورُهُ ... فَلاحَتْ هَوادِيهِ لأهلِ المغاربِ
أتَتْنا به الأنباءُ قبلَ مَجِيئِهِ ... وشاعتْ به الأخبارُ فى كلِّ جانبِ
وأَصْبحتِ الكُهَّانُ تَهْتِفُ باسمِه ... وتَنْفِى به رَجْمَ الظُّنُونِ الكواذِبِ
وأُنطِقَتِ الأَصنامُ نُطْقًا تَبَرَّأَتْ ... إلى اللَّهِ فيه مِن مقالِ الأكاذِبِ
وقالتْ[3] لأهلِ الكفرِ قولًا مُبَيَّنًا ... أتاكمْ نبيٌّ من لُؤَيِّ بنِ غالِبِ
ورامَ اسْتِراقَ السَّمْعِ جِنٌّ فزَيَّلَتْ ... مقاعدَهم منها رُجُومُ الكَواكِبِ

---

(١) تقدم فى ١/ ٣٢٤.
(٢) القصيدة فى الإنباه ص ٥٠ - ٥٥. وتهذيب الكمال ١/١٧٧ - ١٨٠.
(٣) فى الأصل : « وقال » .

هَدانا إلى ما لم نَكُنْ نَهْتَدِى له ... لطُولِ العَمَى مِن واضحاتِ المذاهبِ

وجاء بآياتٍ تُبَيِّنُ أنَّها ... دلائلُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعاقِبِ

فمنها انشِقاقُ البدرِ حينَ تَعَمَّمَتْ[1] ... شُعُوبُ الضِّيا[2] منه رُءُوسَ الأخاشِبِ[3]

ومنها نُبُوعُ الماءِ بينَ بَنانِه ... وقد عَدِمَ الوُرَّادُ قُرْبَ المشاربِ

فرَوَّى به جَمًّا غَفِيرًا وأسْهَلَتْ ... بأعناقِه[4] طَوْعًا أَكُفُّ المَذانِبِ[5]

وبئرٌ طغتْ بالماءِ مِن مسِّ[6] سَهْمِه ... ومِن قبلُ لم تسمحْ بمَذْقَةِ[7] شاربِ

وضَرْعٌ مَراهُ فاسْتَدَرَّ ولم يَكُنْ ... به دَرَّةٌ تُصغِى إلى كفِّ حالبِ[8]

ونُطْقٌ فَصِيحٌ مِن ذِراعٍ مُبِينَةٍ ... لكَيْدِ عَدُوٍّ للعَداوةِ ناصِبِ

وإخبارُه بالأمرِ مِن قبْلِ كَوْنِهِ ... وعندَ بَوادِيهِ بما فى العَواقِبِ

ومِن تِلْكُمُ الآياتِ وَحْىٌ أَتَى به ... قرِيبُ المَأتِى مُسْتَجِمٌّ[9] العَجائِبِ

---

(١) أى عمَّت.

(٢) شعوب الضِّيا: يعنى شعوب الضياء، وحُذفت الهمزة. والشعوب القِطَع من الشىء.

(٣) الأخاشِب: جَبَلا مكة؛ أبو قُبيس والأحمر، وجبلا مِنى.

(٤) أسهلت أى بلغت السهل من الأرض. والأعناق: جمع عنق - وهو أول كل شىء.

(٥) المذانب: جمع مِذْنَب؛ وهو مَسِيل الماء إلى الأرض.

(٦) فى الأصل: «بين».

(٧) المذقة: الطائفة من اللبن الممزوج بالماء. ويعنى بالمذقة هنا قَدْرها من الماء.

(٨) مراه: مسح ضرع الناقة لتدر. الدرة: اللبن، أو الكثير منه.

(٩) المستجمّ: الكثير.

[١/٢٢٦ظ] تَقاصَرَتِ الأفكارُ عنه فلم يُطِعْ بليغًا ولم يَخْطِرْ على قلبِ خاطِبِ
حوَى كلَّ عِلْمٍ واحْتَوَى كلَّ حِكمةٍ وفاتَ مَرَامَ المُسْتَمِرِّ المُوارِبِ[١]
أتَانا به لا عن رَوِيَّةِ مُرْتَئٍ ولا صُحْفِ مُسْتَمْلٍ ولا وصْفِ كاتبِ
يُواتيه طَوْرًا فى إجابةِ سائلٍ وإفتاءِ مُسْتَفْتٍ ووَعْظِ مُخاطبِ
وإتيانِ بُرْهانٍ وفَرْضٍ[٢] شَرائِعٍ وقَصٍّ أحاديثٍ ونَصٍّ مآرِبِ
وتصريفِ أمثالٍ وتَثْبِيتِ حُجَّةٍ وتعريفِ ذِى جَحْدٍ وتَوقِيفِ كاذِبِ[٣]
وفى مَجْمَعِ النّادِى وفى حَوْمَةِ الوَغَى وعندَ حُدُوثِ المُعْضِلاتِ الغَرائِبِ
فيأتى على ما شِئْتَ مِن طُرُقاتِهِ قَوِيمَ المعانى مُسْتَدِرَّ الضَّرائِبِ[٤]
يُصدِّقُ منه البعضُ بعضًا كأنّما يُلاحَظُ معناه بعَيْنِ المُراقِبِ
وعجْزُ الوَرَى عن أن يَجِيئُوا بِمِثْلِ ما وَصَفْناهُ معلومٌ بطُولِ التَّجارِبِ
تأبَّى بعبدِ اللّهِ أكْرَمِ والِدٍ تَبَلَّجَ منه عن كَرِيمِ المناسبِ[٥]
وشَيْبَةَ ذى الحَمْدِ الذى فَخَرَتْ به قُرَيشٌ على أهلِ العُلا والمناصبِ
ومَن كان يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ويُصْدَرُ عن آرائِه فى النَّوائبِ

---

(١) المستمر : القوى . الموارب : المخادع .
(٢) فى الأصل : « وفضل » .
(٣) فى الأصل ، ص : « كاتب » .
(٤) مستدرّ الضرائب : كثير الأمثال والأنواع .
(٥) كريم المناسب : أى كريم النسب ، والمناسب جمع مَنْسِب .

وهاشمٍ البانى مَشِيدَ افتخارِهِ بعُرٍّ[1] المَساعى وامْتِنانِ[2] المواهبِ
وعبدِ مَنافٍ وَهْوَ عَلَّمَ قومَه اشْـ ـتِطاطَ الأَمانِى[3] واحْتِكامَ الرَّغائبِ
وإنَّ قُصَيًّا مِن كريمِ غِراسِه لَفِى مَنْهَلٍ لم يَدْنُ مِن كَفٍّ قاضِبِ[4]
به جَمَعَ اللَّهُ القبائلَ بعدَما تَقَسَّمَها نَهْبُ الأَكُفِّ السَّوالِبِ
وحَلَّ كِلابٌ مِن ذُرَى المجدِ مَعْقِلًا تَقاصَرَ عنه كلُّ دانٍ وغائبِ[5]
ومُرَّةُ لم يَحْلُلْ مَرِيرَةَ عَزْمِهِ[6] سِفاهُ سفيهٍ أو مَحُوبةُ حائِبِ[7]
وكَعْبٌ عَلا عن طالبِ المجدِ كَعْبُهُ فنال بأدْنَى السَّعْيِ أعلَى المراتبِ
وألْوَى لُؤَيٌّ بالعُداةِ[8] فطُوِّعَتْ له هِمَمُ الشُّمِّ الأُنوفِ الأغالِبِ
وفى غالبٍ بَأْسٌ أبَى البأسُ دُونَهمْ يُدافِعُ عنهم كلَّ قِرْنٍ مُغالِبِ
وكانتْ لفِهْرٍ فى قُرَيشٍ خَطابَةٌ يَعُوذُ بها عِندَ اشْتِجارِ المَخَاطِبِ[9]
وما زالَ منهم مالِكٌ خيرَ مالكٍ وأكْرَمَ مَصْحُوبٍ وأكرمَ صاحبِ

---

(١) فى الأصل: «بعز».
(٢) فى ص: «وامتهان».
(٣) اشتطاط الأمانى: أى الأمانى العالية الكبيرة. واشتطَّ: بَعُد.
(٤) قَضَب الشىء: قطعه.
(٥) فى ص: «راغب».
(٦) مريرة عزمه: مُحْكَم عزمه.
(٧) محوبة حائب: إثْم آثم.
(٨) ألوى بالعداة: غلب عليهم.
(٩) المخاطب: جمع مَخْطَبة، وهى الخُطْبة.

وللنَّضْرِ طَوْلٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دونَه ... بحيثُ الْتَقَى ضَوءَ النُّجومِ الثَّواقِبِ

لَعَمْرِى لقد أبْدَى كِنانَةُ قبْلَه[1] ... محاسِنَ تَأْبَى أن تَطُوعَ لغالِبِ

ومِن قبلِه[1] أبقى خُزَيْمَةُ حَمْدَهُ[2] ... تَلِيدَ تُراثٍ عن حَمِيدِ الأقاربِ

ومُدْرِكَةٌ لم يُدْرِكِ النَّاسُ مِثْلَه ... أعَفَّ وأعْلَى عن دَنِيِّ المكاسبِ

وإلياسُ كان اليأسُ منه مُقارِنًا ... لأعدائِهِ قَبْلَ اعْتدادِ الكتائبِ

[3]وفى مُضَرٍ يَسْتَجْمِعُ الفخرَ كلَّه ... إذا اعْتَرَكَتْ يومًا زُحُوفُ المقانبِ[3]

وحَلَّ نِزارٌ مِن رِياسةِ أهلِه[4] ... مَحَلًّا تَسامَى عن عُيُونِ الرَّواقِبِ

وكان مَعَدٌّ عُدَّةً لِوَلِيِّه ... إذا خافَ مِن كيدِ العدوِّ المُحارِبِ

وما زالَ عَدْنانٌ إذا عُدَّ فَضْلُهُ ... تَوَحَّدَ فيه عن قَرِينٍ وصاحبِ

وأُدٍّ تَأَدَّى الفضلُ منه بِغايةٍ ... وإرْثٍ حَواهُ عن قُرُومٍ[5] أشايِبِ

وفى أُدَدٍ حِلْمٌ تَزَيَّنَ بالحِجا[6] ... إذا الحِلْمُ أزْهاهُ قُطوبُ[7] الحواجبِ

وما زال يَسْتَعْلِى هَمَيْسَعُ بالعُلى ... ويَتْبَعُ[8] آمالَ البعيدِ المراغبِ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «بعده».

(٢) فى الأصل، ص: «بعده».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. والمقانب: جمع مِقْنَب؛ وهو جماعة من الفرسان والخيل دون المائة، تجتمع للغارة.

(٤) فى الأصل، ا ٩، ص: «قومه».

(٥) القُرُوم: جمع قَرْم؛ وهو السَّيِّد المُعظَّم.

(٦) الحِجا: العقل.

(٧) فى الأصل، ص: «قطرب». والقُطُوب: من قَطَب الرجل؛ إذا ضمَّ حاجبيه وعبس.

(٨) فى الأصل، ص: «ويبلغ». وفى ا ٩: «ويأمل».

ونَبْتٌ بَنَتْهُ دَوحَةُ العِزِّ وابتنى معاقِلَه فى مُشْمَخِرِّ الأهاضبِ[1]

وحِيزَتْ لِقيدارٍ سَمَاحةُ حاتِمٍ وحِكمةُ لُقْمانٍ وهِمَّةُ حاجِبِ

هُمُو نَسْلُ إسماعيلَ صادِقِ وَعْدِهِ فما بَعدَهُ فى الفخرِ مَسْعًى لِذاهِبِ

وكان خليلُ اللَّهِ أكْرَمَ مَن عَنَتْ له الأرضُ مِن ماشٍ عليها وراكِبِ

وتارِحُ ما زالتْ له أَرْيَحِيَّةٌ تُبَيِّنُ منه عن حَميدِ المَضارِبِ[2]

وناحُورُ نَحَّارُ العِدَى حُفِظَتْ له مَآثِرُ لَمَّا يُحْصِها عَدُّ حاسِبِ

وأَشرَعُ فى الهَيْجاءِ ضَيْغَمُ غابةٍ يَقُدُّ الطُّلَى بالمُرْهَفاتِ القواضِبِ[3]

وأرغَوُ نابٌ[4] فى الحروبِ مُحَكَّمٌ ضَنِينٌ على نَفْسِ المُشِحِّ[5] المُغالِبِ

وما فالِجٌ فى فَضْلِهِ تِلْوَ[6] قَوْمِهِ ولا عَابِرٌ مِن دُونِهِمْ[7] فى المراتِبِ

وشالِخُ وأَرْفَخْشَذُ وسامٌ سَمَتْ بهمْ سَجايا حَمَتْهمْ كلَّ زارٍ وعائبِ

وما زال نوحٌ عندَ ذى العرشِ فاضلًا يُعَدِّدُه فى المُصْطَفَيْنَ الأطايِبِ

ولَمْكٌ أبوهُ كان فى الرَّوْعِ رائعًا جريئًا على نفسِ الكَمِيِّ[8] المُضارِبِ

---

(١) مشمخِرّ الأهاضب: عالى الهضاب. والمشمَخِرّ: شديد الارتفاع.

(٢) فى الأصل، ا ٩، ص: «الضرائب». والمضارب: السَّجايا.

(٣) يَقُدّ الطُّلى: يقطع الأعناق، والطُّلى جمع طُلَاة. المُرهَفات القواضِب: يعنى بها السيوف، والمُرهف: المُرَقَّق المُحَدَّد. والقواضب: القواطع.

(٤) فى الأصل: «قباب».

(٥) فى الأصل: «المشيح». وفى ا ٩: «الشحيح». والمشحّ: البخيل.

(٦) التِّلْو: تلوُ كلِّ شىءٍ: ما يَتلُوه ويَتْبَعُه.

(٧) فى الأصل، ا ٩، ص: «دونه».

(٨) الكَمِىّ: لابِس السلاحِ، والشجاع الجرىء.

ومِن قَبْلِ لَمْكٍ لم يَزَلْ مُتَوَشْلِخٌ يَذُودُ العِدَى بالذَّائِداتِ الشَّوارِبِ[1]

وكانتْ لإِدْرِيسَ النَّبِيِّ منازِلٌ مِن اللَّهِ لم تُقْرَنْ بِهِمَّةِ راغبِ

ويارَدُ بحرٌ عندَ آلِ سَرَاتِهِ أَبِيُّ الخَزايا مُسْتَدِقُّ المآربِ

وكانتْ لمهلاييلَ فَهْمُ فضائلٍ مُهَذَّبةٍ مِن فاحشاتِ المَثالِبِ

وقَيْنانُ مِن قَبْلُ اقْتَنَى مَجْدَ قومِهِ وفاتَ[2] بشَأْوِ الفضلِ وَخْدَ[3] الرَّكائِبِ

وكان أَنُوشٌ ناشَ[4] للمَجْدِ نَفْسَهُ ونَزَّهَها عن مُرديَاتِ المَطالبِ

وما زال شِيثٌ بالفضائلِ فاضلًا شريفًا بريئًا مِن ذميمِ المعائبِ

وكلُّهمْ مِن نُورِ آدمَ أُقْبِسُوا وعن عُودِه أجْنَوْا ثِمارَ المناقبِ

وكان رسولُ اللَّهِ أكرمَ مُنْجَبٍ جَرَى فى ظُهُورِ الطَّيِّبِين المَناجبِ

مُقابَلَةً[5] آباؤهُ أُمَّهاتِهِ[6] مُبَرَّأَةٌ مِنْ فاضِحاتِ المَثالبِ

عليه سَلامُ اللَّهِ فى كلِّ شارِقٍ ألاحَ لنا ضَوْءًا وفى كلِّ غاربِ [١/٢٢٧و]

هكذا أوْرَد القصيدةَ الشيخُ أبو عُمرَ ابنُ عبدِ البرِّ[7] ، وشيخُنا الحافظُ أبو

---

(١) فى م : « الشواذب » . والشوارب : يعنى بها السيوف ، والشاربان أنْفان طويلان فى أسفل قائم السيف .

(٢) فى م ، ص : « وفاد » .

(٣) الوخد : سَعَةُ الخَطْو . ويعنى هنا الإسراع والسبق .

(٤) ناش : أى جَعَل نفْسه لطلب المجد .

(٥) يعنى لأمهاته من الفَضْل ما لآبائه .

(٦) فى الإنباه : « وأمهاته » .

(٧) الإنباه ص ٥٠ - ٥٥ .

الحَجَّاجِ المِزِّىُّ فى « تَهذيبِه »[1] مِن شِعْرِ الأُستاذِ أبى العبَّاسِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ النَّاشِئِ ، المعروفِ بابنِ شِرْشِيرٍ ، أصْلُه مِن الأَنْبارِ ، وَرَد بَغْدادَ ، ثُم ارْتَحَل إلى مِصْرَ ، فأقام بها حتى مات سنةَ ثلاثٍ وتِسعِين ومائتَين ، وكان مُتَكَلِّمًا مُعْتَزِليًّا ، يَحْكِى عنه الشيخُ أبو الحسنِ الأَشْعَرِىُّ فى كِتابِه « المقالاتِ » فيما يَحْكِى عن المُعْتَزِلَةِ ، وكان شاعرًا مُطَبِّقًا[2] ، حتّى إنَّ مِن جملةِ اقْتِدارِه على الشِّعْرِ ، كان يُعاكِسُ الشُّعَراءَ فى المعانى ، فيَنْظِمُ فى مُخالَفَتِهم ، ويَتَكِرُ ما لا يُطِيقُونَه مِن المعانى البديعةِ والألفاظِ البَلِيغةِ ، حتى نَسَبَه بعضُهم إلى التَّهَوُّسِ والاخْتِلاطِ ، وذَكَر الخطيبُ البَغْدادِىُّ[3] أنَّ له قصيدةً على قافيةٍ واحدةٍ قريبًا مِن أربعةِ آلافِ بيتٍ ، ذكرَها النَّاجِمُ وأرَّخ وفاتَه كما ذكَرْنا .

قُلتُ : وهذه القصيدةُ تَدُلُّ على فَضِيلَتِه وبَراعَتِه ، وفَصاحَتِه وبَلاغَتِه ، وعلمِه وفَهمِه ، وحِفْظِه وحُسنِ لَفْظِهِ ، واطِّلاعِه واضْطِلاعِه ، واقْتِدارِه على نَظْمِ هذا النَّسَبِ الشَّرِيفِ فى سِلْكِ شِعْرِه ، وغَوْصِه على هذه المعانى ، التى هى جواهِرُ نَفِيسةٌ مِن قاموسِ بحرِه ، فرَحِمَه اللَّهُ وأثابَه ، وأحْسَنَ مصيرَه وإيَابَه .

---

(١) تهذيب الكمال ١/١٧٧ - ١٨٠.

(٢) المطبق : من يصيب الأمور برأيه . القاموس المحيط (ط ب ق) .

(٣) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٠/ ٩٢، ٩٣، وإنباه الرواة للقفطى ٢/١٢٨ - ١٣٠، ووفيات الأعيان ٣/٩١ - ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠، ٤١.

ذِكْرُ[1] أُصُولِ أنْسابِ

عربِ الحِجَازِ إلى عَدْنانَ

وذلك لأنَّ عَدْنانَ وُلِدَ له وَلَدانِ ؛ مَعَدٌّ وَعَكٌّ . قال السُّهَيْلِيُّ[2] : و[3]لعَدْنانَ أيضًا ابنٌ اسمُه[3] الحارثُ ، [4]وآخَرُ يُقالُ له[4] : المُذْهَبُ . قال : [5]وقد ذُكِر أيضًا فى بَنِيهِ الضَّحَّاكُ[5] ، وقيل : إنَّ الضَّحَّاكَ ابنٌ لمَعَدٍّ ، لا[6] ابنُ عَدْنانَ . قال : وقيل : إنَّ عَدَنَ ، [7]الذى تُعْرَفُ به مدينةُ عَدَنَ ، وكذلك[7] أبْيَنُ[8] ، كانا ابْنَيْن لعَدْنانَ[9] . حَكاه الطبرىُّ[10] . فتَزَوَّج عَكٌّ فى الأشْعَرِيِّين ، وسَكَن فى بلادِهم مِن اليمنِ ، فصارَتْ لُغَتُهم واحدةً[11] ، فزَعَمَ بعضُ أهلِ اليمنِ أنَّهم منهم ، فيقولون : عَكُّ بنُ عَدْنانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأزْدِ بنِ يغُوثَ[12] . ويُقالُ : عَكُّ بنُ

---

(١) سقط من : م .

(٢) الروض الأنف ١/ ٩٩، ١٠٠.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٨) فى الأصل ، ا ٩، ص : « وأبين » . وبعدها فى الأصل ، ا ٩، ص : « اللذين باليمن اللذين تنتسب إليهما هذان البلدان » .

(٩) فى الأصل ، ص : « لمعد بن عدنان » .

(١٠) العبارة الأخيرة عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٢٧٠.

(١١) سيرة ابن هشام ١/ ٨.

(١٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠. وعنده : « الأشد » بدل « الأزد » ، و « الغوث » بدل « يغوث » .

عَدْنانَ بنِ الذِّيبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأسْدِ[1] . ويُقالُ : « الرَّيْثُ » بَدَلَ « الذِّيبِ » . والصحيحُ ما ذَكَرْنا مِن أنَّهم مِن عَدْنانَ . قال عبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ[2] :

وعَكٌّ بنُ عَدْنانَ الذين تَلَقَّبُوا[3] بِغَسَّانَ حتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرَدِ

وأمَّا مَعَدٌّ ، فوُلِدَ له أربعةٌ ؛ نِزارٌ ، وقُضاعَةُ ، وقَنَصٌ ، وإيادٌ ، وكان قُضاعَةُ بِكْرَه ، وبه كان يُكْنَى[4] . وقد قَدَّمْنا الخِلافَ فى قُضاعَةَ[5] ، ولكنَّ هذا هو الصحيحُ عندَ ابنِ إسحاقَ وغيرِه . واللَّهُ أعلمُ .

وأمَّا قَنَصٌ ، فيُقالُ : إنَّهم هَلَكُوا ، ولمْ يَبْقَ لهم بَقِيَّةٌ ، إلَّا أنَّ النُّعْمانَ بنَ المُنذِرِ الذى كان نائِبًا لكِسْرَى على الحيرةِ ، كان مِن سُلالَتِه ، على قولِ طائفةٍ مِن السَّلَفِ . وقِيل : بل كان مِن حِمْيَرَ ، كما تَقَدَّمَ[6] . واللَّهُ أعلمُ .

وأمَّا نِزَارٌ ، فوُلِدَ له رَبِيعَةُ ومُضَرُ وأَنْمارٌ . قال ابنُ هِشامٍ[7] : وإِيادُ بنُ نِزارٍ ، كما قال الشاعرُ :

وفُتُوٌّ حَسَنٌ أوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بنِ نِزارِ بنِ معدّ

---

(١) الذى فى السيرة ١/ ١٠: « ويقال : عُدْثان بن عبد اللَّه بن الأَسْد بن الغَوْث » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩، ١٠.

(٣) فى الأصل : « يلبسوا » . وفى م : « تلعبوا » . وفى ص : « يلعبوا » . والمثبت من السيرة .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.

(٥) انظر ما تقدم فى صفحة ١٠٢ .

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ١٢١ .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٧٤. وذكر هناك أن الشاعر هو الحارس بن دَوْس الإيادى ، وقال : ويُروى لأبى دُوَاد الإيادى ، واسمه جارية بن الحجَّاج .

قال[1] : وإيادٌ ومُضَرُ شَقِيقان ؛ أمُّهُما سَوْدَةُ بنتُ عكٍّ بنِ عَدْنانَ ، [2]وأمُّ رَبِيعةَ[2] وأَنمارٍ [3]شُقَيْقَةُ بنتُ عَكٍّ بنِ عَدْنانَ[3] ، ويُقالُ : جُمْعَةُ بنتُ عَكٍّ بنِ عَدْنانَ . قال ابنُ إسحاقَ[4] : فأمَّا أنمارٌ ، فهو والدُ خَثْعَمٍ وبَجِيلَةَ ، قبيلةِ جَرِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ . قال[5] : وقد تَيامَنَتْ فلَحِقَتْ باليمنِ . قال ابنُ هِشامٍ[4] : وأهلُ اليمنِ يَقولون : أنمارُ بنُ إراشِ بنِ لِحْيانَ بنِ عمرِو بنِ الغَوْثِ بنِ نَبْتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سبأٍ . قلتُ : والحديثُ المُتَقَدِّمُ[6] فى ذِكْرِ سَبَأٍ يَدُلُّ على هذا . واللَّهُ أعلمُ .

قالوا : وكان مُضَرُ أولَ مَن حَدَا ؛ وذلك لأنَّه كان حَسَنَ الصَّوْتِ ، فسَقَطَ يومًا عن بعيرِه ، فوَثَبَتْ يدُه ، فجَعَلَ يقولُ : وايَدَيَّاهُ ، وايَدَيَّاهُ . فأعْنَقَتِ[7] الإبلُ لذلك[8] . قال ابنُ إسحاقَ[9] : فولَدَ مُضَرُ بنُ نِزارٍ رَجُلَيْنِ ؛ إلْيَاسَ وعَيْلانَ ، ووُلِدَ لإلْيَاسَ مُدْرِكَةُ وطَابِخةُ وقَمَعةُ ، وأُمُّهم خِندِفُ بنتُ عِمرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعَةَ . قال ابنُ إسحاقَ[9] : وكان اسمُ مُدْرِكَةَ عامرًا ، واسمُ طابِخَةَ عَمْرًا ، ولكن اصْطادَ صَيْدًا ، فبَيْنا همُا يَطبُخانِه إذْ نَفَرَت الإبِلُ ، فذَهَبَ عامرٌ فى طَلَبِها حتى أدْرَكَها ، وجَلَس الآخَرُ يَطبُخُ ، فلمَّا راحا على أبيهما ذَكَرا له ذلك ، فقال

---

(١) المصدر السابق ١/ ٧٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، ا ٩، ص: «وربيعة».

(٣ - ٣) فى الأصل، ا ٩، ص: «شقيقان وأمهما شقيقة».

(٤) المصدر السابق ١/ ٧٤.

(٥) المصدر السابق ١/ ٧٥.

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ١٠٨ .

(٧) أعنقت : أسرعتْ .

(٨) انظر الروض الأنف ١/ ٣٤٠.

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٧٥، ٧٦.

لعامرٍ: أنت مُدْرِكَةُ. وقال لعَمْرٍو: أنت طابِخَةُ. قال: وأمّا قَمَعَةُ، فيَزْعُمُ نُسَّابُ مُضَرَ، أنَّ خُزاعةَ مِن وَلَدِ عَمْرِو بنِ لُحَيٍّ بنِ قَمَعَةَ بنِ إلْياسَ. قلتُ: والأَظْهَرُ أنَّهُ منهم. لا والدُهم، وأنَّهم مِن حِمْيَرَ، كما تقدَّمَ[1]. واللَّهُ أعلمُ.

قال [١/٢٢٧ظ] ابنُ إسحاقَ[2]: فوَلَدَ مُدْرِكةُ خُزَيْمةَ وهُذَيْلًا، وأُمُّهما امرأةٌ مِن قُضاعَةَ، ووَلَدَ خزيمةُ كِنانَةَ وأسَدًا وأسَدَةَ والهُونَ [3]قال[4]: ووَلَدَ كِنانَةُ النَّضْرَ ومالكًا وعبدَ مَناةَ ومِلْكَانَ[3]. وزاد أبو جعفرٍ الطَّبريُّ[5] فى أبناءِ كِنانةَ على هؤلاء الأربعةِ، عامرًا والحارثَ والنُّضَيْرَ وغَنْمًا وسَعْدًا وعَوْفًا وجَرْوَلًا والحُدَالَ وغَزْوانَ.

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ١٩١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٢، ٩٣.

(٣ - ٣) هذه العبارة كانت فى آخر الفقرة فى جميع النسخ، فنقلناها ليستقيم السياق.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٥.

(١) الكلامُ على (١) قريشٍ نَسَبًا واشتِقاقًا وفَضْلًا ، وهم بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانةَ

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : وأُمُّ النَّضْرِ بَرَّةُ بنتُ مُرِّ بنِ أَدٍّ بنِ طابِخَةَ ، وسائرُ بَنِيه لامرأةٍ أخرى . وخالَفَه ابنُ هشامٍ ، فجعَل بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ أُمَّ النَّضْرِ ومالكٍ ومِلْكانَ ، وأمَّ عبدِ مَنَاةَ هالةَ بنتَ سُوَيدِ بنِ الغِطْرِيفِ ، مِن(٣) أَزْدِ شَنُوءَةَ . قال ابنُ هشامٍ(٢) : النَّضْرُ هو قريشٌ ، فمَن كان مِن وَلَدِه ، فهو قرشِيٌّ ، ومَنْ لم يكنْ مِن ولدِه فليس بقرشِيٍّ . وقال : ويُقالُ : فِهْرُ بنُ مالكٍ هو قريشٌ ، فمَنْ كان مِن ولدِه فهو قرشِيٌّ ، ومَنْ لم يكنْ مِن ولدِه فليس بقرشِيٍّ . وهذان القَوْلانِ قد حكاهما غيرُ واحدٍ مِن أَئِمَّةِ علماءِ(٤) النَّسَبِ ؛ كالشيخِ أبى عُمَرَ ابنِ عبدِ البَرِّ ، والزبيرِ بنِ بَكّارٍ ، ومُصْعَبٍ ، وغيرِ واحدٍ . قال أبو عبيدٍ وابنُ عبدِ البَرِّ(٥) : والذى عليه الأكثرون أنه النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ ؛ لحديثِ الأَشْعَثِ(٦) بنِ قيسٍ . قلتُ : وهو الذى نَصَّ عليه هشامُ بنُ محمدِ بنِ(٧) السَّائبِ الكَلْبِيُّ ، وأبو عبيدةَ مَعْمَرُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « بن » .

(٤) سقط من : م . وفى الأصل : « علم » .

(٥) الإنباه ٦٧.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « الأسعد » وسيأتى حديث الأشعث فى صفحة ٢٢١.

(٧) سقط من : الأصل ، ص .

ابنُ المُثَنَّى ، وهو جادَّةُ مذهبِ الشافعيِّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . ثُم اختار أبو عُمَرَ أنَّه فِهْرُ بنُ مالكٍ ، واحْتَجَّ بأنَّه ليس أحدٌ اليومَ مِمّن يَنْتَسِبُ إلى قريشٍ ، إلَّا وهو يَرْجِعُ فى نَسَبِه إلى فِهْرِ بنِ مالكٍ ، ثُمَّ حَكَى اختيارَ هذا القولِ عن الزبيرِ بنِ بَكّارٍ ، ومُصْعَبِ الزُّبَيْرِىِّ ، وعلىِّ بنِ كَيْسَانَ . قال : وإليهم المَرْجِعُ فى هذا الشأنِ ، وقد قال الزُّبَيرُ بنُ بَكّارٍ : وقد أَجْمَعَ نُسّابُ قريشٍ وغيرُهم ، أنَّ قريشًا إنَّما تَفَرَّقَتْ عن فِهْرِ بنِ مالكٍ . والذى عليه مَن أدْرَكْتُ مِن نُسّابِ قريشٍ ، أنّ وَلَدَ فِهْرِ بنِ مالكٍ قرشىٌّ ، وأنَّ مَن جاوَزَ فِهْرَ بنَ مالكٍ بنَسَبِه فليس مِن قريشٍ . ثُم نَصَرَ هذا القولَ نَصْرًا عَزِيزًا ، وتَحَامَى له بأنَّه ونَحْوَه أعلمُ بأَنسابِ قومِهم ، وأحفظُ لـمَآثِرِهم[1] .

وقد روَى البخارىُّ[2] مِن حديثِ كُلَيْبِ بنِ وائلٍ ، قال : قلتُ لربيبةِ النبىِّ ﷺ - يَعْنِى زينبَ ، فى حديثٍ ذكَرَه - : أَخْبِرِينى عن النبىِّ ﷺ ، أكان مِن مُضَرَ ؟ قالت : فمِمَّن كان إلَّا مِن مُضَرَ ؟ مِن بنى النَّضْرِ بنِ كنانةَ .

وقال الطَّبَرانِىُّ[3] : ثنا إبراهيمُ بنُ نائِلَةَ الأَصْبَهَانِىُّ ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عمرٍو البَجَلِىُّ ، ثنا الحسنُ بنُ صالحٍ ، عن أبيه ، عن الجُفْشِيشِ[4] الكِنْدىِّ ، قال : جاءَ قومٌ مِن كِنْدَةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : أنت مِنّا . وادَّعَوْه ،

---

(١) فى م : « لما آثرهم » .

(٢) البخارى (٣٤٩١، ٣٤٩٢) .

(٣) فى الكبير (٢١٩٠) . قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٩٥: وفيه إسماعيل بن عمرو البجلى ، ضعفه أبو حاتم والدارقطنى ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الجشيش » . وهو الجفشيش بن النعمان الكندى ، يقال فيه بالجيم والحاء والخاء . أسد الغابة ١/ ٣٤٥.

فقال: [1] «لا نَقْفُو أُمَّنا، ولا نَنْتَفِى مِن أبينا، نحن وَلَدُ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ» [1].

وقال الإمامُ أبو عثمانَ سعيدُ بنُ يَحْيَى بنِ سعيدٍ [2]: ثنا أبى، ثنا الكَلْبِىُّ، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: جاءَ رجلٌ مِن كِنْدَةَ يقالُ له: الجُفْشِيشُ [3]. إلى النبىِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّا نَزْعُمُ أنَّ عبدَ مَنَافٍ منَّا. فأَعْرَضَ عنه، ثُم عادَ فقال مِثْلَ ذلك، ثُم أَعْرَضَ عنه، ثُم عادَ فقال مِثْلَ ذلك، فقال النبىُّ ﷺ: «نحن بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ، لا نَقْفُو [4] أُمَّنا، ولا نَنْتَفِى مِن أَبِينا». فقال الأَشْعَثُ: ألَا كنتَ سَكَتَّ فى المَرَّةِ الأولَى. فأَبْطَلَ ذلك مِن [5] قولِهم، على لسانِ نَبِيِّه ﷺ. وهذا غريبٌ أيضًا مِن هذا الوجهِ، والكَلْبِىُّ ضعيفٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ [6]: حدَّثَنا بَهْزٌ وعَفّانُ قالا: ثنا حَمّادُ بنُ سَلَمَةَ، ثنى عَقِيلُ بنُ طَلْحَةَ [7]. وقال عفانُ: عقيلُ بنُ طلحةَ السُّلَمِىُّ، عن مسلمِ بنِ الهَيْصَمِ، عن الأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ، أنَّه قال: أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فى وَفْدٍ مِن كِنْدَةَ. قال عفانُ: لا يَرَوْنِى أَفْضَلَهم. قال. فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنّا نَزْعُمُ أنَّكم مِنّا. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نحن بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ، لا نَقْفُو [4]

(١ - ١) فى م: «لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقف أمنا، ولا ننفى من أبينا».

(٢) ذكره الحافظ فى الإصابة ٤٩٢/١ عن الكلبى وقال: ذكره الكلبى بغير سند.

(٣) فى الأصل، م، ص: «الجشيش».

(٤) فى الأصل: «تقفوا»، وفى م: «نقف».

(٥) سقط من: م.

(٦) فى المسند ٥/ ٢١٢. صحيح. (السلسلة الصحيحة ٢٣٧٥).

(٧) فى ا ٩، م، ص: «أبى طلحة».

أُمَّنا ، ولا نَنْتَفِى مِن أَبِينَا » . قال : فقال الأَشْعَثُ : فواللَّهِ لا أَسْمَعُ أحدًا نَفَى قريشًا مِن النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ إلَّا جَلَدْتُه الحَدَّ . وهكذا رَوَاه ابنُ ماجه مِن طُرُقٍ ، عن حَمّادِ بنِ سَلَمَةَ به[1] . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ قوىٌّ ، وهو فَيْصَلٌ فى هذه المسألةِ ، فلا الْتِفَاتَ إلى قولِ مَن خالَفَه . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال جَرِيرُ [١/٢٢٨و] بنُ عَطِيَّةَ التَّمِيمِىُّ ، يَمْدَحُ هِشامَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ[2] :

فما الأمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا ... بمُقْرِفَةِ النِّجَارِ ولا عَقِيمِ
وما قَرْمٌ[3] بأَنْجَبَ مِن أبيكم ... ولا خالٌ بأَكْرَمَ مِن تَمِيمِ

قال ابنُ هشامٍ[2] : يَعْنِى أُمَّ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، وهى بَرَّةُ بنتُ مُرٍّ ، أختُ تَمِيمِ ابنِ مُرٍّ .

وأمّا اشْتِقاقُ قريشٍ ، فقيل : مِن [4]التَّقَرُّشِ[4] التَّجَمُّعُ بعدَ التَّفَرُّقِ ، وذلك فى زمنِ قُصَىِّ بنِ كِلَابٍ ، فإنَّهم كانوا مُتَفَرِّقين ، فجمَعَهم بالحرمِ ، كما سيأتى بيانُه . وقد قال حذافةُ بنُ غانمٍ[5] العَدَوِىُّ :

أبوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا ... به جمَع اللَّهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

وقال بعضُهم : كان قُصَىٌّ يقالُ له : قريشٌ . وقيل : مِن التَّجَمُّعِ .

---

(١) ابن ماجه (٢٦١٢) . حسن . (صحيح سنن ابن ماجه ٢١١٥) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.

(٣) فى ا ٩: « قوم » ، وفى ص : « قرب » . والقرم من الرجال : السيد المعظم . المعجم الوسيط (ق ر م) .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥) فى الأصل ، ص : « تمام » . انظر الإنباه على قبائل الرواة ٦٨.

والتَّقَرُّشُ : التَّجمُّعُ ، كما قال أبو خَلْدَةَ اليَشْكُرِىُّ[1] :

إخْـوَةٌ قَـرَّشُـوا الـذُّنـوبَ عـلـينا فى حديثٍ مِن دهرِنا و[2]قديمِ

وقيل : سُمِّيَتْ قريشٌ من التَّقَرُّشِ ، وهو التكسُّبُ والتِّجارةُ . حكاه ابنُ هِشامٍ[3] ، رَحِمَه اللَّهُ . وقال الجَوْهَرِىُّ[4] : القَرْشُ : الكَسْبُ والجَمْعُ ، وقد قَرَشَ يَقْرِشُ ، قال الفَرَّاءُ : وبه سُمِّيَتْ قريشٌ ، وهى قبيلةٌ ، وأبوهم النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ ، فكلُّ مَن كان مِن ولدِه ، فهو قرشىٌّ دونَ ولدِ[5] كِنَانَةَ فما فوقَه . وقيل : مِن التَّفْتِيشِ . قال هشامُ ابنُ الكَلْبِىِّ : كان النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ تَسَمَّى قُريشًا ؛ لأنَّه كان يَقْرُشُ عن خَلَّةِ الناسِ وحاجتِهم ، فيَسُدُّها بمالِه ، والتَّقَرُّشُ هو التفتيشُ ، وكان بَنُوه يَقْرُشُون أهلَ المَوسمِ عن الحاجةِ ، فيَرْفِدُونهم بما يُبَلِّغُهم بلادَهم ، فسُمُّوا بذلك ؛ مِن فعلِهم وقَرْشِهم قريشًا ، وقد قال الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ[6] فى بَيَانِ أنَّ التَّقَرُّشَ التفتيشُ :

أيُّـهـا الـنـاطـقُ المُقَـرِّشُ عـنّـا عـنـدَ عـمـرٍو فـهـلْ لـه إبـقـاءُ

حكَى ذلك الزبيرُ بنُ بَكّارٍ . وقيل : قريشٌ تصغيرُ قِرْشٍ ، وهو دابّةٌ فى البحرِ . قال بعضُ الشُّعراءِ[7] :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩٤.
(٢) فى الأصل ، ا ٩، ص : « أو » .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.
(٤) مقدمة الصحاح ٣/ ١٠١٦.
(٥) فى الأصل ، ا ٩، ص : « ما كان من » .
(٦) انظر شرح المعلقات السبع ص ٤٥٣. وفيها : « المرقش » . بدلا من : « المقرش » .
(٧) انظر المقتضب ٣/ ٣٦٢.

وقريشٌ هى التى تَسْكُنُ البَحْـ ـرَ بها سُمِّيَتْ قريشٌ قريشَا

قال البَيْهَقِىُّ[1] : أخْبَرَنَا أبو نَصْرِ بنُ قتادةَ ، ثَنَا أبو الحسنِ علىُّ بنُ عيسى المالِينِىُّ ، حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ الخليلِ النَّسَوِىُّ ، أنَّ أبا كُرَيْبٍ حدَّثَهم ، حدَّثَنا وَكِيعُ بنُ الجَرّاحِ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن أبى رُكَانَةَ العامِرِىِّ ، أنّ معاويةَ قال لابنِ عباسٍ : فلِمَ سُمِّيَتْ قريشٌ قريشًا ؟ فقال : لِدابَّةٍ تكونُ فى البحرِ ، تكونُ أعظمَ دوابِّه يقالُ لها : القِرْشُ . لا تَمُرُّ بشىءٍ مِن الغَثِّ والسَّمِينِ إلَّا أكَلَتْه . قال : فأَنْشِدْنِى فى ذلك شيئًا . فأَنْشَدَه شِعْرَ الجُمَحِىِّ إذ يقولُ :

وقريشٌ هى التى تسْكُنُ البحـ ـرَ بها سُمِّيَتْ قريشٌ قريشَا
تَأْكُلُ الغَثَّ والسَّمِينَ ولا [2]تَتْرُكُ منها لذى جَنَاحَيْنْ[2] رِيشَا
هكذا فى البلادِ حىُّ قريشٍ يَأْكلون البلادَ أكلًا كَمِيشَا
ولهم آخرَ الزمانِ نبىٌّ يُكْثِرُ القَتْلَ فيهم والخُمُوشَا

وقيل : سُمُّوا بقريشِ بنِ الحارثِ بنِ يَخْلُدَ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، وكان دليلَ بنى النَّضْرِ وصاحبَ مِيرَتِهم ، فكانت العربُ تقولُ : قد جاءت عيرُ قريشٍ . قالوا : وابنُه[3] بَدْرُ بنُ قريشٍ هو الذى حفَر البئرَ المنسوبةَ إليه ، التى كانت عندَها الوَقْعَةُ العُظْمَى يومَ الفرقانِ ، يومَ الْتَقَى الجَمْعانِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دلائل النبوة ١/ ١٨٠، ١٨١.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « تترك لذى الجناحين » ، وفى م : « تتركن لذى الجناحين » .

(٣) فى م : « ابن » .

ويقالُ فى النِّسبةِ إلى قريشٍ : قُرَشِيٌّ ، وقُرَيْشِيٌّ . قال الجَوْهَرِيُّ[1] : وهو القياسُ ، قال الشاعرُ[2] :

بكلِّ[3] قُرَيْشِيٍّ عليه مهابةٌ [4]سريعٍ إلى داعِى النَّدَا والتَّكَرُّمِ[4]

قال : فإنْ أردتَ بقريشٍ الحىَّ صَرَفْتَه ، وإنْ أردتَ القبيلةَ مَنَعْتَه ، قال الشاعرُ[5] فى تَرْكِ الصَّرْفِ :

* وكَفَى قريشَ المُعْضِلَاتِ وَسَادَها *

وقد روَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[6] من حديثِ أبى عَمْرٍو الأوزاعىِّ ، قال : حدَّثَنى شَدَّادٌ أبو عَمّارٍ ، حدَّثَنى واثِلَةُ بنُ الأسْقَعِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِن ولدِ إسماعيلَ ، واصْطَفَى قُرَيشًا مِن كِنَانَةَ ، واصْطَفَى [7]مِن قريشٍ بنى هاشمٍ[7] ، واصْطَفَانِى مِن بَنِى هاشِمٍ » . قال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البرِّ[8] : يقالُ : بنو عبدِ المطلبِ فَصِيلَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وبنو هاشِمٍ فَخِذُه ، وبنو عبدِ مَنَافٍ بَطْنُه ، وقريشٌ عِمَارَتُه ، وبنو كِنَانَةَ قبيلتُه ، ومُضَرُ شَعْبُه . صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ .

---

(١) فى صحاح اللغة . (ق ر ش) .

(٢) هو يزيد بن عبد المدان . نسبه ابن منظور له فى لسان العرب مادة (ع ى ن) . وانظر « الفصول الخمسون » لابن معطى ص ٢٥٢ .

(٣) فى م : « لكل » .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥) هو عدى بن الرقاع ، يمدح الوليد بن عبد الملك ، وأوله كما فى الصحاح (قرش) : غلَب المساميحَ الوليدُ سماحةً .

(٦) مسلم (٢٢٧٦) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « هاشمًا من قريش » ، والمثبت من صحيح مسلم .

(٨) الإنباه على قبائل الرواة ص ٦٩.

[١/٢٢٨ظ] ثم قال ابنُ إسحاقَ[١] : فولَدَ النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ مالكًا ويَخْلُدَ[٢] . قال ابنُ هشامٍ[١] : والصَّلْتَ ، وأُمُّهم جميعًا بنتُ سعدِ بنِ الظَّرِبِ العَدْوَانِيِّ ، قال كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، وهو كُثَيِّرُ عَزَّةَ ، أحدُ بنى مُلَيْحِ بنِ عَمْرٍو ، من[٣] خُزاعَةَ[٤] :

أَلَيْسَ أَبِى بالصَّلْتِ أَمْ ليس إِخْوَتِى ... لكلِّ هِجَانٍ مِن بنى النَّضْرِ أَزْهَرَا

رأيتُ ثيابَ العَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى ... بنا وبهمْ والحَضْرَمِيَّ المُخَصَّرَا

فإنْ لم تكونوا مِن بنى النَّضْرِ فاتْرُكُوا ... أَرَاكًا بأَذْنابِ الفَوائجِ[٥] أَخْضَرَا

قال ابنُ هشامٍ[٦] : وبنو مُلَيْحِ بنِ عَمْرٍو يُعْزَوْنَ إلى الصَّلْتِ بنِ النَّضْرِ .

قال ابن إسحاقَ[٦] : فولَدَ مالكُ بنُ النَّضْرِ فِهْرَ بنَ مالكٍ ، وأُمُّهُ جَنْدَلَةُ بنتُ الحارثِ بنِ مُضَاضٍ الأَصْغَرِ ، ووَلَدَ فِهْرٌ غالِبًا ومُحَارِبًا والحارثَ وأسدًا ، وأُمُّهم ليلَى بنتُ سعدِ بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ .

قال ابنُ هشامٍ[٦] : وأختُهم لأَبَوَيْهِم[٧] جَنْدَلَةُ بنتُ فِهْرٍ . قال ابنُ إسحاقَ[٦] : فولَدَ غالبُ بنُ فِهْرٍ لُؤَيَّ بنَ غالِبٍ ، وتَيْمَ بنَ غالِبٍ ، وهم الذين

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩٤.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « مخلدا » .

(٣) فى الأصل ، ص : « بن » .

(٤) ديوان كثير ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٥) فى م : « الفواتج » . والفوائج : المنبسط من الأرض بين مرتفعين . المعجم الوسيط (ف ى ج) . وقيل غير ذلك ، انظر اللسان (ف ى ج) .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٩٥.

(٧) فى م : « لأبيهم » .

يُقالُ لهم : بنو الأَدْرَمِ ، وأُمُّهما سَلْمَى بنتُ عَمْرٍو الخُزَاعِيِّ . قال ابنُ هشامٍ[1] : وقيسُ بنُ غالبٍ وأُمُّه سَلْمَى بنتُ كعبِ بنِ عَمْرٍو الخُزَاعِيِّ ، وهى أُمُّ لُؤَيٍّ [2][3]وتَيْمِ ابْنَىْ غالِبٍ[3]. قال ابنُ إسحاقَ[4] : فوَلَدَ لُؤَيُّ بنُ غالبٍ أربعةَ نَفَرٍ ؛ كَعْبًا وعامِرًا وسَامَةَ وعَوْفًا . قال ابنُ هِشامٍ[5] : ويقالُ : والحارثَ[2] ، وهم جُشَمُ ابنُ الحارثِ ، فى هِزّانَ ، مِن رَبِيعَةَ ، وسعدَ بنَ لؤيٍّ ، وهم[6] بُنَانَةُ ، فى شَيْبَانَ ابنِ ثَعْلَبَةَ ، وبُنَانَةُ حاضِنَةٌ لهم ، وخُزَيْمَةَ بنَ لُؤَيٍّ ، وهم عائذةُ ، فى شَيْبَانَ بنِ ثَعْلَبَةَ .

ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ[7] خبرَ سامَةَ بنِ لُؤَيٍّ ، وأنَّه خَرَج إلى عُمَانَ فكان بها ، وذلك لشَنَآنٍ كان بينَه وبينَ أخيه عامرٍ ، فأَخَافَه عامرٌ ، فخرَج عنه هاربًا إلى عُمَانَ ، وأنَّه مات بها غريبًا ، وذلك أنَّه كان يَرْعَى ناقتَه ، فَعَلِقَتْ حيَّةٌ بمِشْفَرِها[8] ، فوقَعَتْ لِشِقِّها ، ثُم نَهَشَتِ الحيةُ سامةَ حتى قتَلَتْه ، فيُقَالُ : إنَّه كتَب بأُصْبُعِه على الأرضِ :

عَيْنُ فابْكى لسامةَ بنِ لُؤَيٍّ ... عَلِقَتْ ما بِسَامَةَ[9] العَلَّاقَهْ

لا أرَى مثلَ سامةَ بنِ لُؤَيٍّ ... يومَ حَلُّوا به قَتيلًا لِناقَهْ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) المصدر السابق ١/ ١٩٦.

(٥) المصدر السابق .

(٦) فى م : « هما » .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٩٧.

(٨) المشفر : شفة البعير الغليظة . المعجم الوسيط (ش ف ر) .

(٩) فى الأصل ، ا ٩، ص : « بساقه » .

بَلِّغَا عامرًا وكعبًا[1] رسولًا أنَّ نفسى إليهما مُشْتَاقَهْ
إنْ تكُنْ فى عُمَانَ دارِى فإنى غالِبِىٌّ خَرَجْتُ مِن غيرِ فاقَهْ
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا بنَ لُؤَىٍّ حَذَرَ الموتِ لم تَكُنْ مُهْرَاقَهْ
رُمتَ دفعَ الحُتُوفِ يا بنَ لُؤَىٍّ ما لِمَن رامَ ذاك بالحَتْفِ طاقَهْ
وخَرُوسَ السُّرَى تَرَكْتَ[2] رَذِيًّا بعدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ ورَشَاقَهْ

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وبَلَغَنِى أنَّ بعضَ ولدِه أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فانْتَسَبَ إلى سامةَ بنِ لُؤَىٍّ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «آلشَّاعِرُ؟» فقال له بعضُ أصحابِه: كأنَّك يا رسولَ اللَّهِ أردتَ قولَه:

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا بنَ لُؤَىٍّ حَذَرَ الموتِ لم تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

فقال: «أَجَلْ».

وذكَر السُّهَيْلِىُّ[4] عن بعضِهم أنَّه لم يُعْقِبْ. وقال الزبيرُ[5] : وَلَد سامَةُ[6] ابنُ لُؤَىٍّ غالبًا والنَّبِيتَ والحارثَ. قالوا: وكانت له ذريةٌ بالعراقِ يُبْغِضُون عليًّا، ومنهم علىُّ بنُ الجَعْدِ، كان يَشْتُمُ أباه لكونِه سَمّاه عليًّا، ومن بنى سامةَ بنِ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «سعدا».
(٢) فى الأصل، ص: «بركت». وخروس السرى تركت رذيا؛ يريد، ناقة صموتا صبورا على السرى - وهو سير عامة الليل - لا تضجر منه، فسراها كالأخرس. الروض الأنف ١/ ٤٠٩. ورذيت الناقة: حسرها السفر حتى لا تستطيع براحا ولا تنبعث. المعجم الوسيط (ر ذ ى).
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٩٨.
(٤) الروض الأنف ١/ ٤٠٧.
(٥) المصدر السابق.
(٦) فى الأصل، ا ٩، م: «أسامة».

لُؤَىٍّ محمدُ بنُ عَرْعَرَةَ بنِ البِرِندِ[1] شيخُ البخاريِّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : وأمّا عوفُ بنُ لُؤَىٍّ ؛ فإنَّه خرَج - فيما يَزْعُمُون - فى رَكْبٍ مِن قريشٍ ، حتى إذا كان بأرضِ غَطَفَانَ بنِ سعدِ بنِ قيسِ بنِ عَيْلَانَ[3] أُبْطِئَ به ، فانْطَلَقَ مَن كان معه مِن قومِه ، فأتاه ثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدٍ ، وهو أَخُوه فى نَسَبِ بَنِى ذُبْيَانَ ، فحَبَسَه وزَوَّجَه والْتَاطَه[4] وآخاه ، فشاع نَسَبُه فى ذُبْيَانَ وثعلبةَ ، فيما يَزْعُمون .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، أو محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُصَيْنِ ، أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ قال : لو كنتُ مُدَّعِيًا حَيًّا مِن العربِ أو مُلْحِقَهم بنا ، لادَّعَيْتُ بنى مُرَّةَ بنِ عوفٍ ، إنّا لَنَعْرِفُ فيهم الأَشْبَاهَ ، مع ما نَعْرِفُ مِن موقعِ ذلك الرَّجلِ حيثُ وقَع . يَعْنِى عوفَ بنَ لُؤَىٍّ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثَنِى مَنْ لا أَتَّهِمُ ، أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ قال لرجالٍ منهم مِن بنى مُرَّةَ : إن شِئْتُم أنْ تَرْجِعوا إلى نَسَبِكم ، فارْجِعُوا إليه . قال ابنُ إسحاقَ[7] : وكان القومُ أشْرافًا فى غَطَفَانَ ، هم سادَتُهم وقادَتُهم ، [١/٢٢٩و] قومٌ لهم صِيتٌ فى غَطَفَانَ وقَيْسٍ كلِّها ، فأَقَامُوا على نَسَبِهم . قال[8] : وكانوا

---

(١) فى م : « اليزيد » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٨.

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « غيلان » .

(٤) التاطه : ادعاه وليس له . المعجم الوسيط (ل و ط) .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٩٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٠.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ١٠١.

(٨) فى م : « قالوا » . سيرة ابن هشام ١/٩٩ .

يقولون إذا ذُكِرَ لهم نَسَبُهم : ما نُنْكِرُه ، وما نَجْحَدُه ، وإنه لأحبُّ النَّسَبِ إلينا . ثُم ذكَر أشعارَهم فى انْتِمائِهم إلى لُؤَىٍّ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : وفيهم كان البَسْلُ ، وهو تحريمُ ثمانيةِ أَشْهُرٍ لهم مِن كلِّ سنةٍ [2]مِن بينِ العربِ[2] ، وكانت العربُ تَعْرِفُ لهم ذلك ، ويَأْمَنُونَهم فيها ، ويُؤَمِّنُونَهم أيضًا . قُلْتُ : وكانت رَبِيعةُ ومُضَرُ إنَّما يُحَرِّمونَ أربعةَ أشْهُرٍ مِن السَّنةِ ، وهى : ذو القَعْدةِ وذو الحِجَّةِ والمُحَرَّمُ ، واختلفت رَبِيعَةُ ومُضَرُ فى الرابعِ ، وهو رَجَبٌ ؛ فقالت مُضَرُ : هو الذى بينَ جُمادَى وشعبانَ . وقالت ربيعةُ : هو الذى بينَ شعبانَ وشَوَّالٍ .

وقد ثَبَت فى « الصَّحِيحَيْنِ »[3] عن أبى بَكْرَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال فى خُطْبَةِ حِجَّةِ الوداعِ : « إنَّ الزمانَ قدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِه يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ ، السَّنةُ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ، ثلاثٌ مُتواليَاتٌ ؛ ذو القَعْدةِ وذو الحِجَّةِ والمُحَرَّمُ ، ورَجَبُ مُضَرَ الذى بينَ جُمادَى وشعبانَ » . فنَصَّ على ترجيحِ قولِ مُضَرَ لا ربيعةَ ، وقد قال اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة : ٣٦] . فهذا ردٌّ على بَنِى عَوْفِ بنِ لُؤَىٍّ ، فى جَعْلِهم الأشْهُرَ الحُرُمَ ثمانيةً ، فزادُوا على حُكْمِ اللَّهِ ، وأدْخَلُوا فيه ما ليس منه . وقَوْلُه فى الحديثِ : « ثلاثٌ مُتواليَاتٌ » . ردٌّ على أهْلِ النَّسِىءِ ؛ الذين كانوا يُؤَخِّرونَ تَحْرِيمَ المُحَرَّمِ إلى صَفَرٍ . وقَوْلُه فيه : « ورَجَبُ مُضَرَ » . ردٌّ على ربيعةَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٣) البخارى (٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٤٤٧) . مسلم (١٦٧٩) .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فولَدَ كَعْبُ بنُ لُؤَىٍّ ثلاثةً ؛ مُرَّةَ ، وعَدِيًّا ، وهُصَيْصًا ، ووَلَدَ مُرَّةُ ثلاثةً أيضا ؛ كِلَابَ بنَ مُرَّةَ ، وتَيْمَ بنَ مُرَّةَ ، وَيَقَظَةَ بنَ مُرَّةَ ، مِن أُمَّهاتٍ ثلاثٍ . قال : وولَدَ كلابٌ رَجُلَين ؛ قُصَىَّ بنَ كِلَابٍ ، وزُهْرَةَ بنَ كِلابٍ ، وأُمُّهما فاطمةُ بنتُ سعدِ بنِ سَيَلٍ ، أحدِ الجَدَرَةِ ، مِن جُعْثُمَةَ الأَسْدِ ، مِن اليمنِ ، حُلَفاءِ بَنِى الدُّئِلِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ، وفى أبيها يقولُ الشَّاعرُ[2] :

ما نَرَى فى الناسِ شَخْصًا واحدًا ... مَن عَلِمْناه كسَعْدِ بنِ سَيَلْ

فارسًا أضْبَطَ ، فيه عُسْرَةٌ[3] ... وإذا ما واقَفَ القِرْنَ نَزَلْ

فارسًا يَسْتَدْرِجُ الخيلَ كما اسْـ ... ـتَدْرَجَ الحُرُّ القَطامِىُّ الحَجَلْ

قال السُّهيلىُّ[4] : سَيَلٌ اسمُه خَيْرُ بنُ حَمَالَةَ[5] ، وهو أوَّلُ مَنْ طُلِيَتْ له السُّيوفُ بالذهبِ والفضةِ .

قالَ ابنُ إسحاقَ[6] : وإنَّما سُمُّوا الجَدَرَةَ ؛ لأنَّ عامِرَ بنَ عَمْرِو بنِ خُزَيْمَةَ بْنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٥.

(٣) فى الأصل ، ص : «عشرة» . وأضبط : يعمل بيساره كما يعمل بيمينه ، وعسرة من هذا المعنى . المعجم الوسيط (ض ب ط) ، (ع س ر) .

(٤) الروض الأنف ١/ ٤٢٨.

(٥) فى الأصل ، ا ٩، ص : «حبالة» ، وفى م : «جماله» . والمثبت من الروض الأنف .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٥.

جُعْثُمَةَ[1] تَزَوَّجَ بنتَ الحارِثِ بنِ مُضَاضٍ الجُرْهُمِيِّ ، وكانت جُرْهُمٌ إذ ذاكَ وُلاةَ البيتِ ، فبَنَى للكعبةِ جدارًا ، فسُمِّيَ عامِرٌ بذلك الجادِرَ ، فقِيلَ لوَلدِه : الجَدَرَةُ . لذلك .

(١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « خثعمة » .

خَبَرُ قُصَىّ بنِ كِلابٍ

و [1]ما كان مِن أمْرِه فى[1] ارْتجاعِه وِلايةَ البَيتِ إلى قُرَيشٍ وانتزاعِه ذلك مِن خُزَاعَةَ ، [1]واجتماعِ قريشٍ إلى الحرمِ الذى جعَلَه اللَّهُ تعالى أَمْنًا للعبادِ ، بعدَ تفرقِها فى البلادِ وتَمَزُّقِها فى الجبالِ والمِهادِ[1] وذلك أنَّه لمَّا ماتَ أبوه كِلابٌ ، تَزَوَّجَ أمَّه ربيعةُ بنُ حَرَامٍ ، مِن عُذْرَةَ ، وخرجَ بها وبه إلى بلادِه ، ثُم قَدِمَ قُصَىٌّ مكَّةَ وهو شابٌّ فتَزَوَّجَ حُبَّى ابنةَ رئيسِ خُزاعةَ حُلَيْلِ[2] بنِ حُبْشِيَّةَ . فأمَّا خُزاعةُ ، فتَزْعُمُ أنَّ حُلَيْلًا[3] أَوْصَى إلى قُصَىٍّ بوِلايةِ البيتِ ؛ لَمَّا رأى مِن كَثْرةِ نَسْلِه ؛ مِن ابنتِه ، وقال : أنتَ أحقُّ بذلك مِنِّى . قال ابنُ إسحاقَ[4] : ولم نَسْمَعْ ذلك إلَّا منهم . وأمَّا غيرُهم فإنَّهم يَزْعُمُون أنَّه استَجاشَ[5] بإخْوتِه مِن أُمِّه - وكانَ رئيسُهم رِزَاحَ بنَ ربيعةَ - وإخْوَةِ إخْوتِه وبَنِى كِنانةَ وقُضاعةَ ، ومَن حَوْلَ مكَّةَ مِن قريشٍ وغَيْرِهم ، فأجْلَاهُم عن البيتِ ، واستقلَّ هو بوِلايةِ البَيْتِ ، [6]إلَّا أنَّ[6] إجازةَ الحَجيجِ كانت إلى صُوفةَ ، وهم بَنُو الغَوْثِ بنِ مُرِّ بنِ أُدِّ بنِ طابِخَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ ، فكان النَّاسُ لا يَرْمُون الجِمارَ حتى يَرْمُوا ، ولا يَنْفِرُونَ مِن مِنًى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، ص : « جليل » .

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « جليلا » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١١٨.

(٥) فى الأصل ، ص : « استحاس » ، وفى م : « استغاث » . واستجاش : أى طلب الجيش . المعجم الوسيط (ج ى ش) .

(٦ - ٦) فى م : « لأن » .

حتى يَنْفِرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك فيهم حتّى انْقَرضُوا ، فوَرِثَهُم ذلك [١/٢٢٩ظ] بالقُعْدَدِ بنو سَعْدِ بنِ زَيدِ مَناةَ (١ بنِ تَميمٍ ١) ، فكان أوَّلُهم صَفْوانَ بنَ الحارثِ بنِ شِجْنَةَ بنِ عُطَارِدَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ (١ بنِ تَميمٍ ١) ، وكانَ ذلك فى بَيْتِه حتَّى قام على آخِرِهم الإِسلامُ ، وهو كَرِبُ بنُ صفوانَ ، وكانت الإِجازةُ مِن المُزْدَلِفَةِ فى عَدْوَانَ ، حتى قام الإِسلامُ على آخرِهم ، وهو أبو سَيَّارَةَ عُمَيْلَةُ بنُ الأَعْزَلِ ؛ وقِيلَ : اسْمُه العاصُ بنُ خالدٍ . وكان يُجِيزُ بالنَّاسِ على أتانٍ له عَوْرَاءَ ، مكَث يَدْفَعُ عليها فى المَوْقِفِ أرْبَعِين سنةً ، وهو أوَّلُ مَن جعَل الدِّيَةَ مِائَةً ، وأوَّلُ مَن كان يقولُ : أَشْرِقْ ثَبِيرُ ؛ كَيْمَا نُغِيرُ . حَكاهُ السُّهَيْلِيُّ[٢] .

وكان عامرُ بنُ الظَّرِبِ العَدْوانِيُّ ، لا يَكونُ بينَ العربِ نَائِرةٌ[٣] إلَّا تحاكَمُوا إليه ، فيَرْضَوْن بما يَقْضِى به ، فتحاكَمُوا إليه مَرَّةً فى ميراثِ خُنْثَى ، فباتَ ليلتَه ساهرًا يَتَرَوَّى ماذا يَحْكُمُ به ، فرأتْه جارِيَةٌ له كانت تَرْعَى عليه غنَمَه ، اسمُها سُخَيْلَةُ ، فقالت له : مَا لَكَ - لا أبا لَكَ - الليلةَ ساهرًا ؟ فذكَر لها ما هو مُفَكِّرٌ فيه ، وقال : لعلَّها يكونُ عندَها فى ذلك شىءٌ . فقالتْ : أتْبِعِ القضاءَ المَبَالَ[٤] . فقالَ : فَرَّجْتِها واللَّهِ يا سُخَيْلَةُ . وحكَم بذلك .

قالَ السُّهَيْلِيُّ[٥] : وهذا الحُكْمُ (٦ مِن بابِ الاسْتدلالِ ٦) بالأَماراتِ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « من سهم » .

(٢) الروض الأنف ٢/٤١ - ٤٣.

(٣) فى الأصل ، ص : « نادرة » ، وفى ا ٩ : « ثائرة » . ونأرت نائرة فى الناس : هاجت هائجة . المعجم الوسيط (ن أ ر) .

(٤) المبال : مخرج البول . المعجم الوسيط (ب و ل) .

(٥) الروض الأنف ٢/ ٥١.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ٩١، ص .

[1] والعَلاماتِ ، و[1] له أصْلٌ فى الشَّرْعِ ؛ قال اللَّهُ تَعالَى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾ [يوسف : ١٨] . حيثُ لا أثرَ لأنيابِ الذِّئْبِ فيه ، وقال تَعالَى : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ٢٦، ٢٧] . وفى الحديثِ[2] : « أنْظِرُوها ، فإن جاءَتْ بِهِ أَوْرَقَ جَعْدًا جُمَالِيًّا ، فهو للَّذى رُمِيَتْ به » .

قال ابنُ إسْحاقَ[3] : وكانَ النَّسِىءُ فى بَنِى فُقَيْمِ بنِ عَدِىِّ بنِ عَامِرِ بنِ ثَعْلَبَةَ ابنِ الحارِثِ بنِ مالكِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ . قال ابنُ إسْحاقَ[4] : وكانَ أوَّلَ مَن نَسَأَ الشُّهُورَ على العَرَبِ القَلَمَّسُ ، وهو حُذَيْفَةُ ابنُ عَبْدِ بنِ فُقَيْمِ بنِ عَدِىٍّ ، ثم قامَ بعدَه ابنُه عبَّادٌ ، ثم قَلَعُ بنُ عبَّادٍ ، ثم أُمَيَّةُ بنُ قَلَعٍ ، ثم عَوْفُ بنُ أُمَيَّةَ ، ثم كانَ آخِرَهم أبو ثُمامَةَ جُنادةُ بنُ عَوْفِ بنِ قَلَعِ بنِ عَبّادِ بنِ حُذَيْفَةَ ، وهو القَلَمَّسُ . فعَلَى أبى ثمامةَ قامَ الإسْلامُ ، وكانتِ العَرَبُ إذا فَرَغَتْ مِن حَجِّها اجْتَمَعَت إليه ، فخَطَبَهم ، فحرَّمَ الأشْهُرَ الحُرُمَ ، فإذا أرادَ أن يُحِلَّ منها شيئًا أحَلَّ المُحَرَّمَ ، وجَعَلَ مَكانَه صَفَرًا ؛ ليُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّم اللَّهُ ، فيقولُ : اللَّهُمَّ إنِّى أحْلَلْتُ أحَدَ الصَّفَرَيْن ؛ الصَّفَرَ الأوَّلَ ، وأَنْسَأْتُ الآخَرَ للعامِ المُقْبِلِ . فتَتَبَّعُه العربُ فى ذلك ، ففى ذلك يقولُ عُمَيْرُ بنُ قَيْسٍ ، أحدُ بَنِى

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٩١، ص .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٢٣٩. (إسناده صحيح) . وأبو داود (٢٢٥٦) . وضعفه الألبانى من هذا الطريق (ضعيف سنن أبى داود ٤٩٦) . وأصل الحديث عند البخارى (٥٣٠٩) بغير هذا اللفظ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤.

فِراسِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ كِنَانَةَ، ويُعْرَفُ عُمَيْرُ بنُ قيْسٍ هذا بِجَذِلِ[1] الطِّعَانِ:

[2]لَقَدْ عَلِمَتْ [3]مَعَدٌّ أنَّ قَوْمِى[3][2] كِرامُ النّاسِ أنَّ لَهُم كِرامَا

فأَيُّ النَّاسِ فاتُونَا بوِتْرٍ وأيُّ النَّاسِ لم نَعْلِكْ لِجامَا

أَلَسْنا النَّاسِئِينَ على مَعَدٍّ شُهُورَ الحِلِّ نَجْعَلُها حَرامَا

وكانَ قُصَىٌّ فى قَوْمِه سيِّدًا رئيسًا مُطاعًا مُعَظَّمًا، والمقصودُ أنَّه جمَع قريشًا مِن مُتفرِّقاتِ مواضِعِهم مِن جزيرةِ العربِ، واسْتعانَ بمَن أطاعَه مِن أحياءِ العربِ على حربِ خُزاعةَ، وإجْلائِهم عن البَيْتِ الحرامِ[4]، وتَسْلِيمِه إلى قُصَىٍّ، فكانَ بينَهم قِتالٌ كثيرٌ، ودِماءٌ غَزِيرةٌ، ثم تَداعَوْا إلى التَّحْكيمِ، فتحاكَمُوا إلى يَعْمُرَ ابنِ عوفِ بنِ كَعْبِ بنِ عامِرِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، فحكَم بأنَّ قُصيًّا أَوْلَى بالبَيْتِ مِن خُزاعَةَ، وأنَّ كلَّ دَمٍ أصابَه قُصَىٌّ مِن خُزاعَةَ وبَنِى بَكْرٍ موضوعٌ، يَشْدَخُه[5] تحتَ قَدَمَيْه، وأنَّ ما أصابَتْه خُزاعَةُ وبنو بَكْرٍ مِن قُرَيْشٍ وكِنانةَ وقُضاعةَ ففيه الدِّيَةُ مُؤَدَّاةً، وأنْ يُخَلَّى بينَ قُصَىٍّ وبينَ مَكَّةَ والكعبةِ، فسُمِّىَ يَعْمُرُ يومَئذٍ الشَّدَّاخَ.

قال ابنُ إسْحاقَ[6]: فَوَلِىَ قُصَىٌّ البيتَ وأَمْرَ مكَّةَ، وجمَع قومَه مِن مَنازِلِهم

---

(١) فى النسخ: «بجدل». والمثبت من السيرة ١/ ٤٤، ومعجم الشعراء ٧٢.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) فى الأصل: «معدا من لؤى».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «بشدخه». وشدخ دم فلان: أهدره وأبطله. المعجم الوسيط (ش د خ).

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٤.

إلى مكَّةَ ، وتَمَلَّك على قَوْمِه وأهْلِ مكَّةَ فمَلَّكُوه ، إلَّا أنَّه أقَرَّ للعربِ على ما كانوا عليه ؛ لأنَّه يَرَى ذلك دِينًا فى نفسِه ، لا يَنْبَغِى تَغْيِيرُه ، فأقَرَّ آلَ صَفْوانَ وَعَدْوانَ والنَّسَأَةَ[1] ومُرَّةَ بنَ عَوْفٍ على ما كانوا عليه ، حتى جاءَ الإسْلامُ فهدَم اللَّهُ به ذلك كُلَّه . قال : فكانَ قُصَىٌّ أوَّلَ بنى كَعْبٍ أصابَ مُلْكًا أطاعَ له به قَوْمُه ، فكانت إليه الحِجَابةُ ، والسِّقايةُ ، والرِّفادةُ ، والنَّدوةُ ، واللِّواءُ[2] [١/٢٣٠و] ، فحازَ شَرَفَ مكَّةَ كلَّه ، وقطَّع مكَّةَ رِباعًا بينَ قَوْمِه ، فأنزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مِن قريشٍ منازِلَهم مِن مكَّةَ .

قُلْتُ : فرجَعَ الحقُّ إلى نصابِه ، ورُدَّ شارِدُ العَدْلِ بعدَ إيابِه ، واسْتقرَّت بقريشٍ الدَّارُ ، وقَضَت مِن خُزاعةَ المرادَ والأوْطارَ ، وتَسلَّمَت بَيْتَهم العَتِيقَ القديمَ ، لكنْ بما أحْدَثَتْ خُزاعةُ مِن عبادةِ الأَوثانِ ، ونَصْبِها إيّاها حولَ الكعبةِ ، ونَحْرِهم لها ، وتَضَرُّعِهم عندَها ، واسْتنصارِهم بها ، وطَلَبِهم الرِّزقَ منها ، وأنْزَلَ قُصَىٌّ قبائِلَ قريشٍ أباطِحَ مَكَّةَ ، وأنزَلَ طائفةً منهم ظَواهِرَها ، فكانَ يُقالُ : قريشُ البِطَاحِ . وقريشُ الظَّواهِرِ . فكانت لِقُصَىِّ بنِ كلابٍ جَمِيعُ الرِّئاسةِ ؛ مِن حِجَابةِ البَيْتِ وسِدَانَتِه واللِّواءِ ، وبَنَى دارًا لإزاحةِ الظُّلُماتِ وفَصْلِ الخُصوماتِ ، سمَّاها دارَ النَّدْوَةِ ، إذا أعْضَلَت قَضِيَّةٌ ، اجْتمعَ الرؤساءُ مِن كُلِّ قبيلةٍ ، فاشْتَوَرُوا فيها ، وفَصَلُوها ، ولا يُعْقَدُ عقدُ لواءٍ ولا عَقْدُ نكاحٍ إلَّا بها ،

---

(١) أى من يقومون على النسىء .

(٢) الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عند واحد بعينه ، فلا يدخله أحد إلا بإذنه . السقاية : سقى الحجاج الماء ينبذ فيه الزبيب . الرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم . الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى . اللواء : أى لواء الحرب ، لأنه كان لا يحمله عند قريش إلا قوم مخصوصون بذلك .

ولا تَبْلُغُ جاريةٌ[1] أن تَدَّرِعَ[2] فَتَدَّرِعَ إلَّا بها ، وكان بابُ هذه الدارِ إلى المسجدِ الحرامِ ، ثُم صارتْ هذه الدارُ فيما بعدُ إلى حكيمِ بنِ حِزَامٍ بعدَ بنى عبدِ الدارِ ، فباعَها فى زَمنِ معاويةَ بمائةِ ألفِ درهمٍ ، فلَامَه على بَيْعِها معاويةُ ، وقال : بِعْتَ مَكْرُمَةَ[3] قَوْمِك [4]وَشَرَفَهم[4] بمائةِ ألْفٍ ؟ فقال : إنَّما الشَّرَفُ اليومَ بالتَّقْوَى ، واللَّهِ لقد ابْتَعْتُها فى الجاهِلِيَّةِ بِزِقِّ خمرٍ ، وها أنا قد بِعْتُها بِمِائةِ ألفٍ ، وأُشْهِدُكم أنَّ ثَمَنَها صَدَقَةٌ فى سبيلِ اللَّهِ ، فأيُّنا المَغْبُونُ[5] ؟ ذَكَرَه الدَّارَقُطْنِىُّ فى « أسْماءِ رجالِ الموَطَّأ » .

وكانت إلى قُصَىٍّ سِقايةُ الحَجِيجِ ، فلا يَشْرَبُون إلَّا مِن ماءِ حِياضِه ، وكانت زَمْزَمُ إذ ذاك مَطْمُوسَةً[6] مِن زمنِ جُرْهُمٍ ، قد تَناسَوْا أمْرَها ؛ مِن تَقادُمِ عَهْدِها ، ولا يَهْتَدُون إلى موضِعِها .

قال الواقِدىُّ : وكان قُصَىٌّ أوَّلَ مَن أحْدَثَ وَقِيدَ النَّارِ بالمُزْدَلِفَةِ ؛ ليَهْتَدِىَ إليها مَن يَأْتِى مِن عرفاتٍ ، و [7]أوَّلَ مَن أحْدَثَ[7] الرِّفادةَ ؛ وهى إطْعامُ الحَجِيجِ أيَّامَ المَوْسِمِ ، إلى أن يَخْرُجُوا راجِعِين إلى بِلادِهم .

قالَ ابنُ إسحاقَ[8] : وذلك أنَّ قُصَيًّا فرَضَه على قريشٍ ، فقالَ لهم : يا

---

(١) فى الأصل ، ص : « حادثة » .

(٢) أى تلبس الدرع . والدرع : قميص المرأة .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « شرف » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٥) أخرجه الطبرانى (٣٠٧٣) بإسنادين . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٨٤: أحدهما حسن . وانظر الروض الأنف ٢/ ٥٥.

(٦) فى الأصل ، ا ٩: « مطمومة » . أى مردومة .

(٧ - ٧) زيادة من : ا ٩.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٠.

مَعْشَرَ قريشٍ ، إنَّكم جِيرانُ اللَّهِ ، وأهْلُ مكَّةَ ، وأهلُ الحَرَمِ ، وإنَّ الحاجَّ ضَيْفُ اللَّهِ وزُوَّارُ بيتِه ، وهم أحَقُّ بالضِّيافةِ ، فاجْعَلُوا لهم طعامًا وشَرابًا أيّامَ الحَجِّ ، حتَّى يَصْدُرُوا عنكم . ففَعَلُوا ، فكانُوا يُخرِجُون لذلك فى كلِّ عامٍ مِن أموالِهم خَرْجًا ، فيَدْفَعُونَه إليه ، فيَصْنَعُه طعامًا للنَّاسِ أيّامَ مِنًى ، فجرَى ذلك مِن أمْرِه فى الجاهليةِ حتى قامَ الإسْلامُ ، ثمَّ جرَى فى الإسلامِ إلى يَوْمِك هذا ، فهو الطَّعامُ الذى يَصْنَعُه السلطانُ كُلَّ عامٍ بمِنًى للناسِ ، حتى يَنْقَضِىَ الحجُّ .

قلتُ : ثمَّ انْقطعَ هذا بعدَ ابنِ إسْحاقَ ، ثم أُمِرَ بإخْراجِ طائفةٍ مِن بيتِ المالِ ، فيُصْرَفُ فى حَمْلِ زادٍ وماءٍ لأبْناءِ السبيلِ القاصِدِين إلى الحَجِّ ، وهذا صَنِيعٌ حسنٌ مِن وجوهٍ يَطُولُ ذكرُها ، ولكنَّ الواجبَ أن يكونَ ذلك مِن خالصِ بيتِ المالِ ، مِن أَجَلِّ ما فيه ، والأَوْلَى أنْ يكونَ مِن جَوَّالِى[1] الذِّمَّةِ ؛ لأنَّهم لا يَحُجُّونَ البيتَ العَتِيقَ ، وقد جاء فى الحديثِ[2] : « مَنِ اسْتَطَاعَ الحَجَّ ، فلمْ يَحُجَّ ، فلْيَمُتْ إنْ شاءَ يَهوديًّا أو نصرانيًّا » .

وقالَ قائِلُهم فى مَدْحِ قُصَىٍّ وشَرَفِه فى قَوْمِه[3] :

قُصَىٌّ لَعَمْرِى كان يُدْعَى مُجَمِّعًا ... به جَمَعَ اللَّهُ القَبائِلَ مِن فِهْرِ

هُمُو مَلَئُوا البَطْحَاءَ مَجْدًا وسُؤْدَدًا ... وهم طَرَدُوا عنَّا غُواةَ بَنِى بَكْرِ

---

(١) فى ص : « جرالى » .

(٢) أخرجه الترمذى (٨١٢) من حديث على مرفوعا بلفظ : « من ملك زادا أو راحلة تبلغه إلى بيت اللَّه ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ...» . قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفى إسناده مقال ، وهلال بن عبد اللَّه مجهول ، والحارث يضعف فى الحديث . قال الألبانى فى ضعيف السنن (١٣٢) : ضعيف .

(٣) هو حذافة بن غانم العدوى ، كما مر فى ص ٢٢٢ حاشية ٥ . وفيها البيت الأول فقط .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولَمَّا فرَغ قُصَيٌّ مِن حربِه ، انْصرفَ أَخُوه رِزاحُ بنُ ربيعةَ إلى بلادِه بمَنْ معه وإخْوتِه مِن أَبِيه الثَّلاثةِ ، وهم حُنٌّ ومَحْمُودٌ وجُلْهُمَةُ . قال رِزاحٌ فى إجابَتِه قُصَيًّا[2] :

ولَمّا أتَـى مِـن قُـصَـيٍّ رَسُـولٌ ... فقالَ الرَّسُولُ أجِيبُوا الخَلِيلَا
نَـهَـضْـنَـا إلـيـه نَـقُـودُ الجِيَـا ... دَ ونَطْرحُ عنّا الـمَـلُولَ الثَّقِيلَا
نَسِيرُ بها اللَّيلَ حتَّى الصَّبا ... حِ ونَكْمِى[3] النَّهارَ لِئَلَّا نَزُولَا
فـهُـنَّ سِـرَاعٌ كـوِرْدِ الـقَـطَـا ... يُجِبْنَ بنا مِن قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنا مِن السِّرِّ مِن أشْمِذَيْنِ[4] ... ومِن كلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فَيَالَـكِ حُـلْـبَـةُ[5] مَـا لـيـلـةٌ ... تَزِيدُ على الألْفِ سَيْبًا رَسِيلَا[6]
فـلَـمَّـا مَـرَرْنَ عـلـى عَـسْـجَـرٍ[7] ... وأَسْـهَـلْـنَ مِـن مُـسْـتَـناخٍ سَـبِـيلَا
وجـاوَزْنَ بـالـرُّكْـنِ مِـن وَرِقـانَ[8] ... وجَاوَزْنَ بالعَرْجِ[9] حيًّا حُلُولَا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦.
(٢) المصدر السابق .
(٣) نكمى : نكمن ونستتر .
(٤) فى الأصل ، ص : «أشهدين» . قال السهيلى فى الروض ٢/ ٥٦: وفى حاشية كتاب سفيان بن العاص : الأشمذان : جبلان بين المدينة وخيبر . ويقال : اسم قبيلتين .
(٥) الحلبة : جماعة الخيل .
(٦) السيب : المشى السريع فى رفق . والرسيل : المشى بتمهل .
(٧) عسجر : اسم موضع .
(٨) ورقان : اسم جبل .
(٩) العرج : وادٍ من نواحى الطائف .

مَرَرْنَ على الحِلِّ[1] ما ذُقْنَه وعَالَجْنَ مَن مَرَّ ليلًا طويلَا

[١/٢٣٠ظ] نُدَنِّى مِن العُوذِ أَفْلاءَها[2] إرادَةَ أن يَسْتَرِقْنَ الصَّهِيلَا

فَلَمَّا انْتَهَيْنا إلى مكَّةٍ أبَحْنَا الرِّجالَ قَبِيلًا قَبِيلَا

نُعاوِرُهُم ثَمَّ حَدَّ السُّيُوفِ وفى كلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا العُقُولَا

نُخَبِّزُهم[3] بصِلَابِ النُّسُو رِ[4] خَبْزَ القَوِىِّ العَزِيزِ الذَّلِيلَا

قَتَلْنَا خُزَاعَةَ فِى دَارِها وبَكْرًا قَتَلْنَا وجَيلًا فَجِيلَا

نَفَيْنَاهُمُ مِن بِلادِ المَلِيكِ كما لا يَحِلُّونَ أرْضًا سُهُولَا

فأصْبَحَ سَبْيُهمُ فِى الحَدِيدِ ومِن كُلِّ حَىٍّ شَفَيْنا الغَلِيلَا

قال ابنُ إسْحاقَ[5] : فَلَمَّا رَجَع رِزاحٌ إلى بلادِه ، نشَرَهُ اللَّهُ ونَشَر حُنًّا ، فَهُما قَبِيلَا عُذْرَةَ إلى اليومِ .

قال ابنُ إسْحاقَ[6] : وقال قُصَىُّ بنُ كِلابٍ فى ذلك :

أَنا ابْنُ العاصِمِينَ بَنِى لُؤَىٍّ بمكَّةَ مَنْزِلى وبِها رَبِيتُ

إلى البَطْحاءِ قدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ومَرْوَتُها رَضِيتُ بها رَضِيتُ

---

(١) فى النسخ : « الحلى » . والمثبت من السيرة . والحل : جمع حِلَّة ، وهى اسم شجرة شاكة .

(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة أو الفرس التى لها أولاد . والأفلاء : جمع فلو : وهو المهر البالغ .

(٣) نخبزهم : نسوقهم سوقا شديدا .

(٤) النسور : جمع نَسْر ، وهو اللحم اليابس الذى فى باطن حافر الفرس .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٨.

فلَسْتُ لِغالبٍ إنْ لَمْ تَأَثَّلْ[1] بها أوْلادُ قَيْدَرَ والنَّبيتُ

رِزاحٌ ناصِرى وبه أُسَامِى فلَسْتُ أخَافُ ضَيْمًا ما حَيِيتُ

وقد ذكَر الأُمَوِىُّ، عن الأَثْرَمِ[2]، عن أبى عُبَيْدةَ، عن مُحمَّدِ بنِ حَفْصٍ، أنَّ رِزاحًا إنَّما قَدِمَ بعدَما نَفَى قُصَىٌّ خُزاعَةَ. واللَّهُ أعْلمُ.

---

(١) تأثل فلان بالمكان: أقام به واستقر ولم يبرح.

(٢) فى الأصل، م: «الأشرم». وهو أبو الحسن على بن المغيرة الأثرم. وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى الأصمعى.

فَصْـلٌ

ثُمَّ لَمَّا كَبِر قُصَىٌّ فَوَّضَ أمْرَ هذه الوظائفِ التى كانت إليه، من رئاساتِ قريشٍ وشَرَفِها؛ مِن الرِّفادَةِ، والسِّقايةِ، والحِجَابةِ، واللِّواءِ، والنَّدْوةِ، إلى ابنهِ عبدِ الدّارِ، وكانَ أكبرَ ولدِه، وإنَّما خَصَّصَه بها كلِّها؛ لأنَّ بقيةَ إخْوَتِه؛ عبدَ مَنَافٍ، وعبدَ العُزَّى[1]، وعَبْدًا، كانوا قد شَرُفُوا فى زَمَنِ أبيهم، وبَلَغُوا فى قَوْمِهم[2] شَرَفًا كبيرًا، فأحَبَّ قُصَىٌّ أن يُلْحِقَ بهم عَبْدَ الدارِ فى السُّؤْدُدِ، فخَصَّصَه بذلك، فكانَ إخوتُه لا يُنازِعُونَه فى ذلك، فلمَّا انْقَرضُوا، تَشاجَرَ أبْناؤُهم فى ذلك وقالُوا: إنَّما خَصَّصَ قُصَىٌّ عبدَ الدّارِ بذلك لِيُلْحِقَه بإخْوَتِه، فنحن نَسْتَحِقُّ ما كان آباؤُنا يَسْتحِقُّونَه. وقال بنو عبدِ الدَّارِ: هذا أمرٌ جَعَله لَنا قُصَىٌّ، فنحنُ أحَقُّ به. واخْتَلَفُوا اخْتلافًا كثيرًا، وانْقَسَمَت بُطونُ قريشٍ فِرْقَتَيْنِ؛ ففِرْقَةٌ بايَعَت بَنِى[3] عبدِ الدَّارِ وحالَفَتْهُم، وفِرْقةٌ بايَعَت بَنِى عبدِ مَنَافٍ وحالَفتْهم على ذلك، ووَضَعُوا أيديَهم عندَ الحِلْفِ فى جَفْنَةٍ فيها طِيبٌ، ثم لمَّا قامُوا، مَسَحُوا أيديَهم بأرْكانِ الكعبةِ، فَسُمُّوا حِلْفَ المُطَيَّبِين، وكان منهم مِن قبائلِ قريشٍ؛ بنو أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ، وبنو زُهْرَةَ، وبنو تَيْمٍ، وبنو الحارثِ بنِ فِهْرٍ، وكان مع بنى عبدِ الدارِ بنو مَخْزُومٍ، وبنو سَهْمٍ، وبنو جُمَحَ،

---

(١) فى النسخ: «عبد شمس». وهو خطأ، فإن أبناء قصى الذكور أربعة ليس فيهم عبد شمس. وسيأتى بيان ذلك فى صفحة ٢٤٥.

(٢) فى الأصل، م: «قوتهم».

(٣) سقط من: الأصل، م، ص.

وبنو عَدِيٍّ ، واعْتزَلَتْ بنو عامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، ومُحاربُ بنُ فِهْرٍ الجميعَ ، فلم يكونُوا معَ واحدٍ منهما ، ثم اصْطَلَحُوا واتَّفقوا على أن تكونَ الرِّفادةُ والسِّقايةُ لبَنِى عبدِ منافٍ ، وأن تَسْتَقِرَّ الحِجَابةُ واللِّواءُ والنَّدْوةُ فى بَنِى عبدِ الدارِ ، فانْبَرَمَ الأمْرُ على ذلك واسْتمَرَّ .

وحكَى الأُمويُّ[1] عن الأثْرمِ[2] ، عن أبى عُبَيْدةَ ، قال : وزعَم قومٌ مِن خُزاعةَ ، أنَّ قُصَيًّا لَمَّا تَزوَّجَ حُبَّى بنتَ حُلَيْلٍ ، وثَقُلَ[3] حُلَيْلٌ عن وِلايةِ البيتِ ، جعَلَها إلى ابنتِه حُبَّى ، واسْتنابَ عنها أبا غُبْشَانَ سليمَ بنَ عَمْرِو بنِ بُوَيٍّ[4] بنِ مِلْكَانَ بنِ أَفْصَى[5] بنِ حارِثةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ ، فاشْترى قُصَيٌّ وِلايةَ البيتِ منه بزِقِّ خَمْرٍ وقَعُودٍ[6] ، فكان يُقالُ : أخْسَرُ مِن صَفْقَةِ أبى غُبْشَانَ . ولَمَّا رأتْ خُزاعةُ ذلك ، اشْتَدُّوا على قُصَيٍّ ، فاسْتَنْصَر أخاه ، فقَدِمَ بمَن معَه ، وكانَ ما كانَ ، ثم فوَّضَ قُصَيٌّ هذه الجِهاتِ التى كانتْ إليه ؛ مِن السِّدَانَةِ ، والحِجَابةِ ، واللِّواءِ ، والنَّدْوةِ ، والرِّفادةِ ، والسِّقايةِ ، إلى ابْنِه عبدِ الدَّارِ - كما سيأتِى تَفْصِيلُه وإيضاحُه - وأَقَرَّ الإجازةَ مِن مُزْدَلِفَةَ فى بَنِى عَدْوانَ ، وأقَرَّ النَّسِىءَ فى بَنِى فُقَيمٍ ، وأقرَّ الإجازةَ - وهو النَّفْرُ - فى صُوفَةَ ، كما تقدَّم بيانُ ذلك كلِّه ممَّا كان بأيْدِيهم قَبْلَ ذلك .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٢٥٦.

(٢) فى م : « الأشرم » .

(٣) فى النسخ : « نقل » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « لؤى » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « قصى » .

(٦) القعود : الفتىُ من الإبل إذا بلغ السادسة .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فوَلَدَ قُصَيٌّ أرْبَعةَ نَفَرٍ وامْرأتَيْنِ ؛ عبدَ مَنافٍ ، وعبدَ الدَّارِ ، وعبدَ العُزَّى ، وعَبْدًا ، وتَخْمُرَ ، وبرَّةَ ، وأُمُّهم كلِّهم حُبَّى بنتُ حُلَيْلِ بنِ حُبْشِيَّةَ بنِ سَلُولِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو الخُزاعِيِّ . وهو آخِرُ مَن وَلِيَ البيتَ مِن خُزاعةَ ، ومِن يَدِه أَخَذ البيتَ قُصَيُّ بنُ كِلابٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فوَلَدَ عبدُ مَنافِ بنُ قُصَيٍّ أرْبعةَ نَفَرٍ ؛ هاشِمًا ، وعبدَ شَمْسٍ ، [١/٢٣١و] والمُطَّلِبَ - وأُمُّهم عاتِكَةُ بنتُ مُرَّةَ بنِ هِلالٍ - ونَوْفَلَ بنَ عبدِ مَنَافٍ ، وأُمُّه وَاقِدَةُ بنتُ عَمْرٍو المازِنِيَّةُ .

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وَوُلِدَ لِعَبْدِ مَنافٍ أيضًا أبو عَمْرٍو ، وتُمَاضِرُ ، وقِلَابةُ ، وحَيَّةُ ، ورَيْطَةُ ، وأُمُّ الأَخْتَمِ ، وأُمُّ سفيانَ .

قال ابنُ هِشامٍ[4] : وَوَلَد هاشِمُ بنُ عَبْدِ مَنافٍ أرْبعَةَ نَفَرٍ وخَمْسَ نِسْوَةٍ ؛ عبدَ المُطَّلِبِ ، وأَسَدًا ، وأبا صَيْفِيٍّ ، ونَضْلةَ ، والشِّفَاءَ ، وخالدةَ ، وضَعِيفَةَ ، ورُقَيَّةَ ، وحَيَّةَ ؛ فأُمُّ عَبْدِ المُطَّلِبِ ورُقَيَّةَ سَلْمَى بنتُ عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ لَبِيدِ بنِ خِدَاشِ بْنِ عامرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجَّارِ مِن المدينةِ . وذكَر أُمَّهاتِ الباقِينَ ، قال[4] : وولَدَ عبدُ المُطَّلِبِ عَشَرةَ نَفَرٍ وسِتَّ نِسْوَةٍ ، وهم ؛ العبَّاسُ ، وحَمْزَةُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وأبو طالبٍ - واسْمُه عَبْدُ مَنافٍ ، لا عِمْرانُ - والزُّبَيْرُ ، والحارِثُ[5] - وكان بِكْرَ أَبِيهِ ، وبه كان يُكْنَى - وجَحْلٌ . ومنهم مَن يقولُ : حَجْلٌ . وكانَ يُلَقَّبُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٥.

(٢) فى م : « هشام » . سيرة ابن هشام ١/ ١٠٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٨.

(٥) سقط من : الأصل ، ٩١، ص .

بالغَيْدَاقِ ؛ لكَثْرةِ خَيْرِه . والمُقَوِّمُ ، وضِرَارٌ ، وأبو لَهَبٍ - واسْمُه عبدُ العُزَّى - وصَفِيَّةُ ، وأُمُّ حَكِيمٍ البَيْضاءُ[1] ، وعاتِكَةُ ، وأُمَيْمَةُ ، وأَرْوَى وبَرَّةُ . وذكَر أُمَّهاتِهم ، إلى أنْ قال : وأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وأبِى طالبٍ والزُّبيرِ وجَميعِ النِّساءِ إلَّا صَفِيَّةَ ، فاطمةُ بنتُ عَمْرِو بنِ عائذِ بنِ عِمْرانَ بْنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ . قال : فولَدَ عبدُ اللَّهِ محمَّدًا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ ، وأُمُّه آمِنةُ بنتُ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ . ثُم ذَكَر أُمَّهاتِها فأَغْرَقَ ، إلى أن قالَ : فهو أَشْرفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا ، وأفْضَلُهم نَسَبًا ، مِن قِبَلِ أبيهِ وأُمِّهِ ، صلَواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه دائمًا إلى يَوْمِ الدِّينِ .

وقد تَقدَّمَ حديثُ الأوْزاعِىِّ[2] ، عن شَدَّادٍ أَبِى عَمَّارٍ ، عن وَاثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانةَ مِن وَلَدِ إسْماعِيلَ ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ ، واصْطَفَى [3]مِن قُريشٍ بنى هاشمٍ[3] ، واصْطَفانِى مِن بَنِى هَاشِمٍ » . رَواهُ مُسْلِمٌ . وسيأتِى بيانُ مَوْلِدِه الكَريمِ وما ورَدَ فيه مِن الأخْبارِ والآثارِ ، وسَنُورِدُ عندَ سَرْدِ النَّسَبِ الشَّريفِ فوائدَ أُخَرَ ليست هـهنا ، إنْ شاءَ اللَّهُ تَعالَى ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، ٩١، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٢٥، حاشية (٥) .

(٣ - ٣) فى النسخ : « هاشما من قريش » . والمثبت من صحيح مسلم (٢٢٧٦) .

ذِكْرُ جُملٍ مِن الأَحْدَاثِ الواقعةِ[1] فى زمنِ[1] الجاهِليَّةِ

قد تَقدَّمَ ما كانَ مِن أخْذِ جُرْهُمٍ وِلايةَ البيتِ مِن بنى إسْماعيلَ، طَمِعُوا فيهم لأنَّهم أبناءُ بَناتِهم، وما كان مِن تَوَثُّبِ خُزاعَةَ على جُرْهُم، وانْتزاعِهم وِلايةَ البيتِ منهم[2]، ثُم ما كان مِن رجوعِ ذلك إلى قُصَىٍّ وبَنِيه[3]، واسْتمرارِ ذلك فى أيْديهم إلى أن بعثَ اللَّهُ رسولَه ﷺ، فأقَرَّ تلك الوظائفَ على ما كانت عليه.

---

(١) سقط من: م.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ١٨٦.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٦.

بابُ[1] ذِكْرِ جَماعةٍ كانوا[1] مَشْهُورِين فى زمنِ الجاهِليَّةِ

خبَرُ خالدِ بنِ سِنانٍ العَبْسِيِّ الذى كان فى زمنِ الفترةِ

وقد زَعَم بعضُهم أنَّه كان نبيًّا ، واللَّهُ أعْلمُ .

قال الحافِظُ أبو القاسِمِ الطَّبَرانِيُّ[2] : حدَّثَنا أحْمدُ بنُ زُهَيْرٍ التُّسْتَرِيُّ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ المُعَلَّى بنِ مَنْصورٍ الرَّازِيُّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ الصَّلْتِ ، حدَّثَنا قَيْسُ بنُ الرَّبيعِ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : جاءت بنتُ خالدِ بنِ سِنانٍ إلى النبيِّ ﷺ ، فبَسَطَ لها ثَوْبَه ، وقال : « بنتُ نَبِيٍّ ضَيَّعَه قَوْمُه » .

وقد رَواهُ الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[3] ، عن يَحْيى بنِ المُعَلَّى بنِ مَنْصورٍ ، عن محمَّدِ بنِ الصَّلْتِ ، عن قَيْسٍ ، عن سالمٍ ، عن سَعيدٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : ذُكِرَ خالدُ بنُ سنانٍ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ذاك نَبِيٌّ ضَيَّعَه قَوْمُه » . ثم قالَ : ولا نَعْرِفُه مَرْفُوعًا إلَّا مِن هذا الوَجْهِ ، وكان قيسُ بنُ الرَّبيعِ ثِقَةً فى نَفْسِه ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى المعجم الكبير (١٢٢٥٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٤ : وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى ، ولكن ضعفه أحمد - مع ورعه - وابن معين .

(٣) كشف الأستار (٢٣٦١) . قال الألبانى : لا يصح . (السلسلة الضعيفة ٢٨١) . وتقدم كلام الهيثمى .

إلَّا أنَّه كان رَدِىءَ الحِفْظِ ، وكانَ له ابنٌ يُدْخِلُ فى أحاديثِه ما ليس منها . واللَّهُ أعلمُ .

قال البزَّارُ[1] : وقد رَواهُ الثَّوْرِىُّ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ مُرْسَلًا .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِىُّ[2] : حَدَّثَنا المُعَلَّى بنُ مَهْدِىٍّ المَوْصِلىُّ قالَ : حدَّثَنا أبو عَوَانةَ ، عن أبى يُونُسَ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رجلًا مِن عَبْسٍ يُقالُ له : خالدُ بنُ سِنَانٍ . قال لقَوْمِه : أنَا أُطْفِئُ عنكم نارَ الحَدَثَانِ[3] . فقال له رجُلٌ مِن قَوْمِه[4] : واللَّهِ يا خالدُ ، ما قُلْتَ لنا قطُّ إلَّا حقًّا ، فمَا شَأْنُك [١/٢٣١ظ] وشَأْنُ نارِ الحَدَثانِ[5] تَزْعُمُ أنَّك تُطْفِئُها ؟ فخَرَج خالدٌ ومعه أُناسٌ مِن قَوْمِه ، فيهم عُمارةُ بنُ زيادٍ، فأتَوْها، فإذا هى تَخْرُجُ مِن شَقِّ جَبَلٍ، [6] فخَطَّ لهم خالدٌ خِطَّةً، فأَجْلَسَهم فيها، فقال: إنْ أبْطأتُ عليكم، فلا تَدْعُونِى باسْمِى [6] ، فخَرَجَت كأنَّها خَيْلٌ شُقْرٌ ، يَتْبَعُ بعضُها بعضًا ، فاسْتَقْبَلَها خالدٌ فجعَل يَضْرِبُها

---

(١) كشف الأستار (٢٣٦١) .

(٢) لم نجد هذا الأثر فى مسند أبى يعلى ، ولكن أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٥٩٨ من طريق المعلى ابن مهدى ، وهو شيخ أبى يعلى . وكذلك أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١٧٩٣) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٤: وفيه المعلى بن مهدى ، ضعفه أبو حاتم ، قال : يأتى أحيانا بالمناكير . قلت - أى الهيثمى - : وهذا منها .

(٣) فى الأصل ، ص : « الحرتين الحدثان » . وفى ا ٩، م : « الحرتين » . والمثبت كما فى المستدرك والطبرانى . والحدثان : اسم رجل أطلق على هذا الموضع قريبا من مكة . انظر معجم البلدان ٢/ ٢١٨ .

(٤) اسمه عمارة بن زياد ، كما صرح به فى المستدرك والطبرانى .

(٥) فى م : « الحرتين » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

بِعَصاهُ ، وهو يقولُ : بَدا بدَا كلُّ هُدَى مردا[1] ، زَعَم ابنُ راعِيةِ المِعْزَى أنِّى لا أَخْرُجُ منها وثيابى تَنْدَى[2] . حتَّى دخَل معها الشَّقَّ ، فأَبْطَأَ عليهم ، فقال لهم عُمارةُ بنُ زيادٍ : واللَّهِ إنَّ صاحبَكم لو كان حيًّا لقد خرَج إليكم بعدُ . قالوا : فادْعُوه باسْمِه . [3]قال : فقالوا : إنَّه قد نَهانا أن نَدْعُوَه باسْمِه . فدَعَوْهُ باسْمِه[3] ، فخرَجَ وهو آخِذٌ برَأْسِه ، فقال ألم أنْهَكُم أن تَدْعُونى باسْمِى ، فقد واللَّهِ قَتَلْتُمونى ، فادْفِنُونى ، فإذا مرَّت بِكم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أبْتَرُ فانْبِشُونى ، فإنَّكم تَجِدُونى حيًّا . فدَفَنُوه ، فمرَّت بهم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أبْتَرُ . فقُلْنا : انْبِشُوه ؛ فإنَّه أمَرَنا أنْ نَنْبُشَه . فقال لهم عمارةُ : لا تَنْبُشُوه ، لا واللَّهِ لا تُحَدِّثُ مُضَرُ أنَّا نَنْبُشُ مَوْتانا . وقد كان قال لهم خالدٌ : إنَّ فى عِكْمِ[4] امْرأتِه لَوْحَيْنِ ، فإن أَشْكَلَ عليكم أمْرٌ فانْظُرُوا فيهما ؛ فإنَّكم ستَجِدُون ما تَسْأَلُونَ عنه . قال : ولا يَمَسُّهما حائِضٌ . فلَمَّا[5] رَجَعُوا إلى امْرأتِه ، سَأَلُوها عنهما ، فأخْرَجَتْهما إليهم وهى حائِضٌ ، فذهَب ما كان فيهما مِن عِلْمٍ . قال أبو يُونُسَ : قال سِماكُ بنُ حَرْبٍ : سُئِلَ عنه النَّبىُّ ﷺ ، فقالَ : « ذاك نَبِىٌّ أَضَاعَه قَوْمُه » . قال : أبو يُونُسَ : قال سِماكُ بنُ حَرْبٍ : إنَّ ابْنَ خالدِ بنِ سِنانٍ أَتَى النبىَّ ﷺ ، فقالَ : « مَرْحَبًا بابْنِ أخِى » .

---

(١) سقط من : م . وفى الأصل ، ا ٩، ص : « مؤدا » . والمثبت من الطبرانى .

(٢) فى م : « بيدى » . وتندى : أى مبتلة تقطر ماء .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « علم » ، وفى م : « عكن » . والمثبت كما فى الطبرانى . والعكم : الثوب مادام فيه المتاع . الوسيط (ع ك م) .

(٥) بعده فى : الأصل ، ا ٩، ص : « فرغوا من دفنه » .

فهذا السِّياقُ مَوْقُوفٌ على ابْنِ عباسٍ، وليس فيه أنَّه كان نبيًّا، والمُرْسلَاتُ التى فيها أنَّه نبيٌّ، لا يُحْتَجُّ بها هـٰهنا، والأشْبَهُ أنَّه كان رجلًا صالحًا، له أحْوالٌ وكَراماتٌ؛ فإنَّه إن كان فى زمنِ الفَتْرَةِ، فقد ثَبَت فى «صَحيحِ البُخارىِّ»[1]، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّه قال: «أنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، إنَّه لَيْسَ بَيْنِى وبينَه نَبِىٌّ». وإن كان قبلَها، فلا يُمْكِنُ أن يكونَ نبيًّا؛ لأنَّ اللَّهَ تعالَى قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣]. وقد قال غيرُ واحدٍ مِن العُلماءِ: إنَّ اللَّهَ تعالى لم يَبْعَثْ بعدَ إسماعيلَ نبيًّا فى العَرَبِ، إلَّا محمَّدًا ﷺ، خَاتَمَ الأنْبياءِ، الذى دَعَا به إبْراهيمُ الخليلُ، بانِى الكعبةِ المُكَرَّمَةِ، التى جَعَلها اللَّهُ قِبْلةً لأهْلِ الأرْضِ شَرْعًا، وبَشَّرَتْ به الأنبياءُ لقَوْمِهم، حتى كان آخِرَ مَن بَشَّر به عِيسى ابنُ مَرْيَمَ، عليه السَّلامُ، وبهذا المَسْلَكِ بعَيْنِه، يُرَدُّ ما ذَكَره السُّهَيْلِىُّ وغيرُه مِن إرْسالِ نبىٍّ مِن العَرَبِ يُقالُ له: شُعَيْبُ بنُ ذى مهذمِ بنِ شُعَيْبِ بنِ صَفْوانَ. صاحِبُ مَدْيَنَ، وبُعِثَ إلى العربِ أيضًا حَنْظَلَةُ بنُ صَفْوانَ، فكذَّبُوهما، فسلَّط اللَّهُ على العرَبِ بُخْتُ نَصَّرَ، فنالَ منهم مِن القَتْلِ والسَّبْيِ نحوَ ما نالَ مِن بَنِى إسرائيلَ، وذلك فى زمنِ مَعَدِّ ابنِ عَدْنانَ. والظَّاهِرُ أنَّ هؤلاءِ كانوا قوْمًا صالِحِينَ يَدْعُونَ إلى الخيرِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد تقدَّم[2] ذِكْرُ عَمْرِو بنِ لُحَىِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفَ، فى أخْبارِ خُزاعَةَ بعد جُرْهُمٍ.

---

(١) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٦.

(٢) فى صفحة ١٨٩.

ذِكْرُ[1] حاتِمِ الطَّائِىّ

أحَدِ أَجْوادِ الجاهِلِيَّةِ

وهو حاتمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سَعْدِ بنِ الحَشْرَجِ بنِ امْرِئ القَيْسِ بنِ عَدِىِّ بنِ أخْزَمَ[2] بنِ أبى أخْزَمَ، واسْمُه هَزُومَةُ بنُ ربيعةَ بنِ جَرْوَلِ بنِ تُعَلَ بنِ عَمْرِو بنِ الغَوْثِ بنِ طَيِّئٍ، أبو سَفَّانَةَ الطَّائِىُّ وَالِدُ عَدِىِّ بنِ حاتمٍ، الصَّحابىُّ، كان جَوَادًا مُمَدَّحًا فى الجاهليَّةِ، وكذلك كان ابنُه فى الإسْلامِ، وكانت لحاتمٍ مآثرُ وأُمُورٌ عجيبةٌ، وأخْبارٌ مُسْتَغْرَبَةٌ فى كرمِه، يَطُولُ ذكرُها، ولكنْ لم يَكُنْ يَقْصِدُ بها وَجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخِرَةَ، وإنَّما كان قَصْدُه السُّمْعَةَ والذِّكْرَ.

قال الحافِظُ أبو بَكْرٍ البزَّارُ فى «مُسْنَدِه»[3]: حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ مَعْمَرٍ، حدَّثَنا عبيدُ بنُ واقِدٍ القَيْسِىُّ، حدَّثنا أبو مُضَرَ[4]، هو النَّاجِىُّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ، عن ابْنِ عُمَرَ، قال: ذُكِرَ حاتمٌ عندَ النَّبىِّ ﷺ، فقالَ: «ذاكَ أَرَادَ أمْرًا فَأَدْرَكَه». حديثٌ غَرِيبٌ. قال الدَّارَقُطْنِىُّ[5]: تَفَرَّدَ به عُبَيْدُ بنُ واقِدٍ، عن أبى مُضَرَ[4] النَّاجِىِّ. ويُقالُ: إنَّ اسْمَه حَمَّادٌ. قال ابنُ عساكِرَ[6]: وقد فَرَّقَ أبو

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى النسخ: «أحزم». والمثبت كما فى جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٢، والنسب لأبى عبيد ص ٣٣١، والاشتقاق لابن دريد ص ٢٩.

(٣) كشف الأستار (٩٢). قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١١٩: وفيه عبيد بن واقد، ضعفه أبو حاتم.

(٤) فى الأصل، ص: «نضر»، وفى م: «نصر».

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ١١/ ٣٦٢.

(٦) المصدر السابق.

أحمدَ الحاكِمُ بينَ أبى مُضَرَ[1] النَّاجِىِّ وبينَ أبى نَصْرٍ حَمَّادٍ، ولم يُسَمِّ النَّاجِىَّ. ووقَع فى بعضِ رواياتِ الحافظِ ابنِ عساكِرَ، عن أبى نَضْرٍ[2] شَيْبَةَ النَّاجِىِّ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا مؤمَّلُ[4] بنُ إسْماعيلَ، [١/٢٣٢و] حدَّثَنا سفيانُ، عن سِمَاكِ بنِ حربٍ، عن مُرَىٍّ بنِ قَطَرِىٍّ، عن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ، قال: قلتُ: يا رسُولَ اللَّهِ، إنَّ أبِى كان يَصِلُ الرَّحِمَ، ويفعلُ، ويفعلُ، فهل له فى ذلك؟ يَعْنِى: مِن أجرٍ. قال: «إنَّ أباك طلَب أَمْرًا[5] فأصابَه».

وهكذا روَاه أبو يَعْلَى[6]، عن القَوارِيرِىِّ، عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبَةَ، عن سِمَاكٍ به، وقال: «إنَّ أباكَ أرادَ أمْرًا، فأدْرَكَه». يَعْنِى الذِّكْرَ. وهكذا رواهُ أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[7]، عن علىِّ بنِ الجَعْدِ، عن شُعْبَةَ به سواءً. وقد ثبَت فى «الصَّحيحِ»[8] فى الثَّلاثةِ الذين تُسَعَّرُ بهم جهنمُ، منهم الرَّجلُ الذى يُنْفِقُ ليُقالَ: إنَّه كريمٌ. فيكونُ جَزاؤُه أنْ يقالَ ذلك فى الدُّنْيا، وكذا فى العالمِ والمُجاهدِ. وفى الحديثِ الآخَرِ فى «الصَّحيحِ»[9]، أنَّهم سألُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى الأصل، ص: «نضر»، وفى م: «نصر».

(٢) فى الأصل، م: «نصر». وفى ا ٩: «مضر»، وهو الصواب. والمثبت كما فى ص، وتاريخ ابن عساكر.

(٣) فى المسند ٤/ ٣٧٩.

(٤) فى الأصل، م، ص: «يزيد».

(٥) فى النسخ: «شيئا». والمثبت من المسند.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٦٠ من طريق أبى يعلى به، ورواه ابن حبان من طريق أبى يعلى، عن على بن الجعد، عن شعبة به. الإحسان (٣٣٢). وقال الشيخ شعيب: إسناده حسن.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٦١ من طريق أبى القاسم البغوى به.

(٨) مسلم (١٩٠٥).

(٩) مسلم (٢١٤).

عن عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ ، فقالُوا له : كان يَقْرِى الضَّيْفَ ، ويَعْتِقُ ، ويَتَصَدَّقُ ، فهل يَنْفَعُه ذلك ؟ فقال : « إنَّه لم يقُلْ يومًا مِن الدَّهرِ : رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يومَ الدِّينِ » . هذا ، وقد كان مِن الأَجْوادِ المشهورِين أيضًا ، المُطْعِمِين فى السِّنِينَ المُمْحِلَةِ والأَوْقاتِ المُرْمِلَةِ .

وقال الحافِظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[1] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنى أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ العُمَانِىُّ ، حَدّثنا أبو سعيدٍ عبيدُ بنُ كثيرِ بنِ عبدِ الواحدِ الكُوفِىُّ ، حدّثنا ضِرارُ بنُ صُرَدٍ ، حدَّثنا عاصِمُ بنُ حُمَيْدٍ ، عن أبى حَمْزَةَ الثُّمَالِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُنْدُبٍ ، عن كُمَيْلِ بنِ زِيادٍ النَّخَعِىِّ ، قال : قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : « يا سبحانَ اللَّهِ ، ما أزْهدَ كثيرًا مِن النَّاسِ فى خيرٍ ، عجبًا لرجلٍ يَجِيئُه أَخُوه المسلمُ فى حاجةٍ ، فلا يَرَى نفسَه للخيرِ أهْلًا ، فلو كان لا يَرْجُو ثوابًا ولا يَخْشَى عِقابًا ، لَكانَ يَنْبَغِى له أنْ يُسارِعَ فى مَكارِمِ الأخلاقِ ، فإنَّها تَدُلُّ على سبيلِ النجاحِ ! » فقام إليه رجلٌ وقال : فِداكَ أبى وأُمِّى يا أميرَ المؤمنينَ ، أَسَمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لمّا أُتِىَ بِسَبايَا طيِّئٍ ، وقعَتْ جاريةٌ حَمْراءُ ، لَعْساءُ ، ذَلْفاءُ ، عَيْطاءُ ، شَمَّاءُ الأنْفِ ، مُعْتدِلةُ القامةِ والهامةِ ، درماءُ الكَعْبَين ، خَدْلَةُ السّاقَيْنِ ، لَفَّاءُ الفَخِذَيْن ، خَمِيصَةُ الخَصْرَيْن ، ضامِرَةُ الكَشْحَين ، مَصْقُولةُ المَتْنَيْنِ[2] . قال : فلمَّا رأيْتُها ، أُعْجِبْتُ بها وقلتُ : لأَطْلُبَنَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فيَجْعَلُها فى فَيْئِى . فلمّا

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٣٤١.

(٢) لعساء : سوداء باطن الشفة . ذلفاء : صغيرة الأنف . عيطاء : طويلة العنق . درماء : مستوية الكعبين . خدلة : ممتلئة الساقين . لفاء : كثيرة لحم الفخذين . خميصة : ضامرة .

تكلَّمَتْ ، أُنْسِيتُ جمالَها ؛ لِمَا رأيتُ مِن فصاحَتِها ، فقالت : يا محمدُ ، إنْ رأيتَ أن تُخَلِّيَ عنِّى ولا تُشْمِتْ بِىَ أحْياءَ العربِ ، فإنِّى ابنةُ سيِّدِ قَوْمِى ، وإنَّ أبى كان يَحْمِى الذِّمَارَ ، ويَفُكُّ العانِىَ ، ويُشْبِعُ الجائعَ ، ويَكْسُو العارِىَ ، ويَقْرِى الضَّيْفَ ، ويُطْعِمُ الطَّعامَ ، ويُفْشِى السَّلامَ ، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجةٍ قَطُّ ، وأنا ابنةُ حاتمِ طَيِّئٍ . فقال النبىُّ ﷺ : « يا جاريةُ ، هذه صفةُ المؤمنين حقًّا ، لو كان أبوكِ مُؤْمنًا لَتَرَحَّمْنا عليه ، خَلُّوا عنها ؛ فإنَّ أباها كان يُحِبُّ مَكارمَ الأخلاقِ ، واللَّهُ تَعالَى يُحِبُّ مَكارمَ الأَخْلاقِ » . فقام أبو بُرْدَةَ بنُ نِيَارٍ[1] ، فقالَ : يا رسُولَ اللَّهِ ، واللَّهُ يُحِبُّ مَكارمَ الأخْلاقِ ؟ فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ : « والَّذى نَفْسِى بِيَدِه ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحَدٌ إلَّا بِحُسْنِ الخُلُقِ » .

وقال أبو بَكْرٍ ابنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنى عُمَرُ بنُ بكرٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الطَّائىِّ - هو الهَيْثَمُ[3] بنُ عَدِىٍّ - عن [4]مِلْحَانَ بنِ[4] عَرْكِىِّ بنِ حَلْبَسٍ الطائىِّ ، عن أبِيهِ ، عن جَدِّه - وكان أخَا عَدِىِّ بنِ حاتمٍ لِأُمِّهِ - قال : قيل لِنَوارَ امرأةِ حاتمٍ : حدِّثِينا عن حاتمٍ . قالَتْ : كلُّ أمْرِه كان عَجَبًا ؛ أصابَتْنا سَنَةٌ حَصَّتْ[5] كُلَّ شىءٍ ، فاقْشَعَرَّتْ لها الأرضُ ، واغْبَرَّت لها السَّماءُ ، وضَنَّتِ المَراضِعُ على أوْلادِها ، وراحتِ الإبِلُ حَدْبَاءَ حَدَابِيرَ[6] ، ما تَبِضُّ بقَطْرَةٍ ،

---

(١) فى الأصل : « دينار » ، وفى م : « ينار » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٧١.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٦٥، ٣٦٦ من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « القاسم » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « عثمان عن » ، وفى ا ٩، ص ، : « عثمان بن » . والمثبت كما فى تاريخ ابن عساكر . وسيأتى فى ص ٢١٧: ملحان بن عركى بن عدى بن حاتم .

(٥) حصت : أذهبت ، وأهلكت .

(٦) حدباء : منحنية الظهر . حدابير : جمع حدبار وحدبير ، وهى الناقة العجفاء الهزيلة .

وحَلَقَ[1] المالُ ، وإنَّا لفى ليلةٍ صِنَّبْرٍ[2] ، بعيدةٍ ما بينَ الطَّرَفَيْنِ ، إذْ تَضاغَى الأصْبِيَةُ مِن الجُوعِ ؛ عبدُ اللَّهِ وعَدِىٌّ وسَفَّانَةُ ، فوَاللَّهِ إنْ وَجَدْنا شيئًا نُعَلِّلُهم به ، فقامَ إلى أحدِ الصَّبِيَّيْنِ فحَمَلَهُ ، وقُمْتُ إلى الصَّبِيَّةِ فعلَّلْتُها ، فَواللَّهِ إنْ سَكَتَا إلَّا بعدَ هَدْأَةٍ مِن اللَّيْلِ ، ثُمَّ عُدْنا إلى الصَّبىِّ الآخَرِ ، فعَلَّلْنَاه حتَّى سَكَت وما كاد ، ثُمَّ افْتَرَشْنا قَطِيفَةً لنا شامِيَّةً ذاتَ خَمْلٍ ، فأَضْجَعْنا الصِّبْيانَ عليها ، ونِمْتُ أنا وهو فى حُجْرَةٍ والصِّبْيانُ [١/٢٣٢ظ] بَيْنَنا ، ثم أقْبل عَلَىَّ يُعَلِّلُنى لأَنامَ ، وعَرَفْتُ ما يُرِيدُ فتَناوَمْتُ ، فقال : مَالَكِ أَنِمْتِ ؟ فسَكَتُّ . فقالَ : ما أرَاها إلَّا قد نامَتْ . وما بِى نَوْمٌ . فلمَّا ادْلَهَمَّ اللَّيْلُ ، وتَهَوَّرَتِ النُّجُومُ ، وهَدَأَتِ الأصْواتُ ، وسكَنَتِ الرِّجْلُ ، إذا جانِبُ البيتِ قد رُفِعَ ، فقال : مَن هذا ؟ فَوَلَّى حتى إذا قلتُ : قد أَسْحَرْنَا أو كِدْنَا . عادَ فقال : مَن هذا ؟ قالت : جارتُكَ فُلانةُ يا أبا عَدِىٍّ ، ما وَجَدْتُ على أحدٍ مُعَوَّلًا غيرَك ، أتَيْتُكَ مِن عندِ أصْبِيَةٍ يَتَعَاوَوْنَ عُواءَ الذِّئْبِ مِن الجُوعِ . قال : أعْجِلِيهم علىَّ . قالتِ النَّوارُ : فَوثَبْتُ ، فقلتُ : ماذا صَنَعْتَ[3] ؟ ! واللَّهِ لقد تَضَاغَى أصْبِيَتُك ، فما وَجَدْتَ ما تُعَلِّلُهم به[4] ، فكيف بهذه وبوَلَدِها ؟ فقال : اسْكُتِى ، فواللَّهِ لأُشْبِعَنَّكِ وإيَّاهم[4] ، إنْ شاءَ اللَّهُ . قالت : فأقْبَلَتْ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ ، وتَمْشِى جَنْبَتَيْهَا أرْبَعةٌ ، كأنَّها نَعامةٌ حَوْلَها رِئالُها[5] ، فقام إلى فَرَسِه ، فوَجَأَ بحربتِه فى لَبَّتِهِ ، ثم قَدَح زَنْدَه ، وأوْرَى نارَه ، ثم جاءَ بمُدْيَةٍ ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « خلف » ، وفى ا ٩ : « حلف » ، وفى م : « حلقت » . والمثبت كما فى تاريخ ابن عساكر . وحلق : هلك .

(٢) فى الأصل ، ص : « صيره » ، وفى ا ٩ : « حيرة » . وصنبر : الريح الباردة فى غيم .

(٣) بعده فى م : « اضطجِعْ » .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٥) الرأل : فرخ النعام .

فكَشَطَ عن جِلْدِه ، ثم دَفَع المُدْيَةَ إلى المَرْأَةِ ، ثم قال : دُونَكِ . ثم قال : ابْغِنى[1] صبيانَك . فبَغَيْتُهم[2] . ثم قال : سَوْءَةٌ ، أَتَأْكُلُونَ شيئًا دُونَ أهلِ الصِّرمِ[3] ؟ فجعَلَ يُطَوِّفُ فيهم ، حتَّى هَبُّوا وأَقْبَلُوا عليه ، والْتَفَعَ [4]فى ثَوْبِه[4] ، ثم اضْطَجَعَ ناحيةً يَنْظُرُ إلَيْنا ، لا واللَّهِ ما ذاقَ مِزْعَةً ، وإنَّه لأَحْوَجُهم إليه ، فأصْبَحْنا وما عَلى الأرْضِ منه إلا عَظْمٌ أو حافِرٌ .

وقال الدَّارَقُطْنِىُّ[5] : حدَّثَنِى القاضى أبو عبدِ اللَّهِ المَحَامِلِىُّ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ أبى سَعْدٍ ، حدَّثَنى غُنْمُ[6] بنُ ثوابةَ بنِ حُمَيْدٍ[7] الطَّائِىُّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : قالَتِ امْرأةُ حاتمٍ لِحاتمٍ : يا أبا سَفَّانةَ ، أَشْتَهِى أنْ آكُلَ أنا وأنت طعامًا وَحْدَنا ، ليس عليه أحدٌ . فأمَرَها فَحَوَّلَت خيمَتَها مِن الجماعةِ على فَرْسَخٍ ، وأمَرَ بالطَّعامِ فهُيِّئَ ، وهى مُرْخَاةٌ سُتُورُها عليه وعليها ، فلَمَّا قارَبَ نُضْجُ الطَّعامِ ، كَشَف عن رَأْسِه ثم قال[8] :

فلا تَطْبُخِى قِدْرِى وسِتْرُك دُونَها ... علىَّ إذَنْ ما تَطْبُخِين حَرامُ[9]

---

(١) فى م : « ابعثى » .

(٢) فى م : « فبعثتهم » .

(٣) الصرم : الجماعة المنعزلة .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٩، وفى الأصل ، ص : « بينه » ، وفى تاريخ ابن عساكر : « ببته » . والبت : كساء غليظ مهلهل .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٦٦/١١ من طريق الدارقطنى به .

(٦) فى الأصل ، ص : « عتيم » ، وفى ا ٩: « غنيم » ، وفى م : « عثيم » . والمثبت كما فى تاريخ ابن عساكر .

(٧) فى م ، ص : « حاتم » .

(٨) ديوان حاتم ص ١٧٢.

(٩) فى الديوان :

* لا تسترى قدرى إذا ما طبختها *

ولكِنْ بِهذَاكَ اليَفاعِ فأوْقِدى بِجَزْلٍ إذا أوْقَدْتِ لا بِضِرامِ

قال : ثم كشَفَ السُّتُورَ، وقَدَّمَ الطَّعامَ، ودَعَى النَّاسَ، فأكَلَ وأَكَلُوا، فقالَتْ : ما أتْمَمْتَ لى ما قُلْتَ. فأجابَها : فإنِّى لا تُطاوِعُنِى نَفْسِى، ونَفْسِى أكرمُ علىَّ مِن أن يُثْنَى علىَّ هذا، وقد سَبَق لِىَ السخاءُ. ثم أنْشأَ يقولُ[1] :

أُمارِسُ نَفْسَ الجُودِ[2] حتى أَعُزَّها وأَتْرُكُ نَفْسَ البخلِ[2] لا أسْتَشِيرُها

ولا تَشْتَكِينى جَارَتِى غَيْرَ أنَّها إذا غابَ عنها بَعْلُها لا أَزُورُها

سَيَبْلُغُها خَيْرِى ويَرْجِعُ بَعْلُها إليها ولم تُقْصَرْ علىَّ سُتُورُها

ومِن شِعْرِ حاتِمٍ[3] :

إذا ما بِتُّ أشْرَبُ فَوْقَ رِيِّى[4] لِسُكْرٍ فى الشَّرابِ فلا رَوِيتُ

إذا ما بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ[5] جارِى لِيُخْفِيَنِى الظَّلامُ فلا خَفِيتُ

أَأَفْضَحُ جَارَتِى وأَخُونُ جَارِى فلا واللَّهِ أفْعَلُ ما حَيِيتُ

---

(١) ديوان حاتم ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) فى النسخ وتاريخ دمشق : « البخل » ، « الجود » . والمثبت من الديوان ليستقيم الكلام ، حيث حدث إبدال فى البيت ، وفى الديوان :

أشاور نفس الجود حتى تطيعنى وأترك نفس البخل لا أستشيرها

(٣) ديوان حاتم ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) فى الأصل ، ص : « زقى » ، وفى م : « رىٍّ » .

(٥) أختل : أخدع وأغافل . عرس : عروس ، يقال للرجل والمرأة .

ومِن شِعْرِه أيضًا[1] :

مـا ضَـرَّ جـارًا لـى أُجـاوِرُه ... أنْ لا يـكـونَ لِـبـابِـه سِـتْـرُ
أُغْـضِـى إذا مـا جَـارَتِـى بَـرَزَتْ ... حـتـى يُـوارِىَ جَـارَتِـى الخِدْرُ

ومِن شِعْرِ حاتمٍ أيضًا[2] :

وما مِن شِيمَتِى شَتْمُ ابْنِ عمِّى ... ومَا أنا مُخْلِفٌ مَن يَرْتَجِينى
وكَلْمَةَ حَاسِدٍ مِن غَيْرِ جُرْمٍ ... سَمِعْتُ فقُلْتُ مُرِّى فانفُذِينِى
وعـابُـوهـا عـلـىَّ فـلـم تَـعِـبْنِى ... ولم يَعْرَقْ لـهـا يـومًـا جَبِينِى
وذى وَجْهَيْـن يَلْقانِـى طَلِيقًـا ... ولـيـس إذا تَـغـيَّـبَ يَـأْتَـلِـينِى[3]
ظَفِرْتُ بعَيْبِه فَكَفَفْتُ عنه ... مُحافَظةً على حَسَبِى ودِينِى

ومِن شِعْرِه[4] :

سَلِى الْبائِسَ المَقْرُورَ يا أُمَّ مالكٍ[5] ... إذا ما أتانى بينَ نارِى ومَجْزَرِى
أَأَبْسُطُ وَجْهِى أنَّه أوَّلُ القِرَى ... وأَبْذُلُ مَعْرُوفِى له دُونَ مُنْكَرِى

وقال أيضًا[6] :

---

(١) تاريخ دمشق ١١/ ٣٧٤.
(٢) ديوان حاتم ص ١٥٩.
(٣) فى الأصل ، ص: «ما تلينى» ، وفى م : «يأتسينى» .
(٤) ديوان حاتم ص ٣٠٠.
(٥) فى الديوان :
* سلى الجائع الغرثان يا أم منذر *
(٦) ديوان حاتم ص ١٨٣.

وإنَّك إنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَك سُؤْلَه وفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعا

وقالَ القاضى أبو الفَرَجِ المُعافَى بنُ زَكَرِيا الجَرِيرِىُّ[1] : حدَّثَنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبِىُّ ، حدَّثَنا أبو العَبَّاسِ المُبَرِّدُ ، أَخْبَرَنى الثَّوْرِىُّ ، عن أبى عُبَيْدَةَ ، [١/٢٣٣و] قال : لَمَّا بلغَ حَاتِمَ طَيِّئٍ قَوْلُ المُتَلَمِّسِ[2] :

قَلِيلُ المَالِ تُصْلِحُهُ فيَبْقَى ولا يَبْقَى الكَثِيرُ على الفَسادِ

وحِفْظُ المالِ خَيْرٌ مِن فَنَاهُ وعَسْفٍ فى البلادِ بغيرِ زادِ

قال : ما لَه ؟ قطَع اللَّهُ لِسَانَه ، حَمَلَ النَّاسَ على البُخْلِ ، فَهَلَّا قال[3] :

فَلَا الجُودُ يُفنى المالَ قَبْلَ فَنائِه ولا البُخْلُ فى مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ

فَلَا تَلْتَمِسْ مالًا بعَيْشٍ مُقَتَّرٍ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ

أَلَمْ تَرَ أنَّ المالَ غادٍ ورائِحٌ وأنَّ الذى يُعْطِيكَ غيرُ بَعِيدِ[4]

قال القاضِى أبو الفَرَجِ : ولقد أحْسَنَ فى قَوْلِه : وأنَّ الذى يُعْطِيكَ غيرُ بعيدٍ ، ولو كان مُسْلِمًا لَرُجِىَ له الخيرُ فى مَعادِه ، وقد قالَ اللَّهُ فى كتابِه ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وعن الوَضَّاحِ بنِ مَعْبَدٍ الطَّائىِّ قال[5] : وَفَدَ حاتمٌ الطَّائىُّ على النُّعْمانِ بْنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٧١، ٣٧٢، من طريق المعافى بن زكريا به .

(٢) ديوان المتلمس ص ١٧٢، ١٧٣، مع وجود اختلافات فى البيتين .

(٣) ديوان حاتم ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٤) كذا بالنسخ ، ويكون بالبيت إقواء . وفى الديوان : وأن الذى أعطاك سوف يعيد . بدون إقواء .

(٥) تاريخ دمشق ١١/ ٣٦٧، ٣٦٨.

المُنْذِرِ، فأكْرَمه وأدْنَاه، ثم زَوَّدَه عندَ انْصرافِه حِمْلَيْنِ[1] ذهبًا ووَرِقًا، غيرَ ما أعطاه مِن طَرائفِ بلدِه، فَرَحَل، فلمَّا أَشْرَفَ على أهلِه، تَلَقَّتْه أعاريبُ طيِّىءٍ، فقالَتْ: يا حاتمُ، أَتَيْتَ مِن عندِ المَلِكِ بالغِنَى[2]، وأتَيْنَا مِن عندِ أهالِينا بالفَقْرِ. فقال حاتمٌ: هَلُمَّ، فخُذُوا ما بينَ يَدَىَّ. فَتَوَزَّعُوه، فوَثَبُوا إلى ما بينَ يَدَيْهِ مِن حِبَاءِ[3] النُّعْمانِ، فاقْتَسَمُوه، فخرَجَتْ إلى حاتمٍ طُرَيْفَةُ جارِيَتُه فقالَتْ له: اتَّقِ اللَّهَ وأبْقِ على نَفْسِك، فما يَدَعُ هؤلاءِ دِينارًا ولا دِرْهَمًا، ولا شاةً ولا بعيرًا. فأنْشَأ يقولُ[4]:

قالَتْ طُرَيْفَةُ ما تَبْقَى دراهمُنا ... وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ
إنْ يَفْنَ ما عندَنا فاللَّهُ يَرْزُقُنا ... مِمَّن سِوانا ولَسْنا نحنُ نَرْتَزِقُ
ما يَأْلَفُ الدِّرهمُ الكارِىُّ[5] خِرْقَتَنا ... إلَّا يَمُرُّ عليها ثم يَنْطَلِقُ
إنَّا إذا اجْتَمَعَتْ يومًا دراهمُنا ... ظَلَّتْ إلى سُبُلِ المعْروفِ تَسْتَبِقُ

وقال أبو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ[6]: قِيل لحاتمٍ: هل فى العَرَبِ أَجْوَدُ منك؟ فقال: كُلُّ العَرَبِ أَجْوَدُ منِّى. ثُمَّ أَنْشَأ يُحَدِّثُ، قال: نزلْتُ على غلامٍ مِن العربِ يَتِيمٍ ذاتَ ليلةٍ، وكانت له مِائةٌ مِن الغنمِ، فذبَح لى شاةً منها، وأَتانى بها، فلمَّا قرَّبَ إلىَّ دِماغَها قلتُ: ما أَطْيَبَ هذا الدِّماغَ. قال: فذَهَب، فلم يَزَلْ يَأْتِينى

---

(١) فى ٩١، م: «جملين».
(٢) سقط من: الأصل، م، ص.
(٣) الحباء: العطاء.
(٤) ديوان حاتم ص ٣٠٢.
(٥) فى الديوان: «المضروب».
(٦) تاريخ دمشق ١١/ ٣٦٨.

منه حتى قلتُ : قد اكْتَفَيْتُ . فلمَّا أصْبَحْتُ ، إذا هو قد ذبَح المائةَ شاةٍ ، وبَقِىَ لا شىءَ له . فقِيلَ : فما صنعتَ به ؟ فقال : ومتى أبْلُغُ شُكْرَه ، ولو صنعتُ به كُلَّ شىءٍ ؟ ! قال : على كلِّ حالٍ[1] ؟ فقال : أعْطَيْتُه مائةَ نَاقةٍ مِن خِيارِ إبِلى .

وقال محمدُ بنُ جَعْفَرٍ الخَرَائِطىُّ[2] ، فى كِتابِ « مَكارِمِ الأخْلاقِ » : حدَّثَنا العَبَّاسُ بنُ الفَضْلِ الرَّبَعِىُّ ، حدَّثَنا إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ ، حدَّثَنِى حمَّادٌ الرَّاوِيَةُ ، ومَشْيَخَةٌ مِن مشْيَخَةِ طَيِّئٍ، قالُوا : كانت غَنِيَّةُ[3] بنتُ عَفِيفِ بنِ عَمْرِو بنِ امْرِئِ القَيْسِ ، أُمُّ حاتمِ طَيِّئٍ لا تُمْسِكُ شيئًا ؛ سَخَاءً وجُودًا ، وكان إخوتُها يَمْنَعُونَها فتَأْبَى ، وكانتِ امرأةً مُوسِرَةً ، فحَبَسُوها فى بيتٍ سنةً ، يُطْعِمُونَها قُوتَها لَعَلَّها تَكُفُّ عمَّا تَصْنَعُ ، ثُم أخْرجُوها بعدَ سنةٍ ، وقد ظَنُّوا أنَّها قد تَرَكَت ذلك الخُلُقَ ، فدَفَعُوا إليها صِرْمةً[4] مِن مالِها ، وقالوا : اسْتَمْتِعى بها . فأتَتْها امْرأةٌ مِن هَوازِنَ ، وكانت تَغْشَاها فسَأَلَتْها ، فقالت : دُونَكِ هذه الصِّرْمَةَ ، فقد واللَّهِ مَسَّنِى مِن الجُوعِ ما آلَيْتُ أن لا أَمْنَعَ سائِلًا شيئًا . ثم أنْشَأَتْ تقولُ[5] :

لَعَمْرِى - لَقِدْمًا - عَضَّنى الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أن لا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جائِعَا

فَقُولَا لِهَذا اللَّائِمِى اليومَ : أعْفِنِى ... وإن أنتَ لم تَفْعَلْ فعَضَّ الأصابِعَا

فماذا عَسيتُم[6] أن تَقُولُوا لأُخْتِكُم ... سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ[7] مَن كان مانِعَا

---

(١) كذا بالنسخ . وفى تاريخ دمشق : « على حال » . أى ؛ فى الحال .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٧٠، ٣٧١، من طريق الخرائطى به .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « عنترة » . وانظر نسب حاتم الطائى فى ديوانه ص ٩، ١٠.

(٤) الصرمة : القطعة من النخل أو الإبل .

(٥) الشعر والشعراء ٢/ ٢٤٢، والأغانى ١٧/ ٣٦٥، ديوان حاتم ١٠.

(٦) فى الأصل ، ص : « عسى » ، وفى م : « عساكم » .

(٧) فى الأصل ، ٩١، ص : « منع » . وكذا فى تاريخ دمشق.

ومهما[1] تَرَوْن اليومَ إلا طبيعةً فكيفَ بِتَرْكِى - يا ابنَ أُمِّ - الطَّبائِعَا

وقالَ الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ[2] ، عن مِلْحَانَ بنِ عركى بنِ عَدِىِّ بنِ حاتمٍ ، عن أبيهِ ، عن جَدِّه قال : شَهِدْتُ حاتِمًا يَكِيدُ بنَفْسِه[3] ، فقال لى : أىْ بُنَىَّ ، إنِّى أَعْهَدُ مِن نَفْسِى ثلاثَ خِصالٍ ؛ واللَّهِ ما خَاتَلْتُ جارةً لى لِرِيبَةٍ قَطُّ ، ولا اؤْتُمِنْتُ على أمانةٍ إلَّا أدَّيْتُها ، ولا أُتِىَ[4] أَحَدٌ مِن قِبَلِى بسُوءٍ .

وقال أبو بكرٍ الخرائِطِىُّ[5] : حدَّثنا علىُّ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يَحْيَى العَدَوِىُّ[6] ، حدَّثَنا هِشامُ بنُ محمدٍ [١/٢٣٣ظ] بنِ السَّائبِ الكَلْبِىُّ ، عن أبى مِسْكِينٍ - يَعْنِى جَعْفَرَ بنَ المُحَرِّزِ بنِ الوليدِ - عن المُحَرَّرِ بنِ[7] أبِى هُرَيْرَةَ ، قال : مَرَّ نَفَرٌ مِن عَبْدِ القَيْسِ بِقَبْرِ حاتمٍ طَيِّئٍ، فَنَزَلُوا قريبًا منه ، فقام إليه بعضُهم [8]يقالُ له : أبو الخَيْبَرِىُّ[8] . فجَعَل يَرْكُضُ قبرَه برجلِه ، ويقولُ : يا أبا الجَعْرَاءِ[9] ، اقْرِنَا . فقال له بعضُ أصْحابِه : ما تخاطِبُ مِن رِمَّةٍ وقد بَلِيَتْ . وأَجَنَّهُم الليلُ فنامُوا ، فقام صاحبُ القولِ فَزِعًا يقولُ : يا قومُ عليكم بِمَطِيِّكُم ، فإنَّ حاتمًا أتانى فى النَّوْمِ ، وأنْشَدَنى شعرًا وقد حَفِظْتُه ، يقولُ[10] :

---

(١) فى م : « ماذا » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٧٧، من طريق الهيثم بن عدى به .

(٣) يكيد بنفسه : يجود بها ؛ أى تنتزع روحه .

(٤) فى النسخ : « أوتى » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) المصدر السابق من طريق أبى بكر الخرائطى ، عن على بن عبد الرحمن العذرى .

(٦) فى تاريخ دمشق : « العذرى » .

(٧) فى النسخ : « مولى » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وفيه أن الوليد هو مولى أبى هريرة .

(٨ - ٨) زيادة من : م .

(٩) فى م : « الجعد » .

(١٠) ديوان حاتم ص ١٧٦، ١٧٧ مع اختلاف فى رواية الأبيات .

أبا خَيْبَرِىٍّ وأنْتَ امْرُؤٌ ظَلُومُ العَشِيرَةِ شَتَّامُها
أتَيْتَ بصَحْبِكَ تَبْغِى الْقِرَى لَدَى حُفْرَةٍ صَخِبٍ[1] هَامُها
تُبَغِّى لِىَ الذَّنْبَ عِنْدَ المَبيتِ وَحَولَكَ طَىٌّ وأنْعامُها
وإنا سَنُشْبِعُ[2] أَضْيافَنا ونَأْتِى[3] المَطِىَّ فنَعْتَامُها[4]

قالَ : وإذا ناقةُ صاحبِ القولِ تَكُوسُ[5] عَقِيرًا ، فنَحَرُوها وقامُوا يَشْتَوُون ويَأْكلون ، وقالُوا : واللَّهِ لقد أضافَنا حاتمٌ حيًّا ومَيِّتًا . قال : وأصْبَح القومُ وأرْدَفُوا صاحِبَهم وسارُوا ، فإذا رجلٌ يُنَوِّهُ بهم ، راكبًا جملًا ويَقُودُ آخَرَ ، فقالَ : أيُّكُم أبُو الخَيْبَرِىِّ ؟ قال : أنا . قال : إنَّ حاتمًا أتانى فى النومِ ، فأخْبَرَنى أنَّه قَرَى أصْحابَك ناقتَكَ ، وأمَرَنى أنْ أَحْمِلَك ، وهذا بَعِيرٌ فَخُذْهُ . فدفَعه إليه .

---

(١) فى م : « قد صدت » . والهام : جمع هامَة ، وهى البومة ، وطائر صغير من طير الليل يألف المقابر . الوسيط (هـ و م) .
(٢) فى م : « لنشبع » .
(٣) فى م : « تأتى » .
(٤) اعتام الرجل : أخذ العِيمة ، والعيمة من كل شىء : خياره . الوسيط (ع ى م) .
(٥) كاس الحيوانُ : عُرْقِبت إحدى قوائمه فمشى على ثلاث .

ذِكْرُ[1] شَىءٍ مِن

أخبَارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ

هو عبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعَانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ ، سيِّدُ بَنِى تَيْمٍ ، وهو ابنُ عمِّ والدِ أبى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . وكان مِن الكُرماءِ الأجْوادِ فى الجاهِلِيَّةِ ، المُطْعِمِين للمُسْنِتِينَ ، وكان فى بَدْءِ أمْرِه فَقِيرًا مُمْلِقًا[2] ، وكان شرِّيرًا يُكْثِرُ مِن الجِناياتِ ، حتى أبْغَضَه قَومُه وعشيرتُه ، وأهْلُه وقَبِيلَتُه ، وأبْغَضُوه حتَّى أبُوه ، فخرَجَ ذاتَ يومٍ فى شِعابِ مَكَّةَ حائِرًا بائرًا ، فرَأَى شَقًّا فى جبلٍ ، فظَنَّ أنْ يَكُونَ به شىءٌ يُؤْذِى ، فقصَدَه لَعَلَّه يَمُوتُ ، فيَسْتَرِيحُ ممَّا هو فيه ، فلَمَّا اقْتَرَب منه إذا ثعبانٌ يَخْرُجُ إليه ويَثِبُ عليه ، فجعَلَ يَحِيدُ عنه ويَثِبُ ، فلا يُغْنِى شيئًا ، فلمَّا دَنَا منه ، إذا هو مِن ذهَبٍ ، وله عَيْنانِ هما ياقُوتَتانِ ، فكَسَرَه وأخَذَه ودَخَل الغَارَ ، فإذا فيه قُبُورٌ لِرجالٍ مِن مُلُوكِ جُرْهُمٍ ، ومنهم الحارِثُ بنُ مُضَاضٍ ، الذى طالَتْ غَيْبَتُه فلا يُدْرَى أينَ ذهَب ، ووجَدَ عندَ رُءُوسِهم لَوْحًا مِن ذَهَبٍ ، فيه تارِيخُ وفاتِهم ومُدَدُ وِلايَتِهم ، وإذا عندَهم مِن الجَواهِرِ واللَّآلِئِ والذهبِ والفضةِ شىءٌ كثيرٌ ، فأخَذ منه حاجَتَه ثُم خرَج ، وعَلَّمَ بابَ الغارِ ، ثُم انْصَرَفَ إلى قومِه ، فأعْطاهم ، حتى أحَبُّوه ، وسادَهم وجَعَل يُطْعِمُ النَّاسَ ، وكُلَّما قَلَّ ما فى يَدِه ، ذَهَب إلى ذلك الغارِ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) مملقا : لا شىء له . اللسان (م ل ق) .

فأخَذ حاجَتَه ثُمَّ رجَع. فمِمَّن ذكَر هذا عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ فى كتابِ «التِّيجانِ»، وذكَره أحمدُ بنُ عَمّارٍ فى كتابِ «رِىِّ العاطشِ وأُنْسِ الواحشِ».

وكانت له جَفْنَةٌ يأكلُ منها الراكبُ على بعيرِه، ووقَع فيها صغيرٌ فغَرِقَ. وذكَر ابنُ قُتَيْبَةَ[1] وغيرُه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لقد كنتُ أَستظِلُّ بظلِّ جَفْنَةِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَىٍّ». أىْ؛ وقْتَ الظهيرةِ. وفى حديثِ مقتلِ أبى جهلٍ[2]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال لأصحابِه: «تَطَلَّبوه بينَ القتلى، وتَعَرَّفُوه بشَجَّةٍ فى رُكْبَتِهِ، فإنِّى تزاحَمْتُ أنا وهو على مَأْدُبَةٍ لابنِ جُدْعَانَ، فدفعْتُه، فسَقَط على ركبتِه، فانهشَمَتْ، فأثَرُهَا بَاقٍ فى رُكْبَتِه». فوجدوه كذلك. وذكروا أنَّه كان يُطْعِمُ التمرَ والسَّوِيقَ، ويَسْقِى اللبنَ، حتى سَمِعَ قولَ أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[3]:

ولقدْ رأيتُ الفاعِلِين وفِعْلَهم ... فرأيتُ أكرمَهم بَنِى الدَّيَّانِ

البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهَادِ[4] طعامُهم ... لا ما يُعَلِّلُنا بنو جُدْعَانِ

فأَرسل ابنُ جُدْعَانَ إلى الشامِ أَلْفَىْ بعيرٍ، تَحْمِلُ البُرَّ والشَّهْدَ والسَّمْنَ، وجعَل مناديًا يُنادِى كلَّ ليلةٍ على ظهرِ الكعبةِ، أن هلمُّوا إلى جَفْنَةِ ابنِ جُدْعَانَ. فقال أُمَيَّةُ فى ذلك[5]:

---

(١) فى غريب الحديث ١/ ٤٥٥.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٨٤ - ٨٦ من حديث ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر.

(٣) ديوان أمية ص ٢٣.

(٤) يلبك: يخلط. الشهاد جمع الشهد، وهو عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه.

(٥) ديوان أمية ص ١٩.

لـه داعٍ بمـكـةَ مُـشْـمَـعِـلٌّ[1] وآخـرُ فـوقَ كَـعبـتِـهـا يُـنـادِى

إلـى رُدُحٍ مـن الـشِّـيـزَى مِـلاءٍ[2] لُـبَـابَ البُـرِّ يُـلْـبَـكُ بـالـشِّـهـادِ

ومع هذا كلِّه فقد ثَبَت فى «الصحيحِ» لمسلمٍ[3]، أنَّ عائشةَ قالت: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ ابنَ جُدْعَانَ كان يُطْعِمُ الطعامَ، ويَقْرِى الضيفَ، فهل يَنْفَعُه ذلك يومَ القيامةِ؟ [١/٢٣٤و] فقال: «لا، إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفِرْ لى خطيئَتِى يومَ الدينِ».

---

(١) مشمعل: سريع.

(٢) ردح: جمع رداح، وهى العظيمة. الشيزى: خشب أسود تُعمل منه الأمشاط والجفان ونحوهما. ويعنى هنا بها الجفان. ملاء: ممتلئة.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٥٣.

ذِكْرُ[1] امْرِئِ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ الكِنْدِيّ، صَاحِبِ إِحْدَى المُعَلَّقَاتِ

وهى أَفْخَرُهُنَّ وأَشْهَرُهُنَّ التى أَوَّلُها[2] :

* قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ *

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدّثنا هُشَيْمٌ[4] ، حدّثنا أبو الجَهْمِ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « امْرُؤُ القَيْسِ صاحِبُ لِواءِ الشُّعَراءِ إلى النّارِ » . وقد رَوَى هذا الحديثَ عن هُشَيمٍ[4] جماعةٌ كثيرون[5] ؛ منهم بِشْرُ بنُ الحكَمِ ، والحَسَنُ بنُ عَرَفَةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ هارونَ ، أميرُ المؤمِنين المأمونُ أخو الأمينِ ، ويَحْيَى بنُ مَعِينٍ . وأَخْرَجه ابنُ عَدِيٍّ[6] مِن طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ ، عن الزُّهْرِيِّ به ، وهذا مُنْقَطِعٌ . ورُوِىَ[7] مِن وجهٍ آخرَ[8] ، عن أبى هريرةَ ، ولا يَصِحُّ مِن غيرِ هذا الوجهِ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٨.

(٣) فى المسند ٢/ ٢٢٨. (إسناده ضعيف جدا) .

(٤) فى النسخ : « هشام » ، والمثبت من المسند ٢/ ٢٢٨. وهو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السُّلَمِى . انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر من طريقهم عن هشيم ، فى تاريخ دمشق ٩/٢٣٥ - ٢٣٧.

(٦) فى الكامل ٤/ ١٤٠٤.

(٧) فى م : « ردىء » .

(٨) أخرجه ابن عساكر من طريق الأصمعى عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبى هريرة . انظر تاريخ دمشق ٩/٢٣٧ - ٢٣٩.

وقال الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] : هو امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرِ بنِ الحارثِ بنِ عَمْرِو ابنِ[2] حُجْرٍ ، آكِلِ المُرارِ ، بنِ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ الحارثِ بنِ يَعْرُبَ بنِ ثَوْرِ بنِ مرتِّعِ ابنِ معاويةَ بنِ كِنْدَةَ ، أبو يزيدَ ، ويقالُ : أبو وهبٍ . ويقالُ : أبو الحارثِ الكِنْدِيُّ . كان بأعمالِ دِمَشْقَ ، وقد ذَكَرَ مواضعَ منها فى شعرِه ، فمِن ذلك قولُه[3] :

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

قال : وهذه مواضعُ معروفةٌ بحَوْرانَ .

ثُم رَوَى[4] مِن طريقِ هشامِ بنِ محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبِيِّ ، حدّثنى فروةُ بنُ سعيدِ بنِ عفيفِ بنِ مَعْدِى كَرِبَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : بَيْنَا نَحْنُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذْ أَقْبَلَ وَفْدٌ مِن اليمنِ ، فقالُوا : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد أحيانا اللَّهُ ببَيْتَيْن مِن شعرِ امْرِئِ القَيْسِ . قال : « وكيف ذاك ؟ » قالوا : أَقبَلْنا نريدُك ، حتى إذا كنا ببعضِ الطريقِ أخطأْنا الطَّريقَ ، فمكَثْنا ثلاثًا لا نَقْدِرُ [5]على الماءِ[5] ، فتَفَرَّقْنا إلى أُصولِ طَلْحٍ وسَمُرٍ ؛ ليموتَ كلُّ رجلٍ[6] منَّا فى ظلِّ شجرةٍ ، فبَيْنَا نحنُ بآخرِ رَمَقٍ إذا راكبٌ يُوضِعُ[7] على بعيرٍ ، فلمّا رآه بعضُنا قال[8] –

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٢.

(٢) بعده فى الأصل : « الحارث » .

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٨.

(٤) أى ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥ - ٥) فى الأصل ، ا ٩، ص : « عليه » .

(٦) سقط من : ص .

(٧) يوضع : يسرع .

(٨) البيتان اللذان قالهما لامرئ القيس . ديوان امرئ القيس ، فى ملحق بالشعر المنسوب إلى امرئ القيس ص ٤٧٥.

والراكبُ يسمعُ - :

ولمّا رَأَتْ أنَّ [1]الشريعةَ هَمُّها[1] وأنّ البياضَ مِنْ فَرائِصِها دامِى

تَيَمَّمَتِ العينَ التى عندَ ضارِجٍ يَفِىءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِى[2]

فقال الراكبُ : ومَنْ يقولُ هذا الشِّعْرَ؟ - وقد رأى ما بنا من الجَهْدِ - قال : قلنا : امرؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ. قال : [3]واللَّهِ[3] ما كذَبَ ، هذا ضارِجٌ عندَكم . فنَظَرْنا فإذا بينَنا وبينَ الماءِ نحوٌ مِن خمسين ذِراعًا ، فَحَبَوْنا إليه على الرُّكَبِ ، فإذا هو كما قال امرؤُ القيسِ ؛ عليه العَرْمَضُ يَفِىءُ عليه الظِّلُّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فى الدُّنْيَا ، مَنْسِيٌّ فى الآخِرَةِ ، شَرِيفٌ فى الدُّنْيا خَامِلٌ فى الآخِرَةِ ، بيَدِه لِواءُ الشُّعَراءِ يَقُودُهم إلى النارِ » .

وذكر الكَلْبِىُّ[4] أنَّ امْرَأَ القَيْسِ أَقْبَلَ براياتِه ، يريدُ قتالَ بنى أَسَدٍ حينَ قَتَلُوا أباه ، فمَرَّ بِتَبالَةَ[5] وبها ذو الخَلَصَةِ ، وهو صَنَمٌ ، وكانت العربُ تَسْتَقْسِمُ عندَه ، فاسْتَقْسَمَ ، فخَرَجَ القِدْحُ النّاهِى ، ثُم الثانيةَ ثُم الثالثةَ كذلك ، فكَسَر القِداحَ وضَرَب بها وَجْهَ ذى الخَلَصَةِ ، وقال : عَضَضْتَ بِأَيْرِ[6] أبيك ، لو كان أبوك المقتولَ لَمَا عَوَّقْتَنِى . ثُم أغارَ على بنى أسدٍ[7] فقَتَلَهم قَتْلًا ذَرِيعًا . قال ابنُ

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « المنية وردها » .

(٢) ضارج : اسم موضع . العرمض : الطحلب . طامى : مرتفع فوق الماء .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٢٣٩.

(٥) تبالة موضع باليمن ، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخًا . معجم البلدان ٨١٧/١ .

(٦) الأير : الذَّكَر . القاموس المحيط (أ ى ر) .

(٧) فى الأصل : « سليم » .

الكَلْبِيِّ : فلم يُسْتَقْسَمْ عندَ ذى الخَلَصَةِ حتّى جاءَ الإِسلامُ .

وذكَرَ بعضُهم[1] أنَّه امْتَدَحَ قَيْصَرَ ملكَ الرُّومِ ، يَسْتَنْجِدُه فى بعضِ الحُروبِ ويَسْتَرْفِدُه ، فلم يَجِدْ ما يُؤَمِّلُه عندَه فهجاه بعدَ ذلك ، فيقالُ : إنَّه سقاه سُمًّا فقتلَه ، فأَلْجَأَه الموتُ إلى جَنْبِ قَبْرِ امرأةٍ ، عندَ جبلٍ يُقالُ له : عَسِيبٌ . فكتَب هنالك[2] :

أجارتَنا إنَّ المَزارَ[3] قريبُ ... وإنِّى مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

أجارتَنا إنّا غريبان هٰهنا ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

وقد ذَكَروا[4] أنَّ المُعَلَّقاتِ السَّبْعَ كانت مُعَلَّقَةً بالكَعْبَةِ ، وذلك أنَّ العربَ كانوا إذا عَمِل أحدُهم قصيدةً عَرَضَها على قريشٍ ، فإنْ أجازُوها علَّقُوها على الكعبةِ ؛ تعظيمًا لشَأْنِها ، فاجْتَمَع مِن ذلك هذه المُعَلَّقاتُ السَّبْعُ ؛ فالأُولى لِامْرِئِ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ الكِنْدِىِّ كما تَقَدَّمَ ، وأَوَّلُها :

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

[١/٢٣٤ظ] والثانيةُ للنّابغةِ الذُّبْيانِىِّ ، واسمُه زيادُ بنُ معاويةَ ، ويقالُ : زيادُ ابنُ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ ضِبابِ (٥بنِ جابرٍ٥) بنِ يَرْبُوعِ بنِ غيظِ بنِ مُرَّةَ بنِ عَوْفِ ابنِ سعدِ بنِ ذُبْيانَ بنِ بَغِيضٍ . وأَوَّلُها[6] :

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤٥.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٥٧.

(٣) فى الأصل : « المراد » .

(٤) شرح القصائد التسع لابن النحاس ١/٤٥ - ٤٩. والعمدة لابن رشيق ١/ ٦١.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) ديوان النابغة ص ٢.

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ

والثالثةُ لزُهَيْرِ بنِ أبى سُلْمَى ربيعةَ بنِ رياحٍ المُزَنِىِّ، وأوَّلُها[1] :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ بِحَوْمانةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

والرابعةُ لطَرَفَةَ بنِ العبدِ بنِ سفيانَ بنِ[2] سعدِ بنِ مالكِ بنِ ضُبَيْعَةَ بنِ قيسِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابةَ بنِ صعبِ بنِ علىِّ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ، وأوَّلُها[3] :

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كباقى الوَشْمِ فى ظاهرِ اليدِ

والخامسةُ لعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادِ بنِ معاويةَ بنِ قُرادِ بنِ مخزومِ بنِ ربيعةَ بنِ مالكِ [4]بنِ غالبِ[4] بنِ قُطَيعةَ بنِ عَبْسٍ العَبْسِىِّ، وأوَّلُها[5] :

هل غَادَرَ الشُّعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ[6] أَمْ هل عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

والسادسةُ لعَلْقَمَةَ بنِ عَبْدَةَ بنِ النُّعْمانِ بنِ قيسٍ، أحدِ بنى تميمٍ، وأوَّلُها[7] :

طحا بكَ قلبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

والسابعةُ - ومنهم مَن لا يُثْبِتُها فى المُعَلَّقاتِ، وهو قولُ الأَصْمَعِىِّ وغيرِه -

---

(١) شرح ديوان زهير ص ٤.

(٢) بعده فى الأصل، ص: «مالك بن».

(٣) ديوان طرفة ص ٦.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ١ ٩، ص. وانظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٢. والشعر والشعراء ١/ ٢٥٠.

(٥) ديوان عنترة ص ٩٨.

(٦) فى الأصل، ص: «متثلم».

(٧) ديوان علقمة ص ٣٣.

وهى للَبِيدِ بنِ ربيعةَ بنِ مالكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كلابِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ معاويةَ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ بنِ منصورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ (١خَصَفَةَ بنِ١) قيسِ بنِ عَيْلانَ بنِ مُضَرَ، وأوَّلُها(٢) :

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنًى تأبَّدَ(٣) غَوْلُها فَرِجامُها

فأمَّا القصيدةُ التى لا يُعْرَفُ قائلُها، فيما ذَكَره أبو عُبَيْدَةَ، والأَصْمَعِىُّ والمُبَرِّدُ، وغيرُهم، فهى قولُه :

(٤هل بالطُّلولِ لسائلٍ٤) رَدٌّ ... أم هل لها بتَكَلُّمٍ عَهْدُ

وهى مُطَوَّلَةٌ وفيها معانٍ حسنةٌ كثيرةٌ.

(١ - ١) فى الأصل : «حفص»، وفى ص : «حفص بن». وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) شرح ديوان لبيد ص ٢٩٧ .

(٣) فى الأصل : «مايد»، وفى ص : «مابد». وانظر شرح الديوان ص ٢٩٧.

(٤ - ٤) فى ص : «مل الطلول لسائل».

(١ ذِكْرُ شيءٍ مِن ١) أخْبَارِ أُمَيَّةَ ابنِ أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِىّ ، (٢ كان مِن شُعَراءِ الجاهليَّةِ ، وقد أَدْرَكَ زَمَنَ الإِسلامِ ٢)

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[٣] : هو أميّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ ابنِ عوفِ بنِ عُقدةَ بنِ غِيَرَةَ[٤] بنِ عوفِ بنِ ثقيفِ (٥ بنِ منبِّهِ بنِ بكرِ بنِ هَوازِنَ ٥) ، أبو عثمانَ ، ويقالُ : أبو الحكمِ الثَّقَفِىُّ . شاعرٌ جاهلىٌّ ، قَدِمَ دِمَشْقَ قبلَ الإِسلامِ ، وقيل : إنَّه كان مُسْتَقِيمًا[٦] ، وإنَّه كان[٧] فى أوَّلِ أمرِه على الإيمانِ ثُم زاغ عنه ، وإنّه هو الذى أراده اللَّهُ تعالى بقولِه[٨] : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

قال الزُّبَيْرُ بنُ بكارٍ[٩] : فولَدَتْ رُقَّيَّةُ بنتُ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ أُميّةَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٥.

(٤) فى م : « عزة » .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

(٦) فى ا ٩: « نبيا » . وهو كذلك فى تاريخ دمشق .

(٧) فى الأصل ، ص : « دان » .

(٨) التفسير ٣/٥٠٧ - ٥٠٩.

(٩) أخرج قول الزبير ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٥.

الشاعرَ ابنَ أبى الصَّلْتِ ، واسمُ أبى الصَّلْتِ ربيعةُ بنُ وهبِ بنِ عِلاجِ بنِ أبى سَلَمَةَ بنِ ثقيفٍ . وقال غيرُه : كان أبوه مِن الشّعراءِ المشهورين بالطّائفِ ، وكان أميَّةُ أشعرَهم .

وقال عبدُ الرّزّاقِ[1] : قال الثَّوْرِىُّ : أخبرَنى حبيبُ بنُ أبى ثابتٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ ابنَ عَمْرٍو[2] قال فى قولِه تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ هو أميّةُ بنُ أبى الصّلتِ . وكذا رواه أبو بكرٍ ابنُ مَرْدَوَيْه[3] ، عن أبى بكرٍ الشافعىِّ ، عن معاذِ ابنِ المُثَنَّى ، عن مسدَّدٍ ، عن أبى عَوانَةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن نافعِ ابنِ عاصمِ بنِ مسعودٍ ، قال : إنِّى لفِى حَلَقَةٍ فيها عبدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو[4] ، فقرأ رجلٌ مِن القومِ الآيةَ التى فى « الأعرافِ » : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ فقال : هل تَدْرون مَن هو ؟ فقال بعضُهم : هو صَيْفِىُّ ابنُ الرّاهبِ . وقال آخرُ : بل هو بلعمُ ، رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ . قال : لا . قال : فمَن هو[5] ؟ قال : أميّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ . وهكذا قال أبو صالحٍ ، والكَلْبِىُّ ، وحكاه قتادةُ[6] عن بعضِهم .

وقال الطّبرانِىُّ[7] : حدّثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، حدّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شبيبٍ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤٣.

(٢) فى ص : « عمر » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٥. من طريق أبى بكر ابن مردويه به .

(٤) فى ص : « عمر » .

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرج أقوال الثلاثة ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٦.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٢٥٧ - ٢٦٠ من طريق سليمان بن أحمد - وهو الطبرانى - به .

الرَّبَعِيُّ ، حدثنا محمدُ بنُ سَلَمَةَ[1] بنِ هشامٍ المخزوميُّ ، حدّثنا إسماعيلُ بنُ الطّريحِ بنِ إسماعيلَ الثَّقَفِيُّ ، حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن مَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، عن معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، عن أبيه ، قال : خرجْتُ وأميّةُ بنُ أبى الصّلتِ الثَّقَفِيُّ [١/٢٣٥و] تُجّارًا إلى الشّامِ ، فكُلّما نَزَلْنا مَنْزِلًا أَخَذَ أُمَيّةُ سِفْرًا له يَقْرَؤُه علينا ، فكُنّا كذلك حتى نَزَلْنا قريةً مِن قُرَى النَّصارَى ، فَجاءُوه ، وأَهْدَوْا له وأكرمُوه ، وذهب معهم إلى بيوتِهم ، ثُم رَجَع فى وسَطِ النهارِ فطَرَح ثوبَيْه ، وأخذ ثوبَيْن له أسوَدَيْن ، فلَبِسَهما ، وقال لى : هل لك يا أبا سفيانَ فى عالِمٍ مِن عُلماءِ النّصارَى ، إليه يَتناهى عِلْمُ الكِتابِ تسألُه ؟ قلتُ : لا أرَبَ لى فيه ، واللَّهِ لَئِنْ حدَّثَنى بما أُحِبُّ لا أَثِقُ به ، ولئن حدّثنى بما أَكْرَهُ لأَوْجَلَنَّ[2] منه . قال : فذَهَب وخالَفَه شيخٌ مِن النَّصارَى ، فدَخَل علىَّ فقال : ما يمنعُك أن تَذْهَبَ إلى هذا الشيخِ ؟ قلتُ : لستُ على دينِه . قال : وإنْ ، فإنَّك تسمعُ مِنه عَجَبًا وتراه . ثُم قال لى : أثَقَفِيٌّ أنت ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ قُرَشِيٌّ . قال : فما يمنعُك مِن الشيخِ ؟ فواللَّهِ إنَّه لَيُحِبُّكم ويُوصِى بكم . قال : فخرج مِن عندِنا ، ومكثَ أُمَيَّةُ عندَهم حتى جاءَنا بعدَ هَدْأَةٍ مِن الليلِ ، فطَرَح ثَوْبَيْه ثُم انْجَدَل على فراشِه ، فواللَّهِ ما نام ولا قام ، حتى أصبح كَئِيبًا حزينًا ، ساقطًا غَبُوقُه على صَبُوحِه[3] ، ما يُكَلِّمُنا ولا نُكَلِّمُه ، ثُم قال : ألا ترحَلُ ؟ قلتُ : وهل بك مِن رحيلٍ ؟ قال : نعم ! قال[4] :

---

(١) فى النسخ : « مسلمة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) فى م : « لأجدن » .

(٣) الصبوح : الغداء ، والغبوق : العشاء ، وأصلهما فى الشرب ثم استعملا فى الأكل . والعبارة تدلُّ على تغيُّر الحال .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

فرَحَلْنا فسِرْنا بذلك لَيْلَتَيْنِ ؛ (١مِن هَمِّه١) ، ثُم قال فى الليلةِ الثالثةِ : ألا تُحَدِّثُ يا أبا سفيانَ ؟ قلتُ : وهل بك مِن حديثٍ ؟ واللَّهِ ما رأيتُ مِثْلَ الذى رجعتَ به مِن عندِ صاحبِك . قال : أمَا إنَّ ذلك لِشَىْءٍ لستَ فيه ؛ إنَّما ذلك لِشىءٍ وَجِلْتُ به[٢] مِن مُنْقَلَبِى . قلتُ : وهل لك مِن مُنْقَلَبٍ . قال : إى واللَّهِ ، لأَمُوتَنَّ ثُم لأُحْيَيَنَّ . قال : قلتُ : هل أنت قابلٌ أمانتى ؟ قال : على ماذا ؟ قلتُ : على أنك لا تُبْعَثُ ولا تُحاسَبُ . قال : فضَحِك ثُم قال : بلى ! واللَّهِ يا أبا سفيانَ ، لنُبْعَثَنَّ ثُم لنُحاسَبَنَّ ، ولَيَدْخُلَنَّ فريقٌ الجَنَّةَ وفريقٌ النارَ . قلتُ : ففى أيِّهما أنت أخْبَرَكَ صاحبُك ؟ قال : لا عِلْمَ لصاحبِى بذلك ، لا فىَّ ولا فى نفْسِه . قال : فكُنّا فى ذلك لَيْلَتَيْن يَعْجَبُ منى وأَضْحَكُ منه ، حتى قَدِمْنا[٣] غُوطةَ دِمَشْقَ ، فَبِعْنا متاعَنا وأَقَمْنَا بها شهرَيْن ، فارْتَحَلْنا حتّى نَزَلْنا قريةً مِن قُرَى النَّصارَى ، فلمّا رَأَوْه جاءُوه وأَهْدَوْا له وذَهَب معهم إلى بِيعَتِهم ، فما جاء إلا بعدَ مُنْتَصَفِ النّهارِ ، فلَبِسَ ثَوْبَيْه وذهب إليهم ، حتّى جاء بعدَ هَدْأَةٍ مِن الليلِ ، فطَرَح ثَوْبَيْه ، ورَمَى بنفسِه على فراشِه ، فواللَّهِ ما نام ولا قام ، وأصبح حزينًا كئيبًا ، لا يُكَلِّمُنا ولا نُكَلِّمُه ، ثُم قال : ألا ترحلُ ؟ قلتُ : بلى إن شئتَ . فرَحَلْنا كذلك مِن بَثِّه وحُزْنِه ليالىَ . ثُم قال لى : يا أبا سفيـانَ ، هل لك فى المسيرِ لنتقدَّمَ[٤] أصحابَنا ؟ قلتُ : (٥هل لى فيه٥) . قال : فسِرْ . فسِرْنا حتّى بَرَزْنا مِن أصحابِنا ساعةً (٦ثُم قال٦) : هَيَا

(١ - ١) سقط من : م . وفى تاريخ دمشق : « هبة » .

(٢) فى م ، ص : « منه » .

(٣) فى الأصل ، ص : « قدم » .

(٤) فى الأصل ، ص : « تقدم » .

(٥ - ٥) فى ص : « لى فيه » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

صَخْرُ. قلتُ: ما تشاءُ؟ قال: حدِّثْنِى عن عتبةَ بنِ ربيعةَ، أيَجتنبُ المظالمَ والمحارمَ؟ قلتُ: إىْ واللَّهِ. قال: ويصِلُ الرَّحِمَ ويَأْمُرُ بصلتِها؟ قلتُ: إى واللَّهِ. قال: وكريمُ الطَّرَفَين وَسَطٌ فى العشيرةِ؟ قلتُ: نعم. قال: فهل تعلَمُ قُرَشِيًّا أشرفَ منه؟ قلتُ: لا واللَّهِ، لا أعلمُ. قال: أمُحْوِجٌ هو؟ قلتُ: لا، بل هو ذو مالٍ كثيرٍ. قال: وكم أتى عليه من السِّنِّ؟ قلتُ: قد زاد على المائةِ. قال: فالشَّرَفُ والسِّنُّ والمالُ أَزْرَيْنَ به؟ قلتُ: ولم ذاكَ يُزْرِى به؟ لا واللَّهِ، بل يزيدُه خيرًا. قال: هو ذاك. هل لك فى المبيتِ؟ قلت: هل[1] لى فيه. قال: فاضْطَجَعْنا حتّى مَرَّ الثَّقَلُ. قال: فسِرْنا حتى نزلْنا فى المنزلِ وبِتْنا به، ثُم ارْتَحَلْنا منه، فلمَّا كان الليلُ قال لى: يا أبا سفيانَ. قلتُ: ما تشاءُ؟ قال: هل لك فى مِثْلِ البارحةِ؟ قلتُ: هل لى[2] فيه. قال[3]: فسِرْنا على ناقَتَيْن بُخْتِيَّتَيْنْ، حتى إذا بَرَزْنا قال: هَيَا صَخْرُ، هِيهِ[4] عن عُتبةَ بنِ ربيعةَ. قال: قلتُ: هيهًا فيه. قال: أَيْجتنبُ المظالمَ والمحارمَ ويَصِلُ الرَّحِمَ ويأمُرُ بصلَتِها؟ قلتُ: إِى واللَّهِ إنَّه ليَفْعَلُ. قال: وذو مالٍ. قلتُ: وذو مالٍ. قال: أتعلمُ قُرَشِيًّا أَسْوَدَ منه؟ قلتُ: لا واللَّهِ ما أعلمُه. قال: كم أتى له من السِّنِّ؟ قلتُ: قد زاد على المائةِ. قال: فإنَّ السِّنَّ والشَّرَفَ والمالَ أَزْرَيْنَ به؟ قلتُ: كلَّا واللَّهِ، ما أزْرَى به ذاك، وأنت قائلٌ شيئًا فقُلْه. قال: لا تَذْكُرْ حديثِى حتى[5] يأتىَ منه ما هو آتٍ. ثُم قال:

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل، م: «لك».

(٣) بعده فى الأصل، م: «نعم».

(٤) هيا: أداة نداء. وهيه: كلمة للاستزادة من الكلام.

(٥) سقط من: م.

فإنَّ الَّذى رأيتَ أصابنى ، أنِّى جِئْتُ هذا العالِمَ فسَألْتُه عن أشياءَ ، ثُم قلتُ : أخْبِرْنى عن هذا النبىِّ الذى يُنْتَظَرُ . قال : هـو رجلٌ مِن العربِ . [١/٢٣٥ظ] قلتُ : قد علمتُ أنَّه مِن العربِ ، فمِن أىِّ العربِ هو ؟ قال : مِن أهلِ بيتٍ تحُجُّه العربُ . قلتُ : وفينا بيتٌ تَحُجُّه العربُ . قال : هو مِن إخوانِكم مِن قريشٍ . فأصابنى واللَّهِ شَىْءٌ ما أصابَنِى مثلُه قطُّ ، وخرج مِن يدَىَّ فوزُ الدنيا والآخرةِ ، وكنتُ أرجُو أنْ أكونَ إيَّاه . قلتُ : فإذا كان ما كان فصِفْه لى . قال : رجلٌ شابٌّ ، حين[1] دَخَلَ فى الكُهُولَةِ بُدُوُّ أمرِه ، يَجْتَنِبُ المظالمَ والمحارمَ ، ويَصِلُ الرَّحِمَ ، ويَأْمُرُ بصِلَتِها ، وهو مُحْوِجٌ كريمُ الطَّرَفَيْن ، متوسِّطٌ فى العشيرةِ ، أكثرُ جُنْدِه الملائكةُ . قلتُ : وما آيةُ ذلك ؟ قال : قد رَجَفَتِ الشَّامُ منذُ هَلَكَ عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السلامُ ، ثمانينَ[2] رَجْفَةً ، كلُّها[3] مصيبةٌ ، وبَقِيَتْ رَجْفَةٌ عامَّةٌ فيها مصائبُ . قال أبو سفيانَ : فقلتُ : هذا واللَّهِ الباطلُ ، لَئِنْ بَعَثَ اللَّهُ رسولًا لا يأخذُه إلا مُسِنًّا[4] شريفًا . قال أميةُ : والذى حَلَفْتَ به ، إنَّ هذا لهكذا يا أبا سفيانَ ، تقولُ[5] : إنَّ قولَ النَّصْرانِىِّ حَقٌّ . هل لك فى المبيتِ ؟ قلتُ : هل[6] لى فيه . قال : فبِتْنَا حتى جاءنا الثَّقَلُ ، ثُم خَرَجْنا حتى إذا كُنَّا[7] بينَنا وبينَ مكَّةَ[8] ليلتان ، أدْرَكَنا راكبٌ مِن خلفِنا ، فسألْناه ، فإذا هو

---

(١) كذا بالنسخ وهو ما يقتضيه السياق . وفى تاريخ دمشق : « حتى » .

(٢) سقط من : الأصل ، ص . وفى تاريخ دمشق : « ثلاثين » .

(٣) بعده فى م : « فيها » .

(٤) فى ا ٩، ص : « منا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « يقول » .

(٦) فى م : « نعم » .

(٧) فى م : « كان » .

(٨) بعده فى م : « مرحلتان » .

يقولُ : أصابتْ أهلَ الشّامِ بعدَكم رجفةٌ دَمَّرَتْ[1] أهلَها ، وأصابتْهم فيها مصائبُ عظيمةٌ . قال أبو سفيانَ : فأقبلَ عليَّ أميّةُ فقال : كيف ترى قولَ النَّصْرانيِّ يا أبا سفيانَ ؟ قلتُ : أرى واللَّهِ وأظنُّ أنَّ ما حدَّثك به صاحبُك حقٌّ . قال : فقَدِمْنا مكّةَ فقَضَيْتُ ما كان معى ، ثُم انطلقْتُ حتى جئتُ اليمنَ تاجرًا ، فكنتُ بها خمسةَ أشهرٍ ، ثُم قَدِمْتُ مكَّةَ ، فبيْنا أنا فى منزلى جاءنى النّاسُ يُسَلِّمُون علىَّ[2] ، ويسألُون عن بَضائِعِهم ، حتى جاءنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وهِنْدٌ عندى تُلاعِبُ صِبْيانَها ، فسَلَّمَ عَلَىَّ ورَحَّبَ بى ، وسألَنى عن سَفَرى ومُقامى ، ولم يسألْنِى عن بِضاعتِه ثُم قام ، فقلتُ لهندٍ : واللَّهِ إنَّ هذا يُعْجِبُنى ؛ ما مِن أحدٍ مِن قريشٍ له معى بضاعةٌ إلَّا قد سألَنى عنها ، وما سألَنى هذا عن بِضاعتِه ! فقالتْ لى هندٌ : وما علمتَ شأنَه ؟ قلتُ وفَزِعْتُ : ما شأنُه ؟ قالتْ : يزعُمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ . فوَقَذَتْنِى ، وذَكَرْتُ قولَ النّصرانيِّ ، فَوَجَمْتُ[3] حتى قالتْ هندٌ : مالَكَ ؟ فانتبهْتُ ، فقلتُ : إنَّ هذا لهو الباطلُ ! لهو أَعْقَلُ مِن أَنْ يقولَ هذا . قالتْ : بَلَى واللَّهِ ، إنَّه ليقولَنَّ ذلك و[4]يُواتَى عليه[4] ، وإنَّ له لَصَحابةً على دينِه . قلتُ : هذا الباطلُ . قال : وخَرَجْتُ ، فبيْنا أنا أطوفُ بالبيتِ[5] لَقِيتُه ، فقلتُ : إنَّ بضاعتَك قد بَلَغَتْ كذا وكذا ، وكان فيها خيرٌ فأرسِلْ فَخُذْها[6] ، ولستُ آخُذُ منك فيها ما آخُذُ مِن قومِى . فأَبَى علىَّ وقال : إِذَنْ لا

---

(١) فى الأصل ، ص : « قهروا » .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى الأصل ، ص : « فوجهت » . وفى م : « فرجفت » .

(٤ - ٤) فى م : « يدعو إليه » .

(٥) بعده فى م : « إذ بى قد » .

(٦) فى م : « من يأخذها » .

آخُذَها . قلتُ : فأَرْسِلْ فخُذْها وأنا آخُذُ منك مِثلَ ما آخُذُ مِن قومى . فأرْسَلَ إلى بِضاعتِه فأَخَذَها ، وأَخَذْتُ منه ما كنتُ آخُذُ مِن غيرِه[1] ، ولم أَنْشَبْ أنْ خَرَجْتُ إلى اليمنِ ، فقَدِمْتُ الطّائفَ ، فنزَلْتُ على أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ، [2]فقُلْتُ له : يا أبا عثمانَ[2] . قال[3] : ما تشاءُ؟ قلت[4] : هل تذكرُ قولَ النَّصْرانىِّ؟ قال :[5] أذكُرُه ، فقلْتُ[6] : فقد كان . قال : ومَن؟ قلتُ : محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ . قال : ابنُ عبدِ المطّلبِ؟ قلتُ : ابنُ عبدِ المطّلبِ . ثم قَصَصْتُ عليه خَبَرَ هندٍ . قال : فاللَّهُ يعلمُ لَتَصَبَّبَ[7] عَرَقًا . ثُم قال : واللَّهِ يا أبا سفيانَ ، لَعَلَّه ، إنَّ صِفَتَه لَهِىَ ، ولَئِنْ ظَهَر وأنا حىٌّ لَأُبْلِيَنَّ[8] اللَّهَ ، عَزَّ وجَلَّ ، فى نصرِه عُذْرًا . قال : ومضَيْتُ إلى اليمنِ ، فلم أَنْشَبْ أن جاءنى هُنالِكَ اسْتِهْلالُه ، وأقبلْتُ حتى نزلْتُ على أمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ بالطّائِفِ ، فقلتُ : يا أبا عثمانَ ، قد كان مِن أمرِ الرجلِ ما قد بلغَك وسَمِعْتَ . قال : قد كان لَعَمْرِى . قلتُ : فأينَ أنت منه يا أبا عثمانَ؟ فقال : واللَّهِ ما كنتُ لأومِنَ برسولٍ مِن غيرِ ثَقِيفٍ أبدًا . قال أبو سفيانَ : وأقبلْتُ إلى مكَّةَ ، فواللَّهِ ما أنا ببعيدٍ حتى جئتُ مكَّةَ ، فوجدْتُ أصحابَه يُضْرَبُون ويُحْقَرُونَ[9] . قال أبو سفيانَ : فجعلْتُ أقولُ : فأينَ

---

(١) بعده فى م : « قال أبو سفيان » .

(٢ - ٢) فى م : « فقال لى يا أبا سفيان » .

(٣) سقط من : الأصل ، ا ٩، م .

(٤) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٥) فى م : « فقلت » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ا ٩، م : « وأخذ يتصبب » .

(٨) فى م : « لأطلبن من » . ويقال : أبلاه عذرا . أى اجتهد فى الاعتذار إليه حتى رضى . الوسيط (ب ل ى) .

(٩) فى الأصل ، ص : « يعقرون » .

جُنْدُه مِن الملائكةِ؟ قال : فدَخَلَنِى ما يَدْخُلُ الناسَ مِن النَّفاسةِ. وقد رواه الحافظُ البيهقىُّ فى كتابِ «الدلائلِ»[1] ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ طُريحٍ به ، ولكنَّ سياقَ الطبرانىِّ الذى أَوْرَدْناه أَتَمُّ وأطولُ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الطَّبَرانِىُّ[2] : حدثنا بكرُ بنُ أحمدَ بنِ مُقْبِلٍ[3] ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شَبِيبٍ ، حدثنا يعقوبُ بنُ محمدٍ الزُّهْرِىُّ ، حدثنا مجاشعُ بنُ عمرٍو الأَسَدِىُّ ، حدثنا ليثُ بنُ سعدٍ ، عن أبى الأسودِ[4] محمدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ ، عن معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، عن أبى سفيانَ بنِ حَرْبٍ ، أنَّ أميّةَ بنَ أبى الصَّلْتِ كان بغَزَّةَ أو بإِيلِيَاءَ ، فلمَّا قَفَلْنا قال لى أميّةُ : يا أبا سفيانَ ، هل لك أن تَتَقَدَّمَ على الرُّفْقَةِ فنتحدَّثَ؟ قلتُ : نعم. قال : ففعلْنا ، فقال لى : يا أبا سفيانَ ، إيهٍ عن عتبةَ بنِ ربيعةَ. قال[5] : كريمُ الطَّرَفَيْن ، ويَجْتَنِبُ المحارمَ والمظالمَ؟ قلتُ : نعم. قال : وشريفٌ مُسِنٌّ؟ قلتُ : وشريفٌ مُسِنٌّ. قال : السِّنُّ والشرفُ أزْرَيا به. فقلتُ له : كذبتَ ، ما ازْدادَ سِنًّا إلا ازدادَ شرَفًا. قال : يا أبا سفيانَ ، إنَّها كلمةٌ ما سمِعْتُ أحدًا يقولُها لى منذُ تَبَصَّرْتُ ، فلا تَعْجَلْ علىَّ حتى أُخبرَك. قال : قلتُ : هاتِ. قال : إنِّى كنتُ أَجِدُ فى كُتُبى نبيًّا يُبْعَثُ مِن حَرَّتِنا هذه ، فكنتُ أظُنُّ ، بل كنتُ لا أشكُّ أنى أنا هو ، فلمّا

---

(١) الدلائل ٢/ ١١٦، ١١٧.

(٢) فى الكبير (٧٢٦٢). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٢: فيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف.

(٣) فى الأصل ، ص ، م : «نفيل». وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠٥.

(٤) بعده فى الأصل ، ص : «بن».

(٥) فى م : «قلت».

دارَسْتُ أهلَ العلمِ إذا هو مِن بنى عبدِ منافٍ ، [1]فنظَرْتُ فى بنى عبدِ منافٍ[1] فلم أَجِدْ أحدًا يَصْلُحُ لهذا الأمرِ غيرَ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ ، فلمّا أخبرْتَنِى بسِنِّه عَرَفْتُ أنَّه ليس به ؛ حينَ جاوزَ الأربعينَ ولم يُوحَ إليه . قال أبو سفيانَ : فضَرَب الدَّهْرُ مَن[2] ضَرَبَه ، فأُوحِىَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخرجْتُ فى رَكْبٍ مِن قريشٍ أريدُ اليمنَ فى تجارةٍ ، فمَرَرْتُ بأميَّةَ ، فقلتُ له كالمستهزِئ به : يا أميةُ ، قد خَرَج النبىُّ الذى كنتَ تَنْعَتُه[3] . قال : أما[4] إنَّه حقٌّ ، فاتَّبِعْه . قلتُ : ما يَمْنَعُك مِن اتّباعِه ؟ قال : ما يَمْنَعُنِى إلا الاسْتِحْياءُ مِن نُسَيّاتِ ثَقِيفٍ ؛ إنّى كنتُ أُحَدِّثُهُنَّ أنِّى هو ، ثُم يَرَيْنَنِى تابِعًا لغلامٍ مِن بنى عبدِ منافٍ . ثُم قال أميةُ : وكأنِّى بكَ يا أبا سفيانَ [5]إن خالفْتَه[5] قد رُبِطْتَ كما يُرْبَطُ الجَدْىُ ، حتى يُؤْتَى بكَ إليه ، فيَحْكُمَ فيك بما يُرِيدُ .

وقال عبدُ الرّزّاقِ[6] : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن الكَلْبِىِّ قال : بَيْنَا أميّةُ راقِدٌ ومعه ابنتان له ، إذْ فَزِعَتْ إحداهما فصاحتْ عليه ، فقال لها : ما شأنُكِ ؟ قالتْ : رأيتُ نَسْرَيْن كَشَطا سَقْفَ البيتِ ، فنزَلَ أحدُهما إليكَ فشَقَّ بَطْنَكَ ، والآخرُ واقفٌ على ظَهْرِ البيتِ ، فناداه فقال : أوَعَى ؟ قال : وَعَى[7] . قال : أَزَكَا ؟ قال : لا[8] . فقال : ذاك

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٩.

(٢) سقط من : م . وضرب الدهر بين القوم . أى فرّق وباعد .

(٣) كذا فى النسخ ، وفى معجم الطبرانى (٧٢٦٢) : « تنتظر » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) فى م : « قد خالفته ثم » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤٣.

(٧) فى م : « نعم » .

(٨) كذا فى النسخ . وفى تفسير عبد الرزاق : « أبى » .

خيرٌ أُرِيدَ بأبيكما فلم يَقْبَلْه[1] .

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ بسياقٍ آخرَ ؛ فقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2] ، عن محمدِ ابنِ إسحاقَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، [3]وعثمانَ بنِ عبدِ الرّحمنِ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ[3] قال : قَدِمَتِ الفارعةُ أختُ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بعدَ فَتْحِ مكّةَ ، وكانت ذاتَ لُبٍّ وعَقْلٍ وجَمالٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بها مُعْجَبًا ، فقال لها ذاتَ يومٍ : « يا فارعةُ ، هل تَحْفَظِينَ مِن شِعْرِ أخيكِ شيئًا ؟ » فقالتْ : نعم ، وأعْجَبُ منه ما قد رَأَيْتُ . قالتْ : كان أخى فى سفرٍ ، فلمّا انْصَرَفَ بَدَأَ بى[4] ، فدَخَلَ علىَّ فرَقَد على السّرِيرِ وأنا أَحْلُقُ[5] أديمًا فى يدى ، إذْ أقبلَ طائران أبيضان أو كالطَّيْرَيْن أبيضَيْنْ ، فوقَع على الكُوّةِ أحدُهما ، ودَخَل الآخرُ فوقَع عليه ، فشَقَّ الواقعُ عليه ، ما بينَ قَصِّه[6] إلى عانتِه ، ثُم أدخلَ يدَه فى جوفِه ، فأخْرَجَ قَلْبَه ، فوَضَعَه فى كَفِّه ثُم شَمَّه ، فقال له الطائرُ الآخرُ : أوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَزَكَا ؟ قال : أَبَى . ثُم رَدَّ القَلْبَ إلى مكانِه ، فالْتَأَمَ الجُرْحُ أسرعَ مِن طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُم

---

(١) فى م : « يفعله » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٢٨٢ - ٢٨٤ ، من طريق إسحاق بن بشر به . والقصة فى الأغانى ٤/١٢٧.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى م : « بدأنى » .

(٥) فى النسخ : « أحلق » . وهو كذلك فى تاريخ دمشق . وهو تصحيف ؛ فقد ذكره ابن الأثير فى غريبه ٢/٧١ على الصواب فقال : « ... وأنا أحلق أديما » أى أُقدِّره لأقطَعه . وانظر لسان العرب (خ ل ق) .

(٦) فى الأصل ، ص : « قصته » . والقَصّ : عظم الصدر المغروز فيه أطراف الأضلاع من الجانبين .

ذَهَبا ، فلمّا رَأَيْتُ ذلك دَنَوْتُ منه فحرَّكْتُه ، فقلتُ : هل تَجِدُ شيئًا ؟ قال : لا ، إلَّا تَوْهينًا فى جَسَدِى - وقد كنتُ ارْتَعَبْتُ ممّا رَأَيْتُ - فقال : مالى أراكِ مُرْتاعةً ؟ قالتْ : فأخْبَرْتُه الخبرَ ، فقال : خَيْرٌ أُرِيدَ بى ثُم صُرِف عنّى . ثُمَّ أَنْشَأَ يقولُ[1] :

باتتْ همومِى تَسْرِى طوارقُها ... أَكُفُّ[2] عَيْنِى والدمعُ سابقُها

ممّا أتانى مِنَ اليقينِ ولم ... أُوتَ براةً يَقُصُّ ناطِقُها

أم مَن تَلَظَّى عليه واقدةُ النـ ... ـارِ محيطٌ بهم سُرادِقُها

أم أَسْكُنُ الجَنَّةَ التى وُعِدَ الـ ... ـأبْرارُ مصفوفةً نمارِقُها

لا يَسْتَوِى المنزِلان ثَمَّ ولا الـ ... ـأعمالُ لا تَسْتَوِى طرائقُها

هما فريقان فِرْقةٌ تدخلُ الجَـ ... ـنَّةَ حَفَّتْ بهم حدائِقُها

وفِرْقةٌ منهم [3]قدْ أُدْخِلَتِ النـ ... ـارَ[3] فساءَتْهُمْ مرافِقُها

تعاهدتْ هذه القلوبُ إذا ... هَمَّتْ بخيرٍ عاقَتْ عوائِقُها

وصدَّها للشَّقاءِ عن طلَبِ الـ ... ـجَنَّةِ دُنْيا اللَّهُ ماحِقُها

عبدٌ دعا نفسَه فعاتَبَها ... يَعْلَمُ أنّ البصيرَ[4] رامِقُها

ما رَغْبَةُ[5] النفسِ فى الحياةِ وإن ... تَحْيَى قليلًا فالموتُ لاحِقُها

---

(١) ديوان أمية ص ٥٠، ٥١.

(٢) فى الأصل ، ص : « ألف » . وكذا فى تاريخ دمشق .

(٣ - ٣) فى الديوان ص ٥٠: « أدخلت فى النار » .

(٤) فى الديوان : « الصبر » .

(٥) فى م : « رغب » .

يوشِكُ مَنْ فرَّ مِن مَنِيَّتِه[1] يومًا على غِرَّةٍ يوافِقُها

[2]مَنْ لم يَمُتْ[2] عَبْطَةً[3] يَمُتْ هَرَمًا للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائِقُها

[١/٢٣٦ظ] قالتْ[4] : ثُم انْصَرَفَ إلى رَحْلِه ، فلم يَلْبَثْ إلَّا يسيرًا حتى طُعِن فى جِنازتِه[5] ، فأتانى الخبرُ فانصرَفْتُ إليه ، فوَجَدْتُه منعوشًا ، قد سُجِّىَ عليه ، فدنوْتُ منه ، فشَهِقَ شَهْقَةً ، وشَقَّ بَصَرُه[6] ونَظَر نحوَ السَّقْفِ ، ورفَع صَوْتَه . وقال :

لبّيْكُما لبَّيْكُما ها أنا ذَا لَدَيْكُما

لا ذو مالٍ فيَفْدِيَنى ، ولا ذو أهلٍ فتَحْمِيَنى .

ثُمَّ أُغْمِىَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً فقلتُ : قد هلَك الرجلُ . فشَقَّ بصرُه نحوَ السَّقْفِ ، فرَفَع صوتَه ، فقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ها أنا ذا لَدَيْكما

لا ذو براءةٍ فأعتذِر ، ولا ذو عشيرةٍ فأَنْتَصِر . ثُم أُغْمِىَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً ، وشقَّ بصرُه ونظَر نحوَ السقفِ فقال :

---

(١) فى ص : « منية » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « إن لم تمت » .

(٣) فى النسخ : « غبطة » ، والمثبت من الديوان . وانظر تاريخ دمشق . ومات عبطة : مات شابا سليما لم تصبه علة . الوسيط (ع ب ط) .

(٤) فى الأصل ، ا ٩ ، م : « قال » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « حيارته » ، وفى ا ٩ : « حرارته » ، والمثبت من تاريخ دمشق . وطعن فى جنازته : مات . الوسيط (ج ن ز) .

(٦) شق بصر الميت : نظر إلى شىء لا يرتد إليه طرفه . القاموس المحيط (ش ق ق) .

لَبَّيْكُمـا لَبَّيْكُمـا ها أنا ذا لَدَيْكُمـا

بالنِّعَمِ محفـودٌ وبالذَّنْـبِ محصودٌ[1]

ثُم أُغْمِىَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً، فقال :

لَبَّيْكُمـا لَبَّيْكُمـا ها أنا ذا لَدَيْكُما[1]

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأَىُّ عَبْدٍ لكَ لا أَلَمَّا[2]

ثُم أُغْمِىَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً فقال[3] :

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دَهْرًا صائرٌ مَرَّةً إلى أن يزولا

لَيْتَنِى كنتُ قبلَ ما قدْ بدا لى فى قِلالِ الجبالِ أَرْعَى الوُعُولا

قالت : ثُم مات . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا فارعةُ، فإنَّ مَثَلَ أخيكِ كمَثَلِ الذى آتاه اللَّهُ آياتِه : ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٥] . وقد تكلَّمَ الخَطّابِىُّ[4] على غَرِيبِ هذا الحديثِ .

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[5] عن الزُّهْرِىِّ أنَّه قال : قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[6] :

أَلا رسولٌ لنا منّا يُخَبِّرُنا ما بَعْدَ غايتِنا مِنْ رأسِ مَجْرانَا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) البيت فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٦٧، وعزاه محققه لأبى خراش الهذلى . وألمَّ : باشر اللمم، أى صغار الذنوب .

(٣) ديوان أمية ص ٥٥.

(٤) انظر كلام الخطابى فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٤.

(٥) فى تاريخ دمشق ٩/٢٨٥ - ٢٨٧.

(٦) ديوان أمية ص ٤٦.

قال : ثُم خَرَج أميّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ إلى البَحْرَيْنِ ، وتَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأقام أميّةُ بالبَحْرَيْنِ ثمانِىَ سِنِينَ ، ثُم قَدِمَ الطّائفَ فقال لهم : ما يقولُ محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ ؟ قالوا : يَزعُمُ أنَّه نَبِىٌّ ، فهو الذى كنتَ تتمنَّى . قال : فخرَج حتى قَدِمَ عليه مكّةَ فلَقِيَه ، فقال : يا ابنَ عبدِ المطَّلِبِ ، ما هذا الذى تقولُ ؟ قال : « أقولُ : إنّى رسولُ اللَّهِ وأن لا إله إلا هو » . قال : إنّى أريدُ أن أكلِّمَكَ ، فَعِدْنى غَدًا . قال : « فمَوْعِدُك غدًا » . قال : فتُحِبُّ أنْ آتيَكَ وحدِى أو فى جماعةٍ مِن أصحابى ، وتأتِينى وحدَك أو فى جماعةٍ مِن أصحابِك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَىَّ ذلك شِئْتَ » . قال : فإنّى آتيك فى جماعةٍ ، فأْتِ فى جماعةٍ . قال : فلمّا كان الغدُ غَدَا أميّةُ فى جماعةٍ مِن قريشٍ . قال : وغَدَا رسولُ اللَّهِ ﷺ معه نَفَرٌ مِن أصحابِه ، حتى جَلَسُوا فى ظِلِّ الكعبةِ . قال : فبدأ أميّةُ فخَطَب ثُم سَجَع ثُم أَنْشَدَ الشِّعْرَ ، حتى إذا فَرَغ[1] قال : أَجِبْنِى يا ابنَ عبدِ المطّلِبِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ » [يس : ١، ٢] . حتى إذا فَرَغ منها وَثَبَ أميّةُ يَجُرُّ رِجْلَيْه . قال : فتَبِعَتْه قريشٌ يقولون : ما تقولُ يا أميّةُ ؟ قال : أشهدُ أنَّه على الحقِّ . فقالوا : هل تَتَّبِعُه ؟ قال : حتى أنظرَ فى أمرِه . قال : ثُم خَرَجَ أميّةُ إلى الشّامِ ، وقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلمّا قُتِل أهلُ بدرٍ ، قَدِمَ أميّةُ مِن الشّامِ حتى نَزَل بَدْرًا ، ثُمَّ تَرَحَّلَ يريدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال قائلٌ : يا أبا الصَّلْتِ ، ما تريدُ ؟ قال : أريدُ محمدًا . قال : وما تَصْنَعُ ؟ قال : أُومِنُ به وأُلْقِى إليه مقاليدَ هذا الأمرِ . قال : أتَدْرِى مَن فى القَلِيبِ ؟ قال : لا . قال : فيه عُتْبَةُ بنُ ربيعةَ ، وشَيْبَةُ بنُ ربيعةَ ، وهما ابنا

---

(١) بعده فى م ، ص : « الشعر » .

خالِك - وأمُّه ربيعةُ بنتُ عبدِ شمسٍ - قال : فجَدَع أُذُنَىْ ناقتِه وقَطَع ذَنَبَها ، ثُم وقَف على القَلِيبِ يقولُ[1] :

مـاذا بـبَـدْرٍ فـالـعَـقَـنْـ ... ـقَـلِ مِـن مَـرازِبَـةٍ جَـحـاجِـحْ[2]

القصيدةُ إلى آخرِها كما سيأتى ذِكْرُها بتمامِها فى قصّةِ بدرٍ ، إن شاء اللَّهُ . ثم رَجَعَ إلى مكّةَ والطّائفِ ، وتَرَك الإسلامَ . ثُم ذَكَر قِصَّةَ الطَّيْرَين وقِصَّةَ وفاتِه كما تقدَّمَ ، وأَنْشَدَ شِعْرَه عندَ الوفاةِ[3] :

كلُّ عيشٍ وإن تطاول دَهْرًا ... صـائـرٌ مَـرَّةً إلـى أن يـزولا

ليتنى كنتُ قبلَ ما قد بدا لى ... فى قِلالِ الجبالِ أَرْعَى الوُعُولا

فاجعلِ الموتَ نُصْبَ عينَيْك واحذَرْ ... غَوْلةَ الدَّهْرِ إنّ للدهرِ غُولا

نائلًا ظُفْرُها القساورَ والصدْ ... عانَ والطِّفلَ فى المنارِ الشّكيلا

وبُغاثَ النّيافِ واليَعْفُرَ النّافرَ ... و العَوْهَجَ البرامَ الضَّئِيلا [١/٢٣٧و]

فقولُه : « القساورَ » . جمعُ قَسْوَرَةٍ ، وهو الأَسَدُ . والصّدعانُ : ثيرانُ الوَحْشِ ، واحدُها صَدَعٌ . والطِّفلُ الشكِلُ : مِن حُمْرةِ العَيْنِ . والبُغاثَ : الرّخَمُ . والنِّيافُ : الجبالُ . واليَعْفُرُ : الظَّبْيُ . والعوهجُ : ولدُ النّعامةِ . يعنى أنَّ الموتَ لا يَنْجُو منه الوحوشُ فى البَرارِىِّ ، ولا الرّخَمُ الساكنةُ فى رُءُوسِ الجبالِ ،

---

(١) البيت فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٦٣.

(٢) العقنقل : كثيب رمل ببدر . ومرازبة : جمع مَرْزُبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرب وأصله فارسى . وجحاجح : جمع جَحْجاح ، وهو السيد المسارع فى الكرم .

(٣) ديوان أمية ص ٥٥.

ولا يَتْرُكُ صغيرًا لِصِغَرِه ولا كبيرًا لكِبَرِه . وقد تَكَلَّمَ الخطّابيُّ وغيرُه على غريبِ هذه الأحاديثِ . وقد ذَكَر السُّهَيْلِيُّ فى كتابِه « التعريفِ والإعلامِ »[1] ، أنّ أميّةَ ابنَ أبى الصَّلْتِ أولُ مَنْ قال[2] : باسمِكَ اللَّهُمَّ . وذكَرَ عندَ ذلك قصّةً غريبةً ، وهو أنَّهم خرجُوا فى جماعةٍ مِن قريشٍ فى سفرٍ ، فيهم حَرْبُ بنُ أميّةَ والدُ أبى سفيانَ ، قال : فمرُّوا فى مسيرِهم بحَيّةٍ فقتلُوها ، فلمّا أمْسَوْا جاءتْهم امرأةٌ مِن الجانِّ فعاتَبَتْهم فى قتلِ تلك الحيَّةِ ، ومعها قَضِيبٌ فضَرَبَتْ به الأرضَ ضربةً نَفَّرَتِ الإبلَ عن آخرِها ، فذهبتْ وشرَدَتْ كُلَّ مَذْهَبٍ ، وقاموا فلم يزالُوا فى طلبِها حتى ردُّوها ، فلمّا اجتمعُوا جاءتْهم أيضًا ، فضربتِ الأرضَ بقضيبِها فنَفَّرَتِ الإبلَ ، فذهبُوا فى طَلَبِها ، فلمّا أعْياهُم ذلك قالوا : واللَّهِ ، هل عندَك لِمَا نحنُ فيه مِن مَخْرَجٍ ؟ فقال : لا واللَّهِ ، ولكنْ سأنظُرُ فى ذلك . قال : فسارَ[3] فى تلك المحَلّةِ ؛ [4]لعلّه يَجِدُ[4] أحدًا يسألُه[5] عمّا قد حَلَّ بهم من العَناءِ ، إذا نارٌ تلوحُ على بُعْدٍ ، فجاءَها[6] فإذا شيخٌ على بابِ خَيْمةٍ يُوقِدُ نارًا ، وإذا هو مِن الجانِّ فى غايةِ الضّآلةِ والدَّمامةِ ، فسَلَّمَ[7] عليه ، فسألهم عَمّا هُم فيه ، فقال : إذا جاءتْكم فقلْ : باسمِكَ اللَّهُمَّ . فإنها تَهْرُبُ . فلمّا اجتمعُوا وجاءتْهم الثالثةَ أو الرابعةَ ، قال فى وجهِها أميّةُ : باسمِكَ اللَّهُمَّ . فشَرَدَتْ ولم يَقَرَّ لها قرارٌ ، لكنْ

---

(١) التعريف والإعلام ١١٣، ١١٤.

(٢) فى التعريف والإعلام ١١٤: « كتب » .

(٣) فى م ، ص : « فساروا » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « لعلهم يجدون » .

(٥) فى م ، ص : « يسألونه » .

(٦) فى م ، ص : « فجاؤها » .

(٧) فى م ، ص : « فسلموا » .

عدَتِ الجِنُّ على حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ ، فقتلُوه بتلك الحيّةِ ، فقَبَرَه أصحابُه هنالِك حيثُ لا جارَ ولا دارَ ، ففى ذلك يقولُ الجانُّ :

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرِ وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وذكر بعضُهم[1] أنَّه كان يَتَفَرَّسُ فى بعضِ الأحيانِ فى لُغاتِ الحيواناتِ ، فكان يَمُرُّ فى السفَرِ على الطّيرِ فيقولُ لأصحابِه : إنّ هذا يقولُ كذا وكذا . فيقولون : لا نعلمُ صِدْقَ ما يقولُ . حتى مرُّوا على قَطِيعِ غنمٍ قد انقطعتْ منه شاةٌ ومعها ولدُها ، فالتفتتْ إليه ، فثَغَتْ كأنَّها تَسْتَحِثُّه ، فقال : أتدرون ما تقولُ له ؟ قالوا : لا . قال : إنَّها تقولُ : أَسْرِعْ بنا لا يَجِيءُ الذِّئْبُ فيأكُلَكَ كما أكل الذئبُ أخاكَ عامَ أوَّلَ . فأسرَعوا حتى سألوا الرّاعىَ : هل أكل له الذّئبُ عامَ أوَّلَ حَمَلًا بتلك البقعةِ ؟ فقال : نعم . قال : ومَرَّ يومًا على بعيرٍ عليه امرأةٌ راكبةٌ وهو يرفَعُ رأسَه إليها ويَرْغُو ، فقال : إنَّه يقولُ لها : إنَّكِ رَحَّلْتِينى وفى الحِداجَةِ[2] مِخْيَطٌ . فأنْزَلُوا تلك المرأةَ ، وحَلُّوا ذلك الرَّحْلَ ، فإذا فيه مِخْيَطٌ كما قال .

وذَكَر ابنُ السِّكِّيتِ[3] أنّ أميّةَ بنَ أبى الصَّلْتِ بينَما هو يَشْرَبُ[4] يومًا إذ نَعَبَ[5] غُرابٌ . فقال له : بفِيكَ التّرابُ . مَرَّتَيْنِ . فقيل له : ما يقولُ ؟ فقال : إنَّه

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) الحداجة : الحِدْج ، وهو الحمل ، ومركب من مراكب النساء يشبه المحفّة . اللسان (ح د ج) . والمقصود أن المخيط كان مغروزا بسنام الجمل ، كما هو مصرح به فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٣.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٤ ، ٢٨٥.

(٤) فى تاريخ دمشق : « بسرف » .

(٥) أى ؛ صاح وصوت .

يقوُل : إنَّك تَشْرَبُ هذا الكأسَ الَّذى فى يدِك ثُم [1]تَتَّكِئُ فتموتُ[1] . ثُم نَعَبَ الغرابُ [2]مرّةً أخرى[2] فقال : إنَّه يقولُ : وآيةُ ذلك أنّى أَنْزِلُ على هذه المزبلةِ فآكُلُ منها فيَعْلَقُ عظمٌ فى حَلْقِى فأموتُ . ثُم نزل الغرابُ على تلك المزبلةِ فأكَلَ شيئًا فعَلِقَ فى حَلْقِه عظمٌ فمات . فقال أميّةُ : أمّا هذا فقد صَدَقَ فى نفسِه ، ولكنْ سأنظرُ هل يَصْدُقُ فِىَّ أَمْ لا . ثُمَّ شَرِب ذلكَ الكأسَ الذى فى يدِه ثُم اتَّكأ فمات .

وقد ثَبَت فى « الصحيحِ »[3] مِن حديثِ ابنِ مَهْدِىٍّ ، عن الثَّوْرِىِّ ، عن عبدِ الملِكِ بنِ عُمَيْرٍ[4] ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أصْدَقَ كَلِمَةٍ قالها شاعرٌ كَلِمَةُ لَبيدٍ :

* ألَا كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ *

وَكَادَ أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ أنْ يُسْلِمَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا زكريا بنُ إسحاقَ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ ميسرةَ أنَّه سَمِعَ عَمْرَو بنَ الشَّرِيدِ يقولُ : قال الشّريدُ : كنتُ رِدْفًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لى : « أَمَعَك مِن شِعْرِ أُمَيّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ شىءٌ ؟ » قلتُ : نعم . قال : « فأَنْشِدْنى » . فأَنْشَدْتُه بيتًا ، فلم يَزَلْ يقولُ لى كلّما أَنْشَدْتُه

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ص : « تموت » .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٩.

(٣) البخارى (٦١٤٧) . كما أخرجه مسلم (٢٢٥٦) .

(٤) فى ص : « عمر » .

(٥) فى المسند ٤/ ٣٨٩.

بيتًا : « إيهِ » . حتّى أنشدْتُه مِائةَ بيتٍ . قال : ثُم سَكَتَ النبىُّ ﷺ ، وسكَتُّ . وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن إبراهيمَ[1] بنِ ميسرةَ به . ومِن غيرِ وجهٍ [١/٢٣٧ظ] عن عَمْرِو بنِ الشَّريدِ ، عن أبيه الشَّريدِ بنِ سُوَيدٍ الثَّقَفِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ[2] . وفى بعضِ الرِّواياتِ[3] : فقال رسولُ اللَّهِ : « إنْ كادَ يُسْلِمُ » .

وقال يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ صاعدٍ[4] : حدّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهَرِىُّ ، حدّثنا أبو أسامةَ ، حدثنا حاتمُ بنُ أبى صَغِيرَةَ[5] ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عمرِو بنِ نافعٍ ، عن الشَّريدِ الهَمْدَانِىِّ - وأخوالُه ثقيفٌ - قال : خَرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى حِجَّةِ الوَداعِ ، فبَيْنَا أنا أمشى ذاتَ يومٍ إذا وَقْعُ ناقةٍ خَلْفِى ، فالتَفَتُّ[6] فإذا رسولُ اللَّهِ ، ﷺ فقال : « الشَّرِيدُ ؟ » فقلتُ : نعم . قال : « أَلَا أَحْمِلُكَ ؟ » قلْتُ : بلى . وما بى[7] مِن إعياءٍ[8] ولا لُغُوبٍ[8] ، ولكنِّى أرَدْتُ البَرَكةَ فى رُكوبِى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأناخَ فحَمَلَنى ، فقال : « أَمَعَكَ مِن شِعْرِ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ؟ » قلتُ : نعم . قال : « هاتِ » . فأَنْشَدْتُه - قال :

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « أبى تميم » .

(٢) مسلم (٢٢٥٥) .

(٣) البخارى (٣٨٤١، ٦١٤٧) . ومسلم (٢٢٥٥) . والمسند ٤/ ٣٨٨.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٨، ٢٦٩، من طريق يحيى بن محمد به .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « صفرة » ، وفى ا ٩: « صعرة » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٣.

(٦) فى الأصل : « بالبيت » . وسقط من : م ، ص .

(٧) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٨ - ٨) زيادة من : ا ٩.

أظنُّه قال - مِائةَ بيتٍ ، فقال : « عندَ اللَّهِ عِلْمُ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ » . ثُم قال ابنُ صاعدٍ : هذا حديثٌ غريبٌ . فأمّا الذى يُرْوَى أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال فى أميّةَ : « آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قَلْبُه »[1] فلا أَعْرِفُه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ - هو أبو بكرٍ ابنُ أبى شيبةَ - حدّثنا عَبْدَةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يعقوبَ بنِ عُتبةَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، صدَّقَ أميّةَ فى شىءٍ مِن شِعْرِه ، قال[3] :

رَجُلٌ[4] وثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يمينِه ... والنَّسْرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ

[5]فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صدق » . وقال[5] :

والشمسُ تَطْلُعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ ... حَمْراءَ يُصْبِحُ لونُها يَتَوَرَّدُ

تَأْبَى فما تَطْلُعْ لنا فى رِسْلِها ... إلا مُعَذَّبَةً وإلا تُجْلَدُ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ » . وفى روايةِ أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّه قال : إنَّ الشمسَ لا تَطْلُعُ حتى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَكٍ ، يقولون لها : اطْلُعِى اطْلُعِى . فتقولُ : لا أَطْلُعُ على قومٍ يَعْبُدُوننى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٢. وذكره صاحب كنز العمال ٣/ ٥٧٧، وعزاه لأبى بكر الأنبارى فى المصاحف .

(٢) فى المسند ١/ ٢٥٦. (إسناده صحيح) .

(٣) ديوان أمية ص ٢٩.

(٤) فى م : « زحل » .

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٩.

مِن دونِ اللَّهِ . فإذا هَمَّتْ بالطُّلوعِ أتاها شيطانٌ يريدُ أنْ يُثَبِّطَها ، فتطلُعُ بينَ قَرْنَيْه وتَحْرِقُه ، فإذا تَضَيَّفَتْ للغُروبِ (١غَرَبَتْ على السُّجودِ١) للَّهِ ، عزّ وجلَّ ، فيأتيها شيطانٌ يريدُ أن يُثَبِّطَها عن السُّجودِ فتَغْرُبُ مِن قَرْنَيْه وتَحْرِقُه . أوردَه ابنُ عساكرَ[٢] مُطَوَّلًا . ومِن شعرِه فى حَمَلَةِ العَرْشِ[٣] :

فمِن حاملٍ إحدى قوائمِ عرشِه ... ولولا إلهُ الخَلْقِ كَلُّوا وبَلَّدُوا[٤]

قيامٌ على الأقدامِ عانونَ تحتَه ... فرائِصُهم مِن شدّةِ الخوفِ تُرْعَدُ

رواه ابنُ عساكرَ[٥] . ورُوِىَ عن الأَصْمَعِىِّ[٦] أنَّه كان يُنْشِدُ مِن شعرِ أميةَ[٧] :

مَجِّدوا اللَّهَ فهو للمَجْدِ أهْلٌ ... ربُّنا فى السماءِ أمسى كبيرا

بالبناءِ الأعلى الذى سَبَق النـ ... ـاسَ وسوَّى فوقَ السماءِ سَرِيرا

شرجعًا[٨] لا[٩] ينالُه بصرُ العيـ ... ـنِ تَرَى دونَه الملائكَ صُورا

ثُم يقولُ الأصمعىُّ : الملائكُ جمعُ مَلَكٍ ، والصُّورُ جمعُ أَصْوَرَ ، وهو المائلُ

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ص : «عزمت» .

(٢) فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٢.

(٣) الديوان ص ٥٨. وانظر البيت الأول ص ٦٠ من الديوان .

(٤) بلّدوا : فَتَروا فى العمل وقصَّروا .

(٥) تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٦) تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٧.

(٧) ديوانه ص ٤٢.

(٨) الشرجع : الطويل .

(٩) سقط من : م ، ص .

العُنُقِ ، وهؤلاءِ حَمَلَةُ العَرْشِ .

ومِن شعرِ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[1] يَمْدَحُ عبدَ اللَّهِ بنَ جُدْعانَ التيمىَّ :

أَأَذْكُرُ حاجتى أم قد كفانى ... حياؤُكَ إنّ شِيمَتَكَ الحياءُ

وعِلْمُكَ بالحقوقِ وأنتَ فَرْعٌ ... لك الحسَبُ المهذَّبُ والسَّناءُ

كريمٌ لا يُغَيِّرُه صباحٌ ... عن الخُلُقِ الجميلِ[2] ولا مَساءُ

يُبارِى الريحَ مَكْرُمَةً وجُودًا ... إذا ما الكلبُ أَجْحَرَه[3] الشِّتاءُ

وأرضُك أرضُ مَكْرُمَةٍ بَنَتْها ... بنو تَيْمٍ وأنتَ لها سماءُ[4]

إذا أَثْنَى عليك المرءُ يومًا ... كفاه مِن تَعرُّضِه الثَّناءُ

وله فيه مدائحُ أُخَرُ . وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعانَ هذا مِن الكُرَماءِ الأجوادِ المُمَدَّحِين المشهورين ، وكان له جَفْنَةٌ يأكلُ الرّاكبُ منها وهو على بعيرِه ؛ مِن عِرَضِ حافَّتِها وكثرةِ طعامِها ، وكان يَمْلَؤُها لُبابَ البُرِّ يُلَبَّكُ بالشَّهْدِ والسَّمْنِ ، وكان يُعْتِقُ الرِّقابَ ، ويُعينُ على النّوائبِ ، وقد سألتْ عائشةُ عنه[5] النبىَّ ﷺ : أينفعُه ذلك ؟ فقال[6] : « إنَّه لم يَقُلْ يومًا مِن الدَّهْرِ : رَبِّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ » .

---

(١) ديوانه ص ١٧، ١٨.

(٢) فى الأصل : « الجزيل » .

(٣) فى النسخ : « أحجره » . والمثبت من الديوان . وأجحره : ألجأه واضطره .

(٤) فى الأصل ، ص : « مساء » .

(٥) سقط من : م .

(٦) تقدم فى صفحة ٢٥٤.

ومِن شِعْرِ أميةَ البديعِ[1] :

لا يَنْكُتون الأرضَ عندَ سؤالِهِمْ كتَطَلُّبِ العَلَّاتِ[2] بالعيدانِ

بل يُسْفِرون وجوهَهم فتَرَى لها عندَ السؤالِ كأحسنِ الألوانِ

وإذا المُقِلُّ أقام وَسْطَ رِحالِهِمْ رَدُّوه رَبَّ صَواهلٍ وقِيانِ[3]

[٢٣٨/١و] وإذا دَعَوْتَهُمُ لكلِّ مُلِمَّةٍ سَدُّوا شُعاعَ الشمسِ بالفُرْسانِ

آخرُ ترجمةِ أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ .

---

(١) ديوانه ص ٢١.

(٢) العلات : جمع عَلّة ، وهى ما يُتلهى به .

(٣) الصواهل جمع الصاهل ، وهو الفرس . والقيان : جمع القَيْنِ وهو العبد .

بَحِيرى الرّاهِبُ

الذى تَوَسَّمَ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ النُّبُوَّةَ وهو مع عمِّه أبى طالبٍ ، حينَ قَدِمَ الشَّامَ فى تُجَّارٍ مِن أهلِ مكَّةَ ، وعُمْرُه إذْ ذاك اثنتا عَشْرَةَ سنةً ، فرَأَى الغَمامةَ تُظِلُّه مِن بينِهم ، فصَنَع لهم طعامًا[1] ضِيافةً واستدْعاهم ، كما سيأتى بيانُ ذلك فى السّيرةِ . وقد روى الترمذىُّ فى ذلك حديثًا بسطْنا الكلامَ عليه هنالك ، وقد أورد له الحافظُ ابنُ عساكرَ شواهدَ وسائغاتٍ فى ترجمةِ بَحِيرى ولم يُورِدْ ما رواه الترمذىُّ ، وهذا عَجبٌ ، وذكر ابنُ عساكرَ أنَّ بَحِيرى كان يسكنُ قريةً يقالُ لها : الكفرُ . بينها وبين بُصرَى ستةُ أميالٍ ، وهى التى يُقالُ لها : دير بَحِيرى . قال : ويقالُ : إنه كان يسكُنُ قريةً يقالُ لها : منفعةُ . بالبلقاءِ وراءَ زَيْرا . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : ص .

ذِكرُ قُسّ بنِ سَاعِدةَ الإِيَادىّ

قال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سهلٍ الخرائِطىُّ فى كتابِ « هَواتِفِ الجانِّ »[1] : حدَّثَنا داودُ القنطرىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى أبو عبدِ اللَّهِ المشرقىُّ ، عن أبى الحارثِ الورّاقِ ، عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن مُوَرِّقٍ العِجْلىِّ ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ ، قال : لمَّا قَدِم وَفدُ إيادٍ على النَّبىِّ ﷺ ، قال : « يا معشرَ وفدِ إيادٍ ، ما فعل قُسُّ بنُ سَاعدةَ الإِيَادىُّ ؟ » . قالوا : هلَك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « لقد شَهِدْتُه يومًا بسوقِ عُكَاظٍ على جملٍ أحمرَ يتكلَّمُ بكلامٍ مُعْجِبٍ مُونِقٍ ، لا أجدُنى أحفظُه » . فقام إليه أعرابىٌّ مِن أَقاصِى القوم ، فقال : أنا أَحْفظُه يا رسولَ اللَّهِ . قال : فَسُرَّ النَّبىُّ ﷺ بذلك . قال : فكان بسوقِ عُكاظٍ على جملٍ أَحْمرَ ، وهو يقولُ : يا معشرَ النَّاسِ ، اجْتَمِعُوا ، فكلُّ مَن فات فات ، وكلُّ شيءٍ آتٍ آتٍ ، ليلٌ داجٍ[2] ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، وبحرٌ عَجاجٌ ، نجومٌ تَزْهَرُ ، وجبالٌ مَرْسِيَّةٌ ، وأنهارٌ مَجْرِيَّةٌ ، إنّ فى السَّماءِ لَخبرًا ، وإنَّ فى الأَرضِ لَعِبَرًا ، ما لى أرى النَّاسَ يَذْهَبُون[3] فلا يَرْجِعون ، أَرَضُوا بالإِقامةِ فأَقامُوا ، أم تُرِكَوا فناموا ؟ أَقْسَم قُسٌّ باللَّهِ قَسَمًا لا ريبَ فيه ، إنَّ للَّهِ دِينًا هو أَرْضى مِن دينِكم هذا[4] ، ثُم أنْشَأَ يَقُولُ :

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١٠١/٢ من حديث أنس بن مالك بنحوه .

(٢) دجا الليل : عمت ظلمته وألبس كل شىء ، فهو داج . الوسيط (دج و) .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « ويموتون » .

(٤) بعده فى الأصل : « وإن كان فيه بعض الأسطال » . وفى ص : « وإن كان فيه بعض الاستطال » .

فـى الـذاهـبِـينَ الأوَّلـيـ ـنَ مِـن الـقـرونِ لـنـا بـصـائِـرْ
لَـمَّـا[1] رَأَيْـتُ مـوارِدًا لِـلـموتِ لـيس لـهـا مـصـادِرْ
ورأيـتُ قـومِـى نـحـوَهـا يَمْـضِـى الأصـاغِـرُ والأكـابِـرْ
لا مَـنْ مَـضَـى يَـأْتِـى إلـيـ ـكَ ولا مِـن الـبـاقِـين غـابِـرْ
أيْـقَـنْـتُ أنِّـى لا مـحـا لَـةَ حيثُ صار القَوْمُ صائِرْ

وهذا إسنادٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ، وقد رواه الطَّبَرانىُّ[2] من وجهٍ آخَرَ، فقال فى كِتابِه «المُعْجمِ الكَبِيرِ»: حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ السرىِّ بنِ مهرانَ بنِ النّاقدِ البَغْدادِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ حَسَّانَ السَّمْتِىُّ[3]، حدَّثنا محمدُ بنُ الحجَّاجِ، عن مُجالدٍ عن الشَّعْبِىِّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قَدِم وفدُ عبدِ القَيْسِ على النَّبىِّ ﷺ، فقال: «أيُّكم يَعْرِفُ القُسَّ بنَ ساعدةَ الإيادىَّ؟» قالوا: [4]كلُّنا يَعْرِفُه[4] يا رسولَ اللَّهِ. قال: «فما فَعَل؟» قالوا: هَلَك. قال: «فما أَنْساه بعُكاظٍ فى الشَّهْرِ الحرامِ، وهو على جملٍ أحمرَ، وهو يَخْطُبُ النَّاسَ، وهو يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ، اجْتَمِعوا واسْتَمِعوا وَعُوا، مَنْ عاش مات، ومَن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، إنّ فى السَّماءِ لخَبَرًا، وإنَّ فى الأرضِ لَعِبَرًا، مِهادٌ موضوعٌ، وسَقْفٌ مرفوعٌ، ونُجومٌ تَمُورُ، وبِحارٌ لا تَغورُ، أَقْسَم قُسٌّ قَسَمًا حقًّا لَئِن كان فى الأمرِ

---

(١) فى الأصل: «فما».

(٢) المعجم الكبير (١٢٥٦١). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٤١٩: فيه محمد بن الحجاج اللخمى وهو كذاب.

(٣) فى الأصل، م، ص: «السهمى»، وفى ا ٩: «التيمى». والمثبت من تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «كنا نعرفه».

رِضًى لَيَكُونَنَّ بعدَه سُخْطٌ ، إنَّ للَّهِ لَدِينًا هو أَحبُّ إليه مِن دِينِكم الذى أنتم عليه ، ما لى أرى النَّاسَ يَذْهَبُون ولا يَرْجِعُون ! أَرَضُوا بالمُقامِ فأقاموا ، أَمْ تُرِكُوا فَناموا ! » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفِيكم مَن يَرْوى شِعْرَه ؟ » فأَنْشَدَه بعضُهم :

فى الذَّاهبينَ الأوَّلينَ مِن القُرُونِ لنا بصائِرْ
لمَّا رأيتُ مَواردًا للموتِ ليس لها مصادِرْ
ورأيتُ قومى نحوَها يَسْعَى الأصاغِرُ والأَكابِرْ
لا يَرْجِعُ الماضى إلىَّ ولا مِن الباقِينَ غابِرْ
أَيْقَنْتُ أنِّى لا مَحَا لةَ حيثُ صار القومُ صائِرْ

[١/ ٢٣٨ظ] وهكذا أَوْرَدَه الحافظُ البَيْهقِىُّ فى كتابِه « دلائِلِ النُّبُوَّةِ »[(١)] مِن طريقِ محمدِ بنِ حسَّانَ السَّمْتِىِّ[(٢)] به . وهكذا رَوَيْناه فى الجزءِ الَّذى جَمَعَه الأُسْتاذُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرِ بنِ دَرَسْتَوَيْهِ فى أخبارِ قُسٍّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الكَريمِ بنُ الهَيْثَمِ الدَّيْرُعاقُولىُّ ، عن سعيدِ بنِ شَبِيبٍ ، عن محمدِ بنِ الحجَّاجِ ، [(٣)]وهو أبو[(٣)] إبراهيمَ الواسِطِىُّ نزيلُ بغدادَ ، ويُعْرَفُ بصاحبِ الهَريسةِ[(٤)] به[(٥)] ، وقد كَذَّبَه يَحْيَى بنُ مَعينٍ ، وأبو حاتمٍ الرَّازىُّ ، والدَّارَقُطْنِىُّ ، واتَّهَمَه غيرُ

---

(١) الدلائل ٢/ ١٠٤.
(٢) فى الأصل : « السنمى » ، وفى م : « السلمى » ، وفى ص : « السهمى » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « وهو » ، وفى م : « عن » . انظر ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٩.
(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الفريسة » .
(٥) سقط من : م .

واحدٍ ، منهم ابنُ عَدِيٍّ ، بوَضْعِ الحديثِ[1] ، وقد رواه البزَّارُ وأبو نعيمٍ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ الحجَّاجِ هذا ، ورَواه ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ ، وأبو نُعَيْمٍ[3] مِن طريقِ الكَلْبِيِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، وهذه الطَّريقُ أَمْثَلُ مِن التي قَبْلَها ، وفيه أنَّ أبا بكرٍ هو الذى أَوْرَدَ القِصَّةَ بكمالِها نَظْمَها ونَثْرَها بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورواه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ مِن حَديثِ أحمدَ بنِ موسى بنِ إسحاقَ الحطمىِّ ، حدَّثنا علىُّ بنُ الحسينِ بنِ محمدٍ المَخْزومِىُّ ، حدَّثنا أبو حاتمٍ السِّجِسْتَانىُّ ، حدَّثنا وَهْبُ بنُ جريرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : قَدِم وفدُ بكرِ بنِ وائلٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لهم : « ما فَعَل حليفٌ لكم يقالُ له : قُسُّ بنُ ساعدةَ الإِيادىُّ ؟ » . وذَكَر القِصَّةَ مُطَوَّلةً .

وأَخْبَرَنا الشيخُ المسنِدُ الرُّحْلَةُ أحمدُ بنُ أبى طالبٍ الحجَّارُ إجازَةً إنْ لم يَكُنْ سَمَاعًا ، قال : أجازَ لنا جعفرُ بنُ علىٍّ الهَمْدانِىُّ ، قال : أَخْبَرَنا الحافظُ أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ السِّلَفِىُّ سَمَاعًا ، وقَرَأْتُ على شيخِنا الحافظِ أبى عبدِ اللَّهِ الذَّهَبِىِّ ، أَخْبَرَنا أبو علىٍّ الحسنُ بنُ علىِّ بنِ أبى بكرٍ الخَلَّالِ سَمَاعًا ، قال : أنا جعفرُ بنُ علىٍّ سَماعًا ، قال : أنا السِّلفىُّ سَماعًا ، أنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الرَّازِىُّ ، أنا أبو الفضلِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ

---

(١) انظر الكامل فى الضعفاء لابن عدى ٦/٢١٥٥ ، ٢١٥٦ .

(٢) كشف الأستار (٢٧٥٩) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٤١٩: فيه محمد بن الحجاج اللخمى وهو كذاب . لم نجد هذا الطريق فى مختصر دلائل أبى نعيم الذى بين أيدينا . وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/١٠٤ ، من طريق محمد بن الحجاج به .

(٣) الدلائل لأبى نعيم (٥٥) .

عيسى السَّعْدىُّ ، أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ الـمُقْرِئُ ، حدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ دَرَسْتَوَيْهِ النَّحْوىُّ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ السَّعْدىُّ - قاضِى فارسَ - حدَّثنا أبو داودَ سليمانُ بنُ سيفِ[1] بنِ يحيى بنِ درهمٍ الطَّائىُّ ، مِن أهلِ حرَّانَ ، حدَّثنا أبو عمرٍو سعيدُ بنُ بَزِيعٍ[2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى بعضُ أصحابِنا مِن أهلِ العلمِ ، عن الحسنِ بنِ أبى الحسنِ البَصْرىِّ ، أنه قال : كان الجارودُ بنُ الـمُعَلَّى بنِ حَنَشِ بنِ مُعَلَّى العَبْدِىُّ نَصْرانيًّا حسنَ المعرفةِ بتفسيرِ الكُتُبِ وتأويلِها ، عالمًا بسِيَرِ الفرسِ وأقاويلِها ، بصيرًا بالفلسفةِ والطِّبِّ ، ظاهرَ الدَّهاءِ والأدبِ ، كاملَ الجمالِ ، ذا ثروةٍ ومالٍ ، وإنَّه قَدِم على النبىِّ ﷺ ، وافدًا فى رجالٍ من عبدِ القَيْسِ ، ذَوِى آراءٍ وأسنانٍ وفصاحةٍ وبيانٍ وحججٍ وبرهانٍ ، فلمَّا قَدِمَ على النبىِّ ﷺ ، وقَف بينَ يَدَيْه وأشار إليه وأنشأ يقولُ :

يا نبىَّ الهُدى أتتْك رجالٌ ... قطعتْ فدفدًا وآلًا فآلا
وطوتْ نحوَك الصَّحاصِحَ تهوى ... لا تَعُدُّ الكَلالَ فيك كلالا
كلُّ بهماءَ قصَّر الطرفُ عنها ... أَرْقَلَتْها قِلاصُنا إرقالا
وطوتْها العتاقُ تجْمَحُ فيها ... بكُماةٍ كأنجمٍ تَتَلالا
تبتغى دفْعَ بأسِ يومٍ عظيمٍ ... هائلٍ أوجَعَ القلوبَ وهالا
ومزادًا لمحشرِ الخلْقِ طُرًّا ... وفِراقًا لمن تمادَى ضَلالا

---

(١) فى ا ٩: « يوسف » .
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « يربع » .

نحوَ نورٍ مِن الإلهِ وبرها ... نٍ وَبِرٍّ ونِعمةٍ أن تنالا

خصَّكَ اللَّهُ يا بنَ آمنةَ الخَيْـ ... ـرِ بها إذ أتتْ سِجالا سِجالا

فاجعلِ الحظَّ منكَ يا حُجَّةَ اللَّـ ... ـهِ جزيلًا لا حظَّ خُلفٍ أحالا

قال : فأدناه النبيُّ ﷺ ، وقرَّب مجلسَه ، وقال له : « يا جارودُ ، لقد تأخَّر الموعودُ بك وبقَوْمِك » . فقال الجارودُ : فداك أبى وأمى ، [٢٣٩/١و] أمّا مَنْ تأخَّرَ عنك فقد فاته حظُّه ، وتلك أعظمُ حُوبةٍ ، وأغلظُ عقوبةٍ ، وما كنتُ فيمَن رآك أو سمِع بك فعداك واتَّبع سِواك ، وإنى الآن على دينٍ قد علمتَ به ، قد جئتُك وها أنا تاركُه لدينِك ، أفذلك مِما يُمحِّصُ الذنوب والمآثمَ والحُوب ؟ ويُرْضِى الربَّ عن المَرْبوب ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنا ضامنٌ لك ذلك ، وأَخْلِصِ الآن للَّهِ بالوَحْدانيةِ ، ودَعْ عنك دينَ النَّصْرانيَّةِ » . فقال الجارودُ : فداك أبى وأمى ، مُدَّ يَدَك فأنا أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّك محمدٌ عبدُه ورسولُه . قال : فأَسْلَمَ وأسلَمَ معه أُناسٌ من قومِهِ ، فَسُرَّ النبيُّ ﷺ بإسلامِهم ، وأَظْهَرَ من إكْرامِهم ما سُرُّوا به وابْتَهَجُوا به . ثُم أقْبَلَ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « أفيكُم مَنْ يَعْرِفُ قُسَّ بنَ ساعدةَ الإيادىَّ ؟ » فقال الجارودُ : فداك أبى وأمى ، كلُّنا نَعْرِفُه ، وإنِّى مِن بينِهم لَعالِمٌ بخبَرِه ، واقِفٌ على أَمْرِه ، كان قُسٌّ ، يا رسولَ اللَّهِ ، سِبْطًا من أَسباطِ العربِ ، عُمِّر سِتَّمائةِ سنةٍ تَقَفَّر منها خمسةَ أعمارٍ فى البَرارِىِّ والقِفارِ[1] ، يَضِجُّ بالتَّسبيحِ على مثالِ المسيحِ ، لا يُقِرُّه قرارٌ ، ولا تَكُنُّهُ دارٌ ، ولا يَسْتَمْتِعُ به جارٌ ، كان يلبَسُ الأمساحَ ، ويَفوقُ

---

(١) القفار : جمع قَفْر وهو الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ . الوسيط (ق ف ر) .

السَّيَّاحَ ، ولا يَفْتُرُ مِن رَهْبانيتِه ، يتحَسَّى فى سياحتِه بَيْضَ النّعامِ ، ويَأنَسُ بالهَوامِّ ، ويَسْتَمْتِعُ بالظَّلامِ ، يُبْصِرُ فيَعْتَبِرُ ، ويُفكِّرُ فيَزْدَجِرُ[1] ، فصار لذلك وَاحِدًا تُضرَبُ بحِكْمتِه الأمثالُ ، وتُكْشَفُ بِه الأَهْوالُ ، أدْرَك رَأْسَ الحواريِّينَ سمعانَ ، وهو أَوَّلُ رَجُلٍ تَألَّه مِن العَربِ ووحَّد ، وأقرَّ وتَعبَّد ، وأَيْقَن بالبعثِ والحسابِ ، وحَذِرَ سُوءَ[2] المآبِ ، وأمَر بالعَملِ قبلَ الفَوْتِ ، ووعَظ بالموتِ ، وسلَّم بالقَضا ، على السُّخْطِ والرِّضا ، وزار القبورَ ، وذَكَر النُّشورَ ، ونَدَب بالأشعارِ ، وفكَّر فى الأَقْدارِ ، وأَنْبأ عن السَّماءِ والنَّماء ، وذكَر النُّجومَ ، وكشَف الماء ، ووصَف البِحارَ ، وَعَرَف الآثارَ ، وخطَبَ راكبًا ، ووعَظ دائِبًا ، وحَذَّرَ مِن الكَرْبِ ، ومِن شِدَّةِ الغَضَبِ ، ورسَّل الرَّسائل ، وذكَر كلَّ هائل ، وأرغَم فى خُطَبِه ، وبيَّنَ فى كُتبِه ، وخوَّف الدَّهرَ ، وحذَّر الأَزْرَ[3] ، وعظَّم الأَمْرَ ، وجَنَّب الكفرَ ، وشوَّق إلى الحَنِيفيَّةِ ، ودعا إلى اللاهُوتيةِ ، وهو القائلُ فى يومِ عُكاظٍ : شرقٌ وغربٌ ، ويَتْمٌ[4] وحِزْبٌ[5] ، وسِلْمٌ وحَرْبٌ ، ويابسٌ ورَطْبٌ ، وأُجاجٌ وعَذْبٌ ، وشُمُوسٌ وأَقْمارٌ ، ورِياحٌ وأمطارٌ ، وليلٌ ونهارٌ ، وإناثٌ وذكورٌ ، وأبْرارٌ[6] وفُجورٌ[7] ، وحَبٌّ ونباتٌ ، وآباءٌ وأمهاتٌ ، وجمعٌ وأشتاتٌ ، وآياتٌ في إثرِها آياتٌ ، ونورٌ وظلامٌ ، ويُسْرٌ وإعدامٌ ، وربٌّ وأصنامٌ ، لقد ضلَّ الأنامُ ، نُشُوءُ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « فيختبر » .

(٢) بعده فى ا ٩ : « المنقلب » .

(٣) الأزر : القوة .

(٤) يُتم : انفراد .

(٥) حزب : أى تحزب بمعنى تجمع .

(٦) فى م : « برار » .

(٧) فى الأصل ، م : « بحور » .

مولودٍ ، ووَأْدُ مفقودٍ ، وتربيةُ محصودٍ ، وفقيرٌ وغنيٌّ ، ومحسِنٌ ومُسِيءٌ ، تَبًّا لأربابِ الغَفلةِ ، ليُصْلِحَنَّ العاملُ عملَه ، ولَيَفقِدَنَّ الآمِلُ أملَه ، كلَّا بل هو إلهٌ واحد ، ليس بمولودٍ ولا والد ، أعادَ وأَبْدَى ، وأمات وأحْيَا ، وخلَق الذَّكَرَ والأُنْثَى ، ربُّ الآخِرةِ والأُولَى ، أمَّا بعدُ ، فيا معشرَ إياد ، أين ثمودُ وعاد ؟ وأين الآباءُ والأجداد ؟ وأين العَلِيلُ والعُوَّاد ؟ كلٌّ له مَعاد ، يُقْسِمُ قُسٌّ بربِّ العباد ، وساطحِ المِهاد ، لتُحْشَرُنَّ على الانفراد ، فى يومِ التَّناد ،، إذا نُفِخَ فى الصُّورِ ، ونُقِرَ فى النّاقورِ ، وأشْرَقَتِ الأرضُ ، ووَعَظَ الواعظُ ، فانْتُبِذَ القانطُ ، وأبْصَرَ اللّاحظُ ، فويلٌ لِمَنْ صَدَف عن الحقِّ الأَشْهَرِ ، والنُّورِ الأَزْهَرِ ، والعَرْضِ الأَكْبَرِ ، فى يومِ الفَصْلِ ، وميزانِ العَدْلِ ، إذا حكَم القَدِيرُ ، وشَهِد النَّذِيرُ ، وبَعُد النَّصِيرُ ، وظَهَر التَّقْصيرُ ، ففريقٌ فى الجنَّةِ وفريقٌ فى السَّعيرِ . وهو القائلُ :

ذكَّر القلبَ مِن جَواه ادّكارُ ... وليالٍ خَلا لهنَّ[1] نهارُ
وسجالٌ هواطلٌ من غمامٍ ... ثُرْنَ ماءً وفى جَواهنَّ نارُ
ضوءُها يطْمِسُ العيونَ وأرعا ... دٌ شِدادٌ فى الخافقينِ تطارُ
وقصورٌ مَشِيدةٌ حوتِ الخَيْـ ... ـرَ وأخرى خلتْ بهنَّ قفارُ
وجبالٌ شوامخٌ راسياتٌ ... وبحارٌ مياهُهنَّ غزارُ
ونجومٌ تلوحُ فى ظُلَمِ اللّيـ ... ـلِ نَراها فى كلِّ يومٍ تُدارُ
ثُم شمسٌ يحُثُّها قمرُ اللّيـ ... ـلِ وكلٌّ مُتابعٌ مَوَّارُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « هن » .

وصغيرٌ وأشمَطٌ وكبيرٌ كلُّهم فى الصعيدِ يومًا مُزارُ

كثيرٌ[1] مما يُقَصِّرُ عنه حَدْسُه الخاطرُ الذى لا يحارُ

فالَّذى قد ذَكَرْتُ دَلَّ على اللَّـــــــــهِ نُفوسًا لها هُدًى واعتبارُ

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهمَا نَسيتُ فَلَسْتُ أنْسَاه بسوقِ عُكاظٍ ، واقفًا على جَمَلٍ أحْمرَ يَخْطُبُ النَّاسَ : اجْتَمِعوا فاسْمَعوا ، وإذا سَمِعْتُم فَعُوا ، وإذا وَعَيْتُم فانْتَفِعوا ، وَقولوا ، وإذا قُلْتُمْ فَاصْدُقوا ، مَن عاشَ مات ، ومَن ماتَ فات ، وكلُّ ما هُو آتٍ آت ، مَطرٌ ونَباتٌ ، وأحياءٌ وأمواتٌ ، ليلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، ونجومٌ تَزْهَرُ ، وبحارٌ تَزْخَرُ ، وضوءٌ وظلامٌ [٢٣٩/١ ظ] ، وليلٌ وأيَّامٌ ، وبرٌّ وآثامٌ ، إنَّ فى السَّماءِ خَبَرا ، وإنَّ فى الأَرضِ عِبرا ، يَحَارُ فيهنَّ البُصَرا ، مِهادٌ موضوعٌ ، وسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، ونجومٌ تغورُ[2] ، وبحارٌ لا تفورُ ، ومنايا دوان ، ودهرٌ خَوّان ، كحدِّ النِّسطاسِ ، ووزنِ القسْطاسِ ، أقْسَمَ قُسٌّ قَسَمًا ، لا كَاذِبًا فِيهِ ولا آثِمًا ، لَئِنْ كانَ فى هذا الأمْرِ رِضًى ، ليَكُونَنَّ سُخْطٌ . ثُم قال : أيُّها الناسُ ، إن للَّهِ دينًا هو أحبُّ إليه مِن دِينِكم هَذا الذى أنتم عليه ، وهذا زمانُه وأوانُه ، ثُم قال : ما لى أَرَى الناس يذْهَبونَ فلا يرجعونَ ، أَرَضُوا بالمُقَامِ فأقاموا ، أمْ تُرِكوا فنامُوا ! » . والتفتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى بعضِ أصحابِه ، فقال : « أيُّكم يَروِى شِعْرَه لنا ؟ » فقال أبو بكرٍ الصديقُ : فِداكَ أبى وأمِّى ، أنا شاهدٌ له فى ذلك اليومِ حيثُ يقولُ :

فـى الـذَّاهِـبِـينَ الأولـيـــ ـنَ مِن القرونِ لنا بصائرْ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « كبير » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، م : « تفور » .

لمّـــا رأيـــتُ مـــواردًا ... للموتِ ليس لها مصادرْ
ورأيـتُ قـومـى نـحْـوَهـا ... يمْضِـى الأصـاغِـرُ والأكـابـرْ
لا يـرجـعُ الماضـى إلـىَّ ... ولا مِـنَ الـبـاقـيـنَ غـابـرْ
أيْـقَـنْـتُ أنِّـى لا مـحـا ... لةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

قال : فَقامَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، شَيْخٌ مِنْ عبدِ القيسِ عظيمُ الهامَةِ، طويلُ القامَةِ، بعيدُ ما بينَ المَنْكِبَيْنَ، فقال : فداكَ أبى وأمى، وأنا رأيتُ مِن قُسٍّ عَجَبًا. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما الذى رأيتَ يا أخا بنى عَبْدِ القيْسِ؟» فقال : خرجتُ فى شَبِيبَتِى أرْبَعُ بَعِيرًا[1] لى، ففرَّ مِنى فذَهبْتُ أقْفُو أثرَه فى تَنائِفَ[2] قفافٍ[3] ذاتِ ضَغابيسَ، وعَرَصاتِ جَثْجاثٍ[4]، بينَ صُدورِ جُذْعان[5]، وغَمِيرِ[6] حَوْذانٍ[7]، ومَهْمَهِ[8] ظَلْمان، ورَصِيعِ أَيْهُقان[9]، فبَيْنا أنا فى تلك الفَلَوَاتِ أجولُ بسَبْسَبِها[10]

---

(١) أربع بعيرا : أتركه يرد الماء. الوسيط (ر ب ع).
(٢) فى الأصل، ص: «منايف». وتنائف : جمع تنوفة، وهى الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. الوسيط (ت ن ف).
(٣) فى الأصل : «قفان». ويقال : قفت الأرض. يبس بقلها.
(٤) فى الأصل : «جثجات». وضغابيس : جمع ضغبوس، وهو أغصان عشب الثمام والشوك، التى تؤكل، أو نبت. وجثجاث : نبات له زهرة صفراء طيبة الريح. الوسيط (جثجث).
(٥) جذعان الجبال : صغارها.
(٦) فى الأصل، ا ٩، ص: «عمرة»، والغمير : النبت ينبت فى أصل النبت. الوسيط (غ م ر).
(٧) فى الأصل، ا ٩: «حوذات». وحوذان : نبت. القاموس المحيط (ح و ذ).
(٨) المهمه : المفازة البعيدة. الوسيط (مهمه).
(٩) فى ا ٩: «أيهفان»، وفى م: «ليهقان». والأيهقان : عشب يطول وله وردة حمراء، وورقه عريض ويؤكل، أو الجرجير البرى.
(١٠) السبسب : المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

وأَرْنُقُ[1] فَدْفَدَهَا[2] ، إذا أنا بهضبةٍ فى نَشَزاتِها[3] أرَاكٌ كَباثٌ مُخْضَوْضِلَةٌ[4] وأغصانُها مُتَهَدِّلَةٌ ، كأنَّ بَرِيرَها[5] حَبُّ الفُلْفُلِ وبواسقُ أُقْحُوانٍ[6] ، وإذا بعينِ خَرّارةٍ وروضةٍ مُدْهامّةٍ[7] ، وشجرةٍ عارمةٍ[8] ، وإذا أنا بقُسِّ بنِ ساعدةَ فى أصلِ تلك الشجرةِ وبيدِهِ قضيبٌ ، فدنَوْتُ منه وقلتُ له : أنْعِم صباحًا . فقال : وأنت فنعم صباحُك . وقد وردَتِ العينَ سِبَاعٌ كثيرةٌ فكان كلَّما ذهبَ سبُعٌ منها يشربُ مِن العينِ قبلَ صاحبِهِ ضرَبهُ قُسٌّ بالقضيبِ الذى بيدِه ، وقال : اصْبِرْ حتى يشْرَبَ الذى قبلَكَ . فذُعِرْتُ مِن ذلك ذُعْرًا شديدًا ، ونظرَ إلىَّ فقال : لا تخفْ . وإذا بقَبرَين بينَهما مسجدٌ فقلتُ : ما هذانِ القبرانِ ؟ قال : قبرا أخَوَيْنِ كانا يعبدان اللَّهَ ، عزَّ وجلّ ، بهذا الموضعِ ، فأنا مقيمٌ بينَ قبرَيْهما أعبدُ اللَّهَ حتى ألحقَ بهما . فقلتُ له : أفلا تلحقُ بقومِكَ فتكونَ معهم فى خيرِهم وتُباينَهم على شرِّهم ؟ فقال لى : ثَكِلَتْكَ أمُّكَ أوَ مَا عَلِمْتَ أنّ وَلَدَ إسْماعِيلَ تركوا دينَ أبيهم واتَّبعوا الأَضْدَادَ وعَظَّموا الأنْدَادَ . ثُم أقبل على القبرَيْنِ وأنشأ يقولُ :

خليلَىَّ هُبَّا طالما قد رقَدتُما ... أجدَّ كُما لا تَقضيانِ كَراكُما[9]

---

(١) أرنق : أديم النظر . القاموس المحيط (ر ن ق) .

(٢) الفدفد : الفلاة ، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع .

(٣) النشز : المكان المرتفع .

(٤) الكَباث : النضيج من ثمر الأراك . والمخضوضلة : اخضوضل : ندى وابتلّ ، أو نَعُم . الوسيط (خ ض ل) .

(٥) البرير : الأول من ثمر الأراك . القاموس المحيط (ب ر ر) .

(٦) الأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض .

(٧) مدهامة : خضراء تضرب إلى السواد نعمة وريا . القاموس المحيط (د هـ م) .

(٨) فى الأصل ، ص : « عادمة » ، وفى ا ٩ : « عادته عالية » .

(٩) الجد : ضد الهزل . والكرى : النوم .

أرى النومَ بينَ الجِلدِ والعَظْمِ منكما كأنَّ الذى يَسْقِى العقارَ سقاكما

أمِن طولِ نومٍ لا تُجيبانِ داعيًا كأنّ الذى يسقى العُقارَ[1] سقاكما

ألم تعلما أنِّى بنَجْرانَ مُفْرَدًا وما لىَ فيه مِن حبيبٍ سواكما

مقيمٌ على قَبْرَيكما لَسْتُ بارحًا إيابَ الليالى أو يُجيبَ صَداكما

أأبْكيكُما طولَ الحياةِ وما الذى يرُدُّ على ذى لوعةٍ أن بكاكما

فلو جُعِلتْ نفسٌ لنفسٍ امرئٍ فدًى لَجُدْتُ بنفسى أن تكونَ فِداكما

كأنّكما والموتُ أقربُ غايةٍ بروحىَ فى قَبريْكما قدْ أتاكما

و[١/٢٤٠و] قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رَحِم اللَّهُ قُسًّا ، أَمَا إنَّه سيُبعثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً واحدةً[2] » . وهذا الحديثُ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ وهو مرسلٌ ، إلَّا أنْ يكونَ الحسنُ سَمِعَهُ مِن الجارُودِ . و اللَّهُ أعلمُ .

وقد رواه البَيْهَقىُّ ، والحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عَساكِرَ[3] من وجهٍ آخَرَ من حديثِ محمدِ بنِ عِيْسى بنِ محمدِ بنِ سعيدٍ القُرَشِىِّ الأَخبارىِّ ، ثنا أبى ، ثنا علىُّ بنُ سُلَيمانَ عَن[4] (٥ سُليْمانَ بنِ٥) علىٍّ ، عن علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، قال : قَدِمَ الجَارُودُ بنُ عبدِ اللَّهِ[6] . فذكرَ مثلَه

---

(١) العقار : الخمر .

(٢) كذا فى النسخ . ولعلها « وحده » . كما فى الدلائل ٢/ ١١٣.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٠٥، تاريخ دمشق ٣/ ٤٢٨.

(٤) فى النسخ : « بن » ، وهو خطأ . والمثبت من الدلائل والتاريخ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ وأثبتت من الدلائل والتاريخ . وانظر ترجمة سليمان بن على فى تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤، وترجمة على بن عبد اللَّه فى تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥.

(٦) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل وتاريخ دمشق ، ولكن لم يرد أن فى آبائه عبد اللَّه . انظر أسد الغابة ١/ ٣١١. وتقدم أنه الجارود بن المعلى .

أو نحْوَه مطوَّلًا بزياداتٍ كثيرةٍ فى نَظْمِه ونَثْرِه، وفيه ما ذكره عن الذى ضَلَّ بعيرُه فذهَب فى طلبِهِ، قال: فبِتُّ فى وادٍ لا آمَنُ فيه حَتْفى، ولا أَرْكَنُ إلى غيرِ سيفى، فبِتُّ[1] أرْقُبُ الكوكبَ، وأَرْمُقُ الغَيْهَبَ[2]، حتى إذا الليلُ عَسْعَسَ[3]، وكاد الصبحُ أن يَتَنَفَّسَ، هَتَفَ بى هاتفٌ يقولُ:

يا أيُّها الراقدُ فى الليل الأجَمّ[4] قد بعثَ اللَّهُ نبيًّا فى الحَرَمْ

مِن هاشمٍ أهلِ الوفاءِ والكرمْ يجلو دُجُنّاتِ[5] الدَّياجى والبُهَمْ[6]

قال: فأدرتُ طَرْفى، فما رأيتُ له شخصًا ولا سمِعتُ له فَحْصًا، قال: فأنشأتُ أقولُ:

يا أيُّها الهاتفُ فى داجِى[7] الظُّلَمْ أهلًا وسهلًا بك من طيْفٍ ألَمّ

بيِّنْ هَداكَ اللَّهُ فى لَحْنِ الكَلِمْ ماذا[8] الذى تدعو إليهِ يُغْتَنَمْ

قال: فإذا أنا بنَحْنَحَةٍ، وقائلٍ يقولُ: ظهرَ النُّورُ، وبطَل الزُّورُ، وبَعَثَ اللَّهُ محمدًا بالحُبُورِ، صاحبَ النَّجيبِ الأَحْمَرِ، والتاجِ والمِغْفَرِ، والوجهِ الأزهرِ، والحاجبِ الأَقْمَرِ، والطَّرْفِ الأحْورِ، صاحبَ قولِ شهادةِ أن لا إله إلا اللَّهُ،

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) الغيهب: الظلمة.

(٣) عسعس الليل: أدبر ظلامه. القاموس المحيط (ع س س).

(٤) فى الدلائل وتاريخ دمشق: «الأحم». والأحم بالحاء: الأسود.

(٥) دجنات: جمع دجنة وهى الظلمة. القاموس المحيط (د ج ن).

(٦) الدياجى: الظلمات. وكذا البهم.

(٧) فى ص: «دياجى».

(٨) فى الأصل، ص: «ما».

فذلك محمدٌ المبعوثُ إلى الأسودِ والأبيضِ أهلِ المَدَرِ والوَبَرِ، ثُم أنشأ يَقُولُ:

الحمـــدُ لـلَّـــهِ الَّـــذى لَم يَـخـلُـقِ الخَلْـقَ عَـبَـثْ
لم يُـخْـلِـنـا يـومًـا[1] سُـدًى مـن بـعـدِ عـيـسـى واكـتـرثْ
أَرسَـــلَ فينـــا أحـمـــدًا خـيـرَ نـبـيٍّ قـد بُـعِـثْ
صَـلَّـى عـلـيـه الـلَّـهُ مـا حـجَّ لـه رَكْـبٌ وحَـثّ

وفيه مِن إنشادِ قُسِّ بنِ سَاعِدةَ:

يا ناعِيَ المَوتِ والملحودُ[2] فى جَدَثٍ عليهمُ مِن بقايا بَزِّهم[3] خِرَقُ
دَعْهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهم فهم إذا انْتَبَهوا مِن نَومِهم أَرِقوا
حتى يعُودوا بحالٍ غيرِ حالِهمُ خَلْقًا جَدِيدًا كما مِن قبلِه خُلِقوا
منهم عُراةٌ ومنهم فى ثيابِهمُ منها الجَديدُ ومنها المُنْهَجُ[4] الخَلَقُ

ثُم رواه البيهقىُّ[5] عن أبى[6] مُحمدٍ[7] عبدِ اللَّهِ بنِ يُوسُفَ بنِ أحمدَ الأَصْبَهانىِّ، حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ فَرْضَخٍ الإِخْمِيمىُّ بمكَّةَ، ثنا القاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مهدىٍّ، ثنا أبو عُبيدِ اللَّهِ سعيدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.
(٢) فى الأصل: «المنعوت».
(٣) البز: نوع من الثياب. فى الأصل، ا ٩، م: «قولهم»، وفى ص: «نومهم».
(٤) أنهج الثوب: أخلقه.
(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٠٢.
(٦) سقط من: الأصل، ا ٩، م.
(٧) بعده فى م: «بن».

المَخْزُومىُّ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن أبى حَمزةَ الثُّمالىِّ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ . فذكَر القصّةَ ، وذكَر الإنشادَ ، قال : فوجَدوا عندَ رأسِه صحيفةً فيها :

يا ناعِىَ المَوتِ والأمواتُ فى جَدَثٍ ... عليهمُ مِن بقايا ثَوْبِهِم[1] خِرَقُ

دَعْهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهمْ ... كما ينبَّهُ من نَوْماتِه الصَّعِقُ

منهم عُراةٌ ومَوْتَى فى ثيابِهِمُ ... منها الجَديدُ ومنها الأزرَقُ الخَلَقُ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « والذى بَعَثَنى بالحقِّ ، لقد آمَنَ قُسٌّ بالبَعْثِ » . وأَصْلُه مشهورٌ ، وهذه الطُّرقُ على ضَعْفِها ، كالمُتَعاضِدَةِ على إثباتِ أصْلِ القِصَّةِ ، وقد تكلَّم أبو محمدٍ ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ على غريبِ ما وقَع فى [2]هذه الأحاديث[2] [3] .

وقال البَيْهَقىُّ[4] : أنا أبو سَعْدٍ[5] بنُ محمدِ بنِ أحمدَ الشُّعَيْثىُّ ، ثنا أبو عمرٍو ابنُ أبى طاهرٍ المُحَمَّدُأباذِى ، لفظًا ، ثنا أبو لُبابَةَ محمدُ بنُ المهدىِّ الأبِيوَرْدِىُّ[6] ، ثنا أبى ، ثنا سعيدُ بنُ هُبَيْرَةَ ، ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ ، عن أبيه ، [١/ ٢٤٠ ظ] عن

---

(١) فى النسخ : « نومهم » . والمثبت من الدلائل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « هذا الحديث » .

(٣) بعده فى الأصل ، م ، ص : « وأكثره ظاهر إن شاء اللَّه تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه فى الحواشى » . ولعل هذا مدرج من كلام بعض النساخ ، ومن طريقة المصنف - رحمه اللَّه - تبيين ما فيه غرابة ونحوه فى أصل الكتاب . كما مر .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٠١ .

(٥) فى النسخ : « سعيد » وهو خطأ ، والمثبت من الدلائل .

(٦) فى النسخ : « الأموردى » ، والمثبت من الدلائل .

أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قَدِمَ وَفْدُ إيادٍ على النبيِّ ﷺ ، فقال : « ما فعل قُسُّ بنُ ساعدةَ ؟ » قالوا : هَلَك . قال : « أما إنِّى سَمِعتُ منه كلامًا أُرى أنِّى أحفظُه » . فقال بعضُ القومِ : نحن نَحْفَظُه يا رسولَ اللَّهِ . قال : « هاتوا » . فقال قائلُهم : إنى واقِفٌ بسُوقِ عُكاظٍ ، فقال : يا أيُّها النَّاسُ اسْتَمِعُوا واسْمَعوا وعُوا ، كُلُّ مَنْ عاش مات ، وكلُّ مَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ ، لَيلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذَاتُ أبراجٍ ، ونجومٌ تَزْهَرُ ، وبحارٌ تَزْخَرُ ، وجِبالٌ مَرسِيَّةٌ ، وأنهارٌ مَجْرِيَّةٌ ، إنَّ فى السماءِ لَخَبَرًا ، وإنَّ فى الأرضِ لعبرًا ، أرى الناسَ يَمُوتونَ[1] ولا يَرْجِعون ، أَرَضُوا بالإقامةِ فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا ؟! أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمًا باللَّهِ لا إِثْمَ فيه ، إنَّ للَّهِ دينًا هو أرضَى مما أنتم عليه . ثم أنشأ يقولُ :

فى الذاهبين الأَوَّلينَ مِن القرونِ لنا بصائرْ
لَمَّا رأيتُ [2]مَوارِدًا للموتِ[2] ليس لها مصادِرْ
ورأيتُ قومى نحوَها يَمضِى الأكابرُ والأصاغرْ
أَيْقَنْتُ أنِّى لا مَحا لَةَ حيثُ صار القومُ صائرْ

ثُم ساقَه البَيْهقِىُّ من طُرُقٍ أُخَرَ ، قد نبَّهْنَا عليها فيما تقدَّم ، ثُم قال[3] بعدَ ذلك كلِّه : وقد رُوِى هذا الحديثُ عن الكَلْبىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ بزيادةٍ ونُقصانٍ . ورُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ عن الحسنِ البَصْرىِّ مُنقطِعًا ، ورُوى مختصرًا مِن حديثِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، وأبى هريرةَ . قلتُ : وعُبادةَ بنِ

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل : « يمرون » .
(٢ - ٢) فى النسخ : « مصارعا للقوم » ، والمثبت من الدلائل .
(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١١٣.

الصامتِ - كما تقدم - وعبدِ اللَّهِ بنِ مَسعودٍ ، كما رواه أبو نُعَيمٍ فى كتابِ « الدَّلائلِ » ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ الوَاسِطىِّ ، عن أبى الوليدِ طريفِ ابنِ عبيدِ اللَّهِ ، مَوْلَى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، بالمَوْصِلِ ، عن يَحْيى بنِ عبدِ الحَميدِ الحِمَّانىِّ ، عن أبى مُعاويةَ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أبى الضُّحَى ، عَن مَسْرُوقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، فذكره . ورَوَى أبو نُعَيمٍ أيضًا حَدِيثَ عُبادةَ المتقدِّمَ وسَعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ . ثُم قال البَيْهَقىُّ[1] : وإذا رُوِىَ الحدِيثُ من أَوْجُهٍ أُخَرَ ، وإنْ كان بَعضُها ضَعيفًا ، دَلَّ على أنَّ للحديثِ أصلًا . و اللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المصدر السابق .

زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ،

رَضِىَ اللَّهُ عنه

هُو زَيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ رياحِ[1] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُرْطِ[2] ابنِ رَزاحِ بنِ عدىِّ بنِ كَعبِ بنِ لُؤَىٍّ القُرَشىُّ العَدَوِىُّ، وكان الخَطَّابُ - والدُ عُمرَ بنِ الخطَّابِ - عَمَّه وأخاه لأُمِّه؛ وذلكَ لأنَّ عَمرَو بنَ نُفَيلٍ، كان قد خَلَفَ على امرأةِ أبيه[3] بعدَ أبيه، وكان لها من نُفَيْلٍ أَخُوه الخطَّابُ. قاله الزُّبيرُ ابنُ بَكَّارٍ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ[4]. وكان زَيدُ بنُ عَمْرٍو، قد تَرَكَ عِبادةَ الأَوثانِ وفارَقَ دِينَهم، وكان لا يَأْكُلُ إلَّا ما ذُبِحَ على اسمِ اللَّهِ وحدَه، قال يونسُ بنُ بُكَيرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ قالتْ: لقد رَأَيْتُ زَيدَ بنَ عَمرِو بنِ نُفيلٍ مُسنِدًا ظَهْرَه إلى الكَعبةِ، يُقولُ: يا معشرَ قُريشٍ! والَّذى نَفْسُ زَيْدٍ بيدِه، ما أَصْبَح أحدٌ منكم على دِينِ إبراهيمَ غيرى. ثُم يَقُولُ: اللَّهُمَّ! إنِّى لَو أَعْلَمُ أَحَبَّ الوُجُوهِ إليكَ عَبَدْتُكَ به، ولكنى لا أَعْلمُ. ثُم يَسْجُدُ على راحلتِه، وكذا رَواه أبو أُسامةَ عن هِشامٍ به[5]، وزاد: وكان يُصَلِّى إلى الكَعْبَةِ، وَيقولُ: إلهى إلهُ إبراهيمَ، ودِينى دِينُ إبراهيمَ.

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «رباح». وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ١٥٠.

(٢) فى الأصل، م، ص: «قرظ». وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ١٥٠.

(٣) فى ص: «ابنه».

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٩/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٠٥، من طريق هشام به.

وكان يُحْيِي المَوْءُودَةَ ، ويَقولُ للرَّجُلِ إذا أراد أن يَقْتُلَ ابنتَه : لا تَقْتُلْها ، ادْفَعْها إلَيَّ أكْفُلْها . فإذا تَرَعْرَعَتْ قال[1] : إنْ شِئْتَ فخُذْها ، وإنْ شِئْتَ فادْفَعْها . أخْرَجه النَّسائيُّ[2] مِن طَريقِ أبى أُسامةَ ، وعَلَّقَه البُخارِيُّ[3] ، فقال : وقال اللَّيْثُ : كَتَب إلَيَّ هِشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه به .

وقال يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ[4] : وقد كان نَفَرٌ مِن قُريشٍ ؛ زَيْدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، ووَرَقَةُ بنُ نَوْفَلِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى ، وعُثْمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، وعُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرةَ بنِ مُرَّةَ[6] بنِ كبيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ[7] أسدِ بنِ خُزَيْمةَ ، وأُمُّه أميمةُ بنتُ [١/ ٢٤١و] عبدِ المطلبِ ، وأخْتُه زينبُ بنتُ جحشٍ - الَّتِى تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بَعْدَ مَوْلَاه زَيْدِ بنِ حارِثَةَ ، كَمَا سَيَأْتِى بَيَانُه - حَضَرُوا قُرَيْشًا عِنْدَ وَثَنٍ لهم كَانُوا يَذْبَحُونَ عِنْدَه لعِيدٍ مِن أَعْيَادِهِم ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا ، خَلَا بَعْضُ أُولَئِكَ النَّفَرِ إلَى بَعْضٍ ، وقَالُوا : تَصَادَقُوا وَلْيَكْتُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ . فَقَالَ قَائِلُهُمْ : تَعْلَمُنَّ ، وَاللَّهِ مَا قَوْمُكُم عَلَى شَىءٍ ، لَقَدْ أخطئوا دِينَ إبْرَاهِيمَ وَخَالَفُوه ، مَا وَثَنٌ يُعْبَدُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ؟! فَابْتَغُوا لأَنْفُسِكُم . فخَرَجُوا يَطْلُبُونَ ويَسيرُونَ فى الأَرْضِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهلَ كِتَابٍ مِن اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَالمِلَلِ كُلِّها

---

(١) بعده فى البخارى : « لأبيها » .

(٢) النسائى فى الكبرى (٨١٨٧) .

(٣) البخارى : (٣٨٢٨) .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٩٥، ٩٦.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « عبد » .

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « برة » . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٣.

(٧) بعده فى الأصل ، م ، ص : « أسعد بن » . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٣.

يَسْأَلونهم[1] الحَنيفيَّةَ دِينَ إبْرَاهيمَ ، فَأَمَّا وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ فَتَنَصَّرَ وَاسْتَحْكَمَ فِى النَّصْرَانِيةِ واتَّبَعَ[2] الكُتُبَ مِنْ أَهْلِهَا ، حَتَّى عَلِمَ عِلْمًا كَثِيرًا مِن أَهْلِ الكِتابِ ، ولم يَكُنْ فِيهِم أَعْدَلُ أَمرًا وَأَعْدَلُ شَأْنًا[3] مِن زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ ، اعْتَزَل الأَوْثانَ ، وفارَقَ الأَدْيانَ مِن اليَهُودِ والنَّصارَى وَالمِلَلِ كُلِّها إِلَّا دِينَ الحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ؛ يُوَحِّدُ اللَّهَ وَيَخْلَعُ مَن دُونَه ، وَلَا يَأْكُلُ ذَبَائِحَ قَوْمِه ، باداهم[4] بالفِرَاقِ لِمَا هُمْ فِيهِ . قَالَ[5] : وَكَانَ الخَطَّابُ قد آذاهُ أَذًى كثيرًا ، حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ إِلَى أَعْلَى مَكَّةَ ، وَوَكَلَ بِهِ الخَطَّابُ شَبَابًا مِنْ قُرَيْشٍ وَسُفَهَاءَ مِنْ سُفَهائِهم ، فَقَالَ : لَا تَتْرُكُوه يَدْخُلُ مَكَّةَ[6] ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُها إِلَّا سِرًّا مِنهم ، فَإِذَا عَلِمُوا بِهِ أَخْرَجُوه وَآذَوْه ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُفْسِدَ عليهم دِينَهم ، أو يُتَابِعَه أَحَدٌ على[7] مَا هو عليه . وَقَالَ مُوسَى بنُ عُقْبَةَ : سَمِعْتُ مَن أَرْضَى يُحَدِّثُ عن زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ ، كَانَ يَعيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبائِحهَم ، ويَقُولُ : الشَّاةُ خَلَقَها اللَّهُ ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِن السَّمَاءِ مَاءً ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ ، لِمَ تَذْبَحُونَها عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ ؟ إِنْكَارًا لذلك وَإِعْظَامًا له . وَقَالَ يُونُسُ ، عن ابنِ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ قَدْ عَزَمَ عَلَى الخُرُوجِ مِن مَكَّةَ ، يَضْرِبُ فِى الأَرْضِ يَطلُبُ الحَنِيفيَّةَ دينَ إِبْرَاهِيمَ ، وَكانَت امْرَأَتُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ الحَضْرَمِيِّ كُلَّمَا أَبْصَرَتْه قَد نَهَضَ لِلْخُرُوجِ وَأَرادَه ، آذَنَتِ الخَطَّابَ بنَ نُفَيْلٍ ، فَخَرجَ زَيْدٌ إِلَى الشَّامِ ؛ يَلْتَمِسُ

---

(١) زيادة من : ا ٩.

(٢) فى م ، ص : « ابتغى » .

(٣) فى الأصل ، م : « ثباتا » .

(٤) فى م : « فأذاهم » .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٩٧.

(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٧) فى م : « إلى » .

وَيطْلُبُ فِى أَهْلِ الكِتَابِ الأَوَّلِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ، وَيَسْأَلُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَزَلْ فى ذلك ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، حتى أَتَى المَوْصِلَ وَالجَزِيرَةَ كُلَّها ، ثُم أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى الشَّامَ ، فَجَالَ فِيهَا حَتَّى أَتَى رَاهِبًا بِبِيعَةٍ مِن أَرْضِ البَلْقَاءِ ، كَانَ يَنْتَهِى إِلَيْهِ عِلْمُ النَّصْرَانِيَّةِ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، فَسَأَلَه عَن الحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْراهِيمَ ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُ عن دِينٍ ما أَنْتَ بِواجِدٍ مَن يَحْمِلُك عليه اليَوْمَ ، لقد دَرَسَ مَن عَلِمَه وذَهَبَ مَن كَانَ يَعْرِفُه ، وَلَكِنَّه قَدْ أَظَلَّك[1] خُرُوجُ نَبِىٍّ ، وهَذَا زَمَانُه . وقد كَانَ شَامَ[2] اليَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرانِيَّةَ ، فلم يَرْضَ شَيْئًا مِنها ؛ فخَرَجَ سَرِيعًا حِينَ قَالَ لَه الرَّاهِبُ مَا قَالَ ، يُرِيدُ مَكَّةَ ، حَتَّى إِذا كانَ بِأَرْضِ لَخْمٍ عَدَوْا عَلَيْه فَقَتَلُوه ، فَقَالَ وَرَقَةُ يَرْثِيه :

رشدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابنَ عَمْرٍو وَإِنَّما ... تَجَنَّبتَ تَنُّورًا مِنَ النَّارِ حَاميا
بدَيْنِكَ ربًّا ليسَ ربٌّ كمِثْلِه ... وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِى كَمَا هِيا
وَقَدْ تُدْرِكُ الإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّه ... وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ سِتِّينَ وَادِيا

وَقالَ مُحمَّدُ بنُ عُثْمانَ بنِ أَبى شَيْبَةَ : حَدَّثَنا أَحْمَدُ بنُ طَارِقٍ الوَابِشِىُّ ، ثَنَا عَمْرُو بنُ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ ابنِ عُمَرَ ، عَنْ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ ، أَنَّه كَانَ يَتَأَلَّهُ فِى الجَاهِلِيَّةِ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَجُلًا مِن اليَهُودِ ، فَقَالَ لَهُ : أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِى معك فى دِينِك . فَقَالَ له اليَهُودِىُّ : لَا أُدْخِلُكَ فِى دِينِي حتى تَبُوءَ بِنَصِيبِك مِن غَضَبِ اللَّهِ . فَقَالَ : مِن غَضَبِ اللَّهِ أَفِرُّ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَه : أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِى مَعك فِى دِينِك . فَقَالَ : لَسْتُ أُدْخِلُك

---

(١) فى م : « أظل » .
(٢) شامه : نظر ما عنده .

فى دِينِى حَتَّى تَبُوءَ بِنَصِيبِكَ مِنَ الضَّلالَةِ . فَقَالَ : مِن الضَّلَالَةِ أَفِرُّ . قَالَ لَه النَّصْرَانِىُّ : فَإِنِّى أَدُلُّك على دِينٍ إن اتَّبَعْتَه اهْتَدَيْتَ . قَالَ : أىُّ دِينٍ ؟ قَالَ : دِينُ إبْرَاهِيمَ . قَالَ : فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أُشْهِدُكَ أَنِّى عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ، عليه أَحْيا ، وعليه أَمُوتُ . [٢٤١/١ ظ] قَالَ : فَذُكِرَ شَأْنُه للنَّبىِّ ﷺ ، فَقَالَ : « هُو أُمَّةٌ وَحْدَه يَوْمَ القِيَامَةِ »[(١)] .

وقَد رَوَى موسى بنُ عُقْبَةَ ، عَن سَالِمٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، نَحْوَ هَذَا[(٢)] . وقالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ[(٣)] : حَدَّثَنا عَلِىُّ بنُ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَيْفٍ[(٤)] القُرَشِىُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ[(٥)] بنِ مُجالِدٍ[(٥)] عَنْ مُجالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِىِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ ابنِ الخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ : شَامَمْت اليَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ فَكَرِهْتُهما ، فَكُنْتُ بِالشَّامِ ومَا وَالَاه ، حَتَّى أَتَيْتُ رَاهِبًا فى صَوْمَعةٍ[(٦)] فَوَقَفْتُ عليه[(٦)] ، فَذَكَرتُ له اغْتِرَابى عن قَوْمِى وكَرَاهتِى عِبادَةَ الأَوْثَانِ واليَهُودِيَّةَ والنَّصْرَانيَّةَ ، فَقَال لى[(٧)] : أَرَاكَ تُرِيدُ دِينَ إبراهِيمَ يا أَخَا أَهْلِ مَكَّةَ ، إِنَّكَ لَتَطْلُبُ دِينًا مَا يُوجَدُ اليَوْمَ[(٨)] أَحَدٌ يَدِينُ[(٨)] بِهِ ، وهو دِينُ أَبِيكَ إبراهِيمَ كانَ حَنِيفًا ، لَمْ يَكُنْ يَهُوديًّا ولا نَصْرَانيًّا ، كَانَ يُصَلِّى ويَسْجُدُ إِلى هذا البَيْتِ الَّذِى ببِلَادِك ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٤٩٨، من طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبة به .

(٢) ذكره البخارى فى صحيحه معلقا بصيغة الجزم (٣٨٢٧) . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ١٤٤: والخبر موصول بالإسناد المذكور إليه . أى الذى قبله فى الصحيح .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٤٩٨، من طريق محمد بن سعد به .

(٤) فى التاريخ : « أبى سيف » .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٩، م .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى الأصل ، م : « له » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ص ، وتاريخ دمشق .

فالْحَقْ بِبَلَدِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ قَوْمِك فى بَلَدِكَ مَن يَأْتِى بِدينِ إبراهِيمَ الحَنِيفِيَّةِ ، وهو أَكْرَمُ الخَلْقِ على اللَّهِ .

وَقَالَ يُونُسُ ، عَنْ ابنِ إِسْحَاقَ[1] : حَدَّثَنِى بَعْضُ آلِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ : إنَّ زَيْدًا كَان إِذَا دَخَلَ الكَعبةَ ، قالَ : لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعَبُّدًا وَرِقًّا ، عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ قَائِمٌ إِذْ قال[2] :

أَنْفِى لَكَ اللَّهُمَّ[3] عَانٍ رَاغِمُ مَهْمَا تُجَشِّمْنى فإِنِّى جَاشِمُ

البِرَّ أَبْغِي لا الخال[4] ، لَيْسَ مُهَجِّرٌ[5] كَمَنْ قَال .

وَقَالَ أَبُو دَاودَ الطَّيَالِسىُّ[6] : حَدَّثَنا المَسْعُودِىُّ ، عن نُفَيْلِ بنِ هِشَامِ[7] بنِ سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِىِّ ، عن أَبِيه ، عن جَدِّه ، أَنَّ زَيْدَ بنَ عَمْرٍو وورَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ خَرَجَا يَلْتَمسَان الدِّينَ حَتَّى انْتهَيا إِلى راهِبٍ بالمَوْصِلِ ، فقالَ لِزَيدِ بنِ عَمْرٍو : مِنْ أَينَ أَقْبَلْتَ يا صاحِبَ البَعِيرِ ؟ فقالَ : مِن بَنِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ . فقالَ : وما تَلْتَمِسُ ؟ قال : أَلْتَمِسُ الدِّينَ . قَالَ : ارْجعْ ، فإِنَّه يُوشِكُ أَن يَظْهَرَ فِى أَرضِك . قَالَ : فَأَمَّا وَرَقَةُ فتَنَصَّرَ ، وأَمَّا أَنَا فَعَزَمْتُ على النَّصرانِيَّةِ فلم يُوافِقْنِى . فرَجَعَ وهو يَقُولُ :

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٩٦. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٠.

(٢) بعده فى النسخ : « إلهى » .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت مقتبس من الأثر الذى بعده . وهو لازم لوزن البيت .

(٤) الخال : الخيلاء والكبر .

(٥) المهجِّر : الذى يسير فى الهاجرة . أى ليس من هجر كمن آثر الراحة فى القائلة والنوم .

(٦) مسند الطيالسى (٢٣٤) .

(٧) فى مسند الطيالسى : « هاشم » .

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا

البِرَّ أَبْغِى لَا حلالْ[1] فَهَلْ مُهَجِّرٌ كَمَن قَالْ

آمَنْتُ بِمَا آمَنَ به إِبْرَاهِيمُ ، وهو يَقُولُ :

أَنْفِى لكَ اللَّهُمَّ[2] عَانٍ رَاغِمُ مَهْمَا تُجَشِّمْنِي[3] فإِنِّى جاشِمُ

ثُمَّ يَخِرُّ فيَسْجُدُ . قال : وجاءَ ابنهُ - يَعْنِى سعيدَ بنَ زَيْدٍ أَحَدَ العَشَرَةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِى كَما رَأَيْتَ وكَما بَلَغَك ، فَاسْتَغْفِرْ له . قَالَ : « نَعَمْ ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَه[4] » . قالَ : وأَتَى زَيْدُ بنُ عَمْرٍو[5] على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعه زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ ، وهما يَأْكُلانِ مِن سُفْرةٍ لَهُما ، فدَعَواه لِطَعامِهِما ، فَقَالَ زَيْدُ بنُ عَمْرٍو : يا بنَ أخى ، أنا لا آكُلُ مِمَّا ذُبِحَ على النُّصُبِ .

وقالَ محمدُ بنُ سعدٍ[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُمَرَ[7] ، حدَّثنى أبو بكر ابنُ أبى سَبْرَةَ ، عن موسى بنِ مَيْسَرةَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن حُجَيْرِ[8] بنِ أبى إهابٍ ، قال : رأيتُ زَيدَ بنَ عَمْرٍو ، وأنا عندَ صنمِ بُوانَةَ بعدَما رَجَع مِن الشّامِ ، وهو يُراقِبُ الشَّمْسَ ، فإذا زالتِ اسْتَقْبَلَ الكعبةَ ، فصلَّى ركعةً و[9] سَجْدَتَيْنِ ، ثمَّ يقولُ : هذه قبلةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ ، لا أعبُدُ حَجَرًا ولا أُصَلِّى

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « أنحال » ، وفى ا ٩: « الحال » . والمثبت من مسند الطيالسى .

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من مسند الطيالسى . وهو لازم لوزن البيت .

(٣) جَشَّمه أمرًا : كلَّفه إياه .

(٤) فى النسخ : « واحدة » . والمثبت من مسند أبى داود الطيالسى .

(٥) بعده فى ا ٩، ص : « بن زيد » .

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٧) فى النسخ : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ١٨٠.

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « حجر » .

(٩) سقط من : م .

له ، ولا آكُلُ ما ذُبِحَ له ، ولا أَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلامِ[1] وأنا[1] أُصَلِّى[2] إلى هذا[2] البيتِ حتَّى أَمُوتَ . وكان يَحُجُّ فيَقِفُ بِعَرَفَةَ ، وكان يُلَبِّى ، فيقولُ : لَبَّيْكَ لا شريكَ لك ، ولا نِدَّ لك . ثم يَدْفَعُ مِن عَرَفَةَ ماشيًا ، وهو يقولُ : لَبَّيْكَ مُتَعَبِّدًا مَرْقُوقًا .

وقال الواقِدِىُّ[3] : حدَّثنى علىُّ بنُ عيسى الحَكَمِىُّ ، عن أبيه ، عن عامرِ بنِ رَبيعَةَ ، قال : سمعتُ زيدَ بنَ عَمْرِو بنِ نُفَيلٍ يَقُولُ : أنا أَنْتَظِرُ نبيًّا مِن وَلَدِ إسماعيلَ ، ثم مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، ولا أَرانى أُدْرِكُه ، وأنا أُومِنُ به وأُصَدِّقُهُ وأَشْهَدُ أنه نبيٌّ ، فإن طالت بك مُدَّةٌ فرأيتَه ، فأَقْرِئْه منِّى السَّلامَ ، وسأُخْبِرُك ما نَعْتُه ؛ حتى لا يَخْفَى عليك . قلت : هَلُمَّ . قال : هو رجلٌ ليس بالطَّويلِ ولا بالقَصِيرِ ، ولا بكَثِيرِ الشَّعْرِ ولا بقَلِيلِه ، وليْسَتْ تفارقُ عينَه حُمْرَةٌ ، وخاتَمُ النُّبوَّةِ بينَ كَتِفَيْه ، واسمُه أحمدُ ، وهذا البلدُ مولدُه ومَبعثُه ، ثُمَّ يُخْرِجُه قومُه منها ، ويَكْرَهون ما جاء به ؛ حتى يُهاجِرَ إلى يَثْرِبَ ، فيَظْهرَ أمرُه ، فإيَّاك أن تُخْدَعَ عنه ، فإنِّى طُفْتُ البلادَ كلَّها أطلبُ دينَ إبْراهيمَ ، فكان مَن [١/ ٢٤٢و] أسألُ مِن اليهودِ والنَّصارَى والمجوسِ يقولون : هذا الدِّينُ وراءَك . ويَنْعَتُونَه مثلَ ما نَعَتُّه لك ، ويقولون : لم يَبْقَ نبيٌّ غيرُه . قال عامرُ بنُ ربيعةَ : فلَمَّا أسلمتُ ، أَخْبَرتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قولَ زيدِ بنِ عمرٍو ، وأَقْرَأْتُه منه السَّلامَ ، فردَّ عليه السلامَ وتَرَحَّم عليه ، وقال : « قد رأيتُه فى الجنَّةِ يَسْحَبُ ذُيُولًا » .

(١ - ١) فى ا ٩، م : « وإنما » .

(٢ - ٢) فى ا ٩، م : « لهذا » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٠٤، من طريق الواقدى به .

وقال البخاريُّ فى «صحيحهِ»[1] : ذِكْرُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، حدَّثنا فُضَيْلُ بن سُلَيْمانَ ، حَدَّثنا موسى بنُ عُقْبَةَ ، حدَّثنى سالمُ[2] بنُ عبدِ اللَّهِ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أنَّ النَّبىَّ ﷺ لَقِىَ زيدَ بنَ عمرِو ابنِ نُفيلٍ بأسْفَلِ بَلْدَحَ[3] ، قبلَ أن يَنْزِلَ على النبيِّ ﷺ الوَحْىُ ، فَقُدِّمَتْ إلى النبيِّ ﷺ سُفْرَةٌ ، فأبَى أن يأكُلَ منها ، ثم قال زيدٌ : إنِّى لستُ آكُلُ مما تَذْبَحُون على أنْصَابِكم ، ولا آكُلُ إلَّا ما ذُكِرَ اسمُ اللَّهِ عليه . وإنَّ زيدَ بنَ عمرٍو كان[4] يَعِيبُ على قُرَيْشٍ ذَبائحَهم ، ويقولُ : الشاةُ خَلَقَها اللَّهُ ، وأنزلَ لها مِن السَّماءِ الماءَ ، وأنبتَ لها مِن الأرضِ ، ثم تَذْبَحُونَها على غيرِ اسمِ اللَّهِ . إنكارًا لذلك وإعظامًا له .

قال موسى بنُ عقبةَ : وحدَّثنى سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ - ولا أعْلَمُه إلَّا تَحدَّثَ به عن ابنِ عمرَ - أنَّ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نفيلٍ خرجَ إلى الشامِ ، يسألُ عن الدِّينِ ويَتْبَعُه ، فَلِقَى عالمًا مِن اليهود ، فسأله عن دينِهم ، فقال : إنِّى لَعَلِّى أن أَدِينَ دِينَكم ، فأَخْبِرْنى . فقال : إنَّك لا تَكُونُ على دِينِنا حتى تأخذَ بنَصِيبِك مِن غَضَبِ اللَّهِ . قال زيدٌ : ما أَفِرُّ إلَّا مِن غَضَبِ اللَّهِ تعالى ، ولا أحمِلُ مِن غَضَبِ اللَّهِ شيئًا ، ولا أَسْتَطِيعُه ، فهل تَدُلُّنى على غيرِه ؟ قال : ما أَعْلَمُه إلَّا أن تكونَ حَنِيفًا . قال زيدٌ : وما الحنيفُ ؟ قال : دينُ إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ ، لم يكنْ يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولا يَعْبُدُ إلا اللَّهَ . فخرج زيدٌ فلَقِىَ عالِمًا مِن النَّصارى ،

---

(١) البخارى (٣٨٢٦ - ٣٨٢٨) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) بلدح : وادٍ قِبَل مكة . وانظر الفتح ٧/ ١٤٣ .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

فَذكَر مِثْلَه ؛ فقال : لن تكونَ على دينِنا حتى تأخُذَ بنصيبِك مِن[1] لَعْنَةِ اللَّهِ . قَال : ما أَفِرُّ إلا مِن لعنةِ اللَّهِ ، ولا أَحْمِلُ من لعنةِ اللَّهِ ، ولا مِن غَضَبِه شيئًا أبدًا ، ولا أَسْتطِيعُ ، فهل تَدُلُّنى[1] على غيرِهِ ؟ قال : ما أَعْلَمُه إلَّا أن تَكُونَ حَنِيفًا . قال : وما الحنيفُ ؟ قال : دينُ إبراهيمَ ، لم يَكُنْ يَهُودِيًّا ولا نَصْرانيًّا ولا يَعْبُدُ إلَّا اللَّهَ . فلمَّا رأى زيدٌ قولَهم فى إبراهيمَ ، خَرَج فَلمَّا بَرزَ رفعَ يَديْه ، فقال : اللهمَّ إنِّى أُشهِدُكَ أنِّى على دينِ إبراهيمَ . قال : وقال الليثُ : كتَبَ إلىَّ هشامُ بنُ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، قالت : رأيتُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفيلٍ قائمًا ، مُسْنِدًا ظَهْرَه إلى الكعبةِ ، يقولُ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، واللَّهِ ما مِنكم على دينِ إبراهيمَ غيرى . وكان يُحْيِى المَوْءودةَ ؛ يقولُ للرَّجُلِ ، إذا أراد أن يَقْتُلَ ابنتَه : لا تَقْتُلْها ، أنا أكْفِيك مُؤْنَتَها . فيَأْخُذُها ، فإذا تَرَعْرَعَتْ ، قال لأبيها : إن شئتَ دفعتُها إليك ، وإن شئتَ كفيتُك مُؤْنَتَها . انتهى ما ذكره البُخارىُّ .

وهذا الحديثُ الأخيرُ ؛ قد أَسْنَدَه الحافظُ ابنُ عَساكِرَ[2] ، مِن طريقِ أبى بكرِ ابنِ أبى داودَ ، عن عيسى بنِ حمَّادٍ ، عن الليْثِ ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، عن أسماءَ . فذَكَر نحوَه . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ ، قالت : سمعتُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وهو مُسْنِدٌ ظَهْرَه إلى الكعبةِ يقولُ : يا معشرَ قريشٍ ، إياكم والزِّنا ، فإنه يُورِثُ الفَقْرَ[3] .

وقد ساقَ ابنُ عساكِرَ هـهنا أحاديثَ غريبةً جدًّا[4] ، وفى بعضِها نكارةٌ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٢، ٥١٣، من طريق ابن أبى الزناد به .

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٩/٤٨٢ - ٥١٦ .

شديدةٌ . ثم أوردَ مِن طُرُقٍ مُتعدِّدَةٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « يُبعثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً وَحْدَه[1] » . فمن ذلك ما رواه محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شيبةَ ، حدَّثنا يوسفُ بنُ يعقوبَ الصَّفَّارُ ، حدَّثنا يَحْيى بنُ سعيدٍ الأُمَوِىُّ ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، عن جابرٍ ، قال : سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ ، أنَّه كانَ يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ فى الجاهليةِ ، ويقولُ : إلهى إلهُ إبراهيمَ ، ودينى دينُ إبراهيمَ . وَيَسْجُدُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُحشَرُ ذاك أمَّةً وحدَه ، بينى وبينَ عيسى ابنِ مريمَ »[2] . إسنادُه جيِّدٌ حسَنٌ .

وقال الواقِدِىُّ[3] : حدَّثنى موسى بنُ شيبةَ ، عن خارِجَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالكٍ ، قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ يذكرُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفيلٍ ، فقال : تُوفِّىَ وقريشٌ تَبْنى الكعبةَ ، قبلَ أن يَنْزِلَ الوحىُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بخَمْسِ سِنينَ ، ولقد نَزَلَ به ، وإنَّه لَيقولُ : أنا على دينِ إبراهيمَ . فأَسْلَم ابنُه سعيدُ بنُ زيدٍ ، واتَّبَعَ [١/ ٢٤٢ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأتى عمرُ بنُ الخطَّابِ وسعيدُ بنُ زيدٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسَأَلاه عن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نفيلٍ ، فقال : « غَفَرَ اللَّهُ له ورحِمَه ، فإنَّه مات على دينِ إبراهيمَ » . قال : فكان المسلمون بعد ذلك اليومِ ، لا يذكُرُهُ ذَاكِرٌ منهم ؛ إلَّا ترحَّمَ عليه واسْتَغْفَرَ له . ثُمَّ يقولُ سعيدُ ابنُ المسيَّبِ : رحمه اللَّهُ وغَفَرَ له .

وقال محمدُ بنُ سَعْدٍ[4] ، عن الواقدىِّ : حدَّثنى زكريا بنُ يحيى السَّعْدِىُّ ،

---

(١) فى النسخ : « واحدة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) المصدر السابق ١٩/ ٥١١، من طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبة به .

(٣) المصدر السابق ١٩/ ٥١٢، من طريق الواقدى به .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨١.

عن أبيه ، قال : مات زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ بمكَّةَ ، ودُفِن بأصْلِ حِراءَ . وقد تقدَّم أنَّه مات بأرضِ البَلْقاءِ من الشّامِ ، لمَّا عدا عليه قومٌ من بنى لَخْمٍ ، فقتلوه بمكانٍ يقالُ له : مَيْفَعْةُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الباغَنْدىُّ[1] ، عن أبى سعيدٍ الأشَجِّ[2] ، عن أبى معاويةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دخلتُ الجنَّةَ فرأيتُ لزيدِ ابنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ دَوْحَتَيْنِ » . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، وليس هو فى شىءٍ مِن الكتبِ .

ومِن شِعْرِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نفيلٍ ، رحِمه اللَّهُ ، ما قدَّمناه فى بَدْءِ الخلقِ مِن تلك القصيدةِ :

إلى اللَّهِ أُهدِى مِدْحَتى وثَنائِيا ... وقولًا رَضِيًّا لا يَنِى الدهرَ باقيا

إلى المَلِكِ الأعلى الذى ليس فوقَه ... إلـٰهٌ ولا ربٌّ يَكونُ مُدانِيا

وقد قيل : إنَّها لأُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ . واللَّهُ أعلمُ . ومِن شعرِه فى التَّوحيدِ ، ما حَكاه محمدُ بنُ إسحاقَ[3] والزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ[4] وغيرُهما :

وأسْلَمتُ وَجهى لمَن أَسْلَمَتْ ... له الأَرضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقالا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٢، من طريق الباغندى به . حسن (صحيح الجامع الصغير ٣٣٦٢) .

(٢) أبو سعيد الأشج هو عبد اللَّه بن سعيد . تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٩٧. وليس عنده البيت الثانى . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٠، ٢٣١. وليس عنده البيت الأخير .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٦، من طريق الزبير بن بكار به نحوه .

دَحاها فلمّا اسْتَوَتْ شَدَّها سَواءً وأَرْسَى عليها الجِبالا
وأَسْلَمْتُ وَجْهى لِمن أَسْلَمتْ له المُزْنُ[1] تَحْمِلُ عَذْبًا زُلالا
إذا هى سِيقَتْ إلى بَلْدَةٍ أطاعتْ فصبَّتْ عليها سِجالا
وأسْلَمْتُ وجهى لمَن أسلمتْ له الرِّيحُ تُصْرَفُ حالًا فحالا

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى هِشَامُ بنُ عُروةَ قال : رَوَى أبى ، أنَّ زَيْدَ بنَ عَمْرٍو قال :

أرَبًّا وَاحِدًا أم أَلْفَ رَبٍّ أَدِينُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ والعُزَّى جَميعًا كذلكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْها ولا صَنَمَىْ بَنى عَمرٍو أَزُورُ[3]
ولا هُبَلًا[4] أَدينُ وكان ربًّا لنا فى الدَّهْرِ إذْ حِلمى يَسِيرُ
عَجِبْتُ وفى اللَّيالى مُعْجِباتٌ وفى الأيامِ يَعْرِفُها البَصيرُ
بأنَّ اللَّهَ قد أَفْنَى رِجالًا كَثيرًا كان شَأْنَهمُ الفُجورُ
وأَبْقَى آخَرينَ بِبِرِّ قَومٍ فَيَرْبِلُ[5] مِنهُمُ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ

---

(١) المزن : السحاب يحمل الماء .
(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٩٦، ٩٧. وسيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦، ٢٢٧.
(٣) فى الأصل : «أدير» .
(٤) فى الأصل ، م، ص : «غنما» . وفى ا ٩: «عتما» . والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٥) يربل : ينمو ويعظم ويكبر .

وبينا المَرْءُ يَعْثُرُ ثابَ يَوْمًا ... كما يَتَرَوَّحُ[1] الغُصْنُ المَطِيرُ[2]

ولَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّى ... لِيَغْفِرَ ذَنْبِىَ الرَّبُّ الغَفورُ

فَتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمُ احْفَظوها ... مَتى ما تَحْفَظوها لا تَبوروا

تَرَى الأَبْرارَ دارُهُمُ جِنانٌ ... ولِلكُفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ

وخِزْىٌ فى الحياةِ وإِنْ يَموتوا ... يُلاقوا ما تَضِيقُ به الصُّدورُ

هذا تَمامُ ما ذَكَرَه محمدُ بنُ إِسحاقَ مِن هذه القَصِيدَةِ .

وقد رَواه أبو القاسِمِ البَغَوىُّ[3] ، عن مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن الضَّحَّاكِ بنِ عُثْمانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، قال : قال هِشامُ بنُ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، قالت : قال زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ :

عَزَلْتُ الجِنَّ والجِنَّانَ عَنِّى ... كَذلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ

فلا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْها ... ولا صَنَمَىْ بنى طَسْمٍ أُدِيرُ[4]

ولا غُنْمًا أَدِينُ وكان رَبًّا ... لَنَا فى الدَّهْرِ إِذْ حِلْمى[5] صَغِيرُ

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إِذا تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ

---

(١) يتروَّح : تروَّح الشجر أى ؛ تفطَّر بالورق بعد إدبار الصيف . ويعنى هنا طلوع الورق من الغصن بعد نزول المطر عليه .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « النضير » . وفى ا ٩ : « النظير » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٤، ٥١٥، من طريق البغوى به .

(٤) أدير : من أدار ، يعنى : يطوف حولهما .

(٥) فى تاريخ دمشق : « حكمى » .

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَفْنَى ... رِجالًا كان شَأْنَهُمُ الفُجُورُ
وأَبْقَى آخَرِينَ بِبِرِّ قَوْمٍ ... فَيَرْبو منهمُ الطِّفْلُ الصَّغيرُ
وَبينَا المَرْءُ يَعْثُرُ ثابَ يَوْمًا ... كما يَتَروَّحُ الغُصْنُ النَّضِيرُ

قالت : فقال وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ :

رَشَدْتَ وأَنْعَمْتَ ابنَ عمرٍو وإنَّما ... تَجَنَّبْتَ تَنُّورًا مِن النَّارِ حَامِيا
لِدَيْنِكَ رَبًّا ليس ربٌّ كِمثلِه ... وتَرْكِكَ (١)جنانَ الجبالِ(١) كما هِيا
أَقُولُ إذا أُهْبِطْتُ(٢) أَرْضًا مَخُوفَةً ... حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ عَلَيَّ الأعاديا
حَنانَيْكَ إنَّ الجِنَّ كانتْ رَجاءَهم ... وأنتَ إلهى رَبُّنا ورَجائِيا
لتَدَّرِكَنَّ المرءَ رَحْمةُ رَبِّه ... وإنْ كان تحتَ الأرضِ سَبْعِين وَاديًا
أَدِينُ لرَبٍّ يَسْتَجِيبُ ولا أَرَى ... أَدِينُ لِما(٣) لا يَسْمَعُ الدَّهْرَ دَاعيا(٤)
أَقولُ إذا صَلَّيْتُ فى كُلِّ بِيعَةٍ ... تَبارَكْتَ قد أَكْثَرْتُ بِاسْمِكَ داعيا

تَقَدَّم(٥) أَنَّ زَيْدَ بنَ عَمْرِو بنِ نُفَيلٍ ، خَرَجَ إلى الشَّامِ هو ووَرقةُ بنُ نَوْفَلٍ ، [١/٢٤٣و] وعُثْمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ ، وعُبيدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ، فَتَنَصَّروا إلَّا زَيْدًا ، فإنَّه لَمْ يَدْخُلْ فى شَىْءٍ مِن الأَدْيانِ ، بل بَقِى على فِطْرَتِه ؛ مِن عِبادَةِ اللَّهِ وحدَه

(١ - ١) فى تاريخ دمشق : « جنان الخبال » .
(٢) فى تاريخ دمشق : « هبطت » .
(٣) فى م : « لمن » .
(٤) فى الأصل ، م : « واعيا » .
(٥) تقدم فى صفحة ٣١٧.

لا شَرِيكَ لَه ، مُتَّبِعًا ما أَمْكَنَه مِن دِينِ إِبْراهِيمَ ، على ما ذَكَرْناه ، وأمَّا وَرقةُ بنُ نَوفلٍ ، فَسَيأْتى خَبَرُه فى أَوَّلِ المَبْعَثِ ، وأمّا عُثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ ، فأَقامَ بالشَّامِ حتَّى مات فيها عندَ قَيْصَرَ ، وله خَبَرٌ عَجِيبٌ ذَكَرَه الأُمَوِىُّ[1] ، ومُخْتَصَرُه ؛ أنَّه لمَّا قَدِم على قَيْصَرَ فشَكَا إليه ما لَقِى مِن قَومِه ، كَتَبَ له إلى ابنِ جَفْنةَ ، مِلِكِ عَرَبِ الشَّامِ ، لِيُجَهِّزَ معه جَيْشًا لحَرْبِ قُرَيْشٍ ، فَعَزَمَ على ذلكَ ، فَكَتَبَتْ إلَيْه الأعْرابُ تَنْهاه عن ذلكَ ؛ لِمَا رَأَوْا مِن عَظَمَةِ مَكَّةَ ، وكَيفَ فَعَلَ اللَّهُ بِأصحابِ الفِيلِ ، فكَساه ابنُ جفنةَ قَمِيصًا مَصْبوغًا مَسْمومًا ؛ فمات مِن سُمِّه ، فَرَثاه زَيدُ ابنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، بِشِعْرٍ ذكَره الأُمَوىُّ ، تَرَكْناه اخْتِصارًا .

وكانتْ وَفاتُه قَبْلَ المَبْعَثِ بِثَلاثِ سِنينَ أو نحوِها . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ .

---

(١) ساقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٨١، ٨٢ مخطوط بنحوه .

[٢/ ١ظ] (*) شىءٌ مِنَ الحَوادِثِ فى زَمَنِ الفَتْرَةِ، فمِن ذلكَ بُنْيَانُ الكَعْبَةِ

وقد قِيلَ: إنَّ أوَّل مَن بَناه آدمُ. وجَاءَ في ذلكَ حديثٌ مَرْفوعٌ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[1]، وفى سندِه ابنُ لَهِيعةَ، وهُو ضَعيفٌ. وأَقْوى الأَقْوَالِ أنَّ أوَّلَ مَن بناه الخَلِيلُ، عليه السَّلامُ، كما تَقَدَّم[2]، وكذلك رَوَاه سِماكُ بنُ حَرْبٍ[3]، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ، قال: ثُم تهدَّمَ فبنَتْه العمالِقَةُ، ثُم تهدَّمَ فبَنَتْه جُرْهمٌ، ثم تهدَّم فبَنَتْه قريشٌ. قُلتُ: سيَأتِى بِناءُ قريشٍ له، وذلك قبلَ المَبعثِ بخمسِ سنينَ. وقيل: بخمسَ عشْرةَ سنةً. وقال الزُّهْرىُّ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ، قَد بَلَغ الحُلُمَ. وسيَأتِى ذلك كلُّه فى موضِعِه. إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثقَةُ.

(*) من هنا بداية الجزء الثانى من النسخة الأحمدية.

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٥.

(٢) انظر ما تقدم فى ١/ ٣٨١.

(٣) فى الأصل، م: «حزب».

ذِكْرُ[1] كعبِ بنِ لُؤَيٍّ

روى أبو نعيمٍ[2] ، مِن طريقِ[3] محمدِ بنِ الحسنِ بنِ زَبالةَ[3] ، عن محمدِ بنِ طلحةَ التَّيْمىِّ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ ، عن أبى سلمةَ . قال : كان كعبُ بنُ لُؤَىٍّ يَجْمَعُ قومَه يومَ الجُمُعَةِ ، وكانت قريشٌ [4]تُسَمِّى يومَ الجُمُعَةِ[4] العَرُوبَةَ[5] فَيَخْطُبُهم ، فيقولُ : أمَّا بعدُ ، فاسْمَعوا وتعلَّموا ، وافْهَموا واعْلَموا ، ليلٌ ساجٍ[6] ، ونهارٌ ضاحٍ[7] ، والأرْضُ مِهَادٌ ، والسَّماءُ بِناءٌ ، والجبالُ أوتادٌ ، والنُّجومُ أعلامٌ ، والأوَّلون كالآخِرينَ ، والأُنثى والذَّكَرُ ، والرُّوحُ وما يَهيجُ إلى بلًى[8] ، فصِلُوا أرحامَكم ، واحْفَظوا أصهارَكم ، وثَمِّروا أموالَكم ، فهل رأيتم مِن هالكٍ رَجَعَ ، أو مَيِّتٍ نُشِرَ ؟ الدارُ أمامَكم ، والظنُّ غيرُ ما تقولون ، حَرَمُكم زيِّنوه وعظِّموه ، وتمسَّكوا به ، فسيأتى له نَبَأٌ عظيمٌ ، وسيَخرُجُ منه نبيٌّ كريمٌ . ثُم يقولُ :

نَهارٌ وليلٌ كلَّ يومٍ بحادثٍ ... سواءٌ علينا ليلُها ونهارُها

---

(١) سقط من : م .

(٢) الدلائل لأبى نعيم (٤٦) .

(٣ - ٣) فى الدلائل : « زيد بن المبارك بن محمد بن الحسن بن زبالة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٦٠ .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « تسميه » .

(٥) فى الدلائل : « عربة » .

(٦) ليل ساج : أى : ساكن .

(٧) ضاحٍ : ظاهر .

(٨) بلى : فناء .

يَئُوبانِ بالأحداثِ حتى تَأَوَّبا وبالنِّعَم الضافى[1] علينا سُتورُها

على غَفلَةٍ يأتى النبيُّ محمدٌ فيُخْبِرُ أَخبارًا صَدوقًا خبيرُها

ثُم يقولُ : واللَّهِ لو كنتُ فيها ذا سمعٍ وبصرٍ ، ويدٍ ورِجْلٍ ، لتنصَّبْتُ فيها تنصُّبَ الجملِ ، ولأَرْقَلْتُ[2] فيها[3] إرقالَ الفحلِ[4] . ثُم يقولُ :

يا ليتَنى شاهدٌ نجواءَ دعوتِه حينَ العشيرةُ تَبغِى الحقَّ خِذْلانا

قال : وكان بينَ موتِ كعبِ بنِ لؤىٍّ ومَبعثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، خمسُمائةِ عامٍ وستونَ سنةً .

---

(١) الضافى : السابغ التام .

(٢) أرقل : أسرع .

(٣) فى م : « بها » .

(٤) فى م : « العجل » .

ذِكْرُ[1] تجْديدِ حفْرِ زمزمَ

على يَدَىْ عبدِ المُطَّلبِ بنِ هاشمٍ، التى كان قد دَرَسَ رسمُها بعدَ طَمِّ جُرْهُمٍ لها إلى زمانِه.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: ثُم إنَّ عبدَ المطلبِ بينَما هو نائمٌ فى الحِجْر إذ [3]أُتِىَ فَأُمِرَ بِحَفرِ زمزمَ[3]، وكان أوَّلَ ما ابْتُدِئَ به عبدُ المطلبِ مِن حفْرِها، كما حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ المصرىُّ، عن مَرْثدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنىِّ[4]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زُرَيْرٍ[5] الغافِقىِّ، أنَّه سمِع علىَّ بنَ أبى طالبٍ يُحدِّثُ حديثَ زَمْزَمَ، حينَ أُمِرَ عبدُ المُطَّلبِ بحفرِها، قال: قال عبدُ المُطَّلبِ: إنِّى لَنائِمٌ فى الحِجْرِ، إذ أتانى آتٍ فقال: احْفِرْ طِيبَةَ. قال: قلتُ: وما طِيبةُ؟ قال: ثُمَّ ذهبَ عنِّى، فلمَّا كان الغدُ، رجَعْتُ إلى مَضْجَعى فَنِمْتُ، فجاءنى فقال: احْفِرْ بَرَّةَ. قال: قلتُ: وما بَرَّةُ؟ قال: ثُم ذهبَ عنِّى، فلمَّا كان الغدُ رجعتُ إلى مَضْجَعى، فنمتُ، فجاءنى، فقال: احْفِرِ المَضْنونَةَ. قال: قلت: وما المضنونةُ؟ قال: ثُم ذَهَب عنِّى، فلمَّا كان الغدُ رَجَعْتُ إلى مَضْجَعى، فنمتُ فيه فجاءنى، فقال: احْفِرْ زمزمَ. قال: قلت: وما زمزمُ؟ قال: لا تَنْزِفُ[6] أبدًا ولا تُذِمُّ[7]، تَسْقِى

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٣ - ٥. وسيرة ابن هشام ١/١٤٢ - ١٤٥.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٤) فى م: «المزنى». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧.

(٥) فى الأصل، م: «رزين». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧.

(٦) لا تنزف: لا تنفد وتفنى.

(٧) لا تذم: لا يقل ماؤها.

الحَجِيجَ الأعْظَمَ ، وهى بينَ الفَرْثِ والدَّمِ ، عندَ نُقْرةِ الغرابِ الأعْصمِ ، عندَ قريةِ النَّملِ . قال : فلمّا بُيِّنَ له[1] شأْنُها ، ودُلَّ على موضِعها ، وعَرَفَ [٢/٢و] أنه قد صُدِقَ ، غَدَا بِمِعْوَلِه[2] ومعه ابنُه الحارثُ بنُ عبدِ المُطلبِ ، وليس له يومَئذٍ ولدٌ غيرُه ، فحفرَ ، فلمَّا بدا لعبدِ المُطَّلبِ الطَّيُّ[3] كبَّر ، فعَرَفَتْ قريشٌ أنَّه قد أدْرَكَ حاجَتَه ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبدَ المطَّلبِ ، إنَّها بئرُ أبينا إسماعيلَ ، وإنَّ لنا فيها حقًّا ؛ فأشْرِكْنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعلٍ ، إنَّ هذا الأَمْرَ قد خُصِصْتُ به دونَكُم ، وأُعْطِيتُه مِن بينِكم . قالوا له : فأنصِفْنا ؛ فإنَّا غيرُ تارِكِيك حتى نُخاصِمَك فيها . قال : فاجْعَلوا بينى وبينَكم مَن شِئْتُم ، أُحاكِمْكم إليه . قالوا : كاهِنَةُ بنى سَعْدِ بنِ هُذَيمٍ . قال : نعم . وكانت بأَشْرَافِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ عبدُ المطَّلبِ ، ومعه نَفَرٌ مِن بنى أبيه[4] ، ورَكِبَ مِن كلِّ قبيلةٍ مِن قريشٍ نفرٌ ، فخَرَجوا ، والأرضُ إذْ ذاك مَفاوِزُ[5] ، حتى إذا كانوا ببعضِها نَفِدَ ماءُ عبدِ المطَّلبِ وأصحابِه ، فَعَطِشوا حتى اسْتَيْقَنوا بالهَلَكَةِ ، فاسْتَسْقَوا مَن معهم فأَبَوْا عليهم ، وقالوا : إنَّا بمفازةٍ ، وإنَّا نَخْشَى على أنْفُسِنا مِثلَ ما أصابَكم . فقال عبدُ المطَّلبِ : إنِّى أَرَى أن يَحْفِرَ كلُّ رَجُلٍ مِنكم حُفرَتَه لنفسِه بما بكم الآن مِن القُوَّة ، فكُلَّما ماتَ رجلٌ دَفَعَه أصحابُه فى حفرتِه ثُم وَارَوْه ، حتى يكُونَ آخرُهم

---

(١) فى النسخ : « لى » . والمثبت من السيرة لابن هشام ١/ ١٤٣، وهو الصواب لأن القائل هو : إمّا ابن إسحاق ، أو على بن أبى طالب .

(٢) المعول : آلة من الحديد ينقر بها الصخر .

(٣) فى النسخ : « الطمى » . والمثبت من السيرة لابن هشام ١/ ١٤٤. والطى : من طوى البئرَ بالحجارة ونحوها : بناها أو عرشها . الوسيط (ط و ى) .

(٤) فى م ، ص : « أمية » .

(٥) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الصحراء .

رَجُلًا واحدًا ، فضَيْعَةُ رجلٍ واحدٍ أيْسَرُ مِن ضَيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا[1] . فقالوا : نِعْمَ ما أَمَرْتَ به . فحَفَرَ كلُّ رجلٍ لنفسِه حُفْرةً ، ثُم قَعَدوا يَنْتَظِرونَ الموتَ عَطْشَى ، ثُم إنَّ عبدَ المطلبِ قال لأصحابِه : إنَّ إلقاءَنا بأيْدِينا هكذا للموتِ ، لَا نَضْرِبُ فى الأرضِ ، لا نَبْتَغى لأنفسِنا ، لَعَجْزٌ ، فعسى أن يَرْزُقَنا اللَّهُ[2] ماءً ببعضِ البلادِ . فارْتَحَلوا حتَّى إذا بعَثَ عبدُ المطَّلبِ راحلتَه ، انفجَرَتْ مِن تحتِ خُفِّها عينُ ماءٍ عَذْبٍ ، فكبَّر عبدُ المُطلبِ وكبَّر أصحابُهُ ، ثُم نزَل فَشَرِبَ وَشَرِبَ أصحابُه ، واسْتَقَوا[3] حتى مَلَئُوا أَسْقِيَتَهم ، ثم دعا قبائلَ قريشٍ ، وهم يَنْظُرون إليهم فى جميعِ هذه الأحوالِ ، فقال : هَلُمُّوا إلى الماءِ فقد سقانا اللَّهُ . فجاءوا فشَرِبوا واستقَوا كلُّهم ، ثُم قالوا[4] لعبدِ المطلبِ[4] : قد واللَّهِ قُضِىَ لك علينا ، واللَّهِ لا نخاصِمُك فى زمزمَ أبدًا ، إنَّ الذى سقاك هذا الماءَ بِهذه الفَلاةِ لَهو الذى سقاك زمزمَ ، فارْجِعْ إلى سِقايَتِك راشدًا . فرَجَع ورَجَعوا معه ، ولم يَصِلُوا إلى الكاهنةِ وخَلَّوا بينَه وبينَ زَمْزَمَ .

قال ابنُ إسحاقَ : فهذا ما بلغنى عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ فى زَمْزَمَ . قال ابنُ إسحاقَ : وقد سمعتُ مَن يُحَدِّثُ عن عبدِ المطَّلبِ أنه قيل له حين أُمِرَ بَحفْرِ زَمْزَمَ :

ثُم ادْعُ بالماءِ الرَّوَى[5] غيرِ الكَدِرْ ... يَسْقِى حجيجَ اللَّهِ فى كلِّ مَبَرْ

---

(١) فى م : « جميعه » .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى الأصل ، م : « استسقوا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) ماء رِوًى : عذب ، وكثير مرو . الوسيط (ر و ى) .

ليسَ يُخافُ منه شيءٌ ما عَمَرْ[1]

قال : فخرَجَ عبدُ المُطَّلبِ حين قيل له ذلك إلى قريشٍ فقال : تَعَلَّموا أنى قد أُمِرت أن أحفِرَ زمزمَ . قالوا : فهل بُيِّنَ لكَ أينَ هى ؟ قال : لا . قالوا : فارْجِعْ إلى مَضْجَعِك الذى رأيتَ فيه ما رأيتَ ، فإن يَكُ حقًّا مِن اللَّهِ يُبَيِّنْ لك ، وإن يكُ مِن الشَّيطانِ فلن يعودَ إليك . فرجَعَ فنامَ فأُتِىَ ، فقيل له : احْفِرْ زمزمْ ، إنك إن حَفَرْتَها لن تندمْ ، وهى تراثٌ من أبيك الأعْظَمْ ، لا تَنْزِفُ أبدًا ولا تُذِمْ[2] ، تَسْقِى الحَجيجَ الأعظمْ ، مثلَ نَعامٍ حافلٍ[3] لم يُقْسَمْ ، يَنْذِرُ فيها ناذِرٌ لمُنْعِمْ[4] ، تكونُ ميراثًا وعَقْدًا مُحْكَمْ ، ليْسَتْ كَبَعضِ[5] ما قَدْ تَعْلَمْ ، وهى بينَ الفَرْثِ والدَّمْ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فزعموا أنَّ عبدَ المطلبِ حين قيل له ذلك قال : وأين هي ؟ قيل له : عند قريةِ النملِ حيثُ يَنْقُرُ الغرابُ غدًا . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان . قال : فغدا عبدُ المطَّلبِ ومعه ابنُه الحارثُ ، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه - زادَ الأُمَوِىُّ : ومولاه أصرمُ - فوجدَ قريةَ النملِ ، ووجَد الغرابَ يَنْقُرُ عندَها بينَ الوثَنَين ؛ إسافٍ ونائلةَ ، اللذينِ كانت قريشٌ تَنْحَرُ عندَهما ، فجاء بالمِعولِ وقامَ لِيَحْفِرَ حيثُ أُمرَ ، فقامتْ إليه قريشٌ [٢/٢ظ] ، فقالوا : واللَّهِ لا نَتْرُكُك تحْفِرُ بينَ

---

(١) عمَر : بقى زمانا طويلا .

(٢) فى م ، ص : « تزم » .

(٣) حافل : كثير .

(٤) فى الأصل ، م : « بمنعم » .

(٥) فى الأصل ، ا ٩، م : « لبعض » ، وفى ص : « ببعض » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

(٦) السيرة لابن هشام ١/ ١٤٦.

وَثَنيْنا هذينِ[1] اللذينِ نَنْحَرُ عندَهما . فقال عبدُ المطَّلبِ لابنِه الحارثِ : ذُدْ عنى حتى أَحفِرَ ، فواللَّهِ لأمْضِينَّ لمَا أُمِرْتُ به . فلمّا عَرَفوا أنَّه غيرُ نازعٍ[2] ، خَلَّوا بينَه وبينَ الحفْرِ ، وكَفُّوا عنه ، فلم يَحْفِرْ إلَّا يَسِيرًا حتى بدا له الطَّيُّ[3] ، فكبَّر وعَرفَ أنه قد صُدِقَ ، فلما تَمادَى به الحفْرُ وجدَ فيها غزالتَين مِن ذَهَبٍ ، اللتين كانت جُرْهُمٌ قد دَفَنَتْهما ، ووجدَ فيها أسْيافًا قَلْعيةً وأدْراعًا ، فقالت له قريشٌ : يا عبدَ المطَّلبِ ، لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحقٌّ . قال : لا ، ولكن هَلُمَّ إلى أَمْرٍ نِصفٍ بينى وبينَكم ، نَضْرِبُ عليها بالقِداحِ . قالوا : وكيف تَصْنَعُ ؟ قال : أجعلُ للكعبةِ قِدْحَين ولى قِدْحين ولكم قِدْحَين ، فمَن خرجَ قِدْحاه على شىءٍ ، كان له ، ومن تخلَّف قِدْحاه فلا شىءَ له . قالوا : أَنْصَفْتَ . فجعل للكعبةِ قِدْحينِ أصفَرَيْنِ وله أَسْوَدَيْنِ ولهم أَبْيَضَيْنِ ، ثُم أَعْطَوُا القداحَ للذى يَضْرِبُ عندَ هُبَلَ ، وهُبَلُ أكبرُ أصنامِهم ، ولهذا قال أبو سفيانَ يومَ أحدٍ : اعْلُ هُبَلُ . يعنى هذا الصَّنَمَ . وقامَ عبدُ المطَّلبِ يَدْعُو اللَّهَ . وذكَر يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[4] ، أنَّ عبدَ المطَّلبِ جعلَ يَقُولُ :

اللهُمَّ أنتَ المِلِكُ المحمودْ ... ربِّى فأنتَ[5] المبدِئُ المعيدْ

وممسكُ الراسيةِ الجَلْمودْ[6] ... مِن عندِك الطارفُ والتَّلِيدْ[7]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) نازع : مُنْتَه .

(٣) فى م : « الطمى » .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٦ .

(٥) فى م ، ص : « أنت » .

(٦) الجلمود : الصخر .

(٧) الطارف : المستفاد من المال حديثا ، والتليد عكسه . الوسيط (ط ر ف) .

إن شئتَ ألهمتَ كما تريدْ لِموضعِ الحِليةِ والحديدْ
فبيِّنِ اليومَ لما تريدْ إنِّى نَذَرْتُ العاهدَ المعهودْ
اجعله لِى رَبٌّ فلا أعودْ

قال : وضربَ صاحبُ القِداحِ ، فخرجَ الأصْفَرانِ على الغزالَتَيْنِ للكعبةِ ، وخرجَ الأسودانِ على الأسيافِ والأدْراعِ لعبدِ المطَّلبِ ، وتخلَّفَ قِدْحَا قريشٍ ، فضربَ عبدُ المطَّلبِ الأسيافَ بابًا للكعبةِ ، وضربَ فى البابِ الغزالتَيْنِ مِن ذهبٍ ، فكان أوَّلَ ذهبٍ حُلِّيَتْه الكعبةُ فيما يزعُمون ، ثُم إنَّ عبدَ المطَّلبِ أقام سقايةَ زَمزمَ للحاجِّ .

وذكر ابنُ إسحاقَ[1] وغيرُهُ أنَّ مكةَ كان فيها أبيارٌ كثيرةٌ قبلَ ظهورِ زمزمَ فى زمنِ عبدِ المطَّلبِ ، ثُم عدَّدها ابنُ إسحاقَ ، وسماها ، وذكَرَ أماكنَها مِن مكَّةَ وحَافرِيها ، إلى أن قال : فَعفَتْ زمزمُ على البئارِ كلِّها ، وانْصَرَفَ النَّاسُ كلُّهم إليها لِمَكَانِها مِن المَسْجِدِ الحَرَامِ ، ولِفَضْلِها عَلَى مَا سِواها مِن المِيَاهِ ، ولأَنَّها بِئْرُ إِسْمَاعِيلَ ابنِ إِبْرَاهِيمَ ، وافْتَخَرَتْ بها بَنو عَبْدِ مَنافٍ على قُرَيشٍ كُلِّها وعلى سائِرِ العَرَبِ .

وقد ثَبَتَ فِى « صَحِيحِ مُسْلِمٍ »[2] فى حَدِيثِ إِسْلَامِ أَبِى ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قالَ فِى زَمْزَمَ : « إِنَّها لَطَعامُ طُعْمٍ ، وشِفاءُ سُقْمٍ » .

وقال الإِمَامُ أَحْمدُ[3] : حَدَّثَنَا عَبدُ اللَّهِ بنُ الوَلِيدِ ، عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ المُؤَمَّلِ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٤٧ - ١٥٠.

(٢) مسلم (٢٤٧٣) بدون قوله : « وشفاء سقم » . وهذه الزيادة عند الطيالسى (٤٥٧) . وهى صحيحة . انظر (صحيح الجامع الصغير ٢٤٣١) .

(٣) المسند ٣/ ٣٧٢. (صحيح الجامع الصغير ٥٣٧٨) وهو بلفظ « له » بدلا من : « منه » .

عَن أَبى الزُّبَيْرِ ، عَن جَابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ مِنْه » .

وقد رَواه ابنُ ماجه[1] ، مِن حَدِيثِ عَبدِ اللَّهِ بنِ المُؤَمَّلِ ، وقَدْ تَكَلَّموا فِيه ، ولَفْظُه : « ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَه » . ورَواه سُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ ، عَن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ ، عَن عَبدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبى المَوَالِ ، عَن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عَن جَابرٍ ، عَن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « ماءُ زَمزمَ لِمَا شُرِبَ له »[2] . وَلَكِنْ سُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ ضَعيفٌ ، والمحفوظُ عَن ابنِ المُبارِكِ ، عَن عبدِ اللَّهِ بنِ المؤَمَّلِ ، كَما تَقَدَّمَ .

وقَدْ رَواه الحاكِمُ[3] عَن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : « ماءُ زَمزَمَ لِمَا شُرِبَ لَه » . وفِيه نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا رَوَى ابنُ مَاجه أَيْضًا ، والحَاكِمُ[4] عَن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّه قَالَ لِرَجُلٍ : إذا شَرِبْتَ مِن زَمْزَمَ فَاسْتَقْبِلِ الكَعْبَةَ ، واذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ ، وتَنَفَّسْ ثَلاثًا ، وتَضَلَّعْ[5] مِنها ، فَإِذا فَرَغْت فَاحْمَدِ اللَّهَ ؛ فَإِنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إنَّ آيةَ ما بَيْنَنا [٢/٣و] وبَيْنَ المُنَافِقِينَ لا يَتَضَلَّعون مِن مَاءِ زَمزمَ » .

وقد ذُكِرَ عَن عبدِ المُطَّلِبِ أنَّه قال[6] : اللَّهمَّ إنِّى لا أُحِلُّها لِمُغْتَسِلٍ ، وهِى

---

(١) ابن ماجه (٣٠٦٢) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٤) .
(٢) البيهقى فى شعب الإيمان (٤١٢٨) ، من طريق سويد بن سعيد به . انظر الإرواء ٤/ ٣٢٢.
(٣) المستدرك ١/ ٤٧٣.
(٤) ابن ماجه (٣٠٦١) . المستدرك ١/ ٤٧٢. ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٦٥٥) .
(٥) ضَلِعَ : شبع وارتوى . المعجم الوسيط (ض ل ع) .
(٦) البيهقى فى الدلائل ١/ ٨٧.

لِشَاربٍ حِلٌّ وبِلٌّ[1] . وقد ذَكَرَه بعضُ الفُقَهاءِ عَن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ[2] ، والصَّحِيحُ أنَّه عَن عبدِ المطلبِ نَفْسِه ؛ فَإِنَّه هو الَّذى جَدَّد حَفْرَ زَمْزَمَ كما قَدَّمْنا ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الأُمَوِىُّ[3] فى « مَغَازيه » : حَدَّثنا أَبو عُبَيدٍ ، أَخْبَرنى يَحْيى بنُ سَعيدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَرْمَلةَ ، سَمعتُ سَعيدَ بنَ المسيَّبِ يحدِّثُ ، أنَّ عبدَ المطَّلبِ بنَ هاشِمٍ حينَ احتَفَرَ زَمزمَ ، قال : لا أُحِلُّها لِمُغْتسِلٍ ، وهى لِشارِبٍ حِلٌّ وبِلٌّ . وذلك أنَّه جَعَلَ لَها حَوْضَين ؛ حَوْضًا للشُّرْبِ ، وحَوْضًا للوُضوءِ ، فعِنْدَ ذَلك قال : لا أُحِلُّها لِمغتسِلٍ . ليُنَزِّهَ المسجدَ عَن أَنْ يُغتسَلَ فيه .

قال أبو عُبَيدٍ[4] : قال الأَصْمعىُّ : قولُه : وبِلٌّ . إتْباعٌ . قال أبو عُبيدٍ : والإِتْباعُ لا يكونُ بواوِ العَطْفِ ، وإنَّما هو كما قال مُعتمرُ بنُ سُليمانَ : إنَّ « بِلٌّ » بِلُغَةِ حِمْيَرَ : مُباحٌ .

ثُمَّ قال أبو عُبيدٍ[5] : حدَّثَنا أبو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عَن عاصِمِ بنِ أَبِى النَّجودِ ، أَنَّه سَمِعَ زِرًّا ، أنَّه سَمِعَ العَبَّاسَ يَقُولُ : لا أُحِلُّها لمُغْتَسِلٍ ، وهى لِشاربٍ حِلٌّ وَبِلٌّ . وحدَّثَنا[5] عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، حدَّثَنا سُفيانُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَلْقَمَةَ ، أنَّه سَمِعَ ابنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ ذلك . وهذا صَحيحٌ إِلَيهما ، وكأَنَّهما يَقُولانِ ذلك فى أَيامِهما عَلَى سَبيلِ التَّبْليغِ والإِعلامِ ، بما اشْتَرَطَه عبدُ المُطَّلبِ عندَ حَفْرِه

---

(١) البل : الشفاء ، والمباح . القاموس المحيط (ب ل ل) .

(٢) انظر المغنى لابن قدامة ١/ ٣٠.

(٣) رواه أبو عبيد فى غريب الحديث ٤/٢٦ حاشية (٦) ، عن يحيى بن سعيد به .

(٤) فى غريب الحديث ٤/ ٢٧.

(٥) غريب الحديث لأبى عبيد ٤/٢٦ حاشية (٦) .

لَها ، فلا يُنافى ما تقدَّم ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد كانت السِّقايَةُ إلى عبدِ المطَّلبِ أَيامَ حياتِه ، ثُم صارتْ إلى ابنِه أَبى طالبٍ مُدَّةً ، ثُم (١) اتَّفَقَ أنَّه (١) أَمْلَقَ فى بعضِ السِّنينَ ؛ فاسْتَدان مِن أَخيه العبَّاسِ عَشَرةَ آلافٍ ، إلى الموسِمِ الآخَرِ ، وصَرَفَها أبو طالبٍ فى الحجَيجِ فى عامِه ، فيما يَتَعَلَّقُ بالسِّقايةِ ، فلمَّا كان العامُ المُقْبِلُ لَم يَكُنْ مع أبى طالبٍ شىءٌ ، فقال لأَخيه العباسِ : أَسْلِفْنى أَربعةَ عَشَرَ ألفًا أيضًا إلى العامِ المُقبلِ ، أُعطك جَميعَ مالِكَ . فقال له العبَّاسُ : بشرْطِ إنْ لَم تُعطِنى تَتْرُكِ السِّقايةَ لى أَكْفِكَها . فقال : نعمْ . فلمَّا جاء العامُ الآخَرُ لَم يَكُنْ مع أبى طالبٍ ما يُعْطِى العبَّاسَ ، فَتَرَكَ له السِّقايةَ ، فَصارتْ إليه ، ثُمَّ مِن بَعدِه صارتْ إلى عبدِ اللَّهِ ولدِه ، ثُم إلى عَلىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، ثُم إلى داودَ بنِ عَلىٍّ ، ثُم إلى سُليمانَ بنِ عَلىٍّ ، ثُم إلى عِيسى بنِ عَلِىٍّ ، ثُم أَخَذَها المنصورُ ، واستنابَ عليها مَولاه أَبا رَزِينٍ . ذَكَرَه الأُمَوِىُّ (٢) .

(١ - ١) سقط من : ا ٩، ص .

(٢) انظر أنساب الأشراف ١/ ٥٧.

ذِكرُ[1] نذرِ عَبدِ المطَّلبِ ذبحَ أحدِ[2] ولدِه

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان عبدُ المطَّلبِ - فيما يَزْعُمُون - نَذَرَ حينَ لَقِى مِن قُريشٍ ما لَقِى ، عندَ حَفْرِ زَمْزَمَ ، لَئِن وُلِد له عشَرَةُ نَفَرٍ ، ثُم بَلَغوا معه حتى يَمْنَعوه ، لَيَنْحَرَنَّ[4] أحدَهم للَّهِ عندَ الكعبةِ ، فلمَّا تَكامَلَ بَنُوه عشَرةً ، وعَرَفَ أنَّهم سَيَمْنَعونه ، وهم ؛ الحارثُ ، والزُّبيرُ ، وحَجْلٌ ، وضِرارٌ ، والمقوَّمُ ، وأَبُو لَهَبٍ ، والعبَّاسُ ، وحَمْزةُ ، وأبو طالبٍ ، وعبدُ اللَّهِ ، جَمَعهم ، ثُم أَخْبَرهم بِنذرِه ، ودَعاهم إلى الوفاءِ للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، بذلك ، فأَطاعوه ، وقالوا : كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قال : لِيأْخُذْ كلُّ رَجُلٍ مِنكم قِدْحًا ، ثُم يَكتبْ فيه اسمَه ، ثُم ائتُونى . فَفَعَلوا ، ثُم أَتَوْه ، فَدَخَلَ بهم على هُبَلَ فى جوفِ الكَعبةِ ، [5]وكان هُبَلُ على بِئْرٍ فى جَوْفِ الكعبةِ[5] وكانتْ تلكَ البئرُ هى الَّتى يُجْمَعُ فيها ما يُهْدَى للكعبةِ ، وكان عندَ هُبَلَ قِداحٌ سبعةٌ ؛ وهى الأَزْلامُ التى يَتَحاكَمُون إليها إذا أَعضَلَ عليهم أَمْرٌ ، مِن عَقْلٍ ، أو نَسَبٍ ، أو أَمْرٍ مِن الأُمورِ ، جَاءوه فاسْتَقْسَمُوا بها ، فما أَمَرَتْهم به أو نَهَتْهُمْ عنه امْتَثَلوه .

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٠ - ١٢، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥١.

(٤) فى ا ٩، م : « ليذبحن » .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من سيرة ابن إسحاق ، وابن هشام .

والمقصودُ أنَّ عبدَ المطَّلبِ لمَّا جاء يَسْتَقْسِمُ بالقِداحِ عندَ هُبَلَ ، خَرَج القِدْحُ على ابنِهِ عبدِ اللَّهِ ، وكان أصغرَ ولدِه وأحبَّهم إليه ، فأَخَذ عبدُ المطَّلِبِ بيدِ ابنِه عبدِ اللَّهِ [٢/ ٣ظ] ، وأَخَذَ الشَّفْرَةَ ، ثُمَّ أَقْبَل بِه إلى إِسافٍ ونائلةَ ، ليَذْبَحَه فقامتْ إليه قريشٌ مِن أنديتِها ، فقالوا : ما تُرِيدُ يا عبدَ المطلبِ ؟ قال : أَذبحُهُ . فقالت له قُرَيْشٌ وبنوه[1] : واللَّهِ لا تذبحُه أبدًا حتَّى تُعذِرَ فيه ؛ لئِنْ فَعَلتَ هذا لا يَزالُ الرَّجُلُ يَجِيءُ بابنِهِ حتى يَذْبَحَه ، فما بقاءُ النَّاسِ على هذا !

وذَكَر يُونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ[2] : أنَّ العبَّاسَ هو الَّذى اجْتَذَبَ عبدَ اللَّهِ مِن تَحتِ رِجْلِ أبيه ، حينَ وَضَعها عليه لِيذْبَحَه ، فيُقالُ : إنَّه شجَّ وجهَه شَجًّا لَم يَزَلْ فى وَجْهِه إلى أَنْ مات ، ثُمَّ أَشارتْ قُرَيشٌ على عبدِ المطَّلبِ ، أنْ يَذْهبَ إلى الحجازِ ، فإنَّ بها عرَّافةً ، لها تابعٌ ، فيَسألَها عن ذلك ، ثُم أنتَ على رأسِ أَمْرِك ، إنْ أمَرَتْكَ بِذَبْحِه فاذْبَحْه ، وإنْ أَمرتْكَ بأمرٍ لكَ وله فيه مَخْرَجٌ قَبِلْتَه . فانطَلَقُوا حتى أَتَوُا المدينةَ فوجَدوا العرَّافَةَ ، وهي سَجَاحُ - فيما ذَكَره يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ - بخَيْبَرَ ، فرَكِبوا حتَّى جاءوها فسَألوها ، وقَصَّ عليها عبدُ المطَّلبِ خبرَه وخبرَ ابنِه ، فقالتْ لهم : ارْجِعُوا عنِّى اليَوْمَ حَتَّى يَأتِيَنى تابِعى فأَسْأَلَهُ . فرَجَعوا مِن عندِها ، فلمَّا خَرَجوا قام عبدُ المطَّلبِ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُم غَدَوْا عليها ، فقالتْ لهم : قد جاءنى الخَبَرُ ، كَم الدِّيَةُ فيكم ؟ قالوا : عشْرٌ مِن الإبلِ . وكانتْ كذلك . قالتْ : فارْجِعوا إلى بلادِكم ، ثُم قَرِّبوا صاحبَكم ، وقرِّبوا عشْرًا من الإبلِ ، ثُم اضْرِبوا عليها وعليه بالقِداحِ ، فإنْ

---

(١) بعده فى الأصل ، م : «إخوة عبد اللَّه» .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٢.

خَرَجَتْ على صاحبِكم ، فزيدوا مِن الإبلِ حتَّى يَرْضَى ربُّكم ، وإنْ خَرَجتْ على الإبلِ فانْحَرُوها عنه ؛ فقد رَضِى ربُّكم ونجا صاحبُكم . فَخَرَجوا حتَّى قَدِمُوا مكَّةَ ، فلمَّا أَجْمَعُوا على ذلك مِن[1] الأمرِ ، قام عبدُ المطَّلبِ يَدْعو اللَّهَ ، ثُمَّ قرَّبوا عبدَ اللَّهِ وعشْرًا مِن الإبلِ ، ثُمَّ ضَرَبوا ، فَخَرَج القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ ، فزادوا عشْرًا ، ثُمَّ ضَرَبوا فَخَرجَ القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ ، فزادوا عَشْرًا ، فلَمْ يزالُوا يَزِيدون عَشْرًا عَشْرًا ، ويَخْرُجُ القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ حتى بَلَغَتِ الإبلُ مائةً ، ثُمَّ ضرَبُوا ، فخرَجَ القِدْحُ على الإبلِ ، فقالت عندَ ذلك قريشٌ لعبدِ المُطَّلِبِ ، وهو قائمٌ عندَ هُبَلَ يدعُو اللَّهَ : قد انْتَهَى رِضَى رَبِّك يا عبدَ المُطَّلِبِ . فَزَعَموا أنَّه قال : لا ، حتى أَضْرِبَ عليها بالقِداحِ ثلاثَ مَرَّاتٍ . فضَرَبُوا ثلاثًا ؛ ويَقَعُ القِدْحُ فيها على الإبلِ ، فنُحِرَتْ ، ثُمَّ تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنْسانٌ ، ولا يُمْنَعُ . قال ابنُ هِشامٍ[2] : ويُقالُ : ولا سَبُعٌ .

ويُقالُ : إنَّه لَمَّا بلَغَتِ الإبلُ مِائةً ، خَرَجَ على عبدِ اللَّهِ أيضًا ، فَزَادُوا مِائةً أُخْرَى حتى بَلَغت مائتَيْنِ ، فخرَجَ القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ ؛ فزادُوا مائةً أُخْرى ، فصارَتِ الإبلُ ثَلَثَمائةٍ ، ثُمَّ ضربُوا فَخَرجَ القِدْحُ على الإبلِ ، فنحَرَها عندَ ذلك عبدُ المُطَّلِبِ . والصَّحِيحُ الأوَّلُ . واللَّهُ أعْلَمُ .

وقد رَوَى ابنُ جَريرٍ[3] ، عن يُونُسَ بنِ عَبْدِ الأعْلى ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن يُونُسَ بنِ يَزِيدَ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن قَبِيصَةَ بنِ[4] ذؤَيْبٍ ، أنَّ ابنَ عبَّاسٍ سَأَلَتْه

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٣٩.

(٤) فى ص : « عن » .

امْرأةٌ أنَّها نَذَرَتْ ذَبْحَ ولَدِها عندَ الكعبةِ ، فأمَرها بِذَبحِ مائةٍ مِن الإبلِ ، وذَكَرَ لها هذه القِصَّةَ عن عبدِ المُطَّلِبِ ، وسألَتْ عبدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ ، فلم يُفْتِها بِشىءٍ ، بل تَوقَّفَ ، فبلَغَ ذلك مَرْوَانَ بنَ الحكَمِ ، وهو أميرٌ على المَدينةِ ، فقالَ : إنَّهما لم يُصيبا الفُتْيَا ، ثُمَّ أمَرَ المَرْأةَ أن تَعْمَل ما اسْتطاعَت مِن الخَيْرِ ، ونهاها عن ذَبْحِ وَلَدِها ، ولم يَأمُرْها بذَبْحِ الإبلِ ، وأخَذَ الناسُ بقولِ مَرْوانَ فى ذلك . واللَّهُ أعْلمُ .

ذِكْرُ[1] تزْوِيجِ عبْدِ المُطَّلِبِ ابنَه عَبْدَ اللهِ، مِن آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الزُّهْرِيَّةِ

[٢/ ٤و] قالَ ابنُ إسْحاقَ[2] : ثم انْصَرَف عبدُ المُطَّلِبِ آخِذًا بِيَدِ ابْنِه عَبْدِ اللَّهِ، فمرَّ به - فيما يَزْعُمونَ - على امْرأةٍ مِن بَنى أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ، وهى أمُّ قَتَّالٍ أُخْتُ وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ وهى عندَ الكعبةِ، فنَظَرَت إلى وَجْهِه، فقالَتْ: أين تَذْهَبُ يا عبدَ اللَّهِ؟ قال: معَ أبى. قالَتْ: لك مِثلُ الإبِلِ التى نُحِرَت عنك، وقَعْ علىَّ الآنَ. قال: أنا معَ أبى، ولا أسْتَطِيعُ خِلافَه ولا فِراقَه. فخَرَجَ به عبدُ المُطَّلِبِ حتّى أتَى به[3] وَهْبَ بنَ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرٍ، وهو يَوْمَئذٍ سَيِّدُ بنى زُهْرَةَ نَسَبًا[4] وشَرَفًا، فزوَّجه ابْنَتَه آمِنَةَ بنتَ وَهْبٍ، وهى يَوْمَئذٍ سَيِّدَةُ نساءِ قَوْمِها، فزَعَمُوا أنَّه دَخَل عليها حينَ أُمْلِكَها مكانَه، فوَقَعَ عليها، فحَمَلَت برَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَج مِن عندِها، فأتَى المرأةَ التى عَرَضَتْ عليه ما عَرَضَتْ، فقالَ لها: ما لكِ لا تَعْرِضِينَ علىَّ اليومَ ما كُنْتِ عَرَضْتِ علىَّ[5] بالأمْسِ؟ قالتْ له: فارَقَكَ النُّورُ الذى كان معَك بالأمْسِ،

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٩، ٢٠، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥٥، ١٥٦.

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) فى النسخ: «سنا». والمثبت من سيرة ابن إسحاق، وابن هشام.

(٥) سقط من: الأصل، م.

فلَيْسَ لى بك اليومَ[1] حاجَةٌ . وقد كانت تَسْمَعُ مِن أخِيها وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ - وكان قد تَنَصَّرَ واتَّبَعَ الكُتُبَ - أنَّه كائِنٌ فى هذه الأُمَّةِ نَبِيٌّ ، فطَمِعَت أن يكونَ منها ، فجعلهُ اللَّهُ تعالى فى أشْرَفِ عُنْصُرٍ ، وأكْرَمِ مَحْتِدٍ ، وأَطيَبِ أصْلٍ ، كما قالَ تَعالَى : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾[2] [الأنعام : ١٢٤] .وسَنَذْكُرُ المَوْلِدَ مُفَصَّلًا .

وممّا قالت أُمُّ قَتَّالٍ بنتُ نَوْفَلٍ مِن الشِّعرِ ، تَتأسَّفُ على ما فاتَها مِن الأمْرِ الذى رَامَتْه ، وذلك فيما رَواهُ البَيْهقِىُّ[3] من طريقِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن مُحمَّدِ ابنِ إسْحاقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

عليكَ بآلِ زُهْرَةَ حيثُ كانوا ... وآمِنةَ التى حَمَلَت غُلامَا

تَرَى المَهْدِىَّ حينَ نَزَا علَيْها ... ونُورًا قد تَقَدَّمَه أمَامَا

إلى أن قالَتْ :

فكلُّ الخَلْقِ يَرْجُوهُ جَميعًا ... يَسُودُ النَّاسَ مُهْتَدِيًا إمامَا

بَرَاهُ[4] اللَّهُ مِن نورٍ صَفاءً[5] ... فأَذْهَبَ نُورُه عنَّا الظَّلامَا

وذلكَ صُنْعُ رَبِّك إذ حبَاهُ ... إذَا ما سَارَ يومًا أو أقَامَا

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) كذا (رسالاته) بالجمع لجميع القراء ، سوى حفص وعبد اللَّه بن كثير المكى فقرآ : (رسالته) بالإفراد .

(٣) البيهقى فى الدلائل ١/ ١٠٣، ١٠٤، وسيرة ابن إسحاق ص ٢٠.

(٤) براه ، من برأ ، أى خلقه .

(٥) فى ا ٩، م : « صفاه » .

فَيَهْدِى أهْلَ مَكَّةَ بعدَ كُفْرٍ ويَفْرِضُ بعدَ ذَلِكُمُ الصِّيامَا

وقال أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ سَهْلٍ الخَرَائِطِىُّ[1] : حدَّثَنا علىُّ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ عُمارَةَ القُرَشِىُّ ، حدَّثَنا مُسْلِمُ بنُ خَالدٍ الزَّنْجِىُّ ، حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : لَمَّا انْطَلَقَ عبدُ المُطَّلِبِ بابْنِه عبدِ اللَّهِ لِيُزَوِّجَه ، مرَّ به على كاهِنةٍ من أهْلِ تَبالَةَ مُتَهَوِّدَةٍ قد قَرَأتِ الكُتُبَ ، يُقالُ لها : فاطمةُ بنتُ مُرٍّ الخَثْعَمِيَّةُ ، فرَأَتْ نُورَ النُّبُوَّةِ فِى وَجْهِ عبدِ اللَّهِ ، فقالَتْ : يا فَتَى ، هل لك أنْ تَقَعَ علىَّ الآنَ وأُعْطِيَك مِائةً مِن الإبِلِ ؟ فقالَ عبدُ اللَّهِ :

أَمَّا الحَرَامُ فَالمَمَاتُ دُونَهْ والحِلُّ لا حِلٌّ فَأَسْتَبِينَهْ

فكيفَ بالأمْرِ الذى تَبْغِينَهْ [2]يَحْمِى الكريمُ عرضَه ودينَه[2]

ثُم مضَىَ معَ أبيه ، فزَوَّجَه آمِنَةَ بنتَ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ ، فأقامَ عِنْدَها ثلاثًا ، ثُمَّ إنَّ نَفْسَه دعَتْه إلى ما دَعَتْهُ إليه الكَاهِنَةُ ، فأتاها ، فقالَتْ : ما صَنَعْتَ بعدِى ؟ فأخْبَرَها ، فقالَتْ : واللَّهِ ما أنا بصَاحِبَةِ رِيبةٍ ، ولَكِنِّى رأيتُ فى وَجْهِك نُورًا ، فأرَدْتُ أن يكونَ فىَّ ، وأَبَى اللَّهُ إلَّا أنْ يَجْعَلَه حيثُ أرَادَ . ثم أنْشأَت فاطمةُ [٤/٢ ظ] تَقولُ :

إنِّى رَأَيْتُ مُخِيلَةً[3] لَمَعَتْ فَتَلَأْلأَتْ بِحَنَاتِمِ[4] القَطْرِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٤، من طريق الخرائطى به .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) المخيلة : السحابة السوداء التى تخالها ماطرة .

(٤) حناتم : جمع حَنْتَمَة ، وهى السحابة السوداء لامتلائها من الماء .

فلمأتُها[1] نُورًا يُضِيءُ له ... ما حَوْلَه كإضاءةِ البَدْرِ
وَرَجَوْتُها فَخْرًا أبُوءُ به ... ما كُلُّ قادحِ زَنْدِهِ يُورِى
للَّهِ مَا زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ... ثَوْبَيْكَ ما اسْتَلبتْ وَمَا تَدْرِى

وقالَتْ فاطمةُ أيْضًا :

بنى هاشمٍ قد غَادَرَتْ مِن أخِيكُمُ ... أمَيْنَةُ إذْ لِلْباهِ يَعْتَرِكانِ
كما غادَرَ المِصْباحَ عندَ خُمودِه ... فَتائلُ قد مِيثَت له بدِهانِ
وَمَا كلُّ ما يَحْوِى الفَتَى مِن تِلادِهِ ... بِحَزْمٍ ولا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِى
فأَجْمِلْ إذا طالَبْتَ أمْرًا فإنَّه ... سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ يَعْتَلِجَانِ
سَيَكفيكَه إمَّا يَدٌ مُقْفَعِلَّةٌ[2] ... وإمَّا يدٌ مبسوطةٌ بِبَنانِ
وَلمَّا حَوَتْ مِنْهُ أُمَيْنَةُ مَا حَوَتْ ... حَوَتْ مِنْهُ فَخْرًا مَا لِذَلِك ثَانِ

وروَى أبو نُعَيْمٍ[3] الحافظُ فى كتابِ « دَلائلِ النُّبُوَّةِ » ، مِن طريقِ يَعْقُوبَ بنِ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عِمْرانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن أبى[4] عَوْنٍ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، [5]عن أبيه العباسِ[5] قال : إنَّ عبدَ المُطَّلِبِ قَدِمَ اليمنَ فى رِحْلَةِ الشِّتاءِ ، فَنَزَل على حَبْرٍ من اليَهُودِ ، قال : فقالَ

---

(١) لمأتها : أبصرتها .
(٢) الاقفعلال : تشنج بالأصابع والكف ؛ من برد أو داء ، ويد مقفعلة أى ، منقبضة . اللسان (قفعل) .
(٣) الدلائل لأبى نعيم (٧١) .
(٤) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من الدلائل ، وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٧٣.
(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل لأبى نعيم .

لى رَجُلٌ مِن أهْلِ الزَّبُورِ ، يَعْنِى أهْلَ الكِتابِ : يا عبدَ المُطَّلِبِ ، أتأذَنُ لى أن أنْظُرَ إلى بَعْضِك ؟ قال : نَعَمْ ما لم يَكُنْ عَوْرَةً . قال : فَفَتح إحْدَى مَنْخَرَىَّ ، فَنَظَرَ فيه ، ثُم نَظَر فى الآخَرِ ، فقالَ : أشْهَدُ أنَّ فى إحْدَى يَدَيْك مُلْكًا ، وفى الأُخْرَى نُبُوَّةً ، وأنَّا نجِدُ ذلك فى بَنى زُهْرَةَ ، فكيف ذلك ؟ قلتُ : لا أدْرِى . قال : هل لكَ مِن شاعةٍ[1] . قلتُ : وما الشَّاعَةُ ؟ قال : الزَّوْجَةُ . قلتُ : أمَّا اليومَ ، فلا . قال : فإذا رَجَعْتَ فَتَزَوَّجْ فيهم ، فرجَعَ عبدُ المُطَّلِبِ فَتَزَوَّجَ هالةَ بنتَ وُهَيْبِ[2] ابنِ عبدِ منافِ بنِ زُهْرَةَ ، فَوَلَدَتْ حمزةَ وصَفِيَّةَ ، ثُم تَزَوَّج عَبْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المُطَّلبِ آمنةَ بِنْتَ وَهْبٍ ، فوَلَدَت رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالَتْ قُرَيْشٌ حينَ تَزَوَّج عَبْدُ اللَّهِ بآمِنَةَ : فَلَج . أى فازَ وغَلَب عَبْدُ اللَّهِ على أبيه عَبْدِ المُطَّلِبِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « شاغة » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، م : « وهب » .

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتابُ سِيرةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ،

[1]وذِكرُ أيَّامِه وغَزَواتِه وسَراياه والوفودِ إليه، وشمائِلِه وفضائِلِه ودلائِلِه الدالَّةِ عليه

بابُ ذكرِ نسبهِ الشريفِ، وطِيبِ أصلِهِ المُنِيفِ[1]

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾. ولمَّا سأل هِرَقْلُ ملِكُ الرّومِ أبا سفيانَ تلك الأسئلةَ عن صفاتِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، قال: كيف نَسَبُه فيكم؟ قال: هو فينا ذُو نَسَبٍ. قال: كذلك الرُّسلُ تُبْعَثُ فى أَنسابِ قَوْمِها[2]. يعنى فى أكرمِها أحْسَابًا وأكثرِها قبيلةً. صلواتُ اللَّهِ عليهم أَجْمعينَ.

فهو سيِّدُ ولدِ آدمَ وفخرُهم فى الدُّنيا والآخِرةِ؛ أبو القاسمِ، وأبو إبراهيمَ، محمدٌ، وأحمدُ، والماحِى الَّذِى يُمْحَى به الكفرُ، والعاقِبُ الَّذى ليس بعدَه نبيٌّ، والحاشِرُ الَّذى يُحْشَرُ النَّاسُ على قدمَيْه، والمُقَفِّى[3]، ونبيُّ الرَّحمةِ، ونبيُّ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) البخارى (٧، ٢٩٤١، ٤٥٥٣).

(٣) قال فى زاد المعاد ١/ ٩٤: «هو الذى قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم».

التَّوبةِ ، ونبىُّ الملْحَمَةِ [٢/٥و] ، وخاتَمُ النَّبِيِّين ، والفاتِحُ ، وطَه ، ويَس ، وعبدُ اللَّهِ .

قال البَيْهقىُّ[١] : وزاد بعضُ العُلَماءِ ، فقال : سمَّاه اللَّهُ فى القرآنِ رَسولًا ، نبيًّا ، أُمِّيًّا ، شاهدًا ، مُبَشِّرًا ، نَذِيرًا ، وداعيًا إلى اللَّهِ بإذنِه ، وسِرَاجًا مُنِيرًا ، ورَءُوفًا رَحِيمًا ، ومُذَكِّرًا ، وجَعَلَه رَحْمةً ، ونِعْمَةً ، وهاديًا .

وسنُورِدُ الأَحادِيثَ المَرْوِيَّةَ فى أسمائِهِ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فى بابٍ نَعْقِدُه بعدَ فَراغِ السِّيرَةِ ؛ فإنَّه قد وَرَدَتْ أَحاديثُ كَثِيرةٌ فى ذلك ، اعْتَنَى بِجَمْعِها الحافظان الكبيران ؛ أبو بكرٍ البيْهَقىُّ ، وأبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[٣] ، وأَفْرَدَ النَّاسُ فى ذلك مؤلفاتٍ ، حتى رام بَعْضُهم أَنْ يَجْمَعَ له ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ألفَ اسْمٍ . وأمَّا الفَقِيهُ الكبيرُ أبو بكرٍ ابنُ العربىِّ المالِكِىُّ ، شَارِحُ « التِّرْمِذىِّ » بِكِتَابِه الَّذى سَمَّاه « الأَحْوَذِىَّ » ، فإنَّه ذَكَر مِن ذلكَ أَرْبَعَةً وسِتِّين اسْمًا[٤] . واللَّهُ أعلمُ .

وهو ابنُ عبدِ اللَّهِ ، وكان أَصْغَرَ وَلَدِ أبيه عبدِ المُطَّلبِ ، وهو الذَّبِيحُ الثَّانى ، المَفْدِىُّ بِمائةٍ مِن الإبلِ ، كما تقدَّم .

قال الزُّهْرِىُّ[٥] : وكان أَجْمَلَ رِجالِ قُرَيْشٍ . وهو أَخو الحارِثِ ، والزُّبيرِ ، وحمزَةَ ، وضِرارٍ ، وأبى طالبٍ ، واسمُه عبدُ مَنافٍ ، وأبى لَهَبٍ ، واسْمُه عبدُ

---

(١) دلائل النبوة ١/ ١٦٠.

(٢) فى الأصل ، م : « أمينا » .

(٣) دلائل النبوة ١/١٥١ - ١٦١، تاريخ دمشق ٣/١٧ - ٣٤.

(٤) عارضة الأحوذى ١٠/ ٢٨١.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٤٦.

العُزَّى ، والمُقَوِّمِ ، واسمُه عبدُ الكعبةِ ، وقيل : هما اثنان . وحَجْلٍ ، واسمُه المغيرةُ ، والغَيْدَاقِ ، وهو كثيرُ الجُودِ ، واسمُه نَوْفَلٌ ، ويقالُ : إنَّه حَجْلٌ ، والعباسِ[1] . فهؤلاء أعمامُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ . وعمَّاتُه سِتٌّ ؛ وهُنَّ أَرْوَى ، وبَرَّةُ ، وأُمَيْمَةُ ، وصَفِيَّةُ ، وعاتِكَةُ ، وأُمُّ حَكِيمٍ ، وهى البَيْضاءُ . وسنتَكَلَّمُ على كُلٍّ منهم فيما بعدُ ، إنْ شاء اللَّهُ تعالى .

فهؤلاء[2] أَوْلادُ عبدِ المُطَّلِبِ ، واسمُه شَيْبَةُ ، يُقالُ : لِشَيْبَةٍ كانَتْ فى رَأْسِهِ . ويُقالُ له : شَيْبَةُ الحَمْدِ . لجُودِهِ . وإنَّما قيل له : عبدُ المطَّلبِ ؛ لأنَّ أباه هَاشِمًا لمَّا مَرَّ بالمدينةِ فى تجارتِه إلى الشَّامِ ، نَزَلَ على عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ لَبِيدِ بنِ حرامِ[3] بنِ خِداشِ بنِ [4]عامرِ بنِ غَنْمِ[4] بنِ عَدِىِّ بنِ النَّجَّارِ الخَزْرَجِىِّ النَّجَّارِىِّ ، وكانَ سيِّدَ قَوْمِه فأَعْجَبَتْه ابنتُه سَلْمَى ، فَخَطَبها إلى أبيها فزَوَّجها منه ، واشْتَرَط عليه مُقامَها عندَه . وقيل : بلِ اشْتَرَط عليه أنْ لا تَلِدَ إلَّا عندَه بالمدينةِ . فلمَّا رَجَعَ ، من الشَّامِ بَنَى بها ، وأَخَذَها معه إلى مَكَّةَ ، فلمَّا خَرَج فى تِجارَةٍ ، أَخَذَها معه ، وهى حُبْلَى ، فَتَرَكها بالمدينةِ ، ودَخَل الشَّامَ فمات بغَزَّةَ ، وَوَضَعَتْ سَلْمَى وَلَدَها ، فَسَمَّتْه شَيْبَةَ ، فأَقام عندَ أَخْوالِه بنى عَدِىِّ بنِ النَّجَّارِ ، سَبْعَ سِنِينَ ، ثُم جاءَ عمُّه المطَّلِبُ بنُ عبدِ مَنافٍ ، فأَخَذَه خُفْيَةً مِن أُمِّهِ ، فَذَهَب به إلى مَكَّةَ ، فلمَّا رآه النَّاسُ ورَأَوْه على الرَّاحِلةِ ، قالوا : مَن هذا معك ؟ فقال : عبدى . ثُمَّ جاءُوا فهنَّئُوه به ، وجَعَلوا يَقُولون له : عبدُ المطَّلبِ . لذلك ، فغَلَبَ عليه ، وسادَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) فى الأصل ، م : « كلهم » .

(٣) فى ا ٩، ص : « حزام » . انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧، وجمهرة أنساب العرب ص ١٤.

(٤ - ٤) فى النسخ : « خندف » ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، وجمهرة أنساب العرب .

فى قريشٍ سِيادةً عَظِيمةً، وذَهَب بِشَرفِهم ورِئاسَتِهم، فكان جِماعُ أمرِهم إليه[1]، وكانتْ إليه السِّقايةُ والرِّفادَةُ بعدَ المطَّلِبِ، وهو الَّذى جدَّد حَفْرَ زَمْزَمَ بعدَما كانتْ مَطْمُومَةً مِن عهدِ جُرْهُمٍ، وهو أوَّلُ مَنْ حَلَّى[2] الكَعْبَةَ بِذَهَبٍ فى أبوابِها، مِن تَيْنَكَ الغَزالتَين اللَّتين مِن ذهبٍ، وجَدهما فى زَمْزَمَ مع تلك الأسْيافِ القَلْعيةِ.

قال ابنُ هشامٍ[3]: وعبدُ المطَّلبِ أخو أسدٍ ونَضْلَةَ[4] وأبى صَيْفىٍّ وحيَّةَ وخالدةَ ورُقَيَّةَ والشِّفاءِ وضعيفةَ. كلُّهم أولادُ هاشمٍ، واسمُه عمرٌو، وإنما سُمِّىَ هاشِمًا؛ لهَشْمِه الثَّرِيدَ مع اللَّحمِ لقومِه فى سِنِى المَحْلِ، كما قال مَطْرودُ[5] بنُ كَعْبٍ الخُزَاعىُّ فى قصيدَتِه، وقيل: هى[6] [7]لعبدِ اللَّهِ بنِ الزِّبَعْرَى[7] [٢/ ٥ظ]:

عَمرُو الذى هَشَم الثَّريدَ لقومِه ... [8]قومٍ بمكةَ مُسْنِتين عِجافِ[8]

سُنَّتْ إليْه الرِّحْلَتانِ كِلاهما ... سَفَرُ الشتاءِ ورحْلةُ الأصيافِ

وذلك لأنّه أوَّلُ مَن سنَّ رِحْلَتَى الشِّتاءِ والصَّيفِ، وكان أكبرَ وَلَدِ أبيه، وحكى ابنُ جريرٍ[9] أنَّه كان تَوْأَمَ أخيه عبدِ شَمْسٍ، وأنَّ هاشِمًا خَرَج ورجْلُه

---

(١) فى الأصل، م: «عليه».

(٢) فى م: «طلى».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧.

(٤) الأصل، م، ص: «فضلة». وفى ا ٩: «فضيلة». والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧.

(٥) فى ص: «مطرد».

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧ - ٧) فى النسخ: «للزبعرى والد عبد الله». والمثبت من الروض الأنف ٢/ ٨٤.

(٨ - ٨) فى النسخ: «ورجال مكة مسنتون عجاف». والمثبت من الروض. والمسنتون: الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة.

(٩) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٥٢.

مُلْتَصِقةٌ برأسِ عبدِ شَمْسٍ ، فما تخلَّصَتْ حتَّى سال بينَهما دمٌ ، فقال[1] النَّاسُ : بذلك يكونُ بينَ أولادِهما حُرُوبٌ . فكانتْ وقعةُ بنى العبَّاسِ مع بنى أُميّةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ ومِائةٍ من الهجرةِ . وشقيقُهم الثَّالثُ المطَّلبُ ، وكان المطَّلِبُ أصغرَ ولدِ أبيه ، وأمُّهم عاتِكَةُ بنتُ مُرَّةَ بنِ هلالٍ . ورابعُهم نَوْفَلٌ ، مِن أمٍّ أُخرى ، وهى واقدةُ[2] بنتُ عمرٍو المازِنيةُ ، وكانوا قد سادوا قومَهم بعدَ أبيهم ، وصارتْ إليهم الرِّياسةُ ، وكان يُقالُ لهم : المُجيرون . وذلك لأنَّهم أخَذوا لقومِهم قُرَيْشٍ الأمانَ من مُلوكِ الأقاليمِ ؛ ليدخُلوا فى التِّجاراتِ إلى بلادِهم ، فكان هاشمٌ قد أَخَذ أمانًا من مُلوكِ الشَّامِ والرومِ وغَسَّانَ ، وأخذَ لهم عبدُ شَمْسٍ من النَّجاشىِّ الأكبرِ مَلِكِ الحبشةِ ، وأخَذ لهم نَوْفَلٌ مِن الأكاسرةِ ، وأخَذ لهم المُطَّلبُ أمانًا مِن ملوكِ حِمْيَرَ . ولهم يَقُولُ الشاعرُ :

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَه ... أَلَّا[3] نزَلْتَ بآلِ عبدِ مَنافِ !

وكان إلى هاشِمٍ السِّقايَةُ والرِّفادةُ بعدَ أبيه ، وإليه وإلى أَخيه المُطَّلبِ نَسَبُ ذَوِى القُرْبَى ، وقد كانوا شَيئًا واحدًا فى حالَتَيِ الجاهِلِيَّةِ والإسلامِ لَم يَفْتَرِقوا ، ودَخَلوا معهم فى الشِّعْبِ ، وانخَذلَ عنهم بنو عبدِ شَمْسٍ ونَوْفَلٍ ، ولهذا يقولُ أبو طالبٍ فى قَصِيدَتِه :

جَزَى اللَّهُ عنّا عبدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... عُقوبةَ شَرٍّ عاجلًا غَيْرَ آجِلِ

ولا يُعْرَفُ بنو أَبٍ تَباينوا فى الوَفاةِ مِثْلُهم ؛ فإنَّ هاشِمًا مات بِغَزَّةَ مِن أَرْضِ

---

(١) فى ص : « فتفاءل » .

(٢) فى الأصل : « وافدة » .

(٣) فى ا ، ٩ : « هلا » .

الشَّامِ ، وعبدَ شمسٍ مات بمكَّةَ ، ونَوْفَلًا مات بسَلْمانَ[1] مِن أَرْضِ العِراقِ ، ومات المُطَّلِبُ - وكان يقالُ له : القمرُ . لحُسْنِه - برَدْمانَ[2] من طَريقِ اليَمنِ ، فهؤلاء الإِخْوةُ الأَرْبعةُ المشاهيرُ ، وهم ؛ هاشمٌ ، وعبدُ شَمْسٍ ، ونَوْفَلٌ ، والمطَّلبُ ، ولهم أَخٌ خامسٌ ليس بمشهورٍ وهو أبو عمرٍو ، واسْمُهُ عبدٌ ، وأصلُ اسمِه عبدُ قُصَيٍّ ، فقال الناسُ : عبدُ بنُ قُصَيٍّ دَرَجَ[3] ، ولا عَقِبَ له . قاله الزبيرُ ابنُ بكَّارٍ وغيرُه[4] . وأَخَوَاتٌ سِتٌّ وهنَّ ؛ تُماضِرُ ، وحَيَّةُ ، ورَيْطَةُ ، وقِلابةُ ، وأُمُّ الأَخْثَمِ ، وأُمُّ سفيانَ . كُلُّ هؤلاء أولادُ عبدِ منافٍ ، ومنافٌ اسمُ صنمٍ ، وأَصلُ اسمِ عبدِ منافٍ المغيرةُ ، وكان قد رَأَسَ فى زَمَنِ وَالِدِهِ ، وذهَب به الشَّرفُ كلَّ مَذْهَبٍ ، وهو أخو عبدِ الدَّارِ الَّذى كان أكبرَ ولدِ أَبيه وإليه أَوصَى بالمَناصِبِ كما تقدَّم[5] ، وعبدِ العُزَّى ، وعبدٍ ، وبَرَّةَ وتَخْمُرَ ، وأُمُّهم كُلِّهم حُبَّى بنتُ حُلَيْلِ بنِ حُبْشِيَّةَ[6] بنِ سَلُولِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو الخُزاعِيِّ ، وأبُوها آخِرُ مُلوكِ خُزاعَةَ ، ووُلاةُ البيتِ مِنهم ، وكلُّهم أولادُ قُصَيٍّ ، واسمُهُ زَيدٌ ، وإنَّما سُمِّى بذلك ؛ لأنَّ أُمَّه تزوَّجتْ بعدَ أَبيه برَبيعةَ بنِ حَرامِ[7] بنِ عُذْرةَ ، فسافَر بها إلى بلادِه ، وابنُها صغيرٌ ؛ فسُمِّىَ قُصَيًّا لذلك ، ثُم عاد إلى مكَّةَ وهو كبيرٌ [٢/٦و] ، ولَمَّ شَعَثَ قريشٍ ، وجَمَعها مِن مُتَفَرِّقاتِ البلادِ ، وأَزاحَ يَدَ خُزاعَةَ عن البيتِ ،

---

(١) فى النسخ : « بسلامان » . والمثبت من معجم البلدان ١٢١/٣ .

(٢) فى النسخ : « بريمان » . والمثبت من معجم البلدان ٧٧٣/٢.

(٣) درج : انقرض .

(٤) تاريخ الطبرى ٢٥٤/٢ .

(٥) تقدم فى صفحة ٢٤٣.

(٦) فى الأصل ، م : « حبشى » .

(٧) فى النسخ : « حزام » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٢/ ٢٥٤.

وأجْلاهم عن مكَّةَ، ورَجَع الحقُّ إلى نِصابِهِ، وصار رئيسَ قريشٍ عَلَى الإطلاقِ، وكانت إليه الرِّفادةُ[1]، [2]وهو سَنَّها[2]، والسِّقايةُ والسَّدانَةُ والحِجابَةُ واللِّواءُ، ودارُه دارُ النَّدْوَةِ، كما تقدَّم[3] بَسْطُ ذلك كلِّه ولهذا قال الشاعرُ[4]:

قُصَيٌّ لَعَمْرِى كان يُدْعَى مُجَمِّعًا ... به جَمَع اللَّهُ القَبائِلَ مِن فِهْرِ

وهو أخو زُهْرَةَ، كلاهما ابنا كِلابِ أَخِى تَيْمٍ[5] ويَقَظَةَ أَبى مَخْزومٍ، ثلاثتُهم أبناءُ مُرَّةَ أَخِى عَدِىٍّ وهُصَيْصٍ، وهم أبناءُ كَعْبٍ، وهو الذَّى كان يَخْطُبُ قومَه كُلَّ جُمُعَةٍ، ويُبَشِّرُهم بمبعثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ويُنْشِدُ فى ذلك أَشْعارًا كما قدَّمْنا، وهو أَخو عامرٍ وسامَةَ وخُزَيمةَ وسَعْدٍ والحارِثِ وعَوفٍ، سَبْعتُهم أبناءُ لُؤَىٍّ أَخِى تَيمِ الأَدْرَمِ، وهُما أبناءُ غالِبٍ أَخِى الحارثِ ومُحاربٍ، ثلاثتُهم أبناءُ فِهْرٍ، وهو أَخو الحارثِ، وكلاهما ابنُ مالكٍ، وهو أَخو الصَّلْتِ ويَخْلُدَ، وهم بنو النَّضْرِ الذى إليه جِماعُ قُرَيشٍ عَلَى الصَّحيحِ كما قدَّمْنا[6] الدَّليلَ عليه، وهو أخو مالكٍ ومِلْكانَ وعبدِ مناةَ وغيرِهم، كلُّهم أولادُ كِنانةَ أَخِى أَسَدٍ وأَسَدةَ والهونِ أَوْلادِ خُزَيمةَ، وهو أَخو هُذَيلٍ، وهُما ابنا مُدْرِكةَ - واسْمُه عَمْرٌو[7] أخو طابِخةَ -

---

(١) فى الأصل، م: «الوفادة».

(٢ - ٢) أتت هذه العبارة فى م بعد كلمة: «السقاية».

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٦.

(٤) نسبه الطبرى فى تاريخه ٢/٢٥٦ لمطرود.

(٥) فى ص: «تميم».

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٢٠، ٢٢١.

(٧) كذا فى النسخ، وفى تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٦. وعند ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق: «عامر».

واسمُهُ عامِرٌ[1] - وقَمَعَةَ ، ثلاثتُهم أبناءُ إلياسَ ، وأخو إلياسَ هو عَيْلانُ[2] والدُ قَيْسٍ كُلِّها ، وهما ولدا مُضَرَ أَخى رَبيعَةَ ، ويقالُ لهما : الصَّريحان مِن ولدِ إسماعيلَ . وأخَواهما أَنمارٌ وإِيادٌ تَيامَنا ، أربعتُهم أبناءُ نِزارٍ أَخِى قُضاعةَ - فى قولِ طائفةٍ مِمَّن ذهَب إلى أنَّ قُضاعَةَ حِجازِيَّةٌ عَدْنانِيَّةٌ - وقد تقدَّم[3] بيانُه ، كِلاهما أبناءُ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ .

وهذا النَّسَبُ بهذه الصِّفَةِ لا خلافَ فيه بينَ العلماءِ ، فجميعُ قبائلِ عربِ الحِجازِ يَنْتَهُونَ إلى هذا النَّسبِ ، ولهذا قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه فى قولِه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى : ٢٣] : لم يكُنْ بَطْنٌ مِن بُطونِ قُريشٍ ، إلَّا ولِرسولِ اللَّهِ ﷺ نسبٌ يتَّصِلُ بهم[4] . وصدَق ابنُ عبَّاسٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فيما قال ، وأَزْيَدَ مِمَّا قال ؛ وذلك أنَّ جميعَ قبائلِ العربِ العَدْنانيةِ تَنتَهى إليه بالآباءِ ، وكثيرٌ مِنهم بالأُمَّهاتِ أيضًا ، كما ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُه فى أُمهاتِه وأُمَّهاتِ آبائِه وأُمَّهاتِهم ، مِمَّا[5] يطولُ ذِكْرُه . وقد حرَّره ابنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ ، والحافظُ ابنُ عساكرَ ، وقد ذَكَرْنا[6] فى تَرْجمةِ عَدْنانَ ، نَسَبَه وما قيلَ فيه ، وأنَّه مِن وَلَدِ إسماعيلَ لا محالةَ ، وإنِ اختُلِفَ فى كَمْ بينَهما أَبًا ؟ عَلَى أقوالٍ قد بَسَطْناها

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٧. وعند ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : « عمرو » .

(٢) فى النسخ : « غيلان » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٧٥.

(٣) تقدم فى صفحة ١٠٢ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٥/ ٢٣.

(٥) فى الأصل ، م : « ما » .

(٦) تقدم فى صفحة ١٠٢.

فيما تقدَّمَ[1] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذَكَرْنا بقيةَ النَّسبِ مِن عدنانَ إلى آدمَ ، وأَوْرَدْنا قصيدةَ أَبى العباسِ النّاشِئِ المتضمِّنةَ ذلك[2] ، كلُّ ذلك فى أخبارِ عربِ الحجازِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وقد تكلَّمَ الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جريرٍ ، رَحِمه اللَّهُ ، فى أَوَّلِ « تاريخِه » عَلَى ذلك كلامًا مَبْسوطًا جَيِّدًا مُحَرَّرًا نافِعًا ، وقد ورَد حديثٌ فى انتِسابِه ، عليه السلامُ ، إلى عدنانَ وهو عَلَى المِنبرِ ، ولكنِ اللَّهُ أَعْلمُ بصحتِه ، كما قال الحافِظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[3] : أنبأنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عُمرَ[4] بنِ حَفْصٍ المُقْرِئُ ببغدادَ ، حدَّثنا أبو عيسى [٢/ ٦ظ] بكَّارُ بنُ[5] أحمدَ بنِ بكارٍ ، حدَّثنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ موسى بنِ سَعِيدٍ[6] ، إملاءً سنةَ ستٍّ وتسعينَ ومائتين ، حدَّثَنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أبانَ القَلانِسِىُّ ، حدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ ربيعةَ القُدامِىُّ ، حدَّثنا مالكُ بنُ أَنَسٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أَنَسٍ ، وعن أبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ . قالا : بلَغ النبىَّ ﷺ ، أنَّ رِجالًا مِن كِنْدَةَ يَزْعُمون أنَّهم مِنه ، وأنَّه مِنهم ، فقال : « إنَّما كان يقولُ ذلك العبَّاسُ وأبو سفيانَ ابنُ حَرْبٍ [7]إذا قَدِما المدينةَ[7] لِيأمَنَا[8] بذلك ، وإنّا لن نَنْتَفِىَ مِن آبائِنا ، نحنُ بنو النَّضْرِ بنِ كنانةَ » . قال : وخطَب النبىُّ ﷺ ، فقال : « أَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ

---

(١) تقدم فى صفحة ١١٨ وما بعدها .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٠٧ .

(٣) الدلائل للبيهقى ١/ ١٧٤.

(٤) فى الأصل : « عمرو » . وفى الدلائل : « محمد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٢.

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى م ، ص : « سعد » .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من دلائل البيهقى ١/ ١٧٤.

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « فيأمنا » .

ابنِ عبدِ المطَّلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارٍ، وما افترق النّاسُ فِرقتَينِ إلَّا جَعَلنى اللَّهُ فى خَيرِهما، فأُخْرِجْتُ مِن بينِ أبوىَّ فلم يُصِبْنى شىءٌ مِن عُهْرِ الجاهليةِ، وخرَجتُ مِن نِكاحٍ ولَم أَخْرُجْ مِن سِفاحٍ، مِن لَدُنْ آدمَ حتَّى انتهَيتُ إلى أَبِى وأُمِّى، فأنا خيرُكم نَفْسًا، وخيرُكم أبًا».

وهذا حديثٌ[1] غريبٌ جدًّا مِن حديثِ مالِكٍ. تَفَرَّدَ بِه القُدامِىُّ، وهو ضعيفٌ.

ولكن سَنذْكُرُ له شواهدَ مِن وجوهٍ أُخَرَ؛ فمِن ذلك قولُه: «خرَجتُ مِن نكاحٍ لا مِن سِفاحٍ»[2].

قال عبدُ الرَّزَّاقِ[3]: أخبرَنا ابنُ عُيَيْنَةَ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ، عن أبيه أبى جعفرٍ الباقِرِ، فى قولِه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال: لَم يُصِبْه شىءٌ مِن ولادَةِ الجاهِلِيَّةِ. قال: وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى خرَجْتُ مِن نِكاحٍ، ولم أَخْرُجْ من سِفاحٍ». وهذا مُرْسَلٌ جيِّدٌ. وهكذا رواه البَيْهَقىُّ[4]، عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) انظر إرواء الغليل ٦/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٢٩١، عن جعفر بن محمد، والطبرى فى تفسيره ١١/ ٧٦ عن جعفر بن محمد عن أبيه.

(٤) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٣٩٦).

الصَّاغانىُّ[1] ، عن يَحْيى بنِ أبى بُكَيْرٍ[2] ، عن عبدِ الغفَّارِ بنِ القاسمِ ، عن جَعْفَرِ ابنِ محمدٍ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ أخْرَجَنى مِن النِّكاحِ ولم يُخْرِجْنى مِن السِّفاحِ » .

وقد رواه ابنُ عَدِىٍّ[3] مَوصولًا ، فقال : حدَّثنا أحْمدُ بنُ حَفْصٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبى عمَرَ[4] [5]العَدَنِىُّ المكِّىُّ[5] ، حدَّثنا محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، قال : أشْهَدُ عَلَى أبى ، حدَّثنى عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىِّ ابنِ أبى طالبٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « خَرَجْتُ من نِكاحٍ ولم أَخْرُجْ مِن سِفَاحٍ ، مِن لَدُنْ آدَمَ إلى أَن وَلَدنى أبى وأمِّى ، ولم يُصِبْنى مِن سفاحِ الجاهليةِ شىءٌ » . و[6] هذا غريبٌ مِن هذا الوجْهِ ، ولا يكادُ يَصِحُّ .

وقال هُشَيْمٌ : حدَّثنا المَدِينىُّ ، عن أبى الحُوَيرِثِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما وَلَدَنى مِن نكاحِ أَهْلِ الجاهليةِ شَىءٌ ، ما وَلَدَنى إلَّا نِكاحٌ كنِكاحِ الإِسْلامِ » . وهذا أيضًا غريبٌ ، أوْرَده الحافظُ ابنُ عَساكرَ[7] ، ثُمَّ أسنده[8] مِن حديثِ أبى هريرةَ ، وفى إسنادِه ضعفٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « الصنعانى » . وفى ا ٩ ، والشعب : « الصغانى » . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.

(٢) فى الأصل : « بكر » . وفى ا ٩ : « كثير » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٢، من طريق ابن عدى به . وانظر الإرواء ٦/ ٣٢٩.

(٤) فى الأصل ، م : « عمرو » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « العدوى المالكى » .

(٦) سقط من : م .

(٧) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٠.

(٨) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠١.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أخبرنا محمدُ بنُ عُمَرَ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ، عن عمِّه الزُّهْرىِّ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وُلِدْتُ مِن نِكاحٍ غيرِ سِفاحٍ » . ثُم أوْرَد ابنُ عساكِرَ[2] مِن حديثِ أبى عاصمٍ، عن شَبِيبٍ[3]، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] قال : مِن نبىٍّ إلى نبىٍّ، حتى أخْرِجْتَ نبيًّا . ورواه عن عطاءٍ[4] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5] : أخْبَرَنا هشامُ بنُ محمدٍ الكَلْبِىُّ، عن أبيه، قال : كَتَبْتُ للنبىِّ ﷺ خمسَمائةِ أُمٍّ، فما وجَدْتُ فيهنَّ سِفَاحًا، ولا شيئًا مما كان مِن أمرِ الجاهليةِ .

وثَبَتَ فى « صحيحِ البُخارىِّ »[6] مِن حديثِ عمرِو بنِ أبى عمرٍو، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ، عن أبى هريرةَ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ[٢/٧و] : « بُعِثْتُ مِن خيرِ قُرُونِ بنى آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حتى بُعِثْتُ مِن القَرْنِ الَّذى كنتُ فيه » . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[7] مِن حديثِ الأَوْزاعىِّ، عن شَدَّادٍ أبى عمَّارٍ، عن واثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال : « إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِن ولدِ إبراهيمَ إسْماعِيلَ، واصْطَفَى مِن بنى إسماعيلَ بنى كِنَانةَ، واصْطَفَى مِن بنى كِنانةَ

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٦١.
(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠١.
(٣) فى الأصل : « شعيب » .
(٤) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٢.
(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٦٠.
(٦) البخارى (٣٥٥٧) .
(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٢٥ .

قريشًا ، واصْطَفَى مِن قريشٍ بنى هاشِمٍ ، واصْطَفانى مِن بنى هاشِمٍ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو نُعَيم ، عن سُفْيانَ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، عن المطَّلبِ بنِ أبى وَداعَةَ ، قال : قال العبَّاسُ : بَلَغَه ﷺ بعضُ ما يقولُ الناسُ ، فَصَعِدَ المِنْبرَ ، فقال : « مَن أنا ؟ » قالوا : أنت رسولُ اللَّهِ . فقال : « أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ فجَعَلَنى فى خيرِ خَلْقِه ، وجعلَهم فِرقتَيْنِ ، فجعَلَنى فى خيرِ فرقةٍ ، وخَلَقَ القَبائِلَ فجَعَلَنِى فى خيرِ قبيلةٍ ، وجعلَهم بيوتًا ، فجعَلنى فى خيرِهم بيتًا ، فأنا خيرُكم بيتًا وخيرُكم نَفْسًا » . صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه دائمًا أبدًا إلى يومِ الدِّينِ .

وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[2] : حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، عن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ قريشًا إذا التَقَوا لَقِى بعضُهم بعضًا بالبَشَاشةِ ، وإذا لَقُونا لَقُونا بوجوهٍ لا نَعْرِفُها . فغَضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ ، عندَ ذلك غَضَبًا شَديدًا ، ثُم قال: « والَّذى نفسُ محمدٍ بيدِه ،لا يَدْخُلُ قَلْبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحِبَّكم للَّهِ ولرَسُولِه » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ قريشًا جَلَسوا فتَذاكَروا أحسابَهُم ، فجعلوا مَثَلَك مَثَلَ نخْلةٍ فى كَبْوَةٍ مِن الأرضِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ يومَ خلقَ الخَلْقَ جعلَنى فى خيرِهم ، ثُم لمَّا فرَّقَهم قبائلَ جعلَنى[3] فى خيرِهم[3] قبيلَةً ، ثُم حينَ جعلَ البيوتَ جَعَلَنى فى خيرِ

---

(١) أحمد فى المسند ١/ ٢١٠. (إسناده صحيح).

(٢) المعرفة والتاريخ ١/ ٢٩٥، ٤٩٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل .

بيوتِهم ، فأنا خيرُهم نَفْسًا وخيرُهم بيتًا » . ورواه أبو بكْرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[1] ، عن ابنِ فُضَيْلٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن رَبِيعةَ بنِ الحارثِ ، قال : بَلغَ النبىَّ ﷺ . فذكَره بنحوِ ما تَقَدَّم ، ولم يَذْكُرِ العبَّاسَ .

وقال يَعْقُوبُ بنُ سُفْيانَ[2] : حدَّثنى يَحْيَى بنُ عبدِ الحميدِ ، حدَّثنى قَيْسُ ابنُ عبدِ اللَّهِ ، عنِ الأعْمَشِ ، عن عَبايَةَ[3] بنِ رِبْعِىٍّ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ قَسَمَ الخلقَ قِسْمَيْنِ فجعلَنى فى خيرِهما قِسْمًا ، فذلك قولُه : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ ، فأنا مِن أصحابِ اليمينِ ، وأنا خيرُ أصحابِ اليمينِ ، ثُم جعلَ القِسْمَين أثلاثًا فجعلَنى فى خيرِها ثُلُثًا ، فذلك قولُه : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ ، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ ، فأنا مِن السَّابِقين ، وأنا خيرُ السَّابقينَ ، ثُم جعلَ الأثلاثَ قبائلَ ، فجعَلَنى فى خيرِها قبيلةً ، فذلك قولُه : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . وأنا أتْقَى ولَدِ آدمَ وأكْرمُهم على اللَّهِ ، ولا فَخْرَ ، ثُم جَعَلَ القبائِلَ بيوتًا ، فجعلَنى فى خيرِها بيتًا ، وذلك قولُه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . فأنا وأهلُ بَيتى مُطَهَّرُونَ مِن الذُّنُوبِ » . وهذا الحديثُ فيه غَرابةٌ ونَكارةٌ .

ورَوَى الحاكمُ والبيْهَقىُّ[4] مِن حديثِ محمدِ بنِ ذَكْوانَ ، خالِ[5] حمادِ بنِ

---

(١) ومن طريق ابن أبى شيبة ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٨.

(٣) فى م : « عليلة » ، وفى ص : « عابلة » .

(٤) المستدرك ٤/ ٧٣، والدلائل للبيهقى ١/ ١٧١، ١٧٢.

(٥) فى ص : « خالد » .

زيدٍ، عن عَمْرِو بنِ دِينارٍ، عن ابنِ عُمَرَ، قال: إنَّا لَقُعُودٌ بفِناءِ النَّبِيِّ ﷺ، إذْ مَرَّت به امرأةٌ، فقال بعضُ القومِ: هذه ابنةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال أبو سفيانَ: مَثَلُ محمدٍ فى بنى هاشمٍ مَثَلُ الرَّيْحانَةِ فى وَسَطِ النَّتَنِ. فانْطَلَقت المرأةُ فأخْبَرَت النَّبِيَّ ﷺ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ، يُعْرَفُ فى وجْهِه [٢/٧ظ] الغضَبُ، فقال: «مَا بالُ أقوالٍ تَبْلُغُنى عن أقوامٍ، إنَّ اللَّهَ خلقَ السَّماواتِ سَبْعًا فاختارَ العلياءَ منها، فأَسْكَنَها مَن شَاءَ مِن خَلْقِه، ثم خَلقَ الخلْقَ فاختارَ مِن الخلْقِ بنى آدمَ، واختارَ مِن بنى آدمَ العربَ، واختارَ مِن العربِ مُضَرَ، واختارَ مِن مُضَرَ قُرَيشًا، واختار مِن قريشٍ بنى هاشمٍ، واختارَنى مِن[1] بنى هاشمٍ[1]، فأنا خِيارٌ مِن خِيارٍ، فمن أحبَّ العربَ فبِحُبِّى أحبَّهُم، ومَن أَبْغضَ العربَ فببُغْضِى أبغَضَهُم». وهذا أيضًا حديثٌ غريبٌ.

وثَبت فى «الصَّحيحِ»[2] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ».

وروى الحاكمُ والبَيْهقىُّ[3] أيضًا مِن حديثِ موسى بنِ عُبَيْدَةَ، حدَّثنا عمرُو ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نَوْفلٍ، عن الزُّهرىِّ، عن أبى أُسامةَ - أو أبى سَلَمةَ - عن عائشةَ، رَضِى اللَّهُ عنها، قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قال لى جبريلُ: قَلَبْتُ الأَرْضَ[4] مشارِقَها ومغارِبَهَا فلم أجِدْ رَجلًا أفْضَلَ مِن محمدٍ، وقَلَبْتُ

(١ - ١) فى ص: «قريش».

(٢) مسلم (٢٢٧٨) بدون لفظة: «ولا فخر». وبهذه اللفظة أخرجه ابن حبان، الإحسان (٦٤٧٨). (حديث صحيح لغيره، وإسناده ضعيف). انظر (السلسلة الصحيحة ١٥٧١).

(٣) الدلائل للبيهقى ١/ ١٧٦، وعزاه صاحب الكنز (٣١٩١٣) إلى الحاكم فى الكنى عن عائشة.

(٤) بعده فى م: «من».

الأرْضَ مشارِقَها ومغارِبَهَا فلم أجِدْ بنى أبٍ أفضلَ مِن بنى هاشمٍ» .

قال الحافظُ البيهقىُّ[1] : وهذه الأحاديثُ ، وإنْ كان فى رُواتِها مَن لا يُحْتَجُّ به ، فبعضُها يُؤكِّدُ بعضًا ، ومعنى جميعِها يَرْجِعُ إلى حديثِ واثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وفى هذا المعنى يَقُولُ أَبُو طالبٍ يَمْتَدِحُ النَّبِىَّ ﷺ :

إذا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعَبدُ مَنافٍ سِرُّهَا[2] وصَمِيمُها[3]

فإنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عبدِ مَنافِها ... ففى هاشِمٍ أَشْرَافُها وقَدِيمُها

وإنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فإنَّ مُحَمَّدًا ... هُو المُصْطَفَى مِن سِرِّها وكريمُها

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّها وسَمِينُها ... عَلَيْنا فَلَمْ تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها

وكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُها

ونَحْمِى حِماها كُلَّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... ونَضْرِبُ عن أَجْحارِها[4] مَن يَرُومُها

بِنا انْتَعشَ العُودُ الذَّواءُ[5] وإنَّما ... بأكنافِنا تَنْدَى وتَنْمِى أُرُومُها[6]

قال أبو السُّكَيْنِ[7] زكريَّا بنُ يَحْيى الطَّائِىُّ ، فى الجزءِ المنسوبِ إليه

---

(١) الدلائل للبيهقى ١/ ١٧٦.

(٢) سرها : وسطها .

(٣) صميمها : خالصها .

(٤) الأجحار : الحصون والمعاقل .

(٥) الذواء : الذى جفت رطوبته .

(٦) الأروم : الأصول .

(٧) فى م ، ص : «السكن» . وانظر تقريب التهذيب ١/ ٢٦٣.

المشهورِ: حدَّثَنى عَمُّ[1] أبى زَحْرُ[2] بنُ حِصْنٍ[3]، عن جَدِّه حُمَيدِ ابنِ مُنْهِبٍ[4]، قال: قال جَدِّى خُرَيْمُ بنُ أوسٍ: هاجرتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقدِمْتُ عليه مُنْصَرَفَه مِن تَبوكَ، فأسْلَمْتُ، فسَمِعْتُ العبَّاسَ بنَ عبدِ المطَّلِبِ، يَقولُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّى أرِيدُ أَنْ أمتدِحَك. فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ، لَا يَفْضُضِ اللَّهُ فاك»، فأنشَأَ يَقُولُ:

مِن قبلِها طبتَ فى الظِّلالِ وفى ... مُستودَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثُم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشرٌ ... أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ
تُنقَلُ من صالبٍ[5] إلى رَحِمٍ ... إذا مضَى عَالَمٌ بدا طَبَقُ
[٢/ ٨و] حتَّى احْتَوى بيتُك المهيمنُ مِنْ ... خِنْدِفَ علياءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
وأنتَ لمَّا وُلِدْتَ أشرقتِ الـ ... أرضُ وضاءتْ بنورِك الأُفُقُ
فنحن فى ذلك الضياءِ وفى الـ ... نُّورِ وسُبْلِ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ[6]

وقد رُوِىَ هذا الشِّعرُ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ، فروَى الحافظُ أبو القاسِمِ ابنُ

---

(١) فى م، ص: «عمر بن».
(٢) فى الدلائل: «زخر». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٨٤.
(٣) فى م، ص: «حصين».
(٤) فى الدلائل: «منيب».
(٥) فى م: «صلب». والصالب: الصلب.
(٦) المستدرك ٣/٣٢٧، ٣٢٨، والدلائل للبيهقى ٥/ ٢٦٧، ٢٦٨. وانظر شرح هذه الأبيات فى عارضة الأحوذى ١٣/ ٩٦، ٩٧.

عَسَاكِرَ[1] مِن طريقِ أبى الحسَنِ بنِ أبى الحديدِ، أخبرنا أبو[2] محمدِ بنُ أبى نصرٍ، أنا عبدُ السَّلامِ بنُ [3]أحمدَ بنِ محمدٍ[3] القرشِىُّ، حدَّثنا أبو حُصَيْنٍ مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدٍ التَّميمىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزَّاهدُ الخُراسانىُّ، حدَّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ بُنانٍ[4]، حدَّثنا سلَّامُ بنُ سليمانَ، أبو العبَّاسِ المَكْفوفُ المَدائنىُّ، حدَّثنا وَرْقاءُ بنُ عُمرَ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ، قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقلتُ: فِدَاكَ أبى وأمِّى؛ أين كُنْتَ وآدمُ فى الجنةِ؟ قال: فتبسَّمَ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قال: «كُنتُ فى صُلْبِه[5]، ورُكِبَ بىَ السَّفينةُ فِى صُلْبِ أبى نوحٍ، وقُذِفَ بى فى صُلْبِ أبى إبراهيمَ، لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَاى على سِفاحٍ قَطُّ، لَمْ يزلِ اللَّهُ يَنْقُلُنى مِن الأَصْلابِ الحَسِيبَةِ إلى الأرحامِ الطَّاهِرَةِ، صِفَتى مَهْدِىٌّ، لا يَنشَعِبُ شُعبتان إلَّا كنتُ فى خيرِهما، قد أخذ اللَّهُ بالنبوَّةِ ميثاقى، وبالإسلامِ عَهْدى، وبَشَّر[6] فى التَّوراةِ والإنجيلِ ذِكْرِى، وبيَّنَ كلُّ نبىٍّ صِفَتى، تُشْرِقُ الأرضُ بنورِى، والغَمامُ لوَجْهِى[7]، وعلَّمَنِى كتابَه، [8]رَوى بى[9] سَحَابَه[8][10] وشقَّ لى اسمًا من

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) فى م، ص: «محمد بن أحمد».

(٤) فى الأصل: «بيان». وفى م، ص: «سنان».

(٥) فى ص: «ضلعه».

(٦) فى الأصل، ا ٩، م: «نشر».

(٧) فى ا ٩، م، ص: «بوجهى».

(٨ - ٨) سقط من: م.

(٩) فى النسخ: «فى». والمثبت من تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٨.

(١٠) بعده فى م: «وزادنى شرفا فى سمائه».

أسمائِه، فذو العرشِ محمودٌ، وأنا محمدٌ[1]، ووعدَنى أنْ يحْبُوَنى بالحوضِ والكَوْثَرِ، وأن يَجْعَلَنى أوَّلَ شافعٍ، وأوَّلَ مُشَفَّعٍ، ثُمَّ أَخْرَجنى مِن خيرِ قَرْنٍ لأُمَّتِى، وهم الحَمَّادُونَ، يَأْمُرون بالمعْرُوفِ، ويَنْهَوْنَ عن المُنْكرِ».

قال ابنُ عبَّاسٍ، فقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ فى النبىِّ ﷺ:

مِن[2] قبلِها طِبْتَ فى الظِّلالِ وفى ... مُسْتَوْدَعٍ يَوْمَ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثُم سَكَنْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنت ولا نُطْفَةٌ ولا عَلَقُ

مُطَهَّرٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقد ... أُلْجِمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ

تُنْقَلُ مِن أصْلُبٍ[3] إلى رَحِمٍ ... إذا مَضَى طَبَقٌ بَدا طَبَقُ

فقال النَّبىُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ حَسَّانَ». فقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ: وجَبَتِ الجَنَّةُ لحسَّانَ وربِّ الكعبةِ. ثُم قال الحافظُ ابنُ عَساكِرَ: هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا. قلتُ: بل مُنْكَرٌ جدًّا[4].

قال[5]: والمحفوظُ أنَّ هذه الأبياتَ للعبَّاسِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، ثُم أَوْرَدَها مِن حديثِ[6] أبى السُّكَيْنِ[6] زكريا بنِ يَحْيَى الطَّائىِّ، كما تقدَّم.

قلتُ: ومن النَّاسِ من يَزْعُمُ أنَّها للعبَّاسِ بنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمىِّ. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) بعده فى ا ٩، م، ص: «أحمد».
(٢) سقط من: الأصل، م، ص.
(٣) فى الأصل، ا ٩: «صلبة»، وفى م، ص: «صلب». والمثبت من تاريخ دمشق.
(٤) قلت: بل حديث موضوع. انظر الموضوعات ١/ ٢٨١. واللآلئ المصنوعة ١/ ٢٦٤.
(٥) القائل ابن عساكر. تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٩.
(٦ - ٦) فى تاريخ دمشق: «ابن السكن». انظر تقريب التهذيب ١/ ٢٦٣.

تَنْبِيهٌ : قال القاضى عِياضٌ ، فى كتابِه « الشِّفاء »[1] : وأمَّا أحمدُ الذى أَتَى فى الكُتُبِ وبشَّرتْ به الأنبياءُ ، فمنع اللَّهُ بحِكْمتِه أن يُسَمَّى به أحدٌ غيرُه ، ولا يُدْعَى به مَدْعُوٌّ قبلَه ، حتى لا يَدْخُلَ لَبْسٌ على ضَعِيفِ القلبِ أو شَكٌّ ، وكذلك محمدٌ لم يُسَمَّ به أحدٌ من العربِ ولا غيرِهم ، إلى أن شاع قبلَ وجودِه وميلادِه ؛ أنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسمُه محمدٌ ، فسمَّى قومٌ قليلٌ مِن العربِ أبْناءَهم بذلك رجاءَ أن يكونَ أحدَهم هو و(اللَّهُ أَعْلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ) وهم ؛ [٢/٨ظ] محمدُ بنُ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحِ الأَوْسِيُّ ، ومحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ[2] الأَنْصَارِيُّ ، ومحمدُ بنُ البَرَاءِ البَكْرِيُّ[3] ، ومحمدُ بنُ سُفْيانَ بنِ مُجاشِعٍ ، ومحمدُ بنُ حُمْرانَ الجُعْفِيُّ ، ومحمدُ بنُ خُزاعِيٍّ السُّلَمِيُّ ، لا سابعَ لهم . ويقالُ : إنَّ أوَّلَ مَن سُمِّىَ محمدًا محمدُ بنُ سُفْيانَ بنِ مُجاشِعٍ . واليمنُ تَقُولُ : بل محمدُ بنُ اليَحْمُدِ مِن الأَزْدِ . ثُم إنَّ اللَّهَ حَمَى كلَّ مَن تَسَمَّى به أَن يَدَّعِىَ النُّبُوَّةَ أو يَدَّعِيَها له أحدٌ ، أو يَظْهَرَ عليه سَبَبٌ يُشكِّكُ[4] أحدًا فى أَمْرِه حتى تَحَقَّقَتِ السِّمتان[5] له ﷺ ، لَم يُنازَعْ فيهما . هذا لَفْظُه .

---

(١) فى الشفاء ١/ ٣١٣، ٣١٤.

(٢) فى النسخ : « سلمة » . والمثبت من الشفاء .

(٣) فى النسخ : « الكندى » . والمثبت من الشفاء .

(٤) فى النسخ : « يشكل » . والمثبت من الشفاء .

(٥) فى م ، ص : « الشيمتان » .

بابُ مَوْلِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

وُلِدَ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه، يومَ الاثنينِ، لمَا رَواه مسلمٌ فى «صحيحِه»[1] مِن حديثِ غَيْلانَ بنِ جريرٍ، عن[2] عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِىِّ، عن أبى قَتادَةَ، أنَّ أعْرابِيًّا قال: يا رسولَ اللَّهِ، ما تَقُولُ فى صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَينِ؟ فقال: «ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه وأُنْزِلَ علَىَّ فيه».

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا موسى بنُ دَاودَ، حدَّثنا ابنُ لَهيعةَ، عن خالدِ ابن أبى عِمْرانَ، عن حَنَشٍ الصَّنْعَانىِّ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، يومَ الاثنينِ، واستُنْبِئَ يومَ الاثْنَينِ، وخرج مُهَاجِرًا مِن مَكَّةَ إلى المدينةِ يومَ الاثنينِ، وقَدِم المدينةَ يومَ الاثنينِ، وتُوفِّىَ يومَ الاثنينِ، ورَفَع الحَجَرَ الأَسْوَدَ يومَ الاثنينِ. تفرَّد به أحمدُ، ورواه[4] ابن عفير، وابن بكير[4]، عن ابنِ لَهِيعَةَ، وزاد: و[5] نَزَلَتْ سُورَةُ «المائدةِ» يومَ الاثنينِ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[6] [المائدة: ٣]. وهكذا رواهُ بعضُهم، عن موسى بنِ داودَ به، وزادَ أيضًا: وكانتْ

---

(١) مسلم (١١٦٢).

(٢) فى الأصل، م: «بن».

(٣) المسند ١/ ٢٧٧. (إسناده صحيح).

(٤ - ٤) فى الأصل: «ابن عفراء وأبو بكر»، وفى ا ٩، ص: «ابن عمرو بن بكير»، وفى م: «عمرو بن بكير». والمثبت من الدلائل للبيهقى ٧/ ٢٣٣، ٢٣٤. وانظر تاريخ دمشق ٣/ ٦٧.

(٥) سقط من: م.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٦٧. من طريقين عن ابن عفير، وابن بكير، كلاهما عن ابن لهيعة بإسناد أحمد السابق.

وَقْعَةُ بَدْرٍ يومَ الاثنينْ[1] . وممّن قال هذا يزيدُ بنُ أبى[2] حَبيبٍ[3] . وهذا مُنْكَرٌ جِدًّا .

قال ابنُ عَساكِرَ[4] : والمحفوظُ أنَّ بَدْرًا ونزولَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يومُ الجُمُعَةِ . وصَدَقَ ابنُ عَسَاكِرَ .

ورَوَى عُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ عُمَرَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : وُلِد رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَ الاثنينِ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ[6] . وهكذا رُوِى مِن غيرِ هذا الوجهِ عن ابنِ عباسٍ أنَّهُ وُلِدَ يومَ الاثنينْ[7] . وهذا مِمَّا[8] لا خِلافَ فيه أنه وُلِدَ ﷺ ، يومَ الاثنينْ . وَأَبْعَدَ بل أخْطَأَ مَن قال : وُلِدَ يومَ الجُمُعَةِ ، لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن ربيعٍ الأوَّلِ . نَقَلَه الحافظُ ابنُ دِحْيَةَ فيما قَرَأَه فى كِتابِ « إعلامِ الوَرَى[9] بأعلامِ الهُدَى » لِبعضِ الشِّيعةِ . ثم شَرَعَ ابنُ دِحْيَةَ فى تضعيفِه ، وهو جديرٌ بالتضعيفِ ؛ إذ هو خِلافُ النَّصِّ ، ثم الجُمْهُورُ على أَنَّ ذلِك كان فى شَهْرِ ربيعٍ الأوَّلِ ، فقيلَ : لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا منه . قاله ابنُ عبدِ البَرِّ فى « الاستيعابِ »[10] . ورواه الْوَاقِدِىُّ[11] ، عن أبى مَعْشَرٍ نَجِيحِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ المَدنىِّ . وقيل : لثمانٍ خَلَوْنَ

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٦٨، ٦٩ .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تاريخ دمشق ٣/٦٩ ، عن يزيد .

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٦٩.

(٥) فى الأصل ، ص : « عبد » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٦٨. عن عبيد اللّه به .

(٧) انظر تاريخ دمشق ٣/ ٦٧، ٦٨.

(٨) فى الأصل ، م : « ما » .

(٩) فى الأصل ، م : « الروى » .

(١٠) الاستيعاب ١/ ٣٠.

(١١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٧٠. عن الواقدى به .

منه . حكَاه الْحُمَيْدىُّ ، عن ابنِ حَزْمٍ . ورواه مالكٌ وعقيلٌ ويونسُ بنُ يزيدَ وغيرُهم ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ . ونقَلَ ابنُ عبدِ البَرِّ[1] ، عن أصحابِ الزِّيجِ[2] أنَّهم صَحَّحُوه . وقَطَع بِه الحافظُ الكبيرُ محمدُ بنُ مُوسَى الخُوارِزْمىُّ[3] ، ورجَّحَه الحافظُ أبو الخطّابِ ابنُ دِحْيَةَ فى كتابِه « التَّنْويرِ فى مولدِ البَشِيرِ النَّذِيرِ »[4] . وقيل : لعَشْرٍ خَلَوْنَ منه . نقَله ابنُ دِحْيَةَ فى كتابِه ، ورواه ابنُ عَسَاكِرَ[5] عن أبى جَعْفَرٍ البَاقِرِ ، ورواه مجالدٌ ، عن الشَّعْبىِّ[6] . وقِيلَ : لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ خَلَتْ منه . نَصَّ عليه ابنُ إسْحَاقَ[7] . ورواه ابنُ أبى شَيْبَةَ فى « مُصَنَّفِهِ »[8] ، عن عفَّانَ ، عن سعيدِ بنِ مِينا[9] ، عن جابرٍ وابنِ عبَّاسٍ ، أنَّهما قالا : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، عامَ الفيلِ يومَ الاثنيْنِ الثانىَ[10] عَشَرَ مِن شهرِ ربيعٍ الأَوَّلِ ، وفيه بُعِثَ ، وفيه عُرِجَ به إلى السَّماءِ ، وفيه [٢/٩و] هاجرَ ، وفيه مَاتَ . وهذا هو المشهورُ عندَ الجمهورِ . واللَّهُ أعلمُ . وقيل : لِسَبْعَ عَشْرةَ خَلَتْ منه . كما نَقَلَهَ ابنُ دِحْيَةَ عن بعضِ الشِّيعَةِ . وقيل : لثمانٍ بَقِينَ منه . نَقَلَهُ ابنُ دحيةَ مِن خَطِّ الْوَزِيرِ أبى رافعِ ابنِ الحافظِ أبى محمدِ ابنِ حَزْمٍ ، عن أبيه . والصَّحِيحُ

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٠، وسبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٣.

(٢) فى ا ٩، م، ص : « التاريخ » . والزيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم ، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة . الوسيط . (ز ى ج) .

(٣) الاستيعاب ١/ ٣١.

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٣.

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٧٥. وأبو جعفر الباقر هو محمد بن على . تقريب التهذيب ٢/ ٤٠٦.

(٦) رواه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٧٥. عن مجالد به .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٨.

(٨) لم أجده فى المصنف . وانظر سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٣.

(٩) فى ص : « ميتا » .

(١٠) فى م ، ص : « الثامن » .

عن ابنِ حَزْمٍ الأوَّلُ ؛ أَنَّهُ لِثَمَانٍ مَضَيْنَ منه . كما نَقَلَه عنه الحُمَيدِىُّ ، وهو أَثْبَتُ . والقولُ الثانى ، أنه وُلِدَ فى رَمَضَانَ . نَقَلَهُ ابنُ عبدِ البرِّ[1] ، عن الزُّبَيْرِ بنِ بَكَّارٍ ، وهو قَوْلٌ غرِيبٌ جدًّا ، وكان مُسْتَنَدَهُ أَنَّه ، عليه الصلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أُوحِىَ إليه فى رَمضَانَ بلا خِلَافٍ ، وذلك على رأسِ أَرْبعينَ سَنَةً مِن عُمُرِهِ ، فيكونُ مَوْلِدُه فى رَمَضانَ ، وهذا فيه نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوَى خيثَمةُ بنُ سُلَيْمَانَ الحَافِظُ ، عن خَلَفِ بنِ محمدٍ ، كُرْدُوسٍ الْوَاسِطِىِّ ، عن المُعَلَّى بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَ الاثنينِ فى ربيعِ الأوَّلِ ، [2]وأُنْزِلَت عليه النُّبُوَّةُ يومَ الاثنينِ فى أوَّلِ شَهْرِ ربيعِ الأوَّلِ[2] ، وأُنزِلتْ عليه « البقرةُ » يومَ الاثنينِ فى ربيعِ الأوَّلِ[3] وهاجَرَ إلى المدينةِ[4] فى ربيعِ الأَوَّلِ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ فى ربيعِ الأولِ[3] . وهذا غريبٌ جدًّا ، رواه ابنُ عَساكِرَ[5] .

قال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ : حَمَلَتْ به أُمُّه فى أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، فى شِعْبِ أبى طالبٍ عندَ الجَمْرَةِ الوُسْطَى ، ووُلِدَ بمكةَ بالدارِ المعروفةِ لمحمَّدِ بنِ يُوسُفَ ، أخى الحجَّاجِ ابنِ يوسفَ ، لِثنتى عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن شهرِ رَمَضانَ[6] .

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٠.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) بعده فى ا ٩، ص : « يوم الاثنين » .

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٦٨.

(٦) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ٣٠.

ورواه الحافظُ ابنُ عساكِرَ[1] مِن طريقِ محمدِ بنِ عُثْمانَ ، عن[2] عُقْبَةَ بنِ مُكْرَمٍ ، عن المُسَيَّبِ بنِ شَرِيكٍ ، عن شُعَيْبِ بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : حُمِل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فى عاشُوراءِ المُحَرَّمِ ، ووُلِدَ يومَ الاثنَيْنِ لِثِنْتَى عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن شهرِ رَمَضانَ سنةَ ثلاثٍ وعِشْرِينَ مِن غزوةِ أصحابِ الفيلِ . وذكر غيرُه أنَّ الخَيْزُرانَ ، وهى أمُّ هارُونَ الرَّشيدِ ، لمَّا حجَّتْ أَمَرَتْ بِبناءِ هذه الدَّارِ مسْجدًا[3] . فهو يُعْرَفُ بها اليومَ . وذَكرَ السُّهَيلىُّ[4] أنَّ مَولِدَه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، كان فى العشرينَ مِن نَيْسانَ . وهذا أعدلُ الأَزْمانِ والفصولِ ، وذلك لسنةِ اثنتينِ وثمانينَ وثمانِمائةٍ لذى القَرْنَيْنِ ، فيما ذَكرَ أصحابُ الزِّيجِ . وزعموا أنَّ الطَّالعَ كانَ لعشرينَ دَرَجةً مِن الجَدْيِ ، وكانَ المُشْتَرِى وزُحَلُ مُقْترنَيْنِ فى ثلاثِ دَرَجٍ مِن العَقْربِ ، وهى دَرَجةٌ وَسْطَ السَّماءِ ، وكان مُوافِقًا مِن البُروجِ الحَمَلَ ، وكان ذلك عند طلوعِ القمرِ أوَّلَ الليلِ . نقله كلَّه ابنُ دِحْيةَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وكان مولِدُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، عامَ الفِيلِ ، وهذا هو المشْهورُ عن الجمهورِ .

قال إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ الحِزامىُّ : وهو الَّذى لا يَشُكُّ فيه أحدٌ مِن عُلَمائِنا أنَّه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وُلِدَ عامَ الفيلِ ، وبُعِث على رأسِ أربعينَ سنةً مِن الفيلِ .

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٦٦.

(٢) فى الأصل ، م : « بن » .

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ١٥٦.

(٤) الروض الأنف ٢/ ١٥٩.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٨.

وقد رواه البيهقيُّ[1] مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبيعىِّ، عن سَعيدِ بنِ جُبيْرٍ، عَن ابنِ عبّاسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ. وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: حدَّثنى المطَّلِبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسِ بنِ مَخْرمةَ، عن أبيه، عن جَدِّه قَيْسِ بنِ مَخْرَمةَ، قال: وُلِدْتُ أنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ، كنا لِدَيْنِ[3]. قال: وسألَ عثمانُ، رضِى اللَّهُ عنه، قُباثَ بنَ أُشَيْمٍ، أخا بنى يَعْمُرَ ابنِ لَيْثٍ: أنت أكبرُ أم رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقال: رسولُ اللَّهِ ﷺ، أكبرُ مِنِّى، وأنا أقْدَمُ منه فى المِيلادِ. ورأيتُ خَذْقَ[4] الفِيلِ أَخْضَرَ مُحِيلًا[5]. رواه التِّرمذىُّ والحاكمُ[6] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ به.

قال ابنُ إسحاقَ[7]: [٢/٩ظ] وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ عُكَاظٍ ابنَ عشرين سنةً.

وقال ابنُ إسحاقَ[8]: كانَ الفِجارُ بعدَ الفيلِ بعشرينَ سنةً، وكان بناءُ الكعبةِ بعدَ الفِجارِ بِخمْسَ عَشْرَةَ سنةً، والمَبْعَثُ بعدَ بنائِها بخمسِ سنينَ. وقال محمدُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ: كانت عُكاظٌ بعدَ الفيلِ بخمسَ عَشْرَةَ سنةً، وبناءُ الكَعبةِ بعدَ عُكاظٍ بعشرِ سنينَ، والمبعثُ بعدَ بنائِها بخمسَ عَشْرَةَ سنةً[9].

---

(١) الدلائل للبيهقى ١/ ٧٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٩.

(٣) لِدَيْن: مثنى لِدة؛ وهو مَن وُلِدَ معك فى وقت واحد. الوسيط (ل د ن).

(٤) خذق الفيل: روثه.

(٥) محيلا: متغيرا.

(٦) الترمذى (٣٦١٩)، والمستدرك ٣/٤٥٦ ببعضه. ضعيف (ضعيف الترمذى ٧٤٤).

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٢٥.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٧٣. عن محمد بن إسحاق به.

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٧٤. عن محمد بن جبير بن مطعم بمعناه.

وروى الحافظُ البيهقيُّ[1] مِن حديثِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى ثابتٍ المَدِينيِّ، حدثنا الزُّبيرُ بنُ موسى، عن أبى الحُوَيْرِثِ، قال: سمعتُ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ يقولُ لقُباثِ بنِ أُشَيْمٍ الكِنانيِّ، ثُم الليثيِّ: يا قُباثُ، أنتَ أكبرُ أمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: رسولُ اللَّهِ ﷺ، أكبرُ مِنِّى، وأنا أَسَنُّ منه[2]، وُلِدَ رسولُ اللَّهِ، عامَ الفِيلِ، ووقَفَتْ بى أُمِّى على رَوْثِ الفِيلِ مُحِيلًا أعْقِلُه، وتُنُبِّئَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، على رأسِ أربعينَ سنةً.

وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[3]: حدَّثنا يَحْيَى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكَيْرٍ، حدَّثنا نُعيمٌ، يعنى ابنَ مَيْسَرةَ، عن بعضِهم، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ، أنَّه قال: أنا لِدَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ وُلِدتُ عامَ الفيلِ.

قال البيهقيُّ[4]: وقد رُوِىَ عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ أنَّه قال: أنا أصغرُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، بسنتَيْنِ. قال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[5]: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى ثابتٍ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عُثْمانَ بنِ أبى سُلَيْمانَ النَّوْفَلِيُّ، عن أبيه، عن محمدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ، وكانت بعدَه عُكاظٌ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سنةً، وبُنِىَ البيتُ على رأسِ خمسٍ وعشرينَ سنةً مِن الفيلِ، وتَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، على رأسِ أربعينَ سنةً مِن الفيلِ.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٧٨، ودلائل النبوة لأبى نعيم (٥٢).

(٢) زيادة من: ا ٩.

(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٣.

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٧٩.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥١.

والمقصودُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وُلِدَ عامَ الفيلِ، على قولِ الجمهورِ. فقيل: بعدَه بشهرٍ، وقيل: بأربعين يومًا. وقيل: بخمسين يومًا. وهو أشهر. وعن أبى جَعْفَرٍ الباقرِ، كان قدومُ الفيلِ للنِّصْفِ مِن المُحَرَّمِ، ومولدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بعدَه بخِمسٍ وخمسينَ ليلةً[1]. وقال آخَرُونَ: بلْ كانَ عامُ الفيلِ قبلَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بعشْرِ سنينَ. قاله ابنُ أَبْزَى[2]. وقيل: بثلاثٍ وعشرين سنةً. رواه شُعَيْبُ بنُ شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، كما تقدَّم[3]. وقيل: بعدَ الفيلِ بثلاثينَ سنةً. قاله موسى بنُ عُقْبَةَ، عن الزُّهرِيِّ[4]، رحِمه اللَّهُ. واختاره موسى ابنُ عُقْبَةَ[5] أيضًا، رحِمه اللَّهُ. وقال أبو زكريا العجلانيُّ: بعدَ الفيلِ بأربعين عامًا. رواه ابنُ عَساكِرَ[6].

وهذا غريبٌ جدًّا، وأغْربُ منه ما قال خَلِيفةُ بنُ خَيَّاطٍ[7]: حدَّثنى شعيبُ ابنُ حَيَّانَ[8]، عن عبدِ الواحدِ بنِ أبى عمرٍو، عن الكَلْبِيِّ، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، قبلَ الفيلِ بخمسَ عَشْرَةَ سنةً. وهذا حديثٌ غريبٌ ومنكرٌ وضعيفٌ أيضًا. قال خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[9]: والمُجْتَمَعُ عليه أنَّه، عليه السَّلام، وُلِدَ عامَ الفيلِ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٧٥ عن أبى جعفر الباقر به.
(٢) المصدر السابق ٣/٧٦ عن ابن أبزى.
(٣) تقدم فى صفحة ٣٧٧.
(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٧٨. انظر سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٥.
(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٧٦. عن موسى بن عقبة.
(٦) تاريخ دمشق ٣/ ٧٦.
(٧) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١١.
(٨) وقع فى تاريخ خليفة: «حبان» وهو تصحيف. وانظر ترجمته فى ميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٦.
(٩) المصدر السابق ١/ ١٠.

صِفةُ مولِدِه الشريفِ، عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ

قد تَقَدَّم[1] أنَّ عبدَ المطَّلبِ لمَّا ذَبَحَ تلك الإبلَ المائةَ عن ولدِه عبدِ اللَّهِ، حينَ كانَ نَذَرَ ذَبْحَه، فسلَّمه اللَّهُ تعالى؛ لِما كان قُدِّر فى الأزلِ مِن ظهورِ النبىِّ الأمىِّ ﷺ، خاتَمِ الرُّسُلِ وسيدِ ولدِ آدمَ مِن صُلْبِه، فذهبَ كما تقدَّم[2]، فزوَّجه أشرفَ عَقِيلةٍ فى قريشٍ؛ آمنةَ بنتَ وَهْبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهْرَةَ الزُّهْرِيَّةَ، فحينَ دخلَ بها وأَفْضَى إليها حَملَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/١٠و]، وقد كانت أمُّ قَتَّالٍ رُقيقةُ بنتُ نوفلٍ، أختُ ورقةَ بنِ نوفلٍ، توسَّمتْ ما كان بينَ عَيْنَىْ عبدِ اللَّهِ، قبلَ أن يُجامِعَ آمنةَ مِن النُّورِ، فودَّت أن يكونَ ذلك مُتَّصِلًا بها؛ لِما كانت تَسْمَعُ مِن أخيها مِن البِشاراتِ بوجودِ محمدٍ ﷺ، وأنَّه قد أَزِفَ زمانُه؛ فعرَضتْ نفسَها عليه. قال بعضُهم: ليتَزَوَّجَها. وهو أظهرُ، واللَّهُ أعلمُ، فامْتَنَع عليها، فلمَّا انتَقَل ذلك النُّورُ الباهرُ إلى آمنةَ بمواقعتِه إيَّاها، كأنَّه تَنَدَّم على ما كانتْ عَرَضَتْ عليه، فتعرَّض لها لِتُعاوِدَه، فقالتْ: لَا حاجةَ لى فيكَ. وتأسَّفَتْ على ما فاتها مِن ذلك، وأنشَدَتْ فى ذلك ما قدّمْناه[3] مِن الشِّعْرِ الْفَصِيحِ البَليغِ. وهذه الصِّيانةُ لِعبدِ اللَّهِ ليسْت له، وإنَّما هى لرسولِ اللَّهِ

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٤٤.

(٢) تقدم فى صفحة ٣٤٨.

(٣) تقدم فى صفحة ٣٤٩ - ٣٥١.

ﷺ ، فَإِنَّه كما قال تعالى : (اللَّهُ أعلمُ حيثُ يَجعَلُ رِسالاتِهِ) ، وقدْ تقدَّمَ[1] الحديثُ المَرْوِيُّ مِن طريقٍ جيِّدٍ أنَّه قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : « وُلِدْتُ من نِكَاحٍ لا مِن سِفَاحٍ » .

والمقصودُ أنَّ أمَّه حينَ حمَلتْ به تُوُفِّيَ أبوه عبدُ اللَّهِ ، وهو حَمْلٌ فى بَطْنِ أمِّه ، على المشهورِ . قال محمَّدُ بنُ سَعْدٍ[2] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عمرَ ، هو الْوَاقِدِيُّ ، حدَّثَنا مُوسَى بنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ[3] ، [4]عن محمدِ بنِ كَعْبٍ[4] ، وحدَّثنا سَعيدُ بنُ أبى زيدٍ ، عن أيُّوبَ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ ، قالا : خرجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ إلى الشَّامِ[5] إلى غَزَّةَ[5] ، فى عِيرٍ مِن عِيراتِ قُرَيشٍ ، يَحْمِلُونَ تِجاراتٍ ، ففرَغوا مِن تجاراتِهم ، ثُمَّ انصرَفوا فمرُّوا بالمدينةِ ، وَعْبدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ المطَّلِبِ يَوْمئذٍ مريضٌ ، فقال : أَتخلَّفُ عِندَ أخْوالِى بنى عَدىٍّ ابنِ النَّجَّارِ . فأقَام عِندَهم مَرِيضًا شَهْرًا ، ومضى أصحابُهُ فقدِمُوا مَكَّةَ ؛ فسألهم عَبْدُ المُطَّلِبِ عن ابنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، فقالوا : خَلَّفْناه عِندَ أخوالِهِ بنى عَدِىِّ بنِ النَّجَّارِ ، وهو مريضٌ . فبعَث إليه عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أكبرَ ولدِهِ الحارثَ ، فوجَده قد تُوُفِّيَ ودُفِنَ فى دارِ النَّابِغَةِ ، فرجَعَ إلى أبيهِ فأخبرَه ، فوجَدَ عليه عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وإخوتُه وأَخَوَاتُه وَجْدًا شَديدًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَئذٍ حَمْلٌ ، ولِعَبْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ يَوْمَ تُوُفِّيَ خمسٌ وعشرون سَنَةً .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٦٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩.

(٣) فى الأصل : « الرندى » . وفى ا ٩: « الزبيدى » . وفى م ، ص : « اليزيدى » . والمثبت من طبقات ابن سعد . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٠٤.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى ص : « فى غزوة » .

قال الواقِدىُّ[1] : هذا هو أثبتُ الأقاويلِ فى وفاةِ عبدِ اللَّهِ وسِنِّه عندَنا .

قال الواقِدىُّ[2] : وحدثنى معمرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ بعَث عبدَ اللَّهِ إلى المدينةِ يمتارُ لهم تمْرًا ، فماتَ . قال محمَّدُ بنُ سَعْدٍ[3] : وقد أنبأَنا هِشَامُ بنُ مُحمدِ بنِ السَّائِبِ الْكَلْبىُّ عن أبيهِ ، وعن عَوانَةَ بنِ الْحَكَمِ ، قالا : تُوُفِّىَ عَبْدُ اللَّهِ ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بعدَما أَتى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانيةٌ وعِشرُونَ شهرًا ، ويُقالُ : سَبْعَةُ أَشْهُرٍ . وقال مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ[4] : والأوَّلُ أَثْبَتُ ؛ أنَّه تُوُفِّىَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ حَمْلٌ . وقال الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ[5] : حدَّثنى مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ ، عن عبدِ السَّلامِ ، عن ابنِ خَرَّبُوذَ ، قال : تُوُفِّىَ عبدُ اللَّهِ بالمدينةِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ابنُ شَهرَيْن ، وماتتْ أمُّه وهو ابنُ أربعِ سنينَ ، وماتَ جَدُّه وهو ابنُ ثمانِ سنِينَ ، فأَوْصَى به إلى عمِّه أبى طالبٍ . والذى رَجَّحه الواقِدِىُّ وكاتِبُه الحافظُ مُحَمَّدُ ابنُ سَعْدٍ[6] ، أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، تُوُفِّىَ أبوه وهو جَنِينٌ فى بَطْنِ أُمِّهِ . وهذا أَبْلَغُ اليُتْمِ وأعلى مراتِبِه . وقد تقدَّم فى الحديثِ[7] : « ورُؤْيَا أُمِّى التى رأتْ حِينَ حَمَلتْ بى كأَنَّه خرَجَ منها نُورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشَّامِ » . وقال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ[8] : فكانتْ آمِنَةُ بنتُ [٢/١٠ظ] وَهْبٍ أمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ تُحدِّثُ أنَّها

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٩٩ .

(٢) وأخرجه من طريق الواقدى ، ابن سعد فى الطبقات ١/ ٩٩.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٠.

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٠.

(٥) ومن طريق الزبير بن بكار ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٧٨.

(٦) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩، ١٠٠.

(٧) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٨٨.

(٨) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥٧، ١٥٨. وعنده مختصرًا ، إلى قوله : « كل حاسد » . وبعده مباشرة : « ثم سميه محمدًا » .

أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ، فقيلَ لها: إِنَّكِ قد حَمَلْتِ بسيِّدِ هذهِ الأُمَّةِ، فإذا وقعَ إلى الأرضِ، فقولى: أعِيذُه بالواحدْ، مِن شرِّ كُلِّ حاسدْ، فى[1] كُلِّ بَرٍّ عامدْ[2]، وَكُلِّ عبدٍ رائدْ، نُزُولَ[3] غيرِ[4] زائدْ، فإنَّه عبدُ[5] الحميدِ الماجدْ، حَتَّى أَراه قد أَتَى المشاهدْ. وآيةُ ذلك أنَّه يَخرُجُ معه نورٌ يملأُ قُصُورَ بُصْرَى مِن أَرْضِ الشَّامِ، فإذا وقَع فسمِّيه مُحَمَّدًا؛ فَإِنَّ اسْمَهُ فى التَّوْرَاةِ أَحْمَدُ؛ يَحْمَدُه أهْلُ السَّماءِ وأهْلُ الأرضِ، واسمُه فى الإنجيلِ أحمدُ؛ يَحْمَدُه أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ، واسمُه فى القرآنِ محمدٌ. وهذا وذاك يَقْتَضِى أنَّها رأَتْ حينَ حَمَلَتْ به، عليه السَّلامُ، كأَنَّه خرَج مِنها نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشَّامِ، ثُم لمَّا وَضَعَتْه رأتْ عِيانًا تأْويلَ[6] ذلك، كما رأتْه قبلَ ذلك [7]فى المنامِ[7]. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ سَعْدٍ[8]: أنبأَنا محمدُ بنُ عمرَ، هو الواقِدىُّ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ، عن الزُّهْرِىِّ. قال الواقِدىُّ: و[9]حدَّثَنا موسى بنُ عُبَيْدةَ[10]، عن أخيه، ومحمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِىِّ. ح[11] وحدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «من».

(٢) فى النسخ: «عاهد». والمثبت من سيرة ابن إسحاق.

(٣) فى الأصل، ا ٩، ص: غير واضحة. وفى م: «يذود». والمثبت من المصدر السابق.

(٤) فى م: «عنى».

(٥) فى م: «عند».

(٦) فى ا ٩: «تحقيق».

(٧ - ٧) فى م، ص: «هاهنا».

(٨) طبقات ابن سعد ١/ ١٠١، ١٠٢.

(٩) سقط من: ا ٩، م.

(١٠) فى م، ص: «عبدة».

(١١) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

جعفرٍ الزُّهْرِيُّ، عن عمَّتِه أُمِّ بكرٍ بنتِ المِسْوَرِ[1] عن أبيها. ح[2] وحدَّثَنا عبدُ الرَّحمنِ بنُ إبراهيمَ المَدَنِيُّ[3]، وزِيادُ بنُ حَشْرَجٍ، عن أبى وَجْزَةَ. ح[2] وحدَّثنا مَعْمَرٌ، عن ابنِ[4] أَبى نَجِيحٍ، عن مُجاهِدٍ. ح[2] وحدَّثَنا طَلْحَةُ بنُ عمرٍو، عن عَطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ - دخَل حديثُ بعضِهم فى حديثِ بعضٍ - أنَّ آمِنَةَ بنتَ وَهْبٍ، قالت: لقد عَلِقْتُ به - تَعْنِى رسولَ اللَّهِ ﷺ - فما وجدتُ له مَشَقَّةً حتَّى وَضَعْتُه، فلمَّا فُصِلَ مِنِّى خَرَج معه نورٌ أَضاء له ما بينَ المشْرِقِ إلى المغْرِبِ، ثُم وَقَع إلى الأرضِ مُعْتَمِدًا على يَدَيْه، ثُم أَخَذ قَبْضةً مِن التُّرابِ، فقَبَضها ورَفَع رَأسَه إلى السماءِ. وقال بعضُهم: وَقَع جاثيًا على رُكْبَتَيه، وخَرَج معه نورٌ أَضاءت له قصورُ الشَّامِ وأسواقُها، حتى رَأَيْتُ أعناقَ الإبلِ ببُصْرَى، رافعًا رأسَه إلى السَّماءِ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[5]: أنبأَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ، أنبأَنا محمدُ بنُ إسحاقَ، حدَّثَنا [6]أبو بِشْرٍ[6] مُبَشِّرُ بنُ الحسنِ، حدَّثَنا يَعْقُوبُ بنُ محمدٍ الزُّهْرِيُّ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عِمْرانَ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثْمانَ بنِ أبى سليمانَ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن ابنِ أَبى سُوَيدٍ الثَّقَفِيِّ، عن عُثْمانَ بنِ أَبى العاصِ، حدَّثَتْنى أُمِّى أَنَّها شَهِدَتْ وِلادَةَ آمِنَةَ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، م: «المسود».
(٢) سقط من: الأصل، ا ٩، م.
(٣) فى الأصل، م، ص: «المزنى».
(٤) سقط من: الأصل، ا ٩، م.
(٥) الدلائل للبيهقى ١/ ١١٠، ١١١.
(٦ - ٦) فى ا ٩، م، ص: «يونس بن».

بنتِ وَهْبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَيلةَ وَلدَتْه ، قالت : فما شيءٌ [1]أنْظُرُ إليه[1] فى البَيتِ إلَّا نورٌ ، وإنِّى أَنْظُرُ إلى النُّجومِ تَدْنُو ، حتى إنِّى لَأَقولُ : لَيَقَعْنَ علىَّ .

وذَكر القاضى عِياضٌ[2] ، عن الشِّفاءِ أُمِّ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، أَنَّها كانت قابِلَتَه ، وأنَّها أخبرَتْ به حين سَقَط على يَدَيْها واسْتَهلَّ ، سمِعتْ قائلًا يَقُولُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . وأَنَّه سَطَع مِنه نورٌ رُئِيَتْ مِنه قصورُ الرُّومِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : فلمّا وضَعَتْه بَعثَتْ إلى عبدِ المطَّلبِ جاريتَهَا - وقد هلَك أبوه ، وهى حُبْلى - ويُقَالُ : إن عبدَ اللَّهِ هلَكَ ، والنَّبِىُّ ﷺ ابنُ ثَمانيةٍ وعِشرينَ شَهرًا . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان - فقالت : قد وُلِدَ لك الليْلَةَ[4] غلامٌ ، فانْظُرْ إليه . فلمَّا جاءَها أَخبرتْه وحَدَّثَتْه بما كانت رَأَتْ حينَ حَملَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ أَنْ تُسَمِّيَه ، فأَخَذه عبدُ المطَّلبِ فأَدْخَلَه على هُبَلَ فى جوفِ الكعبةِ ، فقام عبدُ المطَّلبِ يَدْعُو ويَشْكُرُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، ويقولُ :

الحمْدُ لِلَّهِ الذى أعطانى ... هذا الغُلَامَ الطَّيِّبَ الأَرْدانِ
[٢/١١و]قد ساد فى المَهْدِ على الغِلْمانِ ... أُعِيذُه باللَّهِ[5] ذى الأَرْكانِ
حتّى يَكونَ بُلْغَةَ الفِتْيانِ ... حتّى أَراه بالِغَ البُنْيانِ[6]
أُعيذُه مِن كلِ ذى شَنآنِ ... مِن حاسدٍ مضطرِبِ العَنانِ

(١ - ١) فى ا ٩، م، ص : « أنظره » .
(٢) الشفاء ١/ ٥١٩.
(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢.
(٤) سقط من : م .
(٥) فى م : « بالبيت » .
(٦) فى السيرة : « البنان » .

ذى هِمَّةٍ ليس له عينان حتى أَراه رافعَ اللسانِ

أنتَ الذى سُمِّيتَ فى الفُرْقان[1] فى كُتُبٍ ثابتةِ المَثانى

أَحمدَ مكتوبًا على اللسانِ

وقال البَيْهقِىُّ[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حاتمٍ الدَّارَبْجِرْدىُّ[3] ، بِمَرْوٍ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ البُوشَنْجِىُّ ، حدَّثَنا أبو أيوبَ سليمانُ بنُ سَلَمةَ الخبَائِرىُّ ، حدَّثَنا يونُسُ بنُ عطاءٍ ، عن[4] عُثْمانَ بنِ ربيعةَ بنِ زيادِ بنِ الحارثِ الصُّدائِىِّ ، بِمِصْرَ ، حدَّثَنا الحكَمُ بنُ أَبانٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، عن أَبيه العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَخْتونًا مَسْرورًا . قال : فأَعجَبَ جَدَّهُ عبدَ المطلبِ ، وحَظِىَ عندَه . وقال : لَيَكُونَنَّ لِابنى هذا شأنٌ . فكان له شأنٌ . وهذا الحديثُ فى صِحَّتِه نَظَرٌ . وقد رَواه الحافظُ ابنُ عَساكِرَ[5] مِن حديثِ سُفيانَ بنِ محمدٍ المِصِّيصىِّ ، عن هُشَيمٍ ، عن يونُسَ بنِ عُبَيدٍ ، عن الحسنِ ، عن أَنَسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِن كَرامَتى على اللَّهِ أَنِّى ولِدتُ مَختونًا ولَم يَرَ سَوْأَتِى أحدٌ » . ثُم أورَدَه[6] مِن طريقِ الحسنِ بنِ عرفةَ ، عن هُشَيمٍ به ، ثُم أوردَه[7] مِن طريقِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ ، هو الباغَنْدىُّ[8] ، حدَّثَنا عبدُ

---

(١) فى ا ٩، م : « القرآن » .

(٢) الدلائل للبيهقى ١/ ١١٤.

(٣) فى الأصل : « الداريردى » . وفى ا ٩، م ، ص : « الدرابودى » . والمثبت من الدلائل للبيهقى ١/ ١١٤، وتاريخ دمشق ٣/ ٨٠.

(٤) فى النسخ : « بن » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٥) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٣.

(٦) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٤.

(٧) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٤، مرفوعا من نفس الطريق .

(٨) فى الأصل : « الباعيدى » . وانظر الأنساب ٢/ ٤٥.

الرحمنِ بنُ أيوبَ الحِمْصيُّ ، حدَّثَنا موسى بنُ أبى موسى المَقْدِسيُّ ، حدَّثَنى خالدُ بنُ سَلَمةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَسْرورًا مَخْتونًا .

وقال أبو نُعَيمٍ[1] : حدَّثَنا أَبو أَحمدَ محمدُ بنُ أَحمدَ الغِطْرِيفيُّ ، حدَّثَنا الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ المالكيُّ ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ سَلَمةَ الخَبائِرِيُّ ، حدثَنا يونسُ بنُ عطاءٍ ، حدَّثَنا الحكمُ بنُ أَبانٍ ، حدَّثَنا عِكْرِمَةُ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، عن أبيه العبَّاسِ ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَخْتونًا مَسْرورًا ، فأَعجَبَ ذلك جَدَّه عبدَ المطَّلِبِ ، وحَظِيَ عندَه ، وقال : لَيَكونَنَّ لِابْنى هذا شأنٌ . فكان له شأنٌ . وقد ادَّعَى بعضُهم صِحَّتَه ؛ لِمَا وَرَدَ له مِن الطُّرقِ ، حتى زَعَم بعضُهم[2] أَنَّه مُتَواتِرٌ ، وفى هذا كلِّه نظرٌ[3] . ومَعْنَى مَخْتونًا ؛ أى : مَقْطوعَ الخِتانِ . ومَسْرورًا ؛ أى : مَقْطوعَ السُّرَّةِ مِن بَطْنِ أُمِّه .

وقد رَوى الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] مِن طريقِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عُيَيْنَةَ[5] البَصْرىِّ ، حدَّثَنا عَلِيُّ بنُ محمدٍ المَدائِنيُّ السُّلَمىُّ ، حدَّثَنا سلمةُ بنُ مُحاربِ بنِ سلْمٍ[6] بنِ زِيادٍ ، عن أَبيه ، عن أَبى بَكْرَةَ : أَنَّ جِبْريلَ خَتَنَ النَّبىَّ ﷺ حينَ

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٩٢) .

(٢) ذهب إلى ذلك الحاكم . انظر المستدرك ٢/ ٦٠٢ . وعقب عليه الحافظ الذهبى قائلًا : ما أعلم صحة ذلك ، فكيف متواترًا .

(٣) بعده فى ا ٩: « قلتُ : [أى ابن كثير] قد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية مسألة فى ذلك ، فرد هذه السياقات كلها وضعفها وجعل بعضها موضوعا ، وقال : الصحيح أنه إنما ختن كما تختن الغلمان ، ختنه جده عبد المطلب وعمل له دعوة جمع عليها قريشا . والله أعلم » .

(٤) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٠ .

(٥) فى ص ، تاريخ دمشق : « عتيبة » . وانظر الدلائل لأبى نعيم (٩٣) ، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٢٤ .

(٦) فى الأصل ، ا ٩، م : « مسلم » .

طَهَّر قَلْبَه . وهذا غريبٌ جدًّا . وقد رُوِىَ[1] أَنَّ جَدَّه عبدَ المُطَّلبِ خَتَنه ، وعَمِل له دَعْوةً جَمع قُرَيْشًا عليها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقىُّ[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنى أحمدُ[3] بنُ كاملٍ القاضى شِفاهًا ، أنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ حدَّثه ، يَعْنِى السُّلَمىَّ ، حدَّثَنا أبو صالحٍ عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثَنى مُعاويَةُ بنُ صالحٍ ، عن أَبى الحكَمِ التَّنُوخىِّ قال : كان المولودُ إذا وُلِدَ فى قريشٍ دفعوه إلى نِسْوَةٍ مِن قريشٍ إلى الصُّبْحِ ، يَكْفَأْنَ عليه بُرْمَةً[4] ، فلمّا وُلدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، دَفَعه عبدُ المطَّلبِ إلى نِسْوَةٍ فَكَفَأْنَ [٢/١١ظ] عليه بُرْمَةً ، فلمَّا أَصْبَحْن أَتَيْنَ ، فوَجَدْنَ البُرْمَةَ قد انفَلَقَتْ عنه باثْنَتَيْنِ ، ووَجَدْنَه مفتوحَ العينين ، شاخِصًا ببَصَرِه إلى السَّماءِ ، فأتاهُنَّ عبدُ المطلبِ ، فَقُلْنَ له : ما رَأَيْنا مولودًا مثلَه ؛ وجَدْناه قد انفلَقَتْ عنه البُرمَةُ ، ووجَدْناه مفتوحًا عَيْناه شاخِصًا ببَصَرِه إلى السَّماءِ . فقال : احْفَظْنَه ؛ فإنِّى أرجو أَن يكونَ له شَأْنٌ ، أو أَن يُصِيبَ خَيرًا . فلمَّا كان اليومُ السَّابعُ ، ذَبَح عنه ودعا له قُرَيْشًا ، فلمَّا أَكلوا ، قالوا : يا عبدَ المطَّلبِ ، أَرَأَيْتَ ابنَك هذا الذى أَكرمْتَنا على وجهِه ، ما سمَّيتَه ؟ قال : سَمَّيْتُه محمدًا . قالوا : فَلِمَ[5] رَغِبْتَ به عن أَسْماءِ أهلِ بيتِهِ ؟ قال : أَرَدْتُ أَنْ يَحْمَدَه اللَّهُ فى السَّماءِ وخَلْقُه فى الأَرضِ . قال أهلُ اللُّغةِ : كلُّ جامعٍ لصفاتِ الخيرِ يُسمَّى محمدًا . كما قال بعضُهم :

---

(١) ذكره ابن القيم فى زاد المعاد ١/ ٨١، ٨٢. وعزاه لابن عبد البر.

(٢) الدلائل للبيهقى ١/ ١١٣.

(٣) فى م : « محمد » .

(٤) البرمة : القِدْر من الحجارة .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « فما » .

إليك - أبيتَ اللَّعْنَ - أَعْمَلْتُ ناقتى إلى الماجدِ القَرْمِ[1] الكريمِ المُحَمَّدِ

وقال بعضُ العلماءِ: أَلْهَمهم اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، أَنْ سَمَّوه محمدًا؛ لِمَا فيه مِن الصِّفاتِ الحميدةِ، ليَلْتَقِيَ الاسمُ والفعلُ، ويَتطابقَ الاسمُ والمُسمَّى، فى الصُّورةِ والمعنى؛ كما قال عمُّه أبو طالبٍ، ويُروَى لحسَّانَ:

وشَقَّ لـه مِـن اسـمِـه لِيُـجِـلَّـه فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وسَنَذْكُرُ أسماءَه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ، وشَمائِلَه، وهى صفاتُه الظَّاهرةُ، وأخلاقُه الطَّاهرةُ، ودلائلَ نُبوتِه، وفضائلَ مَنْزِلَتِه، فى آخرِ السِّيرةِ إنْ شاءَ اللَّهُ.

قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[2]: أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثَنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يَعْقُوبَ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ شَيْبانَ الرمْلِيُّ، حدثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ الحَلَبيُّ[3]، حدَّثَنا الهَيْثَمُ بنُ جميلٍ، حدَّثَنا زُهَيْرٌ، عن مُحاربِ بنِ دِثارٍ، عن عمرِو بنِ يَثْرِبيٍّ، عن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، دَعانى إلى الدُّخولِ فى دِينِك أمارةٌ لنُبُوَّتِك، رأيتُك فى المهْدِ تُناغِى القمرَ، وتُشِيرُ إليه بأُصْبُعِك، فحيثُ أَشرتَ إليه مالَ. قال: «إنِّى كنتُ أُحَدِّثُه، ويُحدِّثُنى، ويُلْهِينى عن البُكاءِ، وأسمعُ وَجْبَتَه حينَ يَسْجُدُ تحتَ العرشِ». ثُم قال: تفرَّد به الحَلَبيُّ[4]، وهو مجهولٌ.

---

(١) القرم من الرجال: السيِّد المعظَّم.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤١.

(٣) فى الأصل، ا ٩، م: «الحبلى». وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٤٠.

(٤) فى النسخ: «الليثى». والمثبت من الدلائل للبيهقى ٢/ ٤١.

فَصْلٌ

فيما وَقَع مِن الآياتِ

ليلةَ مَوْلِدِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

قد ذَكرْنا فى بابِ هَواتِفِ الجانِّ، ما تقدَّم مِن خُرورِ كثيرٍ مِن الأَصْنامِ لَيْلَتَئِذٍ لوجوهِها، وسقوطِها عن أماكِنِها، وما رآه النَّجاشِىُّ مَلِكُ الحَبَشَةِ، وظهورِ النُّورِ معه حتى أضاءتْ له قصورُ الشامِ حينَ وُلِد، وما كان مِن سقوطِه جاثِيًا رافعًا رَأْسَه إلى السَّماءِ، وانفلاقِ تلك البُرْمَةِ عن وجهِه الكريمِ، وما شُوهِدَ مِن النُّورِ فى المَنزِلِ الذى وُلِدَ فيه، ودُنُوِّ النُّجومِ مِنهم وغيرِ ذلك.

حَكى السُّهَيْلِىُّ[1] عن «تفسيرِ» بَقِىِّ[2] بنِ مَخْلَدٍ الحافظِ: أَنَّ إبليسَ رَنَّ[3] أَرْبَعَ رَنّاتٍ؛ حينَ لُعِنَ، وحينَ أُهْبِطَ، وحينَ وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وحينَ أُنزِلت الفاتِحَةُ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: وكان هشامُ بنُ عُروةَ يُحدِّثُ، عن أَبيه، عن عائشةَ، قالت: كان يَهودىٌّ قد سكَن مكَّةَ[5] يتَّجِرُ بها، فلمّا كانتِ الليلةُ التى وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، قال فى مَجْلِسٍ مِن قُرَيشٍ: يا مَعْشَرَ قريشٍ، هل وُلِدَ

---

(١) الروض الأنف ٢/ ١٤٩.

(٢) فى ص: «بقية».

(٣) أى: صاح.

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ١٠٨، ١٠٩.

(٥) فى ص: «المدينة».

فيكُم الليلةَ مولودٌ؟ فقال القومُ: واللَّهِ ما نَعْلَمُه. فقال: اللَّهُ أكبرُ، أَمَا إذا أَخطأَكم فَلا بأسَ، انظُروا واحفَظوا ما أقولُ لكم: وُلِد هذه الليلةَ نَبِيُّ هذه الأُمَّةِ الأَخيرةِ، بينَ كَتِفَيْه علامةٌ فيها شَعَراتٌ مُتواتِراتٌ كأَنَّهنَّ عُرْفُ فَرَسٍ، لا يَرْضَعُ ليلتَينِ، وذلك [٢/١٢و] أنَّ عِفْريتًا مِن الجِنِّ أَدْخَلَ أُصبُعَه فى فَمِه، فمنَعه الرَّضاعَ. فتَصدَّع القومُ مِن مجلِسِهم، وهم يتَعجَّبون مِن قَولِه وحدِيثِهِ، فلما صاروا إلى مَنازِلِهم أَخبرَ كُلُّ إنسانٍ مِنهم أَهلَه، فقالوا: قد[1] وُلِدَ لعبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطَّلبِ غلامٌ سَمَّوه محمدًا. فالتقَى القومُ، فقالوا: هل سَمِعْتُم حديثَ اليهودِىِّ؟ وهل بَلَغكم مولدُ هذا الغلامِ؟ فانطلَقوا حتى جاءوا اليهودىَّ، فأخبَروه الخبرَ. قال: فاذهبوا معى حتى أَنْظُرَ إليه. فخرَجوا به حتى أدخَلوه على آمِنَةَ، فقال[2]: أَخْرِجى إلينا ابنَك. فأَخرَجتْه، وكَشَفوا له عن ظَهْرِه، فرأَى تلك الشّامةَ، فوقَع اليهودىُّ مَغْشِيًّا عليه، فلما أفاق، قالوا له: ما لك؟ وَيْلك! قال: ذهَبت، واللَّهِ، النُّبوَّةُ مِن بنى إسرائيلَ، [3]أَفَرِحْتُم به[3] يا معشرَ قريشٍ؟ أمَا[4] واللَّهِ لَيَسطُوَنَّ بكُم سَطْوَةً، يَخْرُجُ خبرُها مِن المشرقِ والمغربِ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: حدَّثَنى صالحُ بنُ إبراهيمَ، عن يحيى بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ، قال: حدَّثَنى مَن شئْت مِن رجالِ قَومى مِمَّن لا أتَّهِمُ، عن حسّانَ بنِ ثابتٍ، قال: إنِّى لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابنُ سبعِ سِنينَ، أو ثمانِ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «والله».

(٢) فى م: «فقالوا».

(٣ - ٣) فى م: «فرحتم بها».

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٩.

سِنينَ ، أَعْقِلُ ما رأيتُ وسَمِعتُ ، إذا بيهودىٍّ بيَثْرِبَ يَصْرُخُ ذاتَ غداةٍ : [1]يا معشرَ يهودَ[1] . فاجتمَعوا إليه ، وأنا أسمعُ ، فقالوا : ويلك ما لك ؟ قال : طلَع نجمُ أحمدَ الَّذى يُولَدُ به فى هذه الليلةِ .

ورَوَى الحافظُ أَبو نُعَيمٍ فى كتابِ « دلائِل النُّبُوَّةِ »[2] من حديثِ أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ العامرىِّ ، عن سليمانَ بنِ سُحَيْمٍ ورُبَيْحِ[3] بنِ عبدِ الرحمنِ ، كلاهما عن عبدِ الرَّحْمنِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن أبيه ، قال : سَمِعْتُ أبى مالكَ بنَ سِنانٍ يقولُ : جئتُ بنِى عبدِ الأَشْهَلِ يومًا لأَتَحَدَّثَ فيهم ، ونحنُ يومئذٍ فى هُدْنَةٍ مِن الحربِ ، فسمعتُ يُوشَعَ اليهودىَّ يقول : أَظَلَّ خروجُ نبىٍّ يقالُ له : أحمدُ . يخرجُ مِن الحَرَمِ . فقال له خليفةُ بنُ ثَعْلَبَةَ الأَشْهَلِىُّ ، كالمُسْتَهْزِئِ به : ما صِفَتُه ؟ فقال : رجلٌ ليس بالقَصيرِ ولا بالطَّويلِ ، فى عينَيْه حُمْرةٌ ، يَلْبَسُ الشَّمْلَةَ ، ويَرْكَبُ الحِمارَ ، سَيفُه على عاتِقِه ، وهذا البلدُ مُهاجَرُه . قال : فرَجَعْتُ إلى قَومى بنى خُدْرَةَ ، وأنا يومئذٍ أَتَعَجَّبُ ممَّا قال يُوشَعُ ، فأسمعُ رَجلًا مِنّا يقولُ : ويوشَعُ يقولُ هذا وحدَه ؟! كلُّ يهودِ يَثْرِبَ يقولون هذا . قال أبى ، مالِكُ بنُ سِنانٍ : فخرَجْتُ حتى جئتُ بنى قُرَيْظَةَ فأَجِدُ جَمْعًا ، فتذاكَروا النبىَّ ﷺ ، فقال الزُّبَيرُ بنُ باطا : قد طلَع الكَوْكبُ الأَحْمرُ الذى لَم يَطْلُعْ إلَّا لخروجِ نبىٍّ و[4] ظهورِه ، ولَم يَبْقَ أحدٌ إلَّا ، أَحمَدُ ، وهذا مُهاجَرُه . قال أبو سعيدٍ : فلمَّا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الدلائل لأبى نعيم (٤٠) .

(٣) فى ا ٩: « دبيح » ، وفى م : « ذريح » ، وفى ص : « ذريج » ، وفى الدلائل : « رميح » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٩.

(٤) فى الأصل ، م : « أو » .

قدِمَ النَّبىُّ ﷺ ، أخبرَه أَبى هذا الخبرَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو أسلمَ الزُّبيرُ و[1] ذَوُوه مِن رؤَساءِ اليهودِ ، إنَّما هُم له تَبَعٌ » .

وقال أبو نُعَيمٍ[2] : حدَّثَنا عمرُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ السِّنْدىِّ ، حدَّثَنا النَّضْرُ بنُ سَلَمَةَ ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ قَيْسِ بنِ سُلَيمانَ بنِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ ، عن أُمِّ سَعْدٍ بنتِ سَعْدِ بنِ الرَّبيعِ ، سَمِعْتُ زَيْدَ بنَ ثابتٍ ، يَقُولُ : كان أحبارُ يهودِ بنى قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ يَذْكُرونَ صِفَةَ النَّبىِّ ﷺ ، فلمَّا طَلَع الكوكبُ الأَحْمرُ أخبروا أنَّه نبىٌّ ، وأنَّه لا نبىَّ بعدَه ، واسمُه أحمدُ ، ومُهاجَرُه إلى يَثْرِبَ ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، المدينةَ أنْكَرُوا وحَسَدُوا وكَفَروا . وقد أورَد هذه القِصَّةَ الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى كتابِه مِن طُرُقٍ[3] أخرى [١٢/٢ ظ] . وللَّهِ الحمدُ .

وقال أبو نعيمٍ[4] : حدَّثنا[5] [6]أبو محمدِ بنُ حَيَّانَ[6] ، حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ ، حدَّثنا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ ، حدَّثنا خالدٌ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ويَحْيى بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ حاطبٍ ، عن أُسامَةَ بنِ زيدٍ ، قال : قال زيدُ ابنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ : قال لى حبرٌ مِن أحبارِ الشَّامِ : قد خرج فى بلدِك نبىٌّ ، أو هو خارجٌ ، قد خرَج نَجمُه فارْجِعْ فصَدِّقْه واتَّبِعْه .

---

(١) فى م : « لأسلم » .

(٢) لم نجده فى النسخة التى لدينا من مختصر دلائل أبى نعيم .

(٣) دلائل النبوة (٣٥، ٣٦، ٣٩) .

(٤) لم نجده فى النسخة التى لدينا من مختصر دلائل أبى نعيم .

(٥) فى م ، ص : « و » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م ، ص : « محمد بن حبان » ، وفى ا ٩ : « محمد بن حيان » . وهو أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن جعفر بن حيان ، المعروف بأبى الشيخ الأصبهانى . سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧٦ .

ذِكْرُ ارْتِجاسِ[1] إيوانِ كِسْرَى وَسُقُوطِ الشُّرُفاتِ، وخمودِ النيرانِ، ورُؤْيا المُوبِذانِ، وغيرِ ذلك مِن الدَّلالاتِ

قال الحافظُ أبُو بَكْرٍ محمدُ بنُ جَعْفرِ بنِ سَهْلٍ الخَرَائِطيُّ فى كتابِ «هَوَاتِفِ الجَانِّ»[2]: حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ يَعْلَى بْنُ عِمْرَانَ - مِن آلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ - حَدَّثنى مَخْزُومُ بْنُ هَانئٍ المَخْزُومِيُّ، [3]عن أبيهِ[3] - وأتتْ عليه خَمسون ومائةُ سَنَةٍ - قال: لمَّا كانتِ الليلةُ التى وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ارْتَجَسَ إيوانُ كِسْرَى، وسقَطتْ منه أربعَ عَشْرَةَ شُرْفةً، وخَمَدَتْ نارُ فارِسَ، ولم تَخْمُدْ قبلَ ذلك بألفِ عَامٍ، وغاضَتْ بُحَيْرةُ سَاوَةَ، ورَأَى المُوبِذَانُ إبِلًا صِعَابًا تقُودُ خَيْلًا عِرَابًا قد قطَعَتْ دِجْلَةَ وانتشَرَتْ فى بلادِها[4]، فلمّا أَصْبَحَ كِسْرَى أَفْزَعَهُ ذلك، فتَصبَّرَ عليه تشجُّعًا، ثُمّ رأى أنه لا يدَّخِرُ ذلك عن مَرازِبَتِهِ، فجمَعهُمْ ولَبِس تاجَه وجلَس على سَرِيرِه، ثُمّ بَعثَ إليهم، فلمَّا اجْتَمَعُوا عِندَه، قال: أتَدْرُون فيم بَعثْتُ إلَيْكُم؟ قالوا: لا إلَّا أَنْ يُخْبِرَنا المَلِكُ. فَبَيْنَما هم كذلِك إذْ ورَد عليهم كِتابٌ بخُمودِ النِّيرانِ، فازْدادَ غمًّا إلى غَمِّه،

---

(١) فى الأصل: «ارتجاج». وارتجس البناء: رجف.

(٢) رواه الطبرى فى تاريخه ١٦٦/٢ - ١٦٨، والبيهقى فى الدلائل ١٢٦/١ - ١٢٩، كلاهما من طريق على بن حرب به.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «بلادهم».

ثم أخبرَهُم بما رأَى ، وما هالَه ، فقال المُوبذَانُ : وأَنا - أَصْلَحَ اللَّهُ المِلكَ - قد رأيْتُ فى هذه الليلةِ رُؤْيَا . ثُمَّ قَصَّ عليه رُؤْياه فى الإِبِلِ ، فقال : أىُّ شىءٍ يكونُ هذا يا مُوبِذَانُ ؟ قال : حَدَثٌ يَكونُ فى ناحيةِ العرَبِ . وكان أعلَمَهُم مِن أنفُسِهم . فكتَب عِندَ ذلك : مِن كِسْرَى مِلِكِ الملوكِ إلى النُّعمانِ بْنِ المُنْذِرِ ؛ أمَّا بعدُ ، فوجِّهْ إلىَّ برجلٍ عالمٍ بما أريدُ أن أسأَلَه عنه ، فوجَّه إليه بِعَبْدِ المَسِيحِ بْنِ عَمْرِو بنِ حَيَّانَ بنِ بُقَيْلَةَ[1] الغَسَّانِىِّ ، فلمَّا ورَد عليه قال له : ألك عِلْمٌ بما أُرِيدُ أَنْ أَسأَلَكَ عنه ؟ فقال : لِيُخْبِرْنى أو ليَسْأَلْنِى المَلِكُ عمّا أَحَبَّ ، فإنْ كانَ عِندِى منه عِلْمٌ أخبَرْتُه[2] وَإِلَّا أخْبرتُه بمن يَعْلَمُ . فأخْبرَه بالذى وَجَّهَ به إليه فِيه . قال : عِلْمُ ذلك عِندَ خَالٍ لى يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ يُقالُ لَهُ : سَطِيحٌ . قال : فائْتِه فاسأَلْه عَمَّا سألْتُك عنه ، ثُم ائْتِنى بتفسيرِه . فخرَج عَبْدُ المَسِيحِ حتّى انتهى إلى سَطِيحٍ ، وقد أَشْفَى على الضَّريحِ ، فسلَّم عليه وكلَّمه ، فلم يَرُدَّ إليه سَطِيحٌ جَوابًا ، فأنشأَ يقولُ :

أَصُمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ[3] اليَمَنْ ... أم فاد[4] فازْلَمَّ[5] به [6]شَأْوُ العَنَنْ[6]

يا فاصِلَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ ومَنْ ... [7]وكاشِفَ الكُرْبَةِ عن وَجْهٍ غَضِنْ[7]

أتاكَ شيخُ الحَىِّ مِن آلِ سَنَنْ ... وأمُّه مِن آلِ ذِئْبِ بنِ حَجَنْ

---

(١) فى النسخ : « نفيلة » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ١٦٧/٢ . ودلائل البيهقى ١٢٧/١ .

(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) الغطريف : السيد .

(٤) فى الأصل ، ص : « فاز » . وفاد : مات .

(٥) ازلمّ : أسرع . اللسان (ز ل م) .

(٦ - ٦) فى الأصل : « ساو الغبن » . والعنن : الموت .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م ، ص .

أَزْرَقُ بَهْمُ[1] النّابِ صَرّارُ[2] الأُذُنْ أَبْيَضُ فَضْفاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ

رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِى لِلْوَسَنْ لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيْبَ الزَّمَنْ

[١٣/٢و] تجوبُ بى الأرضَ عَلَنْداةٌ شَزَنْ[3] تَرْفَعُنى[4] وَجْنًا وتَهْوِى بى وَجَنْ

حتى أتى عارِى الجَآجِى[5] والقَطَنْ تَلُفُّه فى الريحِ بَوْغاءُ[6] الدِّمَنْ

كأنّما حُثْحِثَ مِن حِضْنَىْ ثَكَنْ

قال : فلمّا سَمِع سَطِيحٌ شِعْرَهُ رفَع رأْسَهَ يقولُ : عبدُ المسيحْ ، على جَمَلٍ مُشِيحْ ، إلى سَطِيحْ ، وقد أَوْفَى على الضَّريحْ ، بعثَكَ مَلِكُ بنى سَاسَانْ ، لِارتِجَاسِ الإيوانْ ، وخُمُودِ النِّيرانْ ، ورُؤْيا المُوبِذانْ ، رأَى إبلًا صِعَابًا ، تقُودُ خَيْلًا عِرابًا ، قد قطَعتْ دِجْلَةَ وانتَشَرَتْ فى بِلادِها ، يا عَبْدَ الْمَسِيحِ ، إذا كَثُرَتِ التِّلَاوَة ، وظَهَرَ صَاحِبُ الهِرَاوَة ، وفاض وادى السَّماوة ، وغاضتْ بُحيرةُ سَاوَة ، وخَمَدَتْ نارُ فارِسَ ، فليْس الشَّامُ لِسَطِيحٍ شَامًا ، يملِكُ منهم ملوكٌ ومَلِكَاتْ ، على عَدَدِ الشُّرُفَاتْ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتْ . ثم قَضَى[7] سَطِيحٌ مكانَهُ ، فنَهَضَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إلى راحِلتِهِ وهو يقُولُ :

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِى الْعَزْمِ[8] شِمِّيرُ لا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ

---

(١) فى الأصل ، ا ٩، م : « لهم » .

(٢) يقال : صرت الأذن : كان لها طنين .

(٣) العلندى : الشديد ، والتاء للمبالغة . وشزن : نشيط .

(٤) فى الأصل : « يرفع بى » ، وفى ص : « ترفع به » .

(٥) الجآجئ : عظام الصدر .

(٦) البوغاء : التراب الناعم .

(٧) فى م : « قصبى » . ويقال : قضى فلان . أى مات . الوسيط (ق ض ى) .

(٨) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى ودلائل البيهقى : « الهم » .

إنْ يُمْسِ مُلْكُ بَنِى سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ ... فَإِنَّ ذَا الدَّهْرَ أَطْوارٌ دَهَارِيرُ
فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ ... يَخَافُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخو الصَّرْحِ بَهْرامٌ[1] وَإِخْوَتُهُ ... والْهرمُزَانُ وَسابورٌ[2] وَسابورُ
والنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ
[3]وَرُبَّ قَوْمٍ لَهُمْ صُحْبَانُ ذِى أُذُنٍ ... بَدَتْ تُلَهِّيهِمُ فيه المزاميرُ[3]
وَهُمْ بَنُو الأُمِّ إِمَّا[4] إِنْ رَأَوا نَشَبًا ... فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ ومَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرونانِ فى قَرَنٍ ... فَالْخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

قال : فلمَّا قدِمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ على كِسْرَى ، أخْبَرَه بما قال له سَطِيحٌ ، فقال كِسْرَى : إلى أَنْ يَمْلِكَ منّا أرْبعةَ عشَرَ مَلِكًا كانتْ أمورٌ وأمورٌ . فمَلَكَ منهم عَشَرَةٌ فى أرْبَعِ سِنِينَ ، وملَك الباقون إلى خلافةِ عُثْمانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه . ورواه البَيْهَقِىُّ[5] مِن حديثِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ ، عن عَلِىِّ بْنِ حَرْبٍ المَوْصِلِىِّ بنحْوِه .

قلتُ : كان آخِرَ ملوكِهم - الذى سُلِبَ منه المُلْكُ - يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْرِيارَ ابنِ أَبْرَوِيزَ بنِ هُرْمُزَ بنِ أَنُوشِرْوانَ ، وهو الّذى انْشَقَّ الإِيوانُ فى زمانِه . وكان

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « مهران » .
(٢) فى م : « شابور » .
(٣ - ٣) سقط من : ا ٩، ص .
(٤) فى تاريخ الطبرى : « لمّا » .
(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٢٦ - ١٢٩.

لِأَسْلافِهِ فى[1] المُلْكِ ثلاثَةُ آلافِ سنَةٍ ومائةٌ وأربعةٌ وستون سنَةً، وكان أوَّلَ ملوكِهِم خَيُومَرْثُ بنُ أميمَ بنِ لَاوَذَ بنِ سامِ بْنِ نُوحٍ، عليه السلامُ.

أمّا[2] سَطِيحٌ هذا فقال الحافظُ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِهِ»[3]: هو الرَّبيعُ بْنُ رَبِيعَةَ بنِ مَسْعودِ بنِ مازِنِ بنِ ذِئْبِ بْنِ عَدِىِّ بنِ مازِنِ بْنِ الأَزْدِ. ويُقالُ: الرَّبيعُ ابْنُ مَسْعودٍ. وأُمُّهُ ردعا[4] بنْتُ سَعْدِ بْنِ الْحارِثِ الحجورِىِّ. وذُكِرَ غيرُ ذلك فى نَسَبِهِ. قال: وكان يسكُنُ الجابِيَةَ. ثُم رَوَى عن أبى حاتِمٍ السِّجِسْتانِىِّ، قال: سمِعْتُ المَشْيَخَةَ؛ منهم أبو عُبَيْدَةَ وغيرُه قالوا: وكان مِن بعدِ لُقْمانَ بنِ عادٍ، وُلِدَ فى زمنِ سَيْلِ العَرِمِ، وعاش إلى مُلْكِ ذى نُواسٍ، وذلك نحوٌ مِن ثلاثين [٢/١٣ظ] قرْنًا، وكان مَسْكَنُه الْبَحْرَيْن، وزعَمَتْ عبدُ القَيْسِ أنَّه منهم، وتزْعُمُ الأَزْدُ أنَّه مِنهم، وأكثرُ المحدِّثينَ يقُولون: هو مِن الأَزْدِ. ولا نَدْرِى مِمَّنْ هو، غيرَ أنَّ ولدَه يقولون: إنَّه مِن الأَزْدِ. ورُوِىَ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال: لم يَكنْ شىءٌ مِن بنى آدَمَ يُشْبِهُ سَطِيحًا؛ إنَّما كان لحْمًا على وَضَمٍ[5]، ليس فيه عظمٌ ولا عَصَبٌ، إلَّا فى رَأْسِهِ وعَيْنَيْهِ وكَفَّيْه، وكان يُطْوَى كما يُطْوَى الثَّوبُ مِن رِجْلَيْهِ إلى عُنُقِهِ، ولم يكنْ فيه شىءٌ يَتَحَرَّكُ إلَّا لسانُهُ. وقال غيرُه: إنَّه كان إذا غضِبَ انتفخ وجلَس. ثم ذَكَر ابنُ عبّاسٍ أنَّه قَدِم مكَّةَ فتلقّاه جماعةٌ مِن

---

(١) سقط من: ص.

(٢) من هنا وإلى قوله: «وذكر لعبد المسيح أشعارا غير ما تقدم». حاشية فى الأصل، وليست فى ا ٩. وفى ص: «وقد تقدم ترجمة شق وسطيح فى أخبار أهل اليمن».

(٣) وجدنا لقبه فى موضعه فى حرف السين من جزء الألقاب، ٢٨٦/١٩ مخطوط. وأحال الحافظ ابن عساكر على اسمه فى حرف الراء قائلا: تقدم ذكره فى حرف الراء. ولم نجده فى النسختين المطبوعة والمخطوطة اللتين بين أيدينا. وانظر نسبه فى سيرة ابن هشام ١٥/١.

(٤) فى الأصل: «روعه».

(٥) الوضم: ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير.

رؤسائِها ، منهم عَبْدُ شَمْسٍ وعَبْدُ مَنافٍ أبناءُ قُصَيٍّ ، فامْتَحَنُوه فى أَشْياءَ ، فأجابَهم فيها بالصِّدْقِ ، فسأَلُوه عمّا يكونُ فى آخِرِ الزّمانِ ، فقال : خُذُوا مِنِّى ومِن إلهامِ اللَّهِ إيَّاىَ ؛ أنتم الآنَ يا مَعْشَرَ العَرَبِ فى زمانِ الهَرَمْ ، سواءٌ بصائرُكم وبصائرُ العَجَمْ ، لا عِلْمَ عِندَكُم ولا فَهمْ ، ويَنْشَأُ مِن عَقِبِكم ذَوُو فَهمْ ، يَطْلُبونَ أنواعَ[1] العِلْم ، فيكسِرون[2] الصَّنَمْ ، ويتبعون[3] الرَّدَمْ ، ويقتلون العَجَمْ ، ويطلبون الغَنَمْ[4] . ثُم قال : والباقِى الأبدْ ، والبالغِ الأَمَدْ ، ليَخْرُجَنَّ مِن ذا البلدْ ، نبىٌّ مُهْتَدْ ، يَهْدِى إلى الرَّشَدْ ، (5 يَرْفُضُ يَغُوثَ والفَنَدْ 5) ، يَبْرَأُ من[6] عبادةِ الصَّدَدْ ، يَعْبُدُ ربًّا انفرَدْ ، ثُم يَتوفّاه اللَّهُ بخيرِ دارٍ محمودًا ، مِن الأرضِ مَفْقودًا ، وفى السَّماءِ مَشْهودًا ، ثُم يَلِى أمْرَه الصِّدِّيقْ ، إذا قَضَى صدَقْ ، وفى ردِّ الحقوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِقْ[7] ، ثُم يَلِى أمْرَه الحنيفْ ، مُجرِّبٌ غِطْرِيفْ ، قد أضاف المُضِيفْ ، وأَحْكَمَ التَّحْنِيفْ . ثُم ذكَر عثمانَ ومَقْتَلَه ، وما يكونُ بعدَ ذلك مِن أَيّامِ بنى أُمَيَّةَ ، ثُم بنى العبّاسِ ، وما بعدَ ذلك مِن الفتنِ والملاحِمِ . ساقه ابنُ عساكرَ بسنَدِه عن ابنِ عبّاسٍ بِطُولِه .

وقد قدَّمْنا[8] قولَه لربيعةَ بنِ نصرٍ ملكِ اليمنِ ، حينَ أخبرَه برُؤْياه قبلَ أن

---

(١) فى الأصل : « انتزاع » .
(٢) فى الأصل : « تكسرون » .
(٣) فى الأصل : « تبلغون » .
(٤) أى المغنم .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦) فى م ، ص : « عن » .
(٧) الخَرِق : الأحمق ، والنَّزِق : الخفيف الطائش .
(٨) انظر ما تقدم صفحة ١١٨ - ١٢٠ .

يُخْبِرَهُ بها ، ثُم ما يكونُ فى بلادِ اليمنِ ، مِن الفتنِ وتغييرِ الدُّوَلِ ، حتى يعودَ إلى سَيْفِ بنِ ذِى يَزَنَ ، فقالَ له : أَفَيَدُومُ ذلك مِن سُلْطانِهِ أمْ يَنْقَطِعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ . قال : ومَن يَقْطَعُه ؟ قال : نبىٌّ زَكِىّ ، يأتيهِ الوحىُ مِن قِبَلِ العَلِىّ . قال : وممَّن هذا النبىُّ ؟ قال : مِن وَلَدِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرْ ؛ يكونُ المُلْكُ فى قومِه إلى آخِرِ الدّهرْ . قال : وهل للدَّهْرِ مِن آخرٍ ؟ قال : نَعَمْ ، يومٌ يُجمَعُ فيه الأوّلون والآخِرون ، يَسْعَدُ فيه المُحْسِنون ويَشْقَى فيه المُسيئُون . قال : أحَقٌّ ما تُخْبِرُنى ؟ قال : نَعَمْ ، والشَّفَقِ والغَسَقْ ، والقمرِ[1] إذا اتَّسَقْ ، إنَّ ما أنبأْتُك عليه[2] لَحَقّ . ووافقَه على ذلك شِقٌّ سواءً بسواءٍ بعبارةٍ أُخْرى كما تقدَّم . ومِن شِعْرِ سَطِيحٍ قولُه :

عليكم بتقوى اللَّهِ فى السِّرِّ والجَهْرِ ... ولا تَلْبِسُوا صِدْقَ الأَمانَةِ بالغَدْرِ

وكونوا لجارِ الجَنْبِ حِصْنًا وجُنَّةً ... إذا ما عَرَتْهُ النّائباتُ مِنَ الدَّهْرِ

ورَوى ذلك الحافظُ ابنُ عساكرَ ، ثُم أَوْرَدَ ذلك المُعافَى بنُ زَكَرِيّا الجَرِيرِىُّ[3] فقال : وأخبارُ سَطِيحٍ كثيرةٌ ، وقد جمعَها غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ، والمشهورُ أنَّه كان كاهنًا ، وقد أخبرَ عن النبىِّ ﷺ ، وعن نَعْتِه ومَبْعَثِه . ورُوِىَ لنا بإِسْنادٍ ، اللَّهُ به أعْلمُ ، أنَّ النبىَّ ﷺ ، سُئِلَ عن سَطِيحٍ ، فقال : « نبىٌّ ضَيَّعَه قَوْمُهُ » .

---

(١) فى الأصل : « الفلق » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل : « الحريرى » .

قلتُ : [٢/١٤و] أمّا هذا الحديثُ فلا أصْلَ له فى شىءٍ مِن كُتُبِ الإسلامِ المعهودةِ ، ولم أَرَه بإسنادٍ أصْلًا . ويُرْوَى مِثلُه فى خَبرِ خالِدِ بنِ سِنَانٍ العَبْسِىِّ ، ولا يَصِحُّ أيضًا[1] ، وظاهرُ هذه العِباراتِ تَدُلُّ على علْمٍ جيِّدٍ لِسَطِيحٍ ، وفيها رَوائحُ التَّصْدِيقِ ، لكنَّه لم يُدْرِكِ الإسلامَ كما قال الجَرِيرِىُّ . فإنَّه قد ذكَرْنا فى هذا الأثرِ أنَّه قال لابنِ أختِهِ[2] : يا عبدَ المَسِيحِ ، إذا كثُرَتِ التِّلاوةْ ، وظهَرَ صاحبُ الهِراوةْ ، وفاضَ وادى السَّماوَةْ ، وغاضتْ بُحَيْرةُ ساوَةْ ، وخَمَدَتْ نارُ فارسَ ، فليس الشّامُ لسَطِيحٍ شامًا ، يَمْلِكُ مِنهم مُلوكٌ ومَلِكاتٌ ، على عَددِ الشُّرُفاتْ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتْ . ثُم قَضَى سَطِيحٌ مكانَه . وكان ذلك بعدَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بشهْرٍ - أو شَيْعِه[3] ، أىْ : أقلَّ منه - وكانت وفاتُه بأطرافِ الشّامِ ، ممّا يلى أرضَ العِراقِ . فاللَّهُ أعلمُ بأمرِه ، وما صارَ إليه . وذَكَر ابنُ طَرّارٍ الجَرِيرِىُّ[4] أنه عاشَ سَبْعَمائةِ سنَةٍ . وقال غيرُه : خَمْسَمائةِ سنَةٍ . وقيل : ثلاثَمائةِ سنَةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوى ابنُ عساكرَ أنَّ مَلِكًا سألَ سَطِيحًا عن نَسَبِ غُلامٍ اخْتُلِفَ فيه ، فأخبرَه على الجَلِيَّةِ ، فى كلامٍ طويلٍ مَلِيحٍ فَصِيحٍ ، فقال له المَلِكُ : يا سَطِيحُ ، أَلَا تُخْبِرُنى عن عِلْمِك هذا ؟ فقال : إنَّ عِلْمى هذا ليس مِنِّى ولا بخَرْمٍ[5] ولا بظَنٍّ ، ولكنْ أخذْتُه عن أخٍ لى جِنِّىٍّ[6] ، قد سَمِع الوَحْىَ بطُورِ سَيْنَاءَ . فقال له : أرأيْتَ أخاك هذا الجِنِّىَّ ، أهو معك لا يُفارقُك ؟ فقال : إنَّه لَيَزُولُ حيثُ أزولُ ،

---

(١) وهو فى المستدرك ٢/٥٩٨ ، ٥٩٩ ، كشف الأستار (٢٣٦١) . وانظر (السلسلة الضعيفة ٢٨٠).

(٢) فى الأصل : « أخيه » .

(٣) فى ا ٩ ، م ، ص : « شية » .

(٤) هو المعافى بن زكريا . انظر الأنساب للسمعانى ٢/ ٥٢.

(٥) فى م : « بجزم » . ورجل أخرم الرأى : ضعيفه . المعجم الوسيط (خ ر م) .

(٦) سقط من : م .

ولا أنطِقُ إلا بما يقولْ . وتقدَّمَ[1] أنَّه وُلِدَ هو وشِقٌّ بنُ مُصْعَبِ بنِ يَشْكُرَ بنِ رُهْمِ ابنِ بُسْرِ[2] بنِ عُقْبَةَ الكاهِنُ الآخَرُ، وُلِدَا فى يومٍ واحدٍ، فحُمِلا إلى الكاهنةِ طريفةَ بنتِ الحُسَينِ الحِمْيَرِيَّةِ[3]، فَتَفَلَتْ فى أفواهِهما، فوَرِثا مِنها الكِهانَةَ، وماتتْ مِن يومِها، وكان نصفَ إنسانٍ، ويُقالُ: إنّ خالِدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ مِن سُلالتِه. وقد ماتَ شِقٌّ قَبْلَ سَطِيحٍ بدَهْرٍ.

وأمّا عبدُ المَسِيحِ بنُ عمرِو بنِ قيسِ بنِ حَيّانَ بنِ بُقَيْلَةَ الغَسَّانِىُّ النَّصْرانِىُّ فكان مِن المعمَّرِينَ، وقد ترجَمَه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[4]، وقال: هو الذى صالَح خالدَ بنَ الوليدِ على الحِيرَةِ[5]. وذكر له معه قصّةً طويلةً وأنَّهُ أكلَ مِن يدِه سُمَّ ساعةٍ، فلم يُصِبْه سوءٌ؛ لأنَّه لمَّا أخَذَه قال: بسمِ اللَّهِ وباللَّهِ، ربِّ الأرضِ والسَّماءِ، الذى لا يَضُرُّ مع اسمِه أذًى. ثُم أكلَه فعَلَتْه غَشْيَةٌ، فضَرَب بيدَيْه على صَدْرِه ثُم عَرِقَ وأفاقَ - رضِىَ اللَّهُ عنه. وذَكَرَ لعبدِ المسيحِ أشعارًا غيرَ ما تقدّم[6].

وقال أبو نُعَيْمٍ[7]: حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحَسَنِ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ، حدَّثَنا عُقْبَةُ بنُ مُكْرَمٍ، حدّثنا المسيَّبُ بنُ شَرِيكٍ، [8]حدّثَنا محمدُ بنُ شَرِيكٍ[8]، عن شُعَيْبِ بنِ شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: كان

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ١١٨.

(٢) فى الأصل: «يسر».

(٣) فى م: «الحميدية».

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٦١٩. مخطوط.

(٥) بياض فى الأصل، م. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) إلى هنا آخر الحاشية التى بالأصل، م.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧، من طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبة به.

(٨ - ٨) سقط من: ص.

بمَرِّ الظَّهْرَانِ راهبٌ مِن الرُّهْبانِ يُدْعَى عيصا ، مِن أهْلِ الشَّامِ وكان متخفِّرًا[1] بالعاصِ بنِ وائلٍ ، وكان اللَّهُ قد آتاه عِلْمًا كثيرًا ، وجعَل فيه مَنَافعَ كثيرةً لأهلِ مكَّةَ ، مِن طيبٍ ، ورِفقٍ ، وعِلْمٍ ، وكان يَلْزَمُ[2] صَوْمَعةً له ، ويَدْخُلُ مكّةَ فى كلِّ سَنةٍ ، فيَلْقَى النّاسَ ، ويَقُولُ : إنَّه يُوشِكُ أن يُولَدَ فيكم مولودٌ يا أهلَ مكّةَ ، يَدينُ له العَرَبُ ، ويَملِكُ العَجَمَ ، هذا زمانُه ، ومَن أدركَه واتّبعه أصاب حاجتَه ، ومَن أَدرَكَه فخالفَه أخطأَ حاجَتَه ، وتَاللَّهِ ما تَرَكْتُ أرضَ الخَمرِ[3] والخَمِيرِ والأمْنِ ، ولا [٢/١٤ظ] حلَلْتُ بأرضِ الجُوعِ [4]والبُؤْسِ[4] والخَوْفِ إلَّا فى طَلَبِه . وكان لا يُولَدُ بمكّةَ مولودٌ إلَّا يُسْأَلُ عنه ، فيَقولُ : ما جاء بعدُ . فيقالُ له : فصِفْهُ . فيَقولُ : لا . ويَكْتُمُ ذلك[5] ؛ للّذى قد عَلِمَ أنَّه لاقٍ مِن قومِه ؛ مَخافةً على نفسِه أن يَكونَ ذلك داعيَةً إلى أدنى ما يَكونُ إليه مِن الأذَى يومًا ، ولمَّا كان صَبيحةُ اليومِ الذى وُلِدَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خرَج عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، حتّى أَتى عيصا ، فوقَف فى أصلِ صَوْمَعَتِه ، ثم نادى : يا عيصا . فناداه : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبدُ اللَّهِ . فأَشْرَفَ عليه فقال : كن أباه فقد وُلِدَ ذلك[6] المولودُ الَّذى كنتُ أُحدِّثُكم عنه يومَ الاثْنَيْنِ ، ويُبْعَثُ يومَ الاثنَيْنِ ، ويموتُ يومَ الاثنينِ . قال : فإنَّه قد وُلِدَ لى مع الصُّبحِ مولودٌ . قال فما سَمَّيْتَه ؟ قال : محمدًا . قال : واللَّهِ ، لقد كنتُ أَشْتَهِى أن يكونَ هذا المولودُ فيكم أهلَ

---

(١) فى ص : « منحقرا » . وفى تاريخ دمشق : « متحفرا » . ومتخفرا : محتميا ومستجيرا .

(٢) فى ص : « يدخل » .

(٣) فى الأصل : « الخبز » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) سقط من : ص .

(٦) سقط من : م ، وفى ص : « لك » .

البيتِ ؛ لثلاثِ خِصالٍ بها نعرِفُه ، منها ؛ أنَّ نَجْمَهُ طَلَع البارِحَةَ ، وأنَّهُ وُلِدَ اليومَ ، وأنَّ اسمَه محمدٌ ، انْطَلِقْ إليه ، فإنَّ الَّذى كنتُ أُحَدِّثُكم[1] عنه ابنُك . قال : فما يُدريك أنَّه ابنى ، ولعلّه أن يُولَدَ فى يومِنا هذا مولودٌ غيرُه ؟ قال : قد وافقَ ابنُك الاسمَ ، ولم يكنِ اللَّهُ لِيُشَبِّهَ عِلْمَه على العلماءِ ؛ فإنَّه حُجَّةٌ ، وآيةُ ذلك أنَّه الآنَ وَجِعٌ ، فيَشْتَكِى أيامًا ثلاثةً ، يَظْهَرُ به الجوعُ ثلاثًا ، ثُمَّ يُعافَى ، فاحفَظْ لسانَك ؛ فإنَّه لم يُحْسَدْ أحدٌ حَسَدَه قطُّ ، ولم يُبْغَ على أحدٍ كما يُبْغَى عليه ، إن تَعِشْ حتّى [2]يَبْدُوَ مقالُه[2] ثُم يَدْعُوَ ، لَظَهر لك مِن قومِك ما لا تَحْتَمِلُه إلَّا على صَبْرٍ وعلى ذُلٍّ ، [3]فاحفَظْ لسانَك[3] ودارِ عنه . قال : فما عُمْرُه ؟ قال : إن طالَ عُمْرُه أو قَصُرَ لم يبلُغِ السَّبعين ، يموتُ فى وِتْرٍ دونَها مِن السِّتِّينَ فى إحدى وسِتِّينَ ، أو ثلاثٍ وسِتِّينَ ، فى أعمارِ جُلِّ أُمَّتِه . قال : وحُمِلَ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى عاشوراءِ[4] المُحَرَّمِ ، ووُلِدَ يومَ الاثْنَيْنِ لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ خَلَت مِن رمضانَ ، سنَةَ ثلاثٍ وعِشرينَ مِن غزوةِ أصحابِ الفيلِ . هكذا رواه أبو نُعَيمٍ ، وفيه غرابةٌ .

---

(١) فى ا ٩، م : « أخبركم » .

(٢ - ٢) فى ص : « تبدو معالمه » . وكذا فى تاريخ دمشق .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى الأصل ، م : « عاشر » .

ذِكْرُ[1] حَواضِنِه ومَراضِعِه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ

كانت أمُّ أيمَنَ، واسمُها بَرَكَةُ، تَحْضُنُه، [2]وكانَ قد[2] وَرِثها، عليه الصّلاةُ والسّلامُ، مِن أبيه، فلمّا كَبِر أَعتَقَها وزَوَّجَها مَولاه زَيدَ بنَ حارِثةَ، فولَدتْ له أُسامةَ بنَ زيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم، وأَرضَعتْه مع أمِّه، عليه الصّلاةُ والسّلامُ، مَولاةُ عمِّه أبى لَهَبٍ ثُوَيْبَةُ، قَبْلَ حَلِيمةَ السَّعْدِيَّةِ.

أَخْرَجَ البُخاريُّ ومسلمٌ فى «صَحِيحَيْهما»[3] مِن حديثِ الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبيرِ، عن زَينبَ بنتِ أمِّ سَلَمَةَ، عن أُمِّ حَبِيبَةَ بنتِ أبى سُفيانَ، أنَّها قالتْ: يا رسولَ اللَّهِ، انكِحْ أُختى بنتَ أبى سفيانَ. ولمسلمٍ: عزَّةَ بنتَ أبى سُفيانَ. فقال النبىُّ ﷺ: «أَوَ تُحِبِّينَ ذلك؟». قُلْتُ: نَعَمْ! لَسْتُ لك بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِى فى خيرٍ أُخْتِى. فقال النبىُّ ﷺ: «فإنَّ ذلك لا يَحِلُّ لى». قالتْ: فإنَّا نُحَدَّثُ أنَّك تُريدُ أن تَنْكِحَ بنتَ أبى[4] سَلَمةَ. وفى رِوايةٍ: دُرَّةَ بنتَ أبى سَلَمَةَ. قال: «بنتَ أمِّ سَلَمةَ»؟ قلتُ: نَعَمْ. قال: «إنَّها لو لم تَكُنْ رَبِيبَتى فى حَجْرِى ما حَلَّتْ لِى، إنَّها لَابْنَةُ أخِى مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِى وأبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عَلَىَّ بناتِكُنَّ ولا أخَواتِكُنَّ». زاد البخـاريُّ[5]:

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «وكانت ممن».

(٣) البخارى (٥١٠١، ٥١٠٧، ٥٣٧٢). مسلم (١٤٤٩).

(٤) فى الأصل: «أم».

(٥) البخارى (٥١٠١).

قال عُرْوَةُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِى لَهَبٍ ، [1]وكان أبو لَهَبٍ[1] [2]أَعتقَها فأرْضَعَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا مات أبو لَهَبٍ[2] أُرِيَه بَعْضُ أهْلِه بِشَرِّ حِيبَةٍ[3] . فقال له : ماذا لقِيتَ ؟ فقال [٢/١٥و] أبو لَهَبٍ : لم ألقَ بعدَكم خيرًا ، غيرَ أنِّى سُقِيتُ فى هذه بِعَتاقَتِى ثُوَيْبَةَ . وأشار إلى النُّقْرَةِ التى بينَ الإبهامِ والتى تَليها مِن الأصابعِ[4] .

وذكَرَ السُّهَيْلِىُّ وغيرُه : أنَّ الرّائِىَ له هو أخوه العَبّاسُ . وكان ذلك بعدَ سنَةٍ مِن وفاةِ أبى لَهَبٍ بعدَ وقْعةِ بَدْرٍ . وفيه أنَّ أَبَا لَهَبٍ قال للعبّاسِ : إنَّه لَيُخَفَّفُ علىَّ فى مِثل يومِ الاثنَين . قالوا : لأنَّه لمَّا بَشَّرَتْه ثُوَيْبَةُ بميلادِ ابنِ[5] أخيه محمدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ ، أعْتَقَها مِن ساعتِه ، فجُوزِىَ بذلك لذلك[6] .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « خيبة » . وحيبة : أى سوء حال .

(٤) هذه العبارة الأخيرة من قوله : « وأشار إلى النقرة ... إلخ » . ليست عند البخارى ، وأشار الحافظ فى الفتح إلى أنها عند الإسماعيلى ، والبيهقى فى الدلائل .

(٥) سقط من : ص .

(٦) فى ص : « كذلك » .

ذِكْرُ[1] رضاعِه، عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، مِن حَلِيمةَ بنتِ أبى ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةِ، وَمَا ظَهَرَ عليه مِنَ البركةِ وآياتِ النُّبُوَّةِ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: واسْتُرْضِعَ له، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مِن حَلِيمةَ بنتِ أبى ذُؤَيْبٍ، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ شِجْنَةَ[3] بنِ جَابرِ بنِ رِزامِ بنِ ناصِرَةَ بنِ سَعْدِ بنِ بكرِ بنِ هَوَازِنَ بنِ منصورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ خَصَفَةَ[4] بنِ قَيْسِ بنِ[5] عَيْلانَ[6] بنِ مُضَرَ[7]، واسمُ أبى رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ الذى أَرْضَعه - يعنى زوجَ حَليمةَ - الحارثُ بنُ عبدِ العُزَّى بنِ رِفاعةَ بنِ مَلَّانَ بنِ ناصِرةَ بنِ سَعْدِ بنِ بكرِ بنِ هَوازِنَ. وإخوتُه[8]، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - يعنى مِن الرَّضاعةِ - عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ، وأُنَيْسةُ بنتُ الحارثِ، وحُذَافةُ[9] بنتُ الحارثِ، وهى الشَّيْماءُ، وذَكَروا أنَّها كانت تَحْضُنُ رسولَ

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٥.

(٣) فى ص: «شجته».

(٤) فى الأصل، ا ٩، م: «حفصة». وفى ص غير واضحة. والمثبت من سيرة ابن إسحاق.

(٥) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٦) فى الأصل، ا ٩، ص: «غيلان».

(٧) بعده فى الأصل، م، ص: «قال».

(٨) فى الأصل: «أخواته».

(٩) فى الأصل: «خدامة». وفى ا ٩: «جدامة».

اللَّهِ ﷺ، مع أمِّه، إذ كان عِندَهم.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: حدَّثَنى جَهْمُ[2] بنُ أبى جَهْمٍ[2]، مَولًى لامْرَأَةٍ مِن بَنِى تَميمٍ، كانتْ عندَ الحارثِ بنِ حاطبٍ، وكان[3] يُقالُ له: مولَى الحارثِ بنِ حاطبٍ. قال: حدَّثَنى مَن سَمِع عبدَ اللَّهِ بنَ جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ، قال: حُدِّثْتُ عن حَلِيمةَ ابنةِ الحارثِ، أنَّها قالتْ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فى نِسْوَةٍ - [4]وذَكَر الوَاقِدِىُّ[5] بإسْنادِه، أنَّهُنَّ كُنَّ عَشْرَ نِسْوَةٍ مِن بنى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، يَلْتَمِسْنَ بِها الرُّضَعاءَ[4] - [6]مِن بنى سَعْدِ [7]بنِ بكرٍ[7] نلتمِسُ بها الرُّضَعَاءَ[6]، وفى سَنَةٍ شَهْباءَ، فَقَدِمْتُ عَلَى أتانٍ لِى[8] قَمْراءَ، كانت أَذَمَّتْ[9] بالرَّكْبِ، ومَعى صَبِىٌّ لَنا، وشارِفٌ[10] لنا، واللَّهِ ما تَبِضُّ[11] بقَطْرَةٍ، وما نَنامُ لَيْلَتَنا ذلك أجمعَ مع صَبِيِّنا ذاك، ما نَجِدُ فى ثَدْيَىَّ ما يُغْنِيه، ولا فى شارِفِنا ما يُغَذِّيه، ولَكِنَّا كنَّا نَرْجُو الغَيْثَ والفَرَجَ، فخَرَجْتُ على أَتانى تلك، فلقد أَذَمَّتْ[9] بالرَّكْبِ، حتَّى شَقَّ ذلك عَلَيْهِم ضَعْفًا وعَجَفًا[12]، فَقَدِمْنا مَكَّةَ، فواللَّهِ ما عَلِمْتُ مِنَّا امْرَأَةً إلَّا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٦ - ٢٨.

(٢) فى الأصل: «جهيم».

(٣) سقط من: ا ٩، م.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٩.

(٥) ومن طريق الواقدى، أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١١٠، ١١١.

(٦ - ٦) سقط من: ص.

(٧ - ٧) زيادة من: ا ٩.

(٨) سقط من: ص.

(٩) فى الأصل: «أدمت». وأذمَّت بالركب: حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها. الوسيط (ذ م م).

(١٠) الشارف: هى الناقة الهرمة المسنة.

(١١) ما تبض بقطرة، أى ما تنزل قطرة من لبن.

(١٢) عجفا: هزالا.

وقد عُرِضَ عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْباه ؛ إذا قيل : إنَّه يتيمٌ . تَرَكْناه ، و[1] قُلْنا : ماذا عَسَى أن تَصْنَعَ إلينا أُمُّه ؟ إنَّما نرجُو المعروفَ مِن أَبِى الوَلَدِ ، فأمَّا أُمُّه فماذا عسى أن تصنَعَ إلينَا ؟! فواللَّهِ ما بَقِىَ مِن صَوَاحِبِى امرأةٌ[2] إلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِى ، فلمَّا لم نَجِدْ غيرَه ، وأَجْمَعْنا الانْطِلاقَ ، قلتُ لِزَوْجِى الحارثِ بنِ عبدِ العُزَّى : واللَّهِ إنِّى لَأَكْرَهُ أن أَرْجِعَ مِن بينِ صَوَاحِبِى ليسَ معى رَضِيعٌ ، لَأَنْطَلِقَنَّ إلَى ذلك اليتيمِ فلَآخُذَنَّه . فقال : لا عليكِ أن تَفْعَلِى ، فعسى اللَّهُ أن يَجْعَلَ لنا فيه بَرَكَةً . فذَهَبْتُ فأَخَذْتُه ، فواللَّهِ ما أَخَذْتُه إلَّا أنِّى لم أَجِدْ غَيْرَه ، فما هو إلَّا أن أَخَذْتُه ، فَجِئْتُ به رَحْلِى ، فأقْبَلَ عليه ثَدْيايَ بما شاءَ مِن لبنٍ ، فَشَرِبَ [3]حتَّى رَوِىَ[3] ، وشَرِبَ أَخُوه حتَّى رَوِىَ ، وقام صاحِبِى إلَى شَارِفِنا تلك ، فإذا إنَّها لَحَافِلٌ ، فَحَلَبَ مَا شَرِبَ ، وشَرِبْتُ حتى رَوِينا ، فَبِتْنا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ ، فقال صاحِبِى حينَ أَصْبَحْنا : يا حَليمةُ ، [4]واللَّهِ[4] ، إنِّى لأَرَاكِ قد أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبارَكَةً ؛ أَلَمْ تَرَىْ ما بِتْنا به اللَّيْلَةَ مِن الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ حينَ أَخَذْنَاهُ ! فلم يَزَلِ اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، يَزِيدُنا خيْرًا ، ثُم خرجْنا راجِعِينَ إلى بلادِنا ، فواللَّهِ لَقَطَعَتْ [٢/١٥ظ] أَتانى بالرَّكْبِ ، حتَّى ما يَتَعَلَّقُ بها حِمَارٌ ، حتَّى أَنَّ صَواحِبِى لَيَقُلْنَ : وَيْلَكِ يا بِنْتَ أَبِى ذُؤَيْبٍ ! هذه أَتانُكِ التى خَرَجْتِ عليها معَنا ؟ فأقولُ : نَعَمْ ، واللَّهِ إنَّها لَهِىَ . فيَقُلْنَ : واللَّهِ إنَّ لها لَشَأْنًا . حتَّى قَدِمْنا أَرْضَ بَنِى سَعْدٍ ، وما أَعْلَمُ أَرْضًا مِن أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنها ، فإنْ كانتْ غَنَمِى لَتَسْرَحُ ، ثُمَّ تَرُوحُ شِباعًا لَبَنًا ،

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٢) فى ص : « شىء » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

فَنَحْلِبُ ما شِئْنا ، وما[1] حولَنا أَحَدٌ تَبِضُّ له شاةٌ بقَطْرَةِ لبَنٍ ، وإنَّ أغنامَهم لَتروحُ جِياعًا ، حتَّى إنَّهم لَيقولُون لِرُعاتِهم ، أو لِرُعْيانِهم : وَيْحَكُم ! انظُرُوا حيثُ تَسْرَحُ غنمُ بنتِ أبى ذُؤَيْبٍ ، فاسرَحوا معهم . فيَسرَحُون معَ غنمِى حيثُ تَسْرَحُ ، فيُرِيحُون[2] أغنامَهم جِياعًا ، ما فيها قَطْرةُ لَبَنٍ ، وتَرُوحُ أغنامى شِباعًا لَبَنًا ، نَحلِبُ ما شِئْنَا ، فلم يَزَلِ اللَّهُ يُرِينا البركةَ و[3] نَتَعَرَّفُها ، حتّى بلَغَ سَنَتَيْه ، فكان يَشِبُّ شبابًا لَا يَشِبُّه الغِلْمانُ ، فواللَّهِ ما بلَغَ السَّنَتَيْن حتّى كان غُلامًا جَفْرًا[4] ، فقَدِمْنا به على أُمِّهِ ، ونحنُ أَضَنُّ شىءٍ به ؛ ممّا رأَيْنا فِيهِ مِن البرَكةِ ، فلمّا رأتْه أمُّه ، قُلْنا[5] لها : [6]يا ظِئْرُ[6] ، دَعِينا نَرْجِعْ بابْنِنا هذه السَّنَةَ الأُخْرَى ، فإنَّا نخشَى عليه وَباءَ مكّةَ . فواللَّهِ مازلنا بها حتّى قالتْ : فنَعَمْ . فسَرَّحَتْه معَنا ، فأَقَمْنا به شَهْرَيْنِ أو ثلاثةً ، فبَينَا هو خَلْفَ بُيوتِنا ، مع أخٍ له مِن الرَّضاعةِ فى بَهْمٍ[7] لنا ، جاءَنا أخوه ذلك يَشْتَدُّ ، فقال : ذاك أخى القُرَشِىُّ ، قد[8] جاءَه رجُلان ، عليهما ثيابٌ بِيضٌ ، فأَضْجَعاه ، فشقَّا بَطْنَه . فخَرَجْتُ أنا وأبوه نَشْتَدُّ نَحْوَهُ ، فنَجِدُه قائمًا مُنْتَقَعًا[9] لونُه ، فاعتَنَقَه أبُوه ، وقال : يا بُنَىَّ ، ما شأْنُك ؟

---

(١) بعده فى الأصل ، م ، ص : « حوالينا أو » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩ ، م : « فنزوح » .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤) جَفَر الصبى : إذا انتفخ لحمه وأكل . المحيط (ج ف ر) .

(٥) فى م : « قلت » . وفى ص : « قالت » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) البهم : جمع بَهْمَة ، وهى الصغير من الضأن . الوسيط (ب هـ م) .

(٨) سقط من : م .

(٩) فى ص : « ممتنعا » . وممتقعا ، بفتح القاف : متغيّر اللون . ويقال : ممتقع ومنتقع ومبتقع ، كلها بمعنًى ، وكلها بفتح القاف .

قال : جاءنى رجلانِ ، عليهما ثيابٌ بِيضٌ ، فأَضْجَعانى ، وشَقّا بَطْنى ، ثُم استخْرَجا مِنه شيئًا ، فطرَحاه ، ثُم رَدّاه كما كان . فرجَعْنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمةُ ، لقد خَشِيتُ أن يكونَ ابنى قد أُصِيبَ ، فانْطَلِقى بنا نَرُدُّه إلى أهلِه ، قبلَ أن يَظْهَرَ به ما نَتَخَوَّفُ . قالت حليمةُ : فاحْتَمَلْناه ، فلَم تُرَعْ أمُّه إلا به ، فقدِمْنا به[1] عليها ، فقالت : ما رَدَّكما به[2] ، فقد كنتما عليه حَرِيصَيْنْ ؟ فقلنا[3] : لا واللَّهِ [4]يا ظِئْرُ[4] ، إلَّا أنّ اللَّهَ قد أدَّى عنَّا ، وقَضَيْنا الذى علينا ، وقلنا : نَخْشَى الإِتلافَ[5] والأحداثَ ، نَرُدُّه إلى[6] أهلِه . فقالتْ : ما ذاك بكما ، فاصْدُقانى شأنَكما . فلَم تَدَعْنا حتى أخْبَرْناها خبرَه ، فقالت : أَخَشِيتُما عليه الشيطانَ ؟ كلَّا واللَّهِ ما للشيطانِ عليه سبيلٌ ، واللَّهِ ، إنَّه لكائِنٌ لابنِى هذا شأنٌ ، ألا أُخْبِرُكما خَبَرَه ؟ قلنا : بلى . قالت : حَمَلْتُ به ، فما حَمَلْتُ حَمْلًا قَطُّ أخفَّ منه ، فأُرِيتُ فى النومِ حينَ حَمَلْتُ به ، كأنَّه خَرَج مِنِّى نُورٌ ، أضاءَتْ له قصورُ الشامِ ، ثُم وقَع حينَ ولدْتُه وُقُوعًا ما يقَعُه المولودُ ، مُعْتَمِدًا على يَدَيْه ، رافِعًا رأسَه إلى السماءِ ، فدعاه عنكما . وهذا الحديثُ قد رُوِى مِن طُرُقٍ أُخَرَ[7] ، وهو مِن الأحاديثِ المشهورةِ المُتداوَلَةِ بينَ أهلِ السِّيَرِ والمغازِى[8] .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) سقط من : الأصل . وبعده فى م : « يا ظئر » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فقالا » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى ا ٩ : « الإملاق » .

(٦) فى ا ٩ ، ص : « على » .

(٧) انظر هذه الطرق فى تاريخ دمشق ٨٦/٣ - ٩٤ .

(٨) بعد هذا فى ا ٩ : « وليس هو فى شىء من الكتب المعتمد عليها بنقل صحيح » .

وقال الواقِدِيُّ[1] : حدّثنى مُعاذُ بنُ محمدٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : خرجَتْ حليمةُ تطلبُ النبىَّ ﷺ ، وقد وَجَدَتِ البَهْمَ تَقِيلُ ، فوَجَدَتْه مع أُختِه ، فقالتْ : فى هذا الحَرِّ ! فقالتْ أُختُه : يا أُمَّهْ ، ما وجَد أخى حَرًّا ، رأيْتُ غَمامةً تُظِلُّ عليه ، إذا وَقَفَ وقَفَتْ ، وإذا سارَ سارتْ ، حتى انتهى إلى هذا الموضعِ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : حدثنى ثَوْرُ بنُ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَان ، عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أنَّهم قالوا له : أخبِرْنا [٢/١٦و] عن نفسِك . قال[3] : « أنا دَعْوَةُ أَبِى إبْراهيمَ ، وبُشْرَى عِيسَى ، عليهِما السَّلَامُ ، وَرَأَتْ أُمِّى حِينَ حَمَلَتْ بِى ، أنَّهُ[4] خَرَجَ مِنها نورٌ ، أضَاءَتْ له قُصُورُ الشَّامِ ، واسْتُرْضِعْتُ فى بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنا أَنَا فِى بَهْمٍ لنا ، أَتانِى رَجُلَان ، عليهما ثيابٌ بِيضٌ ، معهما طَسْتٌ مِن ذَهَبٍ مَمْلوءٌ ثَلْجًا ، فَأَضْجَعَانِى ، فشَقَّا بَطْنِى ، ثُم اسْتَخْرَجا قَلْبِى ، فشَقَّاهُ ، فأخْرَجا مِنه عَلَقَةً سَوْداءَ فأَلْقَيَاها ، ثُمَّ غَسَلا قَلْبِى وبَطْنِى بذلك الثَّلْجِ ، حَتَّى إِذَا أَنْقَياه[5] رَدّاهُ كما كان ، ثُم قال أَحَدُهما لِصَاحِبِه : زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِن أُمَّتِهِ . فَوَزَنَنِى بِعَشَرَةٍ ، فَوَزَنْتُهُم ، ثُمَّ قَالَ : زِنْه بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِه فوزَنَنِى بِمِائَةٍ فوزَنْتُهُم ، ثُمَّ قال : زِنْه بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِه . فَوَزَنَنِى بِأَلْفٍ فَوَزَنْتُهم ، فقال : دَعْه عَنْكَ ، فَلَوْ وزَنْتَهُ بِأُمَّتِه لَوَزَنَهم » . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ قوىٌّ .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ١٥٢. من طريق الواقدى به .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٨. (السلسلة الصحيحة ١٥٤٥) .

(٣) بعده فى النسخ : « نعم » . وليس فى سيرة ابن إسحاق .

(٤) فى الأصل : « كأنه » .

(٥) فى م : « ألقياه » .

وقد روى أبو نُعَيْمٍ الحافظُ فى «الدَّلائلِ»[1]، مِن طريقِ عُمَرَ بنِ الصُّبْحِ، وهو أبو نُعَيْمٍ، عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ، عن مَكْحُولٍ، عن شَدَّادِ بنِ أوسٍ، هذه القصّةَ مُطَوَّلةً جِدًّا، ولكنَّ عمرَ بنَ صُبْحٍ هذا متروكٌ، كَذّابٌ، مُتَّهَمٌ بالوَضْعِ؛ فلهذا لم نَذْكُرْ لفظَ الحديثِ، إذ لا يُفْرَحُ به. ثُم قال: وحدثنا أبو عمرِو بنُ[2] حَمدانَ، حدثنا الحسنُ بنُ نُفَيْرٍ، حدثنا عمرُو بنُ عثمانَ، حدثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ[3]، عن بَحِيرِ[4] بنِ سعيدٍ[5]، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عمرٍو السُّلَمِيِّ، عن عتبةَ بنِ عبدٍ[6]، أنَّه حدَّثه أنَّ رَجلًا سأَل النَّبِيَّ ﷺ، فقال: كيف كان أولُ شأنِك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «كَانَتْ حَاضِنَتِى مِنْ بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِى بَهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِى، اذْهَبْ فَائْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنا. فانْطَلَقَ أَخِى، ومَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ، فأَقْبَلَ طَائِرَان أَبْيَضَانِ، كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قال: نَعَمْ. فَأَقْبَلَا يَتَتَدِرَانِى، فَأَخَذَانِى، فَبَطَحَانِى لِلقَفَا، فَشَقَّا بَطْنِى، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِى فشَقّاهُ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْن سَوْدَاوَيْن، فقال أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنى [7]بماءٍ ثَلْجٍ[7]. فَغَسَلَا بِهِ جَوْفِى، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِى بِمَاءٍ بَرَدٍ. فَغَسلَا بِهِ قَلْبِى، ثُمَّ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٤٦٩ - ٤٧٣، من طريق عمر بن الصبح به.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) ومن طريق بقية بن الوليد، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٧، ٨. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦٤ - ٤٦٦. (السلسلة الصحيحة ٣٧٣).

(٤) فى الأصل، ا ٩: «يحيى».

(٥) فى ا ٩، ص: «سعد». وانظر تهذيب التهذيب ١/ ٤٢١.

(٦) فى ا ٩، م: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣١٤.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

قَالَ : ائْتِنِى بالسَّكِينَةِ . فذَرَّها فِى قَلْبِى ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : [(١] حُصْه . فحاصَه[١)] . وَخَتَم عَلَى قَلْبِى بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، فقال أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اجْعَلْه فِى كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِى كِفَّةٍ . فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إلى الأَلْفِ فَوْقِى ، أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ علىَّ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ . ثُمَّ انْطَلَقَا ، وتَرَكَانِى وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إلى أُمِّى ، فَأَخْبَرْتُها بالَّذِى لَقِيتُ ، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ الْتُبِسَ[(٢)] بى ، فَقَالَتْ : أُعِيذُكَ بِاللَّهِ . فَرَحَّلَتْ بَعيرًا لَهَا وجعلتْنِى[(٣)] على الرَّحْلِ ، وَرَكِبَتْ خَلْفِى حَتَّى بَلَغْنَا إلَى أُمِّى ، فَقَالَتْ : أَدَّيْتُ أَمَانَتِى وَذِمَّتِى . وَحَدَّثَتْها بالَّذِى لَقِيتُ فلم يَرُعْها ، وَقَالَتْ : إِنِّى رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّى نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » . [(٤] ورواه أحمدُ[(٥)] ، مِن حديثِ بَقِيَّةَ بنِ الوليدِ به[٤)] . وهكذا رواه عبدُ اللَّهِ بنُ المبارَكِ ، وغيرُه ، عن بَقِيَّةَ بنِ الوليدِ به[(٦)] . وقد رواه ابنُ عساكرَ[(٧)] ، مِن طريقِ أبى داودَ الطَّيَالِسِىِّ ؛ حدثنا جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ القُرَشِىُّ ، أخْبَرَنى[(٨)] [(٩] عُمَرُ ابنُ عُرْوَةَ بنِ[٩)] الزُّبَيْرِ ، قال : سَمِعْتُ عُروةَ بنَ الزُّبيرِ يُحدِّثُ عن أبى ذرٍّ الغِفَارِىِّ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف عَلِمْتَ أَنَّكَ

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٩ ، م : « خطه فخاطه » . والمعنى واحد .

(٢) فى الأصل ، ص : « ألبس » . وفى ا ٩ ، م : « لبس » . والمثبت من دلائل البيهقى . وتاريخ دمشق . والتبس بى أى خولِطت فى عقلى . الوسيط (ل ب س) .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « حملتنى » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٩ ، ص .

(٥) أحمد فى المسند ٤/ ١٨٤ ، ١٨٥ . قال الهيثمى فى المجمع ٨/٢٢٢ : رواه أحمد ... وإسناد أحمد حسن .

(٦) الدارمى ١/٨ ، ٩ . والحاكم ٢/ ٦١٦ ، ٦١٧ . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .

(٧) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « عمير بن » .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل . وهو عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٥ .

نَبِيٌّ حينَ[1] عَلِمْتَ ذلك، واسْتَيْقَنْتَ أنّك نَبِيٌّ ؟ قال : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَتَانِى مَلَكَانِ وَأَنَا ببَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الأَرْضِ ، [١٦/٢ظ] وَكَانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ هُوَ . قَالَ : فزِنْه بِرَجُلٍ . فَوُزِنْتُ[2] بِرَجُلٍ فَرَجَحْتُه[3] » . وذَكَر تمامَه ، وذَكَر شَقَّ صَدْرِه ، وخِياطَتَه ، وجَعْلَ الخَاتَمِ بينَ كَتِفَيْه ، قال : « فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَّيَا عَنِّى ، فكأنَّما أُعَايِنُ الأَمْرَ مُعَايَنَةً » . ثُم رواه ابنُ عساكرَ[4] ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ بنحوِ ذلك ، ومِن حديثِ شَدّادِ بنِ أَوْسٍ بأَبْسَطَ مِن ذلك[5] . وثَبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[6] ، مِن طريقِ حمّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أتاه جِبْرِيلُ ، عليه السلامُ ، وهو يَلْعَبُ مع الغِلمانِ ، فأَخذَه ، فصَرَعَه ، فشَقَّ عن قلبِه ، فاستَخْرَجَ القلْبَ ، واسْتَخْرَج منه عَلَقةً[7] ، فقال : هذا حَظُّ الشيطانِ مِنكَ[8] . ثُم غَسَلَه فى طَسْتٍ مِن ذهبٍ بماءِ زمزمَ ، ثُم لأَمَه[9] ، ثُم أعادَه فى مكانِه ، وجاء الغِلْمانُ يَسْعَوْن إلى أمِّه - يَعْنِى ظِئْرَه - فقالوا : إنَّ محمدًا قد قُتِل . فاستَقْبَلُوه ، وهو مُنْتَقِعُ[10] اللَّونِ . قال أنسٌ : وقد كنتُ أَرَى

---

(١) فى ص : « حتى » .
(٢) فى الأصل ، ا ٩ : « فوزننى » ، وسقط من : ص . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٣) فى ص : « فرجحه » .
(٤) فى تاريخ دمشق ٤٦٢/٣ - ٤٦٤ .
(٥) فى تاريخ دمشق ٤٦٦/٣ - ٤٧٣ .
(٦) مسلم (١٦٢) .
(٧) بعده فى الأصل ، م : « سوداء » .
(٨) سقط من : ا ٩ ، م .
(٩) لأمه : أصلحه فالتأم . اللسان (ل أ م) .
(١٠) فى ا ٩ : « ممتقع » .

أَثَرَ ذلك المِخْيَطِ فى صَدْرِه. وقد رواه ابنُ عساكِرَ[1]، مِن طريقِ ابنِ وهْبٍ، عن عمرِو بنِ الحارِثِ، عن عبدِ ربِّه بنِ سعيدٍ، عن[2] ثابتٍ البُنَانِىِّ، عن أنسٍ، أنَّ الصلاةَ فُرِضَتْ بالمدينةِ، وأنّ مَلَكَيْن أتيا رسولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَهبا به إلى زَمْزَمَ، فَشَقَّا بَطْنَه، فَأَخْرَجَا حُشْوَتَهُ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فغسَلاه بماءِ زمزمَ، ثُم كَبسَا[4] جوفَه حِكْمةً وعِلْمًا. ومِن طريقِ ابنِ وهبٍ[5] أيضًا، عن يعقوبَ ابنِ عبدِ الرحمنِ الزُّهرِىِّ، عن أبيهِ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هاشمِ[6] بنِ عُتْبَةَ بنِ أبى وقّاصٍ، عن أنسٍ، قال[7]: أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ ليالٍ، قال[8]: خُذُوا خيرَهم، وسيِّدَهم. فأَخَذُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، فَعُمِدَ به إلى زمزمَ، فشُقَّ جَوْفُه، ثُم أُتِىَ بِتَوْرٍ مِن ذهبٍ، فَغُسِلَ جَوْفُه، ثُم مُلِئَ حِكْمةً وإيمانًا. وثَبَتَ مِن رِوايةِ سليمانَ بنِ المغيرةِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ[9]. و[10] فى «الصحيحَيْنِ»[10]، مِن طريقِ شَرِيكِ بنِ أبى نَمِرٍ، عن أنسٍ، وعن الزُّهْرِىِّ، عن أنسٍ، عن أبى ذرٍّ[11]، وقَتَادةَ عن أنسٍ[12]، عن مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ[13]، عن

---

(١) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦٠.
(٢) فى الأصل: «ابن».
(٣) فى ص: «طست».
(٤) فى م، ص: «لبسا».
(٥) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦١، ٤٦٢.
(٦) فى م، ص: «عامر».
(٧) فى ص: «عن».
(٨) سقط من: الأصل.
(٩) مسلم (١٦٢).
(١٠ - ١٠) سقط من ا ٩، ص. والحديث فى البخارى (٧٥١٧). ومسلم (١٦٢).
(١١) البخارى (٣٤٩، ١٦٣٦، ٣٣٤٢). ومسلم (١٦٣).
(١٢) بعده فى الأصل، ا ٩، م: «و».
(١٣) البخارى (٣٢٠٧، ٣٨٨٧). ومسلم (١٦٤).

النبيِّ ﷺ، فى حديثِ الإسراءِ، كما سَيأْتِى قصَّةُ شَرْحِ الصَّدْرِ ليلَتِئِذٍ، وأنّه غُسِلَ بماءِ زمزمَ، ولا منافاةَ؛ لاحتمالِ وقوعِ ذلك مرَّتَيْنِ؛ مرَّةً وهو صغيرٌ، ومرةً ليلةَ الإسراءِ؛ ليَتَأَهَّبَ للوُفودِ إلى الملأِ الأعلى، ولمناجاةِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، والمُثولِ بينَ يدَيْه، تبارَك وتعالى.

وقال ابنُ إسحاقَ[1]: وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ، يقولُ لأصحابِه: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ، أَنَا قُرَشِيٌّ، وَاسْتُرْضِعْتُ فى بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ». وذَكَر ابنُ إسحاقَ[1] أنَّ حليمةَ لمّا أَرْجَعَتْه إلى أمِّه بعدَ فِطَامِه، مَرَّتْ به على رَكْبٍ مِن النّصارَى، فقاموا إليه، عليه الصلاةُ والسلامُ، فقَلَّبُوه، وقالوا: إنا سنَذْهَبُ بهذا الغلامِ إلى مَلِكِنا؛ فإنه كائنٌ له شأنٌ. فلم تَكَدْ تَنْفَلِتُ مِنهم إلا بعدَ جَهْدٍ. وذَكَر أنَّها لمَّا ردَّتْه، حِينَ تخوَّفَتْ عليه أن يكونَ أصابَه عارِضٌ، فلمّا قَرُبَتْ مِن مكةَ افتقدَتْه، فلَم تجِدْه، فجاءتْ جَدَّه عبدَ المطلبِ، فخرجَ هو وجماعةٌ فى طلبِه، فوَجَدَهُ [٢/١٧و] ورقةُ بنُ نوفَلٍ ورجلٌ[2] آخَرُ مِن قريشٍ، فأتَيا به جَدَّه، فأخَذَه على عاتِقِه، وذهَبَ فطافَ به يُعَوِّذُه، ويَدْعُو له، ثُم ردَّه إلى أمِّه آمنةَ.

وذكر الأُمويُّ مِن طريقِ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الوَقَّاصِيِّ - وهو ضعيفٌ - عن الزُّهْرِيِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، قصةَ مولدِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ورضاعِه مِن حليمةَ، على غيرِ سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ. وذكَرَ أنَّ عبدَ المطلبِ أَمَر ابنَه عبدَ اللَّهِ أن يَأْخُذَه، فيطوفَ به فى أحياءِ العربِ، ليَجِدَ له مُرْضِعَةً، فطاف حتى استَأْجَر حليمةَ على رَضَاعِه، وذَكَر أنَّه أقام عندَها سِتَّ سنينَ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٧.

(٢) سقط من: الأصل.

تُزِيرُه جَدَّه فى كلِّ عامٍ ، فلمّا كان مِن شَقِّ صدرِه عندَهم ما كان ، ردَّتْه إليهم ، فأقام عندَ أمِّه ، حتى كان عُمْرُه ثمانىَ سنينَ ، ماتت فَكَفِلَهُ جَدُّه عبدُ المطَّلبِ ، فمات وله ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، عشرُ سنينَ ، فَكَفِلَهُ عمَّاه شقيقا أبيه ؛ الزبيرُ وأبو طالبٍ ، فلمّا كان له بِضْعَ عَشْرَةَ سنةً ، خرَج مع عمِّه الزبيرِ إلى اليمنِ ، فذَكَر أنَّهم رأَوْا مِنه آياتٍ فى تلك السَّفْرَةِ ؛ مِنها أنَّ فَحْلًا مِن الإبلِ كان قد قطَعَ بعضَ الطريقِ فى وادٍ ، مَمَرُّهم عليه ، فلمّا رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، بَرَكَ حتى حَكَّ بكَلْكَلِه[1] الأرضَ ، فرَكِبَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ومِنها أنَّه خاضَ بهم سَيْلًا عَرَمْرَمًا[2] ، فأيْبَسَهُ اللَّهُ تعالى له[3] حتى جاوَزوه[4] ، ثُم مات عمُّه الزبيرُ ، وله أربعَ عَشْرَةَ سنةً ، فانْفَرَدَ به أبو طالبٍ .

والمقصودُ أنَّ بَرَكَتَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، حلَّتْ على حليمةَ السعديّةِ وأهلِها ، وهو صغيرٌ ، ثُم عادتْ على هَوازِنَ بكمالِهم فواضِلُه ، حينَ أسَرَهم بعدَ وَقْعَتِهم ، وذلك بعدَ فتحِ مكَّةَ بشَهْرٍ ، فمَتُّوا[5] إليهِ بِرَضَاعِه فأعتَقَهم ، وتَحَنَّنَ عليهم ، وأحسَنَ إليهم ، كما سيَأْتِى مُفَصَّلًا فى موضِعِه[6] ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[7] فى وقعةِ هَوَازِنَ : عن عمرِو بنِ شُعيبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : كنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بحُنَيْنٍ ، فلمّا أصابَ مِن

---

(١) الكلكل : الصدر ، أو هو ما بين التَّرْقُوَتَيْن . الوسيط (كلكل) .

(٢) فى م : « عرما » .

(٣) ليست فى : م .

(٤) فى الأصل : « جاوزه » .

(٥) فى الأصل : « فمنّوا » . ومتّوا : توسلوا .

(٦) فى ص : « مراضعه » .

(٧) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٨٨، ٤٨٩.

أموالِهم وسباياهم ، أدرَكَهُ وفدُ هَوازِنَ بالجِعْرانَةِ وقد أَسْلَمُوا ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنا أصلٌ[1] وعشيرةٌ ، وقد أصابنا مِن البلاءِ ما لَم يَخْفَ عليك ، فامْنُنْ علينا ، مَنَّ اللَّهُ عليك . وقام خطيبُهم زهيرُ بنُ صُرَدٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّ ما فى الحَظائِرِ مِن السّبايا خالاتُك وحواضِنُك اللَّاتى كُنَّ يَكْفُلْنَكَ ، فلو أنَّا مَلَحْنا[2] ابنَ أبى شَمِرٍ[3] ، أو النُّعْمانَ بنَ المُنْذِرِ ، ثُم أصابَنا مِنهما مثلُ الذى أصابَنا مِنكَ ، رجَوْنا عائِدَتَهما[4] وعَطْفَهما ، وأنت خيرُ المكفولِين . ثُم أَنْشَدَ :

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فى كَرَمٍ ... فإنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَدَّخِرُ

امْنُنْ على بَيْضَةٍ [5]قَدْ عَاقَهَا[5] قَدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَمْلُهَا فِى دَهْرِهَا غِيَرُ

أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرَ هُتَّافًا عَلَى حَزَنٍ ... عَلَى قُلُوبِهِمُ الغَمَّاءُ وَالْغُمَرُ

إنْ لَمْ تَدارَكْها[6] نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ

[٢/١٧ظ] امْنُنْ على نِسْوَةٍ قَدْ كُنتَ تَرضَعُهَا ... إذْ فُوكَ يَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا[7] دِرَرُ[8]

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كنتَ تَرْضَعُهَا ... وإذْ يُرِينَكَ[9] مَا تَأْتِى وَمَا تَذَرُ

---

(١) فى الأصل ، م : « أهل » . وانظر سيرة ابن هشام .

(٢) ملحنا : أرضعنا .

(٣) فى الأصل ، ص : « سمر » . وابن أبى شمر هو الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام . انظر الأعلام للزركلى ٢/ ١٥٧ .

(٤) عائدتهما : فضلهما .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « أعتاقها » .

(٦) فى الأصل : « يداركها » .

(٧) فى ا ٩ : « ثديها » . وفى ص : « مخضها » .

(٨) الدِّرَر : جمع دِرَّة ، وهى اللبن ، أو كثرته . الوسيط (درر) .

(٩) فى الأصل : « ترينك » ، وفى م : « يزينك » .

لَا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعامَتُه ... واسْتَبْقِ مِنَّا فإنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

إنَّا لَنَشْكُرُ للنُّعْمَى وَإِنْ كُفِرَتْ[1] ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

وقد رُوِيَتْ هذه القصةُ مِن طريقِ عبيدِ[2] اللَّهِ بنِ رُمَاحِسٍ[3] الكَلْبِيِّ الرَّمْلِيِّ، عن زيادِ بنِ طارقٍ الجُشَمِيِّ، عن أبى صُرَدٍ زهيرِ بنِ جَرْوَلٍ - وكان رئيسَ قومِه - قال: لمَّا أَسَرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ، يومَ حُنَيْنٍ، فبينا هو يُمَيِّزُ بينَ الرجالِ والنِّساءِ، وثَبْتُ حتى قَعَدْتُ بينَ يدَيْه، وأَسْمَعْتُه شِعْرًا، أُذَكِّرُه حينَ شَبَّ ونَشَأَ فى هَوازِنَ حيثُ أَرْضَعُوه:

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فى دَعَةٍ ... فَإِنَّكَ المَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ[4]

امْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَمْلُهَا فِى دَهْرِهَا غِيَرُ

أَبْقَتْ لَنَا الحَرْبُ هُتَّافًا عَلَى حَزَنٍ ... عَلَى قُلُوبِهِمُ الغَمَّاءُ وَالْغُمَرُ

إِنْ لَمْ تَدارَكْها[5] نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ

امْنُنْ على نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا[6] الدِّرَرُ

إِذْ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... وَإِذْ يُرِينكَ[7] ما تَأْتِى وَمَا تَذَرُ

---

(١) فى الأصل، ص: «كثرت». وفى ا ٩: «نظمت».

(٢) فى الأصل: «عبد».

(٣) فى الأصل: «ماحس». وفى ا ٩: «رماجس».

(٤) فى ص: «تدخر».

(٥) فى الأصل: «يداركها».

(٦) فى ص: «مخضها».

(٧) فى الأصل: «ترينك»، وفى م: «يزينك».

لَا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَاسْتَبْقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنُّعْمَى وَإِنْ كُفِرَتْ وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ مِنْ أُمَّهَاتِكَ إِنَّ العَفْوَ مُشْتَهَرُ

إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلبِسُهُ[1] هَذِى الْبَرِيَّةَ إِذْ[2] تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ

فَاغْفِرْ عَفا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ[3] يَوْمَ القِيَامَةِ إذ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَهُوَ للَّهِ وَلَكُمْ » . فقالتِ الأنصارُ : وما كان لنا ، فهو للَّهِ ولرسولِه ﷺ . وسيأتِى أنَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أَطْلَق لهم الذُّرِّيَّةَ ، وكانت ستةَ آلافٍ ؛ ما بينَ صبىٍّ وامرأةٍ ، وأعْطاهم أنعامًا ، وأناسِيَّ كثيرًا ، حتى قال أبو الحسينِ بنُ فارِسَ : فكان قيمةُ ما أطلَقَ لهم يومَئِذٍ ، خَمْسَمائَةِ ألفِ ألفِ دِرْهَمٍ . فهذا كُلُّه مِن بَرَكَتِه العاجلةِ فى الدُّنيا ، فكيف ببَرَكَتِه على مَنِ اتَّبَعَه فى الدارِ الآخرةِ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٩: « نلبسه » .

(٢) فى الأصل : « إن » .

(٣) فى الأصل ، ا ٩: « واهبه » .

فَصْلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] ، بعدَ ذِكْرِ رُجوعِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إلى أمِّهِ آمنةَ ، بعد رَضاعةِ حليمةَ له : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مع أمِّه آمنةَ بنتِ وهبٍ ، وجَدِّه عبدِ المطلبِ [٢/١٨و] ، فى كَلاءَةِ اللَّهِ تعالى وحفظِه ، يُنْبِتُه اللَّهُ نباتًا حسنًا ؛ لِمَا يُرِيدُ به مِن كرامتِه ، فلمَّا بلَغ سِتَّ سنينَ ، تُوُفِّيَتْ أُمُّه آمنةُ بنتُ وَهْبٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، أنَّ أمَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، آمنةَ ، تُوُفِّيتْ وهو ابنُ ستِّ سنينَ ، بالأَبْوَاءِ ، بينَ مكةَ والمدينةِ ، كانت قد قَدِمَتْ به على أخوالِه ، مِن بنى عَدِىِّ بنِ النَّجَّارِ ، تُزِيرُهُ إيّاهم ، فماتَتْ وهى راجعةٌ به إلى مكةَ . وذَكَر الواقِدِىُّ بأسانيدِه[3] أنَّ النبىَّ ﷺ خَرَجَتْ به أمُّه إلى المدينةِ ، ومعه[4] أمُّ أيمنَ ، وله ستُّ سنينَ ، فزارت أَخوالَه . قالت أمُّ أيمنَ : فجاءَنى ذاتَ يومٍ رجلانِ مِن يهودِ المدينةِ ، فقالا لى : أَخْرِجى إلينا أحمدَ نَنْظُرْ إليه . فنظَرا إليه ، وقلَّباه ، فقال أحدُهما لصاحبِه : هذا نبىُّ هذه الأمةِ ، وهذه دارُ هجرتِه ، وسيكونُ بها مِن القَتْلِ والسَّبْيِ أمرٌ عظيمٌ . فلمّا سَمِعَتْ أمُّه خافَتْ وانْصَرَفَتْ به ، فماتتْ بالأَبْوَاءِ وهى راجِعةٌ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٨.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٤٢. وسيرة ابن هشام ١/ ١٦٨.

(٣) ومن طريق الواقدى ، أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١١٦.

(٤) فى الأصل ، ا ٩، م : « معها » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا أيوبُ بنُ جَابرٍ ، عن سِمَاكٍ ، عن القَاسِمِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا كنَّا بِوَدَّانَ قال : « مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ » . فانْطَلَقَ ، ثُم جاءَنا وهو سَقِيمٌ[2] ، فقال : « إِنِّى أَتَيْتُ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ ، فَسَأَلْتُ رَبِّىَ الشَّفَاعَةَ - يَعْنِى لها - فمَنَعَنِيها ، وَإِنِّى كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عنْ زِيَارَةِ القُبُورِ ، فَزُورُوهَا ، وَ[3] نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَكُلُوا ، وَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، ونَهَيْتُكُمْ عَن هذه[4] الأَشْرِبَةِ فِى هذه الأَوْعِيَةِ ، فَاشْرَبُوا فيما[5] بَدا لَكُمْ » .

وقد رواه البَيْهَقِىُّ[6] مِن طريقِ سفيانَ الثورىِّ ، عن علقمةَ بنِ مَرْثَدٍ[7] ، عن سليمانَ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : انتهى النبىُّ ﷺ ، إلى رَسْمِ قَبْرٍ ، فجَلَسَ ، وجَلَسَ النَّاسُ حولَه كثيرٌ[8] ، فجَعَلَ يُحَرِّكُ رأسَه كالمُخاطَبِ ، ثُم بَكَى ، فاسْتَقْبَلَه عمرُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال : ما يُبْكِيكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى أَنْ أَزُورَ قَبْرَها ، فَأَذِنَ لِى ، واسْتَأْذَنْتُه فِى الاسْتِغْفارِ لَهَا ، فَأَبَى عَلَىَّ ، وَأَدْرَكَتْنِى رِقَّتُها ؛ فَبَكَيْتُ » . قال : فما

---

(١) أحمد فى المسند ٥/٣٥٦ ، ٣٥٧.

(٢) فى الأصل ، م : « ثقيل » . وفى ا ٩: « فقيد » . وفى ص : « نفيل » . والمثبت من المسند .

(٣) بعدها فى النسخ : « كنت » .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) فى النسخ : « ما » . والمثبت من المسند .

(٦) فى الدلائل ١/ ١٨٩.

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٠٨.

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ١/ ١٨٩.

رَأَيْتُ[1] ساعَةً أَكْثَرَ باكِيًا مِن تلكَ الساعةِ. تابَعَه مُحارِبُ بنُ دِثَارٍ، عن ابنِ[2] بُرَيْدَةَ، عن أبيه. ثُم رَوَى البيهقيُّ[3]، عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن بَحْرِ[4] بنِ نَصْرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ، حدَّثنا ابنُ[5] جُرَيْجٍ، عن أيوبَ بنِ هانِئٍ، عن مسْروقِ بنِ الأَجْدَعِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال: خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ فى المقابرِ، وخرَجْنَا معه، فأمَرَنا[6] فجلَسْنا، ثُم تخطَّى القبورَ، حتى انتهى إلى قبرٍ منها، فنَاجاه طويلًا، ثُم ارتفَعَ نَحِيبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ باكيًا، فبكَيْنا لبكاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أقْبَلَ إلينا[7]، فتَلَقَّاه عمرُ ابنُ الخطَّابِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، ما الذى أبْكَاكَ؟ لقد أبكانا، وأفْزَعَنا. فجاء، فجلسَ إلينا، فقال: «أَفْزَعَكُمْ بُكائِى؟» فقلنا: نَعَمْ يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «إنَّ الْقَبْرَ الَّذِى رَأَيْتُمُونِى أُنَاجِى فيه[8]، قَبْرُ آمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ، وَإِنِّى اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى زِيَارَتِهَا، فَأَذِنَ لِى فيه[9]، واسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى الاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِى فِيهِ، وَنَزَلَ عَلَىَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ [١٨/٢ ظ] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ

---

(١) فى م: «رؤيت». وفى ص: «رؤيته».
(٢) سقط من: م، ص.
(٣) فى الدلائل ١/ ١٨٩، ١٩٠.
(٤) فى الأصل: «محمد».
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) سقط من: الأصل.
(٧) فى الأصل، م: «علينا».
(٨) سقط من: م، ص.
(٩) سقط من: م.

وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ » [التوبة: ١١٣، ١١٤] . « فَأَخَذَنِى مَا يَأْخُذُ الْوَلَدَ لِلْوَالِدَةِ مِنَ الرِّقَّةِ ، فَذَلِكَ الَّذِى أَبْكَانِى » . غريبٌ ، ولم يُخْرِجوه .

وروَى مُسْلِمٌ[1] عن أبى بَكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن محمدِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن يزيدَ بنِ كَيْسانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : زارَ النبىُّ ﷺ قبرَ أُمِّه فبَكَى ، وأَبْكَى مَن حولَه ، ثُم قال : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى زِيارَةِ قَبْرِ أُمِّى ، فأَذِنَ لِى ، وَاسْتَأْذَنْتُه فِى الاسْتِغْفارِ لها[2] ، فَلَمْ يَأْذَنْ لِى . فَزُورُوا القُبورَ تُذَكِّرْكُمُ المَوْتَ » .

وروَى مسلمٌ[3] عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن عفَّانَ[4] ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ رجلًا قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أين أبى ؟ قال : « فِى النَّارِ » . فَلَمَّا قَفَّى[5] ، دعَاه فقال : « إِنَّ أَبِى وأَبَاكَ فِى النَّارِ » .

وقد روَى البَيْهَقِىُّ[6] ، مِن حديثِ أبى نُعَيْمٍ الفضلِ بنِ دُكَيْنٍ ، عن إبراهيمَ ابنِ سعدٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عامرِ بنِ[7] سعدٍ ، عن أبيه ، قال : جاء أعرابىٌّ إلى النبىِّ ﷺ ، فقال : إنَّ أبى كان يَصِلُ الرَّحِمَ ، وكان ، وكان ، فأينَ هُوَ ؟ قال : « فِى النَّارِ » . قال : فكأنَّ الأَعْرابىَّ وجَدَ مِنْ ذلك ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ،

---

(١) مسلم (٩٧٦) . وفيه تقديم لفظ الاستئذان للاستغفار على الاستئذان لزيارة القبر .

(٢) سقط من : ص .

(٣) مسلم (٢٠٣) .

(٤) فى الأصل : « عثمان » .

(٥) قفَّى : ذهب مولِّيا .

(٦) فى الدلائل ١/ ١٩١، ١٩٢.

(٧) فى الأصل : « عن » .

فأينَ[1] أبوك ؟ قال : « حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ ؛ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ » . قال : فأسلمَ الأعرابيُّ بعدُ ، فقال : لقد كَلَّفَنِى رسولُ اللَّهِ ﷺ تَعَبًا ؛ ما مرَرْتُ بقبرِ كافرٍ إلا بَشَّرْتُه بالنَّارِ . غريبٌ ، ولم يُخْرِجوه مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمنِ ، حدَّثَنا سَعيدٌ ، هو ابنُ أبى[3] أيوبَ ، حدَّثَنا ربيعةُ بنُ سيفٍ المَعَافِرِىُّ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : بينَما نحنُ نَمْشِى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ بَصُرَ بامرأةٍ لا نَظُنُّ[4] أنه عرَفَها ، فلمَّا توسَّطَ الطريقَ ، وَقَف حتى انتهتْ إليه ، فإذا فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « مَا أَخْرَجَكِ مِنْ بَيْتِكِ يَا فَاطِمَةُ ؟ » فقالت : أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا البَيْتِ ، فرَحَّمْتُ إِلَيْهِمْ مَيِّتَهم ، وعَزَّيْتُهم . قَالَ : « لَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى[5] » قَالَتْ : معاذَ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ بَلَغْتُها مَعَهُمْ ، وقد سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فى ذَلِكَ ما تَذْكُرُ . قال : « لَوْ بَلَغْتِها مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الجَنَّةَ ، حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ » . ثُم روَاه أحمدُ ، وأبو داودَ ، والنّسائىُّ ، والبَيْهَقِىُّ ، مِن حديثِ رَبيعةَ[6] ابنِ سيفِ بنِ ماتعٍ[7] المَعَافِرِىِّ[8] ، الصُّنَّمِىِّ[9] ، الإِسْكَنْدَرِىِّ ، وقد قال الإمامُ

---

(١) بعده فى الأصل : « أبى قال فى النار قال أين » .

(٢) أحمد فى المسند ٢/ ١٦٨، ١٦٩. (إسناده حسن) .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « يظن » .

(٥) الكدى : جمع كُدْية ؛ وهى الأرض الغليظة ، أو الأرض الصلبة ، أو الصخرة ، وأراد هنا المقابر كما سيذكر المصنف .

(٦) أحمد فى المسند ٢/ ٢٢٣. (إسناده حسن) . وأبو داود (٣١٢٣) . ضعيف . (ضعيف سنن أبى داود ٦٨٤) . والنسائى (١٨٧٩) . والبيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٧٧، ٧٨.

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « مانع » .

(٨) فى الأصل ، ا ٩، ص : « المغافرى » .

(٩) فى ص : « العصنمى » .

البخاريُّ[1] : عندَه مناكيرُ. وقال النَّسائيُّ[2] : ليس به بأسٌ. وقال مَرَّةً : صَدوقٌ. وفى نسخةٍ : ضعيفٌ[3] . وذكَرَه ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ »[4] ، وقال : كان يُخْطِئُ كثيرًا. وقال الدّارَقُطْنِىُّ[5] : صالحٌ. وقال ابنُ يونُسَ فى « تاريخِ مصرَ »[6] : فى حديثِه مناكيرُ، تُوُفِّىَ قريبًا مِن سنةِ عشرينَ ومائةٍ. والمرادُ بالكُدَى : القبورُ. وقيل : النَّوْحُ.

والمقصودُ، أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ مات على ما كان عليه مِن دينِ الجاهليةِ، خلافًا لفِرقةِ الشيعةِ فيه، وفى ابنِه أبى طالبٍ، على ما سيَأْتِى فى وفاةِ أبى [٢/ ١٩و] طالبٍ، وقد قال البَيْهَقِىُّ بعدَ روايتِه هذه الأحاديثَ فى كتابِه « دلائِلِ النُّبوةِ »[7] : وكيفَ لا يكونُ أبواهُ[8] ، وجَدُّه، عليه الصَّلاةُ والسلامُ، بهذه الصِّفَةِ فى الآخرَةِ، وكانوا يَعبُدون الوَثَنَ حتَّى ماتوا، ولم يَدِينُوا دِينَ عيسى ابنِ مريمَ، عليه السَّلامُ، وكُفْرُهم لا يَقْدَحُ فى نَسَبِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ لأنَّ أنكِحَةَ الكُفَّارِ صحيحةٌ، ألا تراهم يُسْلِمُونَ مع زوجاتِهم، فلا يَلْزَمُهم تجديدُ العَقْدِ، ولا مُفارَقَتُهُنَّ، إذا كان مثلُه يَجوزُ فى الإسلامِ، وباللَّهِ التوفيقُ. انتهى كلامُه.

---

(١) فى التاريخ الكبير ٣/ ٢٩٠.
(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣، ٤٤.
(٣) انظر قول النسائى عقب سياقه الحديث فى المجتبى (١٨٧٩).
(٤) الثقات ٦/ ٣٠١.
(٥) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣.
(٦) انظر تهذيب الكمال ٩/ ١١٤.
(٧) الدلائل ١/١٩٢ ، ١٩٣.
(٨) فى ا ٩: « أبوه ».

قلتُ : وإخبارُه ﷺ عن أبَوَيْه وجَدِّه عبدِ المُطَّلبِ ، بأنَّهم مِن أهلِ النَّارِ ، لا يُنافِى الحديثَ[1] الواردَ عنه ، مِن طُرُقٍ متعدّدةٍ ، أنَّ أهلَ الفَتْرَةِ ، والأطفالَ ، والمجانينَ ، والصُّمَّ[2] ، يُمتَحَنُون فى العَرَصاتِ يومَ القيامةِ ، كما بَسَطْناه سندًا ومتنًا ، [3]فى « تفسيرِنا »[3] ؛ عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] . فيكونُ مِنهم مَن يُجِيبُ ، ومِنهم مَن لا يُجيبُ ، فيَكونُ هؤلاءِ مِن جُملةِ مَن لا يُجِيبُ ، فلا مُنافاةَ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وأمَّا الحديثُ الذى ذكَرَه السُّهَيْلِىُّ[4] ، وذكَرَ أنَّ فى إسنادِه مجهولِينَ إلى ابنِ أبى الزِّنَادِ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ رَبَّه أن يُحْيِىَ أبَوَيْهِ ، فأحْيَاهما وَآمَنا بِهِ . فإنه حديثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا ، وإن كان مُمْكِنًا بالنَّظَرِ إلى قُدْرَةِ اللَّهِ تعالى ، لكنَّ الذى ثبَتَ فى « الصحيحِ »[5] يُعارِضُه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤/ ٢٤. (صحيح) .

(٢) بعده فى ص : « يموتون » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل، ا ٩، ص. وهو فى التفسير ٥/ ٥٠ - ٥٨.

(٤) فى الروض الأنف ٢/ ١٨٧.

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٢٦ .

فَصْلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مع جَدِّه عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ - يَعْنِى بعدَ موتِ أمِّه آمنةَ بنتِ وهبٍ - فكان يُوضَعُ لعبدِ المُطَّلِبِ فِراشٌ فى ظلِّ الكعبةِ ، وكان بنوه يَجْلِسونَ حولَ فِراشِه ذلك ، حتى يَخْرُجَ إليه ، لا يَجْلِسُ عليه أحدٌ مِن بنيه ؛ إجلالًا له . قال : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَأْتِى ، وهو غلامٌ جَفْرٌ ، حتى يَجْلِسَ عليه ، فيَأْخُذُه أعمامُه ليُؤَخِّروه عنه ، فيَقولُ عبدُ المُطَّلِبِ إذا رأَى ذلك مِنهم : دَعُوا ابنى ، فواللَّهِ إنَّ له لَشَأْنًا . ثُم يُجْلِسُه معه على فِراشِه ، ويَمْسَحُ ظَهْرَه بيدِه ، ويَسُرُّهُ ما يَراه يَصْنَعُ .

وقال الواقِدِىُّ[2] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن الزُّهْرِىِّ ، وحدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وحدَّثَنا هاشمُ بنُ عَاصِمٍ الأَسْلَمِىُّ ، عن المنذرِ بنِ جَهْمٍ ، وحدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن[3] ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، وحدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن أبى الحُوَيْرِثِ ، وحدَّثَنا ابنُ أبى سَبْرَةَ ، عن سُلَيْمانَ بنِ سُحَيْمٍ ، عن نافعِ[4] بنِ جُبَيْرٍ - دخَلَ حديثُ بعضِهم فى بعضٍ - قالوا : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَكونُ مع أمِّهِ آمنةَ بنتِ وهبٍ ، فلمّا تُوُفِّيَتْ قَبَضَه إليه جَدُّه عبدُ المُطَّلِبِ ، وضَمَّه ، ورَقَّ عليه رِقَّةً لم يَرِقَّها على

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٤٢، ٤٣.

(٢) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/١١٧ - ١١٩، عن الواقدى به .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) بعده فى النسخ : «عن» . وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١١٨، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٢.

وَلدِه ، وكان يُقَرِّبُه منه ، ويُدْنِيه ، ويَدْخُلُ عليه إذا خَلا ، وإذا نام ، وكان يَجْلِسُ على فراشِه ، فيَقولُ عبدُ المُطَّلِبِ إذا رأى ذلك : دَعُوا ابنى ، إنّه لَيُؤْنِسُ[1] مُلْكًا .

وقال قومٌ مِن بنى مُدْلِجٍ لعبدِ المُطَّلِبِ : احْتَفِظْ به ، فإنَّا لم نَرَ قَدَمًا أشْبَهَ بالقَدَمِ الذى فى المَقَامِ منه . فقال عبدُ المُطلِبِ لأبِى طالبٍ : اسْمَعْ ما يَقولُ هؤلاء ! فكان أبو طالبٍ يَحْتَفِظُ به ، وقال عبدُ المُطَّلِبِ لأُمِّ أيمنَ - وكانتْ تَحْضُنُه - : يا بَرَكةُ ، لا تَغْفُلِى عن ابنى ؛ فإنِّى وجَدْتُه مع غِلْمانٍ قريبًا مِن السِّدْرَةِ ، وإنَّ أهلَ الكتابِ يَزْعُمون أنَّ ابنى نبىُّ هذه الأمّةِ . وكان عبدُ المُطَّلِبِ لا يَأْكُلُ طعامًا إلا يقولُ : علىَّ بابنِى . فيُؤْتَى به إليه . فلمّا حضَرَتْ عبدَ المُطَّلِبِ الوفاةُ ، أوصى أبا طالبٍ بحِفْظِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحِيَاطَتِه ، ثُم ماتَ عبدُ المُطَّلِبِ ودُفِنَ بالحَجُونِ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] [٢/١٩ظ] : فلمَّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثمانىَ سنينَ ، هلَكَ جَدُّه عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشمٍ . ثُم ذَكَر جَمْعَه بناتِه ، وأمْرَه إيّاهنّ أن يَرْثِينَه ، وهُنَّ ؛ أَرْوَى ، وأُمَيْمَةُ ، وبَرَّةُ ، وصَفِيَّةُ ، وعَاتِكَةُ ، وأمُّ حَكِيمٍ البَيْضَاءُ ، وذَكَرَ أشْعارَهن ، وما قُلْنَ فى رِثَاءِ أبيهِنَّ ، وهو يَسْمَعُ قَبْلَ موتِه ، وهذا أبلغُ النَّوْحِ ، وبسَطَ القولَ فى ذلك . وقد قال ابنُ هشامٍ[3] : ولَم أرَ أحدًا مِن أهلِ العلمِ بالشِّعْرِ يَعْرِفُ هذا الشِّعْرَ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فلمّا هَلَكَ عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشمٍ ، وَلِىَ زَمْزَمَ والسقَايَةَ

---

(١) فى م ، ص : « يؤسس » .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٤٥، ٤٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٩.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٤٧.

بعدَه ابنُه العباسُ، وهو مِن أحدَثِ إخوتِه سِنًّا، فلم تَزَلْ إليْه، حتى قام الإسلامُ، وأقرَّها فى يدِه رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وكان[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ، بعدَ جَدِّه عبدِ المطَّلِبِ؛ مع عمِّه أبى طالبٍ؛ لِوَصِيَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ له به، ولأنَّه كان شقيقَ أبيه عبدِ اللَّهِ، أمُّهما فاطمةُ بنتُ عمرِو بنِ عائذِ[2] بنِ عِمْرَانَ بنِ مَخْزُومٍ. قال[3]: فكان أبو طالبٍ هو الذى يَلِى أمْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان إليه ومعه.

وقال الواقدىُّ[4]: أخبرَنا مَعْمَرٌ، عن ابنِ أبى[5] نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ. وحدَّثَنا معاذُ بنُ محمدٍ الأَنْصَارِىُّ، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ، وحدَّثَنا محمدُ ابنُ صالحٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ، وإبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبى حَبيبةَ - دخلَ حديثُ بعضِهم فى حديثِ بعضٍ - قالوا: لمّا تُوُفِّىَ عبدُ المطَّلِبِ، قَبَضَ أبو طالبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فكان يَكونُ معه، وكان أبو طالبٍ لا مالَ له، وكان يُحِبُّه حبًّا شديدًا، لا يُحِبُّه ولدَه، وكان لا ينامُ إلَّا إلى جَنْبِه، ويَخْرُجُ فيَخْرُجُ معَه، وصَبَّ[6] به أبو طالبٍ صَبَابةً، لم يَصَبَّ مِثْلَها بشىءٍ قطُّ، وكان يَخُصُّه بالطعامِ، وكان إذا أكلَ عِيالُ أبى طالبٍ جميعًا أو فُرادَى لم يَشْبَعُوا، وإذا أكلَ معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ شَبِعُوا، فكان إذا أراد أن يُغَدِّيَهُم قال: كما أنتم حتى

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٩.

(٢) فى الأصل: «عابد».

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٥٣. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٧٩.

(٤) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ١١٩، ١٢٠، عن الواقدى به.

(٥) سقط من النسخ، والمثبت من الطبقات، وهو عبد اللَّه بن أبى نجيح، واسم أبى نجيح يسار. انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢١٥.

(٦) صب: رق واشتاق.

يأتِىَ ابنى. فيأتى رسولُ اللَّهِ ﷺ، فيأكُلُ معهم، فكانوا يُفْضِلونَ مِن طعامِهم، وإن لم يكنْ معهم[1] لم يَشْبَعُوا، فيقولُ أبو طالبٍ: إنَّك لمَبارَكٌ. وكان الصبيانُ يُصبِحُون رُمْصًا[2] شُعْثًا، ويُصْبِحُ رسولُ اللَّهِ ﷺ دَهِينًا كَحِيلًا.

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[3]: حدثنا علىُّ بنُ ثابتٍ، عن طَلْحةَ بنِ عمرٍو، سَمِعْتُ عطاءَ بنَ أبى رَباحٍ، سَمِعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ: كان بنو أبى طالبٍ يُصْبِحون غُمْصًا[4] رُمْصًا، ويُصْبِحُ رسولُ اللَّهِ ﷺ صَقِيلًا دَهِينًا، وكان أبو طالبٍ يُقَرِّبُ إلى الصبيانِ صَفْحَتَهم أولَ البُكْرةِ، فيَجْلِسونَ ويَنْتَهِبُون، ويَكُفُّ رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه لا يَنْتَهِبُ معهم، فلمّا رأى ذلك عمُّه، عزَلَ له طعامَه على حِدَةٍ.

وقال ابنُ إسحاقَ[5]: حدثنى يَحْيَى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، أنَّ أباه حدَّثه، أنَّ رجلًا مِن لِهْبٍ كان عائِفًا[6]، فكان إذا قَدِم مكةَ، أتاه رجالٌ مِن قريشٍ بغِلْمانِهم يَنْظُرُ إليهِم، ويَعْتافُ[7] لهم فيهم. قال: فأَتَى أبو طالبٍ برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو غلامٌ، مع مَن يأْتِيه، قال: فنظَرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ شغَلَه

---

(١) فى النسخ: «منهم». والمثبت من طبقات ابن سعد.

(٢) رمصت العين: اجتمع فى موقها وسخ أبيض.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٨٤، من طريق الحسن بن عرفة به.

(٤) فى النسخ: «عمصا». والمثبت من تاريخ دمشق، والغَمَص فى العين كالرَمَص. اللسان (غ م ص).

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٩، ١٨٠.

(٦) العائف: المتكهن بالطير أو غيرها.

(٧) فى الأصل: «يعاف»، وفى ص: «يعتان».

عنه شَيْءٌ ، فلمَّا فرَغ قال : الغلامُ ، عليَّ به . فلمّا رأى أبو طالبٍ حِرْصَه عليه ، غَيَّبَه عنه ، فجعَلَ يقولُ : ويلَكُم ، رُدُّوا عليَّ الغلامَ الذى رأيتُه آنِفًا ، فواللَّهِ ليكونَنَّ له شأنٌ . قال : وانطلقَ به أبو طالبٍ .

فصلٌ

فى خروجِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مع عمِّه أبى طالبٍ إلى الشَّامِ [٢/ ٢٠و]، وقصَّتِه مع بَحِيرَى الرّاهبِ.

قال ابنُ إسحاقَ[(١)]: ثُم إنَّ أبا طالبٍ خرَج فى رَكْبٍ تاجرًا إلى الشَّامِ، فلمَّا تهيَّأَ للرَّحيلِ، وأجمعَ السَّيْرَ، صبَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ - فيما يزْعُمونَ - فرَقَّ له أبو طالبٍ، وقال: واللَّهِ لأخْرُجَنَّ به معى، ولا أفارقُه، ولا يُفارِقُنِى أبدًا. أَوْ كما قال، فخرَج به معه[(٢)]، فلمَّا نزلَ الرَّكْبُ بُصْرَى مِن أرضِ الشَّامِ، وبها راهبٌ يقالُ له: بَحِيرَى. فى صَوْمعةٍ له، وكان إليه عِلمُ أهلِ النَّصْرانيّةِ، ولم يَزَلْ فى تلكَ الصَّوْمعةِ منذُ قطُّ[(٣)] راهبٌ[(٤)]، إليه يصيرُ علمُهم عن كتابٍ - فيما يَزعُمونَ - يَتَوارَثُونَه كابرًا عن كابرٍ، فلمَّا نزلوا ذلك العامَ بِبَحِيرَى، وكانوا كثيرًا ما يَمُرُّون به [(٥)]قبلَ ذلك[(٥)]، فلا يُكَلِّمُهم، ولا يَعْرِضُ لهم، حتى كان ذلك العامُ، فلمّا نزَلوا قريبًا مِن صَوْمَعَتِه، صَنَع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك - فيما يَزعُمون - عن شىءٍ رآه، وهو فى صَوْمَعَتِه، يَزْعُمونَ أنَّه رَأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الرَّكْبِ، حينَ[(٦)] أقْبَلُوا[(٧)]، وغَمامَةٌ تُظِلُّه مِن بينِ القومِ، ثُم أَقْبَلوا، فنزَلوا فى

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٥٣ - ٥٥. وانظر سيرة ابن هشام ١/١٨٠ - ١٨٣.

(٢) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٣) قط: أى الدهر.

(٤) بعده فى الأصل، م: «فيها».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) فى ا ٩، م، ص: «حتى».

(٧) فى الأصل، م: «أقبل».

ظِلِّ شَجَرةٍ قريبًا منه ، فنَظَر إلى الغَمامةِ حينَ أظلَّتِ الشَّجرةَ ، وتَهَصَّرَتْ[1] أغصانُ الشَّجَرَةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى اسْتَظَلَّ تحتَها ، فلمّا رأى ذلك بَحِيرَى ، نزلَ مِن صَوْمَعَتِه ، وقد أَمَر بطعامٍ فصُنِع ، ثُم أَرْسَلَ إليهم ، فقال : إنى قد صَنَعْتُ لكم طعامًا يا معشرَ قريشٍ ، فأنا أُحِبُّ أن تَحْضُروا كلُّكم ، صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحُرُّكم . فقال له رجلٌ منهم : واللَّهِ يا بَحِيرَى ، إنَّ لك لشَأْنًا اليومَ ! ما كُنْتَ تَصْنَعُ هذا بِنا ، وقد كنا نَمُرُّ بك كثيرًا ، فما شَأْنُك اليومَ ؟ قال له بَحِيرَى : صَدَقْتَ ، قد كان ما تَقُولُ ، ولكنَّكم ضَيْفٌ ، وقد أَحْبَبْتُ أن أُكْرِمَكم ، وأَصْنَعَ لكم طعامًا ، فتأكلوا منه كلُّكم . فاجْتَمَعوا إليه ، وتَخَلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مِن بينِ القومِ لحَداثةِ سِنِّه ، فى رِحالِ القومِ ، تحتَ الشَّجرةِ ، فلمّا نظَر[2] بَحِيرَى [3]فى القومِ[3] ، لم يَرَ الصِّفَةَ التى يَعْرِفُ ويَجِدُ عندَه ، فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لا يتَخَلَّفَنَّ أَحدٌ منكم عن طعامى . قالوا : يا بَحِيرَى ، ما تَخلَّفَ أحدٌ يَنْبَغِى له أن يأتِيَك إلا غلامٌ ، وهو أَحْدَثُنا سِنًّا ، فتَخلَّفَ فى رِحالِنا . قال : لا تفْعلُوا ! ادْعُوه فَلْيَحْضُرْ هذا الطعامَ معكم . قال : فقال رجلٌ من قُرَيْشٍ مع القومِ : واللَّاتِ والعُزَّى ، إنْ كان لَلُؤْمًا بنا ، أن يتَخلَّفَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ المطَّلِبِ عن طعامٍ مِن بيننا . ثُم قام إليه ، فاحتَضَنه ، وأَجْلَسَه مع القومِ ، فلمّا رَآه[4] بَحِيرَى ، جعَل يلْحَظُه لَحْظًا شَديدًا ، ويَنظُرُ إلى أَشْياءَ من جسَدِه ، قد كان يَجِدُها عندَه مِن صفتِه ، حتّى إذا فَرَغَ القومُ من طعامِهم وتفرَّقوا ، قام

---

(١) تهصرت : تدلت وتهدلت . الوسيط (هـ ص ر) .

(٢) فى الأصل ، م : « رآهم » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى الأصل ، ا ٩، م : « رأى » .

إليه بَحِيرَى ، وقال له : يا غلامُ ، أَسأَلُك بحقِّ اللَّاتِ والعُزَّى ، إلَّا ما[1] أَخبرتَنى عما أسألُكَ عنه . وإنما قال له بَحِيرى ذلك ؛ لأنَّه سَمِعَ قومَه يَحلِفون بِهما . فزعَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : لا تسأَلْنِى بِاللَّاتِ والعُزَّى[2] ، فواللَّهِ ما أَبْغَضْتُ شَيْئًا قطُّ بُغْضَهما . فقال له بَحِيرَى : فبِاللَّهِ إلَّا ما أَخْبَرْتَنى عما أَسأَلُك عنه . فقال له : سَلْنى عمَّا بدا لك . فجعَل يَسْأَلُه عن أشياءَ مِن حالِه ؛ مِن نومِه ، وهَيْئَتِه ، وأُمورِه ، فجعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُخبِرُه ، فيُوافِقُ ذلك ما عندَ بَحِيرَى مِن صفتِه ، ثُم نظَر إلى ظَهْرِه ، فرأى [٢/٢٠ظ] خاتَمَ النُّبُوَّةِ بينَ كَتِفَيْهِ ، على[3] مَوْضِعِه مِن صِفَتِه التى عندَه ، فلمّا فرَغ أقبلَ على عمِّه أبى طالبٍ ، فقال : ما هذا الغُلامُ مِنك ؟ قال : ابنى . قال بَحِيرَى : ما هو بابنِك ، وما يَنْبَغِى لهذا الغلامِ أن يكونَ أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخى . قال : فما فعَل أبوه ؟ قال : مات وأمُّه حُبْلَى به . قال : صدَقْتَ ، ارجِعْ بابنِ أخيكَ إلى بلدِه ، واحذَرْ عليه يَهُودَ ، فواللَّهِ لَئِنْ رَأَوْه ، وعرَفوا منه ما عرَفْتُ ، ليَبْغُنَّه شَرًّا ، فإنه كائنٌ لابنِ أخيكَ هذا شأنٌ عظيمٌ ، فأَسْرِعْ به إلى بلادِه . فخرَج به عمُّه أبو طالبٍ سريعًا ، حتّى أقدَمَه مكّةَ ، حينَ فَرَغَ مِن تجارتِه بالشامِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فزعَموا - فيما روَى الناسُ - أنّ زُرَيْرًا ، وتَمَّامًا[5] ، ودَرِيسًا[6] - وهم نَفَرٌ مِن أهلِ الكتابِ - قد كانوا رَأَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، مِثْلَما

---

(١) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « شيئا » .

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٥٥. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٨٣.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « ثماما » .

(٦) فى الأصل ، م : « دريسما » ، وفى ا ٩ : « إدريسا » ، وفى ص : « دريسم » ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

رأَى بَحِيرَى فى ذلك السَّفَرِ، الذى كان فيه مع عمِّه أبى طالبٍ، فأرادُوه، فرَدَّهم عنه بَحِيرَى، فَذَكَّرَهم اللَّهَ، وما يَجِدونَ فى الكِتابِ، مِن ذِكْرِه، وصفتِه، وأنَّهم إن[1] أَجْمعوا لِمَا أرادوا به، لَم يَخْلُصوا إليه، حتى عرَفوا ما قال لهم، وصدَّقوه بما قال، فتركوه، وانصرَفوا عنه.

وقد ذكَر يُونُسُ بنُ بُكَيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[2]، أنَّ أبا طالبٍ قال فى ذلك ثلاثَ قصائدَ. هكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ هذا السياقَ مِن غيرِ إسنادٍ منه.

وقد ورَد نحوُه من طريقٍ مُسْنَدٍ مرفوعٍ، فقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَرَائِطِىُّ[3]: حدَّثَنا عبَّاسُ بنُ محمدٍ الدُّورِىُّ؛ حَدَّثَنا قُرَادٌ أبو نوحٍ، حدَّثَنا يُونُسُ بنُ[4] أبى إسحاقَ، عن أبى بكرِ بنِ أبى موسى، عن أبيه قال: خرج أبو طالبٍ إلى الشامِ، ومعه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى أشياخٍ مِن قريشٍ، فلما أشْرَفوا على الراهبِ - يعنى بَحِيرَى - هَبَطوا، فحلُّوا رِحَالَهم، فخرَجَ إليهم الرّاهبُ، وكانوا قبلَ ذلك يَمُرُّون به فلا يَخْرُجُ ولا يلتفِتُ إليهم. قال: فنزَلَ وهم يَحُلُّون رِحالَهم، فجعَل يَتخلَّلُهُم، حتى جاء فأَخَذَ بيدِ النَّبىِّ ﷺ فقال: هذا سيِّدُ العالَمِينَ. وفى رِوايةِ البَيْهَقِىِّ[5] زيادةٌ: هذا رسولُ ربِّ العالمِينَ، [6]هذا يَبْعَثُه[6] اللَّهُ رحمةً للعالَمِينَ. فقال له أشياخٌ مِن قريشٍ: وما عِلْمُكَ؟ فقال: إنَّكم حينَ

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٥٥ - ٥٧.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٦، ٧، من طريق الخرائطى به.

(٤) فى النسخ: «عن». والمثبت من تاريخ دمشق. انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٨٨.

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢٤.

(٦ - ٦) فى الأصل: «وابتعثه»، وفى م: «بعثه»، وفى ص: «هذا ابتعثه».

أشرَفْتُم مِن العَقَبَةِ ، لم يَبْقَ شَجَرَةٌ ولا حَجَرٌ إلَّا خَرَّ ساجِدًا ، ولا يَسْجُدونَ إلَّا لِنبيٍّ ، وإنِّى أَعرِفُه بخاتَمِ النبوَّةِ ، أسفلَ مِن غُضْروفِ كَتِفِه . ثم رجَع ، فصنَع لهم طعامًا ، فلمّا أتاهم به - وكان هو فى رِعْيَةِ الإبلِ - فقال : أَرْسِلوا إليه . فأَقْبَلَ ، وغَمَامَةٌ تُظِلُّه ، فلمّا دَنا من القومِ ، قال : (١) انظُروا إليه ، عليه غَمامةٌ . فلمّا دَنا من القومِ (١) ، وجَدَهم قد سبَقُوه إلى فَيْءِ الشجرةِ ، فلما جلَسَ ، مالَ فَيْءُ الشجرةِ عليه . قال : انظُروا إلى فَيْءِ الشجرةِ مالَ عليه . قال : فبينَما هو قائمٌ عليهم ، وهو يُناشِدُهم أَلَّا يَذْهَبُوا به إلى الرُّومِ ، فإنَّ الرُّومَ إنْ رَأَوْه ، عَرَفوه بالصِّفةِ ، فَقَتَلوه ، فالتفتَ ، فإذا هو بسَبْعَةِ نفرٍ من الرُّومِ ، قد أَقْبَلُوا . قال : فاستَقْبَلَهم ، فقال : ما جاءَ بِكم ؟ قالوا : جِئْنا أنَّ هذا النبيَّ خارجٌ فى هذا الشَّهْرِ ، فلم يَبْقَ طريقٌ إلَّا بُعِثَ إليه ناسٌ ، وإنّا أُخْبِرْنا خَبَرَه إلى طريقِك هذه . قال : فهل خَلَّفْتُم (٢) أحَدًا هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ، إنَّما أُخبِرْنا [٢/٢١و] خبَرَه إلى طريقِك هذه . قال : أفرأَيْتُم أمرًا أرادَ اللَّهُ أن يَقْضِيَه ؛ هل يستطيعُ أحدٌ مِن النّاسِ ردَّه ؟ فقالوا : لا . قال : فَبايَعُوه ، وأَقامُوا (٣) عندَه . قال : فقال الرّاهبُ : أَنشُدُكم اللَّهَ ، أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالبٍ . فلم يَزَلْ يُناشِدُه ، حتى رَدَّه ، وبعَث معه أبو بكرٍ بلالًا ، وزوَّده الراهبُ من الكَعْكِ والزَّيتِ . هكذا رواه التِّرْمِذِىُّ ، عن أبى العبَّاسِ الفَضْلِ بنِ سَهْلٍ الأَعْرَجِ ، عن قُرَادٍ أبى نُوحٍ به (٤) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « خلفكم » .

(٣) بعده فى الأصل ، ا ٩ ، م : « معه » .

(٤) الترمذى (٣٦٢٠) . قال الألبانى : صحيح ، لكن ذكر بلال فيه منكر كما قيل . (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٥) .

والحاكمُ، والبَيْهَقِيُّ، وابنُ عساكرَ، مِن طريقِ أبى العبّاسِ محمدِ بنِ يعقوبَ الأَصَمِّ، عن عبّاسِ بنِ محمدٍ الدُّورِيِّ به[1]. وهكذا روَاه غيرُ واحدٍ من الحُفَّاظِ، مِن حديثِ أبى نوحٍ عبدِ الرحمنِ بنِ غَزْوانَ الخُزَاعِيِّ مَوْلاهم، ويُقالُ له: الضَّبِّيُّ. ويُعْرَفُ بِقُرَادٍ، سكَن بَغْدادَ، وهو مِن الثِّقاتِ، الذين أخرَجَ لهم البخاريُّ، ووثَّقه جَماعةٌ مِن الأئمةِ والحُفَّاظِ، ولم أرَ أحدًا جرَّحه، ومعَ هذا فى حديثِه هذا غرابةٌ، قال التِّرْمِذِيُّ: حسنٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوَجْهِ. وقال عبّاسٌ الدُّورِيُّ: ليس فى الدُّنيا أحدٌ يُحَدِّثُ به، غَيْرُ قُرادٍ أبى نوحٍ، وقد سمِعَه منه أحمدُ بنُ حَنبلٍ، رحِمه اللَّهُ، ويَحيى بنُ مَعينٍ. لِغرابتِه، وانفرادِه. حكَاه البَيْهَقِيُّ وابنُ عساكرَ[2].

قلت: فيه مِن الغرائبِ؛ أنَّه مِن مُرْسَلاتِ الصَّحابةِ، فإنَّ أبا موسى الأشْعَرِيَّ، إنما قدِمَ فى سنَةِ خيبرَ سنةَ سبعٍ مِن الهجرةِ، ولا يُلتفتُ إلى قولِ ابنِ إسحاقَ[3] فى جَعْلِه له مِنَ المُهاجِرةِ إلى أرضِ الحَبَشَةِ مِن مكَّةَ، وعلى كلٍّ تقديرٍ فهو مُرْسَلٌ، فإنَّ هذه القِصَّةَ كانتْ، ولرسولِ اللَّهِ ﷺ من العُمُرِ فيما ذكَره بعضُهم ثِنْتا عَشْرَة سَنَةً، ولعلَّ أبا موسى تَلَقَّاه مِن النبيِّ ﷺ، فيكونُ أَبْلَغَ، أو مِن بعضِ كِبارِ الصَّحابةِ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، أو كان هذا مشهورًا مذكورًا، أخَذَه مِن طريقِ الاستِفَاضَةِ.

---

(١) المستدرك ٢/ ٦١٥، والدلائل للبيهقى ٢/٢٤ - ٢٦، وتاريخ دمشق ٣/٤ - ٦.
(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢٦، وتاريخ دمشق ٣/ ٥.
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٤.

الثَّانى : أنَّ الغَمامةَ لم تُذْكَرْ فى حديثٍ أصَحَّ مِن هذا[1] .

الثَّالثُ : أنَّ قَوْلَه : وبَعَثَ معه أبو بكرٍ بِلَالًا . إن كان عُمُرُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إذْ ذاك ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سنَةً ، فقد كان عُمُرُ أبى بكرٍ إذْ ذاك تِسْعَ سنينَ أو عَشَرَةً ، وعُمُرُ بِلالٍ أقلَّ مِن ذلك ، فأينَ كان أبو بكرٍ إذْ ذاك ؟ ثم أَيْنَ كان بِلالٌ ؟ كِلاهما غَريبٌ ، اللهمَّ إلَّا أن يُقالَ : إنَّ هذا كان ورسولُ اللَّهِ ﷺ كبيرٌ ؛ إمَّا بأن يكونَ سَفَرُه بعدَ هذا ، أو إن كان القولُ بأنَّ عُمُرَه كان إذْ ذاك ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً غيرَ محفوظٍ ، فإنَّه إنَّما ذكَره مُقيَّدًا بهذا الوَاقِدِىُّ[2] . وحكى السُّهَيْلِىُّ[3] عن بعضِهم ، أنَّه كان عُمُرُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إذْ ذاك تِسْعَ[4] سنينَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال الوَاقِدِىُّ[5] : حدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ ، وإبراهيمُ ابنُ إسماعيلَ بنِ أبى حَبِيبةَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، قالوا : لمَّا بلَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سنَةً ، خرَج به عمُّه أبو طالبٍ إلى الشامِ ، فى العِيرِ التى خرَجَ فيها للتِّجارةِ ، ونزَلوا بالرَّاهبِ بَحِيرَى ، فقال لأبى طالبٍ [6]فى السِّرِّ[6] ما قال ، وأمَره أن يَحْتَفِظَ به ، فردَّه معه أبو طالبٍ إلى مكَّةَ .

---

(١) بعده فى ا ٩: « مع أن بعضهم قد ضعف أحاديث الغمامة كلها ومن جملتها هذا ، وادعى آخرون وضعها » .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٢٠، ١٢١.

(٣) الروض الأنف ٢/ ٢٢١.

(٤) فى ص : « سبع » .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٢٠، ١٢١ ، عن الواقدى به .

(٦ - ٦) فى م : « بالسر » .

وشبَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/٢١ظ] مع أبى طالبٍ ، يَكْلَؤُه اللَّهُ ، ويَحفظُه ، ويَحُوطُه مِن أمورِ الجاهليَّةِ ، ومعائبِها ؛ لِمَا يريدُ من كرامَتِه ، حتى بلَغَ أن كان رجلًا أفضلَ قومِه مُروءةً ، وأحسنَهم خُلُقًا ، وأكرَمَهم مُخالَطةً ، وأَحسَنَهم جِوارًا ، وأعظمَهم حِلْمًا وأمانةً ، وأصدقَهم حديثًا ، وأبعدَهم مِن الفُحْشِ والأذَى ، ما رُؤِىَ مُلَاحِيًا[1] ولا مُمارِيًا أحدًا ، حتى سمّاه قومُه الأمينَ ؛ لِمَا جمعَ اللَّهُ فيه مِنَ الأمورِ الصالحةِ ، فكان أبو طالبٍ يَحْفَظُه ، ويَحُوطُه ، ويَنصُرُه ، ويَعْضُدُهُ ، حتَّى مات .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : أخبرَنا خالدُ بنُ خِداشٍ[3] ، حدَّثَنا مُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ ، سَمِعْتُ أبى يحدِّثُ عن أبى مِجْلَزٍ ، أَنَّ عبدَ المُطَّلِبِ - أو أبا طالبٍ ، شكَّ خالدٌ - قال : لمّا مات عبدُ اللَّهِ ، عطَفَ على محمدٍ ، فكان لا يسافِرُ سفرًا إلَّا كان معه فيه ، وأنه توجَّهَ نحوَ الشامِ ، فنزَل مَنْزِلًا ، فأَتاه فيه راهبٌ ، فقال : إنَّ فيكم رجلًا صالحًا . ثُم قال : أينَ أبو هذا الغلامِ ؟ قال : فقال : ها أنا ذا وليُّه . أو قيل : هذا وليُّه . قال : احتفِظْ بهذا الغلامِ ، ولا تذهَبْ به إلى الشامِ ، إنَّ اليهودَ حُسُدٌ ، وإنِّى أخْشاهم عليه . قال : ما أنت تَقولُ ذاك ، ولكنَّ اللَّهَ يقولُه . فردَّه وقال : اللهمَّ إنِّى أَسْتَوْدِعُك محمدًا . ثُم إنَّه مات .

---

(١) أى مخاصما ومنازعا .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٢٠ .

(٣) فى ا ٩، م ، ص : « معدان » .

قِصَّةُ بَحِيرَى

حَكَى السُّهَيْلِيُّ[1] ، عن سِيَرِ الزُّهْرِيِّ ، أنَّ بَحِيرَى كان حَبْرًا من أحبارِ يهودَ .

قلتُ : والذى يَظهَرُ مِن سِياقِ القصَّةِ أنَّه كان راهبًا نَصرانيًّا . واللَّهُ أعلمُ . وعن المسعوديِّ[2] ، أنَّه كان مِن عبدِ القَيْسِ ، وكان اسمُه سَرْجِسَ[3] . وفى كِتابِ « المعارفِ » لابنِ قُتَيْبَةَ[4] : سُمِعَ هاتفٌ فى الجاهليَّةِ ، قبْلَ الإسلامِ بقليلٍ ، يَهْتِفُ ويَقولُ : أَلَا إنَّ خيرَ أهلِ الأرضِ ثلاثةٌ ؛ بَحِيرَى ، ورِئَابٌ[5] الشَّنِّيُّ ، والثالثُ المُنتَظَرُ . وكان الثالثُ المنتظرُ هو الرسولَ ﷺ . قال ابنُ قُتَيْبَةَ[6] : وكان قبرُ رئابٍ الشَّنِّيِّ وقبرُ وَلَدِه مِن بعدِه ، لا يزالُ يُرَى عندَها طَشٌّ . وهو المطرُ الخفيفُ .

---

(١) الروض الأنف ٢/ ٢٢٠.

(٢) مروج الذهب ١/ ٨٩.

(٣) فى الأصل ، م : « جرجيس » .

(٤) المعارف ص ٥٨.

(٥) بعده فى م : « بن البراء » .

(٦) المعارف ص ٥٨.

فَصْـلٌ

فى مَنْشَئِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومَرْباه، وكِفَايةِ اللهِ له، وحِياطتِهِ، وكيف كان يتيمًا فآوَاه، وعائِلًا فأغناه

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : فشبَّ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، يَكلَؤُه اللَّهُ، ويَحفَظُه، ويَحُوطُه مِن أقذارِ الجاهِليَّةِ، لِمَا يُرِيدُ به[2] من كرامتِه، ورسالتِه، حتّى بلغَ أن كان رجلًا أفضَلَ قومِه مُروءةً، وأحسنَهم خُلُقًا، وأكرَمَهم حَسَبًا، وأحسَنَهم جِوارًا، وأعظَمَهم حِلْمًا، وأصدَقَهم حديثًا، وأعظَمَهم أمانةً، وأبعَدَهم مِن الفُحْشِ، والأخلاقِ التى تُدَنِّسُ الرِّجالَ، تَنَزُّهًا وتَكَرُّمًا، حتّى ما اسمُه فى قومِه إلا الأمينُ؛ لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فيه مِن الأمورِ الصَّالحةِ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ - فيما ذُكِرَ لى - يُحدِّثُ عمّا كان اللَّهُ يحفَظُه به فى صِغَرِهِ، وأَمْرِ جاهِلِيَّتِه، أنَّه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِى فِى غِلْمَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ، نَنْقُلُ الحِجَارَةَ لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ به[3] الغِلْمَانُ، كُلُّنَا قَدْ تَعَرَّى، وأَخَذَ إِزَارَه، وَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ، فَإِنِّى لَأُقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأُدْبِرُ، إِذْ لَكَمَنِى لَاكِمٌ مَا أَرَاهُ، لَكْمَةً

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٣.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) سقط من: الأصل، م.

وَجِيعَةٌ ، ثُمَّ قَال : شُدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ » . قَالَ : « فَأَخَذْتُهُ فَشَدَدْتُهُ عَلَيَّ ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِى ، وَإِزَارِى عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِى » . وهذه القِصّةُ شبيهةٌ بما فى « الصحيحِ » ، عندَ بناءِ الكعبةِ [٢/٢٢و] حينَ كان يَنقُلُ هو وعمُّه العبّاسُ ، فإنْ لم تَكُنْها ، فهى متقدِّمةٌ عليها كالتَّوْطِئَةِ لها . واللَّهُ أعلمُ .

قال عبدُ الرَّزّاقِ[(١)] : أخبرَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرَنى عمرُو بنُ دينارٍ ، أنه سمِعَ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : لمَّا بُنِيَتِ الكعبةُ ، ذهَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَنْقُلُ الحِجارةَ ، فقال العبّاسُ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ : اجعَلْ إزارَكَ على عاتِقِكَ مِن الحِجَارَةِ . ففَعَل ، فخَرَّ إلى الأرضِ ، وطَمَحَتْ[(٢)] عَيناه إلى السَّماءِ ، ثُم قام فقال : « إِزَارِى » . فَشَدَّ عليه إزارَه . أَخرَجاه فى « الصّحيحَيْنِ »[(٣)] ، مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ . وأخرَجاه[(٤)] أيضًا مِن حديثِ رَوْحِ بنِ عُبادَةَ ، عن زَكرِيّاءَ بنِ[(٥)] إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرٍ بنحوِه .

وقال البَيْهَقِيُّ[(٦)] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، قالا : أخبرَنا أبو العبّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّاغَانِيُّ[(٧)] ، [(٨)] حدَّثَنا محمدُ بنُ بُكَيْرٍ الحَضْرَمِيُّ[(٨)(٩)] ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٢، من طريق عبد الرزاق به .

(٢) طمحت : نظرت .

(٣) البخارى (٣٨٢٩) . مسلم (٣٤٠) .

(٤) البخارى (٣٦٤) . مسلم (٣٤٠) .

(٥) بعده فى الأصل ، م ، ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٥٦.

(٦) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٢، ٣٣.

(٧) فى الأصل ، ١ ٩، ص : « الصنعانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) فى الدلائل : « الخضرمى » وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٤٣.

عبدِ اللَّهِ الدَّشْتَكِيُّ ، حدَّثَنا عمرُو بنُ أبى قَيْسٍ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، حدَّثنى ابنُ عبّاسٍ ، عن أبيه ، أنه كان ينقُلُ الحِجَارَةَ إلى البيتِ . حينَ بَنَتْ قُرَيْشٌ البيتَ . قال : وأَفْرَدَتْ قُرَيْشٌ رَجُلينِ رَجُلينِ ، الرِّجالُ يَنْقُلُون الحِجَارةَ ، وكانتِ النِّساءُ تنقُلُ الشِّيدَ[1] . قال : فكُنتُ أنا وابنُ أخى ، وكنّا نَحمِلُ على رِقابِنا ، وأُزُرُنا تحتَ الحِجَارَةِ ، فإذا غَشِيَنَا النّاسُ ائْتَزَرْنَا ، فبينَما أنا أَمشِى ومحمدٌ أَمامى . قال : فَخَرَّ وانْبَطَحَ على وَجْهِه ، فجئتُ أَسعَى وألقيْتُ حَجَرِى ، وهو ينظُرُ إلى السَّماءِ ، فقلتُ : ما شأنُك ؟ فقام وأخَذَ إزارَه و[2] قال : « إنِّى نُهِيتُ أَنْ أَمْشِىَ عُرْيَانًا » . قال : وكنتُ أَكْتُمُها[3] النَّاسَ ، مَخافةَ أن يقولوا : مجنونٌ .

وروَى البَيْهَقِيُّ[4] مِن حديثِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسِ بنِ مَخْرَمَةَ ، عن الحسنِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ابنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ : « مَا هَمَمْتُ بِشَىءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَهُمُّونَ بِهِ ، مِنَ النِّسَاءِ ، إلَّا لَيْلَتَيْنِ ، كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِيهِمَا ؛ قُلْتُ ليلةً لِبَعْضِ فِتْيَانِ مَكَّةَ - وَنَحْنُ فى رِعَاءِ غَنَمِ أَهْلِها - فقُلْتُ لِصَاحِبِى : أَبْصِرْ لِى غَنَمِى ، حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ أَسْمُرُ فِيها ، كما يَسْمُرُ الفِتْيانُ . فقال : بلى. قال : فَدَخَلْتُ ، حَتَّى إذا[5] جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ ، سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْغَرَابِيلِ وَالْمَزَامِيرِ ،

---

(١) الشيد : كل ما طُلى به البناء من جِصٍّ ونحوه . الوسيط (ش ى د) .

(٢) زيادة من : ص .

(٣) بعده فى ا ٩، م ، ص : « من » .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٣، ٣٤.

(٥) سقط من : الأصل ، م .

فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : تَزَوَّجَ فُلَانٌ فُلَانَةَ . فجَلَسْتُ أَنْظُرُ ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِى ، فواللَّهِ مَا أَيْقَظَنِى إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِى ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : مَا فَعَلْتُ شَيْئًا . ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِالَّذِى رَأَيْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى : أَبْصِرْ لى غَنَمِى ، حَتَّى أَسْمُرَ . فَفَعَلَ ، فَدَخَلْتُ ، فَلَمَّا جِئْتُ مَكَّةَ ، سَمِعْتُ مِثْلَ الَّذِى سَمِعْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَسَأَلْتُ ، فَقِيلَ : نَكَحَ فُلَانٌ فُلَانَةَ . فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِى ، فَوَاللَّهِ مَا أَيْقَظَنِى إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِى ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : لَا شَيْءَ . ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ ، وَلَا عُدْتُ بَعْدَها[1] لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى أَكْرَمَنِى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِنُبُوَّتِه » . وهذا حديثٌ [٢/٢٢ظ] غريبٌ جِدًّا ، وقد يَكونُ عن علىٍّ نفسِه ، ويَكونُ قولُه فى آخِرِه : « حَتَّى أَكْرَمَنِى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِنُبُوَّتِهِ » . مُقْحَمًا . واللَّهُ أعلمُ .

وشيخُ ابنِ إسحاقَ هذا ، ذكَره ابنُ حِبّانَ فى « الثِّقاتِ »[2] ، وزعَم بعضُهم أنه مِن رجالِ « الصحيحِ » . قال شيخُنا فى « تهذيبِه »[3] : ولم أَقِفْ على ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[4] : حدَّثنى أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ علىِّ بنِ عَفّانَ[5] العامِرِىُّ ، حدَّثَنا أبو

---

(١) فى م ، ص : « بعدهما » .

(٢) الثقات لابن حبان ٩/ ٨٢.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٣٣، ٥٣٤ حاشية (٤) .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٤.

(٥) فى الأصل : « عباس » .

أُسامةَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عَمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، ويَحيى بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطِبٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن زيدِ بنِ حارثَةَ ، قال : كان صَنَمٌ مِن نُحَاسٍ يُقالُ له : إِسافٌ . أو[1] : نائِلَةُ . يَتَمَسَّحُ به المشرِكونَ إذا طافوا ، فطافَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، وطُفْتُ معَه ، فلمَّا مَرَرْتُ مسَحْتُ به ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَمَسَّهُ » . قال زيدٌ : فطُفْنا ، فقُلْتُ فى نفسى : لأَمَسَّنَّهُ ، حتى أَنْظُرَ ما يكونُ . فمَسَحْتُه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَمْ تُنْهَ ؟ » . قال البَيْهَقِىُّ : زاد غيرُه ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، بإسنادِه : قال زيدٌ : فوالذى أَكْرَمَه وأنزَلَ عليه الكِتابَ ، ما اسْتَلَمَ صَنَمًا[2] ، حتى أَكرَمَه اللَّهُ تعالى بالذى أكرَمَه ، وأَنْزَل عليه .

وتقدَّمَ[3] قولُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لبَحِيرَى ، حينَ سأَلَه باللَّاتِ والعُزَّى : « لَا تَسْأَلْنِى بِهِمَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا بُغْضَهُمَا » . فأمَّا الحديثُ الذى قاله الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[4] ؛ أخبرَنا أبو سَعْدٍ[5] المالِينِىُّ ، أَنبأَنا أبو أحمدَ ابنُ عَدِىٍّ الحافظُ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ أَسْباطٍ ، حدَّثَنا عُثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا جَرِيرٌ ، عن سُفْيَانَ الثَّوْرِىِّ ، عن[6] عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : كان النبىُّ ﷺ ، يَشْهَدُ مع المشركينَ مَشاهِدَهم . قال : فسمِع مَلَكَيْنِ خلفَه ، وأحدُهما يقولُ لصاحبِه : اذهبْ بنا

---

(١) فى م : « و » .

(٢) بعده فى ا ٩، م ، ص : « قط » .

(٣) تقدم فى صفحة ٤٣٧.

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٥.

(٥) فى الأصل ، ا ٩: « سعيد » .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « محمد بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٧٨.

حتَّى نقومَ خلْفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : كيفَ نَقومُ خلفَه وإنما عهدُه باستلامِ الأصنامِ قُبَيْلُ[1] ؟ . قال : فلم يَعُدْ بعدَ ذلك أن يَشْهَدَ مع المشركينَ مَشاهِدَهم . فهو حديثٌ أنكَرَه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ على عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حتَّى قال الإمامُ أحمدُ[2] فيه : لم يَكُنْ أخوه يتلفَّظُ بشيءٍ مِن هذا . وقد حَكى البَيْهَقِيُّ[3] ، عن بعضِهم أنَّ مَعناه ، أنه شَهِدَ معَ مَن يَسْتَلِمُ الأصنامَ ، وذلك قبلَ أن يُوحَى إليه . واللَّهُ أعلمُ . وقد تقدَّم فى حديثِ زيدِ بنِ حارثةَ ، أنه اعتزَل شهودَ مَشاهِدِ المشركينَ ، حتَّى أكرَمَه اللَّهُ برسالتِه . وثبتَ فى الحديثِ ، أنَّه كان لا يقِفُ بالمُزْدَلِفَةِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ ، بل كان يَقِفُ مع الناسِ بعرفاتٍ ، كما قال يُونُسُ [4]ابنُ بُكَيْرٍ[4] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، عن عُثمانَ ابنِ أبى سُليمانَ ، عن عمِّه[5] نافعِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه جُبَيْرٍ ، قال : لقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو على دينِ قومِه ، وهو يَقِفُ على بعيرٍ له بعَرَفاتٍ ، مِن بينِ قومِه ، حتَّى يَدْفَعَ معهُم ، توفيقًا مِنَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، له[6] .

قال البَيْهَقِيُّ[7] : معنى قولِه [٢/٢٣و] : على دينِ قومِه ؛ ما كان بَقِى مِن إرْثِ إبراهيمَ ، وإسماعيلَ ، عليهما السَّلامُ ، ولم يُشْرِكْ باللَّهِ قطُّ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا .

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦.
(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٦.
(٤ - ٤) فى الدلائل : « بن شبيب » وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٩٣.
(٥) سقط من : الأصل ، ١ ٩، م .
(٦) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٧.
(٧) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٧.

قلتُ : ويُفهَمُ مِن قولِه هذا أيضًا ، أنَّه كان يَقِفُ بعرفاتٍ قَبلَ أن يُوحَى إليه . وهذا توفيقٌ مِنَ اللَّهِ له . ورواه الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يَعْقُوبَ ، [2]عن أبيه[2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ به ، ولفظُه : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قَبلَ أن يُنَزَّلَ عليه ، وإنّه لَواقِفٌ على بَعِيرٍ له مع الناسِ بعَرَفاتٍ ، حتَّى يَدْفَعَ معهم ؛ توفيقًا مِن اللَّهِ . وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثَنا سفيانُ ، عن عمرِو بنِ[4] محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه ، قال : أَضْلَلْتُ بعيرًا لى بعَرَفَةَ ، فذَهبْتُ أَطْلُبُه ، فإذا النبيُّ ﷺ ، واقفٌ ، فقُلْتُ : إنَّ هذا مِن الحُمْسِ[5] ، ما شأنُه هـهنا ؟ وأخرَجاه[6] ، مِن حديثِ سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ به .

---

(١) أحمد فى المسند ٤/ ٨٢.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ١٨٤.

(٣) أحمد فى المسند ٤/ ٨٠.

(٤) فى ا ، ٩، م : «عن» . انظر أطراف المسند ٢/ ١٨٤.

(٥) الحمس : هم قريش ومن وَلَدَتْ ، وكنانة ، وجديلة .

(٦) البخارى (١٦٦٤) . مسلم (١٢٢٠) .

ذِكْرُ[1] شُهودِه، عليه الصّلاةُ وَالسَّلامُ، حَرْبَ الفِجَارِ

قال ابنُ إسحاقَ[2]: هاجَتْ حربُ الفِجَارِ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ، ابنُ عِشرينَ سنَةً، وإنَّما سُمِّىَ يومَ الفِجَارِ؛ بما استَحَلَّ[3] هذان الحيَّانِ - كِنانَةُ، وقَيْسُ عَيْلانَ - فيه[4] مِن المحارِمِ بينَهم. وكان قائدَ قريشٍ وكِنانةَ حربُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ. وكان الظَّفَرُ فى أوَّلِ النهارِ لِقَيْسٍ على كِنانةَ، حتَّى إذا كان فى[5] وَسَطِ النَّهارِ، كان الظَّفَرُ لكِنانةَ على قَيسٍ.

وقال ابنُ هِشامٍ[6]: فلمَّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنةً، أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - فيما حدَّثَنى به أبو عُبَيْدَةَ النَّحْوِىُّ، عن أبى عمرِو بنِ العَلاءِ - هاجتْ حربُ الفِجَارِ، بينَ قريشٍ ومَن معها مِن كِنانةَ، وبينَ قَيْسِ عَيْلَانَ، وكان الذى هاجَها، أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ ابنَ[7] عُتْبَةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابِ بنِ رَبِيعَةَ ابنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوَازِنَ، أَجار لَطِيمَةً - أى تِجارةً -

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٦، ١٨٧.

(٣) بعده فى الأصل، م: «فيه».

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) سقط من: م.

(٦) سيرة ابن هشام ١/١٨٤ - ١٨٦.

(٧) فى الأصل، ا ٩، ص: «و».

للنُّعْمانِ بنِ المُنذرِ، فقال له[1] البَرَّاضُ بنُ قَيْسٍ - أحدُ بنى ضَمْرَةَ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَنَاةَ بنِ كِنَانَةَ - : أَتُجِيرُها على كِنانةَ؟ قال: نعم، وعلى الخَلْقِ. فخرَج فيها عُرْوَةُ الرَّحَّالُ، وخرَج البَرَّاضُ يَطلُبُ غَفْلَتَه، حتى إذا كان بِتَيْمَنَ ذى ظِلالٍ[2] بالعاليةِ، غفَلَ عُرْوةُ، فوَثَبَ عليه البَرَّاضُ، فقَتَلَه فى الشهرِ الحرامِ، فلذلك سُمِّىَ الفِجَارَ، وقال البَرَّاضُ فى ذلك:

وداهِيَةٍ تُهِمُّ الناسَ قَبْلِى ... شدَدْتُ لها بنى بَكْرٍ ضُلوعِى

هَدَمْتُ بها بُيُوتَ بنى كِلَابٍ ... وأَرْضَعْتُ المَوالىَ بالضُّروعِ

[3]رَفَعْتُ له بذى ظَلَّالَ كَفِّى[4] ... فَخرَّ يَمِيدُ[5] كالجِذْعِ الصَّريعِ

وقال لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ مالكِ بنِ جعفرِ بنِ كِلابٍ:

وَأَبْلِغْ - إن عَرَضْتَ - بنى كِلابٍ ... وعامِرَ والخُطُوبُ لَهَا مَوَالِى

وأَبْلِغْ - إنْ عَرَضْتَ - بَنِى نُمَيْرٍ ... وَأَخْوالَ القَتِيلِ بَنِى هِلَالِ

[٢/٢٣ ظ] بأنَّ الوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى ... مُقيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِى ظَلَالِ[6][3]

---

(١) سقط من: الأصل، م، ص.

(٢) فى الأصل، م، ص: «طلال». وكذا فى سيرة ابن هشام. وتيمن ذو ظلال - بالظاء -: واد إلى جانب فَدَك فى قول بعضهم، والصحيح أنه بعالية نجد. انظر معجم البلدان ١/ ٩٠٩، ٩١٠، ٣/ ٥٧٨، ٥٧٩.

(٣ - ٣) سقط من: ا ٩.

(٤) كذا وقع الشطر الأول فى النسخ. وظلَّال مشددة وممنوعة من الصرف؛ لأن الوزن يقتضى ذلك.

(٥) ماد الشىء يميد: تحرَّك ومال. اللسان (م ى د).

(٦) فى الأصل، م: «طلال». والأبيات فى شرح ديوان لبيد ص ٢٧٦.

قال ابنُ هِشامٍ[1] : فأَتى آتٍ قُرَيْشًا ، فقال : إنَّ البَرَّاضَ قد قَتَلَ عُرْوَةَ ، وهو فى الشَّهرِ الحَرامِ ، بعُكَاظٍ . فارتَحَلُوا ، وهَوَازِنُ لا تَشْعُرُ بِهم ، ثُم بَلَغَهم الخبرُ ، فاتَّبَعُوهم ، فأدْرَكوهم قبلَ أن يَدْخُلُوا الحَرَمَ ، فاقْتَتَلُوا حتّى جاء الليلُ ، فدَخَلُوا الحرَمَ ، فأَمْسَكَتْ هَوَازِنُ عنهم ، ثُم التقَوْا بعدَ هذا اليومِ أيّامًا ، والقومُ مُتَسانِدون ، على كلِّ قَبِيلٍ مِن قريشٍ وكِنَانةَ رَئيسٌ منهم ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ مِن قَيْسٍ[2] رَئيسٌ منهم . قال : وشَهِد رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بعضَ أيَّامِهم ، أَخرَجه أعمامُه معهم ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْتُ أُنَبِّلُ عَلَى أَعْمَامِى » . أى أرُدُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رَمَوْهم بها .

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وحديثُ الفِجَارِ[4] أَطولُ ممّا ذكَرْتُ ، وإنما منَعَنى مِن اسْتِقْصائِه ، قَطْعُه حديثَ سِيرَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال السُّهَيْلِىُّ[5] : والفِجَارُ بكَسْرِ الفاءِ على وَزْنِ قِتالٍ . وكانتِ الفِجَاراتُ فى العربِ أربعةً ، ذكَرهنَّ المَسْعُودىُّ . وآخِرُهن ؛ فِجَارُ البَرَّاضِ هذا . وكان القِتالُ فيه فى أربعةِ أيَّامٍ ؛ يومِ شَمْطَةَ ، ويومِ العَبْلَاءِ ، وهما عندَ عُكَاظٍ ، ويومِ الشَّرِبِ - وهو أعظمُها يومًا - وهو الذى حضَره رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وفيه قَيَّدا[6] - رئيسُ قريشٍ وبنى كِنَانَةَ ؛ وهما حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ وأخوه سُفْيَانُ -

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٦.

(٢) فى ص : « قريش » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(٤) بعده فى ا ٩، م، ص : « طويل هو » .

(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٣٣.

(٦) فى الأصل : « قتل » .

أنفسَهما لئلَّا يَفِرَّا[1] . وانهزَمَتْ يومئذٍ قيسٌ إلا بنى نَضْرٍ ، فإنَّهم ثَبَتُوا ، ويومِ الحُرَيْرَةِ عندَ نَخْلَةَ ، ثُم تَواعَدوا مِنَ العامِ المُقْبِلِ إلى عُكَاظٍ ، فلمّا تَوَافَوُا المَوْعِدَ ، رَكِبَ عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ جَمَلَه ، ونادى : يا مَعْشَرَ مُضَرَ ، عَلامَ تُقاتِلون ؟ فقالتْ له هَوَازِنُ : ما تَدْعو إليه ؟ قال : الصُّلْحُ . قالوا : وكيف ؟ قال نَدِى قَتْلَاكُم ونَرهَنُكم رَهائنَ عليها ، ونَعفُو عن دمائِنا[2] . قالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قال : أنا . قالوا : ومَن أنت ؟ قال : عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ . فوقَع الصُّلْحُ على ذلك ، وبَعَثوا إليهم أربعينَ رجلًا ؛ فيهم حكيمُ بنُ حِزَامٍ ، فلمّا رأتْ بنو عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ الرَّهْنَ فى أيديهِم ، عَفَوْا عن دمائِهم[3] ، وانقَضَتْ حربُ الفِجَارِ . وقد ذَكَر الأُمَوِىُّ حُروبَ الفِجَارِ ، وأيّامَها ، واستقْصَاها مُطوَّلًا ، فيما روَاه عن الأَثْرَمِ ، وهو المُغِيرةُ ابنُ علىٍّ ، عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ المُثَنَّى ، فذكَر ذلك .

---

(١) فى الأصل ، م : « يغروا » .

(٢) فى الأصل ، م : « دياتنا » .

(٣) فى م : « دياتهم » .

فَصْـلٌ

قال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[1] : أَخبَرَنا أبو سَعْدٍ المَالِينِيُّ ، أنبأَنَا أبو أحمدَ بنُ عديٍّ الحافظُ ، حدَّثَنا يَحيى بنُ عليِّ بنِ هاشمٍ[2] الخَفَّافُ ، حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمنِ الأَذْرَمِيُّ[3] حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيهِ ، [4]عن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ[4] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ المُطَيَّبِينَ ، فما أُحِبُّ أنْ أَنكُثَهُ - أو كَلمةً نحوَها - وأنَّ لي حُمْرَ النَّعَمِ » . قال[5] : وكذلك رواه بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، عن عبدِ الرحمنِ . قال[6] : وأخبرَنا أبو نصرِ بنُ قَتادةَ ، حدَّثَنا أبو عَمرِو بنُ مَطَرٍ ، حدَّثَنا أبو بكرٍ [7]بنُ أَحمدَ بنِ[7] داودَ السِّمنَانِيُّ ، حدَّثَنا مُعَلَّى بنُ مَهْدِيٍّ ، حدَّثَنا أبو عَوَانَةَ ، عن عمرَ بنِ أبي سَلَمةَ ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرةَ [٢/٢٤ و] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا شَهِدْتُ حِلْفًا لِقُرَيْشٍ إِلَّا حِلْفَ المُطَيَّبِينَ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي كُنْتُ نَقَضْتُه » . قال : والمُطَيَّبونَ ؛ هاشِمٌ ، وأُمَيَّةُ ، وزُهْرَةُ ، ومَخْزومٌ . قال البَيْهَقِيُّ : كذا رُوِيَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٧، ٣٨.

(٢) فى الدلائل للبيهقى : « هشام » .

(٣) فى النسخ : « الأزدى » . والمثبت من الدلائل للبيهقى . وانظر التقريب ١/ ٤٤٦.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٨. والحديث فى مسند أحمد ١/ ١٩٠. (إسناده صحيح) .

(٦) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٨.

(٧ - ٧) فى الدلائل : « أحمد بن » .

هذا التفسيرُ مُدْرَجًا فى الحديثِ ، ولا أَدْرِى قائِلَه ، وزعَم بعضُ أهلِ السِّيَرِ أنَّه أرادَ حِلْفَ الفُضُولِ ، وأنَّ النَّبِىَّ ﷺ ، لم يُدْرِكْ حِلْفَ المُطَيَّبِينَ .

قلتُ : هذا لا شكَّ فيه ، وذلك أنَّ قريشًا تَحالَفوا بعدَ موتِ قُصَىٍّ ، وتَنازَعوا فى الذى كان جعَلَه قُصَىٌّ لابنِه عبدِ الدَّارِ مِن السِّقايَةِ ، والرِّفادَةِ ، واللِّواءِ ، والنَّدْوَةِ ، والحِجَابَةِ ، ونازَعهم فيه بنو عبدِ مَنافٍ ، وقامَتْ مع كلِّ طائفةٍ قبائلُ مِن قريشٍ ، وتَحالَفوا على النُّصْرةِ لِحِزْبِهم ، فأَحضَرَ أصحابُ بنى عبدِ مَنافٍ جَفْنَةً فيها طِيبٌ ، فوَضَعوا أيْدِيَهُمْ فيها ، وتَحالَفوا ، فلمَّا قاموا مَسَحوا أيديَهم بأركانِ البيتِ ، فسُمُّوا المُطَيَّبِينَ ، كما تقدَّمَ ، وكان هذا قديمًا ، ولكنَّ المُرادَ بهذا الحِلْفِ ، حِلْفُ الفُضولِ ، وكان فى دارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ ، كما روَاه الحُمَيْدِىُّ[1] ، عن سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن[2] محمدٍ وعبدِ الرحمنِ ابْنَىْ أبى بَكْرٍ ، قالا : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ شَهِدْتُ فِى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ حِلْفًا ، لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِى الإِسْلَامِ لأَجَبْتُ ، تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الفُضُولَ عَلَى أَهْلِهَا وَأَلَّا يَعُزَّ[3] ظَالِمٌ مظلومًا » . قالوا : وكان حِلْفُ الفُضُولِ قبلَ المَبعثِ بعِشرين سنَةً ، فى شهر ذِى القَعْدَةِ ، وكان بعدَ حربِ الفِجَارِ بأربعةِ أشهُرٍ ؛ وذلك لأنَّ الفِجَارَ كان فى شعبانَ مِن هذه السَّنَةِ ، وكان حِلْفُ الفُضولِ أكرمَ حِلْفٍ سُمِعَ به ، وأشرَفَه فى العَرَبِ ، وكان أوَّلَ مَن تكلَّمَ به ، ودَعا إليه ، الزبيرُ ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وكان سببُه ، أنَّ رَجُلًا من زُبَيْدٍ قدِمَ مكةَ بِبِضَاعَةٍ ، فاشتراها

---

(١) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/٧١ ، عن الحميدى به .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، ص : « بن » .

(٣) فى النسخ : « يعد » . والمثبت من الروض . ويعز : يغلب ويقهر .

منه العاصُ بنُ وَائِلٍ، فحَبَسَ عنه حقَّه، فاستَعْدَى عليه الزُّبَيْدِىُّ الأَحلافَ؛ عبدَ الدارِ، ومخزومًا، وجُمَحَ، وسَهْمًا، وعَدِىَّ بنَ كعبٍ، فأَبَوْا أن يُعِينُوا على العاصِ بنِ وَائِلٍ، وَزَبَرُوه - أى انتَهَرُوه - فلمّا رأَى الزُّبَيْدِىُّ الشرَّ، أَوْفَى على أبى قُبَيْسٍ[1] عندَ طُلوعِ الشَّمسِ - وقُريشٌ فى أنديتِهم حولَ الكعبةِ - فنادى بأعلى صوتِه:

يا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نائِى الدَّارِ وَالنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ أَشَعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَه ... يَالَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ والحَجَرِ
إِنَّ الحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كرامتُه ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغُدَرِ[2]

فقام فى ذلك الزُّبيرُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وقال: ما لِهذا مَتْرَكٌ. فاجتمعَتْ هاشِمٌ، وزُهْرَةُ، وتَيْمُ[3] بنُ مُرَّةَ، فى دارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ، فصَنَعَ لهم طعامًا، وتحَالَفوا فى ذى القَعْدَةِ، فى شهرٍ حرامٍ، فتَعَاقَدوا، وتعاهَدوا باللَّهِ: لَيَكُونُنَّ يدًا واحدةً مع المظلومِ على الظَّالمِ، حتى يُؤَدَّى إليه حقُّه، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً [٢/٢٤ ظ]، وما رَسَا ثَبِيرٌ وحِرَاءُ مكَانَهما، وعلى التَّأَسِّى فى المعاشِ، فسمَّتْ[4] قريشٌ ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضُولِ، وقالوا: لقد دخَل هؤلاءِ فى فضْلٍ مِن الأمرِ. ثُم مَشَوْا إلى العاصِ بنِ وائلٍ، فانتزَعُوا منه سِلْعَةَ الزُّبَيْدِىِّ، فدفَعُوها إليه، وقال الزُّبَيْرُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ فى ذلك:

---

(١) جبل بمكة.
(٢) الغدر: كثير الغَدْر.
(٣) فى ا ٩: «تميم».
(٤) فى ص: «فسمعت».

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنْ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وإنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نُسَمِّيهِ الفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعِزُّ بِهِ الغَرِيبُ لِذى الجِوَارِ
ويَعْلَمُ مَنْ (١حَوَالِى البَيْتِ أَنَّا١) أُبَاةُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كلَّ عَارِ

وقال الزُّبَيْرُ أيضًا :

إنّ الفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا أَلّا يُقيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ
أَمْرٌ عليه تَعَاقَدُوا وتَوَاثَقُوا فَالجَارُ والمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ

وذَكَر قاسمُ بنُ ثابتٍ[٢] فى «غَرِيبِ الحديثِ»، أنَّ رجلًا مِن خَثْعَم قَدِمَ مكَّةَ حاجًّا - أو مُعْتمِرًا - ومعه ابنَةٌ له، يُقالُ لها : القَتُولُ[٣]، مِن أوضَأِ نِساءِ العالَمِينَ، فاغْتَصَبَها منه نُبَيْهُ بنُ الحَجَّاجِ، وغَيَّبها عنه، فقال الخَثْعَمِىُّ : مَن يُعْدِينى على هذا الرَّجُلِ؟ فقيل له : عَلَيْكَ بحِلْفِ الفُضُولِ. فوقَفَ عندَ الكعْبَةِ، ونادَى يا لَحِلْفِ الفُضُولِ. فإذا هم يُعْنِقُون إليه مِن كلِّ جانبٍ، وقد انْتَضَوْا أسيافَهم يَقولون : جاءك الغَوْثُ فما لك؟ فقال : إنَّ نُبَيْهًا ظَلَمَنِى فى بِنْتِى وانْتَزَعَها مِنِّى قَسْرًا. فساروا معه حتّى وقَفُوا على بابِ دَارِه، فخرَجَ إليهم، فقالوا له : أَخرِجِ الجَارِيَةَ وَيْحَكَ! فقد علِمْتَ مَن نحنُ، وما تَعاقَدْنا عليه. فقال : أَفْعَلُ، ولكنْ مَتِّعونى بها الليلةَ. فقالوا : لا واللَّهِ، ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ[٤].

(١ - ١) فى ا ٩: «حوالينا بأنا».

(٢) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٧٣، ٧٤، عنه.

(٣) فى الأصل، ص: «الفتول». وفى ا ٩: «الفتون».

(٤) أصل الشخب: ما خرج من الضرع من اللبن ويضم، وبالفتح: الدم. واللّقحة بكسر اللام وفتحها: الناقة القريبة العهد بالنتاج، أو الغزيرة اللبن.

فأخْرَجَها إليهم وهو يَقولُ :

رَاحَ صَحْبِى ولَمْ أُحَيِّ القَتُولَا لم أُوَدِّعْـهُـمُ وَدَاعًـا جَـمِـيـلَا

[1]إذْ أَجَدَّ[1] الفُضُولُ أنْ يَمْنَعُوهَا قَد أَرَانى وَلَا أَخَافُ الفُضُولَا

لَا تَخَالِى أَنِّى عَشِيَّةَ رَاحَ الـرَّكْـــــــبُ هُنْتُمْ علىَّ أَنْ لا أقولا[2]

وذكَر أبياتًا أُخَرَ غيرَ هذه . وقد قِيلَ[3] : إنَّما سُمِّىَ هذا حلِفَ الفُضُولِ ؛ لأنَّه أَشْبَهَ حِلْفًا تحالفَتْهُ جُرْهُمٌ على مِثلِ هذا ، مِن نَصْرِ المظلومِ على ظَالِمِه ، وكان الدَّاعى إليه ثلاثةٌ مِن أشْرَافِهِم ، اسمُ كلٍّ واحدٍ منهم فَضْلٌ ، وهم : الفضلُ بنُ فَضَالَةَ ، والفَضْلُ بنُ وَدَاعَةَ ، والفُضَيْلُ[4] بنُ الحَارِثِ . هذا قولُ ابنِ قُتَيْبَةَ[5] . وقالَ غيرُه[6] : هم[7] الفُضَيْلُ[8] بنُ شُرَاعَةَ ، [9]والفَضْلُ بنُ وَداعةَ[10][9] ، والفَضْلُ بنُ قُضَاعةَ . وقد أورد السُّهَيْلِىُّ هذا ، رَحِمَه اللَّهُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[11] : وتداعَتْ قبائلُ مِن قريشٍ إلى

(١ - ١) فى الأصل : « إذا وجد » .

(٢) سقط من : ا ٩. وفى الأصل ، م : « يزولا » . وفى ص : « نزولا » . والمثبت من الروض الأنف .

(٣) ذكر هذا القول عن ابن قتيبة - كما ذكر المصنِّف فى آخره - السهيلىُّ فى الروض الأنف ٢/ ٧٠.

(٤) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من الروض الأنف .

(٥) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/٧٠ ، عن ابن قتيبة .

(٦) أى الزبير بن بكار ، كما ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٧٠.

(٧) سقط من : الأصل ، م .

(٨) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من الروض الأنف .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠) فى النسخ : « بضاعة » . والمثبت من الروض الأنف .

(١١) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٣، ١٣٤.

حِلْفٍ ، فاجتَمَعوا [1] له فى [1] دارِ [٢/٢٥ و] عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ ؛ لشرَفِه ، وسِنِّه ، وكان حِلْفَهم عندَه ، بنو هاشِمٍ ، وبنو [2] المُطَّلِبِ ، و [3] أسدُ بنُ عبدِ العُزَّى ، وزُهْرَةُ ابنُ كِلَابٍ ، وتَيْمُ بنُ مُرَّةَ . فتعاهَدُوا ، وتعاقَدُوا ، على أن لا يَجِدُوا بمكةَ مَظلومًا مِن أَهْلِها ، وغيرِهم مِمَّن دخَلَها مِن سائِرِ النّاسِ ؛ إلَّا كانوا معه ، وكانوا على مَن ظَلَمه ، حتى يَرُدَّ عليه مَظْلِمَتَه ، فسمَّتْ قريشٌ ذلك الحِلْفَ ، حِلْفَ الفُضُولِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ [4] : فحدَّثنى محمدُ بنُ زيدِ بنِ المُهاجِرِ [5] بنِ [6] قُنْفُذٍ التَّيْمِىُّ ، أنَّه سَمِع طَلحةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْفٍ الزُّهْرِىَّ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ شَهِدْتُ فِى دَارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ حِلْفًا ، ما أُحِبُّ أَنَّ لِى بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ ، ولوْ أُدْعَى [7] به فى الإِسْلامِ لأَجَبْتُ » .

قال ابنُ إسحاقَ [8] : وحَدَّثَنى يزيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أسامةَ بنِ الهَادِى اللَّيْثِىُّ ، أنَّ محمدَ [9] بنَ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمِىَّ حدَّثه ، أنه كان بينَ الحسينِ بنِ علىِّ ابنِ أبى طالبٍ ، وبينَ الوليدِ بنِ عُتْبةَ بنِ أبى سفيانَ - والوليدُ يومئذٍ أميرُ المدينةِ ، أمَّرَه عليها عمُّه معاويةُ بنُ أبى سفيانَ - مُنازَعَةٌ فى مالٍ كان بينَهما بذى

(١ - ١) فى الأصل : « إلى » .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « عبد » .

(٣) بعده فى م ، ص : « بنو » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٤.

(٥) بعده فى الأصل : « بن قيقد » .

(٦) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٣٠.

(٧) فى ا ، ٩، م : « دعى » .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٤، ١٣٥.

(٩) فى ص : « حماد » .

المَرْوَةِ[1] ، فكان الوليدُ تَحَامَلَ على الحسينِ فى حقِّه لسُلطانِه ، فقال له الحسينُ : أحلِفُ باللَّهِ ، لَتُنْصِفَنِّى مِن حقِّى ، أو لَآخُذَنَّ سيفِى ، ثُم لأَقُومَنَّ فى مسجدِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم لأَدْعُوَنَّ بحِلْفِ الفُضولِ . قال : فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ - وهو عندَ الوليدِ حينَ قال له الحسينُ ما قال - : وأنا أحلِفُ باللَّهِ لَئِنْ دَعَا به ، لآخُذَنَّ سَيْفى ، ثُم لأَقُومَنَّ معه ، حتى يُنْصَفَ مِن حَقِّه أو نموتَ جميعًا . قال : وبَلَغتِ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ بنِ نَوْفَلٍ الزُّهْرِىَّ ، فقال مِثْلَ ذلك . وبلغتْ عبدَ الرحمنِ بنَ عثمانَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ التَّيْمِىَّ ، فقال مثلَ ذلك . فلمّا بلغ ذلك الوليدَ ابنَ عُتبةَ ، أَنصفَ الحسينَ مِن حقِّه ، حتى رَضِىَ .

---

(١) ذو المروة : قرية بوادى القرى ، وقيل : بين خشب ووادى القرى .

(١) فصلٌ فى (١) تزويجِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ

قال ابنُ إسحاقَ (٢) : وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ امْرأةً تاجِرةً، ذاتَ شَرَفٍ ومالٍ، تَستأجِرُ الرِّجالَ على مالِها مُضارَبَةً، فلمَّا بلَغَها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، ما بلَغَها؛ مِن صِدْقِ حديثِه، وعِظَمِ أمانتِه، وكَرَمِ أخلاقِه، بعثَتْ إليه، فعَرَضَتْ عليه أن يَخْرُجَ لها فى مالِها تاجرًا إلى الشامِ، وتُعْطِيَه أفضلَ ما تُعْطِى غيرَه مِن التُّجّارِ، مع غُلامٍ لها يقالُ له: مَيْسَرةُ. فقَبِلَه رسولُ اللَّهِ ﷺ، مِنها، وخرَجَ فى مالِها ذلك، وخرَج معه غلامُها مَيْسَرةُ، حتى نَزَلَ الشّامَ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى ظلِّ شَجَرَةٍ، قريبًا مِن صَوْمَعَةِ راهبٍ مِن الرُّهْبانِ، فاطَّلَع الرّاهِبُ إلى مَيْسَرَةَ، فقال: مَن هذا الرَّجلُ الذى نزلَ تحتَ الشَّجَرَةِ؟ فقال له (٣) مَيْسَرَةُ: هذا رَجُلٌ مِن قريشٍ مِن أهلِ الحَرَمِ. فقال له الرّاهبُ: ما نزلَ تحتَ هذه الشَّجَرةِ قطُّ (٤) إلَّا نبيٌّ. ثُم باع رسولُ اللَّهِ ﷺ، سِلْعَتَه - يَعْنِى تِجارَتَه - التى خرَج [٢/٢٥ ظ] بها، واشْتَرَى ما أرادَ أن يَشْتَرِىَ، ثُم أَقْبَلَ قافِلًا إلى مكةَ ومعه مَيْسَرَةُ، فكان مَيْسَرَةُ - فيما يَزْعُمون - إذا كانتِ الهاجِرَةُ واشْتَدَّ الحَرُّ، يَرَى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق من ص ٥٩ - ٦١، وسيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(٣) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٤) سقط من: م.

مَلَكَيْنِ يُظِلّانه مِن الشمسِ ، وهو يَسِيرُ على بَعِيرِه ، فلمّا قَدِم مَكَّةَ على خديجةَ بمالِها ، باعتْ ما جاء به فأَضْعَفَ أو قريبًا ، وحدَّثها مَيْسَرَةُ عن قولِ الرّاهبِ ، وعمّا كان يَرَى مِن إظْلَالِ المَلَكَيْنِ[1] إيّاه ، وكانت خديجةُ امرأةً حازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً ، مع ما أراد اللَّهُ بها مِن كرامَتِها ، فلمّا أَخْبَرَها مَيْسَرةُ بما أَخْبَرَها ، بَعَثتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالتْ له - فيما يَزْعُمون - : يا بنَ عمِّ ، إنِّى قد رَغِبْتُ فيكَ لِقَرابَتِكَ ، وسِطَتِك فى قومِك ، وأمانتِك ، وحُسْنِ خُلُقِكَ ، وصِدْقِ حديثِك . ثُم عرَضَتْ نفسَها عليه ، وكانت أَوْسَطَ نِساءِ قريشٍ نَسَبًا ، وأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا ، وأَكْثَرَهُنَّ مالًا ، كلُّ قومِها كان حريصًا على ذلك مِنها لو يَقْدِرُ عليه ، فلما قالت ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ذَكَر ذلك لأعمامِه ، فخرَجَ معه عمُّه حَمْزَةُ حتى دخَل على خُوَيلِدِ بنِ أَسَدٍ ، فخَطَبها إليه ، فتَزَوَّجَها ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

قال ابنُ هشامٍ[2] : فأصْدَقَها عشرينَ بَكْرَةً ، وكانت أَوّلَ امرأةٍ تَزَوَّجَها ، ولم يَتَزَوَّجْ عليها غَيْرَها حتى ماتت .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فوَلَدتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولَدَه كلَّهم - إلَّا إبراهيمَ - : القاسِمَ ، وكان به يُكْنَى ، والطَّيِّبَ والطَّاهِرَ[4] ، وزينبَ ، ورُقَيَّةَ ، وأُمَّ كُلْثُومٍ ، وفَاطمةَ .

---

(١) فى م : « الملائكة » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٦١، وسيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

قال ابنُ هشامٍ[1] : أكبرُهم القاسِمُ ، ثُم الطَّيِّبُ ، ثُم الطَّاهرُ ، وأكبرُ بناتِه رُقَيَّةُ ، ثُم زينبُ ؛ ثُم أمُّ كُلْثومٍ ، ثُم فاطمةُ .

قال البَيْهَقِيُّ[2] ، عن الحاكمِ : قَرَأْتُ بخَطِّ أبى بكرِ بنِ أبى خَيْثَمَةَ : حدَّثنا مُصْعَبُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِىُّ قال : أكبرُ ولدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، القاسمُ ، ثُم زينبُ ، ثُم عبدُ اللَّهِ ، ثُم أمُّ كُلْثُومٍ ، ثُم فاطمةُ ، ثُم رُقَيَّةُ . وكان أولَ مَن مات مِن وَلَدِه القاسمُ ، ثُم عبدُ اللَّهِ . وبلغتْ خديجةُ خَمْسًا وستِّين سَنَةً ، ويقالُ : خَمسين . وهو أصحُّ . وقال غيرُه[3] : بلغ القاسمُ أن يَرْكَبَ الدَّابَّةَ والنَّجِيبَةَ[4] ، ثُم ماتَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ . وقيل : مات وهو رضيعٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِى الجَنَّةِ يَسْتَكْمِلُ رَضَاعَه »[5] . والمعروفُ أنَّ هذا فى حقِّ إبراهيمَ .

وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[6] : حدثنا إبراهيمُ بنُ عثمانَ عن [7]الحكَمِ ، عن[7] مِقْسَمٍ[8] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ولَدَتْ خديجةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، غلامَيْنِ ، وأربعَ نِسْوةٍ ؛ القاسمَ ، وعبدَاللَّهِ ، وفاطمةَ ، وأُمَّ كُلْثومٍ ، وزينبَ ، ورُقَيَّةَ . وقال

---

(١) يشعر السياق هنا أن الطيب والطاهر اسمان ، وهما لقبان لعبد اللّه . راجع الروض الأنف ٢/ ٢٤٣، وزاد المعاد ١/ ١٠٣.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٧٠، ٧١.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٦٩.

(٤) النجيبة : خيار الإبل .

(٥) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٢٤٣. وعزاه للفريابى فى مسنده .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٠ ، عن يونس بن بكير به .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) فى الأصل ، م : « القاسم » .

الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : عبدُ اللَّهِ هو الطَّيِّبُ وهو الطَّاهِرُ ، سُمِّىَ بذلك ؛ لأنَّه وُلِد بعدَ النُّبوَّةِ . [2]قال ابنُ إسحاقَ[3] : فأمّا القاسمُ والطَّيِّبُ والطّاهِرُ[2] فماتوا قبلَ البِعْثَةِ ، وأما بناتُه فأدرَكْنَ البِعثةَ ، ودَخَلْنَ فى الإسلامِ وهاجَرْنَ معه ﷺ . قال ابنُ هشامٍ[4] : وأما إبراهيمُ فمِن ماريةَ القِبْطِيَّةِ ، التى أهداها له المُقَوْقِسُ صاحبُ إسكَنْدَرِيَّةَ [5]مِن حَفْنٍ[6][5] مِن كُورَةِ أَنْصِنا[7] ، وسنتكلَّمُ على أزواجِه [٢/٢٦و] وأولادِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى بابٍ مُفْرَدٍ لذلك ، فى آخرِ السيرةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ .

قال ابنُ هشامٍ[8] : وكان عمُرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ تَزَوَّجَ خديجةَ ، خمسًا وعشرينَ سنةً ، فيما حدَّثنى غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ؛ عن[9] أبى عمرٍو المَدَنِىِّ . وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[10] : كتبتُ عن إبراهيمَ بنِ المُنذِرِ ، حدَّثنى عمرُ بنُ أبى بكرٍ المَوْصِلِىُّ[11] ، حدَّثنى غيرُ واحدٍ أن عمرَو بنَ أَسَدٍ زَوَّجَ خديجةَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعمرُه خمسٌ وعشرون سنةً ، وقريشٌ تَبْنى

---

(١) أخرج قوله ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣١/٣ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٩١.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) حفن : قرية من قرى الصعيد ، وقيل : ناحية من نواحى مصر .

(٧) أنصنا : مدينة من نواحى الصعيد على شرقى النيل .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(٩) فى النسخ : « منهم » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(١٠) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٦.

(١١) فى : الأصل ، م ، ص : « المؤملى » . وهو كذلك فى المعرفة والتاريخ . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر لسان الميزان ٤/ ٢٨٧.

الكعبةَ . وهكذا نقَل البَيْهقيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، أنَّه كان عمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ تزوَّجَ خديجةَ خمسًا وعشرينَ سنةً ، وكان عمرُها ، إذ ذاك ، خمسًا وثلاثين . وقيل : خمسًا وعشرينَ سنةً .

وقال البَيْهَقِيُّ[2] : بابُ ما كانَ يَشْتَغِلُ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قَبْلَ أن يَتَزوَّجَ خديجةَ :

أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبَرَنا أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أخبَرَنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عمرُو بنُ[3] يَحْيَى بنِ سعيدٍ القُرشيُّ ، عن جَدِّه سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِىَ غَنَمٍ » . فقال له أصحابُه : وأنت يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « وأنا رَعَيْتُها لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْقَرَارِيطِ » . رواه البخاريُّ[4] ، عن أحمدَ بنِ محمدٍ المكِّيِّ ، عن [5]عمرِو بنِ[5] يَحْيَى به . ثُم رَوَى البيهقيُّ[6] ، مِن طريقِ الرَّبيعِ بن بَدْرٍ ، وهو ضعيفٌ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « آجَرْتُ نَفْسِى مِن خَدِيجَةَ سَفْرَتَيْنِ بِقَلُوصٍ » . وروى البيهقيُّ[7] ، مِن طريقِ حمّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن عمّارِ بنِ أبى عمّارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ؛ أنَّ أبا خَدِيجةَ زَوَّجَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو - أظنُّه قال - سَكْرانُ . ثُم قال

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٧٢.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٦٥.

(٣) بعده فى : الأصل ، م ، ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٩٤.

(٤) البخارى (٢٢٦٢) .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) الدلائل للبيهقى ٢/ ٦٥، ٦٦.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٧٣.

البَيْهقىُّ[1] : أخبرَنَا أبو الحُسينِ بنُ الفَضْلِ القَطَّانُ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، قال : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، حدَّثنى عُمَرُ بنُ أبى بكرٍ المَوْصِلِىُّ[2] ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى عُبَيْدَةَ[3] بنِ محمدِ بنِ عمَّارِ ابنِ ياسرٍ ، عن أبيهِ ، عن مِقْسَمٍ[4] أبى القاسمِ مَوْلَى عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ؛ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ حدَّثه ، أنَّ عمَّارَ بنَ ياسرٍ كان إذا سمِعَ ما يَتَحَدَّثُ به الناسُ عن تزويجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ خَدِيجةَ ، وما يُكْثِرُون فيه ، يَقُولُ : أنا أعْلَمُ الناسِ بِتَزْوِيجِه إيَّاها ، إنِّى كنتُ له تِرْبًا ، وكنتُ له إِلْفًا وخِدْنًا[5] ، وإنِّى خَرجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ذاتَ يومٍ ، حتَّى إذا كُنَّا بالحَزْوَرَةِ[6] أجَزْنا على أُخْتِ خَدِيجةَ ، وهى جالسةٌ على أَدَمٍ تَبِيعُها ، فنادتْنِى فانْصَرفتُ إليها ، ووَقَف لى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : أما بصاحِبِك هذا مِن حاجةٍ فى تزويجِ خديجةَ ؟ قال عَمَّارٌ : فرَجَعْتُ إليهِ فأخبرتُه ، فقال : « بَلَى لَعَمْرِى » . فذكرتُ لها قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : اغدُوَا علينا ، إذا أصبَحْنا . فغَدَوْنا عليهم ، فوجَدْنَاهم قد ذَبَحوا بَقَرةً وألْبَسوا أبا خَدِيجةَ حُلَّةً ، وصُفِّرتْ لحيَتُه ، وكلَّمتْ أخَاها ، فكلَّم أباه ، وقد سُقِىَ خَمْرًا ، فَذُكِرَ له

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٧١، ٧٢. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٢١: فيه عمر بن أبى بكر، وهو متروك .

(٢) فى الأصل، م، ص : « المؤملى » . وفى ا ٩: « الديلى » . والمثبت من الدلائل .

(٣) فى النسخ : « عبيد » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٢ .

(٤) بعده فى : الأصل، م : « بن » .

(٥) الخدن : الصديق .

(٦) الحزورة : كانت سوق مكة، ودخلت فى المسجد لما زيد .

رسولُ اللَّهِ ﷺ ، و[1] مكانُه ، وسَأَله[2] أن يُزَوِّجَه ، فزوَّجَه خديجةَ ، وصَنَعوا مِن البقرةِ طعامًا ، فأَكَلْنا منه ، ونام أبوها ، ثُم اسْتَيقَظَ صاحِيًا ، فقال : ما هذه الحُلَّةُ ، وهذه[3] النَّقِيعةُ[4] ، وهذا الطَّعامُ ؟ فقالتْ له ابنتُه التى كانت قد كلَّمتْ عَمَّارًا : هذه حُلَّةٌ كَساكَها محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، خَتَنُك ، وبقرةٌ أَهْداها لك ، فذَبَحْنَاها حينَ زوَّجْتَه خَدِيجةَ . فأنْكَر أن يَكُونَ زوَّجَه ، وخَرَج يَصِيحُ حتى جاء الحِجْرَ ، وخرج بنو هاشمٍ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاءُوه فكَلَّموه ، فقال : أين صاحِبُكم الذى[5] تَزْعُمونَ أنِّى زوَّجتُه خَدِيجةَ ؟ فبرَز له رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا نَظَرَ إليه ، قال : إن كنتُ زوَّجتُه ، فسبيلُ ذاك ، وإن لم أَكُنْ فعلتُ ، فقد زوَّجتُه .

وقد ذكَر الزُّهرىُّ فى « سِيَرِه » ، أنَّ أباها زوَّجها منه ، وهو سَكْرانُ ، وذكَر نحوَ ما تقدَّم . حكاه السُّهَيْلِىُّ[6] . قال المَوْصِلِىُّ[7] : المُجْتَمَعُ عليه ، أنَّ عَمَّها عَمرَو بنَ أَسَدٍ هو الذى زَوَّجها منه . وهذا هو الذى رَجَّحه السُّهَيْلِىُّ[8] . وحكاه عن ابنِ عباسٍ ، وعائشةَ ؛ قالت : وكان خُوَيْلِدٌ قد[9] مات قبلَ الفِجَارِ ،

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، م : « سألته » .

(٣) فى م : « وما هذه » .

(٤) فى الأصل ، م : « الصفرة » . والنقيعة : طعام للرجل ليلة عرسه .

(٥) فى الأصل ، ص : « الذين » .

(٦) فى الروض الأنف ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٧) فى النسخ : « المؤملى » . والمثبت من الدلائل للبيهقى ٢/ ٧٢. حيث عاد المصنِّف هنا إلى سياق ما رواه البيهقى ، بعد أن ذكر ما حكاه السهيلى .

(٨) رجحه السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٢٣٨. وحكاه عن ابن عباس وعائشة ٢/ ٢٣٩. وانظر أيضًا تاريخ الطبرى ٢/ ٢٨٢.

(٩) سقط من : م .

وهو الذى نازعَ تُبَّعًا ، حينَ أراد أَخْذَ الحَجَرِ الأَسْودِ إلى اليمنِ ، فقام فى ذلك خُوَيْلِدٌ ، وقام معه جماعةٌ مِن قريشٍ ، ثُم رَأَى تُبَّعٌ فى منامِه ما رَوَّعَه ، فنَزَعَ عن ذلك ، وتَرَك الحَجَرَ الأَسوَدَ مكانَه .

وذكَر ابنُ إسحاقَ[1] فى آخرِ « السِّيرةِ » : أنَّ أخاها عمرَو بنَ خُوَيْلِدٍ ، هو الذى زوَّجها رسولَ اللَّهِ ﷺ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٦٤٣.

فَصْـلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كانتْ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ذكَرتْ لِورقةَ بنِ نوفَلِ ابنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ - وكان ابنَ عمِّها ، وكان نَصرانِيًّا قد تَتَبَّعَ الكُتُبَ ، وعَلِمَ مِن عِلْمِ النَّاسِ - ما ذَكَرَ لها غلامُها مِن قولِ الرَّاهبِ ، وما كان يَرَى منه إذْ كان الملَكَانِ يُظِلَّانِه ، فقال ورقةُ : لَئِنْ كان هذا حقًّا يا خَدِيجةُ ؛ إنَّ محمدًا لَنبيُّ هذِه الأُمَّةِ ، قد عرَفْتُ أنَّه كائنٌ لهذه الأُمَّةِ نبيٌّ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانُه . أو كما قال . فجعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الأَمْرَ ، ويَقُولُ : حتّى متَى[2] ؟ وقال فى ذلك :

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذِّكرَى لَجُوجَا ... لِهَمٍّ طالَمَا[3] بعَثَ النَّشِيجَا[4]

وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِى يا خَدِيجَا

بِبَطْنِ المكَّتَيْنِ على رَجَائِى ... حَديثَكِ أن أَرَى مِنْهُ خُروجَا

بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ... مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أن يَعُوجَا

بأنَّ محمدًا سَيَسُودُ فِينا[5] ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ له حَجِيجَا

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٩١.

(٢) فى ص : « مات » .

(٣) بعده فى النسخ : « ما » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٩١.

(٤) النشيج : البكاء مع صوت .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « قوما » . وفى ا ٩: « يوما » .

ويُظْهِرُ فى البِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ يُقِيمُ[1] بِهِ البَرِيَّةَ أَنْ تَموجَا[2]

فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُه فُلُوجَا[3] [٢/٢٧و]

فيا لَيْتِى إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا

وُلُوجًا فِى الَّذِى كَرِهَتْ قُرَيْشٌ وَلَوْ عَجَّتْ بمكَّتِهَا عَجِيجَا[4]

أُرَجِّىَ بِالَّذِى كَرِهُوا جَمِيعًا إِلَى ذِى الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا

وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ البُرُوجَا

فإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ يَكُنْ أُمُورٌ يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا

وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى مِنَ الأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَا[5]

وقال ورقةُ أيضًا، فيما روَاه يُونُسُ بنُ بُكَيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[6] عنه:

أَتُبْكِرُ أَمْ أَنْتَ العَشِيَّةَ رَائِحُ وَفِى الصَّدْرِ[7] مِنْ إِضْمَارِكَ الحُزْنَ قَادِحُ

لِفُرْقَةِ قَوْمٍ لَا أُحِبُّ فِرَاقَهُمْ كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ

وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ يُخَبِّرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِحُ

---

(١) فى الأصل، م: «يقوم».

(٢) تموج: تضطرب.

(٣) الفلوج: الظهور على الخصم والعدو.

(٤) عجت: ارتفعت أصواتها.

(٥) فى الأصل، م، ص: «خروجا». ومتلفة حروجا، أى متلفة ذات حرج. والحرج هو أضيق الضيق.

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ٩٤، ٩٥.

(٧) فى الأصل: «الحزن».

فَتاكِ[1] الذى وَجَّهْتِ يا خَيْرَ حُرَّةٍ ... بِغَوْرٍ[2] وبِالنَّجْدَيْنِ[3] حَيْثُ الصَّحَاصِحُ[4]

إلى سُوقِ بُصْرَى فى[5] الرِّكَابِ الَّتِى غَدَتْ ... وَهُنَّ مِنَ الأَحْمالِ قُعْصٌ[6] دَوَالِحُ[7]

فَيُخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بِعِلْمِهِ ... وَلِلْحَقِّ أَبْوَابٌ لَهُنَّ مَفَاتِحُ

بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ ... إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ[8]

وَظَنِّى بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا ... كما أُرسِلَ العَبْدَانِ هُودٌ وَصَالِحُ

وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ ... بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ

وَيَتْبَعُه حَيَّا لُؤَىٍّ وغالِبٍ ... شَبَابُهُمُ وَالْأَشْيَبُونَ الجَحَاجِحُ[9]

فَإِنْ أَبْقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ ... فإِنِّى به مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فَارِحُ

وَإِلَّا فَإِنِّى يَا خَدِيجَةُ فاعْلَمِى ... عَنَ ارْضِكِ فى الأَرْضِ العَرِيضَةِ سَائِحُ

وزاد الأُمَوِىُّ :

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص : « فذاك » . وفى م : « أتاك » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٢) غور : ما بين ذات عرق إلى البحر، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة، وموضع بديار بنى سليم .

(٣) النجدين : تثنية نجد، والنجد : قِفاف الأرض وصلابتها وما غلظ منها وأشرف . وقيل : نجد هو اسم للأرض العريضة التى أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام . انظر معجم البلدان ٤/ ٧٤٥، ٧٤٦.

(٤) الصحاصح : جمع صحصح، الأرض الجرداء المستوية .

(٥) فى الأصل، ا ٩، ص : « و » .

(٦) القعص : الموت السريع .

(٧) دَوالِح من دَلَح : أى مشى بحمله منقبض الخطو لثقله .

(٨) الأباطح : جمع أبطح، وهو المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار .

(٩) الجحاجح : جمع جَحْجَح وجَحْجاح، وهو السيِّد .

فَمُتَّبِعٌ دِينَ الَّذِى أَسَّسَ الْبِنَا وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ
وَأَسَّسَ بُنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا تَلَأْلَأُ فِيهِ بالظَّلَامِ المَصَابِحُ
مَثَابًا[1] لِأَفْنَاءِ[2] القَبَائِلِ كُلِّهَا تَخُبُّ[3] إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ[4] الطَّلَائِحُ[5]
حَرَاجِيجُ[6] أَمْثَالُ القِدَاحِ[7] مِنَ السُّرَى[8] يُعَلَّقُ فِى أَرْسَاغِهِنَّ السَّرَايِحُ[9]

ومِن شِعْرِه، فيما أوردَه أبو القاسمِ السُّهَيْلِىُّ فى «رَوْضِه»[10]:

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وقُلْتُ لَهُمْ أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَغْرُرْكُمُ أَحَدُ
لَا تَعْبُدُنَّ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ[11]
سُبْحَانَ ذِى الْعَرْشِ سُبْحَانًا يَدُومُ لَه[12] وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُودِىُّ وَالْجُمُدُ
مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لا يَنْبَغِى أَنْ يُنَاوِى مُلْكَهُ أَحَدُ
[٢/٢٧ ظ] لَا شَىءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الإِلَهُ وَيُودِى المالُ وَالْوَلَدُ

---

(١) المثاب: البيت، والملجأ، ومجتمع الناس.
(٢) الأفْناء من الناس: الأخلاط لا يُدرى من أىّ قبيلة هم.
(٣) تخبّ: تعدو.
(٤) اليعملات: جمع يَعْمَلَة، وهى الناقة النجيبة.
(٥) الطلائح: جمع طليح، وهو المُعْيى والمهزول والمجهود.
(٦) الحراجيج: جمع حُرْجُوج وحُرْجِيج، وهى الناقة الطويلة.
(٧) القداح: جمع قِدْح، وهو السهم قبل أن يُنصَّل ويُراش.
(٨) السُّرى: السير عامة الليل.
(٩) السرائح: نعال الإبل. وقيل: سيور نعالها.
(١٠) الروض الأنف ٢/ ٢٥٠.
(١١) فى الروض: «جدد»، والحَدَد، من الحد، وهو المنع، قال البغدادى فى الخزانة ٣/٣٨٩: أى نمنع أنفسنا من عبادة إله غير اللّه.
(١٢) سقط من: ص.

لم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزائِنُه وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا

وَلَا سُلَيْمَانُ إِذ تَجْرِى الرِّيَاحُ بِهِ وَالجِنُّ والإِنْسُ فِيمَا بَيْنَها مَرَدُ

أينَ المُلُوكُ الَّتِى كَانَتْ لِعِزَّتِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ

حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَذِبٍ لَا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كَما وَرَدُوا

ثُم قال : هكذا نَسَبه أبو الفَرَجِ[1] إلى وَرَقَةَ . قال[2] : وفيه أبياتٌ تُنْسَبُ إلى أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ .

قُلْتُ : وقد رُوِّينَا عن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه كان يَستشْهِدُ فى بَعْضِ الأَحْيَانِ بشىءٍ مِن هذِه الأبياتِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) يعنى أبا الفرج الأصفهانى ، فى كتابه الأغانى ٣/ ١٢١.

(٢) القائل هو السهيلى .

فَصْلٌ فى تَجديدِ قريشٍ بِناءَ الكعبةِ قبلَ المَبْعَثِ بخمسِ سنينَ

ذَكَرَ البَيْهَقِيُّ[1] بِناءَ الكعبةِ قبلَ تزويجِه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، خَدِيجةَ . والمشهورُ أنَّ بِناءَ قريشٍ الكعبةَ بعدَ تزويجِ خَدِيجةَ ، كما ذكَرْناه ، بعَشْرِ سنينَ . ثُم شَرَعَ البَيْهَقِيُّ فى ذِكْرِ بِناءِ الكعبةِ فى زمنِ إبراهيمَ ، كما قدَّمْناه[2] فى قِصَّتِه ، وأوْرَد[3] حديثَ ابنِ عباسٍ المُتَقَدِّمَ[4] فى « صحيحِ البُخارىِّ » ، وذكَرَ[5] ما ورَدَ مِن الإِسْرَائِيلِيَّاتِ فى بِنائِه فى زَمَنِ آدمَ ، ولا يَصِحُّ ذلك ؛ فإِنَّ ظاهرَ القرآنِ يَقْتَضِى أنَّ إبراهيمَ أولُ مَن بناه مُبْتَدِئًا ، وأوَّلُ مَن أسَّسَه ، وكانتْ بُقْعَتُه مُعَظَّمَةً قبلَ ذلك ، مُعْتَنًى بها ، مُشَرَّفَةً فى سائرِ الأَعْصارِ والأَوْقاتِ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] . وثَبَتَ فى « الصحيحين »[6] ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ مسجِدٍ وُضِعَ أوَّلُ ؟ قال : « المَسْجِدُ الحَرَامُ » . قُلْتُ : ثُم أىٌّ ؟ قال : « المَسْجِدُ الأَقْصَى » . قلْتُ : كم بينَهما ؟ قال :

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٣.

(٢) تقدم ١/٣٧٧ - ٣٨٣.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/٤٦ - ٥٢.

(٤) تقدم ١/٣٥٧ وما بعدها.

(٥) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٤، ٤٥.

(٦) تقدم ٢/ ٣٤١.

« أَرْبَعُونَ سَنَةً » . وقد تَكَلَّمْنَا على هذا فيما تقدَّمَ ، وأنَّ المسجدَ الأَقْصَى أَسَّسَه إِسْرائِيلُ ، وهو يعقوبُ ، عليه السلامُ[1] . وفى « الصَّحِيحيْنِ »[2] : « إنَّ هذا البَلَدَ حَرَّمَه اللَّهُ يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ ، فهو حَرامٌ بحُرْمَةِ اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ » . وقال البَيْهَقِىُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ مِهْرَانَ ، حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدَّثَنا إِسْرائِيلُ ، عن أبى يَحْيَى ، عن مُجاهِدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو ، قال : كان البيتُ قبلَ الأَرضِ بأَلْفَىْ سَنَةٍ ، ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق : ٣] . قال : مِنْ تَحْتِه مَدًّا[4] . قال[5] : وقد تابعَه منصورٌ ، عن مُجاهِدٍ .

قلتُ : وهذا غريبٌ جدًّا ، وكأنَّه مِن الزَّامِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَصابَهما عبدُ اللَّهِ [٢/ ٢٨و] بنُ عمرٍو ، يومَ اليَرْمُوكِ ، وكان فيهما إسرائيلياتٌ ، يُحَدِّثُ منهما[6] ، وفيهما مُنكَراتٌ وغرائبُ .

ثُم قال البَيْهَقِىُّ[7] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو جَعْفرٍ محمدُ بنُ محمدِ[8] بنِ عبدِ اللَّهِ البَغْدادِىُّ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ عُثمانَ بنِ صالحٍ ، حدَّثَنا أبو

---

(١) تقدم ١/ ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) البخارى (٥٥٥٠) . مسلم (١٦٧٩) .

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٤. وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٥١٨.
قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٤) فى ا ٩، م : « مدت » .

(٥) أى البيهقى .

(٦) فى ا ٩، م ، ص : « منها » .

(٧) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٤، ٤٥.

(٨) بعده فى ا ٩، م ، ص : « بن محمد » .

صالحٍ الجُهَنِيُّ، حدَّثَنى ابنُ لَهِيعةَ، عن يَزِيدَ، عن[1] أبى الخَيْرِ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرِو بنِ العَاصِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ، فَقَالَ لَهُمَا: ابْنِيَا لِى بَيْتًا. فَخَطَّ لهما جِبْرِيلُ، فجَعَلَ آدَمُ يَحْفِرُ، وَحَوَّاءُ تَنْقُلُ، حَتَّى أَجَابَه الماءُ، نُودِىَ مِن تَحْتِهِ: حَسْبُكَ يَا آدَمُ. فَلَمَّا بَنَياه أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِ، وَقِيلَ له: أنت أَوَّلُ النَّاسِ، وَهَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ. ثُمَّ تَنَاسَخَتِ القُرُونُ، حتَّى حَجَّهُ نُوحٌ، ثُمَّ تَنَاسَخَتِ الْقُرُونُ، حَتَّى رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ منه».

قال البَيْهَقِيُّ: تَفَرَّدَ به ابنُ لَهِيعةَ، هكذا مرفوعًا.

قلتُ: وهو ضعيفٌ، ووَقْفُه على عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أقْوَى وأَثْبَتُ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الرَّبيعُ[2]: أنبأَنا الشافعيُّ، أنبأَنا سُفْيانُ، عن ابنِ أبى لَبِيدٍ، عن محمدِ ابنِ كعبٍ القُرَظِيِّ، أو غيرِه، قال: حَجَّ آدمُ، فَلَقِيَتْهُ الملائِكَةُ، فقالوا: بُرَّ نُسُكُكَ يا آدَمُ، لقد حَجَجْنَا قبلَكَ بألْفَىْ عامٍ.

وقال يُونسُ[3] بنُ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ: حدَّثنى بَقِيَّةُ، أو قال: ثِقَةٌ، مِن أهلِ المدينةِ، عن عُرْوَةَ بنِ الزبيرِ، أنَّه قال: ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد حَجَّ البيتَ، إلَّا ما كان مِن هودٍ وصالحٍ.

---

(١) فى النسخ: «بن». والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٢) ومن طريق الربيع، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥.

(٣) ومن طريق يونس، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥، ٤٦.

قلتُ : وقد قدَّمْنا حَجَّهما إليه . والمقصودُ الحجُّ إلى مَحَلِّهِ وبُقْعَتِه ، وإن لم يَكُنْ ثَمَّ بِنَاءٌ . واللَّهُ أعلمُ . ثُم أَوْرَد البَيْهَقِيُّ[1] حَديثَ ابنِ عبّاسٍ المتقدِّمَ ، فى قصةِ إبراهيمَ ، عليهِ السَّلامُ ؛ بِطُولِه وتَمامِه ، وهو فى « صحيحِ البخاريِّ » . ثُم رَوَى البَيْهَقِيُّ[2] ، مِن حديثِ سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، قال : سأَل رجلٌ عليًّا عن قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] ؛ أهو أوَّلُ بيتٍ بُنِىَ فى الأَرْضِ ؟ قال : لَا ، ولكنَّه أولُ بيتٍ وُضِعَ فيه البَرَكةُ[3] ، والهُدَى ، ومَقامُ إبراهيمَ ، ومَن دخَلَه كان آمِنًا ، وإنْ شِئتَ نبَّأْتُك كيف بِناؤُه ؛ إنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى إبراهيمَ : أنِ ابنِ لى بيتًا فى الأرضِ ، فضاقَ به ذَرْعًا ، فأَرْسَلَ إليه السَّكينةَ ، وهى رِيحٌ خَجُوجٌ[4] ، لها رأسٌ ، فاتَّبَع أحدُهما صاحبَه ، حتَّى انتهتْ ، ثُم تطوَّقَتْ فى مَوْضِعِ البيتِ تَطَوُّقَ الحيَّةِ ، فبنَى إبراهيمُ ، حتَّى إذا[5] بلَغَ مكانَ الحَجَرِ ، قال لابنِهِ : أبْغِنِى حَجَرًا . فالتمسَ حجرًا ، حتّى أَتاه به ، فوجَدَ الحَجَرَ الأَسْودَ قد رُكِّب ، فقال لأبيهِ : مِن أين لك هذا ؟ قال : جاء به مَن لا يَتَّكِلُ على بِنائِكَ ، جاء به جِبْرِيلُ مِن السَّماءِ ، فأَتَمَّه . قال : فمرَّ عليه الدَّهْرُ ، فانهدَمَ فبَنَتْهُ العَمالقةُ ، ثُم انهدَمَ فبَنَتْهُ جُرْهُمٌ ، ثُم انهدَمَ فَبَنَتْهُ قُريشٌ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومئذٍ رجلٌ شابٌّ ، فلمّا أرادوا أن يَرفَعوا الحجَرَ الأسوَدَ ، اختَصَمُوا فِيهِ ، فقالوا : يُحَكِّمُ بينَنَا أوَّلُ رجلٍ يَخرُجُ مِن هذه [٢/٢٨ظ] السِّكَّةِ . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أولَ مَن خَرَجَ

---

(١) تقدم ١/٣٥٧ وما بعدها .

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٥٥، ٥٦.

(٣) بعده فى م : « للناس » .

(٤) خجوج : شديدة .

(٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

عليهم ، فقَضَى بينَهم أن يَجْعَلُوه فى مِرْطٍ[1] ، ثُم تَرْفَعَه جميعُ القَبَائِلِ كلُّهم .

وقال أبو داودَ الطَّيَالِسِىُّ[2] : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، وقَيْسٌ ، وسَلَّامٌ ، كلُّهم عن سِمَاكِ بنِ حربٍ ، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : لمَّا انهَدَمَ البيتُ بعدَ جُرْهُمٍ بَنَتْهُ قريشٌ ، فلمَّا أَرادُوا وَضْعَ الحَجَرِ تَشاجَرُوا ؛ مَن يَضَعُه ؟ فاتَّفَقوا أن يَضَعَه أوَّلُ مَن يَدْخُلُ مِن[3] هذا البابِ ، فدخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مِن بابِ بنى شَيْبَةَ ، فأمَرَ بِثَوبٍ ، فوضَعَ الحجَرَ فى وَسَطِه ، وأمَرَ كلَّ فَخِذٍ أن يأخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِن الثَّوبِ ، فرَفَعوه ، وأخَذَه رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، فوضَعَه .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[4] : أخْبَرَنى أَصْبَغُ بنُ فَرَجٍ ، أخبرَنى ابنُ وَهْبٍ ، عن يُونُسَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : لمَّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، الحُلُمَ ، جَمَّرَتِ امْرأَةٌ الكعبةَ ، فطارتْ شَرارةٌ مِن مَجْمَرِها فى ثِيابِ[5] الكعبةِ ، فاحترقَتْ ، فهَدَموها ، حتَّى إذا بَنَوْها ، فبلَغُوا مَوْضِعَ الرُّكْنِ ، اختصَمَتْ قُريشٌ فى الرُّكْنِ ، أىُّ القبائلِ تَلِى رَفْعَهُ ؟ فقالوا : تَعالَوا نُحَكِّمْ أوَّلَ مَن يَطْلُعُ علينا . فطلَعَ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو غلامٌ عليه وِشَاحُ نَمِرَةٍ ، فَحَكَّمُوه ، فأمَرَ بالرُّكْنِ ، فَوُضِعَ فى ثَوْبٍ ، ثُم أَخْرَجَ سيِّدَ كلِّ قبيلةٍ ، فأَعطاه ناحيةً مِن الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْتَقَى هو ، فرَفَعوا إليه الرُّكْنَ ، فكان هو يَضَعُه ، فكان لا يَزْدَادُ على السِّنِّ إلَّا رِضًا ، حتَّى دَعَوْه الأَمِينَ ، قبلَ أن ينزِلَ عليه الوَحْىُ ، فطَفِقوا لا يَنْحَرون جَزُورًا ؛ إلَّا الْتَمَسُوه ،

---

(١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « مربط » . والمرط : كساء من صوف أو خَزٍّ .

(٢) ومن طريق أبى داود الطيالسى ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٧.

(٣) سقط من : ص .

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٥) فى الأصل : « باب » .

فيَدْعو لهم فيها .

وهذا سِياقٌ حَسَنٌ ، وهو مِن « سِيَر الزُّهْرِىِّ » ، وفيه مِن الغرابةِ قَولُه : فلمَّا بلَغَ الحُلُمَ . والمشهورُ أنَّ هذا كان ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، عُمُرُه خمسٌ وثلاثونَ سنَةً ، وهو الذى نصَّ عليه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[1] ، رحِمَه اللَّهُ .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[2] : كان بِناءُ الكعبةِ قبلَ المَبْعَثِ بخمسَ عَشْرةَ سنَةً . وهكذا قال مجاهدٌ ، وعُرْوَةُ ، ومحمدُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، وغيرُهم[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال موسى بنُ عُقبةَ[4] : كان بينَ الفِجارِ وبينَ بِنَاءِ الكَعْبةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً .

قلتُ : وكان الفِجارُ وحِلْفُ الفُضُولِ فى سنَةٍ واحدةٍ ، إذ كان عُمُرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، عِشْرِينَ سنةً . وهذا يُؤَيِّدُ ما قال محمدُ بنُ إسحاقَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال موسى بنُ عُقبةَ[5] : وإنَّما حَمَلَ قُريشًا على بِنائِها ، أَنَّ السُّيولَ كانتْ تَأْتِى مِن فوقِها ، مِن فوقِ الرَّدْمِ الذى صَنَعوه[6] فخرَّ بِهِ ، فخافوا أنْ يَدْخُلَها الماءُ ، وكان رَجُلٌ يُقالُ له : مُلَيْحٌ ، سَرَق طِيبَ الكَعْبةِ ، فأرادوا أن يَشِيدُوا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٨٤، ٨٨.

(٢) أخرجه البيهقى ، عن موسى بن عقبة فى الدلائل ٢/٥٨ - ٦١.

(٣) قول مجاهد أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٦٢. وقول عروة ومحمد بن جبير وغيرهما ، أشار إليهم البيهقى فى الموضع نفسه .

(٤) أخرجه البيهقى ، عن موسى بن عقبة فى الدلائل ٢/ ٥٨.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٥٨، ٥٩.

(٦) فى م ، ص : « صفوه » .

بُنْيانَها ، وأن يَرفَعُوا بابَها ، حتَّى لا يَدْخُلَها إلَّا مَن شاءُوا ، فأعَدُّوا لذلك نَفَقَةً وعُمَّالًا ، ثُم غَدَوْا إليها لِيَهْدِمُوها ، على شَفَقٍ وحَذَرٍ أن يَمْنَعَهم اللَّهُ[1] [٢/٢٩و] الذى أَرادوا ، فكان أولَ رَجُلٍ طَلَعها وهدَمَ منها شَيْئًا ، الوليدُ بنُ المُغِيرةِ ، فلمّا رأَوُا الذى فعَلَ الوليدُ ، تَتابَعُوا فوَضَعوها ، فأعجَبَهُم ذلك . فلمّا أرادوا أن يأخُذُوا فى بُنْيَانِها ، أحْضَروا عُمَّالَهم ، فلمْ يَقْدِرْ رجلٌ منهم أن يَمْضِىَ أمَامَه مَوْضِعَ قَدَمٍ ، فزعَمُوا أنَّهم رأَوْا حَيَّةً قد أحاطتْ بالبيتِ ، رأسُها عندَ ذَنَبِها ، فأشْفَقوا منها شَفَقَةً شديدةً ، وخَشَوْا أن يَكونوا قد وَقَعُوا مِمّا عَمِلوا فى هَلَكَةٍ . وكانتِ الكعبةُ حِرْزَهم ، ومَنَعَتَهُم مِن[2] الناسِ ، وشَرَفًا لهم ، فلمَّا سُقِطَ فى أيدِيهم ، والتبَسَ عليهم أمرُهم ؛ قام فيهم المُغِيرةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ مخزومٍ ، فذَكَر ما كان مِن نُصْحِه لهم ، وأمْرِه إياهم ؛ أن لا يتَشاجَرُوا ، ولا يَتحاسَدُوا فى بِنائِها ، وأن يَقْتَسِموها أرْباعًا ، وأن لا يُدْخِلوا فى بِنائِها مالًا حرامًا ، وذكَر أنَّهم لمّا عَزَمُوا على ذلك ، ذهَبتِ الحيَّةُ فى السَّماءِ ، وتغيَّبَتْ عنهم ، ورَأَوْا أنَّ ذلك مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . قال : ويَقولُ بعضُ النَّاسِ : إنَّه اختطَفَها طائرٌ ، وألْقَاها نحوَ أَجْيادٍ[3] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[4] : فلمَّا بَلَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خَمْسًا وثلاثينَ سَنَةً ، اجتمَعَتْ قُريشٌ لبُنيانِ[5] الكعبةِ ، وكانوا يَهُمُّون[6] بذلك ؛

---

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٢) فى الأصل ، ا ٩ : « فى » .

(٣) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « جياد » . وأجياد : أرض بمكة أو جبل بها .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٥) فى م : « بناء » .

(٦) فى الأصل : « يهتمون » .

لِيَسْقُفُوها ، ويَهابُونَ هَدْمَهَا ، وإنَّما كانتْ رَضَمًا[1] فوقَ القامَةِ ، فأَرادوا رفْعَها وتَسْقِيفَها ؛ وذلك أَنَّ نَفَرًا سَرقوا كَنْزَ الكعبةِ ، وإنَّما كان فى بِئْرٍ فى جَوْفِ الكعبةِ ، وكان الذى وُجِدَ عندَه الكَنْزُ ، دُوَيْكًا مولًى لبنى مُلَيْحِ بنِ عمرِو بنِ خُزَاعَةَ ، فقطعَتْ قريشٌ يدَه . وتَزْعُمُ قريشٌ أنَّ الذين سرَقوه وضَعوه عندَ دُوَيْكٍ . وكان البَحْرُ قد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدَّةَ لرجُلٍ مِن تُجَّارِ الرُّومِ ، فتَحَطَّمتْ ، فأخَذُوا خشَبَها ، فأعَدُّوه لتَسْقِيفِها . قال الأُمَوىُّ : كانتْ هذه السَّفينةُ لِقَيْصَرَ ملِكِ الرُّومِ ، تحمِلُ آلاتِ البِناءِ ؛ مِن الرُّخامِ ، والخشَبِ ، والحديدِ ، سَرَّحها قَيْصَرُ مع باقومَ الرُّومىِّ إلى الكَنِيسةِ التى أحْرَقَها الفُرْسُ للحَبَشَةِ ، فلمَّا بلَغَتْ مَرْساها مِن جُدَّةَ ، بعَثَ اللَّهُ عليها رِيحًا فحَطَّمَتْها .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان بمكَّةَ رجلٌ قِبْطِىٌّ نجَّارٌ ، فتهيَّأَ لهم فى أنفُسِهم بعضُ ما يُصْلِحُها ، وكانتْ حيَّةٌ تَخْرُجُ مِن بِئْرِ الكعبةِ - التى كانتْ يُطْرَحُ فيها ما يُهْدَى إليها كلَّ يومٍ - فتَتَشَرَّقُ[3] على جِدارِ الكعبةِ ، وكانتْ مِمَّا يَهَابُون ، وذلك أنَّه كان لا يَدْنُو مِنها أحَدٌ إلا احْزَأَلَّتْ[4] ، وكشَّتْ[5] ، وفتَحَتْ فاها ، فكانوا يَهابونَها ، فبينَما هى يومًا تُشْرِفُ على جِدارِ الكعبةِ كما كانتْ تَصْنَعُ ، بعَثَ اللَّهُ إليها[6] طائرًا فاخْتَطَفَها فذهَبَ بها فقالتْ قريشٌ : إنَّا لَنَرْجُو أن يكونَ

---

(١) الرضم : الصخور ، جمع رَضمة .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٣.

(٣) فى النسخ : « فتشرف » . والمثبت من سيرة ابن هشام.
وتتشرق : تبرز للشمس .

(٤) احزألت : رفعت رأسها .

(٥) كشت : صوَّت جلدها إذا احتك بعضه ببعض ، وصوتت من فمها .

(٦) فى الأصل ، م : « عليها » .

اللَّهُ تعالى قد رَضِى ما أردْنا ، عندَنا عاملٌ رقيقٌ ، وعندَنا خَشَبٌ ، وقد كفَانا اللَّهُ الحيَّةَ .

وحَكَى السُّهَيْلِىُّ[1] ، عن رَزِينٍ : أنَّ سارِقًا دخَلَ الكعبةَ فى أيامِ جُرْهُمٍ ؛ لِيَسْرِقَ كَنْزَها ، فانْهارَ البِئْرُ عليه ، حتَّى جاءوا ، فأخْرجُوه ، [٢/٢٩ظ] ، وأخَذُوا منه ما كان أخَذَه ، ثُم سكنَتْ هذه البِئْرَ حيَّةٌ ، رأْسُها كرأْسِ الجَدْيِ ، وبطنُها أَبْيضُ ، وظهرُها أَسْودُ ، فأقامتْ فيها خَمْسَمائَةِ عامٍ . وهى التى ذَكَرَها محمدُ ابنُ إسحاقَ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : فلما أجْمَعوا أمرَهم لهدْمِها ، وبُنْيانِها ، قام أبو وَهْبِ عمرُو بنُ عائذِ[3] بنِ عبدِ بنِ عِمْرانَ بنِ مخزومٍ - وقال ابنُ هِشامٍ : عايذُ ابنُ عِمْرانَ بنِ مخزومٍ - فتَناوَلَ مِنَ الكعبةِ حَجَرًا ، فوثَبَ مِن يدِه ، حتى رجَعَ إلى موضِعِه ، فقال : يا معشرَ قريشٍ ، لا تُدْخِلُوا فى بُنْيانِها مِن كَسْبِكم إلا طَيِّبًا ؛ لا يَدْخُلُ فيها مَهْرُ بَغِىٍّ ، ولا بيعُ رِبًا ، ولا مَظْلِمةُ أحدٍ مِنَ النَّاسِ . والنَّاسُ يَنْحَلون هذا الكلامَ الوليدَ بنَ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[4] بنِ مخزومٍ . ثُم رجَّحَ ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ قائلَ ذلك أبو وَهْبِ بنُ عمرٍو . قال : وكان خالَ أبى النبىِّ ﷺ ، وكان شريفًا مُمَدَّحًا .

---

(١) الروض الأنف ٢/ ٢٧٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « عايد » .

(٤) فى النسخ « عمرو » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٨٤، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ قريشًا تجزَّأَتِ الكَعْبَةَ ؛ فكان شِقُّ البابِ لِبَنى عبدِ مَنافٍ ، وزُهْرةَ ، وما بينَ الرُّكْنِ الأَسودِ والرُّكْنِ اليَمَانِىِّ لِبَنى مخزومٍ وقبائلَ مِن قريشٍ انْضَمُّوا إليهم ، وكان ظَهْرُ الكعبةِ لِبَنى جُمَحَ وسَهْمٍ ، وكان شِقُّ[2] الحِجْرِ لِبَنى عبدِ الدارِ بنِ قُصَىٍّ ولِبَنى أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، ولِبَنى عَدِىِّ بنِ كَعْبٍ ، وهو الحَطِيمُ . ثُم إنَّ النّاسَ هابوا هَدْمَها ، وفَرِقوا منه ، فقال الوليدُ بنُ المغيرةِ : أنا أَبْدَؤُكم فى هَدْمِها . فأخَذَ المِعْوَلَ ثُم قام عليها ، وهو يَقولُ : اللَّهمَّ لم تُرَعْ ، اللَّهمَّ إنَّا لا نُريدُ إلا الخَيْرَ . ثُم هَدَم مِن ناحيةِ الرُّكْنَيْنِ ، فتَرَبَّصَ الناسُ تلك الليلةَ ، وقالوا : نَنظُرُ ؛ فإن أُصِيبَ لم نَهدِمْ منها شيئًا ، وردَدْناها كما كانتْ ، وإن لم يُصِبْه شَىءٌ ؛ فقد رضى اللَّهُ ما صَنَعْنا مِن هَدْمِها . فأَصْبَحَ الوليدُ غادِيًا على عَملِه فهدَم ، وهدَمَ النَّاسُ معه ، حتَّى إذا انتَهى الهَدْمُ بِهِم إلى الأساسِ - أساسِ إبراهيمَ ، عليهِ السَّلامُ - أَفْضَوا إلى حِجارةٍ خُضْرٍ كالأَسِنَّةِ[3] آخذٍ بعضُها بعضًا ، ووقَع فى « صحيحِ البخارىِّ »[4] ، عن يزيدَ بنِ رُومانَ : كأَسْنِمَةِ الإبِلِ . قال السُّهَيْلِىُّ[5] : وأَرَى رِوَايةَ « السيرةِ » : كالأَسِنَّةِ[6] وَهْمًا . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : فحدَّثَنى بعضُ مَن يَرْوِى الحَدِيثَ ، أنَّ رَجُلًا مِن قريشٍ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٨٥، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥.

(٢) الشق : الناحية والجانب .

(٣) الأسنة : جمع سِنان ، وهو نصل الرمح .

(٤) البخارى (١٥٨٦) .

(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٨١.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « كالألسنة » .

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٨٥، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥، ١٩٦.

مِمَّن كان يَهدِمُها ، أدخَلَ عَتَلَةً بينَ حجرَيْنِ منها ؛ ليقْلَعَ بها أحدَهما ، فلمَّا تحرك الحَجَرُ تَنَقَّضَت[1] مكةُ بأَسْرِها ، فانتَهَوْا عن ذلك الأساسِ .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[2] : وزعَم عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ ، أنَّ أوَّلِيَّةَ قريشٍ كانوا يُحَدِّثون ، أنَّ رِجالًا[3] مِن قريشٍ لمّا اجْتَمَعُوا ليَنْزِعوا الحِجارَةَ ، و[4] انتَهَوا[5] إلى تَأْسِيسِ إبراهيمَ وإسماعيلَ ، عليهما السلامُ ، عَمَدَ رجُلٌ مِنهم إلى حَجَرٍ مِن الأساسِ الأوَّلِ فرفَعَه ، وهو لا يَدْرِى أنَّه مِن الأساسِ الأوَّلِ ، فأبصَرَ القومُ بَرْقَةً تحتَ الحَجَرِ ، كادَتْ تَلْتَمِعُ بصَرَ الرَّجُلِ ، ونَزَا الحجَرُ مِن يدِه ، فوقَع فى موضِعِه ، وفَزِعَ الرجلُ والبُناةُ ، فلمّا سَتَرَ الحَجَرُ عنهم ما تحتَه[6] ، عادوا إلى بُنْيانِهم ، وقالوا : لا تُحَرِّكوا هذا الحجَرَ ، ولا شيئًا بحِذائِه .

[٣٠/٢و] قال ابنُ إسحاقَ[7] : وحُدِّثْتُ أنَّ قريشًا وجَدُوا فى الرُّكنِ كِتابًا بالسُّرْيَانِيَّةِ ، فلم يَدْرُوا ما هو ، حتَّى قرَأَه لهم رَجُلٌ مِن يَهُودَ ، فإذا هو : أنا اللَّهُ ذو بَكَّةَ ، خَلَقْتُها يومَ خلَقْتُ السَّماواتِ والأرضَ ، وصوَّرْتُ الشمسَ والقمرَ ، وحَفَفْتُها بسبعةِ أمْلاكٍ حُنَفاءَ ، لا تزولُ حتَّى يزولَ أَخْشَباها - قال ابنُ هِشامٍ : يَعْنِى جَبَلاها - مُبارَكٌ لأهلِها فى الماءِ واللَّبَنِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « انتفضت » . وفى ا ٩ : « اضطربت » . وتنقضت : اهتزت .

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٦٠، ٦١.

(٣) فى النسخ : « رجلا » . والمثبت من الدلائل .

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل ، م ، ص : « إلى مكانه » .

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٨٦، وسيرة ابن هشام ١/ ١٩٦.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحُدِّثْتُ أنَّهم وجَدوا فى المَقَامِ كِتابًا فيه : مكَّةُ اللَّهِ الحَرَامُ ، يَأْتِيها رِزْقُها مِن ثَلاثَةِ سُبُلٍ ، لا يُحِلُّها أوَّلُ مِن أهلِها . قال[2] : وزعَم لَيْثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ ، أنَّهم وجَدُوا فى الكعبةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النبىِّ ﷺ ، بأَرْبعينَ سنَةً - إن كان ما ذُكِر حقًّا - مكتوبًا فيه : مَن يَزْرَعْ خيرًا يَحْصُدْ غِبْطَةً ، ومَن يَزْرَعْ شَرًّا يَحْصُدْ نَدَامةً ، تَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ وتُجْزَوْنَ الحسَناتِ ! أَجَل ، كما لا[3] يُجْتَنى مِن الشَّوْكِ العِنَبُ .

وقال سعيدُ بنُ يَحْيَى الأُمَوىُّ : حدَّثَنا مُعَمَّرُ[4] بنُ سُلَيمانَ الرَّقِّىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بِشْرٍ عن[5] الزُّهْرِىِّ[6] ، يَرْفَعُ الحديثَ إلى النبىِّ ﷺ ، قال : « وُجِدَ فِى المَقَامِ ثلاثةُ أَصْفُحٍ ؛ فى الصَّفْحِ الأوَّلِ : إنِّى أنا اللَّهُ ذو بَكَّةَ ، صَنَعْتُها يومَ صنَعْتُ الشمسَ والقمرَ ، وحَفَفْتُها بسبعةِ أملاكٍ حُنَفَاءَ ، وبارَكْتُ لِأَهْلِها فى اللَّحمِ واللَّبَنِ . وفى الصَّفْحِ الثانى : إنِّى أنا اللَّهُ ذو بَكَّةَ ، خلَقْتُ الرَّحِمَ ، وشقَقْتُ لها مِن اسمى ، فمَن وصَلَها وَصَلْتُه ، ومَن قَطَعَها بَتَتُّه . وفى الصَّفْحِ الثالثِ : إنِّى أنا اللَّهُ ذو بكَّةَ ، خلَقْتُ الخيرَ والشَّرَّ وقَدَّرْتُه ، فطُوبَى لِمَن أَجْرَيْتُ الخيرَ على يَدَيْهِ ، ووَيْلٌ لمَن أَجْرَيْتُ الشَّرَّ على يديْهِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم إنَّ القبائلَ مِن قريشٍ جَمَعَت الحِجارةَ لِبنائِها ، كلُّ

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٦.

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « المعتمر » .

(٥) سقط من : الأصل ، م . وانظر التهذيب ٢٨/ ٣٢٦.

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٢١٩) من حديث الزهرى بنحوه ، وانظر المطالب العالية ١/ ٣٣٥.

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٨٦ - ٨٨، سيرة ابن هشام ١٩٦ - ١٩٨.

قبيلةٍ تَجْمَعُ على حِدَةٍ ، ثُم بَنَوْها ، حتَّى بلَغَ البُنيانُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ[1] ، فاختَصَمُوا فيه ، كلُّ قبيلةٍ تُرِيدُ أن تَرْفَعَه إلى مَوْضِعِه دُونَ الأُخْرَى ، حتَّى تَحَاوَزوا[2] و[3] تَحالَفوا ، وأعَدُّوا للقِتالِ ، فقرَّبَتْ بنو عبدِ الدارِ جَفْنَةً مملوءةً دمًا ، ثُم تَعاقَدُوا هم وبنو عَدِيِّ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ على الموتِ ، وأَدْخَلُوا أيدِيَهم فى ذلك الدَّمِ ، فى تلك الجَفْنَةِ ، فَسُمُّوا لَعَقَةَ[4] الدَّمِ . فمَكَثَتْ قريشٌ على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمسًا ، ثُم إنَّهم اجتَمَعُوا فى المَسْجِدِ ، فتَشَاوَروا ، وتَناصَفوا . فزعَمَ بعضُ أهلِ الرِّوايةِ أنَّ أبا أُمَيَّةَ بنَ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[5] بنِ مخزومٍ - وكان عامَئِذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها - قال : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، اجْعَلُوا بينَكم فيما تَختلِفُون فيه ، أوَّلَ مَن يَدْخُلُ مِن بابِ هذا المَسْجِدِ ، يَقْضِى بينَكم فيه . ففعَلُوا ، فكان أَولَ داخلٍ دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رأَوْه قالوا : هذا الأمينُ [٢/٣٠ظ] ، رَضِينا ، هذا محمدٌ . فلمَّا انْتَهَى إليهم وأخبَرُوه الخبَر ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلُمُّوا إلَيَّ ثَوْبًا » . فأُتِىَ به ، وأَخَذَ الرُّكْنَ فوضَعَه فيه بيدِه ، ثُم قال : « لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِن الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا » . فَفَعَلوا ، حتَّى إذا بلَغُوا به مَوْضِعَه ، وضَعَه هو بيدِه ﷺ ، ثُم بَنَى عليه . وكانتْ قريشٌ تُسَمِّى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، الأمينَ .

---

(١) الركن : الحجر الأسود . وسمى ركنا ؛ لأنه مبنى فى الركن .

(٢) فى النسخ : « تحاوروا » . والمثبت من سيرة ابن هشام . تحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة .

(٣) فى م : « أو » .

(٤) فى الأصل ، ا ٩ : « العقد » .

(٥) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٨٤ - ٨٦ .

(١ وقال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدَّثَنا عبدُ الصَّمَدِ ، حدَّثَنا ثابتٌ - يعنى أبا زَيْدٍ[٣] - حدَّثَنا هِلَالٌ - يعنى ابنَ خَبَّابٍ[٤] - عن مُجَاهِدٍ ، عن مَوْلاه - وهو السائبُ بنُ عبدِ اللَّهِ - أنَّه حدَّثه ، أنَّه كان فيمَن بَنَى الكَعْبَةَ فى الجاهليَّةِ . قال : وكان لى حَجَرٌ ، أنا نَحَتُّه ، أَعْبُدُه مِن دونِ اللَّهِ . قال : وكنتُ أَجِيءُ باللَّبِنِ الخاثِرِ[٥] الذى آنَفُه على نَفسى ، فأَصُبُّه عليه ، فيَجِيءُ الكلبُ ، فَيَلْحَسُهُ ثُم يَشْغَرُ[٦] ، فَيَبُولُ[٧] . قال : فَبَنَيْنَا حتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الحَجَرِ ، ولا يَرَى الحَجَرَ أحدٌ ، فإذا هو وَسْطَ أحْجارِنا مثلُ رأسِ الرَّجُلِ يَكادُ يَتَرايا منه وَجْهُ الرَّجُلِ . فقال بَطْنٌ مِن قريشٍ : نحن نَضَعُه . وقال آخرون : نحن نَضَعُه . فقالوا : اجْعَلُوا بَيْنَكم حَكَمًا . فقالوا : أولُ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الفَجِّ . فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : أَتاكم الأمينُ . فقالوا له ، فوضَعَه فى ثَوْبٍ ، ثُم دَعا بُطونَهم ، فرفَعُوا نواحِيَه ، فوضَعَه هو ﷺ[١) .

قال ابنُ إسحاقَ[٨] : وكانتِ الكعبةُ على عهدِ النبىِّ ﷺ ، ثمانِىَ عَشْرَةَ ذِراعًا ، وكانتْ تُكْسَى القَبَاطِىَّ[٩] ، ثُم كُسِيَتْ بَعْدُ البُرُودَ[١٠] ، وأوَّلُ مَن

(١ - ١) سقط من : ا ٩، ص .

(٢) المسند ٣/ ٤٢٥ .

(٣) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣١ .

(٤) فى النسخ : « حبان » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣٠ .

(٥) الخاثر : الثاخن والغليظ .

(٦) شغَر الكلب شغْرًا : أى رفع إحدى رجليه ليبول .

(٧) بعده فى ا ٩، م ، ص : « عليه » .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٨، ١٩٩ .

(٩) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(١٠) البرود : ضرب من ثياب اليمن .

كَساها الدِّيباجَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ .

قُلْتُ : وقد كانوا أَخْرجَوا منها الحِجْرَ - وهو سِتَّةُ أذرُعٍ ، أو سبعةُ أذرُعٍ مِن ناحيةِ الشامِ - [1] وذلك لَمَّا [1] قَصَرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ ؛ أى لم يَتَمَكَّنُوا أن يَبْنُوه على قواعِدِ إبراهيمَ ، وجعَلُوا للكعبةِ بابًا واحدًا ، مِن ناحِيَةِ الشَّرقِ ، وجَعَلُوه مُرْتَفِعًا ؛ لِئَلَّا يَدْخُلَ إليها كلُّ أحدٍ ، فيُدْخِلوا مَن شاءوا ، ويَمْنَعوا مَن شاءوا .

وقد ثبَت فى « الصحيحينْ » [2] عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لها : « أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ قَوْمَكِ قَصَرَتْ بهم النَّفَقَةُ ، ولولا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِكُفْرٍ ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ ، وَجَعَلْتُ لها بَابًا شَرْقِيًّا ، وَبَابًا غَربِيًّا ، وأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجْرَ » . ولهذا لمَّا تَمكَّنَ ابنُ الزُّبَيْرِ ، بَنَاها على ما أَشارَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجاءتْ فى غايةِ البَهاءِ ، والحُسْنِ ، والسَّناءِ ، كاملةً على [٣١/٢و] قواعدِ الخليلِ ؛ لها بابانِ مُلْتَصِقانِ بالأرضِ ، شَرْقيًّا ، وغَرْبيًّا ، يَدْخُلُ الناسُ مِن هذا ، ويَخْرُجُونَ مِن الآخَرِ ، فلمّا قَتَلَ الحَجَّاجُ ابنَ الزبيرِ ، كتَبَ إلى عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ ، [3] وهو الخليفةُ يومَئذٍ [3] ، فيما صنَعَهُ ابنُ الزُّبَيْرِ ، واعتَقَدُوا أنَّه فعَلَ ذلك مِن تِلقاءِ نفسِه ، فأمَرَ بإعادتِها إلى ما كانتْ عليه [4] ، فعمَدوا إلى الحائِطِ الشاميِّ فحَصُّوه [5] ، وأَخرَجوا منه الحِجْرَ ، ورَصُّوا حِجارتَه فى أرضِ الكعبةِ . فارتفَع بابُها [6] ، وسدُّوا الغرْبِيَّ ، واستمرَّ الشرقيُّ على ما كان عليه ، فلمّا كان فى زَمَنِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى ١/ ٣٨٢، من رواية مسلم ، وهو فى البخارى (١٥٨٦) .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٩، ص .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) حَصَّى الشىءَ : وَقَّاه .

(٦) فى ا ٩، م ، ص : « باباها » .

المَهْدِىِّ ، أو أبيه[1] المَنْصُورِ ، استشارَ مالِكًا فى إعادتِها على ما كان صَنَعَه ابنُ الزبيرِ ، فقال مالكٌ ، رحمِه اللَّهُ : إنِّى أَكْرَهُ أن يَتَّخِذَها الملوكُ مَلْعَبَةً . فتَرَكَها على ما هى عليه ، فهى إلى الآن كذلك .

وأمَّا المَسْجِدُ الحَرامُ ؛ فأولُ مَن أخَّرَ[2] البيوتَ مِن حولِ الكعبةِ عمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، اشتراها مِن أهلِها ، وهَدَمها ، فلمَّا كان عثمانُ اشترى دُورًا وزادَها فيه . فلمَّا وَلِىَ ابنُ الزبيرِ أَحْكَمَ بُنيانَه ، وحسَّنَ جُدْرانَه ، وأكثَرَ[3] أبوابَه ، ولم يُوَسِّعْه شيئًا آخرَ ، فلمَّا استبدَّ بالأمرِ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، زاد فى ارتفاعِ جُدْرانِه ، وأَمَر بالكعبةِ ، فكُسِيَتِ الدِّيباجَ ، وكان الذى تولَّى ذلك بأَمْرِه الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ . وقد ذكَرْنا قِصةَ بناءِ البيتِ ، والأحاديثَ الواردةَ فى ذلك ، فى تفسيرِ سورةِ « البقرةِ » عندَ قولِه[4] : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾[5] [البقرة : ١٢٧] .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فلمَّا فَرَغوا مِنَ البُنْيانِ ، وبَنَوْها على ما أَرادوا ، قال الزبيرُ بنُ عبدِ المطَّلِبِ ، فيما كان مِن أمرِ الحيَّةِ التى كانتْ قريشٌ تَهابُ بُنْيانَ الكعبةِ لَهَا :

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعْبانِ وَهْىَ لَهَا اضْطِرابُ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « ابنه » .

(٢) بعده فى الأصل ، ا ٩ : « بنيان » .

(٣) فى الأصل ، ص : « كبر » .

(٤) التفسير ١/٢٦٢ - ٢٦٦.

(٥) بعده فى الأصل ، ص ، م : « وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هٰهنا . ولله الحمد والمنة » .

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ٨٩.

وقد كانتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ[1] وأحْيانًا يَكُونُ لها وِثابُ[2]

إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّأْسِيسِ[3] شَدَّتْ تُهَيِّبُنا[4] الْبِناءَ وقد نَهَابُ[5]

فلَمَّا أن خَشِينَا الرِّجْزَ[6] جَاءَتْ عُقابٌ تَتْلَئِبُ[7] لها انْصِبابُ

فَضَمَّتْهَا إليها ثُم خَلَّتْ لنا البُنْيانَ ليس لها[8] حِجابُ

فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءٍ لنا منه القواعِدُ وَالتُّرابُ

غَداةَ نُرَفِّعُ التَّأْسِيسَ منه وَلَيْسَ عَلَى مُسَاوِينا[9] ثِيَابُ

أعَزَّ بِهِ المَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ فَلَيْسَ لِأَصْلِه منهم ذَهابُ

وقد حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ ومُرَّةُ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ

فَبَوَّأَنَا المَلِيكُ بِذَاكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدَّمْنا[10] فى فصلِ ما كان اللَّهُ يَحُوطُ به رسولَه ﷺ، مِن أَقْذارِ الجاهليةِ، أنَّه كان هو والعبَّاسُ عمُّه يَنقُلانِ الحِجارةَ، وأنَّه، عليه الصَّلاةُ

---

(١) كشت الأفعى كشيشًا: صوَّت جلدها إذا احتك بعضه ببعض، وصوَّتتْ من فمها.

(٢) الوثاب: الوثوب.

(٣) فى سيرة ابن إسحاق: «البنيان».

(٤) فى السيرة: «يهيبنا».

(٥) فى السيرة: «يهاب».

(٦) فى الأصل، ا ٩، م: «الزجر»، والرجز: العذاب.

(٧) فى السيرة: «يطل». وتتلئب: تتتابع فى انقضاضها.

(٨) فى السيرة: «له».

(٩) فى ص: «مسوينا».

(١٠) تقدم فى صفحة ٤٤٤ - ٤٥٠.

والسَّلامُ ، لمَّا وَضَعَ إزارَه تحتَ الحِجارةِ على كَتِفِه ، نُهِيَ عن خَلْعِ إزارِه ، فأَعادَه إلى سِيرتِه [٢/ ٣١ظ] الأُولَى .

فَصْلٌ

وذكَر ابنُ إسحاقَ[1] ما كانتْ قريشٌ ابْتدَعوه فى تسمِيَتِهم الحُمْسَ، وهو الشِّدةُ فى الدِّينِ والصَّلَابةُ؛ وذلك لأنَّهم عظَّموا الحرَمَ تعظيمًا زائدًا، بحيثُ التزَموا بسببِهِ أن[2] لا يَخرُجوا منه ليلةَ عرَفةَ. وكانوا يقولون: نحنُ أبناءُ الحَرَمِ، وقُطَّانُ بيتِ اللَّهِ. فكانوا لا يَقِفونَ بعرَفاتٍ، مع عِلْمِهم أنَّها مِن مشاعرِ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، حتَّى لا يَخْرُجوا عن نظامِ ما كانوا قَرَّرُوه مِن البِدْعَةِ الفاسِدةِ، وكانوا لا يَدَّخِرونَ مِن اللَّبَنِ؛ أَقِطًا، ولا سَمْنًا، ولا يَسْلَئُون[3] شَحْمًا، وهم حُرُمٌ، ولا يَدْخُلونَ بيتًا مِن شَعَرٍ، ولا يَسْتَظِلُّونَ إن اسْتظَلُّوا إلَّا ببيتٍ مِن أدَمٍ، وكانوا يَمنَعونَ الحَجِيجَ والعُمَّارَ، ما داموا مُحْرِمينَ، أن يأكُلوا إلَّا مِن طعامِ قريشٍ، ولا يَطُوفوا إلَّا فى ثِيابِ قريشٍ، فإن لم يَجِدْ أحدٌ منهم ثوبَ أحدٍ مِنَ الحُمْسِ - وهم قريشٌ وما وَلَدُوا، ومَن دَخَل معهم مِن كِنانَةَ وخُزاعةَ - طاف عُرْيانًا ولو كانتِ امرأةً، ولهذا كانتِ المرأةُ إذا اتَّفَقَ طَوافُها لذلك، وضَعَتْ يَدَها على فَرْجِها، وتقولُ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُه أَوْ كُلُّهُ ... [4]وما بدا منه فلا[4] أُحِلُّهُ

فإن تَكَرَّم أحدٌ مِمَّن يَجِدُ ثوبَ أَحْمَسِيٍّ، فطاف فى ثيابِ نَفْسِهِ، فعليه إذا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٨٠ - ٨٢.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى النسخ: «يسلون». والمثبت من سيرة ابن إسحاق. ويسلئون: أى يُذيبونه بالتسخين ونحوه.

(٤ - ٤) فى م، ص: «وبعد هذا اليوم لا».

فَرَغَ مِن الطوافِ أن يُلْقيَها ، فلا يُنْتَفَعُ بها بعدَ ذلك ، وليس له ولا لغيرِه أن يَمَسَّها . وكانتِ العربُ تُسَمِّى تلك الثيابَ اللَّقى[1] ، قال بعضُ الشعراءِ :

كَفَى حَزَنًا كَرِّى عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقًى بَيْنَ أَيْدِى الطَّائِفِينَ حَرِيمُ[2]

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فكانوا كذلك حتّى بَعَثَ اللَّهُ محمدًا ﷺ ، وأنزلَ عليه القرآنَ ، ردًّا عليهم فيما ابْتَدَعُوه ، فقال : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة : ١٩٩] أى : جمهورُ العربِ مِن عَرَفاتٍ ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، وقد قدَّمْنا[4] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كان يَقِفُ بعَرَفاتٍ قبلَ أن يُنَزَّلَ عليه توْفِيقًا مِن اللَّهِ له ، وأنزَل اللَّهُ عليه ردًّا عليهم ، فيما كانوا حَرَّمُوا مِن اللِّباسِ والطَّعامِ على النَّاسِ : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ الآية [الأعراف : ٣١، ٣٢] ، وقال زِيادٌ البَكَّائِىُّ ، عن ابنِ إسحاقَ[5] : ولا أَدْرِى ؛ أكان ابْتِداعُهم لذلك قبلَ الفيلِ ، أو بعدَه .

---

(١) اللقى : الشىء المُلقى المطروح .

(٢) حريم : محرَّم ، لا يؤخذ ولا ينتفع به .

(٣) سيرة ابن هشام ٢٠٣/١

(٤) تقدم فى صفحة ٤٤٩ .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٨٠.

كتابُ[1] مَبْعَثِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ تسليمًا كثيرًا، وذِكْرُ شىءٍ مِن البشاراتِ بذلك

قال محمدُ بنُ إسحاقَ، رَحِمَه اللَّهُ[2]: وكانت الأَحْبارُ مِن اليهودِ، والرهبانُ[3] من النَّصارى والكُهّانُ[4] مِن العربِ قد تحدَّثوا بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قَبْلَ مبعَثِه، لمَّا تقارَبَ زمانُه، أمَّا الأحبارُ مِن اليهودِ، والرهبانُ من النّصارى، فعَمَّا وجدوا فى كُتبِهم مِن صفتِه وصفةِ زمانِه، وما كان مِن عَهْدِ أنبيائِهم إليهم فيه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ [٢/٣٢و] وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٩٠، سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٤.

(٣) فى الأصل، م: «الكهان».

(٤) سقط من: الأصل، م.

(١) وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] . وفى « صحيح البخارىِّ »(٢) ، عن ابنِ عباسٍ قال : ما بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إلَّا أخَذ عليه الميثاقَ ؛ لَئِن بُعِثَ محمدٌ وهو حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَنْصُرَنَّه ، وأمَرَه أن يَأْخُذَ على أُمَّتِه الميثاقَ ؛ لئن بُعِثَ محمدٌ ﷺ وهم أحياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه ولَيَتَّبِعُنَّه . يُعْلَمُ مِن هذا ، أنَّ جميعَ الأنبياءِ بَشَّروا وأمَرُوا باتِّباعه .

وقد قال إبراهيمُ ، عليه السَّلامُ ، فيما دَعا به لأهلِ مكةَ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ الآية [البقرة : ١٢٩] .

وقال الإمامُ أحمدُ(٣) : حدَّثَنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثَنا الفَرَجُ بنُ فَضَالَةَ ، حدَّثَنا لقمانُ بنُ عامِرٍ ، سَمِعْتُ أبا أُمَامَةَ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما كان بَدْءُ أمرِكَ ؟ قال : « دَعْوةُ أَبِى إبْراهيمَ ، وبُشْرَى عِيسَى ، ورَأَتْ أُمِّى أنَّه يَخْرُجُ مِنها نورٌ أَضاءَتْ لهُ قصُورُ الشامِ » .

وقد رَوَى محمدُ بنُ إسحاقَ(٤) عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ،(١)

(١ - ١) سقط من : ٩١، ص.

(٢) ليس فى صحيح البخارى . وقد ذكره المصنف فى تفسيره ٢/ ٥٦. من كلام على وابن عباس . وانظر تفسير الطبرى ٣/ ٣٣٢.

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٨.

(١ عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، عنه مِثْلَه. ومعنى هذا أنه أرادَ[٢] بَدْءَ أمرِه بينَ الناسِ، واشْتِهارَ ذكرِه وانتشارَه، فذكَرَ دعوةَ إبراهيمَ، الذى تُنْسَبُ إليه العربُ، ثُم بُشرَى عيسى، الذى هو خاتَمُ أنبياءِ بنى إسرائيلَ، كما تقدَّم. يَدُلُّ هذا على أنَّ مَن بينَهما[٣] مِن الأنبياءِ بشَّروا به أيضًا.

أما فى الملأِ الأعلَى، فقد كان أمرُه مشهورًا، مذكورًا معلومًا، مِن قَبْلِ خَلْقِ آدمَ، عليه الصلاةُ والسلامُ، كما قال الإمامُ أحمدُ[٤]: حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ابنُ مَهْدِىٍّ، حدَّثَنا معاويةُ بنُ صالحٍ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ الكلبىِّ١)، (٥عن عبدِ الأعلَى بنِ هلالٍ السُّلَمِىِّ، عن العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى عبدُ اللَّهِ، خاتَمُ النَّبيِّين، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ فى طِينتِه، وسأُنَبِّئُكم بأولِ ذلك، دعوةُ أبى إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسى بِى، وَرُؤْيَا أُمِّى التى رَأَتْ، وكذلك أُمَّهَاتُ النَّبِيِّين[٦] تَرَيْنَ[٧]». وقد رواه اللَّيثُ[٨]، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، وقال: إن أمَّه رأتْ - حينَ وضَعَتْه - نورًا أضاءَتْ منه قصورُ الشامِ٥).

(١ - ١) سقط من: ٩١، ص.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) أى إبراهيم وعيسى، عليهما السلام.

(٤) فى المسند ٤/ ١٢٧. وإسناده ضعيف، إلا إن له شاهدًا يعضده. ذكره الألبانى فى (السلسلة الصحيحة ١٥٤٦).

(٥ - ٥) سقط من: ٩١، ص.

(٦) فى الأصل، م: «المؤمنين». والمثبت من المسند.

(٧) سقط من: م.

(٨) أحمد فى المسند ٤/ ١٢٧.

[1] وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا[2] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثَنا منصورُ بنُ سعدٍ ، عن بُدَيلِ بنِ مَيْسَرَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ ، عن مَيْسَرَةَ الفَجْرِ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كنتَ[3] نبيًّا ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ » . تَفَرَّدَ بهن أحمدُ .

وقد رواه عُمَرُ بنُ أحمدَ بنِ شاهينَ ، فى كتابِ « دلائِلِ النُّبُوَّةِ »[4] مِن حديثِ أبى هريرةَ ، فقال[5] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ - يَعْنِى أبا القاسِمِ البَغَوىَّ - حدَّثَنا أبو همامٍ الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن الأَوزاعِىِّ ، حدَّثَنى يحيى ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ قال : سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : متى وجَبَتْ لك النبوةُ ؟ قال : « بيْنَ خَلْقِ آدمَ [٢/٣٢ظ] ونَفْخِ الرُّوحِ فيه » . ورواه من وجهٍ آخرَ عن الأوزاعىِّ به[5] ، وقال : « وآدَمُ مُنْجَدِلٌ فى طِينَتِه » .

ورُوِىَ عن البَغَوِىِّ أيضًا[6] ، عن أحمدَ بنِ المِقْدَامِ ، عن بَقِيَّةَ ، عن[7] سعيدِ ابنِ بَشِيرٍ ، عن قَتَادَةَ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا ، فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْتُ أوَّلَ النَّبِيِّينَ فى الخَلْقِ وآخِرَهم فى البعثِ »[1] .

(١ - ١) سقط من : ٩١، ص .

(٢) أحمد فى المسند ٥/ ٥٩. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٢٣: رواه أحمد والطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح .

(٣) كذا فى الأصل ، م . وفى المسند : « كتبت » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ١٣٠، من طريق الوليد بن مسلم به .

(٥) الدر المنثور ٥/ ١٨٤.

(٦) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٣) من طريق بقية به . ضعفه الألبانى فى (السلسلة الضعيفة ٦٦١) .

(٧) فى الأصل ، م : « بن » . وهو تصحيف ، وبقية هو ابن الوليد ، وسعيد بن بشير هو الأزدى . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٩٢، ١٠/ ٣٤٨.

(١ ومن حديثِ ابنِ[٢] مُزَاحِمٍ[٣]، عن قيسِ بنِ الربيعِ، عن جابرٍ، عن الشَّعْبِيِّ، عن ابنِ عباسٍ، قيل: يا رسولَ اللَّهِ، متى كنتَ نبيًّا؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ» ١).

وأما الكُهّانُ مِن العربِ، فأَتَتْهم به الشياطينُ مِن الجنِّ، ممَّا تَسْتَرِقُ مِن السمعِ، إذ كانت[٤] لا تُحْجَبُ عن ذلك بالقذفِ بالنجومِ، وكان الكاهنُ والكاهنةُ لا يَزالُ يَقَعُ منهما بعضُ ذِكْرِ أمورِه، ولا يُلقِى العربُ لذلك فيه بالًا، حتى بعَثَه اللَّهُ تعالى، ووقَعَت تلك الأمورُ التى كانوا يَذكُرون فعَرَفوها، فلمَّا تقارَبَ أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وحضَر زمانُ مبعثِه، حُجِبَتِ الشياطينُ عن السمعِ، وحِيلَ بينَها وبينَ المقاعدِ التى كانت تقْعُدُ لاسْتِراقِ السمعِ فيها، فرُمُوا بالنجومِ، فعَرَفَتِ الجِنُّ[٥] أنَّ ذلك لِأَمرٍ حدَث مِن أمرِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ. قال[٦]: وفى ذلك أنْزَل اللَّهُ على رسولِه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]. إلى آخرِ السورةِ. وقد ذكَرْنا تفسيرَ ذلك كلِّه فى كتابِنا «التفسيرِ»[٧]، وكذا قولُه تعالى[٨]: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ

(١ - ١) سقط من: ٩١، ص.

(٢) فى م: «أبى». وهو نصر بن مزاحم. انظر لسان الميزان ٦/ ١٥٧.

(٣) أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير (١٨٩٩). بإسناده إلى ابن عباس.

(٤) بعده فى الأصل، م، ص: «وهى».

(٥) فى ا ٩، م، ص: «الشياطين».

(٦) أى ابن إسحاق فى سيرته ص ٩١.

(٧) التفسير ٨/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٨) التفسير ٧/ ٢٧٢ - ٢٨٦.

ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الآيات [الأحقاف: ٢٩، ٣٠]. ذكَرْنا تفسيرَ ذلك كلَّه هناك.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)]: حدَّثَنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ، أنَّه حُدِّثَ أنَّ أولَ العربِ فَزِعَ للرَّمْيِ بالنجومِ حينَ رُمِى بها هذا الحىُّ مِن ثَقِيفٍ، وأنَّهم جاءُوا إلى رجلٍ منهم، يُقالُ له: عمرُو بنُ أُميَّةَ، أحدِ بنى عِلَاجٍ، وكان أَدْهَى العربِ[(٢)] وأَنْكَرَها رأيًا[(٢)]، فقالوا له: يا عمرُو، ألم تَرَ ما حدَث فى السماءِ مِن القَذْفِ بهذه النُّجومِ؟ قال: بلى، فانظروا، فإنْ كانت معالمُ النُّجومِ التى يُهْتَدَى بها فى البرِّ والبحرِ، ويُعْرَفُ بها الأَنْوَاءُ، مِن الصيفِ والشتاءِ، لِمَا يُصْلِحُ الناسَ فى معايِشِهم، هى التى يُرْمَى بها، فهو واللَّهِ طَىُّ الدُّنيا، وهلاكُ هذا الخَلْقِ، وإن كانت نجومًا غيرَها، وهى ثابتةٌ على حالِها، فهذا لأمرٍ أرادَ اللَّهُ به هذا الخَلْقَ [(٣)]فانْظُرُوا ما[(٣)] هو؟

وقال ابنُ إسحاقَ[(٤)]: وحدَّثَنى بعضُ أهلِ العلمِ، أَنَّ امرأةً مِن بنى سَهْمٍ، يقالُ لها: الغَيْطَلَةُ. كانت كاهنةً فى الجاهليةِ، جاءَها صاحبُها ليلةً مِن الليالى، فانْقَضَّ تحتَها، ثم قال: أَدْرِ ما أَدْرِ، يومُ عَقْرٍ ونَحْرٍ. فقالت قريشٌ حينَ بلَغَها

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٩٢، ٩٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢ - ٢) فى م: «أمكرها». وأنكرها رأيا: أهداها رأيا؛ من النُّكْر، بالضم، وهو الدهاء والفطنة. القاموس المحيط (ن ك ر).

(٣ - ٣) فى النسخ: «فما». والمثبت من سيرة ابن إسحاق ص ٩٣.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٩١، ٩٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٠٨.

ذلك : ما يُريدُ ؟ ثم جاءَها ليلةً أخرَى ، فانْقَضَّ تحتَها ، ثم قال : شُعُوبٌ ، ما شُعُوبٌ ؟ يُصْرَعُ فيه كَعْبٌ لجُنُوب[1] . فلمَّا بلَغ ذلك قريشًا قالوا : ماذا يُريدُ ؟ إنَّ هذا لِأمرٍ هو كائنٌ ، فانظُروا ما هو . فما عَرَفوه حتى كانت وقعةُ بدرٍ وأُحُدٍ بالشِّعبِ ، فعَرَفوا أنه كان الذى جاءَ به إلى صاحبتِه .

[٢/٣٣و] قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى علىُّ بنُ نافعٍ الجُرَشِىُّ ، أنَّ جَنْبًا - بَطْنًا من اليمنِ - كان لهم كاهِنٌ فى الجاهليةِ ، فلَمَّا ذُكِرَ أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وانتَشَرَ فى العربِ ، قالت له جَنْبٌ : انظُرْ لنا فى أمرِ هذا الرجلِ . واجْتَمَعوا له في أسفلِ جَبَلِه ، فنزَل إليهم حينَ طَلَعتِ الشمسُ ، فوقَفَ لهم قائمًا مُتَّكِئًا على قَوْسٍ له ، فرَفَعَ رأسَه إلى السماءِ طويلًا ، ثُم جَعل يَنْزُو[3] ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، إنَّ اللَّهَ أكْرَمَ محمدًا واصْطَفاه ، وطَهَّرَ قلبَه وحَشَاه ، ومُكْثُه فيكم أيُّها الناسُ قليلٌ . ثُم اشْتَدَّ فى جَبَلِه راجعًا مِن حيثُ جاءَ . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ سَوادِ ابنِ قَارِبٍ[4] ، وقد أَخَّرْنَاها إلى هَواتِفِ الجانِّ .

---

(١) فى ا ٩، ص : « بجنوب » . وفى م : « الجنوب » . وفى سيرة ابن هشام : « لجوب » . وكعب ، هو كعب بن لؤى ، والذين صرعوا ببدر من قريش معظمهم من كعب بن لؤى . وجنوب : جمع جنب .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩.

(٣) ينزو : يثب .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩، ٢١٠.

فَصْلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحَدَّثَنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ ، عن رجالٍ مِن قومِه ، قالوا : إنَّ ممَّا دَعَانا إلى الإسلامِ - مع رحمةِ اللَّهِ تعالى وهُدَاه لنا - ما كنا نَسْمَعُ مِن رجالٍ[2] مِن يهودَ ، وكُنَّا أهلَ شِرْكٍ ، أصحابَ أوثانٍ ، وكانوا أهلَ كتابٍ ، عندَهم عِلْمٌ ليس لنا ، وكانت لا يزالُ بينَنا وبينَهم شرورٌ ، فإذا نِلْنَا منهم بعضَ ما يَكْرَهُون ، قالوا لنا : إنه قد تَقَارب زمانُ نبىٍّ يُبْعَثُ الآن ، نَقْتُلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَمَ . فكنا كثيرًا ما نَسْمَعُ ذلك منهم ، فلما بعَث اللَّهُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أجَبْناه حينَ دَعَانا إلى اللَّهِ ، وعَرَفنا ما كانوا يَتَوَعَّدُونَنَا به ، فبادَرْناهم إليه ، فآمَنّا به وكَفَروا به ، ففينا وفيهم نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وقال وَرْقَاءُ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن علىٍّ الأَزْدِىِّ : كانت اليهودُ تقولُ : اللهمَّ ابْعَثْ لنا هذا النبىَّ ، يَحْكُمُ بينَنا وبينَ الناسِ . يَسْتَفْتِحون به ؛ أى يَسْتَنْصِرونَ به . رواه البَيْهَقِىُّ[3] .

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢١١.

(٢) فى م : « رجل » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٧٦.

ثم روَى[1] مِن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ هارونَ بنِ [2]عَنْتَرَةَ[3]، عن أبيه عن جَدِّه[2]، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كانتِ اليهودُ بخيبرَ تقاتِلُ غَطَفَانَ، فكلَّما الْتَقَوْا، هُزِمَت يهودُ خَيْبَرَ، فعاذَتِ اليهودُ بهذا الدعاءِ، فقالوا: اللهم إنّا[4] نَسْأَلُك بحقِّ محمدٍ النبيِّ الأُميِّ، الذى وعَدتنا أن تُخْرِجَه لنا[4] فى آخِرِ الزمانِ، إلَّا نَصَرْتَنا عليهم. قال: فكانوا إذا الْتَقَوْا دَعَوْا بهذا الدعاءِ، فَهَزموا غَطَفَانَ، فلَمَّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ كفروا به، فأَنْزَل اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية. وروَى عطيةُ عن ابنِ عباسٍ نَحْوَه[5]. ورُوِىَ عن عِكْرِمَةَ مِن قولِه نحوُ ذلك أيضًا.

وقال ابنُ إسحاقَ[6]: وحدَّثنى صالحُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ، عن سلمةَ بنِ سلامةَ[7] بنِ وَقْشٍ - وكان مِن أهلِ بدرٍ - قال: كان لنا جارٌ مِن يهودَ، فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ. قال: فخرَج علينا يومًا من بيتِه، حتى وقَف على بنى عبدِ الأَشْهَلِ. قال سلمةُ: وأنا يومئذٍ أَحْدَثُ مَن فيه سِنًّا، علىَّ بُرْدَةٌ[8] لى، مُضْطجِعٌ فيها بفناءِ أهلى، فذكَر القيامةَ،

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٧٦، ٧٧.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى الأصل، م: «عنبرة».

(٤) سقط من: م.

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٧٧.

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ٦٣، ٦٤. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢١٢.

(٧) فى الأصل، م: «سلام».

(٨) فى الأصل، م: «فروة».

والبعْثَ ، والحسابَ ، والميزانَ ، والجنةَ ، والنَّارَ . قال : فقال ذلك لقومٍ أهلِ شِرْكٍ ، أصحابِ أوثانٍ ، لا يَرَوْنَ أنَّ بَعْثًا كائنٌ بعدَ الموتِ ، فقالوا له : وَيْحَكَ يا فلانُ ، أوَ تَرَى هذا كائنًا ، أنَّ الناسَ يُبْعَثون بعدَ موتِهم [٢/٣٣ظ] إلى دارٍ فيها جنةٌ ونارٌ ، يُجْزَوْن فيها بأعمالِهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحْلَفُ به . ويَوَدُّ[١] أنَّ له بحَظِّه[٢] من تلك النَّارِ أعْظَمَ تَنُّورٍ فى الدارِ ، يُحْمُونَه ، ثم يُدخِلونه إياه ، فيُطيِّنونَه[٣] عليه ، بأنْ يَنْجُوَ[٤] مِن تلك النارِ غدًا . قالوا له : ويحَكَ يا فلانُ ، فما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مبعوثٌ من نحوِ هذه البلادِ . وأشارَ بيدِه إلى نحوِ مكةَ واليمنِ . قالوا : ومتى تُرَاه ؟ قال : فنظَرَ إلىَّ ، وأنا مِن أَحْدَثِهم سِنًّا ، فقال : إنْ يَسْتَنْفِدْ هذا الغلامُ عمرَه ، يُدْرِكْه . قال سلمةُ : فواللَّهِ ما ذهَبَ الليلُ والنهارُ ، حتى بعَث اللَّهُ رسولَه ﷺ ، وهو حيٌّ بينَ أَظْهُرِنا ، فآمَنَّا به ، وكفَر به بَغْيًا وحسدًا . قال : فقلنا له : وَيْحَكَ يا فلانُ ، ألستَ بالذى قلتَ لنا فيه ما قلتَ ؟ قال : بلى ، ولكنْ ليس به . [٥]رواه أحمدُ[٦] ، عن يعقوبَ ، عن أبيهِ ، عن ابنِ إسحاقَ[٧] . ورواه البَيْهَقِيُّ[٨] ، عن الحاكِمِ بإسنادِه ، مِن طريقِ يونسَ بنِ بُكَيْرٍ[٥] .

---

(١) فى ص : « أود » . والضمير عائد على اليهودى .

(٢) فى م ، ص : « تحطة » .

(٣) فى الأصل ، م : « فيطبقونه » .

(٤) فى م : « ينجون » .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٩، ص .

(٦) أحمد فى المسند ٣/ ٤٦٧. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٣٠: رواه أحمد والطبرانى ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع .

(٧) فى الأصل ، م : « عباس » . وهو تحريف . والمثبت من المسند .

(٨) فى دلائل النبوة ٢/ ٧٨، ٧٩.

وروَى أبو نُعَيْمٍ فى «الدلائلِ»[1]، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادَةَ، عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ، عن محمدِ بن مَسْلَمَةَ[2]، قال: لم يكنْ فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ إلَّا يَهوديٌّ واحدٌ، يقالُ له: يُوشَعُ. فسَمِعْتهُ يقولُ - وإنى لَغلامٌ في إزارِ -: قد أَظَلَّكم خروجُ نبيٍّ يُبْعَثُ مِن نحوِ هذا البيتِ - ثُم أشارَ بيدِه إلى بيتِ اللَّهِ - فمَن أَدْرَكَه فلْيُصَدِّقْه. فبُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فأسْلَمنا وهو بينَ أَظْهُرِنا لم يُسْلِمْ، حسدًا وبَغْيًا. وقد قدَّمنا حديثَ أبى سعيدٍ، عن أبيه، فى إخْبَارِ يُوشَعَ هذا عن خروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصفتِه، ونعتِه، وإخْبَارِ الزُّبَيْرِ بنِ باطَا، عن ظهورِ كوكبِ مولِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3].

قال ابنُ إسحاقَ[4]: حدثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ، عن شيخٍ من بنى قُرَيْظَةَ، قال لى: هل تَدْرِى عَمَّ كان إسلامُ ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْيَةَ، وأُسَيْدِ بنِ سَعْيَةَ، وأَسَدِ بنِ عُبَيْدٍ، نَفَرٍ من بنى هَدْلٍ، إخوةِ بَنِى قُرَيْظَةَ، كانوا معهم فى جاهِلِيَّتِهم، ثم كانوا سادتَهم فى الإسلامِ؟ قال: قلتُ: لا. قال: فإنَّ رجلًا من اليهودِ، مِن أرضِ الشامِ يقالُ له: ابنُ الهَيْبَانِ. قَدِمَ علينا قبلَ الإسْلامِ بسِنينَ، فَحَلَّ بينَ أَظْهُرِنا، لا واللَّهِ ما رأَيْنا رجلًا قطُّ لا يُصَلِّى الخمسَ أَفْضَلَ منه، فأقام عندَنا، فكنا إذا قَحَط عنا المطرُ، قلنا له: اخْرُجْ يا ابنَ الهَيْبَانِ فاسْتَسْقِ لنا. فيقولُ: لا واللَّهِ، حتى تُقَدِّمُوا بينَ يَدَىْ مَخْرَجِكُم صَدَقةً. فنقولُ

---

(١) لم نجده فى نسخة مختصر الدلائل التى لدينا.

(٢) فى الأصل، م، ص: «سلمة».

(٣) بعده فى م، ص: «ورواه الحاكم عن البيهقى بإسناده، من طريق يونس بن بكير عنه». وهو خطأ وتكرار.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٦٤، ٦٥. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢١٣، ٢١٤.

له : كم؟ فيقولُ : صاعًا مِن تمرٍ ، أو مُدَّيْنِ مِن شَعيرٍ . قال : فنُخْرِجُها ، ثم يَخْرُجُ بنا إلى ظاهِرِ حَرَّتِنا[1] ، فيَسْتَسقِى لنا ، فواللَّهِ ما يَبْرَحُ مجلسَه حتى يَمُرَّ السحابُ ، ونُسْقَى ، قد فَعَل ذلك غيرَ مرةٍ ، ولا مرتين ، ولا ثلاثٍ . قال : ثم حضَرَتْه الوفاةُ عندَنا ، فَلمَّا عرَف أنَّه ميتٌ قال : يا معشَرَ يهودَ ، ما تَرَوْنه أَخْرَجَنى مِن أرضِ الخَمرِ والخَمِيرِ إلى أرضِ البُؤْسِ والجوعِ؟ قال : قلنا : أنت أعلمُ . قال : فإنِّى إنَّما قَدِمْتُ هذه البلدةَ ، أتَوَكَّفُ خروجَ نبىٍّ ، قد أظلَّ زمانُه ، هذه البلدةُ مُهَاجَرُه ، فكنتُ أَرْجُو أنْ يُبْعَثَ فأَتَّبِعَه ، وقد أَظَلَّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشرَ يهودَ ، فإنه يُبْعَثُ بسَفْكِ الدماءِ ، وسَبْيِ الذَّرارِىِّ مِمَّن[2] خالَفَه ، فلا يَمْنَعنَّكم ذلك منه . فلما بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وحاصَرَ بَنِى قُرَيْظَةَ ، قال هؤلاء الفتيةُ - وكانوا شَبَابًا أَحْدَاثًا - : يا بنى قُرَيْظَةَ ، واللَّهِ إنه لَلنَّبِىُّ الذى كان[3] عَهِدَ إليكم فيه [٢/٣٤و] ابنُ الهَيْبَانِ . قالوا : ليس به . قالوا : بلى واللَّهِ ، إنَّه لهو بصِفَتِه . فنَزَلوا فأَسْلَموا ، فأَحْرَزُوا دماءَهم وأموالَهم وأَهْلِيهِم .

قال ابنُ إسحاقَ : فهذا ما بَلَغَنا عن أخبارِ يهودَ .

قلتُ : وقد قَدَّمنا فى قدومِ تُبَّعٍ اليَمَانِىِّ - وهو أبو كَرِبٍ تُبَّانُ أَسْعَدَ - إلى المدينةِ[4] ، ومُحَاصرتِه إيَّاها ، وأنَّه خَرج إليه ذانِكَ الحَبْرَانِ مِن اليهودِ ، فقالا له : إنَّه لا سبيلَ لك عليها ، إنها مُهَاجَرُ نَبِىٍّ يكونُ فى آخرِ الزمانِ . فَثَنَاه ذلك عنها .

---

(١) فى الأصل ، م : « حرثنا » .

(٢) فى الأصل ، م : « فيمن » ، وفى ص : « فمن » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ١٢٤ - ١٢٦ .

وقد روَى أبو نُعيمٍ فى «الدلائلِ»[1]، من طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، حدَّثَنا محمدُ بنُ حمزةَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ، عن أبيهِ، عن جَدِّه، قال عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ: إن اللَّهَ لما أرادَ هُدَى زَيْدِ بن سُعْنَةَ[2]، قال زيدٌ: لم يَبْقَ من علاماتِ النبُوَّةِ شىءٌ إلَّا وقد عَرَفْتُها فى وجهِ محمدٍ ﷺ حينَ نَظَرْتُ إليه، إلَّا اثْنَتَيْن لم أَخْبُرْهما منه؛ يَسْبِقُ حِلْمُه جَهْلَه، ولا يَزِيدُ شدةُ الجهلِ عليه إلا حِلْمًا. قال: فكنتُ أَتَلَطَّفُ له، لِأنْ أُخالِطَه، فأعْرِفَ حِلْمَه وجهلَه. فذكَر قصةَ إسلامِه للنبىِّ ﷺ مالًا فى تَمْرٍ، قال: فلَمَّا حلَّ الأجلُ أَتَيْتُه، فأخذتُ بمَجامِعِ قميصِه وردائِه، وهو فى جِنازةٍ مع أصحابِه، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظٍ، وقلتُ: يا محمدُ، ألَا تَقْضِينِى حَقِّى؟ فواللَّهِ ما عَلِمْتُكم بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ لَمُطْلٌ. قال: فنظَر إلىَّ عمرُ، وعيناه تَدُورانِ فى وجهِه كالفَلَكِ المُسْتديرِ، ثم قال: يا عدوَّ اللَّهِ، أتقولُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ما أَسْمَعُ، وتَفْعَلُ ما أَرَى؟ فوالذى بَعَثَه بالحقِّ، لولا ما أُحَاذِرُ فَوْتَه[3]، لَضَرَبْتُ بسَيْفِى رأسَكَ. ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إلى عُمَرَ فى سكونٍ وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: «أنا وهو كنا أَحْوَجَ إِلَى غيرِ هذا منك يا عُمَرُ؛ أنْ تَأْمُرَنِى بحُسْنِ الأداءِ، وتَأْمُرَه بحُسْنِ التِّبَاعَةِ[4]، اذْهَبْ به يا عُمَرُ، فاقْضِه حَقَّه، وزِدْ عِشرين صاعًا مِنْ تَمْرٍ». فأَسْلَمَ زيدُ بنُ سُعْنَةَ[2]، رضِىَ اللَّهُ عنه، وشَهِدَ بقيَّةَ المَشاهِدِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، وتُوفِّىَ عامَ تَبُوكَ، رَحِمَه اللَّهُ.

---

(١) دلائل النبوة (٤٨).

(٢) فى م: «سعية».

(٣) فى الأصل، م: «لومه». وفى ص: «قومه». والفوت: السبق.

(٤) التباعة: طلب الدين.

ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ رَحِمَه اللَّهُ، إسلامَ سَلْمَانَ الفارسيِّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأَرْضَاه، فقال[1]: حدَّثَنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ الأَنْصارىُّ، عن محمودِ بن لَبِيدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، قال: حَدَّثَنى سلمانُ الفارسىُّ مِن فيه، قال: كنتُ رجلًا فارسيًّا مِن أهلِ أَصْبَهَانَ، مِن أهلِ قريةٍ يقالُ لها: حَىٌّ. وكان أبى دِهْقَانَ قرْيتِه، وكنتُ أحبَّ خلقِ اللَّهِ إليه، لم يَزَلْ حبُّه إيَّاىَ حتى حَبَسَنِى فى بيتِه، كما تُحْبَسُ الجارِيةُ، واجتَهَدتُ فى المجوسيَّةِ، حتى كنتُ قَطِنَ[2] النارِ التى يُوقِدُها، لا يَتْرُكُها تَخْبُو ساعةً. قال: وكانت لأبى ضَيْعَةٌ عظيمةٌ. قال: فشُغِلَ فى بُنْيَانٍ له يومًا، فقال لى: يا بُنَىَّ، إنى قد شُغِلْتُ فى بُنْيَانِى هذا اليومَ عن ضَيْعَتِى، فاذهبْ إليها، فاطَّلِعْها. وأَمَرَنى فيها ببعضِ ما يُرِيدُ، ثم قال لى: ولا تَحْتَبِسْ عنى، فإنَّك إنِ احْتَبَسْتَ عنى، كنتَ أَهَمَّ إلىَّ مِن ضَيْعَتِى، وشَغَلْتَنِى عن كلِّ شىءٍ مِن أَمْرِى. قال: فخرجتُ أريدُ ضَيْعَتَه التى بَعَثَنى إليها، فمرَرْتُ بكنيسةٍ من كنائسِ النَّصارى، فسَمِعْتُ أصواتَهم فيها وهم يُصَلُّون، وكنتُ لا أَدْرِى ما أَمْرُ الناسِ؛ لحبْسِ أبى إيَّاىَ فى بيتِه، فلما سَمِعْتُ أصواتَهم، دخلتُ عليهم، أَنْظُرُ ما يَصْنَعون [٢/٣٤ظ]، فَلَمَّا رأيتُهم، أَعْجَبَتْنِى صلاتُهم، ورَغِبْتُ فى أمرِهم، وقلتُ: هذا واللَّهِ خيرٌ مِن الدينِ الذى نحنُ عليه. فواللَّهِ ما بَرِحْتُهم حتى غرَبَتِ الشمسُ، وتركتُ ضَيْعَةَ أبِى، فلم آتِها،

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٦٦ - ٧٠. وانظر سيرة ابن هشام ١/٢١٤ - ٢٢١. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٣٣٦: رواه أحمد كله، والطبرانى فى الكبير، بنحوه بأسانيد، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبرانى رجالها رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وإسناد الرواية الثانية انفرد بها أحمد، ورجالها رجال الصحيح غير عمرو بن أبى قرة الكندى وهو ثقة، ورواه البزار.

وهو عند أحمد فى المسند ٥/٤٤١ - ٤٤٤. وفى المعجم الكبير للطبرانى (٦٠٦٥).

(٢) قطن النار: خازنها وخادمها.

ثم قلتُ لهم : أين أَصْلُ هذا الدينِ ؟ قالوا : بالشامِ . فرجَعْتُ إلى أبى ، وقد بَعث فى طَلَبِى ، وَشَغلْتُه عن أمرِه كلِّه ، فلما جِئتُه قال : أى بُنَىَّ ، أين كنتَ ، ألم أَكنْ عَهِدْتُ إليك ما عَهِدْتُ ؟ قال : قلتُ : يا أَبَتِ ، مررتُ بأُناسٍ يُصَلُّون فى كنيسةٍ لهم ، فأَعْجَبَنى ما رأيتُ مِن دينِهِم ، فواللَّهِ ما زلْتُ عندَهم حتى غرَبَتِ الشمسُ . قال : أىْ بُنَىَّ ، ليس فى ذلك الدينِ خيرٌ ، دينُك ودينُ آبائِك خيرٌ منه . قال : قلت له[1] : كلَّا واللَّهِ ، إنه لخيرٌ من دِينِنا . قال : فخافَنِى ، فجعَل فى رِجلِى قَيْدًا ، ثم حبَسَنى فى بيتِه . قال : وبعثتُ إلى النصارَى ، فقلتُ لهم : إذا قَدِمَ عليكم رَكْبٌ مِن الشامِ فأَخْبِرونى بهم . قال : فقَدِمَ عليهم رَكْبٌ مِن الشامِ [2]تُجّارٌ مِن[2] النصارَى ، فأَخْبَرونى بهم ، فقلتُ لهم[1] : إذا قَضَوْا حوائجَهم ، وأَرَادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادِهم ، فآذِنُونى . قال : فلَمّا أرَادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادِهمْ أَخْبَرُونى بِهم ، فأَلْقَيْتُ الحديدَ مِن رِجْلى ، ثُم خَرَجتُ معهم ، حتى قَدِمْتُ الشامَ ، فَلمّا قَدِمْتُها ، قلت : مَن أَفْضَلُ أهلِ هذا الدينِ عِلْمًا ؟ قالوا : الأُسْقُفُّ فى الكنيسةِ . قال : فجئتُهُ ، فقلتُ له : إنى قد رَغِبتُ فى هذا الدينِ ، وأَحْبَبْتُ أن أكونَ معك ، وأَخْدُمَك فى كنيستِك ، وأَتَعَلَّمَ منك ، وأُصَلِّىَ معك . قال : ادْخُلْ . فدَخَلْتُ معه ، فكان رجلَ سَوْءٍ ، يأْمُرُهم بالصدقةِ ، ويُرغِّبُهم فيها ، فإذا جَمَعُوا له شيئًا منها[1] ، كَنَزَه لنفسِه ، ولم يُعْطِه المساكينَ ، حتى جمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِن ذهبٍ ووَرِقٍ . قال : وأَبْغَضْتُه بُغْضًا شديدًا ؛ لِمَا رأيتُه يَصْنَعُ ، ثُم مات ، واجْتَمَعَتْ له النّصارَى ليَدْفِنوه ، فقلتُ

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « فجاءونى » .

لهم : إنَّ هذا كان رجلَ سَوْءٍ ، يأْمُرُكم بالصدقةِ ويُرَغِّبُكم فيها ، فإذا جِئتُموه بها اكْتَنَزَها لنفسِه ، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئًا . قال : فقالوا لى : وما عِلْمُك بذلك ؟ قال : قلتُ لهم : أَنَا أَدُلُّكم على كَنْزِه . قالوا : فَدُلَّنا عليه . قال : فأَرَيْتُهم موضِعَه ، فاستَخْرَجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءةً ذهبًا ووَرِقًا ، فلمَّا رَأَوْها قالوا : لا نَدْفِنُه أبدًا . قال : فصَلَبُوه ورَجَمُوه بالحجارةِ ، وجاءُوا برجلٍ آخَرَ ، فجَعَلُوه[1] مكانَه . قال : يقولُ سلمانُ : فما رأيتُ رجلًا لا يُصَلِّى الخَمْسَ أَرَى أنه أَفْضَلُ منه ، و[2] أَزْهدُ فى الدنيا ، ولا أَرْغَبُ فى الآخرةِ ، ولا أَدْأَبُ ليلًا ونهارًا . قال : فأَحْبَبْتُه حُبًّا لم أُحِبَّ شيئًا قَبْلَه[3] . قال : فأَقَمْتُ معه زمانًا ، ثُم حضَرتْه الوفاةُ ، فقلتُ له : إنِّى قد كنتُ معك ، وأَحْبَبْتُك حُبًّا لم أُحِبَّه شيئًا قَبْلَك ، وقد حضَرَك ما تَرَى مِن أمرِ اللَّهِ تعالى ، فإلى مَن تُوصِى بى ، وبِمَ تَأْمُرُنى به ؟ قال : أىْ بُنَىَّ ، واللَّهِ ما أَعْلَمُ اليومَ أحدًا على ما كنتُ عليه ، لقد هلَكَ الناسُ ، وبَدَّلوا ، وتَرَكوا أَكْثَرَ ما كانوا عليه ، إلَّا رجلًا بالمَوْصِلِ ، وهو فلانٌ ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالْحَقْ به . قال : فلمّا مات ، وغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بصاحِبِ المَوْصِلِ ، فقلت : يا فلانُ ، إنَّ فلانًا أَوْصَانِى عندَ موتِه أنْ أَلْحَقَ بك ، وأَخْبَرَنى أنَّك على أمرِه . فقال لى : أَقِمْ عندِى . فأَقَمْتُ عندَه ، فوجدتُه خيرَ رجلٍ ، على أمرِ صاحبِه ، فلم يَلْبَثْ أنْ ماتَ ، فلَمّا حَضَرَتْه الوفاةُ ، قلتُ له : يا فلانُ ، إنَّ فلانًا [4]أَوْصَى بى[4] إليك ، وأَمَرَنى باللُّحوقِ بك ، وقد حَضَرَك مِن أمرِ اللَّهِ ما تَرَى ، فإلى مَن تُوصِى

---

(١) فى م : « فوضعوه » .

(٢) ليست فى النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣) بعده فى م : « مثله » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « أوصانى » .

بى ، وبِمَ تَأْمُرُنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، [٢/٣٥و] واللَّهِ ما أَعْلَمُ رجلًا على مِثْلِ ما كنَّا عليه ، إلَّا رجلًا بنَصِيبِينَ ، وهو فلانٌ ، فالْحَقْ به . فلما مات وغُيِّب ، لحِقتُ بصاحِبِ نَصِيبِينَ ، فأَخْبَرْتُه خبَرى ، وما أَمَرَنى به صاحِبَاىَ[1] ، فقال : أَقِمْ عندى . فأقمتُ عندَه ، فوجدتُه على أمرِ صاحِبَيْه[2] ، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ ، فواللَّهِ ما لَبِثَ أنْ نزَل به الموتُ ، فلما حُضِرَ ، قلتُ له : يا فلانُ ، إنَّ فلانًا كان أَوْصَى بِى إلى فلانٍ[3] ، ثُم أَوْصَى بى فلانٌ إليك ، فإلى مَن تُوصِى بى ، وبِمَ تَأْمُرُنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، واللَّهِ ما أَعْلَمُه بَقِىَ أحدٌ على أمرِنا آمُرُك أنْ تَأْتِيَه ، إلَّا رجلًا بِعَمُّورِيَّةَ مِن أرضِ الرُّومِ ، فإنه على مِثْلِ ما نحن عليه ، فإن أَحْبَبْتَ فائْتِه ، فإنَّه على أمرِنا . فلما ماتَ وغُيِّب ، لَحِقْتُ بصاحبِ عَمُّورِيَّةَ ، فأَخبرتُه خَبَرِى ، فقال : أَقِمْ عندِى . فأقمتُ عندَ خيرِ رَجُلٍ ، على هَدْيِ أصحابِه وأمرِهم . قال : واكتَسَبْتُ ، حتى كانت لى بقراتٌ وغُنَيْمةٌ . قال : ثُم نَزَل بِهِ أمرُ اللَّهِ ، فَلمّا حُضِرَ ، قلتُ له : يا فلانُ ، إنى كنتُ مع فلانٍ ، فأَوْصَى بى إلى فلانٍ ، ثُم أَوْصَى بى فلانٌ إلى فلانٍ[3] ، ثُم أَوْصَى بى فلانٌ إليك ، فإلى مَن تُوصِى بى ، وبِمَ تَأْمُرُنِى ؟ قال : أى بُنَىَّ ، واللَّهِ ما أَعْلَمُه[4] أَصْبَحَ أحدٌ على مِثْلِ ما كنَّا عليه مِن الناسِ آمُرُك أن تَأْتِيَه ، ولكنه قد أَظَلَّ زمانُ نبىٍّ ، وهو[5] مبعوثٌ بدينِ إبراهيمَ ، يَخْرُجُ بأرضِ العربِ ، مُهاجَرُه إلى أرضٍ[6] بينَ حَرَّتَيْنِ ، بينَهما نَخْلٌ ،

---

(١) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « صاحبى » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩ : « صاحبه » .

(٣) بعده فى م : « ثم أوصى بى فلان إلى فلان » .

(٤) فى م : « أعلم » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « الأرض » .

به علاماتٌ لا تَخْفَى، يَأْكُلُ الهَدِيَّةَ، ولا يَأْكُلُ الصدقَةَ، بينَ كَتِفَيْه خاتَمُ النبوةِ، فإنِ استطعتَ أنْ تَلْحَقَ بتلك البلادِ فافْعَلْ. قال: ثُم مات وغُيِّبَ، ومكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ ما شاء اللَّهُ أن أمْكُثَ، ثُم مَرّ بى نَفَرٌ مِن كَلْبٍ تُجَّارٌ، فقلتُ لهم: احْمِلُونى إلى أرضِ العربِ، وأُعْطِيَكم بَقَراتِى هذه وغُنَيْمَتِى هذه. قالوا: نَعَم. فأعْطَيْتُهُمُوها وحَمَلُونى معهم، حتى إذا بَلَغُوا وادِىَ القُرَى، ظَلَمُونى، فباعُونِى مِن رجلٍ يهودىٍّ عبدًا، فكنتُ عندَه، ورأيتُ النخلَ، فرَجَوْتُ أنْ يكونَ البلدُ الذى وصَف لى صاحِبى، (١)ولم يَحِقَّ فى نَفْسِى(١)، فبَيْنَا أنا عندَه، إذْ قَدِمَ عليه ابنُ عَمٍّ له، مِن بَنِى قُرَيْظَةَ مِن المدينةِ، فابْتَاعَنِى منه، فاحْتَمَلنِى إلى المدينةِ، فواللَّهِ ما هو إلَّا أن رأيتُها، فعَرَفْتُها بِصِفَةِ صاحِبِى لها، فأقمتُ بها، وبُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأقامَ بمكةَ ما أقامَ، لا أَسْمَعُ له بذِكْرٍ؛ مِمّا أنَا فيه مِن شُغْلِ الرِّقِّ، ثُم هاجَرَ إلى المدينةِ، فواللَّهِ إنِّى لَفِى رأْسِ(٢) عَذْقٍ لسيدِى، أَعْمَلُ فيه بعضَ العملِ، وسيدى جالسٌ تحتى إذْ أَقْبَلَ ابنُ عَمٍّ له حتى وَقَف عليه، فقال: يا فلانُ، قاتَلَ اللَّهُ بَنِى قَيْلَةَ(٣) واللَّهِ إنَّهم الآن لَمُجْتَمِعون بقِبَاءَ على رجلٍ قَدِم عليهم مِن مكةَ اليومَ، يَزْعُمُون أنه نبىٌّ. قال سلمانُ: فلَمّا سَمِعْتُها، أَخَذَتْنِى العُرَوَاءُ(٥)، حتى ظننتُ أنِّى ساقطٌ على سيدى، فنَزَلْتُ عن النَّخْلةِ، فجعلتُ أقولُ لابنِ عَمِّه: ماذا تقولُ؟ ماذا تقولُ؟ فغَضِبَ سيدِى،

(١ - ١) سقط من: ا ٩. ويحق: يثبت، ويَصْدُق.

(٢) سقط من: الأصل، ا ٩، ص. والعَذْق: النخلة بحملها. الوسيط (ع ذ ق).

(٣) فى ص: «ابن قيلة». وقيلة هى أم الأوس والخزرج. انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢١٨.

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى الأصل، م: «الرِّعدة». والعرواء: الرعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عرق فهى الرُّحَضَاء. سيرة ابن هشام ١/ ٢١٩.

فلَكَمَنى لَكْمَةً شَديدةً ، ثُم قال : ما لَكَ ولهذا ؟ أَقْبِلْ على عَمَلِك . قال : قلتُ : لا شيءَ ، إنَّما أردتُ أنْ أَسْتَثْبِتَه[1] عمّا قال . قال : وقد كان عندى شيءٌ قد جَمَعْتُه ، فَلمّا أَمْسَيْتُ أخذتُه ، ثُم ذهبتُ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو بِقِبَاءَ ، فدخلتُ عليه ، فقلتُ له : إنه قد بَلَغَنى أنَّك رجلٌ صالحٌ ، ومعك أصحابٌ لك غرباءُ ذَوُو حاجةٍ ، وهذا شيءٌ كان عندِى للصدقةِ ، فرأيتُكم أحقَّ به مِن غيرِكم . قال : فقرَّبْتُه إليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، لأصحابِه : « كُلُوا » . وأَمْسَكَ [٣٥/٢ظ] يَدَه ، فلم يَأْكُلْ ، فقلتُ فى نفسِى : هذه واحدةٌ . ثُم انْصَرَفْتُ عنه ، فجمعتُ شيئًا ، وتَحَوَّلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى المدينةِ ، ثُم جِئْتُه ، فقلتُ له : إنِّى قد رأيتُك لا تَأْكُلُ الصدقَةَ ، وهذه هدِيَّةٌ أَكْرَمْتُك بها . قال : فأكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، منها ، وأمَر أصحابَه ، فأكَلُوا معه . قال : فقلتُ فى نفسِى : هاتان ثِنْتَانِ . قال : ثُم جِئْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو ببَقِيعِ الغَرْقَدِ ، قد تَبِعَ جِنازةَ رجلٍ مِن أصحابِه ، وعلىَّ[2] شَمْلَتَان لى ، وهو جالسٌ فى أصحابِه ، فسلمتُ عليه ، ثُم استَدْبَرْتُه أَنْظُرُ إلى ظهرِه ، هل أَرَى الخاتَمَ الذى وصَف لى صاحبى ؟ فلمَّا رَآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، اسْتَدْبَرْتُه ، عرَف أنِّى أَسْتَثْبِتُ فى شيءٍ وُصِفَ لى ، فأَلْقَى رداءَه عن ظهرِه ، فنَظَرْتُ إلى الخاتَمِ ، فعَرَفْتُه ، فأَكْبَبْتُ عليه أُقَبِّلُه وأَبْكِى ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَحَوَّلْ » . فتَحَوَّلْتُ بينَ يَدَيه ، فَقَصَصْتُ عليه حَدِيثِى كما حَدَّثْتُك يا ابنَ عباسٍ ، فأَعْجَبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يَسْمَعَ ذلك أصحابُه . ثُم شغَل سلمانَ الرقُّ ، حتى فاتَه مع رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل : « أستبينه » .

(٢) فى م : « عليه » .

ﷺ بَدْرٌ وأُحُدٌ. قال سلمانُ: ثُم قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كاتِبْ يا سلمانُ». فكاتَبْتُ صاحبى على ثلثِمِائةِ نخلةٍ أُحْيِيها له بالفَقِيرِ[1]، وأربعين أُوقِيَّةً، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه: «أَعِينُوا أَخَاكم». فأعَانُونى بالنخلِ؛ الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً[2]، والرجلُ بعشرين وَدِيَّةً، والرجلُ بخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، والرجلُ بعَشْرٍ، يُعِينُ الرجلُ بقَدْرِ ما عندَه، حتى اجْتَمَعَتْ لى ثلثُمِائةِ وَدِيَّةٍ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اذهبْ يا سلمانُ فَفَقِّرْ لها، فإذا فَرَغْتَ، فأْتِنِى أَكُنْ أنا أَضَعُها بيدِى». قال: فَفَقَّرْتُ، وأعانَنِى أصحابى، حتى إذا فَرَغْتُ، جِئْتُه فأخْبَرْتُه، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ معى إليها، فجعَلْنا نُقَرِّبُ إليه الوَدِىَّ، ويَضَعُه رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه، حتى إذا فَرَغْنا، فوالذى نفسُ سلمانَ بيدِه، ما ماتَتْ منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ، فأدَّيْتُ النخلَ، وبَقِىَ علىَّ المالُ، فأُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمِثْلِ بيضةِ الدجاجةِ مِن ذهبٍ، مِن بعضِ المعادِنِ[3]، فقال: «ما فعَل الفارسىُّ المُكاتَبُ؟» قال: فدُعِيتُ له، قال: «خُذْ هذه فأَدِّها مما عليك يا سلمانُ». قال: قلتُ: وأين تَقَعُ هذه يا رسولَ اللَّهِ مما علىَّ؟ قال: «خُذْها، فإن اللَّهَ سيُؤَدِّى بها عنك». قال: فأخَذْتُها، فوَزَنْتُ لهم منها - والذى نفسُ سلمانَ بيدِه - أربعين أوقيةً، فأَوْفَيْتُهم حقَّهم، وعَتَقَ سلمانُ، فشَهِدتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ الخَنْدَقَ حُرًّا، ثُم لم يَفُتْنِى معه مَشْهَدٌ.

---

(١) الفقير: البئر التى تُغرس فيها الفسيلة. اللسان (ف ق ر).

(٢) الودية: فسيلة النخل.

(٣) المعادن: جمع مَعْدِن، وهو موضع استخراج الجوهر من ذهب ونحوه. الوسيط (ع د ن).

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثَنى يَزِيدُ بنُ أبى حبيبٍ ، عن رجلٍ مِن عبدِ القَيْسِ ، عن سَلْمَانَ ، أنه قال : لَمّا قلتُ : وأين تَقَعُ هذه مِن الذى علىَّ يا رسولَ اللَّهِ ﷺ؟ أخَذَها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقَلَّبَها على لسانِه ، ثُم قال : « خُذْها ، فأَوْفِهم منها » . فأخَذْتُها فأوْفَيْتُهم منها حقَّهم كلَّه ؛ أربعين أُوقيَّةً .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثَنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتَادةَ ، حدَّثَنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوَانَ ، قال : حُدِّثْتُ عن سلمانَ ، أنه قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أخْبَرَه خبرَه[3] أنَّ صاحبَ عَمُّورِيَّةَ قال له : ائْتِ كذا وكذا مِن أرضِ الشامِ ، فإن بها رجلًا بينَ غَيْضَتَيْنِ[4] ، [٢/٣٦و] يَخْرُجُ كلَّ سنةٍ مِن هذه الغَيْضَةِ مُسْتَجِيزًا[5] ، يَعْتَرِضُه ذوُو الأَسْقامِ ، فلا يَدْعُو لأحدٍ منهم إلَّا شُفِىَ ، فاسْأَلْه عن هذا الدِّينِ الذى تَبْتَغِى ، فهو يُخْبِرُك عنه . قال سلمانُ : فخرَجْتُ حتى جِئْتُ حيثُ وصَف لى ، فوجدتُ الناسَ قد اجْتَمَعُوا بمَرْضَاهم هناك ، حتى خرَجَ[6] لهم تلك الليلةَ ، مُسْتَجِيزًا مِن إحدَى الغَيْضَتَيْن إلى الأخرَى ، فغَشِيَه الناسُ بمَرْضَاهم ، لا يَدْعُو لمريضٍ إلَّا شُفِىَ ، وغَلَبُونى عليه ، فلم أَخْلُصْ إليه ، حتى دخَل الغَيْضَةَ التى يُريدُ أنْ يَدْخُلَ ، إلّا مَنْكِبَه . قال : فتَنَاوَلْتُه ، فقال : مَن هذا ؟ والْتَفَتَ إلىَّ . قال : قلتُ : يَرْحَمُك اللَّهُ ، أَخْبِرْنى عن الحَنِيفِيَّةِ دينِ إبراهيمَ . قال : إنَّك لَتَسْأَلُ عن شىءٍ ما يَسْأَلُ عنه الناسُ اليومَ ، قد

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٧١، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢١.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٧٠، ٧١. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) سقط من : م .

(٤) الغيضة : الموضع يكثُر فيه الشجر ويلتفّ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى الأصل ، م : « يخرج » .

أَظَلَّك زمانُ نبيٍّ يُبْعَثُ بهذا الدينِ مِن أهلِ الحرمِ، فأْتِه فهو يَحْمِلُك عليه. ثُم دَخَل. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لسلمانَ: «لَئِنْ كنتَ صدَقْتَنِى يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ عيسى ابنَ مريمَ». هكذا وقَع فى هذه الروايةِ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ، وهو شيخُ عاصمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتَادَةَ، وقد قيلَ: إنَّه الحسنُ بنُ عُمَارَةَ. ثُم هو مُنْقَطِعٌ، بل مُعْضَلٌ بينَ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ وسلمانَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه. وقولُه: «لئِنْ كنتَ صدَقْتَنِى يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ عيسى ابنَ مريمَ». غريبٌ جدًّا، بل مُنْكَرٌ، فإنَّ الفترةَ أقلُّ ما قيل فيها: إنَّها أربعُمِائَةِ سنةٍ. وقيل: ستُّمِائَةِ سنةٍ بالشمسيةِ. وسلمانُ أكثرُ ما قيل: إنَّه عاشَ ثَلثَمِائَةِ سنةٍ وخمسين سنةً. وحكى العباسُ بنُ يزيدَ البَحْرَانىُّ[1] إجماعَ مشايخِه على أنه عاشَ مائتين وخمسين سنةً. واخْتَلَفوا فيما زادَ إلى ثَلَثِمِائَةٍ وخمسين سنةً. فاللَّهُ أعلمُ.

والظاهرُ أنه قال: «لقد لَقِيتَ وَصِىَّ عيسى ابنِ مريمَ». فهذا ممكنٌ، [2]إذ قد يكونُ ذاك عَمَّرَ دهرًا طويلًا، وسلمانُ عَمَّرَ بعدَه دهرًا آخرَ. واللَّهُ أعلمُ[2] بالصوابِ.

وقال السُّهَيْلِىُّ[3]: الرجلُ المُبْهَمُ هو الحسنُ بن عمارةَ، وهو ضعيفٌ، وإنْ صحَّ لم يَكُنْ فيه نكارةٌ؛ لأنَّ ابنَ جريرٍ ذكَر أنَّ المسيحَ نزلَ مِن السماءِ بعدَما رُفِع، فوجَد أمَّه وامرأةً أخرَى يَبْكِيان عندَ جِذْعِ المَصلوبِ، فأخْبَرَهما أنه لم يُقْتَلْ، وبعَث الحوارِيِّين بعدَ ذلك[4]. قال: وإذا جازَ نزولُه مرةً، جازَ نزولُه

---

(١) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٤٥٩.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) الروض الأنف ٢/ ٢٤٥.

(٤) انظر ما تقدم فى ٢/ ٥١٤.

مِرَارًا ، ثُم يكونُ نزولُه الظاهرُ حينَ يَكْسِرُ الصليبَ ، ويقْتُلُ الخنزيرَ ، ويَتَزَوَّجُ حينئذٍ امرأةً مِن بنى جُذَامٍ ، وإذا مات ، دُفِن فى حجرةِ روضةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى البَيْهَقِىُّ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ »[1] قِصةَ سلمانَ هذه ، مِن طريقِ يونسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ كما تَقَدَّم . ورَوَاها أيضًا[2] عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن يَحْيَى بنِ أبى طالبٍ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ عاصِمٍ ، حدَّثَنا حاتِمُ بنُ أبى صَغِيرَةَ[3] ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن زيدِ[4] بنِ صَوْحَانَ ، أنَّه سَمِعَ سلمانَ يُحَدِّثُ كيف كان أولُ إسلامِه . فذَكَرَ قصةً طويلةً ، وذكَر أنَّه كان مِن رامْهُرْمُزَ ، وكان له أَخٌ أكبرُ منه غَنِىٌّ ، وكان سلمانُ فقيرًا فى كَنَفِ أخيه ، وأن ابنَ دِهْقَانِها كان صاحبًا له ، وكان يَخْتَلِفُ معه إلى مُعَلِّمٍ لهم ، وأنَّه كان يَخْتَلِفُ ذلك الغلامُ إلى عُبّادٍ مِن النصارَى فى كهفٍ لهم ، فسأَله سلمانُ أنْ يَذْهَبَ به معه إليهم ، فقال له : إنك غلامٌ ، وأَخْشَى أن تَنُمَّ عليهم ، فيَقْتُلَهم أبى . فالْتَزَمَ له أنْ لا يكونَ منه شىءٌ يَكْرَهُه ، فذهَب به معه ، فإذا هم ستةٌ - أو سبعةٌ - كأنَّ الرُّوحَ قد خرَجَت منهم ؛ مِن العبادةِ ، يَصُومُون النهارَ ، وَيقُومُون الليلَ ، يَأْكُلُون الشجرَ وما وجَدُوا ، فذكَر عنهم أنَّهم [٢/٣٦ظ] يُؤْمِنُون بالرسلِ المُتَقَدِّمِين ، وأنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه وابنُ أَمَتِه ، أيَّدَه بالمعجزاتِ ، وقالوا له : يا غلامُ ، إنّ لك ربًّا ، وإنَّ لك مَعَادًا ، وإنَّ بينَ يَدَيْك جنةً ونارًا ، وإنَّ هؤلاء

---

(١) الدلائل ٢/٩٢ - ٩٧.

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٢/٨٢ - ٩٢.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « صفرة » . وهو حاتم بن مسلم ، أبو يونس القشيرى ، وأبو صغيرة أبو أمه ، وقيل : زوج أمه . انظر تهذيب الكمال ٥/ ١٩٤.

(٤) فى الأصل ، م : « يزيد » .

القومَ الذين يَعْبُدُون النيرانَ أهلُ كفرٍ وضلالةٍ، لا يَرْضَى اللَّهُ بما يَصْنَعُون، وليسوا على دِينٍ[1]، ثُم جعَل يَتَرَدَّدُ مع ذلك الغلامِ إليهم، ثُم لَزِمَهم سلمانُ بالكُلِّيَّةِ، ثُم أَجْلَاهم مَلِكُ تلك البلادِ - وهو أبو ذلك الغلامِ الذى صَحِبَه سلمانُ إليهم - عن أرضِه، واحْتَبَسَ الملكُ ابنَه عندَه، وعرَض سلمانُ دينَهم على أخِيه، الذى هو أكبرُ منه، فقال: إنى مُشْتَغِلٌ بنَفْسِى فى طلبِ المعيشةِ. فارتحَلَ معهم سلمانُ، حتى دخلوا كنيسةَ المَوْصِلِ، فسَلَّمَ عليهم أهْلُها، ثُم أَرَادوا أنْ يَتْرُكُونى عندَهم، فأَبَيْتُ إلَّا صُحْبَتَهم، فخَرَجُوا حتى أَتَوْا واديًا بينَ جبالٍ، فتَحدَّر إليهم رهبانُ تلك الناحيةِ يُسَلِّمُون عليهم، واجْتمَعُوا إليهم، وجَعَلُوا يَسْأَلُونهم عن غَيْبَتِهم عنهم، ويَسْأَلُونهم عنِّى، فيُثْنُون علىَّ خيرًا، وجاء رجلٌ مُعَظَّمٌ فيهم فَخطَبَهم، فأَثْنَى على اللَّهِ بما هو أَهْلُه، وذكَر الرسلَ وما أُيِّدُوا به، وذكَر عيسى ابنَ مريمَ، وأنَّه كان عبدَ اللَّهِ ورسولَه، وأمَرَهم بالخيرِ، ونَهَاهم عن الشرِّ، ثُم لَمَّا أَرَادوا الانصرافَ، تَبِعَه سلمانُ ولَزِمَه. قال: فكان يَصُومُ النهارَ وَيقُومُ الليلَ مِن الأحَدِ إلى الأحَدِ الآخرِ[2]، فيَخْرُجُ إليهم، ويَعِظُهم، ويَأْمُرُهم، ويَنْهَاهم، فمكَث على ذلك مدةً طويلةً، ثُم أرادَ أنْ يَزُورَ بيتَ المَقْدِسِ، فصَحِبَه سلمانُ إليه. قال: فكان فيما يَمْشِى، يَلْتَفِتُ إلىَّ ويُقْبِلُ علىَّ، فيَعِظُنى ويُخْبِرُنى أنَّ لى ربًّا، وأنَّ بينَ يَدَىَّ جنةً ونارًا وحسابًا، ويُعَلِّمُنى، ويُذَكِّرُنى نحوَ ما كان يُذَكِّرُ القومَ يومَ الأحدِ، حتى[2] قال فيما يقولُ لى: يا سلمانُ، إنَّ اللَّهَ سوف يَبْعَثُ رسولًا اسمُه أحمدُ، يَخْرُجُ مِن

---

(١) فى م: «دينه».

(٢) سقط من: الأصل، م.

تِهَامَةَ ، يَأْكُلُ الهَدِيَّةَ، ولا يَأْكُلُ الصدقَةَ ، بينَ كَتِفَيْه[1] خاتَمُ النبوةِ[2] ، وهذا زمانُه الذى يَخْرُجُ فيه قد تَقارَبَ ، فأمّا أنا فإنِّى شيخٌ كبيرٌ ، ولا أَحْسَبُنى أُدْرِكُه ، فإنْ أَدْرَكْتَه أنت فصَدِّقْه واتَّبِعْه . قلتُ له : وإنْ أَمَرَنى بتَرْكِ دينِك وما أنتَ عليه ؟ قال : وإن أمَرَك ؛ فإنَّ الحقَّ فيما يَجِىءُ به ، ورِضَا الرحمنِ فيما قال . ثُم ذكَر قُدُومَهما إلى بيتِ المقدسِ ، وأنَّ صاحبَه صلَّى فيه هٰهنا وهٰهنا ، ثُم نامَ ، وقد أَوْصَاه أنَّه إذا بلَغ الظلُّ مكانَ كذا ، أن يُوقِظَه ، فترَكَه سلمانُ حينًا آخَرَ أَزْيَدَ ممَّا قال ؛ ليَسْتَرِيحَ ، فلَمّا استَيْقَظَ ذكرَ اللَّهَ ولَام سلمانَ على ترْكِ ما أمَرَه به مِن ذلك ، ثُم خرَجَا مِن بيتِ المقدسِ ، فسأَله مُقْعَدٌ ، فقال : يا عبدَ اللَّهِ ، سألتُك حينَ دَخَلْتَ[3] ، فلم تُعْطِنى شيئًا ، وها أنَا أَسْأَلُك . فنظَر فلم يَجِدْ أحدًا ، فأخَذ بيدِه وقال : قُمْ بسمِ اللَّهِ . فقامَ وليس به بَأْسٌ ولا قَلَبَةٌ[4] ، كأنَّما نُشِطَ مِن عِقَالٍ ، فقال لى : يا عبدَ اللَّهِ ، احْمِلْ علىَّ مَتَاعِى ؛ حتى أَذْهَبَ إلى أهلى فأُبَشِّرَهم . فاشْتَغَلْتُ به ، ثُم أَدْرَكْتُ الرجلَ فلم أَلْحَقْه ، ولم أَدْرِ أين ذهَبَ ، وكُلَّما سألتُ عنه قومًا قالوا : أمامَك . حتى لَقِيَنى رَكْبٌ مِن العربِ مِن بنى كلبٍ ، فسألْتُهم ، فلمَّا سَمِعُوا لُغَتِى[5] ، أَنَاخَ رجلٌ منهم بعيرَه ، فحمَلَنى خَلْفه ، حتى أَتَوْا بى بلادَهم ، فباعُونى ، فاشْتَرَتْنى امرأةٌ مِن الأنصارِ ، فجعَلَتْنِى فى حائطٍ لها ، وقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثُم ذكَر ذَهَابَه [٢/٣٧و] ، إليه بالصدقةِ

---

(١) فى ص : « يديه » .

(٢) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٣) فى الأصل ، م : « وصلت » .

(٤) قلبة : داء ، وألم من علة .

(٥) فى ص : « الفتى » .

والهديَّةِ ؛ ليَسْتَعْلِمَ ما قال صاحبُه ، ثُم تَطَلَّبَ النظرَ إلى خاتَمِ النبوةِ ، فلمَّا رآهُ ، آمَن مِن ساعتِه ، وأخْبَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ خبرَه الذى جرَى له . قال : فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ ، فاشْتَراه مِن سيدِه ، فأعْتَقَه . قال : ثُم سألْتُه يومًا عن دينِ النصارَى فقال : « لا خيرَ فيهم » . قال : فوقَع فى نفسِى مِن أولئِك الذين صَحِبْتُهم ، ومِن ذلك الرجلِ الصالحِ الذى كان معى ببيتِ المقدسِ ، فدَخَلَنى مِن ذلك أمرٌ عظيمٌ ، حتى أَنْزَل اللَّهُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢] ، فدَعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجِئْتُ وأنا خائفٌ ، فجلستُ بينَ يَدَيْه ، فقرأ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآيات . ثُم قال : « يا سلمانُ ، أولئك الذين كنتَ معهم وصاحبُك ، لم يَكُونوا نصارَى ، كانوا مسلِمِين » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، والذى بعَثَك بالحقِّ ، لَهُوَ أمَرَنى باتِّبَاعِك ، فقلتُ له : وإنْ أمَرَنى بِتَرْكِ دينِك وما أنتَ عليه ؟ قال : نَعَمْ ، فاتْرُكْه ، فإنَّ الحقَّ وما يَرْضَى اللَّهُ فيما يَأْمُرُك . وفى هذا السياقِ غرابةٌ كثيرةٌ ، وفيه بعضُ المُخالَفةِ لسياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، وطريقُ محمدِ بنِ إسحاقَ أَقْوَى إسنادًا ، وأحسنُ اقْتِصاصًا ، وأقربُ إلى ما رَوَاه البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] ، مِن حديثِ مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ بنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ ، عن أبيه ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِيِّ ، عن سلمانَ الفارسيِّ ، أنَّه تَداوَلَه بضعةَ عَشَرَ ، مِن رَبٍّ إلى رَبٍّ . أىْ ؛

---

(١) البخارى (٣٩٤٦) .

مِن مُعَلِّمٍ [1]إلى مُعَلمٍ[1] ، ومُرَبٍّ إلى مِثْلِه . واللَّهُ أعلمُ .

قال السُّهَيْلِيُّ[2] : [3]تَدَاوَلَه ثلاثون سيِّدًا ، مِن سيدٍ إلى سيدٍ . فاللَّهُ أعلمُ[3] . وكذلك اسْتَقْصَى قصةَ إسلامِه ، الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى « الدلائلِ »[4] ، وأَوْرَدَ لها أسانيدَ وألفاظًا كثيرةً ، وفى بعضِها أنَّ اسمَ سيدتِه التى كاتَبَتْه ، حُلَيْسَةُ[5] . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ا ٩، ص .

(٢) الروض الأنف ٢/ ٣٤٢.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) دلائل النبوة (١٩٩) .

(٥) فى م : « حلبسة » .

ذكرُ أخبَارٍ غريبةٍ فى ذلك

وقال أبو نُعَيمٍ فى «الدلائلِ»[٢] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا محمدُ ابنُ زكريَّا الغَلَابِىُّ ، حدَّثَنا العلاءُ بنُ الفضلِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى سَوِيَّةَ[١] المِنْقَرِىُّ ، حدَّثَنا عَبَّادُ بنُ كُسَيْبٍ ، عن أبيه ، عن أبى عِتْوَارَةَ الخُزَاعىِّ ، عن سِعْرِ[٣] بنِ سَوَادَةَ العامرىِّ ، قال : كنتُ عَسِيفًا[٤] لعَقِيلَةٍ[٥] مِن عقائلِ الحىِّ ، أَرْكَبُ لها الصَّعْبَ والذَّلُولَ ، لا أُبْقِى[٦] مِن البلاد مَطْرَحًا[٧] أَرْجُو رِبْحًا فى مَتْجَرٍ ، إلَّا أَتَيْتُه ، فانصرفتُ مِن الشامِ بخُرْثَةٍ[٨] وأثاثٍ ، أُرِيدُ به كُبَّةَ[٩] المَوْسِمِ ودَهْمَاءَ[١٠] العربِ ، فدخلتُ مكةَ بليلٍ مُسْدِفٍ[١١] ، فأقمتُ حتى تَعَرَّى عنى قميصُ الليلِ ، فرفعتُ رأسى ، فإذا قِبَابٌ مُسَامِتَةٌ[١٢] شَعَفَ[١٣] الجبالِ ، مَضْرُوبَةٌ

---

(١) فى الأصل : «سومة» . وفى ا ٩: «سويد» . وفى م : «السوية» .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/٤١٣ ، من طريق علاء بن الفضل المنقرى به .

(٣) فى الأصل : «سعيد» . وفى م ، ص : «سعير» .

(٤) فى م : «عشيقا» . والعسيف : الأجير .

(٥) العقيلة من النساء : الكريمة المخدرة .

(٦) فى الأصل : «ألتق» ، وفى ا ٩: «أسمع» ، وفى ص : «أليق» .

(٧) فى م : «مسرحا» . والمطرح : المكان البعيد .

(٨) فى الأصل : «بحرسة» . وفى م : «بحرت» . والخرثة : أردأ المتاع .

(٩) فى الأصل : «كبد» . والكبة بالفتح : الزحام ، وبالضم : الجماعة من الناس .

(١٠) الدهماء : العدد الكثير وجماعة الناس .

(١١) مسدف : مظلم .

(١٢) مسامتة من سامَتَه : قابله ووازاه وواجهه .

(١٣) الشعف : جمع شَعَفَة ، والشعفة من كل شىء أعلاه .

بأَنْطَاعِ[1] الطائفِ، وإذا جزائرُ تُنْحَرُ، وأُخرَى تُسَاقُ، وإذا أَكَلَةٌ وحَثَثَةٌ على الطُّهَاةِ يقولون: ألَا عَجِّلُوا ألَا عَجِّلُوا، وإذا رجلٌ يَجْهَرُ على نَشَزٍ[2] مِن الأرضِ يُنَادِى: يا وفدَ اللَّهِ، مِيلُوا إلى الغَدَاءِ. وأُنَيْسانٌ[3] على مَدْرَجَةٍ يقولُ: يا وفدَ اللَّهِ، مَن طَعِمَ [٢/٣٧ظ] فلْيَرُحْ[4] إلى العَشَاءِ. فجَهَرَنى[5] ما رأيتُ، فأَقْبَلْتُ أُرِيدُ عَمِيدَ القومِ، فعرَف رجلٌ الذى بى، فقال: أمامَك. وإذا شيخٌ كأنَّ فى خَدَّيْه الأَسَارِيعَ[6]، وكأنَّ الشِّعْرَى تَوَقَّدُ فى جَبِينِه، قد لَاثَ[7] على رأسِه عِمامةً سوداءَ، قد أَبْرَز مِن مِلَائِها جُمَّةً فَيْنَانَةً[8] كأنَّها سَماسِمُ[9] - قال فى بعضِ الرواياتِ: تحتَه كُرْسِىٌّ سَاسَم[10] - ومِن دونِهما نُمْرُقَةٌ، بيدِه قضيبٌ يَتَخَصَّرُ به، حولَه مشايخُ جِلَّةٌ[11] نواكِسُ الأذقانِ، ما منهم أحدٌ يُفِيضُ بكلمةٍ، وقد كان نَمَى إلىَّ[12] حَبْرٌ مِن أَحْبَارِ[12] الشامِ، أنَّ النبىَّ الأُمِّىَّ هذا أوانُ نُجُومِه، فَلمّا رأيتُه ظننتُه ذلك، فقلتُ: السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ. فقال: مَهْ مَهْ، كلّا، وكأنْ قد وَلَّيْتَنِى إيّاه! فقلتُ: مَن هذا الشيخُ؟ فقالوا: هذا أبو

---

(١) الأنطاع: جمع نطع؛ وهو بساط من الأديم.

(٢) النشز: ما ارتفع وظهر من الأرض.

(٣) أُنيسان: تصغير إنسان.

(٤) فى الأصل: «فليبرح».

(٥) جهر الشىء فلانا: عظُم فى عينه وراعه جماله وهيئته. الوسيط (ج هـ ر).

(٦) الأساريع: طرائق الذهب.

(٧) لاث العمامة على رأسه: لفَّها وعَصَبها.

(٨) فينانة: يُقال: شَعْرٌ فينان: طويل حَسَن.

(٩) السماسم: عيدان السمسم.

(١٠) فى الأصل، م، ص: «سماسم». والساسم: شجر أسود كالآبنوس.

(١١) فى م: «جلس». وجلة: شيوخٌ مسانٌّ.

(١٢ - ١٢) فى ا ٩، م، ص: «خبر من أخبار».

نَضْلَةَ ، هذا هاشمُ بنُ عبدِ مَنَافٍ . فوَلَّيْتُ وأنا أقولُ : هذا واللَّهِ المجْدُ ، لا مَجْدُ آلِ جَفْنَةَ . يَعْنِى ملوكَ عربِ الشامِ ، مِن غَسّانَ ، كان يقالُ لهم : آلُ جَفْنَةَ . وهذه الوظيفةُ التى حكَاها عن هاشمٍ هى الرِّفادةُ ، يَعنِى : إطعامَ الحجيجِ زمنَ المَوْسِمِ .

وقال أبو نُعَيْمٍ[1] : حدَّثنَا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ يَحيى ، حدَّثنا سعيدُ بنُ عثمانَ ، حدَّثنا علىُّ بنُ قُتَيْبَةَ الخُراسانىُّ ، حدَّثنا خالدُ ابنُ إلياسَ ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الجَهْمِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : سَمِعْتُ أبا طالبٍ ، يُحَدِّثُ عن عبدِ المُطَّلِبِ ، قال : بَيْنَا أنا نائمٌ فى الحِجْرِ ، إذْ رأيتُ رُؤْيَا هالَتْنِى ، ففَزِعْتُ منها فَزَعًا شديدًا ، فأَتَيْتُ كاهنةَ قريشٍ ، وعلىَّ مُطْرَفُ[2] خَزٍّ ، وجُمَّتِى تَضْرِبُ مَنْكِبَىَّ ، فلمَّا نظرَتْ إلىَّ ، عرَفَتْ فى وجْهِى التغَيُّرَ ، وأنا يومئذٍ سيِّدُ قومِى ، فقالت : ما بالُ سيدِنا قد أَتَانَا متغيِّرَ اللونِ ؟ هل رَابَه مِن حِدْثَانِ الدهرِ شىءٌ ؟ فقلتُ لها : بلى . وكان لا يُكَلِّمُها أحدٌ مِن الناسِ ، حتى يُقَبِّلَ يدَها اليُمنَى ، ثُم يَضَعَ يَدَه على أُمِّ رأسِها ، ثُم يَذْكُرَ حاجتَه ، ولم أفعلْ ؛ لأنِّى كبيرُ قَومِى ، فجلستُ فقلتُ : إنِّى رأيتُ الليلةَ وأنا نائمٌ فى الحِجْرِ ، كأنَّ شجرةً نَبَتَتْ[3] قد نالَ رأسُها السماءَ ، وضَرَبَتْ بأغصانِها المشرقَ والمغربَ ، وما رأيتُ نورًا أَزْهَرَ منها ، أعظمَ مِن نورِ الشمسِ سبعين ضِعْفًا ، ورأيتُ العربَ والعجمَ ساجِدِين لها ، وهى تَزْدادُ كلَّ ساعةٍ عِظَمًا ونورًا

---

(١) دلائل النبوة (٥١) .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسرها : رداء أو ثوب من خزٍّ مربَّع ذو أعلام .

(٣) فى الأصل ، م : « تنبت » .

وارتفاعًا ، ساعةً تَخْفَى وساعةً تَزْهَرُ ، ورأيتُ رَهْطًا مِن قريشٍ قد تَعَلَّقُوا بأغصانِها ، ورأيتُ قومًا مِن قريشٍ يُرِيدُون قطعَها ، فإذا دَنَوْا منها ، أَخَّرَهم شابٌّ لم أَرَ قطُّ أحسنَ منه وجهًا ، ولا أَطْيَبَ منه ريحًا ، فيَكْسِرُ أَظْهُرَهم ، ويَقْلَعُ أَعْيُنَهم ، فرفعتُ يَدِى لأَتَناولَ منها نَصِيبًا ، (١فمنَعَنِى الشابُّ١) ، فقلتُ : لِمَنِ النصيبُ ؟ فقال : النصيبُ لهؤلاء الذين تَعَلَّقُوا بها وسَبَقُوك إليها . فانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا فَزِعًا . فرأيتُ وجهَ الكاهنةِ قد تَغَيَّرَ ، ثُم قالت : لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْياك ، لَيَخْرُجَنَّ مِن صُلْبِك رجلٌ يَمْلِكُ المشرقَ والمغربَ ، ويَدِينُ له الناسُ . ثُم قال - يَعْنِى عبدَ المطلبِ - لأبى طالبٍ : لَعَلَّك تكونُ هذا المولودَ . قال : فكان أبو طالبٍ يُحَدِّثُ بهذا الحديثِ ، بعدمَا وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبعدمَا بُعِثَ . ثُم قال : كانت الشجرةُ - واللَّهُ أعلمُ - أبا القاسمِ الأمينَ ، فيقالُ لأبى طالبٍ : ألَا تُؤْمِنُ ؟ فيقولُ : السُّبَّةُ والعارُ .

وقال أبو نُعَيْمٍ(٢) : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ زكريَّا الغَلابِىُّ حدَّثَنا العباسُ بنُ بَكَّارٍ [٢/٣٨و] الضَّبِّىُّ ، حدَّثَنا أبو بكرٍ الهُذَلِىُّ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال العباسُ : خرجتُ فى تجارةٍ إلى اليَمَنِ فى رَكْبٍ ، منهم أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ ، فقَدِمْتُ اليمنَ ، فكنتُ أَصْنَعُ يومًا طعامًا ، وأَنْصَرِفُ بأبى سفيانَ وبالنَّفَرِ ، ويَصْنَعُ أبو سفيانَ يومًا ، ويفعلُ مِثْلَ ذلك ، فقال لى فى يَوْمِى الذى كنتُ أَصْنَعُ فيه : هل لك يا أبا الفَضْلِ أن تَنْصَرِفَ إلى بَيْتِى ، وتُرْسِلَ إلىَّ غَدَاءَك ؟ فقلتُ : نَعَمْ . فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيتِه ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٢) لم نجده فى مختصر دلائل النبوة لأبى نعيم .

وأرسلتُ إلى الغداءِ ، فلمَّا تَغَدَّى القومُ ، قاموا واحْتَبَسَنِى ، فقال : هل عَلِمْتَ يا أبا الفَضْلِ ، أن ابنَ أخيك يَزْعُمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ ؟ فقلتُ : أىَّ بَنِى أخى ؟ فقال أبو سفيانَ : إيَّاىَ تَكْتُمُ ؟! وأىُّ بَنِى أخيك يَنْبَغِى أنْ يقولَ هذا ، إلّا رجلٌ واحدٌ ؟! قلتُ : وأيُّهم على ذلك ؟ قال : هو محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ . فقلتُ : قد فَعَل ؟ قال : بلى ، قد فَعَل . وأخْرَجَ كتابًا[1] مِن ابنِه حَنْظَلَةَ بنِ أبى سفيانَ ، فيه : أُخْبِرُك أنَّ محمدًا قامَ بالأبْطَحِ ، فقال : «أنا رسولُ اللَّهِ ، أدْعُوكم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ» . فقال العباسُ : قلتُ : لعَلَّه[2] يا أبا حَنْظَلَةَ صادِقٌ . فقال : مَهْلًا يا أبا الفَضْلِ ، فواللَّهِ ما أُحِبُّ أنْ يقولَ مِثْلَ هذا ، إنِّى لا أَخْشَى أنْ يكونَ علىَّ ضَيْرٌ مِن هذا الحديثِ يا بنى عبدِ المطلبِ ، إنَّه واللَّهِ ما بَرِحَتْ قريشٌ تَزْعُمُ أنَّ لكم هَنَةً وهَنَةً ، كلُّ واحدةٍ منهما غايةٌ ، لَنَشَدْتُك يا أبا الفَضْلِ ، هل سَمِعتَ ذلك ؟ قلتُ : نَعَمْ ، قد سَمِعْتُ . قال : فهذه واللَّهِ شُؤْمَتُكم . قلتُ : فَلعَلَّها يُمْنَتُنا . قال : فما كان بعدَ ذلك إلّا لَيالٍ ، حتى قَدِمَ عبدُ اللَّهِ بنُ حُذَافَةَ بالخبرِ وهو مؤمنٌ ، ففَشَا ذلك فى مجالسِ اليمنِ ، وكان أبو سفيانَ يَجْلِسُ مجلسًا باليمنِ ، يَتَحَدَّثُ فيه حَبْرٌ مِن أحبارِ اليهودِ ، فقال له اليهودىُّ : ما هذا الخبرُ ؟ بَلَغَنِى أنَّ فيكم عَمَّ هذا الرجلِ الذى قال ما قال ؟ قال أبو سفيانَ : صَدَقُوا ، وأنَا عَمُّه . فقال اليهودىُّ : أخو أبيه ؟ قال : نَعَمْ . قال : فحدِّثْنى عنه . قال : لا تَسْأَلْنِى ، ما أُحِبُّ أنْ يَدَّعِىَ هذا الأمرَ أبدًا ، وما أُحِبُّ أنْ أَعِيبَه ، وغيرهُ خيرٌ منه . فرأَى اليهودىُّ أنّه يُغَمِّضُ[3] عليه ، ولا يُحِبُّ أنْ يَعِيبَه ، فقال

---

(١) بعده فى م : «باسمه» .

(٢) فى م : «أجده» .

(٣) فى الأصل : «لا يغمض» ، وفى م : «لا يغمس» . وغمَّض الكلامَ : جعَله غامضًا .

اليهوديُّ : ليس به ، لا[1] بَأْسَ على اليهودِ ، وتوراةِ موسى . قال العباسُ : فنادَانِى الحَبْرُ ، فجِئْتُ ، فخرَجْتُ حتى جلستُ ذلك المجلسَ مِن الغَدِ ، وفيه أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ والحَبْرُ ، فقلتُ للحَبْرِ : بَلَغنى أنَّك سألتَ ابنَ عَمِّى عن رجلٍ منّا ، زعَم أنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأَخْبَرَك أنَّه عَمُّه ، وليس بعَمِّه ، ولكن ابنَ عمِّه ، وأنا عَمُّه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقْبَلَ على أبى سفيانَ ، فقال : صدَق ؟ قال : نَعَمْ ، صدَق . فقلتُ : سَلْنِى ، فإنْ كَذبْتُ فلْيَرُدَّه علىَّ . فأَقْبَلَ علىَّ فقال : نَشَدْتُك ، هل كان لابنِ أخيك صَبْوَةٌ أو سَفَهَةٌ ؟ قلتُ : لا وإلهِ عبدِ المُطَّلِبِ ، ولا كذَب ولا خانَ ، وإنْ كان اسمُه عندَ قريشٍ الأمينَ . قال : فهل كتَب بيدِهِ ؟ قال العباسُ : فظَنَنْتُ أنه خيرٌ له أنْ يَكْتُبَ بيدِه ، فأرَدْتُ أنْ أقولَها ، ثُم ذكَرْتُ مكانَ أبى سفيانَ ، [2]أنَّه مُكَذِّبِى ورَادٌّ[2] علىَّ ، فقلت : لا يَكْتُبُ . فوَثَب الحَبْرُ ، [3]وترَك رِدَاءَه[3] ، وقال : ذُبِحَتْ يهودُ ، وقُتِلَتْ يهودُ . قال العباسُ : فلَمّا رَجَعْنا إلى منزِلِنا ، [٢/٣٨ظ] ، قال أبو سفيانَ : يا أبا الفَضْلِ ، إنَّ اليهودَ تَفْزَعُ مِنِ ابنِ أخيك ! قلتُ : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أبا سفيانَ أنْ تُؤْمِنَ به ، فإنْ كان حقًّا ، كنتَ قد سبَقْتَ ، وإن كان باطلًا ، فمعك غيرُك مِن أكْفَائِك . قال : لا أُؤْمِنُ به حتى أَرَى الخيلَ فى كَدَاءٍ[4] . قلتُ : ما تقولُ ؟ قال : كلمةٌ جاءَتْ على فَمِى ، إلا أنِّى أعْلَمُ أنَّ اللَّهَ لا يَتْرُكُ خيلًا تَطْلُعُ مِن كَدَاءٍ . قال العباسُ : فلَمّا اسْتَفْتَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « يكذبنى ويرد » .

(٣ - ٣) فى م : « نزل رداؤه » .

(٤) جبل بمكة .

مكةَ، ونظَرْنا إلى الخيلِ وقد طَلَعَتْ مِن كَدَاءٍ، قلتُ: يا أبا سفيانَ، تَذْكُرُ الكلمةَ؟ قال: إى واللَّهِ، إنِّى لَذاكِرُها، فالحمدُ للَّهِ الذى هَدَانى للإِسلامِ. وهذا سياقٌ حسنٌ، عليه البهاءُ والنورُ وضياءُ الصدقِ، وإن كان فى رجالِه مَن هو مُتَكَلَّمٌ فيه. واللَّهُ أعلمُ.

وقد تَقَدَّم ما ذَكَرْناه فى قصةِ أبى سفيانَ مع أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[1]، وهو شَبِيهٌ بهذا البابِ، وهو مِن أَغْرَبِ الأخبارِ، وأحسنِ السياقاتِ، وعليه النورُ. وسيأتِى أيضًا قصةُ أبى سفيانَ مع هِرَقْلَ ملكِ الرومِ، حينَ سأَله عن صفاتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأحوالِه، واسْتِدْلَالُه بذلك على صدقِه ونبوتِه ورسالتِه. وقال له: قد كنتُ أَعْلَمُ أنّه خارجٌ، ولكنْ لم أكنْ أَظُنُّ أنَّه فيكم، ولو أَعْلَمُ أنِّى أَخْلُصُ إليه، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، [2]ولو كنتُ عندَه لَغَسَلْتُ عن قَدَمَيْه[2]، ولَئِنْ كان ما تقولُ حقًّا، لَيَمْلِكَنَّ موضعَ قدمَىَّ هاتين. وكذلك وقَع، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وقد أَكْثَرَ الحافظُ أبو نُعَيْمٍ مِن إيرادِ الآثارِ والأخبارِ، عن الرهبانِ والأحبارِ والعربِ، فأَكْثَرَ وأَطْنَبَ، وأَحْسَنَ وأَطْيَبَ، رَحِمَه اللَّهُ، ورَضِىَ عنه.

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

قصّةُ عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِـيّ

قال الطَّبَرانِيُّ[1] : حدَّثَنا عليُّ بنُ إبراهيمَ الخُزاعِيُّ الأهْوازِيُّ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ بنِ دِلْهاثٍ[2] بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ بن شُرَيحِ بنِ ياسرِ بنِ سُوَيْدٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حدَّثَنا أبى ، عن أبيه دلهاثٍ ، عن أبيه إسماعيلَ ، أنَّ أباه عبدَ اللَّهِ حدَّثَه عن أبيه ، أنَّ أباه ياسرَ بنَ سُوَيْدٍ حدَّثه عن عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِيِّ قال : خرَجْتُ حاجًّا فى جماعةٍ مِن قومى فى الجاهليَّةِ ، فرأيْتُ فى نَومى وأنا بمكَّةَ ، نُورًا ساطعًا مِن الكعبةِ حتى وصَلَ إلى جبلِ يَثْرِبَ وأشْعَرِ جُهَيْنَةَ[3] ، فسمِعْتُ صوتًا بينَ النورِ وهو يقولُ : انقشَعَتِ الظَّلْماءْ ، وسَطَعَ الضياءْ ، وبُعِثَ خاتمُ الأنبياءْ . ثُم أضاءَ إضاءةً أُخرى ، حتّى نظَرْتُ إلى قصورِ الحِيرةِ وأَبْيَضِ[4] المدائنِ ، وسمعْتُ صوتًا مِن النورِ وهو يقولُ : ظَهَرَ الإسلامْ ، وكُسِّرَتِ الأصنامْ ، ووُصِلتِ الأرحامْ . فانتبهْتُ فَزِعًا ، فقلتُ لقومى : واللَّهِ لَيَحْدُثَنَّ لهذا الحىِّ مِن قريشٍ حَدَثٌ . وأخْبَرْتُهم بما رأَيْتُ ، فلمّا انتَهَيْنا إلى بلادِنا جاءنى رجلٌ يُقالُ له : أحمدُ ، قد بُعِثَ فأَتَيْتُه فأَخبَرْتُه بما رأَيْتُ ، فقال : « يا عمرُو بنَ مُرَّةَ ، أنا النبىُّ المُرْسلُ إلى العبادِ كافَّةً . أَدْعُوهم إلى الإسلامِ ، وآمُرُهم بحَقْنِ الدِّماءِ وصِلَةِ الأرحامِ ، وعِبادةِ اللَّهِ ورَفْضِ الأصنامِ ، وحجِّ

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/٢٤٤ - ٢٤٦، وعزاه إلى الطبرانى . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٦٠٨ مخطوط ، من طريق عبد اللَّه بن داود بن دلهاث به .

(٢) فى الأصل : « دلهات » . وانظر لسان الميزان ٣/ ٢٨٣.

(٣) أشعر جهينة : جبل . قال ابن السِّكِّيت : الأشعر جبل جهينة . معجم البلدان ١/ ٢٧٩.

(٤) الأبيض : قصر للأكاسرة .

البيتِ ، وصِيامِ شهرِ رمضانَ مِن اثْنَىْ عشَرَ شهْرًا ، فمَن أجابَ فله الجنةُ ، ومَن عَصَى فله النارُ . فآمِنْ باللَّهِ[1] يَا عمرُو ، يُؤَمِّنْك اللَّهُ مِن هَوْلِ جَهَنمَ » . فقلْتُ : أَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّك رَسولُ اللَّهِ ، آمنْتُ بما جِئْتَ مِن حلالٍ وحرامٍ ، وإن رَغَم[2] ذلك كثيرًا مِن الأَقْوامِ [٢/٣٩و] . ثُم أَنْشدتُه أبياتًا قُلْتُها حينَ سمِعْتُ به ؛ وكان لنا صنمٌ ، وكان أبى سادنًا له[3] ، فقُمْتُ إليه فكسَرْتُه ، ثُم لَحِقْتُ بالنبىِّ ﷺ ، وأنا أقولُ :

شَهِدْتُ بأنَّ اللَّهَ حَقٌّ وأنَّنى ... لآلهةِ الأَحْجارِ أولُ تاركِ

وشمَّرْتُ عن ساقِ الإزارِ مُهاجِرًا ... إليكَ أَجوبُ القَفْرَ بعدَ الدَّكادِكِ[4]

لأَصْحَبَ خيرَ الناسِ نَفْسًا ووالدًا ... رسولَ مليكِ الناسِ فوقَ الحبائِكِ[5]

فقال النبىُّ ﷺ : « مَرْحبًا يا عمرُو بنَ مُرَّةَ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ابْعَثْنى إلى قَوْمى ؛ لعلَّ اللَّهَ يَمُنُّ عليهم بى ، كما مَنَّ علىَّ بك . فبَعَثَنِى إليهم ، وقال : « عليك بالرِّفْقِ والقَوْلِ السَّديدِ ، ولا تَكُنْ فَظًّا ، ولا مُتَكَبِّرًا ولا حَسُودًا » . فذكَر أنَّه أَتَى قومَه ، فدَعاهم إلى ما دَعاه إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأسلَموا كلُّهم إلَّا رجلًا واحدًا منهم ، وأنَّه وَفَدَ بهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ،

---

(١) سقط من : ا ٩، م، ص .

(٢) رغم فلانًا : أذلَّه وكسَره .

(٣) سادن : خادم .

(٤) الدكادك : جمع دَكْدك - بفتح الدال وكسرها - ودَكْداك : ما تكبَّس واستوى من الرمل ، أو ما التبد منه بالأرض . أو هى أرض فيها غِلَظ . القاموس المحيط (د ك ك) .

(٥) الحبائك : الطُّرُق ، واحدتها حبيكة ، يعنى بها السماوات لأن فيها طرق النجوم . اللسان (ح ب ك) .

فرَحَّبَ بهم وحيَّاهم، وكَتَب لهم كتابًا هذه نُسْخَتُه: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، هذا كتابٌ مِن اللَّهِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بكتابٍ صادقٍ، وحقٍّ ناطقٍ، مع عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِيِّ لِجُهَيْنَةَ بنِ زيدٍ: إنَّ لكم بطونَ الأرضِ وسهولَها، وتِلاعَ[1] الأَوْدِيَةِ وظُهُورَها، تَزْرَعُونَ نباتَه وتَشرَبون صافِيَه، على أن تُقِرُّوا بالخُمُسِ، وتُصَلُّوا صَلاةَ الخَمْسِ، وفى التَّبِيعةِ والصُّرَيْمَةِ[2] إن اجْتَمَعَتا شاتان[3]، وإن تَفَرَّقَتا شاةٌ شاةٌ، ليس على أهلِ المِيرَةِ[4] صَدَقةٌ، [5]ولا على الواردةِ لبقةٌ[5]». وشَهِد على نَبِيِّنا ﷺ، مَن حَضَرَ مِن المُسْلِمِينَ بكتابِ قَيْسِ ابنِ شمَّاسٍ. وذكَر شعْرًا قاله عمرُو بنُ مُرَّةَ فى ذلك، كما هو مبسوطٌ فى «المُسْنَدِ الكبيرِ»، وباللَّهِ الثِّقةُ، وعليه التُّكلانُ.

وقال اللَّهُ تعالى[6]: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]. قال [7]كثيرٌ مِن المُفَسِّرينَ[7]: لمَّا أخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بنى آدمَ يومَ قال[8]: ﴿أَلَسْتُ

---

(١) التلاع: جمع تَلْعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها - ضدٌّ. ومسيل الماء. وما اتسع من فوَّهة الوادى. والقطعة المرتفعة من الأرض. القاموس المحيط (ت ل ع).

(٢) التبيعة: التَّبِيع: الفَحْل من ولد البقر. والأنثى تَبِيعة. والصُّرَيْمَة: تصغير الصِّرْمة وهى القطيع من الإبل والغنم، وقيل: هى من العشرين إلى الثلاثين والأربعين، والمراد بها فى الحديث من مائة وإحدى وعشرين شاة إلى مائتين.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) الميرة: الإبل التى تحمل الطعام ونحوه مما يُجلب للبيع؛ أى لا يكون فيها زكاة لأنها عوامل.

(٥ - ٥) فى الأصل: «ليس للورد اللبقة». فى ا ٩، م، ص: «ليس الوردة اللبقة»، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) التفسير ٦/ ٣٨٣.

(٧ - ٧) فى الأصل، م: «كثيرون من السلف».

(٨) سقط من: الأصل، م. وانظر التفسير ٣/ ٥٠٠ - ٥٠٦.

بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أخَذَ مِن النَّبِيِّين ميثاقًا خاصًّا؛ وأكَّدَ مع هؤلاء الخمسةِ، أُولِى العزمِ أصحابِ الشرائعِ الكِبارِ، الذين أولُهم نوحٌ وآخرُهم محمدٌ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أَجْمَعِين.

وقد روَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[(١)] فى كتابِ «دلائلِ النُّبُوَّةِ» مِن طُرُقٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، حدَّثَنا الأَوْزاعِىُّ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ أبى كَثيرٍ، عن[(٢)] أبى سَلَمةَ[(٢)]، عن أبى هريرةَ: سُئِلَ النبىُّ ﷺ: متى وَجَبَتْ لك النبوةُ؟ قال: «بينَ خَلْقِ آدمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيه». وهكذا رَواه الترمذىُّ[(٣)] مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، وقال: حَسَنٌ غريبٌ مِن حديثِ أبى هريرةَ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ.

وقال أبو نُعَيْمٍ[(٤)]: حدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثَنا يَعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ الزُّبَيْرِ الحَلَبِىُّ، حدَّثَنا أبو جعفرٍ النُّفَيلىُّ[(٥)]، حدَّثَنا عمرُو بنُ واقدٍ[(٦)]، عن عُرْوَةَ ابنِ رُوَيْمٍ، عن الصُّنابحىِّ، قال: قال عُمَرُ: [(٧)]يا رسولَ اللَّه[(٧)]، متى جُعِلْتَ نبيًّا؟ قال: «وآدمُ مُنجَدِلٌ فى الطِّينِ». ثُم روَاه[(٨)] مِن حديثِ نصرِ بنِ مُزاحِمٍ، عن قَيْسِ بنِ الرَّبيعِ، عن جابرٍ الجُعْفِىِّ[(٩)]، عن الشَّعْبِىِّ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال:

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٨).

(٢ - ٢) سقط من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٦، ٣٤/ ٣٧٦.

(٣) الترمذى (٣٦٠٩). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٥٦).

(٤) ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ٤، وعزاه إلى أبى نعيم.

(٥) فى الأصل، ا ٩: «النبيل». وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٨٨.

(٦) فى الأصل: «وافد». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٨٦.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ٤، إلى أبى نعيم.

(٩) فى الأصل: «الجحفى».

قيل: يا رسولَ اللَّهِ، متى كنتَ نبيًّا؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ» [٢/ ٣٩ظ]. وفى الحديثِ الذى أورَدْناه[(١)] فى قصةِ آدمَ، حينَ استخرجَ اللَّهُ مِن صُلْبِه ذُرِّيَّته خَصَّ الأنبياءَ بنورٍ بينَ أعيُنِهم. والظاهرُ، واللَّهُ أعلمُ، أنَّه كان على قَدْرِ منازِلِهم ورُتَبِهم عندَ اللَّهِ. وإذا كان الأَمْرُ كذلك، فنورُ محمدٍ ﷺ، كان أظهرَ وأكبرَ وأعظمَ منهم كلِّهم. وهذا تنويهٌ عظيمٌ، وتنبيهٌ ظاهرٌ على شرَفِه وعُلُوِّ قَدْرِه. وفى هذا المعنى، الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[(٢)]: حدَّثَنا[(٣)] عبدُ الرحمنِ بنُ مهـدىٍّ، حدَّثَنا معاويةُ بنُ صالحٍ، عن سعيدِ بنِ سُوَيدٍ الكَلْبِىِّ، عن [(٤)]عبدِ الأَعْلَى[(٤)] بنِ هلالٍ السُّلَمِىِّ، عن العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى عندَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ فى طِينتِه، وسأُنَبِّئُكم بأَوَّلِ ذلك؛ دعوةُ أبى إبراهيمَ، وبشارةُ عيسى بى، ورؤيا أُمِّى التى رأَتْ، وكذلك أمهاتُ الأنبياءِ[(٥)] يَرَيْنَ». ورَواه اللَّيْثُ[(٦)] وابنُ وَهْبٍ[(٧)] و[(٨)] عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ[(٩)]، و[(١٠)]عبدُ اللَّهِ[(١٠)] بنُ صالحٍ[(١١)]، عن معاويةَ بنِ صالحٍ،

---

(١) تقدم ١/ ٢٠٥.

(٢) تقدم تخريجه ٢/٤٨٨، ٤٨٩. وانظر (السلسلة الصحيحة ١٨٥٦).

(٣) بعده فى الأصل: «محمد بن».

(٤ - ٤) فى المسند: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠.

(٥) فى الأصل، م، ص: «المؤمنين».

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩٧.

(٧) ومن طريق ابن وهب، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٩٩.

(٨) فى ا ٩، م، ص: «عن».

(٩) ومن طريق عبد الرحمن بن مهدى، أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٨١.

(١٠ - ١٠) فى الأصل: «عبد الرحمن».

(١١) ومن طريق عبد الله بن صالح، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٩٩، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ١٣٠.

وزاد : « إنَّ أُمَّه رأَتْ حينَ وضَعَتْه نُورًا أضاءَتْ منه قُصورُ الشامِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثَنا منصورُ بنُ سَعْدٍ[2] ، عن بُدَيْلٍ[3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن مَيْسَرَةَ الفجرِ ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كُتِبْتَ[4] نبيًّا ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ » . [5]إسنادُه جَيِّدٌ أيضًا . وهكذا روَاه إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ وحَمَّادُ بنُ زيدٍ وخالدٌ الحَذَّاءُ ، عن بُدَيلِ ابنِ مَيْسَرَةَ به[6] . ورَواه أبو نُعَيْمٍ[7] ، عن محمدِ بنِ عمرَ بنِ أَسلَمَ ، عن محمدِ ابن بكرِ بن عمرٍو الباهِلِيِّ ، عن شَيْبانَ ، عن الحَسَنِ بنِ دِينارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ[8] عن مَيْسَرَةَ الفجرِ ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كُنْتَ نَبيًّا ؟ قال : « وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ »[5] .

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[9] فى كتابه « دلائل النبوةِ » : حدَّثَنا أبو عمرِو بنُ حَمدانَ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ سُفيانَ ، حدَّثَنا هِشَامُ بنُ عَمَّارٍ ، حَدَّثَنا الوليدُ بنُ مُسلمٍ ، عن خُلَيْدِ بنِ دَعْلَجٍ ، وسعيدٌ عن قَتادةَ ، عن الحَسَنِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ﴾

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩٨ .

(٢) فى الأصل ، م : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٢٧.

(٣) فى الأصل : « مؤمل » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « كنت » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) وأخرج متابعة إبراهيم بن طهمان وخالد الحذاء ، ابنُ سعد فى طبقاته ٧/ ٥٩، ٦٠.

(٧) ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ٣ ، وعزاه لأبى نعيم .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « سفيان » .

(٩) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٨٤ ، وعزاه لأبى نعيم .

[الأحزاب: ٧]. قال: «كنتُ أولَ النَّبِيِّينَ فى الخَلْقِ وآخِرَهم فى البعثِ». ثُم رَواه[(١)] مِن طريقِ هشامِ بنِ عَمَّارٍ، عن بَقِيَّةَ، عن سعيدِ بنِ بَشِيرٍ[(٢)]، عن قتادةَ، عن الحسنِ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا مِثْلَه.

[(٣)]وقد رَواه مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ وشَيْبانَ، عن قتادةَ قال: ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال مِثْلَه[(٣)]. وهذا أثبتُ وأصحُّ. واللَّهُ أعلمُ.

وهذا إخبارٌ عن التنويهِ بذِكْرِه فى الملأ الأعْلى، وأنَّه معروفٌ بذلك بينَهم بأنَّه خَاتَمُ النَّبِيِّين وآدَمُ لم يُنْفَخْ فيه الرُّوحُ؛ لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تعالى بذلك سابقٌ قبْلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ لا مَحالَةَ، فلم يَبْقَ إلَّا هذا الذى ذَكرْناه مِن الإعلامِ به فى الملأ الأعلى. واللَّهُ أعلمُ.

وقد أورَدَ أبو نُعَيْمٍ[(٤)] مِن حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن هَمَّامٍ، عن أبى هريرةَ، الحديثَ المُتَّفَقَ عليه[(٥)]: «نحن الآخِرون السابقون يومَ القيامةِ، المَقْضِيُّ لهم قبلَ الخلائقِ، بَيْدَ أنَّهم أُوتوا الكِتابَ مِن قبلِنا وأُوتِيناه مِن بعدِهم». وزاد أبو نُعَيمٍ فى آخِرِه: فكان ﷺ، آخِرَهم فى البَعْثِ وبه خُتِمَتِ النبوَّةُ، وهو السابقُ يومَ القيامِة؛ لأنَّه أولُ مكتوبٍ فى النبوّةِ والعهدِ. ثُم قال[(٦)]: ففى هذا الحديثِ الفضيلةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِمَا أَوْجبَ اللَّهُ له النبوّةَ قبلَ

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٣).
(٢) فى الأصل: «يسير». وفى م: «نسير». وفى ص: «بشر». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٤٨.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) الدلائل لأبى نعيم (١١).
(٥) البخارى (٢٣٨). مسلم (٨٥٥).
(٦) أى أبو نعيم.

تَمامِ خلْقِ آدمَ . ويَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا الإيجابُ هو ما أعلَمَ اللَّهُ ملائكتَه ما سَبَقَ فى عِلْمِه وقَضائِه ، مِن بِعْثتِه له فى آخِرِ الزمانِ . وهذا الكلامُ يُوافِقُ ما ذكَرْناه . وللَّهِ الحمدُ .

وروَى الحاكمُ[1] فى « مُستدرَكِه » مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، وفيه كلامٌ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عمرَ بنِ الخَطّابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لمَّا اقْتَرفَ آدمُ الخطيئةَ ، قال : يا ربِّ ، أسألُك بحقِّ محمدٍ إلَّا غفَرْتَ لى . فقال اللَّهُ : يا آدمُ ، كيف عرَفْتَ محمدًا [٢/ ٤٠و] ولم أَخلُقْه بعدُ ؟ فقال : يا ربِّ ؛ لأنَّك لمَّا خلَقْتَنى بيدِك ونفَخْتَ فِىَّ مِن رُوحِك ، رفَعْتُ رأسى فرأَيْتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، محمدٌ رسولُ اللَّهِ . فعَلِمْتُ أنَّك لم تُضِفْ إلى اسمِك إلَّا أَحَبَّ الخلْقِ إليك . فقال اللَّهُ : صدَقْتَ يا آدمُ ، إنَّه لَأَحَبُّ الخلْقِ إلىَّ ، وإذ قد سألْتَنى بحقِّه ، فقد غفَرْتُ لك ، ولولا محمدٌ ما خلَقْتُك » . قال البَيْهَقِىُّ[2] : تفرَّدَ به عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ ابنِ أَسْلَمَ ، وهو ضعيفٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران :

---

(١) فى المستدرك ٢/ ٦١٥. وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . وقد تعقَّبه الذهبى فقال : قلت : بل موضوع ، وعبد الرحمن واهٍ . وهو كما قال . موضوع (السلسلة الضعيفة ٢٥) .

(٢) الدلائل للبيهقى ٥/ ٤٨٩.

٨١، ٨٢] ، قال عليُّ بنُ أبى طالبٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ[(١)] ، رَضِى اللَّهُ عنهما : ما بعَثَ اللَّهُ نبيًّا مِن الأنبياءِ إلَّا أخَذَ عليه المِيثاقَ ؛ لئِنْ بُعِثَ محمدٌ ﷺ ، وهو حيٌّ ، لَيُؤْمِنَنَّ به ولَينصُرَنَّه[(٢)] وأمَرَه أن يأخُذَ المِيثاقَ على أُمَّتِه ؛ لئِن بُعِثَ محمدٌ ، وهم أحياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنصُرُنَّه[(٢)] .

وهذا تنويهٌ وتنبيهٌ على شَرَفِه وعَظَمتِه فى سائرِ المِلَلِ وعلى ألسنةِ الأنبياءِ ، وإعلامٌ لهم ومنهم برسالَتِه فى آخِرِ الزمانِ ، وأنَّه أكرمُ المُرْسَلينَ وخاتَمُ النَّبِيِّين . وقد أَوْضَحَ أمرَه وكشَفَ خَبَرَه وبيَّنَ سِرَّه ، وجَلَّى مجْدَه ومولِدَه وبلَدَه ، إبراهيمُ الخليلُ فى قولِه ، عليه السَّلامُ ، حينَ فرَغَ مِن بناءِ البيتِ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فكان أولُ بيانِ أمْرِه على الجَلِيَّةِ والوُضوحِ بينَ أهلِ الأَرضِ ، على لِسانِ إبراهيمَ الخليلِ[(*)] أكرمِ الأنبياءِ على اللَّهِ بعدَ محمدٍ ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه عليهما وعلى سائرِ الأنبياءِ . ولهذا قال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : حدَّثَنا أبو النَضْرِ ، حدَّثَنا[(٤)] الفَرَجُ ، يَعْنِى ابنَ فَضالةَ ، حدَّثَنا لُقْمانُ ابنُ عامرٍ ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ ، قال : قُلْتُ : يا نبيَّ اللَّهِ ، ما كان بَدْءُ أمْرِك ؟ قال : « دَعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى ، ورأَتْ أُمِّى أنَّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءتْ منه قُصورُ الشامِ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ ، ولم يُخرِجْه أحدٌ مِن

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٩٦ .

(٢ - ٢) سقط من : ا ٩، ص .

(*) إلى هنا تنتهى النسخة الثانية من الجزء الرابع من نسخة أحمد الثالث ، والمشار لها بـ (ا ٩) .

(٣) تقدم تخريجه ٢/٤٨٨ ، ٤٨٩ .

(٤) بعده فى ص : « أبو » .

أصحابِ الكُتُبِ السِّتَّةِ . [1]وروَى الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[2] فى كتابِ « المَوْلِدِ » ، مِن طريقِ بَقِيَّةَ ، عن صفوانَ بنِ عَمرٍو ، عن حُجْرِ بنِ حُجْرٍ ، عن أبى مَرْيَمَ أنَّ أعرابيًّا ، قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ شىءٍ كان أولَ أمْرِ نُبُوَّتِك ؟ فقال : « أخَذَ اللَّهُ منِّى المِيثاقَ كما أخَذَ مِن النَّبِيِّين مِيثاقَهم ، ورأَتْ أُمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى مَنامِها ، أنَّه خرَج مِن بينِ رِجْلَيْها سِراجٌ أضاءتْ له قُصورُ الشامِ »[1] .

وقال الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ[3] : حدَّثَنى ثَوْرُ بنُ يزيدَ ، عن خالدِ ابنِ مَعْدانَ ، عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّهم قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أخبِرْنا عن نفسِك . قال : « دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى ، ورأَتْ أُمِّى حينَ حَمَلَتْ ، كأنَّه خرَجَ منها نورٌ أضاءتْ له بُصْرَى مِن أرضِ الشامِ » . إسنادُه جيِّدٌ أيضًا ، وفيه بشارةٌ لأهلِ مَحَلَّتِنا أرضِ بُصْرَى[4] أنَّها أولُ بُقْعةٍ [5]مِن أرضِ[5] الشامِ خَلَصَ إليها نورُ النبوَّةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، ولهذا كانتْ أولَ مدينةٍ فُتِحَتْ مِن أرضِ الشامِ ، وكان فتْحُها صُلْحًا فى خلافةِ أبى بكرٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، كما سيأْتِى بَيانُه . وقد قَدِمها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مرَّتين ؛ فى صُحْبةِ عمِّه أبى طالبٍ ، [٢/ ٤٠ظ] وهو ابنُ اثْنتَىْ عَشْرةَ سنةً ، وكانتْ عندَها قصةُ بَحِيرَى الراهبِ ، كما بَيَّنَّاه ، والثانيةُ ، ومعه مَيْسَرةُ مَولَى خديجةَ فى تِجارةٍ لها ، وبها مَبْرَكُ الناقةِ التى يُقالُ : إنَّ[6] ناقةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، برَكَتْ عليه فأثَّر ذلك فيها

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى عاصم ، من الطريق المذكور ، فى السنة (٤٠٨) . (إسناده ضعيف) .

(٣) تقدم فى ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٤) بعده فى م ، ص : « و » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى الأصل ، م : « لها » .

فيما ، يُذْكَرُ . ثُم نُقِل وَبُنِىَ عليه مَسجِدٌ مشهورٌ اليومَ . وهى المدينةُ التى أضاءتْ أَعناقُ الإبلِ عندَها ، مِن نورِ النارِ التى خرجَتْ مِن أرضِ الحجازِ ، سنةَ أربعٍ وخَمْسِينَ وسِتِّمائةٍ[1] ، وَفْقَ ما أخبرَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فى قوله : « تَخرُجُ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ ، تُضىءُ لها أعناقُ الإبلِ ببصُرْى »[2] . وسيَأتِى الكلامُ على ذلك فى مَوْضِعِه ، إن شاء اللَّهُ ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكْلَانُ .

وقال اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٧] .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا إسماعيلُ ، عن الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى صَخْرٍ العُقَيْلِىِّ : حدَّثَنى رجلٌ مِن الأعرابِ قال : جلَبْتُ جَلوبةً إلى المدينةِ فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا فرَغْتُ مِن بَيعِى ، قلْتُ : لأَلْقَيَنَّ هذا الرجلَ فَلأسمَعَنَّ منه . قال : فتلَقَّانى بينَ أبى بكرٍ وعمرَ يَمشُون ، فتَبِعْتُهم حتى أتَوْا على رجلٍ مِن اليهودِ ناشرَ التوراةِ يقرؤُها ، يُعَزِّى بها نفسَه عن ابنٍ له فى الموتِ كأحسنِ الفِتْيانِ وأَجمَلِهم ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْشُدُك بالذى أَنْزَلَ التوراةَ ، هل تَجِدُ[5] فى

---

(١) سقط من : ص .

(٢) البخارى (٢٩٠٢، ٧١١٨) .

(٣) التفسير ٣/٤٨١ - ٤٨٨ .

(٤) أحمد فى المسند ٥/ ٤١١ . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٤: رواه أحمد ، وأبو صخر لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٥) فى الأصل ، م : « تجدنى » .

كِتابِك ذا ، صفتِى ومَخْرَجى ؟ » فقال برأْسِه هكذا ، أى : لا . فقال ابنُه : إىْ ، والذى أَنزَلَ التوراةَ ، إنَّا لَنَجِدُ فى كتابِنا صِفتَك ومَخرجَك ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّك رسولُ اللَّهِ . فقال : « أقيموا اليهوديَّ عن أخيكم » . ثُم وَلِى كفْنَه والصلاةَ عليه . و[1] هذا إسنادٌ جيِّدٌ ، وله شاهدٌ[2] فى « الصحيحِ »[3] عن أنسِ ابنِ مالكٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

وقال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[4] : حدَّثَنا عبدُ الواحدِ بنُ غِياثٍ ، أبو بحرٍ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ مسلمٍ ، حدَّثَنا عاصمُ بنُ كُلَيْبٍ ، عن أبيه ، عن الفَلَتانِ[5] بنِ عاصمٍ ، وذكَرَ أنَّه[6] خالُه ، قال : كنتُ جالسًا عندَ النبىِّ ﷺ ، إذ شَخَصَ بَصرُه إلى رجلٍ ، فإذا يهوديٌّ عليه قميصٌ وسراويلُ ونَعْلانِ . قال : فجَعَلَ النبىُّ ﷺ يُكلِّمُه ، وهو يَقولُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَشْهَدُ أنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ » قال : لا . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتقرَأُ التوراةَ ؟ » قال : نَعَم . قال : « أَتَقْرَأُ الإنجيلَ ؟ » قال : نَعَمْ . قال : والقرآنُ[7] لو تَشاءُ قرأْتُه . فقال النبىُّ ﷺ : « فبِم تَقْرَأُ التوراةَ والإنجيلَ ، أتجدُنى نبيًّا ؟ » قال : إنَّا نَجِدُ نَعْتَك ومَخْرَجَك ، فلمَّا خرَجْتَ رجَوْنا أن تَكونَ فينا ، فلمَّا رأيْناك عرَفنا[8] أنَّك لَسْتَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، م : « شواهد » .

(٣) البخارى (١٣٥٦ ، ٥٦٥٧) .

(٤) ومن طريق البغوى ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٥ .

(٥) فى م : « الصلتان » . وفى ص : « العلتان » .

(٦) فى الأصل ، م : « أن » .

(٧) بعده فى الأصل ، ص : « قال و » . وبعده فى م : « قال : لا ، و » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٨) فى الأصل ، م : « عرفناك » .

به . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ولِمَ يا يهوديُّ ؟ » قال : إنَّا نَجِدُه مكتوبًا[1] ، يَدْخُلُ مِن أُمَّتِه[2] سبعون ألفًا بغيرِ حسابٍ ، ولا نَرى معك إلا نفرًا يسيرًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أُمَّتى لَأكثرُ مِن سبعين ألفًا وسبعين ألفًا » . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، ولم يُخْرِجوه [٢/ ٤١و] . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] ، عن سالمٍ مولى عبدِ اللَّهِ بنِ مُطيعٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : أتى رسولُ اللَّهِ ﷺ يهودَ ، فقال : « أَخْرِجُوا أعلمَكم » . فقالوا : عبدُ اللَّهِ بنُ صُورِيا . فخلَا به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فناشَدَه بدينهِ ، وما أنْعَمَ اللَّهُ به عليهم ، وأطعَمَهم مِن المَنِّ والسَّلْوَى ، وظلَّلَهم به مِن الغمامِ : « أتَعْلَمُنى رسولَ اللَّهِ ؟ » قال : اللهمَّ نَعَم ، وإنَّ القومَ لَيَعرِفون ما أَعْرِفُ ، وإنَّ صِفتَك ونَعْتَك لَمُبَيَّنٌ فى التَّوْراةِ . ولكنَّهم حسَدوك . قال : « فما يَمنَعُك أنت ؟ » قال : أَكْرَهُ خِلافَ قَومى ، وعسى أن يَتَّبِعوك ويُسْلِموا فأُسْلِمَ . وقال سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[4] ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ[5] ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، أنَّه كان يَقولُ : كتَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى يهودِ خَيْبَرَ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ صاحبِ موسى ، وأخيه ، والمُصَدِّقِ بما جاء به موسى ، ألا إنَّ اللَّهَ قال لكم : يا مَعْشَرَ يهودَ وأهلَ التَّوْراةِ ، و[6] إنَّكم تجِدون ذلك فى كِتابِكم : إنَّ محمدًا : ﴿ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا

---

(١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « الجنة » .

(٣) ومن طريق ابن إسحاق ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٧، ٤١٨.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٤، ٥٤٥.

(٥) فى الأصل : « بكر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٩.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]. وإنِّى أَنْشُدُكم باللَّهِ وبالذى أُنزِلَ عليكم، وأُنشُدُكم بالذى أَطْعَمَ مَن كان قبلكم مِن[1] أسباطِكم، المنَّ والسَّلْوَى، وأَنْشُدُكم بالذى أَيْبَسَ البحرَ لآبائِكم حتّى أنجاكم مِن فرعونَ وعملِهِ، إلَّا أخبَرْتُمونا: هل تَجِدُون فيما أنْزَلَ اللَّهُ عليكم، أن تُؤْمِنُوا بمحمدٍ؟ فإن كنتُم لا تَجِدُون ذلك فى كِتابِكم، فلا كُرْهَ عليكم، قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِن الغيِّ، وأَدعُوكم إلى اللَّهِ وإلى نبيِّه ﷺ».

وقد ذكَرَ[2] إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3] فى كتابِ «المبتدأ» عن سعيدِ بنِ بَشِيرٍ، عن قتادةَ، عن كعبِ الأحبارِ، ورَوَى غيرهُ[4]، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّ بُخْتُ نَصَّرَ بعدَ أن خرَّبَ بيتَ المَقْدِسِ واستذلَّ بنى إسرائيلَ بسبعِ سنين، رأَى فى المنامِ رؤيا عظيمةً هالتْه، فجمَعَ الكَهَنَةَ والحُزاةَ[5]، وسأَلَهم عن رُؤْياه تلك، فقالوا: ليَقُصَّها المَلِكُ حتى نُخْبِرَه بتأويلها. فقال: إنِّى أُنسِيتُها، وإن لم تُخْبِرونى بها إلى ثلاثةِ أيّامٍ، قتَلْتُكم عن آخِرِكم. فذَهبوا خائفين وَجِلين مِن

---

(١) بعده فى الأصل، م: «أسلافكم و».

(٢) بعده فى م، ص: «محمد بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٧٧.

(٣) فى م: «يسار». وانظر المصدر السابق. والحديث أخرجه من طريق إسحاق بن بشر، أبو نعيم فى الدلائل (٤٤).

(٤) أورده السيوطى فى الخصائص ١/ ٢٣، ٢٤. وقال: أخرجه أبو نعيم، عن كعب ووهب بن منبه.

(٥) فى م: «والحزار». وفى ص: «والحراء». والحُزاة: جمع حازٍ، وهو الذى ينظر فى الأعضاء وفى خِيلان الوجه يتكهَّن.

وعيدهِ. فسمِع بَذلك دانْيالُ، عليه السَّلامُ، وهو فى سِجْنِه، فقال للسجَّانِ: اذهَبْ إليه، فقُل له: إنَّ هاهنا رجلًا عندَه عِلْمُ رُؤْياك وتأويلُها. فذَهَبَ إليه فأَعْلَمه فطلَبَه، فلمّا دخَلَ عليه لم يَسْجُدْ له، فقال له: ما منَعَك مِن السجودِ لى؟ فقال: إنَّ اللَّهَ آتانى عِلْمًا[1]، وأمَرنى أن لا أَسجُدَ لغيرِهِ. فقال له بُخْتُ نَصَّرُ: إنِّى أُحِبُّ الذين يُوفون لِأرْبابِهم بالعهودِ، فأَخبِرْنى عن رُؤْيايَ. فقال له دانيالُ: رأيتَ صَنَمًا[2] عظيمًا، رِجْلاه فى الأرضِ ورأسُه فى السَّماءِ، أعلاه مِن ذهبٍ، ووسَطُه مِن فِضَّةٍ، وأسفلُه مِن نُحاسٍ، وساقاه مِن حديدٍ، ورِجْلاه مِن فَخَّارٍ، فبَيْنَا أنت تَنظُرُ إليه قد أَعجَبَك حُسنُه وإحكامُ صَنْعَتِه، قذَفَه اللَّهُ بحجَرٍ مِن السماءِ، فوقَعَ على قِمَّةِ[3] رَأسِه، حتى طحَنه، واختَلَط ذهَبُه وفِضَّتُه ونُحاسُه وحديدُه وفَخَّارُه، حتّى تَخَيَّلَ إليك[4] أنَّه لو اجْتَمَعَ جَمِيعُ[5] الإنْسِ والجنِّ على أن يُمَيِّزوا بعضَه مِن بعضٍ، لم يَقْدِروا على ذلك. ونظَرْتَ إلى الحجَرِ الذى قُذِفَ به، يَرْبوُ ويَعْظُمُ وَيَنْتَشِرُ، حتَّى مَلأَ الأرضَ كُلَّها، فصِرْتَ لا تَرَى إلَّا الحجرَ والسَّماءَ. فقال له بُخْتُ نَصَّرُ: صدَقْتَ، [٢/ ٤١ظ] هذه الرُّؤْيا التى رأَيْتُها، فما تَأويلُها؟ فقال دانيالُ: أمَّا الصَّنمُ فأُمَمٌ مختلِفةٌ؛ فى أولِ الزمانِ وفى وسَطِه وفى آخِرِه؛ وأمَّا الحجرُ الذى قُذِفَ به الصَّنَمُ، فدِينٌ يَقْذِفُ اللَّهُ به هذه الأممَ فى آخِرِ الزمانِ فيُظْهِرُه عليها، فيَبعَثُ اللَّهُ نبيًّا أميًّا مِن العربِ، فيُدَوِّخُ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «وعلمنى».

(٢) فى ص: «جسما».

(٣) سقط من: ص.

(٤) فى الأصل، م: «لك».

(٥) سقط من: الأصل، م.

به الأممَ والأديانَ ؛ كما رأيتَ الحجرَ دَوَّخَ أصنافَ الصنمِ ، ويَظْهَرُ على الأَدْيانِ والأُمَمِ ، كما رأيْتَ الحجرَ ظَهَر على الأرضِ كلِّها ، فيُمَحِّصُ اللَّهُ به الحقَّ ويُزْهِقُ به الباطلَ ، ويَهْدِى به أهلَ الضَّلالةِ ، ويُعَلِّمُ به الأُمِّيِّين ، ويُقَوِّى به الضَّعَفةَ ويُعِزُّ به الأَذِلَّةَ ، ويَنصُرُ به المُسْتَضْعَفِين . وذكَرَ تمامَ القصةِ فى إطلاقِ بُخْتُ نَصَّرَ بنى إسرائيلَ على يَدَىْ دانيالَ ، عليه السَّلامُ . وذكَرَ الوَاقِدِىُّ بأسانيدِه ، عن المُغيرةِ ابنِ شُعبةَ ، فى قصةِ وُفودِه على المُقوقِسِ مَلِكِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ وسؤالِه له عن صِفاتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قريبًا مِن سؤالِ هِرَقْلَ لأبى سُفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ ، وذكَرَ أنَّه سأَلَ أساقِفةَ النّصارَى فى الكنائسِ عن صِفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأخبَرُوه عن ذلك ، وهى قصةٌ طويلةٌ ذكَرَها الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[1] فى « الدلائلِ » . وثَبَتَ فى « الصحيحِ »[2] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، مرَّ بمِدْراسِ[3] اليهودِ ، فقال لهم : « يا مَعْشَرَ اليهودِ ، أَسْلِموا فوالذى نفسى بيدِه ، إنَّكم لَتَجِدون صِفتى فى كُتُبِكم » . الحديثَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا موسى بنُ داودَ ، حدَّثَنا فُلَيْحُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن هِلالِ بنِ علىٍّ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، قال : لَقِيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ ، فقلتُ : أخبِرْنى عن صِفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى التوراةِ . فقال : أَجَلْ ، واللَّهِ إنَّه لموصوفٌ فى التوراةِ بصِفتِه فى القرآنِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] . وحِرزًا للأُمِّيِّين ، و[5] أنت عبدى

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٤٥) .

(٢) البخارى (٣١٦٧، ٦٩٤٤، ٧٣٤٨) .

(٣) المدراس : الموضع يُدرَس فيه كتاب اللَّه ، ومنه مِدراس اليهود . الوسيط (د ر س) .

(٤) أحمد فى المسند ٢/ ١٧٤ . (إسناده صحيح) .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

ورسولى ، سمَّيْتُك المتوكِّلَ ، لا فَظٍّ ولا غليظٌ ولا سَخَّابٌ[1] بالأسواقِ ، ولا يَدْفَعُ بالسيِّئةِ السيِّئةَ ولكن يَعفُو ويَغْفِرُ ، ولن يَقبِضَه اللَّهُ حتّى يُقِيمُوا المِلَّةَ العَوْجاءَ ، بأن يقولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . يَفْتَحُ به أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا . ورواه البُخارِىُّ[2] ، عن محمدِ بنِ سِنانٍ العَوْفِىِّ ، عن فُلَيْحٍ به . ورواه[3] أيضًا عن عبدِ اللَّهِ[4] - قيل : ابنُ رجاءٍ . وقيل : ابنُ صالحٍ - عن عبدِ العزيزِ بنِ أبِى سَلَمةَ ، عن هلالِ بنِ [5]عَلِىٍّ به[5] ، ولفظهُ قريبٌ مِن هذا وفيه زِيادةٌ . ورواه ابنُ جريرٍ[6] مِن حديثِ فُلَيْحٍ ، عن هِلالٍ ، عن عَطاءٍ ، وزاد : قال عطاءٌ : فلَقِيتُ كَعْبًا فسألْتُه عن ذلك ، فما اختَلَفَ حَرْفًا . وقال[7] فى البُيُوعِ : وقال سعيدٌ ، عن هلالٍ ، عن عَطاءٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ . قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[8] : أخبَرَناه أبو الحسينِ بنُ المُفضّلِ[9] القَطَّانُ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، حدَّثَنا يَعقوبُ بنُ سُفيانَ ، حدَّثَنا أبو صالحٍ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، حدَّثَنى خالدُ بنُ يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، [10]عن هلالِ[10] بنِ أُسامَةَ ، عن عَطاءِ ابنِ يسارٍ ، عن ابنِ سَلَامٍ ، أنَّه كان يقولُ : إنَّا لنَجِدُ صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ إنَّا

---

(١) فى م : « صخاب » . بعده فى النسخ : « فى » . والمثبت من المسند .

(٢) البخارى (٢١٢٥) .

(٣) البخارى (٤٨٣٨) .

(٤) انظر الفتح ٨/ ٥٨٥.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « علوية » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٤٣.

(٦) فى تفسير الطبرى ٩/ ٨٣.

(٧) أى البخارى (٢١٢٥) معلقا . قال الحافظ فى الفتح ٤/ ٣٤٣: وطريقه هذه وصلها الدارمى فى مسنده . انظر سنن الدارمى ١/ ٥.

(٨) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٧٦.

(٩) فى الدلائل للبيهقى : « الفضل » .

(١٠ - ١٠) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٤.

أرسلْناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأُمِّيِّينَ، أنت عبدى ورسولى، سمَّيْتُه المُتَوكِّلَ ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخَّابٍ[1] فى الأسواقِ، ولا يَجْزِى السيِّئةَ بمثلِها، ولكن يَعفُو ويَتَجاوَزُ، ولن أَقْبِضَه حتى يُقِيمَ[2] المِلَّةَ العوجاءَ [٢/ ٤٢و] بأن يشهدوا أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، يَفْتَحُ به أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا. قال عَطاءُ بنُ يَسارٍ[3]: وأخبَرَنى اللَّيْثِىُّ أنَّه سمِعَ كَعبَ الأحبارِ يَقُولُ مِثْلَ ما قال ابنُ سلَامٍ.

قلتُ: وهذا عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ أشْبَهُ، ولكنَّ الرِّوايةَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أكثرُ، معَ أنَّه كان قد وَجَدَ يومَ اليَرْموكِ زامِلَتَيْن مِن كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فَكان يُحَدِّثُ منهما كثيرًا، وليُعْلَمَ أنَّ كثيرًا مِن السلفِ كانوا يُطلِقُون التَّوْراةَ على كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فهى عندَهم أعَمُّ مِن التى أَنزَلها اللَّهُ على موسى، وقد ثَبَتَ شاهدُ ذلكِ مِن الحديثِ[4].

وقال يُونُسُ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[5]، حدَّثنى محمدُ بنُ ثابتِ بنِ شُرَحْبِيلٍ[6]، عن أمِّ الدَّرْداءِ، قالتْ: قُلْتُ لِكَعْبِ الأحبارِ: كيف تَجِدون صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى التَّوْراةِ، قال: نَجِدُه محمدٌ رسولُ اللَّهِ، اسمُه المُتوكِّلُ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ[7] فى الأسواقِ، وأُعْطِىَ

---

(١) فى م: «صخاب».

(٢) بعده فى النسخ: «به». والمثبت من الدلائل.

(٣) أخرجه عن عطاء، البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٧٦.

(٤) انظر حديث عبد اللَّه بن عمرو المتقدم فى صفحة ٥٤٤.

(٥) ومن طريق يونس، أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٧٦، ٣٧٧.

(٦) بعده فى النسخ: «ابن أبى أوفى». وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٥٠.

(٧) فى م: «صخاب».

المفاتيحَ ، فيُبَصِّرُ اللَّهُ به أعْيُنًا عُورًا ، ويُسمِعُ آذانًا وُقْرًا ، ويُقيمُ به أَلْسُنًا مُعْوَجَّةً ، حتى يَشهدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه[1] لا شريكَ له ، يُعينُ[2] المظلومَ ويَمْنَعُه . وقد رُوِىَ عن كعبٍ مِن غيرِ هذا الوجهِ[3] . وقد روَى البَيْهَقِىُّ[4] ، عن الحاكمِ ، عن أبى الوليدِ الفقيهِ ، عن الحسنِ بنِ سُفْيانَ ، حدَّثَنا عُقْبَةُ[5] بنُ مُكْرِمٍ ، حَدَّثَنا أبو قَطَنٍ عمرُو بنُ الهيثمِ ، حدَّثَنا حَمْزةُ[6] الزيَّاتُ ، عن سُلَيمانَ الأَعمشِ ، عن علىِّ بنِ مُدْرِكٍ ، عن أبى زُرْعَةَ ، عن أبى هريرةَ : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] قال : نُودوا : يا أمةَ محمدٍ ، استجبْتُ لكم قبلَ أن تَدعُونى ، وأعطَيْتُكم قبلَ أن تَسأَلونى . وذكَرَ وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ[7] ، أنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى داودَ فى الزَّبُورِ : يا داودُ إنَّه سيَأتِى مِن بعدِك نبىٌّ اسمُه أحمدُ ، ومحمدٌ ، صادقًا ، سيِّدًا ، لا أَغضَبُ عليه أبدًا ، ولا يُغْضِبُنى[8] أبدًا ، وقد غَفَرْتُ له ، قبلَ أن يَعْصِيَنى ، ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ وما تَأَخَّرَ ، وأُمَّتُه مَرْحُومةٌ ، أَعْطَيْتُهم مِن النوافلِ مِثلَ ما أعْطيتُ الأنبياءَ ، وافْتَرَضْتُ[9] عليهم الفرائضَ التى افْتَرَضْتُ على الأنبياءِ والرُّسُلِ ، حتى يَأْتُونى يومَ القيامةِ ونورُهم مِثلُ نورِ الأنبياءِ . إلى أن قال : يا داودُ ، إنِّى فضَّلْتُ محمدًا وأُمَّتَه على الأُمَمِ كلِّها .

---

(١) فى الأصل ، م : « واحد » .

(٢) بعده فى الأصل ، ا ٩ ، م : « به » .

(٣) أخرجه عن كعب ، البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٧٧.

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٨١.

(٥) فى الأصل ، م : « عتبة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٢٦.

(٦) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٣١٤.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٨٠.

(٨) فى الأصل : « يعصينى » .

(٩) فى الأصل ، م : « فرضت » .

والعِلْمُ بأنَّه موجودٌ فى كُتُبِ أهلِ الكتابِ، معلومٌ مِن الدينِ ضرورةً، وقد دلَّ على ذلك آياتٌ كثيرةٌ فى الكتابِ العزيزِ، تكلَّمْنا عليها فى مواضِعِها، وللَّهِ الحمدُ. فمِن ذلك قولُه[1]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣]. وقال تعالى[2]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. وقال تعالى[3]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أى إن كان وَعْدُ[4] ربِّنا بوجودِ محمدٍ وإرسالِه، لكائنٌ لا محالةَ، فسُبحانَ القديرِ على ما يشاءُ، الذى[5]، لا يُعْجزُه شىءٌ. وقال تعالى[6] إخبارًا عن القِسِّيسِين والرُّهْبانِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وفى قصَّةِ النَّجاشِىِّ وسَلْمانَ وعبدِ اللَّهِ [٢/ ٤٢ظ] بنِ سَلَامٍ وغيرِهم، كما سيأتِى، شواهدُ كثيرةٌ لهذا المعنى، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وذكَرْنا فى تضاعيفِ قَصَصِ الأنبياءِ، ما تقدَّمَ الإشارةُ إليه مِن وَصْفِهم لِبعْثةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ونَعْتِه وبلَدِ مولدِه، ودارِ مُهاجَرِه، ونَعْتِ أُمَّتِه، فى قِصَّةِ

---

(١) التفسير ٦/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) التفسير ١/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) التفسير ٥/ ١٢٥، ١٢٦.

(٤) فى الأصل، م: «وعدنا».

(٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) التفسير ٣/ ١٥٩.

مُوسى [1] وشعيا وأَرْمِيا ودانْيالَ وغيرِهم [1] ، وقد أخبرَ اللَّهُ تعالى عن آخِرِ أنبياءِ بنى إسرائيلَ وخاتَمِهم عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، أنَّه قام فى بنى إسرائيلَ خطيبًا قائلًا لهم : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] . وفى الإنجيلِ البشارةُ بالبَارَقِليطِ [2] ، والمرادُ به [3] محمدٌ ﷺ .

ورَوَى البَيْهَقِىُّ [4] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمَدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن يُونُسَ بنِ عمرٍو ، عن العَيْزارِ بنِ حرْبٍ [5] ، عن عائشةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « مكتوبٌ فى الإنجيلِ : لا فَظٌّ ، ولا غليظٌ ، ولا سخّابٌ [6] فى الأسواقِ ، ولا يَجْزِى بالسيئةِ مثلَها ، بل يَعْفُو ويَصْفَحُ » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ [7] : حدَّثَنا فَيْضٌ البَجَلِىُّ ، حدَّثَنا سلَّامُ ابنُ مِسكينٍ ، عن مُقاتِلِ بنِ حَيَّانَ ، قال : أَوْحَى اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ : جُدَّ فى أمرِى ، واسمَعْ وأَطِعْ يا ابنَ الطاهرةِ [8] البِكْرِ البَتُولِ ، أنا خَلقْتُك مِن غيرِ فَحْلٍ فجعَلْتُك آيةً للعالَمِينَ ، فإيَّاىَ فاعْبُدْ ، فَبَيِّنْ لأَهلِ سُورانَ بالسُّرْيانيَّةِ ، بَلِّغْ مَن بينَ يديك ، أنِّى أنا الحقُّ القائمُ الذى لا أزولُ صَدِّقوا بالنبىِّ

(١ - ١) فى ص : « وشعيب وغيرهما » .

(٢) فى م : « الفارقليط » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٥) فى الدلائل : « حريث » .

(٦) فى م : « صخاب » .

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٣٩.

(٨) فى الأصل ، ص : « الطاهر » .

الأُمِّىِّ العربىِّ صاحبِ الجمَلِ والمِدْرعَةِ والعِمامةِ، وهى التَّاجُ، والنعلينِ والهِراوةِ، وهى القضيبُ، الجعدُ الرَّأْسِ، الصَّلْتُ الجبينِ[1] المقرونُ الحاجبيْنِ، الأَنجَلُ العينيْن[2]، الأَهْدَبُ الأَشْفارِ[3]، الأدعَجُ العينين[4]، الأَقْنَى الأَنفِ[5]، الواضحُ الخدَّيْنِ، الكَثُّ اللِّحْيةِ، عَرَقُه فى وجهِه كاللؤلؤِ، ريحُ المِسْكِ يَنضَحُ منه، كأنَّ عُنقَه إبريقُ فِضَّةٍ، وكأنَّ الذَّهبَ يَجْرِى فى تراقِيه[6]، له شَعَراتٌ مِن لَبَّتِه إلى سُرَّتِه، تَجْرِى كالقضيبِ، ليس فى بَطْنِه شَعْرٌ غيرُه، شَثْنُ[7] الكَفِّ والقَدَمِ، إذا جاء مع الناسِ غَمَرَهم، وإذا مشَى كأنَّما يَتَقَلَّعُ مِن الصَّخْرِ ويَتَحَدَّرُ[8] مِن صَبَبٍ[9]، ذو النَّسْلِ القليلِ، وكأنَّه أرادَ الذكورَ مِن صُلْبه. هكذا رواه البَيْهَقِىُّ[10] فى «دلائلِ النبوةِ» مِن طريقِ يَعقوبَ بنِ سُفيانَ. وروَى البَيْهَقِىُّ[11]، عن عُمَرَ[12] بنِ الحكمِ بنِ[13] رافعِ بنِ سِنانٍ، حدَّثَنى بعضُ

---

(١) الصلت الجبين: الصَّلْت؛ الواضح فى سعةٍ وبريق.

(٢) الأنجل العينين: المتَّسِع العينين.

(٣) الأهدب الأشفار: طويلُها والهُدْب: شعر شَفْر العين. والشفر: هو حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب.

(٤) الأدعج العينين: التى اشتدّ سوادها وبياضها واتَّسعتْ.

(٥) الأقنى الأنف: الذى ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه.

(٦) التراقى: جمع تَرْقوة، وهى عظمة مشرفة بين ثُغرة النحر والعاتق.

(٧) الشثن: الغليظ الخشن.

(٨) يتحدَّر: ينزل من عُلْو إلى سُفْلٍ.

(٩) الصَّبب: ما انحدر من الأرض.

(١٠) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(١١) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(١٢) فى النسخ: «عثمان». والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣١٠.

(١٣) فى ص: «عن». وانظر المصدر السابق.

عُمُومتى وآبائى ، أنَّهم كانت عندَهم وَرَقةٌ يَتوارَثُونها فى الجاهليَّةِ حتى جاءَ اللَّهُ بالإِسلامِ ، وهى[1] عندَهم ، فلمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، المدينةَ ، ذكَرُوها له ، وأتَوْه بها ، مكتوبٌ فيها : بسمِ اللَّهِ وقولُه الحقُّ وقولُ الظالمينَ فى تَبابٍ ، هذا الذِّكْرُ لأُمَّةٍ تَأْتِى فى آخِرِ الزمانِ ، يُسَبِّلون[2] أَطرافَهم ، ويَأْتَزِرونَ[3] على أوساطِهم ، ويَخُوضون البحورَ إلى أعدائِهم ، فيهم صلاةٌ لو كانتْ فى قومِ نوحٍ ما أُهْلِكوا بالطُّوفانِ ، وفى عادٍ ما أُهْلِكوا بالرِّيحِ ، وفى ثمودَ ما أُهلِكوا بالصَّيْحةِ . بسمِ اللَّهِ وقولُه الحقُّ وقولُ الظالمين فى تَبابٍ . ثُم ذكَرَ قِصَّةً أُخرى ، قال : فعَجِبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، لمَّا قرَأْتُ عليه ؛ لِمَا[4] [٢/٤٣و] فيها .

وذكَرْنا عندَ قولِه تعالى فى سورةِ « الأعرافِ » : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] قِصةَ هِشامِ بنِ العاصِ الأُمويِّ ، حينَ بعثَه الصِّدِّيقُ فى سَرِيَّةٍ إلى هِرَقْلَ يَدْعوه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . فذَكَرَ أنَّه أخْرَج لهم صُوَرَ الأنبياءِ فى رَبْعةٍ[6] ، مِن آدمَ إلى محمدٍ ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه عليهم أجمعين ، على النَّعْتِ والشَّكْلِ الذى كانوا عليه . ثُم ذَكَرَ أنَّه لمَّا أخرَجَ صورةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قام قائمًا إكرامًا له . ثُم جلَسَ وجعَلَ يَنظُرُ إليها ويتأمَّلُها . قال : فقُلنا له : مِن أين لك هذه الصورُ[7] ؟ فقال : إنَّ آدمَ سأَلَ

---

(١) فى الأصل : « بقى » . وفى م : « بقيت » .
(٢) فى الأصل ، م : « ليبلون » .
(٣) فى الأصل ، م : « يوترون » .
(٤) سقط من : م .
(٥) التفسير ٣/٤٨١ - ٤٨٤ .
(٦) فى الأصل ، م : « رقعة » . والربعة : إناء مربع .
(٧) فى الأصل ، م : « الصورة » .

ربَّه أن يُرِيَه[1] الأنبياءَ مِن وَلَدِه[2] ، فأنزَلَ عليه صُوَرَهم ، فكان فى خِزانةِ آدمَ ، عليه السَّلامُ ، عندَ مَغرِبِ الشمسِ ، فاستَخْرَجَها ذو القَرْنَيْنِ ، فدفَعَها إلى دانيالَ . ثُم قال[3] : أمَا واللَّهِ ، إنَّ نَفْسِى[4] طابتْ بالخروجِ مِن مُلْكى ، وإنِّى كنتُ عبدًا لأَشَرِّكم مَلَكةً حتى أموتَ . ثُم أجازَنا فأحسنَ جائزتَنا وسرَّحَنا . فلمَّا أتيْنا أبا بكرٍ الصِّـدِّيقَ ، فحدَّثْناه بما رأيْنا وما أَجازنا وما قال لنا . قال : فبكَى [5]أبو بكرٍ[5] ، وقال : مِسكينٌ ، لو أراد اللَّهُ به خيرًا لَفَعَل . ثُم قال : أخبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أنَّهم واليهودَ يَجِدون نَعْتَ محمدٍ عندَهم . روَاه الحاكمُ بطولِه[6] . ورَواه البَيْهَقِىُّ[7] فى « دلائلِ النبوةِ » .

وقال الأُمَوىُّ : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ، عن[8] زيادٍ ، عن ابن إسحاقَ . قال : وحدَّثَنى يَعقوبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ عمرِو بن أُمَيَّةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه عمرِو بنِ أُميةَ ، قال : قدِمْتُ برقيقٍ مِن عندِ النَّجاشِىِّ أَعْطانِيهم ، فقالوا لى : يا عمرُو ، لو رأَيْنَا رسولَ اللَّهِ لَعَرَفْناه مِن غيرِ أن تُخْبِرَنا . فمرَّ أبو بكرٍ ، فقُلْتُ : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمرَّ عُمَرُ ، فقلْتُ : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فدَخَلْنا الدارَ فمرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فنادَوْنى : يا عمرُو ، هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ . فنظَرْتُ فإذا هو

---

(١) بعده فى م : « جميع » .

(٢) فى م : « ذلك » . وفى ص : « ذريته » .

(٣) أى هرقل .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « قد » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) بعده فى النسخ : « فليكتب هٰهنا من التفسير » .

(٧) الدلائل للبيهقى ١/٣٨٥ - ٣٩٠. قال ابن كثير فى التفسير ٣/ ٤٨٤: هكذا أورده الحافظ الكبير البيهقى عن الحاكم إجازة ، وإسناده لا بأس به . وذكره الحافظ فى الإصابة ٦/٥٤٢ بنحوه . وعزاه للبيهقى .

(٨) فى م : « بن » .

هو ، مِن غيرِ أن يُخْبِرَهم به أحدٌ ، عرَفوه بما كانوا يَجِدونه مكتوبًا عندَهم . وقد تقدَّم إنذارُ سَبأٍ لقومِه وبشارتُه لهم بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى شِعْرٍ أَسْلَفْناه فى تَرْجَمتِه ، فأَغْنَى عن إعادتِه[1] . وتَقدَّمَ قَوْلُ الحَبْرَيْنِ مِن اليهودِ لتُبَّعٍ اليمانىِّ ، حينَ حاصَرَ أهلَ المدينةِ : إنّها مُهاجَرُ نبىٍّ يكونُ فى آخِرِ الزمانِ . فرَجَع عنها ونظَمَ شِعْرًا يتضمَّنُ السَّلامَ على النبىِّ ﷺ[2] .

---

(١) تقدم فى صفحة ١٠٧ .

(٢) تقدم فى صفحة ١٢٤ - ١٢٧ .

قِصَّةُ سَيفِ بنِ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىّ[1] ، وبِشارَتُه بالنبىّ الأُمّىّ[1]

وقال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سهلٍ الخرائطىُّ ، فى كتابهِ « هواتفِ الجانِّ »[2] : حدَّثَنا علىُّ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكِيمٍ ، حدَّثَنا عمرُو بنُ بكرٍ - هو ابنُ بَكَّارٍ القَعْنَبِىُّ - عن أحمدَ بنِ القاسمِ ، عن محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبِىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، قال : لمّا ظهَر سيفُ بنُ ذى يَزَنَ - قال ابنُ[3] المُنذِرِ : واسمُه النُّعْمانُ بنُ قَيْسٍ - على الحبَشةِ ، وذلك بعدَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بسَنَتَيْنِ ، أَتَتْه وفودُ العربِ وشُعَراؤُها ، تُهَنِّئُه ، وتَمْدَحُه ، وتَذْكُرُ ما كان مِن حُسْنِ [٢/ ٤٣ظ] بلائِه ، وأَتَاه فيمَن أَتاه وَفْدُ[4] قُرَيشٍ ؛ فيهم عبدُ المُطَّلِبِ بنُ هاشمٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ عبدِ شمسٍ[5] وعبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعَانَ ، وخُوَيْلِدُ بنُ أَسَدٍ ، فى أُناسٍ مِن وُجوهِ قريشٍ ، فقَدِموا عليه صَنْعَاءَ ، فإذا هو فى رَأْسِ غُمْدَانَ ، الذى ذكَرَه أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[6] :

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٤١ - ٤٤٥، من طريق أبى بكر الخرائطى به . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٩ - ١٤، من طريق آخر .

(٣) فى ص : « أبو » .

(٤) فى الأصل ، م : « وفود » .

(٥) بعده فى م : « أبى عبد اللَّه » .

(٦) عزاه ابن إسحاق إلى أبيه أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ؛ انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٦، ضمن قصيدة يمدح فيها سيف بن ذى يزن . وجزم بذلك ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١/ ٤٦١، ٤٦٢.

واشرَبْ هَنيئًا عليكَ التّاجُ مُرتَفِعًا فى رأْسِ غُمدانَ دارًا منك مِحْلالَا

فدَخَل عليه الآذِنُ ، فأخبَرَه بمكانِهم فأذِنَ لهم ، فدَنا عبدُ المُطَّلِبِ ، فاستأْذَنَه فى الكَلامِ ، فقال له : إنْ كنتَ ممَّن يَتَكلَّمُ بينَ يَدَيِ الملوكِ[1] ، فقد أَذِنّا لك . فقال له عبدُ المُطَّلِبِ : إنَّ اللَّهَ قد أَحَلَّك ، أيُّها المِلِكُ مَحَلًّا رفيعًا ، صَعْبًا منيعًا ، شامخًا باذخًا ، وأَنْبَتَك مَنبِتًا طابتْ أَرُومَتُه ، وعَزَّتْ[2] جُرْثُومَتُه[3] ، وثَبَت أصلُه ، وبَسَقَ[4] فرعُه ، فى أكرمِ مَوطِنٍ ، وأطيبِ مَعْدِنٍ ، فأنت - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - مَلِكُ العربِ ، وربيعُها الذى تَخْصَبُ به البِلادُ ، ورأسُ العربِ الذى له تَنقادُ ، وعمودُها الذى عليه العِمادُ ، ومَعْقِلُها الذى يَلْجَأُ إليه العِبادُ ، سَلَفُك خيرُ سَلَفٍ ، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَفٍ ، فلن يَخْمُدَ مَن هم سلَفُه ، ولن يَهلِكَ مَن أنت خَلَفُه ، ونحن أيُّها المِلِكُ أهلُ حَرَمِ اللَّهِ وسَدَنَةُ بَيْتِه ، أَشْخَصَنا إليك الـذى[5] أَبْهَجَنا مِن كَشْفِك[5] الكَرْبَ الذى قد فَدَحَنا ، وفدُ التهنئةِ لا وفدُ المَرْزِئَةِ . قال : وأَيُّهم أنت أيُّها المتكلِّمُ ؟ قال : أنا عبدُ المُطَّلِبِ بنُ هاشمٍ . قال : ابنُ أُخْتِنا ؟ قال : نَعَمْ . قال : ادْنُ . فأَدْناه ، ثُم أَقْبَلَ عليه وعلى القومِ ، فقال : مَرْحبًا وأهلًا ، وناقةً ورَحْلًا ، ومُستناخًا سَهْلًا ، ومَلِكًا رِبَحْلًا[6] ، يُعْطِى عَطاءً جَزْلاً ، قد سَمِعَ المِلِكُ مقالتَكم ، وعَرَف قَرابتَكم ، وقَبِلَ وسيلتَكم ، فأنتم أهلُ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق والدلائل .

(٢) فى م : « عذيت » .

(٣) الجرثومة : الأصل .

(٤) بسَق : تمَّ ارتفاعه . وبسق الرجُلُ : علا ذكْرُه فى الفضل .

(٥ - ٥) فى م : « أبهجك من كشف » .

(٦) الربحل : الكثير العطاء .

الليلِ والنهارِ ، ولكم الكرامةُ ما أَقَمْتُم ، والحياءُ[1] إذا ظَعَنْتُم . ثُم أُنْهِضُوا إلى دارِ الكَرامةِ والوفودِ ، فأقاموا شهرًا لا يَصِلون إليه ، ولا يَأْذَنُ لهم بالانصرافِ ، ثُم انْتَبَهَ لهم انْتِباهةً ، فأَرْسَلَ إلى عبدِ المُطَّلِبِ ، فأَدنَى مَجْلِسَه وأَخْلَاه ، ثُم قال : يا عبدَ المُطَّلِبِ ، إنِّى مُفْضٍ إليك مِن سرِّ عِلْمى ، ما أنْ لو يكونُ غيرُك لم أَبُحْ به ، ولكنِّى رَأَيْتُك مَعْدِنَه ، فأَطْلَعْتُك طَلِيعَه ، فلْيَكُنْ عندَك مَطْوِيًّا حتى يَأْذَنَ اللَّهُ فيه ، فإنَّ اللَّهَ بالغُ أمْرِه ؛ إنِّى أَجِدُ فى الكتابِ المكنونِ ، والعِلمِ المخزونِ ، الذى اخْتَزَناه لأنفُسِنا ، واحْتَجَبْناه[2] دونَ غيرِنا ، خيرًا[3] عظيمًا ، وخطرًا جَسيمًا ، فيه شرَفُ الحيَاةِ ، وفضيلةُ الوَفاةِ ، للناسِ عامَّةً ، ولرَهْطِك كافَّةً ، ولك خاصَّةً . فقال عبدُ المُطَّلِبِ : أيُّها المِلكُ ، مِثْلُك سَرَّ وبَرّ ، فما هو ؟ فِدَاك أهلُ الوَبَرْ ، زُمَرًا بعَدَ زُمَرْ . قال : إذا وُلِد مولودٌ[4] بِتِهَامةْ ، غُلامٌ [5]به علامةْ[5] ، بينَ كَتِفَيْه شامَةْ ، كانتْ له الإمامةْ ، ولكم به الزعامةْ ، إلى يومِ القيامةْ . قال عبدُ المُطَّلِبِ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لقدْ أُبْتُ بخيرِ ما آبَ به وافدٌ ، ولولا هَيْبَةُ المَلِكِ وإجلالُه وإعظامُه ، لَسَأَلْتُه مِن سارِّه[6] إيَّاى ما أَزْدَادُ به سرورًا . قال ابنُ ذى يَزَنَ : هذا حينُه الذى يُولَدُ فيه ، أو قد وُلِدَ ، واسمهُ محمدٌ ، يَمُوتُ أبوه وأمُّه ، ويَكْفُلُه جَدُّه وعَمُّه ، ولَدْناه مِرارًا ، واللَّهُ باعثُه جِهارًا ، وجاعلٌ له منَّا أنصارًا ، يُعِزُّ بهم أولياءَه ، ويُذِلُّ بهم أعداءَه ، ويَضْرِبُ بهم الناسَ عن عُرْضٍ ، ويَسْتَبِيحُ بهم كرائمَ الأرضِ ، يَكْسِرُ

---

(١) الحياء : العطاء .

(٢) فى م : « احتجناه » .

(٣) فى الأصل ، م : « خبرا » .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) فى الأصل ، ص : « إساره » . وفى م : « بشارته » . والمثبت من تاريخ دمشق ، والدلائل .

الأوثانَ ، ويُخْمِدُ النيرانَ ، ويَعْبُدُ الرحمنَ ، ويَدْحَرُ الشيطانَ ، قولُه فَصْلٌ ، وحُكمُه عَدْلٌ ، يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَفْعَلُه ، ويَنْهَى عن المنكَرِ ويُبْطِلُه . فقال عبدُ المُطَّلِبِ : أيُّها الملكُ ، عزَّ جَدُّك [٢/٤٤و] وعَلَا كَعْبُك ، ودام مُلْكُك ، وطالَ عُمْرُك ، (١فهذا نِجَارِى١) ، فهل المَلِكُ سارَّنِى بإفصاحٍ ، فقد وَضَّحَ لى بعضَ الإيضاحِ . فقال ابنُ ذى يَزَنَ : والبيتِ ذى الحُجُبِ ، والعلاماتِ على النُّقُبِ ، إنَّك يا عبدَ المُطَّلِبِ ، لَجَدُّه غيرَ كَذِبٍ . فَخرَّ عبدُ المُطَّلِبِ ساجدًا ، فقال : ارْفَعْ رأسَك ، ثَلَجَ صَدْرُك ، وعَلَا أمرُك ، فهل(٢) أَحْسَسْتَ شيئًا مما ذكَرْتُ لك ؟ فقال : أيُّها المِلِكُ ، كان لى ابنٌ ، وكنتُ به مُعْجَبًا وَعليه رفيقًا ، فزوَّجْتُه كريمةً مِن كرائمِ قومِه ؛ آمنةَ بنتَ وهبٍ ، فجاءتْ بغلامٍ ، سَمَّيْتُه محمدًا ، فماتَ أبوه وأمُّه ، وكفَلْتُه أنا وعمُّه . قال ابنُ ذى يَزَنَ : إنَّ الذى قلتُ لك كما قلتَ ؛ فاحتفِظْ بابنِك ، واحْذَرْ عليه اليهودَ ، فإنَّهم له أعداءٌ ، ولن يَجْعَلَ اللَّهُ لهم عليه سبيلًا ، واطْوِ ما ذكَرْتُ لك دونَ هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ، فإنِّى لستُ آمَنُ أنْ تَدْخُلَهم(٣) النَّفاسَةُ ، مِن أن تكونَ لكم(٤) الرياسةُ ، فيطْلُبُون له الغوائلَ ، ويَنْصِبون له الحَبائلَ ، فهم فاعِلُون أو أبناؤُهم ، ولولا أنِّى أَعْلَمُ أنَّ الموتَ مُجْتاحِى قبْلَ مَبْعَثِه ، لسِرْتُ بخَيْلِى ورَجِلى ، حتَّى أُصَيِّرَ(٥ يثربَ دارَ مُلْكِى٥) ، فإنِّى أَجِدُ فى الكتابِ الناطقِ ، والعِلْمِ السابِقِ ، أنَّ يثربَ استحكامُ أمْرِه ، وأهلُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص . والنجار : الأصل والحَسَب . الوسيط (ن ج ر) .

(٢) فى الأصل : « فقد » .

(٣) فى الأصل : « يدخل لهم » . وفى م : « تدخل لهم » .

(٤) فى الأصل : « لهم » .

(٥ - ٥) فى م : « يثرب دار مملكته » .

نُصْرتِه، وموضِعُ قبرِه، ولولا أنِّى أَقِيه الآفاتِ، وأَحْذَرُ عليه العاهاتِ، لأَعْلَنْتُ - على حَدَاثةِ سِنِّهِ - أمْرَه، ولأَوْطأْتُ، على[1] أَسْنانِ العربِ عَقِبَه، ولكنِّى صادِفٌ ذلك إليك، عن غيرِ تقصيرٍ بمَن معك. قال: ثُم أمَرَ لكلِّ رجلٍ منهم بعَشَرَةِ أَعْبُدٍ وعَشْرِ إماءٍ، وبمائةٍ مِن الإبلِ، وحُلَّتَيْنِ مِن البُرُودِ، وبخمسةِ أرطالٍ من الذَّهبِ، وعَشَرَةِ أرطالِ فضةٍ، وكَرِشٍ[2] مملوءٍ عنبرًا، وأمَرَ لعبدِ المُطَّلِبِ بعَشَرَةِ أضعافِ ذلك، وقال له: إذا حالَ الحَوْلُ فأْتِنى. فمات ابنُ ذى يَزَنَ قبلَ أنْ يَحُولَ الحَوْلُ، فكان عبدُ المُطَّلِبِ كثيرًا ما يَقولُ: لا يَغْبِطْنى رجلٌ منكم بجزيلِ عطاءِ المَلِكِ، فإنَّه إلى نَفادٍ، ولكن لِيَغْبِطْنى بما يَبْقَى لى، ولِعَقِبى مِن بعدى، ذِكْرُه وفَخْرُه وشَرَفُه. فإذا قيل له: متى ذلك؟ قال: سيُعْلَمُ ولو بعدَ حينٍ. قال: وفى ذلك يقولُ أُمَيَّةُ بنُ عبدِ شمسٍ:

جَلَبْنا النُّصْحَ تَحْقُبُه المطايا ... على أَكْوارِ[3] أجمالٍ[4] ونُوقِ

مُغَلْغِلَةٌ[5] مَراتعُها تُعَالِى[6] ... إلى صَنْعاءَ مِن فَجٍّ عميقِ

تَؤُمُّ بنا ابنَ ذى يَزَنٍ ويُغْرِى ... بذاتِ بُطونِها ذَمُّ الطريقِ

وتَرْعَى مِن مَخَائِلِه بُروقًا ... مُواصِلةَ الوميضِ إلى بُروقِ

---

(١) ليست فى النسخ. وأثبتناها من تاريخ دمشق والدلائل.

(٢) فى الأصل: «كوش». والكرش: وعاء الطِّيب.

(٣) تحقبه: تحمله. أكوار: جمع كَوْر؛ وهى الجماعة الكثيرة من الإبل.

(٤) أجمال: جمع جَمَل.

(٥) فى م: «مقلفة». ومغلغلة: مسرعة.

(٦) فى ص: «تقالى». وتُعالى: تصعد.

فلمّا واقَعَتْ[1] صَنْعاءَ حلَّتْ بدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العتيقِ[2]

وهكذا روَاه الحافظُ أبو نُعَيْم فى «الدلائلِ»[3]، مِن طريقِ عمروِ بن بَكْرِ[4] ابنِ بَكَّارٍ القَعْنَبِىِّ به[5]. ثُم قال أبو نُعَيْم[6]: أُخْبِرْتُ عن أبى الحَسَنِ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ[7] بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ عُفَيرِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ الصَّقْرِ[8] بنِ عُفَيْرِ بنِ زُرْعةَ بنِ سيفِ بنِ ذى يَزَنَ، حدَّثنى أبى أبو يَزَنَ إبراهيمُ، حدَّثَنا عمِّى أحمدُ بنُ محمدٍ أبو رَجَاءٍ[9]، حدَّثَنا عَمِّى محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ، حدَّثَنى عبدُ العزيزِ بنُ عُفَيْرٍ، عن أبيه، عن زُرْعةَ بنِ سَيْفِ بنِ [٢/٤٤ظ] ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىِّ قال: لمّا ظَهَرَ جَدِّى سَيْفُ بنُ ذى يَزَنَ على الحَبَشَةِ. وذكَرَه بطولِه.

وقال أبو بكرٍ الخَرَائِطِىُّ[10]: حدَّثَنا أبو يُوسُفَ يَعقُوبُ بنُ إسحاقَ القُلُوسِىُّ، حدَّثَنا العَلاءُ بنُ الفَضْلِ بنِ أبى سُوَيَّةَ، أخبرَنى أبى، عن أبيه عبدِ الملكِ بنِ أبى سُوَيَّةَ، عن جَدِّه أبى سُوَيَّةَ، عن أبيه خليفةَ قال: سأَلْتُ محمدَ

---

(١) فى الأصل، م: «واصلت». وواقعتْ: قارَبَتْ.

(٢) فى الأصل، م: «العريق».

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم (٥٠).

(٤) فى م: «بكير». وكذا فى الدلائل.

(٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٤٥، والبيهقى فى الدلائل ٢/٩ - ١٤، من طريق أبى يزن إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد الحميرى به.

(٧) فى الأصل، م: «عبد ربه».

(٨) فى الأصل: «السقر». وفى م: «السفر».

(٩) فى الأصل: «رخى». وبعده فى الأصل، م: «به».

(١٠) ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ٢٣. وعزاه للخرائطى.

ابنَ عثمانَ بنِ ربيعةَ بنِ سواةَ بنِ خَثْعَمِ بنِ سعدٍ فقلتُ : كيف سَمّاك أبوك محمدًا ؟ فقال : سألْتُ أبى عمّا سألْتنى عنه ، فقال : خرَجْتُ رابعَ أربعةٍ مِن بنى تَميمٍ أنَا منهم ، وسُفيانُ بنُ مُجاشِعِ بنِ دارِمٍ ، وأسامةُ بنُ مالكِ بنِ جُندُبِ[1] بنِ العقيدِ[1] ، ويزيدُ بنُ ربيعةَ بنِ كنانةَ بنِ حَرْبوصِ بنِ مازنٍ ، ونحن نريدُ ابنَ جَفْنَةَ مَلِكَ غَسّانَ ، فلمّا شارَفْنا الشامَ نزَلْنا على غَديرٍ عليه شجراتٌ ، فتحدَّثْنا ، فسَمِعَ كلامَنا راهبٌ ، فأَشْرَفَ علينا ، فقال : إنَّ هذه لغةٌ ما هى بلُغَةِ هذه البلادِ . قلنا : نَعَمْ ، نحن قومٌ مِن مُضَرَ . قال : من أىِّ المُضَرِيِّين[2] ؟ قلنا : مِن خِنْدِفٍ . قال : أمَا إنَّه سيُبْعَثُ وشيكًا نبىٌّ ، خاتَمُ النَّبِيِّين ، فسارِعوا إليه ، وخُذوا بحظِّكم منه تَرْشُدُوا . فقُلْنَا له : ما اسمُه ؟ قال : اسمُه محمدٌ . قال : فرَجَعْنا مِن عندِ ابنِ جَفْنَةَ ، فوُلِدَ لكلِّ واحدٍ منا ابنٌ ، فسمَّاه محمدًا . يَعْنِى ، أنَّ كلَّ واحدٍ منهم ، طَمِعَ فى أنْ يكونَ هذا النبىُّ المبشَّرُ به ولدَه .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَرائِطىُّ[3] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى سَعدٍ ، حدَّثَنا حازمُ بنُ عِقَالِ [4]بنِ الزهرِ[4] بنِ حَبِيبِ بنِ المنذرِ بنِ أبى الحُصَيْنِ بنِ السَّمَوْأَلِ ابنِ عادِيَاءَ ، [1]حدَّثَنى جابرُ بنُ حيرانَ[5] بنِ جميعِ بنِ عثمانَ بنِ سِمَاكِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ السَّمَوْأَلِ بنِ عادِيَاءَ[1] قال : لمّا حضَرَتِ الأوسَ بنَ حارثةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عمرِو بنِ عامرٍ الوفاةُ ، اجتَمَعَ إليه قومُه مِن غَسَّانَ فقالوا : إنَّه قد حضَر[6] مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل ، وفى ص : « بن العير » .

(٢) فى م : « المضرين » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٤٥٦، ٤٥٧، من طريق أبى بكر الخرائطى به .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى م : « جدان » .

(٦) فى م : « حضرك » .

أمرِ اللَّهِ ما ترى ، وقد كنَّا نَأْمُرُك بالتَّزْويجِ فى شبابِك فَتأْبَى ، وهذا أخوك الخَزْرَجُ له خَمسةُ بنِينَ ، وليس لك ولدٌ غيرُ مالكٍ . فقال : لن يَهْلِكَ هالِكٌ ، ترَك مِثلَ مالكٍ ، إنَّ الذى يُخْرِجُ النارَ مِن الوثَيمةِ[1] ، قادرٌ أن يَجْعَلَ لمالكٍ نَسْلًا ، ورِجالًا بُسْلًا ، وكلٌّ إلى الموتِ . ثُم أقْبَلَ على مالكٍ وقال : أىْ بُنَىَّ ، المنيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ ، العِقابُ ولا العِتابُ ، التجلُّدُ ولا التَّلَدُّدُ ، القبرُ خيرٌ مِن الفقرِ ، إنَّه مَن قَلَّ ذَلَّ ، ومَن[2] كَرَّ فَرَّ ، و[2] مِن كَرَمِ الكريمِ الدَّفْعُ عن الحريمِ ، والدهْرُ يومان ، فيومٌ لك ، ويومٌ عليك ، فإذا كان لك فلا تَبْطَرْ ، وإذا كان عليك فاصْطَبِرْ ، وكِلاهما سيَنْحَسِرُ ، ليس يُفْلِتُ[3] منهما المَلِكُ المُتَوَّجُ ، ولا اللئيمُ المُعَلْهَجُ[4] ، سَلِّمْ ليومِك حِيَالَ[5] رَبِّك . ثُم أَنْشَأَ يقولُ :

شهِدْتُ السبايا[6] يومَ آلِ مُحَرَّقٍ ... وأَدْرَكَ عُمْرِى[7] صيحةَ اللَّهِ فى الحِجْرِ
فلم أرَ ذا مُلْكٍ مِن الناسِ واحدًا ... ولا سُوقَةً إلَّا إلى الموتِ والقَبْرِ
فعَلَّ الذى أَرْدَى ثَمودًا وجُرْهُمًا ... سَيُعْقِبُ لى نَسْلًا على آخِرِ الدهرِ
تَقَرُّ بهم مِن آلِ عمرِو بنِ عامرٍ ... عُيُونٌ لَدَى الداعِي إلى طَلَبِ الوَتْرِ
فإن لم تَكُ الأيامُ أَبْلَيْنَ جِدَّتِى ... وشَيَّبْنَ رأْسى والمَشِيبُ مع العُمْرِ

---

(١) الوثيمة : الحجارة .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص ، وتاريخ دمشق .
(٣) فى م : « يثبت » .
(٤) فى ص : « المعلج » . والمعلهج : الرجل الأحمق اللئيم . اللسان (علهج) .
(٥) فى الأصل ، م : « حياك » .
(٦) فى الأصل : « السرايا » .
(٧) فى الأصل ، م : « أمرى » .

[٤٥/٢و] فإنَّ لنا ربًّا عَلا فوقَ عَرْشِه عَليمًا بما يَأْتِى مِن الخيرِ والشرِّ
ألم يَأْتِ قَوْمى أنَّ للَّهِ دعوةً يَفْوزُ بها أهلُ السعادةِ والبِرِّ
إذا بُعِثَ الْمبعوثُ مِن آلِ غالِبٍ[1] بمكَّةَ فيما بينَ مكَّةَ والحِجْرِ
هنالك فَابْغُوا نَصْرَه ببلادِكم بَنِى عامرٍ إنَّ السعادةَ فى النَّصْرِ

قال : ثُم قَضَى مِن ساعتِه .

---

(١) فى الأصل : « هاشم » .

بابٌ فى هَواتفِ الجانّ ،

[1]وهو[2] ما أَلْقَتْه الجانُّ على أَلْسِنَةِ

الكُهّانِ، ومسموعًا مِن الأوثانِ[1]

قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا يحيى بنُ سليمانَ الجُعْفِيُّ ، حدَّثنِى ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثَنِى عُمَرُ[4] - وهو ابنُ[5] محمدِ بنِ زيدٍ - أنَّ سالمًا حدَّثَه ، عن عبدِ[6] اللَّهِ ابنِ عُمَرَ قال : ما سمعتُ عُمَرَ يَقولُ لشىءٍ قطُّ : إنى لَأَظُنُّه . إلَّا كان كما يَظُنُّ ، بينما عمرُ بنُ الخطَّابِ جالسٌ ، إذْ مَرَّ به رجلٌ جميلٌ ، فقال : لقد أَخْطَأَ ظنِّى ، أو إنَّ هذا على دِينِه فى الجاهِلِيَّةِ ، أو لقد كان كاهنَهم ، علىَّ الرجُلَ . فدُعِىَ به ، فقال له ذلك ، فقال : ما رأيتُ كاليومِ اسْتَقْبَلَ به [7]رجلًا مسلمًا[7] . قال : فإنِّى أَعْزِمُ عليك إلَّا ما أَخْبَرْتَنى . قال : كنتُ كاهنَهم فى الجاهليةِ . قال : فما أَعْجَبُ ما جاءَتْك به جِنِّيَّتُك ؟ قال : بينمَا أنا يومًا فى السوقِ ، جاءَتْنِى أَعْرِفُ فيها الفَزَعَ ، فقالتْ :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) البخارى (٣٨٦٦) .

(٤) فى م : « عمرو » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « عبيد » .

(٧ - ٧) فى إحدى روايات البخارى « رجل مسلم » . انظر الفتح ٧/ ١٧٩ .

ألم تَـرَ الجِنَّ وإبـلاسَـهـا ويَـأسَـهـا مِـن بـعـدِ إنْـكـاسِـهـا
ولُحوقَها بالقِلاصِ وأَحْلَاسِها

قال عمرُ: صدَقَ، بينَما أنا نائمٌ عندَ آلهتِهم، إذ جاءَ رجلٌ بعِجْلٍ فذبَحَه، فصرَخ به صارخٌ، لم أَسْمَعْ صارخًا قطُّ أشدَّ صَوْتًا منه، يقولُ: يا جَلِيح[1]، أَمْرٌ نَجِيح، رَجُلٌ فَصِيح، يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. فوثَب القومُ، فقلْتُ: لا أَبْرَحُ حتى أَعْلَمَ ما وراءَ هذا. ثُم نادى: يا جَلِيح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ فصيح، يَقولُ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. فقُمْتُ، فما نَشِبْنا أنْ قِيلَ: هذا نبيٌّ. تَفرَّد به البخاريُّ.

وهذا الرجلُ هو سَوادُ بنُ قاربٍ الأَزْدِيُّ، ويُقالُ: السَّدُوسِيُّ. مِن أهلِ السَّراةِ، مِن جبالِ البَلْقَاءِ، له صُحْبةٌ ووِفادةٌ. قال أبو حاتِمٍ وابنُ مَنْدَه: روى عنه سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وأبو جَعْفَرٍ محمدُ بنُ عليٍّ. وقال البخاريُّ[2]: له صُحْبةٌ. وهكذا ذكَرَه فى أسماءِ الصَّحابةِ أحمدُ ابنُ رَوْحٍ البَرْذَعِيُّ الحافظُ، والدَّارَقُطْنِيُّ[3]، وغَيرُهما. وقال الحافظُ عبدُ الغَنِيِّ بنُ سعيدٍ المِصْرِيُّ: سَوَادُ ابنُ قاربٍ بالتخفيفِ. وقال عثمانُ الوقَّاصِيُّ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ: كان مِن أشرافِ أهلِ اليمنِ. ذكَرَه أبو نُعَيْمٍ[4] فى «الدلائلِ». وقد رُوِىَ حديثُه مِن وجوهٍ أُخَرَ[5]، مُطَوَّلةٍ بأَبسَطَ[6] مِن روايةِ البخاريِّ.

---

(١) الجليح: الوقح المكافح بالعداوة.
(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٢٠٢.
(٣) كما أورد ذلك القول للدارقطنى، الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٣/ ٢١٩.
(٤) الدلائل لأبى نعيم (٦٢).
(٥) انظر الفتح ٧/ ١٧٩. قال الحافظ ابن حجر: وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض.
(٦) فى الأصل، م: «بالبسط».

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثَنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كَعْبٍ مولى عثمانَ بنِ عفَّانَ ، أَنَّه حدَّثَ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ [٢/٤٥ظ] رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بينما هو جالسٌ فى الناسِ ، فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ أقبلَ رجلٌ مِن العربِ داخلَ المسجدِ يريدُ عُمَرَ بنَ الخطابِ ، فلمَّا نظَرَ إليه عمرُ ، قال : إنَّ الرجلَ لَعَلَى شِرْكِه ما فارَقه بعدُ . أو لقد كان كاهِنًا فى الجاهليةِ . فسلَّم عليه الرجلُ ثُم جلَسَ ، فقال له عمرُ : هل أسلَمْتَ ؟ قال : نعم ، يا أميرَ المؤمنين . قال : فهل كنتَ كاهِنًا فى الجاهليةِ ؟ فقال الرجلُ : سبحانَ اللَّهِ ، يا أميرَ المؤمنين ، لقد خِلْتَ فِىَّ ، واستقبلْتَنى بأمْرٍ ما أراك قلتَه لأحدٍ مِن رَعِيَّتِك منذُ وُلِّيتَ مَا وُلِّيتَ . فقال عمرُ : اللهمَّ غَفْرًا ، قد كنَّا فى الجاهليةِ على شرٍّ مِن هذا ، نَعبُدُ الأصنامَ ، ونَعتنِقُ الأوثانَ ، حتى أكرمَنا اللَّهُ برسولِه وبالإسلامِ . قال : نَعَمْ واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ، لقد كنتُ كاهنًا فى الجاهليةِ . قال : فأَخْبِرْنى ما جاء به صاحبُك . قال : جاءنى قبلَ الإسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه[2] ، فقال :

ألم تَرَ إلى الجنِّ وإبلاسِها ، وإياسِها مِن دينِها ،
ولُحوقِها بالقِلاصِ[3] وأَحْلاسِها[4]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩، ٢١٠.
(٢) شيعه : شيع الشىء : شبهه والمقارب له . الوسيط (ش ى ع) .
(٣) القلاص جمع القلوص ، وهى من الإبل الفتية المجتمعة الخَلق . الوسيط (ق ل ص) .
(٤) الأحلاس جمع حِلْس ، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . القاموس المحيط (ح ل س) .

قال ابنُ إسحاقَ : هذا الكلامُ سَجْعٌ ، و[1]ليس بشِعْرٍ . [2]قال عبدُ اللَّهِ بنُ كعبٍ[2] :

فقال عمرُ عندَ ذلك يُحَدِّثُ الناسَ : واللَّهِ ، إنِّى لَعِندَ وَثَنٍ مِن أوثانِ الجاهليةِ ، فى نَفَرٍ مِن قُرَيْشٍ قد ذبَحَ له رجلٌ مِن العربِ عِجْلًا ، فنحن نَنتظِرُ قَسْمَه أن يَقْسِمَ لنا منه ، إذ سَمِعْتُ مِن جَوْفِ العِجْلِ صَوْتًا ، ما سمِعْتُ صوتًا ، قطُّ أشدَّ منه ، وذلك قُبَيْلَ الإسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه[3] ، يقولُ : يا ذَرِيح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ يصِيح ، يقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . قال ابنُ هِشامٍ[4] : ويُقالُ : رجلٌ يَصِيحْ ، بلسانٍ فصِيحْ ، يَقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . قال : وأنشدَنى بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ :

عجِبْتُ للجِنِّ وإبلاسِها ... وشدِّها العِيسَ بأحلاسِها
تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مُؤْمِنو الجنِّ كأنجاسِها

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوصِلِىُّ[5] : حدَّثَنا يَحْيى بنُ حُجْرِ بنِ النُّعمانِ السامِىُّ[6] ، حدَّثَنا علىُّ بنُ منصورٍ الأنبارِىُّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الوقَّاصىِّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، قال : بينَما عمرُ بنُ الخطَّابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، ذاتَ يومٍ جالسٌ ، إذ مرَّ به رجلٌ ، فقيل : يا أميرَ المؤمنين ، أتَعْرِفُ هذا

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣) فى ص : « سبعة » .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢١١.
(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٥٢، من طريق أبى يعلى .
(٦) فى النسخ : « الشامى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الأنساب ٣/ ٢٠٣.

المارَّ؟ قال: ومَن هذا؟ قالوا: هذا سَوادُ بنُ قاربٍ الذى أَتاه رَئِيُّه[1] بظهُورِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: فأَرْسَلَ إليه عُمَرُ، فقال له: أنت سَوَادُ بنُ قاربٍ؟ قال: نَعَمْ. [2]قال: أنت الذى أتاك رَئِيُّك بظهورِ النبىِّ ﷺ؟ قال: نعم[2]. قال: فأنت على ما كنتَ عليه مِن كِهانتِك؟ قال: فغضِبَ. وقال: ما استَقْبَلَنى بهذا أحدٌ منذُ أسلَمْتُ، يا أميرَ المؤمنين. فقال عمرُ: يا سبحانَ اللَّهِ، ما كنّا عليه مِن الشركِ أعظمُ ممَّا كنتَ عليه مِن كِهانتِك، فأَخْبِرْنى بإتْيانِك[3] رَئِيُّك بظهورِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: نعم، يا أميرَ المؤمنين، بينَما أنا ذاتَ ليلةٍ بينَ النائمِ واليَقْظانِ، إذ أتانى رَئِيِّى فضرَبَنى برِجْلِه، وقال: قُمْ يا سَوادُ بنَ قاربٍ، واسمَعْ مقالتى واعقِلْ إن كنت تَعقِلُ، إنَّه قد بُعِثَ رسولٌ، مِن لُؤَىِّ بنِ غالبٍ، يَدْعُو إلى اللَّهِ وإلى عِبادتِه، ثُم أنشأ يَقولُ:

[٤٦/٢و] عَجِبْتُ لِلجنِّ وتَطْلابِها ... وشَدِّها العِيسَ بأقتابِها[4]

تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما صادِقُ الجنِّ ككذَّابِها

فارْحَلْ إلى الصفوَةِ مِن هاشمٍ ... ليسَ قُداماها كأَذنابِها

قال: قلتُ: دَعْنى أنامُ فإنِّى أمسَيْتُ ناعسًا. قال: فلمَّا كانتِ الليلةُ الثانيةُ، أتانى فضَربَنى برِجْلِه، وقال: قمْ يا سَوادُ بنَ قاربٍ واسمَعْ مَقالتى، واعقِلْ إن كنتَ تعقِلُ؛ إنَّه بُعِثَ رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبٍ، يَدْعُو إلى اللَّهِ وإلى

---

(١) فى ص: «آية».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) فى الأصل، م: «ما أنبأك».

(٤) العيس جمع أعيس، وهو الكريم من الإبل. أو الذى يخالط بياضه شقرة. الوسيط (ع ى س). والأقتاب جمع القتب وهو الرحل الصغير على قدر سنام البعير. الوسيط (ق ت ب).

عبادتِه ، ثُم أنشَأَ يقولُ :

عَجِبْتُ للجنِّ وتَخْيارِها[1] وشدِّها العِيسَ بأَكْوارِها[2]
تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدى ما مؤمنو الجنِّ ككُفّارِها
فارْحَلْ إلى الصَّفوةِ مِن هاشمٍ بينَ رَوابِيها وأحْجَارِها

قال : قلتُ : دعْنى أنامُ ، فإنِّى أمسيتُ ناعسًا . فلمَّا كانتِ الليلةُ الثالثةُ ، أَتانى فضرَبَنى برِجْلِه ، وقال : قمْ يا سوادُ بنَ قاربٍ ، فاسمَعْ مَقالتى ، واعقِلْ إن كنتَ تَعْقِلُ ، إنَّه قد بُعِثَ رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ، يَدْعُو إلى اللَّهِ وإلى عبادتِه . ثُم أنشأَ يَقولُ :

عَجِبْتُ للجنِّ وتَحساسِها وشدِّها العِيسَ بأحلاسِها
تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبغِى الهُدَى ما خَيِّرُ الجنِّ كأنجاسِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ واسمُ بعينَيك إلى رأسِها

قال : فقمتُ ، وقلتُ : قد امتحنَ اللَّهُ قلبى . فرَحَّلْتُ ناقتى ، ثُم أتيتُ المدينةَ ، يعنى مكَّةَ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه ، فدنَوْتُ ، فقلتُ : اسمَعْ مقالتى ، يا رسولَ اللَّهِ . قال : هاتِ . فَأَنْشَأْتُ أقولُ :

أَتانى نَجِيِّى بعدَ [3]هَدْءٍ ورقْدةٍ[3] ولم يكُ فيما قد تَلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ أتاكَ رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبِ

---

(١) فى الأصل : « تختارها » . وفى م : « تحيارها » .
(٢) الأكوار جمع الكُور ، وهو الرَّحْل ، أو الرحل بأداته . الوسيط (ك و ر) .
(٣ - ٣) فى الدلائل : « ليل وهجعة » .

فشمَّرْتُ عن ذَيلِى[1] الإزارَ ووسَّطَتْ ... بِىَ الذُّعْلِبُ[2] الوَجْناءُ[3] غُبْرَ السباسِبِ[4]

فأَشهدُ أنَّ اللَّهَ لا شىءَ غيرُه ... وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غالبِ

وأنَّك أدنى المرسَلين[5] وسيلةً ... إلى اللَّهِ يا بنَ الأَكرمِين الأَطايبِ

فمُرْنا بما يَأْتِيك يا خيرَ مَن مَشَى ... وإن كان فيما جاءَ شَيْبُ الذَّوائبِ

وكنْ لى شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ ... سِواكَ بمُغْنٍ عن سَوادِ بنِ قاربِ

[٢/٤٦ظ] قال: ففرِحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه بمقالتِى فرَحًا شديدًا، حتّى رُئِىَ الفرَحُ فى وجوهِهم. قال: فوثَبَ إليه عمرُ بنُ الخطابِ فالتزَمَه[6]، وقال: قد كنتُ أَشْتَهِى أن أَسْمَعَ هذا الحديثَ منك، فهل يَأْتيك رَئِيُّك اليومَ؟ قال: أمَّا منذُ قَرَأْتُ القرآنَ فلا، ونِعْمَ العِوَضُ كتابُ اللَّهِ مِن الجِنِّ. ثُم قال عمرُ: كنّا يومًا فى حَىٍّ مِن قريشٍ، يُقالُ لهم: آلُ ذَرِيحٍ، وقد ذبَحُوا عِجْلًا لهم والجزَّارُ يُعالِجُه، إذ سمِعْنا صوتًا مِن جَوْفِ العِجْلِ، ولا نَرَى شيئًا، قال: [7]يا آلَ[7] ذَرِيح، أمرٌ نَجِيح، صائحٌ يَصِيح، بلسانٍ فَصِيح، يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ. وهذا منقطِعٌ مِن هذا الوجهِ، ويَشْهَدُ له روايةُ البخارىِّ[8]. وقد تَساعدوا على أنَّ السامعَ الصوتَ مِن العجلِ هو عمرُ بنُ الخطابِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى الدلائل: «ساقى».

(٢) الذعلب: الناقة السريعة.

(٣) الوجناء: العظيمة الوجنتين.

(٤) السباسب جمع السبسب، وهى المفازة. الوسيط (س ب س ب).

(٥) فى ص: «الرسل».

(٦) فى الأصل: «فأكرمه».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) تقدم تخريجها فى صفحة ٥٦٣.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سَهلٍ الخَرَائِطيُّ[1] فى كِتابهِ الذى جمعَه فى هواتفِ الجانِّ: حدَّثَنا أبو مُوسى عِمرانُ بنُ مُوسى المؤَدِّبُ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عمرانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى، حدَّثَنا سعيدُ بنُ عُبَيْدِ[2] اللَّهِ الوصَّافيُّ[3]، عن أبيه، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ، قال: دخَلَ سَوادُ بنُ قاربٍ السَّدوسِيُّ على عمرَ بنِ الخطابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فقال: نَشَدْتُك باللَّهِ، يا سوادُ بنَ قاربٍ، هل تُحْسِنُ اليومَ مِن كِهانتِك شيئًا؟ فقال: سبحانَ اللَّهِ، يا أميرَ المؤمنين، ما استقبلْتَ أحَدًا مِن جُلَسائِك بِمثْلِ ما استقبَلْتَنِى بهِ. قال: سبحانَ اللَّهِ، يا سَوادُ، ما كنَّا عليه مِن شِرْكِنا أعظمُ مِمَّا كنتَ عليه مِن كِهانتِك، واللَّهِ، يا سَوادُ، لقد بَلَغَنِى عنك حديثٌ إنَّه لَعجبٌ مِن العجَبِ[4] قال: إىْ واللَّهِ، يا أميرَ المؤمنين، إنَّه لَعَجَبٌ مِن العجبِ[4]. قال: فحدِّثْنيه. قال: كنتُ كاهنًا فى الجاهليةِ، فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ نائمٌ إذْ أتانى نَجِيِّى فَضرَبنى[5] برِجْلِه، ثُم قال: يا سَوادُ، اسمَعْ أَقُلْ لك. قلتُ: هاتِ. قال:

عَجِبْتُ للجنِّ وأنجاسِها ... ورَحْلِها العِيسَ بأحلاسِها
تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مؤمنوها مثلَ أرجاسِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ ... واسْمُ بعينَيْكَ إلى رأْسِها

قال: فنِمْتُ، ولم أَحْفِلْ بقولِه شيئًا، فلمّا كانتِ الليلةُ الثانيةُ أتانى،

---

(١) ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ١٠٣. وعزاه للخرائطى.
(٢) فى الأصل: «عبد». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٢٩.
(٣) فى الأصل، م: «الوصابى».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) سقط من: ص.

فضرَبنى برِجْلِه ، ثُم قال لى : قُمْ ، يا سَوادُ بنَ قاربٍ ، اسمَعْ أَقُلْ لك . قلت : هاتِ . قال :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وتَطْلابِها ... وشدِّها[1] العِيسَ بأقتابِها
تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما صادقُ الجنِّ ككذَّابِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ ... ليس المقاديمُ كأذنابِها

قال : فحرَّكَ قولُه منى شيئًا ، ونمْتُ ، فلمَّا كانتِ الليلةُ الثالثةُ أتانى ، فضرَبنى برِجْلِه ، ثُم قال : يا سوادُ بنَ قاربٍ ، أتَعقِلُ أم لا تَعقِلُ ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظَهَرَ بمكةَ نَبِيٌّ يَدْعو إلى عبادةِ اللَّهِ فالْحَقْ به ، اسْمَعْ أَقُلْ لك . قلت : هاتِ . قال :

[٤٧/٢و] عَجِبْتُ للجنِّ وتَنفَارِها ... ورَحْلِها العيسَ بأكوارِها
تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مُؤْمِنُو الجِنِّ ككفّارِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشِمٍ ... بينَ رَوابيها وأَحجارِها

قال : فَعلِمْتُ أنَّ اللَّهَ قد أَراد بى خيرًا ، فقمْتُ إلى بُرْدَةٍ لى ففتَقْتُها وَلَبِسْتُها ، ووضَعْتُ رِجْلى فى غَرْزِ رِكابِ النّاقةِ ، وأقبَلْتُ حتى انتَهَيْتُ إلى النبىِّ ﷺ ، فعَرَضَ[2] علىَّ الإسلامَ فَأسْلَمْتُ ، وأَخْبَرْتُه الخبرَ ، فقال :

« إذا اجتَمَعَ المسلمون فأخْبِرْهم » . فلمّا اجتَمَعَ المسلمون قُمْتُ ، فقُلْتُ :

---

(١) فى الأصل : « رحلها » .
(٢) فى الأصل : « فأعرض » .

أتانى نَجِيِّى بَعْدَ هَدْءٍ ورَقْدةٍ ... ولم يَكُ فيما قد بَلَوْتُ[1] بكاذِبِ

ثَلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاك رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبِ

فشمَّرْتُ عن ساقى الإزارَ ووَسَّطَتْ ... بِىَ الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ غُبْرَ السَّباسبِ

وأعلَمُ أنَّ اللَّهَ لا ربَّ غيرُه ... وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غالبِ

وأنَّكَ أَدْنى المُرْسَلين وَسِيلةً ... إلى اللَّهِ يا بنَ الأكرَمِينَ الأَطايبِ

فمُرْنا بما يَأْتيكَ يا خيرَ مُرْسَلٍ ... وإن كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الذَّوائبِ

قال : فسُرَّ المسلمون بذلك . فقال عمرُ : هل تُحِسُّ اليومَ منها بشىءٍ ؟ قال : أمَّا مُذْ علَّمَنِىَ اللَّهُ القرآنَ ، فلا .

وقد رواه محمدُ بنُ السائبِ الكَلْبِىُّ ، عن أبيه ، عن عمرَ بنِ حفصٍ ، قال : لمَّا ورَدَ سَوادُ بنُ قاربٍ على عُمَرَ ، قال : يا سوادُ بنَ قاربٍ ، ما بَقِى مِن كِهانتِك ؟ فغَضِبَ ، وقال : ما أظُنُّك ، يا أميرَ المؤمنين ، استقبَلْتَ أحدًا مِن العربِ بِمثلِ هذا . فلمّا رأى ما فى وجهِه مِن الغضبِ ، قال : انْظُرْ ، سَوادُ ، لَلَّذى كُنَّا عليه قبلَ اليومِ مِن الشركِ أعظمُ . ثُم قال : يا سَوادُ ، حدِّثْنى حَدِيثًا كنتُ أشْتَهِى أَسْمَعُه منك . قال : نَعَمْ ، بَيْنا أنا فى إِبِلٍ لى بالسَّراةِ ليلًا ، وأنا نائمٌ ، وكان لى نَجِيٌّ[2] مِن الجنِّ[2] فأَتانى فضرَبَنى برِجْلِه ، فقال لى : قُم ، يا سَوادُ ابنَ قاربٍ ، فقد ظهَرَ بِتِهامَةَ نَبِىٌّ يَدْعُو إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ . فذكَرَ القصةَ كما تقدَّمَ ، وزادَ فى آخِرِ الشِّعْرِ :

---

(١) فى ص : « تلوت » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

وكُن لى شفيعًا يومَ لا ذو قَرابةٍ سِواك بمُغْنٍ عن سوادِ بنِ قاربِ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سِرْ فى قومِك وقلْ هذا الشِّعْرَ فيهم».

ورواه الحافظُ ابنُ عساكرَ، مِن طريقِ سليمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ[1]، عن الحكَمِ بنِ يَعْلَى بنِ عطاءٍ المُحارِبىِّ، عن عبَّادِ بنِ عبدِ الصمدِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، قال: أخبرَنى سَوادُ بنُ قاربٍ الأَزْدِىُّ، قال: كنتُ نائمًا على جبلٍ مِن جبالِ السَّراةِ، فأتَانى آتٍ فضرَبنى برِجْلِه. وذكَرَ القِصَّةَ أيضًا.

ورواه أيضًا مِن طريقِ محمدِ بنِ البراءِ، عن أبى بكرِ بنِ عيَّاشٍ[2]، عن أبى إسحاقَ، عن البراءِ، قال: قال سَوادُ بنُ قاربٍ: كنتُ نازلًا بالهِندِ [٢/٤٧ظ] فجاءنى رَئِيِّى ذاتَ ليلةٍ. فذكَرَ القصةَ. وقال بعدَ إنشادِ الشِّعرِ الأخيرِ: فضحِكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، حتَّى بَدَتْ نواجذُه، وقال: «أفلَحْتَ يا سَوَادُ».

وروى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[3]، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: إنَّ أولَ خبرٍ كان بالمدينةِ بمَبْعَثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّ امرأةً بالمدينةِ كان لها تابعٌ مِن الجنِّ، فجاء فى صورةِ طائرٍ أبيضَ، فوَقَع على حائطٍ لهم، فقالتْ له: لِمَ لا تَنْزِلُ إلينا، فتُحَدِّثَنا ونُحَدِّثَك، وتُخْبِرَنا ونُخْبِرَك؟ فقال لها: إنَّه قد بُعِثَ نبىٌّ بمكَّةَ، حرَّمَ الزِّنا ومنَعَ منّا القَرارَ.

وقال الوَاقِدِىُّ[4]: حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ، عن الزُّهْرِىِّ، عن

---

(١) ومن طريق سليمان بن عبد الرحمن، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٢٥٣.

(٢) ومن طريق أبى بكر بن عياش، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٢٤٨.

(٣) الدلائل لأبى نعيم (٥٦).

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/١٦٧ بإسناده، من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن على بن الحسين بنحوه.

عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ ، قال : إنَّ أولَ خَبَرٍ قدِمَ المدينةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّ امرأةً تُدْعَى فاطمةَ ، كان لها تابعٌ ، فجاءها ذاتَ يومٍ ، فقام على الجدارِ ، فقالت : ألَا تَنْزِلُ ؟ فقال : لا ، إنَّه قد بُعِثَ الرسولُ الذى حرَّمَ الزِّنا .

وأرسَلَه بعضُ التَّابِعينَ أيضًا ، وسمّاه بابنِ لَوْذانَ ، وذكَرَ أنَّه كان قد غاب عنها مُدَّةً ، ثُم لمَّا قَدِم عاتَبَتْه ، فقال : إنِّى جئتُ الرسولَ فسَمِعْتُه يُحَرِّمُ الزِّنا ، فعليكِ السَّلامُ .

وقال الوَاقِدِىُّ[1] : حدَّثَنى محمدُ بنُ صالحٍ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قَتادةَ ، قال : قال عثمانُ بنُ عفَّانَ : خرجْنا فى عِيرٍ إلى الشامِ ، قبلَ أن يُبْعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا كنّا بأفواهِ الشّامِ ، وبها كاهنةٌ ، فتعرَّضَتْنا ، فقالت : أتانى صاحبى ، فوقَفَ على بابى ، فقلتُ : ألا تَدْخُلُ ؟ فقال : لا سبيلَ إلى ذلك ، خرَجَ أحمدُ ، وجاء أمرٌ لا يُطاقُ . ثُم انصرَفْتُ فرجَعْتُ إلى مكَّةَ ، فوجدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد خرَجَ بمكةَ ، يَدْعُو إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال الوَاقِدِىُّ[2] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[3] الزُّهْرِىِّ ، قال : كان الوحىُ يُسْمَعُ ، فلمّا كان الإسلامُ مُنِعوا ، وكانتِ امرأةٌ مِن بنى أسدٍ ، يُقالُ لها : سُعَيرَةُ . لها تابعٌ مِن الجنِّ ، فلمَّا رأَى الوحْىَ لا يُستطاعُ ، أتاها فدَخَل فى صدْرِها ، فضجَّ فى صَدْرِها ، فذهَبَ عَقْلُها ، فجعَلَ يقولُ مِن صَدْرِها : وُضِعَ العِناق ، ومُنِعَ الرِّفاق ، وجاء أمرٌ لا يُطاق ، و[4] أَحمدُ حرَّمَ الزِّنا .

---

(١) ومن طريق الواقدى ، أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٥٨) .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١٦٧/١ بنحوه ، من طريق آخر عن الزهرى .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ص : « خرج » .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَرَائِطِيُّ[1] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِيُّ ، بِمِصْرَ ، حدَّثَنا عُمارةُ بنُ زيدٍ ، حدَّثَنا عِيسَى بنُ يَزيدَ ، عن صَالحِ بنِ كَيْسانَ ، عمَّن حدَّثَه ، عن مِرْداسِ بنِ قيسٍ الدَّوْسِيِّ[2] ، قال : حضَرْتُ النبيَّ ﷺ - وقد ذُكِرَتْ عندَه الكِهانةُ ، وما كان مِن تغييرِها عندَ مَخْرَجِه - فقُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد كان عندَنا مِن[3] ذلك شيءٌ أُخبِرُك أنَّ جاريةً منَّا ، يُقالُ لها : الخَلَصَةُ . لم يُعْلَمْ عليها إلَّا خيرًا ، إذ جاءتْنا ، فقالتْ : يا معشَرَ دَوْسٍ ، العَجَبُ العَجَبُ لِمَا أَصابنى ، هل عَلِمْتُم إلَّا خيرًا ؟ قُلْنا : وما ذاك ؟ قالتْ : إنِّى لَفى غَنَمِى إذ غَشِيَتْنى ظُلمةٌ ، ووجدْتُ كحِسِّ الرجلِ مع المرأةِ ، فقد خشِيتُ أن أكونَ قد حَبِلْتُ ، حتى إذا دَنَتْ ولادتُها وضَعَتْ غلامًا أغضَفَ[4] له أُذنانِ كأذنَيِ الكلبِ ، فمكثَ فينا حتى إنَّه لَيَلْعَبُ مع الغِلْمانِ [٢/٤٨و] إذ وثَبَ وثبةً ، وألقى إزارَه ، وصاح بأعلى صوتِه ، وجعَلَ يقولُ : يا وَيْلة يا وَيْلة ، يا عَوْلة يا عَوْلة ، يا وَيْلَ غَنْم[5] ، يا وَيْلَ فَهْم ، مِن قابسِ النارِ ، الخيلُ ، واللَّهِ ، وراءَ العَقَبةِ ، فيهن فِتْيانٌ حِسانٌ نُجبةٌ . قال : فركِبْنا وأخذْنا الأداةَ[6] ، وقلنا : يا ويلكَ ، ما تَرَى ؟ فقال : هل[7] مِن جاريةٍ طامثٍ ؟ فقلنا : ومَن لنا بها ؟ فقال شيخٌ مِنّا : هى واللَّهِ عندى عفيفةُ الأمِّ . فقلنا : فعجِّلْها . فأَتَى بالجاريةِ وطلَعَ

---

(١) ومن طريق الخرائطى ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٥١.

(٢) فى النسخ : « السدوسى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر أسد الغابة ٥/ ١٤١.

(٣) فى الأصل ، م : « فى » .

(٤) أغضف : المتثنى والمسترخى الأذنين .

(٥) بنو غنم : قبيلة من تغلب ، وهو غنم بن تغلب بن وائل . اللسان (غ ن م) .

(٦) الأداة : الآلة الصغيرة . وهى فى النسخ : « للأداة » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) سقط من : الأصل ، ص .

الجبلَ، وقال للجاريةِ: اطرَحِى ثوبَكِ، واخرُجى فى وجوهِهم. وقال القومُ: اتَّبِعُوا أثرَها. وقال لرجلٍ منا يُقالُ له: أحْمَرُ[1] بنُ حابسٍ[2]: يا أحْمَرُ بنَ حابسٍ، عليك أوَّلُ فارسٍ. فحمَلَ أحْمَرُ، فطعَنَ أولَ فارسٍ، فصرَعَه، وانهزموا فغَنِمْناهم. قالوا[3]: فابتَنَيْنا عليهم بَيْتًا، وسمَّيْناه ذا الخَلَصَةِ، وكان لا يَقولُ لنا شيئًا إلا كان كما يَقولُ، حتى إذا كان مَبْعَثُك، يا رسولَ اللَّهِ، قال لنا يومًا: يا مَعْشَرَ دَوْسٍ، نَزلتْ بنو الحارثِ بنِ كعبٍ، فاركبوا[4]. فرَكِبْنا، فقال لنا: أَكْدِسوا[5] الخيلَ كَدْسًا، احْشُوا القومَ رَمْسًا[6]، الْقَوْهم[7] غَدِيَّةً، واشرَبوا الخمرَ عَشِيَّةً. قال: فلَقِيناهم، فهزَمونا وغلَبونا، فرجَعْنا إليه، فقلنا: ما حالُك، وما الذى صنَعْتَ بنا؟ فنظَرْنا إليه، وقد احمرَّتْ عيناه، وانتصَبَتْ[8] أُذُناه وانبَرَمَ غَضْبانَ حتَّى كاد أن يَنفَطِرَ، وقام فركِبْنا واغتَفَرْنا هذه له، ومكَثْنا بعدَ ذلك حينًا، ثُم دَعانا، فقال: هل لكم فى غَزْوةٍ تَهَبُ لكم عِزًّا، وتَجْعَلُ لكم حِرْزًا، ويَكونُ فى أيديكم كَنْزًا؟ فقُلْنا: ما أحْوَجَنا إلى ذلك. فقال: اركَبوا. فركِبْنا، فقلنا: ما تَقولُ؟ فقال: بنو الحارثِ بنِ

---

(١) فى م: «أحمد».

(٢) بعده فى ص: «فقال».

(٣) فى م: «قال».

(٤) سقط من: م، ص.

(٥) أى اجعلوها تزدحم. الوسيط (ك د س).

(٦) فى ص: «رأسا».

(٧) فى م: «أنقوهم».

(٨) فى ص: «وابيضت». وكذا فى تاريخ دمشق.

مَسْلَمةَ . [1] ثُم قال : قِفوا . فوَقَفْنا [1] ، ثُم قال : عليكم بفَهْم . ثُم قال : ليس لكم فيهم ذم ، عليكم بمُضَرَ ، هم أربابُ خيلٍ ونَعَم . ثُم قال : لا ، رَهطُ دُرَيْدِ ابنِ الصِّمَّة ، قليلُ العددِ وَفِيُّ الذِّمَّة . ثُم قال : لا ، ولكن عليكم بكَعْبِ بنِ ربيعة ، [2] واشكروها صنيعة [2] عامرِ بنِ صَعْصَعَة ، فلْيَكُنْ بهم الوقيعة . قال : فلَقِيناهم فهزَمونا وفضَحونا ، فرجَعْنا وقلنا : ويْلَك ، ماذا تَصْنَعُ بنا ؟ قال : ما أَدْرِى ، كذَبَنى الذى كان يَصدُقُنى ، اسْجُنونى فى بيتى ثلاثًا ، ثُم أْتُونِى . ففعَلْنا به ذلك ، ثُم أَتَيْناه [3] بعدَ ثالثةٍ ، ففَتحْنا عنه ، فإذا هو كأنّه جَمْرةُ [4] نارٍ ، فقال : يا مَعْشَرَ دَوْسٍ ، حُرِسَتِ السَّماء ، وخرَجَ خيرُ الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكةَ ، وأنا مَيِّتٌ ، فادفِنونى فى رَأْسِ جَبلٍ ، فإنِّى سوف أَضْطَرِمُ نارًا ، وإن تركْتُمونى كنتُ عليكم عارًا ، فإذا رأيتُم اضْطِرامى [5] وتلهُّبى ، فاقْذِفونى بثلاثةِ أحجارٍ ، ثُم قولوا مع كلِّ حَجرٍ : باسْمِك اللهمَّ . فإنِّى أَهْدَأُ وأُطْفَأُ . قال : وإنَّه مات ، فاشتَعَلَ نارًا ، ففعَلْنا به ما أمَرَ ، وقذَفْناه بثلاثةِ أحجارٍ ، نقولُ مع كلِّ حجرٍ : باسْمِكَ اللهمَّ . فخَمَدَ وطَفِئَ ، وأَقَمْنا حتى قَدِمَ علينا الحاجُّ ، فأَخبَرونا بمبعثِك يا رسولَ اللَّهِ . غريبٌ جدًّا .

وروَى الوَاقِدِىُّ [6] عن [7] ابنِ أبى ذِئْبٍ ، عن مُسْلمِ بنِ جُندُبٍ ، عن النَّضْرِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « أسكنوها ضيعة » .

(٣) فى ص : « أتينا » .

(٤) فى الأصل ، م : « حجرة » .

(٥) فى ص : « اضطرابى » .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٦١، من طريق الواقدى به .

(٧) بعده فى م : « أبيه عن » .

ابنِ سُفْيانَ[1] الهُذَلِيِّ ، عن أبيه ، قال : خرجْنا فى عِيرٍ لنا إلى الشامِ ، فلمّا كنا بين الزَّرْقَاءِ ومَعانٍ قد عرَّسْنا مِن الليلِ ، فإذا بفارسٍ يَقولُ ، وهو بينَ السماءِ والأرضِ : أيُّها النِّيامُ هُبُّوا ؛ فليس هذا بحِينِ رُقادٍ ، قد خرَجَ أحمَدْ ، وطُرِّدَتِ الجنُّ كلَّ مَطْرَدْ . [٢/٤٨ظ] ففزِعْنا ، ونحن رُفقةٌ حزَاوِرَةٌ[2] ، كلُّهم قد سَمِعَ بهذا ، فرجَعْنا إلى أهلِنا ، فإذا هم يَذْكُرُون اختِلافًا بمكةَ بينَ قريشٍ ، فى نبيٍّ قد خرَجَ فيهم مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، اسمُه أحمدُ . ذكَرَه أبو نُعَيْمٍ[3] .

وقال الخَرَائِطِيُّ[4] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِيُّ ، بمِصْرَ ، حدَّثَنا عُمارةُ ابنُ زيدٍ ، حدَّثَنى عُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ العلاءِ ، حدَّثَنى يَحْيَى بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، أنَّ نفرًا مِن قريشٍ ، منهم وَرقةُ بنُ نَوْفَلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ ، وزيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وعُبَيْدُ[6] اللَّهِ بنُ جَحْشِ بن رِئابٍ ، وعثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ[7] ، كانوا عندَ صَنمٍ لهم يَجْتَمِعون إليه ، قد اتَّخَذوا ذلك اليومَ مِن كلِّ سنةٍ عِيدًا ، كانوا يُعَظِّمونَه ويَنْحَرُون له الجَزُورَ ، ثُم يَأْكُلونَ ويَشْرَبون الخمرَ ويَعْكُفُون عليه ، فدخَلوا عليه فى الليلِ ، فَرَأَوْه مَكْبوبًا على وجهِه ، فأَنكروا ذلك ، فأَخَذُوه فرَدُّوه إلى حالِه ، فلم يَلْبَثْ أنِ انْقَلَبَ انقلابًا عنيفًا ، فأَخَذُوه فردُّوه إلى حالِه ، فانقَلَبَ

---

(١) فى ص : « سليمان » .

(٢) فى م ، ص : « حزورة » . وفى الطبقات : « جرارة » . وهى الجماعة الكثيرة . وحزاورة : جمع الحَزَوَّر ، وهو الغلام الذى شب وقوى . اللسان (ح ز ر) .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٥٩) ، من طريق ابن أبى ذئب به .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٢٣ ، من طريق الخرائطى به .

(٥) فى م ، ص : « عبد » .

(٦) فى الأصل ، م : « عبد » .

(٧) فى ص : « الحارث » .

الثالثةَ ، فلمَّا رأَوْا ذلك اغتَمُّوا له وأعظَمُوا ذلك ، فقال عثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ : ما له قد أكثرَ التَّنَكُّسَ ، إنَّ هذا لِأَمْرٍ قد حدَثَ . وذلك فى الليلةِ التى وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجعَلَ عثمَانُ يَقولُ :

أيَا صنمَ العيدِ الذى صُفَّ حولَه ... صَنادِيدُ وَفدٍ مِن بعيدٍ ومِن قُرْبِ
تَكَوَّسْتَ[1] مغلوبًا فما ذاكَ قُلْ لنا ... أذاكَ سفيهٌ أم تكَوَّسْتَ[1] للعَتْبِ
فإن كانَ مِن ذَنْبٍ أَتَيْنا فإنَّنا ... نَبوءُ بإقرارٍ ونَلْوِى عن الذَّنْبِ
وإن كنتَ مغلوبًا تكَوَّسْتَ[1] صَاغرًا ... فما أنتَ فى الأوثانِ بالسيِّدِ الربِّ

قال : فأخَذُوا الصَّنَمَ ، فرَدُّوه إلى حالِه ، فلمّا استَوَى ، هَتَفَ بهم هَاتِفٌ مِن الصَّنمِ ، بصوتٍ جَهِيرٍ ، وهو يَقولُ :

تَـرَدَّى لمولـودٍ أنـارتْ بـنـورِه ... جميعُ فِجاجِ الأَرْضِ فى الشَّرْقِ والغَرْبِ
وخَرَّتْ له الأوثانُ طُرًّا وأُرْعِدَتْ ... قلوبُ ملوكِ الأرضِ طُرًّا مِن الرُّعبِ
ونارُ جميعِ الفُرْسِ باختْ[2] وأظلَمَتْ ... وقد باتَ شاهُ الفرسِ فى أعظمِ الكَرْبِ
وصُدَّتْ عن الكُهَّانِ بالغيبِ جِنُّها ... فلا مُخْبِرٌ عنهم بحقٍّ ولَا كِذْبِ
فَيالَ قُصَىٍّ إرجِعوا عن ضلالِكم ... وهُبُّوا إلى الإسلامِ والمنزلِ الرَّحْبِ

قال : فلمّا سمِعوا ذلك خلَصُوا نَجِيًّا ، فقال بعضُهم لبعضٍ : تَصادَقُوا ، ولْيَكْتُمْ بعضُكم على بعضٍ . فقالوا : أَجَلْ . فقال لهم وَرَقةُ بنُ نَوْفلٍ :

---

(١) فى الأصل ، م : « تنكست » . وتكوَّس : انقلب .
(٢) فى الأصل : « ناخت » . وباخت النار : سكنتْ وفَترتْ . اللسان (ب و خ) .

تَعلَمُون - واللَّهِ - ما قَوْمُكُم على دينٍ، ولقد أخطَئُوا الحُجَّةَ وتَرَكُوا دِينَ إبراهيمَ، ما حَجَرٌ تُطِيفون به لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ، ولا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ؟ يا قومِ، التمِسُوا لأنفسِكم الدِّينَ. قال: فخرَجوا عندَ ذلك يَضْرِبون فى الأرضِ، ويَسألُون عن الحنيفيَّةِ دينِ إبراهيمَ، [٢/٤٩و] عليه السَّلامُ، فأمَّا ورَقةُ بنُ نَوْفَلٍ، فتنصَّرَ وقرأَ الكُتُبَ، حتى عَلِمَ عِلْمًا، وأمَّا عُثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ، فَصار إلى قَيْصَرَ، فتَنَصَّرَ وحسُنَتْ منزلتُه عندَه، وأمَّا زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيلٍ، فأراد الخروجَ فحُبِسَ، ثُم إنَّه خرَجَ بعدَ ذلك، فضرَبَ فى الأرضِ، حتى بلَغَ الرَّقَّةَ مِن أرضِ الجزيرةِ، فلَقِيَ بها راهبًا عالِمًا، فأخبرَه بالذى يَطلُبُ، فقال له الراهبُ: إنَّك لَتَطْلُبُ دِينًا ما تَجِدُ مَن يَحْمِلُك عليه، ولكن قد أَظَلَّك زمانُ نبيٍّ يَخرُجُ مِن بلدِك، يُبْعَثُ بدينِ الحنيفيَّةِ. فلمَّا قال له ذلك، رجعَ يُريدُ مكةَ، فغارتْ عليه لَخْمٌ فقتَلوه. وأمَّا عُبَيْدُ[1] اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، فأقام بمكةَ حتى بُعِثَ النبيُّ ﷺ، ثُم خرَجَ مع مَن خرَجَ إلى أرضِ الحَبَشةِ، فلمّا صارَ بها، تنصَّرَ وفارقَ الإسلامَ، فكان بها حتى هلَكَ هنالك نَصْرانيًّا. تقدَّمَ فى ترجمةِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ له شاهدٌ[2].

وقد قال الخَرائِطِيُّ[3]: حدَّثَنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ صالحٍ أبو بكرٍ الورَّاقُ، حدَّثَنا عمرُو بنُ عثمانَ، حدَّثنى أبى، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ العزيزِ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أنسٍ السُّلَمِيِّ، عن العباسِ بنِ مِرْداسٍ، أنَّه كان بغَمْرةِ[4] فى لِقاحٍ له نصفَ النهارِ، إذ طلَعَتْ عليه

---

(١) فى م: «عبد».

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٣١٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦/ ٤١٠، من طريق الخرائطى به.

(٤) فى الأصل: «بعير»، وفى م، ص: «يعر». والمثبت من رواية محمد بن عوف الطائى فى تاريخ دمشق ٢٦/٤١١. وفيها: وقال فيه: ...، وغمرة: موضع بالحجاز فى طريق مكة.

نَعامةٌ بيضاءُ، عليها راكبٌ، عليه ثيابٌ بيضٌ[1] مثلُ اللبنِ، فقال: يا عبّاسُ بنَ مِرْداسٍ، ألم تَرَ أنَّ السَّماءَ كفَتْ أَحراسَها، وأَنَّ الحربَ تجرَّعَتْ أنفاسَها، وأنَّ الخيلَ وضعتْ أحلاسَها، وأَنّ الذى[2] نزَلَ بالبِرِّ والتَّقْوى، يومَ الاثنينِ ليلةَ الثُّلاثا، صاحبُ الناقةِ القَصْوَا. قال: فرَجَعْتُ مَرْعُوبًا قد راعنى ما رأيتُ وسمِعْتُ، حتى جئْتُ وثَنًا لنا يُدْعَى الضِّمارَ[3]، وكنّا نَعْبُدُه ونُكَلِّمُ مِن جوفِه، فكنَسْتُ ما حَوْلَه، ثُم تَمَسَّحْتُ به وقبَّلْتُه، فإذا صائحٌ مِن جوفِه يَقولُ:

قلْ للقبائلِ مِن سُلَيْمٍ كُلِّها ... هلكَ الضِّمارُ وفازَ أهلُ المسجدِ

هلَكَ الضِّمارُ وكان يُعبَدُ مَرَّةً ... قبلَ الكِتابِ إلى النبىِّ محمدِ

إنَّ الذى وَرِثَ النبوَّةَ والهُدَى ... بعدَ ابنِ مَرْيَمَ مِن قريشٍ مهتدِ

قال: فخرَجْتُ مرعوبًا حتى أتَيْتُ قومى، فقصَصْتُ عليهم القصةَ، وأخبرْتُهم الخبرَ، وخرَجْتُ فى ثلثِمائةٍ مِن قومى مِن[4] بنى حارثةَ[5]، إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو بالمدينةِ، فدخَلْنا المسجِدَ، فلمّا رآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ، قال لى: «يا عبّاسُ، كيف كان إسلامُك؟» فقصَصْتُ عليه القِصَّةَ. قال: فسُرَّ بذلك، وأسلَمْتُ أنا وقومى.

ورواه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[6] فى «الدلائلِ» مِن حديثِ أبى بكرِ بنِ أبى

---

(١) فى الأصل، م: «بياض».

(٢) فى الأصل، ص: «الدين». وكذا فى تاريخ دمشق.

(٣) فى م: «الضماد».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى تاريخ دمشق: «جارية». وانظر الإصابة لابن حجر ٣/ ٦٣٣.

(٦) لم نجده فى مختصر الدلائل.

عاصمٍ، عن عمرِو بنِ عثمانَ به. ثم روَاه[1] أيضًا مِن طريقِ الأَصْمَعِيِّ، حدَّثَنى الوَصَّافِيُّ[2]، عن منصورِ بنِ[3] المُعْتَمِرِ، عن قَبِيصةَ بنِ عمرِو بن إسحاقَ الخُزاعيِّ، عن العباسِ بنِ مِرْداسٍ السُّلَمِيِّ، قال: أولُ إسلامى، أنَّ مِرْداسًا أبى لمَّا حضَرتْه الوفاةُ، أَوْصانى بصنَمٍ له يُقالُ له: ضِمارٌ. فجعلْتُه فى بيتٍ، [٢/ ٤٩ظ] وجعَلْتُ آتيه كلَّ يومٍ مَرَّةً، فلمّا ظهَرَ النبىُّ ﷺ، سَمِعْتُ صوتًا مُرْسَلًا فى جوفِ الليلِ راعَنى، فوثَبْتُ إلى ضِمارٍ مستغيثًا، فإذا بالصوتِ مِن جوفِه، وهو يَقولُ:

قُلْ للقبيلةِ مِن سُلَيْمٍ كُلِّها ... هلَكَ الأَنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ

أَودَى ضمارُ وكان يُعْبَدُ مَرَّةً ... قبلَ الكتابِ إلى النبىِّ محمدِ

إنَّ الذى ورِثَ النبوةَ والهُدَى ... بعدَ ابنِ مَرْيَمَ مِن قريشٍ مهتدِ

قال: فكتَمْتُه[4] الناسَ، فلمَّا رجعَ الناسُ مِن الأحزابِ، بَيْنا أنا فى إِبِلى بطرَفِ العَقِيقِ مِن ذاتِ عِرْقٍ راقدًا، سمِعْتُ صوتًا، وإذا برجلٍ على جَناحِ نَعامةٍ، وهو يَقولُ: الثُّورُ الذى وقَعَ[5] لَيْلَةَ الثلاثاءِ، مع صاحبِ الناقةِ العَضْباءِ، فى ديارِ إخوانِ[6] بنى العَنْقاءِ. فأَجابه هاتفٌ مِن شِمالِه، وهو يَقولُ:

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم (٦٦).

(٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٤) فى الأصل، ص: «فكتمه».

(٥) بعده فى الدلائل: «ليلة الاثنين و».

(٦) فى ص: «أخوال».

بَشِّرِ الجِنَّ وإبلاسَها[1] أن وضَعَتِ المَطِيُّ أحلاسَها
وكَلَأَتِ السَّماءَ أحراسُها

قال: فوثَبْتُ مَذْعورًا، وعلِمْتُ أَنَّ محمدًا مُرْسَلٌ، فركِبْتُ فَرَسى واحتَثَثْتُ السَّيْرَ، حتّى انتَهَيْتُ إليه فبايَعْتُه، ثُم انصَرَفْتُ إلى ضِمارٍ فأَحْرَقْتُه بالنارِ، ثُم رَجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأنشَدْتُه شِعْرًا أقولُ فيه:

لَعَمْرُك إنِّى يومَ أَجْعَلُ جاهلًا ضِمارًا لِربِّ العالَمِينَ مُشارِكَا
وتَرْكِى رسولَ اللَّهِ والأوسَ حولَه أولئك أنصارٌ له ما أولئِكَا
كتاركِ سَهْلِ الأرضِ والحَزْنَ يَبْتَغى لِيَسْلُكَ فى وَعْثِ[2] الأُمورِ المسالِكَا
فآمَنْتُ باللَّهِ الذى أنا عَبْدُه وخالفْتُ مَن أَمْسَى يُريدُ المهالِكَا
ووجَّهْتُ وَجْهِىَ نحْوَ مكةَ قاصدًا أُبايِعُ نبىَّ الأَكرمينَ المبارَكا
نبىٌّ أَتانا بعدَ عِيسى بناطقٍ مِن الحقِّ فيه الفَصْلُ فيه كذلِكَا
أمينٌ عَلى الفُرقانِ[3] أوَّلُ شافعٍ وأوّلُ مبعوثٍ يُجيبُ الملائِكَا
تَلافَى عُرَى الإسلامِ بعدَ انتقاضِها فأَحْكَمَها حتَّى أقامَ المَناسِكَا
عَنَيْتُكَ يا خيرَ البريّةِ كلِّها تَوَسَّطْتَ فى الفرعَين والمجدِ مالِكَا

---

(١) أبلس: سكت غما.
(٢) الوعث: هو كل أمر شاق من تعب وغيره. الوسيط (ع ث ث).
(٣) فى الأصل، م: «القرآن».

وأنتَ المُصَفَّى مِن قُريشٍ إذا سَمَتْ ... على ضُمْرِها[1] تَبقَى القرونَ المُبارَكا

إذا انتسَبَ الحيَّانِ كَعْبٌ ومالكٌ ... وجَدْناكَ مَحْضًا والنساءَ العَوارِكا

قال الخَرائِطِيُّ[2] : وحدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِيُّ بمِصْرَ، حدَّثَنا عُمارةُ ابنُ زيدٍ، حدَّثَنا إسحاقُ بنُ بشرٍ وسَلَمةُ بنُ الفَضْلِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثَنى شيخٌ مِن الأنصارِ يُقالُ له: [3]عبدُ اللَّهِ بنُ[3] محمودٍ مِن آلِ محمدِ بنِ مَسْلَمةَ، قال: بلَغنى أنَّ رجالًا مِن خَثْعَمٍ كانوا يقولون: إنَّ مِمَّا دعانا إلى الإسلامِ أنَّا كنَّا قومًا[4] نَعْبُدُ الأوْثانَ، فبينا نحن ذاتَ يومٍ عندَ وَثَنٍ لنا، إذ أَقْبَلَ نفرٌ يَتَقاضَونَ إليه، يَرْجُون الفَرَجَ مِن عندِه، لشىءٍ شَجَرَ بينَهم، إذ هتَفَ [٢/ ٥٠و] بهم هاتفٌ [5]مِن الصنمِ، فجعَل[5] يَقولُ:

يا أيُّها الناسُ ذَوُو الأجسامِ ... مِن بينِ أشياخٍ إلى غلامِ

ما أنتم وطائشُ الأحلامِ ... ومُسْنِدُ الحُكْمِ إلى الأصنامِ

أكلُّكم فى حيرةِ النِّيامِ ... أمْ لا تَرَوْن ما أَرَى[6] أمامِى

مِن ساطعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلامِ ... قد لاحَ للناظرِ مِن تِهَامِ

ذاك نبيٌّ سيِّدُ الأنامِ ... قد جاء بعدَ الكُفْرِ بالإسلامِ

---

(١) الضمر: الهزال. القاموس المحيط (ض م ر).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٥٠، من طريق الخرائطى به.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى ص: «يوما».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) فى الأصل، م: «الذى».

أَكْـرَمـه الـرحـمـنُ مِـن إمـامِ ومِـن رسـولٍ صـادقِ الـكـلامِ
أعْدَلَ ذى حُكْمٍ مِن الأَحكامِ[1] يَـأْمُـرُ بـالـصَّـلاةِ والـصِّـيـامِ
والـبِـرِّ والـصِّـلاتِ لـلأَرحـامِ ويَـزْجُـرُ الـنـاسَ عـن الآثـامِ
والـرِّجْـسِ والأوثـانِ والحرامِ مِـن هـاشـمٍ فـى ذِرْوَةِ الـسَّـنـامِ
مُسْتَعْـلِنًا فى البلـدِ الحـرامِ[2]

قال : فلمَّا سمِعْنا ذلك تفرَّقْنا عنه ، وأتَيْنا النبىَّ ﷺ ، فأسلَمْنا .

وقال الخَرَائِطِىُّ[3] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ البَلَوِىُّ ، حدَّثَنا عُمَارةُ ، حدَّثَنى عُبَيْدُ اللَّهِ ابنُ العَلاءِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عكبرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا مِن بنى تميمٍ ، يُقالُ له : رافعُ بنُ عُمَيْرٍ . وكان أَهدى الناسِ للطريقِ وأَسْراهم بِليلٍ ، وأهجَمَهم على هَوْلٍ ، وكانتِ العربُ تُسَمِّيه لذلك دُعْمُوصَ العربِ ؛ لهدَايتِه وجراءتِه على السَّيْرِ ، فذكَرَ عن بَدْءِ إسلامِه ، قال : إنِّى لأَسِيرُ برَمْلِ عالجٍ ذاتَ ليلةٍ ، إذ غلَبَنى النومُ ، فنزَلْتُ عن راحلتى وأَنَخْتُها ، وتوسَّدْتُ ذِراعَها ونِمْتُ ، وقد تعوَّذْتُ قبلَ نومى ، فقلتُ : أعوذُ بعظيمِ هذا الوادى مِن الجنِّ مِن أن أُؤْذَى أو أُهاجَ . فرأَيْتُ فى مَنامى رجلًا شابًّا يَرْصُدُ ناقتى ، وبيدِه حَرْبةٌ يُريدُ أن يَضَعَها فى نَحْرِها ، فانتَبَهْتُ لذلك فَزِعًا ، فنظَرْتُ يمينًا وشِمالًا ، فلم أَرَ شيئًا ، فقلتُ : هذا حُلْمٌ . ثُمَّ عُدْتُ فغَفَوْتُ ، فرأَيْتُ فى مَنامى مِثلَ رُؤْيايَ الأُولى ، فانتَبهْتُ ،

---

(١) فى الأصل : « الحكام » .

(٢) وتتمته فى تاريخ دمشق :

* أزكى الصلاة عليه والسلام *

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٧٢، إلى الخرائطى .

فدُرْتُ حَوْلَ ناقتى ، فلم أَرَ شيئًا ، وإذا ناقتى تُرْعِدُ ، ثُم غَفَوْتُ ، فرأيْتُ مِثْلَ ذلك ، فانتَبَهْتُ فرأيتُ ناقتى تَضْطَرِبُ ، والتَفَتُّ فإذا أنا برجلٍ شابٍّ كالذى رأيتُ فى المنامِ بيدِه حَرْبةٌ ، ورجلٌ شيخٌ مُمْسِكٌ بيدِه يَرُدُّه عنها ، وهو يَقولُ :

يا مالكُ بنَ مُهَلْهِلِ بنِ دِثارِ ... مَهْلًا فِدًى لك مِئْزَرِى وإزارِى

عن ناقةِ الإنسىِّ لا تَعْرِضْ لها ... واختَرْ بها ما شِئْتَ مِن أَثْوارِى

ولقد بَدا لىَ منكَ ما لم أَحْتَسِبْ ... ألَّا رَعَيْتَ قَرابتى وذِمارى

[٢/٥٠و] تَسْمُو إليهِ بِحَرْبةٍ مسمومةٍ ... تبًّا لِفِعْلِكَ يا أبا الغَفَّارِ

لولا الحياءُ وأنَّ أهلَكَ جِيرَةٌ ... لَعَلِمْتَ ما كشَّفْتَ مِن أَخبارِى

قال : فأجابه الشابُّ ، وهو يقولُ :

أَأَرَدْتَ أن تَعْلُو وتَخْفِضَ ذِكْرَنا ... فى غيرِ مُزْرِيةٍ أبا العَيْزارِ

ما كانَ فيهم سيِّدٌ فيما مَضَى ... إنَّ الخِيارَ هُمو بنو الأخيارِ

فاقصِدْ لقَصْدِك يا مُعَكْبِرُ إنَّما ... كان المجيرُ مُهَلْهِلَ بنَ دثارِ

قال : فبينَما هما يَتنازَعانِ ، إذ طلَعَتْ ثلاثةُ أَثوارٍ مِن الوَحْشِ ، فقال الشيخُ للفتى : قُمْ يا ابنَ أختِ ، فخُذْ أيَّها شِئْتَ فِداءً لناقةِ جارى الإنسىِّ . فقام الفَتَى فأخَذَ منها ثَوْرًا وانصرَفَ . ثم التفَتَ إلىَّ الشيخُ ، فقال : يا هذا ، إذا نزَلْتَ واديًا مِن الأَوديةِ فخِفْتَ هَوْلَه ، فقل : أعوذُ باللَّهِ ربِّ محمدٍ مِن هَوْلِ هذا الوادى . ولا تَعُذْ بأحدٍ مِن الجنِّ ، فقد بطَلَ أَمْرُها . قال : فقُلْتُ له : ومَن محمدٌ هذا ؟ قال : نبىٌّ عربىٌّ ، لا شَرْقِىٌّ ولا غربىٌّ ، بُعِثَ يومَ الاثنينِ . قلتُ :

وأين مَسْكَنُه؟ قال: يَثْرِبُ ذاتُ النخلِ. قال: فرَكِبْتُ راحِلَتِى حِينَ برَقَ لىَ الصبحُ، وجدَدْتُ السيرَ حتى تَقَحَّمْتُ المدينةَ، فرآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ، فحدَّثَنى بحديثى قبلَ أن أَذْكُرَ له منه شيئًا، ودعَانى إلى الإسلامِ، فأسلَمْتُ. قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: وكنَّا نَرى أنَّه هو الذى أنزَلَ اللَّهُ فيه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

(١) وروى الخرائطىُّ، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ أبى حَبِيبةَ(٢) عن داودَ ابنِ الحُصَينِ(٣)، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن علىٍّ، قال: إذا كنتَ بوادٍ تَخافُ السَّبُعَ، فقل: أعوذُ بدانيالَ والجُبِّ، مِن شرِّ الأسدِ.

ورَوَى البَلَوِىُّ، عن عُمارةَ بنِ زيدٍ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن محمدِ بن إسحاقَ، حدَّثنى يَحْيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قِصَّةَ قتالِ علىٍّ الجِنَّ بالبئرِ ذاتِ العَلَمِ التى بالجُحْفَةِ، حينَ بَعَثَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسْتَقِى لهم الماءَ فأرادوا مَنْعَه، وقطَعُوا الدَّلْوَ، فنزَلَ إليهم، وهى قِصَّةٌ مُطَوَّلةٌ مُنكرةٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ(١).

وقال الخَرَائِطِىُّ(٤): حدَّثَنى أبو الحارثِ محمدُ بنُ مُصْعَبٍ الدِّمَشْقِىُّ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى النسخ: «حنيفة». والمثبت من التهذيب.

(٣) فى الأصل، م: «الحسين». وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٧٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٦٣٥ مخطوط. عن الخرائطى به.

وغيرُه ، حدَّثَنا سليمانُ ابنُ بنتِ شُرَحْبِيلِ الدِّمَشْقِيُّ ، حدَّثَنا عبدُ القُدُّوسِ[1] بنُ الحَجَّاجِ[1] ، حدَّثَنا مُجالدُ[2] بنُ سعيدٍ ، عن الشَّعبِيِّ ، عن رجلٍ ، قال : كنتُ فى مَجْلِسِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعندَه جماعةٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، يَتَذاكَرون فضائلَ القُرآنِ ، فقال بعضُهم : خواتيمُ سُورةِ « النَّحْلِ » . وقال بعضُهم : سورةُ « يس » . وقال عليٌّ : فأين أنتم عن فضيلةِ آيةِ الكُرْسِيِّ ؟ أمَا إنَّها خَمْسون[3] كلمةً ، فى كلِّ كلمةٍ ، سبعون[4] بَرَكةً . قال : وفى القومِ عمرُو بنُ مَعْدِى كَرِبَ لا يُحِيرُ جوابًا ، فقال : أينَ أنتم عن بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ؟ فقال عمرُ : حدِّثْنا يا أبا ثورٍ . قال : بَينا أنا فى الجاهليةِ ، إذ جَهَدَنى الجوعُ ، فأقحَمْتُ فَرسى[5] البرِّيَّةَ ، فما أصبتُ إلا بَيضَ النعامِ ، فبينَا أنا أسيرُ ، إذا أنا بشيخٍ عربيٍّ فى خَيْمةٍ ، وإلى جانِبِه جاريةٌ كأنَّها شمسٌ طالعةٌ ، ومعه غُنَيْماتٌ له ، فقُلْتُ له : استَأْسِرْ[6] ، ثَكِلَتْك أمُّك . فرفَعَ رأْسَه إلىّ ، وقال : يا فَتَى ، إن أردْتَ قِرًى فانزِلْ ، وإن أردْتَ مَعونةً أَعنّاك . فقلت له : استَأْسِرْ . فقال :

عَرضْنا عَليكَ النُّزْلَ منّا تَكرُّمًا ... فَلم تَرْعَوِى جَهْلًا كفِعلِ الأَشائمِ

وَجِئتَ بِبُهتانٍ وزورٍ ودونَ ما ... تَمنّيتَهُ بالبَيضِ حَزُّ الحلاقمِ[7]

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، م : « خالد » .

(٣) فى الأصل ، م : « سبعون » .

(٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى م : « فى » .

(٦) استأسره : أخذه أسيرا . واستأسر له : استسلم لأسره . الوسيط (أ س ر) . وهو هنا يطلب منه أن يستسلم له .

(٧) فى الأصل ، م : « الغلاصم » . والحلاقم : جمع حلقوم . والمعنى : أنك جئت بالبهتان والزور ، وأن ما تمنيته بالبيض - وهى ساحته أو جاريته - دونَه الموتُ وقطعُ الرقاب .

[٢/٥١و] قال : ووثَب إلىَّ وَثْبةً ، وهو يَقولُ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فكأنِّى مَثَلْتُ تحتَه ، ثُم قال : أَقْتُلُك أمْ أُخَلِّى عنك ؟ قلتُ : بل خلِّ عنى . قال : فَخلَّى عنى . ثُم إنَّ نَفْسِى حدَّثتْنى[١] بالمعاوَدةِ . فقلتُ : استَأْسِرْ ، ثَكِلَتْك أمُّك . فقال :

بِبِسمِ اللَّهِ والرَّحْمنِ فُزْنا ... هُنالكَ والرحيمِ به قَهَرْنا

وما تُغنى جَلادَةُ ذى حِفاظٍ ... إذا يومًا[٢] لمعركةٍ بَرزْنا

ثُم وثَبَ إلىَّ[٣] وثبةً كأنِّى مَثَلْتُ تحتَه . فقال : أَقْتُلُك أمْ أُخَلِّى عنك ؟ قال : قلت : بل خلِّ عنى . فخلَّى عنى ، فانطلَقْتُ غيرَ بعيدٍ ، ثُم قُلْتُ فى نفسى : يا عمرُو ، أَيَقْهَرُك هذا الشيخُ ، واللَّهِ لَلموتُ خيرٌ لك مِن الحياةِ . فرجَعْتُ إليه ، فقلتُ له : استأْسِرْ ، ثَكِلَتْك أمُّك . فوَثَبَ إلىَّ وثبةً ، وهو يَقولُ : بِسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فكأنِّى مثَلْتُ تحتَه . فقال : أَقْتُلُك أم أخلىِّ عنك ؟ قلت : بل خَلِّ عنّى . فقال : هَيْهاتَ ، يا جاريةُ ، ائتينى بالمُدْيةِ . [٤]فأتَتْه بالمُدْيةِ[٤] ، فجَزَّ ناصيتى ، وكانتِ العربُ إذا ظَفِرَتْ برجلٍ فجَزَّتْ ناصيتَه استعبَدَتْه ، فكنتُ معه أَخْدِمُه مُدَّةً ، ثُم إنه قال : يا عمرُو ، أريدُ أن تَرْكَبَ معى البرِّيَّةَ وليس بى منك وَجَلٌ ، وإنِّى ببسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ لَواثقٌ . قال : فسِرْنا حتى أتَيْنا واديًا أَشِبًا[٥] مُهَوِّلًا مُغوِّلًا ، فنادى بأعلى صوتِه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فلم يَبْقَ

---

(١) فى الأصل ، م : « جاذبتنى » .

(٢) فى الأصل : « قوم » .

(٣) فى الأصل ، م : « لى » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أشبا : ملتف الشجر حتى لا مجاز فيه . اللسان (أ ش ب) .

طيرٌ فى وَكْرِه إلَّا طارَ، ثم أعاد الصوتَ[1]، فلم يَبْقَ سَبُعٌ فى مَرْبِضِه إلَّا هرَبَ، ثُم أعادَ الصوتَ، فإذا نحن بحَبَشِيٍّ قد خرَجَ علينا مِن الوادى كالنَّخلةِ السَّحوقِ، فقال لى: يا عمرُو، إذا رأيتَنا قد اتَّخَذْنا، فقلْ: غلَبَه صاحبى ببسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. قال: فلمَّا رأيتُهما قد اتَّخَذَا، قلتُ: غلَبه صاحبى باللَّاتِ والعُزَّى. فلم يَصْنَعِ الشيخُ شيئًا، فرجَعَ إلىَّ، وقال: قد علِمْتُ أنَّك قد خالفْتَ قولى. قلتُ: أجَلْ، ولستُ بعائدٍ. فقال: إذا رأيتَنا قد اتَّخَذْنا، فقلْ: غَلَبَهُ صاحبى بِبسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. [2]فقلتُ: أجَلْ. فلمَّا رأيتُهما قد اتَّخَذَا، قلتُ: غلبَه صاحبى بِبِسْمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ[2]. قال[3]: فاتَّكَأَ عليه الشيخُ فبَعَجَه بسيفِه، فاشتقَّ جوفَه[4] فاستخرَجَ منه شيئًا، كهيئةِ القِنديلِ الأسودِ، ثُم قال: يا عمرُو، هذا غِشُّه وغِلُّه. ثُم قال: أتدْرِى مَن تلك الجاريةُ؟ قلتُ: لا. قال: تلك الفارعةُ[5] بنتُ السليلِ الجُرْهُمِىِّ، [6]وكان أبوها[6] مِن خِيارِ الجِنِّ، وهؤلاء أهلُها وبنو عمِّها، يَغزُونِى منهم كلَّ عامٍ رجلٌ، يَنْصُرُنى اللَّهُ عليه بِبسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. ثُم قال: قد رأيتَ ما كان منى إلى الحبَشِىِّ، وقد غلَبَ علىَّ الجوعُ فَأْتِنِى بشىءٍ آكُلُه. فأقحَمْتُ بفرسى البَرِّيَّةَ، فما أَصبْتُ إلا بيضَ النعامِ، فأتَيْتُه به فوجَدْتُه نائمًا، وإذا تحتَ

---

(١) فى الأصل، م: «القول».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) فى الأصل، م: «بطنه».

(٥) فى ص: «القارعة».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

رأْسِه شيءٌ كَهيئةِ الخشبةِ ، فاستلَلْتُه[1] ، [٢/٥١ظ] فإذا هو سيفٌ عَرْضُه شِبرٌ فى سبعةِ أشبارٍ ، فضرَبْتُ ساقَيْه ضَرْبةً أبَنْتُ السَّاقَيْنِ مع القَدَمينْ ، فاسْتَوى على فَقارِ[2] ظهْرِه ، وهو يَقولُ : قاتلَك اللَّهُ ، ما أَغْدَرَك ، يا غَدَّارُ . قال عُمرُ : ثُم ماذا صنَعْتَ ؟ قُلْتُ : فلم أَزَلْ أَضْرِبُه بسيفى حتى قطَّعْتُه إِرْبًا إِرْبًا . قال : فوجَمَ لذلك ، ثُم أنشأَ يَقولُ[3] :

بالغدرِ نِلْتَ أخا الإِسلامِ عن كَثَبِ ... ما إن سمِعْتُ كَذا في سالِفِ العَرَبِ

والعُجْمُ تأنَفُ مما جئتَه كَرَمًا ... تبًّا لِمَا جئتَه فى السيِّدِ الأَرِبِ

إنِّى لأَعجَبُ أنَّى نِلْتَ قِتْلَتَهُ ... أم كيفَ جازاك عندَ الذَّنبِ لم تَثُبِ

قِرْمٌ عَفا عنكَ مَرَّاتٍ وقد عَلِقَتْ ... بالجسمِ منكَ يداه موضِعَ العَطَبِ

لو كنتُ آخُذُ فى الإِسلامِ ما فَعَلوا ... فى الجَاهليّةِ أهلُ الشِّرْكِ والصُّلُبِ

إذًا لنالتْكَ مِن عدلْى مُشَطِّبةٌ[4] ... تَدْعُو لذائِقِها بالويْلِ والحَرَبِ

قال : ثُم ما كان مِن حالِ الجاريةِ ؟ قُلْتُ : ثُم إنِّى أتيتُ الجاريةَ ، فلّما رأَتْنى ، قالتْ : ما فعَلَ الشيخُ ؟ قُلْتُ : قَتلَه الحبشىُّ . فقالتْ : كذَبْتَ ، بل قَتلْتَه أنت بغَدْرِك . ثُم أَنشَأَتْ تقولُ :

عينُ[5] جُودِى للفارسِ المغوارِ ... ثُم جُودى بواكفاتٍ[6] غِزارِ

---

(١) فى ص : « فاستلبته » .

(٢) فى م : « قفا » .

(٣) يعنى : عمر ، رضى اللّه عنه .

(٤) يقال : شطب السيفُ جسمَه . أى ترك فيه أثرا . وشطب اللحم : شرَّحه . الوسيط (ش ط ب) .

(٥) فى م : « يا عين » .

(٦) يقال : وكَفَت العين بالدمع . أى أسالته . الوسيط (و ك ف) .

لا تَمْلُى البكاءَ إذْ خانكِ الدَّ ... هْرُ بوافٍ حقيقةً صبّارِ

وتَقِيٍّ وذى وَقارٍ وحِلْمٍ ... وعديلِ الفَخارِ يومَ الفَخارِ

لَهْفَ نفسى على بقائِك عمرُو ... أَسْلَمَتْكَ الأعمارُ للأقدارِ

ولعَمْرِى لو لم تَرُمْه بغدرٍ ... رُمتَ ليثًا بصارمٍ[1] بتّارِ

قال : فأحفَظَنى[2] قولُها ، فاستلَلْتُ سيفى ، ودخَلْتُ الخيمةَ لأَقْتُلَها ، فلم أرَ فى الخيمةِ أحدًا ، فاستَقْتُ الماشيةَ وجئتُ إلى أهلى .

وهذا أثرٌ عجيبٌ ، والظاهرُ أنَّ الشيخَ كان مِن الجانِّ ، وكان ممَّن أَسْلَمَ وتعلَّمَ القرآنَ ، وفيما تعلَّمَه ﴿بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ﴾ . وكان يَتَعَوَّذُ بها .

وقال الخرائِطِىُّ : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِىُّ ، حدَّثَنا عُمارةُ بنُ زيدٍ ، قال : حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ العلاءِ ، عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، عن جَدَّتِه أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، قالت : كان زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، ووَرَقةُ بنُ نَوْفَلٍ يَذكُرانِ أنَّهما أَتَيا النجاشىَّ بعدَ رجوعِ أَبْرهةَ مِن مكةَ ، قالا : فلمّا دخَلْنا عليه ، قال لنا : اصْدُقانى أيُّها القُرشِيَّانِ ، هل وُلِدَ فيكم مولودٌ أرادَ أبوه ذَبْحَه ، فضرَبَ عليه بالقِداحِ فسلِمَ ، ونُحِرَتْ عنه إبلٌ كثيرةٌ ؟ قلنا : نَعَمْ . قال : فهل لكما عِلمٌ به ، ما فَعَلَ ؟ قلنا : تزوَّجَ امرأةً يُقالُ لها : آمنةُ بنتُ وَهْبٍ . ترَكهَا حاملًا وخرَجَ . قال : فهل تَعْلَمانِ [٢/٥٢و] وُلِدَ أمْ لا ؟ قال وَرَقةُ بنُ نَوْفلٍ : أُخْبِرُك أيُّها

---

(١) فى م : « كصارم » .

(٢) أحفظَه : أغضبه . الوسيط (ح ف ظ) .

المِلِكُ أنّى[1] ليلةً قد بِتُّ عندَ وثَنٍ لنا كُنَّا نُطِيفُ به ونَعْبُدُه، إذ سمِعْتُ مِن جَوْفِه هاتفًا يَقولُ:

وُلِدَ النبيُّ فذلَّتِ الأملاكُ [2]ونأَى[2] الضلالُ وأَدْبرَ الإشراكُ

ثُم انتكَسَ الصَّنَمُ على وجهِه. فقال زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ: عندى كخبرِه أيُّها المِلِكُ. فقال: هاتِ. قال: إنِّى[3] فى مِثلِ هذه الليلةِ التى ذكَرَ فيها حديثَه، خرَجْتُ مِن عندِ أهلى وهم يَذْكُرون حَمْلَ آمنةَ، حتى أتيْتُ جَبَلَ أبى قُبَيْسٍ، أريدُ الخَلْوَ فيه لأمْرٍ رابَنى، إذ رأَيْتُ رجلًا يَنْزِلُ مِن السماءِ له جَناحان أخْضَرانِ، فوقَفَ على أبى قُبَيْسٍ، ثُم أشرَفَ على مكةَ، فقال: ذَلَّ الشيطانُ، وبطَلتِ الأوثانُ، و[4] وُلِدَ الأمينُ. ثُم نشَرَ ثوبًا معَه، وأهْوَى به نحْوَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، فرأَيْتُه قد جلَّلَ ما تحتَ السماءِ[5]، وسطَعَ نورٌ كاد أن يَخْتَطِفَ بَصَرى، وهالَنى ما رأَيْتُ، وخفَقَ الهاتفُ بجَناحَيْه، حتى سقَطَ على الكعبةِ، فسطَعَ له نورٌ أشرَقَتْ له تِهامةُ. وقال: ذَكَتِ[6] الأرضُ، وأَدَّت رِبيعَها. وأَوْمَأَ إلى الأَصْنامِ التى كانتْ على الكعبةِ فسقَطَتْ كلُّها. قال النَّجاشِىُّ: وَيْحَكما! أُخْبِرُكما عمّا أصابنى؛ إنِّى لَنائِمٌ فى الليلةِ التى ذكرْتُما فى قُبَّةٍ وقتَ خَلْوتى، إذْ خرَجَ علىَّ مِن الأرضِ عُنُقٌ ورأسٌ، وهو يَقولُ: حلَّ الوَيْلُ بأصحابِ الفيلْ،

---

(١) فى ص: «فى».
(٢ - ٢) فى ص: «فر».
(٣) فى م: «أنا».
(٤) سقط من: م.
(٥) جلل ما تحت السماء: عمّه. الوسيط (ج ل ل).
(٦) فى ص: «ذلت».

رمَتْهم طيرٌ أبابيلْ ، بحجارةٍ من سِجِّيلْ ، هلَكَ الأشرَمْ ، المعتدِى المجْرِمْ ، وُلِدَ النبىُّ الأمىُّ ، المكىُّ الحَرَمىُّ ، مَن أجابَه سَعِدْ ، ومَن أباه عَنَدْ[1] .

ثُم دخَلَ الأرْضَ فغابَ ، فذَهَبْتُ أَصِيحُ ، فلم أُطِقِ الكلامَ ، ورُمْتُ القيامَ ، فلم أُطِقِ القيامَ ، فصرَعْتُ القُبةَ بيَدِى ، فسمِعَ بذلك أهلى فجاءُونى ، فقلتُ : احجُبُوا عنى الحَبشةَ . فحجَبوهم عنى ، ثُم أُطْلِقَ عن لِسانى ورِجْلى[2] .

وروَى الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[3] فِى « تاريخِه » فى ترجمةِ الحارثِ ابنِ هانئِ بنِ المُدْلِجِ بنِ المِقدادِ بنِ زَمِلِ بنِ عمرٍو العُذرىِّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أبيه ، عن زَمِلِ بنِ عمرٍو العُذْرِىِّ ، قال : كان لبنى عُذْرَةَ صنَمٌ يُقالُ له : حَمامٌ . وكانوا يُعَظِّمونه ، وكان فى بنى هندِ بنِ حرامِ بنِ ضِنَّةَ[4] بنِ عبدِ بنِ كَثِيرِ بنِ عُذْرةَ ، وكان سادنُه رجلًا يُقالُ له : طارقٌ . وكانوا يَعْتِرون[5] عندَه ، فلمّا ظهَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، سمِعْنا صوتًا يَقولُ : يا بنى هِندِ بنِ حرام ، ظهَرَ الحقُّ وأَوْدَى[6] حَمام[7] ، ودفَعَ الشِّرْكَ الإسلام . قال : ففزِعْنا لذلك وهالنا ، فمَكَثْنا أيامًا ، ثُم سمِعْنا صوتًا ، وهو يَقولُ : يا طارقُ يا طارقْ ، بُعِثَ النبىُّ

---

(١) فى م ، ص : « عتد » . وعند : خالف الحق ورده وهو يعرفه .

(٢) بعده فى م ، ص : « وسيأتى إن شاء اللَّه تعالى فى قصة المولد رؤيا كسرى فى سقوط أربع عشرة شُرافة من إيوانه وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه وتفسير سطيح لذلك على يدى عبد المسيح » . وقد تقدمت هذه الموضوعات المذكورة فى صفحة ٣٩٤.

(٣) تاريخ دمشق ١١/ ٤٨٩. وأخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٣٣٢، من طريق مدلج بن المقداد ، وأبى زفر الكلبى به .

(٤) فى الأصل : « صبية » . وفى م : « ضبة » .

(٥) يعترون من عتر ، والعتيرة ذبيحة كانوا يذبحونها لآلهتهم فى الجاهلية . الوسيط (ع ت ر) .

(٦) أودى : هلك .

(٧) فى م : « صمام » .

الصادقْ ، بوحيٍ ناطقْ ، صدَعَ صادعٌ بأرضِ تِهامةْ ، لناصِريهِ السَّلامةْ ، ولخاذِليه الندامةْ ، هذا الوداعُ منى إلى يومِ القِيامةْ . قال زَمِلٌ : فوقَعَ الصنمُ لوجهِه . قال زَمِلٌ[1] : فابتَعْتُ راحلةً ، ورحَلْتُ حتى أتيْتُ النبيَّ ﷺ مع نفَرٍ مِن قومى ، وأنشدْتُه شِعرًا قلتُه :

[٥٢/٢ ظ] إليكَ رسولَ اللَّهِ أعمَلْتُ[2] نَصَّها ... وكلَّفتُها حَزْنًا وقَوْزًا[3] مِن الرمْلِ

لِأنصُرَ خيرَ الناسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ... وأعقِدَ حبلًا مِن حِبالِك فى حَبْلى

وأَشهدَ أنَّ اللَّهَ لا شىءَ غيرُه ... أَدينُ له[4] ما أَثْقَلتْ قَدَمى نَعْلى

قال : فأسلَمْتُ وبايعْتُه[5] ، وأخبَرْناه بما سمِعْنا ، فقال : « ذاك مِن[6] كلامِ الجِنِّ » . ثُم قال : « يا مَعْشَرَ العربِ ، إنِّى رسولُ اللَّهِ[7] إلى الأنامِ كافَّةً ، أَدْعُوهم إلى عِبادةِ اللَّهِ وحْدَه ، وأنِّى رسولُه وعبدُه ، وأن يَحُجُّوا البيتَ ، ويصُومُوا شَهْرًا مِن اثنَىْ عشَرَ شَهْرًا ، وهو شَهْرُ رَمضانَ ، فمنْ أجابنى ، فله الجنَّةُ نُزُلًا ، ومَن عَصانى كانتِ النارُ له مُنقَلَبًا » . قال[8] : فأسلَمْنا وعقَدَ لنا لِواءً ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « أعلمت » .

(٣) فى الأصل وفى تاريخ دمشق : « وفورا » . وفى م : « وغورا » . وفى ص : « وقورا » . والمثبت من طبقات ابن سعد . والحزن : الغليظ من الأرض . والقَوْز : الكثيب العالى من الرمل . والمعنى : أنه تكلف الصعاب ليأتى النبى ويمدحه بهذه الأبيات .

(٤) فى الأصل ، م : « به » . وسقط من : ص . والمثبت من تاريخ دمشق والطبقات .

(٥) فى الأصل : « تابعته » .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) بعده فى الأصل ، م : « إليكم و » .

(٨) فى الأصل : « قالوا » .

وكتَبَ لنا كِتابًا نُسْخَتُه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ ، رسولِ اللَّهِ ، لزَمِلِ[1] بنِ عمرٍو ومَن أسلَمَ معه خاصَّةً ، إنِّى بَعَثْتُه إلى قومِه عامدًا ، فمَن أسلَمَ ففى حِزْبِ اللَّهِ ورسولِه ، ومَن أَبَى فله أمانُ شَهْرَيْن ، شهِدَ علىٌّ بنُ أبى طالبٍ ، ومحمدُ بنُ مَسْلَمةَ[1] الأنصاريُّ » . ثُم قال ابنُ عساكرَ : غريبٌ جِدًّا .

وقال أبو نُعَيْمٍ[2] فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ » : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ الحسنِ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ حربٍ ، حدَّثَنا أبو المنذرِ هشامُ بنُ محمدِ بنِ السائبِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ العُمانىِّ[3] ، قال : كان منّا رَجُلٌ يُقالُ له : مازِنُ بنُ الغَضوبةِ[4] . يَسْدُنُ صنمًا بقريةٍ يُقالُ لها : سمايا . مِن عُمانَ ، وكانتْ تُعَظِّمُه بنو الصامتِ وبنو حُطامةَ ومَهْرةُ ، وهم أخوالُ مازنٍ ، أمُّه زينبُ بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ ربيعةَ بنِ حويصٍ[5] أحدِ بنى نُمْرانَ . قال مازنٌ : فعتَرْنا يومًا عندَ الصنمِ عَتيرةً ، وهى الذبيحةُ ، فسمِعْتُ صوتًا مِن الصنمِ يَقولُ : يا مازنُ ، اسمَعْ تُسَرّ ، ظهَرَ خيرٌ وبطَنَ شَرّ ، بُعِثَ نبىٌّ مِن مُضَرْ ، بدِينِ اللَّهِ الأكبرْ ، فدَعْ نحيتًا مِن حجرْ ، تَسْلَمْ مِن حَرٍّ سَقَرْ . قال : ففزِعْتُ لذلك [6]فزَعًا شديدًا[6] . ثُم عتَرْنا بعدَ أيامٍ عَتيرةً أُخرى ، فسمِعْتُ صوتًا مِن الصنمِ يقَولُ : أَقبِلْ إلىَّ أقْبِلْ ، تَسْمَعْ ما لا تَجْهَلْ ، هذا نبىٌّ مُرْسَلْ ، جاء بحقٍّ مُنْزَلْ ، فآمِنْ به

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الدلائل لأبى نعيم (٦٣) .

(٣) فى الدلائل : « المعافى » .

(٤) فى م : « العضوب » ، وفى ص : « الغضرية » .

(٥) فى م : « خويص » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

كى تَعْدِلْ ، عن حرِّ نَارٍ تُشْعَلْ ، وَقودُها الجَنْدَلْ[1] . قال مازنٌ : فقلتُ : إنَّ هذا لَعَجَبٌ ، وإنَّ هذا لخَيْرٌ يُرادُ بى . وقدِمَ علينا رجلٌ مِن الحِجازِ ، فقلت : ما الخَبَرُ وراءَك ؟ فقال : ظهَرَ رجلٌ يُقالُ له : أحمدُ . يَقولُ لِمَن أتَاه : « أَجيبُوا داعىَ اللَّهِ » . فقلتُ : هذا نبأُ ما سمِعْتُ . فثُرْتُ إلى الصَّنمِ فكسَّرْتُه جُذاذًا ، وركِبْتُ راحلتى حتَّى قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فشرَحَ اللَّهُ [2]صدرى للإِسلامِ[2] ، فأسلَمْتُ ، وقلْتُ :

كسّرْتُ بَاجِرَ أجذاذًا وكان لنا ... رَبًّا نُطيفُ به ضلًّا بتَضلالِ

بالهاشميِّ[3] هَدانا[4] مِن ضَلالتِنا ... ولم يكنْ دِينُه منّى على بالِ

[٥٣/٢و] يا راكبًا بلِّغَنْ عَمْرًا وإخوتَه[5] ... أنِّى لِمَنْ قالَ ربى باجرٌ قالِ[6]

يَعْنِى بَعْمرٍو الصّامتَ ، وإخوتِه حُطامةَ . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى امرُؤٌ مُولَعٌ بالطَّرَبِ وبالهَلوكِ[7] مِن النساءِ ، وشُرْبِ الخمرِ ، وألَحَّتْ علينا السِّنونَ ، فأذهبْنَ الأموالَ وأهزَلْنَ السَّرارىَّ[8] ، وليس لى ولدٌ ، فادْعُ اللَّهَ أن يُذهِبَ عنِّى ما أجِدُ ، ويأتينا بالحَيَا[9] ، ويهَبَ لى ولدًا . فقال النبىُّ ﷺ : « اللهمَّ أَبْدِلْه

---

(١) الجندل : الحجارة .

(٢ - ٢) فى ص : « لى الإِسلام » .

(٣) فى م : « فالهاشمى » .

(٤) بعده فى ص : « اللّه » .

(٥) فى النسخ : « إخوتها » . والمثبت من الدلائل .

(٦) قالٍ ؛ أى مبغض .

(٧) الهلوك من النساء : الساقطة منهن . الوسيط (هـ ل ك) .

(٨) السرارىّ : جمع سُرِّيَّة ، وهى الأَمَة .

(٩) يأتينا بالحيا : يأتينا بالرخاء .

بالطَّرَبِ قراءةَ القرآنِ ، وبالحرامِ الحلالَ ، وبالإثمِ وبالعَهْرِ عِفَّةً ، وآتِه بالحَيا ، وهَبْ له ولدًا » . قال : فأَذهَبَ اللَّهُ عنِّى ما أجِدُ ، وأُخْصِبَتْ عُمانُ ، وتزوَّجْتُ أربعَ حرائرَ ، وحَفِظْتُ شَطْرَ القرآنِ ، ووَهَبَ اللَّهُ لى حيَّانَ بنَ مازنٍ . وأنشأَ يَقولُ :

إليكَ رسولَ اللَّهِ خَبَّتْ[1] مَطِيَّتى ... تجوبُ الفيافى مِن عُمانَ إلى العَرْجِ
لِتَشْفَعَ لى يا خيرَ مَن وَطِئَ الحَصَى ... فيَغْفِر لى ربى فأرْجِعَ بالفَلْجِ[2]
إلى مَعْشَرٍ خالفْتُ فى اللَّهِ دينَهم ... فلا رأيُهم رأيى ولا شَرْجُهم شَرْجى[3]
وكنتُ امْرَأً بالخَمرِ والعَهْرِ مُولَعًا ... شبابىَ حتى آذنَ الجِسْمُ بالنَّهْجِ[4]
فبدَّلَنى بالخمرِ خَوفًا وخَشْيةً ... وبالعَهْرِ إحصانًا فحصَّنَ لى فَرْجِى
فأصبحْتُ هَمِّى فى الجِهادِ ونِيَّتى[5] ... فللَّهِ ما صَوْمِى وللَّهِ ما حَجِّى

قال : فلمّا أتيْتُ قومى أنَّبُونى ، وشَتَمونى ، وأمَرُوا شاعرًا لهم فهجَانى ، فقلتُ : إن ردَدْتُ عليه ، فإنَّما أهْجُو نَفْسى ، فرَحَلْتُ عنهم ، فأَتَتْنِى منهم زُلفةٌ[6] عظيمةٌ وكنتُ القَيِّمَ بِأمورِهم ، فقالوا : يا بنَ عَمٍّ ، عِبْنا عليك أمرًا وكَرِهْنا ذلك ، فإن أبيْتَ ذلك فارْجِعْ وقُمْ بأُمورِنا ، وشأنُك وما تَدِينُ به . فرجَعْتُ معَهم ، وقُلْتُ :

---

(١) فى ص : « حثت » . وخب الفرس : نقل أيامنه وأياسره جميعا فى العدو . الوسيط (خ ب ب) .
(٢) الفلج : الظفر .
(٣) ولا شرجهم شرجى : المشارجة : المشابهة . القاموس المحيط (ش ر ج) . ولعل المراد : لا يشبهوننى .
(٤) النهج : البلى .
(٥) فى ص : « رميتى » .
(٦) الزُّلفة من أزْلَف ، إذا جمعَ . يعنى أتاه جمعٌ كثير من قومه .

لَبُغْضُكُمْ عِندَنَا[1] مُرٌّ مَذَاقتُه وبُغْضُنا عندَكم يا قومَنا لَبَنُ

لا يَفطِنُ الدهرُ إن بُثَّتْ معائبُكم وكلُّكم حينَ يُنْثَى[2] عَيْبُنا فَطِنُ

شاعرُنا مُفْحَمٌ[3] عنكم وشاعرُكم فى حدبِنا مُبلِغٌ فى شَتْمِنا لَسِنُ

ما فى القلوبِ عليكم فاعلَموا وَغِرٌ وفى قلوبِكمُ البغضاءُ والإِحَنُ[4]

قال مازنٌ : فهَداهم اللَّهُ بعدُ إلى الإِسلامِ جميعًا .

[5]وقال سعيدُ بنُ يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأُمَوىُّ[6] فى « مَغازِيه » : حدَّثَنى محمدُ ابنُ سعيدٍ ، يَعْنِى عمَّه ، قال : قال مُحمدُ بنُ المُنْكَدِرِ : إنَّه ذُكِرَ لى عن ابنِ عباسٍ ، قال : هتَفَ هاتفٌ مِن الجنِّ على أبى قُبَيْسٍ ، فقال :

قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكم آلَ فِهْرٍ ما أَرَقَّ[7] العقولَ والأفهامَ[8]

حِينَ تَعصِى لِمَن يَعيبُ عَلَيها دِينَ آبائِها الحُماةِ الكرامِ

[٢/٥٣ظ] خالَفَ[9] الجنُّ جِنُّ[10] بُصْرَى عليكم ورجالَ النَّخِيلِ والآطامِ[11][5]

---

(١) فى ص : « عنا » .

(٢) فى النسخ : « يثنى » . والمثبت من لسان العرب . وينثى العيب : يُظْهر ويُشاع . اللسان (ن ث ا) .

(٣) المفحم : العاجز أمام الحجة . الوسيط (ف ح م) .

(٤) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد والضِّغْن . الوسيط (أ ح ن) .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) وأخرجه أبو نعيم بسنده فى الدلائل (٦٠) . بمعناه .

(٧) فى النسخ : « أدق » . والمثبت من الدلائل .

(٨) فى البيت عيب وهو الإقواء .

(٩) فى الأصل : « خالف » .

(١٠) فى الأصل : « حين » .

(١١) الآطام : الحصون ، أو البيوت المرتفعة . الوسيط (أ ط م) .

(١) تُوشِكُ الخيلُ أن تَرَوْها[٢] تَهادَى[٣] تَقْتُلُ القومَ فى حَرامٍ بهامِ
هَلْ كريمٌ منكمُ لَهُ نفسُ حرٍّ مَاجِدُ الوالديْنِ[٤] والأَعْمامِ
ضارِبٌ ضَرْبةً تَكونُ نَكالًا ورَواحًا مِن كُربةٍ واغتمامِ

قال ابنُ عباسٍ: فأصبحَ هذا الشِّعرُ حديثًا لأهلِ مكةَ يَتَناشَدونه بينَهم، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا شيطانٌ يُكَلِّمُ الناسَ فى الأوثانِ، يُقالُ له: مِسْعَرٌ. واللَّهُ مُخزيهِ». فمَكَثوا ثلاثةَ أيامٍ فإذا هاتفٌ يَهْتِفُ على الجَبَلِ يَقولُ:

نحن قتلْنا فى ثلاثٍ مِسْعَرَا إذْ سفَّهَ الجنَّ وسنَّ المُنكَرَا
قنَّعْتُه سَيفًا حُسامًا مُشْهَرَا بشتمِهِ نبيَّنا المُطَهَّرا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا عِفريتٌ مِن الجنِّ، اسمُه سَمْجٌ[٥]، آمَنَ بى سَمَّيْتُه عبدَ اللَّهِ، أخبرَنِى أنَّه فى طلبِه ثلاثةَ أيامٍ». فقال علىٌّ: جزاه اللَّهُ خَيْرًا، يا رسولَ اللَّهِ[١].

وقد رَوَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[٦] فى «الدلائلِ» قال: حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ ابنِ جعفرٍ، حدَّثَنا أبو الفضلِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مُوسَى بنِ أبى حَرْبٍ الصَّفّارُ، حدَّثَنا عبّاسُ بنُ الفرَجِ[٧] الرِّياشىُّ[٨]، حدَّثَنا سليمانُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢) فى م، ص: «تردها».
(٣) فى الأصل: «نهارا».
(٤) فى الأصل: «الجدين».
(٥) كذا فى النسخ وفى الدلائل: «سمحج». ولعله الصواب، انظر الإصابة ١٧٦/٣.
(٦) لم نجده فى مختصر دلائل أبى نعيم، الذى بين أيدينا.
(٧) فى الأصل، ص: «الفرح».
(٨) فى الأصل: «الرياسى».

أبى ثابتٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرَامٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن سعدِ بنِ عُبادَةَ ، قال : بَعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى حَضْرَمْوتَ فى حاجةٍ قبلَ الهجرةِ ، حتى إذا كنتُ فى بعضِ الطريقِ ساعةً مِن الليلِ ، فسمِعْتُ هاتفًا يَقولُ :

أبا عَمْرٍو تَناوَبَنى[1] السُّهودُ ... وراحَ النومُ وامتنَعَ الهُجُودُ
لذِكْرِ عِصابةٍ سَلَفوا وبادوا ... وكلُّ الخَلْقِ قَصْرُهمُ يَبيدُ
تولَّوْا واردِينَ إلى المنايا ... حِياضًا ليسَ مَنهلَها الورودُ
مضَوْا لسبيلِهمْ وَبقِيتُ خَلْفًا ... وَحيدًا ليس يُسْعِفُنى[2] وحيدُ
سُدًى[3] لا أستطيعُ علاجَ أَمْرٍ ... إذا ما عالَجَ الطِّفلُ الوليدُ
فَلَأْيًا[4] ما بقيتُ إلى أناسٍ[5] ... وقد باتتْ بِمَهْلِكِها ثَمودُ
وعادٌ والقرونُ بذى شُعوبٍ ... سَواءٌ كلُّهم إِرَمٌ حصيدُ

قال : ثُم صاحَ به آخَرُ : يا خَرْعَبْ[6] ، ذهَبَ بك العجَبْ ، إنَّ العجَبَ كلَّ العَجَبْ ، بينَ زُهْرةَ ويَثْرِبْ . قال : وما ذاك يا شاحبْ ؟ قال : نبيُّ السَّلام ، بُعِثَ بخيرِ الكلام ، إلى جميعِ الأنام ، فاخْرُجْ مِن البلدِ الحرام ، [٢/ ٥٤و] إلى

---

(١) فى النسخ : « ناوبنى » . وأثبتنا التاء ليستقيم الوزن .
(٢) فى ص : « يستفضى » .
(٣) فى ص : « سيدى » .
(٤) اللأى : الشدة . يقال : لأيًا عرفت الشىء . أى بعد مشقة . الوسيط (ل أ ى) .
(٥) سقط من : الأصل .
(٦) الخرعب : الطويل اللحيم . القاموس المحيط (خرعب) .

نخيلٍ وآطام . قال : ما هذا النبيُّ المُرْسَلْ ، والكِتابُ المُنْزَلْ ، والأُمِّيُّ المُفَضَّلْ ؟ قال : رجلٌ مِن ولدِ[1] لُؤَيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ . قال : هيهاتَ ، فاتَ عن هذا سِنِّى ، وذهَبَ عنه زَمَنى ، لقد رأَيْتُنى والنَّضْرَ بنَ كِنانةَ نَرْمِى غرضًا واحدًا ، ونَشْرَبُ حَلَبًا[2] باردًا ، ولقد خرَجْتُ به مِن دَوحة[3] فى غَداةٍ شَبِمَة[4] وطلَعَ مع الشمسِ وغرَبَ معها ، يَرْوِى ما يَسْمَعُ ، ويُثْبِتُ ما يُبْصِرُ ، ولئن كان هذا مِن وَلدِه لقد سُلَّ السيف ، وذهَبَ الخوف ، ودُحِضَ الزِّنا ، وهلَكَ الرِّبا . قال : فأَخْبِرْنى ما يَكونُ ؟ قال : ذهبَت السَّرّاءُ[5] والمجاعة[6] ، والشِدّةُ والشَجاعة ، إلَّا بقيةً فى خُزاعة ، وذهبت الضَّرَّاءُ والبُؤْس ، والخلُقُ المَنْقوس[7] إلا بقّيةً مِن[8] الخزرجِ والأَوْس ، وذهَبَتِ الخُيَلاءُ والفخر ، والنَّميمةُ والغَدْر ، إلا بقيةً فى بنى بكر - يعنى بَكْرَ[9] بنَ هَوازِنَ - وذهَبَ الفعلُ المُنَدِّمْ ، والعمَلُ المُؤَثِّمْ ، إلا بقيَّةً فى خَثْعَمْ . قال : أخبِرْنى ما يكونُ ؟ قال : إذا غُلِبتِ البَرَّة[10] ، ولُطِمتِ[11] الحُرَّة ، فاخْرُجْ مِن بلادِ الهجرة ، وإذا كُفَّ

---

(١) فى ص : « بنى » .

(٢) الحلب : اللبن .

(٣) فى الأصل : « دومة » .

(٤) فى الأصل : « شبه » . وفى ص : « شيمة » . والشبمة : الباردة .

(٥) فى م ، ص : « الضراء » . بعده فى الأصل ، م : « والبؤس » .

(٦) فى الأصل : المخادعة .

(٧) فى م ، ص : « المنفوس » . ونقس بين القوم : أفسد .

(٨) فى ص : « فى » .

(٩) سقط من : الأصل ، م .

(١٠) البرة : عَلَمٌ للبِرّ . وهو علم جنس مثل أسامة علم لجنس الأسد .

(١١) فى م ، ص : « كظمت » .

السَّلام ، وقُطِعَتِ الأَرحام ، فاخْرُجْ مِن البلدِ الحَرام . قال : أخبِرْنى ما يَكونُ ؟ قال : لولا أُذُنٌ تَسْمَع ، وعينٌ تَلْمَع ، لأَخبَرْتُك بما يُفْزِع . ثُم قال :

لا مَـنـامٌ هـدَّأْتَـه بـنـعـيـمِ يا ابنَ غوطٍ ولا صباحٌ أتانا[1]

قال : ثُم صَرْصَرَ صَرْصَرَةً كأنَّها صَرْصَرةُ حُبْلَى ، فذَهَبَ الفجرُ ، فذهَبْتُ لأَنْظُرَ فإذا عَظايةٌ[2] وثُعبانٌ ميِّتان . قال : فما عَلِمْتُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، هاجَرَ إلى المدينةِ إلّا بهذا الحديثِ . ثُم روَاه عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن إبراهيمَ بنِ علىٍّ ، عن النَّضْرِ بنِ سَلمةَ ، عن حَسّانَ بنِ عُبادَةَ[3] بنِ مُوسى ، عن عبدِ الحميدِ ابنِ بَهْرَامٍ ، عن شَهْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن سعدِ بنِ عُبادةَ ، قال : لمّا بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، بَيْعةَ[4] العَقَبَةِ ، خرجْتُ إلى حَضْرَموْتَ لبعضِ الحاجةِ[5] ، قال : فقَضَيْتُ حاجَتى ، ثُم أَقبلْتُ حتى إذا كنتُ ببعضِ الطريقِ نِمْتُ ، ففَزِعْتُ مِن الليلِ بصائحٍ يَقولُ :

أبا عَمرٍو تَناوَبَنى السُّهودُ[6] وراحَ النومُ وانقطَعَ الهُجودُ

وذَكَر مِثْلَه بطُولِه .

وقال أبو نُعَيْمٍ : حَدَّثَنا [7]عُمرُ بنُ[7] محمدِ [8]بنِ جَعْفَرٍ[8] ، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ

---

(١) فى الأصل : « أمانا » .

(٢) عظاية : دويبة .

(٣) فى ص : « عباد » .

(٤) فى الأصل ، م : « ليلة » .

(٥) فى الأصل ، م : « الحاج » .

(٦) فى الأصل : « الشهود » .

(٧ - ٧) سقط من : م . وفى الأصل : « محصر بن » .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

عليٌّ ، حَدَّثَنا النَّضْرُ بنُ سَلمةَ ، حَدَّثَنا أبو غَزِيَّةَ[1] ، محمدُ بنُ موسى ، عن العَطّافِ بنِ خالدٍ[2] الوابِصِيِّ[3] ، عن خالدِ بنِ سعيدٍ ، عن أبيه ، قال : سَمِعتُ تميمًا الدَّارِيَّ يقول : كُنتُ بالشّامِ حين بُعِث النَّبيُّ ﷺ ، فخَرَجْتُ لبعضِ حاجَتِى ، فأدْرَكَنِى الليلُ ، فقلتُ : أنا فى جِوارِ عظيمِ هذا الوادِى الليلةَ . قال : فلمَّا أخَذْتُ مَضْجَعِى ، إذا أنا بمُنادٍ يُنادِى ، لا أَراه : عُذْ باللَّهِ ، فإنَّ الجِنَّ لا تُجِيرُ أحدًا على اللَّهِ . فقُلتُ : ايْمُ اللَّهِ تقولُ ؟ فقال : قد خَرَج رسولُ الأمِّيِّين رسولُ اللَّهِ ، وصَلَّيْنا خَلْفَه بالحَجُونِ ، فأسْلَمْنا واتَّبَعْناه ، وذَهَب [٢/ ٥٤ظ] كَيْدُ الجِنِّ ورُمِيَتْ بالشُّهُبِ ، فانطَلِقْ إلى محمدٍ ، رسولِ ربِّ العالَمِين ، فأسْلِمْ . قال تميمٌ : فلمَّا أصْبَحْتُ ذَهَبتُ إلى دَيْرِ أيُّوبَ ، فسألتُ راهِبًا وأخْبَرْتُه الخَبَرَ . فقال الرّاهِبُ : قد صَدَقُوكَ ، يَخْرُجُ مِن الحَرَمِ ، ومُهاجَرُه الحرَمُ ، وهو خيرُ الأنبياءِ ، فلا تُسْبَقْ إليه . قال تميمٌ : فتَكَلَّفْتُ الشُّخُوصَ ، حتى جئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأسْلَمْتُ .

وقال حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ الهُذَلِيِّ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ساعِدَةَ الهُذَلِيِّ ، عن أبيه قال : كُنّا عندَ صَنَمِنا سُواعٍ ، وقد جَلَبْنا إليه غَنَمًا لنا ، مائتَىْ شاةٍ قد أصابَها جَرَبٌ ، فأدنَيْناها منه ، لنَطْلُبَ بَرَكَتَه ، فسَمِعتُ مُنادِيًا مِن جَوْفِ الصَّنَمِ يُنادِى : قد ذَهَب كيدُ الجِنِّ ، ورُمِينا بالشُّهُبِ لنَبِيٍّ اسمُه أحمدُ .

---

(١) سقط من : الأصل . وفى ص : « عربة » . وانظر لسان الميزان ٥/ ٣٩٨.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٧٣، من طريق العطاف بن خالد به .

(٣) فى م ، ص : « الوصابى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٨٣.

(٤) فى ص : « الذهلى » .

قال: فقُلْتُ: غَوَيْتُ[1] واللَّهِ. فصَرَفْتُ وجهَ غَنَمِى مُنْجِدًا[2] إلى أهلى[3]، فلَقِيتُ رَجُلًا فَخَبَّرَنى بظُهُورِ النبىِّ ﷺ. ذَكَرَه أبو نُعَيْم هكذا مُعَلَّقًا[4]، ثُمَّ قال[5]: حَدَّثَنا عُمرُ بنُ محمدِ بنِ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنا إبراهيمُ بنُ السِّنْدِىِّ، حَدَّثَنا النَّضْرُ بنُ سَلمةَ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ سَلمةَ[6] المَخْزُومِىُّ، حَدَّثَنا يحيى ابنُ سُلَيمانَ، عن حَكِيمِ بنِ عطاءٍ الظَّفَرِىِّ[7] - من بنى سُلَيْمٍ، مِن وَلَدِ راشِدِ بنِ عبدِ رَبِّه - عن أبيه، عن جدِّه، عن راشِدِ بنِ عبدِ ربِّه قال: كان الصَّنَمُ الذى يُقالُ له: سُواعٌ. بالمَعْلَاةِ مِن رُهاطٍ[8]، تَدِينُ له هُذَيْلٌ وبنو ظَفَرِ بنِ سُلَيْمٍ، فأرْسَلَتْ بنو ظَفَرٍ راشِدَ بنَ عبدِ ربِّه بهَدِيَّةٍ مِن سُلَيْمٍ إلى سُواعٍ. قال راشِدٌ: فأَلْقَيْتُ مع الفجرِ إلى صَنَمٍ قَبْلَ صنمِ سُواعٍ، فإذا صارِخٌ يَصْرُخُ مِن جَوْفِه: العَجَبُ كلُّ العجَبْ مِن خُرُوجِ نبىٍّ مِن بنى عبدِ المُطَّلِبْ، يُحَرِّمُ الزِّنا والرِّبا والذَّبْحَ للأَصْنامِ، وحُرِسَتِ السَّماءُ ورُمِينا بالشُّهُبْ، العَجَبُ كلُّ العجَبْ. ثُمَّ هَتَف صنمٌ آخَرُ مِن جوفِه: تُرِكَ الضِّمارُ[9] وكان يُعْبَدْ، خَرَج أحمدْ، نَبِىٌّ يُصَلِّى الصلاةَ، ويَأْمُرُ بالزَّكاةِ

---

(١) فى طبقات ابن سعد، كما سيأتى تخريجه: «عُبِّرت».

(٢) فى الطبقات: «منحدرًا». وأنْجَد الرجل: انحدر عائدًا إلى أهله.

(٣) فى الأصل، ص: «أهله».

(٤) وأخرجه ابن سعد موصولًا فى طبقاته ١/ ١٦٨، من طريق عبد اللَّه بن يزيد الهذلى بنحوه.

(٥) أى أبو نعيم، دلائل النبوة (٦٨).

(٦) فى م: «مسلمة».

(٧) فى الدلائل: «الصقرى». وذكَر محقِّقه فى الحاشية أن الصواب «السلمى». وهو عند ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٤٣٤: «السلمى» كذلك.

(٨) فى م، ص: «راهط».

(٩) فى الأصل، ص: «الضماد». والضمار: اسم وثن.

والصِّيام، والبِرِّ والصِّلاتِ للأرْحام. ثُمَّ هَتَف مِن جوفِ صنمٍ آخَرَ هاتِفٌ يقولُ:

إنَّ الذى وَرِثَ النُّبُوَّةَ والهُدَى ... بعدَ ابنِ مريمَ مِن قُرَيشٍ مُهْتَدِ

نبىٌّ[1] يُخَبِّرْ بما قَدْ[2] سَبَقْ ... وبما يَكُونُ [3]مِنَ الغَدِ[3]

قال راشِدٌ: فألْفَيْتُ سُواعًا مع الفجرِ وثَعْلبانِ يَلْحَسانِ ما حَوْلَه، ويَأْكُلان ما يُهدَى له، ثُمَّ يُعَرِّجانِ[4] عليه ببَوْلِهما. فعِندَ ذلِك يقولُ راشدُ بنُ عبدِ ربِّه:

أرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلَبانِ برَأْسِهِ ... لقد ذَلَّ مَن بالَتْ عليه الثَّعالِبُ

وذلك عندَ مَخْرَجِ النبىِّ ﷺ، ومُهاجَرِه[5] إلى المدينةِ، وتسامع الناسُ به، فخَرَج راشدٌ حتى أتى النَّبىَّ ﷺ، المدينةَ، ومعه كلبٌ له، واسمُ راشِدٍ يومَئِذٍ: ظالمٌ، واسمُ كلبِه: راشدٌ، فقال له النبىُّ ﷺ: «ما اسْمُكَ؟» قال: ظالمٌ. قال: «فما اسمُ كلْبِكَ؟». قال: راشدٌ. قال: «اسْمُكَ رَاشدٌ، واسْمُ كَلْبِكَ ظَالمٌ»، وضَحِكَ النبىُّ ﷺ. وبايَعَ النبىَّ ﷺ، وأقام بمكَّةَ معه، ثُمَّ طَلَب [٢/٥٥و] من رسولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيعَةً برُهاطٍ[6]، ووَصَفَها له، فأقْطَعَه رسولُ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «أتى».

(٢) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «اليوم حقًّا أو غدِ».

والبيتان بهذه الصورة؛ الأول من بحر الكامل. والثانى لا يستقيم كله على بحرٍ واحد، وبما أثبتناه يصبح الشطر الأول من البيت من بحر المتقارب، والشطر الثانى من مجزوء الكامل.

(٤) فى الأصل، م: «يعوجان».

(٥) فى الدلائل: «ومجازه».

(٦) هنا وفيما يأتى، فى م: «وهاط».

اللَّهِ ﷺ بالمَعْلاةِ مِن رُهاطٍ شَأْوَ الفَرسِ[1] ، ورَمْيَتُه[2] ثَلاثُ مرَّاتٍ بحَجَرٍ ، وأعطاه إداوَةً مُمْلُوءَةً مِن ماءٍ ، وتَفَل فيها ، وقال له : « فَرِّغْهَا فى أعْلَى القَطِيعَةِ ، ولا تَمْنَعِ النَّاسَ فُضُولَها[3] » ، ففَعَلَ ، فجَعَلَ الماءَ مَعِينًا يَجرِى[4] إلى اليومِ ، فغَرَسَ عليها النَّخْلَ . ويُقالُ : إنَّ رُهاطًا كلَّها تَشْرَبُ منه ، فسَمّاها الناسُ ماءَ الرسولِ ﷺ . وأهلُ رُهاطٍ يَغْتَسِلُون بها ، وبَلَغَتْ رَمْيَةُ راشِدٍ الرَّكِيبَ[5] الذى يُقالُ له : رَكِيبُ[6] الحجرِ . وغَدا راشِدٌ على سُواعٍ فكَسَرَه .

وقال أبو نُعَيْمٍ[7] : حَدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ ، حَدَّثَنا علىُّ بنُ إبراهيمَ الخُزاعِىُّ الأهْوازِىُّ ، حَدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ داوُدَ بنِ دِلْهاثِ بنِ إسماعيلَ [8]بنِ عبدِ اللَّهِ[8] بنِ مسرعِ[9] بنِ ياسرِ بنِ سُوَيْدٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حَدَّثَنا أبى ، عن أبيه دِلْهاثٍ ، عن أبيه إسماعيلَ ، أنَّ أباه عبدَ اللَّهِ حَدَّثَه ، عن أبيه مسرعِ بنِ ياسرٍ ، أنَّ أباه ياسرًا حَدَّثَهَ عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِىِّ ، أنَّه كان يُحَدِّثُ ، قال : خَرَجْتُ حاجًّا فى جماعةٍ مِن قومى فى الجاهِلِيَّةِ ، فرَأَيْتُ

---

(١) الشأو : الشوط . والمراد هنا المساحة التى يقطعها الفرس فى شوط .

(٢) فى الدلائل : « ورمية » .

(٣) فى م ، ص : « فضلها » .

(٤) فى الأصل : « محمرا » . وفى ص : « مجمرا » . وعند أبى نعيم : « مُجِمَّة » أى كثيرة .

(٥) فى م ، ص : « الركب » .

(٦) فى م : « ركب » . وفى ص : « ركبت » .

(٧) وأخرجه بنحوه من طريق عبد اللّه بن داود بن دلهاث ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٦٠٨، ٦٠٩. مخطوط . وقال الأزدىُّ ، كما فى لسان الميزان ، فى ترجمة داود بن دلهاث : داود عن آبائه ؛ لا يصح حديثه ، لسان الميزان ٢/ ٤١٧.

(٨ - ٨) زيادة لازمة سقطت من النسخ . وانظر لسان الميزان ٣/ ٢٨٣.

(٩) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل : « سرع » .

فى المنامِ، وأنا بمكَّةَ، نُورًا ساطِعًا مِن الكعبةِ، حتى أضاءَ فى جبلِ يَثْرِبَ، وأشْعَرِ جُهَيْنَةَ[1]، فسَمِعْتُ صوتًا فى النُّورِ وهو يقولُ: انْقَشَعَتِ الظَّلْماء، وسَطَع الضِّياء، وبُعِث خاتَمُ الأنبياء. ثُمَّ أضاءَ إضاءَةً أُخرَى، حتى نَظَرتُ إلى قُصُورِ الحِيرَةِ وأبيضِ المَدائِنِ، فسَمِعْتُ صوتًا فى النُّورِ وهو يقولُ: ظَهَر الإسلام، وكُسِرتِ الأصنام، ووُصِلَتِ الأرْحام. فانْتَبَهْتُ فَزِعًا، فقُلْتُ لقومى: واللَّهِ لَيَحْدُثَنَّ فى هذا الحىِّ مِن قُرَيشٍ حَدَثٌ. وأخْبَرْتُهم بما رأيتُ، فلمَّا انْتَهَيْنا إلى بلادِنا، جاءَنا رجُلٌ، فأخْبَرَنا أنَّ رجُلًا يُقالُ له: أحمدُ، قد بُعِث، فأتَيْتُه فأخْبَرْتُه بما رأيتُ، فقال: «يا عَمْرُو بنَ مُرَّةَ، إنِّى المُرْسَلُ إلَى العِبَادِ كَافَّةً، أدْعُوهُم إلَى الإسْلَامِ، وآمُرُهُم بِحَقْنِ الدِّماءِ، وصِلَةِ الأرْحامِ، وعِبادَةِ اللَّهِ، ورَفْضِ الأصْنامِ، وحَجِّ البَيْتِ، وَصِيامِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ شَهْرٍ مِن اثْنَىْ عَشَرَ شَهْرًا، فَمَنْ أجَابَ، فَلَهُ الجَنَّةُ، ومَنْ عَصَى، فَلَهُ النَّارُ، فآمِنْ يا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ، يُؤَمِّنْكَ اللَّهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». فقُلْتُ: أشْهَدُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّكَ رسولُ اللَّهِ، آمَنْتُ بكُلِّ ما جِئتَ به مِن حَلالٍ وحَرامٍ، وإن أرْغَمَ ذلك كثيرًا مِن الأقوامِ. ثُمَّ أنْشَدْتُه أبياتًا قُلْتُها حينَ سَمِعْتُ به، وكان لنا صَنَمٌ وكان أبى سادِنًا له، فقُمتُ إليه فكَسَرْتُه، ثُم لَحِقْتُ النبىَّ ﷺ، وأنا أقُولُ:

شَهِدتُ بأنَّ اللَّهَ حَقٌّ وأنَّنِى ... لآلِهَةِ الأحْجارِ أوَّلُ تارِكِ

فشَمَّرْتُ عن ساقى إزارَ مُهَاجِرٍ ... إليكَ أدِبُّ الغَوْرَ[2] بَعْدَ الدَّكادِكِ[3]

---

(١) أشعر جهينة: جبل.

(٢) الغَوْر: كلُّ مُنخفِض من الأرض.

(٣) الدكادك: جمع دَكْدَك ودَكْدَاك؛ وهو ما تكبَّس واستوى من الرمل، أو ما التبد منه بالأرض، أو أرض فيها غِلَظ.

لأصْحَبَ خَيْرَ النّاسِ نَفْسًا ووالِدًا رَسُولَ مَلِيكِ النّاسِ فوقَ الحَبائِكِ[1]

فقال النَّبىُّ ﷺ: «مرحبًا بك يا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ». فقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، بأبى أنت وأُمِّى، ابْعَثْ بى إلى قومى، [٢/٥٥ظ] لعلَّ اللَّهَ أن يَمُنَّ بى عليهم، كما مَنَّ بك علىَّ. فبَعَثَنِى إليهم وقال: «عَلَيْكَ بِالقَوْلِ السَّدِيدِ، ولا تَكُنْ فَظًّا، ولا مُتَكَبِّرًا، ولا حَسُودًا». فأتَيْتُ قومى، فقُلْتُ لهم: يا بَنِى رِفاعَةَ، ثُمَّ يا بنى جُهَيْنَةَ، إنِّى رسولٌ مِن رسولِ اللَّهِ إليكم، أدْعُوكم إلى الجَنَّةِ، وأُحَذِّرُكم النَّارَ، وآمُرُكم بحَقْنِ الدِّماءِ، وصِلَةِ الأرْحامِ، وعِبادَةِ اللَّهِ، ورَفْضِ الأصْنامِ، وحَجِّ البيتِ، وصِيامِ شهرِ رَمَضانَ؛ شهرٍ من اثْنَىْ عَشَرَ شهرًا، فمَن أجاب فله الجَنَّةُ، ومَن عَصَى فله النّارُ، يا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ، إن اللَّهَ، وله الحمدُ، جَعَلَكم خِيارَ مَن أنتم منه، وبَغَّض إليكم فى جاهِلِيَّتِكم ما حَبَّب إلى غيرِكم مِن الرَّفثِ؛ لأنَّهم كانوا يَجْمَعُون بين الأُخْتَيْنِ، ويَخْلُفُ الرَّجُلُ على امرأةِ أبيه، والتِّراتِ[2] فى الشهرِ الحَرامِ، فأجِيبُوا هذا النبىَّ المُرْسَلَ ﷺ، مِن بَنِى لُؤَىِّ بنِ غالِبٍ، تنالوا شَرَفَ الدُّنيا وكرامةَ الآخِرةِ، سارِعُوا سارعُوا فى ذلك؛ تكنْ لكم فضيلةٌ عندَ اللَّهِ. فأجابُوا إلَّا رَجُلًا منهم، قام فقال: يا عَمرُو ابنَ مُرَّةَ، أمَرَّ اللَّهُ عليك عَيْشَك، أتَأمُرُنا أن نَرْفُضَ آلهتَنا، ونُفَرِّقَ جماعَتَنا، بمُخالَفَةِ دِينِ آبائِنا إلى ما يَدْعُو هذا القُرَشِىُّ مِن أهلِ تِهامَةَ؟! لا، ولا مرحبًا ولا كَرامَةَ. ثُمَّ أنْشَأَ يقولُ:

---

(١) الحَبائِك: الطُّرُق، واحدتها حَبِيكة، يعنى بها السماوات لأن فيها طرق النجوم.

(٢) التِّرات: جمع تِرة؛ وَتَرَه تِرةً: قَتَل حَمِيمه.

إن ابنَ مُرَّةَ قد أتى بمقالةٍ ليستْ مقالةَ مَن يُريدُ صَلاحَا
إنِّى لأَحْسَبُ قولَهُ وفَعالَهُ يومًا وإن طالَ الزَّمانُ رِياحا
أَتُسَفِّهُ الأَشياخَ مِمَّن قد مَضَى مَن رامَ ذلكَ لا أصابَ فلَاحا

فقال عَمْرُو بنُ مُرَّةَ: الكاذِبُ مِنِّى ومنك أمَرَّ اللَّهُ عَيْشَه، وأبْكَمَ لِسانَه، وأكْمَهَ بَصَرَه. قال عَمرُو بنُ مُرَّةَ: واللَّهِ ما مات حتى سَقَط فُوهُ، وكان لا يَجِدُ طَعْمَ الطَّعامِ، وعَمِىَ وخَرِسَ. وخَرَج عَمْرُو بنُ مُرَّةَ ومَن أسْلَم مِن قومِه، حتى أتَوُا النبىَّ ﷺ، فرَحَّبَ بهم وحَيَّاهم[1]، وكَتَب لهم كِتابًا هذه نُسْخَتُه: «بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. هذا كتابٌ مِن اللَّهِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ، بكتابٍ صادِقٍ، وحقٍّ ناطِقٍ، مع عَمْرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِىِّ لجُهَيْنَةَ بنِ زيدٍ، إنَّ لكم بُطُونَ الأرضِ وسُهُولَها، وتِلاعَ[2] الأوْدِيَةِ وظُهُورَها، تَرْعَوْن نباتَه، وتَشرَبُون صافِيَه، على أن تُقِرُّوا بالخُمْسِ، وتُصَلُّوا الصَّلَواتِ الخَمْسِ. وفى التَّبِعَةِ[3] والصُّرَيْمَةِ[4] شاتانِ إنِ اجْتَمَعَتا وإنْ تَفَرَّقَتا، فشَاةٌ شَاةٌ. ليس على أهلِ المِيرَةِ[5] صَدَقَةٌ، [6]ولا على الوارِدَةِ لبقةٌ[6]». وشهِد مَن حَضَرَنا مِن

---

(١) فى م: «وحباهم».

(٢) التلاع: جمع تَلْعَة، وهى: ما ارتفع من الأرض. ومسيل الماء من أعلى إلى أسفل. وما اتسع من فم الوادى. الوسيط (ت ل ع).

(٣) التَّبِعَة: التَّبِيع: الفحل من ولد البقر. والأُنثى تبيعة.

(٤) الصُّرَيْمَة: تصغير الصُّرْمة، وهى القطيع من الإبل والغنم، وقيل: هى من العشرين إلى الثلاثين والأربعين، والمراد بها فى الحديث من مائة وإحدى وعشرين شاة إلى مائتين. لسان العرب (ص ر م).

(٥) الميرة: الإبل التى تحمل الطعام ونحوه مما يُجلب للبيع؛ أى لا يكون فيها زكاة لأنها عوامل.

(٦ - ٦) فى الأصل: «ليس الوردة الليقة». وفى م: «ليس الوردة اللبقة». وفى ص: «ليس للوردة اللبقة». والمثبت من تاريخ دمشق.

المسلمين بكتابِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، رَضِى اللَّهُ عنهم. وذلك حينَ يقولُ عَمرُو ابنُ مُرَّةَ:

ألم ترَ أنَّ اللَّهَ أَظهَرَ دِينَهُ ... وبيَّنَ بُرهانَ القُرانِ لعامِرِ
كتابٌ مِنَ الرحمنِ نورٌ لجَمْعِنا ... وأحلافِنا فى كُلِّ بادٍ وحاضِرِ
إلى خيرِ مَن يَمْشِى على الأرضِ كُلِّها ... وأَفْضَلِها عندَ اعْتِكارِ الضَّرائرِ[1]
أطَعْنا رسولَ اللَّهِ لمَّا تَقَطَّعَتْ ... بُطُونُ الأعادِى[2] بالظُّبا والخواطِرِ[2]
[٥٦/٢و] فنحنُ قَبِيلٌ قد بُنِى المجدُ حَولَنا ... إذا اجْتُلِيَتْ[3] فى الحربِ هامُ الأكابِرِ
بنو الحربِ نَفْرِيها[4] بأيْدٍ طويلةٍ ... وبِيضٍ تَلَأْلَأْ[5] فى أكُفِّ المَغاوِرِ
تَرَى حَولَه الأنصارَ تَحْمِى أمِيرَهم ... بسُمْرِ العَوالِى[6] والصِّفاحِ البَواتِرِ[7]
إذا الحربُ دارتْ عندَ كلِّ عظيمةٍ ... ودارتْ رَحاها باللُّيُوثِ الهَواصِرِ[8]

---

(١) فى الأصل، م: «الصرائر». واعتكارُ الضرائر: اخْتِلاطُها؛ والضَّرائر: الأمور المختلفة. اللسان (ع ك ر).

(٢ - ٢) فى الأصل: «بالضبار الخواطر»، وفى ص: «بالضيا الخواطر». والظُّبا جمع ظُبَةٍ، وهى حَدُّ السيف والسِّنان ونحوه. والخواطر؛ يُقال: خطران الرُّمح. أى ارتفاعُه وانخفاضه للطَّعْن، فهو يعنى بالخواطر هنا الرماح.

(٣) فى م: «اجتلبت». وفى ص: «اختلبت».

(٤) فى ص: «نقريها». ونَفْرِيها، من قولهم: فلان يَفرِى الفَرِىّ؛ إذا أجاد عملَه وأتى فيه بالعجيب.

(٥) تلأْلأْ: أى تتلألأ. وسُكنت للوزن.

(٦) العوالى جمع عالية، وهى النصف الذى يلى السِّنان من القناة، وهى الرُّمح. ويعنى بها هنا الرماح.

(٧) الصِّفاح: جمع صَفْح، وهى فى السيف عَرْضه، ويعنى هنا بها السيوف. والبواتر: القواطع.

(٨) الهواصر: الكواسر؛ من هَصَر الشىءَ، إذا كَسَرَه.

تَبَلَّجَ[1] منهُ اللَّوْنُ وازدادَ وجهُهُ كَمِثْلِ ضِياءِ البدْرِ بينَ الزَّواهِرِ

وقال أبو عثمانَ سعيدُ بنُ يحيى الأُمَوِيُّ فى «مغازِيه»: حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ، حَدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ، حَدَّثَنا المُجالِدُ بنُ سعيدٍ والأجْلَحُ، عن الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَنِى شيخٌ مِن جُهَيْنَةَ قال: مَرِض مِنَّا رجُلٌ مرضًا شديدًا، فَثَقُلَ حتى حَفَرْنا له قبرَه، وهيَّأْنا أمره، فأُغْمِيَ عليه، ثُم فَتَح عَيْنَيْه وأفاق، فقال: أَحَفَرْتُم لى؟ قالوا: نعم. قال: فما فَعَل الفَضْلُ[2]؟ وهو ابنُ عَمٍّ له. قلنا: صالِحٌ، مَرَّ آنفًا يَسألُ عنك. قال: أمَا إنَّه يُوشِكُ أن يُجْعَلَ فى حُفْرَتى، إنَّه أتانى آتٍ حينَ أُغْمِيَ عليَّ، فقال: ابْكِ هُبَلْ، أمَا تَرَى حُفرَتَك تُنْتَثَلْ[3]، وأُمُّك قد كادتْ تَثْكَلْ؟ أرأَيْتُك إن حَوَّلْناها عنك بالمحولِ، ثُم مَلَأْناها بالجَنْدَلْ[4]، وقَذَفْنا فيها الفضلْ، الذى مَضَى فأجْزَأَك، وظَنَّ أن لن يَفْعَلْ[5]. أتَشْكُرُ لربِّك، وتُصَلّ، وتَدَعُ دِينَ مَن أشْرَكَ وضَلّ؟ قال: قُلْتُ: نعم. قال: قُمْ، قد بَرِئْتَ. قال: فبَرِئَ الرَّجُلُ، ومات الفضلُ، فجُعِلَ فى حُفْرَتِه. قال الجُهَنِيُّ: فرأيتُ الجُهَنِيَّ بعد ذلك يُصَلِّى، ويَسُبُّ الأوْثانَ وَيقَعُ فيها.

وقال الأُمَوِيُّ[6]: حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ، قال: بَيْنَما عُمرُ بنُ الخطَّابِ، رَضِى اللَّهُ عنه، فى مَجْلِسٍ يَتَحَدَّثُون عن الجِنِّ، فقال خُرَيْمُ بنُ فاتِكٍ الأسْدِيُّ: ألا

---

(١) تَبَلَّج، من قولهم: تبلَّج الصُّبْح. أى إذا أسْفَرَ فأنار.

(٢) هنا وفى الموضعين التاليين؛ فى م، ص: «الفصل». وضبطت فى ص بضم الفاء وفتح الصاد.

(٣) تُنتثل: يُستَخْرَج ترابُها.

(٤) الجَنْدَل: الحجارة.

(٥) فى ص: «تفعل».

(٦) وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٤٨ - ٣٥٠. بإسنادين بنحوه. من حديث خريم.

أُحَدِّثُك كيف كان إسْلامى ؟ قال : بلى . قال : إنِّى يومًا فى طَلَبِ ذَوْدٍ لى ، أنا منها على أثَرٍ ، تَنْصَبُ وتَصْعَدُ ، حتى إذا كُنتُ بأبْرَقِ العراقِ ، أنَخْتُ راحِلَتِى ، وقُلْتُ : أعُوذُ بعظيمِ هذه البلدةِ ، أعوذُ برئيسِ هذا الوادِى . فإذا بهاتِفٍ يَهْتِفُ بى :

وَيْحَكَ عُذْ باللَّهِ ذى الجَلالِ والمَجدِ والنَّعْماءِ[1] والإفضالِ
ثُمَّ اتْلُ آياتٍ مِن الأنْفالِ ووَحِّدِ اللَّهَ ولا تُبالى

قال : فذُعِرْتُ ذُعرًا شديدًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى نَفْسِى فقُلتُ :

يا أيُّها الهاتِفُ ما تقولُ أرَشْدٌ عِندَكَ أم تَضْلِيلُ
بيِّنْ هَداكَ اللَّهُ ما الحَوِيلُ[2]

قال : فقال :

هذا رسولُ اللَّهِ ذو الخيراتِ بِيثربٍ يَدْعُو إلى النَّجاةِ
يَأمُرُ بالبِرِّ وبالصَّلاةِ ويَزَعُ[3] النَّاسَ عن الهَناتِ

قال : قُلْتُ له : واللَّهِ لا أبْرَحُ حتى آتِيَه وأُومِنَ به . فنَصَبْتُ رِجلى فى غَرْزِ راحِلَتى وقُلْتُ :

أرْشِدْنى أرْشِدْنى هُدِيتا لا جُعْتَ ما عِشتَ ولا عَرِيتا
ولا بَرِحْتَ سيِّدًا مَقِيتا لا تُؤثِرِ الخيرَ الذى أُتِيتا

---

(١) فى الأصل ، م : « والعلياء » .
(٢) الحَوِيل : المَرام .
(٣) فى الأصل : « يردع » .

علـى جَمِيـعِ الجِـنِّ ما بَقِـيتا

[٢/٥٦ظ] فقال :

صاحَبَكَ اللَّهُ وأدَّى رَحْلَكا وعَظَّمَ الأجْرَ وعافَى نَفْسَكا

آمِنْ به أفْلَجَ[(١)] رَبِّى حَقَّكا وانْصُرْهُ [(٢)]أعَزَّ ربِّى[(٢)] نَصْرَكا

قال : قُلْتُ : مَن أنـت ، عافاك اللَّهُ ، حتى أُخْبِرَه إذا قَدِمتُ عليه ؟ فقال : أنا [(٣)]مالِكُ بنُ مالِكٍ[(٣)] ، وأنا نقيبُه على جِنِّ نَصِيبِينَ ، وكَفَيْتُ إبِلَك حتى أَضُمَّها إلى أهْلِك ، إن شاءَ اللَّهُ . قال : فخَرَجْتُ حتى أتَيْتُ المدينةَ يومَ الجمعةِ ، والنّاسُ أرْسَالٌ[(٤)] إلى المسجدِ ، والنَّبىُّ ﷺ ، على المِنْبَرِ كأنَّه البدرُ يَخْطُبُ النّاسَ ، فقُلتُ : أُنِيخُ على بابِ المسجدِ حتى يُصَلِّىَ ، وأدْخُلُ عليه فأُسَلِّمُ وأُخْبِرُه عن إسلامى . فلمَّا أنَخْتُ ، خَرَج إلَىَّ أبو ذَرٍّ ، فقال : مرحبًا وأهلًا وسهلًا ، قد بَلَغَنا إسلامُك ، فادْخُلْ فصَلِّ . ففَعَلْتُ ، ثُمَّ جئتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرَنِى بإسلامِى ، فقُلْتُ : الحمدُللَّهِ . قال : « أما إنَّ صاحِبَك قد وَفَّى لك ، وهو أهْلُ ذَلِك ، وأدَّى إبِلَكَ إلى أهْلِكَ » .

[(٥)]وقد رَواه الطَّبَرانىُّ فى ترجمةِ خُرَيْمِ بنِ فاتِكٍ ، مِن « مُعْجَمِه الكبيرِ »[(٥)(٦)]

---

(١) فى ص : « أفلح » . وأفْلَج اللَّهُ حُجَّتَه : أظهرها وأثبتها . وأفلجَ فُلانًا على خَصْمه : غَلَّبه وفَضَّلَه عليه .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « نصرا عزيزا » .

(٣ - ٣) فى م : « ملك بن ملك » . وهو مالك بن مالك الجِنِّى . انظر ترجمته فى أُسْد الغابة ٥/ ٤٧، ٤٨. والإصابة ٥/ ٧٤٦، ٧٤٧.

(٤) أرسال جمع رَسْل ؛ وهم الجماعة من الناس .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) المعجم الكبير (٤١٦٥) . وفى سنده محمد بن إبراهيم الشامى ، وهو كذاب . انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ٣/ ٣٨ .

[1] قائلًا : حَدَّثَنا الحسينُ بنُ إسحاقَ اليسيرىُّ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ الشَّامِىُّ ، حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ موسى الإِسْكَنْدَرِىُّ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن سعيدِ ابنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هُرَيرةَ قال : قال خُرَيْمُ بنُ فاتِكٍ لعُمرَ بنِ الخطَّابِ : يا أميرَ المؤْمِنِين ، ألا أُخْبِرُك كيف كان بَدْءُ إسلامى ؟ قال : بلى . فذَكَرَه ، غيرَ أنَّه قال : فخَرَج إلىَّ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ فقال : ادْخُلْ ، فقد بَلَغَنا إسلامُك . فقُلْتُ : لا أُحسِنُ الطُّهُورَ ، فَعَلِّمْنى . فدَخَلْتُ المسجدَ ، فرَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كأنَّه البدرُ ، وهو يقولُ : « ما مِنْ مُسْلِمٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُم صَلَّى صَلَاةً يَحْفَظُها وَيَعْقِلُها ؛ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ » . فقال لى عُمرُ : لَتَأْتِيَنِّى على هذا ببَيِّنَةٍ ، أو لَأُنَكِّلَنَّ بك . فشَهِد لى شيخُ قُرَيشٍ عثمانُ بنُ عفَّانَ ، فأجاز شَهادَتَه . ثُمَّ رَواه عن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ[2] ، عن محمدِ بنِ تَسْنِيمٍ[3] ، عن محمدِ بنِ خَلِيفَةَ ، عن [4]الحسنِ بنِ محمدٍ[4] ، عن أبيه قال : قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ لخُرَيمِ بنِ فاتِكٍ : حَدِّثْنى بحديثٍ يُعْجِبُنِى . فذَكَر مِثْلَ السِّياقِ الأوَّلِ سَواءً[1] .

وقال أبو نُعَيْمٍ[5] : حَدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ ، حَدَّثنا أبو عبدِ الملكِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ القُرَشِىُّ الدِّمَشْقِىُّ ، حَدَّثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنُ بنتِ شُرَحْبِيلٍ ، حَدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن يحيى بنِ أبى عَمرٍو الشَّيْبَانِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ ابن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المعجم الكبير (٤١٦٦) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٥١، بعد عزوه للطبرانى : وفيه من لم أعرفهم .

(٣) فى الأصل ، م : « تيم » . والمثبت من المعجم الكبير .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « محمد بن الحسن » . والمثبت من المعجم الكبير .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٦٩) .

الدَّيْلَمِيِّ قال : أتَى رجلٌ ابنَ عبَّاسٍ فقال : بَلَغَنا أنَّك تَذْكُرُ سَطِيحًا ، تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ خَلَقَه ، لم يَخْلُقْ مِن وَلَدِ آدَمَ شيئًا يُشْبِهُه ؟ قال : نعم ، إنَّ اللَّه خَلَق سَطِيحًا الغَسَّانِيَّ لحمًا على وَضَمٍ[1] ، ولم يَكُنْ فيه عَظْمٌ[2] ولا عَصَبٌ ، إلَّا الجُمجُمةُ والكَفَّانِ ، وكان يُطْوَى مِن رِجْلَيْه إلى تَرْقُوَتِه كما يُطوَى الثَّوبُ ، ولم يَكُنْ فيه شيءٌ يَتَحَرَّكُ إلَّا لسانُه ، فلمَّا أراد الخُرُوجَ إلى مكَّةَ ، حُمِل على وَضَمِه فأُتِى به مكةَ ، فخَرَجَ إليه أربعةٌ مِن قُرَيشٍ ؛ عبدُ شَمْسٍ ، وهاشمٌ ، ابنا عبدِ مَنافِ [٢/ ٥٧و] ابنِ قُصَيٍّ ، والأحْوَصُ بنُ فِهْرٍ ، وعَقِيلُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، فانْتَمَوْا إلى غيرِ نَسَبِهم ، وقالوا : نحن أُناسٌ مِن جُمَحَ أتَيْناك ؛ بَلَغَنا قُدُومُك ، فرَأَيْنا أنَّ إتْيانَنا إيَّاك حقٌّ لك واجبٌ علينا . وأهْدَى إليه عَقِيلٌ صَفِيحَةً هِندِيَّةً[3] ، وصَعْدَةً رُدَيْنِيَّةً[4] ، فوُضِعَتْ على بابِ البيتِ الحَرامِ لِيَنْظُرُوا ؛ أهل يَراها سَطِيحٌ أمْ لا . فقال : يا عَقِيلُ ، ناوِلْنِى يَدَك . فناوَلَه يَدَه ، فقال : يا عَقِيلُ ، والعالمِ الخَفِيَّةْ ، والغافِرِ الخَطِيَّةْ ، والذِّمَّةِ الوَفِيَّةِ ، والكعبةِ المَبْنِيَّةِ ، إنَّك لَجَاءٍ بالهَدِيَّةْ ؛ الصَّفِيحَةِ الهِندِيَّةْ ، والصَّعْدَةِ الرُّدَيْنِيَّةْ . قالوا : صَدَقْتَ يا سَطِيحُ . فقال : والآتِى بالفَرَحْ ، وقَوْسِ قُزَحْ ، وسائِرِ الفرحْ[5] ، واللَّطِيمِ[6] المُنْبَطِحْ ، والنَّخْلِ والرُّطَبِ والبَلَحْ ، إنَّ الغُرابَ حيثُ مَرَّ سَنَحْ ، فأخْبَرَ أنَّ القومَ ليسوا مِن جُمَحْ ، وأنَّ نَسَبَهم مِن قُرَيْشٍ

---

(١) الوَضَم : ما وَقَيْتَ به اللحمَ عن الأرضِ من خشَبٍ أو حصيرٍ .

(٢) فى الأصل : « لحما » .

(٣) الصفيحة الهندية : السيف العريض ، منسوب إلى الهند .

(٤) الصَّعْدَة : القناة . وهى الرُّمح الأجوف ، وقيل : القناة تنبُت مُسْتَوِيَة لا تحتاج إلى تثقيف . والرُّدَيْنِيَّة : نِسبَةٌ ؛ زعموا أنها منسوبة إلى امرأة السَّمْهَرِىّ تُسمَّى رُدَيْنَة ، وكانا يُقوِّمان القَنَا بخطٍّ هَجَرَ . اللسان (ر د ن) .

(٥) فى الدلائل : « القرح » .

(٦) اللَّطيم من الخيل ؛ الذى يأخُذ خَدَّيْه بياضٌ .

ذى البطحْ . قالوا : صَدَقْتَ يا سَطِيحُ ، نحن أهلُ البيتِ الحرامِ ، أتَيْناك لنَزُورَك ؛ لِمَا بَلَغَنا مِن عِلْمِك ، فأخْبِرْنا عمَّا يكونُ فى زمانِنا هذا ، وما يكونُ بعدَه فلعلَّ أن يكونَ عِندَك فى ذلك عِلْمٌ . قال : الآنَ صَدَقْتم ، خُذُوا مِنِّى ؛ مِن[1] إلهامِ اللَّهِ إيَّاىَ ؛ أنتم يا مَعْشَرَ العربِ فى زمانِ الهَرَمْ ، سواءٌ بَصائِرُكم وبصائرُ العَجَمْ ، لا عِلْمَ عِندَكم ولا فَهمْ ، ويَنْشَأُ[2] من عَقِبِكم [3]ذوُو فَهمْ[3] ، يَطْلُبُون أنواعَ العِلمْ ، فيَكسِرُون الصَّنَمْ ، ويَبْلُغُون[4] الرَّدمْ ، ويَقْتُلُون العجمْ ، يَطْلُبُون الغُنمْ . قالوا : يا سَطِيحُ ، فمَن يكونُ أولئك ؟ فقال لهم : والبيتِ ذِى الأرْكانِ ، والأَمْنِ والسكان ، لَيَنْشَؤُنَّ مِن عَقِبِكم وِلْدان ، يَكسِرُون الأوثان ، ويُنكِرُون عبادةَ الشَّيطان ، ويُوَحِّدُون الرحمن ، ويَنْشُرُون دِينَ الدَّيَّان ، يُشرِفُون البُنْيان ، [5]وَيْستَفْتُون الفِتْيان[5] . قالوا : يا سَطيحُ ، مِن نَسْلِ مَن يكونُ أولئِك ؟ قال : وأشْرَفِ الأشرافِ ، والمُفضِى[6] للإسراف[7] ، والمُزَعزِعِ الأحْقاف[8] ، والمُضعِفِ الأضعاف[9] ، لَيَنْشَؤُنَّ آلالاف ، مِن عبدِ شَمْسٍ وعبدِ مَناف ، نُشُوءًا يكونُ فيه اخْتِلاف . قالوا : يا سَوْأَتاهُ ، يا سَطِيحُ ، فما[10] تُخْبِرُنا مِن العلمِ بأمرِهم ، ومِن

---

(١) فى الأصل ، م : « ومن » .

(٢) فى الأصل : « وتنسوا » . وفى ص : « وينشر » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « دونهم » .

(٤) فى الدلائل : « ويتبعون » .

(٥ - ٥) فى الدلائل : « ويقتنون القيان » .

(٦) فى الأصل : « والعصى » .

(٧) فى م ، ص : « للإشراف » .

(٨) فى الأصل : « الأحفاف » . وفى الدلائل : « الأخفاف » .

(٩) فى م ، ص : « لاضعاف » . وفى الدلائل : « للأضعاف » .

(١٠) فى م ، ص : « مما » .

أيِّ بلدٍ يَخرُجُ أولئك؟ فقال: والباقِي الأبَدْ، والبالِغ الأمَدْ، ليَخْرُجَنَّ مِن ذا البلدْ، فتًى يَهدى إلى الرَّشَدْ، يَرْفُضُ يَغُوثَ والفندْ، يَبْرَأُ مِن عبادةِ الضِّدَدْ، يَعْبُدُ ربًّا انْفَرَدْ، ثُمَّ يَتَوَفَّاه اللَّهُ محمودًا، من الأرضِ مفقودًا، فى السماءِ مشهودًا، ثُمَّ يلِى أمْرَه الصِّدِّيقْ، إذا قَضَى صَدَقْ، وفى رَدِّ الحُقُوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِقْ[1]. ثُمَّ يَلِى أمَرَه الحَنِيف، مُجَرِّبٌ غِطْرِيف، ويَتْرُكُ قولَ العَنِيف، قد [2]ضافَ المضِيف[2]، وأحْكَمَ[3] التَّحْنِيف[4]. ثُمَّ يَلِى أمرَه داعيًا[5] لأمرِه مُجَرِّبًا، فيجْتَمِعُ له جُمُوعًا وعُصَبًا، فيَقْتُلُونَه نِقْمَةً عليه وغَضَبًا، فيُؤْخَذُ الشيخُ فيُذْبَحُ إرَبًا، فيَقُومُ به رجالٌ خطباءُ ثُمَّ يَلِى أمرَه النَّاصِرْ، يَخلِطُ الرَّأْىَ برَأْيِ النَّاكِرْ[6]، يُظهِرُ فى الأرضِ العَساكِرْ[7]، ثُمَّ يَلِى بعدَه ابنُه، يَأْخُذُ جمعَه ويقلُّ حَمْدُه، ويَأْخُذُ المالَ، ويَأْكُلُ[8] وحدَه، ويُكْثِرُ[9] المالَ لعَقِبِه[10] مِن بعدِه. ثُمَّ يَلِى مِن [11]بعدِه عِدَّةُ مُلوك، لا شَكَّ الدَّمُ فيهم مَسْفُوك[12]، ثُمَّ[11] يَلِى مِن بَعْدِهم الصُّعْلُوك

---

(١) خَرِق: من الخُرْق؛ وهو الحُمْق وعدم إحسان التصرف فى العمل والأمور. ونَزِق: من النَّزْق؛ وهو التقدُّم بخفَّةٍ والوثوب، أو الطيش عند الغضب.

(٢ - ٢) فى الأصل: «صاف الضيف». وفى ص: «صاف المصيف».

(٣) فى الدلائل: «وأكرم».

(٤) فى الأصل: «التخفيف». والتحنيف، يعنى به هنا: المَيْل إلى الخير.

(٥) فى الأصل: «دراعا».

(٦) فى م: «المناكر».

(٧) فى الدلائل: «الفساد».

(٨) فى الدلائل: «ويأكله».

(٩) فى الدلائل: «ويكنز».

(١٠) فى الأصل، م: «بعقبه».

(١١ - ١١) سقط من: الأصل.

(١٢) إلى هنا انتهى السياق عند أبى نعيم فى الدلائل، وقال: «وذَكَرَ القصة».

يَطْوِيهِم[1] كطَيِّ الدُّرْنُوك[2] ، [٢/٥٧ظ] ثُمَّ يَلِى مِن بعدِه عظهور ، يُقْصِى الخَلْقَ[3] ، ويُدْنِى مُضَرْ[4] يفْتَتِحُ الأرضَ افْتِتاحًا مُنكَرًا . ثُمَّ يَلِى قصيرُ القامَةْ ، بظَهْرِه عَلامةْ ، يَمُوتُ موتًا وسلامةْ . ثُمَّ يَلِى قليلًا باكرْ ، فيَتْرُكُ المُلْكَ بائرْ[5] ، ثُمَّ[6] يَلِى أخوه بسُنَّتِه سابرْ[7] ، يَخْتَصُّ بالأموالِ والمَنابِرْ ، ثُمَّ يَلِى مِن بعدِه أهْوَجْ ، صاحبُ دُنيا ونَعِيمٍ مُخْلِجْ ، يَتَشَاورُه[8] مَعاشِرُه وذَوُوه ، يَنْهَضُون إليه يَخْلَعُونَه بأخْذِ المُلكِ ويَقْتُلُونَه ، ثُمَّ يلى أمرَه مِن بعدِه[9] السابعْ ، يَتْرُكُ المُلْكَ مَحَلًّا[10] ضائِعْ ، بَنُوه فى مُلْكِه كالمشوهِ جائعْ[11] ، عندَ ذلك يَطْمَعُ فى المُلكِ كلُّ عُرْيان ، ويَلِى أمرَه اللَّهْفان . يُرضِى نِزارًا جَمْعُ قَحْطان ، إذا الْتَقَيا بدِمَشْقَ جَمْعان بينَ بُنْيانَ[12] ولُبنان ، يُصَنَّفُ اليمنُ يومَئذٍ صِنْفان ؛ صِنفُ المسرةِ[13] ، وصِنفُ المَخْذُول . لا تَرَى إلا حباءً محلول ، وأسيرًا مغلول ، بين القِرابِ

---

(١) فى الأصل : « يطاهم » . وفى ص : « يطؤهم » .

(٢) الدُّرنُوك : ضربٌ من الثِّياب أو البُسُط له خَمْلٌ قصير كخملِ المناديل . اللسان (درنك) .

(٣) فى الأصل ، م : « الحق » .

(٤) فى الأصل ، م : « مصر » .

(٥) فى الأصل : « ثاير » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ص : « ساير » .

(٨) فى الأصل : « يناوره » . وفى ص : « تشاوره » .

(٩) فى الأصل ، ص : « بعد » .

(١٠) فى الأصل : « نحلا » . وفى ص : « مخلا » .

(١١) فى م ، ص : « جامع » .

(١٢) بنيان : قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وبنيان أيضًا : رُسْتاق - وهو السَّوادُ - بين فارس وأصبهان وخوزستان . معجم البلدان ١/ ٧٤٨، ٧٤٩.

(١٣) فى م ، ص : « المشورة » .

والخُيُول ، عندَ ذلك تُخْرَبُ المَنازِلْ [1]وتُسْلَبُ الأرامِلْ[1] وتُسقِطُ الحَوامِلْ ، وتَظْهَرُ الزَّلازِلْ ، وتَطْلُبُ الخِلافَةَ وائِلْ ، فتَغْضَبُ نِزار ، فتُدْنِى العبيدَ والأشرار ، وتُقصِى الأمْثالَ والأخْيار ، وتَغْلُو الأسعار فى صَفَرِ الأصْفار ، يَغُلُّ[2] كُلُّ جبَّارٍ[3] منه ، ثُمَّ يَسِيرُون إلى خَنادِقَ وإنَّها ذاتُ أشعارٍ وأشجار ، تَصُدُّ[4] له الأنهار ، ويَهزِمُهم أوَّلَ النَّهار ، تَظْهَرُ الأخيار ، فلا يَنْفَعُهم نوْمٌ ولا قَرار ، حتى يَدْخُلَ مِصرًا مِن الأمصارِ ، فيُدْرِكَه القَضاءُ والأقْدار . ثُمَّ يَجِىءُ الرُّماة ، تَلُفُّ مُشاة ، لقَتْلِ الكُماة[5] ، وأسْرِ الحُماة . ومَهْلِكُ[6] الغُواة ، هنالك يُدْرَكُ فى أعْلَى المياه . ثُمَّ يبورُ الدِّينُ ، وتُقْلَبُ الأمور ، وتُكْفَرُ الزَّبُور ، وتُقْطَعُ الجُسُور ، فلا يُفلِتُ إلَّا مَن كان فى جزائِرِ البُحُور ، ثُمَّ تَبُورُ الحُبوب ، وتَظْهَرُ الأعارِيب ، ليس فيهم مُعِيب ، على أهلِ الفُسُوقِ والرِّيب ، فى زمانٍ عَصِيب ، لو كان للقومِ حَياءٌ ، وما تُغْنِى المُنَى . قالوا : ثُمَّ ماذا يا سَطِيحُ ؟ قال : ثُمَّ يَظْهَرُ رجُلٌ مِن أهلِ اليمنْ ، كالشَّطَنْ[7] ، يُذهِبُ اللَّهُ على رأسِه الفِتَنْ .

وهذا أثرٌ غريب كَتَبْناه لغَرابَتِه ، وما تَضَمَّن مِن الفتنِ والملاحمِ . وقد تَقَدَّم قِصَّةُ شِقٍّ وسَطيحٍ مع رَبِيعَةَ بنِ نَصْرٍ مَلِكِ اليمنِ[8] ، وكيف بَشَّرا بوجُودِ رسولِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « يقتل » .

(٣) فى م : « حيا » .

(٤) فى الأصل : « فصد » . وفى ص : « نضد » .

(٥) فى الأصل : « الحماة » . والكماة : جمع كَمِىٍّ ؛ وهو الشجاع أو لابس السلاح .

(٦) فى م ، ص : « وتهلك » .

(٧) الشَّطَن : يعنى به القوس . والشطن : الحبل الطويل الشديدُ الفَتْل ، يُستقَى به وتُشَدُّ به الخيل .

(٨) تقدم فى صفحة ١١٧ - ١٢١ .

اللَّهِ ﷺ، وكذلك تَقَدَّم قِصَّةُ سَطِيحٍ مع ابنِ أُخْتِه عبدِ المسيحِ[1]، حينَ أَرْسَلَه مَلِكُ بَنِى ساسانَ، لارْتِجاسِ الإِيوانِ، وخُمُودِ النِّيرانِ، ورؤيا المُوبَذَانِ[2]، وذلك ليلةَ مَولِدِ الذى نُسِخ بشَرِيعتِه سائِرُ الأدْيانِ.

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٩٦- ٣٩٨.

(٢) الموبذان: فقيه الفُرس وحاكم المجوس.

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ كيفَ[1] بَدَأَ الوَحْىُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، وذِكْرِ أولِ شىءٍ أُنْزِلَ عليه مِن القرآنِ العظيمِ

كان ذلك وله ﷺ مِن العُمْرِ أربعون سنةً، وحكَى ابنُ جَريرٍ[2]، عن ابنِ عبّاسٍ، وسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، أنَّه كان عُمْرُه إذ ذاك، ثلاثًا وأربعين سنةً.

قال البُخارِىُّ[3]: حدَّثَنا يَحْيى بنُ بُكَيْرٍ، حدَّثَنا الليثُ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أنَّها قالتْ: أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّادِقةُ[4] [٢/٥٨و] فى النومِ، فكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُم حُبِّبَ إليه الخَلَاءُ، فكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءَ فيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - الليالىَ ذواتِ العَددِ قبلَ أن يَنْزِعَ إلى أهلِه،

---

(١) فى ص: «كيفية».

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٩٢.

(٣) البخارى (٣، ٦٩٨٢).

(٤) فى الأصل: «الصالحة». وهو لفظ رواية البخارى فى بدء الوحى (٣).

ويتزوَّدُ لذلك ، ثُم يَرْجِعُ إلى خديجةَ فيتزوَّدُ لمثلِها ، حتى فَجِئَه[1] الحقُّ ، وهو فى غارِ حِراءَ ، فجاءَه المَلَكُ ، فقال : اقرأْ . فقال : « مَا أَنَا بقارِئٍ» . قال : « فَأَخَذَنِى فغَطَّنى حتَّى بَلَغَ مِنِّى الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : اقْرَأْ . فقلتُ : مَا أَنَا بقارِئٍ؛ فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثانيةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : اقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بقَارِئٍ. فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثَّالِثَةَ [2]حتّى بلَغ مِنِّى الجَهْدَ[2] ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[القلم: ١- ٥] » . فرَجَعَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَرْجُفُ فُؤَادُه[3] ، فدَخَل على خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، فقال : « زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى » . فزَمَّلُوه حتّى ذهَبَ عنه الرَّوْعُ ، فقال لخديجةَ ، وأخبَرَها الخبرَ : « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِى » . فقالتْ خديجةُ : [4]كَلَّا وَاللَّهِ[4] ، لَا يُخْزِيك اللَّهُ أبدًا ؛ إنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المعدومَ ، وتُعِينُ على نوائبِ الحقِّ . فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ به[5] وَرَقَةَ ابنَ نَوْفَلِ [6]بنِ أسدِ[6] بنِ عبدِ العُزَّى ، [7]ابنَ عَمِّ خديجةَ[7] ، وكان امْرَءًا[8] تَنَصَّرَ فى الجاهليَّةِ ، وكان يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرَانِىَّ ، فيَكْتُبُ مِن الإنجيلِ بالعِبرانيَّةِ ما

---

(١) فى الأصل ، م : « جاءه » . وهو لفظ رواية البخارى فى بدء الوحى (٣) .

(٢ - ٢) سقط من : ص . وهذا السقط يوافق لفظ رواية بدء الوحى .

(٣) كذا فى النسخ . وهو لفظ رواية بدء الوحى . وفى رواية التعبير : « بوادره » .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، وهو لفظ بدء الوحى . وفى التعبير : « كلا أبشر فوالله » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ ، وهو لفظ بدء الوحى . وفى التعبير : « وهو ابن عم خديجة أخو أبيها » .

(٨) بعده في الأصل ، م : « قد » .

شاءَ اللَّهُ أن يَكتُبَ ، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ ، فقالتْ له خديجةُ : يا بنَ عَمٍّ ! اسمَعْ مِن ابنِ أخيك . فقال له وَرقةُ : يا بنَ أخى ، ماذا تَرى ؟ فأخبَرَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خبرَ ما رَأَى ، فقال له وَرقةُ : هذا النَّاموسُ الذى كان نُزِّلَ[1] على موسى ، يا ليتَنى فيها جَذَعًا ، ليتَنى أكونُ حيًّا إذ يُخرِجُك قومُك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَ مُخْرِجِيَّ هم ؟ » فقال : نعم ، لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودِيَ . وإن يُدْرِكْنى يومُك أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا . ثُم لم يَنْشَبْ وَرقةُ أن تُوُفِّيَ ، وَفَتَرَ الوحيُ فَتْرةً حتى حَزِن رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغَنا ، حُزْنًا غَدَا منه مِرارًا كى يَتَرَدَّى مِن رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبالِ ، فكُلَّما أَوْفَى بذِرْوةِ جَبلٍ لكى يُلْقِيَ نفسَه تَبَدَّى له جبريلُ ، فقال : يا محمدُ ، إنَّك رسولُ اللَّهِ حقًّا . فيَسْكُنُ لذلك جَأْشُه ، وتَقَرُّ نفسُه ، فيَرْجِعُ ، فإذا طالتْ عليه فَتْرةُ الوحْيِ غَدَا لمِثْلِ ذلك[2] ، فإذا أَوْفَى بذِرْوةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جبريلُ ، فقال له مِثلَ ذلك . هكذا وقَع مُطَوَّلًا فى بابِ التعبيرِ مِن « البخاريِّ »[3] . قال ابنُ شِهابٍ[4] : وأخبَرَنى أبو سَلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أنَّ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنصاريَّ قال - وهو يُحَدِّثُ عن فَتْرةِ الوحْيِ فقال فى حديثِه - : « بَيْنَا أَنَا أَمْشِى إذ سمِعْتُ صَوْتًا مِن السَّماءِ ، فرفَعْتُ

---

(١) فى الأصل ، م : « ينزل » . فى بدء الوحى : « نزَّل اللَّه » . وفى التعبير : « أنزل » .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « قال » .

(٣) هذه الجملة تشعر بأن المصنف - رحمه اللَّه - ساق هذه الرواية من كتاب التعبير ، لذا قمنا بفرق النسخ على هذه الرواية ، وأثبتنا ما يوافقها ، وأما ما اجتمعت عليه النسخ ويخالف رواية كتاب التعبير فأثبتناه وأشرنا إلى بعضه فى الحواشى ، ولم نستقص لعدم إثقال الكتاب بالحواشى ، ولا نظن أن المصنف أراد دمج روايتى بدء الوحى والتعبير فهذا ليس صنيعه ، ولا سيما حافظ مثله ، ولكن لا نكاد نجزم - بما لدينا من نسخ خطية والمطبوعة - أن هذه رواية بدء الوحى أو التعبير . وسياق ورود الروايات والمتابعات الآتية فى النص تشعر بأنه أراد إثبات رواية بدء الوحى . فاللَّه أعلم .

(٤) البخارى (٤) .

بَصَرِى ، فإذا المَلَكُ الذى جاءنى بحِراءَ جَالسٌ على كُرْسِىٍّ بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، [٢/٥٨ظ] فرُعِبْتُ منه ، فرجَعْتُ ، فقُلْتُ : زَمِّلُونى ، زَمِّلُونى . فأنزَلَ اللَّهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١- ٥] . فَحَمِىَ الوحىُ وتَتَابَعَ » . ثم قال البُخَارىُّ[(١)] : تابعَه عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ ، وأبو صالحٍ ، يَعْنِى عن اللَّيْثِ ، وتابعَه هلالُ بنُ ردَّادٍ[(٢)] ، عن الزُّهْرِىِّ . وقال يُونُسُ ومَعْمَرٌ[(٣)] : بَوادِرُه . وهذا الحديثُ قد روَاه الإمامُ البخارىُّ[(٤)] ، رَحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه فى مواضعَ منه ، وتكلَّمْنا عليه مُطَوَّلًا فى أولِ شرحِ البخارىِّ ، فى كتابِ بَدْءِ الوَحْيِ[(٥)] ، إسنادًا ومَتْنًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وأخرَجَه مسلمٌ[(٦)] فى صحيحِه مِن حديثِ اللَّيْثِ به ، ومِن طريقِ يُونُسَ ومَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، كما عَلَّقَه البخارىُّ[(٣)] عنهما ، وقد رَمَزْنا فى الحواشى على زياداتِ مسلمٍ ورواياتِه . وللَّهِ الحمدُ ، وانتهى سِياقُه إلى قولِ وَرقةَ : أنصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا .

---

(١) متابعة عبد اللَّه بن يوسف أسندها فى أحاديث الأنبياء (٣٣٩٢) ، والتفسير (٤٩٢٦) . وانظر تغليق التعليق ٢/ ١٦. ومتابعة عبد اللَّه بن صالح أبى صالح ، وهلال بن رداد ، أسندهما الحافظ فى تغليق التعليق ٢/ ١٦، ١٧.

(٢) فى م : « داود » . انظر تهذيب الكمال ١١/ ٧٨.

(٣) رواية يونس فى التفسير (٤٩٥٣) . ورواية معمر فى التفسير (٤٩٥٦) ، والتعبير (٦٩٨٢) .

(٤) البخارى (٣، ٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٣ - ٤٩٥٥، ٦٢١٤، ٦٩٨٢) .

(٥) هذه إشارة إلى أن للمصنف رحمه اللَّه شرحا لصحيح البخارى ، ولكنه لم يكمله . انظر شذرات الذهب ٦/ ٣٣١.

(٦) مسلم (١٦٠) .

فقولُ أمِّ المؤمنين عائشةَ : أولُ ما بُدِئَ به مِن الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّالحةُ ، فكان لا يَرَى رُؤْيا إلا جاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . يُقَوِّى ما ذكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ[1] ابنِ يَسارٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ[2] اللَّيْثِىِّ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « فجاءنى جبريلُ وأنا نائمٌ بنَمَطٍ[3] مِن دِيباجٍ فيه كتابٌ ، فقال : اقرَأْ . فقلتُ : ما أَقرَأُ ؟ فغَتَّنى[4] ، حتى ظننتُ أنَّه الموتُ ، ثم أَرْسَلَنِى » . وذكَر نحوَ حديثِ عائشةَ سواءً . فكان هذا كالتَّوْطِئَةِ لِمَا يأتِى بعدَه مِن اليَقَظَةِ ، وقد جاء مُصَرَّحًا بهذا فى مغازِى مُوسى بنِ عُقْبةَ ، عن الزُّهْرِىِّ أنَّه رأَى ذلك فى المنامِ ، ثُم جاءه المَلَكُ فى اليَقَظةِ[5] .

وقد قال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ الأصْبهانِىُّ[6] فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » : حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا مِنْجابُ[7] بنُ الحارثِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ الأجْلَحِ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقمةَ بنِ قيسٍ ، قال : إنَّ أولَ ما يُؤْتَى به الأنبياءُ فى المنامِ حتى تَهْدَأَ قلوبُهم ، ثم يَنْزِلُ الوحىُ بعدُ . وهذا مِن قِبَلِ عَلْقَمةَ بنِ قَيْسٍ نَفْسِه ، وهو كلامٌ حَسَنٌ يُؤَيِّدُه ما قَبْلَه ، ويؤيِّدُه ما بَعْدَه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٦.

(٢) فى الأصل ، م : « عمر » . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٣.

(٣) النمط : ضرب من البسط له خمل رقيق . النهاية لابن الأثير ٥/ ١١٩. والقاموس المحيط (ن م ط) .

(٤) غَتَّنى : ضغطنى ضغطا شديدا . الوسيط (غ ت ت) .

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٠. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٤٢.

(٦) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ٩٣. إلى أبى نعيم .

(٧) فى م : « جناب » . وفى ص : « خباب » . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٧٩.

ذِكْرُ[1] عُمْرِه ﷺ، وقتَ بِعْثَتِه، وتاريخِها

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا محمدُ بنُ أبى عَدِىٍّ، عن داودَ بنِ أبى هِندٍ، عن عامرٍ الشَّعْبىِّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، نزَلَتْ عليه النبوَّةُ وهو ابنُ أربعينَ سنَةً، فقُرِنَ بنُبُوَّتِه إسْرافِيلُ ثلاثَ سنين، فكان يُعَلِّمُه الكلمةَ والشىءَ، ولم يَنزِلِ القرآنُ، فلمَّا مضتْ ثلاثُ سنين قُرِنَ بنبوَّتِه جبريلُ، فنَزَلَ القرآنُ على لسانِه عشرين سنَةً؛ عشْرًا بمكةَ، وعشْرًا بالمدينةِ، فمات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنَةً. فهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الشَّعْبِىِّ، وهو يَقتضِى أنَّ إسرافيلَ قُرِنَ معه بعدَ الأربعين ثلاثَ سنين، ثُم جاءه جبريلُ.

وأمّا الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شَامةَ[3]، فإنَّه قد قال: وحديثُ عائشةَ لا يُنافِى هذا، فإنَّه يَجوزُ أن يكونَ أولَ أمرِه الرُؤْيا، ثم وُكِلَ به إسرافيلُ فى تلك المدةِ التى كان يَخْلُو فيها بِحِراءَ، فكان يُلْقِى إليه الكلمةَ [٢/ ٥٩و] بسُرْعةٍ، ولا يُقيمُ معه؛ تدريجًا وتمرينًا إلى أنْ جاءه جبريلُ، فعلَّمَه بعدَما غطَّه ثلاثَ مراتٍ. فحكَتْ عائشةُ ما جرى له مع جبريلَ، ولم تَحْكِ ما جرى له مع إسرافيلَ اختصارًا للحديثِ، أو لم تكنْ وقَفتْ على قصةِ إسرافيلَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يَحْيى عن[5] هِشامٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ٩٣. إلى الإمام أحمد فى تاريخه.

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٠٩.

(٤) المسند ١/ ٢٢٨. (إسناده صحيح).

(٥) فى النسخ: «بن». وهو خطأ. والمثبت من المسند.

عبّاسٍ: أُنْزِلَ على النبيِّ ﷺ، وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين، فمَكَثَ بمكةَ عشْرًا، وبالمدينةِ عشْرًا، وماتَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين. وهكذا روَى يَحْيَى بنُ سعيدٍ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ[1]، ثُم روَى أحمدُ[2]، عن غُنْدَرٍ، ويزيدَ بنِ هارونَ، كلاهما عن هِشامٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأُنزِلَ عليه القرآنُ وهو ابنُ أربعين سنَةً، فمكَثَ بمكةَ ثلاثَ عشْرةَ سنَةً، وبالمدينةِ عشْرَ سِنِينَ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّين سنةً.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثَنا عفَّانُ، حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، أنبأَنا عمارُ بنُ أبى عمَّارٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: أقامَ النبيُّ ﷺ بمكةَ خَمْسَ عشْرةَ سنةً؛ سبعَ سنين يَرَى الضَّوْءَ، ويَسْمَعُ الصَّوتَ، وثمانىَ سِنينَ يُوحَى إليه، وأقامَ بالمدينةِ عشْرَ سنين.

قال أبو شامَةَ: وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ، يَرَى عجائبَ قبلَ بِعْثَتِه؛ فمِن ذلك ما فى «صحيحِ مسلمٍ»[4] عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى لَأَعْرِفُ حَجَرًا بمكةَ كان يُسَلِّمُ علىَّ قبلَ أنْ أُبْعَثَ، إنِّى لَأَعْرِفُه الآنَ». انتهى كلامُه.

وإنَّما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ، يُحِبُّ الخَلَاءَ والانفِرادَ عن قومِه؛ لِمَا يَرَاهم عليه مِن الضلالِ المبينِ؛ مِن عِبادَةِ الأوثانِ، والسجودِ للأصنامِ، وقَوِيَت مَحَبَّتُه

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٢٩٢، عن يحيى بن سعيد، وسعيد بن المسيب.

(٢) المسند ١/ ٢٣٦، ٢٤٩. (إسناده صحيح).

(٣) المسند ١/ ٢٧٩. (إسناده صحيح).

(٤) مسلم (٢٢٧٧).

للخَلْوَةِ عندَ مُقارَبَةِ إيحاءِ اللَّهِ إليه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه.

وقد ذَكَرَ محمدُ بنُ إسحاقَ[1]، عن عبدِ الملِكِ [2]بنِ عبدِ[3] اللَّهِ[2] بنِ أبى سُفْيانَ بنِ العلاءِ بنِ جاريةَ[4]، قال: وكان واعيةً[5]، عن بعضِ أهلِ العلمِ، قال: وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ، يَخْرُجُ إلى حِراءَ، فى كلِّ عامٍ شَهْرًا مِن السنةِ، يَتَنَسَّكُ فيه - وكان مِن نُسُكِ قُرَيْشٍ فى الجاهليةِ - يُطْعِمُ مَن جاءه مِن المساكينِ، حتى إذا انصرَفَ مِن مُجاوَرَتِه[6]، لم يَدْخُلْ بيتَه حتّى يطوفَ بالكعبةِ. وهكذا رَوَى[7] عن[8] وَهْبِ بنِ كَيْسَانَ أنه سَمِعَ عُبيدَ بنَ عُمَيْرٍ، يُحَدِّثُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ مثلَ ذلك. وهذا يَدُلُّ على أنَّ هذا كان مِن عادةِ المُتَعَبِّدِينَ فى قُرَيْشٍ؛ أنَّهم يُجاوِرُونَ فى حِراءَ للعِبادةِ. ولهذا قال أبو طالبٍ فى قصيدتِه المشهورةِ[9]:

وَثَوْرٍ ومَنْ أرْسَى ثَبِيرًا مَكانَهُ ... ورَاقٍ لبِرٍّ[10] فى حِراءٍ ونَازِلِ

هكذا صَوْبُه، على روايةِ هذا البيتِ، كما ذكرَه السُّهَيْلِيُّ[11]، وأبو شَامَةَ،

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٠، ١٠١.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) كذا فى م، ص، وسيرة ابن إسحاق. وفى سيرة ابن هشام: «عبيد».

(٤) فى النسخ: «حارثة». والمثبت من سيرة ابن إسحاق. وانظر الإكمال ٢/ ٦.

(٥) واعية: حافظا.

(٦) فى ص: «مهاجرته».

(٧) أى ابن إسحاق. انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٨) سقط من: ص.

(٩) الروض الأنف ٣/ ٩٠. وستأتى القصيدة كاملة فى ١٣٥- ١٤٢.

(١٠) فى م، ص: «ليرقى». وهو لفظ رواية ابن هشام فى السيرة ١/ ٢٣٥.

(١١) الروض الأنف ٣/ ٩٠.

وشيخُنا الحافظُ [٢/٥٩ظ] أبو الحَجَّاجِ المِزِّىُّ ، رحِمَهم اللَّهُ . وقد تصحَّفَ على بعضِ الرُّواةِ ، فقال[١] فيه :

* وراقٍ لِيَرْقَى فى حِراءٍ[٢] ونازلِ *

وهذا رَكيكٌ ومخالفٌ للصوابِ . واللَّهُ أعلمُ .

وحِرَاءُ ، يُقْصَرُ ويُمَدُّ ، ويُصْرَفُ ويُمْنَعُ ، وهو جَبَلٌ بأعلى مكةَ على ثلاثِ أميالٍ منها ، عن يَسَارِ المارِّ إلى [٣]مِنًى ، له[٣] قُلَّةٌ[٤] مُشْرِفةٌ على الكعبةِ مُنْحَنِيةٌ ، والغارُ فى تلك الحَنْيةِ . وما أحسنَ ما قال رُؤْبةُ بنُ العَجَّاجِ[٥] :

فَلَا ورَبِّ الآمِناتِ[٦] القُطَّنِ ورَبِّ رُكْنٍ مِن حِراءٍ مُنْحَنِى

وقولُه فى الحديثِ : والتحنُّثُ التعبُّدُ . تفسيرٌ بالمعنى ، وإلا فحقيقةُ التحنُّثِ مِنْ حيثُ[٧] البِنْيَةُ ، فيما قاله السُّهَيْلِىُّ[٨] ، الدخولُ فى الحِنْثِ ، ولكن سُمِعَتْ ألفاظٌ قليلةٌ فى اللغةِ ، معناها الخروجُ مِن ذلك الشىءِ ، فتَحنَّث أى خَرَجَ مِن الحِنْثِ ، وتحوَّبَ[٩] وتَحَرَّجَ وتأَثَّمَ ، وتهجَّدَ و[١٠] هو تَرْكُ الهُجُودِ ، وهو النومُ

---

(١) أى ابن هشام أو زياد . وانظر كلام السهيلى فى الروض . وخزانة الأدب ٢/ ٦١.

(٢) فى الأصل ، م : « حر » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) القلة : قلة كل شىء قمته وأعلاه . الوسيط (ق ل ل) .

(٥) ديوان رؤبة ص ١٦٣.

(٦) فى الأصل : « الآمنا » .

(٧) فى الأصل ، م : « حنث » .

(٨) الروض الأنف ٢/ ٣٩٠.

(٩) فى الأصل : « تموت » . وتحوب : ترك الحوب وهو الإثم . الوسيط (ح و ب) .

(١٠) زيادة من : ص .

لِلصلاةِ ، وتَنجَّسَ ، وتَقذَّرَ . أوردَهَا أبو شامةَ . وقد سُئِلَ ابنُ الأَعْرابيِّ عن قولِه : يتَحنَّثُ أى يتعبَّدُ . فقال : لا أَعرِفُ هذا ، إنما هو يتحنَّفُ ، مِن الحَنِيفِيَّةِ دِينِ إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ . قال ابنُ هِشامٍ[1] : والعربُ تَقُولُ : التَّحَنُّثُ ، والتحنُّفُ . يُبْدِلُونَ الفاءَ مِن الثَّاءِ ، كما قالوا : جدَثَ[2] وجدَفَ[3] . كما قال رُؤْبَةُ[4] :

* لو كان أَحْجارى مع الأجدافِ[5] *

يُرِيدُ الأجداثَ . قال[6] : وحدَّثَنى أبو عُبَيْدَةَ أنَّ العربَ تَقولُ : « فُمَّ » . فى مَوضِعِ « ثُمَّ » . قُلْت : ومِن ذلك قولُ بعضِ المفسِّرين [7]فى قولِه تعالى[7] : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ [البقرة : ٦١] أنَّ المرادَ ثُومُها .

وقد اختلَفَ العلماءُ فى تَعبُّدِه عليه السَّلامُ ، قبلَ البِعْثَةِ ، هل كان على شَرعٍ أمْ لا ؟ وما ذلك الشَّرْعُ ؟ فقيل : شَرْعُ نوحٍ . وقيل : شَرْعُ إبراهيمَ . وهو الأَشْبَهُ الأَقْوى . وقيل : موسى . وقيل : عيسى . وقيل : كلُّ ما ثبَتَ أنَّه شَرْعٌ عندَه اتَّبَعَه وعمِلَ به . ولبَسْطِ هذه الأقوالِ ومناسباتِها مَواضِعُ أُخَرُ فى أصولِ الفقهِ[8] . واللَّهُ أعلمُ .

وقولُه : حتى فَجِئَه الحقُّ وهو بغارِ حِراءَ . أى جاءَ بَغْتةً على غيرِ مَوْعِدٍ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٥.

(٢) فى م ، ص : « جدف » .

(٣) فى النسخ : « جذف » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) ديوان رؤبة ص ١٠٠

(٥) فى النسخ : « الأحذاف » . والمثبت من الديوان .

(٦) السيرة لابن هشام ١/ ٢٣٦.

(٧ - ٧) زيادة من : ص .

(٨) انظر العدة فى أصول الفقه لأبى يعلى ٧٥٣/٣ وما بعدها .

كما قالَ تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ الآيةَ [القصص: ٨٦]. وقد كان نزولُ صَدْرِ هذه السورةِ الكريمةِ، وهى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وهى أولُ ما نزَلَ مِن القرآنِ - كما قَرَّرْنا ذلك فى «التفسيرِ»[1]، وكما سيأتى أيضًا - فى يومِ الاثنَيْنِ، كما ثبتَ فى «صحيحِ مسلمٍ»[2] عن أبى قَتادَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عن صومِ يومِ الاثنَيْنِ، فقال: «ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه، ويومٌ أُنزِلَ علىَّ فيه».

وقال ابنُ عباسٍ[3]: وُلِدَ نَبِيُّكم محمدٌ ﷺ، يومَ الاثنين، ونُبِّئَ يومَ الاثنين. وهكذا قال عُبَيْدُ بنُ عُمَيرٍ، وأبو جعفرٍ البَاقِرُ، وغيرُ واحدٍ مِن العلماءِ، أنَّه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أُوحِىَ إليه يومَ الاثنين، وهذا ما لا خلافَ فيه بينَهم.

ثُم قيل: كان ذلك فى شهرِ ربيعٍ الأولِ [٢/٦٠و] كما تقدَّمَ[4] عن ابنِ عباسٍ وجابرٍ أنَّه وُلِدَ، عليه السَّلامُ، فى الثانى عشَرَ مِن ربيعٍ الأولِ يومَ الاثنَيْنِ، وفيه بُعِثَ، وفيه عُرِجَ به إلى السَّماءِ. والمشهورُ أنه بُعِثَ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فى شهرِ رمضانَ. كما نصَّ على ذلك عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ[5] وغيرُهما. قال ابنُ إسحاقَ[6] مُستدِلًّا على ذلك بما قال اللَّهُ تعالى:

---

(١) التفسير ٨/ ٤٥٩.

(٢) مسلم (١١٦٢).

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٩٣.

(٤) تقدم ٣/ ٣٧٥.

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٩. وتاريخ الطبرى ٢/ ٣٠٠.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٩، ٢٤٠.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فقيل: فى ثانى[(١)] عشْرِه. وروَى الوَاقِدِىُّ[(٢)] بسَنَدِه، عن أبى جَعْفَرٍ البَاقِرِ، أنَّه قال: كان ابتداءُ الوَحْيِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، يومَ الاثنين، لسَبْعَ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ. وقيل: فى الرابعِ والعشرينَ منه.

قال الإمامُ أحمدُ[(٣)]: حدَّثَنا أبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ، حدَّثَنا عِمْرَانُ أبو العَوَّامِ، عن[(٤)] قَتادَةَ، عن أبى المُلَيْحِ، عن واثلةَ بنِ الأَسْقَعِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ فى أولِ ليلةٍ مِن رمضانَ، وأُنْزِلَتِ التوراةُ لستٍّ مَضَيْنَ مِن رمضانَ، والإنجيلُ لثلاثَ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ، وأُنْزِلَ القرآنُ لأربعٍ وعِشْرين خَلَتْ مِن رمضانَ». وروَى ابنُ مَرْدَوَيْهِ[(٥)] فى «تفسيرِه» عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ مرفوعًا نحوَه، ولهذا ذهَبَ جماعةٌ مِن الصحابةِ والتابعين، إلى أنَّ ليلةَ القَدْرِ ليلةُ أربعٍ وعِشرين.

وأمّا قولُ جِبريلَ: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئٍ». فالصحيحُ أنَّ قولَه: «ما أنا بقارئٍ» نَفْىٌ، أى لَسْتُ ممَّن يُحْسِنُ القراءةَ. وممَّن رَجَّحَه النَّوَوِىُّ، وقَبْلَه الشيخُ أبو شامةَ، ومَن قال: إنَّها استفهاميةٌ. فقولُه بعيدٌ؛ لأنَّ الباءَ لا تُزَادُ[(٦)] فى الإثباتِ. ويُؤَيِّدُ الأولَ روايةُ أبى نُعَيْمٍ[(٧)] مِن حديثِ المُعْتَمِرِ بنِ سُليمانَ، عن

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٩٤، عن الواقدى به.

(٣) المسند ٤/ ١٠٧. (السلسلة الصحيحة ١٥٧٥).

(٤) بعده فى الأصل: «أبى».

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٨٩. إلى ابن مردويه عن جابر موقوفا عليه.

(٦) بعده فى الأصل: «إلا».

(٧) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٢، ٧٦٣، عن المعتمر به.

أبيه : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو خائفٌ يُرْعَدُ : « ما قرَأْتُ كتابًا قطُّ ، ولا أُحْسِنُه ، وما أكتُبُ وما أقْرَأُ » . فأخذَه جبريلُ فَغَتَّه غتًّا شديدًا ثُم ترَكَه ، فقال له : اقرَأْ . فقال محمدٌ ﷺ : « ما أرى شيئًا أَقْرَأُه ، وما أقْرَأُ ، وما أكتُبُ » يُرْوَى : « فغطَّنى » ، كما فى « الصحيحين »[1] . و « غَتَّنى » . ويُرْوَى : « قد غَتَّنى »[2] أى خنقَنى . « حتّى بلَغَ منى الجَهْدَ » يُرْوَى بضَمِّ الجيمِ ، وفَتْحِها ، وبالنَّصْبِ ، وبالرَّفْعِ ، وفَعَلَ به ذلك ثلاثًا .

قال أبو سُليمانَ الخَطَّابِىُّ : وإنما فعَلَ ذلك به ؛ ليَبْلُوَ صبْرَه ، ويُحسنَ تأديبَه ؛ فيَرْتاضَ لاحتمالِ ما كَلَّفَه به مِن أعباءِ النبوةِ ، ولذلك كان يَعْتَرِيه مثلُ حالِ المحمومِ ، وتَأْخُذُه الرُّحَضَاءُ ؛ أى البُهْرُ[3] والعرَقُ . وقال غيرُه : إنما فعَلَ ذلك لأمورٍ منها ؛ أنْ يَسْتَيْقِظَ لعَظَمةِ ما يُلْقَى إليه ، بعدَ هذا الصَّنيعِ المُشِقِّ على النفوسِ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ، ولهذا كان ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إذا جاءه الوَحْىُ ، يَحْمَرُّ وجهُه ويَغِطُّ ، كما يَغِطُّ البَكْرُ[4] من الإبِلِ ، ويَتَفَصَّدُ جبينُه عرَقًا ، فى[5] اليومِ الشديدِ [٢/ ٦٠ظ] البردِ .

وقولُه : فرجَعَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى خديجةَ يَرْجُفُ فؤادُه . وفى

---

(١) البخارى (٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢) ، ومسلم (١٦٠) .

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٩٨ .

(٣) البهر : تتابع النفَس من الإعياء . الوسيط (ب هـ ر) .

(٤) غَطَّ : ردَّد النفس فى خياشيمه . الوسيط (غ ط ط) . والبَكر : الفتى من الإبل . الوسيط (ب ك ر) .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « مثل » .

روايةٍ[1] : بوادرُه . جمعُ بادرةٍ . قال أبو عُبَيْدٍ[2] : وهى لَحْمةٌ بينَ المَنْكِبِ[3] والعُنُقِ . وقال غيرُه : هى عُروقٌ تَضْطَرِبُ عندَ الفَزَعِ . وفى بعضِ الرواياتِ : تَرْجُفُ بآدِلُه . واحدتُها بادلةٌ . وقيل : بادلٌ ، وهو : ما بينَ العُنُقِ والتَّرْقُوَةِ . وقيل : أصلُ الثَّدْيِ . وقيل : لَحْمُ الثَّدْيَيْنِ . وقيل غيرُ ذلك .

فقال : « زمِّلونى زمِّلونى » . فلمّا ذهَبَ عنه الرَّوْعُ ، قال لخديجةَ : « ما لى ؟ أىُّ شىءٍ عرَضَ لى ؟ » وأخبَرَهَا ما كان مِن الأمرِ ، ثُم قال : « لقد خشِيتُ على نَفْسى » . وذلك لأنَّه شاهَدَ أمرًا لم يَعْهَدْه قبلَ ذلك ، ولا كان فى خَلَدِه[4] . ولهذا قالت خديجةُ : أَبْشِرْ ، كلّا واللَّهِ ، لا يُخْزِيك اللَّهُ أبدًا . قيل : مِن الخِزْيِ . وقيل : مِن الحُزْنِ . وهذا لعِلْمِها - بما أَجْرَى اللَّهُ به جميلَ العوائدِ فى خَلْقِه - أنَّ مَنْ كان مُتَّصِفًا بصفاتِ الخيرِ لا يُخْزَى فى الدُّنيا ولا فى الآخرةِ ، ثُم ذكَرَتْ له مِنْ صفاتِه الجَليلةِ[5] ، ما كان مِنْ سَجاياه الحسَنةِ ، فقالتْ : إنَّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ - وقد كان مشهورًا بذلك ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، عندَ المُوَافِقِ والمُفارِقِ - وتَحْمِلُ الكَلَّ . أى عن غيرِك ، تُعْطِى صاحبَ العَيْلَةِ ما يُرِيحُه مِن ثِقَلِ مُؤْنَةِ عِيالِه ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ . أى تَسْبِقُ إلى فعْلِ الخَيْرِ ، فتُبادِرُ إلى إعطاءِ الفقيرِ ، فَتَكْسَبُ حَسَنَتَه قبلَ غيرِك ، ويُسَمَّى الفقيرُ

---

(١) البخارى (٤٩٥٣) .

(٢) فى النسخ : « عبيدة » . وهو خطأ . وتفسيره فى كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام ونقل كلامه النووى فى شرح مسلم ٢/ ٢٠٠ .

(٣) فى الأصل : « الكتف » .

(٤) الخلد : البال والنفس .

(٥) فى الأصل : « الجميلة » .

مَعْدُومًا ؛ لأنَّ حياتَه ناقصةٌ ، فوجودُه وعدمُه سَوَاءٌ ، كما قال بعضُهم[1] :

ليسَ مَن ماتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحياءِ

وقال أبو الحسنِ التِّهاميُّ[2] ، فيما نقَلَه عنه القاضى عِياضٌ فى « شَرْحِ مُسْلِمٍ » :

عُدَّ ذا الفقرِ مَيِّتًا وكِسَاهُ كَفَنًا باليًا ومأواه قَبْرَا

وقال الخَطَّابِيُّ[3] : الصوابُ : وتُكْسِبُ المُعْدَمَ[4] . أى تَبْذُلُ إليه ، أو يَكونُ [5] وتُكْسب المعدوم[5] : تُعْطِيهِ مالًا يَعيشُ به . واختار شيخُنا الحافظُ أبو الحَجَّاجِ المِزِّيُّ أنَّ المُرادَ بالمعدومِ هـهنا المالُ المُعْطَى ، أى يُعْطِى المالَ لمَن هو عادِمُه . ومَن قال : إنَّ المرادَ أنَّك تَكْسَبُ بالتِّجارِك المالَ المعدومَ ، أو النفيسَ القليلَ النظيرِ ، فقد أبعد النُّجْعةَ ، وأغرَقَ فى النَّزْعِ ، وتكلَّفَ ما ليس له به عِلْمٌ ؛ فإنَّ مِثْلَ هذا لا يُمْدَحُ به غالبًا ، وقد ضَعَّفَ هذا القولَ عِياضٌ والنَّوَوِيُّ[6] وغيرُهما . واللَّهُ أعلمُ .

وتَقْرِى الضَّيْفَ . أى تُكْرِمُه فى تقديمِ قِراهُ ، وإحسانِ مأْواه ، وتعِينُ عَلَى نَوائِبِ الحقِّ . ويُرْوَى : الخَيْرِ ، أى ؛ إذا وقَعَتْ نائبةٌ لأحدٍ فى خيرٍ أعَنْتَ فيها ، وقمتَ مع صاحبِها حتَّى يَجِدَ سِدَادًا مِن عَيْشٍ أو قَوامًا مِن عَيْشٍ .

وقولُه : ثُم أَخَذَتْه فانْطَلَقَتْ به إلى ابنِ عمِّها وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ ، وكانَ شَيْخًا

---

(١) البيت لعدى بن الرعلاء، وهو فى « تهذيب الألفاظ » لابن السكيت ٤٤٨، و« أمالى ابن الشجرى » ١/ ١٥٢.

(٢) ديوان أبى الحسن التهامى ص ٣٧.

(٣) انظر فتح البارى ١/ ٢٤.

(٤) فى فتح البارى : المعدم بلا واو.

(٥ - ٥) فى م « تلبس العدم » .

(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٢٠١.

[٢/ ٦١و] كبيرًا قَدْ عَمِيَ . وقد قدَّمْنا[1] طَرَفًا مِن خبرِه مع ذِكْرِ زَيْدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، رحِمَه اللَّهُ ، وأنَّه كان مِمَّن تَنَصَّرَ فى الجاهليةِ ، ففارَقَهم وارتحَلَ إلى الشامِ ، هو وزيدُ بنُ عَمرٍو ، وعثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ ، وعُبيدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ، فتَنَصَّرُوا كلُّهم ؛ لأنَّهم وجَدُوه أَقْرَبَ الأديانِ ، إذ ذاك ، إلى الحقِّ ، إلَّا زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، فإنَّه رأَى فيه دَخَلًا وتَخْبِيطًا وتَبْدِيلًا وتَحْرِيفًا وتَأْوِيلًا ، فأبَتْ فِطْرَتُه الدُّخولَ فيه أيضًا ، وبَشَّروه الأحبارُ والرهبانُ بوجودِ نَبِيٍّ ، قد أَزِفَ زَمانُه واقترَبَ أوانُه ، فرجَعَ يَتَطَلَّبُ ذلك ، واستمرَّ على فِطْرَتِه وتَوْحيدِه ، لكن اخْتَرَمَتْه المَنِيَّةُ قبلَ البِعْثَةِ المحمديّةِ ، وأَدْرَكَها[2] ورقةُ بنُ نَوْفلٍ ، وكان يَتَوَسَّمُها فى رسولِ اللَّهِ ﷺ كما قدَّمْنا[3] ، بما كانتْ خديجةُ تَنْعَتُه له وتَصِفُه له ، وما هو مُنْطَوٍ عليه مِن الصِّفاتِ الطاهرةِ الجميلةِ ، وما ظَهَرَ عليه مِن الدلائلِ والآياتِ ، ولهذا لمَّا وَقَعَ ما وقَع ، أخذَتْ بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وجاءتْ به إليه ، فوقَفَتْ به عليه ، وقالتْ : ابنَ عمِّ ، اسمَعْ مِن ابنِ أخيك . فلمَّا قَصَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ خبرَ ما رأَى ، قال وَرَقَةُ : سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ ، هذا النَّاموسُ الذى أُنْزِلَ على موسَى . ولم يَذْكُرْ عِيسى ، وإن كان متأخِّرًا بعدَ موسى ؛ لأنه كانتْ شريعتُه مُتَمِّمَةً ومُكَمِّلةً لشريعةِ موسَى ، عليهما السَّلامُ ، ونَسَخَتْ بعضَها ، على الصحيحِ مِن قولِ العلماءِ ، كما قال : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

وقَوْلُ وَرَقَةَ هذا كما قالتِ الجِنُّ : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ

---

(١) تقدم فى ٣/ ٣١٨ - ٣٢٢.

(٢) فى ص : « أردفها » .

(٣) تقدم فى ٣/ ٤٦٣.

بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

ثُم قال وَرَقَةُ: يَا لَيْتَنِى فِيهَا جَذَعًا. أى يا ليتَنى أكونُ اليومَ[١] شابًّا، مُتَمَكِّنًا مِن الإيمانِ، والعِلْمِ النافعِ، والعملِ الصالحِ.

يَا لَيْتَنِى أكُونُ حَيًّا حينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُك. يعنى: حتَّى أَخْرُجَ معَك وأَنْصُرَك، فعندَها قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِىَّ هُم؟!» قال السُّهَيْلِىُّ[٢]: وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ فِراقَ الوطنِ شديدٌ على النُّفوسِ.

فقال: نعم، إنَّه لم يَأْتِ أحدٌ بِمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِىَ، وإن يُدْرِكْنى يَوْمُك أَنْصُرْك نَصْرًا مُؤَزَّرًا. أى؛ أَنْصُرْك نَصْرًا عزيزًا أبَدًا[٣].

وقولُه: ثُم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أن تُوُفِّىَ. أى تُوُفِّىَ بعدَ هذه القِصةِ بقليلٍ[٤]، رحِمَه اللَّهُ ورَضِىَ عنه، فإنَّ مثلَ[٥] هذا الذى صَدَرَ عنه، تَصْديقٌ بما وجَدَ، وإيمانٌ بما حصَلَ مِن الوَحْيِ، ونيةٌ صالحةٌ للمُسْتقبَلِ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[٦]: حدَّثَنا حَسَنٌ، عن ابنِ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنى أبو الأسودِ، عن عُرْوَةَ، عن عائشةَ، أنَّ خديجةَ سألتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ، عن وَرَقَةَ ابنِ نَوْفَلٍ، فقال: «قد رَأَيْتُه[٧]، فَرَأَيْتُ عَلَيه ثِيابَ بَياضٍ، فأَحْسَبُه لو كانَ مِن

---

(١) فى ص: «الآن».
(٢) الروض الأنف ٢/ ٤٢١.
(٣) كذا فى النسخ. ولعلها: «أيدا». أى قويًا.
(٤) ليست فى: الأصل.
(٥) فى ص: «قيل».
(٦) المسند ٦/ ٦٥. قال صاحب الفتح الربانى ٢٠/ ١٧٤: رجاله ثقات، وإن كان فى إسناده ابن لهيعة، فقد صرح بالتحديث، فالحديث حسن.
(٧) بعده فى المسند: «فى المنام».

أَهْلِ النَّارِ لم يَكُنْ عَلَيه ثِيابُ بَياضٍ » . [1] وهذا إسنادٌ حَسَنٌ ، لكن روَاه الزُّهْرِىُّ وهِشامٌ ، عن عُرْوةَ مُرْسَلًا [2] . فاللَّهُ أعلمُ [1] .

وروَى الحافظُ أبو يَعْلَى [3] ، [4] عن سُرَيجِ [5] بنِ يُونُسَ ، عن إسماعيلَ ، عن [4] مُجالِدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سُئِلَ عن وَرَقَةَ [٢/ ٦١ظ] بنِ نَوْفَلٍ ، فقال [6] : « أَبْصَرْتُه فِى بُطْنانِ [7] الجنَّةِ وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ » [8] وسُئِلَ عن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، فقال : « يُبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ أُمَّةً وَحْدَه » . وسُئِلَ عن أبى طالبٍ ، فقال : « أَخْرَجْتُه مِن غَمْرَةٍ مِن جَهَنَّمَ إلى ضَحْضاحٍ [9] مِنْهَا » . وسُئِلَ عن خديجةَ ؛ لأنَّها ماتتْ قبلَ الفرائضِ وأحكامِ القرآنِ ، فقال : « أَبْصَرْتُهَا عَلَى نَهَرٍ فى الجنَّةِ فى بَيْتٍ مِن قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ » . إسنادٌ حَسَنٌ ، ولبعضِه شواهدُ فى « الصحيحِ » [10] . واللَّهُ أعلمُ [8] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ [11] : حدَّثَنا عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثَنا أبو

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) تاريخ دمشق ٧٦٧/١٧ - مخطوط - من طريق الزهرى عن عروة مرسلا .

(٣) مسند أبى يعلى (٢٠٤٧) مع تقديم وتأخير فى المتن . كما أخرجه بلفظه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٦٦/١٧، ٧٦٧ - مخطوط - من طريق أبى يعلى به .

(٤ - ٤) فى ص : « من حديث » .

(٥) فى الأصل ، م : « شريح » . والمثبت من مسند أبى يعلى . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢١.

(٦) بعده فى الأصل ، م : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض » .

(٧) بطنان : جمع بَطْن . والبطن من كل شىء جوفه . الوسيط (ب ط ن) .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) الضحضاح : ما رقَّ من الماء على وجه الأرض ، ما يبلغ الكعبين ، واستعاره للنار . اللسان (ضحضح) .

(١٠) البخارى (١٧٩٢، ٣٨١٩) . من حديث عبد الله بن أبى أوفى .

(١١) كشف الأستار (٢٧٥٠، ٢٧٥١) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٤١٦: رواه البزار متصلا ومرسلا ، ورجال المسند والمرسل رجال الصحيح .

أسامةَ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، (١عن أبيه١)، عن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ؛ فَإِنِّى رَأَيْتُ له جَنَّةً أو جَنَّتَيْنِ». وكذا روَاه ابنُ عَساكِرَ[٢] مِن حديثِ أبى سَعيدٍ الأَشَجِّ، عن أبى معاويةَ، عن هِشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ. وهذا إسنادٌ جيدٌ، ورُوِىَ مُرْسَلًا[٢]، وهو أَشْبَهُ.

وروَى الحافظان البَيْهَقِىُّ وأبو نُعَيْمٍ فى كتابَيْهما «دلائلِ النبوةِ»[٣] مِن حديثِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن يُونُسَ بنِ عَمرٍو، عن أبيه، عن عمرِو بنِ شُرَحْبيلٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لخديجةَ: «إِنِّى إذا خَلَوْتُ وَحْدى سَمِعْتُ نِداءً، وقد خَشِيت واللَّهِ أنْ يكونَ لهذا أمرٌ». قالت: معاذَ اللَّهِ! ما كان اللَّهُ[٤] لِيَفْعَلَ ذلك بك، فواللَّهِ[٥] إنَّك لتُؤَدِّى الأمانةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ. فلمَّا دخَلَ أبو بكرٍ، وليس رسولُ اللَّهِ ﷺ ثَمَّ، ذكَرَتْ له خديجةُ فقالتْ: (٦يا عَتِيقُ٦)، اذهبْ مع محمدٍ إلى وَرَقَةَ. فلمَّا دخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أخَذَ بيدِه أبو بكرٍ فقال: انطلِقْ بنا إلى وَرَقَةَ. قال: «ومَن أخبَرَك؟» قال: خديجةُ. فانطَلَقَا إليه فَقَصَّا عليه. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّى إذا خَلَوتُ وَحْدى سَمِعْت نِداءً خَلْفى: يا محمدُ، يَا محمدُ. فأَنْطَلِقُ هارِبًا فى[٧]

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٧. مخطوط.

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٥٨.

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل للبيهقى.

(٥) سقط من: ص.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى الأصل: «من».

الأَرْضِ». فقال له: لا تَفْعَلْ، إذَا أَتاك فَاثْبُتْ، حَتَّى تَسْمَعَ ما يَقُولُ لك، ثُم ائتِنِى فَأَخْبرنِى. فلمَّا خَلا ناداه: يا محمدُ، قُلْ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ١- ٧]. قُلْ: لا إله إلا اللَّهُ. فأَتَى وَرَقَةَ، فذكَرَ له ذلك، فقال له وَرَقَةُ: أبْشِرْ ثُم أَبْشِرْ، فأنا أَشْهَدُ أَنَّك الذى بشَّرَ بك ابنُ مَرْيَمَ، وأَنَّك على مِثلِ ناموسِ موسى، وأَنَّك نَبِىٌّ مُرْسَلٌ، وأَنَّك ستُؤْمَرُ بالجِهادِ بعدَ يومِك هذا، ولئِنْ أَدْرَكَنى ذلك لأُجَاهِدَنَّ معَك. فلمّا تُوُفِّىَ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد رَأَيْتُ القَسَّ فى الجَنَّةِ عليه ثِيابُ الحريرِ؛ لأَنَّه آمَنَ بى وصَدَّقَنى». يعنى وَرَقَةَ. هذا لفظُ البَيْهَقِىِّ، وهو مُرْسَلٌ، وفيه غَرابةٌ، وهو كَوْنُ الفاتحةِ أولَ ما نزَلَ.

وقد قَدَّمْنا مِن شِعْرِه ما يَدُلُّ على إضمارِه الإيمانَ، (١وعَقْدِه عليه١)، وتَأَكُّدِه عندَه، وذلك حينَ أخبرَتْه خديجةُ ما كان مِن أَمرِه مع غلامِها مَيْسَرَةَ، وكيفَ كانت الغَمامَةُ تُظَلِّلُه فى هَجِيرِ القَيْظِ، فقال وَرَقَةُ فى ذلك أَشْعارًا(٢) قَدَّمْناها(٣) قبلَ هذا، منها قولُه:

(٤لَجِجْتُ وكُنْتُ فى الذِّكْرَى لَجُوجًا ... لأَمْرٍ طالَما بعثَ النَّشِيجَا
[٢/ ٦٢و] ووَصْفٍ مِن خديجةَ بعدَ وَصْفٍ ... فقد طالَ انتِظارى يا خَدِيجَا٤)

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢) الأبيات فى تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام ص ١٠٢، ١٠٣.
(٣) تقدم فى ٣/٤٧٠ - ٤٧٤.
(٤ - ٤) سقط من: ص.

(١ ببطنِ المكَّتَيْنِ على رجائى ... حديثَكِ أن أَرى منه خُروجَا
بما خَبَّرْتِنا مِن قَوْلِ قَسٍّ ... مِن الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أن يَعُوجَا ١)
بأنَّ محمدًا سيسودُ قومًا ... ويَخْصِمُ مَن يكونُ له حَجيجَا
ويُظْهِرُ فى البلادِ ضياءَ نورٍ ... يُقيمُ به البريَّةَ أَنْ تَمُوجَا (٢)
فيَلْقَى (٣) مَن يُحارِبُه خَسارًا ... ويَلْقَى مَن يُسالِمُه فُلُوجَا
فيا ليتى إذا (٤) ما كانَ ذاكمْ ... شَهِدْتُ وكُنْتُ أوَّلَهم وُلوجا
(٥ وُلُوجًا فى ٥) الذى كَرِهَتْ قريشٌ ... ولَو عَجَّتْ (٦) بمكَّتِها عَجيجَا
أُرَجِّى بالّذى كرِهوا جَميعًا ... إلى ذى العرشِ إذ سَفَلوا عُروجَا
فإن يَبْقَوْا وأَبْقَ يَكُنْ أُمورٌ ... يَضِجُّ الكافرونَ لها (٧) ضَجيجَا

وقال أيضًا فى قصيدتِه الأخرى:

وأَخبارَ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عن محمدٍ ... يُخَبِّرُها عنه إذا غابَ ناصحُ
بأنَّ ابنَ عبدِ اللَّهِ أحمدَ مُرْسَلٌ ... إلى كلِّ مَن ضُمَّتْ عليه الأباطِحُ (٨)

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢) فى م، ص: «تعوجا».
(٣) فى الأصل، ص: «ويلقى».
(٤) فى ص: «إذ». والبيت من شواهد النحاة فى شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ١/ ١١١.
(٥ - ٥) فى الأصل، م: «ولو كان». والبيت أيضا فى شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٤٧.
(٦) عجت: ارتفعت أصواتها.
(٧) فى الأصل: «بها».
(٨) الأباطح: جمع أبطح، وهو المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار، ومنه أبطح مكة. الوسيط (ب ط ح).

وظنِّى به أنْ سوف يُبْعَثُ صادِقًا ... كما أُرسِلَ العَبْدانِ هُودٌ وصالحُ
وموسَى[1] وإبراهيمُ حتَّى يُرى له ... بهاءٌ ومنشورٌ مِن الذِّكْرِ[2] واضحُ
ويَتْبَعُه حيًّا لُؤَىٌّ بنِ غالبٍ ... شبابُهم والأشْيَبونَ الجَحَاجِحُ[3]
فإن أَبْقَ حتَّى يُدْرِكَ الناسَ دَهْرُه ... فإنِّى به[4] مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فارِحُ
وإلا فإنِّى يا خديجةُ فاعْلَمى ... عنَ اَرْضِكِ فى الأَرضِ العريضَةِ سائحُ

وقال يُونُسُ بنُ[5] بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[6]، قال وَرَقَةُ:

فإن يَكُ حَقًّا يا خديجةُ فاعلمى ... حديثَكِ إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما ... مِن اللَّهِ وحْىٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ
يَفوزُ به مَنْ فَازَ فيها بتوبةٍ ... ويَشْقَى به العَاتى[7] الغَريرُ[8] المضلَّلُ
فريقانِ مِنهمْ فِرقةٌ فى جِنانِه ... وأُخرى بأحوازِ الجحيمِ تُعلَّلُ
إذا ما دَعَوْا بالوَيْلِ فيها تَتابَعَتْ ... مَقامِعُ فى هاماتِهِمْ ثَمَّ تُشْعَلُ
فسُبحانَ مَن تَهوِي الرِّياحُ بأمْرِه ... ومَنْ هو فى الأيامِ ما شاءَ يَفْعَلُ
ومَنْ عَرْشُه فَوقَ السَّماواتِ كلِّها ... وأقضاؤُه فى خَلْقِه لا تُبدَّلُ

---

(١) فى الأصل: «نوح».
(٢) فى م، ص: «الحق».
(٣) جمع جحجح، وهو السيد السمح الكريم.
(٤) فى الأصل: «إذا».
(٥) فى الأصل، م: «من».
(٦) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٣، ١٠٤.
(٧) فى النسخ: «العانى». والمثبت من سيرة ابن إسحاق. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٥٠.
(٨) الغرير: المغرور.

وقال ورقةُ أيضًا :

يا لَلرِّجالِ وصَرْفِ الدَّهْرِ والقدَرِ ... ومَا لشيءٍ قَضَاهُ اللَّهُ من غِيَرِ

[٢/٦٢ظ] (١ حتى خديجةُ تَدْعُونى لأُخْبِرَها ... وما لها بخَفِيِّ الغَيْبِ مِن خَبَرِ

جاءتْ لتَسْأَلَنى عنه لأُخْبِرَها ... أمْرًا أُراه سيأْتِى الناسَ مِن أُخَرِ ١)

فخبَّرَتْنى بأمرٍ قد سَمِعْتُ به ... فيما مَضَى مِن قديمِ الدَّهْرِ والعُصُرِ

بأنَّ أحمدَ يَأْتيه فيُخْبِرُه ... جبريلُ أنَّكَ مَبعوثٌ إلى البَشَرِ

فقُلْتُ عَلَّ الذى تَرْجِينَ (٢ يُنجِزُه ... لكِ الإلهُ فَرَجِّى الخيرَ وانتَظِرِى

وأَرْسلِيه إلينا كى نُسَائِلَه ... عَن أَمْرِه ما يَرَى فى النومِ والسَّهَرِ

فقالَ حينَ أتانا مَنطِقًا عَجَبًا ... يَقِفُّ (٣ منه أعالى الجِلْدِ والشَّعَرِ

إنِّى رَأَيْت أَمينَ اللَّهِ واجَهَنى ... فى صورةٍ أُكْمِلَتْ (٤ من أعظم ٤) الصُّوَرِ

ثُم استمرَّ فكاد الخوفُ يَذْعَرُنى ... ممَّا يُسلِّمُ مِنْ حَولى مِن الشَّجَرِ

فقُلْتُ ظَنِّى وما أَدْرِى أيَصْدُقُنى ... أن سوفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ

وسوف أُبْليكَ (٥ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهم ... مِن الجهادِ بِلا مَنٍّ (٦ ولا كَدَرِ

(١ - ١) فى النسخ :

حتى خديجة تدعونى لأخبرها ... أمرًا أراه سيأتى الناس من أخر

والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٢) فى ص : « حين » .

(٣) قَفَّ الشعر : تقبض واقشعر .

(٤ - ٤) فى سيرة ابن إسحاق : « فى أهيب » . وفى الدلائل للبيهقى : « من أهيب » .

(٥) فى م : « يبليك » .

(٦) فى الأصل : « مر » .

هكذا أورَدَ ذلك الحافظُ البَيْهَقِيُّ مِن «الدلائلِ»[1]، وعندى فى صِحَّتِها عن وَرَقَةَ نَظَرٌ. واللَّهُ أعْلَمُ.

[2]وقال ابنُ إسحاقَ[3]: حدَّثَنى عبدُ الملِكِ بنُ عبدِ[4] اللَّهِ بنِ أبى سفيانَ بنِ العلاءِ بنِ جاريةَ الثَّقَفِيُّ، وكان واعِيةً[5]، عن بعضِ أهلِ العِلْمِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ - حينَ أرادَ اللَّهُ كرامَتَه وابتَدَأَه بالنبوةِ - كان إذا خَرَجَ لحاجةٍ أَبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ[6] [7]عنه البيوتُ[7]، ويُفْضِى إلى شِعابِ مَكَّةَ وبطونِ أَوْدِيتِها، فلا يَمُرُّ بحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ. قال: فيَلْتَفِتُ حولَه؛ عن يمينِه وعن شِمالِه وخلْفَه فلا يَرَى إلا الشجرَ والحِجارةَ، فمَكَثَ كذلك يَرَى ويَسْمَعُ ما شاء اللَّهُ أن يَمْكُثَ، ثُم جاءه جبريلُ، عليه السلامُ، بما جاء مِن كرامةِ اللَّهِ، وهو بحِرَاءَ فى رمضانَ[2].

قال ابنُ إسحاقَ[8]: وحدَّثَنى وَهْبُ بنُ كَيْسَانَ مولى آلِ الزُّبَيْرِ، قال: سمِعْت عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، وهو يقولُ لعُبَيْدِ بنِ عُمَيرِ بنِ قَتادةَ اللَّيْثِىِّ: حَدِّثْنا يا عُبَيْدُ، كيفَ كان بَدْءُ ما ابتُدِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن النبوةِ حينَ جاءَه جِبْرِيلُ. قال: فقال عُبَيْدٌ - وأنا حاضِرٌ، يُحَدِّثُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ومَن عندَه

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥٠، ١٥١.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٠، ١٠١، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٣٤.

(٤) كذا فى النسخ، وسيرة ابن إسحاق. ووقع فى سيرة ابن هشام: «عبيد».

(٥) فى الأصل، م: «داعية». تقدم شرحها فى الصفحة ١٢.

(٦) تحسر عنه البيوت: تنكشف عنه ويبتعد عنها.

(٧ - ٧) فى النسخ: «الثوب عنه». والمثبت من سيرة ابن هشام.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٥، ٢٣٨.

مِن الناسِ - : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُجاورُ فى حِراءَ فى كُلِّ سنةٍ شَهْرًا[1] .
قالَ : وكان ذلك مِمَّا تَحَنَّثُ[2] به قريشٌ فى الجاهليةِ . والتَّحَنُّثُ التَّبَرُّرُ ، فكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُجاوِرُ ذلك الشهرَ مِن كلِّ سنةٍ ، يُطْعِمُ مَن جاءه مِن المساكينِ ، فإذا قضَى جِوارَه مِن شَهْرِه ذلك ، كان أولَ ما يَبْدَأُ به إذا انصرَفَ مِن جِوارِه الكعبةُ ، قبلَ أن يَدْخُلَ بيتَه ، فيَطُوفُ بها سَبْعًا أو ما شاء اللَّهُ مِن ذلك ، ثُم يَرْجِعُ إلى بيتِه ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أرادَ اللَّهُ به فيه ما أرادَ مِن كرامتِه مِن السنةِ التى بَعَثَه فيها ، وذلك الشهرُ رمضانُ ، خَرَجَ إلى حِرَاءَ كما كان يَخْرُجُ لِجِوارِه ، ومعه أهلُه ، حتى إذا كانتِ الليلةُ التى أَكْرَمَه اللَّهُ فيها برسالتِه ورَحِمَ العِبادَ به ، جاءه جِبرِيلُ بأمرِ اللَّهِ تعالى . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فجاءَنِى جِبريلُ[3] وأَنَا نَائِمٌ بنَمَطٍ مِن دِيباجٍ فِيه كِتابٌ ، فقال : اقرَأْ . قُلْتُ : ما أَقْرَأُ . قال : فغَتَّنِى حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه الموتُ ، ثُم أَرْسَلَنى ، فقالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : ما أَقْرَأُ . قالَ : فغَتَّنِى حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه المَوْتُ ثُم أَرْسَلَنِى ، فقالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : ما أَقْرَأُ . [4]قالَ : فغتَّنى حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه[5] الموتُ ، ثُم أَرْسَلَنى فقالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : ماذا أَقْرَأُ ؟[4] ما أَقُولُ ذلك إلَّا افتداءً[6] منه أن يَعُودَ لى بمِثْلِ ما صنَعَ بى ، فقالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ

---

(١) بعده فى م : « يتحنث » .
(٢) فى الأصل ، م : « يحبب » .
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) فى م : « به » .
(٦) فى النسخ : « اقتدا » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وافتدى منه بكذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . اللسان (ف د ى) .

﴿ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ » . قال : « فقرَأْتُها ، ثم انْتَهَى ، وانصَرَفَ [٢/٦٣و] عَنِّى وَهَبَبْتُ مِن نَوْمى فكأنَّما كَتَبَ فى قَلْبِى كِتابًا » . قال : « فخَرَجْتُ حتَّى إذا كُنْتُ فى وَسَطٍ مِن الجَبَلِ سَمِعتُ صَوْتًا مِن السَّماءِ يَقولُ : يا محمدُ ، أنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وأنا جِبْريلُ . قال : فرفَعْتُ رَأْسى إلى السّماءِ أَنْظُرُ فإذا جِبْرِيلُ فى صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فى أُفُقِ السَّماءِ ، يَقولُ : يا محمدُ ، أنت رَسولُ اللَّهِ وأنا جِبْريلُ . فوقَفْتُ أَنْظُرُ إليه ، فما أَتَقَدَّمُ وما أَتَأَخَّرُ ، وجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهى عنه فى آفاقِ السَّماءِ ، فَما أَنْظُرُ فى ناحِيَةٍ مِنها إلَّا رَأَيْتُه كذلك ، فمازِلْتُ واقِفًا ما أَتَقَدَّمُ أَمامِى وما أَرْجِعُ وَرائى ، حتى بَعَثَتْ خَديجَةُ رُسُلَها فى طَلَبِى ، فبَلَغُوا مَكَّةَ ورَجَعوا إليها وأنا واقِفٌ فى مَكانى ذلك ، ثُم انْصَرَفَ عنى ، وانْصَرَفْتُ راجِعًا إلى أَهْلى حتى أَتَيْتُ خَديجةَ فَجَلَسْتُ إلى فخِذِها مُضيفًا[1] إليها ، فقالتْ : يا أبا القاسِمِ ، أينَ كنتَ ؟ فواللَّهِ لقد بعَثْتُ رُسُلى فِى طَلَبِك حتى بلَغوا مَكَّةَ ، ورَجَعوا إلىَّ . ثُم حَدَّثْتُها بالَّذِى رَأَيْتُ ، فقالتْ : أَبْشِرْ يا بنَ عَمٍّ ، واثبُتْ ، فوالذى نفسُ خديجةَ بيدِه ، إنِّى لأَرْجو أن تَكونَ نَبىَّ هذه الأُمَّةِ . ثُم قامتْ فجمَعَتْ عليها ثِيابَها ثُم انطلَقَتْ إلى وَرَقَةَ بنِ نَوفلٍ ، فأخبَرَتْه بما أخبَرَها به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال وَرَقَةُ : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، والذى نَفْسُ وَرَقَةَ بيدِه ، لئِن كُنْتِ صَدَقْتِنى ، يا خديجةُ ، لقد جاءَه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يَأْتى موسَى ، وإنَّه لنَبىُّ هذه الأُمَّةِ ، وقُولى له : فَلْيَثْبُتْ . فرجَعَتْ خديجةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخبَرَتْه بقولِ وَرَقَةَ ، فلمّا قَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ جِوارَه وانْصَرَفَ صَنَعَ كما كان يَصْنَعُ ، بَدَأَ بالكعبةِ فطاف بها

---

(١) مضيفا : مستأنسًا . الوسيط (ض ى ف) .

فلَقِيَه وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ، وهو يَطوفُ بالكعبةِ، فقال: يا بنَ أخى، أَخْبِرْنِى بما رأيتَ وسمِعْتَ. فأخبَرَه، فقال له وَرَقَةُ: والذى نفسى بيدِه، إنَّك لنبِيُّ هذه الأُمَّةِ، ولقد جاءَك الناموسُ الأكبرُ الذى جاءَ موسَى، ولَتُكَذَّبَنَّهْ ولَتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّهْ ولَتُقَاتَلَنَّهْ[1]، ولئن أنا أدْرَكْتُ ذلك اليومَ لأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُه. ثُم أَدْنَى رَأْسَه منه فقَبَّل يَأْفوخَهُ[2]، ثُم انصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى منزِلِه.

وهذا الذى ذكَرَه عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ كما ذكَرْناه كالتَّوطِئَةِ لِمَا جاءَ بعدَه مِن اليقظةِ كما تقدَّمَ[3] مِن قَوْلِ عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها: فكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ويُحْتَمَلُ أنَّ هذا المنامَ كان بعدَ ما رآه فى اليقظةِ صبيحةَ لَيْلَتِئِذٍ، وَيَحْتَمِل أنَّه كان بعدَه بمدةٍ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال موسَى بنُ عُقْبَةَ[4]، عن الزُّهْرِىِّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قال: وكان فيما بلَغَنا أولَ ما رَأَى - يَعْنى رسولَ اللَّهِ ﷺ - أنَّ اللَّهَ تعالى أَراه رُؤْيَا فى المنامِ، فشَقَّ ذلك عليه فذكَرَها لامْرَأَتِه خديجةَ، فعَصَمَها اللَّهُ عن التَّكْذيبِ، وشرَحَ صَدْرَها للتَّصْديقِ، فقالتْ: أَبْشِرْ؛ فإنَّ اللَّهَ لن[5] يَصْنَعَ بك إلا خَيْرًا. ثُم إنَّه خرَجَ مِن عندِها ثُم رجَعَ إليها فأخبَرَها أنَّه رأَى بَطْنَه شُقَّ، ثُم غُسِلَ وطُهِّرَ، ثُم أُعيدَ كما كان. قالتْ: هذا واللَّهِ خيرٌ فأَبْشِرْ. ثُم اسْتَعْلَنَ له جِبريلُ وهو بأعلى مَكَّةَ، فأَجْلَسَه على مَجْلِسٍ كريمٍ مُعْجِبٍ، كان النبىُّ ﷺ يقولُ: «أَجْلَسَنى

---

(١) الهاء فى هذه الأفعال للسكت.

(٢) اليأفوخ: هو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره. القاموس المحيط (أ ف خ).

(٣) تقدم فى صفحة: ٥، ٩.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/١٤٢ - ١٤٥. من طريق موسى بن عقبة به.

(٥) فى الأصل، م: «لم».

على بِساطٍ كهيئةِ [٢/٦٣ظ] الدُّرْنُوكِ[1] فيه الياقوتُ واللؤلؤُ». فبشَّرَه برسالةِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، حتى اطمأنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال له جِبريلُ: اقْرَأْ. فقال: «كيف أَقْرَأُ؟» فقالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

قال: ويَزْعُمُ ناسٌ أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أولُ سورةٍ أُنْزِلَتْ عليه. واللَّهُ أعلمُ.

قال: فقَبِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ رسالةَ ربِّه، واتَّبَعَ ما جاءَه به جِبْريلُ مِن عندِ اللَّهِ، فلمّا انصرَفَ مُنْقَلِبًا إلى بَيْتِه جعَلَ لا يَمُرُّ على شَجَرٍ ولا حَجَرٍ إلا سَلَّمَ عليه، فرجَعَ إلى أهلِه مَسْرورًا مُوقِنًا أنه قد رأَى أمْرًا عظيمًا، فلمَّا دخَلَ على خديجةَ، قال: «أرأَيْتُكِ التى كُنْتُ أُحَدِّثُكِ أنِّى رأَيْتُه فى المنامِ؟ فإنَّه جِبْريلُ اسْتَعْلَنَ إلىَّ، أَرْسَلَه إلىَّ ربى، عزَّ وجلَّ». وأخبرَهَا بالذى جاءَه مِن اللَّهِ، وما سمِعَ منه. فقالتْ: أَبْشِرْ، فواللَّهِ لا يَفْعَلُ اللَّهُ بك إلَّا خَيْرًا، واقْبَلِ الذى جاءَك مِن أَمْرِ اللَّهِ، فإنَّه حَقٌّ، وأَبْشِرْ فإنَّك رسولُ اللَّهِ حَقًّا. ثُم انطَلَقَتْ مكانَها فأَتَتْ غُلامًا لعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ نَصْرانِيًّا مِن أهلِ نِينَوَى يُقالُ له: عَدَّاسٌ. فقالت له: يا عَدَّاسُ، أُذَكِّرُكَ باللَّهِ إلا ما أخبَرْتَنى هل عندَكَ عِلْمٌ مَن جِبْريلُ؟ فقال عَدَّاسٌ[2]: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، ما شأنُ جبريلَ يُذْكَرُ بهذه الأرضِ، التى أهلُها أهلُ الأوثانِ! فقالتْ: أَخْبِرْنى بعِلْمِك فيه. قال: فإنَّه أمينُ اللَّهِ بينَه وبينَ النبيِّين، وهو صاحبُ موسَى وعيسَى، عليهما السَّلامُ.

---

(١) الدرنوك: ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير كخمل المناديل. اللسان (درنك).
(٢) زيادة من: ص.

فرجَعَتْ خديجةُ مِن عندِه فجاءَتْ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ، فذكَرَتْ له ما كان مِن أَمْرِ النبيِّ ﷺ وما أَلْقاه إليه جِبْريلُ، فقال لها وَرَقَةُ: يا بُنَيَّةَ أخى، ما أَدْرِى لعلَّ صاحبَكِ النبيُّ الذى يَنْتَظِرُ أهلُ الكِتابِ، الذى يَجِدونَه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ، وأُقْسِمُ باللَّهِ لَئن كان إيّاه، ثُم أَظْهَر دُعاءَه[1] وأنا حَيٌّ، لأُبْلِيَنَّ اللَّهَ فى طاعةِ رسولِهِ وحُسْنِ مُؤازَرَتِه للصَّبْرِ والنَّصْرِ. فماتَ وَرَقَةُ، رَحِمَه اللَّهُ. قال الزُّهْرِيُّ[2]: فكانتْ خديجةُ أوَّلَ مَن آمَنَ باللَّهِ وصدَّقَ رسولَه ﷺ.

قال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[3]، بعدَ إيرادِه ما ذكَرْناه: والذى ذُكِرَ فيه مِن شَقِّ بَطْنِه يُحْتَمَلُ أن يكونَ حِكايةً منه لِمَا صُنِعَ به فى صِباهُ - يَعْنِى شَقَّ بَطْنِه عندَ حليمةَ - ويَحْتَمِل أن يكونَ شُقَّ مَرَّةً أُخرى، ثُمَّ ثالثةً حينَ عُرِجَ به إلى السَّماءِ. واللَّهُ أعلمُ.

[4]وقد ذكَرَ الحافظُ ابنُ عَساكِرَ[5] فى ترجمةِ وَرَقَةَ بإسنادِه إلى سُليمانَ بنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ، قال: بلَغَنا أنَّ اللَّهَ تعالى بعَثَ محمدًا رسولًا على رأْسِ خمسينَ سنةً مِن بناءِ الكعبةِ، وكان أولَ شيءٍ اختصَّه به مِن النبوةِ والكرامةِ رُؤْيا كان يَراها، فقصَّ ذلك على زوجتِه خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ، فقالتْ له: أَبْشِرْ، فواللَّهِ لا يَفْعَلُ اللَّهُ بك إلا خَيْرًا. فبينَما هو ذاتَ يومٍ فى حِراءَ، وكان يَفِرُّ إليه مِن قومِه، إذ نَزَلَ عليه جِبْريلُ، فدَنا منه، فخافَه رسولُ اللَّهِ ﷺ مخافَةً[4]

---

(١) فى م: «دعواه».

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٤٦.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٢، ٧٦٣. مخطوط.

(١) شديدةً ، فوضَعَ جبريلُ يَدَه على صَدْرِه ومِن خَلْفِه بينَ كَتِفَيْه ، فقال : اللهمَّ احطُطْ وِزْرَه ، واشرَحْ صَدْرَه ، وطَهِّرْ قَلْبَه ، يا محمدُ ، [٢/ ٦٤و] أَبْشِرْ ؛ فإنَّك نبيُّ هذه الأُمَّةِ ، اقْرَأْ . فقال له نبيُّ اللَّهِ ، وهو خائفٌ يُرْعَدُ : « ما قَرَأْتُ كتابًا قَطُّ ، ولا أُحْسِنُه ، وما أَكْتُبُ ، وما أَقْرَأُ » . فأخَذَه جِبريلُ ، فغَتَّه غَتًّا شديدًا ثُم تركَه ، ثُم قالَ له : اقْرَأْ . فأَعادَ عليه مِثْلَه ، فأجْلَسَه على بِساطٍ كهيئةِ الدُّرْنوكِ ، فرأَى فيه مِن صَفائِه وحُسْنِه كَهَيْئةِ اللؤلؤِ والياقوتِ ، وقال له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ الآياتِ . ثُم قالَ له : لا تَخَفْ يا محمدُ ، إنَّك رسولُ اللَّهِ . ثم انصرَفَ ، وأقبَلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ هَمُّه ، فقالَ : « كيفَ أَصْنَعُ وكيفَ أقولُ لقومى ؟ » ثُم قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو خائفٌ ، فأَتاه جِبْريلُ مِن أمامِه (٢) فى صورةِ نفسِه ، فأبْصَر (٢) رسولُ اللَّهِ ﷺ أمرًا عظيمًا ملأَ صدْرَه ، فقال له جِبْريلُ : لا تَخَفْ ، يا محمدُ ، جِبْرِيلُ رسولُ اللَّهِ إلى أنبيائِه ورسُلِه ، فأَيْقِنْ بكَرامةِ اللَّهِ ، فإنَّك رسولُ اللَّهِ . فرجَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَمُرُّ على شَجَرٍ ولا حَجَرٍ إلا هو ساجِدٌ يقولُ : السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . فاطمأَنَّتْ نفسُه وعَرَفَ كَرامةَ اللَّهِ إيَّاه ، فلمّا انتَهى إلى زوجتِه خديجةَ أبصَرَتْ ما بوجهِه مِن تَغَيُّرِ لونِه فأفزَعَها ذلك ، فقامَتْ إليه فلمّا دنَتْ منه جعَلَتْ تَمْسَحُ عن وجهِه ، وتَقولُ : لعلَّك لبعضِ ما كُنْتَ تَرَى وتَسْمَعُ قبلَ اليومِ . فقال : « يا خديجةُ ، أرَأَيْتِ الذى كُنْتُ أَرَى فى المنامِ والصوتَ الذى كُنْتُ أَسْمَعُ فى اليَقَظَةِ وأُهالُ منه ؟ فإنَّه جِبْريلُ قد استَعْلَنَ (٣) لى ، وكلَّمَنى ، وأقْرَأَنى كلامًا فَزِعْتُ مِنه ، ثُم عادَ إلىَّ (١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى النسخ : « وهو فى صعرته ، فرأى » .

(٣) فى الأصل : « استعلم » .

(١) فأخبرَنى أنِّى نبىُّ هذه الأُمَّةِ فأقبَلْتُ راجعًا ، فأقبَلْتُ على شَجَرٍ وحِجارةٍ ، فقُلْن : السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ » . فقالَتْ خديجةُ : أَبْشِرْ ، فواللَّهِ لقد كُنْتُ أَعْلَمُ أنَّ اللَّهَ لن يَفْعَلَ بك إلا خَيْرًا ، وأَشْهَدُ أنَّك نبىُّ هذه الأُمَّةِ الذى تَنْتَظِرُه اليَهودُ ، قد أَخبَرَنى به ناصحٌ ؛ غلامى وبَحِيرَى الراهبُ وأمَرَنى أنْ أتزَوَّجَكَ منذُ أكثرَ مِن عشرينَ سنَةً . فلم تَزَلْ برسولِ اللَّهِ ﷺ حتى طعِمَ وشرِبَ وضحِكَ ، ثُم خرَجَتْ إلى الراهبِ ، وكان قريبًا مِن مكَّةَ ، فلمّا دنَتْ منه وعرَفَها . قال : ما لكِ يا سيِّدةَ نِساءِ قريشٍ ؟ فقالَتْ : أقبَلْتُ إليك لتُخْبِرَنِى عن جِبْريلَ . فقالَ : سُبْحانَ اللَّهِ ربِّنا القُدّوسِ ! ما بالُ جِبْريلَ يُذْكَرُ فى هذه البِلادِ التى يَعْبُدُ أهلُها الأَوْثانَ ؟! جِبْريلُ أمينُ اللَّهِ ورسولُه إلى أنبيائِه ورسُلِه ، وهو صاحبُ موسَى وعيسَى . فعَرَفَتْ كَرامةَ اللَّهِ لمحمدٍ ، ثُم أتَتْ عَبْدًا لعُتْبَةَ بنِ رَبيعَةَ يُقالُ له : عَدَّاسٌ . فسأَلَتْه فأخبَرَها بمثلِ ما أخبَرَها به الراهبُ وأَزْيَدَ . قال : جِبْريلُ كان مع موسَى حينَ أغرَقَ اللَّهُ فِرْعَونَ وقومَه ، وكان معَه حينَ كلَّمَه اللَّهُ على الطُّورِ ، وهو صاحبُ عيسى ابنِ مَرْيَمَ الذى أيَّدَه اللَّهُ به . ثُم قامَتْ مِن عندِه فأتَتْ وَرَقَةَ ابنَ نَوْفَلٍ ، فسأَلَتْه عن جِبْريلَ ، [٢/ ٦٤ظ] فقالَ لها مِثْلَ ذلك ، ثُم سأَلَها : ما الخبرُ ؟ فأَحْلَفَتْه أن يَكْتُمَ ما تَقولُ له ، فَحَلَفَ لها ، فقالت له : إنَّ ابنَ عبدِ اللَّهِ ذكَرَ لى - وهو صادقٌ ، أَحْلِفُ باللَّهِ ما كذَبَ ولا كُذِبَ - أنَّه نزَلَ عليه جِبْريلُ بحِراءَ ، وأنَّه أخبَرَه أنَّه نبىُّ هذه الأُمَّةِ وأقْرَأَه آياتٍ أُرْسِلَ[٢] بها . قال : فذُعِرَ وَرَقَةُ لذلك ، وقال : لئن كان جِبْريلُ قد اسْتَقَرَّتْ قَدَماه على الأَرْضِ ، لقد نَزَلَ على خيرِ أهلِ الأرضِ ، وما نَزَلَ إلا على نبىٍّ ، وهو صاحبُ الأنبياءِ والرُّسُلِ ، يُرْسِلُه اللَّهُ(١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى الأصل : « اللَّه » .

[1] إليهم، وقد صدَقْتُكِ عنه، فأَرْسِلى إلىَّ ابنَ عبدِ اللَّهِ أَسْأَلُه وأَسْمَعُ مِن قَوْلِه وأُحَدِّثُه؛ فإنِّى أخافُ أن يكونَ غيرَ جِبْريلَ؛ فإنَّ بعضَ الشياطينِ يَتَشَبَّهُ به لِيُضِلَّ به بعضَ بنى آدمَ، ويُفْسِدَهم حتّى يَصيرَ الرجلُ بعدَ العَقْلِ الرَضِىِّ مُدَلَّهًا[2] مجنونًا. فقامتْ مِن عندِه وهى واثقةٌ باللَّهِ أن لا يَفْعَلَ بصاحبِها إلا خَيْرًا، فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَخْبَرَتْه بما قالَ وَرَقَةُ، فأنزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ١، ٢] الآيات. فقال لها: «كلّا واللَّهِ، إنَّه لَجِبْريلُ». فقالَتْ له: أُحِبُّ أن تَأْتِيَه فتُخْبِرَه؛ لعلَّ اللَّهَ أن يَهْدِيَه. فجاءَه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقالَ له وَرَقَةُ: هذا الذى جاءَك، جاءَك فى نورٍ أو ظُلْمةٍ؟ فأخْبَرَه رسولُ اللَّهِ ﷺ عن صِفَةِ جِبْريلَ، وما رآه مِن عَظَمتِه وما أَوْحاه إليه، فقالَ وَرَقَةُ: أَشْهَدُ أنَّ هذا جِبْريلُ، وأنَّ هذا كَلامُ اللَّهِ، فقد أمَرَكَ بشىءٍ تُبَلِّغُه قَوْمَك، [3]وإنَّه لأَمْرُ نُبُوَّةٍ[3]، فإنْ أُدْرِكْ زَمانَك أَتَّبِعْك. ثُم قال: أَبْشِرِ ابنَ عبدِ المُطَّلِبِ بما بَشَّرَك اللَّهُ به.

قال: وذاعَ[4] قولُ وَرَقَةَ وتَصْدِيقُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فشَقَّ ذلك على المَلأِ مِن قومِه. قالَ: وفتَرَ الوَحْىُ، فقالوا: لو كانَ مِن عندِ اللَّهِ لَتتابَعَ، ولكنَّ اللَّهَ قَلاه. فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ١، ٢] و﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ [الشرح: ١] بكمالِهما[1].

وقال البَيْهَقِىُّ[5]: حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثَنا أبو العباسِ، حدَّثَنا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) رجل مُدَلَّه: إذا كان ساهى القلب، ذاهل العقل. اللسان (د ل هـ).

(٣ - ٣) فى الأصل: «فقال أمرك أمر».

(٤) فى الأصل: «فشاح».

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥١، ١٥٢.

أحمدُ بنُ عبدِ الجبّارِ، حدَّثَنا يونُسُ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثَنى إسماعيلُ بنُ أبى حَكيمٍ مَوْلَى[1] الزُّبَيْرِ، أنَّه حُدِّثَ[2] عن خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ، أنَّها قالَتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فيما بيَّنَه مِمَّا أكرَمَه اللَّهُ به مِن نُبُوَّتِه: يا بنَ عَمٍّ، تستطيعُ أنْ تُخْبِرَنى بصاحِبِك هذا الذى يَأْتِيك إذا جاءَك؟ فقالَ: «نَعَمْ». فقالَتْ: إذا جاءَك فأَخْبِرْنى. فبَيْنا رسولُ اللَّهِ ﷺ عندَها إذ جاءَ جِبْريلُ فرآه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: «يا خَديجَةُ، هذا جِبْرِيلُ». فقالَتْ: أَتَراه الآنَ؟ قال: «نَعَمْ». قالتْ: فاجْلِسْ إلى شِقِّى الأَيْمَنِ. فتَحَوَّلَ فَجَلَسَ، فقالَتْ: أَتراه الآنَ؟ قال: «نَعَمْ». قالتْ: فتَحَوَّلْ فاجْلِسْ فى حِجْرِى. فَتَحَوَّلَ فجلَسَ فى حِجْرِها، فقالَتْ: هل تَراه الآنَ؟ قال: [3]«نَعَمْ». فَتَحَسَّرَتْ رَأْسَها، فشالتْ خِمارَها، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى حِجْرِها، فقالَتْ: هل تَراه الآنَ؟ قال[3]: «لا». [٢/ ٦٥و] قالتْ: ما هذا بشيطانٍ، إنَّ هذا لَمَلَكٌ، يا بنَ عَمٍّ، فاثْبُتْ وأَبْشِرْ. ثُم آمَنَتْ به، وشَهِدَتْ أنَّ ما جاء به هو الحقُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: فحدَّثْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ حَسَنٍ هذا الحديثَ، فقالَ: قد سَمِعْتُ أُمِّى فاطمةَ بنتَ الحُسَيْنِ تُحَدِّثُ بهذا الحديثِ، عن خديجةَ إلّا أنِّى سَمِعْتُها تقولُ: أَدْخَلَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ بينَها وبينَ دِرْعِها فذهَبَ عندَ ذلك جِبْريلُ، عليه السَّلامُ.

قال البَيْهَقِىُّ[5]: وهذا شىءٌ كانت خديجةُ تَصْنَعُه تَسْتَثْبِتُ به الأمرَ احتياطًا

---

(١) بعده فى الأصل، م: «آل». وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٣.

(٢) فى الأصل، م: «حدثه».

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١١٤، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٣٩.

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥٢.

لدِينِها وتَصْديقًا ، فأمّا النبىُّ ﷺ فقد كان وَثِقَ بما قال له جِبْرِيلُ وأَراه مِن الآياتِ التى ذكَرْناها مَرَّةً بعدَ أُخْرى ، وما كانَ مِن تَسْلِيمِ الشَّجَرِ والحَجَرِ عليه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم تَسْليمًا .

وقد قال مُسْلِمٌ فى « صحيحِه »[1] : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ أبى[2] بُكَيْرٍ ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، حدَّثَنى سِماكُ بنُ حَرْبٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنِّى لَأَعْرِفُ حَجَرًا بمكةَ كان يُسَلِّمُ علىَّ قبلَ أنْ أُبْعَثَ ، إنِّى لَأَعْرِفُه الآنَ » .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسىُّ[3] : حدَّثَنا سُلَيْمانُ بنُ مُعاذٍ ، عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إنَّ بمكةَ حجَرًا كان يُسَلِّمُ علىَّ ليالىَ بُعِثْتُ ، إنِّى لَأَعْرِفُه إذا مَرَرْتُ عليه » .

ورَوَى البَيْهَقِىُّ[4] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ السُّدِّىِّ الكبيرِ ، عن عبّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : كُنّا مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ فخرَجَ فى بعضِ نَواحيها ، فما اسْتَقْبَلَه شَجَرٌ ولا جَبَلٌ إلّا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . وفى روايةٍ[5] : لقد رأَيْتُنى أَدْخُلُ معَه الوادِىَ ، فلا يَمُرُّ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١١ .

(٢) سقط من : م ، ص . انظر تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٠.

(٣) لم نجده فى مسند أبى داود الطيالسى الذى بين أيدينا . والحديث أخرجه الترمذى (٣٦٢٤) من طريق أبى داود الطيالسى به . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٥) . ووقع فى صحيح سنن الترمذى بلفظ : « لا أعرفه » بالنفى . والذى فى طبعة الشيخ أحمد شاكر و « عارضة الأحوذى » ١٣/ ١١٠: « لأعرفه » بلام التوكيد . وهذا أيضا الذى فى مصادر التخريج الآتية : مسلم (٢٢٧٧) ، والمسند ٥/ ١٠٥، ومعجم الطبرانى الكبير ٢/ ٢٧٣، ودلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٥٣.

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/١٥٣ ضعيف . (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٧) .

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥٤.

بحجرٍ ولا شَجَرٍ إلّا قال : السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . وأنا أَسْمَعُه .

فَصْــلٌ

قال البُخاريُّ فى رِوايتِه المُتَقَدِّمةِ[1] : ثُم فَتَرَ الوَحْيُ فَتْرةً[2] حتّى حَزِنَ النبيُّ ﷺ فيما بَلَغَنا حُزْنًا غَدا منه مِرارًا كى يَتَرَدَّى مِن رُءُوسِ شَواهِقِ الجبالِ ، فكُلَّما أَوْفَى بذِرْوَةِ جَبلٍ لكى يُلْقِيَ نَفْسَه تَبَدَّى له جِبْريلُ ، فقال : يا محمدُ ، إنَّك رسولُ اللَّهِ حقًّا . فيَسْكُنُ لذلك جَأْشُهُ ، وتَقِرُّ نفسُه فيَرْجِعُ ، فإذا طالتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غدا لِمِثْلِ ذلك ، فإذا أَوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جِبْريلُ ، فقال له مثلَ ذلك .

وفى « الصحيحَيْنِ »[3] مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِيِّ ، قال : سَمِعْتُ أبا سَلَمَةَ بنَ[4] عبدِ الرحمنِ يُحَدِّثُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عن فَتْرةِ الوَحْيِ ، قال : « فبينَما أَنا أَمْشِى سَمِعْتُ صَوتًا مِن السَّماءِ ، فرفَعْتُ بَصَرى[5] ، فإذا المَلَكُ الَّذى جاءَنى بحِراءَ قاعِدٌ على كُرْسِيٍّ بينَ السَّماءِ والأرضِ ، فجُئِثْتُ[6] منه فَرَقًا حتى هَوَيْتُ إلى

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٧ .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) البخارى (٤٩٢٥) ، ومسلم (١٦١) .

(٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى م ، ص : « قبل السماء » .

(٦) جُئِث : فزِع .

الأرضِ، فجِئْتُ أَهْلى، فقُلْتُ: زَمِّلونى زَمِّلونى[1]». فأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ قال: ثُم حَمِيَ الوَحْيُ وتَتابَعَ. فهذا كانَ أولَّ ما نزَلَ مِن القرآنِ [2]بعدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ[2] لا مُطْلَقًا، ذاك[3] قولُه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾. وقد ثبَتَ عن جابرٍ أنَّ أوَّلَ ما نَزَلَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾[4] [٢/ ٦٥ظ] واللائقُ حَمْلُ كَلامِه ما أمْكَنَ على ما قُلْناه، فإنَّ فى سِياقِ كَلامِه ما يَدُلُّ على[5] تَقَدُّمِ مَجِيءِ المَلَكِ الذى عَرَفَه ثانيًا بما عَرَفَه به أوَّلًا إليه.

ثُم قولُه: يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوَحْيِ. دليلٌ على تَقَدُّمِ الوَحْيِ على هذا الإيحاءِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد ثبَتَ فى «الصَّحيحَيْنِ»[6] مِن حديثِ علىِّ بنِ المبارَكِ، وعندَ مُسْلِمٍ، والأَوْزَاعِىِّ، كِلاهما عن يَحْيَى بنِ أبى كَثِيرٍ، قال: سأَلْتُ أبا سَلَمَةَ بنَ عبدِ الرحمنِ: أىُّ القرآنِ أُنْزِلَ قبلُ؟ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾. فقلتُ: أوِ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[7] فقال: سأَلْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ: أىُّ القرآنِ أُنْزِلَ قبلُ؟ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾. فقلتُ: و﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[7]؟

---

(١) بعده فى الصحيحين: «فدثرونى».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) اسم الإشارة يعود على المطلق، أى أول ما نزل مطلقا.

(٤) البخارى (٤٩٢٤).

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) البخارى (٤٩٢٢)، ومسلم من طريق على بن المبارك (١٦١/٢٥٨)، ومن طريق الأوزاعى (٢٥٧/ ١٦١).

(٧ - ٧) سقط من: ص.

فقال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى جاوَرْتُ بحِراءَ شَهْرًا ، فلمَّا قَضَيْتُ جِوارِى نَزَلْتُ ، فاسْتَبْطَنْتُ[1] الوادىَ فنُودِيتُ ، فَنَظَرْتُ بينَ يَدَىَّ ، وخَلْفِى ، وعن يَمينى ، وعن شِمالى فلم أَرَ شَيْئًا ، ثُم نَظَرْتُ إلى السَّماءِ ، فإذا هو على العَرْشِ فى الهَواءِ ، فأَخَذَتْنِى رِعْدَةٌ - أو قال : وَحْشَةٌ - فَأَتَيْتُ خَديجةَ فأَمَرْتُهم فَدثَّرُونى » . فأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ . حتى بلَغ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ .

وقالَ فى روايةٍ[2] : « فإذا المَلَكُ الَّذى جاءَنى بحِراءَ جالِسٌ على كُرْسِىٍّ بينَ السَّماءِ والأَرْضِ فجُئِثْتُ مِنه » . وهذا صَريحٌ فى تَقَدُّمِ إتْيانِه إليه وإنزالِه الوَحْىَ مِن اللَّهِ عليه ، كما ذكَرْناه . واللَّهُ أعلمُ .

ومِنهم مَن[3] زعَمَ أنَّ أولَ مَا نَزَلَ بعدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ سورةُ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ إلى آخِرِها . قالَه محمدُ بنُ إسحاقَ[4] . وقال بعضُ القُرَّاءِ : ولهذا كَبَّرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أولِها فَرِحًا . وهو قولٌ بعيدٌ يَرُدُّه ما تَقدَّمَ مِن روايةِ صَاحبَىِ « الصَّحيحِ » مِن أنَّ أولَ القرآنِ نُزُولًا بعدَ فَتْرةِ الوَحْيِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ ولكن نَزَلَتْ سورةُ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ بعدَ فَتْرةٍ أُخرى كانتْ ليالىَ يسيرةً ، كما ثبَتَ فى « الصحيحَيْنِ » وغيرِهما[5] مِن حديثِ الأسودِ بنِ قَيْسٍ ، عن جُنْدَبِ بنِ

---

(١) استبطن الوادى : دخله . الوسيط (ب ط ن) .

(٢) البخارى (٤) ، ومسلم (١٦١) .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١١٥، ١١٦.

(٥) البخارى (١١٢٤، ١١٢٥، ٤٩٥٠، ٤٩٥١، ٤٩٨٣)، ومسلم (١٧٩٧)، والترمذى (٣٣٤٥)، والنسائى فى الكبرى (١١٦٨١) .

عبدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ، قال: اشتَكَى رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يَقُمْ ليلةً أو ليلتَيْن أو ثلاثًا، فقالتِ امرأةٌ: ما أرى شيطانَك إلَّا ترَكَك. فأنزَلَ اللَّهُ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾.

وبهذا الأمرِ[1] حَصَلَ الإرسالُ إلى الناسِ، وبالأولِ حصَلَتِ النبوةُ.

وقد قال بعضُهم: كانتْ مدةُ الفَتْرَةِ قريبًا مِن سَنتَيْن أو سنَتَيْن ونِصْفٍ. والظَّاهرُ، واللَّهُ أعلمُ، أنَّها المدةُ التى اقترَنَ معه ميكائيلُ كما قال الشَّعْبىُّ وغيرُه. ولا يَنْفِى هذا تَقَدُّمَ إيحاءِ جِبْريلَ إليه أولًا: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ثُم [2]حَصَلَتِ الفترةُ التى اقْتَرنَ معه مِيكائيلُ، ثُم[2] اقترَنَ به جِبْريلُ بعدَ نُزولِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ [3]ثُم حَمِىَ[3] الوَحْىُ بعدَ هذا وتَتابَعَ - أى تَدارَكَ شَيْئًا بعدَ شىءٍ - وقامَ حينَئذٍ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى الرِّسالةِ أَتَمَّ القِيامِ وشَمَّرَ، عن ساقِ العَزْمِ، ودَعا إلى اللَّهِ القريبَ والبعيدَ، والأحرارَ والعبيدَ، فآمَنَ به حينَئذٍ كلُّ لبيبٍ نجيبٍ سعيدٍ، واستمرَّ على مُخالفَتِه وعِصيانِه كُلُّ جبّارٍ عَنيدٍ، فكانَ أولَ مَن بادَرَ إلى التَّصْديقِ مِن الرِّجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، ومِن [٢/٦٦و] الغِلْمانِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ، ومِن النِّساءِ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ زوجتُه، عليه السَّلامُ، ومِن المَوالى مَوْلاه زيدُ بنُ حارثةَ الكَلْبىُّ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم وأَرْضاهم. وتقدَّمَ[4] الكَلامُ على إيمانِ وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ بما وجَد من الوَحْيِ، وماتَ فى الفَتْرَةِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

---

(١) يعنى قوله تعالى: «قم فأنذر».

(٢ - ٢) ليست فى: م.

(٣ - ٣) فى ص: «ولهذا جىء».

(٤) تقدم فى صفحة ٧.

فصلٌ

فى مَنْعِ الجانِّ ومَرَدَةِ الشَّياطِينِ من استراقِ السَّمْعِ حينَ أُنْزِلَ القرآنُ ؛ لِئلَّا يَخْتَطِفَ أحدُهم منه ولو حَرْفًا واحدًا ، فيُلْقِيَه على لِسانِ وَلِيِّه فيَلْتَبِسَ الأَمْرُ ويَخْتَلِطَ الحقُّ

فكانَ مِن رحمةِ اللَّهِ وفَضْلِه ولُطْفِه بخَلْقِه أن حَجَبَهُم عن[1] السَّماءِ ، كما قال اللَّهُ تعالى إخبارًا عنهم فى قولِه[2] : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ٨- ١٠] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠- ٢١٢] .

قال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[4] : حدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ ، وهو الطَّبَرانِىُّ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ يُوسُفَ الفِرْيابىُّ ، حدَّثَنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الجِنُّ يَصْعَدونَ إلى السَّماءِ يَسْتَمِعونَ الوَحْىَ ، فإذا سَمِعوا[5] الكَلِمةَ زادوا فيها تِسْعًا ؛ فأمّا الكَلِمةُ فتَكونُ حَقًّا ، وأمّا ما زادوا فيَكونُ باطلًا ، فلما بُعِثَ

---

(١) فى ص : « من » .

(٢) بعده فى ص : « لهم » . التفسير ٨/ ٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) التفسير ٦/ ١٧٥.

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من مختصر دلائل أبى نعيم . وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٣/ ٣٦، عن إسرائيل به .

(٥) فى م : « حفظوا » . وفى ص : « خطفوا » .

النبيُّ ﷺ مُنِعوا مَقاعدَهم، فذكَروا ذلك لإبليسَ - ولم تَكُنِ النجومُ يُرْمَى بها قبلَ ذلك - فقال لهم إبليسُ: هذا لِأمْرٍ قد حدَثَ فى الأرضِ. فبعَثَ جنودَه فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، قائمًا يُصَلِّى بينَ جَبَلَيْن فأتَوه فأخْبَروه، فقالَ: هذا الأمرُ الذى قد حدَثَ فى الأرضِ.

وقال أبو عَوانَةَ[1]، عن أبى بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: انطلَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأصحابُه عامِدينَ إلى سوقِ عُكَاظٍ، وقد حِيلَ بينَ الشياطينِ وبينَ خَبَرِ السَّماءِ، وأُرْسِلَت عليهم الشُّهُبُ، فرجَعتِ الشياطينُ إلى قومِهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيلَ بيننَا وبينَ خَبَرِ السَّماءِ، وأُرْسِلَتْ علينا الشُّهُبُ. فقالوا: ما ذاك إلّا مِن شىءٍ حدَثَ، فاضرِبوا مشارقَ الأَرْضِ ومغارِبَها. فمرَّ النَّفَرُ الذين أَخَذوا نحوَ تِهَامَةَ، وهو بنَخْلَةَ[2] عامدينَ إلى سُوقِ عُكَاظٍ، وهو يُصَلِّى بأصحابِه صلاةَ الفجرِ، فلمّا سَمِعوا القرآنَ استَمَعُوا له، فقالوا: هذا الذى حالَ بيننَا وبينَ خَبَرِ السَّماءِ. فَرَجَعوا إلى قومِهم، فقالوا: يا قومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢]. فأَوْحَى اللَّهُ إلى نبيِّه ﷺ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] الآية. أخْرَجاه فى «الصحيحَيْن»[3].

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦، من طريق أبى عوانة به.

(٢) فى النسخ: «بنخل». والمثبت من البخارى (٤٩٢١). قال ابن حجر فى الفتح ٨/ ٦٧٤: موضع بين مكة والطائف، ووقع فى رواية مسلم «بنخل» بلا هاء، والصواب إثباتها. قال البكرى فى معجم ما استعجم ٤/ ١٣٠٤: ونخلة: على لفظ واحدة النخل، موضع على ليلة من مكة، وهى التى ينسب إليها بطن نخلة، وهى التى ورد فيها الحديث ليلة الجن.

(٣) البخارى (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩).

وقال أبو بَكْرِ بنُ أبى شَيْبةَ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن عَطاءِ بنِ السّائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، [٢/٦٦ظ] عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : إنَّه لم تَكُنْ قبيلةٌ مِن الجِنِّ إلا ولهم مقاعدُ للسَّمْعِ ، فإذا نزَلَ الوَحْىُ سمِعَتِ الملائكةُ صوتًا كصوتِ الحديدةِ ألقَيْتَها على الصَّفا[2] . قال : فإذا سمِعَتِ الملائكةُ خَرُّوا سُجَّدًا ، فلم يَرْفَعوا رءُوسَهم حتى يَنْزِلَ ، فإذا نزَلَ ، قال بعضُهم لبعضٍ : ماذا قال ربُّكم ؟ فإن كانَ مِما[3] يَكونُ فى السَّماءِ قالوا : الحقَّ ، وهو العلىُّ الكَبيرُ . وإن كان مِما يَكونُ فى الأرضِ مِن أمرِ الغيبِ ، أو موتٍ ، أو شىءٍ مِمّا يَكونُ فى الأَرْضِ تَكلَّموا به ، فقالوا : يَكونُ كذا وكذا . فتَسْمَعُه الشياطينُ فيُنْزِلونَه على أوليائِهم ، فلمّا بُعِث محمدٌ ﷺ دُحِروا[4] بالنُّجومِ ، فكانَ أولَ مَن عَلِمَ بها ثَقِيفٌ ، فكانَ ذو الغَنَمِ منهم يَنطَلِقُ إلى غَنَمِه فيَذْبَحُ كلَّ يومٍ شاةً ، وذو الإبِلِ فيَنْحَرُ كلَّ يومٍ بعيرًا ، فأَسْرَعَ الناسُ فى أموالِهم ، فقالَ بعضُهم لبعضٍ : لا تَفْعَلوا ، فإنْ كانتِ النجومُ التى يَهْتَدونَ بها وإلّا فإنَّه لأمرٍ حدَثَ . فنَظَروا فإذا النجومُ التى يُهْتَدَى بها كما هى لم يَزُلْ منها شىءٌ فكَفُّوا ، وصرَفَ اللَّهُ الجِنَّ فسَمِعوا القرآنَ ، فلمّا حضَروه قالوا : أنصِتُوا . وانطلَقَتِ الشَّياطينُ إلى إبليسَ فأخبَروه ، فقال[5] : هذا حَدَثٌ حدَثَ فى الأَرْضِ ، فَأْتونِى مِن كلِّ أرضٍ

---

(١) المصنف (١٨٣٩١) .

(٢) الصفا : جمع صَفاة ، وهى الحجر العريض الأملس . الوسيط (ص ف و) .

(٣) فى ص : « ممن » .

(٤) دحره : دفعه ، وأبعده ، وطرده . الوسيط (د ح ر) .

(٥) فى الأصل : « فقالوا » .

بتُرْبةٍ . فأتَوْه بتُرْبةِ تِهامَةَ ، فقالَ : هـٰهنا الحدَثُ . (١ وروَاه البَيْهَقِيُّ[٢] والحاكِمُ مِن طريقِ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ١) به[٣] .

وقال الواقِدِيُّ[٤] : حدَّثَنى أسامةُ بنُ زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن عُمَرَ بنِ عَبْدانَ[٥] العَبْسِيِّ ، عن ابنِ[٦] كعبٍ ، قال : لم يُرْمَ بنَجْمٍ منذُ رُفِعَ عيسى حتّى تَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فرُمِيَ بها ، فرأَتْ قريشٌ أَمْرًا لم تَكُنْ تَرَاه فجعَلوا يُسَيِّبُونَ أنعامَهم ويُعْتِقونَ أَرِقَّاءَهُم[٧] يَظُنُّون أنَّه الفَناءُ ، فبلَغَ ذلك مِن فِعْلِهم أهلَ الطائفِ ، ففَعَلَتْ ثَقِيفٌ مِثْلَ ذلك ، فبلَغَ عبدَ ياليلَ بنَ عَمرٍو ما صنَعَتْ ثقيفٌ ، قال : ولِمَ فعلْتم ما أَرَى ؟ قالوا : رُمِيَ بالنُّجومِ فرأَيْناها تَهافَتُ مِن السَّماءِ . فقال : إنَّ إفادةَ المالِ بعدَ ذَهابِه شَديدٌ ، فلا تَعْجَلوا ، وانظُروا ؛ فإن تَكُنْ نُجومًا تُعْرَفُ ، فهو عندَنا مِن فناءِ الناسِ ، وإن كانَتْ نُجومًا لا تُعْرَفُ ، فهو لأمرٍ قد حدَثَ . فنظَروا فإذا هى لا تُعْرَفُ فأخبَروه ، فقال : الأمرُ فيه مُهْلةٌ بعدُ ، هذا عندَ ظهورِ نبيٍّ . فما مَكَثوا إلا يسيرًا حتى قَدِمَ عليهم أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ إلى أموالِه فجاءَ عبدُ ياليلَ ، فذاكَرَه أمرَ النُّجومِ ، فقالَ أبو سُفيانَ : ظهَرَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ يَدَّعِى أنه نبيٌّ مُرْسَلٌ . فقالَ عبدُ ياليلَ : فعندَ ذلك رُمِيَ بها .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الدلائل ٢/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ١١١، إلى الواقدى وأبى نعيم .

(٥) فى الأصل ، ص : « عبد اللّه » .

(٦) سقط من : الأصل ، م . انظر الخصائص ، وسبل الهدى والرشاد ٢/ ٢٦٧.

(٧) فى الأصل : « أرقابهم » .

وقال سَعيدُ بنُ منصورٍ[1]، عن خالدٍ، عن[2] حُصَيْنٍ، عن عامرٍ الشَّعْبِيِّ، قال: كانَتِ النجومُ لا يُرْمَى بها حتى بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فسيَّبوا أنعامَهم وأَعْتَقوا رقيقَهم. فقال عبدُ ياليلَ: انْظُروا، فإنْ كانَتِ النجومُ التى تُعْرَفُ فهو عندَ فَناءِ الناسِ، وإن كانَتْ لا تُعْرَفُ فهو لأمرٍ قد حدَثَ. فنَظَروا فإذا هى لا تُعْرَفُ. قالَ: فأمْسِكوا. فلم يَلْبثوا إلا يسيرًا حتى جاءَهم خروجُ النبىِّ ﷺ.

[٢/٦٧و] وروَى البَيْهَقِيُّ[3]، والحاكمُ مِن طريقِ العَوْفِيِّ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: لم تَكُنْ سماءُ الدُّنْيا تُحْرَسُ فى الفَتْرةِ بينَ عيسىَ ومحمدٍ، صَلواتُ اللَّهِ عليهما وسلامُه. فلعلَّ مُرادَ مَن نَفَى ذلك أنَّها لم تَكُنْ تُحْرَسُ حِراسَةً شديدةً، ويَجِبُ حَمْلُ ذلك على هذا لِمَا ثبَتَ فى الحديثِ[4] مِن طريقِ عبدِ الرزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِيِّ، عن علىِّ بنِ الحُسَيْنِ، عن ابنِ عبّاسٍ، رضِىَ اللَّهُ عنهما: بينَا رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ إذ رُمِىَ بنَجْمٍ فاستَنار، فقال: «ما كُنْتُم تَقُولونَ إذا رُمِىَ بهذا؟» قالوا: كُنَّا نَقولُ: ماتَ عظيمٌ، ووُلِدَ عظيمٌ. فقالَ: «لا، ولكن ...». فذكَرَ الحديثَ كما تقدَّمَ[5] عندَ خَلْقِ السماءِ وما فيها مِن الكواكبِ فى أولِ بَدْءِ الخَلْقِ. وللَّهِ الحمدُ.

---

(١) لم نجده فى المطبوع من سنن سعيد بن منصور. وقد أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٤١، عن سعيد ابن منصور به.

(٢) فى الأصل، م: «بن».

(٣) الدلائل ٢/ ٢٤١.

(٤) المسند ١/ ٢١٨. (إسناده صحيح).

(٥) تقدم تخريجه فى ١/ ٧٩.

وقد ذكَرَ ابنُ إسحاقَ فى « السيرةِ »[1] قصةَ رَمْيِ النُّجومِ ، وذكَرَ عن كبيرِ ثَقيفٍ أنَّه قالَ لهم فى النَّظَرِ فى النُّجومِ : إنْ كانَتْ أعلامَ السَّماءِ أو غيرَها . ولكن سمّاه عمرَو بنَ أميَّةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال السُّدِّىُّ[2] : لم تَكُنِ السَّماءُ تُحْرَسُ إلّا أن يَكونَ فى الأَرْضِ نبىٌّ أو دِينٌ لِلَّهِ ظاهرٌ ، وكانتِ الشياطينُ قبلَ محمدٍ ﷺ ، قد اتخَذَتِ المقاعدَ فى سماءِ الدُّنْيا ، يَسْتَمِعونَ ما يَحْدُثُ فى السَّماءِ مِن أَمْرٍ ، فلمّا بَعَثَ اللَّهُ محمدًا ﷺ نبيًّا رُجِموا ليلةً مِن الليالى ، ففَزِعَ لذلك أهلُ الطائفِ ، فقالوا : هلَكَ أهلُ السَّماءِ . لِمَا رَأَوْا مِن شِدَّةِ النارِ فى السَّماءِ ، واختلافِ الشُّهُبِ ، فجعَلوا يُعْتِقونَ أَرِقَّاءَهم ، ويُسَيِّبونَ مَواشِيَهم ، فقالَ لهم عبدُ ياليلَ بنُ عمرِو بنِ عُمَيْرٍ : وَيْحَكم يا مَعْشَرَ أَهْلِ الطائفِ ! أَمْسِكوا عن أموالِكم ، وانْظُروا إلى معالمِ النُّجومِ ، فإن رأَيْتُموها مُسْتَقِرَّةً فى أَمْكِنَتِها ، فلَم[3] يَهْلِكْ أَهْلُ السَّماءِ ، وإنَّما هو مِن أَجْلِ[4] ابنِ أبى كَبْشَةَ ، وإن أنتم لم تَرَوْها فقد هَلَكَ أهلُ السَّماءِ . فنَظَروا فرأَوْها فكَفُّوا عن أموالِهم ، وفزِعَتِ الشياطينُ فى تلك الليلةِ فَأَتَوْا إبليسَ ، فقال : ائْتُونى مِن كلِّ أرضٍ بقبضةٍ مِن تُرابٍ . فأَتَوْه ، فَشَمَّ ، فقال : صاحبُكم بمكَّةَ . فبعَثَ سَبْعةَ نَفَرٍ مِن جِنِّ نَصِيبِينَ ، فقَدِموا مكَّةَ ، فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ الحَرامِ يَقْرَأُ القرآنَ ، فدَنَوا منه حِرْصًا على القرآنِ حتى كادت كَلاكِلُهم[5] تُصيبُه ، ثُم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٦.

(٢) التفسير ٨/ ٢٦٨.

(٣) فى ص : « فلن » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) الكلاكل : الصدور . اللسان (كلكل) .

أَسْلَموا ، فأَنْزَلَ اللَّهُ أَمْرَهم على نبيِّه ﷺ .

وقال الوَاقِدِيُّ[1] : حدَّثَنى محمدُ بنُ صالحٍ ، عن ابنِ أبى حكيمٍ - يعنى إسماعيلَ[2] - عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : لمَّا بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أصْبَحَ كلُّ صَنَمٍ مُنَكَّسًا ، [3]فأَتَتِ الشياطينُ إبْليسَ[4] ، فقالوا له : ما على الأَرْضِ مِن صَنَمٍ إلَّا وقد أَصْبَحَ مُنَكَّسًا[3] . قال : هذا نبيٌّ قد بُعِثَ ، فالْتَمِسُوه فى قُرَى الأَرْيافِ . فالتَمَسُوه ، فقالوا : لم نَجِدْه . فقال : أنا صاحبُه . فخرَجَ يَلْتَمِسُه ، فنُودِىَ : عليك بحَبَّةِ[5] القَلْبِ[6] . يعنى مكَّةَ ، فالتَمَسَه بها ، فوجَدَه بها عندَ قَرْنِ الثَّعالِبِ[7] ، فخرَجَ إلى الشياطينِ ، فقال : إنِّى قد وجَدْتُه معَه جِبْريلُ ، فما عندَكم ؟ قالوا : نُزَيِّنُ الشَّهَواتِ فى أَعْيُنِ أصحابِه ، ونُحَبِّبُها إليهم . [٢/٦٧ظ] قالَ : فلا آسَى إذًا .

وقال الوَاقِدِيُّ[8] : حدَّثَنى طَلْحةُ بنُ عَمْرٍو ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قال : لمَّا كانَ اليومُ الذى تَنَبَّأَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ مُنِعَتِ الشياطينُ السَّماءَ ، ورُمُوا بالشُّهُبِ ، فجاءُوا إلى إبْليسَ فذكَروا ذلك له ، فقال : أَمْرٌ قد حدَثَ ؛ هذا نبيٌّ قد خرَجَ[9] ، عليكم بالأرضِ المُقَدَّسةِ ؛ مَخرَجِ بنى

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٧٨) من طريق الواقدى به .

(٢) فى النسخ : « إسحاق » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٣.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) فى النسخ : « بجنبة » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦) فى م ، ص : « الباب » .

(٧) قرن الثعالب : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة . معجم البلدان ٤/ ٧٢.

(٨) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٧٩) من طريق الواقدى به .

(٩) فى الأصل : « بعث » .

إِسْرائيلَ . قال : فذهَبوا إلى الشامِ ، ثُم رجَعوا إليه فقالوا : ليس بها أحدٌ . فقال إبْليسُ : أنا صاحبُه . فخرَجَ فى طلَبِه بمكَّةَ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ بحِراءَ مُنْحَدِرًا معَه جِبْريلُ ، فرجَع إلى أصحابِه ، فقال : قد بُعِثَ أحمدُ ومعَه جِبْريلُ ، فما عندَكم ؟ قالوا : الدُّنْيا نُحَبِّبُها إلى الناسِ . قال : فذاك إذًا .

قال الْوَاقِدِىُّ[1] : وحدَّثَنى طَلْحةُ بنُ عَمرٍو ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : كانت الشياطينُ يَسْتَمِعونَ الوَحْىَ ، فلمّا بُعِثَ محمدٌ ﷺ مُنِعوا ، فشَكَوا ذلك إلى إبْليسَ ، فقال : لقد حدَثَ أَمْرٌ . فَرَقِىَ فوقَ أبى قُبَيْسٍ - وهو أولُ جبلٍ وُضِعَ على[2] الأرضِ - فرأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى خلفَ المَقامِ ، فقال : أَذْهَبُ فأَكْسِرُ عُنُقَه . فجاء يَخْطِرُ[3] ، وجِبريلُ عندَه ، فركَضَه جِبْريلُ رَكْضةً طرَحَه فى كذا وكذا ، فوَلَّى الشَّيْطانُ هارِبًا . ثُم روَاه الواقِدِىُّ ، وأبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، كلاهما عن رَباحِ بنِ أبى مَعْروفٍ ، عن قَيْسِ بنِ سَعْدٍ ، عن مُجاهِدٍ ، فذكَرَ مِثْلَ هذا ، وقالَ : فركَضَه برِجْلِه فرَماه بعَدَنَ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٨٠) من طريق الواقدى به .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « وجه » .

(٣) خطر فى مشيه : اهتز وتبختر . الوسيط (خ ط ر) .

فَصْــلٌ

فى كَيْفِيَّةِ إِتيانِ الوَحْيِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ

قد تقدَّمَ[1] كَيْفيَّةُ ما جاءَه جِبْريلُ فى أولِ مَرَّةٍ، وثانى مَرَّةٍ أيضًا.

وقال مالكٌ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أنَّ الحارثَ بنَ هِشامٍ سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: يا رسولَ اللَّهِ، كيف يَأْتيكَ الوحىُ؟ فقال: «أَحْيَانًا يَأْتِينِى[2] مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وهو أَشَدُّه علىَّ، فَيَفْصِمُ عنى وقد وعَيْتُ ما قال، وَأَحْيانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ المَلَكُ رَجُلًا فيُكَلِّمُنى فأَعِى ما يَقولُ». قالتْ عائشةُ، رَضِىَ اللَّهُ عنها: ولقد رأَيْتُه ﷺ يَنْزِلُ عليه الوَحْىُ فى اليومِ الشديدِ البَرْدِ، فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينَه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. أخْرَجاه فى «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِن حديثِ مالكٍ به.

ورواه الإمامُ أحمدُ[4]، عن عامرِ بنِ صالحٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ به نحوَه. وكذا رَواه عَبْدةُ بنُ سُلَيْمانَ[5]، وأنسُ بنُ عِياضٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ. وقد رَواه أيوبُ السَّخْتِيانىُّ[6]، عن هِشامٍ، عن أبيه، عن الحارثِ بنِ هِشامٍ، أنَّه

---

(١) تقدم فى صفحة ٦، ٩.

(٢) بعده فى ص: «فى».

(٣) البخارى (٢). والحديث لم نجده فى مسلم عن مالك بل أخرجه مسلم (٨٧/٠٠٠) فى كتاب الفضائل من طريق سفيان بن عيينة ومحمد بن بشر، كلاهما عن هشام به. انظر التحفة ١٢/ ١٩٣.

(٤) المسند ٦/ ١٥٨.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣/٣٣٤٦) عن عبدة بن سليمان به.

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣/٣٣٤٤) عن أيوب السختيانى به.

قال: سألْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقُلْتُ: كيف يأْتيك الوَحْىُ؟ فذكَرَه، ولم يَذْكُرْ عائشةَ.

وفى حديثِ الإفْكِ[1]، قالت عائشةُ: فواللَّهِ، ما رامَ[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَه[3]، ولا خرَجَ أحَدٌ مِن أهلِ البَيْتِ حتى أُنْزِلَ عليه، فأخَذَه ما كان يَأْخُذُه مِن البُرَحاءِ[4]، حتّى إنَّه كانَ يَتَحَدَّرُ مِنه مِثْلُ [٢/٦٨و] الجُمانِ[5] مِن العَرَقِ، وهو فى يومٍ شاتٍ؛ مِن ثِقَلِ الوَحْيِ الذى يَنْزِلُ عليه.

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثَنا عبدُ الرَّزّاقِ، أخبرَنى يُونُسُ بنُ سُلَيْمٍ، قال: أَمْلَى علىَّ يُونُسُ بنُ يَزِيدَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُرْوةَ، عن[7] عبدِ الرحمنِ بنِ عبدٍ القارِىِّ، سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ يَقولُ: كان إذا نزَلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ الوَحْىُ، يُسْمَعُ عندَ وَجْهِه كدَوِىِّ النَّحْلِ. وذكَرَ تَمامَ الحديثِ فى نُزولِ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١]. وكذا رَواه التِّرْمِذىُّ، والنَّسائىُّ[8] مِن حَديثِ عبدِ الرزَّاقِ. ثُم قال النَّسائىُّ: مُنكَرٌ، لا نَعْرِفُ أحدًا رَواه غيرَ يُونُسَ بنِ سُلَيْمٍ، ولا نَعْرِفُه.

---

(١) البخارى (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) ما رام رسول اللَّه ﷺ مجلسه: ما فارقه.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٤) البرحاء: الشدة والمشقة. اللسان (ب ر ح).

(٥) الجمان: اللؤلؤ.

(٦) المسند ١/ ٣٤. (إسناده صحيح).

(٧) فى النسخ: «بن». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦٣.

(٨) الترمذى (٣١٧٣)، والنسائى فى الكبرى (١٤٣٩). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٢٠).

وفى «صحيحِ مُسْلِمٍ» وغيرِه[1]، مِن حديثِ الحسنِ، عن حِطّانَ بنِ عبدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ، عن عُبَادةَ بنِ الصّامتِ، قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نزَلَ عليه الوَحْىُ كَرَبَه ذلك وتَرَبَّدَ[2] وَجْهُه - وفى رِوايةٍ[3]: وغمَّضَ عَيْنَيْه. وكُنّا نَعْرِفُ ذلك مِنه.

وفى «الصَّحِيحَيْنِ»[4] حديثُ زيدِ بنِ ثابتٍ حينَ نَزَلَتْ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ٩٥]. [5]فلمّا شكَى ابنُ أُمِّ مَكْتومٍ ضَرارتَه نزَلَتْ[5]: ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ [النساء: ٩٥]. قال: وكانت فَخِذُ رسولِ اللَّهِ ﷺ على فَخِذى، وأنا أَكْتُبُ، فلمّا نزَلَ الوَحْىُ كادت فَخِذُه تَرُضُّ فَخِذى.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[6] مِن حديثِ همامِ بنِ يَحْيَى، عن عطاءٍ، عن [7]صَفْوانَ بنِ يَعْلَى بنِ أُمَيَّةَ[7]، عن يَعْلَى بنِ أُميَّةَ، قال: قال لى عمرُ: أيَسُرُّكَ أنْ تَنْظُرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو يُوحَى إليه؟ فرفَعَ طَرَفَ الثوبِ عن وجهِه، وهو يُوحَى إليه بالجِعْرَانَةِ[8]، فإذا هو مُحْمَرُّ الوجهِ، وهو يَغِطُّ كما يَغِطُّ البَكْرُ.

وثبَتَ فى «الصحيحَيْنِ»[9] مِن حديثِ عائشةَ: لَمَّا نزَلَ الحِجابُ، وإنَّ

---

(١) مسلم (١٦٩٠)، والنسائى فى الكبرى (٧١٤٣، ٧٩٨٠).

(٢) تربد وجهه: تغير إلى الغبرة. النهاية ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٤٤.

(٤) البخارى (٢٨٣١، ٢٨٣٢، ٤٥٩٢)، ومسلم (١٨٩٨).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) مسلم (١١٨٠).

(٧ - ٧) سقط من: النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٨) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهى إلى مكة أدنى. معجم ما استعجم ٢/ ٣٨٤.

(٩) البخارى (٤٧٩٥، ٥٢٣٧)، ومسلم (٢١٧٠).

سَوْدَةَ خرَجَتْ بعدَ ذلك إلى المَناصِعِ[1] لَيلًا ، فقال عمرُ : قد عرَفْناكِ يا سَوْدةُ . فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فسألَتْه - وهو جالسٌ يَتَعَشَّى ، والعَرْقُ[2] فى يدِه - فأَوْحَى اللَّهُ إليه ، والعَرْقُ فى يدِه ، ثُم رفَعَ رَأْسَه ، فقال : « إنَّه قد أُذِنَ لكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحاجَتِكُنَّ » . فدلَّ هذا على أنَّه لم يكنِ الوَحْىُ يُغَيِّبُ عنْه إحْسَاسَه بالكُلِّيَّةِ ؛ بدليلِ أنه جالسٌ [3]لم يَسْقُطْ[3] ، ولم يَسْقُطِ العَرْقُ أيضًا مِن يدِه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه دائمًا عليه .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[4] : حدَّثَنا عبّادُ بنُ منصورٍ ، حدَّثَنا عِكْرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أُنْزِلَ عليه الوَحْىُ تَرَبَّدَ لذلك جسدُه ووجهُه ، وأمسكَ عن أصحابِه ، ولم يُكَلِّمْه أحَدٌ مِنهم .

وفى مُسْنَدِ أحمدَ[5] وغيرِه مِن حديثِ ابنِ لَهِيعَةَ ، حَدَّثَنى يَزِيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن عَمْرِو بنِ الوليدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل تُحِسُّ بالوَحْيِ ؟ قال : « نعم ، أَسْمَعُ صَلاصِلَ[6] ، ثُم أَثْبُتُ عندَ ذلك ، وما مِن مرَّةٍ يُوحَى إلَىَّ إلَّا ظَنَنْتُ أنَّ نَفْسى تَفِيظُ[7] منه » .

---

(١) المناصع : جمع مَنْصَع ، وهى المواضع التى يتخلى فيها لقضاء الحاجة . النهاية ٥/ ٦٥.

(٢) العرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم ، وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة . الوسيط (ع ر ق) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) لم نجده فى المطبوع من مسند أبى داود الطيالسى . وقد عزاه فى سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧، إلى أبى داود الطيالسى .

(٥) المسند ٢/ ٢٢٢. (إسناده صحيح) . والحديث عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٦، إلى أحمد والطبرانى ، وقال : إسناده حسن .

(٦) الصلاصل : جمع صلصلة ، والصلصلة : صوت الحديد إذا حرك . النهاية ٣/ ٤٦.

(٧) فاظ فلان : مات . ويقال : فاظت نفسُه وروحه . الوسيط (ف ى ظ) .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[1] : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ الحَجَّاجِ ، حدَّثَنا عبدُ الواحدِ ابنُ زِيادٍ ، حدَّثَنا عاصمُ [٢/٦٨ظ] بنُ كُلَيْبٍ ، [2]حدَّثَنا أبى[2] ، عن خالِه الفَلَتانِ[3] بنِ عاصمٍ ، قال : كُنَّا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأُنْزِلَ عليه ، وكان إذا أُنْزِلَ عليه دامَ بَصَرُه مفتوحةً عَيْناه ، وفرَّغَ سمعَه وقلْبَه لِمَا يَأْتيه مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وروَى أبو نُعَيْمٍ[4] مِن حديثِ قُتَيْبَةَ ، حدَّثنا عليُّ بنُ غُرابٍ ، عن الأَحْوَصِ ابنِ حَكِيمٍ ، عن أبى عَوْنٍ[5] ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نزَلَ عليه الوحىُ صُدِعَ ، وغلَّفَ رأْسَه بالحِنَّاءِ . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثَنا أبو معاويةَ شَيْبانُ[7] ، عن لَيْثٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ ، قالتْ : إنِّى لآخِذَةٌ بزِمامِ

---

(١) مسند أبى يعلى (١٥٨٣) .

(٢ - ٢) سقط من سند أبى يعلى فى مسنده ، وقد أشار إلى ذلك محقق المسند فى حاشية رقم ٢ ص ٣/ ١٥٧. والسند كاملا مذكور فى الإحسان (٤٧١٢) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٢٨٠، ٧/ ٩: رجال أبى يعلى ثقات .

وقد أخرج الحديث ابن حبان (٤٧١٢) عن أبى يعلى به . (إسناده قوى) .

(٣) فى الأصل ، م : « العليان » . انظر الإصابة ٥/ ٣٧٧.

(٤) عزاه صاحب الكنز إلى أبى نعيم فى كتاب الطب (١٨٤٧٠) . والحديث أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٣٠٢٨) عن الأحوص بن حكيم به . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٩٥: رواه البزار ، وفيه الأحوص بن حكيم وقد وثق ، وفيه ضعف كثير ، وأبو عون لم أعرفه .

(٥) فى الأصل ، م : « عوانة » . انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ١٩١.

(٦) المسند ٦/ ٤٥٥.

(٧) فى م ، ص : « سنان » . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٢.

العَضْبَاءِ، ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، إذْ نَزَلَتْ عليه المائدةُ كُلُّها، وكادتْ مِن ثِقَلِهَا تَدُقُّ عَضُدَ الناقةِ. وقد روَاه أبو نُعَيْمٍ[1] مِن حديثِ الثَّوْرِيِّ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ به.

وقال الإمامُ أحمدُ[2] أيضًا: حدَّثَنا حسنٌ، حدَّثَنا ابنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنى حُيَيٌّ[3] بنُ عبدِ اللَّهِ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِيِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، قال: أُنزِلَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ سورةُ «المائدةِ»، وهو راكبٌ على راحلتِه، فلم تَسْتَطِعْ أنْ تَحْمِلَه، فنَزَلَ عنها. ورَوَى ابنُ مَرْدَوَيْهِ[4] مِن حديثِ صَبَّاحِ بنِ سَهْلٍ، عن عاصمٍ الأَحْوَلِ، حدَّثَتْنى أمُّ عَمرٍو، عن عمِّها، أنَّه كان فى مَسِيرٍ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فنزَلَتْ عليه سورةُ «المائدةِ»، فانْدَقَّ عُنُقُ الراحلةِ مِن ثِقَلِها. وهذا غريبٌ مِن هذا الوَجْهِ.

ثُم قد ثَبَتَ فى «الصحيحَيْنِ»[5] نُزُولُ سورةِ «الفَتْحِ» على رسولِ اللَّهِ ﷺ مَرْجِعَه مِن الحُدَيْبِيَةِ، وهو على راحلتِه، فكأنَّه يكونُ تارةً وتارةً، بحَسَبِ الحالِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد ذكَرْنا أنواعَ الوَحْيِ إليه ﷺ، فى أولِ «شَرْحِ البُخارِيِّ»، وما ذكَرَه الحَلِيمِيُّ وغيرُه مِن الأئمةِ، رضِىَ اللَّهُ عنهم.

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٥٢، وعزاه إلى أبى نعيم فى الدلائل.

(٢) المسند ٢/ ١٧٦. (إسناده صحيح).

(٣) فى النسخ: «جبر». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٨.

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٥٢. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) البخارى (٤٨٣٣)، ومسلم (١٧٨٦).

فصل

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] . وكان هذا فى الابتداءِ ؛ كان عليه السلامُ ، مِن شِدَّةِ حِرْصِه على أخْذِه مِن المَلَكِ ما يُوحَى إليه عن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، لِيُساوِقَه[3] فى التِّلاوةِ ، فأمرَه اللَّهُ تعالى أنْ يُنْصِتَ لذلك حتّى يَفْرُغَ مِن الوَحْى ، وتَكَفَّلَ له أنْ يَجْمَعَه فى صَدْرِه ، وأنْ يُيَسِّرَ عليه تِلاوَتَه وتَبْلِيغَه ، [4]وأنْ يُبَيِّنَه له[4] ، ويُفَسِّرَه ، ويُوَضِّحَه ، ويُوقِفَه على المرادِ منه ، ولهذا قال : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ ﴾ أى ؛ فى صَدْرِك [٢/ ٦٩و] ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ أى ؛ وأنْ تَقْرَأَه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أى ؛ تَلاه عليك المَلَكُ ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أى ؛ فاسْتَمِعْ له وتَدَبَّرْهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ وهو نظيرُ قولِه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ .

وفى « الصحيحَيْنِ »[5] مِن حديثِ موسى بنِ أبى عائشةَ ، عن سَعيدِ بنِ

---

(١) التفسير ٨/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) التفسير ٥/ ٣١٢، ٣١٣.

(٣) ساوقه : تابعه وسايره وجاراه . الوسيط (س و ق) .

(٤ - ٤) سقط من : ص . وانظر التفسير ٥/ ٣٠٣.

(٥) البخارى (٥، ٤٩٢٧ - ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤)، ومسلم (٤٤٨) .

جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعالِجُ مِن التَّنْزِيلِ شِدَّةً؛ فكان يُحَرِّكُ شَفَتَيْه، فأنزلَ اللَّهُ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال: جَمْعَهُ في صَدْرِك، ثم تقرؤه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فاسْتَمِعْ له وأَنْصِتْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ قال: فكان إذا أَتاه جِبْرِيلُ أَطْرَقَ[1]، فإذا ذَهَبَ قرَأَه كما وعَدَه اللَّهُ، عزَّ وجلَّ.

فَصْـلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[2]: ثُم تَتابَعَ الوَحْيُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو مُصَدِّقٌ بما جاءَه مِنه، قد قبِلَه بقَبولِه، وتَحَمَّلَ منه ما حَمَلَه، على رِضا العبادِ وسُخْطِهم، وللنُّبُوَّةِ أثقالٌ ومُؤْنَةٌ[3]، لا يَحْمِلُها ولا يَسْتَضْلِعُ بها إلا أهلُ القوَّةِ والعَزْمِ مِن الرُّسُلِ، بعَوْنِ اللَّهِ وتَوْفيقِه؛ لِمَا يَلْقَوْنَ من الناسِ، وما يُرَدُّ عليهم مِمَّا جاءوا به عن اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، فمَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ما أمَرَ اللَّهُ، على ما يَلْقَى مِن قومِه مِن الخلافِ والأذى.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وآمَنَتْ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وصَدَّقَتْ بما جاءَه مِن اللَّهِ، ووازَرَتْه[5] على أمْرِهِ، وكانتْ أوَّلَ مَن آمنَ باللَّهِ ورسولِه، وصدَّق بما جاءَ

---

(١) أطرق: أمال رأسه إلى صدره، وسكت فلم يتكلم. الوسيط (ط ر ق).

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١١١، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠.

(٣) المؤنة: الشدة.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١١٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠.

(٥) وازره على الأمر: أعانه وقواه. الوسيط (و ز ر).

مِنه ، فخفَّفَ اللَّهُ بذلك [1]عن رسولِه[1] ؛ لا يَسْمَعُ شيئًا يَكْرَهُه ؛ مِنْ رَدٍّ عليه ، وتَكْذيبٍ له فيُحْزِنُهُ ذلك ، إلا فَرَّجَ اللَّهُ عنه بها إذا رجَعَ إليها تُثَبِّتُه ، وتُخَفِّفُ عليه ، وتُصَدِّقُه ، وتُهَوِّنُ عليه أمْرَ الناسِ ، رَضِيَ اللَّهُ عنها وأَرْضاها .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثَنى هِشامُ بنُ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجةَ بِبَيْتٍ مِن قَصَبٍ[3] ، لَا صَخَبَ[4] فيه ، وَلَا نَصَبَ » . وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصَّحِيحيْنِ »[5] مِن حديثِ هِشامٍ . قالَ ابنُ هِشامٍ : القَصَبُ هـٰهنا اللُّؤْلُؤُ المُجَوَّفُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ جميعَ ما أنعَمَ اللَّهُ به عليه وعلى العِبادِ مِن النبوةِ سِرًّا ، إلى مَن يَطْمَئِنُّ إليه مِن أهلِه .

وقال موسَى بنُ عُقْبةَ ، عن الزُّهْرِىِّ[7] : كانتْ خديجةُ أولَ مَنْ آمَنَ باللَّهِ ، وصَدَّقَ رَسُولَه ، قبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلاةُ .

قلتُ : يَعْنى الصلواتِ الخمسَ ليلةَ الإسراءِ ، فأمّا أصلُ الصّلاةِ ، فقد وَجَبَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤١.

(٣) قال النووى فى شرح مسلم ١٥/ ٢٠٠: قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف . وقيل : قصب من ذهب منظوم بالجوهر . قال أهل اللغة : القصب من الجوهر ما استطال منه فى تجويف . قالوا : ويقال لكل مجوف : قصب . وقد جاء فى الحديث مفسرا ببيت من لؤلؤة محياة ، وفسروه بمجوفة . قال الخطابى وغيره : المراد بالبيت هنا القصر .

(٤) صخب : اختلاط الأصوات .

(٥) البخارى (٣٨١٨، ٥٢٢٩، ٦٤٠٠)، ومسلم (٢٤٣٤، ٢٤٣٥) .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٣. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٠٦، عن ابن إسحاق .

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٤٣، عن موسى بن عقبة عن الزهرى .

فى حياةِ خديجةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، كما سنُبَيِّنُه .

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانتْ خديجةُ أولَ مَن آمَنَ باللَّهِ ورسولِه ، وصَدَّقَ بما جاءَ به ، ثُم إنَّ جِبْريلَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتُرِضَتْ عليه الصَّلاةُ ، فهَمَزَ له بعَقِبِه فى ناحيةِ الوادى [٢/٦٩ظ] فانفجَرَتْ له عينٌ مِن ماءِ زَمْزَمَ ، فتَوَضَّأَ جِبْريلُ ومحمدٌ ، عليهما السَّلامُ ، ثُم صلَّى رَكْعتَيْنِ ، وسجَدَ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ ، ثُم رَجَعَ النبىُّ ﷺ وقد أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَه ، وطابت نَفْسُه ، وجاءَه ما يُحِبُّ مِن اللَّهِ ، فأخَذَ بيَدِ خديجةَ حتى أَتَى بها العَيْنَ ، فتَوَضَّأَ كما تَوَضَّأَ جِبْريلُ ، ثُم ركَعَ رَكْعَتَيْن ، وأَرْبعَ سَجَدَاتٍ ، ثُم كان هو وخديجةُ يُصَلِّيان سِرًّا .

قلتُ : صلاةُ جِبْريلَ هذه غيرُ[2] الصَّلاةِ التى صَلَّاهَا به عندَ البيتِ مَرَّتَيْنِ ، فَبَيَّنَ له أوقاتَ الصلواتِ الخمسِ ؛ أولَها[3] وآخِرَها ؛ فإنَّ ذلك كان بعدَ فَرْضِيَّتِها ليلةَ الإسراءِ ، وسيَأْتى بيانُ ذلك ، إن شاءَ اللَّهُ ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١١٢، ١١٧. وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠، ٢٤٤.

(٢) فى الأصل : «عين» .

(٣) سقط من : «الأصل» .

فصلٌ

(١) فى ذِكْرِ (١) أولِ مَن أَسْلَمَ،

(٢) ثُم ذِكْرِ (٢) مُتَقَدّمى الإسلامِ

مِن (٣) الصحابةِ (٤) رَضِى اللّهُ عنهم (٤)

قال ابنُ إسحاقَ (٥) : ثُم إنَّ عَلِيَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، جاءَ بعدَ ذلك بيومٍ ، وهما يُصَلِّيَان ، فقال عليٌّ : يا محمدُ ، ما هذا ؟ قال : دِينُ اللَّهِ الذى اصْطَفَى لنفسِه ، وبعَثَ به رُسُلَه ، فأدْعُوكَ إلى اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له ، وإلى عبادتِه ، وكُفْرٍ (٦) باللَّاتِ والعُزَّى . فقال عَلِيٌّ : هذا أمرٌ لم أَسْمَعْ به قبلَ اليومِ ، فلستُ بِقَاضٍ أمْرًا حتى أُحَدِّثَ به أبا طالبٍ . فكَرِهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُفْشِىَ عليه سِرَّه قبلَ أَنْ يَسْتَعْلِنَ أمْرُه ، فقال له : « يا عليُّ ، إذا لم تُسْلِمْ فاكْتُمْ » . فمكَثَ عليٌّ تلك الليلةَ ، ثُم إنَّ اللَّهَ أَوْقَعَ فى قلبِ عليٍّ الإسلامَ ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « من » .

(٣) فى م : « و » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « وغيرهم » .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١١٨ .

(٦) فى م : « أن تكفر » .

فأصْبَح غَادِيًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتّى جاءَه، فقال: ماذا عَرَضْتَ علىَّ يا محمدُ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه لا شريكَ له، وتَكْفُرُ باللَّاتِ والعُزَّى، وتَبْرَأُ مِن الأندادِ». ففعَلَ علىٌّ وأَسْلَمَ، ومكَثَ يَأْتِيهِ على خَوْفٍ مِن أبى طالبٍ، وكتَمَ علىٌّ إسلامَه ولم يُظْهِرْه، وأسلَمَ ابنُ حارِثَةَ، يَعْنى زَيْدًا، فمَكَثا قريبًا مِن شَهْرٍ، يَخْتَلِفُ علىٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانَ مما أنْعَمَ اللَّهُ به على علىٍّ أنَّه كان فى حِجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ الإسلامِ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: حدَّثَنى ابنُ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: وكانَ مِن نِعْمةِ اللَّهِ علَى علىٍّ أنَّ قُرَيْشًا أصابَتْهم أزمةٌ شديدةٌ، وكانَ أبو طالبٍ ذا عيالٍ كثيرةٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمِّهِ العباسِ، وكان مِن أَيْسَرِ بنى هاشمٍ: «يا عباسُ، إنَّ أخاك أبا طالبٍ كثيرُ العيالِ، وقد أصابَ الناسَ ما تَرى مِن هذه الأَزْمةِ، فانطلِقْ حتى نُخَفِّفَ عنه مِن عيالِه». فأخَذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا فضَمَّه إليه، فلم يَزَلْ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتَّى بعَثَه اللَّهُ نبيًّا، فاتَّبَعَه علىٌّ وآمَنَ به وصَدَّقَه.

وقال يُونُسُ[2] بنُ بُكَيْرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى يَحْيَى بنُ أبى الأَشْعَثِ الكِنْدىُّ، مِن أهلِ الكوفةِ، حدَّثَنى إسماعيلُ بنُ[3] إياسِ بنِ[4] عُفَيْفٍ، عن أبيه، عن جدِّه عُفَيْفٍ - وكان عُفَيْفٌ[5] أخا الأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٦.

(٢) سقط من: ص.

(٣) بعده فى النسخ: «أبى». والمثبت من سيرة ابن إسحاق ص ١١٩. وانظر لسان الميزان ١/ ٣٩٥.

(٤) فى ص: «عن».

(٥) بعده فى ص: «جد». وهو خطأ. انظر أسد الغابة ٤/ ٤٨، والإصابة ٤/ ٥١٥.

لأُمِّه - أنَّه قال[1] : كنتُ امرَءًا تاجرًا فقدِمْتُ مِنًى أيامَ الحَجِّ ، وكان العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ [٢/٧٠و] امْرَءًا تاجرًا ، فأَتَيْتُه أبْتاعُ منه وأَبِيعُه . قال : فبينا نحن إذ خرَجَ رَجُلٌ مِن خِباءٍ[2] فقام يُصَلِّى تِجاهَ الكعبةِ ثُم خرَجَتِ امرأةٌ فقامت تُصَلِّى ، وخَرَجَ غلامٌ فقام يُصَلِّى معه ، فقلتُ : ياعباسُ ، ما هذا الدِّينُ ؟ إنَّ هذا الدينَ ما نَدْرِى ما هو . فقال : هذا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ يَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أَرْسَلَه ، وأنَّ كُنوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ سَتُفْتَحُ عليه ، وهذه امرأتُه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ آمنَتْ به ، وهذا الغُلامُ ابنُ عَمِّه عَلِىُّ بنُ أبى طالبٍ آمَنَ به . قال عُفَيِّفٌ : فلَيْتَنى كنتُ آمنتُ يومَئِذٍ فكنتُ أكونُ ثانيًا . وتابعَه إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن ابنِ إسحاقَ[3] ، وقال فى الحديثِ : إذْ خَرَجَ رجلٌ مِن خِباءٍ قَريبٍ مِنه ، فنظَرَ إلى السماءِ فلمّا رآها قد مالتْ قام يُصَلِّى . ثُم ذكَرَ قِيامَ خديجةَ وراءَه .

وقال ابنُ جريرٍ[4] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عُبَيْدٍ المُحارِبِىُّ ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ خُثَيْمٍ[5] ، عن أسدِ بنِ عَبْدةَ البَجَلِىِّ ، عن يَحْيى بنِ عُفَيِّفٍ ، [6]عن عُفَيِّفٍ[6] ، قال : جئتُ زَمَنَ[7] الجاهليةِ إلى مكةَ ، فنزَلْتُ على العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، فلمّا طَلَعَت الشمسُ وحلَّقَتْ فى السماءِ ، وأنا أَنْظُرُ إلى الكعبةِ ، أقبلَ شابٌّ فرَمَى ببَصَرِه إلى السَّماءِ ، ثُم اسْتَقْبَلَ الكعبةَ فقامَ مُسْتَقْبِلَها ، فلم يَلْبَثْ حتى

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١١٩.

(٢) الخباء : بيت من وبر أو شعر أو صوف ، يكون على عمودين أو ثلاثة . الوسيط (خ ب أ) .

(٣) ذكر متابعة إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٦٣.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١١. قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٤١: حديث حسن جدا .

(٥) فى ص : « خيثم » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤١٣.

(٦ - ٦) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الإصابة ٤/ ٥١٥.

(٧) فى الأصل ، ص : « من » .

جاءَ غلامٌ (١ فقامَ عن يمينِه ١) ، فلم يَلْبَثْ حتى جاءت امرأةٌ فقامتْ خَلْفَهما ، فركَعَ الشابُّ فركَعَ الغلامُ والمرأةُ ، (١ فرفَعَ الشابُّ فرفعَ الغلامُ والمرأةُ ١) ، فخرَّ الشابُّ ساجدًا فسجَدا معه ، فقلتُ : يا عباسُ ، أمرٌ عظيمٌ ! فقال : (١ أمرٌ عظيمٌ ١) . فقال : أتَدْرِى مَن هذا ؟ فقلتُ : لا . فقال : هذا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، ابنُ أخى ، (١ أتَدْرِى مَن الغلامُ ؟ قلتُ : لا . قال : هذا علىُّ ابنُ أبى طالبٍ ١) ، أتَدْرِى مَن هذه المرأةُ التى خَلْفَهما ؟ قلتُ : لا . قال : هذه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ زَوجةُ ابنِ أخى ، وهذا حدَّثَنى أنَّ ربَّك ربَّ السَّماءِ (٢ أمَرَه بهذا الذى تَراهم عليه ، وايْمُ اللَّهِ ما أَعْلَمُ على ظَهْرِ الأَرْضِ كُلِّها أحدًا (٣ على هذا الدينِ ٣) غيرَ هؤلاء الثلاثةِ .

وقال ابنُ جَرِيرٍ (٤) : حدَّثَنى ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا عيسَى بنُ سَوادَةَ بنِ (٥) الجَعْدِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، وربيعةُ بنُ أبى عبدِ الرحمنِ ، وأبو حازِمٍ ، والكَلْبىُّ ، قالوا : علىٌّ أولُ مَن أسْلَمَ . قال الكَلْبىُّ : أسلَمَ وهو ابنُ تِسْعِ سِنِين .

وحدَّثَنا (٦) ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : أولُ ذَكَرٍ آمَنَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وصلَّى معه وصَدَّقَه علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وهو ابنُ عَشْرِ سِنِين ، (٧ وكان فى حِجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ الإسلامِ ٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « والأرض » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٢.

(٥) بعده فى م ، ص : « أبى » .

(٦) القائل الطبرى . تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٢.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

قال الوَاقِدِيُّ[1] : [2]أخْبَرَنا إبراهيمُ بنُ[3] نافعٍ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مُجاهِدٍ، قال: أسْلَمَ عليٌّ وهو ابنُ عَشْرِ سِنِين. قال الواقِدِيُّ[2][4] : وأجْمَعَ أصحابُنا على أنَّ عليًّا أسْلَمَ بعدَ ما تَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بسَنَةٍ. وقال محمدُ بنُ كَعْبٍ[5] : أولُ مَنْ أسلَمَ مِن هذه الأمَّةِ خديجةُ، وأولُ رَجُلَيْن أسْلَما أبو بكرٍ، وعليٌّ، وأسلَمَ عليٌّ قبلَ أبى بكرٍ، وكان عليٌّ يَكْتُمُ إيمانَه خَوْفًا مِن أبيه، حتى لَقِيَه أبوه، قال: أسْلَمْتَ؟ قال: نَعَمْ. قال: وآزِرِ ابنَ عَمِّكَ وانصُرْه. قال: وكان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ أولَ مَن أظْهَرَ الإسلامَ.

وروَى ابنُ جَرِيرٍ فى «تاريخِه»[6] مِن حديثِ شُعْبَةَ، عن أبى بَلْجٍ، عن عَمرِو بنِ مَيْمونٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: أولُ مَن صَلَّى عليٌّ.

وحدَّثنا [7]زكريا بنُ يحيى الضريرُ، حدَّثنا[7] [٢/٧٠ظ] عبدُ الحميدِ بنُ بَحْرٍ[8]، حدَّثَنا شَرِيكٌ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ، عن جابرٍ، قال: بُعِثَ النبىُّ ﷺ يومَ الاثنينِ، وصلَّى عليٌّ يومَ الثلاثاءِ.

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٤، من طريق الواقدى به.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى النسخ: «عن». والمثبت من مصدر التخريج. انظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٤، من طريق الحارث عن ابن سعد عن الواقدى به.

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٦٣، عن محمد بن كعب.

(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠.

(٧ - ٧) سقط من: النسخ، واستدرك من تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠.

(٨) فى النسخ: «يحيى». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر لسان الميزان ٣/ ٣٩٥، ٣٩٨.

ورَوَى[1] مِن حديثِ شُعبةَ، عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، عن أبى حمزةَ[2] - رَجُلٍ مِن الأَنصارِ - سَمِعْتُ زيدَ بنَ أَرْقَمَ، يَقولُ: أولُ مَن أسْلَمَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، علىُّ بنُ أبى طالبٍ. قال: فذكَرْتُه للنَّخَعِىِّ فأنكَرَه، وقال: أبو بكرٍ أولُ مَن أسْلَمَ.

ثُم قال[3]: حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسَى، حدَّثَنا العَلاءُ، عن المِنْهالِ بنِ عَمْرٍو، عن عبّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ، سمِعْتُ عَلِيًّا يقُولُ: أنا عبدُ اللَّهِ، وأخو رسولِه، وأنا الصِّدِّيقُ الأكبرُ، لا يقُولُها بعدى إلَّا كاذبٌ مُفْتَرٍ، صَلَّيْتُ قَبْلَ الناسِ بسبعِ سِنين. وهكذا رَوَاه ابنُ ماجه[4]، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ الرازىِّ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ابنِ موسَى العَبْسىِّ[5] - وهو شيعىٌّ مِن رجالِ الصحيحِ - عن العَلاءِ بنِ صالحٍ الأَسَدىِّ[6] الكوفىِّ وثَّقوه[7]، ولكن قال أبو حاتمٍ[8]: كان مِن عُتُقِ الشِّيعةِ. وقال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[8]: روَى أحاديثَ مناكيرَ، والمِنهالُ بنُ عَمرٍو ثقةٌ، وأمّا شيخُه عبّادُ بنُ عبدِ اللَّهِ - وهو الأَسَدىُّ الكوفىُّ - فقد قال فيه علىٌّ

---

(١) أى ابن جرير. تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠. كما أخرجه الترمذى (٣٧٣٥) من طريق الطبرى به. قال الألبانى: صحيح الإسناد عن زيد، متصل عن النخعى. (صحيح سنن الترمذى ٧/ ٢٩٣).

(٢) فى ص: «جمرة». انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤٦.

(٣) القائل الطبرى. تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠.

(٤) ابن ماجه (١٢٠). قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٨: هذا كذب على علىٍّ. وقال الألبانى: باطل (ضعيف سنن ابن ماجه ٢٣).

(٥) فى الأصل، م: «الفهمى». انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

(٦) فى النسخ: «الأزدى». انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥١١.

(٧) ذكر ذلك المزى فى تهذيب الكمال ٢٢/ ٥١٢، فقال: قال عباس الدُّورى، وأبو بكر بن أبى خيثمة عن يحيى بن معين، وأبو داود: ثقة.

(٨) ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣/ ١٠١.

ابنُ المَدِينىِّ[1] : هو ضعيفُ الحديثِ . وقال البُخَارِىُّ[2] : فيه نَظَرٌ . وذكَرَه ابنُ حِبَّانَ فى « الثقاتِ »[3] . وهذا الحديثُ مُنكَرٌ بِكلِّ حالٍ ، ولا يَقولُه علىٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، وكيفَ يُمْكِنُ أن يُصَلِّىَ قبلَ الناسِ بسبعِ سِنين ؟! هذا لا يُتَصَوَّرُ أصلًا . واللَّهُ أعلمُ . وقال آخَرون[4] : أولُ مَن أسلَمَ مِن هذه الأمةِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ . والجَمْعُ بينَ الأقوالِ كلِّها أنَّ خديجةَ أولُ مَن أسلَمَ مِن النساءِ ، وظاهرُ السِّياقاتِ ، وقبلَ الرجالِ أيضًا . وأولُ مَن أسلَمَ مِن الموالى زيدُ بنُ حارثةَ ، وأولُ مَن أسلَمَ مِن الغِلْمانِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، فإنَّه كان صغيرًا دونَ البُلوغِ ، على المشهورِ ، وهؤلاءِ كانوا ، إذ ذاك ، أهلَ البيتِ ، وأولُ مَن أسلَمَ مِن الرجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، وإسلامُه كانَ أنفعَ [5]مِن إسلامِ[5] مَن تقدَّمَ ذِكْرُهم ؛ إذ كانَ صَدْرًا[6] مُعَظَّمًا ، ورئيسًا فى قريشٍ مُكَرَّمًا ، وصاحبَ مالٍ ، وداعِيةً إلى الإسلامِ ، وكان مُحَبَّبًا مُتَأَلِّفًا يَبْذُلُ المالَ فى طاعةِ اللَّهِ ورسولِه ، كما سيأْتى تَفْصيلُه .

قال يُونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[7] : ثُم إنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ لقِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالَ : أحَقٌّ ما تقولُ قريشٌ يا محمدُ مِنْ تَرْكِك آلهتَنا ، وتَسْفيهِك عقولَنا ، وتَكْفيرِك آباءَنا[8] ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بلى ، إنِّى رسولُ اللَّهِ

---

(١) ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٨.

(٢) التاريخ الكبير ٦/ ٣٢.

(٣) الثقات ٥/ ١٤١.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٤، ٣١٥.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) صدر القوم : رئيسهم . الوسيط (ص د ر) .

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٠.

(٨) فى الأصل : « إيانا » .

ونبيُّه ، بَعَثَنِى لأُبَلِّغَ رسالتَه ، وأَدْعُوك إلى اللَّهِ بالحقِّ ، فواللَّهِ إنَّه لَلْحَقُّ ، أَدْعوك يا أبا بكرٍ ، إلى اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له ، ولا تَعْبُدْ غيرَه ، والموالاةِ على طاعتِه » . وقرَأَ عليه القرآنَ ، فلم يُقِرَّ ولم يُنْكِرْ ، فأسلَمَ وكفَرَ بالأصنامِ ، وخلَعَ الأندادَ وأقرَّ بحقِّ الإسلامِ ، ورجَعَ أبو بكرٍ وهو مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : [٧١/٢و] حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الحُصَينِ التميمِىُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما دَعَوْتُ أَحَدًا إلى الإسْلَامِ إلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبْوةٌ[2] وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ ، إلَّا أَبَا بَكْرٍ مَا عَكَمَ عنه حينَ ذكَرْتُه ، وَلَا تَرَدَّدَ فيه » . عَكَمَ ، أى تَلَبَّثَ . وهذا الذى ذكَرَه ابنُ إسحاقَ فى قولِه : فلم يُقِرَّ ولم يُنْكِرْ . مُنْكَرٌ ؛ فإنَّ ابنَ إسحاقَ وغيرَه[3] ذكَروا أنَّه كان صاحبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ البِعْثَةِ ، وكان يَعْلَمُ مِن صِدْقِه ، وأمانتِه ، وحُسْنِ سَجِيَّتِه[4] ، وكَرَمِ أخْلاقِه ، ما يَمْنَعُه مِن الكَذِبِ على الخَلْقِ ، فكيفَ يَكْذِبُ على اللَّهِ ؟! ولهذا بمجرَّدِ ما ذَكَرَ له أنَّ اللَّهَ أرسلَه ، بادَرَ إلى تَصْدِيقِه ، ولم يَتَلَعْثَمْ ، ولا عَكَمَ ، وقد ذكَرْنا كيفيةَ إسلامِه فى كتابِنا الذى أفرَدْناه فى سيرتِه ، وأوْرَدْنا فضائِلَه وشَمَائِلَه ، وأَتْبَعْنا ذلك بسيرةِ الفاروقِ أيضًا ، وأوْرَدْنا ما رَواه كلٌّ منهما عن النبىِّ ﷺ مِن الأحاديثِ ، وما رُوِىَ عنه مِن الآثارِ والأحكامِ والفَتاوَى ، فبلَغَ ذلك ثلاثَ مُجَلَّداتٍ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢.

(٢) الكبوة : الوقفة عند الشىء يدعى إليه الإنسان أو يطلب منه . الوسيط (ك ب و) .

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٦٤، ١٦٥. وتاريخ دمشق ٣٠/ ٤٦.

(٤) فى الأصل : « شجيته » . والسجية : الطبيعة والخلق .

وقد ثبَت فى « صحيحِ البُخَارِىِّ »[1] ، عن أبى الدَّرْدَاءِ فى حديثِ ما كان بينَ أبى بكرٍ وعمرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، مِن الخصومةِ ؛ وفيه : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى إلَيْكم ، فَقُلْتُم : كَذَبْتَ . وَقَال أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ . وواسانِى بِنَفْسِه وَمالِه ، فهل أنتم تَارِكُوا لى صَاحبى ؟ » . مَرَّتَيْنِ ، فما أُوذِىَ بعدَها ، وهذا كالنَّصِّ على أنَّه أوَّلُ مَن أَسْلَمَ ، رضِىَ اللَّهُ عنه .

وقد روَى التِّرْمِذِىُّ ، وابنُ حِبَّانَ[2] مِن حديثِ شُعْبةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ[3] ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه : ألستُ أحقَّ الناسِ بها ، ألستُ أولَ مَن أسلَمَ ، ألستُ صاحبَ كذا ؟

وروَى ابنُ عَساكِرَ[4] مِن طريقِ بُهْلُولِ بنِ عُبَيْدٍ ، حدَّثَنا أبو إسحاقَ السَّبِيعىُّ ، عن الحارثِ ، سَمِعْتُ عَلِيًّا ، يَقولُ : أولُ مَن أسلَمَ مِن الرجالِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، وأولُ مَن صَلَّى مع النبىِّ ﷺ مِن الرجالِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ . وقال شُعْبَةُ : عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى حمزةَ ، عَن زيدِ بنِ أَرْقَمَ قال : أولُ مَن صَلَّى معَ النبىِّ ﷺ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ[5] .

وقد تقدَّم روايةُ ابنِ جَرِيرٍ[6] لهذا الحديثِ مِن طريقِ شُعبةَ ، عن عَمرِو بنِ

---

(١) البخارى (٣٦٦١، ٤٦٤٠) .

(٢) الترمذى (٣٦٦٧) ، والإحسان (٦٨٦٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٩٨) .

(٣) فى ص : « الجزيرى » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٣٨.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٨.

(٥) بعده فى الأصل ، م : « رواه أحمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى : حسن صحيح » . والظاهر أنه لم يروه أحد من المذكورين بهذا اللفظ من حديث شعبة . بل المروى عندهم من حديث شعبة ؛ ما تقدم فى صفحة ٦٦ من رواية ابن جرير حاشية (١) ، . وهو فى مسند أحمد ٤/ ٣٦٨، ٣٧١. والترمذى (٣٧٣٥) . والنسائى فى الكبرى (٨١٣٧) .

(٦) تقدم فى صفحة ٦٦.

مُرَّةَ، عن أبى حَمزةَ[1]، عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ، قال: أولُ مَن أسلَمَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ. قال عَمرُو بنُ مُرَّةَ: فذكَرْتُه لإبراهيمَ النَّخَعِىِّ فأنكَرَه، وقال: أولُ مَن أسلَمَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

وروَى الوَاقِدىُّ[2] بأسانيدِه، عن أبى أَرْوَى الدَّوْسىِّ[3]، وأبى سَلَمةَ[4] بنِ عبدِ الرحمنِ و[5]جماعةٍ مِن السَّلَفِ: أولُ مَنْ أسلَمَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ.

وقال يَعقوبُ بنُ سُفيانَ[6]: حَدَّثَنا أبو بكرٍ الحُمَيْدىُّ، حدَّثَنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عن مالكِ بنِ مِغْوَلٍ، عن رَجُلٍ، قال: سُئِلَ ابنُ عباسٍ: مَن أَوَّلُ مَن آمَنَ؟ فقال: أبو بكرٍ، أمَا سمِعْتَ قولَ حسانَ[7]:

إذا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِن أخى ثِقَةٍ ... فاذكُرْ أَخَاكَ أبا بَكْرٍ بما فَعَلا
خَيْرَ البَرِيَّةِ أَوْفَاهَا وأعدَلَها ... بعدَ النبىِّ وأولاها بما حَمَلا
والتالىَ الثانىَ المحمودَ مَشهَدُه ... وأَوَّلَ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلَا
[٢/٧١ظ] عاشَ حَميدًا لأمرِ اللَّهِ مُتَّبِعًا ... بأمْرِ صاحبِهِ الماضى وما انتَقَلا

وقد روَاه أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[8]، حدَّثَنا شيخٌ لنا، عن مُجَالِدٍ، عن عامرٍ، قال: سألتُ ابنَ عباسٍ - أو: سُئل ابنُ عباسٍ -: أىُّ الناسِ أولُ إسلامًا؟ قال:

---

(١) فى ص: «جمرة». وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤٦.
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ١٧١، عن محمد بن عمر الواقدى به.
(٣) فى ص: «الروس». انظر أسد الغابة ٦/ ٩.
(٤) فى الأصل، م: «مسلم». وهو خطأ. انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٥.
(٥) فى الأصل، م: «فى».
(٦) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٣.
(٧) ديوان حسان ص ٢١١، ٢١٢.
(٨) مصنف ابن أبى شيبة (١٨٤٣٣).

أَمَا سَمِعْتَ قولَ حسانَ بنِ ثابتٍ . فذكَرَه ، وهكذا روَاه الهيثمُ بنُ عَدِيٍّ[1] ، عن مُجَالِدٍ ، عن عامرٍ الشَّعْبِيِّ : سأَلْتُ ابنَ عباسٍ . فذَكَرَه .

وقال أبو القاسمِ البَغَوِيُّ[2] : حدَّثَنى سُرَيجُ بنُ يُونُسَ ، حدَّثَنا يُوسُفُ بنُ المَاجِشُونِ ، قال : أَدْرَكتُ مشيخَتَنا منهم ؛ محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، وربيعةُ بنُ أبى عبدِ الرحمنِ ، وصالحُ بنُ كَيْسَانَ ، وعثمانُ بنُ محمدٍ ، لا يَشُكُّونَ أَنَّ أولَ القومِ إسلامًا أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قلتُ : وهكذا قال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ[3] ، ومحمدُ بنُ كَعْبٍ[4] ، ومحمدُ بنُ سِيرِينَ[5] ، وسعدُ بنُ إبراهيمَ ، وهو المشهورُ عن جمهورِ أهلِ السنّةِ .

وروَى ابنُ عَسَاكِرَ[6] ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، ومحمدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّهما قالا : لم يَكُنْ أولَهم إسلامًا ، ولكن كان أفضلَهم إسلامًا . قال سعدٌ : وقد آمَنَ قبلَه خمسةٌ .

وثبَت فى « صحيحِ البُخَارِىِّ »[7] ، مِن حديثِ هَمَّامِ بنِ الحارثِ ، عن عَمَّارِ ابنِ يَاسرٍ قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وما معه إلَّا خَمسَةُ أَعْبُدٍ ، وامرأتانِ ، وأبو بكرٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٠، والطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٥. كلاهما من طريق الهيثم بن عدى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٣، من طريق عبد اللَّه بن محمد أبى القاسم البغوى به .

(٣) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٤) الذى تقدم عن محمد بن كعب ، أن أول من أسلم هو على بن أبى طالب .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٧.

(٦) تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٥، ٤٦.

(٧) البخارى (٣٦٦٠، ٣٨٥٧) .

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[1] ، وابنُ مَاجَه[2] ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عـن زِرٍّ ، عـن ابنِ مسعودٍ قال : أولُ مَن أظهَرَ الإسلامَ سبعةٌ ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [3]وأبو بكرٍ[3] ، وعمارٌ ، وأمُّه سُمَيَّةُ ، وصُهَيْبٌ ، وبلالٌ ، والمِقْدَادُ ، فأمّا رسولُ اللَّهِ ﷺ فمنَعَه اللَّهُ بِعَمِّهِ ، وأمَّا أبو بكرٍ فمنعه اللَّهُ بقَوْمِه ، وأمّا سائرُهُم فأخَذَهم المشركون فألْبَسوهم أدْرُعَ الحديدِ وصَهَرُوهم فى الشمسِ ، فما مِنهم مِن أحدٍ إلَّا وقد واتاهم[4] على ما أَرادوا ، إلَّا بلالًا فإنَّه هانَتْ عليه نفسُه فى اللَّهِ ، وهانَ على قومِه ، فأخَذوه فأعطَوْه الوِلْدَانَ ، فجعَلوا يَطُوفُونَ به فى شِعَابِ مكةَ ، وهو يَقولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ . وهكذا روَاه الثَّوْرِىُّ[5] ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ مُرْسَلًا .

فأمّا ما روَاه ابنُ جريرٍ[6] قائلًا : أخبَرَنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا كِنانةُ بنُ جَبَلَةَ[7] ، عن إبراهيمَ بنِ طَهْمانَ ، عن حَجَّاجٍ ، عن قتادةَ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن محمدِ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، قال : قلتُ لأبى : أكانَ أبو بكرٍ أوَّلَكم إسلامًا ؟ قال : لا ، ولقد أسلَمَ قبلَه أكثرُ مِن خمسين ، ولكن كان أفضلَنا إسلامًا . فإنَّه حديثٌ مُنكَرٌ إسنادًا ومَتْنًا .

قال ابنُ جريرٍ[8] : وقال آخَرون : كان أولَ مَن أسلَمَ زيدُ بنُ حارثةَ . ثُم

---

(١) المسند ١/ ٤٠٤. (إسناده صحيح).

(٢) ابن ماجه (١٥٠). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢).

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى ص: «أتاهم». وواتاه على الأمر: طاوعه.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٣٨، عن الثورى به.

(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٦.

(٧) فى الأصل، م: «حبلة». وهو تصحيف. وفى ص: «حميلة». وانظر لسان الميزان ٤/ ٤٩٠.

(٨) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٦.

رَوَى مِن طريقِ الواقِدِىِّ[1] ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، سأَلْتُ الزُّهْرِىَّ : مَن أولُ مَن أسْلَمَ مِن النساءِ؟ قال : خديجةُ . قلتُ : فمِن الرجالِ؟ قال : زيدُ بنُ حارثةَ . وكذا قال عُروةُ ، وسليمانُ بنُ يَسارٍ ، وغيرُ واحدٍ : أولُ مَن أَسْلَمَ مِن الرجالِ زيدُ بنُ حارثةَ[2] . وقد أَجابَ أبو حنيفةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بالجَمْعِ بينَ هذه الأقوالِ بأنَّ أولَ مَن أسلَمَ مِن الرجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ ، ومِن النساءِ خديجةُ ، ومِن الموالى زيدُ بنُ حَارثةَ ، ومِن الغِلْمَانِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعينَ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : فلمّا أسلَمَ أبو بكرٍ وأظهَرَ إسلامَه دعا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكانَ أبو بكرٍ رجلًا مَأْلَفًا لقومِه مُحَبَّبًا سَهْلًا ، وكان أَنْسَبَ قريشٍ لقريشٍ ، [٢/٧٢و] وأعلَمَ قريشٍ بما كانَ فيها مِن خيرٍ وشَرٍّ ، وكانَ رجلًا تاجرًا ذا خُلُقٍ و[4] مَعْرُوفٍ ، وكان رجالُ قومِه يَأْتونَه ويَأْلَفونَه ، لغيرِ واحدٍ مِن الأمرِ ؛ لعِلْمِه ، وتِجارتِه ، وحُسْنِ مجالستِه ، فجعَلَ يَدْعو إلى الإسلامِ مَن وَثِقَ به مِن قومِه مِمَّن يَغْشاه ويَجْلِسُ إليه ، فأسلَمَ على يديه فيما بلَغَنى الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وعثمانُ بنُ عفّانَ ، وطَلْحَةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، وسعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، وعبدُ الرحمنِ ابنُ عَوْفٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، فانطلَقُوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعَهم أبو بكرٍ ، فعرَضَ عليهم الإسلامَ ، وقرَأَ عليهم القرآنَ ، وأنبأَهم بحقِّ الإسلامِ فآمَنوا ، وكان هؤلاءِ النَّفَرُ الثمانيةُ الذين سبَقوا إلى الإسلامِ ، فصدَّقوا رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى ص : « الزهرى » .

(٢) أخرج ذلك كله ، الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٦، ٣١٧.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٢١، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٩.

(٤) ليست فى : ص .

وآمَنوا بما جاءَ مِن عندِ اللَّهِ .

وقال محمدُ بنُ عُمَرَ الوَاقِدِىُّ[1] : حدَّثَنى الضحّاكُ بنُ عثمانَ ، عن مَخْرَمةَ ابنِ سليمانَ الوالبىِّ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ[2] طَلْحةَ ، قال : قال طلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : حَضَرْتُ سوقَ بُصْرَى ، فإذا راهبٌ فى صَومعتِه يَقولُ : سَلُوا أهلَ المَوْسِمِ : أفيهم رجلٌ مِن أهلِ الحَرَمِ ؟ قال طَلْحةُ : قلتُ : نعم أنا . فقال : هل ظهَرَ أحمدُ بعدُ ؟ قلتُ : ومَن أحمدُ ؟ قال : ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، هذا شَهْرُه الذى يَخْرُجُ فيه ، وهو آخِرُ الأَنبياءِ ، مَخْرَجُه مِن الحَرَمِ ، ومُهاجَرُه إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ[3] وسِباخٍ[4] ، فإيَّاكَ أن تُسْبَقَ إليه . قال طَلْحةُ : فوقَعَ فى قلْبى ما قال ، فخرَجْتُ سريعًا حتى قَدِمْتُ مكةَ ، فقلتُ : هلِ كانَ مِن حَدَثٍ ؟ قالوا : نعم ، محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأمينُ تَنَبَّأَ ، وقد اتَّبَعَه ابنُ أبى قُحافَةَ . قالَ : فخرَجْتُ حتى دَخَلْتُ على أبى بكرٍ ، فقلت : أَتبِعْتَ هذا الرَّجُلَ ؟ قال : نعم ، فانْطَلِقْ إليه ، فادْخُلْ عليه ، فاتَّبِعْه ؛ فإنَّه يَدْعو إلى الحقِّ ، فأَخْبَرَه طَلْحةُ بما قالَ الراهبُ . فخرَجَ أبو بكرٍ بطلحةَ فدخَلَ به على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأسلَمَ طلحةُ ، وأَخْبَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ بما قالَ الراهبُ ، فَسُرَّ بذلك ، فلمّا أسلَمَ أبو بكرٍ وطلحةُ أخَذَهما نَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدِ بنِ العَدَوِيَّةِ - وكان [5]يُدْعَى أسدَ[5] قريشٍ - فشَدَّهما فى حَبْلٍ واحدٍ ، ولم يَمْنَعْهما بنو تَيْمٍ[6] ؛ فلذلك سُمِّى أبو بكرٍ وطَلْحةُ القَرِينَيْنِ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/١٦٥ - ١٦٧، من طريق الواقدى به .

(٢) بعده فى النسخ : « أبى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٧٢.

(٣) الحرة : أرض ذات حجارة سود نَخِرات كأنها أحرقت بالنار . اللسان (ح ر ر) .

(٤) سباخ : جمع سَبَخة ، وهى أرض ذات ملح ونز . اللسان (س ب خ) .

(٥ - ٥) فى ص : « من أشد » . وهو لفظ رواية أخرى بسند ثان عند البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٦٦.

(٦) فى ص : « تميم » .

وقال النبيُّ ﷺ: «اللهم اكفِنا شرَّ ابنِ العَدَوِيَّةِ». رواه البَيْهَقِيُّ[1].

وقال الحافظُ أبو الحسنِ خَيْثمةُ بنُ سليمانَ الأَطْرابُلُسيُّ[2]: حدَّثَنا عبدُ[3] اللَّهِ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ العُمَرِيُّ قاضى المِصِّيصَةِ[4]، حدَّثَنا أبو بكرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيْدِ[5] اللَّهِ بنِ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ عِمْرانَ بنِ موسَى بنِ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، حدَّثَنى أبى عُبَيْدُ اللَّهِ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ [6]بنُ محمدِ[6] بنِ عِمرانَ بنِ[7] إبراهيمَ ابنِ محمدِ بنِ طَلْحةَ، حدَّثَنى أبى محمدُ بنُ عِمْرانَ، عن القاسمِ بنِ محمدِ ابنِ أبِى بكرٍ، عن عائشةَ، رضِىَ اللَّهُ عنها، قالَتْ: خرَجَ أبو بكرٍ يريدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وكانَ له صَديقًا فى الجاهليةِ، فَلَقِيَه فقال: يا أبا القاسمِ، فُقِدْتَ مِن مجالسِ قومِك، واتَّهَموك بالعَيْبِ لآبائِها وأمهاتِها. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى رسولُ اللَّهِ أَدْعوك إلى اللَّهِ». فلمّا فرَغَ مِن كلامِه أسلَمَ أبو بكرٍ، فانطلَقَ عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وما بينَ الأَخْشَبَيْنِ أحدٌ أكثرُ سرورًا منه بإسلامِ أبى بكرٍ، ومضَى أبو بكرٍ فراحَ لعثمانَ بنِ عَفَّانَ، وطَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، والزُّبَيْرِ بنِ العوَّامِ، وسعدِ بنِ أبى وقّاصٍ، فأَسْلَموا، ثُم جاءَ الغدَ بعثمانَ بنِ مَظْعُونٍ، وأبى عُبَيْدةَ بنِ الجرَّاحِ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، [٢/٧٢ظ] وأبى

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ١٦٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٨ - ٥١، من طريق أبى الحسن خيثمة بن سليمان به.

(٣) فى م، ص: «عبيد».

(٤) المصيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. معجم البلدان ٤/ ٥٥٨.

(٥) فى الأصل: «عبد».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

(٧) سقط من: ص.

سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسدِ ، والأَرْقمِ بنِ أبى الأَرقمِ ، فأسلَموا ، رضِىَ اللَّهُ عنهم . قال عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ[1] : فحدَّثَنى أبى محمدُ بنُ عمرانَ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن عائشةَ ، قالتْ : لمّا اجتمَعَ أصحابُ النبىِّ ﷺ فكانوا ثمانيةً وثلاثين رجلًا أَلَحَّ أبو بكرٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الظُّهورِ ، فقال : « يا أبا بكرٍ ، إنَّا قَلِيلٌ » . فلم يَزَلْ أبو بكرٍ يُلِحُّ حتى ظهَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وتفرَّق المسلمونَ فى نواحى المسجدِ ، كلُّ رجلٍ فى عشيرتِه ، وقامَ أبو بكرٍ فى الناسِ خطيبًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ ، فكان أولَ خطيبٍ دَعا إلى اللَّهِ وإلى رسولِه ﷺ ، وثارَ المشركون على أبى بكرٍ وعلى المسلمين ، فَضُرِبُوا فى نواحى المسجدِ ضَرْبًا شديدًا ، ووُطِئَ أبو بكرٍ ، وضُرِبَ ضَرْبًا شديدًا ، ودنا منه الفاسقُ عُتْبةُ بنُ ربيعةَ ، فجعَلَ يَضْرِبُه بنَعْلَيْن مَخْصُوفَيْن[2] ويُحَرِّفُهما لوجهِه ، ونَزا[3] على بَطْنِ أبى بكرٍ حتى ما يُعْرَفُ وجهُه مِن أنفِه ، وجاء بنو تَيْمٍ يَتَعادَوْن ، فأجْلَتِ المشركين عن أبى بكرٍ ، وحمَلَتْ بنو تيمٍ أبا بكرٍ فى ثوبٍ حتى أَدْخَلوه مَنْزِلَه ، ولا يَشُكُّونَ فى مَوْتِه ، ثُم رجَعَتْ بنو تَيْمٍ ، فدخلوا المسجدَ ، وقالوا : واللَّهِ لئن ماتَ أبو بكرٍ لنَقْتُلَنَّ عتبةَ بنَ رَبيعةَ . فرجَعوا إلى أبى بكرٍ ، فجعَلَ أبو قُحَافَةَ وبنو تَيْمٍ يُكَلِّمون أبا بكرٍ حتى أَجابَ ، فتكَلَّمَ آخِرَ النهارِ ، فقال : ما فعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فمسُّوا منه بألسنتِهم وعذَلوه[4] ، ثُم قاموا ، وقالوا لأُمِّه أُمِّ الخَيْرِ : انْظُرِى أن تُطْعِميه شيئًا ، أو تَسْقِيه إياه . فلمَّا خَلَتْ به أَلَحَّتْ عليه ، وجعَلَ يَقولُ : ما فعَلَ

---

(١) فى الأصل : « عمر » .

(٢) خصف النعل : خاطه بالمخيط .

(٣) نزا عليه : وثب .

(٤) عذله : لامه .

رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقالتْ: واللَّهِ ما لى عِلْمٌ بصاحِبِك. فقال: اذْهَبِى إلى أمِّ جَميلِ بنتِ الخطَّابِ فاسْأليها عنه. فخرَجَتْ حتّى جاءتْ أمَّ جَميلٍ، فقالَتْ: إنَّ أبا بكرٍ يَسْأَلُكِ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ. فقالتْ: ما أَعْرِفُ أبا بكرٍ ولا محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ، وإن كنتِ تُحِبِّينَ أن أذهَبَ معَكِ إلى ابنِك؟ قالتْ: نَعَمْ. فمضَتْ معَها حتى وجَدَتْ أبا بكرٍ صَرِيعًا دَنِفًا[1]، فدَنَتْ أمُّ جَميلٍ، وأعلَنَتْ بالصِّيَاحِ، وقالتْ: واللَّهِ إنَّ قومًا نالوا هذا مِنك لأَهلُ فِسْقٍ وكُفْرٍ، وإنِّى لَأَرْجو أن يَنْتَقِمَ اللَّهُ لكَ. قال: فما فعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قالتْ: هذه أمُّك تَسْمَعُ. قال: فلا شىءَ عليكِ منها. قالت: سالِمٌ صالِحٌ. قال: أينَ هو؟ قالتْ: فى دارِ ابنِ أبى[2] الأَرقمِ. قال: فإنَّ للَّهِ علىَّ ألا أذوقَ طَعامًا ولا أَشْرَبَ شَرَابًا أو[3] آتِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ. فأَمْهَلَتا حتى إذا هدَأَتِ الرِّجْلُ وسكَنَ الناسُ، خرَجَتا به يَتَّكِئُ عليهما حتّى أَدْخَلَتَاه على رسولِ اللَّهِ ﷺ، قالَ: فأكَبَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَه وأكَبَّ عليه المسلمون، ورَقَّ له رسولُ اللَّهِ ﷺ رِقَّةً شديدةً، فقال أبو بكرٍ: بأبى وأمِّى، يا رسولَ اللَّهِ ليس بى بأسٌ إلَّا ما نالَ الفاسقُ[4] مِن وَجْهى، وهذه أمِّى بَرَّةٌ بولدِها، وأنت مبارَكٌ فَادْعُها إلى اللَّهِ، وادعُ اللَّهَ لها؛ عسَى اللَّهُ أنْ يَسْتَنْقِذَها بك مِن النارِ. قال: فدعَا لها رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم دَعاها إلى اللَّهِ، فأسْلَمَتْ، وأَقاموا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الدارِ شَهْرًا، وهم تِسعةٌ

---

(١) الدنف: المريض الذى اشتد مرضه وأشفى على الموت. الوسيط (د ن ف).

(٢) سقط من: النسخ ومصدر التخريج. انظر أسد الغابة ١/ ٧٤.

(٣) «أو» هنا بمعنى «إلَّا» أو «حتى» والفعل بعدها ينصب بأن مضمرة وجوبا.

(٤) فى الأصل: «الناس».

وثلاثون رجلًا، وقد كانَ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ أسْلَمَ يومَ ضُرِبَ أبو بكرٍ، ودَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ بنِ الخطابِ ولأبى [٢/٧٣و] جَهْلِ بنِ هشامٍ، فأصبَحَ عمرُ، وكانتِ الدعوةُ يومَ الأربِعاءِ فأسلمَ عمرُ يومَ الخميسِ، فكبَّرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأهلُ البيتِ تَكْبِيرةً سُمِعَتْ بأعْلَى مكةَ، وخرَجَ أبو الأرقمِ - وهو أَعْمى كافرٌ - وهو يَقولُ: اللهمَّ اغفِرْ[1] لبَنِىَّ غيرَ[2] الأَرْقمِ فإنه كفَرَ. فقام عمرُ فقال: يا رسولَ اللَّهِ عَلامَ نُخْفِى دينَنا، ونحن على الحقِّ ويَظْهَرُ دينُهم وهم على الباطلِ؟! قال: «يا عُمَرُ، إنَّا قليلٌ، قد رأيْتَ ما لَقِينا». فقال عمرُ: فوالذى بعثَك بالحقِّ، لا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فيه بالكفْرِ إلا أَظْهَرْتُ فيه الإيمانَ. ثُم خرَجَ فطافَ بالبيتِ، ثُم مرَّ بقريشٍ وهى تَنْتَظِرُه، فقال أبو جهلِ بنُ هِشَامٍ: يَزْعُمُ فلانٌ أنك صَبَأْتَ. فقال عمرُ: أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لا شَريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه. فوثَبَ المشركون إليه، ووثَبَ على عُتْبَةَ فبَرَكَ عليه، فجعَلَ يَضْرِبُه، وأَدْخَلَ أُصْبُعَه فى عَيْنَيْه، فجعَلَ عُتْبَةُ يَصيحُ فتَنَحَّى الناسُ فقامَ عمرُ، فجعَلَ لا يَدْنو منه أحدٌ إلَّا أخَذَ شَريفَ مَن دَنا منه، حتَّى أعْجَزَ الناسَ، واتَّبَعَ المجالسَ التى كانَ يُجالِسُ فيها فيُظْهِرُ الإيمانَ، ثُم انصرَفَ إلى النبىِّ ﷺ وهو ظاهرٌ عليهم، قال: ما عليك بأبى وأمِّى، واللَّهِ ما بَقِىَ مَجْلِسٌ كنتُ أَجْلِسُ فيه بالكفرِ إلَّا أظْهَرْتُ فيه الإيمانَ غيرَ هائبٍ ولا خائفٍ. فخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وخرَجَ عمرُ أمامَه، وحمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ حتى طافَ بالبيتِ وصَلَّى الظُّهْرَ مُعْلِنًا[3]، ثُم انصرَفَ إلى دارِ الأرقمِ ومعه عمرُ، ثُم

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) فى م، ص: «عبيد».

(٣) فى النسخ: «مؤمنا». والمثبت من مصدر التخريج.

انصرَفَ عمرُ وحْدَه ، ثُم انصرَفَ[1] النبيُّ ﷺ . والصحيحُ أنَّ عمرَ إنَّما أسلَمَ بعدَ خروجِ المهاجِرين إلى أرضِ الحبشةِ ، وذلك فى السنةِ السادسةِ مِن البِعْثةِ ، كما سيأْتى فى مَوْضِعِه إنْ شاء اللَّهُ ، وقد استقْصَيْنا كيفيةَ إسلامِ أبى بكرٍ وعمرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، فى كتابِ سيرتِهما على انفِرادِها ، وبسَطْنا القولَ هنالك ، وللَّهِ الحمدُ .

وثبَت فى « صحيحِ مُسْلمٍ »[2] مِن حديثِ أبى أُمَامَةَ ، عن عمرِو بنِ عَبَسَةَ السُّلَمِىِّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى أولِ ما بُعِثَ وهو بمكةَ ، وهو حينَئذٍ مُسْتَخْفِيًا ، فقلتُ : ما أنت[3] ؟ قال : « أنا نبىٌّ » . فقلتُ : وما النبىُّ ؟ قال : « رسولُ اللَّهِ » . قلتُ : آللَّهُ أرسَلَك ؟ قال : « نعم » . قلتُ : بم أرسَلَك ؟ قال : « بأن تَعْبُدَ اللَّهَ وحْدَه لا شريكَ له ، وتَكْسِرَ الأصنامَ ، وتَصِلَ الأرحامَ » . قال : قلتُ : نِعْمَ ما أرسلَك به ، فمَن معك على هذا ؟ قال : « حُرٌّ وعبدٌ » .- يَعْنِى أبا بكرٍ وبلالًا - قال : فكانَ عَمْرٌو يَقولُ : لقد رأيتُنى وأنا رُبُعُ الإسلامِ . قال : فأسْلَمْتُ . قلتُ : فأَتَّبِعُك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « لا ، ولكنِ الْحَقْ بقومِك ، فإذا أُخْبِرْتَ أنِّى قد خَرَجْتُ فاتَّبِعْنى » . ويُقالُ : إنَّ معنى قولِه ، عليه السلامُ : « حُرٌّ وعَبْدٌ » . اسمُ جِنْسٍ ، وتفسيرُ ذلك بأبى بكرٍ وبلالٍ فقط فيه نَظَرٌ ؛ فإنَّه قد كانَ جماعةٌ قد أسْلَموا قبلَ عمرِو بنِ عَبَسَةَ ، وقد كانَ زيدُ ابنُ حارثةَ أسلَمَ قبلَ بلالٍ أيضًا ، فلعلَّه أخبرَ أنَّه رُبُعُ الإسلامِ بحَسَبِ عِلْمِهِ ؛ فإنَّ

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) مسلم (٨٣٢) .

(٣) قال النووى فى شرح صحيح مسلم ٦/ ١١٥ : إنما قال : ما أنت ؛ ولم يقل : من أنت . لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته ، والصفات مما لا يعقل .

المسلمين كانوا إذ ذاك يَسْتَسِرُّون بإسلامِهم لا يَطَّلِعُ على أمْرِهم كثيرُ أحدٍ مِن قراباتِهم، دعِ الأجانبَ، دعْ أهلَ الباديةِ مِن الأعرابِ. واللَّهُ أعلمُ.

وفى «صحيحِ البخاريِّ»[1] مِن طريقِ أبى أُسامةَ، [٢/٧٣ظ] عن هاشمِ بنِ هاشمٍ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قال: سمِعْتُ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ يَقولُ: ما أسلَمَ أحدٌ فى اليومِ الذى أسلَمْتُ فيه، ولقد مكَثْتُ سبْعةَ أيامٍ، وإنِّى لثُلُثُ الإسلامِ. أمّا قولُه: ما أسلَمَ أحدٌ فى اليومِ الذى أسلَمْتُ فيه. فسَهْلٌ، ويُرْوَى[2]: إلَّا فى اليومِ الذى أسلَمْتُ فيه. وهو مُشكِلٌ؛ إذ يَقْتَضِى أنَّه لم يَسْبِقْه أحدٌ بالإسلامِ، وقد عُلِمَ أنَّ الصِّدِّيقَ، وعَلِيًّا، وخديجةَ، وزيدَ بنَ حارثةَ أَسْلَموا قبلَه، كما قد حَكى الإجماعَ على تقدُّمِ إسلامِ هؤلاءِ غيرُ واحدٍ، منهم؛ ابنُ الأثيرِ[3]، ونصَّ أبو حنيفةَ[4]، رَحِمه اللَّهُ، على أنَّ كلًّا مِن هؤلاءِ أسلَمَ قبلَ أبناءِ[5] جِنْسِه. واللَّهُ أعلمُ. وأمّا قولُه: ولقد مكَثْتُ سبعةَ أيامٍ، وإنِّى لثُلُثُ الإسلامِ. فمُشْكِلٌ، وما أدْرِى على ماذا يُوضَعُ عليه إلَّا أن يكونَ أَخْبَرَ بحَسَبِ ما عَلِمَه. واللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[6]: حدَّثَنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ، وهو ابنُ مَسْعُودٍ، قال: كنتُ غُلَامًا يافِعًا[7] أَرْعَى غَنَمًا لعُقْبةَ بنِ

---

(١) البخارى (٣٨٥٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٢٠/ ٢٩٨.

(٣) الكامل ٢/ ٥٧. وأسد الغابة ٢/ ٢٨٣، ٧/ ٨٧.

(٤) تقدم فى صفحة ٧٣.

(٥) سقط من: ص.

(٦) مسند أبى داود (٣٥٣).

(٧) يفع الغلام: شب وترعرع، أو شارف الاحتلام وناهز البلوغ، وكذا الفتاة. الوسيط (ى ف ع).

أبى مُعَيْطٍ بمكةَ ، فأتى عَلَىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ - وقد فَرَّا مِن المشركين - فقال - أو : فقالا - : عندَك يا غلامُ لَبَنٌ تَسْقِينا ؟ قلتُ : إنى مُؤْتَمَنٌ ، ولستُ بساقيكما . فقال : هل عندَك مِن جَذَعَةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ بعدُ ؟ قلتُ : نعم . فأتَيْتُهما بها ، فاعتَقَلَها أبو بكرٍ ، وأخذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الضَّرْعَ ، فدَعا فَحَفَلَ[1] الضَّرْعُ ، وأتاه أبو بكرٍ بصخرةٍ مُتَقَعِّرةٍ فحَلَبَ فيها ثُمَّ شَرِبَ هو وأبو بكرٍ ، ثُم سَقيانى ، ثُم قالَ للضَّرْعِ : « اقلِصْ » . فقلَصَ ، فلمّا كان بعدُ أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : عَلِّمْنِى مِن هذا القولِ الطيبِ - يعنى القرآنَ - فقال : « إنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ » . فأَخذْتُ مِن فِيه سبعينَ سُورَةً ما ينازِعُنِى فيها أَحَدٌ . وهكذا روَاه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن عَفَّانَ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ به . ورَواه الحَسَنُ بنُ عَرَفَةَ[3] ، عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ به .

وقال البَيْهَقِىُّ[4] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ بنُ بَطَّةَ الأَصْبهانىُّ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ الجَهْمِ ، حدَّثَنا الحسينُ بنُ الفَرَجِ ، حدَّثَنا محمدُ ابنُ عُمَرَ ، حدَّثَنى جعفرُ بنُ محمدِ بنِ خالدِ بنِ الزُّبَيْرِ ، (٥ عن أبيه - أو ٥) عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ - قالَ : كانَ إسلامُ خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ قديمًا ، وكانَ أولَ إخوتِه أسْلَمَ ، وكان بَدْءُ إسلامِه أنَّه رأَى فى المنامِ أنَّه وُقِفَ به على شَفِيرِ[6] النارِ ، فذكَرَ مِن سَعَتِها ما اللَّهُ أعلمُ به ، ويَرَى فى النومِ

---

(١) حفل الضرع : اجتمع فيه اللبن .

(٢) المسند ١/ ٣٧٩، ٤٦٢. (إسناده صحيح) .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٧٢، من طريق الحسن بن عرفة به .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٧٢، ١٧٣.

(٥ - ٥) كذا بالنسخ . وغير موجودة بمصدر التخريج .

(٦) الشفير : الحرف والجانب والناحية .

كأنَّ آتيًا أتاه يَدْفَعُه فيها ، ويَرَى رسولَ اللَّهِ ﷺ آخِذًا بحَقْوَيْه لا يَقَعُ ، فَفَزِعَ مِن نومِه ، فقال : أحْلِفُ باللَّه ، إنَّ هذه لرُؤيا حقٌّ . فلَقِيَ أبا بكرِ بنَ أبى قُحافةَ فذكَرَ ذلك له ، فقال (١أبو بَكْرٍ١) : أُرِيدَ بك خيرٌ ، هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فاتَّبِعْه ؛ فإنَّك ستَتَّبِعُه وتَدْخُلُ معه فى الإسلامِ ، والإسلامُ يَحْجِزُكَ أن تَدْخُلَ فيها ، وأبوك واقعٌ فِيها . فلَقِى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بأَجْيادَ[٢] ، فقال : يا محمدُ ، إلامَ تَدْعُو ؟ قال : « أَدْعو إلى اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وتَخْلَعُ ما أنت عليه مِن عِبادةِ حَجَرٍ لا يَسْمَعُ ، ولا يُبْصِرُ ، ولا يَضُرُّ ، ولا يَنْفَعُ ، ولا يَدْرِى مَن عَبَدَه مِمَّن لم يَعْبُدْه . [٧٤/٢و] قال خالدٌ : فإنِّى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ . فَسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بإسلامِه ، وتغيَّبَ خالدٌ وعَلِمَ أبوه بإسلامِه ، فأرسلَ فى طَلَبِه فأُتِىَ به ، فأنَّبه وضرَبَه بمِقْرَعةٍ[٣] فى يدِه حتَّى كسَرَها على رأْسِه ، وقال : واللَّهِ ، لأَمْنَعَنَّكَ القُوتَ . فقال خالدٌ : إن منَعْتَنى ، فإنَّ اللَّهَ يَرْزُقُنى ما أَعيشُ به . وانصَرَفَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكانَ يُكْرِمُه[٤] ويَكونُ معَه .

(١ - ١) ليست فى : الأصل ، م .

(٢) أجياد : موضع من بطحاء مكة ، من منازل قريش البطاح . معجم ما استعجم ١/ ١١٥ .

(٣) المقرعة : خشبة يضرب بها .

(٤) فى ص ، ومصدر التخريج : « يلزمه » .

ذِكْرُ[1] إسلامِ حَمْزةَ

ابنِ عبدِ المُطَّلِبِ عَمّ النبىّ ﷺ

قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ: عن محمدِ بنِ إسحاقَ[2]، حدَّثنى رجلٌ مِن[3] أسْلَمَ - وكان واعيةً - أنَّ أبا جَهْلٍ اعترَضَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عندَ الصَّفَا فآذاه، وشَتَمَه، ونالَ مِنه ما يَكْرَهُ مِن العَيْبِ لدِينِه، فذُكِرَ ذلك لحمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، فأقبَل نحوَه حتى إذا قامَ على رأْسِه رفَع القَوْسَ فضرَبَه بها ضَرْبَةً شَجَّه مِنها شَجَّةً مُنْكَرةً، وقامَتْ رجالٌ مِن قريشٍ مِن بنى مَخْزُومٍ إلى حَمزةَ؛ لِيَنْصُروا أبا جَهْلٍ منه، وقالوا: ما نراك يا حمزةُ إلَّا قد صَبَأْتَ. قال حمزةُ: وما يَمْنَعُنى وقد استَبان لى مِنه، و[4] أنا[5] أَشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأَنَّ الذى يَقولُ حَقٌّ، فواللَّهِ لا أَنْزِعُ، فامْنَعونى إن كنتُم صادِقِينَ. فقالَ أبو جهلٍ: دَعُوا أبا عُمارَةَ؛ فإنِّى واللَّهِ لقد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سَبًّا قبيحًا. فلمّا أَسْلَمَ حمزةُ عَرَفَتْ قريشٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد عَزَّ وامتَنَعَ، فَكَفُّوا عما كانوا يَتناوَلونَ منه، وقال حمزةُ فى ذلك شِعْرًا.

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٥١، ١٥٢ مطولا. وسيرة ابن هشام ١/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) فى الأصل، م: «ممن».

(٤) زيادة من سيرة ابن إسحاق.

(٥) فى الأصل، م: «ما».

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم رجَعَ حمزةُ إلى بيتِه ، فأتاه الشيطانُ فقالَ : أنت سيدُ قريشٍ ، اتَّبَعْتَ هذا الصابِئَ وترَكْتَ دِينَ آبائِك ، لَلموتُ خَيْرٌ لك مِما صنَعْتَ . فأقبلَ على[2] حمزةَ بَثُّه[3] ، وقال : ما صنَعْتُ ! اللهم إن كان رُشْدًا فاجعَلْ تَصْديقَه فى قَلْبى ، وإلَّا فاجْعَلْ لى مما وقَعْتُ فيه مَخْرَجًا . فباتَ بليلةٍ لم يَبِتْ بمثلِهَا ؛ مِن وَسْوَسَةِ الشيطانِ حتّى أَصْبَحَ فغَدا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا بنَ أخى ، إنِّى قد وقَعْتُ فى أمْرٍ لا أَعْرِفُ المَخْرَجَ منه ، وإقامةُ مثلى على ما لا أَدْرِى ما هو أَرَشَدٌ هو أم غَىٌّ ، شديدٌ ، فحدِّثْنِى حديثًا ؛ فقد اشتَهَيْتُ يا بنَ أخى أن تُحَدِّثَنى . فأقبَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَّره ووَعَظَه ، وخَوَّفَه وبَشَّرَه ، فألْقَى اللَّهُ فى نَفْسِه الإيمانَ بما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : أَشْهَدُ أنَّك الصادِقُ شهادةَ الصِّدْقِ ، فأظْهِرْ يا بنَ أخى دينَك ، فواللَّهِ ما أُحِبُّ أنَّ لى ما أظلَّتْه السماءُ وأنِّى على دِينى الأولِ . فكانَ حمزةُ مِمَّنْ أعزَّ اللَّهُ به الدِّينَ . وهكذا رَواه البَيْهَقِىُّ ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يُونُسَ ابنِ بُكَيْرٍ به[4] .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « على نفسه » . وفى ص : « نفسه » . والبث : أشد الحزن . تاج العروس (ب ث ث) .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢١٣.

ذِكْرُ إسلامِ أبى ذَرٍّ، رَضِىَ اللهُ عنه

قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[1] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يعقوبَ الحافظُ، حدَّثَنا الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ زيادٍ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ الرُّومىِّ، حدَّثَنا النَّضْرُ بنُ محمدٍ، حدَّثَنا عِكرمةُ بنُ عمارٍ، عن أبى زُمَيْلٍ سِماكِ بنِ الوليدِ، عن مالكِ بنِ مَرْثَدٍ، عن أبيه، عن أبى ذَرٍّ، قال: كنتُ رُبُعَ الإسلامِ، أسلَمَ قبلى ثلاثةُ [٢/٧٤ظ] نَفَرٍ، وأنا الرابعُ، أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ، أَشْهَدُ أن لا إلَه إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه. فرأيتُ الاسْتِبْشارَ فى وَجْهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. هذا سياقٌ مختصَرٌ.

وقال البُخارىُّ[2] : إسلامُ أبى ذَرٍّ، حدَّثَنا عَمرُو بنُ عباسٍ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ابنُ مَهْدِىٍّ، عن المُثَنَّى، عن أبى جَمْرَةَ[3]، عن ابنِ عباسٍ، قال: لمَّا بلَغَ أبا ذَرٍّ مَبْعَثُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال لأخيه: اركَبْ إلى هذا الوادى، فاعلَمْ لى عِلْمَ هذا الرجلِ الذى يَزْعُمُ أنَّه نبىٌّ يَأْتيه الخبرُ مِن السماءِ، واسْمَعْ مِن قولِه ثُم ائْتِنى. فانطَلَقَ الأَخُ[4] حتى قَدِمَه[5]، وسمِعَ مِن كلامِه، ثُم رجَعَ إلى أبى ذَرٍّ، فقال له: رأَيتُه يَأْمُرُ بمكارمِ الأخلاقِ، وكلامًا[6] ما هو بالشِّعرِ. فقال: ما شَفَيْتَنِى مما أرَدْتُ. فتزوَّدَ، وحمَل شَنَّةً فيها ماءٌ حتى قدِمَ مكةَ، فأتى المسجدَ فالتمسَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢١٢.

(٢) البخارى (٣٨٦١).

(٣) فى النسخ: «حمزة». والمثبت من صحيح البخارى. وانظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣١.

(٤) فى النسخ: «الآخر». والمثبت من صحيح البخارى.

(٥) أى قدم الوادى.

(٦) التقدير: وسمعته يقول كلاما. قاله ابن حجر فى الفتح.

رسولَ اللَّهِ ﷺ ولا يَعْرِفُه، وكرِه أن يَسْأَلَ عنه، حتى أَدْرَكَه بعضُ الليل اضطجَعَ، فرآه عليٌّ فعرَفَ أنه غريبٌ، فلمّا رآه تَبِعَه، فلم يَسْأَلْ واحدٌ منهما صاحِبَه عن شيءٍ حتى أصبَحَ، ثُم احتَمَلَ قِرْبَتَه وزادَه إلى المسجدِ، وظلَّ ذلك اليومَ ولا يَراه النبيُّ ﷺ حتى أَمْسى، فعادَ إلى مَضْجَعِه، فمرَّ به عليٌّ فقال: أَمَا آنَ للرجلِ يَعْلَمُ منزلَه؟ فأقامَه فذهَبَ به معَه لا يَسْأَلُ واحدٌ منهما صاحبَه عن شيءٍ، حتى إذا كان يومُ الثالثِ، فعادَ (١عَلِيٌّ مثلَ١) ذلك فأقامَ معَه، فقال: ألا تُحَدِّثُنى ما الذى أَقْدَمَك؟ قال: إن أعطيتَنى عَهْدًا وميثاقًا لَتُرْشِدَنِّى، فَعَلْتُ. ففَعَلَ فأخبَرَه، قال: فإنَّه حَقٌّ،وإنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فإذا أصبَحْتَ فاتَّبِعْنى، فإنِّى إن رأيتُ شيئًا أَخافُ عليك قمتُ كأنى أُريقُ الماءَ، وإن مضَيْتُ فاتَّبِعْنِى حتى تَدْخُلَ مَدْخلى. ففَعَلَ، فانطلَقَ يَقْفُوه حتى دخَلَ على النبيِّ ﷺ، ودخَل معه، فسَمِعَ مِن قَوْلِهِ وأسلَمَ مكانَه. فقالَ له النبيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ فأَخْبِرْهم حتى يَأْتِيَك أَمْرِى». فقال: والذى بعثَك بالحقِّ لأَصْرُخَنَّ بها بينَ ظَهْرانَيْهم، فخرَجَ حتى أتى المسجِدَ فنادَى بأعْلَى صوتِه: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ. ثُم قامَ فضرَبوه حتى أضجَعوه، فأَتَى العباسُ فأَكَبَّ عليه، فقال: ويْلَكم! ألستُم تَعْلَمون أنَّه مِن غِفارٍ، وأنَّ طريقَ تجارتِكم إلى الشامِ؟ فأنقَذَه منهم، ثُم عادَ مِن الغَدِ بمثلِها فضرَبوه، وثاروا إليه، فأَكَبَّ العباسُ عليه. هذا لفظُ البخاريِّ. وقد جاءَ إسلامُه مبسوطًا فى «صحيحِ مسلمٍ» وغيرِه:

فقال الإمامُ أحمدُ(٢): حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ المغيرةِ،

(١ - ١) كذا فى النسخ. وفى صحيح البخارى: «علىّ على مثل».

(٢) المسند ٥/ ١٧٤، ١٧٥.

حدَّثَنا حُمَيْدُ بنُ هلالٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ قال: قال[1] أبو ذَرٍّ: خرَجْنا مِن قومِنا غِفارٍ - وكان يُحِلُّونَ الشهرَ الحرامَ - أنا وأخى أُنَيْسٌ وأُمُّنا، فانطلَقْنا حتى نَزَلْنا على خالٍ لنا ذى مالٍ وذى هيئةٍ، فأكرَمَنا خالُنا وأحسَنَ إلينا، فحَسَدَنا قومُه، فقالوا له: إنَّك إذا خرَجْتَ عن أهلِك خَلَفَك إليهم أُنَيْسٌ. فجاءَ خالُنا فنَثَا[2] ما قيل له، فقلْتُ له: أَمَّا ما مَضَى مِن مَعْرُوفِك فقد كَدَّرْتَه، ولا جِماعَ لنا فيما بعدُ. قال: فقرَّبْنا صِرْمَتَنا[3] فاحتَمَلْنا عليها وتَغَطَّى [٢/٧٥و] خالُنا ثوبَه وجعَل يَبْكِى. قال: فانطَلَقْنا حتى نَزَلْنا حَضْرةَ مكَّةَ[4]. قال: فنافَرَ[5] أُنَيْسٌ رَجُلًا[6] عن صِرمتِنا وعن مثلِها، فأَتَيا الكاهنَ فخيَّرَ أُنَيْسًا، فأَتانا بصِرْمتِنا ومِثْلِها، وقد صلَّيْتُ يا بنَ أخى قبلَ أَنْ أَلْقَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ سِنين. قال: قلْتُ: لمَن؟ قال: للَّهِ. قلْتُ: فأينَ تَوَجَّهُ؟ قال: حيثُ وَجَّهَنِىَ اللَّهُ. قال: وأُصَلِّى عِشاءً حتى إذا كانَ مِن آخرِ الليلِ أُلْقِيتُ[7] كأنِّى خِفاءٌ[8] حتى تَعْلُوَنى الشَّمْسُ. قال: فقال أُنَيْسٌ: إنَّ لى حاجةً بمكةَ فاكْفِنى[9] حتى آتِيَك.

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) بعده فى المسند «عليه». ونثا الذى قيل له: أظهره، وحدث به. النهاية ٥/ ١٦.

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل، قيل: هى ما بين العشرين إلى الثلاثين. وقيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين. اللسان (ص ر م).

(٤) حضرة مكة: أى عندها أو قريباً منها. انظر النهاية ١/ ٣٩٩.

(٥) قال صاحب اللسان: وفى حديث أبى ذر: نافر أخى أنيس فلانا الشاعر. أراد أنهما تفاخرا أيهما أجود شعرا. اللسان (ن ف ر). وانظر الفتح الربانى ٢٢/ ٣٦٧.

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) فى الأصل، م: «ألفيت».

(٨) الخفاء: الكساء، وكل شىء غطيت به شيئا، فهو خفاء. النهاية ٢/ ٥٧.

(٩) فى النسخ: «فألقنى». والمثبت من مسند أحمد.

قال : فانطلَقَ فراثَ[1] عليَّ ، ثُم أَتانى فقلتُ : ما حبَسَك ؟ قال : لَقِيتُ[2] رجلًا يَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أرسلَه على دينِك . قال : فقلْتُ : مَا يَقولُ الناسُ له ؟ قال : يَقولون : إنَّه شاعرٌ وساحرٌ . وكانَ أُنَيْسٌ شاعرًا . قال : فقال : لقد سمِعْتُ الكُهّانَ فما يَقولُ بقَولِهم ، وقد وضَعْتُ قولَه على أَقْراءِ الشِّعْرِ[3] ، فواللَّهِ ما يَلْتَئِمُ[4] لسانُ أحدٍ أنَّه شِعْرٌ ، وواللَّهِ إنَّه لصادقٌ وإنَّهم لكاذِبونَ . قال : فقلْتُ له : هل أنت كافيَّ[5] حتى أَنْطَلِقَ ؟ قال : نعَمْ ، وكُنْ مِن أهلِ مكةَ على حَذَرٍ ؛ فَإِنَّهم قد شَنِفوا له[6] وتجهَّموا له[7] . قال : فانطلَقْتُ حتى قَدِمْتُ مكةَ فتضعَّفْتُ[8] رجلًا منهم ، فقلْتُ : أينَ هذا الرجلُ الذى تَدْعُونَه الصابئَ ؟ قال : فأشارَ إلىَّ ، [9]قال : الصَّابِئَ[9] . فمالَ أهلُ الوادى عليَّ بكلِّ مَدَرَةٍ[10] وعَظْمٍ حتى خَرَرْتُ مَغْشيًّا عليَّ ، فارتفَعْتُ حينَ ارتفَعْتُ كأنِّى نُصُبٌ أحمرُ[11] ، فأتيْتُ زَمْزَمَ فشَرِبْتُ مِن مائِها ، وغسَلْتُ عنى الدمَ ، ودخَلْتُ بينَ الكعبةِ وأستارِها ، فلَبِثْتُ به يابنَ أخى ثلاثين مِن بينِ[12] يومٍ وليلةٍ ، ما لى طعامٌ إلا ماءُ زَمْزَمَ ،

---

(١) راث : أبطأ .

(٢) فى ص : « رأيت » .

(٣) أقراء الشعر : طرقه وأنواعه .

(٤) فى الأصل : « تعلثم » . ويلتئم : يجتمع . وانظر الفتح الربانى ٢٢/ ٣٦٧.

(٥) فى الأصل : « كاتمى » .

(٦) شنفوا له : أبغضوه . اللسان (ش ن ف) .

(٧) تَجَهَّم له : إذا استقبله بوجه كريه . اللسان (ج هـ م) .

(٨) أى نظرت إلى أضعفهم فسألته .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م .

(١٠) المدرة : قطعة الطين اليابس . اللسان (م د ر) .

(١١) قال ابن الأثير : يريد أنهم ضربوه حتى أدموه ، فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح . النهاية ٥/ ٦١.

(١٢) سقط من : الأصل ، م .

فَسَمِنْتُ حتى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِى[1] وما وجَدْتُ على كَبِدى سَخْفَةَ[2] جوعٍ. قال: فبَيْنا أهلُ مكةَ فى ليلةٍ قمراءَ إضْحِيانَ[3]، وضَرَبَ اللَّهُ على أَسْمِخةِ[4] أهلِ مكةَ، فما يَطوفُ بالبيتِ غيرُ امرأتينْ، فأَتتا علىَّ وهما تدْعُوانِ إسافًا ونائِلةَ. فقلْتُ: أَنْكِحا أحَدَهما الآخر. فما ثَناهما ذلك. فقلْتُ: وهَنٌ[5] مِثْلُ الخَشَبَةِ غيرَ أنِّى لم أَكْنِ[6]. قال: فانطلَقَتا تُوَلْوِلانِ[7] وتَقولانِ: لو كانَ هـٰهنا أحدٌ مِن أنفارِنا! قال: فاستقبلَهما رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ، وهما هابطانِ مِن الجبلِ، فقال: ما لكما؟ فقالَتا: الصابئُ بينَ الكعبةِ وأستارِها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمةً تَمْلأُ الفمَ. قال: وجاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ هو وصاحبُه حتى اسْتَلَمَ الحَجَرَ وطافَ بالبيتِ، ثُم صلَّى. قالَ: فأتيتُه فكنتُ أولَ مَن حَيَّاه بتحيةِ أهلِ الإسلامِ، فقال: «عليكَ[8] ورحمةُ اللَّهِ، مِمَّن[9] أنت؟» قال: قلتُ: مِن غِفارٍ. قال: فأَهْوَى بيدِه فوضَعَها على جَبْهَتِه. قال:

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم ١٦/ ٢٨: قوله: حتى تكسرت عكن بطنى. يعنى انثنت لكثرة السمن وانطوت.

(٢) سخفة الجوع: رقته وضعفه وهزاله.

(٣) ليلة إضحيان: مضيئة.

(٤) فى الأصل، م: «أشحمة».

قال النووى: الأسمخة: جمع سماخ، وهو الخرق الذى فى الأذن يفضى إلى الرأس. شرح مسلم ١٦/ ٢٩.

(٥) الهن والهنة: بتخفيف نونهما كناية عن كل شىء، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر. والمعنى: أفصح باسمه، فيكون قد قال: أير - ذَكر - مثل الخشبة، وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك. (الفتح الربانى) ٢٢/ ٣٦٨.

(٦) فى النسخ: «أركن». والمثبت من المسند.

(٧) الولولة: الدعاء بالويل.

(٨) بعده فى الأصل، م: «السلام».

(٩) فى النسخ: «من». وهو لفظ صحيح مسلم. والمثبت من المسند.

فقلتُ فى نَفسى : كَرِهَ أن انتَمَيْتُ إلى غِفارٍ! قال : فأَرَدْتُ أن آخُذَ بيدِه فقذَفَنى صاحبُه وكان أَعْلَمَ به منى . قال : متى كُنْتَ هـٰهنا ؟ قال : قلتُ : كنتُ هـٰهنا منذُ ثلاثين مِن بينِ ليلةٍ ويومٍ . قال : فَمَنْ كانَ يُطْعِمُك ؟ قلْتُ : ما كانَ لى طعامٌ إلّا ماءُ زَمْزَمَ ، فسمِنْتُ حتى تكسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنى ، وما وجَدْتُ على كبدِى سَخْفةَ جوعٍ . قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّها مُباركةٌ ؛ إنَّها طَعَامُ طُعْمٍ » . قال : فقالَ أبو بكرٍ : ائذنْ لى يا رسولَ اللَّهِ [٢/٧٥ظ] فى طَعامِه الليلةَ . قال : ففعَلَ . قال : فانطلَقَ النبىُّ ﷺ وانطلَقْتُ معَهما ، حتى فتَحَ أبو بكرٍ بابًا ، فجعَلَ يَقْبِضُ لنا مِن زَبيبِ الطائفِ . قال : فكانَ ذلك أولَ طعامٍ أكَلْتُه بها ، فلبِثْتُ ما لبِثْتُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى قد وُجِّهْتُ إلى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ ، وَلَا أَحْسَبُها إلَّا يَثْرِبَ ، فهل أنتَ مُبَلِّغٌ عنى قومَك ، لعل اللَّهَ يَنْفَعُهم بك وَيَأْجُرُك فيهم ؟ » . قال : فانطَلَقْتُ حتى أتَيْتُ أخى أُنَيْسًا . قال : فقال لى : ما صنَعْتَ ؟ قال : قلتُ : صنَعْتُ أنِّى أسلَمْتُ وصدَّقْتُ . قال : فما بى رغبةٌ عن دينِك ، فإنِّى قد أسلَمْتُ وصدَّقْتُ . ثُم أَتَيْنا أُمَّنا ، فقالَتْ : ما بى رغبةٌ عن دينِكما ، فإنِّى قد أسلَمتُ وصدَّقْتُ . فتحمَّلْنا حتّى أَتَيْنا قومَنا غِفارًا . قال : فأسلَمَ بعضُهم قبلَ أن يَقْدَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، وكانَ يَؤُمُّهم خُفافُ ابنُ إيماءَ بنِ رَحَضَةَ[1] الغِفارىُّ ، وكانَ سَيِّدَهم يومَئذٍ ، وقالَ بَقِيَّتُهم : إذا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أسلَمْنا . فقدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأسلَمَ بقيَّتُهم . قال : وجاءَتْ أَسْلَمُ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إخوانُنا نُسْلِمُ على الذى أسلموا عليه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « غِفارٌ غَفَرَ اللَّهُ لها ، وأَسْلَمُ سَالَمَها اللَّهُ » . ورواه مسلمٌ[2] ،

---

(١) فى النسخ : « رخصة » . والمثبت من المسند . وانظر أسد الغابة ١/ ١٨٨ . والإصابة ٢/ ٤٨٠ .
(٢) مسلم (٢٤٧٣) .

عن هُدْبةَ[1] بنِ خالدٍ، عن سُلَيمانَ بنِ المغيرةِ به نحوَه. وقد رَوَى[2] قصةَ إسلامِه على وجهٍ آخَرَ، وفيه زياداتٌ غريبةٌ. فاللَّهُ أعلمُ. وتقدَّم ذِكْرُ إسلامِ سلمانَ الفارسيِّ فى كتابِ البِشاراتِ بمَبْعَثِه[3]، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

---

(١) وقع فى صحيح مسلم: «هداب». قال الحافظ ابن حجر فى التقريب ٢/ ٣١٥: هدبة بن خالد بن الأسود القيسى، ويقال له: هَدَّاب.

(٢) أى مسلم، فى صحيحه (٢٤٧٤).

(٣) تقدم فى ٣/٤٥٥ - ٥٠١.

ذِكْرُ إِسْلامِ[1] ضِمادٍ

روَى مسلمٌ والبَيْهَقِيُّ[2] مِن حديثِ داودَ بنِ أبى هندٍ، عن عَمْرِو بنِ سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: قدِمَ ضِمادٌ مكةَ، وهو رجلٌ مِن أَزْدِ شَنُوءَةَ[3]، وكان يَرْقِى مِن هذه الرِّيحِ[4]، فسمِعَ سُفهاءَ مِن [5]سُفَهاءِ النّاسِ[5] يَقولون: إنَّ محمدًا مجنونٌ. فقال: أينَ هذا الرجلُ لعلَّ اللَّهَ أن يَشْفِيَه على يَدَىَّ؟ فلقِيتُ محمدًا، فقلْتُ: إنِّى أَرْقِى مِن هذه الرِّياحِ، وإنَّ اللَّهَ يَشْفِى على يدىَّ مَن شاء، فهلُمَّ. فقال محمدٌ: «إنَّ الحمدَ للَّهِ نَحْمَدُه ونَسْتَعِينُه، مَن يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَه، ومَن يُضْلِلْ فلا هادىَ له، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه». ثلاثَ مرَّاتٍ. فقال: واللَّهِ لقد سمِعْتُ قولَ الكَهَنَةِ، وقولَ السَّحَرَةِ، وقولَ الشعراءِ، فما سمِعْتُ مثلَ هؤلاءِ الكلماتِ، فهَلُمَّ يَدَكَ أُبايِعْكَ على الإسلامِ. فبايَعَه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال له: «وعلى قومِكَ؟» فقال: وعلى قَوْمى. فبعَثَ النبىُّ ﷺ [6]سَرِيَّةً[7]، فَمَرُّوا[6] بقومِ ضِمادٍ، فقالَ صاحِبُ الجَيْشِ للسَّرِيَّةِ: هل أَصَبْتُم مِن هؤلاءِ القومِ شَيْئًا؟ فقال رجلٌ مِنهم: أَصَبْتُ مِنهم

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) مسلم (٨٦٨)، والدلائل ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) أزد شنوءة: قبيلة من اليمن ..

(٤) قال النووى: والمراد بالريح هنا الجنون ومس الجن. شرح مسلم ٦/ ١٥٧.

(٥ - ٥) فى م، ص: «سفه مكة». وفى رواية مسلم: «أهل مكة».

(٦ - ٦) سقط من: ص.

(٧) فى النسخ: «جيشا». والمثبت من مصدرى التخريج. والسرية: قطعة من الجيش، ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة. الوسيط (س ر ى).

مِطْهَرةٌ[1] . فقال : رُدَّها عليهم ؛ فإنَّهم قومُ ضِمادٍ . وفى روايةٍ[2] : فقال له ضِمادٌ : أَعِدْ عَلَىَّ كَلِماتِك هؤلاءِ ؛ فلقد بلَغْنَ ناعُوسَ[3] البحرِ .

وقد ذكَرَ أبو نُعَيْمٍ فى « دلائلِ النبوةِ »[4] إسلامَ مَن أسلَمَ مِن الأعيانِ فَصْلًا طويلًا ، واستَقْصَى ذلك استِقْصاءً حَسَنًا ، رحِمَه اللَّه وأَثابَه .

وقد سَرَدَ ابنُ إسحاقَ[5] أسماءَ مَن أسلَمَ قديمًا مِن الصحابةِ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم ، قال : ثُم أسلَمَ أبو عُبَيْدةَ ، وأبو سَلَمَةَ ، [٢/٧٦و] والأَرْقَمُ بنُ أبى الأَرْقَمِ ، وعثمانُ بنُ مَظْعونٍ ، وعُبَيْدةُ بنُ الحارثِ ، وسعيدُ بنُ زيدٍ ، وامرأتُه فاطمةُ بنتُ الخَطَّابِ ، وأسماءُ بنتُ أبى بكرٍ ، وعائشةُ بنتُ أبى بكرٍ ، وهى صغيرةٌ ، وقُدامةُ بنُ مَظْعونٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَظْعونٍ ، وخَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، وعُمَيرُ ابنُ أبى وَقَّاصٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَسْعودٍ ، ومسعودُ بنُ القارِىِّ[6] ، وسَلِيطُ بنُ عَمْرٍو ، وعَيَّاشُ بنُ أبى ربيعةَ ، [7]وامرأتُه أسماءُ بنتُ سَلَمَةَ بنِ مُخَرِّبَةَ[8][7]

---

(١) مطهرة : الإناء الذى يتوضأ به ويتطهر به . اللسان (ط هـ ر) .

(٢) انظر صحيح مسلم (٨٦٨) .

(٣) فى الأصل : « قابوس » . وفى م ، ص : « قاموس » . وهو لفظ إحدى روايات صحيح مسلم . والمعنى : وسط البحر . وانظر شرح مسلم ٦/ ١٥٧ .

(٤) الدلائل لأبى نعيم (١٨٧ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٧ - ١٩٩) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢ - ٢٦٢ .

(٦) كذا اسمه فى النسخ وسيرة ابن إسحاق . وقد ذكر نسبه ابن هشام فى السيرة ، فنسبه إلى أبيه ربيعة ، وقد اختلفوا فى اسم أبيه . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٥ ، أسد الغابة ٥/ ١٦٤ ، الإصابة ٦/ ٩٧ .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى النسخ ، وسيرة ابن إسحاق : « مخرمة » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر الإكمال ٧/ ٢١١ ، وأسد الغابة ٧/ ١١ .

(١ التَّمِيميَّةُ(٢) ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافةَ ، وعامرُ بنُ ربيعةَ ١) ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ، وأبو أحمدَ بنُ جَحْشٍ ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، وامرأتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وحَاطبُ بنُ الحارثِ ، وامرأتُه (٣ فاطمةُ بنتُ المُجَلِّلِ ، وأخوه حَطَّابُ بنُ الحارثِ ، وامرأتُه ٣) فُكَيْهةُ بنتُ يَسارٍ ، ومَعْمَرُ بنُ الحارثِ بنِ مَعْمَرٍ الجُمَحِيُّ ، والسائِبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعونٍ ، والمُطَّلِبُ بنُ أَزْهَرَ بنِ عبدِ عَوْفٍ(٤) ، وامرأتُه رَمْلَةُ بنتُ أبى عَوْفِ بنِ صُبَيْرةَ(٥) بنِ سُعَيدِ بنِ (٦ سعدِ بنِ ٦) سَهْمٍ ، والنحَّامُ ، واسمُه نُعَيمُ(٧) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أَسِيدٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَولى أبى بكرٍ ، وخالدُ ابنُ سعيدٍ ، وأُمَيْنَةُ(٨) ابنةُ خَلَفِ بنِ أَسْعدَ(٩) بنِ عامرِ بنِ بَياضةَ مِن(١٠) خُزاعةَ ، وحَاطِبُ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسٍ ، وأبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ ربيعةَ ، وواقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ (١١ بنِ عبدِ مَنافٍ ١١) بنِ عَرِينٍ(١٢) بنِ ثَعْلَبَةَ التَّميمىُّ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسخ : « التيمى » . وفى سيرة ابن إسحاق : « التميمى » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١.

(٣ - ٣) سقط من : النسخ . وفى سيرة ابن إسحاق : « أسماء بنت المجلل أخت بنى عامر بن لؤى ، والخطاب بن حارث ، وامرأته » والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) فى النسخ : « مناف » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق . وانظر أسد الغابة ٥/ ١٨٩.

(٥) فى م : « صبيرة » ، وفى ص : « صبرة » . وفى سيرة ابن إسحاق : « صبير » . والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٤.

(٦ - ٦) سقط من النسخ وسيرة ابن إسحاق . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٨.

(٧) فى الأصل : « مغنم » .

(٨) كذا فى النسخ ، ومصدرى التخريج . واختلف فى اسمها ، فقيل : أمينة . ولعله الصواب . وقيل : أميمة . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٩ حاشية (٥) . وأسد الغابة ٧/ ٢٦، والإصابة ٧/ ٥٠٩، ٥٢٧.

(٩) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر أسد الغابة ٧/ ٢٦. والإصابة ٧/ ٥٠٩.

(١٠) فى الأصل ، م : « بن » .

(١١ - ١١) سقط من : النسخ . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٣٢.

(١٢) فى الأصل : « عوين » . وفى ص : « عويمر » . وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٣٢.

حَليفُ بنى عَدِىٍّ، وخالدُ بنُ البُكَيْرِ، وعامرُ بنُ البُكَيْرِ، وعاقلُ بنُ البُكَيْرِ، وإياسُ بنُ البُكَيْرِ بنِ عبدِ ياليلَ بنِ ناشبِ بنِ غِيَرَةَ بنِ[1] سَعْدِ بنِ لَيْثٍ، وكان اسمُ عاقلٍ غافلًا، فسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عاقِلًا، وهم حُلفَاءُ بنى عَدِىِّ بنِ كَعْبٍ، وعَمَّارُ بنُ ياسرٍ، وصُهَيْبُ بنُ سِنانٍ، ثُم دخَلَ الناسُ أَرسالًا[2] مِن الرجالِ والنساءِ حتى فَشَا أمرُ الإسلامِ بمكةَ وتُحُدِّثَ به.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: ثُم أمَرَ اللَّهُ رَسولَه ﷺ، بعدَ ثلاثِ سِنِين مِن البِعْثَةِ بأنْ يَصْدَعَ بما أُمِرَ، وأن يَصْبِرَ على أَذى المشركينَ. قال: وكان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا صلَّوْا ذهبوا فى الشِّعابِ، واسْتَخْفَوا بصلاتِهم مِن قومِهم، فبينَا سَعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ فى نَفَرٍ يُصَلُّون بشِعَابِ مكةَ إذ ظَهَرَ عليهم بعضُ المشركينَ، فناكَروهم وعابوا عليهم ما يَصْنَعونَ حتى قاتلوهم، فضرَبَ سعدٌ رجلًا مِن المشركينَ بلَحْيِ[4] جَمَلٍ فشجَّه، فكان أولَ دمٍ أُهَرِيقَ فى الإسلامِ. وروَى الأُمَوِىُّ فى «مغازيه» مِن طريقِ الوقَّاصىِّ عن الزُّهْرِىِّ، عن عامرِ بنِ سَعْدٍ، عن أبيه. فذكَرَ القصةَ بطولِها، وفيه أنَّ المشجوجَ هو عبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ، لَعَنَه اللَّهُ.

---

(١) فى النسخ: «من بنى». والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر أسد الغابة ١/ ١٨١.

(٢) أرسالا: جماعات.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٤) اللحى: أحد اللحيَيْن اللَّذَيْن هما حائطا الفم، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذى لحى. قال ابن سيده: يكون للإنسان والدابة. انظر اللسان (ل ح ى).

بـابُ

(١أمرِ اللهِ رسولَه ﷺ١) ،

بـإبلاغِ الرسالةِ إلى الخاصِّ والعامّ ،

وأمْرِه له بالصَّبْرِ ، والاحتمالِ ، والإعراضِ

عن الجاهِلين المُعانِدينَ المُكذِّبين بعدَ قيامِ

الحُجَّةِ عليهم ، وإرسالِ الرسولِ الأعظمِ إليهم ،

وذِكْرِ ما لَقِيَ مِن الأذيَّةِ مِنهم هو وأصحابُه ،

رَضِيَ اللهُ عنهم

قال اللَّهُ تعالى(٢) : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢٢٠]. وقال تعالى(٣) : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقال تعالى(٤) : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ

(١ - ١) فى م: «الأمر».

(٢) التفسير ٦/١٧٦ - ١٨٢.

(٣) التفسير ٧/ ٢١٦.

(٤) التفسير ٦/٢٦٩ - ٢٧١.

عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]. أى؛ إنَّ الذى فرَضَ عليك وأوجَبَ عليك تَبْليغَ[(١)] القرآنِ لرادُّك إلى الدارِ الآخرةِ وهى المَعادُ، فيَسْأَلُك عن ذلك، كما قالَ [٢/٧٦ظ] تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]. وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] والآياتُ والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جِدًّا، وقد تَقَصَّيْنا الكَلامَ على ذلك فى كتابِنا «التفسيرِ»، وبَسَطْنَا مِن القولِ فى ذلك عندَ قولِه تعالى فى سورةِ «الشعراءِ»: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾. وأورَدْنا أحاديثَ جَمَّةً فى ذلك، [(٢)]فمِن ذلك[(٢)]:

قال الإمامُ أحمدُ[(٣)]: حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ، عن الأَعمشِ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أتَى النبىُّ ﷺ الصَّفَا فصَعِدَ عليه ثُم نادى: «يا صَبَاحَاه»[(٤)]. فاجتَمَعَ الناسُ إليه بينَ رجلٍ يَجِىءُ إليه وبينَ رجلٍ يَبْعَثُ رسولَه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ، يا بَنِى فِهْرٍ، [(٥)]يا بَنِى لُؤَىٍّ[(٦)]، [(٥)]أَرَأَيْتُم لَو أَخْبَرْتُكم أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هذا الجبلِ تُرِيدُ أن تُغِيرَ عليْكم، صَدَّقْتُمونى؟» قالوا: نَعَمْ. قال: «فإنّى نَذِيرٌ لكم بين يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ».

---

(١) فى النسخ: «بتبليغ». ولعل ما أثبتناه الصواب. انظر التفسير ٦/ ٢٦٩.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) المسند ١/ ٣٠٧. (إسناده صحيح).

(٤) قال ابن الأثير: هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه. يقول: قد غشِيَنا العدُوُّ. النهاية ٣/ ٦، ٧.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) فى الأصل، م: «كعب». وهو لفظ الرواية الآتية. والمثبت من المسند.

فقال أبو لَهَبٍ - لعَنَه اللَّهُ - : تبًّا لك سائرَ اليومِ ، أمَا دعَوْتَنا إلَّا لهذا ؟ وأنزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] . وأخرَجاه[(١)] مِن حديثِ الأَعْمَشِ [(٢)] به نحوَه[(٢)] .

وقال أحمدُ[(٣)] : حدَّثَنا مُعاويةُ بنُ عمرٍو ، حدَّثَنا زائدةُ ، حدَّثَنا عبدُ الملِكِ ابنُ عُمَيْرٍ ، عن موسَى بنِ طَلْحةَ ، عن أبى هُرَيْرةَ ، قال : لمَّا نَزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَعَمَّ وخَصَّ ، فقال : « يا معشرَ قريشٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكمْ مِن النَّارِ ، [(٤)] يا معشرَ بَنِى كَعْبٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكم مِن النَّارِ ، يا معشرَ بَنِى هَاشِمٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكم مِن النَّارِ ، يا معشرَ بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِن النَّارِ[(٤)] ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِن النَّارِ ، فإنِّى واللَّهِ لَا أَمْلِكُ لكم مِن اللَّهِ شَيْئًا ، إلَّا أنَّ لَكُم رَحِمًا سَأَبُلُّها[(٥)] بِبِلالِها[(٦)] » . ورواه مُسْلِمٌ[(٧)] مِن حديثِ عبدِ الملِكِ بنِ عُمَيْرٍ ، وأخرَجاه فى « الصحيحَيْنِ »[(٨)] مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ وأبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، وله طُرُقٌ أُخَرُ ، عن أبى هُرَيْرَةَ فى « مُسْنَدِ أَحْمَدَ » وغيرِه[(٩)] .

---

(١) البخارى (٤٧٧٠، ٤٨٠١، ٤٩٧١، ٤٩٧٢) ، ومسلم (٢٠٨) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المسند ٢/ ٣٦٠.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) سأبلها : أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من اللَّه شيئا . النهاية ١/ ١٥٣.

(٦) البلال : جمع بَلَل . وقيل : هو كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره . المصدر السابق ١/ ١٥٣.

(٧) مسلم (٢٠٤) .

(٨) البخارى (٢٧٥٣، ٤٧٧١) ، ومسلم (٢٠٦) .

(٩) المسند ٢/ ٣٣٣، ٣٦١، ٥١٩، والبخارى (٣٥٢٧) ، ومسلم (٢٠٦) .

وقال أحمدُ[1] أيضًا : حدَّثَنا وَكِيعٌ ، ثنا[2] هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشةَ رَضِىَ اللَّهُ عنها ، قالتْ : لَمَّا نَزَلَت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ محمدٍ ، يا صَفِيةُ بنتَ عبدِ المُطَّلِبِ ، يا بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، لا أَمْلِكُ لكم مِن اللَّهِ شيئًا ، سَلونى مِن مالى ما شِئْتُم » . ورَواه مُسْلِمٌ[3] أيضًا .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ فى « الدَّلائِلِ »[4] : أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ[5] الحافظُ ، حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، حدَّثَنا يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : فحدَّثَنى مَن سمِعَ عبدَ اللَّهِ ابنَ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ - واستكْتَمَنى اسمَه - عن ابنِ عباسٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : لَمَّا نزَلَتْ هذه الآيةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَرَفْتُ أنِّى إن بَادَأْتُ بها قومى رَأيتُ منهم ما أَكْرَهُ فصَمَتُّ ، فجاءَنِى جِبريلُ ، عليه السَّلامُ ، فقال : يا محمدُ ، إن لم تَفْعَلْ ما أَمَرَكَ به رَبُّك عَذَّبَك رَبُّك[6] » . قال علىٌّ[7] : فدعانى ، فقالَ : « يَا عَلِىُّ ، إنَّ اللَّهَ قد أَمَرَنى أن أُنْذِرَ عشيرتى الأَقْرَبِينَ ، فاصْنَعْ لنا يا عَلِىُّ شَاةً على صاعٍ مِن

---

(١) المسند ٦/ ١٣٦، ١٨٧.

(٢) فى الأصل ، م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٣٢.

(٣) مسلم (٢٠٥) .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/١٧٨ - ١٨٠.

(٥) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٣.

(٦) فى الأصل ، م : « بالنار » .

(٧) سقط من : م .

طعامٍ ، وأَعِدَّ لنا عُسَّ[1] لبَنٍ ، ثُم اجمَعْ لى بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ » . ففعَلْتُ [٢/٧٧و] فاجتَمَعوا له ، وهم يومئذٍ أربعون رجلًا ، يَزيدونَ رجلًا أو يَنْقُصونَ ، فيهم أعمامُه ؛ أبو طالبٍ ، وحمزةُ ، والعباسُ ، وأبو لَهَبٍ الكافرُ الخَبيثُ ، فَقَدَّمْتُ إليهم تلك الجَفْنةَ ، فأخَذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، منها حِذْيةً[2] ، فشقَّها بأسْنانِه ثُم رمَى بها فى نواحيها ، وقال : « كُلوا بسمِ اللَّهِ » . فأكَلَ القومُ حتى نَهِلوا[3] عنه ما يُرَى إلا آثارُ أصابِعِهم ، واللَّهِ إنْ كان الرجلُ لَيَأْكُلُ مثْلَها . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْقِهم يا علىُّ » . فجئتُ بذلك القَعْبِ[4] ، فشرِبوا منه حتى نَهِلُوا[5] جميعًا ، وايْمُ اللَّهِ إن كانَ الرجلُ لَيَشْرَبُ مِثْلَه ، فلمَّا أرادَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُكَلِّمَهم بدَرَه أبو لَهَبٍ ، لعَنَه اللَّهُ ، فقال : لَهَدٌ[6] ما سَحَرَكُمْ صاحبُكم . فتفرَّقوا ، ولم يُكَلِّمْهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا كان الغدُ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « [7]يا علىُّ[7] ، عُدْ لنا بمِثْلِ الذى كنتَ صَنَعْتَ لنا بالأمسِ مِن الطعامِ والشَّرابِ ؛ فَإِنَّ هَذَا الرَّجلَ قد بَدَرَنى إلى مَا سَمِعْتَ قبلَ أن أُكَلِّمَ القومَ » . ففعلْتُ ثُم جمعتُهم له ، فصنعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كما صنَعَ بالأمسِ ، فأكَلوا

---

(١) العس : القدح العظيم .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع طولا .

(٣) نهلوا : من النهل . قال صاحب التاج : والنهل - محركة - من الطعام ما أُكل . وقد ورد فى كلام بعضهم : أكل من الطعام حتى نهل . قال شيخنا : والظاهر أنه من المجاز ، وعلاقته لزوم الشرب للأكل غالبًا . تاج العروس (ن هـ ل) .

(٤) القعب : قدح ضخم غليظ .

(٥) نهل الشارب : شرب حتى رَوِى .

(٦) لهد : كلمة يتعجب بها . النهاية ٥/٢٥٠ .

(٧ - ٧) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

حتى نَهِلوا عنه ، وايْمُ اللَّهِ ، إن كانَ الرجلُ لَيَأْكُلُ مِثْلَها ، ثُم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْقِهم ، يا عليُّ » . فجِئْتُ بذلك القَعْبِ فشَرِبوا منه حتى نَهِلوا جميعًا ، وايمُ اللَّهِ إن كانَ الرجلُ منهم لَيَشْرَبُ مِثْلَه ، فلمّا أرادَ رسولُ اللَّهِ أن يُكَلِّمَهم ، بدرَه أبو لَهَبٍ ، لعَنه اللَّهُ ، إلى الكَلامِ ، فقالَ : لَهَدَّ ما سَحَرَكم صاحبُكم ! فتَفَرَّقوا ولم يُكَلِّمْهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا كانَ الغدُ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عليُّ ، عُدْ لنا بِمِثْلِ الذى كنْتَ صَنَعْتَ بالأمسِ مِن الطعامِ والشرابِ ، فإنَّ هذا الرَّجُلَ قد بدَرَنى إلى ما سَمِعْتَ قبلَ أن أُكَلِّمَ القومَ » . ففعَلْتُ ثُم جَمَعْتُهم له ، فصنَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كما صنَعَ بالأمسِ ، فأكَلوا حتى نَهِلوا عنه ، ثُم سقَيْتُهم مِن ذلك القَعْبِ حتى نَهِلوا عنه[1] ، وايْمُ اللَّهِ ، إن كانَ الرجلُ منهم[2] لَيَأْكُلُ مِثْلَها ويَشْرَبُ مِثْلَها ، ثُم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، إنِّى وَاللَّهِ ما أَعْلَمُ شَابًّا مِن العَرَبِ جاءَ قومَه بِأَفْضَلَ مِمَّا جئْتُكم به ؛ إنِّى قد جِئْتُكم بِأَمْرِ الدنيا وَالآخِرَةِ » . هكذا رَواه البَيْهَقِىُّ مِن طريقِ يُونُسَ ابنِ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن شَيْخٍ أَبْهَمَ اسمَه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ به .

وقد رَواه أبو جعفرِ بنُ جَرِيرٍ[3] ، عن محمدِ بنِ حُمَيْدٍ الرازىِّ ، عن سَلَمَةَ بنِ الفَضْلِ الأَبْرَشِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الغَفَّارِ [4]أبى مَرْيَمَ[4] بنِ القاسمِ ، عن المِنْهالِ بنِ عَمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن عليٍّ ، فذكَرَ مِثْلَه ، وزادَ بعدَ قولِه : « وإنِّى قد جِئْتُكم بخيرِ الدنيا والآخِرَةِ » : « وقد

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) تاريخ الطبرى ٢/٣١٩ - ٣٢١.

(٤ - ٤) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٦٩.

أَمَرَنى اللَّهُ أن أَدْعُوَكم إليه ، فَأَيُّكم يُؤازِرُنِى على هذا الأَمْرِ على أَن يَكُونَ أَخِى » . [1] وكذا وكذا [1] . قال : فأحْجَمَ القومُ عنها جميعًا ، وقلتُ - [2] ولإنى لأَحْدَثُهم سِنًّا [2] وأَرْمَصُهم [3] عَيْنًا ، وأعظَمُهم بَطْنًا ، وأحْمَشُهُم [4] ساقًا -: أنا يا نبيَّ اللَّهِ ، أكونُ وزيرَك عليه . فأخَذَ برقبتى ، فقال : « إنَّ هَذَا أَخِى [2] وَكَذَا وكذا [2] فَاسْمَعُوا له وَأَطِيعُوا » . قال : فقامَ القومُ يَضْحَكون ويَقولون لأبى طالبٍ : قد أمَرَك أن تَسْمَعَ لابنِك وتُطيعَ ! تفرَّدَ به عبدُ الغفارِ بنُ القاسمِ أبو مَرْيَمَ ، وهو كذَّابٌ شيعىٌّ ، اتَّهَمَه علىُّ بنُ المدينىِّ وغيرُه بوَضْعِ الحديثِ ، وضعَّفَه الباقون [5] . ولكن رَوَى ابنُ [6] أبى حَاتمٍ فى « تفسيرِه » [7] عن أبيه ، عن الحُسَيْنِ بنِ عيسى بنِ مَيسَرَةَ [٢/٧٧ظ] الحارثىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ القُدُّوسِ ، عن الأَعْمَشِ ، عن المِنْهَالِ بنِ عَمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ قال : قال علىٌّ : لمَّا نزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ . قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اصْنَعْ لِى رِجْلَ شَاةٍ بِصاعٍ مِن طعامٍ ، وإِنَاءً لَبَنًا ، وَادْعُ لِى بَنِى هَاشِمٍ » . فدعَوْتُهم ، وإنَّهم يومَئذٍ لأَربعونَ غيرَ رجلٍ ، أو أربعون ورجلٌ . فذَكَرَ القِصَّةَ كنَحْوِ ما تقدَّمَ ، إلى أن قالَ : وبَدَرَهم [8] رسولُ اللَّهِ ﷺ الكلامَ ،

(١ - ١) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « ووصيى وخليفتى فيكم » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص : « أرقصهم » . والرَّمَص : وسخ أبيض يجتمع فى جانب العين .

(٤) فى النسخ : « أخمشهم » . والمثبت من التاريخ . وأحمش الساقين : دقيقهما . تاج العروس (ح م ش) .

(٥) انظر تفصيل ما قيل فيه ، فى ميزان الاعتدال ٢/ ٦٤٠، ٦٤١.

(٦) سقط من : ص .

(٧) عزاه المصنف فى تفسيره ٦/١٨٠ إلى ابن أبى حاتم .

(٨) فى الأصل : « بدأهم » .

فقال : « أَيُّكم يَقْضِى عنِّى دَيْنِى ويَكُونُ خَلِيفَتِى فِى أَهْلِى ؟ » ، قال : فسكَتوا وسكَتَ العباسُ خَشْيةَ أن يُحيطَ ذلك بمالِه ، قال : وسكَتُّ أَنا لسِنِّ العباسِ ، ثُم قالَها مَرَّةً أُخْرى ، فسكَتَ العباسُ ، فلمَّا رأيتُ ذلك قلتُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أنت ؟ » قال : وإنّى يومَئذٍ لأَسْوَأُهم هَيْئةً ، وإنِّى لأَعْمَشُ العينيْن ، ضَخْمُ البَطْنِ ، حَمْشُ[1] الساقَيْنِ . وهذه الطريقُ فيها شاهدٌ لِما تقدَّمَ ، إلا أنَّه لم يَذْكُرِ ابنَ عباسٍ فيها . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ [2]فى « مسندِه »[2] مِن حديثِ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأَسَدىِّ ، وربيعةَ بنِ ناجذٍ[3] ، عن علىٍّ نحوَ ما تقدَّمَ ، أو كالشاهدِ له . واللَّهُ أعلمُ .

ومعنى قولِه فى هذا الحديثِ : « مَنْ يَقْضِى عنِّى دَيْنى ويَكونُ خَليفتى فى أهلى » . يَعْنى : إذا مِتُّ ، وكأنَّه ﷺ خَشِىَ إذا قامَ بإبلاغِ الرِّسالةِ إلى مُشْرِكى العرَبِ أن يَقْتُلوه ، فاسْتَوْثَقَ مَن يَقومُ بعدَه بما يُصْلِحُ أهْلَه ، ويَقْضِى عنه ، وقد أَمَّنَه اللَّهُ مِن ذلك فى قولِه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الآيـة [المائدة : ٦٧] .

والمقصودُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَمَرَّ يَدْعو إلى اللَّهِ تعالى لَيْلًا ونَهارًا ، وسِرًّا

---

(١) فى النسخ : « خمش » . والمثبت من التفسير .

(٢ - ٢) سقط من : ص . والحديث فى المسند ١/ ١١١ . (إسناده حسن) .

(٣) فى الأصل : « ماجد » . وفى ص : « ناخذ » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٤٥ . والحديث فى المسند ١/ ١٥٩ . (إسناده صحيح) .

وجِهارًا ، لا يَصْرِفُه عن ذلك صارِفٌ ولا يَرُدُّه عنه رَادٌّ ، ولا يَصُدُّه عنه صادٌّ ، يَتَّبِعُ الناسَ فى أندِيتِهم ومَجامِعِهم ومَحافِلِهم ، وفى المواسِمِ ، ومواقفِ الحجِّ ؛ يَدْعو مَن لقِيَه ؛ مِن حُرٍّ وعَبْدٍ ، وضعيفٍ وقوىٍّ ، وغنىٍّ وفقيرٍ ، جميعُ الخلقِ فى ذلك عندَه شَرَعٌ[1] سواءٌ ، وتسلَّط عليه وعلى مَن اتَّبَعَه مِن آحادِ الناسِ - مِن ضعفائِهم - الأشِدّاءُ الأقوياءُ مِن مُشْرِكى قريشٍ بالأذِيَّةِ القَوْلِيَّةِ والفِعْلِيَّةِ ، وكانَ مِن أشدِّ الناسِ عليه عمُّه أبو لَهَبٍ - واسمُه عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ - وامرأتُه أمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى[2] بنتُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ أختُ أبى سُفيانَ ، وخالَفَه فى ذلك عمُّه أبو طَالِبِ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أحبَّ خَلْقِ اللَّهِ إليه طَبْعًا[3] ، فكان يَحْنُو عليه ويُحْسِنُ إليه ، ويُدافِعُ عنه [4]ويُحامى[4] ، ويُخالِفُ قومَه فى ذلك ، مع أنَّه على دينِهم وعلى خُلَّتِهم[5] ، إلا أنَّ اللَّهَ تعالى قد امتَحَنَ قلبَه بحبِّه حُبًّا طَبْعيًّا لا شَرْعيًّا ، فكان استمرارُه على دينِ قومِه مِن حِكمةِ اللَّهِ تعالى ، ومما صنَعَه لرسولِه مِن الحِمايةِ ، إذ لو كانَ أسلَمَ أبو طالبٍ لَما كانَ له عندَ مُشْرِكى قريشٍ وَجاهَةٌ ولا كلمةٌ ، ولا كانوا يَهابونَه ويَحْتَرِمونه ، ولَاجْتَرَءُوا عليه ، ولَمَدُّوا أيْديَهم وألْسِنَتَهم بالسُّوءِ إليه ، وربُّك يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَختارُ ، وقد قَسَّمَ خَلْقَه أنواعًا وأجناسًا ، فهذان العَمَّانِ كافرانِ ؛ أبو طالبٍ وأبو لَهَبٍ ، ولكنَّ هذا يَكونُ فى القيامةِ فى ضَحْضاحٍ مِن نارٍ ، وذلك فى

---

(١) شرع : متساوون ، لا فضل لأحدهم على الآخر . اللسان (ش ر ع) .

(٢) سقط من : الأصل . انظر التفسير ٨/ ٥٣٥.

(٣) الطبع : الخلق .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى ص : « ملتهم » . والخلة : الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله ، أى فى باطنه . الوسيط (خ ل ل) .

الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النارِ، وأَنْزَلَ اللَّهُ فيه سورةً فى كِتابِه تُتْلَى على المنابرِ، وتُقْرَأُ فى المواعظِ والخُطَبِ، تَتَضَمَّنُ أنَّه سَيَصْلَى [٢/٧٨و] نارًا ذاتَ لَهَبٍ، وامرأَتُه حمالةَ الحَطَبِ.

قال الإمامُ أحمدُ[(١)]: حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ أبى العباسِ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ، عن أبيه، قال: أخبَرَنى[(٢)] رجلٌ يُقالُ له: ربيعةُ بنُ عِبَادٍ. مِن بنى الدِّيلِ - وكانَ جاهليًّا فأسْلَمَ - قال: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الجاهليةِ فى سُوقِ ذِى المَجَازِ[(٣)]، وهو يَقولُ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. تُفْلِحُوا». والناسُ مُجْتَمِعونَ عليه، ووراءَه رجلٌ وضِىءُ الوَجْهِ، أَحْولُ، ذو غَدِيرَتَيْنِ[(٤)] يَقولُ: إنَّه صَابِئٌ كاذبٌ. يَتْبَعُه حيث ذهَبَ، فسألْتُ عنه فقالوا: هذا عَمُّهُ أبو لَهَبٍ. ثُم رَواه هو والبَيْهَقِىُّ[(٥)] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ بنحوِه.

وقال البَيْهَقِىُّ[(٦)] أيضًا: حدَّثَنا أبو طاهرٍ الفقيهُ[(٧)]، حدَّثَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحُسينِ[(٨)] القَطَّانُ، حدَّثَنا أبو الأزهرِ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ،

---

(١) المسند ٤/ ٣٤١. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٢٢: رواه أحمد وابنه،.. وأحد أسانيد عبد اللَّه ابن أحمد ثقات الرجال.

(٢) فى الأصل، م: «أخبر».

(٣) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كَبْكَب عن يمين الإمام، على فرسخ من عرفة كانت تقوم فى الجاهلية ثمانية أيام. معجم البلدان ٤/ ٤١٦.

(٤) الغديرتان: الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر. اللسان (غ د ر).

(٥) المسند ٣/ ٤٩٢. والدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٦.

(٦) الدلائل للبيهقي ٢/ ١٨٥.

(٧) سقط من: الأصل. وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

(٨) فى الأصل، م: «الحسن». وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣١٨.

حدَّثنا محمدُ بنُ عَمْرٍو[1] ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن ربيعةَ الدِّيلىِّ[2] ، قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بذى المَجازِ يَتَّبِعُ الناسَ فى منازِلِهم يَدْعوهم إلى اللَّهِ ، ووراءَه رجلٌ أحولُ تَقِدُ[3] وَجْنَتاه[4] ، وهو يَقولُ : أيُّها الناسُ ، [5]لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينِكم ودينِ آبائِكم . قلْتُ : مَن هذا ؟ قيلَ : هذا أبو لَهَبٍ .

ثُم رَواه[6] مِن طريقِ شُعْبةَ ، عن الأَشْعَثِ بنِ سُلَيْمٍ ، عن رجلٍ مِن كِنانةَ ، قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بسوقِ ذى المَجازِ ، وهو يَقولُ : « يَا أيُّها النَّاسُ[5] ، قولُوا : لا إلَه إلَّا اللَّهُ . تُفْلِحُوا » . وإذا رَجُلٌ خلفَه يُسْفِى[7] عليه التُّرابَ ، وإذا هو أبو جَهْلٍ ، وإذا هو يَقولُ : يا أيُّها الناسُ ، لا يُغَرَّنَّكم هذا عن دينِكم ، فإنَّما يُريدُ أن تَتْرُكوا عِبادةَ اللاتِ والعُزَّى . كذا قال : أبو جَهْلٍ . والظاهرُ أنَّه أبو لَهَبٍ ، وسنَذْكُرُ بقيَّةَ تَرْجَمتِه عندَ ذِكْرِ وَفَاتِه ، [8]وذلك بعدَ وَقْعةِ بَدْرٍ[8] ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وأما أبو طالبٍ فكانَ فى غايةِ الشَّفَقةِ والحُنُوِّ الطبيعىِّ ، كما سَيَظْهَرُ مِن صنائعِه ، وسَجاياه ، واعتِمادِه فيما يُحامِى به عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، رضِىَ اللَّهُ عنهم .

---

(١) فى الأصل ، م : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢١٢، ٥٠٧.

(٢) فى الدلائل : « الدؤلى » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٢١٣.

(٣) وقد الشىء : تلألأ .

(٤) الوجنة : ما ارتفع من الخدين .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) أى البيهقى ، الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٦.

(٧) أسفى : إذا نقل السَّفيا ، وهو التراب . اللسان (س ف و) .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن طَلْحةَ بنِ يَحْيى [1] بنِ طلحةَ بنِ [1] عُبَيْدِ [2] اللَّهِ، عن [3] موسَى بنِ طلحةَ، أخبرَنى عَقِيلُ بنُ أبى طالبٍ، قال: جاءَتْ قريشٌ إلى أبى طالبٍ فقالوا: إنَّ ابنَ أخيك هذا قد آذانا فى نادِينا ومسجدِنا؛ فانْهَه عنا. فقال: يا عَقِيلُ، انطَلِقْ فأْتِنى بمحمدٍ. فانطلَقْتُ إليه فاسْتَخْرَجْتُه مِن كِبْسٍ [4] - أو قال: حِفشٍ [5] - يَقولُ: بيتٍ صغيرٍ. فجاءَ به فى [6] الظهيرةِ فى شِدةِ الحَرِّ، فلمّا أتاهم، قال: إنَّ بنى عمِّك هؤلاء زعَموا أنَّك تُؤْذيهم فى ناديهم ومسجدِهم، فانْتَهِ عن أذاهم. فَحَلَّق رسولُ اللَّهِ ﷺ ببصرِه إلى السماءِ، فقال: «تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟». قالوا: نَعَمْ! قال: «فما أَنَا بِأَقْدَرَ [على [7]] أن أَدَعَ ذلك مِنكم على أن [8] تستَشْعِلوا منها شُعْلةً [8]». فقال أبو طالبٍ: واللَّهِ ما كَذَبَ ابنُ أخى قطُّ، فارجِعوا. رَواه البخارىُّ فى «التاريخِ» [9]، عن محمدِ بنِ العَلاءِ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ. ورَواه البَيْهَقِىُّ [10]، عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ عنه به، وهذا لفْظُه.

(١ - ١) فى النسخ: «عن». وفى الدلائل: «بن». والمثبت من التاريخ الكبير للبخارى ٧/ ٥٠، ٥١. وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤١.

(٢) فى الأصل، م: «عبد». وكذا فى الدلائل. وانظر المصدرين السابقين.

(٣) فى الأصل، م: «بن». وانظر المصدرين السابقين.

(٤) فى الأصل، م: «كنس». وفى ص: «لبس». والمثبت من الدلائل. قال ابن الأثير، بعد أن ساق الحديث: والكبس بالكسر بيت صغير. ويروى بالنون من الكِناس، وهو بيت الظبى. النهاية ٤/ ١٤٣.

(٥) فى الأصل، م: «خنس». وفى ص: «حنش». والمثبت من الدلائل. والحفش: البيت الصغير.

(٦) فى الأصل: «إلى».

(٧) زيادة من الدلائل.

(٨ - ٨) فى الأصل، م: «تشتعلوا منه بشعلة». وفى ص: «يستشغلوا منه بشغلة». والمثبت من الدلائل.

(٩) التاريخ الكبير ٧/ ٥٠، ٥١.

(١٠) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٦. وانظر السلسلة الصحيحة (٩٢).

ثُم رَوَى البَيْهَقِيُّ[1] مِن طريقِ يُونُسَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى يَعقوبُ بنُ عتبةَ[2] بنِ المُغيرةِ بنِ الأَخْنَسِ ، أنَّه حُدِّث أنَّ قريشًا حينَ قالَتْ لأبى طالبٍ هذه المقالةَ بَعَثَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له : يا بنَ أخى ، إنَّ قومَك قد جاءونى ، فقالوا كذا وكذا ، فَأَبْقِ علىَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلْنِى مِن الأَمْرِ ما لا أُطيقُ أنا ولا أنت ، فاكْفُفْ عن قومِك ما يَكْرَهونَ مِن قولِك . فظنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قد بَدَا لعَمِّه فيه ، وأنَّه خاذِلُه ومُسْلِمُه ، وضعُفَ عن القيامِ معه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عَمِّ ، لو وُضِعَتِ الشمسُ فِى يمينِى ، [٢/٧٨ظ] والقمرُ فى يسارى ، ما تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ حتى يُظْهِرَه اللَّهُ أو أَهلِكَ فى طَلَبِهِ » . ثُم اسْتَعْبَرَ[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ فبكَى ، فلمّا وَلَّى قال له حينَ رأَى ما بلَغَ الأمرُ برسولِ اللَّهِ ﷺ : يا بنَ أخى . فأَقْبَلَ عليه ، فقال : امضِ على أمْرِك وافعلْ ما أحبَبْتَ ، فواللَّهِ لا أُسْلِمُك لشىءٍ أبدًا . قال ابنُ إسحاقَ : ثُم قال أبو طالبٍ فى ذلك :

واللَّهِ لنْ يَصِلُوا إليكَ بِجَمْعِهِم ... حتى أُوَسَّدَ فى الترابِ دَفِينَا
فامضِى لأمْرِك ما عليكَ غَضاضَةٌ ... أَبشِرْ وقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونَا
ودَعَوْتَنى وعلِمْتُ[4] أنَّك ناصحى ... فلقدْ صدقْتَ وكنتَ قِدْمُ[5] أمينا
وعرَضْتَ دِينًا قد عرَفْتُ بأنَّه ... مِن خيرِ أديانِ البريَّةِ دينَا

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٧. ضعيف (السلسلة الضعيفة ٩٠٩).
(٢) فى الدلائل : « عقبة » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٥٠.
(٣) استعبر فلان : جرت دمعته .
(٤) فى الدلائل : « زعمت » . وهما بمعنًى . وانظر الوسيط (ز ع م) .
(٥) فى الدلائل : « قبل » . والقدم : من أسماء الزمان . يقال : كان كذا قدما . أى فى الزمان القديم . الوسيط (ق د م) .

لـولا الملامـةُ أو حِـذَارِىَ سُـبَّـةً لوجَدتَنى سَمْحًا بذاك مُبِينَا

ثُم قال البَيْهَقِىُّ[1] : وذكَرَ ابنُ إسحاقَ[2] لأبى طالبٍ فى ذلك أشعارًا ، وفى كلِّ ذلك دَلالةٌ على أنَّ اللَّهَ تعالى عصَمَه بعَمِّه مع خلافِه إيَّاه فى دينِه ، وقد كان يَعْصِمُه - حيثُ لا يَكونُ عَمُّه - بما شاءَ ، لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه .

وقال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[3] : حدَّثَنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنى رجلٌ مِن أهلِ مِصْرَ قديمًا منذُ بِضْعٍ وأربعين سنةً ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ[4] عباسٍ فى قِصَّةٍ طويلةٍ جرَتْ بينَ مُشْرِكى مكةَ وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا قام عنهم[5] رَسولُ اللَّهِ ﷺ قال أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ : يا معشرَ قُرَيْشٍ ، إنَّ محمدًا قد أَبَى إلا ما تَرَوْنَ ؛ مِن عَيْبِ دينِنا ، وشَتْمِ آبائِنا ، وتَسْفيهِ أَحْلامِنا ، وسَبِّ آلهتِنا ، وإنّى أُعاهِدُ اللَّهَ لَأَجْلِسُ له غَدًا بِحَجَرٍ ، فإذا سجَدَ فى صلاتِه ، فضَخْتُ[6] به رأْسَه ، فلْيَصْنَعْ بعدَ ذلك بنو عبدِ مَنافٍ ما بَدَا لهم . فلمّا أَصْبَحَ أبو جَهْلٍ ، لعنَه اللَّهُ ، أخَذَ حَجَرًا ، ثُم جَلَسَ لرَسولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُه ، وغَدا رسولُ اللَّهِ ﷺ كما كانَ يَغْدُو ، وكانت قِبْلَتَه الشامُ ، فكانَ إذا صَلَّى صَلَّى بينَ الرُّكْنَيْنِ الأسودِ واليمانىِّ ، وجعَلَ الكعبةَ بينَه وبينَ الشامِ ، فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى ، وقد غَدَت قريشٌ فجلَسوا فى أنديَتِهم يَنتَظِرون ، فلمَّا سَجَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ احتَمَلَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٨.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٣٠، ١٣١، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٩.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٩٠ عن يونس به . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٨.

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) زيادة من : ص .

(٦) فضخ الرأس : كسرها . الوسيط (ف ض خ) .

أبو جَهْلٍ الحَجَرَ ، ثُم أقبَلَ نحْوَه ، حتى إذا دَنَا منه رجَعَ مُنْبَهِتًا مُمْتَقَعًا لونُه مَرْعُوبًا ، قد يَبِسَتْ يَداه على حَجَرِه ، حتى قذَفَ الحَجَرَ مِن يدِه ، وقامَتْ إليه رِجالٌ مِن قريشٍ ، فقالوا : ما بك يا أبا الحكَمِ ؟ فقال : قمتُ إليه ؛ لأَفْعَلَ ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلمّا دَنَوْتُ منه عَرَضَ لى دونَه فَحْلٌ مِن الإبلِ ، واللَّهِ ما رأَيْتُ مِثْلَ هامَتِه ، ولا قَصَرَتِه[1] ، ولا أنيابِه لِفَحْلٍ قطُّ ، فَهَمَّ أن يَأْكُلَنى . قال ابنُ إسحاقَ : فَذُكِرَ لى أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ذلك جبريلُ ، لَو دَنَا منى[2] لأَخَذَه » .

وقال البَيْهَقِىُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبَرَنى أبو النَّضْرِ الفقيهُ ، حدَّثَنا عثمانُ الدَّارِمىُّ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثَنا الليثُ بنُ سَعْدٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوَةَ ، عن أَبانِ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن أبيه ، عن عبّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، قال : كنتُ يَومًا فى المسجدِ [٢/٧٩و] فأقبلَ أبو جَهْلٍ ، لعَنَه اللَّهُ ، فقال : إنَّ للَّهِ عَلَىَّ إن رأَيْتُ محمدًا ساجدًا أن أَطَأَ على رقبتِه . فخرَجْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى دخَلْتُ عليه فأخبَرْتُه بقولِ أبى جَهْلٍ ، فخَرَجَ غَضْبانَ حتى جاءَ المَسْجِدَ ، فعجَّلَ أن يَدْخُلَ مِن البابِ فاقْتَحَمَ الحائطَ ، فقلتُ : هذا يَومُ شرٍّ . فاتَّزَرْتُ ثُم اتَّبَعْتُه ، فدخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقرأَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١، ٢] . فلمَّا بلَغَ شأنَ أبى جَهْلٍ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦، ٧] . فقال إنسانٌ لأبى جَهْلٍ : يا أبا الحكَمِ ، هذا محمدٌ .

---

(١) القصرة : العنق وأصل الرقبة . النهاية ٤/ ٦٨.

(٢) فى الأصل ، م : « منه » .

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٩١.

فقال أبو جَهْلٍ: ألا تَرَوْن ما أَرَى؟ واللَّهِ لقد سَدَّ أُفُقَ السماءِ عليَّ. فلمّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ آخِرَ السورةِ سَجَدَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ، أَخبَرَنا مَعْمَرٌ، عن عبدِ الكريمِ، عن عِكْرِمَةَ، قال: قال ابنُ عباسٍ: قال أبو جَهْلٍ: لئن رأَيْتُ محمدًا يُصَلِّى عندَ الكعبةِ لأَطَأَنَّ على عُنُقِه. فبلَغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «لو فَعَلَ لأَخَذَتْه الملائِكَةُ عِيانًا». ورواه البُخارِيُّ[2]، عن يَحْيَى، عن عبدِ الرَّزاقِ به.

وقال داودُ بنُ أبى هِنْدٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: مَرَّ أبو جَهْلٍ بالنبيِّ ﷺ، وهو يُصَلِّى، فقال: ألم أَنْهَك أن تُصَلِّىَ يا محمدُ؟ لقد علِمْتَ ما بها أحدٌ أكثرُ[3] نادِيًا[4] منِّى. فانتَهَرَه النبيُّ ﷺ، فقال جبريلُ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٧، ١٨]. واللَّهِ لو دعَا نادِيَه لأخذَتْه زَبانيةُ العَذَابِ. روَاه أحمدُ، والتِّرمِذِيُّ وصحَّحَه، والنَّسائيُّ[5] مِن طريقِ داودَ به.

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ يَزِيدَ أبو يَزِيدَ[7]، حدَّثَنا فُراتٌ، عن عبدِ الكريمِ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال أبو جَهْلٍ: لَئِن رأَيْتُ النبيَّ ﷺ يُصَلِّى عندَ الكعبةِ لآتِيَنَّه حتى أَطَأَ على عُنُقِه. قال: فقال: «لو فعَلَ

---

(١) المسند ١/ ٣٦٨. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٤٩٥٨).

(٣) فى الأصل: «أكبر».

(٤) نادى الرجل: أهله وعشيرته.

(٥) المسند ١/ ٢٥٦. (إسناده صحيح). والترمذى (٣٣٤٩). صحيح الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦٨). والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٤).

(٦) المسند ١/ ٢٤٨. (إسناده صحيح).

(٧) فى الأصل، م: «زيد». وانظر تعجيل المنفعة ص ٣٨، وشرح المسند ٤/ ٥١.

لأخَذَتْه الملائكةُ[1] عِيانًا » .

وقال أبو جَعْفَرِ بنُ جَرِيرٍ[2] : حدَّثَنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ واضحٍ ، حدَّثَنا يُونُسُ بنُ أبى[3] إسحاقَ ، عن الوليدِ بنِ العَيْزارِ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : قال أبو جهْلٍ : لَئِن عادَ محمدٌ يُصَلِّى عندَ المَقامِ لأَقْتُلَنَّه . فأنزَلَ اللَّهُ تَعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] حتى بلَغَ هذه الآيةَ : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٥- ١٨] . فجاءَ النبىُّ ﷺ يُصَلِّى ، فقيل : ما يَمْنَعُك ؟ قال : قد اسْوَدَّ ما بينى وبيْنَه مِن الكَتائبِ[4] . قال ابنُ عباسٍ : واللَّهِ لو تَحَرَّكَ لأَخَذَتْه الملائكةُ ، والناسُ يَنْظُرونَ إليه .

وقال ابنُ جَرِيرٍ[5] : حدَّثَنا ابنُ[6] عبدِ الأَعْلَى ، حدَّثَنا المُعْتَمِرُ[7] ، عن أبيه ، عن نُعَيمِ بنِ أبى هِندٍ ، عن أبى حَازِمٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : قال أبو جَهْلٍ : هل يُعَفِّرُ محمدٌ وَجْهَه بينَ أظهُرِكم ؟ قالوا : نعَمْ . قال : فقال : واللَّاتِ والعُزَّى لئِن رأَيْتُه يُصَلِّى كذلك لأَطَأَنَّ على رقَبتِه ، ولأُعَفِّرَنَّ وَجْهَه فى الترابِ . فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو يُصَلِّى ؛ لِيَطَأَ على رقَبتِه ، قال : فما فَجِئَهم منه إلا

---

(١) فى الأصل ، م : « الزبانية » .

(٢) تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٥٦.

(٣) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٨٨.

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى القطعة العظيمة من الجيش . النهاية ٤/ ١٤٨.

(٥) تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٥٦.

(٦) سقط من : ص . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٨.

(٧) فى تفسير الطبرى : « ابن ثور » . وهو خطأ . وانظر التفسير ٨/ ٤٦١. وتهذيب الكمال . ٢٨/ ٢٥٠.

وهو يَنْكُصُ على عَقِبَيْه ، ويَتَّقِى بيَدَيْه . قال : فقيل له : ما لَكَ ؟ فقال : إنَّ بينى وبيْنَه خَنْدَقًا مِن نارٍ وَهَوْلًا[1] وأجْنِحةً . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو دَنا مِنِّى لاخْتَطَفَتْه المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا » . قال : وأنزلَ اللَّهُ تعالى - لا أَدْرِى فى حديثِ أبى هُرَيْرَةَ أمْ لا - : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ إلى آخِرِ السورةِ . وقد روَاه أحمدُ ومُسْلِمٌ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ أبى حَاتِمٍ ، والبَيْهَقِىُّ[2] مِن حديثِ [٢/٧٩ظ] مُعْتَمِرِ بنِ سُلَيمانَ بنِ طَرْخانَ التَّيْمىِّ به .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا وَهْبُ بنُ جَرِيرٍ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : ما رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا على قريشٍ غيرَ يومٍ واحدٍ ؛ فإنَّه كان يُصَلِّى ، ورَهْطٌ مِن قريشٍ جُلُوسٌ ، وسَلَى جَزُورٍ قريبٌ منه ، فقالوا : مَن يَأْخُذُ هذا السَّلَى فيُلْقِيه على ظَهْرِه ؟ فقال عُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ : أنا . فأخَذَه فألْقاه على ظَهْرِه ، فلم يَزَلْ ساجدًا حتى جاءَتْ فاطِمَةُ فأخَذَتْه عن ظَهْرِه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم عليك بهذا الملأِ مِن قريشٍ ، اللهم عليك بِعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ ، اللهم عليك بِشَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ ، اللهم عليك بأبى جهلِ بنِ هِشامٍ ، اللهم عليك بِعُقْبَةَ بنِ أَبى مُعَيْطٍ ، اللهم عليك بِأُبَىِّ بنِ خَلَفٍ - أو أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ - » . [4]شُعْبَةُ الشَّاكُّ[4] . قال عبدُ اللَّهِ[5] : فلقد رأَيْتُهم

---

(١) الهول : الخوف والأمر الشديد . النهاية ٥/ ٢٨٣.

(٢) المسند ٢/ ٣٧٠. ومسلم (٢٧٩٧). والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٣). والدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٩. والحديث ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ١٢٦. والدر المنثور ٦/ ٣٧٠، ولم يعزه إلى ابن أبى حاتم ، وقد عزاه المصنف فى تفسيره ٨/٤٦١ إلى ابن أبى حاتم .

(٣) المسند ١/ ٤١٧. (إسناده صحيح) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر شرح المسند ٥/ ٢٧٣.

(٥) هو ابن مسعود الصحابى راوى الحديث .

قُتِلُوا يومَ بَدْرٍ جَميعًا ، ثم سُحِبوا إلى القَلِيبِ غيرَ أُبَيٍّ ، أو أُمَيَّةَ ، فإنَّه كانَ رجلًا ضَخْمًا فَتَقَطَّعَ . وقد روَاه البُخاريُّ فى مواضعَ مُتَعَدِّدةٍ من « صحيحِه » ، ومُسْلِمٌ[1] مِن طُرُقٍ ، عن أبى[2] إسحاقَ به ، والصوابُ أميةُ بنُ خلَفٍ ؛ فإنَّه الذى قُتِلَ يومَ بَدْرٍ ، وأخوه أُبَيٌّ إنما قُتِلَ يَومَ أُحُدٍ ، كما سيَأْتِى بيانُه ، والسَّلَى : هو الذى يَخْرُجُ مع ولدِ الناقةِ كالمَشِيمَةِ لولدِ المرأةِ .

وفى بعضِ ألفاظِ « الصحيحِ »[3] : إنَّهم لمَّا فَعَلوا ذلك استَضْحَكوا حتى جعَلَ بعضُهم يَمِيلُ على بعضٍ ؛ أى يَميلُ هذا على هذا مِن شدةِ الضَّحِكِ ، لعَنَهم اللَّهُ . وفيه أنَّ فاطمةَ لمَّا ألقَتْه عنه أقبَلَتْ عليهم فسَبَّتْهم ، وأنَّه ﷺ لمَّا فرَغَ مِن صلاتِه رفَعَ يَدَيْه يَدْعو عليهم ، فلمَّا رأَوْا ذلك ، سكَنَ عنهم الضَّحِكُ ، وخَافُوا دَعْوتَه ، وأنَّه ﷺ دعا على الملأِ منهم جُمْلَةً ، وعَيَّنَ فى دُعائِه سبْعةً ، وقَعَ فى أكثرِ الرِّواياتِ تسميةُ[4] ستةٍ منهم ، وهم ؛ عُتبةُ ، وأخوه شَيْبةُ ابنا ربيعةَ ، والوليدُ بنُ عُتبةَ ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ ، وعُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ . قال أبو[5] إسحاقَ[6] : ونَسِيتُ السابعَ . قلتُ : وهو عُمارَةُ بنُ الوليدِ . وقَعَ تَسميتُه فى « صحيحِ البُخاريِّ »[7] .

---

(١) البخارى (٢٤٠، ٥٢٠، ٢٩٣٤، ٣١٨٥، ٣٨٥٤، ٣٩٦٠) ، ومسلم (١٧٩٤) .

(٢) فى الأصل ، م : « ابن » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٠٢.

(٣) البخارى (٥٢٠) ، ومسلم (١٧٩٤) .

(٤) سقط من : ص .

(٥) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٦) مسلم (١٧٩٤) .

(٧) البخارى (٥٢٠) .

قصةُ الإراشىّ

قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[1] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنا عبدُ المَلِكِ بنُ أبى سُفيانَ الثَّقَفىُّ ، قال : قَدِمَ رجلٌ من إراشٍ[2] بإبلٍ له مكةَ ، فابتاعَها منه أبو جَهْلِ ابنُ هِشامٍ ، فمَطَله بأثمانِها ، فأقبَلَ الإراشىُّ حتى وقَف على نادى قريشٍ - ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى ناحيةِ المسجدِ - فقال : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، مَن رجلٌ يُعْدِينى[3] على أبى الحكَمِ بنِ هِشامٍ ؛ فإنّى غريبٌ وابنُ سبيلٍ ، وقد غلَبَنى على حَقِّى ؟ فقال أهلُ المجلسِ : تَرَى ذلك [4]الرَّجُلَ ؟- وهُم[4] يَهْزَءُون به ، إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يَعْلَمون ما بينَه وبينَ أبى جهلٍ مِن العَداوةِ - اذهبْ إليه فهو يُؤَدِّيك عليه . فأقبَلَ الإراشىُّ حتى وقَفَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَرَ ذلك له ، فقامَ مَعَه ، فلمَّا رأَوْه قامَ معه ، قالوا لرجلٍ مِمَّن معَهم : اتَّبِعْه فانظُرْ ماذا يَصْنَعُ ؟ فخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى جاءَه فضَرَب عليه بابَه ، فقال : مَن هذا ؟ قال : « محمدٌ ، فاخرُجْ » . فخرَجَ إليه وما فى وَجْهِه قَطرةُ دمٍ ، وقد انتُقِعَ لونُه ، فقال : « أَعْطِ هذا الرجلَ حَقَّه » . فقال : لا تَبْرَحْ حتى أُعْطِيَه الذى له . فدخَلَ فخرَجَ إليه بحقِّه فدفَعَه إليه ، ثُم انصرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [٢/٨٠و] وقال

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٦، ١٧٧، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) إراش : بالكسر والشين معجمة موضع . معجم البلدان ١/ ١٨١.

(٣) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « يؤدينى » . وهما بمعنى . أى يعيننى على أخذ الحق منه . وانظر الروض الأنف ٣/ ٣٨٨.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

للإراشىِّ : « الحَقْ بشأْنِك » . فأقبَلَ الإراشىُّ حتى وَقَف على ذلك المجلسِ ، فقال : جزَاه اللَّهُ خَيْرًا ؛ فقد أخَذْتُ الذى لى . وجاءَ الرجلُ الذى بَعَثوا معَه ، فقالوا : وَيْحَك ماذا رأَيْتَ ؟ قال : عَجَبًا مِن العَجَبِ ، واللَّهِ ما هو إلا أن ضَرَب عليه بابَه فخرَجَ وما معَه رُوحُه ، فقال : « أَعْطِ هذا الرجلَ حقَّه » . فقال : نَعَمْ ، لا تَبْرَحْ حتى أُخْرِجَ إليه حقَّه . فدخَلَ فأَخْرَجَ إليه حقَّه فأَعْطاه ، ثُم لم يَلْبَثْ أن جاءَ أبو جهلٍ ، فقالوا له : وَيْلَك ما لكَ ، فواللَّهِ ما رأَيْنا مِثْلَ ما صنَعْتَ ؟ فقال : وَيْحَكم ، واللَّهِ ما هو إلا أن ضَرَب علىَّ بابى وسمِعْتُ صَوْتَه فمُلِئْتُ رُعْبًا ، ثُم خرَجْتُ إليه ، وإنَّ فوقَ رأسِهِ لَفَحْلًا مِن الإبلِ ، ما رأَيْتُ مِثْلَ هامتِهِ ، ولا قَصَرَتِه ، ولا أنيابِه لِفَحْلٍ قَطُّ ، فواللَّهِ لو أبَيْتُ لأَكَلَنى .

فصـــل

وقال البُخاريُّ[1] : حدَّثَنا عَيَّاشُ بنُ الوليدِ ، حدَّثَنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، حدَّثَنى الأَوزاعيُّ ، عن يَحْيَى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، حدَّثَنى عُروةُ بنُ الزُّبَيْرِ ، سأَلْتُ [2]ابنَ عَمْرِو بنِ العاصِ[2] ، فقلتُ : أخْبِرْنى بأشدِّ شىءٍ صَنَعَه المشركون برسولِ اللَّهِ ؟ قال : بينَما النبىُّ ﷺ يُصَلِّى فى حِجْرِ الكعبةِ ، إذ أقبلَ[3] عُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ فوضَعَ ثَوْبَه على عُنُقِه فخَنَقَه خَنْقًا شديدًا ، فأَقبَلَ أبو بكرٍ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، حتى أخَذَ بمَنْكِبِه ودفَعَه عن النبىِّ ﷺ ، وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية [غافر : ٢٨] . تابَعَه ابنُ إسحاقَ[4] ، قال : أخبَرَنى يَحْيى بنُ عُروةَ ، عن أبيه ، قال : قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو .

وقال عَبْدَةُ[5] ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، قال : قيل لعمرِو بنِ العاصِ . وقال محمدُ بنُ عَمرٍو[6] ، عن أبى سَلَمَةَ ، حدَّثَنى عمرُو بنُ العاصِ . قال

---

(١) البخارى (٣٨٥٦) .

(٢ - ٢) فى النسخ : « ابن العاص » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « عليه » .

(٤) ذكره البخارى معلقًا (٣٨٥٦) ، ووصله أحمد فى المسند ٢/ ٢١٨. (إسناده صحيح) . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٦.

(٥) ذكره البخارى معلقًا (٣٨٥٦) ، ووصله النسائى فى الكبرى (١١٤٦٢) ، وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٧.

(٦) ذكره البخارى معلقًا (٣٨٥٦) ، ووصله ابن حبان فى صحيحه ، الإحسان (٦٥٦٩) . (إسناده حسن) . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٨.

البَيْهَقِيُّ[1] : وكذلك رَوَاه سُلَيْمانُ بنُ بِلالٍ ، [2]عن هِشامٍ[2] بنِ عُرْوةَ كما روَاه عَبْدَةُ . انفرَدَ به البُخارىُّ ، وقد رَواه فى أماكنَ مِن « صحيحِه »[3] ، وصرَّحَ فى بعضِها بعبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، وهو أَشْبَهُ لروايةِ عُرْوةَ عنه ، وكونُه عن عمرٍو أَشْبَهُ ؛ لتقدُّمِ هذه القصةِ .

وقد رَوَى البَيْهَقِيُّ[4] ، عن الحاكِمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ ، عَن يُونُسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ : حدَّثَنى يَحْيَى بنُ عُرْوةَ ، عن أبيه عُرْوَةَ ، قال : قلْتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ : ما أَكْثَرُ ما رأَيْتَ قريشًا أصابتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فيما كانَتْ تُظْهِرُه مِن عَداوتِه ؟ فقال : لقد رأَيْتُهم وقد اجتَمَعَ أشرافُهم يومًا فى الحِجْرِ ، فذكَرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : ما رأَيْنا مِثْلَ ما صَبَرْنا عليه مِن هذا الرجلِ قطُّ ؛ سفَّهَ أحلامَنا ، وشتَمَ آباءَنا ، وعابَ دينَنا ، وفرَّقَ جماعتَنا ، وسبَّ آلهتَنا ، وصبَرْنا[5] منه على أمْرٍ عظيمٍ ، أو كما قالوا[6] . فبينَما هم فى ذلك طلَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأقبَلَ يَمْشِى حتى استَلَمَ الرُّكْنَ ، ثُم مرَّ بهم طائفًا بالبيتِ ، فغَمَزُوه ببعضِ القَوْلِ ، فعَرَفْتُ ذلك فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فَمَضَى ، فلمَّا مَرَّ بهم الثانيةَ غَمَزُوه بمثلِها ، فعرَفْتُها فى وَجْهِه ، فمَضَى ، ثُم مَرَّ الثالثةَ فغمَزوه بمثلِها ، فقال : « أَتَسْمَعونَ يا معشرَ قريشٍ ، أما والذى نفسى بيدِه لقد جِئْتُكم بالذَّبْحِ » . فأخذَتِ القومَ كلِمتُه حتى ما مِنهم مِن رجلٍ

---

(١) الدلائل ٢/ ٢٧٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٧.

(٣) البخارى (٣٦٧٨، ٤٨١٥) .

(٤) الدلائل ٢/ ٢٧٥.

(٥) فى الأصل ، م : « صرنا » .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « قال » .

إلَّا وكأنَّما على رأْسِه طائرٌ واقعٌ، حتى إنَّ أشدَّهم [٢/٨٠ظ] فيه وَصاةً[١] قبل ذلك لَيَرْفَؤُه[٢] حتى إنَّه لَيَقولُ: انصَرِفْ يا أبا القاسمِ راشدًا، فما كنتَ بِجَهُولٍ. فانصرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى إذا كان الغَدُ اجتَمَعوا فى الحِجْرِ وأنا مَعهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: ذكَرْتُم [٣]ما بلَغَ منكم[٣] وما بلَغَكم عنه، حتى إذا بادَأَكم بما تَكْرَهون ترَكْتُموه! فبينَما هم على ذلك طَلَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فوثَبوا إليه وَثْبَةَ رجلٍ واحدٍ، فأحاطوا به يَقولون: أنتَ الذى تَقولُ كذا وكذا؟ لِمَا كان يَبْلُغُهم مِن عَيْبِ آلهتِهم ودِينِهم، فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نعم أنا الذى أَقولُ ذلك». ولقد رأَيْتُ رجلًا منهم أخَذَ بمجامعِ ردائِه، وقامَ أبو بكرٍ يَبْكِى[٤] دونَه، ويَقولُ: ويْلَكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ ثُم انصَرَفوا عنه، فإنَّ ذلك لَأَكْثَرُ ما رأَيْتُ قريشًا بلغتْ منه قطُّ.

فصلٌ: فى تَأْلِيبِ الملأِ مِن قريشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه، واجتماعِهم بعمِّه أبى طالبٍ، القائمِ فى مَنْعِه[٥] ونُصْرَتِه، وحرصِهم عليه أنْ يُسْلِمَه إليهم، فأَبَى عليهم ذلك بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه.

قال الإمامُ أحمدُ[٦]: حدَّثَنا وَكِيعٌ، عن حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد أُوذِيتُ فى اللَّهِ وما يُؤْذَى أحدٌ،

---

(١) الوصاة: الوصية.

(٢) يرفؤه: يُسَكِّنُه ويرفق به ويدعو له. النهاية ٢/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الأصل، م: «ينكى». وفى تفسير ابن كثير ٧/ ١٣٠ «وإن عينيه ليسيلان».

(٥) سقط من: الأصل. وفى ص: «صفه».

(٦) المسند ٣/ ١٢٠.

وأُخِفْتُ فى اللَّهِ وما يُخَافُ أحدٌ ، ولقد أَتَتْ علىَّ ثلاثون ، مِن بينِ يومٍ وليلةٍ ، وما لِى ولِبِلَالٍ[1] طعامٌ[2] يَأْكُلُه ذو كَبِدٍ ، إلَّا ما يُوارِى إبْطُ بِلَالٍ[3] » . وأَخْرَجه الترمذِىُّ ، وابنُ ماجه مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ به[4] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : وحَدِبَ[6] على رسولِ اللَّهِ ﷺ عمُّه أبو طالبٍ ، ومَنَعَه ، وقامَ دُونَه ، ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على أمرِ اللَّهِ ، مُظْهِرًا لدينِه ، لا يَرُدُّه عنه شىءٌ ، فلَمّا رأتْ قريشٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يُعْتِبُهم[7] مِن شىءٍ أنكروه عليه ؛ مِنْ فِراقِهم وعَيْبِ آلهتِهم ، ورأَوْا أنَّ عمَّه أبا طالبٍ قد حَدِبَ عليه ، وقامَ دونه فلَم يُسْلِمْه لهم ، مشَى رجالٌ مِن أشرافِ قريشٍ إلى أبى طالبٍ ؛ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا رَبِيعَةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَىٍّ ، وأبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، وأبو البَخْتَرِىِّ ، واسمُه العاصُ ابنُ هشامِ بنِ الحارثِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ ، والأَسودُ بنُ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، وأبو جَهْلٍ ، واسمُه عَمْرُو بنُ هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ، والوليدُ بنُ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقْظَةَ

---

(١) كذا بالنسخ ، وهو لفظ الترمذى وابن ماجه . وفى المسند : « ولعيالى » .

(٢) فى الأصل ، م : « ما » .

(٣) قال فى الفتح الربانى ١٩/ ١٢٨: والمعنى : ما كان لنا من الطعام إلا شىء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه .

(٤) الترمذى (٢٤٧٢) ، وابن ماجه (١٥١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠١٢) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٦٤.

(٦) فى ص : « حدث » . وحدب : عطف .

(٧) فى ص : « يعينهم » . ويعتبهم : يرضيهم ، ويزيل عتابهم .

ابنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجَّاجِ بنِ عامرِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىٍّ، والعاصُ بنُ وائلِ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَهْمٍ - قال ابنُ إسحاقَ: أو مَن مشَى منهم - فقالوا: يا أبا طالبٍ، إنَّ ابنَ أخيك قد سَبَّ آلهَتَنا، وعابَ دينَنَا، وَسَفَّهَ أحلامَنا، وضَلَّلَ آباءَنا، فإمّا أنْ تَكُفَّه عنا، وإمّا أنْ تُخَلِّيَ بينَنا وبينَه، فإنّك على مِثْلِ ما نحن عليه مِن خِلَافِه، فنَكْفِيكَه. فقال لهم أبو طالبٍ قولًا رفيقًا، ورَدَّهم رَدًّا جميلًا، فانْصَرَفوا عنه. ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ما هو عليه، يُظْهِرُ دينَ اللَّهِ ويَدْعُو إليه، ثم شَرِىَ[1] الأمرُ بينَه وبينَهم، حتى تَبَاعَدَ الرجالُ وتَضَاغَنُوا، وأَكْثَرَتْ قريشٌ ذِكْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بينَها، فتَوامَرُوا[2] فيه، وحَضَّ بعضُهم بعضًا عليه، ثُم إنَّهم مَشَوْا إلى أبى طالبٍ [٨١/٢و] مرةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالبٍ، إنَّ لك سِنًّا وشَرَفًا ومنزلةً فينا، وإنَّا قد اسْتَنْهَيْناك مِن ابنِ أخيك، فلم تَنْهَه عنّا، وإنَّا واللَّهِ لا نَصْبِرُ على هذا؛ مِن شَتْمِ آبائِنا، وتَسْفِيهِ أحلامِنا، وعَيْبِ آلهتِنا، حتى تَكُفَّه عنا، أو نُنَازِلَه وإيَّاك فى ذلك، حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقَيْنِ. أو كما قالوا. ثُم انْصَرَفوا عنه، فعَظُمَ على أبى طالبٍ فِرَاقُ قومِه وعدَاوَتُهم، ولم يَطِبْ نفسًا بإسلامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا خِذْلَانِه.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وحدَّثَنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ، أنه حُدِّثَ أنَّ قريشًا حينَ قالوا لأبى طالبٍ هذه المقالةَ، بعَثَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) فى النسخ: «سرى». والمثبت من سيرة ابن هشام. وشرى: كثر واشتد.

(٢) فى م، ص: «فتذامروا». وتوامروا: تشاوروا. وأصله الهمز. انظر النهاية ٦٦/١.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٣٥، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٦. وقد تقدم نحوه فى صفحة ١٠٨، عند البيهقى، من طريق محمد بن إسحاق به.

فقال له : يا بنَ أَخى ، إنَّ قومَك قد جاءُونى ، فقالوا لى كذا وكذا - للذى قالوا له - فأَبْقِ علىَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلْنِى مِن الأمرِ ما لا أُطِيقُ . قال : فظَنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنه قد بَدَا لعمِّه فيه بَدَاءٌ[1] ، وأنَّه خاذِلُه ومُسْلِمُه ، وأنَّه قد ضَعُفَ عن نُصْرَتِه والقيامِ معه . قال : فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمِّ ، واللَّهِ لو وَضَعُوا الشمسَ فى يَمِينِى ، والقمرَ فى يَسَارِى على أنْ أَتْرُكَ هذا الأمرَ حتى يُظْهِرَه اللَّهُ ، أو أَهْلِكَ فيه ما تَرَكْتُه »[2] . قال : ثم اسْتَعْبَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فبكَى ثم قامَ ، فلما وَلَّى نادَاه أبو طالبٍ فقال : أَقْبِلْ يا بنَ أخى . فأَقْبَلَ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : اذهبْ يا بنَ أخى فقُلْ ما أحببتَ ، فواللَّهِ لا أُسْلِمُك لشىءٍ أبدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم إنَّ قريشًا حينَ عَرَفوا أنَّ أبا طالبٍ قد أبَى خِذلانَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإسلامَه ، وإجماعَه لفِراقِهم فى ذلك وعداوتَه ، مَشَوْا إليه بعُمارةَ بنِ الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، فقالوا له - فيما بَلَغَنى - : يا أبا طالبٍ ، هذا عُمارةُ ابنُ الوليدِ ، أنهدُ[3] فَتًى فى قريشٍ وأجملُه ، فَخُذْه ، فَلَكَ عقلُه ونَصْرُه ، واتَّخِذْه وَلَدًا ، فهو لك ، وأَسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالَفَ دينَك ودينَ آبائِك ، وفرَّقَ جماعةَ قومِك ، وسَفَّه أحلامَها فنَقْتُلَه ، فإنَّما هو رجلٌ برجلٍ . قال : واللَّهِ لَبِئْسَ ما تَسُومُونَنِى ، أَتُعْطُوننى ابنَكم أَغْذُوه لكم ، وأُعْطِيكم ابْنِى تَقْتُلُونه ! هذا واللَّهِ ما لا يكونُ أبدًا . قال : فقال المُطْعِمُ بنُ عَدِىِّ بنِ نَوْفَلِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « بد » . وفى م ، ص : « بدو » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام . وبداء : رَأْىٌ .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٣٣.

(٣) فى الأصل : « أبهى » . وفى ص : « أبهر » . وأنهد : أشد وأقوى .

عبدِ مَنَافِ بنِ قُصَىٍّ : واللَّهِ يا أبا طالبٍ لقد أَنْصَفَكَ قومُك وجَهَدُوا على التخلُّصِ مما تَكْرَهُ ، فما أَرَاكَ تُرِيدُ أنْ تَقْبَلَ منهم شيئًا . فقال أبو طالبٍ للمُطْعِمِ : واللَّهِ ما أَنْصَفُونى ، ولكنَّك قد أَجْمَعْتَ خِذلانى ، ومظاهرةَ القومِ علىَّ ، فاصْنَعْ ما بَدَا لك . أو كما قال ، فَحَقِبَ[1] الأمرُ ، وحَمِيَتِ الحربُ ، وتنابذَ القومُ ، ونادَى بعضُهم بعضًا ، فقال أبو طالبٍ عندَ ذلك يُعَرِّضُ بالمُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ، ويَعُمُّ مَن خَذَلَه مِن بنى عبدِ مَنَافٍ ، ومَن عاداه مِن قبائلِ قريشٍ ، ويَذْكُرُ ما سَأَلوه ، وما تَبَاعَدَ مِن أمرِهم :

أَلَا قُلْ لعمرٍو والوليدِ ومُطْعِمٍ ... أَلَا ليتَ حَظِّى مِن حِياطَتِكم بَكْرُ[2]

مِن الخُورِ حَبْحَابٌ كثيرٌ رُغاؤُه ... يُرَشُّ على الساقَين مِن بولِه قَطْرُ[3]

تَخَلَّفَ خلْفَ الوِرْدِ ليس بلاحِقٍ ... إذا ما علا الفَيْفَاءَ قيلَ له وَبْرُ[4]

أرى أخَوَيْنا مِن أبينا وأُمِّنا ... إذا سُئِلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ

[٢/٨١ظ] بلى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرْجَما ... [5]كما جَرْجَمَتْ[5] مِن رأسِ ذى علَقٍ[6] الصخرُ

أَخُصُّ خُصوصًا عبدَ شمسٍ ونَوْفَلًا ... هما نَبَذَانا مثلَ ما نُبِذَ الجَمْرُ[7]

هما أَغْمَزَا للقومِ فى أَخَوَيْهما ... فقد أصبَحا منهم أَكُفُّهما صُفْرُ[8]

---

(١) فى الأصل : « فخفت » . وحقب : اشتد .

(٢) البكر : الفَتِىُّ من الإبل .

(٣) الخور : جمع خائر ، وهو الضعيف . حبحاب : قصير .

(٤) الوبر : حيوان من ذوات الحوافر ، فى حجم الأرنب ، ويكثر فى لبنان . الوسيط (و ب ر) . والمراد ، أنه يشبه الجمل بهذا الحيوان لصغره . أو يصغر فى العين لعلو المكان وبُعده .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « تحرجما كما حرجمت » . وجرجم : سقط .

(٦) ذو علق : اسم جبل .

(٧) فى الأصل : « الخمر » .

(٨) الصفر : الخالى من الآنية وغيرها . شرح غريب السيرة ١/١٦٦ .

هما أَشْرَكا فى المجدِ مَن لا أَبَا لَه ... مِن الناسِ إلا أن يُرَسَّ[1] له ذِكْرُ

وتَيْمٌ ومَخْزُومٌ وزُهْرَةُ منهمُ ... وكانُوا لنا مولًى إذا بُغِىَ النصرُ

فواللَّهِ لا تَنْفَكُّ منّا عداوةٌ ... ولا منكمُ ما دام[2] مِن نَسْلِنا شَفْرُ[3]

قال ابنُ هشامٍ[4] : وترَكْنا منها بَيْتَيْن أَقْذَعَ[5] فيهما .

---

(١) يرس : يُذكَر .

(٢) فى الأصل : « قام » .

(٣) شفر : أحد .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٨.

(٥) أقذع : سبَّ بالألفاظ القبيحة .

فصل

فى مبالغتِهم فى الأذِيَّةِ

لآحادِ المسلمِين المستَضْعَفِين

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ قريشًا تَذَامَرُوا بينَهم على مَن فى القبائلِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثَبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَن فيها مِن المسلمِين ، يُعَذِّبُونهم ويَفْتِنُونهم عن دينِهم ، ومنَع اللَّهُ منهم رسولَ اللَّهِ ﷺ بعمِّه أبى طالبٍ ، وقد قامَ أبو طالبٍ - حينَ رأَى قريشًا يَصْنَعُون ما يَصْنَعُون - فى بنى هاشمٍ وبنى المُطَّلِبِ ، فدَعَاهم إلى ما هو عليه مِن منعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والقيامِ دونَه ، فاجْتَمَعوا إليه ، وقامُوا معه ، وأَجَابوه إلى ما دعَاهم إليه - إلّا ما كان مِن أبى لَهَبٍ عدوِّ اللَّهِ - فقال فى ذلك ، يَمْدَحُهم ويُحَرِّضُهم على ما وافَقُوه عليه مِن الحَدَبِ والنُّصْرَةِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ :

إذا اجتَمَعَتْ يومًا قريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعبدُ مَنَافٍ سِرُّها[2] وصميمُها

وإنْ حُصِّلَتْ أشرافُ عبدِ منافِها ... ففى هاشمٍ أشرافُها وقديمُها

وإن فَخَرَتْ يومًا فإنَّ محمدًا ... هو المصطفَى مِن سرِّها وكريمُها

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٨. وانظر سيرة ابن إسحاق ص ١٢٩.

(٢) سرها : أى أصلها . الوسيط (س ر ر) .

تداعَتْ قريشٌ غَثُّها وسَمِينُها ... علينا فلم تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها
وكنَّا قديمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إذ ما ثَنَوا صُعْرَ الرِّقابِ نُقِيمُها
ونَحْمِى حِمَاها كلَّ يومِ كَرِيهَةٍ ... ونَضْرِبُ عن أحجارِها مَنْ يَرُومُها
بنا انْتَعَشَ العُودُ الذَّوَاءُ[1] وإنَّما ... بأَكْنَافِنا تَنْدَى وتَنْمِى أُرُومُها

فصل

فيما اعتَرَضَ به المشركون على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وما تَعَنَّتُوا عليه[2] فى أسئِلَتِهم إيّاه أنواعًا مِن الآياتِ، وخَرْقِ العاداتِ، على وجهِ العنادِ، لا على وجهِ طلبِ الهُدَى والرشادِ؛ فلهذا لم يُجَابُوا إلى كثيرٍ مما طَلَبوا، ولا ما إليه رَغِبُوا؛ لِعِلْمِ الحَقِّ سبحانَه أنهم لو عايَنُوا وشاهَدُوا ما أَرَادوا، لاستَمَرُّوا فى طُغْيَانِهم يَعْمَهُون، ولَظَلُّوا فى غَيِّهم وضَلَالِهم يَتَرَدَّدُون.

قال اللَّهُ تعالى[3]: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩- ١١١]. وقال تعالى[4]: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ [٢/٨٢و] حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

(١) الذواء: اليابس الضعيف. يقال: ذوى العود. أى يبس وضعف. الوسيط (ذ و ى).
(٢) فى الأصل، م: «له». وعنت عليه: شق عليه وشدد.
(٣) التفسير ٣/٣٠٩ - ٣١١.
(٤) التفسير ٤/ ٢٣٠، ٢٣١.

ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]. وقال تعالى[1]: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى[2]: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣]. وقد تَكَلَّمْنَا على هذه الآياتِ وما يُشَابِهُها فى أماكِنِها فى «التفسيرِ» وللَّهِ الحمدُ.

وقد روَى يُونُسُ وزيادٌ[3]، عن ابنِ إسحاقَ، عن بعضِ أهلِ العلمِ - وهو شيخٌ مِن أهلِ مِصْرَ يُقالُ له: محمدُ بنُ أبى محمدٍ - عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ وعِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: اجتَمَع عِلْيَةٌ مِن أشرافِ قريشٍ - وعَدَّدَ أسماءَهم - بعدَ غروبِ الشمسِ، عندَ ظَهْرِ الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ابْعَثُوا إلى محمدٍ فَكَلِّمُوه، وخاصِمُوه حتى تُعْذِرُوا فيه. فبَعَثُوا إليه: إنَّ أشرافَ قومِك قد اجتَمَعوا لك لِيُكَلِّمُوك. فجاءَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ سريعًا، وهو يَظُنُّ أنه قد بَدَا لهم فى أمرِه بَدَاءٌ، وكان حريصًا، يُحِبُّ رُشْدَهم، ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم، حتى جلَس إليهم، فقالوا: يا محمدُ، إنّا قد بَعَثْنا إليك لِنُعْذِرَ فيك، وإنّا واللَّهِ لا

---

(١) التفسير ٥/٨٧ - ٨٩.

(٢) التفسير ٥/١١٥ - ١١٨.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٩٥، ورواه الطبرى فى تفسيره ١٥/ ١٦٤، من طريق يونس بن بكير به.

نَعْلَمُ رجلًا مِن العربِ أَدْخَلَ على قومِه ما أَدْخَلْتَ على قومِك ؛ لقد شَتَمْتَ الآباءَ ، وعِبْتَ الدِّينَ ، وسَفَّهْتَ الأحلامَ ، وشَتَمْتَ الآلهةَ ، وفَرَّقْتَ الجماعةَ ، وما بَقِيَ مِن قبيحٍ إلّا وقد جئتَه فيما بينَنا وبينَك ، فإنْ كنتَ إنما جِئْتَ بهذا الحديثِ تَطْلُبُ مالًا ، جَمَعْنا لك مِن أموالِنا حتى تَكونَ أكثرَنَا مالًا ، وإنْ كنتَ إنَّما تَطْلُبُ الشرفَ فينا ، سَوَّدْناك علينا ، وإنْ كنتَ تُرِيدُ مُلْكًا ، مَلَّكْناك علينا ، وإن كان هذا الذى يَأْتِيك رَئِيًّا تَرَاه قد غَلَبَ عليك - وكانوا[1] يُسَمُّون التابِعَ مِن الجنِّ الرَّئِيَّ - فرُبَّما كان ذلك ، بذَلْنا أموالَنا فى طلبِ الطِّبِّ حتى نُبْرِئَك منه ، أو نُعْذِرَ فيك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما بى ما تَقُولُون ، ما جِئْتُكم بما جِئْتُكم به أَطْلُبُ أموالكم ، ولا الشرفَ فِيكم ، ولا المُلْكَ عليكم ، ولكنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى إلَيْكُم رسولًا ، وأَنْزَلَ علىَّ كتابًا ، وأمَرَنى أنْ أَكونَ لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبَلَّغْتُكُم رسالةَ رَبِّى ، ونَصَحْتُ لكم ، فإنْ تَقْبَلُوا منِّى ما جِئْتُكم به ، فهو حَظُّكم مِن الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تَرُدُّوه علىَّ ، أَصْبِرْ لأَمرِ اللَّهِ ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينى وبينَكم » .- أو كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ - فقالوا : يا محمدُ ، فإنْ كنتَ غيرَ قابلٍ منّا ما عرَضْنا عليك ، فقد عَلِمْتَ أنه ليس أحدٌ مِن الناسِ أضيَقَ بلادًا ، ولا أقلَّ مالًا ، ولا أشدَّ عيشًا منّا ، فَسَلْ لنا ربَّك الذى بَعَثَك بما بعَثَك به ، فلْيُسَيِّرْ عنَّا هذه الجبالَ التى قد ضَيَّقَتْ علينا ، ولْيَبْسُطْ لنا بلادَنا ، ولْيُجْرِ فيها أنهارًا كأنهارِ الشامِ والعراقِ ، ولْيَبْعَثْ لنا مَن مضَى مِن آبائِنا ، ولْيَكُنْ فيمَن يُبْعَثُ لنا منهم قُصَىُّ بنُ كِلَابٍ ، فإنّه كان شيخًا صَدُوقًا ، فنَسْأَلَهم عما تقولُ ؛ أحقٌّ هو أم باطلٌ ؟ فإنْ فعلتَ ما سَأَلْناك وصَدَّقُوك ، صَدَّقْناك وعرَفْنا به منزلتَك

---

(١) فى النسخ : « وكان » .

عندَ اللَّهِ ، وأنَّه بعَثَك رسولًا كما تقولُ . فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما بهذا بُعِثْتُ ، إنَّما جِئْتُكم مِن عندِ اللَّهِ بما بَعَثَنِى به ، فقد بَلَّغْتُكم ما أُرْسِلتُ به إليكُم ، فإنْ تَقْبَلُوه ، فهو حَظُّكم فِى الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تَرُدُّوه[1] علىَّ ، أَصْبِرْ لأمْرِ اللَّهِ حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينِى وبينَكم » . قالوا : فإنْ لم تفعلْ لنا هذا ، [٢/٨٢ظ] فخُذْ لنفسِك ؛ فسَلْ رَبَّك أنْ يَبْعَثَ لنا مَلَكًا يُصَدِّقُك بما تقولُ ، ويُرَاجِعُنا عنك ، وتَسْأَلُه فيَجْعَلُ لنا جِنَانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهبٍ وفضةٍ ، ويُغْنِيك عما نَرَاك تَبْتَغِى ، فإنَّك تَقُومُ فى الأَسواقِ ، وتَلْتَمِسُ المعايشَ كما نَلْتَمِسُه ، حتى نَعْرِفَ فضلَ منزلتِك مِن ربِّك ، إنْ كنتَ رسولًا كما تَزْعُمُ . فقال لهم : « ما أَنا بفاعلٍ ، ما أنا بالذى يَسْأَلُ ربَّه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكنَّ اللَّهَ بَعَثَنى بشِيرًا ونذيرًا ، فإنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكم به ، فهو حَظُّكم فى الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تَرُدُّوه علىَّ ، أَصْبِرْ لأَمْرِ اللَّهِ حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينى وبينَكم » . قالوا : فأَسْقِطِ السماءَ كما زَعَمْتَ أنَّ ربَّك إنْ شاء فعَل ، فإنَّا لن نُؤْمِنَ لك إلّا أنْ تَفْعَلَ . فقال : « ذلك إلى اللَّهِ ، إنْ شاء فعَل بكم ذلك » . فقالوا : يا محمدُ ، ما عَلِمَ ربُّك أنَّا سنَجْلِسُ معك ونَسْأَلُك عما سَأَلْناك عنه ، ونَطْلُبُ منك ما نَطْلُبُ ، فيَتَقَدَّمَ إليك ويُعْلِمَك ما تُرَاجِعُنا به ، ويُخْبِرَك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا إذا لم نَقْبَلْ منك ما جِئْتَنا به ؟ فقد بَلَغَنا أنَّه إنَّما يُعَلِّمُك هذا رجلٌ باليَمَامَةِ يقالُ له : الرحمنُ . وإنَّا واللَّهِ لا نُؤْمِنُ بالرحمنِ أبدًا ، فقد أَعْذَرْنا إليك يا محمدُ ، أمَا واللَّهِ لا نَتْرُكُك وما فعلتَ بنا حتى نُهْلِكَك أو تُهْلِكَنا . وقال قائلُهم : نحن نَعْبُدُ الملائكةَ وهى بناتُ اللَّهِ . وقال قائلُهم : لن نُؤْمِنَ لك حتى تَأْتِيَنا باللَّهِ

---

(١) فى الأصل ، م : « تردوا » .

والملائكةِ قَبِيلًا . فلما قالوا ذلك ، قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وقامَ معه عبدُ اللَّهِ ابنُ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ، وهو ابنُ عمَّتِه عاتِكَةَ بنتِ عبدِ المُطَّلِبِ ، فقال : يا محمدُ ، عرَض عليك قومُك ما عَرَضُوا فلم تَقْبَلْه منهم[1] ، ثم سَأَلوك لأنفسِهم أمورًا ؛ ليَعْرِفُوا بها منزلَتَك مِن اللَّهِ فلم تَفْعَلْ ، ثُم سَأَلوك أنْ تُعَجِّلَ ما تُخَوِّفُهم به مِن العذابِ ، فواللَّهِ لا أُومِنُ لك أبدًا ، حتى تَتَّخِذَ إلى السماءِ سُلَّمًا ، ثم تَرْقَى فيه[2] وأنا أَنْظُرُ حتى تَأْتِيَها وتَأْتِىَ معك بنُسْخَةٍ منشورةٍ ، ومعك أربعةٌ مِن الملائكةِ يَشْهَدُون لك أنَّك كما تقولُ ، وايْمُ اللَّهِ ، لو فعلتَ ذلك لَظَنَنْتُ أنِّى لا أُصَدِّقُك . ثُم انْصَرَفَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وانْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِه حزينًا أَسِفًا ؛ لِمَا فاتَه مما طَمِعَ فيه مِن قومِه حينَ دَعَوْه ، ولِمَا رأَى مِن مُبَاعَدَتِهم إيّاه .

وهذا المجلسُ الذى اجْتَمَع عليه هؤلاء المَلَأُ مجلسُ ظلمٍ وعُدوانٍ وعنادٍ ؛ ولهذا اقْتَضَتِ الحكمةُ الإلهيةُ والرحمةُ الربانيةُ ألَّا يُجَابُوا إلى ما سَأَلوا ؛ لأنَّ اللَّهَ عَلِمَ أنَّهم لا يُؤْمِنُون بذلك ، فيُعاجِلَهم بالعذابِ .

كما قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا عثمانُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا جريرٌ ، عن الأَعْمَشِ ، عن جعفرِ بنِ إيَاسٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ . قال : سأَل أهلُ مكةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يَجْعَلَ لهم الصَّفَا ذهبًا ، وأن يُنَحِّىَ عنهم الجبالَ فيَزْدَرِعُوا[4] ، فقيل له : إنْ شِئْتَ أنْ

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) فى الأصل ، م : « منه » .

(٣) المسند ١/ ٢٥٨ . (صحيح) .

(٤) أى ، يزرعوا مكانها .

تَسْتَأْنِىَ بهم[1] ، وإنْ شِئْتَ أنْ تُؤْتِيَهم الذى سألُوا ، فإنْ كفَرُوا أُهْلِكُوا كما أَهْلَكْتُ مَن قبلَهم[2] . قال : « لا ، بل أَسْتَأْنِى بهم » . فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ الآية [الإسراء : ٥٩] . وهكذا رَوَاه النَّسَائِىُّ مِن حديثِ جَرِيرٍ به[3] .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثَنا سفيانُ ، [٢/٨٣و] عن سَلَمَةَ ابنِ كُهَيْلٍ ، عن عِمْرَانَ [5]أبى الحَكَمِ[5] ، عن ابنِ عباسٍ قال : قالت قريشٌ للنبىِّ ﷺ : ادْعُ لنا ربَّك يَجْعَلْ لنا الصَّفَا ذَهَبًا ونُؤْمِنْ بك . قال : « وتَفْعَلُون[6] ؟ » قالوا : نَعَمْ . قال : فدَعَا ، فأتَاه جبريلُ فقال : إنَّ ربَّك يَقْرَأُ عليك السلامَ ويقولُ لك : إنْ شئتَ أَصْبَحَ الصَّفَا لهم ذهبًا ، فمَن كفَر منهم بعدَ ذلك عَذَّبْتُه عذابًا لا أُعَذِّبُه أحدًا مِن العالَمِين ، وإنْ شئتَ فتحتُ لهم بابَ الرحمةِ والتوبةِ . قال : « بَل بابُ[7] التوبةِ والرحمةِ » . وهذان إسْنَادان جَيِّدَان ، وقد جاءَ مُرْسَلًا عن جماعةٍ مِن التابِعِين[8] ؛ منهم سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، وقَتَادَةُ ، وابنُ جُرَيْجٍ ، وغيرُ واحدٍ .

---

(١) أى تمهلهم .

(٢) بعده فى الأصل : « من القرون » . وبعده فى م ، ص : « الأمم » . وهذه الزيادة غير موجودة فى المسند ، ولا فى سنن النسائى الكبرى . وانظر جامع المسانيد للمصنف ٣٠/ ١٩١ .

(٣) النسائى فى الكبرى (١١٢٩٠) .

(٤) المسند ١/ ٢٤٢ . (صحيح) .

(٥ - ٥) فى النسخ : « بن حكيم » . وفى المسند : « بن الحكم » . وكلاهما خطأ . فقد قال الحافظ فى تعجيل المنفعة ص ٣١٩:... والصواب عمران بن الحارث أبوالحكم ، كما فى صحيح مسلم وغيره . فالمثبت من مصادر ترجمته . وانظر سبب وقوع الخطأ فى اسم الراوى ، فى شرح المسند ٤/ ٢٦ . كما أفاده الشيخ أحمد شاكر ، رحمه الله . وراجع تهذيب الكمال ٢٢/ ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٦) فى النسخ : « وتفعلوا » . والمثبت من المسند .

(٧) سقط من : م .

(٨) انظر الدر المنثور ٤/ ١٩٠ .

وروَى الإمامُ أحمدُ والترمذىُّ[1] ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ ، حدَّثَنا يحيى بنُ أيوبَ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ ، عن علىِّ بنِ يَزِيدَ ، عن [2]القاسمِ ، عن أبى أُمَامَةَ[2] ، عن النبىِّ ﷺ قال : « عرَض علىَّ رَبِّى ، عَزَّ وجَلَّ ، أنْ يَجْعَلَ لِى بَطْحَاءَ مكةَ ذهبًا ، فقلتُ : لا يا ربِّ ، أَشْبَعُ يومًا وأَجُوعُ يومًا - أو نحوَ ذلك - فإذا جُعْتُ ، تَضَرَّعْتُ إليك وذكَرْتُك ، وإذا شَبِعْتُ ، حَمِدْتُك وَشَكَرْتُك » . لفظُ أحمدَ . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ ، وعلىُّ بنُ يَزِيدَ يُضَعَّفُ فى الحديثِ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثَنى شيخٌ مِن أهلِ مِصْرَ قَدِمَ علينا منذُ بِضْعٍ وأربعين سنةً ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بَعَثَتْ قريشٌ النَّضْرَ بنَ الحارثِ ، وعُقْبَةَ بنَ أبى مُعَيْطٍ إلى أَحْبَارِ يهودَ بالمدينةِ ، فقالوا لهما : سَلُوهم عن محمدٍ ، وصِفَا لهم صِفَتَه ، وأَخْبِرَاهم بقولِه ، فإنَّهم أهلُ الكتابِ الأولِ ، وعندَهم عِلْمُ ما ليس عندَنا مِن عِلْمِ الأنبياءِ . فخرَجا حتى قَدِمَا المدينةَ ، فسَأَلا أَحْبَارَ يهودَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ووَصَفَا لهم أَمْرَه وبعضَ قولِه ، وقالا : إنَّكم أهلُ التوراةِ ، وقد جِئْنَاكم لِتُخْبِرُونا عن صاحبِنا هذا . قال : فقالت لهم أَحْبَارُ يهودَ : سَلُوه عن ثلاثٍ نَأْمُرُكم بهنَّ ، فإنْ أَخْبَرَكم بهنَّ فهو نبىٌّ مُرْسَلٌ ، وإنْ لم يَفْعَلْ فالرجلُ مُتَقَوِّلٌ ، فَرَوا فيه رَأْيَكم ؛ سَلُوه عن فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فى الدَّهْرِ الأَولِ ، ما كان مِن أمرِهم ؟ فإنَّه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ ، وسَلُوه عن رجلٍ طَوَّافٍ

---

(١) المسند ٥/ ٢٥٤، والترمذى (٢٣٤٧) . ضعيف (ضعيف الترمذى ٤٠٨) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « القاسم بن أبى أسامة » . وهو خطأ . والقاسم هو ابن عبد الرحمن الشامى ، أبو عبد الرحمن . انظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٢٣ - ٣٩١.

(٣) تقدم تخريجه فى ٥٤٢/٢ حاشية (٤)، ٥٦٢.

طَافَ مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها ، ما كان نَبَؤُه[1] ؟ وسَلُوه عن الرُّوحِ ، ما هى ؟ فإنْ أَخْبَرَكم بذلك فإنَّه نبىٌّ فاتَّبِعُوه ، وإن لم يُخْبِرْكم ، فهو رجلٌ مُتَقَوِّلٌ ، فاصْنَعُوا فى أمرِه ما بَدَا لكم . فأَقبلَ النَّضْرُ وعُقْبَةُ حتى قَدِمَا على قريشٍ فقالا : يا معشرَ قريشٍ ، قد جِئْنَاكم بفَصْلِ ما بينَكم وبينَ محمدٍ ، قد أَمَرَنا أَحْبَارُ يهودَ أنْ نَسْأَلَه عن أمورٍ . فأَخْبَرَاهم بها ، فجاءُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا محمدُ ، أَخْبِرْنا . فسَأَلوه عما أَمَرُوهم به ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُخْبِرُكم غَدًا بما سَأَلْتُم عنه » . ولم يَسْتَثْنِ[2] ، فانْصَرَفوا عنه ، ومكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً ، لا يُحْدِثُ اللَّهُ[3] إليه فى ذلك وَحْيًا ، ولا يَأْتِيه جبريلُ ، حتى أَرْجَفَ أهلُ مكةَ ، وقالوا : وَعَدَنا محمدٌ غدًا ، واليومُ خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً ، قد أَصْبَحْنا فيها لا يُخْبِرُنا بشىءٍ مما سَأَلْناه عنه ، وحتى أَحْزَنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُكْثُ الوحيِ عنه ، وشَقَّ عليه ما يَتَكَلَّمُ به أهلُ مكةَ ، ثم جاءَه جبريلُ ، عليه السلامُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، بسورةِ « أصحابِ[4] الكَهفِ » ، فيها مُعَاتَبَتُهُ إيَّاه على حزنِه [٢/٨٣ظ] عليهم ، وخبرُ ما سَأَلوه عنه مِن أمرِ الفتيةِ والرجلِ الطَّوَّافِ ، وقولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] . وقد تَكَلَّمْنا على ذلك كلِّه فى « التفسيرِ »[5] مُطَوَّلًا ، فمَن أَرَاده فعليه بكَشْفِه مِن هناك . ونزَل قولُه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ

---

(١) سقط من : الأصل . وفى ص : « بناؤه » .

(٢) أى لم يقل : إن شاء الله . وانظر ما تقدم فى ٢/ ٥٧٠.

(٣) سَقَط لفظ الجلالة من النسخ . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) التفسير ٥/١١١ - ١١٤، ١٣٤ - ١٤٧، ١٨٥ - ١٩٥.

أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]. ثم شرَع فى تفصيلِ أمرِهم، واعْتَرَضَ فى الوَسَطِ بتَعليمِه[1] الاستثناءَ، تحقيقًا لا تعليقًا، فى قولِه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]. ثم ذكَرَ قصةَ موسى؛ لتَعَلُّقِها بقصةِ الخَضِرِ، ثم ذى القرنَيْنِ، ثم قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]. ثُم شرَح أمرَه وحكَى خبرَه، وقال فى سورةِ «سبحانَ»: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾. أى خَلقٌ عجيبٌ مِن خَلقِه، وأمرٌ مِن أمرِه، قال لها: كُونِى. فكانت، وليس لكم الاطِّلَاعُ على كلِّ ما خَلَقه، [2]وتَفْسيرُ كَيْفِيَّتِه[2] فى نفسِ الأَمرِ [3]يَصْعُبُ عليكم[3]، بالنسبةِ إلى قُدرةِ اللَّهِ تعالى وحكمتِه؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقد ثبَت فى «الصحيحَيْنِ»[4]، أنَّ اليهودَ سَأَلوا عن ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، فتَلَا عليهم هذه الآيةَ. فإمّا أنَّها نزلتْ مرةً ثانيةً، أو ذَكَرها جوابًا، وإن كان نُزولُها متقدِّمًا، ومَن قال: إنها إنَّما نَزَلَتْ بالمدينةِ. واسْتَثْنَاها مِن سورةِ «سبحانَ»، ففى قولِه نظرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: ولمّا خَشِىَ أبو طالبٍ دَهْمَاءَ[6] العربِ، أن يَرْكَبُوه مع

---

(١) أى فى وسط السورة، والضمير عائد إلى النبى ﷺ. أى تعليم اللَّه له.

(٢ - ٢) فى م، ص: «وتصوير حقيقته».

(٣ - ٣) فى ص: «يضعف علمكم».

(٤) البخارى (١٢٥، ٤٧٢١، ٧٢٩٧، ٧٤٥٦، ٧٤٦٢)، ومسلم (٢٧٩٤).

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٢.

(٦) دهماء العرب: عامتهم وسوادهم.

قومِه، قال قصيدَتَه التى تَعَوَّذَ فيها بحرمِ مكةَ، وبمكانِه منها، وتَوَدَّدَ فيها أشرافَ قومِه، وهو على ذلك يُخْبِرُهم وغيرَهم فى شعرِه أنه غيرُ مُسْلِمٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ، ولا تارِكِه لشىءٍ أبدًا حتى يَهْلِكَ دُونَه، فقال:

ولمّا رَأَيْتُ القومَ لا وُدَّ فيهِمُ ... وقد قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأَذَى ... وقد طاوَعوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ
وقد حالَفوا قومًا علينا أَظِنَّةً[1] ... يَعَضُّون غَيْظًا خَلْفَنا بالأناملِ
صَبَرْتُ لهم نفسى بسمراءَ سَمْحَةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقَاوِلِ[2]
وأَحْضَرْتُ عندَ البيتِ رَهْطِى وإخْوَتِى ... وأَمْسَكْتُ من أثوابِه بالوصائلِ
قيامًا معًا مُستقبِلِينَ رِتاجَه ... لَدَى حيثُ يَقضِى حَلْفَه[3] كلُّ نافِلِ[4]
وحيثُ يُنِيخُ الأَشْعَرُون رِكابَهم ... بمُفْضَى السُّيولِ مِن إسافٍ ونائلِ
مُوَسَّمَةَ الأَعْضادِ أو قَصَراتِها ... مُخَيَّسَةً بينَ السَّديسِ وبازِلِ[5]
تَرَى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزينةً ... بأعناقِها معقودةً كالعَثَاكِلِ[6]
أعوذُ بربِّ الناسِ[7] مِن كلِّ طَاعِنٍ ... علينا بسُوءٍ أو مُلِحٍّ بباطلِ[8]

---

(١) فى الأصل: «أعزة».
(٢) أبيض عضب: سيف قاطع. المقاول: جمع قَيل، وهو المَلِك، ويجمع على أقيال.
(٣) فى الأصل: «حقه».
(٤) الرتاج: المغلاق، وهو ما يغلق به الباب. نافل: متبرئ.
(٥) موسمة: مُعَلَّمة. قصرات: جمع قصرة، وهى أصل العنق. مخيسة: مذللة. السديس: البعير الذى دخل فى السنة الثامنة. البازل: البعير الذى طلع نابه.
(٦) العثاكل: جمع عِثْكال وعُثْكُول، وهو العِذق، والشِّمراخ الذى عليه البُسر.
(٧) فى الأصل، ص: «البيت».
(٨) فى الأصل: «مماطل».

ومِنْ كاشِحٍ يَسْعَى لنا بِمَعِيبَةٍ ... ومِنْ مُلحِقٍ فى الدِّينِ ما لم نُحاوِلِ

وثَوْرٍ ومَن أَرْسَى ثَبِيرًا مكانَه ... وراقٍ لِبِرٍّ[1] فى حِرَاءٍ ونازِلِ[2]

وبالبيتِ حقِّ البيتِ مِن بطنِ مكةٍ ... [٨٤/٢و] وباللَّهِ إنَّ اللَّهَ ليس بغافِلِ

وبالحَجَرِ المُسْوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَه ... إذا اكْتَنَفوه بالضُّحَى والأَصائِلِ

ومَوْطِئِ إبراهيمَ فى الصَّخرِ رَطْبةً ... على قدَمَيْه حافيًا غيرَ ناعِلِ

وأَشْواطِ بينَ المَرْوَتَيْن إلى الصَّفَا ... وما فيهما مِن صورةٍ وتماثِلِ[3]

ومَن حَجَّ بيتَ اللَّهِ مِن كلِّ راكبٍ ... ومِن كلِّ ذى نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ

وبالمَشْعَرِ الأَقْصَى إذا عَمَدوا له ... إلالًا إلى مُفْضَى الشِّراجِ القوابلِ[4]

وتَوْقافِهم فوقَ الجبالِ عَشِيَّةً ... يُقِيمون بالأَيْدِى صُدورَ الرَّواحلِ

وليلةِ جَمْعٍ والمنازِلِ مِن مِنًى ... وهل فوقَها مِن حُرمةٍ ومنازِلِ

(٥وجَمْعٍ إذا ما المُقْرِباتُ أَجَزْنَه ... سِراعًا كما يَخْرُجْنَ مِن وَقْعِ وابلِ٥)[6]

وبالجمرةِ الكُبرَى إذا صَمَدوا لها ... يَؤُمُّون قَذْفًا رأسَها بالجنادلِ

وكِنْدةَ إذْ هم بالحِصَابِ عَشِيَّةً ... تُجِيزُ بهم حُجّاجُ بَكْرِ بنِ وائلِ[7]

---

(١) البيت تقدم فى صفحة ١٢.

(٢) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.

(٣) التماثل: التماثيل. وأسقطت الياء للضرورة الشعرية.

(٤) إلال: كسَحاب وكِتاب؛ جبل بعرفات، أو جَبل رملٍ عن يمين الإمام بعرفة. شراج: جمع شَرْج، وهو مسيل الماء. القوابل: المتقابلة.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) المقربات: المقربة والمقرب من الخيل: التى تُدنى وتُكرَّم ولا تُترك أن تَرُود. اللسان (ق ر ب).

(٧) الحصاب: موضع الجمار. اللسان (ح ص ب).

حَلِيفانِ شَدَّا عقدَ ما احْتَلَفا له ... ورَدَّا عليه عاطِفاتِ الوسائلِ

وحَطْمِهِمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ[1] وسَرْحَه ... وشِبْرِقَه وَخْدَ النَّعَامِ الجوافلِ[2]

فهل بعدَ هذا مِنْ مَعاذٍ لعائذٍ ... وهل مِن مُعيذٍ يتَّقِى اللَّهَ عاذلِ

يُطاعُ بنا [3]العِدَى ووَدُّوا لوَ[3] أنَّنا ... تُسَدُّ بِنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُلِ

كذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نَتْرُكُ مَكَّةً ... ونَظْعَنُ إلّا أمرُكم فى بلابلِ[4]

كَذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نُبْزَى محمدًا ... ولمَّا نُطاعِنْ[5] دُونَه ونُناضِلِ[6]

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه ... ونَذْهَلَ عن أبْنائِنا والحلائِلِ

ويَنْهَضَ قومٌ بالحديدِ إليكمُ ... نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ الصَّلاصلِ[7]

وحتى نَرَى ذا الضِّغنِ يَرْكَبُ رَدْعَه ... مِن الطَّعْنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ المتحامِلِ

وإنّا لَعَمْرُ اللَّهِ إنْ جَدَّ ما أَرَى ... لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأَماثلِ

بكَفَّىْ فتًى مِثْلِ الشِّهابِ سَمَيْدَعٍ[8] ... أخِى ثِقةٍ حامِى الحَقيقةِ باسلِ

شُهورًا وأيامًا وحَوْلًا مُجَرَّمًا[9] ... علينا وتَأْتِى حِجَّةٌ بعدَ قابلِ

---

(١) فى م: «الرماح».

(٢) الحطم: الكَسْر فى أى وجهٍ كان، وقيل: هو كسر الشىء اليابس خاصةً كالعظم ونحوه. السمر: شجر الطلح. الصفاح: جمع صفح، وهو سطح الجبل. السرح: شجر عظام. الشبرق: نبات غضٌّ. الوخد: ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو فى المشى. الجوافل: المسرعة.

(٣ - ٣) فى م: «أمر العدا ود». والعدى: جمع عادٍ.

(٤) بلابل: جمع بلبال وبلبالة؛ وهو شدة الهمّ والوسواس.

(٥) فى الأصل، م: «نقاتل».

(٦) نبزى: نُسْلَب ونُغلَب عليه.

(٧) الروايا: جمع راوية، وهى الإبل التى تحمل الماء والأسقية.

(٨) السميدع: الكريم السيد الجميل الجسيم الموطَّأ الأكناف. اللسان (سمدع).

(٩) فى الأصل، م: «محرما»، وفى ص: «مجرعا». والمثبت من السيرة. ومجرما: كاملا.

وما تَرْكُ قومٍ - لا أَبَا لَكَ - سيِّدًا ... يَحُوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ[1]

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِه ... ثِمَالَ اليتامى عِصْمةً للأراملِ[2]

يَلُوذُ به الهُلَّاكُ مِن آلِ هاشمٍ ... فهُمْ عندَه فى رحمةٍ[3] وفَوَاضِلِ

لَعَمْرِى لقد أَجْرَى أَسِيدٌ وبِكْرُه ... إلى بُغْضِنا وجَزَّآنَا لآكلِ

وعثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقُنْفُذٌ ... ولكنْ أَطاعَا أمْرَ تلك القبائلِ

أطاعَا أُبَيًّا وابنَ عبدِ يَغُوثِهم ... ولم يَرْقُبا فِينا مَقالةَ قائلِ

كما قد لَقِينا مِن سُبَيْعٍ ونَوْفَلٍ ... وكلٍّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لم يُجاملِ

فإنْ يُلْفَيا أو يُمْكِنِ اللَّهُ منهما ... نَكِلْ لهما صاعًا بصاعِ المُكايلِ

وذاك أبو عمرٍو أَبَى غيرَ بُغْضِنا ... لِيُظْعِنَنا فى أهلِ شاءٍ وجامِلِ[4]

يُنَاجِى بنا فى كلِّ مُمْسًى ومُصْبَحٍ ... فناجِ أبا عَمْرٍو بنا ثُم خَاتِلِ[5]

ويُؤْلِى لنا باللَّهِ ما إنْ يَغُشُّنا ... بلى قد نَراه[6] جَهْرةً غيرَ حائِلِ

أَضاقَ عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ ... [٢/٨٤ظ] مِن الأرضِ بينَ أَخْشُبٍ فَمَجَادِلِ[7]

---

(١) الذمار: ما ينبغى حمايته. الذرب: الفاحش المنطق. مواكل: العاجز الذى يكل أمره إلى غيره.

(٢) ثمال اليتامى: غِياثُهم، أى يقوم بهم ويكفلهم.

(٣) فى ص: «نعمة».

(٤) جامل: القطيع من الإبل برعاته وأربابه. القاموس المحيط (ج م ل).

(٥) خاتله: خدعه.

(٦) فى م: «تراه».

(٧) التلعة: ما ارتفع من الأرض. وقال السهيلى فى الروض ٣/ ٩٧، ٩٨: «قوله: من الأرض بين أخشب فمجادل. أراد الأخاشب، وهى جبال مكة، وجاء به على أخشب؛ لأنه فى معنى أَجْبُل - جمع جبل -... والمجادل جمع مجدل، وهو القصر، كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق».

وسائِلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتَنا ... بسَعْيِك فينا مُعْرِضًا كالمُخاتِلِ

وكنتَ امْرَءًا مِمَّن يُعاشُ بِرأْيِه ... ورَحْمتِه فينا ولستَ بجاهِلِ

فعُتْبةُ لا تَسْمَعْ بنا قولَ كَاشِحٍ ... حَسودٍ كذوبٍ مُبْغِضٍ ذى دَغاولِ[1]

ومَرَّ أبو سُفْيانَ عنِّىَ[2] مُعْرِضًا ... [3]كما مَرَّ[3] قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقَاولِ

يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مِياهِه ... ويَزْعُمُ أنِّى لستُ عنكم بغافلِ

ويُخْبِرُنا فِعْلَ المُناصِحِ أنَّه ... شَفيقٌ ويُخْفِى عارماتِ الدواخلِ[4]

أمُطْعِمُ لم أَخْذُلْك فى يومِ نَجْدَةٍ ... ولا مُعْظِمٍ عندَ الأُمورِ الجلائلِ

ولا يومِ خَصْمٍ إذْ أَتَوْك أَلِدَّةً[5] ... أُولِى جَدَلٍ مِن الخصومِ المساجلِ[6]

أَمُطْعِمُ إنَّ القومَ سامُوك خُطَّةً ... وإنِّى متى أُوكَلْ فلستُ بوائلِ[7]

جزى اللَّهُ عنَّا عبدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... عُقوبةَ شرٍّ عاجلًا غيرَ آجلِ

بميزانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ[8] شَعيرةً ... له شاهدٌ مِن نفسِه غيرُ عائلِ

لقد سَفُهَتْ أحلامُ قَومٍ تبدَّلوا ... بنى خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطلِ[9]

ونحن الصَّمِيمُ مِن ذُؤَابَةِ هاشمٍ ... وآلِ قُصَىٍّ فى الخُطُوبِ الأَوائلِ

---

(١) الدغاول: الدواهى، والغوائل. اللسان (د غ ل).

(٢) فى ص: «عنا».

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «كأنه».

(٤) الدواخل: جمع داخلة، وداخلة الرجل: باطن أمره.

(٥) فى الأصل، ص: «أشدة».

(٦) فى ص: «المساحل». والمساجل: من المُساجَلَة، وهى المُفاخرة.

(٧) وائل: ناج.

(٨) فى م: «يخيس». وأخس: نَقَصَ.

(٩) قيضا: عوضا. الغياطل: بنو سهم.

وسَهْمٌ ومَخْزُومٌ تَمالَوْا وألَّبوا ... علينا العِدَى مِن كل طِمْلٍ وخامِلِ[1]

فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قَوْمِكم ... فلا تُشْرِكوا فى أَمْرِكم كلَّ واغلِ[2]

لَعَمْرِى لقد وَهَنْتُمْ وعَجَزْتُمْ ... وجِئْتمْ بأمْرٍ مخطئٍ للمَفَاصلِ[3]

وكنتم حديثًا حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ ... ألان حِطَابُ[4] أَقْدُرٍ ومَرَاجلِ[5]

لِيَهْنِ بنى عبدِ مَنَافٍ عقوقُنا ... وخِذْلانُنا وتَرْكُنا فى المعاقلِ

فإنْ نَكُ قومًا نَتَّئِرْ ما صنَعْتُمُ ... وتَحْتَلِبوها لِقْحةً غيرَ باهلِ[6]

[7]وسائطُ كانت فى لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ... نَفَاهم إلينا كلَّ صَقْرٍ حُلاحِلِ[8]

ورهطُ نُفَيلٍ شرُّ مَن وَطِئَ الحَصى ... وأَلْأَمُ حافٍ مِن مَعَدٍّ وناعلِ[7]

فأَبْلِغْ قُصَيًّا أنْ سيُنْشَرُ أَمرُنا ... وبَشِّرْ قُصَيًّا بعدَنا بالتّخاذُلِ

ولو طَرَقَتْ ليلًا قُصَيًّا عظيمةٌ ... إذًا ما لَجَأْنا دُونَهم فى المداخِلِ

ولو صدَقوا ضَرْبًا خلالَ بُيُوتِهم ... لَكُنَّا أُسًى عندَ النساءِ المَطافلِ[9]

فَكُلُّ صديقٍ وابنُ أُخْتٍ نَعُدُّه ... لَعَمْرِى وجدْنا غِبَّه غيرَ طائلِ

---

(١) الطمل: الرجل الفاحش.

(٢) الواغل: الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم ولم يدعوه إليه.

(٣) مخطئ للمفاصل: بعيد عن الصواب.

(٤) فى م: «أحطاب»، وحطاب: جمع حاطب.

(٥) أقدر: يعنى القُدُور. وقوله: «ألان» . يريد: الآن.

(٦) نتئر: نأخذ بثأرنا منكم. واللقحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة مباحة الحلب.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) الحلاحل: السيد فى عشيرته، الشجاع الركين فى مجلسه.

(٩) أسى: جمع أسوة. والمطافل جمع مُطفل؛ وهى ذات الطِّفْل من الإنسان والوحش معها طفلها.

سوى أنَّ رَهْطًا مِن كِلابِ بنِ مُرَّةٍ ... بَـرَاءٌ إلـينا مِـن مَـعَـقَّـةِ خـاذلِ

[1]وهَنَّا لهمْ حتى تَبَدَّدَ جَمْعُهمْ ... ويَحْسُرَ عنا كُلُّ باغٍ وجاهلِ

وكانَ لنا حَوْضُ السِّقايةِ فيهمُ ... ونحن الكُدَى مِن غالبٍ والكواهلِ[2]

شبابٌ مِن المُطَّيِّبينَ وهاشمٍ ... كبِيضِ السُّيوفِ بينَ أيدى الصَّيَاقِلِ[3]

فما أدْركوا ذَحْلًا ولا سَفَكُوا دَمًا ... ولا حالَفوا إلا شِرَارَ القبائلِ[4]

بضَرْبٍ تَرَى الفِتيانَ فيه كأنَّهم ... ضَوارى أُسودٍ فوقَ لَحْمٍ خَرادِلِ[5]

بنى أَمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكِيَّةٍ ... بنى جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بنِ عاقِلِ[6]

ولكنَّنا نَسْلٌ كِرامٌ لِسادةٍ ... بهم نُعِىَ الأقوامُ عندَ البَواطلِ[1]

ونِعْمَ ابنُ أُختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ ... زُهيرٌ حُسامًا مُفْرَدًا مِن حَمائلِ

أَشَمُّ مِن الشُّمِّ البهاليلِ يَنْتَمِى ... إلى حَسَبٍ فى حَوْمَةِ المَجْدِ فَاضِلِ[7]

لَعَمْرِى لقد كُلِّفْتُ وَجْدًا بأحمدٍ ... وإخوتِه دَأْبَ المُحِبِّ المُواصِلِ[8]

فمَن مِثْلُه فى الناسِ أىُّ مُؤمَّلٍ ... إذا قاسَه الحُكَّامُ عندَ التَّفاضُلِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) الكدى: جمع كدية، وهى الصخرة العظيمة الشديدة. والكواهل: جمع كاهل وهو سند القوم وعهدتهم.

(٣) الصياقل: جمع صيقل وهو مَن صناعته جلاء السيوف.

(٤) الذحل: الثأر.

(٥) الخرادل: من خَرْدَل اللحم؛ أى قطَع أعضاءه وافرةً.

(٦) هندكية: ذات أصل هندى.

(٧) البهاليل: جمع بُهْلُول، وهو السيد الجامع لصفات الخير.

(٨) زاد ابن هشام بعده:

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا لمن والاه رب المشاكل

حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ ... يُوالِى إلَـهًا ليس عنه بغافلِ

(١)كريمُ المَساعِى ماجدٌ وابنُ ماجدٍ ... له إرْثُ مَجْدٍ ثابتٍ غيرِ نَاصلِ(١)(٢)

(٣)وأيَّدَه ربُّ العِبادِ بنَصْرِه ... وأَظْهَرَ دِينًا حَقُّه غيرُ زائلِ(٣)

فواللَّهِ لولا أنْ أَجِىءَ بسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشْياخِنَا فى المَحافلِ

[٢/٨٥و] لَكُنَّا اتَّبَعْناه على كُلِّ حالةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غيرَ قولِ التَّهازُلِ

لقد عَلِمُوا أنَّ ابْنَنَا لا مُكذَّبٌ ... لَدَيْنا ولا يُعنَى بقولِ الأباطلِ

فأَصْبَحَ فينا أحمدٌ فى أَرُومَةٍ ... تُقَصِّرُ عنها سَوْرةُ المُتطاوِلِ(٤)

حَدِبْتُ بنفسى دُونَه وحَمَيْتُه ... ودافعْتُ عنه بالذُّرَا والكَلاكِلِ(٥)

قال ابنُ هِشامٍ(٦) : هذا ما صَحَّ لى مِن هذه القصيدةِ ، وبعضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ يُنْكِرُ أكثَرَها .

قلتُ : هذه قصيدةٌ عظيمةٌ فصيحةٌ(٧) بليغةٌ جِدًّا ؛ لا يستطيعُ أنْ يَقولَها إلّا

(١ - ١) هذا البيت زيادة من النسخ . ولعله من زيادات الأموى كما سيذكر المصنف .

(٢) ناصل : زائل .

(٣ - ٣) هكذا موضع هذا البيت فى النسخ ، وقد وقع فى السيرة قبل آخر بيتين ، واللَّذَيْن لم يذكرهما الحافظ ابن كثير . وسنذكرهما فى الحاشية .

(٤) سورة : شدة وبطش .

(٥) الذُّرا : ما استتر به ، ويقال : أنا فى ذرا فلان : فى كنَفه . ويقال : تَذَرَّى بفلان : احتمى به وصار فى كنفه . الوسيط (ذ ر و) . والكلاكل : جمع كلكل وكلكال وهو الصدر ، أو هو ما بين الترقوتين . الوسيط (كلكل) . وزاد ابن هشام بعدها هذين البيتين :

رجال كرام غير ميل نماهم ... إلى الخير آباء كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤى صقيبة ... فلابد يوما مرة من تزايل

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٠.

(٧) زيادة من : ص .

مَن نُسِبَتْ إليه ، وهى أفحلُ مِن المعلَّقاتِ السَّبْعِ ، وأبلَغُ فى تأديةِ المعنى [1] مِنها جميعًا [1] ، وقد أورَدَها الأُمَوِىُّ فى « مَغازيه » مطوَّلةً بزياداتٍ أُخَرَ . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « فيها جميعها » .

فصـل

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّهم عَدَوْا على مَن أَسْلَمَ واتَّبَعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن أصحابِه ، فوثَبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَن فيها مِن المسلمينَ ، فجعَلُوا يَحْبِسونَهم ويُعَذِّبونَهم بالضربِ والجوعِ والعطشِ ، وبرَمْضاءِ مكةَ إذا اشْتدَّ الحَرُّ ؛ مَن استَضْعَفوه منهم ، يَفْتِنونَهم عن دينِهم ، فمنهم مَن يُفْتَنُ مِن شدةِ البلاءِ الذى يُصِيبُهم ، ومِنهم مَن يَصْلُبُ لهم ، ويَعْصِمُه اللَّهُ منهم ، فكان بِلالٌ مولَى أبى بكرٍ لبعضِ بنى جُمَحَ مُوَلَّدًا[2] مِن مُوَلَّدِيهم ، وهو بِلالُ بنُ رَباحٍ ، وكان اسمُ أُمِّه حَمامةَ ، وكان صادقَ الإسلامِ ، طاهرَ القلبِ ، وكان أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ يُخْرِجُه إذا حَمِيَتِ الظهيرةُ ، ثُم يَأْمُرُ بالصخرةِ العظيمةِ فتُوضَعُ على صَدْرِه ، ثُم يقولُ له : لا واللَّهِ ، لا تَزالُ هكذا حتى تَمُوتَ ، أو تَكْفُرَ بمحمدٍ وتَعْبُدَ اللَّاتَ والعُزَّى . فيقولُ وهو فى ذلك : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فحدَّثَنى هشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : كان وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ به وهو يُعَذَّبُ بذلك ، وهو يقولُ : أحدٌ أحدٌ . فيقولُ : أحدٌ أحدٌ واللَّهِ يا بلالُ . ثُم يُقْبِلُ على أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ ، ومَن يَصْنَعُ ذلك به مِن بنى جُمَحَ فيقولُ :

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٧.

(٢) المُوَلَّد من الرجال : العربى غير المحض ، ومَن ولد عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم . الوسيط (و ل د) .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٨.

أَحلِفُ باللَّهِ ، لَئِنْ قَتَلْتُموه على هذا لأَتَّخِذَنَّه حَنَانًا [1] .

قلتُ : قد استَشكَلَ بعضُهم هذا ، مِن جهةِ أنَّ ورقةَ تُوُفِّىَ بعدَ البِعْثَةِ فى فترةِ الوَحيِ ، وإسلامُ مَن أسلَمَ إنَّما كان بعدَ نزولِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ فكيف يَمُرُّ وَرَقَةُ ببلالٍ وهو يُعَذَّبُ ؟ [2] وفيه نظرٌ . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ [3] مرورَ أبى بكرٍ ببلالٍ وهو يُعَذَّبُ [2] ، فاشتراه مِن أُمَيَّةَ بعبدٍ له أسودَ ، فأَعْتَقَه وأَرَاحَه مِن العذابِ ، وذكَر مُشْتَرَاه لجماعةٍ ممَّن أسلم مِن العبيدِ والإماءِ [4] ؛ منهم بلالٌ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ ، وأمُّ عُبَيْسٍ [5] ، وزِنِّيرَةُ [6] التى أُصِيبَ بصرُها ثم رَدَّه اللَّهُ تعالى لها ، والنَّهْدِيَّةُ وابنتُها ، اشتراهما [7] مِن بنى عبدِ الدَّارِ ، بَعَثَتْهما سَيِّدَتُهما تَطْحَنانِ لها ، فسَمِعَها وهى تقولُ لهما : واللَّهِ لا أُعْتِقُكما أبدًا . فقال أبو بكرٍ : حِلًّا [8] يا أمَّ فلانٍ . فقالت : حِلًّا ، أنت أَفْسَدْتَهما فأَعْتِقْهما . قال : فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا . قال : قد أَخَذْتُهما ، وهما حُرَّتَان ، أَرْجِعَا إليها طَحِينَها . قالتا : أوَ نَفْرَغُ منه يا أبا بكرٍ ثُم نَرُدُّه إليها ؟ قال : ذلك إنْ شِئْتُما . واشتَرَى جاريةَ بنى مُؤَمَّلٍ - حَىٌّ مِن بنى عَدِىٍّ - كان عُمَرُ يَضْرِبُها على الإسلامِ .

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية ١/ ٤٥٢: الحنان : الرحمة والعطف . والحنان الرزق والبركة . أراد : لأجعلن قبره موضع حنان ، أى مظنة من رحمة اللَّه . النهاية ١/ ٤٥٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٨.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٧١. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣١٨، ٣١٩.

(٥) فى النسخ : « عميس » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر أسد الغابة ٧/ ٣٦٥. والإصابة ٨/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى م : « اشتراها » .

(٨) أى ، تحللى من يمينك .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَتِيقٍ ، عن عامرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن بعضِ أهلِه قال : قال أبو قُحَافَةَ لأبى بكرٍ : يا بُنَىَّ ، إنِّى أَرَاكَ تُعْتِقُ ضِعافًا ، فلو أنَّكَ إذْ فعلتَ ما فعلتَ أَعْتَقْتَ رجالًا جُلَدَاءَ ، يَمْنَعُونك ويَقُومُون دونَك ! قال : فقال أبو بكرٍ : يا أَبَتِ ، إنِّى إنَّما أُرِيدُ ما أُرِيدُ . قال : فيُتَحَدَّثُ أنه ما أُنْزِلَ هؤلاءِ الآياتُ إلّا فيه وفيما قال أبوه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥- ٧] . [٢/٨٥ظ] إلى آخرِ السورةِ .

وقد تَقَدَّمَ ما رَوَاه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه[2] ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن زِرٍّ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : أولُ مَن أَظْهَرَ الإسلامَ سبعةٌ ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ ، وعَمَّارٌ ، وأمُّه سُمَيَّةُ ، وصُهَيْبٌ ، وبلالٌ ، والمِقْدَادُ ، فأَمَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ فمَنَعَه اللَّهُ بعمِّه ، وأبو بكرٍ منَعَه اللَّهُ بقومِه ، وأمّا سائرُهم فأخَذَهم المشركون ، فأَلْبَسُوهم أَدْرَاعَ الحديدِ وصَهَرُوهم فى الشمسِ ، فما منهم مِن أحدٍ إلّا وقد واتَاهم على ما أَرَادوا إلّا بلالًا ، فإنَّه هانتْ عليه نفسُه فى اللَّهِ تعالى ، وهانَ على قومِه ، فأَخَذُوه فأَعْطَوْه الوِلْدَانَ ، فجعَلُوا يَطُوفُون به فى شِعَابِ مكةَ ، وهو يقولُ : أحدٌ أحدٌ . ورَوَاه الثَّوْرِىُّ ، عن مَنْصُورٍ ، عن مجاهدٍ مُرْسَلًا[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكانت بنو مَخْزُومٍ يَخْرُجُون بعمارِ بنِ ياسرٍ ، وبأبيه

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧١، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٩.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٧٢ .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٩.

وأُمّه - وكانوا أهلَ بيتِ إسلامٍ - إذا حَمِيَتِ الظهيرةُ يُعَذِّبُونهم برَمْضَاءِ مكةَ ، فيَمُرُّ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيقولُ - فيما بَلَغَنى - : « صَبْرًا آلَ ياسرٍ ، مَوْعِدُكم الجنةُ » .

وقد روَى البَيْهَقِىُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن إبراهيمَ بنِ عِصْمَةَ العَدْلِ ، حدَّثَنا السَّرِىُّ بنُ خُزَيْمَةَ ، حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا هشامُ بنُ أبى عبيدِ اللَّهِ ، عن أبى الزُّبَيْرِ ، عن جابرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بعمارٍ وأهلِه وهم يُعَذَّبُون فقال : « أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وآلَ[2] ياسِرٍ ، فإنَّ موعدَكم الجَنَّةُ » . فأَمَّا أمُّه [3]فقَتَلُوها ؛ تَأْبَى[3] إلّا الإسلامَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا وَكِيعٌ عن سفيانَ ، عن مَنْصُورٍ ، عن مجاهدٍ قال : أولُ شهيدٍ كان فى[5] الإسلامِ استُشهِدَ أمُّ عمارٍ سُمَيَّةُ ، طَعَنَها أبو جَهْلٍ بحربةٍ فى قُبُلِها[6] . وهذا مُرْسَلٌ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[7] : وكان أبو جَهْلٍ الفاسقُ الذى يُغْرِى بهم فى رجالٍ مِن قريشٍ ، إذا سَمِعَ بالرجلِ قد أسلَم له شَرَفٌ ومَنَعَةٌ ، أَنَّبَه وخَزَّاه ، وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لنُسَفِّهَنَّ حِلْمَك ، ولَنُفَيِّلَنَّ[8] رأيَك ،

---

(١) فى الدلائل ٢/ ٢٨٢. وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٣٨٨، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٢) كذا فى النسخ والمستدرك ، وفى الدلائل : « أو آل » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « فيقتلوها فتأبى » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٢، من طريق الإمام أحمد به .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « أول » .

(٦) فى الأصل ، م : « قلبها » .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠.

(٨) فى م : « لنفلين » . ولنفيِّلن رأيك : لنقبحنه ونخطئنه .

ولَنَضَعَنَّ شرفَك. وإنْ كان تاجرًا قال: واللَّهِ لنُكْسِدَنَّ تجارتَك، ولنُهْلِكَنَّ مَالَكَ. وإن كان ضعيفًا ضَرَبه وأَغْرَى به. لعَنَه اللَّهُ وقَبَّحَه.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: وحدَّثَنى حَكِيمُ بنُ جُبَيْرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ: أكان المشركون يَبْلُغُون مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن العذابِ ما يُعْذَرون به فى تركِ دينِهم؟ قال: نَعَمْ واللَّهِ، إنْ كانوا لَيَضْرِبُون أحدَهم ويُجِيعُونه ويُعَطِّشُونه، حتى ما يَقْدِرُ أنْ يَسْتَوِىَ جالسًا مِن شِدَّةِ الضُّرِّ الذى به، حتى يُعْطِيَهم ما سَأَلُوه مِن الفتنةِ، حتى يقولوا له: اللاتُ والعُزَّى إلـهُكَ[2] مِن دونِ اللَّهِ؟ فيقولُ: نَعَمْ. افْتِدَاءً منهم؛ مما يَبْلُغُون مِن جَهْدِهم.

قلتُ: وفى مِثْلِ هذا أَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الآية [النحل: ١٠٦]. فهؤلاء كانوا مَعْذُورين بما حصَل لهم مِن الإهانةِ والعذابِ البليغِ، أَجارَنا اللَّهُ مِن ذلك بحَوْلِه وقوتِه.

وقال الإمامُ أَحمدُ[3]: حدَّثَنا أبو معاويةَ، حدَّثَنا الأَعْمَشُ، عن مسلمٍ، عن مَسْرُوقٍ، عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ، قال: كنتُ رجلًا قَيْنًا[4]، وكان لى على العاصِ بنِ وائِلٍ دَيْنٌ، فأَتَيْتُه أَتَقَاضَاه، فقال: لا واللَّهِ، لا أَقْضِيك حتى تَكْفُرَ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٢، ١٧٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠..

(٢) فى الأصل، م: «إلهان».

(٣) فى المسند ٥/ ١١١.

(٤) القين: الحداد.

بمحمدٍ . فقلتُ : لا واللَّهِ لا أَكْفُرُ بمحمدٍ حتى تَمُوتَ [٢/٨٦و] ثم تُبْعَثَ . قال : فإنِّى إذا متُّ ثم بُعِثْتُ ، جِئْتَنى ولِى ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأُعْطِيك . فأَنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم : ٧٧- ٨٠] . أَخْرَجاه فى « الصحيحَيْن » ، وغيرِهما[١] مِن طرقٍ ، عن الأَعْمَشِ به . وفى لفظٍ للبخارىِّ[٢] : كنتُ قَيْنًا بمكةَ ، فعَمِلْتُ للعاصِ بنِ وائلٍ سَيْفًا ، فجئتُ أَتَقَاضَاه . فذكَر الحديثَ .

وقال البخَارِىُّ[٣] : حدَّثَنا الحُمَيْدِىُّ ، حدَّثَنا سفيانُ ، حدَّثَنا بَيَانٌ[٤] وإسماعيلُ ، قالا : سَمِعْنا قيسًا يقولُ : سَمِعْتُ خَبَّابًا يقولُ : أَتَيْتُ النبىَّ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بِبُرْدَةٍ وهو فى ظلِّ الكعبةِ ، وقد لَقِينا مِن المشركين شِدَّةً ، فقلتُ : أَلَا تَدْعُو اللَّهَ ؟ فقعَد وهو مُحْمَرٌّ وجهُه . فقال : « قد كان مَن كان قَبْلَكم لَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحديدِ ، ما دونَ عِظامِه مِن لحمٍ أو عَصَبٍ ، ما يَصْرِفُه ذلك عن دينِه ، ويُوضَعُ المِنْشَارُ علَى مَفْرِقِ رأسِه فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ ، ما يَصْرِفُه ذلك عن دينِه ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمْرَ ، حتى يَسِيرَ الراكبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَ مَوْتَ ، ما يَخَافُ إلَّا اللَّهَ عزَّ وجلَّ » . زاد بَيَانٌ[٤] : « والذِّئبَ على غَنَمِه » . وفى

---

(١) البخارى (٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥) ، ومسلم (٢٧٩٥) ، والترمذى (٣١٦٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) البخارى (٢٢٧٥، ٤٧٣٣) .

(٣) البخارى (٣٨٥) .

(٤) فى الأصل ، م : « بنان » . وهو بيان بن بشر الأحمسى البجلى . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٣.

روايةٍ[1] : « ولكنَّكم تَسْتَعْجِلُون » . انْفَرَدَ به البخاريُّ دونَ مسلمٍ . وقد رُوِىَ [2]مِن وجهٍ آخرَ ، عن خَبَّابٍ ، وهو مُخْتَصَرٌ مِن هذا[3] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، عن[2] سفيانَ ، ح[5] وابنُ جعفرٍ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ وَهْبٍ ، عن خَبَّابٍ قال : شَكَوْنا إلى النبىِّ ﷺ شِدةَ الرَّمْضَاءِ ، فما أَشْكَانا . [6]يَعْنِى فى الصلاةِ ، وقال ابنُ جعفرٍ : فلم يُشْكِنا . وقال أيضًا[7] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ داودَ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن أبى إِسحاقَ قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ وَهْبٍ يقولُ : سَمِعْتُ خَبَّابًا يقولُ : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الرَّمْضَاءَ فلم يُشْكِنا[6] . قال شُعْبَةُ : يَعْنِى فى الظُّهْرِ[8] ، ورَوَاه مسلمٌ والنَّسَائىُّ والبَيْهَقِىُّ[9] ، مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ ، عن سعيدِ بنِ وَهْبٍ ، عن خَبَّابٍ ، قال : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حرَّ الرَّمْضَاءِ - زاد البَيْهَقِىُّ : فى وجوهِنا وأَكُفِّنا - فلم يُشْكِنا . وفى رِوايةٍ[10] : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الصلاةَ فى الرَّمْضَاءِ ، فلم يُشْكِنا . ورَوَاه ابنُ

---

(١) البخارى (٣٦١٢) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) وهو الروايات الآتية .

(٤) فى المسند ٥/ ١١٠.

(٥) ليست فى النسخ . والمثبت من المسند .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) المسند ٥/ ١٠٨.

(٨) فى م : « الظهيرة » .

(٩) مسلم (٦١٩) ، والنسائى (٤٩٦) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٤٣٨، ٢/ ١٠٤.

(١٠) مسلم (١٨٩/٦١٩) .

ماجه[1] ، عن عليِّ بنِ محمدٍ الطَّنَافِسِيِّ ، عن وَكِيعٍ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حارثةَ بنِ مُضَرِّبٍ العَبْدِيِّ ، عن خَبَّابٍ قال : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنا . والذى يَقَعُ لى - واللَّهُ أعلمُ - أنَّ هذا الحديثَ مُخْتَصَرٌ مِن الأولِ ، وهو أنَّهم شَكَوْا إليه ﷺ ما يَلْقَوْن مِن المشرِكِين مِن التعذيبِ بِحَرِّ الرَّمْضَاءِ ، وأنَّهم يَسْحَبُونهم على وجوهِهم فيَتَّقُون بأَكُفِّهم ، وغيرِ ذلك مِن أنواعِ العذابِ ، كما تَقَدَّمَ عن ابنِ إسحاقَ وغيرِه ، وسألوا منه ﷺ أنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لهم على المشركين ، أو يَسْتَنْصِرَ عليهم ، فوَعَدَهم ذلك ولم يُنْجِزْه لهم فى الحالةِ الراهنةِ ، وأخبَرَهم عمَّن كان قَبْلَهم ؛ أنَّهم كانوا يَلْقَوْن مِن العذابِ ما هو أشدُّ مما أصابَهم ، ولا يَصْرِفُهم ذلك عن دينِهم ، ويُبَشِّرُهم أنَّ اللَّهَ سَيُتِمُّ هذا الأمرَ ، ويُظْهِرُه ، ويُعْلِيه ، ويَنْشُرُه ، ويَنْصُرُه فى الأَقاليمِ والآفاقِ ، حتى يَسِيرَ الراكبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، والذئبَ على غَنَمِه ، « ولكنَّكم تَسْتَعْجِلُون » . ولهذا قال : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حرَّ الرَّمْضَاءِ فى وجوهِنا وأَكُفِّنا ، فلم يُشْكِنا . أىْ ، لم يَدْعُ لنا فى الساعةِ الراهنةِ ، فمَن اسْتَدَلَّ بهذا الحديثِ على عدمِ الإبْرادِ ، [٢/٨٦ظ] أو على وجوبِ مباشرةِ المُصَلَّى بالكَفِّ ، كما هو أحدُ قَوْلَىِ الشافعيِّ ، ففيه نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) ابن ماجه (٦٧٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٥٤٩) .

بـــابُ

مجادلةِ المشرِكين رسولَ اللهِ ﷺ، وإقامتِه الحُجَّةَ الدامغةَ عليهم، واعترافِهم فى أنفسِهم بالحقِّ، وإنْ أَظْهَـرُوا المخالفـةَ؛ عِنَـادًا، وحَسَـدًا، وبَغْيًا، وجُحُودًا

قال إسحاقُ بنُ رَاهَوَيْهِ[1] : حدَّثَنا عبدُ الرزاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن أيوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ الوليدَ بنَ المُغِيرَةِ جاءَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقرأ عليه القرآنَ، فكأنَّه رَقَّ له، فبلَغَ ذلك أبا جَهْلٍ، فأَتَاه فقال: يَا عَمِّ، إنَّ قومَك يُرِيدون[2] أنْ يَجْمَعُوا لك مالًا. قال: لِمَ؟ قال: لِيُعْطُوكَه، فإنَّكَ أتيتَ محمدًا لِتَعْرِضَ لِمَا قِبَلَه. قال: قد عَلِمَتْ قريشٌ أنِّى مِن أكثرِها مالًا. قال: فَقُلْ فيه قولًا يَبْلُغُ قومَك أنَّك مُنْكِرٌ له. قال: وماذا أقولُ؟ فواللَّهِ ما منكم رجلٌ أَعْلَمُ[3] بالأشعارِ منى، ولا أَعْلَمُ بِرَجَزِه، ولا بقَصِيدِه منى، ولا

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٥٠٦. وعنه البيهقى فى الدلائل ٢/١٩٨ - كما سيأتى - كلاهما من طريق إسحاق بن راهويه به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى.

(٢) كذا فى النسخ، وفى المستدرك والدلائل: «يرون».

(٣) فى الأصل، م: «أعرف».

بأَشعارِ الجِنِّ ، واللَّهِ ما يُشْبِهُ الذى يقولُ شيئًا مِن هذا ، وواللَّهِ إنَّ لِقَولِه الذى يقولُه حلاوةً ، وإنَّ عليه لَطَلَاوَةً ، وإنَّه لَمُثْمِرٌ أَعْلَاه ، مُغْدِقٌ أسفلُه ، وإنه لَيَعْلُو ولا يُعْلَى ، وإنَّه لَيَحْطِمُ ما تحتَه . قال : لا يَرْضَى عنك قومُك حتى تقولَ فيه . قال : فدَعْنِى[1] حتى أُفَكِّرَ فيه . فَلَمَّا فَكَّرَ قال : هذا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ؛ يَأْثُرُه عن غيرِه . فنزَلَتْ : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ الآيات [المدثر : ١١- ١٣] . هكذا رَوَاه البَيْهَقِىُّ ، عن الحاكمِ ، عن [2]أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ علىٍّ[2] الصَّنْعَانِىِّ بمكةَ ، عن إسحاقَ به . وقد رَوَاه حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن عِكْرِمَةَ مُرْسَلًا[3] ، وفيه أنَّه قرأَ عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقال البَيْهَقِىُّ[4] : عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ - أو عِكْرِمَةَ - عن ابنِ عبّاسٍ ، أنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرَةِ اجْتَمَعَ ونفرٌ مِن قريشٍ ، وكانَ ذا سِنٍّ فيهم ، وقد حضَر المَوْسِمُ[5] ، فقال : إنَّ وفودَ العربِ ستَقْدَمُ عليكم فيه ، وقد سَمِعُوا بأمرِ صاحِبِكم هذا ، فأَجْمِعوا فيه رأْيًا واحدًا ولا

---

(١) فى النسخ : « قف عنى » . والمثبت من المستدرك والدلائل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « عبد اللَّه بن محمد » . وفى ص : « عبد اللَّه بن محمد بن على » . والمثبت من المستدرك والدلائل .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٩٩.

(٤) فى الدلائل ٢/١٩٩ - ٢٠١.

(٥) فى م : « المواسم » .

تَخْتَلِفوا فيُكَذِّبَ بعضُكم بعضًا ، ويَرُدَّ قولُ بعضِكم بعضًا . فقيلَ : يا أبا عبدِ شمسٍ ، فقُلْ وأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقومُ به ، فقال : بل أنتم ، فقولوا وأنا أَسْمَعُ . فقالوا : نَقولُ : كاهنٌ . فقالَ : ما هو بكاهنٍ ، فقد رأيتُ الكُهّانَ ، فما هو بزَمْزَمَةِ الكُهّانِ . فقالوا : نَقولُ : مجنونٌ . فقالَ : ما هو بمجنونٍ ، ولقد رأَيْنا الجُنونَ وعَرَفْناه ، فما هو بخَنْقِه ولا تَخالُجِه[1] ولا وسوستِه . فقالوا : نَقولُ : شاعرٌ . فقالَ : ما هو بشاعرٍ ، قد عرَفْنا الشِّعْرَ برَجَزِه ، وهَزَجِه ، وقَرِيضِه ، ومقبوضِه ، ومبسوطِه ، فما هو بالشِّعْرِ . قالوا : فنَقولُ : هو ساحرٌ . قال : ما هو بساحرٍ ، قد رأَيْنَا السُّحَّارَ وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثِه ولا بعَقْدِه . قالوا : فما نَقولُ يا أبا عبدِ شَمْسٍ ؟ قال : واللَّهِ إنَّ لِقولِه لَحَلاوةً ، وإنَّ أصلَه لمُغْدِقٌ[2] ، وإنَّ فَرْعَه لَجَنًى[3] ، فما أنتم بقائلين مِن هذا شيئًا إلا عُرِفَ أنَّه باطلٌ ، وإنَّ أقربَ القولِ لَأَنْ تقولوا : ساحرٌ . فتقولوا : هو ساحرٌ يُفَرِّقُ[4] بينَ المرءِ وأبيه[5] ، وبينَ المرءِ وزوجتِه ، وبينَ المرءِ وأخيه ، [٢/٨٧و] وبينَ المرءِ وعشيرتِه . فتَفَرَّقوا عنه بذلك ، فجعَلوا يَجْلِسُون للناسِ حتى قَدِمُوا المَوْسِمَ ، لا يَمُرُّ بهم أحدٌ إلا حَذَّروه إيّاه ، وذكَرُوا لهم أمْرَه ، وأنزَلَ اللَّهُ فى الوَلِيدِ قولَه : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ الآياتِ . وفى أولئك النَّفَرِ قولَه : ﴿ الَّذِينَ

---

(١) الخنق : الغيظ . والتخالج : التحرك والاضطراب .

(٢) كذا فى الدلائل ، الأصل ، م . وفى ص : « لغدق » . وقد وقع فى سيرة ابن إسحاق ص ١٣٢ : « وإن أصله لعذق » .

وقال السهيلى : وقول الوليد : « إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة » استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هى : العَذق بفتح العين . الروض الأنف ٣/ ٧٩، ٨٠.

(٣) الجنى : اسم لما يجتنى من الثمر .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « بين المرء ودينه و » .

(٥) فى ص : « ابنه » .

جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩١- ٩٣].

قلْتُ: وفى ذلك قال اللَّهُ تعالى، إخبارًا عن جَهْلِهم وقلةِ عَقْلِهم[1]: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥]. فحَارُوا ماذا يَقولون فيه، فكلُّ شيءٍ يَقولونه باطلٌ؛ لأنَّ مَن خرَج عن الحقِّ مهما قالَه أَخْطَأَ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٩].

وقال الإمامُ عَبْدُ بنُ حُميدٍ فى «مُسنَدِه»[2]: حدَّثَنى أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ، حدَّثَنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن الأَجْلَحِ، هو ابنُ عبدِ اللَّهِ الكِنْدِىُّ، عن الذَّيَّالِ بنِ حَرْمَلَةَ الأَسدىِّ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: اجتَمَعَ قريشٌ يومًا فقالوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكم بالسحرِ والكِهَانةِ والشعرِ، فلْيَأْتِ هذا الرجلَ الذى فَرَّقَ جماعتَنا، وشتَّتَ أمْرَنا، وعابَ دينَنا، فلْيُكَلِّمْه، ولْيَنْظُرْ ماذا يَرُدُّ عليه. فقالوا: ما نَعْلَمُ أحدًا غيرَ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ. فقالوا: أنت يا أبا الوليدِ. فأَتَاه عُتْبَةُ فقال: يا محمدُ، أنت خيرٌ أم عبدُ اللَّهِ؟ فسكَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: أنت خيرٌ أم عبدُ المُطَّلِبِ؟ فسكَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: إنْ كنتَ تَزْعُمُ أنَّ هؤلاء خيرٌ منك، فقد عبَدوا الآلهةَ التى عِبْتَ، وإنْ كنتَ تَزْعُمُ أنَّك خيرٌ منهم، فتَكَلَّمْ حتى

---

(١) التفسير ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٣٥٨، وعزاه لعبد بن حميد. كما أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٨٤٠٩). قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٢٠: فيه الأجلح الكندى، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائى وغيره، وبقية رجاله ثقات.

نَسمَعَ قولَك ، إنّا واللّهِ ما رأَينا سَخْلةً[1] قطُّ أَشْأَمَ على قومِه منكَ ؛ فَرَّقْتَ جماعتَنا ، وشَتَّتَّ أَمرَنا ، وعِبْتَ دينَنا ، وفَضَحْتنا فى العربِ ، حتى لقد طارَ فيهم أنَّ فى قريشٍ ساحرًا ، وأنَّ فى قريشٍ كاهنًا ، واللّهِ ما نَنْتَظِرُ إلّا مثلَ صيحةِ الحُبْلَى ، أنْ يَقُومَ بعضُنا إلى بعضٍ بالسيوفِ حتى نَتَفَانَى[2] ، أيُّها الرجلُ إنْ كان إنَّما بك الحاجةُ ، جمَعْنا لك حتى تَكونَ أَغْنَى قريشٍ رَجلًا ، وإنْ كانَ إنَّما بك الباءَةُ ، فاخْتَرْ أىَّ نساءِ قريشٍ شئتَ ، فلْنُزَوِّجْك عَشْرًا . فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « فَرَغْتَ ؟ » قال : نَعَمْ . فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى أنْ بلَغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ » . فقالَ عُتْبَةُ : حَسْبُكَ[3] حَسْبُك ، ما عندَك غيرُ هذا ؟ قال : « لا » . فرجَع إلى قريشٍ فقالوا : ما وراءَك ؟ قال : ما تركْتُ شيئًا أَرَى أنَّكم تُكَلِّمُونه إلّا كلَّمْتُه . قالوا : فهل أجابَك ؟ فقالَ : نعَم . ثُم قال : لا والذى نصَبَها بَنِيَّةً[4] ، ما فَهِمْتُ شيئًا مِمَّا قال غيرَ أنَّه أَنْذَرَكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ . قالوا : ويْلَك يُكَلِّمُكَ الرجلُ بالعربيةِ لا تَدْرِى ما قال ؟ ! قال : لا واللّهِ ، ما فَهِمْتُ شيئًا مِمّا قال ، غيرَ ذِكْرِ الصاعقةِ .

---

(١) السخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد . الوسيط (س خ ل) وقال فى النهاية ٢/ ٣٥٠: السخل : المولود المحبب إلى والديه ، وهو فى الأصل ولد الغنم .

(٢) نتفانى : أى يفنى بعضنا بعضا .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) يريد الكعبة . وهى بنية إبراهيم عليه السلام ؛ لأنه بناها . انظر النهاية ١/ ١٥٨.

وقد روَاه البَيْهَقِيُّ وغيرُه[1] ، عن الحَاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّورِيِّ ، عن يحيى بنِ مَعِينٍ ، عن محمدِ بنِ فُضيلٍ ، عن الأَجْلَحِ به . [٢/٨٧ظ] وفيه كلامٌ ، وزادَ : وإنْ كنتَ إنَّما بك الرِّياسةُ ، عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنا لك ، فكُنْتَ رأسَنا[2] ما بَقِيتَ . وعندَه أنَّه لَمَّا قال له : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ أَمْسَكَ عُتْبَةُ[3] على فِيهِ ، وناشَدَه الرَّحِمَ أنْ يَكُفَّ عنه ، ولم يَخْرُجْ إلى أهلِه ، واحْتَبَسَ عنهم . فقال أبو جهلٍ : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، واللَّهِ ما نرَى عُتْبَةَ إلّا قد صَبَأَ إلى محمدٍ ، وأَعْجَبَه طعامُه ، وما ذاك إلّا مِن حاجةٍ أَصَابتْه ، انطَلِقُوا بنا إليه . فَأَتَوْه ، فقال أبو جَهْلٍ : واللَّهِ يا عُتْبَةُ ، ما جِئْنا إلّا أنَّك صَبَوْتَ إلى محمدٍ وأعجَبَك أمْرُه ، فإن كان بك حاجةٌ ، جمَعْنا لك مِن أموالِنا ما يُغْنِيك عن طعامِ محمدٍ . فغَضِبَ ، وأَقْسَمَ باللَّهِ لا يُكَلِّمُ محمدًا أَبَدًا ، وقال : لقد عَلِمْتم أنِّى مِن أكثرِ قريشٍ مالًا ، ولكنِّى أَتَيْتُه ، - وقَصَّ عليهم القصةَ - فأجابَنِى بشىءٍ ، واللَّهِ ما هو بسحرٍ ولا بشعرٍ ولا كَهانةٍ ، قرَأَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ حتى بلَغَ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١ - ١٣] . فأَمسَكْتُ بفِيهِ ، وناشَدتُه الرَّحِمَ أنْ يَكُفَّ ، وقد عَلِمْتم أنَّ محمدًا إذا قالَ شيئًا لم يَكْذِبْ ، فخِفْتُ أنْ يَنْزِلَ عليكم العذابُ .

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٢، ودلائل النبوة لأبى نعيم (١٨٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣٥٨ إلى أبى يعلى وابن مردويه وغيرهما .

(٢) فى الأصل ، م : « رأسا » .

(٣) فى م : « عقبة » . وهو تحريف .

ثُم قال البَيْهَقِيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنِى يَزيدُ بنُ أبى زِيادٍ مَوْلَى بنى هاشمٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ قال : حُدِّثْتُ أنَّ عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ - وكان سيِّدًا حليمًا - قال ذاتَ يومٍ وهو جالسٌ فى نادى قريشٍ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ وحدَه فى المسجدِ : يا معشرَ قريشٍ ، ألَا أَقُومُ إلى هذا فأُكَلِّمَه[2] فأَعْرِضَ عليه أُمورًا ، لعلَّه يَقْبَلُ بعضَها ويَكُفُّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليدِ . فقامَ عُتْبَةُ حتى جلَسَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فذكَر الحديثَ فيما قال له عُتْبَةُ ، وفيما عَرَضَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المالِ ، والمُلْكِ ، وغيرِ ذلك . [3]وقال زِيادٌ[4] [عن][5] ابنِ إسحاقَ : فقالَ عُتْبَةُ : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، ألا أَقُومُ إلى محمدٍ فأُكَلِّمَه وأَعْرِضَ عليه أمورًا لعله يَقْبَلُ بعضَها فنُعْطِيه أيَّها[6] شاءَ[7] ويَكُفُّ عنا - وذلك حينَ أسلمَ حمزةُ ، ورَأَوْا أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَزيدون ويَكْثُرون - فقالوا : بلى يا أبا الوليدِ ، فقُمْ إليه فَكَلِّمْه . فقامَ إليه عُتْبَةُ ، حتى جلَسَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا بنَ أخى ، إنّكَ منا حيث قد عَلِمْت مِن السِّطَةِ[8] فى العشيرةِ ، والمكانِ فى النسَبِ ، وإنك قد أَتَيْتَ قومَك بأمرٍ عظيمٍ ، فَرَّقْتَ به جماعَتَهم ، وسَفَّهْتَ[3]

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٤، وسيرة ابن إسحاق ص ١٨٧، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : ص .

(٥) زيادة ليستقيم الإسناد . ورواية زياد عند ابن هشام فى السيرة ١/ ٢٩٣.

(٦) فى النسخ : « إياها » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٧) سقط من : الأصل ، م .

(٨) فى م ، ص : « الشطر » . والمثبت من السيرة . والسطة : الشرف .

(١) به أحلامَهم، وعِبْتَ به آلهتَهم ودينَهم، وكَفَّرْتَ به مَن مضَى مِن آبائِهم، فاسْمَعْ منى حتى أَعْرِضَ عليك أمورًا تَنْظُرُ فيها، لعلَّك تَقْبَلُ منها بعضَها. قال: فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أبا الوليدِ، أَسْمَعُ». قال: يا بنَ أخى، إن كنتَ إنَّما تُريدُ بما جِئْتَ به مِن هذا الأمْرِ مالًا، جَمَعْنا لك مِن أموالِنا، حتى تَكونَ أكثرَنا مالًا، وإنْ كُنْتَ تُريدُ به شرفًا، سَوَّدْناك علينا، حتى لا نَقْطَعَ أمرًا دونَك، وإنْ كنتَ تُريدُ به مُلْكًا، مَلَّكْناك علينا، وإنْ كان هذا الذى يَأْتيك رَئِيًّا تَراه، لا تَسْتطِيعُ رَدَّه عن نفسِك، طَلَبْنا لك الطِّبَّ، وبذَلْنا فيه أموالَنا، حتى نُبْرِئَك منه، فإنه رُبَّما غلَبَ التابِعُ على الرجلِ، حتى يُداوَى منه. أو كما قالَ له(١). حتى إذا فرَغَ عُتْبَةُ (٢)ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ منه(٢)، قال له النبىُّ ﷺ: «أَفَرَغْتَ يا أبا الوَلِيدِ؟». قال: نَعَم. قال: «فاسْمَعْ منِّى». قال: أَفعَلُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فمضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُها، فلَمَّا سَمِعَ بها عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لها، وأَلْقَى بيَدَيْه خَلْفَه - أو خَلْفَ ظهرِه - معتمِدًا عليهما؛ ليَسْمَعَ منه، حتى انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى السجدةِ فسجَدَها، ثُم قال: «سَمِعْتَ يا أَبا الوَلِيدِ؟». قال: سَمِعْتُ. قال: «فأنت وذاك». ثُم قامَ عُتْبَةُ إلى أصحابِه، فقال بعضُهم لبعضٍ: نَحْلِفُ باللَّهِ، لقد جاءَكم أبو الوليدِ بغيرِ الوجهِ الذى ذهَب به. فلمَّا جَلَسُوا إليه قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليدِ؟ قال: وَرائى أنِّى واللَّهِ قد سَمِعْتُ قولًا

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

ما سَمِعْتُ مثلَه قطُّ ، واللَّهِ ما هو بالشعرِ ولا الكَهانةِ ، يا معشرَ قريشٍ أَطِيعُونى واجعَلوها بى ، خَلُّوا بينَ هذا الرجلِ وبينَ ما هو فيه واعْتَزِلُوه ، فواللَّهِ لَيَكُونَنَّ لقولِه الذى سَمِعْتُ نَبَأٌ ، فإنْ تُصِبْه العربُ ، فقد كُفِيتُموه بغيرِكم ، وإنْ يَظْهَرْ على العربِ ، فمُلْكُه مُلْكُكم ، وعِزُّه عِزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناسِ به . قالوا : سحَرَك واللَّهِ يا أبا الوليدِ بلسانِه . قال : هذا رأْيِى لكم ، فاصنَعوا ما بَدَا لكم . [٢/٨٨و] (١) ثُم ذكَر يُونُسُ (٢) ، عن ابنِ إسحاقَ شِعْرًا قاله أبو طالبٍ ، يَمْدَحُ فيه عُتْبَةَ (١) .

وقال البَيْهَقِىُّ (٣) : أخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأَصْبَهانىُّ ، أخبرَنا أبو قُتَيْبَةَ سَلَمَةُ بنُ الفَضْلِ الأَدَمِىُّ بمكةَ ، حدَّثَنا أبو أيوبَ أحمدُ بنُ بِشْرٍ الطَّيَالِسِىُّ ، حدَّثَنا داودُ بنُ عمرٍو الضَّبِّىُّ ، حدَّثَنا المُثَنَّى بنُ زُرْعَةَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ . قال : لَمَّا قَرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أتَى أصحابَه فقال لهم : يا قومِ ، أَطِيعونى فى هذا الأمرِ اليومَ ، واعْصُونى فيما بعدَه ، فواللَّهِ لقد سَمِعْتُ مِن هذا الرجلِ كَلامًا ما سَمِعَتْ أُذُنَاىَ كَلامًا مِثْلَه ، وما دَرَيْتُ ما أَرُدُّ عليه . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ .

ثُم روَى البَيْهَقِىُّ (٤) ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٨٩.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٥.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٦. وهو فى سيرة ابن إسحاق ص ١٦٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٥.

عن يُونُسَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى الزُّهْرِىُّ ، قال : حُدِّثْتُ أنَّ أبا جَهْلٍ وأبا سفيانَ والأَخْنَسَ بنَ شَرِيقٍ ، خَرَجوا ليلةً ليَسْتَمِعوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُصَلِّى بالليلِ فى بيتِه ، فأخَذ كلُّ رجلٍ منهم مجلسًا ليَسْتَمِعَ منه ، وكلٌّ لا يَعْلَمُ بمكانِ صاحبِه ، فباتوا يَسْتَمِعون له ، حتى إذا أَصْبَحوا وطلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فجَمَعَهم الطريقُ ، فتَلَاوموا ، وقال بعضُهم لبعضٍ : لا تَعُودوا ، فلو رَآكم بعضُ سُفَهائِكم ، لأَوْقَعْتُم فى نفسِه شيئًا . ثُم انصَرَفوا ، حتى إذا كانت الليلةُ الثانيةُ ، عادَ كلُّ رجلٍ منهم إلى مجلسِه ، فباتوا يَسْتَمِعونَ له ، حتى إذا طلَعَ الفجرُ تَفَرَّقوا ، فجمَعَهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعضٍ مثلَ ما قالوا أولَ مرةٍ ، ثُم انصرَفوا ، فلَمّا كانتِ الليلةُ الثالثةُ ، أخَذَ كلُّ رجلٍ منهم مجلسَه ، فباتوا يَسْتَمِعون له ، حتى إذا طلَعَ الفجرُ تَفَرَّقوا ، فجمَعَهم الطريقُ ، فقالوا : لا نَبْرَحُ حتى نَتَعَاهَدَ أن لا نَعُودَ . فتَعَاهَدوا على ذلك ثُم تفرَّقوا ، فَلَمّا أصبَحَ الأَخْنَسُ ابنُ شَرِيقٍ ، أَخَذَ عَصاه ثُم خرَج ، حتى أتَى أبا سفيانَ فى بيتِه فقال : أَخْبِرْنى يا أبا حَنْظَلَةَ عن رَأْيِك فيما سَمِعْتَ مِن محمدٍ . فقال : يا أبا ثَعْلَبَةَ ، واللَّهِ لقد سَمِعْتُ أشياءَ أَعْرِفُها وأَعْرِفُ ما يُرَادُ بها . فقالَ الأَخْنَسُ : وأنا والذى حَلَفْتَ به . ثُم خرَج مِن عندِه ، حتى أتَى أبا جَهْلٍ ، فدخَل عليه بيتَه فقال : يا أبا الحَكَمِ ، ما رأيُك فيما سَمِعْتَ مِن محمدٍ ؟ فقال : ماذا سَمِعْتُ ! تَنَازَعْنا نحن وبنو عبدِ مَنَافٍ الشرَفَ ؛ أَطْعَموا فأَطْعَمْنا ، وحَمَلوا فحمَلْنا ، وأَعْطَوْا فأَعْطَيْنا ، حتى إذا تَجَاثَيْنا على الرُّكَبِ ، وكنا كفَرَسَىْ رِهَانٍ قالوا : منَّا نبىٌّ يَأْتيه الوحْىُ مِن السماءِ . فمتى نُدْرِكُ هذه ؟ واللَّهِ لا نَسْمَعُ به أبدًا ولا نُصَدِّقُه . فقامَ عنه الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ .

ثُم قال البَيْهَقِيُّ[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو العباسِ ، حدَّثَنا أحمدُ ، حدَّثَنا يُونُسُ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ ، قال : إنَّ أولَ يومٍ عرَفْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أنِّى كنتُ[2] أَمْشى أنا وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ فى بعضِ أَزِقَّةِ مكةَ ، إذ لَقِيَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبى جَهْلٍ : « يا أبا الحكَمِ ، هَلُمَّ إلى اللَّهِ وإلى رسولِه ، أَدْعُوك إلى اللَّهِ » . فقال أبو جَهْلٍ : يا محمدُ ، هل أنتَ مُنْتَهٍ عن سَبِّ آلهتِنا ؟ هل تُريدُ إلَّا أنْ نَشْهَدَ أنَّك قد بَلَّغْتَ ؟ فنحن نَشْهَدُ أنْ قد بلَّغْتَ ، [٢/٨٨ظ] فواللَّهِ لو أنِّى أَعْلَمُ أنَّ ما تَقولُ حقٌّ ، لاتَّبَعْتُك . فانْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأقْبَلَ علىَّ فقال : واللَّهِ إنِّى لَأَعْلَمُ أنَّ ما يَقولُ حَقٌّ ، ولكن يَمْنَعُنى شىءٌ ؛ إنَّ بنى قُصَىٍّ قالوا : فينا الحِجَابَةُ . فقُلْنا : نَعَمْ . ثُم قالوا : فينا السِّقَايَةُ . فقُلْنا : نعَمْ . ثُم قالوا : فينا النَّدْوَةُ . فقلنا : نعَمْ . ثُم قالوا : فينا اللِّواءُ . فقُلْنا : نعَمْ . ثُم أطْعَموا وأطْعَمْنا ، حتى إذا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ قالوا : منّا نبىٌّ . واللَّهِ لا أَفْعَلُ .

وقال البَيْهَقِيُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، [4]وأبو بكرٍ[4] قالا[5] : حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ الأَصَمُّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ خالدٍ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ خالدٍ[6] ،

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٧.

(٢) سقط من : النسخ ، والمثبت من الدلائل .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٨٤.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . وهو الإمام العالم المحدث أحمد بن الحسن بن أحمد الحَرَشِى الحيرى ، قاضى القضاة . انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٦.

(٥) فى النسخ : « قال » . والمثبت من الدلائل .

(٦) فى النسخ : « خلف » . والمثبت من الدلائل . وهو أحمد بن خالد بن موسى الوهبى ، وهو أخو محمد بن خالد . انظر تهذيب الكمال ١/ ٢٩٩.

حدَّثَنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ قال: مَرَّ النبىُّ ﷺ على أبى جَهْلٍ وأبى سُفْيانَ وهما جالِسانِ، فقال أبو جَهْلٍ: هذا نبيُّكم يا بنى عبدِ شَمْسٍ. قال أبو سُفْيَانَ: وتَعْجَبُ أنْ يَكونَ مِنّا نبىٌّ! فالنبىُّ يَكونُ فيمَن أقلُّ منا وأذلُّ. فقال أبو جَهْلٍ: عَجَبٌ أنْ يَخْرُجَ غلامٌ مِن بينِ شُيوخٍ نبيًّا. ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ، فأَتاهما فقال: «أمّا أنت يا أبا سفيانَ، فما للَّهِ وَرَسولِه غَضِبْتَ، ولكنَّك حَمِيتَ للأصلِ، وأمّا أنت يا أبا الحكَمِ، فواللَّهِ لَتَضْحَكَنَّ قليلًا، ولَتَبْكِيَنَّ كثيرًا». فقال: بِئْسَما تَعِدُنِى يا بنَ أخى مِن نُبُوَّتِك. هذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ، وفيه غرابةٌ.

وقولُ أبى جهلٍ، لعَنَه اللَّهُ، كما قال اللَّهُ تعالى مخبرًا عنه وعن أَضْرَابِه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا هُشَيْمٌ، حدَّثَنا أبو بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: نزَلَتْ هذه الآيةُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوارٍ بمكةَ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء: ١١٠]. قال: كان إذا صَلَّى بأصحابِه رفَع صوتَه بالقرآنِ، فلمّا سَمِعَ ذلك المشركون، سَبُّوا القرآنَ وسَبُّوا مَن أنْزَلَه ومَن جاءَ به. قال: فقال اللَّهُ تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أى؛ بقراءَتِك، فيَسْمَعَ المشرِكون، فيَسُبُّوا القرآنَ، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابِك، فلا تُسْمِعَهم القرآنَ، حتى يَأْخُذوه عنك ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ

---

(١) فى المسند ١/ ٢٣، ٢١٥. (إسناده صحيح).

سَبِيلًا ﴾ . وهكذا روَاه صاحِبا « الصحيحِ »[1] مِن حديثِ أبى بِشْرٍ جعفرِ بنِ أبى وَحْشِيَّةَ[2] به .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثَنى داودُ بنُ الحُصَيْنِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قالَ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا جَهَرَ بالقرآنِ ، وهو يُصَلِّى ، تَفَرَّقوا عنه وأَبَوْا أنْ يَسْتَمِعوا منه ، وكان الرجلُ إذا أرادَ أنْ يَسْمَعَ مِن رسولِ اللَّهِ بعضَ ما يَتْلُو وهو يُصَلِّى اسْتَرَقَ السَّمْعَ دونَهم ؛ فَرَقًا منهم ، فإنْ رأَى أنَّهم قد عرَفوا أنه يَسْتَمِعُ ، ذهَبَ خَشْيَةَ أَذَاهم ، فلم يَسْتَمِعْ ، فإنْ خَفَضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَه[4] لم يَسْمَعِ الذين يَسْتَمِعون مِن قراءتِه شيئًا ، فأنزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيَتَفَرَّقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا يَسْمَعَ مَن أرادَ أنْ يَسْمَعَها مِمَّن يَسْتَرِقُ ذلك ، لعلَّه يَرْعَوِى إلى بعضِ ما يَسْمَعُ ، فيَنْتَفِعَ به ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[5] .

---

(١) البخارى (٤٧٢٢، ٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧)، ومسلم (٤٤٦) .

(٢) فى الأصل : « وحشة » ، وفى م : « حية » ، وفى ص : « وحية » . وهو جعفر بن إياس وهو ابن أبى وحشية اليشكرى ، أبو بشر الواسطى . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٥.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٨٦، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣١٣، ٣١٤.

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من السيرة .

(٥) انظر ما تقدم فى التفسير ٥/ ١٢٦، ١٢٧.

بـابُ

هجرةِ (١مَن هاجَرَ مِن١)

أصحابِ رسولِ اللَّهِ مِن مكةَ إلى

أرضِ الحَبَشَةِ ؛ (١فِرارًا بدينِهم مِن الفتنةِ١)

قد تقدَّمَ ذِكرُ أَذِيَّةِ المشركينَ للمستَضْعَفينَ مِن المؤمنين، وما كانوا يُعَامِلُونَهم [٢/٨٩و] به مِن الضربِ الشديدِ، والإهانةِ البالغةِ، وكان اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، قد حَجَزَهم عن رسولِه ﷺ، ومنعَه بعمِّه أبى طالبٍ، كما تقدَّمَ تفصيلُه، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وروَى الوَاقِدِىُّ(٢) أنَّ خروجَهم إليها كان فى رجَبٍ، سنةَ خَمْسٍ مِن البِعْثةِ، وأنَّ أولَ مَن هاجَرَ منهم أحدَ عشَرَ رجلًا وأربعُ نِسْوةٍ، وأنَّهم انتهَوْا إلى البَحْرِ، ما بينَ ماشٍ وراكبٍ، فاسْتَأْجَروا سَفينةً بنصفِ دِينارٍ إلى الحَبَشةِ، وهم؛ عثمانُ بنُ عفّانَ، وامْرَأَتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ، وامْرَأَتُه سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلٍ، والزُّبَيْرُ بنُ العوَّامِ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ، وامرَأَتُه أمُّ سَلَمَةَ بنتُ أبى أُمَيَةَ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٢٠٤ من طريق الواقدى به. كما أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٢٩، ٣٣٠.

وعثمانُ بنُ مَظْعونٍ، وعامرُ بنُ ربيعةَ العَنْزِىُّ، وامرأتُه لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمةَ، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ. (١ ويُقالُ: ١) حاطِبُ بنُ عمرٍو، وسُهَيْلُ ابنُ بَيْضاءَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين. قالَ ابنُ جريرٍ[٢]: وقالَ آخَرون: بل كانوا اثنَيْن وثمانين رجلًا سِوَى نسائِهم وأبنائِهم، وعمارِ بنِ ياسرٍ. فشَكَّ[٣]. فإنْ كانَ فيهم، فقد كانوا ثلاثةً وثمانين رجلًا.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[٤]: فلمّا رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ما يُصِيبُ أصحابَه مِن البلاءِ، وما هو فيه مِن العافيةِ، بمكانِه مِن اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ومِن عمِّه أبى طالبٍ، وأنه لا يَقْدِرُ على أنْ يَمْنَعَهم مِمَّا هم فيه مِن البَلاءِ، قال لهم: «لو خَرَجْتم إلى أرضِ الحبشةِ؛ فإنَّ بها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عندَه أحدٌ، وهى أرضُ صِدْقٍ، حتى يَجْعَلَ اللَّهُ لكم فرجًا مِمَّا أنتم فيه». فخرَج عندَ ذلك المسلمون مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أرضِ الحَبَشةِ؛ مَخافةَ الفتنةِ، وفرارًا إلى اللَّهِ بدينِهم، فكانت أولَ هجرةٍ كانت فى الإسلامِ، فكان أولَ مَن خرَج مِن

(١ - ١) فى الأصل، ص، ومصدرى التخريج: «و». والمثبت يوافق العدد المذكور فى أول الخبر - وسبب ذلك أن الحافظ ابن كثير جمع بين روايتين للواقدى إحداهما ذكر الواقدى فيها العدد «أحد عشر رجلا»، والأخرى ذكر فيها الأسماء، «اثنى عشر رجلا». فوقع الاختلاف بين العدد المجمل والأسماء المذكورة، ولكن الطبرى بين فى تاريخه ٢/ ٣٣١، أن الشك وقع فى رواية ابن إسحاق بين أبى سبرة وأبى حاطب - كما سيأتى - فوقع عدد الرجال عنده عشرة. وزاد الواقدى فى روايتنا عبد اللَّه بن مسعود، فيصبح عدد الرجال أحد عشر.

والصواب ما قرره الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٨٩/٧ قائلًا: والصواب ما قال ابن إسحاق أنه اختلف فى الحادى عشر؛ هل هو أبو سبرة أو حاطب. وأما ابن مسعود، فجزم ابن إسحاق بأنه إنما كان فى الهجرة الثانية. انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢، ٣٢٣. الفتح ٧/ ١٨٨، ١٨٩.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٣٠.

(٣) أى ابن إسحاق. انظر سيرته ص ٢١٠.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٤، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢١.

المسلمينَ عثمانُ بنُ عَفّانَ ، وزوجتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وكذا روَى البَيْهَقِيُّ[1] ، مِن حديثِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن عباسٍ العَنْبَرِيِّ ، عن [2]بَشَّارِ بنِ موسى[2] ، عن الحسنِ بنِ زيادٍ البُرْجُمِيِّ ، حدَّثَنا قَتَادَةُ قال : إنَّ أَولَ مَن هاجَرَ إلى اللَّهِ تعالى بأهلِه عثمانُ بنُ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، سَمِعْتُ النَّضْرَ بنَ أنسٍ يَقولُ : سَمِعْتُ أبا حَمْزَةَ - يعنى أنسَ بنَ مالكٍ - يَقولُ : خرَج عثمانُ بنُ عفانَ ومعه امرأتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أرضِ الحبشةِ ، فأَبْطَأَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ خَبَرُهما ، فَقَدِمَتِ امرأةٌ مِن قريشٍ فقالت : يا محمدُ ، قد رأيتُ خَتَنَك ومعه امرأتُه . قال : « على أيِّ حالٍ رأيْتِهما ؟ » قالَتْ : رأيتُه قد حمَل امرأتَه على حمارٍ مِن هذه الدِّبَابَةِ[3] ، وهو يَسُوقُها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَحِبَهما اللَّهُ ، إنَّ عثمانَ أولُ مَن هاجَرَ بأهلِه بعدَ لُوطٍ عليه السلامُ » .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ ، وزوجتُه سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو - وولَدَتْ له بالحَبَشَةِ محمدَ بنَ أبى حُذَيْفَةَ - والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ ، وامرأتُه أمُّ سَلَمَةَ بنتُ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ - وولَدَتْ له بها زَيْنَبَ - وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، وعامرُ بنُ ربيعةَ ، حَلِيفُ آلِ الخَطَّابِ ، وهو مِن بنى عَنْزِ بنِ وائلٍ ، وامرأتُه لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمَةَ ، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ العامِرِيُّ ، وامرأتُه أمُّ كُلْثُومٍ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٩٧. وأخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٨.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، الدلائل : « بشر بن موسى » ، وفى ص : « يونس بن عيسى » . والمثبت كما فى تاريخ الفسوى . وهو بشار بن موسى الشيبانى - ويقال : العجلى - أبو عثمان الخفاف . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٨٣.

(٣) الدبابة : أى الضعاف التى تدب فى المشى ولا تسرع . اللسان (د ب ب) .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٦، ١٥٧، ٢٠٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢.

بنتُ سُهَيْلِ بنِ عَمرٍو. ويُقالُ [٢/٨٩ظ]: حاطِبُ[1] بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسِ ابنِ عبدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامرٍ - وهو أولُ مَن قَدِمَها فيما قيل - وسُهَيْلُ بنُ بَيْضاءَ، فهؤلاءِ العَشَرَةُ أولُ مَن خرَج مِن المسلمين إلى أرضِ الحبشةِ، فيما بَلَغَنى. قال ابنُ هِشامٍ[2]: وكانَ عليهم عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ، فيما ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: ثُم خرَج جعفرُ بنُ أبى طالبٍ، ومعه امرأتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وولَدَتْ له بها عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ، وتَتابَعَ المسلمون حتى اجتَمَعوا بأرضِ الحبشةِ.

وقد زعَم موسى بنُ عُقْبَةَ[4]، أنَّ الهجرةَ الأُولى إلى أرضِ الحبشةِ، كانَتْ حينَ دخَل أبو طالبٍ ومَن حالَفَه معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الشِّعْبِ، وفى هذا نَظَرٌ. واللَّهُ أعلمُ. وزعم أنَّ خروجَ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ إنما كانَ فى الهجرةِ الثانيةِ إليها، وذلك بعدَ عَوْدِ بعضِ مَن كانَ خرَج أولًا حينَ بلَغَهم أنَّ المشركين أسلَمُوا وصَلَّوْا، فلمَّا قَدِمُوا مكةَ - وكانَ فيمَن قَدِمَ عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ - فلَمْ يَجِدُوا ما أُخْبِرُوا به مِن إسلامِ المشركين صحيحًا، فرجَع مَن رجَع منهم، ومكَث آخَرون بمكةَ، وخرَج آخَرون مِن المسلمين إلى أرضِ الحبشةِ، وهى الهجرةُ الثانيةُ، كما سيَأْتِى بيانُه.

---

(١) فى النسخ ومصدرى التخريج: «أبو حاطب». والصواب ما أثبتناه. انظر أسد الغابة ٦/ ٦٤. والإصابة ٢/ ٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٣.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٠٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢٣.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥ عن موسى بن عقبة.

قال موسى بنُ عُقْبَةَ[1] : وكان جعفرُ بنُ أبى طالبٍ فيمَن خرَج ثانيًا . وما ذكَره ابنُ إسحاقَ مِن خروجِه فى الرَّعِيلِ الأولِ أظهرُ ، كما سيأْتِى بيانُه . واللَّهُ أعلمُ . لكنَّه كان فى زُمْرَةٍ ثانيةٍ مِن المهاجرين أوّلًا ، وهو المقدَّمُ عليهم والمُترجِمُ عنهم عندَ النَّجاشِىِّ وغيرِه ، كما سنُورِدُه مَبْسوطًا . ثُم إنَّ ابنَ إسحاقَ سرَد الخارجين صُحبةَ جعفرٍ رَضِىَ اللَّهُ عنهم[2] ، وهم ؛ عَمْرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وامرأتُه فاطمةُ بنتُ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مُحَرَّثِ بنِ شِقٍّ الكِنَانىِّ ، وأخوه خالدٌ ، وامرأتُه أُمَينَةُ بنتُ خَلَفِ بنِ أَسْعَدَ الخُزَاعىِّ - وولَدَتْ له بها سَعيدًا ، وأَمَةَ التى تزوَّجها بعدَ ذلك الزُّبَيْرُ ، فولَدَتْ له عَمْرًا وخالدًا - . قال : وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ ابنِ رِئَابٍ ، وأخوه عبيدُ اللَّهِ ، ومعه امرأتُه أمُّ حَبِيبَةَ بنتُ أبى سُفيانَ ، وقيسُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، مِن بنى أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ، وامرأتُه بَرَكَةُ بنتُ يَسَارٍ مولاةُ أبى سُفيانَ ، ومُعَيْقِيبُ بنُ أبى فاطمةَ ، وهو مِن موالى آلِ[3] سعيدِ بنِ العاصِ . قال ابنُ هِشامٍ[4] : وهو من دَوْسٍ . قال : وَأبو موسَى الأَشْعَرىُّ[5] عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْسٍ حليفُ آلِ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ - وسنَتَكَلَّمُ معَه فى هذا[6] - وعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ ، ويَزِيدُ بنُ زَمْعَةَ بنِ الأَسْوَدِ ، وعَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ بنِ الحارثِ بنِ أَسَدٍ ، وَطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبِ بنِ أبى كَثِيرِ بنِ عَبْدٍ ، وسُوَيْبِطُ بنُ سعدِ بنِ حَرْمَلَةَ[7] ، وجَهْمُ بنُ قيسٍ

---

(١) انظر دلائل البيهقى ٢/ ٢٨٦.

(٢) انظر سيرة ابن إسحاق ص ٢٠٥ - ٢٠٨، وسيرة ابن هشام ١/٣٢٣ - ٣٣٠.

(٣) سقط من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٤.

(٥) زيادة من : م .

(٦) انظر ما سيأتى فى الصفحة ١٧٢ .

(٧) فى النسخ : « حريملة » . وهو تصحيف . والمثبت من السيرة ، وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٨٧، والإصابة ٣/ ٢٢٢.

العَبْدَرِىُّ[1] ، ومعَه امرأتُه أمُّ حَرْمَلَةَ بنتُ عبدِ الأَسْوَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ، وولَداه عَمْرُو بنُ جَهْمٍ ، وخُزَيْمَةُ بنُ جَهْمٍ ، وأبو الرُّومِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنَافِ بنِ عبدِ الدارِ ، وفِرَاسُ بنُ النَّضْرِ بنِ الحارثِ بنِ كَلَدَةَ ، وعامرُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، أخو سَعْدٍ ، والمُطَّلِبُ بنُ أَزْهَرَ بنِ عبدِ عَوْفٍ الزُّهْرِىُّ ، وامرأتُه رَمْلَةُ بنتُ أبى عَوْفِ ابنِ صُبَيْرَةَ[2] - وولَدَتْ له[3] بها عبدَ اللَّهِ - وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، وأخوه عُتْبَةُ ، والمِقْدَادُ بنُ الأَسْوَدِ ، والحارثُ بنُ خالدِ بنِ صخرٍ التَّيْمِىُّ ، وامرأتُه رَيْطَةُ بنتُ الحارثِ بنِ جُبَيْلَةَ - وولَدَتْ له بها موسَى ، وعائشةَ ، وزينبَ ، وفاطمةَ - وعمرُو بنُ عثمانَ بنِ عمرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ ، وشَمَّاسُ بنُ عثمانَ بنِ الشَّرِيدِ المَخْزُومِىُّ - قال[4] : وإنَّما سُمِّىَ شَمَّاسًا لحُسْنِهِ ، [٢/٩٠و] وأصلُ اسمِه عثمانُ بنُ عثمانَ - وهَبَّارُ بنُ سُفيانَ بنِ عبدِ الأَسَدِ المَخْزُومِىُّ ، وأخوه عبدُ اللَّهِ ، وهشامُ بنُ أبى حُذَيْفَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[5] بنِ مَخْزُومٍ ، وسَلَمَةُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرَةِ ، وعَيَّاشُ[6] بنُ أبى رَبِيعَةَ بنِ المُغِيرَةِ ، ومُعَتِّبُ بنُ عَوْفِ بنِ عامرٍ - ويُقالُ له : عَيْهَامَةُ - وهو مِن حُلَفَاءِ بنى مَخْزُومٍ . قال : وقُدَامَةُ ، وعبدُ اللَّهِ أَخَوَا عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ ، والسائبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ ، وحاطبُ بنُ الحارثِ بنِ مَعْمَرٍ ، ومعه امرأتُه فاطمةُ بنتُ المُجَلِّلِ ، وابْناه

---

(١) فى الأصل ، م : « العبدوى » . وفى ص : « العبدونى » . وهو تصحيف . والمثبت كما فى الإصابة ١/ ٥٢١.

(٢) فى م : « ضبيرة » . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٨.

(٣) زيادة من : ص .

(٤) أى ابن هشام ، السيرة ١/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٥) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٣٥.

(٦) فى ص : « عامر » .

منها محمدٌ والحارثُ ، وأخوه حَطَّابٌ ، وامرأتُهُ فُكَيْهَةُ بنتُ يَسَارٍ ، وسُفيانُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حَبيبٍ ، وامرأتُه حَسَنَةُ ، وابْناه منها جابرٌ وجُنَادَةُ ، وابنُها مِن غيرِه وهو شُرَحْبِيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، (١أحدُ الغَوْثِ بنِ مُزَاحِمِ بنِ تَمِيمٍ١) ، وهو الذى يُقالُ له : شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَة . وعثمانُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ أُهْبَانَ بنِ وَهْبِ بنِ حُذَافَةَ بنِ جُمَحَ ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ ، (١وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ١) بنِ سَعْدِ[٢] بنِ سَهْمٍ ، وهشَامُ بنُ العاصِ بنِ وائلِ بنِ سُعَيْدٍ[٣] ، وقَيْسُ ابنُ حُذَافَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ ، وأخوه عبدُ اللَّهِ ، وأبو قَيْسِ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسِ ابنِ عَدِيٍّ ، وإخوتُه الحارثُ ومَعْمَرٌ والسائبُ وبِشْرٌ وسَعِيدٌ ، أبناءُ الحارثِ[٤] بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ ، (٥وأخو بِشْرِ بنِ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ٥) لأُمِّه ، وهو سَعيدُ ابنُ عمرٍو التَّمِيمِيُّ ، وعُمَيْرُ بنُ رِئَابِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ مُهَشِّمِ بنِ سُعَيْدٍ[٦] بنِ سَهْمٍ ، وحَلِيفٌ لبنى سَهْمٍ ، وهو مَحْمِيَةُ بنُ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ ، ومَعْمَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ العَدَوِيُّ ، وعُرْوَةُ بنُ عبدِ العُزَّى ، وعَدِيُّ بنُ نَضْلَةَ بنِ عبدِ العُزَّى ، وابنُه النُّعْمانُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ العامِرِيُّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو ، وسَلِيطُ ابنُ عَمْرٍو ، وأخوه السَّكْرَانُ ، ومعه زوجتُه سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، ومالكُ بنُ زَمْعَةَ[٧] ، وامرأتُه عَمْرَةُ بنتُ السَّعْدِيِّ ، وحاطِبُ[٨] بنُ عَمْرٍو العامِرِيُّ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ٣/ ٢٠٦ .

(٣) فى السيرة : « سعد » . وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٣ .

(٤) بعده فى م : « وسعيد » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى ص : « سعد » . وانظر المصدر السابق ص ١٦٤ .

(٧) فى النسخ : « ربيعة » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ٥/ ٢٦ .

(٨) فى النسخ : « أبو حاطب » . وانظر ما تقدم صفحة ١٦٨ حاشية (١) .

وحَلِيفُهم سَعْدُ بنُ خَوْلَةَ - وهو مِن اليمنِ - وأبو عُبَيْدَةَ عامرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الجَرَّاحِ الفِهْرِيُّ، وسُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ - وهى أمُّه، واسمُها دَعْدُ بنتُ جَحْدَمِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ ظَرِبِ بنِ الحارثِ بنِ فِهْرٍ - وهو سُهَيْلُ بنُ وَهْبِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ هلالِ[1] [2]ابنِ أُهَيْبِ[2] بنِ ضَبَّةَ بنِ الحارثِ، وعَمْرُو بنُ أبى سَرْحِ بنِ ربيعةَ بنِ هلالِ بنِ مالكِ[3] بنِ ضَبَّةَ بنِ الحارثِ، وعياضُ بنُ زُهيرِ بنِ أبى شَدّادِ بنِ ربيعةَ ابنِ هلالِ ابنِ مالِكِ[4] بنِ ضَبَّةَ، [5]ويقالُ: بل ربيعةَ بنِ هلالِ بنِ مالكِ بنِ ضَبَّةَ[5]. وعمرُو بنُ الحارثِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبى شَدَّادِ بنِ رَبِيعَةَ، وعثمانُ بنُ عبدِ غَنْمِ بنِ زُهَيْرٍ، وسَعْدُ[6] بنُ عبدِ قيسِ بنِ لَقِيطٍ، وأخوه الحارثُ الفِهْرِيُّون.

قال ابنُ إسحاقَ[7]: فكان جميعُ مَن لَحِقَ بأرضِ الحبشةِ وهاجَرَ إليها مِن المسلمين - سِوَى أبنائِهم الذين خَرَجُوا بهم صِغارًا ووُلدوا بها - ثلاثةً وثمانين رجلًا، إنْ كان عَمّارُ بنُ ياسرٍ فيهم، وهو يُشَكُّ فيه[8].

قلتُ: وذِكْرُ ابنِ إسحاقَ أبا موسى الأَشْعَرِيَّ فيمَن هاجَرَ مِن مكةَ إلى

---

(١) فى الأصل، ص: «بلال».

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) كذا فى النسخ. ووقع فى سيرة ابن هشام «أهيب». وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٢٨. والاستيعاب ٣/ ١١٧٦.

(٤) كذا فى النسخ، ووقع فى سيرة ابن هشام: «أهيب». وهو موافق لما فى الاستيعاب ٣/ ١٢٣٣، وأسد الغابة ٤/ ٣٢٣.

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

(٦) فى م: «سعيد». ووقع الخلاف فى اسمه، هل هو سعد أو سعيد. انظر أسد الغابة ٢/ ٣٥٩، ٣٩٥.

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٢١٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٣٠.

(٨) أى ابن إسحاق. وقد تقدم من رواية الطبرى.

أرضِ الحبشةِ غريبٌ جِدًّا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا حَسَنُ بنُ موسَى ، سَمِعْتُ حُدَيْجًا[2] أخا زُهَيْرِ بنِ مُعاويةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى النَّجاشِىِّ ، ونحن نَحْوٌ مِن ثمانين رجلًا ، فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، [٢/٩٠ظ] وجعفرٌ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عُرْفُطَةَ ، وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، وأبو موسى ، فَأَتَوُا النَّجاشِىَّ ، وبَعَثَتْ قريشٌ عَمْرَو بنَ العاصِ ، وعُمَارَةَ ابنَ الوليدِ بهديّةٍ ، فلَمّا دَخَلا على النَّجاشِىِّ ، سَجَدَا له ، ثُم ابْتَدَراه عن يمينِه وعن شمالِه ، ثُم قالا له : إنَّ نفرًا مِن بنى عَمِّنا نَزَلوا أرضَك ، ورَغِبُوا عنَّا وعن مِلَّتِنا . قال : فأينَ هم ؟ قالا : فى أرضِك ، فابْعَثْ إليهم . فبعَثَ إليهم ، فقالَ جَعْفَرٌ : أنا خطيبُكم اليومَ . فاتَّبَعُوه ، فسلَّمَ ولم يَسْجُدْ ، فقالوا له : ما لَكَ لا تَسْجُدُ للملكِ ؟ قال : إنَّا لا نَسْجُدُ إلَّا للَّهِ ، عزَّ وجلَّ . قال : وما ذاك ؟ قال : إنَّ اللَّهَ بعَث إلينا رسولًا ثُم أمَرَنا أنْ لا نَسْجُدَ لأَحدٍ إلّا للَّهِ عزَّ وجلَّ ، وأمَرَنا بالصلاةِ والزكاةِ . قال عَمْرٌو : فإنَّهم يُخالِفُونَك فى عيسَى بنِ مريمَ . قال : فما تَقولون فى عيسَى بنِ مَرْيَمَ وأُمِّه ؟ قالوا : نَقُولُ كما قال اللَّهُ ؛ هو كلمةُ اللَّهِ ورُوحُه أَلْقَاها إلى العذراءِ البَتُولِ ، التى لم يَمَسَّها بَشَرٌ ، ولم يَفْرِضْها[3] وَلَدٌ . قال : فرفَعَ عودًا مِن الأرضِ ثُم قال : يا معشرَ الحبشةِ والقِسِّيسِينَ والرُّهْبانِ ، واللَّهِ ما

---

(١) فى المسند ١/٤٦١ (إسناده حسن) .

(٢) فى النسخ : « خديجا » . والمثبت من المسند . وهو حديج بن معاوية بن حديج بن الرحيل الجعفى الكوفى . تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٨ .

(٣) أى ؛ لم يؤثر فيها ولم يَخْرِقْها ، يعنى قبل المسيح عليه السلام . النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٣٣ .

يَزيدون على الذى نَقولُ فيه ما يَسْوَى[1] هذا، مَرْحَبًا بكم وبمَن جِئْتُم مِن عندِه، أَشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ، وأنَّه الذى نَجِدُ فى الإنجيلِ، وأنَّه الرسولُ الذى بَشَّرَ به عيسَى بنُ مَرْيَمَ، انْزِلُوا حيث شِئْتُم، واللَّهِ لولا ما أنَا فيه مِن المُلْكِ لأَتَيْتُه حتى أَكُونَ أنا أَحْمِلُ نَعْلَيْه. وأمَرَ بهديَّةِ الآخَرَيْن فرُدَّتْ إليهما، ثُم تَعَجَّلَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ حتى أَدْرَكَ بَدْرًا، وزعَمَ أنَّ النبىَّ ﷺ استَغْفَرَ له حينَ بلَغَه موتُه. وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ، وسِياقٌ حَسَنٌ، وفيه ما يَقْتَضِى أنَّ أبا موسَى كان مِمَّن هاجَرَ مِن مكةَ إلى أرضِ الحبشةِ، إن لم يَكُنْ ذِكْرُه مُدْرَجًا مِن بعضِ الرُّواةِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد رُوِىَ عن أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ مِن وجهٍ آخَرَ؛ فقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى «الدلائلِ»[2]: حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثَنا محمدُ بنُ زكرِيّا الغَلَابِىُّ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَجَاءٍ، حدَّثَنا إسرائيلُ، (ح) وحدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ، [3]حدَّثَنا محمدُ بنُ زكرِيَّا، حدَّثَنا[3] الحسنُ بنُ عَلُّوَيْهِ القَطَّانُ، حدَّثَنا عبَّادُ بنُ موسى الخُتُّلِىُّ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ جَعْفَرٍ، حدَّثَنا إسرائيلُ، (ح) وحدَّثَنا أبو أحمدَ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ شِيرَوَيْهِ، حدَّثَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ - هو ابنُ رَاهَوَيْهِ - حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسَى، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن أبى بُرْدَةَ، عن أبى مُوسَى، قال: أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نَنْطَلِقَ مع جَعفرِ ابنِ أبى طالبٍ إلى أرضِ النَّجَاشِىِّ، فبلَغ ذلك قريشًا، فَبَعَثوا عمرَو بنَ العاصِ،

---

(١) فى النسخ: «سوى». والمثبت من المسند. وكأنه أشار بيده إلى شىء. وانظر ما يأتى فى ص ١٧٦، ١٧٩.

(٢) دلائل النبوة (١٩٦)، وانظر حلية الأولياء ١/ ١١٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

وعُمَارةَ بنَ الوليدِ، وجمَعوا للنَّجاشِيِّ هَديةً، وقَدِمَا على النَّجاشِيِّ، فأتَيَاه بالهديةِ، فقَبِلَها، وسَجَدَا له، ثُم قال عَمْرُو بنُ العاصِ: إنَّ ناسًا مِن أرضِنا رَغِبُوا عن دينِنا، وهم فى أرضِك. قال لهم النَّجاشِيُّ: فى أرْضى؟! قالا: نَعَمْ. فبَعَث إلينا، فقال لنا جَعْفَرٌ: لا يَتَكَلَّمْ منكم أحَدٌ، أنا خطيبُكم اليومَ. فانْتَهَيْنا إلى النَّجاشِيِّ وهو جالسٌ فى مجلسِه، وعَمْرُو بنُ العاصِ عن يمينِه، وعُمَارةُ عن يسارِه، والقِسِّيسُون جلوسٌ سِمَاطَيْنِ[1] - وقد قال لهم[2] عمرٌو وعُمَارَةُ: إنَّهم لا يَسْجُدون لك - فلمَّا انْتَهَيْنا، بَدَرَنا مَن عندَه مِن القِسِّيسينَ والرُّهْبَانِ: اسجُدوا للملِكِ. فقال جَعْفَرٌ: [٢/٩١و] لا نَسْجُدُ إلّا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ[3]. فقال له النَّجاشيُّ: وما ذاك؟ قال: إنَّ اللَّهَ بعَثَ فينا رسولًا، وهو الرسولُ الذى بَشَّرَ به عيسَى بنُ مَرْيَمَ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ، قال[4]: ﴿مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾. فأمَرَنَا أنْ نَعْبُدَ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ به شيئًا، ونُقِيمَ الصلاةَ، ونُؤْتِيَ الزكاةَ، وأمَرَنَا بالمعروفِ، ونَهانا عن المنكرِ. فأعجَبَ النَّجاشيَّ قولُه، فلَمّا رأى ذلك عَمْرُو بنُ العاصِ قال: أَصْلَحَ اللَّهُ المَلِكَ، إنَّهم يُخَالِفونك فى عيسَى بنِ مريمَ. فقال النَّجاشِيُّ لجَعْفَرٍ: ما يَقُولُ صاحبُكم فى ابنِ مريمَ؟ قال: يَقولُ فيه قولَ اللَّهِ؛ هو رُوحُ اللَّهِ وكَلِمتُه، أخرَجَه مِن العذراءِ البَتُولِ، التى لَم يَقْرَبْها بَشَرٌ ولم يَفْرِضْها وَلَدٌ. فتَنَاوَلَ النَّجاشِيُّ عُودًا مِن الأرضِ فرفَعَه فقال:

---

(١) سماطين: صفين. الوسيط (س م ط).

(٢) فى م، ص: «له».

(٣) بعده فى م، ص: «فلما انتهينا إلى النجاشى قال: ما منعك أن تسجد؟ قال: لا نسجد إلا لله». وهى زيادة ليست فى مصدرى التخريج.

(٤) سقط من: النسخ. والمثبت من حلية الأولياء؛ لتستقيم العبارة

يا معشرَ القِسِّيسينَ والرُّهْبانِ ، ما يَزِيدُ هؤلاءِ على ما تَقُولون[1] فى ابنِ مريمَ ولا وَزْنَ هذه ، مَرْحبًا بكم وبِمَن جِئْتُم مِن عندِه ، فأنا أَشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ ، وأنَّه الذى بَشَّرَ به عيسَى ، ولولا ما أنا فيه مِن المُلْكِ ، لأَتَيْتُه حتى أُقَبِّلَ نَعْلَيْه ، امْكُثُوا فى أرضى ما شِئْتُم . وأَمَرَ لنا بطعامٍ وكُسْوةٍ ، وقال : رُدُّوا على هَذَيْن هَدِيَّتَهما . وكان عمرُو بنُ العاصِ رجلًا قصيرًا ، وكان عُمارةُ رجلًا جميلًا ، وكانا أَقْبَلا فى البَحْرِ ، فشَرِبَا ، ومع عَمْرٍو امرأتُه ، فلمّا شَرِبَا ، قال عُمَارةُ لعمرٍو : مُرِ امرأتَك فلْتُقَبِّلْنى . فقال له عمرٌو : ألا تَسْتَحِى ؟! فأَخَذ عُمَارةُ عَمْرًا فرَمَى به فى البحرِ ، فجعَلَ عمرٌو يُنَاشِدُ عُمارةَ ، حتى أَدْخَلَه السفينةَ ، فحَقَد عليه عَمْرٌو فى ذلك ، فقال عمرٌو للنَّجاشىِّ : إنَّك إذا خرَجْتَ ، خلَفَك عُمَارةُ فى أهلِك . فدَعا النَّجاشىُّ بعُمارةَ ، فنُفِخَ فى إِحْلِيلِه فطارَ مع الوَحْشِ[2] .

وهكذا روَاه الحافظُ البَيْهَقِىُّ فى « الدلائلِ »[3] ، مِن طريقِ أبى علىٍّ الحسنِ ابنِ سَلَّامٍ السَّوَّاقِ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، فذكَرَ بإسنادِه مِثْلَه ، إلى قولِه : فأمرَ لنا بطعامٍ وكُسْوةٍ . قال[4] : وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، وظاهرُه يَدُلُّ على أنَّ أبا موسى كان بمكةَ ، وأنَّه خرَجَ مع جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ إلى أرضِ الحبشةِ ، والصحيحُ عن بُرَيْدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ ، عن جَدِّه أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى أنهم بلَغَهم مَخْرَجُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهم باليمنِ ، فخرَجُوا مُهاجرين فى بضعٍ وخمسين رجلًا فى سفينةٍ ، فألْقَتْهم سفينتُهم إلى النَّجاشىِّ بأرضِ الحبشةِ ،

---

(١) فى م : « نقول » .

(٢) انظر ما يأتى ص ١٨٩ .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٩٩.

(٤) أى البيهقى .

فوافَقوا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ وأصحابَه عندَه[1] ، فأمَرَهم[2] جعفرٌ بالإقامةِ ، فأقاموا عندَه حتى قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ زمَنَ خَيْبَرَ . قال[3] : فأبو موسى شَهِدَ ما جرَى بينَ جَعْفَرٍ وبينَ النَّجاشىِّ فأخْبَرَ عنه . قال : ولعلَّ الراوىَ وَهِمَ فى قولِه : أَمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ نَنْطَلِقَ . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا روَاه البخارىُّ فى بابِ هجرةِ الحبشةِ[4] : حدَّثَنا محمدُ بنُ العلاءِ ، حدَّثَنا أبو أسامَةَ ، حدَّثَنا بُرَيْدُ[5] بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى قال : بَلَغَنا مَخْرَجُ النبىِّ ﷺ ونحن باليمنِ ، فرَكِبْنا سفينةً ، فأَلْقَتْنا سفينتُنَا إلى النَّجاشىِّ بالحبشةِ ، فوَافَقْنا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فأَقَمْنا معه حتى قَدِمْنا ، فوافَقْنا النبىَّ ﷺ ، حينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، فقال النبىُّ ﷺ : « لكم أنتم أهلَ السفينةِ هِجْرَتانِ » . وهكذا رَوَاه مسلمٌ[6] ، عن أبى كُرَيْبٍ وأبى عامرٍ عبدِ اللَّهِ [٢/٩١ظ] بنِ بَرَّادِ بنِ يوسُفَ بنِ أبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسَى ، كِلاهما عن أبى أُسامةَ به . ورَوَاه[7] فى مواضعَ أُخَرَ مُطَوَّلًا[8] . واللَّهُ أعلمُ .

وأما قصةُ جَعْفَرٍ مع النَّجاشىِّ ، فإنَّ الحافظَ ابنَ عَسَاكِرَ روَاها فى تَرْجمةِ

---

(١) فى النسخ : « عندهم » . والمثبت من دلائل البيهقى ، والضمير يعود على النجاشى .
(٢) فى م : « فأمره » .
(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٣٠٠.
(٤) البخارى (٣٨٧٦) .
(٥) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠.
(٦) مسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) .
(٧) فى الأصل ، م : « روياه » . والضمير فى « رواه » يعود على البخارى ، حيث لم يروه مسلم إلا فى الموضع السابق فى كتاب فضائل الصحابة .
(٨) البخارى (٣١٣٦، ٤٢٣٠) .

جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ مِن «تاريخِه»[1] مِن روايةِ نفسِه، ومِن روايةِ عمرِو بنِ العاصِ، وعلى يَدَيْهما جرَى الحديثُ، ومِن رِوايةِ ابنِ مسعودٍ كما تقدَّمَ، وأُمِّ سلمةَ كما سيأْتى؛ فأمّا رِوايةُ جَعْفَرٍ فإنَّها عزيزةٌ جِدًّا، روَاها ابنُ عَسَاكِرَ[2] عن أبى القاسمِ السَّمَرْقَنْدىِّ عن أبى الحُسَيْنِ بنِ النَّقُورِ، عن أبى طاهرٍ المُخَلِّصِ، عن أبى القاسمِ البَغَوِىِّ، قال: حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمنِ الجُعْفىُّ[3] عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ ابنِ أَبَانَ، حدَّثَنا أسدُ بنُ عَمْرٍو البَجَلىُّ، عن مُجَالِدِ بنِ سعيدٍ، عن الشَّعْبِىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ، عن أبيه. قال: بَعَثَتْ قريشٌ عَمْرَو بنَ العاصِ وعُمَارَةَ ابنَ الوليدِ بهديةٍ مِن أبى سُفيانَ إلى النَّجَاشِىِّ، فقالوا له ونحن عندَه: قد صارَ إليك ناسٌ مِن سِفْلَتِنا وسُفَهَائِنا، فادْفَعْهم إلينا. قال: لا، حتى أَسْمَعَ كلامَهم. قال: فبعَث إلينا فقال: ما يقولُ هؤلاء؟ قال: قلْنا: إنَّ هؤلاءِ قومٌ يَعْبُدُون الأوثانَ، وإنَّ اللَّهَ بَعَث إلينا رَسولًا فآمَنَّا به وصَدَّقْناه. فقال لهم النَّجاشىُّ: أَعَبِيدٌ هم لكم؟ قالوا: لا. قال: فلكم عليهم دَيْنٌ؟ قالوا: لا. قال: فخَلُّوا سبيلَهم. قال: فخرَجْنا مِن عندِه، فقال عَمْرُو بنُ العاصِ: إنَّ هؤلاء يَقولون فى عيسَى غيرَ ما تَقولُ. قال: إنْ لم يقولوا فى عيسَى مِثْلَ قولى، لم أَدَعْهم فى أرضى ساعةً مِن نهارٍ. فأرْسَلَ إلينا، فكانت الدعوةُ الثانيةُ أشدَّ علينا مِن

---

(١) سقطت ترجمة جعفر من تاريخ ابن عساكر المطبوع والمخطوط لدينا. وهى فى مختصر تاريخ دمشق ٦/٦٢ - ٧٤.

(٢) لم نجد رواية جعفر فى مختصر تاريخ دمشق، وقد رواها الطبرانى فى معجمه الكبير (١٤٧٨/٢) من طريق أسد بن عمرو به. وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٣٠: رواه الطبرانى من طريق أسد بن عمرو عن مجالد وكلاهما ضعيف وقد وثقا.

(٣) بعده فى الأصل، م: «عن». وهو خطأ. وأبو عبد الرحمن الجعفى هو عبد اللَّه بن عمر بن محمد ابن أبان بن صالح بن عمير القرشى الأموى. تهذيب الكمال ١٥/ ٣٤٥.

الأُولى ، قال : ما يقولُ صاحبُكم فى عيسى بنِ مَرْيَمَ ؟ قلنا : يقولُ : هو رُوحُ اللَّهِ وكَلِمَتُه ألْقَاها إلى عذراءَ بَتُولٍ . قال : فأَرْسَلَ فقال : ادْعُوا لى فلانًا القَسَّ ، وفُلانًا الراهِبَ . فأتاه ناسٌ منهم فقال : ما تَقولون فى عيسى بنِ مَرْيَمَ ؟ فقالوا : أنت أَعْلَمُنا ، فما تقولُ ؟ قال النجاشىُّ - وأخَذَ شيئًا مِن الأرضِ - قال : ما عَدا عيسَى ما قال هؤلاء مِثْلَ هذا . ثُم قال : أَيُؤْذِيكم أحدٌ ؟ قالوا : نَعَمْ . فنادَى مُنادٍ : مَن آذَى أحَدًا منهم فأَغْرِموه أربعةَ دراهمَ . ثُم قال : أيَكْفِيكم ؟ قلنا : لا . فأَضْعَفَها . قال : فلمَّا هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وظهَر بها ، قلنا له : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قد ظهَرَ وهاجَرَ إلى المدينةِ ، وقُتِلَ الذين كنَّا حَدَّثْناك عنهم ، وقد أَرَدْنا الرحيلَ إليه ، فزَوِّدْنا[1] . قال : نَعَمْ . فحَمَلَنا وزَوَّدَنا ، ثُم قال : أَخْبِرْ صاحبَك بما صَنَعْتُ إليكم ، وهذا صاحبى معَكم ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّه رسولُ اللَّهِ ، وقل له يَسْتَغْفِرْ لى . قال جَعْفَرٌ : فخرَجْنَا حتى أتَيْنا المدينةَ ، فتلَقَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ واعْتَنَقَنى ، ثُم قال : « مَا أَدْرى أنا بفَتْحِ خَيْبَرَ أَفْرَحُ ، أَمْ بقُدُومِ جَعْفَرٍ ! » . ووافَقَ ذلك فَتْحَ خَيْبَرَ ، ثُم جلَسَ ، فقال رسولُ النَّجاشىِّ : هذا جَعْفَرٌ ، فسَلْه ما صنَعَ به صاحبُنا ؟ فقال : نَعَمْ ، فعَل بنا كذا وكذا ، وحَمَلَنا وزوَّدَنا ، وشَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّك رسولُ اللَّهِ ، وقال لى : قُلْ له يَسْتَغْفِرْ لى . فقامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فتَوَضَّأَ ، ثُم دَعا ثلاثَ مراتٍ : « اللهُمَّ اغْفِرْ للنجاشىِّ » . فقال المسلمونَ : آمينَ . ثُم قال جَعْفَرٌ : فقلتُ للرَّسولِ : انْطَلِقْ فأَخْبِرْ صاحبَك بما رأَيْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثُم قال ابنُ عَساكِرَ : حسنٌ غريبٌ .

---

(١) فى م ، ص : « فردنا » .

وأما روايةُ أُمِّ سَلَمَةَ[1] ، فقد قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى الزُّهْرِىُّ ، عن أبى بَكْرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حارثِ بنِ هِشَامٍ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، أنَّها قالت : لمَّا ضاقَتْ علينا مكةُ ، وأُوذِىَ أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفُتِنُوا ، [٢/٩٢و] ورَأَوْا ما يُصِيبُهم مِن البلاءِ والفِتْنَةِ فى دينِهم ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذلك عنهم ، وكان رسولُ اللَّهِ فى مَنَعَةٍ مِن قومِه ومِن عمِّه ، لا يَصِلُ إليه شىءٌ مما يَكْرَهُ ومما يَنَالُ أصحابَه ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ بأرضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أحدٌ عندَه ، فالْحَقُوا ببلادِه حتى يَجْعَلَ اللَّهُ لكم فرجًا ومخرجًا مِمَّا أنتم فيه » . فخرَجْنا إليها أَرْسالًا حتى اجْتَمَعْنا بها ، فنَزَلْنا بخيرِ دارٍ إلى خيرِ جارٍ آمِنِينَ على دينِنا ، ولم نَخْشَ فيها ظلمًا ، فلمَّا رأَتْ قريشٌ أنَّا قد أَصَبْنا دارًا وأَمْنًا[2] ، اجْتَمَعوا على أنْ يَبْعَثُوا إلى النجاشىِّ فينا ؛ ليُخْرِجونا مِن بلادِه ولِيَرُدَّنا عليهم ، فبَعَثُوا عَمْرَو بنَ العاصِ وعبدَ اللَّهِ بنَ أبى ربيعةَ ، فجمَعوا له هدايا ولبَطَارِقَتِه ، فلم يَدَعُوا منهم رجلًا إلَّا هَيَّئُوا له هديةً على حِدَةٍ ، وقالوا لهما : ادْفَعُوا إلى كلِّ بِطريقٍ هديتَه قبلَ أنْ تَتَكَلَّموا فيهم ، ثُم ادْفَعوا إليه هَداياه ، فإنِ استَطَعتم أنْ يَرُدَّهم عليكم قبلَ أن يُكَلِّمَهم فافْعَلُوا . فقَدِمَا عليهِ ، فلم يَبْقَ بِطْرِيقٌ مِن بَطارِقتِه إلا قَدَّمُوا إليه هَديَّتَه وكَلَّموه وقالوا له : إنما قَدِمْنا على هذا المِلِكِ فى سفهائِنا ، فارَقوا أقوامَهم فى دينِهم ولم يَدْخُلوا فى دينِكم ، فبَعَثَنا قومُهم لِيَرُدَّهم المَلِكُ عليهم ، فإذا نحن كلَّمْناه فأَشِيروا عليه بأنْ يَفْعَلَ . فقالوا : نَفْعَلُ . ثُم قَدَّموا إلى النجاشىِّ هَداياه ، وكان مِنْ أحبِّ ما

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٤ - ١٩٧، وانظر سيرة ابن هشام ١/٣٣٤ - ٣٣٨. كما أخرجها أبو نعيم فى الدلائل : ١٩٩ - ٢٠٣ ، والبيهقى فى الدلائل ٢/٣٠١ - ٣٠٦ ، وفى السنن الكبرى ٩/ ٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق، كما فى مختصره ٦/٦٢ - ٦٦.

(٢) بعده فى الأصل، م: « غاروا منا ».

يُهْدُون إليه مِن مكةَ الأُدُمُ[1] - وذكَرَ موسى بنُ عُقْبَةَ أنهم أَهْدَوا إليه فَرَسًا وجُبَّةَ دِيباجٍ[2] - فلمَّا أَدْخَلوا عليه هَداياه، قالوا له: أيُّها الملِكُ، إنَّ فتيةً منا سفهاءَ فارقوا دينَ قومِهم، ولم يَدْخُلوا فى دينِك، وجاءُوا بدينٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُه، وقد لَجَئُوا إلى بلادِك، وقد بَعَثَنَا إليك فيهم عشائرُهم؛ آباؤُهم وأعمامُهم وقومُهم لتَرُدَّهم عليهم، فإنَّهم أعلى بهم عَيْنًا[3]، [4]فقالت بَطَارِقَتُه: صَدَقوا أيُّها الملِكُ، لو رَدَدْتَهم عليهم، كانوا هم أعلَى بهم عَيْنًا[4]؛ فإنَّهم لن يَدْخُلوا فى دينِك فتَمْنَعَهم لذلك. فغَضِبَ ثُم قال: لا، لَعَمْرُ اللَّهِ لا أَرُدُّهم عليهم حتى أَدْعُوَهم، فأُكَلِّمَهم وأَنْظُرَ ما أَمْرُهم، قومٌ لَجَئُوا إلى بلادِى، واختاروا جِوَارِى على جِوارِ غيرى، فإنْ كانوا كما يَقولون رَدَدْتُهم عليهم، وإنْ كانوا على غيرِ ذلك مَنَعْتُهم، ولم أَدْخُلْ بينَهم وبينَهم، ولم أُنْعِمْهم عَيْنًا[5] - [6]وذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[7] أنَّ أُمراءَه أَشاروا عليه بأنْ يَرُدَّهم إليهم، فقال: لا واللَّهِ حتى أَسْمَعَ كلامَهم، وأَعْلَمَ على أىِّ شىءٍ هم عليه. فلمَّا دَخَلوا عليه، سَلَّمُوا ولم يَسْجُدوا له، فقال: أيُّها الرهطُ، ألَا تُحَدِّثُونى! ما لكم لا تُحَيُّونى كما يُحَيِّينى مَن أَتانِى مِن قومِكم؟ وأَخْبِرُونِى ماذا تَقولون فى عيسى، وما دينُكم؟ أَنَصارى[6]

---

(١) الأدم: جمع الأَدِيم، وهو الجلد. الوسيط (أ د م).

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٩٣، من حديث موسى بن عقبة.

(٣) قال السهيلى فى الروض الأنف ٣/ ٢٥٧: أعلى بهم عينا: أى أبصر بهم. أى: عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم فى أمرهم.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من سيرة ابن إسحاق، ومختصر تاريخ دمشق.

(٥) أنعمهم عينا: أقر أعينهم.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٢٩٣ - ٢٩٥، من حديث موسى بن عقبة.

(١أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفَيهودٌ أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دينِ قومِكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينُكم؟ قالوا: الإسلامُ. قال: وما الإسلامُ؟ قالوا: نَعْبُدُ اللَّهَ لا نُشْرِكُ به شيئًا. قال: مَن جاءَكم بهذا؟ قالوا: جاءَنا به رجلٌ مِن أَنْفُسِنا قد عَرَفْنا وَجْهَه ونسبَه، بعَثَه اللَّهُ إلينا كما بعَث الرسلَ إلى مَن قَبْلَنا، فأمَرَنا بالبِرِّ والصدقةِ والوفاءِ وأداءِ الأمانةِ، ونَهَانا أنْ نَعْبُدَ الأوْثانَ، وأمَرَنا بعبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، فصَدَّقْناه، وعَرَفْنا كلامَ اللَّهِ، وعَلِمْنا أنَّ الذى جاءَ به مِن عندِ اللَّهِ، فلمَّا فَعَلْنا ذلك عادانا قومُنا وعادَوُا النبيَّ الصادقَ وكَذَّبُوه، وأَرادوا قتلَه، وأَرادونا على عبادةِ الأوْثانِ، فَفَرَرْنا إليك بدينِنا ودمائِنا مِن قومِنا. قال: واللَّهِ إنَّ هذا لَمِن المِشْكاةِ التى خرَج منها أمرُ موسى. قال جَعْفَرٌ: وأمّا التحيّةُ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخْبَرَنا أنَّ تحيةَ أهلِ الجنةِ السلامُ، وأَمَرَنا بذلك، فحَيَّيْناك بالذى يُحَيِّى بعضُنا بعضًا، وأما عيسى بنُ مَرْيَمَ فعبدُ اللَّهِ ورسولُه، وكِلمتُه أَلْقَاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وابنُ العذراءِ البَتُولِ. فأخَذ عُودًا وقال: واللَّهِ ما زاد ابنُ مَرْيَمَ على هذا وَزْنَ هذا العودِ. فقال عظماءُ الحبشةِ: واللَّهِ لَئن سَمِعَتِ الحبشةُ لَتَخْلَعَنَّك. فقال: واللَّهِ لا أَقُولُ فى عيسى غيرَ هذا أبدًا، وما أَطَاعَ اللَّهُ الناسَ فىَّ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى، فأُطيعَ الناسَ فى دينِ اللَّهِ، معاذَ اللَّهِ مِن ذلك. وقال يُونُسُ عن ابنِ إسحاقَ(٢) - فأَرْسَلَ إليهم النَّجاشىُّ فجمَعَهم، ولم يَكُنْ شىءٌ أبغضَ لعَمْرِو بنِ العاصِ وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ مِن أنْ يَسْمَعَ كلامَهم، فلمَّا جاءَهم رسولُ النَّجاشىِّ اجْتَمَعَ القومُ فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) يستأنف ابن كثير رواية ابن إسحاق بعد انتقاله لرواية موسى بن عقبة.

نَقول ؟! نَقولُ واللَّهِ ما نَعْرِفُ ، وما نحن عليه مِن أمرِ دينِنا ، وما جاءَ به نبيُّنا ﷺ كائنًا فى ذلك ما كان . فلمَّا دخَلوا عليه ، كان الذى يُكَلِّمُه منهم جَعْفَرَ ابنَ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال له النَّجاشىُّ : ما هذا الدينُ الذى أنتم عليه ؟ فارَقْتُم دينَ قومِكم ، ولم تَدْخُلوا فى يهوديةٍ ولا نَصْرانيةٍ ، (1) فما هذا الدينُ (1) ؟ فقال له جَعْفَرٌ : أيُّها المَلِكُ ، كنا قومًا على الشركِ ؛ نَعْبُدُ الأوثانَ ، ونَأْكُلُ المَيْتَةَ ، ونُسِيءُ الجِوَارَ ، ونَسْتَحِلُّ المحارمَ بعضُنا مِن بعضٍ ، فى سفكِ الدماءِ وغيرِها ، لا نُحِلُّ شيئًا ولا نُحَرِّمُه ، فبعَثَ اللَّهُ إلينا نبيًّا مِن أنفُسِنا ، نَعْرِفُ وَفاءَه وصدقَه وأمانتَه ، فدَعانا إلى أنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وحدَه لا شريكَ له ، ونَصِلَ الأرحامَ ، ونَحْمِىَ الجِوَارَ ، ونُصَلِّىَ للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ونَصُومَ له ، ولا نَعْبُدَ غيرَه .

وقال زِيادٌ عن ابنِ إسحاقَ (2) : فدَعانا إلى اللَّهِ [٢/٩٢ظ] لنُوَحِّدَه ونَعْبُدَه ، ونَخْلَعَ ما كنا نَعْبُدُ نحن وآباؤُنا مِن دونِه مِن الحجارةِ والأَوثانِ ، وأمَرَنا بصِدْقِ الحديثِ ، وأداءِ الأَمانةِ ، وصلةِ الرحِمِ ، وحسنِ الجِوارِ ، والكفِّ عن المَحارمِ والدماءِ ، ونَهانا عن الفواحشِ ، وقولِ الزُّورِ ، وأكلِ مالِ اليتيمِ ، وقَذْفِ المُحْصَنَةِ ، وأمَرَنا أنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لا نُشْرِكُ به شيئًا ، وأمَرَنا بالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ - قال (3) : فَعَدُّوا عليه أمورَ الإسلامِ - فصَدَّقْناه وآمَنَّا به ، واتَّبَعْناه على ما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، فعَبَدْنا اللَّهَ وحدَه لا شريكَ له ، ولم نُشْرِكْ به شيئًا ، وحَرَّمْنا ما حَرَّمَ علينا ، وأَحْلَلْنا ما أحَلَّ لنا ، فَعَدَا علينا قومُنا ، فعذَّبونا وفَتَنُونا عن

(1 - 1) سقط من : م .

(2) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٦.

(3) كذا بالنسخ . وفى سيرة ابن هشام : « قالت » . وهو أشبه . على اعتبار أن القائل أم سلمة كما سيأتى .

دينِنا ، ليَرُدُّونا إلى عبادةِ الأوثانِ مِن عبادةِ اللَّهِ ، وأنْ نَسْتَحِلَّ ما كنا نَسْتَحِلُّ مِن الخبائثِ ، فلمَّا قَهَرُونا وظَلَمونا ، وضَيَّقُوا علينا ، وحالُوا بينَنا وبينَ دينِنا ، خرَجْنا إلى بلادِك ، واخْتَرْناك على مَن سِواك ، ورَغِبْنا فى جِوارِك ، ورَجَوْنا أنْ لا نُظْلَمَ عندَك أيُّها المَلِكُ . قالت : فقال النَّجاشىُّ : هل معك شىءٌ مِمَّا جاءَ به ؟ - وقد دَعَا أساقِفَتَه ، فأمَرَهم فنَشَروا المصاحفَ حولَه - فقال له جَعْفَرٌ : نعَمْ . قال[1] : هَلُمَّ فاتْلُ علىَّ مِمَّا جاءَ به . فقرَأَ عليه صَدْرًا مِن ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] . فبكَى واللَّهِ النجاشىُّ حتى اخْضَلَّتْ لحيتُه ، وبَكَتْ أَساقِفَتُه حتى أَخْضَلُوا مَصاحفَهم ، ثُم قال : إنَّ هذا الكلامَ لَيَخْرُجُ مِن المِشْكَاةِ التى جاءَ بها موسى ، انطَلِقُوا راشِدِينَ ، لا واللَّهِ لا أَرُدُّهم عليكم ولا أُنْعِمُكم عَيْنًا . فخرَجْنا مِن عندِه وكان أَتْقَى[2] الرجُلَيْن فينا عبدَ اللَّهِ بنَ أبى رَبيعةَ ، فقال عَمْرُو بنُ العاصِ : واللَّهِ لَآتِيَنَّهُ غدًا بما أَستَأْصِلُ به خَضْرَاءَهم ، ولَأُخْبِرَنَّه أنَّهم يَزْعُمون أنَّ إلَـٰهَه الذى يَعْبُدُ - عيسى بنَ مَرْيَمَ - عَبْدٌ . فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ أبى ربيعةَ : لا تَفْعَلْ ، فإنَّهم وإن كانوا خالَفونا فإنَّ لهم رَحِمًا ولهم حَقًّا . فقال : واللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ . فلمَّا كان الغَدُ دخَل عليه فقال : أيُّها الملكُ ، إنَّهم يَقولون فى عيسى قولًا عظيمًا ، فأَرْسِلْ إليهم فسَلْهم عنه . فبعَثَ واللَّهِ إليهم ، ولم يَنْزِلْ بنا مِثْلُها ، فقال بعضُنا لبعضٍ : ماذا تَقولونَ له فى عيسَى إنْ هو سأَلَكم عنه ؟ فقالوا : نَقولُ واللَّهِ الذى قاله اللَّهُ فيه ، والذى أمَرَنا نبيُّنا أنْ نَقولَه فيه . فدَخَلوا عليه وعندَه بطَارِقتُه ، فقال : ما

---

(١) من هنا يستأنف المصنف رواية يونس عن ابن إسحاق ، انظر سيرة ابن إسحاق برواية يونس . وسيرة ابن هشام برواية زياد البكائى . وأردنا التنبيه لما سيأتى من كلام المصنف حين يرجع مرة أخرى إلى رواية ابن هشام لتحرير لفظة « دبر » .

(٢) فى م ، ص : « أبقى » .

تقولون فى عيسَى بنِ مَرْيَمَ؟ فقال له جَعْفَرٌ: نَقولُ: هو عبدُ اللَّهِ ورسولُه، ورُوحُه وكَلِمتُه أَلْقاها إلى مَرْيَمَ العذراءِ البَتُولِ. فدَلَّى النَّجاشىُّ يدَه إلى الأرضِ، فأخَذ عودًا بينَ أُصْبُعَيْه فقال: ما عَدَا عيسى بنُ مَرْيَمَ مِمَّا قُلْتَ هذا العُوَيْدَ. فتَناخَرَتْ بَطَارِقَتُه[1]. فقال: وإنْ تَناخَرْتُم واللَّهِ، اذهَبوا فأنتم سُيُومٌ[2] فى الأرضِ - والسُّيومُ[3]: الآمِنونَ فى الأَرضِ - مَن سَبَّكم غَرِمَ، مَن سَبَّكم غَرِم، مَن سَبَّكم غَرِمَ، ثلاثًا، ما أُحِبُّ أَنَّ لى دَبْرًا وأنِّى آذَيْتُ رجلًا منكم. والدَّبْرُ بلسانِهم: الذَّهبُ. وقال زِيادٌ عن ابنِ إسحاقَ[4]: ما أُحِبُّ أنَّ لى دَبْرًا مِن ذهبٍ. قال ابنُ هِشامٍ[4]: ويُقالُ: دَبْرَى[5] وهو الجبلُ بلُغَتِهم. ثُم قال النَّجاشىُّ: فواللَّهِ ما أخَذَ اللَّهُ مِنى الرِّشْوَةَ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى، ولا أَطَاعَ الناسَ فىَّ، فأُطِيعَ الناسَ فيه، رُدُّوا عليهما هَداياهما فلا حاجةَ لى بها، واخْرُجَا مِن بلادى. فَخرجَا مَقْبُوحَيْنِ مَرْدودًا [٢/٩٣و] عليهما ما جاءَا به. قالت: فأَقَمْنا مع خيرِ جارٍ فى خيرِ دارٍ، فلم يَنْشَبْ أنْ خرَج عليه رجلٌ مِن الحبشةِ يُنَازِعُه فى مُلْكِه، فواللَّهِ ما عَلِمْنَا حُزنًا حَزِنَّا قَطُّ كان أشَدَّ منه، فَرَقًا مِن أنْ يَظْهَرَ ذلك المِلِكُ عليه، فيَأْتِىَ مَلِكٌ لا يَعْرِفُ مِن حقِّنا ما كان يَعْرِفُه، فجعَلْنا نَدْعُو اللَّهَ

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٣٢: تناخرت بطارقته: أى تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.

(٢) فى الأصل: «شيوم». وهو لفظ رواية زياد عن ابن إسحاق. وانظر تفسير الكلمة بهذا اللفظ فى الروض الأنف ٣/ ٢٥٦.

(٣) وهو لفظ رواية يونس عن ابن إسحاق. وانظر تفسير الكلمة بهذا اللفظ فى النهاية ٢/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٨.

(٥) فى الأصل: «زيرا»، وفى م: «زبرا»، وفى ص: «ذبرا»، وفى السيرة: «دبرا». والمثبت من الروض الأنف ٣/ ٢٤٨. وانظر النهاية ٢/ ٩٩.

ونَسْتَنْصِرُه للنَّجاشىِّ ، فخرَج إليه سائرًا ، فقال أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعضُهم لبعضٍ : مَن رجلٌ يَخْرُجُ فيَحْضُرَ الوَقْعَةَ حتى يَنْظُرَ على مَن تَكونُ ؟ فقال الزُّبَيْرُ ، وكان مِن أَحْدَثِهم سنًّا : أنا . فنَفَخُوا له قِرْبَةً فجعَلَها فى صَدْرِه ، ثُم خرَج يَسْبَحُ عليها فِى النِّيلِ ، حتى خرَج مِن شِقِّه الآخرِ إلى حيث الْتَقَى الناسُ ، فحضَر الوَقْعَةَ ، فهزَمَ اللَّهُ ذلك المَلِكَ وقتَلَه ، وظَهَر النَّجاشىُّ عليه ، فجاءَنا الزبيرُ فجعل يَلْمَعُ[1] لنا بِردائِه ويقولُ : ألَا فأَبْشِروا ، فقد أَظْهَرَ اللَّهُ النَّجاشىَّ . [2]قالت : فواللَّهِ ما عَلِمْنا أننا[3] فَرِحْنا بشىءٍ قطُّ فَرَحَنا بظُهورِ النَّجاشىِّ[2] ، ثُم أَقَمْنا عندَه حتى خرَجَ مَن خرَج منا راجعًا[4] إلى مكةَ ، وأَقَامَ مَن أَقامَ .

قال الزُّهْرىُّ[5] : فحدَّثْتُ هذا الحديثَ عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ ، فقال عُرْوَةُ : أتَدْرِى ما قولُه : ما أخَذ اللَّهُ منى الرِّشوةَ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى ، فآخُذَ الرِّشْوةَ فيه ، ولا أطاعَ الناسَ فىَّ ، فأُطيعَ الناسَ فيه ؟ فقلتُ : لا ، ما حدَّثَنى ذلك أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ . فقال عُرْوَةُ : فإنَّ عائشةَ حدَّثَتْنى أنَّ أباه كان مَلِكَ قومِه ، وكان له أخٌ ، له مِن صُلْبه اثنا عَشَرَ رجلًا ، ولم يَكُنْ لأَبى النَّجاشىِّ ولدٌ غيرُ النَّجاشىِّ ، فأدَارَتِ الحبشةُ رأْيَها بينَها ، فقالوا : لو أنَّا قَتَلْنا أبا النَّجاشىِّ ومَلَّكْنا أَخاه ، فإنَّ له اثنىْ عَشَرَ رجلًا

---

(١) فى النسخ : « يليح » . والمثبت من سيرة ابن هشام . ولمع بثوبه وسيفه لمعًا ، وألمع : أشار . اللسان (ل م ع) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) زيادة من : م .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٧ ، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٩.

مِن صُلْبِه فَتَوَارَثوا المُلْكَ ، لَبَقِيَتِ الحبشةُ عليهم دَهْرًا طَويلًا ، لا يَكُونُ بينَهم اختلافٌ . فعَدَوْا عليه فَقَتَلوه ومَلَّكُوا أخاه ، فدخَلَ النَّجاشىُّ لعمِّه حتى غلَبَ عليه ، فلا يُدَبِّرُ أمْرَه غيرُه ، وكان لَبِيبًا حازمًا مِن الرجالِ ، فلمَّا رأَتِ الحبشةُ مكانَه مِن عمِّه قالوا : لقد غلَب هذا الغُلامُ على أمْرِ عمِّه فما نَأْمَنُ أنْ يُمَلِّكَه علينا ، وقد عرَف أنَّا قَتَلْنا أباه ، فلَئِنْ فعَل ، لم يَدَعْ مِنَّا شَرِيفًا إلا قتَلَه ، فكَلِّمُوه فيه ، فلْيَقْتُلْه أو لَيُخْرِجَنَّه مِن بلادِنا . فَمَشَوْا إلى عمِّه فقالوا : قد رأَيْنا مكانَ هذا الفتَى منك ، وقد عرَفْتَ أنَّا قَتَلْنا أباه وجَعَلْناك مكانَه ، وإنَّا لا نَأْمَنُ أنْ يَمْلِكَ علينا فيَقْتُلَنا ، فإما أنْ تَقْتُلَه وإما أنْ تُخْرِجَه مِن بلادِنا . قال : وَيْحَكم ! قتَلْتُم أباه بالأَمسِ وأَقْتُلُه اليومَ ؟ بل أُخْرِجُه مِن بلادِكم . فَخَرَجوا به فوَقَفُوه فى السوقِ وباعُوه مِن تاجرٍ مِن التجارِ بستِّمِائةِ درهمٍ أو بسَبْعِمائةٍ ، فقذَفَه فى سفينةٍ ، فانطَلَقَ به ، فلمَّا كان العَشِىُّ هاجَتْ سَحابةٌ مِن سحائبِ الخريفِ ، فخرَج عمُّه يَتَمَطَّرُ تحتَها ، فأصابَتْه صاعقةٌ فقتَلَتْه ، ففَزِعُوا إلى ولدِه ، فإذا هم مُحْمِقون[1] ، ليس فى أحدٍ منهم خيرٌ ، فمرِجَ على الحبشةِ أمْرُهم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : تَعْلَمون واللَّهِ أنَّ مَلِكَكم الذى لا يُصْلِحُ أمرَكم غيرُه لَلَّذِى بِعْتُمُ الغَدَاةَ ، فإنْ كان لكم بأمرِ الحبشةِ حاجةٌ فأَدْرِكُوه قبلَ أنْ يَذْهَبَ . فَخَرَجوا فى طَلَبِه فأدْرَكوه فرَدُّوه ، فَعَقَدوا عليه تاجَه ، وأَجْلَسوه على سَرِيرِه ومَلَّكُوه ، فقال التاجرُ : رُدُّوا علىَّ مالى كما أخَذْتم منى غُلَامى . فقالوا : لا نُعْطِيك . فقال : إذًا واللَّهِ لأُكَلِّمَنَّه . [2]فقالوا : وإنْ[2] . فمشَى إليه فكلَّمَه فقال : أيُّها الملِكُ ، إنِّى

---

(١) محمقون : أى وجدوا حمقى .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

ابْتعْتُ غُلامًا فقَبَضَ منى الذين باعوه ثمنَه ، ثُم عَـدَوْا على غُلَامى فنَزَعوه مِن يَدِى [٢/٩٣ظ] ولم يَرُدُّوا علىَّ مالى . فكان أولَ ما خُبِرَ به مِن صلابةِ حُكْمِه وعَدْلِه أَنْ قال : لَتَرُدُّنَّ عليه مالَه ، أو لَتَجْعَلُنَّ يدَ غُلامِه فى يدِه فلْيَذْهَبَنَّ به حيثُ شاء . فقالوا : بل نُعْطِيه مالَه . فأَعْطَوْه إيَّاه ، فلذلك يَقولُ : ما أخَذ اللَّهُ مِنى الرِّشْوَةَ ، فآخُذَ الرِّشْوَةَ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى ، وما أطاعَ الناسَ فىَّ ، فأُطِيعَ الناسَ فيه .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[1] : كان أبو النَّجاشىِّ مَلِكَ الحَبَشَةِ ، فمات والنَّجاشىُّ غلامٌ صغيرٌ ، فأَوْصَى إلى أخيه : إنَّ إليك مُلْكَ قومِكَ حتى يَبْلُغَ ابْنِى ، فإذا بلَغ فله المُلْكُ . فرَغِبَ أخوه فى المُلْكِ ، فباعَ النَّجاشىَّ مِن بعضِ التجارِ ، فمات عمُّه مِن ليلتِه وقَضَى ، فرَدَّتِ الحَبَشَةُ النَّجاشِىَّ ، حتى وَضَعوا التاجَ على رأسِه . هكذا ذكَرَه مختصَرًا[2] ، وسياقُ ابنِ إسحاقَ أحسنُ وأبسطُ . فاللَّهُ أعلمُ .

والذى وقَع فى سياقِ ابنِ إسحاقَ إنما هو ذِكْرُ عَمْرِو بنِ العاصِ وعبدِ اللَّهِ ابنِ أبى ربيعةَ ، والذى ذكَرَه موسى بنُ عُقْبَةَ والأُمَوِىُّ وغيرُ واحدٍ ، أنهما عَمْرُو ابنُ العاصِ وعُمَارةُ بنُ الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، وهو أحدُ السبعةِ الذين دَعا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ تَضَاحَكوا يومَ وُضِعَ سَلى الجَزُورِ على ظَهْرِه ﷺ وهو ساجدٌ عندَ الكعبةِ . وهكذا تَقَدَّمَ[3] فى حديثِ ابنِ مسعودٍ وأبى موسى الأَشْعَرِىِّ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٩٥، من حديث موسى بن عقبة .

(٢) أى هذا الجزء من الحديث .

(٣) تقدم فى صفحة ١٧٣ - ١٧٥ .

والمقصودُ أنَّهما حينَ خَرَجَا مِن مكةَ كانت زوجةُ عَمْرٍو معه، وعُمَارةُ كان شابًّا حسنًا، فاصطَحَبا فى السفينةِ، وكان عُمَارةُ طَمِعَ فى امرأةِ عمرِو بنِ العاصِ، فألْقَى عَمْرًا فى البحرِ لِيُهْلِكَه، فسبَح حتى رجَع إليها. فقال له عُمارةُ: لو أَعْلَمُ أنك تُحْسِنُ السِّباحةَ لَمَا أَلْقَيْتُك. فحقَدَ عمرٌو عليه، فلمّا لم يُقْضَ لهما حاجةٌ فى المُهاجِرين مِن النَّجاشىِّ وكان عُمَارةُ قد تَوَصَّلَ إلى بعضِ أهلِ النَّجاشىِّ، فوشَى به عَمْرٌو، فأمَر به النَّجاشىُّ، فسُجِرَ حتى ذهَب عقْلُه، وساحَ فى البَرِّيَّةِ مع الوحوشِ.

وقد ذكَر الأُمَوِىُّ قصتَه مُطَوَّلةً جدًّا، وأنَّه عاش إلى زمنِ إمارةِ عُمَرَ بنِ الخطابِ، وأنه تَقَصَّدَه بعضُ الصحابةِ ومسَكَه، فجعَل يقولُ: أَرْسِلْنى، أَرْسِلْنى وإلَّا مِتُّ. فلمّا لم يُرْسِلْه ماتَ مِن ساعتِه. فاللَّهُ أعلمُ[1].

وقد قيل: إنَّ قريشًا بعَثَتْ إلى النَّجاشىِّ فى أمْرِ المهاجرين مَرَّتَيْنِ؛ الأولى مع عمرِو بنِ العاصِ وعُمارةَ، والثانيةُ مع عمرٍو وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ. نَصَّ عليه أبو نُعَيْمٍ فى «الدَّلائلِ»[2] واللَّهُ أعلمُ. وقد قِيلَ: إنَّ البَعْثَةَ الثانيةَ كانت بعدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ - قاله الزُّهْرِىُّ - ليَنَالوا مِمَّن هناك ثأرًا، فلم يُجِبْهم النَّجاشىُّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرْضاه، إلى شىءٍ مِمَّا سأَلوا. فاللَّهُ أعلمُ.

[3]وقد ذكَر زِيادٌ عن ابنِ إسحاقَ[4]، أنَّ أبا طالبٍ لمَّا رأَى ذلك مِن صنيعِ[3]

---

(١) انظر الروض الأنف ٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) دلائل النبوة (١٩٦).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٣.

(١) قريشٍ ، كتَب إلى النَّجاشيِّ أبياتًا يَحُضُّه فيها على العَدْلِ ، وعلى الإحسانِ إلى مَن نَزَل عندَه مِن قومِه (١) :

أَلَا ليتَ شِعْرِى كيفَ فى النَّأْيِ جَعْفَرٌ ... وعَمرٌو وأعداءُ العَدُوِّ الأَقاربُ

وما نَالَتَ افعالُ النَّجاشيِّ جَعْفَرًا ... وأصحابَه أو عاقَ ذلك شاغِبُ

تَعَلَّمْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشْقَى لَدَيْك (٢) المُجَانِبُ

تَعَلَّمْ بأنَّ اللَّهَ زادَك بَسْطَةً ... وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازِبُ (٣)

وقال يُونُسُ عن ابنِ إسحاقَ (٤) : حدَّثَنى يَزِيدُ بنُ رُومَانَ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ قال : إنَّما كانَ يُكَلِّمُ النَّجاشيَّ عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، والمشهورُ أنَّ جَعْفَرًا هو المُتَرْجِمُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم .

وقال زِيادٌ البَكَّائِىُّ ، عن ابنِ إسحاقَ (٥) : حدَّثَنى يَزِيدُ بنُ رُومَانَ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، قالت : لمَّا ماتَ النَّجاشيُّ ، كان يُتَحَدَّثُ أنَّه لا يَزَالُ يُرَى على قبرِه نُورٌ . ورواه أبو داودَ (٦) ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو الرَّازِىِّ ، عن سَلَمَةَ بنِ الفَضْلِ ، (٧ عن محمدِ بنِ إسحاقَ به : لمَّا مات النَّجاشيُّ ، ٧)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « إليك » .

(٣) بعده فى سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام :

وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادى نفعَها والأقاربُ

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٩ .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠ .

(٦) أبو داود (٢٥٢٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٤٢) .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(١) رَضِيَ اللَّهُ عنه ، كنا نَتَحَدَّثُ أنَّه لا يَزالُ يُرَى على قبرِه نُورٌ .

وقال زِيادٌ ، عن (١) محمدِ بنِ إسحاقَ (٢) : حدَّثَنى جَعْفَرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه قال : اجتَمَعَتِ الحَبَشَةُ فقالوا للنَّجاشىِّ : إنَّك فارَقْتَ دينَنا . وخَرَجوا عليه ، فأَرْسَلَ إلى جَعْفَرٍ وأصحابِه ، فهَيَّأَ لهم سُفُنًا وقال : ارْكَبوا فيها وكُونُوا كما أنتمْ [٢/٩٤و] فإنْ هُزِمْتُ ، فامْضُوا حتى تَلْحَقُوا بحيثُ شِئْتُم ، وإنْ ظَفِرْتُ فاثْبُتُوا . ثُم عمَد إلى كتابٍ فكتَب فيه : هو يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، ويَشْهَدُ أنَّ عيسَى عبدُه ورسولُه ورُوحُه ، وكلمتُه أَلْقاها إلى مَرْيَمَ . ثُم جعَلَه فى قَبائِه (٣) عندَ المَنْكِبِ الأَيمنِ ، وخرَج إلى الحبشةِ ، وصُفُّوا له ، فقال : يا معشرَ الحبشةِ ، أَلسْتُ أحقَّ الناسِ بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رَأَيْتم سِيرَتى فيكم ؟ قالوا : خيرَ سيرةٍ . قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقْتَ دينَنا ، وزعَمْتَ أنَّ عيسَى عبدٌ . قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نَقولُ هو ابنُ اللَّهِ . فقال النَّجاشىُّ - ووضَع يدَه على صدرِه على قَبائِه -: وهو يَشْهَدُ أنَّ عيسى بنَ مَرْيَمَ لم يَزِدْ على هذا . وإنما يَعْنِى على ما كتَب ، فرَضُوا وانصَرَفوا ، فبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا مات النَّجاشىُّ صلَّى عليه واستَغْفَرَ له .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْنِ » (٤) مِن حديثِ أبى هريرةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نعَى النَّجاشىَّ فى اليومِ الذى مات فيه ، وخرَج بهم إلى المُصَلَّى ، فصَفَّ بهم وكَبَّرَ أربعَ تكبيراتٍ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه . الوسيط (ق ب و) .

(٤) البخارى (١٢٤٥، ١٣١٨، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٣٣، ٣٨٨٠، ٣٨٨١)، ومسلم (٩٥١) .

وقال البخاريُّ[1] : موتُ النجاشيِّ : حدَّثَنا أبو الرَّبيعِ ، حدَّثَنا ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ مات النَّجاشيُّ : « مات اليومَ رجلٌ صالحٌ ، فقوموا فصَلُّوا على أخيكم أَصْحَمَةَ » . ورُوِىَ ذلك مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وغيرِ واحدٍ[2] ، وفى بعضِ الرواياتِ تَسْمِيَتُه أَصْحَمَةَ ، وفى رِوايةٍ : مصحمةُ . وهو أَصْحَمَةُ بنُ أبْجَرَ[3] ، وكان عبدًا صالحًا ، لَبِيبًا ، ذكيًّا ، عادلًا ، عالمًا ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرْضاه .

وقال يُونُسُ عن ابنِ إسحاقَ : اسمُ النَّجاشيِّ مصحمةُ[4] . وفى نُسخةٍ صحَّحَها البَيْهَقِيُّ[5] : أَصْحَمُ ، وهو بالعَربيَّةِ : عَطِيَّةُ .

قال[6] : وإنما النَّجاشيُّ اسمُ المَلِكِ ، كقولِك : كِسْرَى وهِرَقْلُ .

قلتُ : كذا ، ولعلَّه يُريدُ به قَيْصَرَ ، فإنه عَلَمٌ لكلِّ مَن مَلَكَ الشامَ معَ الجزيرةِ مع[7] بلادِ الرومِ ، وكِسْرَى عَلَمٌ على مَن مَلَكَ الفُرْسَ ، وفرعونُ عَلَمٌ لمَن

---

(١) البخارى (٣٨٧٧) .

(٢) رواية أنس بن مالك رواها ابن شاهين والدارقطنى فى الأفراد ، من طريق معتمر عن حميد عن أنس . كما فى الإصابة ١/٢٠٦ . ولم نجد رواية ابن مسعود . وانظر سنن الترمذى (١٠٣٩) .

(٣) فى م : « بجر » . انظر الروض الأنف ٣/ ٢٢٢.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٠١.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٢١٠.

(٦) أى ابن إسحاق .

(٧) فى م : « من » .

مَلَكَ مِصْرَ كَافرًا[1] ، والمُقَوْقِسُ لمَن مَلَكَ الإسْكَندريَّةَ ، وتُبَّعٌ لمَن مَلَكَ اليمَنَ والشَّحْرَ والنجاشىُّ لمَن مَلَكَ الحَبَشةَ ، وبَطْلَيْمُوسُ لِمَن مَلَكَ اليُونَانَ ، وقيل : الهندَ . وخاقَانُ لمَن مَلَكَ التُّرْكَ .

وقال بعضُ العلماءِ : إنما صلَّى عليه لأَنه كان يَكْتُمُ إيمانَه مِن قومِهِ ، فلم يَكُنْ عندَه يومَ مات مَن يُصَلِّى عليه ؛ فلهذا صلَّى عليه ﷺ . قالوا : فالغائِبُ إنْ كان قد صُلِّىَ عليه ببلدِه ، لا تُشْرَعُ الصلاةُ عليه ببلدٍ أخرى ، ولهذا لم يُصَلَّ على[2] النبىِّ ﷺ فى غيرِ المدينةِ ، لا أهلُ مكةَ ولا غيرُهم ، وهكذا أبو بكرٍ ، وعُمَرُ ، وعثمانُ ، وغيرُهم مِن الصحابةِ ، لم يُنْقَلْ أنه صُلِّىَ على أحدٍ منهم فى غيرِ البلدةِ التى صُلِّىَ عليه فيها[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وشُهُودُ أبى هريرةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهُ ، الصلاةَ على النَّجاشىِّ دليلٌ على أنَّه إنَّما مات بعدَ فتحِ خَيْبَرَ ، [4]فى السنة[4] التى قَدِمَ فيها بقيةُ المهاجرين إلى الحبشةِ مع جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يومَ فتحِ خَيْبَرَ ؛ ولهذا رُوِىَ[5] أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « واللَّهِ ما أَدْرِى بأيِّهما أنا أُسَرُّ ؛ بفتحِ خَيْبَرَ أم بقدومِ جَعْفَرٍ » . وقَدِمُوا معهم بهَدايا وتُحَفٍ مِن عندِ النَّجاشىِّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، إلى النبىِّ ﷺ ، وصُحْبَتُهم أهلُ السَّفينةِ اليَمَنِيَّةِ ؛ أصحابُ أبى موسى الأَشْعَرِىِّ وقومُه مِن الأَشْعَرِيِّين ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، ومع [٢/٩٤ظ] جَعْفَرٍ وهدايا النَّجاشىِّ

---

(١) سقط من : الأصل . وفى م : « كافة » .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) انظر تفصيل المسألة فى المغنى ٣/٤٤٦ .

(٤ - ٤) سقط من النسخ .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٢١١ من حديث جابر مرفوعا ، ومن مرسل الشعبى ، وقال الذهبى عن مرسل الشعبى : وهو الصواب .

ابنُ أخى النَّجاشىِّ [1]ذُو مِخْبَرٍ. أو ذو مِخْمَرٍ[1]، أرْسَلَه لِيَخْدِمَ النبىَّ ﷺ عِوَضًا عن عمِّه، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأرْضاهما.

وقال السُّهَيْلِىُّ[2]: تُوُفِّىَ النَّجاشىُّ فى رَجَبٍ سنةَ تِسْعٍ مِن الهجرةِ. وفى هذا نَظَرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال البَيْهَقِىُّ[3]: أَنبأَنا الفقيهُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ الطُّوسِىُّ، حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدَّثَنا هِلَالُ بنُ العَلاءِ الرَّقِّىُّ، حدَّثَنا أبى، العلاءُ بنُ هِلَالٍ[4]، حدَّثَنا [5]أبى، هلالُ[5] بنُ عُمَرَ[6]، عن أبيه، عن أبى غالبٍ، عن أبى أُمَامَةَ، [7]قال: قَدِمَ وفدُ النَّجاشىِّ على النبىِّ ﷺ، فقامَ يَخْدُمُهم، فقال أصحابُه: نحن نَكْفيك يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «إنَّهم كانوا لأصحابى مُكْرِمِينَ، وإنِّى أُحِبُّ أنْ أُكَافِئَهم».

ثُم قال[8]: وأخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأَصْبَهَانىُّ، أَنبأَنا أبو سَعِيدِ بنُ الأَعْرَابىِّ، حدَّثَنا هِلالُ بنُ العَلاءِ، حدَّثَنا أبى، حدَّثنا طَلْحةُ بنُ زَيْدٍ، عن الأَوْزَاعِىِّ، عن يَحْيَى بنِ أبى كَثِيرٍ، عن أبى سَلَمَةَ، عن أبى قَتَادَةَ[7] قال: قَدِمَ وفدُ النَّجاشىِّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقامَ يَخْدُمُهم فقال أصحابُه: نحن

(١ - ١) فى م: «ذو نخترا أو ذو مخمرا». وانظر أسد الغابة ٢/ ١٧٨، والإصابة ٢/ ٤١٧.

(٢) الروض الأنف ٣/ ٢٦٢.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧.

(٤) فى م، ص: «مدرك». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٤٤، ٣٠/ ٣٤٦.

(٥ - ٥) فى م، ص: «أبو هلال».

(٦) فى النسخ ودلائل النبوة: «العلاء». والمثبت من تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٤٤، ٣٠/ ٣٤٦.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) أى البيهقى، دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧.

نَكْفيك يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «إنَّهم كانوا لأصحابِنا مُكْرِمِينَ، وإنِّى أُحِبُّ أنْ أُكَافِئَهم». تَفَرَّدَ به طَلْحةُ بنُ زَيْدٍ عن الأَوْزَاعِىِّ.

وقال البَيْهَقِىُّ[1]: حدَّثنا أبو الحُسَيْنِ بنُ بِشْرَانَ، حدَّثَنا أبو عمرٍو بنُ السَّمَّاكِ، حدَّثَنا حَنْبَلُ بنُ إسحاقَ، حدَّثَنا الحُمَيْدِىُّ، حدَّثَنا سُفيانُ، حدَّثَنا عمرٌو، قال: لمّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ العاصِ مِن أرضِ الحَبشةِ، جلَس فى بيتِه فلم يَخْرُجْ إليهم، فقالوا: ما شَأْنُه، ما له لا يَخْرُجُ؟ فقال عَمْرٌو: إنَّ أَصْحَمَةَ يَزْعُمُ أنَّ صاحبَكم نبىٌّ.

وقال ابنُ إسحاقَ[2]: ولمّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ العاصِ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى ربيعةَ على قريشٍ، ولم يُدْرِكُوا ما طَلَبوا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ورَدَّهم النَّجاشىُّ بما يَكْرَهُون، وأَسْلَمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وكان رجلًا ذا شَكِيمَةٍ لا يُرَامُ ما وراءَ ظَهْرِه، امتَنَعَ به أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبحمزةَ، حتى عازُّوا[3] قريشًا، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ يَقولُ: ما كنَّا نَقْدِرُ على أنْ نُصَلِّىَ عندَ الكعبةِ حتى أسْلَمَ عُمَرُ، فلمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قاتلَ قريشًا، حتى صَلَّى عندَ الكعبةِ وصلَّيْنا معه.

قلتُ: وثبَت فى «صحيحِ البخارىِّ»[4] عن ابنِ مسعودٍ أنَّه قال: مازِلْنا أَعِزَّةً منذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ.

وقال زِيادٌ البَكَّائِىُّ[5]: حدَّثَنى مِسْعَرُ بنُ كِدَامٍ، عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢.

(٣) فى الأصل: «غاروا». وفى م: «غاظوا». وعازه: غالبه. الوسيط (ع ز ز).

(٤) البخارى (٣٨٦٣).

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢.

قال : قال ابنُ مسعودٍ : إنَّ إسلامَ عُمَرَ كان فتحًا ، وإنَّ هجرتَه كانت نصرًا ، وإنَّ إمارتَه كانت رحمةً ، ولقد كنا وما نُصَلِّى عندَ الكعبةِ حتى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فلمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قاتَلَ قريشًا ، حتى صلَّى عندَ الكعبةِ وصلَّيْنا معه .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان إسلامُ عمرَ بعدَ خروجِ مَن خرَج مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الحبشةِ . حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَيَّاشِ بنِ أبى ربيعةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ [2]عبدِ اللَّهِ ، عن[2] عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، عن أمِّه أمِّ عبدِ اللَّهِ بنتِ أبى حَثْمَةَ قالت : واللَّهِ إنا لَنَتَرَحَّلُ إلى أرضِ الحبشةِ ، وقد ذهَب عامرٌ فى بعضِ حاجَتِنا ، إذْ أَقْبَلَ عمرُ حتى وقَف علىَّ وهو على شِرْكِه . قالت : وكنا نَلْقَى منه بلاءً[3] ؛ أذًى لنا وشِدَّةً علينا . قالت : فقال : إنَّه لَلانطلاقُ يا أمَّ عبدِ اللَّهِ ؟ قلتُ : نعَمْ ، واللَّهِ لنَخْرُجَنَّ فى أرضِ اللَّهِ ، آذَيْتُمونا وقَهَرْتُمونا ، [٢/٩٥و] حتى يَجْعَلَ اللَّهُ لنا مَخْرَجًا . قالت : فقال : صَحِبَكم اللَّهُ . ورأَيْتُ له رِقَّةً لم أَكُنْ أَراها ، ثُم انصَرَفَ وقد أَحْزَنَه - فيما أَرَى - خروجُنا . قالت : فجاء عامِرٌ بحاجَتِه تلك ، فقلتُ له : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، لو رأَيْتَ عمرَ آنِفًا ورِقَّتَه وحُزْنَه علينا . قال : أَطَمِعْتِ فى إسلامِه ؟! قالت : قلتُ : نعَمْ . قال : لا يُسْلِمُ الذى رأَيْتِ حتى يُسْلِمَ حمارُ الخَطَّابِ . قالت : يَأْسًا منه ؛ لِمَا كان يَرَى مِن غِلْظَتِه وقسوتِه على الإسلامِ .

قلتُ : هذا يَرُدُّ قولَ مَن زعَم أنَّه كان تَمَامَ الأربعين مِن المسلمين ؛ فإنَّ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٦٠. وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢، ٣٤٣.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ ، وسيرة ابن هشام . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٣) زيادة من : ص .

المهاجرين إلى الحبشةِ كانوا فوقَ الثمانين، اللهمَّ إلّا أنْ يُقالَ: إنه كان تمامَ الأَربعينَ بعدَ خُرُوجِ المُهاجرينَ. ويُؤَيِّدُ هذا ما ذكَرَه ابنُ إسحاقَ هـٰهنا فى قصةِ إسلامِ عمرَ وحدَه، رضِىَ اللَّهُ عنه، وسياقُها، فإنَّه قال[1]: وكان إسلامُ عُمَرَ فيما بلَغَنى أنَّ أختَه فاطمةَ بنتَ الخَطَّابِ - وكانت عندَ سعيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عمرِو ابنِ نُفَيْلٍ - كانت قد أَسلَمَتْ وأسلَمَ زوجُها سعيدُ بنُ زَيْدٍ، وهم مُسْتَخْفُون بإسلامِهم مِن عمرَ، وكان نُعَيْمُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّحَّامُ - رجلٌ مِن بنى عَدِىٍّ - قد أسلَمَ أيضًا مُسْتَخْفِيًا بإسلامِه؛ فَرَقًا[2] مِن قومِه، وكان خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ يَخْتَلِفُ إلى فاطمةَ بنتِ الخَطَّابِ يُقْرِئُها القرآنَ، فخرَج عُمَرُ يومًا مُتَوَشِّحًا سيفَه، يُرِيدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ورَهْطًا مِن أصحابِه، فذَكَروا له أنَّهم قد اجْتَمَعوا فى بيتٍ عندَ الصَّفَا، وهم قريبٌ مِن أربعين، مِن بينِ رجالٍ ونِساءٍ، ومع رسولِ اللَّهِ ﷺ عمُّه حمزةُ، وأبو بكرِ بنُ أبى قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، فى رجالٍ مِن المسلمين، مِمَّن كان أقامَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ، ولم يَخْرُجْ فيمَن خرَج إلى أرضِ الحبشةِ، فَلَقِيَه نُعَيْمُ بنُ عبدِ اللَّهِ فقال: أينَ تُرِيدُ يا عُمَرُ؟ قال: أُرِيدُ محمدًا، هذا الصابئُ الذى فَرَّقَ أمرَ قريشٍ، وسَفَّهَ أحلامَها، وعابَ دينَها، وسَبَّ آلهتَها فأَقْتُلُه. فقال له نُعَيْمٌ: واللَّهِ لقد غرَّتْك نفسُك[3] [4]مِن نفسِك[4] يا عُمَرُ، أَتَرَى بنى عبدِ منافٍ تارِكِيك تَمْشِى على الأَرْضِ وقد قتَلْتَ محمدًا؟! أفلا تَرْجِعُ إلى أهلِ بيتِك فتُقِيمَ أمْرَهم؟ قال:

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

وأىُّ أهلِ بيتى ؟ قال : خَتَنُكَ وابنُ عمِّك سعيدُ بنُ زيدٍ ، وأختُك فاطمةُ ، فقد واللَّهِ أسْلَما وتابَعا محمدًا على دينِه ، فعليك بهما . فرجَع عُمَرُ عامدًا[1] إلى أختِه [2]وخَتَنِه ، وعندَهما[2] خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، معه صحيفةٌ فيها « طه » يُقْرِئُهما[3] إياها ، فلمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فى مَخْدَعٍ لهم - أو فى بعضِ البيتِ - وأخَذَتْ فاطمةُ بنتُ الخَطَّابِ الصحيفةَ ، فجعلَتْها تحتَ فَخِذِها ، وقد سَمِعَ عُمَرُ حينَ دَنَا إلى البابِ قراءةَ خَبَّابٍ عليهما[4] ؛ فلمَّا دخَل قال : ما هذه الهَيْنَمَةُ[5] التى سَمِعْتُ ؟ قالا له : ما سَمِعْتَ شيئًا . قال : بلى ، واللَّهِ لقد أُخْبِرْتُ أنَّكما تابَعْتُما محمدًا على دينِه . وبطَش بخَتَنِه سعيدِ بنِ زيدٍ ، فقامَتْ إليه أختُه فاطمةُ بنتُ الخَطَّابِ لتَكُفَّه عن زوجِها ، فضرَبَها فشَجَّها ، فلمّا فَعَل ذلك قالت له أختُه وخَتَنُه : نَعَمْ قد أَسْلَمْنا وآمنَّا باللَّهِ ورسولِه ، فاصْنَعْ ما بَدَا لك . فلمّا رأَى عُمَرُ ما بأُختِه مِن الدمِ ، نَدِمَ على ما صنَع وارْعَوَى ، وقال لأُختِه : أَعْطِينى [٢/٩٥ظ] هذه الصحيفةَ التى سَمِعْتُكم تَقْرَءُون آنِفًا ، أَنْظُرْ ما هذا الذى جاءَ به محمدٌ . وكان عُمَرُ كاتبًا ، فلمَّا قال ذلك ، قالت له أختُه : إنا نَخْشَاك عليها . قال : لا تَخَافى . وحلَف لها بآلهتِه لَيَرُدَّنَّها إذا قرَأَها إليها ، فلمَّا قال ذلك طَمِعَتْ فى إسلامِه ، فقالت له : يا أخى ، إنَّك نَجِسٌ على شِرْكِك ، وإنه لا يَمَسُّها إلّا الطاهرُ . فقامَ عُمَرُ فاغْتَسَلَ ، فأَعْطَتْه الصحيفةَ وفيها

---

(١) فى الأصل ، م : « عائدا » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « فاطمة وعندها » .

(٣) فى الأصل ، م : « يقرئها » .

(٤) فى الأصل ، م : « عليها » .

(٥) فى الأصل : « الهمهمة » . والهينمة والهمهمة : الصوت الخفى . القاموس المحيط (هـ م م) ، اللسان (هـ ن م) .

« طه » فقرأَها ، فلمَّا قرأ منها صَدْرًا ، قالَ : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأَكْرَمَه ! فلمَّا سَمِعَ ذلك خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، خرَج إليه فقال له : واللَّهِ يا عُمَرُ ، إنِّى لَأَرْجُو أنْ يَكونَ اللَّهُ قد خَصَّك بدعوةِ نبيِّه ﷺ ، فإنِّى سَمِعْتُه أمْسِ وهو يَقولُ : « اللهُمَّ أَيِّدِ الإسلامَ بأَبى الحكَمِ بنِ هِشَامٍ ، أو بعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ » . فاللَّهَ اللَّهَ يا عُمَرُ . فقال عندَ ذلك : فدُلَّنى يا خَبَّابُ على محمدٍ حتى آتِيَه فأُسْلِمَ . فقال له خَبَّابٌ : هو فى بيتٍ عندَ الصَّفَا ، معه فيه نَفَرٌ مِن أصحابِه . فأخَذ عمرُ سيفَه فتَوَشَّحه ، ثُم عمَدَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، فضرَب عليهم البابَ ، فلمَّا سَمِعُوا صوتَه ، قام رجلٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنظَر مِن خَلَلِ البابِ ، (١ فرآه مُتَوَشِّحًا السيفَ ١) فرجَع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فَزِعٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السيفَ . فقال حَمْزةُ : فَأْذَنْ له ، فإنْ كان جاءَ يريدُ خيرًا بذَلْناه ، وإنْ كان جاءَ(٢) يُريدُ شرًّا قتَلْناه بسيفِه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْذَنْ له » . فأَذِنَ له الرجلُ ، ونهَض إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى لَقِيَه فى الحُجْرَةِ ، فأخَذ بحُجْزَتِه(٣) ، أو بمَجْمَعِ ردائِه ، ثُم جبَذَه جبذَةً شَدِيدةً ، فقال : « ما جاءَ بك يا بنَ الخَطَّابِ ؟ فواللَّهِ ما أَرَى أنْ تَنْتَهِىَ حتى يُنْزِلَ اللَّهُ بك قارِعَةً » . فقال عُمَرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جئْتُك لأُومِنَ باللَّهِ ورسولِه وبما جاءَ مِن عندِ اللَّهِ . قال : فكَبَّرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ تَكْبيرةً ، عرَف أهلُ البيتِ أنَّ عُمَرَ قد أسلَمَ ، فتفرَّقَ أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكانِهم ، وقد عَزُّوا فى

(١ - ١) فى الأصل ، م : « فإذا هو بعمر متوشح بالسيف » .

(٢) زيادة من : ص .

(٣) الحجزة : موضع شد الإزار من الوسط . الوسيط (ح ج ز) .

أنفسِهم حينَ أسلَمَ عُمَرُ مع إسلامِ حَمْزَةَ، وعَرَفوا أنهما سيَمْنَعانِ رسولَ اللَّهِ ﷺ، ويَنْتَصِفون بهما مِن عدُوِّهم. قال ابنُ إسحاقَ[1]: فهذا حديثُ الرُّواةِ مِن أهلِ المدينةِ، عن إسلامِ عمرَ حينَ أَسْلَمَ، رَضِيَ اللَّهُ عنه.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ المَكِّىُّ، عن أصحابِه عَطَاءٍ ومُجَاهِدٍ، وعمَّن روَى ذلك، أنَّ إسلامَ عمرَ، فيما تَحَدَّثوا به عنه، أنَّه كان يقولُ: كنتُ للإسلامِ مُباعِدًا، وكنتُ صاحبَ خمرٍ فى الجاهليةِ أُحِبُّها وأَشْرَبُها، وكان لنا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فيه رجالٌ مِن قُرَيشٍ بالحَزْوَرَةِ[3]، فخرَجْتُ ليلةً أُريدُ جُلَسَائى أولئك، فلم أَجِدْ فيه منهم أحدًا، فقلتُ: لو أنِّى جئْتُ فلانًا الخَمَّارَ، لَعَلِّى أَجِدُ عندَه خمرًا فأَشْرَبَ منها. فخَرَجْتُ، فجِئْتُه فلم أَجِدْه. قال: فقُلْتُ: لو أنِّى جئتُ الكعبةَ فطُفْتُ سبعًا أو سَبْعَيْنِ. قال: فجِئْتُ المسجدَ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى، وكان إذا صلَّى استَقْبَلَ الشامَ وجعَل الكعبةَ بينَه وبينَ الشامِ، وكان مُصَلَّاه بينَ الرُّكْنَيْن الأسودِ واليَمَانِىِّ. قال: فقلتُ حينَ رأَيْتُه: واللَّهِ لو أنِّى اسْتَمَعْتُ لمحمدٍ الليلةَ، حتى أَسْمَعَ ما يقولُ. فقلتُ: لَئِن دنَوْتُ منه أَسْتَمِعُ منه لَأُرَوِّعَنَّه. فجِئْتُ مِن قِبَلِ الحِجْرِ، فدخَلْتُ [٢/٩٦و] تحتَ ثيابِها، فجعَلْتُ أَمْشِى رويدًا، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى يَقْرَأُ القرآنَ، حتى قُمْتُ فى قِبْلَتِه مُسْتَقْبِلَه، ما بَيْنى وبينَه إلّا ثيابُ الكعبةِ. قال: فلما سَمِعْتُ القرآنَ رَقَّ له قلبى، وبَكَيْتُ، ودخَلَنى الإسلامُ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٤٦ - ٣٤٨.

(٣) الحزورة: سوق بمكة.

فلم أَزَلْ فى مَكانى قائمًا ، حتى قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاتَه ثُم انصَرَفَ ، وكان إذا انصَرَفَ خرَج على دارِ ابنِ أبى حُسَينٍ - وكان مَسْكَنُه فى الدارِ الرَّقْطَاءِ التى كانت بيدِ معاويةَ - قال عُمَرُ : فتَبِعْتُه ، حتى إذا دخَل بينَ دارِ عباسٍ ودارِ ابنِ أَزْهَرَ أَدْرَكْتُه ، فلما سَمِعَ حِسِّى عرَفَنى ، فظَنَّ أنِّى إنَّما اتَّبَعْتُه لأُوذِيَه ، فنَهَمَنى[1] ثُم قال : ما جاء بك يا بنَ الخَطَّابِ هذه الساعةَ ؟ قال : قُلْتُ : جِئْتُ لِأُومِنَ باللَّهِ وبرسولِه وبما جاءَ مِن عندِ اللَّهِ . قال : فحمِدَ اللَّهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال : « قد هَدَاك اللَّهُ يا عُمَرُ ! » . ثُم مسَح صَدْرِى ودَعَا لى بالثباتِ ، ثُم انصَرَفْتُ ودخَل رسولُ ﷺ بيتَه . قال ابنُ إسحاقَ[2] : فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

قلتُ : وقد استَقْصَيْتُ كيفيةَ إسلامِ عُمَرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، وما ورَد فى ذلك مِن الأَحاديثِ والآثارِ مُطَوَّلًا ، فى أولِ « سيرتِه » التى أَفْرَدْتُها على حِدَةٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثَنى نافعٌ مولَى ابنِ عُمَرَ ، عن ابنِ عُمَرَ قال : لمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قال : أىُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ للحديثِ ؟ فقيلَ له : جَمِيلُ بنُ مَعْمَرٍ الجُمَحِىُّ . فغَدَا عليه . قال عبدُ اللَّهِ : وغدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَه وأَنْظُرُ ما يَفْعَلُ ، وأنا غلامٌ أَعْقِلُ كلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءَهَ فقال له : أَعَلِمْتَ يا جميلُ أنِّى أسلَمْتُ ودخَلْتُ فى دينِ محمدٍ ؟ قال : فواللَّهِ ما راجَعَه حتى قام يَجُرُّ رداءَه ، واتَّبَعَه عُمَرُ ، واتَّبَعْتُ

---

(١) نهمنى : زجرنى .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٨.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٦٤، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٨، ٣٤٩.

أبى ، حتى قامَ على بابِ المسجدِ صرَخ بأعْلى صوتِه : يا معشرَ قريشٍ - وهم فى أندِيَتِهم حولَ الكعبةِ - ألَا إنَّ ابنَ الخطابِ قد صَبَأَ . قال : يَقولُ عمرُ مِن خَلْفِه : كذَب ، ولكنِّى قد أسلَمْتُ ، وشَهِدْتُ أنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . وثارُوا إليه ، فما بَرِحَ يُقَاتِلُهم ويُقاتِلُونه ، حتى قامَتِ الشمسُ على رُءُوسِهم . قال : وطَلَحَ[1] فقعَد ، وقاموا على رأسِه وهو يَقولُ : افْعَلُوا ما بَدَا لكم ، فأَحْلِفُ باللَّهِ أنْ لو قد كنَّا ثَلاثَمِائةِ رجلٍ ، لقد ترَكْناها لكم أو تركْتُمُوها لنا . قال : فبينَما هم على ذلك ، إذْ أَقْبَلَ شيخٌ مِن قريشٍ ، عليه حُلَّةٌ حِبَرَةٌ[2] وقميصٌ مُوَشًّى ، حتى وقَف عليهم فقال : ما شأْنُكم ؟ فقالوا : صَبَأَ عُمَرُ . قال : فَمَهْ ! رجلٌ اختارَ لنفسِه أمرًا ، فماذا تُريدونَ ؟ أَتَرَوْنَ بنى عَدِىٍّ يُسْلِمُون لكم صاحبَهم هكذا ؟! خَلُّوا عن الرجلِ . قال : فواللَّهِ لكأَنَّما كانوا ثوبًا كُشِطَ عنه . قال : فقلتُ لأبى بعدَ أنْ هاجَرَ إلى المدينةِ : يا أَبَتِ ، مَن الرجلُ الذى زجَر القومَ عنك بمكةَ يومَ أَسْلَمْتَ وهم يُقَاتِلُونَك ؟ قال : ذاك ، أى بُنَىَّ ، العاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمِىُّ . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ ، [3]وهو يَدُلُّ على تَأَخُّرِ إسلامِ عُمَرَ[3] ؛ لأَنَّ ابنَ عُمَرَ عُرِضَ يومَ أُحُدٍ وهو ابنُ أربعَ عَشْرَةَ سنةً ، وكانت أُحُدٌ فى سنةِ ثَلاثٍ مِن الهجرةِ ، وقد كان مُمَيِّزًا يومَ أَسْلَمَ أبوه ، فيَكونُ إسلامُه قبلَ الهجرةِ بنحوٍ مِن أربعِ سنينَ ، وذلك بعدَ البِعْثَةِ [٢/٩٦ظ] بنحوٍ مِن تِسْعِ سنينَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) طلح : تعب .

(٢) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

وقال البَيْهَقِيُّ[1] : حدَّثَنا الحاكمُ، أخبرَنا الأَصَمُّ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجَبّارِ، حدَّثَنا يُونُسُ، عن ابنِ إسحاقَ قال: ثُم قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ عشرون رجلًا وهو بمكةَ - أو قريبٌ مِن ذلك - مِن النَّصارَى، حينَ ظَهَرَ خَبَرُه، مِن أرضِ الحَبَشَةِ، فوجَدُوه فى المجلسِ، فكلَّموه وساءَلوه[2]، ورجالٌ مِن قريشٍ فى أندِيَتِهم حولَ الكعبةِ، [3]فلمَّا فَرَغوا مِن مُساءَلَتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ عمَّا أَرَادوا، دَعاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ[3]، وتَلَا عليهم القرآنَ، فلَمَّا سَمِعُوا، فاضَتْ أَعْيُنُهم مِن الدمعِ، ثُم اسْتَجابوا له، وآمَنوا به وصَدَّقُوه، وعرَفوا منه ما كانَ يُوصَفُ لهم فى كتابِهم مِن أمرِه، فلمَّا قَامُوا مِن عندِه، اعْتَرَضَهم أبو جَهْلٍ فى نَفَرٍ مِن قريشٍ، فقالوا: خَيَّبَكُم اللَّهُ مِن رَكْبٍ، بعَثَكم مَن وراءَكم مِن أهلِ دينِكم تَرْتادونَ لهم فتَأْتُونَهم بخبرِ الرجُلِ، فلم تَطْمَئِنَّ مَجالِسُكم عندَه حتى فارقْتُم دينَكم وصدَّقْتُموه بما قال لكم، ما نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنكم. أو كما قالوا، فقالوا لهم: سلامٌ عليكم، لا نُجَاهِلُكم، لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم، لا نَأْلُو أنفسَنا خيرًا. فيُقالُ: إنَّ النَّفَرَ مِن نَصارى نَجْرانَ. واللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كانَ. ويُقالُ - واللَّهُ أعلمُ -: إنَّ فيهم نزَلَتْ هؤلاء الآياتُ[4]: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٦.

(٢) فى م: «سألوه».

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) التفسير ٦/٢٥٣ - ٢٥٥.

وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٢- ٥٥].

فصـــل

قال البَيْهَقِيُّ فى «الدَّلَائِلِ»[1] : بابُ ما جاءَ فى كِتابِ النبىِّ ﷺ إلى النَّجَاشِىِّ . ثُمَّ رَوَى عن الحاكِمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أَحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ ، عن يونسَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : هذا كِتابٌ مِن النَّبِىِّ[2] ﷺ إلى النَّجَاشِىِّ : [3]«بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ ، هذا كِتَابٌ مِنْ محمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إلى النَّجاشِىِّ[3][4] الأَصْحَمِ عَظِيمِ الحَبَشَةِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، وآمَنَ باللَّهِ ورَسُولِه ، وَشَهِدَ أن لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له ، لم يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ ، فإِنِّى أنَا رَسُولُهُ ، فأَسْلِمْ تَسْلَمْ ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آلِ عمران : ٦٤] . فإنْ أبَيْتَ ، فَعَلَيْكَ إثْمُ النَّصَارَى مِنْ قَوْمِكَ» .

هكذا ذَكَرَه البَيْهَقِيُّ بعدَ قصَّةِ هِجْرَةِ الحَبَشَةِ . وفى ذِكْرِه هـٰهنا نَظَرٌ ؛ فإنَّ الظاهِرَ أنَّ هذا الكتابَ إنما هو إلى النَّجاشِىِّ الذى كان بَعْدَ المُسْلِمِ صاحِبِ جعفرٍ وأصحابِه ، وذلك حين كَتَب إلى مُلُوكِ الأرضِ يَدْعُوهم إلى اللَّهِ ، عزَّ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٨.

(٢) بعده فى الدلائل : «محمد» .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

وجلَّ، قُبَيْلَ الفَتْحِ، كما كَتَب إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّومِ قَيْصَرِ الشامِ، وإلى كِسْرَى [٢/٩٧و] مَلِكِ الفُرسِ، وإلى صاحِبِ مِصْرَ، وإلى النَّجاشِيِّ.

قال الزُّهْرِيُّ: كانت كُتُبُ النَّبِيِّ ﷺ إليهم واحدةً. يعنى نُسخَةً واحدةً، وكلُّها فيها هذه الآيةُ، وهى مِن سورةِ «آلِ عِمْرانَ»، وهى مَدَنِيَّةٌ بلا خِلافٍ، فإنَّه مِن صَدْرِ السُّورةِ، وقد نَزَلَ ثلاثٌ وثَمانُون آيةً مِن أوَّلِها فى وَفْدِ نَجْرانَ، كما قَرَّرْنا ذلك فى «التفسيرِ»[1]، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ. فهذا الكتابُ إلى الثَّانى، لا إلى الأوَّلِ، وقولُه فيه: «إلى النَّجاشِيِّ الأصْحَمِ». لعلَّ «الأصْحَمَ» مُقْحَمٌ مِن الرَّاوِى بحَسَبِ ما فَهِم. واللَّهُ أعلمُ.

وأنْسَبُ مِن هذا هـٰهنا ما ذَكَرَه البَيْهَقِيُّ أيضًا[2]، عن الحاكِمِ، عن أبى الحسنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الفَقِيهِ، بمَرْوٍ: حَدَّثَنا حمَّادُ بنُ أحمدَ، حَدَّثنا محمدُ ابنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثنا سَلَمَةُ بنُ الفَضْلِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال: بَعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَمْرَو بنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إلى النَّجاشِيِّ فى شأنِ جعفرِ بنِ أبى طالِبٍ وأصحابِه، وكتب معه كتابًا: «بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إلى النَّجَاشِيِّ الأصْحَمِ مَلِكِ الحَبَشَةِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فإنِّى أحْمَدُ إلَيْكَ اللَّهَ المَلِكَ القُدُّوسَ المُؤْمِنَ المُهَيْمِنَ، وأشْهَدُ أنَّ عِيسَى[3] رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقاها إلى مَرْيَمَ البَتُولِ الطَّيِّبَةِ الحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ ونَفَخَهُ، كما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وَإِنِّى أدْعُوكَ إلى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، والمُوَالَاةِ

---

(١) التفسير ٢/ ٤٦.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٣) بعده فى الدلائل: «ابن مريم».

عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِى فَتُؤْمِنَ بى وَبِالَّذِى جَاءَنِى ؛ فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيكُم ابْنَ عَمِّى جَعْفَرًا ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا جَاءُوكَ فاقْرِهم وَدَعِ التَّجَبُّرَ ، فإِنِّى أَدْعُوكَ وجُنُودَكَ إلى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِى ، والسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى » . فكَتَب النَّجاشِىُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ : بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرحيمِ ، إلى محمدٍ رسولِ اللَّهِ ، مِن النَّجاشِىِّ الأَصْحَمِ بنِ أَبْجَرَ : سلامٌ عليك ، يا نبىَّ اللَّهِ مِن اللَّهِ ، ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، لا إلهَ إلَّا هو ، الذى هَدانى إلى الإسلامِ ، فقد بَلَغَنِى كتابُك يا رسولَ اللَّهِ ، فيما ذَكَرْتَ مِن أمرِ عيسى ، فوربِّ السماءِ والأَرضِ ، إنَّ عيسى ما يَزِيدُ على ما ذَكَرْتَ ، وقد عَرَفْنا ما بَعَثْتَ به إلينا وقد قَرَيْنا ابنَ عَمِّكَ وأصحابَه ، فأَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ صادِقًا مُصَدَّقًا ، وقد بايَعْتُك ، وبايعتُ ابنَ عَمِّك ، وأَسْلَمْتُ على يَدَيْه للَّهِ ربِّ العالمين ، وقد بَعَثْتُ إليك ، يا نبىَّ اللَّهِ ، بأريحا بنِ الأَصْحَمِ بنِ أَبْجَرَ ، فإِنِّى لا أملِكُ إلَّا نَفْسِى ، وإنْ شِئْتَ أن آتِيَك ، فَعَلْتُ يا رسولَ اللَّهِ ، فإِنِّى أَشْهَدُ أنَّ ما تقولُ حَقٌّ .

فصل

فى ذِكْرِ مُخالَفَةِ قَبائِلِ قُرَيْشٍ بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ فى نَصْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتَحالُفِهم فيما بينَهم عليهم ، على أن لا يُبايِعُوهم ولا يُناكِحُوهم ، حتى يُسَلِّمُوا إليهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وحَصْرِهم إيَّاهم فى شِعْبِ أبى طالبٍ مُدَّةً طويلةً ، وكتابَتِهم بذلك صَحِيفَةً ظالمةً فاجِرةً ، وما ظَهَرَ فى ذلك كُلِّه مِن آياتِ النُّبوَّةِ ودلائلِ الصِّدقِ .

قال موسى بنُ عُقْبَةَ[1] ، عن الزُّهْرِىِّ : ثُمَّ إنَّ المُشرِكِين اشْتَدُّوا على

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٣١١ - ٣١٤. من طريق موسى بن عقبة به .

المُسلِمِين كأشَدِّ ما كانوا، حتى بَلَغ المُسلِمِين الجَهْدُ، واشْتَدَّ عليهم البَلاءُ، [٢/ ٩٧ظ] واجْتَمَعَتْ قريشٌ فى مَكْرِها أن يَقْتُلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَةً، فلمَّا رأى أبو طالبٍ عَمَلَ القومِ، جَمَعَ بنى عبدِ المُطَّلِبِ وأمَرَهم أن يُدْخِلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ شِعْبَهم، وأمَرَهم أن يَمْنَعُوه ممن أرادُوا قَتْلَه، فاجْتَمَعُوا على ذلك، مُسْلِمُهم وكافِرُهم، فمنهم مَن فَعَلَه حَمِيَّةً، ومنهم مَن فَعَلَه إيمانًا ويقينًا، فلمَّا عَرَفَتْ قُرَيشٌ أنَّ القومَ قد مَنَعُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، وأجْمَعُوا على ذلك، اجْتَمَعَ المُشركون مِن قُرَيشٍ، فأجْمَعُوا أمْرَهم أن لا يُجالِسُوهم، ولا يُبايِعُوهم، ولا يَدْخُلُوا بُيُوتَهم، حتى يُسَلِّمُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ للقَتْلِ، وكَتَبُوا فى مَكْرِهم صَحِيفةً وعُهُودًا ومَواثِيقَ؛ لا يَقْبَلُوا مِن بنى هاشمٍ أبَدًا صُلْحًا، ولا تَأْخُذُهم بهم رَأْفَةٌ، حتى يُسْلِمُوه للقتْلِ. فلَبِثَ بنو هاشمٍ فى شِعْبِهم ثلاثَ سِنِين، واشْتَدَّ عليهم البَلاءُ والجَهْدُ، وقَطَعُوا عنهم الأَسْواقَ، فلا يَتْرُكُوا لهم طعامًا يَقْدَمُ مكَّةَ ولا بَيْعًا إلَّا بادَرُوهم إليه فاشْتَرَوْه؛ يُرِيدُون بذلك أن يُدرِكُوا سَفْكَ دمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان أبو طالبٍ إذا أخَذ النَّاسُ مَضاجِعَهم، أمَر رسولَ اللَّهِ ﷺ فاضْطَجَع على فِراشِه؛ حتى يَرَى ذلك مَن أرادَ به مَكْرًا واغتِيالًا له، فإذا نَوَّمَ النَّاسُ، أمَرَ أحَدَ بَنِيه أو إخْوَتِه أو بنى عمِّه، فاضْطَجَع على فِراشِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأمَر رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يَأْتِىَ بعضَ فُرُشِهم فيَنامَ عليه، فلمَّا كان رأسُ ثلاثِ سِنِينَ، تَلاوَمَ رجالٌ مِن بنى عبدِ مَنافٍ ومِن قُصَىٍّ، ورجالٌ مِن سِواهم مِن قُرَيْشٍ قد وَلَدَتْهم نساءٌ مِن بنى هاشمٍ، ورَأَوْا أنَّهم قد قَطَعُوا الرَّحِمَ واسْتَخَفُّوا بالحقِّ، واجْتَمَعَ أمْرُهم مِن لَيْلَتِهم على نَقْضِ ما تَعاهَدُوا عليه مِن

الغَدْرِ والبَراءَةِ منه، وبَعَث اللَّهُ على صَحِيفَتِهم الأَرَضَةَ[1]، فلَحَسَتْ كُلَّ ما كان فيها مِن عَهْدٍ ومِيثاقٍ، ويُقالُ: كانتْ مُعَلَّقَةً فى سقفِ البيتِ، فلم تَتْرُكِ اسمًا للَّهِ فيها إلَّا لَحَسَتْه، وبَقِى ما كان فيها مِن شِرْكٍ وظُلْمٍ وقَطِيعَةِ رَحِمٍ، وأَطْلَعَ اللَّهُ، عَزَّ وجلَّ، رسولَه على الذى صَنَع بصَحِيفَتِهم، فذَكَر ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَبى طالِبٍ، فقال أبو طالبٍ: لا والثَّواقِبِ[2]، ما كَذَبَنِى. فانْطَلَق يَمْشِى بعِصابَتِه مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ، حتى أتى المسجدَ وهو حافِلٌ مِن قُرَيشٍ، فلمَّا رَأَوْهم عامِدِين لجماعَتِهم، أنْكَرُوا ذلك، وظَنُّوا أنهم خَرَجُوا مِن شِدَّةِ البلاءِ فأتَوْهم ليُعْطُوهم رسولَ اللَّهِ ﷺ، فتَكَلَّمَ أبو طالبٍ فقال: قد حَدَثَتْ أمورٌ[3] بينَكم لم نَذْكُرْها لكم، فَأْتُوا بصَحِيفَتِكم التى تَعاهَدْتم عليها، فلَعَلَّه أنْ يكونَ بينَنا وبينَكم صُلْحٌ. وإنما قال ذلك، خَشْيَةَ أن يَنْظُرُوا فى الصَّحِيفَةِ قبلَ أن يَأْتُوا بها، فأَتَوْا بصحيفتِهم مُعْجَبِين بها، لا يَشُكُّون أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَدْفُوعٌ إليهم، فوَضَعُوها بينَهم، وقالوا: قد آن لكم أن تَقْبَلُوا وتَرْجِعُوا إلى أمرٍ يَجْمَعُ قومَكم، فإنَّما قَطَع بينَنا وبينَكم رجلٌ واحدٌ، جَعَلْتُمُوه خطرًا لهَلَكَةِ قومِكم وعَشِيرَتِكم وفَسادِهم. فقال أبو طالبٍ: إنَّما أتَيْتُكم لأُعْطِيَكُم أمرًا [٢/ ٩٨و] لكم فيه نَصَفٌ؛ إنَّ ابنَ أخى قد أخْبَرَنى، ولم يَكْذِبْنى، أنَّ اللَّهَ بَرِىءٌ مِن هذه الصحيفةِ التى فى أيدِيكم، ومَحَا كُلَّ اسمٍ هو له فيها، وتَرَك فيها غَدْرَكم وقَطِيعَتَكم إيَّانا، وتَظاهُرَكم علينا بالظُّلمِ، فإن كان الحديثُ الذى قال ابنُ أخى

---

(١) الأرضة: حشرة بيضاء مصفرة تشبه النملة، تعيش فى مستعمرات كبيرة، وتأكل الخشب ونحوه. الوسيط (أ ر ض).

(٢) الثواقب: جمع ثاقب، وهو النجم المرتفع على النجوم.

(٣) بعده فى الأصل: «بيننا و».

كما قال ، فأَفِيقُوا ، فواللَّهِ لا نُسْلِمُه أبدًا[1] حتى نَمُوتَ مِن عندِ آخِرِنا ، وإن كان الذى قال باطلًا ، دَفَعْناه إليكم ، فقَتَلْتُمُوه أو اسْتَحْيَيْتُم . قالوا : قد رَضِينا بالذى تقولُ . ففَتَحُوا الصَّحِيفَةَ ، فوَجَدُوا الصَّادِقَ المَصْدوقَ ﷺ قد أَخْبَرَ خَبَرَها ، فلمَّا رَأَتْها قُرَيشٌ كالذى قال أبو طالبٍ ، قالوا : واللَّهِ إن كان هذا قَطُّ إلَّا سِحْرٌ مِن صاحِبِكم . فارْتَكَسُوا ، وعادُوا بِشَرٍّ ما كانوا عليه مِن كُفْرِهم ، والشِّدَّةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعلى رَهْطِه ، والقِيامِ بما تَعاهَدُوا عليه ، فقال أولئك النَّفَرُ مِن بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ : إنَّ أَوْلَى بالكَذِبِ والسِّحْرِ غيرُنا ، فكيف تَرَوْن ، فإنَّا نعلمُ أنَّ الذى اجْتَمَعْتُم عليه مِن قَطِيعَتِنا ، أقْرَبُ إلى الجِبْتِ والسِّحْرِ مِن أمْرِنا ، ولولا أنَّكم اجْتَمَعْتُم على السِّحْرِ ، لم تَفْسُدْ صَحِيفَتُكم ، وهى فى أيْدِيكم ؛ طَمَسَ اللَّهُ[2] ما كان فيها مِن اسمِه[3] ، وما كان فيها مِن بَغْيٍ تَرَكَه ، أفنحنُ السَّحَرَةُ أم أنتم ؟! فقال عندَ ذلك النَّفَرُ مِن بنى عبدِ منافٍ ، وبنى قُصَيٍّ ، ورجالٌ مِن قُرَيشٍ وَلَدَتْهم نساءٌ مِن بنى هاشمٍ ؛ منهم أبو البَخْتَرِىِّ ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ ، وزُهَيْرُ بنُ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، وهشامُ بنُ عَمْرٍو ، وكانت الصحيفةُ عندَه ، وهو مِن بنى عامِرِ بنِ لُؤَىٍّ ، فى رجالٍ مِن أَشْرَافِهم ووُجُوهِهم : نحنُ بُرَآءُ ممَّا فى هذه الصَّحِيفَةِ . فقال أبو جَهْلٍ ، لَعَنَه اللَّهُ : هذا أمرٌ قُضِىَ بلَيْلٍ . وأنْشَأَ أبو طالبٍ يقولُ الشِّعْرَ فى شأنِ صَحِيفَتِهم ، ويَمْتَدِحُ النَّفَرَ الذين تَبَرَّءُوا منها ونَقَضُوا ما كان فيها مِن عَهْدٍ ، ويَمْتَدِحُ النَّجاشِىَّ .

---

(١) فى الأصل : « أحدا » .

(٢) ليست فى النسخ ، وأثبتناها من الدلائل ليظهر المعنى .

(٣) فى الدلائل : « اسم » .

قال البَيْهَقِيُّ[1] : وهكذا رَوَى شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافِظُ . يَعْنِى مِن طريقِ عن[2] ابنِ لَهِيعَةَ ، عن أبى الأَسْوَدِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ . يَعْنِى كسِياقِ موسى ابنِ عُقْبَةَ ، رَحِمَه اللَّهُ . وقد تَقَدَّم[3] عن موسى بنِ عُقْبَةَ أنَّه قال : إنَّما كانتْ هِجْرَةُ الحَبَشَةِ بعدَ دُخُولِهم إلى الشِّعْبِ ، عن أمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لهم فى ذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : والأَشْبَهُ أَنَّ أبا طالبٍ إنَّما قال قَصِيدَتَه اللَّامِيَّةَ ، التى قَدَّمْنَا ذِكْرَها[4] ، بعدَ دُخُولِهم الشِّعْبَ أيضًا ، فذِكْرُها هـٰهنا أنْسَبُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُمَّ رَوَى البَيْهَقِيُّ[5] من طريقِ يونسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : فلمَّا مَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على الذى بُعِث به ، [6]وقامَتْ بنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ دونَه ، وأبَوْا أن يُسْلِمُوه ، وهم مِن خِلافِه على مِثْلِ ما قَوْمُهم عليه ، إلَّا أنَّهم أنِفوا[7] أن يُسْتَذَلُّوا ويُسْلِمُوا أخاهم [8]لِمَا قارَفَه[8] مِن قومِه ، فلمَّا فَعَلَتْ ذلك بنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ ، وعَرَفَتْ قُرَيشٌ أن لا سَبِيلَ إلى محمدٍ[9] ، اجْتَمَعُوا على أن[6] يَكْتُبُوا فيما بينَهم على بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ ؛ أن لا يُناكِحُوهم ولا يَنْكِحُوا إليهم ، ولا يُبايِعُوهم ولا يَبْتاعُوا منهم ، وكَتَبُوا صَحِيفَةً فى ذلك ،

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣١٤.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تقدم فى صفحة ١٦٨ .

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ١٣٥ - ١٤٢ .

(٥) دلائل النبوة ٢/٣١٤ ، ٣١٥.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى م : « اتقوا » . والمثبت موافق لما فى الدلائل .

(٨ - ٨) فى ص : « لما فارقه » . وفى الدلائل : « لمن فارقه » .

(٩) بعده فى الدلائل : « معهم » .

وعَلَّقُوها بالكعبةِ، ثُمَّ عَدَوْا على مَن أسْلَم فأوْثَقُوهم وآذَوْهم، واشْتَدَّ البَلاءُ عليهم، وعَظُمَتِ الفِتنةُ، وزُلْزِلُوا زِلزالًا شديدًا. ثُمَّ ذَكَرَ القِصَّةَ بطُولِها فى دُخُولِهم شِعْبَ أبى طالِبٍ، وما بَلَغُوا فيه مِن فِتنةِ الجَهْدِ الشديدِ، حتى كان [٢/٩٨ظ] يُسْمَعُ أصْواتُ صِبْيانِهم يَتَضاغَوْن[1] مِن وراءِ الشِّعْبِ؛ مِن الجُوعِ، حتى كَرِه عامَّةُ قُرَيشٍ ما أصابَهم، وأظْهَرُوا كَراهِيَتَهم لصَحِيفَتِهم الظّالِمَةِ، وذَكَرَ أنَّ اللَّهَ برَحْمَتِه أرْسَلَ على صحيفةِ قُرَيشٍ الأَرَضَةَ، فلم تَدَعْ فيها اسمًا هو للَّهِ إلَّا أكَلَتْه، وبَقِى فيها الظُّلْمُ والقَطِيعَةُ والبُهْتانُ، فأخْبَرَ اللَّهُ تعالى بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ، فأخْبَرَ بذلك عَمَّه أبا طالِبٍ، ثُمَّ ذَكَر بقيَّةَ القصَّةِ كرِوايَةِ موسى بنِ عُقْبَةَ وأتَمَّ.

وقال ابنُ هشامٍ[2]، عن زِيادٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ: فلمَّا رَأَتْ قُرَيشٌ أنَّ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد نَزَلُوا بَلَدًا أصَابُوا منه أمْنًا وقَرارًا، وأنَّ النَّجاشِىَّ قد مَنَع مَن لَجَأَ إليه منهم، وأنَّ عُمَرَ قد أسْلَم، فكان هو وحَمْزَةُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه، وجَعَل الإسلامُ يَفْشُو فى القَبائِلِ، اجْتَمَعُوا وأْتَمَرُوا أن يَكْتُبُوا كِتابًا يَتَعاقَدُون فيه على بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ؛ على أن لا يَنْكِحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم، ولا يَبِيعُوهم شيئًا ولا يَبْتاعُوا منهم، فلمَّا اجْتَمَعُوا لذلك كتَبُوا فى صَحِيفَةٍ، ثُمَّ تَعاهَدُوا وتَواثَقُوا على ذلك، ثُمَّ عَلَّقُوا الصحيفةَ فى جَوْفِ الكعبةِ؛ تَوْكِيدًا على أنْفُسِهم، وكان كاتِبُ الصحيفةِ منصورَ بنَ عِكْرِمَةَ بنِ عامِرِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدَّارِ بنِ قُصَىٍّ - قال ابنُ هِشَامٍ[2]:

---

(١) يتضاغون: يصيحون من الجوع أو الألم.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٠.

ويُقالُ : النَّضْرُ بنُ الحارِثِ - فدَعا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فشُلَّ بعضُ أصابِعِه . وقال الواقِدِيُّ : كان الذى كَتَب الصَّحِيفَةَ طَلْحَةَ بنَ أبى طلحةَ العَبْدَرِيَّ[1] .

قلتُ : والمشهورُ أنَّه منصورُ بنُ عِكْرِمَةَ ، كما ذَكَرَه ابنُ إسحاقَ ، وهو الذى شَلَّتْ يَدُه ، فما كان يَنْتَفِعُ بها ، وكانت قُرَيشٌ تَقولُ بينَها : انْظُرُوا إلى منصورِ بنِ عِكْرِمَةَ . قال الواقِدِيُّ[2] : وكانتِ الصَّحِيفَةُ مُعَلَّقَةً فى جَوْفِ الكعبةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا فَعَلَتْ ذلك قريشٌ ، انْحازَتْ بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبِ إلى أبى طالبٍ ، فدَخَلُوا معه فى شِعْبِه ، واجْتَمَعُوا إليه ، وخَرَج مِن بنى هاشِمٍ أبو لَهَبٍ عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ إلى قُرَيشٍ ، فظاهَرَهم . وحَدَّثَنِى[4] حُسينُ[5] بنُ عبدِ اللَّهِ أنَّ أبا لَهَبٍ لَقِى هندَ بنتَ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ ، حين فارَقَ قومَه وظاهَرَ عليهم قُرَيشًا ، فقال : يا بنةَ عُتْبَةَ ، هل نَصَرْتُ اللَّاتَ والعُزَّى ، وفارَقْتُ مَن فارَقَها وظاهَرَ عليها ؟ قالتْ : نعم ، فجزاك اللَّهُ خيرًا يا أبا عُتْبَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحُدِّثْتُ أنَّه كان يقولُ ، فى بعضِ ما يقولُ : يَعِدُنى محمدٌ أشياءَ لا أراها ، يَزْعُمُ أنَّها كائِنَةٌ بعدَ الموتِ ، فماذا وَضَع فى يدِى بعدَ

---

(١) فى م : « العبدوى » . وفى ص : « العبدونى » . والذى فى طبقات ابن سعد عن الواقدى : « منصور ابن عكرمة العبدرى » كما سيأتى . طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٩.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥١.

(٤) القائل ابن إسحاق .

(٥) فى ص : « خنيس » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥١.

ذلك . ثُمَّ يَنْفُخُ فى يَدَيْه فيقولُ : تَبًّا لكما ،لا أرَى فيكما شيئًا ممَّا يقولُ محمدٌ . فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا اجْتَمَعَتْ على ذلك قُرَيشٌ ، وصَنَعُوا فيه الذى صَنَعُوا ، قال أبو طالِبٍ :

[٢/٩٩و] أَلَا أبْلِغا[2] عَنِّى [3]على ذاتِ بَيْنِنا[3] لُؤَيًّا وخُصًّا مِنْ لُؤَىٍّ بنى كَعْبِ
ألم تَعْلَمُوا أنَّا وَجَدْنَا محمدًا نَبِيًّا كموسى خُطَّ فى أوَّلِ الكُتْبِ
وأنَّ عليه فى العِبادِ مَحَبَّةً ولا خيرَ مِمَّن خَصَّهُ اللَّهُ بالحُبِّ
وأنَّ الذى أَلْصَقْتُمُ[4] مِن كِتابِكُمْ لكم كائنٌ نَحْسًا كرَاغِيَةِ السَّقْبِ[5]
أَفِيقُوا أفيقُوا قَبْلَ أنْ يُحْفَرَ الثَّرَى ويُصبِحَ مَنْ لم يَجْنِ ذَنْبًا كذِى الذَّنْبِ
ولا تَتْبَعُوا أمْرَ الوُشاةِ وتَقْطَعُوا أواصِرَنا[6] بَعْدَ المَوَدَّةِ والقُرْبِ
وتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوانًا[7] ورُبَّما أَمَرَّ على مَنْ ذاقَهُ حَلَبُ[8] الحَرْبِ
فلسنا ورَبِّ البيتِ نُسْلِمُ أحمدًا لِعَزَّاءَ[9] مِن عَضِّ الزَّمانِ ولا كَرْبِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٢، ٣٥٣.
(٢) فى الأصل : « بلغا » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « قريشا وبيتنا » .
(٤) فى الأصل ، ص : « لصقتم » .
(٥) فى الأصل ، ص : « كراعية » . والراغية : من الرُّغاء ، وهو صوت الإبل . والسَّقْب : ولدُ الناقةِ الذَّكَرُ ساعةَ يُولد . ويُشير هنا إلى ناقة صالح عليه السلام .
(٦) فى الأصل : عناصرنا .
(٧) الحرب العوان : التى قُوتِل فيها مرَّةً بعد أُخرى .
(٨) فى الأصل : « حلت » . وفى السيرة : « جلب » . وحلب الحرب : وبالها .
(٩) العَزَّاء : السَّنَة الشديدة .

ولَمَّا تَبِنْ مِنَّا ومنكُم سَوالِفٌ[1] وأيْدٍ أُتِرّتْ[2] بالقُسَاسِيَّةِ[3] الشُّهْبِ

بمُعْتَرَكٍ[4] ضَيْقٍ تَرَى كِسَرَ القَنَا به والنُّسُورَ الطُّخْمَ[5] يَعْكُفْنَ[6] كالشَّرْبِ[7]

كأنّ مُجالَ[8] الخَيْلِ فى حَجَراتِهِ[9] ومَعْمَعَةَ الأَبطالِ[10] مَعْرَكةُ الحَرْبِ

أليس أبُونا هاشِمٌ شَدَّ أزْرَهُ وأوْصَى بَنِيهِ بالطِّعانِ وبالضَّرْبِ

ولَسْنَا نَمَلُّ الحربَ حتى تَمَلَّنا ولا نَشْتَكِى ما قد[11] يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ[12]

ولَكِنَّنا أهلُ الحَفائِظِ والنُّهَى[13] إذا طارَ أرواحُ الكُماةِ[14] مِنَ الرُّعْبِ

قال ابنُ إسحاقَ[15] : فأقامُوا على ذلك سنتَيْنِ أو ثلاثًا ، حتى جَهِدُوا ولم يَصِلْ إليهم شىءٌ إلَّا سِرًّا ، مُسْتَخْفِيًا به مَن أراد صِلَتَهم مِن قُرَيشٍ ، وقد كان أبو جهلِ بنُ هشامٍ - فيما يَذْكُرُون - لَقِى حَكِيمَ بنَ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ معه

---

(١) تبن : تنفصل . وسوالف : جمع سالفة ، وهى جانب العنق .

(٢) فى الأصل : « تبارت » . وأُتِرّت : قُطِّعَتْ .

(٣) فى ص : « بالغشامية » . والقُساسِيَّة الشهب : يعنى بها السيوف ، نسبة إلى قُساس ، وهو معدن حديد لبنى أسد ، وقيل : اسم للجبل الذى فيه المعدن .

(٤) فى ص : « بمعتزل » .

(٥) الطُّخْم : سُود الرءوس .

(٦) فى الأصل : « يكفن » . وفى ص : « يعطفن » .

(٧) فى ص : « كالفرب » . والشرب : الشاربون .

(٨) فى الأصل : « أمجال » . وفى ص : « يحال » . ومجال الخيل : إجالة الفرسان إياها .

(٩) الحَجَرَات : أنحاء المكان .

(١٠) معمعة الأبطال : صوت الأبطال فى الحرب .

(١١) سقط من : الأصل ، ص .

(١٢) النَّكْب : المصيبة.

(١٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الحمية والغضب . والنهى : العقول .

(١٤) الكماة : جمع كَمِىّ ، وهو من يستر نفسه بالدرع والبيضة .

(١٥) سيرة ابن هشام ١/٣٥٣، ٣٥٤.

غُلامٌ يَحْمِلُ قَمحًا، يُرِيدُ به عَمَّتَه خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ، وهى عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومعه فى الشِّعْبِ، فتَعَلَّقَ به وقال: أتَذْهَبُ بالطَّعامِ إلى بنى هاشِمٍ؟! واللَّهِ لا تَذهَبُ أنت وطعامُك حتى أفْضَحَكَ بمكَّةَ. فجاءَه أبو البَخْتَرِىِّ بنُ هِشامِ[1] بنِ الحارِثِ بنِ أَسَدٍ، فقال: ما لك وله؟ فقال: يَحْمِلُ الطعامَ إلى بنى هاشمٍ. فقال له أبو البَخْتَرِىِّ: طَعَامٌ كان لعَمَّتِه عِندَه، بَعَثَتْ إليه، أَتَمْنَعُه أنْ يَأْتِيَها بطَعامِها؟! خَلِّ سَبِيلَ الرَّجُلِ. قال: فأبى أبو جهلٍ، لَعَنَه اللَّهُ، [2]حتى نال أحَدُهما مِن صاحِبِه[2]، فأخَذ له أبو البَخْتَرِىِّ لَحْىَ بعيرٍ، فضَرَبَه به فشَجَّه، ووَطِئَه وَطْئًا شديدًا، وحمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ قريبٌ يَرَى ذلك، وهم يَكْرَهُون أن يَبْلُغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ، وأصحابَه، فيَشْمَتُوا بهم، ورسولُ اللَّهِ ﷺ على ذلك يَدْعُو قومَه ليلًا ونهارًا، وسِرًّا وجِهارًا، مُنادِيًا بأمرِ اللَّهِ تعالى، لا يَتَّقِى فيه أحدًا مِن النّاسِ، فجَعَلَتْ قُرَيشٌ - حينَ مَنَعَه اللَّهُ منها، وقام عَمُّه وقومُه مِن بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ دُونَه، وحالُوا بينَهم وبينَ ما أرادُوا مِن البَطْشِ به - يَهْمِزُونَه ويَسْتَهْزِئُون به ويُخاصِمُونه، [٢/٩٩ظ] وجَعَلَ القُرآنُ يَنْزِلُ فى قُرَيشٍ بأحْداثِهم، وفيمَن نَصَب لعَداوَتِه، منهم مَن سَمَّى لنا، ومنهم مَن نَزَلَ فيه[3] القرآنُ فى عامَّةِ مَن ذَكَر اللَّهُ مِن الكُفّارِ. فذَكَرَ ابنُ إسحاقَ[4] أبا لَهَبٍ ونُزُولَ السُّورةِ فيه، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ[5] ونُزُولَ قولِه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ

---

(١) فى السيرة: «هاشم».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سقط من: م.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٤، ٣٥٥. وانظر التفسير ٨/ ٥٣٤ - ٥٣٧.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٦. وانظر التفسير ٨/ ٥٠١، ٥٠٢.

هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١]، السورةِ بكَمالِها فيه، والعاصَ بنَ وائِلٍ[(١)] ونُزُولَ قولِه تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] فيه، وقد تَقَدَّم[(٢)] شيءٌ مِن ذلك، وأبا جَهْلِ بنَ هشامٍ[(٣)]، وقولَه للنَّبيِّ ﷺ: لَتَتْرُكَنَّ سَبَّ آلِهَتِنا أو لَنَسُبَّنَّ إلَهَكَ[(٤)]. ونُزُولَ قولِ اللَّهِ فيه[(٥)]: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية [الأنعام: ١٠٨]. والنَّضْرَ بنَ الحارِثِ بنِ كَلَدَةَ بنِ عَلْقَمَةَ[(٦)] - [(٧)]ومنهم مَن يقولُ: عَلْقَمَةُ بنُ كَلَدَةَ. قالَه السُّهَيْلِيُّ[(٧)] - وجُلُوسَه بعدَ النبيِّ ﷺ فى مَجالِسِه، حيثُ يَتْلُو القرآنَ ويَدْعُو إلى اللَّهِ، فيَتْلُو عليهم النَّضْرُ شيئًا مِن أخبارِ رُسْتُمَ وأسْفنديارَ، وما جَرَى بينَهما من الحروبِ فى زَمَنِ الفُرسِ، ثم يَقولُ: واللَّهِ، ما محمدٌ بأَحْسَنَ حديثًا مِنِّى، وما حديثُه إلَّا أساطيرُ الأوَّلين، اكْتَتَبَها كما اكْتَتَبْتُها. فأنْزَلَ اللَّهُ تعالى[(٨)]: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥]، وقولَه[(٩)]: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧. وانظر التفسير ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) تقدم الكلام على العاص بن وائل ص ٥٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧.

(٤) فى الأصل، م: «آلهتك». والعبارة كما جاءت فى السيرة: «أو لنسُبنَّ إلهك الذى تعبد».

(٥) التفسير ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٨، ٣٥٩. وهذا الاسم ورد فى السيرة هكذا: «النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة». وقال المحقّقون فى الحاشية: «فى الأصول: ابن كلدة بن علقمة. وهو تحريف». ولكنْ رأينا إثبات ما أورده الحافظ ابن كثير حتى تتسق العبارة التى جاءت بعده نقْلًا عن السهيلى، وفيها موافقة ما أثبته محققو سيرة ابن هشام.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل. وانظر عبارة السهيلى، فى الروض الأنف ٣/ ٣١٦.

(٨) التفسير ٦/ ١٠٢.

(٩) التفسير ٧/ ٢٥٠.

أَثِيمٍ ﴾[الجاثية : ٧] .

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : وجَلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بَلَغَنا ، يومًا مع الوليدِ ابنِ المُغِيرَةِ فى المسجدِ ، فجاء النَّضْرُ بنُ الحارِثِ حتى جَلَس معهم ، وفى المجلسِ غيرُ واحِدٍ مِن رجالِ قُرَيْشٍ ، فتَكَلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ فعَرَضَ له النَّضْرُ ، فكَلَّمَه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أفْحَمَه ، ثُمَّ تَلا عليه وعليهم[(٢)] : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨- ١٠٠] . ثُمَّ قام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأقْبَلَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِىُّ حتى جَلَس ، فقال الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ له : [(٣)]واللَّهِ ما قام[(٣)] النَّضْرُ بنُ الحارِثِ لابنِ عبدِ المُطَّلِبِ آنِفًا وما قَعَدَ ، وقد زَعَم محمدٌ ، أنَّا وما نَعْبُدُ مِن آلِهَتِنا هذه ، حَصَبُ جَهَنَّمَ . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى : أَمَا واللَّهِ لو وَجَدْتُه لَخَصَمْتُه ، فسَلُوا محمدًا ؛ أَكُلُّ مَن نَعْبُدُ مِن دونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ مع مَن عَبَدَه ؟ فنحن نَعْبُدُ الملائكةَ ، واليهودُ تَعبدُ عُزَيْرًا ، والنَّصارَى تعبدُ عيسى . فعَجِبَ الوليدُ ومَن كان معه فى المَجْلِسِ مِن قَوْلِ ابنِ الزِّبَعْرَى ، ورَأَوْا أنَّه قد احْتَجَّ وخاصَمَ . فذُكِرَ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « كُلُّ مَن أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ[(٤)] ، إِنَّهُمْ إِنَّما يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥٨ - ٣٦٠.

(٢) التفسير ٥/ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣ - ٣) هذه العبارة مكررة فى : م ، ص .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « فى النار » .

أمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ » . فأنْزَل اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢] . أى ؛ عيسى ، وعُزَيْرٌ ، ومَن عُبِدَ مِن الأَحْبارِ والرُّهْبانِ الذين مَضَوْا على طاعةِ اللَّهِ تعالى . ونَزَل فيما يَذْكُرُون أنَّهم يَعْبُدُون الملائكةَ وأنَّها بناتُ اللَّهِ[2] : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] . والآياتُ بعدَها . ونَزَل فى إعجابِ المُشرِكين بقَوْلِ ابنِ الزِّبَعْرَى[3] : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧، ٥٨] . وهذا الجَدَلُ الذى سَلَكُوه باطلٌ ، وهم يَعْلَمُون ذلك ؛ لأنَّهم [٢/١٠٠و] قَوْمٌ عَرَبٌ ، ومن لُغَتِهم أنَّ « ما » لِمَا لا يَعْقِلُ ، فقَوْلُه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ . إنَّما أُرِيدَ بذلك ما كانوا يَعْبُدُونَه مِن الأَحْجارِ التى كانتْ صُوَرَ أصنامٍ ، ولا يَتَناوَلُ ذلك الملائكةَ الذين زَعَمُوا أنَّهم يَعْبُدُونَهم فى هذه الصُّوَرِ ، ولا المسيحَ ، ولا عُزَيْرًا ، ولا أَحَدًا مِن الصَّالِحِين ؛ لأنَّ اللَّفْظَ لا يَتَناوَلُهم ، لا لَفْظًا ولا مَعْنًى ، فهم يعلمون أنَّ ما ضَرَبُوه بعيسى بنِ مريمَ مِن المَثَلِ ، جَدَلٌ باطِلٌ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ثُمَّ قال[4] : ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أى عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا

---

(١) التفسير ٥/٣٧٣ - ٣٧٦.

(٢) التفسير ٥/ ٣٣١.

(٣) التفسير ٧/٢٢٠ - ٢٢٢.

(٤) التفسير ٧/ ٢٢٢.

عَلَيْهِ﴾[1] أى ؛ بنُبُوَّتِنا[1] ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. أى ؛ دَلِيلًا على تَمامِ قُدْرَتِنا على ما نَشاءُ، حيثُ خَلَقْناه مِن أُنْثَى بلا ذَكَرٍ، وقد خَلَقْنا حَوَّاءَ مِن ذَكَرٍ بلا أُنْثَى، وخَلَقْنا آدمَ لا مِن هذا ولا مِن هذا، وخَلَقْنا سائرَ بنى آدَمَ مِن ذكرٍ وأُنثَى، كما قال فى الآيةِ الأُخرَى[2]: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أى ؛ أَمارَةً ودَلِيلًا على قُدْرَتِنا الباهِرَةِ ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]. نَرْحَمُ بها مَن نَشاءُ.

وذَكَرَ ابنُ إسحاقَ[3] الأَخْنَسَ بنَ شَرِيقٍ، ونُزُولَ قولِه تعالى، فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] الآيات. وذَكَر الوليدَ بنَ المُغِيرَةِ، حيثُ قال: أَيُنْزَلُ على محمدٍ، وأُتْرَكُ وأنا كبيرُ قُرَيشٍ وسَيِّدُها، ويُتْرَكُ أبو مسعودٍ عَمْرُو بنُ عُميرٍ[4] الثَّقَفِىُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ؟! فنحنُ عَظِيما القَرْيَتَيْنِ. ونُزُولَ قولِه تعالى فيه[5]: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. والتى بعدَها. وذَكَر أُبَىَّ بنَ خَلَفٍ[6] حينَ قال لعُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ: ألم يَبْلُغْنِى أَنَّكَ جالَسْتَ محمدًا، وسَمِعْتَ منه، وَجْهِى مِن وجهِك حرامٌ، إلَّا أن تَتْفُلَ فى وجهِه. ففَعَلَ ذلك عَدُوُّ اللَّهِ عُقْبَةُ، لَعَنَه اللَّهُ، فأَنْزَل اللَّهُ[7]: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٥/ ٢١٥، ٢١٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٠، ٣٦١. وانظر التفسير ٨/ ٢١٧.

(٤) فى الأصل، م: «عمرو»، وفى ص: «عمر». والمثبت من السيرة. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٤٤.

(٥) التفسير ٧/ ٢١٢، ٢١٣.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٧) التفسير ٦/ ١١٦.

﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨]. والتى بَعْدَها. قال[١]: وَمَشَى أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ بعَظْمٍ بالٍ [٢]قد أَرَمَّ[٢]، فقال: يا محمدُ، أنت تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هذا بعدَما أرَمَّ؟! ثُمَّ فَتَّه بيَدِه، ثُمَّ نَفَخَه فى الرِّيحِ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «نَعَمْ، أنَا أقُولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَإيَّاكَ بَعْدَمَا تَكُونَانِ هَكَذَا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ[٣] النَّارَ». وأنْزَلَ اللَّهُ تعالى[٤]: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] إلى آخِرِ السُّورَةِ.

قال[٥]: واعْتَرَض رسولَ اللَّهِ ﷺ، فيما بَلَغَنِى، وهو يَطُوفُ عندَ بابِ الكعبةِ، الأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ، والوليدُ بنُ المُغِيرَةِ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، والعاصُ بنُ وائِلٍ، فقالوا: يا محمدُ، هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ ما تَعْبُدُ، وتَعْبُدْ ما نَعْبُدُ، فنَشْتَرِكَ نحن وأنت فى الأمْرِ. فأنْزَلَ اللَّهُ فيهم[٦]: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] إلى آخِرِها. ولمَّا سَمِعَ أبو جهلٍ بشَجَرَةِ الزَّقُّومِ، قال: أتَدْرُون ما الزَّقُّومُ؟ هو [٧]تَمْرٌ يُضْرَبُ بالزُّبْدِ[٧]. ثُمَّ قال: هَلُمُّوا فَلْنَتَزَقَّمْ! فأنْزَلَ اللَّهُ تعالى[٨]: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]. قال[٩]: ووَقَف

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٢ - ٢) سقط من: ص. وفى السيرة: «قد ارْفَتَّ». أى انكسر وتحطَّم. وأرَمَّ: بلى.

(٣) بعده فى السيرة: «اللَّه».

(٤) التفسير ٦/٥٧٩ - ٥٨٣.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٢.

(٦) التفسير ٨/٥٢٦ - ٥٢٨.

(٧ - ٧) فى سيرة ابن هشام: «عجوة يثرب بالزبد».

(٨) التفسير ٧/ ٢٤٥.

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٣، ٣٦٤.

الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ فكَلَّمَ[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ، [2]ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُه[2]، وقد طَمِع فى إسلامِه، [٢/١٠٠ظ] فَمَرَّ به ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - [3]عاتِكَةَ بنتِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَنْكَثَةَ[3] - الأعْمَى، فكَلَّمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وجَعَل يَسْتَقْرِئُه القُرآنَ، فشَقَّ ذلك عليه حتى أضْجَرَه، وذلك أنَّه شَغَلَه عمَّا كان فيه مِن أمرِ الوليدِ، وما طَمِع فيه مِن إسلامِه، فلمَّا أكْثَرَ عليه، انْصَرَف عنه عابِسًا، وتَرَكَه، فأنْزَل اللَّهُ تعالى[4]: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢] إلى قولِه: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس: ١٤]. وقد قِيل[5]: إنَّ الذى كان يُحَدِّثُ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ جاءَه ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ[6] مَن عادَ مِن مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ إلى مكَّةَ، وذلك حين بَلَغَهم إسلامُ أهلِ مكَّةَ، وكان النَّقْلُ ليس بصحيحٍ، ولكنْ كان له سَبَبٌ، وهو ما ثَبَتَ فى «الصحيحِ» وغيرِه[7]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَلَس يومًا مع المُشْرِكِين، وأنْزَل اللَّهُ عليه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: ١، ٢]. يَقْرَؤُها عليهم، حتى خَتَمَها وسَجَد، فَسَجَدَ مَن هناك مِن المُسلِمِين والمُشْرِكِين والجِنِّ والإنْسِ. وكان لذلك سَبَبٌ ذَكَره كثيرٌ مِن المُفَسِّرِين عندَ قولِه تعالى[8]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى

---

(١) فى السيرة: «مع».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وليست فى السيرة. وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٦٣.

(٤) التفسير ٨/ ٣٤٢ - ٣٤٤.

(٥) الروض الأنف ٣/ ٣٢٨.

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٧ - ١٥٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٦٤ - ٣٦٩.

(٧) البخارى (١٠٧١، ٤٨٦٢). والترمذى (٥٧٥). كلاهما من حديث ابن عباس.

(٨) التفسير ٥/ ٤٣٨ - ٤٤٢. وانظر تفسير الطبرى ١٧/ ١٨٦ - ١٩٠. وتفسير القرطبى ١٢/ ٧٩ - ٨٦.

ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحج: ٥٢]. وذَكَرُوا قصَّةَ الغَرانِيقِ، وقد أحْبَبْنا الإضْرابَ عن ذِكْرِها صَفْحًا؛ لِئَلَّا يَسْمَعَها مَن لا يَضَعُها على مواضِعِها، إلَّا أنَّ أصْلَ القصَّةِ فى «الصحيحِ».

قال البخارىُّ[1]: حَدَّثَنا أبو مَعْمَرٍ، حَدَّثنا عبدُ الوارِثِ، حَدَّثنا أيُّوبُ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: سَجَد النَّبىُّ ﷺ بالنَّجْمِ، وسَجَدَ معه المُسلِمُون والمُشرِكُون والجِنُّ والإنْسُ. انْفَرَدَ به البخارىُّ دُونَ مسلمٍ.

وقال البخارىُّ[2]: حَدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا غُنْدَرٌ، حَدَّثنا شُعْبَةُ، عن أبى إسحاقَ، سَمِعْتُ الأسْوَدَ، عن عبدِ اللَّهِ قال: قَرَأ النَّبىُّ ﷺ النَّجْمَ بمكَّةَ، فسَجَدَ فيها، وسَجَدَ مَن معه، غَيْرَ شيخٍ أخَذَ كَفًّا مِن حَصًى أو تُرابٍ، فرَفَعَه إلى جَبْهَتِه، وقال: يَكْفِينى هذا. فرَأَيْتُه بَعْدُ قُتِل كافِرًا.

ورَواه مسلمٌ، وأبو داودَ، والنَّسائىُّ مِن حديث شُعْبَةَ[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حَدَّثَنا إبراهيمُ، حَدَّثنا رَباحٌ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ طاوُسٍ، عن عِكْرِمَةَ بنِ خالدٍ، عن جعفرِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أبى وَداعَةَ، عن أبيه، قال: قَرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ سُورةَ «النَّجْمِ»، فسَجَد وسَجَد مَن عِندَه، فرَفَعْتُ رَأْسِى وأبَيْتُ أنْ أسْجُدَ، ولم يَكُنْ أسْلَم يومَئذٍ المُطَّلِبُ، فكان بعدَ ذلك لا يَسْمَعُ أحدًا يَقْرَؤُها إلَّا سَجَد معه. وقد رَواه النَّسائىُّ عن عبدِ الملكِ بنِ

---

(١) البخارى (٤٨٦٢).

(٢) البخارى (١٠٦٧).

(٣) مسلم (٥٧٦)، وأبو داود (١٤٠٦)، والنسائى (٩٥٨).

(٤) فى المسند ٣/ ٤٢٠.

عبدِ الحميدِ، عن أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ به[1]. وقد يُجْمَعُ بين هذا والذى قَبْلَه، بأنَّ هذا سَجَد ولكنَّه رَفَع رأسَه اسْتِكْبارًا، وذلك الشَّيْخَ الذى اسْتَثْناه ابنُ مسعودٍ، لم يَسْجُدْ بالكُلِّيَّةِ. واللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّ النّاقِلَ لَمَّا رَأَى المُشرِكِين قد سَجَدُوا مُتابَعَةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ، اعْتَقَد أنَّهم قد أسْلَمُوا واصْطَلَحُوا معه، ولم يَبْقَ نِزاعٌ بينَهم، فطار الخَبَرُ بذلك، وانْتَشَر حتى بلَغ مُهاجِرَةَ الحَبَشَةِ بها، فظَنُّوا صِحَّةَ ذلك، فأقْبَل منهم طائفةٌ [١٠١/٢و] طامِعِين بذلك، وثَبَتَتْ جماعةٌ، وكلاهما مُحْسِنٌ مُصِيبٌ فيما فَعَل، فذَكَرَ ابنُ إسحاقَ أسماءَ مَن رَجَع[2] منهم؛ عثمانُ بنُ عفانَ، وامْرَأَتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وامْرَأَتُه سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ[3]، وعُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وسُوَيْبِطُ بنُ سعدٍ، وطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، والمِقْدادُ بنُ عَمْرٍو، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ، وامْرَأَتُه أُمُّ سَلَمَةَ (٤بنتُ أبى أُمَيَّةَ٤) (٥بنِ المُغِيرَةِ٥)، وشَمَّاسُ بنُ عثمانَ، وسَلَمَةُ بنُ هشامٍ، وعَيَّاشُ بنُ أبى رَبِيعَةَ - وقد حُبِسا بمكَّةَ حتى مَضَتْ بدرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ - وعَمَّارُ بنُ ياسِرٍ - وهو مِمَّن شُكَّ فيه، أَخَرَج إلى الحبَشَةِ أمْ لا - ومُعَتِّبُ بنُ عَوْفٍ، وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ، وابنُه السَّائِبُ، وأخَواه قُدَامَةُ،

---

(١) النسائى (٩٥٧). حسن الإسناد (صحيح سنن النسائى ٩١٨).

(٢) سيرة ابن هشام ٣٦٥/١ - ٣٦٩.

(٣) فى الأصل، ص: «رباب».

(٤ - ٤) سقط من: ص. وفى الأصل: «بن عبد الأسد».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

وعبدُ اللَّهِ ابنا مَظْعُونٍ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ، وهشامُ بنُ العاصِ بنِ وائِلٍ - وقد حُبِس بمكَّةَ إلى بعدِ الخَنْدَقِ - وعامِرُ بنُ رَبِيعَةَ، وامْرَأَتُه ليلى بنتُ أبى حَثْمَةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو - وقد حُبِس حتى كان يومُ بدرٍ - فانْحاز إلى المُسلِمِين فشَهِدَ معهم بدرًا - وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ، وامْرَأَتُه أُمُّ كلْثُومٍ بنتُ سُهَيْلٍ، والسَّكْرانُ بنُ عَمْرِو بنِ عبدِ شَمْسٍ، وامْرَأَتُه سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ - وقد مات بمَكَّةَ قبلَ الهجرةِ وخَلَف على امْرَأَتِه رسولُ اللَّهِ ﷺ - وسعدُ ابنُ خَوْلَةَ، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وعَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ زُهَيْرٍ، [1]وسُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ[1]، وعَمْرُو بنُ أبى سَرْحٍ. فجَمِيعُهم ثلاثةٌ وثَلاثُون رَجُلًا، رَضِى اللَّهُ عنهم.

وقال البخارىُّ[2]: [3]هِجْرَةُ الحَبَشَةِ[3]، وقالتْ عائشةُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ». فهاجَرَ مَن هاجَر قِبَلَ المدينةِ، ورَجَع عامَّةُ مَن كان هاجَر إلى الحَبَشَةِ إلى المدينةِ. فيه عن أبى موسى، وأسماءَ، رَضِى اللَّهُ عنهما، عن النَّبىِّ ﷺ.

وقد تَقَدَّم حديثُ أبى موسى[4]، وهو فى «الصَّحِيحَيْنِ»، وسيَأْتِى حديثُ أسْماءَ بنتِ عُمَيْسٍ بَعْدَ فتحِ خَيْبَرَ، حينَ قَدِم مَن كان تَأَخَّرَ مِن مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ، إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثِّقَةُ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) كتاب مناقب الأنصار. فتح البارى ٧/ ١٨٦، ١٨٧.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ١٧٧.

وقال البخاريُّ[1] : حَدَّثَنا يحيى بنُ حَمَّادٍ ، حَدَّثنا أبو عَوانَةَ ، عن سُليمانَ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقَمَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : كُنَّا نُسَلِّمُ على النَّبىِّ ﷺ وهو يُصَلِّى ، فيَرُدُّ علينا ، فلمَّا رَجَعْنا مِن عندِ[2] النَّجاشِىِّ سَلَّمْنا عليه ، فلم يَرُدَّ علينا ، فقُلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا كُنَّا نُسَلِّمُ عليك ، فتَرُدُّ علينا[3] . قال : « إنَّ فى الصَّلَاةِ شُغْلًا » .

وقد رَواه البُخارىُّ أيضًا ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، مِن طُرُقٍ أُخَرَ[4] ، عن سُليمانَ بنِ مِهْرانَ[5] الأَعْمَشِ به ، وهو يُقَوِّى تأويلَ مَن تَأَوَّل حديثَ زيدِ بنِ أَرْقَمَ الثَّابِتَ فى « الصَّحِيحَيْنِ »[6] : كُنَّا نَتَكَلَّمُ فى الصَّلاةِ ، حتى نَزَل قولُه : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . فأُمِرْنا بالسُّكُوتِ ، ونُهِينا عن الكلامِ . على أَنَّ المُرادَ جِنْسُ الصَّحابةِ ؛ فإنَّ زيدًا أنْصارِىٌّ مَدَنِىٌّ ، وتحريمُ الكلامِ فى الصلاةِ ثَبَت بمكَّةَ ؛ فتَعَيَّنَ الحَمْلُ على ما تَقَدَّم ، وأمَّا ذِكْرُه الآيةَ وهى مَدَنِيَّةٌ ، فمُشْكِلٌ ، ولَعَلَّه اعْتَقَد أنَّها المُحَرِّمَةُ لذلك ، وإنَّما كان المُحَرِّمُ له غيرَها معها . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) البخارى (٣٨٧٥) .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا » . وهذه العبارة ليست عند البخارى .

(٤) البخارى (١١٩٩ ، ١٢١٦) . ومسلم (٥٢٣ ، ٥٣٨) . وأبو داود (٩٢٤) . والنسائى فى الكبرى (٥٤٠) .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « عن » .

(٦) البخارى (١٢٠٠ ، ٤٥٣٤) . ومسلم (٥٣٩) .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان مِمَّن دَخَل معهم[2] بجِوارٍ ؛ عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ[3] فى جِوارِ الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ فى جوارِ خالِه أبى طالبٍ ؛ فإنَّ أُمَّه بَرَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ ، فأمَّا عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ؛ [4]فإنَّ صالحَ بنَ إبراهيمَ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ حَدَّثَنِى ، عمَّن حَدَّثه عن عثمانَ ، قال : لَمَّا رَأَى عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ[4] ما فيه أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن البلاءِ ، وهو يَرُوحُ ويَغْدُو فى أمانٍ مِن الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، قال : واللَّهِ إنَّ غُدُوِّى ورَوَاحِى آمِنًا[5] فى جِوارِ رَجُلٍ مِن أهلِ الشِّرْكِ ، وأصحابى وأهلُ [٢/١٠١ظ] دِينِى يَلْقَوْن مِن البلاءِ والأذَى فى اللَّهِ ما لا يُصِيبُنِى ، لَنَقْصٌ كثيرٌ فى نَفْسِى . فمَشَى إلى الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ فقال له : يا أبا عبدِ شَمْسٍ ، وَفَتْ ذِمَّتُك ، قد رَدَدْتُ إليك جِوارَك . قال : لم يا بنَ أخى ؟ لَعَلَّه آذاك أحدٌ مِن قومِى ؟ قال : لا ، ولكنِّى أرْضَى بجِوارِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ولا أُرِيدُ أن أسْتَجِيرَ بغيرِه . قال : فانْطَلِقْ إلى المسجدِ ، فارْدُدْ علىَّ جِوارِى عَلَانِيَةً كما أجَرْتُك علانيةً . قال : فانْطَلَقا ، فَخَرَجا حتى أَتَيا المسجدَ ، فقال الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ : هذا عثمانُ قد جاءَ يَرُدُّ عَلَىَّ جِوارِى . قال : صَدَق ، قد وَجَدْتُه وَفِيًّا كريمَ الجِوارِ ، ولكنِّى قد أحْبَبْتُ أن لا أسْتَجِيرَ بغيرِ اللَّهِ ، فقد رَدَدْتُ عليه جِوارَه . ثم انْصَرَفَ عثمانُ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، ولَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ ابنِ مالِكِ بنِ جعفرٍ [6]بنِ كِلابٍ[6] فى مَجْلِسٍ مِن قُرَيشٍ يُنْشِدُهم ، فَجَلَسَ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٨ - ١٥٩ . وسيرة ابن هشام ٣٦٩/١ - ٣٧١.

(٢) فى السيرة : « منهم » .

(٣) فى الأصل ، ص : « عفان » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) زيادة من : ص .

(٦ - ٦) زيادة من : ص .

معهم عثمانُ ، فقال لَبِيدٌ :

* ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ *

فقال عثمانُ : صَدَقْتَ . فقال لبيدٌ :

* وكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ *

قال عثمانُ : كَذَبْتَ ؛ نعيمُ الجنَّةِ لا يَزُولُ . فقال لَبِيدٌ : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، واللَّهِ ما كان يُؤْذَى جَلِيسُكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟ فقال رجُلٌ مِن القومِ : إنَّ هذا سَفِيهٌ فى سُفَهاءَ معه ، قد فارَقُوا دِينَنا ، فلا تَجِدَنَّ فى نَفْسِك مِن قولِه . فرَدَّ عليه عثمانُ ، حتى شَرِىَ[1] أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرَّجُلُ ولَطَم عَيْنَه فَخَضَّرَها[2] ، والوليدُ بنُ المُغِيرَةِ قريبٌ يَرَى ما بَلَغ عثمانَ ، فقال : أمَا واللَّهِ يا بنَ أخى ، إن كانتْ عَيْنُك عمَّا أصابَها لَغَنِيَّةً ، ولقد كُنتَ فى ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ . قال : يقولُ عثمانُ : بل واللَّهِ إنَّ عَينِى الصَّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إلى مِثْلِ ما أصابَ أُخْتَها فى اللَّهِ ، وإنِّى لَفِى جِوارِ مَن هو أعَزُّ منك وأقْدَرُ ، يا أبا عبدِ شَمْسٍ . فقال له الوليدُ : هَلُمَّ يا بنَ أخى إن شِئْتَ ، إلى جِوارِك فَعُدْ . قال : لا .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وأمَّا أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأسَدِ ، فحَدَّثَنِى أبى إسحاقُ ابنُ يَسَارٍ ، عن سَلَمَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ [4]بنِ عُمرَ[4] بنِ أبى سَلَمَةَ ، أنَّه حَدَّثَه أنَّ أبا سَلَمَةَ لمَّا اسْتَجارَ بأبى طالِبٍ ، مَشَى إليه رِجالٌ مِن بنى مَخْزُومٍ ، فقالوا له : يا أبا طالِبٍ ، هذا مَنَعْتَ منَّا ابنَ أخِيك محمدًا ، فما لَكَ ولِصاحِبِنا تَمْنَعُه منَّا ؟!

---

(١) يُقال : شَرِى الشَّرُّ بينهم ؛ أى عظُم وتفاقم .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٣) أى سَوَّدها ، ويريد أثر الكَدْمة . والعرب تسمى الأسود أخضر .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

قال : إنَّه اسْتَجارَ بى وهو ابنُ أُخْتِى ، وإن أنا لم أمْنَعِ ابنَ أُخْتِى ، لم أمْنَعِ ابنَ أخى . فقام أبو لَهَبٍ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، واللَّهِ لقد أكْثَرْتم على هذا الشيخِ ، ما تَزالُون تَتَواثَبون[1] عليه فى جِوارِه مِن بينِ قومِه ، واللَّهِ لَتَنْتَهُنَّ أو لَنَقُومَنَّ معه فى كُلِّ ما قام فيه ، حتى يَبْلُغَ ما أراد . قال : فقالوا : بل نَنْصَرِفُ عمَّا تَكْرَهُ يا أبا عُتْبَةَ . وكان لهم وليًّا وناصِرًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فأبْقَوْا على ذلك ، فطَمِعَ فيه أبو طالِبٍ حين سَمِعَه يقولُ ما يقولُ ، ورجا أن يَقُومَ معه فى شأنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال أبو طالِبٍ يُحَرِّضُ أبا لَهَبٍ على نُصْرَتِه ونُصْرَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ :

وإنَّ امْرَأً[2] أبو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ ... لَفِى رَوْضَةٍ ما إنْ يُسَامُ المَظَالِما
أقولُ لَهُ وأينَ منه نَصِيحَتِى ... أبا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوادَكَ[3] قَائِما
ولا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ ما عِشْتَ خُطَّةً ... تُسَبُّ بها إمَّا هَبَطْتَ المَواسِما
ووَلِّ سَبِيلَ العَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ ... فإنَّكَ لم تُخْلَقْ على العَجْزِ لازِما
وحارِبْ فإنَّ الحَرْبَ نِصْفٌ[4] ولن تَرَى ... أخا الحربِ يُعْطِى الخَسْفَ[5] حتى يُسالَما
[٢/١٠٢و] وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظِيمَةً ... ولم يَخذُلُوك غانِمًا أو مُغارِما
جَزَى اللَّهُ عنَّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... وتَيْمًا ومَخْزُومًا عُقُوقًا ومَأْثَما
بتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وأُلْفَةٍ ... جَماعَتَنا كَيْما يَنالُوا المَحارِما

---

(١) فى الأصل ، ص : « توثبون » .
(٢) يعنى النبى ﷺ .
(٣) السواد : يعنى به هنا شخص أبى لهب . ويريد : كثر قومك ولا تقللهم بتفرقك .
(٤) النصف : الإنصاف . والحرب نصف ، أى أنها سبب لانتصاف الإنسان من أعدائه .
(٥) الخسف : الذل ، والمعنى أن من وطن نفسه على الحرب لم يخضع ولم يذل ، إلا أن يسأله الناس فلا يعتدى عليهم .

كَذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نُبْزَى[1] محمدًا ولَمَّا تَرَوْا يومًا لَدَى الشِّعْبِ قائِما

قال ابنُ هِشامٍ[2] : وبَقِى منها بيتٌ تَرَكْناه .

---

(١) فى ص : «تبرى» . ونبزى : أراد : لا نبزى . وقال ابن هشام : نبزى : نُشلَب .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٢.

ذِكْرُ عَزْمِ الصدّيقِ على الهِجْرَةِ إلى الحَبَشَةِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، كما حَدَّثَنِى محمدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِىُّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائِشَةَ ، حين ضاقَتْ عليه مَكَّةُ ، وأصابَه فيها الأذى ، ورَأَى مِن تَظاهُرِ قُرَيشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصْحابِه ما رَأَى ، اسْتَأْذَن رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الهِجْرَةِ ، فأذِنَ له ، فَخَرَج أبو بكرٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، مُهاجِرًا ، حتى إذا سار مِن مكَّةَ يومًا أو يَومَيْن ، لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ أخو بنى الحارِثِ [2]بنِ بكرٍ[2] بنِ عبدِ مَناةَ [3]بنِ كِنانَةَ[3] وهو يومَئِذٍ سيِّدُ الأحابِيشِ[4] - [5]قال الواقِدِىُّ[6] : اسمُه الحارِثُ بنُ يَزِيدَ ، أحَدُ بنى بكرٍ ، مِن عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ . وقال السُّهَيْلِىُّ[7] : اسمُه مالِكٌ[5] - فقال : إلى أين يا أبا بكرٍ ؟ قال : أَخْرَجَنِى قومِى ، وآذَوْنِى ، وضَيَّقُوا عَلَىَّ . قال : ولِمَ ؟! فواللَّهِ إنَّك لَتَزِينُ العَشِيرَةَ ، وتُعِينُ على النَّوائِبِ ، وتَفْعَلُ المعروفَ وتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، ارْجِعْ فإنَّك فى جِوارِى . فرَجَع معه ، حتى إذا دَخَل مكَّةَ قام ابنُ الدَّغِنَةِ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، إنِّى قد أجَرْتُ ابنَ أبى قُحافَةَ ، فلا يَعْرِضْ له أحدٌ إلَّا بخيرٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢ - ٢) زيادة ليست فى سيرة ابن هشام.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الأصل: «القارة». والأحابيش حلفاء قريش من بنى كنانة، تحالفوا تحت جبل يقال له: حُبشى. فسموا الأحابيش. وهم أحياء من القارة. انظر الاشتقاق ص ١٩٣. ولسان العرب (ح ب ش).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/٥٧.

(٧) الروض الأنف ٣/ ٣٥٢.

قالتْ[1] : فكَفُّوا عنه . قالتْ : وكان لأبى بكرٍ مسجدٌ عندَ بابِ دارِه فى بنى جُمَحَ ، فكان يُصَلِّى فيه ، وكان رجُلًا رَقِيقًا ، إذا قَرَأ القرآنَ اسْتَبْكَى . قالتْ : فَيَقِفُ عليه الصِّبْيانُ والعَبِيدُ والنِّساءُ ، يَعْجَبُون لِمَا يَرَوْن مِن هَيْئَتِه . قالتْ[2] : فمَشَى رِجالٌ مِن قُرَيشٍ إلى ابنِ الدَّغِنَةِ ، فقالوا : يا بنَ الدَّغِنَةِ ، إنَّك لم تُجِرْ هذا الرَّجُلَ ليُؤْذِيَنا ، إنَّه رَجُلٌ إذا صَلَّى وقَرَأ ما جاءَ به محمدٌ ، يَرِقُّ[3] ، وكانتْ له هَيْئَةٌ [4]ونحوٌ ، فنحن[4] نَتَخَوَّفُ على صِبْيانِنا ونِسائِنا وضُعَفائِنا أن يَفْتِنَهم ، فَأْتِهِ فَمُرْهُ بأن يَدْخُلَ بيتَه ، فَلْيَصْنَعْ فيه ما شاءَ . قالتْ : فَمَشَى ابنُ الدَّغِنَةِ إليه فقال : يا أبا بكرٍ ، إنِّى لم أُجِرْكَ لِتُؤْذِىَ قَوْمَك ، وقد كَرِهُوا مكانَك الذى أنت به ، وتَأَذَّوْا بذلك منك ، فادْخُلْ بيتَك فاصْنَعْ فيه ما أحْبَبْتَ . قال : أو أَرُدُّ عليك جِوارَك وأرْضَى بجِوارِ اللَّهِ . قال : فارْدُدْ عَلَىَّ جِوارِى . قال : قد رَدَدْتُه عليك . قالت[1] : فقام ابنُ الدَّغِنَةِ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، إنَّ ابنَ أبى قُحَافَةَ قد رَدَّ علىَّ جِوارِى ، فَشَأْنَكُم بصاحِبِكم .

وقد رَوَى الإمامُ البُخارىُّ هذا الحديثَ مُتَفَرِّدًا به[5] ، وفيه زِيادَةٌ حَسَنَةٌ ، فقال : حَدَّثَنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، قال ابنُ شِهابٍ[6] : فأخْبَرَنِى عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ أنَّ عائشةَ زَوْجَ النَّبىِّ ﷺ ، قالتْ : لم أَعْقِلْ أبَوَىَّ قطُّ

---

(١) فى النسخ : « قال » . والتصحيح من السيرة .

(٢) فى الأصل ، م : « قال » .

(٣) سقط من : الأصل . وبعده فى السيرة : « ويبكى » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « ونحن » .

(٥) البخارى (٣٩٠٥) .

(٦) فى م ، ص : « هشام » .

إلَّا وهما يَدِينانِ الدِّينَ ، ولم يَمُرَّ علينا يومٌ إلَّا يَأْتِينا فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهارِ بُكْرَةً وعَشِيَّةً ، فلمَّا ابْتُلِيَ المُسلِمُون خَرَج أبو بكرٍ مُهاجِرًا نَحْوَ أرضِ الحَبَشَةِ ، حتى إذا بَلَغَ بَرْكَ الغِمادِ ، لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ ، وهو سَيِّدُ القارَةِ ، فقال : أين تُرِيدُ يا أبا بكرٍ ؟ فقال أبو بكرٍ : أخْرَجَنِى قومِى ، فأُرِيدُ أن أسِيحَ فى الأرضِ فأعْبُدَ رَبِّى . فقال ابنُ الدَّغِنَةِ : فإنَّ مِثْلَك يا أبا بكرٍ لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ مِثْلُه ، إنَّك تَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحقِّ ، فأنا لك جارٌ ، ارْجِعْ فاعْبُدْ رَبَّك ببَلَدِك . فرَجَعَ وارْتَحَل معه ابنُ الدَّغِنَةِ ، وطاف ابنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً [١٠٢/٢ظ] فى أشْرافِ قُرَيشٍ ، فقال لهم : إنَّ أبا بكرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُه ولا يُخْرَجُ ، أتُخْرِجُون رَجُلًا يَكْسِبُ المعدومَ ، ويَصِلُ الرَّحِمَ ، ويَحْمِلُ الكَلَّ ، ويَقْرِى الضَّيْفَ ، ويُعِينُ على نَوائِبِ الحقِّ ؟! فلم تُكَذِّبْ[1] قُرَيشٌ بجِوارِ ابنِ الدَّغِنةِ ، وقالوا لابنِ الدَّغِنَةِ : مُرْ أبا بكرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّه فى دارِه ، ولْيُصَلِّ فيها ، ولْيَقْرَأْ ما شاءَ ، ولا يُؤْذِينا بذلك ، ولا يَسْتَعْلِنْ به ، فإنَّا نَخْشَى أن يَفْتِنَ نِساءَنا وأبْناءَنا . فقال ذلك ابنُ الدَّغِنَةِ لأبى بكرٍ ، فلَبِثَ أبو بكرٍ بذلك يَعْبُدُ رَبَّه فى دارِه ، ولا يَسْتَعْلِنُ بصَلاتِه ، ولا يَقْرَأُ فى غيرِ دارِه ، ثُمَّ بَدا لأبى بكرٍ فابْتَنَى مسجدًا بفِناءِ دارِه ، وكان يُصَلِّى فيه ، ويَقْرَأُ[2] القرآنَ ، فيَتَقَذَّفُ[3] عليه[4] نِساءُ المُشرِكِين وأبْناؤُهم ، يَعْجَبُون منه ، ويَنْظُرُون إليه ،

---

(١) فى م : « يكذب » .

(٢) فى م : « ويقرأن » .

(٣) فى الأصل ، م : « فكان » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٣٤ : « قال الخطابى :... وأما يتقذف ، فلا معنى له إلا أن يكون من القذف ، أى يتدافعون فيقذف بعضهم بعضًا ، فيتساقطون عليه » .

(٤) سقط من النسخ ، وأثبتناه من صحيح البخارى .

وكان أبو بكرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ عَيْنَيْه إذا قَرَأ القرآنَ، فأفْزَعَ ذلك أشْرافَ قُرَيشٍ مِن المُشرِكِين، فأَرْسَلُوا إلى ابنِ الدَّغِنَةِ، فقَدِمَ عليهم، فقالوا: إنَّا كُنَّا أَجَرْنا أبا بكرٍ بجِوارِك على أن يَعْبُدَ رَبَّه فى دارِه، فقد جاوَزَ ذلك، فابْتَنَى مسجدًا بفِناءِ دارِه، فأعْلَنَ بالصَّلاةِ والقِراءَةِ فيه، وإنَّا قد خَشِينا أن يَفْتِنَ[1] أبناءَنا ونِساءَنا، فانْهَهُ، فإن أحَبَّ أن يَقْتَصِرَ على أن يَعْبُدَ رَبَّه فى دارِه، فَعَلَ، وإن أَبَى إلَّا أن يُعْلِنَ ذلك، فَسَلْه أن يَرُدَّ إليك ذِمَّتَك، فإنَّا قد كَرِهْنا أن نُخْفِرَك[2]، ولسنا مُقِرِّين لأبى بكرٍ الاسْتِعْلانَ. قالت عائشةُ: فأَتَى ابنُ الدَّغِنَةِ إلى أبى بكرٍ فقال: قد عَلِمْتَ الذى قد عاقَدْتُ [3]لك عليه[3]، فإمَّا أن تَقْتَصِرَ على ذلك، وإمَّا أن تَرُدَّ إلىَّ ذِمَّتِى، فإنِّى لا أُحِبُّ أن تَسمعَ العربُ أنِّى أُخْفِرْتُ فى رَجُلٍ عَقَدْتُ له. فقال أبو بكرٍ: فإنِّى أَرُدُّ إليك جِوارَك وأرْضَى بجِوارِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ. ثُمَّ ذَكَر تَمامَ الحديثِ فى هجرةِ أبى بكرٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، كما سيَأْتِى مَبْسُوطًا.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وحَدَّثَنِى عبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ، عن أبيه القاسِمِ بنِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ، قال: لَقِيَه - يعنى أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ، حينَ خَرَج مِن جِوارِ ابنِ الدَّغِنَةِ - سَفِيهٌ مِن سُفَهاءِ قُرَيشٍ، وهو عامِدٌ إلى الكعبةِ، فَحَثَا على رأسِه تُرابًا، فمَرَّ بأبى بكرٍ الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ، أو العاصُ بنُ وائِلٍ، فقال له أبو بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه: ألا تَرَى ما يَصْنَعُ هذا السَّفِيهُ؟ فقال: أنتَ فَعَلْتَ

---

(١) فى الأصل، م: «يفتتن».

(٢) نخفرك: نغدر بك.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «عليه قريش».

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٤.

ذلك بنَفْسِكَ . وهو يقولُ : أىْ رَبِّ ، ما أَحْلَمَكَ ، أىْ رَبِّ ، ما أَحْلَمَك ، أىْ ربِّ ، ما أَحْلَمَك .

فصلٌ : كلُّ هذه القِصَصِ ذَكَرَها ابنُ إسحاقَ[1] مُعْتَرِضًا بها بينَ تَعاقُدِ قُرَيشٍ على بنى هاشِمٍ وبنى المُطَّلِبِ ، وكِتابَتِهم عليهم الصَّحِيفَةَ الظَّالِمَةَ ، وحَصْرِهم إيَّاهم فى الشِّعْبِ ، وبينَ نَقْضِ الصَّحِيفةِ ، وما كان من أمرِها ، وهى أُمُورٌ مُناسِبَةٌ لهذا الوقتِ ، ولهذا قال الشَّافِعِىُّ ، رَحِمَه اللَّهُ : مَنْ أراد المَغازِىَ ، فهو عِيالٌ على ابنِ إسحاقَ[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥١ - ٣٧٤.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه ١/٢١٩ . بسنده عن الشافعى .

ذِكْرُ[1] نَقْضِ الصَّحِيفَةِ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : هذا وبنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ فى مَنْزِلِهم الذى تَعاقَدَتْ فيه قُرَيشٌ عليهم ، فى الصَّحِيفَةِ التى كَتَبُوها ، ثُمَّ إنَّه قام فى نَقْضِ الصَّحِيفةِ نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ ، ولم يُثْلِ فيها أحدٌ أحْسَنَ مِن بَلاءِ هِشامِ بنِ عَمْرٍو[3] [4]بنِ رَبِيعَةَ[4] ابنِ الحارِثِ بنِ حُبَيِّبِ بنِ نَصْرِ [5]بنِ جَذِيمَةَ[5] بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَىٍّ ، وذلك أنَّه كان ابنَ أخى نَضْلَةَ بنِ هاشِمِ[6] بنِ عبدِ مَنافٍ لأُمِّه ، وكان هشامٌ لبنى هاشِمٍ واصِلًا ، وكان ذا شَرَفٍ فى قَوْمِه ، فكان ، فيما بَلَغَنِى ، يَأْتِى بالبَعِيرِ ، وبنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ فى الشِّعْبِ ليلًا ، قد أوْقَرَه[7] طَعامًا ، حتى إذا بَلَغ به فَمَ الشِّعْبِ خَلَع خِطامَه[8] مِن رَأْسِه ، ثُمَّ ضَرَب على جَنْبَيْه ، فدَخَلَ الشِّعْبَ عليهم ، ثُم يَأْتِى به قد أوْقَرَه بُرًّا ، فيَفْعَلُ به مِثْلَ ذلك ، ثُمَّ إنَّه مَشَى إلى زُهَيْرِ بنِ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ [٢/١٠٣و] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[9] بنِ مَخْزُومٍ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٧٤ - ٣٧٧.

(٣) فى ص : « عمر » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، وأثبتناه من السيرة ، وانظر نسب قريش ص ٤٣٠، ٤٣١، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٧٠.

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من السيرة ، وانظر المصدرين السابقين .

(٦) فى الأصل ، م : « هشام » .

(٧) أوقره : حَمَّلَه .

(٨) خطامه : زمامه .

(٩) فى الأصل ، م : « عمرو » .

وكانتْ أُمُّه عاتِكَةَ بنتَ عبدِ المُطَّلِبِ ، فقال : يا زُهَيْرُ ، أقد رَضِيتَ أن تَأْكُلَ الطَّعامَ ، وتَلْبسَ الثِّيابَ ، وتَنْكِحَ النِّساءَ ، وأخوالُك حيث قد عَلِمْتَ ، لا يُباعُون ، ولا يُبتاعُ منهم ، ولا يَنْكِحُون ، ولا يُنْكَحُ إليهم ؟ أمَا إنِّى أَحْلِفُ باللَّهِ ، لو كانوا أخْوالَ أبى الحكَمِ بنِ هشامٍ ، ثُمَّ دَعَوْتَه إلى مِثْلِ ما دَعاكَ إليه منهم ، ما أجابَكَ إليه أبَدًا . قال : وَيْحَكَ يا هشامُ ! فماذا أصْنَعُ ؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحِدٌ ، واللَّهِ لو كان معى رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فى نَقْضِها . قال : قد وَجَدْتَ رَجُلًا . قال : مَن هو ؟ قال : أنا . قال له زُهَيْرٌ : أَبْغِنا ثالثًا . فذَهَب إلى المُطْعِمِ ابنِ عَدِىٍّ فقال له : يا مُطْعِمُ ، أقد رَضِيتَ أن يَهْلِكَ بَطْنانِ مِن بنى عبدِ مَنافٍ ، وأنت شاهِدٌ على ذلك ، مُوافِقٌ لقُرَيشٍ فيه ؟! أمَا واللَّهِ ، لَئِن أمْكَنْتُمُوهم مِن هذه ، لَتَجِدُنَّهم إليها منكم سِراعًا . قال : وَيْحَك ! فماذا أصْنَعُ ؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحدٌ . قال : قد وَجَدْتَ لك ثانيًا . قال : مَن ؟ قال : أنا . قال : أَبْغِنا ثالثًا . قال : قد فَعَلْتُ . قال : مَن هو ؟ قال : زُهَيْرُ بنُ أبى أُمَيَّةَ . قال : أَبْغِنا رابعًا . فذَهَبَ إلى أبى البَخْتَرِىِّ بنِ هشامٍ ، فقال له نَحْوًا مِمّا قال للمُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ، فقال : وهل تَجِدُ أحدًا يُعِينُ على هذا ؟ قال : نعم . قال : مَن هو ؟ قال : زُهَيْرُ ابنُ أبى أُمَيَّةَ ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ ، وأنا معك . قال : أَبْغِنا خامسًا . فذَهَبَ إلى زَمْعَةَ بنِ الأَسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ ، فكَلَّمَه وذَكَر له قَرابَتَهم وحَقَّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمرِ الذى تَدْعُونى إليه مِن أحدٍ ؟ قال : نعم . ثُمَّ سَمَّى القومَ . فاتَّعَدُوا[1] خَطْمَ[2] الحَجُونِ ليلًا بأعْلَى مَكَّةَ ، فاجْتَمَعُوا هنالك ، وأجْمَعُوا

---

(١) فاتعدوا : أى تواعدوا .

(٢) فى الأصل ، م : « حطم » . وهو لفظ إحدى نسخ السيرة . وهو تصحيف ، وخطم الحجون - مكان بمكة - : مُقَدَّمُه .

أمْرَهم ، وتَعاقَدُوا على القِيامِ فى الصَّحِيفَةِ حتى يَنْقُضُوها ، وقال زُهَيْرٌ : أنا أبْدَؤُكم ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يَتَكَلَّمُ . فلمَّا أصْبَحُوا غَدَوْا إلى أنديَتِهم ، وغَدا زُهَيْرُ ابنُ أبى أُمَيَّةَ عليه حُلَّةٌ ، فطافَ بالبيتِ سَبْعًا ، ثُمَّ أقْبَلَ على النَّاسِ فقال : يا أهلَ مكَّةَ ، أنَأْكُلُ الطَّعامَ ، ونَلْبَسُ الثِّيابَ ، وبنو هاشِمٍ هَلْكَى لا يَبْتاعُون ولا يُبْتاعُ منهم ؟! واللَّهِ لا أقْعُدُ حتى تُشَقَّ هذه الصَّحِيفَةُ القاطِعَةُ الظَّالِمَةُ . قال أبو جهلٍ ، وكان فى ناحيةِ المسجدِ : كذَبْتَ[1] واللَّهِ لا تُشَقُّ . قال زَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ : أنت واللَّهِ أكْذَبُ ، ما رَضِينا كِتابَها حينَ[2] كُتِبَتْ . قال أبو البَخْتَرِىِّ : صَدَق زَمْعَةُ ، لا نَرْضَى ما كُتِب فيها ، ولا نُقِرُّ به . قال المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ : صَدَقْتُما وكَذَب مَن قال غيرَ ذلك ، نَبْرَأُ إلى اللَّهِ منها ومِمَّا كُتِب فيها . قال هشامُ بنُ عمرٍو نَحْوًا مِن ذلك . قال أبو جهلٍ : هَذا أَمْرٌ قُضِى بلَيْلٍ ، تُشُوورَ فيه بغيرِ هذا المكانِ . وأبو طالِبٍ جالِسٌ فى ناحيةِ المسجدِ ، وقام المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ إلى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّها ، فوَجَدَ الأَرَضَةَ قد أكَلَتْها إلَّا « بِاسْمِك اللَّهُمَّ » ، وكان كاتِبُ الصحيفةِ منصورَ بنَ عِكْرِمَةَ ، فشَلَّتْ يَدُه ، فيما يَزْعُمُون .

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وذَكَر بعضُ أهلِ العلم ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأبى طالِبٍ : « يا عمِّ ، إنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ تَدَعْ فيها اسْمًا هُوَ لِلَّهِ إلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا ، وَنَفَتْ مِنها الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ » . فقال : أَرَبُّكَ أخْبَرَكَ بهذا ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : فواللَّهِ ما يَدْخُلُ عليك أحَدٌ . ثُمَّ خَرَج إلى قُرَيْشٍ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، إنَّ ابنَ أخى أخْبَرَنى بكذا وكذا ، فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكم ، فإن كانتْ كما قال ، فانْتَهُوا عن قَطِيعَتِنا وانْزِلُوا عنها ، وإن كان

---

(١) زيادة لازمة ، سقطت من النسخ ، وأثبتناها من السيرة .

(٢) فى م : « حين » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٧.

كاذِبًا ، دَفَعْتُ إليكم ابنَ أخى . فقال القومُ : قد رَضِينا . فتَعاقَدُوا على ذلك ، ثُمَّ نَظَرُوا فإذا هى كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فزادَهم ذلك شَرًّا ، فعندَ ذلك صَنَع الرَّهْطُ مِن قُرَيشٍ فى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ ما صَنَعُوا .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا مُزِّقَتْ وبَطَل ما فيها ، قال أبو طالِبٍ ، فيما كان مِن أمرِ أولئك القومِ الذين قاموا فى نَقْضِ الصحيفةِ ، يَمْدَحُهم :

[٢/١٠٣ظ] أَلَا هل أتى بَحْرِيَّنا[2] صُنْعُ رَبِّنا ... على نَأْيِهِمْ واللَّهُ بالنَّاسِ أَرْوَدُ[3]

فيُخْبِرَهمْ أنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كُلُّ ما لم يَرْضَهُ اللَّهُ مُفْسَدُ

تَراوَحَها[4] إفْكٌ وسِحْرٌ مُجَمَّعٌ ... ولم يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ

تَدَاعَى لها مَن ليس فيها بِقَرْقَرٍ[5] ... فَطائِرُها فى رَأْسِها يَتَرَدَّدُ[6]

وكانتْ كِفاءً وَقْعَةٌ[7] بأثِيمَةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّدُ[8]

ويَظْعَنَ[9] أهلُ المَكَّتَيْنِ فيَهْرُبُوا ... فَرائِصُهم[10] مِن خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٨ - ٣٨٠.

(٢) قال السهيلى : يعنى الذين بأرض الحبشة ، نَسَبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه . الروض الأنف ٣/ ٣٥٦.

(٣) أرود : أرْفَق . المصدر السابق ٣/ ٣٥٨.

(٤) تَراوَحها من المُراوَحة ، والمراوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة وهذا مرة .

(٥) قال السهيلى : من ليس فيها بقرقر . أى ليس بذليل ؛ لأن القرقر : الأرض الموطوءة التى لا تمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذى هَزْل ؛ لأن القَرْقَرة : الضحك . الروض الأنف ٣/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٦) فطائرها فى رأسها يتردد : أى حظها من الشؤم والشر . المصدر السابق ٣/ ٣٥٩.

(٧) فى ص : « وقعا » . وفى السيرة : « رقعة » .

(٨) المُقَلَّد : يعنى به هنا العنق .

(٩) يظعن : يسير ويرتحل .

(١٠) فرائصهم : الفرائص : جمع فريصة ؛ وهى لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع . الوسيط (ف ر ص) .

ويُتْرَكَ حَرَّاتٌ يُقَلِّبُ أمْرَهُ ... أيُتْهِمُ[1] فيها[2] عِندَ ذاك ويُنْجِدُ[3]

[4]وتَصْعَدَ بينَ الأَخْشَبَيْنِ كَتِيبَةٌ ... لها حُدُجٌ[5] سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ[6][4]

فَمَنْ يَنْشَ[7] مِن حُضَّارِ مَكَّةَ عِزُّه ... فعِزَّتُنا فى بَطْنِ مكَّةَ أتْلَدُ[8]

نَشَأْنا بها والنَّاسُ فيها قَلائِلٌ ... فلم نَتْفَكِكْ نَزْدادُ خيرًا ونُحْمَدُ

ونُطْعِمُ حتى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ ... إذا جَعَلَتْ أيدى المُفِيضِينَ[9] تُرْعَدُ

جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بالحَجُونِ تَتابَعُوا[10] ... على ملأٍ يَهْدِى لِحَزْمٍ ويُرشِدُ

قُعُودًا لَدَى[11] خَطْمِ[12] الحَجُونِ كأنَّهُمْ ... مَقاوِلَةٌ[13] بل هُم أعَزُّ وأمْجَدُ

---

(١) يتهم: يأتى تهامة.

(٢) فى ص: «فيه». وفى السيرة: «فيهم».

(٣) يُنجد: يأتى نَجْدًا أو يخرج إليه.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) الحدج: جمع حدج، وهو الحِمْل. اللسان (ح د ج).

(٦) مِرْهد: قال السهيلى: يحتمل أن يكون مقلوبًا من مَرْهَد؛ مَفعَل من رَهَد الثوب، إذا مزّقه، ويعنى به رمحًا أو سيفًا. ويحتمل أن يكون غير مقلوب، ويكون من الرَّهيد، أى ينعم صاحبه بالظفر أو ينعم هو بالرّى من الدم. الروض الأنف ٣/ ٣٦٠.

(٧) ينش: ينشأ.

(٨) أتْلَد: أقْدَم.

(٩) قال السهيلى: يعنى أيدى المفيضين بالقداح فى الميسر، وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخىّ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك: البَرَم. الروض الأنف ٣/ ٣٦٠. والميسر فى كلام السهيلى: الجزور التى تقسم.

(١٠) فى الأصل، م: «تجمعوا».

(١١) فى الأصل، م: «لذى».

(١٢) فى الأصل، م: «حطم».

(١٣) مقاولة: ملوك.

أعانَ عليها كلُّ صَقْرٍ كأنَّهُ ... إذا ما مَشَى فى رَفْرَفِ الدِّرْعِ[1] أحْرَدُ[2]

جَرِىءٌ على جُلَّى[3] الخُطُوبِ كأنَّهُ ... شِهَابٌ بِكَفَّىْ قابِسٍ يَتَوَقَّدُ

مِنَ الأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤَىِّ بنِ غالِبٍ ... إذا سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ[4]

طويلُ النِّجادِ[5] خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ ... على وَجْهِه يُسْقَى الغَمامُ ويُسْعَدُ

عظيمُ الرَّمادِ سَيِّدٌ وابنُ سيِّدٍ ... يَحُضُّ على مَقْرَى[6] الضُّيُوفِ ويَحْشُدُ

ويَبْنِى لأبناءِ العَشِيرَةِ صالحًا ... إذا نحنُ طُفْنَا فى البلادِ ويَمْهَدُ[7]

أَلَظَّ[8] بهذا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّإٍ[9] ... عظيمِ اللِّواءِ أمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ

قَضَوْا ما قَضَوْا فى لَيْلِهم ثُمَّ أَصْبَحُوا ... على مَهَلٍ وسائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ

هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضَاءَ راضِيًا ... وسُرَّ أبو بَكْرٍ بها ومحمدُ

متى شُرِّكَ الأَقْوامُ فى جُلِّ[10] أَمْرِنَا ... وكُنَّا قديمًا قَبْلَها نُتَوَدَّدُ

وكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... ونُدْرِكُ ما شِئْنا ولا نَتَشَدَّدُ

فيالَ قُصَىٍّ هل لكم فى نُفُوسِكُمْ ... وهل لكمُ فيما يَجِىءُ به غَدُ

---

(١) قال السهيلى: رفرف الدرع: فُضولها. الروض الأنف ٣/ ٣٦١.

(٢) الأحرد: الذى فى مشيه تثاقُل، وهو من الحَرَد، وهو عيب فى الرِّجل. المصدر السابق.

(٣) الجلى: هو الأمر الشديد. الوسيط (ج ل ل).

(٤) يتربد: يتغيَّر ويتعبَّس.

(٥) النجاد: حمائل السيف. ويقال: هو طويل النجاد: طويل القامة.

(٦) المقرى من القِرَى، وهو إضافة الناس وإكرامهم.

(٧) يمهد: يقال: مهد لنفسه خيرًا. أى هيَّأه.

(٨) ألظَّ به: لَزِمَه ولم يُفارقه.

(٩) فى الأصل: «مبوأ».

(١٠) فى الأصل، م: «حل».

فإنِّى وإيَّاكُم كما قالَ قائلٌ لَدَيْكَ البَيانُ لو تَكَلَّمْتَ أسْوَدُ

(١) قال السُّهَيْلِىُّ(٢) : أسودُ اسمُ جبلٍ قُتِل به قتيلٌ ، ولم يُعْرَفْ قاتِلُه ، فقال أولياءُ المقتولِ : لَدَيْك البيانُ لو تكلَّمْتَ أسودُ . أى : يا أسودُ ، لو تكلَّمتَ لأَبَنْتَ لنا عمَّن قَتَلَه(١) .

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ(٣) شِعْرَ حَسَّانَ ، يَمْدَحُ المُطْعِمَ بنَ عَدِىٍّ ، وهِشامَ بنَ عَمْرٍو ؛ لِقيامِهما فى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ الفاجِرَةِ الغاشِمَةِ . وقد ذَكَرَ الأُمَوِىُّ هـٰهنا أشعارًا كثيرةً ، اكْتَفَيْنا بما أوْرَدَه ابنُ إسحاقَ .

وقال الواقِدِىُّ : سألتُ محمدَ بنَ صالِحٍ وعبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ العزيزِ : متى خَرَج بنو هاشِمٍ مِن الشِّعْبِ ؟ قالا : فى السَّنَةِ العاشرةِ(٤) . يَعْنِى مِن البِعْثَةِ ، قبلَ الهِجْرَةِ بثلاثِ سِنِينَ .

قلتُ : وفى هذه السَّنَةِ بعدَ خُرُوجِهم تُوُفِّىَ أبو طالِبٍ عَمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وزوجتُه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، كما سيأتى بَيانُ ذلك ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الروض الأنف ٣/ ٣٦١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢١٠.

فصل

وقد ذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، بعدَ إبْطالِ الصَّحِيفَةِ ، قِصَصًا كثيرةً ، تَتَضَمَّنُ نَصْبَ عَداوَةِ قُرَيْشٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتَنْفِيرَ [٢/١٠٤و] أحياءِ العربِ ، والقادِمِين إلى مكَّةَ - لحَجٍّ أو عُمْرَةٍ أو غيرِ ذلك - منه ، وإظهارَ اللَّهِ المُعجِزاتِ على يَدَيْه ؛ دَلالةً على صِدْقِه فيما جاءَهم به مِن البَيِّناتِ والهُدَى ، وتَكْذِيبًا لهم فيما يَرْمُونَه مِن البَغْيِ والعُدْوانِ والمَكْرِ والخِداعِ ، ويَرمُونه مِن الجُنُونِ والسِّحْرِ والكَهانَةِ والتَّقَوُّلِ ، واللَّهُ غالِبٌ على أمرِه ؛ فذَكَر قصَّةَ الطُّفَيْلِ ابنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ مُرْسَلَةً[1] ، وكان سيِّدًا مُطاعًا شَرِيفًا فى « دَوْسٍ » ، وكان قد قَدِم مكةَ فاجْتَمَعَ به أشْرافُ قُرَيشٍ وحَذَّرُوهُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ونَهَوْه أن يَجْتَمِعَ به أو يَسْمَعَ كلامَه . قال : فواللَّهِ مازالوا بى ، حتى أجْمَعْتُ أن لا أسْمَعَ منه شيئًا ولا أُكَلِّمَه ، حتى حَشَوْتُ أُذُنَىَّ حينَ غَدَوْتُ إلى المسجدِ كُرْسُفًا[2] ؛ فَرَقًا مِن أن يَبْلُغَنِى شىءٌ مِن قولِه ، وأنا لا أُرِيدُ أن أسْمَعَه . قال : فَغَدَوْتُ إلى المسجدِ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى عندَ الكعبةِ . قال : فقُمْتُ منه قريبًا ، فأبَى اللَّهُ إلَّا أن يُسْمِعَنى بعضَ قولِه ، قال : فسَمِعْتُ كلامًا حَسَنًا . قال : فقلتُ فى نَفْسِى : واثُكْلَ أُمِّى ، واللَّهِ إنِّى لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شاعِرٌ ، ما يَخْفَى عَلَىَّ الحَسَنُ مِن القَبِيحِ ، فما يَمْنَعُنِى أن أسْمَعَ مِن هذا الرجُلِ ما يقولُ ؛ فإن كان الذى يَأْتِى به حَسَنًا قَبِلْتُه ، وإن كان قَبِيحًا تَرَكْتُه . قال : فمَكَثْتُ حتى انْصَرَف رسولُ اللَّهِ

---

(١) قصة الطفيل بتمامها فى سيرة ابن هشام ١/٣٨٢ - ٣٨٥.

(٢) الكرسف : القطن .

ﷺ ، (١ فاتَّبَعْتُه حتى إذا دَخَل بيتَه ١) ، دخلتُ عليه فقُلْتُ : يا محمدُ ، إنَّ قَوْمَك قالوا لى كذا وكذا ، لِلذى قالوا . قال : فواللَّهِ ما بَرِحُوا بى يُخَوِّفُونَنِى أمْرَك ، حتى سَدَدْتُ أُذُنَىَّ بكُرْسُفٍ ؛ لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَك ، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إلا أن يُسْمِعَنِى قَوْلَك ، فسَمِعْتُ قولًا حَسَنًا ، فاعْرِضْ عَلَىَّ أمْرَك . قال : فَعَرَضَ علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ الإسلامَ ، وتَلا علىَّ القرآنَ ، فلا واللَّهِ ما سَمِعْتُ قولًا قَطُّ أحْسَنَ منه ، ولا أمرًا أعْدَلَ منه . قال : فأسْلَمْتُ وشَهِدْتُ شهادةَ الحقِّ ، وقلتُ : يا نَبِىَّ اللَّهِ ، إنِّى امْرُؤٌ مُطاعٌ فى قومِى ، وأنا راجِعٌ إليهم وداعِيهم إلى الإسلامِ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَ لى آيةً تكونُ لى عَوْنًا عليهم فيما أدْعُوهم إليه . قال : فقال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً » . قال : فَخَرَجْتُ إلى قومِى ، حتى إذا كنتُ بثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِى على الحاضِرِ (٢) ، وَقَعَ نورٌ بينَ عَيْنَىَّ مِثْلُ المِصْباحِ . قال : فقُلتُ : اللَّهُمَّ فى غيرِ وجهِى ؛ فإنِّى أخْشَى أن يَظُنُّوا أنَّها مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فى وجهِى لِفِراقِى دينَهم . قال : فتَحَوَّل فوَقَع فى رأسِ سَوْطِى . قال : فجَعَلَ الحاضِرُ يَتَراءَون ذلك النورَ فى رأسِ سَوْطِى كالقِنديلِ المُعَلَّقِ ، وأنا أنْهَبِطُ عليهم مِن الثَّنِيَّةِ ، حتى جِئْتُهم فأصْبَحْتُ فيهم ، فلمَّا نَزَلْتُ أتانى أبى ، وكان شيخًا كبيرًا ، فقلتُ : إليك عنِّى يا أبَتِ ، فلستُ منك ولستَ منِّى . قال : ولِمَ يا بُنَىَّ ؟ قال : قلتُ : أسْلَمْتُ وتابَعْتُ دِينَ محمدٍ ﷺ . قال : أىْ بُنَىَّ ، دِينِى دِينُك . فقلتُ : فاذْهَبْ فاغْتَسِلْ وَطَهِّرْ ثِيابَك ، ثُمَّ ائْتِنِى حتى أُعَلِّمَك مِمَّا عُلِّمْتُ . قال : فذَهَبَ فاغْتَسَل وطَهَّرَ ثِيابَه . قال : ثُمَّ جاءَ فعَرَضْتُ عليه الإسلامَ ، فأسْلَمَ . قال : ثُمَّ

(١ - ١) فى م : « إلى بيته » . وفى ص : « إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخلت بيته » .

(٢) الحاضر : القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه . الوسيط (ح ض ر) .

أتَتْنِى صاحِبَتِى ، فقُلتُ : إليكِ عنِّى ، فلستُ منكِ ولستِ منِّى . قالتْ : ولِمَ ؟ بأبى أنت وأُمِّى . قال : قلتُ : فَرَّق بينى وبينَكِ الإسلامُ ، وتابَعْتُ دِينَ محمدٍ ﷺ . قالتْ : فدِينِى دِينُك . قال : قُلتُ : فاذْهَبِى إلى حِنَى[1] ذِى الشَّرَى ، فتَطَهَّرِى منه . وكان ذو الشَّرَى صنمًا لدَوْسٍ ، وكان[2] الحِمَى حِمًى حَمَوْهُ له ، به وَشَلٌ[3] مِن ماءٍ يَهْبِطُ مِن جبلٍ . قالتْ : بأبى أنت وأُمِّى ، أتَخْشَى على الصَّبِيَّةِ مِن ذى الشَّرَى شيئًا ؟ قال : قلتُ : لا ، أنا ضامِنٌ لذلك . قال : فذَهَبَتْ فاغْتَسَلَتْ ، ثُمَّ جاءَتْ فعَرَضْتُ عليها الإسلامَ فأسْلَمَتْ ، ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إلى الإسلامِ فأبْطَئُوا عَلَىَّ ، ثُمَّ جِئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٢/١٠٤ظ] بمكَّةَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّه قد غَلَبَنِى على دَوْسٍ الزِّنا ، فادْعُ اللَّهَ عليهم . قال : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ، ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ ، فادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ » . قال : فلم أزَلْ بأرضِ دَوْسٍ أدْعُوهم إلى الإسلامِ ، حتى هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ومَضَى بدرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ ، ثُمَّ قَدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بمَن أسْلَم معى مِن قَوْمِى ، ورسولُ اللَّهِ بخَيْبَرَ ، حتى نَزَلْتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتًا مِن دَوْسٍ ، فلَحِقْنَا برسولِ اللَّهِ ﷺ بخَيْبَرَ ، فأسْهَم لنا مع المُسلِمِين ، ثُمَّ لم أزَلْ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا فَتَحَ اللَّهُ عليه مَكَّةَ قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ابْعَثْنِى إلى ذى الكَفَّيْن صَنَم عَمْرِو بنِ حُمَمَةَ حتى أحْرِقَه . قال ابنُ إسحاقَ[4] : فَخَرَجَ إليه ، فجَعَلَ الطُّفَيْلُ وهو يُوقِدُ عليه النّارَ يقولُ :

---

(١) كذا فى الأصل ، ص . وهو لفظ روايتى ابن إسحاق وابن هشام . وفى م : « حمى » . قال ابن هشام : ويقال : « حمى ذى الشرى » . وقال السهيلى فى الروض ٣/٣٧٦ : فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) الوَشَل : الماء القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قَطْرُه .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٥.

يا ذا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا مِيلادُنا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا

إنِّى حَشَوْتُ النَّارَ فى فُؤَادِكَا

قال : ثُمَّ رَجَعَ إلى[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ فكان معه بالمدينةِ ، حتى قَبَض اللَّهُ رسولَه ﷺ ، فلمَّا ارْتَدَّتِ العربُ خَرَج الطُّفَيْلُ مع المُسلِمِين ، فسار معهم حتى فَرَغُوا مِن طُلَيْحَةَ ومِن أرضِ نَجْدٍ كُلِّها ، ثُمَّ سار مع المُسلِمِين إلى اليَمامَةِ ومعه ابنُه عَمْرُو بنُ الطُّفَيْلِ ، فرأى رُؤْيا وهو مُتَوَجِّهٌ إلى اليَمَامَةِ ، فقال لأصْحابِه : إنِّى قد رَأَيْتُ رُؤْيا فاعْبُرُوها لى ؛ رَأَيْتُ أنَّ رَأْسِى حُلِق ، وأنَّه خَرَج مِن فَمِى طائرٌ ، وأنَّه لَقِيَتْنِى امرأةٌ فأَدْخَلَتْنِى فى فَرْجِها ، وأرَى ابنى يَطْلُبُنِى طَلَبًا حَثِيثًا ، ثُمَّ رَأَيْتُه حُبِس عنِّى . قالوا : خَيْرًا . قال : أمَّا أنا واللَّهِ ، فقد أَوَّلْتُها . قالوا : ماذا ؟ قال : أمَّا حَلْقُ رَأْسِى فوَضْعُه ، وأمَّا الطَّائِرُ الذى خَرَج منه فرُوحِى ، وأمَّا المرأةُ التى أدْخَلَتْنِى فى فَرْجِها ، فالأرْضُ تُحْفَرُ لى فأُغَيَّبُ فيها ، وأمَّا طَلَبُ ابنِى إيَّاىَ ثُمَّ حَبْسُه عنِّى ، فإنِّى أراه سيَجْهَدُ[2] أن يُصِيبَه ما أصابَنِى . فقُتِلَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، شَهِيدًا باليَمامَةِ ، وجُرِح ابنُه جِراحَةً شديدةً ، ثُمَّ اسْتَبَلَّ[3] منها ، ثُمَّ قُتِل عامَ اليَرْمُوكِ زَمَنَ عُمرَ شهيدًا ، رَحِمَه اللَّهُ . هكذا ذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ قصَّةَ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو مُرْسَلَةً بلا إسْنادٍ .

ولخَبَرِه شاهِدٌ فى الحديثِ الصحيحِ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثَنا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنا سفيانُ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هُرَيْرَةَ قال : لَمَّا قَدِمَ الطُّفَيْلُ

---

(١) زيادة لازمة ، سقطت من النسخ ، وأثبتناها من السيرة .

(٢) فى الأصل ، م : « سيجتهد » .

(٣) استبل : برأ وصحَّ .

(٤) المسند ٢/ ٤٤٨ . كما أخرجه فى ٢/ ٢٤٣ ، عن سفيان الثورى به . (إسناده صحيح) .

وأصْحابُه على النبيِّ ﷺ قال: إنَّ دَوْسًا قد اسْتَعْصَتْ. قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ». رَواه البخاريُّ عن أبى نُعَيْمٍ، عن سفيانَ الثَّوْرِيِّ به[1].

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: حَدَّثَنا يَزِيدُ، أنْبأنا محمدُ بنُ عَمْرٍو، عن أبى سَلَمَةَ، عن أبى هُرَيْرَةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، قال: قَدِم الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وأصْحابُه، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ دَوْسًا قد عَصَتْ وأبَتْ، فادْعُ اللَّهَ عليها. قال أبو هُرَيْرَةَ: فرَفَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْه، فقُلتُ: هَلَكَتْ دَوْسٌ. فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بها[3]». إسنادٌ جَيِّدٌ، ولم يُخْرِجُوه.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حَدَّثَنا سُليمانُ بنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنا حَمَّادُ بنُ زيدٍ، عن حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عن أبى الزُّبَيْرِ، عن جابِرٍ، أنَّ الطُّفَيْلَ بنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أتَى النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هل لك فى حِصْنٍ حَصِينٍ ومَنَعَةٍ؟ قال: حِصْنٌ كان لدَوْسٍ فى الجاهِلِيَّةِ. فأبَى ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ للذى ذَخَرَ اللَّهُ للأَنْصارِ، فلمَّا هاجَرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ، هاجَرَ [٢/١٠٥و] إليه الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وهاجَر معه رَجُلٌ مِن قَوْمِه، فاجْتَوَوُا المدينةَ[5]، فمَرِضَ[6] فجَزِعَ فأخَذَ مَشاقِصَ[7] فقَطَعَ

---

(١) سقط من: الأصل، م. والحديث أخرجه البخارى (٤٣٩٢).

(٢) المسند ٢/ ٥٠٢.

(٣) فى الأصل، م: «بهم».

(٤) المسند ٣/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٥) كذا فى النسخ ومسند أحمد بواو الجماعة. قال فى الفتح الربانى ٢٠/ ٢٩٤: هكذا بالأصل بواو الجمع أى أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها، والظاهر أنه أُصيب بذلك آخرون معه.

(٦) سقط من: ص.

(٧) مشاقص: جمع مِشْقَص؛ وهو نصل السهم - أى حديدته - إذا كان طويلا غير عريض. اللسان (ش ق ص).

بها بَرَاجِمَه[1] ، فَشَخَبَتْ يَداه[2] ، [3]فما رَقَأَ الدَّمُ[4][3] حتى مات ، فرآه الطُّفَيْلُ ابنُ عَمرٍو فى مَنامِه فى هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ ، ورآه مُغَطِّيًا يَدَيْهِ[5] ، فقال له : ما صَنَع بك رَبُّك ؟ فقال : غَفَرَ لى بهِجْرَتِى إلى نَبِيِّه ﷺ . قال : فما لى أراك مُغَطِّيًا يَدَيْكَ[6] ؟ قال : [7]قِيل لى : لن يُصْلَحَ[7] منك ما أفْسَدْتَ . قال : فقَصَّها الطُّفَيْلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ » . رَواه مسلمٌ[8] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ وإسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، كلاهما عن سُليمانَ ابنِ حَرْبٍ به . فإن قِيل : فما الجَمْعُ بينَ هذا الحديثِ ، وبينَ ما ثَبَتَ فى « الصَّحِيحَيْنِ »[9] مِن طريقِ الحَسَنِ ، عن جُنْدَبٍ[10] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ ، فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، فَقَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدِى بَادَرَنِى بِنَفْسِهِ ، فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ » . فالجوابُ مِن وُجُوهٍ ؛ أحَدُها : أنَّه قد يكونُ ذاك مُشرِكًا ، وهذا مُؤْمِنٌ ، ويكونُ قد جُعِل هذا الصَّنِيعُ سَبَبًا مُسْتَقِلًّا فى دُخُولِه النّارَ ، وإن كان شِرْكُه مُستَقِلًّا ، إلَّا أنَّه نَبَّه على هذا [11]لِتَعْتَبِرَ أُمَّتُه[11] . الثَّانى : قد يكونُ

---

(١) براجمه : البراجم جمع بُرْجُمَة ؛ وهى مفصل الأصبع . الوسيط (برجم) .

(٢) فشخبت يداه : سالت دماء يديه .

(٣ - ٣) ليست فى المسند .

(٤) رقأ الدم : سكن وجفّ وانقطع بعد جريانه .

(٥) فى المسند : « يده » . ولفظة : « يديه » لفظ رواية مسلم الآتية .

(٦) فى المسند : « يدك » . ولفظة « يديك » لفظ رواية مسلم .

(٧ - ٧) فى المسند : « قال لى : لن نصلح » .

(٨) مسلم (١١٦) .

(٩) البخارى (٣٤٦٣) . ومسلم (١١٣) .

(١٠) سقط من : ص .

(١١ - ١١) سقط من : الأصل .

هذاك عالِمًا بالتَّحْرِيمِ، وهذا غيرُ عالِمٍ؛ لحَدَاثَةِ عَهْدِه بالإسلامِ. الثالثُ: قد يكونُ ذاك فَعَلَه مُسْتَحِلًّا له، وهذا لم يَكُنْ مُسْتَحِلًّا، بل مُخْطِئًا. الرَّابعُ: قد يكونُ أراد ذاك بصَنِيعِه المَذكُورِ، أن يَقْتُلَ نَفْسَه، بخِلافِ هذا، فإنه يَجُوزُ أنَّه لم يَقْصِدْ قَتْلَ نَفْسِه، وإنَّما أرادَ غيرَ ذلك. الخَامسُ: قد يكونُ هذاك قَلِيلَ الحَسَناتِ، فلم تُقاوِمْ كِبَرَ ذَنْبِه المَذكُورِ، فدَخَلَ النّارَ، وهذا قد يكونُ كثيرَ الحسناتِ، فقاوَمَتِ الذنبَ، فلم يَلِجِ النّارَ، بل غُفِر له بالهجرةِ إلى نَبِيِّه ﷺ، ولكنْ بَقِيَ الشَّيْنُ فى يَدِه فقط وحَسُنَتْ هَيْئَةُ سائِرِه، فغَطَّى الشَّيْنَ منه، فلمَّا رآه الطُّفَيْلُ بنُ عَمرٍو مُغَطِّيًا يَدَيْه قال له: ما لكَ؟ قال: قِيل لى: لن يُصْلَحَ منك ما أفْسَدْتَ. فلمَّا قَصَّها الطُّفَيْلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، دعا له فقال: «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ». أى؛ فأصْلِحْ منها ما كان فاسِدًا. والمُحَقَّقُ أنَّ اللَّهَ اسْتَجابَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فى صاحِبِ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو.

قِصَّةُ أَعْشَى بنى قَيْسِ (١) بنِ ثَعْلَبَةَ (١)

قال ابنُ هشامٍ (٢) : حَدَّثَنِى خَلَّادُ بنُ قُرَّةَ بنِ خالِدٍ السَّدُوسِيُّ وغيرُه مِن مَشايِخِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ، عن أهلِ العلمِ، أنَّ أَعْشَى بنى قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بكرِ بنِ وائِلٍ، خَرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، يُرِيدُ الإسلامَ، فقال يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ (٣) :

أَلم تَغْتَمِضْ عَيْناكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا (٤) ... وبِتَّ كما باتَ السَّلِيمُ (٥) مُسَهَّدَا (٦)

وما ذاكَ مِنْ عِشْقِ النِّساءِ وإنَّما ... تَناسَيْتَ قَبْلَ اليومِ خُلَّةَ مَهْدَدَا (٧)

ولكنْ أَرَى الدَّهْرَ الذى هو خائِنٌ (٨) ... إذا أَصْلَحَتْ كفَّاىَ عادَ فأَفْسَدَا

(٩ كُهُولًا وشُبَّانًا فَقَدْتُ ٩) وثَرْوَةً ... فَلِلَّهِ هذا الدَّهْرُ كيف تَرَدَّدَا

(١ - ١) زيادة من: ص. والأعشى: اسمه ميمون.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٨٦ - ٣٨٨.

(٣) انظر القصيدة فى ديوان الأعشى ص ١٣٥، ١٣٧. بزيادة بيتٍ عما هنا، والسيرة.

(٤) الأرمد: الذى رمدتْ عيناه، أى هاجت وانتفخت. والمعنى: ألم تغتمض عيناك كلَيْلة الأرمد.

(٥) السليم: الملدوغ. وكانت تسمية العرب هذه، على التفاؤل بنجاته، كما سموا الصحراء مفازةً من الفوز تفاؤلا.

(٦) الشطر الثانى من هذا البيت فى الديوان هكذا:

* وعادك ما عاد السليمَ المسهدا *

والمسهد: الذى امتنع عليه النوم ليلًا.

(٧) خلَّة مهدد: الخلَّة: الصداقة والمحبة التى تخلَّلتِ القلب فصارت خلاله؛ أى فى باطنه. ومَهْدَد: فَعْلَل من المَهْد، ويعنى به هنا اسم امرأة.

(٨) فى الديوان: «خاتر».

(٩ - ٩) فى الديوان: «شباب وشيب وافتقار». والكهول: جمع كهل؛ وهو من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين. الوسيط (ك هـ ل).

وما زِلْتُ أبْغِى المالَ مُذ أنا يافِعٌ[1] وَلِيدًا وكَهْلًا حين شِبْتُ وأَمْرَدَا

وأَبْتَذِلُ[2] العِيسَ المَراقِيلَ[3] تَعْتَلِى[4] مَسافَةَ ما بينَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا[5]

ألَا أيُّهذا السَّائِلِى أينَ يَمَّمَتْ[6] فإنَّ لها فى أهلِ يَثْرِبَ مَوْعِدا

[٢/١٠٥ظ] فإنْ تَسْأَلِى عَنِّى فيا رُبَّ سائِلٍ حَفِىٍّ عن الأَعْشَى به[7] حيثُ أَصْعَدا[8]

أَجَدَّتْ[9] برِجْلَيْها نَجاءً[10] وراجَعَتْ يَداها خِنافًا[11] لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدا[12]

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ[13] عَجْرَفِيَّةٌ إذا خِلْتَ حِرْباءَ[14] الظَّهِيرَةِ أَصْيَدا[15]

---

(١) اليافع : الغلام قارب العشرين .

(٢) ابتذل الشيء : امتهنه واستعمله .

(٣) العِيس : هى الإبل التى يُخالط بياضها شُقْرة ، واحدها أعْيَس . والمراقيل : جمع مِرْقال ؛ وهو السريع .

(٤) فى الديوان والسيرة : « تغتلى » .

(٥) النُّجير : حِصن قرب حضرموت . وصرخد : بلد بالشام . القاموس المحيط (ن ج ر) ، (صرخد) .

(٦) يمَّمت : قصدت .

(٧) أصل الكلام هكذا : عن الأعشى حفىٌّ به . وإنما حدث تقديم وتأخير لضبط الوزن . وحفىّ به : مهتمٌّ به مُكرِم له .

(٨) أصعد : ارتقى . ويعنى هنا به ذهب .

(٩) أجدت : أسرعت السير .

(١٠) فى م ، ص : « النجاد » . وفى الأصل : « النجاه » . والمثبت من السيرة والديوان ؛ إذ لا يستقيم المعنى إلا به . والنجاء - ممدودًا - والنجا - مقصورًا - : السرعة فى السير .

(١١) الخناف : خَنَفت الدابة ؛ إذا مالت بيديها فى أحد شقَّيْها من النشاط . اللسان (خ ن ف) .

(١٢) أحرد : من الحَرَد ؛ وهو داء فى قوائم الإبل أو فى اليدين أو يُبس عصب إحداهما من العقال فيخبط بيديه إذا مشى . اللسان (ح ر د) .

(١٣) هجرت : سارت فى الهاجرة ؛ وهى نصف النهار عند اشتداد الحر .

(١٤) الحرباء : ذكر أم حُبَين وقيل : دويبة من الفصيلة الحربائية من الزواحف على شكل سام أبرص ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، مخططة الظهر ، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيف دارت ، ويتلوّن ألوانا .

(١٥) أصيد : من الصَّيَد ؛ وهو داء بالعنق لا يستطاع معه الالتفات . وهو أيضًا الكِبْر . والمعنى أنها =

(١ وآلَيْتُ لا آوِى ١) لها مِنْ كَلالَةٍ ... ولا مِن حَفًى حتى تُلاقِى (٢) محمدَا

متى ما تُناخِى عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ ... تُراحِى (٣) وتَلْقَىْ مِن فَواضِلِهِ نَدَى (٤)

نَبِىٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ ... أغارَ لَعَمْرِى فى البِلادِ وأنْجَدَا

له صَدَقاتٌ ما تُغِبُّ (٥) ونائِلٌ ... فليسَ عَطاءُ اليومِ مانِعَهُ غَدَا

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاةَ محمدٍ ... نَبِىِّ الإلَهِ حيثُ أوْصَى وأَشْهَدَا

إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ مِنَ التُّقَى ... ولاقَيْتَ بَعْدَ الموتِ مَنْ قد تَزَوَّدا

نَدِمْتَ على أن لا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... (٦ فَتُرْصِدَ للأمْرِ الذى ٦) كان أَرْصَدَا

فإيَّاكَ والمَيْتَاتِ لا تَقْرَبَنَّها (٧) ... ولا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لتَفْصِدَا (٨)

وذا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ ... ولا تَعْبُدِ الأَوْثانَ واللَّهَ فاعْبُدا

ولا تقربنَّ حُرَّةً (٩) كان سِرُّها (١٠) ... عليكَ حَرامًا فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدا

= تسير - أى الناقة - بشدة لا تبالى بالحر، وعبر عن عدم مبالاتها بالحرارة بلفظ عجرفية، وهو يدل على الكِبر، وعن شدة الحرارة بأن هذا الوقت هو الذى يستقبل فيه الحرباء الشمس برأسه، حتى لتظنّه أصيد.

(١ - ١) فى الديوان: «فآليت لا أرثى». وآوَى لها: رقَّ لها ورحمها.

(٢) فى الديوان: «تزور».

(٣) فى الديوان: «تريحى». وهما بمعنًى، من الراحة.

(٤) فى الديوان: «يدا». والندى: الجود والسخاء والخير.

(٥) ما تغب: ما تبطئ.

(٦ - ٦) فى الديوان: «وأنك لم ترصد لما».

(٧) فى الديوان: «تأكلنها».

(٨) فى الأصل: «ليقصدا». وفى م: «لتقصدا». والفَصْد: شقُّ العرق. وفصد الناقة: شقُّ عرقها ليستخرج دمه فيشربه. اللسان (ف ص د). فلعل الشاعر قصد النهى عن ذلك.

(٩) فى الأصل، م: «جارة».

(١٠) السر: النكاح.

(١وذا الرَّحِمِ القُرْبَى فلا تَقْطَعَنَّه١) لِعاقِبَةٍ ولا الأَسِيرَ المُقَيَّدا

وسَبِّحْ(٢) على حينِ العَشِيَّةِ(٣) والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشَّيطانَ واللَّهَ فاحْمَدا

ولا تَسْخَرَنْ مِن بائِسٍ ذِى ضَرارَةٍ(٤) ولا تَحْسَبَنَّ ٥المالَ للمَرْءِ مُخْلِدا٥

قال ابنُ هشامٍ(٦) : فلمَّا كان بمكَّةَ أو قَرِيبًا منها ، اعْتَرَضَه بعضُ المُشرِكِين مِن قُرَيشٍ ، فسَأَلَه عن أمْرِه ، فأخْبَرَه أنَّه جاء يُرِيدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ليُسْلِمَ ، فقال له : يا أبا بَصِيرٍ ، إنَّه يُحَرِّمُ الزِّنا . فقال الأَعْشَى : واللَّهِ إنَّ ذلك لأمْرٌ ما لى فيه مِن أرَبٍ . فقال : يا أبا بَصِيرٍ ، إنه يُحَرِّمُ الخَمْرَ . فقال الأَعْشَى : أمَّا هذه ، فواللَّهِ إنَّ فى النَّفْسِ منها لَعُلالاتٍ(٧) ، ولَكِنِّى مُنْصَرِفٌ فأَتَرَوَّى منها عامى هذا ، ثُمَّ آتِيه فأُسْلِمُ . فانْصَرَف فمات فى عامِه ذلك ، ولم يَعُدْ إلى النَّبىِّ ﷺ . هكذا أوْرَد ابنُ هشامٍ هذه القصَّةَ هـٰهنا ، وهو كثيرُ المُؤَاخَذاتِ لمحمدِ بنِ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، وهذا ممَّا يُؤاخَذُ به ابنُ هشامٍ ، رَحِمَه اللَّهُ ؛ فإنَّ الخَمْرَ إنَّما حُرِّمَتْ بالمدينةِ ، بعدَ وَقْعةِ بنى النَّضِيرِ ، كما سيأتى بيانُه ، فالظَّاهرُ أنَّ عَزْمَ الأَعْشَى على القُدُومِ للإسلامِ ، إنَّما كان بعدَ الهِجرةِ ، وفى شعرِه ما يَدُلُّ على ذلك ، وهو قولُه :

(١ - ١) فى الديوان :

* ولا السائل المحروم لا تتركنه *

(٢) فى الديوان : « وصل » .

(٣) فى الديوان : « العشيات » .

(٤) الضرارة : هو الضرر ، وهو النقص فى الأموال والأنفس ، وهو العمى . الوسيط (ض ر ر) .

(٥ - ٥) فى الديوان : « المرء يوما مخلدا » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٨.

(٧) العلالات : جمع عُلالة ؛ وهى بقية كل شىء . الوسيط (ع ل ل) . يعنى أنه مازال فى نفسه شىءٌ من احتياجه للخمر ، وعدم قدرته على تركها .

أَلَا أَيُّهذا السَّائِلِى أينَ يَمَّمَتْ فإنَّ لها فى أهلِ يَثرِبَ مَوعِدا

وكان الأَنْسَبَ والأَلْيَقَ بابنِ هشامٍ، أن يُؤَخِّرَ ذِكْرَ هذه القصَّةِ إلى ما بعدَ الهجرةِ، ولا يُورِدَها هـٰهنا. واللَّهُ أعلمُ. قال السُّهَيْلِىُّ[1]: وهذه غَفْلَةٌ مِن ابنِ هشامٍ ومَن تابَعَه؛ فإنَّ الناسَ مُجْمِعُونَ على أنَّ الخمرَ لم يَنزِلْ تحريمُها إلَّا بالمدينةِ بعدَ أُحُدٍ. وقد قال[2]: وقيل: إنَّ القائلَ للأَعْشَى، هو أبو جَهْلِ بنُ هشامٍ، فى دارِ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ. وذَكَرَ أبو عُبيدةَ[3] أنَّ القائلَ له ذلك، هو عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ، فى بلادِ قَيْسٍ وهو مُقْبِلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال[4]: وقولُه: ثُمَّ آتِيه فأُسْلِمُ. لا يُخْرِجُهُ عن كُفرِه، بلا خلافٍ. واللَّهُ أعلمُ.

ثُم ذَكَر ابنُ إسحـاقَ هـٰهنا قصَّةَ الإِرَاشِىِّ[5] وكيف اسْتَعْدَى إلى رسولِ [٢/١٠٦و] اللَّهِ ﷺ مِن أبى جهلٍ فى ثَمَنِ الجملِ الذى ابتاعَه منه، وكيف أذَلَّ اللَّهُ أبا جهلٍ، وأرْغَم أنْفَه، حتى أعطاه ثمنَه فى الساعةِ الرَّاهِنةِ، وقد قَدَّمْنا ذلك[6] فى ابتداءِ الوحيِ وما كان مِن أَذِيَّةِ المُشرِكِين عندَ ذلك.

---

(١) الروض الأنف ٣/ ٣٧٨.

(٢) أى السهيلى.

(٣) انظر الروض الأنف ٣/ ٣٨٠.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٩.

(٦) تقدم فى صفحة ١١٥.

قصَّةُ مُصارَعَةِ رُكانَةَ

وكيف أراه الشجرةَ التى دَعاها فأقْبَلَتْ ، ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحَدَّثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، قال : وكان رُكانَةُ بنُ عبدِ يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المُطَّلِبِ[2] بنِ عبدِ مَنافٍ أشَدَّ قُريشٍ ، فخلا يومًا برسولِ اللَّهِ فى بعضِ شعابِ مكَّةَ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا رُكانَةُ ، ألا تَتَّقى اللَّهَ وتَقْبَلُ ما أدعُوك إليه ؟ » قال : إنِّى لو أعلمُ أنَّ الذى تقولُ حقٌّ ، لَاتَّبَعْتُك . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أفَرَأَيْتَ إن صَرَعْتُكَ ، أتَعْلَمُ أنَّ ما أقولُ حَقٌّ ؟ » . قال : نعم . قال : « فقُمْ حتَّى أُصارِعَكَ » . قال : فقام رُكانةُ إليه فصارَعَه ، فلمَّا بَطَش به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أضْجَعَه لا يَملِكُ مِن نَفْسِه شيئًا ، ثُم قال : عُدْ يا محمدُ . فعاد فصَرَعَه ، فقال : يا محمدُ ، واللَّهِ إنَّ هذا لَلْعَجَبُ ، أتَصْرَعُنى ؟! قال : « وأعْجَبُ مِن ذلك إن شِئْتَ أن أُرِيَكَه ، إن اتَّقَيْتَ اللَّهَ واتَّبَعْتَ أمرى » . قال : وما هو ؟ قال : « أَدْعُو لك هذه الشَّجَرَةَ التى تَرَى فتَأْتِينى » . قال : ادْعُها . فدعاها ، فأقبَلَتْ حتى وقفتْ بين يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لها : « ارْجِعِى إلى مكانِكِ » . فرَجَعَتْ إلى مكانِها . قال : فذَهَب رُكانةُ إلى قومِه فقال : يا بنى عبدِ مَنافٍ ، ساحِرُوا بصاحِبِكم أهلَ الأرضِ ، فواللَّهِ ما رأيتُ أَسْحَرَ منه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) فى السيرة : « عبد المطلب » . والصحيح : « المطلب » . وانظر ترجمته فى أسد الغابة ٢/ ٢٣٦. والإصابة ٢/ ٤٩٧.

قَطُّ. ثُم أَخْبَرَهم بالذى رأى والذى صَنَع. هكذا رَوَى ابنُ[1] إسحاقَ هذه القصَّةَ مُرْسَلَةً بهذا السِّياقِ. وقد رَوَى أبو داودَ، والتِّرْمِذِىُّ مِن حديثِ أبى الحسنِ العَسْقَلانِىِّ[2]، عن أبى جعفرِ بنِ محمدِ بنِ رُكانةَ، عن أبيه، أنَّ رُكانةَ صارَع النبىَّ ﷺ، فصَرَعَه النبىُّ ﷺ. ثُم قال التِّرْمِذِىُّ: غريبٌ، ولا نَعرِفُ أبا الحسنِ ولا ابنَ رُكانةَ.

قلتُ: وقد رَوَى أبو بكرٍ الشَّافعىُّ[3] بإسنادٍ جيِّدٍ، عن ابنِ عباسٍ رَضِى اللَّهُ عنهما، أنَّ يزيدَ بنَ رُكانَةَ صارَعَ النبىَّ ﷺ، فصَرَعَه النبىُّ ﷺ ثلاثَ مرّاتٍ، كلُّ مرةٍ على مائةٍ مِن الغَنَمِ، فلمَّا كان فى الثالثةِ قال: يا محمدُ، ما وَضَع ظَهْرِى إلى الأرضِ أحدٌ قَبْلَك، وما كان أحدٌ أبْغَضَ إلىَّ منك، وأنا أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّك رسولُ اللَّهِ. فقام عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ورَدَّ عليه غَنَمَه.

وأمَّا قصَّةُ دُعائِه الشجرةَ فأقبلتْ، فسيأتِى فى كتاب «دَلائلِ النُّبوَّةِ» بعدَ السِّيرةِ، مِن طُرُقٍ جيِّدةٍ صحيحةٍ فى مرّاتٍ مُتعدِّدةٍ، إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثِّقةُ. وقد تَقَدَّم[4] عن أبى الأَشَدَّيْن، أنَّه صارَعَ النبىَّ ﷺ فصَرَعَه رسولُ اللَّهِ ﷺ.

ثُم ذَكَر ابنُ إسحاقَ قِصَّةَ قُدُومِ النَّصارَى مِن أهلِ الحبشة نحوًا مِن عشرين راكبًا إلى مكَّةَ فأسْلَموا عن آخِرِهم، وقد تَقَدَّم ذلك[5] بعدَ قصَّةِ النَّجاشِىِّ،

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذى (١٧٨٤). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٨٢).

(٣) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى. والأثر ذكره الحافظ فى الإصابة ٦/ ٦٥٦، وعزاه للخطيب فى المؤتلف.

(٤) لم نجده فيما تقدم. وقد ذكره المصنف فى التفسير ٨/٢٩٤. وانظر الروض الأنف ٣/١٩٤، ١٩٥.

(٥) تقدم فى صفحة ٢٠٣.

وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا جَلَس فى المسجدِ، فجَلَس إليه المُستَضْعَفون مِن أصحابِه؛ خَبَّابٌ، وعمّارٌ، وأبو فُكَيْهةَ يَسارٌ[2] مولى صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ، وصُهَيْبٌ، وأشباهُهم مِن المسلمين، هَزِئَتْ بهم قُريشٌ، وقال [٢/١٠٦ظ] بعضُهم لبعضٍ: هؤلاء أصحابُه كما تَرَوْن، أهؤلاءِ مَنَّ اللَّهُ عليهم مِن بيننا بالهُدى ودينِ الحقِّ؟! لو كان ما جاء به محمدٌ خيرًا ما سَبَقَنا هؤلاء إليه، وما خَصَّهم اللَّهُ به دونَنا. فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيهم[3]: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٢- ٥٤]. قال[4]: وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ كثيرًا ما يَجلِسُ عندَ المَرْوَةِ إلى مَبِيعَةِ[5] غُلامٍ نَصْرانِىٍّ يُقالُ له: جَبْرٌ. عَبْدٌ لبنى الحَضْرَمِىِّ، وكانوا يقولون: واللَّهِ مَا يُعَلِّمُ محمدًا كثيرًا مِمَّا يَأْتِى به إلَّا جبرٌ. فأنْزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك مِن قولِهم: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[6]:

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٢.

(٢) فى م، ص: «ويسار». وهو خطأ.

(٣) التفسير ٣/٢٥٤ - ٢٥٨.

(٤) أى ابن إسحاق.

(٥) فى ص: «بيعة».

(٦) التفسير ٤/٥٢٣ - ٥٢٤.

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

ثُم ذَكَرَ نُزُولَ سورةِ «الكوثرِ»[١] فى العاصِ بنِ وائلٍ، حينَ قال عن رسولِ اللَّهِ ﷺ: إنَّه أبْتَرُ لا عَقِبَ له؛ فإذا ماتَ انْقَطَعَ ذِكْرُه. فقال اللَّهُ تعالى[٢]: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣]. أى المَقْطُوعُ الذِّكْرِ [٣]بعدَه، ولو خَلَف أُلُوفًا مِن النَّسْلِ والذُّرِّيَّةِ، وليس الذِّكرُ[٣] والصِّيتُ ولسانُ الصِّدقِ بكَثْرةِ الأولادِ والأنسالِ والعَقِبِ، وقد تَكلَّمْنا على هذه السُّورةِ فى «التفسيرِ»[٤]، وللَّهِ الحمدُ.

وقد رُوِى عن أبى جعفرٍ الباقِرِ[٥]، أنَّ العاصَ بنَ وائِلٍ إنَّما قال ذلك حينَ مات القاسمُ ابنُ النبىِّ ﷺ، وكان قد بَلَغَ أن يَرْكَبَ الدَّابَّةَ وَيَسِيرَ على النَّجِيبَةِ[٦].

ثُم ذَكَر[٧] نزولَ قولِه[٨]: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [الأنعام: ٨]. وذلك بسببِ قولِ أُبَىِّ بنِ خَلَفٍ، وزَمْعَةَ بنِ الأَسودِ، والعاصِ بنِ وائِلٍ، والنَّضْرِ بنِ الحارِثِ: لولا أُنْزِل عليك مَلَكٌ يُكَلِّمُ الناسَ عنك.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٣.
(٢) التفسير ٨/ ٥٢٤، ٥٢٥.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) التفسير ٨/ ٥١٩ - ٥٢٥.
(٥) انظر الروض الأنف ٣/ ٤٠٢.
(٦) النجيبة: يعنى بها النجيبة من الإبل، وهى القوية الخفيفة السريعة.
(٧) أى ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٥.
(٨) التفسير ٣/ ٢٣٧.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ومَرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بَلَغَنا ، بالوليدِ بنِ المُغِيرَةِ وأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ وأبى جَهْلِ بنِ هشامٍ ، فهَمَزُوه واسْتَهْزَءُوا به ، فغاظَه ذلك ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك مِن أمرِهم[2] : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠] .

قلتُ[3] : وقال اللَّهُ تعالى[4] : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] . وقال تعالى[5] : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] . قال سُفْيانُ[6] ، عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : المُسْتَهْزِئون : الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ ، والأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ الزُّهْرِىُّ[7] ، والأسودُ بنُ المُطَّلِبِ أبو زَمْعَةَ[8] ، والحارثُ بنُ عَيْطَلٍ[9] السَّهْمِىُّ[10] ، والعاصُ بنُ وائِلٍ السَّهْمِىُّ ، فأتاه جبريلُ فشَكاهم إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأراه الوليدَ ، فأشار جبريلُ إلى أبْجَلِه[11] وقال : كُفِيتَه . ثُم أراه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٢) التفسير ٣/ ٢٣٧.

(٣) سقط من : ص .

(٤) التفسير ٣/ ٢٤٧.

(٥) التفسير ٤/ ٤٦٩، ٤٧٠.

(٦) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٤٩٨٣) ، من طريق سفيان به .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى الأصل : « ربيعة » .

(٩) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل : « عنطل » . وفى اسمه اختلاف كبير .

(١٠) سقط من : الأصل ، م .

(١١) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، م : « أنمله » . والأبجل : عِرق فى باطن الذراع . وقيل : هو عرق غليظ فى الرِّجل فيما بين العصب والعظم . اللسان (ب ج ل) .

الأسودَ بنَ المطَّلبِ ، فأوْمَأ إلى عُنُقِه وقال : كُفِيتَه . ثُم أراه الأسودَ بنَ عبدِ يَغُوثَ ، فأوْمَأ إلى رأسِه وقال : كُفِيتَه . ثُم أراه الحارِثَ بنَ عَيْطَلٍ ، فأوْمَأ إلى بطنِه . وقال : كُفِيتَه . ومَرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ ، فأوْمَأ إلى أَخْمَصِه وقال : كُفِيتَه . فأمَّا الوليدُ ، فمرَّ برجلٍ مِن خُزاعَةَ وهو يَرِيشُ [٢/١٠٧و] نَبْلًا[١] له ، فأصاب أبْجَلَه فقَطَعَها ، وأمَّا الأَسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ ، فخَرَج فى رأسِه قُرُوحٌ فمات منها ، وأمّا الأسودُ بنُ المُطَّلبِ فعَمِى ، وكان سببَ ذلك ، أنَّه نَزَل تحتَ سَمُرَةٍ[٢] فجَعَل يقولُ : يا بَنِىَّ ، ألا تَدْفَعون عنِّى ، قد قُتِلْتُ . فجَعَلوا يقولون : ما نَرَى شيئًا . وجَعَل يقولُ : يا بَنِىَّ ، ألا تَمْنَعون عنِّى ، قد هَلَكتُ ، ها هو ذا الطَّعْنُ بالشَّوكِ فى عَيْنَىَّ . فجَعَلوا يقولون : ما نَرَى شيئًا . فلم يَزَلْ كذلك حتى عَمِيَتْ عَيْناه ، وأمَّا الحارثُ بنُ عَيْطَلٍ ، فأخَذَه الماءُ الأصفرُ فى بطنِه حتى خَرَج خُرْؤُه[٣] مِن فِيهِ ، فمات منها ، وأمّا العاصُ بنُ وائلٍ ، فبينما هو كذلك يومًا ، إذ دَخَل فى رأسِهِ شِبْرِقَةٌ[٤] حتى امْتَلأَتْ منها ، فمات منها . وقال غيرُه فى هذا الحديثِ : فرَكِب إلى الطّائِفِ على حمارٍ ، فرَبَض[٥] به على شبرقةٍ - يعنى شوكةً - فدخلتْ فى أخْمَصِ قدمِه شوكةٌ فقَتَلَتْه . رَواه البَيْهَقِىُّ بنحوٍ مِن هذا السِّياقِ[٦] .

---

(١) النَّبل : السهام . وراش السهم : ركّب عليه الريش .

(٢) السمرة : واحدة السَّمُر ؛ وهو ضرب من شجر الطَّلح .

(٣) الخرء : العَذِرة .

(٤) الشبرقة : واحدة الشِّبْرِق ؛ وهو نبات غضّ ، وقيل : شجر منبته نجد وتهامة ، وثمرته شاكّة صغيرة الجِرْم - أى الحجم - حمراء مثل الدم ، منبتها السباخ والقيعان . اللسان (ش ب ر ق) .

(٥) ربض : طوى قوائمه ولصق بالأرض وأقام . الوسيط (ر ب ض) .

(٦) دلائل النبوة ٢/٣١٦ - ٣١٨ من طريق سفيان به .

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان عُظماءُ المُسْتَهْزِئين، كما حَدَّثنى يزيدُ بنُ رُومانَ عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، خمسةَ نَفَرٍ، وكانوا ذَوِى أَسْنانٍ وشَرَفٍ فى قومِهم؛ الأسودُ بنُ المُطَّلبِ أبو زَمْعَةَ، دعا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَه وأَثْكِلْه وَلَدَه». والأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ، والوليدُ بنُ المُغِيرةِ، والعاصُ ابنُ وائلٍ، والحارثُ بنُ الطُّلاطِلَةِ. وذَكَر[2] أنَّ اللَّهَ تعالى أنْزَل فيهم[3]: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٩٤- ٩٦]. وذَكَر[4] أنَّ جبريلَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهم يَطُوفون بالبيتِ، فقام وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جَنْبِه، فمرَّ به الأَسودُ بنُ المُطَّلِبِ، فرَمَى فى وجهِه بورقةٍ خضراءَ فعَمِىَ، ومَرَّ به الأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ، فأشار إلى بطنِه فاسْتَسْقَى بطنُه[5]، فمات منه[6] حَبَنًا[7]، ومَرَّ به الوليدُ بنُ المُغِيرةِ، فأشار إلى أَثَرِ جُرْحٍ بأسفلِ كعبِه، كان أصابَه قبلَ ذلك بسنينَ، مِن مُرورِه برجلٍ يَرِيشُ نَبْلًا له من خُزاعَةَ، فتَعَلَّق سهمٌ بإزارِه فخَدَشَه خَدْشًا يسيرًا، فانْتَقَضَ[8] بعدَ ذلك فمات، ومَرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ، فأشار إلى أَخْمَصِ رِجْلِه، فخَرَج على حمارٍ له يريدُ الطَّائِفَ، فرَبَض به على

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٢) أى ابن إسحاق.

(٣) التفسير ٤/ ٤٦٩ - ٤٧١.

(٤) أى ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١٠.

(٥) فى الأصل، م: «باطنه».

(٦) سقط من: الأصل، ص.

(٧) الحَبَن، وهو الاستسقاء، داء يعظم منه البطن ويَرِم.

(٨) انتقض: أى تجدَّد عليه. وفى اللسان (ن ق ض): يقال: انتقض الجُرح بعد البرء، وانتقض الأمر بعد التئامه، وانتقض أمر الثغر بعد سدّه.

شِبْرِقَةٍ[1] ، فدخَلتْ فى أخْمَصِ رِجلِه شوكةٌ فقَتَلَتْه ، ومَرَّ به الحارثُ بنُ الطُّلاطِلَةِ[2] ، فأشار إلى رأسِه فامْتَخَضَ[3] قَيْحًا فقَتَلَه .

ثُم ذَكَر ابنُ إسحاقَ[4] أنَّ الوليدَ بنَ المُغِيرةِ لمَّا حَضَرَه الموتُ أوْصَى بَنِيهِ الثلاثةَ ؛ وهم خالدٌ ، وهشامٌ ، والوليدُ ، فقال لهم : أىْ بَنِىَّ ، أُوصِيكم بثلاثٍ ، دَمِى فى خُزاعَةَ فلا تُطِلُّوه[5] ، واللَّهِ إنِّى لأعْلَمُ أنَّهم منه بَراءٌ ، ولكنِّى أخْشَى أن تُسَبُّوا به بعدَ اليومِ ، ورِباىَ[6] فى ثَقِيفٍ فلا تَدَعُوه حتى تَأْخُذوه ، وعُقْرِى[7] عندَ أبى أُزَيْهِرٍ الدَّوْسِىِّ فلا يَفُوتَنَّكم به . وكان أبو أُزَيْهِرٍ قد زَوَّج الوليدَ بنتًا له ، ثُم أمْسَكها عنه فلم يُدْخِلْها عليه حتى مات ، وكان قد قَبَضَ عُقْرَها منه ، وهو صَداقُها ، فلمَّا مات الوليدُ ، وَثَبَتْ بنو مَخْزُومٍ على خُزاعَةَ يَلْتَمِسون منهم عَقْلَ[8] الوليدِ ، وقالوا : إنَّما قَتَلَه سهمُ صاحِبِكم . فأبَتْ عليهم خُزاعةُ ذلك ، حتى تَقاوَلُوا أشعارًا[9] وغَلُظ بينَهم الأمرُ ، ثُم أعْطَتْهم خُزاعةُ بعضَ العَقْلِ واصْطَلَحوا وتَحاجَزوا .

---

(١) فى السيرة : « شبارقة » .

(٢) فى م : « الطلاطل » .

(٣) فى النسخ : « فامتحض » . وهو لفظ بعض نسخ السيرة ، والمثبت من السيرة ، وامتخض : أى تحرك وعمَّ رأسه .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٤١٠ - ٤١٢.

(٥) فى الأصل : « تطلبوه » . وفى ص : « تطلبنه » . وفى السيرة : « تَطُلُّنَّه » . ولا تطلوه : أى لا تُهدروه وتُبطلوه .

(٦) رباى : يعنى الرِّبا .

(٧) عقرى : قال السهيلى فى الروض الأنف ٤/١٩: العقر : دِيَة الفرج المغصوب .

(٨) العقل : الدِّيَة .

(٩) تقاولوا : أى قال كلٌّ منهم أشعارًا يهاجم بها الآخر . وقد ذُكرت هذه الأشعار فى السيرة ، وترك المصنف إيرادها هنا .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم عَدا هشامُ بنُ الوليدِ على أبى أُزَيْهِرٍ وهو بسُوقِ ذى المَجازِ فقَتَلَه ، وكان شريفًا فى قومِه ، وكانت ابنتُه[2] تحتَ أبى سُفيانَ ، وذلك بعدَ بدرٍ ، [٢/١٠٧ظ] فعَمَد يزيدُ بنُ أبى سفيانَ فجَمَع الناسَ[3] لبَنِى مَخْزُومٍ ، وكان أبوه غائبًا ، فلمَّا جاء أبو سُفيانَ غاظَه ما صَنَع ابنُه يزيدُ ، فلامَه على ذلك ، [4]وضَرَبَه ، ووَدَى أبا أُزَيْهِرٍ ، وقال لابنِه : أَعَمَدْتَ إلى أن تَقْتُلَ قُريشٌ بعضُها بعضًا فى رَجُلٍ مِن دَوْسٍ ![4] وكَتَبَ حسّانُ بنُ ثابِتٍ قصيدةً له يُحَرِّضُ أبا سُفيانَ فى دمِ أبى أُزَيهِرٍ ، فقال : بِئسَ ما ظَنَّ حسانُ أن يَقْتُلَ بعضُنا بعضًا ، [5]وقد ذهب أشرافُنا يومَ بدرٍ[5] . ولمَّا أسْلَم خالدُ بنُ الوليدِ وشَهِد الطّائِفَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، سَأَلَه فى رِبا أبيه مِن أهلِ الطائفِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فذَكَر لى بعضُ أهلِ العلمِ ، أنَّ هؤلاءِ الآياتِ نَزَلْنَ فى ذلك[7] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] . وما بعدَها .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : ولم يَكُنْ فى بنى أُزَيهِرٍ ثأرٌ نَعْلَمُه حتى حَجَز الإسلامُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤١٣ - ٤١٤.
(٢) أى ابنة أبى أزيهر ، واسمها - كما جاء فى السيرة - عاتكة .
(٣) أى بنى عبد مناف وهم قومه ، كما جاء فى السيرة مفسرا .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥ - ٥) هذه العبارة ليست فى السيرة .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٤.
(٧) التفسير ١/ ٤٨٩، ٤٩٠.
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٤.

بينَ الناسِ، إلَّا أنَّ ضِرارَ بنَ الخطّابِ بنِ مِرْداسٍ الفِهْرِيَّ[1] خَرَج فى نَفَرٍ مِن قُريشٍ إلى أرضِ دَوْسٍ، فنَزَلوا على امرأةٍ يُقال لها: أُمُّ غَيْلانَ. مَوْلاةٌ لدَوْسٍ، وكانت تَمْشُطُ النساءَ وتُجَهِّزُ العَـرائِسَ، فأرادتْ دوسٌ قَتْلَهم بأبى أُزَيهرٍ، فقامتْ [2]دونَه أُمُّ غَيْلانَ ونِسوةٌ كُنَّ معها حتى مَنَعَتْهم. قال السُّهَيْلِيُّ[3]: يُقالُ: إنَّها أدْخَلَتْه بينَ دِرْعِها وبَدَنِها.

قال ابنُ هشامٍ[4]: فلمَّا كانت أيامُ عُمرَ بنِ الخطّابِ أتتْه أمُّ غَيْلانَ، وهى تَرَى أنَّ ضِرارًا أخوه، فقال لها عُمرُ: لستُ بأخيه إلَّا فى الإسلامِ[5]، وقد عَرَفتُ مِنَّتَكِ عليه. فأعْطاها على أنَّها بنتُ سبيلٍ.

قال ابنُ هشامٍ[6]: وكان ضِرارُ بنُ الخطّابِ لَحِق عمرَ بنَ الخطّابِ يومَ أُحُدٍ، فجعَل يَضرِبُه بعَرْضِ الرُّمحِ ويقولُ: انْجُ يا بنَ الخطّابِ، لا أَقْتُلُك. فكان عُمرُ يَعرِفُها له بعدَ الإسلامِ، رَضِى اللَّهُ عنهما.

---

(١) فى النسخ: «الأسلمى». والمثبت من السيرة. وانظر ترجمته فى أسد الغابة ٣/ ٥٣، ٥٤. والإصابة ٣/ ٤٨٣ - ٤٨٥.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) الروض الأنف ٤/ ١٩.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٥.

(٥) بعدها فى السيرة: «وهو غازٍ».

(٦) المصدر السابق ١/ ٤١٥.

فصل

وذَكَر البَيْهَقِيُّ هـٰهنا دُعاءَ النبيِّ ﷺ على قُريشٍ ، حينَ اسْتَعْصَتْ عليه ، بسَبْعٍ كسَبْعِ يوسفَ ، وأوْرَد[1] ما أخْرَجاه فى الصحيحَيْنِ[2] ، مِن طريقِ الأعْمَشِ ، عن مسلمِ بن صُبَيْحٍ ، عن مَسْروقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : خَمْسٌ مَضَين ؛ اللِّزامُ ، والرُّومُ ، والدُّخانُ ، والبَطْشَةُ ، والقمرُ . وفى روايةٍ[3] عن ابنِ مسعودٍ قال : إنَّ قُريشًا لمَّا استَعْصَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبْطَئُوا عن الإسلامِ ، قال : « اللَّهُمَّ أَعِنِّى عليهم بِسَبْعٍ كسبعِ يُوسُفَ » . قال : فأصابَتْهم سَنَةٌ[4] ، فَحَصَّتْ[5] كلَّ شىءٍ ، حتى أكَلُوا الجِيَفَ والمَيْتَةَ ، حتى إنَّ أحَدَهم كان يَرَى ما بينَه وبينَ السماءِ كهيئةِ الدُّخانِ مِن الجُوعِ ، ثُم دعَا[6] فكَشَف اللَّهُ عنهم . ثُم قَرَأ عبدُ اللَّهِ هذه الآيـةَ : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] . قال : فعادوا فكَفَروا[7] فأُخِّروا إلى يومِ القيامةِ ، أو قال[7] : فأُخِّروا إلى يومِ بدرٍ . قال أبو[8] عبدِ اللَّهِ : إنَّ ذلك لو كان

---

(١) البيهقى فى الدلائل ٢/٣٢٧ . من طريق الأعمش به .

(٢) البخارى (٤٨٢٥) . ومسلم (٢٧٩٨) .

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٢٤، ٣٢٥، من طريقين عن جعفر بن عون عن الأعمش بنفس الإسناد السابق .

(٤) بعده فى م ، ص : « حتى » .

(٥) حصَّتْ : جرَّدتْ وأذهبتْ .

(٦) فى ص : « دعوا » .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وهو حكاية بالمعنى من المصنف يشير بها إلى لفظى طريقى البيهقى .

(٨) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل . وأبو عبد اللَّه هو محمد بن يعقوب أحد رجال إسنادى البيهقى ، والجملة الآتية لفظه .

يومَ القيامةِ، كان لا يُكْشَفُ عنهم: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ١٦]. قال: يومَ بدرٍ. وفى روايةٍ عنه[١] قال: لمَّا رأى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الناسِ إدْبارًا قال: «اللَّهُمَّ سبعًا كسبعِ يوسفَ». فأخَذَتْهم سَنَةٌ، حتى أكَلوا المَيْتَةَ والجُلودَ والعظامَ، فجاءَه أبو سُفيانَ وناسٌ مِن أهلِ مكَّةَ فقالوا: يا محمدُ، إنَّك تَزْعُمُ أنَّك بُعِثْتَ رحمةً، وإنَّ قومَك قد هَلَكوا، فادْعُ اللَّهَ لهم. فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ فسُقُوا الغَيْثَ، فأطْبَقَتْ عليهم سَبعًا، فشَكا الناسُ كثرةَ المطرِ، فقال: «اللَّهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا». فانْحَدَرَتِ[٢] السَّحابةُ[٣] عن رأسِه فسُقِيَ الناسُ حَوْلَهم. قال: لقد مَضَتْ آيةُ الدُّخانِ، وهو الجوعُ الذى أصابَهم، وذلك قولُه: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾، وآيةُ الرُّومِ[٤]، والبَطْشةُ الكُبرى، وانشِقاقُ القمرِ، وذلك كلُّه يومَ بدرٍ. قال البَيْهَقِيُّ[٥]: يريدُ، واللَّهُ أعلمُ، البَطْشَةَ الكُبرى، والدُّخانَ، وآيةَ اللِّزامِ[٦]، كلُّها حَصَلَتْ ببدرٍ. قال[٧]: وقد أشار البخاريُّ إلى هذه الرِّوايةِ[٨]. [٢/١٠٨و] ثُم أوْرَدَ[٩] مِن طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن أيُّوبَ، عن عِكرِمَةَ، عن ابنِ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) فى الأصل: «فاتحدت». وفى م: «فانجذب». وفى ص: «فانحذب». والمثبت من الدلائل.

(٣) فى النسخ: «السحاب». والمثبت من الدلائل.

(٤) فى الدلائل: «اللزام».

(٥) فى الدلائل ٢/ ٣٢٧.

(٦) فُسِّر اللزام بيوم بدر، وبيوم القيامة. انظر التفسير ٦/ ١٤٣.

(٧) أى البيهقى، فى الدلائل ٢/ ٣٢٧.

(٨) البخارى (١٠٢٠، ٢٨٢٤).

(٩) أى البيهقى، وقد أخرجه فى الدلائل ٢/ ٣٢٨، ٣٢٩.

عباسٍ قال: جاء أبو سُفيانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغِيثُ مِن الجوعِ؛ لأنَّهم لم يَجِدوا شيئًا حتى أكَلوا العِهْنَ[1] بالدَّمِ[2]، فأنْزَل اللَّهُ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦]. قال: فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى فَرَّج اللَّهُ عنهم. ثُم قال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[3]: وقد رُوِىَ فى قصَّةِ أبى سُفيانَ ما دَلَّ على أنَّ ذلك كان بعدَ الهجرةِ، ولعلَّه كان مَرَّتَيْنِ. واللَّهُ أعلمُ.

فصـلٌ: ثُم أوْرَد البَيْهَقِيُّ[4] قصَّةَ فارسَ والرُّومِ ونُزولَ قولِهِ تعالى[5]: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ١- ٥]. ثُم رَوَى[6] مِن طريقِ سُفيانَ الثَّوْرِىِّ، عن حبيبِ بنِ[7] أبى عَمْرَةَ[8]، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان المسلمون يُحِبُّون أن يَظْهَرَ الرومُ على فارسَ؛ لأنَّهم أهلُ كِتابٍ، وكان المشركون يُحِبُّون أن تَظْهَرَ

---

(١) فى الأصل: «العلهز». والعهن: الصوف. والعلهز: شىء يتخذونه فى سنى المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه. انظر النهاية ٣/ ٢٩٣.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى الدلائل ٢/ ٣٢٩.

(٤) الدلائل ٢/ ٣٣٠.

(٥) التفسير ٦/ ٣٠٤ - ٣١١.

(٦) الدلائل ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٧) فى الأصل: «عن».

(٨) فى الأصل، م: «عمرو». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٨٦.

فارِسُ على الرُّومِ ؛ لأنَّهم أهلُ أوثانٍ ، فذَكَر ذلك المسلمون لأبى بكرٍ ، فذَكَره أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ فقال : « أَمَا إِنَّهُم سَيَظْهَرُونَ » . فذَكَر أبو بكرٍ ذلك للمشركين ، فقالوا : اجْعَلْ بينَنا وبينَك أجَلًا ، إن ظَهَرُوا كان لك كذا وكذا ، وإن ظَهَرْنا كان لنا كذا وكذا . فذَكَر ذلك أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ فقال : « أَلَا جَعَلْتَهُ - أُرَاه[1] قال - دونَ العَشْرِ » . قال[2] : فظَهَرَتِ الرومُ بعدَ ذلك .

وقد أوْرَدْنا طُرُقَ هذا الحديثِ فى « التفسيرِ »[3] ، وذَكَرْنا[4] أنَّ المُباحِثَ - أى المُراهِنَ - لأبى بكرٍ ، أُمَيَّةُ[5] بنُ خَلَفٍ ، وأنَّ الرَّهْنَ كان على خَمْسِ قَلائِصَ[6] ، وأنه كان إلى مُدَّةٍ ، فزاد فيها الصدِّيقُ عن أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفى الرَّهْنِ ، وأنَّ غَلَبَةَ الرومِ على فارسَ كان يومَ بدرٍ ، أو كان يومَ الحُدَيْبِيَةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثُم رَوَى[7] مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، حَدَّثنا أُسَيدٌ الكِلابِىُّ ، أنَّه سَمِع العَلاءَ بنَ الزُّبيرِ الكِلابِىَّ يُحَدِّثُ عن أبيه ، قال : رأيتُ غَلَبَةَ فارسَ الرومَ ، ثُم رأيتُ غَلَبَةَ الرومِ فارسَ ، ثُم رأيتُ غَلَبَةَ المسلمين فارسَ والرومَ ، وظُهُورَهم على الشامِ والعراقِ ، كلُّ ذلك فى خمسَ عَشْرةَ سنةً .

---

(١) فى م : « أداة » .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) التفسير ٦/٣٠٤ - ٣٠٧.

(٤) التفسير ٦/ ٣٠٧.

(٥) كذا فى النسخ . وفى التفسير : « أبى » .

(٦) الذى فى التفسير : « عشر قلائص » . والقلائص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة .

(٧) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٣٤.

(*)فصل فى الإسراءِ برسولِ اللّهِ ﷺ

مِن مكّةَ إلى بيتِ المَقْدِسِ، (1)ثُم عُرُوجِه

مِن هُناك إلى السماواتِ وما رأى هنالك مِن الآياتِ(1)

ذَكَر ابنُ عَساكِرَ أحاديثَ الإسراءِ فى أوائلِ البِعثَةِ(2)، وأمَّا ابنُ إسحاقَ فذَكَرها فى هذا المَوطِنِ بعدَ البِعْثةِ بِنَحْوِ مِن عشْرِ سنينَ(3). ورَوَى البَيْهَقِىُّ(4) مِن طريقِ موسى بنِ عُقْبَةَ، عن الزُّهْرِىِّ، أنَّه قال: أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ خُرُوجِه إلى المدينةِ بسنةٍ. قال(5): وكذلك ذَكَره ابنُ لَهِيعَةَ، عن أبى الأسودِ عن عُرْوةَ. ثُم روى(6) عن(7) الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ، عن يونسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن أسْباطِ بنِ نصرٍ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ أنَّه قال: فُرِض على رسولِ اللَّهِ ﷺ الخَمْسُ ببيتِ المَقدِسِ ليلةَ أُسْرِىَ به، قبلَ مُهاجَرِه بستةَ عشَرَ شهرًا. فعلى قولِ السُّدِّىِّ، يكونُ الإسراءُ فى شهرِ ذى القَعْدَةِ، وعلى

(*) من هنا تبدأ النسخة الثالثة من الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث، ويشار إليها فى الحواشى بـ (ا ١٥).

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٣/٤٨٠ - ٥١٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٩٦ - ٤٠٨.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٤.

(٥) أى البيهقى.

(٦) فى الدلائل ٢/ ٣٥٥.

(٧) سقط من: ا ١٥، م.

قولِ الزُّهْرِىِّ وعُرْوةَ[1] ، يكونُ فى ربيعِ الأوَّلِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[2] : حَدَّثنا عثمانُ ، عن سعيدِ بنِ مِينا ، عن جابرِ وابنِ عباسٍ ، قالا : وُلِد رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/١٠٨ظ] عامَ الفيلِ ، يومَ الاثنين الثانىَ عَشَرَ مِن ربيعِ الأَوَّلِ ، وفيه بُعِث ، وفيه عُرِج به إلى السماءِ ، وفيه هاجَر ، وفيه ماتَ . فيه انقِطاعٌ . وقد اخْتارَه الحافظُ عبدُ الغنىِّ بنُ سُرورٍ المَقْدِسِىُّ فى « سِيرتِه » ، وقد أوْرَد حديثًا لا يَصِحُّ سَنَدُه ، ذَكَرْناه فى « فضائلِ شهرِ رجبٍ » ؛ أنَّ الإسراءَ كان ليلةَ السابعِ والعشرين مِن رجبٍ . واللَّهُ أعلمُ . ومِن الناسِ مَن يزْعُمُ أنَّ الإسراءَ كان أوَّلَ ليلةِ جمعةٍ مِن شهرِ رجبٍ ، وهى ليلةُ الرَّغائِبِ التى أُحْدِثَتْ فيها الصلاةُ المشهورةُ ، ولا أصلَ لذلك . واللَّهُ أعلمُ . ويُنْشِدُ بعضُهم فى ذلك :

لـيـلـةَ الجُمْـعَـةِ عُـرِّجَ بـالـنَّـبِـى ... لـيـلـةَ الجُمْـعَـةِ أَوَّلَ رَجَـبِ

وهذا الشِّعرُ عليه ركاكَةٌ ، وإنَّما ذَكَرْناه استشهادًا لمَن يقولُ به . وقد ذكرْنا الأَحاديثَ الواردةَ فى ذلك مُسْتَقْصاةً ، عندَ قولِه تعالى[3] : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] . فَلْتُكْتَبْ مِن هناك على ما هى عليه مِن الأسانيدِ ، والعَزْوِ ، والكلامِ عليها ، ومعها ، ففيها مَقْنَعٌ وكفايةٌ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) سقط من : ص .
(٢) تقدم فى ٣/٣٧٥ .
(٣) التفسير ٥/٤ - ٣٩.

ولْنَذْكُرْ مُلخَّصَ كلامِ ابنِ إسحاقَ[1] ، رَحِمَه اللَّهُ ، فإنَّه قال بعدَ ذِكْرِ ما تَقَدَّم مِن الفُصولِ : ثُم أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأَقْصَى - وهو بيتُ المَقدِسِ - مِن إِيلِياءَ ، وقد فَشا الإسلامُ بمكَّةَ ، فى قُريشٍ وفى القَبائلِ كلِّها . قال : وكان مِن الحديثِ - فيما بَلَغَنى عن مَسْراه ﷺ عن ابنِ مسعودٍ ، وأبى سعيدٍ ، وعائشةَ ، ومُعاويةَ ، وأُمِّ هانىءٍ بنتِ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم ، والحسنِ بنِ أبى الحسنِ ، وابنِ شِهابٍ الزُّهْرِىِّ ، وقَتادةَ ، وغيرِهم مِن أهلِ العلمِ - ما اجْتَمَع فى هذا الحديثِ ، كُلٌّ يُحَدِّثُ عنه بعضَ ما ذُكِر لى مِن أمره وكان فى مَسْراه ﷺ ، وما ذُكِر لى منه بلاءٌ وتَمْحِيصٌ ، وأمرٌ مِن أَمرِ اللَّهِ ، فى قُدْرَتِه ، وسُلطانِه ، فيه عِبْرَةٌ لأُولى الأَلبابِ ، وهدًى ورحمةٌ وثَباتٌ لمَن آمَن وصَدَّق وكان مِن أمرِ اللَّهِ على يقينٍ ، فأَسْرَى به كيف شاء وكما شاء ، ليُرِيَه مِن آياتِه ما أراد ، حتى عايَن ما عايَن مِن أمرِه ، وسلطانِه العظيمِ ، وقُدرتِه التى يَصْنَعُ بها ما يريدُ ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، فيما بَلَغَنى ، يقولُ : أُتِى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالبُراقِ ، وهى الدَّابَّةُ التى كانت تُحْمَلُ عليها الأَنبياءُ قبلَه ، تَضَعُ حافِرَها فى مُنْتَهَى طَرْفِها ، فحُمِل عليها ، ثُم خَرَج به صاحبُه ، يَرَى الآياتِ فيما بينَ السماءِ والأرضِ ، حتى انْتَهَى إلى بيتِ المقدسِ ، فوَجَد فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى ، فى نَفَرٍ من الأَنبياءِ قد جُمِعُوا له ، فصَلَّى بهم ، ثُم أُتِىَ بثلاثةِ آنِيَةٍ ؛ مِن لبنٍ ، وخمرٍ ، وماءٍ . فذَكَر أنَّه شَرِب إناءَ اللبنِ ، « فقال لى جبريلُ : هُدِيتَ وهُدِيَتْ أُمَّتُكَ » .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٧٤. وسيرة ابن هشام ١/ ٣٩٦، ٣٩٧.

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[1] فى سِياقِ الحسنِ البَصْرِىِّ مُرسَلًا، أنَّ جبريلَ أيْقَظَه، ثُم خَرَج به إلى بابِ المسجدِ الحرامِ، فأرْكَبَه البُراقَ، وهو «دابَّةٌ أبيضُ، بينَ البغلِ والحمارِ، وفى فَخِذَيْه جَناحانِ يَحْفِزُ[2] بهما رِجْلَيْه، يَضَعُ حافِرَه فى مُنْتَهَى طَرْفِه، ثُم حَمَلَنى عليه، ثُم خَرَج معى لا يَفُوتُنى ولا أفُوتُه».

قلتُ: وفى الحديثِ، وهو عن قَتادَةَ فيما ذَكَرَه ابنُ إسحاقَ[3]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أراد رُكُوبَ البُراقِ، شَمَس[4] به، فوَضَع جبريلُ يدَه على مَعْرَفَتِه[5]، ثُم قال: «ألا تَسْتَحِى يا براقُ ممَّا تَصْنَعُ! فواللَّهِ ما رَكِبك عبدٌ للَّهِ قَبْلَ محمدٍ أكرمُ عليه منه. قال: فاسْتَحَى حتى ارْفَضَّ[6] عَرَقًا، ثُم قَرَّ حتى رَكِبْتُه». قال الحسنُ فى حديثِه[7]: فمَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ، ومضَى معه جبريلُ حتى انْتَهَى به إلى بيتِ المَقدِسِ، فوَجَد فيه إبراهيمَ، وموسى، وعيسى، فى نَفرٍ مِن الأَنبياءِ، فأمَّهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فصَلَّى بهم. ثُم ذَكَر اخْتِيارَه إناءَ اللبنِ على إناءِ الخمرِ، وقولَ جبريلَ له: هُدِيتَ [١٠٩/٢و] وهُدِيَتْ أُمَّتُك، وحُرِّمَتْ عليكم الخمرُ. قال: ثُم انْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مكَّةَ فأصبح يُخبِرُ قُرَيشًا بذلك، فذَكَر[8] أنَّه كَذَّبَه أكثرُ الناسِ وارْتَدَّتْ طائفةٌ بعدَ إسلامِها،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٧.

(٢) يحفز: يدفع.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨.

(٤) شمس: شمست الدابة: جمحت ونفرت.

(٥) المعرفة: موضع العُرْف.

(٦) ارفضَّ: سال وترشَّش.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨، ٣٩٩.

وبادَر الصدِّيقُ إلى التَّصْديقِ وقال: إنِّى لَأُصَدِّقُه فى خَبَرِ السماءِ بُكْرَةً وعَشِيَّةً، أَفَلَا أُصَدِّقُه فى بيتِ المَقدِسِ[1]! وذَكَر أنَّ الصدِّيقَ سَأَلَه عن صِفَةِ بيتِ المقدسِ، فذَكَرها له رسولُ اللَّهِ ﷺ. قال: فيومَئذٍ سُمِّى أبو بكرٍ الصِّدِّيقَ. قال الحسنُ[2]: وأنْزَل اللَّهُ فى ذلك: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الآية [الإسراء: ٦٠].

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[3]، فيما بَلَغَه عن أُمِّ هانىءٍ، أنَّها قالتْ: ما أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا مِن بيتى؛ نام عِندِى تلك الليلةَ بعدَ ما صَلَّى العشاءَ الآخِرَةَ، فلمَّا كان قُبَيْلَ الفجرِ، أَهَبَّنا[4]، فلمَّا صَلَّى الصُّبحَ وصَلَّيْنا معه قال: «يا أُمَّ هانئٍ، لقد صَلَّيْتُ معكم العِشاءَ الآخِرَةَ فى هذا الوادِى، ثُمَّ جئتُ بيتَ المَقدِسِ فصَلَّيْتُ فيه، ثُم قد صَلَّيْتُ الغَداةَ معكم الآنَ كما تَرَيْنَ». ثُم قام لِيَخْرُجَ، فأَخَذتُ بطَرَفِ رِدائِه فقلتُ: يا نبىَّ اللَّهِ، لا تُحَدِّثْ بهذا الحديثِ الناسَ، فيُكَذِّبوك ويُؤْذُوك. قال: «واللَّهِ لَأُحَدِّثَنَّهُمُوهُ». فأخْبَرَهم فكَذَّبوه، فقال: «وآيةُ ذلك، أنِّى مَرَرْتُ بعِيرِ بنى فُلانٍ بوادِى كذا وكذا، فأَنْفَرَهم حِسُّ الدَّابَّةِ، فَنَدَّ[5] لهم بَعِيرٌ، فدَلَلْتُهم عليه وأنا مُوَجَّهٌ[6] إلى الشَّامِ، ثُم أَقْبَلْتُ

---

(١) هذه العبارة، من قوله: «إنى لأصدقه» حتى «بيت المقدس». سيقت هنا بمعناها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٢.

(٤) أهبنا: أيقظنا.

(٥) ندَّ: نفر وشرد.

(٦) فى الأصل، م: «متوجه».

حتى إذا كنتُ بضَجْنانَ[1] مَرَرْتُ بعِيرِ بنى فُلانٍ ، فوَجَدْتُ القومَ نِيامًا ولهم إناءٌ فيه ماءٌ ، قد غَطَّوْا عليه بشىءٍ ، فكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ ما فيه ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عليه كما كان ، وآيةُ ذلك أنَّ عِيرَهم يَصُوبُ[2] الآنَ مِن ثَنِيَّةِ التَّنْعِيمِ البَيْضاءِ يَقْدَمُها[3] جَمَلٌ أَوْرَقُ[4] ، عليه غِرارَتان[5] إحْداهما سَوْداءُ والأُخْرَى بَرْقاءُ[6] . قالت[7] : فابْتَدَر القومُ الثَّنِيَّةَ ، فلم يَلْقَهم أوَّلُ مِن الجملِ الذى وَصَف لهم ، وسَأَلُوهم عن الإناءِ وعن البعيرِ ، فأَخْبَرُوهم كما ذَكَر صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

وذَكَر يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن أسْباطٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ ، أنَّ الشمسَ كادتْ أن تَغْرُبَ قبلَ أن يَقْدَمَ ذلك العِيرُ ، فدعا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فَحبَسَها حتى قَدِمُوا كما وَصَف لهم . قال : فلم تَحْتَبِسِ الشمسُ على أحدٍ إلَّا عليه ذلك اليومَ ، وعلى يُوشَعَ بنِ نُونٍ . رَواه البَيْهَقِىُّ[8] .

قال ابنُ إسحاقَ[9] : وأَخْبَرَنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن أبى سعيدٍ قال : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كان فى بيتِ المَقدِسِ ، أُتِىَ بالمِعْراجِ ، ولم أَرَ شيئًا قَطُّ أحْسَنَ منه ، وهو الذى يَمُدُّ إليه مَيِّتُكم عَيْنَيْهِ إذا حُضِرَ ،

---

(١) فى م : « بصحنان » . وضجنان : جبل بناحية تهامة ، وقيل : جُبيل على بريد من مكة . معجم البلدان ٣/ ٤٦٥.

(٢) يصوب : ينحدر وينصبّ من علو .

(٣) يقدمها : يتقدَّمها .

(٤) الأورق : ما فى لونه بياض إلى سواد .

(٥) غرارتان : مثنى غرارة ؛ وهى الجُوالِق ، وهو وعاء من الخيش ونحوه .

(٦) برقاء : برق الشىء : اجتمع فيه لونان من سواد وبياض .

(٧) فى الأصل ، ا ١٥، م : « قال » .

(٨) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٠٤. وساقه المصنف هنا بمعناه مختصرا .

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٣.

فأَصْعَدَنِى فِيه صاحِبى ، حتى انْتَهَى بى إلى بابٍ مِن أَبوابِ السَّماءِ ، يُقَالُ له : بابُ الحَفَظَةِ . عليه مَلَكٌ[1] مِن الملائكةِ يُقالُ له : إسماعيلُ . تحتَ يَدِه[2] اثنا عَشَر ألفَ مَلَكٍ ، تحتَ يَدَىْ[3] كُلِّ ملَكٍ منهم اثنا عَشَرَ ألفَ مَلَكٍ » . قال : يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إذا حَدَّثَ بهذا الحديثِ : « ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ » [المدثر : ٣١] . ثُم ذَكَر بَقِيَّةَ الحديثِ[4] ، وهو مُطَوَّلٌ جدًّا ، وقد سُقْناه بإسنادِه ولفظِه بكمالِه فى « التفسيرِ »[5] ، وتَكَلَّمْنا عليه ، فإنَّه مِن غرائبِ الأحاديثِ ، وفى إسنادِه ضَعْفٌ ، وكذا فى سِياقِ حديثِ أُمِّ هانئٍ ؛ فإنَّ الثابتَ فى « الصحيحَيْنِ »[6] ، مِن روايةِ شَرِيكِ [7]بنِ عبدِ اللَّهِ[7] بنِ أبى نَمِرٍ[8] عن أنسٍ ، أنَّ الإسْراءَ كان مِن المسجدِ مِن عند الحِجْرِ . وفى سياقِه غَرابةٌ أيضًا مِن وجوهٍ ، قد تَكَلَّمْنا عليها هناك[9] ، ومنها قولُه : [10]وذلك قبلَ أن يُوحَى إليه[10] . والجوابُ أنَّ مَجِيئَهم أوَّلَ مرَّةٍ ، كان قبلَ أن يُوحَى إليه ، فكانتْ تلك الليلةُ ولم يَكُنْ فيها شىءٌ ، ثُم جاءَه الملائكةُ ليلةً أُخرَى ولم يَقُلْ فى ذلك : وذلك قبلَ أن يُوحَى إليه . بل جاءَه بعدَ ما أُوحِى إليه ، فكان [٢/١٠٩ظ] الإسراءُ قَطعًا بعدَ

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « بريد » .
(٢) فى السيرة : « يديه » .
(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « يد » .
(٤) انظر سيرة ابن هشام ١/٤٠٣ - ٤٠٧ .
(٥) التفسير ٥/٢٠ - ٢٤ .
(٦) البخارى (٣٥٧٠ ، ٧٥١٧) . ومسلم (١٦٢) .
(٧ - ٧) سقط من : النسخ . والمثبت من الصحيحين .
(٨) فى الأصل : « تمر » . وفى ص : « نمير » .
(٩) يعنى فى التفسير ٥/٤ - ١٣ .
(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل .

الإيحاءِ ؛ إمّا بقليلٍ ، كما زَعَمَه طائفةٌ ، أو بكثيرٍ نحوٍ مِن عشْرِ سنينَ ، كما زَعَمَه آخَرُون ، وهو الأَظْهَرُ ، وغُسِل صدرُه تلك الليلةَ قبلَ الإسراءِ غَسلًا ثانيًا ، أو ثالثًا ، على قولٍ ؛ لأنَّه[1] مَطْلوبٌ إلى المَلأِ الأعلَى والحَضْرةِ الإلهيَّةِ ، ثُم رَكِب البُراقَ رِفْعَةً له وتعظيمًا وتكريمًا ، فلمَّا جاء بيتَ المَقدِسِ رَبَطَه بالحَلَقَةِ التى كانت تَرْبِطُ بها الأنبياءُ ، ثُم دَخَل بيتَ المقدسِ فصَلَّى فى قِبْلَتِه تَحِيَّةَ المسجدِ . وأنْكَرَ حُذَيْفَةُ ، رَضِى اللَّه عنه ، دُخُولَه إلى بيتِ المقدسِ[2] ورَبْطَه الدّابَّةَ وصَلاتَه فيه . وهذا غريبٌ ، والنَّصُّ المُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النّافِى . ثُم اخْتَلَفوا فى اجْتِماعِه بالأَنبياءِ وصَلاتِه بهم ؛ أكان قبلَ عُرُوجِه إلى السماءِ ، كما دَلَّ عليه ما تَقَدَّمَ ، أو بعدَ نُزُولِه منها ، كما دلَّ عليه بعضُ السِّياقاتِ ، وهو أنْسَبُ ، كما سنَذْكُرُه على قولَيْنِ . فاللَّهُ أعلمُ . وقِيل : إنَّ صَلاتَه بالأنبياءِ كانت فى السماءِ . [3]وهكذا تَخَيُّرُه مِن الآنيةِ اللبنِ والخمرِ والماءِ ؛ هل كانت ببيتِ المَقدِسِ ، كما تَقَدَّم ، أو فى السماءِ[3] ، كما ثَبَت فى الحديثِ الصحيحِ[4] .

والمقصودُ أنَّه ﷺ لمَّا فَرَغ مِن أمرِ بيتِ المقدسِ نُصِبَ له المِعْراجُ ، وهو السُّلَّمُ ، فصَعِد فيه إلى السماءِ ، ولم يَكُنِ الصُّعودُ على البُراقِ ، كما قد يَتَوَهَّمُه بعضُ الناسِ ، بل كان البُراقُ مَرْبُوطًا على بابِ مسجدِ بيتِ المَقدِسِ ؛ ليَرْجِعَ عليه إلى مكَّةَ ، فصَعِد مِن سماءٍ إلى سماءٍ فى المِعْراجِ حتى جاوَز السابعةَ ، وكُلَّما جاء سماءً ، تَلَقَّتْه منها مُقَرَّبُوها ومَن فيها مِن أكابِرِ الملائكةِ والأنبياءِ ،

---

(١) فى م : « أنه » .

(٢) حديث إنكار حذيفة ، أخرجه الترمذى (٣١٤٧) . حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٥١٥) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) البخارى (٣٨٨٧) . ومسلم (١٦٤) .

وذَكَرَ أعيانَ مَن رآه مِن المُرسَلِين؛ كآدمَ فى سماءِ الدُّنيا، ويحيى وعيسى فى الثانيةِ، وإدْريسَ فى الرابعةِ، وموسى فى السادسةِ، على الصحيحِ، وإبراهيمَ فى السابعةِ مُسْنِدًا ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ الذى يَدْخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفًا مِن الملائكةِ، يَتَعَبَّدُون فيه صلاةً وطَوافًا، ثُم لا يَعُودون إليه إلى يومِ القِيامةِ، ثُم جاوَز مراتِبَهم كلَّهم، حتى ظَهَر لمُسْتَوًى يَسْمَعُ فيه صَرِيفَ[1] الأَقلامِ، ورُفِعَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وإذا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ، ونَبْقُها كقِلالِ[2] هَجَرَ، وغَشِيَها عندَ ذلك أُمورٌ عظيمةٌ؛ ألوانٌ مُتَعَدِّدَةٌ باهِرةٌ، ورَكِبَتْهَا الملائكةُ مِثْلَ الغِرْبانِ على الشَّجرِ كَثرةً، وفَرَاشٌ مِن ذَهَبٍ، وغَشِيَها مِن نورِ الرَّبِّ، جلَّ جلالُه، ورأى هناك جبريلَ، عليه السَّلامُ، له سِتُّمائةِ جَناحٍ ما بينَ كلِّ جَناحَيْن كما بينَ السماءِ والأرضِ، وهو الذى يقولُ اللَّهُ تعالى[3]: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٣- ١٧]. أى؛ ما زاغ يمينًا ولا شِمالًا، ولا ارْتَفَعَ عن المكانِ الذى حُدَّ له النَّظَرُ إليه. وهذا هو الثَّباتُ العظيمُ، والأدبُ الكريمُ، وهذه الرُّؤيا الثانيةُ لجبريلَ، عليه السَّلامُ، على الصِّفَةِ التى خَلَقَه اللَّهُ تعالى عليها، كما نَقَلَه ابنُ مسعودٍ[4]، وأبو هُريرَةَ[5]، وأبو

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ١/ ٤٦٢: صريف الأقلام: تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى.

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢١٣: القلال جمع قُلة وهى الجرار، يريد أن ثمرها فى الكبر مثل القلال. وهجر: بلدة.

(٣) التفسير ٧/٤٢٦ - ٤٢٩.

(٤) أحمد فى المسند ١/ ٤١٢. (إسناده صحيح).

(٥) مسلم (١٧٥).

ذَرٍّ[1] ، وعائشةُ[2] ، رَضِى اللَّهُ عنهم أجمعين. والأُولَى هى قولُه تعالى[3] : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٥- ١٠] ، وكان ذلك بالأبْطَحِ ، تَدَلَّى جبريلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بينَ السماءِ والأرضِ ، حتى كان بينَه وبينَه قابُ قَوْسَيْن أو أدنَى ، هذا هو الصحيحُ فى التفسيرِ ، كما دَلَّ عليه كلامُ أكابرِ الصَّحابةِ المُتَقَدِّمِ ذِكرُهم ، رَضِى اللَّهُ عنهم. فأمّا قولُ شَرِيكٍ عن أنسٍ ، فى حديثِ الإسراءِ[4] : ثُم دنا الجَبّارُ رَبُّ العِزَّةِ فتَدَلَّى ، فكان قابَ قوسَيْن أو أدنَى. فقد يكونُ مِن فَهْمِ الرّاوِى ، فأقْحَمَه فى الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ. وإن كان مَحْفُوظًا ، فليس بتفسيرٍ للآيةِ الكريمةِ ، بل هو شىءٌ آخَرُ غيرُ ما دَلَّتْ عليه الآيةُ الكريمةُ. واللَّهُ أعلمُ.

وفَرَضَ اللَّهُ ، سبحانَه [٢/١١٠و] وتعالى ، على عبدِه محمدٍ ﷺ وعلى أُمَّتِه الصَّلواتِ لَيْلَتَئِذٍ ، خمسين صلاةً فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ، ثُم لم يَزَلْ يَخْتَلِفُ بينَ موسى وبينَ ربِّه ، عزَّ وجلَّ ، حتى وَضَعَها الرَّبُّ ، جلَّ جلالُه وله الحمدُ والمِنَّةُ ، إلى خَمْسٍ [5]وقال : «هى خَمْسٌ[5] وهى خَمْسُون : الحسنةُ بعَشْرِ أمْثالِها». فحَصَل له التكليمُ مِن الرَّبِّ ، عزَّ وجلَّ ، لَيْلَتَئِذٍ ، وأئِمَّةُ السُّنَّةِ كالمُطْبِقِين على هذا ، واخْتَلَفوا فى الرُّؤْيَةِ ؛ فقال بعضُهم : رآه بفؤادِه مرتَيْنِ. قالَه ابنُ عباسٍ

---

(١) البخارى (٣٤٩). ومسلم (١٦٣).
(٢) البخارى (٤٨٥٥). ومسلم (١٧٧).
(٣) التفسير ٤١٩/٧ - ٤٢٣.
(٤) تقدم تخريجه صفحة ٢٧٥.
(٥ - ٥) سقط من: ا ١٥.

وطائفةٌ[1] ، وأطْلَقَ [2]ابنُ عباسٍ[2] وغيرُه[3] الرُّؤْيَةَ وهو محمولٌ على التَّقْيِيدِ ، وممَّن أطْلَقَ الرؤيةَ أبو هُريرةَ ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما[4] ، وصَرَّح بعضُهم بالرُّؤيةِ بالعَيْنَيْنِ[5] ، واخْتارَه ابنُ جريرٍ وبالَغَ فيه ، وتَبِعَه على ذلك آخَرُون مِن المُتَأخِّرِين . وممَّن نَصَّ على الرُّؤيةِ بعَيْنَىْ رأسِه ، الشيخُ أبو الحسنِ الأشْعَرِىُّ ، فيما نَقَلَه السُّهَيْلِىُّ عنه[6] ، واخْتارَه الشيخُ أبو زكريّا النَّوَوِىُّ فى « فَتاوِيه »[7] . وقالتْ طائفةٌ : لم يَقَعْ ذلك ؛ لحديثِ أبى ذَرٍّ فى « صحيحِ مسلمٍ »[8] : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل رأيتَ ربَّك ؟ فقال : « نُورٌ ، أَنَّى أَراهُ » . وفى رِوايةٍ : « رَأيتُ نُورًا » . قالوا : ولم يُمْكِنْ[9] رؤيةُ الباقى بالعينِ الفانِيةِ ، ولهذا قال اللَّهُ تعالى لموسى فيما رُوِى فى بعضِ الكتبِ الإلهيَّةِ : يا موسى ، إنَّه لا يَرانى حَىٌّ إلَّا مات ، ولا يابسٌ إلَّا تَدَهْدَهَ[10] . والخِلافُ فى هذه المسألةِ مشهورٌ بينَ السَّلَفِ والخَلَفِ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم هَبَط رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بيتِ المَقدِسِ ، والظَّاهِرُ أنَّ الأنبياءَ هَبَطُوا معه ،

---

(١) قول ابن عباس ، أخرجه مسلم (١٧٦) . وانظر التفسير ٧/ ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢٧/ ٤٨، ٤٩. والتفسير ٧/٤٢٣ - ٤٢٥.

(٤) ذكره القاضى عياض فى كتابه الشفا ١/ ٢٦٠.

(٥) ذكره القاضى عياض فى كتابه الشفا ١/ ٢٦٠.

(٦) الروض الأنف ٣/ ٤٤٥.

(٧) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٣/٤ - ٦.

(٨) مسلم (١٧٨).

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « يكن » .

(١٠) انظر ما تقدم فى ٢/ ١٤٠.

تكريمًا له وتعظيمًا، عندَ رُجُوعِه مِن الحضرةِ الإلهيَّةِ العظيمةِ، كما هى عادةُ الوافِدِين؛ لا يَجْتَمِعُون بأحدٍ قبلَ الذى طُلِبُوا إليه، ولهذا كان كلَّما مرَّ على واحدٍ منهم، يقولُ له جبريلُ، عندَ مَقْدَمِ ذاك للسَّلامِ عليه: هذا فُلانٌ، فسَلِّمْ عليه. فلو كان قد اجْتَمَع بهم قبلَ صُعودِه، لَما احْتاج إلى تَعَرُّفٍ بهم مرّةً ثانيةً، ومِمَّا يَدُلُّ على ذلك، أنَّه قال: «فلمَّا حانَتِ الصَّلاةُ أَمَمْتُهُم». ولم يَحِنْ وقتٌ إذ ذاك إلَّا صَلاةُ الفجرِ، فتَقَدَّمَهم إمامًا بهم عن أَمرِ جبريلَ فيما يَروِيه عن ربِّه، عزَّ وجلَّ - فاسْتَفاد بعضُهم مِن هذا، أنَّ الإمامَ الأَعْظَمَ يُقَدَّمُ فى الإمامَةِ على رَبِّ المنزلِ؛ حيثُ كان بيتُ المَقدِسِ مَحَلَّتَهم ودارَ إقامَتِهم - ثُم خَرَج منه فرَكِب البُراقَ، وعاد إلى مكَّةَ، فأصبح بها وهو فى غايةِ الثَّباتِ والسَّكِينةِ والوَقارِ، وقد عايَن فى تلك الليلةِ مِن الآياتِ والأُمُورِ التى لو رآها أو بعضَها غيرُه، لَأَصْبَح مُندَهِشًا أو طائِشَ العقلِ، ولكنَّه ﷺ أَصْبَح واجِمًا، أىْ ساكِنًا، يَخْشَى إن بَدَأ فأَخْبَرَ قومَه بما رَأَى، أن يُبادِرُوا إلى تكذِيبِه، فتَلَطَّف بإخبارِهم أولًا بأنَّه جاء بيتَ المَقدِسِ فى تلك الليلةِ، وذلك أنَّ أبا جَهلٍ، لَعَنَه اللَّهُ، رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ الحرامِ وهو جالِسٌ واجِمٌ، فقال له: هل مِن خَبَرٍ؟ فقال: «نعم». فقال: وما هو؟ فقال: «إنِّى أُسْرِىَ بى الليلةَ إلى بيتِ المَقدِسِ». قال: إلى بيتِ المقدسِ؟! قال: «نعم». قال: أرَأيتَ إن دَعَوْتُ قومَك لك لتُخْبِرَهم، أتُخْبِرُهم بما أَخْبَرْتَنى به؟ قال: «نعم». فأراد أبو جَهلٍ جَمْعَ قُريشٍ ليَسْمَعُوا منه ذلك، وأراد رسولُ اللَّهِ ﷺ جَمْعَهم ليُخْبِرَهم ذلك ويُبَلِّغَهم، فقال أبو جهلٍ: هَيَا[1] مَعْشَرَ قُرَيشٍ. فاجْتَمَعُوا مِن أندِيَتِهم، فقال: أَخْبِرْ قومَك بما أَخْبَرْتَنى به. فقَصَّ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ خبرَ ما رأى،

---

(١) هيا: من حروف النداء، وأصلها: أيا.

وأنَّه جاء بيتَ المَقدِسِ هذه الليلةَ وصَلَّى فيه، فمِن بينِ مُصَفِّقٍ، وبينِ مُصَفِّرٍ تكذيبًا له واسْتِبعادًا لخَبَرِه، وطار الخبرُ بمكَّةَ، وجاء الناسُ إلى أبى بكرٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، فأخْبَرُوه أنَّ محمدًا ﷺ يقولُ كذا وكذا. فقال: إنَّكم تَكْذِبُون عليه. فقالوا: واللَّهِ إنَّه ليَقُولُه. فقال: إن كان قالَه فلقد صَدَق. ثُم جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/١١٠ظ] وحولَه مُشْرِكو قُريشٍ، فسألَه عن ذلك فأخْبَرَه، فاسْتَعْلَمَه عن صفاتِ بيتِ المَقدِسِ؛ ليَسْمَعَ المُشرِكون ويَعْلَموا صِدْقَه فيما أخْبَرَهم به. وفى «الصحيحِ»[1]: أنَّ المُشرِكين هم الذين سَألُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك. قال: «فَجَعَلْتُ أُخْبِرُهم عن آياتِه، فالْتَبَسَ عَلَىَّ بعضَ الشىءِ، فجَلَّى اللَّهُ لى بيتَ المَقدِسِ، حتى جَعَلْتُ أنْظُرُ إليه دُونَ دارِ عَقِيلٍ وأَنْعَتُه لهم». فقالوا: أمّا الصِّفَةُ فقد أصاب!

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[2] ما تَقَدَّم مِن إخبارِه لهم بمُرورِه بعِيرِهم وما كان مِن شُرْبِه ماءَهم، فأقام اللَّهُ عليهم الحُجَّةَ، واسْتَنارَتْ لهم المَحَجَّةُ، فآمَن مَن آمَن على يقينٍ مِن ربِّه، وكَفَر مَن كَفَر بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليه، كما قال اللَّهُ تعالى[3]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. أىْ؛ اخْتِبارًا لهم وامْتِحانًا. قال ابنُ عباسٍ[4]: هى رُؤْيا عَيْنٍ أُرِيَها رسولُ اللَّهِ ﷺ. وهذا مذهبُ جمهورِ السَّلَفِ والخَلَفِ، مِن أنَّ الإسراءَ كان ببَدَنِه ورُوحِه، صَلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، كما دَلَّ على ذلك ظاهرُ السِّياقاتِ مِن رُكوبِه وصُعُودِه فى

---

(١) مسلم (١٧٢). والمصنف يذكره هنا بمعناه.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) التفسير ٥/ ٨٩، ٩٠.

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٨٨، ٤٧١٦، ٦٦١٣). عن ابن عباس.

المِعراجِ، وغيرِ ذلك، ولهذا قال تعالى[1]: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. والتَّسْبِيحُ إنَّما يَكُونُ عندَ الآياتِ العظيمةِ الخارقةِ، فدَلَّ على أنَّه بالرُّوحِ والجسدِ، والعبدُ عِبارةٌ عنهما، وأيضًا فلو كان منامًا لَمَا بادَر كفارُ قُريشٍ إلى التكذيبِ به والاسْتِبْعادِ له؛ إذ ليس فى ذلك كبيرُ أَمرٍ، فدَلَّ على أنَّه أخْبَرَهم بأنَّه أُسْرِىَ به يَقَظَةً لا مَنامًا.

وقولُه فى حديثِ شَريكٍ، عن أنسٍ[2]: «ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فإذا أنا فى الحِجْرِ». مَعْدودٌ فى غَلَطاتِ شَريكٍ، أو محمولٌ على أنَّ الانتقالَ مِن حالٍ إلى حالٍ يُسَمَّى يَقَظَةً، كما سيَأْتِى فى حديثِ عائشةَ، رَضِى اللَّهُ عنها، حينَ ذَهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطَّائِفِ فكَذَّبُوه. قال: «فرَجَعْتُ مَهْمُومًا فلم أسْتَفِقْ إلَّا بِقَرْنِ الثَّعالِبِ». وفى حديثِ أبى أُسَيدٍ[3]، حينَ جاء بابنِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ليُحَنِّكَه، فوَضَعَه على فَخِذِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، واشْتَغَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحديثِ مع الناسِ، فرَفَع أبو أسيدٍ ابنَه، ثُم اسْتَيْقَظ رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]فلم يَجِدِ الصَّبِىَّ[4] فَسَأَل عنه، فقالوا: رُفِع. فسَمّاه المُنْذِرَ. وهذا الحَمْلُ أحسَنُ من التَّغْلِيطِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد حَكَى ابنُ إسحاقَ[5] فقال: حَدَّثنى بعضُ آلِ أبى بكرٍ، عن عائشةَ أُمِّ المؤمنين، أنَّها كانت تقولُ: ما فُقِد جَسَدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولكنَّ اللَّهَ أسْرَى

---

(١) التفسير ٥/٣ - ٤٢.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٧٥. وانظر الشفا ١/ ٢٤٦.

(٣) أخرجه البخارى، (٦١٩١)، مسلم (٢١٤٩). كلاهما من حديث سهل بن سعد.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٩.

بروحِه . قال[1] : وحَدَّثنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ أنَّ معاويةَ كان إذا سُئِل عن مَسْرَى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : كانتْ رُؤْيا مِن اللَّهِ صادِقةً .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فلم يُنْكِرْ ذلك مِن قولِهما ؛ لقولِ الحسنِ : إنَّ هذه الآيةَ نَزَلَتْ فى ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . وكما قال إبراهيمُ ، عليه السَّلامُ : ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] . وفى الحديث[3] : « تَنامُ عَيْنِى وَقَلْبِى يَقْظانُ » .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان قد جاءَه ، وعايَن فيه ما عايَن مِن أمرِ اللَّهِ تعالى ، على أىِّ حالَيْه[5] كان ، نائمًا أو يقظانَ ، كلُّ ذلك حقٌّ وصِدقٌ .

قلتُ : وقد تَوَقَّف ابنُ إسحاقَ فى ذلك ، وجَوَّز كُلًّا مِن الأمْرَيْن مِن حيثُ الجُملةُ ، ولكنَّ الذى لا يُشَكُّ فيه ولا يُتَمارَى ، أنَّه كان يقظانَ لا مَحالَةَ ؛ لِمَا تَقَدَّم ، وليس مُقْتَضَى كلامِ عائشةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، أنَّ جَسَدَه ﷺ ما فُقِد ، وإنَّما كان الإسراءُ بروحِه ، أنْ يكون ذلك منامًا كما فَهِمَه ابنُ إسحاقَ ، بل قد يكونُ وَقَعَ [٢/١١١و] الإسراءُ بروحِه حقيقةً ، وهو يقظانُ [6]لا نائمٌ ، ورَكِب البُراقَ ، وجاء بيتَ المَقدِسِ ، وصَعِد السماواتِ ، وعاين ما عايَن ، حقيقةً[6]

---

(١) القائل ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٠.

(٣) البخارى (٣٥٦٩) بلفظ : « تنام عينى ولا ينام قلبى » . وفى سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٠ بلفظ : « تنام عيناى وقلبى يقظان » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٧.

(٥) فى الأصل ، م : « حاله » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

ويَقَظةً ، لا منامًا . لعلَّ هذا مُرادُ عائشةَ أُمِّ المؤمنين ، رَضِى اللَّهُ عنها ، ومُرَادُ مَن تابَعَها على ذلك ، لا ما فَهِمَه ابنُ إسحاقَ مِن أنَّهم أرادوا بذلك المنامَ . واللَّهُ أعلمُ .

تنبيهٌ : ونحن لا نُنْكِرُ وُقوعَ منامٍ قبلَ الإسراءِ ، طِبْقَ ما وَقَع بعدَ ذلك ، فإنَّه ﷺ كان لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ ، وقد تَقَدَّم مثلُ ذلك فى حديثِ بَدْءِ الوحيِ[1] ؛ أنَّه رَأَى مثلَ ما وَقَع له يقظةً ، منامًا قبلَه ، ليكونَ ذلك مِن بابِ الإرْهاصِ والتَّوْطِئَةِ والتَّثبيتِ والإيناسِ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم قد اخْتَلَفَ العلماءُ فى أنَّ الإسراءَ والمعراجَ هل كانا فى ليلةٍ واحدةٍ ، أو كُلٌّ فى ليلةٍ على حِدَةٍ ؟ فمنهم مَنْ يَزْعُمُ أنَّ الإسراءَ فى اليَقَظَةِ ، والمعراجَ فى المنامِ . وقد حَكَى المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرَةَ فى « شرحِه البخاريَّ »[2] عن طائفةٍ ، أنَّهم ذَهَبوا إلى أنَّ الإسراءَ مرَّتَيْنِ ؛ مرَّةً بِرُوحِه منامًا ، ومرَّةً ببدنِه ورُوحِه يقَظةً . وقد حَكاه الحافظُ أبو القاسمِ السُّهَيْلِيُّ[3] ، عن شيخِه أبى بكرِ بنِ العَرَبِيِّ الفقيهِ المالكيِّ[4] . وهذا القولُ يَجْمَعُ الأحاديثَ ، فإنَّ فى حديثِ شَرِيكٍ عن أنسٍ : وذلك فيما يَرَى قلبُه ، وتَنامُ عَيْناه ولا يَنامُ قلبُه . وقال فى آخِرِه : « ثُم اسْتَيْقَظْتُ فإذا أنا فى الحِجْرِ » . وهذا منامٌ ، ودَلَّ غيرُه على اليَقَظَةِ . ومنهم مَن يَدَّعِى تَعَدُّدَ الإسراءِ فى اليَقَظَةِ أيضًا ، حتى قال بعضُهم : إنَّها أربعُ إسراءاتٍ . وزعَم بعضُهم أنَّ بعضَها كان بالمدينةِ . وقد حاول الشيخُ شِهابُ الدِّينِ أبو شامَةَ ، رَحِمَه اللَّهُ ،

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٥ .

(٢) ذكره عنه السهيلى فى الروض الأنف ٣/ ٤١٧. والحافظ فى الفتح ٧/ ١٩٧.

(٣) الروض الأنف ٣/ ٤١٧.

(٤) بعده فى ا ١٥، م، ص: « قال السهيلى » .

أن يُوَفِّقَ بينَ اخْتِلافِ ما وقَع فى رواياتِ حديثِ الإسراءِ بالجَمْعِ بالتَّعَدُّدِ[1] ، فَجَعَل ثلاثَ إسراءاتٍ ؛ مرَّةً مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ فقط على البُراقِ ، ومرةً مِن مكةَ إلى السماواتِ على البُراقِ أيضًا ؛ لحديثِ حُذَيْفَةَ ، ومرةً مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ ثُم إلى السماواتِ .

فنقولُ : إن كان إنَّما حمَلَه على القولِ بهذه الثلاثِ اختِلافُ الرواياتِ ، فقد اخْتَلَفَ لفظُ الحديثِ فى ذلك على أكْثَرَ مِن هذه الثلاثِ صفاتٍ ، ومَن أراد الوُقوفَ على ذلك ، فَلْيَنْظُرْ فيما جَمَعْناه مُسْتَقْصًى فى كتابِنا « التفسيرِ » ، عندَ قولِه تعالى[2] : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ . وإنْ كان إنَّما حَمَلَه ، أنَّ التَّقْسِيمَ انْحَصَرَ فى ثلاثِ صفاتٍ بالنسبةِ إلى بيتِ المَقدِسِ وإلى السماواتِ ، فلا يَلْزَمُ مِن الحَصْرِ العَقْلىِّ الوقوعُ[3] كذلك فى الخارجِ ، إلَّا بدليلٍ . واللَّهُ أعلمُ .

والعَجَبُ أنَّ الإمامَ أبا عبدِ اللَّهِ البخارىَّ ، رَحِمَه اللَّهُ ، ذكَر الإسراءَ بعدَ ذِكْرِه موتَ أبى طالبٍ ، [4]فوافَق ابنَ إسحاقَ فى ذكرِه المعراجَ فى أواخرِ الأمرِ ، وخالَفه فى ذكرِه بعدَ موتِ أبى طالبٍ[4] ، وابنُ إسحاقَ أخَّر ذِكْرَ موتِ أبى طالبٍ على الإسراءِ . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

والمقصودُ أنَّ البخارىَّ فَرَّق بينَ الإسراءِ وبينَ المعراجِ ، فبَوَّب لكلٍّ منهما بابًا على حِدَةٍ فقال[5] : بابُ حديثِ الإسراءِ وقولِ اللَّهِ ، سُبحانَه وتعالى :

---

(١) فى م ، ص : « المتعدد » . وانظر سبل الهدى والرشاد ٣/ ١٠٤، ١٠٥.

(٢) التفسير ٥/٣ - ٤٢.

(٣) فى م : « والوقوع » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) البخارى (٣٨٨٦) .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ : حَدَّثنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، حدَّثَنى أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : سَمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَمَّا كَذَّبَتْنِى قريشٌ ، كنتُ[1] فى الحِجْرِ فجَلَّى اللَّهُ لى بيتَ المَقدِسِ ، فطَفِقْتُ أُخْبِرُهم عن آياتِه ، وأنا أَنْظُرُ إليه » . [2]وقد رَواه مسلمٌ ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ[3] ، مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن جابرٍ به[2] . ورَواه مسلمٌ ، والنَّسائىُّ[4] ، من حديثِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الفَضْلِ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه .

ثُم قال البخارىُّ[5] : بابُ حديثِ المِعراجِ : حدَّثَنا هُدْبَةُ بنُ خالدٍ ، حدَّثَنا هَمَّامٌ ، حدَّثَنا قَتَادَةُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ حَدَّثهم عن ليلةِ أُسْرِىَ به ، قال : « بينَما أنا فى الحَطِيمِ - ورُبَّما قال : فى الحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إذ أتانِى آتٍ فقَدَّ[6] - قال : وسَمِعْتُه يقولُ : فشَقَّ - ما بينَ هذه إلى هذه » . فقلتُ للجارُودِ وهو إلى [٢/١١١ظ] جَنْبِى : ما يَعْنِى به ؟ قال : [7]مِن ثُغْرَةِ نَحْرِه[7] إلى شِعرتِه[8] . وسَمِعْتُه يقولُ : مِن قَصِّه[9]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « قمت » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) مسلم (١٧٠) ، والترمذى (٣١٣٣) ، والنسائى فى الكبرى (١١٢٨٢) .

(٤) بعده فى م : « والترمذى » . وهو خطأ ، انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٤٦٣ . والحديث فى مسلم (١٧٢) ، والنسائى فى الكبرى (١١٢٨٤) .

(٥) البخارى (٣٨٨٧) .

(٦) سقط من : الأصل ، م . وقد الشىء : شَقَّه طولًا .

(٧ - ٧) فى الأصل : « ثغر منخره » ، وفى م ، ص : « نقرة نحره » . وثغرة النحر : الموضع المنخفض بين الترقوتين . انظر الفتح ٧/ ٢٠٤ .

(٨) الشعرة : شعر العانة .

(٩) القص : رأس الصدر .

إلى شِعْرَتِه . « فاسْتَخْرجَ قَلْبى ، ثُمَّ أُتِيتُ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إيمانًا ، فغُسِلَ قَلْبِى ، ثُم حُشِىَ ، ثم أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بدابَّةٍ دُونَ البَغلِ ، وفوقَ الحِمارِ أبْيَضَ » . فقال له الجارُودُ : هو البُرَاقُ يا أبا حَمْزَةَ ؟ قال أنسٌ : نَعَمْ . « يَضَعُ خَطوَه عندَ أَقْصَى طَرْفِه ، فحُمِلْتُ عليه ، فانْطَلَق بى جبريلُ حتى أَتَى السماءَ الدُّنْيا ، فاسْتَفْتَحَ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قِيل : مرحبًا به فنِعْمَ المَجِيءُ جاء . ففَتَح ، فلمَّا خَلَصْتُ ، فإذا فيها آدَمُ ، فقال : هذا أبوك آدَمُ فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه ، فرَدَّ السلامَ ، ثُم قال : مرحبًا بالابنِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ ، ثُم صَعِدَ بى إلى السماءِ الثانيةِ فاستَفْتَحَ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المَجِيءُ جاء . ففَتَحَ ، فلمَّا خَلَصْتُ ، إذَا يَحْيَى وعيسى ، وهما ابْنا خالةٍ ، قال : هذا يَحْيَى وعيسى فسَلِّمْ عليهما . فسلَّمْتُ[1] ، فرَدَّا ثُم قالا : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بى إلى السماءِ الثالثةِ فاستَفْتَحَ[2] ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قِيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قِيل : مرحبًا به ، فنِعمَ المَجِيءُ جاء . ففَتَح ، فلمَّا خَلَصْتُ ، إذا يُوسُفُ ، قال : هذا يُوسُفُ ، فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه ، فرَدَّ ثُم قال : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بى حتى أَتَى السماءَ الرابعةَ فاستَفْتَحَ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قِيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المَجِيءُ جاء . ففتَح ، فلمَّا خَلَصْتُ فإذا إدْريسُ ، قال : هذا إدْريسُ ، فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه فرَدَّ ، ثُم قال : مرحبًا بالأخِ

---

(١) بعده فى النسخ : « عليهما » . وليست فى البخارى .

(٢) بعده فى ا ١٥، م، ص : « جبريل » .

الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بى حتى أَتَى السماءَ الخامسةَ فاستَفْتَح ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نَعَمْ . قيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المَجِيءُ جاء . فلمَّا خَلَصْتُ فإذا هارُونُ ، قال : هذا هارُونُ فسَلِّمْ عليه . فسَلَّمْتُ عليه فرَدَّ ، ثُمَّ قال : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بى حتى أَتَى السماءَ السادسةَ فاستَفْتَحَ ، فقِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قِيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المَجِيءُ جاء . فلمَّا خَلَصْتُ فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه فرَدَّ ثُم قال : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . فلمَّا تَجاوَزْتُ بَكَى ، فقيلَ له : ما يُبْكِيك ؟ قال : أَبْكِى لأنَّ غلامًا بُعِثَ بعدِى ، يَدْخُلُ الجنةَ مِن أُمَّتِه أكثرُ ممَّن يَدْخُلُها مِن أُمَّتِى . ثُم صَعِدَ بى إلى السماءِ السابعةِ فاسْتَفْتَحَ جبريلُ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قِيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : نعم . قِيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المجِيءُ جاء . فلمَّا خَلَصْتُ فإذا إبراهيمُ ، قال : هذا أبوك إبراهيمُ فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه ، فرَدَّ السلامَ ، ثُم قال : مرحبًا بالابنِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . ثُم رُفِعَتْ لى[1] سِدْرَةُ المُنْتَهَى ، [2]فإذا نَبْقُها مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وإذا ورقُها مِثْلُ آذانِ الفِيَلَةِ ، قال : هذه سِدْرَةُ المُنْتَهَى[2] ، وإذا أربعةُ أنهارٍ ؛ نَهْرَانِ ظاهِرانِ ، ونَهْرَان باطِنانِ ، فقلتُ : ما هذان يا جبريلُ ؟ قال : أمَّا الباطِنان فنَهْرانِ فى الجنةِ ، وأمَّا الظاهِرانِ فالنِّيلُ والفُراتُ . ثُم رُفِعَ لى البيتُ المَعْمُورُ ، يَدْخُلُه كُلَّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ، ثُم أُتِيتُ بإناءٍ مِن خمرٍ ، وإناءٍ مِن لبنٍ ، وإناءٍ مِن عسلٍ ، فأَخَذْتُ

---

(١) فى م ، ص : «إلى» .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

اللبنَ ، فقال : هى الفِطْرَةُ التى أنتَ عليها وأُمَّتُك . ثُم فُرِضَتْ[1] علىَّ الصلواتُ خمسين صلاةً كلَّ يومٍ ، فَرَجَعْتُ فمَرَرْتُ على موسى فقال : بم أُمِرْتَ ؟ » قال : « أُمِرْتُ بخمسين صلاةً كلَّ يومٍ . قال : إنَّ أُمَّتَك لَا تَسْتَطِيعُ خمسِينَ صلاةً كلَّ يومٍ ، وإنِّى واللَّهِ قد جَرَّبْتُ الناسَ قَبْلَك وعالَجْتُ بنى إسرائيلَ أشدَّ المُعالَجَةِ ، فارْجِعْ إلى رَبِّك فسَلْه التخفيفَ لأُمَّتِك . فَرَجَعْتُ فوضَع عنِّى عَشْرًا ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَه ، فرَجَعْتُ فوضَع عنِّى عَشْرًا ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَه ، فرَجَعْتُ فوضَع عنِّى عَشْرًا ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَه ، فرَجَعْتُ فأُمِرْتُ بعَشْرِ صلواتٍ [٢/١١٢و] كلَّ يومٍ ، فرجَعْتُ[2] فقال مِثْلَه ، فَرَجَعْتُ فأُمِرْتُ بخَمْسِ صلواتٍ كلَّ يومٍ ، فَرَجَعْتُ إلى موسى فقال : بِم أُمِرْتَ ؟ فقلتُ : أُمِرْتُ[3] بخَمْسِ صلواتٍ كُلَّ يومٍ . قال : إنَّ أُمَّتَك لا تَسْتَطِيعُ خمسَ صلواتٍ كُلَّ يومٍ ، وإنِّى قد جَرَّبْتُ الناسَ قَبْلَك ، وعالَجْتُ بنى إسرائيلَ أشدَّ المُعالَجَةِ ، فارْجِعْ إلى ربِّك فاسْأَلْه التخفيفَ لأُمَّتِك . قال : سأَلْتُ ربِّى حتى استَحْيَيْتُ ، ولكنْ أَرْضَى وأُسَلِّمُ . قال : فلمَّا جاوَزْتُ ، نادَانِى مُنادٍ : أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِى ، وخَفَّفْتُ عن عبادِى » . هكذا رَوَى البخارىُّ هذا الحديثَ هاهنا ، وقد رَواه فى مواضِعَ أُخَرَ مِن « صحيحِه » ، ومسلمٌ ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ[4] ، مِن طُرُقٍ عن قَتَادَةَ ، عن أنسٍ ، عن مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ . ورَوَيْناه مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ عن أُبَىِّ بنِ كَعْبٍ ، ومِن حديثِ أنسٍ عن أبى ذَرٍّ ، ومِن طُرُقٍ

---

(١) فى النسخ : « فرض » . والمثبت من البخارى .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) البخارى (٣٢٠٧، ٣٣٩٣، ٣٤٣٠) . ومسلم (١٦٤) ، والترمذى (٣٣٤٦) ، والنسائى (٤٤٧) ، وفى الكبرى (٣١٣) .

كثيرةٍ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ، وقد ذكَرْنا ذلك مُسْتَقْصًى بطُرُقِه وألفاظِه فى «التفسيرِ»[1]. ولم يَقَعْ فى هذا السياقِ ذكرُ بيتِ المقدسِ، وكان بعضُ الرواةِ يَحْذِفُ بعضَ الخبرِ للعلمِ به، أو يَنْسَاه أو يَذْكُرُ ما هو الأهَمُّ عندَه، أو يَبْسُطُ تارَةً فيَسُوقُه كلَّه، وتارَةً يُحَدِّثُ مُخاطَبَه بما هو الأنْفَعُ له. ومَن جعَل كلَّ روايةِ إسراءٍ على حِدَةٍ - كما تَقَدَّم عن بعضِهم - فقد أبْعَدَ جدًّا؛ وذلك أنَّ كلَّ السِّياقاتِ فيها السلامُ على الأنبياءِ، وفى كلٍّ منها تَعْريفُه بهم، وفى كلِّها يُفْرَضُ عليه الصلواتُ، فكيف يُمكِنُ أن يُدَّعَى تَعَدُّدُ ذلك؟ هذا فى غايةِ البُعْدِ والاسْتِحالةِ. واللَّهُ أعلمُ.

ثُم قال البخاريُّ[2]: حدَّثَنا الحُمَيْدِيُّ، حدَّثنا سفيانُ، عن عَمْرٍو، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، فى قولِه تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ قال: هى رُؤْيا عَيْنٍ، أُرِيَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ أُسْرِىَ به إلى بيتِ المقدسِ، ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ قال: هى شجرةُ الزقومِ.

---

(١) التفسير ٥/٣ - ٤٢.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٨١.

فصل

ولَمَّا أصْبَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن صَبِيحَةِ ليلةِ الإسراءِ، جاءَه جبريلُ عندَ الزَّوالِ، فبَيَّنَ له كَيفِيَّةَ الصلاةِ وأوقاتَها، وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه فاجْتَمَعُوا، وصَلَّى به جبريلُ فى ذلك اليومِ إلى الغَدِ، والمسلمون يَأْتَمُّون بالنبىِّ ﷺ، وهو يَقْتَدِى بجبريلَ، كما جاء فى الحديثِ عن ابنِ عباسٍ وجابرٍ[1]: «أَمَّنِى جبريلُ عندَ البيتِ مَرَّتَيْنِ». فبَيَّنَ له الوَقْتَيْنِ، فهما الأولُ والآخِرُ، وما بينَهما الوقتُ المُوَسَّعُ، ولم يَذْكُرْ تَوسِعَةً فى وقتِ المَغرِبِ. وقد ثبَت ذلك فى حديثِ أبى موسى، وبُرَيْدَةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، وكلُّها فى «صحيحِ مسلمٍ»[2]، ومَوضِعُ بَسْطِ ذلك فى كتابِنا «الأحكامِ». وللَّهِ الحمدُ.

فأمَّا ما ثَبَت فى «صحيحِ البخارىِّ»[3]، [4]مِن طريقِ[4] سُفيانَ[5]، عن الزُّهْرِىِّ، عن عُروَةَ، عن عائشةَ قالت: فُرِضَتِ الصَّلاةُ أوَّلَ ما فُرِضَتْ ركعتَيْنِ، فأُقِرَّتْ صلاةُ السفرِ، وزِيدَ فى صلاةِ الحَضَرِ. وكذا رَواه الأَوْزَاعِىُّ

---

(١) حديث ابن عباس أخرجه أبو داود (٣٩٣)، والترمذى (١٤٩) حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٧). وحديث جابر أخرجه الترمذى (١٥٠) صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٨).

(٢) صحيح مسلم: حديث أبى موسى (٦١٤)، وحديث بريدة (٦١٣)، وحديث عبد الله بن عمرو (٦١٢).

(٣) البخارى (١٠٨٩).

(٤ - ٤) فى م، ص: «عن».

(٥) فى النسخ: «معمر». وهو خطأ، فالحديث فى صحيح البخارى من طريق سفيان بن عيينة به. وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٣٨.

عن الزُّهْرِىِّ، ورَواه الشَّعْبِىُّ عن مَسْروقٍ عنها[1]. وهذا مُشْكِلٌ مِن جهةِ أنَّ عائشةَ كانت تُتِمُّ الصلاةَ فى السفرِ، وكذا عثمانُ بنُ عَفَّانَ، وقد تَكَلَّمْنا على ذلك عندَ قولِه تعالى[2]: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]. قال البَيْهَقِىُّ[3]: وقد ذهَب الحسنُ البَصْرِىُّ إلى أنَّ صلاةَ الحَضَرِ أوَّلَ ما فُرِضَتْ أربعًا، كما ذكَره مرسلًا مِن صلاتِه، عليه السلامُ، صَبِيحَةَ الإسراءِ، الظُّهْرَ أربعًا، والعصرَ أربعًا، والمغربَ ثلاثًا يَجْهَرُ فى الأُولَيَيْنِ، والعشاءَ أربعًا يَجْهَرُ فى الأُولَيَيْنِ، والصُّبحَ ركعتَيْن يَجْهَرُ فيهما.

قلتُ: فلعلَّ عائشةَ أرادتْ أنَّ الصلاةَ كانت قبلَ الإسراءِ تَكُونُ ركعتَيْن ركعتَيْنِ، ثُم لَمَّا فُرِضَتِ الخَمْسُ، فُرِضَتْ حَضَرًا على ما هى عليه، ورُخِّص فى السفرِ أن يُصَلَّى ركعتَيْنِ، كما كان الأمرُ عليه قديمًا، وعلى هذا لا يَبْقَى إشكالٌ بالكُلِّيَّةِ. [٢/١١٢ظ] واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) حديث الأوزاعى رواه النسائى (٤٥٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٣٦٣. صحيح (صحيح سنن النسائى ٤٣٨). وحديث الشعبى رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٣٦٣.

(٢) التفسير ٢/ ٣٤٧ - ٣٥١.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٤٠٧.

فصل فى انشقاقِ القمرِ فى زمانِ النبىّ ﷺ وجَعْلِ اللهِ له آيةً على صدقِ رسولِه ﷺ، فيما جاء به مِن الهُدَى ودينِ الحقّ، حيث كان ذلك وَفْقَ[1] إشارتِه الكريمةِ

قال اللَّهُ تعالى فى مُحْكَمِ كتابِه العزيزِ[2]: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ١- ٣]. وقد أَجْمَعَ المسلمون على وُقُوعِ ذلك فى زمنِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وجاءَتْ بذلك الأحاديثُ المتواتِرةُ مِن طُرُقٍ متعددةٍ، تُفِيدُ القَطْعَ عندَ مَن أَحاطَ بها ونظَر فيها، ونحن نَذْكُرُ مِن ذلك ما تَيَسَّرَ، إنْ شاء اللَّهُ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلَانُ، وقد تَقَصَّيْنا ذلك فى كتابِنا «التفسيرِ»، فذكَرْنا الطرقَ والألفاظَ مُحَرَّرَةً، ونحن نُشِيرُ هاهنا إلى أطرافٍ مِن طُرُقِها، ونَعْزُوها إلى الكتبِ المشهورةِ بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه، وذلك مَرْوِىٌّ عن أَنَسِ بنِ مالكٍ، وجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وحُذَيْفَةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ،

---

(١) فى م: «وقت».

(٢) التفسير ٧/٤٤٥ - ٤٥٠.

وعبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم أجمعين.

أما أنسٌ: فقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حدَّثَنا مَعْمَرٌ[2]، عن قَتَادَةَ، عن أَنَسِ بنِ مالكٍ قال: سأَل أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ آيةً، فانشَقَّ القمرُ بمكةَ مرَّتَيْنِ، فقال: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾. ورواه مُسلمٌ[3]، عن محمدِ بنِ رافِعٍ، عن عبدِ الرزَّاقِ به، وهذا مِن مُرْسَلاتِ الصحابةِ، والظاهرُ أنَّه تَلَقَّاه عن الجَمِّ الغفيرِ مِن الصحابةِ، أو عن النبيِّ ﷺ، أو عن الجميعِ.

وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ[4] هذا الحديثَ مِن طريقِ شَيْبانَ. زادَ البخاريُّ[5]: وسعيدِ بنِ أبي عَرُوبَةَ. وزاد مسلمٌ[6]: وشُعْبَةَ، ثَلاثَتُهم عن قَتَادَةَ، عن أنسٍ، أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يُرِيَهم آيةً، فأَرَاهم القمرَ شِقَّتَيْنِ، حتى رَأَوْا حِراءَ بينَهما. لفظُ البخاريِّ.

وأما جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ: فقال الإمامُ أَحمدُ[7]: حدَّثنا محمدُ بنُ كَثِيرٍ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ كَثِيرٍ، عن حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ

---

(١) المسند ٣/ ١٦٥.

(٢) بعده فى المطبوع من المسند زيادة: «عن الزهرى». ولعل ما وقع فى أطراف المسند - بدون ذكر الزهرى - هو الصواب، فرواية عبد الرزاق فى صحيح مسلم، وسنن الترمذى والنسائى ليس فيها ذكر للزهرى، وفى التفسير وجامع المسانيد نقل المصنف رواية أحمد من طريق عبد الرزاق وليس فيها ذكر للزهرى أيضا. انظر تحفة الأشراف ١/ ٣٤٤، أطراف المسند ١/ ٤٧٤، التفسير ٧/ ٤٤٧. وانظر جامع المسانيد للمصنف ٢٣/ ٢١١.

(٣) مسلم (٢٨٠٢).

(٤) البخارى (٣٦٣٧، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٥) البخارى (٣٦٣٧).

(٦) مسلم (٢٨٠٢).

(٧) المسند ٤/ ٨١، ٨٢.

مُطْعِمٍ، [1]عن أبيه[1]. قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فصار فِرْقَتَيْنِ؛ فِرقةٌ على هذا الجبلِ، وفِرقةٌ على هذا الجبلِ، فقالوا: سَحَرَنا محمدٌ. فقالوا: إن كان سَحَرَنا فإنه لا يَستطيعُ أنْ يَسْحَرَ الناسَ كلَّهم. تفرَّدَ به أحمدُ[2]، وهكذا روَاه ابنُ جَرِيرٍ[3] مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ وغيرِه، عن حُصَيْنٍ به. وقد رَواه البَيْهَقِيُّ[4] مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ طَهْمَانَ وَهُشَيْمٍ، كِلاهما عن حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن جُبَيْرِ بنِ محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن جَدِّه به - فزاد رجلًا فى الإسنادِ.

وأما حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ: فروَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى «الدلائلِ»[5] مِن طرقٍ، عن عَطاءِ بنِ السائبِ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىِّ، قال: خطَبَنا حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ بالمدائنِ[6]، فحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عليه، ثُم قال: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾. أَلَا وإنَّ الساعةَ قَدِ اقترَبَتْ، أَلَا وإنَّ القمرَ قدِ انشَقَّ، أَلَا وإنَّ الدنيا قد آذَنَتْ بفِراقٍ، أَلَا وإنَّ اليومَ المِضمارُ، وغدًا السِّباقُ. فلمّا كانتِ الجُمُعَةُ الثانيةُ، انطَلَقْتُ مع أبى إلى الجُمُعةِ، فحَمِدَ اللَّهَ وقال مِثْلَه وزادَ: أَلَا وإنَّ السابقَ مَن سبَق إلى الجَنَّةِ[7]. فلمّا كُنا فى الطريقِ قلتُ لأبى: ما يَعْنى

(١ - ١) سقط من: «ص».

(٢) نقول: لم يتفرد به أحمد، فقد أخرجه الترمذى (٣٢٨٩) كما ذكره المصنف، رحمه الله، فى جامع المسانيد ٢/ ٦٢٤. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٢٢).

(٣) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٨.

(٥) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ١٣٤ . إلى أبى نعيم وغيره، كما أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٧/ ٨٦. من طريقين، عن عطاء بن السائب به.

(٦) سقط من: الأصل، وفى ص: «بالمعاين».

(٧) فى م، ص: «الجمعة».

بقولِه : غدًا السباقُ ؟ قال : مَن سَبَقَ إلى الجنَّةِ .

وأما ابنُ عباسٍ : فقال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ[2] ، حدَّثَنا بكرٌ ، عن جَعْفَرٍ ، عن عِرَاكِ بنِ مالكٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : إنَّ القمرَ انشقَّ فى زمانِ النبىِّ ﷺ . ورَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ[3] مِن حديثِ بكرٍ ، وهو ابنُ مُضَرَ[4] ، عن جعفرٍ ، [5]هو ابنُ ربيعةَ ، عن عِرَاكٍ به .

وقال ابنُ جريرٍ[6] : ثنا ابنُ المُثَنَّى ، ثنا عبدُ الأعلَى ، ثنا داودُ بنُ أبى هِنْدٍ ، [7]عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ[7] ، عن ابنِ عباسٍ[5] قولُه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ [٢/١١٣و] وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ قال : قد مضَى ذلك ، كان قبلَ الهجرةِ ، انشقَّ القمرُ حتى رأَوْا شِقَّيْه . وهكذا روَاه العَوْفِىُّ[8] ، عن ابنِ عباسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، وهو من مُرْسَلَاتِه .

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[9] : حدَّثَنا سُليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا بكرُ بنُ

---

(١) البخارى (٤٨٦٦) .

(٢) فى م ، ص : « كثير » .

(٣) البخارى (٣٦٣٨ ، ٣٨٧٠) ، ومسلم (٢٨٠٣) .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « نصر » . وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٤/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦ ، وذكره المصنف فى التفسير ٧/ ٤٤٨ .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير .

(٨) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦ ، ٨٧ .

(٩) دلائل النبوة (٢٠٩) ، وأورده الحافظ فى الفتح ٧/ ١٨٢ وعزاه لأبى نعيم فى الدلائل ، وضعف إسناده .

سَهْلٍ[1] ، حدَّثنا عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا موسَى بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُقاتلٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : اجتمَعَ المشركون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ منهم الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ ، والعاصُ بنُ وائلٍ ، والعاصُ بنُ هِشامٍ ، والأَسْوَدُ بنُ عبدِ يَغُوثَ ، والأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ ، ونُظَرَاؤُهم ، فقالوا للنبيِّ ﷺ : إنْ كنتَ صادقًا فشُقَّ لنا القمرَ فِرْقَتَيْنِ ؛ نِصْفًا على أبي قُبَيْسٍ ، ونِصْفًا على قُعَيقِعانَ . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « إنْ فعلتُ ، تُؤْمِنُوا ؟ » قالوا : نَعَمْ . وكانت ليلةَ بَدْرٍ ، فسأَلَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، أنْ يُعْطِيَه ما سأَلوا ، فأَمْسَى القمرُ [2] قد مَثُلَ[2] نِصْفًا على أبي قُبَيْسٍ ، ونِصْفًا على قُعَيقِعانَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُنادِي : « يا أبا سَلَمَةَ بنَ عبدِ الأَسَدِ ، والأَرقمَ بنَ أبي الأَرْقَمِ ، اشْهَدُوا » .

ثُم قال أبو نُعَيْمٍ[3] : وحدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ العباسِ الرازيُّ ، عن الهَيْثَمِ بنِ النُّعْمانِ ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ زِيادٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : انتَهَى أهلُ مكةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا : هل مِن آيةٍ نَعْرِفُ بها أنَّك رسولُ اللَّهِ ؟ فهبَطَ جبريلُ فقال : يا محمدُ ، قُلْ لأهلِ مكةَ أنْ يَحْتَفِلُوا[4] هذه الليلةَ ، فسَيَرَوْن آيةً إنِ انتَفَعوا بها . فأخبَرَهم رسولُ اللَّهِ

---

(١) في الأصل ، م ، ص : « سهيل » . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٥ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وفي ا ١٥ غير واضحة . وفي م ، ص : « قد سلب » . والمثبت من الدلائل .

(٣) لم نجده في المطبوع من مختصر الدلائل . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٣٣ لأبي نعيم .

(٤) في الأصل والدر المنثور : « يختلفوا » . واحتفل الشيءُ : اجتمع ، ويقال : احتفل القوم في المكان . الوسيط (ح ف ل) .

ﷺ بمقالةِ جبريلَ، فخَرَجوا ليلةَ الشَّقِّ؛ ليلةَ أربعَ عَشْرَةَ، فانشَقَّ القمرُ نِصْفَيْنِ؛ نِصْفًا على الصَّفَا، ونِصْفًا على المَرْوَةِ، فنَظَروا، ثُم قالوا بأبْصارِهم[1] فمسَحوها، ثُم أَعادوا النظرَ فنظَروا، ثُم مسَحوا أَعْيُنَهم ثُم نظَروا، فقالوا: يا محمدُ، ما هذا إلّا سحرٌ ذاهبٌ[2] فأنزَلَ اللَّهُ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾.

ثُم روَى[3] عن[4] الضَّحّاكِ، عن ابنِ عباسٍ، قال: جاءَتْ أحبارُ اليهودِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: أَرِنا آيةً حتى نُؤْمِنَ بها. فسأَل ربَّه، فأَرَاهم القمرَ قد انْشَقَّ [5]فصارَ قمَرَين[5]، أحدُهما على الصَّفَا، والآخَرُ على المَرْوَةِ، قَدْرَ ما بينَ العَصْرِ إلى الليلِ ينظُرونَ إليه، ثُم غابَ. فقالوا: هذا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ[6].

وقال الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرَانِيُّ[7]: حدَّثَنا أحمدُ بنُ عمرٍو البَزَّارُ[8]، حدَّثَنا محمدُ بنُ يَحيى القُطَعيُّ، حدَّثَنا محمدُ بنُ بكرٍ، حدَّثَنا ابنُ جُرَيْجٍ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: كَسَفَ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: سَحَرَ القمَرَ. فنزَلَتْ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ

---

(١) أى نظروا مرة أخرى. قال فى النهاية ٤/ ١٢٤: والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول: قال بيده؛ أى أخذ. وقال برجله؛ أى مشى.

(٢) فى م، ص: «واهب».

(٣) أى أبو نعيم، الدلائل (٢١٠).

(٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) فى الأصل: «فصار نصفين». وفى ا ١٥: «فصار فرقتين». وفى م، ص: «بجزئين». والمثبت من الدلائل، وانظر فتح البارى ٧/ ١٨٣.

(٦) فى م، ص: «مفترى».

(٧) المعجم الكبير (١١٦٤٢).

(٨) فى النسخ: «الرزاز». والمثبت من المعجم الكبير. وهو الشيخ الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البصرى، صاحب المسند. سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٥٤.

ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾. وهذا إسنادٌ جيدٌ، وفيه أنَّه كَسَفَ تلك الليلةَ، فلعلَّه حصَل له انشقاقٌ فى ليلةِ كسوفِه؛ ولهذا خَفِيَ أمْرُه على كثيرٍ مِن أهلِ الأَرضِ، (١)ولعلَّ ذلك فى بعضِ ليالى الشتاءِ، حيث يكونُ أكثرُ الناسِ فى البُيُوتِ، أو ستَرَه غَيْمٌ عن كثيرٍ مِن الأرضِ(١) ومع هذا، قد شُوهِدَ ذلك فى كثيرٍ مِن بقاعِ الأرضِ، ويُقالُ: إنه أُرِّخَ ذلك فى بعضِ بلادِ الهندِ، ويُنِىَ بِناءٌ تلك الليلةَ، وأُرِّخَ بليلةِ انشقاقِ القمرِ.

وأما ابنُ عُمَرَ: فقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ(٢): أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو بَكْرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى، قالا: حدَّثَنا أبو العباسِ الأَصَمُّ، حدَّثَنا العباسُ ابنُ محمدٍ الدُّورِىُّ، حدَّثَنا وهبُ بنُ جريرٍ، عن شُعْبَةَ، عن الأَعمشِ، عن مجاهدٍ، (٣)عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، فى قولِه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾. قال: وقد كان ذلك على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، انشَقَّ فِلْقَتَيْنِ؛ فِلْقَةً مِن دونِ الجبلِ، وفِلْقَةً مِن خلفِ الجبلِ، فقال النبىُّ ﷺ: «اللهُمَّ اشْهَدْ». وهكذا رَوَاه مسلمٌ [٢/١١٣ظ] والترمذىُّ(٤) مِن طرقٍ، عن الأعمشِ، عن مجاهِدٍ(٣) به. قال مسلمٌ كرِوايةِ مجاهدٍ، عن أبى مَعْمَرٍ، عن ابنِ مسعودٍ(٥). وقال الترمذىُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٧.

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) مسلم (٢٨٠١). والترمذى (٣٢٨٨).

(٥) مسلم (٢٨٠٠).

وأما عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ: فقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا سفيانُ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهِدٍ، عن أبى مَعْمَرٍ، عن ابنِ مسعودٍ، قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، حتى نظَروا إليه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا». وهكذا أخرَجاه[2] مِن حديثِ سُفيانَ، وهو ابنُ عُيَيْنَةَ، به، ومِن حديثِ الأَعمشِ[3]، عن إبراهيمَ، عن أبى مَعْمَرٍ[4] عبدِ اللَّهِ بنِ سَخْبَرَةَ[5]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: انشَقَّ القمرُ ونحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنًى، فقال النبىُّ ﷺ: «اشْهَدُوا». وذهبَتْ فِرْقَةٌ نحوَ الجبلِ. لفظُ البخارىِّ.

ثُم قال البخارىُّ[6]: وقال [7]أبو الضُّحَى[7]، عن مسروقٍ، عن عبدِ اللَّهِ: بمكةَ. وتابَعَه محمدُ بنُ مسلمٍ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، عن أبى مَعْمَرٍ، عن عبدِ اللَّهِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

وقد أَسْنَدَ أبو داودَ الطَّيَالِسِىُّ[8] حديثَ أبى الضُّحَى، عن مسروقٍ [9]ذلك فى «مسندِه» فقال: ثنا أبو عَوَانَةَ، عن المُغِيرَةِ، عن أبى الضُّحَى، عن مَسْرُوقٍ[9]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالت قريشٌ: هذا سِحْرُ ابنِ أبى كَبْشَةَ. فقالوا: انْظُرُوا ما يَأْتِيكم به

---

(١) المسند ١/ ٣٧٧. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٣٦٣٦، ٤٨٦٥). ومسلم (٢٨٠٠).

(٣) البخارى (٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤). ومسلم (٢٨٠٠).

(٤) بعده فى م، ص: «عن». انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٦.

(٥) فى م: «سمرة».

(٦) البخارى (٣٨٦٩) تعليقا.

(٧ - ٧) فى ا ١٥، م، ص: «أبو الضحاك». انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٨) مسند الطيالسى (٢٩٥).

(٩ - ٩) سقط من: م، ص.

السُّفَّارُ، فإنَّ محمدًا لا يَستَطِيعُ أنْ يَسْحَرَ الناسَ كلَّهم. قال: فجاء السُّفّارُ فقالوا ذلك.

وقال البَيْهَقِيُّ[1]: أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، ثنا أبو العباسِ، حدَّثَنا العباسُ ابنُ محمدٍ الدُّورِيُّ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ سُلَيْمانَ، حدَّثَنا هُشَيْمٌ، حدَّثَنا مُغِيرَةُ، عن أبى الضُّحَى، عن مَسْرُوقٍ، عن عبدِ اللَّهِ قال: انشَقَّ القمرُ بمكةَ حتى صار فِرْقَتَيْنِ، فقال كُفَّارُ قريشٍ لأهلِ مكةَ: هذا سِحْرٌ سَحَرَكم به ابنُ أبى كَبْشَةَ، انظُروا السُّفَّارَ، فإنْ كانوا رأَوْا ما رأَيْتُم فقد صدَق، وإنْ كانوا لم يَرَوْا مثلَ ما رأَيْتُم فهو سِحْرٌ سَحَرَكم به. قال: فسُئِلَ السُّفَّارُ - قال: وقَدِموا مِن كلِّ وِجْهَةٍ - فقالوا: رأَيْنا. وهكذا روَاه [2]ابنُ جَرِيرٍ[3]، مِن حديثِ المغِيرَةِ، وزاد: فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾.

ورَوَاه[2] أبو نُعَيْمٍ[4]، مِن حديثِ جَرِيرٍ[5]، عن الأعمشِ، عن أبى الضُّحَى عن مسروقٍ، عن عبدِ اللَّهِ به.

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثَنا مُؤَمَّلٌ، حدَّثَنا إسرائيلُ، عن سِمَاكٍ، عن إبراهيمَ، عن الأسودِ، عن عبدِ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - قال: انْشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، حتى رأيْتُ الجبلَ بينَ فُرْجَتَيِ القمرِ. وهكذا روَاه ابنُ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٦.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٥.

(٤) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل. والذى فيه حديث المغيرة عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله (٢١١، ٢١٢).

(٥) فى م، ص: «جابر».

(٦) المسند ١/ ٤١٣. (إسناده صحيح).

جَرِيرٍ[1] ، مِن حديثِ أَسْبَاطٍ ، عن سِمَاكٍ به .

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[2] : حدَّثَنا أبو بكرٍ الطَّلْحِيُّ ، حدَّثَنا أبو حُصَيْنٍ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ الوادِعِيُّ ، حدَّثَنا يَحْيى الحِمَّانِيُّ ، حدَّثَنا يَزِيدُ ، عن عَطَاءٍ ، عن سِمَاكٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقَمَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : كنا مع النبيِّ ﷺ بِمِنًى فانشَقَّ القمرُ حتى صار فِرْقَتَيْنِ ، فَتَوَارَتْ[3] فِرْقَةٌ خلْفَ الجبلِ ، فقال النبيُّ ﷺ : « اشْهَدُوا ، اشْهَدُوا » .

وقال أبو نُعَيْمٍ[4] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثَنا جعفرُ بنُ محمدٍ القَلَانِسِيُّ ، حدَّثَنا آدمُ بنُ أبى إِيَاسٍ ، ثنا اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ ، حدَّثَنا هشامُ بنُ سَعْدٍ ، عن عُتْبَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : انشَقَّ القمرُ ونحن بمكةَ ، فلقد رأيتُ أحدَ شِقَّيْه على الجبلِ الذى بِمِنًى ونحن بمكةَ .

وحدَّثَنا[5] أحمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ ، حدَّثَنا محمدُ ابنُ حاتمٍ أبو سَعِيدٍ ، حدَّثَنا معاويةُ بنُ عَمْرٍو ، عن زائدةَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : انشقَّ القمَرُ بمكةَ ، فرأَيْتُه فِرْقَتَيْنِ .

ثُم روَى[6] مِن حديثِ علىِّ بنِ سعيدِ بنِ مَسْرُوقٍ ، حدَّثَنا موسى بنُ عُمَيْرٍ ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٥.

(٢) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٣/٦ لأبى نعيم . وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٠٠٩) من طريق إبراهيم به .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) لم نجده بهذا السند فى مختصر الدلائل ، ولا فيما بين أيدينا من مصادر .

(٥) القائل أبو نعيم ، الدلائل (٢٠٧) .

(٦) أى أبو نعيم ، ولم نجد هذا الحديث فى مختصر الدلائل . وقد أخرجه الطبرانى فى الكبير (٩٩٩٧) من طريق على بن سعيد به .

عن منصورِ بنِ المُعْتَمِرِ، عن زيدِ بنِ وَهْبٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: رأيتُ القمرَ واللَّهِ مُنْشَقًّا باثْنَتَيْنِ، بينَهما حِرَاءُ.

ورَوَى أبو نُعَيْمٍ[1] مِن طريقِ السُّدِّيِّ الصغيرِ، عن الكَلْبِيِّ، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: انشَقَّ القمرُ فِلْقَتَيْنِ؛ فِلْقَةٌ ذهبت، وفِلْقَةٌ بَقِيَتْ.

قال ابنُ مسعودٍ[2]: لقد [٢/١١٤و] رأَيْتُ جبلَ حِرَاءَ مِن[3] بينِ فِلْقَتَيِ القمرِ، فذهَبَتْ فِلْقَةٌ، فتعجَّبَ أهلُ مكةَ مِن ذلك وقالوا: هذا سِحْرٌ مصنوعٌ سيَذْهَبُ.

وقال لَيْثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ[4]، عن مجاهدٍ قال: انشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فصارَ فِرْقَتَيْنِ، فقال النبىُّ ﷺ لأبى بكرٍ: «اشْهَدْ يا أبا بَكْرٍ». وقال المشركون: سحَر القمرَ حتى انْشَقَّ.

فهذه طُرُقٌ متعددةٌ قويةُ الأَسانيدِ، تُفِيدُ القَطْعَ لمَن تَأَمَّلَها وعرَفَ عَدالةَ رِجالِها. وما يَذْكُرُه بعضُ القُصَّاصِ مِن أنَّ القمرَ سقَط إلى الأرضِ، حتى دخَل فى كُمِّ النبىِّ ﷺ وخرَجَ مِن الكُمِّ الآخَرِ، فلا أصْلَ له، وهو كَذِبٌ مُفْتَرًى ليس بصحيحٍ، والقمرُ حينَ انشَقَّ لم يُزايِلِ السماءَ، غيرَ أنَّه حينَ أشارَ إليه النبىُّ ﷺ، انشَقَّ عن إشارتِه فصارَ فِرْقَتَيْنِ، فسارَتْ واحدةٌ حتى صارَتْ مِن وراءِ حِرَاءَ، ونظَرُوا إلى الجبلِ بينَ هذه وهذه، كما أخبَرَ بذلك ابنُ مسعودٍ أنَّه

---

(١) لم نجده بهذا السند فى مختصر الدلائل، وذكره الزيلعى بهذا الإسناد فى تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ٣٩٠، وعزاه لأبى نعيم فى الدلائل.

(٢) ذكره الزمخشرى فى تفسيره الكشاف ٤/ ٣٦، بهذا اللفظ.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٧.

شاهَدَ ذلك . وما وقَع فى روايةِ أنسٍ فى « مسندِ أحمدَ »[1] : فانشَقَّ القمَرُ بمكةَ مرَّتَيْن . فيه نظرٌ ، والظاهرُ أنَّه أرادَ فِرْقَتَيْنِ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

فى[3] وَفاةِ أبى طالبٍ عَمّ رسولِ اللهِ ﷺ ثُم مِن بعدِه خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ زوجةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورَضِىَ اللَّهُ عنها

وقيل : بل هى تُوُفِّيَتْ قَبْلَه[4] . والمشهورُ الأولُ . وهما المُشْفِقَانِ ؛ هذاك فى الظاهرِ ، وهذه فى الباطنِ ، هذاك كافرٌ ، وهذه مؤمنةٌ صِدِّيقَةٌ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها وأَرْضاها .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ثُم إنَّ خديجةَ وأبا طالبٍ هَلَكا فى عامٍ واحدٍ ، فتَتَابَعَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ المصائبُ ، بهُلْكِ خديجةَ ، وكانت له وزيرَ صِدْقٍ على الإسلامِ[6] يَسْكُنُ إليها ، وبهُلْكِ عمِّه أبى طالبٍ ، وكان له عَضُدًا وحِرْزًا فى أمرِه ، ومَنَعَةً وناصرًا على قومِه ، وذلك قبلَ مُهاجَرِه إلى المدينةِ بثلاثِ سِنِينَ ، فلمّا هلَكَ أبو طالبٍ ، نالَتْ قريشٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الأَذَى ما لم تَكُنْ تَطْمَعُ به فى حياةِ أبى طالبٍ ، حتى اعترَضَه سَفِيهٌ مِن سُفَهاءِ قريشٍ ، فنثَرَ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٣ .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ١٨٣، بعد إيراده عبارة ابن كثير هذه ، مؤكدًا كلامه : وهذا الذى لا يتجه غيره ، جمعًا بين الروايات .

(٣) سقط من : م .

(٤) ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام . جزء السيرة النبوية ص ٢٣٦، وعزاه للواقدى .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.

(٦) فى م ، ص : « الابتلاء » .

على رأسِه ترابًا ، فحدَّثَنى هِشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بيتَه والترابُ على رأسِه ، فقامَتْ إليه إحدى بناتِه فجعَلَتْ[1] تَغْسِلُه وتَبْكِى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا تَبْكِى يا بُنَيَّةُ ؛ فإنَّ اللَّهَ مانِعٌ أباكِ » . ويقولُ بينَ ذلك : « ما نالَتْنِى قريشٌ شيئًا أَكْرَهُه حتى ماتَ أبو طالِبٍ » .

وذَكَرَ ابنُ إسحاقَ قبلَ ذلك[2] ، أنَّ أحدَهم رُبَّما طرَح الأَذَى فى بُرْمتِه[3] ﷺ إذا نُصِبَتْ له . قال : فكان إذا فعَلُوا ذلك - كما حدَّثَنى عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ عن عُرْوةَ - يَخْرُجُ بذلك الشىءِ على العُودِ [4]فيَقِفُ به[4] على بابِه ثُم يقولُ : « يا بنى عبدِ مَنافٍ ، أىُّ جِوَارٍ هذا ؟! » . ثُم يُلْقِيه فى الطريقِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : لمَّا اشْتَكَى أبو طالبٍ ، وبلَغ قريشًا ثِقَلُه ، قالت قريشٌ بعضُها لبعضٍ : إنَّ حمزةَ وعمرَ قد أَسْلَما ، وقد فَشَا أمرُ محمدٍ فى قبائلِ قريشٍ كلِّها ، فانطَلِقُوا بنا إلى أبى طالبٍ ، فلْيَأْخُذْ لنا على ابنِ أخيه ولْيُعْطِه مِنّا ، فإنَّا واللَّهِ ما نَأْمَنُ أنْ يَبْتَزُّونا[6] أمْرَنا .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثَنى العبَّاسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ ، عن بعضِ أهلِه[7] ، عن ابنِ عباسٍ قال : لمَّا مَشَوْا إلى أبى طالبٍ وكَلَّموه - وهم أشرافُ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.

(٣) البرمة : القِدر من الحجارة . الوسيط (ب ر م) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ١٥ : « فيقفه » . وفى م ، ص : « فيقذفه » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٧.

(٦) يبتزونا : يسلبونا .

(٧) فى الأصل : « أهل مكة » .

قومِه ؛ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وشَيْبةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وأبو جَهْلِ بنُ هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، وأبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ - فى رجالٍ من أَشْرافِهم ، فقالوا : يا أبا طالبٍ ، إنَّك منا حيثُ قد عَلِمْتَ ، وقد حضَرَك ما تَرَى وتَخَوَّفْنَا عليك ، [٢/١١٤ظ] وقد عَلِمْتَ الذى بيننا وبينَ ابنِ أخيك ، فادْعُه فخُذْ لنا منه وخُذْ له منا ؛ لِيَكُفَّ عنا ولِنَكُفَّ عنه ، ولِيَدَعَنا وديننا ، ولِنَدَعَه ودينَه . فبعَث إليه أبو طالبٍ ، فجاءَه فقال : يا بنَ أخى ، هؤلاءِ أشرافُ قومِك قد اجْتَمَعُوا لك ؛ لِيُعْطوك ولِيَأْخُذوا منك . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ[1] ، كلمةٌ واحدَةٌ تُعْطُونيها تَمْلِكُون بها العربَ ، وتَدِينُ لكم بها العَجَمُ » . فقال أبو جَهْلٍ : نَعَمْ وأَبِيك ، وعَشْرَ كلماتٍ . قال : « تقولُون : لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ . وتَخْلَعُون ما تَعْبُدُون مِن دُونِه » . قال[2] : فصَفَّقُوا بأَيْدِيهم ، ثُم قالوا : يا محمدُ ، أَتُرِيدُ أن تَجْعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا ؟ إنَّ أمْرَك لَعَجَبٌ ! قال : ثُم قال بعضُهم لبعضٍ : إنه واللَّهِ ما هذا الرجلُ بمُعْطِيكم شيئًا مما تُريدون ، فانْطَلِقُوا وامْضُوا على دينِ آبائِكم ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَكم وبينَه . ثُم تفرَّقوا . قال : فقال أبو طالبٍ : واللَّهِ يا بنَ أخى ، ما رأَيْتُك سأَلْتَهم شَطَطًا . قال : فطَمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه ، فجعَل يَقولُ له : « أَىْ عَمِّ ، فأنتَ فقُلْها أَسْتَحِلَّ لك بها الشفاعةَ يومَ القيامةِ » . قال : فلَمَّا رأى حِرْصَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : يا بنَ أخى ، واللَّهِ لولا مَخافةُ السُّبَّةِ عليك وعلى بنى أبيك مِن بَعدى ، وأنْ تَظُنَّ قريشٌ أنِّى إنَّما قلْتُها جَزَعًا مِن الموتِ لَقُلْتُها ، لا

---

(١) فى م : « يا عم » .

(٢) سقط من : م ، ص .

أَقُولُها إلّا لأَسُرَّك بها . قال : فلمّا تَقَارَبَ مِن أبى طالبٍ الموتُ[1] ، نظَر العباسُ إليه يُحَرِّكُ شَفَتَيْه ، فأَصْغَى إليه بأُذُنِه . قال : فقال : يا بنَ أخى ، واللَّهِ لقد قال أخى الكلمةَ التى أمَرْتَه أنْ يقولَها . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم أَسْمَعْ » . قال : وأنزَلَ اللَّهُ تعالى فى أولئك الرَّهْطِ ﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص: ١، ٢] الآيات . وقد تَكَلَّمْنا على ذلك فى « التفسيرِ »[2] . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد استدَلَّ بعضُ مَن ذهَب مِن الشِّيعَةِ وغيرِهم مِن الغُلاةِ[3] ، إلى أنَّ أبا طالبٍ مات مُسْلِمًا بقولِ العباسِ هذا الحديثَ : يا بنَ أخى ، لقد قال أخى الكلمةَ التى أَمَرْتَه أن يقولَها . يعنى لا إلهَ إلا اللَّهُ .

والجوابُ عن هذا مِن وجوهٍ ؛ أحدُها ، أنَّ فى السَّنَدِ مُبْهَمًا لا يُعْرَفُ حالُه ، وهو قولُه : عن بعضِ أهلِه . وهذا إبْهَامٌ فى الاسمِ والحالِ ، ومثلُه يُتَوَقَّفُ فيه لو انفَرَدَ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ جريرٍ[4] نحوًا مِن هذا السِّياقِ ، مِن طريقِ أبى أُسامةَ ، عن الأعمشِ ، حدَّثَنا عبَّادٌ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، [5]عن ابنِ عباسٍ[5] ، فذكَرَه ، ولم يَذْكُرْ قولَ العباسِ . [6]ورواه الثورىُّ أيضًا ، عن[6]

---

(١) سقط من : الأصل ، ١ ١٥، ص .

(٢) التفسير ٤٣/٧ - ٤٨.

(٣) أعيان الشيعة ٥/١/٣ .

(٤) المسند ٢٢٨/١ (إسناده صحيح) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٣٧) ، وابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٢٥.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(١) الأَعْمَشِ ، عن يَحْيَى بنِ عُمارَةَ الكُوفيِّ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَرَه بغيرِ زيادةِ قوْلِ العباسِ(١) . رَوَاه الترمذيُّ وحَسَّنَه ، والنَّسائيُّ ، وابنُ جَرِيرٍ(٢) أيضًا ، ولفظُ الحديثِ مِن سِياقِ البَيْهَقِيِّ(٣) ، فيما رَوَاه مِن طريقِ الثَّوْرِيِّ ، عن الأَعْمَشِ ، عن يَحْيَى بنِ عُمارةَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : مَرِضَ أبو طالبٍ ، فجاءَتْ قريشٌ وجاءَ النبيُّ ﷺ ، وعندَ رأسِ أبى طالبٍ مَجلِسُ(٤) رجلٍ ، فقامَ أبو جهلٍ كى يَمْنَعَه ذاك ، وشكَوْه إلى أبى طالبٍ ، فقال : يا بنَ أخى ، ما تُرِيدُ مِن قومِك ؟ فقال : « يا عَمِّ ، إنَّما أُرِيدُ منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بِها العربُ ، وتُؤَدِّى إليهم بها الجِزْيَةَ العَجَمُ ، كلمةً واحدةً » . قال : ما هى ؟ قال : « لا إلهَ إلا اللَّهُ » . قال : فقالوا : أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا ، إنَّ هذا لشىءٌ عُجَابٌ ! قال : ونزَلَ فيهم : ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ الآياتُ إلى قولِه : ﴿ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص : ١- ٧] .

ثُم قد عارَضَه - أعنى سياقَ ابنِ إسحاقَ - ما هو أصحُّ منه ، وهو ما روَاه البخاريُّ(٥) ، رَحِمَه اللَّهُ ، قائلًا : حدَّثنا محمودٌ ، حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن ابنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنَّ أبا طالبٍ لمَّا حضَرَتْه الوفاةُ ، دخَل عليه النبيُّ ﷺ وعندَه أبو جهلٍ ، فقال : « أَىْ عَمِّ ، قُلْ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . كلمةً أُحَاجُّ لك بها عندَ اللَّهِ » . فقال أبو جَهْلٍ وعبدُ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الترمذى (٣٢٣٢) . إسناده ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٣٦) . والنسائى فى الكبرى (١١٤٣٦) . وابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٢٥ .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٥ .

(٤) فى م ، ص : « فجلس » .

(٥) البخارى (٣٨٨٤) .

ابنُ أبى أُمَيَّةَ : يا أبا طالبٍ ، تَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ ؟ فلم يَزالا يُكَلِّمانِه ، حتى قال آخِرَ شىءٍ كَلَّمَهم به : على مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ . فقال النبىُّ ﷺ : « لأَسْتَغْفِرَنَّ لك ، ما لم أُنْهَ عنك » [٢/١١٥و] . فنَزَلَتْ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] . ونَزَلَتْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] . ورَوَاه مسلمٌ[(١)] عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ وعَبْدٍ[(٢)] ، عن عبدِ الرزَّاقِ .

وأخرَجاه[(٣)] أيضًا مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه بنَحْوِه ، وقال فيه : فلم يَزَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُها عليه ، ويَعُودَانِ له بتلك المقالةِ ، حتى قال آخِرَ ما قال : هو[(٤)] على مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ . وأبَى أنْ يقولَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فقال النبىُّ ﷺ : « أمَا لأَسْتَغْفِرَنَّ لك ، ما لم أُنْهَ عنك » . فأنزَلَ اللَّهُ - يَعْنِى بعدَ ذلك - : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ ، ونزَل فى أبى طالبٍ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ .

وهكذا روَى الإمامُ أحمدُ ، ومسلمٌ ، والتِّرْمِذِىُّ[(٥)] ، مِن حديثِ يزيدَ بنِ

---

(١) مسلم (٢٤) .

(٢) سقط من الأصل . وفى م : « عبد الله » . وهو عبد بن حميد بن نصر الكِسِّىُّ ، أبو محمد المعروف بالكَشِّىِّ . تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢٤.

(٣) البخارى (١٣٦٠، ٤٧٧٢) . مسلم (٢٤) .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) بعده فى م ، ص : « والنسائى » . ولم يعزه الحافظ المزى فى تحفة الأشراف ١٠/ ٩٤ إلى النسائى ، وإنما رواه النسائى (٢٠٣٤) من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه مرفوعا . والحديث فى المسند ٢/ ٤٤١، ومسلم (٢٥) ، والترمذى (٣١٨٨) .

كَيْسَانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : لمّا حضَرَتْ وفاةُ أبى طالبٍ ، أتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا عَمَّاه ، قُلْ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . أَشْهَدُ لك بها يومَ القيامةِ » . فقال : لولا أنْ تُعَيِّرَنى قُريشٌ ؛ يَقولونَ : ما حمَلَه عليه إلا جَزَعُ[1] المَوْتِ . لأَقْرَرْتُ بها عَيْنَك ، ولا أقولُها إلا لأُقِرَّ بها عينَك . فأنزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وهكذا قال عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ[2] ، وابنُ عمرَ ، ومُجَاهِدٌ ، والشَّعْبِىُّ ، وقَتَادَةُ[3] : إنَّها نزَلَتْ فى أبى طالبٍ حينَ عرَضَ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فأَبَى أن يقولَها ، وقال : هو على مِلَّةِ الأَشياخِ . وكان آخِرَ ما قال : هو على ملةِ عبدِ المُطَّلِبِ .

ويُؤَكِّدُ هذا كلَّه ما قال البخارىُّ[4] : حدَّثَنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثَنا يَحْيَى ، عن سُفيانَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ ، حدَّثَنا العباسُ ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ أنَّه قال : قلتُ للنبىِّ ﷺ : ما أَغْنَيْتَ عن عَمِّك ، فإنَّه كان يَحُوطُك ويَغْضَبُ لك ![5] قال : « هو فى ضَحْضَاحٍ مِن نارٍ ، وَلَوْلَا أنَا لكان فى الدَّرْكِ الأسفلِ [6]مِن النارِ[6] » . ورواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[7] مِن طُرُقٍ عن

---

(١) فى م ، ص : « فزع » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٣/٥ إلى ابن مردويه من قول ابن عباس .

(٣) تفسير الطبرى ٢٠/ ٩٢، ٩٣.

(٤) البخارى (٣٨٨٣) .

(٥) فى الأصل : « لغضبك » .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل .

(٧) مسلم (٢٠٩) .

عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ به .

و[1] أخرجاه فى « الصحيحَيْن »[2] من حديثِ اللَّيْثِ ، حدَّثنى ابنُ الهادِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ خَبَّابٍ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّه سَمِعَ النبىَّ ﷺ ، و[1] ذُكِرَ عندَه عمُّه فقال : « لعلَّه تَنْفَعُه شَفَاعَتِى يومَ القيامةِ ، فيُجْعَلَ فى ضَحْضَاحٍ مِن النارِ ، يَبْلُغُ كَعْبَيْه ، يَغْلِى منه دِماغُه » . لفظُ البخارىِّ . وفى روايةٍ[3] : « تَغْلِى منه أُمُّ دِماغِه » .

وروَى مُسلمٌ[4] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن عَفَّانَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أبى عثمانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَهْوَنُ أهلِ النارِ عذابًا أبو طالِبٍ ، مُنْتَعِلٌ بنَعْلَيْنِ مِن نارٍ يَغْلِى منهما دِماغُه » .

وفى « مَغَازِى » يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ[5] : « يَغْلِى منهما دِمَاغُه حتى يَسِيلَ على قَدَمَيْه » . ذكَرَه السُّهَيْلِىُّ[6] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مسندِه »[7] : حدَّثَنا عُمَرُ[8] ، هو ابنُ إسماعيلَ بنِ مُجالِدٍ ، حدَّثنا أبى ، عن مُجالِدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرٍ قال :

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٣٨٨٥) ، ومسلم (٢١٠) .

(٣) البخارى (٣٨٨٥) طبعة الشعب . وقد سقطت هذه الرواية من متن فتح البارى ، إلا أن الحافظ قد أدرجها فى شرحه للبخارى . انظر الفتح ٧/ ٥٩٤.

(٤) مسلم (٢١٢) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢٣، وفيها : « قوائمه » بدلا من « قدميه » .

(٦) الروض الأنف ٤/ ٢٨.

(٧) عزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩٥. إلى البزار وقال : وفيه من لا أعرفه .

(٨) فى م : « عمرو » . وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢١/ ٢٧٤.

سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ - أو قيلَ له - : هل نفَعْتَ أبا طالبٍ ؟ قال : « أَخْرَجْتُه مِن النارِ إلى ضَحْضَاحٍ منها » . تفرَّدَ به البزَّارُ .

قال السُّهَيْلِيُّ[1] : وإنَّما لم يَقْبَلِ النبيُّ ﷺ شهادةَ العباسِ لأخيه[2] ، أنَّه قال الكلمةَ وقال : « لم أَسْمَعْ » . لأنَّ العباسَ كان إذ ذاك كافرًا غيرَ مقبولِ الشهادةِ .

قلْتُ : وعندى أنَّ الخبرَ بذلك ما صَحَّ ؛ لضَعْفِ سَنَدِه كما تقدَّمَ ، ومما يَدُلُّ على ذلك ، أنَّه سأَل النبيَّ ﷺ بعدَ ذلك عن أبى طالبٍ فذكَرَ له ما تقدَّمَ . وبتَقْدِيرِ[3] صِحَّتِه ، لعلَّه قال ذلك عندَ مُعاينَةِ المَلَكِ بعدَ الغَرْغَرةِ ، حينَ لا يَنْفَعُ نفسًا إيمانُها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال أبو داودَ الطَّيَالِسِيُّ[4] : حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ ، سَمِعْتُ ناجِيَةَ [٢/١١٥ظ] بنَ كعبٍ ، يقولُ : سمِعْتُ عليًّا يَقولُ : لمَّا تُوُفِّىَ أبى ، أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : إنَّ عمَّك قد تُوُفِّىَ . قال : « اذْهَبْ فَوَارِه » . فقلتُ : إنَّه ماتَ مُشْرِكًا ، فقال : « اذْهَبْ فَوَارِه ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تَأْتِيَنِى[5] » . ففعَلْتُ ثُم أَتَيْتُه ، فأمَرَنى أنْ أَغْتَسِلَ . ورَواه النَّسائىُّ[6] ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ به . ورَواه أبو داودَ ، والنَّسائىُّ[7] مِن حديثِ سُفيانَ ، عن

---

(١) الروض الأنف ٤/٢٧.

(٢) فى م : « أخيه » .

(٣) فى م : « بتعليل » .

(٤) مسند الطيالسى (١٢٠) .

(٥) فى م ، ص : « تأتى » .

(٦) النسائى (١٩٠) . صحيح (صحيح سنن النسائى ١٨٤) .

(٧) أبو داود (٣٢١٤) ، والنسائى (٢٠٠٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٥٣) .

أبى إسحاقَ ، عن ناجِيَةَ ، عن عليٍّ : لمّا مات أبو طالبٍ قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ عمَّك الشيخَ الضالَّ قد ماتَ ، فمَن يُوارِيه ؟ قال : « اذْهَبْ فَوَارِ أباك ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تَأْتِيَنِى » . فأتَيْتُه ، فأمَرَنِى فاغتَسَلْتُ ، ثُم دعَا لى بدعَواتٍ ، ما يَسُرُّنِى أنَّ لى بهنَّ ما على الأرضِ مِن شىءٍ .

وقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[1] : أخبرَنا أبو سعدٍ المالِينِىُّ ، حدَّثَنا أبو أحمدَ بنُ عَدِىٍّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ هارونَ بنِ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ أبى رِزْمَةَ ، حدَّثَنا الفَضْلُ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ عارَضَ جِنازةَ أبى طالبٍ[2] فقال : « وَصَلَتْكَ رَحِمٌ وجُزِيتَ خيرًا يا عَمِّ » . قال[1] : ورُوِىَ عن أبى اليَمانِ الهَوْزَنِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ مُرْسَلًا . وزادَ : ولم يَقُمْ على قبرِه . قال : وإبراهيمُ بنُ عبدِ الرحمنِ هذا هو الخُوَارِزْمِىُّ ، تَكَلَّموا فيه .

قلتُ : قد روَى عنه غيرُ واحدٍ ؛ منهم الفضلُ بنُ موسَى السِّينَانِىُّ[3] ، ومحمدُ بنُ سَلّامٍ البِيكَنْدِىُّ ، ومع هذا قال ابنُ عَدِىٍّ[4] : ليس بمعروفٍ ، وأحاديثُه عن كلِّ مَن روَى عنه ليست بمستقيمةٍ .

وقد قَدَّمْنا ما كان يَتَعَاطاه أبو طالبٍ مِن المُحامَاةِ ، والمُحاجَّةِ ، والمُمانَعةِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والدفعِ عنه وعن أصحابِه ، وما قاله فيه من المَمادِحِ والثناءِ ،

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩.

(٢) فى م ، ص : « عاد من » . وعارض جنازة أبى طالب : أى أتاها معترضا من بعض الطريق ولم يتبعه من منزله . النهاية ٣/ ٢١١.

(٣) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « الشيبانى » . انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٤) الكامل ١/ ٢٥٩.

وما أظْهَرَ له ولأصحابِه مِن المودةِ والمحبةِ والشفقةِ فى أشعارِه التى أسلفْناها ، وما تَضَمَّنَتْه مِن العيبِ والتَّنَقُّصِ لمَن خالَفَه وكذَّبَه ، بتلك العبارةِ الفصيحةِ ، البليغةِ ، الهاشميةِ ، المُطَّلِبيَّةِ ، التى لا تُدَانَى ولا تُسَامَى ، ولا يُمْكِنُ عربيًّا مُقارَبَتُها[1] ولا مُعارَضتُها ، وهو فى ذلك كلِّه يَعْلَمُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صادقٌ بارٌّ راشدٌ ، ولكنْ مع هذا لم يُؤْمِنْ قلبُه . وفَرْقٌ بينَ علمِ القلبِ وتصديقِه ، كما قرَّرْنا ذلك فى شرحِ كتابِ الإيمانِ مِن «صحيحِ البخاريِّ» ، وشاهدُ ذلك قولُه تعالى[2] : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] . وقال تعالى فى قومِ فِرْعَونَ[3] : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: ١٤] . وقال موسى لفرعونَ[4] : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢] . وقولُ بعضِ السَّلَفِ فى قولِه تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ ﴾ [الأنعام: ٢٦] : إنَّها نَزَلَتْ فى أبى طالبٍ ، حيث كان يَنْهَى الناسَ عن أذيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويَنْأَى هو عمَّا جاءَ به الرسولُ مِن الهُدَى ودينِ الحقِّ ، فقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ ، والقاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ ، وحَبِيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، وعَطَاءِ ابنِ دِينَارٍ ، ومحمدِ بنِ كعبٍ ، وغيرِهم[5] ، وفيه نظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

والأظهرُ - واللَّهُ أعلمُ - الروايةُ الأخْرَى عن ابنِ عباسٍ[6] : وهم يَنْهَوْنَ

---

(١) فى ا ١٥: «مقاومتها» .

(٢) التفسير ١/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) التفسير ٦/ ١٩١، ١٩٢.

(٤) التفسير ٥/ ١٢٤.

(٥) روى الطبرى فى تفسيره ١٧٣/٧ هذه الأقوال ، إلا قول محمد بن كعب ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩/٣ إلى تفسير ابن أبى حاتم .

(٦) تفسير الطبرى ٧/ ١٧٢.

الناسَ عن محمدٍ أنْ يُؤْمِنوا به . وبهذا قال مُجاهِدٌ ، وقَتادَةُ ، والضَّحَّاكُ ، وغيرُ واحدٍ ، وهو اختيارُ ابنِ جَرِيرٍ[1] . وتوجيهُه ؛ أنَّ هذا الكلامَ سِيقَ لتمامِ ذَمِّ المُشْرِكين ، حيثُ كانوا يَصُدُّون الناسَ عن [2]اتِّباعِ الحقِّ[2] ، ولا يَنْتَفِعون هم أيضًا به ؛ ولهذا قال[3] : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ [٢/ ١١٦و] عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٥، ٢٦] . وهذا اللفظُ وهو قولُه : ﴿ وَهُمْ ﴾ يَدُلُّ على أنَّ المرادَ بهذا جماعةٌ ، وهم المذكورونَ فى سياقِ الكلامِ ، وقولُه : ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يَدُلُّ على تمامِ الذَّمِّ ، وأبو طالبٍ لم يَكُنْ بهذه المثابةِ ، بل كان يَصُدُّ الناسَ عن أذيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه مِن فَعالٍ ومقالٍ ، ونفسٍ ومالٍ ، ولكن مع هذا لم يُقَدِّرِ اللَّهُ له الإيمانَ ؛ لِمَا له تعالى فى ذلك مِن الحكمةِ العظيمةِ ، والحجةِ القاطعةِ البالغةِ الدامغةِ ، التى يَجِبُ الإيمانُ بها والتسليمُ لها ، ولولا ما نَهانا اللَّهُ عنه مِن الاستغفارِ لِلْمُشركينَ ، لاسْتَغْفَرْنا لأبى طالبٍ وتَرَحَّمْنا عليه .

فصلٌ

فى وفاةِ خَدِيجَةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ وذكرِ شىءٍ مِن فضائلِها ومناقِبِها ، رَضِىَ اللَّهُ عنها[4] وأَرْضاها ، وجعَل جناتِ الفِرْدَوْسِ مُثْقَلَبَها ومَثْواها ، وقد فعَل ذلك لا

(١) روى الطبرى هذا القول فى تفسيره ٧/ ١٧٢، ١٧٣ عن قتادة وغيره واختاره ، ولم يذكر قولى مجاهد والضحاك ، وانظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٢.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « اتباعه » .

(٣) التفسير ٣/٢٤١ - ٢٤٣.

(٤) فى م : « عنه » .

محالةَ، بِخَبَرِ الصادقِ المصدوقِ، حيثُ بَشَّرَها ببيتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ.

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1]: حدَّثَنا أبو صالحٍ، حدَّثَنا اللَّيْثُ، حدَّثَنى عُقَيْلٌ، عن ابنِ شِهابٍ قال: قال عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ: وقد كانت خديجةُ تُوُفِّيَتْ قبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلاةُ.

ثم روَى[2] مِن وجهٍ آخَرَ، عن الزُّهْرِىِّ أنَّه قال: تُوُفِّيَتْ خديجةُ بمكةَ[3]، قبلَ خروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ، وقبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلاةُ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: ماتَتْ خديجةُ وأبو طالبٍ فى عامٍ واحدٍ.

وقال البَيْهَقِىُّ[5]: بَلَغَنى أنَّ خديجةَ تُوُفِّيَتْ بعدَ موتِ أبى طالبٍ بثلاثةِ أيامٍ، ذكَرَه [6]أبو عبدِ اللَّهِ[6] بنُ مَنْدَه فى كتابِ «المَعْرِفَةِ»، وشَيْخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ. قال البَيْهَقِىُّ[7]: وزعَم الواقِدِىُّ أنَّ خديجةَ وأبا طالبٍ ماتا قبلَ الهجرةِ بثلاثِ سِنينَ، عامَ خَرَجوا مِن الشِّعْبِ، وأنَّ خديجةَ تُوُفِّيَتْ قبلَ أبى طالبٍ بخمسٍ وثلاثينَ ليلةً.

قلتُ: مُرادُهم؛ قبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلواتُ الخمسُ ليلةَ الإسْراءِ، وكان

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سقط من: ا ١٥.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢٧، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٦ - ٦) فى ا ١٥: «أبو عبيد الله»، وفى م، ص: «عبد الله». وهو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، أبو عبد الله. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨.

(٧) دلائل النبوة ٣/ ٣٥٣.

الأنسبَ بنا أنْ نَذْكُرَ وفاةَ أبى طالبٍ وخديجةَ قبلَ الإسراءِ، كما ذكَرَه البيهقىُّ وغيرُ واحدٍ، ولكن أَخَّرْنا ذلك عن الإسراءِ لمَقْصِدٍ سَتَطَّلِعُ[1] عليه بعدَ ذلك، فإنَّ الكلامَ به يَنْتَظِمُ ويَتَّسِقُ السياقُ[2]، كما تَقِفُ على ذلك إنْ شاءَ اللَّهُ.

وقال البخارىُّ[3]: حدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حدَّثَنا محمدُ بنُ فُضَيْلِ بنِ غَزْوَانَ، عن عُمَارَةَ، عن أبى زُرْعَةَ، عن أبى هُرَيرةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، قال: أَتَى جبريلُ النبىَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذه خديجةُ قد أَتَتْ معها إناءٌ فيه إِدَامٌ - أو طعامٌ، أو شرابٌ - فإذا هى أَتَتْك، فاقْرَأْ عليها السَّلامَ مِن ربِّها ومِنِّى، وبَشِّرْها ببَيْتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ. وقد رَواه مُسْلِمٌ[4] مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ به.

وقال البخارىُّ[5]: حدَّثَنا مُسَدَّدٌ، حدَّثَنا يَحْيَى، عن إسماعيلَ، قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى، رَضِىَ اللَّه عنهما: بَشَّرَ النبىُّ ﷺ خديجةَ؟ قال: نعَمْ، ببيتٍ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ. ورواه البخارىُّ أيضًا، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ[6]، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به.

قال السُّهَيْلِىُّ[7]: وإنما بَشَّرَها ببيتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ - يعنى: قَصَبَ اللؤلؤِ - لأنَّها حازَتْ قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمانِ، لا صخَبَ فيه ولا نصَبَ؛ لأنَّها لم تَرْفَعْ صوتَها على النبىِّ ﷺ، ولم تُتْعِبْه يومًا مِن الدهرِ، فلم تَصْخَبْ

---

(١) فى الأصل: «سيطلع»، وفى ا ١٥: «يستطلع».
(٢) فى م، ص: «الباب».
(٣) البخارى (٣٨٢٠).
(٤) مسلم (٢٤٣٢).
(٥) البخارى (٣٨١٩).
(٦) البخارى (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣).
(٧) الروض الأنف ٢/ ٤٢٥، ٤٢٦.

عليه يومًا، ولا آذَتْه أبدًا.

وأخرَجاه فى «الصحيحين»[1] مِن حديثِ هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أنَّها قالَتْ: ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبىِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجةَ - وهَلَكَتْ قبلَ أنْ يَتَزَوَّجَنِى - لِمَا كنتُ أَسْمَعُه يَذْكُرُها، وأمَرَه اللَّهُ أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ[2] مِن قَصَبٍ، وإنْ كان لَيَذْبَحُ الشاةَ فيُهْدِى فى خَلَائِلِها منها ما يَسَعُهن. لفظُ البخارىِّ. [٢/١١٦ظ] وفى لفظٍ له[3] عن عائشةَ: ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجةَ؛ مِن كَثْرَةِ ذكرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إيّاها. قالت[4]: وتزوَّجَنى بعدَها[5] بثلاثِ سِنينَ، وأمَرَه ربُّه، عزَّ وجلَّ - أو جبريلُ، عليه السلامُ - أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ. وفى لفظٍ له[6] قالت: ما غِرْتُ على أحدٍ مِن نساءِ النبىِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجةَ، وما رأَيْتُها، ولكنْ كان يُكْثِرُ ذِكْرَها، ورُبَّما ذبَحَ الشاةَ ثُم يُقَطِّعُها أعضاءً، ثُم يَبْعَثُها فى صَدَائِقِ خديجةَ، فرُبَّما قُلْتُ له[7]: كأنَّه لم يَكُنْ فى الدُّنْيا امرأةٌ إلَّا خديجةُ! فيقولُ: «إنَّها كانت وكانت، وكان لى مِنها ولدٌ».

ثُم قال البخارىُّ[8]: حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ خَلِيلٍ، أخبَرَنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، قالت: استَأْذَنَتْ

---

(١) البخارى (٣٨١٦) ورواه مختصرا فى (٧٤٨٤)، ومسلم (٢٤٣٥).

(٢) بعده فى م، ص: «فى الجنة».

(٣) البخارى (٣٨١٧).

(٤) سقط من: م.

(٥) أى بعد وفاتها، كما سيأتى.

(٦) البخارى (٣٨١٨).

(٧) سقط من: م، ص.

(٨) البخارى (٣٨٢١).

هالةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ أختُ خديجةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فعرَف استئذانَ خديجةَ، فارتاعَ فقال: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قالت: فغِرْتُ، فقلتُ: ما تَذْكُرُ مِن عَجُوزٍ مِن عجائزِ قريشٍ، حمراءِ الشِّدْقَيْنِ[1]، هَلَكَتْ فى الدَّهْرِ، قد أَبْدَلَكَ اللَّهُ خيرًا منها. وهكذا روَاه مسلمٌ[2] عن سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ به.

وهذا ظاهرٌ فى التقريرِ على أنَّ عائشةَ خيرٌ مِن خديجةَ؛ إما فَضْلًا وإما عِشْرَةً، [3]إذْ لم يُنْكِرْ[3] عليها، ولا رَدَّ عليها ذلك، كما هو ظاهرُ سِياقِ البخاريِّ، رَحِمَه اللَّهُ.

ولكنْ قال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا مُؤَمَّلٌ أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثَنا حمّادٌ - هو ابنُ سَلَمَةَ - عن عبدِ الملكِ - هو ابنُ عُمَيْرٍ - عن موسَى بنِ طَلْحةَ، عن عائشةَ قَالَتْ: ذكَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا خديجةَ، فأَطْنَبَ فى الثَّناءِ عليها، فأَدْرَكَنى ما يُدْرِكُ النساءَ مِن الغَيْرَةِ، فقلتُ: لقد أَعْقَبَكَ اللَّهُ يا رسولَ اللَّهِ مِن عجوزٍ مِن عجائزِ قريشٍ حمراءِ الشِّدْقَيْنِ. قالت[5]: فتَغَيَّرَ وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ تغيرًا لم أَرَه تَغَيَّرَ عندَ شىءٍ قَطُّ، إلَّا عندَ نزولِ الوحيِ، أو عندَ المَخِيلةِ[6]، حتى يَعْلَمَ؛ رَحْمةٌ أو عذابٌ؟

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح ٧/ ١٤٠: والذى يتبادر أن المراد بالشدقين ما فى باطن الفم، فكَنَّتْ بذلك عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها، وبهذا جزم النووى وغيره. انتهى.

(٢) مسلم (٢٤٣٧).

(٣ - ٣) فى الأصل، ١ ١٥: «إذ لم يُكَنِّ»، وفى م: «إذا لم ينكر».

(٤) المسند ٦/ ١٥٤.

(٥) فى م: «قال».

(٦) المخيلة: السحابة التى تخالها ماطرة لرعدها وبرقها. الوسيط (خ ى ل).

وكذا رَوَاه[1] عن بَهْزِ بنِ أَسَدٍ وعثمانَ بنِ مُسْلِمٍ، كِلاهما عن حمّادِ بنِ سَلَمَةَ، عن عبدِ المَلِكِ بنِ عُمَيْرٍ به، وزادَ بعدَ قولِه: حمراءِ الشِّدْقَيْنِ: هَلَكَتْ فى الدهرِ الأَوَلِ. قالت[2]: فتمَعَّرَ وجهُه تَمَعُّرًا ما كنتُ أَراه إلا عندَ نزولِ الوَحْيِ، أو عندَ المَخِيلةِ حتى يَنْظُرَ؛ [3]أَرَحْمَةٌ أم عذابٌ[3]؟ تفرَّدَ به أحمدُ، وهذا إسنادٌ جيدٌ.

وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا[4]: [5]ثنا علىٌّ[5] بنُ إسحاقَ، أخبرَنا [6]عبدُ اللَّهِ، أخبرنا[6] مُجَالِدٌ، عن الشَّعْبِىِّ، عن مَسْرُوقٍ، عن عائشةَ قالت: كان النبىُّ ﷺ إذا ذكَر خديجةَ، أَثْنَى عليها بأحسنِ الثَّناءِ. قالت: فغِرْتُ يومًا، فقلتُ: ما أكثرَ ما تَذْكُرُها، حمراءَ الشِّدْقِ[7]، قد أبْدَلَكَ اللَّهُ خيرًا منها. قال: «ما أَبْدَلَنى اللَّهُ خيرًا منها، قد آمَنَتْ بى إذْ كفَر بى الناسُ، وصَدَّقَتْنِى إذْ كذَّبَنِى الناسُ[8]، وواسَتْنى[9] بمالِها إذْ حَرَمَنى الناسُ، ورزَقَنى اللَّهُ وَلَدَها إذ حَرَمَنى أولادَ النِّساءِ». تفرَّدَ به أحمدُ أيضًا، وإسنادُه لا بأسَ به، ومجالدٌ روَى له مسلمٌ مُتابَعَةً، وفيه كلامٌ مشهورٌ. واللَّهُ أعلمُ.

ولعلَّ هذا - أَعْنِى قولَه: «ورزقَنى اللَّهُ ولدَها إذْ حرَمَنى أولادَ النِّساءِ» -

---

(١) المسند ٦/ ١٥٠. دون قولها: الأول.

(٢) فى م: «قال قال»، وفى ص: «قال».

(٣ - ٣) فى م، ص: «رحمة أو عذابًا».

(٤) المسند ٦/ ١١٧، ١١٨. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٢٤: إسناده حسن.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل. وفى م، ص: «عن».

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

(٧) فى النسخ: «الشدقين»، والمثبت من المسند.

(٨) سقط من: الأصل، م، ص.

(٩) فى ا ١٥، م، ص: «آستنى».

كان قبلَ أنْ يُولَدَ إبراهيمُ بنُ النبيِّ ﷺ مِن مارِيَةَ ، وقَبْلَ مَقْدَمِها بالكُلِّيةِ ، وهذا مُتَعَيِّنٌ ، فإنَّ جميعَ أولادِ النبيِّ ﷺ - كما تقدَّمَ[1] وكما سيأْتِى - مِن خديجةَ ، إلا إبراهيمَ ، فمِن مارِيَةَ القِبْطِيةِ المصريةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها . وقد استَدَلَّ بهذا الحديثِ جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ على تفضيلِ خديجةَ على عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأرْضاهما ، وتَكَلَّمَ آخَرون فى إسنادِه ، وتأوَّلَه آخَرون على أنَّها كانت خيرًا عِشْرَةً ، وهو مُحْتَمِلٌ أو ظاهرٌ ، وسببُه أنَّ عائشةَ سَمَتْ[2] بشبابِها وحُسْنِها وجميلِ عِشْرتِها ، وليس مرادُها بقولِها : قد أبْدَلَكَ اللَّهُ خيرًا منها . أنَّها تُزَكِّى نفسَها وتُفَضِّلُها [٢/١١٧و] على خديجةَ ، فإنَّ هذا أمرٌ مَرْجِعُه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، كما قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] . وقال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ الآيةَ [النساء : ٤٩] .

وهذه مسألةٌ وقَع النزاعُ فيها بينَ العُلماءِ قديمًا وحديثًا ، [3]وتَجاذَبَها طَرَفَا نَقِيضٍ ؛ أهلُ التَّشَيُّعِ[3] وغيرُهم لا يَعْدِلُون بخديجةَ أحدًا مِن النساءِ ؛ لسلامِ الربِّ عليها ، وكونِ ولدِ النبيِّ ﷺ جميعِهم - إلا إبراهيمَ - منها ، وكونِه لم يَتَزَوَّجْ عليها حتى ماتَتْ ؛ إكرامًا لها ، وتَقَدُّمِ[4] إسْلامِها ، وكونِها مِن الصِّديقاتِ ، ولها مَقامُ صِدْقٍ فى أولِ البِعْثَةِ ، وبذلَتْ نفسَها ومالَها لرسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) تقدم فى ٣/٤٦٣ - ٤٦٥.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « تمت » .

(٣ - ٣) فى م : « وبجانبها طرقا يقتصر عليها أهل الشيع » ، وفى ص : « وبجانبها طرفا نقيض أهل الشيع » .

(٤) فى م ، ص : « تقدير » .

وأما أهلُ السنةِ؛ فمنهم مَن يَغْلُو أيضًا، ويُثْبِتُ لكلٍّ واحدةٍ[1] منهما مِن الفضائلِ ما هو معروفٌ، ولكن تَحْمِلُهم قوةُ التَّسَنُّنِ على تفضيلِ عائشةَ؛ لكونِها ابنةَ الصِّدِّيقِ، ولكونِها أَعْلَمَ مِن خديجةَ، فإنَّه لم يَكُنْ فى الأممِ مِثلُ عائشةَ فى حفظِها، وعلمِها، وفصاحتِها، وعقلِها، ولم يَكُنِ الرسولُ ﷺ يُحِبُّ أحدًا مِن نسائِه كمَحَبَّتِه إياها[2]، ونزَلَتْ براءَتُها مِن فوقِ سبعِ سَمَاواتٍ، ورَوَتْ بعدَه عنه، عليه السَّلامُ، علمًا جمًّا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه، حتى قد ذكَر كثيرٌ مِن الناسِ الحديثَ المشهورَ: «خُذوا شَطْرَ دينِكم عن الحُمَيْرَاءِ»[3].

والحقُّ أن كلًّا منهما لها مِن الفضائلِ ما لو نظَرَ الناظرُ فيه لبَهَرَه وحَيَّرَه، والأحسنُ التوقفُ فى ذلك، [4]ورَدُّ عِلْمِ ذلك[4] إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ومَن ظهَرَ له دليلٌ يَقْطَعُ به، أو يَغْلِبُ على ظنِّه فى هذا البابِ، فذاك الذى يَجِبُ عليه أنْ يقولَ بما عندَه مِن العلمِ، ومَن حصَلَ له تَوَقُّفٌ فى هذه المسألةِ أو فى غيرِها، فالطريقُ الأَقْوَمُ والمَسْلَكُ الأسلمُ أنْ يقولَ: اللَّهُ أعلمُ.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ، والبخاريُّ، ومسلمٌ، والتِّرْمِذيُّ، والنَّسائيُّ[5] مِن

---

(١) زيادة من: م، ص.

(٢) بعده فى ا ١٥: «وأباها».

(٣) ذكره المصنف، رحمه اللَّه، فى تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ص ١٧٠ وقال: حديث غريب جدا، بل هو منكر، سألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزى فلم يعرفه، وقال: لم أقف له على سند إلى الآن. وقال شيخنا أبو عبد اللَّه الذهبى: هو من الأحاديث الواهية التى لا يعرف لها إسناد.

وقال ابن القيم، رحمه اللَّه، فى المنار المنيف ص ٢٣: وكل حديث فيه «يا حميراء» أو ذكر «الحميراء» فهو كذب مختلق. وانظر كشف الخفاء للعجلونى ١/ ٣٧٤.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٢٥.

(١ طُرُقٍ ، عن ١) هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ نسائِها مَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ ، وخيرُ نسائِها خَدِيجَةُ بنْتُ خُوَيْلِدٍ » . أى ، خيرُ نِساءِ[٢] زمانِها .

وروَى شُعبةُ ، عن معاويةَ بنِ قُرَّةَ ، عن أبيه قُرَّةَ بنِ إِيَاسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمُلَ مِن الرجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ مِن النساءِ إلَّا ثَلَاثٌ ؛ مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ ، وآسِيَةُ امرأةُ فرعونَ ، وخَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعامِ » . روَاه ابنُ مَرْدَوَيْهِ فى « تفسيرِه » ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى شُعْبَةَ[٣] ، وبعدَه . قالوا : والقَدْرُ المُشْتَرَكُ بينَ هذه الثلاثِ نِسْوَةٍ ؛ آسيةَ ، ومريمَ ، وخديجةَ ، أنَّ كُلًّا مِنهنَّ كَفَلَتْ نَبيًّا مُرْسَلًا ، وأحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فى كفالتِها ، وصَدَّقَتْه ؛ فآسِيَةُ رَبَّتْ موسى ، وأحْسَنَتْ إليه ، وصَدَّقَتْه حينَ بُعِثَ ، ومَرْيَمُ كفَلَتْ ولدَها أتَمَّ كَفالةٍ وأَعْظَمَها ، وصدَّقَتْه حينَ أُرْسِلَ ، وخديجةُ رَغِبَتْ فى تَزْويجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بها ، وبذَلَتْ فى ذلك أموالَها كما تقدَّمَ ، وصدَّقَتْه حينَ نزَل عليه الوحىُ مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقولُه : « وفَضْلُ عائِشةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعامِ » . هو ثابتٌ فى « الصحيحين »[٤] ، مِن طريقِ شُعْبَةَ أيضًا ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن مُرَّةَ الطيِّبِ الهَمْدَانىِّ ، عن أبى موسى الأَشْعَرِىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمُلَ

(١ - ١) فى م ، ص : « طريق » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) ذكره المصنف فى تفسيره ٢/ ٣٢. وعزاه لابن مردويه فى تفسيره ، من طريق شعبة به .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٣١.

مِن الرِّجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ مِن النساءِ إلَّا آسِيَةُ امرأةُ فِرْعَوْنَ ، ومَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ ، وإنَّ فضلَ عائشَةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعامِ » . والثَّرِيدُ : هو الخبزُ واللحمُ جميعًا ، وهو أفخرُ طعامِ العربِ ، كما قال بعضُ الشعراءِ[1] :

[٢/١١٧ظ] إذا ما الخبزُ تَأْدِمُه بلحمٍ فـذاكَ أمـانـةَ الـلَّـهِ الـثَّـرِيـدُ

ويَحتمِلُ قولُه : « وفضلُ عائِشَةَ على النساءِ » . أن يَكونَ عامًّا[2] ، فيَعُمَّ النساءَ المذكوراتِ وغيرَهن ، ويحْتَمِلُ أن يَكونَ عامًّا[3] فيما عَداهُنَّ ، ويَبْقَى الكَلامُ فيها وفيهن موقوفًا يَحْتَمِلُ التسويةَ بينَهن ، فيَحْتاجُ مُرَجِّحُ[4] واحدةٍ منهنَّ على غيرِها إلى دليلٍ مِن خارجٍ ، واللَّهُ أعلمُ[5] .

فصلٌ

فى تزويجِه ﷺ بعدَ خديجةَ ، [6]رَضِىَ اللَّهُ عنها ، بعائشةَ بنتِ الصِّدِّيقِ وسَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما[6] .

والصحيحُ أنَّ عائشةَ تزوَّجَها أوَّلًا لِمَا سيَأْتِى ؛ قال البخاريُّ فى بابِ تزويجِ عائشةَ[7] : حدَّثَنا مُعَلَّى بنُ أَسَدٍ ، حدَّثَنا وُهَيْبٌ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال لها : « أُرِيتُكِ فى المنامِ مَرَّتَين ؛ أَرَى أنَّكِ فى

---

(١) البيت من غير نسبة فى كتاب سيبويه ٣/ ٦١، ٤٩٨ واللسان (أدم) .

(٢) فى ا ١٥، م ، ص : « محفوظا » .

(٣) فى الأصل : « مخصوصا » .

(٤) فى الأصل : « بمرجح » ، وفى م ، ص : « من رجح » .

(٥) وانظر فى تفصيل هذه المسألة ما تقدم فى ٢/٤٢٥ - ٤٣٦.

(٦ - ٦) سقط من : « م » .

(٧) البخارى (٣٨٩٥) .

سَرَقَةٍ[1] مِن حريرٍ، ويقولُ[2]: هذه امرأتُكَ، فاكْشِفْ عنها. فإذا هى أنتِ، فأقُولُ: إنْ يَكُ هذا مِن عندِ اللَّهِ، يُمْضِه».

وقال البخاريُّ: بابُ نِكاحِ الأَبْكَارِ[3]: وقال ابنُ أبى مُلَيْكَةَ: قال ابنُ عباسٍ لعائشةَ: لَمْ يَنْكِحِ النبىُّ ﷺ بِكْرًا غيرَكِ. حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثَنى أخى، عن سُليمانَ بنِ بِلالٍ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لو نزَلْتَ واديًا وفيه شجرةٌ قد أُكِلَ منها، ووجَدْتَ شجرةً لم يُؤْكَلْ منها، فى أَيِّها كنتَ تُرْتِعُ بعيرَك؟ قال: «فى التى لم يُرْتَعْ منها». تَعْنِى، أنَّ النبىَّ ﷺ لم يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غيرَها. انفرَدَ به البخاريُّ.

ثُم قال[4]: حدَّثَنا عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ، حدَّثَنا أبو أُسامَةَ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرِيتُكِ فِى المنامِ [5]مرَّتين، إذا رجلٌ يَحمِلُكِ فى سَرَقَةِ حريرٍ، فيقولُ: هذه امرأتُك. فأكْشِفُها، فإذا هى أنتِ، فأقولُ: إن يَكُنْ هذا مِن عندِ اللَّهِ، يُمْضِه». ورَواه مسلمٌ[6] مِن طريقِ هشامِ بنِ عروةَ به.

ورواه البخاريُّ فى بابِ النظرِ إلى المرأةِ قبلَ التزويجِ[7]، ثنا مُسَدَّدٌ، ثنا حمّادُ بنُ زيدٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرِيتُكِ فى المنامِ[5] يَجِىءُ بكِ المَلَكُ فى سَرَقَةٍ مِن حريرٍ فقال لى:

---

(١) سرقة: قطعة.
(٢) أى الملك.
(٣) البخارى (٥٠٧٧).
(٤) البخارى (٥٠٧٨).
(٥ - ٥) سقط من: م، ص.
(٦) مسلم (٢٤٣٨).
(٧) البخارى (٥١٢٥).

هذه امرأتُك . فكَشَفْتُ عن وَجْهِكِ الثوبَ فإذا أنتِ هى ، فقلتُ : إنْ يَكُ هذا مِن عندِ اللَّهِ يُمْضِه » . وفى رِوايةٍ[1] : « أُرِيتُكِ فى المنامِ ثلاثَ ليالٍ » . وعندَ الترمذىِّ[2] أنَّ جبريلَ جاءَه بصورتِها فى خِرْقَةٍ مِن حريرٍ خضراءَ ، فقال : هذه زَوْجَتُك فى الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وقال البخارىُّ[3] : بابُ[4] تزويجِ الصغارِ مِن الكِبارِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن يَزِيدَ ، عن عِرَاكٍ ، عن عُرْوَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب عائشةَ إلى أبى بَكْرٍ ، فقال له أبو بَكْرٍ : إنَّما أنا أخوك . فقال : « أنتَ أَخى فى دِينِ اللَّهِ وكتابِه ، وهى لى حلالٌ » . هذا الحديثُ ظاهرُ سياقِه كأنَّه مُرْسَلٌ ، وهو عندَ البخارىِّ والمُحَقِّقِينَ مُتَّصِلٌ ؛ لأنَّه مِن حديثِ عُرْوَةَ ، عن عائشةَ رَضِىَ اللَّهُ عنها ، وهذا مِن أفرادِ البخارىِّ ، رَحِمَه اللَّهُ .

وقال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[5] ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : تَزَوَّجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عائشةَ بعدَ مَوْتِ خديجةَ بثلاثِ سِنِينَ ، وعائشةُ يومَئِذٍ ابنةُ سِتِّ سِنِينَ ، وبَنَى بها وهى ابنةُ تِسْعٍ ، وماتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعائشةُ ابنةُ ثمانِىَ عَشْرَةَ سنةً . وهذا غريبٌ .

وقد روَى البُخارىُّ[6] ، عن عُبَيْدِ بنِ إسماعيلَ ، [٢/١١٨و] عن أبى أُسامةَ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : تُوُفِّيَتْ خديجةُ قبلَ مَخْرَجِ النبىِّ ﷺ

---

(١) مسلم (٢٤٣٨) .

(٢) الترمذى (٣٨٨٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٤١) .

(٣) البخارى (٥٠٨١) .

(٤) زيادة من : الأصل .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٤١٠ . من طريق يونس بن بكير به .

(٦) البخارى (٣٨٩٦) .

بثلاثِ سِنينَ ، فلَبِثَ سنتينْ ، أو قريبًا مِن ذلك ، ونكَح عائشةَ وهى بنتُ سِتٍّ سِنِينَ ، ثُم بَنَى بها وهى بنتُ تِسْعِ سِنِينَ . وهذا الذى قاله عُرْوَةُ مُرْسَلٌ فى ظاهرِ السياقِ كما قدَّمْنا ، ولكنَّه فى حُكْمِ المتصلِ فى نفسِ الأمرِ . وقولُه : تزَوَّجَها وهى ابنةُ سِتِّ سِنِين ، وبَنَى بها وهى ابنةُ تِسْعٍ . ما لا خِلافَ فيه بينَ الناسِ ، وقد ثبَتَ فى « الصِّحاحِ » وغيرِها . وكان بِناؤُه بها ، عليه السلامُ ، فى السنةِ الثانيةِ مِن الهجرةِ إلى المدينةِ .

وأمّا كَوْنُ تزويجِها كان بعدَ موتِ خديجةَ بنحوٍ مِن ثلاثِ سِنِينَ ، ففيه نظرٌ ؛ فإنَّ يعقوبَ بنَ سُفْيانَ الحافظَ قال[1] : حدَّثَنا الحجَّاجُ ، حدَّثَنا حمّادٌ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تزوَّجَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَفَّى خديجةَ ، قبلَ مَخْرَجِه مِن مكةَ ، وأنا ابنةُ سَبْعٍ - أو سِتٍّ - سِنين ، فلمّا قدِمْنا المدينةَ ، جاءَنى نِسْوَةٌ وأنا أَلْعَبُ فى أُرْجُوحَةٍ وأنا مُجَمَّمَةٌ[2] ، فهَيَّأْنَنِى وصَنَعْنَنِى ، ثُم أَتَيْنَ بى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنةُ تِسْعِ سِنينَ . فقولُه فى هذا الحديثِ : « مُتَوَفَّى خديجةَ » يَقْتَضِى أنَّه على أثرِ ذلك قريبًا ، اللهمَّ إلا أنْ يَكونَ قد سقَط مِنَ النُّسْخَةِ : بعدَ مُتَوَفَّى خديجةَ . فلا يَنْفِى ما ذكَرَه يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ وأبو أُسامةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيهِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثَنا فَرْوَةُ بنُ أبى المَغْرَاءِ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تَزَوَّجَنِى النبىُّ ﷺ وأنا بنتُ

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٨. طبعة مطبعة الإرشاد .

(٢) مجممة : أى ذات جُمَّة ، والجمة : هى ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين . الوسيط (ج م م) .

(٣) البخارى (٣٨٩٤، ٥١٥٦، ٥١٦٠) .

سِتٌّ سِنِينَ ، فقَدِمْنا المدينةَ ، فنزَلْنا فى بنى الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، فوُعِكْتُ فتمَزَّقَ شَعْرِى فَوَفَى[1] لى جُمَيْمةٌ ، فأَتَتْنى أمى أمُّ رُومَانَ - وإنِّى لفى أُرْجوحةٍ ومعى صواحبُ لى - فصَرَخَتْ بى ، فأَتَيْتُها ما أَدْرِى ما تُرِيدُ بى[2] فأخَذَتْ بيَدِى ، حتى أوقَفَتْنى على بابِ الدارِ ، وإنِّى لأَنْهَجُ حتَّى سكَن بعضُ نَفَسِى ، ثُم أخَذتْ شيئًا مِن ماءٍ فَمَسَحَتْ[3] به وَجْهى ورَأْسى ، ثُم أَدْخَلَتْنى الدارَ ، فإذا نسوةٌ مِن الأَنصارِ فى البيتِ ، فقُلْنَ : على الخيرِ والبركةِ ، وعلى خيرِ طائرٍ . فأَسْلَمَتْنى إليهنَّ ، فأصلَحْنَ مِن شَأْنِى ، فلَمْ يَرُعْنِى إلَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ ضُحًى ، فأَسْلَمْنَنى إليه ، وأنا يومَئِذٍ بنتُ تِسْعِ سِنِينَ .

وقال الإمامُ أحمدُ فى « مُسْنَدِ عائشةَ أمِّ المؤمِنينَ[4] » : حدَّثَنا محمدُ بنُ بِشْرٍ[5] ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عَمْرٍو ، ثنا[6] أبو سَلَمَةَ ويَحْيَى قالا : لمَّا هلَكَتْ خديجةُ ، جاءَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ امرأةُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ألَا تَزَوَّجُ ؟ قال : « مَنْ » ؟ قالت : إن شِئْتَ بِكْرًا ، وإنْ شِئْتَ ثَيِّبًا . قال : « فمَنِ البكرُ ؟ » قالت : ابنةُ[7] أحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إليك ، عائشةُ ابنةُ أبى بَكْرٍ . قال :

---

(١) فى الأصل : « ولى » ، وفى م ، ص : « وقد وفت لى » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢٤: فوفى : أى كثر ، وفى الكلام حذف تقديره : ثم فصلت من الوعك فتربى شعرى فكثر .

(٢) فى الأصل ، م : « منى » .

(٣) فى م : « فمست » .

(٤) المسند ٦/ ٢١٠، ٢١١. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٢٧: رواه أحمد ، بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة ، وأكثره مرسل ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة ، وثقه غير واحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٥) بعده فى م ، ص : « حدثنا بشر » .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) سقط من : م ، ص .

« ومَنِ الثَّيِّبُ ؟ » قالت : سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، قد آمَنَتْ بك واتَّبَعَتْك [1] على ما تقولُ [1] . قال : « فاذْهَبِى فاذْكُرِيهِما علىَّ » . فدخَلَتْ بيتَ أبى بكرٍ فقالت : يا أُمَّ رُومَانَ ، ماذا أَدْخَلَ اللَّهُ عليكم مِن الخيرِ والبركةِ ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أَرْسَلَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عليه عائشةَ . قالت : انْتَظِرِى أبا بكرٍ حتى يَأْتِىَ . فجاءَ أبو بكرٍ فقالت [2] : يا أبا بكرٍ ، ماذا أَدْخَلَ اللَّهُ عليكم مِن الخيرِ والبرَكةِ ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أَرْسَلَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عليه عائشةَ . قال : وهل تَصْلُحُ له ؟! إنَّما هى ابنةُ أخيه . فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَرَتْ ذلك له ، قال : « ارْجِعِى إليه فقولِى له : أنا أخُوكَ وأنتَ أخى فى الإسلامِ ، وابنتُك تَصْلُحُ لى » . فرجَعَتْ فذكَرَت ذلك له قال : انتَظِرى . وخرَج . قالت أمُّ رُومَانَ : إنَّ مُطْعِمَ بنَ عَدِىٍّ قد كان ذكَرَها على ابنِه ، وواللَّهِ ما وعَدَ [3] وعدًا قطُّ فأخْلَفَه - [4] لأبى بكرٍ [4] - فدَخَلَ أبو بكرٍ على مُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ، وعندَه امْرَأَتُه أمُّ الفتَى [5] . فقالت : يا بنَ أبى قُحَافَةَ ، لَعلَّك مُصْبٍ صاحِبَنا مُدْخِلُه فى دينِك الذى أنتَ عليه إن تَزوَّجَ إليك ؟ فقال أبو بكرٍ للمُطْعِمِ ابنِ عَدِىٍّ : أَقَوْلَ هذه تقولُ [6] ؟ قال [7] : إنَّها تَقولُ ذلك . فخرَج مِن عندِه ، وقد أَذْهَبَ اللَّهُ ما كان [٢/١١٨ظ] فى نفسِه مِن عِدَتِه التى وعَدَه ، فرجَعَ فقال لخَوْلَةَ : ادْعِى لى رسولَ اللَّهِ ﷺ . فدَعَتْه ، فزوَّجَها إياه ، وعائشةُ يومَئذٍ بنتُ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م : « فقلت » .

(٣) بعده فى م : « أبو بكر » . والضمير فى (وعد) يعود إلى مطعم بن عدى .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى النسخ : « الصبى » ، والمثبت من المسند .

(٦) فى م ، ص : « يقول » .

(٧) سقط من : م ، ص .

سِتٌّ سِنينَ ، ثُم خرجَتْ فدخلَتْ عليَّ سَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ فقالت : ماذا أَدْخَلَ اللَّهُ عليكِ مِن الخيرِ والبركةِ ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أَرْسَلَنِى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عليه[1] . قالت : وَدِدْتُ ، ادخُلِى إلى أبى[2] فاذْكُرِى ذلك له . وكان شيخًا كبيرًا قد أَدْرَكَه السِّنُّ ، قد تَخَلَّفَ عن الحَجِّ ، فدخَلَتْ عليه ، فحَيَّتْه[3] بتحيَّةِ الجاهليةِ ، فقال : مَن هذه ؟ قالت : خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ . قال : فما شأنُك ؟ قالت : أَرْسَلَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أَخْطُبُ عليه سَوْدَةَ . فقال : كفؤٌ كريمٌ ، ماذا تقولُ صاحبتُكِ ؟ قالت[4] : تُحِبُّ ذاك . قال : ادْعِيها لى . فدعَتْها ، قال : أىْ بُنَيَّةُ ، إنَّ هذه تَزْعُمُ أنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ قد أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ وهو كفؤٌ كريمٌ ، أتُحِبِّينَ أنْ أُزَوِّجَك به ؟ قالت : نَعَمْ . قال : ادْعِيه لى . فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فزوَّجَها إياه ، فجاء أخوها عبدُ بنُ زَمْعَةَ مِن الحَجِّ ، فجعَل[5] يَحْثِى فى رأسِه الترابَ ، فقال بعدَ أنْ أَسْلَمَ : لَعَمْرُك إنِّى لَسفيهٌ يومَ أَحْثِى فى رَأْسى الترابَ ؛ أنْ تَزَوَّجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَةَ بنتَ زَمْعَةَ . قالت عائشةُ : فقَدِمْنا المدينةَ ، فنزَلْنا فى بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ فى السُّنْحِ[6] . قالت : فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فدخَل بَيْتَنا ، واجتَمَعَ إليه رِجالٌ مِن الأنصارِ ونساءٌ ، فجاءَتْنى أمى ، وإنِّى لَفى أُرْجوحةٍ بينَ عَذْقَيْن تَرَجَّحُ بى ، فأنزلَتْنى مِن الأُرْجوحةِ ، ولى جُمَيمةٌ قفرَقْتَها ، ومسَحَتْ وَجْهى بشىءٍ مِن ماءٍ ، ثُم أَقْبَلَتْ تَقُودُنى ، حتى

---

(١) فى م ، ص : « إليه » .

(٢) فى م ، ص : « أبى بكر » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فحييته » .

(٤) فى م : « قال » .

(٥) فى م ، ص : « فجاء » .

(٦) السنح : قيل : هو موضع بعوالى المدينة فيه منازل بنى الحارث بن الخزرج . اللسان (س ن ح) .

وقَفَتْ بى عندَ البابِ ، وإنِّى لأَنْهَجُ حتى سكَن مِن نَفَسِى ، ثُم دخلَتْ بى ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ على سَريرٍ فى بيتِنا ، وعندَه رجالٌ ونساءٌ مِن الأنصارِ ، فأجْلَسَتْنى فى حُجْرةٍ[1] ثُم قالت : هؤلاء أهلُكَ فبارَكَ اللَّهُ لكَ فيهم ، وبارَكَ لهم فيكَ . فوثَب الرجالُ والنساءُ فخرَجوا ، وبَنَى بى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتِنا ، ما نُحِرَتْ علىَّ جَزُورٌ ، ولا ذُبِحَتْ علىَّ شاةٌ ، حتى أَرْسَلَ إلينا سعدُ بنُ عُبَادَةَ بجَفْنَةٍ ، كان يُرْسِلُ بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا دارَ إلى نسائِه ، وأنا يومَئِذٍ ابنةُ تِسْعِ سِنِينَ .

وهذا السِّياقُ كأنَّه مُرْسَلٌ ، وهو مُتَّصِلٌ ؛ لِما روَاه البَيْهَقِىُّ[2] ، مِن طريقِ أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ الأَوْدِىُّ[3] ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو ، عن يَحْيَى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ ، قال : قالت عائشةُ : لمّا ماتَتْ خديجةُ ، جاءَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ [4]إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ[4] ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ألَا تَزَوَّجُ ؟ قال : « ومَن ؟ » قالت : إنْ شئتَ بِكْرًا وإنْ شِئْتَ ثَيِّبًا . قال : « ومَن البِكْرُ ومَن الثَّيِّبُ ؟ » قالت : أمّا البِكْرُ فابْنةُ أحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إليك عائشةُ[5] ، وأما الثيِّبُ فسَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، قد آمَنَتْ بك واتَّبَعَتْك . قال : « فاذْكُرِيهما علىَّ » . وذكَر تمامَ الحديثِ نحوَ ما تقدَّمَ . وهذا يَقْتَضِى أنَّ عقدَه على عائشةَ كان مُتَقَدِّمًا على تزويجِه بسَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ ، ولكنَّ دخولَه على سَوْدَةَ كان بمكةَ ، وأما دخولُه على عائشةَ ، فتأَخَّرَ إلى المدينةِ فى السنةِ الثانيةِ ،

---

(١) فى المطبوع من المسند : « حجره » . وانظر مجمع الزوائد ، والفتح الربانى ٢٠/ ٢٣٨.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٤١١.

(٣) فى م ، ص : « الأزدى » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل .

(٥) سقط من : م ، ص .

كما تقدَّمَ وكما سيأْتى .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا أَسْوَدُ ، حدَّثَنا شَرِيكٌ ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : لمَّا كبِرَتْ سَوْدَةُ وهَبَتْ يومَها لى ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لى بيومِها مع نسائِه . قالت : وكانت أولَ امرأةٍ تزوَّجَها بَعْدى[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثَنا عبدُ الحميدِ ، [4]حدَّثَنى شَهْرٌ[4] ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب امرأةً مِن قومِه يُقالُ لها : [٢/ ١١٩و] سَوْدَةُ[5] . وكانت مُصْبِيَةً ، كان لها خمسةُ صِبْيَةٍ - أو سِتَّةٌ - مِن بَعْلٍ لها مات ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما يَمْنَعُكِ منِّى ؟ » . قالت : واللَّهِ يا نبيَّ اللَّهِ ، ما يَمْنَعُنى منكَ أنْ لا تَكونَ أحبَّ البَرِيَّةِ إلىَّ ، ولكنِّى أُكْرِمُكَ أنْ يَضْغُوَ[6] هؤلاء الصبيةُ عندَ رأسِك بُكْرةً وعَشِيَّةً . قال : « فهل مَنَعَكِ منى شىءٌ[7] غيرُ ذلك ؟ » قالت : لا واللَّهِ . قال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُكِ اللَّهُ ، إنَّ خيرَ نساءٍ رَكِبْنَ أَعْجازَ الإبلِ صالِحُ نساءِ قريشٍ ؛ أَحْناه على ولدٍ فى صِغَرِه ، وأَرْعَاهُ على بَعْلٍ بذاتِ يدِه » .

قلتُ : وكان زوجَها قبلَه ، عليه السَّلامُ ، السَّكْرَانُ بنُ عَمْرٍو ، أخو سُهَيْلٍ

---

(١) المسند ٦/ ٦٨.

(٢) كذا بالنسخ ، والذى فى المسند : « بعدها » .

(٣) المسند ١/ ٣١٨، ٣١٩. (إسناده صحيح) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، وفى ا ١٥: « حدثنى بهز » .

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٤/ ٢٩٢٥: سودة هذه غير سودة بنت زمعة أم المؤمنين ، لم يعرف نسبها ؛ ولذلك ترجمها الحافظ فى الإصابة ٧/ ٧٢٢ باسم « سودة القرشية » .

قلت : وكذا فعل ابن الأثير قبله . انظر أسد الغابة ٧/ ١٥٩.

(٦) فى م ، ص : « يمنعوا » . ويضغو : يصيح ويضج .

(٧) سقط من : م ، ص .

ابنِ عَمْرٍو، وكان مِمَّن أسْلَمَ وهاجَرَ إلى الحبشةِ. كما تقدَّمَ[1]، ثُم رجَع إلى مكةَ فمات بها قبلَ الهجرةِ، رضِيَ اللَّهُ عنه.

فهذه السياقاتُ كلُّها دَالَّةٌ على أنَّ العقدَ على عائشةَ كان مُتَقَدِّمًا على العقدِ بسَوْدَةَ، وهو قولُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ، ورواه يُونُسُ عن الزُّهْرِيِّ، واختارَ ابنُ عبدِ البَرِّ أنَّ العقدَ على سَوْدَةَ قبلَ عائشةَ[2]، وحكَاه عن قتادةَ وأبى عُبَيْدَةَ[3]. قال[4]: ورواه عُقَيْلٌ عن الزُّهْرِيِّ[5].

فصلٌ: قد تقدَّمَ ذكرُ موتِ أبى طالبٍ[6] عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأنَّه كان ناصرًا له، وقائمًا فى صَفِّه، ومدافعًا عنه بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه؛ مِن نفسٍ، ومالٍ، وفَعالٍ، فلمَّا ماتَ، اجْتَرَأَ سفهاءُ قُرَيْشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ونالوا منه ما لم يَكونوا يَصِلُون إليه، ولا يَقْدِرُون عليه.

كما قد روَاه البَيْهَقِيُّ[7]، عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّغَانِيُّ[8]، حدَّثَنا يوسُفُ بنُ بُهْلُولٍ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ، عمَّن حدَّثَه، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) تقدم فى صفحة ١٧١.

(٢) انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٦٧.

(٣) فى الأصل، م، ص: «عبيد».

(٤) أى ابن عبد البر.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) تقدم فى صفحة ٣٠٥- ٣١٥.

(٧) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٠.

(٨) فى النسخ: «الصنعانى». والمثبت من الدلائل. قال السمعانى فى الأنساب ٣/ ٥٤٢: هذه النسبة إلى بلاد مجتمعة وراء نهر جيحون، يقال لها: جغانيان وتعرب فيقال لها: الصغانيان،... والنسبة إليها: الصغانى والصاغانى، والمشهور بهذه النسبة أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر. وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.

جَعْفَرٍ قال : لمَّا مات أبو طالبٍ عَرَضَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ سَفِيهٌ مِن سُفَهاءِ قريشٍ ، فألْقَى عليه ترابًا ، فرجَع إلى بيتِه ، فأتَتِ امرأةٌ مِن بناتِه تَمْسَحُ عن وجهِه الترابَ وتَبْكِى ، فجعَل يقولُ : « أىْ بُنَيَّةُ ، لا تَبْكِينَّ ، فإنَّ اللَّهَ مانِعٌ أباكِ » . ويقولُ ما بينَ ذلك : « ما نالَتْ قَريشٌ شيئًا أَكْرَهُه حتى ماتَ أَبو طالبٍ »[1] . وقد روَاه زِيادٌ البَكَّائىُّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[2] ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، مُرْسَلًا . فاللَّهُ أعلمُ .

وروَى البَيْهَقِىُّ[3] أيضًا ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما زالَتْ قريشٌ كاعِّينَ عنى[4] حتى ماتَ أَبو طالبٍ » . ثُم رَواه[5] عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّورِىِّ ، عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ ، حدَّثَنا عُقْبَةُ المُجَدَّرُ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ عن النبىِّ ﷺ قال : « ما زالتْ قريشٌ كاعَّةً[6] حتى تُوُفِّىَ أبو طالبٍ » .

وقد روَى الحافظُ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِىِّ[7] بسندِه ، عن ثعلبةَ بنِ صُعَيْرٍ وحَكِيمِ بنِ حِزَامٍ ، أنَّهما قالا : لمَّا تُوُفِّىَ أبو طالبٍ وخديجةُ - وكان بينَهما [8]شهرٌ و[8] خمسةُ أيامٍ - اجْتَمَعَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ مُصِيبَتَانِ ، فلَزِمَ بيتَه ،

---

(١) بعده فى م : « ثم شرعوا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩.

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص . والكاعة : جمع كاعّ ، وهو الجبان . النهاية ٤/ ١٨٠.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٦) بعده فى الدلائل : « عنى » .

(٧) المنتظم ٣/ ١١، ١٢.

(٨ - ٨) سقط من النسخ . وأثبتناه من المنتظم .

وأَقَلَّ الخُروجَ ، ونالَتْ منه قريشٌ ما لم تَكُنْ تَنالُ ولا تَطْمَعُ فيه ، فبلَغ ذلك أبا لهبٍ ، فجاءه فقال : يا محمدُ ، امْضِ لِمَا أرَدْتَ ، وما كنتَ صانعًا إذ كان أبو طالبٍ حَيًّا فاصْنَعْه ، لا واللاتِ ، لا يُوصَلُ إليكَ حتى أَموتَ . وسَبَّ ابنُ الغَيْطَلَةِ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأَقْبَلَ إليه أبو لهبٍ فنالَ منه ، فوَلَّى يَصِيحُ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، صَبَأَ أبو عُتْبَةَ . فأَقْبَلَتْ قريشٌ حتى وقَفوا على أبى لهبٍ ، فقال : ما فارَقْتُ دينَ عبدِ المُطَّلِبِ ، ولكنِّى أَمْنَعُ ابنَ أخى أنْ يُضَامَ حتى يَمْضِىَ لِمَا يُريدُ . فقالوا : قد أحْسَنْتَ ، وأَجْمَلْتَ ، ووصَلْتَ الرَّحِمَ . فمكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ كذلك أيامًا يَأْتِى ويَذْهَبُ ، لا يَعْرِضُ له أحدٌ مِن قريشٍ ، وهابوا أبا لهبٍ ، إلى أنْ جاءَ عُقْبَةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ وأبو جهلٍ [٢/١١٩ظ] إلى أبى لهبٍ فقالا له : أَخْبَرَكَ ابنُ أخيك أينَ مَدْخَلُ أبيك ؟ فقال له أبو لهبٍ : يا محمدُ ، أينَ مَدْخَلُ عبدِ المُطَّلِبِ ؟ قال : « مع قومِه » . فخرَجَ إليهما فقال : قد سألْتُه فقال : « مع قومِه » . فقالا : يَزْعُمُ أنَّه فى النارِ . فقال : يا محمدُ ، أيَدْخُلُ عبدُ المُطَّلِبِ النارَ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ومَن ماتَ على ما ماتَ عليه عبدُ المُطَّلِبِ دخَل النارَ » . فقال أبو لهبٍ - لَعَنَه اللَّهُ - : واللَّهِ لا بَرِحْتُ لك إلّا عدُوًّا أبدًا وأنت تَزْعُمُ أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ فى النارِ . واشتَدَّ عندَ ذلك أبو لهبٍ وسائرُ قُرَيْشٍ عليه .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وكان النَّفَرَ الذين يُؤْذُونَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى بيتِه ؛ أبو لهبٍ ، والحَكَمُ بنُ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ ، وعُقْبَةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ ، وعَدِىُّ بنُ الحَمْراءِ ، وابنُ الأَصداءِ الهُذَلِىُّ ، وكانوا جيرانَه ، لَمْ يُسْلِمْ مِنهم أحدٌ إلّا الحكمُ ابنُ أبى العاصِ ، وكان أحدُهم - فيما ذُكِرَ لى - يَطْرَحُ عليه رَحِمَ الشاةِ وهو يُصَلِّى ، وكان أحدُهم يَطْرَحُها فى بُرْمَتِه إذا نُصِبَتْ له ، حتى اتَّخَذَ رسولُ اللَّهِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٥، ٤١٦.

ﷺ حِجْرًا[1] يَسْتَتِرُ به منهم إذا صلَّى ، فكان إذا طرَحوا شيئًا مِن ذلك ، يَحْمِلُه على عُودٍ ثُم يَقِفُ به على بابِه ، ثُم يقولُ : « يَا بَنِى عبدِ مَنَافٍ ، أىُّ جِوَارٍ هَذَا ؟! » . ثُم يُلْقِيه فى الطريقِ .

قلت : وعندِى أنَّ غالبَ ما رُوِىَ مما تقدَّمَ - مِن طَرْحِهم سَلَى الجَزورِ بينَ كَتِفَيْه وهو يُصَلِّى ، كما روَاه ابنُ مسعودٍ[2] ، وفيه أنَّ فاطمةَ جاءَتْ فطَرَحَتْه عنه ، وأقبَلَتْ عليهم فَشَتَمَتْهم ، ثُم لمَّا انصرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دَعا على سبعةٍ مِنهم كما تقدَّمَ ، وكذلك ما أخْبَرَ به عبدُ اللَّهِ[3] بنُ عمرِو بنِ العاصِ مِن خَنْقِهم له ، عليه السّلامُ ، خَنْقًا شديدًا حتى حال[4] دونَه أبو بكرٍ الصدِّيقُ قائلًا : أتَقْتُلُونَ رجلًا أنْ يقولَ : رَبِّىَ اللَّهُ . وكذلك عزْمُ أبى جَهْلٍ ، لعَنَه اللَّهُ ، على أنْ يَطَأَ على عُنُقِه وهو يُصَلِّى ، فَحِيلَ بينَه وبينَ ذلك[5] ، وما أشبَهَ ذلك - كان بعدَ وفاةِ أبى طالبٍ ، واللَّهُ أعلمُ ، فذِكْرُها هـٰهنا أنْسَبُ وأشْبَهُ .

---

(١) الحِجْر : كلُّ ما حَجَزْته من حائط . اللسان (ح ج ر) .

(٢) تقدم حديث ابن مسعود فى صفحة ١١٣.

(٣) تقدم فى صفحة ١١٧.

(٤) فى الأصل : « قام » .

(٥) تقدم فى ١١٠- ١١٢.

فصلٌ فى ذَهابِه ﷺ إلى أهلِ الطَّائِفِ، يَدْعُوهم إلى اللهِ [1]تعالى، وإلى نُصْـرَةِ دينِه، فرَدُّوا عليه ذلك، ولم يَقْبَلُوه منه، فرجَع عنهم إلى مكةَ[1]

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فلمَّا هَلَكَ أبو طالبٍ نالَتْ قريشٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الأَذَى ما لم تَكُنْ تَنالُه[3] مِنه فى حياةِ عمِّه أبى طالبٍ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ، يَلْتَمِسُ مِن ثَقِيفٍ النُّصْرَةَ والمَنَعَةَ بهم مِن قومِه، ورجَاءَ أنْ يَقْبَلوا منه ما جاءَهم به مِن اللَّهِ تعالى، فخرَج إليهم وحدَه، فحدَّثَنى يَزِيدُ بنُ أبى زِيادٍ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِىِّ، قال: لمّا[4] انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ، عَمَدَ إلى نَفَرٍ مِن ثَقِيفٍ، هم سادةُ ثَقيفٍ وأشرافُهم، وهم إخوةٌ ثلاثةٌ: عبدُ يَالِيلَ، ومسعودٌ، وحَبِيبٌ، بنو عَمْرِو بنِ عُمَيْرِ بنِ عَوْفِ بنِ عُقْدَةَ ابنِ غِيَرَةَ بنِ عَوْفِ بنِ ثَقِيفٍ، وعندَ أحدِهم امرأةٌ مِن قريشٍ مِن بنى جُمَحَ، فجلَس إليهم، فدَعاهم إلى اللَّهِ، وكَلَّمَهم بما[5] جاءَهم له مِن نُصْرتِه على

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٩.

(٣) فى م، ص: «نالته».

(٤) سقط من: م، ص.

(٥) فى الأصل، م، ص: «لما».

الإسلامِ ، والقيامِ معه على مَن خالفَه مِن قومِه ، فقال أحدُهم : هو يَمْرُطُ[1] ثيابَ الكعبةِ إنْ كان اللَّهُ أرْسَلَكَ . وقال الآخَرُ : أمَا وجَد اللَّهُ أحدًا أرْسَلَه غيرَك ؟ وقال الثالثُ : واللَّهِ لا أُكَلِّمُك أبدًا ؛ لَئِن كُنْتَ رَسولًا مِن اللَّهِ كما تَقولُ ، لَأنْتَ أعْظَمُ خَطَرًا مِن أنْ أَرُدَّ عليك الكلامَ ، ولَئِن كنتَ تَكْذِبُ على اللَّهِ ، ما يَنْبَغِي لى أنْ أُكَلِّمَك . فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عندِهم ، وقد يَئِسَ مِن خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وقد قال لهم - فيما ذُكِرَ لى - : « إنْ فعَلْتُمْ ما فعَلْتُم ، [٢/ ١٢٠و] فاكْتُمُوا علىَّ » . وكَرِهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يَبْلُغَ قومَه عنه فيُذْئِرَهم[2] ذلك عليه ، فلم يَفْعَلوا ، وأَغْرَوْا به سفهاءَهم وعبيدَهم ؛ يَسُبُّونَه ويَصِيحُون به ، حتى اجتَمَع عليه الناسُ وأَلْجَئُوه إلى حائطٍ لعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ وشَيْبَةَ بنِ ربيعةَ ، وهما فيه ، ورجَع عنه مِن سفهاءِ ثَقِيفٍ مَن كان يَتْبَعُه ، فعَمَدَ إلى ظِلِّ حَبَلَةٍ[3] مِن عِنَبٍ ، فجلَس فيه ، وابنا رَبيعةَ يَنْظُرَانِ إليه ، ويَرَيانِ ما لَقِيَ مِن سفهاءِ أهلِ الطائفِ - وقد لَقِيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما ذُكِرَ لى ، المرأةَ التى مِن بنى جُمَحَ ، فقال لها : « ماذا لَقِينا مِن أحمائِك ! » - فلمَّا اطْمَأَنَّ قال ، فيما ذُكِرَ لى : « اللهُمَّ إليك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِى ، [4]وقِلَّةَ حِيلَتِى[4] ، وهوَانِى على الناسِ ، يا أرحمَ الراحِمِين ، أنتَ ربُّ المُستَضْعَفِين وأنتَ ربِّى ، إلى مَن تَكِلُنِى ؟ إلى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِى[5] ، أم إلى عدُوٍّ مَلَّكْتَه أمْرِى ؟ إنْ لمْ يَكُنْ بك غضبٌ علىَّ فلا أُبَالى ، ولكِنَّ عافيَتَك هى أَوْسَعُ لى ، أَعُوذُ بنورِ وَجْهِك الذى أَشْرَقَتْ له الظلماتُ ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدُّنْيا

---

(١) مرط يمرُط : جمع . تاج العروس (م ر ط) . يعنى ينزع ثياب الكعبة .

(٢) أذأره على فلان : جرَّأه وأغضبه .

(٣) الحَبَلة : طاقٌ من قضبان الكَرْم ، والحَبَل : شجر العنب ، واحدتُه حَبَلة . اللسان (ح ب ل) .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) يتجهمنى : أى يلقانى بالغلظة والوجه الكريه . النهاية ١/ ٣٢٣.

والآخِرَةِ ، مِن أنْ تُنْزِلَ بى غضبَك ، أو تُحِلَّ علىَّ سَخَطَك ، لك العُتْبَى[1] حتى تَرْضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلّا بك » .[2] هكذا أَوْرَدَ ابنُ إسحاقَ فى كتابِه « السيرةِ » هذا الدعاءَ مِن غيرِ إسنادٍ ، بل ذكَرَه مُعَلَّقًا بصيغةِ البلاغِ ، فقال : فيما ذُكِرَ لى .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] ، فى ترجمةِ القاسمِ بنِ اللَّيْثِ الرَّسْعَنِىِّ ، شيخِ النَّسَائِىِّ والطَّبَرَانِىِّ وغيرِ واحدٍ ، بسنَدِه مِن حديثِه ، حدَّثَنى محمدُ بنُ أبى صَفْوَانَ الثَّقَفِىُّ ، حدَّثَنا وَهْبُ بنُ جَرِيرِ بنِ حازِمٍ ، حدَّثَنا أبى ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، قال : لمّا تُوُفِّىَ أبو طالبٍ ، خرَج النبىُّ ﷺ إلى الطائفِ ماشيًا على قدَمَيْه . قال : فدَعَاهم إلى الإسلامِ ، فلم يُجِيبُوه ، فانْصَرَف إلى ظِلِّ شجرةٍ فصَلَّى ركعَتَين ، ثم قال : « اللهُمَّ إليك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتى ، وقِلَّةَ حِيلَتى ، وهَوَانِى على الناسِ ، أرحمَ الراحِمِين ، أنتَ أرحمُ بى ، إلى مَن تَكِلُنى ؟ إلى عدُوٍّ يَتَجَهَّمُنى ، أمْ إلى قريبٍ مَلَّكْتَه أمرى ؟ إن لم تَكُنْ غضبانَ علىَّ فلا أُبَالِى ، غيرَ أنَّ عافِيَتَك هى أوسعُ لى ، أَعُوذُ بنورِ وجهِك الذى أَشْرَقَتْ له الظلماتُ ، وصلَح عليه أمرُ الدُّنْيَا والآخرةِ ، مِن أنْ تُنْزِلَ بى غضبَك ، أو تُحِلَّ علىَّ سَخَطَك ، لك العُتْبَى حتى تَرْضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فلمَّا رآه ابنا رَبِيعَةَ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ وما لَقِىَ ، تحرَّكَتْ له

---

(١) العتبى : الرضا .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ١٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٣٥٥، ٣٥٦ مخطوط .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢١.

رَحِمُهما ، فدعَوَا غُلامًا لهما نصرانيًّا يُقالُ له : عَدَّاسٌ . فقالا له : خُذْ قِطْفًا مِن هذا العِنَبِ ، فضَعْه فى هذا الطبقِ ، ثُم اذْهَبْ به إلى ذلك الرجلِ ، فقُلْ له يَأْكُلْ منه . ففعَل عَدَّاسٌ ، ثُم ذهَب به حتى وضَعه بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم قال له : كُلْ . فلمَّا وضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه فيه قال : « بِسْمِ اللَّهِ » . ثُم أكَل ، فنظَرَ عَدَّاسٌ فى وجهِه ثُم قال : واللَّهِ إنَّ هذا الكلامَ ما يَقولُه أهلُ هذه البلادِ ! فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ومِن أهلِ أىِّ بلادٍ أنت يا عدَّاسُ ؟ وما دِينُك ؟ » قال : نَصْرانىٌّ ، وأنا رجلٌ مِن أهلِ نِينَوَى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِن قريةِ الرجلِ الصالحِ يُونُسَ بنِ مَتَّى ؟ » فقال له عَدَّاسٌ : وما يُدْريك ما يُونُسُ بنُ مَتَّى ؟! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذاك أخى ، كان نبيًّا وأنا نبىٌّ » . فأَكَبَّ عَدَّاسٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ رأسَه ويَدَيه وقدَمَيه . قال : يقولُ ابنا[1] ربيعةَ أحدُهما لصاحبِه : أمَّا غلامُك فقد أفسَدَه عليك ! فلمَّا جاءهما عَدَّاسٌ قالا له : ويْلَك يا عَدَّاسُ ، ما لك تُقَبِّلُ رأسَ هذا الرجلِ ويَدَيه وقدَمَيه ؟ قال : يا سيِّدى ، ما فى الأرضِ شىءٌ خيرٌ مِن هذا ، لقد أخْبَرَنى بأمرٍ ما يَعْلَمُه إلَّا نبىٌّ . قالا له : وَيْحَك يا عَدَّاسُ لا يَصْرِفَنَّك عن دينِك ، فإنَّ دينَك خيرٌ مِن دينِه .

وقد ذكَرَ موسَى بنُ عُقْبَةَ[2] نَحْوًا مِن هذا السياقِ ، إلَّا أنَّه لم يَذْكُرِ الدعاءَ وزادَ : وقعَد له أهلُ الطائفِ صَفَّيْنِ على طريقِه ، فلمَّا مَرَّ جَعَلوا لا يَرْفَعُ رِجْلَيْه ولا يَضَعُهما إلَّا رَضَخوهما بالحِجارةِ ، حتى أَدْمَوْه ، فخلَصَ منهم وهما يَسِيلان الدماءَ ، فعَمَدَ إلى ظلِّ حَبَلَةٍ[3] وهو مكروبٌ ، وفى ذلك الحائطِ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا

---

(١) فى م ، ص : « أبناء » .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٤١٤ - ٤١٦ . من طريق موسى بن عقبة .

(٣) فى النسخ : « نخلة » ، والمثبت من الدلائل .

رَبيعةَ ، فكَرِهَ مكانَهما ؛ لِعداوتِهما اللَّهَ ورسولَه . ثُم ذكَرَ قصةَ عَدَّاسٍ النَّصْرانيِّ كنحوِ ما تقدَّمَ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[1] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا مَرْوَانُ بنُ مُعاويةَ الفَزَارِيُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الطائفيِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ أبى جَبَلٍ العَدْوانيِّ ، عن أبيه ، أنه أبْصَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَشْرِقِ ثَقِيفٍ ، وهو قائمٌ على قوسٍ - أو عَصًى - حينَ أَتَاهم يَبْتَغِى عندَهم النصرَ ، فسَمِعْتُه يَقْرَأُ[2] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] . حتى ختَمها . قال : فوعَيْتُها فى الجاهليةِ وأنا مُشْرِكٌ ، ثُم قَرَأْتُها فى الإسلامِ . قال : فدعَتْنى ثَقِيفٌ [٢/ ١٢٠ظ] فقالوا : ماذا سَمِعْتَ مِن هذا الرجلِ ؟ فقَرَأْتُها عليهم ، فقال مَن معهم مِن قريشٍ : نحن أعلمُ بصاحبِنا ، لو كنا نَعْلَمُ ما يقولُ حقًّا لاتَّبَعْناه .

وثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[3] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى يُونُسُ ابنُ يَزِيدَ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، قال : أخبَرَنى عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ ، أنَّ عائشةَ حدَّثَتْه أنها قالت لرسولِ اللَّهِ ﷺ : هل أتَى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ ؟ قال : « لقد لَقِيتُ مِن قومِكِ ما لَقِيتُ ، وكان أشدَّ ما لَقِيتُ منهم يومَ العَقَبَةِ ، إذْ عَرَضْتُ نفسِى على ابنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ ، فلم يُجِبْنِى إلى ما أَرَدْتُ ، فانطَلَقْتُ وأنا مهمومٌ على وجْهِى ، فلم أَسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فرفَعْتُ رأسِى ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أَظَلَّتْنِى ، فنَظَرْتُ فإذا فيها جبريلُ ، عليه السلامُ ، فنادَانِى فقال : إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك وما رَدُّوا عليك ، وقد بعَث إليك مَلَكَ الجبالِ

---

(١) المسند ٤/ ٣٣٥.

(٢) فى النسخ : « يقول » ، والمثبت من المسند .

(٣) البخارى (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) .

لِتَأْمُرَه بما شِئْتَ فيهم. ثُم نادانِى مَلَكُ الجبالِ، فسَلَّمَ علىَّ ثُم قال: يا محمدُ[1]، إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وأنا مَلَكُ الجبالِ، قد بَعَثَنِى ربُّك إليك لِتَأْمُرَنِى بأمرِك، فما شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بل أَرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصلابِهم مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحدَه لا يُشْرِكُ به شيئًا».

فصلٌ

وقد ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[2] سَماعَ الجنِّ لقراءةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وذلك مَرْجِعَه مِن الطائفِ حينَ باتَ بنَخْلَةَ، وصلَّى بأصحابِه الصبحَ فاستَمَعَ الجنُّ الذين صُرِفُوا إليه قراءتَه هنالك. قال ابنُ إسحاقَ: وكانوا سبعةَ نفرٍ، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى فيهم قولَه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قلت: وقد تكلَّمْنا على ذلك مُسْتَقْصًى فى «التفسيرِ»[3]، وتقدَّمَ قِطْعَةٌ مِن ذلك[4]. فاللَّهُ أعلمُ. ثُم دخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ مَرْجِعَه مِن الطائفِ فى جِوارِ المُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ، وازدادَ قومُه عليه حَنَقًا، وغيظًا، وجرأةً، وتكذيبًا، وعِنادًا. واللَّهُ المستعانُ وعليه التكلانُ.

---

(١) بعده فى م، ص: «قد بعثنى اللَّه».

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) التفسير ٧/٢٧٢ - ٢٨٥.

(٤) تقدم فى ١/ ١٣٢.

وقد ذكَر الأُمَوِىُّ فى « مغازيه »[1] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث [2]عبدَ اللَّهِ بنَ[2] أُرَيْقِطٍ إلى الأَخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ ، فطلَب منه أن يُجِيرَه بمكةَ ، فقال : إنَّ حليفَ قُرَيْشٍ لا يُجِيرُ على صَمِيمِها . ثُم بعَثَه إلى سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو ليُجِيرَه فقال : إنَّ بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ لا تُجيرُ على بنى كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ . فبعَثَه إلى المُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ لِيُجِيرَه فقال : نعَمْ ، قُلْ له فَلْيَأْتِ . فذهَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فباتَ عندَه تلك الليلةَ ، فلمَّا أَصْبَحَ ، خرَج معه هو وبَنوه سِتَّةٌ - أو سبعةٌ - مُتَقَلِّدِى السيوفِ جميعًا ، فدخَلوا المسجدَ وقال لرسولِ اللَّهِ ﷺ : طُفْ . واحتَبَوْا بحمائلِ سيوفِهم فى المَطافِ ، فأَقْبَلَ أبو سُفيانَ إلى مُطْعِمٍ فقال : أمُجِيرٌ أم تابعٌ ؟ قال : لا بل مُجيرٌ . قال : إذًا لا تُخْفَرُ[3] . فجلَس معه حتى قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ طَوَافَه ، فلمَّا انصرَفَ انصَرَفوا معَه ، وذهَب أبو سُفْيانَ إلى مجلِسِه . قال : فمكَثَ أيامًا ثُم أُذِنَ له فى الهجرةِ ، فلمَّا هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ تُوُفِّىَ المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ بعدَه بيسيرٍ ، فقال حسانُ بنُ ثابتٍ : واللَّهِ لأَرْثِيَنَّه . فقال فيما قال[4] :

فلو كان مَجْدٌ يُخْلِدُ اليومَ واحدًا ... مِن الناسِ نَجَّى مجْدُه اليومَ مُطْعِمَا

أَجَرْتَ رسولَ اللَّهِ مِنهم فأَصْبَحوا ... عِبَادَك ما لَبَّى مُحِلٌّ وأَحْرَمَا

[٢/١٢١و] فلو سُئِلَتْ عنه مَعَدٌّ بأَسْرِها ... وقَحْطَانُ أو باقى بقيةِ جُرْهُمَا

لقالوا هو المُوفِى بخُفْرَةِ جارِه ... وذِمَّتِه يومًا إذا ما تَذَمَّمَا[5]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٤٧، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٨١.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) لا تخفر : لا ينقض عهدك .

(٤) ديوان حسان ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٥) فى الأصل ، ص : « تحتما » ، وفى ا ١٥، م : « تجشما » ، والمثبت من الديوان ، وتذمم : طلب الذمة .

وما تَطْلُعُ الشمسُ المُنِيرَةُ فوقَهم على مِثْلِه فيهم أَعَزَّ وأَكْرَمَا

أَبيًّا[1] إذا يَأْبَى وأَلينَ شِيمَةً وأَنْوَمَ عن جَارٍ إذا الليلُ أَظْلَمَا

قلتُ : ولهذا قال النبيُّ ﷺ يومَ أُسَارَى بَدْرٍ[2] : « لو كان المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حيًّا ثُم سألَنى فى هؤلاء النَّتْنَى[3] لوَهَبْتُهم له » .

فصلٌ

فى عرضِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نفسَه الكريمةَ على أحياءِ العَرَبِ [4]فى مواسمِ الحجِّ ، أن يُؤْووه ويَنْصُرُوه ، ويَمْنَعوه مِمن كَذَّبه وخالَفَه ، فلَم يُجِبْه أحدٌ مِنهم ؛ لِمَا ذَخَرَه اللَّهُ تعالى للأنصارِ مِن الكرامةِ العظيمةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم[4] .

قال ابنُ إِسْحاقَ[5] : ثُم قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه مِن خِلافِه وفِراقِ دينِه ، إلّا قليلًا مُسْتَضْعفينَ مِمَّن آمَن به ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَه فى المواسمِ - إذا كانَتْ - على قبائلِ العربِ ، يَدْعُوهم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ويُخْبِرُهم أنَّه نبيٌّ مُرْسَلٌ ، ويَسْأَلُهم أن يُصَدِّقوه ويَمْنَعوه ، حتى يُبَيِّنَ عن اللَّهِ ما بَعَثَه به .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثَنى مِن أصحابِنا مَن لا أَتَّهِمُ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ،

---

(١) فى الأصل : « وأنّا » ، وفى ا ١٥ : « وإباء » ، وفى م : « إباء » ، وفى ص : « وآبى » . والمثبت من الديوان .

(٢) رواه البخارى (٣١٣٩، ٤٠٢٤) .

(٣) فى م ، ص : « النقباء » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٢.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٢، ٤٢٣.

عن ربيعةَ بنِ عِبَادٍ الدُّؤَلِيِّ ، أوْ[1] مَن حدَّثَه أبو الزِّنَادِ عنه . وحدَّثَنى[2] حُسَيْنُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : سَمِعْتُ ربيعةَ بنَ عِبَادٍ يُحَدِّثُه أبى ، قال : إنى لَغلامٌ شابٌّ مع أبى بِمِنًى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَقِفُ على منازلِ القبائلِ مِنَ العربِ فيَقولُ : « يا بنى فلانٍ ، إنِّى رسولُ اللَّهِ إليكم ، آمُرُكم أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكوا به شيئًا ، وأنْ تَخْلَعوا ما تَعْبُدون مِن دونِه مِن هذه الأندادِ ، وأن تُؤْمِنوا بى ، وتُصَدِّقُونِى ، وتَمْنَعونى ، حتى أُبَيِّنَ عن اللَّهِ ما بَعَثَنى به » . قال : وخَلْفَه رجلٌ أَحْوَلُ وَضِيءٌ ، له غَديرتانِ[3] ، عليه حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ ، فإذا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن قولِه وما دَعَا إليه ، قال ذلك الرجلُ : يا بنى فلانٍ ، إنَّ هذا إنَّما يَدْعوكم إلى أنْ تسْلُخوا اللاتَ والعُزَّى مِن أعناقِكم ، وحُلَفاءَكم مِن الجِنِّ مِن بنى مالكِ بنِ أُقَيْشٍ ، إلى ما جاءَ به مِنَ البدعةِ والضلالةِ ، فلا تُطِيعوه ، ولا تَسْمَعوا منه . قال : فقلتُ لأبى : يا أَبَتِ ، مَن هذا الرجلُ الذى يَتْبَعُه ويَرُدُّ عليه ما يَقولُ ؟ قال : هذا عمُّه عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، أبو لَهَبٍ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[4] هذا الحديثَ ، عن إبراهيمَ بنِ أبى العباسِ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، أخبَرَنى رجلٌ يُقالُ له : ربيعةُ بنُ عِبَادٍ . مِن بنى الدُّئِلِ ، وكان جاهليًّا فأَسْلَمَ ، قال : رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الجاهليةِ فى سوقِ ذِى المَجَازِ ، وهو يَقولُ : « يَا أَيُّها الناسُ ، قولوا : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . تُفْلِحوا » . والناسُ مُجْتَمِعون عليه ، ووراءَه رجلٌ وَضِيءُ الوجهِ ، أحْوَلُ ، ذو

---

(١) فى النسخ : « و » . والمثبت من السيرة .

(٢) القائل ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٣. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٤٨.

(٣) الغديرة : الضفيرة .

(٤) المسند ٤/ ٣٤١.

غَدِيرَتَيْنِ يقولُ : إنَّه صابئٌ كاذبٌ . يَتْبَعُه حيثُ ذهَب ، فسأَلْتُ عنه ، (١) فذكَرُوا لى نسبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ (١) ، وقالوا : هذا عمُّه أبو لهبٍ .

ورواه البَيْهَقِىُّ (٢) مِن طريقِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارىِّ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن ربيعةَ الدُّؤَلِىِّ : رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بسوقِ ذِى المَجَازِ ، يَتْبَعُ الناسَ فى منازِلِهم يَدْعوهم إلى اللَّهِ ، ووراءَه رجلٌ أحولُ ، تَقِدُ وَجْنَتَاه ، وهو يَقولُ : أيُّها الناسُ ، لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينِكم ودينِ آبائِكم . قلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : هذا أبو لَهَبٍ . وكذا روَاه أبو نُعَيْمٍ فى « الدلائلِ » مِن طريقِ ابنِ أبى ذِئْبٍ ، وسعيدِ بنِ سلمةَ بنِ أبى الحُسَامِ ، كِلاهما عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ به نَحوَه (٣) .

ثُم روَاه البَيْهَقِىُّ (٤) مِن طريقِ [٢/ ١٢١ظ] شُعْبَةَ ، عن الأَشْعَثِ بنِ سُلَيْمٍ ، عن رجلٍ مِن كِنَانَةَ قال : رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بسوقِ ذِى المَجَازِ وهو يَقولُ : « يا أَيُّها الناسُ ، قولوا : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . تُفْلِحُوا » . وإذا رجلٌ خَلْفَه يَسْفِى عليه الترابَ ، فإذا هو أبو جَهْلٍ ، وإذا هو يَقولُ : يا أيُّها الناسُ ، لا يَغُرَّنَّكُم هذا عن دينِكم ، فإنما يُرِيدُ أنْ تَتْرُكوا عبادةَ اللَّاتِ والعُزَّى . كذا قال فى هذا السياقِ : أبو جَهْلٍ . وقد يَكونُ وَهْمًا ، ويَحْتَمِلُ أن يَكونَ تارَةً يَكونُ ذا ، وتارةً يَكونُ ذا ، وأنَّهما كانا يَتَناوَبانِ على إيذائِه ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ (٥) : وحدَّثَنى ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِىُّ أنَّه ، عليه السَّلامُ ، أَتَى

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٢) دلائل النبوة ٢/ ١٨٥.

(٣) لم نجده فى مختصر الدلائل ، وقد رواه أحمد فى المسند ٢/ ٤٩٢. من هذين الطريقين .

(٤) دلائل النبوة ٢/ ١٨٦.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٤.

كِنْدَةَ فى منازِلِهم، وفيهم سَيِّدٌ لهم يُقالُ له: مُلَيْحٌ. فدَعاهم إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، وعرَض عليهم نفسَه، فأبَوْا عليه.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: وحدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ [2]بنِ عبدِ اللَّهِ[2] بنِ حُصَيْنٍ، أنَّه أتى كَلْبًا فى منازِلِهم؛ إلى بَطْنٍ منهم يُقالُ لهم: بنو عبدِ اللَّهِ. فدَعاهم إلى اللَّهِ، وعرَضَ عليهم نفسَه، حتى إنه لَيَقولُ لهم: «يا بَنِى عبدِ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ قد أَحْسَنَ اسمَ أَبِيكم». فلَم يَقْبَلوا منه ما عرَض عليهم.

وحدَّثَنى[1] بعضُ أصحابِنا، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتى بنى حَنِيفَةَ فى منازِلِهم، فدَعاهم إلى اللَّهِ، وعرَض عليهم نفسَه، فلم يَكُنْ أحدٌ مِن العربِ أَقْبَحَ رَدًّا عليه منهم.

وحدَّثَنى[3] الزُّهْرِىُّ، أنه أَتَى بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ، فدعاهم إلى اللَّهِ، وعرَض عليهم نفسَه، فقال له رجلٌ منهم، يُقالُ له: بَيْحَرَةُ[4] بنُ فِراسٍ: واللَّهِ لو أنِّى أخَذْتُ هذا الفتَى مِن قُرَيْشٍ لأكَلْتُ به العربَ. ثُم قال له: أرأَيْتَ إنْ نحن تابَعْناك على أمْرِك، ثُم أظْهَرَكَ اللَّهُ على مَن يُخالِفُك، أيَكونُ لنا الأمرُ مِن بعدِك؟ قال: «الأمرُ للَّهِ، يَضَعُه حيثُ يَشاءُ». قال: فقال له: أفنُهْدِفُ[5] نُحورَنا للعربِ دونَك، فإذا أظْهَرَكَ اللَّهُ كان الأمرُ لغيرِنا! لا حاجةَ لنا بأمْرِك. فأبَوْا عليه، فلمّا صدَر الناسُ، رجَعَتْ بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم، قد كان أَدْرَكَه السِّنُّ، حتى لا يَقْدِرُ أنْ يُوَافِىَ معهم الموسمَ، فكانوا إذا رَجَعوا إليه، حدَّثوه بما

---

(١) المصدر السابق.

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من السيرة. ذكره ابن حبان فى الثقات ٧/ ٤١٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٤) فى م، ص: «بحيرة».

(٥) نهدف: نجعل نحورنا هدفا لسهامهم.

يَكونُ فى ذلك المَوْسِمِ ، فلمَّا قَدِموا عليه ذلك العامَ سألَهم عمّا كان فى مَوْسِمِهم فقالوا : جاءَنا فتًى مِن قريشٍ ، ثُمَّ ، أَحَدُ بنى عبدِ المُطَّلِبِ يَزْعُمُ أنَّه نبىٌّ ، يَدْعُونا إلى أنْ نَمْنَعَه ، ونَقُومَ معه ، ونَخْرُجَ به إلى بلادِنا . قال : فوضَع الشيخُ يدَه على رأسِهِ ثُم قال : يا بَنِى عامرٍ ، هل لها مِن تَلَافٍ[1] ؟ هل لذُناباها مِن مَطْلَبٍ[2] ؟ والذى نفسُ فلانٍ بيدِه ما تَقَوَّلَها إسماعيلىٌّ قطُّ ، وإنَّها لَحَقٌّ ، فأينَ رأْيُكم كان عنكم !

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[3] ، عن الزُّهْرِىِّ : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى تلك السِّنينَ يَعْرِضُ نفسَه على قبائلِ العربِ فى كلِّ مَوْسِمٍ ، ويُكَلِّمُ كلَّ شَريفِ قومٍ ، لا يَسْأَلُهم مع ذلك إلّا أنْ يُؤْوُوه ويَمْنَعوه ، ويَقولُ : « لا أُكْرِهُ أحدًا منكم على شىءٍ ، مَن رَضِىَ منكم بالذى أَدْعُوه إليه فذلك ، ومن كَرِهَ لم أُكْرِهْه ، إنَّما أُرِيدُ أن تَحْرُزُونِى[4] مما يُرَادُ بِى مِن القتلِ ، حتى أُبَلِّغَ رسالةَ رَبِّى ، وحتى يَقْضِىَ اللَّهُ لِى وَلِمَن صَحِبَنِى بما شاءَ » . فلم يَقْبَلْه أحدٌ مِنهم ، ولم يَأْتِ أحدٌ مِن تلك القبائلِ إلّا قال : قومُ الرجلِ أعلمُ به ، أتَرَوْنَ أنَّ رجلًا يُصْلِحُنا وقد أَفْسَدَ قومَه ولَفَظُوه ؟! وكان ذلك مما ذخَرَه اللَّهُ للأَنصارِ وأَكْرَمَهم به .

وقد روَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[5] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأَجْلَحِ ، ويَحْيَى بنِ سعيدٍ الأُمَوىِّ ، كِلاهما عن محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبِىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن العباسِ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا أَرَى لى عندَك ولا

---

(١) تلاف : تدارُك .

(٢) قال السهيلى فى الروض الأنف ٤/ ٥٩: مثَل ضُرِب لما فاته منها ، وأصله من : ذُنَابَى الطائر ، إذا أفلت من الحِبالة ، فطلبت الأخذ بذُناباه .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٤١٤. من طريق موسى بن عقبة به .

(٤) فى ا ١٥: « تحوذونى » . وكلاهما بمعنى ؛ تصونونى وتحوطونى .

(٥) لم نجده فى مختصر الدلائل ، وانظر صفحة ٣٤٩ حاشية (٢) .

عندَ أخيك مَنَعَةً ، فهل أنتَ مُخْرِجِى إلى السوقِ غدًا ، حتى تُعَرِّفَنى[1] منازلَ قبائلِ الناسِ ؟ » - وكانت مَجْمَعَ العربِ - قال : فقلتُ : هذه كِنْدَةُ ولَفُّها[2] ، وهى أفضلُ مَن يَحُجُّ البيتَ مِن اليمنِ ، وهذه منازلُ بَكْرِ بنِ وائلٍ ، [٢/ ١٢٢و] وهذه منازلُ بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، فاخْتَرْ لنفسِك . قال : فبدَأَ بكِنْدَةَ ، فأتَاهم فقالَ : « ممَّنِ القومُ ؟ » قالوا : مِن أهلِ اليمنِ . قال : « مِن أىِّ اليمنِ ؟ » قالوا : مِن كِنْدَةَ . قال : « مِن أىِّ كِنْدَةَ ؟ » قالوا : مِن بنى عَمْرِو بنِ معاويةَ . قال : « فهل لكم إلى خيرٍ ؟ » قالوا : وما هو ؟ قال : « تَشْهَدُون أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وتُقِيمُون الصلاةَ ، وتُؤْمِنُون بما جاء مِن عندِ اللَّهِ » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ الأَجْلَحِ : وحدَّثَنى أبى عن أشياخِ قومِه ، أنَّ كِنْدَةَ قالت له : إنْ ظَفِرْتَ تَجْعَلْ لنا المُلْكَ مِن بعدِك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ المُلْكَ للَّهِ ، يَجْعَلُه حيثُ يَشَاءُ » . فقالوا : لا حاجةَ لنا فيما جِئْتَنا به . وقال الكَلْبِىُّ : فقالوا : أَجِئْتَنا لِتَصُدَّنا عن آلهتِنا ونُنَابِذَ العربَ ، الْحَقْ بقومِك ، فلا حاجةَ لنا بك . فانصَرَفَ مِن عندِهم ، فأتَى بكرَ بنَ وائلٍ ، فقال : « ممَّنِ القومُ ؟ » قالوا : مِن بكرِ بنِ وائلٍ . فقال : « مِن أىِّ بكرِ بنِ وائلٍ ؟ » قالوا : مِن بنى قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ . قال : « كيف العَدَدُ ؟ » قالوا : كثيرٌ مِثْلُ الثَّرَى . قال : « فكيف المَنَعَةُ ؟ » قالوا : لا مَنَعَةَ ، جاوَرْنا فارِسَ ، فنحن لا نَمْتَنِعُ منهم ولا نُجِيرُ عليهم . قال : « فتَجْعَلُون للَّهِ عليكم إنْ هو أَبْقَاكم حتى تَنْزِلُوا منازلَهم ، وتَسْتَنْكِحُوا نساءَهم ، وتَسْتَعْبِدُوا أبناءَهم ، أنْ تُسَبِّحُوا اللَّهَ ثلاثًا وثلاثين ، وتَحْمَدُوه ثلاثًا وثلاثين ، وتُكَبِّرُوه أربعًا وثلاثِينَ ؟ » . قالوا : ومَن أنتَ ؟ قال : « أنا رسولُ اللَّهِ » . ثُم انطَلَقَ ، فلمَّا وَلَّى عنهم . قال الكَلْبِىُّ : وكان عمُّه

---

(١) فى م ، ص : « نقر فى » .

(٢) سقط من : الأصل ، واللف : الجماعة .

أبو لَهبٍ يَتْبَعُه ، فيقولُ للناسِ : لا تَقْبَلوا قولَه . ثُم مرَّ أبو لهبٍ فقالوا : هل تَعْرِفُ هذا الرجلَ ؟ قال : نعم ، هذا فى الذُّرْوَةِ مِنا ، فعن أىِّ شأنِهِ تَسْأَلون ؟ فأخبَرُوه بما دَعاهم إليه ، وقالوا : زَعَم أنَّه رسولُ اللَّهِ . قال : ألا لا تَرْفَعوا بقولِه رأسًا فإنَّه مجنونٌ يَهْذِى[1] أُمُّ رأسِه . قالوا : قد رأَيْنا ذلك حينَ ذكَر مِن أمرِ فارسَ ما ذكَر .

قال الكَلْبِىُّ[2] : وأخبَرَنى عبدُ الرحمنِ العامِرىُّ[3] ، عن أشياخٍ مِن قومِه قالوا : أَتانا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن بسوقِ عُكَاظٍ ، فقال : « مِمَّن القومُ ؟ » قُلْنا : مِن بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ . قال : « مِن أىِّ بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ ؟ » قالوا : بنو كَعْبِ بنِ رَبِيعَةَ . قال : « كيفَ المَنَعَةُ ؟ » قلنا : لا يُرامُ ما قِبَلَنا ، ولا يُصْطَلَى بنارِنا . قال : فقال لهم : « إنِّى رسولُ اللَّهِ وأتيتُكم لِتَمْنَعُونِى حتى أُبَلِّغَ رسالةَ ربِّى ، ولا أُكْرِهُ أَحَدًا منكم على شىءٍ » . قالوا : ومِن أىِّ قريشٍ أنت ؟ قال : مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ . قالوا : فأينَ أنت مِن بنى عبدِ مَنَافٍ ؟ قال : « هم أَوَّلُ مَن كَذَّبَنِى وطَرَدَنى » . قالوا : ولكنا لا نَطْرُدُك ولا نُؤْمِنُ بك ، وسنَمْنَعُك حتى تُبَلِّغَ رسالةَ ربِّك . قال : فنزَل إليهم والقومُ يَتَسَوَّقونَ ، إذْ أَتَاهم بَيْحَرَةُ[4] بنُ فِرَاسٍ القُشَيْرِىُّ فقال : مَن هذا الرجلُ أراه عندَكم أُنْكِرُه ؟ قالوا : محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القُرَشىُّ . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : زعَم لنا أنَّه رسولُ اللَّهِ ، فطلَب إلينا أنْ

---

(١) بعده فى : ا ١٥، م ، ص : « من » .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم (٢١٥) ، ولعله بقية للحديث المتقدم ، فقد أورد هذا الجزء من الحديث الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٤/٨ وقال : أخرجه أبو نعيم من طريق عبد اللَّه بن الأجلح عن الكلبى ، وهذا مع انقطاعه ضعيف .

(٣) فى م : « المعايرى » .

(٤) فى م ، ص فى هذا الموضع وما سيأتى : « بحيرة » .

نَمْنَعَه حتى يُبَلِّغَ رسالةَ ربِّه. قال: ماذا رَدَدْتم عليه؟ قالوا: بالرَّحْبِ والسَّعَةِ، نُخْرِجُك إلى بلادِنا، ونَمْنَعُكَ مما نَمْنَعُ به أَنْفُسَنا. قال بَيْحَرَةُ: ما أَعْلَمُ أحدًا مِن أهلِ هذه السوقِ يَرْجِعُ بشيءٍ أشرَّ مِن شيءٍ تَرْجِعونَ به، بدَأْتُم[1] لِتُنَابِذُوا الناسَ وتَرْمِيَكم العربُ عن قوسٍ واحدةٍ، قومُه أعلَمُ به، لو آنَسُوا منه خيرًا لكانوا أسعدَ الناسِ به، أتَعْمِدُون إلى [2]رَهِيقِ قومٍ[2]، قد طرَدَه قومُه وكَذَّبوه فتُؤْوُونَه وتَنْصُرُونَه؟! فبِئْسَ الرأْىُ رأَيْتُم. ثُم أقْبَلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: قُمْ فالْحَقْ بقومِك، فواللَّهِ لولا أنَّك عندَ قومى لَضَرَبْتُ عُنُقَك. قال: فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى ناقتِه فرَكِبَها، فغمَزَ الخبيثُ بَيْحَرَةُ شاكِلتَها[3] [٢/١٢٢ظ] فقَمَصَتْ[4] برسولِ اللَّهِ ﷺ فألقتْه، وعندَ بنى عامرٍ يومئذٍ ضُباعةُ ابنةُ عامرِ بنِ قُرطٍ، كانت مِن النسوةِ اللاتى أسلَمْنَ مع رسولِ اللَّهِ بمكةَ، جاءَتْ زائرةً إلى بنى عَمِّها، فقالت: يا آلَ عامرٍ، ولا عامِرَ لى، أَيُصْنَعُ هذا برسولِ اللَّهِ بينَ أظهُرِكُم لا يَمْنَعُه أحدٌ منكم؟ فقامَ ثلاثةُ نَفَرٍ[5] مِن بنى عَمِّها إلى بَيْحَرَةَ واثنَيْنِ أعَانَاه، فأخَذ كلُّ رجلٍ منهم رجلًا فجَلَدَ به الأرضَ، ثُم جلَس على صدرِه، ثُم علَوْا وجوهَهم لَطْمًا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللهُمَّ بارِكْ على هؤلاء والْعَنْ هؤلاء». قال: فأَسْلَمَ الثلاثةُ الذين نَصَروه وقُتِلُوا شهداءَ وهم؛ غُطَيْفٌ وغَطَفَانُ ابنا سَهْلٍ، وعُرْوَةُ - أو عَزْرَةُ - بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَمَةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، وهلَكَ الآخَرون لَعْنًا[5] وهم؛ بَيْحَرَةُ بنُ فِرَاسٍ، وحَزْنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى م، ص: «بدءًا ثم».

(٢ - ٢) فى م، ص: «زهيق». ورهيق القوم: سفيههم.

(٣) شاكلتها: خاصرتها.

(٤) قمصت الدابة: نفرت وضربت برجليها.

(٥) سقط من: م، ص.

سَلَمَةَ بنِ قُشَيْرٍ، ومعاويةُ بنُ عُبَادةَ أحَدُ بنى عَقيلٍ، لَعَنَهم اللَّهُ لَعْنًا كبيرًا. وهذا أَثَرٌ غريبٌ كتَبْناه لغَرابتِه. واللَّهُ أعلمُ. وقد روَى هذا الحديثَ بتمامِه الحافظُ سعيدُ بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأُمَوِىُّ فى «مغازيه»، عن أبيه به[1].

وقد رَوَى أبو نُعَيْمٍ[2] له شاهدًا مِن حديثِ كَعْبِ بنِ مالكٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فى قِصةِ بنى[3] عامرِ بنِ صَعْصَعةَ، وقبيحِ رَدِّهم عليه، وأَغْرَبُ مِن ذلك وأَطْوَلُ ما روَاه أبو نُعَيْمٍ، والحاكمُ، والبَيْهَقِىُّ[4] - والسِّياقُ لأبى نُعَيْمٍ - رحِمَهم اللَّهُ، مِن حديثِ أبانِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِىِّ، عن أبانِ بنِ تَغْلِبَ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، حدَّثَنى علىُّ بنُ أبى طالبٍ، قال: لمَّا أمَرَ اللَّهُ رسولَه أن يَعْرِضَ نَفْسَه على قبائلِ العَرَبِ، خرَجَ وأنا معَه وأبو بكرٍ إلى مِنًى، حتى دَفَعْنا[5] إلى مَجْلِسٍ مِن مجالسِ العَرَبِ، فتَقَدَّمَ أبو بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فَسَلَّمَ، وكانَ أبو بكرٍ مُقَدَّمًا فى كُلِّ خَيْرٍ، وكانَ رجلًا نَسَّابَةً، فقال: مِمَّنِ القَوْمُ؟ قالوا: مِن ربيعةَ. قال: وأىُّ ربيعةَ أنتم؟ أمِن هَامِها[6] أم مِن لَهازِمِها[6]؟ قالوا: بل مِن هَامتِها العُظْمَى. قال أبو بكرٍ: فَمِنْ أىِّ هامَتِها العُظْمَى؟ قالوا: ذُهْلٌ الأكبرُ. قال لهم أبو بكرٍ: منكم عَوْفٌ الذى كان

---

(١) وأشار إلى هذه الرواية أبو نعيم فى الدلائل عقب هذا الحديث بمَوْضِعه هذا.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢١٩) من حديث عبد اللَّه بن كعب بن مالك. وانظر طبقات ابن سعد ١/٢١٦. ومنال الطالب فى شرح طِوال الغرائب. لابن الأثير ص ٢٨٦.

(٣) سقط من: ا ١٥، م، ص.

(٤) الدلائل لأبى نعيم (٢١٤)، والدلائل للبيهقى ٢/ ٤٢٢، ولم نجده فى المستدرك، وقد عزاه الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢٠ إلى الحاكم. وحسن إسناده.

(٥) دفع إلى فلان: انتهى إليه. الوسيط (د ف ع).

(٦) فى ا ١٥: «هامه»، وفى دلائل أبى نعيم: «هامتها». والهامُ: جمع الهامَة، وهى الرأس. اللسان (هـ و م).

وقوله: أمن هامتها أم من لهازمها: أى من أشرافها أنتم أو من أوساطها. اللسان (لهزم) بتصرف.

يُقالُ : لا حُرَّ بوادى عَوْفٍ[1] ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بِسْطَامُ بنُ قَيْسٍ [2]بنِ مَسْعودٍ[2] أبو اللِّواءِ ومُنْتَهَى الأحياءِ؟ قالوا : لا . قال : فمِنكم الحَوْفَزَانُ بنُ شَرِيكٍ قاتلُ الملوكِ وسالبُها أنفُسَها ؟ قالوا : لا . قال : فمِنكم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ بنِ ذُهْلٍ حامِى الذِّمَارِ[3] ومانعُ الجارِ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المُزْدَلِفُ صاحبُ العِمامةِ الفَرْدَةِ[4] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أخوالُ المُلوكِ مِن كِنْدَةَ ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أَصْهارُ الملوكِ مِن لَخْمٍ؟ قالوا : لا . قال لهم أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه : فلستُم بذُهْلٍ الأكبرِ ، بل أنتم ذُهْلٌ الأَصغرُ . قال : فوثَبَ إليه منهم غُلامٌ يُدْعَى دَغْفَلَ [5]بنَ حَنْظَلَةَ الذُّهْلىَّ[5] ، حينَ بقَلَ وَجْهُه[6] ، فأخذَ بزمامِ ناقةِ أبى بكرٍ ، وهو يَقولُ[7] :

إِنَّ علَى سائِلِنا أَنْ نَسْأَلَهْ والعِبْءَ لا تَعْرِفُه أَوْ تَحْمِلَهْ

يا هذا ، إنَّك سألْتَنا فأخبَرْناك ولم نَكْتُمْك شيئًا ، ونحن نريدُ أنْ نسألَك مِمَّن أنت ؟ قال : رَجُلٌ مِن قُرَيْشٍ . فقال الغُلامُ : بَخٍ بَخٍ أهلُ السُّؤْدُدِ والرِّئاسةِ ، [8]وأَزِمَّةُ[8] العربِ وهُداتُها[9] ، مِمَّن أنت مِن قُرَيْشٍ ؟ فقال له : رَجُلٌ

---

(١) يقال ذلك للرجل يسود القوم ، فلا ينازعه أحد منهم سيادته . جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ٢/ ٤٠٦.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل : « الديار » .

(٤) الفردة : المنقطعة النظير التى لا مثيل لها فى جودتها . الوسيط (ف ر د) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ١٥. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣١٩.

(٦) بقل وجه الغلام : خرج شعره . القاموس المحيط (ب ق ل) .

(٧) البيت فى العقد الفريد ٣/ ٢٤٨.

(٨ - ٨) فى م : « قادمة » .

(٩) فى النسخ : « هاديها » ، والمثبت من الدلائل لأبى نعيم .

مِن بنى تَيْمِ بنِ مُرَّةَ . فقال له الغلامُ : أمكَنْتَ واللَّهِ الرَّامِىَ مِن سَواءِ[1] الثُّغْرَةِ ؟ أفمِنكم قُصَىُّ بنُ كِلَابٍ الذى قَتَلَ بِمكةَ المُتَغَلِّبِينَ عليها ، وأجْلَى بقيَّتَهم ، وجمَعَ قَوْمَه مِن كلِّ أَوْبٍ حتى أَوْطَنَهم مكةَ ، ثُم استَوْلَى على الدارِ ، ونَزَّلَ قُرَيْشًا منازلَها ، فَسَمَّتْه العربُ بذلك مجمِّعًا ، وفيه يَقولُ الشاعرُ [2]لبنى عبدِ منافٍ[2] :

[٢/١٢٣و] أليس أبُوكم كان يُدْعَى مُجَمِّعًا ... به جَمَعَ اللَّهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

فقال أبو بكرٍ : لا . قال : فمِنكم عبدُ مَنافٍ الذى انتهَتْ إليه الوَصايا وأبو الغَطاريفِ السادةِ ؟ فقال أبو بكرٍ : لا . قال : فمِنكم عمْرُو بنُ عبدِ مَنافٍ ، هاشمٌ الذى هَشَمَ الثَّرِيدَ لقومِه ولأهلِ مكةَ ، ففيه يَقولُ الشاعرُ[3] :

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِه ... ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[4]

سَنُّوا إليه الرِّحْلَتَيْنِ كليهما ... عندَ الشتاءِ وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ

كانَتْ قريشٌ بَيْضةً فتَفلَّقَتْ ... فالمُخُّ[5] خالِصُه لعبدِ مَنافِ

الرائِشِينَ[6] وليس يُعْرَفُ رَائِشٌ ... والقائلينَ هَلُمَّ للأَضْيَافِ

---

(١) فى الأصل ، ١ ١٥ : « صفاة » ، وفى ص : « صِفات » . وأمكنت من سواء الثغرة : أى وسط الثغرة . وهى نقرة النحر فوق الصدر . النهاية ١/ ٢١٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص . وانظر لنسبة البيت منال الطالب ص ٢٨٨.

(٣) قال فى أنساب الأشراف ١/ ٥٨ : عبد اللَّه بن الزبعرى ، وقال بعضهم : الزبعرى . والأول أصح . انتهى . وانظر ما تقدم فى فى ٣/ ٣٥٦. وانظر أيضًا الموضع السابق من منال الطالب .

(٤) كذا فى النسخ ، وأنساب الأشراف . وفى البيت عيب وهو الإقواء . وقد تقدم فى ٣/ ٣٥٦.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « فالمخ » . والمح : ما فى جوف البيضة من صفرة ، أو من صفرة وبياض . الوسيط (م ح ح) .

(٦) راش فلانا : قواه وأعانه وأصلح حاله . الوسيط (ر ى ش) .

والضاربين الكَبْشَ[1] يَبْرُقُ بَيْضُه[2] والمَانِعِينَ البَيْضَ[3] بالأَسْيَافِ

لِلَّهِ دَرُّكَ لو نزَلْتَ بِدارِهِمْ مَنَعُوك مِن أَزْلٍ[4] ومِن إِقْرافِ[5]

فقال أبو بكرٍ: لا. قال: فمنكم عبدُ المُطَّلِبِ شَيْبَةُ الحَمْدِ، وصاحبُ عِيرِ[6] مكةَ، ومُطْعِمُ طَيْرِ[7] السماءِ والوحوشِ والسِّباعِ فى الفَلا[8]، الذى كأنَّ وَجهَه قَمَرٌ يَتَلأْلأُ فى الليلةِ الظَّلْماءِ؟ قال: لا. قال: أَفَمِن أهلِ الإفَاضَةِ أنت؟ قال: لا. قال: أفمِن أهلِ الحِجابَةِ أنت؟ قال: لا. قال: أفمِن أهلِ النَّدْوَةِ[9] أنت؟ قال: لا. قال: أفمِن أهلِ السِّقايةِ أنت؟ قال: لا. قال: أفمِن أهلِ الرِّفادَةِ أنت؟ قال: لا. قال: أَفَمِن المُفِيضِينَ بالناسِ[10] أنت؟ قال: لا. ثُم جذَبَ أبو بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، زِمامَ ناقتِه مِن يَدِه، فقال له الغلامُ:

صَادَفَ دَرْءَ السَّيْلِ دَرْءٌ يَدْفَعُهْ يَهِيضُه[11] حينًا وحينًا يَصْدَعُهْ[12]

---

(١) الكبش: سيد القوم وقائدهم ورئيسهم، ويقال: هو كبش الكتيبة أى قائدها. تاج العروس (ك ب ش).

(٢) البيض: جمع البيضة وهى الخوذة. الوسيط (ب ى ض).

(٣) البيض: جمع البيضة، وبيضة القوم: مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم. النهاية ١/ ١٧٢.

(٤) الأزل: الشدة والضيق. النهاية ١/ ٤٦.

(٥) أقرف فلانا: وقع فيه وذكره بسوء. القاموس المحيط (ق ر ف).

(٦) كذا بالنسخ، وفى الدلائل: «بئر».

(٧) سقط من: الأصل.

(٨) الفلا: جمع فَلاة، وهى الأرض الواسعة المُقْفِرة.

(٩) فى الأصل: «الولاية».

(١٠) سقط من: النسخ. والمثبت من الدلائل لأبى نعيم.

(١١) فى الدلائل لأبى نعيم، والدلائل للبيهقى: «يهضبه». ويهيضه حينا وحينا يصدعه: يكسره مرة ويشقه أخرى. تاج العروس (هـ ى ض).

(١٢) فى م، ص: «يرفعه».

ثُم قال : أمَا واللَّهِ يا أخا قُرَيْشٍ ، لو ثَبَتَّ لَخَبَّرْتُك أنَّك مِن زَمَعَاتِ[1] قُرَيْشٍ ولسْتَ مِن الذَّوائِبِ . قال : فأقبلَ إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ . قال عليٌّ : فقلتُ له : يا أبا بكرٍ ، لقد وقَعْتَ مِن الأعرابيِّ على باقِعةٍ[2] . فقال : أجَلْ يا أبا الحَسَنِ ، إنَّه ليس مِن طَامَّةٍ إلا وفوقَها طامَّةٌ ، والبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالقَوْلِ . قال : ثُم انتَهَيْنا إلى مَجْلِسٍ عليه السَّكِينَةُ والوَقارُ ، وإذا مَشايِخُ لهم أقدارٌ وهيئاتٌ ، فتقدَّمَ أبو بكرٍ فَسَلَّمَ - قال عليٌّ : وكان أبو بكرٍ مُقَدَّمًا فى كُلِّ خيرٍ - فقال لهم أبو بكرٍ : مِمَّن القومُ ؟ قالوا : نحن بنو شَيْبانَ بنِ ثَعْلبةَ ، فالتفتَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : بأبى أنت وأُمِّى ، ليْسَ بعدَ هؤلاءِ مِن عِزٍّ فى قَوْمِهم - وفى رِوايةٍ : ليس وراءَ هؤلاءِ غُرَرٌ[3] مِن قومِهم[4] - وهؤلاء غُرَرُ الناسِ . وكان فى القَوْمِ ؛ مَفْرُوقُ[5] بنُ عمرٍو ، وهانئُ بنُ قَبِيصَةَ ، والمُثَنَّى بنُ حارِثَةَ ، والنُّعْمَانُ بنُ شَرِيكٍ ، وكانَ أقربَ القومِ إلى أبى بكرٍ مَفْرُوقُ بنُ عمرٍو ، [6]وكان مفروقُ بنُ عمرٍو[6] قد غلَبَ عليهم بيانًا ولسانًا ، وكانَتْ له غَدِيرتانِ تَسْقُطانِ على صَدْرِه ، فكانَ أَدْنَى القومِ مَجْلِسًا مِن أبى بكرٍ ، فقال له أبو بكرٍ : كيفَ العَدَدُ فيكم ؟ فقال له : إنَّا لَنَزِيدُ على أَلْفٍ ، ولن تُغْلَبَ ألفٌ مِن قِلَّةٍ . فقال له : فكيفَ المَنَعَةُ فيكم ؟ فقال : علَيْنا الجَهْدُ ولكلِّ قومٍ جِدٌّ . فقال أبو بكرٍ : فكيفَ الحربُ [٢/١٢٣ظ] بينَكم وبينَ عدُوِّكم ؟ فقال مَفروقٌ : إنَّا أشَدُّ ما نَكونُ

---

(١) أنك من زمعات قريش : أى لست من أشرافهم . اللسان (ز م ع) .

(٢) فى ا ١٥ : « نافعة » . وفى ص : « واقعة » . والباقعة : الرجل الداهية . اللسان (ب ق ع) .

(٣) فى م : « عذر » . وغرة قومه : سيدهم ، وهم غرر قومهم . اللسان (غ ر ر) .

(٤) بعده فى م : « وهؤلاء غرر فى قومهم » .

(٥) فى ا ١٥ فى هذا الموضع وما سيأتى : « مقرون » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(١ غَضَبًا حينَ نَلْقَى ، وإنَّا أشدُّ ما نكونُ ١) لِقاءً حينَ نَغْضَبُ ، وإنَّا لنُؤْثِرُ الجِيادَ على الأولادِ ، والسِّلاحَ على اللِّقاحِ ، والنَّصْرُ مِن عندِ اللَّهِ ، يُدِيلُنا مرةً ويُدِيلُ عَلَيْنا مَرَّةً (٢) ، لعلَّك أخو قريشٍ ؟ فقال أبو بكرٍ : إن كانَ بَلَغَكم أنَّه رسولُ اللَّهِ فها هو هذا . فقال مفروقٌ : قد بَلَغَنا أنَّه يَذْكُرُ ذلك . ثُم التَفَتَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ (٣ فقال له : إلامَ تَدْعو يا أخا قريشٍ ؟ فتَقَدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ٣) فجلَسَ ، وقام أبو بكرٍ يُظِلُّهُ بثَوْبِه فقال ﷺ : « أَدْعُوكم إلى شَهادَةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له وأنِّى رسولُ اللَّهِ ، وأن تُؤْوُونى (٤ وتَمْنَعونى ٤) وتَنْصُرونى حتى أُؤَدِّىَ عن اللَّهِ الذى أمَرَنى به ، فإنَّ قريشًا قد تَظاهَرَتْ على أَمْرِ اللَّهِ وكَذَّبَتْ رسولَه واسْتَغْنَتْ بالباطِلِ عن الحقِّ ، واللَّهُ هو الغَنِىُّ الحَمِيدُ » . قال له : وإلامَ تَدْعو أيضًا يا أخا قريشٍ ؟ فتَلا رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] . فقال له مفروقٌ : وإلامَ تَدْعو أيضًا يا أخا قريشٍ ؟ فواللَّهِ ما هذا مِن كلامِ أهلِ الأرضِ ، ولو كانَ مِن كلامِهم لعرَفْناه . فتَلا رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] . فقال له مَفْروقٌ : دعَوْتَ واللَّهِ يا قُرَشِىُّ إلى مكارمِ الأَخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ ، ولقد

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من دلائل أبى نعيم . وانظر دلائل البيهقى ٢/ ٤٢٤ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ا ١٥ .

أُفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوك وظاهَروا عليك[1] - وكأنَّه أحبَّ أن يَشْرَكَهُ فى الكَلامِ هانئُ ابنُ قَبِيصةَ - فقال: وهذا هَانِئُ بنُ قَبِيصَةَ شيخُنا وصاحِبُ دِينِنا. فقال له هانئٌ: قد سمِعْتُ مَقَالَتَك يا أخا قريشٍ، وصَدَّقْتُ قولَكَ، وإنِّى أَرَى أنَّ تَرْكَنا دينَنا واتِّباعَنا إياك على دينِك - لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَه إلينا ليس له أولٌ ولا آخِرٌ، لم نَتَفَكَّرْ فى أمْرِك، ونَنْظُرْ فى عاقبَةِ ما تَدْعو إليه - زَلَّةٌ فى الرَّأْيِ، وَطَيْشَةٌ فى العَقْلِ، وقِلَّةُ نَظَرٍ فى العاقبةِ، وإنَّما تَكونُ الزَّلَّةُ مع العَجَلَةِ، وإنَّ مِن ورائِنا قومًا نَكْرَهُ أن نَعْقِدَ عليهم عَقْدًا، ولكن تَرْجِعُ ونَرْجِعُ، وتَنْظُرُ ونَنْظُرُ - وكأنَّه أَحَبَّ أنْ يَشْرَكَهُ فى الكَلامِ المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ - فقال: وهذا المُثَنَّى شيخُنا وصاحبُ حَرْبِنا. فقال المُثَنَّى: قد سمِعْتُ مَقالَتَك واستَحْسَنْتُ قولَك يا أخا قريشٍ، وأَعْجَبَنى ما تَكَلَّمْتَ به، والجوابُ هو جوابُ هانئِ بنِ قَبِيصةَ، وتَرْكُنا دينَنا واتِّباعُنا إياك [2]على دِينِك[2] لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَه إلينا، وإنَّا إنَّما نزَلْنا بينَ صِيرَيْنِ[3]؛ أحدُهما، اليَمامَةُ، والآخَرُ السَّمَامَةُ[4]. فقالَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وما هذان الصِّيرانِ؟» فقال له: أَمَّا أحدُهما فطُفُوفُ[5] البَرِّ وأرضُ العَرَبِ، وأما الآخَرُ فأَرْضُ فارسَ وأَنْهارُ كِسْرَى، وإنَّما نزَلْنا على عَهْدٍ أَخَذَه علينا كِسْرَى أَنْ لا نُحْدِثَ حَدَثًا، ولا نُؤْوِىَ مُحْدِثًا، ولعلَّ هذا الأمْرَ الذى تَدْعونا إليه مما تَكْرَهُه

---

(١) لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك: صُرِفوا عن الحق ومُنِعوا منه. النهاية ١/ ٥٦.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى م، ص: «صَرَين»، وهو مثنى صَرًى، وهو الماء المجتمع. النهاية ٣/ ٢٨. والصير: الماء الذى يحضُرُه الناس. النهاية ٣/ ٦٦.

(٤) فى الأصل، ا ١٥، م: «السماوة»، وفى ص: «الثمامة»، والمثبت من حاشية ا ١٥ ودلائل أبى نعيم ودلائل البيهقى، وكذا وقع لابن الأثير فى النهاية ٣/ ٢٨، ٦٦.

(٥) الطفوف: جمع طف، وهو ساحل البحر وجانب البر. النهاية ٣/ ١٢٩.

المُلوكُ ، فأمَّا ما كانَ مِمَّا يَلِى بلادَ العربِ فَذَنْبُ صاحبِه مَغْفُورٌ ، وعُذْرُه مقبولٌ ، وأمَّا ما كان يَلِى بلادَ فارسَ فَذَنْبُ صاحبِه غيرُ مغفورٍ ، وعُذْرُه غيرُ مقبولٍ ، فإن أرَدْتَ أن نَنْصُرَكَ ونَمْنَعَك مما يَلِى العربَ فَعَلْنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما أسأتُمُ الرَّدَّ إذْ أفْصَحْتُم بالصِّدْقِ ، إنَّه لا يَقومُ بدينِ اللَّهِ إلا مَن حاطَه مِن جميعِ جوانبِه » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أرَأَيْتُم إن لم تَلْبَثُوا إلا يَسِيرًا حتى يَمْنَحكم اللَّهُ بِلادَهم وأمْوالَهم [٢/ ١٢٤و] ويُفْرِشَكم بَناتِهم ، أتُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَه ؟ » فقال له النُّعْمانُ بنُ شَرِيكٍ : اللهمَّ وإنَّ ذلك لك يا أخا قريشٍ . فتلا رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥، ٤٦] . ثُم نهَضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قابضًا على يَدَىْ أبى بكرٍ . قال عليٌّ : ثُم التَفَتَ إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا عليُّ ، أيَّةُ أخْلاقٍ لِلعَرَبِ كَانَتْ فى الجاهليةِ ، مَا أشْرَفَها ! بها يَتَحاجَزُونَ (١) فيما بينَهم (١) فى الحياةِ الدُّنْيا » . قال : ثُم دَفَعْنا إلى مَجْلِسِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ ، فما نَهَضْنا حتَّى بايَعُوا النبيَّ ﷺ . قال عليٌّ : وكانوا صُدُقًا صُبُرًا ، فَسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ (٢) بما رَأَى (٢) مِن مَعْرِفَةِ أبى بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بأنْسابِهم . قال : فلم يَلْبَثْ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلَّا يسيرًا حتى خرَجَ إلى أصْحابِه ، فقال : (٢) « ادْعُوا لإخوانِكم مِن ربيعةَ ؛ فقد أحاطَتْهم اليومَ أبناءُ فارسَ » . ثُم دخَل منزلَه ، فلم يَلْبَثْ إلا يسيرًا حتى خرَج إلى أصحابِه ، فقال (٢) لهم : « احمَدُوا اللَّهَ كثيرًا ؛ فقد ظفِرَتِ اليومَ أبناءُ رَبِيعةَ بِأَهلِ فَارِسَ ، قَتَلوا مُلوكَهم واسْتَباحوا عَسْكَرَهم ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

وبى نُصِروا». قال: وكانَتِ الوَقْعةُ بقُراقِرَ إلى جنبِ ذى قارٍ، وفيها يقولُ الأَعْشَى[1]:

فِدًى لبنى ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتى ... ورَاكِبُها عندَ اللِّقاءِ وقَلَّتِ

هُمُو ضَرَبُوا بالحِنْوِ[2] حِنْوِ قُراقِرٍ ... مُقَدِّمةَ الهامَرْزِ[3] حَتَّى تَوَلَّتِ

فللَّهِ عَيْنَا مَن رَأَى مِن فَوارِسٍ ... كَذُهْلِ بنِ شَيْبانٍ بها حينَ[4] وَلَّتِ

فَثَارُوا وثُرْنَا والمودَّةُ بيننا ... وكانت علينا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ

هذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا كتَبْناه، لِمَا فيه مِن دلائلِ النبوةِ، ومحاسنِ الأخلاقِ، ومكارمِ الشِّيَمِ، وفصاحةِ العَربِ، وقد ورَدَ هذا مِن طريقٍ أُخْرَى، وفيه أنَّهم لمَّا تَحارَبوا هم وفارسُ والتَقَوْا معهم بقُراقرَ - مَكانٍ قريبٍ مِن الفُراتِ - جعَلوا شِعارَهم اسمَ محمدٍ ﷺ، فَنُصِرُوا على فارسَ بذلك، وقد دخَلوا بعدَ ذلك فى الإسلامِ.

وقال الواقِدِىُّ[5]: أخبَرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ وابصةَ العَبْسىُّ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: جاءَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى منازِلنا بمِنًى، ونحن نازِلون بإزاءِ الجَمْرَةِ الأُولَى التى تَلِى مَسْجِدَ الخَيْفِ[6]، وهو على راحلتِه مُرْدِفًا خلفَه زيدَ بنَ حارثةَ، فدَعانا، فواللَّهِ ما استَجَبْنا له ولا خِيرَ لنا. قال: وقد كنَّا سمِعْنا به وبدُعائِه فى

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٢٥٩.

(٢) الحنو: كل شىء فيه اعوجاج، كمنعرج الوادى. الوسيط (ح ن و).

(٣) الهامرز: رجل من العجم، وهو قائد من قواد كسرى. انظر اللسان (ق ر ر).

(٤) فى ص: «حتى».

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٢٠)، من طريق الواقدى به.

(٦) قال صاحب اللسان: مسجد منى يسمى مسجد الخيف؛ لأنه فى سفح جبلها. اللسان (خ ى ف).

المواسمِ ، فوقَفَ علينا يَدْعونا فلم نَسْتَجِبْ له ، وكانَ معَنا[1] مَيْسَرَةُ بنُ مسروقٍ العَبْسيُّ ، فقال لنا : أَحْلِفُ باللَّهِ ، لو قد صَدَّقْنَا هذا الرجلَ وحَمَلْناه حتى نَحُلَّ به وَسْطَ بلادِنا لكانَ الرأىَ ، فأَحْلِفُ باللَّهِ ليَظْهَرَنَّ أمْرُه حتى يَبْلُغَ كُلَّ مَبْلَغٍ . فقال القومُ : دَعْنا عنك ، لا تُعَرِّضْنا لِمَا لَا قِبَلَ لنا به . وطمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَيْسَرَةَ فَكَلَّمَه ، فقال مَيْسَرةُ : ما أَحْسَنَ كلامَك وأَنْوَرَه ، ولكنَّ قَوْمى يُخالِفونَنى ، وإنَّما الرجلُ بقومِه ، فإذا لم يَعْضُدوه فالعِدَى[2] أَبْعَدُ . فانصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وخرَجَ القومُ صادِرِينَ[3] إلى أَهْليهم ، فقال لهم مَيْسَرةُ : مِيلُوا [4]بنا إلى[4] فَدَكَ[5] ؛ فإنَّ بها يَهُودَ نُسَائِلُهم عن هذا الرجلِ . فمالوا إلى يهودَ فأَخْرَجوا سِفْرًا لهم ، فوضَعوه ثُم دَرَسوا ذِكْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ النبىِّ الأُمِّىِّ العَربىِّ يَرْكَبُ الحِمارَ ، ويَجْتَزِئُ [٢/١٢٤ظ] بالكِسْرَةِ ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، ولا بالجَعْدِ[6] ولا بالسَّبْطِ ، فى عَيْنَيْه حُمْرَةٌ ، مُشْرِقُ اللَّونِ ، فإن كان هو الذى دَعاكم فأَجِيبوه وادخُلُوا فى دينِه فإنَّا نَحْسُدُه ولا نَتَّبِعُه . [7]ولنا منه فى مواطنَ[7] بلاءٌ عظيمٌ ، ولا يَبْقَى أحدٌ مِن العرَبِ إلا اتَّبَعَه ، وإلا قاتَلَه فكونوا ممن يَتَّبِعُه . فقال مَيْسَرةُ : يا قومِ ، ألا إنَّ[8] هذا الأمرَ بَيِّنٌ . فقال القَوْمُ : نَرْجِعُ إلى المَوْسِمِ فنَلْقَاه . فرجَعَوا إلى بلادِهم وأبى ذلك عليهم رجالُهم ، فلم يَتَّبِعْه أحدٌ

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) العِدى بالكسر : الغرباء والأجانب والأعداء . النهاية ٣/ ١٩٤ .

(٣) فى الأصل : « مبادرين » .

(٤ - ٤) فى م : « نأتى » . وفى ص : « نا إلى » .

(٥) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . معجم البلدان ٣/ ٨٥٥ .

(٦) بعده فى الأصل : « القطط » .

(٧ - ٧) فى الأصل : « وليأتيه » . وفى ا ١٥ : « وليأتينه فى مواطن » . وفى م : « وإنا منه فى مواطن » . وفى ص : « وإنا فى مواطن » . والمثبت من الدلائل .

(٨) سقط من : الأصل ، ا ١٥ ، ص .

مِنهم ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ مُهاجرًا وحَجَّ حَجَّةَ الوَداعِ ، لَقِيَه مَيْسَرَةُ فعرَفه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ مازلْتُ حَرِيصًا على اتِّباعِك مِن يومِ أَنَخْتَ بنا حتى كانَ ما كانَ ، وأبى اللَّهُ إلَّا ما تَرَى مِن تَأَخُّرِ إسلامى ، وقد ماتَ عامةُ النفرِ الذين كانوا معى ، فأينَ مَدْخَلُهُم (١يا رسولَ اللَّهِ١) ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلُّ مَن ماتَ على غيرِ دِينِ الإسلامِ فهو فى النارِ » . فقال : الحمدُ للَّهِ الذى أنْقَذَنى . فأسْلَمَ وحَسُنَ إسلامُه ، وكان له عندَ أبى بكرٍ مكانٌ .

وقد اسْتَقْصَى الإمامُ محمدُ بنُ عمرَ الوَاقدىُّ[٢] قِصصَ القبائلِ واحدةً واحدةً ، فذكَرَ عَرْضَه ، عليه السلامُ ، نفسَه على بنى عامرٍ ، وغسَّانَ ، وبنى فَزَارَةَ ، (٣وبنى مُرَّةَ٣) ، وبنى حَنيفةَ ، وبنى سُلَيْمٍ ، وبنى عَبْسٍ ، وبنى نَضْرِ بنِ هَوازِنَ ، وبنى ثَعْلبةَ بنِ عُكابةَ ، وكِندةَ ، وكلبٍ ، وبنى الحارِثِ بنِ كعبٍ ، وبنى عُذْرَةَ ، وقيسِ بنِ الخَطيمِ[٤] ، وغيرِهم ، وسِياقَ أخبارِها مُطَوَّلةً . وقد ذَكَرْنا مِن ذلك طَرَفًا صالحًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[٥] : حدَّثَنا أسودُ بنُ عامرٍ ، أنا إسرائيلُ ، عن عُثْمانَ - يَعْنِى ابنَ المغيرةِ - عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : كان النبىُّ ﷺ يَعْرِضُ نفسَه على الناسِ بالمَوْقِفِ ، فيقولُ : « هل مِن رَجُلٍ يحمِلُنى إلى قَوْمِه ؛ فإنَّ قُرَيْشًا قد مَنَعونى أن أُبَلِّغَ كلامَ رَبِّى عزَّ وجلَّ ؟ » فأتاه رجلٌ مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢) ، وابن سعد فى الطبقات ١/٢١٦ ، كلاهما عن الواقدى به .

(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥.

(٤) فى النسخ : الحطيم . والمثبت من الدلائل . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨١ .

(٥) المسند ٣/ ٣٩٠.

هَمْدَانَ ، فقال : « مِمَّن أنت ؟ » قال الرجلُ : مِن هَمْدَانَ . قال : « فهل عندَ قومِكَ مِن مَنَعَةٍ ؟ » قال : نَعَمْ . ثُم إنَّ الرجلَ خَشِيَ أنْ يَحْقِرَه[1] قومُه ، فأَتى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : آتِيهم فأُخْبِرُهم ثُم آتيك مِن عامٍ قابلٍ . قال : « نَعَمْ » . فانطَلَقَ ، وجاء وَفْدُ الأَنصارِ فى رجبٍ . وقد رَواه أهلُ السُّنَنِ الأربعةِ ، مِن طُرُقٍ ، عن إسرائيلَ به[2] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

---

(١) فى الأصل : « يجفوه » . وفى ا ١٥، م : « يخفره » .

(٢) أبو داود (٤٧٣٤) ، والترمذى (٢٩٢٥) ، والنسائى فى الكبرى (٧٧٢٧) ، وابن ماجه (٢٠١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٦٠) .

فصل

فى[1] قُدومِ وفودِ الأَنصارِ عامًا بعدَ عامٍ حتى بايَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعةً بَعْدَ بيعةٍ ثُم [2]بعدَ ذلك[2] تَحَوَّلَ إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ [3]فنزَل بينَ أظهرِهم، كما سيأتى بيانُه وتفصيلُه، إن شاء اللَّهُ وبه الثقةُ[3]

حديثُ سُوَيْدِ بنِ صامتٍ الأَنْصَارىّ، وهو سُوَيْدُ بنُ الصَّامتِ [4]بنِ خالدِ[4] ابنِ عطيَّةَ بنِ حَوْطِ بنِ حَبيبِ[5] بنِ عمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ، وأمُّه لَيْلَى بنتُ عَمْرٍو النَّجَّارِيَّةُ أختُ سَلْمَى بنتِ عَمْرٍو أمِّ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ. فسُوَيْدٌ هذا ابنُ خالةِ عبدِ المُطَّلِبِ جَدِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[6]: وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على ذلك مِن أمْرِه، كُلَّمَا اجْتَمَعَ له[7] الناسُ بالمَوْسِمِ، أَتاهم يَدْعو القبائلَ إلى اللَّهِ وإلى الإسْلامِ، ويَعْرِضُ عليهم نفسَه وما جاءَ به مِن الهُدَى والرَّحْمةِ، ولا يَسْمَعُ بقادمٍ يَقْدَمُ مكةَ مِن العربِ له اسمٌ وشَرَفٌ إلَّا تَصَدَّى له، وَدَعاه إلى اللَّهِ تعالى،

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) سقط من: النسخ. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٧.

(٥) بعده فى ا ١٥: «بن عوف». وانظر المصدر السابق.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٥.

(٧) سقط من: م، ص.

وعَرَضَ عليه ما عندَه .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : حدَّثَنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، [٢/١٢٥و] عن أشْياخٍ مِن قومِه ، قالوا : قدِمَ سُوَيْدُ بنُ الصامتِ أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ مكةَ حاجًّا ، أو مُعْتَمِرًا ، وكان سُوَيْدٌ إنَّما يُسَمِّيه قومُه - فيهم - الكاملَ ؛ لجَلَدِه ، وشِعْرِه ، وشَرَفِه ، ونَسَبِه ، وهو الذى يَقولُ :

ألا رُبَّ مَن تَدْعُو صَدِيقًا ولو تَرى ... مَقالَتَه بالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِى[2]

مقالتُه كالشَّهْدِ[3] ما كان شاهدًا ... وبالغَيْبِ مأْثورٌ[4] على ثُغْرةِ النَّحرِ

يَسُرُّك باديه وتحتَ أَدِيمِه ... نميمةُ[5] غِشٍّ تَبْتَرِى[6] عَقَبَ[7] الظَّهْرِ

تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتمٌ ... مِن الغِلِّ والبغضاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ[8]

فَرِشْنى[9] بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنى ... وخيرُ[10] الموالى مَن يَرِيشُ ولا يَبْرِى

قال : فتصدَّى له رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ سَمِعَ به ، فدَعاه إلى اللَّهِ والإسلامِ ، فقال له سُوَيْدٌ : فلعلَّ الذى معَك مِثْلُ الذى معى ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ - ٤٢٧.

(٢) يقال : فَرَى فلانٌ الكذب يَفريه ؛ إذا اختلقه . اللسان (ف ر ى) .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « كالشحم » .

(٤) مأثور : يعنى السيف . انظر الروض الأنف ٤/٦٥.

(٥) فى م ، ص : « تميمة » .

(٦) ابترى العود والقلم والقدح وغيرها : نحته . اللسان (ب ر ى) .

(٧) العقَب من كل شيءٍ : عَصَب المَتْنَين والساقَين والوَظِيفَين . تاج العروس (ع ق ب) .

(٨) نظر شزر : فيه إعراض كنظر المعادى المبغض . اللسان (ش ز ر) .

(٩) يقال : راشه يريشه ، إذا أحسن إليه . وكل من أوليتَه خيرًا فقد رِشتَه . اللسان (ر ى ش) .

(١٠) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « شر » .

« وما الذى معَك ؟ » قال : مَجَلَّةُ لُقْمَانَ - يَعْنِى حِكمةَ لُقْمانَ - . فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : « اعْرِضْهَا عَلَىَّ » فعَرَضَها عليه ، فقالَ : « إنَّ هذا الكلامَ حسنٌ ، والذى معى أفضلُ مِن هذا ؛ قرآنٌ أنْزَلَه اللَّهُ علىَّ ، هو هُدًى ونُورٌ » . فتَلا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ القرآنَ ، ودعَاه إلى الإسلامِ ، فلم يَبْعُدْ منه ، وقال : إنَّ هذا القولَ حسنٌ . ثُم انصَرَفَ عنه فَقَدِمَ المدينةَ على قومِه ، فلم يَلْبَثْ أنْ قتلَتْه الخَزْرَجُ ، فإن كان رجالٌ مِن قومِه لَيقولون : إنَّا لنراهُ قد قُتِلَ وهو مُسْلِمٌ ، وكان قَتْلُه قبلَ بُعَاثَ . وقد روَاه البَيْهقىُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسْحاقَ بأَخْصَرَ مِن هذا .

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٤١٩.

إسلامُ إياسِ بنِ مُعَاذٍ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثَنى الحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ سعدِ ابنِ مُعَاذٍ[2] ، عن محمودِ بنِ لَبيدٍ قال : لَمَّا قَدِمَ أبو[3] الحَيْسَرِ أنسُ بنُ رافعٍ مكةَ ، ومعَه فِتْيَةٌ مِن بنى عبدِ الأَشْهَلِ فيهم إياسُ بنُ مُعَاذٍ ، يَلْتَمِسون الحِلْفَ مِن قُرَيشٍ على قومِهم مِن الخَزْرَجِ ، سمِعَ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأتاهم ، فجلَسَ إليهم فقال لهم : « هَلْ لَكُمْ فِى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ له[4] ؟ » قال : فقالوا : وَمَا ذَاكَ ؟ قال : « أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إلى العِبَادِ ، أَدْعُوهُم إلى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا به شَيْئًا ، وأُنْزِلَ علىَّ الكِتابُ » . ثُم ذَكَرَ لهم الإسلامَ ، وتَلا عليهم القرآنَ . قال : فقال إياسُ ابنُ مُعاذٍ ، وكان غُلامًا حَدَثًا : يا قَوْمِ ، هذا واللَّهِ خَيْرٌ مما جِئْتُم له . قال[5] : فأَخَذَ أبو الحيسرِ أنسُ بنُ رافعٍ حَفْنَةً مِن تُرَابِ البَطْحَاءِ ، فضرَبَ بها وجهَ إياسِ ابنِ مُعاذٍ وقال : دَعْنا منك فَلَعَمْرِى لقد جِئْنا لغيرِ هذا . قال : فصمَتَ إياسٌ ، وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وانصَرَفوا إلى المدينةِ ، وكانَتْ وقعةُ بُعَاثَ بينَ الأوسِ والخزرجِ . قال : ثُمَّ لم يَلْبَثْ إياسُ بنُ مُعَاذٍ [6]أَنْ هَلَكَ[6] . قال محمودُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) بعده فى الأصل : « قال ابن إسحاق حدثنى الحصين » .

(٣) سقط من : ص . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٣١. وأسد الغابة ١/ ١٨٦.

(٤) فى ص : « به » .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥.

ابنُ لَبيدٍ : فَأَخْبَرَنِى مَنْ حَضَره[1] مِنْ قَوْمِهِ أنهم لم يَزالوا يَسْمَعونَه يُهَلِّلُ اللَّهَ ويُكَبِّرُه ويُحَمِّدُه ويُسَبِّحُه حتى ماتَ ، فما كانوا يَشُكُّونَ أنه قد ماتَ مُسْلِمًا ، لقد كانَ اسْتَشْعَرَ الإسلامَ فى ذلك المَجْلِسِ حينَ سَمِعَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما سمِعَ .

قلت : كان يومُ بُعاثَ ، وبُعاثُ [٢/١٢٥ظ] موضعٌ بالمدينةِ ، كانَتْ فيه وَقْعَةٌ عظيمةٌ قُتِلَ فيها خَلْقٌ مِن أشرافِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ وكُبرائِهم ، ولم يَبْقَ مِن شيوخِهم إلا القليلُ .

وقد روَى البُخارىُّ فى « صحيحِه »[2] ، عن عُبَيْدِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبى أُسامةَ[3] ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالَتْ : كان يومُ بُعَاثَ يومًا قدَّمَه اللَّهُ لرسولِه ﷺ ، قدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وقد افتَرَقَ مَلَؤُهم ، وقُتِلَتْ سَرَاتُهم[4] .

[5]وقال أبو زُرْعةَ الرّازىُّ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ »[6] : بابُ إسْلامِ رافعِ بنِ مالكٍ ومعاذِ بن عفراءَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ [7]يَحْيى بنِ محمدِ[7] [8]بنِ عَبّادٍ[8][5]

---

(١) فى م ، ص : « حضرنى » .

(٢) البخارى (٣٧٧٧) .

(٣) فى م : « أمامة » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « سرواتهم » . ولفظ النسخ ، ورد فى حديث (٣٩٣٠) . والسروات جمع سراة بفتح المهملة وتخفيف الراء ، والسراة جمع سرىّ وهو الشريف . فتح البارى ٧/ ١١١ .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ١٤٩ ، عن إبراهيم بن يحيى بن محمد به ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبى : يحيى الشجرى صاحب مناكير .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ا ١٥ : « محمد بن يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٠ .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ا ١٥ . وانظر المصدر السابق .

(١ ابنِ هانئٍ الشَّجَرِيُّ(٢) ، ثنا أبى ، (٣عن ابنِ إسحاقَ٣) ، حدثنى عُبَيْدُ(٤) بنُ يحيى ، عن معاذِ بنِ رِفاعةَ بنِ رافعٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه(٥) أنَّه خرَج هو وابنُ خالتِه معاذُ بنُ عفراءَ حتى قدِما مكةَ ، فلمّا هبَطا من الثَّنِيَّةِ رأَيا رجلًا تحتَ شجرةٍ . قال : وهذا قبلَ خروجِ الستةِ مِن الأنصارِ . قال : فلمّا رأَيْناه كلَّمناه ، قلنا : نَأْتى هذا الرجلَ نَسْتَوْدِعُه راحلَتَيْنا حتى نطوفَ بالبيتِ . فجئنا فسلَّمْنا عليه تسليمَ أهلِ الجاهليَّةِ ، فردَّ علينا تسليمَ أهلِ الإسلامِ ، وقد سمعتُ بالنبىِّ . قال : فأنكَرْنا ، فقلنا : مَن أنت ؟ قال : « انزِلُوا » . فنزَلْنا فقلنا : أين هذا الرجلُ الذى يَدَّعِى ما يَدَّعِى ، ويقولُ ما يقولُ ؟ قال : « أنا هو » . قلنا : فاعْرِضْ علينا الإسلامَ . فعرَض وقال : « مَن خلَق السماواتِ والأرضَ والجبالَ ؟ » قلنا : خلَقَهن اللَّهُ . قال : « مَن خلَقَكم ؟ » قلنا : اللَّهُ . قال : « فمَن عمِلَ هذه الأصنامَ التى تَعْبُدون ؟ » قلنا : نحن . قال : « الخالقُ أحقُّ بالعبادةِ أو المخلوقُ ؟ » (٦قلنا : الخالقُ٦) » . قال : « فأنتم أحقُّ أن تَعْبُدَكم(٧) ، وأنتم عمِلْتُموها ، واللَّهُ أحقُّ أن ١)

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى ا ١٥ : « السجزى » . وانظر المصدر السابق .

(٣ - ٣) ليس فى المستدرك . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٢٠.

(٤) فى المستدرك : « عبد » . وانظر المصدر السابق ٢٨/ ١٢١.

(٥) الحديث فى المستدرك عن رفاعة بن رافع ، والظاهر أنه خطأ ؛ حيث ورد فى رواية أبى زرعة ورواية الحاكم أنهما ابنا خالة ، والظاهر من ترجمة معاذ ورفاعة ، أن أم معاذ هى عفراء بنت عبيد ، وأم رفاعة هى أم مالك بنت أبى بن سلول . وقد وقع فى اسمَىْ رافع ورفاعة الصحابيَّين اختلاف كثير ، والراجح من خلال قول المصنف عقب الحديث : إسناد حسن وسياق حسن ؛ أن الحديث من رواية رافع بن مالك أبى رفاعة . انظر أسد الغابة ٢/١٩٧ - ١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٥/١٩٧ - ٢٠٠، ٧/ ١٩٧. والأوائل للعسكرى ١/ ٢١٥، ٢١٦.

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥.

(٧) فى الأصل ، ا ١٥ : « تعبدوا ربكم » . والمثبت من المستدرك .

[1] تَعْبُدوه مِن شيءٍ عمِلْتُموه ، وأنا أدعو إلى عبادةِ اللَّهِ وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنِّى رسولُ اللَّهِ ، وصلةِ الرحمِ ، وتركِ العدوانِ ، وإن غضِب الناسُ » . فقالا : واللَّهِ لو كان هذا الذى تَدْعُو إليه باطلًا ، لكان مِن معالى الأمورِ ومحاسنِ الأخلاقِ ، فأَمسِكْ راحِلَتَيْنا حتى نَأْتىَ البيتَ . فجلَس عندَه معاذُ بنُ عَفْراءَ . قال رافعٌ : وجئْتُ البيتَ فطُفْتُ وأَخرَجْتُ سبعةَ قِداحٍ ، وجعَلْتُ له منها قِدْحًا فاستقبلتُ البيتَ فقلتُ : اللهم إن كان ما يَدْعُو إليه محمدٌ حقًّا فأخرِجْ قِدْحَه . سبعَ مراتٍ ، فضرَبتُ بها سبعَ مراتٍ فصِحْتُ : أشهَد أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ . فاجْتَمعَ الناسُ علىَّ ، وقالوا : مجنونٌ ، رجلٌ صَبأ . فقلتُ : بل رجلٌ مؤمنٌ . ثم جئتُ إلى النبىِّ ﷺ بأعْلى مكةَ ، فلما رَآنِى معاذُ بنُ عَفْراءَ ، قال : لقد جئْتَ بوجهٍ ما ذهبتَ به ، رافعُ . فجئتُ وآمنتُ ، وعلَّمَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ سورةَ « يوسفَ » و ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ، ثُم خرَجْنا راجعين إلى المدينةِ ، فلمَّا كنّا بالعَقِيقِ قال معاذٌ : إنِّى لم أطْرُقْ ليلًا قطُّ ، فبِتْ بنا حتى نُصْبِحَ . فقلتُ : أبيتُ ومعى ما معى من الخيرِ ؟! ما كنتُ لِأفعلَ . وكان رافعٌ إذا خرَج سَفَرًا ثُم قدِم عَرَّض[2] قومَه . إسنادٌ حسنٌ وسِياقٌ حسنٌ[1] .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) يقال : عرَّضت الرجل ، إذا أهديتَ له ، ومنه العُراضة ، وهى هدية القادم من سفره . النهاية ٣/ ٢١٥.

بابُ بَدْءِ إسلامِ الأنصارِ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا أرادَ اللَّهُ إظْهارَ دينِه[2] ، وإعزازَ نبيِّه ، وإنجازَ مَوْعِدِه له ، خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المَوْسِمِ الذى لقِيَه فيه النَّفَرُ مِن الأنْصارِ ، فعرَضَ نفْسَه على قبائلِ العربِ كما كانَ يَصْنَعُ فى كلِّ مَوْسِمٍ ، فبَيْنا هو عندَ العَقَبَةِ لَقِىَ رَهْطًا مِن الخَزْرَجِ أرادَ اللَّهُ بهم خيْرًا ؛ فحدَّثَنى [٢/١٢٦و] عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، عن أشياخٍ مِن قومِه ، قالوا : لمَّا لَقِيَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لهم : « مَن أنتم ؟ » قالوا : نَفَرٌ مِن الخَزْرَجِ . قال : « أَمِن مَوالى يَهُودَ ؟ » قالوا : نَعَمْ . قال : « أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكم » قالوا : بَلى . فجلَسوا معَه فدَعاهم إلى اللَّهِ ، وعرَضَ عليهم الإسلامَ ، وتَلا عليهم القرآنَ . قال : وكان مما صنَعَ اللَّهُ بهم فى الإسلامِ أنَّ يَهودَ كانوا معَهم فى بِلادِهم ، وكانوا أهلَ كِتابٍ وعِلْمٍ ، وكانوا هم أهلَ شِرْكٍ أصحابَ أوثانٍ ، وكانوا قد عَزُّوهم[3] ببلادِهم ، فكانوا إذا كانَ بيْنَهم شىءٌ قالوا لهم[4] : إنَّ نبيًّا مَبْعوثٌ الآنَ قد أَظَلَّ زمانُه نَتَّبِعُه ، نَقْتُلُكم معَه قَتْلَ عَادٍ وإرَمَ . فلمَّا كَلَّم رَسولُ اللَّهِ ﷺ أولئك النَّفَرَ ودَعاهم إلى اللَّهِ ، قال بعضُهم لبعضٍ : يا قومِ ، تَعْلَمونَ واللَّهِ إنَّه لَلنبىُّ الذى تَوَعَّدَكم به يَهودُ ، فلا يَسْبِقُنَّكُم إليه . فأَجابوه فيما دَعاهم إليه بأنْ صَدَّقُوه ، وقَبِلُوا منه ما عرَضَ عليهم مِن الإسْلامِ ، وقالوا له : إنَّا قد ترَكْنا قَوْمَنا ولا قومَ ، بيْنَهم مِن العَداوةِ والشَّرِّ ما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى الأصل : « عروه » . وفى م : « غزوهم » . وعز فلانا : غلبه وقهره . الوسيط (ع ز ز) .

(٤) سقط من : م ، ص .

بينَهم ، وعسَى أن يَجْمَعَهم اللَّهُ بك ، فسَنَقْدَمُ عليهم فنَدْعوهم إلى أمْرِك ، ونَعْرِضُ عليهم الذى أجَبْناك إليه مِن هذا الدينِ ، فإنْ يَجْمَعْهم اللَّهُ عليك فلا رجُلَ أعَزُّ منك . ثُم انصَرَفوا راجِعينَ إلى بِلادِهم قد آمَنوا وصَدَّقُوا .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وَهُم فيما ذُكِرَ لى ستةُ نَفَرٍ ، كلُّهم مِن الخَزْرَجِ ، وهم : أبو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثعلبةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النجارِ - [2]قال أبو نُعَيْمٍ[3] : وقد قيل : إنَّه أولُ مَن أَسْلَمَ مِن الأنصارِ مِن الخَزْرَجِ ، ومِن الأَوْسِ أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ . وقيل : إنّ أولَ مَن أَسْلَمَ رافعُ بنُ مالكٍ ، ومُعاذُ بنُ عَفْراءَ . واللَّهُ أعلمُ[2] - وعَوْفُ بنُ الحارثِ بنِ رِفاعةَ بنِ سَوادِ ابنِ مالكِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجارِ - وهو ابنُ عَفْراءَ - النَّجَّارِيَّانِ ، ورافعُ بنُ مالكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عمرِو بنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقِيُّ ، وقُطْبةُ بنُ عامرِ[4] بنِ حَدِيدةَ بنِ عمرِو[5] بنِ سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ بنِ سعدِ بنِ عليٍّ [6]بنِ أسدِ[6] بنِ سارِدةَ بنِ تَزِيدَ[7] بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ السَّلَمِيُّ ، ثُم مِن بنى سَوادٍ[8] ، وعُقْبَةُ بنِ عامرِ بنِ نابى بنِ زيدِ بنِ حَرامِ[9] بنِ كَعْبِ[10] بنِ غَنْمٍ[11] السَّلَمِيُّ أيضًا ، ثُم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٩، ٤٣٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ١٥. وهذه العبارة من كلام المصنف ، يعود بعدها السياق إلى السيرة .

(٣) دلائل أبى نعيم (٢٢٦) . وهذا القول جاء فى سياق الخبر .

(٤) فى ا ١٥: « عمرو » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٠٦.

(٥) بعده فى الأصل : « بن تميم » . وبعده فى ا ١٥، م ، ص ، سيرة ابن هشام : « بن غنم » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٠٦. والإصابة ٥/ ٤٤٤.

(٦ - ٦) ليست فى سيرة ابن هشام . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٥٨.

(٧) فى الأصل ، ص : « يزيد » . وانظر المصدر السابق .

(٨) فى ا ١٥، ص : « سوادة » .

(٩) فى ص : « حزام » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٥٤.

(١٠) بعده فى الأصل : « بن تميم بن كعب » . وانظر المصدر السابق .

(١١) فى الأصل ، م ، ص : « سلمة » . وانظر المصدر السابق .

مِن بنى حَرامٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ رِئابٍ[1] بنِ النُّعْمانِ بنِ سِنانِ بنِ [2]عُبَيْدِ ابنِ[2] عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ السَّلَمِيُّ أيضًا ، ثُم مِن بنى عبيدٍ رَضِىَ اللَّهُ عنهم . وهكذا رُوِىَ عن الشَّعْبِىِّ ، والزُّهْرِىِّ وغيرِهما[3] أنَّهم كانوا لَيْلَتَئِذٍ سِتَّةَ نَفَرٍ مِن الخَزْرَجِ .

وذكَرَ موسَى بنُ عُقْبةَ [4]فيما روَاه عن الزُّهْرِىِّ[5][4] ، وعُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ[6] أنَّ أولَ اجتماعِه ، عليه السَّلامُ ، بهم كانوا ثمانيةً وهم : مُعَاذُ بنُ عَفْرَاءَ ، وأَسْعَدُ ابنُ زُرارةَ ، ورافعُ بنُ مالكٍ ، وذَكْوَانُ - وهو ابنُ عبدِ قَيْسٍ - وعُبَادةُ بنُ الصَّامِتِ ، وأبو عبدِ الرحمنِ يزيدُ بنُ ثَعلبةَ ، وأبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ ، وعُوَيْمُ[7] بنُ ساعدةَ . فأَسْلَموا وواعَدوه إلى قابلٍ ، فرجَعوا إلى قومِهم فدَعَوْهم إلى الإسلامِ ، وأرْسَلوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ معاذَ بنَ عَفْرَاءَ ، ورافعَ بنَ مالكٍ ، أن ابْعَثْ إلينا رجلًا يُفَقِّهُنا . فبعَثَ إليهم مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ ، فنزَلَ على أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ ، وذَكَرَ تَمامَ القِصَّةِ كما سيُورِدُها ابنُ إِسْحاقَ أَتَمَّ مِن سِياقِ موسَى بنِ عُقْبةَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إِسْحاقَ[8] : فلمَّا قَدِمُوا المدينةَ إلى قومِهم ، ذَكَروا لهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ودَعَوْهم إلى الإسلامِ حتى فَشَا فيهم ، فلم تَبْقَ دَارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلَّا

---

(١) فى ا ١٥: «ريان» . وانظر أسد الغابة ١/ ٣٠٦.

(٢ - ٢) سقط من: ص . وانظر المصدر السابق .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٢٦) عن الشعبى والزهرى ، مطولًا .

(٤ - ٤) سقط من: ا ١٥.

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٣٠، عن موسى بن عقبة به .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٢٧) بإسناده إلى عروة .

(٧) فى ا ١٥: «عويمر» . وانظر أسد الغابة ٤/ ٣١٥.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣١ - ٤٣٣.

وفيها ذِكْرُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، حتى إذا كان العامُ المُقْبِلُ، وافَى المَوْسِمَ مِن الأَنْصارِ اثْنا عَشَرَ رجلًا، [٢/١٢٦ظ] وهم: أبو أُمَامَةَ أسعدُ بنُ زُرَارَةَ المتقدمُ ذكرُه، وعَوْفُ بنُ الحارثِ المتقدِّمُ، وأخوه معاذٌ وهما ابنا عَفْرَاءَ، ورافعُ بنُ مالكٍ المتقدِّمُ أيضًا، وذَكْوَانُ بنُ عبدِ قَيْسِ بنِ خَلْدَةَ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقِيُّ - قال ابنُ هِشامٍ: وهو أَنْصارِيٌّ مُهاجِرِيٌّ - وعُبَادةُ بنُ الصامتِ بنِ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وحليفُهم أبو عبدِ الرحمنِ يَزيدُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمَةَ[1] بنِ أَصْرَمَ البَلَوِيُّ، والعباسُ بنُ عُبَادَةَ بنِ نَضْلَةَ بنِ مالكِ بنِ العَجْلَانِ بنِ زيدِ[2] بنِ غَنْمِ بنِ سالمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ العَجْلَانِيُّ، وعُقْبةُ بنُ عامرِ بنِ نابِي المتقدِّمُ ذكْرُه[3]، وقُطْبَةُ بنُ عامرِ بنِ حَدِيدَةَ المتقدِّمُ، فهؤلاء عَشَرَةٌ مِن الخَزْرَجِ، ومِن الأَوْسِ اثنان وهما؛ عُوَيْمُ[4] بنُ ساعِدَةَ، وأبو الهَيْثَمِ مالكُ بنُ التَّيِّهانِ. قال ابنُ هِشامٍ: التَّيِّهانُ يُخَفَّفُ ويُثَقَّلُ، كمَيْتٍ ومَيِّتٍ.

قال السُّهَيْلِيُّ[5]: أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، اسمُه مالكُ بنُ مالكِ بنِ عَتِيكِ بنِ عَمرِو بنِ عبدِ الأَعْلَمِ بنِ عامرِ بنِ زَعْوَرِ[6] بنِ جُشَمَ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمرِو ابنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ. قال[7]: وقيل: إنَّه إراشِيٌّ. وقيل: بَلَوِيٌّ. ولهذا[8] لم يَنْسِبْه

---

(١) قال ابن حجر فى الإصابة ٦/ ٦٥٠: خزَمة: بفتح المعجمتين، ضبطه الدارقطنى، وقاله ابن إسحاق والكلبى بسكون الزاى.

(٢) فى م: «يزيد». وانظر أسد الغابة ٣/ ١٦٣.

(٣) زيادة من: ا ١٥.

(٤) فى ا ١٥: «عويمر». وانظر المصدر السابق ٤/ ٣١٥.

(٥) الروض الأنف ٤/ ٩٤، ٩٥.

(٦) فى ا ١٥: «وعر». وفى م: «زعون».

(٧) أى فى الروض ٤/ ٩٥، ٩٦.

(٨) فى الأصل، م، ص: «وهذا».

ابنُ إسحاقَ ولا ابنُ هشامٍ. قال[1]: والهَيْثَمُ فرْخُ[2] العُقابِ، وضَرْبٌ مِن النباتِ.

والمقصودُ أنَّ هؤلاء الاثْنَيْ عَشَرَ رجلًا شَهِدُوا المَوْسِمَ عامَئِذٍ، وعَزَموا على الاجتماعِ برسولِ اللَّهِ ﷺ، فلَقُوه بالعَقَبَةِ، فبايَعُوه عندَها بَيْعَةَ النِّساءِ، وهى العَقبةُ الأُولى. وروَى أبو نُعَيْمٍ[3]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأ عليهم مِن قولِه تعالى فى سورةِ «إبراهيمَ»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] إلى آخِرِها. وقال ابنُ إسحاقَ[4]: حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ، عن[5] مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عُسَيْلَةَ الصُّنابِحِىِّ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ قال: كنتُ مِمَّن حَضَر العَقَبَةَ الأُولى، وكنَّا اثْنَيْ عشَرَ رجلًا، فبايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ على بَيْعةِ النِّساءِ، وذلك قبلَ أن تُفْتَرَضَ الحربُ، على أن لا نُشْرِكَ باللَّهِ شيئًا، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِىَ، ولا نَقْتُلَ أولادَنا، ولا نَأْتِىَ ببُهْتانٍ نَفْتَرِيهِ بينَ أيدينا وأرجُلِنا، ولا نَعْصِيَه فى معروفٍ، «فإنْ وَفَيْتُم، فلكم الجنَّةُ، وإن غَشِيتُم[6] مِن ذلك شيئًا، فأَمْرُكم إلى اللَّهِ، إن شاءَ عَذَّبَ، وإن شاءَ غَفَرَ». وقد روَى البُخارىُّ، ومسلمٌ[7] هذا الحديثَ مِن طريقِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ به نحوَه.

قال ابنُ إسْحاقَ[8]: وذَكَر ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِىُّ، عن عائِذِ اللَّهِ[9] بنِ عبدِ اللَّهِ[9]

---

(١) فى الروض ٤/ ٩٦.

(٢) بعده فى الروض: «النسر أو».

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٧٢، ٣٧٣، وعنده أنهم كانوا ستة نفر.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٣.

(٥) بعده فى السيرة: «أبى». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧، ١٧/ ٢٨٢.

(٦) أى قصدتم وباشرتم.

(٧) البخارى (٣٨٩٣، ٦٨٧٣). ومسلم (١٧٠٩).

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤.

(٩ - ٩) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٨٨.

أبى[1] إدريسَ الخَوْلانِىِّ ، أنَّ عُبادةَ بنَ الصَّامتِ حَدَّثَه أنَّه قال : بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبةِ الأُولى ، أن لَا نُشْرِكَ باللَّهِ شيئًا ، ولا نَسْرِقَ ، ولا نَزْنِىَ ، ولا نَقْتُلَ أولادَنا ، ولا نَأْتِىَ ببُهْتانٍ نَفْتَرِيه بينَ أَيْدِينا وأَرْجُلِنا ، ولا نَعْصِيَه فى معروفٍ ، « فإن وَفَيْتُم فلكم الجَنَّةُ ، وإن غَشِيتُم مِن ذلك شيئًا ، فَأُخِذْتم بِحَدِّه[2] فى الدنيا ، فهو كَفَّارةٌ له ، وإن سُتِرْتُم عليه إلى يومِ القِيامةِ ، فأمْرُكم إلى اللَّهِ ؛ إن شاءَ عَذَّبَ وَإِن شاء غَفَرَ » . وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحَيْن »[3] وغيرِهما[4] مِن طُرُقٍ ، عن الزُّهْرِىِّ به نَحْوَه . وقولُه : على بَيْعةِ النِّساءِ . يعنى على وَفْقِ ما نَزَلَتْ عليه بيعةُ النِّساءِ بعدَ ذلك عامَ الحُدَيْبِيَةِ ، وكان هذا مِمَّا نَزَل على وَفقِ ما بايَع عليه أصحابُه ليلةَ العَقَبةِ ، وليس هذا بعَجِيبٍ ؛ فإنَّ القرآنَ نَزَل بمُوافقةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ فى غيرِ ما مَوْطِنٍ ، كما بيَّنَّاه فى « سِيرتِه » ، وفى « التفسيرِ »[5] ، وإن كانتْ هذه البَيْعةُ [٢/١٢٧و] وَقَعَتْ عن وَحْيٍ غيرِ مَتْلُوٍّ ، فهو أظْهَرُ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فلمَّا انْصَرَف عنه القومُ ، بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ معهم مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدَّارِ بنِ قُصَىٍّ ، وأمَرَه أن يُقرِئَهم القرآنَ ، ويُعلِّمَهم الإسلامَ ، ويُفَقِّهَهم فى الدِّينِ . وقد روَى البَيْهَقِىُّ[7] ،

---

(١) فى الأصل ، ١ ١٥ : « بن » . وانظر المصدر السابق .

(٢) فى الأصل : « بحد » .

(٣) سقط من: الأصل . والحديث أخرجه البخارى (١٨) . ومسلم (١٧٠٩) .

(٤) الترمذى (١٤٣٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١١٦٥) . والنسائى (٤١٨٩) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٩٤) .

(٥) التفسير ٣/ ٥٥٨، ٤/ ٣٢.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤.

(٧) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣٧.

عن ابنِ إسحاقَ ، قال : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ إنَّما بَعَث مُصعَبًا حينَ كَتَبوا إليه أن يَبْعَثَه إليهم . وهو الذى ذَكَرَه موسى بنُ عُقْبَةَ ، كما تَقَدَّمَ[1] ، إلَّا أنَّه جَعَل المرَّةَ الثانيةَ هى الأُولى . قال البَيْهَقِىُّ[2] : وسِياقُ ابنِ إسحاقَ أتَمُّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ يقولُ : لا أَدرِى ما العَقَبَةُ الأُولى . ثُم يقولُ ابنُ إسحاقَ[4] : بلى لَعَمْرِى قد كانتْ عَقَبَةٌ وعقبةٌ . قالوا كلُّهم[5] : فنَزَل مُصْعبٌ على أَسعدَ بنِ زُرارَةَ ، فكان يُسَمَّى بالمدينةِ المُقْرِئَ . قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عُمرَ بنِ قَتادَةَ ، أنَّه كان يُصَلِّى بهم ؛ وذلك أنَّ الأَوْسَ والخَزْرَجَ كَرِه بعضُهم أن يَؤُمَّه بعضٌ ، رَضِى اللَّهُ عنهم أَجمعين . قال ابنُ إسحاقَ[7] : وحدَّثنى محمدُ بنُ أبى أُمامَةَ بنِ سَهْلِ[8] بنِ حُنَيْفٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، قال : كنتُ قائدَ أبى حينَ ذَهَب بصرُه ، فكُنتُ إذا خَرَجْتُ به إلى الجمعةِ ، فسَمِع الأذانَ بها ، صَلَّى على أبى أُمامَةَ أسعدَ بنِ زُرارَةَ . قال : فمَكَث حِينًا على ذلك لا يَسْمَعُ الأذانَ للجمعةِ إلَّا صَلَّى عليه واستَغْفَرَ له . قال : فقلتُ فى نفسى : واللَّهِ إنَّ هذا بى لَعَجْزٌ ؛ ألَّا أَسأَلَه . فقلتُ : يا أبتِ ، ما لك إذا سَمِعتَ الأذانَ للجمعةِ ، صَلَّيْتَ على أبى

---

(١) تقدم صفحة ٣٧٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٣٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤. والدلائل للبيهقى ٢/ ٤٣١، ٤٣٧.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٥.

(٨) فى الأصل : «سهيل» . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٠١.

أُمامةَ ؟ فقال : أىْ بُنَىَّ ، كان أوَّلَ مَن جَمَّع بنا بالمدينةِ فى هَزْمِ[1] النَّبِيتِ[2] مِن حَرَّةِ بنى بَياضَةَ ، فى نَقِيعٍ[3] يُقالُ له : نقيعُ الخَضِماتِ[4] . قال : قلتُ : وكم أنتم يومَئِذٍ ؟ قال : أربعونَ رجلًا . وقد روَى هذا الحديثَ أبو داودَ ، وابنُ ماجَه[5] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، رَحِمه اللَّهُ . وقد روَى الدَّارَقطْنِىُّ[6] ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَتَب إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ يَأمرُه بإقامةِ الجمعةِ . وفى إسنادِه غَرابَةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسْحاقَ[7] : وحدَّثَنى عبيدُ اللَّهِ بنُ المُغِيرَةِ بنِ مُعَيْقِيبٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، أنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرَارةَ خرَج بمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، يريدُ به دارَ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ودارَ بنى ظَفَرٍ ، وكان سَعْدُ بنُ مُعاذٍ ابنَ خالةِ أَسْعَدَ بنِ زُرَارةَ ، فدخَل به حائطًا مِن حوائطِ بنى ظَفَرٍ ، على بئْرٍ يقالُ له :

---

(١) الهزم : ما اطمأنَّ من الأرض . القاموس المحيط (هـ ز م) .

(٢) فى الأصل ، ١ ١٥ : « الحرة » .

(٣) هنا وفيما يأتى فى م ، ص : « بقيع » .

(٤) قال فى معجم البلدان - بعد ذكره تفصيل الخلاف بين « بقيع » و « نقيع » ، و « هزم من حرة بنى بياضة » و « هزم النبيت » - : « ثم قرأت فى كتاب الروض الأنف ... فقال : وذكر ابن إسحاق أنه جمَّع بهم أبو أمامة عند هزم النبيت ؛ جبلٍ على بريد من المدينة . فى هذا خلافان ؛ قوله : النبيت . وكلهم قال : بياضة . وقوله : جبل . والهزم ، بإجماع أهل اللغة : المنخفض من الأرض . وذكر بعض أهل المغاربة فى حاشية كتابه قولًا حسنًا جمع بين القولين ، فإن صح فهو المعمول عليه ، قال : جمع بنا فى هزم بنى النبيت من حرة بنى بياضة ، فى نقيع يقال له : نقيع الخضمات ، قلت : والنبيت بطن من الأنصار ، وهو عمرو بن مالك بن الأوس ، وبياضة أيضًا بطن من الأنصار ، وهو بياضة بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة ابن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج » . معجم البلدان ٤/ ٩٧٢، ٩٧٣. وانظر ما أشار إليه فى الروض ٤/ ٩٩، ١٠٠.

(٥) أبو داود (١٠٦٩) . وابن ماجه (١٠٨٢) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٩٤٤) .

(٦) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٤/ ١٠١، ١٠٢.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٥، ٤٣٦.

بئرُ مَرَقٍ . فجلَسَا فى الحائطِ ، واجْتَمَعَ إليهما رجالٌ ممَّن أَسْلَمَ ، وسَعْدُ بنُ مُعاذٍ وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ يومَئذٍ سيِّدَا قومِهِما مِن بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، وكِلاهما مشركٌ على دِينِ قومِه ، فلمَّا سَمِعَا به ، قال سَعْدٌ لأُسَيْدٍ : لا أَبَا لَكَ ، انطَلِقْ إلى هذينِ الرجُلَيْنِ اللذَيْن قد أَتَيا دارَيْنا ليُسَفِّها ضعفاءَنا فازْجُرْهما ، وانْهَهُما عن أنْ يَأْتِيا دارَيْنا ، فإنَّه لولا أَسْعَدُ بنُ زُرَارةَ منى حيثُ قد عَلِمْتَ ، كفَيْتُك ذلك ، هو ابنُ خالتى ولا أَجِدُ عليه مُقَدَّمًا . قال : فأخَذ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَه ثُم أَقْبَلَ إليهما ، فلمَّا رآه أَسْعَدُ بنُ زُرَارةَ قال لِمُصْعَبٍ : هذا سيدُ قومِه ، وقد جاءَكَ ، فاصْدُقِ اللَّهَ فيه . قال مُصْعَبٌ : إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْه . قال : فوقَف عليهما مُتَشَتِّمًا فقال : ما جاءَ بكما إلينا تُسَفِّهان ضُعفاءَنا ؟ اعْتَزِلَانا إنْ كانت لكما [٢/١٢٧ظ] بأَنفُسِكما حاجةٌ .

وقال موسَى بنُ عُقْبَةَ[1] : فقال له : عَلَامَ[2] أَتَيْتَنا فى دُورِنا بهذا الوحيدِ[3] الغريبِ الطَّريدِ ، يُسَفِّهُ[4] ضُعفاءَنا بالباطلِ ويَدْعُوهم إليه ؟! قال ابنُ إسْحاقَ[5] : فقال له مُصْعَبٌ : أَوَ تَجْلِسُ فتَسْمَعَ ، فإنْ رَضِيتَ أمرًا قَبِلْتَه ، وإنْ كَرِهْتَه ، كُفَّ عنك ما تَكْرَهُ . قال : أَنْصَفْتَ . قال : ثُم ركَز حربتَه وجلَس إليهما ، فكَلَّمَه مُصْعَبٌ بالإسلامِ ، وقرَأ عليه القرآنَ ، فقالا فيما يُذْكَرُ عنهما : واللَّهِ لَعَرَفْنا فى وجهِه الإسلامَ قبلَ أنْ يَتَكَلَّمَ ، فى إشراقِه وتَسَهُّلِه ، ثُم قال : ما أحسنَ هذا وأجملَه ، كيف تَصْنَعون إذا أَرَدْتُم أنْ تَدْخُلوا فى هذا الدينِ ؟ قالا له : تَغْتَسِلُ

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) فى م، ص : « غلام » .

(٣) فى ا ١٥: « الرجل » . وفى م، ص : « الرعيد » .

(٤) فى م : « ليتسفه » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٦، ٤٣٧.

فتَطَهَّرْ، وتُطَهِّرْ ثَوْبَيْك، ثُم تَشْهَدُ شهادةَ الحقِّ، ثُم تُصَلِّى. فقامَ فاغْتَسَلَ، وطَهَّرَ ثَوْبَيْه، وتَشَهَّدَ شهادةَ الحقِّ، ثُم قامَ فركَع ركعتين، ثُم قال لهما: إنَّ ورائِى رجُلًا إنِ اتَّبَعَكما لم يَتَخَلَّفْ عنه أحدٌ مِن قومِه، وسأُرْسِلُه إليكما الآنَ؛ سعدَ بنَ مُعَاذٍ. ثُم أخَذ حربتَه وانصَرَفَ إلى سعْدٍ وقومِه وهم جلوسٌ فى نادِيهم، فلمَّا نظَر إليه سعدُ بنُ مُعاذٍ مُقْبِلًا قال: أَحْلِفُ باللَّهِ، لقد جاءَكم أُسَيْدٌ بغيرِ الوجهِ الذى ذهَب به مِن عندِكم. فلمَّا وقَف على النادى قال له سعدٌ: ما فعَلْتَ؟ قال: كَلَّمْتُ الرجُلَيْنِ، فواللَّهِ ما رأَيْتُ بهما بَأْسًا، وقد نهَيْتُهما فقالا: نَفْعَلُ ما أحْبَبْتَ. وقد حُدِّثْتُ أنَّ بنى حارِثَةَ قد خرَجوا إلى أسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ ليَقْتُلُوه؛ وذلك أنَّهم عرَفوا أنَّه ابنُ خالتِك ليُخْفِروكَ[1]. قال: فقامَ سعدُ بنُ مُعاذٍ مُغْضَبًا مُبادِرًا؛ تَخَوُّفًا[2] للذى ذُكِرَ له مِن بنى حارثةَ، وأخَذ الحربةَ فى يدِه ثُم قال: واللَّهِ ما أَرَاك أغنَيْتَ شيئًا. ثُم خرَج إليهما، فلمَّا رآهما سعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عرَف أنَّ أُسَيْدًا إنَّما أرادَ منه[3] أنْ يَسْمَعَ مِنهما، فوقَف عليهما[4] مُتَشَتِّمًا، ثُم قال لأَسْعَدَ بنِ زُرارَةَ: يا أبا أُمامةَ، واللَّهِ لولا ما بَيْنى وبَيْنَك مِن القرابةِ ما رُمْتَ هذا مِنى، أتَغْشانا فى دارَيْنا بما نَكْرَهُ؟! قال: وقد قال أَسْعَدُ لمُصْعَبٍ: جاءَك واللَّهِ سيدٌ مِن ورائِه قومُه، إنْ يَتَّبِعْك لا يَتَخَلَّفْ عنك منهم اثنانِ. قال: فقال له مُصْعَبٌ: أوَ تَقْعُدُ فتَسْمَعَ، فإنْ رَضِيتَ أمرًا ورَغِبْتَ فيه قَبِلْتَه، وإنْ كَرِهْتَه عَزَلْنا عنك ما تَكْرَهُ. قال سَعْدٌ: أنْصَفْتَ. ثُم ركَزَ الحربةَ وجلَسَ، فعرَض عليه الإسلامَ، وقرَأ عليه القرآنَ - وذكَر موسَى بنُ عقبةَ[5] أنه

---

(١) فى م: «ليحقروك». وأخفره: نقض عهده وغدر به. الوسيط (خ ف ر).

(٢) فى م، ص: «مخوفا».

(٣) سقط من النسخ. وأثبتناه من السيرة ليستقيم السياق.

(٤) سقط من: م، ص.

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣٢.

قرأ عليه أولَ « الزُّخْرُفِ » - قال : فعرَفْنا واللَّهِ فى وجهِه الإسلامَ قبلَ أنْ يَتَكَلَّمَ ؛ لإشراقِه وتَسَهُّلِه ، ثُم قال لهما : كيف تَصْنَعون إذا أنتم أَسْلَمْتُم ودخَلْتُم فى هذا الدينِ ؟ قالا : تَغْتَسِلُ فتَطَّهَّرُ وتُطَهِّرُ ثَوْبَيْك ، ثُم تَشْهَدُ شهادةَ الحقِّ ، ثُم تُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ . قال : فقامَ فاغْتَسَلَ ، وطَهَّرَ ثَوْبَيْه ، وشَهِدَ شهادةَ الحقِّ ، ثُم ركَع رَكْعَتَيْنِ ، ثُم أخَذ حربتَه ، فأقبَلَ عامدًا[1] إلى نادى قومِه ومعه أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ ، فلمّا رآه قومُه مقبِلًا قالوا : نَحْلِفُ باللَّهِ ، لقد رجَع إليكم سَعْدٌ بغيرِ الوجهِ الذى ذهَب به مِن عندِكم . فلمَّا وقَفَ عليهم قال : يا بَنِى عبدِ الأَشْهَلِ ، كيف تَعْلَمون أَمْرى فيكم ؟ قالوا : سيدُنا ، وأفضلُنا رأيًا ، وأَيْمَنُنا نَقِيبَةً . قال : فإنَّ كلامَ رجالِكم ونسائِكم علىَّ حرامٌ حتى تُؤْمِنوا باللَّهِ ورسولِه . قال : فواللَّهِ ما أَمْسَى فى دارِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ رجلٌ ولا امرأةٌ إلّا مسلمًا أو مسلمةً ، ورجَع أَسْعَدُ[2] [٢/١٢٨و] ومُصْعَبٌ إلى منزلِ أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ ، [3]فأقامَ عندَه يَدْعُو[3] الناسَ إلى الإسلامِ ، حتى لم تَبْقَ دارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلّا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون ، إلّا ما كان مِن دارِ بنى أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ ، وخَطْمَةَ ، ووائلٍ ، وواقِفٍ ، وتلك أَوْسٌ ، وهم مِن الأَوْسِ بنِ حارِثَةَ ، وذلك أنَّهم كان فيهم أبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ واسمُه صَيْفِىٌّ . وقال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ : اسمُه الحارِثُ ، وقيل : عبدُ اللَّهِ[4] . واسمُ أبيه الأَسْلَتِ : عامرُ بنُ جُشَمَ بنِ وائلِ بنِ زيدِ بنِ قيسِ بنِ عامرِ بنِ مُرَّةَ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ[5] . وكذا نَسَبَه ابنُ[6] الكَلْبِىِّ أيضًا[7] . وكان شاعرًا لهم ، قائدًا يَسْتَمِعون

---

(١) فى م : « عائدا » .

(٢) فى م ، ص : « سعد » .

(٣ - ٣) فى م : « فأقاما عنده يدعوان » .

(٤) فى م ، ص : « عبيد الله » .

(٥) انظر قول الزبير بتمامه فى أسد الغابة ٣/ ٤٠، ٦/ ٢٥٦.

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٦٤٦، ٦٤٧.

منه ويُطِيعُونَه ، فوقَف بهم عن الإسلامِ ، حتى كان بعدَ الخَنْدَقِ .

قلتُ : وأبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ هذا ، ذكَر له ابنُ إسْحاقَ أشْعارًا رَبَّانِيَّةً[1] حَسَنةً ، تَقْرُبُ مِن أشعارِ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ .

قال ابنُ إسحاقَ فيما تَقَدَّمَ[2] : ولمَّا انتَشَرَ أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى العربِ وبلَغ البُلْدانَ ، ذُكِرَ بالمدينةِ ، ولم يكنْ حىٌّ مِن العربِ أعلمَ بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - حينَ ذُكِرَ وقبلَ أنْ يُذْكَرَ - مِن هذا الحىِّ مِن الأَوْسِ والخَزْرَجِ ؛ وذلك لِمَا كانوا يَسْمَعون مِن أحبارِ يَهُودَ ، فلمَّا وقَع أمرُه بالمدينةِ وتَحَدَّثوا بما بينَ قريشٍ فيه مِن الاختلافِ ، قال أبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ أخو بنى واقِفٍ - [3]قال السُّهَيْلِيُّ[4] : هو أبو قَيْسِ صِرْمَةُ بنُ أبى أَنَسٍ ، واسمُ أبى أَنَسٍ قَيْسُ بنُ صِرْمَةَ ابنِ مالكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجَّارِ . قال[5] : وهو الذى أُنزِلَ فيه وفى عُمَرَ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ الآيةَ [البقرة : ١٨٧] .

قال ابنُ إسحاقَ[3(6)] : وكان يُحِبُّ قريشًا ، وكان لهم صِهْرًا ، كانت تحتَه

---

(١) فى م : « بائية » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وهذا الجزء مقحم من شرح السهيلى على ترجمة أبى قيس صرمة بن أبى أنس التى أوردها ابن هشام فى السيرة ١/ ٥١٠. فإن أبا قيس صرمة ليس هو المقصود فى سياق رواية ابن إسحاق التى بين أيدينا ، وإنما المقصود هو أبو قيس - صيفى - ابن الأسلت أخو بنى واقف ، واسم الأسلت : عامر ، كما ذكر ذلك السهيلى فى موضعه من الروض ٣/ ١٠٧، ١٠٨.

والسياق بدون الجزء المقحم مستقيم ، وإنما أردنا إثباته لما سيأتى من كلام المصنف حين يخلط - رحمه الله - بين سياقات ابن إسحاق فى السيرة والتى ينقلها المصنف من ترجمة أبى قيس بن الأسلت فى بابنا هذا « بدء إسلام الأنصار » ، وأبى قيس صرمة بن أبى أنس .

(٤) الروض الأنف ٤/ ٣٨٩ .

(٥) أى السهيلى .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٣ - ٢٨٦.

أَرْنَبُ بنتُ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ ، وكان يُقِيمُ عندَهم السنينَ بامرأتِه - قال قصيدةً يُعَظِّمُ فيها الحُرْمَةَ ، ويَنْهَى قريشًا فيها عن الحربِ ، ويَذْكُرُ فَضْلَهم وأَحْلامَهم ، ويُذَكِّرُهم بلاءَ اللَّهَ عندَهم ، ودَفْعَه عنهم الفيلَ وكيدَه ، ويَأْمُرُهم بالكَفِّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ :

أيا[1] راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... مُغَلْغَلَةً[2] عنى لُؤَيَّ بنَ غالِبِ

رسولَ امرئٍ قد راعَه ذاتُ بينِكم ... على النَّأْيِ محزونٍ بذلك ناصبِ

وقد كان عندى للهمومِ مُعَرَّسٌ[3] ... ولم أَقْضِ منها حاجتى ومَآربى

نُبَيِّتُكمْ[4] شَرْجَيْنِ كُلُّ قبيلةٍ ... لها أَزْمَلٌ مِن بينِ مُذْكٍ وحاطبِ[5]

أُعِيذُكمُ باللَّهِ مِن شَرِّ صُنْعِكمْ ... وشرِّ تَباغِيكمْ ودَسِّ العقاربِ

وإظهارِ أخلاقٍ ونَجْوَى سَقِيمَةٍ ... كوَخْزِ الأَشافِى[6] وَقْعُها حَقُّ صائبِ

فذَكِّرْهمُ باللَّهِ أولَ وَهْلَةٍ ... وإحلالِ إحرامِ الظِّباءِ الشَّوازِبِ[7]

---

(١) فى النسخ والسيرة : « يا » . والمثبت ليستقيم الوزن .

(٢) المغلغلة : الرسالة محمولة من بلد إلى بلد . القاموس المحيط (غ ل ل) .

(٣) المعرس : موضع نزول القوم فى آخر الليل للاستراحة . القاموس المحيط (ع ر س) .

(٤) فى الأصل ، ا ١٥ : « يبينكم » . وفى ص : « ينبئكم » .

(٥) شرجين : فريقين مختلفين . الأزمل : الصوت . المذكى : الذى يوقد النار . الحاطب : الذى يحطب لها . ضُرِب هذا مثلا لنار الحرب . الروض الأنف ٣/ ١٠٨، ١٠٩.

(٦) الأشافى : جمع إشْفَى ، وهو مِخْرَز الإسكاف .

(٧) قال السهيلى فى قوله : وإحلال إحرام الظباء الشوازب : أى إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التى تأتيه من بُعْد لتأمن فيه ، فهى شازبة ، أى ضامرة من بُعد المسافة ، فإذا لم تحلوا بالظباء فيه ، فأحرى ألا تحلوا بدمائكم . الروض الأنف ٣/ ١٠٩، ١١٠.

وقُلْ لهمُ واللَّهُ يَحْكُمُ حُكْمَه ... ذَرُوا الحربَ تَذْهَبْ عنكمُ فى المَرَاحِبِ[1]

متى تَبْعَثوها تَبْعَثوها ذَمِيمَةً ... هى الغُولُ[2] للأقصَيْنَ أو للأقاربِ

تُقَطِّعُ أرْحامًا وتُهْلِكُ أُمَّةً ... وتَبْرِى السَّدِيفَ مِن سَنامٍ وغارِبِ[3]

وتَسْتَبْدِلوا بالأَتْحَمِيَّةِ بعدَها ... شَلِيلًا وأَصْدَاءً ثيابَ المُحارِبِ[4]

وبالمِسْكِ والكافورِ غُبْرًا سَوابِغًا ... كأَنَّ قَتِيرَيْها عيونُ الجنادبِ[5]

[٢/١٢٨ظ] فإياكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم ... وحَوْضًا وَخِيمَ الماءِ مُرَّ المَشارِبِ

تَزَيَّنُ للأقوامِ ثُم يَرَوْنَها ... بعاقبةٍ إذ بُيِّنَتْ[6] أُمَّ صاحبِ

تُحَرِّقُ لا تُشْوِى ضَعيفًا وتَنْتَحِى ... ذوِى العزِّ منكم بالحُتُوفِ الصوائبِ[7]

ألم تَعْلَموا ما كان فى حربِ داحِسٍ ... فَتَعْتَبِروا أو كان فى حربِ حاطبِ

---

(١) فى م: «المراجب». والمراحب: من الرُّحْب والرَّحابة، أى السَّعة، ويعنى هنا بالمراحب: الأماكن الواسعة، يقول: دعوا الحرب بعيدًا عنكم، ولا تكتووا بويلاتها.

(٢) قال ابن السِّكِّيت: كل ما أهلك الإنسانَ فهو غُول. اللسان (غ و ل).

(٣) تبرى: تنحت. السديف: شحم السنام. والغارب: الكاهل، أو ما بين السنام والعنق. القاموس (س د ف)، (غ ر ب).

(٤) الأتحمية: ثياب رقاق تصنع باليمن. الشليل: درع قصيرة. الأصداء: جمع صدأ الحديد. الروض الأنف ٣/ ١١٠.

(٥) السوابغ: الدروع الواسعة. والمفرد سابغة. انظر اللسان (س ب غ). والقتير: مسامير الدرع. اللسان (ق ت ر). والجنادب: جمع جُنْدَب؛ وهو الذكر من الجراد. اللسان (ج د ب). يذكِّرهم إن دخلوا الحرب بأنهم سيستبدلون بالمسك والكافور - تعبيرًا عن الحياة العادية والسلم - الدروع الغبر ذات المسامير التى تشبه عيون ذكر الجراد.

(٦) فى م: «بيتت». وبينت: اتضحت. وأم صاحب: أى عجوزا كأم صاحب لك، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجلٌ فى سنه. الروض الأنف ٣/ ١١١.

(٧) لا تشوى: من الشَّوَى. والشوى: إخطاء المقتل. اللسان (ش و ى). وتنتحى: أى تقصدهم. انظر اللسان (ن ح و).

وكم قد أصَابَتْ مِن شريفٍ مُسَوَّدٍ ... طويلِ العِمادِ ضَيْفُه غيرُ خائبِ

عظيمِ رَمادِ النارِ يُحمَدُ أمْرُه ... وذى شِيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المضاربِ[1]

وماءٍ هُريقَ فى الضَّلالِ كأنَّما ... أذاعَتْ به ريحُ الصَّبا والجنائبِ[2]

يُخَبِّرُكُمْ عنها امرؤٌ حَقٌّ عالمٍ ... بأيامِها والعلمُ عِلمُ التجاربِ

فبِيعوا الحِرابَ مِلْمُحارِبٍ واذْكُروا ... حسابَكمُ واللَّهُ خيرُ محاسِبِ

ولِىُّ امرئٍ فاختارَ دِينًا فلا يَكُنْ ... عليكم رَقيبٌ غيرُ رَبِّ الثواقبِ

أقيموا لَنا دِينًا حنيفًا فأَنتمُ ... لنا غايةٌ قد يُهْتَدَى بالذوائبِ[3]

وأنتمْ لهذا الناسِ نورٌ وعِصمةٌ ... تُؤَمُّون والأحلامُ غيرُ عوازِبِ

وأنتم إذا ما حُصِّلَ[4] الناسُ جَوْهَرٌ ... لكم سُرَّةُ[5] البَطْحاءِ شُمُّ الأَرانبِ[6]

تَصُونُون أجسادًا[7] كِرامًا عَتِيقَةً ... مُهَذَّبَةَ الأنْسابِ غيرَ أشائِبِ[8]

تَرَى[9] طالبَ الحاجاتِ نَحْوَ بُيُوتِكمْ ... عصائبَ[10] هَلْكَى تَهْتَدِى بعَصائِبِ

---

(١) المضارب : السيوف .

(٢) هريق : أريق . والجنائب : جمع جنوب وهى ريح تقابل ريح الصبا .

(٣) الذوائب : جمع ذُؤابة ، وهى من كل شىء أعلاه .

(٤) حصَّل الشىء والأمر : خلَّصه وميَّزه من غيره .

(٥) السُّرَّة : أكرم موضع فى المكان . يعنى أن لهم أفضل موضع فى البطحاء .

(٦) الشمُّ : جمع الأشَمّ ، وهو المرتفع . والأرانب : جمع أرنبة ، ويعنى بها هنا أرنبة الأنف وهى طرفه . يصفهم بأنهم ذوو مكانة عالية .

(٧) فى الأصل : « أجسامًا » . وفى م ، ص : « أنسابًا » .

(٨) أشائب : من شاب الشىءَ بالشىء ؛ إذا خَلَطه . يعنى أن أنسابهم نقية خالصة من الاختلاط بغيرها .

(٩) فى الأصل ، م : « يرى » .

(١٠) العصائب : جمع عِصابة ؛ وهى الجماعة من الناس .

لقد عَلِمَ الأَقوامُ أنَّ سَراتَكمْ[1] على كُلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجَباجِبِ[2]

وأفْضَلُه رَأْيًا وأعْلاهُ سُنَّةً وأقْوَلُه للحقِّ وَسْطَ المَواكِبِ

فقُوموا فَصَلُّوا ربَّكمْ وتَمَسَّحُوا بأرْكانِ هذا البيتِ بينَ الأخاشِبِ[3]

فعِندَكُمُ منه بَلاءٌ ومَصْدَقٌ غَداةَ أبى يَكْسُومَ[4] هادى الكَتائِبِ[5]

كَتِيبَتُه بالسَّهْلِ تُمْسِى[6] ورَجْلُهُ[7] على القاذِفاتِ[8] فى رُءُوسِ المَناقِبِ[9]

فلمَّا أَتاكم نَصْرُ ذى العَرْشِ رَدَّهمْ جُنودُ المَلِيكِ بينَ سافٍ وحاصِبِ[10]

فوَلَّوْا سِراعًا هارِبين ولم يَؤُبْ إلى أَهْلِهِ مِلحُبْشِ[11] غيرُ عَصائِبِ

فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهلِكْ وتَهلِكْ مَواسِمٌ يُعاشُ بها قولُ امْرِئٍ غيرِ كاذِبِ

وحَرْبُ داحِسٍ الذى ذَكَرَها أبو قيسٍ فى شِعْرِه، كانتْ فى زمنِ الجاهِلِيَّةِ مشهورةً، وكان سببَها فيما ذكَرَه [12]أبو عُبَيْدَةَ[12] مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[13] وغيرُه، أنَّ

---

(١) سراتكم: السَّراة من السَّرْو؛ وهو المروءة والشرف. يعنى بهم سادتهم وأشرافهم.

(٢) الجباجب: منازل منى. الروض الأنف ٣/ ١١٢.

(٣) الأخاشب: جبلا مكة؛ أبو قبيس والأحمر، وجبلا منى.

(٤) أبو يكسوم هو أبرهة الحبشى.

(٥) فى الأصل: «المكاتب».

(٦) فى م: «تمشى».

(٧) الرجل: المشاة على أرجلهم.

(٨) القاذفات: أعالى الجبال ونواحيها البعيدة.

(٩) المناقب: جبل فيه ثنايا وطرق إلى اليمامة واليمن وغيرها. واسم طريق الطائف من مكة. القاموس المحيط (ن ق ب).

(١٠) السافى: هو من غطّاه السَّفى؛ أى التراب. والحاصب: من أصابته الحصبة؛ أى الحجارة.

(١١) أى: مِن الحُبْش.

(١٢ - ١٢) سقط من: ا ١٥. وفى م: «أبو عبيد».

(١٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.

فرسًا يُقالُ له : داحِسٌ . كانتْ لقَيْسِ بنِ زُهَيْرِ بنِ جَذِيمَةَ [٢/ ١٢٩و] بنِ رَواحَةَ الغَطَفَانىِّ ، أَجْراه مع فرسِ لحُذَيْفَةَ بنِ بدرِ بنِ عَمرِو[(١)] بنِ جُؤَيَّةَ[(٢)] الغَطَفانىِّ أيضًا ، يُقالُ لها : الغَبْراءُ . فجاءتْ داحسٌ سابِقًا ، فأمَرَ حُذَيفةُ مَن ضَرَب وجهَه ، فوَثَب مالكُ بنُ زُهَيْرٍ فلَطَم وجهَ الغَبْراءِ ، فقامَ حَمَلُ بنُ بدرٍ فلَطَم مالكًا ، ثُم إنَّ أبا جُنَيْدِبِ العَبْسِىَّ لَقِى عَوفَ بنَ حُذَيْفَةَ فقَتَلَه ، ثُم لَقِى رجلٌ مِن بنى فَزارَةَ مالكًا فقَتَلَه ، فنَشَبتِ[(٣)] الحَرْبُ بينَ بنى عَبْسٍ وفَزارَةَ ، فقُتِل حُذَيفةُ ابنُ بدرٍ وأخوه حَمَلُ بنُ بدرٍ وجماعاتٌ آخَرون ، وقالوا فى ذلك أشعارًا كثيرةً يَطُولُ بَسْطُها وذِكرُها .

قال ابنُ هِشامٍ[(٤)] : ويقالُ[(٥)] : أرسَلَ قيسٌ داحِسًا والغَبْراءَ ، وأرْسَل حُذَيْفةُ الخَطَّارَ والحَنْفاءَ . والأَوَّلُ أَصَحُّ . قال : وأما حَرْبُ حاطِبٍ ؛ [(٦)]فيَعنِى حاطبَ[(٦)] ابنَ الحارِثِ بنِ قيسِ بنِ هَيْشَةَ بنِ الحارثِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مُعاويةَ بنِ مالكِ بنِ عَوْفِ ابنِ عَمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ ، كان قَتَل يهوديًّا جارًا للخَزْرَجِ ، فخَرَج إليه يزيدُ[(٧)] بنُ الحارثِ بنِ قيسِ بنِ مالكِ بنِ أحمرَ بنِ حارِثةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كعبِ [(٨)]بنِ مالكِ بنِ كعبِ[(٨)] بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ - وهو الذى

---

(١) بعده فى السيرة : « بن زيد » . وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٦ حيث ذكر اسمه كما أورده المصنف هنا .

(٢) فى ا ١٥: « جزية » . وفى م : « جؤبة » .

(٣) فى الأصل ، م : « فشبت » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٧.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى م : « زيد » .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ ، وليست فى السيرة . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٢، فإنه موافق لما فى السيرة .

يُقالُ له : ابنُ فُسْحُمَ - فى نَفَرٍ من بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ فقَتَلوه ، فوَقَعَتِ الحربُ بينَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ ، فاقْتَتَلوا قِتالًا شَديدًا وكان الظَّفَرُ للخَزْرَجِ ، وقُتِلَ يومَئذٍ الأسودُ بنُ الصّامِتِ الأَوْسِىُّ ، قَتَلَه المُجَذَّرُ بنُ ذَيّادٍ حَلِيفُ بنى عَوفِ بنِ الخَزْرَجِ ، ثُم كانتْ بينَهم حروبٌ يَطُولُ ذِكْرُها أيضًا .

والمقصودُ أنَّ أبا قَيْسِ بنَ الأَسْلَتِ ، مع عِلْمِه وفَهْمِه ، لم يَنْتَفِعْ بذلك حينَ قَدِم مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ المدينةَ ودَعا أهلَها إلى الإسلامِ ، فأَسْلَمَ مِن أهلِها بشرٌ كثيرٌ ، ولم يبْقَ دارٌ - أىْ مَحَلَّةٌ - مِن دُورِ المدينةِ إلَّا وفيها مُسلِمون[1] ومسلماتٌ ، غيرَ دارِ بنى واقِفٍ قبيلةِ أبى قيسٍ ، ثَبَّطَهم عن الإسلامِ ، وهو القائلُ أيضًا[2] :

أَرَبَّ النَّاسِ أشياءٌ أَلَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذَّلُولِ
أَرَبَّ الناسِ أمَّا إن ضَلَلْنا ... فيَسِّرْنا لمَعْروفِ السَّبِيلِ
فلَوْلا ربُّنا كُنَّا يهودًا ... وما دِينُ اليهودِ بذى شُكُولِ[3]
ولولا ربُّنا كُنَّا نَصارَى ... مع الرُّهْبانِ فى جَبَلِ الجَلِيلِ[4]
ولكِنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا ... حَنِيفًا دِينُنا عن كلِّ جِيلِ

---

(١) فى م ، ص : « مسلم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٨.

(٣) شكول : أراد جمع شَكْل وشكل الشىء - بالفتح - هو مثله ، والشِّكل - بالكسر - الدَّلّ والحُسن ، فكأنه أراد أن دين اليهود بِدع ، فليس له شكول ؛ أى ليس له نظير فى الحقائق ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول . الروض الأنف ٤/ ١١٢.

(٤) جبل الجليل بالشام . القاموس المحيط (ج ل ل) .

نَسُوقُ الهَدْىَ تَرْسُفُ مُذْعِناتٍ مُكَشَّفةَ المَناكِبِ فى الجُلُولِ[1]

وحاصِلُ ما يقولُ، أنَّه حائرٌ فيما وَقَعَ مِن الأَمرِ الذى قد سَمِعَه مِن بِعْثةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فتَوَقَّفَ الواقِفِىُّ فى ذلك، مع علمِه ومَعرِفَتِه، وكان الذى ثَبَّطَه عن الإسلامِ أوَّلًا عبدَ اللَّهِ بنَ أُبَىِّ بنِ سَلُولَ، بعدَما أخْبَره أبو قيسٍ أنَّه الذى بَشَّر به[2] يَهودُ، فمَنَعَه عن الإسلامِ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: ولم يُسْلِمْ إلى يومِ الفَتْحِ هو وأخوه وَحْوَحٌ[4]. وأنْكَر الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[5] أن يَكُونَ أبو قيسٍ أسْلَم. وكذا الواقِدِىُّ[6]، قال: كان عَزَمَ [٢/ ١٢٩ظ] على الإسلامِ أوَّلَ ما دَعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فلامَه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ، فَحَلَف لا يُسْلِمُ إلى حَوْلٍ، فمات فى ذى القَعْدَةِ. وقد ذَكَر غيرُه، فيما حَكاه ابنُ الأَثِيرِ فى كتابِه «أُسْدِ الغابةِ»[7]، أنَّه لمَّا حَضَره الموتُ، دَعاه النبىُّ ﷺ إلى الإسلامِ فسُمِع يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[8]: حَدَّثنا حسنُ بنُ موسى، حَدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن ثابِتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عاد رجلًا مِن الأنصارِ، فقال: «يا خالِ، قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ». فقال: أخالٌ أم عَمٌّ؟ قال: «بل

---

(١) الجلول: جمع جلّ - بالضم وبالفتح - وهو ما تُلْبَسُه الدابة لتُصان به. القاموس المحيط (ج ل ل).

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٤٠.

(٤) فى الأصل: «واحرح». وفى ا ١٥: «رحوح». وفى م: «وخرج». وفى ص: «وحرج». والمثبت من أسد الغابة.

(٥) انظر أسد الغابة ٣/ ٤٠، ٤١.

(٦) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٨٥. وفيه: «مات فى ذى الحجة».

(٧) أسد الغابة ٦/ ٢٥٧.

(٨) المسند ٣/ ١٥٤. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٣٠٥: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

خالٌ » . قال : فخيرٌ لى أن أقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نعم » . تَفَرَّد به أحمدُ ، رَحِمَه اللَّهُ . وذَكَر عِكْرِمَةُ وغيرُه[1] أنَّه لمَّا تُوُفِّىَ ، أراد ابنُه أن يَتَزَوَّجَ امرأتَه كُبَيْشَةَ بنتَ مَعْنِ بنِ عاصمٍ ، فسألتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذلك ، فأَنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الآية [النساء : ٢٢] .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] ، وسعيدُ بنُ يحيى الأُمَوِىُّ فى « مَغازِيه » : كان أبو قيسٍ هذا[3] قد تَرَهَّب فى الجاهِلِيَّةِ ولَبِس المُسُوحَ ، وفارَق الأَوثانَ ، واغْتَسَلَ من الجَنابَةِ ، وتَطَهَّر مِن الحائِضِ مِن النِّساءِ ، وهَمَّ بالنَّصْرانِيَّةِ ، ثُم أمْسَك عنها ، ودَخَل بيتًا له فاتَّخَذه مسجدًا ، لا يَدْخُلُ عليه فيه حائضٌ ولا جُنُبٌ ، وقال : أعْبُدُ إلهَ إبراهيمَ . حينَ فارَق الأَوثانَ وكَرِهها ، حتى قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ[4] فأسْلَم فحَسُن إسلامُه ، [5]وهو شيخٌ كبيرٌ[5] ، وكان قوَّالًا بالحقِّ مُعظِّمًا للَّهِ فى جاهِلِيَّتِه ، يقولُ فى ذلك أَشعارًا حِسانًا ، وهو الذى يقولُ :

يَقولُ أبو قيسٍ وأَصْبَحَ غادِيًا[6] ... أَلَا ما اسْتَطَعْتُم مِن وَصَاتِىَ فافْعَلُوا

---

(١) تفسير الطبرى ٤/ ٣١٨. والتفسير ٢/ ٢١٤. والرواية عن عكرمة وغيره مضطربة ؛ فعند الطبرى من رواية عكرمة أن أبا قيس هو الذى أراد أن ينكح زوجة أبيه الأسلت ، وعند المصنف من رواية ابن أبى حاتم فى التفسير عن رجل من الأنصار أن قيسًا هو الذى أراد أن ينكح زوجة أبيه أبى قيس فاللَّه أعلم أى ذلك أراد الحافظ ابن كثير . وانظر أسد الغابة ٦/ ٢٥٦، ٧/ ٢٥٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٠.

(٣) وهو أبو قيس صرمة بن أبى أنس ، كما أشار ابن هشام . وهذا أول موضع للتداخل فى الروايات كما أشرنا سابقًا .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى م : « وكان شيخا كبيرا » . وفى ص : « وكان شيخ كبير » .

(٦) فى م ، ص : « عاديا » .

فأُوصِيكُمُ باللَّهِ والبِرِّ والتُّقَى ... وأَعْراضِكم والبِرُّ باللَّهِ أوَّلُ

وإنْ قَوْمُكم سادُوا فلا تَحْسُدُنَّهُمْ ... وإن كُنتمُ أهلَ الرِّئاسةِ فاعْدِلُوا

وإنْ نَزَلَتْ إحدَى الدَّواهى بقومِكُمْ ... فأنْفُسَكم دونَ العَشِيرةِ فاجْعَلُوا

وإن نابَ غُرْمٌ فادِحٌ فارْفُقُوهمُ ... وما حَمَّلُوكم فى المُلِمَّاتِ فاحْمِلُوا

وإن أنتمُ أمْعَرْتُمُ[1] فتَعَفَّفُوا ... وإن كان فَضلُ الخيرِ فيكم فأَفْضِلُوا

وقال أبو قيسٍ أيضًا[2] :

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صباحٍ ... طَلَعَتْ شمسُهُ وكُلَّ هِلالِ[3]

عالِمَ السِّرِّ والبيانِ جميعًا ... ليس ما قال ربُّنا بضَلالِ

وله الطَّيْرُ تَسْتَرِيدُ[4] وتَأْوِى ... فى وُكُورٍ مِن آمِناتِ الجبالِ

وله الوَحْشُ بالفَلاةِ تَراها ... فى حِقافٍ[5] وفى ظِلالِ الرِّمالِ

وله هَوَّدَتْ يَهودُ ودانَتْ ... كُلَّ دِينٍ [6]مَخافةً مِن[6] عُضالِ

[٢/١٣٠و]وله شَمَّسَ النَّصارَى[7] وقاموا ... كُلَّ عِيدٍ لربِّهم واحْتِفالِ

---

(١) أمعر : افتقر وفَنِى زادُه . القاموس المحيط (م ع ر) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥١١، ٥١٢. والشعر هنا لأبى قيس صرمة بن أبى أنس . وهذا هو الموضع الثانى للتداخل .

(٣) الشرق : طلوع الشمس ، وهو من أسمائها أيضًا ، وكذلك الشرَق بفتح الراء . وكل هلال : بالنصب على الظرف ؛ أى وقتَ كلِّ هلال . الروض الأنف ٤/ ٣٩٢.

(٤) فى م : « تستزيد » . واستراد لأمره : رجع وانقاد .

(٥) الحِقاف : جمع حِقف ؛ وهو ما اعوجَّ من الرمل واستطال . اللسان (ح ق ف) .

(٦ - ٦) فى السيرة : « إذا ذكرتَ » .

(٧) شمَّس النصارى : يعنى دِين الشمامسة ، وهم الرُّهبان ؛ لأنهم يُشمِّسون أنفسهم يريدون تعذيب =

ولـه الـرَّاهـبُ الحَبِـيـسُ تَـراه رَهْنَ بُؤْسٍ وكان ناعِمَ[1] بالِ

يا بَنِـيَّ الأرحامَ لا تَقْطَعُوها وصِلُوها قَصِيرَةً مِن طِوالِ[2]

واتَّقُوا اللَّهَ فى ضِعافِ اليَتامَى وبما[3] يُسْتَحَلُّ غيرُ الحلالِ

واعْلَموا أنَّ لليتيمِ وليًّا عالِمًا يَهْتدِى بغيرِ سؤالِ

ثُمَّ مالَ اليتيمِ لا تَأْكُلُوهُ إنَّ مالَ اليتيمِ يَرْعاه والى

يا بَنِيَّ التخومَ لا تَجْزِلُوها إنَّ جَزْلَ التُّخُومِ ذُو عُقَّالِ[4]

يا بَنِيَّ الأيامَ لا تَأْمَنُوها واحْذَرُوا مَكْرَها ومَرَّ الليالى

واعلموا أنَّ مَرَّها[5] لنَفادِ الـ ـخَلْقِ ما كان مِن جديدٍ وبالى

واجْمَعُوا أمرَكم على البِرِّ والتَّقْـ ـوَى وتَرْكِ الخَنا[6] وأخْذِ الحلالِ

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وقال أبو قيسٍ صِرْمَةُ أيضًا ، يَذْكُرُ ما أَكْرَمَهم اللَّهُ به مِن الإسلامِ ، وما خَصَّهم به مِن نُزولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَهم :

= النفوس بذلك فى زعمهم . الروض الأنف ٤/ ٣٩٢.

(١) فى م ، ص : « أنعم » .

(٢) يعنى : صلوا قِصَرها من طولكم ، أى كونوا أنتم طوالًا بالصلة والبر وإن قصرت هى ، أو أنه يريد مدحًا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب وإن كانت من قومٍ طوال . انظر الروض ٤/ ٣٩٣.

(٣) فى السيرة : « ربما » .

(٤) التخوم : جمع تَخْم ، وهو الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم . اللسان (ت خ م) . والعقال : ما يمنع الرِّجل من المشى . الروض الأنف ٤/ ٣٩٤.

(٥) فى م : « أمرها » . ومرها : أى مر الليالى .

(٦) الخنا : الفُحش . ومن الكلام : قبيحه .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٢.

ثَوَى فى قُرَيشٍ بِضعَ عَشْرةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتِيا

وسيَأْتِى ذِكْرُها بتَمامِها فيما بعدُ، إن شاء اللَّهُ، وبه الثِّقةُ.

قِصَّةُ بَيْعةِ العَقَبةِ الثانيةِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ مصعبَ بنَ عُمَيرٍ رَجَع إلى مكَّةَ ، وخَرَج مَن خَرَج مِن الأَنصارِ مِن المسلمينَ مع حُجَّاجِ قومِهم مِن أهلِ الشِّركِ حتى قَدِموا مكَّةَ ، فواعَدُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ العَقَبَةَ ، مِن أواسِطِ أيامِ التَّشْريقِ ، حينَ أراد اللَّهُ بهم مِن كرامتِه ، والنصرِ لنبيِّه ، وإعزازِ الإسلامِ وأهلِه ، فحدَّثَنى مَعْبَدُ بنُ كَعبِ ابنِ مالكٍ ، أنَّ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ كعبٍ ، وكان مِن أعْلَمِ الأنصارِ ، حَدَّثه أنَّ أباه كعبًا حَدَّثه ، وكان مِمَّن شَهِد العَقَبةَ وبايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ بها ، قال : خَرَجْنا فى حُجّاجِ قومِنا مِن المُشرِكِين ، وقد صَلَّيْنا وفَقِهْنا ، ومعنا البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ سيِّدُنا وكبيرُنا ، فلمَّا وَجَّهْنا لسفرِنا ، وخَرَجْنا مِن المدينةِ ، قال البَرَاءُ : يا هؤلاءِ ، إنِّى قد رأَيْتُ رَأْيًا ، واللَّهِ ما أَدْرِى أَتُوافِقوننى عليه أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ أن لا أدَعَ هذه البَنِيَّةَ منِّى بظَهْرٍ - يعنى الكعبةَ - وأن أُصَلِّىَ إليها . قال : فقُلْنا : واللَّهِ ما بَلَغَنا أنَّ نبيَّنا ﷺ يُصَلِّى إلَّا إلى الشامِ ، وما نُريدُ أن نُخالِفَه . فقال : إنِّى لَمُصَلٍّ إليها . قال : فقلنا له : لكنَّا لا نَفْعَلُ . قال : فكُنَّا إذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ ، صَلَّيْنا إلى الشامِ ، وصَلَّى هو إلى الكعبةِ ، حتى قَدِمْنا مكةَ . [2]قال : وقد كُنَّا عِبْنا عليه ما صَنَع ، وأبَى إلَّا الإقامةَ على ذلك ، فلمَّا قَدِمْنا مكَّةَ[2] قال لى : يا بنَ أخى ، انْطَلِقْ بنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أَسْأَلَه [٢/ ١٣٠ظ] عمَّا صَنَعتُ فى سَفَرِى هذا ، فإنَّه قد وَقَع فى نَفْسى منه شىءٌ ، لِمَا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٣٨ - ٤٤١.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

رأيْتُ مِن خِلافِكم إيَّايَ فيه . قال : فخَرَجْنا نسألُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكنَّا لا نَعرِفُه ولم نَرَه قبلَ ذلك ، فلَقِينا رجلًا مِن أهلِ مكةَ ، فسَأَلْناه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : هل تَعرِفانِه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تَعرِفان العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ عمَّه ؟ قال : قلنا : نعم . وقد كنَّا نَعرِفُ العباسَ ، كان لا يَزالُ يَقْدَمُ علينا تاجرًا . قال : فإذا دَخَلْتما المسجدَ ، فهو الرجلُ الجالِسُ مع العباسِ . قال : فدَخَلْنا المسجدَ وإذا العباسُ جالسٌ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ معه ، فسَلَّمْنا ثُم جَلَسْنا إليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ للعباسِ : « هل تَعرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يا أبا الفَضْلِ ؟ » قال : نعم ، هذا البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ سيِّدُ قومِه ، وهذا كعبُ بنُ مالكٍ . قال : فواللَّهِ ما أَنْسَى قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « الشاعِرُ ؟ » . قال : نعم . فقال له البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنِّى خَرَجْتُ فى سَفَرى هذا قد هَدانى اللَّهُ تعالى للإسلامِ ، فرأيتُ أن لا أَجْعَلَ هذه البَنِيَّةَ منِّى بظَهْرٍ ، فصَلَّيْتُ إليها ، وقد خالَفَنى أصحابى فى ذلك ، حتى وَقَع فى نَفْسى مِن ذلك شىءٌ ، فماذا تَرَى يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « قد كُنْتَ على قِبْلَةٍ لو صَبَرْتَ عليها » . قال : فرَجَعَ البَرَاءُ إلى قبلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فصلَّى معنا إلى الشامِ . قال : وأهلُه يَزْعُمون أنَّه صلَّى إلى الكعبةِ حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلمُ به منهم . قال كعبُ بنُ مالكٍ : ثُم خَرَجْنا إلى الحَجِّ وواعَدْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ العَقَبَةَ مِن أوْسَطِ أيامِ التَّشْرِيقِ ، فلمَّا فَرَغْنا مِن الحَجِّ ، وكانتِ الليلةُ التى واعَدْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ لها ، ومعنا عبدُ اللَّهِ بنُ عَمرِو بنِ حَرامٍ أبو جابرٍ ، سيِّدٌ مِن ساداتِنا ، (1) وشريفٌ مِن أشرافِنا (1) ، أخَذْناه وكُنَّا نَكْتُمُ مَن معنا مِن قومِنا مِن المُشرِكِين أمْرَنا ، فكَلَّمْناه

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

وقلنا له : يا أبا جابرٍ ، إنَّك سيِّدٌ مِن ساداتِنا ، وشريفٌ مِن أشرافِنا ، وإنا نَرْغَبُ بك عمَّا أنت فيه ، أن تكونَ حَطَبًا للنارِ غدًا . ثُم دَعَوْناه إلى الإسلامِ ، وأخْبَرْناه بميعادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إيّانا العَقَبَةَ . قال : فأسْلَمَ وَشَهِد معنا العَقَبَةَ ، وكان نقيبًا .

وقد روَى البُخاريُّ[1] : حَدَّثنى إبراهيمُ ، حَدَّثنا هِشامٌ أنَّ ابنَ جُرَيْجٍ أخْبَرَهم ، قال عطاءٌ : قال جابرٌ : أنا وأبى وخالَىَّ[2] مِن أصحابِ العَقَبَةِ . قال [3]عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ[3] : قال ابنُ عُيَيْنَةَ : أحدُهما[4] البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ .

حَدَّثنا[5] علىُّ بنُ المَدِينِىِّ ، حدَّثنا سُفيانُ ، قال : كان عَمرٌو يقولُ : سَمِعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يَقولُ : شَهِد بى خالاىَ العَقَبَةَ .

وقال الإمامُ أَحمدُ[6] : حَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ قال : مَكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكَّةَ عَشْرَ

---

(١) البخارى (٣٨٩١) .

(٢) فى البخارى : « خالاى » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢٢ : ووقع عند ابن التين « وخالى » بغير ألف وتشديد التحتانية ، وقال : لعل الواو واو المعية أى مع خالىَّ ، ويحتمل أن يكون بالإفراد بكسر اللام وتخفيف الياء .

(٣ - ٣) فى البخارى : « أبو عبد اللَّه » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢١ : ونقل عن عبد اللَّه بن محمد - وهو الجعفى - أن ابن عيينة قال : أحدهما البراء بن معرور . كذا فى رواية أبى ذر ، ولغيره : قال أبو عبد اللَّه ؛ يعنى المصنف ، فعلى هذا فتفسير المبهم من كلامه ، لكنه ثبت أنه من كلام ابن عيينة من وجه آخر عند الإسماعيلى ، فترجّحت رواية أبى ذر .

(٤) فى النسخ : « أحدهم » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٥) البخارى (٣٨٩٠) .

(٦) المسند ٣/ ٣٢٢، ٣٢٣. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٦ : رواه أحمد والبزار ... ورجال أحمد رجال الصحيح .

سنين يَتَّبِعُ الناسَ فى مَنازِلِهم بعُكاظٍ[1]، ومَجَنَّةَ[2]، وفى المواسمِ بمِنًى[3] يَقولُ: «مَنْ يُؤْوِينى؟ مَن يَنْصُرُنى حتَّى أُبَلِّغَ رِسالةَ رَبِّى وله الجنَّةُ؟»[4]. حتى إنَّ الرجُلَ لَيَخْرُجُ مِن اليَمَنِ أو مِن مُضَرَ - كذا قال فيه - فيأْتيه قومُهُ[5]، فيَقُولون: احْذَرْ غُلامَ قُرَيشٍ، لا يَفْتِنُك. ويَمْشِى بينَ رِحالِهم[6] وهم يُشِيرون إليه بالأصابعِ، حتى بعَثَنا اللَّهُ إليه مِن يَثْرِبَ، فآوَيْناه وصَدَّقْناه، فيَخْرُجُ الرجُلُ منَّا، [٢/ ١٣١و] فيُؤْمِنُ به، ويُقرِئُه القرآنَ، فينْقَلِبُ إلى أهلِه، فيُسْلِمون بإسلامِه، حتى لم يَبْقَ دارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلَّا وفيها رَهْطٌ مِن المُسلِمين يُظْهِرون الإسلامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جميعًا، فقلنا: حتى متى نَترُكُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[7] يُطْرَدُ فى جِبالِ مكةَ ويُخافُ؟ فرَحَل إليه منَّا سبعون رجلًا حتى قَدِمُوا عليه فى المَوْسِمِ، فواعَدْناه شِعْبَ العَقَبَةِ، فاجْتَمَعْنا عندَها[8] مِن رجلٍ ورجُلَين حتى تَوافَيْنا، فقلنا: يا رسولَ اللَّهِ، عَلامَ نُبايِعُك؟ قال: «تُبايِعُونى على السَّمْعِ والطاعةِ فى النَّشاطِ والكَسَلِ، والنَّفَقَةِ فى العُسرِ واليُسرِ، وعلى الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المُنكرِ، وأن

---

(١) فى م، ص: «عكاظ». وعكاظ: سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة، وتستمر عشرين يوما، تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون - أى يتفاخرون - ويتناشدون. القاموس المحيط (ع ك ظ).

(٢) مجنة: بفتح الميم وكسرها موضع بأسفل مكة على أميال، وكان يُقام للعرب بها سوق. النهاية ٤/ ٣٠١.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) بعده فى ا ١٥، م، ص: «فلا يجد أحدًا يؤويه ولا ينصره».

(٥) بعده فى ا ١٥، م، ص: «وذوو رحمه».

(٦) فى ص، المسند: «رجالهم»، وانظر المسند ٣/ ٣٣٩.

(٧) بعده فى م: «يطوف و». وفى ص: «يطوف».

(٨) فى المسند: «عليه».

تَقُولوا فى اللَّهِ لا تَخافُون فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائِم، وعلى أَن تَنْصُرُونى، فَتَمْنَعونى إذا قَدِمتُ عليكم مِمَّا تَمْنَعُون منه أَنْفُسَكُم وأَزْوَاجَكُم وأَبْناءَكُم، ولكم الجَنَّةُ». فقُمْنا إليه[1]، وأخَذَ بيدِه أسعدُ بنُ زُرَارَةَ، وهو مِن أصْغرِهم - وفى رِوايةِ البَيْهَقِىِّ[2]: وهو أصغرُ السبعين[3] إلَّا أنا - فقال: رُوَيْدًا يا أهلَ يَثْرِبَ، فإنَّا لم نَضرِبْ إليه أَكبادَ الإبِلِ إلَّا ونحن نَعْلَمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ، وأنَّ إخْراجَه اليومَ مُفارَقَةُ العربِ كافَّةً، وقَتْلُ خِيارِكم، وأن[4] تَعَضَّكم السُّيوفُ، فإمَّا أنتم قومٌ تَصْبِرُون على ذلك فخُذُوه وأجرُكم على اللَّهِ، وإمَّا أنتم قومٌ تَخافُون مِن أنفُسِكم خِيفَةً[5]، فَبَيِّنُوا ذلك، فهو أَعْذَرُ لكم عندَ اللَّهِ. قالوا: أمِطْ[6] عنَّا يا أسعدُ، فواللَّهِ لا نَدَعُ هذه البَيْعَةَ أبدًا، ولا نُسْلَبُها أبدًا. قال: فقُمْنا إليه فبايَعْناه، وأخَذَ علينا وشَرَطَ، ويُعْطينا على ذلك الجَنَّةَ.

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ أيضًا، والبَيْهَقِىُّ[7]، مِن طريقِ داودَ بنِ عبدِ الرحمنِ العَطَّارِ، زادَ البَيْهَقِىُّ عن الحاكمِ بسندِه إلى يحيى بنِ سُلَيْمٍ[8] كلاهما عن

---

(١) بعده فى المسند: «وبايعناه».

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٣) بعده فى الدلائل: «رجلا».

(٤) زيادة من: المسند.

(٥) سقط من: الأصل. وبعده فى م، ص: «فذروه». وفى المسند: «جبينة». والمثبت لفظ البيهقى.

(٦) فى ا ١٥: «أمظ». وفى م، ص: «أبط». وأمط عنا: معناه أمط عنا يدك، أى نحِّها وأبعدها عنا. انظر بلوغ الأمانى ٢٠/ ٢٧٠.

(٧) أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٣٢٣، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤.

(٨) دلائل النبوة ٢/ ٤٤٣ - ٤٤٥. وعنده: «يحيى بن سليمان». وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٨١. والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٦٢٤، ٦٢٥. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، جامع لبيعة العقبة، ولم يخرجاه. وقال الذهبى: صحيح.

عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ، عن أبى الزُّبيرِ[1] به نحوَه. وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ على شرطِ مسلمٍ، ولم يُخْرِجوه. [2]وقال البَزَّارُ[3]: ورواه[4] غيرُ واحدٍ عن ابنِ خُثيمٍ، ولا نَعْلَمُه يُرْوَى عن جابرٍ إلَّا مِن هذا الوجهِ[2].

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حَدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ، حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ، عن موسى بنِ عُقْبَةَ[6]، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ قال: كان العباسُ آخِذًا بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ورسولُ اللَّهِ يُواثِقُنا، فلمَّا فَرَغْنا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخَذْتُ وأَعْطَيتُ».

وقال البَزَّارُ[7]: حَدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ، حَدَّثنا قَبِيصَةُ، حَدَّثنا سُفيانُ، هو الثَّوْرِىُّ، عن جابرٍ، يَعْنى الجُعْفِىَّ، وداودَ[8]، هو ابنُ أبى هندٍ، عن الشَّعْبِىِّ، عن جابرٍ، يَعْنِى ابنَ عبد اللَّهِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للنُّقَباءِ مِن الأَنصارِ: «تُؤْوُونِى وتَمْنَعُونى؟». قالوا: نعم. قالوا: فما لنا؟ قال: «الجَنَّةُ». ثُم قال: لا نَعْلَمُه يُرْوَى إلَّا بهذا الإسنادِ عن جابرٍ.

ثُم قال ابنُ إسحاقَ[9] عن مَعْبَدٍ، عن عبدِ اللَّهِ، عن أبيه كعبِ بنِ مالكٍ،

---

(١) فى م، ص: «إدريس».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) كشف الأستار ٢/ ٣٠٨.
(٤) فى م: «وروى».
(٥) المسند ٣/ ٣٩٦.
(٦) فى م، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١١٧.
(٧) كشف الأستار ٢/ ٣٠٧. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٨: رواه أبو يعلى والبزار بنحوه، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح.
(٨) فى م، ص: «عن داود». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٦٦، ٨/ ٤٦٣.
(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤١ - ٤٤٣.

قال : فنِمْنا تلك الليلةَ مع قومِنا فى رِحالِنا ، حتى إذا مضَى ثُلُثُ الليلِ ، خَرَجْنا مِن رِحالِنا لِميعادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ القَطَا[1] مُسْتَخْفِين ، حتى اجْتَمَعْنا فى الشِّعْبِ عندَ العَقَبَةِ ونحن ثلاثةٌ وسبعون رجُلًا ، ومعنا امْرأتانِ مِن نسائِنا ، نَسِيبَةُ بنتُ كعبٍ أُمُّ عُمارَةَ ، إحدى نساءِ بنى مازِنِ بنِ النَّجَّارِ ، وأسماءُ ابنةُ عَمرِو بنِ عَدِىٍّ بنِ نابى[2] ، إحدى نساءِ بنى سَلِمَةَ وهى أُمُّ مَنِيعٍ . وقد صَرَّح ابنُ إسحاقَ[3] ، فى روايةِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ عنه ، بأسمائِهم وأَنْسابِهم[4] . قلتُ[5] : وما وَرَد فى بعضِ الأَحاديثِ أنَّهم كانوا سَبْعينَ[6] ؛ فالعرَبُ كثيرًا ما تَحْذِفُ الكَسْرَ . وقال عُروةُ بنُ الزُّبيرِ ، [٢/ ١٣١ظ] وموسى بنُ عُقْبَةَ[7] : كانوا سبعينَ رجُلًا وامرأةً واحدةً . قال : منهم أربعون مِن ذَوِى أَسْنانِهم ، وثلاثون مِن شبابِهم . قال : وأصغرُهم أبو مسعودٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ . [8]وقولُ محمدِ ابنِ إسحاقَ أنَّهم خمسةٌ وسبعون ، أثْبَتُ . واللَّهُ أعلمُ[8] .

---

(١) قطا يقطو : ثقل مشيه ، والقطا طائر معروف ، سمى بذلك لثقل مشيه ، واحدته قطاة . اللسان (ق ط و) .

(٢) فى الأصل : « بلعا » . وفى ا ١٥ : « بلعا » . وفى ص : « تلعا » . انظر أسد الغابة ٧/ ١٤ ، والإصابة ٧/ ٤٨٩ .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٥ عن ابن إسحاق . إلا أنه قال : وسماهم ابن إسحاق ، وذكرهم هاهنا مما يطول به الكتاب . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٤ - ٤٦٧ . وتاريخ الإسلام جزء السيرة النبوية ٣٠٥ - ٣٠٨ .

(٤) فى الأصل : « ونسائهم » .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ٣٩٧ .

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، بإسنادين عن عروة وموسى بن عقبة .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

قال كعبُ بنُ مالكٍ[1] : فاجْتَمَعْنا[2] فى الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، حتى جاءَنا ومعه العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وهو يومَئِذٍ على دينِ قومِه ، إلَّا أنَّه أَحَبَّ أَن يَحْضُرَ أمرَ ابنِ أخيه ، ويَتَوَثَّقَ له ، فلمَّا جَلَس ، كان أولُ مُتَكَلِّمٍ العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ فقال : يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ - قال : وكانتِ العربُ إنَّما يُسَمُّون هذا الحيَّ مِن الأَنصارِ الخَزْرَجَ ؛ خَزْرَجَها وأَوْسَها - إنَّ محمدًا منَّا حيثُ قد عَلِمْتُم ، وقد مَنَعْناه مِن قومِنا مِمَّن هو على مِثْلِ رَأْيِنا فيه ، فهو فى عِزَّةٍ مِن قومِه ، ومَنَعَةٍ فى بلَدِه ، وإنَّه قد أبَى إلا الانحِيازَ إليكم ، واللُّحوقَ بكم ، فإن كنتم تَرَوْنَ أنَّكم وافُونَ له بما دَعَوْتُموه إليه ، ومانعُوه مِمَّن خالَفَه ، فأنتم وما تَحَمَّلْتُم مِن ذلك ، وإن كنتم تَرَوْنَ أنَّكم مُسْلِمُوه وخاذِلُوه بعدَ الخُروجِ به[3] إليكم فمِن الآنَ فدَعُوه ، فإنَّه فى عِزٍّ ومَنَعَةٍ مِن قومِه وبلدِه . قال : فقُلْنا له : قد سَمِعْنا ما قلتَ ، فتَكَلَّمْ يا رسولَ اللَّهِ ، فخُذْ لنفسِك ولربِّك ما أحْبَبْتَ . قال : فتَكَلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ فتلا القرآنَ ، ودعا إلى اللَّهِ ، ورَغَّب فى الإسلامِ ، ثُم[4] قال : « أُبايِعُكُم على أن تَمْنَعُونى مِمَّا تَمْنَعُون منه نِساءَكُم وأَبناءَكُم » . قال : فأخَذ البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ بيدِه ثُم قال : نعم ، فوالذى بَعَثك بالحقِّ لَنَمْنَعَنَّك مِمَّا نَمْنَعُ منه أُزُرَنا[5] ، فبايِعْنا يا رسولَ اللَّهِ ، فنحن واللَّهِ أبناءُ الحروبِ ، [6]وأهلُ الحَلْقَةِ[6] ، وَرِثْناها كابِرًا عن كابِرٍ . قال : فاعْتَرَضَ القولَ - والبراءُ يُكَلِّمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ -

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤١.

(٢) فى م ، ص : « فلما اجتمعنا » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) أزرنا : نساءنا وأهلنا ، كنى عنهن بالأزر ، وقيل : أراد : أنفسنا . وقد يكنى عن النفس بالإزار . النهاية ١/ ٤٥.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص . والحلقة : السلاح عاما ، وقيل الدروع خاصة . النهاية ١/ ٤٢٧.

أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ بيننا وبينَ الرِّجالِ حِبالًا، وإنَّا قاطِعُوهَا - يَعْنى اليهودَ - فهل عَسَيْتَ إن فَعَلْنا ذلك ثُم أَظْهَرَك اللَّهُ، أن تَرْجِعَ إلى قومِك وتَدَعَنا؟ قال: فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال: «بل الدَّمُ الدمُ، والهَدْمُ الهدْمُ[1]، أنا منكم وأنتم مِنِّى، أُحارِبُ مَن حارَبْتُم، وأُسالِمُ مَن سالَمْتُم». قال كعبٌ: وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إلىَّ منكم اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا؛ يَكُونُونَ على قَوْمِهم بما فيهم». فأخْرَجوا منهم اثْنَىْ عَشَرَ نقيبًا؛ تسعةً مِن الخَزْرَجِ، وثلاثةً مِن الأَوْسِ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وهم أبو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ - المتَقَدِّمُ - وسعدُ بنُ الرَّبيعِ بنِ عَمرِو بنِ أبى زُهَيْرِ بنِ مالكِ بنِ امرئِ القَيْسِ بنِ مالكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخزرجِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ [3]بنِ ثَعْلَبَةَ[3] بنِ امرئِ القيسِ [4]بنِ عَمرِو بنِ امرئِ القيسِ[4] بنِ مالكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ، ورافعُ بنُ مالكِ بنِ العَجْلانِ - المتقدِّمُ - والبَرَاءُ ابنُ مَعْرُورِ بنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِىِّ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ ابنِ سَلِمَةَ بنِ سعدِ بنِ علىِّ بنِ أسدِ بنِ سارِدَةَ بنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ،

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٢٥١: يروى بسكون الدال وفتحها، فالهدَم بالتحريك: القبر. يعنى: إنى أُقبر حيث تُقبرون. وقيل: هو المنزل، أى منزلكم منزلى... والهدم بالسكون وبالفتح أيضا: هو إهدار دم القتيل. يقال: دماؤهم بينهم هدم. أى مُهدَرة. والمعنى: إن طُلب دمكم فقد طُلب دمى، وإن أُهدر دمكم فقد أُهدر دمى، لاستحكام الأُلفة بيننا. وهو قول معروف للعرب، يقولون: دمى دمك وهدْمى هدمك. وذلك عند المعاهدة والنصرة.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٣، ٤٤٤.

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة. وانظر الاستيعاب ٣/ ٨٩٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٤، والإصابة ٤/ ٨٢.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ١٥، ص.

وعبدُ اللَّهِ بنُ عَمرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ حَرامِ بنِ كعبِ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ ، وعُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ - المتقدِّمُ - وسعدُ بنُ عُبادةَ بنِ دُلَيْمِ بنِ حارثةَ بنِ خُزَيْمَةَ[1] بنِ ثَعْلبةَ بنِ طَرِيفِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كعبِ بنِ الخزرجِ ، [2]والمُنْذِرُ بنُ عمرِو بن خُنَيْسِ بن حارِثةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عبدِ وُدٍّ بنِ زيدِ بنِ ثعلبةَ ابنِ الخزرجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كعبِ [٢/١٣٢و] بنِ الخزرجِ[2] . فهؤلاء تسعةٌ من الخَزْرَجِ . ومِن الأَوْسِ ثلاثةٌ ، وهم : أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرِ بنِ سِماكِ بنِ عَتِيكِ بنِ رافعِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ زيدِ بنِ عبدِ الأَشْهَلِ بنِ جُشَمَ [3]بنِ الحارثِ[3] بنِ الخزرجِ بنِ عَمرِو بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ ، وسعدُ بنُ خَيْثَمَةَ بنِ الحارثِ بنِ مالكِ ابنِ كعبِ بنِ النَّحَّاطِ بنِ كعبِ بنِ حارثةَ بنِ غَنْمِ بنِ السَّلْمِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ ، ورِفاعَةُ بنُ عبدِ المنذِرِ بنِ زُنَيرِ[4] بنِ زيدِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمرِو بنِ عوفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ .

قال ابنُ هِشامٍ[5] : وأهلُ العِلْمِ يَعُدُّونَ فيهم أبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ ، بَدَلَ رِفاعةَ هذا . وهو كذلك فى رِوايةِ يونسَ ، عن ابنِ إسحاقَ[6] ، واختارَه السُّهَيْلِيُّ[7] ، وابنُ الأَثِيرِ فى « الغابةِ »[8] . ثُم اسْتَشْهَدَ ابنُ هِشامٍ[9] على ذلك بما

---

(١) فى السيرة : « أبى خزيمة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص . وبعده فى ا ١٥ : « بن مالك » .

(٤) فى الأصل ، ا ١٥ : « زنبر » . وفى م : « زنير » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.

(٦) دلائل النبوة للبيهقى ٢/٤٤٨ .

(٧) الروض الأنف ٤/ ٩٤، ٩٥.

(٨) أسد الغابة ٦/ ٣٢٣.

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.

رَواه عن أبى زيدٍ الأَنصارىِّ ، فيما ذَكَرَه مِن شعرِ كعبِ بنِ مالكٍ فى ذِكْرِ النُّقَباءِ الاثْنَىْ عشَرَ هذه الليلةَ ، ليلةَ العَقَبةِ الثانيةِ ، حينَ قال :

فأَبْلِغْ أُبَيًّا أنَّه فالَ رَأْيُه ... وحان غَداةَ الشِّعْبِ والحَينُ واقعُ[1]

أَبَى اللَّهُ ما مَنَّتْك نَفْسُك إنَّه ... بِمرصادِ أمْرِ الناسِ رَاءٍ وسامعُ

وأَبْلِغْ أبا سُفيانَ أن قد بَدا لنا ... بأَحمدَ نورٌ مِن هُدى اللَّهِ ساطعُ

فلا تُرْعِيَنْ[2] فى حَشْدِ أمرٍ تُريدُه ... وأَلِّبْ وجَمِّعْ كُلَّ ما أنت جامعُ

ودُونَك فاعلَمْ أنَّ نَقْضَ عُهُودِنا ... أَباه عليك الرَّهْطُ حينَ تَتابَعُوا[3]

أباه البَرَاءُ وابنُ عَمرٍو كلاهما ... وأسعدُ يَأْباه عليك ورافِعُ

وسعدٌ أَباه السَّاعِدِىُّ ومُنْذِرٌ ... لأَنْفِك إن حاوَلْتَ ذلك جادِعُ

وما ابنُ رَبِيعٍ إن تَناوَلْتَ عَهْدَه ... بمُسْلِمِه لا يَطْمَعَنْ ثَمَّ طامِعُ

وأيضًا فلا يُعطِيكَه ابنُ رَواحَةٍ ... وإخْفارُه[4] مِن دُونِه السُّمُّ ناقِعُ

وفاءٌ به والقَوْقَلِىُّ بنُ صامِتٍ ... بمَنْدُوحَةٍ عمَّا تُحاوِلُ يافِعُ[5]

أبو هَيْثَمٍ أيضًا وَفِىٌّ بمِثْلِها ... وفاءٌ بما أَعطَى من العهدِ خانِعُ[6]

---

(١) فال : أخطأ وضعُف . حان : هلك . الحين : الهلاك .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « ترغبن » . وترعين : مضارع أَرْعَى ، أى أبقى .

(٣) فى م ، ص : « تبايعوا » .

(٤) الإخفار : نقض العهد والغدر .

(٥) اليافع : العالى المرتفع . يعنى هو بعيد عما تحاول .

(٦) الخانع : الخاضع . يعنى حافظا لعهده .

وما ابنُ حُضَيْرٍ إن أرَدْتَ بمَطْمَعٍ فهل أنتَ عن أُحْمُوقةِ الغَيِّ نازِعُ

وسعدٌ أخو عَمرِو بنِ عوفٍ فإنَّه ضَرُوحٌ[1] لِمَا حاوَلْتَ مِلْأَمرِ[2] مانِعُ

أُولاكَ[3] نُجُومٌ لا يُغِبُّك منهمُ عليك بنَحْسٍ فى دُجَى الليلِ طالِعُ

قال ابنُ هشامٍ[4] : فذَكَر فيهم أبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ ولم يَذْكُرْ رِفاعةَ .

قلتُ : وذكَر[5] سعدَ بنَ مُعاذٍ ، وليس مِن النُّقَباءِ بالكُلِّيَّةِ فى هذه الليلةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأَعلى ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن مالكٍ ، قال : كان الأَنْصارُ ليلةَ العَقَبَةِ سبعين رجلًا ، وكان نُقَباؤهم اثْنَىْ عشَرَ نقيبًا ؛ [٢/ ١٣٢ظ] تسعةٌ مِن الخَزْرَجِ ، وثلاثةٌ مِن الأَوْسِ .

وحدَّثَنى[7] شَيْخٌ مِن الأنصارِ ، أنَّ جبريلَ كان يُشيرُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مَن يَجْعَلُه نقيبًا ليلةَ العَقَبَةِ ، وكانَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ أحدَ النُّقَباءِ تلك الليلةَ . رَواه البَيْهَقِىُّ .

---

(١) الضروح : من ضرَح الشىء ، إذا دفعه وأبعده ناحية . الوسيط (ض ر ح) .

(٢) أى : من الأمر .

(٣) أى : أولئك .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.

(٥) والظاهر أن سعد بن معاذ ليس مذكورا فى هذه الأبيات ، واستشهاد ابن هشام بهذه الأبيات من أجل أبى الهيثم بن التيهان ورفاعة . ومجموع ما ذكر من الصحابة فى الأبيات اثنا عشر صحابيا مع إبدال رفاعة بأبى الهيثم . والسعود - جمع سعد - المذكورون فى الأبيات ، هم بالترتيب ؛ سعد بن عبادة ، وسعد بن الربيع ، وآخرهم سعد أخو عمرو بن عوف - وهو سعد بن خيثمة - وليس سعد بن معاذ كما يظن المصنف ، لأنه لم يذكر أحدا بدلا منه . وهم اثنا عشر كما ذكرنا . وكما فى أصل الرواية السابقة . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٤٦.

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٤٥٣ من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٧) القائل هو الإمام مالك . انظر الدلائل .

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : فحَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال للنُّقَباءِ : « أنتم على قَوْمِكم بِما فيهم كُفَلاءُ ، ككَفالَةِ الحَوارِيِّينَ لعيسى ابنِ مَرْيَمَ ، وأنا كَفِيلٌ على قَوْمِى » . قالوا : نعم . وحَدَّثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، أنَّ القومَ لمَّا اجْتَمَعوا لبَيْعَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال العباسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلَةَ الأنصارىُّ ، أخو بنى سالمِ بنِ عَوْفٍ : يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ، هل تَدْرُون علامَ تُبايِعُون هذا الرجلَ؟ قالوا : نعم . قال : إنَّكم تُبايِعُونَه على حربِ الأحمرِ والأسودِ مِن الناسِ ، فإن كُنتُم تَرَوْنَ أنَّكم إذا نَهَكَتْ[2] أموالكم مُصيبةٌ ، وأشرافَكم قتْلٌ ، أسْلَمْتُمُوه ، فمِن الآنَ ، فهو واللَّهِ - إن فَعَلْتُم - خِزْىُ الدنيا والآخرةِ ، وإن كنتُم تَرَوْن أنَّكم وافُون له بما دَعَوْتُموه إليه على نَهْكَةِ الأمْوالِ ، وقَتْلِ الأَشْرافِ ، فخُذُوه ، فهو واللَّهِ خيرُ الدنيا والآخرةِ . قالوا : فإنَّا نَأْخُذُه على مصيبةِ الأموالِ ، وقَتْلِ الأَشْرافِ ، فما لنا بذلك يا رسولَ اللَّهِ إن نحن وَفَيْنا ؟ قال : « الجنَّةُ » . قالوا : ابْسُطْ يَدَك . فبَسَطَ يَدَه فبايَعُوه . قال عاصمُ [3]بنُ عُمرَ[3] ابنِ قَتادةَ : وإنَّما قال العباسُ بنُ عُبادةَ ذلك ؛ لِيَشُدَّ العَقْدَ فى أعناقِهم . وزَعَم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أنَّه إنَّما قال ذلك ليُؤَخِّرَ البَيْعةَ تلك الليلةَ ؛ رَجاءَ أن يَحْضُرَها عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىِّ بنِ سَلُولَ سيِّدُ الخَزْرَجِ ؛ ليَكُونَ أقوَى لأمرِ القومِ ، فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كانَ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فبَنُو النَّجَّارِ يَزْعُمون أنَّ أبا أُمامَةَ أسعدَ بنَ زُرارَةَ ، كان

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٦.

(٢) فى م : « أنهكت » .

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٧.

أوَّلَ مَن ضَرَب على يَدِه ، وبنو عبدِ الأشْهَلِ يَقُولون : بل أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وحدَّثَنى مَعْبَدُ بنُ كعبٍ ، عن أخيه عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه كعبِ بنِ مالكٍ قال : فكان أوَّلَ مَن ضَرَب على يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ البَراءُ بنُ مَعْرورٍ ، ثُم بايَع القومُ .

وقال ابنُ الأثيرِ فى « أُسْدِ الغابةِ »[2] : وبنو سَلِمَةَ يَزْعُمونَ أنَّ أوَّلَ مَن بايَعَه لَيْلَتَئِذٍ ، كعبُ بنُ مالكٍ . وقد ثبَت فى « صحيحِ » البخاريِّ ، ومسلمٍ[3] مِن حديثِ الزُّهْرِيِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبٍ ، عن أبيه ، عن كعبِ ابنِ مالكٍ ، فى حديثِه حينَ تَخَلَّف عن غزوةِ تَبُوكَ ، قال : ولقد شَهِدْتُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبَةِ حينَ تَواثَقْنا على الإسْلامِ ، وما أُحِبُّ أنَّ لى بها مَشْهَدَ بدرٍ ، وإن كانَتْ [4]بدرٌ أذْكَرَ[4] فى الناسِ منها .

وقال البَيْهَقِيُّ[5] : أخْبَرَنا أبو الحُسينِ بنُ بِشْرانَ ، أخْبَرَنا عَمرُو بنُ السَّمَّاكِ ، حدَّثَنا حَنْبَلُ بنُ إسحاقَ ، حَدَّثَنا أبو نُعَيْمٍ ، حَدَّثنا زكريَّا بنُ أبى زائِدَةَ ، عن عامرٍ الشَّعْبِيِّ قال : انْطَلَق رسولُ اللَّهِ ﷺ مع العباسِ عمِّه إلى السبعين مِن الأَنصارِ عندَ العَقَبَةِ تحتَ الشجرةِ ، فقال : « لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكم ولا يُطِلِ الخُطبةَ ؛ فإنَّ عليكم مِن المُشْرِكِين عَيْنًا ، وإن يَعْلَمُوا بكم يَفْضَحُوكم » . فقال قائلُهم ، وهو أبو أُمامَةَ : سَلْ يا محمدُ لربِّك ما شِئْتَ ، ثُم سلْ لنفسِك بعدَ ذلك ما شِئتَ ، ثُم أَخْبِرْنا ما لنا مِن الثَّوابِ على اللَّهِ وعليكم إذا فعلْنا ذلك . قال :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٤٧ .

(٢) أسد الغابة ٥/ ١٤.

(٣) البخارى (٣٨٨٩) . ومسلم (٢٧٦٩) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « بدرا كثير » .

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٤٥٠، ٤٥١.

« أَسْـأَلُكم لرَبِّى أَن تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا به شيئًا ، وأَسأَلُكم لنفسِى وأَصْحَابِى ، أَن [٢/ ١٣٣و] تُؤْوُونا وَتَنْصُرونا وَتَمْنَعُونا مِمَّا تَمْنَعُون منه أَنْفُسَكم » . قالوا : فما لنا إذا فعلْنا ذلك ؟ قال : « لكم الجَنَّةُ » . قالوا : فلك ذلك . ثُم رَواه حَنْبَلٌ[(١)] ، عن الإمامِ أحمدَ ، عن [(٢)] يَحيى بنِ [(٢)] زكريَّا ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن أبى مسعودٍ الأَنصارىِّ ، فذَكَره ، قال : وكان أبو مسعودٍ أَصْغَرَهم .

وقال أحمدُ[(٣)] ، عن يَحْيَى ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ قال : فما سَمِعَ الشِّيبُ والشُّبَّانُ خُطْبةً مِثْلَها .

وقال البَيْهَقِىُّ[(٤)] : أَخْبَرَنا أبو طاهرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ مَحْمِشٍ ، أَخْبَرَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الفَضْلِ الفَحّامُ ، أَخْبَرنا محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلِىُّ ، أَخْبَرنا عمرُو بنُ عثمانَ الرَّقِّىُّ ، حدَّثَنا زُهَيْرٌ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عُبَيْدِ بنِ رِفاعةَ ، عن أبيه قال : قَدِمَتْ رَوايَا[(٥)] خمرٍ ، فَأَتاها عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ فَخَرَقَها وقال : إنَّا بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ على السَّمْعِ والطاعةِ فى النَّشاطِ والكَسَلِ ، والنَّفَقةِ فى العُسرِ واليُسرِ ، وعلى الأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ ، وعلى أن نقولَ فى اللَّهِ لا تَأْخُذُنا فيه لَوْمَةُ لائمٍ ، وعلى أن نَنْصُرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ إذا قَدِم علينا يَثْرِبَ ، بما نَمْنَعُ به أنفُسَنا وأَزْواجَنا[(٦)] وأبناءَنا ، ولنا الجَنَّةُ . فهذه بَيْعةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ التى بايَعْناه عليها . وهذا إسنادٌ

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥١، من طريق حنبل به .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى المسند ٤/ ١٢٠ ، وعنه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥١.

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٥) الروايا : جمع راوية ، وهى المزادة .

(٦) فى م ، ص : « وأرواحنا » .

جيِّدٌ قويٌّ ، ولم يُخْرِجوه . وقد روَى يُونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[1] ، حَدَّثنى عُبادةُ ابنُ الوليدِ بنِ عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ ، [2]عن أبيه ، عن جدِّه عُبادَةَ بنِ الصّامِتِ[2] قال : بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعةَ الحربِ على السَّمْعِ والطاعةِ فى عُسْرِنا ويُسْرِنا ، ومَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا ، وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه ، وأَن نقولَ بالحقِّ أينَما كُنّا ، لا نَخافُ فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] فى حديثِه عن مَعْبَدِ بنِ كعبٍ ، عن أخيه عبدِ اللَّهِ ، عن[4] كعبِ بنِ مالكٍ قال : فلمَّا بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، صَرَخ الشيطانُ مِن رَأْسِ العَقَبَةِ بأَنْفَذِ صوتٍ سَمِعْتُه قَطُّ : يا أهلَ الجُباجِبِ - والجُباجِبُ : المنازلُ - هل لكم فى مُذَمَّمٍ والصُّباةِ[5] معه قد اجْتَمَعُوا على حربِكم . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا أَزَبُّ العَقَبَةِ[6] ، [7]هذا ابنُ أَزْيَبَ[7] » - قال ابنُ هِشامٍ : ويُقالُ : ابنُ أُزَيْبٍ - « أَتَسْمَعُ أَىْ عَدُوَّ اللَّهِ ؟ أَما واللَّهِ لأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَضُّوا[8] إلى رِحالِكُم » . قال : فقال العباسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلَةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، والذى بَعَثَك بالحقِّ إن شِئتَ لَنَمِيلَنَّ على أهلِ مِنًى غدًا بأَسْيافِنا .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٢، من طريق يونس به . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٤.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٧، ٤٤٨.

(٤) فى ا ١٥، م : « بن » .

(٥) فى النسخ : « الصباء » . والمثبت من السيرة . قال ابن الأثير فى النهاية ٣/ ٣: كانت العرب تسمى النبى ﷺ : الصابئ ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام ، ويسمون من يدخل فى الإسلام مَصْبُوًّا ؛ لأنهم كانوا لا يهمزون ، فأبدلوا من الهمزة واوًا ، ويسمون المسلمين : الصُّباة ، بغير همز ؛ كأنه جمع الصابئ غير مهموز ، كقاضٍ وقُضاة ، وغازٍ وغُزاة .

(٦) أزب العقبة : اسم شيطان . انظر الروض ٤/ ١٢٥.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) ارفضوا : تفرَّقوا .

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم نُؤْمَرْ بذلك ، ولكنِ ارْجِعُوا إلى رِحالِكُم » .
قال : فرَجَعْنا إلى مَضاجِعِنا فنِمْنا فيها حتى أصْبَحْنا ، فلمَّا أَصْبَحْنا غَدَتْ علينا جِلَّةُ[1] قُريشٍ حتى جاءُونا فى مَنازِلِنا فقالوا : يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ، إنَّه قد بَلَغَنا أنَّكم قد جِئْتُم إلى صاحِبِنا هذا ، تَسْتَخْرِجُونَه مِن بينِ أظْهُرِنا ، وتُبايِعُونه على حربِنا ، وإنَّه واللَّهِ ما مِن حَىٍّ مِن العَرَبِ أبْغَضُ إلينا مِن أن تَنْشَبَ الحربُ بينَنا وبينَهم ، منكم . قال : فانْبَعَثَ مَن هناك مِن مُشْرِكى قومِنا ، يَحْلِفُون[2] : ما كان مِن هذا شىءٌ [3]وما عَلِمْناه[3] . قال : وصَدَقُوا ، لم يَعْلَموا . قال : وبعضُنا يَنْظُرُ إلى بعضٍ . قال : ثُم قام القومُ ، وفيهم الحارثُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ المَخْزُومىُّ ، وعليه نَعْلان له جَديدان . قال : فقلتُ له كلمةً ، كأنِّى أُريدُ أن أُشْرِكَ القومَ بها فيما قالوا : يا أبا جابرٍ ، أمَا تَسْتَطيعُ أن تَتَّخِذَ ، وأنت سيِّدٌ مِن ساداتِنا ، مِثْلَ نَعْلَىْ هذا الفَتَى مِن قُريشٍ ؟ قال : فسَمِعَها الحارثُ ، فَخَلَعَهما مِن رِجْلَيْه [٢/١٣٣ظ] ثُم رَمَى بهما إلىَّ ، قال : واللَّهِ لتَنْتَعِلَنَّهما . قال : يَقولُ أبو جابرٍ : مَهْ[4] ، أَحْفَظْتَ[5] واللَّهِ الفَتَى ، فارْدُدْ إليه نَعْلَيْه . قال : قلتُ : واللَّهِ لا أَرُدُّهما ، فألٌ واللَّهِ صالحٌ ، لئنْ صَدَق الفألُ لأَسْلُبَنَّه .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أنَّهم أتَوْا عبدَ اللَّهِ بنَ أُبىٍّ ابنِ سَلُولَ فقالوا مِثْلَ ما ذَكَر كعبٌ مِن القولِ ، فقال لهم : إنَّ هذا الأمْرَ

---

(١) قومٌ جِلَّة : أشياخٌ مسانٌّ .
(٢) بعده فى السيرة : « باللَّه » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) مه : كُفَّ .
(٥) أحفظت : أغضبت .
(٦) سيرة ابن هشام ١/٤٤٨ - ٤٥٠ .

جسيمٌ ، ما كان قومى لِيَتَفَرَّقوا على مِثْلِ هذا ، وما عَلِمْتُه كان . قال : فانْصَرَفوا عنه . قال : ونَفَر الناسُ مِن مِنًى فتَنَطَّس[1] القومُ الخبَرَ ، فوَجَدوه قد كان ، فَخَرَجوا فى طَلَبِ القومِ ، فأدْرَكوا سعدَ بنَ عُبادَةَ بأَذَاخِرَ[2] ، والمُنْذِرَ بنَ عَمرٍو أخا بنى ساعِدَةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ ، وكِلاهما كان نَقِيبًا ، فأمَّا المنذِرُ فأَعْجَز القومَ ، وأمَّا سعدُ بنُ عُبادةَ فأخَذُوه ، فرَبَطوا يدَيْه إلى عُنُقِه بنِسْعِ[3] رَحْلِه ، ثُم أَقْبَلوا به حتى أدْخَلوه مكةَ يَضْرِبُونَه ويَجْذِبُونَه بجُمَّتِه ، وكان ذا شَعْرٍ كثيرٍ ، قال سعدٌ : فواللَّهِ إنِّى لفى أيدِيهم ، إذْ طَلَع علىَّ نَفَرٌ مِن قُريشٍ ، فيهم رجُلٌ وَضِىءٌ أبيضُ شَعْشاعٌ[4] حُلوٌ مِن الرِّجالِ ، فقلتُ فى نفسى : إن يَكُ عندَ أَحَدٍ مِن القومِ خيرٌ ، فعندَ هذا . فلمَّا دَنا منِّى رَفَع يَدَه فلَكَمَنى لَكْمَةً شديدةً ، فقلتُ فى نفسى : لا واللَّهِ ، ما عِندَهم بعدَ هذا مِن خيرٍ . قال : فواللَّهِ إنِّى لفى أيدِيهم يَسْحَبُوننى ، إذ أَوَى لى[5] رجلٌ مِمَّن معهم ، فقال : وَيْحَك ، أمَا بينَك وبينَ أحدٍ مِن قُريشٍ جِوارٌ ولا عَهْدٌ ؟ قال : قلتُ : بلى واللَّهِ ، لقد كنتُ أُجِيرُ لجُبَيْرِ ابنِ مُطْعِمٍ تُجَّارَه وأمْنَعُهم مِمَّن أرادَ ظُلْمَهم ببلادى ، وللحارثِ بنِ حربِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ . فقال : وَيْحَك ، فاهْتِفْ باسمِ الرَّجُلَيْنِ ، واذْكُرْ ما بينَك وبينَهما . قال : ففَعَلْتُ ، وخَرَج ذلك الرجلُ إليهما ، فوَجَدَهما فى المسجدِ عندَ الكعبةِ ، فقال لهما : إنَّ رجلًا مِن الخَزْرَجِ الآنَ يُضْرَبُ بالأبْطَحِ لَيَهْتِفُ بكما .

---

(١) تنطس عن الأخبار : بحث عنها . اللسان (ن ط س) .

(٢) أذاخر : موضع قرب مكة . القاموس المحيط (ذ خ ر) .

(٣) النسع : سَيْر يُنسج عريضًا على هيئة أعنَّة - سيور - النعال ، تُشدّ به الرحال ، والقطعة منه نِسعة ، وسمّى نسعًا لطوله . المحيط (ن س ع) .

(٤) الشعشاع : الطويل الحسن الخفيف اللحم . اللسان (ش ع ع) .

(٥) أوى له : رقَّ له ورحمه .

قالا : ومَن هو ؟ قال : سعدُ بنُ عُبادةَ . قالا : صَدَق واللَّهِ ، إن كان لَيُجِيرُ لنا تُجَّارَنا ويَمْنَعُهم أن يُظْلَموا ببلدِه . قال : فجاءا فَخَلَّصا سعدًا من أيديهم ، فانْطَلَق ، وكان الذى لَكَم سعدًا ، سُهَيْلُ بنُ عَمرٍو .

قال ابنُ هِشامٍ[1] : وكان الذى أَوَى له ، أبو البَخْتَرِىِّ بنُ هِشامٍ .

وروَى البَيْهَقِىُّ[2] بسندِه عن [3]عبدِ الحميدِ بنِ أبى عَبْسِ بنِ جَبْرٍ[3] ، [4]عن أبيه[4] ، قال : سَمِعَتْ قُرَيشٌ قائلًا يقولُ فى الليلِ على أبى قُبَيْسٍ :

فَإِنْ يُسْلِمِ السَّعْدانِ يُصْبِحْ محمدٌ ... بمكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخالِفِ

فلمَّا أصْبَحوا قال أبو سُفيانَ : مَنِ السَّعْدانِ ؟ أسعْدُ بنُ بكرٍ ، أم سعدُ بنُ هُذَيْمٍ ؟ فلمَّا كانَت الليلةُ الثانيةُ سَمِعوا قائلًا يَقولُ :

أيا سعدُ سعدَ الأَوسِ كُنْ أنت ناصِرًا ... ويا سعدُ سعدَ الخَزْرَجَيْنِ الغَطارِفِ[5]

أَجِيبا إلى داعى الهُدَى وَتَمَنَّيَا ... على اللَّهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ[6] عارِفِ

فإنَّ ثوابَ اللَّهِ للطالِبِ الهُدَى ... جِنانٌ مِن الفِردوسِ ذاتُ رَفارِفِ

فلمَّا أصْبَحوا قال أبو سُفيانَ : هو واللَّهِ سعدُ بنُ مُعاذٍ ، وسعدُ بنُ عُبادةَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٠.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٣ - ٣) فى الأصل، ا ١٥: «عيسى بن أبى عيسى بن حبر». وفى م، ص: «عيسى بن أبى عيسى بن جبير». وفى الدلائل: «عبد الحميد بن أبى عبس بن محمد بن خير». والمثبت من الدلائل مع تصحيح اسم خير إلى جبر من مصدر الترجمة. انظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٤٦. والاستيعاب ٤/ ١٧٠٨.

(٤ - ٤) سقط من: النسخ. وأثبتناه من الدلائل.

(٥) الغطاريف: جمع غِطريف، وهو السيد الكريم. وحذفت الياء للضرورة الشعرية.

(٦) المُنية: الأُمنيَّة.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا رَجَعَ الأنصارُ الذين بايَعُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبَةِ الثانيةِ إلى المدينةِ ، أظْهَرُوا الإسلامَ بها ، وفى قومِهم بَقايا مِن شُيوخٍ لهم ، على دينِهم مِن الشِّرْكِ ، منهم عَمرُو بنُ الجَمُوحِ بنِ زيدِ بنِ حَرامِ بنِ كعبِ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ ، وكان ابنُه معاذُ بنُ عمرٍو مِمَّن شَهِد العَقَبَةَ ، وكان عمرُو بنُ الجَمُوحِ مِن ساداتِ بنى سَلِمَةَ وأَشْرافِهم ، وكان قد اتَّخَذَ صَنَمًا مِن خَشَبٍ فى دارِه يُقالُ [٢/ ١٣٤و] له : مَنَاةُ . كما كانتِ الأَشْرافُ يَصْنَعون ، يَتَّخِذُه إلهًا يُعَظِّمُه ويُطَهِّرُه ، فلمَّا أَسْلَمَ فِتيانُ بنى سَلِمَةَ ؛ ابنُه معاذٌ ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، كانوا يُدْلِجُون بالليلِ على صنمِ عَمرٍو ذلك ، فيَحْمِلُونَه فيَطْرَحُونَه فى بعضِ حُفَرِ بنى سَلِمَةَ ، وفيها عِذَرُ الناسِ ، مُنَكَّسًا على رأْسِه ، فإذا أصْبَحَ عَمرٌو قال : وَيْلَكم ، مَن عَدا على إلهِنا هذه الليلةَ ؟ ثُم يَغْدو يَلْتَمِسُه ، حتى إذا وَجَده غَسَلَه وطَهَّرَه ، وطَيَّبَه ، ثُم قال : أمَا واللَّهِ لو أَعلمُ مَن فَعَل هذا بك ، لأُخْزِيَنَّه . فإذا أمْسَى ونامَ عَمرٌو ، عَدَوْا عليه ففَعَلوا مِثْلَ ذلك ، فيَغْدُو فيَجِدُه فى مِثْلِ ما كان فيه مِن الأذى ، فيَغْسِلُه ويُطَهِّرُه ويُطَيِّبُه ، ثُم يَعْدُون عليه إذا أمْسَى ، فيَفْعَلون به مِثْلَ ذلك ، فلمَّا أَكْثَرُوا عليه اسْتَخْرَجَه مِن حيثُ أَلْقَوْه يَوْمًا ، فغَسَلَه وطَهَّرَه وطَيَّبَه ، ثُم جاء بسيفِه فعَلَّقَه عليه ، ثُم قال له : إنِّى واللَّهِ ما أعلمُ مَن يَصْنَعُ بك ما أَرَى ، فإن كان فيك خيرٌ فامْتَنِعْ ، فهذا السيفُ معك . فلمَّا أمْسَى ونام عمرٌو ، عَدَوْا عليه فأخَذوا السيفَ مِن عُنُقِه ، ثُم أخَذوا كلْبًا مَيِّتًا فقَرَنوه به

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٢.

بحبلٍ ، ثُم أَلْقَوْه فى بِئْرٍ مِن آبارِ بنى سَلِمَةَ فيها عِذَرٌ مِن عِذَرِ الناسِ ، وغَدا عَمرُو بنُ الجَمُوحِ فلم يَجِدْه فى مكانِه الذى كان به ، فَخَرَج يَتَّبِعُه ، حتى إذا وَجَده فى تلك البئرِ مُنَكَّسًا مَقْرونًا بكلبٍ مَيِّتٍ ، (١) فلمَّا رآه (١) ، أبْصَر شَأْنَه ، وكَلَّمَه مَن أسْلَم مِن قومِه ، فأسْلَمَ برحمةِ اللَّهِ ، وحَسُن إسلامُه، فقال حينَ أَسْلَم ، وعَرَف مِن اللَّهِ ما عَرَف ، وهو يَذْكُرُ صنمَه ذلك ، وما أبْصَر مِن أَمرِه ، ويَشْكُرُ اللَّهَ الذى أَنْقَذَه مِمَّا كان فيه مِن العَمَى والضَّلالةِ :

والله لو كنتَ إلهًا لم تَكُنْ ... أنتَ وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ فى قَرَنْ (٢)

أُفٍّ لمَلْقاك إلهًا مُسْتَدَنْ (٣) ... الآنَ فَتَّشْناك عن سُوءِ الغَبَنْ (٤)

الحمدُ للَّهِ العَلِيِّ ذِى المِنَنْ ... الواهبِ الرَّزّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ (٥)

هو الذى أَنْقَذَنى مِن قَبْلِ أن ... أَكُونَ فى ظُلْمةِ قبرٍ مُرْتَهَنْ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) القرن : الحبل يُقرن به البعيران .

(٣) أى مخدوم .

(٤) الغبن : يقال : غبن رأيَه ، كما يقال : سَفِه نفسه . الروض الأنف ٤/ ١٥٤.

(٥) الدِّيَن : جمع دِينة وهى العادة ، ويقال لها دِين أيضًا . ويجوز أن يكون أراد بالدِّيَن : الأديان ، أى هو ديّان أهل الأديان . المصدر السابق ٤/ ١٥٤، ١٥٥.

فصلٌ يَتَضَمَّنُ أسماءَ مَنْ شَهِد بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثانيةِ

(١) وجُملتُهم على ما ذَكَره ابنُ إسحاقَ (١) ثلاثةٌ وسبعون رجلًا وامْرأتانِ؛ فمِن الأَوْسِ أحدَ عشَرَ رجُلًا؛ أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ أحَدُ النُّقَباءِ، وأبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، بَدْرِيٌّ أيضًا، وسَلَمَةُ بنُ سَلامةَ بنِ وَقْشٍ، بَدرِيٌّ أيضًا، وظُهَيْرُ بنُ رافعٍ، وأبو بُرْدَةَ بنُ نِيارٍ، بَدرِيٌّ، ونُهَيْرُ بنُ الهَيْثَمِ بنِ نابى بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارثةَ، وسعدُ بنُ خَيْثَمَةَ أحَدُ النُّقَبَاءِ، بَدْرِيٌّ، وقُتِل بها شَهيدًا، ورِفاعةُ بنُ عبدِ المُنذِرِ بنِ زَنْبَرٍ (٢)، نقيبٌ بَدْرِيٌّ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرِ بنِ النُّعْمانِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ البُرَكِ، بَدْرِيٌّ، وقُتِل يومَ أُحُدٍ شَهيدًا أميرًا على الرُّماةِ، ومَعْنُ بنُ عَدِيِّ بنِ الجَدِّ ابنِ عَجْلانَ بنِ الحارثِ بنِ ضُبَيْعَةَ البَلَوِيُّ، حَليفٌ للأَوْسِ، شَهِد بَدْرًا وما بعدَها وقُتِل باليمامَةِ (٣) شَهيدًا، وعُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ، شَهِد بدرًا وما بعدَها (٣)، ومِن الخَزْرَجِ اثنان وستون رجُلًا؛ أبو أيُّوبَ خالدُ بنُ زيدٍ، وشهِدَ بدرًا وما بعدَها، وماتَ بأرضِ الرُّومِ زمنَ مُعاوِيةَ شهيدًا، ومُعاذُ بنُ الحارثِ، وأخَواه عَوفٌ، ومُعَوِّذٌ، وهم بنو عَفْراءَ، بَدْرِيُّون، وعُمارةُ بنُ حَزْمٍ، شهِدَ بدرًا وما بعدَها وقُتِلَ باليمامةِ، وأَسعدُ بنُ زُرارَةَ أبو أُمامةَ، أحَدُ النُّقَباءِ، مات قبلَ بدرٍ، وسَهْلُ بنُ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر عدة أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية، فى سيرة ابن هشام ١/٤٥٤ - ٤٦٧.

(٢) فى الأصل، ص: «زير». وفى م: «زنير».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

عَتيكٍ ، بَدْرِىٌّ ، وأَوْسُ بنُ ثابتِ بنِ المنْذِرِ ، بَدْرِىٌّ ، وأبو طَلْحةَ زيدُ بنُ سَهْلٍ ، بَدْرِىٌّ ، وقيسُ بنُ أبى صَعْصَعَةَ عَمرِو بنِ زيدِ بنِ عوفِ بنِ مَبْذولِ بنِ عَمرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنٍ ، كان أميرًا على السَّاقةِ يومَ بَدْرٍ ، وعمرُو بنُ غَزِيَّةَ ، وسعدُ بنُ الرَّبيعِ أحَدُ النُّقَباءِ ، شَهِد بدرًا وقُتِل يومَ أُحُدٍ ، وخارِجَةُ بنُ زيدٍ ، شَهِد بدرًا وقُتِلَ يومَ أُحُدٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ أحَدُ النُّقَباءِ ، شَهِد بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ ، وقُتِل يومَ مُؤْتَةَ أميرًا ، وبَشِيرُ بنُ سعدٍ ، بَدْرِىٌّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ ربِّه ، الذى أُرِىَ النِّداءَ ، وهو بَدْرِىٌّ ، وخَلَّادُ بنُ سُوَيْدٍ ، بدرِىٌّ أُحُدِىٌّ خَنْدَقِىٌّ ، وقُتِل يومَ بنى قُرَيْظَةَ شهيدًا ، طُرِحَتْ عليه رَحًى فشَدَخَتْه ، فيُقالُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ له لَأَجْرَ شَهِيدَيْن » . وأبو مسعودٍ عُقْبَةُ بنُ عَمرٍو البدرِىُّ - قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وهو أحْدَثُ مَن شَهِد العَقَبَةَ سِنًّا ولم يَشْهَدْ بدرًا - وزِيادُ بنُ لَبِيدٍ ، بدرِىٌّ ، وفَرْوَةُ بنُ عمرِو بنِ وَدْفَةَ[2] ، بدرِىٌّ[3] ، وخالدُ ابنُ قيسِ بنِ مالكٍ ، بدرِىٌّ ، ورافعُ بنُ مالكٍ أحَدُ النُّقَباءِ ، وذَكْوانُ بنُ عبدِ قَيْسٍ ابنِ خَلْدَةَ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ ، وهو الذى يُقالُ له : مُهاجرِىٌّ أنصارِىٌّ . لأنَّه أقام عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/١٣٤ظ] بمكَّةَ حتى هاجَر منها ، وهو بدرِىٌّ ، قُتِل يومَ أُحُدٍ ، وعَبَّادُ بنُ قيسِ بنِ عامِرِ بنِ خالدِ[4] بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ ، بدرِىٌّ ، وأخوه الحارثُ بنُ قيسِ بنِ عامرٍ[5] ، بدرِىٌّ أيضًا ، والبَراءُ بنُ مَعْرُورٍ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٩.

(٢) فى ا ١٥: « وذقة » . وفى ص : « وفدة » . وفى السيرة : « وذقة » . بالذال . وبعده ذكَر ابن هشام أنه يُقال فيه : « ودفة » . بالدال . وهو ما صححه السهيلى فى الروض ٤/ ١٥٧.

(٣) سقط من : ا ١٥، م .

(٤) فى السيرة : « خلدة بن مخلد » .

(٥) فى السيرة : « خالد » .

أحدُ النُّقَباءِ وأولُ مَن بايَعَ فيما تَزْعُمُ بنو سَلِمَةَ ، وقد مات قبلَ مَقْدَمِ النبيِّ ﷺ المدينةَ ، وأوْصَى له بثُلُثِ مالِه ، فردَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ على وَرَثَتِه ، وابنُه بِشْرُ بنُ البَرَاءِ ، وقد شَهِدَ بدرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ ، ومات بخَيْبَرَ شَهيدًا مِن أكْلِهِ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن تلك الشَّاةِ المسمومةِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، وسِنانُ بنُ صَيْفِيِّ بنِ صَخْرٍ ، بدريٌّ ، والطُّفَيْلُ بنُ النُّعْمانِ بنِ خَنْساءَ ، بدريٌّ قُتِل يومَ الخَنْدَقِ ، ومَعْقِلُ بنُ المُنذرِ بنِ سَرْحٍ ، بدريٌّ ، وأخوه يزيدُ بنُ المنذرِ ، بدرِيٌّ ، ومسعودُ بنُ زيدِ بنِ سُبَيْعٍ ، والضَّحَّاكُ بنُ حارثةَ بنِ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ ، بدريٌّ ، ويزيدُ بنُ خِذامِ ابنِ سُبَيْعٍ ، وجُبَارُ بنُ صَخْرِ (١ بنِ أُمَيَّةَ ١) بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ ، بدريٌّ ، والطُّفَيْلُ بنُ مالكِ بنِ خَنْساءَ ، بدريٌّ ، وكعبُ بنُ مالكٍ ، وسُلَيْمُ بنُ عَمْرٍو[٢] ابنِ حَدِيدةَ ، بدريٌّ ، وقُطْبَةُ بنُ عامرِ بنِ حَدِيدةَ ، بدريٌّ ، وأخوه أبو المُنذِرِ يزيدُ ، بدريٌّ أيضًا ، وأبو اليَسَرِ كعبُ بنُ عمرٍو ، بدريٌّ ، وصَيْفِيُّ بنُ سَوادِ[٣] ابنِ عَبَّادٍ ، وثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمَةَ بنِ عَدِيِّ بنِ نابى ، بدريٌّ واسْتُشْهِد بالخَنْدَقِ ، وأخوه عَمْرُو بنُ غنمةَ بنِ عَدِيٍّ ، وعَبْسُ بنُ عامرِ بنِ عَدِيٍّ ، بدرِيٌّ ، وخالدُ بنُ عمرِو بنِ عَدِيِّ بنِ نابى ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ ، حليفٌ لهم مِن قُضاعَةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عَمرِو بنِ حَرامٍ أحَدُ النُّقَباءِ ، بدريٌّ واستُشْهِد يومَ أُحُدٍ ، وابنُه جابرُ ابنُ عبدِ اللَّهِ ، ومُعاذُ بنُ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ ، بدريٌّ ، وثابتُ بنُ الجِذْعِ ، بدريٌّ وقُتِل شَهيدًا بالطَّائفِ ، وعُمَيْرُ بنُ الحارثِ ابنِ ثَعْلَبَةَ ، بدريٌّ ، وخَدِيجُ بنُ سَلامةَ ، حَلِيفٌ لهم مِن بَلِيٍّ ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، شَهِد بدرًا وما بعدَها ، ومات بطاعونِ عِمْواسَ فى خِلافةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، وعُبادةُ بنُ الصَّامتِ أحَدُ النُّقَباءِ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١ ١٥ ، ص .

(٢) فى م : « عامر » . وهو أحد أقوال ثلاث عند ابن الأثير . أسد الغابة ٢/ ٤٤٧ .

(٣) فى الأصل ، ١ ١٥ : « أسود » .

شَهِد بدرًا وما بعدَها ، والعباسُ بنُ عُبادَةَ بنِ نَضْلَةَ ، وقد أقامَ بمكةَ حتى هاجَر منها ، فكان يُقالُ له : مُهاجريٌّ أنصاريٌّ أيضًا ، وقُتِل يومَ أُحُدٍ شهيدًا ، وأبو عبدِ الرحمنِ يزيدُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمَةَ[1] بنِ أَصْرَمَ ، حليفٌ لهم مِن بَلِيٍّ ، وعمرُو ابنُ الحارثِ بنِ لَبْدَةَ ، ورِفاعَةُ بنُ عَمْرِو بنِ زيدٍ ، بَدْريٌّ ، وعُقْبَةُ بنُ وَهْبِ بنِ كَلْدَةَ ، حليفٌ لهم بَدْريٌّ ، وكان ممَّن خرَج إلى مكةَ ، فأقامَ بها حتى هاجَرَ منها ، فهو مِمَّن يُقالُ له : مُهاجِريٌّ أنصاريٌّ أيضًا . وسعدُ بنُ عُبَادَةَ بنِ دُلَيْمٍ ، أحدُ النُّقَباءِ ، والمُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو ، نَقِيبٌ بَدْريٌّ أُحُدِيٌّ ، وقُتِلَ يومَ بئرِ مَعُونَةَ أميرًا ، وهو الذى يُقالُ له : أَعْنَقَ[2] لِيَمُوتَ .

وأما المرأتانِ ؛ فأمُّ عُمَارَةَ نَسِيبَةُ بنتُ كَعْبِ بنِ عمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مَبْذولِ ابنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنِ بنِ النَّجَّارِ المازِنيةُ النجَّاريةُ . قال ابنُ إِسْحاقَ[3] : وقد كانت شَهِدَتِ الحربَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وشَهِدَتْ معها أختُها ، وزوجُها زيدُ بنُ عاصمِ [4]بنِ كَعْبٍ ، وابناها حَبِيبٌ[5] وعبدُ اللَّهِ ، وابنُها حَبِيبٌ[5] هذا هو الذى قَتَلَه مُسَيْلِمَةُ الكذابُ[4] ، حينَ جَعَل يقولُ له : أَتَشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ؟ فيقولُ : نَعَمْ . فيقولُ : أَتَشْهَدُ أنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ فيقولُ : لا أَسْمَعُ . فجعَل يُقَطِّعُه عُضْوًا عُضْوًا ، حتى مات فى يَدَيْه ، لا يَزيدُه على ذلك ، فكانت أمُّ عُمَارَةَ ممَّن خرَج إلى اليَمامةِ مع المسلمين حينَ قُتِلَ مُسَيْلِمةُ ، ورجعَتْ وبها اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا ، مِن بينِ طعنةٍ وضربةٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها وأَرْضَاها ، والأُخْرَى أمُّ

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « خزيمة » .

(٢) فى م ، ص : « أعتق » . وأعنق : أسرع . الوسيط (ع ن ق) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٨ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى م : « خبيب » .

مَنِيعِ أسماءُ بنتُ عَمْرِو بنِ عَدِيٍّ بنِ نابى بنِ عَمْرِو بنِ سَوَادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ ابنِ سَلَمَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها .

(١ بابُ بَدْءِ(٢) الهجرةِ مِن مكةَ إلى المدينةِ)١

قال الزُّهْرِيُّ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ، قالَتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ، وهو يَوْمَئِذٍ بمكةَ، لِلمُسْلِمِينَ: «قد أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكم، أُرِيتُ سَبْخَةً(٣) ذاتَ نَخْلٍ بينَ لابَتَيْنِ». فهاجَرَ مَن هاجَرَ قِبَلَ المدينةِ حينَ ذكَرَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ، ورجَعَ إلى المدينةِ مَن كانَ هاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ مِن المسلمينَ. رواه البُخاريُّ(٤).

وقال أبو موسَى(٥)، عن النبيِّ ﷺ: «رأيتُ فِي المَنامِ أَنِّي أُهاجِرُ مِن مكَّةَ إلى أرضٍ بِها نخلٌ، فذهَبَ وَهْلِي(٦) إلى أنَّها اليَمامَةُ أو هَجَرُ، فَإِذَا هِي المدينَةُ يَثْرِبُ». وهذا الحديثُ قد أسنَدَه البخاريُّ(٧) فى مواضِعَ أُخَرَ بِطُولِه، ورواه مسلمٌ(٨)، كِلاهما(٩) عن أبى كُرَيْبٍ. زاد مُسْلمٌ: وعبدِ اللَّهِ بنِ بَرَّادٍ(١٠)، كِلاهما عن أبى أُسامةَ، عن بُرَيْدِ(١١) بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ، عن جدِّه أبى

(١ - ١) سقط من: ا ١٥.

(٢) سقط من: م.

(٣) السبخة: أرض ذات نَزٍّ وملح. تاج العروس (س ب خ).

(٤) البخارى (٢٢٩٧).

(٥) علقه البخارى بصيغة الجزم عن أبى موسى. انظر الفتح ٧/ ٢٢٦.

(٦) وَهَل إلى الشىء يهِل وَهْلا: إذا ذهب وهمه إليه. النهاية ٥/ ٢٣٣.

(٧) البخارى (٣٦٢٢، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١).

(٨) مسلم (٢٢٧٢).

(٩) سقط من: ا ١٥.

(١٠) فى النسخ: «مراد». والمثبت من صحيح مسلم. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٧.

(١١) فى النسخ: «يزيد». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠.

بُرْدَةَ ، عن أبى موسى عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ الأشعرىِّ ، عن النبىِّ ﷺ ، الحديثَ بِطولِه .

و[1] قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقِىُّ[2] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إملاءً[3] ، أخبَرَنا أبو العباسِ القاسمُ بنُ القاسمِ السَّيَّارِىُّ بمَرْوَ[4] ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ هِلالٍ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ الحَسَنِ بنِ شَقيقٍ ، حدَّثَنا عيسَى بنُ عُبَيْدٍ الكِنْدِىُّ ، عن غَيْلانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ العامرىِّ ، عن أبى زُرْعةَ بنِ عمرِو بنِ جريرٍ ، [5]عن جريرٍ[5] ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلىَّ : أَىَّ هؤلاءِ البِلادِ الثَّلاثِ نَزَلْتَ فهى دارُ هِجْرَتِك ؛ المَدِينَةَ ، أو البَحْرَيْنِ ، أو قِنَّسْرِينَ[6] » . قال أهْلُ العِلْمِ : ثُم عزَمَ له على المدينةِ [٢/ ١٣٥و] فأمَرَ أصحابَه بالهِجْرةِ إليها . هذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا .

وقد روَاه التِّرْمِذىُّ فى المناقِبِ مِن « جامِعِه »[7] مُنْفَرِدًا به ، عن أبى عمَّارٍ[8] الحُسَيْنِ بنِ حُرَيْثٍ[9] ، عن الفَضْلِ بنِ مُوسَى ، عن عِيسَى بنِ عُبَيْدٍ ، عن غَيْلانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ العامرِىِّ ، عن أبِى زُرْعَةَ [10]بنِ عمْرِو[10] بنِ جريرٍ ، عن جريرٍ[11] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلىَّ : أَىَّ هؤلاء الثَّلاثةِ نَزَلْتَ ، فهى

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٤٥٨.

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) مرو : مدينة بفارس معروفة . معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٦.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٣٤، ٣٣/ ٣٢٣.

(٦) قنسرين : بلد بالشام . اللسان (قنسر) .

(٧) الترمذى (٣٩٢٣) . موضوع (ضعيف سنن الترمذى ٨٢٢) .

(٨) فى ا ١٥: « عمارة » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.

(٩) فى ص : « الحارث » . وانظر المصدر السابق ٦/ ٣٥٨.

(١٠ - ١٠) سقط من : ا ١٥، وفى م : « بن عمر » . وانظر المصدر السابق ٣٣/ ٣٢٣.

(١١) بعده فى ا ١٥: « ابن عمرو » . وانظر المصدر السابق ٤/ ٥٣٣.

دارُ هِجْرَتِك ؛ المدينةَ ، أو البَحْرَيْنِ ، أو قِنَّسْرِينَ » . ثم قال : غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ الفَضْلِ . تفرَّدَ به أبو عمَّارٍ . قلتُ : وغَيْلانُ بنُ عبدِ اللَّهِ العامريُّ هذا ، ذكَرَه ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ »[1] ، إلَّا أنَّه قال : رَوَى عن أبى زُرْعَةَ حديثًا مُنْكَرًا فى الهجرةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ إسْحاقَ[2] : لـمّا أَذِنَ اللَّهُ تعالى فى الحَرْبِ بقولِه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ الآيةَ [الحج : ٣٩، ٤٠] . فلمَّا أَذِنَ اللَّهُ فى الحَرْبِ ، وبايعَه[3] هذا الحىُّ مِن الأنصارِ على الإسلامِ والنُّصْرَةِ له ولِمَن اتَّبَعَه وأوَى إليهم مِن المسلمينَ ، أمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه[4] مِن المهاجرين مِن قومِه ومَن معَه بمكةَ مِن المسلمينَ بالخُروجِ إلى المدينةِ ، والهِجْرَةِ إليها ، واللُّحوقِ بإخوانِهم مِن الأَنصارِ ، وقال : « إنَّ اللَّهَ قد جعَلَ لكم إخْوَانًا ودَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا » . فخَرجوا[5] أَرْسَالًا[6] ، وأقامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ يَنْتَظِرُ أن يَأْذَنَ له رَبُّه فى الخروجِ مِن مكةَ والهجرةِ إلى المدينةِ ، فكانَ أولَ مَن هاجَرَ إلى المدينةِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المهاجرينَ مِن قُرَيْشٍ مِن بَنى مَخْزومٍ ، أبو سَلَمَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الأَسَدِ بنِ هلالِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ،

---

(١) الثقات ٧/ ٣١١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « تابعه » .

(٤) سقط من : ص .

(٥) بعده فى الأصل ، م ، ص : « إليها » .

(٦) أرسالا : أى أفواجا وفِرَقا منقطعة ، يتبع بعضهم بعضا . النهاية ٢/ ٢٢٢.

وكانَتْ هِجْرتُه إليها قبلَ بَيْعةِ[1] العَقَبَةِ بِسَنَةٍ، حينَ آذَتْه قُرَيْشٌ مَرْجِعَهُ مِن الحَبَشَةِ، فعزَمَ على الرُّجوعِ إليها، ثُم بلَغَه أنَّ بالمدينةِ لهم إخوانًا فعزَمَ إليها.

قال ابنُ إِسْحاقَ[2]: فحدَّثَنى [3]أبى، عن[3] سَلَمَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[4] بنِ أبى سَلَمَةَ، عن جدَّتِه أمِّ سَلَمَةَ، قالَتْ: لمَّا أجْمَعَ أبو سَلَمَةَ الخروجَ إلى المدينةِ، رَحَّل[5] لى بعيرَه، ثُم حمَلَنى عليه وجعَلَ معى ابنى سَلَمَةَ بنَ أبى سلمةَ فى حِجْرِى، ثُم خرَجَ يَقودُ بى بعيرَه، فلمَّا رأَتْه رِجالُ بنى المُغيرةِ قاموا إليه فقالوا: هذه نفسُك غَلَبْتَنا عليها، أرأَيْتَ صاحبتَنا هذه عَلَامَ نَتْرُكُك تَسِيرُ بها فى البِلادِ؟ قالَتْ: فنَزَعوا خِطامَ البعيرِ مِن يدِه وأخَذونى منه. قالَتْ: وغضِبَ عندَ ذلك بنو عبدِ الأسدِ رَهْطُ أبى سَلَمَةَ، فقالوا: واللَّهِ لا نَتْرُكُ ابنَنا عندَها إذ نَزَعْتُموها مِن صاحِبِنا. قالَتْ: فتَجاذبوا ابنى سَلَمَةَ بينَهم حتى خَلَعُوا يدَه، وانطلَقَ به بنو عبدِ الأَسدِ، وحبَسنى بنو المغيرةِ عندَهم، وانطَلَقَ زوجى أبو سَلَمَةَ إلى المدينةِ. قالَتْ: فَفُرِّقَ بينى وبينَ ابنى وبينَ زوجى. قالَتْ: فكنتُ أَخْرُجُ كلَّ غَداةٍ فأَجْلِسُ فى الأَبْطَحِ، فما أَزالُ أَبْكِى حتَّى أُمْسِىَ - سنةً أو قريبًا منها - حتى مَرَّ بى رجلٌ مِن بنى عَمِّى أحدُ بنى المغيرةِ، فرأَى ما بى فرحِمَنى، فقال لبنى المغيرةِ: ألا تُخْرِجونَ[6] هذه المِسْكينةَ؟ فَرَّقْتُم بينَها وبينَ زوجِها

---

(١) فى ص: «بعثة».

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٩، ٤٧٠.

(٣ - ٣) فى ص: «أبو». وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٩٥.

(٤) فى ص: «عمرو». وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٣.

(٥) رحل الإبل: وضع عليها رحالها. الوسيط (ر ح ل).

(٦) بعده فى النسخ: «من». والمثبت من السيرة.

وبينَ ولَدِها ؟ قالَتْ : فقالوا لى : الْحَقى بزَوْجِك إن شِئْتِ . قالَتْ : فَرَدَّ بنو عبدِ الأسدِ إلىَّ عندَ ذلك ابنى . قالَتْ : فارْتَحَلْتُ بعيرى ، ثُم أخذْتُ ابنى فوضَعْتُه فى حِجْرِى ، ثُم خرَجْتُ أُريدُ زوجى بالمدينةِ . قالَتْ : وما مَعى أحدٌ مِن خَلْقِ اللَّهِ ، حتى إذا كنتُ بالتَّنْعِيمِ[1] لَقِيتُ عُثْمانَ بنَ طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ أخا بنى عبدِ الدارِ ، فقال : إلى أينَ يا بنةَ أبى أُمَيَّةَ ؟ قلْتُ : أريدُ زوجى بالمدينةِ . قال : أوَ ما معَكِ أحَدٌ ؟ قلْتُ : ما معى أحدٌ إلا اللَّهُ وابنى هذا . فقال : واللَّهِ ما لَكِ من مَتْرَكٍ . فأخَذَ بخِطامِ البعيرِ ، فانطَلَقَ معى يَهْوِى بى ، فواللَّهِ ما صَحِبْتُ رجلًا مِن العَرَبِ قطُّ أَرَى أنَّه كانَ أكْرَمَ منه ؛ كان إذا بَلَغَ المَنْزِلَ أناخَ بى ، ثُم استأخَرَ عنى ، حتى إذا نزَلْتُ ، اسْتَأْخَرَ ببعيرى فَحَطَّ عنه ، ثُم قَيَّدَه فى الشَّجَرِ ، ثُم تَنَحَّى إلى شجرةٍ فاضطَجَعَ تحْتَها ، فإذا دَنا الرَّواحُ[2] قامَ إلى بعيرى فقدَّمَه فرَحَّلَه ، ثُم اسْتَأْخَرَ عَنى ، وقال : اركَبى . فإذا رَكِبْتُ فاستَوَيْتُ على بَعيرى ، أَتَى فأخَذَ بخِطامِه فقادَنى حتى يَنْزِلَ بى ، فلم يَزَلْ يَصْنَعُ ذلك بى حتى أقْدَمَنى المدينةَ ، فلمَّا نظَرَ إلى قريةِ بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ بِقُباءٍ ، قال : زوجُك فى هذه القريةِ - وكان أبو سَلَمَةَ بها نازلًا - فادْخُليها على بركةِ اللَّهِ . ثُم انصَرَفَ راجعًا إلى مكةَ ، فكانَتْ تَقولُ : ما أَعْلَمُ أهْلَ بيتٍ فى الإسلامِ أصابَهم[3] ما أصابَ آلَ أبى سَلَمَةَ ، وما رأيْتُ صاحبًا قطُّ كان أكْرَمَ مِن عثمانَ بنِ طَلْحَةَ .

أسلَمَ عثمانُ بنُ طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ العَبْدَرىُّ هذا بعدَ الحُدَيْبِيَةِ ، وهاجَرَ هو وخالدُ بنُ الوليدِ معًا ، وقُتِلَ يومَ أُحُدٍ أبوه وإخوتُه ؛ الحارثُ ، وكِلابٌ ،

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة . معجم البلدان ١/ ٨٧٩.

(٢) الرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، ويقابله الصباح . الوسيط (ر و ح) .

(٣) سقط من : الأصل .

ومُسَافِعٌ ، وعمُّه عثمانُ بنُ أبى طَلْحةَ ، ودفَعَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفَتْحِ وإلى ابنِ عمِّه شَيْبَةَ ، (١) والدِ بنى شَيْبَةَ (١) ، مفاتيحَ الكَعْبةِ ، أَقَرَّهَا عليهم فى الإسلامِ كما كانَتْ فى الجاهليةِ (٢) . ونزَلَ فى ذلك قولُه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ الآية [النساء: ٥٨] .

قال ابنُ إِسْحاقَ (٣) : ثُم كانَ أولَ مَن قَدِمَها مِن المهاجرين بعدَ أبى سَلَمَةَ ، عامرُ بنُ رَبيعةَ حليفُ بنى عَدِىٍّ ، معَه امرأتُه لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمَةَ (٤) العَدَوِيَّةُ ، ثُم عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِيابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كثيرِ (٥) بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدِ [٢/ ١٣٥ظ] بنِ خُزَيْمةَ ، حليفُ بنى أميةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ ، احتَمَلَ بأهْلِه ، وبأخيه عبدِ (٦) أبى أحمدَ - (٧) اسمُه عَبْدٌ كما ذكَرَه ابنُ إِسْحاقَ ، وقيل : ثُمامةُ . قال السُّهَيْلِىُّ (٨) : والأولُ أَصَحُّ (٧) - وكان أبو أحمدَ رجلًا (٩) ضريرَ البَصَرِ (٩) وكان يَطوفُ مكةَ أعْلاها وأسْفَلَها بغيرِ قائدٍ ، وكان شاعرًا ، وكانَتْ عندَه الفارِعةُ (١٠) بنتُ أبى سُفيانَ بنِ حَرْبٍ ، وكانَتْ أمُّه أُمَيْمةَ بنتَ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ ، فَغُلِقَتْ دَارُ بنى جَحْشٍ هجرةً ، فمرَّ بها عُتبةُ بنُ ربيعةَ

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر الروض الأنف ٤/ ١٦٢، وأسد الغابة ٢/ ٥٣٥.

(٢) انظر : الروض الأنف ٤/ ١٦٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٠، ٤٧١.

(٤) فى ا ١٥: «حتمة» . وانظر أسد الغابة ٧/ ٢٥٦.

(٥) فى ا ١٥، م: «كبير» . وانظر أسد الغابة ٣/ ١٩٤.

(٦) فى الأصل : «عند» . وانظر أسد الغابة ٣/ ٥١٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل . وهذه العبارة الطويلة كلام المصنف ، يعود السياق بعدها إلى السيرة .

(٨) الروض الأنف ٤/١٦٢ ، وفيه ذكْر اسم عبدٍ فقط ، ولم يذكر السهيلى اسمين ويصحح أحدهما . وقد ذكر اسم «ثمامة» ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/١٥٩٣ . وقال : ولا يصح .

(٩ - ٩) سقط من : ا ١٥. وانظر أسد الغابة ٦/ ٧.

(١٠) فى ا ١٥، ص : «الفرعة» . وانظر أسد الغابة ٦/ ٧، ٧/ ٢١٥، والإصابة ٨/ ٤٩.

والعباسُ بنُ عبدِ المطلبِ وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، وهم مُصْعِدُون إلى أعلى مَكَّةَ، فنظَرَ إليها عُتْبةُ تَخْفِقُ أبوابُها يَبابًا[1] ليسَ بها ساكنٌ، فلمَّا رآها كذلك تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ وقال:

وكُلُّ دارٍ وإنْ طَالَتْ سلامتُها يومًا ستُدْرِكُها النَّكْباءُ والحُوبُ[2]

قال ابنُ هِشامٍ: وهذا البيتُ لأبى دُوَادٍ الإيادىِّ فى قصيدةٍ له.[3] قال السُّهَيْلِىُّ[4]: واسمُ أبى دُوَادٍ حَنْظَلَةُ بنُ شَرْقِىٍّ. وقيل: جاريةٌ[5][3]. ثُم قال عُتْبَةُ: أَصْبَحَتْ دَارُ بنى جَحْشٍ خَلاءً مِن أهلِها. فقال أبو جَهْلٍ: وما تَبْكِى عليه مِن [6]قُلِّ بنِ قُلٍّ[6]. ثُم قالَ - يعنى للعباسِ -: هذا مِن عَمَلِ ابنِ أخيك هذا، فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وشَتَّتَ أَمْرَنَا، وقطَّعَ بَيْنَنا.

قال ابنُ إِسْحاقَ[7]: فنزَلَ أبو سَلَمَةَ، وعامرُ بنُ رَبيعةَ، وبنو جَحْشٍ بِقُبَاءٍ على مُبَشِّرِ بنِ عبدِ المنذرِ، ثُم قدِمَ المهاجرون أَرْسالًا. قال: وكان بنو غَنْمِ بنِ دُودَانَ أهلَ إِسلامٍ قد أَوْعَبوا[8] إلى المدينةِ هجرةً رجالُهم ونِساؤُهم[9]؛ عبدُ اللَّهِ ابنُ جَحْشٍ، وأخوه أبو أَحْمَدَ، وعُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ، وشُجاعٌ وعُقْبَةُ[10] ابنا

---

(١) اليباب: الخراب. اللسان (ى ب ب).

(٢) قال ابن هشام: والحوب: التوجع، وهو فى موضع آخر: الحاجة، ويقال: الحوبُ الإثمُ.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ١٥.

(٤) الروض الأنف ٤/ ١٦٣.

(٥) فى م، ص: «حارثة». والمثبت من الروض الأنف.

(٦ - ٦) فى م، ص: «فل بن فل». وهو قُلُّ بن قُلٍّ، وضُلُّ بنُ ضُلٍّ: لا يُعرف هو ولا أبوه. اللسان (ق ل ل).

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧١ - ٤٧٤.

(٨) أوعبوا: لم يتخلف منهم أحد.

(٩) بعده فى ا ١٥، م: «وهم».

(١٠) فى الأصل: «عتبة». وانظر أسد الغابة ٤/ ٦١.

وَهْبٍ ، [1] وأَرْبَدُ بنُ حُمَيِّرَةَ[2][1] ، ومُنقِذُ بنُ نُباتَةَ ، وسَعيدُ بنُ رُقَيْشٍ[3] ، ومُحْرِزُ ابنُ نَضْلَةَ ، ويَزِيدُ[4] بنُ رُقَيْشٍ[5] ، وقَيْسُ بنُ جابرٍ ، وعمرُو بنُ مِحْصَنٍ ، ومالكُ ابنُ عَمْرٍو ، وصفوانُ بنُ عمرٍو ، وثَقْفُ[6] بنُ عمرٍو ، وربيعةُ بنُ أَكْثَمَ ، والزُّبَيْرُ ابنُ عُبَيْدةَ ، وتَمَّامُ بنُ عُبَيْدَةَ ، [7]وسَخْبَرةُ بنُ عُبَيْدةَ[7] ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ ، ومِن نِسائِهم زينبُ بنتُ جَحْشٍ ، وحَمْنَةُ[8] بنتُ جَحْشٍ ، وأُمُّ حَبِيبٍ[9] بنتُ جَحْشٍ ، وجُذَامةُ[10] بنتُ جَنْدَلٍ ، وأُمُّ قَيْسٍ بنتُ مِحْصَنٍ ، وأُمُّ حَبيبٍ بنتُ ثُمامةَ ، وآمنةُ بنتُ رُقَيْشٍ ، وسَخْبَرَةُ بنتُ تَميمٍ . قال أبو أحمدَ بنُ جَحْشٍ فى هِجْرتِهم إلى المدينةِ :

و[11]لَمَّا رَأَتْنِى أُمُّ أحمدَ غاديًا ... بذِمَّةِ مَنْ أَخْشَى بغَيْبٍ وأرهَبُ

تَقولُ فإمَّا كنتَ لا بُدَّ فاعلًا ... فيَمِّمْ[12] بنا البُلْدانَ ولْتَنْأَ يَثْرِبُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ١٥، م ، ص : « جميرة » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ١/ ٧٢، والإصابة ١/ ٤٢ .

(٣) فى ا ١٥: « قيس » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٨٦.

(٤) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من السيرة . وانظر المصدر السابق ٥/ ٤٨٧ .

(٥) فى ا ١٥: « قيس » . وانظر المصدر السابق .

(٦) فى ص : « يقف » . وانظر المصدر السابق ١/ ٢٩٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ص .

(٨) فى ا ١٥: « حمينة » . وانظر المصدر السابق ٧/ ٦٩.

(٩) فى الأصل ، ا ١٥، م : « حبيبة » . وانظر المصدر السابق ٧/ ٣١٤. والإصابة ٨/ ١٨٨.

(١٠) فى الأصل : « حدامة » . وفى ا ١٥، م : « جدامة » . وانظر أسد الغابة ٧/ ٤٧. والإصابة ٧/ ٥٥١.

(١١) سقط من : ا ١٥، ص .

(١٢) يمم : اقصد .

فقلتُ لها (١ما يَثْرِبٌ بِمَظِنَّةٍ١) وما يَشَأِ الرَّحْمنُ فالعبدُ يَرْكَبُ

إلى اللَّهِ وجْهى والرسولِ ومَنْ يُقِمْ إلى اللَّهِ يومًا وجْهَه لا يُخيَّبُ

فكَمْ قد ترَكْنا مِن حَمِيمٍ مُنَاصِحٍ وناصحةٍ تَبْكِى بِدَمْعٍ وتَنْدُبُ

تَرى أنَّ وِترًا[٢] نَأْيُنا[٣] عن بلادِنا ونحن نَرى أنَّ الرَّغائبَ نَطْلُبُ

دَعَوْتُ بنى غَنْمٍ لحَقْنِ دمائِهم وللحَقِّ لمّا لاحَ للناس مَلْحَبُ[٤]

أَجابوا بحمدِ اللَّهِ لمّا دَعَاهُمُ إلى الحقِّ دَاعٍ والنَّجاحِ فأَوْعَبوا

وكنّا وأصحابٌ لنا فارَقوا الهُدَى أَعانوا علينا بالسلاحِ وأَجْلَبوا

كفوجَيْن أمَّا مِنهما فمُوَفَّقٌ على الحَقِّ مَهْدِىٌّ وفوجٌ مُعَذَّبُ

طَغَوْا وتمنَّوا كِذْبةً وأزلَّهم عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخَيَّبوا

ورِعْنا[٥] إلى قولِ النبىِّ محمدٍ فطابَ وُلاةُ الحقِّ منا وطَيَّبوا

نَمُتُّ بأرحامٍ إليهم قَريبَةٍ ولا قُرْبَ بالأَرحامِ إذ لا تُقَرَّبُ

فأىُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يَأْمَنَنَّكم وأيَّةُ صِهْرٍ بعدَ صِهْرِىَ تُرْقَبُ

(١ - ١) فى السيرة : « بل يثرب اليوم وجْهُنا » .

(٢) الوتر : الثأر ، والحقد . يعنى أنها ترى أن تغرُّبهم عن بلادهم أمرٌ يُطلب الثأر لأجله .

(٣) فى ا ١٥، م : « نائيًا » .

(٤) الملحب : الطريق الواضحة .

(٥) راع : رجع وعاد . اللسان (ر ى ع) .

ستَعْلَمُ يومًا أيُّنا إذ تَزَيَّلوا[1] وزُيِّلَ أمرُ الناسِ لِلحَقِّ أصْوَبُ

قال ابنُ إسْحاقَ[2] : ثُم خرَجَ عمرُ بنُ الخَطّابِ ، وعَيَّاشُ بنُ أبى ربيعةَ حتى قَدِما المدينةَ ، فحدَّثَنى نافعٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن أبيه قال : اتَّعَدْتُ[3] ، لَمَّا أَرَدْنا الهِجْرةَ إلى المدينةِ ، أنا وعيّاشُ بنُ أبى رَبيعةَ وهِشامُ بنُ العاصِ ، التَّناضِبَ[4] مِن أضاةِ بنى غِفَارٍ[5] فوقَ سَرِفَ ، وقلنا : أَيُّنا لم يُصْبِحْ عندَها ؛ فقد حُبِسَ ، فَلْيَمْضِ صاحِباه . قال : فأصْبَحْتُ أنا وعيّاشٌ عندَ التَّناضِبِ ، وحُبِسَ هِشامٌ وفُتِنَ فافْتَتَنَ ، فلمّا قدِمْنا المدينةَ نزَلْنا فى بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ بِقُباءٍ ، وخرَجَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ والحارثُ بنُ هِشامٍ إلى عَيَّاشٍ - وكان ابنَ عمِّهما وأخاهما لأمِّهما - حتى قدِما المدينةَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، فكلَّماه وقالا له : إنَّ أُمَّك قد نَذَرَتْ أنْ لا يَمَسَّ رأْسَها مُشْطٌ حتى تَراك ، ولا تَسْتَظِلَّ مِن شَمْسٍ حتى تَراك . فَرَقَّ لها ، فقلْتُ له : إنَّه واللَّهِ إن يُرِيدُك القوْمُ إلا لِيَفْتِنوك[6] عن دينِك فاحْذَرْهم ، فواللَّهِ لو قد آذَى أمَّك القَمْلُ لامْتَشَطَتْ ، ولو قد اشتَدَّ عليها حرُّ مكةَ لاسْتَظَلَّتْ . قال : فقال : أبَرٌّ قَسَمَ أُمِّى ، ولى هنالك مَالٌ فآخُذُه . قال : قلتُ : واللَّهِ إنَّك لَتَعْلَمُ أنِّى لَمِن أكثرِ قُرَيْشٍ مالًا ، فلك نِصْفُ مالى ولا تَذْهَبْ معَهما . قال : فأبى علىَّ إلا أنْ يَخْرُجَ معَهما ، فلمّا أَبى

---

(١) تزيلوا : تباينوا وتفرقوا . الوسيط (ز ى ل) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٤٧٤ - ٤٧٦.

(٣) أى تواعدت .

(٤) التناضب : أماكن معلومة تنبت التَّنْضُب ، والتنضب نبات برى معمر . معجم ما استعجم ١/ ٣٢٠، ٢/ ٦٧٢.

(٥) الأضاءة : الماء المستنقع من سيل أو غيره . وغفار : قبيلة من كنانة موضع قريب من مكة فوق سَرِف قرب التناضب . معجم البلدان ١/ ٣٠٤.

(٦) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ص .

إلا ذلك قلتُ: أَمَا إذْ قد فعَلْتَ ما فعَلْتَ، فَخُذْ ناقتى هذه فإنَّها ناقةٌ نجيبةٌ ذَلولٌ، فالزَمْ ظَهْرَها، فإنْ رَابَك مِن[1] القومِ رَيْبٌ فَانْجُ عليها. فخرَجَ عليها معَهما، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ قال له أبو جَهْلٍ: يا أخى، واللَّهِ لقد استَغْلَظْتُ بَعيرى هذا، أفلا تُعْقِبُنى على ناقتِك هذه. قال: بلى. فأَناخ وأَناخا لِيَتَحَوَّلَ عليها، فلما اسْتَوَوْا بالأرضِ عَدَوا عليه فأَوْثَقاه رِباطًا، ثُم دخَلا به مكةَ وفتَناه فافتَتَنَ. قال عمرُ: فكنّا نَقولُ: لا يَقْبَلُ اللَّهُ ممَّن افتَتَنَ تَوْبةً. وكانوا يَقولون ذلك لأنفسِهم، حتى قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وأنزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ [٢/١٣٦و] أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣- ٥٥]. قال عمرُ: فكتَبْتُها بيدى[2]، وبعَثْتُ بها إلى هِشامِ بنِ العاصِ. قال هِشامٌ: فلمَّا أَتَتْنى جعَلْتُ أقْرَؤُها بذى طُوًى[3]، أُصَعِّدُ بها فيه[4] وأُصَوِّبُ[5]، ولا أَفْهَمُها، حتى قلتُ: اللهم فَهِّمْنيها. فأَلْقَى اللَّهُ فى قَلْبى أنَّها إنَّما أُنْزِلَتْ فينا وفيما كنّا نَقولُ فى أنفُسِنا ويُقالُ فينا. قال: فرجَعْتُ إلى بعيرى فجلَسْتُ عليه، فلحِقْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ. وذكَرَ ابنُ هِشامٍ[6] أنَّ الذى قَدِمَ بهِشامِ بنِ العاصِ، وعيَّاشِ بنِ أبى ربيعةَ إلى المدينةِ

---

(١) بعده فى ا ١٥، م، ص: «أمر».

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) ذو طوى: مقصور منون، واد بمكة. معجم ما استعجم ٣/ ٨٩٦.

(٤) سقط من: م.

(٥) صوب: خفض. والتصويب: خلاف التصعيد. تاج العروس (ص و ب).

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٦.

الوليدُ [1] بنُ الوليدِ [1] بنِ المغيرةِ ، سرَقَهما مِن مكةَ وقدِمَ بهما يَحْمِلُهما على بعيرِه وهو ماشٍ معَهما ، فعثَرَ فدَمِيَتْ أُصْبُعُه فقال :

هل أنتِ إلا أُصْبُعٌ دَمِيتِ وفى سبيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

وقال البخاريُّ [2] : حدَّثَنا أبو الوليدِ ، حدَّثَنا شُعْبةُ ، أَنْبَأَنا أبو إسحاقَ ، سمِعَ البَرَاءَ قال : أولُ مَنْ قَدِمَ علينا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وابنُ أمِّ مَكْتُومٍ ، ثُم قَدِمَ علينا [3] عمَّارٌ وبِلَالٌ .

وحدَّثَنى [4] محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدَّثَنا غُنْدَرٌ ، حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن أبى إِسْحاقَ ، سمِعْتُ البراءَ بنَ عازبٍ قال : أولُ مَنْ قَدِمَ علينا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ [5] ، وابنُ أمِّ مَكْتومٍ ، وكانا يُقْرِئَانِ الناسَ ، فقدِمَ بِلالٌ وسعدٌ وعمَّارُ بنُ ياسرٍ ، ثُم قدِمَ عمرُ ابنُ الخطابِ فى عِشْرينَ [6] مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، ثُم قَدِمَ النبىُّ ﷺ ، فما رأَيْتُ أهلَ المدينةِ فَرِحُوا بشىءٍ فَرَحَهُم برسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى جعَلَ الإماءُ يَقُلْنَ [7] : قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ . فما قَدِمَ حتى قَرَأْتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فى سُوَرٍ مِن المُفَصَّلِ . ورواه مسلمٌ [8] فى « صحيحِه » مِن حديثِ إِسْرائيلَ ، عن

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٣٩٢٤) .

(٣) سقط من : الأصل ، ١ ١٥ .

(٤) القائل البخارى ، صحيح البخارى (٣٩٢٥) .

(٥) فى ص : « الزبير » .

(٦) بعده فى م ، ص : « نفرا » .

(٧) سقط من : ص .

(٨) لم نجده فى صحيح مسلم بهذا الإسناد . انظر تحفة الأشراف ٣٧/٢ - ٤٢ . ولعل المصنف تابع البيهقى فى الدلائل ٤٦٤/٢ حين أخرج الحديث بإسناده من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء ، ثم قال - أى البيهقى - أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث إسرائيل .

أبى إِسْحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ بنحوِه ، وفيه التَّصْريحُ بأنَّ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ هاجَرَ قبلَ قُدُومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، وقد زعَمَ موسَى بنُ عُقْبةَ[1] ، عن الزُّهْرِىِّ ، أنَّه إنَّما هاجَرَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والصوابُ ما تَقدَّمَ .

قال ابنُ إِسْحاقَ[2] : ولمَّا قدِمَ عمرُ بنُ الخطابِ المدينةَ هو ومَن لَحِقَ به مِن أهلِهِ وقومِهِ ، وأخوه زيدُ بنُ الخطابِ ، وعمرٌو[3] ، وعبدُ اللَّهِ ابنا سُرَاقةَ بنِ المُعْتَمِرِ ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السَّهْمِىُّ زوجُ ابنتِه حَفْصةَ ، وابنُ عمِّه سعيدُ بنُ زيدِ ابنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وواقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ التَّميمىُّ ، حَليفٌ لهم ، وخَوْلِىُّ بنُ أبى خَوْلِىٍّ[4] ، ومالكُ بنُ أبى خَوْلِىٍّ ، حَليفانِ لهم من بنى عِجْلٍ ، وبنو البُكَيْرِ إياسٌ ، وخالدٌ ، وعاقلٌ ، وعامرٌ ، وحلفاؤُهم مِن بَنى سعدِ بنِ لَيْثٍ فنزَلوا على رِفاعةَ بنِ عبدِ المنذرِ بنِ زَنْبَرٍ[5] فى بنى عمرِو بنِ عوفٍ بقُباء .

قال ابنُ إِسْحاقَ[6] : ثُم تَتابَعَ المهاجِرونَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، فنزَلَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وصُهَيْبُ بنُ سِنَانٍ ، على خُبَيبِ[7] بنِ إِسافٍ أخى بَلْحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بالسُّنْحِ[8] . ويُقالُ : بل نزَلَ طَلْحَةُ على أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦١، عن موسى بن عقبة به .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٦، ٤٧٧.

(٣) فى ص : « عمر » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٢٧.

(٤) فى ا ١٥: « خلولى » . وانظر المصدر السابق ٢/ ١٥٠.

(٥) فى الأصل : « زبير » . وفى ا ١٥، م، ص : « زنير » . والمثبت من السيرة .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٧.

(٧) فى ا ١٥، ص : « حبيب » . وانظر أسد الغابة ١/ ٤٤٠، ٢/ ١١٨.

(٨) السنح : إحدى محال المدينة كان بها منزل أبى بكر الصديق حين تزوج مُلَيْكَة ، وهى بعوالى المدينة ، وبينها وبين منزل النبى ﷺ ميل . معجم البلدان ٣/ ١٦٣.

قال ابنُ هِشامٍ[1] : وذُكِرَ لى ، عن أبى عُثْمانَ النَّهْدِىِّ أنَّه قال : بَلَغَنى أنَّ صُهَيْبًا حينَ أرادَ الهِجْرةَ قال له كفّارُ قُرَيْشٍ : أتَيْتَنا صُعْلُوكًا حقيرًا ، فَكَثُرَ مالُك عندَنا وبلَغْتَ الذى بلَغْتَ ، ثُم تريدُ أنْ تَخْرُجَ بمالِك ونفسِك ؟ ! واللَّهِ لا يَكونُ ذلك . فقال لهم صُهَيْبٌ : أرأيتُم إنْ جعَلْتُ لكم مالى ، أتُخَلُّونَ سبيلى ؟ [٢/ ١٣٦ظ] قالوا : نعَمْ . قال : فإنِّى قد جعَلْتُ لكم مالى . فبلَغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : « رَبِحَ صُهَيْبٌ ، رَبِحَ صُهَيْبٌ » .

وقد قال البيهقىُّ[2] : حدَّثَنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ إمْلاءً ، أخبرَنا أبو العباسِ إسْماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ مِيكالَ ، أخبرَنا عَبْدانُ الأهْوازىُّ ، حدَّثَنا زيدُ بنُ الحَرِيشِ[3] ، حدَّثَنا يعقوبُ بنُ محمدٍ الزُّهرىُّ ، حدَّثَنا حُصَيْنُ بنُ حُذَيْفةَ بنِ صَيْفِىِّ بنِ صُهَيْبٍ ، حدَّثَنى أبى وعُمومَتى ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن صُهَيْبٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكم سَبْخَةً بيْنَ ظَهْرانَىْ حَرَّتَيْنِ ، فإمَّا أنْ تكونَ هَجَرَ أوْ تكونَ يَثْرِبَ » . قال : وخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وخرَجَ معَه أبو بكرٍ ، وكنتُ قد هَمَمْتُ معه بالخُروجِ فَصَدَّنِى فِتْيانٌ مِن قُرَيْشٍ ، فجعَلْتُ لَيْلتى تلك [4]أَقُومُ لا أَقْعُدُ[4] ، فقالوا : قد شغَلَه[5] اللَّهُ عنكم[6] ببطْنِه . ولم أكنْ شاكيًا . فناموا فخرَجْتُ ولحِقَنى منهم ناسٌ بعدَما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٧.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣. كما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٧٢٩٦) عن زيد بن الحريش به . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٦٠: رواه الطبرانى وفيه جماعة لم أعرفهم .

(٣) فى م ، ص : « الجريش » . وانظر الثقات لابن حبان ٨/ ٢٥١، والإكمال ٢/ ٤٢٢.

(٤ - ٤) فى الأصل : « لا أقوم ولا أقعد » .

(٥) فى ص : « يفعله » .

(٦) فى ص : « فيكم » .

سِرْتُ بَرِيدًا[1] ليَرُدُّونى ، فقلْتُ لهم : [2]هل لكم[2] أنْ أُعْطِيَكم أواقِيَ[3] مِن ذَهَبٍ ، وتُخَلُّوا سَبيلى وتُوفُوا لى . ففعَلوا فتَبِعْتُهم إلى مكةَ فقلتُ : احفِروا تحتَ أُسْكُفَّةِ[4] البابِ فإنَّ تحتَها[5] أواقِيَ ، واذهَبوا إلى فُلانةَ فخُذوا الحُلَّتَيْنِ . وخرَجْتُ حتى قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بِقُبَاء ، قبلَ أنْ يَتَحَوَّلَ منها ، فلمَّا رآنى قال : « يَا أَبَا يَحْيَى ، رَبِحَ البَيْعُ » . ثلاثًا[6] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما سبَقَنى إليك أحَدٌ ، وما أَخْبَرَك إلا جبريلُ ، عليه السلامُ .

قال ابنُ إِسْحاقَ[7] : ونزَلَ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وزيدُ بنُ حَارِثَةَ ، وأبو مَرْثَدٍ كَنَّازُ[8] بنُ الحُصَيْنِ[9] وابنُه مَرْثَدٌ الغَنَوِيّانِ ، حَليفا حمزةَ ، وأَنَسةُ وأبو كَبْشَةَ مَوْلَيَا رسولِ اللَّهِ ﷺ على كُلْثومِ بنِ الهِدْمِ أخى بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ بقُبَاء ، وقيل : على سعدِ بنِ[10] خَيْثَمَةَ . وقيل : بل نزَلَ حمزةُ على أسعدَ بنِ زُرارةَ . واللَّهُ أعلمُ . قال[11] : ونزَل عُبَيْدةُ بنُ الحارثِ ، وأخَواه الطُّفَيْلُ ،

---

(١) فى الأصل : « يريدا » . وفى م ، ص : « يريدوا » . والبريد : هو المسافة بين كل منزلين من منازل الطريق ، وهى أميال اختلف فى عددها . الوسيط (ب ر د) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ : « أوانى » . وفى ص : « أفاقى » .

(٤) الأسكفة : عتبة الباب .

(٥) فى م ، ص : « بها » .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٨.

(٨) فى ص : « كبار » . وانظر الإصابة ٧/ ٣٦٩.

(٩) قال ابن إسحاق : « حصن » . أما « حصين » فهو لفظ ابن هشام ، قال : « ويقال : ابن حصين » . راجع السيرة . وانظر المصدر السابق .

(١٠) بعده فى ا ١٥ : « أبى » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٤٦.

(١١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٨، ٤٧٩.

وحُصَيْنٌ ، ومِسْطَحُ بنُ أُثَاثَةَ ، وسُوَيْبِطُ[1] بنُ سَعْدِ بنِ حُرَيْمِلَةَ أخو بنى عبدِ الدارِ ، وطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ أخو بنى عبدِ بنِ قُصَىٍّ ، وخَبَّابٌ مولى عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ ، على عبدِ اللَّهِ بنِ سَلِمةَ أخى بَلْعَجْلانَ بقُباء ، ونزَلَ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ فى رِجالٍ مِن المهاجرينَ على سَعْدِ بنِ الرَّبيعِ ، ونزَلَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وأبو سَبْرةَ بنُ أبى رُهْمٍ على مُنْذِرِ بنِ محمدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحِ بالعُصْبةِ[2] دارِ بنى جَحْجَبَى ، ونزلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ على سعدِ بنِ مُعَاذٍ ، ونزَلَ أبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ ، وسالمٌ مولاه على[3] - شكَّ[4] ابنُ إِسْحاقَ ، وقال الأُمويُّ : على خُبَيْبِ بنِ إِسافٍ[5] أخى بنى حارثةَ - ونزَلَ[6] عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ على عبَّادِ بنِ بِشْرِ بنِ وَقْشٍ فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، ونزَلَ عثمانُ بنُ عفَّانَ على أَوْسِ بنِ ثابتِ [7]بنِ المنذرِ[7] أخى حسانَ بنِ ثابتٍ فى دارِ بنى النجَّارِ . قال ابنُ إِسْحاقَ[8] : ونزَلَ العُزَّابُ مِن المهاجرين على سعدِ بنِ خَيْثَمَةَ ، وذلك أنه كان عَزَبًا . واللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[9] : حدَّثَنى أَحمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ الحارثِ بنِ زُرَارَةَ

---

(١) فى ا ١٥: « سبيط » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٨٧.

(٢) العصبة : موضع بقباء . معجم البلدان ٣/ ٦٨٣.

(٣) من هنا اعترض ابن هشام فى السيرة سياق رواية ابن إسحاق ؛ ليعرِّف بنسب سالم مولى أبى حذيفة ، مما يُشعِر بانقطاع الرواية أو شك ابن إسحاق - على ما قد يكون ظنه المصنف - فى من نزل عليه أبو حذيفة ومولاه .

(٤) فى الأصل ، م : « سلمة قال » .

(٥) بعده فى ص : « بن أبى » . وانظر الإصابة ٢/ ٢٦١.

(٦) من هنا عاد السياق إلى السيرة . وتوضيحًا للسياق ؛ أى نزل أبو حذيفة ومولاه وعتبة ثلاثتهم على عباد بن بشر . وهو ما صرح به ابن سيد الناس فى ذكره لرواية ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٩ . وعيون الأثر ١/١٧٦ .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠.

(٩) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٧٣.

ابنِ مُصْعَبِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن عُبَيْدِ[1] اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عُمَرَ أنه قال : قدِمْنا مِن[2] مكةَ فنزَلْنا العُصْبةَ[3] ؛ عمرُ بنُ الخطابِ ، وأبو عُبَيْدةَ بنُ الجرَّاحِ ، وسالمٌ مولَى أبى حُذَيْفةَ ، فكان يَؤُمُّهم سالمٌ مولى أبى حُذَيْفةَ ؛ لأنَّه كان أكثرَهم قُرْآنًا .

---

(١) فى المعرفة والتاريخ : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٢٤ .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) بعده فى الأصل : « ونزل » .

فصلٌ فى سببِ هِجرةِ رسولِ اللّهِ ﷺ بنفسِه الكريمةِ

قال اللّهُ تعالى[1] : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. أرشَدَه اللّهُ وألْهَمَه أنْ يَدْعُوَ بهذا الدُّعاءِ[2] ، أنْ يَجْعَلَ له مما هو فيه فَرَجًا قريبًا ومَخْرَجًا عاجلًا ، فأذِنَ له تعالى فى الهِجْرةِ إلى المدينةِ النبويةِ حيثُ الأنصارُ والأحبابُ ، [٢/١٣٧و] فصارَتْ له دارًا وقرارًا ، وأهلُها له أَنْصارًا .

قال أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ[3] ، وعثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ[4] ، عن جريرٍ[5] ، عن قابوسِ ابنِ أبى ظَبْيانَ[6] ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : كان رسولُ اللّهِ ﷺ بمكةَ ، فأُمِرَ بالهجرةِ وأُنْزِلَ عليه : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ .

قال قَتادةُ[7] : ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ : المدينةَ ، ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ : الهجرةَ مِن مكةَ ، ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ :

---

(١) التفسير ٥/١٠٨، ١٠٩.

(٢) بعده فى م : «و».

(٣) المسند ١/٢٢٣. (إسناده صحيح).

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٥١٦، من طريق عثمان بن أبى شيبة به.

(٥) فى الأصل : «جبير». وانظر تهذيب الكمال ٤/٥٤٠.

(٦) فى الأصل : «طهمان». وانظر تهذيب الكمال ٢٣/٣٢٧.

(٧) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ١٥/١٤٩ - ١٥١ عن قتادة.

كتابَ اللَّهِ وفرائضَه وحدودَه.

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وأقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ بعدَ أصحابِه مِن المهاجِرينَ يَنْتَظِرُ أنْ يُؤذَنَ له فى الهِجرةِ، ولم يَتَخَلَّفْ معَه بمكةَ إلَّا مَنْ حُبِسَ أو فُتِنَ، إلَّا علىُّ بنُ أبى طالبٍ وأبو بكرِ بنُ أبى قُحافةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما، وكان أبو بكرٍ كثيرًا ما يَسْتَأْذِنُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [2]فى الهِجرةِ[2] فيَقولُ له: «لَا تَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا». فيَطْمَعُ أبو بكرٍ أنْ يَكونَه، فلمّا رأَتْ قُرَيْشٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد صارَ له شِيعَةٌ وأصحابٌ مِن غيرِهم بغيرِ بلَدِهم، ورأَوْا خُروجَ أصحابِه مِن المهاجرين إليهم، عرَفوا أنهم قد نزَلوا دارًا وأصابوا منهم مَنَعَةً، فحَذِروا خروجَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم، وعرَفوا أنه قد أجْمَعَ لحَرْبِهم، فاجتَمَعوا له فى دارِ النَّدْوَةِ - وهى دارُ قُصَىِّ بنِ كِلَابٍ، التى كانَتْ قُرَيْشٌ لا تَقْضِى أمْرًا إلا فيها - يَتشاوَرونَ فيما يَصْنَعونَ فى أمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ خافوه.

قال ابنُ إسْحاقَ[3] : فحدَّثَنى مَنْ لا أَتَّهِمُ مِن أصحابِنا، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدِ بنِ جَبْرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، وغيرُه مِمَّن لا أَتَّهِمُ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال: لمَّا اجْتَمَعُوا لذلك واتَّعَدوا أنْ يَدْخُلُوا فى دارِ النَّدْوةِ؛ لِيَتَشاوروا فيها فى أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، غدَوْا فى اليومِ الذى اتَّعَدوا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠ - ٤٨٣.

كما أخرجه من الطريق الأول أبو نعيم فى الدلائل (١٥٤)، وأخرجه من الطريق الثانى المختصر، الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٧٠، وأبو نعيم فى الموضع السابق، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٨، ٤٦٩، كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن الكلبى عن أبى صالح به. كما زاد الطبرى وأبو نعيم والبيهقى فى المواضع السابقة طريقاً ثالثا عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح - دون واسطة - بإسناده الأول.

والحديث متصل الإسناد وفى بعض رجاله كلام.

له ، وكانَ ذلك اليومُ يُسَمَّى يومَ الزَّحْمةِ ، فاعترَضَهم إبليسُ ، لعَنَه اللَّهُ ، فى هَيْئةِ شيخٍ جليلٍ عليه [1] بَتٌّ له [1] ، فوقفَ على بابِ الدارِ ، فلمَّا رأَوْه واقِفًا على بابِها قالوا : مَن الشيخُ ؟ قال : شيخٌ مِن أهلِ نَجْدٍ سَمِعَ بالذى اتَّعَدْتُم له ، فحضَرَ معَكم ليَسْمَعَ ما تَقولون ، وعَسَى أن لا يُعْدِمَكم [2] منه رأْيًا ونُصْحًا . قالوا : أَجَلْ فادخُلْ . فدخَلَ معهم وقد اجتَمَعَ فيها أَشْرافُ قُرَيْشٍ ؛ عُتْبةُ ، وشَيْبةُ ، وأبو سُفيانَ ، وطُعَيمةُ بنُ عَدىٍّ ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نَوْفَلٍ ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ ، وأبو البَخْتَرِىِّ بنُ هِشامٍ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، وحَكيمُ بنُ حِزَامٍ ، وأبو جَهْلِ بنُ هشامٍ ، ونُبَيهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحجَّاجِ ، وأميةُ بنُ خَلَفٍ ، و [3] مَن كان منهم وغيرُهم ممن لا يُعَدُّ مِن قُرَيْشٍ ، فقال بعضُهم لبعضٍ : إنَّ هذا الرجلَ قد كان مِن أمْرِه ما قد رأَيْتم ، وإنَّنا واللَّهِ ما نَأْمَنُه على الوُثُوبِ علينا بمَن قد اتَّبَعَه مِن غيرِنا ، فأجْمِعُوا فيه رأْيًا . قال : فتَشاوَروا ، ثُم قال قائلٌ منهم - [4] قيل : إنه أبو البَخْتَرِىِّ بنُ هشامٍ [4] - : احبِسوه فى الحديدِ ، وأَغْلِقوا عليه بابًا ، ثُم تَرَبَّصوا به ما أصابَ أَشْباهَه مِن الشُّعَراءِ الذين كانوا قبلَه ؛ زُهَيْرًا والنابغةَ ومَنْ مضَى منهم ، مِن هذا الموتِ ؛ حتى يُصيبَه ما أَصابَهم . فقال الشيخُ النَّجْدِىُّ : لا واللَّهِ ما هذا لكم برأْيٍ ، واللَّهِ لئن حبَسْتُموه كما تقولونَ ،

(١ - ١) فى م ، والسيرة : « بتلة » . وأثبت محققو السيرة بالحاشية ، أنه فى إحدى نسخهم « بت » . وما أثبتناه هنا هو ما أورده - فى ذات الحديث - ابن الأثير فى النهاية ١/٩٢ وقال : أى كساء غليظ مربع . وقيل : طيلسان من خزّ ، ويجمع على بتوت . وكذا أورده بما أثبتناه مصنّفا تاج العروس ، ولسان العرب (ب ت ت) من نفس الحديث .

(٢) أى عسى أن تجدوا عنده رأيًا ونصحًا . وأعدمنى الشىء : لم أجده . وأعدمه : منعه . اللسان (ع د م) .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ : « أو » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وهذه العبارة ليست من سياق السيرة ، وهى فى الروض الأنف ٤/ ٢٠١ .

لَيَخْرُجَنَّ أمْرُه مِن وَرَاءِ البابِ الذى أغلقْتُم دونَه إلى أصحابِه ، فلأَوشَكوا أنْ يَثِبُوا عليكم فيَنْتَزِعوه من أيديكم ، ثُم يُكاثِروكم به حتى يَغْلِبوكم على أمْرِكم ، ما هذا لكم برأْيٍ . فتَشاوَروا ثُم قال قائلٌ منهم : نُخْرِجُهُ مِن بينِ أَظْهُرِنا فنَنفِيه مِن بلادِنا ، فإذا خرَجَ عنا ، فواللَّهِ ما نُبَالِى أينَ ذهَبَ ولا حيثُ وقَعَ[1] إذا غابَ عنَّا وفرَغْنا منه ، فأصلَحْنا أمْرَنا وأُلْفَتَنا كما كانَتْ . قال الشيخُ النَّجْدىُّ : لا واللَّهِ ما هذا لكم برأْيٍ ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حديثِه [٢/١٣٧ظ] وحَلاَوَةَ مَنْطِقِه وغلَبَتَه على قلوبِ الرِّجالِ بما يَأْتِى به ؟ واللَّهِ لو فعَلْتُم ذلك ، ما أمِنْتُ أنْ يَحِلَّ على حَىٍّ مِن العربِ ، فيَغْلِبَ عليهم بذلك مِن قولِه وحديثِه حتى يُتابِعوه[2] عليه ، ثُم يَسيرَ بهم إليكم حتى يَطَأَكم بهم ، فيَأْخُذَ أمْرَكم مِن أيديكم ، ثُم يَفْعَلَ بكم ما أَرادَ ، أدِيرُوا[3] فيه رأْيًا غيْرَ هذا . فقال أبو جهلِ بنُ هشامٍ : واللَّهِ إنَّ لى فيه لرَأْيًا ما أَراكم وقَعْتُم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكَمِ ؟ قال : أرَى أنْ نَأْخُذَ مِن كُلِّ قبيلةٍ فتًى شابًّا جليدًا نسيبًا وسيطًا[4] فينا ، ثُم نُعْطِىَ كُلَّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ، ثُم يَعْمِدوا إليه فيَضْرِبوه بها ضَرْبةَ رجلٍ واحدٍ ، فيَقْتُلوه فنَسْتَرِيحَ منه ، فإنَّهم إذا فعَلوا ذلك تَفَرَّقَ دَمُه فى القبائلِ جميعِها ، فلم يَقْدِرْ بنو عبدِ مَنافٍ على حرْبِ قومِهم جميعًا ، فرَضُوا منا بالعَقْلِ[5] فعقَلْناه لهم . قال : يَقولُ الشيخُ النَّجْدىُّ : القولُ ما قال الرجلُ ، هذا الرأْىُ ولا رَأْىَ غيرُه . فتفرَّقَ القومُ على ذلك وهم مُجْمِعُونَ له ، فأتى جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال له : لا

---

(١) فى الأصل : « دفع » .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « يبايعوه » .

(٣) فى الأصل : « أوتروا » . وفى السيرة : « دبروا » .

(٤) فلان وسيط فى قومه : إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا . اللسان (و س ط) .

(٥) العقل : الدية .

تَبِتْ هذه الليلةَ على فِراشِك الذى كنتَ تَبيتُ عليه. قال: فلمَّا كانَتْ عَتَمَةٌ مِن الليلِ اجتَمَعُوا على بابِه يَرْصُدونَه متى[1] يَنامُ فَيَثِبُون عليه، فلمَّا رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ مَكانَهم، قال لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ: «نَمْ عَلَى فِرَاشِى، وتَسَجَّ بِبُرْدِى هَذَا الحَضْرَمىِّ الأَخْضَرِ فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّه لَنْ يَخْلُصَ إِليكَ شَىْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ». وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنامُ فى بُرْدِه ذلك إذا نامَ.

وهذه القِصَّةُ التى ذكَرَها ابنُ إِسْحاقَ قد روَاها الواقدىُّ[2] بأسانيدِه عن عائشةَ، وابنِ عباسٍ، وعلىٍّ، [3]وسُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ[3]، وغيرِهم، دخَلَ حديثُ بعضِهم فى بعضٍ، فذكَرَ نحوَ ما تقدَّمَ.

قال ابنُ إِسْحاقَ[4]: فحدَّثَنى يزيدُ[5] [6]بنُ أبى[6] زِيادٍ، عن محمدِ بنِ كعْبٍ القُرَظىِّ قال: لَمَّا اجْتَمَعوا له وفيهم أبو جَهْلٍ قال، وهم على بابِه: إنَّ محمدًا يَزْعُمُ أنكم إن تابَعْتُموه [7]على أمْرِه، كنتُم مُلوكَ العَرَبِ والعَجَمِ، ثم بُعِثْتُم مِن بعدِ مَوتِكم[7]، فَجُعِلَتْ [8]لكم جِنَانٌ كجِنانِ الأُرْدُنِّ، وإنْ لم تَفْعَلوا، كان فيكم ذَبْحٌ ثُم بُعِثْتُم بَعْدَ موتِكم، ثُم جُعِلَتْ[8] لكم نارٌ تُحْرَقُونَ فيها! قال: فخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأَخَذَ حَفْنَةً مِن تُرَابٍ فى يدِه ثم قال: «نَعَمْ أَنَا أَقُولُ

---

(١) فى النسخ: «حتى». والمثبت من السيرة.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٢٧، عن الواقدى به.

(٣ - ٣) فى طبقات ابن سعد: «سراقة بن جعشم». وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٣١، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢١٤، ١٧/ ٣٧٩.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٣.

(٥) فى ا ١٥: «زياد». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٣٢.

(٦ - ٦) فى السيرة: «بن». وانظر المصدر السابق.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨ - ٨) سقط من: ص.

ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُم » . وأخذَ اللَّهُ على أَبْصارِهِم عنه فلا يَرَوْنَه ، فجعَلَ يَنْثُرُ ذلك الترابَ على رءُوسِهم وهو يَتْلو هذه الآياتِ ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ولم يَبْقَ منهم رجلٌ إلَّا وقد وضَعَ على رأْسِه ترابًا ، ثُم انصَرَفَ إلى حيثُ أرادَ أنْ يَذْهَبَ ، فأَتاهم آتٍ مِمَّنْ لم يَكُنْ معَهم فقال : ما تَنْتَظِرون هـٰهنا ؟ قالوا : محمدًا . فقال : خَيَّبَكم اللَّهُ ، قد واللَّهِ خَرَجَ عليكم محمدٌ ، ثُم ما ترَكَ منكم رجلًا[1] إلَّا وقد وضَعَ على رأْسِه تُرابًا وانطَلَقَ لحاجتِه ، أفما ترَوْن ما بكم ؟! قال : فوضَعَ كُلُّ رجلٍ منهم يَدَهُ على رأْسِه ، فإذا عليه ترابٌ ، ثُم جعَلوا يَتَطَلَّعونَ فيرَوْن عَلِيًّا على الفِرَاشِ مُتَسَجِّيًا ببُرْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيقولون : واللَّهِ إنَّ هذا لَمحمدٌ نائمًا عليه بُرْدُهُ . فلم يَبْرَحوا كذلك حتى أصْبَحوا ، فقامَ عليٌّ عن الفِرَاشِ فقالوا : واللَّهِ لقد كان صَدَقَنا الذى كان حَدَّثَنا .

قال ابنُ إِسْحاقَ[2] : فكان مما أنزَلَ اللَّهُ فى ذلك اليومِ وما كانوا أجْمَعُوا له ، قولُه تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وقولُه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور : ٣٠، ٣١] قال ابنُ إِسْحاقَ : فأَذِنَ اللَّهُ لنبيِّه ﷺ عندَ ذلك بالهِجْرةِ .

---

(١) سقط من : ا ١٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤.

بـابُ

هِجْرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/١٣٨و] بنفسِه الكريمةِ (١مِن مكةَ١) إلى المدينةِ ومعَه أبو بكرٍ الصديقُ، رضِى اللَّهُ عنه

وذلك أولُ التاريخِ الإسلاميِّ كما اتَّفَقَ عليه الصَّحابةُ فى الدَّوْلةِ العُمَرِيَّةِ، كما بَيَّنَّاه فى «سيرةِ عمرَ»، رَضِىَ اللَّهُ عنه وعنهم أجْمعينَ.

قال البخاريُّ[٢]: حدَّثَنا مَطَرُ بنُ الفضلِ، ثنا رَوْحٌ، ثنا[٣] هِشامٌ، ثنا عِكْرِمةُ، عن ابنِ عباسٍ، قال: بُعِثَ النبيُّ ﷺ لأربعينَ سنَةً، فمكَثَ بمكةَ[٤] ثلاثَ عشْرَةَ يُوحَى إليه، ثُم أُمِرَ بالهِجْرَةِ فهاجَرَ عشْرَ سِنِينَ، وماتَ وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّينَ. وقد كانَتْ هِجْرتُه، عليه السلامُ، فى شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنَةَ ثَلاثَ عشْرَةَ مِن بِعْثَتِه، عليه السَّلامُ، وذلك فى يومِ الاثنيْنِ كما روَاه الإمامُ أحمدُ[٥]، عن ابنِ عباسٍ، أنه قال: وُلِدَ نَبيُّكم يومَ الاثنيْنِ، وخرَجَ مِن مكةَ يومَ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) البخارى (٣٩٠٢).

(٣) فى الأصل: «بن».

(٤) فى م، ص: «فيها».

(٥) المسند ١/ ٢٧٧. (إسناده صحيح).

الاثنيْنِ ، [1] ونُبِّئَ يومَ الاثنيْنِ [1] ، ودخَل المدينةَ يومَ الاثنيْنِ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنيْنِ .

قال محمدُ بنُ إسْحاقَ [2] : وكان أبو بكرٍ حينَ استأْذَنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الهِجْرَةِ فقال له : « لَا تَعْجَلْ ، لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِبًا » . قد طَمِعَ بأنْ يَكونَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إنما يَعْنِى نَفْسَه ، فابتاعَ راحِلتَيْن فحبَسَهما فى دارِه يَعْلِفُهما إعدادًا لذلك . قال الواقدىُّ [3] : اشتراهما بثمانِمائةِ دِرْهَمٍ .

قال ابنُ إسْحاقَ [4] : فحدَّثَنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ، أنَّها قالَتْ : كان لا يُخْطِئُ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَأْتِىَ بيتَ أبى بكرٍ أحدَ طَرَفَىِ النَّهارِ ، إمَّا بُكْرةً ، وإمَّا عَشيَّةً ، حتى إذا كانَ اليومُ الذى أَذِنَ اللَّهُ فيه لِرسولِه ﷺ فى الهِجْرَةِ والخُروجِ مِن مكةَ مِن بينِ ظَهْرَىْ قومِه ، أتانا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالهاجِرةِ [5] فى ساعةٍ كان لا يَأْتِى فيها ، قالَتْ : فلمَّا رآه أبو بَكْرٍ ، قال : ما جاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [6] هذه الساعةَ [6] إلا لأمْرٍ حَدَثَ . قالَتْ [7] : فلمَّا دخَلَ تَأَخَّرَ له أبو بكرٍ عن سريرِه ، فجلَسَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وليس عندَ [8] أبى بكرٍ [8] أحدٌ إلا أنا وأختى أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخْرِجْ عنى مَنْ عندَك » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّما هما ابْنَتاىَ ، وما ذاك ، فِدَاك أبى وأمِّى ؟ قال : « إنَّ اللَّهَ قد أَذِنَ لى فى الخُرُوجِ والهجرةِ » . قالَتْ : فقال أبو بكرٍ :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٢٢٨ عن الواقدى .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤، ٤٨٥.

(٥) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥.

(٧) سقط من : الأصل .

(٨ - ٨) فى النسخ : « رسول الله » . والمثبت من مصدر التخريج .

الصُّحْبَةَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «الصُّحْبَةَ». قالَتْ: فواللَّهِ ما شَعَرْتُ قطُّ قبلَ ذلك اليومِ أنَّ أحدًا يَبْكِى مِن الفَرَحِ حتى رأَيْتُ أبا بكرٍ يومئذٍ يَبْكِى. ثُم قال: يا نَبِىَّ اللَّهِ، إنَّ هاتَيْنِ راحِلتانِ كنتُ أعدَدْتُهما لهذا. فاستأجَرا عبدَ اللَّهِ بنَ أَرْقَطَ[1] - قال ابنُ هِشامٍ[2]: ويُقالُ: عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ. رجلًا مِن بنى الدِّيلِ ابنِ بَكرٍ، وكانت أمُّه مِن بنى سَهْمِ بنِ عمرٍو، وكان مُشْرِكًا - يدُلُّهما على الطريقِ، ودفَعا إليه راحِلَتَيْهما، فكانَتا عندَه يَرْعاهما لِميعادِهما.

قال ابنُ إِسْحاقَ[3]: ولم يَعْلَمْ - فيما بلَغَنى - بخروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدٌ حينَ خرَجَ إلا علىُّ بنُ أبى طالبٍ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وآلُ أبى بكرٍ، أما علىٌّ فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَه أنْ يَتَخَلَّفَ؛ حتى يُؤَدِّىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الودائعَ التى كانَتْ عندَه للناسِ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بمكةَ أحدٌ عندَه شىءٌ يَخْشَى عليه إلا وضَعَه عندَه؛ لِمَا يَعْلَمُ مِن صِدْقِهِ وأمانَتِه. قال ابنُ إِسْحاقَ[4]: فلمَّا أجْمَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الخُروجَ[5]، أَتَى أبا بكرِ بنَ أبى قُحافةَ فخرَجا مِن خَوْخةٍ[6] لأبى بكرٍ فى ظَهْرِ بيتِه.

وقد رَوَى أبو نُعَيْمٍ[7] مِن طريقِ إِبْراهيمَ بنِ سعدٍ، عن محمدِ بنِ إِسْحاقَ، قال: بلَغَنى أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا خرَجَ مِن مكةَ مُهاجِرًا إلى اللَّهِ يُريدُ المدينةَ

---

(١) فى ا ١٥، م، ص: «أرقد».
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٨.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) سقط من: ص.
(٦) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين، ينصب عليها باب. النهاية (خ و خ).
(٧) ليس فى نسخة الدلائل التى بين أيدينا. والحديث أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٢٣٤)، عن طاوس مرسلا.

قال : « الحمدُ للَّهِ الذى خلَقَنِى ولم أَكُ شَيْئًا ، اللهم أَعِنِّى على هَوْلِ الدُّنيا ، وبوائقِ الدَّهْرِ ، ومصائِبِ الليالى والأيامِ ، اللهم اصْحَبْنِى فى سَفَرِى ، واخْلُفْنِى فى أَهْلِى ، وبارِكْ لى فيما رَزَقْتَنى ، ولك فذلِّلْنى ، وعلى صَالِحِ خُلُقى فَقَوِّمْنِى ، وإليك رَبِّ فَحَبِّبْنِى ، وإلى النَّاسِ فلا تَكِلْنى ، رَبُّ المُسْتَضعَفين وأنت ربى ، أعوذُ بِوجهِك الكَرِيمِ الذى أَشْرَقَت له السَّماواتُ والأرضُ ، وكُشِفَت به الظُّلُماتُ ، وصَلَحَ عليه أَمْرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ، أَنْ تُحِلَّ [٢/١٣٨ظ] علىَّ غَضَبَك ، وَتُنْزِلَ بى سَخَطَك ، (١)أَعُوذُ بك مِن زَوالِ نِعْمَتِك ، وفَجْأَةِ نِقْمَتِك ، وتَحَوُّلِ عافيتِك وَجَمِيعِ سَخَطِك(١) ، لك العُتْبَى(٢) عندى خيرَ ما استَطَعْتُ ، لا حولَ ولا قوةَ إلا بك » .

قال ابنُ إِسْحاقَ(٣) : ثُم عَمَدا إلى غارٍ بثَوْرٍ - جبلٍ بأسفلِ مكةَ - فدخَلاه ، وأمَرَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ابنَه عبدَ اللَّهِ أن يَتَسَمَّعَ لهما ما يَقولُ الناسُ فيهما نهارَه ، ثُم يَأْتيَهما إذا أَمْسَى بما يَكونُ فى ذلك اليومِ مِن الخبرِ ، وأمرَ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ مَوْلاه أنْ يَرْعَى غَنَمَه نَهارَه ، ثُم يُريحَها عليهما ، إذَا أمْسَى فى الغارِ ، فكانَ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ يَكونُ فى قُرَيْشٍ نَهارَه معَهم ، يَسْمَعُ ما يَأْتَمِرونَ به ، وما يَقولونَ فى شأنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ ، ثُم يَأْتيهما إذا أَمْسَى فيُخْبِرُهما الخَبَرَ ، وكان عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ يَرْعَى فى رُعْيانِ(٤) أهلِ مكةَ ، فإذا أمْسَى ، أراحَ عليهما غَنَمَ أبى بكرٍ فاحتَلَبا وذَبَحا ، فإذا غَدا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ مِن عندِهما إلى مكةَ ، اتَّبَعَ عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ أَثَرَه بالغنمِ يُعَفِّى عليه . وسيأْتى فى سِياقِ البُخارىِّ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م ، ص : « العقبى » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٥، ٤٨٦.

(٤) الرعيان : جمع راعٍ .

ما يَشْهَدُ لهذا .

(١) وقد حكَى ابنُ جَرِيرٍ[٢] عن بعضِهم ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سبَقَ الصِّدِّيقَ فى الذَّهابِ إلى غارِ ثَوْرٍ ، وأمرَ عَلِيًّا أن يَدُلَّه على مَسيرِه لِيَلْحَقَه ، فلحِقَه فى أثناءِ الطريقِ . وهذا غريبٌ جِدًّا ، وخِلافُ المشهورِ مِن أنَّهما خرَجا معًا (١) .

قال ابنُ إِسْحاقَ[٣] : وكانت أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، تَأْتيهما مِن الطَّعامِ إذا أمْسَت بما يُصْلِحُهما . قالَتْ أسماءُ : ولمَّا خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، أَتانا نَفَرٌ مِن قريشٍ فيهم أَبو جهلِ بنُ هِشامٍ ، فوقَفوا على بابِ أبى بكرٍ ، فخرَجْتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنةَ أبى بكرٍ ؟ قالَتْ : قلتُ : لا أَدْرِى واللَّهِ أينَ أبى . قالَتْ : فرفَعَ أبو جهلٍ يدَه - وكان فاحشًا خبيثًا - فلطَمَ خدِّى لَطْمةً طَرَحَ منها قُرْطِى ، ثُم انصَرَفوا .

قال ابنُ إِسْحاقَ[٤] : وحدَّثَنى يَحْيَى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، أنَّ أباه حدَّثَه عن جدَّتِه أسماءَ ، قالَتْ : لمَّا خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وخرَج أبو بكرٍ معَه ، احتَمَلَ أبو بكرٍ مالَه كلَّه معَه ؛ خمسةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، أو سِتةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، فانطَلَقَ بها معَه . قالَتْ : فدخَل علينا جَدِّى أبو قُحَافَةَ - وقد ذهَب بصَرُه - فقال : واللَّهِ إنِّى لَأَراه قد فجَعَكم بمالِه مع نفسِه . قالَتْ : قلتُ : كَلَّا يا أَبَتِ ، إنَّه قد ترَك لنا خيرًا كثيرًا . قالَتْ : وأخذْتُ أحْجارًا فوضَعْتُها فى كُوَّةٍ فى البيتِ[٥] ، كان أبى يَضَعُ مالَه فيها ، ثُم وضَعْتُ عليها ثوبًا ، ثُم أخَذْتُ بيدِه

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ١٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٧٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦، ٤٨٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٨٨.

(٥) بعده فى م : « الذى » .

فقُلْتُ : يا أَبَتِ ضَعْ يدَك على هذا المالِ . قالَتْ : فوضَع يدَه عليه ، فقال : لا بأْسَ ، (١إذا كان١) ترَك لكم هذا فقد أَحْسَنَ ، وفى هذا بلاغٌ لكم . ولا واللَّهِ ما ترَك لنا شيئًا ، ولكن أرَدْتُ أنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بذلك .

وقال ابنُ هِشامٍ[٢] : وحدَّثَنى بعضُ أهلِ العلمِ ، أنَّ الحَسَنَ بنَ أبى[٣] الحَسَنِ البَصْرِىَّ قال : انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ إلى الغارِ ليلًا ، فدخَل أَبو بكرٍ قبلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَسَ الغارَ لِيَنْظُرَ أفيه سَبُعٌ أو حَيَّةٌ ، يَقِى رسولَ اللَّهِ ﷺ بنفسِه . وهذا فيه انقطاعٌ مِن طَرَفَيْه .

وقد قال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[٤] : حدَّثَنا داودُ بنُ عمرٍو الضَّبِّىُّ ، ثَنا نافعُ بنُ عمرَ الجُمَحىُّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ لمَّا خرَج هو وأبو بكرٍ إلى ثَوْرٍ ، فجعَل أبو بكرٍ يَكونُ أمامَ النبىِّ ﷺ مرَّةً ، وخلْفَه مرَّةً ، فسأَله النبىُّ ﷺ عن ذلك فقال : إذا كنْتُ خلفَك خشِيتُ أن تُؤْتَى مِن أمامِك ، وإذا كنتُ أمامَك خشِيتُ أن تُؤْتَى مِن خلفِك . حتى إذا انتَهى إلى الغارِ مِن ثَوْرٍ ، قال أبو بكرٍ : كما أنت حتى أُدْخِلَ يَدى فأُحِسَّه وأَقُصَّه ، فإنْ كانَتْ فيه دابةٌ أصابَتْنِى قبلَك . قال نافعٌ : فبلَغَنى أنَّه كان فى الغارِ جُحْرٌ ، فألْقَمَ أبو بكرٍ رِجْلَه ذلك الجُحْرَ ؛ تخوُّفًا أنْ يَخْرُجَ منه دابَّةٌ أو شَىءٌ يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ . وهذا مُرْسَلٌ ، وقد ذكَرْنا له شواهدَ أُخَرَ فى « سيرةِ الصِّدِّيقِ » ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

(١ - ١) فى م ، ص : « إذ كان قد » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦.

(٣) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٩٥.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٨١، عن عبد اللَّه بن محمد أبى القاسم البغوى به .

وقال البَيْهَقِيُّ[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إِسْحاقَ ، أنا موسَى بنُ الحَسَنِ بنِ[2] عبَّادٍ ، ثنا عَفَّانُ بنُ مُسْلمٍ ، ثَنا السَّرِيُّ بنُ يَحْيَى ، ثَنا محمدُ بنُ سِيرِينَ قال : ذَكَرَ رِجالٌ على عهدِ عمرَ ، فكأنَّهم فضَّلوا عمرَ على أبى بكرٍ ، فبلَغَ ذلك عمرَ فقال : واللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِن أبى بكرٍ خيرٌ مِن آلِ عمرَ ، ولَيَوْمٌ مِن أبى بكرٍ خيرٌ مِن آلِ عمرَ ؛ لقد خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/ ١٣٩و] ليلةَ انطلَقَ إلى الغَارِ ومعَه أبو بكرٍ ، فجعَل يَمْشِى ساعةً بينَ يدَيْه وساعةً خلْفَه ، حتى فَطِنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا لَكَ تَمْشِى سَاعَةً بَيْنَ يَدَىَّ وَسَاعَةً خَلْفِى ؟! » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَذْكُرُ الطَّلَبَ فأَمْشِى خلْفَك ، ثُم أَذْكُرُ الرَّصَدَ[3] فأَمْشِى بينَ يَدَيْك . فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَوْ كَانَ شَىْءٌ لأَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِى ؟ » قال : نَعَمْ والذى بعثَك بالحقِّ . فلمّا انتَهَيَا إلى الغارِ . قال أبو بكرٍ : مكانَك يا رسولَ اللَّهِ حتى أَسْتَبْرِئَ لك الغارَ . فدخلَ فاستَبْرَأَه ، حتى إذا كان [4]فى أعلاه[4] ، ذَكَرَ أنه لم يَسْتَبْرِئْ الجِحَرَةَ[5] فقال : مكانَك يا رسولَ اللَّهِ حتى أَسْتَبْرِئَ . فدخَل فاسْتَبْرَأَ ثُم قال : انْزِلْ يا رسولَ اللَّهِ . فنزَلَ . ثُم قال عمرُ : والذى نَفْسى بيدِه لتلك الليلةُ خيرٌ مِن آلِ عمرَ .

وقد روَاه البيهقىُّ[6] مِن وَجْهٍ آخَرَ عن عمرَ ، وفيه أنَّ أبا بكرٍ جعَل يَمْشِى بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تارةً ، وخلْفَه أُخرَى ، وعن يمينِه ، وعن شمالِه .

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٤٧٦، ورواه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦. وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، لولا إرسال فيه . ووافقه الذهبى .

(٢) فى م ، ص : « ثنا » .

(٣) الرصد : الترقب ، والرَّصَد : المرتصِدون ، وهو اسم للجمع . اللسان (ر ص د) .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) الجحرة : جمع جُحْر ، والجحر : كل شىء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها . اللسان (ج ح ر) .

(٦) دلائل النبوة ٢/ ٤٧٦، ٤٧٧.

وفيه أنّه لمَّا حَفِيَتْ[1] رجْلَا رسولِ اللَّهِ ﷺ حَمَلَه الصدِّيقُ على كَاهِلِه، وأنَّه لمَّا دَخَلَ الغارَ، سدَّدَ تلك الجِحَرةَ كلَّها وبَقِيَ منها جُحْرٌ واحدٌ، فألقَمَه كَعْبَهُ، فجعَلَتِ الأَفاعِي تَنْهَشُه ودُموعُه تَسيلُ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا». وفى هذا السِّياقِ غَرابةٌ ونَكارةٌ.

ثُم قال البَيْهقِيُّ[2]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو قالا: ثَنا أبو العبَّاسِ الأَصَمُّ، ثَنا عباسٌ الدُّورِيُّ، ثنا أسودُ بنُ عامرٍ شاذانُ، ثنا إسرائيلُ، عن الأسودِ، عن جُنْدُبِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: كان أبو بكرٍ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الغارِ، فأصابَ يدَه حَجَرٌ فقال:

إنْ أَنْتِ إلَّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ وفى سَبيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ، أخبرَنا مَعْمَرٌ، أخبرنى عُثمانُ الجَزَرِيُّ، أنَّ مِقْسَمًا مولى ابنِ عباسٍ أخبرَه عن ابنِ عباسٍ فى قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال: تَشاوَرَت قُرَيْشٌ ليلةً بمكةَ، فقال بعضُهم: إذا أصبَحَ فأَثْبِتوه بالوَثاقِ. يُريدونَ النبيَّ ﷺ، وقال بعضُهم: بل اقتُلوه. وقال بعضُهم: بل أَخْرِجوه. فأَطْلَعَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ على ذلك، فبات عليٌّ على فِراشِ النبيِّ ﷺ تلك الليلةَ، وخرَج النبيُّ ﷺ حتى لَحِقَ بالغارِ، وباتَ المشركون يَحْرُسون عليًّا يَحْسَبونَه النبيَّ ﷺ، فلمَّا أَصْبَحوا ثاروا إليه[4]، فلمّا

---

(١) حفى القدم: رق من كثرة المشى. الوسيط (ح ف ى).

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٤٨٠.

(٣) المسند ١/ ٣٤٨. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٧: رواه أحمد والطبرانى وفيه عثمان بن عمرو الجزرى وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٥/ ٨٧: فى إسناده نظر؛ من أجل عثمان الجزرى. وانظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ٥/ ٣٠١.

(٤) فى الأصل، م: «عليه».

رأَوْا عليًّا ردَّ اللَّهُ[1] مَكْرَهم، فقالوا: أينَ صاحبُك هذا؟ فقال: لا أَدْرى. فاقْتَصُّوا[2] أَثَرَه، فلمَّا بلَغوا الجَبَلَ اخْتلطَ عليهم، فصَعِدُوا الجبلَ فمرُّوا بالغارِ، فرأَوْا على بابِه نَسْجَ العنكبُوتِ، فقالوا: لو دخَل هـٰهنا[3]، لم يكنْ نَسْجُ العنكبوتِ على بابِه. فمكَثَ فيه ثلاثَ ليالٍ. وهذا إسنادٌ حَسَنٌ. وهو مِن أجْوَدِ ما رُوِىَ فى قِصَّةِ نَسْجِ العَنْكَبُوتِ على فَمِ الغارِ، وذلك مِن حمايةِ اللَّهِ رسولَه ﷺ.

[4]وقال الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ علىِّ بنِ سعيدٍ القاضى فى «مُسْنَدِ أبى بكرٍ»[5]: حدَّثَنا بَشَّارٌ الخفَّافُ، ثنا جَعْفَرُ بنُ[6] سليمانَ، ثنا أبو عِمْرانَ الجَوْنِىُّ، حدَّثَنا المُعَلَّى بنُ زِيادٍ، عن الحَسَنِ البَصْرِىِّ، قال: انطَلَقَ النبىُّ ﷺ وأبو بكرٍ إلى الغارِ، وجاءَتْ قُرَيْشٌ يَطْلُبونَ النبىَّ ﷺ، وكانوا إذا رأَوْا على بابِ الغارِ نَسْجَ العنكبوتِ قالوا: لم يَدْخُلْ أحدٌ. وكان النبىُّ ﷺ قائمًا يُصَلِّى وأبو بكرٍ يَرْتَقِبُ، فقالَ أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ: هؤلاءِ قومُك يَطْلُبونَك، أمَا واللَّهِ ما على نَفْسى أبْكِى[7]، ولكن مخافَةَ أنْ أَرَى فيكَ ما أَكْرَهُ. فقال له النبىُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَخَفْ[8] إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». وهـذا مُرْسَلٌ عن الحسنِ، وهو[4]

---

(١) بعده فى م، ص: «عليهم».

(٢) فى م: «فاقتفوا».

(٣) بعده فى م، ص: «أحد».

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) مسند أبى بكر الصديق (٧٣). قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، إلا أنه مرسل بشار بن موسى الخفاف.

(٦) فى الأصل، م: «و». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٣.

(٧) فى الأصل، م: «أئل».

(٨) فى مسند أبى بكر: «تحزن».

(١) حَسَنٌ بحالِه مِن الشاهدِ، وفيه زيادةُ صلاةِ النبىِّ ﷺ [٢/ ١٣٩ظ] فى الغارِ. وقد كان، عليه السَّلامُ، إذا حزَبَه[٢] أمرٌ صلَّى[٣]. ورَوَى هذا الرجلُ[٤] - أعنى أبا بكرٍ أحمدَ بنَ علىٍّ القاضىَ - عن عمرٍو الناقِدِ، عن خلَفِ[٥] بنِ تَميمٍ، عن موسَى بنِ مُطَيْرٍ[٦]، عن أبيه، عن أبى هُرَيْرَةَ أنَّ أبا بكرٍ قال لابنِه: يا بُنَىَّ، إذا حَدَثَ فى الناسِ حَدَثٌ فأْتِ الغارَ الذى اختَبَأْتُ فيه أنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ، فَكُنْ فيه؛ فإنه سيأتيك رِزقُك فيه بُكْرةً وعَشيًّا(١).

وقد نظمَ بعضُهم هذا فى شِعْرِه حيث يَقولُ:

نسْجُ داودَ ما حمَى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفَخارُ للعنكبوتِ

وقد ورَد أنَّ حمامتَيْن عشَّشَتا على بابِه أيضًا، وقد نظَم ذلك الصَّرْصَرىُّ فى شِعْرِه حيث يقولُ:

فغمَّى عليه العنكبوتُ بنَسْجِه ... وظلَّ على البابِ الحَمامُ يَبِيضُ

والحديثُ بذلك روَاه الحافظُ ابنُ عَسَاكرَ[٧] مِن طريقِ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى الأصل، م: «أحزنه». وحزبه: نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غم. النهاية ١/ ٣٧٧.

(٣) أخرجه أبو داود (١٣١٩). حسن (صحيح سنن أبى داود ١١٧١).

(٤) مسند أبى بكر (٥٦).

(٥) فى الأصل: «طيف». وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٧٦.

(٦) فى الأصل، م: «مطر». وانظر لسان الميزان ٦/ ١٣٠.

(٧) عزاه فى سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٣٩ إلى ابن عساكر وغيره. كما أخرجه من طريق عون بن عمرو، ابن سعد فى طبقاته ١/ ٢٢٨، ٢٢٩ مطولًا. وأورد الحافظ ابن حجر الحديث فى لسان الميزان ٤/ ٣٨٨ عن عون به، وقال فى عون: «قال يحيى بن معين: لا شىء. وقال البخارى: عون جليس لمعتمر منكر الحديث مجهول». وقال الحافظ عقب إيراد الحديث: «وأبو مصعب لا يُعرف». ا هـ.

صاعدٍ ، حدَّثَنا عمرُو بنُ عليٍّ ، ثنا عَوْنُ[1] بنُ عمرٍو أبو عمرٍو القَيْسيُّ - ويُلَقَّبُ عُوَيْنًا - حدَّثَنى أبو مُصْعَبٍ المكِّيُّ قال : أدرَكْتُ زيدَ بنَ أَرْقَمَ والمغيرةَ بنَ شُعْبَةَ وأنسَ بنَ مالكٍ ، يَذْكُرونَ أنَّ النبيَّ ﷺ [2]ليلةَ الغارِ[2] أمرَ اللَّهُ شجرةً فخرَجَتْ فى وجهِ النبيِّ ﷺ تَسْتُرُه ، وأنَّ اللَّهَ بَعَثَ العَنْكَبوتَ فنَسَجَتْ ما بينَهما فستَرتْ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأمَرَ اللَّهُ حمامتَيْن وَحْشيَّتَين ، فأقبلَتا تدُفَّانِ[3] حتى وقَعتا بينَ العَنْكَبوتِ وبينَ الشجَرَةِ ، وأقبَلَتْ فِتْيانُ قريشٍ مِن كُلِّ بطنٍ منهم رَجُلٌ ، معَهم عِصِيُّهم وقِسِيُّهم وهِرَاواتُهم ، حتى إذا كانوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ قدْرَ مائتَىْ ذِراعٍ قال الدَّليلُ - وهو سُرَاقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجيُّ -: هذا الحجرُ ، ثُم لا أدْرِى أينَ وضَعَ رِجْلَه . فقال الفِتْيانُ : أنت لم تُخْطِئْ منذُ الليلةِ . [4]حتى إذا أصْبَحْنا[5] قال : انظُروا فى الغارِ[4] . فاسْتَقْدَم[6] القومَ ، حتى إذا كانوا مِن النبيِّ ﷺ قَدْرَ خمسين ذراعًا ، فإذا الحمامَتانِ ، فرَجَع[7] فقالوا : ما رَدَّكَ أنْ تَنْظُرَ فى الغارِ ؟ قال : رأَيْتُ حمامَتَيْنِ وحْشِيَّتَيْن بفَمِ الغارِ ، فعرَفْتُ أنْ ليس فيه أحدٌ . فسمِعَها النبيُّ ﷺ فعَرَف أنَّ اللَّهَ قد دَرَأَ عنهما بهما ، فسَمَّتَ[8] عليهما - أى بَرَّكَ عليهما - وأحْدَرهما اللَّهُ إلى الحرَمِ فأفرَخا كما

---

(١) فى الأصل : « عوف » . وانظر لسان الميزان ٤/ ٣٨٨.

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥.

(٣) فى ا ١٥: « يدقان » . ودفَّ الطائر : ضرب جنبيه بجناحيه ، أو حرك جناحيه ، ورجلاه فى الأرض . الوسيط (د ف ف) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى م : « أصبحن » .

(٦) فى الأصل ، م : « فاستبقه » . واستقدم القوم : سبقهم فصار قُدَّامهم . الوسيط (ق د م) .

(٧) فى ا ١٥، م : « ترجع » .

(٨) فى ا ١٥: « فشمت » .

تَرى . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ . و[1] قد روَاه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[2] ، مِن حديثِ مُسلمِ بنِ إبراهيمَ وغيرِه ، عن [3]عَوْنِ بنِ[3] عمرٍو - وهو الملقَّبُ بعُوَيْنٍ - بإسنادِه مثلَه ، وفيه أنَّ جميعَ حَمَامِ مكةَ مِن نَسْلِ تَيْنِك الحَمامتَيْنِ ، وفى هذا الحديثِ أنَّ القائفَ الذى اقتفَى لهم الأثرَ ؛ سُرَاقةُ بنُ مالكٍ المُدْلِجِيُّ .

وقد روَى الوَاقِدِيُّ ، عن موسَى بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه أنَّ الذى اقتفَى لهم الأَثرَ كُرْزُ بنُ عَلْقمةَ .

قلتُ : ويَحْتَمِلُ أنْ يَكونا جميعًا اقْتَفَيا الأَثَرَ . واللَّهُ أعلمُ . وقد قال اللَّهُ تعالى[4] : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] ، يَقولُ تعالى مُؤَنِّبًا لمَن تَخلَّفَ عن الجِهادِ معَ الرسولِ ﷺ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ أنتم ، فإنَّ اللَّهَ ناصرُه ومُؤَيِّدُه ومُظْفِرُه كما نصَرَه ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مِن أهلِ مكةَ هاربًا ليس معَه غيرُ صاحبِه وصديقِه أبى بكرٍ ، ليس معه[5] غيرُه ولهذا قال : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ أى ؛ وقد لجأ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الدلائل (٢٢٩) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) التفسير ٤/ ٩٥، ٩٦.

(٥) سقط من : م .

إلى الغارِ فأَقاما فيه ثلاثةَ أيامٍ ، ليَسْكُنَ الطَّلَبُ عنهما ؛ وذلك لأنَّ المشركين حينَ فقَدوهما ، كما تقدَّمَ ، ذهبوا فى طلبِهما كلَّ مَذْهَبٍ مِن سائرِ الجِهاتِ ، وجعَلوا لمن ردَّهما أو أحدَهما ، مائةً مِن الإبِلِ ، واقتصُّوا [٢/١٤٠و] آثارَهما حتى اخْتلطَ عليهم ، وكان الذى يَقْتَصُّ الأثرَ لقُرَيْشٍ سُرَاقةَ بنَ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، كما تقدَّم ، فصعِدوا الجبلَ الذى هما فيه ، وجعَلوا يمُرُّونَ على بابِ الغارِ ، فتُحاذِى أرجُلُهم لبابِ الغارِ ولا يَرَوْنَهما ؛ حِفْظًا مِن اللَّهِ لهما ، كما قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنَا عفَّانُ ، ثنا همَّامٌ ، أنا ثابتٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ أبا بكرٍ حدَّثَه قال : قلت للنبىِّ ﷺ ونحن فى الغارِ : لو أنَّ أحدَهم نظَر إلى قدمَيْه لأَبْصَرَنا تحتَ قدَمَيْه . فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّك بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُما » . وأخرَجَه البخارىُّ ومسلمٌ فى « صحيحَيْهما »[2] مِن حديثِ همَّامٍ به . وقد ذكَرَ بعضُ أهلِ السِّيَرِ ، أنَّ أبا بكرٍ لمَّا[3] قال ذلك ، قال النبىُّ ﷺ : « لَو جَاءونَا مِن هـٰهنا لَذَهَبْنَا مِن هـٰهنا » . فنظَرَ الصدِّيقُ إلى الغارِ قد انفرجَ مِن الجانبِ الآخَرِ ، وإذا البحرُ قد اتَّصَلَ به ، وسفينةٌ مشدودةٌ إلى جانبِه . وهذا ليس بمُنْكَرٍ مِن حيثُ القُدْرَةُ العظيمةُ ، ولكن لم يَرِدْ ذلك بإسنادٍ قوىٍّ ولا ضعيفٍ ، ولَسنا نُثْبِتُ شيئًا مِن تِلْقَاءِ أنفسِنا ، ولكن ما صَحَّ أو حَسُنَ سَنَدُه قُلْنَا به . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[4] : حدَّثَنا الفضلُ بنُ سهلٍ ، ثنا خلَفُ بنُ تميمٍ ، ثنا موسَى بنُ مُطَيْرٍ القُرَشىُّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ أبا بكرٍ قال

---

(١) المسند ١/ ٤. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣). ومسلم (٢٣٨١).

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) كشف الأستار (١١٧٨). قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٩٧: فيه موسى بن مطير، وهو كذاب. وانظر كلام المصنف عقب الأثر.

لابنِه : يا بُنَيَّ ، إنْ حَدَثَ فى الناسِ حَدَثٌ فأْتِ الغارَ الذى رأَيْتَنى اختبَأْتُ فيه أنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ فكُنْ فيه ، فإنه سيأْتيك فيه رِزْقُكَ غُدْوَةً وعَشِيَّةً . ثُم قال البزَّارُ : لا نَعْلَمُ يَرْويه غيرَ خلَفِ بنِ تَميمٍ .

قلت : وموسى بنُ مُطَيْرٍ هذا ضعيفٌ متروكٌ ، كذَّبه يَحْيَى بنُ مَعِينٍ[1] ؛ فلا يُقْبَلُ حديثُه . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَرَ يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[2] عن محمدِ بنِ إسْحاقَ ، أنَّ الصدِّيقَ قال فى دُخولِهما الغارَ ، وسيْرِهما بعدَ ذلك ، وما كان مِن قصةِ سُراقةَ ، كما سيأْتى ، شِعرًا ، فمنه قولُه :

قال النبىُّ ولم أَجْزَعْ يُوَقِّرُنى ... ونحنُ فى سُدَفٍ[3] مِن ظُلمةِ الغَارِ

لا تَخْشَ شيئًا فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنا ... وَقَد تَوَكَّلَ لى منهُ بإِظْهارِ

وقد روَى أبو نُعَيْمٍ[4] هذه القصيدةَ مِن طريقِ زِيادٍ ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ ، فذكَرَها مُطَوَّلةً جِدًّا ، وذكَر معَها قصيدةً أُخْرَى ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى ابنُ لَهِيعَةَ[5] عن أبى الأسودِ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ قال : فمكَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ الحَجِّ - يَعْنِى الذى بايَعَ فيه الأَنْصارَ - بقيةَ ذى الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وصفَرًا ، ثُم إنَّ مُشركى قُرَيْشٍ أجْمَعوا أمْرَهم ومكْرَهم على أنْ يَقْتُلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أو يَحْبِسوه ، أو يُخْرِجوه فأطْلَعَه اللَّهُ على ذلك فأنزَل عليه : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآيةَ [الأنفال : ٣٠] . فأمَر عليًّا فنامَ على فِراشِه ،

---

(١) التاريخ ليحيى بن معين ٢/٥٩٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/٨٥ - ٨٧، عن يونس به مطولا .

(٣) السدف : جمع سدفة ، وهى الظلمة .

(٤) فى الدلائل (٢٣٧) .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٥، عن ابن لهيعة به .

وذهَب هو وأبو بكرٍ، فلمَّا أَصْبَحوا ذهَبوا فى طلبِهما فى كلِّ وجهٍ يَطْلُبونَهما. وهكذا ذكَره موسَى بنُ عُقْبةَ[1] فى «مَغازِيه»، وأنَّ خروجَه هو وأَبى بكرٍ إلى الغارِ كان ليلًا، وقد تقدَّمَ[2] عن الحسنِ البَصْرىِّ - فيما ذكَره [3]ابنُ هِشامٍ[3] - التَّصْريحُ بذلك أيضًا.

وقد قال البخارىُّ[4]: حدَّثَنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ، ثنا اللَّيْثُ، عن عُقَيْلٍ، قال ابنُ شِهابٍ: فأخبَرَنى عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ، عن عائشةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالَتْ: لم أَعْقِلْ أبوىَّ قطُّ إلا وهما يَدينان الدِّينَ، ولم يَمُرَّ علينا يومٌ إلا يَأْتينا فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ طرفَيِ النهارِ بُكْرةً وعشيَّةً، فلمَّا ابْتُلِىَ المسلمون خرَجَ أبو بكرٍ مُهاجِرًا نحوَ أرضِ الحبشةِ، حتى إذا بلَغَ بَرْكَ الغِمادِ[5] لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ، وهو سيدُ القارَةِ[6]. فَذَكَرَتْ ما كانَ من رَدِّهِ لأبى بكرٍ إلى مكةَ وجوارِه له، كما قدَّمْناه[7] [٢/ ١٤٠ظ] عندَ هِجْرَةِ الحَبَشةِ، إلى قولِه: فقال أبو بكرٍ: فإنى أَرُدُّ عليك جِوارَك وأرضَى بجوارِ اللَّهِ. قالتْ: والنبىُّ ﷺ يومَئذٍ بمكةَ، فقال النبىُّ ﷺ للمسلمين: «إنِّى أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكُم ذاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ». وهما الحَرَّتانِ[8]، فهاجَرَ مَنْ هاجَرَ قِبَلَ المدينةِ، ورجَعَ بعضُ مَن كان هاجَرَ قِبَلَ

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٦، عن موسى بن عقبة عن الزهرى.

(٢) تقدم فى صفحة ٤٤٨.

(٣ - ٣) فى ص: «مسلم».

(٤) البخارى (٣٩٠٥).

(٥) برك الغماد: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن. انظر الفتح ٧/ ٢٣٢.

(٦) القارة: قبيلة مشهورة من بنى الهُون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش. انظر المصدر السابق ٧/ ٢٣٣.

(٧) تقدم فى صفحة ٢٣٢.

(٨) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٣٤: قوله: وهما الحرتان. مدرج فى الخبر، وهو من تفسير الزهرى، والحرة: أرض حجارتها سود.

الحبشةِ إلى المدينةِ، وتجهَّزَ أبو بكرٍ مُهاجرًا قِبَلَ المدينةِ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكِ؛ فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِى». فقال أبو بكرٍ: وهل تَرْجُو ذلك بأبى أنت وأمِّى؟ قال: «نعَمْ». فحبَسَ أبو بكرٍ نفَسَه على رسولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَه، وعلَفَ راحلتَيْن كانَتا عندَه، ورَقَ السَّمُرِ - وهو الخَبَطُ[1] - أربعةَ أشْهُرٍ، [2]وذكَر بعضُهم[3] أنَّه علَفَهما ستةَ أَشْهُرٍ[2].

قال ابنُ شِهابٍ[4]؛ قال عُرْوةُ: قالَتْ عائشةُ: فبينَما نحن يومًا جُلُوسٌ فى بيتِ أبى بكرٍ فى نَحْرِ الظَّهيرةِ[5]. فقال قائلٌ لأبى بكرٍ: هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا[6] فى ساعةٍ لم يَكنْ يَأْتينا فيها. فقال أبو بكرٍ: فداءٌ له أبى وأمِّى، واللَّهِ ما جاءَ به فى هذه الساعةِ إلا أَمْرٌ. قالَتْ: فجاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فاسْتَأْذَنَ فأُذِنَ له، فدخَل فقال النبىُّ ﷺ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فقال أبو بكرٍ: إنما هم أهلُك، بأبى أنت يا رسولَ اللَّهِ. قال: «فإنَّه قد أُذِنَ لى فى الخروجِ». فقال أبو بكرٍ: الصَّحابةَ[7]، بأبى أنت وأمى. قال النبىُّ ﷺ: «نَعَمْ». قال أبو بكرٍ: فَخُذْ، بأبى أنت يا رسولَ اللَّهِ، إحدى راحِلَتَىَّ هاتَيْنِ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بالثَّمَنِ». قالَتْ عائشةُ: فجهَّزْناهما

---

(١) قال الحافظ: وهو الخبط، مدرج أيضا فى الخبر، وهو من تفسير الزهرى. ويقال: السمر شجرة أم غيلان. وقيل: كل ما له ظل ثخين. وقيل: السمر ورق الطلح. والخبط: ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر. المصدر السابق.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل. وهذه العبارة من كلام المصنف.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٣٠/ ٧٩.

(٤) من هنا عودٌ إلى سياق حديث البخارى. قال الحافظ: هو بالإسناد المذكور أولًا.

(٥) فى الأصل، م: «حر». قال الحافظ: فى نحر الظهيرة. أى أول الزوال وهو أشد ما يكون فى حرارة النهار. الفتح ٧/ ٢٣٥.

(٦) متقنعا: مغطيا رأسه.

(٧) أى أريد المُصاحَبَة. المصدر السابق.

أَحَثَّ الجَهازِ[1] ، فصنَعْنا لهما سُفْرةً فى جِرَابٍ ، فقطَعتْ أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ قِطْعةً مِن نِطاقِها ، فربَطَتْ به على فمِ الجِرَابِ ، فلذلك سُمِّيَتْ ذاتَ النِّطَاقَيْنِ . قالتْ : ثُم لحِقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ بغارٍ فى جبلِ ثَوْرٍ ، فمكَثا فيه ثلاثَ ليالٍ يَبيتُ عندَهما عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ[2] لَقِنٌ[3] ، فيَدَّلِجُ[4] مِن عندِهما بسَحَرٍ فيُصْبِحُ معَ قُرَيْشٍ بمكةَ كبائتٍ ، لا يَسْمَعُ أمرًا يُكْتادان به[5] إلا وعَاه ، حتى يَأْتِيَهما بخبرِ ذلك حينَ يَخْتَلِطُ الظلامُ ، ويَرْعَى عليهما عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مولَى أبى بكرٍ مِنْحةً مِن غنمٍ ، فيُريحُها عليهما حينَ يَذْهَبُ ساعةٌ مِن العِشاءِ ، فيَبِيتانِ فى رِسْلٍ - وهو لبنُ مِنْحَتِهما ورَضِيفِهما[6] - حتى يَنْعِقَ[7] بها عامرُ بنُ فُهَيْرةَ بغَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذلك فى كلِّ ليلةٍ مِن تلك الليالى الثَّلاثِ ، واسْتَأْجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ رجلًا مِن بنى الدِّيلِ ، وهو مِن بنى عبدِ بنِ عَدِىٍّ هاديًا خِرِّيتًا - والخِرِّيتُ : الماهرُ بالهِدايةِ[8] - قد غمَسَ حِلْفًا[9] فى آلِ العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمىِّ وهو على دينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، فأَمِنَاه فدفَعا إليه

---

(١) قال الحافظ : أحث أفعل تفضيل من الحث ، وهو الإسراع ... والجهاز : هو ما يحتاج إليه فى السفر . المصدر السابق .

(٢) بفتح المثلثة وكسر القاف ويجوز إسكانها وفتحها ، وبعدها فاء : الحاذق ، تقول : ثقفت الشىء . إذا أقمت عوجه . المصدر السابق ٢٣٧/٧ .

(٣) اللقن : السريع الفهم .

(٤) يدلج : يخرج بسَحَر إلى مكة .

(٥) أى يطلب لهما فيه المكروه .

(٦) فى م : « رضيعهما » . قال الحافظ : أى اللبن المرضوف أى التى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار ، لينعقد وتزول رخاوته . المصدر السابق .

(٧) قال الحافظ : أى يصيح بغنمه ، والنعيق صوت الراعى إذا زجر الغنم . المصدر السابق .

(٨) قال الحافظ : والخريت : الماهر بالهداية . هو مدرج فى الخبر من كلام الزهرى . المصدر السابق ٢٣٨/٧ .

(٩) قال الحافظ : أى كان حليفا ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم أو خلوق أو فى شىء يكون فيه تلويث ، فيكون ذلك تأكيدًا للحلف . المصدر السابق .

راحِلَتَيْهما ، وواعَدَاه غارَ ثَوْرٍ بعدَ ثلاثِ ليالٍ ، براحِلَتَيْهِما صُبْحَ ثلاثِ ليالٍ ، وانطلَقَ معَهما عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ والدليلُ ، فأخَذَ بهم طريقَ السَّواحلِ .

قال ابنُ شِهابٍ[1] : فأخبرَنى عبدُ الرحمنِ بنُ مالكٍ المُدْلِجِيُّ - وهو ابنُ أخى سُراقةَ - أنَّ أباه أخبرَه أنه سمِع سُراقةَ بنَ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ يقولُ : جاءَنا رسُلُ كُفّارِ قريشٍ يَجْعَلون فى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ ديةَ[2] كلِّ واحدٍ منهما لِمَن قتَله أو أسَرَه ، فبينَما أنا جالسٌ فى مَجْلِسٍ مِن مجالسِ قَوْمى بنى مُدْلِجٍ[3] ، أقبَلَ رجلٌ منهم حتى قامَ علينا ونحن جلوسٌ ، فقال : يا سُرَاقَةُ ، إنى رأَيْتُ آنِفًا أَسْودةً بالساحلِ أُرَاها محمدًا وأَصْحَابَه . قال سُرَاقةُ : فعرَفْتُ أنَّهم هم فقلْتُ له : إنَّهم ليْسوا بهم ، ولكنَّك رأَيْتَ فلانًا وفلانًا انطلَقُوا بأعيننا . ثُم لَبِثْتُ فى المَجْلِسِ ساعةً ثُم قمْتُ فدخَلْتُ ، فأمَرْتُ جارِيتِى أنْ تَخْرُجَ بفَرسى وهى مِن وراءِ أَكَمَةٍ فتَحْبِسَها علىَّ ، وأخَذْتُ رُمْحِى ، فخَرَجْتُ مِن ظَهْرِ البيتِ ، فخطَطْتُ بزُجِّه[4] الأرضَ وخفَضْتُ[5] عاليَه ، حتى أتَيْتُ فرَسى فركِبْتُها ، [6]فرفعْتُها تُقَرِّبُ[6] بى حتى دنَوْتُ منهم ، فعثَرَتْ بى فَرَسِى فخرَرْتُ عنها ، فقُمْتُ فأهوَيْتُ يَدَىَّ إلى كِنَانَتِى فاستخرَجْتُ منها الأَزْلامَ ، [٢/١٤١و] فاستَقْسَمْتُ بها أَضُرُّهم أمْ لا ، فخرَج الذى أَكْرَهُ ، فرَكِبْتُ فرَسى - وعصَيْتُ

---

(١) البخارى (٣٩٠٦) معلقا . قال الحافظ : هو موصول بإسناد حديث عائشة (٣٩٠٥) . الفتح ٢٤٠/٧ .

(٢) قال الحافظ : دية كل واحد . أى مائة من الإبل . المصدر السابق .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « إذ » .

(٤) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح . الوسيط (ز ج ج) .

(٥) قال الحافظ : « وخفضت » : أى أمسكه بيده وجرَّ زُجّه على الأرض لئلا يظهر بَرِيقُه لمن بعد منه ؛ لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه فى الجعالة . المصدر السابق ٢٤١/٧ .

(٦ - ٦) فى م : « فدفعتها ففرت » . قال الحافظ : قوله : فرفعتها : أى أسرعت بها السير . قوله : « تقرب بى » : التقريب السير دون العدو وفوق العادة . وقيل : أن ترفع الفرس يديها معا وتضعهما معا . المصدر السابق .

الأَزْلامَ[1] - تُقَرِّبُ بى ، حتى إذا سمِعْتُ قِراءةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو لا يَلْتَفِتُ وأبو بكرٍ يُكْثِرُ الالتِفاتَ ، ساخَتْ[2] يَدَا فَرَسِى فى الأَرْضِ حتى بلَغَتا الرُّكْبَتَيْنِ ، فخَرَرْتُ عنها[3] ، ثُم زجَرْتُها فنهَضَتْ ، فلم تكَدْ تُخْرِجُ يدَيْها ، فلمَّا استَوَتْ قائمةً إذا لِأَثَرِ يدَيْها غُبارٌ ساطعٌ فى السماءِ مثلُ الدُّخانِ ، فاسْتَقْسَمْتُ الأَزْلامَ فخرَج الذى أَكْرَهُ ، فنادَيْتُهم بِالأمانِ ، فوقَفوا ، فرَكِبْتُ فرَسى حتى جئْتُهم ، ووقَع فى نفسى حينَ لقِيتُ ما لَقِيتُ مِن الحَبْسِ عنهم أنْ سيَظْهَرُ أَمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلْتُ له : إنَّ قومَك قد جعَلوا فيك الديةَ . وأخبرْتُهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بِهم ، وعرَضْتُ عليهم الزادَ والمتاعَ ، فلم يَرْزَآنِى[4] ولم يَسْأَلانى إلَّا أنْ قال[5] : « أخْفِ عَنَّا » . فسأَلْتُه أنْ يَكْتُبَ لى كتابَ أَمْنٍ ، فأمرَ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ فكتَبَ فى[6] رُقْعةٍ مِن أدَمٍ ، ثُم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ .

[7]وقد روَى محمدُ بنُ إِسْحاقَ[8] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُم ، عن أبيه ، عن عمِّه سُراقةَ ، فذكَر هذه القِصَّةَ ، إلا أنَّه ذكَرَ أنه استَقْسَمَ بالأَزْلامِ أولَ ما خرَج مِن مَنْزِلِه ، فخرَج السَّهْمُ الذى يَكْرَهُ ؛ لا يضُرُّه ، وذكَرَ أنه عثَرَ به فرسُه أربعَ مرّاتٍ ، وكلُّ ذلك يَسْتَقْسِمُ بالأزلامِ ويَخْرُجُ الذى يَكْرَهُ ؛ لا يَضُرُّه ، حتَّى ناداهم بالأَمانِ ، وسأل أن يَكْتُبَ له كِتابًا[7]

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « فجعل فرسى » .

(٢) ساخت : غاصت .

(٣) بعده فى الأصل : « فقمت فأهويت » ، وبعده فى م : « فأهويت » .

(٤) قال الحافظ : فلم يرزآنى . أى لم ينقصانى مما معى شيئا . المصدر السابق ٧/٢٤٢ .

(٥) فى م : « قالا » .

(٦) فى الأصل ، م : « لى » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٩، ٤٩٠.

[1] يَكونُ أَمارةَ ما بيْنَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : فكتَبَ لى كتابًا فى عَظْمٍ ، أو رُقْعةٍ أو خِرْقَةٍ . وذكَرَ أنَّه جاءَ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بالجِعْرَانَةِ مَرْجِعَه مِن الطائفِ ، فقال له : « يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ ، ادْنُهْ » . فدنَوْتُ منه وأسلَمْتُ .

قال ابنُ هِشامٍ[2] : هو عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ . وهذا الذى قاله جيِّدٌ[3] .

ولمَّا رجَع سُراقةُ ، جعَل لا يَلْقَى أحدًا مِن الطَّلَبِ إلَّا رَدَّه وقال : كُفِيتُم هذا الوجْهَ . فلمَّا ظهرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد وصَل إلى المدينةِ ، جعَل سُراقَةُ يَقُصُّ على الناسِ ما رأَى وما شاهَدَ مِن أمرِ النبىِّ ﷺ ، وما كان مِن قضيةِ جَوادِه ، واشْتُهِر هذا عنه ، فخافَ رؤساءُ قُرَيْشٍ مَعَرَّتَه ، وخشُوا أنْ يَكونَ ذلك سببًا لإسْلامِ كثيرٍ منهم ، وكان سُراقةُ أميرَ[4] بنى مُدْلِجٍ ورئيسَهم ، فكتَب أبو جهلٍ ، لعَنه اللَّهُ ، إليهم :

بنى مُدْلِجٍ إنى أَخافُ سفيهَكمْ ... سُراقَةَ مُسْتَغْوٍ لنَصْرِ محمدِ
عليكم به ألّا يُفَرِّقَ جَمْعَكم ... فيُصْبِحَ شتَّى بعدَ عِزٍّ وسُؤْدُدِ

قال : فقال سُرَاقةُ بنُ مالكٍ يُجيبُ أبا جهلٍ فى قولِه هذا :

أبا حَكَمٍ واللَّهِ لو كنتَ شاهدًا ... لأمْرِ جَوادى إذ تَسُوخُ قوائِمُهْ[1]

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩١.

(٣) الصحيح أنه عبد الرحمن بن مالك بن مالك بن جعشم ، وهو الذى يروى عن عمه سراقة بن مالك ، وعن أبيه مالك بن مالك ، وأخرج الحافظ المزى هذا الخبر مطولًا بإسناده إلى عبد الرحمن هذا ، فى ترجمته ، تهذيب الكمال ٣٧٩/١٧ - ٣٨١. وانظر التقريب ٤٩٦/١ .

(٤) فى ا ١٥: « من » .

(١ عجِبْتَ ولم تَشْكُكْ بأنَّ محمدًا رسولٌ وبرهانٌ فمَن ذا يُقاوِمُهْ[٢]

عليكَ بكفِّ القومِ عنه فإنَّنى إخالُ لنا يومًا ستَبْدو معالـمُهْ

بأمرٍ تَوَدُّ النَّصْرَ فيه فإنَّهمْ وإنَّ جميعَ الناسِ طُرًّا[٣] مُسالـمُهْ

وذكَر هذا الشِّعرَ الأُمويُّ فى «مَغازيه» بسندِه، عن ابنِ[٤] إسْحاقَ.

وقد روَاه أبو نُعَيْمٍ[٥] بسنَدِه مِن طريقِ زِيادٍ، عن ابنِ إسْحاقَ، وزادَ فى شِعْرِ أبى جَهْلٍ، لعَنه اللَّهُ، أَبْياتًا تَتَضَمَّنُ كُفْرًا بليغًا[١].

وقال البخاريُّ[٦] بسنَدِه إلى ابنِ شِهابٍ، فأخبَرَنى عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَقِىَ الزبيرَ فى رَكْبٍ مِن المسلمين، كانوا تُجَّارًا قافِلِينَ مِن الشامِ، فكسَا الزبيرُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بَياضٍ، وسَمِع المسلمون بالمدينةِ بمَخْرَجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكَّةَ، فكانوا يَغْدُونَ كلَّ غَداةٍ إلى الحَرَّةِ، فيَنْتَظِرونَه حتى يَرُدَّهم حَرُّ الظَّهيرةِ، فانقَلَبوا يومًا بعدَما أَطالوا انتِظارَهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتِهم، أَوْفَى[٧] رجلٌ مِن اليهودِ على أُطُمٍ[٨] مِن آطامِهم لأمْرٍ يَنْظُرُ إليه، فبَصُر برسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه مُبَيِّضين يَزولُ بهم السَّرابُ[٩]، فلم يَمْلِكِ اليهوديُّ أنْ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى ا ١٥، ص: «يكاتمه».

(٣) الطر: الجماعة. اللسان (ط ر ر).

(٤) فى م، ص: «أبى».

(٥) فى دلائل النبوة (٢٣٧).

(٦) البخارى (٣٩٠٦).

(٧) أوفى: طلع إلى مكان عال فأشرف منه. الفتح ٧/ ٢٤٣.

(٨) الأطم: حصن مبنى بحجارة. اللسان (أ ط م).

(٩) قال الحافظ: مبيضين: أى عليهم الثياب البيض. ويزول بهم السراب. أى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له، وقيل: معناه ظهرت حركتهم للعين. الفتح ٧/٢٤٣.

قال بأعْلَى صوتِه: يا مَعْشَرَ العرَبِ، هذا جَدُّكم[1] الذى تَنْتَظِرون. فثارَ المسْلمون إلى السِّلاحِ، فتلَقَّوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ بظَهْرِ الحَرَّةِ، فعدَلَ بهم ذاتَ اليمينِ، حتى نزلَ بهم فى بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ، وذلك يومَ الاثنَيْنِ مِن شهرِ ربيعِ الأولِ، فقامَ أبو بكرٍ للناسِ، وجلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ صامِتًا، فطَفِقَ مَن جاءَ مِن الأَنْصارِ مِمَّن لم يرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّى أبا بكرٍ، حتى أصابَتِ الشمسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فأَقبَلَ أبو بكرٍ حتى ظلَّلَ عليه بردائِه، فعرَف الناسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عندَ ذلك، فلَبِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بنى عمرِو بنِ عوفٍ بِضْعَ عشْرةَ ليلةً، وأَسَّسَ المَسْجِدَ الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى، وصلَّى فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثُم رَكِبَ راحلتَه وسار يَمْشِى معَه الناسُ، حتى بَرَكَتْ عندَ مَسْجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، وهو يُصَلِّى فيه يومَئِذٍ رِجالٌ مِن المسْلمين، وكان مِرْبَدًا[2] للتَّمْرِ لسُهَيْلٍ وسَهْلٍ، غلامَيْن يَتيميْن فى حِجْرِ أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ بَرَكَتْ به راحلتُه: «هَذَا إنْ شَاءَ اللَّهُ المنزِلُ». ثُم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الغلامَيْن فساوَمَهما بالمِرْبَدِ ليَتَّخِذَه مَسْجِدًا، فقالا: بل نَهَبُه لك يا رسولَ اللَّهِ. فأَبَى رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يَقْبَلَهُ منهما هِبةً، حتى ابتاعَه مِنهما، ثُم بَناه مَسْجِدًا، فطفِقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ معَهم اللَّبِنَ فى بُنْيانِه، ويَقولُ وهو يَنْقُلُ اللبِنَ:

«هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ[3] هَـذا أَبَـرُّ ربَّـنـا وأَطْـهَـرْ»

---

(١) هذا جدكم: أى حظكم وصاحب دولتكم الذى تتوقعونه. انظر المصدر السابق.

(٢) المربد: ما يجفف فيه التمر. الوسيط (ر ب د).

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٤٦: قوله: «هذا الحمال»... أى هذا المحمول من اللبنِ...، وحمال خيبر: أى التى يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك.

[٢/١٤١ظ] ويقولُ :

« اللَّهُمَّ[١] إنَّ الأَجْرَ أَجرُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنصارَ والمُهَاجِرَهْ »

فتَمَثَّلَ بشِعْرِ رجلٍ مِن المسلمين لم يُسَمَّ لى . قال ابنُ شِهابٍ : ولم يَبْلُغْنا فى الأَحاديثِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَمَثَّلَ ببيتِ شِعْرٍ تَامٍّ غيرِ هذه الأَبياتِ . هذا لفظُ البخاريِّ ، وقد تفرَّدَ بروايتِه دونَ مُسْلِمٍ ، وله شواهدُ مِن وجوهٍ أُخَرَ ، وليس فيه قِصَّةُ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعيَّةِ ، ولْنَذْكُرْ هنا ما يُناسِبُ ذلك مُرَتَّبًا أولًا فأولًا :

قال الإمامُ أَحمدُ[٢] : حدَّثَنا عمرُو بنُ محمدٍ أبو سعيدٍ العَنْقَزِىُّ[٣] ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إِسْحاقَ ، عن البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ قال : اشترَى أبو بكرٍ [٤]مِن عَازِبٍ[٤] سَرْجًا بثلاثةَ عشَرَ دِرهمًا ، فقال أبو بكرٍ لعَازِبٍ : مُرِ البَراءَ فلْيَحْمِلْه إلى منزِلى . فقال : لا حتى تُحَدِّثَنا كَيفَ صنَعْتَ حينَ خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنت معَه . فقال أبو بكرٍ : خرَجْنا فأدْلَجْنا فأَحثَثْنا[٥] يومَنا وليلتَنا ، حتى أظهَرْنا وقام قائمُ الظَّهيرةِ ، فضرَبْتُ بصَرى هل أرى ظِلًّا نَأْوِى إليه ، فإذا أنا بصَخْرةٍ ، فأهوَيْتُ إليها ، فإذا بقيةُ ظِلِّها ، فسوَّيْتُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ وفرَشْتُ له فَرْوةً وقلتُ : اضطجِعْ يا رسولَ اللَّه . فاضطَجَعَ ، ثُم[٦] خَرَجْتُ أَنْظُرُ هل أرَى أحدًا

---

(١) فى النسخ : « لاهم » . والمثبت من البخارى .

(٢) المسند ١/ ٢، ٣. (إسناده صحيح) .

(٣) فى ا ١٥: « العبقرى » ، وفى ص : « العنفرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٠.

(٤ - ٤) سقط من : ا ١٥.

(٥) فى ا ١٥: « فأحيينا » . وأحثثنا : أسرعنا السير .

(٦) فى الأصل : « حتى » .

مِن الطَّلَبِ ، فإذا أنا براعى غَنَمٍ ، فقلت : لِمَن أنت يا غُلامُ ؟ فقال : لرجلٍ مِن قريشٍ . فسمَّاه فعرَفْتُه ، فقلتُ : هل فى غَنمِك مِن لَبَنٍ ؟ قال : نعَمْ . قلت : هل أنت حالبٌ لى ؟ قال : نعَمْ . فأمَرْتُه فاعتَقَلَ شاةً منها ، ثُم أمَرْتُه فنفَضَ ضَرْعَها مِن الغُبارِ ، ثُم أمَرْتُه فنفَضَ كفَّيْه مِن الغُبارِ ، ومعى إداوةٌ على فمِها خِرقةٌ ، فحلَبَ لى كُثْبةً[1] مِن اللَّبَنِ فصبَبْتُ - [2]يَعْنى الماءَ[2] - على القَدَحِ حتى برَدَ أسفلُه ، ثُم أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فوافَيْتُه وقد استيقَظ ، فقلت : اشرَبْ يا رسولَ اللَّهِ . فشَرِبَ حتى رضِيتُ ، ثُم قلْت : هل آنَ الرحيلُ ؟ فارتَحَلْنا والقومُ يَطْلُبونَنا ، فلم يُدْرِكْنا أحدٌ منهم إلا سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ على فَرَسٍ له ، فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا الطلَبُ قد لحِقَنا . قال : « لا تَحْزَنْ ، إنَّ اللَّهَ معَنا » . حتى إذا دَنا منا فكان بينَنا وبينَه قَدْرُ رُمحٍ أو رُمْحَيْن - أو قال : رُمْحَيْن أو ثلاثةً - قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا الطَّلَبُ قد لحِقَنا . وبكَيْتُ ، قال : لِمَ تَبْكِى ؟ قال[3] : قلت : أمَا واللَّهِ ما على نفْسى أَبْكِى ، ولكن أَبْكِى عليك . فدَعا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بمَا شِئْتَ » . فساخَتْ قوائمُ فَرَسِهِ إلى بطنِها فى أرضٍ صَلْدٍ ، ووثَب عنها وقال : يا محمدُ ، قد علِمْتُ أنَّ هذا عملُك ، فادعُ اللَّهَ أن يُنجِيَنى مِمَّا أنا فيه ، فواللَّهِ لأُعَمِّيَنَّ على مَن وَرائى مِن الطَّلَبِ ، وهذه كِنانتى فَخُذْ منها سَهْمًا ، فإنك ستَمُرُّ بإبلِى وغَنَمى بمَوْضِعِ كذا وكذا ، فَخُذْ منها حاجتَك . قال[4] : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا حاجةَ لى

---

(١) الكثبة من اللبن : القليل منه . اللسان (ك ث ب) .

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص .

فيها » . قال[1] : ودَعا له رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأُطْلِقَ ورجَع إلى أَصْحابِه ، ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا معَه ، حتى قَدِمْنَا المدينةَ وتلقَّاه الناسُ ، فخرَجوا فى الطُّرُقِ وعلى الأجاجِيرِ[2] ، واشتدَّ الخَدَمُ والصِّبْيانُ فى الطريقِ يقولون[3] : اللَّهُ أكبرُ ، [4]جاءَ رسولُ اللَّهِ[4] ، جاءَ محمدٌ . قال : وتَنازَعَ القومُ أيُّهم يَنْزِلُ عليه . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْزِلُ اللَّيْلَةَ عَلَى بَنِى النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ؛ لأُكْرِمَهُم بِذَلِكَ » . فلمَّا أَصْبَحَ غدا حيث أُمِرَ . قال البَراءُ : أولُ مَنْ قدِمَ علينا مِن المهاجرين مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، أخو بنى عبدِ الدَّارِ ، ثُم قَدِمَ علينا ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأعْمَى ، أحدُ بنى فِهْرٍ ، ثُم قدِمَ علينا عمرُ بنُ الخطابِ فى عِشْرِينَ راكبًا ، فقلْنا : ما فعلَ [٢/١٤٢و] رسولُ اللَّهِ ؟ قال : هو على أَثَرِى . ثُم قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ معَه . قال البَرَاءُ : ولم يَقْدَمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى قرأْتُ سُوَرًا مِن المُفَصَّلِ . أخرَجاه فى « الصحيحَيْن »[5] مِن حديثِ إِسْرائيلَ بدونِ قَوْلِ البراءِ : أولُ مَن قدِمَ علينا ... إلخ . فقد انفرَدَ به مسلمٌ ، فروَاه مِن طريقِ إِسْرائيلَ به .

وقال ابنُ إِسْحاقَ[6] : فأقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الغارِ ثلاثًا ومعَه أبو بكرٍ ، وجعَلَتْ قريشٌ فيه حينَ فقَدوه مائةَ ناقةٍ لِمَن رَدَّه عليهم ، فلمّا مضَتِ الثلاثُ

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) أجاجير : جمع إجّار ، وهو السطح ، بلغة الشام والحجاز . اللسان (أ ج ر) .

(٣) سقط من : ا ١٥ ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) البخارى (٣٦٥٢) ، ومسلم ٢٣٠٩/٤ (٢٠٠٩) ، ولم نجد فى صحيح مسلم الزيادة التى أشار إليها المصنف أنه انفرد بها دون البخارى ، ولعل المصنف تابع فى ذلك الحافظ البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥ .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦ .

وسكَنَ عنهما الناسُ، أتاهما صاحبُهما الذى استأْجَراه ببعيرَيْهما وبعيرٍ له، وأتَتْهما أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ بسُفْرتِهما، ونَسِيَتْ أنْ تَجْعَلَ لها عِصَامًا[1]، فلمّا ارتحَلا ذهبَتْ لتُعَلِّقَ السُّفْرَةَ فإذا ليس لها[2] عِصامٌ، [3]فحَلَّتْ نِطَاقَهَا فجعَلَتْه[3] عِصامًا، ثُم علَّقَتْها به، فكان يُقالُ لها: ذاتُ النِّطَاقِ. لذلك.

قال ابنُ إِسْحاقَ[4]: فلمَّا قَرَّبَ أبو بكرٍ الراحلتَيْن إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، قَدَّمَ له أفضلَهما ثُم قال: ارْكَبْ فِدَاكَ أبى وأمِّى. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّى لَا أَرْكَبُ بَعِيرًا لَيْسَ لِى». قال: فهى لك يا رسولَ اللَّهِ، بأبى أنت وأمى. قال: «لَا وَلَكِنْ مَا الثَّمَنُ الَّذِى ابْتَعْتَهَا بِهِ؟» قال: كذا وكذا. قال: «أَخَذْتُهَا بِذَلِكَ». قال: هى لك يا رسولَ اللَّهِ.

وروَى الواقدىُّ[5] بأسانيدِه، أنه عليه السلامُ أخذَ القَصْوَاءَ. قال: وكان أبو بكرٍ اشتَرَاهما بثمانِمائةِ دِرْهَمٍ. وروَى ابنُ عَسَاكِرَ[6] مِن طريقِ أبى أُسامةَ، [7]عن هشامٍ، عن أبيه[7]، عن عائشةَ قالَتْ: وهى الجَدْعَاءُ. [8]وهكذا حكى السُّهَيْلِىُّ[9]، عن ابنِ إسْحاقَ أنها الجَدْعاءُ. واللَّهُ أعلمُ[8].

---

(١) العصام: جمع عُصُم: وهو رباط كل شىء. اللسان (ع ص م).

(٢) فى الأصل، م، ص: «فيها».

(٣ - ٣) فى النسخ والسيرة: «فتحل نطاقها فتجعل». والمثبت من تاريخ الطبرى ٢/٣٧٩ من رواية محمد بن إسحاق.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٦) أخرجه البخارى (٤٠٩٣) من طريق أبى أسامة به.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل.

(٩) الروض الأنف ٤/ ٢٠٥.

قال ابنُ إِسْحاقَ[1] : فركِبا وانطلَقا ، وأردَفَ أبو بكرٍ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ مولاه خلْفَه ؛ ليَخْدِمَهما فى الطريقِ ، فحُدِّثْتُ عن أسماءَ أنها قالَتْ : لمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، أتانا نَفَرٌ [2]مِن قريشٍ[2] فيهم أبو جهلٍ . فذكَر ضَرْبَه لها على خدِّها لَطْمةً ، طرَح منها قُرْطَها مِن أُذُنِها كما تقدَّمَ[3] . قالَتْ : فمكَثْنا[4] ثلاثَ ليالٍ ما نَدْرِى أينَ وَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى أقبلَ رَجُلٌ مِن الجِنِّ مِن أسفلِ مكةَ يَتَغَنَّى بأبياتٍ مِن شِعْرِ غِناءَ العربِ ، وإنَّ الناسَ لَيَتْبَعونَه ، يَسْمَعُون صوتَه وما يرَوْنه ، حتى خرَج مِن أعْلَى مكةَ وهو يَقولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جزائِه ... رفيقَيْن حَلَّا خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ

هما نَزَلَا بالبِرِّ ثُم تَرَوَّحا ... فأَفلحَ مَن أمسى رفيقَ محمدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فَتاتِهم ... ومَقْعَدُها للمؤمنينَ بمَرْصَدِ[5]

قالتْ أسماءُ : فلمَّا سمِعْنا قولَه عرَفْنا حيث وَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأنَّ وجْهَه إلى المدينةِ .

قال ابنُ إِسْحاقَ[6] : وكانوا أربعةً ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيرةَ مولى أبى بكرٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أَرْقَدَ[7] . كذا يَقولُ ابنُ إِسْحاقَ ، والمشهورُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) تقدم فى صفحة ٤٤٧ .

(٤) فى ا ١٥: « فمكثا ».

(٥) المرصد : الطريق. اللسان (ر ص د).

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٨.

(٧) كذا فى النسخ ، وفى السيرة : « أرقط » . وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٠، وفتح البارى ٧/ ٢٣٧، ٢٣٨.

عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ الدُّئِلِيُّ ، وكان إذ ذاك مُشْرِكًا .

قال ابنُ إِسْحاقَ[1] : ولمّا خرَجَ بهما دليلُهما عبدُ اللَّهِ بنُ أَرْقَدَ ، سلَك بهما أسفلَ مكةَ ، ثُم مضَى بهما على الساحلِ ، حتى عارَضَ الطريقَ أسفلَ مِن عُسْفانَ ، ثُم سلَك بهما على أسفلِ أَمَجَ ، ثُم استجازَ بهما حتى عارَضَ الطريقَ بعدَ أن أجاز قُدَيْدًا ، ثُم أجاز بهما مِن مكانِه ذلك فسلَك بهما الخَرَّارَ[2] ثم أجاز بهما ثَنِيَّةَ المَرَةِ ، ثُم سلَك بهما لَقْفًا ، ثُم أجازَ بهما مَدْلَجَةَ لَقْفٍ ، ثُم استَبْطَن بهما مَدْلَجَةَ مِجاجٍ ، ثُم سلَك بهما مَرْجِحَ مجاجٍ ، ثُم تَبَطَّنَ بهما مَرْجِحَ مِن ذى الغَضَوَيْنِ ، ثُم بطنَ [٢/١٤٢ظ] ذى كَشْرٍ[3] ، ثُم أخَذ بهما على الجداجِدِ[4] ، ثُم على الأَجْرِدِ ، ثُم سلَك بهما ذا سَلَمٍ مِن بطنِ أعداءِ مَدْلَجَةِ تِعْهِنَ ، ثُم على العبابيدِ ، ثُم أجاز بهما القاحةَ ، ثُم هبَطَ بهما العَرْجَ ، وقد أبْطَأَ عليهم بعضُ ظَهْرِهم ، فحمَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ رجلٌ مِن أَسْلَمَ يقالُ له : أَوْسُ بنُ حُجْرٍ على جَمَلٍ يُقالُ له : ابنُ الرداءِ . إلى المدينةِ وبعَث معَه غلامًا له[5] يُقالُ له : مسعودُ بنُ هُنَيْدَةَ . ثُم[6] خرَجَ بهما [7]دليلُهما مِن العَرْجِ ،[7]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩١.

(٢) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « الحرار » . والخرار موضع قرب الجحفة . وقيل غير ذلك . انظر معجم البلدان ٢/ ٤٠٨.

(٣) فى النسخ : « كشد » . والمثبت من السيرة ، وانظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) فى ا ١٥: « الجداد » . قال السهيلى فى الروض ٤/ ٢٥٠: الجداجد : جمع جُدْجُد ، وأحسبها آبارا .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) سقط من : م .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

[1] فسلَك بهما ثَنِيَّةَ العائرِ عن يمينِ رَكوبة - [2] ويقالُ : ثَنِيَّةُ الغائرِ فيما قال ابنُ هِشامٍ [2] - حتى هبَطَ بهما بطنَ ريمٍ ، ثُم قدِمَ بهما [1] قُبَاءَ على بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ مِن شهرِ ربيعٍ الأولِ يومَ الاثنيْنِ ، حينَ اشْتَدَّ الضَّحاءُ وكادَتِ الشمسُ تَعْتَدِلُ .

وقد روَى أبو نُعَيْمٍ [3] [4] مِن طريقِ الواقدىِّ نحوًا مِن ذِكْرِ هذه المنازلِ ، وخالَفَه فى بعضِها . واللَّهُ أعلمُ .

قال أبو نُعَيْمٍ [4][5] : حدَّثَنا أبو حامدِ [6] بنُ جَبَلَةَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسْحاقَ هو [7] السَّرّاجُ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عَبَّادِ [8] بنِ موسى العِجْلِىُّ ، حدَّثَنى أخى موسَى ابنُ عَبَّادٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ سَيَّارٍ ، حدَّثنى إياسُ بنُ مالكِ بنِ الأَوْسِ الأَسْلَمِىُّ [9] ، عن أبيه قال : لمَّا هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، مَرُّوا بإبلٍ لنا بالجُحْفةِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لِمَنْ هَذِهِ الإبِلُ ؟ » فقالوا : لرجلٍ مِن أَسْلَمَ . [10] فالتفَتَ إلى أبِى بكرٍ فقال : « سَلِمْتَ إنْ شَاءَ اللَّهُ » . فقال : « ما اسمُك ؟ » قال : مسعودٌ [10] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٣٢، ٢٣٣ ، من طريق الواقدى .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ١٢، والحافظ فى الإصابة ٥/ ٧٠٨، ٧٠٩، من طريق أبى العباس محمد بن إسحاق السراج به . وعزواه إلى أبى نعيم .

(٦) فى الأصل، ا ١٥: « أبو جابر » .

(٧) فى م، ص : « عن » . انظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨٨.

(٨) فى م، ص : « عبادة » .

(٩) فى ص : « السلمى » . وانظر أسد الغابة ٥/ ١٢.

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

فالتفَتَ إلى أبى بكرٍ فقال : « سَعِدْتَ إنْ شَاءَ اللَّهُ » . قال : فأَتاه أبى فحمَلَه على جَمَلٍ يُقالُ له : ابنُ الرداءِ .

قلتُ : وقد تقدَّمَ[1] عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج مِن مكةَ يومَ الاثنينِ ، ودخَل المدينةَ يومَ الاثنَيْنِ . والظَّاهرُ أنَّ بَيْنَ خروجِه ، عليه السلامُ ، مِن مكةَ ودخولِه المدينةَ خَمْسَةَ عشَرَ يومًا ؛ لأنه أقامَ بغارِ ثَوْرٍ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم سلَك طريقَ الساحلِ ، وهى أَبْعَدُ مِن الطريقِ الجادَّةِ ، واجتاز فى مُرُورِه على أمِّ مَعْبَدٍ بنتِ كعبٍ مِن بنى كَعْبِ بنِ خُزاعَةَ ، قاله ابنُ هِشامٍ[2] . وقال يونسُ عن ابنِ إسْحَاقَ[3] : اسمُها عَاتِكَةُ بنتُ [4]خالدِ بنِ مُنْقِذٍ[4] بنِ ربيعةَ بنِ أصْرَمَ . وقال الأُمويُّ : هى عَاتِكَةُ بنتُ تبيعٍ حليفِ بنى مُنْقِذِ بنِ ربيعةَ بنِ أَصْرَمَ بنِ ضَبِيسِ[5] ابن حَرامِ بنِ حُبْشِيَّةَ[6] بنِ كعبِ بنِ عمرٍو ، ولهذه المرأةِ مِن الولدِ ؛ مَعْبَدٌ ، ونضرةُ ، وحُنيدةُ ، بنو أبى مَعْبدٍ ، واسمُه أكْثَمُ بنُ عبدِ العُزَّى بنِ مُنْقِذِ[7] بنِ رَبيعةَ بنِ أَصْرَمَ بن ضَبِيسٍ[5] ، وقصتُها مشهورةٌ مرويَّةٌ مِن طُرُقٍ يَشُدُّ بعضُها بعضًا .

وهذه قصةُ أمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعيَّةِ : قال يونسُ ، عن ابنِ إسْحاقَ[8] : فنزَل رسولُ

---

(١) صفحة ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٤٩٣ ، من طريق يونس بن بكير به .

(٤ - ٤) فى النسخ : « خلف بن معبد » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٧٦، وأسد الغابة ٧/ ١٨٢.

(٥) فى الأصل ، ا ١٥: « صبيش » . وفى م ، ص : « صنبيس » . والمثبت من أسد الغابة ٧/ ١٨٢.

(٦) فى الأصل ، ا ١٥: « محبسة » . وفى م ، ص : « خيسة » . والمثبت من المصدر السابق .

(٧) فى النسخ : « معبد » . والمثبت من أسد الغابة ١/١٣٣ .

(٨) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٤٩٣ ، عن يونس به .

اللَّهِ ﷺ بخَيْمةِ أمِّ مَعْبَدٍ، واسمُها عاتكةُ بنتُ خالدِ بنِ مُنْقِذِ بنِ ربيعةَ بنِ أَصْرَمَ، فأرادوا القِرَى فقالَتْ: واللَّهِ ما عندَنَا طعامٌ، ولا لنا مِنْحةٌ، ولا لنا شاةٌ إلا حائلٌ[1]. فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ ببعضِ غنمِها، فمسَح ضَرْعَها بيدِه، ودعا اللَّهَ، وحلَبَ فى العُسِّ[2] حتى أَرْغَى وقال: «اشْرَبِى يَا أُمَّ مَعْبَدٍ». فقالت: اشرَبْ فأَنْتَ أحَقُّ به. فردَّه عليها فشرِبَتْ، ثُم دعا بحائلٍ أخرى، ففَعل بها مثلَ ذلك فشرِبه، ثُم دعا بحائلٍ أخرى، ففَعل بها مِثْلَ ذلك فسقَى دليلَه، ثُم دَعا بحائلٍ أُخْرَى ففعَل بها مثلَ ذلك فسقَى عامِرًا، ثُم تَرَوَّحَ، وطلَبَتْ قُرَيْشٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ، حتى بلَغوا أُمَّ مَعْبَدٍ فسأَلوا عنه، فقالوا: أرأَيْتِ محمدًا؟ [3]مِن حِلْيَتِه[3] كذا كذا، فوصَفوه لها، فقالت: [4]ما أَدْرى[4] ما تَقولونَ، [5]قد ضَافَنى[5] حالبُ الحائلِ. قالَتْ قُرَيْشٌ: فذاك الذى نُريدُ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[6]: حدَّثَنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ، حدَّثَنا يعقوبُ بنُ محمدٍ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ عُقْبةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ جابرٍ [٢/١٤٣و] بنِ عبدِ اللَّهِ، ثنا أبى، عن أبيه، عن جابرٍ قال: لمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ مُهَاجرَيْن فدخَلا الغارَ، إذا فى الغارِ جُحْرٌ، فأَلْقَمَه أبو بكرٍ عَقِبَه حتى أصْبَحَ؛ مخافةَ أنْ يَخْرُجَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ منه شىءٌ، فأَقاما فى الغارِ ثلاثَ ليالٍ ثُم

---

(١) الحائل: هى التى لم تحمل. النهاية ٣/ ٢٢٧.

(٢) العس: القدح العظيم.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤ - ٤) سقط من: ا ١٥.

(٥ - ٥) فى م: «قدمنا فتى».

(٦) كشف الأستار (١٧٤٢). قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٥٥: رواه البزار، وفيه من لم أعرفه.

خرَجا ، حتى نزَلا بخيماتِ أمِّ مَعْبَدٍ ، فأرسلَتْ إليه أمُّ مَعْبَدٍ : إنى أَرَى وُجُوهًا حِسَانًا ، وإنَّ الحيَّ أقوَى على كرامتِكم منى . فلما أَمْسَوا عندَها ، بعَثَتْ مع ابنٍ لها صغيرٍ بشَفْرةٍ[1] وشاةٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْدُدِ الشَّفْرَةَ وهاتِ لى فَرَقًا » .- يعنى القَدَحَ - فأرسَلَتْ إليه أن لا لَبَنَ فيها ولا وَلَدَ . قال : « هاتِ لى فَرَقًا » . فجاءَتْ بفرَقٍ ، فضرَب ظهْرَهَا ، فاجْتَرَّتْ[2] ودَرَّتْ فحلَب فملأَ القَدَحَ ، فشَرِب وسقَى أبا بكرٍ ، ثُم حلَب فبعَث به[3] إلى أمِّ مَعْبَدٍ . ثُم قال البزَّارُ : لا نَعْلَمُه يُرْوَى إلا بهذا الإسنادِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عُقْبَةَ لا نَعْلَمُ أحدًا حَدَّثَ عنه إلا يَعْقُوبَ بنَ محمدٍ ، وإنْ كان مَعْروفًا فى النَّسَبِ .

وروى الحافظُ البَيْهَقِيُّ[4] مِن حديثِ يَحْيَى بنِ زَكَرِيّا بنِ أبى زائدةَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، ثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ الأَصْبِهانىِّ ، سمِعْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ أبى لَيْلَى يُحَدِّثُ[5] عن أبى بكرٍ الصديقِ قال : خرجْتُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكةَ ، فانتَهَيْنا إلى حَىٍّ مِن أحياءِ العربِ ، فنظَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بَيْتٍ مُنْتَحِيًا ، فقصَدَ إليه ، فلمَّا نزَلْنا لم يَكُنْ فيه إلا امرأةٌ فقالَتْ : يا عبدَ اللَّهِ ، إنما أنا امرأةٌ وليس معى أحدٌ ، فعلَيْكما بعظيمِ الحَىِّ إنْ أردْتُمُ القِرَى . قال : فلم يُجِبْهَا ، وذلك عندَ المساءِ ، فجاء ابنٌ لها بأَعْنُزٍ يَسُوقُها فقالَتْ : يا بُنَىَّ ، انطلِقْ بهذه العَنْزِ والشَّفْرةِ إلى هذين الرجُلين فقُل لهما : تَقولُ لكما أمِّى :

---

(١) الشفرة : السكين العريضة . النهاية ٢/ ٤٨٤.

(٢) الجِرّة : ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه ، واجتر البعير : أخرج جرته . الوسيط (ج ر ر) .

(٣) فى م ، ص : « فيه » .

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٤٩١.

(٥) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

اذبحا هذه وكُلَا وأَطْعِمانا . فلمَّا جاءَ قال له النبىُّ ﷺ : « انْطَلِقْ بِالشَّفْرَةِ وَجِئْنِى بِالقَدَحِ » . قال : إنَّها قد عزَبَتْ وليس بها لَبَنٌ . قال : « انطلِقْ » . فجاءَ بقَدَحٍ فمسَحَ النبىُّ ﷺ ضَرْعَها ، ثم حلب حتى ملأَ القَدَحَ ، ثُم قال : « انطَلِقْ به إلى أُمِّك » . فشرِبَتْ حتى رَوِيَتْ ، ثُم جاءَ به فقال : « انطلِقْ بهذه وجِئْنِى بأُخْرَى » . ففعَل بها كذلك ثُم سقَى أبا بكرٍ ، ثُم جاء بأُخْرَى ففعَلَ بها كذلك ، ثُم شرِبَ النبىُّ ﷺ ، فبِتْنَا لَيْلتَنا ثُم انطلَقْنا ، فكانت تُسَمِّيه المُبارَكَ ، وكثُرَتْ غنَمُها حتى(*) جلَبَتْ [1] جَلَبًا[2] إلى المدينةِ ، فمَرَّ أبو بكرٍ فرآه[3] ابنُها فعرَفه فقال : يا أُمَّهْ ، هذا الرجلُ الذى كان معَ المُبَارَكِ[1] . فقامَتْ إليه فقالَتْ : يا عبدَ اللَّهِ ، مَن الرجلُ الذى كان معَك ؟ قال : أو ما تَدْرِينَ مَن هو ! قالَتْ : لا . قال : هو نبىُّ اللَّهِ . قالَتْ : فأَدْخِلْنِى عليه . قال : فأَدْخَلَها ، فأَطْعَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ وأَعْطاها . زادَ ابنُ عَبْدانَ فى رِوايتِه : قالتْ : فدُلَّنى عليه . فانطَلَقَتْ معى ، وأَهْدَتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا من أَقِطٍ ومَتاعِ الأعرابِ . قال : فكساها وأَعْطاها . قال : ولا أَعْلَمُه إلَّا قال : وأَسْلَمَتْ . إسنادٌ حسنٌ . وقال البَيْهَقِىُّ[4] : هذه القِصَّةُ شبيهةٌ بقصَّةِ أُمِّ مَعْبَدٍ ، والظاهِرُ أنَّها هى . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقىُّ[5] : أخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ

(*) إلى هنا انتهت النسخة السادسة من الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث والمشار إليها بـ ا ١٥.

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الجلب : ما جُلِب من إبل وغنم ومتاع للتجارة . الوسيط (ج ل ب) .

(٣) فى الأصل : « فرأى » ، والمثبت من الدلائل .

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٤٩٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٣١٩ - ٣٢٢ من طريق أبى بكر أحمد بن الحسن القاضى به ، والحاكم فى المستدرك ٣/٩ - ١١ من طريقه به وطرق أخرى ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يوافقه الذهبى ، فقال : ما فى هذه الطرق شىء على شرط الصحيح .

القاضى ، قالا : ثنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، ثنا الحسنُ بنُ مُكْرَمٍ ، حدَّثنى أبو أحمدَ بِشْرُ بنُ محمدٍ السُّكَّرِىُّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ وهبٍ المَذْحِجِىُّ ، ثنا [1] الحُرُّ بنُ الصَّيَّاحِ [1] ، عن أبى مَعْبَدٍ الخُزاعِىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ليلةَ هاجَر مِن مكةَ إلى المدينةِ هو وأبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أبى بَكرٍ ، ودليلُهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِىُّ ، فمرُّوا بخَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعِيَّةِ ، وكانت أُمُّ مَعْبدٍ امرأةً بَرْزةً جَلْدَةً [2] ، تَحْتَبى وتَجْلِسُ [٢/١٤٣ظ] بفِناءِ الخيمةِ ، فتُطْعِمُ وتَسْقِى ، فسَأَلوها هل عندَها لحمٌ أو لبنٌ يَشْتَرُونَه منها ؟ فلم يَجِدوا عندَها شيئًا مِن ذلك . وقالت : لو كان عندَنا شىءٌ ما أَعْوَزَكم [3] القِرَى . وإذا القومُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون [4] ، فنَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فإذا شاةٌ فى كَسْرِ خيمتِها [5] فقال : « ما هذه الشَّاةُ يا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ » . فقالت : شاةٌ خَلَّفَها الجَهْدُ عن الغنمِ . قال : « فهل بها من لبنٍ ؟ » . قالت : هى أَجْهَدُ مِن ذلك . قال : « تَأْذَنين لى أن أَحْلُبَها ؟ » قالت : إنْ كان بها حَلْبٌ فاحْلُبْها . فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالشاةِ فمَسَحها ، وذكر اسمَ اللَّهِ

(١ - ١) فى الأصل : « الحر بن الصباح » . وفى م : « أبجر بن الصباح » . وفى ص : « أبحر بن الصباح » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥١٤، ٥١٥.

(٢) يقال : امرأة برزة ، إذا كانت كَهْلة لا تحتجب احتجاب الشَّوابِّ ، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة ، تجلس للناس وتُحدِّثهم ، من البروز وهو الظهور والخروج . النهاية لابن الأثير ١/ ١١٧. وجَلْدة : من الجلد ، وهو القوة ، والصبر على المكروه . انظر الوسيط (ج ل د) .

(٣) فى الأصل ، م : « أعوذكم » .

(٤) مرملون : أى نَفِد زادهم ، وأصله من الرَّمْل ؛ كأنهم لصقوا بالرمل ، كما قيل للفقير : التَّرِب . النهاية ٢/ ٢٦٥. ومسنتون : أى مُجْدِبون ، أصابتهم السَّنَة ، وهى القحط والجدب ، يقال : أَسْنَت فهو مُسنِت ، إذا أجدب . النهاية ٢/ ٤٠٧.

(٥) كسر خيمتها : أى جانبها ، ولكل بيتٍ كسران عن يمين وشمال ، وتفتح الكاف وتُكسر . النهاية ٤/ ١٧٢.

ومَسَحَ ضَرْعَها ، وذَكَر اسمَ اللَّهِ ودَعا بإناءٍ لها يُرْبِضُ الرَّهْطَ[1] ، فتَفَاجَّتْ[2] واجْتَرَّتْ ، فحَلَب فيه ثَجًّا[3] ، حتى [4]عَلَاه البَهاءُ[4] ، فسقاها وسَقَى أصحابَه ، فشرِبُوا عَلَلًا بعدَ نَهَلٍ[5] ، حتى إذا رَوُوا شَرِب آخِرَهم وقال : « ساقى القومِ آخِرُهم » . ثُم حَلَب فيه ثانيًا عَوْدًا على بَدْءٍ ، فغادَرَه عندَها ، ثُم ارْتَحَلوا . قال : فقَلَّ ما لَبِثَتْ[6] أن جاء زوجُها أبو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عجافًا يَتَساوَكْنَ[7] ، هَزْلَى لا نِقْىَ[8] بهن ، مُخُّهُنَّ قليلٌ ، فلمَّا رَأَى اللبنَ عجِب وقال : مِن أينَ هذا اللبنُ يا أُمَّ مَعْبَدٍ ، ولا حَلُوبَةَ فى البيتِ ، والشاءُ عازبٌ[9] ؟ فقالَتْ : لا واللَّهِ ، إنه مَرَّ بنا رجلٌ مُبارَكٌ ، كان مِن حديثِه كَيْتَ وكيتَ . فقال : صِفِيهِ لى ، فواللَّهِ إنِّى لَأَراه صاحبَ قُرَيشٍ الذى تَطْلُبُ . فقالتْ : رأَيْتُ رجلًا ظاهرَ الوَضَاءَةِ ، حَسَنَ الخَلْقِ ، مَلِيحَ الوجهِ ، لم تَعِبْه ثُجْلَةٌ[10] ، ولم تُزْرِ به صَعْلَةٌ[11] ، قَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فى عينَيه

---

(١) يُربض الرَّهط : أى يُرْوِيهم ويُثقِلهم حتى يناموا ويمتدُّوا على الأرض ، مِن رَبَض فى المكان يربض ، إذا لصق به وأقام ملازمًا له . النهاية ٢/ ١٨٤.

(٢) تفاجَّت : من التَّفاجّ ، وهو المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين . انظر النهاية ٣/ ٤١٢.

(٣) ثجًّا : أى لبنًا سائلًا كثيرًا . النهاية ١/ ٢٠٧.

(٤ - ٤) فى م : « ملأه وأرسله إليها » . وبهاء اللبن : وبيص رغوته . النهاية ١/ ١٦٩.

(٥) عللًا بعد نهل : العلل : الشَّربة الثانية ، وقيل : الشُّرب بعد الشُّرب تباعًا . والنهل : الشُّرب الأول . اللسان (ع ل ل) ، (ن هـ ل) .

(٦) فى النسخ : « لبث » ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٧) فى الأصل : « يبسًا وكن » . ويتساوكن : يتمايلن من الهزال والضعف فى مشيها . انظر اللسان (س و ك) .

(٨) النِّقْى : المخ ، والنِّقْى : الشَّحْم . يُقال : ناقة مُنْقِية . إذا كانت سمينة . اللسان (ن ق و) .

(٩) عازب : أى بعيدة المرعى لا تأوى إلى المنزل فى الليل . النهاية ٣/ ٢٢٧.

(١٠) الثجلة : ضِخَم البطن . انظر النهاية ١/ ٢٠٨.

(١١) الصعلة : صِغَر الرأس . وهى أيضا : الدقة والنحول فى البدن . انظر النهاية ٣/ ٣٢.

دَعَجٌ ، وفى أشْفارِه وَطَفٌ [1] ، وفى صوتِه صَحَلٌ [2] ، أحْوَرُ [3] أكْحَلُ [4] ، أزَجُّ أقْرَنُ [5] ، فى عُنُقِه سَطَعٌ [6] ، وفى لِحْيَتِه كَثافَةٌ [7] ، إذا صَمَت فعليه الوَقارُ ، وإذا تكلَّمَ سَمَا وعَلَاه البَهاءُ ، حُلْوُ المَنْطِقِ ، فَصْلٌ ؛ [8] لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ [8] ، كأنَّ مَنطِقَه خَرَزاتُ نَظْمٍ يَنْحَدِرْنَ ، أبْهَى الناسِ وأجمَلُه مِن بعيدٍ ، وأحْلاهُ [9] وأحسَنُه مِن قريبٍ ، رَبْعَةٌ [10] ، لا تَشْنَؤُه [11] عينٌ مِن طُولٍ ، ولا تَقْتَحِمُه عينٌ مِن قِصَرٍ ، غُصنٌ بينَ غُصْنَيْنِ ، فهو أنْضَرُ الثلاثةِ مَنْظرًا ، وأَحْسَنُهم قَدًّا ، له رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ به ، إن قال اسْتَمَعوا لقولِه ، وإن أمَر تَبادَروا لأمرِه ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ [12] ، لا

---

(١) فى أشفاره وطفٌ : أى فى شعر أجفانه طُولٌ . النهاية ٥/ ٢٠٤.

(٢) الصحل : كالبُحَّة ، وألا يكون حادّ الصوت . انظر النهاية ٣/ ١٣.

(٣) فى م : « أحول » . وأحور : من الحَوَر ؛ وهو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حَدَقتها ، وترقّ جفونها ، ويبيضّ ما حواليها . وقيل : الحور شدة سواد المُقلة فى شدة بياضها فى شدة بياض الجسد . اللسان (ح و ر) .

(٤) أكْحَل : من الكَحَل ؛ وهو سواد فى أجفان العين خِلْقةً . انظر النهاية ٤/ ١٥٤.

(٥) أزجُّ : من الزَّجَج ؛ وهو تقوُّس فى الحاجب ، مع طُول فى طرَفه وامتداده . النهاية ٢/ ٢٩٦. وأقرن : أى مقرون الحاجبين . النهاية ٤/ ٥٤. وقال ابن الأثير بعد ذلك : وفى صفته عليه الصلاة والسلام : « سوابغ فى غير قَرَن » . القرن - بالتحريك - التقاء الحاجبين ، وهذا خلاف ما روت أم معبد ... والأوّلُ الصحيحُ فى صفته . اهـ كلام ابن الأثير .

(٦) سطع : أى ارتفاع وطول . انظر النهاية ٢/ ٣٦٥.

(٧) فى م : « كثائة » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « لا نزر قليل ولا هذر كبير » . لا نزر ولا هذر : أى لا قليل ولا كثير . انظر النهاية ٥/ ٢٥٦.

(٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) ربعة : أى مربوع الخَلْق ، لا بالطويل ولا بالقصير . اللسان (ر ب ع) .

(١١) فى م ، ص : « تنساه » . ولا تشنؤه : أى لا يُبْغَض لفَرْط طوله . النهاية ٢/ ٥٠٣.

(١٢) محفود محشود : أى أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه . والمحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظّمونه ويُسرعون فى طاعته . النهاية ١/ ٣٨٨، ٤٠٦.

عابسٌ ولا مُفَنَّدٌ[1] . فقال - يَعْنِى بَعْلَها - : هذا واللَّهِ صاحبُ قُرَيْشٍ الذى تَطْلُبُ ، ولو صادَفْتُه لَالْتَمَسْتُ أن أَصْحَبَه ، ولأَجْهَدَنَّ إن وَجَدْتُ إلى ذلك سبيلًا . قال : وأصْبَح صوتٌ بمكةَ عالٍ بينَ السماءِ والأَرضِ ، يَسْمَعُونَه ولا يَرَوْنَ مَن يقولُ ، وهو يَقولُ :

جزى اللَّهُ رَبُّ الناسِ خيرَ جَزائِه ... رَفِيقَينِ حَلَّا خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ

هما نَزَلا بالبِرِّ وارْتَحَلا به ... فأفْلَحَ مَن أمْسَى رَفِيقَ محمدِ

فيالَ قُصَىٍّ ما زَوَى[2] اللَّهُ عنكمُ ... به مِن فِعَالٍ لا تُجارَى وسُؤْدُدِ

سَلُوا أُخْتَكم عن شاتِها وإنائِها ... فإنَّكمُ إنْ تَسْأَلُوا الشاةَ تَشْهَدِ

دَعاها بشاةٍ حائِلٍ فتَحَلَّبَتْ ... له بصَرِيحٍ[3] ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ

فغادَرَه رَهْنًا لدَيْها لحالِبٍ ... يَدُرُّ لها فى مَصْدَرٍ ثُم مَوْرِدِ

قال : وأَصْبَحَ الناسُ - يَعنِى بمكةَ - وقد فَقَدُوا نبيَّهم ، فأَخَذُوا على خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدٍ ، [٢/ ١٤٤و] حتى لَحِقُوا برسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : وأجابَه حَسَّانُ بنُ ثابتٍ[4] :

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيُّهمْ ... وقُدِّسَ[5] مَن يَسْرِى إليهم ويَغْتَدِى[6]

---

(١) فى م : « معتدٍ » . والمفنَّد : الذى لا فائدة فى كلامه لكِبَرٍ أصابه . انظر النهاية ٣/ ٤٧٥ .

(٢) زوى الشىء عنه : صرَفه ونحَّاه . الوسيط (ز و ى) .

(٣) بصريح : أى لبن خالص لم يُمذَق . اللسان (ص ر ح) .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٧٦، ٣٧٧.

(٥) فى الأصل ، م : « وقد سر » .

(٦) فى ص : « ويقتدى » .

تَرَحَّلَ عن قومٍ فزالتْ عقولُهمْ وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدَّدِ[1]

وهل يَسْتَوِى ضُلَّالُ قَومٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وهُداةٌ يَهْتَدون بمُهْتَدِ

نَبِىٌّ يَرَى ما لا يَرى الناسُ حَوْلَه ويَتْلُو كتابَ اللَّهِ فى كلِّ مَشْهَدِ

وإن قال فى يومٍ مَقالةَ غائِبٍ فتَصْدِيقُها فى [2]اليومِ أو فى ضُحَى الغدِ[2]

لِيَهْنِ[3] أبا بكرٍ سعادةُ جَدِّه[4] بصُحْبَتِه مَن يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعَدِ

ويَهْنِ بنى كَعْبٍ مكانُ فَتاتِهِمْ ومَقْعَدُها للمُسلِمِينَ بمَرْصَدِ

قال - يَعنِى عبدَ الملكِ بنَ وَهْبٍ - : فبَلَغنى أنَّ أبا مَعْبَدٍ أَسْلَمَ وهاجَر إلى النبىِّ ﷺ. وهكذا رواه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ، مِن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ وَهْبٍ المَذْحِجِىِّ، فذَكَرَ مِثْلَه سواءً، وزادَ فى آخِرِه: قال عبدُ الملكِ: بلَغنى أنَّ أمَّ مَعْبَدٍ هاجَرَتْ وأسلَمَتْ ولَحِقَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ[5].

ثُم رَواه أبو نُعَيْمٍ[5] مِن طُرُقٍ، عن [6]مُكَرَّمِ بنِ مُحْرِزٍ الكَعْبِىِّ[6] الخُزاعىِّ، عن أبيه مُحْرِزِ بنِ مَهْدِىٍّ، عن حِزامِ[7] بنِ هِشامِ بنِ حُبَيْشِ بنِ خالدٍ، عن أبيه،

---

(١) بعده فى م:

هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

(٢ - ٢) فى ص: «ضحوة اليوم أو غد». وانظر الديوان.

(٣) ليهن: أصلها لِيَهْنِئْ، وحُذفت الهمزة، وهنأه يَهْنِئُه ويهنَؤُه: سَرَّه.

(٤) الجد: الحظّ.

(٥) دلائل النبوة لأبى نعيم (٢٣٨).

(٦ - ٦) فى الأصل، م: «بكر بن محرز الكلبى». انظر الأنساب للسمعانى ٥/ ٧٩.

(٧) فى الأصل، م: «حرام».

عن جدِّه حُبَيْشِ بنِ خالدٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ أُخْرِجَ مِن مكَّةَ، خَرَج منها مُهاجِرًا هو وأبو بكرٍ، وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ، ودليلُهما عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيُّ، فمرُّوا بخَيْمةِ أُمِّ مَعْبَدٍ، وكانَتِ امرأةً بَرْزةً جَلْدَةً تَحْتَبِى بفِناءِ القُبَّةِ. وذَكَر مِثْلَ ما تَقَدَّم سواءً. قال[1]: وحَدَّثَناه، فيما أَظُنُّ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ مَخْلدٍ، ثنا محمدُ بنُ يونسَ بنِ موسى، يَعْنى الكُدَيْمِىَّ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ يحيى بنِ عبدِ العزيزِ مولى العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، ثنا محمدُ بنُ سُلَيْمانَ بنِ سَليطٍ الأَنْصارىُّ، حدَّثَنى أبى، عن أبيه سَليطٍ البَدْرىِّ، قال: لمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الهِجْرةِ، ومعه أبو بكرٍ، وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ، وابنُ أُرَيْقِطٍ يَدُلُّهم على الطريقِ، مَرَّ بأُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ وهى لا تَعْرِفُه، فقال لها: «يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، هل عِنْدَكِ مِن لَبَنٍ؟» قالتْ: لا واللَّهِ، إنَّ الغَنَمَ لَعازِبَةٌ. قال: «فما هذه الشاةُ؟» قالَتْ: خَلَّفَهَا الجَهْدُ عن الغنمِ. ثُم ذَكَرَ تَمامَ الحديثِ كنَحْوِ ما تَقَدَّم.

ثُم قال البَيْهَقِىُّ[2]: يَحْتَمِلُ أنَّ هذه القِصَصَ كلَّها واحدةٌ. ثُم ذكَر قِصَّةً شبيهةً بقِصَّةِ شاةِ أمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعيَّةِ، فقال[3]: حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إمْلاءً، حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ أيوبَ، أخبَرَنا محمدُ بنُ غالبٍ، ثنا أبو الوليدِ، ثَنا عُبَيْدُ[4] اللَّهِ بنُ إيادِ بنِ لَقِيطٍ، ثنا إيادُ بنُ لَقيطٍ، عن قيسِ بنِ النُّعْمانِ

---

(١) أى أبو نعيم، والرواية ليست فى مختصر أبى نعيم، وأخرجها الطبرانى فى الكبير (٦٥١٠)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٣١٤ - ٣١٦ كلاهما من طريق عبد العزيز بن يحيى به. وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٧٩: فيه عبد العزيز بن يحيى المدينى، ونسبه البخارى وغيره إلى الكذب، وقال الحاكم: صدوق. فالعجب منه، وفيه مجاهيل أيضا.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٩٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٩٧.

(٤) فى النسخ: «عبد». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١١.

قال: لمَّا انطلَقَ النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ مُسْتَخْفِينَ، مرُّوا بعبدٍ يَرْعَى غَنمًا، فاسْتَسْقَياه اللبنَ فقال: ما عندى شاةٌ تُحْلَبُ، غيرَ أنَّ هـٰهنا عَنَاقًا[1] حَمَلَتْ أولَ الشِّتاءِ، [2]وقد أَخْدَجَتْ[2] وما بَقِيَ لها لبنٌ. فقال: «ادْعُ بها». فدَعا بها، فاعتَقَلَها النبيُّ ﷺ ومَسَح ضَرْعَها، ودَعا حتى أَنْزَلَتْ، وجاءَ أبو بكرٍ بمِجَنٍّ، فحَلَب فسقَى أبا بكرٍ، ثُم حلَب فسقَى الراعىَ، ثُم حلَب فشَرِب، فقال الراعى: باللَّهِ مَنْ [٢/ ١٤٤ظ] أنتَ؟ فواللَّهِ ما رأَيْتُ مِثْلَك قَطُّ. قال: «أوَ تُراكَ تَكْتُمُ علىَّ حتى أُخْبِرَك؟» قال: نعَمْ. قال: «فإنِّى محمدٌ رسولُ اللَّهِ». فقال: أنتَ الذى تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أنَّه صابئٌ؟ قال: «إنَّهم لَيقُولُون ذلك». قال: فأَشْهَدُ أنَّك نبيٌّ، وأَشْهَدُ أنَّ ما جِئْتَ به حَقٌّ، وأنه لا يَفْعَلُ ما فَعَلْتَ إلَّا نبيٌّ، وأنا مُتَّبِعُك. قال: «إنَّك لا تَسْتَطيعُ ذلك يومَك هذا، فإذا بَلَغَك أنِّى قد ظهَرْتُ فأْتِنا». ورَواه أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[3]، عن جعفرِ بنِ حُمَيْدٍ الكُوفىِّ، عن عُبيدِ[4] اللَّهِ بنِ إِيادِ بنِ لَقِيطٍ به.

وقد ذكَرَ أبو نُعَيْمٍ[5] هـٰهنا قصةَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فقال: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ جعفرٍ، ثنا يونسُ بنُ حَبِيبٍ، ثنا أبو داودَ، ثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال: كنتُ غلامًا يافِعًا أَرْعَى غَنَمًا

---

(١) العناق: الأنثى من المعز.

(٢ - ٢) سقط من: ص. وأخدجت: ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تامّ الخلْق. انظر النهاية ٢/ ١٢.

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية ٤/ ٢٠٨ إلى أبى يعلى.

(٤) فى النسخ: «عبد». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١١.

(٥) الدلائل لأبى نعيم (٢٣٣).

لعُقْبةَ[1] بنِ أبى مُعَيْطٍ بمكَّةَ، فأتى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ، وقد فَرَّا مِن المشركين، فقال: «يا غُلامُ، عِندَك لَبَنٌ تَسْقِينا؟». فقلتُ: إنِّى مُؤْتَمَنٌ، ولستُ بساقِيكما. فقالا: هل عندَك مِن جَذَعَةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ بعدُ؟ قلتُ: نعم. فأتَيْتُهما بها، فاعْتَقَلها أبو بكرٍ وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ الضَّرْعَ فدَعا، فحفَل[2] الضَّرْعُ، وجاء أبو بكرٍ بصَخْرةٍ مُنْقَعِرةٍ فحلَب فيها، ثُم شَرِب هو وأبو بكرٍ وسَقَيانى، ثُم قال للضَّرْعِ: «اقْلِصْ». فقَلَصَ. فلمَّا كان بعدُ، أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقلتُ: عَلِّمْنِى مِن هذا القولِ الطَّيِّبِ - يَعنِى القُرْآنَ -. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّك غُلامٌ مُعَلَّمٌ». فأخَذْتُ مِن فِيهِ سبعين سورةً ما يُنازِعُنى فيها أَحَدٌ. فقولُه فى هذا السِّياقِ: وقد فَرَّا مِن المشركين. ليسَ المرادُ منه وقتَ الهِجْرةِ، إنَّما ذلك فى بعضِ الأَحْوالِ قبلَ الهِجْرةِ؛ فإنَّ ابنَ مسعودٍ ممن أَسْلَم قديمًا، وهاجَرَ إلى الحَبَشَةِ ورجَع إلى مكَّةَ، كما تقدَّمَ[3]، وقِصَّتُه هذه صحيحةٌ ثابتةٌ فى «الصِّحاحِ» وغيرِها[4]. واللَّهُ أَعْلَمُ.

[5]وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ، هو الزُّبَيْرِىُّ، حَدَّثنى أبى، عن فائِدٍ مَوْلَى عَبَادِلَ قال: خَرَجْتُ مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعدٍ، حتى إذا كنَّا بالعَرْجِ أتى ابنُ سعدٍ، وسعدٌ هو الذى دَلَّ[5]

---

(١) فى م: «لعتبة».

(٢) حفل الضرع: امتلأ باللبن.

(٣) تقدم فى صفحة ١٧٣.

(٤) البخارى (٢٤٣٩، ٣٦١٥، ٣٩١٧)، ومسلم (٢٠٠٩/٧٥)، المسند ٣٧٩/١، ٤٦٢.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) المسند ٤/ ٧٤. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٥٩: ابن سعد اسمه عبد اللَّه ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(١) رسولَ اللَّهِ ﷺ على طَريقِ رَكُوبَةَ ، فقال إبراهيمُ : أَخْبِرْنِى ما حَدَّثَك أبوك ؟ قال ابنُ سعدٍ : حَدَّثنى أبى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَتاهم ومعه أبو بكرٍ ، وكانَتْ لأبى بكرٍ عندَنا بنتٌ مُسْتَرْضَعَةٌ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أَرادَ الاخْتِصارَ فى الطريقِ إلى المدينةِ ، فقال له سعْدٌ : هذا الغائِرُ[٢] مِن رَكُوبَةَ وبه لِصَّانِ مِن أَسْلَمَ ، يُقالُ لهما : المُهانانِ . فإن شِئْتَ أَخَذْنا عليهما . فقال النبىُّ ﷺ : « خُذْ بنا عليهما » . قال سعدٌ : فخرَجْنا ، حتى إذا أَشْرَفْنا ، إذا أحدُهُما يَقولُ لِصاحبِه : هذا اليَمَانِىُّ . فدَعاهما رسولُ اللَّهِ ﷺ فعَرَض عليهما الإسلامَ ، فأَسْلَما ، ثُم سأَلَهما عن أسمائِهما فقالا : نحن المُهانانِ . فقال : « بل أَنتما المُكْرَمَان » . وأمرَهما أن يَقْدَما عليه المدينةَ ، فخَرَجْنا حتى إذا أتينا ظاهِرَ قُبَاءٍ ، فَتَلَقَّاه بنو عَمرِو بنِ عَوْفٍ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَين أَبُو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ ؟ » . فقال سعدُ بنُ خَيْثَمَةَ : إنَّه أصابَ قِبَلى[٣] يا رسولَ اللَّهِ ، أفلا أُخْبِرُه ذلك ؟ ثُم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا طَلَعَ[١] على النَّخْلِ ، فإذا الشَّرَبُ[٤] مَمْلُوءٌ ، فالْتَفَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى بكرٍ فقال : « يا أبا بكرٍ ، هذا المَنزِلُ ، [٢/ ١٤٥و] رَأَيْتُنِى أَنْزِلُ إلى حِياضٍ كحِياضِ بنى مُدْلِجٍ » . انْفَرَد به أحمدُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل : « العامر » . وفى م : « الغامر » . والمثبت من المسند . والغائر : بالغين المعجمة ، جبل بالمدينة . الفتح الربانى ٢٠/ ٢٨٩.

(٣) أصاب قبلى : أى أخذ طريقه إلى الجهة القبلية ، والظاهر أن هذه الجهة كانت معلومة عندهم بالمدينة ، والله أعلم . الفتح الربانى ٢٠/ ٢٨٩.

(٤) الشرب : جمع شَرَبَة ، وهى كالحويض يُحفر حول النخلة والشجرة ويُملأ ماءً فيكون رَيَّها فتتروَّى منه . اللسان (ش ر ب) .

فصلٌ فى دخولِه، عليه السلامُ، المدينةَ وأيـن اسْتَقَرَّ مَنزِلُه [1] بها، وما يَـتَعَلَّقُ بذلك [1]

قد تَقَدَّمَ فيما رواه البخاريُّ [2]، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ دخَل المدينةَ عندَ الظَّهِيرَةِ.

قلتُ: ولعلَّ ذلك كان بعدَ الزَّوالِ؛ لِما ثَبَت فى «الصحيحَين» [3]، مِن حديثِ إسرائيلَ، عن أبى إسحاقَ، عن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ، عن أبى بكرٍ، فى حديثِ الهجرةِ قال: فقَدِمْنا ليلًا، فتنازَعَه القومُ أيُّهم يَنْزِلُ عليه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزِلُ على بنِى النَّجَّارِ، أَخْوَالِ عبدِ المُطَّلِبِ؛ أُكْرِمُهم بذلك». وهذا، واللَّهُ أعلمُ، إمَّا أنْ يكونَ يومَ قُدومِه إلى قُبَاءٍ، فيكونَ حالَ وصولِه إلى قُرْبِ المدينةِ كان فى حَرِّ الظهيرةِ، وأقام تحتَ تلك النخلةِ، ثُم سارَ بالمسلمِين، فنَزَل قُبَاءً، وذلك ليلًا، وأنه أَطْلَق على ما بعدَ الزَّوالِ ليلًا، فإنَّ العَشِيَّ مِن الزوالِ. وإمَّا أنْ يكونَ المرادُ بذلك لمَّا رحَل مِن قُبَاءٍ - كما سيَأْتِى - فسارَ، فما انْتَهى إلى بنى النَّجَّارِ إلَّا عِشَاءً، كما سيَأْتِى بيانُه. واللَّهُ أعلمُ.

وذكَر البخاريُّ [4]، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ، أنّه نزَل فى بنى عَمْرِو بنِ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى صفحة ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) البخارى (٢٤٣٩، ٣٦٥٢). ومسلم (٢٠٠٩) باب فى حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرحل، من كتاب الزهد والرقائق. واللفظ لمسلم.

(٤) البخارى (٣٩٠٦).

عَوفٍ بقُبَاءٍ، وأقام فيهم بِضْعَ عَشْرةَ ليلةً، وأَسَّسَ مسجدَ قُبَاءٍ فى تلك الأيامِ، ثُم رَكِبَ ومعه الناسُ، حتى بَرَكَتْ به راحلتُه فى مكانِ مسجدِه، وكان مِرْبَدًا لغلامَيْن يتيمَيْنِ، وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ، فابتاعه منهما، واتَّخَذَه مسجدًا، وذلك فى دارِ بنى النَّجَّارِ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: حدَّثَنى محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، [2]عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[2]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عُوَيْمٍ[3] بنِ ساعِدَةَ قال: حدَّثَنى رجالٌ مِن قومِى مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ قالوا: لمَّا بلَغَنا مَخْرَجُ النبىِّ ﷺ مِن مكةَ وتَوَكَّفْنا[4] قُدومَه، كنا نَخْرُجُ إذا صَلَّيْنا الصبحَ إلى ظاهرِ حَرَّتِنا، نَنْتَظِرُ النبىَّ ﷺ، فواللَّهِ ما نَبْرَحُ حتى تَغْلِبَنا الشمسُ على الظِّلَالِ، فإذا لم نَجِدْ ظِلًّا دخَلْنا، وذلك فى أيامٍ حَارَّةٍ، حتى إذا كان اليومُ الذى قَدِمَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ، جَلَسْنا كما كنا نَجْلِسُ، حتى إذا لم يَبْقَ ظِلٌّ دخَلْنا بُيوتَنا، وقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ دخَلْنا البيوتَ، فكان أولَ مَن رآه رجُلٌ مِن اليهودِ، فصرَخ بأَعْلَى صوتِه: يا بَنِى قَيْلَةَ، هذا جَدُّكم قد جاء. فَخَرَجْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى ظلِّ نخلةٍ، ومعه أبو بكرٍ فى مثلِ سِنِّه، وأكثرُنا لم يكنْ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ قبلَ ذلك؛ ورَكِبَه الناسُ[5]، وما يَعْرِفُونه مِن أبى بكرٍ، حتى زال الظِّلُّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقام أبو بكرٍ فأظَلَّه بردائِه، فعَرَفناه عندَ ذلك. وقد تَقَدَّم مثلُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٢.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى السيرة: «عويمر». وهو تصحيف. وعويم هو ابن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان الأنصارى الأوسى الصحابى. انظر أسد الغابة ٤/ ٣١٥، ٣١٦. وانظر هذه الرواية فى تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨١، ٣٨٢. ودلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٠٢، ٥٠٣.

(٤) توكفنا قدومه: انتظرنا وكفه أى وقوعه. النهاية ٥/ ٢٢١.

(٥) ركبه الناس: تبعوه وجاءوا على أثره. انظر النهاية ٢/ ٢٥٧.

ذلك فى سياقِ البخارىِّ[1] ، وكذا ذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ فى « مغازِيه »[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا هاشمٌ ، ثنا سليمانُ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : إنِّى لَأَسْعَى فى الغِلْمانِ يقولون : جاء محمدٌ . فأَسْعَى ولا أرَى شيئًا ، ثُم يقولون : جاء محمدٌ . فأَسْعَى ولا أرَى شيئًا . قال : حتى جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه أبو بكرٍ ، فكَمَنّا[4] فى بعضِ حِرَارِ[5] المدينةِ ، ثُم [6]بَعَثا رجلًا[6] مِن أهلِ الباديةِ ليُؤْذِنَ بهما الأنصارَ ، فاستقبلَهما زُهَاءُ خَمْسِمائةٍ مِن الأنصارِ ، حتى انتَهَوْا إليهما ، فقالتِ الأَنصارُ : انطلِقَا آمِنَيْن مُطاعَيْنْ . فأقبلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه بينَ أظهرِهم ، فخرَج أهلُ المدينةِ ، حتى إنَّ العواتِقَ لَفَوْقَ البُيوتِ يَتَرَاءَيْنَه ، يَقُلْن : أيُّهم هو ؟ أيُّهم هو ؟ فما رَأَيْنَا مَنْظَرًا [٢/ ١٤٥ظ] شَبِيهًا به يومَئذٍ[7] . قال أنسٌ : فلقد رأيْتُه يومَ دخَل علينا ويومَ قُبِضَ ، فلم أَرَ يومَيْن مُشَبَّهًا[8] بهما . ورواه البَيْهَقِىُّ[9] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّغانِىِّ[10] ، عن

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٨٥ .

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٩٨، ٤٩٩.

(٣) المسند ٣/ ٢٢٢.

(٤) فى المسند : « فكنا » .

(٥) فى النسخ : « خراب » . والمثبت من المسند . وحرار : جمع حرة ، بفتح المهملة وتشديد الراء ؛ والحرة الأرض ذات الحجارة السود ، وهى بضواحى المدينة . انظر الفتح الربانى ٢٠/ ٢٩١.

(٦ - ٦) فى ص : « بعثنا رجلًا » . وفى المسند : « بعثنا رجل » . والمثبت هنا يوافق رواية المسند للحديث من طريق حماد عن ثابت به . المسند ٣/٢٨٧ .

(٧) سقط من النسخ ، وأثبتناه من المسند .

(٨) فى النسخ : « شبيها » . والمثبت من المسند . قال الساعاتى فى بلوغ الأمانى : معناه لم ير يوما يشبه فى الفرح والسرور يوم دخوله المدينة ، ولم ير يوما يشبه فى الحزن والغم يوم وفاته ﷺ . الفتح الربانى ٢٠/ ٢٩٢.

(٩) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٧.

(١٠) فى النسخ ، والدلائل : « الصنعانى » . وقد تقدم تعريفه فى صفحة ٣٣٣ حاشية رقم (٨) .

أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ، عن سليمانَ بنِ المغِيرَةِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ بنحوِه، أو مثلِه.

وفى «الصحيحَيْنِ»[1]، مِن طريقِ إسرائيلَ، عن أبى إسحاقَ، عن البَرَاءِ، عن أبى بكرٍ فى حديثِ الهجرةِ، قال: وخرَج الناسُ حينَ قَدِمْنا المدينةَ فى الطرقِ وعلى البُيوتِ، والغلمانُ والخدمُ يقولون: اللَّهُ أكبرُ، جاء رسولُ اللَّهِ، اللَّهُ أكبرُ، جاء محمدٌ، اللَّهُ أكبرُ، جاء محمدٌ، اللَّهُ أكبرُ، جاء رسولُ اللَّهِ. فلمّا أَصبَحَ انطَلَق وذهَب حيثُ أُمِرَ.

وقال البَيْهَقِىُّ[2]: أخبرَنا أبو عمرٍو الأديبُ، أخبرَنا أبو بكرٍ الإسماعيلىُّ، سَمِعْتُ أبا خَلِيفَةَ يقولُ: سَمِعْتُ ابنَ عائشةَ يقولُ: لمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ، جعَل النساءُ والصبيانُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ البَدْرُ علينا ... مِن ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ

وجَب الشكرُ علينا ... ما دَعَا للَّهِ داعْ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3]: فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، فيما يَذْكُرون - يَعْنِى حينَ نزَل بقُبَاءٍ - على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، أخى بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ثُم أحدِ بنى عُبَيدٍ، ويقالُ: بل نزَل على سعدِ بنِ خَيْثَمَةَ. ويقولُ مَن [4]يَذْكُرُ أنّه[4] نزلَ على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ: إنّما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا خرَج مِن منزِلِ كُلْثُومِ بنِ

---

(١) تقدم تخريجه صفحة ٤٨٥. واللفظ الذى ساقه المصنف هنا هو لفظ البيهقى فى الدلائل ٢/٥٠٦ من طريق إسرائيل به.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٣.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

الهِدْمِ ، جلَس للناسِ فى بيتِ سعدِ بنِ خَيثَمَةَ . وذلك أنّه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان يقالُ لبيتِه : بيتُ العُزَّابِ . واللَّهُ أعلمُ . ونزَل أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، على خُبَيْبِ بنِ إِسَافٍ ، أحدِ بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ بالسُّنْحِ ، وقيل : على خارِجَةَ بنِ زَيْدِ بنِ أبى زُهَيْرٍ ، أخى بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وأقام علىُّ بنُ أبى طالبٍ بمكةَ ثلاثَ ليالٍ وأيامَها ، حتى أَدَّى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الودائعَ التى كانت عندَه ، ثُم لَحِق برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزَل معه على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ ، فكان علىُّ بنُ أبى طالبٍ - وإنّما كانت إقامتُه بقُبَاءٍ ليلةً أو ليلتَيْنِ - يقولُ : كانت بقُبَاءٍ امرأةٌ لا زوجَ لها ، مُسْلِمةٌ ، فرأيتُ إنسانًا يَأْتِيها مِن جَوْفِ الليلِ ، فيَضْرِبُ عليها بابَها فتَخْرُجُ إليه ، فيُعْطِيها شيئًا معه فتَأْخُذُه ، فاستَرَبْتُ بشأنِه ، فقلتُ لها : يا أَمَةَ اللَّهِ ، مَن هذا الذى يَضْرِبُ عليكِ بابَكِ كلَّ ليلةٍ ، فتَخْرُجين إليه ، فيُعْطِيكِ شيئًا لا أَدْرِى ما هو ، وأنتِ امرأةٌ مسلمةٌ لا زوجَ لك ؟ قالت : هذا سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ ، وقد عَرَف أنّى امرأةٌ لا أحدَ لى ، فإذا أَمْسَى عَدَا[2] على أوثانِ قومِه فكَسَرَها ، ثُم جاءنى بها ، فقال : احْتَطِبِى بهذا . فكان علىٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يَأْثُرُ ذلك[3] مِن شأنِ سَهْلِ ابنِ حُنَيْفٍ حينَ هلَك عندَه بالعراقِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بقُبَاءٍ فى بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ يومَ الاثنَيْنِ ، ويومَ الثُّلاثاءِ ، ويومَ الأَرْبِعاءِ ، ويومَ الخميسِ ، وأسَّسَ مسجدَه ، ثُم

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٩٣، ٤٩٤.

(٢) فى الأصل ، ص : « غدا » .

(٣) أى يذكره ويحدِّث به .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤.

أخرَجه اللَّهُ مِن بينِ أظهرِهم يومَ الجُمُعةِ، وبنو عَمْرِو بنِ عوفٍ يَزْعُمُون أنّه مَكَث فيهم أكثَرَ مِن ذلك.

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ[1]، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال: وبنو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ يَزْعُمون أنّه، عليه السلامُ، أقام فيهم ثمانىَ عَشْرَةَ ليلةً.

قلتُ: وقد تقدَّم فيما رواه البخاريُّ[2] مِن طريقِ الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ، أنّه عليه السلامُ، أقام فيهم بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً.

وحَكَى موسى بنُ عُقْبَةَ[3]، عن مُجَمِّعِ بنِ يَزيدَ بنِ جارِيَةَ[4] أنه قال: أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا - يَعْنِى فى بنى عَمْرِو [٢/١٤٦و] بنِ عَوْفٍ بقُبَاءٍ - اثنتَيْن وعشرين ليلةً. وقال الواقِدِيُّ[5]: ويقالُ: أقام فيهم أربعَ عَشْرَةَ ليلةً.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: فأَدْرَكَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ الجُمُعَةُ فى بنى سالمِ بنِ عوفٍ، فصَلَّاها فى المسجدِ الذى فى بطنِ الوادى؛ وادى رانُونَاءَ[7]، فكانت أوَّلَ جمعةٍ صلّاها بالمدينةِ، فأَتاه عِتْبانُ بنُ مالكٍ وعباسُ بنُ عُبَادَةَ بنِ نَضْلَةَ فى رجالٍ مِن بنى سالمٍ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أَقِمْ عندَنا فى العَدَدِ والعُدَّةِ

---

(١) أورده المصنف مختصرا من رواية البيهقى فى الدلائل. من طريق عبد اللَّه بنِ إدريس عند ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن عروة عن عبد الرحمن بن عويم قال: أخبرنى بعض قومى. ثم ذكره.

(٢) تقدم فى صفحة ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٠١.

(٤) فى النسخ: «حارثة». وهو تصحيف. وانظر أسد الغابة ٥/ ٦٨. وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٥٠.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٦.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٧) قال فى معجم البلدان ٢/٧٤١ بعد أن ذكر كلام ابن إسحاق: وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحاق الذى لخصه ابن هشام، وكلٌّ يقول: صلى بهم فى بطن الوادى فى بنى سالم. ورانوناء بوزن عاشوراء وخابوراء. اهـ.

والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . لِناقتِه . فخلَّوْا سبيلَها ، فانطلقَتْ حتى إذا وازَتْ[1] دارَ بنى بَيَاضَةَ ، تَلَقّاه زِيادُ بنُ لَبِيدٍ وفَرْوَةُ بنُ عَمْرٍو ، فى رجالٍ مِن بنى بَيَاضةَ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلينا إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا مَرَّتْ بدارِ بنى ساعِدَةَ ، اعترضَه سعدُ بنُ عُبَادَةَ والمُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو ، فى رجالٍ مِن بنى ساعِدَةَ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلينا ، إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مَأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا وازَتْ دارَ بنى الحارثِ ابنِ الخَزْرَجِ ، اعتَرَضَه سعدُ بنُ الرَّبيعِ ، وخارِجةُ بنُ زيدٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحةَ ، فى رجالٍ مِن بنى الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلينا ، إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا مَرَّتْ بدارِ عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ - وهم أخوالُه دِنْيَا[2] ، أمُّ عبدِ المُطَّلِبِ سَلْمَى بنتُ عَمْرٍو إحدَى نسائِهم - اعترضَه سَلِيطُ بنُ قَيْسٍ وأبو سَلِيطٍ أُسَيْرَةُ ابنُ أبى[3] خارِجةَ ، فى رجالٍ مِن بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلى أخوالِك ، إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا أتتْ دارَ بنى مالكِ بنِ النَّجّارِ ، بَرَكَتْ على بابِ مسجدِه عليه السلامُ ، اليومَ ، وكان يومَئِذٍ مِرْبَدًا لغلامَيْن يتيمَيْن مِن بنى مالكِ بنِ النَّجّارِ ، وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ابنا عمرٍو ، وكانا فى حِجْرِ مُعَاذِ ابنِ عَفْرَاءَ .

---

(١) هنا وفيما يأتى ، فى ص : « دارت » . وفى السيرة : « وازنت » .

(٢) أى لصيقو النسب . انظر الوسيط (د ن و) .

(٣) سقط من النسخ . وأثبتناه من السيرة . وانظر أسد الغابة ١/ ١١٦، ٦/ ١٥٥.

قلتُ : وقد تَقَدَّم فى روايةِ البخارىِّ[1] ، مِن طريقِ الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، أنَّهما كانا فى حِجْرِ أسعدَ بنِ زُرَارَةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وذَكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[2] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فى طريقِه بعبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ وهو فى بيتٍ ، فوقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُ أنْ يَدْعُوَه إلى المنزِلِ ، وهو يومَئذٍ سيدُ الخَزْرَجِ فى أنفُسِهم ، فقال عبدُ اللَّهِ : انْظُرِ الذين دَعَوْك فانْزِلْ عليهم . فذكَر ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ لنَفَرٍ مِن الأنصارِ ، فقال سعدُ بنُ عُبَادةَ [3]يَعْتَذِرُ عنه[3] : لقد مَنَّ اللَّهُ علينا بك يا رسولَ اللَّهِ وإنَّا نُرِيدُ أن نَعْقِدَ على رأسِه التاجَ ونُمَلِّكَه علينا .

قال موسى بنُ عُقْبَةَ[4] : وكانتِ الأَنصارُ قد اجتمعُوا قبلَ أنْ يَرْكَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ، فمَشَوْا حولَ ناقتِه ، لا يَزالُ أحدُهم يُنَازِعُ صاحبَه زِمَامَ الناقةِ ؛ شُحًّا على كرامةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وتعظيمًا له ، وكلَّما مَرَّ بدارٍ مِن دُورِ الأَنصارِ دَعَوْه إلى المنزِلِ ، فيقولُ ﷺ : « دَعُوها فإنَّها مأمورةٌ ، فإنَّما أَنزِلُ حيثُ أَنْزَلَنِى اللَّهُ » . فلمّا انتهتْ به إلى بابِ أبى أيوبَ ، بَرَكَتْ به على البابِ ، فنزَل فدَخَل بيتَ أبى أيوبَ ، حتى ابْتَنَى مسجدَه ومساكنَه .

وقال [٢/١٤٦ظ] ابنُ إسحاقَ[5] : لمَّا بَرَكَتِ النّاقَةُ برسولِ اللَّهِ ﷺ لم يَنْزِلْ عنها ، حتى وثَبَتْ فسارتْ غيرَ بعيدٍ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ واضِعٌ لها زِمَامَها لا

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٦٤ .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٤٩٩ ، ٥٠٠ . من حديث موسى بن عقبة .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥٠١.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٥، ٤٩٦.

يَثْنِيها به ، ثُم الْتَفَتَتْ خَلْفَها ، فرجَعَتْ إلى مَبْرَكِها أولَ مرةٍ فبرَكَتْ فيه ، ثُم تَحَلْحَلَتْ[1] ورَزَمَتْ[2] ووَضَعَتْ جِرانَها[3] ، فنَزَل عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [4]فاحْتَمَلَ أبو أيوبَ خالدُ بنُ زيدٍ رَحْلَه ، فوضَعَه فى بيتِه ، ونزَل عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] ، وسأَل عن المِرْبَدِ : « لِمَنْ هو ؟ » فقال له مُعاذُ ابنُ عَفْرَاءَ : هو يا رسولَ اللَّهِ ، لسَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابْنَىْ عَمْرٍو ، وهما يَتِيمان لى ، وسأُرْضِيهما منه ، فاتَّخِذْه مسجدًا . فأمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يُبْنَى ، ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى دارِ أبى أيوبَ ، حتى بَنَى مسجدَه ومساكنَه ، فعَمِلَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون مِن المهاجرين والأنصارِ . وستأتى قصةُ بناءِ المسجدِ قريبًا إنْ شاءَ اللَّهُ .

وقال البَيْهَقِىُّ فى « الدلائلِ »[5] : وقال أبو عبدِ اللَّهِ : أخبرَنا أبو الحسنِ علىُّ ابنُ عُمَرَ[6] الحافظُ ، ثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ مَخْلَدٍ الدُّورِىُّ ، ثنا محمدُ بنُ سليمانَ بنِ إسماعيلَ بنِ أبى الوَرْدِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ صِرْمَةَ ، ثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحَةَ ، عن أنسٍ قال : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلمّا دَخَلْنا ، جاءَ الأنصارُ برجالِها ونسائِها ، فقالوا : إلينا يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « دَعُوا الناقةَ فإنَّها مأمورةٌ » . فبرَكَتْ على بابِ أبى أيوبَ ، فخرَجَتْ جَوارٍ مِن بنى النَّجّارِ يَضْرِبْنَ بالدُّفوفِ وهُنَّ يَقُلْنَ :

---

(١) تحلحل : تحرك وزال عن موضعه . الوسيط (حلحل) .

(٢) رزمت الناقة رزوما : إذا قامت من الكَلال . أى الإعياء . انظر الروض الأنف ٤/ ٢٦١ .

(٣) الجران : باطن العنق من البعير وغيره . الوسيط (ج ر ن) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٨ .

(٦) فى الأصل ، م : « عمرو » . وهو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى الحافظ . انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩ .

نحن جَوارٍ مِن بنى النَّجّارِ يا حَبَّذا محمدٌ مِن جارِ

فخرَج إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «أَتُحِبُّونِى؟» فقالوا: إى واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «وأنا واللَّهِ أُحِبُّكم، وأنا واللَّهِ أُحِبُّكم، وأنا واللَّهِ أُحِبُّكم». هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ، لم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ السُّنَنِ، وقد خَرَّجه الحاكمُ فى «مُسْتَدْرَكِه» كما تَرَى[1].

ثُم قال البيهقىُّ[2]: أخبرَنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىُّ، أخبرَنا أبو القاسمِ [3]عبدُ اللَّهِ[3] بنُ سليمانَ النَّحّاسُ المُقْرِئُ ببَغْدادَ، ثنا عُمَرُ بنُ الحسنِ الحَلَبِىُّ، حدّثنا أبو خَيْثَمَةَ المِصِّيصِىُّ، ثنا عيسى بنُ يونُسَ، عن عَوْفٍ الأعرابىِّ، عن ثُمَامَةَ، عن أنسٍ قال: مَرَّ النبىُّ ﷺ بحَىٍّ مِن بنى النَّجّارِ، وإذا جَوَارٍ يَضْرِبْنَ بالدُّفُوفِ يَقُلْنَ:

نحن جَوَارٍ مِن بَنِى النَّجّارِ يا حَبَّذَا محمدٌ مِن جارِ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَعْلَمُ اللَّهُ أنَّ قَلْبِى يُحِبُّكُنَّ». ورواه ابنُ مَاجَه[4]، عن هشامِ بنِ عمّارٍ، عن عيسى بنِ يونُسَ به.

وفى «صحيحِ البخارىِّ»[5] عن أبى[6] مَعْمَرٍ، عن عبدِ الوارِثِ، عن عبدِ

---

(١) فى م: «يروى». والحديث لم نجده فى المستدرك، ولعل لفظة «المستدرك» مقحمة بيد أحد النساخ. وعزاه السيوطى فى الخصائص ١/١٩٠ إلى البيهقى فقط.

(٢) دلائل النبوة ٢/٥٠٨.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «عبد الرحمن».

(٤) ابن ماجه (١٨٩٩). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٤١).

(٥) البخارى (٣٧٨٥).

(٦) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ١٥/٣٥٣.

العزيزِ ، عن أنسٍ قال : رأَى النبيُّ ﷺ النساءَ والصِّبيانَ مُقْبِلِين - حَسِبْتُ أنّه قال : مِن عُرْسٍ - فقام النبيُّ ﷺ مُمْثِلًا[1] فقال : « اللهُمَّ ، أَنْتم مِنْ أَحَبِّ الناسِ إليَّ » . قالها ثلاثَ مِرَارٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدّثنا عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، حدّثنى أبى ، حدّثنى عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ ، ثنا أنسُ بنُ مالكٍ قال : أَقْبَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وهو مُرْدِفٌ أبا بكرٍ ، وأبو بكرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ شابٌّ لا يُعْرَفُ . قال : فيَلْقَى الرجلُ أبا بكرٍ فيقولُ : يا أبا بكرٍ ، مَن هذا الرجلُ الذى بينَ يَدَيْك ؟ فيقولُ : هذا الرجلُ يَهْدِينِى السبيلَ . فيَحْسَبُ الحاسِبُ [٢/ ١٤٧و] أنَّه إنَّما يَهْدِيه الطريقَ ، وإنما يَعْنِى سبيلَ الخيرِ ، فالْتَفَتَ أبو بكرٍ ، فإذا هو بفارسٍ قد لَحِقَهم ، فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، هذا فارسٌ قد لَحِقَ بنا . فالْتَفَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « اللهُمَّ اصْرَعْه » . فصَرَعَتْه فَرَسُه ثُم قامتْ تُحَمْحِمُ[3] ، ثُم قال : يا نبيَّ اللَّهِ ، مُرْنِى بما شئتَ . قال : « قِفْ مكانَك ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بنا » . قال : فكان أولَ النهارِ جاهِدًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان آخرَ النهارِ مَسْلَحَةً[4] له . قال : فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ جانبَ الحَرَّةِ ، ثُم بعَث إلى الأنصارِ ، فجاءُوا فسَلَّمُوا عليهما ، وقالوا : ارْكَبا آمنَيْن مُطْمَئِنَّين[5] . فرَكِبَ رسولُ اللَّهِ

---

(١) قال فى النهاية ٤/ ٢٩٥: يُروى بكسر الثاء وفتحها ؛ أى منتصبًا قائمًا ، هكذا شُرح .

(٢) المسند ٣/ ٢١١.

(٣) الحمحمة : صوت البِرْذَوْن دون الصوت العالى ، وصوت الفرس دون الصهيل . اللسان (ح م م) .

(٤) والمسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة ؛ لأنهم يكونون ذوى سلاح ، أو لأنهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب ، يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة . النهاية ٢/ ٣٨٨. يعنى أنه كان يدفع عنهم من يريد ملاحقتهم .

(٥) فى النسخ : « مطاعين » . وهو لفظ رواية البخارى الآتى تخريجها . والمثبت من المسند . وانظر =

ﷺ وأبو بكرٍ ، وحَفُّوا حولَهما بالسلاحِ ، فقيل فى المدينةِ : جاء نبىُّ اللَّهِ ﷺ . فاستَشْرَفُوا نبىَّ اللَّهِ يَنْظُرُون إليه ويقولون : جاء نبىُّ اللَّهِ . قال : فأقبلَ يَسِيرُ حتى نزَل إلى جانبِ دارِ أبى أيوبَ . قال : فإنّه ليُحَدِّثُ أهْلَه ، إذ سَمِعَ به عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ وهو فى نخلٍ لأهلِه يَخْتَرِفُ[1] لهم ، فعَجَّل أنْ يَضَعَ الذي يَخْتَرِفُ فيها فجاء وهى معه ، فسَمِعَ مِن نبىِّ اللَّهِ ﷺ ورجَع إلى أهلِه ، وقال نبىُّ اللَّهِ : « أىُّ بُيوتِ أهلِنا أقربُ ؟ » فقال أبو أيوبَ : أنا يا نبىَّ اللَّهِ ، هذه دارى وهذا بابى . قال : « فانْطَلِقْ فهَيِّئْ لنا مَقِيلًا » . فذهَب فهَيَّأَ [2]لهما مَقِيلًا[2] ، ثُم جاء فقال : يارسولَ اللَّهِ ، قد هَيَّأْتُ لكما مَقِيلًا ؛ قُومَا على بَرَكةِ اللَّهِ فقِيلَا . فلمّا جاء نبىُّ اللَّهِ ﷺ جاء عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ فقال : أَشْهَدُ أنَّك نبىُّ اللَّهِ حقًّا ، وأنّك جئتَ بحقٍّ ، ولقد عَلِمَتْ يَهُودُ أنِّى سيدُهم وابنُ سيدِهم ، وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم ، فادْعُهم فاسْأَلْهم . فدَخَلوا عليه ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا معشرَ اليهودِ ، وَيْلَكم ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فواللَّهِ الذى لا إلَهَ إلَّا هو ، إنَّكم لَتَعْلَمُون أنِّى رسَولُ اللَّهِ حقًّا ، وأنِّى جِئْتُ بحقٍّ ، أَسْلِمُوا » . فقالوا : ما نَعْلَمُه . ثلاثًا . وكذا رواه البخارىُّ مُنْفَرِدًا به[3] ، عن محمدٍ غيرِ منسوبٍ ، عن عبدِ الصَّمَدِ به .

وقال ابنُ إسحاقَ[4] : وحدّثنى يَزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنِىِّ ، عن أبى رُهْمٍ السَّمَاعىِّ ، حدَّثَنى أبو أيوبَ قال : لمّا نزَل علىَّ رسولُ اللَّهِ

= جامع المسانيد للمصنف ٢٢/ ٤٨٧.

(١) هنا وفيما يأتى ، فى م : « يحترف » . وخرَف النخلَ واخترفه : صرمه - أى قطعه وجزّه - واجتناه .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . وأثبتناه من المسند .

(٣) البخارى (٣٩١١) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٨، ٤٩٩.

ﷺ فى بيتى نزَل فى السُّفْلِ ، وأنا وأُمُّ أيوبَ فى العُلْوِ ، فقلت له : بأبى أنت وأمِّى يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى أَكْرَهُ وأُعْظِمُ أنْ أَكُونَ فوقَك وتكونَ تحتى ، فاظْهَرْ أنتَ فكُنْ فى العُلْوِ ، ونَنْزِلُ نحن فنكونُ فى السُّفْلِ ، فقال : « يا أبا أَيُّوبَ ، إنَّ أَرْفَقَ بِنا وبِمَن يَغْشَانا أنْ أَكُونَ فى سُفْلِ البيتِ » . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سُفْلِه ، وكنّا فوقَه فى المسكنِ ، فلقد انْكَسَر حُبٌّ[1] لنا فيه ماءٌ ، فقُمْتُ أنا وأمُّ أيوبَ بقَطيفةٍ لنا - ما لنا لِحافٌ غيرَها - نَنْشُفُ بها الماءَ ؛ تَخَوُّفًا أنْ يَقْطُرَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ منه شىءٌ فيُؤْذِيَه . قال : وكنّا نَصْنَعُ له العَشاءَ ثُم نَبْعَثُ إليه ، فإذا رَدَّ علينا فَضْلَةً ، تَيَمَّمْتُ أنا وأُمُّ أيوبَ مَوْضِعَ يَدِه فأَكَلْنا منه ، نَبْتَغِى بذلك البركةَ ، حتى بَعَثْنا إليه ليلةً بعَشائِه ، وقد جعَلْنا له فيه بَصَلًا أو ثُومًا ، فرَدَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم أَرَ ليَدِه فيه أَثَرًا . قال : فجِئْتُه فَزِعًا فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت وأمِّى ، رَدَدْتَ عَشاءَك ، ولم أَرَ فيه موضعَ يدِك ؟ فقال : « إنِّى وجَدْتُ فيه ريحَ هذه الشجرةِ ، وأنا رجلٌ أُناجَى ، فأمّا أنتم فكُلُوه » . قال : فأكَلْناه ولم نَصْنَعْ له تلك الشجرةَ بعدُ . وكذلك رواه البَيْهَقِىُّ[2] مِن طريقِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ ، عن يَزيدَ ابنِ أبى حَبِيبٍ ، عن أبى الحسنِ [٢/١٤٧ظ] - أو أبى الخَيْرِ - مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنِىِّ ، عن أبى رُهْمٍ ، عن أبى أيوبَ ، فذَكَرَه . ورواه أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[3] ، عن يونُسَ بنِ محمدٍ المؤَدِّبِ ، عن اللَّيثِ .

وقال البيهقىُّ[4] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو عَمْرٍو الحِيرِىُّ ، ثنا

---

(١) الحُب : الجَرَّة ، أو الضخمة منها . القاموس المحيط (ح ب ب) .
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥١٠.
(٣) مصنف ابن أبى شيبة (٤٥٤١) .
(٤) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٩.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدارِمِيُّ ، ثنا أبو النُّعْمَانِ ، ثنا ثابتُ بنُ يَزيدَ ، ثنا عاصمٌ الأَحْوَلُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن أَفْلَحَ مولَى أبى أيوبَ ، عن أبى أيوبَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نزَل عليه ، فنزَل فى السُّفْلِ وأبو أيوبَ فى العُلْوِ ، فانْتَبَهَ أبو أيوبَ لَيْلَتَه[1] فقال : نَمْشِى فوقَ رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! فتَنَحَّوْا فباتُوا فى جانبٍ ، ثُم قال للنبىِّ ﷺ - يَعْنِى فى ذلك - فقال : « السُّفْلُ أَرْفَقُ بنا » . فقال : لا أَعْلُو سَقِيفَةً أنتَ تحتَها . فتَحَوَّلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى العُلْوِ ، وأبو أيوبَ فى السُّفْلِ ، فكان يَصْنَعُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ طعامًا ، فإذا جِىءَ به سأَل عن مَوْضِعِ أصابعِه ، فيَتَتَبَّعُ موضعَ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فصنَع له طعامًا فيه ثُومٌ ، فلمّا رُدَّ إليه سأَل عن موضِعِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقيل له : لَم يَأْكُلْ . ففَزِعَ وصَعِدَ إليه ، فقال : أحرامٌ ؟ فقال النبىُّ ﷺ : « لا ، ولكنِّى أَكْرَهُه » . قال : فإنِّى أَكْرَهُ ما تَكْرَهُ - أوْ ما كَرِهْتَ -. قال : وكان النبىُّ ﷺ [2]يُؤْتَى . يَعْنِى[2] يَأْتِيه المَلَكُ . ورواه مسلمٌ[3] عن أحمدَ بنِ سعيدٍ به .

وثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[4] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : جِىءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ببَدْرٍ[5] - وفى روايةٍ : بقِدْرٍ[6] - فيه خَضِرَاتٌ مِن بُقُولٍ . قال : فسأَلَ

---

(١) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

(٣) مسلم (٢٠٥٣) .

(٤) البخارى (٧٣٥٩) ، ومسلم (٥٦٤) . والحديث ليس من رواية أنس ، وإنما من رواية جابر بن عبد اللَّه ، رضى اللَّه عنهم ، فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنة .

(٥) قال فى النهاية ١/ ١٠٦: أى طَبَقٌ . شُبِّه بالبدر لاستدارته .

(٦) البخارى (٨٥٥) . ومسلم (٥٦٤) . عن جابر كذلك .

فأُخْبِرَ بما فيها [1] مِن البُقُولِ [1] ، فلمّا رَآه [2] كَرِهَ أَكْلَها ، قال : « كُلْ ، فإنِّى أُنَاجِى مَن لا تُنَاجِى » .

وقد روَى الواقِدِىُّ [3] ، أنَّ أسعدَ بنَ زُرَارَةَ - لمّا نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى دارِ أبى أيوبَ - أخَذ بخِطامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكانت عندَه .

وروَى [4] عن زيدِ بنِ ثابتٍ أنَّه قال : أولُ هَدِيَّةٍ أُهْدِيَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ نزَل دارَ أبى أيوبَ أنا جِئْتُ بها ؛ قَصْعَةٌ فيها خبزٌ مَثْرودٌ بلبنٍ وسَمْنٍ ، فقلتُ : أَرْسَلَتْ بهذه القَصْعَةِ أمِّى . فقال : « بارَكَ اللَّهُ فيك » . ودَعا أصحابَه فأكَلُوا ، ثُم جاءتْ قَصْعَةُ سعدِ بنِ عُبَادَةَ ؛ ثَرِيدٌ وعِرَاقُ [5] لحمٍ ، وما كانت مِن ليلةٍ ، إلّا وعلى بابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الثلاثةُ والأربعةُ يَحْمِلُون الطعامَ يَتَنَاوَبُون ، وكان مُقامُه فى دارِ أبى أيوبَ سبعةَ أشهرٍ . قال : وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ - وهو نازلٌ فى دارِ أبى أيوبَ - مولاه زيدَ بنَ حارثةَ وأبا رافعٍ ، ومعهما بَعِيران وخمسُمِائةِ دِرْهَمٍ ليَجِيئَا بفاطمةَ ، وأمِّ كُلْثُومٍ ابْنَتَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ زوجتِه ، وأسامةَ بنِ زيدٍ ، وكانت رُقَيَّةُ قد [6] هاجَرَتْ مع زوجِها عثمانَ ، وزينبُ عندَ زوجِها بمكةَ أبى العاصِ بنِ الرَّبيعِ ، وجاءتْ معهم أمُّ أيمنَ امرأةُ زيدِ بنِ حارثةَ ، وخرَج معهم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ بعيالِ أبى بكرٍ ، وفيهم

(١ - ١) سقط من النسخ . وأثبتناه من الصحيحين .

(٢) فى م : « رآها » .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧.

(٤) أى الواقدى ، انظر المصدر السابق ١٠/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٥) العراق : جمع عَرْق ، وهو العظم أُخِذ عنه معظم اللحم ، وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة . الوسيط (ع ر ق) .

(٦) فى ص : « قديما » .

عائشةُ أمُّ المؤمنِين ولم يَدْخُلْ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال البَيْهَقِيُّ[1] : أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، حدّثنا خَلَفُ بنُ عَمْرٍو العُكْبَرِيُّ ، ثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، ثنا عَطَّافُ بنُ خالدٍ ، ثنا صِدِّيقُ بنُ موسى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ المدينةَ ، فاستناخَتْ به راحلتُه بينَ دارِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ وبينَ دارِ الحسنِ [٢/ ١٤٨و] بنِ زيدٍ ، فأتاه الناسُ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، المَنْزِلُ . فانبعَثَتْ به راحلتُه فقال : « دَعُوها فإنَّها مأمورةٌ » . ثُم خرَجَتْ به حتى جاءَتْ موضعَ المنبرِ ، فاستناخَتْ ثُم تَخَلَّلَتِ[2] الناسَ[3] ، وثَمَّ عَرِيشٌ كانوا يَرُشُّونه[4] ويَعْمُرُونه ويَتَبَرَّدُون فيه ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن راحلتِه فيه ، فأوَى إلى الظلِّ ، فأتاه أبو أيوبَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ مَنزِلى أقربُ المنازلِ إليك ، فانْقُلْ رَحْلَك إلىَّ . قال : « نَعَمْ » . فذهَب برَحْلِه إلى المنزِلِ ، ثُم أتاه رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أينَ تَحِلُّ ؟ قال : « إنَّ الرَّجُلَ مع رحلِه حيثُ كان » . وثبَت رسولُ اللَّهِ ﷺ فى العريشِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً حتى بُنِىَ المسجدُ . وهذه مَنْقَبَةٌ عظيمةٌ لأبى أيوبَ خالدِ بنِ زيدٍ ، رَضِىَ اللَّه عنه ، حيثُ نزَل فى دارِه رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقد رُوِّينا[5] مِن طريقِ [6]يَزيدَ بنِ أبى حبيبٍ[6] ، عن محمدِ بنِ عليِّ بنِ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٩.

(٢) فى النسخ : « تحللت » . والمثبت من الدلائل .

(٣) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

(٤) فى م ، ص : « يعرشونه » .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٦١، ٤٦٢. وصححه ووافقه الذهبى . والطبرانى فى الكبير (٣٨٧٦) . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٥٥. ثلاثتهم من طريق حبيب بن أبى ثابت به .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . ولعله حبيب بن أبى ثابت ، كما فى مصادر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣٥٨/٥ ، ١٠٢/٣٢ .

عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، أنَّه لمّا قَدِم أبو أيوبَ البَصْرَةَ - وكان ابنُ عباسٍ نائبًا عليها مِن جهةِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه - فخرَج له ابنُ عباسٍ عن دارِه حتى أنزلَه فيها، كما أَنْزَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى دارِه، وملَّكه كلَّ ما أَغْلَقَ عليه[1] بابَها، ولمّا أراد الانصرافَ، أَعْطاه ابنُ عباسٍ عشرين ألفًا، وأربعين عبدًا. وقد صارتْ دارُ أبى أيوبَ بعدَه إلى مولاه أفلحَ، فاشْتَراها منه المغيرةُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ بألفِ دينارٍ، وصَلَّحَ ما وَهَى مِن بُنْيانِها، ووهَبَها لأهلِ بيتٍ فقراءَ مِن أهلِ المدينةِ.

وكذلك نزولُه، عليه السلامُ، فى دارِ بنى النَّجّارِ، واختيارُ اللَّهِ له ذلك، مَنْقَبَةٌ عظيمةٌ لهم[2]، وقد كان فى المدينةِ دُورٌ كثيرةٌ تَبْلُغُ تِسعًا، كلُّ دارٍ مَحَلَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بمساكنِها، ونخيلِها، وزروعِها، وأهلِها، كلُّ قبيلةٍ مِن قبائِلِهم قد اجتَمَعوا فى مَحَلَّتِهم، وهى كالقُرَى المتلاصقةِ، فاخْتار اللَّهُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ دارَ بنى مالكِ بنِ النَّجّارِ.

وقد ثَبَت فى «الصحيحَيْنِ»[3]، مِن حديثِ شُعْبَةَ، سمِعْتُ قَتَادَةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، [4]عن أبى أُسَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه[4]، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «خيرُ دُورِ الأنصارِ بنو النَّجّارِ، ثُم بنو عبدِ الأَشْهَلِ، ثُم بنو الحارثِ بنِ

---

(١) فى الأصل، م: «عليها».

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) البخارى (٣٧٨٩، ٣٨٠٧)، ومسلم (٢٥١١).

(٤ - ٤) سقط من النسخ، وأثبتناه من الصحيحين. والظاهر أن المصنف غلط، فألحق هذا الحديث بمسند أنس - استدراكا على شيخه المزى فى تحفة الأشراف - وإنما هو من مسند أبى أسيد، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف متعقبا له على ذلك. انظر تحفة الأشراف مع النكت الظراف ١/ ٣٣٣، ٨/ ٣٤٠، ٣٤١.

الخَزْرَجِ ، ثُم بنو ساعِدَةَ ، وفى كُلِّ دُورِ الأنصارِ خيرٌ » . فقال سعدُ بنُ عُبَادةَ : ما أَرَى النبىَّ ﷺ إلّا قد فَضَّلَ علينا . فقيل : قد فَضَّلَكم على كثيرٍ . هذا لفظُ البخارىِّ .

وكذلك روَاه البخارىُّ ومسلمٌ ، مِن حديثِ أنسٍ وأبى سَلَمَةَ ، عن أبى أُسَيْدٍ[1] مالكِ بنِ رَبيعةَ ، ومِن حديثِ عباسِ[2] بنِ سَهْلٍ ، عن أبى حُمَيْدٍ ، عن النبىِّ ﷺ بمثلِه سواءً . زاد فى حديثِ أبى حُمَيْدٍ : فقال أبو أُسَيْدٍ لسعدِ بنِ عُبادَةَ : أَلَمْ تَرَ أنَّ النبىَّ ﷺ خَيَّرَ الأنصارَ فجعَلَنا آخِرًا ؟ فأدْرَكَ سعدٌ النبىَّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، خَيَّرْتَ دُورَ الأنصارِ فجعَلْتنا آخِرًا ! قال : « أَوَ ليس بحَسْبِكم أنْ تَكونوا مِن الخِيارِ ؟[3] » .

بل[4] قد ثَبَت لجميعِ مَن أسْلَمَ مِن أهلِ المدينةِ - وهم الأنصارُ - الشرفُ والرِّفْعَةُ فى الدنيا والآخرةِ . قال اللَّهُ تعالى[5] : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] . وقال تعالى[6] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن

---

(١) حديث أنس عن أبى أسيد ، تقدم تخريجنا له فى الحاشية السابقة . وانظر حديث أبى سلمة عن أنس فى البخارى (٣٧٩٠، ٦٠٥٣) ، ومسلم (٢٥١١) .

(٢) فى الأصل ، م : « عبادة » . وهو تصحيف . وهو عباس بن سهل بن سعد الأنصارى الساعدى . تهذيب الكمال ١٤/ ٢١٢. وحديث عباس هذا ، فى البخارى (٣٧٩١) . ومسلم (١٣٩٢) باب فى معجزات النبى ﷺ ، من كتاب الفضائل .

(٣) فى النسخ : « الأخيار » . والمثبت من الصحيحين .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) التفسير ٤/ ١٤١، ١٤٢.

(٦) التفسير ٨/٩٤ - ٩٨.

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لولا الهجرةُ [٢/١٤٨ظ] لَكُنْتُ امْرَأً مِن الأنصارِ، ولو سلَك الناسُ واديًا وشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأَنصارِ وشِعْبَهم، الأَنصارُ شِعارٌ والناسُ دِثَارٌ»[(١)]. وقال[(٢)]: «الأنصارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي[(٣)]». وقال[(٤)]: «أنا سِلْمٌ لمن سالَمَهم، وحَرْبٌ لمَن حارَبَهم».

وقال البخاريُّ[(٥)]: حدّثنا حَجّاجُ بنُ مِنْهَالٍ، ثنا شُعْبَةُ، حدثنى عَدِيُّ بنُ ثابتٍ، قال: سَمِعْتُ البَرَاءَ بنَ عازِبٍ يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ - أو قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ -: «الأَنصارُ لا يُحِبُّهم إلَّا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُهم إلَّا منافقٌ، فمَن أَحَبَّهم أَحَبَّه اللَّهُ، ومَن أَبْغَضَهم أَبْغَضَه اللَّهُ». وقد أخرَجه بقيةُ الجماعةِ، إلّا أبا داودَ، مِن حديثِ شُعْبَةَ به[(٦)].

وقال البخاريُّ أيضًا[(٧)]: حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، ثنا شُعْبَةُ، عن

---

(١) البخارى (٤٣٣٠). قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٥٢: الشعار: الثوب الذى يلى الجلد من الجسد. والدثار: الذى فوقه. وهى استعارة لطيفة لفرط قُربهم منه، وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم.

(٢) البخارى (٣٨٠١).

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ١٢١: أى بطانتى وخاصتى، قال القزاز: ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة؛ أى عيال كثيرة. والعيبة: ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده. يريد أنهم موضع سره وأمانته.

(٤) المسند ٣/ ٤٦٢، ودلائل البيهقى ٢/ ٤٤٧. وعندهما: «أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم».

(٥) البخارى (٣٧٨٣).

(٦) مسلم (٧٥)، والترمذى (٣٩٠٠)، والنسائى فى الكبرى (٨٣٣٤). وابن ماجه (١٦٣).

(٧) البخارى (٣٧٨٤).

(١ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَبْرٍ ١) ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : «آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأَنصارِ ، وآيةُ النفاقِ بغضُ الأنصارِ» . ورواه البخاريُّ أيضًا(٢) ، عن أبى الوليدِ الطَّيالِسِيِّ(٣) ، ومسلمٌ(٤) مِن حديثِ خالدِ بنِ الحارثِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِيٍّ ، أَرْبَعَتُهم عن شعبةَ به .

والآياتُ والأحاديثُ فى فضائلِ الأَنْصارِ كثيرةٌ جِدًّا ، وما أحسنَ ما قال أبو قيسٍ صِرْمَةُ بنُ أبى أنسٍ - المتقدِّمُ ذِكْرُه(٥) ، أحدُ شعراءِ الأنصارِ - فى قُدومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم ، ونصرِهم إيّاه ، ومواساتِهم له ولأصحابِه ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعينَ .

قال ابنُ إسحاقَ(٦) : وقال أبو قيسٍ صِرْمَةُ بنُ أبى أنسٍ أيضًا ، يَذْكُرُ ما أَكْرَمَهم اللَّهُ به مِن الإسلامِ ، وما خَصَّهم به مِن رسولِه ، عليه السلامُ :

ثَوَى فى قريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مُواتِيَا
ويَعْرِضُ فى أَهلِ(٧) المواسمِ نَفْسَه ... فلم يَرَ مَن يُؤْوِى ولم يَرَ داعِيَا
فلمّا أتانا (٨أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَه٨) ... وأَصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبَةَ راضِيَا
وأَلْفَى صديقًا واطْمَأَنَّتْ به النَّوَى ... وكان له عَوْنًا مِن اللَّهِ بادِيَا

(١ - ١) فى م : «عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن جبير» . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ١٧١.

(٢) البخارى (١٧) .

(٣) فى م : «والطيالسى» . وهو هشام بن عبد الملك الباهلى ، أبو الوليد الطيالسى البصرى . تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٢٦.

(٤) مسلم (٧٤) .

(٥) تقدم فى صفحة ٣٨٢ .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٢.

(٧) فى الأصل : «كل» .

(٨ - ٨) فى النسخ : «واطمأنت به النوى» . والمثبت من السيرة .

يَقُصُّ لنا ما قال نوحٌ لقومِه ... وما قال موسى إذْ أجابَ المُنادِيَا

فأَصْبَحَ لا يَخْشَى مِن الناسِ واحِدًا ... قَرِيبًا ولا يَخْشَى مِن الناس نائِيَا[1]

بَذَلْنا له الأموالَ مِن حِلِّ[2] مالِنا ... وأنفُسَنا عندَ الوَغَى والتَّآسِيَا

نُعادِى الذى عادَى مِن الناسِ كلِّهِمْ ... جميعًا ولو كان الحَبِيبَ المُواسِيَا[3]

ونَعْلَمُ أنَّ اللَّهَ لا شىءَ غيرُه ... [4]وأنَّ كتابَ اللَّهِ أصبحَ هادِيَا[4]

أَقولُ إذا صلَّيْتُ فى كلِّ بِيعَةٍ[5] ... حَنانَيْكَ لا تُظهِرْ علينا الأعادِيَا

أقولُ إذا جاوَزْتُ أرضًا مُخِيفَةً ... تبارَكْتَ إسمَ اللَّهِ أنتَ المُوالِيَا

فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتُوفَ كثيرةٌ ... وإنَّك لا تُبْقِى لنفسِك باقِيَا

فواللَّهِ ما يَدْرِى الفتَى كيف سَعْيُه ... إذا هو لم يَجْعَلْ له اللَّهَ واقِيَا

ولا [6]تَحْفِلُ النخلُ المُعِيمةُ[6] ربَّها ... إذا أصْبَحَتْ رِيًّا وأَصْبَحَ ثاوِيَا

ذكَرها ابنُ إسحاقَ وغيرُه[7] . ورواها عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ الحُمَيْدِىُّ وغيرُه ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأَنصارىِّ ، عن عجوزٍ مِن الأنصارِ ،

---

(١) فى الأصل : « باغيا » .

(٢) فى م ، ص : « جل » .

(٣) فى السيرة : « المصافيا » .

(٤ - ٤) فى السيرة : « ونعلم أن اللّه أفضل هاديا » .

(٥) البيعة : معبد النصارى . ويعنى بها هنا المسجد .

(٦ - ٦) فى الأصل : « نجعل النحل المقيمة » . وفى ص : « يجعل النخل المقيمة » . والعَيْمة : العطش . اللسان (ع ى م) . والمعيمة : العطشى .

(٧) أورد بعضها ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢/ ٧٣٨، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ١٨.

قالت : رأيْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ يَخْتَلِفُ إلى صِرْمَةَ بنِ قَيْسٍ يَرْوِى هذه الأَبياتَ . [٢/ ١٤٩و] رواه البَيْهَقِىُّ[(١)] .

فصلٌ

وقد شُرِّفَتِ المدينةُ أيضًا بهجرتِه ، عليه السلامُ ، إليها ، وصارتْ كَهْفًا لأولياءِ اللَّهِ وعبادِه الصالِحين ، ومَعْقِلًا وحصنًا مَنيعًا للمسلمين ، ودارَ هدًى للعالَمِين ، والأحاديثُ فى فضلِها كثيرةٌ جِدًّا ، لها مَوْضِعٌ آخرُ نُورِدُها فيه إنْ شاء اللَّهُ .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[(٢)] مِن طريقِ [(٣)]خُبَيْبِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خُبَيْبِ بنِ يِسَافٍ[(٣)] ، عن حَفْصِ[(٤)] بنِ عاصمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الإيمانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كما تَأْرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها » . ورَواه مسلمٌ أيضًا[(٥)] ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن شَبَابةَ ، عن عاصمِ بنِ محمدِ بنِ زيدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عُمَرَ ، عن النبىِّ ﷺ نحوَه .

وفى « الصحيحَيْنِ » أيضًا[(٦)] ، مِن حديثِ مالكٍ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، أنَّه

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٥١٣، ٥١٤.

(٢) البخارى (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عبد الرحمن بن يساف » ، وفى م : « حبيب بن يساف » ، وفى ص : « حبيب ابن عبد الرحمن بن يساف » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٢٧.

(٤) فى النسخ : « جعفر » . وهو تصحيف . انظر تهذيب الكمال ٧/ ١٧.

(٥) مسلم (١٤٦) .

(٦) البخارى (١٨٧١) ، ومسلم (١٣٨٢) .

سَمِعَ أبا الحُبَابِ سعيدَ بنَ يَسَارٍ، سَمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ بقريةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يقولون: يَثْرِبُ. وهى المدينةُ، تَنْفِى[1] النّاسَ كما يَنْفِى[2] الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ». وقد انْفَرَدَ الإمامُ مالكٌ عن بَقِيَّةِ الأئمةِ الأربعةِ بتَفْضِيلِها على مكةَ[3].

وقد قال البَيْهَقِىُّ[4]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أخبرَنى أبو الوليدِ وأبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ قالا: ثنا الحسنُ بنُ سفيانَ، ثنا أبو موسى الأنصارىُّ، ثنا سعيدُ بنُ سعيدٍ، حدَّثَنى أخى، عن أبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اللهُمَّ إنَّكَ أَخْرَجْتَنِى مِن أَحَبِّ البِلادِ إلىَّ، فأَسْكِنِّى أَحَبَّ البلادِ إليك». فأَسْكَنَه اللَّهُ المدينةَ. وهذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا.

والمشهورُ عن الجمهورِ أنَّ مكةَ أفضلُ مِن المدينةِ، إلّا المكانَ الذى ضَمَّ جَسَدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقد استدلَّ الجمهورُ على ذلك بأدلةٍ يَطُولُ ذكرُها هـهنا، ومحَلُّها[5] فى كتابِ المناسكِ مِن «الأَحكامِ» إنْ شاء اللَّهُ تعالى.

وأشهرُ دليلٍ لهم فى ذلك، ما قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا أبو اليَمَانِ، ثنا شُعَيْبٌ، عن الزُّهْرِىِّ، أخبرَنا أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عَدِىِّ ابنِ الحَمْرَاءِ أخبرَه، أنَّه سَمِعَ النبىَّ ﷺ وهو واقفٌ بالحَزْوَرَةِ[7] فى سوقِ مكةَ

---

(١) فى م: «تنقى».

(٢) فى م: «ينقى».

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووى ٩/ ١٦٣، ١٦٤.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٥١٩.

(٥) بعده فى الأصل، م: «ذكرناها».

(٦) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٧) قيل: إن الحزورة هى سوق مكة، وقيل إنها بفناء دار الأرقم يعنى دار الخيزران التى عند الصفاء، =

يقولُ : « واللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أرضِ اللَّهِ ، وأحَبُّ أرضِ اللَّهِ [1] إلى اللَّهِ [1] ، ولولا أنِّى أُخْرِجْتُ منكِ ما خَرَجْتُ » . وكذا رواه أحمدُ [2] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن صالحِ بنِ كَيْسَانَ ، عن الزُّهْرِىِّ به . وهكذا رواه التِّرْمِذِىُّ ، والنَّسَائِىُّ ، وابنُ ماجَه [3] ، مِن حديثِ اللَّيْثِ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهرىِّ به . وقال التِّرْمِذِىُّ : حسنٌ صحيحٌ ، وقد رواه يونُسُ عن الزهرىِّ به ، ورواه محمدُ ابنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، [4] عن أبى هريرةَ ، وحديثُ الزُّهْرِىِّ عندى أَصَحُّ .

قال الإمامُ أحمدُ [5] : حَدَّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، ثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ [4] ، عن أبى هريرةَ قال : وَقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ على الحَزْوَرَةِ فقال : « عَلِمْتُ أنَّكِ خيرُ أَرضِ اللَّهِ ، وأَحَبُّ الأرضِ إلى اللَّهِ ، ولولا أَنَّ أهلَكِ أَخْرَجُونى منكِ ما خَرَجْتُ » . وكذا رَواه النَّسائىُّ [6] مِن حديثِ مَعْمَرٍ به . قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ [7] : وهذا وَهْمٌ مِن مَعْمَرٍ ، وقد رَواه بعضُهم عن محمدِ ابنِ عَمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، وهو أيضًا وَهْمٌ ، والصحيحُ رِوايةُ

= ونُقل عن بعضهم أنها بحذاء الردم فى الوادى ، وقيل : إنها كانت بالقرب من باب الوداع ثم دخلت فى المسجد . الفتح الربانى ٢٣/ ٢٤٥.

(١ - ١) فى النسخ : « إلىَّ » . والمثبت من المسند .

(٢) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٣) الترمذى (٣٩٢٥) ، والنسائى فى الكبرى (٤٢٥٢) ، وابن ماجه (٣١٠٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٨٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٦) النسائى فى الكبرى (٤٢٥٤) .

(٧) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥١٨.

الجماعةِ .

وقال أحمدُ[1] أيضًا : حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ خالدٍ ، ثنا رَباحٌ ، عن مَعْمَرٍ ، عن محمدِ بنِ مسلمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن بعضِهم ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وهو فى سوقِ الحَزْوَرَةِ : « واللَّهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أرضِ اللَّهِ ، وأَحَبُّ الأرضِ إلى اللَّهِ ، ولولا أنِّى أُخْرِجْتُ منكِ ما خَرَجْتُ » . ورَواه الطبرانِيُّ[2] عن أحمدَ بنِ خُلَيْدٍ الحَلَبِيِّ ، عن الحُمَيْدِيِّ ، عن الدَّراوَرْدِيِّ ، عن ابنِ أخى الزُّهْرِيِّ ، [3]عن الزُّهْرِيِّ[3] ، [٢/١٤٩ظ] عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَدِيِّ بنِ الحمراءِ به . فهذه طرقُ هذا الحديثِ ، وأصحُّها ما تَقَدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٢) الطبرانى فى الأوسط (٤٥٧) .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

ذِكْرُ[1] ما وقع فى السَّنةِ الأُولَى مِن الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ[2]، مِن الحوادثِ والوقائعِ العظيمةِ[2]

اتَّفَق الصَّحابةُ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، فى سنةِ ستَّ عَشْرَةَ - وقيل: سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، أو ثمانىَ عَشْرَةَ - فى الدولةِ العُمَرِيَّةِ، على جَعْلِ ابْتداءِ التَّأْريخِ الإسلامِىِّ مِن سنةِ الهجرةِ؛ وذلك أنَّ أميرَ المؤمِنِين عُمرَ، رَضِى اللَّهُ عنه، رُفِع إليه صَكٌّ، أَىْ حُجَّةٌ، لرجلٍ على آخَرَ، وفيه أنّه يَحِلُّ عليه فى شعبانَ، فقال عُمرُ: أَىُّ شعبانَ؟ أشعبانُ هذه السنةِ التى نحنُ فيها، أو السنةِ الماضيةِ، أو الآتيةِ؟ ثُم جَمَع الصَّحابةَ، فاسْتَشارَهم فى وَضْعِ تأْريخٍ يَتَعَرَّفُون به حُلُولَ الدُّيُون وغيرَ ذلك، فقال قائلٌ: أَرِّخُوا كتأْريخِ الفُرْسِ. فكَرِه ذلك، وكانتِ الفرسُ يُؤَرِّخُون بملوكِهم واحدًا بعدَ واحدٍ. وقال قائلٌ: أَرِّخُوا بتأْريخِ الرُّومِ. وكانوا يُؤَرِّخون بمُلْكِ إِسْكَنْدَرَ بنِ فِيلِيبُّسَ المَقْدُونِىِّ، فكَرِه ذلك، وقال آخَرُون: أَرِّخُوا بمولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقال آخرُون: بل بمَبْعَثِه. وقال آخرُونَ: بل بهِجْرَتِه. وقال آخرُونَ: بل بوفاتِه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ. فمال عمرُ، رَضِى اللَّهُ عنه، إلى التَّأْريخِ بالهجرةِ؛ لظُهورِه واشْتِهارِه، واتَّفَقُوا معه على ذلك[3].

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

وقال البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] : التَّارِيخُ ومتى[2] أَرَّخُوا التَّاريخَ : حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ[3] ، ثنا عبدُ العزيزِ ، عن أبيه ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ قال : ما عَدُّوا مِن مَبْعَثِ النبىِّ ﷺ ولا مِن وفاتِه ، ما عَدُّوا إلَّا مِن مَقْدَمِه المدينةَ .

وقال الواقِدِىُّ : حدَّثنا ابنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه قال : اسْتَشار عُمرُ فى التأْريخِ ، فأَجْمَعُوا على الهِجرةِ .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[4] عن قُرَّةَ[5] بنِ خالدٍ السَّدُوسِىِّ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ قال : قام رجلٌ إلى عمرَ ، فقال : أَرِّخُوا . فقال : ما أَرِّخُوا ؟ فقال : شىءٌ تَفْعَلُه الأَعاجمُ ، يَكْتُبُون : فى شهرِ كذا مِن سنةِ كذا . فقال عمرُ : حَسَنٌ ، فأَرِّخُوا . فقالوا : مِن أىِّ السنينَ نَبْدَأُ ؟ فقالوا : مِن مَبْعَثِه . وقالوا : مِن وفاتِه . ثُم أَجْمَعُوا على الهجرةِ ، ثُم قالوا : وأىَّ الشهورِ نَبْدَأُ ؟ فقالوا : رمضانَ . ثُم قالوا : المُحَرَّمَ ؛ فهو مُنْصَرَفُ[6] الناسِ من حَجِّهم ، [7]وهو شهرٌ حرامٌ[7] . فاجْتَمَعُوا على المُحَرَّمِ .

وقال ابنُ جَرِيرٍ[8] : [9]حدَّثَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ[9] ، حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، ثنا نوحُ ابنُ قيسٍ الطَّاحِىُّ[10] ، عن عثمانَ بنِ مِحْصَنٍ ، أنَّ ابنَ عباسٍ كان يقولُ فى

---

(١) البخارى (٣٩٣٤) .

(٢) عند البخارى : « من أين » .

(٣) فى الأصل ، م : « مسلم » .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٨٩، من طريق الطيالسى به .

(٥) فى الأصل ، ص : « فروة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٧٨، ٥٧٩.

(٦) فى النسخ : « مصرف » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٠.

(٩ - ٩) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(١٠) فى م : « الطائى » .

قولِه تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١، ٢]. هو المُحَرَّمُ، فَجْرُ السَّنَةِ. [١] ورَوَى[٢] عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ قال: إنَّ المُحَرَّمَ شهرُ اللَّهِ، وهو رَأْسُ[١] السنةِ، يُكْسَى به[٣] البيتُ، ويُؤَرِّخُ به الناسُ، ويُضْرَبُ فيه الوَرِقُ.

وقال أحمدُ[٤]: حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ، ثنا زكريّا بنُ إسحاقَ، عن عَمرِو ابنِ دِينارٍ قال: إنَّ أوَّلَ مَن أَرَّخَ الكُتُبَ يَعْلَى بنُ أُمَيَّةَ باليمنِ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَدِم المدينةَ فى ربيعِ الأوَّلِ، وإنَّ الناسَ أرَّخُوا لأوَّلِ السنةِ.

ورَوَى محمدُ بنُ إسحاقَ[٥]، عن الزُّهْرِيِّ، وعن محمدِ بنِ صالحٍ عن الشَّعْبِيِّ، أنَّهما قالا: أَرَّخ بنو إسماعيلَ مِن نارِ إبراهيمَ، ثُم أَرَّخُوا مِن بُنْيانِ إبراهيمَ وإسماعيلَ البيتَ، ثُم أَرَّخُوا مِن موتِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ، ثُم أَرَّخُوا مِن الفيلِ، ثُم أَرَّخَ عمرُ بنُ الخطابِ مِن الهجرةِ، وذلك سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أو ثمانىَ عَشْرَةَ. وقد ذكَرْنا هذا الفصلَ مُحَرَّرًا بأسانيدِه وطُرُقِه فى «السيرةِ العُمَرِيَّةِ». [٢/ ١٥٠و] وللَّهِ الحمدُ.

والمقصودُ أنَّهم جَعَلوا ابتداءَ التاريخِ الإسلاميِّ مِن سنةِ الهجرةِ، وجَعَلوا أَوَّلَها مِن المُحَرَّمِ، فيما اشْتَهَر عنهم، وهذا هو قولُ جُمهورِ الأئمةِ.

وحَكَى السُّهَيْلِيُّ وغيرُه، عن الإمامِ مالكٍ، أنَّه قال: أَوَّلُ السنةِ الإسلاميَّةِ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٠، وذكره بأطول من هذا.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٩٠ من طريق أحمد به، بزيادة يسيرة عما هنا. وصحح الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٦٨ إسناده، إلا أنه قال: فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٩٠، معلقا من طريقى محمد بن إسحاق ومحمد بن صالح بهما.

ربيعٌ الأَوَّلُ ؛ لأنَّه الشهرُ الذى هاجَر فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ . [1]وقد اسْتَدَلَّ السُّهَيْلِىُّ[2] على ذلك ، فى موضعٍ آخرَ ، بقولِه تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٨] أىْ ؛ مِن أَوَّلِ يومِ حُلولِ النبىِّ ﷺ المدينةَ ، وهو أَوَّلُ يومٍ مِن التاريخِ ، كما اتَّفَقَ الصحابةُ على أَوَّلِ سِنِىِّ التاريخِ عامَ الهجرةِ[1] . ولا شَكَّ أنَّ هذا الذى قاله الإمامُ مالكٌ ، رَحِمه اللَّهُ ، مُناسِبٌ ، ولكنَّ العملَ على خلافِه ؛ وذلك لأَنَّ أَوَّلَ شُهورِ العربِ المُحَرَّمُ ، فجَعَلَوا السنةَ الأُولى سنةَ الهجرةِ ، وجَعَلوا أَوَّلَها المُحَرَّمَ كما هو المعروفُ ؛ لِئَلّا يَخْتَلِطَ النِّظامُ . واللَّهُ أعلمُ .

فنقولُ وباللَّهِ المُسْتَعانُ : اسْتَهَلَّتْ سنةُ الهجرةِ المباركةِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُقِيمٌ بمكةَ ، وقد بايَع الأَنصارُ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثانيةَ ، كما قَدَّمْنا[3] ، فى أَوْسَطِ أيامِ التَّشْرِيقِ ، وهى ليلةُ الثانِى عَشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ قبلَ سنةِ الهجرةِ ، ثُم رَجَع الأَنصارُ ، وأَذِن رسولُ اللَّهِ ﷺ للمُسلِمِين فى الهجرةِ إلى المدينةِ ، فهاجَر مَن هاجَر مِن أصحابِه إلى المدينةِ ، حتى لم يَبْقَ بمكةَ مَن يُمْكِنُه الخُروجُ إلَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وحَبَس أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ليَصْحَبَه فى الطريقِ ، كما قَدَّمْنا[4] ، ثُم خَرَجا على الوَجْهِ الذى تَقَدَّمَ بَسْطُه[5] ، وتَأَخَّر علىُّ بنُ أبى طالبٍ بعدَ النبىِّ ﷺ بأَمْرِه ؛ ليُؤَدِّىَ ما كان عندَه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الروض الأنف ٤/٢٥٤ - ٢٥٧.

(٣) تقدم فى صفحة ٣٩٥ .

(٤) تقدم فى صفحة ٤٥٨ .

(٥) تقدم فى صفحة ٤٤٥ - ٤٨٤ .

الوَدائِعِ ، ثُم لَحِقَهم بقباءٍ ، فقَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنينِ ، قريبًا مِن الزَّوالِ وقد اشْتَدَّ الضَّحاءُ[1] .

قال الواقِدِىُّ وغيرُه[2] : وذلك لِلَيْلَتَيْن خَلَتا مِن شهرِ ربيعِ الأوَّلِ . وحكاه ابنُ إسحاقَ[3] ، إلّا أنّه لم يُعَرِّجْ عليه ، ورَجَّح أنَّه لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ منه . وهذا هو المشهورُ الذى عليه الجمهورُ .

وقد كانتْ مُدَّةُ إقامتِه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، بمكةَ بعدَ البِعْثَةِ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً ، فى أَصَحِّ الأَقوالِ ، وهو رِوايةُ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ[4] ، عن أبى [5]جَمْرَةَ الضُّبَعِىِّ[5] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَربعينَ سنةً ، وأقام بمكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً .

وهكذا رَوَى ابنُ جريرٍ[6] ، عن محمدِ بنِ مَعْمَرٍ ، عن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ ، عن زكريّا بنِ إسحاقَ ، عن عَمرِو بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنّه قال : مَكَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ . وتَقَدَّم[7] أنَّ ابنَ عباسٍ كَتَب أبياتَ صِرْمَةَ بنِ أبى أنسِ بنِ قيسٍ :

---

(١) الضحاء : إذا قرُب انتصاف النهار .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام - السيرة النبوية للحافظ الذهبى ص ٣٣٦، وانظر الفتح ٧/ ٢٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٢.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٨٤، من طريق حماد بن سلمة به .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م ، ص : « حمزة الضبى » . وهو نصر بن عمران بن عصام ، وقيل : ابن عاصم بن واسع . تهذيب الكمال ٣٦٢، ٣٦٣.

(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٥.

(٧) تقدم فى صفحة ٥٠٥ ، ٥٠٦ . ولكن بلفظة : « يروى » بدلا من : « كتب » .

ثَوَى فِى قُرَيشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتِيا

وقال الواقِدِىُّ، عن إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّه اسْتَشْهَد بقولِ صِرْمَةَ:

ثَوَى فى قُريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتِيا

وهكذا رَواه ابنُ جَريرٍ[1] عن الحارثِ، عن محمدِ بنِ سعدٍ، عن الواقِدِىِّ: خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً. وهو قولٌ غريبٌ جِدًّا. وأَغْرَبُ منه ما قال ابنُ جريرٍ[2]: حُدِّثْتُ عن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ، ثنا سعيدٌ، عن قَتادَةَ قال: نَزَل القرآنُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانِىَ سنينَ بمكةَ، وعَشْرًا بالمدينةِ. [3]وكان الحسنُ يقولُ: عَشْرًا بمكةَ، وعَشْرًا بالمدينةِ[3]. وهذا القولُ الآخِرُ الذى ذَهَب إليه الحسنُ البَصْرِىُّ، مِن أنَّه أقام بمكةَ عَشْرَ سنينَ، ذهَب إليه أنسُ بنُ مالكٍ، وعائشةُ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ، [٢/ ١٥٠ظ] وعمرُو بنُ دِينارٍ، فيما رَواه ابنُ جريرٍ[4] عنهم. وهو روايةٌ عن ابنِ عباسٍ؛ رواها أحمدُ بنُ حنبلٍ[5]، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن هشامٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: أُنْزِل على النبىِّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعينَ، فمَكَث بمكَّةَ عَشْرًا. وقد قَدَّمْنَا[6] عن الشَّعْبِىِّ أنَّه قال: قُرِن إسْرافِيلُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ سنينَ، يُلْقِى إليه الكلمةَ والشىءَ. وفى رِوايةٍ[7]: يَسْمَعُ حِسَّه ولا

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٥) تقدم تخريجه صفحة ١٠ حاشية (٤).

(٦) تقدم فى صفحة ١٠.

(٧) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٦.

يَرَى شَخْصَه ، ثُم كان بعدَ ذلك جِبْرِيلُ . وقد حَكى الواقِدِىُّ[1] عن بعضِ مشايخِه ، أنَّه أَنْكَر قولَ الشَّعْبِىِّ هذا . وحاوَل ابنُ جريرٍ أنْ يَجْمَعَ بينَ قولِ مَن قال : إنَّه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، أقام بمكةَ عَشْرًا . وقولِ مَن قال : ثلاثَ عَشْرَةَ . بهذا الذى ذَكَره الشَّعْبِىُّ . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

ولمَّا حَلَّ الرَّكابُ النبوىُّ بالمدينةِ ، كان[2] أَوَّلُ نزولِه بها فى دارِ بنى عَمرِو ابنِ عوفٍ ، وهى قُبَاءٌ كما تَقَدَّم[3] ، فأقام بها ، أَكْثَرَ ما قِيل ، ثِنْتَيْن وعشرينَ ليلةً ، وقِيل : ثمانِىَ عَشْرَةَ ليلةً . وقيل : بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً[4] . وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[5] : ثلاثَ ليالٍ . والأَشْهَرُ ما ذَكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه[6] ، أنَّه عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، أقام فيهم بقُباءٍ مِن يوم الاثنينِ إلى يومِ الجمعةِ . وقد أسَّسَ فى هذه المدَّةِ المُختلَفِ فى مِقدارِها - على ما ذَكَرْناه - مسجدَ قُباءٍ ، [7]وقد ادَّعَى السُّهَيْلِىُّ[8] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أسَّسَه فى أوَّلِ يومٍ قَدِم إلى قُباءٍ ، وحَمَل على ذلك قولَه[7]

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) فى م ، ص : « وكان » .

(٣) تقدم فى صفحة ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٤) تقدمت هذه الأقوال الثلاثة فى صفحة ٤٩٠ .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٠٠ من حديث موسى بن عقبة .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤، وانظر تاريخ الإسلام - السيرة النبوية ص ٣٣٦.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) الروض الأنف ٤/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(١) تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ . ورَدَّ قولَ مَن أعْرَبَها : مِن تَأْسِيسِ أوَّلِ يومٍ (١) . وهو مسجدٌ شريفٌ فاضلٌ ، نَزَل فيه قولُه تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] . كما تَكَلَّمْنا على تقريرِ ذلك فى « التَّفْسيرِ » (٢) ، وذَكَرْنا الحديثَ الذى (٣) فى « صحيحِ مسلمٍ » (٤) ؛ أنَّه مسجدُ المدينةِ ، والجوابَ عنه .

وذَكَرْنا الحديثَ الذى (٣) رواه الإمامُ أحمدُ (٥) : حَدَّثنا حسينُ (٦) بنُ محمدٍ ، ثنا أبو أُوَيْسٍ (٧) ، ثنا شُرَحْبِيلٌ ، عن عُوَيْمِ بنِ ساعِدَةَ ، أنَّه حَدَّثه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتاهم فى مسجدِ قُباءٍ فقال : « إنَّ اللَّهَ قد أَحْسَنَ عليكم الثَّناء فى الطُّهُورِ ، فى قِصَّةِ مسجِدِكُم ، فما هذا الطُّهُورُ الذى تَطَّهَّرُونَ به ؟ » . قالوا : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ما نعلمُ شيئًا ، إلَّا أنَّه كان لنا جيرانٌ مِن اليهودِ ، فكانوا يَغْسِلون أدبارَهم مِن الغائطِ ، فغَسَلْنا كما غَسَلُوا . وأخْرَجَه ابنُ خُزَيْمَةَ فى « صحيحِه » (٨) ، وله شواهدُ أُخَرُ . ورُوِى عن خُزَيمةَ بنِ ثابتٍ ، ومحمدِ بنِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) التفسير ٤/ ١٥٠ - ١٥٤ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) مسلم (١٣٩٨) .

(٥) المسند ٣/ ٤٢٢ . قال الهيثمى فى المجمع ١/ ٢١٢ : رواه أحمد والطبرانى فى الثلاثة ، وفيه شرحبيل ابن سعد ؛ ضعفه مالك وابن معين وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان .

(٦) فى النسخ : « حسن » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٧) فى النسخ : « إدريس » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ١٦٧ .

(٨) صحيح ابن خزيمة (٨٣) . وقال محققه : إسناده ضعيف .

عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ، وابنِ عباسٍ[1].

وقد رَوَى أبو داودَ، والتِّرْمِذِيُّ، وابنُ ماجَه[2]، مِن حديثِ يونسَ بنِ الحارثِ، عن إبراهيمَ بنِ أبى مَيْمُونَةَ[3]، [4]عن أبى صالحٍ[4]، عن أبى هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: نَزَلَتْ هذه الآيةُ فى أهلِ قُباءٍ: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ قال: كانوا يَسْتَنْجُون بالماءِ، فنَزَلَتْ فيهم هذه الآيةُ. ثُم قال التِّرْمِذِيُّ: غريبٌ مِن هذا الوجهِ.

قلتُ: ويونُسُ بنُ الحارثِ هذا ضعيفٌ. واللَّهُ أعلمُ. ومِمَّن قال بأنَّه المسجدُ الذى أُسِّسَ على التقوى؛ ما رَواه عبدُ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، ورَواه علىُّ بنُ أبى طَلْحَةَ، عن ابنِ عباسٍ، وحُكِى عن الشَّعْبِيِّ، والحسنِ البَصْرِيِّ، وقَتادَةَ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، وعَطِيَّةَ العَوْفِيِّ، وعبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ، وغيرِهم[5]. وقد كان النبيُّ ﷺ يَزُورُه فيما بعدُ ويُصَلِّى فيه، وكان يَأْتِى قُباءَ كلَّ سبتٍ، تارةً راكِبًا وتارةً ماشِيًا[6]. وفى الحديثِ[7]: «صلاةٌ فى مسجدِ قُباءٍ كَعُمْرَةٍ». وقد وَرَدَ فى حديثٍ[8] أنَّ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١١/ ٢٩، ٣٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٥١.

(٢) أبو داود (٤٤)، والترمذى (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤).

(٣) فى الأصل: «معاوية».

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٥) انظر هذه الأقوال فى التفسير ٤/ ١٥٢، وتفسير الطبرى ١١/ ٢٧، ٢٨.

(٦) مسلم (١٣٩٩).

(٧) الترمذى (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٧).

(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ٣١٧، ٣١٨ (٨٠١، ٨٠٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١١: رجاله ثقات.

جبريلَ ، عليه السَّلامُ ، هو الذى أشارَ للنبىِّ ﷺ إلى مَوضِعِ قِبلةِ مسجدِ قُباءٍ . فكان هذا المسجدُ أَوَّلَ مسجدٍ [٢/ ١٥١و] بُنِى فى الإسلامِ بالمدينةِ ، بل أَوَّلَ مسجدٍ جُعِل لعُمومِ الناسِ فى هذه المِلَّةِ . واحْتَرَزْنا بهذا عن المسجدِ الذى بناه الصِّدِّيقُ بمكةَ عندَ بابِ دارِه ، يَتَعَبَّدُ فيه ويُصَلِّى ؛ لأنَّ ذاك كان لخاصَّةِ نفسِه ، لم يَكُنْ للناسِ عامَّةً . واللَّهُ أعلمُ .

وقد تَقَدَّمَ إسلامُ سَلمانَ فى البِشاراتِ[1] ؛ أنَّ سلمانَ الفارسىَّ لمَّا سَمِع بقُدُومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ذَهَب إليه وأخذَ معه شيئًا ، فوَضَعه بينَ يَدَيْه وهو بقُباءٍ ، قال : هذا صَدَقَةٌ . فكَفَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يَأْكُلْه ، وأمَر أصحابَه فأكَلُوا منه ، ثُم جاء مرَّةً أُخرَى ومعه شىءٌ ، فوَضَعه وقال : هذه هديةٌ . فأكَل منه ، وأمَر أصحابَه فأكَلُوا . تَقَدَّم الحديثُ بطُولِه .

---

(١) تقدم فى ٣/٥٠٨ - ٥٢١.

فصلٌ فى إسلامِ عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا عَوْفٌ ، عن زُرارَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ قال : لمّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ انْجَفَلَ[2] الناسُ إليه[3] ، فكُنتُ فيمَن انْجَفَل ، فلمَّا تَبَيَّنْتُ وجهَه ، عرَفْتُ أنَّه ليس بوجهِ كَذَّابٍ ، فكان أَوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُه يقولُ : «أَفْشُوا السَّلامَ ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ ، [4]وصِلُوا الأرحامَ[4] ، وصَلُّوا بالليلِ[5] والنَّاسُ نِيامٌ ، تَدْخُلُوا الجنَّةَ بسلامٍ» . ورَواه التِّرْمِذِىُّ ، وابنُ مَاجه[6] ، مِن طُرُقٍ عن عَوْفٍ الأَعْرابىِّ ، عن زُرارةَ بنِ أبى أَوْفَى به عنه ، وقال التِّرْمِذِىُّ : صحيحٌ . ومُقْتَضَى هذا السياقِ ، يَقْتَضِى أنَّه سَمِع بالنبىِّ ﷺ ورآه أَوَّلَ قُدومِه ، حينَ أناخَ بقُباءٍ فى بنى عَمرِو بنِ عَوفٍ ، وتَقَدَّم[7] فى رِوايةِ عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ أنَّه اجْتَمَعَ به حينَ أناخ عندَ دارِ أبى أيوبَ ، بعدَ[8] ارْتِحالِه مِن قُباءٍ إلى دارِ بنى النَّجّارِ كما تَقَدَّم ، فلَعَلَّه رآه أَوَّلَ ما رآه بقُباءٍ ، واجْتَمَعَ به بعدَما صار إلى دارِ بنى النَّجّارِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٥/ ٤٥١.

(٢) أى ذهبوا مسرعين نحوه . اللسان (ج ف ل) .

(٣) سقط من : م ، ص . وفى المسند : «عليه» .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) ليس فى المسند .

(٦) الترمذى (٢٤٨٥) ، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠١٩) .

(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩٥ .

(٨) فى م ، ص : «عند» .

وفى سياقِ البخارىِّ[1] مِن طريقِ عبدِ العزيزِ، عن أنسٍ قال: فلمَّا جاء النبىُّ ﷺ جاء عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ فقال: أَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ، وأنَّكَ جِئتَ بحقٍّ، وقد عَلِمَتْ يهودُ أنِّى سَيِّدُهم وابنُ سيدِهم، وأَعْلَمُهم وابنُ أَعلمِهم، فادْعُهم فَسَلْهم عنِّى قبلَ أن يَعْلَمُوا أنِّى قد أَسلمتُ، فإنَّهم إن يَعْلَمُوا أنِّى قد أَسلمتُ، قالوا فىَّ ما ليس فىَّ. فأَرْسَل نبىُّ اللَّهِ ﷺ إلى اليهودِ فدَخَلُوا عليه، فقال لهم: «يا مَعْشَرَ اليهودِ، وَيْلَكُم، اتَّقُوا اللَّهَ، فواللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو إنَّكم لَتَعْلَمُونَ أنِّى رسولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأنِّى جِئْتُكم بحقٍّ فأَسْلِمُوا». قالوا: ما نَعْلَمُه. قالوا للنبىِّ ﷺ، قالها ثلاثَ مرارٍ. قال: «فأَىُّ رَجُلٍ فيكم عبدُ اللَّهِ ابنُ سَلَامٍ؟» قالوا: ذاك سَيِّدُنا وابنُ سيدِنا، وأَعْلَمُنا وابنُ أَعلمِنا. قال: «أَفَرَأَيْتُم إن أَسْلَمَ؟» قالوا: حاشَ للَّهِ، ما كان ليُسْلِمَ. قال: «يا بنَ سَلَامٍ، اخْرُجْ عليهم». فَخَرَج فقال: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ، فواللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو، إنَّكم لَتَعْلَمُون أنَّه رسولُ اللَّهِ، وَأنَّه جاء بالحقِّ. فقالوا: كَذَبْتَ. فأَخْرَجَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ. هذا لفظُه. وفى رِوايةٍ[2]: فلمَّا خَرَج عليهم شَهِد شَهادَةَ الحقِّ، قالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنَا. وتَنَقَّصُوه، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذا الذى كنتُ أَخافُ.

وقال البَيْهَقِىُّ[3]: أَخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أخْبَرَنا الأَصَمُّ، حَدَّثنا محمدُ

---

(١) البخارى (٣٩١١).

(٢) البخارى (٣٩٣٨)، والنسائى فى الكبرى (٩٠٧٤).

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/٥٢٨، ٥٢٩.

ابنُ إسحاقَ الصَّغَانِيُّ[1] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ[2] بكرٍ ، ثنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ قال : سَمِع عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ بقُدُومِ النبيِّ ﷺ ، وهو فى أرضٍ له ، فأتَى النبيَّ ﷺ ، فقال : إنِّى سائِلُك عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهنَّ إلَّا نبيٌّ ؛ ما أَوَّلُ أَشْراطِ الساعةِ ؟ وما أَوَّلُ طعامٍ يَأْكُلُه أهلُ الجنَّةِ ؟ وما يَنْزِعُ[3] [٢/ ١٥١ظ] الولدَ إلى أبيه أو إلى أُمِّه ؟ قال : « أَخْبَرَنِى بِهِنَّ جِبرِيلُ آنِفًا » . قال : جبريلُ ؟ قال : « نعم » . قال : عَدُوُّ اليهودِ مِن الملائكةِ . ثُم قَرَأ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٩٧] . « أَمَّا أَوَّلُ أَشْراطِ السّاعَةِ ، فنارٌ تَخْرُجُ على النَّاسِ مِن المَشْرِقِ[4] إلى المَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طعامٍ يَأْكُلُه أهلُ الجنَّةِ ، فزِيادَةُ كَبِدِ حُوتٍ[5] ، وإذا[6] سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المرأةِ نَزَع الوَلَدَ[7] ، وإذا سَبَق ماءُ المَرْأَةِ ماءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الولدَ[8] » . قال : أَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّك رسولُ اللَّهِ ، يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهُتٌ[9] ، وإنَّهم إن يَعْلَمُوا بإسلامى قبلَ أن تسألَهم عنِّى بَهَتُونِى . فجاءتِ اليهودُ ، فقال : « أَىُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُم ؟ » قالوا : خَيْرُنا

---

(١) فى النسخ : « الصنعانى » . والمثبت من الدلائل . وانظر الأنساب ٣/ ٥٤٢. وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٨.

(٢) بعده فى م ، ص : « أبى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٥٧.

(٣) فى م : « بال » . وينزع الولد : يجذبه إليه فى الشبه .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « تسوقهم » .

(٥) بعده فى م : « وأما الولد » .

(٦) فى م : « فإذا » .

(٧) بعده فى الدلائل : « إلى أبيه » .

(٨) سقط من : الأصل ، ص .

(٩) قال الحافظ فى الفتح ٧/٢٧٣ : قوم بهت ، بضم الموحدة والهاء ، ويجوز إسكانها : جمع بَهيت ، كقَضيب وقُضُب ، وقَليب وقُلُب ، وهو الذى يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب ، ونقل الكرمانى أن مفرده : بهوت ، بفتح أوله .

وابنُ خيرِنا ، وسَيِّدُنا وابنُ سيدِنا . قال : « أَرَأَيْتُم إنْ أَسْلَمَ ؟ » قالوا : أعاذَه اللَّهُ مِن ذلك . فَخَرَج عبدُ اللَّهِ ، فقال : أَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأَشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ . قالوا : شَرُّنا وابنُ شَرِّنا . وانْتَقَصُوه ، قال : هذا الذى كنتُ أَخافُ يا رسولَ اللَّهِ . ورَواه البخاريُّ[1] عن [2]عبدِ اللَّهِ[2] بنِ مُنِيرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ[3] بكرٍ به ، ورَواه[4] عن حامِدِ بنِ عُمرَ ، عن بِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ ، عن حُمَيْدٍ به .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن رجلٍ مِن آلِ عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ قال : كان مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ حينَ أَسْلَمَ ، وكان حَبْرًا عالِمًا ، قال : لمَّا سَمِعتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعَرَفْتُ صِفَتَه ، واسمَه ، وهَيْئَتَه ، والذى[6] كُنَّا نَتَوَكَّفُ[7] له ، فكنتُ[8] مُسِرًّا لذلك صامِتًا عليه ، حتى قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلمَّا قَدِم نَزَل بقُباءٍ فى بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، فأَقْبَلَ رجلٌ حتى أَخْبَرَ بقُدومِه ، وأنا فى رأسِ نخلةٍ لى أَعْمَلُ فيها ، وعَمَّتى خالدةُ بنتُ الحارثِ تحتى جالسةٌ ، فلمّا سَمِعتُ الخبرَ بقُدُومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كَبَّرْتُ ، فقالتْ عَمَّتى حينَ سَمِعَتْ تَكبِيرِى : لو كنتَ

---

(١) البخارى (٤٤٨٠) .

(٢ - ٢) فى م : « عبد » .

(٣) بعده فى م : « أبى » .

(٤) البخارى (٣٩٣٨) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٣٠، ٥٣١.

(٦) فى م : « وزمانه الذى » .

(٧) فى الأصل ، ص : « نتوقف » .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « بقباء » .

سَمِعتَ بموسى بنِ عِمْرانَ ما زِدْتَ ! قال : قلتُ لها : أَىْ عَمَّةُ ، هو واللَّهِ أخو موسى بنِ عِمرانَ وعلى دِينِه ، بُعِث بما بُعِث به . قال : فقالتْ له : يا بنَ أخى ، أهو الذى كُنّا نُخْبَرُ أنَّه يُبْعَثُ مع نفَسِ الساعةِ ؟ قال : قلتُ لها : نعم . قالتْ : فذاك إذًا . قال : فخَرَجْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأَسْلَمتُ ثُم رَجَعْتُ إلى أهلِ بيتى ، فأَمَرْتُهم فأَسْلَمُوا ، وكَتَمتُ إسلامى مِن اليهودِ ، وقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ اليهودَ قَوْمٌ بُهُتٌ ، وإنِّى أُحِبُّ أن تُدْخِلَنِى فى بعضِ بُيوتِك ، فتُغَيِّبَنى عنهم ، ثُم تسألَهم عنِّى ، فيُخْبِرُوك كيفَ أنا فيهم قبلَ أن يَعْلَمُوا بإسلامى ، [1] فإنَّهم إن يَعْلَمُوا بذلك ، بَهَتُونى وعابُونِى . وذَكَر نحوَ ما تَقَدَّمَ . قال : فأَظْهَرتُ إسلامِى [1] وإسلامَ أهلِ بيتى ، وأَسْلَمَتْ عَمَّتِى خالدةُ بنتُ الحارثِ .

وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ [2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، حدَّثنى مُحَدِّثٌ عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَىٍّ قالتْ : لم يَكُنْ أحدٌ مِن وَلَدِ أبى وعَمِّى أحبَّ إليهما منِّى ، لم أَلْقَهما فى وَلَدٍ لهما قَطُّ أَهِشُّ [3] إليهما إلَّا أخَذانى دونَه ، فلمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ قُباءً - قريةَ بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ - غَدا إليه أبى وعَمِّى أبو ياسرِ بنُ أَخْطَبَ مُغَلِّسَين [4] ، فواللَّهِ ما جاءَانا إلَّا مع مَغِيبِ الشمسِ ، فجاءانا فاتِرَيْن كَسْلانَيْن ساقِطَيْن يَمْشِيان الهُوَيْنَى ، فهَشِشْتُ إليهما كما كنتُ أَصْنَعُ ، فواللَّهِ ما نَظَر إلىَّ واحدٌ منهما ، فسَمِعتُ عمِّى أبا ياسرٍ يقولُ لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم واللَّهِ . قال : تَعْرِفُه بعَيْنِه [5] وصِفَتِه ؟ قال : نعم واللَّهِ . قال :

(١ - ١) سقط من : ص.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥٣٣/٢ من طريق يونس بن بكير به .

(٣) هش به : انشرح صدره سرورا به . الوسيط (هـ ش ش) .

(٤) مغلسين : أى سائرين بغلس ، وهو آخر الليل .

(٥) فى الأصل ، م : « بنعته » .

فماذا فى نفسِك منه؟ قال: عَداوتُه واللَّهِ ما بَقِيتُ.

وذَكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[1] عن الزُّهْرِىِّ، أنَّ أبا ياسرِ بنَ أَخْطَبَ حينَ قَدِم رسولُ اللَّهِ [٢/١٥٢و] ﷺ المدينةَ، ذَهَب إليه وسَمِع منه وحادَثَه، ثُم رَجَعَ إلى قومِه فقال: يا قومِ، أطيعونى، فإنَّ اللَّهَ قد جاءَكم بالذى كُنتُم تَنْتَظِرُون، فاتَّبِعُوه ولا تُخالِفُوه. فانْطَلَق أخوه حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ - وهو يومَئذٍ سَيِّدُ اليهودِ، وهما مِن بنى النَّضِيرِ - فجلَس إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وسَمِع منه، ثُم رَجَع إلى قومِه، وكان فيهم مُطاعًا، فقال: أتيتُ مِن عندِ رَجُلٍ واللَّهِ لا أزالُ له عَدُوًّا أَبدًا. فقال له أخوه أبو ياسرٍ: يا بنَ أُمٍّ، أَطِعْنى فى هذا الأمرِ واعْصِنى فيما شِئْتَ بعدَه؛ لا تَهْلِكْ. قال: لا واللَّهِ، لا أُطِيعُكَ أبدًا. واسْتَحْوَذ عليه الشيطانُ واتَّبَعَه قومُه على رَأْيِه.

قلتُ: أمّا أبو ياسرٍ[2] بنُ أَخْطَبَ، فلا أَدْرِى ما آلَ إليه أمْرُه، وأَمَّا حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ والدُ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَىٍّ، فشَرِب عداوةَ النبىِّ ﷺ وأصحابِه، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَه، لَعَنَه اللَّهُ، حتى قُتِلَ صَبْرًا[3] بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ قَتَل مُقاتِلَةَ بَنِى قُرَيْظَةَ، كما سيأْتِى، إن شاءَ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٣٢، ٥٣٣ من حديث موسى بن عقبة.

(٢) بعده فى الأصل: «واسمه جُدَىّ». وفى م، ص: «واسمه حيى». وكلاهما خطأ، فجدى وحيى أخوا أبى ياسر، ولا يعرف أبو ياسر فى كتب السيرة التى بين أيدينا إلا بكنيته هذه، ولم يصرح أحد باسمه.

(٣) القتل صبرا: أن يُمْسَك شىءٌ من ذوات الأرواح حيا، ثم يرمى بشىءٍ حتى يموت. وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ، فإنه مقتول صبرا. النهاية ٣/ ٨.

فصلٌ

ولمَّا ارْتَحَل ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، مِن قُباءٍ وهو راكِبٌ ناقتَه القَصْوَاءَ ، وذلك يومَ الجمعـةِ ، أَدْرَكَه وقتُ الزَّوالِ وهو فى دارِ بنى سالمِ بنِ عَوْفٍ ، فصَلَّى [1] بالمسلِمِين الجمعةَ هُنالك ، فى وادٍ يُقالُ له : وادى رَانُوناءَ . فكانت أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] بالمسلِمين بالمدينةِ ، أو مُطْلَقًا ؛ لأنَّه - واللَّهُ أعلمُ - لم يَكُنْ يَتَمَكَّنُ هو وأصحابُه بمكةَ مِن الاجتماعِ ، حتى يُقِيمُوا بها جُمُعَةً ذاتَ خُطْبةٍ وإعلانٍ بمَوْعِظَةٍ ، وما ذاك إلا لشِدَّةِ مُخالَفَةِ المشرِكِين له ، وأَذِيَّتِهم إيّاه .

ذِكْرُ خُطْبَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئِذٍ

قال ابنُ جريرٍ [2] : حَدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الجُمَحِىِّ ، أنَّه بَلَغَه عن خُطبةِ النبىِّ ﷺ فى أَوَّلِ جمعةٍ صَلَّاها بالمدينةِ فى بنى سالمِ [3] بنِ عوفٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم : « الحمدُ لِلَّهِ ، أَحْمَدُه وأَسْتَعِينُه ، وأَسْتَغْفِرُه وَأَسْتَهْدِيهِ ، وَأُومِنُ به ولا أَكْفُرُه ، وأُعادِى مَن يَكْفُرُه ، وأَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ له ، وأَنَّ محمدًا عَبْدُه

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ الطبرى ٢/٣٩٤ - ٣٩٦ .

(٣) بعده فى م ، ص : « بن عمرو » .

ورسولُه ، أَرْسَلَه بالهُدَى[1] والنُّورِ والمَوْعِظةِ ، على فَتْرَةٍ مِن الرُّسُلِ ، وقِلَّةٍ مِن العِلْمِ ، وضَلالةٍ مِن النَّاسِ ، وانْقِطاعٍ مِن الزمانِ ، ودُنُوٍّ مِن السَّاعَةِ ، وقُرْبٍ مِن الأَجَلِ ، مَن يُطِعِ اللَّهَ ورسولَه فقد رَشَدَ ، ومَن يَعْصِهما فقد غَوَى وفَرَّطَ ، وضَلَّ ضَلالًا بعيدًا ، وأُوصِيكُم بتَقْوَى اللَّهِ ، فإِنَّه خَيْرُ مَا أَوْصَى به المسلِمُ المُسلمَ أَن يَحُضَّه على الآخِرَةِ ، وأن يَأْمُرَه بِتَقْوَى اللَّهِ ، فاحْذَرُوا ما حَذَّرَكُم اللَّهُ مِن نَفْسِه ، ولا أَفْضَلَ مِن ذلك نَصِيحَةً ، ولا أَفضلَ مِن ذلك ذِكْرَى ، [2]وَإِنَّه تَقْوَى[2] لِمَنْ عَمِلَ به على وَجَلٍ ومَخافَةٍ ، وعَوْنُ صِدْقٍ على ما تَبْتَغُونَ مِن أَمْرِ الآخِرَةِ ، ومَن يُصْلِحِ الَّذِى بينَه وبينَ اللَّهِ مِن أَمرِ السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ، لا يَنْوِى بذلك إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ ، يَكُنْ لَه ذِكْرًا فِى عَاجِلِ أَمْرِه ، وَذُخْرًا فِيما بعدَ الموتِ ، حينَ يَفْتَقِرُ المَرْءُ إلى ما قَدَّمَ ، وما كانَ مِن سِوَى ذلك ، يَوَدُّ لَو أَنَّ بينَه وبينَه أَمَدًا بَعِيدًا ، ويُحَذِّرُكُم اللَّهُ نَفْسَه ، واللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ . والذى صَدَقَ قَوْلُه ، وَأَنْجَزَ وَعْدَه ، لا خُلْفَ لذلك ، فإِنَّه يَقُولُ تَعالَى : ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ واتَّقُوا اللَّهَ فِى عاجِلِ أَمْرِكُم وآجِلِه ، فى السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ، فإِنَّه مَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عنه سيئاتِه ويُعْظِمْ له أجرًا ، وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ فقد فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُوَقِّى مَقْتَه ، وتُوَقِّى عُقُوبَتَه ، وتُوَقِّى سَخَطَه . وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُبَيِّضُ الوَجْهَ ، وتُرْضِى الرَّبَّ ، وتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ ، خُذُوا بحَظِّكُم ، ولا تُفَرِّطُوا فِى جَنْبِ اللَّهِ ، قد عَلَّمَكُم اللَّهُ كِتابَه ، ونَهَجَ لكم سَبِيلَه ؛ لِيَعْلَمَ الذين صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَ الكَاذِبِين ، فَأَحْسِنُوا كما أَحْسَنَ اللَّهُ إِليكم ، [٢/١٥٢ظ] وعادُوا أَعْداءَه ،

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « ودين الحق » .

(٢ - ٢) فى التاريخ : « وإن تقوى الله » .

وجاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِه ، هو اجْتَباكُم وَسمَّاكُم المُسْلِمِين ، لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ، ويَحْيَا مَن حَىَّ عن بَيِّنَةٍ ، ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ ، فأكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، واعْمَلُوا لِمَا بعدَ الموتِ[1] ، فإنَّه مَن أَصْلَحَ ما بينَه وبينَ اللَّهِ ، يَكْفِه ما بينَه وبينَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِى على النّاسِ ولا يَقْضُونَ عليه ، ويَمْلِكُ مِن النّاسِ ولا يَمْلِكُونَ منه ، اللَّهُ أكبرُ ، ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العَلِىِّ العَظِيمِ » . هكذا أَوْرَدَها ابنُ جريرٍ ، وفى السَّنَدِ إرْسالٌ .

وقال البَيْهَقِىُّ[2] : بابٌ ، أَوَّلُ خُطبةٍ خَطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قَدِم المدينةَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو العباسِ الأَصَمُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجَبّارِ ، ثنا يونُسُ [3]بنُ بُكَيْرٍ[3] ، عن ابنِ إسحاقَ ، حَدَّثنى المُغِيرَةُ بنُ عثمانَ ابنِ محمدِ بنِ عثمانَ [4]بنِ الأَخْنَسِ[4] بنِ شَرِيقٍ ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ عَوْفٍ قال : كانت أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَها رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ، أن قام فيهم فحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثُم قال : « أَمَّا بعدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فقَدِّمُوا لأَنْفُسِكم ، تَعْلَمُنَّ واللَّهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُم ، ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَه ليس لها راعٍ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ له رَبُّهُ - ليس له تُرْجُمانٌ ولا حاجِبٌ يَحْجُبُه دُونَه - : أَلم يَأْتِك رَسُولِى فبَلَّغَك ، وآتَيْتُكَ مَالًا ، وَأَفْضَلْتُ عليك[5] ، فما قَدَّمْتَ لنفْسِك ؟ فيَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمالًا فلا يَرَى شيئًا ، ثُمَّ يَنْظُرُ قُدَّامَه فلا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فمنِ اسْتَطَاعَ أَن

---

(١) فى التاريخ : « اليوم » .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٢٤، ٥٢٥.

(٣ - ٣) فى الأصل : « أبو بكر » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « والأخنس » .

(٥) سقط من : الأصل .

يَقِيَ وجهَه مِن النَّارِ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، ومَنْ لم يَجِدْ فبكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ[1] ، فإنَّ بها تُجْزَى الحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثالِها إلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّلامُ على رسولِ اللَّهِ ورَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُه » . ثُم خَطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى فقال : « إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحْمَدُه وَأَسْتَعِينُه ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنا وسَيِّئاتِ أَعْمَالِنا ، مَن يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له ، وأَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ [2]وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه[2] ، إنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، قد أَفْلَحَ مَن زَيَّنَه اللَّهُ فِي قَلْبِه ، وَأَدْخَلَهُ فِي الإسْلامِ بعدَ الكفرِ ، وَاخْتارَه على ما سواه مِن أَحادِيثِ النَّاسِ ، إنَّه أَحْسَنُ الحَدِيثِ وأَبْلَغُه ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُم [2]ولا تَمَلُّوا كلامَ اللَّهِ وَذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قُلُوبُكم[2] ، فَإِنَّه مِنْ كلِّ[3] يَختارُ اللَّهُ ويَصْطَفِي ، فقد سَمَّاه خِيَرَتَه مِن الأَعْمالِ ، وخِيَرَتَه مِن العِبادِ ، والصّالحَ مِن الحديثِ ، ومِن كُلِّ ما أوتِيَ النَّاسُ مِن الحَلالِ والحَرامِ ، فاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا به شيئًا ، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِه ، واصْدُقُوا اللَّهَ صالِحَ ما تَقُولُونَ بِأَفواهِكُم ، وتَحابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُم ، إنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أن يُنْكَثَ عَهْدُه ، والسَّلامُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه » .

وهذه الطَّرِيقُ أيضًا مُرْسَلَةٌ ، إلَّا أنَّها مُقَوِّيَةٌ لِمَا قبلَها ، وإنِ اخْتَلَفَتِ الْأَلْفاظُ .

---

(١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) سقط من : م .

فصلٌ فى بناءِ مسجدِه الشريفِ

[1]فى مُدَّةِ مُقامِه[1] بدارِ أبى أيوبَ رضى اللَّهُ عنه

وقد اخْتُلِف فى مُدَّةِ مُقامِه بها؛ فقال الواقِدِىُّ[2]: سبعةُ أشهُرٍ. وقال غيرُه: أقَلُّ مِن شهرٍ[3]. واللَّهُ أعلمُ.

قال البخارىُّ[4]: حَدَّثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ، أخْبَرَنا عبدُ الصَّمَدِ، قال: سَمِعتُ أبى يُحَدِّثُ: حدَّثنا أبو التَّيَّاحِ يزيدُ بنُ حُمَيْدٍ الضُّبَعِىُّ[5]، حَدَّثنا أنسُ ابنُ مالكٍ قال: لـمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ، نزَل فى عُلْوِ[6] المدينةِ، فى حَىٍّ يُقالُ لـهم: بنو عمرِو بنِ عَوفٍ، فأقام فيهم أربعَ عَشْرَةَ ليلةً، ثُم أَرْسَل إلى مَلَأِ بنى النَّجّارِ، فجاءُوا مُتَقَلِّدِى سيوفِهم. قال: وكَأَنِّى أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ على راحِلَتِه، وأبو بكرٍ رِدْفُه، ومَلَأُ بنى النَّجّارِ حولَه، حتى أَلْقَى بفِناءِ أبى أيوبَ. قال: فكان يُصَلِّى حيثُ أَدْرَكَتْه الصَّلاةُ، ويُصَلِّى فى مَرابِضِ

(١ - ١) فى م: «ومقامه».

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧. والهاء فى «بها» تعود على دار أبى أيوب، كما يبين من السياق عند ابن سعد.

(٣) عزاه السمهودى فى وفاء الوفا ١/ ٢٦٤ إلى الدولابى.

(٤) البخارى (٣٩٣٢).

(٥) فى م: «الضبى».

(٦) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٦٦: كل ما فى جهة نجد يُسمَّى العالية، وما فى جهة تهامة يسمّى السافلة، وقباء من عوالى المدينة، وأُخذ من نزول النبى ﷺ التفاؤل له ولدينه بالعلوّ.

[٢/١٥٣و] الغَنَمِ ، قال : ثُم إنَّه أمَرَ ببناءِ المَسجِدِ ، فأرْسَلَ إلى مَلأٍ بنى النَّجّارِ فجاءُوا ، فقال : « يا بنى النَّجّارِ ، ثامِنُونى بحائِطِكُم هذا » . فقالوا : لا واللَّهِ ، لا نَطْلُبُ ثَمَنَه إلَّا إلى اللَّهِ ، عزَّ وجَلَّ . قال : فكان فيه ما أقولُ لكم ، كانت فيه قبورُ المشرِكِين ، وكانت فيه خِرَبٌ ، وكان فيه نَخْلٌ ، فأَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقبورِ المُشرِكِين فنُبِشَتْ ، وبالخِرَبِ فسُوِّيَتْ ، وبالنَّخْلِ فقُطِعَ . قال : فصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المسجدِ ، وجَعَلوا عِضَادَتَيهِ[(١)] حِجارةً . قال : فجعَلوا يَنْقُلُون ذلك الصَّخْرَ وهم يَرْتَجِزُون ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ معهم يقولُ[(٢)] :

« اللَّهُمَّ إنَّه لا خيرَ إلَّا خيرُ الآخِرَهْ فانْصُرِ الأَنصارَ والمُهاجِرَهْ »

وقد رَواه البخاريُّ فى مَواضِعَ أُخَرَ[(٣)] ، ومسلمٌ مِن حديثِ أبى عبدِ الصَّمَدِ[(٤)] عبدِ الوارِثِ بنِ سعيدٍ[(٥)] ، وقد تَقَدَّم[(٦)] فى « صحيحِ البخاريِّ » عن الزُّهْرِيِّ ، عن عُروةَ ، أنَّ المسجدَ[(٧)] كان مِرْبَدًا - وهو بَيْدَرُ التَّمْرِ - لِيَتِيمَيْنِ كانا فى حِجْرِ أَسعدَ بنِ زُرارَةَ ؛ وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ، فساوَمَهما فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالا : بل نَهَبُه لك يا رسولَ اللَّهِ . فأَبَى حتى ابْتاعَه منهما ، وبناه مسجدًا . قال : وجَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يَنْقُلُ معهم التُّرابَ يقولُ :

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٦٦: تثنية عضادة ، وهى الخشبة التى على كتف الباب ، ولكل بابٍ عضادتان ، وأعضاد كل شىءٍ ما يشدُّ جوانبه .

(٢) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « يقولون » .

(٣) البخارى (٤٢٨، ١٨٦٨، ٢١٠٦، ٢٧٧١، ٢٧٧٤، ٢٧٧٩) .

(٤) بعده فى م ، ص : « و » . انظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٧٨.

(٥) مسلم (٥٢٤) .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٧) بعده فى م ، ص : « الذى » .

«هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ هـذا أَبَـرُّ رَبَّـنـا وأَطْـهَـرْ»

ويقولُ :

«اللَّهمَّ[1] إنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ فارْحَمِ الأَنْصارَ والـمُهاجِرَهْ»

وذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[2] أنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرارَةَ عَوَّضَهُما منه نَخْلًا له فى بنى[3] بَياضَةَ ، قال[4] : وقيل : ابْتاعَه منهما رسولُ اللَّهِ ﷺ .

قلتُ : وذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[5] ، أنَّ المِرْبَدَ كان لغُلامَيْن يَتِيمَيْن فى حِجْرِ مُعاذِ ابنِ عَفْراءَ ؛ وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ابنا عَمرٍو . فاللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى البَيْهَقِيُّ[6] مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى الدُّنيا ، حدَّثنا الحسنُ بنُ حَمَّادٍ الضَّبِّيُّ ، ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ ، عن الحسنِ قال : لـمَّا بَنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ ، أعانَه عليه أصحابُه ، وهو معهم يَتَناوَلُ اللَّبِنَ ، حتى اغْبَرَّ صدرُه فقال : «انْبُوهُ عَرِيشًا كعَرِيشِ موسى» . فقلتُ للحسنِ : ما عريشُ موسى ؟ قال : إذا رَفَع يَدَيْه بَلَغ العريشَ . يَعنِى السَّقْفَ . وهذا مُرْسَلٌ .

ورَوَى[7] مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن أبى سِنانٍ ، عن يَعْلَى بنِ شَدّادٍ

---

(١) فى النسخ : «لاهم» . والمثبت من البخارى .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٥٣٨ من حديث موسى بن عقبة . وعنده : «عرض عليهما» ، بدل : «عوضهما منه» .

(٣) سقط من : م . وبنو بياضة : قبيلة من الأنصار . القاموس المحيط (ب ى ض) .

(٤) أى موسى بن عقبة .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٤٩٥ وتقدم فى صفحة ٤٩٣ .

(٦) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٤١، ٥٤٢.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٥٤٢.

ابنِ أَوْسٍ ، عن عُبادةَ ، أنَّ الأَنصارَ جَمَعُوا مالًا ، فأَتَوْا به النبيَّ ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ابنِ هذا المسجدَ وزَيِّنْه ، إلى متى نُصَلِّى تحتَ هذا الجَرِيدِ ؟ فقال : « ما بى رَغْبَةٌ عن أَخى موسى ، عَرِيشٌ كعريشِ موسى » . وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ حاتمٍ ، حدَّثنا عُبَيْدُ[2] اللَّهِ بنُ موسى ، عن شَيْبانَ[3] ، عن فِراسٍ ، عن عَطِيَّةَ العَوْفِيِّ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ مسجدَ النبيِّ ﷺ كانت سَوارِيه ، على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، مِن جُذُوعِ النَّخْلِ ، أَعْلاه مُظَلَّلٌ بجَرِيدِ النخلِ ، ثُم إنَّها نَخِرَتْ[4] فى خِلافةِ أبى بكرٍ ، فبناها بجُذوعِ وبجريدِ النخلِ ، ثُم إنَّها نَخِرَتْ[4] فى خلافةِ عثمانَ فبناها بالآجُرِّ ، فما زالتْ ثابتةً حتى الآنَ . وهذا غريبٌ .

وقد قال أبو داودَ[5] أيضًا : حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنى أبى ، عن[6] صالحٍ ، ثنا نافعٌ ، عن ابنِ عمرَ ، أخْبَرَه أنَّ المسجدَ كان على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنِيًّا باللَّبِنِ ، وسَقْفُه الجَرِيدَ ، وعُمُدُه خشبَ النخلِ ، فلم يَزِدْ فيه أبو بكرٍ شيئًا ، وزاد فيه عمرُ ، وبناه على بِنائِه [٢/١٥٣ظ] فى عهدِ النبيِّ ﷺ باللبِنِ والجريدِ ، وأعاد عُمُدَه خَشَبًا ، وغَيَّرَه عثمانُ ، رَضِىَ

---

(١) أبو داود (٤٥٢) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٤) .

(٢) فى م : « عبد » . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٥.

(٣) فى الأصل ، م : « سنان » . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٣، ٥٩٤.

(٤) فى م : « تخربت » .

(٥) أبو داود (٤٥١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٣) .

(٦) بعده فى النسخ : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٨٠.

اللَّهُ عنه ، وزاد فيه زيادةً كثيرةً ، وبنى جِدارَه بالحِجارةِ المَنْقُوشةِ والقَصَّةِ[1] ، وجعلَ عُمُدَه مِن حجارةٍ مَنْقُوشةٍ ، وسَقَفَه بالسَّاجِ[2] . وهكذا رَواه البخاريُّ[3] عن عليِّ بنِ المَدِينيِّ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ به .

قلتُ : زادَه عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، مُتَأَوِّلًا قولَه ﷺ : « مَنْ بَنَى للَّهِ مسجدًا ولو كمَفْحَصِ قَطَاةٍ ، بَنَى اللَّهُ له بيتًا فى الجَنَّةِ »[4] . ووافَقَه الصحابةُ المَوْجُودون على ذلك ، ولم يُغَيِّرُوه بعدَه ، فيُسْتَدَلُّ بذلك على الرّاجِحِ مِن قولَيِ[5] العلماءِ ، أنَّ حُكْمَ الزِّيادَةِ حُكْمُ المَزِيدِ ، فتَدْخُلُ الزِّيادةُ فى حُكْمِ سائرِ المسجدِ ؛ مِن تَضْعِيفِ الصَّلاةِ فيه ، وشَدِّ الرِّحالِ إليه ، وقد زِيدَ فى زمانِ الوليدِ ابنِ عبدِ المَلِكِ بانِى جامِعِ دِمَشْقَ ، زادَه له بأَمْرِه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ حينَ كان نائِبَه على المدينةِ ، وأَدْخَل الحُجْرةَ النبويَّةَ فيه ، كما سيَأْتِى بيانُه فى وقتِه ، ثُم زِيد زيادةً كثيرةً فيما بعدُ ، وزِيد مِن جِهَةِ القِبلةِ ، حتى صارتِ الرَّوْضَةُ والمِنبرُ بعدَ الصُّفوفِ المُقَدَّمَةِ ، كما هو المُشاهَدُ اليومَ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ونَزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على أبى أيوبَ ، حتى بَنَى مسجدَه ومَساكِنَه ، وعَمِل فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ليُرَغِّبَ المسلِمِين فى العَمَلِ فيه ، فعَمِل فيه المُهاجِرُون والأَنصارُ ، ودَأَبُوا فيه ، فقال قائلٌ من المسلِمِين :

---

(١) القَصَّة والقِصَّة والقَصُّ : الجَصُّ ، لغة حجازية ، وقيل : الحجارة من الجصّ . اللسان (ق ص ص) .

(٢) الساج : خشب يجلب من الهند ، واحدته ساجة . اللسان (س و ج) .

(٣) البخارى (٤٤٦) .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) وابن خزيمة فى صحيحه (١٢٩٢) من حديث جابر بن عبد اللَّه . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٦٠٣) .

(٥) فى م : « قول » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٦، ٤٩٧.

لَئِنْ قَعَدْنا والنبيُّ يَعْمَلُ لَذاكَ مِنَّا العملُ المُضَلَّلُ

وارْتَجَز المُسلِمون وهم يَبْنُونه، يقولُون:

لا عَيْشَ إلَّا عيشُ الآخِرَهْ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنصارَ والمُهاجِرَهْ

فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا عيشَ إلَّا عيشُ الآخِرَةِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُهاجِرِينَ والأَنْصارَ». قال: فدَخَل عَمّارُ بنُ ياسرٍ، وقد أَثْقَلُوه باللَّبِنِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، قَتَلُونى؛ يَحْمِلُون علىَّ ما لا يَحْمِلُون. قالتْ أمُّ سَلَمَةَ: فرَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَنْفُضُ وَفْرَتَه[1] بيَدِه، وكان رجلًا جَعْدًا، وهو يقولُ: «وَيْحَ ابنِ سُمَيَّةَ، لَيْسُوا بالَّذِينَ يَقْتُلُونَك، إنَّما تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيَةُ». وهذا مُنْقَطِعٌ مِن هذا الوجهِ، بل هو مُعْضَلٌ بينَ محمدِ بنِ إسحاقَ وبينَ أُمِّ سَلَمَةَ، وقد وَصَله مسلمٌ فى «صحيحِه»[2] مِن حديثِ شُعْبَةَ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ، عن سعيدٍ والحسنِ، يَعنى ابْنَىْ أبى الحسنِ البَصْرِىِّ، عن أُمِّهما خَيْرَةَ مَوْلاةِ أُمِّ سَلَمَةَ، عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُ عَمّارًا الفِئَةُ الباغِيَةُ».

ورَواه[3] مِن حديثِ ابنِ عُلَيَّةَ، عن ابنِ عَوْنٍ، عن الحسنِ، عن أمِّه، عن أُمِّ سَلَمَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمَّارٍ وهو يَنْقُلُ الحِجارةَ: «ويْحٌ لك يابنَ سُمَيَّةَ، تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيَةُ».

وقال عبدُ الرَّزّاقِ[4]: أخْبَرَنا مَعْمَرٌ، عن الحسنِ يُحَدِّثُ عن أُمِّه، عن أُمِّ

---

(١) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما جاوز شحمة الأذن. الوسيط (و ف ر).

(٢) مسلم ٧٢/(٢٩١٦).

(٣) مسلم ٧٣/(٢٩١٦).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٢٦).

سَلَمَةَ قالت : لـمَّا كان رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه يَبْنُون المسجدَ ، جَعَل أصحابُ النبيِّ ﷺ يَحْمِلُ كلُّ واحدٍ لَبِنَةً لبنةً ، وعَمّارٌ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْنْ ؛ لبِنةً عنه ، ولَبِنةً عن النبيِّ ﷺ ، فمَسَح ظَهْرَه ، وقال : « ابنَ سُمَيَّةَ ، للنَّاسِ أجْرٌ ، ولك أَجْرانِ ، وآخِرُ زادِك شَرْبَةٌ مِن لَبَنٍ ، وتَقْتُلُك الفِئةُ الباغيةُ » . وهذا إسنادٌ على شرطِ « الصحيحَيْنْ » .

وقد أَوْرَدَ البَيْهَقِيُّ وغيرُه[1] ، مِن طريقِ جماعةٍ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِيِّ ، قال : كُنَّا نَحْمِلُ فى بناءِ المسجدِ لَبِنَةً لبِنةً ، [١٥٤/٢و] وعَمّارٌ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْن لبنتَيْنْ ، فرآه النبيُّ ﷺ ، فجَعَل يَنْفُضُ التُّرابَ عنه ويقولُ : « وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُه الفِئةُ الباغِيةُ ، يَدْعُوهُم إلى الجَنَّةِ ويَدْعُونَه إلى النَّارِ » . قال : يقولُ عمَّارٌ : أعُوذُ باللَّهِ مِن الفتَنِ . لكنْ رَوى هذا الحديثَ الإمامُ البخارِيُّ[2] ، عن مُسَدَّدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ الـمُخْتارِ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، وعن إبراهيمَ بنِ موسى[3] ، عن عبدِ الوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ به ، إلَّا أنَّه لم يَذْكُرْ قولَه : « تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيَةُ »[4] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٤٦، ومسند أحمد ٣/ ٩٠، ٩١.

(٢) البخارى (٤٤٧) .

(٣) البخارى (٢٨١٢) .

(٤) هذه العبارة وقعت فى صحيح البخارى طبعة دار الشعب ومشار فى حاشيتها أنها سقطت من نسختين مخطوطتين ، ووقعت أيضا فى متن فتح البارى ولم تقع فى الشرح ، وقال الحافظ بعد أن أورد أقوال العلماء فى هذه الزيادة : قلت : ويظهر لى أن البخارى حذفها عمدا ، وذلك لنكتة خفية ، وهى أن أبا سعيد الخدرى اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبى ﷺ ، فدل على أنها فى هذه الرواية مدرجة ، والرواية التى بينت ذلك ليست على شرط البخارى . فتح البارى ١/ ٥٤٢.

قال البَيْهَقِيُّ[1] : وكأنَّه إنَّما تَرَكها لِمَا رَواه مسلمٌ[2] ، مِن طريقِ عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ [3]قال : أخْبَرَنى مَن هو خيرٌ منِّى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمَّارٍ حينَ جعَل يَحْفِرُ الخندقَ ، جعَل يَمْسَحُ رَأْسَه ويقولُ : « بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُه فِئةٌ باغِيةٌ » .

وقد رَواه مسلمٌ[4] أيضًا مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى مَسْلَمَةَ[5] ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ[3] ، قال : حَدَّثنى مَن هو خيرٌ منِّى ؛ أبو قَتادَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لعَمّارِ بنِ ياسرٍ : « بُؤْسًا لك يا بنَ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُك الفِئةُ الباغيةُ » .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ[6] : حدَّثنا وُهَيْبٌ ، عن داودَ بنِ أبى هِنْدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لـمّا حَفَر الخندقَ ، كان الناسُ يَحْمِلُون لَبِنَةً لبنةً ، وعمَّارٌ ناقِهٌ[7] مِن وَجَعٍ كان به ، فجَعَل يَحْمِلُ لَبِنَتَيْن لبنتَين . قال أبو سعيدٍ : فحدَّثنى بعضُ أصحابى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَنْفُضُ التُّرابَ عن رَأْسِه ويقولُ : « وَيْحَكَ ابنَ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُكَ الفِئةُ الباغِيةُ » . قال البيهقىُّ[8] : فقد فَرَّقَ بينَ ما سَمِعَه بنفسِه ، وما سَمِعه مِن أصحابِه . قال :

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٤٨.

(٢) مسلم ٧٠/(٢٩١٥) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) مسلم ٧١/(٢٩١٥) .

(٥) فى النسخ : « مسلم » . والمثبت من صحيح مسلم . وهو سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدى . تهذيب الكمال ١١/ ١١٤.

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٤٨، ٥٤٩ من طريق الطيالسى به .

(٧) نقه من مرضه : برئ ولا يزال به ضعف . الوسيط (ن ق هـ) .

(٨) الدلائل للبيهقى ٢/ ٥٤٩.

ويُشْبِهُ أن يكونَ قولُه : الخندقَ . وَهْمًا ، أو أنَّه قال له ذلك فى بِناءِ المسجدِ وفى حَفْرِ الخندقِ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : حَمْلُ اللَّبِنِ فى حَفْرِ الخندقِ لا معنَى له ، والظَّاهِرُ أنَّه اشْتَبَه على النَّاقِلِ . واللَّهُ أعلمُ . وهذا الحديثُ مِن دَلائلِ النُّبُوَّةِ ؛ حيثُ أخْبَر ، صَلَواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه ، عن عَمَّارٍ ، أنَّه تَقْتُلُه الفِئَةُ الباغِيةُ ، وقد قَتَلَه أهلُ الشّامِ فى وَقْعَةِ صِفِّينَ ، وعَمّارٌ مع علىٍّ وأهلِ العِراقِ ، كما سيَأْتِى بيانُه وتفصيلُه فى موضعِه . وقد كان علىٌّ أحَقَّ بالأَمرِ مِن معاويةَ ، ولا يَلْزَمُ مِن تسميةِ أصحابِ معاويةَ بُغَاةً تَكْفِيرُهم ، كما يُحاوِلُه جَهَلَةُ الفِرْقَةِ الضّالَّةِ مِن الشِّيعَةِ وغيرِهم ؛ لأنَّهم وإن كانوا بُغاةً فى نفسِ الأَمرِ ، فإنَّهم كانوا مُجْتَهِدِين فيما تَعاطَوْه مِن القِتالِ ، وليس كلُّ مُجتَهِدٍ مُصِيبًا ، بل المُصيبُ له أَجْران ، والمُخْطِئُ له أَجرٌ ، ومَن زادَ فى هذا الحديثِ بعدَ قولِه[1] : « تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيةُ » : لا أنالَها اللَّهُ شَفاعَتِى يومَ القِيامةِ . فقد افْتَرَى فى هذه الزِّيادَةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنَّه لم يَقُلْها ، إذ لم تُنْقَلْ مِن طريقٍ تُقْبَلُ . واللَّهُ أعلمُ . وأمّا قولُه : « يَدْعُوهم إلى الجنَّةِ ويَدْعُونَه إلى النَّارِ » . فإنَّ عَمّارًا وأصحابَه يَدْعُون أهلَ الشَّامِ إلى الأُلْفَةِ واجتماعِ الكلمةِ ، وأهلَ الشامِ يُرِيدُون أن يَسْتَأْثِرُوا بالأَمرِ دون مَن هو أحَقُّ به ، وأن يكونَ الناسُ أَوْزاعًا[2] ، على كلِّ قُطْرٍ إمامٌ برَأْسِه ، وهذا يُؤَدِّى إلى افْتِراقِ الكلمةِ واخْتِلافِ الأُمَّةِ ، فهو لازمُ مَذْهَبِهم ، وناشِىءٌ عن مَسْلَكِهم ، وإن كانوا لا يَقْصِدُونه . واللَّهُ أعلمُ . وسيَأْتِى تقريرُ هذه المَباحثِ إذا انْتَهَيْنا إلى وَقْعَةِ صِفِّينَ مِن كتابِنا

---

(١) سقط من : م .

(٢) الأوزاع : الفِرَق من الناس ، يقال : أتيتهم وهم أوزاع . أى متفرقون . اللسان (و ز ع) .

هذا ، بحَوْلِ اللَّهِ وقُوَّتِه ، وحُسنِ تأييدِه وتوفيقِه .

والمقصودُ هـٰهنا إنَّما هو قِصَّةُ بِناءِ المسجدِ النَّبَوِيِّ ، على بانِيهِ أَفضلُ الصَّلاةِ والتَّسليمِ .

وقد قال الحافظُ البَيْهَقِيُّ فى « الدّلائِلِ »[1] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إمْلاءً ، ثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرَنا عُبَيدُ بنُ شَرِيكٍ ، ثنا نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، [٢/١٥٤ظ] أخْبَرَنا حَشْرَجُ بنُ نُباتَةَ ، عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، عن سَفِينَةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : جاء أبو بكرٍ بحَجَرٍ فوَضَعَه ، ثُم جاء عمرُ بحجرٍ فوَضَعه ، ثُم جاء عثمانُ بحجرٍ فوَضَعَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَؤُلاءِ ولاةُ الأَمرِ بَعْدِى » .

ثُم رَواه[2] مِن حديثِ يحيى بنِ عبدِ الحميدِ الحِمّانِىِّ ، عن حَشْرَجٍ ، عن سعيدٍ ، عن سَفِينَةَ قال : لـمَّا بَنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ ، وَضَع حَجَرًا ، ثُم قال : « لِيَضَعْ أبو بكرٍ حَجَرًا[3] إلى جَنْبِ حَجَرى ، ثُمَّ لْيَضَعْ عُمرُ حجرَه إلى جنبِ حجرِ أبى بكرٍ ، ثُمَّ لْيَضَعْ عثمانُ حجرَه إلى جنبِ حجرِ عُمرَ » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَؤُلَاءِ الخُلَفاءُ مِن بعدى » . وهذا الحديثُ بهذا السِّياقِ غريبٌ جِدًّا .

والمعروفُ ما رَواه الإمامُ أَحمدُ[4] ، عن أبى النَّضْرِ ، عن حَشْرَجِ بنِ نُباتَةَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٥٥٣.

(٢) المصدر السابق .

(٣) فى الدلائل : « حجره » .

(٤) المسند ٥/ ٢٢٠، ٢٢١.

العَبْسِيِّ ، وعن بَهْزٍ وزيدِ بنِ الحُبابِ وعبدِ الصمدِ ، عن[1] حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ كلاهما عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، عن سَفِينَةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الخِلافَةُ ثلاثونَ عامًا ، ثُمَّ يكونُ مِنْ بعدِ ذلك المُلْكُ » . ثُم قال سَفِينةُ : أَمْسِكْ ؛ خلافةَ أبى بكرٍ سنتَيْنِ ، وخلافةَ عُمرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وخلافةَ عثمانَ اثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً ، وخلافةَ علىٍّ سِتَّ سنينَ . هذا لفظُ أحمدَ . ورواه أبو داودَ ، والتِّرْمِذِىُّ ، والنَّسائِىُّ[2] مِن طُرُقٍ ، عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، وقال التِّرْمِذِىُّ : حسنٌ ، لا نَعْرِفُهُ إلَّا مِن حديثِه ، ولفظُه[3] : « الخِلَافَةُ بَعْدِى ثلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يكونُ مُلْكًا عَضُوضًا » . وذَكَر بَقِيَّتَه .

قلتُ : ولم يَكُنْ فى مسجدِ النبىِّ ﷺ ، أَوَّلَ ما بُنِىَ ، مِنْبرٌ يَخْطُبُ الناسَ عليه ، بل كان النبىُّ ﷺ يَخْطُبُ الناسَ وهو مُسْتَنِدٌ إلى جِذْعٍ عندَ مُصَلَّاه فى الحائِطِ القِبْلِىِّ ، فلـمَّا اتُّخِذ له ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، الـمِنْبرُ ، كما سيأْتِى بيانُه فى موضِعِه ، وعَدَل إليه ليَخْطُبَ عليه ، [4]وجاوَزَ[4] ذلك الجِذْعَ ، خارَ ذلك الجِذْعُ وحَنَّ حَنِينَ النُّوقِ العِشارِ[5] ؛ لِمَا كان يَسْمَعُ مِن خُطَبِ الرسولِ ، عليه السَّلامُ ، عندَه ، فرَجَع إليه النبىُّ ﷺ فاحْتَضَنَه حتى سَكَن ، كما يَسْكُنُ المولودُ الذى يَسْكُتُ ، كما سيأْتِى تَفْصِيلُ ذلك مِن طُرُقٍ ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ

---

(١) فى م ، ص : « و » .

(٢) أبو داود (٤٦٤٦) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٨٢ - ٣٨٨٤) ، والترمذى (٢٢٢٦) ، والنسائى فى الكبرى (٨١٥٥) . وانظر السلسلة الصحيحة (٤٦٠) .

(٣) لفظ الترمذى : « ثم ملك بعد ذلك » . وملك عضوض : شديد فيه عسف وعنف . اللسان (ع ض ض) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « فلما جاوز » .

(٥) النوق العشار : جمع عُشَراء ، وهى التى مضى على حملها عشرة أشهر . الوسيط (ع ش ر) .

السّاعِدِيِّ ، وجابرٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وأنسِ بنِ مالكٍ ، وأُمِّ سَلَمَةَ ، رَضِى اللَّهُ عنهم . وما أَحْسَنَ ما قال الحسنُ البَصْرِيُّ ، بعدَما رَوَى هذا الحديثَ عن أنسِ بنِ مالكٍ[1] : يامَعْشَرَ المسلمِين ، الخَشَبَةُ تَحِنُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إليه ، أَوَ ليسَ الرجالُ الَّذين يَرْجُون لِقاءَه أَحَقَّ أن يَشْتاقُوا إليه ؟!

تَنْبِيهٌ على فَضْلِ هذا المسجدِ الشَّرِيفِ [2]والمحَلِّ المُنِيفِ[2] :

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحْيَى ، عن[4] أُنَيْسِ بنِ أبى يَحْيَى ، حدَّثنى أبى قال : سَمِعْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ قال : اخْتَلَفَ رجلانِ[5] - رجلٌ مِن بنى خُدْرَةَ ورجلٌ مِن بنى عَمْرِو بنِ عوفٍ - فى المسجدِ الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى ؛ فقال الخُدْرِيُّ : هو مسجدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال العَمْرِيُّ : هو مسجدُ قُبَاءٍ . فأتَيا رسولَ اللَّهِ ﷺ فسَأَلاه عن ذلك ، فقال : « هو هذا المسجدُ » . لِمَسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقال : « فى ذلك خيرٌ كثيرٌ » . يَعْنِى مسجدَ قُبَاءٍ . ورواه الترمذيُّ[6] عن قُتَيْبَةَ ، عن حاتِمِ بنِ إسماعيلَ ، عن أُنَيْسِ بنِ أبى يَحْيَى الْأَسْلَمِيِّ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

ورَوى الإمامُ أحمدُ[7] ، عن إسحاقَ بنِ عيسى ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ،

---

(١) الإحسان (٦٥٠٧) وصححه الشيخ شعيب ، والجعديات لأبى قاسم البغوى (٣٢٥٥) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) المسند ٣/ ٢٣.

(٤) فى م : « بن » . ويحيى هو ابن سعيد بن فروخ القطان التميمى . تهذيب الكمال ١/ ٣٢٩، ٣/ ٣٨٢.

(٥) بعده فى المسند : « أو امتريا » .

(٦) الترمذى (٣٢٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦) .

(٧) المسند ٣/ ٨.

والترمذىُّ والنسائىُّ[1] جميعًا عن قُتَيْبَةَ، عن اللَّيْثِ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنسٍ[2]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدٍ، عن أبيه، قال: تَمارَى رجلان فى المسجدِ الذى أُسِّس على التَّقْوَى. وذكَر نحوَ ما تقدَم.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[3] مِن حديثِ حُمَيْدٍ الخرَّاطِ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، أنَّه سأَل عبدَ الرحمنِ بنَ أبى سعيدٍ: كيف سَمِعْتَ أباكَ يَذْكُرُ[4] فى المسجدِ [٢/١٥٥و] الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى قال: [5]قال أبى: أَتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسأَلتُه عن المسجدِ الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى[5]، فأَخَذ كَفًّا مِن حَصْبَاءَ، فضَرَب به الأرضَ، ثُم قال: «هو مسجدُكُم هذا».

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا رَبِيعَةُ بنُ عثمانَ التَّيْمِىُّ[7] عن عِمْرانَ بنِ أبى أنسٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ قال: اختلَفَ رجلان على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فى المسجدِ الذى أُسِّس على التَّقْوَى؛ فقال أحدُهما: هو مسجدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقال الآخَرُ: هو مسجدُ قُباءٍ. فأَتَيا رسولَ اللَّهِ ﷺ فسَأَلاه فقال: «هو مَسْجدى هذا».

---

(١) الترمذى (٣٠٩٩)، والنسائى (٦٩٦). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٤٧٥).

(٢) فى المسند: «قيس». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٠٩.

(٣) مسلم (١٣٩٨). بلفظ يختلف عما أورده المصنف.

(٤) سقط من: م، ص. وفى الأصل: «يقول». والمثبت من صحيح مسلم.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) المسند ٥/ ٣٣١. وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٠: رواه أحمد والطبرانى باختصار ورجالهما رجال الصحيح.

(٧) فى م: «التميمى». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٣٢.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا أبو نُعَيْم ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ الأَسْلَمِيُّ ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنَسٍ ، عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « المَسْجِدُ الذى أُسِّس على التَّقْوَى مسجدِى هذا » .

فهذه طرقٌ متعدِّدةٌ لعلَّها تَقْرُبُ مِن إفادةِ القَطْعِ بأنَّه مسجدُ الرسولِ ﷺ ، وإلى هذا ذهَب عُمَرُ ، وابنُه عبدُ اللَّهِ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، واختارَه ابنُ جَرِيرٍ[2] . وقال آخَرون[3] : لا منافاةَ بينَ نُزولِ الآيةِ فى مسجدِ قُباءٍ - كما تَقَدَّمَ بيانُه[4] - وبينَ هذه الأحاديثِ ؛ لأَنَّ هذا المسجدَ أَوْلَى بهذه الصِّفَةِ مِن ذلك ، لأنَّ هذا أَحَدُ المساجدِ الثلاثةِ التى تُشَدُّ الرِّحالُ إليها ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[5] مِن حديثِ أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ ؛ مسجدى هذا ، والمسجدِ الحَرامِ ، ومسجدِ [6]بَيْتِ المَقْدِسِ[6] » . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[7] عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لا تَشُدُّوا[8] الرِّحَالَ إلَّا إلى ثلاثَةِ مساجِدَ » . وذكَرَها . وثَبَت فى « الصحيحَيْنِ »[9] أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « صلاةٌ فى مَسْجِدِى هذا خيْرٌ

---

(١) المسند ٥/ ١١٦. وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٠: رواه أحمد وفيه عبد اللَّه بن عامر الأسلمى ، وهو ضعيف .

(٢) تفسير الطبرى ١١/ ٢٨.

(٣) التفسير ٤/ ١٥٢.

(٤) تقدم صفحة ٥١٨ .

(٥) البخارى (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) ، واللفظ لمسلم .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى الصحيحين : « الأقصى » .

(٧) مسلم فى الحج ٢/ ٩٧٥، ٩٧٦، (٨٢٧) .

(٨) فى الأصل ، م : « تشد » .

(٩) البخارى (١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) .

مِن أَلْفِ صلاةٍ فيما سِواه، إلَّا المسجدَ الحرامَ». وفى «مسندِ أحمدَ»[1] بإسنادٍ حسنٍ زيادةٌ حسنةٌ وهى قولُه: «فَإِنَّ ذلك أَفْضَلُ».

وفى «الصحيحَيْنِ»[2] مِن حديثِ يَحْيَى القَطّانِ، [3]عن عُبيدِ اللَّهِ[3]، عن خُبَيْبٍ[4]، عن حفصِ بنِ عاصمٍ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما بينَ بَيْتى ومِنبَرِى رَوْضَةٌ مِن رياضِ الجنةِ، ومِنْبَرِى على حَوْضِى». والأحاديثُ فى فضائلِ هذا المسجدِ الشريفِ كثيرةٌ جِدًّا، وسنُورِدُها فى كتابِ المناسِكِ مِن كتابِ «الأحكامِ الكبيرِ» إنْ شاءَ اللَّهُ، وبه الثِّقَةُ، وعليه التُّكْلانُ، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكِيمِ.

وقد ذهَب الإمامُ مالكٌ وأصحابُه إلى أنَّ مسجدَ المدينةِ أفضلُ مِن المسجدِ الحرامِ؛ لأنَّ ذاك بناه إبراهيمُ، وهذا بناه محمدٌ ﷺ، ومعلومٌ أنَّ محمدًا ﷺ، أفضلُ من إبراهيمَ، عليه السلامُ، وقد ذهَب الجمهورُ إلى خِلافِ ذلك، وقَرَّرُوا أنَّ المسجدَ الحرامَ أفضلُ؛ لأنَّه فى بلدٍ حَرَّمَه اللَّهُ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ، وحَرَّمه إبراهيمُ الخليلُ، عليه السلامُ، ومحمدٌ خاتَمُ المُرْسَلين، فاجْتَمَع فيه مِن الصفاتِ ما ليس فى غيرِه[5]، ولِبَسْطِ هذه المسألةِ موضعٌ آخَرُ. وباللَّهِ المستعانُ.

---

(١) المسند ٢/٢٩ (إسناده صحيح)، بلفظ: «فهو أفضل».

(٢) البخارى (١١٩٦، ١٨٨٨)، ومسلم (١٣٩١).

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٨/٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) فى الأصل، م: «حبيب». وانظر تهذيب الكمال ٨/٢٢٧.

(٥) انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووى ٩/١٦٣، ١٦٤.

فصلٌ

وبُنِىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، حولَ مسجدِه الشريفِ حُجَرٌ؛ لتكونَ مساكنَ له ولأهلِه، وكانت مساكنَ قصيرةَ البناءِ، قريبةَ الفِناءِ، قال الحسنُ بنُ أبى الحسنِ البَصْرِىُّ[1] - وكان غلامًا مع أُمِّه خَيْرَةَ مولاةِ أمِّ سَلَمَةَ -: لقد كنتُ أنالُ أَطْوَلَ سَقْفٍ فى حُجَرِ النبىِّ ﷺ بيَدِى. قلتُ: إلَّا أنَّه قد كان الحسنُ البَصْرِىُّ شَكِلًا[2] ضَخْمًا طُوَالًا، رَحِمه اللَّهُ.

وقال السُّهَيْلِىُّ فى «الرَّوْضِ[3]»: كانتْ مساكِنُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، مَبْنِيَّةً مِن جَرِيدٍ عليه طِينٌ، بعضُها مِن حِجارةٍ مَرْضومةٍ[4]، وسقُوفُها كلُّها مِن جَرِيدٍ. وقد حَكَى[5] عن الحسنِ البَصْرِىِّ ما تَقَدَّم، وقال[6]: وكانت حُجَرُه مِن شعَرٍ مربوطةً بخشبٍ مِن عَرْعَرٍ[7]. قال: وفى «تاريخِ البخارىِّ»[8] أنَّ بابَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، كان يُقْرَعُ بالأَظافيرِ. فدَلَّ على أنَّه [٢/١٥٥ظ] لم يَكُنْ

---

(١) انظر الروض الأنف ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) يعنى حسن الهيئة والمنظر.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٦٧.

(٤) مرضومة: أى جُعل بعضها على بعض. والمرضومة: الرِّضام، وهو حجارةٌ تُجمع.

(٥) أى السهيلى.

(٦) الروض الأنف ٤/ ٢٦٨.

(٧) العرعر: جنس أشجار وجنبات من الصَّنَوْبريات، فيه أنواع كثيرة. الوسيط (ع ر ع ر).

(٨) القول للسهيلى، فى الروض ٤/ ٢٦٨. والخبر أخرجه البخارى فى تاريخه الكبير ١/ ٢٢٨. صحيح (الصحيحة ٢٠٩٢).

لأبْوابِه حَلَقٌ[1] . قال[2] : وقد أُضِيفَتِ الحُجَرُ كلُّها بعدَ موتِ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المسجدِ .

قال الواقِدِيُّ ، وابنُ جَرِيرٍ[3] ، وغيرُهما : ولـمّا رجَع عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ الدِّيلِيُّ إلى مكةَ ، بعَث معه رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، زيدَ بنَ حارثةَ وأبا رافعٍ مَوْلَيَيْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ليَأْتُوا بأهالِيهم مِن مكةَ ، وبعَثا معهم بحِمْلَين وخمسِمائةِ درهمٍ ؛ ليَشْتَرُوا بها إبلًا مِن قُدَيْدٍ[4] ، فذهَبوا فجاءُوا ببِنْتَيِ النبيِّ ﷺ فاطمةَ وأمِّ كُلْثُومٍ ، وزَوْجَتَيْه سَوْدَةَ وعائشةَ ، وأمِّها أمِّ رُومَانَ ، وأهلِ النبيِّ ﷺ ، وآلِ أبى بكرٍ ، صُحْبَةَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، وقد شرَد بعائشةَ وأمِّها أمِّ رُومَانَ الجملُ فى أثناءِ الطريقِ ، فجعَلَت أمُّ رومانَ تقولُ : واعَرُوساهُ ، وابِنْتاهُ . قالت عائشةُ : فسَمِعْتُ قائلًا يقولُ : أَرْسِلى خِطامَه . فأَرْسَلْتُ خِطامَه ، فوقَف بإذنِ اللَّهِ ، وسَلَّمَنا اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ . فتَقَدَّمُوا ، فنزَلوا بالسُّنْحِ ، ثُم دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بعائشةَ فى شَوّالٍ بعدَ ثمانيةِ أشهرٍ ، كما سيَأْتِى ، وقَدِمَتْ معهم أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ امرأةُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ [5]وهى حَامِلٌ[5] مُتِمٌّ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، كما سيَأْتِى بيانُه فى موضعِه مِن آخِرِ هذه السنةِ .

---

(١) الحلق : بفتح الحاء وكسرها : جمع حلْقة ، وحلقة الباب : التى تعلَّق عليه ليُقرع بها . الوسيط (ح ل ق) .

(٢) أى السهيلى ، الروض الأنف ٤/ ٢٦٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٢، ٦٣، ١٦٥، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٠.

(٤) قديد : موضع قرب مكة . معجم البلدان ٤/ ٤٢.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

فصلٌ فيما أصاب المُهاجِرين مِن حُمَّى المدينةِ، [1]رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين، وقد سَلِمَ الرسولُ ﷺ منها بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه، ودعا اللَّهَ فأزاحها عن المدينةِ[1]

قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ[3] بنُ يوسفَ، ثنا مالكٌ، عن[4] هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ أنَّها قالت: لـمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وُعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ. قالت: فدخَلْتُ عليهما فقلْتُ: يا أَبَهْ، كيف تَجِدُك؟ ويا بلالُ، كيف تَجِدُك؟ قالت: وكان أبو بكرٍ إذا أخَذَتْه الـحُمَّى يقولُ:

كُلُّ امرِئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ ... والموتُ أَدْنَى مِن شِراكِ نَعْلِهِ

وكان بلالٌ إذا أَقْلَعَ عنه الحُمَّى يَرْفَعُ عقِيرَتَه[5]، ويقولُ:

أَلَا ليتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولى إِذْخِرٌ وجَليلُ[6]

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) البخارى (٣٩٢٦).

(٣) بعده فى م: «بن وهب».

(٤) فى م: «بن».

(٥) قال الحافظ: يرفع عقيرته: أى صوته ببكاء. انظر الفتح ٢٦٣/٧.

(٦) جليل: نبت ضعيف يحشى به - أى خروق - البيوت وغيرها. المصدر السابق.

وهل أَرِدَنْ يومًا مِياهَ مَجَنَّةٍ وهَلْ يَبْدُوَنْ لى شامةٌ وطَفِيلُ[1]

قالت عائشةُ : فجِئْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرْتُه ، فقال : « اللَّهُم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ ، وصَحِّحْها ، وبارِكْ لنا فى صاعِها ومُدِّها ، وانقُلْ حُمّاها فاجعَلْها بالجُحْفَةِ » . ورواه مسلمٌ[2] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن [3]عُبَيْدَةَ ، عن هشامٍ[3] مُخْتَصَرًا .

وفى روايةِ البخارىِّ[4] له عن أبى أُسامَةَ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائِشةَ ، فذكَره ، وزاد بعدَ شِعْرِ بلالٍ : ثم يقولُ : اللهمَّ الْعَنْ عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ ، وشَيْبَةَ بنَ رَبيعَةَ ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ ، كما أَخْرَجونا إلى أرضِ الوَباءِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ ، اللهمَّ بارِكْ لنا فى صاعِها وفى مُدِّها ، وصَحِّحْها لنا ، وانقُلْ حُمّاها إلى الجُحْفَةِ » . وقَدِمْنا إلى المدينةِ وهى أَوْبَأُ أرضِ اللَّهِ ، وكان بُطْحانُ[5] يَجْرِى نَجْلًا . تَعْنِى ماءً آجِنًا[6] .

وقال زيادٌ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[7] ، حدَّثنى هشامُ بنُ عُرْوَةَ وعُمَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[8] عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عائشةَ قالتْ : لـمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) قال الأصمعى : مجنة : جبل لبنى الديل خاصة بتهامة بجنب طفيل ، وإياه أراد بلال . معجم البلدان ٤/ ٤٢١. وشامة وطفيل : جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة . معجم البلدان ٣/ ٥٤٠.

(٢) مسلم (١٣٧٦) .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « هشام » . وفى ص : « عبيدة » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٤) البخارى (١٨٨٩) .

(٥) بطحان : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة . معجم البلدان ١/ ٦٦٢.

(٦) قال الحافظ فى الفتح ٤/ ١٠١: آجنًا ؛ أى متغيّرًا .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٨، ٥٨٩.

(٨) فى النسخ : « بن » . والمثبت من السيرة .

المدينةَ ، قَدِمَها وهى أَوْبَأُ أرضِ اللَّهِ ، مِن الحُمَّى ، [٢/١٥٦و] فأصابَ أصحابَه مِنها بَلاءٌ وسَقَمٌ ، وصَرَف اللَّهُ ذلك عن نَبِيِّه ﷺ . قالت : فكان أبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ وبلالٌ ؛ مَوْلَيَا أبى بكرٍ ، فى بيتٍ واحدٍ ، فأصابَتْهم الحُمَّى ، فدَخَلْتُ عليهم أَعُودُهم[1] ، وذلك قبلَ أنْ يُضْرَبَ علينا الحجابُ، وبهم ما لا يَعْلَمُه إلّا اللَّهُ مِن شدةِ الوَعْكِ ، فدَنَوْتُ مِن أبى بكرٍ ، فقلتُ : كيفَ تَجِدُك يا أَبَهْ ؟ فقال :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ ... والموتُ أَدْنَى مِن شِراكِ نعلِهِ

قالت : فقلتُ : واللَّهِ ما يَدْرِى أبى ما يقولُ . قالت : ثُم دَنَوْتُ إلى عامرِ بنِ فُهَيْرَةَ . فقلتُ : كيف تَجِدُك يا عامرُ ؟ قال :

لقد وجَدْتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِهِ ... إنَّ الجَبانَ حَتْفُه مِن فوقِهِ

كُلُّ امرِئٍ مُجاهِدٌ بطَوْقِهِ ... كالثَّوْرِ يَحْمِى جِلْدَه بروْقِهِ[2]

قالت[3] : فقلتُ : واللَّهِ ما يَدْرِى عامرٌ[4] ما يقولُ . قالت : وكان بلالٌ إذا أَدْرَكَتْه الحُمَّى ، اضْطَجَع بفِناءِ البيتِ ، ثُم رفَع عَقِيرَتَه ، فقال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بفَخٍّ[5] وحَوْلِى إِذْخِرٌ وجَلِيلُ

---

(١) فى م : « أدعوهم » .

(٢) الروق : قرن الدابة . الوسيط (ر و ق) .

(٣) فى م : « قال » .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى الأصل ، ص : « فج » . وهى تروى بالجيم أيضا ، فيما سيذكره المصنف من الحديث المروى فى مسند أحمد . وفخ : وادٍ بمكة . معجم البلدان ٣/ ٨٥٤.

وهل أرِدَنْ يومًا مِياهَ مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لى شامَةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشةُ : فذكَرْتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ما سَمِعْتُ منهم ، وقلت : إنَّهم ليَهْذُون وما يَعْقِلُون مِن شِدَّةِ الحُمَّى . فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ ، كما حبَّبتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ ، وبارِكْ لنا فى مُدِّها وصاعِها ، وانقُلْ وبَاءَها إلى مَهْيَعَةَ » . ومَهْيَعَةُ هى الجُحْفَةُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدّثنا يونُسُ ، ثنا لَيْثٌ ، عن يَزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن أبى بكرِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُروةَ ، [2]عن عُروةَ[2] ، عن عائشةَ قالت : لـمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، المدينةَ [3]اشتَكَى أصحابُه و[3] اشْتَكَى أبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مولى أبى بكرٍ ، وبلالٌ ، فاسْتَأْذَنَتْ عائشةُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى عيادتِهم ، فأَذِن لها ، فقالتْ لأبى بكرٍ : كيف تَجِدُك ؟ فقال :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ والموتُ أَدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

وسألَتْ عامِرًا فقال :

إنِّى وَجَدْتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِهِ إنَّ الجَبَانَ حَتْفُه مِن فوقِهِ

وسألَتْ بِلالًا فقال :

يا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً بفَجٍّ[4] وحَوْلِى إِذْخِرٌ وجَلِيلُ

---

(١) المسند ٦/ ٦٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) فى م : « بفخ » .

فأتتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرَتْه ، فنَظَر إلى السماءِ وقال : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كما حَبَّبْتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ ، اللهُمَّ بارِكْ لنا فى صاعِها وفى مُدِّها ، وانْقُلْ وبَاءَها إلى مَهْيَعَةَ » . وهى الجُحْفَةُ فيما زَعَموا . وكذا رواه النَّسَائِىُّ[1] ، عن قُتَيْبَةَ ، عن اللَّيْثِ به . ورواه الإمامُ أحمدُ[2] ، مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ عنها مثلَه .

وقال البَيْهَقِىُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عَمْرٍو ، قالا : ثنا أبو العباسِ الأَصَمُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجَبَّارِ ، ثنا يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهى أَوْبَأُ أرضِ اللَّهِ ، ووادِيها بُطْحَانُ نَجْلٌ[4] . قال هشامٌ : وكان وباؤُها معروفًا فى الجاهليةِ ، وكان إذا كان الوادى وَبِيئًا ، فأَشْرَفَ عليه[5] الإنسانُ ، قِيل له أنْ يَنْهَقَ نَهِيقَ الحِمارِ ؛ فإذا فعَل ذلك لم يَضُرَّه وبَاءُ ذلك الوادى ، وقد قال الشاعرُ حينَ أَشْرَفَ على المدينةِ[6] :

لَعَمْرِى لَئِنْ عَشَّرْتُ[7] من خِيفةِ الرَّدَى ... نهيقَ الحِمارِ إنَّنى لَجَزُوعُ

---

(١) النسائى فى الكبرى (٧٥١٩) .

(٢) المسند ٦/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٧.

(٤) بعده فى الدلائل : « يجرى عليه الأثل » .

(٥) فى النسخ : « عليها » . والمثبت من الدلائل .

(٦) البيت لعروة ابن الورد فى ديوانه ص ٩٥.

(٧) فى الأصل ، م : « عبرت » . وفى ص : « عرت » . والمثبت من الدلائل والديوان . وعشّر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ، ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه . ومعناه أنهم يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباء ، وضع يده خلف أذنه ، فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ، ثم دخلها ، أَمِن من الوباء . اللسان (ع ش ر) .

وروَى البخاريُّ[1] ، من حديثِ موسى بنِ عُقْبَةَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « رَأَيْتُ كأَنَّ امرأةً سوداءَ ثائِرَةَ الرأسِ ، خرجتْ مِن المدينةِ حتى قامَتْ بمَهْيَعَةَ - وهى الجُحْفَةُ[2] - [3]فأَوَّلْتُ أنَّ وبَاءَ المدينةِ نُقِلَ إليها[3] » . [٢/١٥٦ظ] هذا لفظُ البخاريِّ ، ولم يُخْرِجْه مسلمٌ . ورواه التِّرْمِذِيُّ وصَحَّحه ، والنَّسائيُّ ، وابنُ ماجَهْ[4] مِن حديثِ موسى بنِ عُقْبَةَ .

وقد روَى حمادُ بنُ زيدٍ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهى وَبِيئَةٌ . فذكَر الحديثَ بطُولِه إلى قولِه : « وانْقُلْ حُمّاها إلى الجُحْفَةِ » . قال هشامٌ : فكان المولودُ يُولَدُ بالجُحْفَةِ ، فلا يَبْلُغُ الحُلُمَ حتى تَصْرَعَه الحُمَّى . روَاه البَيْهَقِيُّ فى « دلائلِ النبوةِ »[5] . وقال يونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[6] : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهى وَبِيئَةٌ ، فأصاب أصحابَه منها[7] بلاءٌ وسَقَمٌ حتى أجْهَدَهُم ذلك ، وصرَف اللَّهُ ذلك عن نبيِّه ﷺ .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[8] ، عن ابنِ عباسٍ قال : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) البخارى (٧٠٣٨) .

(٢) قال ابن حجر فى الفتح ١٢/ ٤٢٥، ٤٢٦. وأظن قوله : وهى الجحفة . مدرجًا من قول موسى بن عقبة ، فإن أكثر الروايات خلا عن هذه الزيادة وثبتت فى رواية سليمان وابن جريج .

(٣ - ٣) فى النسخ : « فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة ، وهى الجحفة » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٤) الترمذى (٢٢٩٠) . والنسائى فى الكبرى (٧٦٥١) . وابن ماجه (٣٩٢٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٦٦) .

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٨.

(٦) المصدر السابق .

(٧) فى الأصل ، م : « بها » .

(٨) البخارى (١٦٠٢، ٤٢٥٦) ، ومسلم (١٢٦٦) . وليس فى الصحيحين : « صبيحة رابعة - يعنى مكة - عام عمرة القضاء » .

وأصحابُه - صَبِيحَةَ رابِعةٍ ، يَعْنِى مكةَ - عامَ عُمْرَةِ القضاءِ ، فقال المشركون : إنه يَقْدَمُ عليكم وفدٌ قد وَهَنَهم حُمَّى يَثْرِبَ . فأَمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَرْمُلُوا ، وأَنْ يَمْشُوا ما بينَ الرُّكنَيْنِ ، ولم يَمْنَعْه أنْ يَرْمُلُوا الأَشْواطَ كلَّها إلَّا الإبْقَاءُ عليهم .

قلتُ : وعُمْرَةُ القضاءِ كانت فى سنةِ سبعٍ فى ذى القَعْدَةِ ؛ فإمّا أنْ يكونَ تأخَّرَ دعاؤُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بنقلِ الوباءِ إلى قريبٍ مِن ذلك ، أو أنَّه رُفِعَ وبَقِيَ آثارٌ منه قليلٌ ، أو أنَّهم بَقُوا فى خُمَارِ[1] ما كان أصابَهم مِن ذلك إلى تلك المدةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال زِيَادٌ ، عن ابنِ إسحاقَ[2] : وذكَر ابنُ شِهَابٍ الزُّهْرِىُّ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لما قَدِمَ المدينةَ هو وأصحابُه ، أصابَتْهم حُمَّى المدينةِ ، حتى جَهَدوا مرضًا ، وصرَف اللَّهُ ذلك عن نبيِّه ﷺ ، حتى كانوا ما يُصَلُّون إلَّا وهم قُعُودٌ . قال : فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وهم يُصَلُّون كذلك فقال لهم : « اعْلَمُوا أنَّ صلاةَ القاعدِ على النِّصْفِ مِن صلاةِ القائمِ » . فتَجَشَّمَ المسلمون القيامَ ، على ما بهم مِن الضَّعْفِ والسَّقَمِ ؛ الْتماسَ الفضلِ .

---

(١) بعده فى م : « خمارو » . وفى ص : « حما و » . والخُمار : ما يصيب من أذى الحمى وصداعها . تاج العروس (خ م ر) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٠.

فصلٌ

فى عقدِه ، عليه السلامُ ، الأُلْفَةَ بينَ المُهاجرِينَ والأنصارِ بالكتابِ الذى أمَر به فكُتِبَ بينَهم ، والمؤاخاةِ التى أمَرَهم بها وقَرَّرَهم عليها ، وموادعتِه اليهودَ الذين كانوا بالمدينةِ

وكان بها من أحياءِ اليهودِ بنو قَيْنُقَاعَ وبنو النَّضِيرِ وبنو قُرَيْظَةَ ، وكان نزولُهم بالحجازِ قبلَ الأنصارِ أيامَ بُخْتُ نَصَّرَ ، حينَ دَوَّخَ[1] بلادَ المَقْدِسِ ، فيما ذكَرَه الطَّبَرِىُّ[2] ، ثُم لمّا كان سيلُ العَرِمِ وتَفَرَّقَتْ سَبَأٌ[3] شَذَرَ مَذَرَ ، نزَل الأوسُ والخَزْرَجُ المدينةَ عندَ اليهودِ ، فحالَفُوهم وصاروا يَتَشَبَّهون بهم ؛ لِمَا يَرَوْن لهم عليهم مِن الفضلِ فى العلمِ المأثورِ عن الأنبياءِ ، لكنْ مَنَّ اللَّهُ على هؤلاءِ ، الذين كانوا مشرِكِينَ ، بالهُدَى والإسلامِ ، وخذَل أولئك ؛ لحسدِهم وبَغْيِهم ، واستكبارِهم عن اتباعِ الحقِّ .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا عَفَّانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، ثنا عاصمٌ الأَحْوَلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : حالَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ المهاجرِينَ والأنصارِ فى دارِ أنسِ بنِ مالكٍ .

---

(١) داخ البلاد ودوَّخها : قهرها واستولى عليها . ودوَّخ البلاد : إذا مشى فيها حتى عرفها ولم يخف عليه طرقها . تاج العروس (د و خ) .

(٢) تاريخ الطبرى ١/ ٥٣٩.

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) المسند ٣/ ٢٨١.

وقد روَاه الإمامُ أحمدُ أيضًا ، والبخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ[1] ، مِن طُرُقٍ متعددةٍ ، عن عاصمِ بنِ سليمانَ الأحْوَلِ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : حالَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ قريشٍ والأنصارِ فى دارِى .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا نَصْرُ بنُ بابٍ ، عن حَجّاجٍ ، هو ابنُ أَرْطَاةَ . قال[3] : وحدَّثَنا سُرَيْجٌ ، ثنا عَبّادٌ ، عن حَجّاجٍ ، عن عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه أنَّ النبىَّ ﷺ كتَب كتابًا بينَ المهاجرِينَ والأنصارِ ؛ أنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهم[4] ، وأنْ يَفْدُوا عانِيَهم[5] بالمعروفِ والإصلاحِ بينَ المسلمِين .

قال أحمدُ[6] : وحدَّثَنا سُرَيْجٌ ، ثنا عَبّادٌ ، عن حَجّاجٍ ، عن الحَكَمِ ، عن مِقْسَمٍ[7] ، عن ابنِ عباسٍ مِثْلَه . تَفَرَّدَ به الإمامُ أحمدُ . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[8] ، عن جابرٍ قال : كتَب رسولُ اللَّهِ [٢/١٥٧و] ﷺ على كلِّ بَطْنٍ عُقُولَه[9] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[10] : وكتَب رسولُ اللَّهِ ﷺ كتابًا بينَ المهاجرِينَ والأنصارِ ، وادَعَ فيه اليهودَ وعاهَدَهم وأَقَرَّهم على دينِهم وأموالِهم ، واشتَرَط

---

(١) المسند ٣/ ١١١، ١٤٥، ٢٨١. والبخارى (٢٢٩٤، ٦٠٨٣، ٧٣٤٠) . ومسلم (٢٥٢٩) . وأبو داود (٢٩٢٦) .

(٢) المسند ٢/ ٢٠٤. (إسناده صحيح) .

(٣) القائل الإمام أحمد ، المسند ١/ ٢٧١. (إسناده صحيح) .

(٤) المعاقل : جمع مَعْقُلَة ، وهى الدية . المحيط (ع ق ل) .

(٥) العانى : الأسير .

(٦) المسند ١/ ٢٧١. (إسناده صحيح) .

(٧) فى م : « القاسم » . وهو مقسم بن بُجْرَة ، ويقال : ابن بَجَرَة . ويقال : ابن نَجْدَة . أبو القاسم ، ويقال : أبو العباس . تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦١.

(٨) مسلم (١٥٠٧) .

(٩) فى م ، ص : « عقولة » . والعقول : جمع عَقْل ، وهى الدية . الوسيط (ع ق ل) .

(١٠) سيرة ابن هشام ١/٥٠١ - ٥٠٤.

عليهم وشرَط لهم : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ مِن محمدٍ النبىِّ[1] ، بينَ المؤمنِين والمسلِمِين ، مِن قريشٍ ويَثْرِبَ ومَن تَبِعَهم فلَحِقَ بهم وجاهَدَ معهم : إنَّهم أُمَّةٌ واحدةٌ مِن دونِ الناسِ ، المهاجِرون مِن قريشٍ على رِبْعَتِهم[2] ، يَتَعَاقَلُون بَيْنَهم ، وهم يَفْدُون عانِيَهم بالمعروفِ والقِسطِ ، وبنو عَوْفٍ على رِبْعَتِهم ، يَتَعَاقَلُون مَعَاقِلَهم الأُولى ، وكلُّ طائفةٍ تَفْدِى عانِيَها بالمعروفِ والقِسطِ بينَ المؤمنِينَ » . ثُم ذكَر كلَّ بطنٍ مِن بطونِ الأنصارِ ، وأهلَ كلِّ دارٍ ؛ بنى ساعِدَةَ ، وبَنِى جُشَمَ ، وبنى النَّجّارِ ، وبَنِى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ، وبَنِى النَّبِيتِ ، إلى أنْ قال : « وإنَّ المؤمنِينَ لا يَتركونُ مُفْرَحًا[3] بينَهم أنْ يُعْطُوه بالمعروفِ فى فِداءٍ وعَقْلٍ ، ولا يُحَالِفُ مؤمنٌ مولَى مؤمنٍ دونَه ، وإنَّ المؤمنِينَ المُتَّقِين على مَن بَغَى منهم ، أو ابْتَغَى دَسِيعَةَ[4] ظلمٍ ، أو إثمٍ أو عُدوَانٍ ، أَو فسادٍ بينَ المؤمنِينَ ، وإنَّ أيْدِيَهم عليهِ جميعِهم ولو كان ولدَ أحدِهم ، ولا يَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمنًا فى كافرٍ ، ولا يُنْصَرُ كافرٌ على مؤمنٍ ، وإنَّ ذمةَ اللَّهِ واحدةٌ ؛ يُجِيرُ عليهم أَدْنَاهم ، وإنَّ المؤمنِينَ بعضُهم موالِى بعضٍ دونَ الناسِ ، وإنَّه مَن تَبِعَنا مِن يهودَ ، فإنَّ له النصرَ والأُسْوَةَ[5] ؛ غيرَ مظلومِين ولا مُتَنَاصَرٍ عليهم ، وإنَّ سِلْمَ المؤمنِينَ واحدةٌ ؛ لا يُسَالِمُ مؤمنٌ دونَ مؤمنٍ فى قتالٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، إلَّا على سواءٍ وعدلٍ بينَهم ، وإنَّ كلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ معنا يُعْقِبُ بعضُها بعضًا ، [6]وإنَّ المؤمنِينَ يُبِىءُ بَعْضُهم على بعضٍ[6] بما نالَ

---

(١) بعده فى م ، ص : « الأمى » .

(٢) ربعتهم : أمرهم الذى كانوا عليه . المحيط (ر ب ع) .

(٣) قال ابن هشام فى السيرة : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال .

(٤) فى م : « دسيسة » . والدسيعة : العطيَّة . اللسان (د س ع) .

(٥) يعنى المواساة والمشاركة فى المعاش والرزق .

(٦ - ٦) سقط من : ص . وفى الأصل ، م : « وإن المؤمنين يبىء بعضهم بعضا » . والمثبت من السيرة . قال السهيلى فى الروض ٤/ ٢٩٥: يبىء ؛ هو من البَوَاء أى المساواة .

دماءَهم فى سبيلِ اللَّهِ ، وإنَّ المؤمنين المُتَّقِين على أحسنِ هُدًى وأقومِه ، وإنه لا يُجِيرُ مشركٌ مالًا لقريشٍ ولا نفسًا ، ولا يَحُولُ دونَه على مؤمنٍ ، وإنَّه مَنِ اعْتَبَطَ[1] مؤمِنًا قتلًا عن بيِّنةٍ ، فإنه قَوَدٌ به إلَّا[2] أنْ يَرْضَى وَلِيُّ المقتولِ ، وإنَّ المؤمنِينَ عليه كافةً ، ولا يَحِلُّ لهم إلَّا قيامٌ عليه ، وإنَّه لَا يَحِلُّ لمؤمنٍ أَقَرَّ بما فى هذه الصحيفةِ ، وآمَن باللَّهِ واليومِ الآخرِ ، أنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا ولا يُؤْوِيَه ، وإنَّه مَن نصَرَه أو آوَاه ، فإنَّ عليه لعنةَ اللَّهِ وَغضبَه يومَ القيامةِ ، ولا يُؤْخَذُ مِنه صَرْفٌ ولا عدلٌ ، وإنَّكم مَهْمَا اختَلَفْتم فيه مِن شىءٍ ، فإنَّ مَرَدَّه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وإلى محمدٍ ﷺ ، وإنَّ اليهودَ يُنْفِقُون[3] مع المؤمنِينَ ما داموا محارِبِينَ ، وإنَّ يهودَ بنى عَوْفٍ أمَّةٌ مع المؤمنِينَ ؛ لليهودِ دينُهم ولِلمُسْلِمينَ دِينُهُم ، مواليهِم وأنفُسِهم ، إلَّا مَن ظَلمَ وأَثِمَ ؛ فإنَّه لا يُوتِغُ[4] إلا نَفْسَه وأهلَ بَيْتِه ، وإنَّ ليهودِ بَنِى النَّجَّارِ وبَنِى الحارِثِ ، وبنى ساعِدَةَ ، وبنِى جُشَمَ ، وبَنِى الأوسِ ، وبنى ثَعْلَبَةَ وجَفْنَةَ ، وبنى الشُّطَيْبَةِ[5] ، مِثْلَ ما ليهودِ بَنِى عَوْفٍ ، وإنَّ بِطانَةَ يهودَ كأنفسِهم ، وإنَّه لا يَخْرُجُ منهم أحدٌ إلَّا بإذنِ محمدٍ ﷺ ، ولا يَنْحَجِزُ[6] على ثأرِ جُرْحٍ ، وإنَّه مَن فتَكَ[7] ، فبنفسِه [8]فتَكَ وأهلِ بيتِه[8] ، إلَّا مَن ظُلِمَ ، وإنَّ اللَّهَ عَلَى أَبَرِّ[9] هذا ،

---

(١) فى الأصل ، م : « اغتبط » . واعتبطه : قتله بلا جنايةٍ كانت منه ، ولا جريرةٍ تُوجب قتله . اللسان (ع ب ط) .

(٢) فى م : « إلى » .

(٣) فى النسخ : « يتفقون » . والمثبت من السيرة .

(٤) يوتغ : يُفسد ويُهلك .

(٥) فى الأصل : « السطنة » . وفى م : « الشطنة » . وفى ص : « الشطبة » . والمثبت من السيرة .

(٦) فى النسخ : « ينحجر » . والمثبت من السيرة . وينحجز : يكفُّ عن القَوَد . النهاية ١/ ٣٤٥.

(٧) فى ص : « قتل » .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . وأثبتناه من السيرة .

(٩) فى الأصل ، م : « أثر » .

وإنَّ على اليهودِ نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتَهم، وإنَّ بينَهم النصرَ على مَن حارَبَ أهلَ هذه الصحيفةِ، وإنَّ بينَهم النصحَ والنصيحةَ، والبِرَّ دونَ الإثْمِ[1]، وإنَّه لم يَأْثَمِ امرؤٌ بحَلِيفِه، وإنَّ النصرَ للمظلومِ، وإنَّ يَثْرِبَ حرامٌ جَوْفُها[2] لأهلِ هذه الصحيفةِ، وإنَّ الجارَ كالنفسِ غيرَ مُضارٍّ ولا آثمٍ، وإنَّه لا تُجَارُ حُرْمةٌ إلَّا بإذنِ أهلِها، وإنَّه ما كان بينَ أهلِ هذه الصحيفةِ مِن حَدَثٍ أو اشتجارٍ يُخَافُ فسادُه، فإنَّ مَرَدَّه إلى اللَّهِ وإلى محمدٍ رسولِ اللَّه ﷺ، وإنَّ اللَّهَ [3]على أَتْقَى[3] ما فى هذه الصحيفةِ وأبَرِّه، وإنَّه لا تُجَارُ قريشٌ ولا مَن نصَرَها، وإنَّ بينَهم النصرَ على مَن دهَم يَثْرِبَ، وإذا دَعَوْا إلى صلحٍ يُصَالِحُونه ويَلْبَسُونَه [٢/١٥٧ظ] فإنَّهم يُصَالِحُونه، وإنَّهم إذا دُعُوا إلى مِثْلِ ذلك، فإنَّه لهم على المؤمنين، إلَّا مَن حارَبَ فى الدينِ؛ على كلِّ أُناسٍ حِصَّتُهم مِن جانِبِهم الذى قِبَلَهم، وإنَّه لا يَحُولُ هذا الكتابُ دونَ ظالمٍ أو آثمٍ، وإنه مَن خرَج آمِنٌ، ومَن قعدَ آمنٌ بالمدينةِ، إلَّا مَن ظَلَم أو أَثِمَ، وَإنَّ اللَّهَ جارٌ لمَن برَّ واتَّقَى». كذا أورَدَه ابنُ إسحاقَ بنحوِه، وقد تكلَّم عليه أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَامٍ، رَحِمَه اللَّهُ، فى كتابِ «الغريبِ» وغيرِه[4] بما يَطُولُ ذكرُه[5].

---

(١) قال فى النهاية ١/١١٧: أى أن الوفاء بما جعَل على نفسه دون الغدر والنكث.

(٢) فى الأصل: «خوفها». وفى م: «حرفها».

(٣ - ٣) فى م: «على من اتقى». وفى ص: «أتقى على».

(٤) لم نجده فى المطبوع من كتاب الغريب. وهو فى كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٢٦٠ - ٢٦٦.

(٥) سقط من: م، ص.

فصلٌ فى مُؤاخاةِ النَّبىِّ ﷺ

بيـــنَ المُهاجِـرِين والأَنصـارِ

كما قال تعالى[1] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. وقال تعالى[2] : (وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ[3] أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا) [النساء: ٣٣].

قال البخارىُّ[4] : حَدَّثنا الصَّلْتُ بنُ محمدٍ، ثنا أبو أُسامَةَ، عن إدريسَ، عن طَلْحةَ بنِ مُصَرِّفٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾، قال: وَرَثَةً: (وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ): كان المُهاجِرُون لمَّا قَدِمُوا المدينةَ، يَرِثُ المُهاجِرِىُّ الأَنصارِىَّ دونَ ذَوِى رَحِمِه؛ لِلْأُخُوَّةِ التى آخَى النبىُّ ﷺ بينَهم، فلمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾ نُسِخَتْ. ثُم قال: (وَٱلَّذِينَ عاقدت أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ مِن النَّصْرِ والرِّفادةِ والنَّصيحةِ، وقد ذَهَب الميراثُ، ويُوصِى له.

---

(١) التفسير ٨/٩٤ - ٩٨.

(٢) التفسير ٢/٢٥٢ - ٢٥٥.

(٣) قال أبو حيان فى تفسيره: قرأ الكوفيون عقدت بتخفيف القاف من غير ألف، وشدد القاف حمزة من رواية على بن كبشة، والباقون عاقدت بألف. البحر المحيط ٣/ ٢٣٨.

(٤) البخارى (٤٥٨٠).

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : قُرِئَ على سفيانَ : سَمِعْتُ عاصمًا ، عن أنسٍ قال : حالَفَ النبيُّ ﷺ بينَ المُهاجِرين والأنصارِ فى دارِنا . قال سفيانُ : كأنَّه يقولُ : آخَى .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أصحابِه مِن المُهَاجِرين والأَنصارِ ، فقال - فيما بَلَغنا ، ونَعُوذُ باللَّهِ أن نقولَ عليه ما لم يَقُلْ -: « تآخُوا فى اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » . ثُم أخَذ بيدِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ فقال : « هذا أخى » . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ - سيِّدُ المُرسَلِين ، وإمامُ المُتَّقِين ، ورسولُ ربِّ العالَمِين ، الذى ليس له خَطِيرٌ[3] ولا نظيرٌ مِن العِبادِ - وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ أخَوَيْنِ ، وكان حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ - أسدُ اللَّهِ ، وأسدُ رسولِه ، وعمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وزيدُ بنُ حارثةَ مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أخَوَيْن ، وإليه أوْصَى حمزةُ يومَ أُحُدٍ ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ذو الجَناحَيْنِ ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ أخَوَيْن . قال ابنُ هِشامٍ[4] : كان جعفرٌ يومَئذٍ غائبًا بأرضِ الحبَشَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وكان أبو بكرٍ وخارِجَةُ بنُ زيدٍ الخَزْرَجِىُّ أخَوَيْن ، وعمرُ بنُ الخَطّابِ وعِتْبانُ بنُ مالكٍ أخَوَيْن ، [6]وأبو عُبَيْدةَ وسعدُ بنُ معاذٍ أخَوَيْن ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ وسعدُ بنُ الربيعِ أخَوَيْن[6] ، والزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ

---

(١) المسند ٣/ ١١١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٤، ٥٠٥.

(٣) فلان ليس له خطير : أى ليس له نظير ولا مِثل . اللسان (خ ط ر) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٥.

(٥) المصدر السابق ١/ ٥٠٥، ٥٠٦.

(٦ - ٦) سقط من : ص .

وسَلَمَةُ بنُ سَلَامَةَ [1]بنِ وَقْشٍ[1] أخَوَيْن، ويُقالُ: بل كان الزُّبيرُ وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ أخَوَيْن. وعثمانُ بنُ عفانَ وأوْسُ بنُ ثابتِ بنِ المُنْذِرِ النَّجّارِيُّ أخَوَيْن، وطلحةُ [2]بنُ عُبَيدِ اللَّهِ[2] وكعبُ بنُ مالكٍ أخَوَيْنِ، وسعيدُ بنُ زيدٍ وأُبَيُّ بنُ كعبٍ أخوَيْن، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وأبو أيوبَ أخَوَيْن، وأبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبةَ وعَبَّادُ بنُ بِشرٍ أخَوَيْنِ، وعمَّارٌ وحُذَيفةُ بنُ اليَمانِ العَبْسِيُّ حليفُ عبدِ الأَشْهَلِ أخَوَيْن، ويُقالُ: بل كان عمَّارٌ وثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ أخوَيْن.

قلتُ: وهذا أَنْسَبُ[3] مِن وجهَيْنْ.

قال[4]: وأبو ذَرٍّ بُرَيْرُ[5] بنُ جُنادَةَ، والمُنْذِرُ بنُ عَمرٍو المُعْنِقُ[6] ليَمُوتَ أخَوَيْن، وحاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ وعُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ أخوَيْن، وسَلْمانُ وأبو الدَّرْداءِ أخوَيْن، وبلالٌ وأبو رُوَيْحَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ [٢/١٥٨و] الخَثْعَمِيُّ ثم أَحدُ الفَزَعِ أخوَيْن. قال: فهؤلاءِ مِمَّن سُمِّىَ لنا مِمَّن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ آخَى بينَهم مِن أصحابِه، رَضِىَ اللَّهُ عنهم.

قلتُ: وفى بعضِ ما ذَكَره نظرٌ، أمَّا مُؤَاخاةُ النبىِّ ﷺ وعلىٍّ، فإنَّ مِن

(١ - ١) فى ص: «من قريش».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى م: «السند». وانظر سبل الهدى والرشاد ٣/٥٣٠.

(٤) أى ابن إسحاق. سيرة ابن هشام ١/٥٠٦، ٥٠٧.

(٥) اختلف فى اسم أبى ذر اختلافا كبيرًا، والمشهور: جندب بن جنادة، انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٩٤، وأسد الغابة ٦/ ٩٩، والإصابة ٧/ ١٢٥.

(٦) فى الأصل، م: «المعتق». وفى ص: غير منقوطة. والمثبت من السيرة. وانظر الإصابة ٦/ ٢١٧، ٢١٨. وأسد الغابة ٥/ ٢٦٩. والمعنق ليموت لقب هذا الصحابى، من أعنق، إذا سارع وأسرع. اللسان (ع ن ق).

العلماءِ مِن يُنْكِرُ ذلك ويَمْنَعُ صِحَّتَه ، ومُسْتَنَدُه فى ذلك أنَّ هذه المُؤاخاةَ إنَّما شُرِعَتْ لأَجلِ ارْتِفاقٍ[1] بعضِهم مِن بعضٍ ، ولِيَتَأَلَّفَ قلوبَ بعضِهم على بعضٍ ، فلا معنَى لمُؤاخاةِ النبىِّ ﷺ لأحدٍ منهم ، ولا مُهاجِرِىٌّ لمُهاجرىٍّ آخَرَ ، كما ذَكَره مِن مؤاخاةِ حمزةَ وزيدِ بنِ حارثةَ ، اللهُمَّ إلَّا أن يكونَ النبىُّ ﷺ لم يَجْعَلْ مصلحةَ علىٍّ إلى غيرِه ، فإنَّه كان مِمَّن يُنْفِقُ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن صِغَرِه فى حياةِ أبيه أبى طالبٍ ، كما تَقَدَّم[2] عن مجاهدٍ وغيرِه . وكذلك يكونُ حمزةُ قد الْتَزَم بمصالحِ مَوْلاهم زيدِ بنِ حارثةَ ، فآخاه بهذا الاعتبارِ . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا ذِكْرُه لمؤاخاةِ جعفرٍ ومُعاذِ بنِ جبلٍ فيه نظرٌ ، كما أشار إليه عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ ، فإنَّ جعفرَ بنَ أبى طالبٍ إنَّما قَدِم فى فتحِ خَيْبَرَ ، فى أولِ سنةِ سَبْعٍ ، كما سيَأْتِى بيانُه ، فكيف يُؤاخِى بينَه وبينَ مُعاذِ بنِ جبلٍ أولَ مَقْدَمِه ، عليه السَّلامُ ، إلى المدينةِ ، اللهمَّ إلَّا أن يُقالَ : إنَّه أُرْصِد لأُخُوَّتِه إذا قَدِم ، حينَ يَقْدَمُ .

وقولُه : وكان أبو عبيدةَ وسعدُ بنُ معاذٍ أخوَيْن . مُخالِفٌ لِمَا رَواه الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ آخَى بينَ أبى عُبَيْدَةَ بنِ الجرَّاحِ وبينَ أبى طلحةَ . وكذا رَواه مسلمٌ[4] مُنْفَرِدًا به ، عن حَجَّاجِ بنِ الشَّاعِرِ ، عن عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ

---

(١) أى انتفاع واستعانة . وارتفق القوم : صاروا رُفَقاء . الوسيط (ر ف ق) .

(٢) تقدم فى صفحة ٦٢ .

(٣) المسند ٣/ ١٥٢.

(٤) مسلم (٢٥٢٨) .

به . وهذا أصَحُّ مِمَّا ذَكَره ابنُ إسحاقَ مِن مُؤاخاةِ أبى عُبيدةَ وسعدِ بنِ مُعاذٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[1] : بابُ كيفَ آخَى النبيُّ ﷺ بينَ أصحابِه ، وقال عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ : آخَى النبيُّ ﷺ بينى وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ لَـمَّا قَدِمْنا المدينةَ . وقال أبو جُحَيْفَةَ : آخَى النبيُّ ﷺ بينَ سلمانَ الفارِسِيِّ وأبى الدرداءِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما . حدَّثنا محمدُ بنُ يوسفَ ، ثنا سفيانُ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ قال : قَدِم عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، فآخَى النبيُّ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ الأنصاريِّ ، فعَرَض عليه أن يُناصِفَه أهلَه ومالَه ، فقال عبدُ الرحمنِ : بارَكَ اللَّهُ لك فى أَهلِك ومالِك ، دُلَّنِى على السُّوقِ . فرَبح شيئًا مِن أَقِطٍ وسَمْنٍ ، فرآه النبيُّ ﷺ بعدَ أيامٍ وعليه وَضَرٌ[2] مِن صُفْرَةٍ ، فقال النبيُّ ﷺ : « مَهْيَمْ[3] يا عبدَ الرحمنِ ؟ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، تَزَوَّجْتُ امرأةً مِن الأَنصارِ . قال : « فما سُقْتَ فيها ؟ » . قال : وَزْنَ نَواةٍ مِن ذهبٍ . قال النبيُّ ﷺ : « أَوْلِمْ ولو بشاةٍ » . تفرَّدَ به مِن هذا الوجهِ . وقد رَواه أيضًا فى مواضعَ أُخَرَ ومسلمٌ[4] مِن طرقٍ عن حُميدٍ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ وحُمَيْدٌ ، عن

---

(١) فتح البارى ٧/ ٢٧٠. والحديث بعده فى البخارى (٣٩٣٧) .

(٢) الوضر يكون من الصُّفرة والحُمرة والطِّيب . والمعنى أنه رأى به لَطْخًا من خَلُوق أو طِيب له لون . اللسان (و ض ر) .

(٣) مهيم : كلمة استفهام ، أى : ما حالك ، وما شأنك ، أو ما وراءك .

(٤) البخارى (٢٠٤٩، ٢٢٩٣، ٣٧٨١، ٥٠٧٢، ٥١٥٣، ٥١٦٧، ٦٠٨٢) ، ومسلم (١٤٢٧) .

(٥) سقط من : ص .

(٦) المسند ٣/ ٢٧١.

أنسٍ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ قَدِم المدينةَ ، فآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ الأنصاريِّ ، فقال له سعدٌ : أىْ أخى ، أنا أكثرُ أهلِ المدينةِ مالًا ، فانظُرْ شَطْرَ مالى فخُذْه ، وتحتى امْرأتانِ ، فانظُرْ أيُّهما أَعْجَبُ إليك حتى أُطَلِّقَها . فقال عبدُ الرحمنِ : بارَك اللَّهُ لك فى أهلِك ومالِك ، دُلُّونى على السُّوقِ . فدَلُّوه ، فذَهَب فاشْتَرَى وباع فرَبِح ، فجاء بشىءٍ مِن أَقِطٍ وسَمْنٍ ، ثُم لَبِث ما شاء اللَّهُ أَن يَلْبَثَ ، فجاء وعليه رَدْعُ[1] زَعْفَرانٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْيَمْ ؟ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تَزَوَّجْتُ امرأةً . قال : « ما أَصْدَقْتَها ؟ » . قال : وَزْنَ نَواةٍ مِن ذهبٍ . قال : « أَوْلِمْ ولو بشاةٍ » . قال عبدُ الرحمنِ : فلقد رَأَيْتُنى ولو رَفَعْتُ حَجَرًا ، لَرَجَوْتُ أَن أُصِيبَ ذهبًا وفِضةً .

وتَعْلِيقُ البخاريِّ [٢/١٥٨ظ] هذا الحديثَ عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ غريبٌ ؛ فإنَّه لا يُعْرَفُ مُسنَدًا إلَّا عن أنسٍ ، اللَّهُمَّ إلَّا أن يكونَ أنسٌ تَلَقَّاه عنه[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ ، أخْبَرَنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ ، قال : قال المُهاجِرُون : يا رسولَ اللَّهِ ، ما رَأَيْنا مِثْلَ قومٍ قَدِمْنا عليهم أحْسَنَ مُواساةً فى

---

(١) فى الأصل : « ردغ » . وفى م ، ص : « ودع » . والمثبت من المسند . والرَّدْع : اللَّطْخ بالزعفران ، وقيل : الردع : أثر الخلوق والطيب فى الجسد . اللسان (ر د ع) .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٧٢: وظن الشيخ عماد الدين ابن كثير أن البخارى أشار بهذا التعليق إلى حديث أنس ، فقال : قصة عبد الرحمن لا تُعرف مسندة عنه ، وإنما أسندها البخارى وغيره عن أنس . قال : فلعل البخارى أراد أن أنسًا حملها عن عبد الرحمن . انتهى . أى انتهى كلام الحافظ ابن كثير . ويعلق الحافظ ابن حجر قائلا : والذى ادعاه مردودٌ لثبوته فى الصحيح . انتهى .

قلت : يشير الحافظ إلى الحديث الموصول عند البخارى فى كتاب البيوع (٢٠٤٨) .

(٣) المسند ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

قليلٍ، ولا أحسنَ بَذْلًا مِن كثيرٍ، لقد كَفَوْنا المَـئُونَةَ، وأَشْرَكونا فى المَهْنَإِ، حتى لقد خَشِينا أن يَذْهَبوا بالأَجرِ كلِّه. قال: «لا، ما أَثْنَيْتُم عليهم، ودَعَوْتُم اللَّهَ لهم». هذا حديثٌ ثُلاثىُّ الإسنادِ، على شرطِ «الصحيحين»، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أَصحـابِ الكتبِ السِّتَّةِ مِن هذا الوجهِ، وهو ثابتٌ فى «الصحيحِ» مِن (١وَجْهٍ آخرَ١).

وقال البخارىُّ(٢): أخبرَنا الحكَمُ بنُ نافعٍ، أخْبَرَنا شُعَيْبٌ، ثنا أبو الزِّنادِ، عن الأَعْرَجِ، عن أبى هُرَيْرَةَ قال: قالتِ الأنصارُ (٣للنبىِّ ﷺ٣): اقْسِمْ بيننا وبينَ إخْوانِنا النَّخِيلَ. قال: «لا». قالوا: تَكْفُونا(٤) المَـئُونَةَ ونَشْرَكْكُم فى الثَّمَرةِ. قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا. تَفَرَّد به. وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أَسْلَمَ(٥): قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للأنصارِ: «إنَّ إخْوانَكُم قد تَرَكُوا الأموالَ والأولادَ وخَرَجُوا إليكم». فقالوا: أموالُنا بينَنا قَطائِعُ(٦). فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ غَيْرَ ذلك؟». قالوا: وما ذاك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «هم قومٌ لا يَعْرِفُون العَمَلَ، فتَكْفُونَهم وتُقاسِمُونَهم الثَّمَرَ». قالوا: نعم. وقد ذَكَرْنا ما وَرَد مِن الأحاديثِ

(١ - ١) مكانه بياض فى النسخ، ولعل تمام الكلام ما أثبتناه. ويدل لتقديرنا هذا ما ذكره المصنف عقب ذلك من حديث البخارى. والحديث عند الترمذى (٢٤٨٧) عن حميد عن أنس، ولكنه ليس ثلاثى الإسناد. (صحيح سنن الترمذى ٢٠٢٠). وعند أبى داود مختصرًا (٤٨١٢) عن ثابت عن أنس، غير ثلاثىٍّ أيضا. (صحيح أبى داود ٤٠٢٧). وعزاه فى تحفة الأشراف ١٢٣/١ إلى النسائى فى «اليوم والليلة» عن محمد بن معمر عن يحيى بن حماد، كلاهما عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.

(٢) البخارى (٢٣٢٥).

(٣ - ٣) سقط من النسخ. وأثبتناه من صحيح البخارى.

(٤) فى م، ص: «أفتكفوننا».

(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٨/ ٤١، ٤٢.

(٦) القطائع: جمع قطيعة، والقطيعة من الشىء: ما قطعته منه.

والآثارِ، فى فضائلِ الأنصارِ وحُسنِ سَجاياهم، عندَ قولِه تعالى[1]: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية [الحشر: ٩].

فصلٌ: فى موتِ أبى أُمَامةَ أسعدَ بنِ زُرارَةَ بنِ عُدَسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجَّارِ، أحَدِ النُّقَباءِ الاثْنَىْ عَشَرَ ليلةَ العَقَبَةِ على قومِه بنى النَّجّارِ، وقد شَهِد العَقَباتِ الثلاثَ، وكان أوَّلَ مَن بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبةِ الثانيةِ فى قولٍ، وكان شابًّا، وهو أولُ من جَمَّع بالمدينةِ فى نَقِيعِ الخَضِماتِ فى هَزْمِ النَّبِيتِ، كما تَقَدَّم[2].

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3]: وهَلَك فى تلك الأَشْهُرِ أبو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارَةَ والمسجدُ يُبْنَى، أَخَذَتْه الذُّبْحَةُ[4]، أو الشَّهْقَةُ. وقال ابنُ جريرٍ فى «التاريخِ»[5]: أخْبَرَنا محمدُ بنُ عبدِ الأَعْلَى، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِىِّ، عن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَوَى أسعدَ بنَ زُرارَةَ مِن[6] الشَّوْكَةِ[7]. رجالُه ثقاتٌ.

قال ابنُ إسحاقَ[8]: حَدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عَمرِو بنِ

---

(١) التفسير ٨/٩٤ - ٩٨.

(٢) تقدم فى صفحة ٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٠٧.

(٤) الذُّبَاح والذُّبَحَة والذُّبَحة: وجع فى الحلق، كأنه يُذْبَح، ولم يعرف الذَّبْحة بالتسكين - مع فتح الذال - الذى عليه العامة. انظر اللسان (ذ ب ح).

(٥) تاريخ الطبرى ٢/٣٩٨.

(٦) فى الأصل، م: «فى».

(٧) الشوكة: حُمرة تعلو الوجه والجسد. انظر النهاية لابن الأثير ٢/٥١٠.

(٨) سيرة ابن هشام ١/٥٠٧.

حَزْمٍ، عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أَسْعدَ بنِ زُرارَةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بِئْسَ الميِّتُ أَبو أُمامَةَ لِيَهُودَ ومُنافِقِى العربِ؛ يَقُولونَ: لو كان نَبِيًّا، لم يَمُتْ صاحِبُه. ولا أَمْلِكُ لنفسى ولا لصاحبى مِن اللَّهِ شيئًا». وهذا يَقْتَضِى أنَّه أوَّلُ مَن مات بعدَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ، وقد زَعَم أبو الحسنِ بنُ الأَثيرِ فى «أُسْدِ الغابةِ»[1]: أنَّه مات فى شَوَّالٍ، بعدَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ بسبعةِ أشْهُرٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[2]، عن عاصمِ بنِ عُمرَ بنِ قَتادَةَ، أنَّ بنى النَّجَّارِ سَأَلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُقِيمَ لهم نقيبًا بعدَ أبى أُمامَةَ أسعدَ بنِ زُرارَةَ، فقال: «أنتم أَخْوالى، وأنا بما فيكم، وأنا نَقِيبُكم». وكَرِه أن يَخُصَّ بها بعضَهم دونَ بعضٍ. فكان مِن فضلِ بنى النَّجّارِ الذى يَعْتَدُّون به على قومِهم، أن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ نقيبَهم. قال ابنُ الأَثيرِ[3]: وهذا يَرُدُّ قولَ أبى نُعَيْمٍ وابنِ مَنْدَه، فى قولِهما: إنَّ أسعدَ بنَ زُرارَةَ كان نقيبًا على بنى ساعِدَةَ. إنَّما كان على بنى النَّجَّارِ. وصَدَق ابنُ الأثيرِ فيما قال. وقد قال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ فى «التاريخِ»[4]: كان أوَّلَ مَن تُوُفِّى بعدَ مَقْدَمِه، عليه السلامُ، [٢/١٥٩و] المدينةَ مِن المُسْلِمِين - فيما ذُكِر - صاحبُ منزلِه كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ، لم يَلْبَثْ بعدَ مَقْدَمِه إلَّا يسيرًا حتى مات، ثم تُوُفِّىَ بعدَه أسعدُ بنُ زُرَارَةَ، وكانت وفاتُه فى سنةِ مَقْدَمِه، قبلَ أن يَفْرَغَ بِناءُ المسجدِ، بالذُّبْحَةِ أو الشَّهْقَةِ.

---

(١) أسد الغابة ١/ ٨٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) أسد الغابة ١/ ٨٧.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٧.

قلت : وكُلثومُ بنُ الهِدْمِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ الحارثِ بنِ زيدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمرِو بنِ عوفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ الأَنصاريُّ الأَوْسيُّ ، وهو مِن بنى عَمرِو بنِ عوفٍ ، وكان شيخًا كبيرًا أَسْلَم قبلَ مَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، ولـمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ونَزَل بقُباءٍ ، نَزَل فى منزلِ هذا فى الليلِ ، وكان يَتَحَدَّثُ بالنهارِ مع أَصحابِه فى منزلِ سعدِ بنِ الربيعِ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، إلى أن ارْتَحَل إلى دارِ بنى النَّجّارِ ، كما تَقَدَّم[1] . قال ابنُ الأثيرِ[2] : وقد قيل : إنَّه أولُ من مات مِن المُسلِمِين بعدَ مَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم بعدَه أسعدُ بنُ زُرارَةَ . ذَكَره الطبرىُّ[3] .

فصلٌ : فى ميلادِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ فى شوالٍ سنةَ الهجرةِ فكان أولَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسلامِ مِن المهاجرين ، كما أنَّ النُّعْمانَ بنَ بَشِيرٍ أولُ مولودٍ وُلِدَ للأنصارِ بعدَ الهجرةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما . وقد زَعَم بعضُهم[4] أنَّ ابن الزُّبَيْرِ وُلِدَ بعدَ الهجرةِ بعشرين شهرًا . قاله أبو الأَسْوَدِ . ورواه الواقِدِىُّ[5] عن محمدِ بنِ يحيى بنِ سَهْلِ بن أبى حَثْمةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه . وزعَمُوا[6] أنَّ النُّعمانَ وُلِدَ قبلَ الزُّبَيْرِ بستةِ أشهرٍ ، على رأسِ أربعةَ عَشَرَ شهرًا مِن الهجرةِ . والصحيحُ ما قَدَّمْناه .

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٨٨ ، ٤٨٩. والذى هناك سعد بن خيثمة ، وليس سعد بن الربيع . وانظر الإصابة ٣/ ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩.

(٢) أسد الغابة ٤/ ٤٩٥.

(٣) هذا من كلام ابن الأثير فى الأسد . وقد ذكره الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٩٧.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠١.

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠١، ٤٠٢.

قال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا زكريَّا بنُ يَحْيَى ، ثنا أبو أسَامَةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ ، أنَّها حمَلَتْ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ قالت : فخرَجْتُ وأنا مُتِمٌّ ، فأتَيْتُ المدينةَ ، فنزَلْتُ بقُبَاءٍ فولَدْتُه بُقبَاءٍ ، ثمُ أتَيْتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فوضَعه فى حِجْرِه ، ثُم دعَا بتَمْرةٍ ، فمضَغَها ثُم تَفَل فى فِيه ، فكان أولَ شيءٍ دخَل جوفَه ، رِيقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم حَنَّكَه بتَمْرةٍ ، ثُم دعَا له وبَرَّك عليه، وكان أولَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسْلامِ . تابَعَه خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، عن عليِّ بنِ مُسْهِرٍ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن أسماءَ أنَّها هاجَرَتْ إلى النبيِّ ﷺ ، وهى حُبْلَى .

حدَّثَنا[2] قُتَيْبَةُ ، عن أبى أسامةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : أولُ مولودٍ وُلِدَ فى الإسلامِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، أتَوْا به النبيَّ ﷺ ، فأخَذ النبيُّ ﷺ ، تَمْرةً فلاكَها[3] ، ثُم أَدْخَلَها فى فِيه ، فأولُ ما دخَل بطنَه ريقُ النبيِّ ﷺ . فهذا حُجَّةٌ على الواقدىِّ وغيرِه ؛ لأنَّه ذكَر أنَّ النبيَّ ﷺ بعَث مع عبدِ اللَّهِ بنِ أُرَيْقِطٍ - لـمَّا رجَع إلى مكةَ - زيدَ بنَ حارثةَ وأبا رافعٍ ؛ لِيَأْتوا بعيالِه وعيالِ أبى بكرٍ ، فقَدِموا بهم أَثَرَ هجرةِ النبيِّ ﷺ ، وأسماءُ حاملٌ مُتِمٌّ أى مُقْرِبٌ ، قد دَنَا وَضْعُها لولدِها ، فلـمَّا ولَدَتْه كَبَّرَ المسلمون تَكْبيرةً عظيمةً ؛ فرحًا بمولدِه ؛ لأنَّه كان قد بلَغَهم عن اليهودِ أنَّهم سحَروهم ، حتى لا يُولَدَ لهم بعدَ هجرتِهم ولدٌ ، فأَكْذَبَ اللَّهُ اليهودَ فيما زَعَموا[4] .

---

(١) البخارى (٣٩٠٩) .

(٢) الكلام للبخارى ، فى صحيحه (٣٩١٠) .

(٣) لاكها : مضغها . واللوك : إدارة الشىء فى الفم .

(٤) الظاهر أن المصنف قد جمع بين رواية الواقدى فى بعث النبى ﷺ عبد اللَّه بن أريقط وأبا =

فصلٌ : وبنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بعائشةَ فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا وَكِيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تَزَوَّجَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى شوَّالٍ ، وبَنَى بى فى شَوَّالٍ ، فأىُّ نساءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كان أحْظَى عندَه منى ؟ وكانت عائشةُ تَسْتَحِبُّ أنْ تُدْخِلَ نساءَها فى شَوَّالٍ . ورواه مسلمٌ ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجه[2] ، مِن طرقٍ عن سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ به . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِ سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ .

فعلى هذا يكونُ دخولُه بها ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ الهجرةِ بسبعةِ أشهرٍ ، أو ثمانيةِ أشهرٍ . وقد حكَى القَوْلَيْن [٢/١٥٩ظ] ابنُ جَرِيرٍ[3] . وقد تَقَدَّمَ[4] فى تَزْويجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بسَوْدَةَ ، كيفيةُ تزويجِه ودخولِه بعائشةَ ، بعدَما قَدِمُوا المدينةَ ، وأنَّ دخولَه بها كان بالسُّنْحِ نهارًا . وهذا خلافُ ما يَعْتَادُه الناسُ اليومَ . وفى دخولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بها فى شَوَّالٍ ، رَدٌّ لِمَا يَتَوَهَّمُه بعضُ الناسِ مِن كراهيةِ الدخولِ بينَ العيدَيْنِ ، خشيةَ المفارَقةِ بينَ

= رافع ... إلخ ، وما وقع عند البخارى فى « صحيحه » (٥٤٦٩) وغيره ، من فرح المسلمين فرحًا شديدًا ، إلى آخر كلام المصنف . وبذلك الجمع يحتج على الواقدى ، بأن أسماء - رضى اللَّه عنها - حملت بعبد اللَّه بن الزبير بمكة فخرجت وهى متمٌّ ، فأتت قباء فولدته ثم أتت المدينة ، فأتت به رسول اللَّه ﷺ ليحنكه ، وكان ذلك بعد استقرار النبى ﷺ بالمدينة ، فالمسافة قريبة جدا لا تحتمل عشرين شهرا ، بل ولا عشرة أشهر . انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠١. وطبقات ابن سعد ٨/ ٦٢، ٦٣. وفتح البارى ٧/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٩/ ٥٨٩.

(١) المسند ٦/ ٢٠٦.

(٢) مسلم (١٤٢٣) . والترمذى (١٠٩٣) . والنسائى (٣٢٣٦، ٣٣٧٧) . وابن ماجه (١٩٩٠) .

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٨.

(٤) تقدم فى صفحة ٣٢٤ - ٣٣١ .

الزوجين ، وهذا ليس بشيءٍ ؛ لِمَا قالَتْه عائشةُ ، رادَّةً على مَن تَوَهَّمَه مِن الناسِ فى ذلك الوقتِ : تَزَوَّجَنِى فى شَوَّالٍ ، وبَنَى بى - أى دخَل بى - فى شوَّالٍ ، فأىُّ نسائِه كان أَحْظَى عندَه مِنّى . فدلَّ هذا على أنَّها فَهِمَتْ منه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أنَّها أَحَبُّ نسائِه إليه ، وهذا الفَهمُ منها صحيحٌ ؛ لِمَا دَلَّ على ذلك مِن الدلائلِ الواضحةِ ، ولو لم يَكُنْ إلَّا الحديثُ الثابتُ فى « صحيحِ البخاريِّ »[1] ، عن عمرِو بنِ العاصِ ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ الناسِ أَحَبُّ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : مِن الرجالِ ؟ قال : « أَبُوها » .

---

(١) البخارى (٣٦٦٢، ٤٣٥٨) .

فصلٌ

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : وفى هذه السنةِ - يَعْنِى السنةَ الأُولَى مِن الهجرةِ - زِيدَ فى صلاةِ الحَضَرِ ، فيما قيل ، ركْعتانِ ، وكانتْ صلاةُ الحَضَرِ والسفرِ رَكْعَتَيْنِ ، وذلك بعدَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ المدينةَ بشهرٍ ، فى ربيعٍ الآخِرِ لمُضِىِّ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً منه[2] . وقال : وزعَم الواقِدِىُّ أنَّه لا خلافَ بينَ أهلِ الحجازِ فيه .

قلتُ : قد تقدَّمَ[3] الحديثُ الذى روَاه البُخارىُّ ، مِن طريقِ مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : فُرِضَتِ الصلاةُ أولَ ما فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ ، فأُقِرَّتْ صلاةُ السفرِ ، وزِيدَ فى صلاةِ الحَضَرِ . ورُوِىَ[4] مِن طريقِ الشَّعْبِىِّ ، عن مَسْرُوقٍ ، عنها .

وقد حكَى البَيْهَقِىُّ[5] ، عن الحَسَنِ البصرِىِّ ، أنَّ صلاةَ الحَضَرِ أولَ ما فُرِضَتْ ، فُرِضَتْ أربعًا . واللَّهُ أعلمُ . وقد تكلَّمْنا على ذلك فى تفسيرِ سورةِ « النساءِ » ، عندَ قولِه تعالى[6] : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآية [النساء : ١٠١] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٠.

(٢) سقط من : م .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩١ حاشية (٥) .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٢ حاشية (١) .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٢ حاشية (٣) .

(٦) التفسير ٢/٢٤٧ - ٢٥١.

فصلٌ فى الأذانِ ومشروعيَّتِه

[1]عندَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ، المدينةَ النبويةَ[1]

قال ابنُ إسْحاقَ[2] : فلمَّا اطْمَأنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، واجْتَمَعَ إليه إخْوانُه مِن المهاجرين، واجْتَمعَ أمرُ الأَنْصارِ، استَحْكَم أمرُ الإسلامِ[3] ، فقامَتِ الصلاةُ، وفُرِضَتِ الزكاةُ والصيامُ، وقامَتِ الحدودُ، وفُرِضَ الحلالُ والحرامُ، وتَبَوَّأَ الإسلامُ بينَ أظْهُرِهم، وكان هذا الحيُّ مِن الأنصارِ هم الذين تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ، وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قَدِمَها، إنما يَجْتَمِعُ الناسُ إليه للصَّلاةِ لحِينِ مواقيتِها بغيرِ دَعْوةٍ، فَهَمَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ يَهودَ الذى يَدْعُونَ به لصلاتِهم، ثُم كرِهَه، ثُم أمَرَ بالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيُضْرَبَ به للمُسْلمينَ للصَّلاةِ، فبَيْنا هم على ذلك، رأَى عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ رَبِّه أخو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، النِّداءَ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّه طَافَ بى هذه الليلةَ طائفٌ؛ مَرَّ بى رَجُلٌ عليه ثَوْبان أخْضَرانِ، يَحْمِلُ ناقوسًا فى يدِه، فقلت: يا عبدَ اللَّهِ، أَتَبِيعُ هذا الناقوسَ؟ فقال: وما تَصْنَعُ به؟ قال: قلتُ: نَدْعُو به إلى الصَّلاةِ. قال: ألا أَدُلُّك على خيرٍ مِن ذلك؟ قلتُ: وما هو؟ قال: تَقولُ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٠٨، ٥٠٩.

(٣) فى ص: «الصلاة».

اللَّهُ ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّه ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحمدًا رسولُ اللَّهِ ، حيَّ على الصَّلاةِ ، حيَّ على الصَّلاةِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ ، لا إلهَ إلا اللَّهُ . فلمَّا أَخبرَ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ [٢/١٦٠و] قال : « إنَّها لَرُؤْيا حَقٌّ إن شَاءَ اللَّهُ ، فَقُمْ مع بِلالٍ فَأَلْقِها عليه فَلْيُؤَذِّنْ بها ؛ فإنَّه أَنْدَى[(١)] صَوْتًا منك » . فلمَّا أَذَّنَ بها بلالٌ سمِعَه عمرُ بنُ الخَطَّابِ وهو فى بيتِه ، فخرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَجُرُّ رِداءَه وهو يقولُ : يا نبيَّ اللَّهِ ، والذى بَعَثكَ بالحقِّ ، لقد رأيتُ مثلَ الذى رأَى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فللهِ الحمدُ » .

قال ابنُ إسْحاقَ[(٢)] : فحدَّثَنى بهذا الحديثِ محمدُ بنُ إبْراهيمَ بنِ الحارثِ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ ربِّه ، عن أبيه .

وقد رَوَى هذا الحديثَ أبو داودَ ، والتِّرْمِذىُّ ، وابنُ ماجه ، وابنُ خزيمةَ ، مِن طُرُقٍ ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ به[(٣)] . وصحَّحَه التِّرْمذىُّ ، وابنُ خُزَيْمةَ ، وغيرُهما[(٤)] . وعندَ أبى داودَ[(٥)] أنَّه علَّمَه الإقامةَ ؛ قال : ثُم تَقولُ إذا أَقَمْتَ الصَّلاةَ : اللَّهُ أكبرُ اللَّهُ أكبرُ ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، حيَّ على الصَّلاةِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، قد قَامَتِ الصَّلاةُ قد قامَتِ الصلاةُ ،

---

(١) أندى : أرفع وأعلى . وقيل : أحسن وأعذب . وقيل : أبعد . النهاية ٥/ ٣٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٣) أبو داود (٤٩٩) . والترمذى (١٨٩) مختصرا . وابن ماجه (٧٠٦) . وابن خزيمة فى صحيحه (٣٦٣) مختصرا . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٦٩) .

(٤) انظر الإرواء ١/ ٢٦٥.

(٥) أبو داود (٤٩٩) .

اللَّهُ أكبرُ اللَّهُ أكبرُ، لا إلهَ إلا اللَّهُ. وقد رَوَى ابنُ ماجَه[1] هذا الحديثَ، عن أبى عُبَيْدٍ محمدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ مَيْمُونٍ، عن محمدِ بنِ سَلَمةَ الحَرَّانىِّ، عن ابنِ إسْحاقَ كما تَقَدَّمَ. ثُم قال[2]: قال أبو عُبَيْدٍ: وأَخْبَرَنى أبو بكرٍ الحكَمىُّ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ زَيْدٍ الأنصارىَّ قال فى ذلك:

[3]أَحْمَدُ اللَّهَ ذا الجلالِ وذا[3] الإكْـ ـرامِ حَمْدًا على الأَذانِ كثيرا

إذْ أَتَـانِـى بـه البَـشِيرُ مِن الـلَّـهِ فـأَكْـرِمْ بـه لَدَىَّ بَشِـيرا

[٢/ ١٦٠ظ] فى ليالٍ والَى بهن ثلاثٍ كـلَّـمـا جـاءَ زادَنـى تَـوْقـيـرا

قلتُ: وهذا الشعرُ غريبٌ، وهو يَقْتَضى أنَّه رَأَى ذلك ثلاثَ ليَالٍ حتى أَخْبَرَ به رسولَ اللَّهِ ﷺ. فاللَّهُ أَعْلَمُ.

ورواه الإمامُ أَحْمَدُ[4] مِن حَدِيثِ محمدِ بنِ إسْحاقَ. قال[5]: وذكَر الزُّهْرِىُّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ به، نحوَ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ، ولم يَذْكُرِ الشِّعْرَ.

وقال ابنُ ماجَه[6]: حدَّثَنا محمدُ بنُ خالِدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الواسِطِىُّ، ثنا أبى،

---

(١) ابن ماجه (٧٠٦). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٥٨٠).

(٢) سكت الشيخ الألبانى عن هذه الزيادة فلم يحكم عليها. انظر ضعيف سنن ابن ماجه (١٤٧)، وصحيح سنن ابن ماجه (٥٨٠).

(٣ - ٣) فى النسخ: «الحمد لله ذى الجلال وذى». والمثبت من سنن ابن ماجه (٧٠٦). وهو الموافق للوزن.

(٤) المسند ٤/ ٤٢، ٤٣.

(٥) أى الإمام أحمد، المصدر السابق.

(٦) ابن ماجه (٧٠٧). ضعيف، وبعضه صحيح. (ضعيف سنن ابن ماجه ١٤٨. وصحيح سنن ابن ماجه ٥٨٠/ ١).

عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسْحَاقَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَشَارَ الناسَ لِمَا يُهِمُّهم إلى[1] الصلاةِ ، فذكَروا البُوقَ ، فكَرِهه مِن أجْلِ اليَهودِ ، ثُم ذكَروا الناقوسَ ، فكَرِهَه مِن أجْلِ النَّصارَى ، فأُرِىَ النداءَ تلك الليلةَ رجلٌ مِن الأَنصارِ يُقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ . وعمرُ بنُ الخَطَّابِ ، فطرَق الأنصارىُّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا ، فأمرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِلالًا فأذَّنَ به . قال الزُّهْرِىُّ : وزاد بلالٌ فى نِداءِ صَلاةِ الغَداةِ : الصلاةُ خيرٌ مِن النومِ . مرَّتَيْن ، فأقرَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال عُمَرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، رأَيْتُ مِثْلَ الذى رَأَى ، ولكنَّه سَبَقَنِى . وسيأْتِى تَحريرُ هذا الفَصْلِ فى بابِ الأَذانِ مِن كِتابِ « الأَحْكامِ الكبيرِ » ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى وبه الثِّقةُ ، فأمَّا الحديثُ الذى أوردَه السُّهَيْلِىُّ[2] بسنَدِه ، مِن طريقِ البَزَّارِ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ عُثْمانَ بنِ مَخْلَدٍ ، ثنا أبى ، عن زِيادِ ابنِ المُنْذِرِ ، عن محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ . فذكَرَ حديثَ الإسْرَاءِ ، وفيه : فخرَج مَلَكٌ مِن وَراءِ الحِجَابِ فأَذَّنَ بهذا الأَذانِ ، وكلما قال كلمةً صَدَّقَه اللَّهُ تعالى ، ثُم أخذَ المَلَكُ بيدِ محمدٍ ﷺ ، فقدَّمَه فأمَّ بأهلِ السَّماءِ ، وفيهم آدَمُ ونوحٌ . ثُم قال السهيلىُّ : وأَخْلِقْ[3] بهذا الحديثِ أن يَكونَ صحيحًا ؛ لِما يَعْضُدُه ويُشاكِلُه مِن حديثِ الإسْراءِ . فهذا الحديثُ ليس كما زعمَ السُّهيلىُّ أنَّه صحيحٌ ، بل هو مُنْكرٌ ؛ تَفَرَّدَ به زيادُ ابنُ المُنْذِرِ أبو الجارُودِ الذى تُنْسَبُ إليه الفِرْقَةُ الجارودِيَّةُ ، وهو مِن المُتَّهمِينَ . ثُم لو كان هذا قد سَمِعَه رسولُ اللَّه ﷺ ليلةَ الإسراءِ ؛ لأَوْشَك أنْ يَأْمُرَ به بعدَ

---

(١) فى النسخ : « من » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) الروض الأنف ٤/ ٣٨٤، ٣٨٥.

(٣) أَخْلِقْ به : ما أجدرَه وأولاه . الوسيط (خ ل ق) .

الهجرةِ فى الدَّعْوَةِ إلى الصلاةِ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ هِشامٍ[1] : وذكَر ابنُ جُرَيجٍ قالَ : قال لى عَطاءٌ : سمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ ، يَقولُ : ائْتَمَرَ[2] النبىُّ ﷺ وأصْحابُه بالناقوسِ للاجْتماعِ للصَّلاةِ ، فبَيْنا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ يُريدُ أن يَشْتَرِىَ خشبتَيْن للناقوسِ ، إذ رَأَى عمرُ فى المنامِ : لا تَجْعَلوا الناقوسَ ، بل أَذِّنُوا للصلاةِ . فذهَب عمرُ إلى النبىِّ ﷺ لِيُخْبِرَه بما رَأَى ، وقد جاءَ النبىَّ ﷺ الوحْىُ بذلك فما راعَ عُمَرَ إلا بلالٌ يُؤَذِّنُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ أخْبَرَه بذلك : « قد سَبَقَك بذلك الوَحْىُ » . وهذا يَدُلُّ على أنَّه قد جاءَ الوَحْىُ بتقريرِ ما رآه عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ رَبِّه كما صرَّحَ به بعضُهم . واللَّهُ تَعالى أَعْلَمُ .

قال ابنُ إِسْحاقَ[3] : وحدَّثَنى محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن امرأةٍ مِن بنى النجَّارِ قالَتْ : كان بَيْتى مِن أطْوَلِ بيتٍ حَوْلَ المَسْجِدِ ، فكان بِلالٌ يُؤَذِّنُ عليه للفَجْرِ كلَّ غداةٍ فيَأْتِى بسَحَرٍ ، فيَجْلِسُ على البيْتِ يَنْتَظِرُ الفَجْرَ ، فإذا رآه تَمَطَّى[4] ، ثُم قال : اللهمَّ أَحْمَدُك وأَسْتَعينُك على قُرَيْشٍ أَن يُقيموا دينَك . قالَتْ : ثُم يُؤَذِّنُ . قالَتْ : واللَّهِ ما علِمْتُه كان ترَكَها ليلةً واحدةً . يَعْنِى هذه الكَلِماتِ . ورواه أبو داودَ[5] مِن حديثِه منفرِدًا به .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٢) ائتمر القوم : تشاوروا . الوسيط (أ م ر) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٤) تمطى الرجل : تمدد . اللسان (م ط و) .

(٥) أبو داود (٥١٩) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٨٧) .

فصل: فى سَرِيَّةِ حمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، رضِىَ اللَّهُ عنه.

قال ابنُ جَرِيرٍ[1]: وزعَم الواقدىُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، عَقَدَ فى هذه السنةِ، فى شَهْرِ رمضانَ، على رأْسِ سَبْعةِ أَشْهُرٍ مِن مُهاجَرِه، لحمزةَ بنِ عبد المُطَّلِبِ لِواءً أبْيَضَ فى ثلاثينَ رَجُلًا مِن المُهاجِرينَ؛ لِيَعْتَرِضَ لعِيرَاتِ[2] قُرَيْشٍ، وأَنَّ حَمْزَةَ لَقِىَ أبا جهلٍ فى ثلاثِمائةِ رَجُلٍ مِن قُرَيْشٍ، فحَجَزَ بينَهم مَجْدِىُّ بنُ عمرٍو[3]، ولم يَكُنْ بينَهم قِتَالٌ. قال: وكان الذى يَحْمِلُ لِواءَ حمزةَ؛ أبو مَرْثَدٍ الغَنَوِىُّ.

فصلٌ: فى سَرِيَّةِ عُبَيْدةَ بنِ الحارثِ بنِ[4] المُطَّلِبِ.

قال ابنُ جريرٍ[5]: وزعَمَ الواقِدِىُّ أيْضًا، أنَّ النبىَّ ﷺ عقَدَ فى هذه السنةِ على رَأْسِ ثمانيةِ أَشْهُرٍ فى شَوَّالٍ لعُبَيْدةَ بنِ الحارِثِ لواءً أبْيَضَ، وأمَره بالمسيرِ إلى بطنِ رابِغٍ[6]، وكان لِواؤُه مع مِسْطَحِ بن أُثاثَةَ، فبلغ ثَنِيَّةَ المَرَةِ، وهى بناحيةِ الجُحْفَةِ، فى سِتِّين مِن المهاجرين، ليس فيهم أَنْصَارِىٌّ، وأنَّهم التَقَوْا هُم والمشركون على ماءٍ يُقال له: أحْيَاءٌ. وكان بينَهم الرَّمْىُ دونَ المُسايَفَةِ[7]. قال الواقدىُّ: وكان المشركون مائتَيْن عليهم أبو سُفْيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ. وهو المُثْبَتُ عندَنا[8]. وقيل: كان عليهم مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٢. وانظره مطولًا فى مغازى الواقدى ١/ ٩.

(٢) العيرات: جمع عِير، يريد إبلهم ودوابَّهم التى كانوا يتاجرون عليها. النهاية ٣/ ٣٢٩.

(٣) فى ص: «عمر».

(٤) بعده فى النسخ: «عبد». وانظر أسد الغابة ٣/ ٥٥٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٢.

(٦) رابغ: وادٍ يقطعه الحاج بين البَرْواء والجُحفة دون عَزْوَر. معجم البلدان ٢/ ٧٢٧.

(٧) فى م، ص: «المسابقة». والمسايفة: التضارب بالسيوف. الوسيط (س ى ف).

(٨) أى عند الواقدى، انظر مغازى الواقدى ١/ ١٠.

فصلٌ

قال الواقِدِىُّ[1] : وفيها - يَعْنِى فى السنةِ الأولى فى ذى القَعْدةِ - عَقَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لسَعْدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ إلى الخَرَّارِ[2] لواءً أبْيَضَ يَحْمِلُهُ المِقْدَادُ بنُ الأسْوَدِ ، فحدَّثَنى أبو بكرِ بنُ إسْماعيلَ ، عن أبيه ، عن عامرِ[3] بنِ سَعْدٍ ، [4]عن أبيه[4] ، قال : خرَجْتُ فى عِشْرين رجلًا على [٢/١٦١و] أقْدامِنا - أو قال : أحدِ وعِشْرينَ رجُلًا - فكُنّا نَكْمُنُ النهارَ ونسيرُ اللَّيْلَ ، حتى صبَّحْنا الخَرَّارَ صُبْحَ خامسةٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد عَهِدَ إلىَّ أن لا أُجاوِزَ الخَرَّارَ ، وكانت العِيرُ قد سبَقَتْنى قبلَ ذلك بيَوْمٍ . قال الواقِدِىُّ[5] : كانت العِيرُ سِتِّينَ ، وكان مَن مع سعدٍ كلُّهم مِن المُهَاجِرينَ . قال أبو جَعْفَرِ بنُ جَرِيرٍ[6] : وعندَ ابنِ إسْحاقَ ؛ أنَّ هذه السَّرايا الثلاثَ - التى ذكَرها الواقدىُّ - كلَّها ، فى السنةِ الثانيةِ مِن الهِجْرَةِ مِن وَقْتِ التاريخِ .

قلتُ : كلامُ ابنِ إسْحاقَ ليس بصريحٍ - فيما قاله أبو جَعْفَرٍ ، لِمَن تأمَّلَه - كما سنُورِدُه فى أولِ كتابِ المَغازِى ، فى أولِ السنةِ الثانيةِ مِن الهِجْرةِ ،

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٠٣، عن الواقدى ، وانظر مغازى الواقدى ١/ ١١.

(٢) فى ص : « الحربان » . والخرار : ماء لبنى زهير وبنى بدر ابنىْ ضمرة ، قال الزبير : هو وادى الحجاز ، يصب على الجحفة . معجم ما استعجم ٢/ ٤٩٢.

(٣) فى الأصل ، ص : « عاصم » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٠٣، عن الواقدى .

(٦) المصدر السابق .

وذلك تِلوَ ما نحن فيه إنْ شاء اللَّهُ ، إذ[1] يَحْتَمِلُ أن يكونَ مُرادُه أنها وَقَعَتْ هذه السَّرايا فى السنةِ الأولى ، وسنَزيدُها بَسْطًا وشَرْحًا إذا انتهَيْنا إليها ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى . والواقدىُّ عندَه زياداتٌ حَسَنَةٌ ، وتاريخٌ مُحَرَّرٌ غالبًا ؛ فإنَّه مِن أئمةِ هذا الشأنِ الكِبارِ ، وهو صَدُوقٌ فى نفسِهِ مِكْثَارٌ ، كما بَسَطْنا القَوْلَ فى عدالتِه وجَرْحِه فى كتابِنا الموسومِ بـ« التَّكْميلِ فى مَعْرِفةِ الثِّقاتِ والضُّعَفاءِ والمجاهيلِ » . وللَّهِ الحمدُ والـمِنَّةُ .

فصلٌ

وممَّن وُلِدَ فى هذه السنةِ المبارَكةِ - وهى الأُولى مِن الهِجْرةِ - عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، فكانَ أولَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسْلامِ بعدَ الهِجْرةِ ، كما روَاه البُخارىُّ[2] ، عن أمِّه أسماءَ وخالتِه عائشةَ أمِّ المؤمنين ابنتي الصِّدِّيقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما . ومِن الناسِ مَن يَقولُ : وُلِدَ النُّعْمانُ بنُ بَشيرٍ قبلَه بستةِ أشْهُرٍ[3] . فعلَى هذا يَكُونُ ابنُ الزُّبَيْرِ أولَ مولودٍ وُلِدَ بعدَ الهِجْرةِ مِن المهاجرين . ومِن الناسِ مَن يَقولُ : إنَّهما وُلِدا فى السنةِ الثانيةِ مِن الهِجْرةِ[3] . والظاهرُ الأولُ كما قدَّمْنا بيانَه[2] ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، وسنُشِيرُ فى آخِرِ السنةِ الثانيةِ إلى القَوْلِ الثانى ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل : « أو » . وفى م : « و » .

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٥٦٩ .

(٣) تقدم تخريج هذا القول صفحة ٥٦٨ .

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : وقد قيل : إنَّ المُخْتارَ بنَ أبى عُبَيْدٍ ، وزِيادَ بنَ سُمَيَّةَ وُلِدَا فى هذه السنةِ الأُولَى[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وممن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ الأولى مِن الصَّحابةِ ، كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ الأوسىُّ ، الذى نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَسْكَنِه بقُباءٍ إلى حينَ ارْتَحَلَ منها إلى دَارِ بنى النَّجَّارِ ، كما تقدَّمَ[3] ، وبعدَه فيها أبو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ ، نقيبُ بنى النَّجَّارِ ، تُوُفِّىَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْنِى المسجدَ ، كما تقدَّم[3] ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأَرْضاهما .

قال ابنُ جَرِيرٍ[4] : وفى هذه السنةِ - يَعْنِى الأولى مِن الهِجْرةِ - ماتَ أبو أُحَيْحَةَ بمالِه بالطائفِ ، وماتَ الوليدُ بنُ المُغيرةِ ، والعاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمىُّ فيها بمكةَ .

قلتُ : وهؤلاءِ ماتوا على شِرْكِهم ، لم يُسْلِمُوا للَّهِ عزَّ وجلَّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٢.

(٢) سقط من : الأصل . وفى ص : « الثانية » .

(٣) تقدم فى صفحة ٥٦٧ .

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذِكْرُ ما وقَع فى السنةِ الثانيةِ مِن الهجرةِ، مِن الحوادِثِ

وقَع فيها كثيرٌ مِن المَغازِى والسَّرايا، ومِن أعظمِها وأجلِّها بدرٌ الكبْرَى، التى كانت فى رمضانَ منها، وقد فرَق اللَّهُ بها بينَ الحقِّ والباطلِ، والهُدَى والغَىِّ. وهذا أوانُ ذِكْرِ المغازى والبُعُوثِ، فنَقولُ وباللَّهِ المُستعانُ:

كتابُ المغازِى

قال الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ فى كتابِ «السيرةِ»[1]، بعدَ ذكرِه أَحْبارَ[2] اليهودِ، ونَصْبَهم العَداوةَ للإسلامِ وأهلِه، وما نَزَل فيهم مِن الآياتِ: فمنهم؛ حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ، وأَخَواه أبو ياسرٍ، وجُدَىٌّ، وسلَّامُ بنُ مِشْكَمٍ، وكِنانَةُ بنُ الربيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ، وسلَّامُ بنُ أبى الحُقَيْقِ، وهو أبو رَافِعٍ الأَعْوَرُ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٤.

(٢) فى الأصل: «أخبار».

تاجِرُ أهلِ الحجازِ، وهو الذى قتَلَه الصحابةُ بأرضِ خَيْبَرَ - كما سيأْتى - والرَّبيعُ بنُ الرَّبيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ، وعَمْرُو بنُ جِحاشٍ، وكَعْبُ بنُ الأَشْرَفِ، وهو مِن طَيِّئٍ، ثُم أحدُ بنى نَبْهانَ، [٢/ ١٦١ظ] وأمُّه من بنى النَّضِيرِ - وقد قتَلَه الصحابةُ قبلَ أبى رافِعٍ، كما سيأْتِى - وحَلِيفاه الحَجّاجُ بنُ عَمْرٍو، وكَرْدَمُ بنُ قَيْسٍ، لعَنَهم اللَّهُ. فهؤلاء مِن بنى النَّضِيرِ.

ومِن بنى ثَعْلَبَةَ بنِ الفِطْيَوْنِ[(١)]؛ عبدُ اللَّهِ بنُ صُورِيَا، ولم يكنْ بالحجازِ أحدٌ[(٢)] أعلمَ بالتوراةِ منه - قلتُ: وقد قيل: إنَّه أسْلَم - وابنُ صَلُوبا، ومُخَيْرِيقُ - وقد أسْلَم[(٣)] يومَ أُحُدٍ كما سيأْتِى - وكان حَبْرَ[(٤)] قومِه.

ومِن بنى قَيْنُقاعَ؛ زيدُ بنُ اللُّصَيْتِ، وسعدُ بنُ حُنَيفٍ، ومحمودُ بنُ سَيْحَانَ[(٥)]، وعُزَيزُ بنُ أبى عُزَيزٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ صَيْفٍ[(٦)]، وسُوَيْدُ بنُ الحارثِ، ورِفاعةُ بنُ قَيْسٍ، وفِنْحاصُ، وأَشْيَعُ، ونُعمانُ بنُ أَضَا[(٧)]، وبَحْرِىُّ بنُ عَمْرٍو، وشأْسُ[(٨)] بنُ عَدِىٍّ، وشأْسُ[(٨)] بنُ قَيْسٍ، وزيدُ بنُ الحارثِ، ونُعْمانُ بنُ عَمْرٍو[(٩)]، و[(١٠)] سُكَيْنُ بنُ أبى سُكَيْنٍ[(١٠)]، وعَدِىُّ بنُ زَيْدٍ، ونُعْمانُ بنُ أبى أَوْفَى

---

(١) فى الأصل: «القطيون». وفى ص: «الفطيورة». والفطيون: كلمة عبرانية، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود ومَلَكهم. قاله السهيلى. الروض الأنف ٤/ ٣٩٧.

(٢) فى م: «بعد».

(٣) فى م: «أسلما».

(٤) فى الأصل: «خير».

(٥) فى النسخ: «شيخان». والمثبت من السيرة.

(٦) فى م: «ضيف». قال ابن هشام: ويقال: ابن ضيف.

(٧) فى الأصل، ص: «أصا».

(٨) فى الأصل، م: «شاش».

(٩) فى م، ص: «عمير».

(١٠ - ١٠) فى ص: «شكير بن أبى شكر».

أبو أنسٍ، ومحمودُ بنُ دَحْيَةَ، ومالكُ بنُ صَيْفٍ، وكعبُ بنُ راشدٍ، وعازَرُ، ورافِعُ بنُ أبى رافِعٍ، وخالدٌ، وأزارُ بنُ أبى أزارَ - قال ابنُ هشامٍ: ويقالُ: آزَرُ ابنُ آزَرَ[1] - ورافعُ بنُ حارثةَ، ورافعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ، ورافعُ بنُ خارِجةَ، ومالكُ بنُ عَوْفٍ، ورِفاعةُ بنُ زيدِ بنِ التابوتِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ - قلتُ: وقد تَقَدَّم إسلامُه[2]، رَضِىَ اللَّهُ عنه. قال ابنُ إسحاقَ -: وكان حَبْرَهم وأَعْلَمَهم، وكان اسمُه الحُصَيْنَ، فلمَّا أَسْلَمَ سمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: ومِن بنى قُرَيْظَةَ؛ الزَّبيرُ بنُ باطَا بنِ وَهْبٍ، وعَزَّالُ بنُ شَمْوِيلَ[4]، وكَعْبُ بنُ أَسَدٍ - وهو صاحبُ عَقْدِهم الذى نقَضُوه عامَ الأحزابِ - وشَمْويلُ بنُ زَيْدٍ، وجَبَلُ بنُ عمرِو بنِ سُكَيْنةَ، والنَّحَّامُ بنُ زيدٍ، وقَرْدَمُ[5] بنُ كَعْبٍ، ووَهْبُ بنُ زيدٍ، ونافعُ بنُ أبى نافعٍ[6]، وعَدِىُّ بنُ زيدٍ، والحارثُ بنُ عَوْفٍ، وكَرْدَمُ بنُ زيدٍ، وأسامةُ بنُ حَبِيبٍ، ورافعُ بنُ رُمَيْلَةَ[7]، وجَبَلُ بنُ أبى قُشَيْرٍ، ووَهْبُ بنُ يَهُوذا.

قال[8]: ومِن بنى زُرَيْقٍ؛ لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ، وهو الذى سحَر رسولَ اللَّهِ ﷺ.

ومِن يهودِ بنى حارثةَ؛ كِنَانةُ بنُ صُورِيَا.

---

(١) فى النسخ: «أبى آزر». والمثبت من السيرة. وانظر الروض الأنف ٤/ ٣٠٦.

(٢) تقدم فى ٤/ ٥٢٠ - ٥٢٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٥، ٥١٦.

(٤) فى م، ص: «شموال».

(٥) فى الأصل، م: «كردم».

(٦) بعده فى السيرة: «وأبو نافع».

(٧) فى م، ص: «زميلة».

(٨) أى ابن إسحاق.

ومِن يهودِ بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ؛ قَرْدَمُ بنُ عَمْرٍو .

ومِن يهودِ بنى النجّارِ ؛ سِلْسِلَةُ بنُ بَرْهامَ[1] .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فهؤلاء أحبارُ يهودَ ، أهلِ الشرورِ والعداوةِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، وأصحابُ المسألةِ - الذين يُكْثِرون الأسئلةَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، على وجهِ التَّعَنُّتِ والعنادِ والكفرِ . قال - : وأصحابُ النَّصْبِ لأمرِ الإسلامِ لِيُطْفِئوه ، إلَّا ما كان مِن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، ومُخَيْرِيقَ .

ثُم ذكَر إسلامَ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَام ، وإسلامَ عَمَّتِه خالدةَ[3] ، كما قدَّمْناه[4] ، وذكَر إسلامَ مُخَيْرِيقَ يومَ أُحُدٍ[5] ، كما سَيَأْتى ، وأنَّه قال لقومِه ، وكان يومَ السبتِ : يا معشرَ يهودَ ، واللَّهِ إنَّكم لَتَعْلَمون أنَّ نَصْرَ محمدٍ عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إنَّ اليومَ يومُ السبتِ . قال : لا سَبْتَ لكم . ثُم أخَذ سلاحَه وخرَج ، وعَهِدَ إلى مَن وراءَه مِن قومِه : إنْ قُتِلْتُ هذا اليومَ فأَمْوالى لمحمدٍ ، يَرَى فيها ما أراه اللَّهُ . وكان كثيرَ الأموالِ ، ثُم لَحِقَ برسولِ اللَّهِ ﷺ فقاتل حتى قُتِلَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قال : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقولُ فيما بلَغنى : « مُخَيْرِيقُ خيرُ يَهُودَ » .

---

(١) كذا فى الأصل ، م ، والسيرة . وفى ص : « بهرام » . ولعله : إبراهام . قال البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/ ٢٨٥: سلسلة بن إبراهام . وبعضهم يقول : بهرام . والأول أصح . اهـ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ٥١٦، ٥١٧.

(٤) تقدم فى ٤/ ٥٢٤.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٨.

فصلٌ

ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[1] مَن مالَ إلى هؤلاء الأضدادِ مِن اليهودِ، مِن المنافقين مِن الأَوْسِ والخَزْرَجِ، فمِن الأَوْسِ؛ زُوَىُّ بنُ الحارثِ، وجُلَاسُ بنُ سُوَيدِ بنِ الصامِتِ الأنصاريُّ، وفيه نزَل[2]: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]. وذلك أنَّه قال حينَ تَخَلَّف عن غزوةِ تَبوكَ: لئن كان هذا الرجلُ صادقًا لنحن شَرٌّ من الحُمُرِ. فنمَاها ابنُ امرأتِه عُمَيْرُ بنُ سعدٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأنْكَر الجُلَاسُ ذلك [٢/ ١٦٢و] وحلَف ما قال، فنَزَل فيه ذلك. قال[3]: وقد زَعَموا أنَّه تاب وحسُنَتْ توبتُه، حتى عُرِفَ منه الإسلامُ والخيرُ. قال: وأخوه الحارثُ بنُ سُوَيدٍ، وهو الذى قتَل المُجَذَّرَ بنَ ذِيَادٍ البَلَوِىَّ، وقَيْسَ بنَ زيدٍ أَحَدَ بنى ضُبَيْعةَ يومَ أُحُدٍ، خرَج مع المسلمين، وكان منافقًا، فلمَّا التَقَى الناسُ، عَدَا عليهما فقتَلَهما، ثُم لَحِقَ بقريشٍ.

قال ابنُ هشامٍ[4]: وكان المُجَذَّرُ قد قتَل أباه سُوَيْدَ بنَ الصامِتِ فى بعضِ حروبِ الجاهليةِ، فأخَذ بثأرِ أبيه منه يومَ أُحُدٍ. كذا قال ابنُ هشامٍ. وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ أنَّ الذى قَتَل سُوَيْدَ بنَ الصامتِ إنَّما هو مُعاذُ ابنُ عَفْراءَ، قتَلَه فى غيرِ حربٍ، قبلَ يومِ بُعَاثٍ، رمَاه بسهمٍ فقتَلَه. وأنْكَر ابنُ هشامٍ أنْ يكونَ

---

(١) المصدر السابق ١/ ٥١٩.

(٢) التفسير ٤/١١٩ - ١٢٣.

(٣) أى ابن إسحاق. سيرة ابن هشام ١/ ٥٢٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢٠.

الحارثُ قتَل قَيْسَ بنَ زيدٍ ، قال : لأنَّ ابنَ إسحاقَ لم يَذْكُرْه فى قَتْلَى أُحُدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أمَر عُمَرَ بنَ الخطابِ بقتلِه إنْ هو ظَفِرَ به ، فبعَث الحارثُ إلى أخيه الجُلَاسِ يَطْلُبُ له التوبةَ ؛ ليَرْجِعَ إلى قومِه ، فأنْزَلَ اللَّهُ ، فيما بَلَغَنى عن ابنِ عباسٍ[2] : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦] . إلى آخرِ القصةِ . قال : وبِجَادُ بنُ عثمانَ بنِ عامرٍ ، ونَبْتَلُ بنُ الحارثِ ، وهو الذى قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أحبَّ أنْ يَنْظُرَ إلى شيطانٍ فَلْيَنْظُرْ إلى هذا » . وكان جسيمًا ، أَدْلَمَ[3] ، ثائرَ شَعْرِ الرأسِ ، أحمرَ العينَيْن ، أَسْفَعَ الخَدَّيْن[4] ، وكان يَسْمَعُ الكلامَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم يَنْقُلُه إلى المنافقين ، وهو الذى قال : إنَّما محمدٌ أُذُنٌ ؛ مَن حَدَّثَه بشىءٍ صَدَّقَه . فأنزل اللَّهُ فيه[5] : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ الآيةَ [التوبة : ٦١] . قال : وأبو حَبيبةَ بنُ الأَزعَرِ ، وكان ممن بَنَى مسجدَ الضِّرَارِ[6] ، وثَعْلَبَةُ بنُ حاطبٍ ، ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ ، وهما اللذان عاهَدَا اللَّهَ لئن آتانا مِن فضلِه لَنَصَّدَّقَنَّ ، ثُم نَكَثا ، فنزَل فيهما ذلك[7] ، ومُعَتِّبٌ هو الذى قال

---

(١) المصدر السابق ١/ ٥٢١.

(٢) انظر تفسير الطبرى ٣/٣٣٩ - ٣٤٢، والتفسير ٢/ ٥٨، ٥٩.

(٣) فى م ، ص ، والسيرة : « أذلم » . والأدلم من الرجال : الطويل الأسود . اللسان (د ل م) .

(٤) السُّفْعة : سواد مشرب بحمرة . اللسان (س ف ع) .

(٥) انظر تفسير الطبرى ١٠/ ١٦٨. والتفسير ٤/ ١١٠.

(٦) انظر تفسير الطبرى ١١/ ٢٣.

(٧) انظر تفسير الطبرى ١٠/١٩١ - ١٩٣. والتفسير ٤/ ١٢٤، ١٢٥ سورة التوبة الآيات ٧٥ - ٧٩. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/٢٨٩ - ٢٩٢، وفى شعب الإيمان (٤٣٥٧) وقال : وفى إسناد هذا الحديث نظر ، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير . وقال مرة : وإنما يروى موصولا بأسانيد ضعاف . وانظر السلسلة الضعيفة (١٦٠٧) .

يومَ أُحُدٍ: لو كان لنا مِن الأمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا هـٰهنا. فنزَل فيه الآيةُ[1]، وهو الذى قال يومَ الأحزابِ: كأنَّ محمدًا يَعِدُنا أنَّا نَأْكُلُ كنوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ، وأحدُنا لا يَأْمَنُ[2] أنْ يَذْهَبَ إلى الغائطِ، فنزَل فيه[3]: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

قال ابنُ إسحاقَ[4]: والحارثُ بنُ حاطبٍ. قال ابنُ هشامٍ: ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، وثَعْلَبَةُ والحارثُ ابنا حاطبٍ - وهما مِن بنى أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ - مِن أهلِ بدرٍ، وليسوا مِن المنافِقِين، فيما ذكَر لى مَن أَثِقُ به مِن أهلِ العِلمِ. قال: وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ ثَعْلَبَةَ والحارثَ فى بنى أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ، فى أسماءِ أهلِ بدرٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وعَبَّادُ بنُ حُنَيفٍ، أخو سَهْلِ بنِ حُنَيفٍ وبَحْزَجٍ[6]، وكان ممن بَنَى مسجدَ الضِّرارِ، وعَمْرُو بنُ خِذَامٍ[7]، وعبدُ اللَّهِ بنُ نَبْتَلٍ، وجاريةُ بنُ عامرِ بنِ العَطَّافِ، وابناه يَزِيدُ[8] ومُجَمِّعٌ ابنا جاريةَ، وهم ممن اتخَذَ مسجدَ الضِّرَارِ، وكان مُجَمِّعٌ غلامًا حَدَثًا، قد جمَع أكثرَ القرآنِ، وكان يُصَلِّى بهم فيه، فلمّا خُرِّبَ مسجدُ الضِّرَارِ - كما سيأْتى بيانُه بعدَ غزوةِ تَبُوكَ - وكان فى أيامِ عُمَرَ، سأَل أهلُ قُبَاءٍ عمرَ أنْ يُصَلِّىَ بهم مُجَمِّعٌ، فقال:

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٤/١٣٩ - ١٤٤. والتفسير ٢/١٢٤ - ١٢٦. سورة آل عمران الآية ١٥٤.

(٢) فى م: «يؤمن».

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢١/١٣٣. والتفسير ٦/٣٨٩، ٣٩٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٢٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) فى م: «يخرج».

(٧) فى الأصل، م: «حرام». وفى ص: «حزام». والمثبت من السيرة.

(٨) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «زيد». وذكره الحافظ فى الإصابة ٦/٦٥٠، ٦٥١، فى ترجمة «يزيد». وذكر الخلاف فى الاسمين، وقال: الصواب أنهما أخوان.

لا واللَّهِ، أَوَ ليس إمامَ المنافقين فى مسجدِ الضِّرَارِ؟ فحلَف باللَّهِ ما عَلِمتُ بشىءٍ مِن أمرِهم. فزَعَموا أنَّ عُمَرَ ترَكَه فصلَّى بهم. قال: ووَدِيعَةُ بنُ ثابتٍ، وكان ممن بَنَى مسجدَ الضِّرَارِ، وهو الذى قال: إنَّما كنا نَخُوضُ ونَلْعَبُ. فنزَل فيه ذلك[1]. قال: وخِذَامُ بنُ خالدٍ، وهو الذى أُخْرِجَ مسجدُ الضِّرارِ مِن دارِه. قال ابنُ هشامٍ مُسْتَدْرِكًا على ابنِ إسحاقَ فى مُنافِقِى بنى النَّبِيتِ مِن الأوسِ: وبِشْرٌ ورافِعٌ ابنا زيدٍ[2].

قال ابنُ إسحاقَ[3]: ومِرْبَعُ بنُ قَيْظِىٍّ، وكان أَعْمَى، [٢/١٦٢ظ] وهو الذى قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أجاز فى حائطِه وهو ذاهبٌ إلى أُحُدٍ: لا أُحِلُّ لك، إنْ كنتَ نبيًّا، أنْ تَمُرَّ فى حائطى. وأخَذ فى يدِه حَفْنَةً مِن ترابٍ، ثُم قال: واللَّهِ لو أَعْلَمُ أنِّى لا أُصِيبُ بها غيرَك لَرَمَيْتُك بها. فابْتَدَره القومُ لِيَقْتُلوه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوه، فهذا الأعمَى أَعْمَى القَلْبِ أعْمَى البَصَرِ». وقد ضَرَبَه سعدُ بنُ زيدٍ الأَشْهَلِىُّ بالقَوْسِ فشَجَّه. قال: وأخوه أَوْسُ بنُ قَيْظِىٍّ، وهو الذى قال: إن بيوتَنا عَوْرَةٌ. قال اللَّهُ[4]: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]. قال: وحاطبُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ رافعٍ، وكان شيخًا جَسيمًا، قد عَسَا[5] فى جاهليتِه، وكان له ابنٌ مِن خِيارِ المسلمين يقالُ له: يَزِيدُ بنُ حاطبٍ. أُصِيبَ يومَ أُحُدٍ حتى أَثْبَتَتْه الجِرَاحاتُ، فحُمِلَ إلى دارِ بنى ظَفَرٍ،

---

(١) انظر التفسير ٤/ ١١٥، ١١٦. سورة التوبة الآيتان ٦٥، ٦٦.

(٢) جعل محقق السيرة ١/ ٥٢٣، هذا الاستدراك من كلام ابن إسحاق، وأثبت فى الحاشية أنه وقع فى بعض النسخ أنه من كلام ابن هشام.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٢٣ - ٥٢٥.

(٤) انظر التفسير ٦/ ٣٩٠.

(٥) عسا: كبر وأسن. اللسان (ع س و).

فحدَّثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتَادةَ ، أنَّه اجتَمَعَ إليه مَن بها مِن رجالِ المسلمين ونسائِهم وهو يَمُوتُ ، فجعَلُوا يَقولُون : أَبْشِرْ بالجَنةِ يا بنَ حاطِبٍ . قال : فنَجَم[1] نِفاقُ أبيه ، فجعَل يقولُ : أجلْ ، جَنةٌ مِن حَرْمَلٍ[2] ، غَرَرْتُم واللَّهِ هذا المسكينَ مِن نفسِه . قال : وبُشَيْرُ بنُ أُبَيْرِقٍ أبو طُعْمَةَ ، سارقُ الدِّرْعَيْن ، الذى أَنْزَل اللَّهُ فيه[3] : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٧] الآيات . قال : وقُزْمَانُ ، حَليفٌ لبنى ظَفَرٍ ، الذى قتلَ يومَ أُحُدٍ سبعةَ نفرٍ ، ثُم لمّا آلَمَتْه الجِرَاحةُ ، قتَل نفسَه ، وقال : واللَّهِ ما قاتَلْتُ إلَّا حَمِيَّةً على قومى . ثُم مات ، لعَنَه اللَّهُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ولم يكنْ فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ منافقٌ ولا منافقةٌ يُعْلَمُ ، إلَّا أنَّ الضحّاكَ بنَ ثابتٍ كان يُتَّهَمُ بالنفاقِ وحُبِّ يهودَ . فهؤلاء كلُّهم مِن الأوسِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ومِن الخَزْرجِ ؛ رافعُ بنُ وَدِيعَةَ ، وزيدُ بنُ عَمْرٍو ، وعَمْرُو بنُ قَيْسٍ ، وقَيْسُ بنُ عَمْرِو بنِ سَهْلٍ ، والجَدُّ بنُ قَيْسٍ ، وهو الذى قال[6] : ﴿ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ [التوبة : ٤٩] . وعبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ ، وكان رأسَ المنافقين - ورئيسَ الخزرجِ والأوسِ أيضًا ، كانوا قد أَجْمعوا على أن يُمَلِّكوه عليهم فى الجاهليةِ ، فلمّا هَداهم اللَّهُ للإسلامِ قبلَ ذلك ، شَرِقَ[7] اللعينُ

---

(١) نجم : ظهر .

(٢) الحرمل : حب كالسمسم ، واحدته حرملة ، ولا يأكله شىء إلا المِعْزَى . اللسان (حرمل) .

(٣) انظر التفسير ٢/٣٥٨ - ٣٦١. سورة النساء الآيات ١٠٧ - ١٠٩.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢٥.

(٥) المصدر السابق ١/ ٥٢٦، ٥٢٧.

(٦) انظر التفسير ٤/ ١٠١، ١٠٢.

(٧) شرق : أى غَصَّ به . وهو مجاز فيما نال من أمر رسول الله ﷺ وحل به ، حتى كأنه شىء لم يقدر على إساغته وابتلاعه فغصَّ به . قاله ابن الأثير . النهاية ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦.

بريقِه، وغاظَه ذلك جدًّا - وهو الذى قال[1] : ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. وقد نزَلَتْ فيه آياتٌ كثيرةٌ جدًّا، وفيه وفى وَدِيعةَ - رجلٍ مِن بنى عَوْفٍ - ومالكِ بنِ أبى قَوْقَلٍ، وسُوَيْدٍ، وداعِسٍ، وهم مِن رَهْطِه، نزَل قولُه تعالى[2] : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] الآيات. حينَ مالُوا فى الباطنِ إلى بنى النَّضِيرِ.

فصلٌ

ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[3] مَن أَسْلَمَ مِن أحبارِ اليهودِ على سبيلِ التَّقِيَّةِ، فكانوا كفارًا فى الباطنِ، فأَتْبَعهم بصِنْفِ المنافقين، وهم مِن شرِّهم؛ سعدُ بنُ حُنَيفٍ، وزيدُ بنُ اللُّصَيْتِ، وهو الذى قال حينَ ضَلَّتْ ناقةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ: يَزْعُمُ محمدٌ أنَّه يَأْتِيه خبرُ السماءِ، وهو لا يَدْرِى أين ناقتُه. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «واللَّهِ لا أَعْلَمُ إلَّا ما علَّمَنى اللَّهُ، وقد دَلَّنى اللَّهُ عليها، فهى فى هذا الشِّعْبِ، قد حَبَسَتْها شجرةٌ بزِمامِها»[4]. فذَهَب رجالٌ مِن المسلمين فوجَدوها كذلك. قال: ونُعمانُ بنُ أَوْفَى، وعثمانُ بنُ أَوْفَى، ورافعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ، وهو الذى قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ مات - فيما بلَغَنا -: «قد مات اليومَ عظيمٌ مِن عظماءِ المنافقِينَ». ورِفاعةُ بنُ زيدِ بنِ التابوتِ، وهو الذى هَبَّتِ الريحُ الشديدةُ يومَ

---

(١) انظر التفسير ٨/١٥٧ - ١٥٩.

(٢) انظر الطبرى ٢٨/ ٤٥، ٤٦. والتفسير ٨/ ١٠٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢٧، ٥٢٨.

(٤) كما أخرجه الواقدى فى المغازى ٢/ ٤٢٣. بسنده عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه، والبيهقى فى الدلائل ٤/٥٩. عن جابر فى قصة طويلة.

موتِه ، عندَ مَرْجِعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن تَبُوكَ ، فقال : « إنَّها هَبَّتْ لموتِ عظيمٍ مِن عظماءِ الكفارِ »[1] . فلمَّا قَدِمُوا المدينةَ ، وجَدوا رِفاعةَ قد مات فى ذلك اليومِ . وسِلْسِلَةُ بنُ بَرْهامَ ، وكِنَانةُ [٢/١٦٣و] بنُ صُوريا . فهؤلاء ممن أَسْلم مِن مُنافِقِى اليهودِ .

قال[2] : فكان هؤلاء المنافقون يَحْضُرُون المسجدَ ، ويَسْمَعُون أحاديثَ المسلمين ، ويَسْخَرون ويَسْتَهْزِئون بدينِهم ، فاجْتَمَعَ فى المسجدِ يومًا منهم أُناسٌ ، فرَآهم رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَدَّثون بينَهم ، خافِضِى أصواتِهم ، قد لَصَق بعضُهم إلى بعضٍ ، فأمَر بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأُخْرِجُوا مِن المسجدِ إخراجًا عَنِيفًا ، فقام أبو أيوبَ إلى عَمْرِو بنِ قَيْسٍ ، أحدِ بنى النَّجَّارِ ، وكان صاحبَ آلهتِهم فى الجاهليةِ ، فأخَذ برجلِه ، فسحَبَه حتى أَخْرَجَه ، وهو يَقُولُ ، لَعَنه اللَّهُ : أَتُخْرِجُنى يا أبا أيوبَ مِن مِرْبَدِ بنى ثَعْلَبَةَ ؟ ثُم أَقْبل أبو أيوبَ إلى رافعِ بنِ وَدِيعةَ النجّارىِّ فلبَّبه[3] بردائِه ، ثُم نَتَرَه[4] نَتْرًا شديدًا ، ولطَم وجهَه ، فأَخْرَجه مِن المسجدِ وهو يَقُولُ : أُفٍّ لك منافقًا خبيثًا . وقام عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ إلى زيدِ بنِ عَمْرٍو ، وكان طويلَ اللحيةِ ، فأخَذ بلحيتِه ، وقادَه بها قَوْدًا عنيفًا ، حتى أَخْرَجه مِن المسجدِ ، ثُم جمَع عُمَارَةُ يدَيْه جميعًا ، فَلَدَمه[5] بهما لَدْمَةً فى صدرِه خَرَّ منها . قال : يَقولُ : خَدَشْتَنى يا عُمارَةُ . فقال عُمارةُ : أَبْعَدَك اللَّهُ يا منافقُ ، فما

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٤٢٢، ٤٢٣ عن رافع بن خديج وجابر ، والبيهقى فى الدلائل ٤/٥٩ - ٦١، عن موسى بن عقبة وجابر .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢٨، ٥٢٩.

(٣) لبَّب الرجلَ : جمع ثيابه عند نحره فى الخصومة ثم جرَّه . الوسيط (ل ب ب) .

(٤) نتر : جذب . الوسيط (ن ت ر) .

(٥) قال ابن هشام فى السيرة ١/ ٥٢٩: اللدم : الضرب ببطن الكف .

أعَدَّ اللَّهُ لك مِن العذابِ أشدُّ مِن ذلك ، فلا تَقْرَبَنَّ مسجدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقام أبو محمدٍ مسعودُ بنُ أَوْسِ بنِ زيدِ بنِ أَصْرَمَ بنِ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجّارِ - وكان بَدْريًّا - إلى قَيْسِ بنِ عمرِو بنِ سَهْلٍ - وكان شابًّا ، وليس فى المنافقين شابٌّ سواه - فجَعَل يَدْفَعُ فى قَفَاه حتى أَخْرَجه ، وقام رجلٌ من بنى خُدْرَةَ إلى رجلٍ يقالُ له : الحارثُ بنُ عَمْرٍو - وكان ذا جُمَّةٍ - فأخَذ بجُمَّتِه ، فسَحَبَه بها سَحْبًا عنيفًا على ما مَرَّ به مِن الأرضِ حتى أَخْرَجه ، فجَعَل يَقُولُ المنافقُ : قد أَغْلَظْتَ يا أبا الحارثِ . فقال : إنَّك أهلٌ لذلك أىْ عَدُوَّ اللَّهِ ؛ لِمَا أُنْزِل فيك ، فلا تَقْرَبَنَّ مسجدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فإنَّك نَجَسٌ . وقام رجلٌ مِن بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ إلى أخيه زُوَىِّ بنِ الحارثِ ، فأَخْرَجه إخراجًا عنيفًا وأَفَّفَ[1] منه ، وقال : غَلَب عليك الشيطانُ وأَمْرُه . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[2] ما نزَل فيهم مِن الآياتِ مِن سورةِ « البقرةِ » [3]وغيرِها[3] ، ومِن سورةِ « التوبةِ » ، وتَكَلَّم على تفسيرِ ذلك ، فأجادَ وأفادَ ، رَحِمَه اللَّهُ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « أنف » . وأفف : تَضَجَّر .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٣٠ - ٥٧٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

ذِكْرُ[1] أولِ المغازِى، وهى غزوةُ الأَبْوَاءِ، [2]ويقالُ لها[2]: غزوةُ وَدَّانَ، [2]وأولِ البعوثِ[2]، وهو بَعْثُ حَمْزَةَ ابنِ عبدِ المطلبِ، أو عُبَيْدَةَ بنِ الحارثِ، كما سيَأْتِى فى المغازِى

قال البخاريُّ[3]: كتابُ المَغازِى، قال ابنُ إسحاقَ: أولُ ما غَزَا رسولُ اللَّهِ ﷺ الأبْواءُ، ثُم بُوَاطُ، ثم العُشَيْرَةُ. ثُم روَى[4] عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ، أنَّه سُئِلَ: كم غَزَا رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: تِسْعَ عَشْرَةَ. شَهِدَ منها سَبْعَ عَشْرَةَ، أَوَّلُهن العُسَيْرَةُ، أو العُشَيْرَةُ. وسيَأْتِى الحديثُ بإسنادِه ولفظِه والكلامُ عليه عندَ غزوةِ العُشَيْرَةِ، إنْ شاء اللَّهُ، وبه الثقةُ.

وفى «صحيحِ البخاريِّ»[5]، عن بُرَيْدَةَ، قال غزَا مع[6] رسولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ عشْرَةَ غزوةً. ولمسلمٍ عنه[7]، أنَّه غزَا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّ عشْرَةَ

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) الفتح ٧/ ٢٧٩.

(٤) البخارى (٣٩٤٩).

(٥) البخارى (٤٤٧٣).

(٦) سقط من النسخ، والمثبت من البخارى.

(٧) مسلم ١٤٧ (١٨١٤).

غزوةً . وفى روايةٍ له عنه[1] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ غزَا تِسْعَ عشْرَةَ غزوةً ، وقاتل فى ثمانٍ منهنّ .

وقال الحسينُ بنُ واقِدٍ[2] ، عن ابنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ غزَا سبعَ عشْرَةَ غزوةً ، وقاتَل فى ثمانٍ ؛ يومِ بدرٍ ، وأُحُدٍ ، والأحزابِ ، والمُرَيْسِيعِ ، وقُدَيْدٍ ، وخَيْبَرَ ، ومَكةَ ، وحُنَيْنٍ ، وبعَث أربعًا وعشرين سَرِيَّةً .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عثمانَ الدِّمَشْقىُّ التَّنُوخِىُّ ، ثنا الهَيْثَمُ بنُ حُمَيْدٍ ، [٢/١٦٣ظ] أخْبَرَنى النُّعمانُ ، عن مَكْحُولٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا ثمانِىَ عَشْرَةَ غزوةً ، قاتَل فى ثمانِ غَزَواتٍ ؛ أولُهن بدرٌ ، ثم أُحُدٌ ، ثم الأحزابُ ثم قُرَيْظَةُ ، ثُم بئرُ مَعُونَةَ ، ثُم غزوةُ بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ ، ثُم غزوةُ خَيْبَرَ ، ثُم غزوةُ مكةَ ، ثُم حُنَيْنٌ والطائفُ[4] . قولُه : بئرُ مَعُونَةَ . بعدَ قُرَيْظَةَ فيه نَظَرٌ ، والصحيحُ أنها بعدَ أُحُدٍ ، كما سيأْتِى .

قال يعقوبُ[5] : حدَّثَنا سَلَمَةُ بنُ شَبِيبٍ ، ثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ يقولُ : غزَا رسولُ اللَّهِ ﷺ ثمانِىَ عشْرَةَ غزوةً . وسَمِعْتُه مرةً أخرى يقولُ : أربعًا وعشرين . فلا أَدْرِى أكان ذلك وَهْمًا ، أو شيئًا سَمِعَه بعدَ ذلك .

---

(١) مسلم ١٤٦ (١٨١٤) .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٥٩، من طريق الحسين بن واقد به .

(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٠٠.

(٤) الظاهر من السياق أن عدد الغزوات تسع ، ولكن تحمل هذه الرواية على رواية الزهرى الآتية على أن غزوة الأحزاب وقريظة غزوة واحدة . والله أعلم .

(٥) المصدر السابق ٣/ ٣٠٠، ٣٠١.

وقد رَوَى الطَّبَرَانِىُّ[1] ، عن الدَّبَرِىِّ[2] ، عن عبدِ الرزّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ قال : غزَا رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعًا وعشرين غزوةً .

وقال عبدُ[3] بنُ حُمَيْدٍ فى « مسندِه » : حدَّثنا سعيدُ بنُ سلَّامٍ ، ثنا زكريا بنُ إسحاقَ ، حدثنا أبو الزُّبَيْرِ ، عن جابرٍ ، قال : غزَا رسولُ اللَّهِ ﷺ إحدى وعشرين غزوةً .

قد روَى الحاكمُ[4] مِن طريقِ هشامٍ ، عن قتادةَ أنَّ مغازِىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وسَراياه كانت ثلاثًا وأربعين . ثُم قال الحاكمُ[5] : لعلَّه أرادَ السَّرايا دونَ الغَزَواتِ ، فقد ذكرْتُ فى « الإكليلِ » ، على الترتيبِ ، بعوثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وسَرَاياه زيادةً على المائةِ . قال : وأخْبَرَنى الثقةُ مِن أصحابِنا ببُخَارَى ، أنَّه قرَأ فى كتابِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ نَصْرٍ السَّرايا والبعوثَ دون الحروبِ نَيِّفًا وسبعين . وهذا الذى ذكَرَه الحاكمُ غريبٌ جدًّا ، وحَمْلُه كلامَ قتادةَ على ما قال ، فيه نظرٌ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[6] ، عن أَزْهَرَ بنِ القاسمِ الراسِبىِّ ، عن هشامٍ الدَّسْتُوائِىِّ ، عن قتادةَ أنَّ مغازِىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وسَراياه ثلاثٌ وأربعون ؛ أربعٌ وعشرون بَعْثًا ، وتسعَ عشْرَةَ غزوةً ، خرَج فى ثمانٍ منها بنفسِه ؛ بدرٍ ، وأُحدٍ ،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٦٥٩) ، عن معمر به .

(٢) فى الأصل : « الديرى » ، وفى ص : « الدرى » . وهو إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبرى . انظر الأنساب ٢/ ٤٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٦.

(٣) فى الأصل ، م : « عبد الرحمن » . وفى ص : « عبيد » . والحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ٤٦٠ من طريق زكريا بن إسحاق به .

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ٤٦٢ عن قتادة .

(٥) انظر فتح البارى ٧/ ٢٨١.

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ٤٦٢، من حديث قتادة مع تقديم وتأخير فى جمله . وانظر طبقات ابن سعد ٢/ ٥، ٦.

والأحزابِ ، والمُرَيْسِيعِ ، (١ وقُدَيْدٍ ١) ، وخَيْبَرَ ، وفتحِ مكةَ ، وحُنَيْنٍ .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ(٢) ، عن الزُّهْرِىِّ : هذه مَغازِى رسولِ اللَّهِ ﷺ التى قاتَل فيها ؛ يومُ بدرٍ فى رمضانَ سنةَ ثِنْتين ، ثم قاتل يومَ أُحدٍ فى شوالٍ سنةَ ثلاثٍ ، ثُم قاتل يومَ الخندقِ - وهو يومُ الأحزابِ وبنى قُرَيْظَةَ - فى شوالٍ مِن سنةِ أربعٍ ، ثم قاتَل بنى المُصْطَلِقِ وبنى لِحْيَانَ فى شعبانَ من سنةِ خمسٍ ، ثم قاتَل يومَ خَيْبَرَ سنةَ سِتٍّ ، ثُم قاتَل يومَ الفتحِ فى رمضانَ سنةَ ثمانٍ ، ثم قاتلَ يومَ حُنَيْنٍ ، وحاصَر أهلَ الطائفِ فى شوالٍ سنةَ ثمانٍ ، ثم حَجَّ أبو بكرٍ سنةَ تسعٍ ، ثم حَجَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ حَجةَ الوداعِ سنةَ عشْرٍ ، وغزَا ثِنْتَىْ عشْرَةَ غزوةً ولم يَكُنْ فيها قتالٌ ، وكانت أولُ غَزوةٍ غزاها الأَبْواءَ .

وقال (٣ حَنْبَلُ بنُ إسحاقَ ، عن هلالِ بنِ العلاءِ ٣) ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ الرَّقِّىِّ ، عن مُطَرِّفِ بنِ مازِنٍ اليَمَانىِّ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ(٤) قال : أولُ آيةٍ نزلت فى القتالِ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾ الآيةَ [الحج : ٣٩] . بعدَ مَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فكان أولُ مشهدٍ شَهِده رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ يومَ الجمعةِ ، لسبعَ عشْرَةَ مِن رمضانَ . إلى أن قال : ثُم غزَا بنى النَّضِيرِ ، ثم غزَا أُحدًا فى شوالٍ - يَعْنِى مِن سنةِ ثلاثٍ - ثم قاتَل يومَ الخندقِ فى شوالٍ سنةَ أربعٍ ، ثم قاتَل بنى لِحْيَانَ فى شعبانَ سنةَ خمسٍ ، ثم قاتَل يومَ خَيْبَرَ سنةَ ستٍّ ، ثم قاتَلَ يومَ الفتحِ فى شعبانَ سنةَ ثمانٍ ، وكانت حُنَيْنٌ فى رمضانَ سنةَ ثمانٍ ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٠٢، ٣٠٣ من طريق موسى بن عقبة به .

(٣ - ٣) فى م : « حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء » .

(٤) مغازى الزهرى ص ١٠٥.

وغزَا [٢/ ١٦٤و] رسولُ اللَّهِ ﷺ إحدَى عَشْرَةَ غزوةً لم يُقَاتِلْ فيها، فكانت أولُ غزوةٍ غزاها رسولُ اللَّهِ ﷺ الأَبْواءَ، ثم العُشَيْرَةَ[١]، ثُم غزوةَ غَطَفَانَ، ثم غزوةَ بنى سُلَيْمٍ، ثم غزوةَ الأَبْواءِ[٢]، ثم غزوةَ بدرٍ الأُولَى، ثُم غزوةَ الطائفِ، ثم غزوةَ الحُدَيْبِيَةِ، ثم غزوةَ الصَّفْرَاءِ، ثُم غزوةَ تبوكَ آخرَ غزوةٍ. ثم ذكَر البعوثَ. هكذا كتَبْتُه مِن تاريخِ الحافظِ ابنِ عساكرَ[٣]، وهو غريبٌ جدًّا، والصوابُ ما سنَذْكُرُه فيما بعدُ إن شاءَ اللَّهُ مرتَّبًا.

وهذا الفنُّ مما يَنْبَغى الاعتناءُ به والاعتبارُ بأمرِه والتَّهَيُّؤُ له، كما رواه محمدُ ابنُ عمرَ الواقِدِىُّ[٤]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ علىٍّ، عن أبيه، سَمِعْتُ علىَّ بنَ الحسينِ يقولُ: كنا نُعَلَّمُ مَغازىَ النبىِّ ﷺ كما نُعَلَّمُ السورةَ مِن القرآنِ. قال الواقِدِىُّ[٤]: وسَمِعْتُ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ عمى الزُّهْرِىَّ يَقُولُ فى علمِ المغازى: علمُ الآخرةِ والدنيا.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[٥]، رَحِمَه اللَّهُ، فى «المغازِى» بعدَ ذكرِه ما تقدم مما سُقْناه عنه، مِن تعيينِ رءُوسِ الكفرِ من اليهودِ والمنافقين، لعَنَهم اللَّهُ أجمعين، وجمَعهم فى أسفلِ سافلِين: ثم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَهَيَّأَ لحربِه، وقام فيما أمَرَه اللَّهُ به مِن جهادِ عدُوِّه، وقتالِ مَن أمَره به ممن يَلِيه مِن المشركين.

---

(١) بعده فى الأصل: «غزوة العشير».

(٢) كذا فى النسخ، وهى بهذا مكررة فى الكلام، ولعلها: «بواط». انظر دلائل النبوة للبيهقى ٥/ ٤٦٣.

(٣) لم نجده فى تاريخ دمشق المخطوط والمطبوع. وهو فى مختصره ٢/ ١٨٨، ١٨٩.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادى فى الجامع ٢/ ١٩٥، من طريق الواقدى به.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٠، ٥٩١. وقد أخرج نحوه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٠، من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق مطولا.

قال : وقد قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ يومَ الاثنينِ حينَ اشْتَدَّ الضَّحاءُ ، وكادت الشمسُ تَعْتَدِلُ ، لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ ليلةً مَضَت من شهرِ ربيعِ الأولِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً ، وذلك بعدَ أنْ بَعَثه اللَّهُ بثلاثَ عشْرَةَ سنةً ، فأقام بقيةَ شهرِ ربيعِ الأولِ ، وشهرَ ربيعِ الآخِرِ ، وجُمادَيَيْنِ ، ورَجَبًا ، وشعبانَ ، وشهرَ رمضانَ ، وشَوَّالًا ، وذا القَعْدةِ ، وذا الحِجَّةِ - ووَلِىَ تلك الحَجَّةَ المشركون - والمُحَرَّمَ ، ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ غازيًا فى صَفَرٍ ، على رأسِ اثْنَىْ عَشَرَ شهرًا مِن مَقْدَمِه المدينةَ . قال ابنُ هشامٍ[1] : واستَعمَل على المدينةِ سعدَ بنَ عُبَادَةَ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : حتى بلَغ وَدّانَ ، وهى غزوةُ الأَبْواءِ - قال ابنُ جريرٍ[2] : ويقالُ لها : غزوةُ وَدَّانَ أيضًا - يُرِيدُ قريشًا وبنى ضَمْرَةَ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَنَاةَ بنِ كِنانةَ ، فوادَعَتْه فيها بنو ضَمْرةَ ، وكان الذى وادَعَه منهم مَخْشِيَّ ابنَ عمرٍو الضَّمْرِيَّ ، وكان سيدَهم فى زمانِه ذلك ، ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ولم يَلْقَ كيدًا ، فأقام بها بقيةَ صَفَرٍ وصدرًا مِن شهرِ ربيعِ الأولِ . قال ابنُ هشامٍ[3] : وهى أولُ غزوةٍ غَزَاها ، عليه السلامُ .

قال الوَاقِدِيُّ[4] : وكان لواؤُه مع عمِّه حمزةَ ، وكان أبيضَ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مُقامِه ذلك بالمدينةِ عُبَيْدَةَ ابنَ الحارثِ بنِ المطلبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيٍّ فى ستين أو ثمانين راكبًا مِن المهاجرين ، ليس فيهم مِن الأنصارِ أحدٌ ، فسار حتى بلَغ ماءً بالحجازِ بأسفلِ ثَنِيَّةِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩١.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٧. حوادث السنة الثانية .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩١.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٨.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩١، ٥٩٢.

المَرَةِ ، فلَقِيَ بها جمْعًا عظيمًا مِن قريشٍ ، فلم يَكُنْ بينَهم قتالٌ ، إلا أنَّ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ قد رَمَى يومئذٍ بسهمٍ ، فكان أولَ سهمٍ رُمِى به فى سبيلِ اللَّهِ فى الإسلامِ ، ثم انصَرَف القومُ عن القومِ وللمسلمين حامِيَةٌ ، وفَرَّ من المشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بنُ عَمرٍو البَهْرانىُّ حليفُ بنى زُهْرَةَ ، وعتبةُ بنُ غَزْوانَ بنِ جابرٍ المازِنىُّ حليفُ بنى نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، وكانا مسلمَيْن ، ولكنَّهما خرَجا ليَتَوَصَّلا بالكفارِ[1] . قال ابنُ إسحاقَ : وكان على المشركين يومَئذٍ عِكْرِمَةُ بنُ أبى جهلٍ . ورَوَى ابنُ هشامٍ ، عن [2]أبى عمرٍو[2] بنِ العَلاءِ ، عن أبى عمرٍو المَدَنىِّ أنَّه قال : كان عليهم مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ .

قلتُ : وقد تَقَدَّم[3] عن حكايةِ [٢/ ١٦٤ظ] الواقِدِىِّ قولان ؛ أحدُهما أنه مِكْرَزٌ ، والثانى أنه أبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ ، وأنه رَجَّح أنه أبو سفيانَ . فاللَّهُ أعْلَمُ .

ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ[4] القصيدةَ المنسوبةَ إلى أبى بكرٍ الصديقِ فى هذه السَّرِيَّةِ التى أولُها :

أمِن طَيْفِ سَلْمَى بالبِطاحِ الدَّمائِثِ[5] ... أَرِقْتَ وأَمْرٍ فى العشيرةِ حادثِ
تَرَى مِن لُؤَىٍّ فِرْقَةً لا يَصُدُّها ... عن الكفرِ تَذْكِيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادقٌ فتَكَذَّبوا ... عليه وقالوا لستَ فينا بماكِثِ

---

(١) أى جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة ليصلا إلى المسلمين . وانظر النهاية ٥/ ١٩٣.
(٢ - ٢) كذا بالنسخ . وفى السيرة : «ابن أبى عمرو» .
(٣) تقدم فى ٤/ ٥٧٨.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٢، ٥٩٣.
(٥) الدمائث : جمع دَمِيثة ، وهى الرمل الذى ليس بمتلبد . اللسان (د م ث) .

إذا ما دعوناهمْ إلى الحقِّ أَدْبَروا وهَرُّوا هَرِيرَ[1] المُجْحَرَاتِ[2] اللواهِثِ

القصيدةَ إلى آخرِها، وذكَرَ[3] جوابَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزِّبَعْرَى فى مُناقَضَتِها التى أولُها:

أمِن رَسْمِ دارٍ أَقْفَرَتْ بالعَثاعِثِ[4] بَكَيْتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ

ومِن عَجَبِ الأيامِ والدهرُ كلُّه له عَجَبٌ مِن سابقاتٍ وحادثِ

لجِيشٍ أتانا ذى عُرامٍ يَقُودُه عُبَيْدَةُ يُدْعَى فى الهِياجِ ابنَ حارثِ

لِنَتْرُكَ أصنامًا بمكَّةَ عُكَّفًا مَواريثَ موروثٍ كريمٍ لِوارثِ

وذكَر تمامَ القصيدةِ، وما مَنَعَنا مِن إيرادِها بتمامِها إلا أنَّ الإمامَ عبدَ الملكِ ابنَ هشامٍ، رَحِمه اللَّهُ - وكان إمامًا فى اللغةِ - ذكَر أَن أكثرَ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنْكِرُ هاتين القصيدتين.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وقال سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ فى رَمْيَتِه تلك فيما يَذْكُرُون:

أَلَا هَلَ اتَى رسولَ اللَّهِ أنِّى حَمَيْتُ صَحابَتى بصدورِ نَبْلِى

أَذُودُ بها أوائلَهم ذِيادًا بكلِّ حُزُونةٍ وبكلِّ سَهْلِ[6]

---

(١) هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح، من قلة صبره على البرد. اللسان (هـ ر ر).

(٢) فى الأصل، م: «المحجرات». والمجحرات: الكلاب المضطرة إلى دخول أجحارها.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٣، ٥٩٤.

(٤) العثاعث: جمع العَثْعَث، وهو ظهر الكثيب الذى لا نبات فيه. اللسان (ع ث ث).

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٤، ٥٩٥.

(٦) أذود: أدفع. والحزونة: ما غلظ من الأرض، والسهل ضده.

فـمـا يَـعْـتَـدُّ رامٍ فـى عَـدُوٍّ بسـهـمٍ يا رسولَ اللَّهِ قَبْلى
وذلـك أنَّ دِيـنَـك ديـنُ صِـدْقٍ وذو حـقٍّ أتَـيْـتَ بـه وفـضـلِ[1]
يُـنَـجَّـى المؤمـنـون بـه ويُـخْـزَى بـه الـكـفـارُ عـنـدَ مَـقـامِ مَـهْـلِ[2]
فـمـهـلًا قـد غَـوَيْـتَ فـلا تَـعِـبْـنى غَـوِىَّ الحىِّ وَيْحَك يا بنَ جَهْلِ

قال ابنُ هشامٍ : وأكثرُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنْكِرُها لسعدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فكانت رايةُ عُبَيْدةَ - فيما بلَغنا - أولَ رايةٍ عقَدَها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الإسلامِ لأحدٍ مِن المسلمين . وقد خالَفه الزُّهْرِىُّ وموسى بنُ عُقْبَةَ[3] والواقِدِىُّ[4] ، فذهبوا إلى أنَّ بَعْثَ حمزةَ قبلَ بَعْثِ عُبَيْدَةَ بنِ الحارثِ . واللَّهُ أعلمُ . وسيَأْتِى فى حديثِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ أن أولَ أمراءِ السَّرايا عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ الأَسَدىُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وبعضُ العلماءِ يَزْعُمُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثه حينَ أقْبَل من غزوةِ الأَبْواءِ قبلَ أنْ يَصِلَ إلى المدينةِ . وهكذا حكَى موسى بنُ عُقْبَةَ ، عن الزُّهْرِىِّ[6] .

---

(١) فى السيرة : « عدل » .
(٢) المهل : الإمهال .
(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٨ بسنده إلى موسى بن عقبة والزهرى .
(٤) مغازى الواقدى ١/ ٢.
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٥.
(٦) دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٩.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَقامِه ذلك حَمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ [٢/ ١٦٥و] بنِ هاشمٍ إلى سِيفِ البحرِ[2] من ناحِيةِ العِيصِ ، فى ثلاثين راكبًا مِن المهاجرين ، ليس فيهم مِن الأنصارِ أحدٌ ، فلَقِى أبا جهلِ بنَ هشامٍ بذلك الساحلِ فى ثلاثِمائةِ راكبٍ مِن أهلِ مكةَ ، فحَجَز بينَهم مَجْدِىُّ بنُ عمرٍو الجُهَنِىُّ ، وكان موادِعًا للفريقين جميعًا ، فانصَرَف بعضُ القومِ عن بعضٍ ، ولم يَكُنْ بينَهم قتالٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وبعضُ الناسِ يقولُ : كانت رايةُ حمزةَ أولَ رايةٍ عقَدها رسولُ اللَّهِ ﷺ لأحدٍ مِن المسلمين . وذلك أنَّ بَعْثَه وبَعْثَ عُبَيْدَةَ كانا معًا ، فشُبِّهَ ذلك على الناسِ .

قلتُ : وقد حكَى موسى بنُ عُقْبَةَ عن الزُّهْرِىِّ[4] ، أنَّ بَعْثَ حمزةَ قبلَ عُبَيْدَةَ بنِ الحارثِ ، ونَصَّ على أنَّ بَعْثَ حمزةَ كان قبلَ غزوةِ الأَبْواءِ ، فلما قفَل ، عليه السلامُ ، مِن الأَبْواءِ بعَث عُبَيْدَةَ بنَ الحارثِ فى ستين مِن المهاجرين ، وذكَر نحوَ ما تقَدَّم . وقد تقَدَّم عن الواقِدِىِّ أنَّه قال[5] : كانت سَرِيَّةُ حمزةَ فى رمضانَ مِن السنةِ الأولى ، وبعدَها سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ فى شوَّالٍ منها . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٥.

(٢) سيف البحر : ساحله .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٥، ٥٩٦.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٨، ٩ من طريق موسى بن عقبة به .

(٥) تقدم فى ٤/ ٥٧٨.

وقد أَوْرَد ابنُ إسحاقَ[1] ، عن حمزةَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، شعرًا يَدُلُّ على أن رايَتَه أولُ رايةٍ عُقِدَت فى الإسلامِ ، لكن قال ابنُ إسحاقَ : فإن كان حمزةُ قال ذلك فهو كما قال ، لم يَكُنْ يقولُ إلا حَقًّا ، فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان ، فأما ما سَمِعْنا مِن أهلِ العلمِ عندَنا فعُبَيْدَةُ أولُ . والقصيدةُ هى قولُه :

أَلَا يا لَقَوْمِى لِلتَّحَلُّمِ والجهلِ ... ولِلنقصِ مِن رَأْيِ الرجالِ ولِلعقلِ
وللراكِبِينا بالمظالمِ لم نَطَأْ ... لهمْ حُرُماتٍ من سَوامٍ ولا أهلِ
كأنا [2]تَبَلْناهم ولا تَبْلَ[2] عندَنا ... لهمْ غيرُ أمرٍ بالعَفافِ وبالعَدْلِ
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يَقْبَلُونه ... ويَنْزِلُ منهمْ مثلَ منزلةِ الهَزْلِ
فما بَرِحوا حتى انتَدبْتُ لغارةٍ ... لهم حيثُ حَلُّوا أَبْتَغِى راحةَ الفَضْلِ
بأمرِ رسولِ اللَّهِ أولُ خافقٍ ... عليه لواءٌ لم يَكُنْ لاحَ مِن قَبْلى
لواءٌ لديه النصرُ من ذى كَرامةٍ ... إلهٍ عزيزٍ فعْلُه أفضلُ الفعلِ
عَشِيَّةَ ساروا حاشِدِين وكلُّنا ... مَراجِلُه من غيظِ أصحابِه تَغْلِى
فَلَمَّا تَراءَيْنا أناخوا فعَقَّلوا ... مَطايا وعقَّلْنا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ
وقلنا لهم حَبْلُ الإلهِ نَصِيرُنا ... وما لكمُ إلا الضلالةُ مِن حبلِ
فثارَ أبو جهلٍ هنالك باغيًا ... فخابَ ورَدَّ اللَّهُ كيدَ أبى جهلِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٦.

(٢ - ٢) فى الأصل : « نبلناهم ولا نبل » . وهو لفظ بعض نسخ السيرة . وفى م : « بتلناهم ولا بتل » . وتبلناهم : عاديناهم .

وما نحن إلا فى ثلاثينَ راكبًا وهم مِائتان بعدَ واحدةٍ فَضْلِ

فيَالَ لُؤَىٍّ لا تُطِيعوا غُواتَكم وفِيئوا إلى الإسلامِ والمنهجِ السهلِ

فإنى أخافُ أن يُصَبَّ عليكمُ عَذابٌ فتَدْعُوا بالندامةِ والثُّكْلِ

قال[1] : فأجابَه أبو جهلِ بنُ هشامٍ ، لعَنه اللَّهُ ، فقال :

عَجِبْتُ لأسبابِ الحَفِيظةِ والجهلِ وللشاغبينَ بالخلافِ وبالبُطْلِ

وللتارِكِين ما وَجَدْنا جدودَنا عليه ذَوِى الأحسابِ والسُّؤْدُدِ الجَزْلِ

[٢/ ١٦٥ظ] ثم ذَكَر تمامَها .

قال ابنُ هشامٍ[2] : وأكثرُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنْكِرُ هاتين القصِيدتين لحمزةَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، ولأبى جهلٍ ، لعَنه اللَّهُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٩٦، ٥٩٨.

غزوةُ بُواطَ[1] مِن ناحيةِ رَضْوَى

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى شهرِ ربيعٍ الأولِ - يَعْنى مِن السنةِ الثانيةِ - يُرِيدُ قريشًا .

قال ابنُ هشامٍ[2] : واستعمَل على المدينةِ السائبَ بنَ عثمانَ بنِ مَظْعونٍ .

وقال الواقدىُّ[3] : اسْتَخْلَف عليها سعدَ بنَ مُعاذٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مائتَىْ راكبٍ ، وكان لواؤُه مع سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، وكان مَقْصِدُه أن يَعْتَرِضَ لعِيرِ قريشٍ ، وكان فيه أميةُ بنُ خَلَفٍ ومائةُ رجلٍ وألفان وخمسُمائةِ بعيرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : حتى بلَغ بُواطَ مِن ناحيةِ رَضْوَى ، ثُم رجَع إلى المدينةِ ولم يَلْقَ كَيْدًا ، فلَبِث بها بقيةَ شهرِ ربيعٍ الآخِرِ وبعضَ جُمَادَى الأُولَى .

[4]ثُم غزا قريشًا . يَعْنِى بذلك الغزوةَ التى يقالُ لها : **غزوةُ العُشَيْرَةِ** . وبالمُهْمَلَةِ ، والعُشَيْرُ وبالمهملةِ ، والعُشَيْراءُ وبالمهملةِ[4] .

قال ابنُ هشامٍ[2] : واستَعمَل على المدينةِ أبا سَلَمَةَ بنَ عبدِ الأَسَدِ . قال الواقدىُّ[5] : وكان لواؤُه مع حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ . قال : وخرَج ، عليه

---

(١) بواط : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى . ورضوى : جبل بالمدينة ، وهو من المدينة على سبع مراحل . انظر معجم البلدان ١/٧٥٠ ، ٢/٧٩٠ .

(٢) المصدر السابق ١/٥٩٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٨.

(٤ - ٤) فى م : « غزوة العشيرة » . والعشيرة : قال فى معجم البلدان ٣/٩٨١ ، ٩٨٢ : وغزا النبى ﷺ ذا العشيرة وهى من ناحية ينبع بين مكة والمدينة ، وقال أبو زيد : العشيرة : حصن صغير بين ينبع وذى المروة .

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٩.

السلامُ ، يَتَعَرَّضُ لِعِيرَاتِ[1] قريشٍ ذاهبةً إلى الشامِ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فسلَك على نَقْبِ بنى دِينارٍ ، ثُم على فَيْفَاءِ الخَبَارِ[3] ، فنزَلَ تحتَ شجرةٍ ببَطْحاءِ ابنِ أَزْهَرَ يقالُ لها : ذاتُ الساقِ . فصَلَّى عندَها ، فثَمَّ مَسجدُه ، فصُنِع له عندَها طعامٌ ، فأكَل منه وأكَل الناسُ معه ، فرُسومُ[4] أَثَافِيِّ البُرْمةِ معلومٌ هنالك ، واستُقِيَ له من ماءٍ يقالُ له : المُشَيْرِبُ[5] . ثم ارتَحَل فترَك الخَلائِقَ[6] بيَسَارٍ ، وسلَك شُعْبَةَ عبدِ اللَّهِ ، ثم صَبَّ لليسارِ[7] حتى هبَط يَلْيَلَ[8] ، فنزَل بمُجْتَمَعِه ومُجْتَمَعِ الضَّبُوعةِ ، ثم سلَك فَرْشَ مَلَلٍ حتى لَقِيَ الطريقَ بصُخَيْراتِ اليَمامِ ، ثم اعتَدَل به الطريقُ حتى نزَل العُشَيْرَةَ مِن بَطْنِ ينبُعَ ، فأقام بها جُمادَى الأُولَى وليالىَ مِن جُمادَى الآخِرةِ ، ووادَعَ فيها بنى مُدْلِجٍ وحلفاءَهم مِن بنى ضَمْرةَ ، ثُم رجَع إلى المدينةِ ولم يَلْقَ كيدًا .

وقد قال البُخارىُّ[9] : حدثنا عبدُ اللَّهِ ، ثنا وَهْبٌ ، ثنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ قال : كنتُ إلى جنبِ زيدِ بنِ أرْقَمَ ، فقيل له : كم غزا النبىُّ ﷺ مِن

---

(١) العيرات : جمع عير ، يريد إبلهم ودوابهم التى كانوا يتاجرون عليها . انظر النهاية ٣/ ٣٢٩.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٨، ٥٩٩.

(٣) فى م : « الخيار » . والخبار موضع قريب من المدينة . معجم البلدان ٢/ ٣٩٦.

(٤) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « فموضع » . ورسوم أثافى البرمة أى آثار الأحجار الثلاثة التى توضع عليها القدر .

(٥) فى الأصل ، ص ، والسيرة : « المشترب » . وانظر الروض الأنف ٥/ ٧٦، ومعجم البلدان ٤/ ٥٤٣.

(٦) فى ص : « الحلائق » . وهو لفظ إحدى روايات السيرة . قال السهيلى : وهى آبار معلومة . والخلائق ، فسرها بعضهم فقال : جمع خليقة وهى البئر التى لا ماء فيها . وهى لفظ أكثر روايات السيرة . اهـ من الروض الأنف ٥/ ٧٦، ٧٧.

(٧) فى الأصل : « المسافر » ، وفى م : « للشاد » .

(٨) فى م : « ملل » . ويليل ، بتكرير الياء مفتوحتين ولامين : قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة . معجم البلدان ٤/ ١٠٣٩.

(٩) تقدم تخريجه فى صفحة ١٧ .

غزوةٍ؟ قال: تسْعَ عشْرَةَ. قلتُ: كم غزوْتَ أنتَ معه؟ قال: سبعَ عشْرَةَ غزوةً. قلتُ: (١فأيُّهم كانتْ١) أولَ؟ قال: العُشَيْرُ، أو العُسَيْرَةُ. فذكَرْتُ لقَتادَةَ، فقال: العُشَيْرَةُ. وهذا الحديثُ ظاهرٌ فى أنَّ أولَ الغزَواتِ العُشَيْرَةُ، ويُقَالُ بالسينِ. وبهما مع حذفِ التاءِ. وبهما مع المدِّ. اللهم إلا أن يكونَ المرادُ غَزاةً شَهِدَها مع النبىِّ ﷺ زيدُ بنُ أَرْقَمَ؛ العُشَيْرَةَ، وحينئذٍ لا يَنْفِى أنْ يكونَ قَبلَها غيرُها لم يَشْهَدْها زيدُ بنُ أرْقَمَ، وبهذا يَحْصُلُ الجَمْعُ بينَ ما ذكَره محمدُ ابنُ إسحاقَ[٢] وبينَ هذا الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[٣]: ويومَئذٍ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ ما قال، فحدَّثنى[٤] يزيدُ بنُ محمدِ بنِ خُثَيْمٍ[٥]، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِىِّ، حدَّثنى أبو يزيدَ محمدُ بنُ خُثَيْمٍ[٥] عن عمارِ بنِ ياسرٍ، قال: كنتُ أنا وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ رفيقَيْن فى غزوةِ العُشَيْرَةِ، مِن بَطْنِ يَنْبُعَ، فلما نزَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ أقام بها شهرًا، فصالح بها بنى مُدْلِجٍ وحلفاءَهم مِن بنى ضَمْرَةَ، فوادَعهم، فقال لى علىُّ بنُ أبى طالبٍ: هل لك يا أبا اليَقْظانِ أن نَأْتِىَ [٢/١٦٦و] هؤلاء النفَرَ مِن بنى مُدْلِجٍ، يَعْمَلون فى عينٍ لهم، نَنْظُرُ كيف يَعْمَلون؟ فأتَيْناهم فنظَرْنا إليهم ساعةً فغَشِيَنا النومُ، فعَمَدْنا إلى صَوْرٍ مِن النخلِ[٦] فى دَقْعاءَ[٧] مِن الأرضِ

(١ - ١) فى النسخ: «فأيهن كان». والمثبت من البخارى.

(٢) تقدم فى صفحة ١٧، عن البخارى معلقا.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٩.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٢، ١٣ من طريق محمد بن إسحاق به.

(٥) فى ص، والدلائل، والسيرة: «خيثم». وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٥٨، ٣٢/ ٢٣٣.

(٦) أى النخل الصغار. انظر اللسان (ص و ر).

(٧) الدقعاء: عامة التراب، وقيل: التراب الدقيق على وجه الأرض. اللسان (د ق ع).

فنِمْنا فيه ، فواللَّهِ ما أَهَبَّنا[1] إلَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُنا بقدمِه فجلَسْنا ، وقد تَتَرَّبْنا مِن تلك الدَّقْعاءِ ، فيومَئذٍ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعليٍّ : « يا أبا ترابٍ » . لِمَا عليه مِن الترابِ ، فأخبَرْناه بما كان مِن أمرِنا ، فقال : « ألَا أُخْبِرُكم بأشقَى الناسِ رجُلين ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « أُحَيْمِرُ ثمودَ الذى عقَر الناقةَ ، والَّذى يَضْرِبُك يا عليُّ على هذه - ووضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه على رأسِه - حتى يَبُلَّ[2] منها هذه » . ووضَع يدَه على لحيتِه . وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وله شاهدٌ مِن وجهٍ آخرَ فى تسميةِ عليٍّ أبا ترابٍ ، كما فى « صحيحِ البخاريِّ »[3] أنَّ عليًّا خرَج مُغاضِبًا فاطمةَ ، فجاء المسجدَ فنام فيه ، فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فسأَلَها عنه ، فقالت : خرَج مُغاضِبًا . فجاء إلى المسجدِ فأيْقَظَه وجعَل يَمْسَحُ الترابَ عنه ، ويقولُ : « قُمْ أبا ترابٍ ، قُمْ أبا ترابٍ » .

---

(١) أهبنا : أيقظنا .

(٢) فى الأصل ، م : « تبل » .

(٣) البخارى (٤٤١ ، ٦٢٨٠) .

غزوةُ بدرٍ الأُولى

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم لم يُقِمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ حينَ رجَع مِن العُشَيْرةِ إلا ليالىَ قلائلَ لا تَبْلُغُ العشَرَةَ ، حتى أغار كُرْزُ بنُ جابرٍ الفِهْرِىُّ على سَرْحِ[2] المدينةِ ، فخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ في طلبِه حتى بلَغ واديًا يُقالُ له : سَفَوانُ . مِن ناحيةِ بدرٍ ، وهى غزوةُ بدرٍ الأُولَى ، وفاتَه كُرْزٌ فلم يُدْرِكْه .

وقال الواقدىُّ[3] : وكان لواؤُه مع علىِّ بنِ أبى طالبٍ .

قال ابنُ هشامٍ والواقِدىُّ[4] : وكان قد اسْتَخلَف على المدينةِ زيدَ بنَ حارثةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فرجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأقام جُمَادَى ورَجَبًا وشعبانَ ، وقد كان بعَث بينَ يَدَىْ ذلك سعدًا فى ثمانيةِ رَهطٍ مِن المهاجرين ، فخرَج حتى بلَغ الخَرَّارَ مِن أرضِ الحجازِ - قال ابنُ هشامٍ : ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ بعْثَ سعدٍ هذا كان بعدَ حمزةَ - ثم رجَع ولم يَلْقَ كيْدًا . هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ مختصَرًا ، وقد تقَدَّم ذِكرُ الواقدىِّ لهذه البعوثِ الثلاثةِ[6] ، أَعْنِى بَعْثَ حمزةَ فى رمضانَ ، وبعْثَ عُبَيْدَةَ فى شوالٍ ، وبَعْثَ سعدٍ فى ذى القَعْدةِ ، كلُّها فى السنةِ الأُولَى .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠١.

(٢) السرح : المال يُسام فى المرعى من الأنعام . اللسان (س ر ح) .

(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٩.

(٤) انظر المصدرين السابقين .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٠، ٦٠١.

(٦) تقدم فى ٤/ ٥٧٨، ٥٧٩.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنى عبدُ المُتَعَالِى بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، حدثنى يحيى بنُ سعيدٍ . قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ : وحدَّثنى سعيدُ بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأُمَوىُّ ، حدَّثنا أَبِى ، ثنا المُجَالِدُ ، عن زِيادِ بنِ عِلَاقَةَ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ قال : لمَّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، جاءته جُهَيْنَةُ فقالوا : إنك قد نزَلْتَ بينَ أَظْهُرِنا ، فأَوْثِقْ حتى نَأْتِيَك وتُؤْمِنَّا[2] . فأَوْثَقَ لهم فأسلَموا . قال : فبعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رجبٍ ولا نَكونُ مائةً ، وأمَرَنا أن نُغِيرَ على حىٍّ مِن بنى كِنانةَ إلى جَنْبِ جُهَيْنَةَ ، فأغَرْنا عليهم ، وكانوا كثيرًا فلَجَأْنا إلى جُهَيْنَةَ ، فمَنَعونا ، وقالوا : لِمَ تُقاتِلون فى الشهرِ الحرامِ ؟![3] فقال بعضُنا لبعضٍ : ما تَرَوْن ؟ فقال بعضُنا : نَأْتى نبىَّ اللَّهِ ﷺ فنُخْبِرُه . وقال قومٌ : لا ، بل نُقِيمُ هـٰهنا . وقلتُ أنا فى أُناسٍ معى : لا ، بل نَأْتِى عِيرَ قريشٍ فنَقْتَطِعُها . وكان الفَىْءُ إذ ذاك : مَن أخَذ شيئًا فهو له . فانطَلَقْنا إلى العِيرِ ، وانطَلَق أصحابُنا إلى النبىِّ ﷺ ، فأخبَروه الخبرَ ، فقام غضبانَ مُحْمَرَّ الوجهِ فقال : « أذَهَبْتم مِن عندى جَميعًا [4]وجِئْتم[4] مُتَفَرِّقين ؟ إنَّما أَهْلَكَ مَن كان قَبلَكم الفُرْقةُ ، لأَبْعَثَنَّ عليكم رجلًا لَيْسَ بِخَيْرِكُم ، أصبرُكم على الجوعِ والعطشِ » . فبعَث علينا عبدَ اللَّهِ بنَ جَحْشٍ الأَسَدىَّ ، فكان أولَ أميرٍ فى الإسلامِ . وقد رَواه البَيْهَقىُّ فى « الدلائلِ »[5] مِن حديثِ يحيى بنِ أبى زائِدَةَ ، عن مُجالِدٍ به نحوَه ، وزاد

---

(١) المسند ١/ ١٧٨. (إسناده ضعيف).

(٢) فى م، ص: « قومنا ».

(٣) بعده فى المسند: « فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام فى الشهر الحرام ».

وسيذكرها المصنف قريبا على أنها زيادة من رواية البيهقى، ولعل هذه الزيادة سقطت من نسخة المصنف من المسند، وهى كذلك بدون الزيادة فى جامع المسانيد له ٥/ ١٣١، ١٣٢.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: « ورجعتم ».

(٥) دلائل النبوة ٣/ ١٤.

بعدَ قولِهم لأَصحابِه : لِم تُقاتِلون فى الشهرِ الحرامِ؟! : فقالوا : [٢/١٦٦ظ] نُقاتِلُ فى الشهرِ الحرامِ مَن أخرجَنا مِن البلدِ الحرامِ . ثم رواه[١] مِن حديثِ أبى أسامةَ ، عن مُجالدٍ ، عن زيادِ بنِ عِلاقَةَ ، عن قُطْبَةَ بنِ مالكٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، فذكَر نحوَه ، فأدخَل بينَ سعدٍ وزيادٍ قُطْبَةَ بنَ مالكٍ ، وهذا أنْسَبُ[٢] . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا الحديثُ يَقْتَضِى أنَّ أولَ أمراءِ[٣] السَّرايا عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ الأَسَدىُّ ، وهو خلافُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ ، أنَّ أولَ الراياتِ عُقِدَت لعُبَيْدَةَ بنِ الحارثِ ابنِ المطلبِ[٤] ، وللواقدىِّ حديثٌ[٥] زعَم أنَّ أولَ الراياتِ عُقِدَتْ لحمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أى البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٥.

(٢) يريد المصنف أن هذا الوجه متصل ؛ حيث إن رواية أحمد وطريق البيهقى الأول منقطعان . قال أبو زرعة : زياد بن علاقة لم يسمع من سعد بن أبى وقاص . انظر المراسيل لابن أبى حاتم ص ٤٤.

(٣) سقط من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٩٥. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٥. حوادث أول سنة من الهجرة .

(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ٦.

بابُ سَرِيَّةِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ (١) التى كانت (١) سببًا لغَزْوةِ بدرٍ العظمَى، وذلك يومَ الفُرقانِ يومَ الْتَقَى الجَمْعانِ، واللَّـهُ على كلِّ شىءٍ قديرٌ

قال ابنُ إسحاقَ (٢) : وبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ جَحْشِ بنِ رِئابٍ الأَسَدىَّ فى رجبٍ مَقْفَلَه مِن بدرٍ الأُولَى، وبعَث معه ثمانيةَ رهْطٍ مِن المهاجرين، ليس فيهم مِن الأنصارِ أحدٌ، وهم؛ أبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ، وعُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثَانَ، حليفُ بنى أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، وعُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، حليفُ بنى نَوْفَلٍ، وسعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ الزُّهْرِىُّ، وعامرُ بنُ ربيعةَ الوائِلِىُّ، حليفُ بنى عَدِىٍّ، وواقِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عَرِينِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوعٍ التَّمِيمىُّ، حليفُ بنى عَدِىٍّ أيضًا، وخالدُ بنُ البُكَيْرِ أحدُ بنى سعدِ بنِ لَيْثٍ، حليفُ بنى عَدِىٍّ أيضًا، وسُهَيْلُ (٣) ابنُ بَيْضَاءَ الفِهْرِىُّ، فهؤلاء سبعةٌ ثامنُهم (٤) أميرُهم عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، رَضِى اللَّهُ عنه. وقال

(١ - ١) فى الأصل، م: «كان سببها».

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠١، ٦٠٢.

(٣) فى الأصل، م: «سهل».

(٤) كذا فى النسخ، وهو غلط من المصنف، رحمه اللَّه، وذلك أنه ذكرهم ثمانية وعدهم سبعة؛ وذلك أن ابن إسحاق أدخل فى أسماء الثمانية بعد أبى حذيفة بن عتبة، عبدَ اللَّه بن جحش، فمجموع من ذكرهم ابن إسحاق تسعة. فلما ذكرهم المصنف بدون أميرهم عبد اللَّه، حسب أن الباقى سبعة، ظنًّا منه أن مجموع من ذكرهم ابن إسحاق ثمانية، لذلك أتى المصنف برواية ابن إسحاق الآتية ليبين الاضطراب الحادث بين الروايتين - فى ظنّه - فقال: فاللَّه أعلم.

يونسُ، عن ابنِ إسحاقَ[1] : كانوا ثمانيةً، وأميرُهم التاسعُ. فاللَّهُ أعلمُ. [2]وستَأْتِى تَسميتُهم على خلافِ ما قال ابنُ إسحاقَ[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكَتَب له كتابًا، وأمَره أن لا يَنْظُرَ فيه حتى يَسِيرَ يومين ثُم يَنْظُرَ فيه، فيَمْضِىَ لِمَا أمَره به، ولا يَسْتَكْرِهَ مِن أصحابِه أحدًا، فلمَّا سارَ بهم يومين فتَح الكتابَ، فإذا فيه: «إذا نظرْتَ فى كتابى فامْضِ حتى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بينَ مكةَ والطَّائفِ، فترَصَّدْ بها قريشًا وتَعَلَّمْ لنا مِن أخْبارِهم». فلمَّا نظَر فى الكتابِ قال: سَمْعًا وطاعةً. وأخبرَ أصحابَه بما فى الكتابِ، وقال: قد نَهانى أن أَسْتَكْرِهَ أحدًا منكم، فمَن كان منكم يُرِيدُ الشهادةَ ويَرْغَبُ فيها فَلْيَنْطَلِقْ، ومَن كَرِهَ ذلك فلْيَرْجِعْ، فأمّا أنا فماضٍ لأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فمضَى ومضَى معه أصحابُه لم يَتَخَلَّفْ منهم أحدٌ، وسلَك على الحجازِ، حتى إذا كان بمَعْدِنٍ فوقَ الفُرُعِ يقالُ له: بُحْرانُ. أَضَلَّ سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ وعُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ بعيرًا لهما كانا يَعْتَقِبانِه، فتَخَلَّفا فى طلبِه، ومضَى عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ وبقيةُ أصحابِه، حتى نزَل نَخْلَةَ، فمرَّتْ به عِيرٌ لقريشٍ [4]تَحْمِلُ زبيبًا وأَدَمًا[5]، وتجارةً مِن تجارةِ قريشٍ[4]، فيها عمرُو بنُ الحَضْرَمىِّ - [6]قال ابنُ هشامٍ: واسمُ الحَضْرَمىِّ عبدُ اللَّهِ بنُ عبَّادٍ الصَّدِفىُّ. [7]قال السُّهَيْلىُّ[8]: وقيل غيرُ ذلك فى نسبِهِ[6][7] -

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/١٨ - ٢٠ من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير مطولا.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦٠١ - ٦٠٤.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) الأدم: الجلود. واحدها أديم. شرح غريب السيرة ١/١٨٩.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧ - ٧) سقط من: م.

(٨) الروض الأنف ٥/ ٧٩، ٨٠.

وعثمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المُغيرةِ المخزُومِيُّ ، وأخوه نَوْفَلٌ ، والحكَمُ بنُ كَيْسانَ مولَى هشامِ بنِ المُغيرةِ ، فلمَّا رآهم القومُ هابوهم وقد نزَلوا قريبًا منهم ، فأشْرَف لهم عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ ، وكان قد حلَق رأسَه ، فلما رَأَوْه أَمِنُوا ، وقالوا[1] : عُمَّارٌ ، لا بأسَ عليكم منهم . وتَشَاور الصحابةُ فيهم ، وذلك فى آخرِ يومٍ مِن رجبٍ ، فقالوا : واللَّهِ لَئِنْ ترَكْتمُوهم هذه الليلةَ ليَدْخُلُنَّ الحَرَمَ فلَيَمْتَنِعُنَّ به مِنكم ، ولئن قَتَلْتُموهم لَتَقْتُلُنَّهم فى الشهرِ الحرامِ . فتَرَدَّدَ القومُ وهابوا الإقدامَ عليهم ، ثم شَجَّعوا أنفُسَهم عليهم ، وأَجْمعوا على قتْلِ مَن قَدَروا عليه منهم وأخذِ ما معهم ، فرَمَى واقِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ التَّمِيمىُّ عمْرَو بنَ الحَضْرَمِىِّ بسهمٍ فقتله ، واسْتَأْسَرَ عثمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ والحكَمُ بنُ كَيْسانَ ، وأَفْلَتَ القومَ نَوْفَلُ بنُ عبدِ اللَّهِ فأَعْجَزهم ، وأَقْبَل عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ وأصحابُه بالعِيرِ والأسيرَيْن ، حتى قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد ذكَر بعضُ آلِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ قال لأصحابِه : إنَّ لرسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/ ١٦٧و] مما غَنِمْنا الخُمُسَ . فعزَله وقسَم الباقىَ بينَ أصحابِه ، وذلك قبلَ أن يَنْزِلَ الخُمُسُ . قال[2] : لمَّا نزَل الخُمُسُ نَزَل كما قَسَمه عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ . كما قاله .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلما قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « مَا أَمَرْتُكُم بِقِتَالٍ فِى الشهرِ الحَرامِ » . فوَقَف العِيرَ والأسيرَيْن وأَبَى أن يَأْخُذَ مِن ذلك شيئًا ، فلمَّا قال ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أُسْقِطَ فى أَيْدِى القومِ ، وظَنُّوا أنَّهم قد هَلَكوا ، وعَنَّفَهم إخوانُهُم مِن المسلمين فيما صَنَعوا ، وقالت قريشٌ : قد اسْتَحَلَّ محمدٌ

---

(١) فى م : « قال » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٦٠٣، ٦٠٤.

وأصحابُه الشهرَ الحرامَ، وسَفَكوا فيه الدَّمَ، وأَخَذوا فيه الأَموالَ، وأَسَروا فيه الرجالَ. فقال مَن يَرُدُّ عليهم مِن المسلمين مِمَّن كان بمكةَ: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبانَ. وقالت يهودُ، تُفائِلُ بذلك على رسولِ اللَّهِ ﷺ: عَمْرُو بنُ الحَضْرَميِّ قَتَلَه واقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ؛ عَمْرٌو عَمَرَتِ الحربُ، والحَضْرَميُّ حَضَرَتِ الحربُ، وواقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ وَقَدَتِ الحربُ. فجَعَل اللَّهُ ذلك عليهم لا لهم، فلمَّا أَكْثَرَ الناسُ في ذلك أَنْزَل اللَّهُ تعالى على رسولِه ﷺ[1]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. أي؛ إنْ كنتم قَتَلْتُم في الشهرِ الحرامِ فقد صَدُّوكم عن سبيلِ اللَّهِ مع الكفرِ به، وعن المسجدِ الحرامِ، وإخراجُكم منه وأنتم أهلُه، أكبرُ عندَ اللَّهِ مِن قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُم مِنهم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي؛ قد كانوا يَفْتِنون المسلمَ عن دينِه حتى يَرُدُّوه إلى الكفرِ بعدَ إيمانِه، فذلك أكبرُ عندَ اللَّهِ مِن القَتْلِ، ثم هم مقيمون على أَخْبَثِ ذلك وأَعْظَمِه غيرَ تائبين ولا نازِعين، ولهذا قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ الآية.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلمَّا نَزَل القرآنُ بهذا من الأمرِ وفَرَّجَ اللَّهُ عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ[3]، قَبَض رسولُ اللَّهِ ﷺ العِيرَ والأَسيرَيْن، وبَعَثَتْ قريشٌ في فِداءِ عثمانَ والحكَمِ بنِ كَيْسانَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا

---

(١) انظر التفسير ١/٣٦٨ - ٣٧٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٤، ٦٠٥.

(٣) الشفق: الخوف.

نُفْدِيكُموهُما حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبانا - يعْنِى سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ، وعُتْبَةَ بنَ غَزْوانَ - فإنَّا نَخْشاكُم عليْهِما، فَإِن تَقْتُلُوهما، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكم». فقَدِم سعدٌ وعُتْبَةُ، فأَفداهما رسولُ اللَّهِ ﷺ. فأمَّا الحكَمُ بنُ كَيْسانَ فأَسْلَم فحسُنَ إسلامُه، وأقام عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى قُتِل يومَ بئرِ مَعُونَةَ شَهِيدًا، وأما عُثمانُ ابنُ عبدِ اللَّهِ فلَحِق بمكةَ، فمات بها كافرًا.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فلمَّا تَجَلَّى عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ وأصحابِه ما كانوا فيه حينَ نَزَلَ القرآنُ، طَمِعوا فى الأَجْرِ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أَنَطْمَعُ أن تَكونَ لنا غَزْوةٌ نُعْطَى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزَل اللَّهُ فيهم[2]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فوَضَعَهم اللَّهُ مِن ذلك على أعظمِ الرجاءِ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: والحديثُ فى ذلك عن الزُّهْرِىِّ ويزيدَ بنِ رُومَانَ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ. وهكذا ذَكَر موسى بنُ عُقْبَةَ فى «مَغازيه»، عن الزُّهْرِىِّ[4]، وكذا رَوَى شُعَيْبٌ، عن الزُّهْرِىِّ، عن عُرْوَةَ نَحْوًا مِن هذا[5]، وفيه: وكان ابنُ الحَضْرَمِىِّ أوَّلَ قَتِيلٍ قُتِل بينَ المسلمين والمشركين.

وقال عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ[6]: [٢/ ١٦٧ظ] هو أوَّلُ قَتِيلٍ قَتَله المسلمون، وهذه أوَّلُ غَنِيمَةٍ غَنِمها المسلمون، وعُثمانُ والحكَمُ بنُ كَيْسانَ أوَّلُ مَنْ أَسَره المسلمون.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٥.

(٢) التفسير: ١/ ٣٧١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٥.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٠، ٢١، من طريقين عن موسى بن عقبة عن الزهرى.

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٧، من طريق شعيب به.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٥.

قلتُ : وقد تقدَّم[1] فيما رَواه الإمامُ أحمدُ ، عن سعدِ بنِ أبى وقاصٍ أنَّه قال : فكان عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ أولَ أميرٍ فى الإسلامِ .

وقد ذَكَرْنا فى « التفسيرِ »[2] لِمَا أوْرَده ابنُ إسحاقَ شواهدَ مُسْنَدةً ؛ فمن ذلك ما رَواه الحافظُ أبو محمدِ بنُ أبى حَاتِمٍ : حدَّثنا أَبِى ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمِىُّ ، حدَّثنا المُعْتَمِرُ بنُ سُلَيمانَ ، عن أبيه ، حدَّثنى الحَضْرَمِىُّ ، عن أبى السَّوَّارِ ، عن جُنْدَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث رَهْطًا ، وبَعَث عليهم أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ - [3]أو عُبَيْدَةَ بنَ الحارثِ[3] - فلمَّا ذَهَب يَنطلِقُ[4] بَكَى صَبابةً[5] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجَلَس ، فبَعَث عليهم مكانَه عبدَ اللَّهِ بنَ جَحْشٍ ، وكَتَب له كتابًا وأَمَره أن لا يَقْرَأَه حتى يَبْلُغَ مكانَ كذا وكذا ، وقال : « لا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا على السَّيرِ معك مِن أَصْحَابِكَ » . فلمَّا قَرَأ الكتابَ اسْتَرْجَعَ ، وقال : سمعًا وطاعةً للَّهِ ولرسولِه . فَخَبَّرهم الخبرَ ، وقَرَأ عليهم الكتابَ فرَجَع رَجُلَان وبَقِىَ بَقِيَّتُهم ، فلَقُوا ابنَ الحَضْرَمِىِّ ، فقَتَلوه ، ولم يَدْروا أنَّ ذلك اليومَ مِن رجبٍ أو مِن جُمَادَى ، فقال المشركون للمسلمين : قَتَلْتُم فى الشهرِ الحرامِ . فأَنْزَل اللَّهُ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ الآيةَ .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٤ .

(٢) ذكره المصنف فى التفسير ٣٦٨/١ بسند ابن أبى حاتم . سورة البقرة الآية ٢١٧. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥٠، إلى ابن أبى حاتم وغيره .

(٣ - ٣) زيادة من النسخ وليست من رواية ابن أبى حاتم كما فى التفسير وإنما هى لفظ رواية الطبرانى ، فقد أخرجه فى الكبير ١٧٤/٢ (١٦٧٠) ، من طريق محمد بن أبى بكر المقدمى به . وقال الهيثمى فى المجمع ١٩٨/٦: ... ورجاله ثقات .

(٤) سقطت من : م .

(٥) صبابة : شوقًا .

وقال إسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ السُّدِّيُّ الكَبيرُ فى «تفسيرِه»[1] : عن أبى مالكٍ وعن[2] أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، وعن مُرَّةَ عن ابنِ مسعودٍ[3] : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ وذلك أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث سَرِيَّةً، وكانوا سبعةَ نَفَرٍ، عليهم عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، وفيهم عمارُ ابنُ ياسرٍ، وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبةَ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ، وعُتْبةُ بنُ غَزْوانَ، وسَهْلُ ابنُ بَيْضَاءَ، وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ، وواقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ اليَرْبُوعىُّ، حليفٌ لعمرَ بنِ الخطابِ، وكَتَب لابنِ جَحْشٍ كتابًا وأَمَرَهُ أنْ لا يَقْرَأَه حتى يَنْزِلَ بَطْنَ مَلَلٍ[4]، فلمَّا نَزَل بَطْنَ مَلَلٍ فَتَحَ الكتابَ، فإذا فيه أنْ سِرْ حتى تَنْزِلَ بطنَ نَخْلَةَ. فقال لأصحابِه: مَنْ كان يُرِيدُ الموتَ فليَمْضِ وليُوصِ؛ فإنَّنى مُوصٍ وماضٍ لأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فسار، وتَخَلَّف عنه سعدٌ وعُتْبَةُ؛ أَضَلَّا راحلةً لهما، فأقاما يَطْلُبانِها، وسار هو وأصحابُه حتى نَزَل بَطْنَ نَخْلَةَ، فإذا هو بالحَكَمِ بنِ كَيْسانَ، والمُغيرةِ بنِ عُثمانَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ المُغيرةِ. فذَكَر قَتْلَ واقدٍ لعمرِو بنِ الحَضْرَمىِّ، ورَجَعوا بالغَنِيمةِ والأَسِيرَيْنِ[5]، فكانت أولَ غَنيمةٍ غَنِمَها المسلمون، وقال المشركون: إن محمدًا يَزْعُمُ أنَّه يَتَّبِعُ طاعةَ اللَّهِ، وهو أولُ مَن اسْتَحَلَّ الشهرَ الحَرامَ، وقَتَل صاحبَنا فى رجبٍ. وقال المسلمون: إنَّما قَتَلْناه فى جُمادَى.

---

(١) ذكره المصنف فى التفسير ١/ ٣٦٨، بسند السدى. وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٢/ ٣٤٩، عن السدى. سورة البقرة الآية ٢١٧.

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) بعده فى النسخ: «عن جماعة من الصحابة». والمثبت من التفسير.

(٤) ملل: اسم موضع فى طريق مكة بين الحرمين. معجم البلدان ٤/ ٦٣٧.

(٥) ذكر المصنف الأثر مختصرا، ففى التفسير، وتفسير الطبرى أن السرية قابلت الحكم بن كيسان، وعبد الله بن المغيرة، والمغيرة بن عثمان، وعمرو بن الحضرمى فقتل عمرو وانفلت منهم المغيرة، وبهذا يتسق الكلام.

قال السُّدِّىُّ : وكان قَتْلُهم له فى أولِ ليلةٍ مِن رجبٍ ، وآخرِ ليلةٍ مِن جُمادَى الآخِرةِ .

قلتُ : لعلَّ جُمَادَى كان ناقصًا فاعْتَقَدوا بقاءَ الشهرِ ليلةَ الثلاثين ، وقد كان الهلالُ رُئِىَ تلك الليلةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وهكذا رَوَى العَوْفِىُّ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ ذلك كان فى آخرِ ليلةٍ مِن جُمادَى ، وكانت أولَ ليلةٍ مِن رجبٍ ، ولم يَشْعُروا[1] . وكذا تَقَدَّم فى حديثِ جُنْدَبٍ الذى رَواه ابنُ أبى حَاتمٍ . وقد تَقَدَّم فى سياقِ ابنِ إسحاقَ أن ذلك كان فى آخرِ ليلةٍ مِن رجبٍ ، وخافوا إنْ لم يَتَدارَكوا هذه الغنيمةَ ويَنْتَهِزوا هذه الفرصةَ ، دَخَل أولئك فى الحَرَمِ ، فيَتَعَذَّرُ عليهم ذلك ، فأَقْدَموا عليهم عالمين [٢/ ١٦٨و] بذلك .

وكذا قال الزُّهْرِىُّ ، عن عُرْوةَ . رَوَاه البيهقىُّ[2] . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

قال الزُّهْرِىُّ ، عن عُرْوةَ : فبلَغَنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، عَقَل[3] ابنَ الحَضْرَمىِّ ، وحَرَّم الشهرَ الحرامَ كما كان يُحَرِّمُه ، حتى أنْزَل اللَّهُ « براءةٌ » . رَواه البَيْهَقِىُّ[4] .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فقال أبو بكرٍ الصديقُ فى غَزْوةِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ

---

(١) التفسير ١/ ٣٦٩، وتفسير الطبرى ٢/ ٣٥٠، ٣٥١. سورة البقرة الآية ٢١٧ .

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٢١.

(٣) عقل : قال ابن الأثير : أما العقل فهو الدية ، وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل ، فعقلها فى فناء أولياء المقتول ؛ أى شدها فى عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدية عقلا بالمصدر . النهاية ٣/ ٢٧٨.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ١٨.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٥، ٦٠٦.

جوابًا للمشركين فيما قالوا من إحلالِ الشهرِ الحرامِ.

قال ابنُ هشامٍ[1]: هى لعبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ:

تَعُدُّون قَتْلًا فى الحرامِ عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يَرَى الرُّشْدَ راشدُ

صُدُودُكمُ عَمَّا يَقُولُ محمدٌ ... وكُفْرٌ به واللَّهُ راءٍ وشاهِدُ

وإخراجُكم مِن مسجدِ اللَّهِ أهلَه ... لئلا يُرَى للَّهِ فى البيتِ ساجدُ

فَإِنّا وإنْ عَيَّرْتُمونا بقَتْلِهِ ... وأَرْجَفَ بالإسلامِ باغٍ وحاسدُ

سَقَيْنا[2] مِن ابنِ الحَضْرَمِيِّ رِماحَنَا ... بنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الحربَ واقِدُ

دَمًا وابنُ عبدِ اللَّهِ عثمانُ بينَنا ... يُنازِعُه غُلٌّ مِن القِدِّ[3] عانِدُ[4]

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٠٥.

(٢) فى ص: «شفينا».

(٣) فى م: «القيد». والقد: السير يقطع من الجلد لخصف النعال أو نحو ذلك.

(٤) عاند: معناه سائل بالدم لا ينقطع. شرح غريب السيرة ٢/٣٣.

فصلٌ فى تحويلِ القِبْلةِ فى سنةِ ثِنْتَيْنِ مِن الهجرةِ قبلَ وَقْعةِ بدرٍ

قال بعضُهم: كان ذلك فى رجبٍ مِن سنةِ ثِنْتَيْن. وبه قال قَتادةُ وزيدُ ابنُ أَسْلَمَ، وهو روايةٌ عن محمدِ بنِ إسحاقَ[1]. وقد رَوَى أحمدُ[2] عن ابنِ عباسٍ ما يَدُلُّ على ذلك، وهو ظاهرُ حديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ كما سيأْتى. واللَّهُ أعلمُ. وقيل: فى شعبانَ منها. قال ابنُ إسحاقَ: بعدَ غزوةِ عبدِ اللَّهِ ابنِ جَحْشٍ. ويقالُ: صُرِفتِ القبلةُ فى شعبانَ على رأسِ ثمانيةَ عشَرَ شهرًا مِن مَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ[3]. وحَكَى هذا القولَ ابنُ جَرِيرٍ[4]، مِن طريقِ السُّدِّىِّ بسَنَدِه عن ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ وناسٍ مِن الصحابةِ. قال: (٥وبه قال٥) الجمهورُ الأعظمُ؛ أنَّها صُرِفتْ فى النصفِ مِن شعبانَ على رأسِ ثمانيةَ عشَرَ شهرًا مِن الهجرةِ. ثُم حَكَى[6] عن محمدِ بنِ سعدٍ، عن الوَاقِدِىِّ [٢/١٦٨ظ] أنَّها حُوِّلت يومَ الثلاثاءِ النصفَ مِن شعبانَ. وفى هذا التحديدِ نَظَرٌ. واللَّهُ أعلمُ. وقد تَكَلَّمْنا على ذلك مُسْتَقْصًى فى

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٢، تفسير الطبرى ٢/٣ - ٥، دلائل البيهقى ٢/ ٥٧٥.

(٢) المسند ١/ ٢٥٠، ٣٥٠، ٣٥٧، من طريق عكرمة عن ابن عباس، ١/٣٢٥ من طريق مجاهد عن ابن عباس. (إسناد صحيح).

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٦.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٤١٦. وانظر المصدر السابق.

(٥ - ٥) زيادة من: ص.

(٦) تاريخ الطبرى، الموضع السابق.

«التفسير»[1] عندَ قولِه تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2] [البقرة: ١٤٤]. وما قبلَها وما بعدَها مِن اعتراضِ سُفَهاءِ اليهودِ والمنافقين والجَهَلَةِ الطَّغَامِ[3] على ذلك؛ لأنَّه أولُ نَسْخٍ وَقَع فى الإسلامِ. هذا وقد أحالَ اللَّهُ قبلَ ذلك فى سياقِ القرآنِ تقريرَ جوازِ النَّسْخِ عندَ قولِه[4]: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا[5] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقد قال البُخاريُّ[6]: حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ، سَمِع زُهَيْرًا، عن أبى إسحاقَ، عن البَرَاءِ أنَّ النبىَّ ﷺ صَلَّى إلى بيتِ المقدسِ ستةَ عشَرَ شهرًا [7]أو سبعةَ عشَرَ شهرًا[7]، وكان يُعْجِبُه أنْ تكونَ قِبْلتُه إلى البيتِ، وأنَّه صَلَّى، [8]أو صَلَّاها، صَلاةَ العَصْرِ[8]، وصلَّى معه قومٌ فخرَج رجلٌ مِمَّن كان صلى[9] معه، فَمَرَّ على

---

(١) التفسير ١/٢٧٨ - ٢٨٠، وقد بسط المسألة وحررها ابن حجر فى فتح البارى ١/ ٩٦، ٩٧. وانظر سبل الهدى والرشاد ٣/ ٥٤١.

(٢) هكذا فى النسخ بالتاء، وهى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى، بالتاء على مخاطبة أهل الكتاب أو أمة محمد ﷺ، وقرأ الباقون «يعملون» بالياء من تحت. قاله القرطبى ٢/ ١٦١، وانظر حجة القراءات ص ١١٦، ١١٧.

(٣) فى ص: «الطغاة». والطغام: أرذال الناس وأوغادهم.

(٤) التفسير ١/٢١٤ - ٢١٨.

(٥) هكذا فى النسخ، وهى قراءة ابن كثير - وهو غير مصنف كتابنا - وأبى عمرو، وقرأ الباقون: ﴿نُنسها﴾. انظر تفسير القرطبى ١/ ٦٧، ٦٨، وحجة القراءات ١٠٩، ١١٠.

(٦) البخارى (٤٤٨٦).

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨ - ٨) فى النسخ: «أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر». والمثبت من صحيح البخارى.

(٩) سقط من النسخ، والمثبت من صحيح البخارى.

أهلِ مسجدٍ وهم راكعون ، فقال : أشْهَدُ باللَّهِ ، لقد صَلَّيْتُ مع النبيِّ ﷺ قِبَلَ مكةَ . فدارُوا كما هم قِبَلَ البيتِ ، وكان الذى مات على القبلةِ قبلَ أنْ تُحَوَّلَ رجالٌ قُتِلُوا لم نَدْرِ ما نَقولُ فيهم ، فأَنْزَل اللَّهُ : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] . ورواه مسلمٌ[(١)] مِن وجهٍ آخرَ .

وقال ابنُ أبى حَاتِمٍ[(٢)] : حدَّثنا أبو زُرْعةَ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ عَطِيَّةَ ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد صَلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشَرَ أو سبعةَ عشَرَ شهرًا ، وكان يُحِبُّ أنْ يُوَجَّهَ نحوَ الكعبةِ فأَنْزَل اللَّهُ : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] . قال : فوُجِّهَ نحوَ الكعبةِ . وقال السُّفهاءُ مِن الناسِ ، وهم اليهودُ : ما ولَّاهم عن قِبْلتِهم التى كانوا عليها . فأَنْزَل اللَّهُ : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

وحاصلُ الأَمْرِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُصَلِّى بمكةَ إلى بيتِ المقدسِ والكعبةُ بينَ يديه ، كما رَواه الإمامُ أحمدُ[(٣)] ، عن ابنِ عباسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فلما هَاجَرَ إلى المدينةِ لم يُمْكِنْه أنْ يَجْمَعَ بينَهما ، فصَلَّى إلى بيتِ المقدسِ أولَ مَقْدَمِه المدينةَ ، واسْتَدْبَرَ الكعبةَ ستةَ عشَرَ شهرًا ، أو سبعةَ عَشَر شهرًا . وهذا يَقْتَضِى أنْ يكونَ ذلك إلَى رجبٍ مِن السنةِ الثانيةِ . واللَّهُ أعلمُ . وكان ، عليه

---

(١) مسلم (٥٢٥) .

(٢) ذكره المصنف فى التفسير ١/ ٢٧٤. بسند ابن أبى حاتم .

(٣) المسند ١/٣٢٥ (إسناده صحيح) .

السلامُ ، يُحِبُّ أنْ تُصْرَفَ قِبْلَتُه نحوَ الكعبةِ قبلةِ إبراهيمَ ، وكان يُكْثِرُ الدعاءَ والتَّضَرُّعَ والابْتِهالَ إلى اللَّهِ ، عزّ وجلّ ، فكان مما[1] يَرْفَعُ يديه وطَرْفَه إلى السماءِ سائلًا ذلك ، فأَنْزَل اللَّهُ عز وجل[2] ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ الآية . فلمَّا نَزَل الأمرُ بتحويلِ القبلةِ خَطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين وأَعْلَمَهُم بذلك . كما رَواه النَّسائيُّ[3] ، عن أبى سعيدِ بنِ المُعَلَّى ، وأنَّ ذلك كان وقتَ الظُّهْرِ . وقال بعضُ الناسِ[4] : نَزَل تحويلُها بينَ الصلاتَيْن . قاله مجاهدٌ وغيرُه ، ويُؤَيِّدُ ذلك ما ثَبَت فى « الصحيحَيْنِ »[5] ، عن البَرَاءِ أَنَّ أولَ صلاةٍ صَلَّاهَا ، عليه السلامُ ، إلى الكعبةِ بالمدينةِ ، العَصْرُ . والعَجَبُ أَنَّ أهلَ قُبَاءٍ لم يَبْلُغْهُم خَبَرُ ذلك إلى صَلَاةِ الصُّبْحِ مِن اليومِ الثانى ، كما ثَبَت فى « الصحيحَيْن »[6] ، عن ابنِ عمرَ ، قال : بينَما النَّاسُ بقُبَاءٍ فى صلاةِ الصبحِ إذْ جاءهم آتٍ ، فقال : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أُنْزِلَ عليه الليلةَ قُرآنٌ ، وقد أُمِرَ أنْ يَسْتَقْبِلَ الكعبةَ ، فاسْتَقْبِلوها . وكانت وجوهُهم إلى الشامِ فاسْتَداروا [٢/١٦٩و] إلى الكَعْبَةِ .

وفى « صحيحِ مُسْلِمٍ »[7] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ نحوُ ذلك .

---

(١) فى الأصل : « ما » .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٢/ ١٩ - ٢٤، والتفسير ١/ ٢٧٨. سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٣) النسائى فى الكبرى (١١٠٠٤) . كما أخرجه فى المجتبى (٧٣١) . ضعيف (ضعيف سنن النسائى ٢٩) .

(٤) انظر تفسير القرطبى ٢/ ١٤٩.

(٥) البخارى (٤٠) ، ومسلم (٥٢٥) . ولم يُذكَر فى رواية مسلم تحديد الصلاة التى صلاها النبى ﷺ إلى الكعبة .

(٦) البخارى (٤٠٣، ٤٤٨٨، ٤٤٩٠، ٤٤٩١، ٤٤٩٣، ٤٤٩٤، ٧٢٥١) ، ومسلم (٥٢٦) .

(٧) مسلم (٥٢٧) .

والمقصودُ أنَّه لَمَّا نَزَلَ تحويلُ القبلةِ إلى الكعبةِ ونَسَخَ به اللَّهُ تعالى حُكْمَ الصلاةِ إلى بيتِ المقدسِ، طَعَنَ طاعنون مِن السفهاءِ والجَهَلَةِ الأَغبياءِ، وقالوا: ما وَلَّاهُم عَن قِبْلَتِهِمُ التى كانوا عليها. هذا والكفرةُ مِن أهلِ الكتابِ يَعْلَمون أنَّ ذلك مِن اللَّهِ؛ لما يَجِدُونه مِن صِفَةِ محمدٍ ﷺ فى كُتُبِهم؛ مِنْ أَنَّ المدينةَ مُهَاجَرُه، وأنَّه سَيُؤْمَرُ بالاسْتِقْبالِ إلى الكعبةِ كما قال[1]: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الآية [البقرة: ١٤٤]. وقد أجابَهم اللَّهُ تعالى مع هذا كلِّه عن سؤالِهم، وتَعَنُّتِهم[2]، فقال[3]: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]. [4]أى؛ هو المالكُ المُتَصَرِّفُ الحاكمُ الذى لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، الذى يَفْعَلُ ما يَشاءُ فى خَلْقِه، ويَحْكُمُ ما يُريدُ فى شَرْعِه، وهو الذى يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ[4]، ويُضِلُّ مَنْ يَشاءُ عن الطريقِ القَويمِ، وله فى ذلك الحكمةُ التى يَجِبُ لها الرِّضا والتَّسْليمُ.

ثُم قال تعالى[5]: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [4]أى؛ خِيارًا[4] ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. أى؛ وكما اخْتَرْنا لكم أفضلَ الجهاتِ فى صلاتِكم، وهَدَيْناكم إلى قبلةِ أبيكم إبراهيمَ والدِ الأنبياءِ بعدَ التى كان يُصَلِّى بها موسى فمَن قبلَه مِن المُرْسَلِين، كذلك جَعَلْناكم خِيارَ الأُمَمِ، وخُلاصةَ العالَمِ، وأَشْرَفَ الطَّوائفِ،

---

(١) انظر التفسير ١/ ٢٨٠.

(٢) فى م: «نعتهم».

(٣) التفسير ١/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) التفسير ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

وأَكْرمَ التَّالِدِ والطَّارِفِ[1] ؛ لتكونوا يومَ القيامةِ شُهَدَاءَ على الناسِ ؛ لإجْماعِهم عليكم وإشارتِهم يومَئذٍ بالفضيلةِ إليكم ، كما ثَبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[2] ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا مِن استشهادِ نوحٍ بهذه الأُمَّةِ يومَ القيامةِ . وإذا اسْتَشْهَدَ بهم نوحٌ مع تَقَدُّمِ زمانِه ، فمَن بعدَه بطريقِ الأَوْلَى والأَحْرَى .

ثُم قال تعالى مُبَيِّنًا حِكْمَتَه فى حُلُولِ نِقْمَتِه بمَن شَكَّ وارْتابَ بهذه الواقعةِ ، وحُلولِ نِعْمَتِه على مَنْ صدَّق وتابَع هذه الكائنةَ ، فقال[3] : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ[4] : إلَّا لنَرَى مَنْ يَتَّبِعُ الرسولَ ﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ أى ؛ وإن كانت هذه الكائنةُ العظيمةُ المَوْقِعِ كبيرةَ المَحَلِّ شَديدةَ الأمرِ ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أى ؛ فهم مُؤْمِنون بها مُصَدِّقون لها ، لا يَشُكُّون ولا يَرْتابون بل يَرْضَوْن ، ويُسَلِّمُون ، ويُؤْمِنون ، ويَعْمَلون ؛ لأنَّهم عبيدٌ للحاكمِ العظيمِ القادرِ المُقْتَدِرِ الحَليمِ الخَبيرِ اللطيفِ العليمِ .

وقولُه[5] : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أى ؛ بِشِرْعَتِه اسْتِقْبالَ بَيْتِ المَقْدِسِ والصلاةَ إليه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . والأحاديثُ والآثارُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا يَطولُ اسْتِقْصاؤُها ، وذلك مَبْسوطٌ فى « التفسيرِ »[6] ، وسنَزِيدُ ذلك بيانًا فى كتابِنا « الأَحكامِ الكبيرِ » .

---

(١) التالد والطارف : أصله فى اللغة القديم والحديث من المال .

(٢) البخارى (٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩) .

(٣) التفسير ١/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(٤) انظر تفسير الطبرى ٢/ ١٣، ١٤، والقرطبى ٢/ ١٥٦.

(٥) التفسير ١/ ٢٧٨.

(٦) التفسير ١/ ٢٧٣ - ٢٨٠.

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، حدَّثنا حُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن عمرَ[2] بنِ قَيْسٍ ، عن محمدِ بنِ الأَشْعثِ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِى فى أهلِ الكتابِ - : « إنَّهُم لَم يَحْسُدُونَا عَلَى شَىْءٍ كما يَحْسُدُوننا عَلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ الَّتِى هَدَانَا اللَّهُ لها[3] وَضَلُّوا عنها ، وعلى القِبْلَةِ الَّتِى هَدَانَا اللَّهُ لها وضَلُّوا عنها[4] ، وعلى قَوْلِنا خَلْفَ الإمَامِ : آمِين » .

---

(١) المسند ٦/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٨٤.

(٣) فى م : « إليها » .

(٤) سقط من : م .

فصلٌ فى فَرْضِيَّةِ صَوْمِ شهرِ رمضانَ سنةَ ثِنْتَيْن قبلَ وقْعةِ بَدْرٍ

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : وفى هذه السنةِ فُرِض صيامُ شهرِ رمضانَ . وقد قيل : إنَّه فُرِض فى شعبانَ منها . ثُم حَكَى[2] أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ قَدِم المدينةَ وَجَد اليهودَ يَصُومون يومَ [٢/ ١٦٩ظ] عَاشُوراءَ ، فسَأَلهم عنه ، فقالوا : هذا يومٌ نَجَّى اللَّهُ فيه مُوسَى . فقال : « نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ[3] » فصامَهُ ، وأَمَر الناسَ بصيامِهِ . وهذا الحديثُ ثابتٌ فى « الصحيحَيْن »[4] عن ابنِ عباسٍ ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ الآيةَ [البقرة : ١٨٣- ١٨٥] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤١٧. حوادث السنة الثانية .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢/ ١١٦.

وقد تَكَلَّمْنا على ذلك فى « التفسيرِ »[1] بما فيه كفايةٌ مِن إيرادِ الأحاديثِ المُتَعَلِّقةِ بذلك ، والآثارِ المَرْوِيَّةِ فى ذلك ، والأحكامِ المستفادةِ منه . وللَّهِ الحمدُ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا المَسْعُودِىُّ ، حدَّثنا عمرُو ابنُ مُرَّةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ قال : أُحِيلَتِ الصلاةُ ثلاثةَ أحوالٍ ، وأُحِيلَ الصيامُ ثلاثةَ أَحْوالٍ . فذَكَر أَحْوالَ الصلاةِ ، قال : وأَمَّا أَحْوَالُ الصيامِ ، فَإِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ المدينةَ ، فجعَلَ يَصومُ مِن كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ ، وصام عاشُوراءَ ، ثُم إنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وجلَّ ، فَرَض عليه الصيامَ ، وأَنْزلَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ فكان مَنْ شاءَ صامَ ومَنْ شاءَ أَطْعَمَ مسكينًا ، فأجْزَأَ ذلك عنه ، ثُم إنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وجلَّ ، أَنْزَلَ الآيةَ الأُخْرى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ فأَثْبَت صيامَه على المُقِيمِ الصحيحِ ، ورَخَّصَ فيه للمريضِ والمسافرِ ، وأَثْبَتَ الإطْعامَ للكبيرِ الذى لا يَسْتطيعُ الصِّيامَ ، فهذان حَوْلان . قال : وكانوا يَأْكُلون ، ويَشْرَبون ، ويَأْتون النِّساءَ ما لم يَناموا ، فإذا ناموا امْتَنَعوا ، ثُم إنَّ رَجُلًا مِن الأَنصارِ يُقَالُ له : صِرْمَةُ . كان يَعْمَلُ صائمًا حتى أَمْسَى ، فجاء إلى أهلِه فصلَّى العِشاءَ ، ثُم نام ، فلم يَأْكُلْ ولم يَشْرَبْ حتى أَصْبَحَ ، فأَصْبَحَ صائمًا ، فرآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قد جَهَدَ جَهْدًا شديدًا ، فقال : « مَا لِى أَرَاكَ قَدْ جَهَدْتَ جَهْدًا شديدًا ؟ » فأخْبَره . قال : وكان عُمرُ قد أصاب مِن النساءِ[3] بعدَ ما نام ، فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فذَكَر ذلك له ، فأَنْزَلَ اللَّهُ ،

---

(١) التفسير ١/٣٠٥ - ٣١٣.

(٢) المسند ٥/ ٢٤٦.

(٣) بعده فى المسند : « من جارية أو من حرة » .

عَزَّ وجَلَّ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] . ورَواه أبو داودَ فى « سُنَنِه » ، والحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » مِن حديثِ المَسْعُودِىِّ نحوَه[(١)] .

وفى « الصحيحَيْن »[(٢)] مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ أنَّها قالت : كان عاشوراءُ يُصامُ ، فلمَّا نَزَلَ رمضانُ كان مَنْ شاءَ صامَ ومَنْ شاءَ أَفْطَرَ . وللبخارىِّ عن ابنِ عمرَ وابنِ مسعودٍ مثلُه[(٣)] ، ولتحريرِ هذا موضعٌ آخرُ مِن « التفسيرِ »[(٤)] ، ومِن « الأحكامِ الكبيرِ » وباللَّهِ المُسْتَعَانُ .

قال ابنُ جَريرٍ[(٥)] : وفى هذه السنةِ أُمِرَ الناسُ بزكاةِ الفِطْرِ ، وقد قيل : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ الناسَ قَبْلَ الفِطْرِ بيومٍ أو يومَيْن ، وأمَرَهم بذلك . قال : وفيها صَلَّى النبىُّ ﷺ صَلاةَ العيدِ ، وخَرَج بالناسِ إلى المُصَلَّى ، فكان أوَّلَ صلاةِ عيدٍ صَلَّاها ، وخَرَجوا بينَ يَدَيْه بالحَرْبَةِ ، وكانت للزُّبَيرِ ، وهَبَها له النَّجاشِىُّ ، فكانت تُحْمَلُ بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الأعيادِ .

[٢/ ١٧٠و] قلتُ : وفى هذه السَّنَةِ ، فيما ذَكَره غيرُ واحدٍ مِن المُتَأَخِّرين ، فُرِضَتِ الزَّكاةُ ذاتُ النُّصُبِ ، كما سيَأْتِى تفصيلُ ذلك كُلِّه بعدَ وَقْعَةِ بدرٍ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ ، وعليه التُّكْلانُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العَلِىِّ العظيمِ .

---

(١) أبو داود (٥٠٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٧٩) . والحاكم فى المستدرك ٢/ ٢٧٤، وقال : صحيح ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٢) البخارى (٢٠٠١، ٤٥٠٢)، ومسلم (١١٢٥)، كلاهما بلفظ مقارب .

(٣) البخارى (١٨٩٢، ٢٠٠٠، ٤٥٠١) عن ابن عمر ، و(٤٥٠٣) عن ابن مسعود . كما أخرجه مسلم فى صحيحه (١١٢٦، ١١٢٧) عن ابن عمر وابن مسعود .

(٤) انظر التفسير ١/٣٠٥ - ٣٢٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/٤١٨ ، حوادث السنة الثانية .

غَزْوَةُ بدرِ العُظْمَى يومَ الفُرْقانِ

يومَ التَقَى الجَمْعانِ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٣]، وقال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥- ٨]. وما بعدَها إلى تَمامِ القِصَّةِ مِن سورةِ «الأَنْفالِ»، وقد تَكَلَّمْنا عليها هُنالك[3]، وسنُورِدُ هـٰهنا فى كلِّ مَوْضِعٍ ما يُناسِبُه.

قال ابنُ إسحاقَ[4]، رَحِمَه اللَّهُ، بعدَ ذِكْرِه سَرِيَّةَ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ: ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سَمِع بأبى سُفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ مُقْبِلًا مِن الشّامِ فى عِيرٍ لقُرَيشٍ عظيمةٍ، فيها أموالٌ وتجارةٌ، وفيها ثلاثونَ رجلًا أو أربعون، منهم مَخْرَمَةُ بنُ نَوْفَلٍ، وعَمرُو بنُ العاصِ.

---

(١) التفسير ٢/ ٩٢، ٩٣.

(٢) التفسير ٣/٥٥٣ - ٥٥٨.

(٣) القصة بتمامها وما يتعلّق بها، فى التفسير ٣/٥٥٣ - ٥٧٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٦.

قال موسى بنُ عُقْبَةَ، عن الزُّهْرِيِّ[1]: كان ذلك بعدَ مَقْتَلِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ بشَهْرَيْن.

قال[2]: وكان فى العِيرِ ألفُ بعيرٍ، تَحْمِلُ أموالَ قُريشٍ بأسْرِها إلَّا حُوَيْطِبَ ابنَ عبدِ العُزَّى، فلهذا تَخَلَّف عن بدرٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فحَدَّثنى محمدُ بنُ مُسلمِ بنِ شِهابٍ، وعاصمُ بنُ عُمرَ بنِ قَتادَةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، ويزيدُ بنُ رُومانَ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، وغيرُهم مِن عُلمائِنا، عن ابنِ عباسٍ، كُلٌّ قد حَدَّثَنى بعضَ الحديثِ، فاجْتَمَعَ حديثُهم فيما سُقْتُ مِن حديثِ بدرٍ، قالوا: لَمَّا سَمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ بأبى سُفيانَ مُقْبِلًا مِن الشّامِ، نَدَب المُسلِمِين إليهم وقال: «هذه عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أَمْوالُهم، فاخْرُجُوا إليها؛ لَعَلَّ اللَّهَ يُنَفِّلُكُمُوها». فانْتَدَب الناسُ، فخَفَّ[4] بعضُهم وثَقُل بعضٌ؛ وذلك أنَّهم لم يَظُنُّوا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَلْقَى حربًا، وكان أبو سُفيانَ، حينَ دنا مِن الحجازِ، يَتَحَسَّسُ[5] [6]الأخبارَ، ويسألُ[6] مَن لَقِىَ مِن الرُّكْبانِ؛ تَخَوُّفًا على أموالِ الناسِ، حتى أصاب خَبَرًا مِن بعضِ الرُّكبانِ؛ أنَّ محمدًا قد اسْتَنْفَر أصحابَه لك ولعِيرِك، فحَذِر عندَ ذلك، فاسْتَأْجَر ضَمْضَمَ بنَ عَمرٍو الغِفارِىَّ، فبَعَثَه إلى مكَّةَ، وأمَرَه أن يَأْتِىَ قُريشًا

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ١٠٢/٣، والذهبى فى تاريخ الإسلام جزء المغازى ص ١٠٣، كلاهما من طريق موسى بن عقبة به مطولًا.

(٢) أى الزهرى، انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٦، ٦٠٧.

(٤) فى م: «فخفف».

(٥) فى م، ص: «يتجسس». وتحسَّس الخبر: تَطلَّبه وتبحَّثه، وقال أبو معاذ: التحسُّس شبه التسمُّع والتبصُّر. اللسان (ح س س).

(٦ - ٦) سقط من: م. وفى الأصل: «ويسأل».

فيَسْتَنْفِرَهم إلى أموالِهم، ويُخْبِرَهم أنَّ محمدًا قد عَرَض لها فى أصحابِه، فخَرَج ضَمْضَمُ بنُ عَمرٍو سريعًا إلى مكَّةَ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحَدَّثَنى مَن لا أتَّهِم، عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عباسٍ، ويزيدُ بنُ رُومانَ عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيرِ، قالا: وقد رَأَتْ عاتِكةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ، قبلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ إلى مكَّةَ بثلاثِ ليالٍ، رُؤْيَا أفْزَعَتْها، فبَعَثَتْ إلى أخيها العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، فقالتْ له: يا أخى، واللَّهِ لقد رأيتُ الليلةَ رُؤْيَا أفْظَعَتْنِى[2]، وتَخَوَّفْتُ أن يَدْخُلَ على قومِك منها شَرٌّ ومُصِيبةٌ، فاكْتمْ علىَّ ما أُحَدِّثُك. قال لها: وما رَأَيتِ؟ قالت: رأيتُ راكبًا أقْبَل على بعيرٍ له، حتى وَقَف بالأَبْطَحِ، ثُم صَرَخ بأعلى صوتِه: ألا انْفِرُوا، يالَغُدُرُ[3]، لَمصارِعُكم فى ثَلاثٍ. فأَرَى الناسَ اجْتَمَعُوا إليه، ثُم دَخَل المسجدَ والناسُ يَتْبَعُونَه، فبينَما هم حَولَه، مَثَل[4] به بعيرُه على ظهرِ الكعبةِ، [٢/ ١٧٠ظ] ثُم صَرَخ بِمِثْلِها: ألا انْفِرُوا، يا لَغُدُرُ، لَمصارِعُكم فى ثلاثٍ. ثُم مَثَل به بعيرُه على رأسِ أبى قُبَيْسٍ، فصَرَخ بمثلِها، ثُم أخَذ صَخْرَةً فأرْسَلَها، فأقْبَلَتْ تَهْوِى، حتى إذا كانتْ بأسْفَلِ الجبلِ ارْفَضَّتْ[5]، فما بَقِىَ بيتٌ مِن بُيوتِ مكَّةَ ولا دارٌ إلَّا دَخَلَتْها منها فِلْقَةٌ[6]. قال العباسُ: واللَّهِ إنَّ هذه لَرُؤْيا، وأنتِ فاكْتُمِيها، لا تَذْكُرِيها لأحدٍ.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٧ - ٦٠٩. كما أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٢٨، من طريق محمد بن إسحاق به. حوادث السنة الثانية.

(٢) أى اشتدت علىّ.

(٣) فى الأصل، م: «يا آل غدر»، وهو لفظ الطبرى. قال السهيلى فى الروض ٥/ ١١٦: هكذا هو بضم الغين والدال؛ جمع غَدُورٍ... أى إن تخلَّفْتم فأنتم غُدُرٌ لقومكم.

(٤) مثل: قام منتصبًا. القاموس المحيط (م ث ل).

(٥) ارفضَّت: تفرَّقت قطعًا متحطِّمة.

(٦) الفِلْقة: القطعة.

ثُم خَرَج العباسُ فلَقِيَ الوليدَ بنَ عُتْبَةَ ، وكان له صديقًا ، فذَكَرَها له واسْتَكْتَمَه إيّاها ، فذَكَرها الوليدُ لأبيه[1] عُتْبَةَ ، ففَشا الحديثُ حتى تَحَدَّثَتْ به قُريشٌ . قال العباسُ : فغَدَوْتُ لأطُوفَ بالبيتِ وأبو جهلِ بنُ هشامٍ فى رَهْطٍ مِن قُرَيشٍ قُعُودٍ يَتَحَدَّثُون برُؤْيا عاتِكَةَ ، فلمَّا رآنى أبو جهلٍ قال : يا أبا الفَضْلِ ، إذا فَرَغْتَ مِن طَوافِك فأقْبِلْ إلينا . فلمَّا فَرَغْتُ أقْبَلْتُ حتى جَلَسْتُ معهم ، فقال أبو جهلٍ : يا بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ ، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النَّبِيَّةُ ؟ ! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : تلك الرُّؤْيا التى رَأَتْ عاتِكَةُ . قال : قلتُ : وما رأتْ ؟ قال : يا بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، أَما رَضِيتُم أَن يَتَنَبَّأَ رِجالُكم حتى تَتنبَّأَ نِساؤُكم ؟! قد زَعَمَتْ عاتِكَةُ فى رُؤْياها أنَّه قال : انْفِرُوا فى ثلاثٍ . فسنَتَرَبَّصُ بكم هذه الثلاثَ ، فإن يَكُ حقًّا ما تقولُ ، فسيَكُونُ ، وإن تَمْضِ الثلاثُ ولم يَكُنْ مِن ذلك شىءٌ ، نَكْتُبْ عليكم كِتابًا ؛ أنَّكم أكْذَبُ أهلِ بيتٍ فى العربِ . قال العباسُ : فواللَّهِ ما كان منِّى إليه كبيرُ شىءٍ ، إلَّا أنِّى جَحَدْتُ ذلك ، وأنْكَرْتُ أن تَكُونَ رَأَتْ شيئًا . قال : ثُمَّ تَفَرَّقْنا ، فلمَّا أمْسَيْتُ لم تَبْقَ امرأةٌ مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ إلَّا أتَتْنِى ، فقالتْ : أقْرَرْتُم لهذا الفاسِقِ الخبيثِ أن يَقَعَ فى رِجالِكم ، ثُم قد تَناوَلَ النِّساءَ وأنت تَسْمَعُ ، ثُم لم يَكُنْ عندَك غِيَرٌ[2] لشىءٍ مِمَّا سَمِعتَ ؟! قال : قلتُ : قد واللَّهِ فَعَلْتُ ، ما كان منِّى إليه مِن كبيرٍ ، وايْمُ اللَّهِ لأَتَعَرَّضَنَّ له ، فإذا عاد لأَكْفِيكُنَّه . قال : فغَدَوْتُ فى اليومِ الثالثِ مِن رُؤْيَا عاتِكَةَ ، وأنا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ ، أَرَى أَنِّى قد فاتَنِى منه أمرٌ أُحِبُّ أَن أُدْرِكَه منه . قال : فدَخَلْتُ المسجدَ فرَأَيتُه ، فواللَّهِ إنِّى لأَمْشِى نحوَه ، أتَعَرَّضُه ليَعُودَ لبعضِ ما قال فأقَعَ به ،

---

(١) فى الأصل ، م : « لابنه » ، وهو خطأ . وفى ص غير واضحة . والمثبت من السيرة ، وتاريخ الطبرى .

(٢) فى الأصل ، م : « غيرة » ، وهو لفظ رواية الطبرى . والغِيَر : الاسم من قولك : غيَّرت الشىء فتغيَّر . اللسان (غ ى ر) . تعنى أنه لم يُنكر عليه قوله .

وكان رجلًا خفيفًا ، حديدَ الوجهِ ، حديدَ اللِّسانِ ، حديدَ النَّظَرِ . قال : إذ خَرَج نحوَ بابِ المسجدِ يَشْتَدُّ[1] . قال : قلتُ فى نَفسِى : ما له ، لَعَنَه اللَّهُ ، أكلُّ هذا فَرَقٌ منِّى أن أُشاتِمَه ؟! وإذا هو قد سَمِع ما لم أسْمَعْ ؛ صوتَ ضَمْضَمِ بنِ عَمْرٍو الغِفارِىِّ وهو يَصْرُخُ ببطنِ الوادِى ، واقِفًا على بعيرِه ، قد جَدَّع[2] بعيرَه ، وحَوَّل رَحْلَه ، وشَقَّ قميصَه ، وهو يَقولُ : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، اللَّطِيمَةَ اللَّطيمةَ[3] ، أموالُكم مع أبى سُفيانَ قد عَرَض لها محمدٌ فى أصحابِه ، لا أرَى أن تُدْرِكُوها ، الغَوْثَ الغَوثَ . قال : فشَغَلَنِى عنه وشَغَلَه عنِّى ما جاء مِن الأَمرِ ، فتَجَهَّز الناسُ سِراعًا وقالوا : أيَظُنُّ محمدٌ وأصحابُه أن تَكُونَ كعِيرِ ابنِ الحَضْرَمِىِّ ؟! واللَّهِ لَيَعْلَمُنَّ غيرَ ذلك . وذَكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[4] رُؤْيا عاتِكَةَ ، كنَحْوٍ مِن سِياقِ ابنِ إسحاقَ . قال[5] : فلمَّا جاء ضَمْضَمُ بنُ عَمرٍو على تلك الصِّفَةِ ، خافوا مِن رُؤْيا عاتِكَةَ ، فَخَرَجُوا على الصَّعْبِ والذَّلُولِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فكانوا بينَ رَجُلَيْن ؛ إمّا خارِجٍ وإمّا باعِثٍ مكانَه رجُلًا ، وأوْعَبَتْ قُريشٌ[7] ، فلم يَتَخَلَّفْ مِن أشرافِها أحدٌ ، إلَّا أنَّ أبا لَهَبِ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ بَعَثَ مكانَه العاصِىَ بنَ هشامِ بنِ المُغِيرَةِ ، اسْتَأْجَرَه بأربعةِ آلافِ

---

(١) اشتدَّ فى عَدْوه : أسرع .

(٢) جدع : الجَدْع : قطْع الأنف والأذن والشفة ، وهو بالأنف أخصُّ ، فإذا أُطلق ، غلَب عليه . انظر النهاية ١/ ٢٤٦.

(٣) اللطيمة : الجِمال التى تحمل العِطر والبَزَّ ، غير الميرة . والمعنى أدركوها . انظر النهاية ٤/ ٢٥١.

(٤) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ١٠٣، ١٠٤.

(٥) أى موسى بن عقبة ، انظر المصدر السابق ٣/ ١٠٥ بنحوه . وتاريخ الإسلام جزء المغازى ص ١٠٤ بنحوه .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠٩، ٦١٠.

(٧) أوعبت قريش : أى خرجوا بأجمعهم . انظر النهاية ٥/ ٢٠٦.

دِرْهَمٍ كانت له عليه، قد أفْلَس بها.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: وحَدَّثنى ابنُ أبى نَجِيحٍ، أنَّ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ [٢/ ١٧١و] كان قد أجْمَع القُعُودَ، وكان شيخًا جليلًا جَسِيمًا ثقيلًا، فأتاه عُقْبَةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ وهو جالِسٌ فى المسجدِ بينَ ظَهْرانَىْ قومِه، بِمِجْمَرَةٍ يَحْمِلُها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ[2]، حتى وَضَعَها بينَ يَدَيْه، ثُم قال: يا أبا علىٍّ، اسْتَجْمِرْ، فإنَّما أنت مِن النِّساءِ. قال: قَبَّحَك اللَّهُ، وقَبَّح ما جِئتَ به. قال: ثُم تَجَهَّز، وخَرَج مع الناسِ. هكذا قال ابنُ إسحاقَ فى هذه القِصَّةِ.

وقد رَواها البخارىُّ[3] على نَحْوٍ آخَرَ، فقال: حَدَّثنى أحمدُ بنُ عثمانَ، حَدَّثنا شُرَيْحُ بنُ مَسْلَمَةَ، ثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ، عن أبيه، عن أبى إسحاقَ، حَدَّثنى عَمْرُو بنُ مَيْمُونٍ، أنَّه سَمِع عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ حَدَّث عن سعدِ بنِ مُعاذٍ أنَّه كان صديقًا لأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وكان أُمَيَّةُ إذا مَرَّ بالمدينةِ، نَزَل على سعدِ بنِ مُعاذٍ، وكان سعدٌ إذا مَرَّ بمكَّةَ نَزَل على أُمَيَّةَ، فلمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ، انْطَلَق سعدُ بنُ مُعاذٍ مُعْتَمِرًا، فنَزَل على أُمَيَّةَ بمكَّةَ، فقال لأُمَيَّةَ: انْظُرْ لى ساعةَ خَلْوَةٍ؛ لَعَلِّى أطُوفُ بالبيتِ. فخَرَج به قريبًا مِن نصفِ النَّهارِ، فلَقِيَهما أبو جهلٍ، فقال: يا أبا[4] صَفْوانَ، مَن هذا معك؟ قال: هذا سعدٌ. قال له أبو جهلٍ: ألا أراك تَطُوفُ بمكَّةَ آمِنًا، وقد آوَيْتُم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٠.

قال الحافظ فى الفتح ٧/٢٨٤ ضمن شرح حديث البخارى الآتى: بَيَّنَ ابن إسحاق - فى روايتنا هذه - الصفة التى كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأى نفسه فى ترك الخروج من مكة.

(٢) المجمرة: ما يُوضَع فيه الجمر مع البَخُور. والمجمَر: العود يُتبخَّر به.

(٣) البخارى (٣٩٥٠).

(٤) سقط من: الأصل، م.

الصُّبَاةَ[1] ، وزَعَمْتُم أنَّكم تَنْصُرُونَهم وتُعِينُونَهم ، أمَا واللَّهِ ، لولا أنَّك مع أبى صَفْوانَ ، ما رَجَعْتَ إلى أهلِكَ سالمًا . فقال له سعدٌ ، ورَفَعَ صوتَه عليه : أمَا واللَّهِ ، لَئِنْ مَنَعْتَنِى هذا ، لَأَمْنَعَنَّك ما هو أشَدُّ عليك منه ؛ طَرِيقَك على المدينةِ . فقال له أُمَيَّةُ : لا تَرْفَعْ صوتَك يا سعدُ على أبى الحكَمِ ، فإنَّه سَيِّدُ أهلِ الوادِى ، قال سعدٌ : دَعْنا عنك يا أُمَيَّةُ ، فواللَّهِ لقد سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ : « إنَّهم قاتِلوكَ » . قال : بمكَّةَ ؟ قال : لا أدْرِى . ففَزِع لذلك أُمَيَّةُ فَزَعًا شديدًا ، فلمَّا رَجَع إلى أهلِه قال : يا أُمَّ صَفْوانَ ، ألم تَرَىْ ما قال لى سعدٌ ؟ قالتْ : وما قال لك ؟ قال : زَعَم أنَّ محمدًا أخْبَرَهم أنَّهم قاتِلِىَّ ، فقلتُ له : بمكَّةَ ؟ قال : لا أدرِى . فقال أميةُ : واللَّهِ لا أخْرُجُ مِن مكَّةَ . فلمَّا كان يومُ بدرٍ ، اسْتَنْفَر أبو جهلٍ الناسَ فقال : أدْرِكُوا عِيرَكُم . فكَرِهَ أُمَيَّةُ أن يَخْرُجَ ، فأتاه أبو جهلٍ فقال : يا أبا صَفوانَ ، إنَّك متى يَراك الناسُ قد تَخَلَّفْتَ وأنت سيِّدُ أهلِ الوادى ، تَخَلَّفوا معك . فلم يَزَلْ به أبو جهلٍ حتى قال : أمَّا إذْ غَلَبْتَنى[2] ، فواللَّهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أجْوَدَ بَعِيرٍ بمكَّةَ . ثُم قال أُمَيَّةُ : يا أُمَّ صَفْوانَ ، جَهِّزِينى . فقالتْ له : يا أبا صَفْوانَ ، وقد نَسِيتَ ما قال لك أخوك اليَثْرِبِىُّ ؟ قال : لا ، وما أُرِيدُ أن أجُوزَ معهم إلَّا قريبًا . فلمَّا خَرَج أُمَيَّةُ ، أَخَذ لا يَنزِلُ مَنزِلًا إلَّا عَقَل بعيرَه ، فلم يَزَلْ كذلك حتى قَتَلَه اللَّهُ ببدرٍ .

وقد رَواه البخارىُّ فى مَوْضِعٍ آخَرَ[3] ، عن أحمدَ[4] بنِ إسحاقَ ، عن

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٨٣: الصباة ؛ بضم المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع صابى بموحدة مكسورة ثم تحتانية خفيفة بغير همزة ، وهو الذى ينتقل من دين إلى دين .

(٢) فى م : « عبتنى » .

(٣) البخارى (٣٦٣٢) .

(٤) فى م : « محمد » .

عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن إسْرائِيلَ ، عن أبى إسحاقَ به نَحْوَه . تَفَرَّد به البخارىُّ[1] .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن خَلَفِ بنِ الوليدِ وعن أبى سعيدٍ ، كلاهما عن إسْرائيلَ ، وفى رِوايةِ إسرائيلَ : قالت له امرأتُه : واللَّهِ إنَّ محمدًا لا يَكذِبُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ولمَّا فَرَغوا مِن جَهازِهم وأجْمَعُوا المَسِيرَ ، ذَكَروا ما كان[4] بينَهم وبينَ بنى بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ مِن الحربِ ، فقالوا : إنّا نَخْشَى أن يَأْتُونا مِن خَلْفِنا . وكانت الحربُ التى كانت بينَ قُرَيشٍ وبينَ بنى بكرٍ ، فى ابنِ لحَفْصِ بنِ الأخْيَفِ مِن بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ؛ قَتَله رجلٌ مِن بنى بكرٍ بإشارةِ عامرِ بنِ يزيدَ بنِ عامرِ بنِ المُلَوَّحِ ، ثُم أخَذ بثأرِه أخوه مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ ، فقَتَل عامرًا وخاض بسيفِه فى بطنِه ، [٢/ ١٧١ظ] ثُم جاء مِن الليلِ فعَلَّقَه[5] بأستارِ الكعبةِ ، فخافوهم بسببِ ذلك الذى وَقَع بينَهم .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحَدَّثَنى يزيدُ بنُ رُومانَ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، قال : لمَّا أجْمَعَتْ قُرَيشٌ المسيرَ ، ذَكَرَتِ الذى كان بينَها وبينَ بنى بكرٍ ، فكادَ ذلك أن يَثْنِيَهم ، فتَبَدَّى لهم إبليسُ فى صورةِ سُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجِىِّ ، وكان مِن أشرافِ بنى كِنانَةَ ، فقال : أنا لكم جارٌ مِن أن تَأْتِيَكم كِنانَةُ مِن خَلْفِكم بشىءٍ تَكْرَهُونَه . فَخَرَجُوا سِراعًا .

---

(١) قال المصنف فى جامع المسانيد ٥/ ٢٤٨: وهو من عزيز الحديث وأعظمه .

(٢) المسند ١/ ٤٠٠. (إسناده صحيح) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٠، ٦١١ بتصرف ، فسياق السيرة مطول .

(٤) فى م : « كانوا » .

(٥) أى سيف عامر ، كما فى السيرة مفصلًا ؛ أن مكرزًا خاض بطن عامر بسيف عامر نفسيه ، ثم علق سيف عامر بأستار الكعبة .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٢.

قلتُ : وهذا معنى قولِه تعالى[1] : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٧، ٤٨] . غَرَّهم ، لعنَه اللَّهُ ، حتى ساروا ، وسار معهم مَنْزِلةً مَنزلةً ، ومعه جُنُودُه وراياتُه ، كما قالَه غيرُ واحدٍ منهم ، فأسْلَمَهم لمَصارِعِهم ، فلمَّا رَأَى الجِدَّ والملائكةَ تَنْزِلُ للنصرِ ، وعايَن جِبرِيلَ ، نَكَص على عَقِبَيْه ، وقال : إنِّى بَرِىءٌ منكم ، إنِّى أَرَى ما لا تَرَوْنَ ، إنِّى أخافُ اللَّهَ . وهذا كقولِه تعالى[2] : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦] .

وقد قال اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] . فإبليسُ ، لعنه اللَّهُ ، لمَّا عايَن الملائكةَ يومَئذٍ تَنْزِلُ للنصرِ ، فَرَّ ذاهِبًا ، فكان أوَّلَ مَن هَرَب يومَئذٍ ، بعدَ أَن كان هو المُشَجِّعَ لهم ، المُجِيرَ لهم ، كما غَرَّهم ووَعَدهم ومَنَّاهم ، وما يَعِدُهم الشَّيطانُ إلَّا غُرُورًا .

وقال يونسُ عن ابنِ إسحاقَ[4] : خَرَجَتْ قُرَيشٌ على الصَّعْبِ والذَّلُولِ ، فى تسعِمائةٍ وخمسينَ مُقاتِلًا ، معهم مائتا فَرَسٍ يَقُودُونَها ، ومعهم القِيانُ يَضْرِبْنَ

---

(١) انظر التفسير ٤/١٦ - ١٩.

(٢) انظر التفسير ٨/ ١٠١، ١٠٢.

(٣) انظر التفسير ٥/ ١٠٩.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٢، من طريق يونس به مطولًا .

بالدُّفُوفِ ، ويُغَنِّينَ بهِجاءِ المُسلِمِين ، وذَكَر[1] المُطْعِمِينَ لقُرَيشٍ يومًا يومًا .

وذَكَر الأُمَوِىُّ[2] أنَّ أوَّلَ مَن نَحَرَ لهم ، حينَ خَرَجوا مِن مكَّةَ ، أبو جهلٍ ؛ نَحَرَ لهم عَشْرًا ، ثُم نَحَر لهم أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ بعُسْفَانَ تِسعًا ، ونَحَر لهم سُهَيْلُ بنُ عَمرٍو بقُدَيْدٍ عشرًا ، ومالوا مِن قُدَيْدٍ إلى مياهِ نَحْوَ البحرِ ، فظَلُّوا فيها وأقاموا بها يومًا ، فنَحَر لهم شَيْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ تسعًا ، ثُم أصْبَحُوا بالجُحْفَةِ ، فنَحَر لهم يومَئذٍ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ عَشرًا ، ثُم أصْبَحوا بالأَبْواءِ ، فنَحَر لهم نُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجَّاجِ عَشْرًا ، ونَحَر لهم العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ عشرًا ، ونَحَر لهم على ماءِ بدرٍ أبو البَخْتَرِىِّ عَشْرًا ، ثُم أكَلوا مِن أزْوادِهم . قال الأُمَوِىُّ : حَدَّثنا أبى ، حدَّثنا أبو بكرٍ الهُذَلِىُّ قال : كان مع المُشرِكين سِتُّون فَرَسًا وسِتُّمائةِ دِرْعٍ ، وكان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فَرَسانِ وسِتُّون دِرعًا .

هذا ما كان مِن أمرِ هؤلاءِ فى نفِيرِهم مِن مكَّةَ ، ومَسِيرِهم إلى بدرٍ . وأمَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال ابنُ إسحاقَ[3] : وخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ليالٍ مَضَتْ مِن شهرِ رمضانَ ، فى أصحابِه ، واسْتَعْمَل ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ[4] على الصلاةِ بالناسِ ، ورَدَّ أبا لُبابَةَ مِن الرَّوْحاءِ ، واسْتَعْمَلَه على المدينةِ ، ودَفَع اللِّواءَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، وكان أبيضَ ، وبينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ رايَتَانِ سَوْداوانِ ؛ إحْداهما

---

(١) أى ابن إسحاق ، وكذا هذه اللفظة فى سياق خبر الدلائل . يعنى ذكَر ابن إسحاق هذه الأسماء .

(٢) لم نجده عن الأموى ، وأخرجه الواقدى فى مغازيه ١/١٤٤ عن موسى بن عقبة ، والبيهقى فى الدلائل ٣/ ١٠٩، ١١٠ باختلاف يسير ؛ فعنده بعد ذكر عتبة : « فنحر لهم نُبيه ومنبه ابنا الحجاج - أو قال : العباس بن عبد المطلب - عشرًا ، ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعًا، ونحر لهم أبو البخترى على ماء بدر عشر جزائر ، ونحر لهم مقيس الجمحى على ماء بدر تسعًا» .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٢، ٦١٣.

(٤) فى السيرة : « عمرو بن أم مكتوم - ويقال اسمه : عبد اللَّه بن أم مكتوم - أخا بنى عامر بن لؤى » .

مع عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ، يُقالُ لها : العُقابُ . والأُخْرَى مع بعضِ [٢/ ١٧٢و] الأنصارِ .

قال ابنُ هشامٍ[١] : كانت رايةُ الأنصارِ مع سعدِ بنِ مُعاذٍ .

وقال الأُمَوِىُّ : كانت مع الحُبابِ بنِ المُنذِرِ .

قال ابنُ إسحاقَ[٢] : وجَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على السَّاقَةِ قيسَ بنَ أبى صَعْصَعَةَ أخا بنى مازِنِ بنِ النَّجّارِ .

وقال الأُمَوِىُّ[٣] : وكان معهم فَرَسانِ ، على إحْداهما مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وعلى الأُخرَى الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، ومَرَّةً[٤] سعدُ بنُ خَيْثَمَةَ ، ومرةً المِقْدادُ بنُ الأسْوَدِ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[٥] ، مِن حديثِ أبى إسحاقَ ، عن حارِثَةَ بنِ مُضَرِّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارِسٌ يومَ بدرٍ غيرُ المِقْدادِ .

ورَوَى البَيْهَقِىُّ[٦] ، مِن طريقِ ابنِ وَهْبٍ ، عن أبى صَخْرٍ ، عن أبى مُعاوِيَةَ البَجَلِىِّ[٧] ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ عليًّا قال له : ما كان معنا إلَّا فَرَسانِ ؛ فَرَسٌ للزُّبيرِ ، وفرَسٌ للمِقْدادِ بنِ الأسْوَدِ . يَعنِى يومَ بدرٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٣.

(٢) المصدر السابق .

(٣) لم نجده عن الأموى ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١١٠ عن موسى بن عقبة . وانظر تاريخ الإسلام ، جزء المغازى ص ١٠٨.

(٤) هنا وفيما يأتى ، فى م ، ص : « من » .

(٥) المسند ١/ ١٢٥، ١٣٨. (إسناده صحيح) .

(٦) دلائل النبوة ٣/ ٣٩.

(٧) فى النسخ : « البلخى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٠٣.

قال الأُمَوِيُّ[1] : حَدَّثنا أبى ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ عن البَهِيِّ[2] قال : كان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ فارِسان ؛ الزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ على المَيْمَنَةِ ، والمِقْدادُ بنُ الأسودِ على المَيْسَرَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان معهم سبعونَ بعيرًا يَعْتَقِبُونها[4] ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلىٌّ ومَرْثَدُ بنُ أبى مَرْثَدٍ يَعْتَقِبُون بعيرًا ، وكان حمزةُ وزيدُ بنُ حارِثَةَ وأبو كَبْشَةَ وأَنَسَةُ[5] يَعْتَقِبُون بعيرًا . كذا قال ابنُ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ تعالى .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6] : حَدَّثنا عفانُ ، عن حَمّادِ بنِ سَلَمَةَ ، حدَّثنا عاصمُ ابنُ بَهْدَلَةَ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : كُنَّا يومَ بدرٍ كلُّ ثلاثةٍ على بعيرٍ ؛ كان أبو لُبابَةَ وعلىٌّ زَمِيلَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فكانت عُقْبَةُ[7] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالا : نحنُ نَمْشِى عنك . فقال : « ما أَنتما بأَقْوَى مِنِّى ، ولا أنا بأَغْنَى عن الأَجرِ منكما » . وقد رَواه النَّسائىُّ[8] عن الفَلَّاسِ ، عن ابنِ مَهْدِىٍّ ، عن حَمّادِ بنِ سَلَمَةَ به .

قلتُ : ولعلَّ هذا كان قبلَ أن يَرُدَّ أبا لُبابَةَ مِن الرَّوْحاءِ ، ثُم كان زَمِيلاه علىٌّ ومَرْثَدٌ بَدَلَ أبى لُبابَةَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ، جزء المغازى ص ٧٩.

(٢) فى م ، ص : « التيمى » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٧٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٣.

(٤) يعتقبونها : أى يتعاقبونها فى الركوب واحدًا بعد واحد . اللسان (ع ق ب) .

(٥) فى الأصل ، ص : « أنيسة » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٥٦، والإصابة ١/ ١٣٥.

(٦) المسند ١/ ٤١١. (إسناده صحيح) .

(٧) يقال : جاءت عقبة فلان . أى جاءت نَوْبَتُه ووقت ركوبه . اللسان (ع ق ب) .

(٨) النسائى فى الكبرى (٨٨٠٧) .

وقال الإمامُ أَحمدُ[1] : حدَّثنا [2]محمدُ بنُ[2] جعفرٍ ، حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادَةَ ، عن زُرارَةَ بنِ[3] أَوْفَى ، عن سعدِ بنِ هشامٍ ، عن عائشةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَ بالأَجْراسِ أن تُقْطَعَ مِن أعناقِ الإبلِ يومَ بدرٍ . وهذا على شرطِ « الصحيحَيْن ». وإنَّما رَواه النَّسائيُّ[4] ، عن أبى الأَشْعَثِ ، عن خالدِ بنِ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قَتادَةَ به[5] .

قال شيخُنا الحافظُ المِزِّيُّ فى « الأَطْرافِ »[6] : وتابَعَه سعيدُ بنُ بَشِيرٍ[7] ، عن قَتادَةَ ، [8]وقد رَواه هشامٌ ، عن قَتادَةَ[8] ، عن زُرارَةَ ، عن أبى هُريرةَ[9] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال البخارِيُّ[10] : حَدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، ثنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ كعبٍ قال : سَمِعتُ كعبَ بنَ مالكٍ يقولُ : لم أتَخَلَّفْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةٍ غَزاها ، إلَّا فى غزوةِ تَبُوكَ ، غيرَ أنِّى تَخَلَّفْتُ عن غزوةِ بدرٍ ، ولم يُعاتِبِ اللَّهُ أحدًا تَخَلَّف عنها ، إنَّما خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ يُريدُ عِيرَ قُرَيشٍ ،

---

(١) المسند ٦/ ١٥٠. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٧٤: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) بعده فى النسخ : « أبى » . وهو خطأ . والمثبت من تهذيب الكمال ٩/ ٣٣٩.

(٤) النسائى فى الكبرى (٨٨٠٩) عن شعبة عن قتادة به ، وليس عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة كما ذكره المصنف متابعا لشيخه الحافظ المزى فى تحفة الأشراف . وهو بلفظ : « أمر بالأجراس تقطع » .

(٥) سقط من : ص .

(٦) تحفة الأشراف ١١/ ٤١٠.

(٧) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من التحفة . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٤٩.

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) السنن الكبرى (٨٨١٠) .

(١٠) البخارى (٣٩٥١) .

حتى جَمَعَ اللَّهُ بينَهم وبينَ عَدُوِّهم [1]على غيرِ ميعادٍ[1] . تَفَرَّد به .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فسَلَك رسولُ اللَّهِ ﷺ طريقَه مِن المدينةِ إلى مكَّةَ على نَقْبِ المدينةِ ، ثُم على العَقِيقِ ، ثُم على ذِى الحُلَيْفَةِ ، ثُم على أُولَاتِ الجَيْشِ ، ثُم مَرَّ على تُرْبانَ ، ثُم على مَلَلٍ ، ثُم على غَمِيسِ الحَمَامِ[3] ، ثُم على صُخَيْراتِ اليَمامِ[4] ، [٢/ ١٧٢ظ] ثُم على السَّيَالَةِ ، ثُم على فَجِّ الرَّوْحاءِ ، ثُم على شَنُوكَةَ ، وهى الطريقُ المُعتَدِلَةُ ، حتى إذا كان بعِرْقِ الظُّبْيَةِ ، لَقِىَ رجلًا مِن الأعرابِ ، فسألوه عن الناسِ ، فلم يجدوا عندَه خبرًا ، فقال له الناسُ : سَلِّمْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : أَوَفِيكُم رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قالوا : نعم . فسَلَّم عليه ثُم قال : لَئِنْ كنتَ رسولَ اللَّهِ ، فأخْبِرْنى عمَّا فى بطنِ ناقتى هذه . قال له سَلَمَةُ بنُ سَلَامَةَ ابنِ وَقْشٍ : لا تَسْأَلْ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأَقْبِلْ علىَّ ، فأنا أُخْبِرُك عن ذلك ؛ نَزَوْتَ عليها ، ففى بطنِها منك سَخْلَةٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْ ، أَفْحَشْتَ على الرجُلِ » . ثُم أعْرَض عن سَلَمَةَ ، ونَزَلَ رسولُ اللَّه ﷺ سَجْسَجَ ، وهى بِئرُ الرَّوْحاءِ ، ثُم ارْتَحَل منها حتى إذا كان منها بالمُنْصَرَفِ ، تَرَكَ طريقَ مكَّةَ بِيَسَارٍ وسَلَك ذاتَ اليمينِ على النَّازِيَةِ ، يُرِيدُ بدرًا ، فسَلَك فى ناحيةٍ منها ، حتى إذا جَزَعَ واديًا[5] يُقالُ له : رُحْقانُ[6] . بينَ النَّازِيَةِ وبينَ مَضِيقِ الصَّفْراءِ ، ثُم على

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٣، ٦١٤.

(٣) بعده فى السيرة : « من مَرَيْثن » .

(٤) فى م : « اليمامة » . وفى معجم البلدان : صخيرات الثمام بالثاء المثلثة المضمومة ، وقيل : الثمامة بلفظ واحدة الثمام ... وهو منزل رسول اللَّه ﷺ إلى بدر . معجم البلدان ٣/ ٣٧٢. و «صخيرات » جاء هكذا بالخاء المعجمة فى النُّسخ ، وفى سيرة ابن هشام ، ومعجم ما استعجم ٣/ ٨٢٧، ومعجم البلدان ، لكنه جاء فى النهاية ٣/١٣ « صحيرات » بالحاء المهملة ، وهو موافق لترتيبه الألف بائى .

(٥) جزَع الوادى : قطَعه عَرْضًا . الوسيط (ج ز ع) .

(٦) فى الأصل : « وجتان » ، وفى م : « وحقان » ، وفى ص : « وجفان » . والمثبت من السيرة . وانظر معجم البلدان ٢/ ٧٩٨.

المَضِيقِ، ثُم انْصَبَّ منه، حتى إذا كان قريبًا مِن الصَّفْراءِ، بَعَث بَسْبَسَ بنَ عمرٍو الجُهَنِيَّ، حليفَ بنى ساعِدَةَ، وعَدِيَّ بنَ أبى الزَّغْباءِ، حليفَ بنى النَّجّارِ إلى بدرٍ، يَتَجَسَّسانِ[1] له الأخبارَ عن أبى سفيانَ صَخْرِ بنِ حربٍ وعِيرِه.

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[2]: بَعَثَهما قبلَ أن يَخْرُجَ مِن المدينةِ، فلمَّا رَجَعا فأخْبَراه بخبَرِ العِيرِ؛ اسْتَنْفَر الناسَ إليها. فإن كان ما ذَكَره موسى بنُ عُقْبَةَ وابنُ إسحاقَ محفوظًا، فقد بَعَثهما مرَّتَيْن. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ، رَحِمَه اللَّهُ[3]: ثُم ارْتَحَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد قدَّمَهما، فلمَّا استَقبَل الصَّفْراءَ، وهى قريةٌ بينَ جَبَلَيْن، سأَل عن جبلَيْها: ما أسماؤُهما؟ فقالوا: يُقالُ لأحدِهما: مُسْلِحٌ. وللآخَرِ: مُخْرِئٌ. وسأَل عن أهلِهما، فقِيل: بنو النارِ، وبنو حُرَاقٍ، بَطْنانِ مِن غِفَارٍ. فكَرِهَهما رسولُ اللَّهِ ﷺ والمُرورَ بينَهما، وتَفاءَل[4] بأسمائِهما وأسماءِ أهلِهما، فتَرَكَهما والصَّفْراءَ بيَسارٍ، وسلَك ذاتَ اليمينِ، على وادٍ يُقالُ له: ذَفِرَانُ. فجزَع فيه ثُم نزَل، وأتاه الخبرُ عن قريشٍ ومسيرِهم ليَمْنَعُوا عِيرَهم، فاسْتَشار الناسَ وأخْبَرَهم عن قريشٍ، فقام أبو بكرٍ الصدِّيقُ فقال وأَحْسَن، ثُم قامَ عُمَرُ بنُ الخطابِ فقال وأَحْسَن، ثُم قام المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو فقال: يا رسولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا [5]أَراك اللَّهُ[5] فنحن معك، واللَّهِ لا نقولُ لك كما قال بنو إسرائيلَ لموسى: اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا هـٰهنا قاعدون. ولكن اذْهَبْ أنت ورَبُّك فقاتِلا إنَّا معكما

---

(١) فى السيرة: «يتحسسان». وهما بمعنى.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/١٠٢ عن موسى بن عقبة.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٤.

(٤) الفأل مهموز فيما يَسُرُّ ويسوء. النهاية ٣/٤٠٥.

(٥ - ٥) فى ص: «أردت».

مُقاتِلُون ، فوالَّذِى بَعَثَك بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَادِ[1] ، لَجَالَدْنا[2] معك مَن دونَه حتى تَبْلُغَه . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ خيرًا ودعَا له . ثُم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَشِيرُوا علىَّ أيُّها الناسُ » . وإنَّما يُرِيدُ الأنصارَ ، وذلك أنَّهم كانوا عددَ الناسِ ، وأنَّهم حينَ بايَعُوه بالعَقَبَةِ قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا بُرَآءُ مِن ذِمامِك حتى تَصِلَ إلى ديارِنا ، فإذا وَصَلْتَ إلينا ، فأنت فى ذِمَّتِنا ، نَمْنَعُك ممَّا نَمْنَعُ منه أبناءَنا ونساءَنا . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أنْ لا تكونَ الأنصارُ تَرَى عليها نَصْرَه ، إلَّا مِمَّن دَهَمَه بالمدينةِ مِن عدُوِّه ، وأَن ليس عليهم أنْ يَسِيرَ بهم إلى عدُوٍّ مِن بلادِهم . فلمَّا قال ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قال له سعدُ بنُ مُعَاذٍ : واللَّهِ لكَأنَّك تُرِيدُنا يا رسولَ اللَّهِ . [٢/١٧٣و] قال : « أَجَلْ » . قال : فقد آمَنَّا بك ، وصَدَّقْناك ، وشَهِدْنا أنَّ ما جِئتَ به هو الحقُّ ، وأعْطَيْناك على ذلك عهودَنا ومَواثِيقَنا على السمعِ والطاعةِ لك ، فامْضِ يا رسولَ اللَّهِ لِمَا أردْتَ فنحنُ معك ، فوالذى بَعَثك بالحقِّ ، لو استَعْرَضْتَ بنا البحرَ فخُضْتَه لخُضْناه معك ، ما تَخَلَّف منا رجلٌ واحدٌ ، وما نَكْرَهُ أن تَلْقَى بنا عَدُوَّنا غدًا ، إنَّا لَصُبُرٌ فى الحربِ ، صُدُقٌ عندَ اللقاءِ ، لعلَّ اللَّهَ يُرِيك منا ما تَقَرُّ به عينُك ، فسِرْ على بركةِ اللَّهِ . قال : فسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بقولِ سعدٍ ونَشَّطَه[3] . ثُم قال : « سِيرُوا وأَبْشِرُوا ، فإنَّ اللَّهَ قد وعَدَنى إحدَى الطائِفَتَيْن ، واللَّهِ لكَأنِّى الآنَ أَنْظُرُ إلى مَصارِعِ القومِ » . هكذا ذكَرَه ابنُ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ .

---

(١) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر ، وقيل : بلد باليمن . معجم البلدان ١/ ٥٨٩.

(٢) فى الأصل ، ص : « لجاهدنا » .

(٣) فى ص : « بسطه » . وبعده فى السيرة : « ذلك » .

وله شواهدُ مِن وجوهٍ كثيرةٍ، فمِن ذلك ما روَاه البخاريُّ فى «صحيحِه»[1]: حدَّثَنا أبو نُعَيْمٍ، حدَّثَنا إسرائيلُ، عن مُخَارِقٍ، عن طارقِ بنِ شِهَابٍ قال: سَمِعْتُ ابنَ مسعودٍ يقولُ: شَهِدْتُ مِن المِقْدَادِ بنِ الأسودِ مَشهدًا لَأَنْ أَكُونَ صاحبَه، أحبُّ إلىَّ مِمَّا عُدِلَ به؛ أتَى النبىَّ ﷺ وهو يَدْعُو على المُشرِكِين، فقال: لا نقولُ كما قال قومُ موسى: اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا هـٰهنا قاعِدون. ولكنْ نُقاتِلُ عن يمينِك وعن شِمالِك، وبينَ يَدَيْك وخلفَك. فرأيتُ النبىَّ ﷺ أشْرَق وجهُه وسَرَّه. انْفَرَد به البخاريُّ دونَ مسلمٍ، فرَواه فى مَواضِعَ مِن «صحيحِه»، مِن حديثِ مخارقٍ به[2]. ورَواه النَّسائىُّ[3] مِن حديثِه، وعندَه: جاء المِقْدادُ يومَ بدرٍ على فَرَسٍ. فذكَرَه.

وقال الإمامُ أَحمدُ[4]: حدَّثَنا عُبَيْدَةُ، هو ابنُ حُمَيْدٍ، عن حُمَيْدٍ الطويلِ، عن أنسٍ قال: اسْتَشار النبىُّ ﷺ مَخْرَجَه إلى بدرٍ، فأشارَ عليه أبو بكرٍ، ثُم اسْتَشارهم فأشار عليه عُمَرُ، ثُم اسْتَشارهم، فقال بعْضُ الأنصارِ: إيَّاكم يُرِيدُ رسولُ اللَّهِ يا معشرَ الأنصارِ. (٥فقال بعضُ الأنصارِ: يا رسولَ اللَّهِ٥)، إنَّا[6] لا نقولُ كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسى: اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا هـٰهنا قاعِدون. ولكنْ، والَّذِى بعَثَك بالحقِّ لو ضَرَبْتَ أَكْبادَها إلى بَرْكِ الغِمَادِ لَاتَّبَعْناك. وهذا (٧الإسنادُ ثُلاثىٌّ٧) على شرطِ الصحيحِ.

---

(١) البخارى (٣٩٥٢).

(٢) البخارى (٤٦٠٩) من طريقين عن مخارق.

(٣) النسائى فى الكبرى (١١١٤٠).

(٤) المسند ٣/ ١٨٨.

(٥ - ٥) كذا فى النسخ، وفى المسند: «فقال قائل الأنصار: تستشيرنا يا نبى اللَّه؟».

(٦) فى الأصل، م: «إذًا».

(٧ - ٧) فى الأصل، م: «إسناد ثلاثى صحيح».

وقال أحمدُ أيضًا[1] : حدَّثنا عَفَّانُ ، ثنا حمَّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ شاوَرَ حيثُ بلَغَه إقبالُ أبى سفيانَ . قال : فتَكَلَّم أبو بكرٍ فأعْرَض عنه ، ثُم تَكَلَّم عُمَرُ فأعْرَض عنه ، فقال سعدُ بنُ عُبادَةَ : إيَّانا يُرِيدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، والَّذِى نفسى بيدِه لو أَمَرْتَنا أَنْ نُخِيضَها البِحارَ لأَخَضْناها ، ولو أمرْتَنا أَنْ نَضْرِبَ أكْبادَها إلى بَرْكِ الغِمَادِ لَفَعَلْنا . فندَب رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ . قال : فانطَلَقُوا حتى نَزَلوا بدرًا ، ووَرَدَتْ عليهم رَوَايا[2] قرَيشٍ ، وفيهم غلامٌ أسودُ لبنى الحَجَّاجِ فأخَذُوه ، وكان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونه عن أبى سفيانَ وأصحابِه ، فيقولُ : ما لى علمٌ بأبى سفيانَ ، ولكنْ هذا أبو جهلِ بنُ هشامٍ ، وعُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، [3]وشَيْبَةُ[3] ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ . فإذا قال ذلك ضَرَبُوه ، فإذا ضَرَبوه ، قال : نَعَمْ ، أنا أُخْبِرُكم ، هذا أبو سفيانَ . فإذا تَرَكوه فسَأَلُوه قال : ما لى بأبى سفيانَ علمٌ ، ولكنْ هذا أبو جهلٍ وعُتْبَةُ وشَيْبَةُ وأُمَيَّةُ [3]فى الناسِ[3] . فإذا قال هذا أيضًا [٢/١٧٣ظ] ضَرَبُوه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى ، فلمَّا رَأَى ذلك انْصَرَفَ فقال : « والذى نفْسِى بيدِه إنَّكم لَتَضْرِبونه إذا صدَقَكم ، وتَتْرُكونه إذا كَذَبَكم . قال : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا مَصْرَعُ فُلانٍ غَدًا » . يَضَعُ يدَه على الأرضِ هـٰهنا وهـٰهنا . فما أَماطَ أحدُهم عن موضعِ يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورَواه مسلمٌ[4] ، عن أبى بكرٍ ، عن عَفَّانَ به نَحْوَه .

وقد روَى ابنُ أبى حاتمٍ فى « تفسيرِه » ، وابنُ مَرْدَوَيْهِ[5] ، واللفظُ له ، مِن

---

(١) المسند ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) الروايا : جمع راوِيَة ، والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه الماء . اللسان (روى) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٤) مسلم (١٧٧٩) .

(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٦٣، وعزاه إليهما . وانظر التفسير ٣/ ٥٥٥.

طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ لَهِيعَةَ، عن يَزِيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ، عن أسْلَمَ، عن أبى عِمْرانَ، أنَّه سَمِعَ أبا أيوبَ الأنصارِىَّ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن بالمدينةِ: «إنِّى أُخْبِرْتُ عن عِيرِ أَبِى سفيانَ أنَّها مُقْبِلَةٌ، فهل لكم أن نَخْرُجَ قِبَلَ هذه العِيرِ، لعلَّ اللَّهَ يُغْنِمُناها؟». فقُلْنا: نَعَمْ. فخَرَج وخرَجْنا، فلمَّا سِرْنا يومًا أو يومَيْن، قال لنا: «ما تَرَوْنَ فى القومِ، فإنَّهم قد أُخْبِرُوا بمَخْرَجِكم؟». فقُلْنا: لا واللَّهِ، ما لنا طاقةٌ بقِتالِ القومِ، ولكنَّا أرَدْنا العِيرَ. ثُم قال: «ما تَرَوْنَ فى قتالِ القومِ؟». فقُلنا مِثْلَ ذلك. فقال المِقْدادُ بنُ عَمْرٍو: إذًا لا نقولُ لك يا رسولَ اللَّهِ كما قال قومُ موسى لموسى: اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا هاهنا قاعِدون. قال: فتَمَنَّيْنا معشرَ الأنصارِ لو أنَّا قُلْنا مِثْلَ ما قال المِقْدَادُ، أحبُّ إلينا مِن أنْ يكونَ لنا مالٌ عظيمٌ. قال: فأنْزَل اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، على رسولِه: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]. وذَكَر تَمامَ الحديثِ[(١)].

وروَى ابنُ مَرْدَوَيْهِ أيضًا[(٢)]، مِن طريقِ محمدِ بنِ عَمْرِو بنِ عَلْقَمَةَ بنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِىِّ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بدرٍ، حتى إذا كان بالرَّوْحاءِ، خطَب الناسَ فقال: «كيف تَرَوْنَ؟». فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللَّهِ، بلَغَنا أنَّهم بكذا وكذا. قال: ثُم خطَب الناسَ فقال: «كيف تَرَوْنَ؟». فقال عُمَرُ مِثْلَ قولِ أبى بكرٍ، ثُم خطَب الناسَ فقال: «كيف تَرَوْنَ؟». فقال سعدُ بنُ مُعَاذٍ: يا رسولَ اللَّهِ، إيَّانا تُرِيدُ، فوالَّذِى أكْرَمَك وأنْزَلَ عليك الكتابَ

---

(١) انظر التفسير ٣/ ٥٥٥.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٨٥٠٧)، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة به، وذكره المصنف فى التفسير ٣/٥٥٥ بسند ابن مردويه. والسيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٦٣، وعزاه إلى ابن أبى شيبة وابن مردويه.

ما سَلَكْتُها قَطُّ ، ولا لى بها علمٌ ، ولَئِنْ سِرْتَ حتى تَأْتِىَ بَرْكَ الغِمَادِ مِن ذى يَمَنٍ ، لَنَسِيرَنَّ معك ، ولا نكونُ كالذين قالوا لموسى : اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا هـٰهنا قاعِدون . ولكنِ اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا معكم مُتَّبِعُون ، ولعلَّك أنْ تكونَ خَرَجْتَ لأمرٍ وأحْدَثَ اللَّهُ إليك غيرَه ، فانْظُرِ الذى أحْدَثَ اللَّهُ إليك فامْضِ له[1] ، فصِلْ حِبالَ مَن شِئْتَ ، واقْطَعْ حبالَ مَن شِئْتَ ، وعادِ مَن شِئْتَ ، وسالِمْ مَن شِئْتَ ، وخُذْ مِن أموالِنا ما شِئْتَ . فنزَل القرآنُ على قولِ سعدٍ : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ الآيات . وذكَرَه الأُمَوِىُّ[2] فى « مَغازِيه » ، وزاد بعدَ قولِه : وخُذْ مِن أموالِنا ما شِئْتَ : وأَعْطِنا ما شئتَ ، وما أخَذْتَ مِنّا كان أَحَبَّ إلينا مِمَّا تَرَكْتَ ، وما أَمَرْتَ به مِن أمرٍ ، فأمرُنا تَبَعٌ لأمرِك ، فواللَّهِ لَئِنْ سِرْتَ حتى تَبْلُغَ البَرْكَ مِن غُمْدَانَ[3] ، لَنَسِيرَنَّ معك .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ثُم ارتَحَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن ذَفِرَانَ ، فسلَك على ثَنَايا يُقالُ لها : الأَصَافِرُ . ثُم انْحَطَّ منها إلى بلدٍ يُقالُ له : الدَّبَةُ[5] . وتَرَك الحنَّانَ بيمينٍ ، وهو كَثِيبٌ عظيمٌ كالجبلِ العظيمِ ، ثُم نزَل قريبًا مِن بدرٍ ، فرَكِب هو ورجُلٌ مِن أصحابِه . قال ابنُ هِشامٍ : هو أبو بكرٍ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد ٤/ ٤٢، ٤٣.

(٣) غمدان : حصن فى رأس جبل بناحية صنعاء، وغمدان : قبة سيف بن ذى يزن ، وقيل : قصر معروف باليمن . وغمدان : موضع . اللسان (غ م د) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٥، ٦١٦، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٣٥. حوادث السنة الثانية .

(٥) فى الأصل غير منقوطة ، وفى م ، ص : « الدية » ، والمثبت من السيرة ، وتاريخ الطبرى . والدبة : بلد بين الأصافر وبدر . معجم البلدان ٢/ ٥٤٧.

[٢/ ١٧٤و] قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : كما حَدَّثَنى محمدُ بنُ يَحْيَى بنُ حَبّانَ : حتى وقَف على شيخٍ مِن العربِ ، فسأَلَه عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابِه ، وما بلَغَه عنهم ، فقال الشيخُ : [(٢)]لا أُخْبِرُكما حتى تُخْبِرانى[(٢)] مِمَّن أنتما ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا أَخْبَرْتَنا أَخْبَرْناك » . فقال : أوَ ذاك بذاكَ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال الشيخُ : فإنَّه بلَغَنى أنَّ محمدًا وأصحابَه خَرَجُوا يومَ كذا وكذا ، فإنْ كان صدَق الذى أخْبَرَنى ، فهم اليومَ بمكانِ كذا وكذا - لِلْمكانِ الذى به رسولُ اللَّهِ ﷺ - وبَلَغَنى أنَّ قريشًا خَرَجوا يومَ كذا وكذا ، فإنْ كان الذى أخْبَرنى صدَقَنى ، فهم اليومَ بمكانِ كذا وكذا - للمكانِ الذى به قريشٌ - فلمَّا فرَغ مِن خبرِه قال : مِمَّن أنتما ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نحن مِن ماءٍ » . ثُم انصَرَف عنه . قال : يقولُ الشيخُ : ما مِن مَاءٍ ؟ ! أمِن ماءِ العِراقِ ؟ قال ابنُ هشامٍ : يقالُ لهذا الشيخِ : سفيانُ الضَّمْرِىُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)] : ثُم رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أصحابِه ، فلمَّا أَمْسَى بعَث علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، والزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ ، وسعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ ، فى نَفَرٍ مِن أصحابِه إلى ماءِ بدرٍ ، يَلْتَمِسُون الخبرَ له ، كما حدَّثَنى يَزِيدُ بنُ رُومَانَ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[(٤)] ، فأَصابُوا راوِيَةً لقريشٍ ، فيها أَسْلَمُ غلامُ بنى الحَجَّاجِ ، وعَرِيضٌ أبو يَسَارٍ غلامُ بنى العاصِ بنِ سعيدٍ ، فأَتَوْا بهما ، فسأَلُوهما ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى ، فقالوا : نحن سُقَاةُ قريشٍ ، بَعَثُونا نَسْقِيهِم مِن الماءِ . فكَرِهَ القومُ خَبَرَهما ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٦، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦. حوادث السنة الثانية .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لا أخبرك حتى تخبرنى » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٦، ٦١٧.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٣٦، ودلائل البيهقى ٣/ ٤٢، ٤٣.

ورَجَوْا أنْ يَكُونا لأبى سفيانَ ، فضرَبُوهما ، فلمَّا أذْلَقُوهما[1] قالا : نحن لأبى سفيانَ . فترَكُوهما ، وركَع رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وسجَد سجْدَتَيْه وسَلَّم ، وقال : « إذا صَدَقَاكم ضرَبْتُمُوهما ، وإذا كذَبَاكم ترَكْتُمُوهما ! صَدَقَا واللَّهِ ، إنَّهما لِقريشٍ ، أَخْبِرانى عن قريشٍ » . قالا : هم وراءَ هذا الكَثِيبِ الذى تَرَى بالعُدْوَةِ القُصْوَى . والكَثِيبُ : العَقَنْقَلُ[2] . فقال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كم القومُ ؟ » قالا : كثيرٌ . قال : « ما عِدَّتُهم ؟ » . قالا : لا نَدْرِى . قال : « كم يَنْحَرُون كلَّ يومٍ ؟ » . قالا : يومًا تسعًا ، ويومًا عَشْرًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القومُ ما بينَ التِّسْعِمائةِ إلى الأَلْفِ » . ثُم قال لهما : « فمَن فيهم مِن أشرافِ قريشٍ ؟ » . قالا : عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ ، وشَيْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وأبو البَخْتَرِىِّ بنُ هشامٍ ، وحَكِيمُ بنُ حِزَامٍ ، ونَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدٍ ، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نَوْفلٍ ، وطُعَيْمَةُ بنُ عَدِىِّ بنِ نَوْفَلٍ ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ ، وزَمْعَةُ بنُ الأسودِ ، وأبو جهلِ بنُ هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجَّاجِ ، وسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو ، وعَمْرُو بنُ عبدِ وُدٍّ . قال : فأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على الناسِ فقال : « هذه مكةُ قد أَلْقَتْ إليكم أَفْلاذَ كَبِدِها » .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان بَسْبَسُ بنُ عَمْرٍو ، وعَدِىُّ بنُ أبى الزَّغْبَاءِ قد مَضَيا حتى نَزَلا بدرًا ، فأناخَا إلى تلٍّ قريبٍ مِن الماءِ ، ثُم أخذَا شَنًّا[4] لهما يَسْتَقِيان فيه ، ومَجْدِىٌّ بنُ عَمْرٍو الجُهَنِىُّ على الماءِ ، فسَمِع عَدِىٌّ وبَسبسٌ جارِيَتَيْن مِن جَوارِى الحاضِرِ وهما تَتَلازَمانِ[5] على الماءِ ، والمَلْزُومَةُ[6] تقولُ

---

(١) أذلقوهما : بالغوا فى ضربهما وآذوهما . شرح غريب السيرة لأبى ذر الخشنى ٢/ ٣٤.

(٢) أصل العقنقل الرمل المتراكم . شرح غريب السيرة ٢/٣٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٧، ٦١٨.

(٤) الشن : القربة الصغيرة .

(٥) أى تلازم إحداهما الأخرى لدَيْن عليها .

(٦) الملزومة : المدينة .

لصاحبتِها : إنَّما تَأْتِى العِيرُ غدًا أو بعدَ غدٍ ، فأَعْمَلُ لهم ثم أَقْضِيكِ الذى لكِ . قال مَجْدِىٌّ : صَدَقْتِ . ثُم خَلَّص بينَهما . وسَمِعَ ذلك عَدِىٌّ وبَسْبَسٌ ، فجَلَسا على بَعِيرَيْهما ، ثُم انْطَلَقا حتى أتَيا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأَخْبَراه بما[1] سَمِعَا ، وأَقْبَل أبو سفيانَ حتى تَقَدَّم العِيرَ [٢/ ١٧٤ظ] حَذِرًا ، حتى ورَد الماءَ ، فقال لمَجْدِىِّ بنِ عَمْرٍو : هل أَحْسَسْتَ أحدًا ؟ قال : ما رأيتُ أحدًا أُنْكِرُه ، إلَّا أنِّى قد رأيتُ راكِبَيْن قد أَناخَا إلى هذا التَّلِّ ، ثُم اسْتَقَيا فى شَنٍّ لهما ، ثُم انطَلَقا . فأَتَى أبو سفيانَ مُناخَهما ، فأَخَذ مِن أَبْعارِ بعِيرَيْهِما ففَتَّه ، فإذا فيه النَّوَى ، فقال : هذه واللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ . فرجَع إلى أصحابِه سريعًا ، فضرَب وجهَ عِيرِه عن الطريقِ ، فساحَلَ بها[2] وترَك بدرًا بيسارٍ ، وانطَلَق حتى أَسْرَعَ ، وأَقْبَلَتْ قريشٌ ، فلمَّا نزَلُوا الجُحْفَةَ ، رأَى جُهَيْمُ بنُ الصَّلْتِ بنِ مَخْرَمَةَ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنَافٍ رُؤْيا ، فقال : إنِّى رأيتُ فيما يَرَى النائمُ ، وإنِّى لَبَيْنَ النائمِ واليَقْظانِ ، إذْ نظَرْتُ إلى رجلٍ قد أَقْبَل على فَرَسٍ ، حتى وقَف ومعه بعيرٌ له ، ثُم قال : قُتِل عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وشَيْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وأبو الحكَمِ بنُ هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ . فعَدَّ رجالًا مِمَّن قُتِلَ يومَ بدرٍ مِن أشرافِ قريشٍ ، ثُم رَأَيْتُه ضَرَب فى لَبَّةِ بعيرِه ، ثُم أرْسَلَه فى العَسْكَرِ ، فما بَقِىَ خِبَاءٌ من أَخْبِيَةِ العَسْكَرِ إلَّا أصابَه نَضْحٌ مِن دمِه . فبَلَغَتْ أبا جهلٍ ، لعنَه اللَّهُ ، فقال : هذا أيضًا نَبِىٌّ آخَرُ مِن بنى المُطَّلِبِ ، سيَعْلَمُ غدًا مَنِ المقتولُ إنْ نحن الْتَقَيْنا .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ولمَّا رأَى أبو سفيانَ أنَّه قد أحْرَز عِيرَه ، أرْسَل إلى

---

(١) بعده فى ص : « رأيا و » .

(٢) فساحل بها : أخذها إلى طريق الساحل .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٨، ٦١٩.

قريشٍ : إنَّكم إنَّما خَرَجْتم لِتَمنَعُوا عِيرَكم ورجالكم وأموالكم ، فقد نَجَّاها اللَّهُ ، فارْجِعُوا . فقال أبو جهلِ بنُ هشامٍ : واللَّهِ لا نَرْجِعُ حتى نَرِدَ بدرًا - وكان بدرٌ مَوْسِمًا مِن مواسمِ العربِ ، يَجْتَمِعُ لهم به سُوقٌ كلَّ عامٍ - فنُقِيمَ عليه ثلاثًا ، فنَنْحَرَ الجُزُرَ[1] ، ونُطْعِمَ الطعامَ ، ونَسْقِيَ الخمرَ ، وتَعزِفَ علينا القِيَانُ ، وتَسْمَعَ بنا العربُ وبمَسِيرِنا وجَمْعِنا ، فلا يَزالُون يَهَابُونَنا أبدًا ، فامْضُوا . وقال الأَخْنَسُ ابنُ شَرِيقِ بنِ عَمْرِو بنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيُّ ، وكان حليفًا لبنى زُهْرَةَ ، وهم بالجُحْفَةِ : يا بنى زُهْرَةَ ، قد نَجَّى اللَّهُ لكم أموالكم ، وخَلَّص لكم صاحبَكم مَخْرَمَةَ بنَ نَوْفَلٍ ، وإنَّما نَفَرْتم لِتَمْنَعُوه ومالَه ، فاجْعَلُوا بى جُبْنَها وارْجِعُوا ، فإنَّه لا حاجةَ لكم بأنْ تَخْرُجوا فى غيرِ ضَيْعةٍ ، لا ما يقولُ هذا . قال : فرَجَعُوا ، فلم يَشْهَدْها زُهْرِيٌّ واحدٌ ؛ أطاعُوه وكان فيهم مطاعًا ، ولم يَكُنْ بَقِيَ بطنٌ مِن قريشٍ إلَّا وقد نفَر منهم ناسٌ ، إلَّا بنى عَدِيٍّ ، لم يَخْرُجْ منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجَعَتْ بنو زُهْرَةَ مع الأَخْنَسِ ، فلم يَشْهَدْ بدرًا مِن هاتَيْن القبيلتَيْن أحدٌ . قال : ومضَى القومُ ، وكان بينَ طالبِ بنِ أبى طالِبٍ - وكان فى القومِ - وبينَ بعضِ قريشٍ مُحاوَرَةٌ ، فقالوا : واللَّهِ لقد عرَفْنا يا بنى هاشمٍ ، وإنْ خَرَجْتُم معنا ، أنَّ هَواكم مع محمدٍ . فرجَع طالبٌ إلى مكةَ مع مَن رجَع ، وقال فى ذلك :

لاهُمَّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ ... فى عُصْبَةٍ مُحَالِفٌ[2] مُحَارِبْ

فى مِقْنَبٍ[3] مِنْ هذه المَقَانِبْ ... فليكُنِ المَسْلُوبُ غيرَ السَّالِبْ

ولْيَكُنِ المَغْلُوبُ غيرَ الغالِبْ

---

(١) فى م ، ص : « الجزور » .

(٢) فى الأصل ، ص : « مخالف » .

(٣) المقنب : جماعة الخيل مقدار ثلاث مائة أو نحوها . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٥.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ومَضَتْ قريشٌ حتى نَزَلوا بالعُدْوَةِ القُصْوَى مِن الوادى ، خلفَ العَقَنْقَلِ وبطنِ الوادِى ، وهو يَلْيَلُ ، بينَ بدرٍ وبينَ العَقَنْقَلِ ، الكثيبِ الذى خَلْفَه قريشٌ ، والقَلِيبُ ببدرٍ ، فى العُدْوَةِ [٢/ ١٧٥و] الدُّنْيَا مِن بطنِ يَلْيَلَ إلى المدينةِ .

قلتُ : وفى هذا قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ . أى ؛ مِن ناحيةِ الساحلِ . ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] الآيات .

[3]وبَعَث اللَّهُ السماءَ ، وكان الوادى دَهْسًا[4] ، فأصاب رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه منها ماءٌ ، لَبَّدَ لهم الأَرضَ[5] ، ولم يَمْنَعْهم مِن السيرِ ، وأصاب قريشًا منها ماءٌ لم يَقْدِروا على أنْ يَرْتَحِلُوا معه .

قلتُ : وفى هذا قولُه تعالى[6] : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١] . فذكَر أنَّه طَهَّرَهم ظاهرًا وباطنًا ، وأنَّه ثَبَّت أقدامَهم ، وشَجَّع قلوبَهم ، وأذْهَب عنهم تَخْذِيلَ الشيطانِ ، وتخويفَه للنفوسِ[7] ووسوستَه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٩، ٦٢٠.

(٢) التفسير ٤/ ١٠ - ١٢.

(٣) من هنا يعود المصنف لاستئناف كلام ابن إسحاق السابق . انظر السيرة الموضع السابق .

(٤) الدهس : قيل : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا ، وليس بتراب ولا طين . اللسان (د هـ س) .

(٥) لبَّد الأرض : جعلها قوية لا تسوخ فيها الأرجل . انظر النهاية ٤/ ٢٢٤.

(٦) التفسير : ٣/ ٥٦٢ - ٥٦٥.

(٧) سقط من : ص .

للخواطِرِ، وهذا تثبيتُ الباطِنِ والظاهِرِ، وأنْزَل النصرَ عليهم مِن فوقِهم، فى قولِه[1]: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾. [2]أى؛ على الرءُوسِ[2] ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. [2]أى؛ لِئَلَّا يَسْتَمْسِكَ منهم السلاحُ[2]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: ١٢- ١٤].

قال ابنُ جريرٍ[3]: حدَّثنى هارونُ بنُ إسحاقَ، ثنا مُصْعَبُ بنُ المِقْدامِ، ثنا إسْرائيلُ، ثنا أبو إسحاقَ، عن حارِثَةَ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال: أصابَنا مِن الليلِ طَشٌّ[4] مِن المطرِ، يَعْنى الليلةَ التى كانت فى صَبِيحَتِها وَقْعَةُ بدرٍ، فانطَلَقْنا تحتَ الشجرِ والحَجَفِ[5]، نَسْتَظِلُّ تحتَها مِن المطرِ، وبات رسولُ اللَّهِ ﷺ، يَعْنى قائمًا يُصَلِّى[6]، وحَرَّض على القتالِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ، عن شُعْبَةَ، عن أبى إسحاقَ، عن حارثةَ بنِ مُضَرِّبٍ، عن علىٍّ قال: ما كان فينا فارِسٌ يومَ بدرٍ غيرُ المِقْدادِ، ولقد رأيتُنا وما فينا إلَّا نائمٌ، إلَّا رسولَ اللَّهِ ﷺ تحتَ شجرةٍ يُصَلِّى

---

(١) التفسير ٣/٥٦٥ - ٥٦٧.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) تفسير الطبرى ٩/ ١٩٤، ١٩٥. وتاريخه ٢/٤٢٤ - ٤٢٦ مطولًا. حوادث السنة الثانية.

(٤) الطش من المطر: الرَّشاش، وهو دون الوابل - وهو المطر الشديد الضخم القطر - وفوق الرَّذاذ - وهو المطر الضعيف -. الوسيط (ط ش ش).

(٥) يقال للتُّرس إذا كان من جلود، ليس فيه خشب ولا عَقَب - أى عصب -: حَجَفَة ودَرَقَة. والجمع: حَجَف. اللسان (ح ج ف).

(٦) أى يدعو. انظر مصدرى التخريج.

(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٥.

ويَبْكى حتى أَصْبحَ. وسيأْتِى هذا الحديثُ مُطَوَّلًا. ورَواه النَّسائىُّ[1]، عن بُنْدارٍ، عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبَةَ به. وقال مجاهدٌ[2]: أَنْزَل عليهم المطرَ، فأَطْفَأ به الغُبارَ، وتَلَبَّدَتْ به الأرضُ، وطابتْ به أنفُسُهم، وثَبَتتْ به أقدامُهم.

قلتُ: وكانت ليلةُ بدرٍ، ليلةَ الجمعةِ السابعةَ عشَرَ مِن شهرِ رمضانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ مِن الهجرةِ، وقد بات رسولُ اللَّهِ ﷺ تلك الليلةَ يُصَلِّى إلى جِذْمِ[3] شجرةٍ هناك، ويُكْثِرُ فى سُجودِه أن يقولَ: «يا حَىُّ يا قَيُّومُ»[4]. يُكَرِّرُ ذلك ويُلِظُّ به[5]، عليه السلامُ.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: فخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ يُبادِرُهم إلى الماءِ حتى إذا[7] جاء أَدْنَى ماءٍ مِن بدرٍ، نَزَل به.

قال ابنُ إسحاقَ[8]: فحُدِّثْتُ عن رجالٍ مِن بنى سَلِمَةَ، أنَّهم ذكَروا أنَّ الحُبابَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوحِ قال: يا رسولَ اللَّهِ، أرَأَيْتَ هذا المنزلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكه اللَّهُ، ليس لنا أن نتَقَدَّمَه ولا نَتَأَخَّرَ عنه، أم هو الرَّأْىُ والحربُ والمَكِيدَةُ؟ قال: «بل هو الرأىُ والحربُ والمَكِيدةُ». قال: يا رسولَ اللَّهِ، فإنَّ هذا ليس

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨٢٣). عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة به. وليس عن بندار عن غندر، كما ذكر المصنف. وانظر تحفة الأشراف ٧/ ٣٥٧، ٣٥٨. والأثر عند النسائى بغير ذكر: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد».

(٢) أخرجه عنه الطبرى فى تفسيره ٩/ ١٩٦.

(٣) جِذم كلِّ شىء: أصله.

(٤) أخرجه النسائى فى الكبرى (١٠٤٤٧) من حديث على، رضى اللَّه عنه.

(٥) ألظ بالكلمة: لَزِمها. والإلظاظ: لزوم الشىء والمثابرة عليه. اللسان (ل ظ ظ).

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠.

(٧) سقط من: الأصل، م.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٠. حوادث السنة الثانية.

بمنزلٍ ، فَامْضِ بالناسِ حتى نَأْتِيَ أَدْنَى ماءٍ مِن القومِ فننْزِلَه ، ثُم نُغَوِّرَ[1] ما وراءَه من القُلُبِ[2] ، ثم نَبْنِيَ عليه حَوْضًا فنَمْلأَه ماءً ، ثُم نُقاتِلَ القومَ ، فنَشْرَبَ ولا يَشْرَبون . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد أَشَرْتَ [٢/ ١٧٥ظ] بالرَّأْيِ » .

قال الأُمَوِيُّ[3] : حدَّثنا أبى ، قال : وزَعَم الكَلْبِيُّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَجْمَعُ الأَقْباصَ[4] ، وجبريلُ عن يمينِه ، إذ أتاه ملَكٌ مِن الملائكةِ ، فقال : يا محمدُ ، إنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عليك السلامَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هو السَّلامُ ، ومنه السلامُ ، وإليه السلامُ » . فقال الملكُ : إنَّ اللَّهَ يقولُ لك : إنَّ الأَمْرَ هو الذى أمَرَك به الحُبابُ بنُ المُنْذِرِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا جبريلُ ، هل تَعْرِفُ هذا ؟ » . فقال : ما كلَّ أهلِ السماءِ أَعْرِفُ ، وإنَّه لَصادقٌ ، وما هو بشيطانٍ .

فنَهَض رسولُ اللَّهِ ﷺ ومَن معه مِن الناسِ ، فسار حتى أَتَى أدْنى ماءٍ مِن القومِ ، نَزَل عليه ، ثُم أَمَرَ بالقُلُبِ فغُوِّرَتْ[5] ، وبَنَى حَوْضًا على القَلِيبِ الذى نَزَل عليه ، فمُلِئَ ماءً ثُم قَذَفُوا فيه الآنِيَةَ . وذَكَر بعضُهم[6] أنَّ الحُبابَ بنَ المُنْذِرِ لمَّا أشار بما أشار به على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، نزَل مَلَكٌ مِن السماءِ ، وجبريلُ عندَ

---

(١) نغوِّر : قال أبو ذر الخشنى : من رواه بالغين المعجمة فمعناه نذهبه وندفنه ، ومن رواه بالعين المهملة – وهو لفظ رواية الطبرى – فمعناه نفسده . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٥.

(٢) القُلُب : جمع قَلِيب ، وهو البئر قبل أن تُطوى – أى تبنى بالحجارة – فإذا طُويت فهى الطَّوِىّ . اللسان (ق ل ب) .

(٣) أورده المصنف مختصرًا فى تفسيره ٣/ ٥٦٤.

(٤) فى ص : « الأقباض » . والأقباص – إن كان صحيحا – جمع القَبْص ، بفتح القاف وكسرها : العدد الكثير من الناس . انظر اللسان (ق ب ص) .

(٥) فى الأصل ، م : « فعورت » . وهو لفظ رواية الطبرى ، وتقدم معناه .

(٦) أى الأموى ، وقد تقدم .

النبيِّ ﷺ ، فقال المَلَكُ : يا محمدُ ، ربُّكَ يَقْرَأُ عليك السلامَ ، ويقولُ لك : إنَّ الرأىَ ما أشار به الحُبابُ . فنَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جبريلَ ، فقال : ليس كلُّ الملائكةِ أَعْرِفُهم ، وإنَّه مَلَكٌ وليس بشيطانٍ . وذَكَر الأُمَوىُّ ، أنَّهم نَزَلُوا على القَلِيبِ الذى يَلِى المُشرِكِين نِصفَ الليلِ ، وأنَّهم نَزَلوا فيه ، واسْتَقَوْا منه ، ومَلَئُوا الحِياضَ حتى أَصْبَحَتْ مِلاءً ، وليس للمشركين ماءٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أنَّه حُدِّث أنَّ سعدَ بنَ مُعاذٍ قال : يا نبيَّ اللَّهِ ، ألا نَبْنِى لك عَرِيشًا تكونُ فيه ، ونُعِدُّ عندَك رَكائِبَك ، ثُم نَلْقَى عَدُوَّنا ، فإن أعَزَّنا اللَّهُ وأظْهَرَنا على عدوِّنا ، كان ذلك ما أَحْبَبْنا ، وإن كانت الأُخْرَى ؛ جَلَسْتَ على ركائِبِك فلَحِقْتَ بمَن وراءَنا [2]مِن قومِنا[2] ، فقد تَخَلَّف عنك أقوامٌ ما نحنُ بأشَدَّ حُبًّا لك منهم ، ولو ظَنُّوا أنَّك تَلْقَى حربًا ، ما تَخَلَّفوا عنك ، يَمْنَعُك اللَّهُ بهم ، يُناصِحُونك ويُجاهِدون معك . فأَثْنى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ خيرًا ودعا له بخيرٍ ، ثُم بُنِىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشٌ كان فيه .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقد ارْتَحَلَتْ قُرِيشٌ حينَ أَصْبَحَتْ ، فأَقْبَلَتْ ، فلمَّا رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ تَصَوَّبُ[4] مِن العَقَنْقَلِ ، وهو الكَثِيبُ الذى جاءُوا منه إلى الوادى ، قال : « اللَّهُمَّ هذه قُرَيشٌ قد أَقْبَلَتْ بخُيَلائِها وفخْرِها ، تُحَادُّك وَتُكَذِّبُ رسولَك ، اللَّهُمَّ فنَصْرَك الذى وَعَدْتَنى ، اللهمَّ أَحِنْهُم[5] الغَدَاةَ » . وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد رَأَى عُتْبَةَ بنَ رَبِيعةَ فى القومِ ، وهو على جَمَلٍ له أحمرَ :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠، ٦٢١. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٠. حوادث السنة الثانية .

(٢ - ٢) ليست فى السيرة . والمثبت كما فى النسخ وتاريخ الطبرى . وفى ص : « من قومك » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢١.

(٤) تصوب : أى تَتَصوَّبُ ، فحذفت التاء الأولى ، بمعنى تنحدر .

(٥) أحنهم : أهلكهم . والحَيْن : الهلاك . وقد حان الرجل وأحانه اللَّه . اللسان (ح ى ن) .

« إنْ يَكُنْ فى أَحَدٍ مِن القومِ خيرٌ ، فعِندَ صاحبِ الجملِ الأَحمرِ ، إنْ يُطِيعُوه يَرْشُدُوا » . قال[1] : وقد كان خُفافُ بنُ إيماءَ بنِ رَحَضَةَ ، أو أبوه إيماءُ بنُ رَحَضَةَ الغِفارِىُّ ، بَعَث إلى قُريشٍ ابنًا له بجَزائِرَ[2] أهداها لهم ، وقال : إن أحْبَبْتُم أن نُمِدَّكم بسلاحٍ ورجالٍ ، فَعَلْنا . قال : فأَرْسلوا إليه مع ابنِه ، أن وَصَلَتْك رَحِمٌ ، وقد قَضَيْتَ الذى عليك ، فلَعَمْرِى إن كُنَّا إنَّما نُقاتِلُ الناسَ ، ما بنا ضَعْفٌ عنهم ، وإن كنّا إنَّما نُقاتِلُ اللَّهَ ، كما يَزْعُمُ محمدٌ ، فما لأَحدٍ باللَّهِ مِن طاقةٍ . قال[3] : فلمَّا نَزَل الناسُ ، أقْبَل نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ حتى وَرَدُوا حوضَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيهم حَكِيمُ بنُ حِزامٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوهم » . فما شَرِب منه رَجُلٌ يومَئذٍ إلَّا قُتِل ، إلَّا ما كان من حَكيمِ بنِ حِزامٍ ، فإنَّه لم يُقْتَلْ ، ثُم أسْلَم بعدَ ذلك ، فحَسُن إسلامُه ، فكان إذا اجْتَهَد فى يمينِه قال : لا والذى [٢/١٧٦و] نَجّانى يومَ بدرٍ .

قلتُ : وقد كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ ثلاثَمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، كما سيَأْتِى بيانُ ذلك فى فصلٍ نَعْقِدُه بعدَ الوَقْعَةِ ، ونَذْكُرُ أسماءَهم على حروفِ المُعجَمِ ، إن شاء اللَّهُ .

ففى « صحيحِ البخارىِّ »[4] ، عن البَراءِ قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ أنَّ أصحابَ بدرٍ ثلاثُمائةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ ، على عِدَّةِ أصحابِ طَالُوتَ الذين جاوَزُوا معه النَّهْرَ ، وما جاوَزَه معه إلَّا مُؤْمِنٌ . وللبخارىِّ أيضًا[5] عنه قال : اسْتُصْغِرْتُ أنا وابنُ عمرَ يومَ

---

(١) أى ابن إسحاق ، سيرة ابن هشام ١/ ٦٢١.

(٢) الجزائر : جمع جزور ؛ وهو ما يصلح لأن يُذبح من الإبل .

(٣) أى ابن إسحاق ، المصدر السابق ١/ ٦٢٢.

(٤) البخارى (٣٩٥٩) .

(٥) البخارى (٣٩٥٦) .

بدرٍ، وكان المُهاجِرون يومَ بدرٍ نَيِّفًا على ستين، والأنصارُ نَيِّفًا وأربعينَ ومائتَيْن.

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[1]، عن نَصْرِ بنِ بابٍ[2]، عن حَجَّاجٍ، عن الحكَمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال: كان أهلُ بدرٍ ثلاثَمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ رجلًا[3]، وكان المهاجرون ستةً وسبعينَ، وكان هزيمةُ أهلِ بدرٍ لسبعَ عَشْرةَ مَضَيْنَ، يومَ الجمعةِ، فى شهرِ رمضانَ. وقال اللَّهُ تعالى[4]: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ الآية [الأنفال: ٤٣]. وكان ذلك فى منامِه تلك الليلةَ. وقيل: إنه نام فى العَريشِ، وأمَر الناسَ أن لا يُقاتِلوا حتى يَأْذَنَ لهم، فدَنا القومُ منهم، فجَعَل الصدِّيقُ يُوقِظُه، ويقولُ: يا رسولَ اللَّهِ، دَنَوْا مِنّا، فاسْتَيْقِظْ. وقد أراه اللَّهُ إياهم فى منامِه قليلًا. ذكَره الأُمَوِىُّ[5]. وهو غريبٌ جدًّا. وقال تعالى[6]: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]. فعندما تقابَل الفريقانِ، قَلَّل اللَّهُ كُلًّا منهما فى أَعْيُنِ الآخَرِينَ؛ لِيَجْتَرِئَ هؤلاءِ على هؤلاءِ، وهؤلاءِ على هؤلاءِ؛ لِمَا له فى ذلك مِن الحكمةِ البالغةِ، وليس هذا مُعارِضًا لِقولِه تعالى فى سورةِ «آلِ عمران»[7]: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا

---

(١) المسند ١/ ٢٤٨. (إسناده صحيح).

(٢) فى م: «رئاب». وفى ص غير واضحة. وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٤٦٩.

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) انظر التفسير ٤/ ١٣.

(٥) انظر الخبر فى مغازى الواقدى ١/ ٦٧.

(٦) التفسير ٤/ ١٣، ١٤.

(٧) التفسير ٢/ ١٢ - ١٤. سورة آل عمران الآية ١٣.

فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ . فإنَّ المعنى فى ذلك ، على أصحِّ القولَيْن ، أنَّ الفِرْقَةَ الكافرةَ تَرَى الفرقةَ المؤمنةَ مِثْلَيْ عددِ الكافرةِ ، على الصحيحِ أيضًا ، وذلك عندَ التحامِ الحربِ (١والمسايفةِ١) ؛ أَوْقَع اللَّهُ الوَهَنَ والرعبَ فى قلوبِ الذين كَفَروا ، فاسْتَدْرَجَهم أولًا بأن أَراهم إيَّاهم عندَ المُواجَهَةِ قليلًا ، ثُم أَيَّد المؤمنين بنصرِه ، فجعَلَهم فى أعيُنِ الكافرين على الضِّعْفِ منهم ، حتى وَهَنُوا وضَعُفوا وغُلِبُوا ، ولهذا قال : ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ .

قال إسرائيلُ[٢] ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبيدةَ[٣] ، عن[٤] عبدِ اللَّهِ : لقد قُلِّلوا فى أعيُنِنا يومَ بدرٍ ، حتى إنِّى لأَقولُ لرجلٍ إلى جَنْبى : أتَراهم سبعين ؟ فقال : أَراهم مائةً .

قال ابنُ إسحاقَ[٥] : وحدَّثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، وغيرُه مِن أهلِ العلمِ ، عن أشياخٍ مِن الأَنصارِ قالوا : لمَّا اطْمَأَنَّ القومُ بَعَثوا عُمَيْرَ بنَ وَهْبٍ الجُمَحِيَّ ، فقالوا : احْزُرْ[٦] لنا القومَ أصحابَ محمدٍ . قال : فاسْتَجالَ بفرسِه حولَ العَسْكَرِ ، ثُم رَجَع إليهم ، فقال : ثلاثُمائةِ رجلٍ ، يَزِيدون قليلًا أو يَنْقُصُون ، ولكن أَمْهِلونى حتى أَنْظُرَ ؛ أللقومِ كَمِينٌ أو مَدَدٌ . قال : فضَرَب فى الوادى

(١ - ١) فى الأصل ، م : « المسابقة » .

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٠/ ١٣، من طريق إسرائيل به .

(٣) فى الأصل ، م : « عبيد » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٢٦.

(٤) فى م : « و » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٢ - ٦٢٤. وتاريخ الطبرى ٤٤١، ٤٤٢. حوادث السنة الثانية .

(٦) حزر الشىء حزرًا : قدره بالتخمين . الوسيط (ح ز ر) .

حتى أَبْعَدَ ، فلم يَرَ شيئًا ، فرَجَع إليهم ، فقال : ما رأيتُ شيئًا ، ولكنْ قد رأيتُ ، يا معشرَ قُريشٍ ، البَلايا[1] تَحْمِلُ المَنايا ، نَواضِحَ[2] يثربَ تَحْمِلُ الموتَ النّاقِعَ ، قومٌ ليس لهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجأٌ إلَّا سيوفُهم ، [٢/١٧٦ظ] واللَّهِ ما أُرَى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتى يَقْتُلَ رجلًا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم ، فما خيرُ العيشِ بعدَ ذلك ؟! فَرَوْا رَأْيَكم . فلمَّا سَمِع حَكيمُ بنُ حِزامٍ ذلك ، مَشَى فى الناسِ ، فأَتَى عُتْبَةَ بنَ رَبيعةَ ، فقال : يا أبا الوليدِ ، إنَّك كبيرُ قُريشٍ وسَيِّدُها ، والمُطاعُ فيها ، هل لك إلى أن لا تَزالَ تُذْكَرُ فيها بخيرٍ إلى آخِرِ الدهرِ ؟ قال : وما ذاك يا حَكيمُ ؟ قال : تَرْجِعُ بالناسِ ، وتَحْمِلُ أمرَ حليفِك عَمرِو بنِ الحَضْرَميِّ . قال : قد فعلتُ ، أنت عَلَيَّ بذلك ، إنَّما هو حَلِيفى ، فعَلَيَّ عَقْلُه وما أُصِيبَ مِن مالِه ، فَأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّةِ[3] - [4]يَعنِى أبا جهلٍ[4] - فإنِّى لا أَخْشَى أن يَشْجُرَ[5] أمرَ الناسِ غيرُه . ثُم قام عُتْبةُ خطيبًا ، فقال : يا مَعْشَرَ قُريشٍ ، إنَّكم واللَّهِ ما تَصْنَعُون بأن تَلْقَوْا محمدًا وأصحابَه شيئًا ، واللَّهِ لَئِنْ أَصَبْتُموه ؛ لا يزالُ الرجلُ يَنْظُرُ إلى وجهِ رجلٍ يَكْرَهُ النظَرَ إليه ؛ قَتَل ابنَ عمِّه ، أو ابنَ خالِه ، أو رجلًا مِن عشيرتِه ، فارْجِعُوا ، وخَلُّوا بينَ محمدٍ وبينَ سائرِ العربِ ، فإن أصابوه ، فذلك الذى أَرَدْتُم ، وإن كان غيرُ ذلك ، أَلْفاكم ولم

---

(١) قال أبو ذر : البلايا وهو جمع بلية ، وهى الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت - صاحب الناقة - فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٥.

(٢) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء .

(٣) قال ابن هشام فى السيرة ١/ ٦٢٣: والحنظلية أُمُّ أبى جهل ، وهى أسماء بنت مخربة .

(٤ - ٤) هذه العبارة تفسيرية من المصنف ، وليست فى رواية السيرة وتاريخ الطبرى .

(٥) فى الأصل : « يسحر » . وفى م : « يسجر » . قال أبو ذر : من رواه بالشين المعجمة فمعناه يخالف بين الناس ، من المشاجرة وهى المخالفة والمخاصمة ، ومن رواه بالسين المهملة فمعناه يحرضهم ويوقدهم للحرب ، يقال : سجرت التنور . إذا ألهبته نارا . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٥.

تَعَرَّضُوا[1] منه ما تُرِيدون. قال حَكيمٌ: فانطَلَقْتُ حتى جئتُ أبا جهلٍ، فوجَدْتُه قد نَثَلَ[2] دِرْعًا له[3]، فهو يَهْنِئُها[4]، فقلتُ له: يا أبا الحكَم، إنَّ عُتْبَةَ أَرْسَلَنى إليك بكذا وكذا. فقال: انْتَفَخَ واللَّهِ سَحْرُه[5] حين رَأَى محمدًا وأصحابَه، فلا واللَّهِ لا نَرْجِعُ حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَ محمدٍ، وما بعُتْبَةَ ما قال، ولكنَّه رَأَى محمدًا وأصحابَه أَكَلَةَ جَزُورٍ، وفيهم ابنُه، فقد تَخَوَّفَكم عليه. ثُم بَعَثَ إلى عامرِ بنِ الحَضْرَمىِّ، فقال: هذا حليفُك يُرِيدُ أن يَرْجِعَ بالناسِ، وقد رأيتَ ثَأْرَك بعينِك، فقُمْ فانشُدْ خُفْرَتَك[6] ومَقْتَلَ أخيك. فقام عامرُ بنُ الحَضْرَمىِّ فاكْتَشَفَ ثُم صَرَخ: وَاعَمْرَاه واعَمراه. قال: فحَمِيَتِ الحربُ، وحَقِبَ[7] أمْرُ الناسِ، واسْتَوْسَقُوا[8] على ما هم عليه مِن الشرِّ، وأُفْسِدَ على الناسِ الرأىُ الذى دعاهم إليه عُتْبةُ. فلمَّا بَلَغ عُتْبةَ قولُ أبى جهلٍ: انْتَفَخ واللَّهِ سَحْرُه. قال: سيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِه[9] مَنِ انْتَفَخ سَحْرُه، أنا أم هو.

---

(١) أى تَتَعَرَّضُوا.

(٢) نثل درعه: أى أخرجها.

(٣) سقط من: م. وبعده فى السيرة: «من جرابها».

(٤) فى الأصل، ص: «يهيئها». وهو اللفظ الذى اختاره ابن هشام، كما فى السيرة. ويهنئها: أى يُصلحها.

(٥) سحره؛ أى رِئَتُه، يقال ذلك للجبان. انظر النهاية ٢/ ٣٤٦.

(٦) قال السهيلى: أى اطلُب من قريشٍ الوفاء بخُفرتهم لك؛ لأنه كان حليفًا لهم وجارا، يقال: خفرتُ الرجل خُفرة. إذا أجرتُه. والخفير: المجير. الروض الأنف ٥/ ١٢٥.

(٧) يقال: حقب الأمر. إذا اشتدَّ. انظر المصدر السابق.

(٨) فى م: «واستوثقوا». واستوسقوا: اجتمعوا. اللسان (و س ق).

(٩) قال الزبيدى فى تاج العروس: يقال فى الشتم: هو مصفر استه. أى ضَرّاط. قال الجوهرى: هو من الصفير لا الصفرة. انتهى، كأنه نَسَبَه إلى الجُبن والخَوَر، وقد جاء ذلك فى قول عتبة بن ربيعة لأبى جهل... يُقال: إنه رماه بالأُبْنَة، وأنه يُزعفِر استه، وصوبه الصاغانى، ويقال: هى كلمة تُقال للمتنعم المترف الذى لم تُحنِّكه التجارب والشدائد. تاج العروس (ص ف ر).

ثُم الْتَمَسَ عُتْبةُ بَيْضَةً ؛ ليُدْخِلَها فى رأسِه ، فما وَجَد فى الجيشِ بَيْضَةً تَسَعُه ؛ مِن عِظَمِ رأسِه ، فلمَّا رَأَى ذلك اعْتَجَرَ[1] على رأسِه ببُرْدٍ له .

وقد روَى ابنُ جريرٍ[2] ، مِن طريقِ مُسَوَّرِ[3] بنِ عبدِ الملِكِ اليَرْبُوعىِّ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : بينا نحنُ عندَ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، إذ دَخَل حاجِبُه فقال : حَكيمُ بنُ حِزامٍ يَسْتَأْذِنُ . قال : ائْذَنْ له . فلمَّا دَخَل قال : مرحبًا يا أبا خالدٍ ، ادْنُ . فحالَ له[4] عن صدرِ المجْلِسِ حتى جَلَس بينَه وبينَ الوسادةِ ، ثُم اسْتَقْبَلَه فقال : حَدِّثْنا حديثَ بدرٍ . فقال : خَرَجْنا حتى إذا كُنَّا بالجُحْفَةِ ، رَجَعَتْ قبيلةٌ مِن قبائلِ قُريشٍ بأسْرِها ، فلم يَشْهَدْ أَحدٌ مِن مُشرِكِيهم بدرًا ، ثُم خَرَجْنا حتى نَزَلْنا العُدْوَةَ التى قال اللَّهُ تعالى ، فجِئتُ عُتْبةَ بنَ رَبِيعةَ فقلتُ : يا أبا الوليدِ ، هل لك فى أن تَذْهَبَ بشَرَفِ هذا اليومِ ما بَقِيتَ ؟ قال : أفْعَلُ ماذا ؟ قلتُ : إنَّكم لا تَطْلُبُون مِن محمدٍ إلَّا دَمَ ابنِ الحَضْرَمِىِّ ، وهو حَلِيفُك ، فتَحَمَّلْ بدِيَتِه ، ويَرْجِعُ الناسُ . فقال : أنت علىَّ بذلك ، واذْهَبْ إلى ابنِ الحَنْظَلِيَّةِ ، يَعْنى أبا جهلٍ ، فقُلْ له : هل لك أن تَرْجِعَ اليومَ بمَن معكَ عن ابنِ عمِّك ؟ فجِئْتُه فإذا هو فى جماعةٍ مِن بينِ يَدَيْه [٢/ ١٧٧و] ومِن خلفِه ، وإذا ابنُ الحَضْرَمِىِّ واقفٌ على رأسِه وهو يقولُ : فَسَخْتُ عَقْدِى مِن عبدِ شمسٍ ، وعَقْدى اليومَ إلى بنى مَخْزُومٍ . فقلتُ له : يَقولُ لك عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ : هل لك أن

---

(١) قال أبو ذر : اعتجر ، معناه تعمم بغير تلحٍّ ، أى لم يجعل تحت لحيته منها شيئا . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٣، بنحوه . حوادث السنة الثانية .

(٣) فى الأصل ، ص : « مسعود » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

تَرْجِعَ اليومَ [1]عن ابـنِ عمِّـك[1] بمَن معك؟ قال: أما وَجَد رسولًا غيرَك؟ قلتُ: لا، ولم أكُنْ لِأكُونَ رسولًا لغيرِه. قال حَكيمٌ: فخَرَجْتُ مُبادِرًا إلى عُتبةَ لِئَلَّا يَفُوتَنى مِن الخبرِ شىءٌ، وعُتْبةُ مُتَّكِئٌ على إيماءِ بنِ رَحَضَةَ الغِفارِىِّ، وقد أهْدَى إلى المُشرِكِين عَشْرَ جَزائِرَ، فطَلَع أبو جهلٍ والشَّرُّ فى وجهِه، فقال لعُتْبَةَ: انْتَفَخ سَحْرُك؟ فقال له عُتبةُ: ستَعْلَمُ. فسَلَّ أبو جهلٍ سيفَه[2]، فضَرَب به مَتْنَ فَرَسِه. فقال إيماءُ بنُ رَحَضَةَ: بِئْسَ الفَأْلُ هذا. فعندَ ذلك قامتِ الحربُ.

وقد صَفَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه وعَبَّأَهم أحْسَنَ تَعْبِئةٍ، فرَوَى التِّرْمِذِىُّ[3]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ قال: صَفَّنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ ليلًا.

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[4]، مِن حديثِ ابنِ لَهِيعَةَ: حَدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ، أنَّ أسْلَمَ أبا عِمرانَ حَدَّثَه، أنَّه سَمِع أبا أيوبَ يقولُ: صُفِفْنا[5] يومَ بدرٍ، فبَدَرَتْ مِنّا بادِرَةٌ أمامَ الصفِّ، فنَظَر إليهم النبىُّ ﷺ فقال: «مَعِى معى». تَفَرَّد به أحمدُ. وهذا إسنادٌ حسنٌ.

وقال ابنُ إسحاقَ[6]: وحَدَّثنى [7]حَبّانُ بنُ واسِعٍ[7] بنِ حَبّانَ، عن أشياخٍ

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) الترمذى (١٦٧٧). بلفظ: «عبأنا» بدل «صفنا». ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٢٨١).

(٤) المسند ٥/ ٤٢٠.

(٥) فى الأصل: «صفنا». وفى م: «صفنا رسول الله ﷺ». والمثبت موافق لما فى المسند.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٦، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٦. حوادث السنة الثانية.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

مِن قومِه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَدَّل صُفوفَ أصحابِه يومَ بدرٍ ، وفى يدِه قِدْحٌ[1] يُعَدِّلُ به القومَ ، فمرَّ بسَوادِ بنِ غَزِيَّةَ حليفِ بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، وهو مُسْتَنْتِلٌ[2] مِن الصفِّ ، فطَعَن فى بطنِه بالقِدْحِ وقال : « اسْتَوِ يا سَوادُ » . فقال: يا رسولَ اللَّهِ ، أوْجَعْتَنى ، وقد بَعَثَك اللَّهُ بالحقِّ والعدلِ ، فأقِدْنى . فكَشَف رسولُ اللَّهِ ﷺ عن بطنِه ، فقال : « اسْتَقِدْ » . قال : فاعْتَنَقَه فقَبَّلَ بطنَه ، فقال : « ما حَمَلَك على هذا يا سَوادُ ؟ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، حَضَر ما تَرَى ، فأرَدْتُ أن يكونَ آخِرَ العهدِ بك ، أن يَمَسَّ جِلْدى جلدَك . فدَعَا له رسولُ اللَّهِ ﷺ بخيرٍ وقاله[3] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وحدَّثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، أنَّ عوفَ بنَ الحارثِ ، وهو ابنُ عَفْراءَ ، قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما يُضحِكُ الربَّ مِن عبدِه ؟ قال : « غَمْسُهُ يَدَهُ فى العَدُوِّ حاسِرًا » . فنَزَع دِرعًا كانت عليه فقَذَفها ، ثُم أخَذ سيفَه ، فقاتَل حتى قُتِل ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ثُم عَدَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ الصُّفوفَ ، ورَجَع إلى العَرِيشِ فدَخَلَه ، ومعه فيه أبو بكرٍ ، ليس معه فيه غيرُه .

وقال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[6] : وكان سعدُ بنُ مُعاذٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، واقِفًا

---

(١) القِدْح : السهم .

(٢) فى الأصل ، ص : « مستقبل » . ومستنتل : متقدِّم ؛ من نَتَل الرجل من بين القوم ، إذا تقدَّم . انظر الوسيط (ن ت ل) .

(٣) فى سيرة ابن هشام : « وقاله له » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٧، ٦٢٨.

(٥) المصدر السابق ١/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٦) المصدر السابق ١/ ٦٢٨. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٩. حوادث السنة الثانية .

على بابِ العَرِيشِ مُتَقَلِّدًا بالسيفِ ، ومعه رِجالٌ مِن الأنصارِ يَحْرُسُون رسولَ اللَّهِ ﷺ خوفًا عليه مِن أَن يَدْهَمَه العدُوُّ مِن المُشرِكِين . والجَنائبُ النَّجائِبُ[1] مُهَيَّأَةٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، إنِ احْتاج إليها رَكِبَها ورَجَع إلى المدينةِ ، كما أشار به سعدُ بنُ مُعاذٍ .

وقد رَوَى البَزَّارُ فى « مُسندِه »[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ عَقيلٍ ، عن عليٍّ أنَّه خَطَبَهم فقال : يا أيُّها الناسُ ، مَن أشْجَعُ الناسِ ؟ فقالوا : أنت يا أميرَ المُؤمِنِين . فقال : أمَا إنِّى ما بارَزَنى أحدٌ إلَّا انْتَصَفْتُ منه[3] ، ولكنْ هو أبو بكرٍ ؛ إنَّا جَعَلْنا لرسولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشًا ، فقُلْنا : مَنْ يكونُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِئَلَّا يُهْوِىَ إليه أحدٌ مِن المُشرِكِين ؟ فواللَّهِ ما دَنا مِنَّا أحدٌ إلَّا أبو بكرٍ ، شاهِرًا بالسيفِ على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/١٧٧ظ] لا يُهْوِى إليه أحدٌ ، إلَّا أهْوَى إليه ، فهذا أشْجَعُ الناسِ . قال : ولقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأخَذَتْه قُرَيشٌ ؛ فهذا يَجَؤُه[4] ، وهذا يُتَلْتِلُه[5] ، ويقولون : أنت جَعَلْتَ الآلهةَ إلهًا واحدًا . فواللَّهِ ما دنا مِنّا أحدٌ إلَّا أبو بكرٍ ؛ يَضرِبُ هذا[6] ويَجَأُ[7] هذا ، ويُتَلْتِلُ هذا ، وهو يقولُ : وَيْلَكُم ، أَتَقْتُلون رجلًا أَن يقولَ : رَبِّىَ اللَّهُ . ثُم رَفَع علىٌّ بُرْدَةً كانت عليه ، فبَكَى حتى اخْضَلَّتْ

---

(١) الجنائب : جمع جنيبة ، وهى الناقة يعطيها الرجل القوم يمتارون عليها له . والنجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة القوية الخفيفة السريعة . اللسان (ج ن ب) ، (ن ج ب) .

(٢) كشف الأستار ٣/ ١٦١، ١٦٢، بنحوه . وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٤٧: رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٣) انتصف منه : استوفى حقه منه كاملا حتى صار كل على النَّصَف - أى العدل - سواء . المحيط (ن ص ف) .

(٤) فى م : « يحاده » . ويجؤه : يدفعه بجُمع كفه فى الصدر أو العنق . انظر الوسيط (و ج أ) .

(٥) تلتله : زعزعه . وأقلقه وزلزله وساقه بعُنفٍ . انظر اللسان (ت ل ل) .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى الأصل ، م : « ويجاهد » .

لِحْيَتِه ثُم قال : أنْشُدُكم اللَّهَ ، أمُؤمِنُ آلِ فرعونَ خيرٌ أم هو ؟ فسَكَت القومُ ، فقال عليٌّ : فواللَّهِ ، لَساعةٌ مِن أبى بكرٍ ، خيرٌ مِن مِلءِ الأرضِ مِن مؤمنِ آلِ فرعونَ ؛ ذاك رَجُلٌ يَكْتُمُ إيمانَه ، وهذا رجلٌ أعْلَن إيمانَه . ثُم قال البَزَّارُ : لا نَعْلَمُه يُروَى إلَّا مِن هذا الوجهِ .

فهذه خُصُوصِيَّةٌ للصدِّيقِ حيثُ هو مع الرسولِ ﷺ فى العَرِيشِ ، كما كان معه فى الغارِ ، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الابْتِهالَ والتضرُّعَ والدُّعاءَ ، ويقولُ فيما يَدْعُو به : « اللَّهُمَّ إنَّك إن تُهلِكْ هذه العِصابَةَ ، لا تُعْبَدْ بعدَها فى الأرضِ » . وجَعَل يَهْتِفُ بربِّه ، عزَّ وجلَّ ، ويقولُ : « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لى ما وَعَدْتَنى ، اللَّهُمَّ نصرَك » . ويَرْفَعُ يَدَيْه إلى السماءِ حتى سَقَط الرِّداءُ عن مَنْكِبَيْه ، وجَعَل أبو بكرٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، يَلْتَزِمُه مِن وَرائِه ، ويُسَوِّى عليه رداءَه ، ويقولُ مُشْفِقًا عليه مِن كَثْرَةِ الابْتِهالِ : يا رسولَ اللَّهِ ، بعضَ مُناشَدَتِك ربَّك ، فإنَّه سيُنْجِزُ لك ما وَعَدك[1] .

[2]هكذا حَكَى السُّهَيْلِىُّ عن قاسمِ بنِ ثابتٍ أنَّ الصدِّيقَ إنَّما قال : بعضَ مُناشَدَتِك ربَّك . مِن بابِ الإشفاقِ ؛ لِما رَأَى مِن نَصَبِه فى الدُّعاءِ والتضرُّعِ ، حتى سقَط الرِّداءُ عن مَنْكِبَيْه فقال : بعضَ هذا يا رسولَ اللَّهِ . أى ؛ لِمَ تُتْعِبُ نَفْسَك هذا التعبَ ، واللَّهُ قد وَعَدك بالنصرِ . وكان ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، رقيقَ القلبِ ، شديدَ الإشفاقِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ[3][2] .

---

(١) أخرجه بنحوه ، مسلم فى صحيحه (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) الروض الأنف ٥/ ١٣٠ .

(١) وحَكَى السُّهَيْلِيُّ عن شيخِه أبى بكرِ بنِ العَرَبِيِّ أنَّه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَقامِ الخوفِ ، والصدِّيقُ فى مَقامِ الرجاءِ ، وكان مَقامُ الخوفِ فى هذا الوقتِ(٢) . يَعنِى أكْمَلَ . قال(٣) : لأنَّ للَّهِ أن يفعلَ ما يشاءُ ، فخاف أن لا يُعْبَدَ فى الأرض بعدَها ، فخوفُه ذلك عِبادةٌ .

قلتُ : وأمّا قولُ بعضِ الصُّوفِيَّةِ : إنَّ هذا المَقامَ ، فى مُقابَلَةِ ما كان يومَ الغارِ . فهو قولٌ مردودٌ على قائلِه ؛ إذ لم يَتَدَبَّرْ(٤) هذا القائلُ عَوَرَ(٥) ما قال ، ولا لازِمَه ، ولا ما يَتَرَتَّبُ عليه . واللَّهُ أعلمُ(١)(٦) .

هذا وقد تَواجَهَ الفِئَتانِ ، وتَقابَلَ الفَرِيقانِ ، وحَضَر الخَصْمانِ ، بينَ يَدَيِ الرحمنِ ، واسْتَغاث بربِّه سيِّدُ الأنبياءِ ، وضَجَّ الصَّحابَةُ بصُنوفِ الدُّعاءِ ، إلى ربِّ الأرضِ والسماءِ ، سامِعِ الدعاءِ وكاشِفِ البلاءِ ، فكان أوَّلُ مَن قُتِل مِن المُشرِكِين ، الأسْوَدَ بنَ عبدِ الأسدِ المَخْزُومِيَّ .

قال ابنُ إسحاقَ(٧) : وكان رجلًا شَرِسًا سيِّئَ الخُلُقِ فقال : أُعاهِدُ اللَّهَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أى السهيلى ، فى تعقيبه على كلام شيخه ابن العربى ، انظر الروض ٥/ ١٣٠.

(٤) فى م : « يتذكر » .

(٥) العور : الشَّيْنُ والقُبح . الوسيط (ع و ر) .

(٦) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٨٩: قال الخطابى : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبى ﷺ فى تلك الحال ؛ بل الحامل للنبى ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ؛ لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهال ؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال كف عند ذلك وعلم أنه استجيب له ؛ لما وجد أبو بكر فى نفسه من القوة والطمأنينة .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٤، ٦٢٥. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٥. حوادث السنة الثانية .

لَأَشْرَبَنَّ مِن حَوْضِهم ، أو لَأَهْدِمَنَّه ، أو لَأَمُوتَنَّ دونَه . فلمَّا خَرَج ، خرَج إليه حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، فلمَّا الْتَقيا ضَرَبَه حمزةُ ، فأطَنَّ[1] قدمَه بنصفِ ساقِه وهو دونَ الحَوْضِ ، فوَقَع على ظهرِه ، تَشْخُبُ رِجْلُه دمًا نحوَ أصحابِه ، ثُم حَبَا إلى الحوضِ حتى اقْتَحَم فيه ، يُريدُ - زَعَمَ - أن يُبِرَّ يمينَه ، واتَّبَعَه حمزةُ ، فضَرَبَه حتى قَتَلَه فى الحوضِ .

قال الأُمَوِىُّ[2] : فحَمِىَ عندَ ذلك عُتْبَةُ بنُ رَبيعَةَ ، وأراد أن يُظهِرَ شجاعتَه ، فبَرَز بين أخيه شَيْبَةَ وابنِه الوليدِ ، فلمَّا تَوَسَّطُوا بينَ الصَّفَّيْن ، دَعَوْا إلى البِرازِ ، فخَرَج إليهم فِتْيَةٌ مِن الأنصارِ ثلاثةٌ ، وهم : عَوفٌ ومُعَوِّذٌ[3] ابنا الحارثِ ، وأُمُّهما عَفْراءُ ، والثالثُ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ ، فيما قيل ، فقالوا : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رَهْطٌ مِن الأنصارِ . فقالوا : ما لنا بكم مِن حاجةٍ . وفى رِوايةٍ[4] : فقالوا : أكْفاءٌ كِرامٌ ، ولكنْ أخْرِجُوا إلينا مِن بنى عَمِّنا . ونادى مناديهم : يا محمدُ ، أخْرِجْ إلينا أكْفاءَنَا مِن قومِنا . فقال النبىُّ ﷺ : « قُمْ يا عُبَيْدَةَ بنَ الحارِثِ ، وقُمْ يا حمزةُ ، وقُمْ يا علىُّ » . وعندَ الأُمَوِىِّ[2] ، أنَّ النَّفَرَ مِن الأنصارِ لمَّا خَرَجُوا ، كَرِه ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ؛ لأنَّه أولُ مَوْقِفٍ واجَهَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ أعداءَه ، فأحبَّ أنْ يكونَ أولئك مِن عشيرتِه ، فأمَرَهم بالرُّجوعِ ، وأمَرَ أولئك الثلاثةَ بالخروجِ .

---

(١) أطَنَّ قدمه : قطعها . القاموس المحيط (ط ن ن) .

(٢) انظر الخبر فى مغازى الواقدى ٦٨/١ بمعناه .

(٣) فى الأصل ، م : « معاذ » . والمثبت موافق لما فى السيرة ١/ ٦٢٥، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٥. حوادث السنة الثانية .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٥. حوادث السنة الثانية . ودلائل البيهقى ٣/ ٧٢.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا دَنَوْا منهم قالوا : مَن أنتم ؟ - وفى هذا دليلٌ أنَّهم كانوا مُلَبَّسِين ، لا يُعْرَفُون من السلاحِ - فقال عُبيدةُ : عُبيدةُ . وقال حمزةُ : حمزةُ . وقال عليٌّ : عليٌّ . قالوا : نعم ، أكْفاءٌ كِرامٌ . فبارَزَ عُبيدةُ ، وكان أسَنَّ القومِ ، عُتْبةَ ، وبارَز حمزةُ [٢/١٧٨و] شَيْبةَ ، وبارَز عليٌّ الوليدَ بنَ عُتْبةَ . فأمّا حمزةُ ، فلم يُمْهِلْ شَيْبةَ أن قَتَلَه ، وأمَّا عليٌّ ، فلم يُمْهِلِ الوليدَ أن قَتَلَه ، واخْتَلَف عُبيدةُ وعُتْبةُ بينَهما ضَرْبتَيْن ، كلاهما أثْبَتَ[2] صاحبَه ، وكَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافِهما على عُتْبةَ ، فذَفَّفا[3] عليه ، واحْتَمَلا صاحبَهما فحازاه إلى أصحابِه ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

وقد ثَبَت فى الصحيحَيْنِ[4] ، مِن حديثِ أبى مِجْلَزٍ ، عن قيسِ بنِ عُبادٍ ، عن أبى ذَرٍّ أنَّه كان يُقْسِمُ قَسَمًا أنَّ هذه الآيةَ : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] . نَزَلَتْ فى حمزةَ (٥وصاحِبَيْهِ٥) ، (٦وعُتْبةَ (٥وصاحِبَيْه٥)٦) ، يومَ بَرَزُوا فى بدرٍ . هذا لفظُ البخاريِّ فى تفسيرِها .

وقال البخاريُّ[7] : حَدَّثنا حَجّاجُ بنُ مِنْهالٍ ، حدَّثنا المُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ ، سَمِعتُ أبى ، ثنا أبو مِجْلَزٍ ، عن قيسِ بنِ عُبادٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، أنَّه قال : أنا أوَّلُ مَن يَجْثُو بينَ يَدَيِ الرحمنِ ، عزَّ وجلَّ ، فى الخُصومةِ يومَ القيامةِ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٥. والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٧٢.

(٢) سقط من : ص . وأثْبَتَه : حَبَسه وجعله ثابتًا فى مكانه لا يفارقه . انظر النهاية ١/ ٢٠٥.

(٣) ذفَّف على الجريح : أجهز عليه .

(٤) البخارى (٤٧٤٣) . ومسلم (٣٠٣٣) .

(٥ - ٥) فى م : « وصاحبه » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) البخارى (٤٧٤٤) .

قال قيسٌ : وفيهم نَزَلَتْ : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ . قال : هم الذين بارَزُوا يومَ بدرٍ ؛ عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ ، وشَيْبةُ بنُ رَبيعةَ ، وعُتْبةُ بنُ رَبيعةَ ، والوليدُ بنُ عُتْبةَ . تَفَرَّد به البخاريُّ . وقد أوْسَعْنا الكلامَ عليها فى « التفسيرِ »[1] بما فيه كِفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقال الأُمَوِىُّ : حَدَّثنا مُعاويةُ بنُ عَمرٍو ، عن أبى إسحاقَ ، عن ابنِ المُبارَكِ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ البَهِىِّ قال : بَرَز عُتْبَةُ وشَيْبَةُ والوليدُ ، وبَرَز إليهم حمزةُ وعُبيدةُ وعليٌّ ، فقالوا : تَكَلَّمُوا نَعْرِفْكم . فقال حمزةُ : أنا أَسدُ اللَّهِ ، وأسدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنا حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ . فقال : كُفْءٌ كريمٌ . وقال عليٌّ : أنا عبدُ اللَّهِ ، وأخو رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال عُبيدةُ : أنا الذى فى الحُلَفاءِ . فقام كلُّ رجلٍ إلى رجلٍ ، فقاتَلُوهم فقَتَلَهم اللَّهُ . فقالت هندُ فى ذلك :

أعَيْنَىَّ جُودا[2] بدَمْعٍ سَرِبْ[3] ... على خيرِ خِنْدِفَ[4] لم يَنْقَلِبْ
تَدَاعَى له رَهْطُه غُدْوَةً ... بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبْ
يُذِيقُونَه حَدَّ أسيافِهم ... يَعُلُّونَه[5] بعدَ ما قد عَطِبْ

---

(١) التفسير ٤٠١/٥ . سورة الحج الآية ١٩ .

(٢) فى الأصل ، م : « جودى » .

(٣) سَرِب : سائل .

(٤) خندف : لقب ليلى بنت عِمران بن الحاف بن قضاعة نسب إليها بعض قبائل العرب ، ومنهم قريش . انظر جمهرة أنساب العرب ص ١٠ ، ١١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، والأعلام للزركلى ١١٦/٦ .

(٥) يعلونه : أى يُتابعون عليه الضرب .

ولهذا نَذَرَتْ هندُ أن تأكُلَ مِن كَبِدِ حمزةَ .

قلتُ : وعُبيدةُ هذا ، هو ابنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلبِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، ولمَّا جاءُوا به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أضْجَعُوه إلى جانبِ موقفِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأفْرَشَه[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ قَدَمَه ، فوَضَع خَدَّه على قدمِه الشريفةِ وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لو رآنى أبو طالبٍ ، لَعَلِم أنِّى أحقُّ بقولِه :

ونُسْلِمُهُ[2] حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه[3] ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحَلائِلِ[4]

ثُم مات ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَشْهَدُ أَنَّكَ شَهِيدٌ » . رَواه الشافعىُّ ، رَحِمَه اللَّهُ .

وكان أوَّلَ قتيلٍ مِن المُسلِمِين فى المعركةِ ، مِهْجَعٌ مَوْلَى عُمرَ بنِ الخطابِ ؛ رُمِىَ بسهمٍ فقَتَلَه .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فكان أوَّلَ مَن قُتِل ، ثُم رُمِىَ بعدَه حارثةُ بنُ سُراقَةَ ، أحدُ بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، وهو يشربُ مِن الحَوْضِ ، بسهمٍ فأصاب نَحْرَه فمات .

وثَبَت فى « الصحيحَيْنِ »[6] عن أنسٍ ، أنَّ حارثةَ بنَ سُراقةَ قُتِل يومَ بدرٍ ،

---

(١) فى م : « فأشرفه » .

(٢) ونسلمه : أى ولا نسلمه .

(٣) فى الأصل ، م : « دونه » . والمثبت هنا موافق للفظ القصيدة الوارد فى السيرة ١/٢٧٥ ضمن قصيدة أبى طالب الطويلة .

(٤) الحلائل : جمع حليلة وهى الزوجة .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٦٢٧.

(٦) البخارى (٢٨٠٩، ٣٩٨٢، ٦٥٥٠، ٦٥٦٧) . ولم نجده فى صحيح مسلم . انظر تحفة الأشراف ١/١٧٢، ١٧٥، ٣٣٨. وجامع المسانيد ٢٢/١٨ ، ١٩ . والمسند الجامع ٢/٢٨٨ - ٢٩٠.

وكان فى النَّظّارَةِ[1] ، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ[2] فقتَلَه ، فجاءتْ أُمُّه فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أخبِرْنى عن حارثةَ ، فإن كان فى الجنةِ صبرْتُ ، وإلَّا فَلَيَرَيَنَّ اللَّهُ [٢/ ١٧٨ظ] ما أصنعُ . يعنى مِن النِّياحِ ، وكانت لم تُحرَّمْ[3] بعدُ . فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَيْحَكِ ، أهَبِلْتِ[4] ، إنَّها جِنانٌ ثَمانٍ ، وإنَّ ابنَكِ أصاب الفِردَوْسَ الأعلَى » .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ثُم تَزاحَفَ الناسُ ، ودنا بعضُهم مِن بعضٍ . وقال[6] : أمرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه أن لا يَحْمِلُوا حتى يَأْمُرَهم ، وقال : « إنِ اكْتَنَفَكُمْ[7] القومُ فانْضَحُوهُم عنكم بالنَّبْلِ » . وفى « صحيحِ البخارىِّ »[8] ، عن أبى أُسَيدٍ قال : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ : « إذا أكْثَبُوكُم - يَعْنِى المُشرِكِين - فارْمُوهُم واسْتَبْقُوا نَبْلَكُم »[9] .

وقال البَيْهَقِىُّ[10] : أخْبَرنا الحاكمُ ، أخْبَرَنا الأصَمُّ ، حَدَّثنا أحمدُ بنُ

---

(١) عبارة « وكان فى النظارة » ليست فى البخارى ، وهى عند أحمد فى المسند ١٢٤/٣ . كما سيأتى فى صفحة ٢٥٧ . والنظارة : جمع النظّار كشداد : الجاسوس على العدو يرقب تحركه ويتلمس أخباره . انظر بلوغ الأمانى ٢١٨/٢٢ .

(٢) سهم غرب : أى لا يعرف راميه ، أو لا يعرف من أين أتى ، أو جاء على غير قصدٍ من راميه . انظر فتح البارى ٦/ ٢٧.

(٣) أى النياحة .

(٤) أى ثكلتِ ، وهو بوزنه ، وقد يرد بمعنى المدح والإعجاب . انظر الفتح ٧/ ٣٠٥.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٥.

(٦) أى ابن إسحاق ، المصدر السابق ١/ ٦٢٥، ٦٢٦.

(٧) أى أحاطوا بكم . انظر اللسان (ك ن ف) .

(٨) البخارى (٣٩٨٤) .

(٩) أكثبوكم : أى قربوا منكم فأمكنوكم من أنفسهم . واستبقوا نبلكم : أى فى الحالة التى إذا رميتم بها لا تصيب غالبًا ، وإذا صاروا إلى الحالة التى يمكن فيها الإصابة غالبًا فارموا . انظر الفتح ٧/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(١٠) دلائل النبوة ٣/ ٧٠.

عبدِ الجبارِ، عن يونسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى [1]عمرُ بنُ[1] عبدِ اللَّهِ [2]ابنِ عُرْوةَ، عن عروةَ[2] بنِ الزُّبيرِ، قال: جَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ شِعارَ المُهاجِرين يومَ بدرٍ: يا بَنِى عبدِ الرحمنِ. وشعارَ الخَزْرَجِ: يا بنى عبدِ اللَّهِ. وشعارَ الأوْسِ: يا بنى عُبَيدِ اللَّهِ. وسَمَّى خَيْلَه: خيلَ اللَّهِ.

قال ابنُ هشامٍ[3]: كان شعارُ الصحابةِ يومَ بدرٍ: أَحَدٌ أحدٌ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى العَريشِ، معه أبو بكرٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، يعنى وهو يَسْتَغِيثُ اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى[5]: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا أبو نوحٍ قُرادٌ، ثنا عِكْرِمَةُ بنُ عَمّارٍ، ثنا سِماكٌ الحَنَفِىُّ أبو زُمَيْلٍ، حدَّثنى ابنُ عباسٍ، حدَّثنى عمرُ بنُ الخطابِ، قال: لمَّا كان يومُ بدرٍ، نَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أصحابِه وهم ثلاثُمائةٍ ونَيِّفٌ، ونَظَر إلى المُشرِكين، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ، فاسْتَقْبَل النبىُّ ﷺ القِبلةَ[7] وعليه رِداؤُه وإزارُه، ثُم قال[8]: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لى ما وَعَدْتَنى، اللهمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابَةُ

(١ - ١) سقط من: النسخ. والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١١، ١٤، ١٥.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٥) التفسير ٣/ ٥٥٨ - ٥٦٢.

(٦) المسند ١/ ٣٠. (إسناده صحيح).

(٧) بعده فى المسند: «ثم مد يديه».

(٨) بعده فى المسند: «اللهم أين ما وعدتنى». وفى ص: «اللهم أنجز لى ما وعدتنى».

مِن أَهلِ الإسلامِ ، فلا تُعْبَدْ بعدُ فى الأرضِ أبدًا » . قال : فما زال يَسْتَغِيثُ ربَّه ويَدْعُوه ، حتى سَقَط رِداؤُه ، فأتاه أبو بكرٍ فأخَذ رِداءَه فرَدَّه، ثُم الْتَزَمَه مِن ورائِه ، ثُم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، كَفاك[1] مُناشَدَتُك ربَّك، فإنَّه سيُنْجِزُ لك ما وَعَدك . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ . وذَكَر تَمامَ الحديثِ كما سيأْتِى . وقد رَواه مسلمٌ، وأبو داودَ ، والتِّرْمِذِىُّ، وابنُ جريرٍ ، وغيرُهم[2] ، مِن حديثِ عِكرِمَةَ بنِ عَمّارٍ اليَمَانِىِّ ، وصَحَّحه علىُّ بنُ المَدِينِىِّ ، والتِّرْمِذِىُّ . وهكذا قال غيرُ واحدٍ عن ابنِ عباسٍ ، والسُّدِّىُّ ، وابنُ جُرَيْجٍ[3] وغيرُهم ؛ أنَّ هذه الآيةَ نَزَلَتْ فى دُعَاءِ النبىِّ ﷺ يومَ بدرٍ[4] .

وقد ذَكَر الأُمَوِىُّ وغيرُه[5] ، أنَّ المُسلِمينَ عَجُّوا[6] إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فى الاستِغاثَةِ بجَنابِه ، والاستِعانَةِ به . وقولُه تعالى : ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ أى ؛ رِدْفًا لكم ومَدَدًا لفِئَتِكم . رَواه العَوْفِىُّ عن ابنِ عباسٍ ، وقاله مجاهدٌ وابنُ كَثيرٍ[7] ، وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ، وغيرُهم[8] . وقال أبو كُدَيْنَةَ ، عن قابُوسٍ ، [9]عن أبيه[9] ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ : وراءَ كلِّ ملَكٍ

---

(١) فى الأصل ، ص : « كذاك » .

(٢) مسلم (١٧٦٣) . وأبو داود (٢٦٩٠) . والترمذى (٣٠٨١) . والطبرى فى تفسيره ٩/ ١٨٩.

(٣) فى النسخ : « جرير » . وهو خطأ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ٩/ ١٨٩، ١٩٠. والتفسير ٣/ ٥٥٩.

(٥) انظر سبل الهدى والرشاد ٤/ ٥٩.

(٦) عج : رفع صوته وصاح . المحيط (ع ج ج) .

(٧) هو عبد الله بن كثير الدارى المكى ، أبو معبد القارئ . انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٦٨.

(٨) انظر تفسير الطبرى ٩/ ١٩٠، ١٩١. والتفسير ٣/ ٥٦٠.

(٩ - ٩) سقط من النسخ . والمثبت من التفسير ٣/ ٥٦٠، وتفسير الطبرى ٩/ ١٩١. وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٢٧.

ملَكٌ. وفى رِوايةٍ عنه بهذا الإسنادِ: ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ بعضُهم على أثَرِ بعضٍ[1]. وكذا قال أبو ظَبْيانَ، والضَّحّاكُ، وقَتادَةُ[1]. وقد روَى علىُّ بنُ أبى طَلْحةَ الوالِبِىُّ، عن ابنِ عباسٍ قال: وأمَدَّ اللَّهُ نبيَّه ﷺ والمؤمنينَ بألْفٍ مِن الملائكةِ، وكان جبريلُ فى خمسِمائةٍ مُجَنِّبَةٍ[2]، ومِيكائيلُ فى خمسِمائةٍ مُجَنِّبةٍ[3]. وهذا هو المشهورُ.

ولكنْ قال ابنُ جَرِيرٍ[4]: حدَّثَنى المُثَنَّى، حدَّثنا إسحاقُ، ثنا يعقوبُ بنُ محمدٍ الزُّهْرِىُّ، حدَّثنى عبدُ العزيزِ بنُ عِمرانَ، عن الزَّمْعِىِّ[5]، عن أبى الحُوَيْرِثِ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن علىٍّ قال: نَزَل جبريلُ فى ألفٍ مِن الملائكةِ عن[6] مَيْمَنَةِ النبىِّ ﷺ، وفيها أبو بكرٍ، ونَزَل ميكائيلُ فى ألفٍ مِن الملائكةِ عن[6] مَيْسَرَةِ النبىِّ ﷺ، وأنا فى المَيْسَرةِ. ورَواه البَيْهَقِىُّ فى «الدَّلائلِ»[7] مِن حديثِ محمدِ بن جُبَيْرٍ [٢/ ١٧٩و] عن علىٍّ، فزاد: ونَزَل إسْرافيلُ فى ألفٍ مِن الملائكةِ، وذَكَر[8] أنَّه طَعَن يومَئذٍ بالحَرْبَةِ حتى اخْتَضَبَتْ إبِطُه مِن الدماءِ، فذَكَر[8] أنَّه نَزَلَتْ ثلاثةُ آلافٍ مِن الملائكةِ. وهذا غريبٌ، وفى إسنادِه ضَعفٌ، ولو صَحَّ لكان فيه تقويةٌ لِمَا تَقَدَّم مِن الأقوالِ، ويُؤَيِّدُها قراءةُ مَن

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٩/ ١٩١. والتفسير ٣/ ٥٦٠.

(٢) مجنبة الجيش: هى التى تكون فى الميمنة والميسرة. وهما مجنبتان. النهاية ١/ ٣٠٣.

(٣) انظر تفسير الطبرى ٩/ ١٩٥. والتفسير ٣/ ٥٦٠.

(٤) تفسير الطبرى ٩/ ١٩٢. سورة الأنفال الآية ٩.

(٥) فى النسخ وتفسير الطبرى: «الربعى». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٧١، ١٨/ ١٧٨.

(٦) فى الأصل، م: «على».

(٧) دلائل النبوة ٣/ ٥٥.

(٨) أى علىٌّ، رضى اللَّه عنه، كما فى الدلائل.

قرأ : (بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ[1]) بفتحِ الدالِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البَيْهَقِيُّ[2] : أخْبَرَنا الحاكمُ ، أخْبَرَنا الأصَمُّ ، ثنا محمدُ بنُ سِنانٍ القَزّازُ ، ثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ [3]عبدِ المجيدِ[3] أبو عليٍّ الحَنَفيُّ ، حَدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مَوْهَبٍ ، أخْبَرَنى إسماعيلُ بنُ عَوْنِ[4] بنِ[5] [6]عُبَيدِ اللَّهِ[6] بنِ أبى رافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عُمرَ بنِ [7]عليِّ بنِ[7] أبى طالبٍ ، عن أبيه عن جَدِّه ، [8]عن عليٍّ[8] قال : لمَّا كان يومُ بدرٍ ، قاتَلْتُ شيئًا مِن قتالٍ ، ثُم جِئتُ مُسرِعًا لأنْظُرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ما فَعَل . قال : فجِئتُ فإذا هو ساجِدٌ يقولُ : « يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، يا حيُّ يا قيُّومُ » . لا يَزيدُ عليها ، فرَجَعْتُ إلى القتالِ ، ثُم جئتُ وهو ساجدٌ يقولُ ذلك أيضًا ، فذَهَبْتُ إلى القتالِ ، ثُم جئتُ وهو ساجدٌ يقولُ ذلك أيضًا ، حتى فَتَح اللَّهُ [9]على يدِه[9] . وقد رَواه النَّسائيُّ فى اليومِ والليلةِ[10] ، عن بُنْدارٍ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المجيدِ أبى عليٍّ الحَنَفِيِّ به[11] .

وقال الأعْمَشُ[12] ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) وهى قراءة نافع ، انظر حجة القراءات ص ٣٠٧.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٩، بنحوه .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عبد الحميد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٠٤.

(٤) فى م : « عوف » . وانظر المصدر السابق ٣/ ١٦٢.

(٥) وقع فى الدلائل : « عن » . وهو خطأ . وانظر المصدر السابق .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « عبد الله » . وانظر المصدر السابق .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦٢، ١٦/ ٩٣.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، م . وفى ص : « على » .

(٩ - ٩) فى الدلائل : « عليه » .

(١٠) النسائى فى الكبرى (١٠٤٤٧) ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب الاستنصار عند اللقاء .

(١١) سقط من : الأصل ، م .

(١٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٥٠، من طريق الأعمش به ، نحوه .

مسعودٍ قال : ما سَمِعْتُ مُناشِدًا يَنْشُدُ أشدَّ مِن مُناشَدَةِ محمدٍ ﷺ يومَ بدرٍ ، جَعَل يقولُ : « اللهُمَّ إنِّى أنْشُدُكَ عَهْدَكَ ووَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابَةُ لا تُعْبَدْ » . ثُم الْتَفَت وكأنَّ شِقَّ وجهِه القمرُ ، وقال : « كأنِّى أَنْظُرُ إلى مَصارِعِ القومِ عَشِيَّةً » . رَواه النسائىُّ مِن حديثِ الأعمشِ به[1] ، وقال[2] : لمَّا الْتَقَيْنا يومَ بدرٍ ، قام رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى[3] ، فما رأيتُ مُناشِدًا يَنْشُدُ حقًّا له ، أشَدَّ مُناشَدَةً مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وذَكَره .

وقد ثَبَت إخبارُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بمَواضِعِ مَصارِعِ رُءُوسِ المُشرِكِين يومَ بدرٍ ، فى « صحيحِ مسلمٍ » عن أنسِ بنِ مالكٍ ، كما تَقَدَّم[4] ، وسيَأْتِى فى « صحيحِ مسلمٍ » أيضًا عن عُمرَ بنِ الخطابِ . ومُقتضَى حديثِ ابنِ مسعودٍ ، أنَّه أخْبَر بذلك يوم الوَقْعَةِ ، وهو مُناسِبٌ ، وفى الحديثَيْن الآخَرَيْن عن أنسٍ وعُمرَ ، ما يَدُلُّ على أنَّه أخْبرَ بذلك قبلَ ذلك بيومٍ ، ولا مانِعَ مِن الجَمْعِ بينَ ذلك ، بأن يُخْبِرَ به قبلَ ذلك[5] بيومٍ وأكْثَرَ ، وأن يُخْبِرَ به قبلَ ذلك بساعةٍ يومَ الوَقْعَةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى البخارىُّ[6] ، مِن طرقٍ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال وهو فى قُبَّةٍ له يومَ بدرٍ : « اللَّهُمَّ أنْشُدُكَ عَهْدَكَ

---

(١) النسائى فى الكبرى (١٠٤٤٢) .

(٢) القائل هنا عبد اللَّه بن مسعود ، رضى اللَّه عنه .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) تقدم فى صفحة ٧٢ .

(٥) ليست فى النسخ ، وأثبتت ليستقيم المعنى مع ما قبلها وبعدها .

(٦) البخارى (٢٩١٥، ٣٩٥٣، ٤٨٧٥، ٤٨٧٧) .

ووَعْدَك ، اللَّهُمَّ إن شِئتَ لم تُعْبَدْ بعدَ اليومِ أبدًا » . فأخَذ أبو بكرٍ بيدِه وقال : حَسْبُكَ يا رسولَ اللَّهِ ، أَلْحَحْتَ على رَبِّك . فخَرَج وهو يَثِبُ فى الدِّرْعِ ، وهو يقولُ : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦] . وهذه الآيةُ مَكيةٌ ، وقد جاء تَصدِيقُها يومَ بدرٍ ، كما رَواه ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حَدَّثنا أبى ، ثنا أبو الرَّبيعِ الزَّهْرانىُّ ، ثنا حَمّادٌ ، عن أيوبَ ، عن عِكْرِمَةَ قال : لمَّا نَزَلَتْ ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ قال عُمرُ : أَىُّ جَمْعٍ يُهزَمُ ؟! وأىُّ جمعٍ يُغْلَبُ ؟! قال عمرُ : فلمَّا كان يومُ بدرٍ ، رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَثِبُ فى الدِّرعِ وهو يقولُ : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ، [2]فَعَرَفْتُ تَأْوِيلَها يومَئذٍ .

وروَى البخارىُّ[3] ، مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن يوسفَ بنِ ماهانَ ، سَمِع عائشةَ تقولُ : نُزِّلَ على محمدٍ ﷺ بمكَّةَ وإنِّى لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[2] .

وقال ابنُ إسحاقَ[4] : وجَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يُناشِدُ ربَّه ما وَعَدَه مِن النصرِ ، ويقولُ فيما يقولُ : « اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابَةُ [٢/ ١٧٩ظ] اليومَ ، لا تُعْبَدْ » . وأبو بكرٍ يقولُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، بعضَ مُناشَدَتِك ربَّك ، فإنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لك ما وَعَدَك . وقد خَفَق النبىُّ ﷺ خَفْقَةً[5] وهو فى العَرِيشِ ، ثُم انْتَبَهَ فقال :

---

(١) ذكره المصنف فى تفسيره ٤٥٧/٧ بسند ابن أبى حاتم ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٧/٦ إلى ابن أبى حاتم وغيره .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) البخارى (٤٨٧٦) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٧ .

(٥) سقط من : الأصل ، ص . وخفق : نام .

« أَبْشِرْ يا أبا بكرٍ ، أَتاك نصرُ اللَّهِ ، هذا جبريلُ آخِذٌ بِعِنانِ فَرَسِه يَقُودُه ، على ثَناياهُ النَّقْعُ » . يَعنِى الغُبارَ .

قال[1] : ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الناسِ فحَرَّضَهم وقال : « والَّذِى نفسُ محمدٍ بيدِه ، لا يُقاتِلُهم اليومَ رجلٌ ، فيُقْتَلُ صابرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غيرَ مُدْبِرٍ ؛ إلَّا أَدْخَلَه اللَّهُ الجنةَ » . فقال عُمَيْرُ بنُ الحُمامِ أخو بنى سَلِمَةَ ، وفى يدِه تَمَراتٌ يَأْكُلُهُنَّ : بَخٍ بَخٍ[2] أَفما بينى وبينَ [3]أن أدْخُلَ[3] الجنَّةَ إلَّا أن يَقْتُلَنى هؤلاءِ ؟! قال : ثُم قَذَف التمَراتِ مِن يدِه ، وأخَذ سيفَه فقاتَلَ القومَ حتى قُتِل ، رَحِمَه اللَّهُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا هاشمٌ ، ثنا[5] سُلَيمانُ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بَسْبَسةَ[6] عينًا ؛ يَنْظُرُ ما صَنَعَتْ عِيرُ أبى سفيانَ ، فجاء وما فى البيتِ أحدٌ غَيرِى وغيرُ النبىِّ ﷺ - قال : لا أدرى ما استثنى مِن بعضِ نسائِه - قال : فحَدَّثه الحديثَ . قال : فخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فتكَلَّم فقال : « إنَّ لنا طَلِبَةً[7] ، فمَنْ كان ظَهْرُه حاضِرًا ، فَلْيَرْكَبْ معنا » . فجَعَل رجالٌ يَسْتَأْذِنُونَه فى ظُهُورِهم فى عُلْوِ المدينةِ ، قال : « لا ، إلَّا مَنْ كان ظَهْرُه

---

(١) أى ابن إسحاق ، المصدر السابق .

(٢) بخ : كلمة تُقال عند الرضا والإعجاب بالشىء أو المدح أو الفخر .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المسند ٣/ ١٣٦.

(٥) فى الأصل ، م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٦٩.

(٦) فى م : « بَشبَسًا » ، وهو بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة . ووقع فى صحيح مسلم : « بُسَيْسَة » . بموحدة مصغرًا ، وانظر الإصابة ١/ ٢٨٨، وشرح صحيح مسلم ١٣/ ٤٤.

(٧) أى حاجة .

حاضِرًا » . وانْطَلَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه حتى سَبَقُوا المُشرِكِين إلى بدرٍ ، وجاء المُشرِكون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ منكم إلى شيءٍ ، حتى أَكُونَ أنا أُوذِنُهُ[1] » . فدنا المُشرِكون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُوموا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السماواتُ والأَرضُ » . قال : يقولُ عُمَيْرُ بنُ الحُمامِ الأنصاريُّ : يا رسولَ اللَّهِ ، جَنَّةٌ عرضُها السماواتُ والأرضُ ؟ قال : « نعم » . قال : بَخٍ بَخٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما يحمِلُك على قولِك[2] : بَخٍ بَخٍ ؟ » . قال: لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، إلَّا رَجاءَ أن أكُونَ مِن أهلِها . قال : « فَإِنَّكَ مِن أَهلِها » . قال : فأخْرَج تمَراتٍ مِن قَرَنِه[3] ، فجعَل يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُم قال : لَئِنْ أنا حَيِيتُ حتى آكُلَ تَمَراتى هذه ، إنَّها حياةٌ طويلةٌ . قال : فَرَمَى ما كان معه مِن التمرِ ، ثُم قاتَلَهم حتى قُتِلَ ، رَحِمَه اللَّهُ . ورَواه مسلمٌ[4] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى النَّضْرِ[5] ، وجماعةٍ ، عن أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ ، عن سُليمانَ بنِ المُغِيرَةِ به .

وقد ذَكَر ابنُ جريرٍ[6] أنَّ عُميرًا قاتَل وهو يقولُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه :

رَكْضًا إلى اللَّهِ بغيرِ زادِ ... إلَّا التُّقَى وعَمَلِ المَعادِ
والصَّبْرِ فى اللَّهِ على الجِهادِ ... وكلُّ زادٍ عُرضَةُ النَّفادِ
غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ

---

(١) فى الأصل ، م : « دونه » .
(٢) فى الأصل ، م : « قول » ، وفى ص : « قومك » .
(٣) القَرَن بالتحريك : جعبة من جلود تشق ويجعل فيها النُّشَّاب ، وهو النبل . انظر النهاية ٤/ ٥٥.
(٤) مسلم (١٩٠١) .
(٥) فى النسخ : « شيبة » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٤٩.
(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٨. حوادث السنة الثانية .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا حَجَّاجٌ ، حدَّثنا إسْرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حارِثَةَ بنِ مُضرِّبٍ ، عن علىٍّ قال : لمَّا قَدِمْنا المدينةَ أصَبْنا مِن ثِمارِها ، فاجْتَوَيْناها[2] ، وأصابَنا بها وَعْكٌ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَبَّرُ[3] عن بدرٍ ، فلمَّا بَلَغَنا أنَّ المُشرِكِين قد أقْبَلُوا ، سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بدرٍ ، وبدرٌ بِئْرٌ ، فسَبَقْنا المُشرِكِين[4] إليها ، فوَجَدْنا فيها رَجُلَيْن منهم[5] ؛ رجلًا مِن قُريشٍ ، ومَوْلًى لِعُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ ، فأمّا القُرَشِىُّ فانْفَلَتَ ، وأمّا المَوْلَى فأخَذْناه[6] ، فجَعَلْنا نقولُ له : كم القومُ ؟ فيقولُ : هُم واللَّهِ كثيرٌ عَدَدُهم ، شديدٌ بَأْسُهم . فجَعَل المُسلِمون إذا قال ذلك ضَرَبُوه ، حتى انْتَهَوْا به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له : « كم القومُ ؟ » . قال : هم واللَّهِ كثيرٌ عددُهم ، شديدٌ بَأْسُهم . فجَهِد النبىُّ ﷺ أن يُخْبِرَه كم هم ، فأبَى ، ثُم إنَّ النبىَّ ﷺ [٢/ ١٨٠و] سَأَله : « كم يَنْحَرُون مِن الجُزُرِ[7] ؟ » فقال : عَشْرًا كلَّ يومٍ . فقال النبىُّ ﷺ : « القومُ ألْفٌ ، كُلُّ جَزُورٍ لمائةٍ وَتَبَعِها » . ثُم إنَّه أصابَنا مِن الليلِ طَشٌّ مِن مَطَرٍ ، فانْطَلَقْنا تحتَ الشجرِ والحَجَفِ ؛ نَسْتَظِلُّ تحتَها مِن المطرِ ، وبات رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدعُو ربَّه

---

(١) المسند ١/ ١١٧. (إسناده صحيح).

(٢) أى ؛ أصابهم الجَوَى : وهو المرض ، وداء الجوف إذا تطاول ، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها . النهاية ١/ ٣١٨.

(٣) فى الأصل ، ص : « يتخير » ، وفى م : « يتحيز » . والمثبت من المسند .

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « المشركون » بالرفع . وفى بعض نسخ المسند : « المشركين » . انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب حديث رقم (٩٤٨) .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٦) فى النسخ : « فوجدناه » . والمثبت من المسند .

(٧) بعده فى ص : « كل يوم » .

ويقولُ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هذه الفِئَةَ[1] ؛ لا تُعْبَدْ » . فلمَّا طَلَع الفجرُ نادَى : « الصلاةَ عبادَ اللَّهِ » . فجاء الناسُ مِن تحتِ الشجرِ والحَجَفِ ، فصَلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وحَرَّضَ على القتالِ ، ثُم قال : « إِنَّ جَمْعَ قُرَيشٍ تحتَ هذه الضِّلَعِ[2] الحَمْراءِ مِن الجبلِ » . فلمَّا دنا القومُ مِنّا وصافَفْناهم ، إذا رجلٌ منهم على جَمَلٍ له أحمرَ ، يَسِيرُ فى القومِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عليُّ ، نادِ لى حمزةَ - وكان أقْرَبَهم مِن المُشرِكِين - مَن صاحبُ الجملِ الأحمرِ [3]وماذا يقولُ لهم ؟ » ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن يكنْ فى القومِ أحدٌ يأمرُ بخيرٍ ، فعسى أن يكونَ صاحبَ الجملِ الأحمرِ »[3] . فجاء حمزةُ فقال : هو عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، وهو يَنْهَى عن القتالِ ، ويقولُ لهم : يا قومِ ، [3]إنى أرى قومًا مستميتين ، لا تَصِلون إليهم وفيكم خيرٌ ، ياقومِ[3] ، اعْصِبُوها اليومَ برأسى[4] ، وقُولُوا : جَبُن عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ ، وقد علمْتم أنِّى لستُ بأجْبَنِكم . فسَمِع ذلك أبو جهلٍ فقال : أنت تقولُ ذلك ؟! واللَّهِ لو غيرُك يقولُه ؛ لَأَعْضَضْتُه[5] ، قد مَلَأَتْ رِئَتُك جَوْفَك رُعْبًا . فقال : إيَّاىَ تُعَيِّرُ يا مُصَفِّرَ اسْتِهِ ؟! ستَعلَمُ[6] اليومَ أيُّنا الجبانُ . فبَرَزَ عُتْبَةُ وأخوه شَيْبَةُ وابنُه الوليدُ ؛ حَمِيَّةً ، فقالوا : مَن يُبارِزُ ؟ فخَرَج فِتْيَةٌ مِن الأنصارِ شَبَبَةٌ[7] ،

---

(١) فى الأصل : « العصبة » .

(٢) الضلَع : جبيل منفرد صغير ، ليس بمُنْقاد ، يُشبَّه بالضلع . النهاية ٣/ ٩٦.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) اعصبوها برأسى : يريد السُّبَّة التى تلحقهم بترك الحرب والجنوح إلى السلم ، فأضمرها اعتمادا على معرفة المخاطَبين ، أى اقرُنوا هذه الحال بى وانسبوها إلىّ وإن كانت ذميمة . النهاية ٣/ ٢٤٤.

(٥) أى قلت له : اعضض بأير - بذَكَر - أبيك ... تنكيلا له وتأديبا . النهاية ٣/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٦) فى الأصل ، م : « سيعلم » .

(٧) سقط من : ص ، وفى م : « مشيبة » و « شَبَبة : جمع شابّ ، مثل : كامل وكَمَلَه . وجاء فى مسند أحمد « سِتَّة » . قال ابن الأثير بعد أن ذكر الحديث : « وقد صحّفه بعضهم : ستَّة ، وليس بشىء » . النهاية ٢/ ٤٣٨ .

فقال عُتْبةُ : لا نُريدُ هؤلاءِ ، ولكنْ يُبارِزُنا مِن بنى عَمِّنا مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُمْ يا علىُّ ، وقُمْ يا حمزةُ ، وقُمْ يا عُبَيْدَةَ بنَ الحارِثِ ابنِ المُطَّلِبِ » . فقَتَلَ اللَّهُ عُتْبةَ وشَيْبَةَ ابْنَىْ رَبِيعَةَ ، والوليدَ بنَ عُتْبةَ ، وجُرِح عُبَيدةُ ، فقَتَلْنا منهم سبعين ، وأسَرْنا سبعين ، وجاء رجلٌ مِن الأنصارِ قصيرٌ[1] بالعباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ أسيرًا ، فقال العباسُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ هذا واللَّهِ ما أسَرَنى ، لقد أسَرَنى رجلٌ أجْلَحُ ، مِن أحْسَنِ الناسِ وجهًا ، على فَرَسٍ أبْلَقَ ، ما أراه فى القومِ . فقال الأنصارىُّ : أنا أسَرْتُه يا رَسولَ اللَّهِ . فقال : « اسْكُتْ ، فقد أيَّدَك اللَّهُ بمَلَكٍ كريمٍ » . قال[1] : فأسَرْنا[2] من بنى عبدِ المُطَّلِبِ ؛ العباسَ ، وعَقِيلًا ، ونَوْفَلَ بنَ الحارِثِ . هذا سِياقٌ حسنٌ ، وفيه شواهدُ لِمَا تَقَدَّم ولِمَا سيَأْتِى . وقد تَفَرَّد بطُولِه الإمامُ أحمدُ . وروَى أبو داودَ بعضَه مِن حديثِ إسْرائيلَ به[3] .

ولمَّا نَزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مِن العَرِيشِ ، وحَرَّض الناسَ على القتالِ ، والناسُ على مَصافِّهِم صابِرِين ، ذاكِرِين اللَّهَ كثيرًا ، كما قال اللَّهُ تعالى آمِرًا لهم[4] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الآية [الأنفال : ٤٥] .

وقال الأُمَوِىُّ : حَدَّثنا معاويةُ بنُ عَمرٍو ، عن أبى إسحاقَ قال : قال

---

(١) بعده فى المسند : « على » .

(٢) بعده فى المسند : « وأسرنا » .

(٣) أبو داود (٢٦٦٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٢١) .

(٤) انظر التفسير ٤/ ١٤، ١٥.

الأَوْزاعِيُّ : كان يُقالُ : قلَّما ثَبَت قومٌ قِيامًا ، فمَنِ اسْتَطاعَ عندَ ذلك أن يَجْلِسَ ، أو يَغُضَّ طَرْفَه ، ويَذْكُرَ اللَّهَ ، رَجَوْتُ أن يَسْلَمَ مِن الرِّياءِ .

وقال عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ يومَ بدرٍ لأصحابِه : ألا تَرَوْنَهم ، يعنى أصحابَ النبىِّ ﷺ ، جُثِيًّا على الرُّكَبِ ، كأنَّهم حرسٌ يَتَلَمَّظُون كما تَتَلَمَّظُ الحيَّاتُ[1] . أو قال : الأفاعِى .

قال الأُمَوِىُّ فى « مَغازِيه » : وقد كان النبىُّ ﷺ ، حينَ حَرَّض المُسلِمِين على القتالِ ، قد نَفَل كُلَّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : « والَّذِى نفسى بيدِه ، لا يُقاتِلُهم اليومَ رَجُلٌ ، فيُقْتَلُ[2] صابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غيرَ مُدبِرٍ ، إلَّا أدْخَلَه اللَّهُ الجنَّةَ » . وذَكَر قِصَّةَ عُمَيْرِ بنِ الحُمامِ ، كما تَقَدَّم .

وقد قاتَل بنفسِه الكريمةِ قتالًا شديدًا ببَدَنِه ، وكذلك أبو بكرٍ الصدِّيقُ ، كما كانا فى العَرِيشِ يُجاهِدان بالدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ ، ثُم نَزَلا ، فحَرَّضا وحَثَّا على القتالِ ، وقاتلا بالأبدانِ ؛ جَمْعًا بينَ المَقامَين الشريفَين .

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثنا وَكِيعٌ ، حَدَّثنا إسْرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حارِثَةَ بنِ مُضَرِّبٍ ، [٢/ ١٨٠ظ] عن علىٍّ قال : لقد رَأَيْتُنا يومَ بدرٍ ، ونحنُ نَلُوذُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو أقْرَبُنا إلى العَدُوِّ ، وكان مِن أشدِّ الناسِ يومَئذٍ بَأْسًا .

ورَواه النَّسائىُّ[4] ، مِن حديثِ أبى إسحاقَ ، عن حارثةَ ، عن علىٍّ قال :

---

(١) أى تخرج لسانها .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) المسند ١/ ٨٦. (إسناده صحيح) .

(٤) النسائى فى الكبرى (٨٦٣٩) .

كُنَّا إذا حَمِىَ البَأْسُ ولقِىَ القومُ ، اتَّقَيْنا[1] برسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حَدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، حدَّثنا مِسْعَرٌ ، عن أبى عَوْنٍ ، عن أبى صالحٍ الحَنَفِىِّ ، عن علىٍّ قال : قِيل لعلىٍّ ولأبى بكرٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، يومَ بدرٍ : مع أَحَدِكما جبريلُ ، ومع الآخَرِ مِيكائيلُ ، وإسْرافيلُ مَلَكٌ عظيمٌ ، يَشْهَدُ القتالَ ولا يُقاتِلُ . أو قال : يَشْهَدُ الصَّفَّ .

وهذا يُشبِهُ ما تَقَدَّمَ[3] مِن الحديثِ ؛ أنَّ أبا بكرٍ كان فى المَيْمَنَةِ ، ولمَّا تَنَزَّلَ الملائكةُ يومَ بدرٍ تنزيلًا ، كان جبريلُ على أحدِ المُجَنِّبَتَيْن فى خمسِمائةٍ مِن الملائكةِ ، فكان فى المَيمنةِ مِن ناحيةِ أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، وكان مِيكائِيلُ على المُجَنِّبةِ الأُخرَى فى خمسِمائةٍ مِن الملائكةِ ، فوَقَفُوا فى المَيْسرةِ ، وكان علىُّ بنُ أبى طالبٍ فيها .

[4]وفى حديثٍ رَواه أبو يَعلى[5] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن علىٍّ قال : كنتُ أَمْتَحُ[6] على القَلِيبِ يومَ بدرٍ ، فجاءت ريحٌ شديدةٌ ، ثُم أُخرَى ثُم أُخرى ، فنَزَل ميكائيلُ فى أَلْفٍ مِن الملائكةِ ، فوَقَف على يمينِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهناك أبو بكرٍ ، وإسْرافيلُ فى ألفٍ فى المَيْسرةِ وأنا فيها ، وجبريلُ فى[4]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى السنن : « بعثنا » . وفى بعض نسخها : « ألفينا » .

(٢) المسند ١/ ١٤٧ . (إسناده صحيح) .

(٣) تقدم فى صفحة ١٠٢ .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) مسند أبى يعلى (٤٨٩) . وقال البوصيرى فى مختصر الإتحاف ٧/ ١٢ : رواه أبو يعلى الموصلى بسند ضعيف . وقد ذكره المصنف هنا بمعناه .

(٦) فى الأصل ، م : « أسبح » . والمثبت من مصدر التخريج . ومتح الماء : نزعه واستخرجه .

[1]أَلْفٍ . قال : ولقد طَعَنْتُ[2] يومَئذٍ حتى بَلَغ الدَّمُ[3] إبطى[1] .

وقد ذكَر صاحبُ « العِقْدِ »[4] وغيرُه ، أنَّ أفْخَرَ بيتٍ قالتْه العربُ ، قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ :

وببئرِ[5] بَدْرٍ إذ [6]يَكُفُّ مَطِيَّهُم[6] جبريلُ تحتَ لِوائِنا ومحمدُ

وقد قال البخاريُّ[7] : حَدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن يحيى ابنِ سعيدٍ ، عن مُعاذِ بنِ رِفاعَةَ بنِ رافِعٍ الزُّرَقِيِّ ، عن أبيه ، وكان أبوه مِن أهلِ بدرٍ ، قال : جاء جبريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : ما تَعُدُّون أهلَ بدرٍ فيكم ؟ قال : « مِن أفضلِ المُسلِمِينَ » . أو كلمةً نحوَها . قال : وكذلك مَن شَهِد بدرًا مِن الملائكةِ . انْفَرَد به البخاريُّ .

وقد قال اللَّهُ تعالى[8] : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ يَعنِى الرءُوسَ ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[9] مِن طريقِ عِكْرِمَةَ بنِ عَمّارٍ ، عن أبى زُمَيْلٍ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « طفت » .

(٣) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) وهو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى ، العقد الفريد ٦/ ١٠٦ .

(٥) كذا فى النسخ . وفى العقد : « بيوم » .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى العقد : « يرد وجوههم » .

(٧) البخارى (٣٩٩٢) .

(٨) التفسير ٣/٥٦٢ - ٥٦٦ .

(٩) مسلم (١٧٦٣) .

حَدَّثنى ابنُ عباسٍ قال : بينَما رجلٌ مِن المُسلِمِين يومَئِذٍ[1] يَشْتَدُّ فى أثَرِ رجلٍ مِن المُشرِكِين أمامَه ، إذْ سَمِع ضربةً بالسَّوْطِ فوقَه ، وصوتَ الفارسِ يقولُ : أَقْدِمْ حيْزُومُ . إذ نَظَر إلى المُشْرِكِ أمامَه قد خَرَّ مُسْتَلْقِيًا ، فنَظَر إليه فإذا هو قد خُطِم أَنْفُه[2] وشُقَّ وجهُه كضَرْبةِ السَّوْطِ ، فاخْضَرَّ ذلك أجْمَعُ ، فجاء الأنصارىُّ فحَدَّث ذاك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « صَدَقْتَ ، ذلك مِن مَدَدِ السماءِ الثَّالثةِ » . فقَتَلُوا يومَئذٍ سبعينَ ، وأسَرُوا سبعينَ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : حَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ حَزْمٍ ، عمَّن حَدَّثه عن ابنِ عباسٍ ، عن رجُلٍ مِن بنى غِفارٍ قال : حضَرْتُ أنا وابنُ عَمٍّ لى بَدْرًا ، ونحنُ على شِرْكِنا ، فإنَّا لَفِى جبلٍ نَنْتَظِرُ الوَقْعَةَ على مَن تكونُ الدَّبْرةُ[4] ، فنَنْتَهِبُ[5] فأقْبَلَتْ سَحابَةٌ ، فلمَّا دَنَتْ مِن الجبلِ ، سَمِعْنا منها حَمْحَمَةَ الخيلِ ، وسَمِعْنا فارسًا[6] يقولُ : أَقْدِمْ حيزومُ . فأمّا صاحِبى فانْكَشَف قِناعُ قلبِه ، فمات[7] مكانَه ، وأمّا أنا فَكِدْتُ أن أهْلِكَ ، ثُم [8]انْتَعَشْتُ بعدَ ذلك[8] .

وقال ابنُ إسحاقَ[9] : وحَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، عن بعضِ بنى

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج . والخطم : الأثر على الأنف .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٣. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٥٢ عن ابن إسحاق به .

(٤) فى الأصل ، م : « الدائرة » . والدبرة : الهزيمة فى القتال . الوسيط (د ب ر) .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل ، م : « قائلًا » .

(٧) سقط من : ص .

(٨ - ٨) فى الأصل والسيرة : « تماسكت » .

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٣. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٥٢، ٥٣ ، عن ابن إسحاق بسياق أطول .

ساعِدَةَ ، عن أبى أُسَيدٍ مالكِ بنِ رَبِيعَةَ ، وكان شَهِد بدرًا ، قال بعدَ أنْ ذَهَبَ بصرُه : لو كنتُ اليومَ ببدرٍ ومعى بَصَرى ؛ لأَرَيْتُكم الشِّعْبَ الذى خَرَجتْ منه الملائكةُ ، لا أَشُكُّ فيه ولا أَتَمارَى .

(١) فلمَّا نَزَلَتِ الملائكةُ ورآها إبليسُ ، وأوْحَى اللَّهُ إليهم (٢) : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال : ١٢] . وتَثْبِيتُهم [١/ ١٨١و] أنَّ الملائكةَ كانت تأتى الرَّجُلَ فى صورةِ الرجلِ يَعْرِفُه ، فيقولُ له : أبْشِرُوا فإنَّهم ليسوا بشىءٍ ، واللَّهُ معكم ، كُرُّوا عليهم . ولمَّا رَأَى إبليسُ الملائكةَ ، ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . وهو فى صورةِ سُراقَةَ ، وأقْبَل أبو جهلٍ يُحَرِّضُ أصحابَه ويقولُ : لا يَهُولَنَّكم خِذْلانُ سُراقَةَ إيَّاكم ، فإنَّه كان على موعدٍ مِن محمدٍ وأصحابِه . ثُم قال : واللَّاتِ والعُزَّى ، لا نَرْجِعُ حتى نُفَرِّقَ محمدًا وأصحابَه فى الجبالِ ، فلا تَقْتُلُوهم وخُذُوهُم أَخْذًا .

وقال الواقِدِىُّ (٣) : حَدَّثنى ابنُ أبى حَبيبةَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان المَلَكُ يَتَصَوَّرُ فى صورةِ مَن يَعْرِفُون ، فيقولُ : إنِّى قد دَنَوْتُ منهم وسَمِعْتُهم يقولون : لو حَمَلُوا علينا ما ثَبَتْنا . ليسوا بشىءٍ . إلى غيرِ ذلك مِن القولِ ، فذلك قولُه : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية .

ورَوَى البَيْهَقِىُّ (٤) ، مِن طريقِ سلامةَ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن أبى

---

(١) من هنا إلى نهاية الفقرة زيادة من الدلائل على السيرة بنفس الإسناد السابق .

(٢) التفسير ٣/٥٦٢ - ٥٦٧.

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٧٩.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٥٣.

حازمٍ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ قال: قال أبو أُسيدٍ، بعدَما ذَهَب بصرُه: يا بنَ أخى، واللَّهِ لو كنتُ أنا وأنت ببدرٍ، ثُم أطْلَقَ اللَّهُ بَصَرى، لأَرَيْتُك الشِّعْبَ الذى خَرَجَتْ علينا منه الملائكةُ، مِن غيرِ شَكٍّ ولا تَمارٍ.

ورَوَى البخارىُّ[1]، عن إبراهيمَ بنِ موسى، عن عبدِ الوَهّابِ، عن خالدٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ بدرٍ: «هذا جبريلُ آخِذٌ برَأْسِ فَرَسِه، وعليه أَداةُ الحَرْبِ».

وقال الواقِدِىُّ[2]: حدَّثنا ابنُ أبى حَبيبةَ، عن داودَ بنِ الحصينِ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، وأخْبَرَنى موسى بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمِىُّ، عن أبيه، وحدَّثنى عائذُ[3] بنُ يحيى، عن أبى الحُوَيرِثِ، عن عُمارةَ بنِ أُكَيْمَةَ اللَّيْثِىِّ[4]، عن حَكِيمِ بنِ حِزامٍ، قالوا: لمَّا حَضَر القتالُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ رافِعٌ يَدَيْه، يسألُ اللَّهَ النصرَ وما وَعَدَه، يقولُ: «اللَّهُمَّ إنْ ظَهَرُوا على هذه العِصابَةِ، ظَهَرَ الشِّرْكُ، ولا يَقُومُ لك دِينٌ». وأبو بكرٍ يقولُ: واللَّهِ لَيَنْصُرَنَّك اللَّهُ، ولَيُبَيِّضَنَّ وجهَك. فأنْزَل اللَّهُ ألفًا مِن الملائكةِ مُرْدِفِينَ، عندَ أَكْتافِ[5] العَدُوِّ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أبْشِرْ يا أبا بكرٍ، هذا جبريلُ مُعْتَجِرٌ بعِمامَةٍ

---

(١) البخارى (٣٩٩٥).

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٥٣، ٥٤، من ثلاث طرق عن الواقدى بهم، وأخرجه الواقدى فى مغازيه ١/ ٨١ بسياقات مختلفة.

(٣) فى الأصل: «عائد». وفى م، ص: «عابد». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤١٤، ٤١٥.

(٤) بعده فى م: «عن عكرمة». وهو خطأ.

(٥) فى م: «اكتناف». وفى مغازى الواقدى: «أكناف».

صَفْراءَ، آخِذٌ بِعِنانِ فَرَسِه بينَ السماءِ والأرضِ، فلمَّا نَزَل إلى الأرضِ تَغَيَّبَ عنِّى ساعةً، ثُمَّ طَلَعَ وعلى ثَناياهُ النَّقْعُ[1]، يقولُ: أتاكَ نصرُ اللَّهِ إذْ دَعَوْتَه». ورَوَى البَيْهَقِيُّ[2]، عن أبى أُمامَةَ [3]بنِ سَهْلٍ[3]، عن أبيه قال: يا بُنَىَّ[4]، لقد رَأَيْتُنا يومَ بدرٍ وإنَّ أحَدَنا لَيُشِيرُ إلى رَأْسِ المُشرِكِ، فيَقَعُ رأسُه عن جسدِه، قبلَ أن يَصِلَ إليه السيفُ.

وقال ابنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنى والدِى، حدَّثنى رجالٌ مِن بنى مازِنٍ، عن أبى واقِدٍ اللَّيْثِىِّ قال: إنِّى لأَتْبَعُ رجلًا مِن المشركين [6]يومَ بدرٍ[6] لِأَضْرِبَه، فوقَع رأسُه قبلَ أن يَصِلَ إليه سيفى، فعرَفتُ أنَّ غيرى قد قتَله.

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[7]، عن عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ التَّيْمِىِّ، عن الرَّبِيعِ بنِ أنسٍ قال: كان الناسُ يَعْرِفون قتلَى الملائكةِ ممن قتَلوهم، بضربٍ فوقَ الأَعناقِ وعلى البَنانِ، مثلَ سِمَةِ النارِ وقد أُحْرِقَ به.

[8]وقال ابنُ إسحاقَ[9]: حدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان سِيمَا الملائكةِ يومَ بدرٍ عمائمَ بِيضًا قد[10] أَرْخَوْها على ظهورِهم،[8]

---

(١) النقع: الغبار.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٥٦.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى ص: «يا نبى اللَّه».

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٣.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/١٧٢، إلى ابن أبى حاتم.

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) سيرة ابن إسحاق ١/ ٦٣٣.

(١٠) من هنا إلى نهاية الأثر ليس من كلام ابن عباس فى رواية ابن إسحاق، وإنما هو من كلام على =

(١) إلَّا جبريلَ فإنَّه كانت عليه عِمامةٌ صفراءُ.

وقد قال ابنُ عباسٍ(٢): لم تُقاتِلِ الملائكةُ فى يومٍ سوى يومِ بدرٍ مِن الأيامِ، وكانوا يَكُونون فيما سواه مِن الأيامِ عددًا ومَددًا، لا يَضْرِبون.

وقال الواقِدىُّ(٣): حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ موسى بنِ أبى أُمَيَّةَ، عن مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن مولًى لسُهَيْلِ بنِ عَمرٍو، سَمِعتُ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو يقولُ: لقد رأيتُ يومَ بدرٍ [٢/ ١٨١ظ] رجالًا بِيضًا على خيلٍ بُلْقٍ(٤)، بينَ السماءِ والأرضِ مُعْلِمِين(٥)، يَقْتُلُون ويَأْسِرُون، وكان أبو أُسَيْدٍ يُحَدِّثُ بعدَ أن ذهَب بصرُه قال: لو كنتُ معكم الآنَ ببدرٍ ومعى بَصَرى، لَأَرَيْتُكم الشِّعْبَ الذى خرَجَتْ منه الملائكةُ، لا أَشُكُّ ولا أَمْتَرِى.

قال(٦): وحَدَّثنى خارِجَةُ بنُ إبراهيمَ، عن أبيه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لجبريلَ: «مَنِ القائلُ يومَ بدرٍ مِن الملائكةِ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ؟». فقال جبريلُ: «يا محمدُ، ما كُلُّ أهلِ السماءِ أَعْرِفُ»(١).

= ابن أبى طالب فى رواية ابن هشام التالية لها فى السيرة، ولعله وقع انتقال نظر من المصنف من الأثر الأول إلى الثانى؛ لتشابه الكلام. وتتمة كلام ابن عباس: «أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم حُمرًا». انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٣. وانظر سبل الهدى والرشاد ٤/ ٦٨.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٤.

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٧٦.

(٤) بلق: جمع أبلق وهو ما كان فيه سواد وبياض. الوسيط (ب ل ق).

(٥) المعلِم: من جعل لنفسه علامة فى الحرب. الوسيط (ع ل م).

(٦) مغازى الواقدى ١/ ٧٧.

(١) قلتُ : وهذا الأثرُ مُرسَلٌ ، وهو يَرُدُّ قولَ مَن زعَم أنَّ حَيْزُومَ اسمُ فرسِ جبريلَ ، كما قالَه السُّهَيْلِيُّ وغيرُه[٢] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الواقِدِيُّ[٣] : حَدَّثنى إسحاقُ بنُ يحيى ، عن حمزةَ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أبيه قال : فما أَدْرِى كم يدٍ مَقطُوعةٍ ، وضربةٍ جائِفةٍ لم يَدْمَ كَلْمُها[٤] ، قد رأيتُها يومَ بدرٍ .

وحدثنى[٥] محمدُ بنُ يحيى ، عن (٦أبى عُفَيْرٍ ، عن رافعِ بنِ خَدِيجٍ٦) ، عن أبى بُرْدَةَ بنِ نِيَارٍ قال : جئتُ يومَ بدرٍ بثلاثةِ أَرْؤُسٍ ، فوضَعْتُهنَّ بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : أمَّا رَأْسانِ فقَتَلْتُهما ، وأمَّا الثالثُ فإنِّى رأيتُ رجلًا طويلًا (٧ضرَبه ، فتَدَهْدَى[٨] أمامَه٧) ، فأخذتُ رأسَه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذاك فُلانٌ مِنَ الملائكةِ » .

وحَدَّثنى[٩] موسى بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه قال : كان السائِبُ بنُ أبى حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ فى زمنِ عُمرَ يقولُ : واللَّهِ ما أسَرَنى أحدٌ مِن الناسِ . فيقالُ : فمَنْ ؟ يقولُ : لمَّا انهَزَمَتْ قُريشٌ ، انهزمتُ معها ، فأَدْرَكَنى رجلٌ أبيضُ (١٠(١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الروض الأنف ٥/ ١٣٨، ١٣٩.

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٧٨.

(٤) أى لم يخرج من جرحها دم .

(٥) المصدر السابق ١/ ٧٨، ٧٩.

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « أبى عقيل » . والمثبت من المغازى . وانظر الإكمال ٦/ ٢٢٦، والمشتبه فى الرجال للذهبى ٢/ ٤٨٧.

(٧ - ٧) بياض فى الأصل . وفى م : « قتله » . والمثبت من المغازى .

(٨) تدهدى : تدحرج . النهاية ٢/ ١٤٣.

(٩) مغازى الواقدى ١/ ٧٩.

(١٠) فى الأصل ، م : « أشعر » . والمثبت من المغازى وحاشية الأصل .

(١) طويلٌ، على فرسٍ أبيضَ (٢) بينَ السماءِ والأرضِ (٢)، فأوْثَقَنى رِباطًا، وجاء عبدُ الرحمنِ بنُ عَوفٍ فوَجَدَنى مربوطًا، فنادَى فى العسكرِ (٣): مَن أسَر هذا (٤)؟ حتى انتَهَى بى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «مَن أسَرَك؟». قلتُ: لا أعْرِفُه. وكَرِهْتُ أن أُخْبِرَه بالذى رأيتُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أسَرَكَ مَلَكٌ مِن الملائكةِ، اذْهَبْ يا بنَ عَوفٍ بأَسيرِك».

وقال الواقِدىُّ (٥): حدثنى عائذُ (٦) بنُ يحيى، حدثنا أبو الحُوَيْرِثِ، عن عُمارةَ بنِ أُكَيْمَةَ، عن حَكِيمِ بنِ حِزامٍ قال: لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ، وقد وقَع (٧) بوادى خَلْصٍ (٧) بِجادٌ (٨) مِن السماءِ قد سَدَّ الأُفُقَ، فإذا الوادى يَسِيلُ نَمْلًا (٩)، فوقَع فى نفسى أنَّ هذا شىءٌ مِن السماءِ أُيِّد به محمدٌ، فما كانت إلَّا الهزيمةُ، وهى (١٠) الملائكةُ.

وقال إسحاقُ بنُ رَاهَوَيْهِ (١١): حَدَّثنا وَهْبُ بنُ جريرِ بنِ حازمٍ، حدثنى أبى، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدثنى أَبى، عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قال: رأيتُ قبلَ هزيمةِ (١)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى المغازى: «المعسكر».

(٤) بعده فى المغازى: «فليس أحد يزعم أنه أسرنى».

(٥) مغازى الواقدى ١/ ٨٠.

(٦) فى م: «عابد».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، م. والمثبت من المغازى.

(٨) البجاد: الكساء. وجمعه بُجُد. النهاية ١/ ٩٦.

(٩) فى م: «نهلا».

(١٠) فى م: «لقى».

(١١) عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية ٢/ ٢١١، ٢١٢، إلى إسحاق بن راهويه، وقال: هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبير.

(١) القومِ ، والناسُ يَقْتَتِلون ، مِثلَ البِجادِ الأسودِ قد نزَل من السماءِ مثلَ النملِ الأسودِ ، فلم أشُكَّ أنَّها الملائكةُ ، فلم يَكُنْ إلَّا هزيمةُ القومِ (١) .

ولمَّا تَنزَّلَتِ الملائكةُ للنصرِ ، ورآهم رسولُ اللَّهِ ﷺ حين أَغْفَى إغفاءةً ثم استَيْقَظَ ، وبَشَّر بذلك أبا بكرٍ وقال : « أَبْشِرْ يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ يَقُودُ فرسَه ، على ثَناياه النَّقْعُ » . يَعنِى مِن المعركةِ ، ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ من العَريشِ فى الدِّرْعِ ، فجعَل يُحَرِّضُ على القتالِ ، ويُبَشِّرُ الناسَ بالجنةِ ، ويُشَجِّعُهم بنزولِ الملائكةِ ، والناسُ بعدُ على مَصَافِّهم لم يَحْمِلوا على عدوِّهم ، حصَل لهم السكينةُ والطُّمَأْنِينَةُ ، وقد حصَل النُّعاسُ الذى هو دليلٌ على الطمأنينةِ والثباتِ والإيمانِ ، كما قال (٢) : (إِذْ يَغْشَاكُمُ (٣) النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ) [الأنفال : ١١] .

وهذا كما حصَل لهم بعدَ ذلك يومَ أُحُدٍ بنصِّ القرآنِ ، ولهذا قال ابنُ مسعودٍ (٤) : النعاسُ فى المَصافِّ مِن الإيمانِ ، والنعاسُ فى الصلاةِ من النفاقِ . وقال اللَّهُ تعالى (٥) : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۖ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

قال الإمامُ أحمدُ (٦) : حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) التفسير ٣/ ٥٦٢، ٥٦٣.

(٣) فى م : « يُغَشِّيكُمُ » بضم الياء وتشديد الشين ، ونصب « النعاس » . وهى قراءة ابن عامر وأهل الكوفة . والمثبت موافق لقراءة أبى عمرو وابن كثير . انظر حجة القراءات ص ٣٠٨ .

(٤) تفسير الطبرى ٤/ ١٤١، ٩/ ١٩٣.

(٥) التفسير ٣/ ٥٧٢، ٥٧٣.

(٦) المسند ٥/ ٤٣١.

حدثنى الزُّهْرِىُّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلَبَةَ، أنَّ أبا جهلٍ قال حينَ الْتَقَى القومُ: اللهمَّ أَقْطَعُنا للرَّحِمِ، وآتانا بما لا نَعْرِفُ، فأَحِنْه[1] الغَداةَ. فكان هو المُستفتِحَ[2]. وكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ فى «السيرةِ»[3]، [٢/ ١٨٢و]. ورواه النسائىُّ[4]، من طريقِ صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن الزُّهْرِىِّ. ورَواه الحاكمُ[5]، من حديثِ الزُّهرىِّ أيضًا، ثم قال: صحيحٌ على شرطِ الشيخين، ولم يُخْرِجاه.

وقال الأُمَوِىُّ[6]: حدثنا أسباطُ بنُ محمدٍ القرشىُّ، عن [7]مُطَرِّفٍ، عن عطيةَ[7] فى قولِه: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾. قال: قال أبو جهلٍ: اللهم انْصُرْ[8] أَعَزَّ الفِئَتَين، وأَكْرَمَ القبيلتين، وأكثرَ الفريقين. فنزَلت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾.

وقال علىُّ بنُ أبى طَلْحةَ[9]، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]. قال: أقبَلَتْ عِيرُ أهلِ مكةَ تُريدُ الشامَ، فبلَغ ذلك أهلَ المدينةِ، فخَرجوا ومعهم رسولُ اللَّهِ ﷺ يُريدون العِيرَ،

---

(١) أحنه: أهلكه.

(٢) قال صاحب بلوغ الأمانى ٢١/ ٤٤: قلت: ومعنى الحديث، أن أبا جهل كان يدعو اللَّه تعالى ويستنصره ويستحكمه فيمن كان أقطع للرحم، وأتى بما لا يعرف؛ أن يصرعه ويخذله فى أقرب وقت.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨.

(٤) النسائى فى الكبرى (١١٢٠١).

(٥) المستدرك ٢/ ٣٢٨.

(٦) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/ ٢٠٨، من طريق مطرف بنحوه.

(٧ - ٧) فى الأصل، م: «عطية عن مطرف».

(٨) فى م: «أعن».

(٩) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/ ١٨٦، والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٧٨، ٧٩ - واللفظ له - كلاهما من طريق على بن أبى طلحة به.

فبلَغ ذلك أهلَ مكةَ، فأسرَعوا السيْرَ[1] إليها؛ لكيلا يَغْلِبَ عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه، فسبَقَتِ العيرُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وكان اللَّهُ قد وعَدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يُحِبُّون أن يَلْقَوُا العيرَ، وسار رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمسلمين يُريدُ القومَ، وكَرِهَ القومُ مَسِيرَهم لشَوْكَةِ القومِ، فنزَل النبيُّ ﷺ والمسلمون، وبينَهم وبينَ الماءِ رَمْلةٌ دِعْصَةٌ[2]، فأصاب المسلمين ضعفٌ شديدٌ، وألقَى الشيطانُ فى قلوبِهم القَنَطَ[3]، يُوَسْوِسُهم: تَزْعُمون أنَّكم أولياءُ اللَّهِ وفيكم رسولُه، وقد غلَبَكم المشركون على الماءِ، وأنتم كذا؟! فأمْطَر اللَّهُ عليهم مطرًا شديدًا، فشَرِب المسلمون وتَطَهَّروا، فأذهَب اللَّهُ عنهم رِجْزَ الشيطانِ، فصار الرملُ لَبْدًا[4]، ومشَى الناسُ عليه والدوابُّ، فساروا إلى القومِ، وأيَّد[5] اللَّهُ نبيَّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكةِ، فكان جبريلُ فى خمسِمائةٍ من الملائكةِ مُجَنِّبَةً، وميكائيلُ فى خمسِمائةٍ من الملائكةِ مُجَنِّبَةً، وجاء إبليسُ فى جندٍ مِن الشياطينِ ومعه رايتُه[6]، وهم فى صورةِ رجالٍ من بنى مُدْلِجٍ، والشيطانُ فى صورةِ سُراقَةَ ابنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، وقال الشيطانُ للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]. فلمَّا اصْطَفَّ الناسُ قال

---

(١) سقط من: م.

(٢) الدعصة: كثيب الرمل المجتمع.

(٣) فى الأصل، م، والدلائل: «الغيظ». والمثبت يوافق ما فى ص، وبعض نسخ الدلائل، وهو أنسب للسياق. انظر الدلائل ٧٨/٣ حاشية (٢). والقنط: اليأس.

(٤) سقط من: ص. وفى الدلائل: «كدًّا».

(٥) فى الأصل: «أمد». وفى الدلائل: «مد».

(٦) فى م: «ذريته».

أبو جهلٍ: اللهم أَوْلَانا بالحقِّ فانْصُرْه. ورفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيْه فقال: «يا رَبِّ، إن تَهْلِكْ هذه العِصابَةُ فلن تُعْبَدَ فى الأَرضِ أبدًا». فقال له جبريلُ: خُذْ قُبضةً من الترابِ. فأخَذ قُبضةً من الترابِ فرمَى بها وجوهَهم، فما من المشركين من أحدٍ إلَّا وأصاب عَيْنَيْه ومَنْخَرَيْه وفمَه ترابٌ من تلك القُبضةِ، فوَلَّوْا مدْبِرين، وأقْبَل جبريلُ إلى إبليسَ، فلمَّا رآه، وكانت يدُه فى يدِ رجلٍ من المشركين، انتزَع إبليسُ يدَه ثم وَلَّى مدبِرًا وشِيعَتُه، فقال الرجلُ: يا سُرَاقَةُ، أما زعَمْتَ أنَّك لنا جارٌ؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]. وذلك حينَ رأَى الملائكةَ. رواه البَيْهَقِىُّ فى «الدلائلِ»[(١)].

[(٢)]وقال الطَّبَرَانِىُّ[(٣)]: حدثنا مَسْعَدَةُ بنُ سعدٍ العَطَّارُ، ثنا إبراهيمُ بنُ المُنذِرِ الحِزامىُّ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عِمرانَ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ، عن عبدِ ربِّه بنِ سعيدِ ابنِ قيسٍ الأنصارىِّ، عن رِفاعةَ بنِ رافِعٍ قال: لمَّا رأَى إبليسُ ما تَفْعَلُ الملائكةُ بالمشركين يومَ بدرٍ، أشْفَقَ أن يَخْلُصَ القتلُ[(٤)] إليه، فتَشَبَّث به الحارثُ بنُ هشامٍ وهو يَظُنُّ أنَّه سُراقَةُ بنُ مالكٍ، فوكَز فى صدرِ الحارثِ فأَلْقاه[(٤)]، ثم خرَج هاربًا حتى أَلْقَى نفسَه فى البحرِ، ورفَع يَدَيْه فقال: اللهم إنِّى أَسْأَلُك نَظِرَتَك إيَّاىَ. وخاف أن يَخْلُصَ القتلُ إليه. وأقْبَل أبو جهلٍ فقال: يا معشرَ[(٢)]

---

(١) انظر صفحة ١٢٢. حاشية (٩).

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) الطبرانى فى الكبير (٤٥٥٠). قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٧٧: فيه عبد العزيز بن عمران. وهو ضعيف.

(٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من معجم الطبرانى.

(١ الناسِ ، لا يَهُولَنَّكم (٢) خِذْلانُ سُراقَةَ بنِ مالكٍ ، فإنَّه كان على ميعادٍ من محمدٍ ، ولا يَهُولَنَّكم قتلُ شَيْبَةَ وعُتْبَةَ والوليدِ ، فإنَّهم قد عَجَّلُوا ، فواللَّاتِ والعُزَّى لا نَرْجِعُ حتى (٣ نَقْرِنَهم بالحبالِ ٣) ، فلا أُلْفِيَنَّ رجلًا منكم قَتَل رجلًا ، ولكنْ خُذُوهم أخْذًا حتى تُعَرِّفُوهم سوءَ صنيعِهم ، من مُفارَقَتِهم إيَّاكم ، ورغبتِهم عن اللَّاتِ والعُزَّى . ثم قال أبو جهلٍ مُتَمَثِّلًا :

ما تَنْقِمُ الحربُ الشَّمُوسُ منِّى بازِلُ (٤) عامَيْنِ حديثٌ سِنِّى

[٢/ ١٨٢ظ] لِمثلِ هذا وَلَدَتْنى أُمِّى ١)

ورَوَى الوَاقِدِىُّ (٥) ، عن موسى بنِ يعقوبَ الزَّمْعِىِّ ، (٦ عن عمِّه ٦) ، عن أبى بكرِ بنِ أبى سليمانَ بنِ (٧) أبى حَثْمَةَ ، سَمِعتُ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ يَسْأَلُ حَكِيمَ بنَ حِزامٍ عن يومِ بدرٍ ، فجعَل الشيخُ يَكْرَهُ ذلك ، فأَلَحَّ عليه ، فقال حكيمٌ : الْتَقَيْنا فاقتَتَلْنا ، فسَمِعْتُ صوتًا وقَع من السماءِ إلى الأرضِ ، مِثْلَ وَقْعِ الحصاةِ فى الطَّسْتِ ، وقبَض النبىُّ ﷺ القُبضةَ الترابَ ، فرمَى بها فانهَزَمْنا .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) كذا فى الأصل ، م . وفى المعجم الكبير : « يهزمنكم » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « نفرقهم بالحبال » . وفى معجم الطبرانى : « نفرنهم بالجبال » . والمثبت من مجمع الزوائد .

(٤) البازل من الإبل : الذى تم ثمانى سنين ودخل فى التاسعة ، وحينئذ يطلع نابُه وتكمل قوته ، ثم يقال له بعد ذلك : بازل عام وبازل عامين . والمعنى ؛ يقول : أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة . انظر النهاية ١/ ١٢٥ .

(٥) مغازى الواقدى ١/ ٩٥ ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٧٩ ، ٨٠ ، من طريق الواقدى به .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من المغازى والدلائل .

(٧) فى الأصل ، م : « عن » .

قال الواقِدِىُّ[1] : وحدَّثَنا [2]إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ ، سَمِعتُ نَوْفَلَ بنَ مُعاويةَ الدِّيلىَّ يقولُ : انهَزَمْنا يومَ بدرٍ ونحن نَسْمَعُ صوتًا كوَقْعِ الحصَى فى الطِّساسِ[3] ، فى أفئدتِنا[4] ومن خلفِنا ، وكان ذلك من أشدِّ الرعبِ علينا .

وقال الأُمَوِىُّ[5] : حدثنا أبى ، [6]ثنا ابنُ إسحاقَ[6] ، حدَّثنى الزُّهْرِىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ ، أنَّ أبا جهلٍ حينَ الْتَقَى القومُ قال : اللهم أقْطَعُنا للرحِمِ ، وآتانا بما لا نَعْرِفُ ، فأحِنْه الغَداةَ . فكان هو المستفتِحَ . فبينَما هم على تلك الحالِ ، وقد شَجَّع اللَّهُ المسلمين على لقاءِ عدوِّهم ، وقَلَّلَهم فى أعينِهم حتى طَمِعوا فيهم ، خفَق رسولُ اللَّهِ ﷺ خَفْقَةً[7] فى العريشِ ، ثم انتبَه فقال : « أَبْشِرْ يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعْتَجِرٌ بعِمامَتِه ، آخِذٌ بعِنانِ فرسِه يَقُودُه ، على ثَناياه النَّقْعُ ، أتاك نصرُ اللَّهِ وعِدَتُه » . وأمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأخَذ كَفًّا من الحصَى بيدِه ، ثم خرَج فاستَقبلَ القومَ فقال : « شاهَتِ الوجوهُ » . ثُم نفَحَهم بها ، ثم قال لأصحابِه : « احْمِلُوا » . فلم تَكُنْ إلَّا الهزيمةُ ، فقتَل اللَّهُ مَن قتَل من

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٩٥، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٨٠ من طريق الواقدى به .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى المغازى والدلائل : « أبو إسحاق بن محمد عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد » .

(٣) فى الأصل ، م : « الطاس » . والطساس : جمع الطَّسّ والطَّسَّة والطِّسَّة ، وهو الطَّشت . اللسان (ط س س) .

(٤) فى المغازى : « بين أيدينا » . وفى الدلائل : « فى أيدينا » .

(٥) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/ ٢٠٨، ٢٠٩، من طريق محمد بن إسحاق به ، حتى قوله : فكان هو المستفتح . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل . وفى م ، ص : « ثنا ابن أبى إسحاق » . والمثبت من تفسير الطبرى .

(٧) خفق فلان خفقة : إذا نام نومة خفيفة . اللسان (خ ف ق) .

صنادِيدِهم ، وأسَر من أسَر منهم .

وقال زيادٌ ، عن ابنِ إسحاقَ[1] : ثم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ حَفنةً من الحصباءِ ، فاستَقبَل بها قريشًا ثم قال : « شاهَتِ الوجوهُ » . ثُم نفَحَهم بها ، وأمَر أصحابَه فقال : « شُدُّوا » . فكانتِ الهزيمةُ ، فقتَل اللَّهُ من قتَل مِن صنادِيدِ قريشٍ ، وأسَر مَن أسَر من أشرافِهم .

وقال السُّدِّىُّ الكبيرُ[2] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ يومَ بدرٍ : « أعْطِنِى حصًى مِن الأرضِ » . فناوَلَه حصًى عليه ترابٌ ، فرَمَى به فى وجوهِ القومِ ، فلم يَبْقَ مشركٌ إلَّا دخَل فى عينَيْه من ذلك الترابِ شىءٌ ، ثم رَدِفَهم المسلمون يَقْتُلونهم ويَأْسِرُونهم ، وأنْزَل اللَّهُ فى ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ . وهكذا قال عُرْوةُ ، وعِكْرِمَةُ ، ومجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ كعبٍ ، ومحمدُ بنُ قيسٍ ، وقَتادَةُ ، وابنُ زيدٍ ، وغيرُهم[3] ؛ أنَّ هذه الآيةَ نَزَلَتْ فى ذلك يومَ بدرٍ . وقد فعَل ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مثلَ ذلك فى غزوةِ حُنَيْنٍ ، كما سيَأْتِى فى موضعِه ، إذا انتَهَيْنا إليه إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ .

وذكَر ابنُ إسحاقَ[4] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا حَرَّض أصحابَه على القتالِ ، ورمَى المشركين بما رماهم به من الترابِ ، وهزَمهم اللَّهُ تعالى ، صَعِد إلى العريشِ أيضًا ومعه أبو بكرٍ ، ووقَف سعدُ بنُ مُعاذٍ ومن معه من الأنصارِ على بابِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨.

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/ ٢٠٥، عن السدى به . سورة الأنفال الآية ١٧ .

(٣) انظر أقوالهم فى تفسير الطبرى ٩/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨.

العريشِ ومعهم السيوفُ ؛ خِيفَةَ أن تَكُرَّ راجِعةٌ مِن المشركين إلى النبىِّ ﷺ ، قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولمَّا وضَع القومُ أيديَهم يَأْسِرُون ، رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما ذُكِر لى ، فى وجهِ سعدِ بنِ مُعاذٍ الكراهيةَ لِمَا يَصْنَعُ الناسُ ، فقال له : « كأنِّى بكَ يا سعدُ تَكْرَهُ ما يَصْنَعُ القومُ ؟ » . قال : أجَلْ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، كانت أولَ وَقْعةٍ أوْقَعَها اللَّهُ بأهلِ الشركِ ، فكان الإثْخانُ[2] فى القتلِ أحبَّ إلىَّ مِن استِبْقاءِ الرجالِ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدثنى العباسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ ، عن بعضِ أهلِه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال لأصحابِه يومَئذٍ : « إنِّى قد عَرَفْتُ أنَّ رجالًا من بنى هاشمٍ وغيرِهم [٢/ ١٨٣و] قد أُخْرِجُوا كَرْهًا ، لا حاجةَ لهم بقتالِنا ، فمَن لَقِىَ منكم أحدًا من بنى هاشِمٍ فلا يَقْتُلْه ، ومن لَقِىَ أَبَا البَخْتَرِىِّ بنَ هشامِ بنِ الحارِثِ بنِ أَسَدٍ فلا يَقْتُلْه ، ومن لَقِىَ العباسَ بنَ عبدِ المطلبِ عَمَّ رسولِ اللَّهِ - ﷺ - فلا يَقْتُلْه، فإنه إنَّما خرَج مستكرَهًا » . فقال أبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ : أنَقْتُلُ آباءَنا وأبناءَنا وإخوانَنا ونَتْرُكُ العباسَ ، واللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُه لأَلْحِمَنَّه[4] بالسيفِ . فبلَغَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال لعُمَرَ : « يا أَبا حَفْصٍ - قال عُمرُ : واللَّهِ إنَّه لَأَوَّلُ يومٍ كَنَّانِى فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ بأبى حَفْصٍ - أَيُضْرَبُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨.

(٢) قال فى النهاية : الإثخان فى الشىء : المبالغة فيه والإكثار منه ... والمراد به هنهنا المبالغة فى قتل الكفار . النهاية ١/ ٢٠٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٨، ٦٢٩. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٤) فى ص : « لألحِمنَّه » . وهو لفظ إحدى روايات السيرة ، نبه عليه ابن هشام ، ومعناها : أى لأضربن به فى وجهه . ولألحِمنَّه - بالحاء المهملة - معناها : لأقطعن لحمه بالسيف ولأخالطنَّه به . انظر شرح غريب السيرة لأبى ذر ٢/ ٣٦.

وجهُ عمِّ رسولِ اللَّهِ بالسيفِ ؟! » . فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، دَعْنى فَلأَضْرِبْ عنقَه بالسيفِ ، فواللَّهِ لقد نافَق . فقال أبو حُذيفةَ : ما أنا بآمِنٍ من تلك الكلمةِ التى قُلْتُ يومَئذٍ ، ولا أَزَالُ منها خائفًا إلَّا أن تُكَفِّرَها عنِّى الشهادةُ . فقُتِل يومَ اليَمَامَةِ شهيدًا ، رَضِى اللَّهُ عنه .

(البداية والنهاية ٥/٩)

مَقْتَلُ أبى البَخْتَرِىّ بنِ هشامٍ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وإنَّما نهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن قتلِ أبى البَخْتَرِىِّ ؛ لأنَّه كان أَكَفَّ القومِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بمكةَ ، كان لا يُؤْذِيه ولا يَبْلُغُه عنه شىءٌ يَكْرَهُه ، وكان ممن قام فى نقضِ الصحيفةِ ، فَلَقِيَه المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ البَلَوِىُّ حليفُ الأنصارِ فقال له : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نهانا عن قَتْلِك . ومع أبى البَخْتَرِىِّ زميلٌ له خرَج معه مِن مكةَ ، وهو جُنادَةُ ابنُ مُلَيحةَ ، وهو مِن بنى لَيْثٍ . قال : وزميلى ؟ فقال له المُجَذَّرُ : لا واللَّهِ ، ما نحنُ بتارِكى زميلِك ، ما أمَرَنا رسولُ اللَّهِ إلَّا بك وحدَك . قال : لا واللَّهِ ، إذًا لَأَمُوتَنَّ أنا وهو جميعًا ، لا يَتَحَدَّثُ عنِّى نساءُ مكَّةَ[2] أنِّى تركتُ زميلى حِرْصًا على الحياةِ . وقال أبو البَخْتَرِىِّ وهو يُنازِلُ المُجَذَّرَ :

لن يُسْلِمَ[3] ابنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ ... حتى يَمُوتَ أو يَرَى سَبِيلَهُ

قال : فاقْتَتَلا . فقَتَلَه المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ ، وقال فى ذلك :

إمَّا جَهِلْتَ أو نَسِيتَ نَسَبى ... فأَثْبِتِ النِّسْبَةَ أنِّى مِن بَلِى

الطَّاعِنِينَ بِرِماحِ اليَزَنِى[4] ... والضارِبِين[5] الكَبْشَ[6] حتى يَنْحَنِى

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٩، ٦٣٠. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٥٠. حوادث السنة الثانية .

(٢) فى النسخ : « قريش بمكة » . وهو لفظ تاريخ الطبرى . والمثبت من السيرة .

(٣) فى النسخ : « يترك » . والمثبت من السيرة .

(٤) اليزنى : نسبة إلى ذى يزن ، ملك من ملوك اليمن .

(٥) فى النسخ : « الطاعنين » . والمثبت من السيرة .

(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم .

بَشِّرْ بيُثْمٍ مَن أبوه البَخْتَرِى أو بَشِّرَنْ بِمِثْلِها مِنِّى بَنِى
أنا الذى يقالُ أصْلى مِن بَلِى أطْعُنُ بالصَّعْدَةِ[1] حتى تَنْثَنِى
وأعْبِطُ القِرنَ بعَضْبٍ[2] مَشْرَفِى أُرْزِمُ لـلـمـوتِ كـإِرْزامِ المَرِى[3]
فلا يَرى مُجذَّرًا يَفْرِى فَرِى[4]

ثم أتى المُجذَّرُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: والذى بَعَثَك بالحقِّ، لقد جَهِدْتُ عليه أن يَسْتَأْسِرَ فآتِيَك به، فأبَى إلَّا أن يُقاتِلَنى، فقاتَلْتُه فقَتَلْتُه.

---

(١) والصعدة: عصا الرمح ثم سمى الرمح صعدة. شرح غريب السيرة ٢/ ٣٧.
(٢) فى النسخ: «بعصب». والمثبت من السيرة. والعضب: السيف القاطع. اللسان (ع ض ب).
(٣) قال أبو ذر الخشنى: «قال ابن أبى الخصال فى حاشية كتابه: الإرزام: الشدة، والمرِى: الناقة التى يستنزل لبنها بعسر. وقال ابن طريف: الإرزام: رغاء الناقة بحنان. وفى كتاب العين: المرىُّ: الناقة الغزيرة اللبن. المصدر السابق، الموضع نفسه.
(٤) يفرى فرى: يقال: فرى يفرى فريا: إذا أتى بأمر عجيب. المصدر السابق الموضع نفسه.

فصلٌ (١) فى مَقْتَلِ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ (١)

قال ابنُ إسحاقَ (٢) : وحدَّثنى يحيى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن أبيه ، وحَدَّثَنِيه أيضًا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ وغيرُهما ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ قال : كان أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ لى صديقًا بمكَّةَ ، وكان اسْمِى عبدَ عَمْرٍو ، فتَسَمَّيْتُ حينَ أسلمْتُ : عبدَ الرحمنِ . فكان يَلْقانى إذ نحنُ بمكَّةَ فيقولُ : يا عبدَ عَمرٍو ، أَرَغِبْتَ عنِ اسمٍ سَمَّاكَه أَبَواك (٣) ؟ قال : فأقولُ : نعم . قال : فإنِّى لا أعْرِفُ الرحمنَ ، فاجْعَلْ بينى وبينَك شيئًا أدْعُوك به ، أَمَّا أنتَ فلا تُجِيبُنى باسمِك [٢/ ١٨٣ظ] الأوَّلِ ، وأَمَّا أنا فلا أدعوك بما لا أعْرِفُ . قال : وكان إذا دَعانى : يا عبدَ عَمرٍو ، لم أُجِبْه . قال : فقلتُ له : يا أبا علىٍّ ، اجْعَلْ ما شِئْتَ . قال : فأنتَ عبدُ الإلهِ . قال : قلتُ : نعم . قال : فكنتُ إذا مَرَرْتُ به قال : يا عبدَ الإلهِ . فأُجِيبُه فأتَحَدَّثُ معه ، حتى إذا كان يومُ بدرٍ ، مَرَرْتُ به وهو واقفٌ مع ابنِه علىٍّ ، وهو آخِذٌ بيدِه . قال : ومعى أدْراعٌ لى قد اسْتَلَبْتُها ، فأنا أحْمِلُهَا ، فلمَّا رآنى قال : يا عبدَ عَمرٍو . فلم أُجِبْه . فقال : يا عبدَ الإلهِ . فقلتُ : نعم . قال : هل لك فِىَّ ، فأنا خيرٌ لك مِن هذه الأدْراعِ التى معك ؟ قال : قلتُ : نعم ، ها اللَّهِ (٤) . قال : فطَرَحْتُ الأدراعَ مِن يدى ، وأخذتُ بيدِه وبيدِ ابنِه ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣١، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٥١. حوادث السنة الثانية .

(٣) فى النسخ : « أبوك » . وهو لفظ الطبرى . والمثبت من السيرة .

(٤) هاالله : أسلوب قسم بمعنى والله ، ويكون بقطع همزة لفظ الجلالة ووصلها .

وهو يقولُ : ما رأيتُ كاليومِ قَطُّ ، أما لكم حاجةٌ فى اللبَنِ[1] ؟ ثُم خَرَجتُ أمْشِى بهما .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى عبدُ الواحدِ بنُ أبى عونٍ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ قال : قال لى أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ وأنا بينَه وبينَ ابنِه آخِذٌ بأيدِيهِما : يا عبدَ الإلِه ، مَن الرجلُ منكم ، المُعْلَمُ بريشةِ نَعامَةٍ فى صدرِه ؟ قال : قلتُ : ذاك[3] حمزةُ . قال : ذاك الذى فَعَل بنا الأفاعِيلَ . قال عبدُ الرحمنِ : فواللَّهِ إنِّى لَأَقُودُهما إذ رآه بلالٌ معى ؛ وكان هو الذى يُعَذِّبُ بلالًا بمكَّةَ على تَرْكِ[3] الإسلامِ ، فلمَّا رآه قال : رأسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجا . قال : قلتُ : أىْ بلالُ ، أبأسِيرِى ؟[4] . قال : لا نجوتُ إنْ نجا . قال : ثُم صَرَخ بأعلَى صوتِه : يا أنصارَ اللَّهِ ، رأسُ الكفرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، لا نجوتُ إن نَجَا . فأحاطُوا بنا حتى جَعَلُونا فى مِثْلِ المَسَكَةِ[5] ، فأنا أَذُبُّ عنه . قال : فأخْلَف[6] رجلٌ السيفَ ، فضَرَبَ رِجْلَ ابنِه فوَقَع ، وصاح أُمَيَّةُ صَيْحةً ما سمعتُ بمِثْلِها قَطُّ . قال : قلتُ : انْجُ بنفسِك ولا نَجاءَ ، فواللَّهِ ما أُغْنِى عنك شيئًا . قال : فهَبَرُوهما[7] بأسيافِهم حتى فَرَغُوا منهما . قال : فكان عبدُ الرحمنِ يقولُ : يَرْحَمُ اللَّهُ بلالًا ، فَجَعَنى بأدْراعى وبأسِيرَىَّ .

---

(١) قال ابن هشام : يريد باللبن : أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن . سيرة ابن هشام ١/ ٦٣١ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٦٣٢.

(٣) زيادة من السيرة .

(٤) فى م ، ص : « أسيرى » . وهو لفظ رواية الطبرى .

(٥) فى ص : « المشكة » . والمعنى : جعلونا فى حلقة كالسوار ، وأحدقوا بنا . النهاية ٤/ ٣٣١.

(٦) يقال : أخلف الرجل إلى سيفه إذا ردَّ يده إليه فسله من غمده . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٧.

(٧) هبروهما : قطعوا لحمهما . المصدر السابق ٢/ ٣٧، ٣٨.

وهكذا رَواه البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] قريبًا مِن هذا السِّياقِ ، فقال فى الوَكالَةِ : حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، هو ابنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا يوسفُ ، هو ابنُ الماجِشُونِ ، عن صالحِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ قال : كاتَبْتُ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ كِتابًا بأن يَحْفَظَنى فى صاغِيَتِى[2] بمكةَ ، وأحْفَظَه فى صاغِيَتِه بالمدينةِ ، فلمَّا ذكرتُ الرحمنَ قال : لا أعْرِفُ الرحمنَ ، كاتِبْنِى باسمِك الذى كان فى الجاهليَّةِ . فكاتَبْتُه عبدَ عَمرٍو ، فلمَّا كان يومُ بدرٍ ، خَرَجْتُ إلى جبلٍ لِأُحْرِزَه حين نام الناسُ ، فأبْصَرَه بلالٌ ، فخَرَج حتى وَقَف على مجلسٍ مِن الأنصارِ فقال : أُمَيَّةُ بنُ خلفٍ ؟! لا نَجَوْتُ إن نجا أُمَيَّةُ ، فخَرَج معه فريقٌ مِن الأنصارِ فى آثارِنا ، فلمَّا خَشِيتُ أن يَلْحَقُونا ، خَلَّفْتُ لهم ابنَه لِأَشْغَلَهم فقَتَلُوه ، ثم أتَوْا حتى تَبِعُونا ، وكان رَجُلًا ثقيلًا ، فلمَّا أدْرَكُونا قلتُ له : ابْرُكْ . فبرَك فألْقَيْتُ عليه نفسى لِأَمْنَعَه ، فتَخَلَّلُوه بالسُّيوفِ مِن تحتى حتى قَتَلوه ، وأصاب أحَدُهم رِجلى بسيفِه . فكان عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ يُرِينا ذلك الأَثَرَ[3] فى ظَهْرِ قَدَمِه . سَمِع يوسفُ صالحًا ، وإبراهيمُ أباه . تَفَرَّد به البخاريُّ مِن بينِهم كلِّهم[4] . وفى مُسنَدِ رِفاعةَ بنِ رافِعٍ[5] ، أنَّه هو[6] الذى قتَل أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ .

---

(١) البخارى (٢٣٠١) .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٥/ ٢٤٨: الصاغية ، بصاد مهملة وغين معجمة ، خاصة الرجل ، مأخوذ من صغى إليه إذا مال . قال الأصمعى : صاغية الرجل : كل من يميل إليه ، ويطلق على الأهل والمال .

(٣) سقط من : م .

(٤) انظر تحفة الأشراف ٧/ ٢٠٥.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٥/٣٤ (٤٥٣٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٨٢: فيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف .

(٦) أى رافع بن مالك والد رفاعة . كما فى مصدر التخريج . وانظر مستدرك الحاكم ٣/ ٢٣٢.

مَقْتَلُ أبى جهلٍ، لعنَه اللَّـهُ

قال ابنُ هشامٍ[1] : وأقْبَل أبو جهلٍ يومَئذٍ يَرْتَجِزُ[2] ويقولُ :

ما تَنْقِمُ الحربُ العَوانُ[3] منِّى بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّى

لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنى أُمِّى

[٢/١٨٤و] قال ابنُ إسحاقَ[4] : ولمَّا فَرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عَدُوِّه ، أمَر بأبى جهلٍ أن يُلْتمَسَ فى القَتْلَى ، وكان أوَّلُ مَن لَقِى أبا جهلٍ ، كما حَدَّثنى ثَوْرُ بنُ زيدٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أيضًا قد حَدَّثنى ذلك ، قالا : قال مُعاذُ بنُ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ أخو بنى سَلِمَةَ : سَمِعتُ القومَ ، وأبو جهلٍ فى مِثْلِ الحَرَجَةِ[5] ، وهم يَقُولون : أبو الحَكَمِ لا يُخْلَصُ إليه . فلمَّا سَمِعتُها جَعَلْتُه مِن شَأْنى ، فصَمَدْتُ[6] نحوَه ، فلمَّا أمْكَنَنى ، حمَلْتُ عليه فضرَبْتُه ضَرْبةً أَطَنَّتْ قَدَمَه بنصفِ ساقِه ، فواللَّهِ ما شَبَّهْتُها حينَ طاحَتْ ، إلَّا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٤.

(٢) بعده فى السيرة : « وهو يقاتل » .

(٣) العوان : يقال : حرب عوان ؛ وهى التى قُوتِل فيها مرة بعد أخرى . الوسيط (ع و ن) .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٤، ٦٣٥.

(٥) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتفّ .

(٦) فصمدت : أى قصدت .

بالنَّواةِ تَطِيحُ[1] مِن تحتِ مِرْضَخَةِ النَّوَى[2] حينَ يُضْرَبُ بها . قال[3] : وضَرَبَنى ابنُه عِكْرِمَةُ على عاتِقِى ، فطَرَح يدى فتعلَّقَتْ بجِلْدَةٍ مِن جَنْبى ، وأجْهَضَنى القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومى وإنِّى لأَسْحَبُها خَلْفى ، فلمَّا آذَتْنى وَضَعْتُ عليها قَدَمى ، ثُم تَمَطَّيْتُ بها عليها حتى طَرَحْتُها - قال ابنُ إسحاقَ[4] : ثُم عاش بعدَ ذلك حتى كان زمنُ عثمانَ - ثُم مَرَّ بأبى جهلٍ ، وهو عَقِيرٌ[5] ، مُعَوِّذُ ابنُ عَفْراءَ فضَرَبَه حتى أثْبَتَه ، وتَرَكَه وبه رَمَقٌ ، وقاتَل مُعَوِّذٌ حتى قُتِل ، فمَرَّ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ بأبى جهلٍ ، حينَ أمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُلْتَمَسَ فى القَتْلَى ، وقد قال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بَلَغَنى : « انْظُرُوا ، إن خَفِىَ عليكم فى القَتْلَى ، إلى أَثَرِ جُرْحٍ فى رُكْبَتِه ، فإنِّى ازْدَحَمْتُ أنا وهو يومًا على مَأْدُبَةٍ لعبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ ونحنُ غُلامان ، وكنتُ أَشَفَّ[6] منه بيَسيرٍ ، فدَفَعْتُه فوَقَع على رُكْبَتَيْه فجُحِش[7] فى إحْداهما جَحْشًا[8] لم يَزَلْ أَثَرُه به . قال ابنُ مسعودٍ : فوَجَدْتُه بآخِرِ رَمَقٍ فعَرَفْتُه ، فوضعْتُ رِجْلى على عُنُقِه - قال[9] : وقد كان ضَبَث بى[10]

---

(١) تطيح : أى تطير ساقطةً . انظر النهاية ٣/ ١٤١.

(٢) المِرْضَخة : حجر يُرضخ - أى يُكسر - به النوى . انظر اللسان (ر ض خ) .

(٣) القائل معاذ بن عمرو رضى اللّه عنه .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٥، ٦٣٦. وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٥٤، ٤٥٥، من طريقين عن ابن عباس . حوادث السنة الثانية .

(٥) عقير : جريح .

(٦) والشَّف ، بفتح الشين وكسرها : الزيادة ، والنقصان أيضا ، فهو من الأضداد .

(٧) فى م : « فحجش » . والجَحْش : الخَدْش .

(٨) فى م : « حجشا » .

(٩) القائل ابن مسعود .

(١٠) قال ابن هشام : ضبث : قبض عليه ولزمه .

مرَّةً بمكَّةَ ، فآذانى ولكَزَنى - ثُم قلتُ له : هل أخْزاك اللَّهُ يا عَدُوَّ اللَّهِ ؟ قال : وبماذا أخْزانى ؟! قال[1] : أعْمَدُ مِن رَجُلٍ قَتَلْتُموه[2] ، أخْبِرْنى لِمَنِ الدَّائرةُ اليومَ ؟ قال : قلتُ : للَّهِ ولرسولِه .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وزَعَم رجالٌ مِن بنى مَخْزُومٍ ، أنَّ ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : قال لى[4] : لقد ارْتَقَيْتَ مُرْتَقًى صعبًا يا رُوَيْعِىَ الغنمِ . قال : ثُم احْتَزَزْتُ رأسَه ، ثُم جئتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا رأسُ عدوِّ اللَّهِ . فقال : « آللَّهِ الذى لا إلَه غيرُه ؟ » . وكانت يمينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : نعم ، واللَّهِ الذى لا إلهَ غيرُه . ثُم أَلْقَيْتُ رأسَه بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ فحَمِدَ اللَّهَ . هكذا ذَكَر ابنُ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ .

وقد ثَبَت فى « الصحيحَيْن »[5] ، مِن طريقِ يوسفَ بنِ يعقوبَ بنِ الماجِشُونِ ، عن صالحِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ قال : إنِّى لَواقِفٌ يومَ بدرٍ فى الصفِّ ، فنظرتُ عن يمينى وشمالى ، فإذا أنا بينَ غُلامَيْن مِن الأنصارِ حديثةٍ أسْنانُهما ، فتَمَنَّيْتُ أن أكُونَ بينَ أضْلَعَ[6] منهما ، فغَمَزَنى أحدُهما فقال : يا عَمِّ ، أتَعْرِفُ أبا جهلٍ ؟ فقلتُ :

---

(١) هكذا فى النُّسخ ، والقائل هو أبو جهل . وقد سقطت « قال » من سيرة ابن هشام ، وهو الأولى .

(٢) قال أبو ذر : أعمد من رجل قتلتموه . قال ابن السراج : يريد أكبر من رجل قتلتموه ، على سبيل التحقير منه لفعلهم به . قال أبو ذر : وعميد القوم : سيدهم . شرح غريب السيرة ٢/ ٣٨، ٣٩.
قال ابن هشام : ويقال : أعارٌ على رجل قتلتموه .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٦، وتاريخ الطبرى ٢/ ٤٥٥. حوادث السنة الثانية .

(٤) أى أبو جهل ، لعنه اللَّه .

(٥) البخارى (٣١٤١) . ومسلم (١٧٥٢) .

(٦) فى الأصل ، م : « أظلع » . وأضلع : أقوى وأشَدّ . انظر النهاية ٣/ ٩٧.

نعم، وما حاجتُك إليه؟ قال: أُخْبِرْتُ أنَّه يَسُبُّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، والذى نفسى بيَدِه لَئِنْ رأيتُه، لا يُفارِقُ سَوادى سوادَه حتى يموتَ الأعْجَلُ مِنّا[1]. فتَعَجَّبْتُ لذلك، فغَمَزَنى الآخَرُ فقال لى أيضًا مِثْلَها، فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلى أبى جهلٍ وهو يَجُولُ فى الناسِ، فقلتُ: ألا تَرَيانِ؟ هذا صاحِبُكما[2] الذى تَسْأَلانِ عنه. فابْتَدَراه بسَيْفَيْهِما، فضَرَباه حتى قَتَلاه، ثُم انْصَرَفا إلى النبىِّ ﷺ فأخْبَرَاه فقال: «أَيُّكما قَتَلَه؟». قال كُلٌّ منهما: أنا قَتَلْتُه. قال: «هل مَسَحْتُما سَيْفَيْكُما؟». قالا: لا. قال: فنَظَر النبىُّ [٢/١٨٤ظ] ﷺ فى السيفَيْن فقال: «كِلاكُما قَتَلَه». وقَضَى بسَلَبِه لمُعاذِ بنِ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ. والآخَرُ مُعاذُ ابنُ عَفْراءَ.

وقال البخارىُّ[3]: حَدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال عبدُ الرحمنِ: إنِّى لفى الصَّفِّ يومَ بدرٍ، إذ الْتَفَتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فَتَيانِ حَدِيثا السِّنِّ، فكأنِّى لم آمَنْ بمكانِهما[4]، إذْ قال لى أحدُهما سِرًّا مِن صاحبِه: يا عَمِّ، أرِنى أبا جهلٍ. فقلتُ: يا بنَ أخى،

---

(١) السواد: الشخص. والأعجل منا: الأقرب أجلًا. وقيل: إن لفظ الأعجل تحريف، وإنما هو الأعجز، وهو الذى يقع فى كلام العرب كثيرا، والصواب ما وقع فى الرواية لوضوح معناه. انظر الفتح ٦/ ٢٤٩.

(٢) فى الأصل، م: «صاحبكم».

(٣) البخارى (٣٩٨٨).

(٤) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٠٨: فكأنى لم آمن بمكانهما: أى من العدو. وقيل: مكانهما كناية عنهما، كأنه لم يثق بهما؛ لأنه لم يعرفهما، فلم يأمن أن يكونا من العدو. ثم وجدت فى مغازى ابن عائذ ما يرفع الإشكال؛ فإنه أخرج هذه القصة مطولة بإسناد منقطع، وقال فيها: فأشفقت أن يُؤتَى الناس من ناحيتى؛ لكونى بين غلامين حديثين.

وما تَصْنَعُ به؟ قال: عاهَدْتُ اللَّهَ إن رَأَيْتُه، أن أقْتُلَه أو أموتَ دونَه. فقال لى الآخَرُ سِرًّا مِن صاحبِه مِثْلَه. قال: فما سَرَّنى أنِّى بينَ رَجُلَيْن مكانَهما، فأشَرْتُ لهما إليه، فشَدَّا عليه مِثْلَ الصَّقْرَيْن حتى ضَرَباه، وهما ابنا عَفْراءَ.

وفى «الصحيحَيْن»[1] أيضًا، مِن حديثِ سُليمانَ[2] التَّيْمِىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن يَنْظُرُ ما صَنَع أبو جهلٍ؟». قال ابنُ مسعودٍ: أنا يا رسولَ اللَّهِ. فانْطَلَقَ، فوَجَدَه قد ضَرَبَه ابنا عَفْراءَ حتى بَرَدَ[3]. قال: فأخَذ بلِحْيَتِه. قال: فقلتُ: أنت أبو جهلٍ؟ فقال: وهل فَوْقَ رجلٍ قَتَلْتُموه. أو قال: قَتَلَه قومُه.

وعندَ البخارىِّ[4]، عن أبى أُسامةَ، عن [5]إسماعيلَ، عن[5] قيسٍ، عن ابنِ مسعودٍ، أنَّه أتى أبا جهلٍ [6]فقال: هل أخْزاكَ اللَّهُ؟ فقال[6]: هل أعْمَدُ مِن

---

(١) البخارى (٣٩٦٢، ٣٩٦٣، ٤٠٢٠). ومسلم (١٨٠٠). وليس عندهما قول ابن مسعود: «أنا يا رسول الله».

(٢) فى م، ص: «أبى سليمان». وهو خطأ. وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥.

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٩٤: برد: أى مات، هكذا فسروه، ووقع فى رواية السمرقندى فى مسلم: «حتى برك» بكاف بدل الدال؛ أى سقط ... قال عياض: وهذه الرواية أولى؛ لأنه قد كلم ابن مسعود، فلو كان مات كيف كان يكلمه. انتهى. ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «حتى برد»؛ أى صار فى حالة من مات، ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح فأطلق عليه باعتبار ما سيئول إليه، ومنه قولهم للسيوف: بوارد؛ أى قواتل. وانظر شرح النووى على مسلم ١٢/ ١٦٠.

(٤) البخارى (٣٩٦١).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل. وفى م، ص: «إسماعيل بن»، وهو خطأ. والمثبت من صحيح البخارى. وإسماعيل هذا هو ابن أبى خالد. انظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩.

(٦ - ٦) الذى عند البخارى: «فقال أبو جهل». قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٩٤: فى الكلام حذف، تقديره: فكلَّمه أى بكلام تشفَّى منه فأجابه بذلك، ووقع بيان ذلك فى رواية عمرو بن ميمون عند الطبرانى عن ابن مسعود قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعًا، فقلت: أى عدو الله قد أخزاك الله.=

رجلٍ قَتَلْتُموه .

وقال الأعْمَشُ[1] ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : انْتَهَيْتُ إلى أبى جهلٍ وهو صَرِيعٌ وعليه بَيْضَةٌ ومعه سيفٌ جيِّدٌ، ومعى سيفٌ رَدِىءٌ ، فجعَلْتُ أنْقُفُ[2] رأسَه بسيفى وأذْكُرُ نَقْفًا كان يَنْقُفُ رأسى بمكَّةَ ، حتى ضَعُفَتْ[3] يدُه ، فأخَذْتُ سيفَه ، فرَفَع رأسَه فقال : على مَن كانتِ الدّائِرَةُ ؛ لنا أو علينا ؟ أَلَسْتَ رُوَيْعِيَنا بمكَّةَ ؟ قال : فقَتَلْتُه ثُم أتيتُ النبىَّ ﷺ فقلتُ : قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « آللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ؟ » . فاسْتَحْلَفَنى ثلاثَ مرَّاتٍ ، ثُم قام معى إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا وَكِيعٌ ، ثنا إسْرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبيدةَ قال : قال عبدُ اللَّهِ : انتهيتُ إلى أبى جهلٍ يومَ بدرٍ وقد ضُرِبَتْ رِجْلُه[5] ، وهو يَذُبُّ الناسَ عنه بسيفٍ له ، فقلتُ : الحمدُ للَّهِ الذى أخْزاكَ اللَّهُ يا عَدُوَّ اللَّهِ . قال : هل هو إلَّا رجلٌ قَتَلَه قومُه ! قال : فجعلْتُ أتناوَلُه بسيفٍ لى غيرِ طائِلٍ ، فأصَبْتُ يدَه ، فنَدَرَ[6] سيفُه ، فأخَذْتُه فضَرَبْتُه حتى قتلتُه . قال : ثُم خَرَجْتُ حتى أتيتُ النبىَّ ﷺ كأنَّما أُقَلُّ مِن الأرضِ[7] ، فأخْبَرْتُه فقال : « آللَّهِ

= قلت : قد تقدم بيان ذلك فى رواية ابن إسحاق صفحة ١٣٧ .

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٩/٨١ (٨٤٧٠) ، من طريق الأعمش به .

(٢) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ونحو ذلك . أو ضربها أشد ضربٍ . تاج العروس (ن ق ف) .

(٣) فى ص : « صفقت » .

(٤) المسند ١/ ٤٤٤ . (إسناده ضعيف) .

(٥) بعده فى المسند : « وهو صريع » .

(٦) ندر : سقط .

(٧) يعنى من شدَّة فرحه بقتل أبى جهل .

الذى لا إله إلَّا هو؟». فرَدَّدَها ثلاثًا. قال: قلتُ: آللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو. قال: فخَرَج يَمْشِى معى حتى قام عليه فقال: «الحمدُ للَّهِ الذى قد أَخْزاكَ اللَّهُ يا عَدُوَّ اللَّهِ، هذا كان فِرْعونَ هذه الأُمَّةِ». وفى رِوايةٍ أُخرَى[1]: قال ابنُ مسعودٍ: فنَفَلَنى سيفَه.

وقال أبو إسحاقَ الفَزَارِىُّ[2]، عن الثَّوْرِىِّ، عن أبى إسحاقَ، عن أبى عُبيدةَ، عن ابنِ مسعودٍ قال: أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ، فقُلتُ: قد قتلتُ أبا جهلٍ. فقال: «آللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو؟». فقلتُ: آللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو. [3]مرَّتَيْن أو ثلاثًا[3]. قال: فقال النبىُّ ﷺ: «اللَّهُ أكبرُ، الحمدُ للَّهِ الذى صَدَق وَعْدَه، ونَصَر عَبْدَه، وهَزَم الأَحْزابَ وَحْدَه». ثُم قال: «انْطَلِقْ فأَرِنيه». فانْطَلَقْتُ فأرَيْتُه فقال: «هذا فِرْعَونُ هذه الأُمَّةِ». ورَواه أبو داودَ، والنَّسائىُّ. مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ به[4].

وقال الواقِدِىُّ: وَقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ على مَصْرَعِ ابْنَىْ عَفْراءَ فقال: «رَحِم اللَّهُ ابْنَىْ عَفْراءَ، فهما شُرَكاءُ فى قتلِ فرعونِ [٢/١٨٥و] هذه الأُمَّةِ ورأسِ أَئمَّةِ الكُفرِ». فقِيل: يا رسولَ اللَّه، ومَن قَتَلَه معهما؟ قال: «الملائكةُ، وابنُ مسعودٍ قد شَرِكَ فى قَتْلِه». رَواه البَيْهَقِىُّ[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٤٤٤. من طريق أبى إسحاق الفزارى به. (إسناده ضعيف).

(٣ - ٣) الذى فى المسند: «فرددها ثلاثًا».

(٤) أبو داود (٢٧٠٩). والنسائى فى الكبرى (٨٦٧٠). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٥٧).

(٥) دلائل النبوة ٣/ ٨٨، ٨٩.

(١) وقال البَيْهَقِيُّ[٢] : أَخْبَرَنا الحاكمُ ، أَخْبَرَنا الأَصَمُّ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن عَنْبَسَةَ بنِ الأَزْهَرِ ، عن أبى إسحاقَ قال : لمَّا جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ البشيرُ يومَ بدرٍ بقَتْلِ أبى جهلٍ ، اسْتَحْلَفَه ثلاثةَ أَيْمانٍ باللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، لقد رأيتَه قتيلًا ؟ فحَلَفَ له ، فخَرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ساجدًا[١] .

ثُم روَى البَيْهَقِيُّ[٣] ، مِن طريقِ أبى نُعَيْمٍ ، عن سَلَمَةَ بنِ رَجاءٍ ، عن الشَّعْثاءِ ؛ امرأةٍ مِن بنى أَسَدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ركعتَيْن ؛ حينَ بُشِّرَ بالفَتْحِ ، وحينَ جِيءَ برأسِ أبى جهلٍ .

وقال ابنُ ماجه[٤] : حَدَّثنا أبو بِشرٍ بكرُ بنُ خَلَفٍ ، حَدَّثنا سَلَمَةُ بنُ رَجاءٍ قال : حَدَّثَتْنى شَعْثاءُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى[٥] يومَ بُشِّر برأسِ أبى جهلٍ ركعتَيْن .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[٦] : حَدَّثنا أبى ، حدَّثنا هُشَيْمٌ[٧] ، أَخْبَرَنا مُجالِدٌ ، عن الشَّعْبِيِّ ، أنَّ رجلًا قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إنِّى مررْتُ ببدرٍ فرأيتُ رجلًا يَخْرُجُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٨٩.

(٣) المصدر السابق .

(٤) سنن ابن ماجه (١٣٩١) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٢٩٦) .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٨٩، ٩٠، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٧) فى الأصل ، م : « هشام » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢، ٢٧/ ٢١٩.

من الأرضِ ، فيَضْرِبُه رجلٌ بمِقْمَعَةٍ معه حتى يَغِيبَ فى الأرضِ ، ثُم يَخْرُجُ فيَفْعَلُ به مِثْلَ ذلك[1] مِرارًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذاك أبو جهلِ بنُ هشامٍ يُعَذَّبُ إلى يومِ القيامةِ » .

وقال الأُمَوِىُّ فى « مَغازِيه » : سَمِعتُ أبى ، ثنا المُجالِدُ بنُ سعيدٍ ، عن عامرٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : إنِّى رأيتُ رجلًا جالسًا فى بدرٍ ورجلٌ يَضْرِبُ رأسَه بعمودٍ مِن حديدٍ ، حتى يَغِيبَ فى الأرضِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذاك أَبو جهلٍ ، وُكِّلَ به مَلَكٌ يَفْعَلُ به كلَّما خَرَج ، فهو يَتَجَلْجَلُ[2] فيها إلى يومِ القيامةِ » .

وقال البخارىُّ[3] : حَدَّثنا عُبَيدُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو أُسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : قال الزُّبيرُ : لَقِيتُ يومَ بدرٍ عُبيدةَ بنَ سعيدِ بنِ العاصِ ، وهو مُدَجَّجٌ[4] لا يُرَى منه إلَّا عَيْناه ، وهو يُكْنَى أبا ذاتِ الكَرِشِ ، فقال : أنا[5] أبو ذاتِ الكَرِشِ . فحَمَلْتُ عليه بعَنَزَةٍ[6] ، فطَعَنْتُه فى عينِه فمات . قال هشامٌ : فأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبيرَ قال : لقد وَضَعْتُ رِجْلى عليه ، ثُم تَمَطَّيْتُ[7] فكان الجَهْدَ أن

---

(١) بعده فى الدلائل : « قال ذلك » .

(٢) يتجلجل : يغوص فى الأرض حين يخسف به . والجلجلة : حركة مع صوت . النهاية ١/ ٢٨٤ .

(٣) البخارى (٣٩٩٨) .

(٤) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣١٤: مدجج ؛ بجيمين الأولى ثقيلة ومفتوحة وقد تكسر : أى مغطى بالسلاح ولا يظهر منه شىء .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) العنزة : عصا فى قدر نصف الرمح أو أكثر شيئًا ، فيها سنان مثل سنان الرمح ، وقيل : فى طرفها الأسفل زُجٌّ كزج الرمح ، يتوكأ عليها الشيخ الكبير . لسان العرب (ع ن ز) .

(٧) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « تمطأت » . قال الحافظ : قيل : الصواب « تمطيت » بالتحتانية غير مهموز . انظر الفتح ٧/ ٣١٥ .

نَزَعْتُها ، وقد انْثَنَى طَرَفاها . قال عُروةُ : فسَأَلَه إيّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ فأعطاه[1] ، فلمَّا قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ أخَذَها ، ثُم طَلَبها أبو[2] بكرٍ ، فأعطاه[1] ، فلمَّا قُبِض أبو بكرٍ سألَها إيّاه عُمرُ ، فأعطاه إيّاها ، [3]فلمَّا قُبِض عمرُ أخَذَها ، ثُم طَلَبها عثمانُ منه ، فأعطاه إيّاها[3] ، فلمَّا قُتِل عثمانُ وَقَعَتْ عندَ آلِ عليٍّ[4] ، فطَلَبها عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيرِ ، فكانت عندَه حتى قُتِل .

وقال ابنُ هشامٍ[5] : حَدَّثنى أبو عُبَيدةَ وغيرُه مِن أهلِ العلمِ بالمَغازى ، أنَّ عُمرَ بنَ الخطابِ قال لسعيدِ بنِ العاصِ ، ومَرَّ به : إنِّى أراك كأنَّ فى نفسِك شيئًا ، أراك تَظُنُّ أنِّى قتلتُ أباك ، إنِّى لو قَتَلْتُه لم أعْتَذِرْ إليك مِن قَتْلِه ، ولكنِّى قتلتُ خالىَ العاصَ بنَ هشامِ بنِ المُغِيرَةِ ، فأمَّا أبوك فإنِّى مررْتُ به وهو يَبْحَثُ بَحْثَ الثَّورِ برَوْقِه[6] ، فحِدْتُ عنه ، وقَصَد له ابنُ عمِّه عليٌّ فقَتَلَه .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وقاتَل عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ الأسَدِىُّ ، حَليفُ بنى عبدِ شمسٍ ، يومَ بدرٍ بسيفِه حتى انْقَطَع فى يدِه ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأعطاه جِذْلًا[8] مِن حَطَبٍ فقال : « قاتِلْ بهذا يا عُكّاشَةُ » . فلمَّا أخَذه مِن

---

(١) بعده فى م : « إياها » .

(٢) فى الأصل : « إلى أبى » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) أى عند على نفسه ثم عند أولاده . انظر الفتح ٧/ ٣١٥.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٦، ٦٣٧.

(٦) الروق : القرن .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٧.

(٨) الجذل : أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع . الوسيط (ج ذ ل) .

رسولِ اللَّهِ ﷺ هَزَّه، فعاد سيفًا فى يدِه طويلَ القامةِ، شديدَ المَتْنِ، أبيضَ الحَدِيدةِ، فقاتَل به حتى فَتَحَ اللَّهُ على المسلمين، وكان ذلك [٢/ ١٨٥ظ] السيفُ يُسَمَّى «العَوْنَ»، ثُم لم يَزَلْ عندَه يَشْهَدُ به المَشاهِدَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى قَتَلَه طُلَيحةُ الأَسَدىُّ أيامَ الرِّدَّةِ، وأنْشَد طُليحةُ فى ذلك قصيدةً، منها قولُه:

عَشِيَّةَ غادرْتُ ابنَ أقْرَمَ ثاوِيًا[1] وعُكَّاشَةَ الغَنْمِىَّ عندَ مَجالِ[2]

وقد أسْلَم بعدَ ذلك طُلَيحةُ، كما سيَأْتِى بيانُه.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وعُكَّاشَةُ هو الذى قال، حينَ بَشَّر رسولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتَه بسبعين ألفًا يَدْخُلُون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ: ادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنى منهم. قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْه منهم». وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى الصِّحاحِ والحِسانِ وغيرِها[4].

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ، فيما بَلَغَنى: «مِنَّا[6] خيرُ فارسٍ فى العربِ». قالوا: ومَن هو يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ».

---

(١) قال ابن هشام: «ابن أقرم: ثابت بن أقرم الأنصارى».
وثاويًا: هالكًا؛ فإن ثابت بن أقرم وعكاشة قُتلا فى حروب الردة. انظر أسد الغابة ١/ ٢٦٥.

(٢) فى السيرة: «حجال». والمجال: موضع الجَوَلان.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٨.

(٤) البخارى (٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠)، والترمذى (٢٤٤٦)، والمسند ١/ ٢٧١.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٨.

(٦) سقط من: ص.

فقال ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ الأسَدِيُّ[1] : ذاك رجلٌ مِنّا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « ليس منكم ولَكِنَّهُ مِنَّا[2] » . لِلحِلْفِ .

وقد رَوَى البَيْهَقِيُّ[3] عن الحاكمِ ، مِن طريقِ محمدِ بنِ عُمرَ الواقِدِيِّ ، حَدَّثنى عمرُ بنُ عثمانَ الجَحْشيُّ[4] عن أبيه ، عن عَمَّتِه قالت : قال عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ : انْقَطَع سيفى يومَ بدرٍ ، فأعْطانى رسولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا ، فإذا هو سيفٌ أبيضُ طويلٌ ، فقاتلْتُ به حتى هَزَم اللَّهُ المُشرِكِين . ولم يَزَلْ عندَه حتى هَلَك .

وقال الواقِدِيُّ[5] : وحدَّثنى أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، عن رجالٍ مِن بنى عبدِ الأَشْهَلِ عِدَّةٍ قالوا : انْكَسَر سيفُ سَلَمَةَ بنِ حَرِيشٍ[6] يومَ بدرٍ ، فبَقِىَ أعْزَلَ لا سلاحَ معه ، فأعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ قَضِيبًا كان فى يدِه مِن عَراجِينِ ابنِ طابٍ[7] ، فقال : « اضْرِبْ به » . فإذا سيفٌ جيِّدٌ ، فلم يَزَلْ عندَه حتى قُتِل يومَ جِسْرِ أبى عُبَيدٍ[8] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٩٩. وانظر مغازى الواقدى ١/ ٩٣.

(٤) فى الأصل ، م : « الخشنى » .

(٥) مغازى الواقدى ١/ ٩٣، ٩٤. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٩٩ عن الواقدى به .

(٦) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « سلمة بن أسلم بن حريش » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٢٢، والإصابة ٣/ ١٤٢، ١٤٣.

(٧) العراجين : جمع عُرجون ، والعرجون : العِذْق عامة ، وقيل : هو العذق إذا يبس واعوج ، وقيل : هو أصل العذق الذى يعوج وتُقطع منه الشماريخ ، فيبقى على النخل يابسًا . وابن طاب : رجل من أهل المدينة يُنسب إليه ، يقال : عذق ابن طاب ، ورطب ابن طاب ، وتمر ابن طاب . انظر اللسان (عرجن) ، والنهاية ٣/ ١٤٩.

(٨) فى م : « عبيدة » وأبو عبيد هو ابن مسعود بن عمرو الثقفى ونسب الجسر إليه ؛ لأنه كان أمير جيش فى وقعة بين المسلمين والفرس عند الجسر على الفرات ، فى زمن عمر بن الخطاب ، رضى اللّه عنه . وانظر تاريخ الطبرى ٣/٤٥٤ - ٤٥٩ ، وأسد الغابة ٦/ ٢٠٥، والإصابة ٧/ ٢٦٨.

رَدُّه، عليه السلامُ، عينَ قَتادَةَ

قال البَيْهَقِيُّ فى «الدلائلِ»[1] : أخْبَرَنا أبو سعدٍ المَالِينِيُّ ، أخْبَرَنا أبو أحمدَ ابنُ عَدِيٍّ ، حدَّثنا أبو يَعْلَى ، حدَّثنا يحيى الحِمَّانِيُّ ، ثنا [2]عبدُ الرحمنِ[2] بنُ سليمانَ ، ابنُ الغَسِيلِ ، عن عاصمِ بنِ عُمرَ بنِ قَتادَةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه قَتادَةَ ابنِ النُّعْمانِ ، أنَّه أُصِيبَتْ عينُه يومَ بدرٍ ، فسالتْ حَدَقَتُه على وَجْنَتِه ، فأرادوا أن يَقْطَعُوها ، فسألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : «لا» . [3]فدَعا به[3] فغَمَز حَدَقَتَه براحَتِه ، فكان لا يَدْرِى أىُّ عَيْنَيْه أُصِيبَتْ . وفى روايةٍ[4] : فكانت أحْسَنَ عينَيْه . وقد رَوَيْنا عن أميرِ المؤمنين عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أنَّه لمَّا أخْبَرَه بهذا الحديثِ عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادَةَ ، وأنْشَد مع ذلك :

أنا ابْنُ الذى سالَتْ على الخَدِّ عَيْنُه ... فَرُدَّتْ بكَفِّ المُصطَفَى أيَّما رَدِّ

فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، رَحِمَه اللَّهُ ، عندَ ذلك مُنْشِدًا قولَ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ فى سيفِ بنِ ذِى يَزَنَ ، فأنْشَدَه عمرُ فى موضِعِه : حقًّا

تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ[5] مِن لَبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أَبْوالا[6]

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٩٩، ١٠٠.

(٢ - ٢) فى م، ص: «عبد العزيز».

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «فدعى». وفى م: «فدعاه». والمثبت من الدلائل.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥) القعبان: مثنى القعب، وهو القدح الضخم الغليظ. انظر الوسيط (ق ع ب).

(٦) انظر الاستيعاب ٣/ ١٢٧٥، وأسد الغابة ٤/ ٣٩٠. والبيت من قصيدة تنسب أيضًا إلى النابغة الجعدي. انظر ديوانه ص ١١٢.

فصلٌ

قصةٌ أُخرَى شَبِيهةٌ بها

قال البَيْهَقِيُّ[1] : أخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخْبَرَنا محمدُ بنُ صالحٍ ، أخْبَرَنا الفَضْلُ بنُ محمدٍ الشَّعْرانيُّ ، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، أخْبرَنا عبدُ العزيزِ ابنُ عِمرانَ ، حدَّثنى [2]رفاعَةُ بنُ يحيى ، عن مُعاذِ بنِ رفاعَةَ بنِ [3]رافِعٍ ، عن أبيه رفاعةَ بنِ[3] رافعِ بنِ مالكٍ[2] ، [4]عن أبيه[4] قال : لمَّا كان يومُ بدرٍ تَجَمَّعَ الناسُ على أُميَّةَ[5] بنِ خَلَفٍ ، فأقْبَلْتُ إليه ، فنظَرْتُ إلى قِطْعَةٍ [٢/ ١٨٦و] مِن دِرْعِه قد انْقَطَعَتْ مِن تحتِ إبِطِه . قال : فطَعَنْتُه[6] بالسيفِ فيها طَعْنةً فقَطَعْتُه[7] ، ورُمِيتُ بسهمٍ يومَ بدرٍ ، ففُقِئَتْ عينى فبصَق فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ودعا لى ، فما آذانى منها شىءٌ . وهذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وإسنادُه جَيِّدٌ ، ولم يُخْرِجُوه[8] . ورَواه الطَّبَرانِيُّ مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ المُنْذِرِ[9] .

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ١٠٠. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٣٢.

(٢ - ٢) فى الدلائل : « رفاعة بن رافع بن مالك » . وانظر ترجمة رفاعة بن يحيى ومعاذ بن رفاعة فى تهذيب الكمال ٩/ ٢٠٩، ٢١٠، ٢٨/ ١٢١.

(٣ - ٣) سقط من : ص . وفى م : « رافع عن أبيه » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والدلائل . والمثبت من المستدرك .

(٥) فى النسخ : « أبى » . والمثبت من الدلائل .

(٦) فى الدلائل : « فاطعنه » .

(٧) سقط من : م ، ص .

(٨) قال الحاكم فى المستدرك : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبى قائلا : عبد العزيز ضعفوه .

(٩) تقدم تخريجه فى صفحة ١٣٤ حاشية (٥) .

قال ابنُ هشامٍ[1] : ونادى أبو بكرٍ ابنَه عبدَ الرحمنِ وهو يومَئذٍ مع المشركين لم يُسْلِمْ بعدُ ، فقال : أين مالى يا خبيثُ ؟ فقال عبدُ الرحمنِ :

لم يَبْقَ إلا شِكَّةٌ ويَعْبُوبْ وصارمٌ يَقْتُلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ

يَعْنِى لم يَبْقَ إلَّا عُدَّةُ الحربِ ، وحِصانٌ - وهو اليَعْبُوبُ - يقاتِلُ عليه شيوخَ الضلالةِ ، هذا يقولُه فى حالِ كفرِه .

وقد رَوَيْنا فى « مغازى الأُمويِّ » أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ يَمْشِى [2]يومَ بدرٍ[2] هو وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ بينَ القتلَى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ :

نُفَلِّقُ هامًا ....

فيقولُ الصديقُ[3] :

..... مِن رجالٍ أَعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أَعَقَّ وأَظْلَما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) يكمل أبو بكر رضى اللَّه عنه ما قاله رسول اللَّه ﷺ من شعر حصين بن الحمام . انظر الشعر والشعراء ٢/ ٦٤٨.

والحديث ذكره المصنف فى تفسيره ٣/ ٥٦٥، ٥٦٦.

ذِكْرُ[1] طَرْحِ رُءُوسِ الكفرِ فى بئرِ[2] بدرٍ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدثنى يزيدُ بنُ رُومانَ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : لمَّا أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالقتلَى أن يُطْرَحُوا فى القَلِيبِ ، طُرِحُوا فيه إلَّا ما كان مِن أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ ، فإنَّه انتَفَخَ فى دِرْعِه فمَلَأَها ، فذهَبوا ليُخْرِجُوه فتزايَلَ[4] لحمُه[5] ؛ فأقَرُّوه وألقَوْا عليه ما غَيَّبَه مِن الترابِ والحجارةِ ، فلمَّا ألقاهم فى القَلِيبِ وقَف عليهم ، فقال : « يا أهلَ القَلِيبِ ، هل وجَدْتم ما وعَدَكم ربُّكم حقًّا ؟ فإنِّى قد وجَدْتُ ما وعَدَنى ربى حقًّا » . قالت : فقال له أصحابُه : يا رسولَ اللَّهِ ، أتُكلِّمُ قومًا موتَى ؟! فقال : « لقد عَلِمُوا أنَّ ما وعَدَهم ربُّهم حَقٌّ » . قالت عائشةُ : والناسُ يقولُونَ : « لقد سَمِعُوا ما قلتُ لهم » . وإنما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد عَلِموا » .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدثنى حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : سَمِع أصحابُ النبىِّ ﷺ رسولَ اللَّهِ مِن جَوْفِ الليلِ وهو يقولُ : « يا أهلَ القَلِيبِ ، يا عُتْبَةَ بنَ ربِيعَةَ ، ويا شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ ، ويا أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ ، ويا أبا جهلِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م ، ص : « يوم » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٨، ٦٣٩.

(٤) تزايل : تفرق .

(٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٩.

ابنَ هشامٍ - فعدَّدَ مَن كان منهم فى القَلِيبِ - هل وجَدْتم ما وعَد ربُّكم حقًّا ؟ فإنِّى قد وجَدْتُ ما وعَدنى ربى حقًّا » . فقال المسلمون : يا رسولَ اللَّهِ ، أتُنادِى قومًا قد جَيَّفُوا[1] ؟! فقال : « ما أنتم بأَسمَعَ لِما أَقُولُ منهم ، ولكنَّهم لا يَستَطِيعون أن يُجِيبُونى » . وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن ابنِ أبى عَدِىٍّ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، فذكَر نحوَه . وهذا على شرطِ الشيخَيْن .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يا أهلَ القَلِيبِ ، بِئْسَ عشيرةُ النبىِّ كنتم لنبيِّكم ؛ كَذَّبْتُمونِى وصدَّقَنى الناسُ ، وأخْرَجْتُمونِى وآوانى الناسُ ، وقاتَلْتُمونى ونَصَرَنى الناسُ ، هل وجَدْتم ما وعَدَكم ربُّكم حقًّا ؟ فإنِّى قد وجَدْتُ ما وعَدَنِى ربِّى حقًّا » .

قلتُ : وهذا ممَّا كانت عائشةُ أمُّ المؤمنين ، رضِى اللَّهُ عنها ، تَتَأَوَّلُه مِن الأحاديثِ - كما قد جُمِعَ ما كانت تَتَأَوَّلُه مِن الأحاديثِ فى جزءٍ - وتَعْتَقِدُ أنَّه معارِضٌ لبعضِ الآياتِ ، وهذا المَقامُ مما كانت تُعارِضُ فيه قولَه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] . وليس هو بمعارِضٍ له ، والصوابُ [٢/١٨٦ظ] قولُ الجُمهورِ من الصحابةِ ومَن بعدَهم ؛ للأحاديثِ الدالَّةِ نَصًّا على خلافِ ما ذَهَبَتْ إليه ، رَضِىَ اللَّهُ عنها وأرضاها .

وقال البخارىُّ[4] : حدَّثنا عُبَيدُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا أبو أسامةَ ، عن هشامٍ

---

(١) جيفوا : أنتنوا .

(٢) المسند ٣/ ١٠٤ . (إسناده صحيح) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٩ .

(٤) البخارى (٣٩٧٨) .

ابنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : ذُكِر عندَ عائشةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنها ، أنَّ ابنَ عمرَ رفَع إلى النبيِّ ﷺ : « إنَّ الميِّتَ يُعَذَّبُ فى قبرِه ببكاءِ أهلِه » . فقالت : وَهِلَ[1] ، رحِمَه اللَّهُ ، إنَّما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّه لَيُعَذَّبُ بخطيئتِه وذنبِه ، وإنَّ أهلَه لَيَبْكُون عليه الآنَ » . قالت[2] : وذاك مثلُ قولِه : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قام على القَلِيبِ وفيه قتلَى بدْرٍ مِن المشركين ، فقال لهم ما قال ، قال : « إنَّهم لَيَسْمَعون ما أَقولُ » . وإنَّما قال : « إنَّهم الآنَ ليَعْلَمون أنَّ ما كنتُ أقولُ لهم حقٌّ » . ثم قرَأتْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] . ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ تقولُ : حينَ تَبَوَّءُوا مقاعدَهم مِن النارِ .

وقد رواه مسلمٌ[3] عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى أسامةَ به . وقد جاء التصريحُ بسماعِ الميِّتِ بعدَ دفنِه فى غيرِ ما حديثٍ ، كما سنُقَرِّرُ ذلك فى كتابِ الجنائزِ مِن « الأَحكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ .

ثم قال البخاريُّ[4] : حدَّثنى عثمانُ ، ثنا عَبْدَةُ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ قال : وَقَف النبيُّ ﷺ على قَلِيبِ بدرٍ ، فقال : « هل وجَدْتم ما وعَدَ ربُّكم حقًّا ؟ » . ثم قال : « إنَّهم الآنَ يَسْمَعون ما أَقولُ لهم » . وذُكِر لعائشةَ فقالت : إنَّما قال النبيُّ ﷺ : « إنَّهم الآنَ لَيَعْلَمون أنَّ الذى كنتُ أقولُ لهم هو الحقُّ » . ثم قرأَتْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ حتى قرأتِ الآيةَ . وقد رواه

---

(١) سقط من : م . ووهل : غلط .

(٢) البخارى (٣٩٧٩) .

(٣) مسلم (٩٣٢) .

(٤) البخارى (٣٩٨٠، ٣٩٨١) .

مسلمٌ، عن أبى كُرَيْبٍ، عن أبى أسامةَ. وعن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ، عن وَكيعٍ، كلاهما عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ[1].

وقال البخاريُّ[2]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ، سَمِع رَوْحَ بنَ عُبادةَ، ثنا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ، عن قتادةَ قال: ذكَر لنا أنسُ بنُ مالكٍ، عن أبى طَلْحةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر يومَ بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلًا مِن صَنادِيدِ قريشٍ، فقُذِفوا فى طَوِىٍّ مِن أَطْواءِ[3] بدرٍ خَبيثٍ مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهَر على قومٍ أقام بالعَرْصَةِ ثلاثَ ليالٍ، فلما كان ببدرٍ اليومَ الثالثَ، أمَر براحلتِه فشُدَّ عليها رَحْلُها، ثم مشَى واتَّبَعَه أصحابُه وقالوا: ما نُرَى يَنْطَلِقُ إلَّا لبعضِ حاجتِه. حتى قام على شَفَةِ الرَّكِىِّ[4]، فجعَل يُنادِيهم بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم؛ يا فلانَ بنَ فلانٍ، ويا فلانَ بنَ فلانٍ: «أيَسُرُّكم أنَّكم أَطَعْتُم اللَّهَ ورسولَه؟ فإنَّا قد وجَدْنا ما وعَدَنا ربُّنا حقًّا [5]فهل وجَدْتم ما وعَد ربُّكم حقًّا؟[5]». فقال عمرُ: يا رسولَ اللَّهِ، ما تُكَلِّمُ مِن أجسادٍ لا أرواحَ لها[6]؟ فقال النبىُّ ﷺ: «والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ما أنتم بأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ منهم». قال قتادةُ: أَحْياهم اللَّهُ حتى

---

(١) مسلم: الموضع السابق، (٠٠٠) (٩٣٢).

(٢) البخارى (٣٩٧٦).

(٣) قال ابن حجر: الأطواء: جمع طوىّ وهى البئر التى طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار. الفتح ٧/ ٣٠٢.

(٤) الركى، بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره: البئر قبل أن تطوى. المصدر السابق.
قال الحافظ: ويجمع بين الروايتين بأنها كانت مطوية فاستهدمت فصارت كالركى. انظر المصدر السابق.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) فى الأصل، م: «فيها».

أَسْمَعَهم قولَه ؛ توبيخًا ، وتصغيرًا ، ونِقْمَةً ، وحَسْرةً ، وندَمًا . وقد أخرَجه بقيةُ الجماعةِ إلّا ابنَ ماجه ، مِن طُرُقٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبَةَ[1] .

ورواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن يونسَ بنِ محمدٍ المُؤَدِّبِ ، عن شَيْبانَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن قتادةَ قال : حَدَّث أنسُ بنُ مالكٍ . فذكَر مثلَه ، فلم يَذْكُرْ أبا طَلْحةَ ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، ولكنَّ الأولَ أصحُّ وأظهرُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عَفَّانُ ، ثنا حَمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَرَك قَتْلَى بدرٍ ثلاثةَ أيامٍ حتى جَيَّفُوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ ، يا أبا جهلِ بنَ هشامٍ ، يا عُتْبَةَ بنَ رَبِيعةَ ، يا شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ ، هل وجَدْتم ما وعَد ربُّكم حقًّا ؟ فإنِّى قد وجَدْتُ ما وعَدَنى ربِّى حقًّا » . قال : فسَمِع عمرُ صوتَه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَتُنادِيهم بعدَ ثلاثٍ ؟ وهل يَسْمَعون ؟ يقولُ اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . فقال : « والذى نفسى بيدِه ما [٢/ ١٨٧و] أنتم بأَسْمَعَ لِمَا أَقولُ منهم ، ولكن لا يَسْتَطِيعونَ أن يُجِيبُوا » . ورواه مسلمٌ[4] ، عن هُدْبَةَ بنِ خالدٍ ، عن حمّادِ بنِ سَلَمَةَ به .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ[6] :

---

(١) مسلم (٢٨٧٥) ، وأبو داود (٢٦٩٥) ، والترمذى (١٥٥١) ، والنسائى فى السنن الكبرى (٨٦٥٧) .

(٢) المسند ٣/ ١٤٥.

(٣) المسند ٣/ ٢٨٧.

(٤) مسلم (٢٨٧٤) ، وفيه : « هَدّاب » بدلا من : « هدبة » . وهو اختلاف فى اسمه . انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٥٢.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٣٩، ٦٤٠.

(٦) ديوان حسان ص ١٣٤، ١٣٥.

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكَثِيبِ كخَطِّ الوَحْيِ فى الوَرَقِ القَشِيبِ[1]

تَداوَلُها الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ مِن الوَسْمىِّ منهمِرٍ سَكُوبِ[2]

فأَمْسَى رَسْمُها خَلَقًا وأَمْسَتْ يَبابًا[3] بعدَ ساكِنِها الحَبِيبِ

فدَعْ عنك التذكُّرَ كلَّ يومٍ ورُدَّ حرارةَ القلبِ[4] الكئيبِ

وخَبِّرْ بالذى لا عيبَ فيه بصِدْقٍ غيرِ إخبارِ الكَذوبِ

بما صنعَ المَلِيكُ غَداةَ بدرٍ لنا فى المشركين مِن النصيبِ

غداةَ كأنَّ جمعَهمُ حِراءٌ بدَتْ أركانُه جُنْحَ الغُروبِ

فَلاقَيْناهمُ منا بجَمْعٍ كأُسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشِيبِ

أمامَ محمدٍ قد وازَروه على الأَعداءِ فى لَفْحِ الحروبِ[5]

بأيديهم صَوارِمُ مُرْهَفاتٌ وكلُّ مُجَرَّبٍ خاظِى الكُعوبِ[6]

بنو الأوسِ الغَطارِفُ وازَرَتْها بنو النَّجَّارِ فى الدِّينِ الصَّلِيبِ[7]

---

(١) القشيب : الجديد والخَلَق ، وهو من الأضداد . اللسان (ق ش ب) .
قال السهيلى فى الروض الأنف ٥/ ١٧٨: أراد حسان بالقشيب ههنا الذى خالطه ما يفسده ؛ إما من دنس ، وإما من قِدَم .

(٢) الجون : السحاب الأسود . والوسمى : مطر الخريف . وسكوب : كثير السيلان . شرح غريب السيرة ٢/ ٤٠ .

(٣) يبابا : أى قفرا . المصدر السابق .

(٤) فى الديوان والسيرة : « الصدر » .

(٥) وازروه : آزروه .

(٦) خاظى الكعوب : مكتنز شديد . والكعوب : عُقَد القناة والقناة : الرمح الأجوف . انظر المصدر السابق .

(٧) وازرتها : أى كانت وزيرةً لها ، من الوِزْر وهو الثقل ، أو من الوَزَر وهو الملجأ . انظر الروض الأنف ٥/ ١٧٩. وصليب : شديد ، وذو صلابة . اللسان (ص ل ب) .

فغادَرْنا أبا جَهْلٍ صَرِيعًا وعُتْبَةَ قد ترَكْنا بالجَبُوبِ[1]

وشَيْبَةَ قد ترَكْنا فى رجالٍ ذوِى حَسَبٍ إذا نُسِبُوا حَسِيبِ

يُنادِيهم رسولُ اللَّهِ لمَّا قَذَفْناهم كَباكِبَ[2] فى القَلِيبِ

ألم تَجِدوا كلامىَ كان حقًّا وأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بالقلوبِ

فما نَطَقُوا ولو نَطَقُوا لقالوا صَدَقْتَ وكنتَ ذا رَأْيٍ مُصِيبِ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ولمّا أمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُلْقَوْا فى القَلِيبِ ، أُخِذ عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ فسُحِبَ فى القَلِيبِ ، فنظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بَلَغنى ، فى وجهِ أبى حُذَيْفَةَ بنِ عُتْبَةَ ، فإذا هو كئيبٌ قد تغَيَّرَ لونُه ، فقال : « يا أبا[4] حُذَيْفَةَ ، لعلك قد دخَلَك مِن شأنِ أبيك شىءٌ » . أو كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ما شَكَكْتُ فى أبى ولا فى مَصْرَعِه ، ولكنى كنتُ أَعْرِفُ من أبى رأيًا وحِلْمًا وفضلًا ، فكنتُ أَرْجو أن يَهْدِيَه ذلك للإسلامِ ، فلمَّا رأيتُ ما أصابه ، وذكَرْتُ ما مات عليه مِن الكُفرِ بعدَ الذى كنتُ أَرْجو له ، أَحْزَننى ذلك . فدعا له رسولُ اللَّهِ ﷺ بخيرٍ، وقال له خيرًا .

وقال البخارىُّ[5] : حدَّثنا الحُمَيْدِىُّ ، حدثنا سُفيانُ ، ثنا عمرٌو ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ الذين بدلوا نعمة اللّه كفرًا ﴾ قال : هم واللَّهِ كفارُ

---

(١) الجبوب : وجه الأرض . اللسان (ج ب ب) .

(٢) الكباكب : جمع الكَبْكَب والكَبْكَبة ، وهى الجماعة . انظر اللسان (ك ب ب) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٠، ٦٤١.

(٤) سقط من : م .

(٥) البخارى (٣٩٧٧) .

قريشٍ. (١قال عمرٌو: هم قريشٌ١)، ومحمدٌ ﷺ نِعْمةُ اللَّهِ، ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ [٢/١٨٧ظ] دَارَ البَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. قال: النارَ يومَ بدرٍ.

قال ابنُ إسحاقَ(٢): وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ(٣):

قَوْمِى الذين همُ آوَوْا نبيَّهمُ ... وصدَّقوه وأهلُ الأرضِ كُفَّارُ
إلَّا خصائصَ أقوامٍ هُمُ سَلَفٌ ... للصالحين مع(٤) الأنصارِ أنصارُ
مُسْتَبْشِرين بقَسْمِ(٥) اللَّهِ قولُهمُ ... لمَّا أتاهمْ كريمُ الأصلِ مُختارُ
أهلًا وسهلًا ففى أَمنٍ وفى سَعَةٍ ... نِعْمَ النبىُّ ونِعْمَ القَسْمُ والجارُ
فأنْزَلُوه بدارٍ لا يَخافُ بها ... مَن كان جارَهمُ دارًا هى الدارُ(٦)
وقاسَمُوه(٧) بها الأموالَ إذ قَدِموا ... مُهاجِرين وقِسْمُ الجاحدِ النارُ
سِرْنا وساروا إلى بدرٍ لحَيْنِهمُ ... لو يَعْلَمونَ يَقِينَ العِلمِ ما ساروا
دلَّاهمُ بغُرورٍ ثُم أَسْلَمَهُمْ ... إنَّ الخبيثَ لِمَن والاه غَرَّارُ
وقال إنِّى لكم جارٌ فأَوْرَدَهُمْ ... شَرَّ المَوارِدِ فيه الخِزْىُ والعارُ

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٦٤.
(٣) ديوان حسان ص ٣٨٨، ٣٨٩.
(٤) فى الأصل، م: «من».
(٥) القسم: بفتح القاف المصدر، وبكسرها هو الحظ والنصيب. شرح غريب السيرة ٢/ ٤٧.
(٦) هذا البيت سقط من: الأصل، ص.
(٧) فى الأصل، م: «قاسموهم».

ثُم الْتَقَيْنا فوَلَّوْا عن سَراتِهِمُ مِن مُنْجِدِين ومنهم فِرقةٌ غاروا[1]

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا يحيى بنُ أبى بُكَيْرٍ[3] وعبدُ الرزاقِ قالا : حدثنا إسرائيلُ ، [4]عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ[4] ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : [5]لمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن القتلَى ، قيل له[5] : عليك العِيرَ ، ليس دونَها شيءٌ . فناداه العباسُ وهو فى الوَثاقِ : إنَّه لا يَصْلُحُ لك . قال : « لِمَ ؟ » قال : لأنَّ اللَّهَ وعَدَك إحدَى الطائفتَين ، وقد أَنجزَ لك ما وعَدَك .

وقد كان جملةُ مَن قُتِلَ مِن سَراةِ الكفارِ يومَ بدرٍ سبعين ، هذا مع حضورِ ألفٍ مِن الملائكةِ ، وكان قدَرَ اللَّهِ السابقَ فيمن بَقِىَ منهم ؛ أن سيُسْلِمُ منهم بَشَرٌ كثيرٌ ، ولو شاء اللَّهُ لَسَلَّطَ عليهم مَلَكًا واحدًا فأَهْلَكَهم عن آخرِهم ، ولكن قَتَلوا مَن لا خيرَ فيه بالكُلِّيَّةِ ، وقد كان فى الملائكةِ جبريلُ ، الذى أمَره اللَّهُ تعالى فاقْتَلَعَ مَدائنَ قومِ لوطٍ وكُنَّ سَبْعًا ، فيهن مِن الأممِ والدوابِّ والأراضى والمزروعاتِ ، وما لا يَعْلَمُه إلا اللَّهُ ، فرفَعهنَّ حتى بلَغ بهنَّ عَنانَ السماءِ على طَرَفِ جَناحِه ، ثم قلَبَهُنَّ مُنَكَّساتٍ ، وأَتْبَعهنَّ بالحجارةِ التى سُوِّمَتْ لهم ، كما ذكَرْنا ذلك فى قصةِ قومِ لوطٍ فيما تقدم[6] .

---

(١) منجدين : أى قاصدين نجدًا وهو المرتفع من الأرض ، وغاروا : قصدوا الغور ، وهو ما انخفض من الأرض . شرح غريب السيرة ٢/ ٤٧. والمعنى أنهم تفرقوا وتشتتوا .

(٢) رواية يحيى فى المسند ١/ ٢٢٨، ٢٢٩، ورواية عبد الرزاق فى ١/ ٣١٤، قال المصنف فى التفسير ٣/ ٥٥٦: إسناد جيد . (إسناده صحيح) .

(٣) فى النسخ : « بكر » . وهو خطأ . والمثبت من المسند .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٥ - ٥) كذا بالنسخ ، وفى الموضعين السابقين من المسند : « قيل للنبى ﷺ حين فرغ من بدر » .

(٦) انظر ما تقدم فى ١/ ٤٢٠ - ٤٢٤.

وقد شرَع اللَّهُ جهادَ المؤمنين للكافرين، وبَيَّنَ تعالى حُكمَه فى ذلك فقال[1]: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية [محمد: ٤]. وقال تعالى[2]: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ الآيـة [التوبة: ١٤، ١٥]. فكان قتلُ أبى جهلٍ على يَدَىْ شابٍّ مِن الأنصارِ، ثم بعدَ ذلك يُوقَفُ عليه عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، ويُمْسِكُ بلحيتِه ويَصْعَدُ على صدرِه حتى قال له: لقد ارتَقَيْتَ مُرْتَقًى صعبًا يا رُوَيْعِىَ الغنمِ. ثم بعدَ هذا حَزَّ رأسَه واحتَمَلَه حتى وضَعَه بيـنَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ، فشَفَى اللَّهُ به قلوبَ المؤمنين، كان هذا أبْلَغَ مِن أن تَأْتِيَه صاعقةٌ، أو أن يَسْقُطَ عليه سقفُ منزلِه، أو يَموتَ حَتْفَ أنفِه. واللَّهُ أعلمُ.

وقد [٢/١٨٨و] ذكَر ابنُ إسحاقَ[3] فيمَن قُتِلَ يومَ بدرٍ مع المشركين ممن كان مسلمًا، ولكنَّه خرَج معهم تَقِيَّةً منهم؛ لأنَّه كان فيهم مضطهَدًا قد فَتَنُوه عن إسلامِه، جماعةً؛ منهم الحارثُ بنُ زَمْعةَ بنِ الأسودِ، وأبو قَيْسِ بنُ الفاكِهِ، [4]وأبو قَيْسِ بنُ الوليدِ بنِ المغيرةِ[4]، وعلىُّ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ،

---

(١) التفسير ٧/٢٨٩ - ٢٩٢.

(٢) التفسير ٤/ ٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤١.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

والعاصُ[1] بنُ مُنَبِّهِ بنِ الحجّاجِ. قال: وفيهم نزَل قولُه تعالى[2]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]. وكان جملةُ الأُسارَى يومئذٍ سبعين أسيرًا، كما سيأْتِى الكلامُ عليهم فيما بعدُ إن شاء اللَّهُ، منهم مِن آلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ عمُّه العباسُ ابنُ عبدِ المُطَّلبِ، وابنُ عمِّه عَقِيلُ بنُ أبى طالبٍ، ونَوْفَلُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ. وقد اسْتَدلَّ الشافعىُّ والبخارىُّ وغيرُهما بذلك[3]، على أنَّه ليس كلُّ مَن مَلَك ذا رَحِمٍ مَحْرَمٍ يَعْتِقُ عليه، وعارَضوا به حديثَ الحسَنِ، عن ابنِ سَمُرَةَ فى ذلك[4]. فاللَّهُ أعلمُ. وكان فيهم أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ أُمَيَّةَ، زوجُ زينبَ بنتِ النبىِّ ﷺ.

---

(١) كذا فى النسخ ومصدر التخريج. ولعله الصواب. وفى تفسير الطبرى ٥/ ٢٣٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٣، والدر المنثور ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦: «أبو العاص». وانظر نسب قريش ص ٤٠٤، وجمهرة أنساب العرب ص ١٦٥.

(٢) انظر التفسير ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣.

(٣) انظر فتح البارى ٥/ ١٦٧، ١٦٨. كتاب العتق: باب: إذا أُسِر أخو الرجل أو عمُّه هل يُفادَى إذا كان مشركا؟

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ١٥، ١٨، ٢٠، وأبو داود (٣٩٤٩)، والترمذى (١٣٦٥)، والنسائى فى الكبرى (٤٨٩٨ - ٤٩٠٢).

فصلٌ

وقد اخْتَلَفَ الصحابةُ فى الأُسارَى ؛ أَيُقْتَلُون أو يُفادَوْن على قولَين ، كما قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، وذكَر رَجُلًا ، عن الحسنِ قال : استشارَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ فى الأُسارَى يومَ بدرٍ ، فقال : « إنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، قد أَمْكَنَكم منهم » . قال : فقام عمرُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، اضْرِبْ أعناقَهم . قال : فأَعْرَض عنه النبىُّ ﷺ ، ثم عاد [2][3]رسولُ اللَّهِ[3] ﷺ فقال : « [4]يا أيها[4] الناسُ ، إنَّ اللَّهَ قد أمكنكم منهم[5] ، وإنما هم إخوانُكم بالأمسِ » . قال[5] : فقام عمرُ[5] فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، اضرِبْ أعناقَهم . فأعرَض عنه النبىُّ ﷺ ، ثم عاد[2] النبىُّ ﷺ فقال للناسِ مثلَ ذلك ، فقام أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، نَرَى[6] أن تَعْفُوَ عنهم وأن تَقْبَلَ منهم الفِداءَ . قال : فذهَب عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما كان فيه مِن

---

(١) المسند ٣/ ٢٤٣. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٨٧: رواه أحمد عن شيخه على بن عاصم بن صهيب ، وهو كثير الغلط والخطأ ، لا يرجع إذا قيل له الصواب ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) زيادة من : المسند .

(٤) فى الأصل : « أيها » .

(٥) زيادة من المسند .

(٦) هكذا فى النسخ ، ومثله فى التفسير ٤/٣٢ ، والذى فى المسند : « إن ترى » وفى مجمع الزوائد « ترى » .

الغَمِّ ، فعَفَا عنهم ، وقَبِلَ منهم الفِداءَ . قال : وأنزل اللَّهُ تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ (١) فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ إلى آخِرِ (١) الآيةِ [الأنفال : ٦٨] . انفَرَد به أحمدُ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ(٢) - واللفظُ له - ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والترمذىُّ وصحَّحه ، وكذا علىُّ بنُ المَدِينىِّ ، وصحَّحه مِن حديثِ عِكرِمَةَ بنِ عمَّارٍ ، حدَّثنا سِماكٌ الحَنَفِىُّ أبو زُمَيْلٍ ، حدَّثنى ابنُ عباسٍ ، حدَّثنى عمرُ بنُ الخطابِ ، قال : نَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أصحابِه يومَ بدرٍ ، وهم ثلاثُمائةٍ ونيِّفٌ ، ونَظَر إلى المُشْرِكين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فذَكَر الحديثَ كما تَقَدَّم إلى قولِه : فقُتِل منهم سبعون رجلًا ، وأُسِر منهم سبعون رجلًا . واسْتَشار رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ وعليًّا وعمرَ ، فقال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، هؤلاءِ بنو العمِّ والعشيرةُ والإخْوانُ ، وإنِّى أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهم الفِدْيَةَ ، فيَكونَ ما أَخَذْناه قوةً لنا على الكفارِ ، وعَسَى أن يَهْدِيَهم اللَّهُ ، فيَكُونوا لنا عَضُدًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما تَرَى يا بنَ الخطابِ ؟ » قال : قلتُ : واللَّهِ ما أَرَى ما رَأَى أبو بكرٍ ، ولكن أَرَى أن تُمَكِّنَنى مِن فُلَانٍ - قريبٍ لعمرَ - فأَضْرِبَ عُنُقَه ، وتُمَكِّنَ عليًّا مِن عَقِيلٍ فيَضْرِبَ عُنُقَه ، وتُمَكِّنَ حَمْزةَ مِن فلانٍ أخيه فيَضْرِبَ عُنُقَه ، حتى يَعْلَمَ اللَّهُ أنَّه ليستْ فى قلوبِنا هَوَادَةٌ للمشركين ، وهؤلاء صَنادِيدُهم وأئمتُهم وقادتُهم . فهَوِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ما قال أبو بكرٍ ، ولم يَهْوَ ما قلتُ ، (٣) وأَخَذَ منهم الفِداءَ . فلمَّا كان مِن الغَدِ (٣) قال عمرُ : فغَدَوْتُ إلى النبىِّ ﷺ [٢/١٨٨ظ]

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٠٠ حاشية (٥) ، وصفحة ١٠١ حاشية (٢) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

[1] فإذا هو قاعدٌ وأبو بكرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، وإذا[1] هما يَبْكِيان، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أخْبِرْنِي ماذا يُبْكِيك أنت وصاحبَك، فإنْ وَجَدْتُ بُكاءً بَكَيْتُ، وإن لم أجِدْ بُكاءً تَبَاكَيْتُ لبُكائِكما؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أصحابُكَ مِن أَخْذِهِمُ الفِدَاءَ، قَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُم أَدْنَى مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ» - لشجرةٍ قريبةٍ - وأَنْزَل اللَّهُ تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تَكُونَ[2] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ) مِن الفداءِ، ثُم أَحَلَّ لهم الغَنائِمَ، وذَكَر تمامَ الحديثِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا أبو معاويةَ، حدَّثنا الأَعْمَشُ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، عن [4]أبي عُبيدةَ[4]، عن عبدِ اللَّهِ قال: لما كان يومُ بدرٍ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الأَسْرَى؟» قال: فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللَّهِ، قومُك وأهلُك، اسْتَبْقِهم واسْتَأْنِ بهم؛ لعلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عليهم. قال: وقال عمرُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَخْرَجوك وكَذَّبُوك، قَرِّبْهم[5] فاضْرِبْ أَعْناقَهم. قال: وقال عبدُ اللَّهِ ابنُ رَوَاحَةَ: يا رسولَ اللَّهِ، انْظُرْ وادِيًا كثيرَ الحَطَبِ فأَدْخِلْهم فيه ثُم أَضْرِمْه[6]

(١ - ١) في النسخ: «وأبي بكر و». والمثبت من المسند.

(٢) هكذا في النسخ بالتاء، وهي قراءة أبي عمرو وقرأ الباقون بالياء. انظر حجة القراءات ص ٣١٣.

(٣) المسند ١/ ٣٨٣، ٣٨٤. إسناده ضعيف، لانقطاعه؛ أبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٤ - ٤) في النسخ: «عبيدة». والمثبت من المسند. وأبو عبيدة هو عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي. انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٦١.

(٥) ليست في المسند.

(٦) في المسند: «أضرم».

عليهم نارًا . [1]فقال العباسُ : قطعتَ رحِمَك[1] . قال : فدَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ولم يَرُدَّ عليهم شيئًا ، فقال ناسٌ : يَأْخُذُ بقولِ أبى بكرٍ . وقال ناسٌ : يَأْخُذُ بقولِ عمرَ . وقال ناسٌ : يَأْخُذُ بقولِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَوَاحةَ . فخرَج عليهم ، فقال : « إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فيه حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِن اللَّبَنِ[2] ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجالٍ فيه حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِن الحِجَارَةِ ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ ، كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ ، عليه السلامُ ، قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . ومَثَلَكَ يا أَبا بَكْرٍ كمَثَلِ عِيسى ، قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . وإنَّ مَثَلَك يا عُمَرُ كمَثَلِ نوحٍ ، قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ . وإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ . أَنْتُمْ عَالَةٌ[3] ، فَلَا [4]يَنْفَلِتَنَّ منهم[4] أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ . قال عبدُ اللَّهِ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إلا سُهَيْلَ[5] بنَ بَيْضَاءَ ؛ فإنِّى قد سَمِعْتُه يَذْكُرُ

(١ - ١) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) فى م ، ص : « اللين » .

(٣) عالة : فقراء .

(٤ - ٤) فى النسخ : « يبقين » . والمثبت من المسند .

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٥/ ٣٦٣٥، ٣٦٣٦: « الصواب سهل بن بيضاء ، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها فى نفير بدر ، فشهد بدرًا مع المشركين ، فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلى بمكة ، فخلى عنه ، والذى روى هذه القصة فى سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ مسلما ، لا شك فيه ، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلًا أشهر من أخيه سهل ، والقصة فى سهل » . انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٢١٣، والإصابة ٣/ ١٩٤.

الإسلامَ . قال : فسَكَت . قال : فما رَأَيتُنى فى يومٍ أخوفَ أن تَقَعَ عَلَىَّ حِجارةٌ مِن السماءِ مِن[1] ذلك اليومِ ، حتى قال: « إلَّا سُهَيْلَ بنَ بَيْضاءَ » . قال : فَأَنْزَل اللَّهُ : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تَكُونَ[2] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) إلى آخرِ الآيتَيْنِ . وهكذا رَوَاه الترمذىُّ ، والحاكمُ مِن حديثِ أبى معاويةَ[3] ، وقال الحاكمُ : صحيحُ الإسنادِ ، ولم يُخْرِجاه . ورَوَاه ابنُ مَرْدَوَيْهِ[4] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وأبى هُرَيْرَةَ بنحوِ ذلك ، وقد رُوِىَ عن أبى أيوبَ الأنصارىِّ بنحوِه[5] .

وقد رَوَى ابنُ مَرْدَوَيْهِ ، والحاكمُ فى « المُسْتَدْرَكِ »[6] مِن حديثِ عُبَيْدِ اللَّهِ ابنِ موسى ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن إبراهيمَ بنِ مُهاجِرٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : لمَّا أُسِر الأُسارَى يومَ بدرٍ أُسِر العباسُ فيمن أُسِر ، أَسَره رجلٌ مِن الأنصارِ ، قال : وقد أَوْعَدَتْه الأنصارُ أنْ يَقْتُلوه ، فبَلَغ ذلك النبىَّ ﷺ فقال : « إنِّى لَمْ أَنَمِ الليلةَ مِن أَجْلِ عَمِّى العَبَّاسِ ، وقد زَعَمَتِ الأَنصارُ أَنَّهُم قاتلُوه » .

---

(١) فى المسند : « فى » .

(٢) انظر صفحة ١٦٣ حاشية (٢) .

(٣) سنن الترمذى (١٧١٤) ، والمستدرك ٣/ ٢١، ٢٢. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٨٨) .

(٤) ذكره فى التفسير ٤/٣٣ من حديث عبد الله بن عمر . والدر المنثور ٣/٢٠٣ من حديث أبى هريرة .

(٥) التفسير ٤/ ٣٣. سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٨ .

(٦) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٢٠٢، وعزاه لابن مردويه . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٣٢٩ بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبى : على شرط مسلم . وقال الألبانى فى الإرواء ٥/ ٤٦، ٤٧: وهو كما قال - أى الذهبى - لولا أن فيه إبراهيم بن مهاجر ، قال الحافظ : صدوق لين الحفظ .

قال عمرُ: أفآتِيهم؟ قال: «نعم». فأَتَى عمرُ الأنصارَ، فقال لهم: أَرْسِلوا العباسَ. فقالوا: لا واللَّهِ لا نُرْسِلُه. فقال لهم عمرُ: فإن كان لرسولِ اللَّهِ رِضًى؟ قالوا: فإن كان له رِضًى فخُذْه. فأَخَذه عمرُ، فلمَّا صار فى يدِه قال له عمرُ: يا عباسُ، أَسْلِمْ فواللَّهِ [٢/ ١٨٩و] لَأَنْ تُسْلِمَ أحبُّ إلىَّ مِن أنْ يُسْلِمَ الخطابُ، وما ذاك إلا لِما رأيتُ رسولَ اللَّهِ يُعْجِبُهُ إِسْلَامُكَ. قال: واسْتَشار رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ، فقال أبو بكرٍ: عشيرتُك؛ فأَرْسِلْهم. واسْتَشار عمرَ، فقال: اقْتُلْهم. ففاداهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأَنْزل اللَّهُ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تَكُونَ[1] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية. ثُم قال الحاكمُ[2]: هذا حديثٌ صحيحُ الإسْنادِ، ولم يُخْرِجاه.

ورَوَى الترمذىُّ، والنَّسائىُّ، وابنُ [3]حبانَ فى «صحيحِه»[3][4] مِن حديثِ سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ، عن عَبِيدةَ، عن علىٍّ قال: جاء جبريلُ إلى النبىِّ ﷺ، فقال: خَيِّرْ أصحابَكَ فى الأُسارَى، إن شاءُوا الفداءَ وإنْ شاءُوا القَتْلَ، على أنْ يُقْتَلَ عامًا قابلًا منهم مِثْلُهم. قالوا: الفداءَ ويُقْتَلُ منا. وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، ومنهم مَنْ رَواه مرسلًا، عن عَبِيدةَ[5]. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) انظر صفحة ١٦٣ حاشية (٢).

(٢) بعده فى م: «فى صحيحه».

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «ماجه».

(٤) سنن الترمذى (١٥٦٧)، والنسائى فى الكبرى (٨٦٦٢)، والإحسان (٤٧٩٥) صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٧٢).

(٥) انظر كلام الترمذى فى السنن عقب الحديث، والإرواء ٥/ ٤٩.

وقد قال ابنُ إسحاقَ[1] ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ فى قولِه : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يقولُ : لولا أنِّى لا أُعَذِّبُ مَنْ عَصَانِى حتى أتَقَدَّمَ إليه ، لَمَسَّكُم فيما أَخَذْتم عذابٌ عظيمٌ . وهكذا رُوِىَ عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ أيضًا[2] ، واخْتارَه ابنُ إسحاقَ[3] وغيرُه .

وقال الأعمشُ[4] : سَبَق منه أن لا يُعَذِّبَ أحدًا شَهِد بَدْرًا . وهكذا رُوِىَ عن سعدِ[5] بنِ أبى وَقَّاصٍ ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، وعطاءِ بنِ أبى رَبَاحٍ[6] .

وقال مجاهدٌ والثَّورىُّ[7] : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ أى : لهم بالمَغْفِرةِ .

وقال الوالِبِىُّ[8] ، عن ابنِ عباسٍ : سَبَق فى أُمِّ الكتابِ الأولِ ، أنَّ المَغانِمَ وفداءَ الأُسارَى حلالٌ لكم ، ولهذا قال بعدَه : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] . وهكذا رُوِىَ عن أبى هريرةَ ، وابنِ مسعودٍ ، وسعيدِ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٥، ٦٧٦.

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٠/ ٤٧. سورة الأنفال آية ٦٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٦.

(٤) ذكره المصنف فى التفسير ٤/ ٣٤.

(٥) فى الأصل : « سعيد » .

(٦) أخرجه عن سعد ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٥٧، ٣٥٨، وعن سعيد بن جبير ، الطبرى فى تفسيره ١٠/ ٤٦، وذكره عن عطاء بن أبى رباح المصنف فى التفسير ٤/ ٣٤.

(٧) ذكره عن مجاهد ، السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٢٠٣، وعزاه لابن أبى حاتم . وعن الثورى ، المصنف فى التفسير ٤/ ٣٤.

(٨) ذكره المصنف فى التفسير ٤/ ٣٤.

جُبَيْرٍ، وعطاءٍ، والحسنِ، وقَتَادَةَ، والأعمشِ، واخْتارَه ابنُ جَرِيرٍ[1]، وقد تَرَجَّحَ هذا القولُ بما ثَبَت فى «الصحِيحَيْنِ»[2] عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأَنْبِياءِ قَبْلى؛ نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأُحِلَّتْ لِىَ الغَنائِمُ ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِى، وأُعْطِيتُ الشَّفاعةَ، وكانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِه، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً».

ورَوَى الأَعْمَشُ، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ: «لَم تَحِلَّ الغَنائِمُ لِسُودِ الرُّءُوسِ غَيْرِنَا»[3]. ولهذا قال تعالى[4]: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾. فأذِنَ اللَّهُ تعالى فى أَكْلِ الغَنائمِ، وفداءِ الأُسارَى.

وقد قال أبو داودَ[5]: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ المَبارَكِ العَيْشِىُّ[6]، ثنا سفيانُ ابنُ حَبِيبٍ، ثنا شُعْبَةُ، عن أبى العَنْبَسِ، عن أبى الشَّعْثاءِ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَعَل فِداءَ أهلِ الجاهليةِ يومَ بَدْرٍ أَرْبَعَمائةٍ. وهذا كان أقلَّ ما فُودِىَ به أحدٌ منهم مِن المالِ، وأكثرُ ما فُودِىَ به الرجلُ منهم أربعةُ آلافِ درهمٍ.

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٠/٤٤ - ٤٦. سورة الأنفال آية ٦٨.

(٢) البخارى (٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢) مختصرا، ومسلم (٥٢١).

(٣) الترمذى (٣٠٨٥) وقال: حسن صحيح غريب من حديث الأعمش. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٤٦٣).

(٤) التفسير ٤/ ٣٥. سورة الأنفال آية ٦٩.

(٥) أبو داود (٢٦٩١).

(٦) فى الأصل: «العيسى». وفى م، ص: «العبسى». والمثبت من سنن أبى داود، وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٨٢.

وقد وَعَد اللَّهُ مَن آمَن منهم بالخَلَفِ عما أُخِذ منه فى الدنيا والآخرةِ، فقال تعالى[1]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾ الآية [الأنفال: ٧٠].

وقال الواليُّ[2]، عن ابنِ عباسٍ: نَزَلَتْ فى العباسِ، ففادَى نفسَه بالأربعين أُوقِيَّةً مِن ذهبٍ. قال العباسُ: فآتانى اللَّهُ أربعين عَبْدًا - يَعْنِى كلُّهم يَتَّجِرُ له - قال: وأنا أَرْجو المَغْفِرَةَ التى وَعَدَنَا اللَّهُ، جلَّ ثناؤُه.

وقال ابنُ إسحاقَ[3]: حدَّثنى العباسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ[4]، عن بعضِ أهلِه، عن ابنِ عباسٍ، قال: لمَّا أَمْسَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ، والأُسارَى مَحْبوسون بالوَثاقِ بات [٢/١٨٩ظ] النبيُّ ﷺ ساهرًا أَولَ الليلِ، فقال له أصحابُه: ما لك لا تنامُ يا رسولَ اللَّهِ؟ فقال: «سَمِعْتُ أَنِينَ عَمِّى العباسِ فى وَثَاقِه». فأَطْلَقُوه، فسَكَتَ، فنامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وكان رجلًا مُوسِرًا ففادَى نفسَه بمائةِ أُوقِيَّةٍ مِن ذهبٍ.

قلتُ: وهذه المائةُ كانت عن نفسِه، وعن ابنَىْ أخوَيْه عَقِيلٍ ونَوْفَلٍ، وعن حَلِيفِه عُتبةَ بنِ عمرٍو أحدِ بنى الحارثِ بنِ فِهْرٍ، كما أَمَره بذلك رسولُ اللَّهِ

---

(١) التفسير ٤/٣٥ - ٣٨.

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٠/ ٤٩.

(٣) أخرجه الفسوى فى تاريخه ١/ ٥٠٦، والطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٦٣، والبيهقى فى الدلائل ٣/ ١٤١، كلهم عن ابن إسحاق به.

(٤) فى الأصل، م: «مغفل». وفى ص: «معقل». والمثبت من تاريخ الطبرى والدلائل. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢١٩.

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٤١، عن ابن إسحاق.

ﷺ حينَ ادَّعَى[1] أنَّه كان قد أَسْلم ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا ظَاهِرُكَ فَكان علينا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلامِكَ وسَيَجْزِيكَ » . فادَّعَى أنَّه لا مالَ عندَه ، قال : « فَأَيْنَ المَالُ الَّذِى دَفَنْتَه أنتَ وأُمُّ الفَضْلِ ، وقُلْتَ لها : إنْ أُصِبْتُ فِى سَفَرِى فهذا لِبَنِىَّ ؛ الفَضْلِ وعَبْدِ اللَّهِ وقُثَمَ ؟ » . فقال : واللَّهِ إنِّى لأَعْلمُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ، إنَّ هذا شىءٌ ما عَلِمَه إلا أنا وأمُّ الفَضْلِ . رَواه ابنُ إسحاقَ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ[2] .

وثَبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[3] مِن طريقِ موسى بنِ عُقْبةَ ، قال الزُّهْرِىُّ : حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ قال : إنَّ رجالًا مِن الأنصارِ اسْتَأْذَنوا رسولَ اللَّهِ ﷺ قالوا : ائذَنْ لنا فلْنَتْرُكْ لابنِ أُخْتِنا العباسِ فِداءَه . فقال : « لا وَاللَّهِ لَا تَذَرون مِنْهُ دِرْهَمًا » .

قال البخارىُّ[4] : وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ النَّبىَّ ﷺ أُتِىَ بمالٍ مِن البَحْرَيْنِ ، فقال : « انْثُرُوه فى المَسْجِدِ » . فكان أكثرَ مالٍ أُتِىَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ؛ إذ جاءَه العباسُ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَعْطِنى ؛ إنِّى فادَيْتُ نفسى وفادَيْتُ عَقِيلًا . فقال : « خُذْ » . فَحَثَا فى ثَوْبِه ثُم ذَهَب يُقِلُّه[5] ، فلم يَسْتَطِعْ ، فقال : مُرْ بعضَهُم يَرْفَعْه إلَىَّ . قال : « لا » . قال : فارْفَعْهُ أنت علىَّ . قال : « لا » . فنَثَر منه ثُم ذَهَب يُقِلُّه ، فلم يَسْتَطِعْ .

---

(١) أى العباس . والأثر أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٤٢، ١٤٣.

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٤٣، عن ابن إسحاق به .

(٣) البخارى (٢٥٣٧، ٣٠٤٨، ٤٠١٨) .

(٤) البخارى معلقا (٤٢١، ٣٠٤٩، ٣١٦٥) .

(٥) يقله : يرفعه ويحمله .

فقال : مُرْ بعضَهم يَرْفَعْه إلَيَّ . قال : « لا » . قال : فارْفَعْه أنت عليَّ : قال : « لا » . فنَثَر منه ، ثُم احْتَمَله على كاهِلِهِ ثُم انْطَلَقَ ، فما زال يُتْبِعُه بَصَرَه حتى خَفِيَ علينا ؛ عجبًا مِن حِرْصِه ، فما قام رسولُ اللَّهِ ﷺ وثَمَّ منها دِرْهَمٌ .

وقال البَيْهَقِيُّ[1] : أَخْبَرَنا الحاكمُ ، أخْبَرَنا الأَصَمُّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ ، عن أَسْباطِ بنِ نَصْرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ السُّدِّيِّ ، قال : كان فِداءُ العباسِ وابنَيْ أخوَيْه ؛ عَقِيلِ بنِ أبى طالبٍ ونَوْفَلِ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ ، كلُّ رجلٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ثُم تَوَعَّد تعالى الآخَرِين ، فقال : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١] .

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ١٤٠.

فصلٌ

والمشهورُ أنَّ الأُسارَى يومَ بدرٍ كانوا سبعين ، والقتلى مِن المشركين سبعين ، كما ورَد فى غيرِ ما حديثٍ مما تَقَدَّم ، وسيَأْتِى إن شاء اللَّهُ ، وكما فى حديثِ البراءِ ابنِ عازِبٍ فى « صحيحِ البخاريِّ »[1] أنَّهم قتَلوا يومَ بدرٍ سبعين ، وأسَروا سبعين .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ : قُتِلَ يومَ بدرٍ [2]مِن المسلمين[2] مِن قريشٍ ستةٌ ، ومِن الأنصارِ ثمانيةٌ ، وقُتِل مِن المشركين تسعةٌ وأربعون ، وأُسِر منهم تسعةٌ وثلاثون . هكذا رواه البيهقيُّ عنه[3] . قال[4] : وهكذا ذكَر ابنُ لَهِيعَةَ ، عن أبى الأَسْودِ ، عن عُرْوةَ فى عددِ مَن اسْتُشْهِد مِن المسلمين وقُتِلَ مِنَ المُشْرِكين .

ثُم قال[5] : أَخْبَرَنا الحاكمُ ، أَخْبَرَنا الأَصَمُّ ، أَخْبَرَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : واسْتُشْهِد مِن المسلمين يومَ بدرٍ أَحَدَ عَشَرَ رجلًا[6] ؛ أَرْبَعَةٌ مِن قريشٍ ، وسَبْعةٌ مِن الأنصارِ ، وقُتِل مِن

---

(١) البخارى (٣٩٨٦) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ١٢٢.

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٢٣.

(٥) المصدر السابق .

(٦) فى المصادر عن ابن إسحاق أنهم أربعة عشر رجلا . ذكرهم فى سيرته برواية يونس بن بكير عنه ص ٢٨٨، ٢٨٩، وسيرة ابن هشام برواية زياد البكائى عن ابن إسحاق ١/ ٧٠٧، ٧٠٨، وتاريخ الطبرى برواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق ٢/٤٧٧ حوادث السنة الثانية . وانظر مغازى الواقدى ١/ ١٤٥، والدرر ص ١١٧، وتاريخ الإسلام جزء المغازى ص ١١٢، ١١٣، وغيرهم . فاللَّه أعلم .

المشركين بضعةٌ وأربعون[1] رَجُلًا . وقال فى موضعٍ آخرَ : وكان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ [2]أربعةٌ و[2] أربعون أَسِيرًا ، وكانت القَتْلى [٢/ ١٩٠و] مثلَ ذلك .

ثُم رَوَى البَيْهَقِىُّ[3] ، مِن طريقِ أبى صالحٍ كاتبِ اللَّيْثِ ، عن اللَّيْثِ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، قال : وكان أَوَّلَ قَتِيلٍ مِن المسلمين ؛ مِهْجَعٌ مَوْلَى عمرَ ، ورَجُلٌ مِن الأَنصارِ[4] ، وقُتِل يومَئذٍ مِن المشركين زِيادةٌ على سبعين ، وأُسِر منهم مثلُ ذلك . قال[5] : ورَواه [6]ابنُ وَهْبٍ[6] ، عن يونسَ بنِ يزيدَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوةَ بنِ الزبيرِ .

قال البيهقىُّ[5] : وهو الأصحُّ فيما رُوِّيناه فى عددِ مَنْ قُتِل مِن المُشْرِكين وأُسِر منهم . ثُم اسْتَدَلَّ على ذلك بما ساقه هو[7] والبخارىُّ[8] أيضًا مِن طريقِ أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ، قال : أَمَّرَ[9] رسولُ اللَّهِ ﷺ على الرُّماةِ يومَ أُحُدٍ عبدَ اللَّهِ بنَ جُبَيْرٍ ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبىُّ ﷺ وأصحابُه قد أصابوا مِن المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومائةً ؛ سبعين أسيرًا ، وسبعين قتيلًا .

---

(١) فى الأصل : « ثلاثون » ، وفى م ، ص : « عشرون » . والمثبت من الدلائل .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ١٢٣، ١٢٤.

(٤) بعده فى الدلائل : « فهُزم يومئذ المشركون » .

(٥) المصدر السابق ٣/ ١٢٤.

(٦ - ٦) سقط من الدلائل ، وهو من طريق ابن وهب كما رواه يعقوب بن سفيان الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٧٩.

(٧) دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ١٢٤.

(٨) تقدم فى صفحة ١٧٢ حاشية (١) .

(٩) فى البخارى : « جعل » .

قلتُ : والصحيحُ أنَّ جُمْلَةَ المشركين كانوا ما بينَ التِّسعِمائةِ إلى الألفِ ، وقد صَرَّح قتادةُ[1] بأنَّهم كانوا تِسعَمائةٍ وخمسين رجلًا ، وكأنَّه أَخَذه مِن هذا الذى ذَكَرْناه . واللَّهُ أعلمُ . وفى حديثِ عمرَ المُتَقَدِّمِ[2] ، أنَّهم كانوا زِيادةً على الألْفِ . والصحيحُ الأولُ ؛ لقولِه عليه السلامُ : « القَوْمُ ما بينَ التسعِمائةِ إلى الألفِ »[3] . وأمَّا الصحابةُ يومَئذٍ فكانوا ثلاثَمِائةٍ وبِضْعَةَ عشَرَ رجلًا ، كما سيَأْتى التنصيصُ على ذلك ، وعلى أسمائِهم ، إنْ شاء اللَّهُ ، وتقدَّمَ[4] فى حديثِ الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ وَقْعَةَ بدرٍ كانت يومَ الجمعةِ السابعَ عشَرَ مِن شَهْرِ رمضانَ . وقاله أيضًا عُرْوةُ بنُ الزبيرِ ، وقتادةُ ، وإسماعيلُ السُّدِّىُّ[5] الكبيرُ ، وأبو جعفرٍ البَاقِرُ[6] .

ورَوَى البيهقىُّ[7] مِن طريقِ قُتَيْبةَ ، عن جريرٍ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأَسودِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فى ليلةِ القَدْرِ ، قال : تَحَرَّوها لإحْدى عشْرةَ بَقِينَ ؛ فَإِنَّ صَبِيحتَها يومُ بدرٍ .

قال البيهقىُّ[8] : ورُوِىَ عن زيدِ بنِ أَرْقمَ ، أنَّهُ سُئِل عن ليلةِ القدرِ ، فقال :

---

(١) أخرج قوله الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٧٨.

(٢) تقدم فى صفحة ١٠٠ حاشية رقم (٥) .

(٣) تقدم فى صفحة ٧٦ .

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٨٥ .

(٥) فى م ، ص : « والسدى » .

(٦) أخرج أقوالهم البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ١٢٦، ١٢٧.

(٧) المصدر السابق ٣/ ١٢٧، ١٢٨.

(٨) المصدر السابق ٣/ ١٢٨.

ليلةُ تسعَ عَشْرَةَ . ما شكَّ . وقال : يومَ الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ .

قال البَيْهَقِيُّ[1] : والمشهُورُ عن أهلِ المغازِى أنَّ ذلك لسبعَ عَشْرةَ ليلةً مَضتْ من شهرِ رمضانَ .

ثُم قال البيهقيُّ[2] : أَخْبَرَنا أبو الحُسَينِ بنُ بِشْرانَ ، حدَّثنا أبو عمرِو بنُ السَّمّاكِ ، حدَّثنا حنبلُ بنُ إسحاقَ ، ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، سَمِعْتُ موسى بنَ طلحةَ يقولُ : سُئِلَ أبو أيوبَ الأَنصاريُّ عن يومِ بدرٍ ، فقال : إمَّا لسبعَ عشْرَةَ خلتْ ، أو ثلاثَ عَشْرَةَ خلتْ أو لإحْدَى عَشْرَةَ بَقِيَتْ ، وإما لسبعَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ . وهذا غريبٌ جدًّا .

[3]وقد ذَكَر الحافظُ ابنُ عَساكرَ[4] فى ترجمةِ قُباثِ[5] بنِ أَشْيَمَ اللَّيْثِيِّ ، مِن طريقِ الوَاقِدِيِّ وغيرِه بإسنادِهم إليه ، أنَّه شَهِد يومَ بَدْرٍ مع المشركين ، فذَكَر هزيمتَهم مع قلةِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : وجَعَلْتُ أقولُ فى نفسى : ما رأيتُ مثلَ هذا الأَمْرِ فَرَّ منه إلا النساءُ ، واللَّهِ لو خَرَجَتْ نساءُ قريشٍ بأَكَمَتِها[6] ، رَدَّتْ محمدًا وأصحابَه ، فلمَّا كان بعدَ الخندقِ ، قلتُ : لو قَدِمْتُ المدينةَ فنَظَرْتُ إلى ما يَقولُ محمدٌ ، وقد وَقَع فى نفسى الإسلامُ . قال :[3]

---

(١) المصدر السابق ٣/١٢٨ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٢٨، ١٢٩.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٣٨٥، ٣٨٦ مخطوط ، مطولًا . وأخرجه الواقدى بنحوه فى المغازى ١/ ٩٧، ٩٨. والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٣٥ (٧٢) .

(٥) قباث : بالضم وموحدة خفيفة ومثلثة . وقيل : بفتح أوله . وانظر تبصير المنتبه ٣/ ١١٢٠.

(٦) فى الأصل : «أكمها» . وفى م : «بالها» .

فقَدِمْتُها ، فسَأَلْتُ عنه فقالوا : هو ذاك فى ظِلِّ المسجدِ فى مَلأٍ مِن أصحابِه ، فأَتَيْتُه وأنا لا أَعْرِفُه مِن بينِ أصحابِه ، فسَلَّمْتُ ، فقال : « يا قُباثَ بنَ أَشْيَمَ ، أنتَ القائلُ يومَ بدرٍ : ما رأيتُ مثلَ هذا الأَمْرِ فَرَّ منه إلا النِّساءُ ؟ » فقلتُ : أَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ؛ فإنَّ هذا الأَمْرَ ما خَرَج منِّى إلى أحدٍ قَطُّ ، ولا تَرَمْرَمْتُ[2] به إلَّا شيئًا حَدَّثْتُ به نفسى ، فلولا أنَّك نبيٌّ ما أَطْلَعَكَ اللَّهُ[3] [٢/ ١٩٠ظ] عليه ، هَلُمَّ أُبايِعْكَ على الإسلامِ ؛ فأَسْلَمْتُ[1] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) هكذا فى الأصل ، ص ، ومراجع التخريج . وترمرم : حرَّك فاه للكلام ولم يتكلم . وفى م « تزمزمت » بزاءين ، وكذلك أثبته ابن الأثير فى النهاية ٣١٣/٢ ، وقال : الزمزمة : صوت خفى لا يكاد يُفهم .

(٣) سقط من : م .

فصلٌ

وقد اخْتَلَفَت الصحابةُ ، رَضِى اللَّهُ عنهم ، يومَ بدرٍ فى المَغانمِ مِن المُشْرِكين يومَئذٍ ؛ لِمَن تَكُونُ منهم ، وكانوا ثلاثةَ أصْنافٍ ، حينَ وَلَّى المُشْرِكون ؛ ففِرْقَةٌ أَحْدَقَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، تَحْرُسُه خوفًا مِن أن يَرْجِعَ أحدٌ مِن المُشْرِكين إليه ، وفِرْقَةٌ سَاقَتْ وراءَ المُشْرِكين يَقْتُلون منهم ويَأْسِرُون ، وفِرْقَةٌ جَمَعَت المَغانمَ مِن مُتَفَرِّقاتِ الأَمَاكنِ ، فادَّعَى كُلُّ فريقٍ مِن هؤلاء أَنَّه أحقُّ بالمَغْنَمِ مِن الآخرَيْنِ ؛ لِما صنَع مِن الأَمْرِ المُهِمِّ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ وغيرُه ، عن سُليمانَ ابنِ موسى ، عن مَكْحُولٍ ، عن أبى أُمامةَ الباهِلِىِّ ، قال : سَأَلْتُ عُبادةَ بنَ الصَّامِتِ عن الأنفالِ ، فقال : فينا أصحابَ بدرٍ نَزَلَتْ حينَ اخْتَلَفْنَا فى النَّفْلِ وساءت فيه أخْلاقُنا ، فنَزَعه اللَّهُ مِن أيدينا ، فجَعَلَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقَسَمه بينَ المُسْلِمِين عن بَواءٍ ، يَقُولُ : [2]عن سواءٍ[2] . وهكذا رَواه أحمدُ[3] ، عن محمدِ بنِ سَلَمَةَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ به .

ومعنى قولِه : على السواءِ . أى ساوَى فيها بينَ الذين جَمَعوها ، وبينَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٢.

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى مصدر التخريج : « على السواء » . والقائل هو ابن إسحاق . واللَّه أعلم .

(٣) المسند ٥/ ٣٢٢، ٣٢٣. وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٦: رواه أحمد ورجاله ثقات .

الذين اتَّبعوا العدُوَّ ، وبينَ الذين ثَبتوا تحتَ الراياتِ ، لم يُخَصِّصْ بها فريقًا منهم مِمَّن ادَّعَى التَّخْصِيصَ بها ، ولا يَنْفِى هذا تَخْمِيسَها وصَرْفَ الخُمُسِ فى مواضِعِه ، كما قد يَتَوَهَّمُه بعضُ العلماءِ ؛ منهم أبو عُبَيْدٍ[1] وغيرُه . واللَّهُ أعلمُ . بل قد تَنَفَّلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه ذا الفَقارِ مِن مغانمِ بَدْرٍ .

قال ابنُ جريرٍ[2] : وكذا اصْطَفَى جَمَلًا لأبى جَهْلٍ ، كان فى أنفِه بُرَةٌ[3] مِن فِضَّةٍ . وهذا قبلَ إخراجِ الخُمُسِ أيضًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، ثنا [5]أبو إسحاقَ[5] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عيَّاشِ[6] بنِ أبى رَبيعةَ ، عن سُلَيمانَ بنِ موسى ، عن أبى سلَّامٍ ، عن أبى أُمامَةَ ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ قال : خَرَجْنا مع النبىِّ ﷺ ، فشَهِدتُ معه بدرًا ، فالْتَقَى الناسُ فهَزَمَ اللَّهُ العدُوَّ ، [7]فانْطَلَقَتْ طائفةٌ[7] فى آثارِهم يَهْزِمون ويَقْتُلون ، وأَكَبَّتْ طائفةٌ على العَسْكَرِ[8] يَحْوُونه[9]

---

(١) فى الأصل ، م : « عبيدة » . وانظر كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٣٨٢ - ٣٨٨.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٧٩.

(٣) البرة : حَلْقة تجعل فى لحم الأنف . النهاية ١/ ١٢٢.

(٤) المسند ٥/ ٣٢٣، ٣٢٤. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٦: رجاله ثقات .

(٥ - ٥) فى الأصل : « إسحاق » . وفى م ، ص : « ابن إسحاق » . والمثبت من المسند ، وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٦٧.

(٦) فى الأصل ، م : « عباس » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٧.

(٧ - ٧) فى ص : « فانقطعت » .

(٨) فى م ، ص : « المغنم » .

(٩) فى النسخ : « يحوزونه » . والمثبت من المسند .

ويَجْمَعونه ، وأَحْدَقتْ طائفةٌ برسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لا يُصِيبُ العدوُّ منه غِرَّةً ، حتى إذا كان الليلُ ، وفاءَ الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ ، قال الذين جَمَعوا الغَنائِمَ : نحن حَوَيْناها[1] فليس لأَحدٍ فيها نصيبٌ . وقال الذين خرجوا فى طَلَبِ العدوِّ : لستُم بأحقَّ بها[2] منا ، نحن نَفَيْنا منها العدُوَّ وهَزَمْناهم . وقال الذين أَحْدَقوا برسولِ اللَّهِ ﷺ : خِفْنَا أَنْ يُصِيبَ العَدُوُّ منه غِرَّةً ؛ فاشْتَغَلْنا به . فنزَلَت[3] : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] . فقَسَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [4]على فُوَاقٍ[4] بينَ المسلمين ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أغار فى أرضِ العدُوِّ نَفَّلَ الرُّبُعَ ، فإذا أَقْبَلَ راجعًا نَفَّل الثُّلُثَ ، وكان يَكْرَهُ الأَنْفالَ[5] .

وقد رَوَى التِّرْمِذِىُّ وابنُ مَاجَه مِن حديثِ الثورىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ... آخرَه . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حَسَنٌ[6] . ورَواه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه » ، والحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ . وقال الحاكمُ : صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجْه[7] .

---

(١) بعده فى المسند : « وجمعناها » .

(٢) فى النسخ : « به » . والمثبت من المسند .

(٣) انظر التفسير ٣/٥٤٥ - ٥٥١.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . والمعنى : أى قسمها فى قدر فواق ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة ، وتضم فاؤه وتفتح . وقيل : أراد التفضيل فى القسمة ، كأنه جعل بعضهم أفوق من بعض ، على قدر غَنائهم وبلائهم . النهاية ٣/ ٤٧٩.

(٥) بعده فى المسند : « ليرد قوى المؤمنين على ضعيفهم » .

(٦) الترمذى (١٥٦١) ، وابن ماجه (٢٨٥٢) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٢٦٩) .

(٧) الإحسان (٤٨٥٥) ، والمستدرك ٢/ ١٣٥، ١٣٦. وفيه : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقد رَوَى أبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ حِبَّانَ ، والحاكمُ مِن طُرُقٍ ، عن داودَ ابنِ أبى هِنْدٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ[1] قال : لمَّا كان يومُ بدرٍ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ صَنَعَ كذا وكذا فله كذا وكذا » . فتسارَع فى ذلك شُبَّانُ الرجالِ ، وبَقِىَ الشيوخُ تحتَ الراياتِ ، فلمَّا كانتِ الغَنائمُ جاءوا يَطْلُبونَ الذى جعَل لهم ، فقال [٢/ ١٩١و] الشُّيوخُ : لا تَسْتَأْثِروا علينا ؛ فإنَّا كُنَّا رِدْءًا لكم[2] ، ولو انْكَشَفْتُم لَفِئْتُم إلينا . فتنازَعوا ، فأنْزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . وقد ذَكَرْنا فى سببِ نزولِ هذه الآيةِ آثارًا أُخَرَ يَطولُ بَسْطُها هـٰهنا[3] ، ومَعْنى الكلامِ أنَّ الأنفالَ مَرْجِعُها إلى حُكْمِ اللَّهِ ورسولِه ، يَحْكُمانِ فيها بما فيه المصلحةُ للعبادِ فى المَعاشِ والمَعادِ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . ثُم ذَكَر ما وَقَع فى قصةِ بدرٍ ، وما كان مِن الأمْرِ حتى انْتَهَى إلى قولِه تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الآية [الأنفال : ٤١] . فالظاهرُ أنَّ هذه الآيةَ مُبَيِّنَةٌ لحُكْمِ اللَّهِ فى الأنْفالِ ، الذى جَعَل مَرَدَّه إليه وإلى رسولِه ﷺ ، فبَيَّنَه تعالى ، وحَكَم فيها بما أراد تعالى ، وهو قولُ

---

(١) أبو داود (٢٧٣٧) ، والنسائى فى الكبرى (١١١٩٧) ، والإحسان (٥٠٩٣) ، والمستدرك ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧. وقد أخرجه بعضهم مختصرا . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٧٦) .

كما أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٨٥٠٨) ، وابن جرير فى تفسيره ٩/ ١٧٢، واللفظ لهما .

(٢) بعده فى مصدرى التخريج الأخيرين : « وكنا تحت الرايات » .

(٣) انظر التفسير ٣/٥٤٥ - ٥٥١. سورة الأنفال آية ١ .

ابنِ[1] زيدٍ[2] ، وقد زَعَم أبو عُبَيْدٍ[3] القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، رَحِمَه اللَّهُ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَسَمَ غَنائمَ بدرٍ على السَّوَاءِ بينَ الناسِ ، ولم يُخَمِّسْها ، ثُم نَزَل بيانُ الخُمُسِ بعدَ ذلك ناسِخًا لما تَقَدَّم ، وهكذا رَوَى الوالبيُّ[4] ، عن ابنِ عباسٍ ، وبه قال مُجاهدٌ ، وعِكْرِمَةُ والسُّدِّيُّ[5] ، وفى هذا نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ ؛ فإنَّ سِيَاقَ الآياتِ قبلَ آيةِ الخُمُسِ وبعدَها ، كلُّها فى غزوةِ بدرٍ ، فيَقْتَضِى أنَّ ذلك نَزَل جُمْلةً[6] فى وقتٍ واحدٍ غيرِ متفاصلٍ بتَأَخُّرٍ يَقْتَضِى نَسْخَ بعضِه بعضًا ، ثُم فى « الصحيحَيْن »[7] عن عليٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه قال فى قصةِ شَارِفَيْه[8] اللذين اجْتَبَّ[9] أَسْنِمَتَهما حمزةُ : إنَّ إحداهما كانت من الخُمُسِ يومَ بدرٍ . ما يَرُدُّ صريحًا على أبى عُبَيْدٍ ؛ أنَّ غَنائمَ بدرٍ لم تُخَمَّسْ . واللَّهُ أعلمُ . بل خُمِّسَتْ كما هو قولُ البخاريِّ وابنِ جَرِيرٍ ، وغيرِهما[10] ، وهو الصحيحُ الراجحُ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م : « أبى » . والمثبت موافق لما ذكره المصنف فى التفسير ٣/ ٥٤٩، والطبرى ٩/ ١٧٨. فهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ١١٤.

(٢) المقصود أن ابن زيد قال بأن آية : ﴿ يسألونك عن الأنفال ...﴾ محكمة وليست منسوخة كما قال أبو عبيد فى كتابه الأموال ص ٣٨٤. وأخرج هذا الأثر الطبرى فى تفسيره ٩/١٧٨ عن ابن زيد .

(٣) الأموال ص ٣٨٤.

(٤) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/ ١٧٥.

(٥) المصدر السابق ٩/ ١٧٥، ١٧٦.

(٦) سقط من : ص .

(٧) انظر البخارى (٢٣٧٥، ٣٠٩١) ، ومسلم (١٩٧٩) .

(٨) الشارف : الناقة المسنة .

(٩) اجتبَّ : قطَع باستئصال .

(١٠) راجع أول كتاب فرض الخمس فى الصحيح (٣٠٩١) وكلام الحافظ فى الفتح ٦/ ١٩٨، ١٩٩. وتفسير الطبرى ١٠/ ١.

فصلٌ فى رجوعِهِ، عليه السلامُ، مِن بَدْرٍ إلى المدينةِ، وما كان مِن الأمورِ فى مسيرِه إليها مُؤَيَّدًا منصورًا، عليه مِن ربِّه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ

وقد تَقَدَّم[1] أنَّ الوَقْعَةَ كانت يومَ الجُمُعَةِ السابعَ عَشَرَ مِن رمضانَ سنةَ اثنَتَيْن مِن الهجرةِ.

وثبَت فى «الصحيحَيْن»[2] أنَّه كان إذا ظَهَر على قومٍ أقام بالعَرْصَةِ[3] ثلاثةَ أيامٍ، وقد أقام، عليه الصلاةُ والسلامُ، بعَرْصَةِ بدرٍ ثلاثةَ أيامٍ كما تَقَدَّم[4]، وكان رَحيلُه منها ليلةَ الاثنَيْنِ، فرَكِبَ ناقَتَه ووَقَف على قَلِيبِ بدرٍ، فقَرَّع أولئك الذين سُحِبوا إليه كما تَقَدَّم ذِكْرُه[5]، ثُم سار، عليه الصلاةُ والسلامُ، ومعه الأُسارَى والغَنائِمُ الكثيرةُ، وقد بَعَثَ، عليه الصلاةُ والسلامُ، بينَ يدَيْه بَشِيرَيْن إلى المدينةِ بالفَتْحِ والنَّصْرِ والظَّفَرِ على مَن أَشْرَك باللَّهِ وجَحَده وبه كَفَر؛ أحدُهما عبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ إلى أَعالى المدينةِ، والثانى زيدُ بنُ حارثةَ إلى السَّافلةِ. قال أسامةُ بنُ زيدٍ: فأَتانا الخَبَرُ حينَ سَوَّيْنا التُّرابَ[6] على رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان زوجُها

---

(١) فى صفحتى ٢٠، ٨١.

(٢) البخارى (٣٠٦٥، ٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥).

(٣) العرصة: هى كل موضع واسع لا بناء فيه. قال ابن المهلب: حكمة الإقامة لإراحة الظهر والنفس. انظر النهاية ٣/ ٢٠٨، والفتح ٦/ ١٨١.

(٤) تقدم فى صفحة ١٥٣.

(٥) تقدم فى صفحة ١٥٠ وما بعدها.

(٦) سقط من: الأصل، ص.

عثمانُ بنُ عفّانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قد احْتَبَسَ عندَها يُمَرِّضُها بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد ضرَب له رسولُ اللَّهِ بسهمِه وأَجرِه فى بدرٍ . قال أسامةُ : فلمَّا قَدِمَ أبى زيدُ بنُ حارثةَ جِئتُه وهو واقفٌ بالمُصَلَّى ، وقد غَشِيَه الناسُ ، وهو يَقولُ : قُتِل عُتْبةُ بنُ رَبيعةَ ، وشَيْبةُ بنُ رَبيعةَ ، وأبو جَهْلِ بنُ هشامٍ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، وأبو البَخْتَرِىِّ العاصُ بنُ هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجَّاجِ . قال : قلتُ : يا أبتِ ، أحَقٌّ هَذَا ؟ قال : إى واللَّهِ يا بُنَىَّ .

ورَوَى البَيْهَقِىُّ[1] ، مِن طريقِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن هِشامِ [٢/ ١٩١ظ] بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ أنَّ النبىَّ ﷺ خَلَّفَ عثمانَ وأسامةَ بنَ زيدٍ على بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاء زيدُ بنُ حارثةَ على العَضْباءِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالبِشارةِ ، قال أسامةُ : فسَمِعْتُ الهَيْعَةَ[2] ، فخرَجْتُ فإذا زيدٌ قد جاء بالبِشارةِ ، فواللَّهِ ما صدَّقْتُ حتى رَأَيْنا الأُسارَى ، وضَرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ لعثمانَ بسهمِه .

وقال الواقدىُّ[3] : صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرْجِعَه مِن بَدْرٍ العَصْرَ بالأُثَيْلِ ، فلمَّا صلَّى ركعةً تَبَسَّم ، فسُئِل عن تَبَسُّمِه ، فقال : « مرَّ بى[4] مِيكَائِيلُ وعلى جَنَاحِهِ النَّقْعُ ، فتَبَسَّمَ إلىَّ ، وقال : إنِّى كُنْتُ فى طَلَبِ القَوْمِ . وَأَتَاهُ جبريلُ حينَ فَرَغ مِن قتالِ أهلِ بدرٍ ، على فرسٍ أُنْثَى مَعْقودِ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ١٣٠.

(٢) الهيعة : الصوت المفزع . الوسيط (هـ ى ع) .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/١٣١ عن الواقدى . وانظر مغازى الواقدى ١/ ١١٣.

(٤) فى النسخ : « يرى » . ولعله تحريف . والمثبت من الدلائل والمغازى .

الناصيةِ، قد عَصَم ثَنِيَّتَه[1] الغُبارُ، فقال: يا محمدُ، إنَّ ربى بَعَثَنى إليك، وأَمَرَنى أن لا أُفارِقَكَ حتى تَرْضَى، هل رَضِيتَ؟ قال: «نعم».

قال الواقدىُّ[2]: قالوا: وقَدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ وعبدَ اللَّهِ بنَ رَواحَةَ مِن الأُثَيْلِ، فجاءا يومَ الأَحَدِ حينَ اشْتَدَّ الضُّحَى، وفارَق عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ زيدَ بنَ حارثةَ مِن العَقِيقِ، فجَعَل عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ يُنادِى على راحلتِه: يا معشرَ الأنصارِ، أَبْشِرُوا بسلامةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقَتْلِ المُشْرِكين وأَسْرِهم، قُتِل ابنا رَبيعةَ، وابنا الحَجَّاجِ، وأبو جَهْلٍ، وقُتِل زَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، وأُسِرَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو. قال عاصمُ بنُ عَدِىٍّ: فقمتُ إليه، فنَحَوْتُه[3]، فقلتُ: أَحَقًّا [4]ما تقولُ[4] يا بنَ رَواحَةَ؟ فقال: إى واللَّهِ، وغدًا يَقْدَمُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالأَسْرَى مُقَرَّنِين. ثُم تَتَبَّعَ دُورَ الأنصارِ بالعاليةِ يُبَشِّرُهم دارًا دارًا، والصِّبيانُ يَشْتَدُّون[5] معه يَقولُون: قُتِل أبو جَهْلٍ الفَاسِقُ. حتى إذا انْتَهَى إلى دارِ بنى أُمَيَّةَ، وقَدِم زيدُ بنُ حارثةَ على ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ القَصْواءِ، يُبَشِّرُ أهلَ المدينةِ، فلمَّا جاء المُصَلَّى صاح على راحلتِه: قُتِلَ عُتْبةُ وشَيْبةُ ابنا رَبيعةَ، وابنا الحَجَّاجِ، وقُتِل أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، وأبو جَهْلٍ، وأبو البَخْتَرِىِّ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ، وأُسِر سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ذو الأَنيابِ، فى أَسْرَى كثيرٍ. فجَعَل بعضُ

---

(١) فى م، ص: «ثنيه». وعصم ثنيته الغبار: لزق به. والميم - فى عصم - بدل الباء. انظر النهاية ٣/ ٢٤٤، ٢٤٩.

(٢) مغازى الواقدى ١/ ١١٤. وانظر دلائل البيهقى ٣/ ١٣١.

(٣) فى ص: «فنجوته». ونحوته أى قصدته. الوسيط (ن ح و).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى م: «ينشدون». وفى الأصل: «يشندون». والمثبت موافق لما فى مصدرى التخريج.

الناسِ لا يُصَدِّقُون زيدًا ، ويَقولُون : ما جاء زيدُ بنُ حارثةَ إلا فَلَّا[1] . حتى غاظَ المسلمين ذلك وخافوا ، وقَدِم زيدٌ حينَ سَوَّيْنا على رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ التُّرابَ[2] بالبَقِيعِ ، وقال رجلٌ مِن المنافقين لأسامةَ : قُتِل صاحبُكم ومَن معه . وقال آخرُ لأبى لُبابَةَ : قد تَفَرَّقَ أصحابُكم تَفَرُّقًا لا يَجْتَمِعون فيه[3] أبدًا ، وقد قُتِل عِلْيَةُ أصحابِه ، و[4] قُتِل محمدٌ ، وهذه ناقتُه نَعْرِفُها ، وهذا زيدٌ لا يَدْرِى ما يَقُولُ مِن الرُّعْبِ ، وجاء فَلًّا . فقال أبو لُبابَةَ : يُكَذِّبُ اللَّهُ قولَك . وقالتِ اليهودُ : ما جاء زيدٌ إلَّا فَلًّا . قال أسامةُ : فجِئْتُ حتى خَلَوْتُ بأبى ، فقلتُ : أَحَقٌّ ما تَقولُ ؟ فقال : إى واللَّهِ حقٌّ ما أقولُ يا بُنَىَّ . فقَوِيَتْ نَفْسى ورَجَعْتُ إلى ذلك المنافِقِ ، فقلتُ : أنت المُرْجِفُ برسولِ اللَّهِ وبالمسلمين ، لنُقَدِّمَنَّك إلى رسولِ اللَّهِ إذا قَدِم ، فلَيَضْرِبَنَّ عُنُقَك . فقال : إنَّما هو شىءٌ سَمِعْتُه مِن الناسِ يَقُولُونه . قالوا : فجِىءَ بالأَسْرَى ، وعليهم شُقْرانُ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان قد شَهِدَ معهم بَدْرًا ، وهم تِسْعَةٌ وأربعون رجلًا ، الذين أُحْصُوا .

قال الواقدىُّ[5] : وهم سبعون فى الأصلِ ، مُجْتَمَعٌ عليه ، لا شَكَّ فيه . قال : ولَقِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ إلى الرَّوْحاءِ رُءُوسُ الناسِ يُهَنِّئُونه بما فَتَحَ اللَّهُ عليه ، فقال له أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ : يا رسولَ اللَّهِ ، الحمدُ للَّهِ الذى أَظْفَرَك ، وأَقَرَّ عينَك ، واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ما كان تَخَلُّفِى عن بدرٍ وأنا أَظُنُّ أنَّك تَلْقَى عدُوًّا ، ولكنْ

---

(١) فَلًّا : الفل : المنهزم . الوسيط (ف ل ل) .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى ص : « معه » .

(٤) سقط من : م .

(٥) مغازى الواقدى ١/ ١١٦، ١١٧. ودلائل البيهقى ٣/ ١٣٣.

ظَنَنْتُ أنَّها عِيرٌ، ولو ظَنَنْتُ أنَّه عدُوٌّ ما تَخَلَّفْتُ. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقْتَ».

قال ابنُ إسحاقَ[1]: ثُم أَقْبلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قافلًا إلى المدينةِ ومعه الأُسارَى وفيهم عُقْبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ، [٢/ ١٩٢و] وقد جَعَل على النَّفَلِ عبدَ اللَّهِ بنَ كَعْبِ بنِ عمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مَبْذُولِ بنِ عمرِو بنِ غَنْمِ ابنِ مازِنِ بنِ النَّجَّارِ، فقال راجِزٌ مِن المسلمين - قال ابنُ هشامٍ: [2]يُقالُ: إنَّه[2] هو عَدِيُّ بنُ أبى الزَّغْباءِ -:

أَقِمْ لها صُدُورَها يا بَسْبَسُ[3] ... ليس بذِى الطَّلْحِ لها مُعَرَّسُ[4]

ولا بصَحْراءِ غُمَيْرٍ[5] مَحْبِسُ ... إنَّ مَطَايا القومِ لا تُحَبَّسُ

فحَمْلُها على الطريقِ أَكْيَسُ ... قد نَصَرَ اللَّهُ وفَرَّ الأَخْنَسُ[6]

قال: ثُم أَقْبل رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى إذا خَرَج مِن مَضِيقِ الصَّفْراءِ نَزَل على

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) بسبس هذا هو ابن عمرو بن ثعلبة بن خرشة الجهنى، فليس هو عبد اللّه بن كعب بن عمرو المذكور هنا، كما قد يفهم من السياق، صرح بذلك الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٢/٢٨٨ عن ابن الكلبى فى الجمهرة. وابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ١٩٠.

(٤) ذو الطلح: مكان. والمعرس: المكان ينزل فيه المسافر آخر الليل.

(٥) فى النسخ: «عمير». والمثبت من سيرة ابن هشام.
قال أبو ذر: غمير: يروى بالغين والعين، وغمير بالغين المعجمة هو المشهور به. شرح غريب السيرة ٢/ ٤١.

(٦) أى الأخنس بن شريق. وقد كان من أكابر كفار قريش.

كَثِيبٍ بينَ المَضِيقِ وبينَ النَّازِيَةِ، يُقالُ له: سَيَرٌ. إلى سَرْحَةٍ[1] به، فقَسَم هنالك النَّفَلَ الذى أفاء اللَّهُ على المسلمين مِن المُشْرِكين على السَّواءِ، ثُم ارْتَحَلَ حتى إذا كان بالرَّوْحاءِ لَقِيَه المسلمون يُهَنِّئُونه بما فَتَح اللَّهُ عليه ومَن معه مِن المسلمين، فقال لهم سَلَمةُ بنُ سَلامةَ بنِ وَقْشٍ، كما حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ، ويزيدُ بنُ رُومانَ: ما الذى تُهَنِّئُوننا به؟ واللَّهِ إنْ لَقِينا إلا عَجائزَ صُلْعًا كالبُدْنِ المُعَقَّلةِ فنَحَرْناها. فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال: «أَيِ ابْنَ أَخِى، أُوْلَئِكَ المَلَأُ». قال ابنُ هِشَامٍ[2]: يعنى الأَشْرافَ والرؤساءَ.

---

(١) سرحة: شجرة.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٤.

مَقْتَلُ النَّضْرِ بنِ الحارثِ

وعُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ، لَعَنهما اللَّهُ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حتى إذا كان رسولُ اللَّهِ ﷺ بالصَّفْراءِ قَتَل النَّضْرَ بنَ الحارثِ، قَتَلَه علىُّ بنُ أبى طالبٍ، كما أَخْبَرَنى بعضُ أهلِ العلمِ مِن أهلِ مكةَ، ثُم خرَج حتى إذا كان بعِرْقِ الظُّبْيَةِ[2] قَتَل عُقْبَةَ بنَ أبى مُعَيْطٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فقال عُقبةُ حينَ أَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقَتْلِه: فَمَنْ لِلصِّبْيَةِ يا مُحَمَّدُ؟ قال: «النَّارُ». وكان الذى قَتَله عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ، كما حدَّثنى أبو عُبَيْدَةَ بنُ محمدِ بنِ عمارِ بنِ ياسرٍ. وكذا قال موسى بنُ عُقْبَةَ فى «مَغازِيه»[4]، وزعَم أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَقْتُلْ مِن الأُسارَى أسيرًا غيرَه. قال: ولمَّا أَقْبَلَ إليه عاصمُ بنُ ثابتٍ، قال: يا معشرَ قريشٍ، عَلامَ أُقْتَلُ مِن بَيْنِ مَنْ هاهنا؟ قال: عَلَى عَدَاوَتِكَ اللَّهَ ورسولَه.

وقال حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ[5]، عن عطاءِ بنِ السَّائبِ، عن الشَّعْبِىِّ، قال: لمَّا أَمَر

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٤.

(٢) موضع بين مكة والمدينة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١١٧، عن موسى بن عقبة.

(٥) أخرجه البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/ ١٤٨، من طريق حماد بن سلمة به، وانظر تاريخ الإسلام للذهبى جزء المغازى ص ٦٥.

النبيُّ ﷺ بقَتْلِ عُقْبةَ ، قال : أَتَقْتُلُنى يا محمدُ مِن بينِ قريشٍ ؟ قال : « نَعم ! أَتَدْرُونَ ما صَنَع هذا بى ؟ جاء وأنا ساجدٌ خَلفَ المَقامِ فوضع رِجْلَه على عنقِى وَغَمَزَها ، فما رَفَعها حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنَىَّ سَتَنْدُرانِ[1] ، وجاء مَرَّةً أُخْرَى بسَلَى شاةٍ فَأَلْقَاه على رَأْسِى وَأنا ساجِدٌ ، فجاءَتْ فَاطِمَةُ فغَسَلَتْه عن رَأْسِى » . قال ابنُ هشامٍ[2] : ويقالُ : بل قَتَلَ عُقْبةَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، فيما ذَكَره الزُّهْرِىُّ وغيرُه مِن أهلِ العلمِ .

قلتُ : كان هذان الرجلان مِن شَرِّ عبادِ اللَّهِ ، وأكثرِهم كفرًا ، وعِنادًا ، وبَغْيًا ، وحَسَدًا ، وهِجاءً للإسلامِ وأهلِه ، لَعَنَهما اللَّهُ ، وقد فعَلَ .

قال ابنُ هشامٍ[3] : فقالت قُتَيْلةُ بنتُ الحارثِ ، أختُ النَّضْرِ بنِ الحارثِ فى مَقْتَلِ أخيها :

يا راكبًا إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِن صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بها مَيْتًا بأنَّ تَحِيَّةً ... ما إنْ تَزالُ[4] بها النَّجائِبُ تَخْفِقُ[5]
مِنِّى إليكَ وعَبْرةً مَسْفُوحةً ... جادتْ بِواكِفِها[6] [7] وأُخْرَى تَخْنُقُ[7]

---

(١) تندران : تسقطان .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٤.

(٣) فى سيرة ابن هشام أن القائل ابن إسحاق ، وفى بعض نسخ السيرة المخطوطة أن القائل ابن هشام . انظر سيرة ابن هشام ٢/٤٢ حاشية (٢)، ٤٣.

(٤) فى الأصل : « يراك » .

(٥) النجائب : الإبل الكرام . وتخفق : تسرع . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٢.

(٦) فى الأصل : « بوابلها » . والواكف : السائل . المصدر السابق .

(٧ - ٧) فى الأصل : « وأمرى بحنق » .

هل يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نادَيْتُهُ ... أمْ كيفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ

أمحمدٌ يا خيرَ ضِنْءٍ[1] كريمةٍ ... من قومِها والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِقُ[2]

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّمَا ... مَنَّ الفَتَى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ

[٢/ ١٩٢ظ] أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فَلْيُنْفَقَنْ ... بأعزِّ ما يَغْلُو به ما يُنْفِقُ

والنَّضْرُ أقربُ مَن أَسَرْتَ قرابةً ... وأحَقُّهم إنْ كان عِتقٌ يُعْتَقُ

ظَلَّتْ سيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ... لِلَّهِ أرحامٌ هنالك تُشْقَقُ

صَبْرًا يُقادُ إلى المَنِيَّةِ مُتْعَبًا ... رَسْفَ المُقَيَّدِ وهْو عانٍ مُوثَقُ[3]

قال ابنُ هشامٍ[4] : ويُقالُ ، واللَّهُ أعلمُ : إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لَمَّا بَلَغه هذا الشِّعْرُ قال : « لو بَلَغَنِى هذا قَبْلَ قتْلِهِ لَمَنَنْتُ عليه » .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقد تَلَقَّى رسولَ اللَّهِ ﷺ بهذا الموضعِ أبو هندٍ مَوْلَى فَرْوةَ ابنِ عمرٍو البَيَاضىِّ حَجَّامُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ومعه زِقٌّ[6] مملوءٌ حَيْسًا - وهو التمرُ والسَّوِيقُ بالسَّمْنِ - هديةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقَبِلَه منه ، ووَصَّى به الأنصارَ .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم مَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى قَدِم المدينةَ قبلَ

---

(١) فى م : « ضئى » . والضنء من كل شىء : نَسْله .

(٢) المعرق : الكريم . المصدر السابق .

(٣) رسف المقيد : رسف فى القيد : مشى فيه رويدا . وعانٍ : أسير . المصدر السابق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣.

(٥) المصدر السابق ١/ ٦٤٤.

(٦) بعده فى الأصل ، م : « خمر » .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٤.

الأُسارَى بيومٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى نُبَيْهُ بنُ وَهْبٍ أخو بنى عبدِ الدارِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ أَقْبَل بالأُسارَى فَرَّقَهم بينَ أصحابِه ، وقال : « اسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا » . قال : وكان أبو عَزيزِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشمٍ أخو مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ لأبيه وأمِّه ، فى الأُسارَى ، قال أبو عَزيزٍ : مَرَّ بى أخى مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ورجلٌ مِن الأنْصارِ يَأْسِرُنى ، فقال : شُدَّ يَدَيْك به ؛ فإنَّ أمَّه ذاتُ متاعٍ لَعَلَّها تَفْدِيه منك . قال أبو عَزيزٍ : فكنتُ فى رَهْطٍ مِن الأنصارِ حينَ أَقْبَلوا بى مِن بدرٍ ، فكانوا إذا قَدَّمُوا غَداءَهم وعَشاءَهم خَصُّونى بالخُبْزِ وأَكَلوا التمرَ ؛ لوصيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياهم بنا ، ما تَقَعُ فى يدِ رجلٍ منهم كِسْرةُ خُبْزٍ إلا نَفَحنى بها ، فأستحيى فأَرُدُّها فيَرُدُّها علىَّ ما يَمَسُّها .

قال ابنُ هشامٍ[2] : وكان أبو عَزيزٍ هذا صاحبَ لواءِ المُشْرِكين ببدرٍ بعدَ النَّضْرِ بنِ الحارثِ ، ولمَّا قال أخوه مُصْعَبٌ لأبى اليَسَرِ ، وهو الذى أَسَره ، ما قال ، قال له أبو عَزِيزٍ : يا أخى ، هذه وَصاتُك بى ؟ فقال له مُصْعَبٌ : إنَّه أخى دونَك . فسألتْ أمُّه عن أَغْلَى ما فُدِىَ به قُرَشِىٌّ ، فقيل لها : أربعةُ آلافِ درهمٍ . فبَعَثَتْ بأربعةِ آلافِ دِرْهَمٍ ففَدَتْه بها .

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٤٥. وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٢/٣٩٣ (٩٧٧) ، من طريق ابن إسحاق به . وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٨٦: رواه الطبرانى فى الصغير والكبير وإسناده حسن .
والظاهر أن الإسناد منقطع بين نبيه بن وهب وأبى عزيز ؛ فقد ذكره الحافظ فى الإصابة ٧/٢٧٤ بواسطة مجهولة بين نبيه بن وهب وأبى عزيز .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٦.

قلتُ: وأبو عَزِيزٍ هذا اسْمُه زُرارةُ، فيما قاله ابنُ الأثيرِ فى «غابةِ الصحابةِ»[1]، وعدَّه خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ فى أسماءِ الصحابةِ[2]. وكان أخا مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ لأَبَوَيْهِ[3]، وكان لهما أخٌ آخَرُ لأبَوَيْهما، وهو أبو الرُّومِ بنُ عُمَيْرٍ، وقد غَلِط مَنْ جَعَلَه قُتِل يومَ أُحُدٍ كافرًا، ذاك أبو عَزَّةَ، كما سيأْتِى فى مَوْضِعِه. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، أنَّ يَحْيَى بنَ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعدِ بنِ زُرارةَ، قال: قُدِم بالأُسارَى حينَ قُدِم بهم، وسَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ زوجُ النبىِّ ﷺ عندَ آلِ عَفْراءَ فى مَناحَتِهم على عَوْفٍ ومُعَوِّذٍ ابنَىْ عَفراءَ. قال: وذلك قبلَ أَنْ يُضْرَبَ عليهنَّ الحِجابُ. قال: تَقولُ سَوْدَةُ: واللَّهِ إنِّى لعندَهم إذْ أُتينا، فقيل: هؤلاءِ الأُسارَى قد أُتِىَ بهم. قالت: فرَجَعْتُ إلى بيتى، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فيه، وإذا أبو يزيدَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو فى ناحيةِ الحُجْرَةِ مجموعةً يداه إلى عُنُقِه بحبلٍ. قالت: فلا واللَّهِ ما مَلَكْتُ نفسى حينَ رأيتُ أبا يزيدَ كذلك أنْ قُلْتُ: أى أبا يزيدَ، أَعْطَيتم بأيديكم[5]، ألا مُتُّم كِرَامًا؟ فواللَّهِ ما أَنْبَهَنِى إلَّا قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن البيتِ: «يَا سَوْدَةُ، أَعَلَى اللَّهِ وعلى رَسُولِه تُحَرِّضِينَ»؟ قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، والذى بَعَثَك بالحقِّ ما مَلَكْتُ نفسى حينَ رَأَيْتُ أبا يزيدَ مجموعةً يداه إلى عُنُقِهِ أنْ قُلْتُ [٢/١٩٣و]

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٦/ ٢١٣.

(٢) طبقات خليفة ١/ ٣٣.

(٣) فى م: «لأبيه». وانظر أسد الغابة ٦/ ٢١٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٥. وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٩/ ٨٩ من طريق ابن إسحاق به مرسلا.

(٥) أعطى فلان بيده: انقاد. الوسيط (ع ط و).

ما قُلْتُ . ثُم كان مِن قصةِ الأُسارَى بالمدينةِ ما سيَأْتِى بيانُه وتَفْصِيلُه فيما بعدُ مِن كيفيةِ فِدائِهم وكَمِّيَّتِه ، إنْ شاءَ اللَّهُ .

ذكرُ فَرَحِ النَّجاشِىّ ، رَضِىَ اللهُ عنه ، بوَقْعةِ بدرٍ

قال الحافظُ البَيهقِىُّ[1] : أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الحُرْفىُّ ببغدادَ ، حدثنا أحمدُ بنُ سُلَيْمانَ[2] النَّجَّادُ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الدُّنْيا ، حدَّثنى حَمْزةُ بنُ العباسِ ، ثنا عَبْدانُ بنُ عُثمانَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المبارَكِ ، أخبرَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ[3] جابرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ - رجلٍ مِن أهلِ صَنْعاءَ - قال : أَرْسَل النَّجاشىُّ ذاتَ يومٍ إلى جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ وأصحابِه ، فدَخَلوا عليه وهو فى بيتٍ عليه خُلْقانُ ثيابٍ ، جالسٌ على الترابِ ، قال جعفرٌ : فأَشْفَقْنا منه حينَ رَأَيْناه على تلك الحالِ ، فلمَّا أن رأَى ما فى وجوهِنا قال : إنِّى أُبَشِّرُكم بما يَسُرُّكم ؛ إنَّه جاءنى مِن نحوِ أرضِكم عَيْنٌ لى ، فأخبَرَنى أنَّ اللَّهَ قد نصَر نبيَّه ، وأَهْلَك عَدُوَّه ، وأُسِر فلانٌ وفلانٌ ، وقُتِل فلانٌ وفلانٌ ، التَقَوْا بوادٍ يقالُ له : بدرٌ . كثيرُ الأَراكِ ، كأنِّى أَنْظُرُ إليه ، كنتُ أَرْعَى به[4] لسَيِّدِى - رجلٍ مِن بنى ضَمْرَةَ - إبِلَه . فقال له جَعْفَرٌ : ما بالُك جالسًا على الترابِ ليس تحتَك بِساطٌ ، وعليك هذه الأَخْلاقُ[5] ؟ قال : إنَّا نَجِدُ فيما أَنْزَل اللَّهُ على عيسى : إنَّ حقًّا على

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ١٣٣، ١٣٤.

(٢) فى النسخ : « سلمان » ، والمثبت من الدلائل . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٢.

(٣) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٨.

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى الأصل ، م : « الأخلاط » . والأخلاق : جمع الخَلَق ، وهو البالى من الثياب . الوسيط (خ ل ق) .

عبادِ اللَّهِ أن يُحْدِثوا للَّهِ تواضعًا عندَما يُحْدِثُ لهم مِن نِعْمةٍ . فلمَّا أَحْدَثَ اللَّهُ لِى نَصْرَ نبيِّه ﷺ ، أَحْدَثْتُ له هذا التواضعَ .

(١) فصلٌ فى (١) وصولِ خبرِ مُصابِ أهلِ بدرٍ إلى أهاليهم بمكةَ

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : وكان أولَ مَن قَدِمَ مكةَ بمُصابِ قريشٍ الحَيْسُمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ الخُزَاعِىُّ ، فقالوا له : ما وراءَك ؟ قال : قُتِل عُتْبةُ بنُ رَبيعةَ ، وشَيْبةُ بنُ رَبيعةَ ، وأبو الحكَمِ بنُ هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْودِ ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ (٣) ابنا الحَجّاجِ (٣) ، وأبو البَخْتَرِىِّ بنُ هشامٍ . فلمَّا جعَل يُعَدِّدُ أشرافَ قريشٍ ، قال صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ : واللَّهِ إنْ يَعْقِلُ هذا ، فسَلُوه عنِّى . فقالوا : ما فعَل صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ ؟ قال : هو ذاك جالسًا فى الحِجْرِ ، قد واللَّهِ رأَيتُ أباه وأخاه حينَ قُتِلا .

قال موسى بنُ عُقْبةَ(٤) : ولما وصَل الخبرُ إلى أهلِ مكةَ وتَحَقَّقوه قطَّعَت النساءُ شعورَهن ، وعُقِرت خيولٌ كثيرةٌ ورَواحِلُ .

وذكَر السُّهَيْلِىُّ(٥) عن كتابِ « الدلائلِ » لقاسمِ بنِ ثابتٍ أنَّه قال : لما كانت وقعةُ بدرٍ سَمِع أهلُ مكةَ هاتفًا مِن الجنِّ يَقولُ :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٦.

(٣ - ٣) زيادة من السيرة ، ليست فى النسخ .

(٤) أخرج نحوه البيهقى فى الدلائل ٣/١١٧ . عن موسى بن عقبة .

(٥) الروض الأنف ٥/ ٢٢٤، ٢٢٥.

أزارَ الحَنِيفِيُّون بَدْرًا وَقِيعةً سيَنْقَضُّ منها رُكنُ كِسْرَى وقَيْصَرا

أبادَتْ رجالًا مِن لُؤَيٍّ وأَبْرَزَتْ خَرائِدَ يَضْرِبْنَ الترائبَ حُسَّرا[1]

فيا وَيْحَ مَن أَمْسَى عدُوَّ محمدٍ لقد جارَ عن قَصْدِ الهُدَى وتَحَيَّرا

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابنِ عباسٍ قال : قال أبو رافِعٍ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ : كنتُ غلامًا للعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، وكان الإسلامُ قد دخَلَنا أهلَ البيتِ ، فأَسْلَم العباسُ ، وأسلمتْ أمُّ الفَضْلِ ، وأسلَمْتُ ، وكان العباسُ يَهابُ قومَه ويَكْرَهُ خِلافَهم ، وكان يَكْتُمُ إسْلامَه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ مُتَفَرِّقٍ فى قومِه ، وكان أبو لَهَبٍ قد تَخَلَّفَ عن بدرٍ فبعَث مكانَه العاصَ بنَ هشامِ بنِ المُغِيرةِ ، وكذلك كانوا صنَعوا ؛ لم يَتَخَلَّفْ رجلٌ إلّا بعَث مكانَه رجلًا ، فلمَّا جاءَه الخبرُ عن مُصابِ أصحابِ بدرٍ مِن قريشٍ ، [٢/١٩٣ظ] كَبَتَه اللَّهُ وأَخْزاه ، ووَجَدْنا فى أنفسِنا قوةً وعزًّا . قال : وكنتُ رجلًا ضعيفًا ، وكنتُ أَعْمَلُ الأَقْدَاحَ أَنْحِتُها فى حُجْرَةِ زمزمَ ، فواللَّهِ إنِّى لَجالسٌ فيها أَنْحِتُ أَقْداحى ، وعندى أمُّ الفَضْلِ جالسةٌ ، وقد سَرَّنا ما جاءَنا مِن الخبرِ ، إذ أَقْبَل أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجليه بِشَرٍّ ، حتى جلَس على طُنُبِ الحُجْرةِ[3] ، فكان ظَهْرُه إلى ظَهْرِى ، فبينا هو جالسٌ إذ قال

---

(١) الخرائد : جمع الخَرِيدة والخَرِيد والخَرُود ، وهى البكر من النساء التى لم تُمْسَسْ قط . وقيل : هى الحَيِيَّة ، الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، الخَفِرة المتسترة ، قد جاوزت الإعصار - وهو أول حيض الفتاة - ولم تعنُس . والترائب : عظام الصدر . انظر اللسان (خ ر د) ، (ت ر ب) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٦، ٦٤٧.

(٣) طنب الحجرة : حبل يشد به الخباء . الوسيط (ط ن ب) .

الناسُ : هذا أبو سُفْيانَ - واسمُه المغيرةُ - بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ قد قَدِم . قال : فقال أبو لَهَبٍ : هَلُمَّ إليَّ ، فعندَك لَعَمْرِى الخبرُ . قال : فجلَس إليه والناسُ قيامٌ عليه فقال : يا بنَ أخى ، أخبِرْنى كيف كان أمرُ الناسِ ؟ قال : واللَّهِ ما هو إلَّا أنْ لَقِينا القَوْمَ فمَنَحْناهم أكتافَنا يَقْتُلُوننا كيف شاءُوا ، ويَأْسِروننا كيف شاءُوا ، وايْمُ اللَّهِ مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ ، لَقِينا رجالًا بِيضًا على خيلٍ بُلْقٍ بينَ السماءِ والأرضِ ، واللَّهِ ما تُلِيقُ[1] شيئًا ولا يَقُومُ لها شىءٌ . قال أبو رافعٍ : فرفَعْتُ طُنُبَ الحُجْرَةِ بيدى ثم قلتُ : تلك واللَّهِ الملائكةُ . قال : فرفَع أبو لَهبٍ يدَه فضرَب وَجْهى ضربةً شديدةً . قال : وثاوَرْتُه[2] ، فاحْتَمَلنى وضرَب بى الأرضَ ، ثم بَرَك علىَّ يَضْرِبُنى ، وكنتُ رجلًا ضعيفًا ، فقامت أمُّ الفَضْلِ إلى عمودٍ مِن عُمُدِ الحُجْرةِ فأخذَتْه ، فضَرَبَتْه به ضربةً فَلَعَتْ[3] فى رأسِه شَجَّةً منكَرَةً ، وقالت : أَسْتَضْعَفْتَهُ أنْ غاب عنه سيدُه ؟ فقام مُوَلِّيًا ذَليلًا ، فواللَّهِ ما عاش إلَّا سبعَ ليالٍ حتى رماه اللَّهُ بالعَدَسَةِ[4] فقَتَلَتْه . زاد يونسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[5] : فلقد ترَكَه ابناه بعدَ موتِه ثلاثًا ، ما دَفَناه حتى أَنْتَن ، وكانت قريشٌ تَتَّقِى هذه العَدَسَةَ كما تَتَّقى الطاعُونَ ، حتى قال لهما رجلٌ مِن قريشٍ : ويْحَكما ، ألَا تَسْتَحِيان ! إنَّ أباكُما قد أَنْتَن فى بيتِه ، لا تَدْفِنانِه ؟! فقالا : إنَّا

---

(١) ما تليق : ما تُبقى .

(٢) فى ص : « بادرته » ، وثاوره : واثبه . الوسيط (ث و ر) .

(٣) فى م : « فبلغت » . وفى ص : « بلغت » . وفلعت : شقت وشدخت . اللسان (ف ل ع) .

(٤) العدسة : بثرة تشبه العدسة ، تخرج فى مواضع من الجسد ، من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالبا . اللسان (ع د س) .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ١٤٥، ١٤٦ من طريق يونس بن بكير به .

نَخْشَى عَدْوَى هذه القُرْحَةِ . فقال : انْطَلِقَا فأنا أُعِينُكما عليه . فواللَّهِ ما غَسَّلوه إلّا قَذْفًا بالماءِ عليه مِن بعيدٍ ، ما يَدْنُون منه ، ثم احْتَمَلوه إلى أَعْلَى مكةَ ، فأسنَدوه إلى جِدارٍ ثم رَضَموا عليه بالحجارةِ .

(١ قال يونسُ ، عن ابنِ إسحاقَ (٢) : وحدَّثنى يَحْيَى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنَّها كانت لا تَمُرُّ على مكانِ أبى لَهبٍ هذا إلّا تَسَتَّرَتْ بثوبِها حتى تَجُوزَ .

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : وحدَّثنى ١ يَحْيى بنُ عبَّادٍ ، ٤عن أبيه٤ قال : ناحتْ قريشٌ على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تَفْعَلوا فيَبْلُغَ محمدًا وأصحابَه فيَشْمَتوا بكم ، ولا تَبْعَثوا فى أَسْراكم حتى تَسْتَأْنُوا (٥) بهم ؛ لا يَأْرَبُ عليكم محمدٌ وأصحابُه فى الفِداءِ (٦) .

قلتُ : وكان هذا مِن تمامِ ما عَذَّبَ اللَّهُ به أحياءَهم فى ذلك الوقتِ ، وهو تَرْكُهم النَّوْحَ على قَتْلاهم ؛ فإنَّ البكاءَ على الميتِ مما يُبِلُّ (٧) فؤادَ الحزينِ .

قال ابنُ إسحاقَ (٨) : وكان الأسودُ بنُ المطلبِ قد أُصِيبَ له ثلاثةٌ مِن ولدِه ؛

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المصدر السابق ٣/١٤٦ . من طريق يونس بن بكير به .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦٤٧، ٦٤٨. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/٤٦٣ عن ابن إسحاق به .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة ، وتاريخ الطبرى ٢/٤٦٣.

(٥) فى م ، ص : « تستأنسوا » . واستأنى به : انتظر به . اللسان (أ ن ى) .

(٦) أى لا يتشددون عليكم فيه . انظر النهاية ١/٣٦.

(٧) أى يَشْفِى ويبرئ .

(٨) سيرة ابن هشام ١/٦٤٨. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/٤٦٣، عن ابن إسحاق .

زَمْعةُ ، وعَقِيلٌ ، والحارثُ ، وكان يُحِبُّ أنْ يَبْكِيَ على بَنِيه . قال : فبينما هو كذلك إذ سَمِع نائحةً من الليلِ ، فقال لغلامٍ له ، وكان قد ذهَب بَصَرُه : انْظُرْ هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بَكَتْ قريشٌ على قَتْلاها ؟ لعَلِّى أَبْكِى على أبى حَكِيمةَ - يَعْنِى ولدَه زَمْعةَ - فإنَّ جَوْفى قد احترَق . قال : فلمَّا رجَع إليه الغلامُ قال : إنَّما هى امرأةٌ تَبْكى على بعيرٍ لها أَضَلَّتْه . قال : فذاك حينَ يَقولُ الأَسْودُ :

أَتَبْكِى أنْ أَضَلَّ لها بعيرٌ ... ويَمْنَعُها مِن النومِ السُّهُودُ

فلا تَبْكِى على بَكْرٍ ولكنْ ... على بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجُدودُ[1]

[٢/ ١٩٤و] على بدرٍ سَراةِ بنى هُصَيْصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبى الوَليدِ

وبَكِّى إنْ بَكَيْتِ على[2] عَقِيلٍ ... وبَكِّى حارثًا أَسَدَ الأُسودِ

وبَكِّيهم ولا تَسْمِى[3] جميعًا ... وما لأبى حَكِيمةَ مِن نَديدِ

ألا قد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودُوا[4]

---

(١) البكر : الفَتِىُّ من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس . النهاية ١/ ١٤٩.

(٢) فى النسخ : « أبا » . والمثبت من السيرة وتاريخ الطبرى . وهو أنسب للسياق .

(٣) لا تسمى : أى لا تسأمى . شرح غريب السيرة ٢/ ٤٢.

(٤) فى هذه الأبيات إقواء .

(١) فصلٌ فى (١) بعثِ قريشٍ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فى فِدَاءِ أَسْراهم

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : وكان فى الأُسارَى أبو وَدَاعةَ بنُ ضُبَيْرةَ(٣) السَّهْمِىُّ ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « إنَّ له بمكةَ ابنًا كَيِّسًا تاجرًا ذا مالٍ ، وكأنَّكم به قد جاء فى طلبِ فداءِ أبيه » . فلمَّا قالت قريشٌ : لا تَعْجَلُوا بفداءِ أسْراكم ؛ لا يَأْرَبُ عليكم محمدٌ وأصحابُه . قال المُطَّلِبُ بنُ أبى وَدَاعةَ - وهو الذى كان رسولُ اللّهِ ﷺ عَنَى - : صَدَقْتُم ، لا تَعْجَلُوا . وانسَلَّ مِن الليلِ ، وقَدِم المدينةَ ، فأَخَذَ أباه بأربعةِ آلافِ درهمٍ ، فانطَلَق به .

قلتُ : وكان هذا أولَ أسيرٍ فُدِىَ ، ثم بعَثَتْ قريشٌ فى فداءِ أَسْراهم ، فقدِم مِكْرَزُ بنُ حَفْصِ بنِ الأَخْيَفِ فى فداءِ سُهَيْلِ بنِ عَمرٍو ، وكان الذى أسَره مالكُ ابنُ الدُّخْشُمِ ، أخو بنى سالم بنِ عَوْفٍ ، فقال فى ذلك :

أَسَرْتُ سُهَيْلًا فلا أَبْتَغِى ... أَسِيرًا به مِن جميعِ الأُمَمْ
وخِنْدِفُ تَعْلَمُ أنَّ الفَتَى ... فتاها سُهَيْلٌ إذا يُظَّلَمْ(٤)

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٨، ٦٤٩.

(٣) فى الأصل : « صبيرة » . وذكره ابن دريد فى الاشتقاق ص ١٢١ بالضاد ، وفى ص ١٢٥ بالصاد ، وأشار إلى ذلك محقق الكتاب فى ص ١٢٥ حاشية (٣) ؛ أنه رسم فى أصل الاشتقاق بالضاد المعجمة وتحتها حرف الصاد المهملة وفوق الحرف كلمة (معًا) إشارة إلى أنه بالصاد والضاد معًا .

(٤) يظلم : يُطلب ظلمه . شرح غريب السيرة ٢/ ٤٢.

ضرَبْتُ بذى الشفْرِ حتى انثَنَى وأَكْرَهْتُ نفسى على ذى العَلَمْ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان سُهَيْلٌ رجلًا أَعْلَمَ[2] مِن شَفَتِه السفلَى .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدثنى محمدُ بنُ عمرِو بنِ عطاءٍ أخو بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ : دَعْنى أَنْزِعْ ثَنِيَّتَىْ[4] سُهَيْلِ بنِ عمرٍو يَدْلَعْ[5] لسانُه ، فلا يَقومُ عليك خَطِيبًا فى موطنٍ أبدًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا أُمَثِّلُ به فيُمَثِّلَ اللَّهُ بى وإن كنتُ نبيًّا » .

قلتُ : وهذا حديثٌ مرسلٌ ، بل مُعْضَلٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقد بَلَغنى أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمرَ فى هذا : « إنَّه عسى أَن يَقُومَ مَقامًا لا تَذُمُّه » .

قلتُ : وهذا هو المَقامُ الذى قامه سُهَيْلٌ بمكةَ ، حينَ مات رسولُ اللَّهِ ﷺ وارْتَدَّ مَن ارْتَدَّ من العربِ ، ونجَم النِّفاقُ بالمدينةِ وغيرِها ، فقام بمكةَ فخطَب الناسَ ، وثَبَّتَهم على الدينِ الحنيفِ ، كما سيأتى فى موضعِه .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : فلمَّا قاوَلَهم فيه[8] مِكْرَزٌ وانتَهَى إلى رضائِهم قالوا :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٩.

(٢) الأعلم : المشقوق الشفة العليا . والأفلح : مشقوق الشفة السفلى . انظر اللسان (ع ل م) ، (ف ل ح) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٩.

(٤) فى الأصل ، م : « ثنية » .

(٥) يدلع : يخرج . الوسيط (د ل ع) .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤٩.

(٧) المصدر السابق ١/ ٦٤٩، ٦٥٠.

(٨) قاولهم فيه : فاوضهم وجادلهم . الوسيط (ق و ل) .

هاتِ الذى لنا. قال: اجْعَلوا رِجْلى مكانَ رجلِه وخَلُّوا سبيلَه، حتى يَبْعَثَ إليكم بفِدائِه. فخَلَّوْا سبيلَ سُهَيْلٍ وحبَسوا مِكْرَزًا عندَهم. وأَنْشَدَ له ابنُ إسحاقَ فى ذلك شعرًا أَنكَره ابنُ هشامٍ[1]. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ قال: [3]وكان فى الأُسارَى عمرُو بنُ أبى سُفْيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ. قال ابنُ إسحاقَ[4]: وكانت أمُّه بنتَ عُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ. قال ابنُ هشامٍ[4]: بل كانت أمُّه أختَ أبى مُعَيْطٍ. قال ابنُ هشامٍ[4]: وكان الذى أسَره علىُّ بنُ أبى طالبٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وحدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، قال[3]: فقيل لأبى سُفْيانَ: افْدِ عَمْرًا ابنَك. قال: أَيُجْمَعُ علىَّ دَمِى ومالى؟ قَتَلوا حَنْظَلَةَ وأَفْدِى عَمْرًا؟! دَعُوه فى أيديهم يُمْسِكُوه ما بَدَا لهم. قال: فبينما هو كذلك محبوسٌ بالمدينةِ، إذ خرَج سعدُ بنُ النُّعْمانِ بنِ أُكَّالٍ، أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ، ثُم أَحَدُ بنى معاويةَ مُعْتَمِرًا، ومعه مُرَيَّةٌ[6] له، وكان شَيْخًا مسلمًا فى غَنَمٍ له بالنَّقِيعِ[7]، فخرَج مِن هنالك مُعْتَمِرًا، و[8]لا يَخْشَى الذى صُنِعَ به[8]، لم يَظُنَّ أنَّه يُحْبَسُ بمكةَ، إنَّما جاء مُعْتَمِرًا، وقد كان عَهِدَ قريشًا لا يَعْرِضُون لأحدٍ جاء حاجًّا أو

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ١/ ٦٥٠، ٦٥١. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٦٦، عن ابن إسحاق به.

(٦) مريَّة: تصغير امرأة.

(٧) فى النسخ: «البقيع». والمثبت من السيرة. والنقيع موضع قرب المدينة، أما البقيع فهو مقبرة أهل المدينة وهى داخل المدينة. انظر معجم البلدان ١/ ٧٠٣، ٤/ ٨٠٨.

(٨ - ٨) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة.

مُعْتَمِرًا إلَّا بخيرٍ، فعدَا عليه أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ بمكةَ، فحَبَسه بابنِه عمرٍو، وقال فى ذلك:

[٢/ ١٩٤ظ] أَرَهْطَ ابنِ أُكَّالٍ أَجِيبوا دعاءَهُ ... تعاقدتُمُ لا تُسْلِموا السيدَ الكَهْلا

فإنَّ بنى عمرٍو لئامٌ أَذِلَّةٌ ... لئن لم يَفُكُّوا[1] عن أسيرِهِمُ الكَبْلا

قال: فأجابه حسَّانُ بنُ ثابتٍ يَقولُ[2]:

لو كان سعدٌ يومَ مكةَ مُطْلَقًا[3] ... لأَكْثَرَ فيكم قبلَ أنْ يُؤْسَرَ القَتْلا

بعَضْبٍ حُسامٍ أو بصفراءَ نَبْعَةٍ ... تَحِنُّ إذا ما أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلا[4]

قال[5]: ومَشَى بنو عمرِو بنِ عَوْفٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأَخْبروه خبرَه، وسألوه أن يُعْطِيَهم عمرَو بنَ أبى سُفيانَ فيَفُكُّوا به صاحبَهم، فأَعْطاهم النبىُّ ﷺ فبعَثوا به إلى أبى سُفيانَ، فخلَّى سبيلَ سعدٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: وقد كان فى الأُسارَى أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ أُمَيَّةَ، خَتَنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وزوجُ ابنتِه زينبَ. قال

---

(١) فى النسخ: «يكفوا». والمثبت من السيرة. وتاريخ الطبرى.

(٢) ديوان حسان ص ٢٦٤.

(٣) فى الديوان: «خافكم». وفى أول البيت خَرم، وهو سقوط الفاء من «فعولن» وهو جائز.

(٤) العضب: السيف القاطع. اللسان (ع ض ب). الصفراء: القوس تُتخذ من نَبْع، والنبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القِسِيُّ. انظر تاج العروس (ص ف ر)، (ن ب ع). وحَنَّت القوس حَنينا: صوتت. وأَنْبَضَ القوسَ: جذب وترها لتصوت. اللسان (ن ب ض).

(٥) أى ابن إسحاق، سيرة ابن هشام ١/ ٦٥١.

(٦) المصدر السابق ١/ ٦٥١، ٦٥٢.

ابنُ هشامٍ[1] : وكان الذى أَسَره خِرَاشُ بنُ الصِّمَّةِ أحدُ بنى حَرامٍ. قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان أبو العاصِ مِن رجالِ مكةَ المَعْدُودِين مالًا وأمانةً وتجارةً، وكانت أمُّه هَالةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ أختَ خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ، وكانت خديجةُ هى التى سألَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يُزَوِّجه بابنتِها زينبَ، وكان لا يُخالِفُها، وذلك قبلَ الوَحْيِ، وكان، عليه السلامُ، قد زَوَّج ابنتَه رُقَيَّةَ أو أمَّ كُلْثُومٍ مِن عُتْبةَ بنِ أبى لَهبٍ، فلمَّا جاء الوَحْىُ قال أبو لَهبٍ: اشْغَلوا محمدًا بنفسِه. وأمَر ابنَه عُتْبةَ فطَلَّق ابنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ الدخولِ، فتَزَوَّجها عثمانُ بنُ عفانَ، رَضِى اللَّهُ عنه، ومشَوا إلى أبى العاصِ فقالوا له: فارِقْ صاحبتَك ونحن نُزَوِّجُك بأىِّ امرأةٍ مِن قريشٍ شئتَ. قال: لا واللَّهِ إذًا؛ لا أُفارِقُ صاحِبَتى، وما أُحِبُّ أنَّ لى بامرأتى امرأةً مِن قريشٍ. وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُثْنِى عليه فى صِهْرِه، فيما بَلَغنى.

قلتُ: الحديثُ بذلك فى الثناءِ عليه فى صِهْرِه ثابتٌ فى «الصحيحِ»[2] كما سيأتى.

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يُحِلُّ بمكةَ ولا يُحَرِّمُ، مغلوبًا على أمرِه، وكان الإسلامُ قد فَرَّق بينَ زينبَ ابنةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ أبى العاصِ، وكان لا يَقْدِرُ على أنْ يُفَرِّقَ بينَهما.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٥١، ٦٥٢.

(٢) البخارى (٣١١٠، ٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩).

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٢.

قلتُ : إنَّما حَرَّم اللَّهُ المسلماتِ على المُشركين عامَ الحُدَيْبِيَةِ ، سنةَ سِتٍّ مِن الهجرةِ ، كما سيَأْتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى يَحْيَى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : لمَّا بعَث أهلُ مكةَ فى فِدَاءِ أَسْراهم ، بعَثتْ زينبُ بنتُ رسولِ اللَّهِ فى فداءِ أبى العاصِ بمالٍ ، وبَعَثَتْ فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجةُ أَدْخَلَتْها بها على أبى العاصِ حينَ بَنَى عليها . قالت : فلمَّا رَآها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، رَقَّ لها رِقَّةً شديدةً ، وقال : « إنْ رَأَيْتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرَها ، وتَرُدُّوا عليها الذى لها ، فافْعَلُوا » . قالوا : نعم يا رسولَ اللَّهِ . فأَطْلَقوه ورَدُّوا عليها الذى لها .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أخذَ عليه أنْ يُخَلِّىَ سبيلَ زينبَ . يَعْنى أنْ تُهاجِرَ إلى المدينةِ ، فوَفَّى أبو العاصِ بذلك ، كما سيأْتى . وقد ذَكَرَ ذلك [٢/١٩٥و] ابنُ إسحاقَ هـهنا فأَخَّرْناه ؛ لأنَّه أنسبُ . واللَّهُ أعلمُ . وقد تقدَّم ذِكرُ افتداءِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ عمِّ النبىِّ ﷺ نفسَه وعَقِيلًا ونَوْفَلًا ابنَىْ أخوَيْه بمائةِ أُوقِيَّةٍ مِن الذهبِ[3] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فكان ممَّن سُمِّىَ لنا ممَّن مَنَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الأُسارَى بغيرِ فداءٍ ؛ مِن بنى أُمَيَّةَ أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ ، ومِن بنى مَخْزُومٍ المُطَّلِبُ

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٥٣.

(٢) المصدر السابق .

(٣) تقدم فى صفحة ١٦٩ - ١٧١ .

(٤) المصدر السابق ١/ ٦٥٩.

ابنُ حَنْطَبِ بنِ الحارثِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ، أسَره بعضُ بنى الحارثِ ابنِ الخَزْرَجِ ، فتُرِك فى أيديهم حتى خلَّوا سبيلَه ، فلَحِق بقومِه .

وقال ابنُ هشامٍ[1] : كان الذى أسَره[2] أبو أيوبَ خالدُ بنُ زيدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وصَيْفِيُّ بنُ أبى رِفاعةَ بنِ عائِذِ[4] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ابنِ مَخْزُومٍ ، تُرِك فى أيدى أصحابِه ، فأَخَذوا عليه لَيَبْعَثَنَّ لهم بفِدائِه ، فخَلَّوا سبيلَه ، ولم يَفِ لهم ، فقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ فى ذلك[5] :

وما كان صَيْفِيٌّ لِيوفِى أمانةً[6] قَفا ثَعْلبٍ أَعْيَا ببعضِ المواردِ

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وأبو عَزَّةَ عمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ أُهَيْبِ بنِ حُذَافَةَ بنِ جُمَحَ ، كان مُحْتاجًا ذا بناتٍ ، قال : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد عَرَفْتَ ما لىَ مِن مالٍ ، وإنِّى لَذو حاجةٍ وذو عيالٍ ؛ فامْنُنْ علىَّ . فمَنَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأَخَذ عليه أن لا يُظاهِرَ عليه أحدًا ، فقال أبو عَزَّةَ يَمْدَحُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على ذلك :

---

(١) المصدر السابق ١/٦٥٩ .

(٢) سقط من : ص . وفى الأصل ، م : « أسر أبى العاص » . والمثبت من السيرة .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٦٠.

(٤) كذا فى الأصل ، م ، والسيرة . وفى ص : « عابد » . قال أبو ذر : « قال الزبير بن بكار فيما حكى الدارقطنى عنه : كل من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، يعنى بالباء والدال المهملة ، وكل من كان من ولد عُمران بن مخزوم فهو عائذ ، يعنى بالياء المهموزة والذال المعجمة » . شرح غريب السيرة ٢/ ٤٥، ٤٦.

(٥) ديوان حسان ص ٢٠١.

(٦) فى الديوان : « بذمة » . وفى السيرة : « ذمة » .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٦٦٠.

مَن مُبْلِغٌ عنى الرسولَ محمدًا[1] بأنَّك حقٌّ والمليكُ حَمِيدُ
وأنت امرؤٌ تَدْعو إلى الحقِّ والهُدَى عليك مِن اللَّهِ العظيمِ شهيدُ
وأنت امرؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَباءةً لها دَرجاتٌ سَهْلَةٌ وصُعودُ
فإنَّك مَن حاربْتَه لَمُحارَبٌ شقيٌّ ومَن سالمْتَه لَسَعيدُ
ولكنْ إذا ذُكِّرْتُ بدرًا وأهلَهُ تَأَوَّبَ[2] ما بى حَسْرةٌ وقُعودُ

قلتُ: ثم إنَّ أبا عَزَّةَ هذا نقَض ما كان عاهَد الرسولَ عليه، ولَعِب المشركون بعقلِه، فرجَع إليهم، فلمَّا كان يومُ أُحُدٍ أُسِرَ أيضًا، فسأَل مِن النبىِّ ﷺ أن يَمُنَّ عليه أيضًا، فقال النبىُّ ﷺ: «لا أَدَعُك تَمْسَحُ عارِضَيْك وتَقُولُ: خَدَعْتُ محمدًا مَرَّتَيْن». ثم أُمِر به، فضُرِبَتْ عنقُه[3]. كما سيأتى فى غزوةِ أُحُدٍ.

ويُقالُ: إنَّ فيه قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتَيْن»[4]. وهذا مِن الأمثالِ التى لم تُسْمَعْ إلَّا منه، عليه الصلاةُ والسلامُ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ قال: جلَس عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحِىُّ مع صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ فى الحِجْرِ، بعدَ مُصابِ أهلِ بدرٍ بيَسيرٍ، وكان عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ شيطانًا من شياطينِ قريشٍ، وممن

---

(١) فى هذا البيت خرم أيضًا، انظر ما تقدم فى صفحة ٢٠٤ حاشية (٣).
(٢) تأوب: من الأوب وهو الرجوع.
(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٨٠، ٢٨١.
(٤) البخارى (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٦١.

كان يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه ، ويَلْقَون منه عَناءً وهو بمكةَ ، وكان ابنُه وَهْبُ بنُ عُمَيْرٍ فى أُسارَى بدرٍ . قال ابنُ هشامٍ[1] : وكان الذى أسَره رِفاعةُ بنُ رافعٍ ، أحدُ بنى زُرَيْقٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن عُرْوَةَ قال[3] : فذكَر أصحابَ القَلِيبِ ومُصابَهم ، فقال صَفْوانُ : واللَّهِ إنْ[4] فى العيشِ بعدَهم خيرٌ . قال له عُمَيْرٌ : صَدَقْتَ واللَّهِ ، أَمَا واللَّهِ لولا دَيْنٌ علىَّ ليس عندى قضاؤُه ، وعِيالٌ أَخْشَى عليهم الضَّيْعَةَ بعدى ، لَرَكِبْتُ إلى محمدٍ حتى أَقْتُلَه ، فإنَّ لى قِبَلَهم[5] عِلَّةً ؛ ابنى أَسيرٌ فى أيديهم . قال : فاغْتَنَمها صفوانُ بنُ أُمَيَّةَ ، فقال : علىَّ دَيْنُك ، أنا أَقْضِيه عنك ، وعِيالُك مع عِيالى أُواسِيهم ما بَقُوا ، لا يَسَعُنى شىءٌ ويَعْجِزُ عنهم . فقال له عُمَيْرٌ : فاكْتُمْ عنِّى شأنى وشأنَك . قال : سأَفْعَلُ . قال : ثم أَمَر عُمَيْرٌ بسيفِه فشُحِذَ له وسُمَّ ، ثُم انطَلَق [٢/١٩٥ظ] حتى قَدِمَ المدينةَ ، فبينما عمرُ بنُ الخطابِ فى نَفرٍ من المسلمين يَتَحَدَّثون عن يومِ بدرٍ ، ويَذْكُرون ما أَكرَمَهم اللَّهُ به ، وما أَراهم مِن عدوِّهم ، إذ نظَر عمرُ إلى عُمَيْرِ بنِ وَهْبٍ ، وقد أناخ على بابِ المسجدِ مُتَوَشِّحًا السيفَ ، فقال : هذا الكلبُ عدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ ، ما جاء إلَّا لشرٍّ ، وهو الذى حَرَّش بينَنا ، وحَزَرَنا[6] للقومِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٦١/١ .

(٢) المصدر السابق ٦٦١/١ - ٦٦٣.

(٣) سقط من : النسخ . والمثبت من السيرة .

(٤) فى م : « ما أن » . و « إن » هنا بمعنى « ما » النافية .

(٥) فى النسخ : « فيهم » . والمثبت من السيرة .

(٦) حزر : قدر بالتخمين . والمعنى أى قدر عددنا . انظر الوسيط (ح ز ر) .

يومَ بدرٍ. ثم دخَل عُمَرُ[1] على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: يا نبيَّ اللَّهِ، هذا عدوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ، قد جاء مُتَوَشِّحًا سيفَه. قال: «فأدْخِلْه عليَّ». قال: فأَقْبَلَ عمرُ حتى أخَذ بحِمالةِ سيفِه[2] فى عنقِه فلَبَّبَه بها، وقال لمَن كان معه مِن الأنصارِ: ادْخُلُوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ، [3]فاجْلِسُوا عندَه، واحْذَروا عليه مِن هذا الخبيثِ؛ فإنَّه غيرُ مأمونٍ. ثم دَخَل به على رسولِ اللَّهِ ﷺ[3]، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ، وعمرُ آخِذٌ بحِمالةِ سيفِه فى عنقِه قال: «أَرْسِلْه يا عمرُ، ادْنُ يا عُمَيْرُ». فدنا ثم قال: أَنْعِمُوا[4] صباحًا. وكانت تحيةَ أهلِ الجاهليةِ بينَهم، فقال رسولُ اللَّهِ: «قد أكرَمَنا اللَّهُ بتحيةٍ خيرٍ مِن تحيتِك يا عُمَيْرُ، بالسلامِ تحيةِ أهلِ الجنةِ». قال: أمَا واللَّهِ يا محمدُ إن كنتُ بها لَحَديثَ عهدٍ. قال: «فما جاء بك يا عُمَيْرُ؟» قال: جئتُ لهذا الأسيرِ الذى فى أيديكم، فأَحْسِنوا فيه. قال: «فما بالُ السيفِ فى عنقِك؟» قال: قَبَّحَها اللَّهُ مِن سُيوفٍ، وهل أَغْنَتْ شيئًا؟ قال: «اصْدُقْنِى، ما الذى جِئْتَ له؟» قال: ما جئتُ إلَّا لذلك. قال: «بل قعَدْتَ أنت وصَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ فى الحِجْرِ، فذكَرْتُما أصحابَ القَلِيبِ مِن قريشٍ، ثم قلتَ: لولا دَيْنٌ علىَّ وعِيالٌ عندى لَخَرَجْتُ حتى أَقْتُلَ محمدًا. فتَحَمَّلَ لك صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ بدَيْنِك وعيالِك، على أن تَقْتُلَنِى له، واللَّهُ حائلٌ بينَك وبينَ ذلك». فقال عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ، قد كنا يا رسولَ اللَّهِ نُكَذِّبُك بما كنتَ تَأْتِينا به مِن خبرِ السماءِ، وما يُنَزَّلُ عليك مِن الوحيِ، وهذا

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) حمالة السيف: ما يعلَّق به.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى الأصل، م: «أنعم».

أمْرٌ لم يَحْضُرْه إلّا أنا وصَفْوانُ ، فواللَّهِ إنِّى لَأَعْلَمُ ما أتاك به إلّا اللَّهُ ، فالحمدُ للَّهِ الذى هدانى للإسلامِ ، وساقَنى هذا المَساقَ . ثم شَهِدَ شَهادةَ الحقِّ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَقِّهُوا أخاكم فى دينِه ، وعَلِّمُوه[1] القرآنَ ، وأَطْلِقُوا أسيرَه » . ففعَلوا . ثم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى كنتُ جاهدًا على إطفاءِ نورِ اللَّهِ ، شديدَ الأذى لمَن كان على دينِ اللَّهِ ، وأنا أُحِبُّ أن تَأْذَنَ لى فأَقْدَمَ مكةَ ، فأَدْعُوَهم إلى اللَّهِ وإلى رسولِه وإلى الإسلامِ ؛ لعلَّ اللَّهَ يَهْدِيهم ، وإلّا آذَيْتُهم فى دينِهم كما كنتُ أُوذِى أصحابَك فى دينِهم . قال : فأذِنَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ فلَحِق بمكةَ ، وكان صَفْوانُ حينَ خرَج عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ يَقولُ : أَبْشِرُوا بوَقْعَةٍ تَأْتِيكم الآنَ فى أيامٍ ، تُنْسِيكم وَقْعةَ[2] بدرٍ . وكان صَفْوانُ يَسْأَلُ عنه الرُّكْبانَ ، حتى قَدِم راكبٌ فأَخْبَرَه عن إسلامِه ، فحَلَف أنْ لا يُكَلِّمَه أبدًا ، ولا يَنْفَعَه بنَفْعٍ أبدًا . قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مكةَ ، أقام بها يَدْعُو إلى الإسلامِ ، ويُؤْذِى مَن خالَفَه أذًى شديدًا ، فأَسْلَم على يدَيه ناسٌ كثيرٌ . قال ابنُ إسحاقَ[3] : وعُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ ، أو الحارثُ بنُ هشامٍ ، هو الذى رأَى عدوَّ اللَّهِ إبليسَ ، حينَ نكَص على عَقِبَيْه يومَ بدرٍ ، وفَرَّ هاربًا ، وقال : إنِّى برىءٌ منكم ، إنِّى أَرَى ما لا تَرَوْن . وكان إبليسُ يومَئذٍ فى صورةِ سُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ أميرِ مُدْلِجٍ .

---

(١) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « أقرئوه » .

(٢) فى الأصل : « أيام » . وفى ص : « يوم » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٦٣.

فصلٌ

ثُم إنَّ الإمامَ محمدَ بنَ إسحاقَ ، رَحِمه اللَّهُ ، تكلَّم على ما نزَل مِن القرآنِ فى قصةِ بدرٍ ، وهو مِن أولِ سورةِ « الأنفالِ » إلى آخرِها ، فأجاد وأفاد[1] ، وقد تَقَصَّيْنا الكلامَ على ذلك فى كتابِنا « التفسيرِ »[2] فمَن أراد الاطِّلاعَ على ذلك فلْيَنْظُرْه ثَمَّ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٦٦- ٦٧٧.

(٢) التفسير ٣/ ٥٤٥- ٥٩٩، ٤/ ٣- ٤٣.

[٢/١٩٦و] فصلٌ

ثُم شرَع ابنُ إسحاقَ فى تَسْمِيَةِ مَن شَهِد بدرًا مِن المُسْلِمين[(١)] ، فسَرَد أسماءَ مَن شَهِدَها مِن المُهاجِرين أولًا ، ثُم أَسماءَ مَن شَهِدها [(٢)]مِن الأنصارِ أَوْسِها وخَزْرَجِها ، إلى أن قال[(٣)] : فجميعُ مَن شَهِد بدرًا مِن المسلمين ؛ مِن المُهاجِرين والأنصارِ ؛ من شَهِدها[(٢)] ومَن ضُرِب له بسَهْمِه وأَجْرِه ، ثلاثُمائةِ رجلٍ وأَربعةَ عشَرَ رجلًا ؛ مِن المُهاجِرين ثلاثةٌ وثمانون ، ومِن الأَوْسِ أحدٌ وستونَ رجلًا ، ومِن الخَزْرَجِ مائةٌ وسبعون رجلًا . وقد سَرَدهم البخاريُّ فى « صحيحِه »[(٤)] مُرَتَّبِين على حروفِ المُعْجَمِ ، بعدَ البَداءَةِ برسولِ اللَّهِ ﷺ ثُم بأبى بكرٍ وعمرَ[(٥)] وعثمانَ وعلىٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنهم .

وهذه تَسْمِيَةُ مَن شَهِد بدرًا مِن المسلمين مُرتَّبِين على حروفِ المعجمِ ، وذلك مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » للحافظِ ضياءِ الدينِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ المَقْدِسىِّ ، وغيرِه ، بعدَ البَداءَةِ باسمِ رئيسِهم وفَخْرِهم وسيدِ ولدِ آدمَ محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٧- ٧٠٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٨٨. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٧٠٦.

(٤) صحيح البخارى ، باب تسمية من سمى من أهل بدر ...، من كتاب المغازى . فتح البارى ٧/ ٣٢٦.

(٥) سقط من : م .

حرفُ الألفِ

أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ النَّجّاريُّ سيدُ القُرَّاءِ. الأَرْقَمُ بنُ أبى الأَرقمِ، [1]وأبو الأرقمِ[1] عبدُ مَنافِ بنُ أسدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزومٍ المَخْزُوميُّ. أَسْعدُ بنُ يزيدَ[2] ابنِ الفاكهِ بنِ يزيدَ بنِ خَلَدَةَ بنِ عامرِ بنِ العَجْلَانِ. أَسْودُ بنُ زيدِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ غَنْمٍ. كذا قال موسى بنُ عُقْبةَ[3]. وقال الأُمَوِيُّ: سَوادُ بنُ رِزامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيٍّ. شَكَّ فيه. وقال سَلَمَةُ بنُ الفضلِ، عن ابنِ إسحاقَ[4]: سَوادُ بنُ زُرَيقِ بنِ ثَعْلَبَةَ. وقال ابنُ عائذٍ: سَوادُ بنُ زيدٍ[5]. أُسَيْرُ ابنُ عمرٍو الأنصاريُّ أبو سَلِيطٍ. وقيل: أُسَيْرُ بنُ عمرِو بنِ أُمَيَّةَ بنِ لَوْذانَ بنِ سالمِ بنِ ثابتٍ الخَزْرَجِيُّ. ولم يَذْكُرْه موسى بنُ عُقْبَةَ. أَنَسُ بنُ قَتادةَ بنِ رَبيعةَ ابنِ خالدِ بنِ الحارثِ الأَوْسِيُّ. كذا سماه موسى بنُ عُقبةَ[6]. وسَمّاه[7] الأُمَوِيُّ فى «السيرةِ» أُنَيْسًا.

(١ - ١) فى الأصل، ص: «بن». وانظر الاستيعاب ١/ ١٣١، وأسد الغابة ١/ ٧٤.

(٢) فى الأصل، ص: «زيد». وانظر أسد الغابة ١/ ٨٩، والإصابة ١/ ٥٧.

(٣) يعنى تسمية «أسود بن زيدٍ» فقط. وقد ذكَر هذا القول معزوًا لابن عقبة، ابنُ الأثير فى أسد الغابة ١/ ١٠٣، وابنُ حجر فى الإصابة ١/ ٧٣، ٧٤.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٨، من رواية زياد البكائى عن ابن إسحاق.

(٥) ذكره بهذه التسمية ابنُ حجر فى الإصابة ١/ ٧٤، ولم يعزها لأحد.

(٦) انظر أسد الغابة ١/ ١٥٠.

(٧) فى الأصل، ص: «و».

(١) قلتُ : وأنسُ بنُ مالكٍ خادمُ النبيِّ ﷺ ، لِما رَوى عمرُ بنُ شَبَّةَ النُّمَيْرِيُّ(٢) ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، عن أبيه ، عن ثُمامَةَ بنِ أنسٍ قال : قيل لأنسِ بنِ مالكٍ : أشَهِدْتَ بدرًا ؟ قال : وأين أَغِيبُ عن بدرٍ لا أُمَّ لك ؟! .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ(٣) : أَخْبَرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، ثنا أَبى ، عن مَوْلًى لأنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّه قال لأنسٍ : شَهِدْتَ بدرًا ؟ قال : لا أُمَّ لك ، وأين أَغِيبُ عن بدرٍ ؟! قال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ : خَرَج أنسُ بنُ مالكٍ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى بدرٍ ، وهو غلامٌ يَخْدِمُه . قال شيخُنا الحافظُ أبو الحجَّاجِ المِزِّيُّ فى « تَهْذِيبِه »(٤) : هكذا قال الأنصاريُّ ، ولم يَذْكُرْ ذلك أحدٌ مِن أصحابِ المَغازى(١) .

أنسُ بنُ مُعَاذِ بنِ أنسِ(٥) بنِ قيسِ بنِ عُبَيدِ بنِ زيدِ بنِ مُعاويةَ بنِ عمرِو بنِ مالكِ ابنِ النَّجّارِ . أَنَسَةُ الحَبَشِيُّ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ . أَوْسُ بنُ ثابِتِ(٦) بنِ المُنذِرِ النَّجّارِيُّ . أوسُ بنُ خَوْلِيِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ عُبيدِ بنِ مالكِ بنِ سالمِ بنِ غَنْمِ(٧) بنِ عَوفِ (٨) بنِ الخَزْرَجِ الخزرجيُّ . وقال موسى بنُ عُقبةَ : أوسُ بنُ عبدِ اللَّهِ(٨)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، من طريق عمر بن شبة به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، من طريق محمد بن سعد به .

(٤) تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٨.

(٥) فى الأصل : « معاذ » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٥٤، والإصابة ١/ ١٣٢.

(٦) فى م : « نابت » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٦٥، والإصابة ١/ ١٤٤.

(٧) فى الأصل : « غانم » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٧٠، والإصابة ١/ ١٥٢.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

ابنِ الحارثِ بنِ خَوْلِيٍّ[1] . أوْسُ بنُ الصّامتِ الخزرجيُّ أخو عُبادَةَ ابنِ الصَّامتِ . إياسُ بنُ البُكَيْرِ بنِ عبدِ ياليلَ بنِ ناشِبِ بنِ غِيَرَةَ[2] بنِ سعدِ بنِ لَيْثِ ابنِ بكرٍ حليفُ بنى عَدِيِّ بنِ كعبٍ .

حرفُ الباءِ

بُجَيْرُ[3] بنُ أبى بُجَيْرٍ[3] حليفُ بنى النَّجّارِ . بَحّاثُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمَةَ بنِ أَصْرَمَ بنِ عمرِو بنِ عَمّارةَ البَلَوىُّ حليفُ الأنصارِ . بَسْبَسُ بنُ عمرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ خَرَشَةَ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ سعيدِ[4] بنِ ذُبْيانَ[5] بنِ رَشْدانَ بنِ قيسِ بنِ جُهَيْنَةَ الجُهَنِيُّ حليفُ بنى ساعِدَةَ ، وهو أَحَدُ العَيْنَيْنِ[6] هو وعَدِيُّ بنُ أبى الزَّغْباءِ كما تَقَدَّمَ[7] . بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ الخزرجيُّ الذى مات بخيبرَ مِن الشاةِ المسمومةِ . بَشِيرُ بنُ سعدِ[8] [9]بنِ ثعلبةَ[9] الخزرجيُّ والدُ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ .

---

(١) ذكر هذا القول ابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ١١٧، وابن حجر فى الإصابة ١/ ١٥٢. ولم يعزواه لأحد .

(٢) فى الأصل : « عميرة » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٨١، والإصابة ١/ ١٦٣.

(٣) فى الأصل ، ص : « بحير » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٩٦، والإصابة ١/ ٢٦٨.

(٤) كذا فى النسخ ، ولعله كذلك فى كتاب « الأحكام الكبير » للمقدسى ، كما أشار المصنف أنه نقله من هناك . والذى فى الاستيعاب ١/ ١٩٠، وجمهرة الأنساب ص ٤٤٤، وأسد الغابة ١/ ٢١٣، والإصابة ١/ ٢٨٨: « سعد » .

(٥) فى الأصل ، ص : « دينار » . وانظر المصادر السابقة .

(٦) يعنى أنه كان هو وعدى عينيْن يترقبان موعد نزول عير أبى سفيان ببدر ، قبيل الغزوة .

(٧) انظر ما تقدم فى صفحة ٧٦ .

(٨) فى الأصل : « سعيد » . وانظر أسد الغابة ١/ ٢٣١، والإصابة ١/ ٣١١، ٣١٢.

(٩ - ٩) سقط من : الأصل .

ويُقالُ[1] : إنَّه أولُ مَنْ بايعَ الصِّدِّيقَ . بَشيرُ بنُ عبدِ المُنذرِ أبو لُبابَةَ الأَوْسيُّ ، رَدَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن الرَّوْحاءِ واسْتَعْمَلَه على المدينةِ ، وضَرَب له بسهمِه وأَجْرِه .

حرفُ التاءِ

تَميمُ بنُ يَعارِ[2] بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ أُميَّةَ بنِ جُدارَةَ بنِ عَوفِ بنِ الحارثِ ابنِ الخزرجِ . تميمٌ مَوْلَى خِراشِ بنِ الصِّمَّةِ . تميمٌ مَولَى بنى غَنْمِ بنِ السَّلْمِ . وقال ابنُ هِشامٍ[3] : هو مولَى سعدِ بنِ خَيْثَمَةَ .

حرفُ الثاءِ

ثابتُ بنُ أَقْرَمَ بنِ ثَعْلَبَةَ [4]بنِ عَدِيِّ بنِ العَجْلانِ . ثابتُ بنُ ثَعْلَبَةَ[4] . ويُقالُ لثعلبةَ هذا : الجِذْعُ[5] بنُ زيدِ بنِ الحارثِ بنِ حَرامِ [6]بنِ كعبِ[6] بنِ غَنْمِ بنِ

---

(١) انظر المصدرين السابقين . وقيّدا أوليته بالأنصار ، لا مطلق الصحابة .

(٢) فى الأصل : « معاذ » . وانظر أسد الغابة ١/ ٢٦١، والإصابة ١/ ٣٧٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٠.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى الأصل ، م : « الجدع » . وانظر الاستيعاب ١/ ١٩٨، وأسد الغابة ١/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر المصدرين السابقين .

كعبِ بنِ سَلِمةَ . ثابتُ بنُ خالدِ بنِ النُّعمانِ بنِ خَنْساءَ بنِ عُسَيْرَةَ [٢/ ١٩٦ظ] ابنِ عبدِ[١] عَوفِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجّارِ النَّجّاريُّ . ثابتُ بنُ خَنْساءَ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ عَدِيٍّ بنِ عامرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيٍّ بنِ النجّارِ النجّاريُّ . ثابتُ ابنُ عمرِو بنِ زيدِ بنِ عَدِيٍّ بنِ سَوادِ بنِ مالكِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ[٢] بنِ النجّارِ النجّاريُّ . ثابتُ بنُ هَزَّالٍ الخزرجيُّ . ثَعْلبةُ بنُ حاطِبِ بنِ عمرِو بنِ عُبَيدِ بنِ أميةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ[٣] بنِ الأوْسِ . ثَعْلبةُ بنُ عمرِو بنِ عُبيدِ بنِ مالكٍ النجّاريُّ . ثَعْلبةُ بنُ عمرِو بنِ مِحْصَنٍ الخزرجيُّ . ثَعْلبةُ بنُ عَنَمَةَ[٤] بنِ عَدِيٍّ بنِ نابى السَّلَمِيُّ . ثَقْفُ بنُ عمرٍو ، مِن بنى حَجْرِ آلِ بنى سُلَيْمٍ ، وهو مِن حُلفاءِ بنى كثيرِ[٥] بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدٍ .

حرفُ الجيمِ

جابرُ بنُ خالدِ بنِ [٦]مسعودِ بنِ[٦] عبدِ الأَشْهَلِ بنِ حارِثةَ بنِ دِينارِ بنِ النَّجّارِ

---

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر أسد الغابة ١/ ٢٦٦، والإصابة ١/ ٣٨٥.

(٢) فى م : « عدى » . وانظر الاستيعاب ١/ ١٩٨، والإصابة ١/ ٣٩٤.

(٣) كذا هنا فى النسخ ، نقلا عن كتاب « الأحكام » كما ذكر المصنف . وفى أسد الغابة ١/ ٥٨٨، والإصابة ١/ ٤٠٠، بعد مالك : « بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك » .

(٤) فى ص : « غنمة » . وانظر أسد الغابة ١/ ٢٩١، والإصابة ١/ ٤٠٦.

(٥) فى الأصل غير منقوطة . والذى فى جمهرة الأنساب ص ١٩١، وسيرة ابن هشام ١/ ٦٨٠: « كبير » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص . وانظر أسد الغابة ١/ ٣٠٢، والإصابة ١/ ٤٣٠.

النَّجّارىُّ . جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ رِئابِ بنِ النُّعمانِ بنِ سِنانِ بنِ عُبيدِ بنِ عَدِىِّ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمةَ السَّلَمىُّ ، أحدُ الذين شَهِدوا العَقَبَةَ .

(١) قلتُ : فأمَّا جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ حَرامٍ السَّلَمىُّ أيضًا ، فذَكَرَه البُخارىُّ فيهم فى مُسندِ[٢] ، عن سعيدِ بنِ منصورٍ ، عن أبى معاويةَ ، عن الأَعْمشِ ، عن أبى سُفيانَ ، عن جابرٍ قال : كنتُ أَمِيحُ[٣] لأصحابى الماءَ يومَ بدرٍ . وهذا الإسنادُ على شرطِ مسلمٍ ، لكنْ قال محمدُ بنُ سعدٍ[٤] : ذَكَرْتُ لمحمدِ بنِ عمرَ - يَعْنى الوَاقِدِىَّ - هذا الحديثَ ، فقال : هذا وَهْمٌ مِن أهلِ العراقِ . وأَنْكَر أن يَكونَ جابرٌ شَهِد بدرًا .

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[٥] : حدثنا رَوْحُ بنُ عُبادَةَ ، ثنا زكريا بنُ إسحاقَ ، ثنا أبو الزُّبيرِ ، أنَّه سَمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يَقولُ : غَزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ تسْعَ عَشْرَةَ غزوةً ، ولم أَشْهَدْ بدرًا ولا أُحُدًا ، مَنَعنى أبى ، فلمَّا قُتِل(١)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) لعله فى كتابه المصنَّف فى أسماء الصحابة . ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون ٨٩/١ قائلا : ذكره - أى كتاب البخارى - أبو القاسم ابن منده ، وأنه يرويه من طريق ابن فارس عنه . أى عن البخارى . وقد أورد ترجمة جابر البخارىُّ فى التاريخ الكبير ٢/ ٢٠٧، وأخرج الأثر فيه ، عن مسدد عن أبى عوانة عن الأعمش به . وقد صحح إسناده الحافظ ابن حجر فى الإصابة ١/ ٤٣٤. وأما من طريق سعيد بن منصور به ، فقد أخرجه أبو داود فى سننه (٢٧٣١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٧١) .

(٣) فى م : «أمتح» . ولفظ البخارى فى التاريخ : «أمنح» . والمثبت موافق لما فى أبى داود ، وإحدى نسخ التاريخ الكبير المخطوطة . انظر التاريخ ٢٠٧/٢ حاشية (١) . والمَيْح : أن يدخُل البئر فيملأ الماء ، وذلك إذا قلَّ ماؤها . اللسان (م ى ح) .

(٤) انظر تاريخ دمشق ١١/ ٢١٧.

(٥) المسند ٣/ ٣٢٩.

(١ أبى يومَ أُحُدٍ ، لم أَتَخَلَّفْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ عن غَزاةٍ . ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبى خَيْثَمةَ عن رَوْحٍ ١) .

جَبَّارُ بنُ صَخْرٍ السَّلَمىُّ . جَبْرُ[٣] بنُ عَتِيكٍ الأنصارىُّ . جُبَيْرُ[٤] بنُ إياسٍ الخزرجىُّ .

حرفُ الحاءِ

الحارثُ بنُ أنسِ بنِ رافعٍ الخزرجىُّ . الحارثُ بنُ أَوْسِ بنِ مُعاذٍ ، ابنُ أخى سعدِ بنِ معاذٍ الأَوْسىُّ . الحارثُ بنُ حاطِبِ بنِ عمرِو بنِ عُبيدِ بنِ أُميَّةَ بنِ زيدِ ابنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ[٥] ، رَدَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن الطريقِ ، وضَرَب له بسهمِه وأَجْرِه . الحارثُ بنُ خَزَمَةَ بنِ عَدِىِّ بنِ أبى غَنْمِ بنِ سالِمِ بنِ عوفِ بنِ عمرِو بنِ عوفِ بنِ الخزرجِ ، حليفٌ لبنى زَعُورَا بنِ عبدِ الأَشْهَلِ . الحارثُ بنُ الصِّمَّةِ الخزرجىُّ ، رَدَّهُ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ؛ لأنَّه كُسِر مِن الطريقِ ، وضَرَب له بسَهْمِه وأَجْرِهِ . الحارثُ بنُ عَرْفَجَةَ الأوْسىُّ . الحارثُ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ[٦]

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) مسلم (١٨١٣) .

(٣) فى ص : « جرير » . وانظر أسد الغابة ١/ ٣١٧، والإصابة ١/ ٤٥٢.

(٤) فى ص : « جرير » . وانظر أسد الغابة ١/ ٣٢٢، والإصابة ١/ ٤٦٠.

(٥) الحارث بن حاطب هو أخو ثعلبة بن حاطب المتقدم فى صفحة ٢١٨ ، وانظر حاشيتها رقم (٣) .

(٦) فى م : « خلدة » . وهو مما قيل فى اسمه . انظر أسد الغابة ١/ ٤١١، ٦/ ٨١، والإصابة ١/ ٥٩٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٧٠٠.

أبو خالدٍ الخزرجيُّ . الحارثُ بنُ النُّعمانِ بنِ أُميَّةَ الأنصاريُّ . حارِثةُ بنُ سُراقَةَ النَّجّاريُّ ، أصابَه سَهمٌ غَرْبٌ وهو فى النَّظّارةِ ، فرُفِع إلى الفِرْدوسِ . حارثةُ بنُ النُّعمانِ بنِ رافعٍ الأنصاريُّ . حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ اللَّخْميُّ ، حليفُ بنى أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابنِ قُصَيٍّ . حاطبُ بنُ عمرِو بنِ عُبَيْدِ بنِ أُمَيَّةَ الأَشْجَعيُّ ، مِن بنى دُهْمانَ . هكذا ذَكَره ابنُ هشامٍ[1] عن غيرِ ابنِ إسحاقَ . وقال الواقديُّ[2] : حاطبُ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ وُدٍّ . وكذا ذَكَره ابنُ عائذٍ فى « مغازِيه » . وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3] : حاطبُ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شمسٍ . سَمِعْتُه مِن أبى ، وقال : هو رجلٌ مجهولٌ .

الحُبابُ بنُ المُنذِرِ الخزرجيُّ . ويُقالُ : كان لواءُ الخزرجِ معه يومَئذٍ . حَبِيبُ ابنُ أَسْودَ مَوْلَى بنى حَرامٍ مِن بنى سَلِمةَ .

وقال موسى بنُ عُقبةَ[4] : حَبيبُ بنُ سعدٍ . بَدَلَ « أَسودَ » .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[5] : حَبيبُ بنُ أَسْلَمَ مولَى آلِ جُشَمَ بنِ الخزرجِ . أنصاريٌّ بدريٌّ . حُرَيْثُ بنُ زيدِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ عبدِ رَبِّه الأنصاريُّ أخو عبدِ اللَّهِ ابنِ زيدٍ الذى أُرِىَ النداءَ[6] . الحُصَيْنُ بنُ الحارثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٨، وليس عنده : « الأشجعى من بنى دهمان » .
(٢) انظر مغازى الواقدى ١/ ١٥٦.
(٣) الجرح والتعديل ٣/ ٣٠٣.
(٤) انظر الاستيعاب ١/ ٣١٩.
(٥) الجرح والتعديل ٣/ ٩٦.
(٦) أى الأذان .

حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ عمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

حرفُ الخاءِ

خالدُ بنُ البُكَيْرِ أخو إياسٍ المُتَقَدِّمِ . خالدُ بنُ زيدٍ أبو أيوبَ النَّجّاريُّ . خالدُ ابنُ قيسِ بنِ مالكِ بنِ العَجْلانِ الأنصاريُّ . خارجةُ بنُ الحُمَيِّرِ ، حليفُ بنى خَنْساءَ مِن الخزرجِ ، وقيل : اسمُه حمزةُ[1] بنُ الحُمَيِّرِ . وسَمّاه ابنُ عائذٍ : أبا[2] خارِجةَ[3] . فاللَّهُ أعلمُ . خارجةُ بنُ زيدٍ الخزرجيُّ صِهْرُ الصِّدِّيقِ . خَبّابُ بنُ الأَرَتِّ ، حليفُ بنى زُهْرَةَ ، وهو مِن المهاجرين الأَوَّلِين ، وأصلُه مِن بنى تَميمٍ ، ويُقالُ[4] : مِن خُزاعةَ . خبّابٌ مَوْلَى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ ، مِن المهاجِرين الأَوَّلِين . خِراشُ بنُ الصِّمَّةِ السَّلَمىُّ . خُبَيْبُ بنُ إسافٍ [٢/١٩٧و] [5]بنِ عِنَبَةَ[5] الخزرجيُّ . خُرَيْمُ بنُ فاتِكٍ . ذَكَره البخاريُّ[6] فيهم . خَلِيفةُ بنُ عَدِيٍّ الخزرجيُّ . خُلَيْدُ بنُ قيسِ بنِ النُّعمانِ بنِ سِنانِ[7] بنِ عُبَيدٍ[8] [9]الأنصاريُّ السَّلَمىُّ[9] . خُنَيسُ بنُ

---

(١) فى م : « حارثة » .

(٢) سقط من : م .

(٣) انظر المشتبه ١/ ٢٥١. وتبصير المنتبه ١/ ٤٥٦.

(٤) انظر أسد الغابة ٢/ ١١٥.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص . وانظر أسد الغابة ٢/ ١١٨، والإصابة ٢/ ٢٦١.

(٦) فى التاريخ الكبير ٣/ ٢٢٤.

(٧) بعده فى الأصل : « مولى أبى حنسى » . وانظر أسد الغابة ٢/ ١٤٥، والإصابة ٢/ ٣٤٣.

(٨) بعده فى ص : « مولى بنى خنسا » . وانظر المصدرين السابقين .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، ص .

حُذافةَ بنِ قيسِ بنِ عَدِيٍّ[1] بنِ سعدِ[2] بنِ سَهْمِ بنِ عمرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كعبِ ابنِ لُؤَيٍّ السَّهْمِيُّ. قُتِل يومئذٍ فتأَيَّمتْ منه حَفْصَةُ بنتُ عمرَ بنِ الخطابِ.

خَوّاتُ بنُ جُبَيرٍ الأنصاريُّ، ضُرِب له بسَهْمِه وأَجْرِه، ولم يَشْهَدْها بنفسِه.

خَوْلِيُّ بنُ أبي خَوْلِيٍّ العِجْلِيُّ حليفُ بني عَدِيٍّ. مِن المهاجرين الأَوَّلين. خَلَّادُ ابنُ رافعٍ. وخلَّادُ بنُ سُوَيْدٍ. وخلَّادُ بنُ عمرِو بنِ الجَمُوحِ الخَزْرَجِيُّون.

حرفُ الذّالِ

ذَكْوانُ بنُ عبدِ قيسٍ الخزرجيُّ. ذو الشِّمالَيْنِ بنُ عبدِ بنِ عمرِو بنِ نَضْلَةَ ابنِ[3] غُبْشانَ بنِ سُلَيْمِ بنِ مِلْكانَ بنِ أَفْصَى بنِ حارثةَ بنِ عمرِو بنِ عامرٍ، مِن[4] خُزاعةَ، حليفٌ لبني زُهْرَةَ، قُتِل يومَئذٍ شهيدًا.

قال ابنُ هشامٍ[5]: واسمُه عُمَيْرٌ[6]، وإنَّما قيل له: ذو الشِّمالَيْنِ؛ لأنَّه كان أَعْسَرَ.

---

(١) سقط من: ص. وانظر أسد الغابة ٢/ ١٤٧، والإصابة ٢/ ٣٤٥.

(٢) في الأصل: «سعيد». وانظر المصدرين السابقين.

(٣) في م، ص: «من». وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٨١.

(٤) في الأصل: «بن». وبعده في م: «بني». وانظر المصدر السابق.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨١.

(٦) في ص: «عمرو». وانظر المصدر السابق.

حرفُ الرَّاءِ

رافعُ بنُ الحارثِ الأَوْسِيُّ . رافعُ بنُ عُنْجُدَةَ . قال ابنُ هشامٍ[1] : هى أمُّه . رافعُ بنُ المُعَلَّى بنِ لَوْذانَ الخزرجيُّ قُتِل يومَئذٍ . رِبْعِيُّ بنُ رافعٍ [2]بنِ الحارثِ[2] بنِ زيدِ بنِ حارثةَ بنِ الجدِّ بنِ عَجْلانَ[3] بنِ ضُبَيْعةَ . وقال موسى بنُ عُقبةَ[4] : رِبْعيُّ ابنُ أبى رافعٍ . ربيعُ بنُ إياسٍ الخزرجيُّ . رَبِيعةُ بنُ أَكْثَمَ[5] بنِ سَخْبَرَةَ[6] بنِ عمرِو[7] ابنِ لُكَيْزٍ[8] بنِ عامرِ بنِ غَنْمِ[9] بنِ دُودانَ بنِ أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ ، حليفٌ لِبنى عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، وهو مِن المُهاجرين الأَوَّلِين . رُخَيْلَةُ[10] بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خالدِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عامرِ بنِ بَياضَةَ الخزرجيُّ . رِفاعةُ بنُ رافعٍ الزُّرَقِيُّ[11] ، أخو خَلَّادٍ[12]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٨.

(٢ - ٢) ليست فى أسد الغابة ٢/ ٢٠٤.

(٣) بعده فى أسد الغابة : « بن حارثة » .

(٤) ذكر هذا القول صاحب الاستيعاب ٢/٥٠٥ ولم يعزه لأحد . وعزاه ابن الأثير فى الأُسد ٢/٢٠٤ لابن عبد البر والكلبى .

(٥) فى الأصل : « أكتم » . وانظر الإصابة ٢/ ٤٦٠.

(٦) فى الأصل : « سحيرة » . وانظر المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « عمير » . وانظر المصدر السابق .

(٨) فى الأصل ، ص : « لكير » . وانظر المصدر السابق .

(٩) فى الأصل ، ص : « عمرو » . وانظر المصدر السابق .

(١٠) فى الأصل : « رحلية » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٢٠. والإصابة ٢/ ٤٨١.

(١١) سقط من : ص .

(١٢) فى ص : « خالد » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٢٥.

ابنِ رافعٍ. رِفاعةُ بنُ عبدِ المنذرِ بنِ زَنْبَرٍ[1] الأوسيُّ أخو أبى لُبابَةَ. رِفاعةُ بنُ عمرِو بنِ زيدٍ الخزرجيُّ.

حرفُ الزَّاي

الزُّبيرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ، ابنُ عَمَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحَوارِيُّه. زِيادُ بنُ عمرٍو. وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[2]: زِيادُ بنُ الأَخْرَسِ بنِ عمرٍو الجُهَنيُّ. وقال الواقديُّ: زِيادُ بنُ كعبِ بنِ عمرِو بنِ عَدِيٍّ [3]ابنِ عمرٍو[3] بنِ رِفاعةَ بنِ كُلَيبِ بنِ مَوْدُوعَةَ[4] بنِ عَدِيٍّ بنِ عمرِو بنِ الرُّبْعَةِ[5] ابنِ رَشْدانَ بنِ قيسِ بنِ جُهَيْنَةَ. زِيادُ بنُ لَبِيدٍ الزُّرَقيُّ. زِيادُ[6] بنُ المُزَيْنِ بنِ قيسٍ الخزرجيُّ. زيدُ بنُ أَسْلَمَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عدِيٍّ بنِ عَجْلانَ[7] بنِ ضُبَيْعةَ. زيدُ بنُ

---

(١) فى الأصل، م: «زنير». وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٠٠. وأسد الغابة ٢/ ٢٣٠.

(٢) انظر الاستيعاب ٢/ ٥٣٣، وأسد الغابة ٢/ ٢٧٣. وقول ابن عقبة فيهما: «زياد بن عمرو الأخرس». وفى الإصابة ٢/ ٥٨١، ٥٨٢، عنه: «زياد بن الأخرس».

(٣ - ٣) سقط من: م، ص. وفى الأصل: «بن عامر». والمثبت من أسد الغابة ٢/ ٢٧٣، وانظر الإصابة ٢/ ٥٨٦.

(٤) فى الأصل: «بردعة». وفى م: «برذعة». وفى ص: «مردعة». والمثبت من أسد الغابة، وانظر الإصابة ٢/ ٥٨٦.

(٥) فى م، ص: «الزبعرى». وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٧٣، وتبصير المنتبه ٢/ ٥٩٢.

(٦) كذا فى النسخ. وفى الاستيعاب ٢/ ٥٥٨، وأسد الغابة ٢/ ٣٠٠، والإصابة ٢/ ٦٢٠: «زيد». وعند ثلاثتهم أن الواقدى سماه يزيد.

(٧) بعده فى أسد الغابة ٢/ ٢٧٧: «بن حارثة».

حارِثَةَ بنِ شَراحِيلَ[1] مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ، رَضِى اللَّهُ عنه. زيدُ بنُ الخطَّابِ ابنِ نُفَيْلٍ، أخو عمرَ بنِ الخطابِ، رَضِى اللَّهُ عنهما. زيدُ بنُ سَهْلِ بنِ الأسْودِ ابنِ حَرامٍ النَّجّارىُّ أبو طَلْحةَ، رَضِى اللَّهُ عنه.

حـرفُ السِّينِ

سالمُ بنُ عُمَيرٍ الأَوْسىُّ. سالمُ بنُ[2] عَوفٍ الخزرجىُّ. [3]سالمُ بنُ مَعْقِلٍ مَوْلَى أبى حُذَيْفةَ[3]. السَّائِبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ الجُمَحِىُّ، شَهِد[4] مع أبيه. سُبَيْعُ بنُ قيسِ بنِ عَيْشةَ[5] الخزرجىُّ. سَبْرَةُ بنُ فاتِكٍ. ذَكَره البخارىُّ[6]. سُراقَةُ ابنُ عمرٍو النَّجّارىُّ. [7]سُراقةُ بنُ كعبٍ النَّجّارىُّ[7] أيضًا. سعدُ بنُ خَوْلَةَ مَوْلَى بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ، مِن المهاجرين الأَوَّلِين. سعدُ بنُ خَيْثَمَةَ[8] الأَوْسىُّ، قُتِل

---

(١) فى م، ص: «شرحبيل». قال أبو عمر فى الاستيعاب ٢/ ٥٤٣: وكان ابن إسحاق يقول: «زيد بن حارثة بن شرحبيل»، ولم يتابع على قوله: «شرحبيل»، وإنما هو «شراحيل». والذى عنى أبو عمر هو ابن هشام حيث صححه. سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٨، وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٨١، والإصابة ٢/ ٥٩٨.

(٢) بعده فى م: «غنم بن». وانظر الإصابة ٣/ ١١.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) يعنى شهد بدرًا.

(٥) فى الأصل: «عبسة». وفى م: «عائد». وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٢٦، والإصابة ٣/ ٣٣.

(٦) لعله فى كتابه المصنَّف فى أسماء الصحابة. انظر ما تقدم فى صفحة ٢١٩ حاشية (٢). والترجمة فى التاريخ الكبير ٤/ ١٨٧.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) فى الأصل، ص: «حثمة». وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٤٦، والإصابة ٣/ ٥٥.

يومَئذٍ شهيدًا . سعدُ بنُ الرَّبيعِ الخَزْرَجيُّ الذى قُتِل يومَ أُحُدٍ شهيدًا . سعدُ بنُ زيدِ بنِ مالكٍ الأَوْسيُّ[1] . سعدُ[2] بنُ زيدِ بنِ الفاكِهِ الخزرجيُّ . سعدُ بنُ سُهَيْلِ ابنِ عبدِ الأَشْهلِ النَّجّاريُّ . سعدُ بنُ عُبَيدٍ الأنصاريُّ . سعدُ بنُ عثمانَ بنِ خَلْدَةَ الخزرجيُّ أبو عُبادةَ . وقال ابنُ عائذٍ : أبو عُبَيدةَ . سعدُ بنُ مُعاذٍ الأَوْسيُّ . كان لواءُ الأَوسِ معه . [٢/١٩٧ظ] سعدُ بنُ عُبادَةَ بنِ دُلَيْمٍ الخزرجيُّ . ذَكَره غيرُ واحدٍ ؛ منهم عُرْوةُ ، والبُخاريُّ ، وابنُ أبى حاتمٍ ، والطَّبَرانيُّ فيمَن شَهِد بدرًا[3] ، ووَقَع فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] ما يَشْهَدُ بذلك حينَ شاوَر النبيُّ ﷺ فى مُلْتَقَى النَّفِيرِ مِن قريشٍ ، فقال سعدُ بنُ عُبادةَ : كأنَّك تُريدُنا يا رسولَ اللَّهِ . الحديثَ . والصحيحُ أنَّ ذلك سعدُ بنُ مُعاذٍ[5] . والمشهورُ[6] أنَّ سعدَ بنَ عُبادةَ رَدَّه مِن الطريقِ ، قيل : لاسْتِنابتِه على المدينةِ . وقيل : لَدَغَتْه حَيَّةٌ ، فلم يَتَمَكَّنْ مِن الخروجِ إلى بدرٍ . حكاه السُّهَيْلِيُّ عن ابنِ قُتَيْبَةَ[7] . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) بعده فى م ، ص : « وقال الواقدى » . ولا علاقة بين هذين الاسمين ؛ سعد بن زيد بن مالك الأوسى وسعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى ، كما فى أسد الغابة ٢/ ٣٥١، والإصابة ١/ ٥٦، ٥٧، ٣/ ٦١. كما أن الواقدى قد ذكرهما مفترقيْن فى عداد من شهد بدرًا ، انظر مغازى الواقدى ١/ ١٥٧، ١٥٨، ١٧١.

(٢) فى ص : « أسعد » . وهو مما قيل فى اسمه . انظر أسد الغابة ٢/ ٣٥١.

(٣) مغازى عروة ص ١٥٢، والبخارى فى التاريخ الكبير ٤/ ٤٤، وانظر ما تقدم فى صفحة ٢١٩ حاشية (٢) ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤/ ٨٨، والطبرانى فى المعجم الكبير ٦/ ١٧ (٥٣٥٢) .

(٤) مسلم (١٧٧٩) .

(٥) انظر مغازى الواقدى ١/ ٤٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٦١٥، ودلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٤٧، ٤٨، وأسد الغابة ٢/ ٣٧٦.

(٦) اختُلِف فى شهود سعد بن عبادة بدرًا ، انظر الاستيعاب ٢/ ٥٩٤، وأسد الغابة ٢/ ٣٥٦، والإصابة ٣/ ٦٦.

(٧) الروض الأنف ٥/ ٢٩٦، والمعارف ص ٢٥٩.

سعدُ بنُ أبى وَقّاصٍ مالكِ بنِ أُهَيْبٍ الزُّهْرىُّ ، أحدُ العشَرَةِ . سعدُ بنُ مالكٍ أبو سهلٍ[1] . قال الواقدىُّ[2] : تَجَهَّز ليَخْرُجَ ، فمَرِض فمات قبلَ الخروجِ . سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيلٍ العَدَوىُّ ، ابنُ عمِّ عمرَ بنِ الخطابِ ، يُقالُ[3] : قَدِم مِن الشامِ بعدَ مَرْجِعِهم مِن بدرٍ ، فضَرَب له رسولُ اللَّهِ ﷺ بسهمِه وأَجْرِه . سفيانُ بنُ بِشرٍ[4] بنِ عمرٍو الخزرجىُّ . سَلَمةُ بنُ أَسْلَمَ بنِ حَرِيشٍ الأوسىُّ . سَلَمةُ بنُ ثابتِ بنِ وَقْشِ بنِ زُغْبَةَ . سَلَمةُ بنُ سلامةَ بنِ وَقْشِ بنِ زُغْبَةَ . سُلَيْمُ بنُ الحارِثِ النَّجارِىُّ . سُليمُ بنُ عمرٍو السَّلَمىُّ . سُليمُ بنُ قيسِ بنِ قَهْدٍ[5] الخزرجىُّ . سُليمُ بنُ مِلْحانَ ، أخو حَرامِ بنِ مِلحانَ النجّارىُّ . سِماكُ بنُ أَوسِ بنِ خَرَشَةَ ، أبو دُجانةَ . ويُقالُ[6] : سِماكُ بنُ خَرَشةَ . سِماكُ بنُ سعدِ بنِ ثَعْلَبَةَ الخزرجىُّ . وهو أخو بَشِيرِ بنِ سعدٍ المُتقدِّمِ[7] . سهلُ بنُ حُنَيفٍ الأَوْسىُّ . سهلُ بنُ عَتِيكٍ النجّارىُّ . سهلُ بنُ قيسٍ السَّلَمِىُّ . سُهَيلُ[8] بنُ رافعٍ النجّارىُّ . الذى كان له ولأخيه موضعُ المسجدِ النبوىِّ كما تَقَدَّم[9] . سُهَيلُ بنُ وَهْبٍ

---

(١) فى ص : « سهيل » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٦٥، ٤٧٢، والإصابة ٣/ ٧٧، ٢٠٠.

(٢) مغازى الواقدى ١/ ١٠١.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦١٥.

(٤) فى الأصل : غير منقوطة . وفيه اختلاف كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر ، والأكثرون على أنه « نسر » . انظر أسد الغابة ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩، والإصابة ٣/ ١٣٠.

(٥) فى النسخ : « فهد » . والمثبت من أسد الغابة ٢/ ٤٤٧، ٤/ ٤٤٠. وانظر الإصابة ٣/ ١٦٩، ٥/ ٤٩٦، والمشتبه ٢/ ٥١١، وتبصير المنتبه ٣/ ١٠٨٦.

(٦) انظر أسد الغابة ٢/ ٤٥١، ٦/ ٩٥، والإصابة ٣/ ١٧٤، ٧/ ١١٩.

(٧) تقدم فى صفحة ٢١٦.

(٨) فى الأصل : « سهل » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٦٦٣.

(٩) تقدم فى عدة مواضع : فى ٤/ ٤٨٦، ٥٣١ بغير ذكر اسم أبيهما ، وفى ٤/ ٤٩١، ٤٩٣، ٥٣٢ =

الفِهرِيُّ ، وهو ابنُ بَيْضاءَ ، وهى أمُّه . سِنانُ بنُ أبى سنانِ بنِ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ ، مِن المهاجرين ، حليفُ بنى عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ . سِنانُ بنُ صَيْفِيٍّ السَّلَمِيُّ . سوادُ بنُ زُرَيقِ بنِ زيدٍ الأنصاريُّ[1] . وقال الأُمَوِيُّ : سَوادُ بنُ رِزامٍ . سَوادُ بنُ غَزِيَّةَ بنِ أُهَيْبٍ البَلَوِيُّ . سُوَيْبِطُ بنُ سعدِ بنِ حَرْمَلَةَ[2] العَبْدَرِيُّ . سُوَيْدُ بنُ مَخْشِيٍّ أبو مَخْشِيٍّ الطَّائِيُّ ، حليفُ بنى عبدِ شمسٍ ، وقيل : اسمُه أَرْبَدُ[3] بنُ حُمَيِّرٍ[4] .

حرفُ الشِّينِ

شُجاعُ بنُ وَهْبِ بنِ رَبيعةَ الأَسَدِيُّ ، أَسَدُ خُزَيْمَةَ ، حليفُ بنى عبدِ شمسٍ ، مِن المهاجرين الأوَّلين . شَمَّاسُ بنُ عثمانَ المَخْزومِيُّ . قال ابنُ هشامٍ[5] : واسمُه عثمانُ

= ذكر أنهما ابنا « عمرو » ، لا « رافع » . قال أبو عمر فى الاستيعاب ٢/ ٦٦٩: ومن جعل سهيل بن عمرو بن أبى عمرو ، وسهيل بن رافع بن أبى عمرو واحدًا ، فقد غلط ووهم ولم يعلم .

وقد وقع فى اسم أبيهما خلاف كبير بين المصنفين لأسماء الصحابة وغيرهم . انظر الاستيعاب ٢/ ٦٦٣، ٦٦٨، وأسد الغابة ٢/ ٤٧١، ٤٧٨، والإصابة ٣/ ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٢.

(١) فى سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٨: « سواد بن زريق بن ثعلبة » . وفى أسد الغابة ٢/ ٤٨٣، والإصابة ٣/ ٢١٧: « سواد بن زيد بن ثعلبة » .

(٢) فى الأصل : « حريملة » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٨٧، والإصابة ٣/ ٢٢٢.

(٣) فى الأصل : « أريد » . وفى م : « أزيد » . وانظر أسد الغابة ١/ ٧٢، والإصابة ١/ ٤٢، وتبصير المنتبه ١/ ٤٦٥.

(٤) فى الأصل ، ص : « حميرة » . وانظر المصادر السابقة .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٣.

ابنُ عثمانَ ، وإنَّما سُمِّى شَمّاسًا ؛ لحُسْنِه وشَبَهِه شمّاسًا كان فى الجاهليَّةِ . شُقْرانُ مَولَى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال الواقدىُّ[1] : لم يُسْهَمْ له ، وكان على الأَسْرَى ، فأعطاه كلُّ رجلٍ مِمَّن له فى الأَسرَى[2] شيئًا ، فحَصَل له أكثرُ مِن سهمٍ .

حـرفُ الصَّادِ

صُهَيبُ بنُ سِنانٍ الرُّومىُّ ، مِن المهاجرين الأَوَّلين . صَفْوانُ بنُ وهبِ بنِ رَبيعةَ الفِهْرىُّ ، أخو سُهَيلِ بنِ بَيْضاءَ ، قُتِل شهيدًا يومَئذٍ . صَخْرُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَنساءَ السَّلَمىُّ .

حـرفُ الضَّادِ

ضَحّاكُ بنُ حارثةَ بنِ زيدٍ السَّلَمىُّ . ضحَّاكُ بنُ عبدِ عمرٍو النجّارىُّ . ضَمْرةُ بنُ عمرٍو الجُهَنىُّ . وقال موسى بنُ عُقبةَ[3] : ضمرةُ بنُ كعبِ بنِ عمرٍو حليفُ الأنصارِ ، وهو أخو زِيادِ بنِ عمرٍو .

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ١٥٣.

(٢) سقط من : الأصل . والمعنى أن كل من افتدى أسيرًا ، وهب لشقران شيئًا . انظر الإصابة ٣/ ٣٥٢.

(٣) انظر الاستيعاب ٢/ ٧٤٩، وأسد الغابة ٣/ ٦٢.

حـرفُ الطَّاءِ

طلحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ التَّيْمىُّ ، أَحدُ العَشَرةِ ، قَدِم مِن الشامِ بعدَ مَرْجِعِهم من بدرٍ ، فضَرَب له رسولُ اللَّه ﷺ بسهمِه وأَجرِه . طُفيلُ بنُ الحارثِ بنِ المُطَّلِبِ ابنِ عبدِ مَنافٍ ، مِن المهاجرين ، وهو أخو حُصَيْنٍ وعُبيدةَ . طُفيلُ بنُ مالكِ بنِ خَنْساءَ السَّلَمِىُّ . طُفيلُ بنُ النُّعمانِ بنِ خَنْساءَ السَّلَمىُّ ، ابنُ عمِّ الذى قبلَه . طُلَيبُ بنُ عُمَيرِ بنِ وهبِ [٢/١٩٨و] بنِ أبى[(١)] كَثِيرِ[(٢)] بنِ عبدِ بنِ[(٣)] قُصَىٍّ . ذَكَره الواقِدىُّ[(٤)] .

حـرفُ الظَّاءِ

ظُهَيْرُ بنُ رافعٍ الأَوْسِىُّ . ذَكَره البُخارىُّ[(٥)] .

---

(١) سقط من : الأصل ، ص . وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٧٢، والإصابة ٣/ ٥٤٠.

(٢) فى الأصل غير منقوطة . وفى م ، ص : « كبير » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٣) سقط من : ص . وانظر المصدرين السابقين .

(٤) مغازى الواقدى ١/ ١٥٤.

(٥) انظر ما تقدم فى صفحة ٢١٩ حاشية (٢) ، وقد ذكر البخارى فى صحيحه (٤٠١٢، ٤٠١٣) أنه شهد بدرًا .

حـرفُ العَيْـنِ

عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى[1] الأَقْلَحِ[2] الأَنصارِىُّ، الذى حَمَتْه الدَّبْرُ[3] حينَ قُتِل بالرَّجِيعِ. عاصمُ بنُ عَدِىٍّ[4] [5]بنِ الجَدِّ[5] بنِ عَجْلانَ، رَدَّه عليه السلامُ مِن الرَّوْحاءِ، وضَرَب له بسهمِه وأَجرِه. عاصمُ بنُ قيسِ بنِ ثابتٍ الخَزْرَجىُّ. عاقلُ ابنُ البُكَيْرِ، أخو إياسٍ وخالدٍ وعامرٍ. عامرُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ زيدِ بنِ الحَسْحاسِ النجّارىُّ. عامرُ بنُ الحارثِ الفِهْرىُّ. كذا ذَكَره سَلَمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، وابنُ عائذٍ. وقال موسى بنُ عُقبةَ وزيادٌ، عن ابنِ إسحاقَ: عمرُو بنُ الحارثِ[6]. عامرُ بنُ رَبيعةَ بنِ مالكٍ العَنْزِىُّ[7]، حليفُ بنى عَدىٍّ، مِن المهاجرين. عامرُ بنُ سَلَمةَ بنِ عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَلَوىُّ القُضاعىُّ، حليفُ بنى[8] مالكِ بنِ سالمِ بنِ غَنْمٍ. قال ابنُ هشامٍ[9]: ويُقالُ: عمرُو[10] بنُ سَلَمةَ. عامرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) سقط من: ص. وانظر أسد الغابة ٣/ ١١١، والإصابة ٣/ ٥٦٩.

(٢) فى الأصل، ص: «الأفلح». وانظر المصدرين السابقين.

(٣) الدَّبْر: جماعة النحل والزنابير. القاموس المحيط (د ب ر).

(٤) فى الأصل: «عفير». وانظر أسد الغابة ٣/ ١١٤، والإصابة ٣/ ٥٧٢.

(٥ - ٥) سقط من: ص. وانظر المصدرين السابقين.

(٦) انظر الاختلاف فى اسمه فى سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٥، وأسد الغابة ٣/ ١١٩، ١٢٠. وإذا كان هذا الصحابى ذُكر باختلافٍ فى التسمية، وهو واحدٌ، فإنه سيتكرر فى صفحة ٢٣٨ باسم عمرو بن الحارث ابن زهير، وفى صفحة ٢٣٩ باسم عمرو بن عامر بن الحارث.

(٧) سقط من: الأصل. وانظر أسد الغابة ٣/ ١٢١، والإصابة ٣/ ٥٧٩.

(٨) بعده فى م، ص: «سالم بن». وانظر مغازى الواقدى ١/ ١٦٦، ١٦٧.

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٣.

(١٠) فى م: «عمر».

الجَرَّاحِ [1] بنِ هلالِ بنِ أُهَيبِ بنِ ضَبَّةَ بنِ الحارثِ بنِ فِهْرٍ، أبو عُبَيدةَ بنُ الجرَّاحِ [1]، أحدُ العشَرَةِ، مِن المهاجرين الأَوَّلِين. عامرُ بنُ فُهَيرةَ مَولَى أبى بكرٍ. عامرُ بنُ مُخَلَّدٍ النجّاريُّ. عائذُ بنُ ماعِصِ [2] بنِ قيسٍ الخزرجيُّ. عَبّادُ بنُ بِشْرِ ابنِ وَقْشٍ الأَوسيُّ. عبّادُ بنُ قيسِ بنِ عامرٍ الخزرجيُّ. عبّادُ بنُ قيسِ بنِ عَيْشةَ [3] الخزرجيُّ، أخو سُبَيعٍ المُتَقَدِّمِ. عُبادَةُ [4] بنُ الخَشْخاشِ القُضاعيُّ. عُبادَةُ بنُ الصّامِتِ الخزرجيُّ. عُبادةُ [5] بنُ قيسِ بنِ كعبِ بنِ قيسٍ. عبدُ اللَّهِ بنُ أُمَيَّةَ بنِ عُرْفُطَةَ. عبدُ اللَّهِ بنُ ثَعْلبةَ بنِ خَزْمَةَ، أخو بَحّاثٍ المُتقدِّمِ [6]. عبدُ اللَّهِ بنُ جحشٍ ابنِ رئابٍ [7] الأَسَديُّ. عبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيرِ بنِ النُّعمانِ الأَوسيُّ. عبدُ اللَّهِ بنُ الجَدِّ بنِ قيسٍ السَّلَميُّ. عبدُ اللَّهِ بنُ حَقٍّ بنِ [8] أَوْسٍ السّاعِديُّ. وقال موسى بنُ عقبةَ، والواقديُّ، وابنُ عائذٍ [9]: عبدُ ربٍّ بنُ حَقٍّ. وقال ابنُ هشامٍ [10]:

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر أسد الغابة ٣/ ١٢٨، والإصابة ٣/ ٥٨٦.

(٢) فى الأصل، ص: «باعص». وفى م: «ماعض». والمثبت من أسد الغابة ٣/ ١٤٨. وانظر الإصابة ٣/ ٦١٠.

(٣) فى الأصل: «عبسة». وفى م: «عبشة». وانظر الاستيعاب ٢/ ٨٠٦، وأسد الغابة ٣/ ١٥٥. وعندهما: «عبسة، ويقال: عيشة». والمثبت هنا يوافق ما أثبتناه عند اسم أخيه «سبيع بن قيس بن عيشة» المتقدم فى صفحة ٢٢٦ موافقًا هناك للمصادر. وانظر حاشيتها رقم (٥).

(٤) فى م، ص: «عباد». قال فى الاستيعاب ٢/ ٨٠٧: ويقال فيه: عباد بن الخشخاش بلا هاء، والأكثر يقولون: عبادة. وانظر أسد الغابة ٣/ ١٥٢، ١٥٨، والإصابة ٣/ ٦٢٣.

(٥) فى ص: «عباد».

(٦) تقدم فى صفحة ٢١٦.

(٧) فى الأصل: «ريان». وفى ص: «رباب». وانظر الاستيعاب ٣/ ٨٧٧، وأسد الغابة ٣/ ١٩٤، والإصابة ٤/ ٣٥.

(٨) سقط من: ص.

(٩) انظر الاستيعاب ٣/ ١٠٠٥، ومغازى الواقدى ١/ ١٦٨، وعنده: «عبد ربه».

(١٠) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٦. وهو قول ابن إسحاق، وإنما سكت عليه ابن هشام ولم يذكر قولًا آخر بعده.

عبدُ رَبِّه بنُ حَقٍّ . عبدُ اللَّهِ بنُ الحُمَيِّرِ ، حليفٌ لبنى حَرامٍ ، وهو أخو خارِجةَ بنِ الحُمَيِّرِ مِن أَشْجَعَ . عبدُ اللَّهِ بنُ الرَّبيعِ بنِ قيسٍ الخزرجىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ الخزرجىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ رَبِّه بنِ ثَعْلبةَ[1] الخزرجىُّ ، الذى أُرِىَ النـداءَ . عبدُ اللَّهِ بنُ سُراقةَ العَدَوىُّ . لم يَذْكُرْه موسى بنُ عقبةَ ولا الواقدىُّ ولا ابنُ عائذٍ ، وذَكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه[2] . عبدُ اللَّهِ بنُ سَلِمةَ بنِ مالكٍ العَجْلانىُّ[3] ، حليفُ الأنصارِ . عبدُ اللَّهِ بنُ سهلِ[4] بنِ رافعٍ ، أخو بنى زَعُورا . عبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيلِ بنِ عمرٍو ، خَرَج مع أبيه والمشركين ، ثم فَرَّ مِن المشركين إلى المسلمِين فشَهِدها معهم . عبدُ اللَّهِ بنُ طارقِ بنِ مالكٍ القُضاعىُّ ، حليفُ الأَوسِ . عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ ، مِن بَلِىٍّ ، ذَكَره ابنُ إسحاقَ[5] . عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ أُبَىٍّ [6] بنِ سَلُولَ[6] الخزرجىُّ ، وكان أبوه رأسَ المنافقين . عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الأسدِ بنِ هِلالِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمَر[7] بنِ مَخْزومٍ ، أبو سَلَمةَ ، زوجُ أُمِّ سلمةَ ،

---

(١) كذا فى النسخ . وفى مغازى الواقدى ١/ ١٦٦، وسيرة ابن هشام ١/ ٦٩٢، وأسد الغابة ٣/ ٢٤٧: «عبد اللَّه بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه» . وفى الإصابة ٤/ ٩٧: «عبد اللَّه بن زيد بن ثعلبة بن عبد اللَّه ابن ثعلبة بن زيد ...» ثم قال الحافظ : كذا نسبه أبو عمر - انظر الاستيعاب ٣/٩١٢ - فزاد فى نسبه ثعلبة ، والمعروف إسقاطه . انتهى من الإصابة ، وليس عند ابن عبد البر «ثعلبة» الأخير .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٤، والإصابة ٤/ ١٠٥، حيث أشار الحافظ ابن حجر إلى أن ابن إسحاق والزبير وخليفة اتفقوا على شهوده بدرًا . وقال عقب ذلك : واختلف على موسى بن عقبة فى شهوده بدرًا .

(٣) فى النسخ : «العجلان» . والمثبت من الاستيعاب ٣/ ٩٢٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٦٦.

(٤) فى الأصل : «سهيل» . وانظر أسد الغابة ٣/ ٢٦٩، والإصابة ٤/ ١٢٢.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٦.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص . وسلول هى أم أبىّ . وانظر أسد الغابة ٣/ ٢٩٦، والإصابة ٤/ ١٥٥.

(٧) فى الأصل ، م : «عمرو» . وانظر أسد الغابة ٣/ ٢٩٤، والإصابة ٤/ ١٥٢.

قُتِل يومَئذٍ[1] . عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ مَنافِ بنِ النُّعمانِ السَّلَمىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ عَبْسٍ . عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرِو بنِ كعبِ [2]بنِ سعدِ[2] بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبٍ ، أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه . عبدُ اللَّهِ بنُ عُرْفُطَةَ بنِ عَدىٍّ الخزرجىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو[3] بنِ حَرامٍ السَّلَمىُّ ، أبو جابرٍ . عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَيرٍ[4] بنِ عدىٍّ الخزرجىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ النجّارىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ قيسِ بنِ صَخْرِ بنِ حَرامٍ السَّلَمىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ كعبِ بنِ عمرِو بنِ عَوفِ بنِ مَبْذُولِ بنِ عمرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنِ بنِ النجّارِ ، جَعَله النبىُّ ﷺ مع عَدِىِّ بنِ أبى[5] الزَّغْباءِ على النَّفَلِ يومَ بدرٍ . عبدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ بنِ عبدِ العُزَّى ، مِن المهاجرين الأوَّلِين .[6] عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ الهُذَلىُّ ، حليفُ بنى زُهْرَةَ ، مِن المهاجرين [٢/١٩٨ظ] الأَوَّلِين[6] . عبدُ اللَّهِ بنُ مَظْعُونٍ الجُمَحىُّ ، مِن المهاجرين الأَولين . عبدُ اللَّهِ بنُ النُّعمانِ بنِ بُلْدُمَةَ[7] السَّلَمىُّ . عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسَةَ بنِ النُّعمانِ السَّلَمىُّ . عبدُ الرحمنِ بنُ جَبْرِ[8] بنِ عمرٍو ، أبو عَبْسٍ[9] الخزرجىُّ . عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلَبَةَ ، أبو عَقِيلٍ القُضاعىُّ البَلَوىُّ . عبدُ الرحمنِ [10]بنُ عَوفِ بنِ عبدِ عوفِ[10]

---

(١) والصواب أنه شهد أحدًا ، وأن وفاته كانت فى جمادى الآخرة سنة أربع بعد انتقاض جرح أصابه بأحد . وهو قول الجمهور - كما نقله الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٤/ ١٥٤. وانظر صفحة ٤٩٦ .

(٢ - ٢) سقط من: م. وانظر أسد الغابة ٣/ ٣٠٩، والإصابة ٤/ ١٦٩.

(٣) فى م، ص: «عمر». وانظر أسد الغابة ٣/ ٣٤٦، والإصابة ٤/ ١٨٩.

(٤) فى ص: «عميرة». وانظر أسد الغابة ٣/ ٣٥٦، والإصابة ٤/ ٢٠٠.

(٥) سقط من: ص. وانظر أسد الغابة ٤/ ١١، والإصابة ٤/ ٤٧٤.

(٦ - ٦) سقط من: ص.

(٧) فى الأصل: «بلدية». وانظر أسد الغابة ٣/ ٤٠٥، والإصابة ٤/ ٢٥١.

(٨) فى ص: «جبير». وانظر أسد الغابة ٣/ ٤٣١، والإصابة ٤/ ٢٩٥، ٧/ ٢٦٦.

(٩) فى الأصل: «عنس». وفى م، ص: «عبيس». والمثبت من أسد الغابة.

(١٠ - ١٠) سقط من: ص. وانظر أسد الغابة ٣/ ٤٨٠، والإصابة ٤/ ٣٤٦.

ابنِ عبدِ الحارثِ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلابٍ الزُّهرِيُّ ، أحدُ العشَرةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم . عَبْسُ بنُ عامرِ بنِ عَدِيٍّ السَّلَمِيُّ ، عُبَيدُ بنُ التَّيِّهانِ ، أخو أبى الهَيْثَمِ بنِ التَّيِّهانِ ، ويُقالُ[1] : « عَتِيكٌ » بدلَ « عُبَيدٍ » . عُبيدُ[2] بنُ ثَعْلَبَةَ مِن بنى غَنْمِ بنِ مالكٍ . عُبيدُ[3] بنُ زيدِ بنِ عامرِ بنِ [4]العَجْلانِ بنِ عمرِو[4] بنِ عامرٍ . عُبيدُ بنُ أبى عُبيدٍ . عُبَيدَةُ بنُ الحارثِ بنِ المُطَّلبِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، أخو الحُصَينِ والطُّفَيلِ ، وكان أحدَ الثلاثةِ الذين بارزوا[5] يومَ بدرٍ ، فقُطِعَتْ يدُه ، ثُم مات بعدَ المعركةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه . عِتْبانُ بنُ مالكِ بنِ عمرٍو الخزرجيُّ . عُتْبَةُ بنُ[6] رَبِيعةَ بنِ خالدِ ابنِ معاويةَ البَهْرانيُّ ، حليفُ بنى أُمَيَّةَ بنِ لَوْذانَ . عُتبةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ صَخْرٍ السَّلَمِيُّ . عُتبةُ بنُ غَزْوانَ بنِ جابرٍ ، مِن المهاجرين الأَوَّلِين . عثمانُ بنُ عفانَ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ الأُمَوِيُّ ، أميرُ المؤمنين ، أحدُ الخُلَفاءِ الأَربعةِ وأحدُ العشَرةِ ، تَخَلَّف على زوجتِه رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يُمَرِّضُها حتى ماتتْ ، فضَرَب له بسهمِه وأَجْرِه . عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ الجُمَحيُّ أبو السّائِبِ ، أخو [7]عبدِ اللَّهِ وقُدامةَ[7] ، مِن المهاجرين الأوَّلِين . عَدِيُّ بنُ أبى الزَّغْباءِ الجُهَنيُّ ، وهو الذى أَرْسَله رسولُ اللَّهِ ﷺ وبَسْبَسَ بنَ عمرٍو بينَ يدَيه

---

(١) هو قول موسى بن عقبة ، وأبى معشر ، وعبد اللَّه بن محمد بن عمارة . ووافقهم الكلبى . انظر أسد الغابة ٣/ ٥٣٥. والإصابة ٤/ ٤٠٨.

(٢) فى الأصل : « عبيد اللَّه » . وانظر أسد الغابة ٣/ ٥٣٥، والإصابة ٤/ ٤٠٨.

(٣) فى الأصل : « عبيد اللَّه » . وانظر أسد الغابة ٣/ ٥٣٩، والإصابة ٤/ ٤١١.

(٤ - ٤) فى م : « عمرو بن العجلان » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٠١٧، وأسد الغابة ٣/ ٥٣٩.

(٥) سقط من : ص .

(٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) فى ص : « عبد اللَّه بن قدامة » . وانظر أسد الغابة ٣/ ٥٩٨، ٤/ ٣٩٤، والإصابة ٤/ ٢٣٩.

عَيْنًا . عِصْمَةُ بنُ الحُصَينِ بنِ وَبْرَةَ بنِ خالدِ بنِ العَجْلانِ . عُصَيمةُ[1] ، حليفٌ لبنى الحارثِ بنِ سَوادٍ[2] ، مِن أَشْجَعَ[3] ، وقيل[4] : مِن بنى أَسَدِ بنِ خُزَيمةَ . عَطِيَّةُ بنُ نُوَيْرةَ[5] بنِ عامرِ بنِ عطيةَ الخزرجيُّ . عُقْبةُ بنُ عامرِ بنِ نابى السَّلَمىُّ . عُقْبَةُ بنُ عثمانَ بنِ خَلْدَةَ[6] الخزرجيُّ ، أخو سعدِ بنِ عثمانَ . عُقْبةُ بنُ عمرٍو ، أبو مسعودٍ البَدْرىُّ . وقع فى « صحيحِ البخارىِّ »[7] أنَّه شَهِد بدرًا ، وفيه نظرٌ عندَ كثيرٍ مِن أصحابِ المغازى[8] ؛ ولهذا لم يَذْكُروه . عُقبةُ بنُ وَهْبِ بنِ رَبيعةَ الأَسَدىُّ ، أسدُ خُزَيْمةَ حليفٌ لبنى عبدِ شمسٍ ، وهو أخو شُجاعِ بنِ وهبٍ ، مِن المهاجرين الأوَّلِين . عُقبةُ بنُ وهبِ بنِ كَلَدَةَ ، حليفُ بنى غَطَفانَ . عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ الغَنْمىُّ ، مِن المهاجرين الأَولين ، ومِمَّن لا حسابَ عليه . علىُّ بنُ أبى طالبٍ الهاشمىُّ ، أميرُ المؤمنين ، أحدُ الخُلَفاءِ الأربعةِ ، وأحدُ الثلاثةِ الذين بارَزوا يومَئذٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . عَمّارُ[9] بنُ ياسرٍ العَنْسىُّ[10] المَذْحِجىُّ ، مِن المهاجرين

---

(١) فى الأصل : « عصمة » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٠، والإصابة ٥/ ٢٧٤.

(٢) فى م : « سوار » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٠٧٠، وأسد الغابة ٤/ ٤٠.

(٣) يعنى : عصيمة من أشجع .

(٤) هما عند ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ١/ ٧٠٣، ٧٠٥، وابن الأثير فى الأسد ٤/ ٣٩، ٤٠ شخصان : عصيمة الأسدى ، من بنى أسد بن خزيمة ، حليف لبنى مازن بن النجار . وعصيمة الأشجعى ، من أشجع ، حليف لبنى سواد بن مالك .

(٥) فى الأصل : « بويرة » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٦، والإصابة ٤/ ٥١٢.

(٦) فى الأصل ، ص : « خالد » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٥٦، والإصابة ٤/ ٥٢٣.

(٧) البخارى (٤٠٠٧) .

(٨) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٩، حيث ذكر الأمرين هناك . وانظر كلام الحافظ ابن حجر فى ذلك ، فى الفتح ٧/ ٣١٨، ٣١٩.

(٩) فى ص : « محمد » . وانظر أسد الغابة ٤/ ١٢٩، والإصابة ٤/ ٥٧٥.

(١٠) فى ص : « العبسى » . وانظر المصدرين السابقين .

الأَولين . عُمارَةُ بنُ حزمِ بنِ زيدٍ النجّاريُّ . عمرُ بنُ الخطابِ ، أميرُ المؤمنين ، أحدُ الخلفاءِ الأَربعةِ ، وأحدُ الشيخَيْنِ المُقتَدَى بهما[1] ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما[2] . عمرُو بنُ إياسٍ مِن أهلِ اليمنِ ، حليفٌ لبنى لَوْذانَ بنِ عمرِو بنِ سالمٍ ، وقيل[3] : هو أخو رَبيعٍ ووَدْفَةَ[4] . عمرُو بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ وهبِ بنِ عَدِيِّ بنِ مالكِ بنِ عدىِّ بنِ عامرٍ ، أبو حُكَيْمٍ . عمرُو بنُ الحارثِ بنِ زُهَيْرِ[5] بنِ أبى شَدّادِ بنِ رَبيعةَ بنِ هلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبَّةَ[6] بنِ الحارثِ بنِ فِهْرٍ الفِهرىُّ[7] . عمرُو بنُ سُراقَةَ العَدَوىُّ ، مِن المهاجرين ، عمرُو بنُ أبى سَرْحٍ الفِهْرىُّ ، مِن المهاجرين . وقال الواقدىُّ ، وابنُ عائذٍ[8] : « مَعْمَرٌ » بدلَ « عمرٍو » . عمرُو[9] بنُ طَلْقِ[10] بنِ زيدِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ سِنانِ ابنِ كعبِ بنِ غَنْمٍ[11] وهو فى بنى حَرامٍ . عمرُو بنُ الجَمُوحِ بنِ حَرامٍ الأنصارىُّ . عمرُو بنُ قيسِ بنِ زيدِ بنِ سَوادِ بنِ مالكِ بنِ غَنْمٍ . ذكَره الواقدىُّ والأُمَوىُّ[12]

---

(١) فى م : « بهم » .

(٢) بعده فى م : « عمر بن » . وانظر أسد الغابة ٤/ ١٩٨، والإصابة ٤/ ٦٠٥.

(٣) انظر أسد الغابة ٤/ ١٩٨.

(٤) فى الأصل : « وودقة » . وفى م : « وورقة » . وفى ص : « ووذفة » . والمثبت هو ما صححه ابن الأثير فى الأسد ١/ ١٨٧، ٤/ ١٩٨، ٥/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٥) فى الأصل : « وهب » . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٥، وأسد الغابة ٤/ ٢١٠.

(٦) فى م : « ضبثة » . وانظر المصدرين السابقين .

(٧) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٢ حاشية (٦) .

(٨) مغازى الواقدى ١/ ١٥٧. وانظر الاستيعاب ٣/ ١١٧٦، ١١٧٧، وأسد الغابة ٤/ ٢٢٨.

(٩) سقط من : ص .

(١٠) فى ص : « طالق » . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٩، والاستيعاب ٣/ ١١٨٤، وأسد الغابة ٤/ ٢٤٤.

(١١) فى الأصل : « غانم » . وانظر المصادر السابقة .

(١٢) مغازى الواقدى ١/ ١٦٢.

عمرُو بنُ قيسِ بنِ مالكِ بنِ عَدِيٍّ[1] بنِ عامرٍ، أبو خارِجَةَ. ولم يَذْكُرْه موسى ابنُ عُقبةَ. عمرُو بنُ عامرِ بنِ الحارثِ الفِهْرِيُّ. ذكَره موسى بنُ عقبةَ[2]. عمرُو ابنُ مَعْبَدِ بنِ الأَزْعَرِ الأَوسيُّ. عمرُو بنُ مُعاذٍ الأَوسيُّ، أخو سعدِ بنِ معاذٍ. عُمَيرُ بنُ الحارثِ بنِ ثَعْلَبَةَ، ويُقالُ[3]: عُميرُ[4] بنُ الحارثِ بنِ لِبْدَةَ[5] بنِ ثعلبةَ السَّلَميُّ. عُمَيرُ بنُ حَرامٍ [٢/١٩٩و] بنِ الجَمُوحِ السَّلَميُّ. ذكَره ابنُ عائذٍ والواقديُّ[6]. عُميرُ بنُ الحُمامِ بنِ الجَمُوحِ، ابنُ عمِّ الذى قبلَه، قُتِل يومئذٍ شهيدًا. عُميرُ بنُ عامرِ بنِ مالكِ بنِ الخَنْساءِ بنِ مَبْذولِ بنِ عمرِو بنِ غَنمِ بنِ مازنٍ، أبو داودَ المازنيُّ. عُميرُ بنُ عَوفٍ، مولَى سُهَيلِ بنِ عمرٍو. وسَمّاه الأُمويُّ وغيرُه[7] عمرَو بنَ عوفٍ. وكذا وقَع فى «الصحيحَيْن»[8] فى حديثِ[9] بَعْثِ أبى عُبيدَةَ إلى البَحْرَيْنِ. عُميرُ بنُ مالكِ بنِ أُهَيبِ الزُّهْرِيُّ، أخو سعدِ[10] بنِ

---

(١) بعده فى م، ص: «بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى». والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام ١/ ٧٠٤.

(٢) ذكره موسى بن عقبة عن ابن شهاب كما فى أسد الغابة ٣/ ١١٩، ١٢٠ «ترجمة عامر بن الحارث الفهرى». وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٢ حاشية (٦).

(٣) هو قول موسى بن عقبة، انظر أسد الغابة ٤/ ٢٨٨، ٢٨٩، والإصابة ٤/ ٧١٤.

(٤) فى الأصل، م: «عمرو». وانظر المصدرين السابقين.

(٥) فى ص: «كندة». وانظر المصدرين السابقين.

(٦) مغازى الواقدى ٢/ ١٦٩.

(٧) انظر الإصابة ٤/ ٦٦٧، ٦٦٨، ٧٢٤.

(٨) أى وقع هكذا: عمرو بن عوف. البخارى (٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥)، ومسلم (٢٩٦١). قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٢٦٢: وكأنه كان يُقال فيه بالوجهين، وقد فرق العسكرى بين عمير بن عوف وعمرو بن عوف، والصواب الوحدة.

(٩) سقط من: الأصل.

(١٠) فى الأصل: «سعيد». وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٩٩، والإصابة ٤/ ٧٢٥.

أبى وَقّاصٍ ، قُتِل يومئذٍ شهيدًا . عنترةُ مَوْلَى بنى سُلَيْمٍ ، وقيل[1] : إنَّه منهم . فاللَّهُ أعلمُ . عوفُ بنُ الحارثِ بنِ رفاعةَ بنِ الحارثِ النجّاريُّ ، وهو ابنُ عَفْراءَ بنتِ عُبيدِ بنِ ثَعْلَبةَ النجّارِيَّةِ[2] ، قُتِل يومَئذٍ شهيدًا . عُوَيمُ بنُ ساعِدَةَ الأنصاريُّ مِن بنى أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ . عِياضُ بنُ غَنْمٍ الفِهْرِيُّ ، مِن المهاجرين الأوَّلِين ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين .

حرفُ الغَيْنِ

غَنَّامُ بنُ أوسٍ الخزرجيُّ . ذَكَره الواقدىُّ[3] ، وليس بمُجْمَعٍ عليه .

حرفُ الفاءِ

الفَاكِهُ بنُ بِشْرِ بنِ الفَاكِهِ الخزرجيُّ . فَرْوَةُ بنُ عَمرِو بنِ وَدْقَةَ[4] الخزرجيُّ .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٩.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) مغازى الواقدى ١/ ١٧٢.

(٤) فى ص : « ورقة » . انظر الاستيعاب ٣/ ١٢٥٩، وأسد الغابة ٤/ ٣٥٧، والإصابة ٥/ ٣٦٤.

حـرفُ القافِ

قَتَادةُ بنُ النُّعمانِ الأوسيُّ . قُدَامَةُ بنُ مَظْعُونٍ الجُمَحِيُّ ، مِن المهاجرين ، أخو عُثمانَ وعبدِ اللَّهِ . قُطْبةُ بنُ عامرِ بنِ حَدِيدةَ السَّلَمِيُّ . قيسُ بنُ السَّكَنِ النَّجَّاريُّ . قيسُ بنُ أبى صَعْصَعَةَ عمرِو بنِ زيدٍ المازِنيُّ ، كان على الساقةِ يومَ بدرٍ . قَيْسُ بنُ مِحْصَنِ بنِ خالدٍ الخزرجيُّ . قيسُ بنُ مُخَلَّدِ بنِ ثَعْلبةَ النَّجَّاريُّ .

حـرفُ الكافِ

كعبُ بنُ حِمَارٍ[1] . ويُقالُ : جَمّازٍ[2] . ويُقال : حِمَّانَ[3] . وقال ابنُ هِشامٍ[4] : [5]مِن غُبْشَانَ[5] . ويُقالُ : كعبُ بنُ مالكِ بنِ ثعلبةَ بنِ جَمَّازٍ . وقال الأُمَوِيُّ : كعبُ بنُ ثَعْلبةَ بنِ حبالةَ بنِ غَنْمٍ الغَسَّانيُّ ، مِن حُلفاءِ بنى الخزرجِ بنِ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٦.

(٢) انظر الاستيعاب ٣/ ١٣١٢، وأسد الغابة ٤/ ٤٧٣.

(٣) انظر الإصابة ٥/ ٥٩١.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٦.

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «كعب بن عبشان». وفى ص: «ابن عبشان». والمثبت من السيرة. ولعل الصواب: «من غسان»؛ حيث نقل ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/١٣١٢ قول ابن هشام وقال: «من بنى غسان». وكذا نسبه فى أسد الغابة ٤/ ٤٧٣، وفى الإصابة ٥/٥٩١ إلى بنى غسان.

ساعِدةَ. كعبُ بنُ زيدِ بنِ قيسٍ النَّجَّارىُّ. كعبُ بنُ عمرٍو، أبو اليَسَرِ السَّلَمِىُّ. كُلْفَةُ بنُ ثَعْلَبَةَ[1]، أَحدُ البَكَّائين. ذكَره موسى بنُ عُقْبَةَ. كَنَّازُ بنُ حُصَينِ بنِ يَرْبُوعٍ، أبو مَرْثدٍ الغَنَوِىُّ، مِن المهاجرين الأَوَّلين.

حرفُ الميمِ

مالكُ بنُ الدُّخْشُمِ. ويقالُ[2]: ابنُ الدُّخْشُنِ الخزرجىُّ. مالكُ بنُ أبى خَوْلِىٍّ الجُعْفىُّ، حليفُ بنى عَدِىٍّ. مالكُ بنُ ربيعةَ، أبو أُسَيْدٍ الساعِدِىُّ. مالكُ ابنُ قُدَامةَ الأوسىُّ. مالكُ بنُ عَمرٍو، أخو ثَقْفِ بنِ عمرٍو، وكلاهما مُهاجرىٌّ، وهما مِن حُلفاءِ بنى تَميمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ[3]. مالكُ بنُ مَسْعودٍ

---

(١) ذكره الحافظ فى الإصابة ٥/ ٦٦٧، ٦٦٨ وقال: استدركه ابن فتحون وقال: ذكره موسى بن عقبة، عن ابن شهاب فيمن شهد بدرا. قلت - أى الحافظ -: وهو خطأ نشأ عن تغيير، وكلفة إنما هو جد بعض من شهد بدرا، والذى فى كتاب موسى بن عقبة هكذا: وسالم بن عمير بن كلفة بن ثعلبة؛ فكأن النسخة التى وقعت لابن فتحون وقع فيها «و» بدل «ابن» فصارت «وسالم بن عمير وكلفة بن ثعلبة».

قلت: ولعل الصواب ما قاله الحافظ؛ فإن ابن عبد البر لم يذكر فى الاستيعاب ٢/٥٦٧ ترجمة لكلفة بن ثعلبة، وإنما ذكره فى نسب سالم بن عمير بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة. وكذا فى أسد الغابة ٢/ ٣١١: «سالم بن عمير بن كلفة بن ثعلبة». وقالا: وهو أحد البكائين. وأورد سالما ابنُ سعد فى طبقاته ٣/٤٨٠ ضمن أسماء البدريين، وقال: وشهد سالم بن عمير بدرا فى رواية موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبى معشر، ومحمد بن عمر، وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى، وقالوا: وهو أحد البكائين.

كما ذكره المصنف فى أسماء البدريين فى أول حرف السين، ولم يصفه بأنه من البكائين. وكأن ما وقع لابن فتحون - كما ذكر الحافظ قبل قليل - وقع عند الحافظ ضياء الدين المقدسى، فنقله المصنف، رحمه الله، من هناك دون تحرير أو نظر. والله أعلم.

(٢) انظر الإصابة ٥/ ٧٢١.

(٣) بعده فى النسخ: «مالك بن قدامة الأوسى». وهو تكرار.

الخزرجيُّ . مالكُ ابنُ [1]نُمَيْلَةَ . وقال الواقِدىُّ[2] : مالكُ بنُ[1] ثابتِ بنِ نُمَيْلَةَ المُزَنىُّ ، حليفٌ لبنى عمرِو بنِ عَوْفٍ . مُبَشِّرُ بنُ عبدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَرٍ[3] الأوسىُّ ، أخو أبى لُبابَةَ ورِفاعةَ ، قُتِل يومَئذٍ شهيدًا . المُجَذَّرُ بنُ ذِيَادٍ[4] البَلَوِىُّ ، مُهاجِرِىٌّ . مُحْرِزُ بنُ عامرٍ النَّجَّارىُّ . مُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ الأسَدىُّ ، حليفُ بنى عبدِ شَمْسٍ ، مُهاجِرِىٌّ ، محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ ، حليفُ بنى عبدِ الأَشْهَلِ . مُدْلِجٌ ، ويقالُ : مِدْلاجُ بنُ عمرٍو . أخو ثَقْفِ بنِ عمرٍو ، مُهاجِرِىٌّ . مَرْثَدُ بنُ أبى مَرْثَدٍ الغَنَوِىُّ . مِسْطَحُ بنُ أُثاثَةَ بنِ عَبَّادِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، مِن المهاجرين الأَوَّلين ، وقيل[5] : اسمُه عَوْفٌ . مَسْعودُ بنُ أَوْسٍ الأنصارىُّ النَّجَّارىُّ . مسعودُ بنُ خَلْدَةَ[6] الخزرجىُّ .

مسعودُ بنُ رَبيعةَ القارىُّ ، حليفُ بنى زُهْرَةَ ، مُهاجِرِىٌّ . مسعودُ بنُ سعدٍ - ويقالُ[7] : ابنُ عبدِ سعدٍ - ابنِ عامرِ بنِ عَدِىِّ بنِ جُشَمَ بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارِثَةَ ابنِ الحارثِ . مسعودُ بنُ سعدِ بنِ قيسٍ الخزرجىُّ . مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ العَبْدَرِىُّ ، مُهاجِرِىٌّ ، كان معه اللِّواءُ يومَئذٍ . مُعاذُ بنُ جَبَلٍ الخزرَجِىُّ . مُعاذُ بنُ الحارثِ النَّجَّارىُّ ، وهذا هو ابنُ عَفْراءَ ، أخو عَوْفٍ ومُعَوِّذٍ . معاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) مغازى الواقدى ١/ ١٦١.

(٣) فى الأصل ، م : « زنير » .

(٤) فى النسخ : « زياد » ، والمثبت من الاستيعاب ٤/ ١٤٥٩، وقال فيه : المجذر بن ذِياد ، ويقال : ذَيَّاد . والكسر أكثر .

(٥) انظر الاستيعاب ٤/ ١٤٧٢، وأسد الغابة ٥/ ١٥٦.

(٦) فى أسد الغابة ٥/ ١٥٩، ١٦٠: « خالد » .

(٧) الاستيعاب ٣/ ١٣٩٣.

الخزرجيُّ . [٢/١٩٩ظ] معاذُ بنُ ماعِصٍ[١] الخزرجيُّ ، أخو عائذٍ . مَعْبَدُ بنُ عَبَّادِ ابنِ قُشَيْرِ بنِ الفَدْمِ[٢] بنِ سالمِ[٣] بنِ غَنْمٍ . ويُقالُ[٤] : مَعْبَدُ بنُ عُبَادةَ بنِ قيسٍ . وقال الواقديُّ[٥] : « قَشْعَرٌ » بدلَ « قُشَيْرٍ » . وقال ابنُ هشامٍ[٦] : قَشْغَرٌ[٧] . أبو حُمَيضَةَ[٨] . مَعْبَدُ بنُ قيسِ بنِ صَخْرٍ السَّلَمىُّ ، أخو عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ . مُعَتِّبُ ابنُ عُبَيْدِ بنِ إياسٍ البَلَوِىُّ القُضَاعىُّ . مُعَتِّبُ بنُ عَوْفٍ[٩] الخُزاعىُّ ، حليفُ بنى مَخْزومٍ ، مِن المهاجرين . مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ الأوسىُّ . مَعْقِلُ بنُ المُنْذِرِ السَّلَمىُّ . مَعْمَرُ بنُ الحارثِ الجُمَحِىُّ ، مِن المهاجرين . مَعْنُ بنُ عَدِىٍّ الأوسىُّ . مُعَوِّذُ بنُ الحارثِ النَّجّارىُّ[١٠] ، وهو ابنُ عَفْراءَ ، أخو معاذٍ و[١١]عَوْفٍ . مُعَوِّذُ بنُ عمرِو بنِ الجَمُوحِ السَّلَمىُّ ، لعله أخو معاذِ بنِ عمرٍو[١٢] . المِقْدَادُ بنُ عمرٍو البَهْرانىُّ ، وهو المِقْدادُ بنُ الأَسودِ ، من المهاجرين الأَوَّلين ، وهو ذو المَقالِ المحمودِ[١٣] الذى تَقَدَّم[١٣]

---

(١) فى م : « ماعض » . وكذا فى الاستيعاب ٣/ ١٤١٢.

(٢) فى الأصل : « القدم » . وكذا فى مغازى الواقدى ١/ ١٦٧، وفى سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٣: « المقدم » .

(٣) بعده فى أسد الغابة ٥/ ٢٢٠، والإصابة ٦/ ١٦٦: « بن مالك بن سالم » .

(٤) نسبه فى أسد الغابة إلى ابن الكلبى .

(٥) مغازى الواقدى ١/ ١٦٧.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٣.

(٧) فى الأصل ، م : « قشعر » .

(٨) فى الأصل ، م : « أبو خميصة » . وانظر الإصابة ٧/ ٩٥.

(٩) يعرف بابن الحمراء . انظر أسد الغابة ٥/ ٢٢٤، والإصابة ٦/ ١٧٥.

(١٠) فى م ، ص : « الجمحى » . انظر نسبه فى ترجمة أخيه معاذ بن الحارث فى أسد الغابة ٥/ ١٩٧، ١٩٨.

(١١) فى م : « بن » .

(١٢) جزم فى الأسد ٥/ ٢٤٠، والإصابة ٦/١٩٣ بأنهما أخوان .

(١٣ - ١٣) فى م : « ابن المتقدم » . انظر ما تقدم فى صفحة ٦٩ - ٧٣ .

ذِكْرُه ، وكان أحدَ الفُرْسانِ يومَئذٍ . مُلَيْلُ بنُ وَبْرَةَ الخزرجيُّ . المُنْذِرُ بنُ عمرِو بنِ خُنَيْسٍ السَّاعديُّ . المُنذرُ بنُ قُدامةَ بنِ عَرْفَجةَ الخزرجيُّ[1] . المُنْذرُ بنُ محمدِ بنِ عُقْبةَ الأنصاريُّ ، مِن بنى جَحْجَبَى . مِهْجَعٌ مولَى عمرَ بنِ الخطابِ ، أصلُه من اليَمنِ ، وكان أولَ قتيلٍ من المسلمين يومَئذٍ .

حرفُ النونِ

نَصْرُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ[2] رَزَاحِ بنِ ظَفَرٍ [3]وهو[3] كعبٌ . نُعمانُ بنُ عبدِ عمرٍو النَّجَّاريُّ ، وهو أخو الضَّحَّاكِ . نُعمانُ بنُ عمرِو بنِ رِفَاعَةَ النَّجَّاريُّ . نعمانُ بنُ عَصَرِ [4]بنِ الرَّبيعِ[4] بنِ الحارثِ ، حليفٌ لبنى الأوسِ . نعمانُ بنُ مالكِ بنِ ثَعْلبةَ الخزرجيُّ ، ويُقالُ له : قَوْقَلٌ . نعمانُ بنُ يَسارٍ[5] ، مَوْلًى لبنى [6]نُعمانَ بنِ سِنَانِ بنِ[6] عُبَيْدٍ ، ويقالُ : نُعمانُ بنُ سِنانٍ . [7]نَوْفَلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نَضْلَةَ[7] الخزرجيُّ .

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى الأسد ٥/ ٢٧١، والإصابة ٦/ ٢٧١: « الأوسى » .

(٢) فى أسد الغابة ٥/ ٣١٤: « عبيد بن » .

(٣ - ٣) فى النسخ : « بن » . والمثبت من الأنساب للسمعانى ٤/ ١٠١، وأسد الغابة ٥/ ٣١٤، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٣٨، ٣٤٣. وكعب هو ابن الخزرج .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الاستيعاب ٤/ ١٤٨٧، وأسد الغابة ٥/ ٣٣٦، والإصابة ٦/ ٤٤٨.

(٥) ليس له ترجمة بهذا الاسم فى الاستيعاب والأسد والإصابة ، وانظر ترجمة النعمان بن سنان فى المصادر السابقة فإنهم لم يذكروا اختلافا فى اسمه .

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٩٨، ومغازى الواقدى ١/ ١٧٠.

(٧ - ٧) فى الأصل : « نوفل بن عبيد بن نضلة » . وفى م : « نوفل بن عبيد اللّه بن نضلة » . والمثبت =

حـرفُ الهاءِ

هانئُ بنُ نِيارٍ، أبو بُرْدَةَ البَلَوِىُّ، خالُ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ. هِلالُ بنُ أُمَيَّةَ الواقِفىُّ، وقَع ذِكرُه فى أهلِ بدرٍ فى «الصحيحين»[1]، فى قصةِ كعبِ بنِ مالكٍ، ولم يَذْكُرْه أحدٌ من أصحابِ المَغازِى. هِلالُ بنُ المُعَلَّى الخزرجىُّ، أخو رافعِ بنِ المُعَلَّى.

حـرفُ الواوِ

واقِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ التَّميمىُّ، حليفُ بنى عَدِىٍّ، مِن المهاجرين. وَدِيعةُ بنُ عمرِو بنِ جُرَادٍ الجُهَنىُّ. ذكَره الواقِدىُّ[2] وابنُ عائذٍ. وَدْقَةُ[3] بنُ إياسِ بنِ عمرٍو الخزرجىُّ، أخو ربيعِ بنِ إياسٍ. وَهْبُ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، ذكَره

= يوافق ما عند الواقدى فى مغازيه ١/ ١٦٧، ٣٠٣، وقد أورد اسمه أبو عمر فى الاستيعاب ٤/ ١٥١٢: «نوفل بن ثعلبة بن عبد اللَّه بن نضلة»، وكذا ابن الأثير فى الأسد ٥/ ٣٦٨، والحافظ فى الإصابة ٦/ ٤٧٩. وقالوا: شهد بدرا واستشهد بأحد.

(١) البخارى (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩). والشاهد من الحديث قول كعب فيه: فذكروا لى رجلين قد شهدا بدرا.

(٢) مغازى الواقدى ١/ ١٦٢.

(٣) فى م: «ورقة». قال الحافظ فى الإصابة ٦/ ٦٠٢: اختلف فى ضبطه؛ فقيل بالفاء، وقيل بالقاف، والأكثر على أنه بالدال، وذكره ابن هشام بالراء. وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٨ حاشية (٤).

موسى بنُ عُقْبةَ وابنُ عائذٍ والواقديُّ ، فى بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ[1] ، ولم يَذْكُرْه ابنُ إسحاقَ .

حـرفُ الياءِ

يزيدُ بنُ الأَخْنَسِ بنِ جَنَابٍ[2] بنِ حَبِيبِ بنِ جُرَّةَ السُّلَمىُّ ، قال السُّهَيْلىُّ[3] : شَهِد هو وأبوه وابنُه - يعنى بدرًا - ولا يُعْرَفُ لهم نَظِيرٌ فى الصحابةِ ، ولم يَذْكُرْهم ابنُ إسحاقَ ولا الأكثرون ، لكن شَهِدوا معه بيعةَ الرِّضْوانِ . يزيدُ بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ الخزرجىُّ ، وهو الذى يُقالُ له : ابنُ فُسْحُمٍ . وهى أمُّه ، قُتِل يومَئذٍ شهيدًا ببدرٍ . يزيدُ بنُ عامرِ بنِ حَديدةَ ، أبو المُنذرِ[4] السَّلَمىُّ . يزيدُ بنُ المُنْذِرِ[4] بنِ سَرْحٍ السَّلَمىُّ ، وهو أخو مَعْقِلِ بنِ المُنْذرِ .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤٠٧، ٤٠٨ حيث ذكر رواية موسى بن عقبة . ومغازى الواقدى ١/ ١٥٦.

(٢) فى الأصل : « حبان » . وفى ص : « حنان » . ولا يوجد هذا الاسم فى نسب يزيد بن الأخنس فى أسد الغابة ٥/ ٤٧٤. وفى الاستيعاب ٤/ ١٥٧٠، والإصابة ٦/ ٦٤٦ اقتصرا على اسمه واسم أبيه فقالا : « يزيد بن الأخنس السلمى » . وقد ذكر نسبه السهيلى فى الروض ٥/ ٣٠٠.

(٣) الروض الأنف ٥/ ٣٠٠.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

بابُ الكُنَى

أبو أُسَيْدٍ مالكُ بنُ ربيعةَ ، تَقَدَّم . أبو الأَعْوَرِ بنُ الحارثِ بنِ ظالمٍ النَّجَّارىُّ ، وقال ابنُ هشامٍ[1] : أبو الأَعْوَرِ الحارثُ بنُ ظالمٍ . وقال الواقدىُّ[2] : أبو الأَعْوَرِ كعبُ بنُ الحارثِ بنِ جُنْدَبِ بنِ ظالمٍ . أبو بكرٍ الصديقُ عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، تَقَدَّم . أبو حَبَّةَ[3] بنُ عمرِو بنِ ثابتٍ ، أحدُ بنى ثَعْلبةَ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ الأنصارىُّ . أبو حُذَيْفَةَ بنُ عَتْبَةَ بنِ رَبيعةَ ، مِن المُهاجِرين ، وقيل[4] : اسمُه مُهَشِّمٌ . أبو الحَمْراءِ مَوْلَى [٢/٢٠٠و] الحارثِ بنِ رِفاعةَ ابنِ عَفْراءَ . أبو خُزَيْمةَ[5] ابنُ أوسِ[6] بنِ أَصْرمَ النجّارىُّ . أبو سَبْرَةَ بنُ[7] أبى رُهْمِ بنِ عبدِ العُزَّى ، مِن المهاجرين . أبو سِنانِ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ ، أخو عُكَّاشةَ ، ومعه ابنُه سِنانٌ ، من المهاجرين . أبو الضَّيَّاحِ[8] النُّعمانُ - وقيل : عُمَيْرُ - ابنُ ثابتِ بنِ النُّعمانِ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٧٠٥.

(٢) مغازى الواقدى ١/ ١٦٤.

(٣) فى الأصل : « حنة » . قال أبو عمر فى الاستيعاب ٤/ ١٦٢٨: ويقال : أبو حية ، بالياء ، وأبو حنة ، بالنون ، وصوابه أبو حبة ، بالباء .

(٤) أسد الغابة ٥/ ٢٨٢، ٦/ ٧١.

(٥) فى الإصابة ٧/ ١٠٦: « خزامة » .

(٦) بعده فى سيرة ابن هشام ١/ ٧٠٢، والاستيعاب ٤/ ١٦٤٠، وأسد الغابة ٦/ ٨٩: « بن زيد » . والمثبت كما فى مغازى الواقدى ١/ ١٦٢، والإصابة ٧/ ١٠٦.

(٧) فى النسخ : « مولى » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٦٨٥، والاستيعاب ٤/ ١٦٦٦، وأسد الغابة ٦/ ١٣٤.

(٨) فى م : « الصياح » . وبعده فى الأصل ، م : « بن » .

أُمَيَّةَ بنِ امرِئِ القيسِ بنِ ثعلبةَ ، رجَع من الطريقِ ، وقُتِل يومَ خَيْبَرَ ، رجَع لجُرْحٍ أصابه مِن حَجَرٍ فضُرِب له بسهمِه . أبو عَرْفَجَةَ ، مِن حلفاءِ بنى جَحْجَبَى . أبو كَبْشَةَ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ . أبو لُبابَةَ بَشِيرُ بنُ عبدِ المنذرِ ، تقدَّم . أبو مَرْثَدٍ الغَنَوِىُّ كَنَّازُ بنُ حُصَيْنٍ ، تقدَّم . أبو مسعودٍ البَدْرِىُّ عقبةُ بنُ عمرٍو ، تقدَّم . أبو مُلَيْلِ بنُ الأَزْعَرِ بنِ زيدٍ الأوسىُّ .

فصلٌ

فكان جملةُ مَن شَهِد بدرًا مِن المسلمين ثلاثَمائةٍ وأربعةَ عَشَرَ رجلًا ، منهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما قال البخارىُّ[1] : حدَّثَنا عمرُو بنُ خالدٍ ، ثنا زُهَيرٌ ، ثنا أبو إسحاقَ ، سمِعتُ البَراءَ بنَ عازِبٍ يقول : حدَّثَنى أصحابُ محمدٍ ﷺ ، ورَضِىَ عنهم ، مِمَّن شَهِد بدرًا ، أنَّهم كانوا عِدَّةَ أصحابِ طالوتَ الذين جاوَزوا معه النهْرَ ؛ بِضْعةَ عشَرَ وثلاثَمائةٍ . قال البَراءُ : لا واللَّهِ ما جاوَز معه النهْرَ إلَّا مؤمنٌ . ثمَّ رَواه البخارىُّ مِن طريقِ إسرائيلَ وسفيانَ الثَّوْرِىِّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ نحوَه[2] .

قال ابنُ جَرِيرٍ[3] : وهذا قولُ عامَّةِ السَّلفِ ؛ أنَّهم كانوا ثلاثَمائةٍ وبضعةَ عشَرَ رجلًا .

---

(١) البخارى (٣٩٥٧) .

(٢) البخارى (٣٩٥٨، ٣٩٥٩) .

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٣٢. حوادث السنة الثانية من الهجرة .

وقال البخاريُّ[1] أيضًا: حدّثنا محمودٌ، ثنا وَهْبٌ، عن شُعْبَةَ، عن أبى إسحاقَ، عن البَرَاءِ قال: استُصْغِرْتُ أنا وابنُ عمرَ يومَ بدرٍ، وكان المهاجرون يومَ بدرٍ نَيِّفًا على سِتين، والأنصارُ نيِّفًا وأربعين ومائتَيْن. هكذا وقَع فى هذه الروايةِ.

وقال ابنُ جَرِيرٍ[2]: حدَّثنى محمدُ بنُ عُبَيْدٍ المُحاربىُّ، ثنا أبو مالكٍ الجَنْبِىُّ، عن الحَجَّاجِ - وهو ابنُ أَرْطاةَ - عن الحكَمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كان المهاجرون يومَ بدرٍ سبعين[3] رجلًا، وكان الأنصارُ مائتين وستةً وثلاثين رجلًا، وكان حاملَ رايةِ النبىِّ ﷺ علىُّ بنُ أبى طالبٍ، وحاملَ رايةِ الأنصارِ سعدُ بنُ عُبادَةَ. وهذا يَقْتضى أنَّهم كانوا ثلاثَمائةٍ وستةَ رجالٍ. قال ابنُ جَرِيرٍ[4]: وقيل: كانوا ثلاثَمائةٍ وسبعةَ رجالٍ.

قلتُ: وقد يكونُ هذا عَدَّ معهم النبىَّ ﷺ، والأوَّلُ عَدَّهم بدونِه. فاللَّهُ أعلمُ. وقد تقدَّم[5] عن ابنِ إسحاقَ أنَّ المهاجرين كانوا ثلاثةً وثمانين رجلًا، وأنَّ الأَوسَ أحدٌ وستون رجلًا، والخزرجَ مائةٌ وسبعون رجلًا؛ وسَرَدهم. وهذا مخالِفٌ لِمَا ذكَره البخاريُّ، ولِمَا رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) البخارى (٣٩٥٦).

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٣١. حوادث السنة الثانية من الهجرة.

(٣) كذا فى النسخ. وفى تاريخ الطبرى: «سبعة وسبعين». ولعل ما فى النسخ هو الصواب؛ فقد نقل الحافظ فى الفتح ٧/٢٩٢ عن ابن جرير حديث ابن عباس: «أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وستة رجال».

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٣٢.

(٥) تقدم فى صفحة ٢١٣.

وفى «الصحيحِ»[1] عن أنسٍ، أنَّه قيل له: شَهِدْتَ بدرًا؟ فقال: وأين أَغِيبُ؟

وفى «سننِ أبى داودَ»[2] عن سعيدِ بنِ منصورٍ، عن أبى معاويةَ، عن الأَعْمشِ، عن أبى سفيانَ طلحةَ بنِ نافعٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ حَرامٍ أنَّه قال: كنتُ أَمِيحُ أصحابىَ الماءَ يومَ بدرٍ. وهذان لم يَذْكُرْهما البخارىُّ ولا الضِّياءُ. فاللَّهُ أعلمُ.

قلتُ: وفى الذين عَدَّهم ابنُ إسحاقَ فى أهلِ بدرٍ مَن ضُرِب له بسهمٍ فى مَغْنَمِها مع[3] أنَّه لم يَحْضُرْها، تخَلَّف عنها لعُذْرٍ أُذِنَ له فى التَّخَلُّفِ بسببِه، وكانوا ثمانيةً أو تسعةً، وهم؛ عثمانُ بنُ عفانَ، تخلَّف على رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يُمَرِّضُها حتى ماتَت، فضُرِب له بسهمِه وأَجْرِه، وسعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، كان بالشامِ، فضُرِب له بسهمِه وأَجْرِه، وطلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، كان بالشامِ أيضًا فضُرِب له بسهمِه وأَجْرِه، وأبو لُبَابَةَ [٢/٢٠٠ظ] بَشِيرُ بنُ عبدِ المُنْذرِ، رَدَّهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الرَّوْحاءِ حينَ بلَغَه خروجُ النَّفِيرِ مِن مكةَ، فاستَعمَله على المدينةِ، وضرَب له بسهمِه وأَجْرِه، والحارثُ بنُ حاطبِ بنِ عُبَيْدِ ابنِ أُمَيَّةَ، رَدَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ أيضًا مِن الطريقِ، وضرَب له بسهمِه وأَجْرِه، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ، كُسِرَ بالرَّوْحاءِ فرجعَ، فضَرب له بسهمِه - زاد

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٢١٥. وذكره الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٩٢، وعزاه للإمام أحمد، صحح إسناده. وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧، وعزاه لابن سعد فى طبقاته.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢١٩.

(٣) فى م: «و».

الواقدىُّ[1] : وأَجْرِه - وخَوَّاتُ بنُ جُبَيْرٍ ، لم يَحْضُرِ الوَقْعةَ وضُرِب له بسهمِه وأَجْرِه ، وأبو الضَّيَّاحِ بنُ ثابتٍ ، خرَج مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأصاب ساقَه[2] فَصِيلُ حَجَرٍ[3] ، فرجَع ، وضُرِب له بسهمِه وأَجْرِه . قال الواقدىُّ[4] : وسعدُ ابنُ[5] مالكٍ ، تجَهَّز ليَخْرُجَ فمات . وقيل[6] : إنَّه مات بالرَّوْحاءِ . فضُرِب له بسهمِه وأَجْرِه .

وكان الذين استُشْهِدوا مِن المسلمين يومَئذٍ أربعةَ عشَرَ رجلًا ، مِن المهاجرين ستةٌ وهم ؛ عُبَيْدةُ بنُ الحارثِ بنِ المطلبِ ، قُطِعَتْ رجلُه فمات بالصَّفْراءِ[7] ، رَحِمه اللَّهُ ، وعُمَيْرُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، أخو سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ الزُّهْرىِّ ، قَتَله العاصُ بنُ سعيدٍ[8] ، وهو ابنُ ستَّ عشْرَةَ سنةً ، ويُقالُ[9] : إنَّه كان قد أَمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بالرجوعِ لصِغرِه فبكَى ، فأَذِن له فى الذَّهابِ ، فقُتِلَ ، رَضِىَ اللَّهُ

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ١٦٣.

(٢) فى الأصل : « رأسه » .

(٣) الفصيل من حجر : القطعة منه . انظر النهاية ٣/ ٤٥١.

(٤) مغازى الواقدى ١/ ١٦٨.

(٥) فى م ، ص : « أبو » .

(٦) انظر المصدر السابق .

(٧) الصفراء : وادٍ من ناحية المدينة ، فى طريق الحاج ، وسلكه رسول اللَّه ﷺ غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . معجم البلدان ٣/ ٣٩٩. والمرحلة : المسافة التى يقطعها المسافر فى يوم . الوسيط (ر ح ل) .

(٨) كذا فى النسخ . والذى فى مغازى الواقدى ١/ ١٤٥ : « عمرو بن عبد » . وفى الاستيعاب ٣/ ١٢٢١، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٤٩، ١٥٠، وأسد الغابة ٤/ ٢٩٩، والإصابة ٤/ ٧٢٥: « عمرو بن عبد ود » . ولعل المصنف تابع السهيلى فى الروض الأنف ٥/٢٩٧ حيث عزاه إلى الواقدى . والذى فى طبقات ابن سعد عن الواقدى : « عمرو بن عبد ود » ، كما سبق .

(٩) طبقات ابن سعد ٣/ ١٤٩، ١٥٠.

عنه . وحليفُهم ذو الشِّمالَيْن بنُ عبدِ عمرٍو الخزاعيُّ ، وصَفْوانُ بنُ بَيْضاءَ ، وعاقلُ بنُ البُكَيْرِ الليثيُّ ، حليفُ بنى عَدِيٍّ ، ومِهْجَعٌ مولَى عمرَ بنِ الخطابِ ، وكان أولَ قَتيلٍ قُتِلَ مِن المسلمين يومَئذٍ . ومِن الأنصارِ ثمانيةٌ وهم ؛ حارثةُ بنُ سُراقةَ ، رماه حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ بسهمٍ ، فأصاب حنجرتَه ، فمات ، ومُعَوِّذٌ وعَوْفٌ ابنا عَفْرَاءَ ، ويزيدُ بنُ الحارثِ - ويُقالُ : ابنُ فُسْحُمٍ - وعُمَيْرُ بنُ الحُمَامِ ، ورافعُ ابنُ المُعَلَّى بنِ لَوْذانَ ، وسعدُ بنُ خَيْثَمةَ ، ومُبَشِّرُ بنُ عبدِ المنذرِ ، رَضِىَ اللَّهُ عن جميعِهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيرًا كما تَقدَّم[1] . قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان معهم فَرَسانِ ؛ على إحداهما المِقْدادُ بنُ الأسودِ ، واسمُها بَعْزَجَةُ - ويقالُ : سَبْحَةُ[3] - وعلى الأُخْرى الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، واسمُها اليَعْسُوبُ . وكان معهم لواءٌ يَحْمِلُه مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، ورايتان ؛ يَحْمِلُ إحداهما للمهاجرين علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، والتى للأنصارِ يَحْمِلُها سعدُ بنُ عُبادَةَ ، وكان رأسَ مَشورةِ المهاجرين أبو بكرٍ الصديقُ ، ورأسَ مَشورةِ الأنصارِ سعدُ بنُ مُعاذٍ .

وأمَّا جمعُ المشركين فأحسنُ ما يُقالُ فيهم : إنَّهم كانوا ما بينَ التِّسعِمائةِ إلى الألفِ ؛ وقد نصَّ عُرْوَةُ وقَتادةُ أنَّهم كانوا تِسعَمائةٍ وخمسين رجلًا[4] .

---

(١) فى صفحة ٦٦ .

(٢) عزاه فى الروض الأنف ٥/٢٤٥ إلى ابن إسحاق . والذى فى سيرة ابن هشام ١/ ٦٦٦: « قال ابن هشام » . وعدَّ ثلاثة أفراس لا اثنين .

(٣) فى م : « ستجة » .

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٢، عن عروة بن الزبير وغيره . وتقدم تخريج أثر قتادة فى صفحة ١٧٤ .

وقال الواقدىُّ[1] : كانوا تِسعَمائةٍ وثلاثين رجلًا . وهذا التحديدُ يَحْتاجُ إلى دليلٍ ، وقد تقدَّم فى بعضِ الأحاديثِ[2] أنَّهم كانوا أَزْيدَ مِن ألفٍ ، فلعلَّه عددُ أَتْباعِهم معهم . واللَّهُ أعلمُ . وقد تقدَّم فى الحديثِ الصحيحِ عندَ البخارىِّ[3] ، عن البَرَاءِ أنَّه قُتِل منهم سبعون ، وأُسِر سبعون . وهذا قولُ الجمهورِ ، ولهذا قال كعبُ بنُ مالكٍ فى قصيدةٍ له[4] :

فأقامَ بالعَطَنِ[5] المُعَطَّنِ منهمُ سبعون عُتبةُ منهمُ والأَسْودُ

وقد حَكَى الواقِدِىُّ الإجماعَ على ذلك[6] ، وفيما قاله نظرٌ ؛ فإنَّ موسى بنَ عُقْبةَ وعُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ قالا خلافَ ذلك[7] ، وهما مِن أئمةِ هذا الشأنِ ، فلا يُمْكِنُ حكايةُ الاتفاقِ بدونِ قولِهما ، وإنْ كان قولُهما مرجوحًا بالنسبةِ إلى الحديثِ الصحيحِ [٢/٢٠١و] . واللَّهُ أعلمُ . وقد سرَد أسماءَ القتلى والأُسارَى ابنُ إسحاقَ وغيرُه[8] ، وحَرَّر ذلك الحافظُ الضِّياءُ فى « أحكامِه » جيِّدًا ، وقد

---

(١) الذى فى مغازى الواقدى ١/ ٣٩: « خرجوا بتسعمائة وخمسين » . وكذا حكى عنه الطبرى فى التاريخ ٢/٤٧٧ أنهم تسعمائة وخمسون .

(٢) تقدم فى صفحة ١٠٠ .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ١٧٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٧١٤.

(٥) العطن : مفرد أعطان ، وهى مبارك الإبل .

(٦) ذكر الواقدى فى مغازيه ١/ ١٤٣، ١٤٤ أقوالا مختلفة فى عدد قتلى وأسرى المشركين ، ولم يحك إجماعا ولا اتفاقا . فالله أعلم . وانظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٨.

(٧) روى البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ١٢٢، ١٢٣ من حديث موسى بن عقبة ، أنه قال : وقتل من المشركين تسعة وأربعون رجلا ، وأُسر منهم تسعة وثلاثون ، وفى ٣/١٢٤ من حديث عروة ، أنه قال : وقتل منهم زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

(٨) سيرة ابن هشام ١/٧٠٨ - ٧١٥، ٢/٣ - ٨، ومغازى الواقدى ١/١٣٨ - ١٤٤، ١٤٧ - ١٥٢.

تقدَّم فى غُضُونِ سياقاتِ القصةِ ذكرُ أوَّلِ مَن قُتِلَ منهم[1] ، وهو الأسودُ بنُ عبدِ الأسدِ المخزوميُّ ، وأولُ مَن فرَّ ، وهو خالدُ بنُ الأَعْلَمِ الخُزاعيُّ - أو العُقَيْليُّ - حليفُ بنى مَخْزومٍ ، وما أفادَه ذلك ؛ فإنه أُسِر ، وهو القائلُ فى شعرِه[2] :

ولسنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلُومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا يَقْطُرُ الدمُ

فما صدَق فى ذلك ، وأولُ مَن أَسَروا عقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ ، قُتِلا صَبْرًا بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن بينِ الأُسارَى ، وقد اخْتُلِف فى أيِّهما قُتِل أولًا على قولَيْن ، وأنَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أَطْلَق جماعةً مِن الأُسارَى مَجَّانًا بلا فداءٍ ، منهم ؛ أبو العاصِ بنُ الربيعِ الأُمويُّ ، والمطَّلِبُ بنُ حَنْطَبِ بنِ الحارثِ المخْزوميُّ ، وصَيْفِيُّ بنُ أبى رِفاعةَ كما تقدَّم[3] ، وأبو عَزَّةَ الشاعرُ ، ووَهْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبٍ الجُمَحيُّ ، كما تقدَّم[4] ، وفادَى بقيَّتَهم ، حتى عَمَّه العباسَ أَخَذ منه أكثرَ ممَّا أخذَ مِن سائرِ الأسرَى ؛ لئلَّا يُحابِيَه لكونِه عمَّه ، مع أنَّه قد سأَله الذين أسَروه مِن الأنصارِ أنْ يَتْرُكوا له فداءَه ، فأَبَى عليهم ذلك ، وقال : « لا تَتْرُكوا منه درهمًا » . وقد كان فداؤُهم مُتَفاوِتًا ، فأقلُّ ما أُخِذ أربعُمائةٍ ، ومنهم مَن أُخِذ منه أربعون أُوقِيَّةً مِن ذهبٍ . قاله[5] موسى بنُ عُقبةَ .

---

(١) تقدم فى صفحتى ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥. وهذا البيت ينسب إلى الحُصين بن الحُمام المُرِّى . أمالى ابن الشجرى ٢/ ٢٢٨، برواية « يقطر الدما » ، و « الدما » فى هذه الرواية عومل معاملة الاسم المقصور ، فرفع بضمة مقدرة .

(٣) تقدم فى صفحة ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٤) تقدم فى صفحة ٢٠٧ - ٢١١ .

(٥) فى م : « قال » . والأثر أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ١٤١، ١٤٢ من حديث موسى بن عقبة .

وأُخِذ مِن العباسِ مائةُ أُوقِيَّةٍ مِن ذهبٍ ، ومنهم مَن استُؤْجِر على عملٍ بمقدارِ فدائِه ، كما قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عليُّ بنُ عاصمٍ قال : قال داودُ : ثنا عِكْرِمةُ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان ناسٌ مِن الأسرى يومَ بدرٍ لم يَكُنْ لهم فداءٌ ، فجعل رسولُ اللَّهِ ﷺ فداءَهم أن يُعَلِّمُوا أولادَ الأنصارِ الكتابةَ . قال : فجاء غلامٌ يومًا يَبْكى إلى [2]أبيه ، فقال[2] : ما شأْنُكَ ؟ فقال : ضَرَبنى مُعَلِّمى . فقال : الخَبِيثُ يَطْلُبُ [3]بذَحْلِ بدرٍ[3] ، واللَّهِ لا تَأْتيه أبدًا . انفرَدَ به أحمدُ ، وهو على شرطِ السُّنَنِ . وتقدَّم بسطُ ذلك كلِّه[4] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) المسند ١/ ٢٤٧. (إسناده صحيح).

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «أمه فقالت».

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «بدخل بدر». وفى ص: «يدخل بدرا». والمثبت من المسند. والذحل: الثأر، يقال: طلب بذحله. أى بثأره. اللسان (ذ ح ل).

(٤) انظر ما تقدم من صفحة ٢٠١ - ٢١١ .

فصلٌ فى فَضْلِ مَن شَهِد بدرًا مِن المسلمين

قال البخاريُّ[1] فى هذا البابِ : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، ثنا أبو إسحاقَ ، عن حُمَيْدٍ ، سَمِعْتُ أنسًا يقولُ : أُصِيب حارثةُ يومَ بدرٍ ، [2]وهو غلامٌ[2] ، فجاءتْ أُمُّه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، قد عَرَفْتَ مَنْزلةَ حارثةَ منى ، فإن يكُ فى الجنةِ أَصْبِرْ وأَحْتَسِبْ ، وإنْ تَكُنِ الأُخْرى تَرَ[3] ما أَصْنَعُ . فقال : « وَيْحَكِ ، أَوَ هَبِلْتِ ، أَوَ جَنَّةٌ واحِدةٌ هى ؟ إنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّه فِى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ » . تَفَرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

وقد رُوِىَ مِن غيرِ هذا الوجهِ مِن حديثِ ثابتٍ[4] وقتادةَ[5] ، عن أنسٍ ، وأنَّ حارثةَ كان فى النَّظَّارةِ ، وفيه : « إنَّ ابنَكِ أَصابَ الفردوسَ الأعلى » . وفى هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضلِ أهلِ بدرٍ ؛ فإنَّ هذا الذى لم يَكُنْ فى بَحْبَحَةِ[6] القِتالِ

---

(١) البخارى (٣٩٨٢، ٦٥٥٠) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح البخارى .

(٣) فى النسخ : « فترى » . وفى رواية للبخارى : « ترى » بالإشباع ، أو على تقدير : سوف ترى .

(٤) النسائى فى الكبرى (٨٢٣٢) ، وأحمد فى المسند ٣/ ١٢٤، ٢١٥، ٢٧٢، ٢٨٢. وانظر لهذا الموضع والذى يليه ما تقدم صفحتى ٩٨، ٩٩.

(٥) البخارى (٢٨٠٩) ، والترمذى (٣١٧٤) ، وأحمد فى المسند ٣/ ٢١٠، ٢٦٠، ٢٨٣.
تنبيه : ثبت من حديث ثابت عن أنس أنه كان فى النظارة ، ولم يثبت ذلك من حديث قتادة عن أنس . والله أعلم .

(٦) فى م : « بحيحة » . والبحبوحة من كل شىء : وسطه . الوسيط (بحبح) .

ولا فى حَوْمَةِ الوَغَى[1] ، بل كان مِن النَّظَّارةِ مِن بعيدٍ ، وإنَّما أصابَه سهمٌ غَرْبٌ ، وهو يَشْرَبُ مِن الحوضِ ، ومع هذا أصاب بهذا الموقفِ الفِرْدَوْسَ ، التى هى أعلى الجِنانِ وأوسطُ الجنةِ ، ومنه تُفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ ، التى أمَر الشارعُ أُمَّتَه إذا سألوا اللَّهَ الجنةَ أنْ يَسْأَلوه إياها ، فإذا كان هذا حالَ هذا ، فما ظنُّك بمَن كان واقفًا فى نَحْرِ العَدُوِّ ، وعَدُوُّهم على ثلاثةِ أضعافِهم عَدَدًا وعُدَدًا .

ثم روَى البخاريُّ [٢/٢٠١ظ] ومسلمٌ جميعًا[2] ، عن[3] إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدريسَ ، عن حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن سعدِ بنِ عُبَيْدةَ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قِصَّةَ حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعَةَ وبعثِه الكتابَ إلى أهلِ مكةَ عامَ الفتحِ ، وأنَّ عمرَ استأْذَنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ضَرْبِ عُنُقِه ؛ فإنَّه قد خانَ اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّه[4] قد شَهِد بدرًا ، وما يُدْرِيك لعلَّ اللَّهَ اطَّلَع على أهلِ بدرٍ فقال : اعمَلوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لكم » . ولفظُ البخاريِّ : « أليس مِن أهلِ بدرٍ ؟! ولعلَّ اللَّهَ اطَّلَع على أهلِ بدرٍ ، فقال : اعْمَلوا ما شِئْتم فقد وَجَبتْ لكم الجنةُ » أو : « قد غَفَرْتُ لكم » . فدَمَعتْ عينا عمرَ ، وقال : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ .

ورَوَى مسلمٌ[5] ، عن قُتَيْبَةَ ، عن الليثِ ، عن أبى الزُّبَيْرِ ، عن جابرٍ ، أنَّ

---

(١) حومة الوغى : أشد موضع فى الحرب أو القتال .

(٢) البخارى (٣٩٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

(٣) بعده فى ص : « ابن » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) مسلم (٢٤٩٥) .

عبدًا لحاطبٍ جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حاطبًا ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لَيَدْخُلَنَّ حاطبٌ النارَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كذبتَ ، لا يَدْخُلُها ؛ فإنّه شَهِد بدرًا والحُدَيْبِيَةَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ ، حدَّثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، حدَّثنى الأعْمشُ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لن يَدْخُلَ النارَ رَجُلٌ شَهِدَ بدرًا أو الحُدَيْبِيَةَ » . تَفَرَّد به أحمدُ ، وهو على شرطِ مسلمٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يزيدُ ، أنبأنا حَمّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّ اللَّهَ اطَّلَع على أهلِ بدرٍ فقال : اعْمَلوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لكم » . ورَواه أبو داودَ[3] ، عن أحمدَ بنِ سِنانٍ ، وموسى بنِ إسماعيلَ ، كلاهما عن يزيدَ بنِ هارونَ به[4] .

وروَى البَزَّارُ فى « مسندِه »[5] ثنا محمدُ بنُ مَرْزوقٍ ، ثنا أبو حُذَيْفةَ ، ثنا

---

(١) المسند ٣/ ٣٩٦. إسناده جيد ، رجاله ثقات رجال الصحيح . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢١٦٠.

(٢) المسند ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦. (إسناده صحيح).

(٣) أبو داود (٤٦٥٤) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٩٠) .

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر تعقيبًا على ابن كثير فى هذا الموضع فى شرحه على المسند ١٥/ ٨٤: ووهم رحمه اللَّه ، فإن رواية أبى داود هى عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة - مباشرة - سماعًا ، ثم رواه عن أحمد بن سنان ، عن يزيد ، عن حماد .

(٥) كشف الأستار (٢٧٦١) . وقال فى المجمع ٩/ ١٦١: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

عِكرمةُ، عن يحيى بنِ أبى كَثِيرٍ، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى لَأَرْجُو أَن لا يَدْخُلَ النارَ مَن شَهِدَ بدرًا إن شاء اللَّهُ». ثم قال: لا نَعْلَمُه يُرْوَى عن أبى هريرةَ إلّا مِن هذا الوجهِ. قلتُ: وقد تَفَرَّد البزَّارُ بهذا الحديثِ، ولم يُخْرِجوه، وهو على شرطِ الصحيحِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال البخاريُّ فى بابِ شهودِ الملائكةِ بدرًا[1]: حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، ثنا جَرِيرٌ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن مُعاذِ بنِ رِفاعةَ بنِ رافعٍ الزُّرَقىِّ، عن أبيه - وكان أبوه مِن أهلِ بدرٍ - قال: جاء جبريلُ إلى النبىِّ ﷺ، فقال: ما تَعُدُّون أهلَ بدرٍ فيكم؟ قال: «مِن أفضلِ المسلمين» - أو كلمةً نحوَها - قال: وكذلك مَن شَهِد بدرًا مِن الملائكةِ. انفَرَد به البخاريُّ.

---

(١) البخارى (٣٩٩٢).

[1]فصلٌ في[1] قدومِ زينبَ بنتِ الرسولِ ﷺ، مُهاجِرةً[2] مِن مكةَ إلى المدينةِ [3]بعدَ وقعةِ بدرٍ بشهرٍ، بمُقْتَضَى ما كان شَرَط زوجُها أبو العاصِ للنبيِّ ﷺ، كما تَقدَّم[3]

قال ابنُ إسحاقَ[4]: ولما رَجَع أبو العاصِ إلى مكةَ وقد خُلِّيَ سَبيلُه - يَعْنى كما تقدَّم - بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ ورجلًا مِن الأنصارِ مكانَه، فقال: «كونا ببطنِ يَأْجَجَ[5] حتى تَمُرَّ بكما زينبُ، فتَصْحَباها فتَأْتِيانى بها». فخَرَجا مكانَهما، وذلك بعدَ بدرٍ بشهرٍ - أو شَيْعِه[6] - فلمَّا قَدِم أبو العاصِ مكةَ أَمَرها باللُّحوقِ بأبيها، فخَرَجتْ تَجَهَّزُ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٣.

(٥) يأجج: موضع بمكة.

(٦) أى: أو نحوًا من شهر. يقال: أقمت به شهرًا أو شيع شهر: أى مقداره أو قريبًا منه. النهاية ٢/ ٥٢١.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، قال : حُدِّثْتُ عن زينبَ أنَّها قالت : بَيْنا أنا أَتَجَهَّزُ لَقِيَتْنى هندُ بنتُ عُتْبَةَ ، فقالت : يابنةَ محمدٍ ، ألم يَبْلُغْنى أنَّك تُريدِينَ اللُّحُوقَ بأبيكِ ؟ قالت : فقلتُ : ما أَرَدْتُ ذلك . فقالت : أى ابنةَ عمٍّ ، لا تفعلى ، إنْ كانت لك حاجةٌ بمتاعٍ مما يَرْفُقُ بك [٢/ ٢٠٢و] فى سَفَرِكِ أو بمالٍ تَتَبَلَّغِين به إلى أبيكِ ، فإنَّ عندى حاجتَكِ فلا تَضْطَنى[2] مِنِّى ؛ فإنَّه لا يَدْخُلُ بينَ النساءِ ما بينَ الرجالِ . قالت : واللَّهِ ما أراها قالت ذلك إلا لِتفعَلَ . قالت : ولكنِّى خِفْتُهَا ، فأنكرْتُ أنْ أكونَ أُريدُ ذلك .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فتَجَهَّزَت ، فلمَّا فرَغَت[4] مِن جَهازِهَا قَدَّم إليها أخو زوجِها كِنانةُ بنُ الربيعِ بعيرًا فرَكِبَتْه ، وأَخَذ قَوْسَه وكِنانتَه ، ثم خَرَج بها نَهارًا يقودُ بها ، وهى فى هَوْدَجٍ لها ، وتحَدَّث بذلك رجالٌ مِن[5] قريشٍ ، فخَرَجوا فى طَلَبِها حتى أَدْرَكوها بذى طُوًى ، فكان أولَ مَن سَبَق إليها هَبَّارُ بنُ الأسودِ بنِ المطلبِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى و[6]الفِهْرِىُّ ، فرَوَّعَها هَبَّارٌ بالرُّمحِ ، وهى فى

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٣، ٦٥٤.

(٢) فى م : « تضطبنى » . قال أبو ذر : من رواه بالضاد والنون المخففة ، فمعناه لا تختفى ولا تستحى ، وأصله الهمز ، يقال : اضطنأت المرأة . إذا استحيت ، فحذفت الهمزة تخفيفا ، قال الطِّرِمّاح :

إذا ذُكِرَتْ مسعاةُ والده اضْطَنَى ... ولا يَضْطَنِى مِن شتمِ أهلِ الفضائلِ

ومن رواه تظْطَنِّى بالظاء المشالة والنون المشددة ، فهو من ظننت التى بمعنى التهمة ، أى لا تتهمينى ولا تستريبى منى . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٤٣، ٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٤، ٦٥٥.

(٤) بعده فى السيرة : « بنت رسول اللَّه ﷺ » .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) سقط من : النسخ . والمثبت من السيرة . وانظر الروض الأنف ٥/ ١٩٧، والسيرة ١/ ٦٥٧.

الهَوْدَجِ، وكانت حاملًا - فيما يَزْعُمون[1] - فطَرَحتْ[2]، وبَرَك حَمُوها كِنانةُ، ونَثَر كِنانتَه، ثم قال: واللَّهِ لا يَدْنو مِنِّى رجلٌ إلَّا وضعْتُ فيه سهمًا. فتَكَرْكَرَ الناسُ عنه[3]، وأَتَى أبو سفيانَ فى جِلَّةٍ مِن قريشٍ، فقال: أيُّها الرجلُ، كُفَّ عَنَّا نَبْلَك حتى نُكَلِّمَك. فكَفَّ، فأَقْبلَ أبو سفيانَ حتى وَقَف عليه، فقال: إنَّك لم تُصِبْ؛ خَرَجْتَ بالمرأةِ على رُءوسِ الناسِ عَلانيةً، وقد عَرَفْتَ مُصِيبتَنا ونَكْبتَنا، وما دُخِلَ علينا مِن محمدٍ، فيَظُنُّ الناسُ إذْ خَرَجْتَ بابنتِه إليه عَلانيةً على رءُوسِ الناسِ مِن بينِ أَظْهُرِنا، أنَّ ذلك عن ذُلٍّ أصابَنا، وأنَّ ذلك مِنّا ضَعْفٌ ووَهْنٌ، ولَعَمْرى ما لنا بحبسِها عن أبيها مِن حاجةٍ، وما لنا مِن ثُؤْرَةٍ[4]، ولكن ارجِعْ بالمرأةِ، حتى إذا هَدَأَتِ الأصواتُ وتحَدَّث الناسُ أنْ قدْ ردَدْناها، فسُلَّها سِرًّا وألْحِقْها بأبيها. قال: ففَعَل. وقد ذَكَر ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ أولئك النَّفَرَ الذين رَدُّوا زينبَ لمّا رَجَعوا إلى مكةَ قالت هندُ تَذُمُّهم على ذلك:

أَفى السِّلْمِ أَعْيارٌ جَفَاءٌ وغِلْظَةٌ ... وفى الحربِ أشباهُ النِّساءِ العَوَارِكِ[6]

وقد قيل: إنَّها قالت ذلك للذين رَجَعوا مِن بدرٍ، بعدَ ما قُتِل منهم الذين قُتِلوا.

---

(١) بعده فى السيرة: «فلما ربعت».

(٢) بعده فى السيرة: «ذا بطنها».

(٣) أى؛ رجعوا. النهاية ٤/ ١٦٦.

(٤) أى؛ طلب ثأر. وهى مصدر بمعنى الثأر.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٦.

(٦) الأعيار: جمع عَيْر - بفتح العين - الحمار الوحشى. والعوارك: الحُيَّض من النساء. انظر النهاية ٣/ ٢٢٢، ٣٢٨.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فأقامت ليالىَ حتى إذا هَدَأتِ الأصواتُ خَرَج بها ليلًا حتى أَسْلَمَها إلى زيدِ بنِ حارثةَ وصاحبِه ، فقدِمَا بها ليلًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد رَوَى البيهقىُّ[2] فى « الدلائلِ » مِن طريقِ عمرَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، فذكَر قصَّةَ خُروجِها ورَدِّهم لها ووَضْعِها ما فى بطنِها ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَث زيدَ بنَ حارثةَ وأعطاه خاتَمَه ؛ لتَجِئَ معه ، فتَلَطَّف زيدٌ ، فأعْطاه راعيًا مِن مكةَ ، فأعْطَى الخاتمَ لزينبَ ، فلمَّا رأَتْه عرَفَتْه ، فقالت : مَن دَفَع إليك هذا ؟ قال : رجلٌ فى ظاهِرِ مكةَ . فخرَجَتْ زينبُ ليلًا ، فرَكِبَتْ وراءَه حتى قَدِم بها المدينةَ . قال : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « هى أَفْضَلُ بناتى أُصِيبَتْ فىَّ » . قال : فبَلَغ ذلك علىَّ بنَ الحُسينِ بنِ زَيْنِ العابدِينَ ، فأتَى عُروةَ فقال : ما حديثٌ بَلَغنى أنَّك [3]تُحَدِّثُه تَنْتَقِصُ فيه فاطمةَ[3] ؟ فقال عُروةُ : واللَّهِ ما أُحِبُّ أنَّ لى ما بينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ وأنِّى أنتَقِصُ فاطمةَ حَقًّا هو لها ، وأَمَّا بعدُ فلك[4] أَن لا أُحَدِّثَه[5] أبدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فقال فى ذلك عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ ، أو أبو خَيْثَمَةَ أخو بنى سالِمِ بنِ عَوفٍ - قال ابنُ هشامٍ : هى لأبى خيثمةَ -:

أتانى الذى لا يَقْدُرُ الناسُ قَدْرَه ... لزينبَ فيهم مِن عُقُوقٍ ومَأْثَمِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٦.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ١٥٦، ١٥٧.

(٣ - ٣) فى الأصل : « بحدثته » . وفى م : « تحدثته » . وفى ص : « تحدثه » . والمثبت من الدلائل .

(٤) فى النسخ : « ذلك » . والمثبت من الدلائل .

(٥) فى النسخ : « أحدث به » . والمثبت من الدلائل .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٥، ٦٥٦.

وإخراجُها لم يُخْزَ فيها محمدٌ ... على مَأْقِطٍ[1] وبيننا عِطْرُ مَنْشِمِ[2]

وأمسَى أبو سفيانَ مِن حِلْفِ ضَمْضَمٍ ... ومِن حربِنا فى رَغْمِ أنفٍ[3] ومَنْدَمِ

[٢/٢٠٢ظ] قَرَنّا ابنَه عَمْرًا ومَوْلَى يَمِينِه ... بذى حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصِلِ مُحْكَمِ[4]

فأقسمْتُ لا تَنْفَكُّ مِنّا كتائبٌ ... سَراةُ خَمِيسٍ مِن لُهَامٍ مُسَوَّمِ[5]

نَرُوعُ[6] قُريشَ الكُفرِ حتى نَعُلَّها ... بخاطِمَةٍ فوقَ الأُنوفِ بِمِيسَمِ[7]

نُنَزِّلُهم أكْنافَ نَجْدٍ ونَخْلَةٍ ... وإن يُتْهِموا بالخيلِ والرَّجْلِ نُتْهِمِ[8]

يَدَ[9] الدهرِ حتى لا يُعَوَّجَ سِرْبُنا ... ونُلْحِقُهم آثارَ عادٍ وجُرْهُمِ

---

(١) المأقط: المضيق فى الحرب، والموضع الذى يقتتلون فيه. اللسان (أ ق ط).

(٢) منشم: امرأة عطّارة من همدان كانوا إذا تطيبوا من ريحها اشتدت الحرب. فصارت مثلا فى الشر. وقيل غير ذلك. اللسان (ن ش م).

(٣) ضمضم: يريد ضمضم بن عمرو الغفارى الذى أرسله أبو سفيان ليخبر قريشًا بأن رسول الله ﷺ أجمع التعرض لهم. ورغم أنف: استعمل فى الذل والعجز عن الانتصاف، والانقياد على كره. انظر النهاية ٢/ ٢٣٨.

(٤) ذى حلق: أى الغل، والصلاصل هنا الأصوات. شرح غريب السيرة ٢/ ٤٤.

(٥) الكتائب: العساكر. وسراة: سادة. والخميس: الجيش. واللهام: الكثير. ومسوم: مُعْلَم، من السِّمَة وهى العلامة. انظر المصدر السابق.

(٦) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «نزوع». وذكر محققوها أنها «نروع» فى سائر الأصول عندهم. ونروع: نفزع. اللسان (ر و ع).

(٧) نعلها: نكرّر عليها الحرب. وبخاطمة: أى بقصة مخزية تُذلُّهم، وأصل الخطام حبل يُجعل على أنف البعير. والميسم: الحديدة التى تُوَسم بها الإبل. شرح غريب السيرة ٢/ ٤٤، ٤٥.

(٨) الأكناف: النواحى. ونجد هنا: ما ارتفع من أرض الحجاز. ونخلة: اسم موضع. وإن يتهموا: معناه يأتون تهامة، وهى ما انخفض من أرض الحجاز. والرجل: المشاة على أرجلهم. المصدر السابق ٢/ ٤٥، وانظر الوسيط (ر ج ل).

(٩) فى الأصل: «مدا». وفى م: «يدى». وفى ص: «مدى». ويد الدهر: أبد الدهر. انظر اللسان (ى د ى).

ويَندَمَ قومٌ لم يُطيعوا محمدًا على أمرهِم وأىُّ حينِ تَندُّمِ
فأَبْلِغْ أبا سُفيانَ إمّا لَقِيتَه لَئِنْ أنتَ لَم تُخلِصْ سُجودًا وتُسْلِمِ
فأَبْشِرْ بخِزْيٍ فى الحياةِ مُعَجَّلٍ وسِرْبالِ قارٍ[1] خالدًا فى جَهَنَّمِ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ومَولَى يمينِ أبى سفيانَ الذى عَناهُ الشاعرُ ، هو عامرُ بنُ الحَضْرَمِىِّ .

وقال ابنُ هشامٍ[2] : إنَّما هو عُقْبةُ بنُ عبدِ الحارثِ بنِ الحَضْرَمِىِّ ، فأمّا عامرُ ابنُ الحَضْرَمِىِّ ، فإنَّه قُتِل يومَ بدرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقد حَدَّثَنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ ، عن بُكَيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الأَشَجِّ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ ، عن أبى إسحاقَ الدَّوْسِىِّ ، عن أبى هُريرةَ قال : بَعَث النبىُّ ﷺ سَرِيَّةً أنا فيها ، فقال : « إن ظَفِرْتُم بهَبَّارِ بنِ الأَسْوَدِ ، والرجلِ الذى سَبَق معه إلى زينبَ فحَرِّقوهما بِالنَّارِ » . فلما كان الغدُ بَعَث إلينا ، فقال : « إنِّى قَد كنتُ أمَرْتُكم بِتَحْرِيقِ هذيْن الرجلين إن أخَذْتُموهما[4] ، ثُم رأَيْتُ أنَّه لا ينْبَغى لأَحَدٍ أن يَحْرِقَ بِالنارِ إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فإن ظفِرْتُم بهما فاقتُلُوهما » . تَفَرَّد به ابنُ إسحاقَ ، وهو على شرطِ السُّننِ[5] ولم يُخْرِجوه .

---

(١) فى ص : « نار » . قال ابن هشام : ويروى : « وسربال نار » .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٦.
(٣) المصدر السابق ١/ ٦٥٧. وقد أخرجه الدارمى فى السنن ٢/ ٢٢٢، من طريق ابن إسحاق به .
(٤) فى م : « أخذتموها » .
(٥) فى الأصل : « الشيخين » . وأبو إسحاق الدوسى هذا ليس على شرط الشيخين ولا على شرط أصحاب السنن، فهو ليس من رواة الكتب الستة . انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٢.
والحديث أصله صحيح من طريق سليمان بن يسار عن أبى هريرة مباشرة بنحوه . كما سيأتى فى =

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، ثنا اللَّيْثُ ، عن بُكَيْرٍ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هريرةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنَّه قال : بعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بَعْثٍ ، فقال : « إن وَجَدْتم فلانًا وفلانًا فأَحْرِقُوهما بِالنارِ » . ثم قال حينَ أَرَدْنا الخروجَ : « إنِّى أمَرْتُكم أن تُحْرِقوا فلانًا وفلانًا ، وإنَّ النارَ لا يُعَذِّبُ بها إلَّا اللَّهُ ، فإنْ وَجَدْتُموهما فاقتُلُوهما » .

وقد ذَكَر ابنُ إسحاقَ[2] أنَّ أبا العاصِ أقام بمكةَ على كُفرِه ، واستَمَرَّتْ زينبُ عندَ أبيها بالمدينةِ ، حتى إذا كان قُبَيْلَ الفتحِ خَرَج أبو العاصِ فى تجارةٍ لقريشٍ ، فلمَّا قَفَل مِن الشامِ لَقِيَتْه سَرِيَّةٌ ، فأَخَذوا ما معه ، وأَعْجَزَهم هَرَبًا ، وجاء تحتَ الليلِ إلى زوجتِه زينبَ فاستجارَ بها فأجارتْه ، فلمَّا خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لصلاةِ الصبحِ ، وكبَّر ، وكبَّر الناسُ ؛ صرَخَتْ مِن صُفَّةِ[3] النساءِ : أيها الناسُ ، إنِّى قد أجَرْتُ أبا العاصِ بنَ الربيعِ . فلما سلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أَقْبل على الناسِ ، فقال : « أيُّها الناسُ ، هل سَمِعْتم الذى سَمِعْتُ ؟ » . قالوا : نعم . قال : « أمَا والذى نَفْسُ محمدٍ بيدِه ما عَلِمتُ بشىءٍ[4] حتى سمعْتُ ما سَمِعْتم ، وإنَّه يُجيرُ على المسلمين أدناهُم » . ثُم انصَرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ ،

= حديث البخارى ، وأخرجه الترمذى (١٥٧١) وقال عقب الحديث : حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، وقد ذكر محمد بن إسحاق بين سليمان بن يسار وأبى هريرة رجلًا فى هذا الحديث ، وروى غير واحد مثل رواية الليث - وهو حديث الباب عند الترمذى - وحديث الليث بن سعد أشبه وأصح . انظر فتح البارى ٦/ ١٤٩.

(١) البخارى (٣٠١٦) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٧، ٦٥٨.

(٣) الصفة : مكان مظلل فى مسجد المدينة كان يأوى إليه فقراء المهاجرين . الوسيط (ص ف ف) .

(٤) بعده فى السيرة : « من ذلك » .

فدَخَل على ابنتِه زينبَ فقال: «أَىْ بُنَيَّةُ، أَكْرِمى مَثْواه، ولا يَخْلُصَنَّ إليكِ؛ فإنَّكِ لا تَحِلِّين له». قال: وبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ، فحثَّهم على رَدِّ ما كان معه، فرَدُّوه بأَسْرِه لا يَفْقِدُ منه شيئًا، فأَخَذه أبو العاصِ فرَجَع به إلى مكةَ، فأَعْطى كُلَّ إنسانٍ ما كان له، ثم قال: يا معشرَ قريشٍ، هل بَقِىَ لأَحَدٍ منكم عندى مالٌ لم يَأْخُذْه [٢/٢٠٣و]؟ قالوا: لا، فجزاك اللَّهُ خيرًا، فقد وَجَدْناك وَفِيًّا كريمًا. قال: فإنِّى أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، واللَّهِ ما منَعَنى عن الإسلامِ عندَه إلَّا تخوُّفُ أنْ تظُنُّوا أنِّى إنَّما أرَدْتُ أنْ آكُلَ أموالَكم، فلمَّا أدَّاها اللَّهُ إليكم وفرَغْتُ منها أَسلَمْتُ. ثم خرَج حتى قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ[(١)]: فحدَّثنى داودُ بنُ الحُصَيْنِ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: رَدَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، زينبَ على النكاحِ الأوَّلِ، ولم يُحْدِثْ شيئًا. وهذا الحديثُ قد رَواه الإمامُ أحمدُ[(٢)]، [(٣)]وأبو داودَ[(٣)]، والترمذىُّ، وابنُ ماجه مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ[(٤)]، وقال الترمذىُّ: ليس بإسنادِه بأسٌ، ولكن لا نَعْرِفُ وجهَ هذا الحديثِ، ولعله قد جاء مِن قِبَلِ حِفظِ داودَ بنِ الحُصَيْنِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٨، ٦٥٩.

(٢) المسند ١/ ٢١٧.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) أبو داود (٢٢٤٠)، والترمذى (١١٤٣)، وابن ماجه (٢٠٠٩). (صحيح سنن أبى داود ١٩٥٧).

وقال السُّهيلىُّ[1] : لم يَقُلْ به أحدٌ مِن الفقهاءِ، فيما عَلِمْتُ . وفى لفظٍ : رَدَّها عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بعد سِتِّ سنين[2] . وفى روايةٍ : بعد سنتين بالنِّكاحِ الأوَّلِ[3] . رواه ابنُ جريرٍ[4] ، وفى روايةٍ : لم يُحْدِثْ نِكاحًا[5] . وهذا الحديثُ قد أَشْكَلَ على كثيرٍ مِن العلماءِ؛ فإنَّ القاعدةَ عندَهم أنَّ المرأةَ إذا أسلَمتْ وزوجُها كافرٌ، فإنْ كان قبلَ الدخولِ تُعُجِّلَتِ الفُرْقةُ، وإنْ كان بعدَه انتُظِر إلى انقضاءِ العِدَّةِ، فإنْ أسْلَم فيها اسْتَمَرَّ على نكاحِهَا، وإن انقَضَتْ ولم يُسْلِمِ انفسخَ نكاحُها، وزينبُ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أسلَمتْ حينَ بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهاجَرَتْ بعدَ بدرٍ بشهرٍ، وحُرِّم المسلماتُ على المشركين عامَ الحديبيةِ سنةَ سِتٍّ، وأَسْلم أبو العاصِ قبلَ الفتحِ سنةَ ثمانٍ، فمَن قال : رَدَّها عليه بعدَ ستِّ سنين . أى مِن حينِ هِجْرَتِها، فهو صحيحٌ، ومَن قال : بعدَ سنتين . أى مِن حينَ حُرِّمتِ المسلماتُ على المشركين، فهو صحيحٌ أيضًا، وعلى كلِّ تقديرٍ، فالظاهرُ انقضاءُ عِدَّتِها فى هذه المدةِ التى أقلُّها سنتان مِن حينِ التحريمِ أو قريبٌ منها، فكيف ردَّها عليه بالنكاحِ الأوَّلِ ؟ فقال قائِلون : يَحْتَمِلُ أنَّ عِدَّتَها لم تنْقَضِ، وهذه قصةُ عَيْنٍ[6] يَتَطَرَّقُ إليها الاحتمالُ . وعارَض آخرون هذا

---

(١) الروض الأنف ٥/ ٢٠٠.

(٢) أحمد فى المسند ١/ ٢٦١ ، أبو داود (٢٢٤٠) ، الترمذى (١١٤٣) .

(٣) أحمد فى المسند ١/ ٣٥١ ، أبو داود (٢٢٤٠) ، ابن ماجه (٢٠٠٩) .

(٤) رواه من طريق محمد بن إسحاق بلفظ : « بعد ست سنين » ، ابن جرير الطبرى فى التاريخ ٢/ ٤٧٢، حوادث السنة الثانية .

(٥) الترمذى (١١٤٣) .

(٦) فى م : « يمين » .

الحديثَ بالحديثِ الأوَّلِ الذى رَواه أحمدُ والترمذىُّ ، وابنُ ماجه[1] مِن حديثِ الحجاجِ بنِ أرْطاةَ ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ردَّ بنتَه على أبى العاصِ بنِ الربيعِ بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ .

ـ قال الإمامُ أحمدُ[2] : هذا حديثٌ ضعيفٌ واهٍ ، ولم يَسْمَعْه الحجاجُ[3] مِن عمرِو بنِ شعيبٍ ، إنَّما سَمِعَه مِن محمدِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ العَرْزَمىِّ ، والعرزمىُّ لا يُساوِى حديثُهُ شيئًا ، والحديثُ الصحيحُ الذى رُوِى أنَّ النَّبِىَّ ﷺ أقرَّهما على النكاحِ الأوَّلِ .

وهكذا قال الدارقطنىُّ[4] : لا يثْبُتُ هذا الحديثُ ، والصوابُ حديثُ ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رَدَّها بالنكاحِ الأوَّلِ .

وقال الترمذىُّ[5] : هذا حديثٌ فى إسنادِه مَقالٌ ، والعملُ عليه عندَ أهلِ العلمِ أنَّ المرأةَ إذا أسْلَمتْ قبلَ زوجِها ثُم أسلم زوجُها أنَّه أحقُّ بها ما كانت فى العِدَّةِ ، وهو قولُ مالكٍ ، والأوزاعىِّ ، والشافعىِّ ، وأحمدَ ، وإسحاقَ .

وقال آخرون : بل الظاهرُ انقضاءُ عدَّتِها ، ومَن رَوَى أنَّه جَدَّدَ لها نِكاحًا فضعيفٌ ، ففى قضيةِ زينبَ ، والحالةُ هذه ، دليلٌ على أنَّ المرأةَ إذا أَسْلَمتْ

---

(١) المسند ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨، والترمذى (١١٤٢)، وابن ماجه (٢٠١٠). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ١٩٤).

(٢) وذلك عقب حديث عمرو بن شعيب السابق.

(٣) فى ص: «الإمام أحمد».

(٤) سنن الدارقطنى ٣/ ٢٥٣، ٢٥٤، عقب حديث عمرو بن شعيب السابق.

(٥) وذلك عقب حديث عمرو بن شعيب السابق، وانظر أيضًا قول البيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ١٨٨.

وتأخَّر إسلامُ زوجِها حتى انقضَتْ عِدَّتُها فنكاحُها لا يَنْفَسِخُ بمجرَّدِ ذلك، بل تَبْقَى بالخِيارِ؛ إن شاءتْ تزوَّجَتْ غيرَه، وإن شاءتْ تربَّصَتْ وانتَظَرتْ إسلامَ زوجِها أيَّ وقتٍ كان، وهي امرأتُه ما لم تَتزوَّجْ، وهذا القولُ فيه قوةٌ، وله حظٌّ مِن جهةِ الفقهِ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

ويُسْتَشْهَدُ [٢/٢٠٣ظ] لذلك بما ذَكَره البخاريُّ[(١)] حيثُ قال: نكاحُ مَن أسْلَم مِن المشركاتِ وعدَّتُهن. حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى، ثنا هشامٌ، عن ابنِ جُريجٍ، [(٢)]وقال[(٢)] عطاءٌ، عن ابنِ عباسٍ: كان المشركون على منزلتين مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ والمؤمنين؛ كانوا مُشرِكِي أهلِ [(٣)]حربٍ يُقاتِلُهم[(٣)] ويُقاتِلُونه، ومُشْرِكي أهلِ عَهْدٍ لا يُقاتِلُهم ولا يُقاتِلُونه، وكان إذا هاجَرَتِ امرأةٌ مِن أهلِ الحربِ لم تُخْطَبْ حتى تحيضَ وتطهُرَ، فإذا طهُرَتْ حَلَّ لها النكاحُ، فإنْ هاجر زوجُها قبلَ أنْ تَنْكِحَ رُدَّتْ إليه، وإنْ هاجَر عبدٌ منهم أو أمةٌ فهما حُران ولهما ما للمهاجرين، ثُم ذكَر مِن أهل العَهْدِ مِثلَ حديثِ مجاهدٍ. هذا لفظُه بحروفِه، فقولُه: فكان إذا هاجَرَتِ امرأةٌ مِن أهلِ الحربِ لم تُخْطَبْ حتى تحيضَ وتطهُرَ. يقتَضِي أنَّها كانت تَسْتَبْرِئُ بحيضةٍ، لا تَعْتَدُّ بثلاثةِ قُروءٍ، وقد ذهب قومٌ إلى هذا. وقولُه: فإنْ هاجَر زوجُها قبلَ أن تَنْكِحَ رُدَّتْ إليه. يَقْتَضِي أنَّه، وإن هاجَر بعدَ انقضاءِ مدةِ الاستبراءِ والعدَّةِ، أنَّها تُرَدُّ إلى زوجِها الأوَّلِ ما لم تَنْكِحْ زوجًا[(٤)] غيرَه، كما هو الظاهرُ مِن قصةِ زينبَ بنتِ النبيِّ ﷺ،

---

(١) البخارى (٥٢٨٦). باب نكاح من أسلم ...، من كتاب الطلاق.

(٢ - ٢) فى النسخ: «عن».

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «الحرب يقاتلونهم».

(٤) سقط من: ص.

(١ وكما ذَهَب إليه ١) مَن ذَهَب مِن العلماءِ. واللَّهُ أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(١) فصلٌ فيما (١) قيلَ مِن الأَشعارِ في غَزْوَةِ (٢) بدرِ العُظْمَى

فمِن ذلك ما ذَكَره ابنُ إسحاقَ (٣) ، عن حَمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ ، وأنكَرها ابنُ هشامٍ :

ألم تَرَ أمْرًا كان مِن عَجَبِ الدَّهْرِ ... ولِلحَيْنِ (٤) أسبابٌ مُبَيَّنَةُ الأمْرِ

وما ذاك إلّا أنَّ قومًا أَفادَهم ... فخانُوا (٥) تَواصٍ بالعقوقِ وبالكُفْرِ (٦)

عَشِيَّةَ راحُوا نحوَ بدرٍ بجَمْعِهم ... فكانوا رُهُونًا للرَّكِيَّةِ مِن بدْرِ (٧)

وكنَّا طَلَبْنا العِيرَ لم نَبْغِ غيرَها ... فساروا إلينا فالْتَقَيْنا على قَدْرِ

فلما الْتَقيْنا لم تَكُنْ مَثْنَوِيَّةٌ ... لنا غيرَ طعنٍ بالمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ (٨)

(١ - ١) في م : « ما » .

(٢) سقط من : م .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٨ ، ٩ .

(٤) الحين : الهلاك . اللسان (ح ى ن) .

(٥) في الأصل ، م : « فخافوا » .

(٦) أفادهم : أهلكهم . وقوله : تواص . هو تَفاعُل من الوصية ، وهو الفاعل بأفادهم . الروض الأنف ٥/ ٣٦٤.

(٧) الرهون : جمع رهن . والركية : البئر غير المطوية . شرح غريب السيرة ٢/ ٥٤.

(٨) مثنوية : أى رجوع وانصراف . المثقفة : الرماح المقوَّمة ، والثقاف : الخشبة التى تُقَوَّم بها الرماح . المصدر السابق .

وضَرْبٍ ببِيضٍ يَخْتَلى الهامَ حدُّها ... مُشَهَّرةِ الألوانِ بَيِّنةِ الأُثْرِ[1]

ونحن تَرَكْنا عُتْبَةَ الغَيِّ ثاوِيًا ... وشَيبةَ فى قَتْلَى تَجَرْجَمُ فى الجَفْرِ[2]

وعمرٌو ثَوَى فيمَن ثوَى مِن حُماتِهم ... فشُقَّت جيوبُ النائحاتِ على عمرِو

جُيوبُ نساءٍ مِن لُؤَيِّ بنِ غالبٍ ... كرامٍ تَفَرَّعْنَ الذَّوائبَ مِن فِهْرِ[3]

أولئك قومٌ قُتِّلوا فى ضَلالِهم ... وخَلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضَرِ النَّصْرِ

لواءَ ضلالٍ قاد إبليسُ أهلَه ... فخاسَ[4] بهم إنَّ الخبيثَ إلى غَدْرِ

وقال لهم إذ عايَن الأمرَ واضحًا ... بَرِئْتُ إليكم ما بىَ اليومَ مِن صَبْرِ

فإنى أَرَى ما لا تَرَوْن وإنَّنى ... أخافُ عقابَ اللَّهِ واللَّهُ ذو قَسْرِ

فقدَّمَهم للحَيْنِ حتى تَوَرَّطوا ... وكان بما لم يَخْبُرِ القومُ ذا خُبْرِ

فكانوا غَداةَ البئرِ ألفًا وجمعُنا ... ثلاثَ مِئِينٍ كالمُسَدَّمةِ الزُّهْرِ[5]

وفينا جنودُ اللَّهِ حينَ يُمِدُّنا ... بهمْ فى مَقامٍ ثَمَّ مُسْتَوضِحِ الذِّكْرِ

فشدَّ بهم جبريلُ تحتَ لوائِنا ... لَدَى مَأْزَقٍ[6] فيه مناياهمُ تَجْرِى

---

(١) البيض: السيوف. ويختلى: يقطع. والهام: الرءوس. والأُثْر: وَشْى السيف وفِرِنده. وفرنده: ما يلمح فى صفحته من أثر تموّج الضوء. المصدر السابق. والوسيط (فرند).

(٢) الجفر: كل بئر لم تُطْوَ. وتجرجم: أى تتجرجم، ومعناها تسقط. انظر المصدر السابق. والروض الأنف ٥/ ٣٦٤.

(٣) تفرعن: عَلَون. الذوائب: الأعالى. شرح غريب السيرة ٢/ ٥٥.

(٤) خاس: غدَر. المصدر السابق.

(٥) المسدمة: الفحول من الإبل الهائجة. والزهر: البيض. المصدر السابق.

(٦) المأزق: الموضع الضيق فى الحرب. المصدر السابق.

[٢/٢٠٤و] وقد ذَكَر ابنُ إسحاقَ جوابَها مِن الحارثِ بنِ هشامٍ، [1]أخى أبى جهلٍ عَمْرِو بنِ هشامٍ[1]، ترَكْناها عمدًا.

وقال عليُّ بنُ أبى طالبٍ - وأنكَرها ابنُ هشامٍ[2] -:

ألم تَرَ أنَّ اللَّهَ أَبْلَى[3] رسولَه ... بلاءَ عزيزٍ ذى اقتدارٍ وذى فَضْلِ
بما أنزلَ الكفَّارَ دارَ مَذَلَّةٍ ... فلاقَوا هَوانًا مِن إسارٍ ومِن قَتْلِ
فأَمْسَى رسولُ اللَّهِ قد عزَّ نصرُه ... وكان رسولُ اللَّهِ أُرسِلَ بالعدْلِ
فجاء بفرقانٍ مِن اللَّهِ مُنْزَلٍ ... مُبَيَّنَةٌ آياتُه لذَوِى العقلِ
فآمنَ أقوامٌ بذاك وأَيْقَنوا ... فأمسَوا بحمدِ اللَّهِ مُجْتَمِعى الشمْلِ
وأَنْكر أقوامٌ فزاغتْ قلوبُهم ... فزادَهمُ ذو العَرْشِ خَبْلًا على خَبْلِ[4]
وأمْكَنَ منهمْ يومَ بدرٍ رسولَه ... وقومًا غِضابًا فِعْلُهم أحسنُ الفعْلِ
بأيديهمُ بِيضٌ خِفافٌ عَصُوا بها ... وقد حادَثوها بالجِلاءِ وبالصَّقْلِ[5]
فكم تَرَكوا مِن ناشئٍ[6] ذى حَمِيَّةٍ ... صَرِيعًا ومِن ذى نَجْدةٍ منهمُ كَهْلِ
تَبيتُ عيونُ النائحاتِ عليهمُ ... تَجُودُ بإسبالِ الرَّشَاشِ وبالوَبْلِ[7]

(١ - ١) سقط من: م. والقصيدة فى سيرة ابن هشام ١/ ١٠، ١١.
(٢) المصدر السابق ١/ ١١، ١٢.
(٣) أبلى: مَنَّ عليه وأنعم وصنع له صنعا حسنا. شرح غريب السيرة ٢/ ٥٧.
(٤) الخبل: الفساد. والخبل أيضا قطع بعض الأعضاء. المصدر السابق.
(٥) عصوا بها: أى ضربوا بها. وحادثوها: تعهّدوها. المصدر السابق.
(٦) ناشئ: صغير.
(٧) الرشاش: المطر الضعيف. والوبل: المطر الشديد. فاستعارهما هنا للدمع. انظر المصدر السابق.

نوائحَ تَنْعَى عُتبةَ الغَيِّ وابنَه وشَيْبَةَ تَنْعاه وتَنْعَى أبا جَهْلِ
وذا الرِّجْلِ تَنْعَى وابنَ جُدْعانَ فيهمُ مُسَلَّبَةً حَرَّى مُبَيَّنَةَ الثُّكْلِ[1]
ثَوَى منهمُ فى بئرِ بدرٍ عِصابةٌ ذَوُو نَجَداتٍ فى الحروبِ وفى المَحْلِ[2]
دعَا الغَيُّ منهمْ مَن دعَا فأجابَه وللغَيِّ أسبابٌ مُرَمَّقَةُ[3] الوَصْلِ
فأَضْحَوْا لَدَى دارِ الجحيمِ بمَعْزِلٍ عن الشِّعْبِ والعُدْوانِ [4]فى أسْفَلِ السُّفْلِ[4]

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ نقيضتها مِن الحارثِ بنِ هشامٍ أيضًا[5]، ترَكْناها قصدًا.

وقال كعبُ بنُ مالكٍ[6]:

عَجِبْتُ لأمرِ اللَّهِ واللَّهُ قادرٌ على ما أرادَ ليس للَّهِ قاهرُ
قَضَى يومَ بدرٍ أن نُلاقِيَ مَعْشَرًا بَغَوْا وسبيلُ البَغْيِ بالناسِ جائرُ
وقد حشَدوا واستَنْفَروا مَن يَلِيهِمُ مِن الناسِ حتى جمعُهم مُتَكاثِرُ
وسارَت إلينا لا تُحاوِلُ غيرَنا بأجمَعِها كعبٌ جميعًا وعامرُ
وفينا رسولُ اللَّهِ والأَوْسُ حولَه له مَعْقِلٌ منهم عَزِيزٌ وناصِرُ

---

(١) ذا الرجل: الأسود بن عبد الأسد، قطع حمزة، رضى الله عنه، رجله على الحوض. والمسلبة: المرأة التى تلبس الحداد، وهى الثياب السود. وحرَّى: محترقة الجوف من الحزن. المصدر السابق.
(٢) المحل: الجدب، وهو انقطاع المطر ويُبس الأرض من الكلأ. اللسان (م ح ل).
(٣) المرمقة: ضعيفة من الرَّمَق، وهو الشىء اليسير الضعيف. شرح غريب السيرة ٢/ ٥٧.
(٤ - ٤) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «أشغل الشغل».
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢، ١٣.
(٦) المصدر السابق ٢/ ١٤، ١٥.

وجَمْعُ بنى النجَّارِ تحتَ لِوائِه ... يُمَشَّوْن فى الماذِىِّ والنَّقْعُ ثائِرُ[1]

فلمَّا لَقِيناهم وكلٌّ مجاهِدٌ ... لأصحابِه مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صابِرُ

شَهِدْنا بأنَّ اللَّهَ لا ربَّ غيرُه ... وأنَّ رسولَ اللَّهِ بالحقِّ ظاهرُ

وقد عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفافٌ كأنها ... مَقَابِيسُ[2] يُزْهِيها[3] لعينَيْكَ شاهِرُ

بهِنَّ أَبَدْنا جمعَهم فتَبَدَّدوا ... وكان يُلاقى الحَيْنَ مَن هو فاجرُ

فكَبَّ أبو جهلٍ صريعًا لوجْهِه ... وعتبةُ قد غادرْتُه[4] وهْو عاثِرُ

وشيبةَ والتَّيْمىَّ غادرْتُ[5] فى الوَغَى ... وما منهما[6] إلّا بذى العَرْشِ كافرُ

فأمسَوْا وقودَ النارِ فى مستَقَرِّها ... وكلُّ كَفورٍ فى جهنمَ صائرُ

تَلَظَّى عليهم وهْىَ قد شَبَّ حَمْيَها ... بزُبْرِ[7] الحديدِ والحِجارةِ ساجِرُ

[٢/٢٠٤ظ] وكان رسولُ اللَّهِ قد قال أَقْبِلوا ... فوَلَّوا وقالوا إنَّما أنتَ ساحرُ

لأمرٍ أراد اللَّهُ أن يَهْلِكوا به ... وليس لأمرٍ حَمَّه[8] اللَّهُ زاجرُ

وقال كعبٌ فى يومِ بدرٍ[9] :

---

(١) الماذى : الدروع البيض اللينة . والنقع : الغبار . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٠.

(٢) فى م : « مقاييس » . ومقابيس : جمع مقباس ، وهو القطعة من النار .

(٣) يزهيها : يحركها .

(٤) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « غادرنه » .

(٥) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « غادرن » .

(٦) فى م : « منهم » .

(٧) الزبر : بفتح الباء ، وسُكِّنت لضرورة الشعر ، وهى القطع ، مفردها زُبْرَة . انظر المصدر السابق .

(٨) حمه اللَّه : أى قدَّره .

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥.

أَلا هل أتَى غَسَّانَ فى نَأْيِ دارِها وأَخْبَرُ شىءٍ بالأُمورِ عَلِيمُها

بأن قد رَمَتْنا عن قِسِىٍّ عَدَاوةً مَعَدٌّ معًا جُهَّالُها وحَلِيمُها

لأنّا عَبَدْنا اللَّهَ (١لم نَرْجُ١) غيرَه رجاءَ الجِنانِ إذْ أَتانا زعيمُها

نبىٌّ له فى قومِه إرْثُ عِزَّةٍ وأعراقُ صِدْقٍ هَذَّبَتْها أُرُومُها[٢]

فساروا وسِرْنا فالْتَقَيْنا كأنَّنا أُسودُ لِقاءٍ لا يُرَجَّى كَلِيمُها[٣]

ضَرَبْناهُمُ حتى هَوَى فى مَكَرِّنا[٤] لمَنْخِرِ سَوْءٍ من لُؤَىٍّ عَظيمُها

فولَّوا ودُسْناهم بِبِيضٍ صوارِمٍ سَواءٌ علينا حِلْفُها وصَمِيمُها[٥]

وقال كعبٌ أيضًا[٦] :

لعَمْرُ أبيكما يا بْنَىْ لُؤَىٍّ على زَهْوٍ لديكم وانتِخاءِ[٧]

لَمَا حامَتْ فوارِسُكم ببدرٍ ولا صَبَروا به عندَ اللقاءِ

ورَدْناه بنورِ[٨] اللَّهِ يَجْلُو دُجَى الظَّلْماءِ عنَّا والغِطاءِ

(١ - ١) فى الأصل: «لا شىء».

(٢) أرومها: أصولها. وهى جمع أرومة وهى الأصل. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٢.

(٣) الكليم: الجريح.

(٤) المَكَرُّ: موضع الحرب. اللسان (ك ر ر).

(٥) حلفها: أراد به من كان حليفا فيهم وليس منهم. والصميم: الخالص من القوم. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٢.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥، ٢٦.

(٧) الانتخاء: الإعجاب والتكبر أيضا. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٢.

(٨) فى م: «ونور».

رسولُ اللَّهِ يَقْدُمُنا بأمرٍ ... مِنَ امْرِ اللَّهِ أُحْكِمَ بالقضاءِ

فما ظَفِرَتْ فوارسُكم ببدرٍ ... وما رجَعوا إليكم بالسَّواءِ

فلا تَعْجَلْ أبا سفيانَ وارقُبْ ... جيادَ الخيلِ تَطْلُعُ مِن كَدَاءِ[1]

بنصرِ اللَّهِ رُوحُ القُدْسِ فيها ... ومِيكالٌ فيا طِيبَ المَلَاءِ[2]

وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ[3] - قال ابنُ هشامٍ[4] : ويُقَالُ : هى لعبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ السَّهْمىِّ -:

مُستَشعِرِى حَلَقَ الماذِىِّ يَقْدُمُهم ... جَلْدُ النَّحِيزَةِ ماضٍ غيرُ رِعْدِيدِ[5]

أَعْنِى رسولَ إلهِ الخلقِ فَضَّلَه ... على البَرِيَّةِ بالتقوَى وبالجودِ

وقد زَعَمْتم بأن تَحْمُوا ذِمارَكُمُ ... وماءُ بدرٍ زَعَمْتُم غيرُ مَوْرُودِ

[6]ثُمَّ ورَدْنا [7]ولم نَسْمَعْ[7] لقولِكمُ ... حتى شَرِبْنا رَوَاءً غيرَ تَصْرِيدِ[8][6]

مُستَعصِمِين بحَبْلٍ غيرِ مُنْجَذِمٍ[9] ... مُسْتَحْكِمٍ من حِبالِ[10] اللَّهِ ممدودِ

---

(١) كداء: جبل بمكة. معجم ما استعجم ٤/ ١١١٧.

(٢) الملاء: أراد الملأ وهم أشراف القوم. مُدَّت لضرورة الشعر. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٣.

(٣) ديوان حسان ص ٢٤٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠.

(٥) مستشعرى: لابسى. يقال: استشعرت الثوب. إذا لبسته على جسمك من غير حاجز. والنحيزة: الطبيعة. والرعديد: الجبان. شرح غريب السيرة ٢/ ٦٦.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة والديوان.

(٧ - ٧) فى الديوان: «لم نهدد».

(٨) التصريد: الشرب دون الرى. اللسان (ص ر د).

(٩) فى ص: «منجرم». ومنجذم: منقطع.

(١٠) فى ص: «جبال».

فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نَتْبَعُه حتى المماتِ ونصرٌ غيرُ محدودِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُسْتَضاءُ به بدرٌ أنار على كلِّ الأماجيدِ

[٢/٢٠٥و] وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا[١] :

أَلَا ليت شِعْرى هل أَتَى أهلَ مكةٍ إبارتُنا[٢] الكفارَ فى ساعةِ العُسْرِ
قَتَلْنا سَراةَ القومِ عندَ مَجالِنا فلم يَرْجِعوا إلّا بقاصِمةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنا أبا جهلٍ وعتبةَ قَبْلَه وشيبةَ يَكْبُو لليدين وللنَّحْرِ
قَتَلْنا سُوَيْدًا ثُم عتبةَ بعدَه وطُعْمَةَ أيضًا عندَ ثائِرَةِ القَتْرِ[٣]
فكم قد قَتَلْنا مِن كريمٍ مُرَزَّأٍ[٤] له حَسَبٌ فى قومِه نابِهُ الذِّكْرِ
تَرَكْناهُمُ للعاوِياتِ يَنُبْنَهم[٥] ويَصْلَون نارًا بعدُ حامِيةَ القَعْرِ
لعَمْرُكَ ما حامتْ فوارسُ مالكٍ وأشياعُهم يومَ التَقَيْنا على بدْرِ

وقال عُبَيدةُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ[٦] ، فى يومِ بدرٍ ، وفى قَطْعِ رِجلِه فى مبارزتِه هو وحمزةَ وعلىٍّ مع عُتْبةَ وشَيْبةَ والوليدِ بنِ عُتْبةَ ، وأنكَرها ابنُ هشامٍ :

---

(١) السيرة ٢/ ٢١، ٢٢، وديوان حسان ص ٢٦٦.
(٢) فى م : « إبادتنا » . وإبارتنا : إهلاكنا ، تقول : أبرنا القوم . أى أهلكناهم . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٧.
(٣) ثائرة القتر : ما ثار وارتفع من الغبار . انظر المصدر السابق .
(٤) فى الأصل ، م : « مسود » . ورجل مرزأ : أى كريم يُصَاب منه كثيرًا . اللسان (ر ز أ) .
(٥) العاويات : الذئاب والسباع . ينبنهم : يتناوبن عليهم مرة بعد مرة . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٦٨.
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣، ٢٤.

ستَبْلُغُ عنَّا أهلَ مكةَ وقعةٌ يَهُبُّ لها مَن كان عن ذاك نائيَا
بعتبةَ إذْ وَلَّى وشيبةُ بعدَه وما كان فيها بِكْرُ عُتبةَ[1] راضيَا
فإن تَقْطَعوا رِجْلى فإنِّىَ مسلمٌ أُرَجِّى بها عيشًا مِن اللَّهِ دانِيَا
مع الحُورِ أمثالِ التَّماثِيلِ أُخْلِصَتْ مِن الجنةِ العُلْيا لمَن كان عالِيَا[2]
وبِعْتُ بها عَيْشًا تَعَرَّفْتُ صَفْوَه وعاجَلْتُه حتى فَقَدْتُ الأدَانِيا
فأكرَمنى الرحمنُ مِن فضلِ مَنِّه بثوبٍ مِن الإسلامِ غطَّى المَساوِيا
وما كان مكروهًا إلىَّ قتالُهم غَداةَ دَعا الأكْفاءَ مَن كان داعِيَا
ولم يَبْغِ[3] إذ سالوا[4] النبىَّ سَواءَنا ثلاثَتَنا حتى حَضَرْنا المُنادِيَا
لَقِيناهمُ كالأُسْدِ تَخْطِرُ بالقَنا نُقاتِلُ فى الرحمنِ مَن كان عاصِيَا
فما بَرِحَتْ أقدامُنا مِن مَقامِنا ثلاثَتِنا حتى أُزِيروا المَنائِيَا[5]

وقال ابنُ إسحاقَ[6] : وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا[7] ؛ يَذُمُّ الحارثَ بنَ هشامٍ على فِرارِه يومَ بدرٍ ، وتَرْكِه قومَه لا يُقاتِلُ دونَهم :

---

(١) بكر عتبة : يعنى ولده الأول ، وهو ابنه الوليد .
(٢) قال أبو ذر : التماثيل جمع تمثال ، وهو الصورة تصنع أحسن ما يقدر عليه . وأخلصت معناه أحكم صنعها وأتقن ، وهذا إذا رجع الضمير إلى التماثيل ، وإن عاد الضمير الذى فى أخلصت إلى الحور ، فمعنى أخلصت : خص بها ، وهو أحسن . شرح غريب السيرة ٢/ ٧٠.
(٣) فى الأصل ، ص : « نبغ » . ولم يبغ : لم يُرِد .
(٤) أى سألوا ، وحذفت الهمزة للوزن .
(٥) أزيروا : أى جعلوهم يزورون المنايا ، أى يذوقونها .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/١٦ - ١٨.
(٧) ديوان حسان ص ١٠٧ - ١١٠.

تَبَلَتْ فؤادَك فى المنامِ خَرِيدَةٌ ... تَشْفِى الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ[1]

كالمِسْكِ تَخْلِطُه بماءِ سحابةٍ ... أو عاتقٍ كدَمِ الذَّبيحِ مُدامِ[2]

نُفُجُ الحقيبةِ بَوْصُها مُتَنَضِّدٌ ... بَلْهاءُ غيرُ وَشِيكةِ الأَقْسامِ[3]

بُنِيَت على قَطَنٍ أجَمَّ كأنَّه ... فُضُلًا إذا قَعَدَتْ مَداكُ رُخامِ[4]

[٢/٢٠٥ظ] وتَكادُ تَكْسَلُ أن تَجِيءَ فِراشَها ... فى جِسمِ خَرْعَبَةٍ[5] وحُسْنِ قَوامِ

أمَّا النهارَ فلا أُفتِّرُ ذِكْرَها ... [6]والليلَ تُوزِعُنى بها أحْلامى

أَقْسَمْتُ أَنْساها وأَتْرُكُ ذِكْرَها[6] ... حتى تُغَيَّبَ فى الضريحِ عظامى

يا[7] مَن لِعاذِلةٍ تَلُومُ سفاهةً ... ولقد عصَيْتُ على الهوى لُوَّامى

---

(١) تبلت : أسقمت ، يقال : تبله الحب . إذا أسقمه . والخريدة : الجارية الحييّة الناعمة . وقيل : البكر التى لم تمسس قط . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٦٢، واللسان (خ ر د) .

(٢) العاتق بالقاف : الخمر القديمة . ومن رواه بالكاف فهو أيضا الخمر القديمة التى احمرت . وبه سميت المرأة . والمدام : اسم من أسماء الخمر . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٦٢، ٦٣.

(٣) قال أبو ذر : نفجٌ ، من رواه بالجيم فمعناه مرتفعة ، ومن رواه بالحاء المهملة فمعناه متسعة الحقيبة ، والأول أحسن . والحقيبة ما يجعله الراكب وراءه ، فاستعاره هاهنا لردف المرأة . والبوص : الردف . ومتنضد : معناه علا بعضه بعضا . وبلهاء : معناه غافلة . ووشيكة الأقسام : سريعة الأيمان . انظر المصدر السابق ٢/ ٦٣.

(٤) القطن : أسفل الظهر ، وما بين الوركين إلى عَجْب الذَّنَب . وجَمَّ العظمُ فهو أجَمّ : كثر لحمه . وفضلا : متبذلة فى ثياب مِهْنَتها . والمداك : ما يسحق عليه أو فيه الطِّيب . انظر اللسان (ق ط ن) ، (ج م م) . والنهاية ٣/ ٤٥٦. والوسيط (د و ك) .

(٥) الخرعبة : الشابة الحسنة الجسيمة . اللسان (خرعب) .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) فى م ، ص : « بل » .

بَكَرَتْ عليَّ[1] بسُحْرَةٍ[2] بعدَ الكَرَى ... وتـقـارُبٍ مِـن حـادثِ الأيـامِ

زعَمتْ بأنَّ المرءَ يَكْرُبُ عُمْرَه ... عَـدَمٌ لمُعْـتَـكِـرٍ مِـن الأَصْـرامِ[3]

إنْ كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِنى ... فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بنِ هشامِ

ترَكَ الأحِبَّةَ أن يُقَاتِلَ دونَهم ... ونَجَـا بـرأسِ طِـمِـرَّةٍ[4] ولجَامِ

تَـذَرُ العَـنـاجِـيجَ الجِيادَ بقَفْرةٍ ... مَرَّ الدَّمُوكِ[5] بمُحْصَدٍ ورِجامِ[6]

مَلأَتْ به الفَرْجَين فارْمَدَّتْ به ... وثـوَى أَحِـبَّـتُـه بـشَـرٍّ مُـقـامِ[7]

وبنـو أبيـه ورهْطُه فى مَعْرَكٍ ... نـصَـر الإلـهُ بـه ذَوِى الإسـلامِ

طَـحَـنَـتْـهـمُ واللَّـهُ يُـنْـفِـذُ أمـرَه ... حربٌ يُشَبُّ سَعِيرُها بضِرامِ[8]

لـولا الإلـهُ وجَـرْيُـهـا لـتَـرَكْـنَـه ... جَـزَرَ الـسبـاعِ ودُسْـنَـه بحَـوامِ[9]

---

(١) فى الأصل، م: «إلى».

(٢) السحرة: السَّحَر، وهو آخر الليل قبيل الصبح. اللسان (س ح ر).

(٣) يكرب: يقرب. والمعتكر: الإبل التى يرجع بعضها على بعض، فلا يمكن عدها لكثرتها. والأصرام: جمع صِرمة، وهى الجماعة من النخل أو الإبل. شرح غريب السيرة ٢/ ٦٣. والوسيط (ص ر م).

(٤) الطمر من الخيل: الفرس الجواد. وقيل: المستعد للعَدْوِ. والأنثى طمرة. اللسان (ط م ر).

(٥) فى النسخ: «الذمول». والمثبت من الديوان والسيرة. والدموك: البكرة السريعة المر. انظر اللسان (د م ك).

(٦) العناجيج: جمع عنجوج، وهو الرائع من الخيل. والمحصد: الحبل الشديد الفتل. والرجام: حجر يُشَد بعَرْقُوَة الدلو ليكون أسرع لانحدارها. انظر اللسان (ع ن ج)، (ح ص د)، (ر ج م).

(٧) ملأت به الفرجين: يقال للفرس: ملأ فرجه وفروجه. إذا عدا وأسرع به. والارمداد: سرعة السير، وشدة العدْوِ. اللسان (ف ر ج)، (ر م د).

(٨) الضرام: ما تضرم به النار من كل سريع الاشتعال، كالحطب وغيره مما ليس له جمر. الوسيط (ض ر م).

(٩) جزر السباع: اللحم الذى تأكله، يقال: تركوهم جزرا: إذا قتلوهم. وتركهم جزرا للسباع والطير، أى قطعا. الحوامى: ميامن الحافر ومياسره. اللسان (ج ز ر)، (ح م ى).

مِن بينِ مأسورٍ يُشَدُّ وَثاقُه صَقْرٍ إذا لاقَى الأسنَّةَ حامِ
ومُجَدَّلٍ[1] لا يَسْتَجِيبُ لدَعْوةٍ حتى تَزُولَ شوامخُ الأَعْلامِ
بالعارِ والذلِّ المُبَيَّنِ إذْ رأَى بِيضَ السيوفِ تَسُوقُ كلَّ هُمامِ
بيَدَىْ أَغَرَّ إذا انتَمَى لم يُخْزِه نَسَبُ القِصارِ سَمَيْدَعٍ مِقْدامِ[2]
بِيضٌ إذا لاقتْ حَديدًا صَمَّمَت كالبَرْقِ تحتَ ظلالِ كلِّ غَمامِ

قال ابنُ هشامٍ[3] : ترَكْنا فى آخرِها ثلاثةَ أبياتٍ أَقْذَع[4] فيها .

قال ابنُ هشامٍ[5] : فأجابه الحارثُ بنُ هشامٍ ، أخو أبى جهلٍ عمرِو بنِ هشامٍ فقال :

القومُ[6] أعلمُ ما تَرَكْتُ قتالَهم حتى [7]حَبَوْا مُهْرِى[7] بأَشْقَرَ مُزْبِدِ[8]
وعرفتُ أَنِّى إنْ أُقَاتِلْ واحدًا أُقْتَلْ ولا يَنْكِى عَدُوِّى[9] مَشْهدى
فصدَدْتُ عنهم والأَحِبَّةُ فيهمُ طمعًا لهم بعقابِ يومٍ مُفْسِدِ

---

(١) مجدل : صريع على الأرض . واسم الأرض الجدالة . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٤.
(٢) القصار هنا : الذين قَصُر سعيهم عن طلب المكارم ، ولم يرِد بهم قصار القُدود . والسميدع : السيد . انظر المصدر السابق .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩.
(٤) أقذع : شتم ورمى بالفحش .
(٥) المصدر السابق ٢/ ١٨.
(٦) فى السيرة : « الله » .
(٧ - ٧) فى م ، وحاشية الأصل : « رموا فرسى » .
(٨) الأشقر المزبد : يعنى به الدم الذى علاه الزبد .
(٩) نكَى العدوَّ نكاية : أصاب منه . اللسان (ن ك ى) .

وقال حسانُ أيضًا[1] :

يا حارِ قد عَوَّلْتَ غيرَ مُعَوَّلِ ... عندَ الهِياجِ وساعةَ الأحْسابِ[2]

إذ تَمْتَطى سُرُحَ اليَدَيْن نَجيبةً ... مَرَطَى الجِراءِ طويلةَ الأَقْرابِ[3]

والقومُ خلفَك قد تركتَ قتالَهم ... ترجو النَّجاءَ وليس حينَ ذَهابِ

أَلَّا عَطَفْتَ على ابنِ أُمِّك إذ ثوَى ... قَعْصَ[4] الأسِنَّةِ ضائعَ الأَسْلابِ

عَجِلَ المليكُ له فأهلَكَ جَمْعَه ... بشَنَارِ[5] مُخْزِيَةٍ وسُوءِ عَذابِ

وقال حَسّانُ[6] أيضًا :

لقد عَلِمَتْ قُريشٌ يومَ بدرٍ ... غَداةَ الأَسْرِ والقَتْلِ الشديدِ

بأَنّا حينَ تَشْتَجِرُ العَوالى[7] ... حُماةُ الحربِ يومَ أبى الوَليدِ[8]

قَتَلْنا ابْنَىْ رَبيعةَ[9] يومَ سارا ... إلينا فى مُضاعَفَةِ الحَديدِ[10]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩، ٢٠، وديوان حسان ص ٣٣١.

(٢) يا حار : يا حارث ، فلمَّا رخّم حذف الثاء . الهياج : الحرب .

(٣) سُرُح اليدين : سريعة اليدين . يعنى بها فرسا . ومَرَطَى : سريعة . والجِراء : الجرى . والأقراب : جمع قُرْب ، وهو الخاصرة . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٥.

(٤) القعص : القتل بسرعة . المصدر السابق .

(٥) الشنار : أقبح العيب والعار . اللسان (ش ن ر) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩، وديوان حسان ص ٢٦٥.

(٧) تشتجر : يعنى تختلط وتشتبك فى القتال . والعوالى : أعالى الرماح . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٤، ٦٥.

(٨) أبو الوليد هو عتبة بن ربيعة .

(٩) ابنا ربيعة هما عتبة - المشار إليه فى البيت السابق - وشيبة .

(١٠) يعنى بمضاعفة الحديد : الدروع التى ضُوعف حَلَقها ونُسِجت حَلْقَتَيْنِ حلقتين . انظر اللسان (ض ع ف) .

[٢/٢٠٦ر] [١] وفرَّ بها [١] حَكِيمٌ يومَ جالَتْ بنو النَّجّارِ تَخْطِرُ كالأُسُودِ [٢]

ووَلَّتْ عندَ ذاك جُموعُ فِهْرٍ وأَسْلَمَها الحُوَيْرِثُ مِن بعيدِ [٣]

لقد لَاقَيْتُمُ ذُلًّا وقَتْلًا جَهِيزًا [٤] نافِذًا تحتَ الوَرِيدِ

وكلُّ القومِ قد وَلَّوْا جميعًا ولم يَلْوُوا على الحَسَبِ التَّلِيدِ

وقالت هندُ بنتُ أُثاثَةَ بنِ عَبَّادِ بنِ المُطَّلِبِ، تَرْثِى عُبَيدةَ بنَ الحارثِ بنِ المطلبِ [٥] :

لقد ضُمِّنَ الصَّفْراءُ مجدًا وسُؤْدُدًا وحِلْمًا أَصِيلًا وافرَ اللُّبِّ والعقلِ

عُبَيْدةَ فابْكِيهِ لأَضْيافِ غُرْبةٍ [٦] وأرمَلةٍ تَهْوِى لأَشْعَثَ [٧] كالجِذْلِ [٨]

وبَكِّيهِ للأقوامِ فى كلِّ شَتْوَةٍ إذا احْمَرَّ آفاقُ السماءِ مِن المَحْلِ

(١ - ١) فى الأصل : « وقربها » . وفرَّ بها حكيم : من رواه بالقاف فهو من باب التقريب وهو فوق المشى ودون الجرى ، ومن رواه « وفرَّ بها » بالفاء فهو من الفرار وهو معلوم . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٥. وحكيم هنا ، هو حكيم بن حزام الصحابى ، ولم يكن أسلم يوم بدر ، بل قاتل مع الكفار ونجا منهزمًا ، وهو من مسلمة الفتح . انظر أسد الغابة ٢/ ٤٥.

(٢) تخطر : معناه تهتز وتتبختر فى المشى إلى لقاء أعدائها . شرح غريب السيرة ٢/ ٦٥.

(٣) الحويرث هنا ، يقصد به الحارث بن هشام ، وهو أخو أبى جهل عمرو بن هشام ، يشير حسان إلى فرار الحارث هذا يوم بدرٍ .

(٤) جهيز : سريع . انظر اللسان (ج هـ ز) .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١، ٤٢.

(٦) فى ص : « عزة » .

(٧) الأشعث : المتغير ، من الشَّعَث ، وهو تغيُّر الشَّعر وتلبُّده . شرح غريب السيرة ٢/ ٩١ ، وانظر الوسيط (ش ع ث) .

(٨) الجِذْل : أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع . الوسيط (ج ذ ل) .

وبَكِّيه للأيتامِ والرِّيحُ زَفْزَفٌ[1] وتَشْبِيبِ[2] قِدْرٍ طالما أَزْبَدَتْ[3] تَغْلِى

فإن تُصْبحِ النِّيرانُ[4] قد مات ضَوْءُها فقد كان يُذْكِيهِنَّ بالحَطَبِ الجَزْلِ[5]

لِطارِقِ ليلٍ أو لِمُلْتمِسِ القِرَى ومُسْتَنْبِحٍ أَضْحَى لَدَيْه على رِسْلِ[6]

وقال الأُمويُّ فى «مغازيه»[7]: حدَّثنى سعيدُ بنُ قَطَنٍ، قال: قالت عاتِكةُ بنتُ عبدِ المطلبِ فى رؤْياها التى رَأَتْ وتَذْكُرُ بدرًا:

أَلَمَّا تكُنْ رؤياىَ حَقًّا ويأتِكُمْ بتأويلِها فَلٌّ[8] مِن القومِ هاربُ

رَأَى فأَتَاكم باليقينِ الذى رأَى بعَيْنَيْه ما تَفْرِى السيوفُ القَواضِبُ[9]

فقلتم ولم أَكْذِبْ كَذَبْتِ[10] وإنَّما يُكَذِّبُنى بالصِّدقِ مَن هو كاذِبُ

---

(١) الزفزف والزفزاف: الريح الشديدة الهُبوب فى دوامٍ. كالزفزافة. القاموس المحيط (ز ف ف).

(٢) فى الأصل: «وتشتيت». وفى ص: «وتشبيت». والتشبيب: إيقاد النار تحت القدر ونحوها، إشارة إلى الكرم. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٩١.

(٣) أزبدت: دفعت بزبدها. والزبد: رغوة الغليان. انظر المصدر السابق.

(٤) فى ص: «النار».

(٥) يذكيهن: يوقدهن. والجزل: الغليظ. المصدر السابق.

(٦) المستنبح: الرجل الذى يضل بالليل فينبح لتسمعه الكلاب فتنبح، فيعلم بذلك موضع العمران فيقصده. والرِّسْل: اللبن. المصدر السابق.

(٧) عزاه فى سبل الهدى والرشاد ٤/ ٢٠١، ٢٠٢ للأموى. وأخرجه بنحوه الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ٣٤٨ (٨٦١). قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٧٢: رواه الطبرانى، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(٨) الفل: المنهزم. يُقال للواحد والجمع. الوسيط (ف ل ل).

(٩) تفرى: من الفَرْى، وهو القطْع. والقواضب: جمع قاضِب، من القَضْب: وهو القطْع. انظر اللسان (ف ر ى) (ق ض ب).

(١٠) فى الأصل، م: «عليكم». والمثبت موافق لما فى المعجم الكبير، ومجمع الزوائد، وسبل الهدى والرشاد، وهو الذى يستقيم به المعنى ويتضح.

وما جاء إلَّا رَهْبَةَ الموتِ هاربًا حَكِيمٌ[1] وقد أَعْيَتْ عليه المذاهبُ

أقامتْ سيوفُ الهِنْدِ دونَ رءوسِكم وخَطِّيَّةٌ فيها الشَّبا والثَّعالِبُ[2]

كأنَّ حريقُ النارِ لَمْعَ ظُباتِها[3] إذا ما تَعاطَتْها اللُّيوثُ المَشاغِبُ[4]

أَلا بأبى يومَ اللقاءِ محمدًا إذا عَضَّ مِن عُونٍ[5] الحروبِ الغَوارِبُ[6]

مَرَى بالسيوفِ المُرْهَفاتِ نُفُوسَكم كِفاحًا كما تَمْرِى السحابَ الجَنائِبُ[7]

---

(١) هو حكيم بن حزام الصحابى، وقد ذكر فى القصيدة السابقة.

(٢) فى الأصل: «التعالب». وفى م: «التغالب». والثعالب جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل فى لُجَّة السنان. والخطية: نوع من الرماح منسوب إلى الخط، والخط: مرفأ السفن التى تحمل القنا - وهى الرماح - من الهند. وقيل: الخط خطُّ البحرين، وإليه ترفأ السفن إذا جاءت من الهند. وقيل: الخط موضع باليمامة، وهو خط هجر تنسب إليه هذه الرماح؛ لأنها تُحمل من بلاد الهند فتُقَوَّم به. والشبا: جمع شباةٍ، وشباة كل شىء: حدُّ طرفه. وقيل: حدُّه. انظر اللسان (ثعلب)، (خ ط ط)، (ش ب و).

(٣) ظباتها: الظبات جمع ظُبَة؛ وهى حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك. اللسان (ظ ب و). تصف عاتكة لمعان الأسنة بأنه كحريق النار. وللمعنى تقدَّم خبر كأن على اسمها.

(٤) المشاغب: من الشَّغْب؛ وهو الخلاف، والمُشاغَبة، وهى المُخاصَمة والمُفاتنة. انظر اللسان (ش غ ب). يعنى إذا ما التقت أطراف القتال المتخاصمة المتواجهة، و«الليوث» هنا تصف بها المسلمين.

(٥) عون: جمع عَوان؛ يقال: حربٌ عوان: قوتل فيها مرة بعد أخرى. الوسيط (ع و ن).

(٦) فى ص: «العوان». والغوارب: جمع غارب، وهو أعلى كل شىء. الوسيط (غ ر ب). والمعنى أنها تفدى بأبيها محمدًا ﷺ، إذا ما اشتدت الحروب، وبلغت شدة القتال منتهاها.

(٧) مرى: استخرج نفوسهم واستدرَّها. والمرهفات: يقال: أرهفت سيفى؛ أى رقَّقْتُه. وكفاحًا: مُواجَهةً ليس بينهما حجاب. والجنائب: جمع جَنُوب، تقول: جنبتِ الريح إذا تحوَّلت جنوبًا، وسحابةٌ مجنوبةٌ إذا هبَّت بها الجنوب. والجنوب: الريح التى تقابل الشمال. وقال الأصمعى: إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح، وإذا جاءت الشَّمال نشَّفتْ. انظر اللسان (م ر و)، (ر هـ ف)، (ك ف ح)، (ج ن ب).

والمعنى أنهم يستخرجون نفوسهم - أى بقتلهم - بالسيوف الحادَّة المرقَّقة، كما تستخرج رياح الجنوب الأمطار من السحاب.

فكم بَرَدَتْ أسيافُه مِن مَلِيكةٍ ... وزُعْزِع وَرْدٌ بعدَ ذلك صالِبُ[1]

فما بالُ قَتْلَى فى القَلِيبِ ومِثْلُهم ... لَدَى ابنِ أخى أَسْرَى له ما تُضارِبُ[2]

فكانوا نساءً أم أَتَى لنفوسِهم ... مِن اللَّهِ حَيْنٌ سَاقَ والحَيْنُ حالِبُ[3]

فكيف رَأَى عندَ اللقاءِ محمدًا ... بنو عمِّه والحربُ فيها التجارِبُ

ألم يَغْشَكم ضربًا يَحارُ لوقعِه الْـ ... ـجَبانُ وتَبْدو بالنهارِ الكواكبُ

[٢/٢٠٦ظ] حلَفْتُ لَئِنْ عادوا لَنَصْطَلِيَنَّهم[4] ... [5]بحارًا تَرَدَّى تَجْرِبَتْها[6] المَقانِبُ[5]

كأنَّ ضياءُ الشمسِ لَمْعَ ظُباتِها[7] ... لها مِن شُعاعِ النورِ قَرْنٌ وحاجِبُ

---

(١) بردت أسيافه : أى قتلتْ . والورد : الجرىء . وصلب : من الصلابة ، والصلابة ضد اللِّين . يعنى الشديد القوى من المقاتلين فى الحرب . انظر القاموس المحيط (و ر د) ، واللسان (ص ل ب) .

(٢) فى م : « يضارب » . والمضاربة بين اثنين أن يضرب كل منهما الآخر ، أو يُغالبه ويباريه فى الضرب . الوسيط (ض ر ب) . والمقصود هنا بالمضاربة القتال ، أى أنهم أسرى لا يقاتِلون .

(٣) الحين : الهلاك . وحالب : من الحَلْب ؛ وهو استخراج ما فى الضرع من اللبن ، يكون فى الشاء والإبل والبقر . اللسان (ح ل ب) . وإنما يعنى هنا أن الهلاك يستخرج أرواحهم من نفوسهم حين يُقْتَلون .

(٤) اصطلى النار وبها : استدفأ . الوسيط (ص ل و) . يعنى أنهم إن عادوا لَيذيقنَّهم المسلمون من شدة القتال ، ولَيوقعنَّ بهم القتل .

(٥ - ٥) جاء هذا الشطر فى النهاية ٢٣٣/١ هكذا :

* بجأواءَ تُردى حافَتَيْه المقانب *

وقال ابن الأثير شارحًا له : أى بجيش عظيم تجتمع مقانبه من أطرافه ونواحيه .

وتردَّى بالرداء : لبسه . يعنى يخوضون ويعانون تجربتها . والمقانب : جمع مِقْنَب ؛ وهى جماعة الخيل والفرسان . وقيل : هى دون المائة . انظر الوسيط (ر د ى) ، واللسان (ق ن ب) .

(٦) سكنت التاء للوزن .

(٧) تصف عاتكة لمعان الأسنة بأنه كضوء الشمس . وللمعنى تقدَّم خبر كأن على اسمها .

وقالت عاتكةُ أيضًا فيما نَقَله الأُمَوىُّ[1] :

هَلَّا صَبَرْتُمْ لِلنبىِّ محمدٍ[2] ... ببدرٍ ومَن يَغْشَى الوَغَى حَقٌّ صابرِ

ولم تَرْجِعوا عن مُرْهَفاتٍ كأنَّها ... حريقٌ بأيدى المؤمنين بواتِرِ[3]

ولم تَصْبِروا للبِيضِ[4] حتى أُخِذْتُمُ ... قليلًا بأيدى المؤمنين المساعرِ[5]

وولَّيْتُمُ نَفْرًا[6] وما البَطَلُ الذى ... يُقاتِلُ مِن وَقْعِ السلاحِ بنافرِ

أتاكم بما جاء النبيُّون قبلَه ... وما ابنُ أخى البَرِّ الصَّدُوقُ بشاعرِ

سيَكْفِى الذى ضَيَّعْتمُ مِن نبيِّكمْ ... ويَنْصُرُه الحَيَّانِ عَمرٌو وعامرُ

وقال طالبُ بنُ أبى طالبٍ يَمْدَحُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ويَرْثِى أصحابَ القَلِيبِ مِن قريشٍ الذين قُتِلوا يومئذٍ مِن قومِه، وهو بعدُ على دينِ قومِه إذْ ذاك[7] :

ألَا إنَّ عَيْنِى أَنْفَدَتْ[8] دَمْعَها سَكْبَا ... تُبَكِّى على كَعْبٍ وما إنْ تَرَى كعبَا

ألَا إنَّ كعبًا فى الحروبِ تَخاذَلوا ... وأرْداهُمُ ذا الدهرُ واجْتَرَحُوا ذَنْبا

وعامرُ تَبْكى للمُلِمَّاتِ غُدْوَةً ... فيا ليتَ شِعْرى هل أَرَى لهمُ[9] قُرْبا

---

(١) ذكره فى سبل الهدى والرشاد ٢٠٢/٤ وعزاه إلى الأموى.

(٢) فى صدر البيت خرم، وهو جائز. وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٠٤.

(٣) البواتر: من البَتْر وهو استئصال الشىء قطعًا. اللسان (ب ت ر). يعنى أنها سيوف قاطعة حادّة.

(٤) البِيض: يعنى السيوف.

(٥) فى م، ص: «المشاعر». والمساعر: جمع مسعر، وهو مُوقِد الحرب. الوسيط (س ع ر).

(٦) نفَر من المكان: تركه إلى غيره. والمعنى أنهم ولوا هاربين منهزمين.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦، ٢٧.

(٨) فى الأصل، م: «أنفذت». وهو لفظ إحدى روايات السيرة.

(٩) فى السيرة: «لهما».

فيا أخَوَيْنا عبدَ شمسٍ ونَوْفَلًا ... فِدًى لكُما لا تَبْعَثوا بيننا حربا

ولا تُصْبِحوا مِن بعدِ وُدٍّ وأُلْفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يَشْتَكى النَّكْبا

ألم تَعْلَموا ما كان فى حربِ داحِسٍ ... وحربِ[1] أبى يَكْسُومَ[2] إذْ مَلَئُوا الشِّعْبا

فلولا دفاعُ اللَّهِ لا شىءَ غيرُه ... لأصْبحتُمُ لا تَمْنَعون لكم سرْبا[3]

فما إن جَنَيْنا فى قُريشٍ عظيمةً ... سِوَى أنْ حَمَيْنا خيرَ مَن وَطِئَ التُّرْبا

أخا ثقةٍ فى النائباتِ مُرَزَّأً[4] ... كريمًا نَثاهُ[5] لا بخيلًا ولا ذَرْبا[6]

يُطِيفُ به العافُون[7] يَغْشَوْنَ بابَه ... يَؤُمُّون[8] نَهْرًا[9] لا نَزُورًا ولا صَرْبا[10]

فواللَّهِ لا تَنْفَكُّ نفسى حزينةً ... تَمَلْمَلُ[11] حتى تَصْدُقوا الخَزْرَجَ الضَّرْبا

---

(١) فى السيرة: «وجيش».

(٢) أبو يكسوم: هو أبرهة.

(٣) قال أبو ذر: والسَّرب بفتح السين؛ المال الراعى. والسِّرب بكسر السين؛ القوم، ويقال: النفس، ومنه قوله فى الحديث: «من أصبح آمنا فى سربه ...». شرح غريب السيرة ٢/ ٧٤.

(٤) يقال: إنه لكريمٌ مرزأٌ: يصيب الناس من ماله ونفعه كثيرًا. الوسيط (ر ز أ).

(٥) فى النسخ: «ثناه». والمثبت من السيرة. والنثا ما أخبرت به عن الرجل من حسَنٍ أو سيئٍ، يقال: فلان حسَن النثا وقبيح النثا. اللسان (ن ث و).

(٦) يقال: ذَرِب لسانه، إذا كان شتّامًا فاحشًا لا يبالى ما قال. الوسيط (ذ ر ب).

(٧) العافون: طالبو المعروف. انظر الوسيط (ع ف و).

(٨) فى الأصل: «يثوبون». وأشار محققو السيرة إلى أنها إحدى الروايات. وفى ص: «يأبون». ويؤمُّون: يقصدون. ويثوبون: يرجعون، والمعنى على هذه الرواية أنهم يذهبون مرة بعد مرة، دلالة على كرمه، فيذهبون ثم يرجعون.

(٩) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «بحرًا». وأشار محققوها إلى أن «نهرًا» إحدى الروايات.

(١٠) النزور: القليل. والصرب: المنقطع، والقليل من الماء. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٧٤.

(١١) أى تتململ.

فصلٌ

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ أشعارًا مِن جهةِ المشركين[1] قويَّةَ الصَّنْعَةِ، يَرْثُون بها قَتْلاهم يومَ بدرٍ، فمِن ذلك قولُ ضِرارِ بنِ الخطابِ[2] بنِ مِرْداسٍ أخى بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، وقد أسْلَم بعدَ ذلك، والسُّهَيْلِىُّ فى «رَوْضِه» يتَكَلَّمُ على أشعارِ مَن أسْلَم منهم بعدَ ذلك[3]:

عَجِبْتُ لفَخْرِ الأوسِ والحَيْنُ دائِرٌ ... عليهم غدًا والدَّهرُ فيه بَصائِرُ

[٢/٢٠٧و] وفخرِ بنى النَّجّارِ أنْ كان مَعْشَرٌ ... أُصِيبوا ببدرٍ كلُّهم ثَمَّ صائِرُ[4]

فإن تَكُ قَتْلَى غُودِرَتْ مِن رجالِنا ... فإنّا رجالًا بَعدَهم سنُغادِرُ

وتَرْدِى بنا الجُرْدُ العناجِيجُ وسْطَكم ... بنى الأوْسِ حتى يَشفىَ النَّفْسَ ثائِرُ[5]

---

(١) انظر أشعار المشركين، فى سيرة ابن هشام ٢/١٢ - ١٦، ٢٧ - ٤٣.

(٢) المصدر السابق ٢/١٣، ١٤.

(٣) هذه العبارة صحيحة على الإجمال، أمّا تفصيلًا: فهو قد تكلم على أشعار الفريقين، من أسلم ومن لم يسلم، فالحارث بن هشام، وقتيلة بنت الحارث، وهند بنت عتبة، وضرار بن الخطاب، أسلموا بعد ذلك، ولم يذكر السهيلى فيما تكلم عليه شعرَ ضرار، كما أنه تكلم على شعر أبى أسامة، وهو لم يسلم. انظر الروض ٥/٣٦٨، ٣٧٤ - ٣٨٨.

(٤) فى السيرة: «صابر».

(٥) تردى: إذا عدا الفرس فرَجَم الأرض رجمًا، قيل: رَدَى، بالفتح، يردى، رَدْيًا ورَدَيانًا. وردى: إذا رجم الأرض رجمًا بين العدْو والمشى الشديد. والجُرد: جمع أجْرَد، وفرس أجرد: قصير الشعر، وكذلك غيره من الدوابّ. وذلك من علامات العِتْق والكرم. والعناجيج جمع عُنجوج: الرائع من الخيل. انظر اللسان (ر د ى)، (ج ر د)، (ع ن ج).

ووَسْطَ بنى النجّارِ سوف نَكُرُّها[1] لـهـا بـالـقَـنـا والـدَّارِعِينَ زَوافِرُ[2]

فتَتْرُكُ صَرْعَى تعصِبُ[3] الطيرُ حولَهم وليس لـهـم إلّا الأمانِيَّ ناصِرُ

وتَبْكِيهِمُ مِن أهْلِ[4] يَثْرِبَ نِسْوَةٌ لَهُنَّ بها ليلٌ عن النَّومِ ساهِرُ

وذلـك أنَّـا لا تَـزالُ سيـوفُـنـا بِهِنَّ دَمٌ مِمَّن يُحارِبْنَ مائِرُ[5]

فإن تَظْفَرُوا فى يومِ بدرٍ فإنَّما بأحمدَ أمسَى جَدُّكم وَهْوَ ظاهِرُ

وبـالـنَّـفَـرِ الأخيـارِ هـم أوْلـيـاؤُه يُحامونَ فى اللَّأْواءِ[6] والموتُ حاضِرُ

يُعَدُّ أبـو بـكـرٍ وحـمـزةُ فيهـمُ ويُدعَى علىٌّ وَسْطَ مَن أنتَ ذاكِرُ

أولئك لا مَن نَتَّجَتْ[7] فى[8] ديارِها بنو الأوسِ والنَّجّارِ حينَ تُفاخِرُ

ولكنْ أبوهم مِن لُؤَىِّ بنِ غالِبٍ إذا عُدَّتِ الأَنْسابُ كعبٌ وعامِرُ

هم الطّاعِنُونَ الخيلَ فى كلِّ مَعْرَكٍ غَداةَ الهِياجِ[9] الأَطْيَبُونَ الأكاثِرُ[10]

---

(١) نكُرُّها : من الكَرّ، وهو الرجوع . اللسان (ك ر ر) . يعنى أنهم سيرجعون مرة أخرى ليثأروا لهزيمتهم فى بدر .

(٢) الدارعون : لابسو الدروع . وزوافر : جمع زافرة وهى الحاملة للثِّقل . شرح غريب السيرة ٢/ ٥٩.

(٣) تعصب : تجتمع .

(٤) فى الأصل، م : «أرض» .

(٥) مائر : سائل . يقال : مار يمور . إذا سال . المصدر السابق .

(٦) اللأواء : الشِّدَّة . القاموس المحيط (ل أ و) .

(٧) نتجت : ولدت . شرح غريب السيرة ٢/ ٥٩.

(٨) فى الأصل، م : «من» .

(٩) الهياج : الحرب .

(١٠) فى م : «الأكابر» . وهو لفظ إحدى روايات السيرة .

فأجابَه كعبُ بنُ مالكٍ بقصيدتِه التى أسْلَفْناها[1] ، وهى قولُه :

عجِبْتُ لأمرِ اللَّهِ واللَّهُ قادِرُ ... على ما أراد ليس لِلَّهِ قاهِرُ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال أبو بكرٍ واسمُه شَدّادُ بنُ الأسوَدِ بنِ شَعُوبَ - قلتُ : وقد ذكَر البخاريُّ[3] أنَّه خَلَف على امرأةِ أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، حين طَلَّقَها الصديقُ ، وذلك لَمَّا[4] حَرَّم اللَّهُ المُشرِكاتِ على المُسلِمِين ، واسمُها أُمُّ بكرٍ -:

تُحَيِّى بالسَّلامةِ أمُّ بكرٍ ... وهل لى بعدَ قومى مِن سَلامِ

فماذا بالقَلِيبِ قليبِ بدرٍ ... مِن القَيْناتِ والشَّرْبِ الكِرامِ[5]

وماذا بالقَلِيبِ قليبِ بدرٍ ... مِن الشِّيزَى تُكَلَّلُ بالسَّنامِ[6]

وكم لك[7] بالطَّوِىِّ طوىِّ بدرٍ ... مِن الحَوْماتِ[8] والنَّعَمِ المُسامِ[9]

وكم لك بالطوىِّ طوىِّ بدرٍ ... مِن الغاياتِ والدُّسُعِ[10] العِظامِ

---

(١) تقدمت قصيدة كعب فى صفحة ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩.

(٣) البخارى (٣٩٢١) .

(٤) سقط من : م .

(٥) هذا البيت سقط من : ص . والقينات : الجوارى المغنيات ، وأراد أصحابها . والشرب : جماعة القوم الذين يشربون . شرح غريب السيرة ٢/ ٧٦.

(٦) الشيزى : جفان تصنع من خشب ، وإنما أراد أصحابها الذين يطعمون فيها . المصدر السابق .

(٧) فى ص : « ملك » .

(٨) فى الأصل : « الحرمات » . والحومات جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . المصدر السابق .

(٩) النعم : الإبل . وقيل : كل ماشية فيها إبل . والمسام : المرسل فى المرعى ، يقال : أسام إبله . إذا أرسلها ترعى دون راع . المصدر السابق ٢/ ٧٦، ٧٧.

(١٠) الدسع هنا : العطايا الجزيلة . انظر المعجم الوسيط (د س ع) .

وأصحابِ الكريمِ أبى علىٍّ أخى الكأسِ الكريمةِ والنِّدامِ[1]

وإنَّك لو رأيتَ أبا عَقيلٍ وأصحابَ الثَّنِيَّةِ مِن نَعامِ[2]

إذًا لَظَلِلْتَ مِن وَجْدٍ عليهمْ كأُمِّ السَّقْبِ جائِلَةَ المَرامِ[3]

يُخَبِّرُنا الرسولُ لَسوف نَحْيا وكيف حياةُ[4] أصْداءٍ وهامِ[5]

قلتُ: وقد أوْرَد البخاريُّ[6] بعضَها فى «صحيحِه» ليُعْرَفَ به حالُ قائلِها.

قال ابنُ إسحاقَ[7]: وقال أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ، يَرْثِى مَن قُتِل مِن قُريشٍ يومَ بدرٍ:

ألَّا بَكَيْتِ على الكِرا مِ بنى الكرامِ أُولِى المَمادِحْ

---

(١) الندام: جمع نديم، وهو الصاحبُ على الشراب، المسامرُ. الوسيط (ن د م).

(٢) الثنية: فرجة بين الجبلين. ونعام: اسم موضع. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٧.

(٣) الوجد: الحُزن. والسقب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد. الوسيط (و ج د)، (س ق ب).

(٤) فى السيرة: «لقاء».

(٥) أصداء: جمع صدى وهو ذكر البوم. وهام: جمع هامة، وهو الصدى أيضا، وهو عطف تفسيرى، وقيل: الصدى: الطائر الذى يطير بالليل، والهامة: جمجمة الرأس، وهى التى يخرج منها الصدى بزعمهم، وأراد الشاعر إنكار البعث بهذا الكلام، كأنه يقول: إذا صار الإنسان كهذا الطائر، كيف يصير مرة أخرى إنسانًا. وقال أهل اللغة: كان أهل الجاهلية يزعمون أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو - أى تصيح - وتقول: اسقونى اسقونى. وإذا أدرك بثأره طارت فذهبت. قال الشاعر:

إنك إلا تذر شتمى ومنقصتى أضربْك حتى تقولَ الهامةُ اسقونى

انظر فتح البارى ٧/ ٢٥٩. وشرح غريب السيرة ٢/ ٧٧.

(٦) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة حاشية (٣).

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠ - ٣٢.

كَبُكا الحَمامِ على فُرُو ... عِ الأَيْكِ فى الغُصُنِ الجَوانِحْ[1]

[٢/٢٠٧ظ] يَبْكينَ حَرَّى[2] مُسْتَكِيـ ... ـناتٍ يَرُحْنَ مع الرَّوائِحْ

[3]أمْثالُهُنَّ الباكِيا ... تُ المُعْوِلاتُ مِن النَّوائِحْ

مَنْ يَبْكِهم يَبْكِى[4] على ... حُزنٍ ويَصْدُقُ كلُّ مادِحْ[3]

ماذا ببدرٍ والعَقَنْـ ... ـقَلِ مِن مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ[5]

فمَدافِعِ البَرْقَيْنِ فالْـ ... ـحَنَّانِ مِن طَرَفِ الأواشِحْ[6]

شُمْطٍ وشُبّانٍ بَهَا ... لِيلِ مَغاوِيرٍ وَحاوِحْ[7]

ألّا تَرَوْن لِمَا أَرَى ... ولقد أبان لكُلِّ لامِحْ

أنْ قد تَغَيَّر بطنُ مَكَّـ ... ـةَ فَهْىَ مُوحِشَةُ الأباطِحْ[8]

---

(١) الأيك : جمع أيكة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والجوانح : الموائل . يقال : جنح . إذا مال . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٧٧.

(٢) حرّى : يعنى اللائى يجدن حرارة فى صدورهن من الحزن . المصدر السابق ٢/ ٧٨.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) بإثبات الياء للوزن .

(٥) المرازبة : الرؤساء ، واحدهم مرزبان ، وهى كلمة أعجمية . والجحاجح : السادة ، واحدهم جحجاح . المصدر السابق .

(٦) فمدافع البرقين : يريد حيث يندفع السيل . والبرقين : اسم موضع . والحنان هنا : كثيب من رمل . والأواشح : موضع قرب بدر . انظر المصدر السابق ، معجم البلدان ١/ ٣٩٥.

(٧) الشمط : الذين خالطهم الشيب . والبهاليل : السادة ، واحدهم بهلول . والمغاوير جمع مغوار ، وهو الذى يُكثر الغارة . والوحاوح جمع وحوح ، وهو الحديد النفْس . المصدر السابق ٢/ ٧٨، ٧٩.

(٨) الأباطح : جمع أبطح ، وهو المكان المتسع يمر به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ، ومنه أبطح مكة . الوسيط (ب ط ح) .

مِـــن كـلِّ بِطْـرِيقٍ[1] لِبِطـــــرِيقٍ نَـقِـيٍّ الـوُدِّ[2] واضـحْ

دُعْـمُـوصِ أبـوابِ الملُـو كِ وجـائِـبٍ لـلـخَـرْقِ فـاتِحْ[3]

ومِـن الـسَّـراطِـمَـةِ الخَلا جِـمَـةِ المَلَاوِثَـةِ المَنـاجِـحْ[4]

الـقـائِـلِـينَ الـفـاعِـلِـيـ ـنَ الآمِـرِيـنَ بـكـلِّ صـالِـحْ

المُطـعِـمِـينَ الـشَّـحْـمَ فـو قَ الخُبزِ شحمًا كالأنافِحْ[5]

نُـقُـلِ الجِفـانِ مـع الجِفـا نِ إلـى جِـفـانٍ كـالمَنـاضِـحْ[6]

لـيـسـتْ بـأصْـفـارٍ لمَن يَـعْـفـو ولا رُحٌ رَحـارِحْ[7]

لـلـضَّـيْـفِ ثـم الـضـيـفِ بـعـ ـدَ الضيفِ والبُسُطِ السَّلاطِحْ[8]

---

(١) البطريق: القائد من قواد الروم، والحاذق بالحرب. الوسيط (بطرق). ولعل المعنى هنا إجمالاً: القائد الخبير بالحرب والعظيم.

(٢) فى السيرة: «القون».

(٣) الدعموص: الدَّخّال فى الأمور الزوّار للملوك. والجائب: القاطع. والخرق: الفلاة الواسعة. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩.

(٤) السراطمة: جمع سَرْطم، وهو الواسع الحلق. والخلاجمة: جمع خَلجم، وهو الضخم الطويل. والملاوثة: جمع مِلْوَث، وهو السيد. والمناجح: الذين ينجحون فى سعيهم ويسعدون فيه. المصدر السابق.

(٥) الأنافح: جمع إنْفَحَة، وإنفحة الجدى شىء يخرج من بطنه أصفر يُعصر فى صوفة مبتلة فيغلظ كالجبن. اللسان (ن ف ح).

(٦) المناضح: الحياض، شبه الجفان بها فى عظمها. شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩.

(٧) أصفار: جمع صفر، وهو الخالى من الآنية وغيرها، ويعفو: يقصد طالبا للمعروف. والرح الرحارح: هى الجفان الواسعة من غير عمق. انظر المصدر السابق.

(٨) السلاطح: الطوال العراض. المصدر السابق.

وُهُبِ المِئِينَ مِن المئيـ ـنَ إلى المئينَ مِن اللَّواقِحْ[1]

سَوْقَ المُؤَبَّلِ للمُؤَبَّلِ صادِراتٍ عن بَلادِحْ[2]

لِكِرامِهم فوقَ الكرا مِ مَزِيَّةٌ وَزْنَ الرَّواجِحْ

كتَثاقُلِ[3] الأرْطالِ بالـ ـقِسْطاسِ بالأيدى[4] المَوائِحْ[5]

خَذَلَتْهُمُ فِئَةٌ وهم يَحْمُون عَوْراتِ الفَضائِحْ

الضّارِبِينَ التَّقْدُمِيَّةَ بالمُهَنَّدَةِ الصَّفائِحْ[6]

ولقد عَنانى[7] صوتُهمْ مِن بينِ مُسْتَسْقٍ وصائِحْ

للَّهِ دَرُّ بنى عليٍّ أَيِّمٍ[8] منهمْ وناكِحْ

---

(١) وُهُب : جمع وَهُوب . يعنى به كثرة عطائهم وجودهم . واللواقح : يريد به هنا الإبل الحوامل . انظر الوسيط (و هـ ب) . وشرح غريب السيرة ٢/ ٧٩.

(٢) المؤبل : الإبل الكثيرة . وصادرات : راجعات . وبلادح : موضع بالحجاز قرب مكة . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩. ومعجم البلدان ١/ ٧١٤.

(٣) فى م : « كمثاقل » .

(٤) فى السيرة : « فى الأيدى » .

(٥) القسطاس : الميزان الكبير . والموائح : من المَيْح ؛ ماحت الريح الشجرة : أمالتها . وتميَّح الغُصن : تميَّل يمينا وشمالًا . انظر اللسان (م ى ح) . فالمعنى أن هذه الأيدى تميل وتهتز وهى تحمل العطاء الوافر الثقيل .

(٦) التقدمية : يريد به مُقدَّم الجيش . والمهندة : يعنى بها السيوف المصنوعة من حديد الهند ، وكان خير الحديد . والصفائح : جمع صفيحة ، وهى وجه كل شىء عريض ، والمقصود بها هنا وجه السيف . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩. والوسيط (هـ ن د) ، (ص ف ح) .

(٧) عنانى : أحزننى وشقَّ علىَّ . شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩.

(٨) أيِّم : الأيم من النساء التى لا زوج لها ، ومن الرجال الذى لا امرأة له . انظر لسان العرب (أ ى م) . والمقصود هنا الرجال .

إن لـــم يُـغِـيـــروا غـــارةً شَعْواءَ[1] تُجْحِرُ[2] كلَّ نابِحْ
بـالمُقْـرَبـاتِ المُبْـعِـــــدا تِ الطّامِحاتِ مع الطَّوامِحْ[3]
مُـرْدًا عـلـى جُـرْدٍ إلـى أُسْـدٍ مُـكـالِـبَـةٍ كَـوالِـحْ[4]
ويُـــلاقِ قِـــرْنٌ[5] قِـــرْنَـه مَـشْـىَ المُصافِحِ لـلـمُـصافِحْ
بـزُهـــاءِ ألـــفٍ ثُـــمَّ ألـ ـفٍ بـيـنَ ذى بَـدَنٍ ورامِـحْ[6]

قال ابنُ هشامٍ[7] : تَرَكْنا منها بيتَيْنِ نال فيهما مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قلتُ : هذا شِعْرُ المَخْذولِ المَعْكوسِ المَنْكوسِ ، الذى حَمَله كثرةُ جهلِه وقِلَّةُ عقلِه ، على أنْ مَدَح المشركين وذمَّ المؤمنين ، واسْتَوْحَش بمكةَ مِن أبى جهلِ بنِ هشامٍ ، وأضرابِه مِن الكَفَرَةِ اللئامِ ، والجَهَلةِ الطَّغامِ ، ولم يَسْتَوْحِشْ بها مِن

---

(١) شعواء : متفرقة . شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩.
(٢) فى الأصل غير منقوطة . وفى م ، ص : « تحجر » . والمثبت من السيرة . وتُجحر : تلجئه إلى جحره . المصدر السابق .
(٣) المقربات : الخيل التى تقرب من البيوت لكرمها . والمبعدات : التى تبعد فى جريها أو فى مسافة غزوها . والطامحات : التى ترفع رءوسها وتنظر . المصدر السابق .
(٤) مردا : جمع أمرد ؛ وهو الغلام الذى طرَّ - أى نبت - شاربه ، وبلَغ خروج لحيته ولم تَبْدُ . والجرد : الخيل العتاق . والمكالبة : هم الذين بهم شبه الكَلَب ، وهو السعار ، يعنى جدَّهم فى الحرب . والكوالح : العوابس . يقال : كلح وجهه إذا عبَّسه وكرَّهه . انظر المصدر السابق . والوسيط (م ر د) ، (ط ر ر) .
(٥) القِرْن : الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب . اللسان (ق ر ن) .
(٦) بزُهَاء : زهاء الشىء : مقداره وما يقرُب منه . والبدَن هنا الدروع القصيرة . والرامح : الذى له رمح . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ٧٩، ٨٠، والوسيط (ز هـ و) .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢.

عبدِ اللَّهِ ورسولِه ، وحبيبِه وخليلِه ، فخرِ البشرِ ، ومَن وجهُه أنْوَرُ مِن القمرِ ، ذى العِلمِ الأكْمَلِ ، والعقلِ الأشْمَلِ ، ومِن صاحبِه الصدِّيقِ المُبادِرِ إلى التصديقِ ، والسابقِ إلى الخيراتِ ، وفِعْلِ المكرُماتِ ، وبَذْلِ الأُلُوفِ والمئاتِ ، فى طاعةِ ربِّ الأرضِ والسماواتِ ، وكذلك بقيَّةِ أصحابِه الغُرِّ الكرامِ ، الذين هاجَروا مِن دارِ الكفرِ والجهلِ إلى دارِ العلمِ والإسلامِ ، رَضِىَ اللَّهُ عن جميعِهم ، ما اخْتَلَط الضِّياءُ والظلامُ ، وما تعاقَبَتِ الليالى والأيامُ ، وقد تَرَكْنا أشعارًا كثيرةً أوْرَدها ابنُ إسحاقَ ، رَحِمه اللَّهُ ، خوفَ الإطالةِ [٢/٢٠٨و] وخَشْيةَ المَلالَةِ ، وفيما أوْرَدْنا كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد قال الأُمَوِىُّ فى « مَغازِيه »[(١)] : سمعتُ أبى ، حَدَّثنا سليمانُ بنُ أرْقَمَ ، عن ابنِ سِيرِينَ ، عن أبى هُريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَفا عن شِعْرِ الجاهليَّةِ . قال سليمانُ : فذُكِرَ ذلك للزُّهْرِىِّ فقال : عفا عنه إلَّا قصيدتَيْنِ ؛ كلمةَ أُمَيَّةَ التى ذَكَر فيها أهلَ بدرٍ ، وكلمةَ الأعْشَى التى يَذْكُرُ فيها الأحْوصَ[(٢)] . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وسليمانُ بنُ أرْقَمَ هذا متروكٌ[(٣)] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٣/ ١١٠٥، من طريق الأموى به .

(٢) فى الأصل ، م : « الأخوص » . وفى الكامل : « الحوض » . وهذه القصيدة هى القصيدة التاسعة عشرة فى ديوانه ، وهى التى يهجو فيها بنى الأحوص . انظر ديوان الأعشى الكبير ص ١٤٨ .

(٣) انظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٥١ .

فصلٌ

فى ذكرِ غزوةِ بنى سُلَيْمٍ

سنةَ ثِنْتَيْن مِن الهِجرةِ النبويَّةِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان فَراغُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن بدرٍ فى عَقِبِ شهرِ رمضانَ ، أو فى شوالٍ ، ولمَّا قَدِم المدينةَ لم يُقِمْ بها إلّا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسِه يُريدُ بنى سُلَيْمٍ . قال ابنُ هشامٍ[2] : واسْتَعْمَل على المدينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ الغِفارِىَّ ، أو[3] ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ الأعمى .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فبَلَغ ماءً مِن مياهِهم يُقال له : الكُدْرُ . فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ، ثُم رَجَع إلى المدينةِ ، ولم يَلْقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيَّةَ شوالٍ وذا القَعْدَةِ ، وأفْدَى فى إقامتِه تلك جُلَّ الأُسارَى مِن قُريشٍ .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٠. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣.

(٣) فى ص : «و».

(١) غَزْوةُ السَّوِيقِ فى ذى الحِجَّةِ منها ،

وهى غَزْوَةُ قَرْقَرَةِ(٢) الكُدْرِ(١)

قال السُّهَيلىُّ(٣) : والقَرْقَرَةُ : الأرضُ الملْساءُ ، والكُدْرُ : طَيْرٌ فى ألوانِها كُدْرَةٌ .

قال ابنُ إسحاقَ(٤) : وكان أبو سفيانَ ، كما حَدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، ويزيدُ بنُ رُومانَ ، ومَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، وكان مِن أعْلَمِ الأنصارِ ، حينَ رَجَع إلى مكةَ ورجعَ فَلُّ(٥) قُريشٍ مِن بدرٍ ، نَذَر أن لا يَمَسَّ رأسَه ماءٌ مِن جنابَةٍ حتى يَغْزُوَ محمدًا ، فخَرَج فى مائتَىْ راكِبٍ مِن قُريشٍ لِتَبَرَّ يمينُه ، فسَلَك النَّجْدِيَّةَ حتى نَزَل بصدْرِ قَناةٍ إلى جبلٍ يُقال له : ثَيْبٌ(٦) . مِن المدينةِ على بَرِيدٍ أو نحوِه ، ثُم خَرَج مِن الليلِ حتى أتَى بنى النَّضِيرِ تحتَ الليلِ ، فأتى حُيَىَّ بنَ أَخْطَبَ ، فضَرَب عليه بابَه ، فأبى أن يَفْتَحَ له وخافَه ، فانْصَرَف عنه إلى سَلّامِ بنِ مِشْكَمٍ ، وكان سيِّدَ بنى النَّضِيرِ فى زمانِه ذلك ، وصاحبَ كَنْزِهم ، فاسْتَأْذَن عليه فأذِن له ، فقَراه وسَقاه ، وبَطَن له مِن خبرِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « قرقر » ، وقرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن ، بينه وبين المدينة ثمانية بُرد . انظر معجم البلدان ٤/٢٤٣ .

(٣) الروض الأنف ٥/ ٤٠٤.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩١، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤، ٤٥.

(٥) الفَل : المنهزم ، يقال للواحد والجمع .

(٦) فى م ، ص : « نيب » .

الناسِ[1] ، ثُم خرَج فى عَقِبِ ليلتِه حتى أتى أصحابَه ، فبعَث رِجالًا مِن قُريشٍ ، فأتَوا ناحيةً منها يُقالُ لها : العُرَيْضُ[2] . فحرَّقوا فى أصْوارٍ[3] مِن نخلٍ بها ، ووَجَدوا رجلًا مِن الأنصارِ وحليفًا له فى حَرْثٍ لهما ، فقَتَلُوهما وانْصَرَفوا راجِعِين ، فنَذِر[4] بهم الناسُ ، فخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى طَلَبِهم .

قال ابنُ هشامٍ[5] : واسْتَعْمَل على المدينةِ أبا لُبابةَ بَشيرَ بنَ عبدِ المُنذِرِ . قال ابنُ إسحاقَ[6] : فبَلَغ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ ، ثُم انْصَرَف راجعًا ، وقد فاتَه أبو سفيانَ وأصحابُه ، ووَجَد أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أزْوادًا كثيرةً قد ألقاها المُشرِكون يَتَخَفَّفُون منها وعامَّتُها سَوِيقٌ[7] ، فسُمِّيَتْ غزوةَ السَّوِيقِ . قال المسلمون : يا رسولَ اللَّهِ ، أنَطْمَعُ أن تكونَ هذه لنا غزوةً ؟ قال : « نعم » .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وقال أبو سفيانَ فيما كان مِن أمرِه هذا ، ويَمْدَحُ سَلَّامَ ابنَ مِشْكَمٍ اليهوديَّ :

وإنِّى تَخَيَّرْتُ المدينةَ واحدًا ... لحِلْفٍ[9] فلم أنْدَمْ ولم أتَلَوَّمِ[10]

---

(١) بطن له من خبر الناس : أى علم له من سرهم . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٥.

(٢) العريض : واد بالمدينة . معجم البلدان ٣/ ٦٦١.

(٣) أصوار : جمع صَوْر . وهى الجماعة من النخل . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٥.

(٤) نذر : أى علم . يقال : نذرت بالقوم ؛ إذا علمت بهم فاستَعْدَدْت لهم . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥.

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩١، ٢٩٢. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥.

(٧) السويق : هو أن تُحَمَّص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ، ثم تُطحن ثم يُسافر بها ، وقد تُمزج باللبن والعسل والسمن تُلَتُّ به ، فإن لم يكن شىءٌ من ذلك مُزج بالماء . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٥.

(٨) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٢. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥، ٤٦.

(٩) فى ص : « تخلف » .

(١٠) لم أتلوم : أى لم أدخل فيما أُلام عليه . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٦.

سَقانى فروَّانى كُمَيْتًا مُدامَةً على عَجَلٍ مِنِّى سَلَامُ بنُ مِشْكَمِ[1]

ولَمَّا تَوَلَّى الجيشُ قُلتُ ولم أكُنْ لِأُفْرِحَه[2] أبْشِرْ بِغَزْوٍ[3] ومَغْنَمِ

[٢/٢٠٨ظ] تَأَمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنَّهمْ صَرِيحُ لُؤَىٍّ لا شَماطِيطُ جُرْهُمِ[4]

وما كان إلَّا بعضُ ليلةِ راكِبٍ أتى ساعِيًا[5] مِن غيرِ خَلَّةٍ[6] مُعْدِمِ[7]

---

(١) الكميت هنا من أسماء الخمر، وكذلك المدامة. وقوله: سَلَام. يقال: إنه أراد أن يقول: «سلَّام» بتشديد اللام، لكنه خفَّفَه لضرورة الشعر، ولم يذكر الدارقطنى سلامًا بالتخفيف إلا فى عبد اللَّه بن سلام وحده، ومشكم مأخوذ من الشَّكْم، وهو الجزاء والثواب. المصدر السابق.

(٢) فى م: «لأفرجه». ولأفرحه: معناه لأُثقله وأشُقّ عليه، يقال: أفرحه الدين. إذا أثقَلَه. المصدر السابق.

(٣) فى الأصل: «لعز». وفى م، ص: «بعز». والمثبت من السيرة.

(٤) سرُّ القوم: خالصهم فى النسب. والصريح: الخالص أيضًا. والشماطيط: المختلطون من قبائل شتى. ومنه الشمط، وهو اختلاط بياض الشعر بسواده. وجرهم: قبيلة قديمة. المصدر السابق.

(٥) فى ص: «ساغبا».

(٦) فى الأصل، ص: «حلة». والخلة: الحاجة والفقر.

(٧) المعدم: الفقير.

فصلٌ فى دُخولِ علىّ بنِ أبى طالبٍ، رَضِىَ اللَّـهُ عنه، على زوجتِه فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

وذلك فى سنةِ ثِنْتَيْنِ بعدَ وَقْعةِ بدرٍ، لِما رَواه البخارىُّ ومسلمٌ[1]، مِن طريقِ الزُّهْرِىِّ، عن علىِّ بنِ الحُسينِ، عن أبيه الحُسينِ بنِ علىٍّ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال: كانت لى شارِفٌ[2] مِن نَصِيبى مِن المَغْنَمِ يومَ بدرٍ، وكان النبىُّ ﷺ أعْطانى شارِفًا مِمَّا أفاء اللَّهُ عليه مِن الخُمُسِ يومَئذٍ، فلمَّا أردتُ أن أبْتَنِىَ بِفاطمةَ[3] بنتِ النبىِّ ﷺ، واعدتُ رَجُلًا صَوَّاغًا فى بنى قَيْنُقاعَ أن يَرْتَحِلَ معى فنَأْتِىَ بإذْخِرٍ، فأردتُ أن أبِيعَه مِن الصَّوّاغِينَ فأسْتَعِينَ به فى وليمةِ عُرْسِى، فبينَا أنا أجمعُ لشارِفَىَّ مِن الأقْتابِ[4] والغَرائِرِ[5] والحِبالِ، وشارِفاىَ مُناخَتانِ إلى جَنْبِ حُجْرةِ رجلٍ مِن الأنصارِ، حتى جمعتُ ما جمعتُ، فإذا أنا بشارِفَىَّ قد أُجِبَّتْ[6] أسْنِمَتُهما، وبُقِرَتْ[7] خَواصِرُهما، وأُخِذ مِن أكْبادِهما، فلم أملِكْ

---

(١) البخارى (٤٠٠٣). ومسلم (١٩٧٩).

(٢) الشارف: الناقة المُسِنّة.

(٣) أبتنى بفاطمة: أدخل بها.

(٤) الأقتاب: جمع قِتْب وقَتَب، وهو رحل صغير على قدر سنام البعير. انظر اللسان (ق ت ب).

(٥) الغرائر: جمع غِرارة، وهى الجُوالِق؛ وعاءٌ من الأوعية، مُعرَّب. انظر اللسان (غ ر ر)، (ج ل ق).

(٦) أجبت: الجَبّ: الاستئصال فى القطع. فتح البارى ٦/ ٢٠٠.

(٧) بُقرت: شُقَّت. انظر اللسان (ب ق ر).

عَيْنَىَّ حِين رأيتُ المنظرَ، فقلتُ: مَن فَعَل هذا؟ قالوا: فَعَلَه حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وهو فى هذا البيتِ، وهو فى شَرْبٍ[1] مِن الأنصارِ، وعنده قَيْنةٌ[2] وأصحابُه، فقالت فى غِنائِها:

ألا يا حَمْزُ للشُّرُفِ النِّواءِ[3]

فوَثَب حمزةُ إلى السيفِ، فأَجَبَّ أسْنِمَتَهما، وبَقَر خَواصِرَهما وأخَذ مِن أكْبادِهما. قال علىٌّ: فانْطَلَقْتُ حتى أدخُلَ على النبىِّ ﷺ وعندَه زيدُ بنُ حارثةَ، فعَرَف النبىُّ ﷺ الذى لَقِيتُ فقال: «ما لكَ؟». فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ما رأيتُ كاليومِ، عَدا حمزةُ على ناقَتَىَّ فأجَبَّ أسْنِمَتَهما، وبَقَر خَواصِرَهما، وها هو ذا فى بيتٍ معه شَرْبٌ. فدعَا النبىُّ ﷺ بردائِه فارْتَداه، ثُم انْطَلَق يَمْشى، واتَّبَعْتُه أنا وزيدُ بنُ حارثةَ حتى جاء البيتَ الذى فيه حمزةُ، فاسْتَأْذَن عليه فأَذِن له، فطَفِق النبىُّ ﷺ يَلُومُ حمزةَ فيما فَعَل، فإذا حمزةُ ثَمِلٌ[4] مُحْمَرَّةٌ عَيْناه، فنَظَر حمزةُ إلى النبىِّ ﷺ، ثم صَعَّد النَّظَرَ فنَظَر إلى رُكْبَتَيْه[5]، ثُم صَعَّد النظرَ فنَظَر إلى وجهِه، ثُم قال حمزةُ: وهل أنتم إلَّا عَبِيدٌ لأبى؟ فعَرَف النبىُّ ﷺ أنَّه ثَمِلٌ، فنَكَص رسولُ اللَّهِ ﷺ على عَقِبَيْه القَهْقَرَى[6]، فخَرَج وخَرَجْنا معه. هذا لفظُ البخارىِّ فى كتابِ المَغازى، وقد

---

(١) الشَّرْب: جمع شارب، كتاجر وتَجْر. فتح البارى ٦/ ٢٠٠.

(٢) القينة: هى الجارية المغنية. المصدر السابق.

(٣) الشرف: جمع شارف. والنواء: جمع ناوية، وهى الناقة السمينة. المصدر السابق.

(٤) فى م: «تمتل». وثمل: سكران.

(٥) فى صحيح البخارى: «ركبته».

(٦) القهقرى: المشى إلى خلف، وكأنه فعل ذلك خشية أن يزداد عبث حمزة فى حال سكره، فينتقل =

رَواه فى أماكِنَ أُخَرَ مِن « صحيحِه » بألفاظٍ كثيرةٍ[1] ، وفى هذا دليلٌ على ما قَدَّمْناه[2] مِن أنَّ غَنائِمَ بدرٍ قد خُمِّسَتْ ، لا كما زَعَمَه أبو عُبَيدٍ القاسمُ بنُ سَلّامٍ فى كتابِ « الأمْوالِ »[3] ، مِن أنَّ الخُمُسَ إنَّما نَزَل بعدَ قِسْمَتِها ، وقد خالَفَه فى ذلك جماعةٌ ؛ منهم البخاريُّ وابنُ جَريرٍ ، وبَيَّنَّا غَلَطَه فى ذلك فى « التفسيرِ »[4] وفيما تَقَدَّم[2] . واللَّهُ أعلمُ .

[5]وكان هذا الصُّنْعُ مِن حمزةَ وأصحابِه ، ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، قبلَ أن تُحَرَّمَ الخمرُ ، بل قد قُتِل حمزةُ يومَ أُحُدٍ ، كما سيأْتى ، وذلك قبلَ تحريمِ الخمرِ . واللَّهُ أعلمُ[5] . وقد يَسْتَدِلُّ بهذا الحديثِ مَن يَرَى أنَّ عِبارةَ[6] السَّكْرانِ مَسْلُوبةٌ لا تأثيرَ لها ؛ لا فى طلاقٍ ، ولا إقرارٍ ، ولا غيرِ ذلك ، كما ذَهَب إليه مَن ذَهَب مِن العلماءِ ، كما هو مقررٌ فى كتابِ « الأحكامِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ[8] أبى نَجِيحٍ ، عن أبيه ، عن رجلٍ سَمِع عليًّا يقولُ : أرَدْتُ أنْ أَخْطُبَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ابنتَه ، فقلتُ : ما

= من القول إلى الفعل ، فأراد أن يكون ما يقع من حمزة بمرأى منه ؛ ليدفعه إن وقع منه شىء . الفتح ٦/ ٢٠١ .

(١) البخارى (٢٠٨٩، ٢٣٧٥، ٣٠٩١، ٥٧٩٣) .

(٢) تقدم فى صفحة ١٨١ .

(٣) الأموال ص ٣٨٤ .

(٤) التفسير ٣/٥٤٩ - ٥٥١ . سورة الأنفال ، الآية الأولى .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى م ، ص : « عبادة » .

(٧) المسند ١/ ٨٠ . (إسناده ضعيف) .

(٨) سقط من : الأصل . وهو عبد الله بن أبى نجيح . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢١٥ .

لى مِن شيءٍ، فكيف[1] ؟! ثُم ذَكَرْتُ صِلَتَه وعائِدَتَه[2] فخَطَبْتُها إليه، فقال: «هَلْ لَكَ مِن شيءٍ؟». قُلتُ: لا. قال: «فَأَيْنَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ[3] التى أَعْطَيْتُكَ يَوْمَ كذا وكذا؟». قال: هى عندى. [٢/٢٠٩و] قال: «فأَعْطِنيها». قال: فأعْطَيْتُها إياه. هكذا رواه أحمدُ فى «مسندِه»، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ.

وقد قال أبو داودَ[4]: حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ[5] الطَّالْقانىُّ، ثنا عَبْدَةُ، ثنا سعيدٌ، عن أيوبَ، عن عِكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: لما تزوَّج علىٌّ فاطمةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما، قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطِها شيئًا». قال: ما عندى شىءٌ. قال: «أين دِرْعُك الحُطَميَّةُ؟». ورَواه النسائىُّ[6]، عن هارونَ بنِ إسحاقَ، عن عَبْدةَ بنِ سليمانَ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبَةَ، عن أيوبَ السَّخْتِيانىِّ به.

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من المسند. والمعنى: كيف أتجاسر على خطبة ابنته منه، وليس عندى ما أقدمه من الصداق. بلوغ الأمانى ١٦/ ١٧٤.

(٢) أى ثم تذكرت ما يُجبل عليه من مكارم الأخلاق وصلة الرحم، والإحسان إلى الأقربين وتردده لزيارتهم، وهذا معنى قوله: «وعائدته»، وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد، وإن اشتهر ذلك فى عيادة المريض. المصدر السابق.

(٣) فى م: «الخطمية». والحطمية هى التى تحطم السيوف؛ أى تكسرها. وقيل: هى العريضة الثقيلة. وقيل: هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس يُقال لهم: حُطَمَة بن محارب، كانوا يعملون الدروع. النهاية ١/ ٤٠٢.

(٤) أبو داود (٢١٢٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٨٦٥).

(٥) فى ص: «إبراهيم». وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٠٩.

(٦) النسائى (٣٣٧٦). صحيح (صحيح سنن النسائى ٣١٦١).

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا كَثِيرُ[2] بنُ عُبَيْدٍ الحِمْصِيُّ ، ثنا أبو حَيْوَةَ[3] ، عن شُعَيْبِ بنِ أبى حمزةَ ، حدثنى غَيْلانُ بنُ أَنسٍ مِن أهلِ حِمْصٍ ، حدثنى محمدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ بنِ ثَوْبانَ ، عن رجلٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أنَّ عليًّا لما تزَوَّج فاطمةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أراد أن يَدْخُلَ بها ، فمنَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى يُعطِيَها شيئًا ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ليس لى شىءٌ . فقال له النبىُّ ﷺ : « أعْطِها دِرْعَك » . فأعطاها دِرْعَه ، ثُم دَخَل بها .

وقال البيهَقىُّ فى « الدلائلِ »[4] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ الأَصَمُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن علىٍّ قال : خَطَبْتُ فاطمةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت مولاةٌ لى : هل عَلِمْتَ أنَّ فاطمةَ قد خُطِبَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قُلتُ : لا . قالت : فقد خُطِبَتْ ، فما يَمْنَعُك أنْ تَأْتِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فيُزَوِّجَك ؟ فقلْت : وعندى شىءٌ أتزوجُ به ؟ فقالت : إنَّك إنْ جئتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ زَوَّجَكَ . قال : فواللَّهِ ما زالتْ تُرَجِّينى حتى دَخَلتُ على رسولِ اللَّه ﷺ ، فلما أنْ قَعَدْتُ بينَ يديه أُفْحِمْتُ ، فواللَّهِ ما استطعتُ أنْ أَتَكَلَّمَ جَلالةً وهَيْبةً ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما جاء بِكَ ، أَلَكَ حاجَةٌ ؟ » . فسَكَتُّ ، [5]فقال : « ما جاء بكَ ، ألكَ حاجةٌ ؟ » . فَسَكَتُّ[5] ، فقال : « لعلَّك

---

(١) أبو داود (٢١٢٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٦١) .

(٢) فى الأصل : « كبير » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١٤٠ .

(٣) فى الأصل : « حبرة » . وانظر المصدر السابق ١٢/ ٤٥٥ .

(٤) دلائل النبوة ٣/ ١٦٠ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

جئتَ تَخْطُبُ فاطمةَ » . فقلتُ : نعم . فقال : « وهَلْ عِنْدَكَ مِن شيءٍ تَسْتَحِلُّها بِهِ » . فقلتُ : لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « ما فَعَلَتْ دِرْعٌ سَلَّحْتُكَهَا ؟ »[1] - فوالذى نفسُ علىٍّ بيدِه ، إنَّها لحُطَمِيَّةٌ ما قيمتُها أربعةَ دراهمَ - فقلتُ : عِنْدِى . فقال : « قد زوَّجْتُكَها ، فابْعَثْ إليها بها فاستَحِلَّها بها » . فإنْ كانت لَصَداقَ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فولَدتْ فاطمةُ لعلىٍّ حَسَنًا ، وحُسَيْنًا ، ومُحَسِّنًا - مات صغيرًا -، وأمَّ كُلْثُومٍ ، وزينبَ .

ثُم رَوَى البيهقىُّ[3] مِن طريقِ عطاءِ بنِ السائبِ ، عن أبيه ، عن علىٍّ قال : جَهَّز رسولُ اللَّهِ ﷺ فاطمةَ فى خَمِيلٍ وقِرْبةٍ ووِسادةِ أُدُمٍ[4] حَشْوُها إذْخِرٌ . ونقَل البيهقىُّ[5] عن كتابِ « المعرفةِ » لأبى عبدِ اللَّهِ بنِ مَنْدَهْ ، أنَّ عليًّا تزوَّج فاطمةَ بعدَ سنةٍ مِن الهجرةِ ، وابتنى بها بعدَ ذلك بسنةٍ أخرى .

قلتُ : فعلى هذا يكونُ دخولُه بها فى أوائلِ السنةِ الثالثةِ مِن الهجرةِ ، فظاهرُ سياقِ حديثِ الشَّارِفَيْن ، يَقْتَضِى أنَّ ذلك عَقِبَ وَقْعةِ بدرٍ بيسيرٍ ، فيكونُ ذلك كما ذَكَرْناه فى أواخرِ السنةِ الثانيةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سلحتكها : جعلتها سلاحًا لك .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٣١.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ١٦١. وأخرجه أحمد فى المسند ٨٤/١ من طريق عطاء بن السائب به . (إسناده صحيح) .

(٤) الخميل : القطيفة . والأدم : الجلد .

(٥) الدلائل ٣/ ١٦٢.

فصلٌ فى ذِكْرِ جُمَلٍ مِن

الحوادِثِ الواقعةِ سنةَ ثِنْتَيْن مِن الهجرةِ

تقَدَّم ما ذَكَرْناه مِن تزويجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعائشةَ أمِّ المؤمنين[1] ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، وذَكَرْنا ما سَلَف مِن الغَزَواتِ [٢/٢٠٩ظ] المشهورةِ ، وقد تَضَمَّن ذلك وَفَياتِ أعيانٍ مِن المشاهيرِ مِن المؤمنين والمشركين ، فكان مِمَّن تُوُفِّىَ فيها : الشهداءُ يومَ بدرٍ ، وهم أربعةَ عشَرَ ، ما بينَ مهُاجِرىٍّ وأنصارىٍّ ، تقدَّم تسميتُهم[2] ، والرؤساءُ مِن مُشْرِكِى قريشٍ ، وقد كانوا سبعين رجلًا على المشهورِ ، وتُوُفِّىَ بعدَ الوَقْعةِ بيسيرٍ أبو لَهَبٍ عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المطلبِ ، لعَنه اللَّهُ ، كما تقدَّم[3] . ولما جاءتِ البِشارةُ إلى المؤمنين مِن أهلِ المدينةِ مع زيدِ بنِ حارثةَ وعبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ ، بما أحلَّ اللَّهُ بالمشركين وبما فتَح على المؤمنين ، وجَدُوا رُقَيَّةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد تُوُفِّيَتْ ، وساوَوا عليها الترابَ ، وكان زوجُها عثمانُ بنُ عفانَ قد أقام عندَها يُمَرِّضُها بأمرِ النبىِّ ﷺ له بذلك ، ولهذا ضَرَب له بسهمِه فى مَغانمِ بدرٍ ، وأَجْرُه عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ ، ثم زَوَّجه بأُخْتِها الأخرى أمِّ كُلْثومٍ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولهذا كان يُقالُ لعثمانَ بنِ عفانَ : ذو

---

(١) تقدم فى ٤/٣٢٤ - ٣٣٣.

(٢) تقدم فى صفحتى ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) تقدم فى صفحة ١٩٨ ، ١٩٩ .

النُّورَيْن . ويُقالُ : إنَّه لم يَعْلَقْ[1] أحدٌ على ابنتَىْ نبىٍّ، واحدةً بعدَ الأخرى غيرُه ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه .

وفيها حُوِّلَتِ القِبْلَةُ ، كما تقدَّم[2] ، وزِيد فى صلاةِ الحَضَرِ على ما سَلَف . وفيها فُرِض الصيامُ صيامُ رمضانَ ، كما تقدم[3] . وفيها فُرِضت الزكاةُ ذاتُ النُّصُبِ ، وفُرِضتْ زكاةُ الفِطْرِ . وفيها خَضَع المشركون مِن أهلِ المدينةِ ، واليهودُ الذين هم بها ؛ مِن بنى قَيْنُقاعَ وبنى النَّضِيرِ وبنى قُرَيظَةَ ، ويهودُ بنى حارثةَ ، وصانَعوا المسلمين ، وأظْهَر الإسلامَ طائفةٌ كثيرةٌ مِن المشركين واليهودِ ، وهم فى الباطنِ منافقون ؛ منهم مَن هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحَلَّ بالكُلِّيَّةِ ، فبَقِىَ مُذَبْذَبًا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاءِ ، كما وَصَفهم اللَّهُ فى كتابِه[4] .

قال ابنُ جَرِيرٍ[5] : وفيها كتَب رسولُ اللَّهِ ﷺ المَعاقِلَ[6] ، وكانت مُعَلَّقَةً بسيفِه .

قال ابنُ جَرِيرٍ[7] : وقيل : إنَّ الحسنَ بنَ علىٍّ وُلِد فيها . قال[7] : وأما

---

(١) فى م : « يغلق » . ويعلق : يعنى أنه لم يتتابع أحد فى الزواج من بنتَىْ نبىٍّ ، واحدة بعد الأخرى ، إلا عثمان ، رضى الله عنه .

(٢) تقدم فى صفحة ٤٥ - ٥١ .

(٣) تقدم فى صفحة ٥٢ - ٥٤ .

(٤) انظر التفسير ٢/٣٩١ - ٣٩٣، سورة النساء الآية ١٤٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٨٦. حوادث السنة الثانية من الهجرة .

(٦) المعاقل : جمع معقُلة : وهى الدية . النهاية ٣/ ٢٧٩.

(٧) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٨٥، ٤٨٦. حوادث السنة الثانية من الهجرة .

الواقدىُّ فإنَّه زَعَم أنَّ ابنَ أبى سَبْرةَ حَدَّثه عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى جعفرٍ ، أنَّ علىَّ بنَ أبى طالبٍ بَنَى بفاطمةَ فى ذى الحِجَّةِ منها . قال[1] : فإنْ كانت هذه الروايةُ صحيحةً ، فالقولُ الأوَّلُ باطلٌ .

---

(١) المصدر السابق .

بسم الله الرحمن الرحيم

سنَةُ ثلاثٍ مِن الهجرةِ

فى أوَّلِها كانت غزوةُ نَجْدٍ، ويقالُ لها: غزوةُ ذى أَمَرَّ[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلما رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن غزوةِ السَّوِيقِ أقام بالمدينةِ بقيةَ ذى الحِجَّةِ أو قريبًا منها، ثُم غزَا نَجْدًا يريدُ غَطَفانَ، وهى غزوةُ ذى أَمَرَّ.

قال ابنُ هشامٍ[3]: واستعمل على المدينةِ عثمانَ بنَ عفانَ. قال ابنُ إسحاقَ: فأقام بنَجْدٍ صَفَرًا كلَّه أو قريبًا مِن ذلك، ثم رجَع ولم يَلْقَ كَيدًا.

وقال الواقدىُّ[4]: بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن جَمْعًا مِن غَطَفانَ مِن بنى ثَعْلبةَ ابنِ مُحاربٍ تَجَمَّعوا بذى أَمَرَّ يريدون حربَه، فخرَج إليهم مِن المدينةِ يومَ الخميسِ لِثِنْتَىْ عشْرةَ ليلةً[5] خلَت مِن ربيعٍ الأولِ سنةَ ثلاثٍ، واستَعمَل على

---

(١) ضبطه البكرى بفتح أوله وثانية وتشديد الراء، بوزن أفعل. وجعله ياقوت بلفظ الفعل مُعْربًا، من أمر يأمر. ذو أمر: موضع غزاة رسول الله ﷺ.... والأمر فى الأصل الحجارة تجعل كالأعلام. معجم ما استعجم ١/ ١٩٢، ١٩٣. معجم البلدان ١/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٣، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦.

(٤) مغازى الواقدى ١/ ١٩٤ - ١٩٦.

(٥) زيادة من: الأصل.

المدينةِ عثمانَ بنَ عفانَ ، فغاب أحدَ عشَرَ يومًا ، وكان معه أربعُمائةٍ وخمسون رجلًا ، وهرَبتْ منه الأعرابُ فى رءوسِ الجبالِ ، حتى بلَغ ماءً يقالُ له : ذو أَمَرَّ . فعسْكَر به ، وأصابَهم مطرٌ كثيرٌ ، فابتَلَّت ثيابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزَل تحتَ شجرةٍ هناك ، ونشَر ثيابَه لتجِفَّ ، وذلك بمَرْأًى مِن المشركين ، (١) واشتغل المسلمون (١) فى شئونِهم ، فبَعَث المشركون رجلًا شجاعًا منهم ، يقالُ له : غَوْرَثُ بنُ الحارِث . أو : دُعْثُورُ (٢) بنُ الحارثِ . فقالوا : قد أمْكَنك اللَّهُ مِن قتلِ محمدٍ . فذهَب ذلك الرجلُ ، ومعه سيفٌ [٢/٢١٠و] صَقِيلٌ ، حتى قام على رسولِ اللَّهِ ﷺ بالسيفِ مَشْهورًا ، فقال : يا محمدُ ، مَن يَمْنَعُك منى اليومَ ؟ قال : « اللَّهُ » . ودفَع جبريلُ فى صدرِه فوقعَ السيفُ مِن يدِه ، فأخَذه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « مَن (٣) يَمْنَعُك منى ؟ » . قال : لا أحدَ ، وأنا أشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، واللَّهِ لا أُكَثِّرُ (٤) عليك جَمْعًا أبدًا . فأعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه ، فلمَّا رجَع إلى أصحابِه ، فقالوا : ويلَك ، ما لك ؟ فقال : نظَرْتُ إلى رجلٍ طويلٍ فدفَع فى صدرى ، فوقَعتُ لظهرى ، فعرَفْتُ أنه مَلَكٌ ، وشهِدْتُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، واللَّهِ لا أُكَثِّرُ (٤) عليه جَمْعًا . وجعَل يدعو قومَه إلى الإسلامِ . قالوا : ونزَل فى ذلك قولُه تعالى (٥) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ

(١ - ١) فى م : « واشتغل المشركون » ، وفى ص : « واستعمل المشركون » .

(٢) فى ص : « غثور » . وانظر الإصابة ٢/ ٣٨٧.

(٣) فى الأصل : « ما » .

(٤) فى ص : « أُكِرُّ » .

(٥) التفسير ٣/ ٥٨، ٥٩.

أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ الآية [المائدة: ١١].

قال البيهقيُّ[1]: وسيأتى فى غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ قصةٌ تُشْبِهُ هذه، فلعَلَّهما قصتان.

قلتُ: إنْ كانت هذه محفوظةً فهى غيرُها قطعًا؛ لأن ذلك الرجلَ اسمُه غَوْرَثُ بنُ الحارثِ أيضًا لم يُسْلِمْ، بل استمر على دينِه، ولكن[2] عاهَد النبىَّ ﷺ أن لا يُقاتِلَه. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ١٦٩.

(٢ - ٢) فى م، ص: «لم يكن».

غزوَةُ الفُرُعِ[1] مِن بُحْرَانَ[2]

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فأقام بالمدينةِ ربيعًا الأولَ كلَّه ، أو إلَّا قليلًا منه ، ثُم غَزَا[4] يريدُ قريشًا . قال ابنُ هشامٍ : واستعمل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ . قال ابنُ إسحاقَ : حتى بلَغَ بُحْرانَ[2] ، وهو مَعْدِنٌ[5] بالحجازِ مِن ناحيةِ الفُرُع ، [6]فأقام بها شهرَ ربيعٍ الآخِرِ وجُمادَى الأولى ، ثُم رجَع إلى المدينةِ ولم يَلْقَ كيدًا[6] .

وقال الواقديُّ[7] : إنما كانت غَيْبتُه ، عليه السلامُ ، عن المدينةِ عشَرةَ أيامٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الفرع : قرية من نواحى الربذة عن يسار السقيا ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة ، وقيل : أربع ليالٍ ... وهى قرية غناء كبيرة ،... وقال السهيلى : هو بضمتين ... وهى من ناحية المدينة . معجم البلدان ٣/ ٨٧٨.

(٢) فى ص : « بحيران » .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٤، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦.

(٤) فى م ، ص : « غدا » .

(٥) أى موضع .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) مغازى الواقدى ١/ ١٩٧. وفيه : عشر ليال .

خبرُ يهودِ بنى قَيْنُقاعَ (١مِن أهلِ١) المدينةِ

وقد زعَم الواقدىُّ[٢] أنها كانت فى يومِ السبتِ، النصفَ مِن شوالٍ سنةَ ثِنْتين مِن الهجرةِ، فاللَّهُ أعلمُ. وهم المُرادون بقولِه تعالى[٣]: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٥].

قال ابنُ إسحاقَ[٤]: وقد كان فيما بينَ ذلك من غزوِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أمرُ بنى قَيْنُقاعَ. قال: وكان مِن حديثِهم أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جمَعهم فى سوقِهم، ثم قال: «يا معشرَ يهودَ، احْذَروا مِن اللَّهِ مثلَ ما نزَل بقريشٍ مِن النِّقْمةِ وأَسْلِموا؛ فإنكم قد عرَفْتُم أنى نبىٌّ مرسَلٌ، تَجِدون ذلك فى كتابِكم وعهدِ اللَّهِ إليكم». قالوا: يا محمدُ، إنك تَرَى أنَّا قومُك! لا يَغُرَّنَّك أنَّك لَقِيت قومًا لا علمَ لهم بالحربِ، فأَصَبْتَ منهم فُرْصَةً، إنّا[٥] واللَّهِ لئِن حاربْناك لَتعْلَمَنَّ أنَّا نحن الناسُ.

قال ابنُ إسحاقَ[٤]: فحدثنى مولًى لآلِ[٦] زيدِ بنِ ثابتٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، أو[٧] عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: ما نزَلَ هؤلاء الآياتُ إلَّا

(١ - ١) فى م: «فى».

(٢) مغازى الواقدى ١/ ١٧٦.

(٣) التفسير ٨/ ١٠١.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٤، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٧.

(٥) فى م، ص: «أما».

(٦) سقط من: م، ص.

(٧) فى م، ص: «و».

فيهم[1] : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ . يعنى أصحابَ بدرٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقريشٍ : ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ أنَّ بنى قَيْنُقاعَ كانوا أولَ يهودَ نَقَضوا العهدَ وحاربوا فيما بينَ بدرٍ وأُحدٍ .

قال ابنُ هشامٍ[3] : فذكَر عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ [4]عبدِ الرحمنِ بنِ[4] المِسْوَرِ ابنِ مَخْرمَةَ ، عن أبى عَوْنٍ ، قال : كان مِن[5] أمرِ بنى قَيْنُقاعَ أنَّ امرأةً مِن العربِ قدِمت بجَلَبٍ[6] لها ، فباعتْه بسوقِ بنى قَيْنُقاعَ ، وجلَست إلى صائغٍ هناك منهم ، فجعَلوا يُريدونَها [٢/٢١٠ظ] على كشفِ وجهِها ، فأَبَت ، فعمَد الصائغُ إلى طَرَفِ ثوبِها فعقَده إلى ظهرِها ، فلمَّا قامت انكشَفَت سَوْأَتُها ؛ فضحِكوا بها ، فصاحت ، فوَثَب رجلٌ مِن المسلمين على الصائغِ فقتَله ، وكان يهوديًّا ، فشَدَّتِ اليهودُ على المسلمِ فقَتَلوه ، فاستَصْرَخ أهلُ المسلمِ المسلمين على اليهودِ ،

---

(١) التفسير ٢/١٢ - ١٤. سورة آل عمران الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٥، سيرة ابن هشام ٢/٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٤٧، ٤٨.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٧٢.

(٥) زيادة من السيرة.

(٦) فى النسخ : « بحلب » . بالحاء المهملة وهو اللبن المحلوب . القاموس المحيط (ح ل ب) ، والجلب : ما جلب من إبل وغنم ومتاع للتجارة . الوسيط (ج ل ب) .

فأُغْضِب المسلمون، فوقعَ الشرُّ بينَهم وبينَ بنى قَيْنُقاعَ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدَّثنى عَاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ قال: فحاصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَلوا على حُكْمِه، فقام إليه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ بنِ سَلولَ، حِينَ أمْكَنه اللَّهُ منهم، فقال: يا محمدُ، أَحْسِنْ فى مَوالىَّ - [2]وكانوا حلفاءَ الخزرجِ - قال: فأبْطَأ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: يا محمدُ، أَحْسِنْ فى موالىَّ[2]. قال: فأَعْرَض عنه. قال: فأَدْخَل يدَه فى جَيْبِ دِرْعِ النبىِّ ﷺ - قال ابنُ هشامٍ[3]: وكان يقالُ لها: ذاتُ الفُضُولِ - فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْسِلْنى». وغَضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى رَأَوْا لوجهِه ظُلَلًا[4]، ثُم قال: «ويحك! أَرْسِلْنى». قال: لا واللَّهِ، لا أُرْسِلُك حتى تُحْسِنَ فى موالىَّ؛ أربعِمائةِ حاسِرٍ[5] وثلاثِمائةِ دارعٍ، قد مَنَعونى مِن الأحمرِ والأسودِ، تَحْصِدُهم فى غَداةٍ واحدةٍ، إنى واللَّهِ امرُؤٌ أَخْشَى الدَّوائرَ. قال: فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هم لك».

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٥، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩.

(٤) فى النسخ: «طللًا». قال السهيلى: إن رسول اللَّه ﷺ غضب حتى رأوا لوجهه ظلالًا، هكذا فى نسخة الشيخ مصححًا عليه، وفى غيرها ظللا جمع ظلة وقد تجمع فُعْلَة على فِعال ... فمعنى الروايتين إذًا واحد، والظلة ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء، وكان وجه رسول اللَّه ﷺ مشرقًا بسامًا، فإذا غضب تلون ألوانًا، فكانت تلك الألوان حائلة دون الإشراق والطلاقة والضياء المنتشر عند تبسمه. الروض الأنف ٥/ ٤٠٧.

(٥) الحاسر مِن الجنود: مَن لا درع له ولا مغفر. الوسيط (ح س ر).

قال ابنُ هشامٍ[1] : واستعمل رسولُ اللَّهِ ﷺ [2]على المدينةِ[2] فى محاصرتِه إياهم أبا لُبابةَ بَشِيرَ بنَ عبدِ المنذرِ، وكانت محاصرتُه إياهم خمسَ عشْرَةَ ليلةً.

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى أبى، عن عُبادةَ بنِ الوليدِ بنِ[4] عُبادةَ بنِ الصامتِ قال: لما حاربَتْ بنو قَيْنُقاعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، تَشَبَّثَ بأمرِهم عبدُ اللَّهِ ابنُ أُبَيٍّ، وقام دونَهم، ومَشَى عُبادةُ بنُ الصامتِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان مِن بنى عَوْفٍ، [5]لهم مِن حلْفِه[5] مثلُ الذى لهم مِن عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ، فخلَعَهم[6] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وتَبَرَّأَ إلى اللَّهِ وإلى رسولِه مِن حِلفِهم، وقال: يا رسولَ اللَّهِ، أتَوَلَّى اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين، وأبْرَأُ مِن حِلفِ هؤلاء الكفارِ ووِلايتِهم. قال: ففيه وفى عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ نزلت القصةُ[7] مِن المائدةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ الآيات، حتى قولِه: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ يعنى عبدَ اللَّهِ بنَ أُبَيٍّ، إلى قولِه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٥، ٢٩٦، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩، ٥٠.

(٤) فى النسخ: «عن»، والمثبت من سيرة ابن هشام، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ١٧٤، والتفسير ٣/ ١٢٦.

(٥ - ٥) فى م: «له من حلفهم».

(٦) فى الأصل: «فجعلهم»، وفى ص: «فحلهم».

(٧) فى م: «الآيات».

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٦] يعنى عُبادةَ بنَ الصامتِ. وقد تكَلَّمنا على ذلك فى «التفسيرِ»[1].

(١) التفسير ٣/١٢٣ - ١٣١.

سَرِيَّةُ زيدِ بنِ حَارثَةَ إلى عِيرِ قريشٍ

صحبةَ أبى سفيانَ أيضًا، وقيل: صحبةَ صَفْوانَ

قال يونُسُ بنُ[1] بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[2]: وكانت بعدَ وقعةِ بدرٍ بستةِ أشهرٍ. قال ابنُ إسحاقَ[3]: وكان مِن حديثِها أنَّ قريشًا خافوا طريقَهم التى كانوا يَسْلُكون إلى الشامِ، حينَ كان مِن وقعةِ بدرٍ ما كان، فسَلَكوا طريقَ العراقِ، فخرَج منهم تجارٌ، فيهم أبو سفيانَ، ومعه فِضةٌ كثيرةٌ، وهى عُظْمُ[4] تجارتِهم، واستأجروا رجلًا مِن بكرِ بنِ وائلٍ، يقالُ له: فُرَاتُ بنُ حَيَّانَ - يعنى العِجْلىَّ، حليفَ بنى سَهْمٍ - ليَدُلَّهم على تلك الطريقِ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: فبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ، فلَقِيَهم على ماءٍ يقالُ له: القَرَدَةُ. [6]مِن مياهِ نجدٍ[6]، فأصاب تلك العِيرَ وما فيها، وأَعْجَزه الرجالُ، فقدِم بها على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال فى ذلك حسانُ بنُ ثابتٍ[7]:

---

(١) فى م، ص: «عن».

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/١٧٠. من طريق يونس بن بكير به.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٦، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠.

(٤) عظم الشىء: أكثره. الوسيط (ع ظ م).

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٦، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠، ٥١. واللفظ له.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) ديوان حسان ص ١٦٤.

دَعُوا فَلَجاتِ الشامِ قد حال دونَها جِلَادٌ كأَفْواهِ المَخاضِ الأَوَارِكِ[1]

بأيدى رجالٍ هاجروا نحوَ ربِّهم وأنصارِه حقًّا وأيدى المَلائِكِ

إذا سلَكتْ للغَوْرِ مِن بطنِ عالجٍ فقُولا لها ليس الطريقُ هنالكِ[2]

[٢/٢١١و] قال ابنُ هشامٍ[3] : وهذه الأبياتُ فى قصيدةٍ لحسانَ ، وقد أجابه فيها أبو سفيانَ بنُ الحارثِ .

وقال الواقدىُّ[4] : كان خروجُ زيدِ بنِ حارثةَ فى هذه السَّرِيَّةِ مُسْتَهَلَّ [5]جُمادَى الأولى على رأسِ ثمانيةٍ وعشرين شهرًا[5] مِن الهجرةِ ، وكان رئيسَ هذه العِيرِ صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ ، وكان سببَ بعثِه زيدَ بنَ حارثةَ ؛ أنَّ نُعَيْمَ بنَ مسعودٍ قدِم المدينةَ ومعه خبرُ هذه العِيرِ ، وهو على دينِ قومِه ، واجتمع بكِنانةَ بنِ أبى الحُقَيْقِ فى بنى النَّضِيرِ ، ومعهم سَلِيطُ بنُ النُّعمانِ [6]وكان[6] أَسْلَمَ ، فشَرِبوا ، وكان ذلك قبلَ أن تُحَرَّمَ الخمرُ ، فتحَدَّث بقضيةِ العِيرِ نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ ، وخروجِ صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ فيها ، وما معه مِن الأموالِ ، فخرجَ سَلِيطٌ مِن ساعتِه فأعْلَم

---

(١) الفلجات : الأنهار الصغار . والجلاد : المجالدة فى الحرب . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٦، ٩٧.

(٢) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : موضع به رمل كثير . المصدر السابق .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١.

(٤) مغازى الواقدى ١/ ١٩٧. وانظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦، وتاريخ الطبرى ٢/٢٩٢ . حوادث السنة الثالثة ، ودلائل النبوة للبيهقى ٣/ ١٧١.

(٥ - ٥) كذا فى النسخ ، وفى المغازى : « جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهرًا » ، وفى الطبقات والدلائل : « جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرًا » ، وفى تاريخ الطبرى : « جمادى الآخرة من هذه السنة » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « من » ، وفى المغازى : « بن » . والمثبت من دلائل النبوة .

رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فبَعَث مِن وقتِه زيدَ بنَ حارثةَ فلَقُوهم ، فأخَذوا الأموالَ ، وأَعْجَزهم الرجالُ ، وإنما أَسَروا رجلًا أو رجلين وقدِموا بالعِيرِ ، فخَمَّسَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فبَلَغ خُمُسُها عشرين ألفًا ، وقَسَّم أربعةَ أخماسِها على السَّرِيَّةِ ، وكان فيمن أُسِر الدليلُ فُرَاتُ بنُ حَيَّانَ ، فأَسْلم ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وزَعَم الواقدىُّ أنَّ فى ربيعٍ مِن هذه السنةِ تَزَوَّج عثمانُ ابنُ عفانَ أمَّ كُلْثومٍ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأُدْخِلت عليه فى جُمادَى الآخِرةِ منها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٩١، ٤٩٢. حوادث السنة الثالثة .

مقتلُ كعبِ بنِ الأَشْرفِ اليَهودىِّ

وكان مِن بنى طَيِّئٍ ، ثُم أحدَ بنى نَبْهانَ ، ولكنَّ أمَّه مِن بنى النَّضيرِ . هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ[1] قبلَ جلاءِ بنى النَّضيرِ ، وذكَره البخاريُّ والبيهقيُّ بعدَ قصةِ بنى النَّضيرِ[2] ، والصحيحُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ لما سيأتى ، فإن بنى النَّضيرِ إنما كان أمرُها بعدَ وقعةِ أُحدٍ ، وفى محاصرتِهم حُرِّمت الخمرُ ، كما سنُبَيِّنُه بطريقِه إن شاء اللَّهُ .

قال البخاريُّ فى « صحيحِه »[3] : قَتْلُ كعبِ بنِ الأَشْرفِ ، حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن عمرٍو : سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن لكعبِ بنِ الأَشْرفِ ؛ فإنَّه قد آذَى اللَّهَ ورسولَه ؟ » . فقام محمدُ بنُ مَسْلَمةَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أتُحِبُّ أن أقْتُلَه ؟ قال : « نعم » . قال : فَأْذَنْ لى أن أقولَ شيئًا[4] . قال : « قُلْ » . فأتاه محمدُ بنُ مَسْلَمةَ فقال : إن هذا الرجلَ قد سألَنا صدقةً ، وإنَّه قد عَنَّانا[5] ، وإنى قد أتَيْتُك أَسْتَسْلِفُك . قال : وأيضًا واللَّهِ لَتَمَلُّنَّه . قال : إنَّا قد اتبعْناه ، فلا نُحِبُّ أن ندَعَه حتى نَنْظُرَ إلى أىِّ شىءٍ يَصِيرُ شأنُه ، وقد أَرَدْنا أن تُسْلِفَنا . قال : نعم ، ارْهَنونى . قلتُ : أىَّ شىءٍ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٧، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥١.

(٢) البخارى (٤٠٣٧) ، ودلائل النبوة ٣/ ١٨٧.

(٣) البخارى (٤٠٣٧) .

(٤) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٣٨: كأنه استأذنه أن يفتعل شيئا يحتال به .

(٥) عنانا : من العناء وهو التعب .

تريدُ ؟ قال : ارْهَنونى نساءَكم . فقالوا[1] : كيف نَرْهَنُك نساءَنا ، وأنت أجملُ العربِ . قال : فارْهَنونى أبناءَكم . قالوا : كيف نَرْهَنُك أبناءَنا ؛ فيُسَبُّ أحدُهم ، فيقالُ : رُهِن بوَسْقٍ أو وَسْقَيْنِ . هذا عارٌ علينا ، ولكن نَرْهَنُك اللَّأْمَةَ . قال سفيانُ : يعنى السلاحَ . فواعَده أن يأتيَه ليلًا ، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائِلةَ ، وهو أخو كعبٍ مِن الرضاعةِ ، فدعاهم إلى الحِصْنِ ، فنزَل إليهم ، فقالت له امرأتُه : أين تَخْرُجُ هذه الساعةَ[2] ؟ وقال غيرُ عمرٍو : قالت : أَسْمَعُ صوتًا كأنَّه يَقْطُرُ منه الدمُ . قال : إنما هو أخى محمدُ بنُ مَسْلَمةَ ورَضيعى أبو نائِلةَ ، إن الكريمَ لو دُعِىَ إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب . قال : ويُدْخِلُ محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ معه رجُلَينَ - [3]قيل لسفيانَ : سمَّاهم عمرٌو ؟ قال : سمَّى بعضَهم . قال عمرٌو : جاء معه برجُلين[3] . [4]وقال غيرُ[5] عمرٍو : أبو عبسِ بنُ جبرٍ والحارثُ بنُ أوسٍ وعبَّادُ بنُ بِشْرٍ - قال عمرٌو : جاء معه برجُلين[4] فقال : إذا ما جاء ، فإنى قائِلٌ[6] بشَعْرِه فأَشَمُّه ، فإذا رأَيْتُمونى استَمْكَنْتُ مِن رأسِه فدونَكم فاضْرِبوه . وقال مَرَّةً : ثم أُشِمُّكم . فنزَل إليهم مُتَوَشِّحًا[7] وهو يَنْفَحُ[8] منه رِيحُ الطِّيبِ ، فقال : ما

---

(١) كذا فى النسخ وصحيح البخارى بصيغة الجمع . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٣٨: وفى مرسل عكرمة - وقع فى مرسل عكرمة - فى الكل - أى فى كل موضع من الحديث فيه « قال » - بصيغة الجمع « قالوا » .

(٢) بعده فى الصحيح : « فقال : إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة » .

(٣ - ٣) سقط من : النسخ . والمثبت من الصحيح .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : ص .

(٦) فى الأصل : « نائل » . وفى م : « مائل » . قال الحافظ : وهو من إطلاق القول على الفعل .

(٧) متوشحا : مغطى بثوبه .

(٨) ينفح : ينتشر .

رَأَيْتُ كاليومِ رِيحًا . أى أَطْيَبَ . وقال غيرُ[1] عمرٍو : [٢/٢١١ظ] قال : عندى أَعْطَرُ نساءِ العربِ وأجملُ[2] العربِ . قال عمرٌو : فقال : أَتَأْذَنُ لى أن أَشَمَّ رأسَك ؟ قال : نعم . فشَمَّه ثُم أَشَمَّ أصحابَه ، ثُم قال : أَتَأْذَنُ لى ؟ قال : نعم . فلما اسْتَمْكَن منه ، قال : دونَكم . فقتَلوه ، ثم أَتَوْا النبىَّ ﷺ فأخْبَروه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : كان مِن حديثِ كعبِ بنِ الأَشْرَفِ - وكان رجلًا مِن طَيِّئٍ ثُم أحدَ بنى نَبْهانَ ، وأمُّه مِن بنى النَّضِيرِ - أنه لما بلَغه الخبرُ عن مَقْتَلِ أهلِ بدرٍ ، حينَ قدِم زيدُ بنُ حارثةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، قال : واللَّهِ لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القومَ ، لَبطنُ الأرضِ خيرٌ مِن ظَهرِها . فلما تيقَّن عدُوُّ اللَّهِ الخبرَ ، خرَج إلى مكةَ ، فنزَل على المُطَّلِبِ بنِ أبى وَداعَةَ بنِ ضُبَيْرَةَ[4] السَّهْمىِّ ، وعندَه عاتِكةُ بنتُ أبى العِيصِ بنِ أُميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ فأنزَلتْه وأكرَمتْه ، وجعَل يحَرِّضُ على قتالِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويُنْشِدُ الأَشْعارَ ، ويَنْدُبُ مَن قُتِل مِن المشركين يومَ بدرٍ . فذكَر ابنُ إسحاقَ قصيدتَه التى أولُها :

طحَنَتْ رَحَى بدرٍ لمَهْلِكِ أهلِه ... ولمِثْلِ بدرٍ تَسْتَهِلُّ[5] وتَدْمَعُ

وذكَر جوابَها مِن حسانَ بنِ ثابتٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، ومِن غيرِه . ثُم عاد إلى المدينةِ فجعَل يُشَبِّبُ بنساءِ المسلمين[6] ، ويَهْجُو النبىَّ ﷺ وأصحابَه .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الصحيح : « أكمل » . و « أجمل » لفظ إحدى الروايات عن البخارى ، قال الحافظ : وهى أشبه .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٧، وانظر سيرة ابن هشام ٢/٥١ - ٥٤.

(٤) فى الأصل : « صبره » ، وفى ص : « صبيرة » .

(٥) تستهل : تسيل بالدمع . شرح غريب السيرة ٢/ ٩٧.

(٦) شبَّبَ الشاعر بفلانةٍ : تغزّل بها ووصف حسنها . الوسيط (ش ب ب) .

وقال موسى بنُ عقبةَ[1] : وكان كعبُ بنُ الأَشْرفِ أحدَ بنى النَّضيرِ ، أو فيهم ، قد آذَى رسولَ اللَّهِ ﷺ بالهِجاءِ ، وركِب إلى قريشٍ فاستَغْواهم ، وقال له أبو سفيانَ وهو بمكةَ : أُناشِدُك اللَّهَ[2] ، أدينُنا أحبُّ إلى اللَّهِ أم دينُ محمدٍ وأصحابِه ؟ وأيُّنا أهْدَى فى رأيِك وأقربُ إلى الحقِّ ؟ إنَّا نُطْعِمُ الجَزورَ الكَوْماءَ[3] ، ونَسْقى اللبَنَ على الماءِ ، ونُطْعِمُ ما هَبَّتِ الشَّمالُ . فقال له كعبُ بنُ الأَشْرفِ : أنتم أهْدَى منهم سبيلًا . قال : فأنزَل اللَّهُ على رسولِه ﷺ[4] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ الآيات [النساء : ٥١، ٥٢] .

قال موسى ومحمدُ بنُ إسحاقَ[5] : وقدِم المدينةَ فجعَل[6] يُعْلِنُ بالعَداوةِ ويُحَرِّضُ الناسَ على الحربِ ، ولم يَخْرُجْ مِن مكةَ حتى أجمعَ أمرَهم على قتالِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجعَل يُشَبِّبُ بأمِّ الفَضْلِ بنتِ[7] الحارثِ ، وبغيرِها مِن نساءِ المسلمين [8]حتى آذاهم[8] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ١٩٠، من حديث موسى بن عقبة .

(٢) زيادة من الدلائل .

(٣) الجزور الكوماء : الناقه العظيمة السنام طويلته . انظر اللسان (ك و م) .

(٤) التفسير ٢/٢٩١ - ٢٩٥.

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٧، ودلائل النبوة ٣/٩١ ، من حديث موسى بن عقبة .

(٦) زيادة من : الأصل .

(٧) فى م ، ص : « بن » .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ كما حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ المُغِيثِ ابنِ أبى بُرْدَةَ : « مَن لى بابنِ الأَشْرفِ ؟ » . فقال له محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ أخو بنى عبدِ الأَشْهَلِ : أنا لك به يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أَقْتُلُه . قال : « فافْعَلْ إن قَدَرْتَ على ذلك » . قال : فرجَع محمدُ بنُ مَسْلمةَ ، فمَكَث ثلاثًا لا يأكُلُ ولا يشرَبُ إلَّا ما يُعْلِقُ[2] نفْسَه ، فذُكِر ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدَعاه فقال له : « لِمَ ترَكْتَ الطعامَ والشرابَ ؟ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قلتُ لك قولًا لا أَدْرِى هل أَفِى[3] لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجَهْدُ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنه لا بدَّ لنا من أن نقولَ . قال : « فقولوا ما بَدَا لكم ، فأنتم فى حِلٍّ مِن ذلك » . قال : فاجتمع فى قتلِه محمدُ بنُ مَسْلَمةَ ، وسِلْكانُ بنُ سَلَامةَ بنِ وَقْشٍ ، وهو أبو نائِلَةَ ، أحدُ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، وكان أخا كعبِ بنِ الأَشْرفِ مِن الرضاعةِ ، وعَبَّادُ بنُ بِشْرِ ابنِ وَقْشٍ ، أحدُ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، [4]والحارثُ بنُ أوسِ بنِ معاذٍ ، أحدُ بنى عبدِ الأَشْهلِ[4] ، وأبو عَبْسِ بنُ جَبْرٍ[5] أخو بنى حارثةَ . قال : فقَدَّموا بينَ أيديهم إلى عدُوِّ اللَّهِ كعبِ سِلْكانَ بنَ سلامةَ أبا نائِلةَ ، فجاءه فتحَدَّث معه ساعةً ، وتناشَدا شِعرًا - وكان أبو نائِلةَ يقولُ الشعرَ - ثُم قال : ويحَك [٢/٢١٢و] يابنَ الأَشْرفِ ، إنى قد جئتُك لحاجةٍ أريدُ ذِكْرَها لك فاكْتُمْ عنى . قال : أَفْعلُ . قال : كان قُدومُ هذا الرجلِ علينا بلاءً من البلاءِ ؛ عادَتْنا العربُ ، ورمَتْنا عن

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٧، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤، ٥٥.

(٢) فى ص : « تعلق » . ويعلق نفسه : يبقى حياتها ويحفظها .

(٣) فى ص : « أنا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى ص : « حرب » .

قوسٍ واحدةٍ، وقطَعتْ عنَّا السُّبلَ، حتى ضاع العِيالُ، وجَهِدَتِ الأنفسُ، وأصبحْنا قد جَهِدْنا وجَهِد عِيالُنا. فقال كعبُ[1] بنُ الأشرفِ: أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أُخْبِرُك يابنَ سلَامةَ أن الأمرَ سيَصِيرُ إلى ما أقولُ. فقال له سِلْكانُ: إنى قد أردْتُ أن تَبِيعَنا طعامًا ونَرْهَنَك ونُوَثِّقَ لك[2]، وتُحْسِنَ فى ذلك. قال: تَرْهَنونى أبناءَكم؟ قال: لقد أردْتَ أن تَفْضَحَنا، إن معى أصحابًا لى على مثلِ رأيى، وقد أردْتُ أن آتيَك بهم فتَبِيعَهم، وتُحْسِنَ فى ذلك، ونَرْهَنَك مِن الحَلْقَةِ ما فيه وَفاءٌ. وأراد سِلْكانُ أن لا يُنْكِرَ السلاحَ [3]إذا جاءوا بها، فقال: إن فى الحَلْقةِ لَوَفاءً. قال: فرجَع سِلْكانُ إلى أصحابِه، فأَخْبرهم خبرَه، وأمَرَهم أن يأخُذوا السلاحَ[3] ثُم يَنْطَلِقوا، فيجْتَمِعوا إليه، فاجتَمَعوا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: فحدَّثنى ثَوْرُ بنُ زيدٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: مَشَى معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بَقيعِ الغَرْقَدِ ثُم وَجَّهَهم وقال: «انْطَلِقوا على اسمِ اللَّهِ، اللهم أعِنْهم». ثُم رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بيتِه فى ليلةٍ مُقْمِرةٍ، فانطَلَقوا حتى انْتَهَوا إلى حِصنِه، فهتَف به أبو نائِلةَ، وكان حديثَ عهدٍ بعُرْسٍ، فوثَب فى مِلْحَفَتِه، فأخذت امرأتُه بناحيتِها، وقالت: أنت امرُؤٌ مُحارَبٌ، وإن أصحابَ الحربِ لا يَنْزِلون فى هذه الساعةِ. قال: إنه أبو نائلةَ، لو وجَدنى نائمًا ما أيْقَظَنى. فقالت: واللَّهِ إنى لأَعْرِفُ فى صوتِه الشرَّ. قال:

---

(١) بعده فى م: «أنا».

(٢) نوثق لك: نعطيك ميثاقا.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٨، ٢٩٩، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥، ٥٦.

يقولُ لها كعبٌ : لو دُعِيَ الفتى لطعنةٍ أجاب . فنزَل فتحَدَّث معهم ساعةً وتحَدَّثوا معه ، ثُم قالوا : هل لك يابنَ الأشرفِ أن نَتَماشَى إلى شِعْبِ العَجُوزِ[1] ، فنتحَدَّثَ به بقيةَ ليلتِنا هذه ؟ قال : إن شئتُم . فخرجوا يَتَماشَون[2] فمَشَوا ساعةً . ثُم إن أبا نائِلةَ شامَ[3] يدَه فى فَوْدِ رأسِه ، ثُم شَمَّ يدَه ، فقال : ما رأيتُ كالليلةِ طِيبًا أعطَرَ قطُّ . ثُم مَشَى ساعةً ، ثم عاد لمثلِها حتى اطمأنَّ ، ثُم مَشَى ساعةً ، ثُم عاد لمثلِها فأخذ بفَوْدِ[4] رأسِه ، ثُم قال : اضْرِبوا عدُوَّ اللَّهِ . فاختَلَفتْ عليه أسيافُهم فلم تُغْنِ شيئًا . قال محمدُ بنُ مَسْلَمةَ : فذَكَرْتُ مِغْوَلًا[5] فى سيفى فأخَذْتُه ، وقد صاح عدُوُّ اللَّهِ صَيْحَةً لم يَبْقَ حولَنا حصنٌ إلَّا أُوقِدتْ عليه نارٌ . قال : فوضَعْتُه فى ثُنَّتِهِ[6] ، ثُم تَحامَلْتُ عليه حتى بلَغتُ عانتَه ، فوقَع عدوُّ اللَّهِ ، وقد أصيبَ الحارثُ بنُ أوسِ [7]بنِ معاذٍ[7] بجُرحٍ فى رِجلِه أو فى رأسِه ، أصابه بعضُ أسيافِنا . قال : فخرَجْنا حتى سلَكْنا على بنى أميةَ بنِ زيدٍ ، ثُم على بنى قُرَيْظةَ ، ثُم على بُعاثٍ ، حتى أسْنَدْنا[8] فى حَرَّةِ العُرَيْضِ ، وقد أَبْطأ

---

(١) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة . معجم البلدان ٣/ ٢٩٥.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « سام » . وشام يده فى فود رأسه : أدخل يده فى شَعَره . والفود : الشعر الذى إلى جانب الأذن . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٠.

(٤) فى ص : « بفَوْدَىْ » .

(٥) المِغول بالكسر : شبه سيف قصير ، يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه . وقيل : هو حديدة دقيقة لها حد ماض وَقَفًا . وقيل : هو سوط فى جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس . النهاية ٣/٣٩٧ .

(٦) فى ص : « بيته » . والثنة : ما بين السرة والعانة من أسفل البطن . النهاية ١/٢٢٤ .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل .

(٨) أسند فى الجبل ونحوه : رقى وصعد . الوسيط (س ن د) .

علينا صاحبُنا الحارثُ بنُ أوسٍ، ونزَفه الدمُ[1]، فوقَفْنا له ساعةً، ثم أتانا يَتْبَعُ آثارَنا، فاحتَمَلْناه، فجئْنا به رسولَ اللَّهِ ﷺ آخرَ الليلِ وهو قائمٌ يصلى، فسلَّمْنا عليه، فخرَج إلينا، فأخبَرْناه بقتلِ عدوِّ اللَّهِ، وتفَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على جُرْحِ صاحبِنا، ورجَعْنا إلى أهلِنا، فأصبَحْنا، وقد خافت يهودُ لوَقْعَتِنا بعدوِّ اللَّهِ، فليس بها يهودِيٌّ إلَّا وهو خائفٌ على نفسِه.

قال ابنُ جريرٍ[2]: وزَعَم الواقدىُّ أنهم جاءوا برأسِ كعبِ بنِ الأشْرفِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وفى ذلك يقولُ كعبُ بنُ مالكٍ:

[٢/٢١٢ظ] فغُودِر منهمُ كعبٌ صَرِيعًا ... فذَلَّت بعدَ مَصْرَعِه النَّضيرُ
على الكَفَّين ثَم وقد علَتْه ... بأيدينا مُشَهَّرةٌ ذُكورُ
بأمرِ محمدٍ إذْ دَسَّ ليلًا ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يَسيرُ
فماكَرَه فأنزَله بمكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثِقةٍ جَسورُ

قال ابنُ هشامٍ: وهذه الأبياتُ فى قصيدةٍ له فى يومِ بنى النَّضيرِ ستأتى.

قلتُ: كان قتلُ كعبِ بنِ الأشرفِ على يدىِ الأوسِ بعدَ وقعةِ بدرٍ، ثُم إن الخزرجَ قتَلوا أبا رافعِ بنَ أبى الحُقَيْقِ بعدَ وقعةِ أُحدٍ، كما سيأتى بيانُه إن

---

(١) أى خرج منه دم كثير حتى ضعف.
(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٩١. حوادث السنة الثانية، وانظر مغازى الواقدى ١/ ١٩٠.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧.

شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ . وقد أورد ابنُ إسحاقَ شعرَ حسانَ بنِ ثابتٍ[1] :

لِلَّهِ دَرُّ عِصابةٍ لاقَيْتَهم ... يابنَ الحُقَيْقِ وأنت يابنَ الأَشْرفِ

يَسْرُون بالبِيضِ الخِفافِ إليكمُ ... مُرُحًا كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرِفِ[2]

حتى أتَوْكم فى مَحَلِّ بلادِكم ... فسَقَوْكمُ حَتْفًا ببيضٍ ذُفَّفِ[3]

مُسْتَنْصِرين[4] لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مُسْتَصْغِرين لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن ظَفِرْتُم به مِن رجالِ يهودَ فاقْتُلُوه » . فوَثب عند ذلك مُحَيِّصَةُ بنُ مسعودٍ الأوسىُّ على ابنِ سُنَيْنَةَ - رجلٍ مِن تجارِ يهودَ كان يُلابِسُهم[6] ويُبايِعُهم - فقَتَله ، وكان أخوه حُوَيِّصَةُ بنُ مسعودٍ أسنَّ منه ، ولم يُسْلِمْ بعدُ ، فلمَّا قَتَله جعَل حُوَيِّصَةُ يَضْرِبُه ويقولُ : أى عدُوَّ اللَّهِ ، أقتَلْتَه ؟ أمَا واللَّهِ لرُبَّ شحمٍ فى بطنِك مِن مالِه . قال مُحَيِّصَةُ : فقلتُ : واللَّهِ لقد أمَرَنى بقتلِه مَن لو أمَرنى بقَتْلِك لضربْتُ عنقَك . قال : فواللَّهِ إن كانَ لَأولَ إسلامِ[7] حُوَيِّصَةَ ، وقال : آو اللَّهِ[8] لو أمَرك محمدٌ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧، ٥٨، وانظر ديوان حسان ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) يسرون : أى يسيرون ليلا . والبيض الخفاف : السيوف . ومرح جمع مَرِح ، وهو النشيط . والعرين جمع عرينة ، وهى موضع الأسد . ومغرف : أى ملتف الشجر . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠١، ١٠٢.

(٣) الذفف : جمع ذفيف وهو الخفيف السريع ، والذفيف من السيوف فى معنى القاطع والصارم . انظر الروض الأنف ٥/ ٤١٤.

(٤) فى م ، ص : « مستبصرين » .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠٠، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨.

(٦) يلابسهم : يخالطهم .

(٧) سقط من : ص .

(٨) فى م ، ص : « والله » .

بقَتْلى لَتَقْتُلُنى ؟! قال : نعم ، واللَّهِ لو أمَرنى بضربِ عنقِك لضربْتُها . قال : فواللَّهِ إن دينًا بلَغ بك هذا لعَجبٌ . فأسْلَم حُوَيِّصَةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى بهذا الحديثِ مولًى لِبنى حارثةَ ، عن ابنةِ مُحَيِّصَةَ ، عن أبيها . وقال فى ذلك مُحَيِّصَةُ[2] :

يلومُ ابنُ أمٍّ لو أُمِرْتُ بقتْلِه ... لطبَّقْتُ ذِفْراه بأبيضَ قاضِبِ[3]

حُسامٍ كلَوْنِ المِلْحِ أُخْلِصَ صَقْلُه ... متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذبِ

وما سرَّنى أنِّى قتَلْتُك طائِعًا ... وأنَّ لنا ما بينَ بُصْرَى ومأْرِبِ[4]

وحكَى ابنُ هشامٍ[5] ، عن أبى عُبَيْدةَ ، عن أبى عمرٍو المَدَنىِّ أنَّ هذه القصةَ كانت بعدَ مقتلِ بنى قُرَيْظَةَ ، وأن المقتولَ كان كعبَ بنَ يَهُوذَا ، فلمَّا قتَلَه مُحَيِّصَةُ عن أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يومَ بنى قُرَيْظَةَ ، قال له أخوه حُوَيِّصَةُ ما قال ، فردَّ عليه مُحَيِّصَةُ بما تَقَدَّم ، فأسْلَم حُوَيِّصَةُ يومَئذٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

تنبيهٌ : ذكَر البيهقىُّ والبخارىُّ قبلَه خبرَ بنى النَّضيرِ قبلَ وقعةِ أُحدٍ ، والصوابُ إيرادُها بعدَ ذلك ، كما ذكَر ذلك محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُه مِن أئمةِ المغازى ، وبرهانُه أنَّ الخمرَ حُرِّمت ليالىَ [٢/٢١٣و] حصارِ بنى النَّضيرِ ، وثبَت

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٠، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨، ٥٩.

(٣) فى م ، ص : « قارب » . وقاضب : قاطع . وطبقت : قطعت وأصبت المفصل . الذفرى : عظم ناتئ خلف الأذن . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٢.

(٤) فى ص : « قارب » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٩.

فى «الصحيحِ»[1] أنَّه اصْطَبَح[2] الخمرَ جماعةٌ ممَّن قُتِل يومَ أحدٍ شهيدًا ، فدلَّ على أن الخمرَ كانت إذ ذاك حلالًا ، وإنما حُرِّمت بعدَ ذلك ، فتبيَّن ما قلناه مِن أن قصةَ بنى النَّضيرِ بعدَ وقعةِ أحدٍ . واللَّهُ أعلمُ .

تنبيهٌ آخرُ : خبرُ يهودِ بنى قَيْنُقاعَ بعدَ وقعةِ بدرٍ كما تقدَّم ، وكذلك قتلُ كعبِ بنِ الأشرفِ اليهوديِّ على يدَيِ الأوسِ ، وخبرُ بنى النَّضيرِ بعدَ وقعةِ أُحدٍ كما سيأتى ، وكذلك مَقْتلُ أبى رافعٍ اليهوديِّ تاجرِ أهلِ الحجازِ ، على يدَيِ الخزرجِ [3]على المشهورِ[3] ، وخبرُ يهودِ بنى قُرَيْظَةَ بعدَ يومِ الأحزابِ وقصةِ الخندقِ ، كما سيأتى .

---

(١) البخارى (٢٨١٥، ٤٠٤٤، ٤٦١٨) .

(٢) اصطبح : شرب الصبوح ، وهو شراب الصباح . الوسيط (ص ب ح) .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

غزوةُ أُحدٍ فى شوالٍ سَنةَ ثلاثٍ

[1] فائدةٌ ذكَرها المؤلفُ فى تَسْمِيةِ أُحدٍ[2] : قال[3] : سُمِّىَ أُحدٌ أُحدًا ؛ لتَـوَحُّدِه مِن بينِ تلك الجبالِ ، وفى « الصحيحِ »[4] : « أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحِبُّه » . قيل : معناه أهلُه[5] . وقيل : لأنَّه كان يُبَشِّرُه بقُربِ أَهلِه إذا رجَع مِن سفرِه ، كما يَفْعَلُ المُحِبُّ . وقيل : على ظاهرِه ، كقولِه[6] : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ . [البقرة : ٧٤] . وفى الحديثِ[7] عن أبى عَبْسِ بنِ جَبْرٍ : « أُحدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه ، وهو على بابِ الجنةِ ، وعَيْرٌ يُبْغِضُنا ونُبْغِضُه ، وهو على بابٍ مِن أبوابِ النارِ » . قال السُّهَيْلِىُّ مُقوِّيًا لهـذا الحديثِ[8] : وقد ثبَت أنَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قال : « المَـرْءُ مع مَن أحَبَّ » . وهذا[1]

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) هذه العبارة من كلام الناسخ .

(٣) أى الحافظ ابن كثير ، رحمة الله .

(٤) البخارى (١٤٨١ ، ٢٨٨٩ ، ٢٨٩٣ ، ٣٣٦٧ ، ٤٠٨٣ ، ٤٠٨٤ ، ٤٤٢٢ ، ٥٤٢٥ ، ٦٣٦٣ ، ٧٣٣٣) . ومسلم (١٣٦٥) .

(٥) أى الأنصار . انظر الروض الأنف ٥/٤٤٩ .

(٦) التفسير ١/ ١٦٢.

(٧) رواه البزار . كشف الأستار (١١٩٩) ، والطبرانى فى الأوسط (٦٥٠١) . قال الطبرانى : لا يروى هذا الحديث عن أبى عبس بن جبر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به ابن أبى فديك . قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٢ : رواه البزار ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفيه عبد المجيد بن أبى عبس ، ليَّنه أبو حاتم ، وفيه من لم أعرفه .

(٨) الروض الأنف ٥/ ٤٤٩.

من غريبِ صُنْعِ السهيلىِّ ؛ فإن هذا الحديثَ إنَّما يُرادُ به الناسُ ، ولا يُسَمَّى الجبلُ امرأً .

وكانت هذه الغزوةُ فى شوالٍ سنةَ ثلاثٍ[1] . قاله الزُّهْرِىُّ ، وقَتادَةُ ، وموسى ابنُ عُقْبَةَ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، ومالكٌ[3] . قال ابنُ إسحاقَ : للنصفِ مِن شوالٍ . وقال قتادةُ : يومَ السبتِ الحادىَ عشَرَ منه . قال مالكٌ : وكانت الوقعةُ فى أولِ النهارِ . وهى على المشهورِ التى أنزَل اللَّهُ فيها قولَه تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ الآيات وما بعدَها إلى قولِه : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران : ١٢١- ١٧٩] . وقد تكلَّمْنا على تفاصيلِ ذلك كلِّه فى كتابِنا « التفسيرِ »[4] بما فيه كفايةٌ . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) البخارى (٦١٦٨، ٦١٦٩، ٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤٠) .

(٣) ذكر ذلك البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٠١، ٢٠٢ عن الزهرى وقتادة وابن إسحاق ومالك، وذكر ما قاله موسى بن عقبة فى ٣/ ٢٠٦.

(٤) التفسير ٢/ ٩٠ - ١٥١.

ولْنَذكُرْ هـهنا مُلخَّصَ الوقعةِ ممّا ساقَه محمدُ بنُ إسحاقَ ، وغيرُه مِن علماءِ هذا الشأنِ :

قال ابنُ إسحاقَ[1] ، رَحِمَه اللَّهُ : وكان مِن حديثِ أُحُدٍ ، كما حدَّثنى محمدُ بنُ مسلمٍ الزهرىُّ ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حَبّانَ ، وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، والحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ سعدِ بنِ معاذٍ ، وغيرُهم مِن علمائِنا ، كلُّهم قد حدَّث ببعضِ هذا الحديثِ عن يومِ أُحدٍ ، وقد اجْتَمَع حديثُهم كلُّه فيما سُقْتُ ، قالوا - أو من قال منهم -: لمَّا أُصِيب يومَ بدرٍ مِن كفارِ قريشٍ [2]أصحابُ القَلِيبِ[2] ، ورجَع فَلُّهم إلى مكةَ ، ورجَع أبو سفيانَ بنُ حربٍ بعِيرِه ، مَشَى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى رَبيعةَ ، وعِكْرِمةُ بنُ أبى جهلٍ ، وصَفْوانُ بنُ أميةَ ، فى رجالٍ مِن قريشٍ ممَّن أُصِيبَ آباؤُهم وأبناؤُهم وإخوانُهم يومَ بدرٍ ، فكَلَّموا أبا سفيانَ ومَن كانت له فى تلك العِيرِ [3]مِن قُريشٍ[3] تجارةٌ ، فقالوا : يا معشرَ قريشٍ ، إن محمدًا قد وَتَركم وقَتَل خِيارَكم ؛ فأعِينونا بهذا المالِ على حربِه ، لعلنا نُدْرِكُ منه ثأرَنا . ففعَلوا .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ففيهم كما ذكَر لى بعضُ أهلِ العلمِ أنزَل اللَّهُ تعالى[5] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠١، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠١ - ٣٠٣، وانظر سيرة ابن هشام ٢/٦٠ - ٦٢.

(٥) التفسير ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥.

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]. قالوا[١]: فأَجْمَعَتْ قريشٌ لحربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، حينَ فعَل ذلك أبو سفيانَ وأصحابُ العِيرِ، بأَحابِيشِها[٢] ومَن أطاعَها مِن قبائلِ كِنانةَ وأهلِ تِهامةَ، وكان أبو عَزَّةَ عمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ الجُمَحِيُّ قد مَنَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ، وكان فقيرًا ذا عِيالٍ وحاجةٍ، [٣]وكان فى الأُسارَى[٣]، فقال له صَفْوانُ بنُ أميةَ: يا أبا عَزَّةَ، إنَّك امرؤٌ شاعرٌ، فأعِنّا بلسانِك واخْرُجْ معنا. فقال: إن محمدًا قد مَنَّ علىَّ، فلا أُريدُ أن أُظاهِرَ عليه. قال: بلى، فأعِنّا بنفسِك، فلك اللَّهُ إن رجَعْتَ أن أُعِينَك[٤]، وإن قُتِلْتَ أن أجعَلَ بناتِك مع بناتى، يُصِيبُهُنَّ ما أصابَهُنَّ مِن عُسرٍ ويُسرٍ. فخرَج أبو عَزَّةَ يَسيرُ فى تِهامةَ ويدْعُو بنى كِنانةَ ويقولُ:

[٢/٢١٣ظ] أيا بنى عبدِ مَناةَ الرُّزّامْ[٥] أنتمْ حُماةٌ وأبوكُمْ حامْ

لا يَعْدُونى نصرُكمْ بعدَ العامْ لا تُسْلِمونى لا يَحِلُّ إسْلامْ

---

(١) أى من روى عنهم ابن إسحاق.

(٢) هذه التسمية ليست نسبة إلى بلاد الحبشة، وإنما سُموا بذلك لأن بنى المصطلق وبنى الهَوْن بن خزيمة اجتمعوا عند جبل بأسفل مكة يسمى حُبْشِىّ، فحالفوا قريشا، وتحالفوا باللَّه: إنا ليدٌ على غيرنا ما سجى ليل، ووضح نهار، وما أرسى حبشىّ مكانه. فسموا أحابيش قريش نسبة إلى الجبل. انظر لسان العرب (ح ب ش).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) فى م، وسيرة ابن هشام: «أغنيك»، والمثبت كما فى سيرة ابن إسحاق.

(٥) الرزام جمع رازم، وهو الذى يثبت ولا يبرح من مكانه. يريد أنهم يثبتون فى الحرب ولا ينهزمون. شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٣.

قال : وخرَج مُسافعُ[1] بنُ عبدِ مَنافِ بنِ وَهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ إلى بنى مالكِ بنِ كِنانةَ يُحَرِّضُهم ويقولُ :

يا مالِ[2] مالِ الحسَبِ المُقَدَّمِ أنْشُدُ ذا القُرْبى وذا التَّذَمُّمِ[3]

مَن كان ذا رَحْمٍ ومَن لم يَرْحُمِ[4] الحِلْفَ وَسْطَ البلَدِ المُحَرَّمِ

عندَ حَطيمِ الكعبةِ المُعَظَّمِ

قال[5] : ودَعا جُبيْرُ بنُ مُطْعِمٍ غلامًا له حَبَشِيًّا ، يقالُ له : وَحْشِيٌّ . يَقْذِفُ بحَرْبةٍ له قَذْفَ الحَبَشةِ ، قَلَّما يُخْطِئُ بها ، فقال له : اخْرُجْ مع الناسِ ، فإن أنت قتَلْتَ حمزةَ عمَّ محمدٍ بعَمِّى طُعَيْمَةَ بنِ عَدِىٍّ ، فأنت عَتِيقٌ . فخرَجَتْ قُريشٌ بحَدِّها وحَدِيدِها وجَدِّها وأَحابِيشِها ، ومَن تابَعَها مِن بنى كِنانةَ وأهلِ تِهامةَ ، وخرَجوا معهم بالظُّعُنِ[6] ؛ التماسَ الحَفِيظَةِ[7] وأن لا يَفِرُّوا ، وخرَج أبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ ، وهو قائدُ الناسِ ، ومعه زوجتُه هندُ بنتُ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ ، وخرَج عِكْرِمةُ بنُ أبى جهلٍ بزوجتِه ابنةِ عمِّه أُمِّ حَكِيمٍ بنتِ الحارثِ بنِ هشامٍ

---

(١) فى الأصل : « شافع » ، وفى م ، ص : « نافع » ، والمثبت من السيرة . وانظر جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٩٩ ، ونسب قريش ص ٣٩٨ وفيهما : مسافع بن عبد مناف بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح .

(٢) أصلها : « مالك » . وحذفت الكاف للترخيم .

(٣) ذا التذمم : هو الذى له ذمام ، أى عهد . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٣ .

(٤) أى من كان ذا قرابةٍ ، ومن لم يكن . انظر الوسيط (ر ح م) .

(٥) أى ابن إسحاق .

(٦) الظعن هنا : النساء ، وأصل الظُّعُن الهوادج ، فسميت النساء بها . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٣ .

(٧) الحفيظة : الغضب . والحمية . والتقية . والحذر . انظر الوسيط (ح ف ظ) . والمقصود هنا أنهم اصطحبوا معهم نساءهم ليثيروا حميتهم وحماسهم فى القتال ، فيبلوا فيه بلاءً شديدًا .

ابنِ المُغِيرَةِ ، وخرَج عمُّه الحارثُ بنُ هشامٍ بزوجتِه فاطمةَ بنتِ الوليدِ بنِ المغيرةِ ، وخرَج صَفْوانُ بنُ أميةَ ببَرْزَةَ بنتِ مسعودِ بنِ عمرِو بنِ عُمَيْرٍ[1] الثَّقَفِيَّةِ ، وخرَج عمرُو بنُ العاصِ برَيْطَةَ بنتِ مُنَبِّهِ بنِ الحجَّاجِ ، وهى أمُّ ابنِه عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو . وذكَر[2] غيرَهم ممَّن خرَج بامرأَتِه ، قال : وكان وَحْشِيٌّ كلما مَرَّ بهندَ بنتِ عتبةَ ، أو مَرَّتْ به ، تقولُ : وَيْهًا[3] أبا دَسْمَةَ ، اشْفِ واشْتَفِ - يعنى تُحَرِّضُه على قتلِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ - فأقْبَلوا حتى نزَلوا بعَيْنَيْنِ بجبلٍ ببطنِ السَّبْخَةِ مِن قَناةَ[4] على شَفيرِ الوادى مُقابلَ المدينةِ ، فلمَّا سَمِع بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون[5] ، قال لهم : « إنِّى[6] قد رأيْتُ واللَّهِ خيرًا ، رأيتُ بقرًا تُذْبَحُ ، ورأيتُ فى ذُبابِ سيفى ثَلْمًا[7] ، ورأيْتُ أنى أَدْخَلْتُ يدى فى دِرْعٍ حَصِينةٍ ، فأوَّلْتُها المدينةَ » . وهذا الحديثُ رَواه البخاريُّ ومسلمٌ جميعًا[8] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى أُسامةَ ، عن بُرَيْدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ ، [9]عن أبى بُرْدَةَ[9] ، عن أبى موسى الأشْعَرِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « رأيتُ فى المَنامِ أنِّى أُهاجِرُ مِن

---

(١) فى ص : « عمرو » . وفى سيرة ابن إسحاق : « عمر » . والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام . وانظر تاريخ الطبرى ٢/٥٠١ . حوادث السنة الثالثة .

(٢) أى ابن إسحاق .

(٣) ويهًا : كلمة إغراء وحَثّ وتحريض ، تكون للواحد والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث . الوسيط (و ى هـ) .

(٤) قناة : واد من أودية المدينة .

(٥) بعده فى سيرة ابن إسحاق ، وسيرة ابن هشام : « قد نزلوا حيث نزلوا » .

(٦) سقط من : م .

(٧) الثلْم : من ثَلَم السيف ونحوه ، إذا كسر حرفه . وذباب السيف : حد طرفه الذى بين شفرتيه . انظر اللسان (ث ل م) ، (ذ ب ب) .

(٨) البخارى (٣٦٢٢) ، ومسلم (٢٢٧٢) .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل .

مكةَ إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذَهَب وَهَلى[1] إلى أنَّها اليَمامةُ أو هَجَرُ، فإذا هى المدينةُ يَثْرِبُ، ورأيْتُ فى رُؤْيايَ هذه أنى هَزَزْتُ سيفًا فانْقَطَع صدرُه، فإذا هو ما أُصيبَ مِن المؤمنين يومَ أحدٍ، ثُم هَزَزْتُه أخرى، فعاد أحسنَ ما كان، فإذا هو ما جاء اللَّهُ به مِن الفتحِ واجتماعِ المؤمنين، ورأيْتُ فيها أيضًا بقَرًا، واللَّهُ خيرٌ[2]، فإذا هم النَّفَرُ مِن المؤمنين يومَ أحدٍ، وإذا الخيرُ ما جاء اللَّهُ به مِن الخيرِ وثوابِ الصِّدقِ الذى آتانا اللَّهُ[3] بعدَ يومِ بدرٍ».

وقال البَيْهَقىُّ[4]: أخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أخْبَرنا الأَصَمُّ، أخبرَنا محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكَمِ، أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ، أخبرَنى ابنُ أبى الزِّنادِ، عن أبيه، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: تَنَفَّل[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه [٢/٢١٤و] ذا الفَقارِ يومَ بدرٍ. قال ابنُ عباسٍ: وهو الذى رَأَى فيه الرؤيا يومَ أُحُدٍ؛ وذلك أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا جاءَه المشركون يومَ أحدٍ،

---

(١) تقول: وهَلت - بالفتح - أهل وهَلًا؛ إذا ذهب وهْمُك إليه وأنت تريد غيره، مثل وهمْتُ. انظر الفتح ١٢/ ٤٢٢.

(٢) قال الحافظ ابن حجر فى التعليق على هذه الجملة: هذا من جملة الرؤيا كما جزم به عياض وغيره كذا بالرفع فيهما على أنه مبتدأ وخبر، وفيه حذف تقديره: وصُنْعُ اللَّه خير... والذى يظهر لى أن لفظه لم يتحرَّر إيراده، وأن رواية ابن إسحاق: «وإنى رأيت واللَّه خيرًا، رأيت بقرًا»، هى المحرَّرة وهى أوضح؛ وأنه رأى بقرًا ورأى خيرًا، فأوَّل البقر على من قُتل من الصحابة يوم أحد، وأول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق فى القتال، والصبر على الجهاد يوم بدر وما بعده إلى فتح مكة. انظر الفتح ٧/ ٣٧٧، ١٢/ ٤٢٣.

(٣) سقط لفظ الجلالة من: م، ص.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٥) فى م، ص: «تعقل». وتنفل سيفه: أى وهبه. وذلك عندما عرض سيفه ﷺ على الصحابة أن يأخذه أحدهم يقاتل به حتى ينحنى، فأخذه أبو دجانة، رضى اللَّه عنه.

كان رَأْيُه أن يُقِيمَ بالمدينةِ، فيُقاتِلَهم فيها، فقال له ناسٌ لم يكونوا شَهِدوا بدرًا: (١تَخرُجُ بنا يا١) رسولَ اللَّهِ إليهم نُقاتِلُهم بأُحدٍ. ورَجَوْا أن يُصِيبَهم مِن الفَضيلةِ ما أصاب أهلَ بدرٍ، فما زالوا برسولِ اللَّهِ ﷺ حتى لَبِس أداتَه، ثُم نَدِموا وقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أَقِمْ، فالرَّأْىُ رأيُك. فقال لهم: «ما يَنْبَغى لنبىٍّ أن يَضَعَ أَدَاتَه بعدَما لَبِسَها، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَه وبينَ عَدُوِّه». قال[٢]: وكان قال لهم يومَئذٍ قبلَ أن يَلْبَسَ الأَدَاةَ: «إنِّى رأيْتُ أنِّى فى دِرْعٍ حَصِينةٍ، فأَوَّلْتُها المدينةَ، وأنِّى مُرْدِفٌ كَبْشًا، فأَوَّلْتُه كبشَ الكَتِيبَةِ، ورأيتُ أنَّ سيفى ذا الفَقارِ فُلَّ[٣] فأَوَّلْتُه فَلًّا فيكم، ورأيتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فبَقَرٌ[٤]، واللَّهُ خيرٌ». ورَواه التِّرْمِذِىُّ وابنُ ماجه، مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ (٥أبى الزِّنادِ٥)، عن أبيه به[٦].

وروَى البَيْهقىُّ[٧] مِن طريقِ حَمّادِ بنِ سَلَمةَ، عن علىِّ بنِ زيدٍ، عن أنسٍ

(١ - ١) فى م: «نحرج يا».

(٢) فى الدلائل: «قالوا».

(٣) فَلَّ السيفَ: ثَلَمَه وكسَره فى حدِّه. الوسيط (ف ل ل).

(٤) قال الحافظ ابن حجر: بقر؛ هو بسكون القاف وهو شقُّ البطن، وهذا أحد وجوه التعبير؛ أن يُشتقَّ من الاسم معنى مناسب. فتح البارى ٧/ ٣٧٧.

(٥ - ٥) فى الأصل: «الأسود». وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٩٥.

(٦) الترمذى (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨). حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذى ١٢٦٦).

(٧) دلائل النبوة ٣/ ٢٠٥، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٢٦٧، والحاكم فى المستدرك ٣/ ١٩٨، كلاهما من طريق حماد بن سلمة به. ومدار هذا الحديث على على بن زيد وهو ضعيف كما قاله الحافظ فى تقريب التهذيب ٢/ ٣٧. وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٠٨: رواه الطبرانى والبزار وأحمد ولم يكمله، وفيه على بن زيد، وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح.

ومن دلائل ضعف الحديث قوله أن النبى ﷺ قتل طلحة بن أبى طلحة صاحب اللواء، والمتفق عليه بين علماء السيرة أن الذى قتله هو على بن أبى طالب. انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٧، ومغازى الواقدى ١/ ٣٠٧، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥١٤.

مرفوعًا ، قال : « رأيْتُ فيما يَرَى النائمُ كأنِّى مُرْدِفٌ كَبْشًا ، وكأن ظُبَةَ[1] سيفى انكَسَرَتْ ، فأَوَّلْتُ أنِّى أَقْتُلُ كبشَ القَومِ ، وأَوَّلْتُ كَسْرَ ظُبَةِ[1] سيفى قَتْلَ رجلٍ مِن عِتْرَتى » . فقُتِل حمزةُ ، وقَتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ طَلْحةَ ، وكان صاحبَ اللِّواءِ .

وقال موسى بنُ عُقْبةَ[2] : ورَجَعَتْ قُريشٌ فاسْتَجْلَبوا مَن أطاعَهم مِن مُشْرِكى العربِ ، وسار أبو سفيانَ بنُ حربٍ فى جَمْعِ قريشٍ ، وذلك فى شوالٍ مِن السنةِ المُقْبِلةِ مِن وقعةِ بدرٍ ، حتى نَزَلوا ببطنِ الوادى الذى قِبَلَ[3] أُحدٍ ، وكان رجالٌ مِن المسلمين لم يَشْهَدوا بدرًا ، قد نَدِموا على ما فاتهم مِن السّابِقَةِ ، وتَمَنَّوْا لقاءَ العدُوِّ ؛ ليُبْلُوا ما أَبْلَى إخوانُهم يومَ بدرٍ ، فلمَّا نزَل أبو سفيانَ والمشركون بأصلِ أُحدٍ ، فَرِح المسلمون الذين لم يَشْهَدوا بدرًا بقُدومِ العدُوِّ عليهم ، وقالوا : قد ساق اللَّهُ علينا أُمْنِيَّتَنا . ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أُرِىَ ليلةَ الجمعةِ رُؤْيا ، فأصْبَح ، فجاءَه نَفَرٌ مِن أصحابِه فقال لهم : « رأيْتُ البارِحةَ فى منامى بقَرًا تُذْبَحُ ، واللَّهُ خيرٌ ، ورأيْتُ سيفى ذا الفَقارِ انْقَصَم[4] مِن عندِ ظُبَتِه[5] - أو قال : « به فُلُولٌ » - فكَرِهْتُه ، وهما مُصِيبتانِ[6] ، ورأيْتُ أنِّى فى

---

(١) فى الأصل : « صبة » . وفى م ، ص : « ضبة » . والمثبت من الدلائل . وظبة السيف : طرفه . انظر النهاية ٣/ ١٥٥.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٢٠٦ - ٢٠٨، عن موسى بن عقبة .

(٣) فى النسخ : « قبلى » . والمثبت من الدلائل .

(٤) فى الدلائل : « انفصم » .

(٥) فى النسخ : « ضبته » . والمثبت من الدلائل .

(٦) كذا فى النسخ . والذى فى الدلائل : « مضببتان » ، وهو لا يستقيم فى المعنى مع ما قبله من السياق ، ولعله خطأ طباعى .

دِرْعٍ حَصينةٍ، وأنّى مُرْدِفٌ كَبْشًا». فلمَّا أخْبَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ برُؤْياه، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ماذا أَوَّلْتَ رؤياك؟ قال: «أَوَّلْتُ البقرَ الذى رأيتُ نَفَرًا[1] فينا وفى القومِ، وكَرِهْتُ ما رأيتُ بسيفى». ويقولُ رجالٌ: كان الذى رَأَى بسيفِه، الذى أصاب وجهَه؛ فإن العدُوَّ أَصاب وجهَه يومَئذٍ، وقَصَموا[2] رَباعِيَتَه[3] وخَرَقوا شَفَتَه، يَزْعُمون أنَّ الذى رماه عُتْبةُ بنُ أبى وَقّاصٍ، وكان البقرُ مَن قُتِل مِن المسلمين يومئذٍ. وقال: «أوَّلْتُ الكبشَ أنَّه كبشُ كَتِيبةِ العدُوِّ يَقْتُلُه اللَّهُ، وأوَّلْتُ الدِّرْعَ الحَصِينةَ المدينةَ، فامْكُثُوا واجْعَلوا الذَّرارِىَّ فى الآطامِ[4]، فإن دَخَل علينا القومُ فى الأَزِقَّةِ، قاتَلْناهم ورُمُوا مِن فوقِ البُيوتِ». وكانوا قد سكُّوا[5] أَزِقَّةَ المدينةِ بالبُنْيانِ حتى كانتْ كالحِصنِ. فقال الذين لم يَشْهَدوا بدرًا: كُنّا نَتَمَنَّى هذا اليومَ وندعو اللَّهَ، فقد ساقَه اللَّهُ إلينا وقَرَّب المَسيرَ. وقال رجالٌ[6] مِن الأنصارِ: متى نُقاتِلُهم يا رسولَ اللَّهِ إذا لم نُقاتِلْهم عندَ شِعْبِنا؟ وقال رجالٌ: ماذا نَمْنَعُ إذا لم [7]نَمْنَعِ الحَرْثَ [٢/٢١٤ظ] يُزْرَعُ[7]؟

---

(١) فى م، ص: «بقرا».

(٢) فى الدلائل: «فصموا».

(٣) الرباعِيَة: السنّ بين الثنِيَّة والناب، وهى أربع: رباعيتان فى الفكّ الأعلى، ورباعيتان فى الفك الأسفل. الوسيط (ر ب ع).

(٤) الآطام: جمع أُطُم وهو الحصن، والبيت المرتفع. الوسيط (أ ط م)، والمقصود به هنا البيت.

(٥) فى الأصل: «سدوا»، وفى الدلائل: «شكوا». ولعل ما فى الدلائل تصحيف من «شبكوا» كما فى مغازى الواقدى ١/ ٢١٠، وسبل الهدى والرشاد ٤/ ٢٧٥، وعزاه إلى ابن عقبة وابن إسحاق وابن سعد وغيرهم، وكما فى مغازى الزهرى ص ٧٦: «شبكت بالبنيان». وسك الشىء يسكه سكا فاستك: سده فانسد. اللسان (س ك ك).

(٦) فى م: «رجل».

(٧ - ٧) فى الأصل: «نمنع الحرب بدرع»، وفى م: «تمنع الحرب بروع»، وفى ص: «تمنع الحرب يروع». والمثبت من الدلائل.

وقال رجالٌ قولًا صدَقوا به ومَضَوْا عليه، منهم حمزةُ بنُ عبدِ المطلِبِ، قال: والذى أنزَل عليك الكتابَ لَنُجالِدَنَّهُم[1]. وقال نُعْمانُ[2] بنُ مالكِ بنِ ثَعْلَبَةَ، وهو أحدُ بنى سالمٍ: يا نبيَّ اللَّهِ، لا تَحْرِمْنا الجنةَ، فوالذى نفسى بيدِه لَأَدْخُلَنَّها. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بمَ؟». قال: بأنِّى أُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ولا أَفِرُّ يومَ الزَّحْفِ. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقْتَ». واسْتُشْهِد يومَئذٍ. وأَبَى كثيرٌ مِن الناسِ إلَّا الخروجَ إلى العدُوِّ، ولم يَتَناهَوْا إلى قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورَأْيِه، ولو رَضُوا بالذى أمَرهم كان ذلك، ولكنْ غَلَب القضاءُ والقدرُ، وعامَّةُ مَن أشار عليه بالخروجِ رجالٌ لم يَشْهَدوا بدرًا، قد عَلِموا الذى سَبَق لأصحابِ بدرٍ مِن الفَضيلةِ، فلمَّا صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ الجمعةَ، وَعَظ الناسَ وذَكَّرهم وأمَرهم بالجِدِّ والجهادِ، ثُم انْصَرَف مِن خُطْبتِه وصلاتِه، فدَعا بلَأْمَتِه[3] فلَبِسها، ثُم أَذَّن فى الناسِ بالخروجِ، فلمَّا رَأَى ذلك رجالٌ مِن ذَوِى الرأيِ، قالوا: أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نَمْكُثَ بالمدينةِ، وهو أعلمُ باللَّهِ وما يريدُ، ويَأْتِيه الوحىُ مِن السماءِ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، امْكُثْ كما أمَرْتَنا. فقال: «ما يَنْبَغى لنبىٍّ إذا أخَذ لَأْمَةَ الحربِ وأَذَّن بالخروجِ إلى العدُوِّ، أن يَرْجِعَ حتى يُقاتِلَ، وقد دعَوْتُكم إلى هذا الحديثِ فأَبَيْتُم إلَّا الخروجَ، فعليكم بتَقْوَى اللَّهِ والصبرِ عندَ البأسِ إذا لَقِيتُم العدُوَّ، وانظُروا [4]ما آمُرُكم به فافعَلُوه[4]». قال: فخَرَج

---

(١) فى م، ص: «لنجادلنهم».

(٢) فى النسخ: «نعيم». وفى الدلائل: «يعمر». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الاستيعاب ٤/ ١٥٠٤، وأسد الغابة ٥/ ٣٤٠، والإصابة ٦/ ٤٥٣. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦، ومغازى الواقدى ١/ ٢١١.

(٣) اللأمة: الدرع. وقيل: السلاح. ولأمة الحرب: أداته. النهاية ٤/ ٢٢٠.

(٤ - ٤) فى م، ص: «ماذا أمركم الله به فافعلوا».

رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون، فسَلَكوا على البَدائعِ، وهم ألفُ رجلٍ، والمشركون ثلاثةُ آلافٍ، فمضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل بأُحُدٍ، ورَجَع عنه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ فى ثلاثِمائةٍ، فبَقِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى سبعِمائةٍ.

قال البَيْهَقىُّ[1]: هذا هو المشهورُ عندَ أهلِ المَغازى؛ أنَّهم بَقُوا فى سبعِمائةِ مقاتِلٍ. قال: والمشهورُ عن الزُّهْرِىِّ أنَّهم بَقُوا فى أربعِمائةِ مُقاتِلٍ، كذلك رَواه يعقوبُ بنُ سفيانَ، عن أَصْبَغَ، عن ابنِ وَهْبٍ، عن يونُسَ، عن الزُّهْرِىِّ. وقيل عنه بهذا الإسنادِ: سَبعُمائةٍ[2]. فاللَّهُ أعلمُ.

قال موسى بنُ عقبةَ[3]: وكان على خيلِ المشركين خالدُ بنُ الوليدِ، وكان معهم مائةُ فَرسٍ، وكان لواؤُه مع [4]طلحةَ بنِ عثمانَ[4]. قال: ولم يكنْ مع المسلمين فرسٌ واحدةٌ. ثُم ذكَر الوقعةَ كما سيأْتِى تفصيلُها، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: لمَّا قصَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ رؤياه على أصحابِه قال لهم: «إن رأَيْتم أن تُقِيموا بالمدينةِ وتَدَعُوهم حيثُ نزَلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مُقامٍ، وإن هم دخَلوا علينا قاتَلْناهم فيها». وكان رأىُ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيِّ بنِ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢٠٩، عن موسى بن عقبة.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «عثمان بن طلحة بن أبى طلحة»، وفى م: «عثمان بن طلحة»، والمثبت من الدلائل، وهكذا ذكره الحافظ فى الفتح ٣٤٦/٧ «طلحة بن عثمان» عند سياقه لرواية موسى بن عقبة.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٣، ٦٤.

سَلُولَ مع رأيِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أن لا يَخْرُجَ إليهم ، فقال رجالٌ مِن المسلمين ممن أكْرَم اللَّهُ بالشهادةِ يومَ أحدٍ وغيرِه[1] ممَّن كان فاته بدرٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، اخْرُجْ بنا إلى أعدائِنا ، لا يَرَون أنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ : يا رسولَ اللَّهِ ، لا تَخْرُجْ إليهم ، فواللَّهِ ما خرَجْنا منها إلى عدُوٍّ قطُّ إلّا أصاب منا ، ولا دخَلها علينا إلّا أصَبْنا منه . فلم يَزَلِ الناسُ برسولِ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل فلَبِس لَأْمَتَه ، وذلك يومَ الجمعةِ حينَ فرَغ مِن الصلاةِ ، وقد مات فى ذلك اليومِ رجلٌ من بنى النجّارِ يقالُ له : مالكُ بنُ عمرٍو . [٢/٢١٥و] فصلَّى عليه ثم خرَج عليهم ، وقد نَدِمَ الناسُ ، وقالوا : استَكْرَهْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ولم يَكُنْ لنا ذلك . فلمَّا خرَج عليهم قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن شئتَ فاقْعُدْ . فقال : « ما يَنْبَغِى لنبىٍّ إذا لَبِس لَأْمَتَه أن يَضَعَها حتى يُقاتِلَ » . فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ألفٍ مِن أصحابِه . قال ابنُ هشامٍ : واستَعمَل على المدينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : حتى إذا كان بالشَّوْطِ بينَ المدينةِ وأُحدٍ ، انْخَزَل[3] عنه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ بثُلُثِ الناسِ وقال : أطاعهم وعصانى ، ما نَدْرِى عَلامَ نَقْتُلُ أنفسَنا هـٰهنا أيُّها الناسُ ؟! فرجَع بمن اتَّبعه مِن قومِه مِن أهلِ النفاقِ والرَّيْبِ ، واتَّبَعهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ حَرامٍ السَّلَمىُّ ، والدُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فقال : يا قومِ ، أُذَكِّرُكم اللَّهَ أن لا تَخْذُلوا قومَكم ونبيَّكم عندَ ما حضَر مِن عدوِّهم[4] .

---

(١) فى م : « غيرهم » . وهو لفظ رواية ابن إسحاق عند البيهقى فى الدلائل ٣/٢٢٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤.

(٣) انخزل : انفرد . النهاية ٢/ ٢٩.

(٤) فى الأصل : « عدوكم » .

قالوا : لو نَعْلَمُ أنَّكم تُقاتِلون لَمَا أَسْلَمْناكم ، ولكنا لا نَرَى أنَّه يكونُ قتالٌ . فلمّا استَعْصَوا[1] عليه وأبَوا إلَّا الانصرافَ ، قال : أَبْعَدكم اللَّهُ أعداءَ اللَّهِ ، فسيُغْنى اللَّهُ عنكم نبيَّه ﷺ .

قلتُ : وهؤلاء القومُ هم المرادون بقولِه تعالى[2] : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٧] . يَعْنى ، أنَّهم كاذبون فى قولِهم : لو نَعْلَمُ قتالًا لاتَّبَعْناكم . وذلك لأنَّ وقوعَ القتالِ أمْرُه ظاهرٌ بيِّنٌ واضحٌ ، لا خفاءَ به[3] ولا شكَّ فيه ، وهم الذين أنزَل اللَّهُ فيهم[4] : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ ﴾ الآية [النساء : ٨٨] . وذلك أن طائفةً قالت : نُقاتِلُهم . وقال آخَرون : لا نُقاتِلُهم . [5]كما ثبَت وبُيِّنَ فى « الصحيحِ »[6][5] . وذكَر الزُّهْرِىُّ[7] أن الأنصارَ استَأْذَنوا حينئذٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الاستعانةِ بحلفائِهم مِن يهودِ المدينةِ ، فقال : « لا حاجةَ لنا فيهم » . وذكَر عُرْوَةُ وموسى ابنُ عقبةَ[8] أنَّ بنى سَلِمةَ وبنى حارثةَ ، لمّا رجَع عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ وأصحابُه ، هَمَّتا

---

(١) فى الأصل ، ص : « استصعبوا » .

(٢) التفسير ٢/ ١٣٨، ١٣٩.

(٣) زيادة من الأصل .

(٤) التفسير ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) البخارى (٤٥٨٩) ، ومسلم (٢٧٧٦) .

(٧) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤.

(٨) أخرج البيهقى أثر عروة فى الدلائل ٣/ ٢٢١، وأثر موسى بن عقبة فى ٣/ ٢٠٩.

أن تَفْشَلا[1] ، فثبَّتَهما اللَّهُ تعالى . ولهذا قال[2] : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] . قال جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ : ما أُحِبُّ أنها لم تَنْزِلْ ، واللَّهُ يقولُ : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ ﴾ . كما هو ثابتٌ فى « الصحيحين » عنه[3] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى سلَك فى حَرَّةِ بنى حارثةَ ، فذَبَّ فرسٌ بذَنَبِه ، فأصاب كُلَّابَ سيفٍ[5] فاسْتَلَّه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لصاحبِ السيفِ : « شِمْ سيفَك - أى أغْمِدْه - فإنِّى أُرَى السيوفَ ستُسَلُّ اليومَ » . ثم قال النبىُّ ﷺ لأصحابِه : « مَن رجلٌ يَخْرُجُ بنا على القومِ مِن كَثَبٍ - أى مِن قُرْبٍ - مِن طريقٍ لا يَمُرُّ بنا عليهم ؟ » . فقال أبو خَيْثَمةَ أخو بنى حارثةَ بنِ الحارثِ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . فنفَذ به فى حَرَّةِ بنى حارثةَ وبينَ أموالِهم ، حتى سلَك به فى مالٍ لمِرْبَعِ بنِ قَيْظِىٍّ ، وكان رجلًا منافقًا ضريرَ البصرِ ، فلما سَمِع حِسَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ومَن معه مِن المسلمين ، قام يَحْثِى فى وجوهِهم الترابَ ويقولُ : إن كنتَ رسولَ اللَّهِ ، فإنِّى لا أُحِلُّ لك أن تَدْخُلَ فى حائطى . قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقد ذُكِر لى أنَّه أخَذ حَفْنةً مِن ترابٍ فى يدِه ، ثم قال : واللَّهِ لو أعْلَمُ أنِّى لا أُصيبُ بها غيرَك يا محمدُ ، لضرَبْتُ بها وجهَك .

---

(١) فى الأصل ، والدلائل : « تقتتلا » . وأثبت محقق الدلائل فى حاشيته على أثر عروة ، أنه جاء فى ثلاث نسخ : « تفشلا » .

(٢) التفسير ٢/ ٩٢.

(٣) البخارى (٤٠٥١) ، ومسلم (٢٥٠٥) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤، ٦٥.

(٥) الكلاب والكَلْب : الحلْقة أو المسمار يكون فى قائم السيف ، تكون فيه عِلَاقته . النهاية ٤/ ١٩٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٥، ٦٦.

فابتَدَره القومُ ليَقْتُلوه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَقْتُلوه ، فهذا الأعْمى أعْمَى القلبِ أعْمَى البصرِ » . وقد بدَر إليه سعدُ بنُ زيدٍ أخو بنى عبدِ الأشْهَلِ ، قبلَ نَهْيِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فضَرَبه بالقوسِ فى رأسِه فشَجَّه ، ومضَى رسولُ اللَّهِ [٢/ ٢١٥ظ] ﷺ حتى نزل الشِّعْبَ مِن أُحدٍ ، فى عُدْوَةِ الوادى[1] إلى الجبلِ ، وجعَل ظهرَه وعَسْكَرَه إلى أُحدٍ ، وقال : « لا يُقاتِلَنَّ أَحدٌ حتى نأْمُرَه بالقتالِ » . وقد سَرَّحتْ قريشٌ الظَّهْرَ والكُراعَ[2] فى زُروعٍ كانت بالصَّمْغَةِ[3] مِن قناةَ للمسلمين ، فقال رجلٌ مِن الأنصارِ حينَ نَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن القتالِ : أتُرْعَى زُروعُ بنى قَيْلَةَ ولمَّا نُضارِبْ ؟! وتعَبَّأ رسولُ اللَّهِ ﷺ للقتالِ ، وهو فى سبعِمائةِ رجلٍ ، وأمَّر على الرُّماةِ يومَئذٍ عبدَ اللَّهِ بنَ جُبَيْرٍ ، أخا بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ ، وهو مُعْلَمٌ يومَئذٍ بثيابٍ بيضٍ ، والرُّماةُ خمسون رجلًا ، فقال : « انْضَحِ الخيلَ عنا بالنَّبْلِ ، لا يأْتُونا مِن خلفِنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبُتْ مكانَك ، لا نُؤْتَيَنَّ مِن قِبَلِك » . وسيأْتِى شاهدُ هذا فى « الصحيحين » إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وظاهَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ دِرْعَين - يَعْنى لَبِس درعًا فوقَ درعٍ - ودفَع اللِّواءَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، أخى بنى عبدِ الدارِ .

قلتُ : وقد ردَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ جماعةً مِن الغِلمانِ يومَ أُحدٍ ، فلم يُمَكِّنْهم مِن حضورِ الحربِ لِصِغَرِهم ؛ منهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، كما ثبَت عنه فى

---

(١) عدوة الوادى وعِدوته : جانبه وحافته . اللسان (ع د و) .

(٢) الظهر : الإبل التى يُحمَل عليها وتُركَب . والكراع : اسم لجميع الخيل . النهاية ٣/١٦٦ ، ٤/ ١٦٥ .

(٣) الصمغة : أرض قرب أحد من المدينة . معجم البلدان ٣/ ٤١٩ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦ .

« الصحيحين »[1] قال : عُرِضْتُ على النبيِّ ﷺ يومَ أُحدٍ فلم يُجِزْنى ، وعُرِضْتُ عليه يومَ الخَنْدَقِ وأنا ابنُ خمسَ عشْرَةَ ، فأجازَنى . وكذلك ردَّ يومَئذٍ أُسامةَ بنَ زيدٍ ، وزيدَ بنَ ثابتٍ ، والبَرَاءَ بنَ عازبٍ ، وأُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ[2] ، وعَرَابةَ بنَ أَوسِ ابنِ قَيْظِيٍّ ، ذكَره ابنُ قُتَيْبَةَ [3]فى المَعارِفِ[3] ، وأوْرَده السُّهَيْلِيُّ[4] . قال[5] : وهو الذى يقولُ فيه الشَّمَّاخُ :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تَلَقَّاها عَرَابةُ باليَمينِ

ومنهم [6]سعدُ ابنُ حَبْتَةَ[6] ، ذكَره السُّهَيْلِيُّ أيضًا ، وأجازهم كلَّهم يومَ الخندقِ ، وكان قد ردَّ يومَئذٍ سَمُرَةَ بنَ جُنْدُبٍ ورافعَ بنَ خَدِيجٍ ، وهما ابنا خمسَ عشْرةَ سنةً ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ رافعًا رامٍ . فأجازَه . فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، فإنَّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رافعًا . فأجازه[7] .

قال ابنُ إسحاق[8] ، رَحِمَه اللَّهُ : وتعبَّأَتْ قريشٌ ، وهم ثلاثةُ آلافٍ ، ومعهم مائتا فرسٍ قد جنَبُوها[9] ، فجعَلوا على مَيْمَنةِ الخيلِ خالدَ بنَ الوليدِ ، وعلى

---

(١) البخارى (٢٦٦٤، ٤٠٩٧) ، ومسلم (١٨٦٨) . بنحوه عندهما .

(٢) ذكر هؤلاء ابن هشام فى السيرة ٢/ ٦٦.

(٣ - ٣) زيادة من الأصل . المعارف ص ٣٣٠.

(٤) الروض الأنف ٥/ ٤٥٣.

(٥) سقط من : م ، ص . والقول لابن قتيبة .

(٦ - ٦) فى الأصل : « سعد » . وفى م ، ص : « ابن سعيد بن خيثمة » . والمثبت من الروض الأنف ٥/ ٣٥٤. وحبتة أمُّه ، واختلف فى اسم أبيه ، فقيل : بَحِير . وقيل : بُجَيْر . انظر أسد الغابة ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٧) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦.

(٨) المصدر السابق ٢/ ٦٦.

(٩) جنَب الفرس والأسير : قاده إلى جنبه . اللسان (ج ن ب) .

مَيْسَرَتِها عِكْرِمةَ بنَ أبى جهلِ بنِ هِشامٍ. وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن يأْخُذُ هذا السيفَ بحقِّه؟». فقام إليه رجالٌ، فأمْسَكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجانَةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ، أخو بنى ساعِدةَ فقال: وما حقُّه يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «أن تَضْرِبَ به فى العدوِّ حتى يَنْحَنِىَ». قال: أنا آخُذُه يا رسولَ اللَّهِ بحقِّه. فأعطاه إياه. هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ مُنْقَطِعًا.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا يَزيدُ وعفانُ قالا: حدَّثنا حمَّادٌ، هو ابنُ سَلَمةَ، أخبَرَنا ثابتٌ، عن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ سيفًا يومَ أُحدٍ فقال: «مَن يَأْخُذُ هذا السيفَ؟». فأخَذه[2] قومٌ فجعَلوا يَنْظُرون إليه، فقال: «مَن يَأْخُذُه بحقِّه؟». فأحْجَم القومُ، فقال أبو دُجانةَ سِماكٌ: أنا آخُذُه بحقِّه. فأخَذه ففلَق به هامَ المشركين. ورَواه مسلمٌ، عن أبى بكرٍ[3]، عن عفَّانَ به.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وكان أبو دُجانةَ رجلًا شجاعًا يَخْتالُ عندَ الحربِ، وكان له عِصابةٌ حمراءُ يُعْلَمُ بها عندَ الحربِ، يَعْتَصِبُ بها فيَعْلَمُ الناسُ[5] أنه سيُقاتِلُ. قال: فلمَّا أخَذ السيفَ مِن يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أخْرَج عِصابتَه تلك [٢/٢١٦و] فاعْتَصَب بها، ثم جعَل يَتَبَخْتَرُ بينَ الصفَّيْنِ.

قال[6]: فحدَّثنى جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أَسْلَمَ مَوْلَى عمرَ بنِ الخطابِ، عن

---

(١) المسند ٣/ ١٢٣.

(٢) فى م، ص: «فأخذ».

(٣) مسلم (٢٤٧٠). وأبو بكر هو ابن أبى شيبة.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦.

(٥) سقط من: م، ص.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٦٧.

رجلٍ مِن الأنصارِ من بنى سَلِمةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ رأَى أبا دُجانةَ يَتَبَخْتَرُ : « إنها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها اللَّهُ إلّا فى مِثلِ هذا الموطنِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد قال أبو سفيانَ لأصحابِ اللِّواءِ مِن بنى عبدِ الدارِ يُحَرِّضُهم على القتالِ : يا بنى عبدِ الدارِ ، قد وُلِّيتُم لِواءَنا يومَ بدرٍ ، فأصابنا ما قد رأَيْتُم ، وإنما يُؤْتَى الناسُ مِن قِبَلِ راياتِهم ، إذا زالتْ زالُوا ، فإما أن تَكْفُونا لِواءَنا ، وإمّا أن تُخَلُّوا بينَنا وبينَه فنَكْفِيَكُموه . فهَمُّوا به وتَوَاعَدوه ، وقالوا : نحن نُسْلِمُ إليك لِواءَنا ! ستَعْلَمُ غدًا إذا التقَيْنا كيف نَصْنَعُ . وذلك أراد أبو سفيانَ . قال : فلما الْتَقَى الناسُ ، ودَنا بعضُهم مِن بعضٍ ، قامت هندُ بنتُ عُتْبةَ فى النسوةِ اللاتى معها ، وأخَذْنَ الدُّفوفَ يَضْرِبْنَ بها خلفَ الرجالِ ، ويُحَرِّضْنَ على القتالِ ، فقالت هندُ فيما تقولُ :

وَيْهًا بنى عبدِ الدارْ ... وَيْهًا حُماةَ الأدْبارْ
ضَرْبًا بكلِّ بَتَّارْ

وتقولُ أيضًا :

إن تُقْبِلوا نُعانِقْ ... ونَفْرِشِ النَّمارِقْ[2]
أو تُدْبِروا نُفارقْ ... فِراقَ غيرِ وامِقْ[3]

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٦٧، ٦٨.
(٢) النمارق جمع النُّمْرُقة والنِّمْرِقة ، وهى الوسادة ، وقيل : الوسادة الصغيرة . اللسان (نمرق) .
(٣) الوامق : المحب .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، أن أبا عامرٍ عبدَ عمرِو بنَ صَيْفىِّ بنِ مالكِ بنِ النعمانِ ، أحدَ بنى ضُبَيْعةَ[2] ، وقد كان خرَج إلى مكةَ مُباعِدًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ معه خمسون غلامًا مِن الأوسِ ، وبعضُ الناسِ يقولُ : كانوا خمسةَ عشَرَ . وكان يَعِدُ قريشًا أن لو قد لَقِىَ قومَه ، لم يَخْتَلِفْ عليه منهم رجلان . فلما الْتَقَى الناسُ ، كان أولَ مَن لَقِيَهم أبو عامرٍ فى الأحابيشِ وعُبْدانِ[3] أهلِ مكةَ ، فنادَى : يا معشرَ الأوسِ ، أنا أبو عامرٍ . قالوا : فلا أنْعَمَ اللَّهُ بك عينًا يا فاسقُ . وكان يُسَمَّى فى الجاهليةِ الراهبَ ، فسمّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ الفاسقَ . فلما سَمِع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شرٌّ . ثم قاتَلهم قتالًا شديدًا ، ثم راضَخَهم بالحجارةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فاقْتَتَل[5] الناسُ حتى حَمِيَتِ الحربُ ، وقاتل أبو دُجانةَ حتى أَمْعَنَ فى الناسِ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : وحدَّثنى غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ، أنَّ الزُّبَيْرَ بنَ العوَّامِ قال : وجَدْتُ فى نفسى حينَ سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ السيفَ فمنَعَنِيه وأعطاه أبا دُجانةَ ، وقلتُ : أنا ابنُ صَفِيَّةَ عمَّتِه ومِن قريشٍ ، وقد قمتُ إليه فسألتُه إياه قبلَه ، فأعطاه أبا دُجانةَ وترَكنى ، واللَّهِ لأَنظُرَنَّ ما يَصْنَعُ . فاتَّبَعْتُه فأخْرَج عِصابةً

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٧.

(٢) فى الأصل : « صعصعة » .

(٣) عُبْدان وعِبْدان : جمع عبد . الوسيط (ع ب د) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٨.

(٥) فى النسخ : « فأقبل » . والمثبت من السيرة .

له حمراءَ ، فعَصَب بها رأسَه ، فقالت الأنصارُ : أخْرَج أبو دُجانةَ عِصابةَ الموتِ . وهكذا كانت تقولُ له إذا تعَصَّب ، فخرَج وهو يقولُ :

أنا الذى عاهدَنى خَليلى ونحن بالسَّفْحِ لَدَى النخيلِ

أنْ لا أَقُومَ الدهرَ فى الكَيُّولِ أَضْرِبْ بسيفِ اللَّهِ والرسولِ

وقال الأُمويُّ : حدَّثنى أبو عُبَيْدٍ[1] فى حديثِ النبىِّ ﷺ ؛ أن رجلًا أتاه وهو يُقاتِلُ ، فسأَله سيفًا يُقاتِلُ به ، فقال : « لعلك إن أعطَيْتُك ، تُقاتِلْ فى الكَيُّولِ ؟ » . قال : لا . فأعطاه سيفًا ، فجعَل يَرْتَجِزُ ويقولُ :

أنا الذى عاهدَنى خليلى أن لا أَقومَ الدهْرَ فى الكَيُّولِ

[٢/٢١٦ظ] [2]وهذا حديثٌ يُرْوَى عن شُعبةَ ، ورَواه إسرائيلُ ، كلاهما عن أبى إسحاقَ ، عن[3] هُنَيْدَةَ بنِ[3] خالدٍ أو غيرِه يَرْفَعُه[2] . الكَيُّولُ يَعْنِى مُؤَخَّرَ الصفوفِ ، سَمِعْتُه مِن عِدَّةٍ مِن أهلِ العلمِ ، ولم أَسْمَعْ هذا الحرفَ إلّا فى هذا الحديثِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فجعَل لا يَلْقَى أحدًا إلّا قتَله ، وكان فى المشركين رجلٌ لا يَدَعُ جريحًا إلّا ذَفَّفَ عليه[5] ، فجعَل كلٌّ منهما يَدْنُو مِن صاحبِه ،

---

(١) ذكره أبو عبيد فى غريب الحديث ٢/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢ - ٢) سقط من مطبوع غريب أبى عبيد ، وأثبته محققه من بعض نسخه الخطية فى حاشية (١) ص ٢٤٦.

(٣ - ٣) فى م ، ص : « هند بنت » . وقال ابن الأثير : مختلف فى صحبته . انظر أسد الغابة ٥/ ٤٢٠.

(٤) فى م ، ص : « هشام » . سيرة ابن هشام ٢/ ٦٩.

(٥) التذفيف على الجريح : الإجهاز عليه وتحرير قتله . انظر النهاية ٢/ ١٦٢.

فدعَوْتُ اللَّهَ أن يَجْمَعَ بينَهما ، فالتَقَيا ، فاختَلَفا ضَرْبتَيْنِ ، فضرَب المشركُ أبا دُجانَةَ ، فاتَّقاه بدَرَقَتِه[1] ، فعَضَّتْ بسيفِه[2] ، وضرَبه أبو دُجانةَ فقتَله ، ثم رأيْتُه قد حمَل السيفَ على مَفْرِقِ رأسِ هندَ بنتِ عُتْبةَ ، ثم عدَل السيفَ عنها .[3] قال الزُّبَيْرُ[3] : فقلت : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . وقد رَواه البيهقيُّ فى « الدلائلِ » مِن طريقِ هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ بذلك[4] .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : قال أبو دُجانةَ : رأيْتُ إنسانًا [6]يُحْمِشُ الناسَ حَمْشًا[6] شديدًا ، فصمَدْتُ له ، فلمَّا حمَلْتُ عليه السيفَ وَلْوَلَ ، فإذا امرأةٌ ، فأكْرَمْتُ سيفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن أَضْرِبَ به امرأةً .

وذكَر موسى بنُ عقبةَ[7] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لما عرَضه ، طلَبه منه عمرُ ، فأعْرَض عنه ، ثم طلَبه منه الزُّبَيْرُ ، فأعْرَض عنه ، فوَجَدا فى أنفسِهما مِن ذلك ، ثم عرَضه الثالثةَ ، فطلَبه أبو دُجانةَ ، فدفَعه إليه ، فأعْطَى السيفَ حقَّه . قال : فزَعَموا أنَّ كعبَ بنَ مالكٍ قال : كنتُ فيمَن جُرِحَ[8] مِن المسلمين ، فلمَّا رأيتُ

---

(١) الدرقة : الترس يجعل من جلد ليس فيه خشب ولا عصب . انظر الوسيط (د ر ق) .

(٢) عض بالشىء : لزمه ولزق به . انظر اللسان (ع ض ض) .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٢٣٢، ٢٣٣. بنحوه ، دون ذكر المشرك الذى يذفف على الجرحى .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٩.

(٦ - ٦) فى م ، ص : « يحمس الناس حمسا » . ويحمش : أى يسوق بغضب . النهاية ١/ ٤٤١.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢١٥، ٢١٦ ، عن موسى بن عقبة .

(٨) فى النسخ ، والدلائل : « خرج » . والمثبت كما فى مغازى الواقدى ١/ ٢٦٠ قال : « وكان كعب بن مالك يقول : أصابنى الجراح يوم أحد » . وهذا مناسب للسياق كما سيأتى ، فإنه لم يترك المشرك ولم يواجهه ، لأنه كان جريحا لا يستطيع مواجهته .

مَثْلَ المشركين بقَتْلَى المسلمين قمتُ فتَجاوَزْتُ[1] ، فإذا رجلٌ مِن المشركين جِمْعُ اللَّأْمَةِ[2] يَحُوزُ[3] المسلمين ، وهو يقولُ : استَوْسِقوا كما اسْتَوْسَقَتْ جَزَرُ الغَنَمِ . قال : وإذا رجلٌ مِن المسلمين قائمٌ[4] يَنْتَظِرُه وعليه لَأْمَتُه ، فمَضَيْتُ حتى كنتُ مِن ورائِه ، ثُم قمتُ أَقْدُرُ المسلمَ والكافرَ ببصَرِى ، فإذا الكافرُ أفضلُهما عُدَّةً وهَيْئَةً . قال : فلم أَزَلْ أَنتَظِرُهما حتى التَقَيا ، فضرَب المسلمُ الكافرَ على حبلِ عاتقِه ضربةً بالسيفِ فبلَغَتْ وَرِكَه ، وتَفرَّق فِرْقتين ، ثم كشَف المسلمُ عن وجهِه وقال : كيف تَرَى يا كعبُ ؟ أنا أبو دُجانةَ .

---

(١) فى النسخ : « فتجاورت » . والمثبت من الدلائل ومغازى الواقدى . والمعنى أنه تعدَّى موضع القتلى وخلَّفه وراءه . انظر الوسيط (ج و ز) .

(٢) جمع اللأمة : مجتمع السلاح . النهاية ١/ ٢٩٧، وعنده : « جميع اللأمة » .

(٣) فى م ، والدلائل : « يجوز » . وانظر مغازى الواقدى ١/ ٢٦٠، والنهاية ١/ ٤٥٩، والمعنى كما ذكره ابن الأثير : أى يجمعهم ويسوقهم .

(٤) سقط من : م .

مقتلُ حمزةَ، رَضِىَ اللّهُ عنه

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقاتَل حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ حتى قتَل أَرْطاةَ بنَ عبدِ شُرَحْبِيلَ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدارِ، وكان أحدَ النفرِ الذين يَحْمِلون اللواءَ.

وكذلك[2] قتَل عثمانَ بنَ أبى طَلْحةَ، وهو حاملُ اللواءِ، وهو يقولُ:

إنّ على أهلِ اللواءِ حقّا ... أن يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ[3] أو تَنْدَقّا[4]

فحمَل عليه حمزةُ فقتَله، ثُم مرَّ به سِبَاعُ بنُ عبدِ العُزَّى الغُبْشانىُّ، وكان يُكْنَى بأبى نِيَارٍ، فقال حمزةُ: هلُمَّ إلىَّ يابنَ مُقَطِّعةِ البُظُورِ. وكانت أمُّه أمُّ أَنْمارٍ مولاةَ شَرِيقِ بنِ عمرِو بنِ وهبٍ الثَّقَفِىِّ، وكانت خَتَّانةً بمكةَ، فلمّا الْتَقَيا ضرَبه حمزةُ فقتَله، قال وَحْشِىٌّ غلامُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ: واللَّهِ إنِّى لأَنظُرُ إلى حمزةَ يَهُدُّ الناسَ بسيفِه ما يُلِيقُ شيئًا[5]، مثلَ الجملِ الأَوْرَقِ[6]، إذ قد تَقَدَّمنى إليه سِباعٌ، فقال حمزةُ: هلمَّ إلىَّ يابنَ مُقَطِّعةِ البُظُورِ. فضرَبه ضربةً فكأنما أخْطَأ رأسَه[7]، وهزَزْتُ حربَتى، حتى إذا رَضِيتُ منها دفَعْتُها عليه، فوقَعتْ فى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٩، ٧٠.

(٢) من هنا إلى قوله: «فحمل عليه حمزة فقتله». من كلام المصنف. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٧٤.

(٣) الصعدة: القناة، وهى الرمح الأجوف. شرح غريب السيرة ٢/١٠٧. والوسيط (ق ن و).

(٤) ينسب للأحنف بن قيس، فى قصة تراها فى طبقات ابن سعد ٧/٩٥، وعيون الأخبار ١/١٧٤.

(٥) بعده فى م: «يمر به». ويليق: يُبْقِى.

(٦) الأورق: أى لونه مثل الرماد، وكان ذلك من غبار الحرب. فتح البارى ٧/ ٣٧٠.

(٧) أخطأ رأسه: يقال لمن أراد شيئًا ففعل غيره: أخطأ. كما يُقال لمن قصد ذلك. انظر النهاية ٢/ ٤٥.

ثُنَّتِه[1] حتى خرَجتْ مِن بينِ رجليه، فأقْبَل نَحْوى، فغُلِب فوقَع، وأمْهلْتُه حتى إذا مات جئتُ فأخَذْتُ حربَتى، ثم تَنَحَّيْتُ إلى العَسْكَرِ، ولم يَكُنْ لى بشىءٍ حاجةٌ [٢/٢١٧و] غيرُه.

[2]وقال أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[3]: حدَّثنى عبدُ الوهَّابِ بنُ نَجْدَةَ، حدَّثنا بَقيَّةُ، عن بَحيرٍ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ، عن أبى بلالٍ[4]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ[5]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يومَ الشِّعْبِ[6] آخرَ أصحابِه، ولم يَكُنْ بينَه وبينَ العدوِّ غيرُ حمزةَ يُقَاتِلُ العدوَّ، فرصَدَه وَحْشِىٌّ فقتَله، وقد قتل اللَّهُ بيدِ حمزةَ من الكفارِ أحدًا وثلاثين، وكان يُدْعَى أَسَدَ اللَّهِ[2].

قال ابنُ إسحاقَ[7]: وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسِ[8] بنِ ربيعةَ بنِ

---

(١) الثنة: ما بين السرة والعانة من أسفل البطن. النهاية ١/ ٢٢٤.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من مصادر، إلا أن الصالحى ذكره فى سبل الهدى والرشاد ٤/ ٤١٨، وهو كثير النقل عن المصنف، فلعله نقله عنه. والحديث فى متنه شذوذ ظاهر، ففيه أن حمزة، رضى اللَّه عنه، قتل اللَّه بيده أحدا وثلاثين، ولكن عدد من قتل من المشركين فى أحد - كما قرره علماء السير والمغازى - لم يتجاوز بضعا وعشرين؛ ففى سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٩ أنهم اثنان وعشرون. وفى أنساب الأشراف ١/ ٣٢٨ أنهم نيف وعشرون. وفى طبقات ابن سعد ٢/ ٤٣ والمنتظم ٣/ ١٧٠ أنهم ثلاثة وعشرون. وأخرج البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٨٠ عن عروة أنهم تسعة عشر، وعن موسى بن عقبة أنهم ستة عشر. وقتل حمزة منهم أربعة، كما ذكر ذلك ابن إسحاق عند ذكره لقتلى المشركين ومن قتلهم. سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٧ - ١٢٩.

(٤) كذا فى الأصل. ولعله عبد اللَّه بن أبى بلال، فإنه الذى يروى عنه خالد بن معدان. وانظر ترجمة خالد بن معدان، وعبد اللَّه بن أبى بلال فى تهذيب الكمال ٨/ ١٦٨، ١٤/ ٣٥٢.

(٥) فى الأصل: «الشباب». والمثبت من سبل الهدى والرشاد.

(٦) الشعب: الطريق بين جبلين. ويقصد بذلك يوم أحد.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٠ - ٧٣.

(٨) فى م، ص: «عياش». وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٣٢.

الحارثِ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ ، عن جعفرِ بنِ عمرِو بنِ أُميةَ الضَّمْرِيِّ قال : خرَجْتُ أنا وعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَدِيِّ بنِ الخِيَارِ ، أخو[1] بنى نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، فى زمانِ مُعاويةَ ، فأدْرَبْنا[2] مع الناسِ ، فلمّا مرَرْنا بحِمْصَ ، وكان وَحْشِيٌّ مولَى جُبَيْرٍ قد سكَنها وأقام بها ، فلمَّا قَدِمْناها قال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَدِيٍّ : هل لك فى أن نَأْتِيَ وَحْشِيًّا ، فنَسْأَلَه عن قتلِ حمزةَ كيف قتَله ؟ قال : قلتُ له : إن شئتَ . فخرَجْنا نَسْأَلُ عنه بحِمْصَ ، فقال لنا رجلٌ ونحن نَسْأَلُ عنه : إنكما ستَجِدانِه بفِناءِ دارِه ، وهو رجلٌ قد غلَبتْ عليه الخمرُ ، فإن تَجِداه صاحيًا تَجِدا رجلًا عربيًّا ، وتَجِدَا عندَه بعضَ ما تُرِيدان ، وتُصِيبا عندَه ما شئتُما مِن حديثِ تَسْأَلانِه عنه ، وإن تَجِداه وبه بعضُ ما يَكُونُ[3] به ، فانصَرِفا عنه ودَعاه . قال : فخرَجْنا نَمْشِى حتى جئْناه ، فإذا هو بفِناءِ دارِه على طِنْفِسَةٍ[4] له ، وإذا شيخٌ كبيرٌ مثلُ البُغاثِ[5] ، وإذا هو صاحٍ لا بأسَ به ، فلمَّا انتَهَيْنا إليه سَلَّمْنا عليه ، فرفَع رأسَه إلى عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عَدِيٍّ فقال : ابنٌ لعَدِيِّ بنِ الخيارِ أنت ؟ قال : نعم . قال : أمَا واللَّهِ ما رأيتُك منذُ ناوَلْتُك أُمَّك السَّعْدِيَّةَ التى أرْضَعَتْك بذى طَوًى ، فإنِّى ناوَلْتُكَها وهى على بعيرِها ، فأخَذَتْك بعُرْضَيْك[6] ، فلَمَعتْ لى قدماك حينَ[7]

---

(١) فى م ، ص : « أحد » .

(٢) فى الأصل ، ص : « فأدربنا » . وأدربنا : أى دخلنا الدرب . انظر النهاية ٢/ ١١١ .

(٣) سقط من : م .

(٤) الطنفسة : بكسر الطاء والفاء وضمهما ، وبكسر الطاء وفتح الفاء : البساط الذى له خَمْل رقيق ، وجمعه طنافس . النهاية ٣/ ١٤٠ .

(٥) البغاث جمع بغاثة ، وهى الضعيف من الطير . وقيل : هى لئامها وشرارها . انظر النهاية ١/ ١٤٢ .

(٦) عُرْضا الشىء : جانباه . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٦ .

(٧) فى م : « حتى » .

رفَعْتُك إليها ، فواللَّهِ ما هو إلّا أن وقَفْتَ عليَّ فعرَفتُهما[1] . قال : فجلَسْنا إليه فقلنا : جئْناك لتُحَدِّثَنا عن قتلِك حمزةَ ، كيف قتَلْتَه ؟ فقال : أمَا إنِّى سأُحَدِّثُكما كما حدَّثْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ سألنى عن ذلك ؛ كنتُ غلامًا لجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، وكان عمُّه طُعَيْمَةُ بنُ عَدىٍّ قد أُصِيب يومَ بدرٍ ، فلمّا سارت قريشٌ إلى أُحدٍ قال لى جُبَيْرٌ : إن قتَلْتَ حمزةَ عمَّ محمدٍ بعمِّى ، فأنت عَتيقٌ . قال : فخرجتُ مع الناسِ ، وكنتُ رجلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ بالحربةِ قَذْفَ الحبَشةِ ، قَلَّما أُخْطِئُ بها شيئًا ، فلمّا الْتَقَى الناسُ خرجتُ أَنْظُرُ حمزةَ وأَتَبَصَّرُه ، حتى رأيْتُه فى عُرْضِ الناسِ كأنَّه الجملُ الأَوْرَقُ ، يَهُدُّ الناسَ بسيفِه هَدًّا ما يَقُومُ له شىءٌ ، فواللَّهِ إنى لأَتَهَيَّأُ له ، أُريدُه وأَستَتِرُ منه بشجرةٍ أو بحجرٍ لِيَدْنُوَ منى ، إذ تقَدَّمنى إليه سِباعُ بنُ عبدِ العُزَّى ، فلمَّا رآه حمزةُ قال : هلُمَّ إلىَّ يابنَ مُقَطِّعةِ البُظُورِ . قال : فضَرَبه ضربةً كأنما أخْطَأَ رأسَه . قال : وهزَزْتُ حربتى ، حتى إذا رَضِيتُ منها ، دفَعْتُها عليه ، فوَقَعتْ فى ثُنَّتِه حتى خرَجتْ مِن بينِ رجليه ، وذهَب لِيَنُوءَ[2] نحوى فغُلِب ، وترَكْتُه وإياها حتى مات ، ثم أتيْتُه فأخَذْتُ حربتى ، ثم رجَعْتُ إلى العَسْكَرِ ، فقعَدْتُ فيه ، ولم يَكُنْ لى بغيرِه حاجةٌ ، إنما قتَلْتُه لأَعْتِقَ ، فلمَّا قَدِمْتُ مكةَ عَتَقْتُ ثم أقمْتُ ، حتى إذا افتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ، هَرَبْتُ إلى الطائفِ فكنتُ[3] بها ، فلما خرَج وفدُ الطائفِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أى قدَمىْ عبيد اللَّه بن عدى . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٦٩: يعنى أنه شبّه قدميه بقدم الغلام الذى حمله ، فكان هو هو ، وبين الرؤيتين قريب من خمسين سنة ، فدل ذلك على ذكاء مفرط ومعرفة تامة بالقيافة .

(٢) ينوء : ينهض بجهد ومشقة . اللسان (ن و أ) .

(٣) فى م : « فمكثت » .

ليُسْلِموا ، تعَيَّتْ علىَّ المذاهبُ ، فقلتُ : أَلْحَقُ بالشامِ ، [٢/٢١٧ظ] أو باليمنِ ، أو ببعضِ البلادِ . فواللَّهِ إنى لفى ذلك مِن هَمِّى ، إذ قال لى رجلٌ : ويحَك ! إنه واللَّهِ ما يَقْتُلُ أحدًا مِن الناسِ دخَل فى دينِه وشَهِد شهادةَ الحقِّ . قال : فلمّا قال لى ذلك ، خرَجْتُ حتى قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلم يَرُعْه إلّا بى قائمًا على رأسِه أَشْهَدُ شهادةَ الحقِّ ، فلما رآنى قال : « أَوَحْشِيٌّ ؟ » . قلتُ : نعم يا رسولَ اللَّهِ . قال : « اقْعُدْ فحدِّثْنى كيف قتَلْتَ حمزةَ » . قال : فحدَّثْتُه كما حدَّثْتُكما ، فلمَّا فرَغْتُ مِن حديثى قال : « ويحَك ! غَيِّبْ عنى وجهَك فلا أَرَيَنَّك » . قال : فكنتُ أَتَنَكَّبُ[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ حيث كان ؛ لِئلَّا يَرانى ، حتى قبَضه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فلما خرَج المسلمون إلى مُسَيْلِمةَ الكذّابِ صاحبِ اليَمامةِ ، خرَجْتُ معهم ، وأخَذْتُ حربَتى التى قتَلْتُ بها حمزةَ ، فلما التَقَى الناسُ رأيْتُ مُسَيْلِمةَ قائمًا فى يدِه السيفُ ، وما أَعْرِفُه ، فتهيَّأْتُ له ، وتَهيَّأ له رجلٌ مِن الأنصارِ مِن الناحيةِ الأخرى ، كلانا يُرِيدُه ، فهزَزْتُ حربتى ، حتى إذا رَضِيتُ منها ، دفَعْتُها عليه ، فوقَعتْ فيه ، وشَدَّ عليه الأنصارىُّ بالسيفِ ، فربُّك أعلمُ أيُّنا قتَله ، فإن كنتُ قتَلْتُه ، فقد قتَلْتُ خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقتَلْتُ شرَّ الناسِ .

قلتُ : الأنصارىُّ هو أبو دُجانةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ ، كما سيَأْتى فى مَقْتلِ أهلِ اليَمامةِ [2]مع مُسَيْلِمَةَ[2] . وقال الواقدىُّ فى « الرِّدَّةِ »[3] : هو عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ

---

(١) يتنكب : يتجنب . اللسان (ن ك ب) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) انظر مغازى الواقدى ١/ ٢٦٩. و« الردة » كتاب ، كما عند السهيلى فى الروض ٥/ ٤٦١.

ابنِ عاصمٍ المازِنيُّ . وقال سيفُ بنُ عُمَرَ[1] : هو عَدِيُّ بنُ سهلٍ ، وهو القائلُ :

ألم تَـرَ أنـى ووَحْـشِـيَّـهـمْ قـتـلْـتُ مُـسَـيْـلِـمَـةَ المُفْـتَـتَـنْ[2]

ويَـسْـأَلُـنـى الـنـاسُ عـن قـتـلِـه فـقـلـتُ ضـرَبْـتُ وهـذا طَـعَـنْ

والمشهورُ أنَّ وَحْشِيًّا هو الذى بدَره بالضربةِ ، وذَفَّف عليه أبو دُجانةَ ؛ لِما رَوَى ابنُ إسحاقَ[3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الفضلِ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : سَمِعْتُ صارخًا يومَ اليَمامةِ يقولُ : قتَله العبدُ الأسودُ .

وقد روَى البخاريُّ قصةَ مقتلِ حمزةَ[4] ، مِن طريقِ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى سَلَمةَ الماجِشُونَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الفضلِ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ ، عن جعفرِ بنِ عمرِو بنِ أُميةَ الضَّمْرىِّ قال : خرَجْتُ مع عُبَيْدِ[5] اللَّهِ بنِ عَدِيِّ بنِ الخيارِ . فذكَر القصةَ كما تقدَّم . وذكَر أن عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عَدِيٍّ كان مُعْتَجِرًا عِمامةً ، لا يَرَى منه وَحْشِيٌّ إلّا عينيه ورِجليه ، فذكر مِن معرفتِه له ما تقدَّم ، وهذه قِيافةٌ عظيمةٌ - كما عرَف مُجَزِّزٌ[6] المُدْلِجِيُّ أقدامَ زيدٍ وابنِه أُسامةَ مع اختلافِ ألوانِهما[7] - وقال فى سياقتِه : فلمّا أن صفَّ الناسُ للقتالِ ، خرَج

---

(١) فى النسخ : «عمرو» . والمثبت من الروض الأنف ٥/ ٤٦١ . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٢٤ .

(٢) فى الأصل : «ذى اللعن» . وفى م ، ص : «المعتبن» . والمثبت من الروض الأنف .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٣ .

(٤) البخارى (٤٠٧٢) .

(٥) فى م ، ص : «عبد» .

(٦) فى الأصل : «محرز» . وإنما قيل له : مجزز . لأنه كان كلما أسر أسيرًا جزَّ ناصيته . انظر أسد الغابة ٥/ ٦٦ .

(٧) قصة مجزز مع زيد وأسامة أخرجها البخارى (٣٥٥٥، ٣٧٣١، ٦٧٧٠، ٦٧٧١) . ومسلم (١٤٥٩) .

سِبَاعٌ فقال: هل مِن مُبارِزٍ؟ فخرَج إليه حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ فقال له: يا سِباعُ، يابنَ أُمِّ أَنْمارٍ مُقَطِّعةِ البُظُورِ، أتُحَادُّ اللَّهَ ورسولَه؟ ثم شدَّ عليه، فكان كأمسِ الذاهبِ[1]. قال: وكَمَنْتُ لحمزةَ تحتَ صخرةٍ، فلما دَنا منى رمَيْتُه بحربتى، فأَضَعُها فى ثُنَّتِه حتى خرَجتْ مِن بينِ وَرِكَيْه. قال: فكان ذلك آخرَ العهدِ به. إلى أن قال: فلما قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ وخرَج مُسَيْلِمةُ الكذابُ، قلتُ: لأَخْرُجُ إلى مُسَيْلِمةَ لَعلِّى أَقْتُلُه فأُكافِئَ به حمزةَ. قال: فخرَجْتُ مع الناسِ، فكان مِن أمرِه ما كان. قال: فإذا رجلٌ قائمٌ فى ثُلْمَةِ[2] جِدارٍ، كأنَّه جملٌ أَوْرَقُ، ثائرُ الرأسِ. قال: فرَمَيْتُه بحربتى، فأَضَعُها بينَ ثَدْيَيْه حتى خرَجَت مِن كَتِفَيه. قال: ووَثَب إليه رجلٌ مِن الأنصارِ [٢/٢١٨و] فضرَبه بالسيفِ على هامَتِه. قال عبدُ اللَّهِ بنُ الفضلِ: فأخبرَنى سليمانُ بنُ يَسارٍ، أنَّه سَمِع عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ يقولُ: فقالت جاريةٌ على ظهرِ البيتِ: [3]وا أميرَ المؤمنين[3]، قتَله العبدُ الأسودُ.

قال ابنُ هشامٍ[4]: فبلَغنى أن وَحْشِيًّا لم يَزَلْ يُحَدُّ فى الخمرِ حتى خُلِع مِن الدِّيوانِ، فكان عمرُ بنُ الخطابِ يقولُ: قد عَلِمتُ[5] أنَّ اللَّهَ لم يَكُنْ

---

(١) كان كأمس الذاهب: كناية عن قتله، أى صيَّره عدمًا. انظر فتح البارى ٧/ ٣٦٩.

(٢) ثلمة جدار: أى خَلَل جدار. المصدر السابق ٧/ ٣٧٠.

(٣ - ٣) فى الأصل: «وأأميراه». وفى م، ص: «وأأمير المؤمناه». والمثبت من البخارى، قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٧١: لكن فى قول الجارية: أمير المؤمنين. نظر؛ لأن مسيلمة كان يدَّعِى أنه نبى مرسل من اللَّه، وكانوا يقولون له: يا رسول اللَّه، يا نبى اللَّه. والتلقيب بأمير المؤمنين حدث بعد ذلك، وأول من لُقِّب به عمر، وذلك بعد قتل مسيلمة بمدة، فليُتأمل هذا.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٣.

(٥) فى م، ص: «قلت».

لِيَدَعَ قاتلَ حمزةَ .

قلتُ : وتُوُفِّيَ وَحْشِيُّ بنُ حربٍ أبو دَسْمةَ - ويقالُ : أبو حربٍ - بحِمْصَ ، وكان أولَ مَن لَبِس الثيابَ المدلوكةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقاتَل مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ دونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى قُتِل ، وكان الذى قتَله ابنُ قَمِئةَ الليثيُّ ، وهو يَظُنُّ أنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فرَجَع إلى قريشٍ فقال : قتَلْتُ محمدًا .

قلتُ : وذكَر موسى بنُ عقبةَ فى « مَغازيه »[2] ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّ الذى قتَل مُصْعَبًا هو أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ : فلمَّا قُتِل مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، أَعْطَى رسولُ اللَّهِ ﷺ اللِّواءَ علىَّ بنَ أبى طالبٍ .

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ[3] : كان اللواءُ أولًا مع علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فلمَّا رَأى رسولُ اللَّهِ ﷺ لواءَ المشركين مع بنى عبدِ الدارِ قال : « نحن أحقُّ بالوفاءِ منهم » . أخَذ اللواءَ مِن علىٍّ فدفَعه إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، فلما قُتِل مُصْعَبٌ أعْطَى اللواءَ علىَّ بنَ أبى طالبٍ . قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقاتَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ ورجالٌ مِن المسلمين .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٣.
(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢١١، ٢١٢ ، عن موسى بن عقبة به .
(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٢٣٨ ، عن يونس بن بكير به .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٣.

قال ابنُ هشامٍ[1] : وحدَّثنى مَسْلَمَةُ بنُ عَلْقَمَةَ المازِنىُّ قال : لمّا اشتَد القتالُ يومَ أُحدٍ ، جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ تحتَ رايةِ الأنصارِ ، وأرْسَل إلى علىٍّ أن قَدِّمِ الرايةَ ، فتقدَّم علىٌّ وهو يقولُ : أنا أبو القُصَمِ[2] . فناداه أبو سعدِ بنُ أبى طَلْحَةَ ، وهو صاحبُ لواءِ المشركين ، أنْ هل لك يا أبا القُصَمِ فى البِرازِ مِن حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبرَزا بينَ الصفيْنِ ، فاختَلَفا ضربتَيْنِ ، فضرَبه علىٌّ فصرَعه ، ثم انصَرَف ولم يُجْهِزْ عليه ، فقال له بعضُ أصحابِه : أفلا أَجْهَزْتَ عليه ؟ فقال : إنه استَقْبَلنى بعَوْرَتِه ، فعَطَفَتْنى عليه الرَّحِمُ ، وعرَفْتُ أنَّ اللَّهَ قد قتَله .[3] وقد فعَل ذلك علىٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يومَ صِفِّينَ مع بُسْرِ بنِ أبى أَرْطاةَ ، لمّا حمَل عليه ليَقْتُلَه ، أبْدَى له عن عورتِه فرجَع عنه ، وكذلك فعَل عمرُو بنُ العاصِ حينَ حمَل عليه علىٌّ فى بعضِ أيامِ صِفِّينَ ، أبْدَى عن عورتِه فرجَع علىٌّ أيضًا . ففى ذلك يقولُ الحارثُ بن النَّضْرِ[4] :

أفى[5] كلِّ يومٍ فارسٌ غيرُ مُنْتَهٍ ... وعورتُه وسْطَ العَجاجةِ[6] باديَهْ

يَكُفُّ لها عنه علىٌّ سِنانَه ... ويَضْحَكُ منها فى الخَلاءِ مُعاوِيَهْ[3]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٣، ٧٤.

(٢) القصم جمع قَصْمَة ، وهى العَضْلَة المهلِكة ، ويجوز أن يكون جمع القُصْمَى ، أى الداهية التى تقصم ، وهذا المعنى أصح . الروض الأنف ٥/ ٤٦٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) انظر وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم العنقرى ص ٤٦٢. وعنده : « النضر بن الحارث » . وهو خطأ . وانظر الاستيعاب ١/ ١٦٥، والروض الأنف ٥/ ٤٦٢، ٤٦٣، ونهاية الأرب ٢٠/ ١٥٤، والإصابة ١/ ٦٠١، ٦٠٢.

(٥) فى م ، ص : « أتى » . والمثبت من المصادر السابقة .

(٦) العجاجة : الغبار ، ويعنى هنا المعركة .

وذكَر يونسُ، عن ابنِ إسحاقَ[1]، أن طَلْحةَ بنَ أبى طَلْحةَ العَبْدرىَّ حاملَ لواءِ المشركين يومئذٍ دعا إلى البِرازِ، فأحْجَم الناسُ عنه، فبرَز إليه الزبيرُ بنُ العوّامِ، فوثَب حتى صار معه على جَملِه، ثُم اقْتَحَم به الأرضَ، فألقاه عنه وذبَحه بسيفِه، فأثْنَى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ لكلِّ نبىٍّ حوارِيًّا، وحَوارِىَّ[2] الزبيرُ». وقال: «لو لم يَبْرُزْ إليه لبَرَزْتُ أنا إليه؛ لِما رأيتُ مِن إحْجامِ الناسِ عنه».

وقال ابنُ إسحاقَ[3]: قتَل أبا سعدِ بنَ أبى طَلْحةَ سعدُ بنُ أبى وَقّاصٍ، وقاتَل عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى الأقْلَحِ، فقتَل [4]مُسافِعَ بنَ طَلْحةَ بنِ أبى طلْحةَ[4] وأخاه الجُلَاسَ، كلاهما يُشْعِرُه[5] سهمًا، فيَأْتِى أُمَّه سُلَافةَ، فيَضَعُ رأسَه فى حِجْرِها، فتقولُ: يا بُنىَّ، مَن أصابك؟ فيقولُ: سَمِعتُ رجلًا حينَ رَمانى وهو يقولُ: خُذْها وأنا ابنُ أبى الأَقْلَحِ. فنذَرَتْ إن أَمْكَنها اللَّهُ مِن رأسِ عاصمٍ، أن تَشْرَبَ فيه الخمرَ، وكان عاصمٌ قد عاهَد اللَّهَ أن لا يَمَسَّ مُشركًا أبدًا، ولا يَمَسَّه. ولهذا حماه اللَّهُ منهم يومَ الرَّجِيعِ، كما سيأْتى.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: والتْقَى حَنْظَلةُ بنُ أبى عامرٍ[7] - واسمُه عَمْرٌو،[7]

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٢٢٧، عن يونس به إلا أنه لم يسمِّ الرجل الذى دعا للبراز.

(٢) البخارى ٣٧١٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٤.

(٤ - ٤) فى الأصل: «شافع بن أبى طلحة». وفى م، ص: «نافع بن أبى طلحة». والمثبت من السيرة. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٢٧.

(٥) يشعره: يطعنه حتى يدخل السنان جوفه. النهاية ٢/ ٤٧٩.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٥.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(١ ويقالُ(٢) : عبدُ عمرِو بنُ صَيْفيٍّ . وكان يقالُ لأبى عامرٍ فى الجاهليةِ : الراهبُ . لكثرةِ عبادتِه ، فسمّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ : الفاسقَ ؛ لمّا خالف الحقَّ وأهلَه ، وخرَج مِن المدينةِ هَرَبًا مِن الإسلامِ ، ومخالفةً للرسولِ ، عليه السلامُ ، وحَنْظَلةُ الذى يُعْرَفُ بحَنْظَلةَ ١) الغَسِيلِ ؛ لأنَّه غسَّلتْه الملائكةُ ، كما سيأتى - هو وأبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حربٍ ، فلمَّا علاه حَنْظَلةُ رآه شَدَّادُ بنُ الأسْودِ(٣) ، وهو الذى يقالُ له : ابنُ شَعُوبَ . فضرَبه شَدَّادٌ فقتَله ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ صاحبَكم لَتُغَسِّلُه الملائكةُ ، فاسألُوا أهلَه ما شأنُه » . [٢/٢١٨ظ] فسُئِلتْ صاحبتُه - ٤) قال الواقدىُّ(٥) : هى جَمِيلةُ بنتُ ٦) عبدِ اللَّهِ بنِ ٦) أُبَىِّ بنِ سَلُول ، وكانت عَروسًا عليه تلك الليلةَ ٤) - فقالت : خرَج وهو جُنُبٌ حينَ سمِع الهاتِفةَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لذلك غسَّلَتْه الملائكةُ » . وقد ذكَر موسى بنُ عقبةَ(٧) أنَّ أباه ضرَب برجلِه فى صدرِه وقال : ذنبان أصبتَهما ، ولقد نهَيْتُك عن مَصْرَعِك هذا ، ولقد واللَّهِ كنتَ وَصولًا للرَّحِمِ ، بَرًّا بالوالدِ .

قال ابنُ إسحاقَ(٨) : وقال ٩) شدّادُ بنُ الأسودِ فى قتلِه حَنْظَلةَ ٩) :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٨٤، ٥٨٥.

(٣) فى م ، ص : « الأوس » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) مغازى الواقدى ١/ ٢٧٣.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص . والمثبت من مغازى الواقدى ، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٦٥، وأسد الغابة ٧/ ٥٤، والإصابة ٧/ ٥٦٢.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢١٤، عن موسى بن عقبة به .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٥.

(٩ - ٩) فى م ، ص : « ابن شعوب فى ذلك » .

لَأَحْمِيَنَّ صاحبى ونفسى بطعنةٍ مثلِ شُعاعِ الشمسِ

وقال ابنُ شَعُوبَ[1] :

ولولا دِفاعى يابنَ حربٍ ومَشْهدى لأُلْفِيتَ يومَ النَّعْفِ[2] غيرَ مُجيبِ

ولولا مَكَرِّى المُهْرَ بالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ عليه ضِباعٌ أو ضِراءُ كَلِيبِ[3]

وقال أبو سُفيانَ[4] :

ولو شئتُ نَجَّتْنى كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ولم أَحْمِلِ[5] النَّعْماءَ لابنِ شَعُوبِ[6]

ومازال مُهْرى مَزْجَرَ الكلبِ[7] منهمُ لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى دَنَتْ لغُروبِ

أُقاتِلُهم وأَدَّعِى يا لغالبٍ وأَدْفَعُهم عنى برُكْنِ صَلِيبِ

فبَكِّى ولا تَرْعَىْ مَقالَةَ عاذِلٍ ولا تَسْأَمِى مِن عَبْرةٍ ونَحِيبِ

أباك وإخوانًا له قد تَتابعوا وحُقَّ لهم مِن عَبْرةٍ بنَصِيبِ

وسَلِّى الذى قد كان فى النَّفْسِ إنَّنى قَتَلْتُ مِن النَّجَّارِ كلَّ نَجِيبِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٦، ٧٧.

(٢) النعف : أسفل الجبل . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٩.

(٣) قرقرت ضباع : أى أسرعت وخفَّت لأكله . والضراء : الضارية المتعوِّدة للصيد أو لأكل لحوم الناس . وكليب : اسم لجماعة الكلاب . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٥، ٧٦.

(٥) فى الأصل، ص : «أجعل» .

(٦) الكميت من الخيل : يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة . والطمرة : الفرس السريعة الوثب . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٧. والوسيط (ك م ت) .

(٧) مزجر الكلب : يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٧، ١٠٨.

ومِن هاشمٍ قَرْمًا كَرِيمًا ومُصْعَبًا ... وكان لَدَى الهَيْجاءِ غيرَ هَيُوبِ[1]

فلو أننى لم أَشْفِ نفسىَ منهمُ ... لكانت شَجًى فى القلبِ ذاتَ نُدُوبِ[2]

فآبُوا وقد أَوْدَى الجَلابِيبُ منهمُ ... بهم خَدَبٌ مِن مُعْبَطٍ[3] وكَئِيبِ[4]

أصابهمُ مَن لم يَكُنْ لدمائِهم ... كِفَاءً ولا فى خُطَّةٍ بضَرِيبِ[5]

فأجابه حسانُ بنُ ثابتٍ[6] :

ذكَرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ مِن آلِ هاشمٍ ... ولستَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصيبِ

أتَعْجَبُ أن أقْصَدْتَ[7] حمزةَ منهمُ ... نَجِيبًا وقد سمَّيْتَه بنجيبِ

ألم يَقْتُلوا عَمرًا وعُتْبةَ وابنَه ... وشَيْبَةَ والحجَّاجَ وابنَ حَبِيبِ

غَداةَ دَعا العاصى عليًّا فرَاعَه ... بضَرْبةِ عَضْبٍ بَلَّه بخَضِيبِ[8]

---

(١) القرم : الفحل الكريم من الإبل . وعنى به ههنا حمزة ، رضى اللّه عنه . والمصعب : الفحل من الإبل أيضا . والهيجاء : الحرب . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٨.

(٢) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح . المصدر السابق .

(٣) فى م ، ص : « مغبط » . وفى السيرة : « معطب » . والمعبط : الذى يسيل دمه . انظر المصدر السابق .

(٤) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار الخشن ههنا ، وكان مشركو أهل مكة يُسَمُّون من أسلم مع رسول اللّه ﷺ : الجلابيب ، يُلقِّبونهم بذلك . الخدب : الطعن النافذ إلى الجوف . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٨.

(٥) الخطة : الخصلة الرفيعة . والضريب : الشبيه . المصدر السابق .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٧٦. وديوان حسان ص ٣٧٢.

(٧) أقصدت : أصبت ، يقال : رماه فأقصده . إذا أصابه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٠٩.

(٨) العضب : السيف القاطع . والخضيب : الدم . المصدر السابق .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم أنزَل اللَّهُ نصرَه على المسلمين، وصَدَقَهم وعدَه فحَسُّوهم بالسيوفِ[2] حتى كَشَفوهم عن العَسْكَرِ، وكانت الهزيمةُ لا شكَّ فيها، وحدَّثنى يحيى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، عن أبيه عَبّادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، عن الزُّبيرِ، قال: واللَّهِ لقد رأيْتُنى أنظُرُ إلى خَدَمِ[3] هندَ بنتِ عُتْبةَ وصواحِبِها؛ مُشَمِّراتٍ هوارِبَ، ما دونَ أخْذِهِنَّ قليلٌ ولا كثيرٌ، إذ مالَتِ الرماةُ على العسكرِ حينَ كَشَفْنا القومَ عنه، وخَلَّوْا ظُهُورَنا للخيلِ، فأُتِينا مِن خَلْفِنا، وصرَخ صارِخٌ[4] : [٢/٢١٩و] ألَا إنَّ محمدًا قد قُتِل. فانْكَفَأْنا وانْكَفَأ القومُ علينا بعدَ أن أَصَبْنا أصحابَ اللواءِ، حتى ما يَدْنو منه أحدٌ منهم. قال: فحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ اللواءَ لم يَزَلْ صَرِيعًا حتى أخَذَتْه عَمْرَةُ بنتُ عَلْقَمةَ الحارِثِيَّةُ، فرَفَعَتْه لقُريشٍ، فلَاثوا به[5]، وكان اللواءُ مع صُؤَابٍ، غلامٍ لبنى أبى طَلْحةَ، حَبَشىٌّ، وكان آخرَ مَن أخَذَه منهم، فقاتَل به حتى قُطِعَتْ يداه، ثُم بَرَكَ عليه، فأخَذ اللواءَ بصدرِه وعنقِه حتى قُتِل عليه، وهو يقولُ:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٧٧ - ٧٩.

(٢) فحسوهم بالسيوف: قتلوهم. والحسُّ: القتل الذريع المُستأصِل. انظر اللسان (ح س س).

(٣) الخَدَم جمع خَدَمة، وهى الخَلْخال، وقد تُسمّى الساق خدمة حملًا على الخلخال؛ لكونها موضعه. انظر اللسان (خ د م).

(٤) قال ابن هشام: الصارخ أزبُّ العقبة، يعنى الشيطان. انظر سيرة ابن هشام ٢/٧٨.

(٥) فلاثوا به: أى اجتمعوا حوله. اللسان (ل و ث).

اللَّهُمَّ هل أعْزَرْتُ ؟ يعنى اللهُمَّ هل أعذرتُ[1] ؟. فقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى ذلك[2] :

فَخَرْتُم باللِّواءِ وشرُّ فَخْرٍ ... لواءٌ حينَ رُدَّ إلى صُؤَابِ
جعَلْتُم فَخْرَكم فيه لعبدٍ ... وأَلْأَمِ مَن يَطَا عَفْرَ التُّرابِ[3]
ظَنَنْتُم والسَّفِيهُ له ظُنونٌ ... وما إنْ ذاكَ مِن أمرِ الصَّوابِ
بأنَّ جِلادَنا يومَ التَقَيْنا ... بمكةَ بَيْعُكم حُمْرَ العِيابِ[4]
أقَرَّ العينَ أن عُصِبتْ يَداه ... وما إن تُعْصَبانِ على خِضابِ

وقال حسانُ أيضًا فى رَفْعِ عَمْرةَ بنتِ عَلْقَمةَ اللواءَ لهم[5] :

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلينا كأنَّها ... جَدَايةُ شِرْكٍ مُعْلَماتِ الحَواجِبِ[6]
أقَمْنا لهم طَعْنًا مُبيرًا[7] مُنَكِّلًا ... وحُزْناهُمُ بالضربِ مِن كلِّ جانِبِ

---

(١) قال أبو ذر : يعنى أنه كانت فى لسانه لُكْنة أعجمية ، فغير الذال من « أعذرت » إلى الزاى ؛ لأنه كان حبشيا . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٠.

(٢) ديوان حسان ص ٣٧٢.

(٣) يطا : أراد « يطأ » مسهّل الهمزة . والعفر : التراب الذى لونه بين الحمرة والغبرة . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٠.

(٤) فى الأصل : « العتاب » . والعياب جمع عَيْبة ، وهى ما يُجعل فيها الثياب . اللسان (ع ى ب) .

(٥) ديوان حسان ص ١٧٢.

(٦) عضل : قبيلة ، وهو عضل بن الهون بن خزيمة . انظر اللسان (ع ض ل) . الجداية بفتح الجيم وكسرها : الصغير من أولاد الظباء . وشرك : اسم موضع ، وهو بضم الشين وكسرها . شرح غريب السيرة ٢/ ١١١.

(٧) مبيرا : مُهْلِكا .

فلولا لواءُ الحارِثِيَّةِ أصْبَحوا يُباعونَ فى الأسواقِ بَيْعَ الجَلائِبِ[1]

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فانْكَشَف المسلمون ، وأصاب منهم العدوُّ ، وكان يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ ، أكرَم اللَّهُ فيه مَن أكْرَم بالشَّهادةِ ، حتى خَلَص العدوُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدُثَّ[3] بالحجارةِ حتى وقَع لشِقِّه ، فأُصِيبَتْ رَباعِيَتُه ، وشُجَّ فى وجهِه ، وكُلِمَتْ شَفَتُه ، وكان الذى أصابه عُتْبةُ بنُ أبى وَقّاصٍ ، فحدَّثنى حُمَيْدٌ الطَّويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كُسِرتْ رَباعِيَةُ النبىِّ ﷺ يومَ أُحدٍ ، وشُجَّ فى وجهِه ، [4]وجَعَل الدمُ يَسِيلُ فى وجهِه[4] ، فجَعَل يَمْسَحُ الدمَ ويقولُ : « كيف يُفْلِحُ قومٌ خَضَبُوا وجهَ نبيِّهم وهو يَدْعُوهم إلى اللَّهِ » ؟ فأنزَل اللَّهُ[5] : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال ابنُ جريرٍ فى « تاريخِه »[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ الحُسينِ ، حدَّثنا أحمدُ ابنُ المُفَضَّلِ[7] ، حدَّثنا أسْباطٌ ، عن السُّدِّىِّ قال : أتَى ابنُ قَمِئةَ الحارثىُّ ، فرَمَى رسولَ اللَّهِ ﷺ بحجرٍ ، فكسَر أنفَه ورَباعِيَتَه ، وشجَّه فى وجهِه فأثْقَلَه ، وتَفَرَّق

---

(١) الجلائب جمع جَلُوبة ، وهو ما جُلب للتجارة من كل شىء . الوسيط (ج ل ب) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٧٩، ٨٠.

(٣) فى م : « فذب » . وفى ص : « فرب » . ودُثّ : رُمِى حتى التوى بعض جسده . شرح غريب السيرة ٢/ ١١١.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) انظر التفسير ٢/٩٥ - ٩٨.

(٦) تاريخ الطبرى ٢/٥١٩ - ٥٢١. حوادث السنة الثالثة .

(٧) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من المصدر السابق . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٨٧.

عنه أصحابُه ، ودخَل بعضُهم المدينةَ ، وانْطَلَق طائفةٌ فوقَ الجبلِ إلى الصَّخْرةِ ، وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعو الناسَ : « إلىَّ عبادَ اللَّهِ ، إلىَّ عبادَ اللَّهِ » . فاجْتَمَع إليه ثلاثون رجلًا ، فجعَلوا يَسِيرون بينَ يديه ، فلم يَقِفْ أحدٌ إلَّا طَلْحةُ وسهلُ ابنُ حُنَيْفٍ ، فحماه طَلْحةُ ، فرُمِىَ بسهمٍ فى يدِه فيَبِسَتْ يدُه ، وأقْبَل أُبَىُّ بنُ خَلَفٍ الجُمَحىُّ ، وقد حَلَف لَيَقْتُلَنَّ النبىَّ ﷺ فقال : « بل أنا أَقْتُلُه » . فقال : يا كَذّابُ ، أين تَفِرُّ ؟ . فحمَل عليه ، فطَعَنه النبىُّ ﷺ فى جَيْبِ الدِّرعِ ، فجُرِح جُرْحًا خفيفًا ، فوقَع يَخُورُ خُوارَ الثَّوْرِ ، فاحْتَمَلوه وقالوا : ليس بك جِراحَةٌ ، فما يُجْزِعُك ؟ قال : أليس قال : « لَأَقْتُلَنَّك » ؟ لو كانت بجَمِيعِ[1] رَبيعةَ ومُضَرَ [٢/٢١٩ظ] لقَتَلَتْهم[2] . فلم يَلْبَثْ إلَّا يومًا أو بعضَ يومٍ حتى مات من ذلك الجُرْحِ ، وفَشا فى الناسِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قُتِل ، فقال بعضُ أصحابِ الصخْرةِ : ليت لنا رسولًا إلى عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ، فيَأْخُذَ لنا أَمَنَةً مِن أبى سُفيانَ ، يا قومُ ، إنَّ محمدًا قد قُتِل ، فارْجِعوا إلى قومِكم قبلَ أن يَأْتُوكم فيَقْتُلُوكم . فقال أنسُ بنُ النَّضْرِ : يا قومِ ، إن كان محمدٌ قد قُتِل ، فإن ربَّ محمدٍ لم يُقْتَلْ ، فقاتِلوا على ما قاتَل عليه محمدٌ ﷺ ، اللَّهُمَّ إنِّى أعْتَذِرُ إليك ممَّا يقولُ هؤلاء ، وأبْرَأُ إليك ممّا جاءَ به هؤلاء . ثُم شَدَّ بسيفِه فقاتَل حتى قُتِل ، وانْطَلَق رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعو الناسَ ، حتى انْتَهى إلى أصحابِ الصخْرةِ ، فلمَّا رَأَوْه وضَع رجلٌ سَهْمًا فى قوسِه ، [3]فأراد أنْ[3] يَرْمِيَه ، فقال : « أنا رسولُ اللَّهِ » .

---

(١) فى م ، ص : « تجتمع » .

(٢) فى م ، ص : « لقتلهم » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

ففَرِحوا بذلك حينَ وجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وفرِح رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ رَأَى أنَّ فى أصحابِه مَن يَمْتَنِعُ به[1] ، فلمَّا اجْتَمَعوا وفيهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ذهَب عنهم الحزنُ ، فأَقْبَلوا يَذْكُرون الفَتْحَ وما فاتهم منه ، ويَذْكُرون أصحابَهم الذين قُتِلوا ، فقال اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فى الذين قالوا : إن محمدًا قد قُتِل فارْجِعوا إلى قومِكم[2] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٤] . فأَقْبَل أبو سفيانَ حتى أَشْرف عليهم ، فلمَّا نظَروا إليه نَسُوا ذلك الذى كانوا عليه ، وهَمَّهم أبو سفيانَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس لهم أن يَعْلُونا ، اللَّهمَّ إن تُقْتَلْ هذه العِصابةُ ، لا تُعْبَدْ فى الأرضِ » . ثُم ندَب أصحابَه فرَمَوْهم بالحجارةِ حتى أنْزَلوهم ، فقال أبو سفيانَ يومَئذٍ : اعْلُ هُبَل ، حَنْظَلَةُ بحنظلة ، ويومُ أُحدٍ بيومِ بدر . وذكَر تمامَ القصَّةِ . وهذا غريبٌ جدًّا ، [3]وفى بعضِه[3] نَكارَةٌ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : وزعَم[5] رُبَيْحُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدٍ ، [6]عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ[6] ، أنَّ عُتْبَةَ بنَ أبى وَقّاصٍ رَمَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فكَسَر رَباعِيَتَه اليُمنَى السُّفلَى ، وجرَح شَفَتَه السُّفلَى ، وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ شهابٍ الزُّهرىَّ شجَّه فى جبهتِه ، وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ قَمِئَةَ جرَح وَجْنَتَه ، فدخَلت حَلْقَتان مِن حَلَقِ

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) التفسير ٢/١٠٨ - ١١٠.

(٣ - ٣) فى م ، ص : « وفيه » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٠.

(٥) كذا بالنسخ ، وفى السيرة : « وذكر » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٩، ١٧/ ١٣٤.

المِغْفَرِ[1] فى وَجْنَتِه، ووقَع رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حُفرةٍ مِن الحُفَرِ التى عَمِل أبو عامرٍ؛ ليَقَع فيها المسلمون [2]وهم لا يَعْلَمون[2]، فأخَذ علىُّ بنُ أبى طالبٍ بيدِه، ورَفَعَه طلحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ حتى اسْتَوى قائمًا، ومصَّ مالكُ بنُ سِنانٍ، أبو أبى سعيدٍ، الدمَ مِن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثُم ازْدَرَدَه[3]، فقال: «مَن مَسَّ دَمُه دَمِى لم تُصِبْه[4] النارُ».

قلتُ: وذكَر قتادةُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا وقَع لشِقِّه أُغْمِىَ عليه، فمرَّ به سالمٌ مولى أبى حُذيفةَ، فأجْلَسَه ومسَح الدمَ عن وجهِه، فأفاق وهو يقولُ: «كيف يُفْلِحُ قومٌ فعَلوا هذا بنبيِّهم وهو يَدْعُوهم إلى اللَّهِ»؟ فأنزَل اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية. رَواه ابنُ جريرٍ[5]، وهو مُرْسَلٌ، وسيأتى بَسْطُ هذا فى فصلٍ وحدَه.

قلتُ: كان أولُ النهارِ للمسلمين على الكفارِ، كما قال اللَّهُ تعالى[6]: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ

---

(١) المغفر: شبيه بحَلَق الدرع، يجعل على الرأس يُتَّقَى به فى الحرب. شرح غريب السيرة ٢/ ١١١.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) ازدرده: ابتلعه.

(٤) فى م: «تمسسه»، وفى ص: «تمسه».

(٥) تفسير الطبرى ٨٧/٤ بنحوه. سورة آل عمران آية ١٢٨.

(٦) التفسير ١١٣/٢ - ١٢٤.

تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٢ ، ١٥٣] .

قال الإمامُ أحمدُ[١] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ ، أخْبَرنا عبدُ الرحمنِ [٢/٢٢٠و] ابنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن عُبيدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال : ما نصَر اللَّهُ فى موطنٍ كما نصَر يومَ أُحدٍ . قال : فأنكَرْنا ذلك ، فقال : بينى وبينَ مَن أنكَر ذاك[٢] كتابُ اللَّهِ ، إن اللَّهَ يقولُ فى يومِ أُحدٍ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ يقولُ ابنُ عباسٍ : والحَسُّ القتلُ . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وإنما عَنَى بهذا الرُّماةَ ، وذلك أنَّ النبىَّ ﷺ أقامهم فى موضعٍ ، ثم قال : « احْمُوا ظهورَنا ، فإن رَأَيْتُمونا نُقْتَلُ فلا تَنْصُرونا ، وإن رأيْتُمونا نَغْنَمُ فلا تَشْرَكونا » . فلمَّا غَنِم النبىُّ ﷺ وأباحوا عَسْكَرَ المشركين ، أكَبَّ الرُّماةُ جميعًا ، فدَخَلوا فى العسكرِ يَنْهَبون ، وقد التَقَتْ صفوفُ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فهُمْ هكذا - وشَبَّك بينَ أصابعِ يَدَيْه - والتَبَسُوا[٣] ، فلمَّا أخَلَّ الرُّماةُ تلك الخَلَّةَ[٤] التى كانوا فيها ، دَخَلَتِ الخيلُ مِن ذلك الموضعِ على أصحابِ النبىِّ ﷺ ، فضَرَب بعضُهم بعضًا والتَبَسوا ، وقُتِل مِن المسلمين ناسٌ كثيرٌ ، وقد كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه أولُ النهارِ ، حتى قُتِل مِن أصحابِ لواءِ

---

(١) المسند ١/ ٢٨٧، ٢٨٨. (إسناده صحيح) .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل : « وانتشبوا » .

(٤) الخلة : الفُرجة والثُّلمة ، وأصله من التخلُّل بين الشيئين . انظر اللسان (خ ل ل) .

المشركين سبعةٌ أو تسعةٌ ، وجال المسلمون جَوْلةً نحوَ الجبلِ ، ولم يَبْلُغوا - حيث يقولُ الناسُ - الغارَ[1] ، إنَّما كانوا[2] تحتَ المِهْراسِ[3] ، وصاح الشيطانُ : قُتِل محمدٌ . فلم يُشَكَّ فيه أنَّه حقٌّ ، فما زِلْنا كذلك ما نَشُكُّ أنَّه حقٌّ[4] ، حتى طلَع رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ السَّعْدَيْن ، نَعْرِفُه بتَكَفُّئِه[5] إذا مَشَى . قال : ففَرِحْنا كأنَّه لم يُصِبْنا ما أصابنا . قال : فرَقِيَ نحوَنا وهو يقولُ : « اشْتَدَّ غضبُ اللَّهِ على قومٍ دَمَّوْا وجهَ رسولِ اللَّهِ » . ويقولُ مرَّةً أُخرى : « اللَّهمَّ إنَّه ليس لهم أن يَعْلُونا » . حتى انتهى إلينا فمَكَث ساعةً ، فإذا أبو سفيانَ يَصيحُ فى أسفلِ الجبلِ : اعْلُ هُبَلُ[6] - مرَّتَيْنِ ، يَعنى آلهتَه - أين ابنُ أبى كَبْشَةَ[7] ؟ أين ابنُ أبى قُحافةَ ؟ أين ابنُ الخطابِ ؟ فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ألَا أُجِيبُه ؟ قال : « بلى » . قال : فلمَّا قال : اعلُ هبلُ . قال : اللَّهُ أعلَى وأجلُّ . [8]فقال أبو سفيانَ : يابنَ الخطابِ ، قد أَنْعَمَتْ [9]عَيْنُها ، فعادِ عنها . أو[9] : فَعالِ عنها[10][8] .

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى م ، ص : « كان » .

(٣) المهراس : اسم ماء بأحد . اللسان (هـ ر س) .

(٤) فى المسند : « قد قتل » .

(٥) التكفؤ : التمايل إلى قُدّام . انظر النهاية ٤/ ١٨٣ .

(٦) بعده فى م ، ص : « اعل هبل » .

(٧) كان المشركون ينسبون النبى ﷺ إلى أبى كبشة ، وهو رجل من خزاعة خالف قريشًا فى عبادة الأوثان ، وعبَد الشعرى العَبُورَ ، فلما خالفهم النبى ﷺ فى عبادة الأوثان شبَّهوه به . وقيل : إنه كان جَدَّ النبى ﷺ من قِبَلِ أمه ، فأرادوا أنه نزع فى الشبه إليه . النهاية ٤/ ١٤٤ .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠) أنعمت عينها : قرت ، وقال ابن الأثير : وفى حديث أبى سفيان حين أراد الخروج إلى أحد ، كتب على سهم « نعم » ، وعلى الآخر « لا » ، وأجالهما عند هبل ، فخرج سهم « نعم » ، فخرج إلى أحد ، =

[1] فقال : أين ابنُ أبى كَبْشةَ ؟ أين ابنُ أبى قُحافةَ ؟ أين ابنُ الخطابِ ؟ فقال عمرُ : هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهذا أبو بكرٍ ، وها أنا ذا عمرُ . قال[1] : فقال أبو سفيانَ : يومٌ بيومِ بدر ، الأيامُ دُوَل ، وإنَّ الحربَ سِجال . قال : فقال عمرُ : لا سَواءَ ، قَتْلانا فى الجنةِ وقَتْلاكم فى النارِ . قال : إنَّكم لَتَزْعُمُون ذلك ، لقد خِبْنا إذن وخَسِرْنا . ثُم قال أبو سفيانَ : أمَا إنكم سوف تَجِدون فى قَتْلاكم مَثْلًا[2] ، ولم يَكُنْ ذلك عن رأْيِ سَراتِنا . قال : ثم أدْرَكَتْه حَمِيَّةُ الجاهليَّةِ فقال : أما إنَّه إن كان ذلك لم نَكْرَهْه . وقد رَواه ابنُ أبى حاتمٍ ، والحاكمُ فى « مُستدركِه » ، والبيهقىُّ فى « الدلائلِ » مِن حديثِ سُليمانَ بنِ داودَ الهاشمىِّ به[3] . وهذا حديثٌ غريبٌ[4] ، وهو مِن مُرسَلاتِ ابنِ عباسٍ ، وله شواهدُ مِن وجوهٍ كثيرةٍ ، سنَذْكُرُ منها ما تَيَسَّر ، إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ وعليه التُّكلانُ ، وهو المستعانُ .

قال البخارىُّ[5] : حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسرائيلَ ، عن أبى

= فلما قال لعمر : اعل هبل . وقال عمر : اللَّه أعلى وأجل . قال أبو سفيان : أنعمت ، فعال عنها . أى اترك ذكرها فقد صدقت فى فتواها . وأنعمت أى أجابت بنعم . النهاية ٥/ ٨٤. وقال فى ٣/ ٢٩٤: فعال عنها : أى تجاف عنها ولا تذكرها بسوء . يعنى آلهتهم . وأما « عاد عنها » فلم يذكرها ابن الأثير ، وهى بنفس المعنى . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٥٥.

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « مثلة » . ومَثَّلت بالقتيل ، إذا جَدَعْت أنفه ، أو أذنه ، أو مذاكيره أو شيئا من أطرافه . انظر النهاية ٤/ ٢٩٤.

(٣) تفسير ابن أبى حاتم (١٦٤٤) ، والمستدرك ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧، ودلائل النبوة ٣/٢٦٩ - ٢٧١.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٤/ ٢٠٩، ٢١٠: وهو حديث غريب حقًّا ، فى لفظه ما يوهم أن ابن عباس شهد الوقعة ، وما كان ذلك قطُّ ، فإنه كان إذ ذاك طفلًا مع أبيه بمكة ، والظاهر عندى أنه حكاه عن واحد من الصحابة ممن شهد أُحدًا ، ونسى بعض الرواة أن يذكر من حدَّث ابن عباس به .

(٥) البخارى (٤٠٤٣) .

إسحاقَ ، عن البَراءِ قال : لَقِينا المشركين يومَئذٍ وأجْلَس النبيُّ ﷺ جيشًا مِن الرُّماةِ ، وأمَّر عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ جُبيرٍ ، وقال : « لا تَبْرَحوا ؛ إن رَأَيْتُمونا ظهَرْنا عليهم فلا تَبْرَحوا ، وإن رأيتُموهم ظَهَروا علينا فلا تُعِينونا » . فلما لَقِيناهُم[1] هَرَبوا ، حتى رأيتُ النساءَ يَشْتَدِدْنَ فى الجبلِ ، رفَعْن عن سُوقِهن قد بَدَتْ خَلاخِلُهُنَّ ، فأخَذوا يقولون : الغَنِيمَةَ الغنيمةَ . فقال عبدُ اللَّهِ : عَهِد إلىَّ النبيُّ ﷺ : أن لا تَبْرَحوا . فأبَوْا ، فلمَّا أبَوْا صُرِفَتْ[2] وجوهُهم ، فأُصيب سبعون قتيلًا ، وأَشْرَف أبو سفيانَ فقال : أفى القومِ [٢/٢٢٠ظ] محمدٌ ؟ فقال : « لا تُجِيبوه » . فقال : أفى القومِ ابنُ أبى قُحافةَ ؟ فقال : « لا تُجِيبوه » . فقال : أفى القومِ ابنُ الخطابِ ؟ فقال : إن هؤلاء قُتِلوا ، فلو كانوا أحياءً لَأَجابوا . فلم يَمْلِكْ عمرُ نفسَه ، فقال : كذَبْتَ يا عدوَّ اللَّهِ ، أبْقَى اللَّهُ عليك ما يُحْزِنُك . فقال أبو سفيانَ : اعْلُ هُبَل . فقال النبيُّ ﷺ : « أجِيبوه » . قالوا : ما نقولُ ؟ قال : « قولوا : اللَّهُ أَعْلى وأجَلّ » . فقال أبو سفيانَ : لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم . فقال النبيُّ ﷺ : « أجِيبوه » . قالوا : ما نقولُ ؟ قال : « قولوا : اللَّهُ مَوْلانا ولا مولَى لكم » . قال أبو سفيانَ : يومٌ بيومِ بدر ، والحربُ سِجال ، وتَجِدون مُثْلةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْنى . وهذا مِن أفرادِ البخاريِّ دونَ مسلمٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا [4]حسنُ بنُ[4] موسى ، حدَّثنا زُهَيرٌ ، حدثنا أبو

---

(١) فى م : « لقينا » .

(٢) صرفت وجوههم : أى تحيروا فلم يدروا أين يتوجهون . انظر فتح البارى ٧/ ٣٥١.

(٣) المسند ٤/ ٢٩٣.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٢٨.

إسحاقَ ، أن البَراءَ بنَ عازبٍ قال : جَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على الرُّماةِ يومَ أحدٍ ، وكانوا خمسين رجلًا ، عبدَ اللَّهِ بنَ جُبيرٍ . قال : ووضَعهم مَوْضِعًا ، وقال : « إن رأيْتُمونا تَخْطَفُنا الطيرُ فلا تَبْرَحوا ، حتى أُرْسِلَ إليكم ، [1]وإن رأيتُمونا ظَهَرْنا على العدوِّ وأوطَأْناهم[2] ، فلا تَبْرَحوا حتى أُرْسِلَ إليكم »[1] . قال : فهَزَموهم . قال : فأنا واللَّهِ رأيتُ النساءَ يَشْتَدِدْنَ على الجبلِ ، وقد بدَت أَسْوُقُهُنَّ وخلاخِلُهنَّ رافعاتٍ ثيابَهُنَّ . فقال أصحابُ عبدِ اللَّهِ بنِ جُبيرٍ : الغنيمةَ ، أيْ قومُ ، الغنيمةَ ، ظَهَر أصحابُكم فما تَنْظُرون[3] ؟ قال عبدُ اللَّهِ بنُ جُبيرٍ : أَنَسِيتُم ما قال لكم رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قالوا : إنّا واللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ الناسَ فلَنُصِيبَنَّ مِن الغنيمةِ . فلمَّا أتَوْهم صُرِفَتْ وجوهُهم ، فأقْبَلوا مُنْهَزِمِين ، فذلك الذى يَدْعوهم الرسولُ فى أُخْراهم ، فلم يَبْقَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ غيرُ اثنَىْ عشَرَ رجلًا ، فأصابوا مِنّا سبعين رجلًا ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه أصابوا مِن المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومائةً ؛ سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا ، فقال أبو سفيانَ : أفى القومِ محمدٌ ؟ أفى القومِ محمدٌ ؟ أفى القومِ محمدٌ ؟ ثلاثًا ، فنهاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُجِيبوه ، ثُم قال : أفى القومِ ابنُ أبى قُحافةَ ؟ أفى القومِ ابنُ أبى قُحافةَ ؟ [4]أفى القومِ ابنُ أبى قُحافةَ[4] ؟ أفى القومِ ابنُ الخطابِ ؟ أفى القومِ ابنُ الخطابِ ؟ [4]أفى القومِ ابنُ الخطابِ[4] ؟ ثُم أقْبَل على أصحابِه ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا وقد

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أوطأناهم : الوطء فى الأصل : الدوْس بالقدم ، فسمّى به الغزو والقتل ؛ لأن من يطأ على الشىء برجله فقد استقصى فى هلاكه وإهانته . انظر النهاية ٥/ ٢٠٠ .

(٣) تنظرون : تنتظرون . انظر الوسيط (ن ظ ر) .

(٤ - ٤) كذا فى الأصل ، ص ، وليس فى م ، والمسند .

كُفِيتُموهم ، فما مَلَك عمرُ نفسَه أن قال : كذَبْتَ واللَّهِ يا عدوَّ اللَّهِ ، إنَّ الذين عدَدْتَ لَأحياءٌ كلُّهم ، وقد بَقِيَ لك ما يَسُوءُك . فقال : يومٌ بيومِ بدر ، والحربُ سِجال ، إنَّكم ستَجِدون فى القومِ مُثْلَةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْنى . ثُم أخَذَ يَرْتَجِزُ :

اعْلُ هُبَلْ اعلُ هبلْ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا تُجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وما نقولُ ؟ قال : « قولوا : اللَّهُ أعلَى وأجلّ » . قال : إنَّ العُزَّى لنا ، ولا عُزَّى لكم . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا تُجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وما نقولُ ؟ قال : « قولوا : اللَّهُ مَوْلانا ، ولا مولَى لكم » . ورَواه البخاريُّ مِن حديثِ زُهَيرٍ[1] ، وهو ابنُ معاويةَ ، مختصرًا ، وقد تَقَدَّم روايتُه له مطولةً مِن طريقِ إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، أخبرَنا ثابتٌ وعلىُّ بنُ زيدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن المشركين لما رَهِقوا[3] النبىَّ ﷺ وهو فى سبعةٍ مِن الأنصارِ ورجلين[4] مِن قريشٍ ، قال : « مَن يرُدُّهم عنا وهو رفيقى فى الجنةِ ؟ » . فجاء رجلٌ مِن الأنصارِ فقاتَل حتى قُتِل ، فلما رَهِقوه[5] أيضًا قال : « مَن يردُّهم عنا وهو رفيقى فى الجنةِ ؟ » . حتى قُتِل السبعةُ ، فقال رسولُ اللَّهِ

---

(١) البخارى (٣٩٨٦، ٤٠٦٧، ٤٥٦١) .

(٢) المسند ٣/ ٢٨٦.

(٣) فى ص : « رمقوا » . ورهقوا النبى ﷺ : غَشُوه وقربوا منه . شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٧.

(٤) فى النسخ : « رجل » . والمثبت من المسند وصحيح مسلم كما سيأتى .

(٥) فى ص : « رمقوه » .

ﷺ لصاحبيه[1] : « ما أنصَفْنا أصحابَنا »[2] . ورَواه مسلمٌ[3] ، عن هُدْبةَ بنِ خالدٍ ، [٢/٢٢١و] عن حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ به .

وقال البيهقيُّ فى « الدلائلِ »[4] بإسنادِه ، عن عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ قال : انهَزَمَ الناسُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أحدٍ ، وبقىَ معه أحدَ عشَرَ رجلًا مِن الأنصارِ وطلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وهو يَصْعَدُ فى الجبلِ ، فلَحِقهم المشركون فقال : « ألَا أحدٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحةُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كما أنت يَا طلحةُ » . فقال رجلٌ مِن الأنصارِ : فأنا يا رسولَ اللَّهِ . فقاتَل عنه ، وصَعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ ومَن بقِىَ معه ، ثم قُتِل الأنصاريُّ فلَحِقوه ، فقال : « ألا[5] رجلٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحةُ مثلَ قولِه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَ قولِه ، فقال رجلٌ مِن الأنصارِ : فأنا يا رسولَ اللَّهِ . [6]فأَذِن له[6] . فقاتَل [6]مثلَ قتالِه وقتالِ صاحبِه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ[6] وأصحابُه يَصْعَدون ، ثُم قُتِل فلَحِقوه ، فلم يَزَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ مثلَ قولِه الأولِ ، ويقولُ طلحةُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . فيَحْبِسُه فيَسْتَأْذِنُه رجلٌ مِن الأنصارِ للقِتالِ ،

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند وصحيح مسلم .

(٢) ما أنصفنا أصحابنا : أى ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيَّيْن لم يخرجا للقتال ، بل خرجت الأنصار واحدا بعد واحد ، وذكر القاضى وغيره أن بعضهم رواه « ما أنصفَنا » بفتح الفاء ، والمراد على هذا الذين فروا من القتال ، فإنهم لم ينصِفوا ؛ لفرارهم . شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٧، ١٤٨.

(٣) مسلم (١٧٨٩) . وفيه « هداب » بدل هدبة ، قال النووى فى شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٧: يقال له هدبة بضم الهاء ، وقيل : هدبة اسمٌ ، وهداب لقب . وقيل عكسه . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٥٢.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٢٣٦، ٢٣٧. قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٦٠: إسناده جيد .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل .

فيأْذَنُ له فيُقاتِلُ مثلَ مَن كان قبلَه، حتى لم يَبْقَ معه إلّا طلحةُ، فغَشُوهما، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن لهؤلاء؟». فقال طلحةُ: أنا. فقاتَل مثلَ قِتالِ جميعِ مَن كان قبلَه وأُصِيبت أناملُه، فقال: حَسِّ[1]. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لو قلتَ: بسمِ اللَّهِ. [2]أو ذَكَرْتَ اسمَ اللَّهِ[2]؛ لَرفَعَتْك الملائكةُ والناسُ يَنْظُرون إليك، حتى تَلِجَ بك فى جَوِّ السماءِ». ثُم صَعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أصحابِه، وهم مُجْتَمِعون.

ورَوَى البخاريُّ[3]، عن أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى شَيْبةَ، عن وَكِيعٍ، عن إسماعيلَ، عن قيسِ بنِ أبى حازِمٍ قال: رأيْتُ يدَ طلحةَ شَلَّاءَ؛ وَقَى بها النبىَّ ﷺ يومَ أحدٍ.

وفى «الصحيحَيْنِ»[4] مِن حديثِ[5] مُعْتَمرِ بنِ سُليمانَ، عن أبيه، عن أبى عُثمانَ النَّهْدىِّ، قال: لم يَبْقَ مع النبىِّ ﷺ فى بعضِ تلك الأيامِ التى قاتل فيهن غيرُ طَلحةَ وسعدٍ، عن حديثِهما.

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[6]: حدَّثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ، عن هاشمِ بنِ هاشمٍ

---

(١) فى الأصل: «حسن». قال ابن الأثير: حس: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه - آلمه - وأحرقه غفلة، كالجمرة والضربة ونحوهما. النهاية ١/ ٣٨٥. وقال الزَّبيدى: هى كلمة تقال عند الألم. تاج العروس (ح س س).

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من الدلائل.

(٣) البخارى (٤٠٦٣).

(٤) البخارى (٣٧٢٢، ٣٧٢٣، ٤٠٦٠، ٤٠٦١)، مسلم (٢٤١٤).

(٥) بعده فى م زيادة: «موسى بن إسماعيل عن». وهى فى سند البخارى، الحديث (٤٠٦٠، ٤٠٦١).

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٢٣٩، من طريق الحسن بن عرفة به.

الزهريِّ[1] ، سَمِعتُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ يقولُ : سَمِعْتُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ يقولُ : نَثَل[2] لى رسولُ اللَّهِ ﷺ كِنانتَه يومَ أحدٍ ، وقال : « ارْمِ ، فِداك أبى وأمى » . وأخرَجه البخاريُّ[3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، عن مَرْوانَ به .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ قال : ما سَمِعْتُ النبىَّ ﷺ جَمَع أبويْه لأحدٍ إلَّا لسعدِ بنِ مالكٍ ، فإنِّى سَمِعْتُه يقولُ يومَ أحدٍ : « يا سعدُ ، ارْمِ فداك أبى وأمى » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : حدَّثنى صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عن بعضِ آلِ سعدٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وقاصٍ ، أنه رَمَى يومَ أُحُدٍ دونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال سعدٌ : فلقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يناوِلُنى النَّبْلَ ويقولُ : « ارْمِ ، فداك أبى وأمى » . حتى إنه لَيناوِلُنى السهمَ ليس له نَصْلٌ فأرْمى به .

وثبَت فى « الصحيحين »[6] مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ سعدِ [7]بنِ أبى وقّاصٍ ، عن أبيه[7] ، قال : رأيْتُ يومَ أحدٍ عن يمينِ النبىِّ ﷺ وعن يسارِه رجلين عليهما

---

(١) فى الأصل ، ص : « عن الزهرى » ، وفى م : « السعدى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٣٧. وقال الحافظ فى الفتح : إنما قال - أى البخارى - فى نسبته : السعدى . لأنه منسوب إلى عم أبيه سعد ، وهو جده من قِبَل الأم . فتح البارى ٧/ ٣٥٩.

(٢) فى الأصل : « نثر » . ونثل كنانته : استخرج ما فيها من السهام . النهاية ٥/ ١٦.

(٣) البخارى (٤٠٥٥) .

(٤) البخارى (٢٩٠٥، ٤٠٥٨، ٤٠٥٩، ٦١٨٤) .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٢٣٩ ، عن محمد بن إسحاق به . وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٨٢.

(٦) البخارى (٤٠٥٤، ٥٨٢٦) ، ومسلم (٢٣٠٦) .

(٧ - ٧) فى م : « عن أبيه عن جده عن سعد بن أبى وقاص » . وهو سند البخارى فى حديث (٤٠٥٤) .

ثيابٌ بِيضٌ ، يُقاتِلان عنه أشدَّ القتالِ ، ما رأيتهُما قبلَ ذلك ولا بعدَه . يعنى جبريلَ ومِيكائيلَ ، عليهما السلامُ .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا عفانُ ، [2]حدثنا حمادٌ[2] ، أخبرَنا ثابتٌ ، عن أنسٍ أن أبا طَلْحَةَ كان يَرْمِى بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أحدٍ ، والنبىُّ ﷺ خلفَه يَتَتَرَّسُ[3] به ، وكان راميًا ، وكان إذا رَمَى رفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ شَخْصَه يَنْظُرُ [4]أين يقَعُ[4] سهمُه ، ويرْفَعُ أبو طلحةَ صدرَه ويقولُ : هكذا بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللَّهِ ، لا يُصيبُك سهمٌ ، نحرى دونَ نَحْرِك . وكان أبو طلحةَ يَشُورُ[5] نفسَه بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويقولُ : إنى جَلْدٌ يا رسولَ اللَّهِ ، فوَجِّهْنى فى حوائجِك ، ومُرْنى بما شئتَ .

وقال البخارىُّ[6] : حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، عن أنسٍ قال : لما كان يومُ أُحدٍ انهزم الناسُ عن النبىِّ ﷺ ، وأبو طَلْحَةَ بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بحَجَفةٍ[7] له ، وكان أبو طلحَةَ

---

(١) المسند ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ص : « يرس » ، وفى م : « يترس » . والمثبت من المسند .

(٤ - ٤) فى ص : « أيرتفع » .

(٥) فى م ، ص : « يسور » ، وفى المسند : « يسوق » . ويشور نفسه : أى يعرضها على القتل . والقتل فى سبيل اللَّه بيع النفس . وقيل : يشور نفسه ؛ أى يسعى ويخف ، يظهر بذلك قوته . ويقال : شُرْتُ الدابة . إذا أجريتها لتعرف قُوَّتها . النهاية ٢/ ٥٠٨.

(٦) البخارى (٤٠٦٤) .

(٧) فى م ، ص : « بجحفة » . ومجوب عليه بحجفة : أى مُتَرِّس عليه يقيه بها ، ويقال للترس أيضا : جَوْبة . النهاية ١/ ٣١١. والحجفة : الترس أيضا .

[٢/٢٢١ظ] رجلًا راميًا شديدَ النَّزْعِ[(١)] ، كسَر يومَئذٍ قوسين أو ثلاثًا ، وكان الرجلُ يَمُرُّ معه بجَعْبةٍ مِن النَّبْلِ فيقولُ : انثُرْها لأبى طلحةَ . قال : ويُشْرِفُ النبىُّ ﷺ يَنْظُرُ إلى القومِ ، فيقولُ أبو طَلْحةَ : بأبى أنت وأمى لا تُشْرِفْ يُصِبْك[(٢)] سَهْمٌ مِن سهامِ القومِ ، نَحرِى دون نَحْرِك ، ولقد رأيْتُ عائشةَ بنتَ أبى بكرٍ وأمَّ سُلَيْمٍ[(٣)] وإنهما لمُشَمِّرتان ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهما ، تُنْقِزان[(٤)] القِرَبَ على مُتونِهما ، تُفْرِغانِهِ فى أفواهِ القومِ ، ثُم تَرْجِعان فتَمْلآنِها ، ثُم تَجِيئان فتُفْرِغانِه فى أفواهِ القومِ ، ولقد وقَع السيفُ مِن يَدَىْ أبى طَلْحةَ إما مرتين وإما ثلاثًا .

قال البخارىُّ[(٥)] : وقال لى خَلِيفةُ : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ ، عن أبى طَلْحةَ قال : كنتُ فيمَن تَغشَّاه النُّعاسُ يومَ أُحُدٍ حتى سقَط سيفى مِن يَدِى مرارًا ، يَسْقُطُ وآخُذُه ، ويَسْقُطُ فآخُذُه[(٦)] . هكذا ذكره البخارىُّ مُعَلَّقًا بصيغةِ الجَزْمِ ، ويَشْهَدُ له قولُه تعالى[(٧)] : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ

---

(١) فى الأصل : « الهزع » ، وفى ص : « الفزع » . والنزع : هو رمى السهام .

(٢) فى الأصل : « نصيبك » ، وفى م : « يصيبك » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٦٢: « يصيبُك » بالرفع جائز على تقديرٍ ، كأنه قال مثلًا : لا تشرف فإنه يصيبك .

(٣) فى الأصل ، ص : « سلمة » .

(٤) فى الأصل : « يحملان » ، وفى ص : « لتنقزان » . وتنقزان : تحملان القرب ، وتقفزان بها وثبًا . انظر النهاية ٥/ ١٠٦.

(٥) البخارى (٤٠٦٨) .

(٦) بعده فى الأصل : « ويسقط وآخذه » .

(٧) انظر التفسير ٢/ ١٢٤ - ١٢٦.

إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٤، ١٥٥].

قال البخاريُّ[(١)]: حدَّثنا عَبْدانُ، أَخبرَنا أبو حَمْزةَ، عن عثمانَ بنِ مَوْهَبٍ قال: جاء رجلٌ حَجَّ البيتَ فرأَى قومًا جُلوسًا، فقال: مَن هؤلاء القُعودُ؟ قالوا[(٢)]: هؤلاء قريشٌ. قال: مَن الشيخُ؟ قالوا: ابنُ عمرَ. فأتاه فقال: إنى سائلُك عن شيءٍ أتُحَدِّثُنى[(٣)]؟ قال: أَنْشُدُك بحُرْمةِ هذا البيتِ، أَتَعْلَمُ أنَّ عثمانَ ابنَ عفانَ فَرَّ يومَ أُحُدٍ؟ قال: نعم. قال: فتَعْلَمُه تَغَيَّبَ عن بدرٍ فلم يَشْهَدْها؟ قال: نعم. [(٤)]قال: فتَعْلمُ أنَّه تَخَلَّف عن بَيعةِ الرِّضوانِ فلم يَشْهَدْها؟ قال: نعم. قال[(٤)]: فكَبَّر. قال ابنُ عمرَ: تعالَ لأُخْبِرَك ولِأُبَيِّنَ لك عما سألْتَنى عنه؛ أما فِرارُه يومَ أُحُدٍ، فأَشْهَدُ أن اللَّهَ عفا عنه، وأما تَغَيُّبُه عن بدرٍ؛ فإنه كان تحتَه بنتُ النبيِّ ﷺ وكانت مريضةً، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن لك أجرَ رَجلٍ ممَّن شهِد بدرًا وسهمَه». وأما تَغَيُّبُه عن بيعةِ الرِّضوانِ؛ فإنه لو كان أحَدٌ أعَزَّ

---

(١) البخارى (٤٠٦٦).

(٢) فى النسخ: «قال». والمثبت من الصحيح.

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٦٤: زاد فى رواية أبى نعيم: «قال: نعم».

(٤ - ٤) سقط من: ص.

ببطنِ مكةَ مِن عثمانَ بنِ عفانَ لَبعَثه مكانَه، فبعَث عثمانَ، وكانت بَيعةُ الرِّضوانِ بعدَما ذهَب عثمانُ إلى مكةَ، فقال النبيُّ ﷺ بيدِه اليُمنَى: «هذه يدُ عثمانَ». فضرَب بها على يدِه، فقال: «هذه لعثمانَ». اذْهَبْ بهذا[1] الآنَ معك.

وقد رواه البخاريُّ أيضًا فى موضِعٍ آخرَ، والترمذيُّ مِن حديثِ أبى عَوانةَ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ به[2].

وقال الأُمويُّ فى «مغازيه»[3]: عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ[4]: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ». حينَ صنعَ ما صنعَ برسولِ اللَّهِ ﷺ[4]، وقد كان الناسُ انهَزَموا عنه حتى بلَغ بعضُهم إلى المُنَقَّى[5] دونَ الأَعْوَصِ[6]، وفرَّ عثمانُ بنُ عفانَ، وسعدُ بنُ عثمانَ و[7]عقبةُ ابنُ عثمانَ[7]، رجلان[8] مِن الأنصارِ، حتى بلَغوا الجَلَعْبَ؛ جبلٌ بناحيةِ المدينةِ مما يلى الأَعْوَصَ، فأقاموا ثلاثًا ثُم رجَعوا، فزَعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى الأصل، ص: «بها».

(٢) البخارى (٣٦٩٨)، والترمذى (٣٧٠٦).

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٣١١، عن يحيى بن عباد به. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٢٢، عن ابن إسحاق به.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من سيرة ابن إسحاق وتاريخ الطبرى.

(٥) فى الأصل، ص: «النقا». والمنقى. طريق للعرب إلى الشام، كان فى الجاهلية يسكنه أهل تهامة، وهو بين أحد والمدينة. معجم البلدان ٤/ ٦٦٩.

(٦) فى الأصل: «الأعرض». والأعوص: موضع قرب المدينة. معجم البلدان ١/ ٣١٧.

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من سيرة ابن إسحاق، وتاريخ الطبرى. وانظر المطالب العالية (٤٣١٤).

(٨) فى النسخ: «رجل»، والمثبت من مصدرى التخريج.

قال لهم : « لقد ذَهَبْتُم فيها عَرِيضةً[1] » .

والمقصودُ أن أُحدًا وقَع فيها أشياءُ مما وقَع فى بدرٍ ، منها ؛ حصولُ النُّعاسِ حالَ التحامِ الحربِ ، وهذا دليلٌ على طُمأنينةِ القلوبِ بنصرِ اللَّهِ وتأييدِه وتَمامِ توكُّلِها على خالِقِها وبارئِها . وقد تقدم الكلامُ على قولِه تعالى [٢/٢٢٢و] فى غزوةِ بدرٍ[2] : (إِذْ يَغْشَاكُمُ[3] النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ) الآية [الأنفال : ١١] وقال هـاهنا : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ يعنى المؤمنين الكُمَّلَ ، كما قال ابنُ مسعودٍ وغيرُه مِن السلفِ[4] : النُّعاسُ فى الحربِ مِن الإيمانِ ، والنُّعاسُ فى الصلاةِ مِن النفاقِ . ولهذا قال بعدَ هذا : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٤] .

ومِن ذلك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استَنْصَر يومَ أُحُدٍ كما استَنْصَر يومَ بدرٍ بقولِه : « إن تَشَأْ لا تُعْبَدْ فى الأرضِ » . كما قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ وعفانُ ، قالا : حدَّثنا [6]حَمَّادٌ ، حدَّثنا[6] ثابتٌ ، عن أنسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ يومَ أحدٍ : « اللهم إنك إن تَشَأْ لا تُعْبَدْ فى الأرضِ » . ورَواه مسلمٌ ، عن حَجَّاجِ بنِ الشاعرِ ، عن عبدِ الصَّمَدِ ، عن حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ به[7] .

---

(١) عريضه : واسعة . النهاية ٣/ ٢١٠.

(٢) تقدم فى صفحة ١٢١.

(٣) تقدم فى صفحة ١٢١ أنها قراءة أبى عمرو وابن كثير.

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ١٢١.

(٥) المسند ٣/ ١٥٢.

(٦ - ٦) سقط من : ص.

(٧) مسلم (١٧٤٣).

وقال البُخارىُّ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، سَمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قال : قال رجلٌ للنبىِّ ﷺ يومَ أُحدٍ : أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأين أنا ؟ قال : « فى الجنةِ » . فألْقَى تَمَراتٍ فى يدِه ثُم قاتَل حتى قُتِل . ورَواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ به[2] ، وهذا شبيهٌ بقصةِ عُمَيْرِ بنِ الحُمَامِ التى تقدَّمت[3] فى غزوةِ بدرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأرضاهما .

---

(١) البخارى (٤٠٤٦) .

(٢) مسلم (١٨٩٩) ، والنسائى (٣١٥٤) .

(٣) تقدمت فى صفحة ١٠٦.

فصلٌ فيما لَقِىَ النبىُّ ﷺ يومَئذٍ مِن المشركين ، قبَّحهم اللّهُ

قال البخارىُّ[1] : ما أصاب النبىَّ ﷺ مِن الجراحِ يومَ أحدٍ : حدَّثنا إسحاقُ ابنُ نصرٍ ، حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، سمع أبا هريرةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اشتَدَّ غضبُ اللَّهِ على قومٍ فعَلوا بنبيِّه[2] - يُشيرُ إلى رَباعِيَتِه - اشتد غضبُ اللَّهِ على رجلٍ يقْتُلُه رسولُ اللَّهِ فى سبيلِ اللَّهِ» . ورواه مسلمٌ[3] مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ .

حدَّثنا[4] مَخْلَدُ بنُ مالكٍ ، حدَّثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ الأُمَوىُّ ، حدثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ ، عن عِكْرِمةَ عن ابنِ عباسٍ قال : اشتد غضبُ اللَّهِ على مَن قتَله النبىُّ ﷺ فى سبيلِ اللَّهِ ، اشتد غضبُ اللَّهِ على قومٍ دَمَّوْا وجهَ نبىِّ اللَّهِ ﷺ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، أخبرَنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ أُحدٍ ، وهو يَسْلُتُ[6] الدمَ عن وجهِه ، وهو يقولُ :

---

(١) البخارى (٤٠٧٣) .

(٢) فى ص : « بنبيهم » .

(٣) مسلم (١٧٩٣) .

(٤) البخارى (٤٠٧٤) .

(٥) المسند ٣/ ٢٥٣.

(٦) يسلت : يميط . انظر النهاية ٢/ ٣٨٧.

« كيف يُفْلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهم وكسَروا رَباعِيَتَه ، وهو يدعوهم[1] إلى اللَّهِ ؟! » . فأنزلَ اللَّهُ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] . ورواه مسلمٌ[2] عن القَعْنَبىِّ ، عن حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ به .

ورَواه الإمامُ أحمدُ[3] ، عن هُشَيْمٍ ويزيدَ بنِ هارونَ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرتْ رَباعِيَتُه يومَ أُحدٍ ، وشُجَّ فى جبهتِه[4] حتى سال الدمُ على وجهِه ، فقال : « كيف يُفْلِحُ قومٌ فعَلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم ؟! » . فأنزلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ الآية .

وقال البخارىُّ[5] : حدثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا يعقوبُ ، عن أبى حازمٍ ، أنه سمِع سهلَ بنَ سعدٍ وهو يُسْأَلُ عن جُرْحِ النبىِّ ﷺ ، [6]فقال : أما واللَّهِ إنى لأَعْرِفُ مَن كان يَغْسِلُ جُرْحَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[6] ، ومَن كان يَسْكُبُ الماءَ ، وبما دُووِىَ . قال : كانت فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُه ، وعلىٌّ يَسْكُبُ[7] الماءَ بالمِجَنِّ ، فلما رأت فاطمةُ أن الماءَ لا يَزيدُ الدمَ إلَّا كثرةً أخَذَت قطعةً مِن حَصِيرٍ ، فأحْرَقَتْها وألصَقَتْها ، فاستمسَك الدمُ ، وكُسِرتْ رَباعِيَتُه يومَئذٍ ،

---

(١) فى م ، ص : « يدعو » .

(٢) مسلم (١٧٩١) .

(٣) المسند ٩٩/٣ عن هشيم ، ٢٠١/٣ عن يزيد بن هارون .

(٤) فى النسخ : « وجهه » . والمثبت من المسند .

(٥) البخارى (٤٠٧٥) .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) بعده فى الأصل : « عليه » .

وجُرِح وجهُه ، وكُسِرت البَيْضةُ على رأسِه .

وقال أبو داودَ الطيالسيُّ فى « مسندِه »[1] : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن إسحاقَ ابنِ[2] يَحْيَى بنِ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أخبرَنى عيسى بنُ طَلْحةَ ، عن أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، قالت : كان أبو بكرٍ إذا ذَكَر يومَ أُحدٍ [3]بكى ثم[3] قال[4] : ذاك يومٌ كُلُّه [٢/٢٢٢ظ] لطَلْحةَ . ثُم أنشأ يُحَدِّثُ قال : كنتُ أولَ مَن فاء يومَ أحدٍ ، فرأيتُ رجلًا يُقاتِلُ [5]مع رسولِ[5] اللَّهِ ﷺ دونَه . وأُراه قال : يَحْميه[6] . قال : فقلتُ : كُنْ طلحةَ . حيث فاتنى ما فاتنى ، فقلتُ : يكونُ رجلًا مِن قومى أحبُّ إلىَّ ، وبينى وبينَ المشرقِ[7] رجلٌ لا أَعْرِفُه ، وأنا أقربُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ منه ، وهو يَخْطِفُ[8] المَشْىَ خَطْفًا لا أَخْطِفُه ، فإذا هو أبو عُبَيْدةَ ابنُ الجَرَّاحِ ، فانتهَيْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد كُسِرت رَباعِيَتُه ، وشُجَّ فى وجهِه ، وقد دخَل فى وَجْنتَيْه[9] حَلْقتانِ مِن حَلَقِ المِغْفَرِ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عليكما صاحبَكما » . يريدُ طلحةَ ، وقد نُزِف فلم نلْتَفِتْ إلى قولِه ، قال : وذهَبْت لأَنْزِعَ ذاك مِن وجهِه ، فقال [10]أبو عبيدةَ : أقْسمتُ[10] عليك بحقِّى

---

(١) مسند الطيالسى (٦) ، وأخرجه من طريقه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) فى م : « عن » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ .

(٤) بعده فى الأصل : « كان » .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « فى سبيل » .

(٦) فى النسخ : « حمية » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٧) فى النسخ : « المشركين » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) الخطف : استلاب الشىء وأخذه بسرعة . النهاية ٢/ ٤٩.

(٩) فى النسخ : « وجنته » .

(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « أقسم » .

لَمَا تركْتنى . فتركْتُه ، فكَرِه أنْ يتناولَهما بيدِه ، فيُؤْذِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأزَمَ[1] عليهما بفيه ، فاستخرج إحدى الحلْقتين ، ووقَعت ثَنِيَّتُه مع الحلْقَةِ ، وذهَبْتُ لأصنَعَ ما صنَع ، فقال : أقْسَمْتُ عليك بحقِّى لَمَا تركْتَنى . قال : ففعَل مثلَ ما فعَل فى المرةِ الأولى ، فوقَعتْ ثَنِيَّتُه الأخرى مع الحلْقةِ ، فكان أبو عُبَيْدَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، مِن أحسنِ الناسِ هَتْمًا[2] ، فأصْلَحْنا مِن شأنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم أتَيْنا طلحةَ فى بعضِ تلك الجِفَارِ[3] ، فإذا به بِضعٌ وسبعون مِن بينِ طعنةٍ ورَمْيةٍ وضربةٍ ، وإذا قد قُطِعت أُصبُعُه ، فأصلَحْنا مِن شأنِه .

وذكَر الواقدىُّ[4] عن ابنِ أبى سَبْرةَ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوَةَ ، عن أبى الحُوَيْرِثِ ، عن نافعِ بنِ جُبَيْرٍ قال : سمِعْتُ رجلًا مِن المهاجرين يقولُ : شَهِدْتُ أُحدًا ، فنظَرْتُ إلى النَّبْلِ تأتى مِن كلِّ ناحيةٍ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ وَسْطَها ، كلُّ ذلك يُصْرَفُ عنه ، ولقد رأيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ شهابٍ الزهرىَّ يقولُ يومئذٍ : دُلُّونى على محمدٍ ، لا نجوتُ إن نجَا . ورسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جنبِه ما معه أَحدٌ ، ثم جاوزه ، فعاتبه فى ذلك صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ ، فقال : واللَّهِ ما رأيتُه ، أحْلِفُ باللَّهِ إنه منا ممنوعٌ ، خرَجْنا أربعةً ، فتعاهَدْنا وتعاقَدْنا على قتلِه ، فلم نَخْلُصْ إليه .

---

(١) أى ؛ عضها وأمسكها بين ثنيتيه . النهاية ١/ ٤٦.

(٢) الهتم : انكسار الثنايا من أصولها خاصة ، وقيل : من أطرافها . اللسان (هـ ت م) .

(٣) فى الأصل : « الخفار » ، والجفار هى جمع جُفرة بالضم : وهى حفرة فى الأرض . ومنه الجفَر ، للبئر التى لم تطو . النهاية ١/ ٢٧٨.

(٤) مغازى الواقدى ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

قال الواقدىُّ[1] : [2]والثابتُ عندنا[2] أن الذى رَمَى فى وَجْنَتَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ابنُ قَمِئةَ[3] ، والذى رَمَى فى شَفَتِه وأصاب رَباعِيَتَه عتبةُ بنُ أبى وقاصٍ - وقد تقَدَّم عن ابنِ إسحاقَ[4] نحوُ هذا - وأن الرَّباعِيَةَ التى كُسِرت له ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، هى اليُمْنَى السُّفْلَى .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عمن حدَّثه ، عن سعدِ بنِ أبى وقاصٍ قال : ما حَرَصْتُ على قتلِ أحدٍ قطُّ ما حَرَصْتُ على قتلِ عتبةَ بنِ أبى وقاصٍ ، وإن كان ما علِمْتُ لَسَيِّئَ الخُلُقِ ، مُبَغَّضًا فى قومِه ، ولقد كفانى فيه[6] قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « اشتد غضبُ اللَّهِ على مَن دَمَّى وجهَ رسولِه » .

[7]وقال عبدُ الرزاقِ[8] : حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، و[9]عن عثمانَ الجَزَرِىِّ[10] ، عن مِقْسَمٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دعَا على عتبةَ بنِ أبى وقاصٍ [11]يومَ أُحدٍ[11] حينَ كَسَر رَباعِيَتَه ودمَّى وجهَه فقال : « اللهم لا تُحِلْ[12] عليه الحَوْلَ[7]

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٢٤٤.

(٢ - ٢) فى م : « وثبت عندى » .

(٣) فى المغازى : « ابن قميئة » .

(٤) تقدم فى صفحة ٣٧٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٦.

(٦) كذا فى النسخ ، وفى السيرة : « منه » .

(٧ - ٦) سقط من : ص .

(٨) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣١، ومصنفه ٥/ ٢٩٠، ٢٩١ من طريق عثمان الجزرى فقط ، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢٦٥، من طريق عبد الرزاق به .

(٩) سقط من الأصل ، م . والمثبت من مصادر التخريج .

(١٠) فى الأصل : « الجروى » ، وفى م : « الحررى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٢.

(١١ - ١١) زيادة من مصادر التخريج .

(١٢) فى الأصل ، م : « يحول » . والمثبت من مصادر التخريج .

(١) حتى يموتَ كافرًا » . فما حال عليه الحَوْلُ حتى مات كافرًا إلى النارِ .

وقال أبو سليمانَ الجُوزْجانىُّ : حدَّثنا محمدُ بنُ الحسنِ ، حدَّثنى إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنى ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أبى بكرِ بنِ حزمٍ (٢) ، عن أبيه ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيْفٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ داوى وجهَه يومَ أُحدٍ بعَظْمِ بالٍ . هذا حديثٌ غريبٌ رأيتُه فى أثناءِ كتابِ « المغازى » للأُمَوىِّ فى وقعةِ أُحدٍ (٣) (١) .

ولمَّا نال عبدُ اللَّهِ بنُ قَمِئةَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما نال ، رجَع [٢/٢٢٣و] وهو يقولُ : قتَلتُ محمدًا . وصرَخ الشيطانُ أَزَبُّ العَقَبةِ يومئذٍ (٤) بأبعدِ صوتٍ (٤) : ألا إن محمدًا قد قُتِل . فحصَل بَهْتَةٌ عظيمةٌ فى المسلمين ، واعتَقد كثيرٌ مِن الناسِ ذلك ، وصمَّموا على القتالِ عن حَوْزَةِ الإسلامِ حتى يموتوا على ما مات عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، منهم أنسُ بنُ النَّضْرِ وغيرُه ممن سيأتى ذكرُه ، وقد أنزَل اللَّهُ تعالى التَّسْلِيةَ فى ذلك على تقديرِ وقوعِه فقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « حرب » .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من مصادر ، لكن قال البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/ ٣٢٤: ويقال إن رسول اللَّه ﷺ تداوى بعظم بال .

(٤ - ٤) فى ص : « فأنفذ صوتا » .

مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤- ١٥١]. وقد تكلمنا على ذلك مُسْتَقْصًى فى كتابِنا «التفسيرِ»[(١)]، وللَّهِ الحمدُ.

وقد خطَب الصديقُ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فى أولِ مَقامٍ قامه بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: أيها الناسُ، مَن كان يَعْبُدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبُدُ اللَّهَ فإن اللَّهَ حىٌّ لا يموتُ. ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ الآية. قال: فكأنَّ الناسَ لم يَسْمَعوها قبلَ ذلك، فما مِن الناسِ أحدٌ إلَّا يتْلُوها[(٢)].

ورَوَى البيهقىُّ فى «دلائلِ النبوةِ»[(٣)] مِن طريقِ ابنِ أبى نَجيحٍ، عن أبيه قال: مرَّ رجلٌ مِن المُهاجرين يومَ أُحدٍ على رجلٍ مِن الأنصارِ، وهو يتَشَحَّطُ فى

---

(١) التفسير ٢/١٠٨ - ١١٣.

(٢) انظر البخارى (١٢٤٢، ٣٦٦٨، ٤٤٥٢، ٤٤٥٤)، وابن ماجه (١٦٢٧).

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٢٤٨، ٢٤٩.

دمِه[1] ، فقال له : يا فلانُ ، أشَعَرْتَ أن محمدًا قد قُتِل؟ فقال الأنصاريُّ : إن كان محمدٌ ﷺ قد قُتِل فقد بلَّغ الرسالةَ ، فقاتِلوا عن دينِكم . فنزَل : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية . ولعل هذا الأنصاريَّ هو أنسُ بنُ النَّضْرِ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، وهو عمُّ أنسِ بنِ مالكٍ .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ أن عمَّه غاب عن قتالِ بدرٍ فقال : غِبْتُ عن أولِ قتالٍ قاتله النبيُّ ﷺ للمشركين ، لئن أشهَدَنى اللَّهُ قتالًا للمشركين لَيَرَيَنَّ اللَّهُ[3] ما أصنَعُ . فلما كان يومُ أُحدٍ انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إنى أعتَذِرُ إليك مما صنَع هؤلاء - يعنى أصحابَه - وأَبْرَأُ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثُم تقَدَّم فلَقِيه سعدُ ابنُ معاذٍ دونَ أُحدٍ ، فقال سعدٌ : أنا معك . قال سعدٌ : فلم أَسْتَطِعْ أصنَعُ ما صنَع . فوُجِد فيه بضعٌ وثمانون مِن بينِ ضربةٍ بسيفٍ ، وطعنةٍ برمحٍ ، ورميةٍ بسهمٍ . قال : فكنا نقولُ : فيه وفى أصحابِه نزَلت[4] : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . ورَواه الترمذيُّ عن عبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، والنسائيُّ عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ ، كلاهما عن يزيدَ بنِ هارونَ به[5] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ . قلتُ : بل على شرطِ « الصحيحين » مِن هذا الوجهِ .

---

(١) أى ؛ يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ . النهاية ٢/ ٤٤٩.

(٢) المسند ٣/ ٢٠١.

(٣) زيادة من الأصل .

(٤) انظر التفسير ٦/٣٩٣ - ٣٩٥.

(٥) الترمذى (٣٢٠١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٠٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٥٨) .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا بَهْزٌ وحدثنا هاشمٌ قالا : حدَّثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، عن ثابتٍ قال : قال أنسٌ : عمى - قال هاشمٌ : أنسُ بنُ النَّضْرِ - سُمِّيتُ به ، ولم يَشْهَدْ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ بدرٍ . قال : فشَقَّ عليه ، وقال : أولُ مَشْهَدٍ شهِده رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/٢٢٣ظ] غِبْتُ عنه ! لئن أرانىَ اللَّهُ مشهدًا فيما بعدُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ لَيرَيَنَّ اللَّهُ ما أصنَعُ . قال : فهاب أن يقولَ غيرَها ، فشَهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحدٍ . قال : فاستقبَل سعدَ بنَ معاذٍ ، فقال له أنسٌ : يا أبا عمرٍو أين؟ واهًا[2] لرِيحِ الجنةِ ، أجِدُه دون أُحدٍ . قال : فقاتَلهم حتى قُتِل ، فوُجِد فى جسدِه بِضعٌ وثمانون مِن ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ . قال : فقالت أختُه عمتى الرُّبَيِّعُ بنتُ النَّضْرِ : فما عرَفْتُ أخى إلَّا ببَنانِه . ونزَلت هذه الآيةُ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ . قال : فكانوا يرَوْن أنها نزَلت فيه وفى أصحابِه . ورَواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ حاتمٍ ، عن بَهْزِ بنِ أسدٍ[3] . ورواه الترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُباركِ[4] ، وزاد النسائىُّ[5] : وأبى داودَ ، حدثنا[6] حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ . أربعتُهم[7] عن سليمانَ بنِ المغيرةِ به . وقال

---

(١) المسند ٣/ ١٩٤.

(٢) واهًا : قيل : معنى هذه الكلمة التلهف . وقد توضع موضع الإعجاب بالشىء . يقال : واهًا له . وقد ترد بمعنى التوجع . وقيل : التوجع يقال فيه : آهًا . النهاية ٥/ ١٤٤.

(٣) مسلم (١٩٠٣) .

(٤) الترمذى (٣٢٠٠) ، والنسائى فى الكبرى (٨٢٩١) .

(٥) النسائى فى الكبرى (١١٤٠٢) وبقيته أدرج خطأً بعد حديث (١١٤٠٤) .

(٦) فى النسخ : « و » . والمثبت من السنن الكبرى .

(٧) هم : هاشم ، وبهز ، وعبد اللَّه بن المبارك ، وأبو داود الطَّيالسى ، وانظر تحفة الأشراف ١/١٣٥ حديث (٤٠٦) وانظر أيضًا (٣٨٤) .

الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو الأسودِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ[1] قال : كان أُبَىُّ بنُ خَلَفٍ ، أخو بنى جُمَحَ ، قد حلَف وهو بمكةَ لَيَقْتُلَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلما بلَغتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ حَلْفتُه قال : « بل أنا أقتُلُه إن شاء اللَّهُ » . فلما كان يومُ أُحدٍ أقْبَل أُبَىٌّ فى الحديدِ مُقَنَّعًا ، وهو يقولُ : لا نجَوْتُ إن نجا محمدٌ . فحمَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ يريدُ قتلَه ، فاستقبله مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، أخو بنى عبدِ الدارِ ، يَقِى رسولَ اللَّهِ ﷺ بنفسِه ، فقُتِل مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وأبْصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ تَرْقُوَةَ أُبَىِّ بنِ خَلَفٍ مِن فُرْجةٍ بينَ سابغةِ الدرعِ والبَيْضةِ ، فطعَنه بحربتِه[2] ، فوقَع إلى الأرضِ عن فرسِه ، ولم يَخْرُجْ مِن طَعْنَتِه دمٌ ، فأتاه أصحابُه فاحتملوه ، وهو يَخُورُ خُوارَ الثَّوْرِ ، فقالوا له : ما أجْزَعَك ! إنما هو خَدْشٌ . فذكَر لهم قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « أنا أقتُلُ أُبَيًّا » . ثُم قال : والذى نفسى بيدِه لو كان هذا الذى بى بأهلِ ذى المَجازِ لماتوا أجمعون . فمات إلى النارِ ، فسُحْقًا لأصحابِ السَّعيرِ . وقد رَواه موسى ابنُ عقبةَ فى « مغازيه »[3] ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ نحوَه .

وقال ابنُ إسحاقَ[4] : لما أسْنَد[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشِّعْبِ ، أدركه أُبَىُّ ابنُ خَلَفٍ وهو يقولُ : لا نجَوتُ إن نجَوْتَ . فقال القومُ : يا رسولَ اللَّهِ ، يَعْطِفُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢٥٨، ٢٥٩ عن عروة .

(٢) فى الأصل : « بحربه » ، وفى م : « فيها بالحربة » ، وفى ص : « بالحربة » . والمثبت من الدلائل .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « عن الزهرى » . والأثر أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢١١، ٢١٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٤.

(٥) فى الأصل : « اشتد » . وأسند فى الشعب : صعد فيه . والسند ما ارتفع من الأرض ، وقيل : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . ويروى بالشين المعجمة . النهاية ٢/ ٤٠٨.

عليه[1] رجلٌ منا ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوه » . فلما دنا[2] تناول رسولُ اللَّهِ ﷺ الحربةَ مِن الحارثِ بنِ الصِّمَّةِ ، فقال بعضُ القومِ فيما ذُكِر لى : فلما أخَذها رسولُ اللَّهِ ﷺ انتفض بها[3] انتفاضةً ، تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشُّعْر[4] عن ظهرِ البعيرِ إذا انتفض ، ثُم استقبله رسولُ اللَّهِ ﷺ فطعَنه فى عنقِه طعنةً تدَأْدَأَ[5] منها عن فرسِه مرارًا .

وذكَر الواقدىُّ[6] ، عن [7]يونسَ بنِ محمدٍ[7] ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه نحوَ ذلك . قال الواقدىُّ : وكان ابنُ عمرَ يقولُ : مات أُبَىُّ بنُ خَلَفٍ ببطنِ رابغٍ ، فإنى [8]لأسيرُ ببطنِ رابغٍ[8] بعدَ هَوِىٍّ[9] مِن الليلِ ، فإذا أنا بنارٍ تَأَجَّجُ ، فهِبْتُها ، وإذا رجلٌ يَخْرُجُ منها فى سلسلةٍ يَجْتَذِبُها يُهَيِّجُه العطشُ ، فإذا رجلٌ يقولُ : لا تَسْقِه ؛ فإنَّه قتيلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، هذا أُبَىُّ بنُ خَلَفٍ .

وقد ثبَت فى « الصحيحين » كما تقدم[10] مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ ، عن

---

(١) يعطف عليه : يحمل ويَكِرُّ . الوسيط (ع ط ف) .

(٢) بعده فى م : « منه » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل وسيرة ابن هشام : « الشعراء » ، والذى فى م ، ص مثله فى النهاية ٢/٤٨٠ ، قال ابن الأثير : الشعر بضم الشين وسكون العين : جمع شعراء ، وهى ذِبَّانٌ حُمْر .

(٥) قال ابن هشام : تدأدأ : تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .

(٦) مغازى الواقدى ١/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٧ - ٧) فى النسخ : « يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق » . والمثبت من المغازى .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) الهوى : الحين الطويل من الزمان . وقيل : هو مختص بالليل . النهاية ٥/ ٢٨٥.

(١٠) تقدم فى صفحة ٣٩٤.

مَعْمَرٍ، عن همامٍ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اشتد غضبُ اللَّهِ على رجلٍ يقتُلُه رسولُ اللَّهِ فى سبيلِ اللَّهِ». [٢/٢٢٤و] ورواه البخاريُّ مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ: اشتد غضبُ اللَّهِ على مَن قتَله رسولُ اللَّهِ[1] فى سبيلِ اللَّهِ.

وقال البخاريُّ[2]: وقال أبو الوليدِ، عن شعبةَ، عن ابنِ المُنْكَدِرِ[3]، سَمِعْتُ جابرًا قال: لما قُتِل أَبى جعَلْتُ أبكى وأَكْشِفُ الثوبَ عن وجهِه، فجعَل أصحابُ النبىِّ ﷺ يَنْهَوْننى، والنبىُّ ﷺ لم يَنْهَ. وقال النبىُّ ﷺ: «لا تَبْكِه[4] - أو ما تَبْكيه - مازالت الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتِها حتى رُفِع». هكذا ذكَر هذا الحديثَ هـٰهُنا مُعَلَّقًا، وقد أسنده فى الجنائزِ، عن بُنْدارٍ، عن غُنْدَرٍ، عن شعبةَ[5]. ورواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن طرقٍ، عن شعبةَ به[6].

وقال البخاريُّ[7]: حدَّثنا عَبْدانُ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ، عن شُعبةَ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، عن أبيه إبراهيمَ، أن عبدَ الرحمنِ بنَ عَوْفٍ أُتِى بطعامٍ، وكان صائمًا، فقال: قُتِل مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وهو خيرٌ منى، كُفِّن فى بُرْدَةٍ إن غُطِّى رأسُه بدَت رجلاه، وإن غُطِّى رجلاه بدا رأسُه - وأُراه قال: وقُتِل حمزةُ

---

(١) بعده فى النسخ: «بيده».

(٢) البخارى (٤٠٨٠).

(٣) فى الأصل: «المنذر». وهو خطأ.

(٤) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٧٦: ظاهره أنه نهى لجابر، وليس كذلك، وإنما هو نهى لفاطمة بنت عمرو عمة جابر.

(٥) البخارى (١٢٤٤).

(٦) مسلم (٢٤٧١)، والنسائى (١٨٤٤).

(٧) البخارى (٤٠٤٥).

وهو خيرٌ منى - ثُم بُسِط لنا مِن الدنيا ما بُسِط[1] - أو قال : أُعْطِينا مِن الدنيا ما أُعْطِينا - وقد خَشِينا أن تكونَ حسناتُنا عُجِّلت لنا . ثم جعَل يبكى حتى تَرَكَ[2] الطَّعامَ . انفرد به البخاريُّ .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ يُونسَ ، حدَّثنا زهَيْرٌ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن شَقِيقٍ[4] ، عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ قال : هاجَرْنا مع النبىِّ ﷺ ونحن نَبْتَغى وجهَ اللَّهِ ، فوجَب أجرُنا على اللَّهِ ، فمنا مَن مضَى - أو : ذهَب - لم يأكُلْ مِن أجرِه شيئًا ؛ كان منهم مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، قُتِل يومَ أُحدٍ ، فلم يترُكْ إلَّا نَمِرةً ، كنا إذا غَطَّيْنا بها رأسَه خرَجت رجلاه ، وإذا غُطِّىَ بها رجلاه خرَج رأسُه ، فقال لنا النبىُّ ﷺ : « غَطُّوا بها رأسَه ، واجْعَلوا على رِجْلَيه الإذْخِرَ » . ومنا من أَيْنَعَت له ثَمَرَتُه فهو يَهْدِبُها[5] . وأخرَجه بقيةُ الجماعةِ إلَّا ابنَ ماجه ، مِن طرقٍ عن الأعمشِ به[6] .

وقال البخاريُّ[7] : حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا أبو أسامةَ ، عن هشامِ ابنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : لما كان يومَ أحدٍ هُزم المشركون ، فصَرَخ إبليسُ ، لعنةُ اللَّهِ عليه : أىْ عبادَ اللَّهِ أُخْراكم . فرجَعتْ أولاهم[8]

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٥٤: قوله : ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط . يشير إلى ما فتح لهم من الفتوح والغنائم وحصل لهم من الأموال ، وكان لعبد الرحمن من ذلك الحظ الوافر .

(٢) فى الأصل ، م : « برد » .

(٣) البخارى (٤٠٨٢) .

(٤) فى الأصل : « سفيان » . وشقيق هو ابن سلمة أبو وائل الأسَدى . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٨.

(٥) يهدبها : يجنيها . النهاية ٥/ ٢٥٠.

(٦) مسلم (٩٤٠) ، وأبو داود (٢٨٧٦) ، والترمذى (٣٨٥٣) ، والنسائى (١٩٠٢) .

(٧) البخارى (٤٠٦٥) .

(٨) فى الأصل ، ص : « أخراهم » .

فاجْتَلَدتْ هى وأُخْراهم ، فبَصُر حُذَيْفَةُ ، فإذا هو بأبيه اليَمانِ ، فقال : أىْ عبادَ اللَّهِ ، أبى أبى . قال : قالت : فواللَّهِ ما احتَجَزوا حتى قتَلوه . فقال حذيفةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لكم . [1]قال عروةُ[1] : فواللَّهِ مازالت فى حذيفةَ بَقِيَّةُ خيرٍ حتى لَقِىَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ .

قلتُ : كان سببَ ذلك ؛ أن اليَمانَ وثابتَ بنَ وَقْشٍ كانا فى الآطامِ مع النساءِ ؛ لكِبرِهما وضعفِهما ، فقالا : إنه لم يَبْقَ مِن آجالِنا إلا ظِمْءُ حمارٍ[2] . فنزلا ليَحْضُرا الحربَ ، فجاء طريقُهما ناحيةَ المشركين ؛ فأما ثابتٌ فقتَله المشركون ، وأما اليَمانُ فقتَله المسلمون خطَأً ، وتصدق حذيفةُ بديَةِ أبيه على المسلمين ، ولم يُعاتِبْ أحدًا منهم ؛ لظهورِ العذرِ فى ذلك .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وأُصيبت يومئذٍ عينُ قتادةَ بنِ النُّعمانِ حتى سقَطتْ على وَجْنتِه ، فردَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه[4] ، فكانت أحسنَ عينيه وأَحَدَّهما .

وفى الحديثِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن قتادةَ بنَ النعمانِ أُصيبت عينُه يومَ

(١ - ١) فى ص : « قالت » .

(٢) قال أبو ذر الخشنى : الظمءُ : مقدار ما يكون بين الشربتين . ومنه : أظمأت الإبل . وأقصر الأظماء ظمء الحمار ؛ لأنه لا يصبر عن الماء ، فضربه مثلًا لقرب الأجل . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٤ .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠٨ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٨٢ .

(٤) سقط من : الأصل .

أحدٍ حتى سالت على خدِّه، فردَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ مكانَها، فكانت أحسنَ عينَيه وأَحَدَّهما، وكانت لا تَرْمَدُ إذا رَمِدتِ الأخرى[1].

ورَوى الدارَقُطْنيُّ[2] بإسنادٍ غريبٍ، عن مالكٍ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى صَعْصَعةَ، عن أبيه، عن أبى سعيدٍ، عن أخيه قتادةَ بنِ النُّعمانِ قال: أُصيبت عَيْناىَ يومَ أحدٍ فسَقَطتا على وَجْنَتَىَّ [٢/٢٢٤ظ]، فأتَيْتُ بهما رسولَ اللَّهِ ﷺ فأعادهما مكانَهما، وبصَق فيهما فعادتا تَبْرُقان.

والمشهورُ الأولُ؛ أنه إنما أُصِيبت عينُه الواحدةُ. ولهذا لَمَّا وفَد بعضُ ولدِه على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قال له: مَن أنت؟ فقال له مُرْتَجِلًا:

أنا ابنُ الذى سالتْ على الخدِّ عينُه ... فرُدَّت بكفِّ المُصْطَفى أحسنَ الرَّدِّ
فعادتْ كما كانت لأولِ أمرِها ... فيا[3] حُسْنَ ما عينٍ[3] ويا حُسْنَ ما خَدِّ

فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عندَ ذلك:

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ[4] مِن لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

ثم وصَله فأحسنَ جائزتَه، رَضِىَ اللَّهُ عنه[5].

---

(١) ذكر نحوه ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٢٧٥/٢، وكذلك السهيلى فى الروض الأنف ٣٣/٦ من حديث جابر.

(٢) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣٣، ٣٤ وعزاه إلى الدارقطنى.

(٣ - ٣) فى م، ص: «حسنها عينًا».

(٤) القعب: القدح الضخم الغليظ الجافى. وقيل: قدح من خشب مقعرٌ. اللسان (ق ع ب).

(٥) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٢٧٥/٣، وعزاه إلى الأصمعى.

فصلٌ

قال ابنُ هشامٍ[1] : وقاتَلَتْ أمُّ عُمارةَ نَسِيبَةُ بنتُ كعبٍ المازِنِيَّةُ يومَ أُحدٍ ، فذكَر سعيدُ بنُ أبى زيدٍ الأنصاريُّ ، أنَّ أمَّ سعدٍ[2] بنتَ سعدِ[3] بنِ الرَّبيعِ كانت تقولُ : دَخَلْتُ على أُمِّ عُمارةَ فقلتُ لها : يا خالةُ ، أخبِرِينى خَبَرَكِ . فقالت : خَرَجْتُ أولَ النهارِ وأنا أنظُرُ ما يَصْنَعُ الناسُ ومعى سِقاءٌ فيه ماءٌ ، فانتَهَيْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى أصحابِه ، والدَّوْلَةُ والرِّيحُ[4] للمسلمين ، فلمَّا انْهَزَم المسلمون انحَزْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقُمْتُ أُباشِرُ القتالَ ، وأذُبُّ عنه بالسيفِ ، وأرْمى عن القوسِ ، حتى خَلَصَتِ الجِراحُ إلىَّ . قالت : فرأيتُ على عاتِقِها جُرْحًا أجْوَفَ له غَوْرٌ ، فقلتُ لها : مَن أصابَكِ بهذا ؟ قالت : ابنُ قَمِئَةَ أقْمَأَه[5] اللَّهُ ، لمَّا وَلَّى الناسُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أقْبَل يقولُ : دُلُّونى على محمدٍ ، فلا نَجَوْتُ إن نجا . فاعتَرَضْتُ له أنا ومُصْعَبُ بنُ عُميرٍ ، وأناسٌ[6] ممَّن ثَبَت مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فضَرَبنى هذه الضرْبَةَ ، ولقد ضرَبْتُه على ذلك ضَرَباتٍ ، ولكنَّ عدُوَّ اللَّهِ كانت عليه دِرْعان .

---

(١) فى ص : « إسحاق » . سيرة ابن هشام ٢/ ٨١، ٨٢.

(٢) فى الأصل ، ص : « سعيد » . وانظر الإصابة ٨/ ٢١٧، ٢١٨.

(٣) فى ص : « كعب » . وانظر المصدر السابق .

(٤) تريد ريح النصر . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١١٢.

(٥) أقمأه : حقَّره اللَّه وأذله . المصدر السابق .

(٦) سقط من : ص .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وتَرَّس أبو دُجانةَ دونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بنفسِه ، يقَعُ النَّبْلُ فى ظهرِه ، وهو مُنْحَنٍ عليه[2] ، حتى كَثُر فيه النَّبْلُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى عاصِمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رَمَى عن قوسِه حتى اندَقَّتْ سِيَتُها[4] ، فأخَذها قَتادَةُ بنُ النُّعمانِ ، فكانتْ عندَه .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى القاسمُ بنُ عبدِ الرحمنِ [6]بنِ رافعٍ[6] أخو بنى عَدِىِّ بنِ النجّارِ قال : انْتَهى أنسُ بنُ النَّضْرِ عمُّ أنسِ بنِ مالكٍ إلى عمرَ بنِ الخطابِ وطَلْحةَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، فى رجالٍ مِن المهاجرين والأنصارِ ، وقد أَلْقَوْا بأيديهم ، فقال : فما يُجلِسُكم ؟ قالوا : قُتِل رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : فما تَصْنَعون بالحياةِ بعدَه ؟! قُوموا فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثُم اسْتَقْبَل القومَ فقاتَل حتى قُتِل ، وبه سُمِّىَ أنسُ بنُ مالكٍ .

فحدَّثنى[7] حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : لقد وَجَدْنا بأنسِ بنِ النضرِ يومَئذٍ سبعين ضربةً ، فما عَرَفه إلَّا أختُه ، عَرَفَتْه ببَنانِه .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٢.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سِيَة القوس : ما عُطِف من طرفيها . القاموس المحيط (س ى ى) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٣٠٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٨٣.

(٦ - ٦) زيادة من : م .

(٧) القائل : ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ٢/٨٣ .

قال ابنُ هشامٍ[1] : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ أُصِيب فُوه يومَئذٍ ، فهَتِم وجُرِح عشرين جِراحةً أو أكثرَ ، أصابَه بعضُها فى رِجلِه فعَرِج .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان أولَ مَن عرَف رسولَ اللَّهِ ﷺ - بعدَ الهزيمةِ وقولِ الناسِ : قُتِل رسولُ اللَّهِ ﷺ . كما ذكَر لى الزُّهْرىُّ - كعبُ بنُ مالكٍ ، قال : رأيتُ عَيْنَيْه تَزْهَران[3] مِن تحتِ المِغْفَرِ ، فنادَيْتُ بأعلى صوتى : يا معشرَ المسلمين ، أبْشِروا ، هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ . فأشار إلىَّ[4] رسولُ اللَّهِ ﷺ أن أنصِتْ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فلمَّا عَرَف المسلمون رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهَضوا به ، [٢/ ٢٢٥و] ونهَض معهم نحوَ الشِّعْبِ ، معه أبو بكرٍ الصدِّيقُ ، وعمرُ بنُ الخطابِ ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وطَلْحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، والزُّبيرُ بنُ العَوّامِ ، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ ، ورَهْطٌ مِن المسلمين ، فلمَّا أَسْنَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشِّعْبِ أدْرَكه أُبَىُّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٨٣، ٨٤.

(٣) تزهران : تضيئان . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٢.

(٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٣، ٨٤.

ابنُ خلفٍ . فذَكَرَ قَتْلَه عليه الصلاةُ والسلامُ أُبَيًّا كما تَقَدَّم[1] .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان أُبَيُّ بنُ خلفٍ - كما حدَّثنى صالحُ بنُ إبراهيمَ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ - يَلْقَى رسولَ اللَّهِ ﷺ بمكَّةَ فيقولُ : يا محمدُ ، إنَّ عندى العَوْذَ[3] ؛ فرسًا أَعْلِفُه كلَّ يومٍ فَرَقًا[4] مِن ذُرَةٍ ، أَقْتُلُك عليه . فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل أنا أَقْتُلُك ، إن شاء اللَّهُ » . فلمَّا رجَع إلى قُريشٍ ، وقد خَدَشه فى عنقِه خَدْشًا غيرَ كبيرٍ ، فاحْتَقَن الدمُ ، فقال : قتَلنى واللَّهِ محمدٌ . فقالوا له : ذهَب واللَّهِ فؤادُك ، واللَّهِ إنْ بك بأسٌ[5] . قال : إنَّه قد كان قال لى بمكَّةَ : « أنا أَقْتُلُك » . فواللَّهِ لو بَصَق علىَّ لَقَتَلنى . فمات عدُوُّ اللَّهِ بسَرِفٍ[6] ، وهم قافلون به[7] إلى مكةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : فقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى ذلك[9] :

لقد وَرِثَ الضَّلالةَ عن أبيهِ ... أُبَيٌّ يومَ بارَزَه الرسولُ

---

(١) تقدم فى ٣٧٦، ٤٠٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٤.

(٣) فى السيرة : « العوذ » . قال أبو ذر : العود : اسم فرسه . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٢.

(٤) الفرَق بالتحريك : مكيال يسع ستة عشر رطلًا ، وهى اثنا عشر مُدًّا ، أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز . وقيل : الفرق خمسة أقساط ، والقسط : نصف صاع . وأما الفَرْق ، بالسكون : فمائة وعشرون رطلًا . النهاية ٣/ ٤٣٧.

(٥) يعنى ليس عليك بأس .

(٦) سرف : موضع من مكة على عشرة أميال . وقيل أقل وأكثر . اللسان (س ر ف) .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٤، ٨٥.

(٩) ديوان حسان ص ٣٩٣، ٣٩٤.

أتَيْتَ إليه تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ[1] وتُوعِدُه وأنتَ به جَهولُ
وقد قَتَلَتْ بنو النجّارِ منكم أُمَيَّةَ إذ يُغَوِّثُ[2] يا عَقِيلُ
وتَبَّ ابنا رَبيعةَ إذْ أَطاعا أبا جَهْلٍ لأُمِّهما الهَبُولُ[3]
وأفْلَتَ حارِثٌ لمَّا شُغِلْنا بأَسْرِ القومِ أُسْرَتُه[4] فَلِيلُ[5]

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا[6] :

ألا مَن مُبْلِغٌ عنى أُبَيًّا لقد[7] أُلْقِيتَ فى سُحُقٍ[8] السَّعيرِ
تَمَنَّى[9] بالضلالةِ مِن بعيدٍ وتُقْسِمُ إنْ قَدَرْتَ مع النُّذُورِ
تَمَنِّيكَ الأمانِى مِن بعيدٍ وقولُ الكفرِ يَرْجِعُ فى غُرورِ
فقد لَاقَتْك طعنةُ ذى حِفاظٍ[10] كريمِ البيتِ ليس بذى فُجورِ
له فضلٌ على الأحياءِ طُرًّا[11] إذا نابَتْ مُلِمّاتُ الأُمورِ

---

(١) الرِّمُّ : العظم البالى . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٢.
(٢) غوَّث الرجلِ : قال : واغوثاه . يقال : ضُرب فلان فغوَّث . الوسيط (غ و ث) .
(٣) الهبول : الثَّكُول . هبلته أمه : ثكلته . اللسان (هـ ب ل) .
(٤) الأسرة : العشيرة والقرابة . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٣.
(٥) فى الأصل ، ص : « قليل » . قال أبو ذر : وفليل بالفاء معناه مفلولون ، أى منهزمون . ومن رواه بالقاف هو معلوم . المصدر السابق .
(٦) ديوان حسان ص ٣٨٩.
(٧) فى م ، ص : « فقد » .
(٨) سحق : جمع سحيق ، وهو البعيد . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٣.
(٩) تمنى : أى تَتَمَنَّى .
(١٠) الحفاظ : الغضب فى الحرب . المصدر السابق .
(١١) طُرًّا : جميعًا . اللسان (ط ر ر) .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا انْتَهى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى فمِ الشِّعْبِ ، خرَج عليُّ بنُ أبى طالبٍ حتى ملأ دَرَقَتَه[2] ماءً مِن المِهْراسِ ، فجاء بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ليَشْرَبَ منه ، فوَجَد له رِيحًا فعافَه ولم يَشْرَبْ منه ، وغَسَل عن وجهِه الدمَ ، وصبَّ على رأسِه وهو يقولُ : « اشتدَّ غضبُ اللَّهِ على مَن دَمَّى وجهَ نبيِّه » . وقد تَقَدَّم شواهدُ ذلك مِن الأحاديثِ الصحيحةِ[3] بما فيه الكفايةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فبَيْنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشِّعْبِ ، معه أولئك النَّفَرُ مِن أصحابِه ، إذ عَلَتْ عاليةٌ مِن قُريشٍ الجبلَ . قال ابنُ هشامٍ : فيهم خالدُ بنُ الوليدِ . قال ابنُ إسحاقَ : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ إنَّه لا يَنْبَغى لهم أن يَعْلُونا » . فقاتَل عمرُ بنُ الخطابِ ورَهْطٌ معه مِن المهاجرين حتى أَهْبَطُوهم مِن الجبلِ ، ونَهَض النبىُّ ﷺ إلى صخْرةٍ مِن الجبلِ ليَعْلُوَها ، وقد كان بَدَّن[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ وظاهَر بينَ دِرْعَيْن[6] ، فلمَّا ذهَب ليَنْهَضَ لم يَسْتَطِعْ ، فجلَس تحتَه طلحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، فنَهَض به حتى اسْتَوَى عليها ، فحدَّثنى يحيى بنُ عَبّادِ [7]بنِ عبدِ اللَّهِ[7] بنِ الزُّبيرِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، [7]عن الزبيرِ[7] قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَئذٍ[8] : [٢/ ٢٢٥ظ] « أَوْجَب طلحةُ » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٥.

(٢) الدرقة : الحَجَفة ، وهى ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب . اللسان (د ر ق) .

(٣) تقدم ص ٣٩٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٦.

(٥) بدَّن : كبر وأسنَّ . انظر النهاية ١/ ١٠٧.

(٦) ظاهر بين درعين : أى جمع ولبس إحداهما فوق الأخرى . المصدر السابق ٣/ ١٦٦.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سقط من : الأصل .

حينَ صنَع برسولِ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ ما صنَع .

قال ابنُ هشامٍ[1] : وذكَر عمرُ مولى غُفْرَةَ[2] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الظهرَ يومَ أُحدٍ قاعدًا مِن الجِراحِ التى أصابتْه ، [3]وصلَّى المسلمون خلفَه قُعودًا[3] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ قال : كان فينا رجلٌ أَتِىٌّ[5] لا يُدْرَى مَن[6] هو ، يقالُ له : قُزْمانُ . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ إذا ذُكِر له[7] : « إنَّه لَمِن أهلِ النارِ » . قال : فلمَّا كان يومُ أحدٍ قاتَل قِتالًا شديدًا ، فقَتَل وحدَه ثمانيةً أو سبعةً[8] مِن المشركين ، وكان ذا بأسٍ ، فأثْبَتَتْه[9] الجِراحةُ ، فاحْتُمِل إلى دارِ بنى ظَفَرٍ . قال : فجعَل رجالٌ مِن المسلمين يقولون له : واللَّهِ لقد أبْلَيْتَ اليومَ يا قُزْمانُ ، فأبْشِرْ . قال : بماذا أُبَشَّرُ ؟ فواللَّهِ إن قاتَلْتُ إلّا عن أحسابِ قومى ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . قال : فلمَّا اشتدَّتْ عليه جِراحتُه أخَذ سهمًا مِن كِنانتِه فقتَل به نفسَه . وقد وَرَد مِثْلُ قصةِ هذا فى غزوةِ خيبرَ ، كما سيأتى ، إن شاء اللَّهُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٧.

(٢) فى الأصل ، م : « عفرة » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٨.

(٥) الأتىّ : الرجل الغريب . القاموس المحيط (أ ت ى) .

(٦) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « ممن » .

(٧) سقط من : م ، ص .

(٨) فى الأصل : « تسعة » . وهو لفظ رواية ابن جرير فى التاريخ ٢/٥٣١ ، من طريق سلمة عن ابن إسحاق به .

(٩) أثبتته : أى حبسته وجعلته ثابتًا فى مكانه لا يفارقه . النهاية ١/ ٢٠٥.

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن ابنِ[2] المُسَيَّبِ ، عن أبى هُرَيرةَ قال : شَهِدْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ خيبرَ ، فقال لرجلٍ ممَّن يَدَّعِى الإسلامَ : « هذا مِن أهلِ النارِ » . فلمَّا حضَر القتالُ قاتَل الرجلُ قِتالًا شديدًا ، فأصابَتْه جِراحةٌ ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، الرجلُ الذى قلتَ : « إنَّه مِن أهلِ النارِ » . فإنَّه قاتَل اليومَ قتالًا شديدًا ، وقد مات . فقال النبىُّ ﷺ : « إلى النارِ » . فكاد بعضُ القومِ أن يَرْتابَ ، فبينَما هم على ذلك ، إذ قيل : فإنَّه لم يَمُتْ ، ولكنْ به جِراحٌ شديدةٌ . فلمَّا كان مِن الليلِ لم يَصْبِرْ على الجراحِ ، فقَتَل نفسَه ، فأُخْبِر النبىُّ ﷺ بذلك فقال : « اللَّهُ أكبرُ ، أَشْهَدُ أنِّى عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . ثُم أمَر بلالًا فنادَى فى الناسِ : « إنَّه لا يدخُلُ الجنةَ إلَّا نَفْسٌ مُسلمةٌ ، وإنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ » . وأخرجاه فى « الصحيحين »[3] مِن حديثِ عبدِ الرَّزّاقِ به .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان مِمَّن قُتِل يومَ أُحدٍ مُخَيْرِيقُ ، وكان أحدَ بنى ثَعْلَبَةَ ابنِ الفِطْيَوْنِ[5] ، فلمَّا كان يومُ أُحدٍ قال : يا معشرَ يهودَ ، واللَّهِ لقد عَلِمْتُم أن نصرَ محمدٍ عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إن اليومَ يومُ السبتِ . قال : لا سبتَ لكم . فأخَذ سيفَه وعُدَّتَه وقال : إن أُصِبْتُ فمالى لمحمدٍ يَصْنَعُ فيه ما شاء . ثُم غَدا إلى

---

(١) المسند ٢/ ٣٠٩. (إسناده صحيح) .

(٢) سقط من : م .

(٣) البخارى (٣٠٦٢) ، ومسلم (١١١) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٨، ٨٩.

(٥) فى الأصل : « القيطون » . وفى م ، ص : « الغيطون » . والمثبت من السيرة ، وانظر الاشتقاق ص ٤٣٥، ٤٣٦. وجمهرة أنساب العرب ص ٣٧٣.

رسولِ اللَّهِ ﷺ فقاتل معه حتى قُتِل. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما بَلَغَنا: «مُخَيْرِيقُ خيرُ يهودَ».

قال السُّهيليُّ[1]: فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ أموالَ مُخَيْرِيقَ - وكانت سبعَ حَوائِطَ - أوقافًا بالمدينةِ. [2]قال محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ[3]: وكانت أولَ وَقْفٍ بالمدينةِ[2].

وقال ابنُ إسحاقَ[4]: وحدَّثنى الحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَمرِو[5] بنِ سعدِ بنِ معاذٍ، عن أبى سفيانَ مولى ابنِ أبى أحمدَ، عن أبى هُرَيرةَ، أنَّه كان يقولُ: حَدِّثونى عن رجلٍ دخَل الجنةَ لم يُصَلِّ قَطُّ. فإذا لم يَعْرِفْه الناسُ سألوه: مَن هو؟ فيقولُ: أُصَيْرِمُ بنى[6] عبدِ الأَشْهَلِ، عمرُو بنُ ثابتِ بنِ وَقْشٍ. قال الحُصَيْنُ: فقلتُ لمحمودِ بنِ لَبِيدٍ[7]: كيف كان شأنُ الأُصَيْرِمِ؟ قال: كان يَأْبَى الإسلامَ على قومِه، فلمَّا كان يومُ أُحدٍ بَدا له، فأسْلَم ثُم أخَذ سيفَه، فغَدا[8] حتى دخَل فى عُرْضِ الناسِ[9]، فقاتَل حتى أثْبَتَتْه الجِراحةُ. قال: فبينما رجالٌ

---

(١) الروض الأنف ٦/ ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) انظر الروض الأنف ٦/ ٤٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٠. قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٤/ ٦٠٩، بعد ذكره لهذا الخبر: هذا إسناد حسن، رواه جماعة من طريق ابن إسحاق.

(٥) فى م، ص: «عمر». وانظر تهذيب الكمال ٦/٥١٧، ٥١٨.

(٦) فى الأصل، ص: «بن». وانظر ترجمته فى أسد الغابة ١/ ١٢٠، ٤/ ٢٠٢.

(٧) فى م، والسيرة: «أسد». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٠٩.

(٨) فى م: «فغدا».

(٩) عرض الناس: معظمهم. وهو من عرض الناس أى من عامَّتهم. الوسيط (ع ر ض).

مِن بنى عبدِ الأشْهَلِ يَلْتَمِسون قَتْلَاهم فى المعركةِ ، إذا هم به ، فقالوا : واللَّهِ إنَّ هذا لَلأُصَيْرِمُ ، ما جاء به ؟! لقد تَرَكْناه وإنَّه لَمُنْكِرٌ لهذا الحديثِ ! فسألوه فقالوا : (١ما جاء بك يا عمرُو١) ؛ أحَدَبٌ[٢] على قومِك ، أم رغبةٌ فى الإسلامِ ؟ فقال : بل رغبةٌ فى الإسلامِ ، آمنتُ باللَّهِ وبرسولِه وأسْلَمْتُ ، ثُم أخَذْتُ سيفى وغَدَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقاتَلْتُ [٢/ ٢٢٦و] حتى أصابنى ما أصابنى . فلم يَلْبَثْ أن مات فى أيدِيهم ، فذَكَروه لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « إنَّه لَمِنْ أهلِ الجنةِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[٣] : وحدَّثنى أبى ، عن أشياخٍ مِن بنى سَلِمَةَ قالوا : كان عمرُو بنُ الجَمُوحِ رجلًا أَعْرَجَ شديدَ العَرَجِ ، وكان له بنونَ أربعةٌ مثلُ الأُسْدِ ، يَشْهَدون مع رسولِ اللَّهِ ﷺ المَشاهِدَ ، فلمَّا كان يومُ أُحدٍ أرادوا حَبْسَه ، وقالوا : إنَّ اللَّهَ قد عَذَرك . فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وقال : إنَّ بَنِىَّ يُريدون أن يَحْبِسونى عن هذا الوَجْهِ والخروجِ معك فيه ، فواللَّهِ إنِّى لأرْجُو أن أطَأَ بعَرْجَتى هذه فى[٤] الجنةِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمّا أنت فقد عَذَرك اللَّهُ ، فلا جهادَ عليك » . وقال لبَنِيهِ : « ما عليكم أن لا تَمْنَعوه ، لعلَّ اللَّهَ أن يَرْزُقَه الشهادةَ » . فخرَج معه فقُتِل يومَ أُحدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ[٥] : ووَقَعَتْ هندُ بنتُ عُتْبةَ - كما حدَّثنى صالحُ بنُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) الحدب : الشفقة والعطف والحنوّ . انظر اللسان (ح د ب) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٠، ٩١.

(٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٣١٢، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٩١.

كَيْسانَ - والنِّسوةُ اللاتى معها ، يُمَثِّلْنَ بالقَتْلَى مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يُجَدِّعْنَ الآذانَ والأُنوفَ ، حتى اتَّخَذَتْ هندُ مِن آذانِ الرجالِ وأُنوفِهم خَدَمًا[1] وقَلائِدَ ، وأعْطَت خَدَمَها وقَلائدَها وقِرَطَتَها[2] وَحْشِيًّا ، وبقَرتْ عن كَبِدِ حمزةَ فلاكَتْها[3] ، فلم تَسْتَطِعْ أن تُسِيغَها فلَفَظَتْها . وذكَر موسى بنُ عقبةَ[4] ، أنَّ الذى بقَر عن كبدِ حمزةَ وَحْشِيٌّ ، فحمَلَها إلى هندَ ، فلاكَتْها فلم تَسْتَطِعْ أن تُسِيغَها . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ثُم عَلَتْ على صخْرةٍ مُشْرِفةٍ ، فصَرَخَتْ بأعلى صوتِها فقالت :

نحن جَزَيْناكم بيومِ بدرِ ... والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ما كان عن عتبةَ لى مِن صبرِ ... ولا أخى وعمِّه وبِكْرِى
شَفَيْتُ نفسى وقَضَيْتُ نَذْرِى ... شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صدرِى
فشُكْرُ وَحْشِيٍّ علىَّ عُمْرِى ... حتى تَرِمَّ أعْظُمى فى قبرِى

قال : فأجابَتْها هندُ بنتُ أُثاثةَ بنِ عَبّادِ بنِ المطلبِ فقالت :

خَزِيتِ فى بدرٍ وبعدَ بدرِ ... يا بنتَ وقَّاعٍ[6] عظيمِ الكفرِ

---

(١) الخَدَم جمع خدمة ، وهى الخلخال . انظر الوسيط (خ د م) .
(٢) فى الأصل : « قرطيها » ، وفى م ، ص : « قرطها » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام . والقِرَطة : جمع قُرْط . والقرط ما يعلق فى شحمة الأذن من حلى . انظر الوسيط (ق ر ط) .
(٣) لاكتها معناه مضغتها . واللَّوْك : أهون المضغ . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١١٤، والقاموس المحيط (ل و ك) .
(٤) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٢١٤.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٩١، ٩٢.
(٦) الوقاع هنا : الكثير الوقوع فى الدنايا . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٥.

صبَّحَكِ اللَّهُ غَداةَ الفجرِ مِلْهاشِمِيِّين الطِّوالِ الزُّهْرِ[1]

بكلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِى[2] حمزةُ لَيْثِى وعلىٌّ صَقْرى

إذ رامَ شَيْبٌ وأبوكِ غَدْرى فخَضَّبا منه ضواحى النَّحْرِ[3]

ونذرُكِ السَّوْءُ فشَرُّ نَذْرِ

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان الحُلَيْسُ بنُ زَبّانَ[5] أخو بنى الحارثِ بنِ عبدِ مَناةَ ، وهو يومَئذٍ سيِّدُ الأَحابِيشِ ، مرَّ بأبى سفيانَ وهو يضْرِبُ فى شِدْقِ حمزةَ ابنِ عبدِ المطلبِ بزُجٍّ[6] الرُّمْحِ ويقولُ : ذُقْ عُقَقُ[7] . فقال الحُلَيْسُ : يا بنى كِنانةَ ، هذا سيدُ قُريشٍ يصنَعُ بابنِ عمِّه ما ترَوْن لَحْمًا[8] . فقال : وَيْحَكَ ! اكْتُمْها عنِّى ؛ فإنَّها كانتْ زَلَّةً .

قال ابنُ إسحاقَ[9] : ثُم إنَّ أبا سفيانَ ، حينَ أراد الانصرافَ ، أشْرَف على الجبلِ ، ثُم صرَخ بأعلى صوتِه : أَنْعَمَتْ فَعَالِ[10] ، إن الحربَ سِجال ، يومٌ بيومِ

---

(١) الزهر : البِيض . المصدر السابق . و « ملهاشميين » أصلها : من الهاشميين .

(٢) يفرى : يقطع . المصدر السابق .

(٣) إذ رام شيب : تعنى شيبة ، ولكن رخمته فى غير النداء على الترخيمين جميعا . وضواحى النحر : ما ظهر منه . والنحر : الصدر . انظر المصدر السابق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٣.

(٥) فى الأصل : « ريان » . وفى م : « زيان » .

(٦) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح . الوسيط (ز ج ج) .

(٧) عقق : أراد : يا عاق ، وهو من العُقوق ، فعدَله إلى فُعَل . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٦.

(٨) لحما : يريد أنه ميت لا يقدر على الانتصار . المصدر السابق .

(٩) سيرة ابن إسحاق ص ٣١٢، ٣١٣، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٩٣، ٩٤.

(١٠) سقط من : م ، ص . وفى الأصل : « فقال » . والمثبت من السيرة . وفى النهاية ٥/ ٨٤ « فَعالِ عنها » وجعل الضمير عائدًا على « هُبل » وانظر توجيهه فى النهاية ، ثم انظر شرح غريب السيرة .

بدر، اعْلُ هُبَل. (١أىْ أظْهِرْ١) دِينَك. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ: «قُمْ يا عمرُ فأَجِبْه، فقل: اللَّهُ أعلَى وأجلُّ، لا سَواءَ، قَتْلانا فى الجنةِ وقَتْلاكم فى النارِ». فقال له أبو سفيانَ: هلمَّ إلىَّ يا عمرُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/٢٢٦ظ] لعمرَ: «ائْتِه فانظُرْ ما شأنُه». فجاءه فقال له أبو سفيانَ: أنشُدُك اللَّهَ يا عمرُ، أقتَلْنا محمدًا؟ فقال عمرُ: اللهم لا، وإنَّه ليَسْمَعُ كلامَك الآنَ. قال: أنت أصدقُ عندى من ابنِ قَمِئَةَ وأبَرُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[٢]: ثُم نادَى أبو سفيانَ: إنه قد كان فى قَتْلاكم مَثْلٌ، واللَّهِ ما رَضِيتُ وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ ولا أمَرْتُ. قال: ولمَّا انْصَرَف أبو سفيانَ نادى: إنَّ مَوْعدَكم بدرٌ العامَ القابِلَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لرجلٍ مِن أصحابِه: «قُلْ: نعم، هو بينَنا وبينَك موعدٌ». قال ابنُ إسحاقَ: ثُم بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ، فقال: «اخرُجْ فى آثارِ القومِ، فانْظُرْ ماذا يَصْنَعون وما يُريدون، فإن كانوا قد جَنَبوا[٣] الخيلَ وامْتَطَوُا الإبلَ، فإنَّهم يُريدون مكَّةَ، وإن رَكِبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ، فهم يُريدون المدينةَ، والذى نفسى بيدِه إن أرادوها، لأَسِيرَنَّ إليهم فيها ثُم لأُناجِزَنَّهم». قال علىٌّ: فخرَجْتُ فى آثارِهم[٤] أنظُرُ ماذا يصْنَعون، فجَنَبوا الخيلَ وامْتَطَوُا الإبلَ ووَجَّهوا إلى مكةَ.

(١ - ١) فى الأصل: «وأظهر». وفى م، ص: «أى ظهرك دنياك». والمثبت من السيرة.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٣١٣، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٩٤.

(٣) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم. انظر الوسيط (ج ن ب).

(٤) فى م، ص: «أثرهم».

ذِكْرُ[1] دعاءِ النبىِّ ﷺ

[2]بعدَ الوَقْعَةِ[2] يومَ أُحدٍ

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ الفَزَارىُّ ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ ابنُ أَيْمَنَ المكىُّ ، عن ابنِ رِفاعةَ الزُّرَقىِّ ، عن أبيه قال : لما كان يومُ أُحدٍ وانكَفَأَ[4] المشركون ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْتَوُوا حتى أُثْنِىَ على ربى ، عَزَّ وجَلَّ » . فصاروا خلفَه صُفُوفًا ، فقال : « اللهم لك الحمدُ كلُّه ، اللهم[5] لا قابضَ لما بَسَطْتَ ، ولا باسطَ لما قَبَضْتَ ، ولا هادىَ لمن أَضْلَلْتَ ، ولا مُضِلَّ لمن هَدَيْتَ ، ولا مُعْطِىَ لما منَعْتَ ، [6]ولا مانعَ لما أَعْطَيْتَ[6] ، ولا مُقَرِّبَ لما باعَدْتَ ، ولا مُبعِّدَ[7] لما قَرَّبْتَ ، اللهم ابْسُطْ علينا مِن بَرَكاتِك ورحمتِك وفضلِك ورزقِك ، اللهم [8]إنى أسألُك[8] النَّعيمَ المُقيمَ الذى لا يَحُولُ[9] ولا يَزولُ ، اللهم إنى أسألُك النعيمَ

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م . وفى ص : « يوم الوقعة » .

(٣) المسند ٣/ ٤٢٤ . وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٦٩٩) من طريق مروان بن معاوية به . صحيح (صحيح الأدب المفرد ٥٣٨) .

(٤) فى الأصل : « انهزم » . وانكفأ : أى مال ورجع . النهاية ٤/ ١٨٣ .

(٥) سقط من : ص .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) فى المسند : « مباعد » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « إنا نسألك » .

(٩) يحول : يتحوَّل .

يومَ العَيْلَةِ[1] ، والأمنَ يومَ الخوفِ ، اللهم إنى عائذٌ بك مِن شَرِّ ما أعْطَيْتَنا وشَرِّ ما مَنَعْتَنا ، اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيِّنْه فى قلوبِنا ، وكَرِّهْ إلينا الكفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ ، واجْعَلْنا مِن الراشدِين ، اللهم توَفَّنا مسلمِين [2]وأحْيِنا مسلِمِين[2] وألْحِقْنا بالصالحين ، غيرَ خَزايا ولا مَفْتونِين ، اللهم قاتِلِ الكَفَرَةَ الذين يُكَذِّبون رُسلَك ويَصُدُّون عن سبيلِك ، واجْعَلْ عليهم رِجْزَك وعَذابَك ، اللهم قاتِلِ الكَفَرَةَ الذين أُوتوا الكتابَ إلهَ الحقِّ » . ورواه النسائىُّ[3] فى اليومِ والليلةِ ، عن زِيادِ بنِ أيوبَ ، عن مَرْوانَ بنِ معاويةَ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أَيْمَنَ ، عن عُبَيْدِ بنِ رِفاعةَ ، عن أبيه به .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وفرَغ الناسُ لقَتْلاهم ، فحدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ المازِنىُّ ، أخو بنى النجَّارِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن رجلٌ[5] ينظُرُ لى ما فعَل سعدُ بنُ الربيعِ ؟ أفى الأحياءِ هو أم فى الأمواتِ ؟ » فقال رجلٌ مِن الأنصارِ : أنا . فنظَر فوجَده جريحًا فى القَتْلى وبه رَمَقٌ ، قال : فقلتُ له : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرنى أن أنظُرَ[6] أفى الأحياءِ أنت أم

---

(١) العيلة : الفقر والحاجة . الوسيط (ع ى ل) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) النسائى فى الكبرى (١٠٤٤٥) .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٣١٣، ٣١٤، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٩٤، ٩٥.

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) زيادة من : م .

فى الأمواتِ . فقال : أنا فى الأمواتِ ، فأبْلِغْ رسولَ اللَّهِ ﷺ [1]عنى السلامَ[1] ، وقُلْ له : إن سعدَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ لك : جزاك اللَّهُ عنا خيرَ ما جَزَى نبيًّا عن أُمَّتِه . وأبْلِغْ قومَك عنى السَّلامَ ، وقلْ لهم : إن سعدَ بنَ الرَّبيعِ يقولُ لكم : إنَّه لا عُذْرَ لكم عندَ اللَّهِ إن خُلِص إلى نبيِّكم ، ومِنكم[2] عينٌ تَطْرِفُ . قال : ثُم لم أبْرَحْ حتى مات . قال : فجئتُ النبىَّ ﷺ فأخبَرْتُه خبرَه .

قلتُ : كان الرجلُ الذى التَمَس سعدًا فى القَتْلى محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ ، فيما ذكَره محمدُ بنُ عمرَ [٢/٢٢٧و] الواقدىُّ[3] ، وذكَر أنه ناداه مرتين فلم يُجِبْه ، فلما قال : إن رسولَ اللَّهِ أمَرنى أن أنظُرَ خبرَك . أجابه بصوتٍ ضعيفٍ ، وذكَره . وقال الشيخُ أبو عمرَ فى « الاستيعابِ »[4] : كان الرجل الذى التمس [5]سعدًا أُبَىُّ بنُ كعبٍ[5] . فاللَّهُ أعلمُ[6] . وكان سعدُ بنُ الربيعِ مِن النُّقَباءِ ليلةَ العَقَبَةِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، وهو الذى آخى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ عبدِ الرحمنِ ابنِ عوفٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنى ، يَلْتَمِسُ حمزةَ ابنَ عبدِ المطلبِ فوجَده ببطنِ الوادى ، قد بُقِر بطنُه[8] عن كبدِه ، ومُثِّل به ؛

(١ - ١) فى م : « سلامى » .

(٢) سقط من : ص . وفى م : « وفيكم » .

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٥٩٠.

(٥ - ٥) فى الأصل : « سعد بن أبى كعب » . وفى م : « سعدًا أبى كعب » .

(٦) انظر الروض الأنف ٦/ ٤٠.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٥، ٩٦.

(٨) أى شق بطنه .

فجُدِع أنفُه وأُذُناه ، فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال حينَ رَأى ما رَأَى : « لولا أن تَحْزَنَ صَفِيَّةُ ، وتكونَ سُنَّةً مِن بعدى ، لترَكْتُه حتى يكونَ فى بُطونِ السِّباعِ وحَواصِلِ الطيرِ ، ولئن أظهَرنى[1] اللَّهُ على قريشٍ فى مَوْطِنٍ مِن المواطنِ لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين رجلًا منهم » . فلما رَأى المسلمون حُزْنَ[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وغَيْظَه على مَن فعَل بعمِّه ما فعَل ، قالوا : واللَّهِ لئن أظفَرَنا اللَّهُ بهم يومًا مِن الدَّهْرِ لنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلْها أحدٌ مِن العربِ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فحدَّثنى بُرَيْدَةُ بنُ سفيانَ بنِ فَرْوَةَ الأسْلَمِيُّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن ابنِ عباسٍ أن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، أنزَل فى ذلك[4] : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [النحل : ١٢٦، ١٢٧] الآية . قال : فعفَا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وصبَرَ ، ونهَى عن المُثْلَةِ .

قلتُ : هذه الآياتُ مَكِّيَّةٌ ، وقصةُ أُحدٍ بعدَ الهجرةِ بثلاثِ سنين ، فكيف يَلْتَئِمُ هذا مع هذا . فاللَّهُ أعلمُ[5] .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدثنى حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرَةَ قال : ما قام رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَقامٍ قطُّ ففارقه[6] حتى يَأْمُرَ بالصدَقةِ ، ويَنْهَى عن

---

(١) فى الأصل ، ص : « أظفرنى » .

(٢) فى الأصل ، ص : « جزع » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٦.

(٤) بعده فى السيرة : « من قول رسول اللَّه ﷺ ، وقول أصحابه » .

(٥) انظر فى ذلك تفسير الطبرى ١٤/١٩٥ - ١٩٧، والتفسير ٤/ ٥٣٤.

(٦) فى الأصل : « فثار » .

المُثْلَةِ . وقال ابنُ هشامٍ[1] : ولما وقَف النبيُّ ﷺ على حمزةَ قال : « لن أُصابَ بمثلِك أبدًا ، ما وقَفْتُ موقفًا قطُّ أغْيَظَ إليَّ مِن هذا » . ثُم قال : « جاءنى جبريلُ فأخْبَرَنى أن حمزةَ مكتوبٌ فى أهلِ[2] السماواتِ السبعِ : حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ أسدُ اللَّهِ وأسدُ رسولِه » . قال ابنُ هشامٍ[3] : وكان حمزةُ وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأسَدِ أَخَوَىْ[4] رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الرَّضاعةِ ؛ أرضَعَتْهم ثلاثتَهم ثُوَيْبَةُ مولاةُ أبى لهبٍ .

[5]وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ الهاشمىُّ ، أنبأنا عبدُ الرحمنِ ، يعنى ابنَ أبى الزنادِ ، عن هشامٍ ، عن عروةَ قال : أخبرنى أبى الزبيرُ أنه لمّا كان يومُ أُحدٍ أقبَلَتِ امرأةٌ تسعَى ، حتى إذا كادتْ أن تُشْرِفَ على القَتْلَى . قال : فكَرِه النبيُّ ﷺ أنْ تَراهم ، فقال : « المرأةَ المرأةَ » . قال الزبيرُ : فتوسَّمْتُ أنَّها أمى صفيةُ ، قال : فخرجتُ أسعَى إليها[7] ، فأدركْتُها قبلَ أنْ تَنْتَهِىَ إلى[5] القتلَى . قال : [8]فلَدَمَتْ فى[8] صدرى ، وكانت امرأةً جَلْدَةً[9] ، قالت : إليك ، لا أرضَ لكَ[10] . قال : فقلتُ : إنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عزَم[5]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) المصدر السابق .

(٤) فى م ، ص : « أخو » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) المسند ١/ ١٦٥ . (إسناده صحيح) .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨ - ٨) فى الأصل : « فلزمت » . ولدمت فى صدرى : أى ضربت ودفعت . النهاية ٤/ ٢٤٦ .

(٩) جَلْدة : ذات جَلَدٍ ، وهو القوة والصبر .

(١٠) إليك : اسم فعل بمعنى تنح ؛ أى تباعد عنى . وقولها : لا أرض لك . أى لا مقر لك ولا وطن ؛ =

[1] عليكِ . قال : فوقَفتْ ، وأخرجتْ ثَوبيْن معها ، فقالت : هذان ثوبان جئتُ بهما لأخى حمزةَ ، فقد بلَغَنى مَقْتَلُه ، فكفِّنوه فيهما . قال : فجئْنا بالثوبيْن لنكفِّنَ فيهما حمزةَ ، فإذا إلى جنْبِه رجلٌ مِن الأنصارِ قتيلٌ ، قد فُعِل به كما فُعِل بحمزةَ . قال : فوجَدْنا غَضاضةً[2] وحياءً أن نكفِّنَ حمزةَ فى ثوبيْن والأنصارىُّ لا كفَنَ له ، فقلنا : لحمزةَ ثوبٌ وللأنصارىِّ ثوبٌ . فقدَّرْناهما فكان أحدُهما أكبرَ مِن الآخَرِ ، فأقرعْنا بينهما ، فكفَّنَّا كلَّ واحدٍ منهما فى الثوبِ الذى طار[3] له[1] .

= كلمة سبٍّ بمعنى : لا أم لك ، وأصلها تقال للَّقيط ، أى لا أم لك تنسب إليها ، ثم جرت على ألسن العرب ، فصاروا يقولونها لمن يريدون سبَّه بدون قصد أصلها . بلوغ الأمانى على ترتيب الفتح الربانى ٧/ ١٨١، ١٨٢.

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) الغضاضة : المنقصة .

(٣) فى المسند : « صار » . قال فى بلوغ الأمانى ٧/ ١٨٢ : « طار » بالطاء المهملة ، وطائر الإنسان ما حصل له فى علم اللّه مما قُدر له .

ذكرُ الصلاةِ على حمزةَ وقتلَى أُحدٍ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، [٢/٢٢٧ظ] عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بحمزةَ فسُجِّىَ ببُرْدَةٍ ، ثم صَلَّى عليه فكبَّر سبعَ تكبيراتٍ ، ثم أُتِىَ بالقتلَى يُوضَعون إلى حمزةَ ، فصلَّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلَّى عليه ثِنْتَيْن وسبعين صلاةً . وهذا غريبٌ وسَنَدُه ضعيفٌ .

قال السُّهيلىُّ[2] : ولم يَقُلْ به أحدٌ مِن علماءِ الأمْصارِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عفَّانُ ، حدَّثنا حَمَّادٌ ، حدَّثنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن الشَّعبىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : إن النساءَ كُنَّ يومَ أُحدٍ خلفَ المسلمين يُجْهِزْنَ على جَرْحَى المشركين ، فلو حلَفْتُ يومئذٍ رَجَوْتُ أن أَبَرَّ : إنه ليس أحدٌ منا يُريدُ الدنيا ، حتى أنزَل اللَّهُ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . فلمّا خالف أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وعصَوا ما أُمِروا به ، أُفْرِد رسولُ اللَّهِ ﷺ فى تسعةٍ ؛ سبعةٍ مِن الأنصارِ ورجلين مِن قريشٍ ، وهو عاشرُهم ، فلمّا رَهِقوه قال : « رَحِم اللَّهُ رجلًا ردَّهم عنا » . [4]قال : فقام رجلٌ من الأنصارِ[4]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٧.

(٢) الروض الأنف ٦/ ٤٢، ٤٣.

(٣) المسند ١/ ٤٦٣. (إسناده صحيح).

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(١) فقاتل ساعةً حتى قُتِل، فلمّا رَهِقوه أيضًا قال: «رَحِمَ[٢] اللَّهُ رجلًا رَدَّهم عنا»[١]. فلم يَزَلْ يقولُ ذا حتى قُتِل السبعةُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لصاحِبَيه: «ما أنصَفْنا أصحابَنا». فجاء أبو سفيانَ فقال: اعْلُ هُبَلُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قولوا: اللَّهُ أعْلَى وأجلُّ». فقالوا: اللَّهُ أَعلَى وأجَلُّ. فقال أبو سفيانَ: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قولوا: اللَّهُ مولانا[٣] ولا مولَى لكم[٣]». ثم قال أبو سفيانَ: يومٌ بيومِ بدرٍ، يومٌ لنا ويومٌ علينا، ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرُّ، حَنْظَلَةُ بحَنْظَلَةَ، وفلانٌ بفلانٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا سَواءَ، أما قَتْلانا فأحياءٌ يُرْزَقون، وقَتْلاكم فى النارِ يُعَذَّبون». قال أبو سفيانَ: قد كانت فى القومِ مُثْلةٌ، وإن كانت لَعَنْ غيرِ ملأٍ منا، ما أمَرْتُ ولا نهَيْتُ، ولا أحبَبْتُ ولا كَرِهْتُ، ولا ساءَنى ولا سَرَّنى. قال: فنظَروا، فإذا حمزةُ قد بُقِر بطنُه، وأخَذتْ هندُ كَبِدَه فلاَكَتْها، فلم تَسْتَطِعْ أن تَأْكُلَها، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أأكَلَتْ منه[٤] شيئًا؟» قالوا: لا. قال: «ما كان اللَّهُ لِيُدْخِلَ شيئًا مِن حمزةَ فى النارِ». قال: فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ حمزةَ فصلَّى عليه، وجِىءَ برجلٍ مِن الأنصارِ فوُضِع إلى جَنْبِه فصلَّى عليه، فرُفِع الأنصارىُّ وتُرِك حمزةُ، ثم جِىء بآخرَ فوضَعَه إلى جنبِ حمزةَ فصلَّى عليه، ثُم رُفِع وتُرِك حمزةُ، حتى صلَّى عليه يومئذٍ سبعين صلاةً. تفرَّد به أحمدُ. وهذا إسنادٌ فيه ضعفٌ أيضًا مِن جهةِ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) كذا فى النسخ، وفى المسند: «يرحم».

(٣ - ٣) فى المسند: «والكافرون لا مولى لهم».

(٤) زيادة من المسند.

عطاءِ بنِ السائبِ[1] . فاللَّهُ أعلمُ .

والذى رَواه البخاريُّ أَثْبتُ ، حيث قال[2] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، أنَّ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ أخبرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَجْمَعُ بينَ الرجلين مِن قتلَى أُحدٍ فى ثوبٍ واحدٍ ، ثم يقولُ : « أيُّهم أكثرُ أخْذًا للقرآنِ ؟ » . فإذا أُشِير له إلى أَحدٍ[3] قدَّمه فى اللَّحْدِ وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء يومَ القيامةِ » . وأمَر بدفنِهم بدمائِهم ، ولم يُصَلِّ عليهم ، ولم يُغَسَّلوا . تفرَّد به البخاريُّ دونَ مسلمٍ . ورَواه أهلُ السننِ مِن حديثِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ به[4] .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا محمدٌ ، يَعْنى ابنَ جعفرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، سَمِعتُ عبدَ رَبِّه يُحَدِّثُ عن الزهرىِّ ، عن ابنِ جابرٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال فى قَتْلى أُحدٍ : « فإنَّ كلَّ جُرْحٍ أو كلَّ دمٍ يَفُوحُ مِسْكًا يومَ القيامةِ » . ولم يُصَلِّ عليهم .

وثَبَت أنه صلَّى عليهم بعدَ ذلك بسنينَ عديدةٍ قبلَ وفاتِه بيسيرٍ ، كما قال البخاريُّ[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ ، [٢/٢٢٨و] حدَّثنا زكريا بنُ عَدِىٍّ ،

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٦/ ١٩١، ١٩٢ تعقيبًا على المصنف : « وتعليل الإسناد بعطاء غير جيد ، فإن حماد بن سلمة سمع منه قبل اختلاطه » . وانظر الكواكب النيرات ص ٣١٩- ٣٣٤.
قلت : وصحة الحديث لا تؤثر فى أن الراجح من أقوال أهل العلم أن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه . ويحمل الحديث على جواز الصلاة على الشهيد ، أو أن الإمام مخير بين الصلاة وعدمها .

(٢) البخارى (٤٠٧٩) .

(٣) فى النسخ : « أحدهما » . والمثبت من البخارى .

(٤) أبو داود (٣١٣٨، ٣١٣٩) ، والترمذى (١٠٣٦) ، والنسائى (١٩٥٤) ، وابن ماجه (١٥١٤) .

(٥) المسند ٣/ ٢٩٩.

(٦) البخارى (٤٠٤٢) .

أخْبرَنا ابنُ[1] المُبارَكِ ، عن حَيْوَةَ ، عن يَزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن أبى الخَيْرِ ، عن عُقْبَةَ ابنِ عامرٍ قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ على قتلى أُحدٍ بعدَ ثمانى سنينَ ، كالمُوَدِّعِ للأحياءِ والأمواتِ ، ثم طلَع المِنْبرَ فقال : « إنى بينَ أيديكم فَرَطٌ ، وأنا عليكم شهيدٌ ، وإنَّ موعدَكم الحوضُ ، وإنى لَأَنظُرُ إليه مِن مَقامى هذا ، وإنى لستُ أَخْشَى عليكم أن تُشْرِكوا ، ولكنى أَخْشَى عليكم الدنيا أن تَنافَسوها » . قال : فكان آخرَ نَظْرةٍ نظَرْتُها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورَواه البخاريُّ فى مواضعَ أُخَرَ ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ به نحوَه[2] .

وقال الأُمويُّ[3] : حدَّثنى أبى ، حدَّثنا الحسنُ بنُ عُمارةَ ، عن حَبِيبِ بنِ أبى ثابتٍ قال : قالت عائشةُ : خرَجْنا مِن السَّحَرِ مَخْرَجَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أُحدٍ نَسْتَطْلِعُ الخبرَ ، حتى إذا طلَع الفجرُ إذا رجلٌ [4]مُحْتَجِرٌ يَشْتَدُّ[4] ويقولُ :

لَبِّثْ قليلًا يَشْهَدِ الهَيْجا حَمَلْ[5]

قالت[6] : فنظَرْنا فإذا أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ ، ثم مكَثْنا بعدَ ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقْبَل ، عليه امرأةٌ بينَ وَسْقَيْنِ[7] . قالت : فدَنَوْنا منها ، فإذا هى امرأةُ عمرِو بنِ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦)، وأبو داود (٣٢٢٣، ٣٢٢٤)، والنسائى (١٩٥٣) .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من مصادر، لكن أخرج الواقدى فى المغازى ١/ ٢٦٥ نحوه .

(٤ - ٤) كذا فى م ، ص ، وفى الأصل : « نححر » ، ومحتجر : منفرد ، أو منتحٍ بناحية . انظر النهاية ١/ ٣٤٢.

(٥) قال الزمخشرى فى المستقصى فى أمثال العرب ٢/ ٢٧٨: قالوا فى حمل : هو اسم رجل شجاع كان يُستَظهَر به فى الحرب ، ولا يبعد أن يراد به حمل بن بدر صاحب الغبراء . ثم قال : يضرِبُه - أى قائل هذا المثل - مَن ناصرُه وراءَه .

(٦) فى م ، ص : « قال » .

(٧) الوسق : العِدل ؛ وهو نصف الحِمْل يكون على أحد جنبى البعير . اللسان (و س ق) ، (ع د ل) .

الجَمُوحِ ، فقلنا لها : ما الخبرُ ؟ قالت : دفَع اللَّهُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ واتَّخذ من المؤمنين شُهداءَ ، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[1] . ثم قالت لبعيرِها : حَلْ[2] . ثم نزَلتْ ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : وقد أقْبَلتْ صفيةُ بنتُ عبدِ المطلبِ لتَنْظُرَ إليه[4] ، وكان أخاها لأبيها وأمِّها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لابنِها الزُّبَيْرِ بنِ العوّامِ : « الْقَها فأرْجِعْها ؛ لا تَرَى ما بأخيها » . فقال لها : يا أُمَّهْ ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكِ أن تَرْجِعى . قالت : ولِمَ وقد بلَغَنى أنه مُثِّل بأخى ، وذلك فى اللَّهِ ؟! فما أرضانا ما كان مِن ذلك ، لَأَحْتَسِبَنَّ ولَأَصْبِرَنَّ إن شاء اللَّهُ . فلما جاء الزبيرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأخبَرَه بذلك ، قال : « خَلِّ سبيلَها » . فأتَتْه[5] فنظَرتْ إليه ، وصلَّتْ عليه ، واسترْجَعَتْ واستَغْفَرتْ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ثُم أمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ[5] فدُفِن ، ودُفِنَ معه ابنُ أختِه عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ - وأمُّه أُمَيْمَةُ بنتُ عبدِ المطلبِ - وكان قد مُثِّل به ، غيرَ أنه لم يُبْقَرْ عن كَبِدِه ، رضى اللَّهُ عنهما .

قال السُّهيلىُّ[7] : وكان يقالُ له : المُجَدَّعُ فى اللَّهِ . قال : وذكَر سعدٌ أنه هو

---

(١) سورة الأحزاب ٢٥ ، وهذه الآية إنما نزلت فى غزوة الأحزاب ، وهى بعد غزوة أحد ، ولكنها جاءت هكذا فى النسخ ، وفى مغازى الواقدى ، الموضع السابق .

(٢) كلمة زجر للناقة . انظر اللسان (ح ل ل) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٧.

(٤) أى إلى حمزة ، رضى اللَّه عنه .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) المصدر السابق .

(٧) الروض الأنف ٦/ ٤٤، ٤٥.

وعبدُ اللَّهِ بنُ جحشٍ دَعَوَا بدعوةٍ فاستُجِيبَتْ لهما ؛ فدَعا سعدٌ أن يَلْقَى فارسًا مِن المشركين فيَقْتُلَه ويَستَلِبَه ، فكان ذلك ، ودَعَا عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ أن يلقاه فارسٌ فيَقْتُلَه ويَجْدَعَ أنفَه فى اللَّهِ ، فكان ذلك .

وذكَر الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] أن سيفَه يومَئذٍ انقطع ، فأعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عُرْجُونًا ، فصار فى يدِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ سيفًا يُقاتِلُ به ، ثم [2]بِيعَ فى تَرِكةِ بعضِ ولدِه[2] بمائتَىْ دينارٍ . وهذا كما تقدَّم لعُكَّاشةَ فى يومِ بدرٍ[3] . وقد تقدَّم فى « صحيحِ البخارىِّ » أيضًا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَجْمَعُ بينَ الرجلين والثلاثةِ فى القبرِ الواحدِ ، بل فى الكفنِ الواحدِ ، وإنما أَرْخَص لهم فى ذلك ؛ لِمَا بالمسلمين مِن الجِراحِ التى يَشُقُّ معها أن يَحْفِروا لكلِّ واحدٍ واحدًا ، ويُقَدِّمُ فى اللَّحْدِ أكثرَهما أخْذًا للقرآنِ ، وكان يَجْمَعُ بينَ الرجلين المُتَصاحِبَيْن فى اللَّحْدِ الواحدِ ، كما جمَعَ بينَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو [٢/٢٢٨ظ] بنِ حَرامٍ ، والدِ جابرٍ ، وبينَ عمرِو بنِ الجَمُوحِ ؛ لأنهما كانا متصاحِبَيْن ، ولم يُغَسَّلوا ، بل تَرَكهم بجراحِهم ودمائِهم ، كما روَى ابنُ إسحاقَ[4] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمّا [5]أَشْرَف على[5] القتلى يومَ أُحدٍ قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما مِن جريحٍ يُجْرَحُ فى اللَّهِ ، إلّا واللَّهُ يَبْعَثُه يومَ

---

(١) ذكره السهيلى عن الزبير فى الروض الأنف ٦/ ٤٥.

(٢ - ٢) فى الروض : « ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغاء التركى » . ففيه زيادة وتفصيل عما أورده المصنف هاهنا ، وهو أن الذى اشتراه من الورثة الذين استقر عندهم السيف ، هو بغاء التركى . وانظر الإصابة ٤/ ٣٧.

(٣) تقدم فى صفحة ١٤٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٨.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « انصرف عن » .

القيامةِ يَدْمَى جُرْحُه ، اللونُ لونُ دمٍ ، والريحُ رِيحُ مِسْكٍ » . [1] قال[2] : وحدَّثنى عَمِّى موسى بنُ يَسارٍ ، أنه سَمِع أبا هريرةَ يقولُ : قال أبو القاسمِ ﷺ : « ما مِن جريحٍ يُجْرَحُ فى اللَّهِ ، إلّا واللَّهُ يَبْعَثُه يومَ القيامةِ وجُرْحُه يَدْمَى ، اللونُ لونُ الدمِ ، والريحُ رِيحُ المِسْكِ » [1] . وهذا الحديثُ ثابتٌ فى « الصحيحين »[3] مِن غيرِ هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحدٍ بالشهداءِ أن يُنْزَعَ عنهم الحديدُ والجلودُ ، وقال : « ادْفِنوهم بدمائِهم وثيابِهم » . ورواه أبو داودَ وابنُ ماجه من حديثِ علىِّ بنِ عاصمٍ به[5] .

وقال الإمامُ أبو داودَ فى « سُنَنِه »[6] : حدَّثنا القَعْنَبِىُّ ، أنَّ سليمانَ بنَ المُغِيرةِ حدَّثهم ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ ، عن هشامِ بنِ عامرٍ أنه قال : جاءتِ الأنصارُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ يومَ أُحدٍ فقالوا : قد أصابنا قَرْحٌ[7] وجَهْدٌ ، فكيف تَأْمُرُنا[8] ؟ فقال : « احْفِروا وأَوْسِعوا ، واجْعَلوا الرجلين والثلاثةَ فى القبرِ الواحدِ[9] » . قيل :

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أى ابن إسحاق ، المصدر السابق .

(٣) البخارى (٢٣٧، ٢٨٠٣، ٥٥٣٣) ، ومسلم (١٨٧٦) .

(٤) المسند ١/ ٢٤٧. (إسناده حسن) .

(٥) أبو داود (٣١٣٤) ، وابن ماجه (١٥١٥) .

(٦) أبو داود (٣٢١٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٥٤) .

(٧) القرح بالفتح والضم : الجرح ، وقيل : هو بالضم الاسم وبالفتح المصدر ، أراد ما نالهم من القتل يومئذ . انظر النهاية ٤/ ٣٥.

(٨) فى الأصل : « يأمر » . وفى م ، ص : « تأمر » . والمثبت من سنن أبى داود .

(٩) زيادة من النسخ . وليست فى سنن أبى داود .

يا رسولَ اللَّهِ، فأيُّهم يُقَدَّمُ؟ قال: «أكثرُهم قرآنًا». ثم رواه مِن حديثِ الثوريِّ، عن أيوبَ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ، عن هشامِ بنِ عامرٍ[1]، فذكَره، وزاد: «وأَعْمِقوا».

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وقد احتَمَل ناسٌ مِن المسلمين قَتْلاهم إلى المدينةِ فدَفَنوهم بها، ثم نهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن ذلك وقال: «ادْفِنوهم حيث صُرِعوا».

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا عليُّ بنُ إسحاقَ[4] وعَتَّابٌ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ، أخبرَنا عمرُ بنُ سَلَمَةَ بنِ أبى يَزيدَ المَدينيُّ، حدثنى أبى، سَمِعْتُ جابرَ ابنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ: استُشْهِد أبى بأُحدٍ، فأرسلْنَنى أخَواتى إليه بناضِحٍ[5] لهن، فقُلْنَ: اذْهَبْ فاحتَمِلْ أباك على هذا الجملِ، فادْفِنْه فى مقبرةِ بنى سَلِمةَ. قال: فجِئتُه وأعوانٌ لى، فبلَغ ذلك نبيَّ اللَّهِ ﷺ وهو جالسٌ بأُحدٍ، فدَعانى فقال: «والذى نفسى بيدِه لا يُدْفَنُ إلّا مع إخوتِه». فدُفِن مع أصحابِه بأُحدٍ. تفرَّد به أحمدُ.

---

(١) أبو داود (٣٢١٦). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٥٥).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٨.

(٣) المسند ٣/ ٣٩٦.

(٤) بعده فى النسخ: «حدثنا عبد اللَّه». وبعده فى المسند، وجامع المسانيد للمصنف ٢٤/ ٩١: «حدثنا عبد الوهاب». والمثبت من أطراف المسند ٢/ ٢٠ لابن حجر. فإن على بن إسحاق لم يروِ عمن اسمه عبد الوهاب، ولا عن عتاب بن زياد. انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٩١، ٢٠/ ٣١٨. وعبد اللَّه الذى حدث عنه على بن إسحاق وعتاب، هو عبد اللَّه بن المبارك، انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ١٦/ ٥.

(٥) الناضح: الدابة يُستقى عليها، والمقصود هنا الجمل كما سيأتى.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن الأسودِ ابنِ قيسٍ ، عن نُبَيْحٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن قَتْلَى أُحدٍ حُمِلوا مِن مكانِهم ، فنادَى مُنادِى النبىِّ ﷺ أن رُدُّوا القَتْلى إلى مَضاجِعِهم .

وقد رواه أبو داودَ والنسائىُّ مِن حديثِ الثَّورىِّ[2] ، والترمذىُّ مِن حديثِ شعبةَ[3] ، والنسائىُّ أيضًا وابنُ ماجه مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ[4] ، كلُّهم عن الأسودِ بنِ قيسٍ [5] به .

وقال أحمدُ[6] : حدَّثنا عفّانُ ، حدثنا أبو عَوانةَ ، حدثَنا[5] نُبَيْحٌ العَنَزىُّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن المدينةِ إلى المشركين ليُقاتِلَهم ، وقال لى أبى عبدُ اللَّهِ : يا جابرُ ، لا عليك أن تكونَ فى نَظَّارِى[7] أهلِ المدينةِ ، حتى تَعْلَمَ إلى ما يَصِيرُ[8] أمْرُنا ، فإنى واللَّهِ لولا أنى أَتْرُكُ بناتٍ لى بعدى ، لَأَحْبَبْتُ أن تُقْتَلَ بيـنَ يدَىَّ . قال : فبينا أنا فى النَّظَّارين ، إذ جاءتْ عمتى بأبى وخالى ، عادَلَتْهُما[9] على ناضحٍ ، فدخَلَتْ بهما المدينةَ لتَدْفِنَهما فى مقابرِنا ، إذ لَحِق رجلٌ يُنادِى : ألَا إنَّ النبىَّ ﷺ يَأْمُرُكم أن تَرْجِعوا بالقَتْلى ، فتَدْفِنوها فى

---

(١) المسند ٣/ ٢٩٧.

(٢) أبو داود (٣١٦٥) ، والنسائى (٢٠٠٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧١٠) .

(٣) الترمذى (١٧١٧) .

(٤) النسائى (٢٠٠٣) ، وابن ماجه (١٥١٦) . صحيح (صحيح سنن النسائى ١٨٩٣) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) المسند ٣/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٧) فى الأصل ، ص : « نظارة » .

(٨) فى م : « مصير » .

(٩) عادلتهما : جعلت كلا منهما عِدلا للآخر يحملهما بعير . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٠٩.

مصارِعِها حيث قُتِلَتْ . فرَجَعْنا بهما ، فدفَنَّاهما حيثُ قُتِلا ، فبينا أنا فى خلافةِ مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، إذ جاءنى رجلٌ فقال : يا جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد أثار أباك[1] عُمَّالُ مُعاويةَ ، فبَدا فخرَج طائفةٌ منه . فأتَيْتُه فوجدْتُه على النَّحْوِ الذى [٢/٢٢٩و] دفَنْتُه ، لم يتَغَيَّرْ إلّا ما لم يَدَعِ القتلُ[2] ، أو القتيلُ . ثم ساق الإمامُ أحمدُ قصةَ وفائِه دينَ أبيه ، كما هو ثابتٌ فى « الصحيحين »[3] .

[4]ورَوَى البيهقىُّ[5] ، من طريقِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : لمّا أَجْرَى معاويةُ العَيْنَ عندَ قَتْلَى أُحدٍ ، بعدَ أربعين سنةً ، استَصْرَخْناهم إليهم ، فأتَيْناهم فأخْرَجْناهم ، فأصابتِ المِسْحاةُ[6] قدمَ حمزةَ فانبَعَث[7] دمًا . وفى روايةِ ابنِ إسحاقَ ، عن جابرٍ قال[8] : فأخْرَجْناهم كأنما دُفِنوا بالأمسِ[4] . وذكَر الواقدىُّ[9] ، أن مُعاويةَ لمَّا أراد أن يُجْرِىَ العينَ ، نادَى مُناديه : مَن كان له قتيلٌ بأُحدٍ فلْيَشْهَدْ . قال جابرٌ : فحفَرْنا عنهم ، فوجَدْتُ أبى فى قبرِه كأنما هو نائمٌ على هيئتِه ، ووجَدْتُ جارَه فى قبرِه عمرَو

---

(١) أثار أباك : كشف عنه وأظهره . المصدر السابق .

(٢) فى الأصل ، ص : « العمل » .

(٣) كذا فى النسخ . والحديث لم نجده فى صحيح مسلم ، انظر المسند الجامع ١٢٤/٤ - ١٣١ فذكر روايات الحديث التى أخرجها البخارى وغيره ، ولم يذكر صحيح مسلم ، والحديث فى البخارى (٢١٢٧ ، ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ ، ٢٤٠٥ ، ٢٦٠١ ، ٢٧٠٩ ، ٢٧٨١ ، ٣٥٨٠ ، ٤٠٥٣) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) دلائل النبوة ٣/ ٢٩١ . وليس فيه قوله : « بعد أربعين سنة » .

(٦) المسحاة : المجرفة من الحديد . اللسان (م س ح) .

(٧) كذا فى : الأصل ، م . وفى الدلائل : « فانثعب » .

(٨) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢٩١/٣ من حديث ابن إسحاق عن أبيه عن أشياخ من الأنصار .

(٩) مغازى الواقدى ٢٦٧/١ .

ابنَ الجَموحِ ، ويدُه على جُرْحِه فأُزيلَت عنه ، فانبَعث جُرْحُه دمًا . ويُقالُ : إنه فاح من قبورِهم مثلُ رِيحِ المِسْكِ ، رضى اللَّهُ عنهم أجمعين ، وذلك بعد سِتٍّ وأربعين سنةً مِن يومِ دُفِنوا .

وقد قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثنا بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ ، حدثَّنا حسينٌ المُعَلِّمُ ، عن عطاءٍ ، عن جابرٍ قال : لمّا حضَر أُحُدٌ ، دعانى أبى مِن الليلِ فقال لى : ما أُرانى إلّا مقتولًا فى أولِ مَن يُقْتَلُ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، وإنى لا أَتْرُكُ بعدى أعَزَّ علىّ منك ، غيرَ نفسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنَّ علىَّ دَيْنًا فاقْضِ ، واسْتَوْصِ بأخَواتِك خيرًا . فأصبَحْنا فكان أولَ قتيلٍ ، فدَفَنْتُ معه آخرَ فى قبرِه ، ثم لم تَطِبْ نفسى أن أَتْرُكَه مع آخرَ ، فاستَخرَجْتُه بعدَ ستةِ أشهرٍ ، فإذا هو كيومِ وضَعْتُه ، هُنَيَّةً غيرَ أُذُنِه[2] .

وثبَت فى « الصحيحين »[3] مِن حديثِ شُعَبةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ أنه لما قُتِل أبوه ، جعَل يَكْشِفُ عنه الثوبَ ويَبْكِى ، فنهاه الناسُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَبْكِيه أو لا تَبْكِيه ، لم تَزَلِ الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتِها[4] حتى رفَعْتُموه » . وفى روايةٍ[5] ، أن عمَّتَه هى الباكيةُ .

---

(١) البخارى (١٣٥١) .

(٢) قال عياض فى رواية أبى السكن والنسفى : غير هنية فى أذنه . وهو الصواب ؛ بتقديم « غير » وزيادة « فى » . ومعنى قوله : هنية . أى شيئا يسيرًا ، وهو تصغير « هَنَة » ، أىْ شىء . انظر فتح البارى ٣/ ٢١٦، ٢١٧ .

(٣) البخارى (٤٠٨٠) معلقا ، ومسلم ١٣٠(٢٤٧١) .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) البخارى (١٢٤٤) . ومن طريق سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر به فى صحيح مسلم ١٢٩ (٢٤٧١) .

وقال البيهقيُّ[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا فَيْضُ بنُ وَثِيقٍ البَصْرىُّ ، حدَّثنا أبو عُبادةَ الأنصارىُّ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لجابرٍ : « يا جابرُ ، ألَا أُبَشِّرُك ؟ » قال : بلى ، بَشَّرَك اللَّهُ بالخيرِ . فقال : « أشَعَرْتَ أن اللَّهَ أحْيا أباك فقال : تَمَنَّ علىَّ عبدى ما شئتَ أُعْطِكَه . قال : ياربِّ ، ما[2] عبَدْتُك حَقَّ عِبادَتِك ، أَتَمَنَّى عليك أن تَرُدَّنى إلى الدنيا ، فأُقْتَلَ مع نبيِّك ، وأُقْتَلَ فيك مرةً أُخرى . قال : إنه قد سَلَف منى أنَّه إليها لا يُرْجَعُ » .

وقال البيهقىُّ[3] : أخبرَنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ أبى المَعْروفِ الإسفِرايِينىُّ ، حدَّثنا أبو سهلٍ بِشرُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ نصرٍ ، حدَّثنا علىُّ ابنُ المَدينىِّ ، حدَّثنا موسى بنُ إبراهيمَ [4]بنِ كَثِيرِ[4] بنِ بَشِيرِ بنِ الفاكهِ الأنصارىُّ ، [5]قال : سمِعْتُ طَلْحةَ بنَ خِرَاشٍ [6]بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خِراشٍ[6] بنِ الصِّمَّةِ الأنصارىِّ[5] ثُم السَّلَمىَّ قال : سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قال : نظَر إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « ما لى أراك مُهْتَمًّا ؟ » قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قُتِل أبى ، وتَرَك دَيْنًا وعِيالًا . فقال : « ألَا أُخْبِرُك ؟ ما كَلَّم اللَّهُ أحدًا إلّا مِن وراءِ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٢٩٨.

(٢) سقط من : م .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٤ - ٤) سقط من : ص ، والدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٠.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، والدلائل . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣٩٢.

حِجَابٍ ، وإنه كلَّم أباك كِفاحًا[1] ، وقال له : يا عبدى ، سَلْنى أُعْطِك . فقال : أَسأَلُك أن تَرُدَّنى إلى الدنيا فأُقْتَلَ فيك ثانيًا . فقال : إنه قد سبَق منى[2] أنَّهم إليها لا يُرْجَعُون . قال : ياربِّ ، فأَبْلِغْ مَن ورائى » . فأنزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٩] .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، سَمِعْتُ جابرًا يقولُ : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أُبَشِّرُك يا جابرُ ؟ » قال : قلتُ : بلى . قال : « إنَّ أباك حيثُ أُصِيب بأُحدٍ ، أحياه اللَّهُ ، ثُم قال له : ما تُحِبُّ يا عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو أن أَفْعَلَ بك ؟ قال : أىْ ربِّ ، أُحِبُّ أن [٢/ ٢٢٩ظ] تَرُدَّنى إلى الدنيا ، فأُقاتِلَ فيك ، فأُقْتَلَ مرَّةً أُخرى » . وقد رَواه أحمدُ[4] ، عن علىِّ بنِ المَدِينِىِّ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن محمدِ بنِ علىِّ بنِ ربيعةَ السُّلَمىِّ ، عن [5]عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ[5] بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرٍ ، وزاد : فقال اللَّهُ : « إنى قَضَيْتُ أنهم إليها لا يُرْجَعُون » .

وقال أحمدُ[6] : حدثنا يعقوبُ ، حدَّثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جابرِ بنِ[7] عبدِ اللَّهِ ، عن جابرِ

---

(١) كفاحًا : أى مواجهةً ليس بينهما حجاب ولا رسول . النهاية ٤/ ١٨٥.

(٢) بعده فى م : « القول » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٠.

(٤) المسند ٣/ ٣٦١.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٧٨.

(٦) المسند ٣/ ٣٧٥.

(٧) فى م : « عن » .

ابنِ عبدِ اللَّهِ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ، إذا ذَكَر أصحابَ أُحدٍ : « أمَا واللَّهِ لَوَدِدْتُ أنى غُودِرْتُ مع (١أصحابِ نُحْصِ١) الجبلِ » . يعنى سَفْحَ الجَبَلِ[٢] . تفرَّد به أحمدُ .

وقد روَى البيهقىُّ[٣] ، مِن حديثِ عبدِ الأعْلَى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوَةَ ، عن قَطَنِ بنِ وَهْبٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ انصرف مِن أُحدٍ ، مَرَّ على مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، وهو مقتولٌ على طريقِه ، فوقَف عليه ، فدَعا له ثم قرَأ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٢٣] . قال : « أَشْهَدُ أنَّ هؤلاء شهداءُ عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ ، فأْتُوهم وزُورُوهم ، والذى نفسى بيدِه ، لا يُسَلِّمُ عليهم أَحدٌ إلى يومِ القيامةِ ؛ إلّا ردُّوا عليه » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، ورُوِىَ عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ مُرْسَلًا[٤] .

ورَوَى البيهقىُّ[٥] مِن حديثِ موسى بنِ يعقوبَ ، عن عَبَّادِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : كان النبىُّ ﷺ يَأْتِى قبورَ الشهداءِ ، فإذا أَتَى فُرْضَةَ الشِّعْبِ[٦] قال : « السلامُ عليكم بما صبَرْتم ، فنِعْم عُقْبَى الدارِ » . ثُم كان

(١ - ١) فى الأصل ، م : « أصحابه بحضن » . وفى المسند : « أصحاب نحض » . قال ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٢٨: النحص بالضم : أصل الجبل وسفحه ، تمنَّى أن يكون استشهد معهم يوم أحد .

(٢) من هنا إلى نهاية عنوان الفصل الآتى سقط من : ص .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٢٨٤.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠/٣٦٤ (٨٥٠) . ومن طريق الطبرانى ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ١٠٨. وعند الطبرانى : « عبد اللَّه بن عمير » بدل « عبيد بن عمير » وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٣، ٢٣/ ٦٢١.

(٥) دلائل النبوة ٣/ ٣٠٦.

(٦) فرضة الشعب : جانبه .

أبو بكرٍ بعدَ النبيِّ ﷺ يَفْعَلُه، وكان عمرُ بعدَ أبى بكرٍ يَفْعَلُه، وكان عثمانُ بعدَ عمرَ يَفْعَلُه.

قال الواقدىُّ[1]: كان النبىُّ ﷺ يَزُورُهم كلَّ حَوْلٍ، [2]فإذا تَفَوَّهَ[2] الشِّعْبَ يقولُ: «السلامُ عليكم بما صبَرْتُم، فنِعْم عُقْبَى الدارِ». ثم كان أبو بكرٍ يَفْعَلُ ذلك كلَّ حولٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ[3]، وكانت فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَأْتِيهم، فتَبْكِى عندَهم وتَدْعُو لهم، وكان سعدٌ يُسَلِّمُ، ثُم يُقْبِلُ على أصحابِه فيقولُ: ألَا تُسَلِّمون على قومٍ يَرُدُّون عليكم. ثم حكَى[4] زيارتَهم، عن أبى سعيدٍ وأبى هريرةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[5]، وأُمِّ سَلَمَةَ، رضى اللَّهُ عنهم.

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[6]: حدَّثنى إبراهيمُ، حدثنى الحكَمُ بنُ نافعٍ، حدَّثنا العَطَّافُ بنُ خالدٍ، حدَّثتْنى خالتى قالت: رَكِبْتُ يومًا إلى قبورِ الشهداءِ - وكانت لا تَزالُ تَأْتِيهِم - فنزَلْتُ عندَ حمزةَ، فصلَّيْتُ ما شاء اللَّهُ أن أُصَلِّىَ، وما فى الوادى داعٍ ولا مجيبٌ، إلّا غلامًا قائمًا آخذًا برأسِ دابَّتى، فلما فرَغْتُ مِن صلاتى قلتُ هكذا بيدى: السلامُ عليكم. قالت: فسَمِعْتُ رَدَّ السلامِ علىَّ يَخْرُجُ مِن تحتِ الأرضِ، أَعْرِفُه كما أَعْرِفُ أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ خلَقنى،

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٣١٣.

(٢ - ٢) فى الأصل: «انعره». وفى م: «فإذا بلع نقرة». وتفوه الشعب: دخل فى أوله. انظر النهاية ٣/ ٤٨١.

(٣) بعده فى المغازى: «ثم معاوية حين مرَّ حاجًّا أو معتمرا».

(٤) أى الواقدى فى مغازيه ١/ ٣١٣، ٣١٤.

(٥) كذا فى الأصل، م. وفى المغازى: «عبد اللَّه بن عمرو».

(٦) فى كتابه من عاش بعد الموت (٤٠). وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨ من طريق ابن أبى الدنيا به.

وكما أَعْرِفُ الليلَ مِن[1] النهارِ، فاقْشَعَرَّتْ كلُّ شَعْرةٍ منى.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]، عن إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ، عن أبى الزُّبَيْرِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال النبىُّ ﷺ: «لمّا أُصيب إخوانُكم يومَ أُحدٍ، جعَل اللَّهُ أرواحَهم فى أجوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنةِ، وتَأْكُلُ مِن ثمارِها، وتَأْوِى إلى قَناديلَ مِن ذهَبٍ مُعَلَّقةٍ[3] فى ظلِّ العرشِ، فلمَّا وجَدوا طِيبَ مَشْرَبِهم ومَأْكَلِهم، وحُسنِ[4] مَقِيلِهم قالوا: [5]مَن يُبَلِّغُ إخْوانَنا عنا أنَّا أحياءٌ فى الجنةِ نُرْزَقُ[5]؛ لئلا يَنْكُلوا عن الحربِ، ولا يَزْهَدوا فى الجهادِ؟ فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنا أُبَلِّغُهم عنكم». فأنزَل اللَّهُ فى الكتابِ قولَه تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

وروَى مسلمٌ والبيهقىُّ[6] مِن حديثِ أبى معاويةَ، عن الأعمشِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ، عن مَسْروقٍ قال: سأَلْنا عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ [٢/ ٢٣٠و] عن هذه الآيةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) فى الأصل، م: «و». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١١٩. وفيها يَروِى أبو الزبير عن ابن عباس دون واسطة. والحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٦٥، ٢٦٦ بإسنادين، أحدهما كإسناد السيرة، والآخر بذكر الواسطة - سعيد بن جبير - بين أبى الزبير وابن عباس. قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٤/ ١٢٤، فى تعليقه على الإسناد الثانى: إسناده صحيح، وهو مكرر ما قبله، وقد أشرنا هناك إلى هذه الرواية، ولعل أبا الزبير سمع الحديث من ابن عباس وسعيد بن جبير، فرواه على الوجهين، وكلاهما صحيح.

وقال المصنف فى التفسير ٢/ ١٤١ على نفس الإسناد: وهذا أثبت.

(٣) زيادة ليست فى السيرة والمسند.

(٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من السيرة والمسند.

(٥ - ٥) فى السيرة والمسند: «يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع اللَّه بنا».

(٦) مسلم (١٨٨٧)، والدلائل ٣/ ٣٠٣. واللفظ للبيهقى.

يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : أمَا إنّا قد سألْنا عن ذلك رسولَ اللّهِ ﷺ فقال : « أرواحُهم [1]كطيرٍ خُضْرٍ[1] ، تَسْرَحُ فى أيِّها شاءتْ ، ثُم تَأْوِى إلى قَنادِيلَ مُعَلَّقةٍ بالعرشِ » . قال : « فبينما هم كذلك ، إذ اطَّلع عليهم ربُّك اطِّلاعةً ، فقال : سَلُونى ما شِئْتُم . فقالوا : يا ربَّنا ، وما نَسألُك ونحن نَسْرَحُ فى الجنةِ فى أيِّها شئْنا ؟![2] فلمّا رَأَوْا أن لن يُتْرَكوا مِن أن يَسْأَلوا ، قالوا : نَسْأَلُك أن تَرُدَّ أرواحَنا إلى أجسادِنا فى الدُّنيا ، نُقْتَلُ فى سبيلِك[3] » . قال : « فلما رَأى أنهم لا يَسْألون إلّا هذا تُرِكوا » .

(١ - ١) فى م : « فى جوف طير خضر » . وهو لفظ مسلم .

(٢) بعده فى م : « ففعل ذلك ثلاث مرات » .

(٣) بعده فى م : « مرة أخرى » .

فصلٌ فى عددِ الشُّهداءِ

قال موسى بنُ عقبةَ[1] : جميعُ مَن اسْتُشْهِد يومَ أُحدٍ مِن المهاجرين والأنصارِ، تسعةٌ وأربعون رجلًا .

وقد ثبَت فى الحديثِ الصحيحِ عندَ البخاريِّ[2] عن البَراءِ، أنهم قَتَلوا مِن المسلمين سبعين رجلًا . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال قتادةُ، عن أنسٍ[3] : قُتِل مِن الأنصارِ يومَ أُحدٍ سبعون، ويومَ بئرِ مَعُونةَ سبعون، ويومَ اليَمامةِ[4] سبعون .

وقال حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ[5] ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ أنه كان يقولُ : [6]يارَبَّ[6] السبعين يومَ أُحدٍ ويومَ بئرِ مَعونةَ ويومَ مُؤْتَةَ ويومَ اليَمامةِ .

وقال مالكٌ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ[7] :

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٢٨٠ عن موسى بن عقبة .

(٢) البخارى (٣٩٨٦) .

(٣) أخرجه البخارى عن قتادة به (٤٠٧٨) . والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٧٧.

(٤) يوم اليمامة هو اليوم الذى دارت فيه الوقعة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضى اللَّه عنه، ومسيلمة الكذاب وقومه، وسيأتى فى حوادث السنة الحادية عشرة .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٢٧٧ عن حماد بن سلمة به .

(٦ - ٦) فى الأصل: «قادب» . وفى م: «قارب» .

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٢٧٨ عن مالك به .

قُتِل مِن الأنصارِ يومَ أُحدٍ سبعون[1] ، ويومَ اليَمامةِ سبعون ، ويومَ جِسْرِ أبى عُبَيْدٍ[2] سبعون . وهكذا قال عِكْرِمةُ ، وعُرْوةُ ، والزهرىُّ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، فى قَتْلى أُحدٍ[3] . ويَشْهَدُ له قولُه تعالى[4] : ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ . [آل عمران: ١٦٥] يعنى أنهم قَتَلوا يومَ بدرٍ سبعين وأَسَروا سبعين .

وعن ابنِ إسحاقَ[5] : قُتِل مِن الأنصارِ[6] يومَ أُحدٍ خمسةٌ وستون . [7]وكلامُه فى «السِّيرةِ» يَدلُّ على أنه قُتِل من المسلمين يومئذٍ خمسةٌ وستون[7][8] ؛ أربعةٌ مِن المهاجرين ؛ حمزةُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وشَمَّاسُ بنُ عثمانَ ، والباقون مِن الأنصارِ ، وسرَد أسماءَهم على قبائلِهم ، وقد استَدْرَك عليه ابنُ هشامٍ[9] زيادةً على ذلك خمسةً آخرِين ، فصاروا سبعين على قولِ ابنِ هشامٍ ، وسرَد ابنُ إسحاقَ أسماءَ الذين قُتِلوا مِن

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) انظر ما تقدم صفحة ١٤٦ حاشية (٨) .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٤/ ١٦٥، ودلائل البيهقى ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦، إلا أن ابن إسحاق - فى رواية زياد البكائى عنه - قال: خمسة وستون. وأكملهم بعده ابن هشام خمسة عَدَّهم بأسمائهم - السيرة ٢/١٢٧ - كما سيأتى من كلام المصنف نفسه. أما فى رواية سلمة عن ابن إسحاق فقد ذكرهم سبعين بأسمائهم، كما عند البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٧٩.

(٤) التفسير ٢/ ١٣٧، ١٣٨.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦.

(٦) بعده فى م: «لعله من المسلمين».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، م.

(٨) بعده فى ص: «و».

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٧.

المشركين، وهم اثنان وعشرون رجلًا[1].

وعن عُروَةَ[2]: كان الشهداءُ يومَ أُحدٍ أربعةً - أو قال: سبعةً - وأربعين.

وقال موسى بنُ عقبةَ[3]: تسعةٌ وأربعون.

[4]قال موسى[4]: وقُتِل مِن المشركين يومئذٍ ستةَ عشَرَ رجلًا. وقال عُروةُ[5]: تسعةَ عشَرَ. وقال ابنُ إسحاقَ[6]: اثنان وعشرون.

وقال الرَّبيعُ، عن الشافعيِّ[7]: ولم يُؤْسَرْ مِن المشركين سوى أبى عَزَّةَ الجُمَحيِّ، وقد كان فى الأُسارَى يومَ بدرٍ، فمَنَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ بلا فِدْيةٍ، واشتَرَط عليه ألَّا يُقاتِلَه، فلمَّا أُسِر يومَ أُحدٍ قال: يا محمدُ، امْنُنْ علىَّ لِبَناتى، وأُعاهِدُ أن لا أُقاتِلَك. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا أَدَعُك تَمْسَحُ عَارِضَيْك[8] بمكةَ، وتقولُ: خدَعْتُ محمدًا مرتَيْن». ثُم أمَر به فضُرِبتْ عنُقُه. وذكَر بعضُهم[9] أنه يومئذٍ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يُلْدَغُ المؤمنُ مِن جُحْرٍ مرتين».

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٢٧ - ١٢٩.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٢٨٠، عن عروة.

(٣) أخرجه البيهقى فى الموضع السابق عن موسى بن عقبة.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. وهو موسى بن عقبة، انظر المصدر السابق.

(٥) فى الأصل: «غيره».

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٩.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢٨٠، ٢٨١، عن الربيع به.

(٨) عارضيك مثنى عارض؛ وهو صفحة الخد.

(٩) تقدم تخريجه ص ٢٠٨.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم انصَرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ فلَقِيَتْه حَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ ، كما ذُكِر لى ، فلما لَقِيَتِ الناسَ نُعِىَ إليها أخوها عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ، فاسترْجَعَتْ واستغْفَرَتْ له ، ثُم نُعِىَ لها خالُها حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ ، فاسترْجَعَتْ واستَغْفَرتْ له ، ثُم نُعِىَ لها زوجُها مصعبُ بنُ عُمَيْرٍ ، فصاحَتْ وولْوَلَتْ[2] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن زوجَ المرأةِ منها لَبِمَكانٍ » . لـمّا رَأى مِن تَثَبُّتِها[3] عندَ أخيها وخالِها ، وصياحِها على زوجِها .

وقد قال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ يَحْيَى ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ محمدٍ الفَرْوىُّ[5] ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، [٢/ ٢٣٠ظ] عن إبراهيمَ بنِ [6]محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ[6] بنِ جَحْشٍ ، عن أبيه ، عن حَمنةَ بنتِ جَحْشٍ أنه قيل لها : قُتِل أخوك . فقالت[7] : رحِمه اللَّهُ ، وإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . قالوا : قُتِل زوجُك . قالت : وَاحُزْناهُ[8] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن للزوجِ مِن المرأةِ لشُعْبَةً ، ما هى لِشىءٍ » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٨.

(٢) ولولت : الولولة : هى صوت متتابع بالويل والاستغاثة . اللسان (ولول) .

(٣) فى الأصل : « نفسها » .

(٤) ابن ماجه (١٥٩٠) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٤٧) .

(٥) فى الأصل : « البدوى » . وانظر الأنساب ٤/ ٣٧٤. وتهذيب الكمال ٢/ ٤٧١.

(٦ - ٦) فى الأصل : « أحمد بن عبيد اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٧٦.

(٧) فى الأصل : « فقال » .

(٨) فى الأصل ، ص : « واحرباه » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى [2]عبدُ الواحدِ بنُ[2] أبى عَوْنٍ ، عن إسماعيلَ [3]ابنِ محمدِ بنِ[3] سعدِ بنِ أبى وَقّاصٍ قال : مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بامرأةٍ مِن بنى دِينارٍ ، وقد أُصيب زوجُها وأخوها وأبوها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بأُحدٍ ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قالوا : خيرًا يا أُمَّ فلانٍ ، هو بحمدِ اللَّهِ كما تُحِبِّين . قالت : أَرُونِيهِ حتى أنظُرَ إليه . قال : فأُشِير لها إليه ، حتى إذا رأَتْه قالت : كلُّ مُصيبةٍ بعدَك جَلَلٌ . قال ابنُ هشامٍ[4] : الجَلَلُ يكونُ[5] مِن القليلِ ومن الكثيرِ ، وهو هـٰهنا من القليلِ .

قال امرُؤُ القيسِ[6] :

لِقَتْلِ بنى أَسَدٍ رَبَّهمْ[7] ألَا كلُّ شىءٍ خَلاه جَلَلْ

أى صغيرٌ وقليلٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : فلما انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِه ناول سيفَه ابنتَه فاطمةَ فقال : « اغْسِلى عن هذا دمَه يا بُنَيَّةُ ، فواللَّهِ لقد صدَقنى فى هذا اليومِ » . وناوَلَها علىُّ بنُ أبى طالبٍ سيفَه فقال : وهذا فاغْسِلى عنه دمَه ، فواللَّهِ لقد

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٩.

(٢ - ٢) فى الأصل : « عبد الولى حدثنى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٦٣.

(٣ - ٣) فى م : « عن محمد عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٨٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٩، ١٠٠.

(٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) ديوان امرئ القيس ص ٢٦١.

(٧) فى ص : « يهم » . وربهم : صاحبهم وملكهم .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٠.

صدَقنى اليومَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لئن كنتَ صدَقْتَ القِتالَ ، لقد صدَقَه معك سهلُ بنُ حُنَيْفٍ وأبو دُجانةَ » .

وقال موسى بنُ عقبةَ فى موضعٍ آخرَ[1] : ولما رَأى رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَ علىٍّ مُخَضَّبًا بالدماءِ قال : « لئن كنتَ أحسَنْتَ القِتالَ فقد أحْسَن عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى الأقلحِ ، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ ، وسهلُ بنُ حُنَيْفٍ » .

ورَوى البيهقىُّ[2] ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء علىُّ بنُ أبى طالبٍ بسيفِه يومَ أُحدٍ وقد انحَنَى فقال لفاطمةَ : هاكِ السيفَ حميدًا ؛ فإنها قد شَفَتْنى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لئن كنتَ أجَدْتَ الضربَ بسيفِك ، لقد أجاده سهلُ بنُ حُنَيْفٍ ، وأبو دُجانةَ ، وعاصمُ بنُ ثابتٍ ، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ » .

قال ابنُ هشامٍ[3] : وسيفُ رسولِ اللَّهِ ﷺ هذا هو ذو الفَقَارِ . قال : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ قال : نادَى مُنادٍ يومَ أُحدٍ : لا سيفَ إلا ذو الفَقَارِ ، [4]ولا فتًى إلّا علىٌّ[4] . قال : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ : « لا يُصيبُ المشركون منا مثلَها حتى يَفْتَحَ اللَّهُ علينا » .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ومرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بدارِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، فسَمِع

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٢١٥، عن موسى بن عقبة .

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٠.

(٤ - ٤) سقط من : م . والمُفَقَّر من السيوف : الذى فيه حُزُوز مطمئنة عن متنه ، وكل شىء حُزّ أو أُثِّر فيه فقد فُقِّر . وسُمِّى سيفه ﷺ ذا الفقار ؛ لأنهم شبَّهوا تلك الحزوز بالفقار . انظر اللسان (ف ق ر) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٩.

البُكاءَ والنَّوائحَ على قَتْلاهم، فذَرَفتْ عينا رسولِ اللَّهِ ﷺ، فبكى[1] ثم قال: «لكنَّ حمزةَ لا بَواكىَ له». فلما رَجَع سعدُ بنُ مُعاذٍ وأُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ إلى دارِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ، أمَرا نِساءَهم[2] أن يَتَحَزَّمْنَ[3]، ثُم يَذْهَبْنَ فيَبْكِين على عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

فحدَّثنى[4] حَكِيمُ بنُ حَكِيمِ بنِ عَبَّادِ بنِ حُنَيْفٍ، عن بعضِ رجالِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ قال: لما سَمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ بُكاءَهن على حمزةَ خرَج عليهن، وهن على[5] بابِ مسجدِه يَبْكِين عليه، فقال: «ارْجِعْن يَرْحَمْكن اللَّهُ، فقد آسَيْتُنَّ بأنفُسِكن». قال: ونهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ عن النَّوْحِ. فيما قال ابنُ هشامٍ. وهذا الذى ذكَره [6]ابنُ إسحاقَ[6] مُنْقَطِعٌ، ومنه مُرْسَلٌ.

وقد أسْنَده الإمامُ أحمدُ[7] فقال: حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبَابِ[8]، حدَّثنى أسامةُ [٢/ ٢٣١و] ابنُ زَيدٍ، حدَّثنى نافعٌ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما رجَع مِن أُحدٍ، فجعَل نساءُ الأنصارِ يَبْكِين على مَن قُتِل مِن أَزْواجِهنَّ، قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ولكنَّ حمزةَ لا بَواكىَ له». قال: ثُم نام فاستَنْبَهَ، وهنَّ

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الأصل، م: «نساءهن».

(٣) يتحزمن: أى يشددن ثيابهن عليهن. انظر النهاية ١/ ٣٧٩.

(٤) القائل هو ابن إسحاق. سيرة ابن هشام ٢/ ٩٩.

(٥) فى م: «فى».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) المسند ٢/ ٤٠. (إسناده صحيح).

(٨) فى الأصل: «الخطاب». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٠.

يَبْكِين ، قال : « فهن اليومَ إذًا يَبْكين يَنْدُبنَ[1] حمزةَ ؟ ! » . [2]وهذا على شرطِ مسلمٍ .

وقد رَواه ابنُ ماجه[3] ، عن هارونَ بنِ سعيدٍ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن أسامةَ ابنِ زيدٍ اللَّيْثِيِّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ بنساءِ بنى عبدِ الأشْهَلِ يَبْكِين هَلْكَاهُنَّ يومَ أُحدٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لكنَّ حمزةَ لا بَواكىَ له » . فجاء نساءُ الأنصارِ يَبْكِين حمزةَ ، فاستَيْقَظ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « وَيْحَهُنَّ ! ما انقَلَبْنَ بعدُ ؟ ! مُروهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ ، ولا يَبْكِين على هالكٍ بعدَ اليومِ »[2] .

وقال موسى بنُ عُقبةَ[4] : ولما دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ أَزِقَّةَ المدينةِ ، إذا النَّوْحُ والبُكاءُ فى الدُّورِ ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساءُ الأنصارِ يَبْكِين قَتْلاهم . فقال : « لكنَّ حمزةَ لا بَواكىَ له » . واستَغْفَر له ، فسَمِع ذلك سعدُ بنُ مُعاذٍ ، وسعدُ بنُ عُبادةَ ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فمَشَوا إلى دُورِهم ، فجمَعوا كلَّ نائحةٍ وباكيةٍ كانت بالمدينةِ فقالوا : واللَّهِ لا تَبْكِينَ قَتْلى الأنصارِ حتى تَبْكِين عمَّ النبىِّ ﷺ ، فإنه قد ذكَر أنه لا بواكىَ له بالمدينةِ . وزعَموا أن الذى جاء بالنَّوائحِ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فلما سَمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « ما هذا ؟ » فأُخْبِرَ بما فَعَلتِ الأنصارُ بنسائِهم ، فاستَغْفَر لهم ، وقال لهم خيرًا ،

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) ابن ماجه (١٥٩١) . حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٩٣) .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٢١٦ ، عن موسى بن عقبة .

وقال: «ما هذا أرَدْتُ، وما أُحِبُّ البُكاءَ». ونهَى عنه. وهكذا ذكَر ابنُ لَهيعةَ، عن أبى[1] الأسْودِ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ سَواءً[2].

قال موسى بنُ عقبةَ[3]: وأخَذ المنافقون، عندَ بُكاءِ المسلمين، فى المَكْرِ والتَّفريقِ[4] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وتَحْزينِ المسلمين، وظهَر غِشُّ اليهودِ، وفارَتِ المدينةُ بالنِّفاقِ فَوْرَ المِرْجَلِ، وقالت اليهودُ: لو كان نبيًّا ما ظهَروا عليه، ولا أُصِيب منه ما أُصِيب، ولكنَّه طالبُ مُلْكٍ؛ تكُونُ له الدَّوْلَةُ وعليه[5]. وقال المنافقون مثلَ قولِهم، وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطَعْتُمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم. فأنزَل اللَّهُ القرآنَ فى طاعةِ مَن أطاع ونِفاقِ مَن نافق، وتَعْزيةِ المسلمين؛ يَعنى فيمَن قُتِل منهم، فقال: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١] الآياتِ كلَّها، كما تكَلَّمْنا على ذلك فى «التفسيرِ»[6]، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٠٠، ٣٠١، عن ابن لهيعة به.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢١٦، ٢١٧، عن موسى بن عقبة.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) الدولة: النصر والغلبة. والمعنى: يَغلب مرة ويُغلب أخرى. انظر النهاية ٢/ ١٤١.

(٦) التفسير ٢/ ٩٠- ١٤٩، ٤/ ٦٩ - ٧٢.

ذكرُ[1] خُروجِ النبىِّ ﷺ بأصحابِه، على ما بهم مِن القَرْحِ[2] والجِراحِ، فى أثَرِ أبى سُفيانَ؛ [3]إرهابًا له ولأصحابِه حتى بلَغ حمراءَ الأَسَدِ، وهى على ثمانيةِ أميالٍ مِن المدينةِ[3]

قال موسى بنُ عُقْبةَ[4] بعدَ اقْتِصاصِه وقعةَ أُحدٍ وذِكْرِه رجوعَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى المدينةِ: وقدِم رجلٌ مِن أهلِ مكةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فسأَله عن أبى سفيانَ وأصحابِه، فقال: نازَلْتُهم فسَمِعْتُهم يَتَلاوَمون؛ يقولُ بعضُهم لبعضٍ: لم تصْنَعوا شيئًا؛ أصبتُم[5] شَوْكَةَ القومِ وحَدَّهم، ثُم تَرَكْتُموهم، ولم تَبْتُروهم، فقد بَقِىَ منهم رُءوسٌ يَجْمَعون لكم. فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه[6]، وبهم أشدُّ القَرْحِ، بطلبِ العدُوِّ؛ ليَسْمَعوا بذلك، وقال: «لا ينطَلِقَنَّ معىَ إلَّا مَن شَهِد القِتالَ». فقال عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ: أنا راكبٌ معك. فقال: «لا». فاستَجابوا للَّهِ ولرسولِه على الذى بهم مِن البلاءِ، فانطَلَقوا،

---

(١) سقط من: م.

(٢) القرح: الجرح، والمعنى: على ما بهم من القتل والجرح.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢١٧/٣، عن موسى بن عقبة.

(٥) فى م: «أصبتهم».

(٦) سقط من: الأصل، م.

فقال اللَّهُ فى كتابِه العزيزِ : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ [٢/ ٢٣١ظ] لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] . قال : وأَذِن رسولُ اللَّهِ ﷺ لجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ حينَ ذكَر أن أباه أمَره بالمُقامِ فى المدينةِ على أخَواتِه . قال : وطلَب رسولُ اللَّهِ ﷺ العدُوَّ حتى بلَغ حَمْراءَ الأَسَدِ . وهكذا رَوَى ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الأسْودِ ، عن عُرْوةَ بنِ الزبيرِ سواءً[(١)] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ فى « مغازيه »[(٢)] : وكان يومُ أُحدٍ يومَ السبتِ النِّصفَ مِن شَوَّالٍ ، فلما كان الغدُ مِن يومِ الأَحدِ لستَّ عشْرَةَ ليلةً مضَتْ مِن شَوَّالٍ ، أذَّن مُؤَذِّنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الناسِ بطلَبِ العدُوِّ ، وأذَّن مؤذِّنُه ألَّا يَخْرُجَنَّ أَحدٌ إلَّا مَن حضَر يومَنا بالأمسِ . فكلَّمه جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، فأذِن له . قال ابنُ إسحاقَ : وإنما خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مُرْهِبًا للعدُوِّ ، ولِيَبْلُغَهم أنه خرَج فى طلبِهم ؛ لِيَظُنُّوا به قوةً ، وأنَّ الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوِّهم .

قال ابنُ إسحاقَ[(٢)] ، رحِمه اللَّهُ : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ خارجةَ[(٣)] بنِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن أبى السائِبِ مولى عائشةَ بنتِ عثمانَ ، أن رجلًا مِن بنى عبدِ الأَشْهَلِ قال : شهِدْتُ أُحدًا أنا وأخٌ لى فرجَعْنا جَريحَيْن ، فلما أذَّن مُؤذِّنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالخروجِ فى طلبِ العدُوِّ ، قلتُ لأخى وقال لى : أتَفُوتُنا غزوةٌ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ واللَّهِ ما لنا مِن دابَّةٍ نرْكَبُها ، وما منّا إلا جريحٌ ثقيلٌ ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣١٣، من طريق ابن لهيعة به . وعنده : « وقدم رجل من أهل المدينة » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠١.

(٣) فى الأصل : « حارثة » .

فخرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكنتُ أيْسَرَ جُرْحًا منه، فكان إذا غُلِب حَمَلْتُه عُقْبَةً ومشَى عُقْبَةً[1]، حتى انتَهَيْنا [2]إلى ما انتَهَى[2] إليه المسلمون.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى انتَهَى إلى حمراءِ الأَسَدِ، وهى مِن المدينةِ على ثمانيةِ أميالٍ، فأقام بها الاثنين والثلاثاءَ والأربعاءَ، ثُم رجَع إلى المدينةِ. قال ابنُ هشامٍ[4]: وقد كان استَعْمل على المدينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتومٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، أنَّ[6] مَعْبَدَ بنَ أبى مَعْبَدٍ الخُزاعىَّ، وكانت خُزاعةُ مُسْلِمُهم وكافرُهم عَيْبَةَ نُصْحٍ[7] لرسولِ اللَّهِ ﷺ بتِهامةَ، صَفْقُهم[8] معه، لا يُخْفُون عنه شيئًا كان بها، ومَعْبَدٌ يومئذٍ مُشْرِكٌ، مرَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مقيمٌ بحَمْراءِ الأَسَدِ، فقال: يا محمدُ، أمَا واللَّهِ لقد عَزَّ علينا ما أصابك فى أصحابِك، ولوَدِدْنا أن اللَّهَ عافاك فيهم. ثُم خرَج و[9]رسولُ اللَّهِ ﷺ بحَمْراءِ الأَسَدِ حتى لَقِىَ أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ ومَن معه بالرَّوْحاءِ، وقد أجْمَعوا الرَّجْعةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه، وقالوا: أصَبْنا

---

(١) عقبة: أى شوطًا. اللسان (ع ق ب).

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠١، ١٠٢.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٠٢.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٠٢، ١٠٣.

(٦) سقط من: م. وعبد اللَّه بن أبى بكر هو: عبد اللَّه بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الإمام الحافظ صاحب المغازى وشيخ ابن إسحاق. انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٤.

(٧) سقط من: م. وعيبة نصح: أى موضع سره. شرح غريب السيرة ٢/ ١١٧.

(٨) فى م: «صفقتهم». وصفقهم معه: اتفاقهم معه. المصدر السابق.

(٩) سقط من: الأصل. وفى م: «من عند».

حَدَّ[1] أصحابِه وقادتَهم وأشرافَهم ، ثُم نَرْجِعُ قبلَ أن نستأْصِلَهم ؟! لَنَكُرَّنَّ على بقيتِهم فلَنَفْرُغَنَّ منهم . فلما رَأَى أبو سفيانَ مَعْبَدًا قال : ما وراءَك يا مَعْبَدُ ؟ قال : محمدٌ قد خرَج فى أصحابِه ، يطْلُبُكم فى جَمْعٍ لم أرَ مثلَه قطُّ ؛ يتَحَرَّقون عليكم تَحَرُّقًا ، قد اجتَمَع معه مَن كان تَخَلَّف عنه فى يومِكم ، وندِموا على ما صنَعوا ، فيهم مِن الحَنَقِ[2] عليكم شىءٌ لم أرَ مثلَه قطُّ . قال : ويلَك ، ما تقولُ ؟ قال : واللَّهِ ما أراك[3] تَرْتَحِلُ حتى تَرَى نواصىَ الخيلِ . قال : فواللَّهِ لقد أجْمَعْنا الكَرَّةَ عليهم ؛ لِنستأْصِلَ شَأْفَتَهم . قال : فإنى أنْهاك عن ذلك ، وواللَّهِ لقد حَمَلنى[4] ما رأيتُ على أن قلتُ فيه[5] أبياتًا مِن شعرٍ . قال : وما قلتَ ؟ قال : قلتُ :

كادتْ تُهَدُّ مِن الأصْواتِ راحِلتى ... إذ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[6]

تَرْدِى بأُسْدٍ كِرامٍ لا تَنابلةٍ ... عندَ اللقاءِ ولا مِيلٍ مَعازِيلِ[7]

[٢/٢٣٢و] فظَلْتُ عَدْوًا أظُنُّ الأرضَ مائلةً[8] ... لمَّا سَمَوا برئيسٍ غيرِ مَخْذولِ[9]

---

(١) فى الأصل : « أجد » .

(٢) فى الأصل : « الحق » . والحنق : شدة الغيظ .

(٣) فى الأصل ، ص : « أرى أن » .

(٤) بعده فى ص : « على » .

(٥) فى السيرة : « فيهم » .

(٦) فى ص : « الأنابيل » . تهد - بالبناء للمجهول - : تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق . والأبابيل : الجماعات . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٧، ١١٨.

(٧) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أمْيَل وهو الذى لا رمح أو لا ترس معه . وقيل : هو الذى لا يثبت على السرج . والمعازيل : الذين لا سلاح لهم . انظر المصدر السابق ٢/ ١١٨.

(٨) فى ص : « نائلة » .

(٩) العدو : مَشْى سريع . وسموا : علوا وارتفعوا . المصدر السابق .

فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائِكمُ إذا تَغَطْمَطَتِ[1] البَطْحاءُ بالجِيلِ[2]

إنى نذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً[3] لكلِّ ذى إرْبَةٍ منهم ومَعْقولِ[4]

مِن جيشِ أحمدَ لا [5]وَخْشٍ قَنابِلُه[5] وليس يُوصَفُ ما أنْذَرْتُ بالقِيلِ[6]

قال: [7]فثَنَى ذلك[7] أبا سفيانَ ومَن معه. ومرَّ به رَكْبٌ مِن عبدِ القيسِ، فقال: أين تُرِيدون؟ قالوا: المدينةَ. قال: ولِمَ؟ قالوا: نُريدُ المِيرَةَ؟ قال: فهل أنتم مُبَلِّغون عنى محمدًا رسالةً أُرْسِلُكم بها إليه وأُحَمِّلُ لكم[8] هذه غدًا زَبِيبًا بعُكاظٍ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافَيْتُموه، فأخْبِروه أنَّا قد أجْمَعْنا السَّيْرَ إليه وإلى أصحابِه؛ لنَسْتَأْصِلَ بقيتَهم. فمرَّ الرَّكْبُ برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بحَمْراءِ الأَسَدِ، فأخْبَروه بالذى قال أبو سفيانَ، فقال: «حسْبُنا اللَّهُ ونِعم الوكيلُ». وكذا قال الحسنُ البصرىُّ[9].

---

(١) فى ص: «تغطمطت».

(٢) فى ص: «بالخيل». وابن حرب: هو أبو سفيان. وتغطمطت: اهتزت وارتجت. والبطحاء: السهل من الأرض. والجيل: الصنف من الناس. انظر المصدر السابق.

(٣) فى ص: «حناحية».

(٤) البسل: الحرام. وأراد بأهل البسل قريشًا؛ لأنهم أهل مكة ومكة حرام. والضاحية: البارزة للشمس. والإربة: العقل. المصدر السابق.

(٥ - ٥) فى الأصل: «وحشًا بنائله». وفى ص: «وخشًا نتابله». والوخش: رذالة الناس وأخساؤهم. والقنابل: جمع قَنْبَلَة، وهى الطائفة من الناس ومن الخيل. المصدر السابق، واللسان (قنبل).

(٦) القيل: القول.

(٧ - ٧) فى الأصل: «فثنا». وفى ص: «فسىء ذلك». وثنى: صرف وردَّ.

(٨) بعده فى م: «إبلكم».

(٩) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٠١، ١٠٢، وعزاه إلى ابن أبى حاتم.

وقد قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ - [2]أُراه قال[2] : - حدَّثنا أبو بكرٍ، عن أبى حَصِينٍ، عن أبى الضُّحَى، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾. قالها إبراهيمُ، عليه السلامُ، حينَ أُلْقِىَ فى النارِ، وقالها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. تفرَّد بروايتِه البخاريُّ.

وقد قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ سَلَامٍ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ، عن هشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ، رضى اللَّهُ عنها ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. قالت لعُروةَ: يا بنَ أُختى، كان أبَوَاك منهم؛ الزبيرُ وأبو بكرٍ، رضى اللَّهُ عنهما، لمّا أصاب رسولَ اللَّهِ ﷺ ما أَصاب يومَ أُحدٍ وانصَرَف عنه المشركون[4]، خاف أن يَرْجِعوا، فقال: «مَن يَذْهَبُ[5] فى إثْرِهم؟» فانتَدب[6] منهم سبعون رجلًا، فيهم أبو بكرٍ والزبيرُ[7]. هكذا رَواه البخاريُّ، وقد رَواه

---

(١) البخارى (٤٥٦٣).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص. قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٢٩: القائل: «أراه» هو البخارى، وهو بضم الهمزة بمعنى أظنه، وكأنه عرض له شكٌّ فى اسم شيخ شيخه.

(٣) البخارى (٤٠٧٧).

(٤) فى ص: «المسلمون».

(٥) فى الأصل، ص: «يرجع».

(٦) انتدب: أى استجاب وسارع. الوسيط (ن د ب).

(٧) فى الأصل، ص: «عمر».

مسلمٌ مختصَرًا مِن أَوْجُهٍ[1] ، عن هشامٍ[2] . وهكذا رَواه سعيدُ بنُ منصورٍ وأبو بكرٍ الحُمَيْدىُّ جميعًا ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، وأخْرَجه ابنُ ماجه مِن طريقِه[3] ، عن هشامِ بنِ عُروةَ به[4] ، ورَواه الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » مِن طريقِ أبى سعيدٍ المؤدِّبِ[5] ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ به[6] ، ورَواه[7] مِن حديثِ البهِىِّ[8] ، عن عُرْوةَ ، وقال فى كلٍّ منهما : صحيحٌ ، ولم يُخْرِجاه[9] . كذا قال .

وهذا السياقُ غريبٌ جدًّا ؛ فإنّ المشهورَ عندَ أصحابِ المغازى ، أنّ الذين خَرَجوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى حَمْراءِ الأَسَدِ كلُّ مَن شَهِد أُحدًا ، وكانوا سَبْعَمائةٍ ، كما تقدَّم[10] ، قُتِل منهم سبعون ، وبَقِىَ الباقون .

وقد رَوى ابنُ جريرٍ[11] مِن طريقِ العَوْفىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قال : إن اللَّهَ قذَف فى قلبِ أبى سفيانَ الرُّعْبَ يومَ أُحدٍ ، بعدَ الذى كان منه ، فرجَع إلى مكةَ ، وكانت وقعةُ أحدٍ فى شَوَّالٍ ،وكان التُّجّارُ يَقْدَمون فى ذى القَعْدةِ

---

(١) فى م ، ص : « وجه » .

(٢) مسلم (٢٤١٨) .

(٣) أى من طريق سفيان بن عيينة .

(٤) سنن سعيد بن منصور - جزء التفسير ، تفسير سورة آل عمران (٥٤٥) ٣/ ١١٢٥، ومسند الحميدى (٢٦٣) ، وابن ماجه (١٢٤) .

(٥) سقط من الأصل ، م . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٥٢، ٣٠/ ٢٣٢.

(٦) المستدرك ٢/ ٢٩٨، ٣/ ٢٩.

(٧) أى الحاكم . المستدرك ٣/ ٢٦٣.

(٨) فى م : « السدى » . وهو عبد اللَّه البهى ، ممن رووا عن عروة . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١١.

(٩) ووافقه الذهبى فى الحديث الأول ، وسكت عنه فى الثانى .

(١٠) تقدم فى صفحة ٣٤٨.

(١١) تفسير الطبرى ٤/ ١٧٧.

المدينةَ ، فيَنْزِلون ببدرٍ الصُّغْرَى فى كلِّ سنةٍ مرةً ، وإنهم قدِموا بعدَ وقعةِ أُحدٍ ، وكان أصاب المسلمين القَرْحُ ، واشْتَكَوا ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واشتَدَّ عليهم الذى أصابهم ، وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ ندَب الناسَ لينطَلِقوا معه[1] ويتَّبِعوا ما كانوا مُتَّبِعين[2] ، وقال : « [3]إنّما يرْتحِلون الآنَ فيأْتون[3] الحَجَّ ، ولا يَقْدِرون على مثلِها حتى عامٍ قابِلٍ » . فجاء الشيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلياءَه ، فقال : إنّ الناسَ قد جَمَعوا لكم . فأَبَى عليه الناسُ أن يَتَّبِعوه ، فقال : « إنى ذاهبٌ ، وإن لم يتَّبِعْنى [٢/٢٣٢ظ] أَحدٌ » . فانتَدَب معه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ وطَلْحةُ والزبيرُ وسعدٌ وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ وأبو عُبَيْدةَ وابنُ مسعودٍ وحذيفةُ ، فى سبعين رجلًا ، فساروا فى طلبِ أبى سفيانَ حتى بلَغوا الصَّفْراءَ ، فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . وهذا غريبٌ أيضًا .

وقال ابنُ هشامٍ[4] : حدَّثنا أبو عُبَيْدَةَ ، أن أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ لمَّا انصَرَف يومَ أُحدٍ أراد الرُّجوعَ إلى المدينةِ ، فقال لهم صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ : لا تَفْعَلوا ؛ فإن القومَ قد [5]حَرِبوا ، وقد[5] خَشِينا أن يكونَ لهم قِتالٌ غيرُ الذى كان ، فارْجِعوا . فرجَعوا ، فقال النبىُّ ﷺ وهو بحَمْراءِ الأَسَدِ حينَ بلَغه أنهم هَمُّوا بالرَّجْعةِ :

---

(١) فى الأصل ، م : « بهم » .

(٢) فى الأصل : « سبعين » . وفى م : « متعبين » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « لنا ترتحلون الآن فتأتون » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٤ .

(٥ - ٥) فى الأصل : « حزنوا وقالوا » . وحربوا : اشتدَّ غضبهم . اللسان (ح ر ب) .

« والذى نفْسى بيدِه ، لقد سُوِّمَتْ[1] لهم حِجارةٌ ، لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمسِ الذاهبِ » . قال[2] : وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى وجهِه ذلك ، قبلَ رُجوعِه إلى المدينةِ ، معاويةَ بنَ المغيرةِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ ، جَدَّ عبدِ الملكِ ابنِ مَرْوانَ لأُمِّه عائشةَ بنتِ معاويةَ ، وأبا عَزَّةَ الجُمَحىَّ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أسَره ببدرٍ ثُم مَنَّ عليه ، فقال : يارسولَ اللَّهِ ، أَقِلْنى[3] . فقال : « لا واللَّهِ ، لا تمسَحُ عارِضَيْك بمكةَ تقولُ : خدَعْتُ محمدًا مرتين ، اضرِبْ عنقَه يا زبيرُ » . فضرَب عنقَه .

قال ابنُ هشامٍ[4] : وبلَغنى عن ابنِ المسيَّبِ أنه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّ المؤمنَ لا يُلْدَغُ مِن جُحْرٍ مرتين ، اضرِبْ عنقَه يا عاصمَ بنَ ثابتٍ » . فضرَب عنقَه .

وذكَر ابنُ هشامٍ[4] أن معاويةَ بنَ المغيرةِ بنِ أبى العاصِ استأْمَن له عثمانُ على أن لا يُقيمَ بعدَ ثلاثٍ ، فبَعَث إليه[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَها زيدَ بنَ حارثةَ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ ، وقال : « ستَجِدانِه فى مكانِ كذا وكذا فاقْتُلاه » . ففعَلا ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما .

---

(١) سُوِّمت : أُعلِمَتْ ؛ أى جُعلت لها علامة تُعرف بها أنها من عند اللَّه تعالى . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١١٨.

(٢) أى أبو عبيدة . سيرة ابن هشام ٢/١٠٤ .

(٣) أقلنى : اصفح عنى .

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٠٤، ١٠٥.

(٥) سقط من : م .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولما رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ كان عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ، كما حدَّثنى الزهرىُّ ، له مَقامٌ يَقومُه كلَّ جُمُعةٍ ، لا يُنْكَرُ له ، شَرَفًا[2] فى نفسِه وفى قومِه ، وكان فيهم شَريفًا ، إذا جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الجُمُعةِ ، وهو يَخْطُبُ الناسَ ، قام فقال : أيها الناسُ ، هذا رسولُ اللَّهِ بينَ أظهُرِكم ، أكْرَمَكم اللَّهُ به ، وأعَزَّكم به فانصُروه وعَزِّروه[3] واسْمَعوا له وأطِيعوا . ثُم يَجْلِسُ حتى إذا صنَع يومَ أُحدٍ ما صنَع ، ورجَع الناسُ ، قام يفْعَلُ ذلك كما كان يفْعَلُه ، فأخَذ المسلمون بثيابِه مِن نَواحيه ، وقالوا : اجلِسْ أىْ عدُوَّ اللَّهِ ، واللَّهِ لستَ لذلك[4] بأهلٍ ، وقد صنَعْتَ ما صنَعْتَ . فخرَج يتَخَطَّى رِقابَ الناسِ وهو يقولُ : واللَّهِ لكأنَّما قلتُ [5]بُجْرًا أن قمتُ[5] أُشَدِّدُ أَمْرَه . فلقِيَه رجالٌ مِن الأنصارِ ببابِ المسجدِ فقالوا : ويلَك ، ما لك ؟ قال : قمتُ أُشَدِّدُ أمْرَه فوثَب إلىَّ رجالٌ مِن أصحابِه يَجْذِبوننى[6] ويُعَنِّفوننى ، لكأنما قلتُ بُجْرًا أن قمتُ أُشَدِّدُ أمْرَه . قالوا : ويلَك ، ارْجِعْ يسْتَغْفِرْ لك رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : واللَّهِ ما أبتغى[7] أن يسْتَغْفِرَ لى .

ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[8] ما نزَل مِن القرآنِ فى قصةِ أُحدٍ مِن سورةِ « آلِ

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠٥.

(٢) فى ص : « شرقًا » .

(٣) فى م : « عززوه » . وعزروه : عظموه ووقروه وأعينوه وقووه . انظر الوسيط (ع ز ر) .

(٤) فى ص : « للملك » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « بحرا أن قمت » . وفى ص : « بحرا أن » . وبجرا : أى عظيما . والبجر : الأمر العظيم الداهى . شرح غريب السيرة ٢/ ١١٩.

(٦) فى م : « يجبذوننى » .

(٧) فى الأصل ، م : « أبغى » .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/١٠٦ - ١٢١.

عِمرانَ »، من عندِ قولِه: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١]. قال[١]: إلى تمامِ ستين آيةً. وتكلَّم عليها، وقد بَسَطْنا الكلامَ على ذلك فى كتابِنا «التفسيرِ»[٢] بما فيه كفايةٌ. ثُم شرَع ابنُ إسحاقَ[٣] فى ذِكْرِ شهداءِ أُحدٍ، وتَعدادِهم بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم على قبائِلِهم، كما جرَتْ عادتُه، [٢/ ٢٣٣و] فذكَر مِن المهاجرين أربعةً؛ حمزةَ ومُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ وعبدَ اللَّهِ بنَ جَحْشٍ وشَمَّاسَ بنَ عثمانَ، رضى اللَّهُ عنهم، ومِن الأنصارِ إلى تمامِ خمسةٍ وستين رجلًا، واستَدْرَك عليه ابنُ هشامٍ[٤] خمسةً آخرين[٥]، فصاروا سبعين على قولِ ابنِ هشامٍ، ثُم سَمَّى ابنُ إسحاقَ[٦] مَن قُتِل مِن المشركين، [٧]وهم اثنان وعشرون رجلًا، على قبائِلهم أيضًا.

قلتُ: ولم يُؤْسَرْ مِن المشركين[٧] سوى أبى عَزَّةَ الجُمَحىِّ، كما ذكَره الشافعىُّ[٨] وغيرُه، وقتَله رسولُ اللَّهِ ﷺ صَبْرًا[٩] بينَ يديه؛ أمَر الزبيرَ - ويقالُ: عاصمَ بنَ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ[١٠] - فضرَب عنقَه.

---

(١) أى ابن إسحاق.

(٢) التفسير ٢/ ٩٠ - ١٥٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٢ - ١٢٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٢٧.

(٥) فى الأصل، م: «أخرى».

(٦) المصدر السابق ٢/ ١٢٧ - ١٢٩.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) تقدم فى صفحة ٤٤٧ حاشية ٧.

(٩) صبرًا: كل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبرًا. النهاية ٣/ ٨.

(١٠) انظر مغازى الواقدى ١/ ٣٠٩.

فصلٌ فيما تَقاوَل به المؤمنون والكفارُ فى وقعةِ أُحدٍ مِن الأشعارِ

وإنما نُورِدُ شعرَ الكفارِ لنَذْكُرَ جوابَها مِن شعرِ الإسلامِ؛ ليكونَ أبْلَغَ فى وَقْعِها مِن الأسماعِ والأَفهامِ، وأَقْطَعَ لشُبهةِ الكَفرةِ الطَّغامِ.

قال الإمام محمدُ بنُ إسحاقَ[1]، رحِمه اللَّهُ: وكان مما قيل مِن الشعرِ يومَ أُحدٍ، قولُ هُبَيْرَةَ بنِ أبى وَهْبٍ المَخْزومىِّ - وهو على دينِ قومِه مِن قريشٍ -:

ما بالُ همٍّ عَمِيدِ[2] باتَ يَطْرُقُنى ... بالوُدِّ مِن هِندَ إذ تَغْدُو عَوادِيها[3]

باتت تُعاتِبُنى هندٌ وتَعْذِلُنى ... والحربُ قد شُغِلَتْ عنى مَواليها

مَهْلًا فلا تَعْذِلِينى إنَّ مِن خُلُقى ... ما قد عَلِمْتِ وما إنْ لستُ أُخْفِيها

مُساعِفٌ[4] لبنى كعبٍ بما كَلِفوا ... حَمَّالُ عِبءٍ وأثْقالٍ أُعانيها

وقد حمَلْتُ سِلاحى فوقَ مُشْتَرَفٍ ... ساطٍ سَبُوحٍ إذا يَجْرى يُبارِيها[5]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٢٩ - ١٣١.

(٢) العميد: المؤلم الموجع. وأصل العميد: البعير الذى قد انشق سنامه لكثرة اللحم فيه. شرح غريب السيرة ٢/١٢٣.

(٣) العوادى: الشواغل. المصدر السابق.

(٤) مساعف: مُطيعٌ مُواتٍ. المصدر السابق ٢/ ١٢٤.

(٥) مشترف: فرس يستشرفه الناس؛ أى ينظرون إليه لحُسنه. والساطى: البعيد الخطو إلى مشى.=

كأنه إذ جَرَى عَيْرٌ بفَدْفَدَةٍ ... مُكَدَّمٌ لاحِقٌ بالعُونِ يَحْمِيها[1]

مِن آلِ أعْوَجَ يَرْتاحُ النَّدِيُّ له ... كجِذْعِ شَعْراءَ مُسْتَعْلٍ مَراقِيها[2]

أعْدَدْتُه ورُقاقَ الحَدِّ مُنْتَخَلًا ... ومارِنًا لخُطُوبٍ قد أُلاقِيها[3]

هذا وبيضاءَ مثلَ النَّهْيِ[4] مُحْكَمةً ... نِيطَتْ[5] عليَّ فما تَبْدُو مَساوِيها

سُقْنا كِنانةَ مِن أطرافِ ذى يَمَنٍ ... عُرْضَ البِلادِ على ما كان يُزْجِيها[6]

قالت كِنانةُ أنَّى تَذْهَبونَ بنا ... قُلْنا النُّخَيلَ فأَمُّوها ومَن فيها[7]

نحن الفَوارِسُ يومَ الجَرِّ[8] مِن أُحدٍ ... هابت مَعَدٌّ فقلنا نحن نَأْتيها

هابوا ضِرابًا وطعنًا صادقًا خَذِمًا[9] ... مما يَرَوْن وقد ضُمَّت قَوَاصِيها

= والسبوح: الذى يسبح فى جريه كأنه يعوم. ويباريها: يعارضها. أعاد الهاء على الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر؛ لأن الكلام يدل عليها. انظر المصدر السابق.

(١) العير هنا: الحمار الوحشى. والفدفدة: الفلاة. وهى أيضا ما ارتفع من الأرض. ومكدم: معضوض. عَضَّتْه أُتُنُه؛ وهى إناث الحمار الوحشى. ولاحق: ضامر. والعون هنا: جماعات حُمُر الوحش. المصدر السابق.

(٢) أعوج: اسم مشهور فى العرب. والندى: المجلس من القوم. شَعْراء: نخلة كثيرة الأغصان. ومراقيها: معاليها. المصدر السابق.

(٣) رُقاق الحد: يعنى سيفًا. ومنتخلا: مُتخيَّرا. والمارن هنا: الرمح اللين عند الهزّ. المصدر السابق.

(٤) بيضاء: يعنى درعًا. والنهى: الغدير من الماء، يقال بفتح النون وكسرها. المصدر السابق.

(٥) فى م: «لظت». وفى ص: «لطت». ونيطت: عُلِّقت. المصدر السابق.

(٦) يزجيها: يسوقها. المصدر السابق.

(٧) يعنى بالنخيل هنا مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. وأموها: قصدوها. المصدر السابق.

(٨) الجر: أصل الجبل. المصدر السابق.

(٩) الخذم: هو الذى يقطع سريعا. المصدر السابق.

(١ ثُمَّتَ رُحْنا ١) كأنَّا عارِضٌ بَرِدٌ ... وقام هامُ بنى النجَّارِ يَبْكيها (٢)

كأنَّ هامَهمُ عندَ الوَغَى فِلَقٌ ... مِن قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْه عن أَداحِيها (٣)

أو حنظلٌ ذَعْذَعَتْه (٤) الريحُ فى غُصُنٍ ... بالٍ تَعاوَرُه منها سَوافِيها (٥)

قد نَبْذُلُ المالَ سَحًّا لا حسابَ له ... ونَطْعُنُ الخيلَ شَزْرًا فى مَآقِيها (٦)

[٢/ ٢٣٣ظ] وليلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المُثْرِين دَاعِيها (٧)

وليلةٍ مِن جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ (٨) ... جَرْبَى (٩) جُمادِيَّةٍ قد بِتُّ أَسْرِيها

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من القَرِيسِ (١٠) ولا تَسْرِى أفاعِيها

أَوْقَدْتُ فيها لِذى الضَّرَّاءِ جَاحِمةً ... كالبَرْقِ ذاكِيةَ الأركانِ أَحْمِيها (١١)

(١ - ١) فى الأصل : « ثم ارتحلنا » .

(٢) العارض : السحاب . والبرد : الذى فيه بَرَد . والهام هنا : جمع هامَة ، وهى الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل . المصدر السابق .

(٣) القيض : قشر البيض الأعلى . والربد هنا : النعام ؛ لأن ألوانها بين البياض والسواد ، وهو اللون الأربد . والأداحى : جمع أُدْحِىّ ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعام . المصدر السابق ٢/ ١٢٥.

(٤) فى النسخ : « دعدعته » . والمثبت من السيرة . وذعذعته : حركته .

(٥) تَعاوره : أى تَتَعاوَره ، ومعناها : تتداوله . وسوافيها : هى الرياح التى تقلع التراب والرمل من الأرض . انظر المصدر السابق .

(٦) السح : الصَّبّ ، يريد أنه عطاء كثير . والشزر : الطعن عن يمين وشمال . والمآقى هنا : المُقَدَّمات ، والمآقى أيضًا : مجارى الدموع من العين ، والتفسيران صالحان فى هذا الموضع . المصدر السابق .

(٧) الفرث : ما يخرج من الكَرِش . ويصطلى : يتسخَّن . والنقرى : أن يدعو قوما دون قوم ، يقال : هو يدعو الجَفَلَى . إذا عمَّ . وهو يدعو النقرى . إذا خصَّ . والمثرين : الأغنياء . انظر المصدر السابق .

(٨) أندية جمع نَدَى ، على غير قياس . الروض الأنف ٦/ ١٣٣.

(٩) جربى : شديدة البرد مؤلمة . شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٥.

(١٠) القريس : البرْد مع الصقيع . المصدر السابق .

(١١) جاحمة : أى نارًا ملتهبة . وذاكية : مضيئة . المصدر السابق .

أَوْرَثَنى ذاكُمُ عمرٌو ووالدُه مِن قبلِه كان بالمَثْنَى[1] يُغالِيها
كانوا يُبارُون أَنْواءَ النجومِ فما دَنَّتْ عن السُّورةِ العُليا مَساعِيها[2]

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فأجابه حسانُ بنُ ثابتٍ[4] ، رضى اللَّهُ عنه ، فقال - قال ابنُ هشامٍ : وتُرْوَى لكعبِ بنِ مالكٍ ولغيرِه[5] . قلتُ : وقولُ ابنِ إسحاقَ أشْهَرُ وأكثرُ . واللَّهُ أعلمُ - :

سُقْتُم كِنانةَ جهلًا مِن سفاهتِكم إلى الرسولِ فجندُ اللَّهِ مُخْزيها
أَوْرَدْتموها حِياضَ الموتِ ضاحِيةً فالنارُ موعدُها والقتلُ لاقِيها[6]
جمَعْتُموهم[7] أحابِيشًا بلا حَسَبٍ أئمةَ الكفرِ غرَّتْكم طَواغيها[8]
أَلَّا اعتَبَرْتُم بخيلِ اللَّهِ إذ قَتَلَتْ أهلَ القَليبِ ومَن أَلْقَيْتَه فيها
كم مِن أسيرٍ فكَكْناهُ بلا ثمنٍ وجَزٍّ ناصيةٍ كنا مَواليها

قال ابنُ إسحاقَ[9] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ ، يُجِيبُ هُبَيْرةَ بنَ أبى وَهْبٍ

---

(١) فى م : « بالمشتى » . والمثنى : مرة بعد مرة . المصدر السابق .
(٢) دنَّت : قَصُرت . يقال : رجل أَدَنُّ العنق . إذا كان قصير العنق . والسورة هنا : الرفعة والمنزلة . والمساعى : ما يسعى فيه من المكارم . المصدر السابق .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣١، ١٣٢.
(٤) ديوان حسان ص ٢٠٥.
(٥) ليست فى السيرة .
(٦) الحياض : جمع حوض . والضاحية : البارزة للشمس . شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٥، ١٢٦.
(٧) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « جمعتموها » .
(٨) طواغيها : جمع طاغية ، والطاغية : المتكبر المتمرد . المصدر السابق ٢/ ١٢٦.
(٩) سيرة ابن هشام ٢/١٣٢ - ١٣٥.

المَخْزُومِيّ أيضًا :

أَلَا هل أَتَى غسَّانَ عنا ودونَهمْ ... من الأرضِ خَرْقٌ[1] سَيْرُه مُتَنَعْنِعُ[2]

صَحارٍ وأعلامٌ كأنَّ قَتامَها ... مِن البُعْدِ نَقْعٌ هامِدٌ مُتَقَطِّعُ[3]

تظَلُّ به البُزْلُ العَرامِيسُ رُزَّحًا ... ويَخْلُو به غَيْثُ السنين فيُمْرِعُ[4]

به جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُها ... كما لاح كَتَّانُ التِّجَارِ المُوَضَّعُ[5]

به العِينُ والآرامُ يَمْشِين خِلْفةً ... وبَيْضُ نَعامٍ قَيْضُه يَتَفَلَّعُ[6]

مُجَالِدُنا عن دينِنا كُلُّ فَخْمَةٍ ... مُذَرَّبةٍ فيها القَوانِسُ تَلْمَعُ[7]

---

(١) الخَرْق : الفلاة الواسعة ؛ سُمِّيت بذلك لانْخِراق الريح فيها . اللسان (خ ر ق) .

(٢) متنعنع : مضطرب . الروض الأنف ٦/ ١٣٥.

(٣) الأعلام : الجبال المرتفعة . والقتام : ما مال لونه إلى السواد منها . والنقع : الغبار . والهامد : المتلبّد الساكن . شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٧.

(٤) البزل : الإبل القوية ، واحدها بازِل . والعراميس : الشديدة . والرزّح : المُعْيِيَة . ويمرع : يخصب ويكثر فيه النبات . المصدر السابق .

(٥) الحسرى : جمع الحاسر والحاسرة والحسير ، وهى الدابة إذا أعيَتْ وكلَّتْ . والصليب : الودك ، وهو دسم اللحم ودهنه . والصليب أيضًا : ضرب من سمات الإبل ، قد يكون كبيرا وصغيرًا ، ويكون فى الخدين والعنق والفخذين . والموضَّع : المبسوط المنقوش . والمعنى - على تفسير الصليب بالودك - أنه يصف الدواب بعد موتها وقد سال ودكها فظهر مثل نقوش الكتان التى يحملها التُّجّار . وعلى تفسير الصليب بالسمات ؛ تكون تلك السمات التى على الإبل - فى مجموعها - تشبه تلك النقوش . انظر اللسان (ح س ر) ، (ص ل ب) ، (و د ك) . وشرح غريب السيرة ٢/ ١٢٧.

(٦) العين : بقر الوحش . والآرام : الظباء البِيضُ البطونِ السُّمرُ الظهورِ . وخلفة : أى يمشين قطعة خلف قطعة . ويتفلع : يتشقق . شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٧، ١٢٨.

(٧) فخمة : يعنى كتيبة عظيمة . ومذربة : محددة ، والذَّرِب : الحادّ . والقوانس : رءوس بَيْض السلاح . المصدر السابق ٢/ ١٢٨. وفى الروض الأنف ٦/ ١٣٥: القوانس : جمع قَونَس ، وهى بَيْضة السلاح .

وكلُّ صَمُوتٍ فى الصِّوانِ كأنها ... إذا لُبِسَتْ نِهْىٌ مِن الماءِ مُتْرَعُ[1]

ولكنْ ببدرٍ سائِلوا مَن لَقِيتمُ ... مِن الناسِ والأنباءُ بالغيبِ تَنفَعُ

وإنّا بأرضِ الخوفِ لو كان أهلُها ... سِوانا لقد أَجْلَوا بليلٍ فأَقْشَعُوا[2]

إذا جاء منّا راكبٌ كان قولُه ... أعِدُّوا لِما يُزْجِى ابنُ حربٍ ويَجْمَعُ

فمهما يُهِمَّ الناسَ مما يَكِيدُنا ... فنحن له مِن سائرِ الناسِ أوْسَعُ

[٢/ ٢٣٤و] فلو غيرُنا كانت جميعًا تَكِيدُه الْـ ... ـبَرِيَّةُ قد أَعْطَوا يدًا وتَوَزَّعوا[3]

نُجالِدُ لا تَبْقَى[4] علينا قَبيلةٌ ... مِن الناسِ إلّا أن يَهابوا ويُفْظَعوا[5]

ولمّا ابْتَنَوا[6] بالعِرْضِ[7] قالت سَراتُنا ... عَلامَ إذا لم نَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ

وفينا رسولُ اللّهِ نَتْبَعُ أمْرَه ... إذا قال فينا القولَ لا نَتَطَلَّعُ[8]

تَدَلَّى عليه الرُّوحُ مِن عندِ ربِّه ... يُنَزَّلُ مِن جَوِّ السماءِ ويُرْفَعُ

---

(١) الصموت: يعنى درعًا أُحكم نَسْجها وتقارب حَلَقها، فلا يُسمع لها صوت. والصوان: كل ما يُصان فيه الشىء. والنهى: الغدير. والمترع: المملوء. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٨.

(٢) فى ص: «فأسرعوا». وأقشعوا: فروا وزالوا. المصدر السابق.

(٣) فى الأصل: «تورعوا». وهو لفظ إحدى روايات السيرة، كما ذكر ذلك محققوها. وتوزعوا: أى تَقَسَّموا. أما تورعوا، فمعناه: ذلوا. انظر المصدر السابق.

(٤) فى ص: «تبغى». وتبقى: تدوم وتثبت؛ يعنى لا تثبت فى مواجهتنا.

(٥) فى الأصل، ص: «يقطعوا». ويفظعوا: أى يُهالوا ويُفزَعوا. من الشىء الفظيع وهو الهائل المنظر. المصدر السابق.

(٦) فى الأصل: «انتهوا». وابتنوا: معناه ضربوا أبنيتهم، وهى القباب والأخبية. المصدر السابق.

(٧) العرض: موضع خارج المدينة. المصدر السابق.

(٨) فى م: «نتظلع». وهى إحدى روايات السيرة. ومعنى لا نتظلع: لا نتكاسل عن أمره ولا نتوانى فيه. ولا نتطلع: لا ننظر إليه إجلالًا وهيبةً له. انظر المصدر السابق.

نُشاوِرُه فيما نُرِيدُ وقَصْرُنا[1] إذا ما اشْتَهَى أنا نُطِيعُ ونَسْمَعُ

وقال رسولُ اللَّهِ لمّا بَدَوا لنا ذَرُوا عنكمُ هَوْلَ المَنِيَّاتِ واطْمَعُوا

وكونوا كمَن يَشْرِى الحياةَ تَقَرُّبًا إلى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيه ويُرْجَعُ

ولكنْ خُذُوا أسيافَكم وتَوَكَّلوا على اللَّهِ إنَّ الأمرَ للَّهِ أجْمَعُ

فَسِرْنا إليهم جَهْرَةً فى رِحالِهم ضُحِيًّا[2] علينا البَيْضُ[3] لا نَتَخَشَّعُ

بَمَلْمُومَةٍ[4] فيها السَّنَوَّرُ والقَنَا إذا ضَرَبوا أقْدامَها لا تَوَرَّعُ[5]

فجِئْنا إلى موجٍ مِن البحرِ وَسْطَه أحابِيشُ منهم حَاسِرٌ ومُقَنَّعُ

ثلاثةُ آلافٍ ونحن نَصِيَّةٌ[6] ثلاثُ مِئِينٍ إن كَثُرْنا وأرْبَعُ[7]

نُغاوِرُهم[8] تَجْرِى المَنِيَّةُ بيننا نُشَارِعُهم حوضَ المَنايا ونَشْرَعُ[9]

تَهادَى قِسِيُّ النَّبْعِ[10] فينا وفيهمُ وما هو إلّا اليَثْرِبِيُّ[11] المُقَطَّعُ

---

(١) فى الأصل: «نصرنا». وقصرنا: غايتنا. المصدر السابق ٢/ ١٢٩.

(٢) ضُحيا: بارزين للشمس. انظر الوسيط (ض ح و).

(٣) البيض: جمع بَيْضة السلاح. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

(٤) فى ص: «بملوية». وملمومة: يعنى كتيبة مجتمعة. المصدر السابق.

(٥) السنور: السلاح. وتورع: أى تَتَورّع، ومعناها تَكُفّ. انظر المصدر السابق.

(٦) النصية: الخيار من القوم. المصدر السابق.

(٧) فى م: «فأربع».

(٨) فى ص: «نعاورهم». ونغاورهم أى نُغير عليهم مرةً - من الغارة، وهى الإغارة على العدوّ - ويُغيرون علينا مرة. انظر اللسان (غ و ر).

(٩) نُشارعهم: نُشارِبهم. ونشرع: نشرب. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

(١٠) تهادى: أى تَتهادَى، والتهادى: مشىٌ فى تمايل وسكون. والنبع: شجر تصنع منه القسى. انظر اللسان (هـ د ى). وشرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

(١١) اليثربى: معناه الأوتار، نسبت إلى يثرب. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

ومَنْجوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صاعديَّةٌ يُذَرُّ عليها السُّمُّ ساعةَ تُصْنَعُ[1]

تَصُوبُ بأبْدانِ الرِّجالِ وتارةً تَمُرُّ بأعْراضِ البِصَارِ تَقَعْقَعُ[2]

وخيلٌ تَرَاها بالفَضاءِ كأنَّها جَرادُ صَبًا فى قَرَّةٍ يَتَرَيَّعُ[3]

فلمَّا تَلاقَيْنا ودارَت بنا الرَّحَا وليس لأمرٍ حَمَّه اللَّهُ مَدْفَعُ[4]

ضَرَبْناهمُ حتى ترَكْنا سَراتَهم كأنَّهمُ بالقاعِ[5] خُشْبٌ مُصَرَّعُ

لَدُنْ غُدْوَةً حتى اسْتَفَقْنا عَشِيَّةً كأنَّ ذَكَانا[6] حَرُّ نارٍ تَلَفَّعُ

وراحوا سِراعًا مُوجَعِين[7] كأنهم جَهامٌ هَراقتْ ماءَه الريحُ مُقْلِعُ[8]

ورُحْنا وأُخْرانا بِطاءٌ كأننا أُسُودٌ على لَحْمٍ بِبِيشةَ[9] ظُلَّعُ[10]

---

(١) منجوفة: معناه مقشورة منحوتة، يعنى سهامًا. وحِرْمية: أى منسوبة إلى أهل الحَرَم. قال فى اللسان: النسب إلى الحَرَم حِرْمِىّ، والأنثى حِرْمِيّة، وهو - أى النسب - من المعدول الذى يأتى على غير قياس. وصاعدية: منسوبة إلى صانع اسمه صاعد. ويُذر: يُنثَر. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩، واللسان (ح ر م)، (ذ ر ر).

(٢) تصوب: تشق أبدان الرجال. والبصار جمع بَصْرَة، وهى حجارة لينة. ويجوز أن يكون أراد جمعَ بصيرة، والبصيرة: الدرع، وقيل: الترس. وأعراض: جوانب. وتَقَعْقَع: أى تَتَقَعْقَع، ومعناها تُصوِّت. انظر الروض الأنف ٦/ ١٣٦. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

(٣) الصبا: ريح شرقية. والقرة: البرد. ويتريع: أى يجىء ويذهب. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

(٤) الرحا: يعنى رحا الحرب، وهى معظم موضع القتال فيها. وحمّه: قَدَّره. انظر المصدرالسابق.

(٥) فى الأصل: «بالقلب». والقاع: المنخفض من الأرض. المصدر السابق.

(٦) ذكانا: التهابنا فى الحرب. المصدر السابق.

(٧) كذا بالنسخ. وفى السيرة: «موجفين». وهم المسرعون. انظر المصدر السابق.

(٨) الجهام: السحاب الرقيق الذى ليس فيه ماء. ومُقلع: من أقْلَع؛ أى انجلى. انظر المصدر السابق، واللسان (ق ل ع).

(٩) بيشة: اسم موضع تُنسب إليه الأسود. شرح غريب السيرة ٢/ ١٢٩.

(١٠) فى النسخ: «ضلع». والمثبت من السيرة. وظلع: جمع ظالع، وهو شبه الأعرج، وكذلك هو مشى الأُسود. المصدر السابق.

فنِلْنا ونال القومُ منا وربما فَعَلْنا ولكنْ ما لَدى اللَّهِ أوْسَعُ

ودارتْ رَحانا واسْتَدارتْ رَحاهمُ وقد جَعَلوا؛ كلٌّ مِن الشرِّ يَشْبَعُ

ونحن أُناسٌ لا نرَى القتلَ سُبَّةً على كلِّ مَن يَحْمِى الذِّمارَ ويَمْنَعُ

[٢/ ٢٣٤ظ] جِلادٌ على رَيْبِ الحَوادثِ لا نَرَى على هالكٍ عينًا لنا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

بنو الحربِ لا نَعْيَا بشىءٍ نَقُولُه ولا نحن مما جَرَّتِ الحربُ نَجْزَعُ

بنو الحربِ إن نَظْفَرْ فلسنا بفُحَّشٍ ولا نحن مِن أظفارِها[1] نَتَوَجَّعُ

وكنّا شِهابًا يتَّقى الناسُ حَرَّه ويَفْرُجُ عنه مَن يَلِيه ويَسْفَعُ[2]

فَخَرْتَ علىَّ ابنَ الزَّبَعْرَى وقد سَرَى لكم طلَبٌ مِن آخرِ الليلِ مُتْبَعُ

فسَلْ عنك فى عُلْيَا مَعَدٍّ وغيرِها مِن الناسِ مَن أخْزى مَقامًا وأشْنَعُ

ومَن هو لم يَتْرُكْ له الحربُ مَفْخَرًا ومَن خَدُّه يومَ الكَرِيهةِ أَضْرَعُ[3]

شدَدْنا بحولِ اللَّهِ والنصرِ شَدَّةً عليكم وأطرافُ الأَسِنَّةِ شُرَّعُ

تَكِرُّ القَنَا فيكم كأنَّ فُروغَها[4] عَزالِى[5] مَزادٍ ماؤُها يتَهَزَّعُ[6]

---

(١) فى الأصل، م: «أظفارنا».

(٢) يسفع: يحرق ويغيِّر. يقال: سفعته النار. إذا غيرت لونه. المصدر السابق.

(٣) أضرع: أى ذليل. المصدر السابق.

(٤) فى النسخ: «فروعها». والمثبت من السيرة. والفروغ هنا: الطعن المتسع. وطعنة فَرْغاء وذات فَرغ: واسعة يسيل دمها. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٠، واللسان (ف ر غ).

(٥) العزالى: جمع عَزْلاء، وهو فم المزادة أو السقاء. شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٠.

(٦) فى الأصل، ص: «يتهرَّع». ويتهزع: يتقطع. المصدر السابق.

عَمَدْنا[1] إلى أهلِ اللواءِ ومَن يَطِرْ بذِكْرِ اللِّواءِ فهْوَ فى الحَمْدِ أسْرَعُ
فخانوا وقد أعْطَوا يدًا وتَخاذلوا أبَى اللَّهُ إلَّا أمْرَه وهْوَ أَصْنَعُ

قال[2] ابنُ إسحاقَ[3] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى فى يومِ أُحدٍ ، وهو يومَئذٍ مشركٌ بعدُ :

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فقُلْ إنَّما تَنْطِقُ شيئًا قد فُعِلْ
إنَّ للخيرِ وللشرِّ مَدًى[4] وكِلا ذلك وَجْهٌ وقَبَلْ[5]
والعَطِيَّاتُ خِساسٌ[6] بينَهم[7] وسَواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِلْ[8]
كلُّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ وبناتُ الدَّهْرِ[9] يَلْعَبْنَ بكُلْ
أبْلِغَنْ حسّانَ عنِّى[10] آيةً فقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفى ذا الغُلَلْ[11]
كم تَرَى بالجَرِّ[12] مِن جُمْجُمَةٍ وأكُفٍّ قد أُتِرَّتْ ورَجَلْ[13]

---

(١) فى ص : « عهدنا » .
(٢) من هنا حتى نهاية القصيدة الآتية لحسان بن ثابت ، سقط من الأصل .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٦، ١٣٧.
(٤) المدى : الغاية . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٠.
(٥) القبل : المواجهة والمقابلة . المصدر السابق .
(٦) خساس : حقيرة . المصدر السابق .
(٧) فى ص : « بيننا » .
(٨) المثرى : الغنى . والمقل : الفقير . انظر المصدر السابق ٢/ ١٣٠، ١٣١.
(٩) بنات الدهر : حوادثه . انظر المصدر السابق ٢/ ١٣١.
(١٠) فى ص : « عنا » .
(١١) الآية هنا : العلامة . والغلل : جمع غُلَّة ، وهى الحرارة والعطش . المصدر السابق .
(١٢) فى ص : « بالحر » . والجر : أصل الجبل . المصدر السابق .
(١٣) الجمجمة : الرأس . وأترّت : معناه قُطِعت . ورَجَل يعنى الأرْجُل ، ومن قال : ورِجِل ، فإنه كَسَر =

وسَـرابِـيـلَ حِـسَـانٍ سُـرِيَـتْ عن كُماةٍ أُهْلِكوا فى المُنْتَزَلْ[1]

كـم قَـتَـلْـنـا مِـن كـريمٍ سـيِّـدٍ مـاجـدِ الجَدَّيْـن مِـقْـدامٍ بَـطَـلْ

صـادقِ الـنَّـجْـدةِ قَـرْمٍ بـارعٍ غيرِ مُلْتاثٍ لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ[2]

فَـسَـلِ المِهْـراسَ مـا سـاكِـنُـه بيـنَ أقْحافٍ وهامٍ كـالحَجَلْ[3]

لـيـتَ أشْـيـاخـى بـبـدرٍ شَـهِـدوا جَـزَعَ الخزرجِ مِـن وَقْـعِ الأَسَـلْ

حيـنَ حَكَّـتْ بقُباءٍ[4] بَرْكَـهـا واستَحَرَّ القَتْلُ فى عبدِ الأَشَلْ[5]

= الجيم إتباعًا لكسرة الراء. المصدر السابق.

(١) السرابيل هنا الدروع. وسريت: جُرِّدت. والكماة: الشجعان. والمنتزل: موضع الحرب. المصدر السابق.

(٢) النجدة: القوة والشجاعة. والقرم: الفحل الكريم. وبارع: مُبَرِّز على غيره. والملتاث هنا الضعيف. والأسل: الرماح. المصدر السابق.

(٣) المهراس: ماء بأُحُد. والأقحاف جمع قِحْف، وهو العظمُ الذى فوق الدماغ من الجمجمة؛ والجمجمةُ: التى فيها الدماغ. وهام جمع هامة، وهى الرأس. والحَجَل: جمع حِجْلة وحِجْلان، وهى دويبة منتنة الريح. وقال الأزهرى: الحجل: إناث اليعقيب. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١١٣، ١٣١. ولسان العرب (ق ح ف)، (ح ج ل).

(٤) قال الأستاذ محمود شاكر فى تعليقه على هذا البيت فى كتاب طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٣٨، ٢٣٩: «فى جميع ما وقع فى يدى من الكتب: «بقباء». وقباءُ قرية على ميلين أو ثلاثة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، فهى إلى جنوب المدينة، وهذا أمر مشكِل كل الإشكال، فلم أر أحدًا ذكر أن القتال يوم أحد نشب فى قباء، وجبل أحد فى شمال المدينة بينها وبينه ميل أو نحوه، ويقول البكرى فى معجم ما استعجم: «أحد: جبل تلقاء المدينة دون قناة إليها». وقناةُ هذه التى ذكرها البكرى، أحد أودية المدينة؛ وادٍ يأتى من الطائف حتى يمر فى أصل قبور الشهداء بأحد. فأكاد أرجح أن فى رواية هذا الشعر خطأً قديمًا جدا، وأن صواب الرواية ما أثبتُّه فى الشعر - «ألقت بقناة» -... وقد ذكر ابن هشام أن قريشًا أقبلوا حين نزلوا بعينين، بجبل بطن السبخة، من «قناة» على شفير الوادى مقابل المدينة. اهـ. فهذا دليل على أن الموقعة كانت هناك، وأن ابن الزبعرى يشير إلى ذلك فى شعره... ولو كان القتال نشب فى جنوب المدينة، ثم ارتفع إلى أحد، فى شمال المدينة، لكان أهل السير قد بيَّنوه كل البيان، بل الذى رووه يخالف هذا الفرض كل المخالفة». وانظر معجم ما استعجم ١/ ١١٧، ٣/ ١٠٩٦. وسيرة ابن هشام ٢/ ٦٢.

(٥) البَرْك: الصدر. واستحرَّ القتل وحرَّ: بمعنى اشتدَّ. وعبد الأشل: أراد عبد الأشهل فحذف الهاء.=

ثُم خَفُّوا عندَ ذاكمْ رُقَّصًا رَقَصَ الحَفَّانِ يَعْلُو فى الجَبَلْ[1]

فقتَلْنا الضِّعْفَ مِن أشْرافِهم وعَدَلْنا مَيْلَ بدرٍ فاعْتَدَلْ[2]

لا أَلُومُ النَّفْسَ إلَّا أنَّنا لو كَرَرْنا لَفَعَلْنا المُفْتَعَلْ

بسُيوفِ الهندِ تَعْلو هامَهم عَلَلًا تَعلُوهمُ بعدَ نَهَلْ[3]

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فأجابه حسانُ بنُ ثابتٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه[5] :

ذَهَبَتْ بابنِ الزِّبَعْرَى وَقْعةٌ كان مِنّا الفضلُ فيها لو عَدَلْ

ولقدْ نِلْتُم ونِلْنا منكمُ وكذاك الحربُ أحيانًا دُوَلْ

= شرح غريب السيرة ٢/ ١٣١، وانظر لسان العرب (ح ر ر).

(١) الرَّقص : مشىٌ سريع . والحفان : صغار النَّعام . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣١.

(٢) قال الأستاذ محمود شاكر فى تعليقه على هذا البيت فى كتاب طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٣٩، ووقع صدر البيت عنده هكذا : فقبلنا النصف ... قال : « فى المخطوطة « فقتلنا » ... وهذا بيت تكثر روايته فى سائر الكتب ؛ « فقتلنا النصف » ، أو « فقتلنا الضعف » . وهو خطأ كله ؛ فإن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين فى يوم أحد سبعمائة ، قتل منهم أربعة وسبعون من الشهداء ، ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين ، فإن عدة قتلى بدر من المشركين سبعون أو أربعة وسبعون ، وإنما أراد ابن الزبعرى أنهم قتلوا من المؤمنين فى أحد مثل الذى قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم ، أى أخذوا حقهم كاملًا حتى صاروا على النصف سواء ، والنِّصف - بكسر فسكون - والنَّصَف - بفتحتين - العدل والانتصاف ، يقال : انتصفت من فلان . أخذت حقى كاملا حتى صرت أنا وهو على النصف سواء . يقول - أى ابن الزبعرى - : قبلنا يومئذ العدل واكتفينا به ، فقتلنا من سادتهم فى أحد مثل عدة من قتلوا من سادتنا فى بدر . ويدل على ذلك قوله : « فعدلنا ميْل بدر فاعتدل » . أى صار سواء لم ترجح كفة على كفة . فرواية ابن سلَّام فى الطبقات - « فقَبِلْنا النِّصْفَ » - هى أحق الروايات بالصواب ، وأما الروايات الأخرى فهى خطأ قديم » .

(٣) النهل : الشُّرْب الأول . والعلل : الشُّرب الثانى . يضربه هنا مثلًا . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٧، ١٣٨.

(٥) ديوان حسان ص ٩٣- ٩٦.

نضَعُ الأسيافَ فى أكتافِكم حيث نَهْوَى عَلَلًا بعد نَهَلْ

نُخْرِجُ الأَصْبَحَ[1] مِن أَسْتاهِكم كسُلاحِ النِّيبِ يَأْكُلْنَ العَصَلْ[2]

إذ تُوَلُّونَ على أعقابِكم هَرَبًا فى الشِّعْبِ أَشْباهَ الرِّسَلْ[3]

إذ شَدَدْنا شَدَّةً صادقةً فأَجَأْناكم إلى سَفْحِ الجَبَلْ[4]

بخَناطِيلَ[5] كأمْذاقِ[6] المَلَا مَن يُلاقُوه مِن الناسِ يُهَلْ[7]

ضاقَ عنا الشِّعْبُ إذ نَجْزَعُهْ ومَلَأْنا الفَرْطَ منه والرِّجَلْ[8]

[9]برجالٍ لستمُ أمثالَهم أُيِّدوا جبريلَ[10] نصرًا فنَزَلْ

وعَلَوْنا يومَ بدرٍ بالتُّقَى طاعةِ اللَّهِ وتصديقِ الرُّسُلْ[9]

---

(١) كذا فى : م ، ص . وفى السيرة : « الأضياح » . وذكر محققوها فى حاشيتها أنهم أثبتوه من شرح غريب السيرة ، وأن الأصول كلها عندهم : « الأصبح » . والأضياح : جمع ضَيْح ، وهو اللبن المخلوط بالماء . والأصبح : شعر يخلطه بياض بحمرة . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣١. القاموس المحيط (ص ب ح) .

(٢) السُّلاح : النَّجْو ، وهو ما يخرج من البطن من ريح وغائط . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المُسِنّة . والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر . انظر اللسان (س ل ح) ، (ن ج و) . وشرح غريب السيرة ٢/ ١٣٢.

(٣) الرسل : الإبل المرسلة التى بعضها فى أثر بعض . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٢.

(٤) فأجأناكم : معناه ألجأناكم . المصدر السابق .

(٥) الخناطيل : الجماعات . المصدر السابق .

(٦) فى م : « كأشداق » . وفى السيرة : « كأشداف » . والمثبت موافق لإحدى روايات السيرة - كما أشار محققوها - وشرح غريبها لأبى ذر . والأمذاق : الأخلاط من الناس هنا .

(٧) الملا : مقصور ، هو المُتَّسِع من الأرض . ويُهَل : من هاله الأمر إذا أفزعه ، وهو هنا مجزوم ومبنى للمجهول . والمعنى : يُفزَع . انظر المصدر السابق ، واللسان (هـ و ل) .

(٨) نجزعه : نقطعه . والفرط هنا : ما علا من الأرض . والرجل هنا : جمع رجلة ، وهى المطمئن من الأرض . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٢.

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠) أيدوا جبريل : أراد أُيِّدوا بجبريل ، فحذف حرف الجر ، وعدَّى الفعل . المصدر السابق .

وقَتَلْنا كلَّ رأسٍ منهمُ وقتَلْنا كلَّ جَحْجاحٍ رِفَلْ[1]

وتَرَكْنا فى قُريشٍ عَوْرَةً يومَ بدرٍ وأحاديثَ المَثَلْ

ورسولُ اللَّهِ حقًّا شاهدٌ يومَ بدرٍ والتَّنابِيلُ الهُبُلْ[2]

فى قريشٍ مِن جُموعٍ جُمِّعوا مثلَ ما يُجْمَعُ فى الخِصْبِ الهَمَلْ[3]

نحن لا أمثالُكم وُلْدَ[4] اسْتِها نَحْضُرُ البَأْسَ[5] إذا البأسُ نَزَلْ

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقال كعبٌ يَبْكى حمزةَ ومَن قُتِل مِن المسلمين يومَ أُحدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم :

نَشَجْتَ وهل لك مِن مَنْشَجِ[7] وكنتَ متى تَذَّكِرْ[8] تَلْجَجِ[9]

تَذَكُّرَ قومٍ أتانى لهم أحاديثُ فى الزمَنِ الأَعْوَجِ

فقَلْبُك مِن ذِكْرِهم خافِقٌ مِن الشَّوْقِ والحَزَنِ المُنْضِجِ

---

(١) الجحجاح : السيِّد . والرفل : الذى يجرثوبه خُيلاء . المصدر السابق .

(٢) التنابيل : القصار . والهبل : من رواه بضم الهاء والباء ، فمعناه الذين ثقُلوا لكثرة اللحم عليهم . ومن رواه الهَبَل ، بفتح الهاء والباء ، أو الهُبَل ، بضم الهاء وفتح الباء ، فهو من الثكل ، يقال : هَبِلَتْه أمه ؛ إذا ثكلتْه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٢، ١٣٣. واللسان (تنبل) .

(٣) الهمل : الإبل المهملة ، وهى التى تُرسَل فى المرعى دون راعٍ . المصدر السابق ٢/ ١٣٣.

(٤) ولد : جمع ولد . المصدر السابق .

(٥) كذا فى : م ، ص . وفى السيرة : « الناس » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٨، ١٣٩.

(٧) نشجت : أى بكيتَ ، والنشيج : البكاء مع صوت متردِّد . المصدر السابق .

(٨) فى الأصل : « تذكرن » . وفى م : « تدكر » ، وفى ص : « تذكره » . والمثبت من السيرة . وتدكر وتذكر : إبدال إدغام . انظر اللسان (ذ ك ر) .

(٩) تلجج : من اللجج وهو الإقامة على الشىء ، والتمادى عليه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٣٣.

وقَتْلاهمُ فى جِنانِ النعيمِ كرامُ المَداخلِ والمَخْرَجِ
بما صَبَروا تحتَ ظِلِّ اللِّواءِ لواءِ الرسولِ بذى الأَضْوُجِ[1]
غَداةَ أجابَتْ بأسيافِها جميعًا بنو الأوسِ والخَزْرجِ
وأشياعُ أحمدَ إذ شايَعوا[2] على الحقِّ ذى النورِ والمَنْهَجِ[3]
فما بَرِحوا يَضْرِبون الكُماةَ[4] ويَمْضُونَ فى القَسْطَلِ المُرْهِجِ[5]
كذلك حتى دعاهُم مَلِيكٌ إلى جنَّةٍ دَوْحَةِ المَوْلِجِ[6]
فكلُّهمُ ماتَ حُرَّ البَلاءِ[7] على ملةِ اللَّهِ لم يَحْرَجِ[8]
كحمزةَ لَمَّا وَفَى صادقًا بذى هَبَّةٍ[9] صارِمٍ سَلْجَجِ[10]
فلاقاه عبدُ بنى نَوْفَلٍ يُبَرْبِرُ كالجَمَلِ الأَدْعَجِ[11]
فأوْجَره حَرْبةً كالشِّهابِ تَلَهَّبُ فى اللَّهَبِ المُوهَجِ[12]

---

(١) الأضوج - بالواو المضمومة - جمع ضَوْج، وهو جانب الوادى. المصدر السابق.
(٢) شايعوا: تابعوا. المصدر السابق.
(٣) المنهج: الطريق الواضح. المصدر السابق.
(٤) الكماة: الشجعان، واحدهم كَمِىٌّ. المصدر السابق ٢/ ١٣٤.
(٥) القسطل: الغبار. والمرهج: الذى علا فى الجو. المصدر السابق.
(٦) الدوحة: الكثيرة الأغصان. والمولج: المَدخَل. المصدر السابق.
(٧) حر البلاء: خالص الاختبار. المصدر السابق.
(٨) فى الأصل: «يخرج». ولم يحرج: لم يأثم. المصدر السابق.
(٩) بذى هبة: يعنى سيفًا. وهبة السيف وقوعه بالعظم. المصدر السابق.
(١٠) فى الأصل: «سلمج». وسلجج: أى مرهف قاطع. المصدر السابق.
(١١) يبربر: أى يصوِّت بكلام لا يُفهم. والأدعج: هو الأسْوَد. المصدر السابق.
(١٢) أوجره: أى طعنه فى صدره. والموهج: الموقَد. المصدر السابق.

[٢/٢٣٥و] ونُعمانُ أَوْفَى بِميثاقِه وحَنْظَلَةُ الخيرِ لم يُحْنَجِ[١]
عن الحقِّ حتى غَدَتْ رُوحُه إلى مَنْزِلٍ فاخِرِ الزِّبْرِجِ[٢]
أولئك لا مَن ثَوَى منكُمُ مِن النارِ فى الدَّرَكِ المُرْتَجِ[٣]

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : وقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ يَبْكِى حمزةَ ومَن أُصِيب مِن المسلمين يومَ أُحدٍ - وهى على رَوِىِّ قصيدةِ أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ فى قَتْلَى المشركين يومَ بدرٍ[٥] . قال ابنُ هشامٍ[٦] : ومِن [٧]أهلِ العلمِ بالشعر مَن[٧] يُنْكِرُ هذه لحسانَ . واللَّهُ أعلمُ[٨] - :

يا مَىَّ قُومى فانْدُبِنْ[٩] بسُحَيْرَةٍ شَجْوَ النَّوائحْ[١٠]
كالحامِلاتِ الوِقْرَ بالثِّقْلِ المُلِحَّاتِ الدَّوالِحْ[١١]

---

(١) لم يحنج : أى لم يُصرف عن وجهه الذى أراده من الحق . المصدر السابق .
(٢) الزبرج هنا الوَشْىُ . والزبرج أيضًا : الذهب . المصدر السابق .
(٣) هذا البيت سقط من : الأصل . وثوى : أقام واستقر . والدرك : ما كان أسفل . والمرتج : المغلق . المصدر السابق ، والوسيط (ث و ى) .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/١٥١ - ١٥٥.
(٥) انظر قصيدة أمية فى سيرة ابن هشام ٢/٣٠ - ٣٢.
(٦) المصدر السابق ٢/ ١٥٥.
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .
(٨) ديوان حسان ص ٣٧٤ - ٣٧٦.
(٩) فى م : « فاندبى » .
(١٠) السحيرة : من السُّحْرة ، وهى آخر الليل قُبيل الفجر . الشجو : الحزن . انظر الوسيط (س ح ر) ، شرح غريب السيرة ٢/١٤٧.
(١١) الوقر : الحِمْل الثقيل . الوسيط (و ق ر) . بالثِّقل : أى بمشقةٍ . الملحات : الثابتات التى لا تبرح . والدوالح : التى تحمل الثقل . انظر الوسيط (ث ق ل) ، شرح غريب السيرة ٢/١٤٧، ١٤٨.

المُعْـــــــــوِلاتِ الخامِشـــــــا تِ وُجوهَ حُرَّاتٍ صَحائِحْ[1]

وكأنَّ سَيْلَ دُموعِها الـ ـأنْصابُ تُخْضَبُ بالذَّبائحْ

يَنْقُضْنَ أشعارًا لَهُنْـ ـنَ هناكَ بادِيةَ المَسائِحْ[2]

وكأنَّها أذْنابُ خيـ ـلٍ بالضُّحَى شُمْسٍ رَوامِحْ[3]

مِن بينِ[4] مَشْرُورٍ ومَجْـ ـزُورٍ يُذَعْذَعُ[4] بالبَوارِحْ[5]

يَبْكِينَ شَجْوًا مُسْلِبا تِ كَدَّحَتْهُنَّ الكَوادِحْ[6]

ولقد أصابَ قُلوبَها مَجْلٌ له جُلَبٌ قَوارِحْ[7]

إذ أَقْصَدَ الحِدْثانُ مَن كُنَّا نُرَجِّى إذ نُشَايِحْ[8]

أصحابَ أُحْدٍ غالَهمْ[9] دَهْرٌ أَلَمَّ له جَوارِحْ

---

(١) المعولات: الباكيات بصوت. والخامشات: الخادشات. شرح غريب السيرة ٢/ ١٤٨.

(٢) أشعارًا: يعنى شَعْرهن. والمسائح: ذوائب الشعر. المصدر السابق ٢/ ١٤٨، ١٤٩.

(٣) شمس: نَوافِر، وهى جمع شَمُوس. والروامح: التى ترمح بأرجُلها، أى تَدْفع عنها. المصدر السابق. ٢/ ٤٩.

(٤ - ٤) فى الأصل: «مشدود ومجرور يدغدغ»، وفى ص: «مشزوز ومجزوز يدعدع». ومشرور: من شرَّ اللحمَ؛ إذا بسطه ليجف. الوسيط (ش ر ر). وذعذع الشىء: فرَّقه وبدَّده. اللسان (ذ ع ع).

(٥) البوارح: الرياح الشديدة. شرح غريب السيرة ٢/ ١٤٩.

(٦) مسلبات: لابسات ثياب الحزن. وكدحتهن: أثَّرتْ فيهن. والكوادح هنا: نوائب الدهر. المصدر السابق.

(٧) مجل: أى جُرح فيه ماء. وله جلب قوارح: الجلب جمع جُلْبة، وهى قشرة الجرح التى تكون عند البرء. وقوارح: موجعة. المصدر السابق.

(٨) أقصد: أصاب. والحِدثان: حادث الدهر. نشايح: نحذر ونَحْزُم. المصدر السابق.

(٩) غالهم: أهلكهم. المصدر السابق.

مَـن كـان فـارسَـنـا وحـا ... مِيَنا إذا بُعِث المَسالِحْ[1]

يـا حَـمْـزَ لا واللَّـهِ لا ... أنْـسـاك مـا صُرَّ اللَّـقـائِحْ[2]

لِمُنـاخِ أيـتـامٍ وأضْـ ... ـيـافٍ وأرْمَـلَـةٍ تُـلامِحْ[3]

ولِمَا يَـنُـوبُ الـدَّهْـرُ فـى ... حـربٍ لحربٍ وهْـىَ لاقِحْ[4]

يـا فـارسًـا يـا مِـدْرَهًـا[5] ... يا حَمْزَ قد كنتَ المُصامِحْ[6]

عَـنّـا شَـديـداتِ الخُطُـو ... بِ إذا يَـنُـوبُ لـهـن فـادِحْ

ذَكَّـرْتَـنـى أسَـدَ الـرسـو ... لِ وذاك مِـدْرَهُـنـا المُنافِحْ[7]

عـنّـا وكـان يُـعَـدُّ إذ ... عُـدَّ الـشَّـرِيـفُـونَ الجَحـاجِحْ[8]

يَـعْـلـو الـقَـمـاقِـمَ جَـهْـرَةً ... سَـبْـطَ الـيـدَيْـن أغَـرَّ واضِـحْ[9]

---

(١) المسالح : القوم الذين يُقدَّمون طليعةً للجيش ، واشتقاقه من لفظ السلاح . المصدر السابق .

(٢) ما صر اللقائح : معناه هنا ما صُرَّت - أى رُبطت - أخلافُها - جمع خِلْف وهو حلمة ضرع الناقة القادمان والآخران - ليجتمع فيها اللبن ، وخوفًا على الفصيل - وهو ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمه - أن يرضعها . واللقائح جمع لَقْحَة ، وهى الناقة التى لها لبن . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٤٩ ، واللسان (خ ل ف) ، (ف ص ل) .

(٣) المناخ : المنزل . وتلامح : أى تنظر بعينيها نظرا سريعا ثم تغضهما . شرح غريب السيرة ٢/ ١٤٩ .

(٤) فى م : « لافح » . واللاقح من الحروب هى التى يتزيَّد شرُّها . المصدر السابق .

(٥) المِدرَهُ : المدافع عن القوم بلسانه ويده . المصدر السابق .

(٦) فى الأصل : « المصافح » . قال أبو ذر : من رواه بالفاء فمعناه الرادُّ للشىء ، تقول : أتانى فلان فصفحتُه عن حاجته . أى رددته عنها . ومن رواه « المصامح » بالميم فمعناه المدافع الشديد . المصدر السابق .

(٧) المنافح : المدافع عن القوم . المصدر السابق ٢/ ١٥٠ .

(٨) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو الرجل السَّيِّد . المصدر السابق .

(٩) القماقم : السادة . وسبط اليدين : يعنى جَوادا . ويقال فى البخيل : جَعْد اليدين . وأغرّ : أبيض . وواضح : أى مضىء مشرق . المصدر السابق .

لا طـائِـشٌ رَعِـشٌ ولا ذو عِـلَّـةٍ بـالحِمْـلِ آنِـحْ[1]

[٢/٢٣٥ظ] بَحْرٌ فليس يُغِبُّ جا رًا مـنـه سَـيْـبٌ أو مَـنـادِحْ[2]

أوْدَى شـبـابُ أُولِـى الحَفَـا ئِـظِ والـثَّـقِـيـلـون المَراجِـحْ[3]

المُطْـعِـمـونَ إذا المَشـا تِـىَ[4] ما يُصَفِّقُهُنَّ[5] ناضِحْ

لحمَ الجِـلادِ وفـوقَـه مِـن شَـحْـمِـه شُـطَـبٌ شَـرائِـحْ[6]

لـيُـدافِـعـوا عـن جـارِهـمْ ما رام ذو الـضِّـغْـنِ المُكـاشِـحْ[7]

لَـهْـفِـى لـشُـبّـانٍ رُزِئْـ ـنـاهـمْ[8] كـأنّـهـمُ المَصـابِـحْ

شُـمٌّ بَـطـارِقـةٍ غَـطـا رِفـةٍ خَـضـارِمـةٍ مَـسـامِـحْ[9]

---

(١) الآنح : البعير الذى إذا حمل الثِّقْل ، أخرج من صدره صوت المُعتَصر . المصدر السابق .

(٢) يُغِبُّ : يقال : فلان لا يُغِبُّنا عطاؤه . أى يأتينا كل يوم . والسيب : العطاء . والمنادح : الاتِّساع . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠. والوسيط (غ ب ب) .

(٣) أودى : هلك . والحفائظ : جمع حفيظة وهى الغضب . والمراجح : الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠، الوسيط (و د ى) .

(٤) المشاتى : جمع مُشْتٍ ، والمشتى من الإبل : المُربع . وناقةٌ مربع : ذات رُبَع ، وهو ما ولد من الإبل فى الربيع . وقيل : ما ولد فى أول النتاج ، وإحسان غذائها ألا يُستقصى حَلْب أمهاتها إبقاءً عليها . اللسان (ش ت و) ، (ر ب ع) .

(٥) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « يصففهن » . قال أبو ذر : ما يصفقهن : ما يحلبهن مرة واحدة فى اليوم . ومن رواه « ما يصففهن » فمعناه ما يحلبهن بجميع الكَفّ ، وأراد ما يصفق فيهن ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل . والناضح هنا : الذى يشرب دون الرى . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠.

(٦) الجلاد هنا : الإبل القوية . وشُطَبُ السنام : أن تقطعه قددا ولا تُفَصِّلها . واحدتها شُطْبَة . المصدر السابق ، اللسان (ش ط ب) .

(٧) المكاشح : المُعادِى . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠.

(٨) رزئناهم : أى رُزِئنا فيهم . والرزء المصيبة . انظر الوسيط (ر ز أ) .

(٩) شُم : أعِزّاء . وبطارقة : رؤساء . وغطارفة : سادة . والخضارمة : الذين يُكثرون العطاء . والمسامح : الأجواد . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠.

المُشْتَرون الحَمْدَ بالـ ـأَمْوالِ إنَّ الحمدَ رابِحْ
والجامِزونَ بلُجْمِهِمْ[1] يومًا إذا ما صاح صائِحْ
مَن كان يُرْمَى بالنَّوا قِرِ[2] مِن زمانٍ غيرِ صالحْ
ما إن تَزالُ رِكابُه يَرْسِمْنَ فى غُبْرٍ صَحاصِحْ[3]
راحَتْ تَبارَى وهْوَ فى رَكْبٍ صُدورُهمُ رَواشِحْ[4]
حتى تَغُوبَ له المَعا لى ليس مِن فَوْزِ السَّفائِحْ[5]
يا حمزَ قد أوْحَدْتَنى كالعُودِ شَذَّبَه الكَوافِحْ[6]
أشكو إليك وفوقَك التُّرْبُ المُكَوَّرُ والصَّفائحْ[7]
مِن جَنْدَلٍ يُلْقِيه فو قَك إذ أجاد الضَّرْحَ ضارِحْ[8]
فى واسعٍ يَحْشُونَه بالتُّرْبِ سَوَّتْه المَماسِحْ[9]

---

(١) الجامزون: الواثبون. واللجم: جمع لِجام. المصدر السابق.
(٢) النواقر: غوائل الدهر التى تُنقِّر عن الإنسان؛ أى تبحث عنه. المصدر السابق.
(٣) الركاب هنا: الإبل. والرَّسْم: ضربٌ من السير. والصحاصح: الأرض المستوية. المصدر السابق.
(٤) رواشح: يعنى أنها ترشح بالعرق. المصدر السابق.
(٥) السفائح: جمع سفيح، وهو من قداح الميسر. المصدر السابق.
(٦) أوحدتنى: تركتنى وحدى. وشذبه: أزال أغصانه وشوكه. والكوافح: الذين يقابلونه بالقَطْع. شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠. وانظر الوسيط (و ح د).
(٧) المكور: الذى بعضه فوق بعض. والصفائح: الحجارة العريضة. شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٠.
(٨) الجندل: الحجارة. والضرح: الشَّقُّ، ويعنى شق القبر، ومنه سمى القبر ضريحًا. المصدر السابق ٢/ ١٥٠، ١٥١. واللسان (جندل).
(٩) المماسح: ما يُمسَح به التراب ويُسوَّى. شرح غريب السيرة ٢/ ١٥١.

فـعَـزاؤُنـا أنّـا نـقـو لُ وقَـوْلُـنـا بَـرْحٌ بَـوارِحْ[1]

مَـن كـان أمْسَـى وهْـوَ عـمَّـا أوْقَـعَ الحِدْثـانُ جانِحْ[2]

فـلْـيَـأْتِـنـا فـلْـتَـبْـكِ عَـيْـ ـناه لـهَـلْـكـانـا الـنَّـوافِـحْ[3]

الـقـائِـلِـيـنَ الـفـاعِـلِـيـ ـنَ ذَوِى الـسَّـمـاحـةِ والمَـمـادِحْ

مَـن لا يَـزالُ نَـدَى يَـدَيْـ ـه لـه طَـوالَ الـدَّهْـرِ مـائِـحْ[4]

قال ابنُ هشامٍ[5] : وأكثرُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنْكِرُها لحسانَ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ يَبْكِى حمزةَ وأَصحابَه :

طَرَقتْ همومُك فالرُّقادُ مُسَهَّدُ وجَزِعْتَ أن سُلِخ الشبابُ الأَغْيَدُ[7]

ودَعَتْ فُؤادَك للهَوَى ضَمْرِيَّةٌ[8] فهَواك غَوْرِىٌّ[9] وصَحْوُك[10] مُنْجِدُ[11]

---

(١) البرح : الأمر الشاق . المصدر السابق .

(٢) الجانح : المائل إلى جهة . المصدر السابق .

(٣) النوافح : الذين كانوا يَنْفَحُون بالمعروف ويُوسِّعون به . المصدر السابق .

(٤) المائح : الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو إذا كان ماؤها قليلًا . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٥. وقد تقدم قول ابن هشام هذا فى أول القصيدة .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/١٥٦ - ١٥٨.

(٧) سلخ : أُزِيل . والأغيد : الناعم . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(٨) ضمرية : امرأة منسوبة إلى ضمرة ، وهى قبيلة . المصدر السابق .

(٩) فى الأصل : « ضمرى » . وهو أنسب للسياق . وغورى : منسوب إلى الغَوْر وهو المنخفِض من الأرض . المصدر السابق .

(١٠) فى الأصل ، ص : « وصحبك » . وهو لفظ إحدى روايات السيرة ، كما أشار محققوها .

(١١) منجد : منسوب إلى النَّجْد ، وهو ما ارتفع من الأرض وصَلُب . انظر الوسيط (ن ج د) .

[٢/٢٣٦و] فدَعِ التَّمادىَ فى الغَوايةِ سادِرًا[١] قد كنتَ فى طلبِ الغَوايةِ تُفْنَدُ[٢]

ولقد أنَى[٣] لك أن تَناهَى[٤] طائعًا أو تَسْتَفِيقَ إذا نَهاك المُرْشِدُ

ولقد هُدِدْتَ لفَقْدِ حمزةَ هَدَّةً ظَلَّتْ بناتُ الجَوْفِ[٥] منها تُرْعِدُ

ولَوَ انَّه فُجِعَتْ حِراءُ بمثلِه لَرَأَيْتَ راسىَ صَخْرِها يَتَبَدَّدُ

قَرْمٌ[٦] تَمَكَّنَ فى ذُؤابةِ هاشمٍ حيثُ النُّبوَّةُ والنَّدَى والسُّؤْدُدُ

والعاقِرُ الكُومَ الجِلادَ[٧] إذا غَدَتْ رِيحٌ يكادُ الماءُ منها يَجْمُدُ

والتارِكُ القِرْنَ الكَمِىَّ[٨] مُجَدَّلًا[٩] يومَ الكَرِيهةِ والقَنا يَتَقَصَّدُ[١٠]

وتَراه يَرْفُلُ فى الحديدِ كأنَّه ذو لِبْدَةٍ شَثْنُ البَراثِنِ أَرْبَدُ[١١]

---

(١) سادرًا : متحيرًا . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(٢) تفند : أى تُلام وتُكذَّب . المصدر السابق .

(٣) فى الأصل ، م : « أتى » . وأنى : حان .

(٤) تناهى : أى تتناهى ؛ يعنى تنتهى .

(٥) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه ، وسماها بنات الجوف ؛ لأن الجوف يشتمل عليها . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(٦) القَرْم : السيد المُعظَّم . الوسيط (ق ر م) .

(٧) الكوم : جمع كَوْماء ، وهى العظيمة السنام من الإبل . والجلاد : القوية . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(٨) القِرْن للإنسان : مِثْلُه فى الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك . والكمِىّ : الشجاع . الوسيط (ق ر ن) ، وشرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(٩) فى الأصل : « مجندلًا » . ومجدلًا : مطروحًا بالأرض ، واسم الأرض : الجَدالة . شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(١٠) يتقصد : يتكسَّر . المصدر السابق .

(١١) يرفل : يَجُرُّ . وذو لِبدة : يعنى أسدًا . واللبدة : الشعر الذى على كتفى الأسد . وشثن : أى غليظ . والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للناس . وأربد : أى أغبر يخالطه سواد . المصدر السابق .

عمُّ النبىِّ محمدٍ وصَفِيُّه ... وَرَد الحِمامَ[1] فطاب ذاك المَوْرِدُ

وأتَى المَنِيَّةَ مُعْلِمًا[2] فى أُسْرَةٍ ... نَصَروا النبىَّ ومنهمُ المُسْتَشْهِدُ

ولقد إخالُ بذاك هندًا بُشِّرَتْ ... لتُمِيتَ داخلَ غُصَّةٍ لا تَبْرُدُ

مما صَبَحْنا بالعَقَنْقَلِ[3] قومَها ... يومًا تَغَيَّبَ فيه عنها الأَسْعَدُ

وببئرِ بدرٍ إذ يَرُدُّ وُجوهَهم ... جبريلُ تحتَ لوائِنا ومحمدُ

حتى رأيتُ لَدَى النبىِّ سَراتَهم ... قِسمَيْن [4]يَقْتُلُ مَن يشاءُ ويَطْرُدُ[4]

فأقام بالعَطَنِ المُعَطَّنِ[5] منهمُ ... سبعون عُتْبةُ منهمُ والأَسْوَدُ

وابنَ المُغيرةِ قد ضَرَبْنا ضَرْبةً ... فوقَ الوَريدِ لها رَشاشٌ مُزْبِدُ[6]

وأميَّةُ الجُمَحىُّ قَوَّم مَيْلَه ... عَضْبٌ بأيْدى المؤمنين مُهَنَّدُ[7]

فأتاكَ فَلُّ المشركين كأنَّهم ... والخيلُ تَثْفُنُهُم[8] نَعامٌ شُرَّدُ

شَتَّانَ مَن هوَ فى جهَنَّمَ ثاوِيًا ... أبدًا ومَن هو فى الجِنانِ مُخَلَّدُ

---

(١) الحمام: قضاء الموت وقدَره، من قولهم: حُمَّ كذا، أى قُدِّر. اللسان (ح م م).

(٢) معلمًا: جاعلًا لنفسه علامة فى الحرب. انظر الوسيط (ع ل م).

(٣) العقنقل: الكثيب من الرمل.

(٤ - ٤) فى م: «نقتل من نشاء ونطرد». وفى السيرة: «يقتل من نشاء ويطرد».

(٥) العطن: مَبْرَك الإبل حول الماء. والمعطن: الذى قد عُوِّد أن يُتخذ عطنًا. شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٤.

(٦) رشاش مزبد: يعنى دمًا قد علته الرُّغْوة. المصدر السابق ٢/ ١٥٤، ١٥٥.

(٧) العَضْب: السيف القاطع. والمهند: المنسوب إلى الهند.

(٨) تثفنهم: تطردهم. شرح غريب السيرة ٢/ ١٥٥.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ يَبْكِى حمزةَ وأصحابَه يومَ أُحدٍ - قال ابنُ هشامٍ : وأنْشَدَنيها أبو زيدٍ لكعبِ بنِ مالكٍ . فاللَّهُ أعلمُ - :

بكَتْ عينِى وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنى البكاءُ ولا العَوِيلُ
على أسَدِ الإلهِ غَداةَ قالوا ... أَحمزةُ ذاكمُ الرجلُ القتيلُ
أُصِيب المسلمون به جميعًا ... هناك وقد أُصيب به الرسولُ
أبا يَعْلَى[2] لك الأرْكانُ هُدَّتْ ... وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصُولُ
عليك سلامُ ربِّك فى جِنانٍ ... مُخالِطُها نعيمٌ لا يَزولُ[3]
[٢/٢٣٦ظ] ألا يا هاشمَ الأخيارِ صَبْرًا ... فكلُّ فَعالِكم حسنٌ جميلُ
رسولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كريمٌ ... بأمرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إذ يقولُ
ألَا مَن مُبْلِغٌ عنى لُؤيًّا ... فبَعْدَ اليومِ دائِلةٌ[4] تَدُولُ
وقبلَ اليومِ ما عَرَفوا وذاقوا ... وَقائِعَنا بها يُشْفَى الغَلِيلُ
نَسِيتُم ضَربَنا بقَليبِ بدرٍ ... غَداةَ أتاكمُ الموتُ العَجِيلُ
غَداةَ ثَوَى أبو جهلٍ صريعًا ... عليه الطيرُ حائِمَةً تَجُولُ
وعُتْبةُ وابنُه خَرّا جميعًا ... وشَيْبةُ عَضَّه السيفُ الصَّقِيلُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٢، ١٦٣.
(٢) أبو يعلى : كنية حمزة ، رضى اللَّه عنه .
(٣) هذا البيت ليس فى : الأصل ، ص .
(٤) دائلة تدول : يريد دولة فى الحرب بعد دولة . شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٠.

ومَتْرَكُنا أُميَّةَ مُجْلَعِبًّا وفى حَيْزُومِه لَدْنٌ نبيلُ[1]

وهامَ بنى رَبِيعةَ سائِلوها ففى أسيافِنا منها فُلولُ[2]

ألَا يا هندُ فابْكى لا تَمَلِّى فأنتِ الوالِهُ العَبْرَى الهَبُولُ[3]

ألَا يا هندُ لا تُبْدِى شَماتًا بحمزةَ إنَّ عِزَّكُمُ ذليلُ

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقالت صَفِيَّةُ بنتُ عبدِ المطلبِ تَبْكِى أخاها حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ - وهى أُمُّ الزُّبيرِ ، عمَّةُ النبىِّ ﷺ ، ورَضِى اللَّهُ عنهم أجمعينَ - :

أسائِلةٌ أصحابَ أُحْدٍ مَخافةً بناتُ أَبى مِن أَعْجَمٍ[5] وخَبِيرِ

فقال الخبيرُ إنَّ حمزةَ قد ثَوَى[6] وزيرُ رسولِ اللَّهِ خيرُ وزيرِ

دَعاه إلهُ الحَقِّ ذو العرشِ دَعوةً إلى جنةٍ يَحْيا بها وسُرورِ

فذلك ما كُنّا نُرَجِّى ونَرْتَجِى لحمزةَ يومَ الحشرِ خيرَ مَصِيرِ

فواللَّهِ لا أنساكَ ما هَبَّتِ الصَّبا بُكاءً وحُزْنًا مَحْضَرى ومَسِيرى[7]

على أَسَدِ اللَّهِ الذى كان مِدْرَهًا يَذُودُ عن الإسلامِ كلَّ كَفُورِ[8]

---

(١) مجلعبًا : معناه ممتدًّا مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن : الرمح اللينُ . ونبيل : أى عظيم . المصدر السابق .

(٢) فلول : جمع فَلّ ، وهو كسر فى حدِّ السيف . الوسيط (ف ل ل) .

(٣) الواله : الفاقد . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : الفاقد أيضًا . شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٠ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٧ .

(٥) الأعجم هو الذى لا يُفصح . شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٥ .

(٦) ثوى : هلك . الوسيط (ث و ى) .

(٧) الصبا : الريح الشرقية . ومسيرى : تعنى به هنا مغيبى . شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٥ .

(٨) المدره : الذى يدفع عن القوم . ويذود : يدفع ويمنع . المصدر السابق .

فيا ليت شِلْوِى عندَ ذاك وأعْظُمى لدَى أضْبُعٍ تَعْتادُنى ونُسورِ[1]

أقولُ وقد أعْلَى النَّعِىُّ[2] عَشِيرتى جزَى اللَّهُ خيرًا مِن أخٍ ونصِيرِ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقالت نُعْمُ امرأةُ شَمّاسِ بنِ عثمانَ تَبْكِى زوجَها[4] .

يا عينُ جُودى بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ[5] على كريمٍ مِن الفِتْيانِ لَبّاسِ

صَعْبِ البَدِيهةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُه حَمّالِ ألْوِيَةٍ رَكّابِ أفْراسِ[6]

أقولُ لَمّا أتَى الناعِى له جَزَعًا أوْدَى[7] الجَوادُ وأوْدَى المُطْعِمُ الكاسِى

[٢/ ٢٣٧و] وقلتُ لَمّا خَلَتْ منه مَجالِسُه لا يُبْعِدُ اللَّهُ مِنّا قُرْبَ شَمّاسِ

قال[8] : فأجابها أخوها الحكَمُ بنُ سعيدِ بنِ يَرْبُوعٍ يُعَزِّيها فقال :

اقْنَىْ حياءَكِ[9] فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ فإنَّما كان شَمّاسٌ مِن الناسِ

لا تَقْتُلى النَّفْسَ إذ حانَتْ مَنِيَّتُه فى طاعةِ اللَّهِ يومَ الرَّوْعِ والبَاسِ

---

(١) الشِّلو : البقية . وأضبُع : جمع ضَبُع . وتعتادنى : تتعاهدنى . المصدر السابق .

(٢) النعى : من رواه بالرفع فهو الذى يأتى بخبر الميت ، ومن رواه بالنصب فمعناه النوح والبكاء بصوت . شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٥، ١٦٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٧، ١٦٨.

(٤) بعده فى الأصل ، م : « والله أعلم ، ولله الحمد والمنة » .

(٥) إبساس : قليل .

(٦) البديهة : أوّل الرأى والأمر . وميمون نقيبته : أى مسعود الفعال . شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٦.

(٧) أودى : هلك . الوسيط (و د ى) .

(٨) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٨.

(٩) اقنى حياءك : أى الزميه . انظر الوسيط (ق ن و) .

قد كان حمزةُ لَيْثَ اللَّهِ فاصْطَبِرى فذَاقَ يومئذٍ مِن كأسِ شَمّاسِ

وقالت هندُ بنتُ عتبةَ امرأةُ أبى سفيانَ، حينَ رجَعوا مِن أُحدٍ:

رَجَعْتُ وفى نَفْسى بَلابِلُ جَمَّةٌ[1] وقد فاتَنى بعضُ الذى كان مَطْلبى

مِنَ اصحابِ بدرٍ مِن قُريشٍ وغيرِهم بنى هاشمٍ منهمْ ومِن أهلِ يَثْرِبِ

ولكنَّنى قد نِلْتُ شيئًا ولم يَكُنْ كما كنتُ أرجو فى مَسِيرى ومَرْكَبى

وقد أوْرَد ابنُ إسحاقَ فى هذا أشعارًا كثيرةً[2]، ترَكْنا كثيرًا منها، خَشْيةَ الإطالةِ وخوفَ المَلالةِ، وفيما ذكَرْنا كفايةٌ، وللَّهِ الحمدُ.

وقد أوْرَد الأُمَوىُّ فى «مغازِيه» مِن الأشعارِ أكثرَ ممَّا ذكَره ابنُ إسحاقَ، كما جرَتْ عادتُه، ولاسِيَّما هـٰهنا، فمِن ذلك ما ذكَره لحسانَ بنِ ثابتٍ أنَّه قال فى غزوةِ أُحدٍ - فاللَّهُ أعلمُ -:

طاوَعوا الشيطانَ إذ أخْزاهمُ فاسْتَبان الخِزْىُ فيهمْ والفَشَلْ

حينَ صاحوا صَيْحَةً واحدةً معْ أبى سفيانَ قالوا اعْلُ هُبَلْ

فأَجَبْناهم جميعًا كلُّنا ربُّنا الرحمنُ أعْلَى وأَجَلّْ

اثْبُتُوا نَسْقِيكُموها[3] مُرَّةً مِن حِياضِ الموتِ والموتُ نَهَلْ

---

(١) البلابل: الأحزان. وجمة: كثيرة. شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٧.

(٢) انظر هذه الأشعار فى سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٩ - ١٦٨.

(٣) فى الأصل، م: «تستعملوها».

واعْلَموا أنَّا إذا ما نُضِّجَتْ[1] عن حِيالِ[2] الموتِ قِدْرٌ تَشْتَعِلْ

وكأنَّ هذه الأبياتَ قطعةٌ مِن جوابِه لعبدِ اللَّهِ بنِ الزِّبَعْرَى[3] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « نصحت » . وفى م : « نضحت » .

(٢) فى الأصل ، م : « خيال » . والحيال : قُبالَة الشىء . الوسيط (ح و ل) .

(٣) وتقدم هذا الجواب فى صفحة ٤٧٦- ٤٧٨.

آخرُ الكلامِ على وقعةِ أُحدٍ

فصلٌ :

قد تقدَّم ما وقَع فى هذه السنةِ الثالثةِ مِن الحوادثِ والغَزَواتِ والسَّرايا ، ومِن أشهرِها وقعةُ أحدٍ ، وكانت فى النصفِ مِن شوالٍ منها ، وقد تقدَّم بَسْطُها . وللَّهِ الحمدُ .

وفيها فى أحدٍ تُوُفِّىَ شهيدًا أبو يَعْلَى ، ويقالُ : أبو عُمارةَ . أيضًا ؛ حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ عمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، الملقَّبُ بأسَدِ اللَّهِ وأسدِ رسولِه ، وكان رَضِيعَ النبىِّ[1] ﷺ هو وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأسدِ ، أرْضَعَتهم كُلَّهم ثُوَيْبةُ مولاةُ أبى لَهَبٍ ، كما ثَبَت ذلك فى الحديثِ المتفقِ عليه[2] ، فعلى هذا يكونُ قد جاوَز الخمسين مِن السنينَ يومَ قُتِل ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فإنَّه كان مِن الشجعانِ الأبطالِ ، ومِن الصدِّيقين الكِبارِ ، وقُتِل معه يومئذٍ تمامُ السبعين ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين .

[3]قال مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِىُّ[4] : وُلِد ليَعْلَى بنِ حمزةَ خمسةُ بنين ، كلُّهم[3]

---

(١) رضيع النبى : أى أخوه من الرضاعة . انظر الوسيط (ر ض ع) .

(٢) البخارى (٢٦٤٥، ٥١٠٠) ، ومسلم (١٤٤٧) . كلاهما من حديث ابن عباس ، فى رضاع النبى ﷺ وحمزة . والبخارى (٥١٠١، ٥١٠٦، ٥١٠٧، ٥١٢٣، ٥٣٧٢) ، ومسلم (١٤٤٩) . كلاهما من حديث أم حبيبة أم المؤمنين ، فى رضاعه ﷺ وأبى سلمة بن عبد الأسد .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى ص : « بن الزبير » . ومصعب الزبيرى هو مصعب بن عبد اللَّه بن مصعب بن ثابت بن عبد اللَّه =

(١) انقَرَضوا. وكانت له بنتٌ يقالُ لها: عُمَارةُ.

قلتُ: وهى التى تَناولَها علىٌّ، وقال لفاطمةَ: دونَكِ[٢] ابنةَ عمِّكِ. فاخْتَصَم فى حضانتِها علىٌّ وزيدُ بنُ حارثةَ وجعفرٌ، فقضَى بها النبىُّ ﷺ لخالتِها امرأةِ جعفرٍ، وقال: «الخالةُ بمنزلةِ الأمِّ»[٣](١).

وفيها عقَد عثمانُ بنُ عفانَ على أمِّ كُلْثومٍ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بعدَ وفاةِ أختِها رُقَيَّةَ، وكان [٢/٢٣٧ظ] عقْدُه عليها فى رَبيعِ الأولِ منها، وبنَى بها فى جُمادَى الآخِرةِ منها، كما تقدَّم، فيما ذكَره الواقدىُّ[٤].

وفيها، قال ابنُ جريرٍ[٥]: وُلِد لفاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الحسنُ بنُ علىِّ ابنِ أبى طالبٍ. قال: وفيها عَلِقَت[٦] بالحسينِ، رضى اللَّهُ عنهم أجمعين.

= ابن الزبير بن العوام. تاريخ بغداد ١١٢/١٣ - ١١٤. والخبر ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٥٨٧/٤ فى ترجمة يعلى بن حمزة بن عبد المطلب.

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) دونكِ: اسم فعل أمر بمعنى خُذى.

(٣) البخارى (٤٢٥١).

(٤) تقدم فى صفحة ٣٢٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٥٣٧. حوادث السنة الثالثة.

(٦) علقت: حملت.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَنَةُ أربعٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

فى المُحَرَّمِ منها كانت سَرِيَّةُ أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسدِ إلى[1] طُلَيْحةَ الأسَدىِّ، فانتَهَى إلى ماءٍ[2] يُقالُ له: قَطَنٌ[3].

قال الواقدىُّ[4]: حدَّثنا عمرُ بنُ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ اليَرْبُوعىُّ، عن سَلَمَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ[5] أبى سَلَمَةَ وغيرِه، قالوا: شَهِد أبو سَلَمَةَ أحدًا[6]، فجُرِح جُرْحًا على عَضُدِه، فأقام شهرًا يُداوَى، فلمَّا كان هلالُ المُحَرَّمِ على رأسِ خمسةٍ وثلاثين شهرًا مِن الهجرةِ، دعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «اخرُجْ فى هذه السَّرِيَّةِ، فقد استَعْمَلْتُك عليها». وعقَد له لِواءً وقال:

---

(١) فى م: «أبى». وهو خطأ.

(٢) فى م: «ما».

(٣) قطن. قال أبو حنيفة: قطن جبل بنجد، فى بلاد بنى أسد، على يمينك إذا فارقت الحجاز وأنت صادر من النقْرَة. وقال ابن إسحاق: ماء من مياه بنى أسد بنجد. معجم ما استعجم ٣/ ١٠٨٣.

(٤) مغازى الواقدى ١/ ٣٤٠ - ٣٤٤، بأطول من هذا.

(٥) فى ص: «عن».

(٦) سبق للمصنف أن ذكر أبا سلمة فيمن شهد بدرًا وقتل بها فى صفحة ٢٣٤ مما نقله من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى، ولم يُعقب عليه المصنف حينها كعادته رحمه اللَّه. وكذا سكت عنه فى آخر الكلام على وقعة أحد. والصحيح أنه شهد بدرًا وأحدًا وتوفى بعد أحدٍ كما سيذكر ذلك المصنف نفسه صفحة ٥٨٢، وكما صحح ذلك ابن حجر. وإنما اختلف هل توفى سنة ثلاث أم سنة أربع، والجمهور على أنه توفى سنة أربع. انظر الاستيعاب ٤/ ١٦٨٢، أسد الغابة ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦، ٦/ ١٥٢، الإصابة ٤/ ١٥٣.

« سِرْ حتى تَأتىَ أرضَ بنى أسدٍ ، فأَغِرْ عليهم » . وأوصاه بتقوى اللَّهِ ، وبمَن معه مِن المسلمين خيرًا ، وخرَج معه فى تلك السَّرِيةِ خمسون ومائةٌ ، فانتَهَى إلى أَدنى قَطَنٍ ، وهو ماءٌ لبنى أَسَدٍ ، وكان هناك طُلَيْحةُ الأَسَدىُّ وأخوه سَلَمَةُ ابنا خُوَيْلِدٍ ، وقد جمَعا خَلقًا[1] مِن بنى أسدٍ ليَقْصِدوا حربَ النبىِّ ﷺ ، فجاء رجلٌ منهم إلى النبىِّ ﷺ فأخبَرَه بما تَمالَئُوا عليه[2] ، فبعَث معه أبا سَلَمَةَ فى سَرِيَّتِه هذه ، فلما انتَهَوا إلى أرضِهم ، تفرَّقوا وترَكوا نَعَمًا كثيرًا لهم مِن الإبلِ والغَنَمِ ، فأخَذ ذلك كلَّه أبو سَلَمَةَ ، وأسَر منهم معه ثلاثةَ مَماليكَ ، وأقْبَل راجعًا إلى المدينةِ ، فأعْطَى ذلك الرجلَ الأَسَدىَّ الذى دلَّهم نصيبًا وافرًا مِن المَغْنَمِ ، وأخْرَج صَفِيَّ النبىِّ ﷺ ؛ عبدًا ، وخَمَّسَ الغَنِيمةَ ، وقسَمها بينَ أصحابِه ، ثُم قَدِم المدينةَ .

قال عمرُ بنُ عثمانَ : فحدَّثنى عبدُ الملكِ بنُ عُمَيْرٍ[3] ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ سعيدِ بنِ يَرْبوعٍ ، عن عمرَ بنِ أبى سَلَمةَ قال : كان الذى جَرَح أبى[4] أبو أُسامةَ الجُشَمىُّ ، فمكث شهرًا يُداوِيه ، فبرَأ ، [5]فيما نرَى[5] ، وبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المُحَرَّمِ - يعنى مِن سنةِ أربعٍ - إلى قَطَنٍ ، فغاب بِضْعَ عشْرَةَ ليلةً ، فلمَّا دخَل المدينةَ انْتَقَض[6] به جُرْحُه ، فمات لثلاثٍ بَقِين مِن جُمادَى

---

(١) فى م : « حلفاء » .

(٢) تمالئوا عليه : أى تعاونوا وتظاهروا عليه . انظر اللسان (م ل أ) .

(٣) فى النسخ : « عبيد » . والمثبت من المغازى .

(٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « فلما برأ » .

(٦) فى ص : « انتقص » . وانتقض : أى تجدَّد بعد التئامه . يقال : انتقض الجرح بعد البُرء . وانتقض =

الأُولى[1] . قال عمرُ : واعتَدَّت أمى حتى خَلَت أربعةُ أشهرٍ وعشْرًا ، ثُم تزَوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ ودخَل بها فى ليالٍ بَقِين مِن شَوَّالٍ ، فكانت أمى تقولُ : ما بأسٌ بالنكاحِ فى شَوَّالٍ والدخولِ فيه ، وقد تزَوَّجنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى شَوَّالٍ و[2]أعرسَ بى[2] فيه . قال : وماتت أمُّ سَلَمَةَ فى ذى القَعْدةِ سنةَ تسعٍ وخمسين . رَواه البيهقىُّ[3] .

قلتُ : سنَذْكُرُ فى أواخرِ هذه السنةِ فى شَوَّالِها تزويجَ النبىِّ ﷺ بأمِّ سَلَمَةَ ، وما يتَعَلَّقُ بذلك مِن وِلايةِ الابنِ أمَّه فى النكاحِ ، ومذاهبِ العلماءِ فى ذلك ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ .

= الأمر بعد التئامه . وانتقض أمر الثغر بعد سدِّه . انظر اللسان (ن ق ض) .

(١) كذا فى النسخ . ولعله الصواب ، وفى المغازى ، ودلائل النبوة للبيهقى : « الآخرة » . ولا يستقيم السياق بعد ذلك باعتبار وفاة أبى سلمة فى أواخر جمادى الآخرة ، إذ ما بين أواخر جمادى الآخرة وأواخر شوال لا يزيد على أربعة أشهر ، وهى مدة أقلّ من مدة العدة . وسيذكر المصنف فى صفحة ٥٨٢ أن وفاته فى جمادى الأولى من سنة أربع فاللَّه أعلم .

(٢ - ٢) فى م : « بنى » .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٣١٩ - ٣٢٢، من طريق الواقدى عن عمر بن عثمان بالإسنادين السابقين .

غزوةُ الرَّجِيعِ

قال الواقدىُّ[1] : وكانت فى صَفَرٍ - يعنى سنةَ أربعٍ - بعثَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ مكةَ ليُخْبِروه[2] . قال[3] : والرَّجيعُ على سبعةِ[4] أميالٍ مِن عُسْفانَ .

قال البخارىُّ[5] : حدَّثَنى إبراهيمُ بنُ موسى ، أخبرَنا هشامُ بنُ يوسفَ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عمرِو بنِ أبى سُفيانَ الثَّقَفىِّ ، عن أبى هريرةَ قال : بَعَث النبىُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا ، وأمَّر عليهم عاصمَ بنَ ثابتٍ ، وهو جدُّ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، فانطَلَقوا حتى إذا كانوا بينَ عُسْفانَ ومَكَّةَ ، ذُكِروا لحِىٍّ مِن هُذَيْلٍ يقالُ لهم : بنو لِحْيانَ . فتَبِعوهم بقريبٍ مِن مائةِ [٢/ ٢٣٨و] رامٍ ، فاقْتَصُّوا آثارَهم ، حتى أتَوا منزِلًا نزَلوه فوجَدوا فيه نَوَى تمرٍ تَزَوَّدُوه مِن المدينةِ ، فقالوا : هذا تمرُ يَثْرِبَ . فتَبِعوا آثارَهم حتى لَحِقوهم ، فلما انتَهَى عاصمٌ وأصحابُه لَجَئُوا إلى فَدْفَدٍ[6] ، وجاء القومُ فأحاطوا بهم ، فقالوا : لكم العهدُ والميثاقُ إن نزَلْتم

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٢٣، عن الواقدى . وانظر مغازى الواقدى ١/ ٣٥٤.

(٢) فى الأصل : « ليحيزوه » . وفى م : « ليجيزوه » . وتكملة قول الواقدى فى الدلائل : « خبر قريش ، فسلكوا على النجدية ، حتى كانوا بالرجيع فاعترضت لهم بنو لحيان » . وقد ذكر محققوه أنهم استكملوه من مغازى الواقدى . انظر مغازى الواقدى ١/ ٣٥٤.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٣٢٣ عن الواقدى .

(٤) فى النسخ : « ثمانية » . والمثبت من الدلائل . وانظر تاريخ الإسلام - جزء المغازى ص ٢٣٠.

(٥) البخارى (٤٠٨٦) .

(٦) فدفد : هى الرابية المشرفة . فتح البارى ٧/ ٣٨١.

إلينا ؛ ألّا نَقْتُلَ منكم رجلًا . فقال عاصمٌ : أمّا أنا فلا أَنْزِلُ فى ذمةِ كافرٍ ، اللهم أَخْبِرْ عنا رسولَك . فقاتَلوهم[1] حتى قتَلوا عاصمًا فى سبعةِ نَفَرٍ بالنَّبْلِ ، وبَقِىَ خُبَيْبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخرُ ، فأعْطَوهم العهدَ والمِيثاقَ ، فلمّا أعْطَوهم العهدَ والميثاقَ ، نزَلوا إليهم ، فلمّا استَمْكَنوا منهم ، حَلُّوا أوْتارَ قِسِيِّهم فرَبَطوهم بها ، فقال الرجلُ الثالثُ الذى معهما : هذا أولُ الغدرِ . فأبَى أن يَصْحَبَهم ، فجَرُّوه وعالَجوه على أن يَصْحَبَهم فلم يَفْعَلْ ، فقتَلوه ، وانطَلَقوا بخُبَيْبٍ وزيدٍ حتى باعوهما بمكةَ ، فاشتَرَى خُبَيْبًا بنو الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوْفَلٍ ، وكان خُبَيْبٌ هو قَتَل الحارثَ يومَ بدرٍ ، فمكَث عندَهم أسيرًا ، حتى إذا أجْمَعوا قتْلَه ، استعار مُوسًى مِن بعضِ بناتِ الحارثِ[2] ليَسْتَحِدَّ بها فأَعارتْه . قالت : فغفَلْتُ عن صبىٍّ لى ، فدرَج إليه حتى أتاه ، فوضَعه على فَخِذِه ، فلمَّا رأيتُه فزِعْتُ فَزْعَةً عرَف ذلك منى ، وفى يدِه المُوسَى ، فقال : أتَخْشَيْن أن أَقْتُلَه ؟ ما كنتُ لِأَفْعَلَ ذاك إن شاء اللَّهُ . وكانت تقولُ : ما رأيْتُ أسيرًا قطُّ خيرًا مِن خُبَيْبٍ ، لقد رأيْتُه يَأْكُلُ من قِطْفِ عِنَبٍ وما بمكةَ يومئذٍ ثمرةٌ ، وإنه لمُوثَقٌ فى الحديدِ ، وما كان إلّا رزقًا رزَقه اللَّهُ . فخرَجوا به مِن الحرمِ ليَقْتُلوه ، فقال : دَعُونى أُصَلِّى ركعتين . ثم انصَرَف إليهم فقال : لولا أن تَرَوا أنَّ ما بى جزَعٌ مِن الموتِ لزِدْتُ . فكان أوَّلَ مَن سنَّ الركعتين عندَ القتلِ هو ، ثم قال : اللهمَّ أَحْصِهم عَدَدًا [3]واقْتُلْهم بِدَدًا[3] . ثُم قال :

---

(١) بعده فى الأصل ، ص : « فرموهم » . وهى رواية بعض نسخ البخارى بدلا من « قاتلوهم » . انظر صحيح البخارى - طبعة الشعب ١٣٣/٥ حاشية (٢) .

(٢) بعده فى ص : « اسمها زينب بنت الحارث ، وقيل : مارية بنت حجين بن إهاب » .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ ، وهى زيادة من رواية إبراهيم بن سعد فى البخارى (٣٩٨٩) كما أشار =

ولستُ أُبالِى حينَ أُقْتَلُ مسلمًا على أىِّ شِقٍّ كان فى اللَّهِ مَصْرَعى
وذلك فى ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ يُبارِكْ على أوْصالِ شِلْوٍ[1] مُمَزَّعِ

قال : ثم قام إليه عُقبةُ بنُ الحارثِ فقتَله ، وبعَثتْ قريشٌ إلى عاصمٍ ؛ ليُؤْتَوا بشىءٍ مِن جسدِه يعْرِفونه ، وكان عاصمٌ قتَل عظيمًا مِن عظمائِهم يومَ بدرٍ ، فبَعَث اللَّهُ عليه مثلَ الظُّلَّةِ مِن الدَّبْرِ[2] ، فحَمَتْه مِن رُسُلِهم ، فلم يَقْدِروا منه على شىءٍ .

ثم قال البخارىُّ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : الذى قتَل خُبَيْبًا هو أبو سِرْوَعةَ .

قلتُ : واسمُه عُقبةُ بنُ الحارثِ ، وقد أسْلم بعدَ ذلك ، وله حديثٌ فى الرَّضاعِ[4] ، وقد قيل : إن أبا سِرْوَعةَ وعُقبةَ أخَوانِ[5] . فاللَّهُ أعلمُ .

هكذا ساق البخارىُّ فى كتابِ المغازى مِن « صحيحِه » قصةَ أصحابِ[6]

= بذلك الحافظ فى فتح البارى ٧/ ٣٨٣. قال ابن الأثير : بددا : يروى بكسر الباء ، جمع بُدَّة ، وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصا مقسَّمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويروى بالفتح ، أى متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد ، من التبديد . النهاية ١/ ١٠٥.

(١) قال الحافظ ابن حجر : الشلو بكسر المعجمة : الجسد ، وقد يطلق على العضو ، ولكن المراد به هنا الجسد . فتح البارى ٧/ ٣٨٤.

(٢) الدبر : الزنابير ، وقيل : ذكور النحل . ولا واحد له . المصدر السابق .

(٣) البخارى (٤٠٨٧) .

(٤) الحديث عند البخارى وغيره ، البخارى (٨٨، ٢٠٥٢، ٢٦٤٠، ٢٦٥٩، ٢٦٦٠، ٥١٠٤) .

(٥) ذكر الحافظ فى الفتح ٣٨٥/٧ أن جماعة من أهل السير والنسب قالوا : أبو سروعة أخو عقبة بن الحارث .

(٦) سقط من : م .

الرَّجيعِ ، ورَواه أيضًا فى التوحيدِ وفى الجِهادِ[1] ، مِن طُرُقٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عمرِو بنِ أبى سفيانَ [2]بنِ أَسِيدِ بنِ جاريةَ[2] الثَّقَفىِّ حليفِ بنى زُهْرةَ ، ومنهم مَن يقولُ : عمرُ بنُ أبى سفيانَ[3] . والمشهورُ عمرٌو . وفى لفظٍ للبخارىِّ[4] : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عشَرةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عينًا ، وأمَّر عليهم عاصمَ بنَ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ . وساق نحوَه . وقد خالفه محمدُ بنُ إسحاقَ ، وموسى بنُ عُقبةَ وعُروَةُ ابنُ الزُّبَيرِ[5] فى بعضِ ذلك ، ولْنَذْكُرْ كلامَ ابنِ إسحاقَ ؛ ليُعْرَفَ ما بينَهما مِن التفاوُتِ والاختلافِ ، على أنَّ ابنَ إسحاقَ إمامٌ[6] فى هذا الشأنِ ، و[7]غيرُ مُدافَعٍ ، كما قال الشافعىُّ ، رحِمه اللَّهُ[8] : مَن أراد المغازىَ فهو عِيالٌ على محمدِ بنِ إسحاقَ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ ، رحمه اللَّهُ[9] : حدَّثنا عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ قال : قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ أُحدٍ رَهْطٌ مِن عَضَلٍ والقارَةِ ، فقالوا :

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٠٢) ، وفى الجهاد (٣٠٤٥) .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « وأسد بن حارثة » . وفى ص : « بن أسد بن جارية » . والمثبت من صحيح البخارى (٧٤٠٢) . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤، ٤٥.

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣١٠: وأكثر أصحاب الزهرى قالوا فيه : عمرو . بفتح العين . وقال بعضهم : عمر . بضم العين . ورجّح البخارى أنه عمرو .

(٤) البخارى (٣٠٤٥) . وانظر (٣٩٨٩) .

(٥) انظر سياق ابن إسحاق ، فى سيرة ابن هشام ٢/١٦٩ - ١٧٣، وسياق موسى بن عقبة وعروة ، فى دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٦) فى ص : « أقام » .

(٧) سقط من : م . وفى ص : « عن » .

(٨) تقدم تخريجه فى ٤/ ٢٣٥.

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٩.

يا رسولَ اللَّهِ، إن فينا إسلامًا، فابْعَثْ معنا [٢/٢٣٨ظ] نفرًا مِن أصحابِك يُفَقِّهوننا فى الدينِ، ويُقْرِئُوننا القرآنَ، ويُعَلِّمُوننا شَرائعَ الإسلامِ. فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ معهم نفرًا ستةً مِن أصحابِه وهم؛ مَرْثَدُ بنُ أبى مَرْثَدٍ الغَنَوىُّ، حليفُ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ - قال ابنُ إسحاقَ: وهو أميرُ القومِ - وخالدُ بنُ البُكَيْرِ اللَّيْثِىُّ، حليفُ بنى عَدِىٍّ، وعاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ، أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ، وخُبَيْبُ بنُ عَدِىٍّ، أخو بنى جَحْجَبَى بنِ كُلْفةَ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ، وزيدُ بنُ الدَّثِنَةِ، أخو بنى بَياضةَ بنِ عامرٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ طارقٍ، حليفُ بنى ظَفَرٍ. رضى اللَّهُ عنهم. هكذا قال ابنُ إسحاقَ أنَّهم كانوا ستةً، وكذا ذكَر موسى بنُ عُقبةَ[1]، وسمَّاهم كما قال ابنُ إسحاقَ. وعندَ البخارىِّ أنهم كانوا عشَرةً، وعندَه أنَّ أميرَهم[2] عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فخرَجوا مع القومِ، حتى إذا كانوا على الرَّجيعِ - ماءٍ لهُذَيْلٍ بناحيةِ الحجازِ، مِن صُدورِ الهَدْأَةِ - غَدَروا بهم، فاستَصْرَخوا عليهم هُذَيْلًا، فلم يَرُعِ القومَ - وهم فى رِحالِهم - إلّا الرجالُ بأيديهم السيوفُ قد غَشُوهم، فأخَذوا أسيافَهم ليُقاتِلوا القومَ، فقالوا لهم: إنا واللَّهِ ما نُريدُ قتلَكم، ولكنا نُريدُ أن نُصِيبَ بكم شيئًا مِن أهلِ مكةَ، ولكن عهدُ اللَّهِ ومِيثاقُه أن لا نَقْتُلَكم. فأمّا مَرْثَدٌ وخالدُ بنُ البُكَيْرِ وعاصمُ بنُ ثابتٍ فقالوا: واللَّهِ لا نَقْبَلُ مِن

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٢٧، عن موسى بن عقبة.

(٢) فى الأصل، م: «كبيرهم».

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٩، ١٧٠.

مُشْرِكٍ عهدًا ولا عقدًا أبدًا. وقال عاصمُ بنُ ثابتٍ[1] :

ما عِلَّتى وأنا جَلْدٌ نابلُ[2] والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنابِلُ[3]

تَزِلُّ عن صَفْحتِها المَعابِلُ[4] الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ

وكلُّ ما حَمَّ[5] الإلهُ نازِلُ بالمرءِ والمرءُ إليه آيِلُ

إن لم أُقاتِلْكم فأُمِّى[6] هابِلُ[7]

وقال عاصمٌ أيضًا :

أبو سليمانَ ورِيشُ المُقْعَدِ[8] وضَالَةٌ[9] مثلُ الجحيمِ المُوقَدِ

إذا النَّواحى[10] افتُرِشتْ لم أُرْعَدِ ومُجْنَأٌ مِن جِلْدِ ثَوْرٍ أَجْرَدِ[11]

---

(١) بعده فى الأصل، م: «والله أعلم، ولله الحمد والمنة».

(٢) الجلد: القوى. والنابل: صاحب النبل. انظر المعجم الوسيط (ج ل د)، وشرح غريب السيرة ٢/ ١٦٩.

(٣) العنابل: الشديد، وكأنه من العبالة، وهى القوة، والنون زائدة. الروض الأنف ٦/ ١٨٤.

(٤) المعابل: جمع مِعْبَلَة، وهو نصل عريض طويل. شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٩.

(٥) فى الأصل: «حتم». وحم: قدّر. المصدر السابق.

(٦) فى الأصل: «فإنى».

(٧) هابل: فاقد. يقال: هبِلَتْه أمه. إذا فقدته. شرح غريب السيرة ٢/ ١٦٩.

(٨) قوله: أبو سليمان. أى أنا أبو سليمان قد عُرِفتُ فى الحروب، وعندى نبل راشها - أى ركب لها ريشًا - المُقْعَدُ، والمقعد: اسم رجل، وكان رائشًا صانعًا. انظر الروض الأنف ٦/ ١٨٥، وشرح غريب السيرة ٢/ ١٧٠.

(٩) الضالة: شجرة تصنع منها القسى والسهام، وجمعها ضالٌ. والضالة هنا يعنى بها القوس. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٠.

(١٠) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «النواجى». قال أبو ذر: النواجى بالجيم: الإبل السريعة، ومن رواها «النواحى» بالحاء المهملة، فمعلوم. المصدر السابق. والمعنى على رواية النواحى؛ أنه لا يخاف ولا يفزع إذا امتلأت عليه نواحى ميدان القتال بالمقاتلين من أعدائه.

(١١) مجنأ: ترس فيه انحناء. وأجرد: أملس. المصدر السابق.

ومُؤمِنٌ بما على محمدِ

وقال أيضًا :

أبو سليمانَ ومِثلى رَامَى وكان قومِى مَعْشرًا كِراما

قال : ثم قاتل حتى قُتِل ، وقُتِل صاحباه ، فلمّا قُتِل عاصمٌ ، أرادتْ هُذَيْلٌ أخْذَ رأسِه ؛ ليَبِيعوه مِن سُلافَةَ[1] بنتِ سعدِ بنِ شُهَيْدٍ[2] ، وكانت قد نذَرَتْ حينَ أصاب ابنَيْها يومَ أحدٍ ؛ لَئِن قدَرتْ على رأسِ عاصمٍ ، لتَشْرَبَنَّ فى قِحْفِه[3] الخمرَ ، فمنَعتْه الدَّبْرُ - [4]هكذا ذكره البخاريُّ[5] بعدَ وصولِ خُبَيْبٍ وزيدِ بنِ الدَّثِنَةِ إلى مكةَ . وهذا الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ أنسبُ - قال[6][4] : فلمَّا حالت[7] بينَهم وبينَه قالوا : دَعُوه حتى يُمْسِيَ فتَذْهَبَ عنه فنَأْخُذَه . فبعَث اللَّهُ الوادىَ ، فاحتَمَل عاصمًا فذهَب به ، وقد كان عاصمٌ قد أعْطَى اللَّهَ عهدًا أن لا يَمَسَّه مشركٌ ، ولا يَمَسَّ مشركًا أبدًا ؛ تَنَجُّسًا ، فكان عمرُ بنُ الخطابِ يقولُ حينَ بلَغه أن الدَّبْرَ منَعتْه : يَحْفَظُ اللَّهُ العبدَ المؤمنَ ، كان عاصمٌ نذَر أن لا يَمَسَّه مشركٌ ، ولا يَمَسَّ مشركًا أبدًا فى حياتِه ، فمنَعه اللَّهُ بعدَ وفاتِه كما امتَنع منه فى حياتِه .

---

(١) أى ليبيعوه لها .

(٢) فى الأصل ، م : « سهيل » .

(٣) قحف الرأس : هو الذى فوق الدماغ . وقيل : هو ما انفلق من جمجمته وانفصل . النهاية ٤/ ١٧ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) أى ذكر البخارى أنهم أرادوا أخذ رأس عاصم بعدما وصلوا إلى مكة ، خلافًا لما ذكره ابن إسحاق هنا . انظر ص ٥٠٠ .

(٦) أى ابن إسحاق .

(٧) أى الدبر . وانظر حواشى ص ٥٠٠ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وأما خُبَيْبٌ وزيدُ بنُ الدَّثِنَةِ وعبدُ اللَّهِ بنُ طارقٍ فَلانوا ورَقُّوا ورَغِبوا فى الحياةِ، وأعْطَوا بأيديهم فأسَروهم، ثم خرَجوا بهم إلى مكةَ ليَبِيعوهم بها، حتى [٢/ ٢٣٩و] إذا كانوا بالظَّهْرانِ، انتَزَع عبدُ اللَّهِ بنُ طارقٍ يدَه مِن القِرَانِ[2] ، ثم أخَذ سيفَه، واستَأْخَر عنه القومُ، فرَمَوه بالحجارةِ حتى قتَلوه، فقَبَرُوه بالظَّهْرانِ، [3]وأما خُبَيْبُ بنُ عَدِىٍّ، وزيدُ بنُ الدَّثِنَةِ[3] ، فقدِموا بهما مكةَ. [4]قال ابنُ هشامٍ[4] : فباعوهما مِن قريشٍ بأسِيرَيْن مِن هُذَيْلٍ كانا بمكةَ.

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فابتاع خُبَيْبًا حُجَيْرُ بنُ أبى إهابٍ التَّميمىُّ، حليفُ بنى نَوْفَلٍ لعُقبةَ بنِ الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوْفَلٍ، وكان أبو إهابٍ أخا الحارثِ بنِ عامرٍ لأمِّه؛ ليَقْتُلَه[6] بأبيه. قال: وأما زيدُ بنُ الدَّثِنَةِ [7]فابتاعه صَفْوانُ بنُ أُميةَ؛ ليَقْتُلَه بأبيه[7] ، فبعَثه مع مولًى له يُقالُ له: نِسْطاسٌ. إلى التَّنْعيمِ، وأخرَجه مِن الحرمِ ليَقْتُلَه، واجْتَمع رَهْطٌ مِن قريشٍ، فيهم أبو سفيانَ بنُ حربٍ، فقال له أبو سفيانَ حينَ قُدِّمَ ليُقْتَلَ: أَنْشُدُك اللَّهَ يا زيدُ، أتُحِبُّ أنَّ محمدًا عندَنا الآنَ مكانَك نَضْرِبُ عنقَه وأنك فى أهلِك؟ قال: واللَّهِ ما أُحِبُّ أنَّ محمدًا الآنَ فى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧١.

(٢) القران: الحبل الذى يُقرن به الأسير مع غيره. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٠.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧١، ١٧٢.

(٦) أى ليقتل عقبة بن الحارث خبيبًا، مقابل قتل خبيب الحارث. انظر حديث البخارى فى أول الغزوة.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

مكانِه الذى هو فيه تُصِيبُه شوكةٌ تُؤْذيه وأنى جالسٌ فى أهلى. قال: يقولُ أبو سفيانَ: ما رأيتُ مِن الناسِ أحدًا يُحِبُّ أحدًا كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا. قال: ثم قتَله نِسْطاسٌ. قال: وأما خُبَيْبُ بنُ عَدِىٍّ، فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ، أنه حُدِّث عن ماوِيَّةَ[1] مولاةِ حُجَيْرِ بنِ أبى إهابٍ، وكانت قد أَسلَمَتْ، قالت: كان خُبَيْبٌ عندى، حُبِس فى بيتى، فلقد اطَّلَعتُ عليه يومًا، وإنَّ فى يدِه لَقِطْفًا مِن عِنَبٍ مثلَ رأسِ الرَّجُلِ يَأْكُلُ منه، وما أعْلَمُ فى أرضِ اللَّهِ عنبًا يُؤْكَلُ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ أنهما قالا: قالت: قال لى حينَ حضَره القتلُ: ابْعَثى إلىَّ بحَديدةٍ أَتَطَهَّرُ بها للقتلِ. قالت: فأعْطَيْتُ غلامًا مِن الحَىِّ المُوسَى، فقلتُ له: ادْخُلْ بها على هذا الرجلِ البيتَ. قالت: فواللَّهِ إن هو إلّا أن وَلَّى الغلامُ بها إليه، فقلتُ: ماذا صنَعْتُ؟ أصاب واللَّهِ الرجلُ ثأرَه بقتلِ[3] هذا الغلامِ، فيكونُ رجلًا برجلٍ. فلما ناوَله الحَديدةَ أخَذها مِن يدِه، ثُم قال: لَعَمْرُكَ ما خافت أمُّك غَدْرى حينَ[4] بَعَثَتْك بهذه الحديدةِ إلىَّ. ثم خَلَّى سبيلَه. قال ابنُ هشامٍ: ويقالُ: إنَّ الغلامَ ابنُها.

---

(١) فى ص: «مارية». ويروى فى اسمها بالواو والراء. انظر الاستيعاب ٤/ ١٩١١، وأسد الغابة ٧/ ٢٦٢، والإصابة ٨/ ١١٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢، ١٧٣.

(٣) فى م: «يقتل».

(٤) سقط من: الأصل، ص.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : قال عاصمٌ : ثم خرَجوا بخُبَيْبٍ ، حتى جاءوا به إلى التَّنْعِيمِ ليَصْلُبوه ، قال لهم : إن رأيْتُم أن تَدَعونى حتى أَرْكَعَ ركعتين فافْعَلوا . قالوا : دونَك فارْكَعْ . فركَع ركعتين أتَمَّهما وأحسَنَهما ، ثُم أقبَل على القومِ فقال : أمَا واللَّهِ لولا أن تَظُنُّوا أنى إنما طوَّلْتُ جَزَعًا مِن القتلِ ، لاستَكثَرْتُ مِن الصلاةِ . قال : فكان خُبَيْبٌ أولَ مَن سنَّ هاتين الركعتين عندَ القتلِ للمسلمين .

قال : ثُم رَفَعوه على خَشَبَةٍ ، فلمَّا أوْثَقوه قال : اللَّهُمَّ إنّا قد بَلَّغْنا رسالةَ رسولِك ، فبَلِّغْه الغَداةَ ما يُصْنَعُ بنا . ثُم قال : اللَّهمَّ أَحْصِهم عَدَدًا ، واقْتُلْهم بِدَدًا ، ولا تُغادِرْ منهم أحدًا . ثُم قَتَلوه . وكان معاويةُ بنُ أبى سفيانَ يقولُ : حَضَرْتُه يومَئذٍ فيمَن حَضَره مع أبى سفيانَ ، فلقد رأيتُه يُلْقِينى إلى الأرضِ فَرَقًا مِن دعوةِ خُبَيبٍ ، وكانوا يقولون : إنَّ الرجلَ إذا دُعِىَ عليه فاضْطَجَع لجَنْبِه ، زَلَّت[2] عنه .

فائدةٌ[3] : قال السُّهَيْلِىُّ[4] : وإنَّما صارتِ الركعتانِ سُنَّةً - يَعنى عندَ القتلِ - لأنَّها فُعِلتْ فى زمانِ النبىِّ ﷺ ، فأُقِرَّ عليها ، واسْتُحْسِنَتْ مِن صَنِيعِه . قال : وقد صَلّاها زيدُ بنُ حارثةَ فى حياةِ النبىِّ ﷺ . ثم ساق[5] بإسنادِه مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى خَيْثَمَةَ ، عن يحيى بنِ مَعِينٍ ، عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكَيرٍ ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « زالت » . وزلَّتْ : زَلِقتْ ، وتنحَّتْ عنه . وزالت : تحوَّلتْ وانتقَلَتْ . انظر الوسيط (ز ل ل) ، (ز و ل) .

(٣) فى الأصل : « حاشية بخط المصنف » ، وفى م أثبتت الفائدة فى الهامش .

(٤) الروض الأنف ٦/ ١٩٢ .

(٥) أى السهيلى .

عن اللَّيْثِ بنِ سعدٍ قال : بَلَغنى أنَّ زيدَ بنَ حارثةَ اسْتَأْجَر من رجلٍ بغلًا مِن الطائفِ ، واشْتَرَط عليه المُكرِى[1] أن يُنْزِلَه حيثُ شاء ، فمال به إلى خَرِبَةٍ ، فإذا بها قَتْلَى كثيرةٌ ، فلمَّا همَّ بقتلِه قال له زيدٌ : دَعْنى حتى أُصَلِّىَ ركعتَيْن . فقال : صلِّ ركعتَيْن ، لَطالما صلَّى هؤلاء فلم تَنْفَعْهم صلاتُهم شيئًا . قال : فصَلَّيْتُ ثُم جاء ليَقْتُلَنى ، فقلتُ : يا أرحمَ الراحمين . فإذا صارخٌ يقولُ : لا تَقْتُلْه . فهاب وذَهَب يَنْظُرُ ، فلم يَرَ شيئًا ، ثُم جاء ليَقْتُلَنى فقلتُ : يا أرحمَ الراحمين . فسَمِع أيضًا الصوتَ يقولُ : لا تَقْتُلْه . فذَهَب ليَنْظُرَ ثُم جاء ، فقلتُ : يا أرحمَ الراحمين . فإذا أنا بفارسٍ على فرسٍ ، فى يدِه حَرْبةٌ فى رأسِها شُعلةٌ مِن نارٍ ، فطَعَنَه بها حتى أنْفَذَه فوَقَع ميتًا . ثُم قال : لمَّا دعوتَ اللَّهَ فى المرَّةِ الأُولَى كنتُ فى السماءِ السابعةِ ، ولمَّا دعوتَه فى المرَّةِ الثانيةِ كنتُ فى السماءِ الدُّنيا ، ولمَّا دعوتَه فى الثالثةِ أَتَيْتُك . قال السُّهَيْلِىُّ[2] : وقد صَلَّاها حُجْرُ بنُ عَدِىِّ بنِ الأَدْبَرِ حينَ حُمِل إلى معاويةَ مِن العراقِ ، ومعه كتابُ زيادِ بنِ أَبِيهِ ، وفيه أنَّه خَرَج عليه وأراد خَلْعَه ، وفى الكتابِ شهادةُ جماعةٍ مِن التابِعِين ، منهم الحسنُ وابنُ سِيرِينَ ، فلمَّا دَخَل على معاويةَ قال : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين . قال : أوَ أنا أميرُ المؤمنين ؟ وأمَر بقَتْلِه ، فصَلَّى ركعتَيْن قبلَ قَتْلِه ، رَحِمه اللَّهُ . قال[3] : وقد عاتَبَتْ معاويةَ عائشةُ فى قتلِه ، فقال : إنَّما قَتَلَه مَن شَهِد عليه . ثُم قال : دَعِينى وحُجْرًا ، فإنِّى سألقاه على الجادَّةِ يومَ القيامةِ . قالت : فأين ذَهَب عنك حِلمُ أبى

---

(١) المكرى : أى المؤجرُ صاحبُ الدابة .

(٢) الروض الأنف ٦/ ١٩٠، ١٩١.

(٣) أى السهيلى .

سفيانَ ؟ قال : حينَ غاب عنِّى مِثْلُكِ مِن قومى .

وفى « مغازى موسى بنِ عُقبةَ »[1] : أنَّ خُبيبًا وزيدَ بنَ الدَّثِنَةِ قُتِلا فى يومٍ واحدٍ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُمِع يومَ قُتِلا وهو يقولُ : « وعليكما - أو عليك - السلامُ ، خُبيبٌ قَتَلَتْه قريشٌ » .

وذكَر[2] أنَّهم لمَّا صَلَبوا زيدَ بنَ الدَّثِنَةِ ، [٢/ ٢٣٩ظ] رَمَوْه بالنَّبْلِ ليَفْتِنوه عن دينِه ، فما زاده إلَّا إيمانًا وتسليمًا[3] . وذكَر عروةُ وموسى بنُ عُقبةَ[4] أنَّهم لمَّا رَفَعوا خُبيبًا على الخشبةِ ، نادَوْه يُناشِدونه : أتُحِبُّ أنَّ محمدًا مكانَك ؟ قال : لا واللَّهِ العظيمِ ، ما أُحبُّ أن يَفْدِيَنى بشَوْكةٍ يُشَاكُها فى قدمِه . فضَحِكوا منه . وهذا ذكَره ابنُ إسحاقَ فى قصةِ زيدِ بنِ الدَّثِنَةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال موسى بنُ عُقبةَ[5] : زَعَموا أنَّ عمرَو بنَ أميةَ دَفَن خُبيبًا .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى يحيى [7]بنُ عَبّادِ[7] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ ، عن أبيه عَبّادٍ ، عن عُقبةَ بنِ الحارثِ قال : سَمِعْتُه يقولُ : واللَّهِ ما أنا قَتَلْتُ خُبيبًا ؛ لِأنِّى[8] كنتُ أصغرَ مِن ذلك ، ولكنّ أبا مَيْسَرةَ أخا بنى عبدِ الدارِ أخَذ الحَرْبةَ ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٣٢٦ ، عن موسى بن عقبة .

(٢) أى موسى بن عقبة .

(٣) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل : « تثبيتا » .

(٤) المصدر السابق ٣/ ٣٢٦، ٣٢٧ عن عروة وموسى بن عقبة .

(٥) المصدر السابق ٦/ ٣٢٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى النسخ : « لأنا » . والمثبت من السيرة ، وانظر فتح البارى ٧/ ٣٨٥.

فجعَلها فى يدى ، ثُم أخَذ بيدى وبالحربةِ ، ثُم طَعَنه بها حتى قَتَله .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا قال : كان عمرُ بنُ الخطابِ اسْتَعْمَل سعيدَ بنَ عامرِ بنِ حِذْيَمٍ الجُمَحىَّ على بعضِ الشامِ ، فكانت تُصِيبُه غَشْيَةٌ وهو بينَ ظَهْرَيِ القومِ ، فذُكِر ذلك لعمرَ وقيل : إن الرجلَ مصابٌ . فسأَله عمرُ فى قَدْمَةٍ قدِمها عليه ، فقال : يا سعيدُ ، ما هذا الذى يُصِيبُك ؟ فقال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ما بى مِن بأسٍ ، ولكنِّى كنتُ فيمَن حَضَر خُبيبَ ابنَ عدىٍّ حينَ قُتِل ، وسَمِعْتُ دعوتَه ، فواللَّهِ ما خَطَرَتْ على قلبى وأنا فى مجلسٍ قطُّ إلَّا غُشِىَ علىَّ . فزادَتْه عندَ عمرَ خيرًا .

وقد قال الأُمَوىُّ : حدَّثنى أبى قال : قال ابنُ إسحاقَ : وبَلَغَنا أنَّ عمرَ قال : مَن سَرَّه أن ينْظُرَ إلى رجلٍ نَسِيجِ وَحْدِه[2] فلْيَنْظُرْ إلى سعيدِ بنِ عامرٍ .

قال ابنُ هشامٍ[3] : أقام خُبيبٌ فى أيدِيهِم حتى انْسَلَخَتِ الأشهرُ الحرمُ ثُم قَتَلُوه .

وقد رَوَى البيهقىُّ[4] ، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ ، حدَّثنى جعفرُ بنُ عمرِو [5]بنِ جعفرِ بنِ عمرِو[5] بنِ أميةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه عمرِو بنِ أميةَ ، أنَّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) نسيج وحده : يريد رجلا لا عيب فيه . وأصله أن الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيرُه . انظر النهاية ٥/ ٤٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٤.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٥ - ٥) سقط من النسخ والدلائل ، والمثبت من تهذيب الكمال ٢/٤٥ فى ترجمة إبراهيم بن إسماعيل ابن مجمع .
=

رسولَ اللَّهِ ﷺ كان بَعَثَه عَيْنًا وحدَه، قال: جئتُ إلى خشبةِ خُبيبٍ فرَقِيتُ فيها وأنا أتَخَوَّفُ العُيونَ، فأطْلَقْتُه فوَقَع إلى الأرضِ، ثُم اقْتَحَمْتُ فانتَبَذْتُ قليلًا، ثُم التَفَتُّ فلم أرَ شيئًا، فكأنَّما ابْتَلَعَتْه الأرضُ، فلم تُذْكَرْ لخُبيبٍ رِمَّةٌ حتى الساعةِ.

ثُم رَوَى ابنُ إسحاقَ[1]، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ، عن سعيدٍ أو عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا قُتِل أصحابُ الرَّجِيعِ قال ناسٌ مِن المنافقين: يا ويحَ هؤلاء المَفْتُونِين الذين هَلَكوا هكذا، لا هم أقاموا فى أهْلِيهم، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبِهم. فأنزَل اللَّهُ فيهم[2]: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. وما بعدَها. وأنزَل اللَّهُ فى أصحابِ السَّرِيَّةِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وكان ممَّا قِيل مِن الشعرِ فى هذه الغزوةِ قولُ خُبيبٍ حينَ أجْمَعوا على قَتْلِه - قال ابنُ هشامٍ: ومِن الناسِ مَن يُنْكِرُها له -:

= قال الحافظ فى التهذيب ٢/١٠٠ فى ترجمة جعفر بن عمرو بن أمية: وروى إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى عن أبيه عن جده حديثا. فقال ابن المدينى فى «العلل»: جعفر بن عمرو هذا ليس هو جعفر بن عمرو بن أمية لصلبه، بل هو جعفر بن عمرو بن فلان بن عمرو بن أمية، وإنما الحديث عن جعفر عن أبيه عن جده عمرو بن أمية. قلت - أى الحافظ -: وهذا غاية فى التحقيق، وظهر أن جعفر بن عمرو اثنان... والصواب ما قال ابن المدينى، والله أعلم. انتهى.

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢/٣١٣، من طريق محمد بن إسحاق به. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٤.

(٢) التفسير ١/٣٥٨ - ٣٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٧٦، ١٧٧.

لقد جَمَّع الأحْزابُ حَوْلى وأَلَّبُوا[1] قبائلَهمْ واستَجْمَعوا كلَّ مَجْمَعِ
وكلُّهمُ مُبْدى العَداوةِ جاهدٌ علىَّ لأنِّى فى وَثاقٍ مُضَيَّعِ[2]
وقد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم وقُرِّبْتُ مِن جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
إلى اللَّهِ أشْكو غُرْبتى ثُم كُرْبتى وما أرْصَدَ الأعداءُ لى عندَ مَصْرَعى
[٢/ ٢٤٠و] فذا العَرْشِ صَبِّرْنى على ما يُرادُ بى فقد بَضَّعوا لَحْمى وقد يأْس مَطْمَعى[3]
وذلك فى ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
وقد خَيَّرونى الكُفْرَ والموتُ دونَه وقد هَمَلَتْ عَيْناىَ[4] مِن غيرِ مَجْزَعِ
وما بى حِذارُ الموتِ إنِّى لَمَيِّتٌ ولكِنْ حِذارِى جَحْمُ نارٍ مُلَفَّعِ[5]
فواللَّهِ ما أرجو إذا مُتُّ مسلمًا على أىِّ جَنْبٍ كان فى اللَّهِ مَضْجَعى
فلستُ بمُبْدٍ للعدُوِّ تَخَشُّعًا ولا جَزَعًا إنِّى إلى اللَّهِ مَرْجِعى

وقد تقدَّم فى «صحيحِ البخارىِّ»[6] بيتان مِن هذه القصيدةِ، وهما قولُه:

فلستُ أُبالى حينَ أُقْتَلُ مُسلمًا على أىِّ شِقٍّ كان فى اللَّهِ مَصْرَعى

---

(١) ألبوا: جَمَّعوا. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧١.
(٢) فى الأصل، م: «بمضبع». وفى السيرة: «بمصيع». والمثبت موافق لإحدى روايات السيرة.
(٣) بضعوا: أى قطّعوه بضعًا. وياس: يأس بالهمز، وهى لغة فى يئس. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٢.
(٤) هملت عيناى: سال دمعهما. المصدر السابق.
(٥) الجحم: الملتهب المتَّقِد، ومنه سميت الجحيم. وملفع أى مُتَلَفِّع، والمتلفع المُشتَمِل؛ يقال: تلفَّع بثوبه. إذا اشتمل به. انظر المصدر السابق.
(٦) تقدم فى صفحة ٥٠٠.

وذلك فى ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ يَبْكى خُبيبًا، فيما ذكَره ابنُ إسحاقَ[1]:

ما بالُ عَيْنِك لا تَرْقا[2] مَدامِعُها سَحًّا على الصدرِ مثلَ اللؤلؤِ القَلِقِ[3]

على خُبَيبٍ فتَى الفِتيانِ قد عَلِموا لا فَشِلٍ حينَ تَلْقاه ولا نَزِقِ[4]

فاذْهَبْ خبيبُ جزاك اللَّهُ طَيِّبةً وجنَّةَ الخُلْدِ عندَ الحُورِ فى الرُّفُقِ[5]

ماذا تقولون إنْ قال النبىُّ لكمْ حينَ الملائكةُ الأبرارُ فى الأُفُقِ

فيمَ قَتَلْتُم شهيدَ اللَّهِ فى رجلٍ طاغٍ قَدَ اوْعَث فى البُلْدانِ والرُّفَقِ[6]

قال ابنُ هشامٍ[7]: تَرَكْنا بعضَها؛ لأنه أقْذَع فيها.

وقال حسانُ يَهْجو الذين غدَروا بأصحابِ الرَّجيعِ مِن بنى لِحْيانَ، فيما ذكَره ابنُ إسحاقَ[8]:

إنْ سَرّك الغَدْرُ صِرْفًا لا مِزاجَ له[9] فَأْتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيانِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٧، وديوان حسان ص ٣٠٧.

(٢) ترقا: أى ترقأ، فحذف الهمزة. وترقأ: تنقطع. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٢.

(٣) فى م: «الفلق». والقلق: المتحرك الساقط.

(٤) الفشِل: الجبان الضعيف القوة. والنزق: السيئ الخُلُق. المصدر السابق.

(٥) الرفُق، بضم الراء والفاء: جمع رفيق. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٢، ١٧٣.

(٦) أوعث: أى اشتدَّ فساده. والرفَق بفتح الفاء: جمع رُفقة، بضم الراء وكسرها.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٧.

(٨) بعده فى الأصل، م: «والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة». وانظر الشعر فى سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٩، ١٨٠، وديوان حسان ص ١٥٣.

(٩) صرفًا لا مزاج له: الصِّرف هو الخالص الذى لم يُشَبْ بغيره، يقال: شرابٌ صرفٌ. أى غير ممزوج. انظر الوسيط (ص ر ف).

قومٌ تَواصَوْا بأَكْلِ الجارِ بينَهمُ فالكلبُ والقِرْدُ والإنسانُ مِثْلانِ

لو يَنْطِقُ التَّيْسُ يومًا قام يَخْطُبُهمْ وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا[1] يَهْجو هُذَيْلًا وبنى لِحْيانَ على غَدْرِهم بأصحابِ الرَّجيعِ، رَضِى اللَّهُ تعالى عنهم أجمعين:

لعَمْرِى لقد شانَتْ هُذَيْلَ بنَ مُدْرِكٍ أحاديثُ كانت فى خُبيبٍ وعاصمِ

أحاديثُ لِحْيانٍ صَلَوْا بقَبِيحِها ولحَيانُ جَرَّامون شَرَّ الجرائمِ[2]

أُناسٌ همُ مِن قومِهم فى صَمِيمِهم بمنزِلةِ الزِّمْعانِ دُبْرَ القَوادِمِ[3]

همُ غَدَروا يومَ الرَّجيعِ وأَسْلَمَتْ أمانَتُهم ذا عِفَّةٍ ومَكارِمِ

[٢/ ٢٤٠ظ] رسولَ رسولِ اللَّهِ غَدْرًا ولم تَكُنْ هُذَيْلٌ تَوَقَّى[4] مُنْكَراتِ المَحارِمِ

فسوف يرَوْن النصرَ يومًا عليهِمُ بقَتْلِ الذى تَحْمِيه دونَ الحَرائمِ[5]

أبابِيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ[6] دونَ لَحْمِه حَمَتْ لحمَ شَهَّادٍ عِظامَ[7] المَلاحِمِ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٠، ١٨١، وليست هذه القصيدة فى ديوانه.

(٢) صلوا بقبيحها: أى أصابهم شرُّها. وجرّامون: كاسبون. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٦.

(٣) الزمعان: جمع زَمْع، وهو الشَّعْر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها. ودبر: معناه خَلْف. والقوادم هنا: يعنى بها اليدين. انظر المصدر السابق.

(٤) توقى: أى تَتَوَقَّى.

(٥) بقتل الذى تحميه: يعنى عاصم بن الأقلح الذى حمته النحل. ودون الحرائم: يريد دون أن يمسه أحد من الكفار. المصدر السابق.

(٦) الأبابيل: الجماعات. والدبر: اسم لجماعة النحل. والشمس هنا المُدافِعَة. المصدر السابق.

(٧) فى الأصل، م: «عظيم».

(٨) الملاحم: جمع ملحمة، وهى الحرب التى يُقتَل فيها. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٦.

لعَلَّ هُذَيْلًا أن يَرَوا بمُصابِه مَصارِعَ قَتْلَى أو مَقامًا لِماتَمِ
ونُوقِعُ فيها[1] وَقْعةً ذاتَ صَوْلَةٍ[2] يُوافِى بها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسِمِ
بأمرِ رسولِ اللَّهِ إنَّ رسولَه رَأَى رَأْىَ ذى حَزْمٍ بلِحْيانَ عالِمِ
قُبَيِّلةٌ ليس الوفاءُ يُهِمُّهم وإن ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالِمِ
إذا الناسُ حَلُّوا بالفَضاءِ رَأَيْتَهم بمَجْرَى مَسِيلِ الماءِ بينَ المَخارِمِ[3]
مَحَلُّهمُ دارُ البَوارِ ورأيُهم إذا نابهم أمْرٌ كرَأْيِ البَهائِمِ

وقال حسانُ، رَضِى اللَّهُ عنه، أيضًا يَمْدَحُ أصحابَ الرَّجيعِ، ويُسَمِّيهم فى شعرِه كما ذكَره ابنُ إسحاقَ[4]، رَحِمه اللَّهُ تعالى:

صَلَّى الإلهُ على الذين تَتابَعوا يومَ الرَّجيعِ فأُكْرِموا وأُثِيبوا
رأسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وأميرُهم وابنُ البُكَيْرِ أمامَهم وخُبَيْبُ[5]
وابنٌ لِطارِقَ[6] وابنُ دَثْنَةَ منهمُ وافاه ثَمَّ حِمامُه المكتوبُ
والعاصمُ المقتولُ عندَ رَجِيعِهم كَسَبَ المَعالىَ إنه لَكَسُوبُ

---

(١) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «فيهم».
(٢) الصولة: الشدة. المصدر السابق.
(٣) المخارم: مسايل الماء التى يخرمها السيل. المصدر السابق.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٣، وديوان حسان ص ١٧٣، ١٧٤.
(٥) مَجىء خبيب فى قافية واحدة مع قوله: «المكتوب»، هو من عيوب قوافى الشعر، ويسمى التوجيه. وهو أن يختلف ما قبل الرِّدف، والردف هنا الياء أو الواو فى هذه الأبيات. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٨.
(٦) منعه من الصرف لضرورة الوزن.

مَنَع المَقادةَ[1] أن يَنالوا ظَهْرَه حتى يُجالِدَ إنه لَنَجِيبُ

قال ابنُ هشامٍ[2] : وأكثرُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنكِرُها لحسانَ .

---

(١) المقادة هنا : المَذَلَّة والانقياد إلى أعدائه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٣.

سَرِيَّةُ عمرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِىِّ،

(١) على إثْرِ مَقْتَلِ خُبَيْبٍ (١)

قال الواقدىُّ[٢] : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ جعفرٍ، عن أبيه، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى عُبَيْدةَ، عن جعفرِ بنِ[٣] عمرِو بنِ أميةَ الضَّمْرىِّ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أبى عَوْنٍ[٤]، وزاد بعضُهم على بعضٍ، قالوا: كان أبو سفيانَ بنُ حربٍ قد قال لنفَرٍ مِن قريشٍ بمكةَ: ما أَحدٌ يَغْتالُ محمدًا؟ فإنه يَمْشِى فى الأسْواقِ فنُدْرِكَ ثأرَنا؟ فأتاه رجلٌ مِن العربِ فدخَل عليه مَنزِلَه، وقال له: إن أنت قَوَّيْتَنى[٥] خرَجْتُ إليه حتى أغْتالَه، فإنى هادٍ بالطريقِ خِرِّيتٌ[٦]، معى خِنْجَرٌ مثلُ خافِيَةِ النَّسْرِ[٧]. قال: أنتَ صاحبُنا. وأعطاه بعيرًا ونَفَقَةً، وقال: اطْوِ أمْرَك[٨]؛

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٣٣٣ - ٣٣٧، من طريق الواقدى به، والطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٤٢، من طريق محمد بن إسحاق، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى، عن أبيه، عن جده - يعنى عمرو بن أمية - بنحوه.

(٣) بعده فى م: «الفضل بن الحسن بن».

(٤) فى الأصل، م: «عوف». انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٦٣.

(٥) فى الأصل، م: «وفيتنى».

(٦) الخريت: الدليل الحاذق. اللسان (خ ر ت).

(٧) خافية النسر: الخافية واحدة الخوافى، وهى ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. اللسان (خ ف ى)، والمعنى: أن معه خنجرا صغيرا يصلح لتنفيذ مهمته.

(٨) اطو أمرك: اكتمه.

فإنى لا آمَنُ أن يَسْمَعَ هذا أحدٌ فيَنْمِيَه[1] إلى محمدٍ. قال: قال العربىُّ: لا يَعْلَمُه أَحدٌ. فخرَج ليلًا على راحلتِه فسار خمسًا، وصبَّح ظَهْرَ الحَرَّةِ[2] صُبْحَ[3] سادسةٍ، ثم أقْبَل يسْألُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أتَى المُصَلَّى، فقال له قائلٌ: قد تَوَجَّه إلى بنى عبدِ الأَشْهَلِ. فخرَج الأعرابىُّ يقودُ راحِلتَه حتى انتَهَى إلى بنى عبدِ الأشْهلِ، فعقَل راحلتَه، ثُم أقْبَل يَؤُمُّ[4] رسولَ اللَّهِ ﷺ، فوجَده فى جماعةٍ مِن أصحابِه، يُحَدِّثُ فى مسجدِه، فدخل، فلمّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لأصحابِه: [٢/ ٢٤١و] «إنَّ هذا الرجلَ يريدُ غَدْرًا، واللَّهُ حائلٌ بينَه وبينَ ما يريدُه». فوقَف وقال: أيُّكم ابنُ عبدِ المطلبِ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أنا ابنُ عبدِ المطلبِ». فذهَب يُجْنِئُ[5] على رسولِ اللَّهِ ﷺ كأنه يُسارُّه، فجَبَذه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ وقال: تَنَحَّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ. وجذَب بداخِلةِ[6] إزارِه، فإذا الخِنْجَرُ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذا غادرٌ. فأُسْقِط فى يدِ الأعرابىِّ، وقال: دَمِى دَمِى يا محمدُ. وأخَذَ[7] أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ يُلَبِّبُه[8]، فقال له النبىُّ ﷺ: «اصدُقْنى، ما أنت وما أقدَمَك؟ فإن صَدَقْتَنى نفعَك الصدقُ، وإن كذَبْتَنى فقد أُطْلِعْتُ على ما هَمَمْتَ به». قال العربىُّ: فأنا آمِنٌ؟ قال: «فأنت آمِنٌ».

---

(١) فى ص: «فيمنيه». وينميه: يبلغه.

(٢) فى م: «الحى». والحرة: أرض ذات حجارة سوداء.

(٣) فى الأصل، م: «يوم».

(٤) يؤم: يقصد.

(٥) فى الأصل «يحثى» وفى م «ينحنى» والمثبت من ص. ومعناه يميل. وفعله: أجْنأ يُجنئ إجناءً. النهاية ١/ ٣٠٢.

(٦) فى م: «بداخل». وداخلة الإزار: طرفه وحاشيته من داخل. النهاية ٢/ ١٠٧.

(٧) فى الأصل، م: «وأخذه».

(٨) يلببه: يجعل ثيابه فى عنقه وصدره، ثم يقبضه ويجرّه. اللسان (ل ب ب).

فأخْبرَه بخبرِ أبى سفيانَ وما جعَل له ، فأمَر به فحُبِس عندَ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ ، ثُم دعا به مِن الغَدِ فقال : « قد آمَنْتُك ، فاذْهَبْ حيث شئتَ ، أوَ[1] خيرٌ لك مِن ذلك ؟ » . قال : وما هو ؟ فقال : « أن تَشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنِّى رسولُ اللَّهِ » . فقال[2] : أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنك أنتَ رسولُ اللَّهِ[2] ، واللَّهِ يا محمدُ ، ما كنتُ أفْرَقُ[3] مِن الرجالِ ، فما هو إلّا أن رأيتُك فذَهَب عقْلى وضَعُفَتْ نفْسى ، ثم اطَّلَعْتَ على ما همَمْتُ به مما[4] سَبَقْتُ به الرُّكْبانَ ، ولم يطَّلِعْ عليه أحدٌ ، فعرَفْتُ أنك ممنوعٌ وأنك على حقٍّ ، وأن حزبَ أبى سفيانَ حِزْبُ الشيطانِ . فجعَل النبىُّ ﷺ يتَبَسَّمُ ، وأقام أيامًا ، ثُم اسْتَأْذَن النبىَّ ﷺ فخرَج مِن عندِه ولم يُسْمَعْ له بذكْرٍ . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرِو بنِ أميةَ الضَّمْرىِّ ولسَلَمَةَ بنِ أسْلَمَ بنِ حَرِيشٍ : « اخرُجا حتى تأْتِيا أبا سفيانَ بنَ حربٍ ، فإن أصَبْتما منه غِرَّةً[5] فاقْتُلاه » . قال عمرٌو : فخرَجْتُ أنا وصاحبى حتى أتَيْنا بطْنَ يَأْجَجَ ، فقيَّدْنا بعيرَنا ، وقال لى صاحبى : يا عمرُو ، هل لك فى أنْ نَأْتىَ مكةَ ، فنطوفَ بالبيتِ أسبوعًا[6] ونصلىَ ركْعتَيْن ؟ فقلتُ[7] : إنى أَعْرِفُ بمكةَ مِن الفرَسِ الأَبْلَقِ ، [8]وإنهم إن رأَوْنى عَرَفونى ، وأنا أَعْرِفُ أهلَ مكةَ ؛ إنهم إذا[8]

---

(١) فى الأصل ، ص : « و » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) أفرق : أخاف .

(٤) فى النسخ : « فما » . والمثبت من الدلائل .

(٥) أى سبع مرات . النهاية ٢/٣٣٦ .

(٦) غرة : غفلة .

(٧) بعده فى م : « أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و » . وهى لفظ رواية تاريخ الطبرى ٢/ ٥٤٣.

(٨ - ٨) سقط من : النسخ ، والمثبت من الدلائل .

(١أَمْسَوا انفجعوا بأفنيتِهم١) ، فأبَى علىٌّ فانطَلَقْنا ، فأتَيْنا مكةَ فطُفْنا أسبوعًا وصلَّيْنا ركعتَيْن ، فلمَّا خرَجْتُ لقِيَنى معاويةُ بنُ أبى سفيانَ فعرَفنى وقال : عمرُو بنُ أميةَ ! (٢وأخبر أباه٢) ، فنَذِر(٣) بنا أهلُ مكةَ فقالوا : ما جاء عمرٌو فى خيرٍ . وكان عمرٌو فاتِكًا(٤) فى الجاهليةِ ، فحشَد أهلُ مكةَ وتجَمَّعوا ، وهرَب عمرٌو وسَلَمَةُ ، وخرَجوا فى طلَبِهما ، واشْتَدُّوا(٥) فى الجبلِ . قال عمرٌو : فدخَلْتُ غارًا فتَغَيَّبْتُ عنهم حتى أصبَحْتُ ، وباتوا يَطْلُبوننا فى الجبلِ ، وعمَّى اللَّهُ عليهم طريقَ المدينةِ أن يَهْتَدوا لراحلتِنا(٦) ، فلما كان الغدُ ضَحْوةً ، أقْبَل عثمانُ بنُ مالكِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمىُّ يَخْتَلى(٧) لفرسِه حَشِيشًا ، فقلتُ لسَلَمَةَ بنِ أسْلَمَ : إذا أبْصَرَنا أشْعَر بنا أهلَ مكةَ ، وقد أَقْصَروا(٨) عنا . فلم يَزَلْ يَدْنو مِن بابِ الغارِ حتى أشْرَف علينا . قال : فخرَجْتُ إليه فطعَنْتُه طَعْنةً تحتَ الثَّدْيِ بخِنْجَرى ، فسَقَط وصاح ، فأَسْمَع(٩) أهلَ مكةَ ، فأقْبَلوا بعدَ تفَرُّقِهم ، (١٠ودخلتُ الغارَ١٠) ، وقلتُ

(١ - ١) سقط من : النسخ ، والمثبت من الدلائل . وقوله : « انفجعوا » هكذا جاء فى الدلائل ، ولم نجد له معنى مناسبا هنا ، ولعله : « اضطجعوا » ويقويه ما جاء فى تاريخ الطبرى ٢/٥٤٣ « رشُّوا أفنيتهم ثم جلسوا بها » .

(٢ - ٢) فى م : « واحزناه » . ولعل صوابها : واخبراه !

(٣) نذر بالشىء وبالعدو : علمه فحذره . اللسان (ن ذ ر) .

(٤) فاتكا : سفاكًا للدماء .

(٥) واشتدوا فى الجبل : أسرعوا فى صعوده .

(٦) فى م : « له » .

(٧) يختلى : يقطع له الخلا ، والخلا : النبات الرطب . انظر النهاية ٢/ ٧٥، والوسيط (خ ل ى) .

(٨) فى م : « انفضوا » . وأقصر عن الشىء : كفَّ ونزع عنه وهو يقدر عليه . الوسيط (ق ص ر) .

(٩) فى م : « فاجتمع » .

(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل ، ص . وفى م : « ورجعت إلى مكانى فدخلت فيه » . وهو لفظ رواية الطبرى . والمثبت من الدلائل .

لصاحبى : لا تتحرَّكْ[1] . فأقبلوا حتى أتَوْه ، وقالوا : مَن قَتَلكَ ؟ قال : عمرُو بنُ أميةَ الضَّمْرىُّ . فقال أبو سفيانَ : قد علِمْنا أنه لم يأْتِ لخيرٍ . ولم يسْتَطِعْ أن يُخْبِرَهم بمكانِنا ، فإنه كان بآخرِ رَمَقٍ فمات ، وشُغِلوا عن طلبِنا بصاحبِهم ، فحمَلوه ، فمكَثْنا ليلتَيْن فى مكانِنا [2]حتى خرَجْنا[2] ، فقال صاحبى : يا عمرَو ابنَ أميةَ ، هل لك فى خُبَيْبِ بنِ عَدِىٍّ نُنْزِلُه ؟ فقلتُ له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوبٌ ، حولَه الحَرَسُ . فقلتُ : أمْهِلْنى وتَنَحَّ عنى ، فإن خَشِيتَ شيئًا فانْحُ[3] إلى بعيرِك فاقْعُدْ عليه ، فأْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبِرْه الخبرَ ودعْنى ، فإنى عالمٌ بالمدينةِ . ثُم اشتَدَدْتُ[4] عليه حتى وجَدْتُه [٢/ ٢٤١ظ] فحمَلْتُه على ظهرى ، فما مَشَيْتُ به إلَّا عشرين ذِراعًا حتى استَيْقَظوا ، فخرَجوا فى أثَرى فطَرَحْتُ الخَشبةَ ، فما أنْسَى [5]وقْعَها دَبْ[5] - يَعْنى صَوْتَها - ثُم أَهَلْتُ عليه الترابَ برِجْلى ، فأخَذتُ طريقَ الصَّفْراءِ ، فأَعْيَوا ورجَعوا ، وكنتُ لا أُدرَكُ[6] مع بقاءِ نَفَسٍ[7] ، فانطَلَق صاحبى إلى البعيرِ فركِبه وأتَى النبىَّ ﷺ فأخبَرَه ، وأقْبَلْتُ حتى أشْرَفْتُ على [8]الغَميمِ ، غَميمِ[8] ضَجَنانَ ، فدخَلْتُ فى غارٍ معى قوسى وأَسْهُمى وخِنْجَرى ، فبينما أنا فيه إذ أقْبَل رجلٌ مِن بنى [9]بكرٍ مِن بنى الدِّيلِ[9] ،

---

(١) فى ص : « تحزن » .

(٢ - ٢) فى م : « حتى سكن عنا الطلب ثم خرجنا إلى التنعيم » . وهو لفظ رواية الطبرى .

(٣) فى ص والدلائل : « فانج » . ونحا : قصد .

(٤) فى الأصل ، م : « استدرت » .

(٥ - ٥) فى م : « وجيبها » .

(٦) فى م : « أدرى » .

(٧) فى الأصل ، م : « نفسى » .

(٨ - ٨) فى م : « الغليل غليل » .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ص : « بكر بن الديل » . وفى م : « الديل بن بكر » والمثبت من الدلائل .

أعورُ طويلٌ، يَسُوقُ غَنَمًا ومِعْزَى، فدخَل الغارَ وقال: مَن الرجلُ؟ فقلتُ: رجلٌ[1] مِن بنى بكرٍ. فقال: وأنا مِن بنى بكرٍ. ثُم اتَّكأ ورفَع عَقِيرتَه[2] يتَغَنَّى ويقولُ:

فلستُ بمسلمٍ ما دُمْتُ حيًّا ولستُ أَدِينُ دِينَ المسلمينا

فقلتُ فى نفسى: واللَّهِ إنى لأرْجو أن أقْتُلَك. فلمّا نام قمتُ إليه، فقتَلْتُه شَرَّ قِتْلةٍ قتلْتُها أحدًا قطُّ، ثُم خرَجْتُ حتى هبَطْتُ، فلما أسْهَلْتُ[3] فى الطريقِ إذا رجلان بعَثَتهما قريشٌ يتَجَسَّسان الأخبارَ، فقلتُ: اسْتَأْسِرا. فأَبَى أحدُهما، فرَمَيْتُه فقَتَلْتُه، فلما رَأَى ذلك الآخَرُ اسْتَأْسَر، فشَدَدْتُه وَثاقًا، ثُم أقْبَلْتُ به إلى النبىِّ ﷺ، فلما قدِمْتُ المدينةَ رآنى[4] صِبْيانٌ[5] وهم يَلْعَبون، وسَمِعوا أشْياخَهم يقولون: هذا عمرٌو. فاشتَدّ الصبْيانُ إلى النبىِّ ﷺ فأخْبَروه، وأتيْتُه بالرجلِ قد رَبَطْتُ إبهامَيْه بوَتَرِ قوسى، فلقد رأيتُ النبىَّ ﷺ وهو يَضْحَكُ، ثُم دَعا لى بخيرٍ. وكان قُدومُ سَلَمةَ قبلَ قُدومِ عمرٍو بثلاثةِ أيامٍ. رَواه البيهقىُّ.

وقد تقَدَّم[6] أن عَمْرًا لما أَهْبَطَ خُبَيْبًا لم يَرَ له رِمَّةً ولا جَسَدًا، فلعله دُفِن مكانَ سُقوطِه. واللَّهُ أعلمُ. وهذه السَّرِيَّةُ إنما استَدْرَكها ابنُ هشامٍ على ابنِ إسحاقَ[7]،

---

(١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) قيل لكل من رفع صوته بالغناء: رفع عقيرته. تاج العروس (ع ق ر).

(٣) أسهل: نزل السهل أو أتاه. الوسيط (س هـ ل).

(٤) فى الأصل، م: «أتى».

(٥) بعده فى م: «الأنصار».

(٦) تقدم فى صفحة ٥١١.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/٦٣٣ - ٦٣٥. ولعل قول الحافظ ابن كثير: إنما استدركها ابن هشام على ابن =

وساقها بنحوٍ مِن سياقِ الواقدىِّ لها ، لكنْ عندَه أن رفيقَ عمرِو بنِ أميةَ فى هذه السَّريةِ جَبَّارُ بنُ صَخْرٍ . فاللَّهُ أعلمُ ، وللَّهِ الحمدُ .

= إسحاق . ينطبق على سيرة ابن إسحاق برواية زياد البكائى عنه ، فقد روى قصة هذه السرية الطبرى فى التاريخ ٥٤٢/٢ - ٥٤٥ - كما أشرنا - من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده بنحو هذا السياق . ويعضد ذلك ما ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٧/ ٥٣١، ٥٣٢ عن الحافظ أبى بحر سفيان بن العاصى قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد اللَّه بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد اللَّه بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق . هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدَّث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق .

فهذان طريقان عن ابن إسحاق يذكر فيهما هذه السرية ، لا كما ذكر ابن هشام ونقل ذلك عنه المصنف . فاللَّه أعلم .

سرية بِئْرِ مَعُونَة

وقد كانتْ فى صَفَرٍ منها ، وأغْرَب مكحولٌ ، رَحِمه اللَّهُ ، حيث قال : إنها كانت بعدَ الخَنْدقِ[1] .

قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدَّثنا [3]عبدُ الوَارِثِ[3] ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ سبعين رجُلًا لحاجةٍ يقالُ لهم : القُرَّاءُ . فعرَض لهم حيَّانِ مِن بنى سُلَيْمٍ - رِعْلٌ وذَكْوانُ - عندَ بئرٍ يقالُ لها : بئرُ مَعُونةَ . فقال القومُ : واللَّهِ ما إيَّاكم أرَدْنا ، وإنما نحن مُجْتازون فى حاجةٍ للنبىِّ ﷺ . فقتَلوهم ، فدَعا النبىُّ ﷺ عليهم شهرًا فى صلاةِ الغَداةِ ، وذاك بَدْءُ القُنوتِ ، وما كنا نَقْنُتُ . ورَواه مسلمٌ ، مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، بنحوِه[4] .

ثُم قال البخاريُّ[5] : حدَّثنا عبدُ الأعْلَى بنُ حَمَّادٍ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رِعْلًا وذَكْوانَ وعُصَيَّةَ وبنى لِحْيَانَ استَمَدُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ على عَدُوٍّ[6] ، فأمَدَّهم بسبعين مِن الأنصارِ ، كنا

---

(١) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٠٠.

(٢) البخارى (٤٠٨٨) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عبد الرزاق » .

(٤) مسلم ، كتاب الإمارة ١٤٧(٦٧٧) .

(٥) البخارى (٤٠٩٠) .

(٦) فى ص : « عدوهم » .

نُسَمِّيهم القُرَّاءَ فى زمانِهم، كانوا يَحْتَطِبون بالنَّهارِ، ويُصلُّون بالليلِ، حتى كانوا ببئرِ مَعُونةَ قتَلوهم وغَدَروا بهم، فبلَغ النبىَّ ﷺ، فقنَت شهرًا يَدْعو فى الصُّبْحِ على أحْياءٍ مِن أحياءِ[1] العربِ؛ على رِعْلٍ وذَكْوانَ وعُصَيَّةَ وبنى لِحْيَانَ. قال أنسٌ: فقرَأْنا فيهم قُرآنًا، ثُم إنّ ذلك رُفِع: (بَلِّغوا عنا قومَنا أنَّا[2] لَقِينَا ربَّنا فرضِىَ عنَّا وأرْضانا).

ثُم قال البخارىُّ[3]: حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا هَمَّامٌ، عن إسحاقَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ، حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ أن النبىَّ ﷺ [٢/٢٤٢و] بعَث خالَه[4] - أخًا لأمِّ سُلَيْمٍ - فى سبعين راكبًا، وكان رئيسَ المُشْركين عامرُ ابنُ الطُّفَيْلِ خَيَّر رسولَ اللَّهِ ﷺ بينَ ثلاثِ خِصالٍ؛ فقال: يكونُ لك أهلُ السَّهْلِ، ولى أهلُ المَدَرِ، أو أكونُ خليفتَك، أو أغْزُوك بأهلِ غَطَفانَ بألفٍ وألفٍ. فطُعِن عامرٌ فى بيتِ أمِّ فلانٍ فقال: غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَكْرِ[5] فى بيتِ امرأةٍ مِن آلِ فلانٍ، ائتُونى بفرسى. فمات على ظهرِ فرسِه، فانطَلَق حَرامٌ، أخو أمِّ سُلَيْمٍ، وهو رجلٌ أعْرَجُ[6]، ورجلٌ مِن بنى فلانٍ، فقال: كُونا قريبًا حتى

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «بأننا قد»، وفى م: «أنا قد»، وفى ص: «بأنا قد». والمثبت من صحيح البخارى.

(٣) البخارى (٤٠٩١).

(٤) فى الأصل، م: «حرام». وهو حرام بن ملحان كما سيأتى.

(٥) البكر: الفتىّ من الإبل. الوسيط (ب ك ر). والغدة: طاعون الإبل، وقلما تسلم منه. النهاية ٣/ ٣٤٣. قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٨٧: قوله: غدة كغدة البكر. يجوز فيه الرفع بتقدير أصابتنى غدة. أو: غدةٌ بى. ويجوز النصب على المصدر، أى أَغَدّه غُدَّةً.

(٦) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٨٧، ٣٨٨: كذا هنا على أنها صفة حرام، وليس كذلك، بل الأعرج غيره ... فالذى يظهر أن الواو فى قوله: «وهو» قدمت سهوًا من الكاتب والصواب تأخيرها، وصواب =

آتيَهم ، فإن آمَنونى كنتُم قريبًا[1] ، وإن قتَلونى أتيتُم أصحابَكم . فقال : أتُؤْمِنونى حتى أُبَلِّغَ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فجعَل يُحَدِّثُهم ، وأَوْمَئُوا[2] إلى رجلٍ فأتاه مِن خلفِه فطعَنه . قال همَّامٌ : أحْسَبُه قال[3] : حتى [4]أنفَذَه بالرُّمْحِ[4] . فقال : اللَّهُ أكبرُ ، فُزْتُ وربِّ الكعبةِ . فلحِق الرجلُ[5] ، فقُتِلوا كلُّهم غيرَ الأعْرجِ ، وكان فى رأسِ جبلٍ ، فأنزَل اللَّهُ علينا ، ثُم كان مِن المَنْسوخِ : (إنا قد لَقِينا ربَّنا فرضِى عنا وأرْضانا) . فدَعا النبىُّ ﷺ عليهم ثلاثين صباحًا ؛ على رِعْلٍ وذَكْوانَ وبنى لِحْيَانَ وعُصَيَّةَ الذين عصَوُا اللَّهَ ورسولَه .

وقال البخارىُّ[6] : حدَّثنا حِبَّانُ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ، أخبَرَنى مَعْمَرٌ ، حدَّثنى

= الكلام : فانطلق حرام هو ورجل أعرج ... ووقع فى بعض النسخ : هو ورجل أعرج . وهو الصواب .

(١) كذا بالنسخ وليست فى البخارى . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٨٨: قوله : فإن آمنونى كنتم . وقع هنا بطريق الاكتفاء ... ، ولأبى نعيم فى « المستخرج » ...: فإن آمنونى كنتم قريبا منى . فهذه رواية مفسِّرة .

(٢) فى الأصل ، ص : « أومأ » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤ - ٤) فى الأصل : « أنفذ الرمح » .

(٥) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح ٧/ ٣٨٨: أشكل ضبط قوله : « فلَحِق الرجل » فى هذا السياق فقيل : يحتمل أن يكون المراد بالرجل الرجل الذى كان رفيق حرام ، وفيه حذف تقديره : فلَحِق الرجلُ بالمسلمين . ويحتمل أن يكون المراد به قاتل حرام ، والتقدير : فطعن حرامًا فقال : فزت وربِّ الكعبة . فلَحِق الرجل المشرك الطاعن بقومه المشركين ، فاجتمعوا على المسلمين فقُتِلوا كلُّهم . ويحتمل أن يكون « فلحق » بضم اللام ، والرجل هو حرام ، أى لحقه أجله ، أو الرجل رفيقه ، بمعنى أنهم لم يمكنوه أن يرجع إلى المسلمين بل لحقه المشركون فقتلوه وقتلوا أصحابه . ويحتمل أن يضبط « الرَّجْل » بسكون الجيم ، وهو صيغة جمع ، والمعنى أن الذى طعن حرامًا لحق بقومه وهم الرجال الذين استنصر بهم عامر بن الطفيل ، والرَّجْل بسكون الجيم هم المسلمون القراء فقتلوا كلهم ، وهذا أوجه التوجيهات إن ثبتت الرواية بسكون الجيم . والله أعلم .

(٦) البخارى (٤٠٩٢) .

ثُمامَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أنسٍ، أنه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ: لما طُعِن حَرامُ بنُ مِلْحانَ، وكان خالَه، يومَ بئرِ مَعونةَ قال بالدمِ هكذا؛ فنضَحه على وجهِه ورأسِه، ثُم قال: فُزْتُ وربِّ الكعبةِ.

ورَوى البخاريُّ[1]، عن عُبَيْدِ بنِ إسماعيلَ، عن أبى أسامةَ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ، أخبرنى أبى قال: لما قُتِل الذين ببئرِ مَعُونةَ، وأُسِر عمرُو بنُ أميةَ الضَّمْرىُّ، قال له عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ: مَن هذا؟ فأشار إلى قَتيلٍ، فقال له عمرُو بنُ أميةَ: هذا عامرُ بنُ فُهَيْرةَ. قال: لقد رأيتُه بعدَما قُتِل رُفِع إلى السماءِ، حتى إنى لَأَنْظُرُ إلى السماءِ بينَه وبينَ الأرضِ، ثُم وُضِع. فأتَى النبىَّ ﷺ خبرُهم، فنَعاهم فقال: «إنّ أصحابَكم قد أُصِيبوا، وإنهم قد سألوا ربَّهم، فقالوا: ربَّنا أَخْبِرْ عنا إخْوانَنا بما رضِينا عنك، ورضِيتَ عنا. فأخْبَرَهم عنهم». وأُصِيبَ يومَئذٍ فيهم عُروةُ بنُ أسماءَ بنِ الصَّلْتِ، فسُمِّىَ عُرْوةُ به، ومُنْذِرُ بنُ عمرٍو، وسُمِّى به مُنْذِرًا. هكذا وقَع فى روايةِ البُخارىِّ مُرْسَلًا عن عُرْوةَ، وقد رَواه البيهقىُّ[2] مِن حديثِ يَحْيَى ابنِ سعيدٍ، عن أبى أُسامةَ، عن هشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ، فساقَ مِن حديثِ الهجرةِ، وأدْرَج فى آخرِه ما ذكَره البخارىُّ هـٰهنا. فاللَّهُ أعلمُ.

ورَوى الواقدىُّ[3]، عن مُصْعَبِ بنِ ثابتٍ، عن أبى الأسْودِ، عن عُرْوةَ، فذكَر القصةَ، وشأنَ عامرِ بنِ فُهَيْرةَ، وإخْبارَ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ أنه رُفِع إلى السماءِ، وذكَر أنَّ الذى قَتَله جَبَّارُ بنُ سُلْمَى الكِلابىُّ، قال: ولما طعَنه بالرُّمْحِ

---

(١) البخارى (٤٠٩٣).

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٣٤٧ - ٣٤٩.

قال: فُزْتُ وربِّ الكعبةِ. ثُم سأَل جَبَّارٌ بعدَ ذلك: ما معنى قولِه: فُزْتُ؟! قالوا: يعنى بالجنةِ. فقال: صدَق واللَّهِ. ثُم أسْلَم جَبَّارٌ بعدَ ذلك لذلك.

وفى «مغازى موسى بنِ عقبةَ»، عن عروةَ أنه قال: لم يُوجَدْ[1] جسَدُ عامرِ بنِ فُهَيْرةَ، يرَوْن أن الملائكةَ وارَتْه[2].

وقال يونُسُ، عن ابنِ إسحاقَ[3]: فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ، يعنى بعدَ أُحدٍ، بقيةَ شَوَّالٍ وذا القَعْدةِ وذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ، ثُم بعَث أصحابَ بئرِ مَعُونةَ فى صَفَرٍ على رأسِ أربعةِ أشهُرٍ مِن أُحدٍ، فحدثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسارٍ، عن المُغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ، [4]وعبدُ اللَّهِ[4] بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ، وغيرُهما مِن أهلِ العلمِ قالوا: قدِم أبو بَراءٍ عامرُ بنُ مالكِ بنِ جعفرٍ مُلاعِبُ الأسِنَّةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، فعرَض عليه الإسلامَ ودعاه إليه فلم يُسْلِمْ ولم يَبْعُدْ، وقال: يا محمدُ، لو بعَثْتَ رجالًا مِن أصحابِك إلى أهلِ نَجْدٍ يَدعُونهم[5] إلى أمرِك، رجَوْتُ أن يستَجِيبوا لك. فقال ﷺ: «إنى [٢/ ٢٤٢ظ] أخْشَى عليهم أهلَ نَجْدٍ». فقال أبو بَراءٍ: أنا لهم جارٌ. فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ المُنْذِرَ بنَ عمرٍو أخا بنى ساعِدةَ، المُعْنِقَ[6] ليموتَ فى أربعين

---

(١) فى ص: «ير».

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٤٢، عن موسى بن عقبة.

(٣) المصدر السابق ٣/٣٣٨ - ٣٤١ عن يونس عن ابن إسحاق.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «وعبد الرحمن». انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٧.

(٥) فى م: «فدعوهم».

(٦) فى الأصل: «المعتق»، والمعنق ليموت، أو أعنق ليموت: أى إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه. واللام لام العاقبة مثلها فى قوله تعالى: ﴿ليكونَ لهم عدوًّا وحَزَنًا﴾ النهاية ٣/ ٣١٠.

رجلًا[1] مِن أصحابِه مِن خِيارِ المسلمين؛ فيهم الحارثُ بنُ الصِّمَّةِ، وحَرامُ بنُ مِلْحانَ، أخو بنى عَدِىِّ بنِ النجارِ، وعُروةُ بنُ أسماءَ بنِ الصَّلْتِ السُّلَمىُّ، [2]ونافعُ بنُ بُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ الخزاعىُّ[2]، وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ، مولى أبى بكرٍ، فى رجالٍ مِن خِيارِ المسلمين، فساروا حتى نزَلوا بئرَ مَعُونةَ، وهى بينَ أرضِ بنى عامرٍ وحَرَّةِ بنى سُلَيْمٍ، فلما نزَلوا بَعَثوا حَرامَ بنَ مِلْحانَ بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى [3]عدوِّ اللَّهِ[3] عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ، فلمَّا أتاه لم يَنْظُرْ فى الكتابِ حتى عَدا على الرجلِ فقتَلَه، ثُم اسْتَصْرَخ عليهم بنى عامرٍ، فأبَوْا أن يُجِيبُوا إلى ما دَعاهم، وقالوا: لن نُخْفِرَ[4] أبا بَرَاءٍ، وقد عَقَد لهم عَقْدًا وجِوارًا. فاسْتَصْرَخ عليهم قَبائلَ مِن بنى سُلَيْمٍ، عُصَيَّةَ ورِعْلًا وذَكْوانَ والقارَةَ، فأجابوه إلى ذلك، فخرَجوا حتى غَشُوا القومَ، فأحاطوا بهم فى رِحالِهم، فلمَّا رَأَوْهم أخَذوا أسيافَهم، ثُم قاتَلوا القومَ حتى قُتِلوا عن آخرِهم، إلَّا كعبَ بنَ زيدٍ أخا بنى دينارِ بنِ النجارِ، فإنهم ترَكوه وبه رَمَقٌ، فارْتُثَّ[5] مِن بينِ القَتْلى، فعاش حتى قُتِل يومَ الخندقِ، وكان فى سَرْحِ[6] القومِ عمرُو بنُ أميةَ الضَّمْرىُّ، ورجلٌ مِن الأنصارِ مِن بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ، فلم يُنْبِئْهما بمُصابِ القومِ إلّا الطيرُ تَحومُ حولَ العَسْكَرِ، فقالا: واللَّهِ إنّ

---

(١) بعده فى ص: «وفى جميع نسخ البخارى سبعون رجلًا».

(٢ - ٢) فى الأصل: «رافع بن ورقاء الحزامى»، وفى ص: «رافع بن ورقاء الخزاعى». وانظر الاستيعاب ٤/ ١٤٨٩، وأسد الغابة ٥/ ٢٩٩، والإصابة ٦/ ٤٠٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) أَخْفَرْت الرجل، إذا نَقَضْت عهده وذمامه. النهاية ٢/ ٥٢.

(٥) الارتثاث: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح. النهاية ٢/ ١٩٥.

(٦) السرح: شجر عظام طوال، الواحدة: سَرْحة. الوسيط (س ر ح).

لهذه الطيرِ لَشَأْنًا . فأَقْبلا ليَنْظُرا ، فإذا القومُ فى دمائِهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتْهم واقفةٌ ، فقال الأنصارىُّ لعمرِو بنِ أميةَ : ماذا ترَى ؟ فقال : أرَى أن نَلْحَقَ برسولِ اللَّهِ ﷺ فنُخْبِرَه الخبرَ . فقال الأنصارىُّ : لكنى لم أَكُنْ لِأرْغبَ بنفسى عن مَوْطنٍ قُتِل فيه المُنْذِرُ بنُ عمرٍو ، وما كنتُ لِأُخْبِرَ عنه الرجالَ . فقاتَل القومَ حتى قُتِل ، وأُخِذ عمرٌو أسيرًا ، فلمَّا أخْبَرهم أنه مِن مُضَرَ أطْلَقه عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ ، وجَزَّ ناصِيَتَه ، وأعْتَقَه عن رقبةٍ كانت على أُمِّه ، فيما زَعَمَ . قال : وخرَج عمرُو بنُ أميةَ ، حتى إذا كان بالقَرْقَرَةِ مِن صَدْرِ قَناةَ[1] ، أقْبَل رجلانِ مِن بنى عامرٍ حتى نزَلا فى ظِلٍّ هو فيه ، وكان مع العامرِيَّيْنِ عَهْدٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وجِوارٌ لم يَعْلَمْه عمرُو بنُ أميةَ ، وقد سألَهما حينَ نزَلا : ممَّن أنتما ؟ قالا : مِن بنى عامرٍ ، فأمْهَلَهما حتى إذا ناما عَدا عليهما وقتَلهما ، وهو يَرَى أن قد أصاب بهما ثأْرًا مِن بنى عامرٍ فيما أصابوا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا قدِم عمرُو بنُ أميةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أخْبَره بالخبرِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد قتَلْتَ قَتيلَيْن ، لَأَدِيَنَّهما » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا عملُ أبى بَراءٍ ، قد كنتُ لهذا كارهًا مُتَخَوِّفًا » . فبلَغ ذلك أبا بَراءٍ فشَقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إيَّاه ، وما [2]أصاب من أصَحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[2] بسببِه وجِوارِه .

فقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى إخْفارِ عامرٍ أبا بَراءٍ ، ويُحَرِّضُ بنى أبى بَراءٍ على عامرٍ[3] :

---

(١) واد من أودية المدينة . معجم ما استعجم ٣/ ١٠٩٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « أصيب » ، وفى م : « أصاب أصحاب رسول الله ﷺ » . والمثبت من الدلائل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٧، ١٨٨، وديوان حسان ص ٢٣١، ٢٣٢.

بنى أُمِّ البَنِينَ ألم يَرُعْكُمْ وأنتم مِن ذَوائبِ أهلِ نَجْدِ
تهكُّمُ عامرٍ بأبى بَراءٍ ليُخفِرَه وما خطأٌ كَعَمْدِ
ألا أَبلِغْ ربيعةَ ذا المَساعى فما أحدثتَ (١فى الحَدَثانِ١) بعدى
أبوكَ أبو الحروبِ أَبو براءٍ وخالُكَ ماجدٌ حَكَمُ بنُ سعدِ

[٢/٢٤٣و] قال ابنُ هشامٍ(٢) : أُمُّ البنين، أُمُّ أبى بَراءٍ، وهى بنتُ عمرِو بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ(٣) .

قال(٢) : فحمَل ربيعةُ بنُ عامرِ بنِ مالكٍ علَى عامرِ بنِ الطُّفيلِ، فطعَنه فى فَخِذِه، فأَشْواه(٤) ، ووقَع عن فرسِه، وقال : هذا عملُ أبى براءٍ، إنْ أَمُتْ فدَمِى لعمِّى فلا يُتْبَعَنَّ به، وإنْ أَعِشْ فسأَرَى رأيى . وذكَر موسى بنُ عقبةَ، عن الزُّهْرىِّ نحوَ سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ(٥) ، قال موسى : وكان أميرُ القومِ المنذرَ ابنَ عمرٍو، وقيل : مرثدَ بنَ أبى مرثدٍ .

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ يَبْكِى قَتْلَى بئرِ مَعونةَ - فيما ذكَره ابنُ إسحاقَ، رحِمه اللَّهُ، واللَّهُ أعلمُ(٦) - :

(١ - ١) فى الأصل، ص : « بالحدثان » . وحدثان الدهر : نوائبه وحوادثه . الوسيط (ح د ث) .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٨.
(٣) قال السهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٢٠٦: واسمها ليلى بنت عامر، فيما ذكروا . وقد ذكر ابن هشام نسبها، ولم يذكر اسمها .
(٤) أشواه : أخطأ مقتله . شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٩.
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٣٤١ - ٣٤٣ عن موسى بن عقبة .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٩، وديوان حسان ص ٢٢٨، ٢٢٩.

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّى بِدَمْعِ العَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ[1]

عَلَى خَيْلِ الرَّسولِ غَداةَ لاقَوْا ولاقَتْهم مَنَاياهم بقَدْرِ

أصابَهمُ الفَناءُ بعَقْدِ قَوْمٍ تُخُوِّنَ[2] عَقْدُ حَبْلِهِمُ بغَدْرِ

فيا لَهْفِى لمنذرِ اذْ تَوَلَّى وأعنَقَ[3] فى مَنِيَّتِه بصَبْرِ

وكائنْ[4] قد أُصيبَ غداةَ ذاكُمْ مِنَ ابيضَ ماجدٍ مِن سِرِّ عمرِو[5]

---

(١) فاستهلى: أى أسيلى دمعك. والسح: الصب. والنزر: القليل. شرح غريب السيرة ٢/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) تخون: تُنُقِّص. المصدر السابق ٢/ ١٨٠.

(٣) أعنق: أسرع. المصدر السابق.

(٤) فى الأصل: «فكان»، وفى ص: «كأين». و«كائن» بمعنى «كأيِّنْ».

(٥) سِرُّ القوم: خيارهم وخالصهم.

غزوةُ بنى النضِيرِ

(١ وهى التى أنزَل اللّـهُ ١) فيها سورةَ «الحشْرِ»

فى «صحيحِ البخارىِّ»[٢] عن ابنِ عباسٍ، أنه كان يُسَمِّيها سورةَ بنى النَّضيرِ. وحكَى البخارىُّ[٣] عن الزُّهْرِىِّ، عن عُرْوَةَ أنه قال: كانت بنو النَّضيرِ بعدَ بدرٍ بستةِ أشهرٍ قبلَ أُحدٍ. وقد أسْنَده ابنُ أبى حاتمٍ فى «تفسيرِه»[٤] عن أبيه، عن عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ، عن اللَّيْثِ، عن عُقَيْلٍ، عن الزُّهْرِىِّ به.

وهكذا رَوَى حنبلُ بنُ إسحاقَ[٥]، عن هلالِ بنِ العَلاءِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ الرَّقِّىِّ، عن مُطَرِّفِ بنِ مازِنٍ اليَمانىِّ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِىِّ، فذكَر غزوةَ بدرٍ فى سابعَ عشَرَ رَمضانَ سنةَ اثْنَتَين، قال: ثم غزا بنى النَّضيرِ، ثم غزا أُحدًا فى شوالٍ سنةَ ثلاثٍ، ثم قاتَل يومَ الخندقِ فى شوالٍ سنةَ أربعٍ. وقال البيهقىُّ[٦]: وقد كان الزُّهْرِىُّ يقولُ: هى قبلَ أُحدٍ. قال[٧]: وذهَب آخرون إلى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) البخارى (٤٠٢٩، ٤٨٨٣).

(٣) البخارى: كتاب المغازى، باب: حديث بنى النضير. فتح البارى ٧/ ٣٢٩.

(٤) ذكره المصنف بهذا الإسناد معزوًا لابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/ ٨٥، سورة الحشر آية (٣). وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ١٨٧، إلى ابن أبى حاتم وغيره.

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٠.

(٦) دلائل النبوة ٣/ ٣٥٤.

(٧) أى البيهقى.

أنَّها بعدَها ، وبعدَ بئرِ مَعُونَةَ أيضًا .

قلتُ : هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ كما تقدَّم[1] ؛ فإنَّه بعدَ ذِكْرِه بئرَ مَعُونةَ ، ورجوعَ عمرِو بنِ أُمَيَّةَ ، وقتلَه ذَيْنِكَ الرجلينِ مِن بنى عامرٍ ، ولم يَشْعُرْ بعهدِهما الذى معهما مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولهذا قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد قَتَلْتَ رجلين ، لَأَدِيَنَّهما » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بنى النَّضيرِ يَسْتعِينُهم فى دِيَةِ ذَيْنِك القتيلَيْن مِن بنى عامرٍ ، اللذين قتَلَهما عمرُو بنُ أُمَيَّةَ ؛ للعهدِ الذى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أعطاهما ، وكان بينَ بنى النَّضيرِ وبينَ بنى عامرٍ عَقدٌ[3] وحِلْفٌ ، فلما أتاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسمِ ، نُعِينُك على ما أحبَبْتَ . ثم خَلَا بعضُهم ببعضٍ فقالوا : إنكم لن تَجِدوا الرجلَ على مِثْلِ حالِه هذه - ورسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جنبِ جدارٍ مِن بُيوتِهم قاعدٌ - فمَن رجلٌ يَعْلُو على هذا البيتِ ، فيُلْقِىَ عليه صَخْرةً ويُرِيحَنا منه ؟ فانْتَدَب لذلك عمرُو بنُ جَحَّاشِ بنِ كعبٍ ، فقال : أنا لذلك . فصَعِد ليُلْقِىَ عليه صخرةً كما قال ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى نفَرٍ مِن أصحابِه ، فيهم أبو بكرٍ وعمرُ وعلىٌّ ، فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ الخبرُ مِن السماءِ بما أراد القومُ ، فقام وخرَج راجعًا إلى المدينةِ ، [٢/ ٢٤٣ظ] فلما استَلْبَثَ[4] النبىَّ ﷺ أصحابُه ، قاموا فى طلبِه ، فلَقُوا رجلًا مُقْبِلًا [5]مِن المدينةِ[5] ، فسألوه عنه ، فقال : رأيْتُه داخلًا المدينةَ . فأقبَل

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٢٦، ٣٣٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٠.

(٣) فى م ، ص: « عهد » .

(٤) استلبث : استبطأ . الوسيط (ل ب ث) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى انتَهَوا إليه، فأخبَرَهم الخبرَ بما كانت يهودُ أرادت مِن الغدرِ به.

قال الواقدىُّ[1]: فبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إليهم محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ يَأْمُرُهم بالخروجِ مِن جِوارِه وبلدِه، فبَعَث إليهم أهلُ النِّفاقِ يُثَبِّتونهم ويُحَرِّضونهم على المُقامِ، ويَعِدُونهم النصرَ، فقَوِيَت عندَ ذلك نفوسُهم، وحَمِيَ حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ، وبَعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنهم لا يَخْرُجون، ونابَذوه بنقضِ العهودِ، فعندَ ذلك أمَرَ الناسَ بالخروجِ إليهم.

قال الواقدىُّ[2]: فحاصرهم [3]خمسَ عشْرةَ ليلةً[3]. وقال ابنُ إسحاقَ[4]: وأمَر النبىُّ ﷺ بالتهيُّؤِ لحربِهم والمسيرِ إليهم. قال ابنُ هشامٍ[5]: واستَعْمَل على المدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ، وذلك فى شهرِ ربيعٍ الأولِ.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: فسار حتى نزَل بهم، [7]فحاصَرهم سِتَّ ليالٍ، ونزَل تحريمُ الخمرِ[7] حينئذٍ[8]، وتحَصَّنوا منه فى الحصونِ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقطعِ

---

(١) مغازى الواقدى ١/٣٦٦ - ٣٧٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٧٤.

(٣ - ٣) فى المغازى: «خمسة عشر يومًا».

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٠.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٩٠، ١٩١.

(٦) المصدر السابق ٢/ ١٩١.

(٧ - ٧) هذا من كلام ابن هشام كما فى السيرة. وانظر نفس هذا السياق، عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٥٢ من طريق سلمة عن ابن إسحاق، فإنه ليس عنده هذه العبارة، مما يؤكد أنها من كلام ابن هشام.

(٨) زيادة من النسخ، وليست فى السيرة.

النخيلِ والتحريقِ فيها ، فنادَوْه : أن يا محمدُ ، قد كنتَ تَنْهَى عن الفسادِ ، وتَعِيبُه على مَن صنَعه ، فما بالُ قَطْعِ النخيلِ وتحريقِها ؟ قال[1] : وقد كان رَهْطٌ مِن بنى عوفِ بنِ الخزرجِ ، منهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ، ووَدِيعَةُ ومالكٌ وسُوَيْدٌ وداعِسٌ ، قد بعَثوا إلى بنى النَّضيرِ ؛ أن اثْبُتوا وتَمَنَّعوا ، فإنا لن نُسْلِمَكم ، إن قوتِلْتُم قاتَلْنا معكم ، وإن أُخْرِجْتُم خَرَجنا معكم . فتربَّصوا ذلك مِن نصرِهم ، فلم يفْعَلوا ، وقذَف اللَّهُ فى قلوبِهم الرعبَ ، فسألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُجْلِيَهم ويَكُفَّ عن دمائِهم ، على أنَّ لهم ما حَمَلتِ الإبلُ مِن أموالِهم إلّا الحَلْقَةَ[2] ، ففعل[3] .

وقال العَوْفىُّ عن ابنِ عباسٍ : أعْطَى كلَّ ثلاثةٍ منهم بعيرًا يَعْتَقِبونه ، وسِقاءً . رواه البيهقىُّ[4] .

ورَوَى[5] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ محمدٍ[6] الزهرىِّ ، عن إبراهيمَ بنِ جعفرِ بنِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن محمدِ بنِ مَسْلَمةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثه إلى بنى النَّضيرِ ، وأمَره أن يُؤَجِّلَهم فى الجَلاءِ ثلاثَ ليالٍ . وروَى البيهقىُّ وغيرُه[7] أنه كانت لهم ديونٌ مُؤَجَّلةٌ ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ

---

(١) أى ابن إسحاق .

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٣٥٩.

(٥) أى البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٦٠.

(٦) بعده فى م ، ص : « عن » . انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٦٧.

(٧) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٦/ ٢٨، والحاكم فى المستدرك ٢/ ٥٢، كلاهما من حديث ابن =

ﷺ : « ضَعُوا وتَعَجَّلُوا » . وفى صحتِه نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فاحْتَمَلوا مِن أموالِهم ما استقلَّت به الإبلُ ، فكان الرجلُ منهم[2] يَهْدِمُ بيتَه [3]عن نِجافِ بابِه[4] ، فَيَضَعُه[3] على ظهرِ بعيرِه ، فيَنْطَلِقُ به ، فخرَجوا إلى خَيْبَرَ ، ومنهم مَن سارَ[5] إلى الشامِ ، فكان مِن أشرافِ مَن ذهَب منهم إلى خَيْبَرَ ؛ سَلَّامُ بنُ أبى الحُقَيْقِ ، وكِنانةُ بنُ الربيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ ، وحُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ . فلمَّا[6] نَزَلوها دان لهم أهلُها . فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أنه حُدِّثَ أنهم اسْتُقْبِلُوا[7] بالنساءِ والأبناءِ والأموالِ ، معهم الدُّفوفُ والمَزاميرُ ، والقِيَانُ يَعْزِفْنَ خلفَهم ، بزُهاءٍ وفَخرٍ ما رُئِىَ مثلُه لحىٍّ مِن الناسِ فى زمانِهم . قال : وخَلَّوُا الأموالَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِى النخيلَ والمزارعَ - فكانت له خاصةً ، يَضَعُها حيثُ يشاءُ ، فقَسَمها على المهاجرين الأوَّلين دونَ الأنصارِ ، إلّا أن سَهْلَ بنَ حُنَيفٍ وأبا دُجَانةَ ذَكَرا فَقْرًا فأعْطاهما . وأضاف بعضُهم إليهما

= عباس . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبى : الزنجى ضعيف ، وعبد العزيز ليس بثقة . وكذا رواه الدارقطنى فى سننه ٤٦/٣ عن ابن عباس ، وقال : اضطرب فى إسناده مسلم بن خالد - يعنى الزنجى - وهو سيئ الحفظ ضعيف . وذكره الهيثمى فى المجمع ١٣٠/٤ من حديث ابن عباس أيضًا وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه مسلم بن خالد الزنجى ، وهو ضعيف وقد وثق .

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩١، ١٩٢.

(٢) زيادة من : م .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ليضعه » .

(٤) نجاف الباب : عَتَبَته . انظر اللسان (ن جـ ف) .

(٥) فى ص : « ذهب » .

(٦) بعده فى الأصل : « أنهم » . وبعده فى ص : « أن » .

(٧) فى ص : « استقلوا » .

الحارثَ بنَ الصِّمَّةِ. حكاه السُّهَيْلِيُّ[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: ولم يُسْلِمْ مِن بنى النَّضيرِ إلّا رجلان؛ وهما يامِينُ بنُ عُمَيْرِ بنِ كعبٍ، ابنُ عمِّ عمرِو بنِ جَحَّاشٍ، وأبو سعدِ بنُ وَهْبٍ، فأحْرَزا أموالَهما. قال ابنُ إسحاقَ[3]: وقد حدَّثنى بعضُ آلِ يامِينَ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لِيامِينَ[4]: «ألم ترَ ما لَقِينا[5] مِن ابنِ عمِّك، وما همَّ به مِن شأنى؟» فجعَل يامينُ لرجلٍ جُعْلًا على أن يَقْتُلَ عمرَو بنَ جَحَّاشٍ فقتَله، لعَنَه اللَّهُ. قال ابنُ إسحاقَ: فأنزَل اللَّهُ فيهم سورةَ «الحَشْرِ» بكمالِها، يَذْكُرُ فيها ما أصابهم [٢/ ٢٤٤و] به مِن نِقْمَتِه وما سَلَّط عليهم به رسولَه ﷺ، وما عمِل به فيهم. ثُم شرَع ابنُ إسحاقَ يُفَسِّرُها[6]، وقد تكَلَّمْنا عليها بطولِها مبسوطةً فى كتابِنا «التفسيرِ»[7]. وللَّهِ الحمدُ.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) الروض الأنف ٦/ ٢٣٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سقط من: الأصل. وفى ص: «له».

(٥) فى م: «لقيت».

(٦) المصدر السابق ٢/ ١٩٣- ١٩٥.

(٧) التفسير ٨/٨١ - ١٠٧.

فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ١- ٥]. سبَّح سبحانَه وتعالى نفسَه الكريمةَ، وأخبرَ أنه يُسبِّحُ له جميعُ مخلوقاتِه العُلويَّةِ والسُّفليَّةِ، وأنه العزيزُ وهو مَنيعُ الجَنابِ، فلا تُرامُ عظمتُه وكبرياؤُه، وأنه الحكيمُ فى جميعِ ما خلَق وجميعِ ما قدَّر وشرَع، فمِن ذلك تقديرُه وتدبيرُه وتيسيرُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ وعبادِه المؤمنين فى ظَفَرِهم بأعدائِهم مِن اليهودِ، الذين شاقُّوا اللَّهَ ورسولَه، وجانبوا رسولَه وشرْعَه، وما كان مِن السببِ المُقْتَضِى[1] لقتالِهم، كما تقدَّم، حتى حاصَرهم المُؤَيَّدُ بالرعبِ والرَّهَبِ مسيرةَ شهرٍ، ومع هذا فأسَرَهم بالمُحاصرةِ بجنودِه ونفسِه الشريفةِ ستَّ ليالٍ، فذهَب بهم الرعبُ كلَّ مَذْهَبٍ، حتى صانَعوا وصالَحوا على حَقْنِ دمائِهم، وأن يَأْخُذوا مِن أموالِهم ما استَقَلَّت به رِكابُهم، على أنهم لا يَسْتَصْحِبون شيئًا مِن السلاحِ؛ إهانةً لهم واحتقارًا، فجعَلوا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾. ثُم ذكَر تعالى أنه لو لم يُصِبْهم هذا الجَلاءُ، وهو التَّسْيِيرُ والنَّفْىُ مِن جِوارِ الرسولِ ﷺ مِن المدينةِ، لأصابهم ما هو أشدُّ منه مِن العذابِ الدنيوىِّ، وهو القتلُ، مع ما ادَّخَر لهم فى الآخرةِ مِن العذابِ الأليمِ المقدَّرِ لهم. ثم ذكَر تعالى حكمةَ ما وقَع مِن تحريقِ نخلِهم، وترْكِ ما بَقِىَ منه لهم، وأن ذلك كلَّه سائغٌ، فقال: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ وهو جيِّدُ التمرِ ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ إن الجميعَ قد أُذِن فيه شرعًا وقَدَرًا، فلا حرَجَ عليكم فيه،

---

(١) فى ص، م «المفضى».

ولَنِعْمَ ما رأيتم مِن ذلك ، وليس هو بفسادٍ ، كما قاله شِرارُ العِبادِ ، إنما هو إظهارٌ للقوةِ ، وإخزاءٌ للكفرةِ الفَجَرةِ .

وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ[1] ، جميعًا عن قُتَيْبةَ ، عن اللَّيْثِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حرَّق نخلَ بنى النَّضيرِ ، وقطَع ، وهى البُوَيْرَةُ[2] ، فأنزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ .

وعندَ البخاريِّ[3] ، من طريقِ جُوَيْرِيَةَ[4] بنِ أسماءَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حرَّق نخلَ بنى النَّضيرِ وقطَع ، وهى البُوَيْرَةُ ، ولها يقولُ حسانُ بنُ ثابتٍ :

وهانَ على سَرَاةِ[5] بنى لُؤَىٍّ ... حريقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ[6]

فأجابه أبو سفيانَ بنُ الحارثِ يقولُ :

أدامَ اللَّهُ ذلك مِن صَنِيعٍ ... وحرَّقَ فى نَواحِيها السعيرُ

---

(١) البخارى (٤٨٨٤) . ومسلم (١٧٤٦) .

(٢) البويرة : مصغر بؤرة وهى الحفرة ، وهى هنا مكان معروف بين المدينة وبين تيماء ، وهى من جهة قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب ، ويُقال لها أيضًا : « البويلة » باللام بدل الراء . انظر فتح البارى ٧/ ٣٣٣.

(٣) البخارى (٢٣٢٦، ٤٠٣٢) .

(٤) فى الأصل : « حويرثة » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٧٢.

(٥) سراة : جمع سرى ، وهو الرئيس . فتح البارى ٧/ ٣٣٣.

(٦) مستطير : مشتعل . المصدر السابق .

سَتَعْلَمُ أَيُّنا منها بنُزْهِ[1] وتَعْلَمُ أىَّ أَرْضَيْنا تَضِيرُ[2]

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ يَذْكُرُ إجلاءَ بنى النَّضيرِ وقتلَ كعبِ بنِ الأشْرفِ . فاللَّهُ أعلمُ :

[٢/٢٤٤ظ] لقد خَزِيَتْ[4] بغَدْرَتِها الحُبورُ كذاك الدَّهْرُ ذو صَرْفٍ يَدورُ[5]

وذلك أنّهم كفَروا بربٍّ عظيمٍ[6] أمرُه أمرٌ كبيرُ

وقد أُوتوا معًا فَهْمًا وعِلْمًا وجاءهمُ من اللَّهِ النذيرُ

نذيرٌ صادقٌ أدَّى كتابًا وآياتٍ مُبَيِّنةً تُنِيرُ

فقالوا ما أَتَيْتَ بأمرِ صِدقٍ وأنتَ بمُنْكَرٍ منا جديرُ

فقال بلى لقد أدَّيْتُ حقًّا يُصَدِّقُنى به الفَهِمُ الخَبيرُ

فمَن يَتْبَعْه يُهْدَ لكلِّ رُشْدٍ ومَن يَكْفُرْ به يُجْزَ[7] الكَفورُ

---

(١) فى الأصل : « بستره » . وفى م : « بستر » . وفى ص : « نبره » . والمثبت من صحيح البخارى . ونزه : بُعْد . الفتح ٧/ ٣٣٣.

(٢) أرضينا : بالتثنية ، يعنى : أرض بنى النضير ، وأرض الأنصار ، فإذا خربت أرض بنى النضير أضرَّتْ بما جاورها ، بخلاف أرض قريش ؛ فإنها بعيدة منها بعدًا شديدًا فلا تبالى بخرابها ، فكأن أبا سفيان يقول : تخربت أرض بنى النضير ، وتخريبها إنما يضر أرض من جاورها ، وأرضكم هى التى تجاورها ، فهى التى تتضرر لا أرضنا . وتضير : من الضَّيْر وهو بمعنى الضُّرّ ، ويطلق الضير ويُراد به المَضَرَّة . انظر الفتح ٧/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٩٨ - ٢٠٠.

(٤) فى الأصل : « خربت » .

(٥) الحبور هنا : جمع حبر وهو العالم . ويُقال أيضا فى جمع حبر : أحبار . وأراد بالحبور هنا : علماء اليهود . انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٥.

(٦) كذا بالنسخ . وفى السيرة : « عزيز » .

(٧) فى م ، ص : « يخز » .

فلمَّا أُشْرِبوا غَدْرًا وكُفرًا ... وجَدَّ بهم عن الحقِّ النُّفورُ

أَرَى اللَّهُ النبيَّ برأْيِ صدْقٍ ... وكان اللَّهُ يَحْكُمُ لا يَجورُ

فأيَّده وسلَّطه عليهم ... وكان نَصيرَه نِعْمَ النصيرُ

فغُودِرَ منهمُ كعبٌ صَرِيعًا ... فذلَّتْ بعدَ مصرعِه النَّضيرُ

على الكفَّيْن ثَمَّ وقد عَلَتْه ... بأيدينا مُشَهَّرةٌ ذُكورُ[1]

بأمْرِ محمدٍ إذ دَسَّ ليلًا ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ[2] يَسيرُ

فماكَرَهُ فأنزَله بمَكْرٍ ... ومحمودٌ أخو ثقةٍ جَسورُ

فتلك بنو النَّضيرِ بدارِ سَوْءٍ ... أبارَهمُ[3] بما اجْتَرموا[4] المُبِيرُ[5]

غَداةَ أتاهمُ فى الزَّحْفِ[6] رَهْوًا[7] ... رسولُ اللَّهِ وهْوَ بهم بَصيرُ

وغسَّانُ الحُماةُ مُؤَازِرُوه ... على الأعداءِ وهْو لهم وَزِيرُ

فقال السِّلْمَ وَيْحَكُمُ فصَدُّوا ... وخالَفَ أمْرَهُمْ كَذِبٌ وزُورُ

فذاقوا غِبَّ أمْرِهمُ وَبالًا ... لكلِّ ثلاثةٍ منهم بعيرُ[8]

---

(١) مشهرة ذكور: يعنى السيوف. شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٦.

(٢) يعنى بأخى كعبٍ: أبا نائلة، فهو أخو كعب بن الأشرف من الرضاعة. انظر أسد الغابة ٦/ ٣١١.

(٣) فى الأصل، ص: «أبادهم». وأبارهم: أهلكهم. انظر اللسان (ب و ر).

(٤) فى ص: «أجرموا». واجترموا: اكتسبوا. شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٦.

(٥) فى الأصل، ص: «الكبير». والمبير: المهلك.

(٦) الزحف: دُنُوّ الناس بعضهم لبعض. المصدر السابق ٣/ ١٢٤. ويعنى به هنا جيش المسلمين.

(٧) فى الأصل: «زهوا». وفى ص: «قهرا». والرهو: مشْى فى سكون. المصدر السابق ٢/ ١٨٦.

(٨) الغب من كل شيءٍ: عاقبته وآخِره. والوبال: سوء العاقبة. انظر الوسيط (غ ب ب)، (و ب ل).

وأُجْلُوا عامِدِين لِقَيْنُقاعٍ وغُودِرَ منهمُ نخلٌ ودُورُ

(١) وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[٢] جوابَها لسَمَّاكٍ[٣] اليهوديِّ، فتَرَكْناها قَصْدًا[١].

قال ابنُ إسحاقَ[٤]: وكان ممّا قِيل فى بنى النَّضيرِ، قولُ ابنِ لُقَيْمٍ العَبْسىِّ، ويقالُ: قالها قيسُ بنُ بَحْرِ بنِ طَرِيفٍ الأَشْجَعىُّ[٥]:

أَهْلى[٦] فداءٌ لامرِئٍ غيرِ هالكٍ أحلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المُزَنَّمِ[٧]

يَقِيلون فى جَمْرِ الغَضاةِ[٨] وبُدِّلوا أُهَيْضِبَ[٩] عُودَى[١٠] بالوَدِىِّ المُكَمَّمِ[١١]

فإن يكُ ظَنِّى صادِقًا بمحمدٍ تَرَوْا خَيْلَه بينَ الصَّلَا ويَرَمْرَمِ[١٢]

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٠.

(٣) فى م، ص: «لسمال». والمثبت من السيرة.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٩٥، ١٩٦.

(٥) «الأشجعى» من قول ابن هشام كما فى السيرة.

(٦) كذا فى النسخ والسيرة. وفيه الخَزْم، وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٠٤ حاشية ٣.

(٧) أحل اليهود بالحسى المزنم: يريد أحلهم بأرض غربة، وفى غير عشائرهم، والزنيم والمزنم: الرجل يكون فى القوم وليس منهم. أى أنزله بمنزلة الحسى؛ أى المُبعَد الطريد. والحِسِىّ والحَسُوُّ: ما يحسى من الطعام حَسْوًا، أى فى مُهْلة. ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغَذِىّ من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى. انظر الروض الأنف ٦/ ٢٣٥.

(٨) فى الأصل: «الغداة». وفى م: «العضاة». والغضاة: مفرد الغضا وهو نوع من الشجر. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٢.

(٩) الأهيضب: المكان المرتفع. المصدر السابق.

(١٠) فى الأصل: «يحدو». وعودى: اسم موضع. المصدر السابق.

(١١) الودى: النخيل الصغار. والمكمم: الذى خرج طلعه. انظر المصدر السابق. ويقصد أن اليهود بُدِّل حالهم بعد العيش الرغد، فصاروا فى عيش شاق بعدما أجلاهم النبى ﷺ.

(١٢) فى ص: «وبزمزم». والصلا ويرمرم: موضعان. انظر المصدر السابق.

يَؤُمُّ بها عمرَو بنَ بُهْثَةَ[1] إنَّهم عدُوٌّ وما حيٌّ صديقٌ كمُجْرِمِ

عَلَيْهِنَّ أبطالٌ مَساعِيرُ[2] فى الوَغَى يَهُزُّون أطرافَ الوَشِيجِ المُقَوَّمِ[3]

[٢/ ٢٤٥و] وكلَّ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْن مُهَنَّدٍ[4] تُوُورِثْنَ مِن أزمانِ عادٍ وجُرْهُمِ

فمَن مُبْلِغٌ عنى قُرَيشًا رِسالةً فهل بعدَهم فى المجدِ مِن مُتَكَرِّمِ

بأنَّ أخاهم فاعْلَمُنَّ محمدًا تَلِيدُ النَّدَى بينَ الحَجُونِ وزَمْزَمِ[5]

فدِينوا له بالحقِّ تَجْسُمْ[6] أُمورُكم وتَسْمُوا مِن الدُّنيا إلى كلِّ مُعْظَمِ

نبيٌّ تلاقَتْه[7] مِن اللَّهِ رَحْمةٌ ولا تسألوه أمرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ[8]

فقد كان فى بدرٍ لَعَمْرِىَ عِبْرةٌ لكم يا قريشًا والقَليبِ المُلَمَّمِ[9]

غَداةَ أتَى فى الخزرجيَّةِ عامدًا إليكم مُطيعًا للعظيمِ المُكَرَّمِ

مُعانًا برُوحِ القُدْسِ يَنْكِى عدُوَّه رسولًا مِن الرحمنِ حقًّا بمَعْلَمِ[10]

---

(١) فى الأصل: «نهبة».

(٢) فى ص: «مساعر». والمساعير: هم الذين يُشعِرون الحرب؛ أى يهيجونها. انظر المصدر السابق.

(٣) الوشيج: الرماح. المصدر السابق.

(٤) رقيق الشفرتين مهند: يعنى السيف الذى عُمل ببلاد الهند وأُحكم عمله، وهو ذو شفرتين - يعنى حَرْفَى حَدِّيْه - حادَّتيْن رقيقتيْن. انظر لسان العرب (هـ ن د)، (ش ف ر).

(٥) التليد: القديم. والندى: الجود والسخاء والخير. والحجون: موضع بمكة. انظر الوسيط (ن د ى). وشرح غريب السيرة ٢/ ١٨٢.

(٦) تجسم: تعظم. الوسيط (ج س م).

(٧) فى الأصل، م: «تلافته».

(٨) فى الأصل: «فرحم». والمرجم: المظنون الذى لا يُتيقَّن. شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٢.

(٩) الملمم: المجموع. المصدر السابق. يشير إلى قليب بدر الذى جمع قتلى المشركين.

(١٠) ينكى: يبالغ فى ضرره. والمعلم: الموضع المرتفع المشرف. المصدر السابق.

رسولًا مِن الرحمنِ يَتْلُو كتابَه فلمَّا أنار الحقُّ لم يَتَلَعْثَمِ
أَرَى أمرَه يَزْدادُ فى كلِّ موطنٍ عُلُوًّا لأمْرِ حَمَّه[1] اللَّهُ مُحْكَمِ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ - وقال ابنُ هشامٍ[3] : قالها رجلٌ مِن المسلمين، ولم أرَ أحدًا يَعْرِفُها لعلىٍّ - :

عَرَفْتُ ومَن يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ وأيْقَنْتُ حَقًّا ولم أَصْدِفِ[4]
عنَ الكَلِمِ المُحْكَمِ[5] الآى[6] مِن لدَى اللَّهِ ذى الرَّأْفةِ الأَرْأَفِ
رسائلُ تُدْرَسُ فى المؤمنين بهنَّ اصْطَفَى أحمدَ المُصْطَفِى
فأصبحَ أحمدُ فينا عزيزًا عزيزَ المُقامةِ والمَوْقِفِ[7]
فيا أيُّها المُوعِدُوه[8] سَفاهًا[9] ولم يأتِ جَوْرًا ولم يَعْنُفِ
ألستم تخافون أدنى العذابِ وما آمِنُ اللَّهِ كالأَخْوفِ
وأن تُصْرَعوا تحتَ أسيافِه كمَصْرَعِ كعبِ أبى[10] الأَشْرَفِ

---

(١) فى الأصل: «جمه». وحمه: قدره. المصدر السابق.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٦، ١٩٧.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٩٦.
(٤) أصدف: أعرض. شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٣.
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) فى ص، م، والسيرة: «اللاء». والمثبت موافق لإحدى روايات السيرة، كما أشار إلى ذلك محققوها.
(٧) المقامة: موضع الإقامة. والموقف: موضع الوقوف حيث كان.
(٨) الموعدوه: المُهَدِّدوه. شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٣.
(٩) فى الأصل: «شفاها». والسفاه: الضلال. شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٣.

غـداةَ رأَى الـلَّـهُ طُـغْـيـانَـه وأعْـرَضَ كـالجَمَـلِ الأَجْـنَـفِ[1]

فـأنـزَل جـبـريـلَ فـى قـتـلِـه بـوَحْـيٍ إلـى عـبـدِه مُـلْـطَـفِ[2]

فـدَسَّ الـرسـولُ رسـولًا لـه بأبيضَ[3] ذى هَبَّةٍ[4] مُرْهَفِ[5]

فـبـاتـتْ عـيـونٌ لـه مُـعْـوِلاتٌ متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِفِ[6]

وقُـلْـن لأحـمـدَ ذَرْنـا قـلـيـلًا فـإنّـا مِـن الـنَّـوْحِ لم نَـشْـتَـفِ

فَـخَـلَّاهُـمُ ثُـم قـال اظْـعَـنـوا دُحـورًا عـلـى رَغْـمِ الآنُـفِ[7]

وأجْـلَـى الـنَّـضـيـرَ إلـى غُـرْبَـةٍ وكـانـوا بـدارِ ذَوِى زُخْـرُفِ

[٢/٢٤٥ظ] إلى أَذْرِعاتٍ[8] رِدَافًا[9] وهم عـلـى كـلِّ ذى دَبَـرٍ أعْـجَـفِ[10]

---

(١٠) فى الأصل : « بن » . وقد عدل عن « ابن » إلى « أبى » ليستقيم الوزن .

(١) فى الأصل : « الأحنف » . والأجنف : من الجَنَف وهو الميل فى الكلام وفى الأمور كلها . اللسان (ج ن ف) .

(٢) ملطف : خفى . انظر الوسيط (ل ط ف) .

(٣) بأبيض : يعنى سيفا . شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٣. والمعنى أنه يشير إلى إرسال النبى ﷺ محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف لقتله .

(٤) فى الأصل : « هنة » . والهبة : الاهتزاز والتصميم . المصدر السابق .

(٥) المرهف : القاطع . المصدر السابق .

(٦) معولات : باكيات بصوت . وينع : يُذكَر خبر قتله . وتذرف : تسيل بالدموع . انظر المصدر السابق ٢/ ١٨٣، ١٨٤.

(٧) اظعنوا : ارحلوا . والدحور : الذل والهوان . وعلى رغم الآنف : يريد على المذلَّة ، يقال : أرغم اللّه أنفه . إذا أذلَّه . انظر المصدر السابق ٢/ ١٨٤.

(٨) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان . معجم البلدان ١/ ١٧٥.

(٩) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « رُدافَى » . وأشار محققوه إلى أنه يروى أيضًا « ردافًا » . وردافا : مرتدفين يردف بعضهم بعضا . شرح غريب السيرة ٢/ ١٨٤.

(١٠) ذى دبر أعجف : يعنى جملًا بظهره دبر ، أى جُرح . والأعجف : الهزيل الضعيف . انظر المصدر السابق .

وتَرَكْنا جوابَها أيضًا مِن سَمّاكٍ[1] اليهوديِّ قصدًا.

ثُم ذكَر تعالى حُكْمَ الفَيْءِ، وأنه حكَم بأموالِ بنى النَّضيرِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، وملَّكها له، فوضَعها رسولُ اللَّهِ ﷺ حيث أراه اللَّهُ تعالى، كما ثبَت فى «الصحيحين»[2] عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ أنَّه قال: كانت أموالُ بنى النَّضيرِ ممّا أفاء اللَّهُ على رسولِه ﷺ، مِمّا لم[3] يُوجِفِ المسلمون عليه بَخيلٍ ولا رِكابٍ، فكانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ خاصَّةً، فكان يَعْزِلُ نفقةَ أهلِه سَنةً، ثُم يَجْعَلُ ما بَقِىَ فى الكُراعِ والسلاحِ عُدَّةً فى سبيلِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ.

ثُم بيَّن تعالى حُكمَ الفَيْءِ، وأنَّه للمهاجرين والأنصارِ والتابعين لهم بإحسانٍ على مِنْوالِهم وطريقتِهم ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[4].

قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا عارِمٌ وعفانُ، قالا: حدَّثنا مُعْتَمِرٌ، سِمعْتُ أبى يقولُ: حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ، عن نبىِّ اللَّهِ ﷺ، أن الرجلَ كان يجعَلُ له مِن مالِه النَّخَلاتِ، أو كما شاء اللَّهُ، حتى فُتِحت عليه قُرَيْظَةُ والنَّضيرُ. قال: فجعَل يرُدُّ بعدَ ذلك. قال: وإنَّ أهلى أمَرونى أن آتىَ النبىَّ ﷺ فأسألَه الذى

---

(١) فى م: «سمال». وفى ص: «شمال».

(٢) البخارى (٢٩٠٤، ٤٨٨٥)، ومسلم (١٧٥٧).

(٣) سقط من: ص. والإيجاف: سرعة السير. النهاية ٥/ ١٥٧.

(٤) التفسير ٨/ ٩٠ - ٩٣. سورة الحشر، الآية ٧.

(٥) المسند ٣/ ٢١٩.

كان أهلُه أَعْطَوْه أو بعضَه ، وكان نبيُّ اللَّهِ ﷺ أَعْطاه أمُّ أيمنَ ، أو كما شاء اللَّهُ . قال : فسألْتُ النبيَّ ﷺ فأعْطانِيهِنَّ ، فجاءت أمُّ أيمنَ فجعَلتِ الثوبَ فى عُنقى وجعَلتْ تقولُ : كلا واللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، لا يُعْطِيكَهُنَّ[1] وقد أَعْطانِيهِنَّ . أو كما قالت . فقال النبيُّ ﷺ : « لكِ كذا وكذا »[2] . وتقولُ : كلا واللَّهِ . قال : ويقولُ : « لكِ كذا وكذا » . وتقولُ : كلا واللَّهِ . قال : ويقولُ : « لكِ كذا وكذا » . حتى أعطاها - حَسِبْتُ[3] أنَّه قال - عشَرةَ أمثالِه . أو قال : قريبًا مِن عشَرةِ أمثالِه . أو كما قال . أخْرجاه بنحوِه مِن طُرقٍ ، عن مُعْتَمِرٍ به[4] .

ثُم قال تعالى ذامًّا للمنافقين الذين مالُوا لِبنى النَّضيرِ فى الباطنِ ، كما تقدَّم[5] ، ووعَدوهم النصرَ ، فلم يَكُنْ مِن ذلك شىءٌ ، بل خذَلوهم أحوجَ ما كانوا إليهم ، وغرُّوهم مِن أنفسِهم ، فقال[6] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١، ١٢] . ثُم ذمَّهم تعالى على جُبْنِهم ، وقِلَّةِ

---

(١) فى م ، ص : « أعطيكهن » .

(٢) أى من عندى بدل ذلك . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣١.

(٣) القائل هو سليمان بن طرخان والد معتمر، وهو الراوى لهذا الحديث عن أنس . انظر المصدر السابق .

(٤) البخارى (٣١٢٨، ٤٠٣٠، ٤١٢٠)، ومسلم ٧١/ (١٧٧١).

(٥) تقدم فى صفحة ٥٣٦.

(٦) التفسير ٨/ ١٠٠.

عِلْمِهم، وخِفَّةِ عقلِهم النافعِ، ثُم ضرَب لهم مثلًا قبيحًا شنيعًا بالشيطانِ حينَ قال للإنسانِ[1]: ﴿ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

---

(١) التفسير ٨/ ١٠١، ١٠٢.

قصَّةُ عمرِو بنِ سُعْدَى القُرَظـىِّ

حيـنَ مرَّ على ديارِ بنى النَّضيرِ

وقد صارتْ يَبابًا[1] ، ليس بها داعٍ ولا مجيبٌ

وقد كانت بنو النَّضيرِ أشْرَفَ مِن بنى قُرَيْظَةَ ، حتى حَداه ذلك على الإسلامِ ، وأظْهَر صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن التوراةِ .

قال الواقدىُّ[2] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ جعفرٍ ، [٢/٢٤٦و] عن أبيه قال : لمَّا خَرَجتْ بنو النَّضيرِ مِن المدينةِ ، أقْبَل عمرُو بنُ سُعْدَى ، فأطاف بمنازلِهم فرَأَى خرابَها ، وفَكَّر ثُم رجَع إلى بنى قُرَيْظَةَ ، فوَجَدهم فى الكنيسةِ ، فنَفَخ فى بُوقِهم ، فاجْتَمَعوا ، فقال الزَّبيرُ بنُ باطا[3] : يا أبا سعيدٍ[4] ، أين كنتَ منذُ اليومِ لم نَرَكَ[5] ؟ وكان لا يُفارِقُ الكنيسةَ ، وكان يَتَأَلَّهُ فى اليهوديَّةِ ، قال : رأيتُ اليومَ عِبَرًا قد عُبِّرْنا بها[6] ؛ رأَيتُ منازِلَ إخوانِنا خاليةً بعدَ ذلك العزِّ والجَلَدِ ، والشَّرَفِ الفاضلِ والعقلِ البارعِ ، قد ترَكوا أموالَهم ، ومَلَكها غيرُهم ، وخَرَجوا

---

(١) اليباب : الخراب . والخالى لا شىء فيه . الوسيط (ى ب ب) .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٦١، ٣٦٢، من طريق الواقدى به .

(٣) فى الأصل : « باطيا » .

(٤) فى الأصل : « سعد » .

(٥) فى النسخ : « تزل » . والمثبت من الدلائل .

(٦) عبرنا بها : أى اشتدَّتْ علينا . انظر الوسيط (ع ب ر) .

خُروجَ ذُلٍّ ، ولا والتوراةِ ما سُلِّطَ هذا على قومٍ قطُّ للَّهِ بهم حاجةٌ ، وقد أَوْقَع قبلَ ذلك بابنِ الأشْرفِ ذى عِزِّهم ، ثُم بيَّتَه فى بيتِه آمنًا[1] ، وأَوْقَع بابنِ سُنَيْنَةَ[2] سيِّدِهم ، وأَوْقَع ببنى قَيْنُقاعَ فأَجْلاهم ، وهم أهلُ جَدٍّ يهودَ ، وكانوا أهلَ عُدَّةٍ وسلاحٍ ونَجْدةٍ ، فحَصَرهم ، فلم يُخْرِجْ إنسانٌ منهم رأسَه حتى سَباهم ، وكُلِّمَ فيهم ، فتَرَكهم على أن أَجْلاهم مِن يَثْرِبَ ، يا قومِ ، قد رأيتُم ما رأيتم[3] ، فأَطِيعُونى وتَعالَوْا نَتَّبِعْ محمدًا ، فواللَّهِ إنَّكم لَتَعْلمون أنَّه نبىٌّ ، قد بَشَّرَنا به وبأمْرِه ابنُ[4] الهَيَّبانِ أبو عُمَيرٍ وابنُ حِراشٍ ، وهما أعلمُ يهودَ ، جاءانا يتَوَكَّفان[5] قُدومَه ، وأمَرانا باتِّباعِه ، جاءانا مِن بيتِ المقدسِ ، وأمَرانا أن نُقْرِئَه منهما السلامَ ، ثُم ماتا على دينِهما ، ودفَنَّاهما بحَرَّتِنا هذه . فأَسْكَت[6] القومُ فلم ، يَتَكَلَّمْ منهم مُتكلِّمٌ ، ثُم أعاد هذا الكلامَ ونحوَه ، وخَوَّفهم بالحربِ والسِّباءِ والجَلاءِ . فقال الزُّبيرُ بنُ باطا : قد والتوراةِ قرأتُ صفَتَه فى كتابِ باطا ؛ التوراةِ التى نَزَلَتْ على موسى ، ليس فى المَثانى الذى أحْدَثْنا . قال : فقال له كعبُ بنُ أَسَدٍ : ما يَمْنَعُك يا أبا عبدِ الرحمنِ مِن اتِّباعِه ؟ قال : أنت . قال كعبٌ : فلِمَ ، والتوراةِ ما حُلْتُ بينَك وبينَه قطُّ ؟! قال الزُّبيرُ : بل أنت صاحبُ عهدِنا وعَقْدِنا ، فإن اتَّبَعْتَه اتَّبَعْناه ، وإن أبيْتَ أبَيْنا . فأَقْبَل عمرُو بنُ سُعْدَى على

---

(١) يشير إلى مقتل ابن الأشرف ليلا وهو آمن فى بيته .

(٢) فى الأصل : « شبيبة » .

(٣) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل : « رأيت » .

(٤) فى الأصل : « إن » .

(٥) يتوكفان : يتوقّعان وينتظران . انظر اللسان (و ك ف) .

(٦) أسكت : أطْرَق من فِكْرةٍ ، أو داءٍ ، أو فَرَق . اللسان (س ك ت) .

كعبٍ . فذكَر ما تَقاوَلا فى ذلك ، إلى أن قال كعبٌ[1] : ما عندى فى أمرِه إلَّا ما قلتُ ، ما تَطِيبُ نفسى أن أَصِيرَ تابعًا . رَواه البَيْهَقىُّ .

---

(١) فى م ، ص : « عمرو » .

غزوةُ بنى لِحْيَانَ

[1]التى صَلَّى فيها صلاةَ الخَوفِ بعُسْفانَ

هـٰهنا[1] ذكَرها البَيْهَقِيُّ فى «الدلائلِ»[2] ، وإنَّما ذكَرها ابنُ إسحاقَ ، فيما رأيْتُه ، مِن طريقِ ابنِ[3] هشامٍ ، عن زِيادٍ عنه ، فى جُمادَى الأُولى مِن سنةِ ستٍّ[4] مِن الهجرةِ بعدَ الخندقِ وبنى قُرَيْظَةَ[5] ، وهو أشْبَهُ ممّا ذكَره البَيْهَقِيُّ . واللَّهُ أعلمُ[6] .

وقال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[7] : أخْبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ [8]قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ[8] وغيرُه ، قالوا : لمَّا أُصيبَ خُبَيبٌ وأصحابُه خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ طالبًا بدمائِهم ؛ ليُصِيبَ مِن بنى لِحْيانَ غِرَّةً ، فسَلَك طريقَ الشامِ ؛ ليُرِى أنَّه لا يريدُ بنى لِحْيانَ ، حتى نَزَل

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) دلائل النبوة ٣/٣٦٤ - ٣٦٨ .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى م ، ص : « ثنتين » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٩ - ٢٨١ .

(٦) فى الأصل : « فلنؤخرها إلى هناك » .

(٧) دلائل النبوة ٣/٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٨ - ٨) سقط من : النسخ . وأثبت من الدلائل .

بأرضِهم ، فوَجَدهم قد حَذِروا وتَمَنَّعوا فى رُءُوسِ الجبالِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو أنَّا هَبَطْنا عُسْفانَ ؛ لَرَأَتْ قُريشٌ أنّا قد جِئْنا مكةَ » . فخرَج فى مائتَىْ راكبٍ حتى نزَل عُسْفانَ ، ثُم بَعَث فارِسَيْن حتى جاءا كُراعَ الغَميمِ[1] ، ثُم انْصَرَفا ، فذكَر أبو عَيّاشٍ الزُّرَقىُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى بعُسْفانَ صلاةَ الخوفِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، حدَّثنا الثَّوْرِىُّ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن [3]أبى عَيَّاشٍ[3] قال : كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بعُسْفانَ ، فاسْتَقْبَلَنا المشركون ، عليهم خالدُ بنُ الوليدِ ، وهم بينَنا وبينَ القِبْلةِ ، فصَلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ الظهرَ ، فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصَبْنا غِرَّتَهم . ثُم قالوا : تَأْتى عليهم الآنَ صلاةٌ هى أحبُّ إليهم مِن أبنائِهم وأنفُسِهم . قال : فنزَل جبريلُ [٢/٢٤٦ظ] بهذه الآياتِ بينَ الظهرِ والعصرِ[4] : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] . قال : فحَضَرَتْ ، فأمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأخَذوا السلاحَ ، فصَفَفْنا خلفَه صَفَّيْن ، ثُم رَكَع ، فرَكَعْنا جميعًا ، ثُم رفَع فرَفَعْنا جميعًا ، ثُم سَجَد بالصفِّ الذى يَلِيه ، والآخَرون قِيامٌ يَحْرُسونهم ، فلمَّا سَجَدوا وقاموا جَلَس الآخرون فسجَدوا فى مكانِهم ، ثُم تَقَدَّم هؤلاء إلى مَصافِّ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مَصافِّ هؤلاء . قال : ثُم رَكَع فركَعوا

---

(١) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو وادٍ أمام عسفان بثمانية أميال ، وهذا الكراع جبل أسود فى طرف الحرة يمتدّ إليه . معجم البلدان ٤/٢٤٧ .

(٢) المسند ٤/٥٩ ، ٦٠ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ابن عباس » . وفى م : « ابن عياش » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/٢٢٨ .

(٤) التفسير ٢/٣٥٤ ، ٣٥٥ .

جميعًا ، ثُم رَفَع فرَفَعوا جميعًا ، ثُم سجَد [1]النبىُّ ﷺ و[1] الصفُّ الذى يَلِيه والآخرون قيامٌ يَحْرُسونهم ، فلمَّا جلَسوا[2] جلَس الآخرون ، فسَجَدوا ؛ ثُم سَلَّم عليهم ، ثُم انْصَرَف . قال : فصَلّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ مرتَيْن ؛ مرةً بعُسفانَ ومرةً بأرضِ بنى سُلَيْمٍ . ثُم رَواه أحمدُ[3] ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعبةَ ، عن منصورٍ به نحوَه . وقد رَواه أبو داودَ عن سعيدِ بنِ منصورٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ الحميدِ ، والنسائىُّ عن الفَلَّاسِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ الصمدِ ، و[4]عن محمدِ بنِ المُثَنَّى وبُنْدارٍ ، عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، ثلاثتُهم عن منصورٍ به[5] . وهذا إسنادٌ على شرطِ « الصحيحَيْن » ولم يُخْرِجْه واحدٌ منهما ، لكنْ رَوَى مسلمٌ[6] مِن طريقِ أبى خَيْثَمَةَ زُهَيرِ بنِ معاويةَ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ قال : غَزَوْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ قومًا مِن جُهَيْنَةَ ، فقاتَلوا قِتالًا شديدًا ، فلمَّا [7]أن صُلِّىَ[7] الظهرُ قال المشركونَ: لو مِلْنا عليهم مَيْلَةً لَاقْتَطَعْناهم . فأخْبَر جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بذلك ، وذكَر لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « وقالوا : إنَّه ستَأْتِيهم صلاةٌ هى أحبُّ إليهم مِن الأولادِ » . فذكَر الحديثَ كنحوِ ما تَقَدَّم .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[8] : حدَّثنا هشامٌ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) كذا فى النسخ . وفى المسند : « جلس » .

(٣) المسند ٤/٦٠ .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) أبو داود (١٢٣٦) ، والنسائى (١٤٥٨ ، ١٤٥٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٠٩٦) .

(٦) مسلم ٨٠٣ (٨٤٠) .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وفى صحيح مسلم « صلينا » .

(٨) مسند الطيالسى (١٧٣٨) .

عبدِ اللَّهِ قال : صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ بأصحابِه الظهرَ بنَخْلٍ ، فهَمَّ به المشركون ، ثُم قالوا : دَعُوهم ؛ فإنَّ لهم صلاةً بعدَ هذه الصلاةِ هى أحبُّ إليهم مِن أبنائِهم . قال : فنَزَل جبريلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرَهُ ، فصَلَّى بأصحابِه العصرَ ، فصَفَّهم صَفَّيْن ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أيديهِم ، والعدُوُّ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، (١ فكبَّر وكبَّروا ١) جميعًا ، و(٢ رَكَعوا جميعًا ٢) ، ثُم سجَد الذين يَلُونَه(٣) ، والآخرون قِيامٌ ، فلمَّا رفَعوا رءُوسَهم سَجَد الآخرون ، ثُم تَقَدَّم هؤلاء وتَأَخَّر هؤلاء ، فكَبَّروا جميعًا ، ورَكَعوا(٤) جميعًا ، ثُم سجَد الذين يَلُونَهم(٥) ، والآخرون قِيامٌ ، فلمَّا رفَعوا رءُوسَهم سجَد الآخرون . وقد اسْتَشْهَد البخاريُّ فى « صحيحِه »(٦) بروايةِ هشامٍ هذه ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ(٧) : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ عُبيدٍ الهُنائىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شَقيقٍ ، حدَّثنا أبو هُريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَزَل بينَ ضَجَنانَ وعُسْفانَ ، فقال المشركون : إنَّ لهؤلاء صلاةً هى أحبُّ إليهم مِن (٨ آبائِهم وأبنائِهم ٨) - وهى العصرُ - فأجْمِعُوا أمرَكم ، فمِيلُوا عليهم مَيْلةً واحدةً . وإنَّ

(١ - ١) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « فكبروا » .

(٢ - ٢) ليست فى المسند .

(٣) فى م ، ص : « يلونهم » .

(٤) فى المسند : « ورفعوا » .

(٥) فى م ، ص : « يلونه » .

(٦) البخارى (٤١٣٠) معلقًا .

(٧) المسند ٢/ ٥٢٢.

(٨ - ٨) فى الأصل ، م : « أبنائهم وأبكارهم » ، وفى ص : « أبنائهم » . والمثبت من المسند .

جبريلَ أتى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فأمَرَه أن يَقْسِمَ[1] أصحابَه شَطْرَيْن، فيُصَلِّىَ ببعضِهم، وتَقُومَ[2] الطائفةُ الأُخرى وراءَهم ولْيأخُذوا حِذْرَهم وأسلِحتَهم، ثُم تَأْتى الأخرى فيُصَلُّون معه، ويأخُذُ هؤلاء حِذْرَهم وأسلِحَتَهم؛ ليكونَ لهم ركعةٌ ركعةٌ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولرسولِ اللَّهِ ﷺ ركعتان. ورَواه التِّرْمِذِىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ عبدِ الصمدِ به[3]، وقال الترمذىُّ: حسنٌ صحيحٌ.

قلتُ: إن كان أبو هريرةَ شَهِد هذا، فهو بعدَ خَيْبَرَ، وإلَّا فهو مِن مُرسَلاتِ الصحابىِّ، ولا يَضُرُّ ذلك عندَ الجمهورِ. واللَّهُ أعلمُ. ولم يُذْكَرْ فى سياقِ حديثِ جابرٍ عندَ مسلمٍ، ولا عندَ أبى داودَ الطيالسىِّ، أمْرُ عُسْفانَ ولا خالدِ ابنِ الوليدِ، لكنَّ الظاهرَ أنَّها واحدةٌ. بَقِىَ الشأنُ فى أنَّ غزوةَ عُسْفانَ قبلَ الخندقِ أو بعدَها، فإنَّ مِن العلماءِ، [٢/٢٤٧و] منهم الشافعىُّ[4]، مَن يَزْعُمُ أنَّ صلاةَ الخوفِ إنَّما شُرِعتْ بعدَ يومِ الخندقِ؛ فإنَّهم أخَّرُوا الصلاةَ يومَئذٍ عن ميقاتِها لعُذْرِ القتالِ، ولو كانت صلاةُ الخوفِ مشروعةً إذ ذاك، لَفَعَلوها ولم يُؤَخِّروها، ولهذا قال بعضُ أهلِ المغازى[5]: إنَّ غزوةَ بنى لِحْيانَ التى صَلَّى فيها

---

(١) فى النسخ: «يقيم». والمثبت من المسند.

(٢) فى النسخ: «ويقدم». والمثبت من المسند.

(٣) الترمذى (٣٠٣٥)، والنسائى فى الكبرى (١٩٣٢)، حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٤٣١).

وعند الترمذى: «سعيد بن عبدِ الهنائى». وعند النسائى: «سعيد بن عبيد الحُنائى». والهنائى نسبة إلى هُناءة، وهى حى من الأزد. انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥٥.

(٤) انظر معرفة السنن والآثار ٣/ ٣، ٤.

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩، ومغازى الواقدى ٢/ ٥٣٥، وتاريخ الطبرى ٢/٥٩٥ أحداث السنة السادسة، والدرر فى اختصار المغازى والسير ص ١٩٧.

صلاةَ الخوفِ بعُسْفانَ ، كانت بعدَ بنى قُرَيْظَةَ .

وقد ذَكَر الواقدىُّ بإسنادِه[1] ، عن خالدِ بنِ الوليدِ قال : لمَّا خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ لَقِيتُه بعُسْفَانَ ، فوَقَفْتُ بإزائِه وتَعَرَّضْتُ له ، فصَلَّى بأصحابِه الظهرَ أمامَنا[2] ، فهَمَمْنا أن نُغِيرَ عليه ، ثُم لم يُعْزَمْ لنا ، فأطْلَعه اللَّهُ على ما فى أنفسِنا مِن الهَمِّ به ، فصَلَّى بأصحابِه صلاةَ العصرِ صلاةَ الخوفِ .

قلتُ : وعُمْرةُ الحُدَيْبِيَةِ كانت فى ذى القَعْدةِ سنةَ ستٍّ بعدَ الخندقِ وبنى قُرَيْظَةَ كما سيأْتى . وفى سياقِ حديثِ أبى عيّاشٍ الزُّرَقىِّ ، ما يَقْتَضى أنَّ آيةَ صلاةِ الخوفِ نزَلت فى هذه الغزوةِ يومَ عُسْفانَ ، فاقْتَضَى ذلك أنَّها أولُ صلاةِ خوفٍ صَلَّاها . واللَّهُ أعلمُ . وسنَذْكُرُ ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، كيفيةَ صلاةِ الخوفِ واختلافَ الرواياتِ فيها فى كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ ، وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٧٤٥، ٧٤٦، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٦٦، ٣٦٧٧ عن الواقدى به .

(٢) كذا فى النسخ والدلائل ، وفى المغازى : « آمنا منا » .

غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ بعدَ غزوةِ بنى النَّضيرِ [2]شهْرَىْ ربيعٍ[2] وبعضَ جُمادَى ، ثُم غَزا نَجْدًا يُريدُ بنى مُحارِبٍ وبنى ثَعْلَبَةَ مِن غَطَفَانَ ، واسْتَعْمَل على المدينَةِ أبا ذرٍّ . قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ : عثمانَ بنَ عفانَ . قال ابنُ إسحاقَ : فسار حتى نزَل نخْلًا[3] ، وهى غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ . قال ابنُ هشامٍ : لأنهم رَقَّعوا فيها راياتِهم ، ويُقالُ : لشجرةٍ هناك اسمُها ذاتُ الرِّقاعِ . وقال الواقدىُّ[4] : بجبلٍ فيه بُقَعٌ حُمْرٌ وسُودٌ وبِيضٌ . وفى حديثِ أبى موسى[5] : إنما سُمِّيت بذلك لِمَا كانوا يَرْبِطون على أرجُلِهم مِن الخِرَقِ مِن شِدَّةِ الحرِّ . قال ابنُ إسحاقَ[6] : فلَقِىَ بها جَمْعًا مِن غَطَفَانَ ، فتقارَب الناسُ ، ولم يكُنْ بينَهم حربٌ ، وقد خاف الناسُ بعضُهم بعضًا ، حتى صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ صلاةَ الخوفِ .

وقد أسْنَد ابنُ هشامٍ[7] حديثَ صلاةِ الخوفِ هـٰهنا عن عبدِ الوارثِ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢ - ٢) كذا فى النسخ، وفى السيرة : « شهر ربيع الآخر » . وانظر رواية الطبرى عن ابن إسحاق فى التاريخ ٢/ ٥٥٥، وعيون الأثر ٢/ ٥٢.

(٣) فى الأصل : « نجدا » . ونخل : منزل من منازل بنى ثعلبة من المدينة على مرحلتين . معجم البلدان ٤/ ٧٦٨.

(٤) مغازى الواقدى ١/ ٣٩٥.

(٥) البخارى (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٤.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥.

سعيدِ التَّنُّوريِّ ، عن يونسَ بنِ عُبَيدٍ ، عن الحسنِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وعن عبدِ الوارثِ ، عن أيوبَ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، وعن عبدِ الوارثِ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ . ولكن لم يَذْكُرْ فى هذه الطرقِ غزوةَ نَجْدٍ ولا ذاتِ الرِّقاعِ ، ولم يَتَعَرَّضْ لزمانٍ ولا مكانٍ . وفى كَوْنِ غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ - التى كانت بنَجْدٍ ، لقتالِ بنى مُحارِبٍ وبنى ثَعْلبةَ بنِ غَطَفانَ - قبلَ الخندقِ نظرٌ . وقد ذهَب البخاريُّ إلى أنَّ ذلك كان بعدَ خَيْبَرَ[1] ، واستَدَلَّ على ذلك ، بأنَّ أبا موسى الأَشْعَرىَّ شَهِدها ، كما سيأْتى ، وقدومُه إنَّما كان ليالىَ خَيْبَرَ صُحْبةَ جعفرٍ وأصحابِه ، وكذلك أبو هريرةَ ، وقد قال : صَلَّيْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ نَجْدٍ صلاةَ الخوفِ[2] . ومما يدُلُّ على أنَّها بعدَ الخندقِ [3]أنَّ ابنَ عمرَ إنَّما أجازَه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى القتالِ أولَ ما أجازه يومَ الخندقِ[4][3] . وقد ثبَت عنه فى « الصحيحِ »[5] أنَّه قال : غَزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ . فذكَر صلاةَ الخوفِ . وقولُ الواقدىِّ[6] : إنَّه عليه السلامُ خرَج إلى ذاتِ الرِّقاعِ فى أربعِمائةٍ ، ويُقالُ : سبعِمائةٍ ، مِن أصحابِه ليلةَ السبتِ ، لعشرٍ خَلَوْن مِن المحرمِ سنةَ خمسٍ . فيه نظرٌ ، ثُم لا يَحْصُلُ به نجاةٌ مِن أنَّ صلاةَ الخوفِ إنَّما شُرِعتْ بعدَ الخندقِ ؛ لأنَّ الخندقَ كانَ فى شوالٍ سنةَ خمسٍ على المشهورِ ،

---

(١) انظر فتح البارى ٧/ ٤١٦. باب غزوة ذات الرقاع . من كتاب المغازى .

(٢) أخرجه أبو داود (١٢٤٠) ، والنسائى (١٥٤٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١١٠٥) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) البخارى (٢٦٦٤، ٤٠٩٧) . ومسلم (١٨٦٨) .

(٥) البخارى (٩٤٢) .

(٦) مغازى الواقدى ١/ ٣٩٦.

وقيل : فى شوالٍ سنةَ أربعٍ[1] . فَتَحَصَّلَ على هذا القولِ مَخْلَصٌ مِن حديثِ ابنِ عمرَ ، [٢/٢٤٧ظ] فأمّا حديثُ أبى موسى وأبى هريرةَ فلا .

---

(١) ذكره البخارى معلقا فى باب غزوة الخندق عن موسى بن عقبة . فتح البارى ٧/ ٣٩٢، وانظر كلام الحافظ على ذلك فى ٧/ ٣٩٣.

قصةُ غَوْرَثِ بنِ الحارِثِ

قال ابنُ إسحاقَ فى هذه الغزوةِ[1] : حدَّثنى عمرُو بنُ عُبَيْدٍ[2] ، عن الحسنِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رجلًا مِن بنى مُحارِبٍ يُقال له : غَوْرَثٌ . قال لقومِه مِن غَطَفانَ ومُحارِبٍ : ألَا أقْتُلُ لكم محمدًا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تَقْتُلُه ؟ قال : أَفْتِكُ به . قال : فأقْبَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو جالسٌ ، وسيفُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حِجْرِه ، فقال : يا محمدُ ، أَنظُرُ إلى سيفِك هذا ؟ قال : « نعم » . فأخَذه فاستَلَّه[3] ثُم جعَل يَهُزُّه ويَهُمُّ ، فيَكْبِتُه[4] اللَّهُ . ثم قال : يا محمدُ ، أما تَخافُنى ؟ قال : « لا ، وما أخافُ منك ؟ » قال : أما تَخافُنى وفى يدِى السيفُ ؟ قال : « لا ، يَمْنَعُنى اللَّهُ منك » . ثُم عَمَد إلى سيفِ النبىِّ ﷺ ، فردَّه عليه ، فأنزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ[5] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى يزيدُ بنُ رُومانَ ، أنها إنما أُنزِلَت فى عمرِو بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦، وتاريخ الطبرى ٢/٥٥٧ حوادث السنة الرابعة .

(٢) فى ص : « سعيد » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٢٣.

(٣) سقط من : م .

(٤) فى النسخ : « فكبته » ، والمثبت من السيرة . ويكبته : يذله ويقمعه ، وقيل : معناه يصرعه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٩١.

(٥) التفسير ٣/ ٥٨، ٥٩.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٦.

جَحَّاشٍ أخى بنى النَّضيرِ، وما هَمَّ به. هكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ غَوْرَثٍ هذا، عن عمرِو بنِ عُبَيدٍ القَدَرىِّ، رأسِ الفرقةِ الضالةِ، وهو وإن كان لا يُتَّهَمُ بتعمُّدِ الكذبِ فى الحديثِ، إلّا أنه ممن لا يَنْبَغِى أن يُرْوَى عنه؛ لبدعتِه ودعائِه إليها، وهذا الحديثُ ثابتٌ فى «الصحيحين» مِن غيرِ هذا الوجهِ، وللَّهِ الحمدُ.

فقد أورد الحافظُ البيهقىُّ[1] هـٰهنا طرقًا لهذا الحديثِ مِن عدةِ أماكنَ، وهى ثابتةٌ فى «الصحيحين» مِن حديثِ الزهرىِّ، عن سِنانِ بنِ أبى سنانٍ وأبى سَلَمَةَ[2]، عن جابرٍ أنه غَزا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ غزوةَ نَجدٍ، فلما قَفَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، أدْرَكَته القائلةُ فى وادٍ كثيرِ العِضَاهِ[3]، فتفرَّق الناسُ يَسْتَظِلُّون بالشجرِ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ تحتَ ظلِّ شجرةٍ، فعلَّق بها سيفَه، قال جابرٌ: فنِمْنا نَوْمةً، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعونا، فأجَبْناه، وإذا عندَه أعرابىٌّ جالسٌ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ هذا اخْتَرَطَ سيفى[4] وأنا نائمٌ، فاستيْقَظْتُ وهو فى يدِه صَلْتًا[5]، فقال: من يَمْنَعُك منى؟ قلتُ: اللَّهُ. فقال: مَن يَمْنَعُك منى؟ قلتُ: اللَّهُ. فشامَ[6] السيفَ وجلسَ». ولم يُعاقِبْه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد فعَل ذلك.

---

(١) دلائل النبوة ٣/٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) البخارى (٢٩١٠، ٢٩١٣، ٤١٣٤)، من حديث سنان، والبخارى (٤١٣٥)، ومسلم فى كتاب الفضائل ١٣، ١٤ (٨٤٣) من حديث سنان وأبى سلمة معا.

(٣) العضاه: شجر أم غيلان، وكل شجر عظيم له شوك، الواحدة عِضَة، وأصلها عِضْهَة، وقيل: واحدتها عِضاهة، النهاية ٣/ ٢٥٥.

(٤) اخترط سيفى: سله من غمده. النهاية ٢/ ٢٣.

(٥) أى؛ مجردًا من غمده. النهاية ٣/ ٤٥.

(٦) أى؛ أغمده، والشيم من الأضداد، يكون سلًّا وإغمادًا. النهاية ٢/ ٥٢١.

وقد رَواه مسلمٌ[1] أيضًا عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ، عن عفانَ، عن أَبَانٍ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ، عن أبى سَلَمَةَ، عن جابرٍ قال: أقْبَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى إذا كنا بذاتِ الرِّقاعِ، وكنا إذا أتَيْنا على شجرةٍ ظليلةٍ ترَكْناها لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فجاءه رجلٌ مِن المشركين وسيفُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بشجرةٍ، فأخَذ سيفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فاخْتَرَطه، وقال لرسولِ اللَّهِ ﷺ: تَخافُنى؟ قال: «لا». قال: فمَن يَمْنَعُك منى؟ قال: «اللَّهُ يَمْنَعُنى منك». قال: فَتَهَدَّدَه أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأغْمَد السيفَ وعلَّقه. قال: ونُودِىَ بالصلاةِ، فصلَّى بطائفةٍ ركعتين، ثُم تأخَّروا وصلَّى بالطائفةِ الأخرى ركعتين. قال: فكانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ أربعُ رَكَعاتٍ وللقومِ ركعتان. وقد علَّقه البخارىُّ[2] بصيغةِ الجَزْمِ، عن أبانٍ به.

قال البخارىُّ[3]: وقال مُسَدَّدٌ، عن أبى عَوانةَ، عن أبى بِشْرٍ: إنَّ اسمَ الرجلِ غَوْرَثُ بنُ الحارثِ.

وأسْنَد البيهقىُّ[4]، مِن طريقِ أبى عَوانةَ، عن أبى بِشْرٍ، عن سُليمانَ بنِ قيسٍ، عن جابرٍ قال: قاتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ محاربَ (٥خَصَفَةَ بنَخلٍ٥)، فرَأَوا مِن [٢/٢٤٨و] المسلمين غِرَّةً، فجاء رجلٌ منهم يقالُ له: غَوْرَثُ بنُ الحارثِ.

---

(١) مسلم (٨٤٣).

(٢) البخارى (٤١٣٦). وانظر تغليق التعليق ٤/ ١١٩، ١٢٠.

(٣) المصدر السابق. وانظر تغليق التعليق ٤/ ١٢١.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٣٧٥، ٣٧٦.

(٥ - ٥) فى الأصل: «وغطفان بنجد»، وفى م: «وغطفان بنخل».

حتى قام على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالسيفِ وقال : مَن يَمْنَعُك منى ؟ قال : « اللَّهُ » . فسقَط السيفُ مِن يدِه ، فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ السيفَ وقال : « مَن يَمْنَعُك منى ؟ » . فقال : كُنْ خيرَ آخذٍ . قال : « تَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ[1] ؟ » . قال : لا ، ولكن أُعاهِدُك على أن لا أُقاتِلَك ولا أكونَ مع قومٍ يُقاتِلونك . فخلَّى سبيلَه ، فأتَى أصحابَه ، فقال : جِئتُكم مِن عندِ خيرِ الناسِ . ثُم ذكَر[2] صلاةَ الخوفِ ، وأنّه صلَّى أربعَ رَكَعاتٍ ، بكلِّ طائفةٍ ركعتين . وقد أورد البيهقىُّ[3] هنا طرقَ صلاةِ الخوفِ بذاتِ الرِّقاعِ ، عن صالحِ بنِ خَوَّاتِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن سَهلِ بنِ أبى حَثْمَةَ ، وحديثَ الزهرىِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه فى صلاةِ الخوفِ بنَجْدٍ ، وموضعُ ذلك كتابُ « الأحكامِ » . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) بعده فى الدلائل : « وأنى رسول الله » .

(٢) أى البيهقى .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٣٧٦، ٣٧٧.

قصّةُ الذى أُصِيبَتِ

امرأتُه [1] فى هذه الغزوةِ [1]

قال محمدُ بنُ إسحاقَ [2] : حدَّثنى عمِّى [3] صَدَقَةُ بنُ يَسارٍ، عن عَقِيلِ بنِ جابرٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارىِّ قال: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ مِن نَخْلٍ [4] ، فأصاب رجلٌ امرأةَ رجلٍ مِن المشركين، فلمَّا انصَرف رسولُ اللَّهِ ﷺ قافلًا، أتَى زوجُها وكان غائبًا، فلما أُخْبِر الخبرَ، حلَف لا يَنْتَهِى حتى يُهَرِيقَ فى أصحابِ محمدٍ دمًا، فخرَج يَتْبَعُ أَثَرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا، فقال: «مَن رجلٌ يَكْلَؤُنا [5] ليلتَنا؟» فانْتَدَب رجلٌ مِن المهاجرين ورجلٌ مِن الأنصارِ. فقالا: نحن يا رسولَ اللَّهِ. قال: «فكُونا بفَمِ الشِّعْبِ مِن الوادى». وهما عمارُ بنُ ياسرٍ وعبَّادُ بنُ بِشْرٍ، فلمَّا خرَجا إلى فَمِ الشِّعْبِ قال الأنصارىُّ للمهاجرىِّ: أىَّ الليلِ تُحِبُّ أن

(١ - ١) فى م: «يومذاك».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) كذا فى النسخ. قال أبو ذر الخشنى: ذِكْرُ «عمى» فى هذا الحديث خطأ، وصدقة هذا خزرى سكن بمكة، وليس بعم محمد بن إسحاق. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٩١. وقول الخشنى: خزرى. خطأ ولعله تصحف، فهو جزرى. انظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٥٥، وفيه - أى فى التهذيب - فى هامش رقم (١) قال محققه: وجاء فى حاشية النسخة تعليق للمصنف نصه: ذكر بعضهم أنه عم محمد ابن إسحاق بن يسار، وذلك وَهْمٌ، ممن ذكره، والله أعلم.

(٤) فى الأصل: «نجد».

(٥) يكلؤنا: يحفظنا ويحرسنا. شرح غريب السيرة ٢/ ١٩١.

أَكْفِيكَه ؛ أولَه أم آخِرَه ؟ قال : بل اكْفِنى أولَه . فاضطَجَع المهاجرىُّ فنام ، وقام الأنصارىُّ يُصَلِّى . قال : وأتَى الرجلُ ، فلما رأى شَخْصَ الرجلِ[1] ، عرَف أنه رَبِيئةُ[2] القومِ ، فرَمَى بسهمٍ فوضَعه فيه[3] ، فانتَزَعه ووضَعه ، وثبَت قائمًا . قال : ثُم رمَى بسهمٍ آخرَ فوضَعه فيه . قال : فانْتَزَعَه ، فوضَعه وثبَت قائمًا . قال : ثُم عادَ له بالثالثِ ، فوضَعه فيه [4]فنزَعه فوضَعه[4] ، ثُم ركَع وسجَد ، ثُم أهَبَّ[5] صاحبَه ، فقال : اجْلِسْ فقد أُثْبِتُّ[6] . قال : فوَثَب الرجلُ ، فلمَّا رآهما الرجلُ ، عرَف أنْ قد نَذِرا به ، فهرَب . قال : ولما رَأى المهاجرىُّ ما بالأنصارىِّ مِن الدماءِ ، قال : سبحانَ اللَّهِ ! أفلا أهْبَبْتَنى[7] أولَ ما رماك ؟ ! قال : كنتُ فى سورةٍ أَقْرَؤُها ، فلم أحِبَّ أن أَقْطَعَها حتى أُنْفِذَها[8] ، فلما تابع علىَّ الرَّمْىَ ركَعْتُ فآذَنْتُك ، وايْمُ اللَّهِ لولا أن أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بحفظِه ، لَقطَع نفْسى قبلَ أن أَقْطَعَها أو أُنْفِذَها . هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ فى « المغازى » . وقد رَواه أبو داودَ ، عن أبى تَوْبَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ ، عن ابنِ إسحاقَ به[9] .

---

(١) شخص الرجل : الشَّخْص : سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد . اللسان (ش خ ص) .

(٢) فى الأصل : « رئية » . والربيئة : هو العين والطليعة الذى ينظر للقوم ؛ لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه . النهاية ٢/ ١٧٩.

(٣) فوضعه فيه : أصابه به .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) أهب : أيقظ .

(٦) أُثْبِتُّ : جرحت جرحا لا يمكن التحرك معه . شرح غريب السيرة ٢/ ١٩١.

(٧) فى الأصل : « أنبهتنى » .

(٨) أنفذها : أتمّها وأختمها .

(٩) أبو داود (١٩٨) . حسن (صحيح أبى داود ١٨٢) .

وقد ذكَر الواقدىُّ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ العُمَرىِّ ، عن أخيه عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن صالحِ بنِ خَوَّاتٍ ، عن أبيه حديثَ صلاةِ الخوفِ بطولِه قال : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أصاب فى مَحالِّهم[2] نِسْوةً ، وكان فى السبيِ جاريةٌ وَضِيئةٌ ، وكان زوجُها يحِبُّها ، فحلَف لَيَطْلُبَنَّ محمدًا ، ولا يَرجِعُ حتى يُصيبَ دمًا أو يُخَلِّصَ صاحبتَه . ثم ذكَر من السياقِ نحوَ ما أوْرَده محمدُ بنُ إسحاقَ .

قال الواقدىُّ[3] : وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يَقولُ : بَيْنَا أنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ جاء رجلٌ مِن أصحابِه بفَرْخِ طائرٍ ، ورسولُ اللَّهِ [٢/ ٢٤٨ظ] ﷺ يَنظُرُ إليه ، فأقْبَل إليه أبواه أو أحدُهما ، حتى طرَح نفسَه فى يدَيِ الذى أخَذ فرخَه ، فرأيتُ أنَّ الناسَ عَجِبوا مِن ذلك ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَعْجَبون مِن هذا الطائرِ ؟! أخَذْتُم فرخَه فطرَح نفسَه رحمةً لفرخِه ، فواللَّهِ لَرَبُّكم أرحمُ بكم مِن هذا الطائرِ بفرخِه » .

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) فى الأصل : « مجالسهم » .

(٣) المغازى ١/ ٣٩٨.

قصةُ جَملِ جَابرٍ (١) فى هذه الغزوةِ (١)

قال محمدُ بنُ إسحاقَ (٢) : حدَّثنى وَهْبُ بنُ كَيْسانَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ مِن نَخلٍ (٣) ، على جملٍ لى ضعيفٍ ، فلمَّا قفَل (٤) رسولُ اللَّهِ ﷺ جعَلتِ الرِّفاقُ تَمْضى ، وجعَلْتُ أتخَلَّفُ حتى أدركَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « ما لك يا جابرُ ؟ » قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أبْطَأ بى جملى هذا . قال : « أَنِخْه » . قال : فأنخْتُه وأناخ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال : « أعْطِنى هذه العصا مِن يدِك » . أو : « اقْطَعْ عصًا (٥) مِن شجرةٍ » . ففَعَلْتُ فأخَذها رسولُ اللَّهِ ﷺ فنخَسه بها نَخساتٍ ، ثُم قال : « اركَبْ » . فرَكِبْتُ فخرَج - والذى بعَثه بالحقِّ - (٦) يُواهِقُ ناقتَه مُواهَقَةً (٦) . قال : وتحدَّثْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال لى : « أتَبِيعُنى جملَك هذا يا جابرُ ؟ » قال : قلتُ : بل أهَبُه لك . قال : « لا ، ولكن بِعْنِيه » . قال : قلتُ : فسُمْنِيه (٧) . قال : « قد أخَذْتُه بدرهمٍ » . قال : قلتُ : لا ، إذًا تَغْبِنُنى (٨) يا رسولَ اللَّهِ . قال :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) فى الأصل : « نجد » .

(٤) قفل : رجع . انظر الوسيط (ق ف ل) .

(٥) فى ص : « غصنًا » .

(٦ - ٦) فى الأصل : « يراهق ناقته مراهقة » . ويواهق ناقته مواهقة : أى يباريها فى السير ويماشيها . ومواهقة الإبل : مدُّ أعناقها فى السير . النهاية ٥/ ٢٣٣.

(٧) من المساومة ، وهى : المجاذبة بين البائع والمشترى على السلعة وفصل ثمنها . النهاية ٢/ ٤٢٥.

(٨) غبنه فى البيع يَغْبِنُه غَبْنًا : غلبه ونقصه . الوسيط (غ ب ن) .

« فبدرهمين » . قال : قلتُ : لا . قال : فلم يَزَلْ يَرْفَعُ لى رسولُ اللَّهِ ﷺ[1] ، حتى بلَغ الأُوقِيَّةَ . قال : فقلتُ : أفقد رَضِيتَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نعم » . قلتُ : فهو لك . قال : « قد أخَذْتُه » . ثُم قال : « يا جابرُ ، هل تزوَّجْتَ بعدُ ؟ » قال : قلتُ : نعم يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أثَيِّبًا أم بِكْرًا ؟ » قال : قلتُ : بل ثَيِّبًا . قال : « أفلا جاريةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُك ؟ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّ أبى أُصيبَ يومَ أحدٍ ، وترَك بناتٍ له سبعًا ، فنَكَحْتُ امرأةً جامعةً ، تَجْمَعُ رءُوسَهن ، فتقومُ عليهن . قال : « أصبْتَ إنْ شاء اللَّهُ ، أمَا إنّا لو قد جِئْنا صِرارًا[2] ، أمَرْنا بجَزورٍ فنُحِرَت فأقَمْنا عليها يومَنا ذلك ، وسَمِعَتْ بنا فنفَضَتْ نَمارِقَها[3] » . قال : فقلتُ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ما لنا مِن نَمارِقَ . قال : « إنَّها ستكونُ ، فإذا أنت قَدِمْتَ فاعمَلْ عمَلًا كَيِّسًا[4] » . قال : فلمّا جِئْنا صِرارًا أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بجَزورٍ فنُحِرَت ، فأقَمْنا عليها ذلك اليومَ ، فلمّا أمْسَى رسولُ اللَّهِ ﷺ دخَل ودخَلْنا . قال : فحدَّثْتُ المرأةَ الحديثَ ، وما قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالت : فدونَك ، فسمعٌ وطاعةٌ . فلمَّا أصبَحْتُ أخَذْتُ برأسِ الجملِ ، فأقْبَلْتُ به حتى أنَخْتُه على بابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم جلَسْتُ فى المسجدِ قريبًا منه . قال : وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فرَأَى الجملَ ، فقال: « ما هذا ؟ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا جملٌ جاء به جابرٌ . قال : « فأين جابرٌ ؟ » . فدُعِيتُ له . قال : فقال : « يا بنَ أخى ، خُذْ برأسِ جملِك ، فهو لك » . قال : ودَعا بلالًا فقال : « اذهَبْ

---

(١) بعده فى السيرة : « فى ثمنه » .

(٢) صرار : بئر قديمة ، على ثلاثة أميال من المدينة . معجم ما استعجم ٣/ ٨٣٠.

(٣) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . انظر الوسيط (نمرق) .

(٤) الكَيِّس ، وهو : الجماع ، وطلب الولد . انظر اللسان (ك ى س) . والمراد حثه على ابتغاء الولد .

بجابرٍ فأعْطِه أُوقِيَّةً » . قال : فذَهَبْتُ معه ، فأعطانى أوقيَّةً ، وزادنى شيئًا يسيرًا . قال : فواللَّهِ ما زال يَنْمِى عندى ويُرَى مكانُه مِن بيتِنا ، حتى أُصِيبَ أمسِ فيما أُصِيبَ لنا . يعنى يومَ الحَرَّةِ[1] . وقد أخرَجه صاحبا[2] « الصحيحِ »[3] مِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ العُمَرىِّ ، عن وَهْبِ بنِ كَيْسانَ ، عن جابرٍ بنحوِه .

قال السُّهَيلىُّ[4] : فى هذا الحديثِ إشارةٌ إلى ما كان أَخْبَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ؛ أنَّ اللَّهَ أحيا والدَه وكلَّمه ، فقال له : « تَمَنَّ علىَّ » . وذلك أنَّه شهيدٌ ، وقد قال اللَّهُ تعالى[5] : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ . وزادهم على ذلك فى قولِه[6] : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . ثُم جمَع لهم بينَ العِوَضِ والمُعَوَّضِ ، فرَدَّ عليهم أرواحَهم التى اشتراها منهم ، فقال[7] : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . والرُّوحُ للإنسانِ بمنزلةِ المَطِيَّةِ ، كما قال ذلك عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ . قال[8] : فلذلك اشترى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن جابرٍ جملَه وهو مَطِيَّتُه فأعطاه ثمَنه ، ثُم ردَّه عليه وزاده مع ذلك . قال[8] : ففيه تحقيقٌ لما كان أخْبَره

---

(١) يوم الحرة : يوم مشهور فى الإسلام أيام يزيد بن معاوية ، لما انتهب المدينة عسكرُه من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين ، وأمَّر عليهم مسلم بن عقبة المرّى فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، وعَقِيبها هلك يزيد . والحرة هذه : أرض بظاهر المدينة ، بها حجارة سود كثيرة ، وكانت الوقعة بها . النهاية ١/ ٣٦٥.

(٢) فى م ، ص : « صاحب » .

(٣) البخارى (٢٠٩٧) ، ومسلم فى كتاب الرضاع ٥٧ (٧١٥) .

(٤) الروض الأنف ٦/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) التفسير ٤/ ١٥٥. سورة التوبة ، الآية ١١١.

(٦) التفسير ٤/١٩٨ - ٢٠٠. سورة يونس ، الآية ٢٦.

(٧) التفسير ٢/١٣٩ - ١٤٣. سورة آل عمران ، الآية ١٦٩.

(٨) أى السهيلى .

به ، عن أبيه . وهذا الذى سلكه السهيلىُّ هـٰهنا إشارةٌ غريبةٌ وتَخَيُّلٌ بديعٌ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وقد تَرْجَم الحافظُ البيهقىُّ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ »[1] [٢/ ٢٤٩و] على هذا الحديثِ فى هذه الغزوةِ فقال : بابُ ما[2] ظهَر فى غَزاتِه هذه من بركاتِه وآياتِه[3] فى جملِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رضى اللَّهُ عنه .

وهذا الحديثُ له طرقٌ عن جابرٍ وألفاظٌ كثيرةٌ ، وفيه اختلافٌ كثيرٌ فى كَميةِ ثمنِ الجملِ وكيفيةِ ما اشتُرِطَ فى البيعِ . وتحريرُ ذلك واستقصاؤُه لائقٌ بكتابِ البيعِ مِن « الأحكامِ » . واللَّهُ أعلمُ . وقد جاء تقييدُه بهذه الغزوةِ ، وجاء تقييدُه بغيرِها ، كما سيأتى ، ومُسْتبعَدٌ تَعْدادُ ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٣٨١.

(٢) بعده فى الأصل ، م : « كان » .

(٣) سقط من : ص .

غزوةُ بدرِ الآخرةِ

وهى بدرٌ المَوْعِدُ، التى تواعدوا إليها من أُحدٍ، كما تقدم[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: ولما رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ من غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ، أقام بها بقيةَ جُمَادَى الأولى وجُمادَى الآخرةَ ورجبًا، ثم خرَج فى شعبانَ إلى بدرٍ لميعادِ أبى سفيانَ. قال ابنُ هشامٍ[3]: واستَعْمَل على المدينةِ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ. قال ابنُ إسحاقَ[4]: فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بدرًا، وأقام عليه ثمانيًا يَنْتَظِرُ أبا سفيانَ، وخرَج أبو سفيانَ فى أهلِ مكةَ، حتى نزَل مَجَنَّةَ مِن ناحيةِ الظَّهْرانِ، وبعضُ الناسِ يقولُ: قد بلغ عُسْفانَ. ثُم بَدا له فى الرجوعِ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، إنه لا يُصْلِحُكم إلَّا عامٌ خَصِيبٌ، تَرْعَوْن فيه الشجرَ، وتَشْرَبون فيه اللبنَ، فإنَّ عامَكم هذا عامُ جَدْبٍ، وإنى راجعٌ فارْجِعوا. فرجَع الناسُ، فسمّاهم أهلُ مكةَ جيشَ السَّوِيقِ، يقولون: إنما خرَجْتم تَشْرَبون السَّوِيقَ. قال: وأتَى مَخْشِيُّ بنُ عمرٍو الضَّمْرِيُّ، وقد كان وادَع النبيَّ ﷺ فى غزوةِ وَدَّانَ على بنى ضَمْرةَ، فقال: يا محمدُ، أجِئتَ للقاءِ قريشٍ على هذا الماءِ؟ قال: «نعم يا أخا بنى ضَمْرةَ، وإن شئتَ ردَدْنا

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٢١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٠٩، ٢١٠.

إليك ما كان بينَنا وبينَك وجالَدْناك ، حتى يحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَك » . قال : لا واللَّهِ يا محمدُ ، ما لنا بذلك مِن حاجةٍ . ثُم[1] رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ولم يَلْقَ كيدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقد قال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ - يعنى فى انتظارِهم أبا سفيانَ ، ورجوعِه بقريشٍ عامَه ذلك - قال ابنُ هشامٍ[3] : وقد أنشَدَنيها أبو زيدٍ لكعبِ بنِ مالكٍ :

وعَدْنا أبا سفيانَ بدرًا فلم نَجِدْ ... لميعادِه صدقًا وما كان وافيَا
فأُقْسِمُ لو لاقَيْتَنا[4] فَلَقِيتَنا ... لَأُبْتَ ذَمِيمًا وافتَقَدْتَ المَوالِيَا
ترَكْنا به أوصالَ عُتْبةَ وابنِه ... وعمرًا أبا جهلٍ ترَكْناه ثاوِيَا
عصَيْتم رسولَ اللَّهِ أفٌّ لدينِكم ... وأمرِكمُ السَّيْءِ[5] الذى كان غاوِيَا
فإنى وإن عنَّفْتُمونى لَقائلٌ ... فِدًى لرسولِ اللَّهِ أهلى ومالِيَا
أطَعْناه لم نَعْدِلْه فينا بغيرِه ... شهابًا لنا فى ظلمةِ الليلِ هادِيا

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى ذلك[7] :

---

(١) من هنا حتى آخر الفقرة من كلام المصنف ، وليس فى السيرة .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٠، ٢١١.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٢١٠.
(٤) كذا بالنسخ . وفى السيرة : « وافيتنا » .
(٥) السىء : السيئ .
(٦) المصدر السابق ٢/ ٢١١، ٢١٢.
(٧) ديوان حسان ص ١٦٣ - ١٦٥.

دَعُوا فَلَجاتِ الشامِ قد حالَ دونَها جِلادٌ كأَفْواهِ المَخاضِ الأَوارِكِ[1]

بأيدِى رجالٍ هاجروا نحوَ ربِّهم وأنصارِه حقًّا وأيدى المَلائكِ

[٢/٢٤٩ظ] إذا سَلَكَتْ للغَوْرِ مِن بطنِ عالجٍ فقُولَا لها ليس الطريقُ هنالِكِ[2]

أقَمْنا على الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمانِيًا بأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَريضِ المَبارِكِ[3]

بكلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُه نصفُ خَلْقِه وقُبٍّ طِوالٍ مُشْرِفاتِ الحَوارِكِ[4]

ترَى العَرْفَجَ العامىَّ تَذْرِى أصولَه مَناسِمُ أخْفافِ المَطىِّ الرَّواتِكِ[5]

فإن تَلْقَ فى تَطوافِنا والتماسِنا فُراتَ بنَ حَيَّانٍ يكنْ رهْنَ هالكِ

وإن تَلْقَ قيسَ بنَ امْرِئِ القيسِ بعدَه يُزَدْ فى سَوادِ لونِه لونُ حالِكِ

فأَبْلِغْ أبا سفيانَ عنى رسالةً فإنك [6]مِن غُرِّ[6] الرجالِ الصَّعالِكِ

---

(١) الفلجات: الأودية، واحدها فَلْج. والجلاد: المضاربة بالسيف. والمخاض: الحوامل من الإبل. والأوارك، التى ترعى شجر الأراك. انظر شرح غريب السيرة ٢/ ١٩٢، ١٩٣. والمعجم الوسيط (ج ل د).

(٢) الغور: المنخفض من الأرض. وعالج: اسم مكان فيه رمل كثير. المصدر السابق ٢/ ١٩٣.

(٣) الرس: البئر. والنزوع: التى يُخرَج ماؤها بالأيدى. والأرعن: الجيش الكثير الذى له أتباع وفضول. المصدر السابق.

(٤) الكميت من الخَيْل لونه الكُمْتَةَ وهى حُمرة يدخلها قنوء، والقنوء شدَّة الحمرة. وجوزه: يعنى وسطه، وأراد به هنا بطنه. وقب: جمع أَقَبّ، وهو الضامر. والحوارك: جمع حارك، وهى أعلى الكتفين من الفرس. لسان العرب (ك م ت)، (ق ن أ). والمصدر السابق.

(٥) العرفج: شجر معروف صغير سريع الاشتعال بالنار، وهو من نبات الصيف. وتذرى أصوله: تقلعه وتطرحه. والعامى: الذى أتى عليه عام. والمناسم: جمع مَنْسِم، وهو طرف خف البعير. والرواتك: المسرعة. والرَّتَك والرتكان: ضرب من المشى فيه إسراع. انظر النهاية ٣/ ٢١٨، وشرح غريب السيرة ٢/ ١٩٣.

(٦ - ٦) فى الأصل: «فى غير».

قال[1] : فأجابه أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ - وقد أسلم فيما بعدَ ذلك - :

أحسانُ إنَّا[2] يا بنَ آكِلةِ الفَغَا ... وجَدُّك نَغْتالُ الخُروقَ كذلكِ[3]

خَرَجْنا وما تَنْجُو اليَعافِيرُ بينَنا ... ولو وَأَلَتْ منا بشَدٍّ مُدارِكِ[4]

إذا ما انبَعَثْنا مِن مُناخٍ حسِبْتَه ... مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المُتعارَكِ[5]

أَقَمْتَ على الرَّسِّ النَّزوعِ تُريدُنا ... وتَتْرُكُنا[6] فى النخلِ عندَ المَدارِكِ[7]

على الزرعِ تمشى خيلُنا ورِكابُنا ... فما وَطِئَتْ أَلْصَقْنَه بالدَّكادِكِ[8]

أَقَمْنا ثلاثًا بينَ سَلْعٍ وفارِعٍ[9] ... بجُرْدِ الجيادِ والمَطِىِّ الرَّواتِكِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) فى ص : « إنك » .

(٣) الفغا : غُبرة تعلو البُسر قبل أن يطيب ، وأراد أنهم أهل نخيل وتمر . والخروق : جمع خرق ، وهى الفلاة الواسعة . شرح غريب السيرة ٢/ ١٩٣، ١٩٤.

(٤) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ولد الظبية . ووألت : اعتصمت ولجأت ، يقال : وألت إلى الجبل . أى اعتصمت به . ومنه الموئل ، وهو الملجأ . والشد : الجَرْى . والمدارك : المُتابع . يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجو منهم اليعافير . انظر المصدر السابق ٢/ ١٩٤. والروض الأنف ٦/ ٢٥٩.

(٥) المناخ : الموضع الذى تُناخ فيه الإبل . والمدمن : الموضع الذى ينزلون فيه فيتركون به الدِّمن ، أى آثار الدواب والإبل وأرواثها وأبعارها . وأهل الموسم يعنى به جماعة الحُجّاج ، وكل موضع كانت العرب تجتمع فيه فهو موسم إذا كان ذلك عادة منهم فى ذلك المكان . والمتعارك : هو الذى يزدحم فيه الناس . انظر اللسان (ن و خ) ، وشرح غريب السيرة : ٢/ ١٩٤.

(٦) فى الأصل : « مبركنا » .

(٧) المدارك : المواضع القريبة . شرح غريب السيرة ٢/ ١٩٤.

(٨) الدكادك : جمع دكداك وهو رمل لين . المصدر السابق .

(٩) سلع وفارع : جبلان . انظر المصدر السابق .

حسِبتُم جِلادَ القومِ عندَ فنائِكم كمأخَذِكم بالعَيْنِ[1] أرطالَ آنُكِ[2]

فلا تبْعَثِ الخيلَ الجِيادَ وقلْ لها على نحوِ قولِ المُعْصِمِ المُتماسِكِ[3]

سَعِدْتُم بها وغيرُكم كان أهلَها فوارسُ مِن أبناءِ فِهْرِ بنِ مالكِ

فإنك لا فى هجرةٍ إن ذكَرْتَها ولا حُرُماتِ دِينِها أنتَ ناسكُ[4]

قال ابنُ هشامٍ[5] : ترَكْنا منها أبياتًا ؛ لاختلافِ قوافيها .

وقد ذكَر موسى بنُ عقبةَ[6] ، عن الزهرىِّ ، وابنُ لَهيعةَ[7] ، عن أبى الأسودِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيرِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنْفَر الناسَ لموعدِ أبى سفيانَ ، وانبَعَث المنافقون فى الناسِ يُثَبِّطونهم ، فسلَّم اللَّهُ أولياءَه ، وخرَج المسلمون صحبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى بدرٍ ، وأخَذوا معهم بضائعَ ، وقالوا : إن وجَدْنا أبا سفيانَ ، وإلَّا اشتَرَيْنا مِن بضائعِ مَوسمِ بدرٍ . ثم ذكَر نحوَ سياقِ ابنِ إسحاقَ فى خروجِ أبى سفيانَ إلى مَجَنَّةَ ورجوعِه ، وفى مُقاوَلةِ الضَّمْرىِّ ، وعَرْضِ النبىِّ ﷺ المُنابذةَ فأَبَى ذلك .

---

(١) العين هنا : المال الحاضر ، والعين أيضا : الدينار ، وكلاهما يصلح هاهنا . المصدر السابق .

(٢) الآنك : هو الرصاص الأبيض ، وقيل : الأسود . وقيل : هو الخالص منه . النهاية ١/ ٧٧.

(٣) المعصم : المستمسك بالشىء . شرح غريب السيرة ٢/ ١٩٤.

(٤) كذا بالنسخ . وهو موافق لإحدى روايات السيرة كما أشار إلى ذلك محققوها ، وبهذا يكون بالبيت إقواء . وفى السيرة : « بناسك » . وانظر قول ابن هشام الآتى بعدُ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٣.

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٨٤، ٣٨٥، من طريق موسى بن عقبة به .

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٣٨٦، من طريق ابن لهيعة به .

قال الواقدىُّ[1] : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إليها فى ألفٍ وخمسِمائةٍ مِن أصحابِه ، واستَخْلَف[2] على المدينةِ عبدَ اللَّهِ بنَ رَوَاحةَ ، وكان خروجُه إليها فى مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدةِ . يعنى سنةَ أربعٍ . والصحيحُ قولُ ابنِ إسحاقَ أن ذلك فى شعبانَ مِن هذه السنةِ الرابعةِ ، ووافق قولَ موسى [٢/ ٢٥٠و] بنِ عقبةَ أنها فى شعبانَ ، لكن قال : فى سنةِ ثلاثٍ . وهذا وهمٌ ؛ فإنَّ هذه تواعدوا إليها مِن أُحدٍ ، وقد كانت أحدٌ فى شوالٍ سنةَ ثلاثٍ كما تقدَّم[3] . واللَّهُ أعلمُ .

قال الواقدىُّ[4] : فأقاموا ببدرٍ مدةَ الموسمِ الذى كان يُعْقَدُ فيها ثمانيةَ أيامٍ ، فرجَعوا وقد رَبِحوا مِن الدرهمِ درهمين . وقال غيرُه[5] : فانقَلَبوا ، كَما قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨٤.

(٣) تقدم فى صفحة ٣٣٨.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٥٩، ٦٠ عن الواقدى بنحوه . وانظر مغازى الواقدى ١/ ٣٨٨، ٣٨٩. وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦١. حوادث السنة الرابعة .

(٥) هو قول ابن عباس ومجاهد والسدى ، كما أخرجه عنهم الطبرى فى تفسيره ٤/ ١٨٣.

فصلٌ فى جُمَلٍ مِن الحوادثِ

الواقعةِ سنةَ أربعٍ مِن الهجرةِ

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ مات عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه - قلتُ[2] : مِن رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وهو ابنُ ستِّ سِنين ، فصلَّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ونزَل فى حُفْرتِه والدُه عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قلتُ : وفيه تُوُفِّىَ أبو سَلَمَةَ[3] عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الأسدِ بنِ هلالِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عُمرَ بنِ مَخْزومٍ القرشىُّ المخزومىُّ ، وأمُّه بَرَّةُ[4] بنتُ عبدِ المطلبِ ، عَمَّةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان رضيعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ارْتَضَعا مِن ثُوَيْبَةَ مولاةِ أبى لَهبٍ ، وكان إسلامُ أبى سَلَمَةَ[5] وأبى عُبَيْدةَ وعثمانَ بنِ عفانَ[6] والأرْقَمِ بنِ أبى الأرْقمِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٥٥٥. حوادث السنة الرابعة .

(٢) فى م ، ص : « يعنى » .

(٣) بعده فى ص : « بن » . وهو خطأ . انظر أسد الغابة ٦/ ١٥٢، والإصابة ٧/ ١٨٧.

(٤) يعنى المصنف هنا ذكر اسم أم « أبى سلمة » - لا وفاتها - التى هى عمة النبى ﷺ ، فقد توفيت قبل المبعث . انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٣.

(٥) فى م : « سلم » .

(٦) كذا فى النسخ . والصحيح هنا ، واللَّه أعلم ، ذكر عثمان بن مظعون ، لا عثمان بن عفان ، فإن إسلام عثمان بن مظعون - لا ابن عفان - هو الذى ذكر مقرونًا بإسلام أبى سلمة . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢، ٢٥٣. وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٩٣. والإصابة ٣/ ٥٨٦. وانظر فيمن أسلم مع عثمان بن عفان ، سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٠، ٢٥١.

قديمًا فى يومٍ واحدٍ ، وقد هاجر هو وزوجتُه أمُّ سَلَمَةَ إلى أرضِ الحبشةِ ، ثُم عاد إلى مكةَ ، وقد وُلِد لهما بالحبشةِ أولادٌ ، ثُم هاجر مِن مكةَ إلى المدينةِ ، وتَبِعَتْه أمُّ سَلَمَةَ إلى المدينةِ كما تقدَّم[1] ، وشهِد بدرًا وأُحدًا ، ومات مِن آثارِ جُرْحٍ جُرِحَه بأحدٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه ، له حديثٌ واحدٌ فى الاسترجاعِ عندَ المُصيبةِ ، سيأتى فى سياقِ تزويجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بأمِّ سَلَمَةَ قريبًا[2] .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وفى ليالٍ خَلَون مِن شعبانَ[4] وُلِد الحُسَيْنُ[5] بنُ علىٍّ مِن فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورَضى اللَّهُ عنهم .

قال[6] : وفى شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، تزَوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ زينبَ بنتَ[7] خُزَيْمةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عبدِ مَنافِ بنِ هِلالِ بنِ عامرِ ابنِ صَعْصَعَةَ الهِلاليَّةَ .

وقد حكَى أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ[8] ، عن علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ الجُرْجَانىِّ أنه قال : كانت أختَ مَيْمونةَ بنتِ الحارثِ[9] . ثُم استَغْرَبه وقال : لم أرَه لغيرِه .

---

(١) تقدم فى ٤/ ٤٢٢- ٤٢٤.

(٢) انظر قصته رضى اللَّه عنه فى الاستيعاب ٣/ ٩٣٩، ٩٤٠، وأسد الغابة ٦/ ١٥٢، والإصابة ٤/ ١٥٢ - ١٥٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٥٥٥. حوادث السنة الرابعة .

(٤) بعده فى الأصل، م : « منها » .

(٥) فى ص : « الحسن » .

(٦) المصدر السابق ٢/ ٥٤٥. حوادث السنة الرابعة .

(٧) سقط من : ص .

(٨) الاستيعاب ٤/ ١٨٥٣.

(٩) العبارة فى الاستيعاب هكذا : « كانت زينب بنت خزيمة أخت ميمونة لأمها » .

وهى التى يُقالُ لها : أمُّ المساكينِ . لكثرةِ صدقاتِها عليهم وبِرِّها لهم وإحسانِها إليهم ، وأَصْدَقها ثِنْتَىْ عشْرَةَ أُوقِيَّةً ونَشًّا[1] ، ودخَل بها فى رمضانَ ، وكانت قبلَه عندَ الطُّفَيْلِ بنِ الحارثِ فطلَّقَها .

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ[2] ، عن علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ الجُرْجانِىِّ : ثُم خلَف عليها أخوه عُبَيْدةُ بنُ الحارثِ بنِ المطلبِ بنِ عبدِ مَنافٍ .

قال ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[3] : وقيل : كانت تحتَ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ ، فقُتِلَ عنها يومَ أُحدٍ .

قال أبو عمرَ[4] : ولا خلافَ أنها ماتت فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقيل : لم تَلْبَثْ عندَه إلا شهرين أو ثلاثةً حتى تُوُفِّيَتْ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها .

وقال الواقدىُّ[5] : فى شوالٍ مِن هذه السنةِ تزوج رسولُ اللَّهِ ﷺ أمَّ سَلَمَةَ بنتَ أبى أُمَيَّةَ .

قلتُ : وكانت قبلَه عندَ زوجِها ، أبى أولادِها ، أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسدِ ، وقد كان شهِد [6]بَدْرًا و[6] أُحدًا كما تقدَّم[7] ، وجُرِحَ يومَ أُحدٍ ، فدَاوَى جُرْحَه

---

(١) النش : نصف أوقية .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أسد الغابة ٧/ ١٢٩ . ولكن قدّم ابن الأثير القول بأنها كانت تحت عبد اللّه بن جحش ، وذكر القول بأنها كانت تحت الطفيل بن الحارث بصيغة التمريض .

(٤) الاستيعاب ٤/ ١٨٥٣ .

(٥) مغازى الواقدى ١/ ٣٤٤ .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) تقدم ذكر شهوده لبدر ص ٢٣٤، ٢٣٥. وأحد ٤٩٣ .

شهرًا حتى بَرَأَ، ثُم خرَج فى سريةٍ، فغنِم منها نَعَمًا[1] ومَغْنَمًا جَيدًا، ثُم أقام بعدَ ذلك سبعةَ عشَرَ يومًا، ثُم انتَقَض عليه جُرْحُه، فمات لثلاثٍ بَقِين مِن جُمادَى الأُولى[2] مِن هذه السنةِ، فلما حَلَّت فى شوالٍ خطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى نفسِها بنفسِه الكريمةِ، وبعَث إليها عمرَ بنَ الخطابِ فى ذلك مرارًا، فتَذْكُرُ [٢/ ٢٥٠ظ] أنها امرأةٌ غَيْرَى؛ أى شديدةُ الغَيْرَةِ، وأنها مُصْبِيَةٌ؛ أى لها صِبْيانٌ يشْغَلونها عنه، ويَحْتاجون إلى مُؤْنةٍ، تَحْتاجُ معها أن تَعْمَلَ لهم فى قُوتِهم، فقال: «أما الصِّبْيَةُ فإلى اللَّهِ وإلى رسولِه - أى نفقتُهم - ليس إليكِ، وأما الغَيْرَةُ فأدعو اللَّهَ فيُذْهِبُها». فأَذِنت فى ذلك، وقالت لعُمرَ آخرَ ما قالت له: قُمْ، فزوِّجِ النبىَّ ﷺ[3]. تَعْنى: قد رَضِيتُ وأَذِنتُ. فتَوَهَّم بعضُ العلماءِ أنها تقولُ لابنِها عمرَ بنِ أبى سَلَمَةَ، وقد كان إذ ذاك صغيرًا لا يَلى مثلُه العقدَ، وقد جَمَعْتُ فى ذلك جزءًا مُفْرَدًا بيَّنْتُ فيه الصوابَ فى ذلك، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ، وأن الذى وَلِى عقدَها عليه ابنُها سَلَمَةُ بنُ أبى سَلَمَةَ، وهو أكبرُ ولدِها، وساغ هذا؛ لأن أباه ابنُ عمِّها، فللابنِ ولايةُ أمِّه إذا كان سببًا لها مِن غيرِ جهةِ البُنُوَّةِ بالإجماعِ. وكذا إذا كان مُعْتِقًا أو حاكمًا، فأما محضُ البنوةِ فلا يَلى بها عقدَ النكاحِ عندَ الشافعىِّ وحدَه، وخالفه الثلاثةُ؛ أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ بنُ

---

(١) نعما: النعم: المال السائب، وأكثر ما يستعمل فى الإبل. الوسيط (ن ع م).

(٢) فى ص: «الآخرة». وسبق التنبيه على هذا صفحة ٤٩٧.

(٣) أخرجه النسائى من حديث عمر بن أبى سلمة عن أم سلمة، بنحوه، إلا أنه فيه: فقالت لابنها عمر. ولعل هذا ما سيشير إليه المصنف هنا. وقال الحافظ المزى فى التحفة ١٣/ ٢٧: انفرد به النسائى. اهـ وصحح إسناده الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٨/ ٢٢٣.

حنبلٍ ، رحِمهم اللَّهُ ، ولبسطِ هذا موضعٌ آخرُ يُذْكَرُ فيه ، وهو كتابُ النكاحِ مِن « الأحكامِ الكبيرِ » ، إن شاء اللَّهُ .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يونُسُ ، حدَّثنا ليثٌ ، يعنى ابنَ سعدٍ ، عن[3] يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أسامةَ بنِ الهادِ ، عن[3] عمرِو بنِ أبى عمرٍو ، عن المطلبِ ، عن أمِّ سَلَمَةَ قالت : أتانى أبو سَلَمَةَ يومًا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : لقد سَمِعْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ قولًا فسُرِرْتُ به ؛ قال : « لا يُصيبُ أحدًا مِن المسلمين مُصِيبةٌ ، فيَسْتَرْجِعُ عندَ مصيبتِه ، ثُم يقولُ : اللهم أجُرْنى فى مصيبتى ، واخْلُفْ لى خيرًا منها . إلا فُعِل[4] به » . قالت أمُّ سلمةَ : فحفِظْت ذلك منه ، فلما تُوُفِّىَ أبو سَلَمَةَ استرْجَعْتُ ، وقلتُ : اللهم أجُرْنى فى مصيبتى و [5]اخْلُفْ لى[5] خيرًا منها[6] . ثُم رَجَعْتُ إلى نفسى ، قلتُ : مِن أين لى خيرٌ مِن أبى سَلَمَةَ ؟ فلما انقَضَتْ عِدَّتِى استأذن علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا أدْبُغُ إهابًا لى ، فغَسَلْتُ يَدَىَّ مِن القَرَظِ[7] ، وأذِنْتُ له ، فوضَعْتُ له وِسادةَ أُدُمٍ حَشْوُها لِيفٌ ، فقعَد عليها ، فخطَبنى إلى نفسى ، فلمَّا فرَغ مِن مَقالتِه قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما بى[8] أن لا

---

(١) المسند ٤/ ٢٧، ٢٨.

(٢) فى ص : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥.

(٣) فى ص : « بن » وانظر المصدر السابق ٣٢/ ١٦٩.

(٤) بعده فى المسند « ذلك » .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى المسند : « اخلفنى » .

(٦) كذا فى النسخ . وفى المسند : « منه » .

(٧) القرظ : شجر يدبغ به وقيل : ورق السلم يدبغ به . اللسان (ق ر ظ) .

(٨) بعده فى الأصل : « إلا » .

تكُونَ بك الرَّغْبةُ[1] ، ولكنى امرأةٌ فىَّ غَيْرةٌ شديدةٌ ؛ فأخافُ أن تَرَى منى شيئًا يُعَذِّبُنى اللَّهُ به ، وأنا امرأةٌ قد دخَلْتُ فى السنِّ ، وأنا ذاتُ عِيالٍ . فقال : « أمَّا ما ذكَرْتِ مِن الغَيْرَةِ فسيُذْهِبُها اللَّهُ عنكِ ، وأما ما ذكَرْتِ مِن السنِّ ؛ فقد أصابنى مثلُ الذى أصابك ، وأما ما ذكَرْتِ مِن العِيالِ فإنما عِيالُك عِيالى » . قالت : فقد سَلمْتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ[2] . فقالت أمُّ سَلَمةَ : فقد أبْدَلنى اللَّهُ بأبى سَلَمةَ خيرًا منه ؛ رسولَ اللَّهِ ﷺ .

وقد رَواه الترمذىُّ والنسائىُّ ، مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن عمرَ بنِ أبى سَلَمَةَ ، عن أمِّه أمِّ سَلَمةَ ، عن أبى سَلَمةَ به[3] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ . وفى روايةٍ للنسائىِّ ، عن ثابتٍ ، عن ابنِ عمرَ بنِ أبى سَلَمَةَ ، عن أبيه به[4] . ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن عبدِ المَلِكِ بنِ قُدامةَ الجُمَحىِّ ، عن أبيه ، عن عمرَ بنِ أبى سَلَمَةَ به[5] .

وقال ابنُ إسحاقَ[6] : ثُم انصَرف رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى مِن بدرٍ المَوْعِدِ - راجعًا إلى المدينةِ ، فأقام بها حتى مَضَى ذو الحِجَّةِ ، ووَلِىَ تلك الحَجَّةَ

---

(١) بعده فى المسند : « فىّ » .

(٢) بعده فى المسند : « فتزوجها رسول الله ﷺ » .

(٣) الترمذى (٣٥١١) . والنسائى فى الكبرى (١٠٩٠٩، ١٠٩١٠) . صحيح الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٧٨٨) .

(٤) النسائى فى الكبرى (١٠٩١١) .

(٥) ابن ماجه (١٥٩٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٩٩) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٣.

المشركون، وهى سنةُ أربعٍ.

وقال الواقدىُّ[1]: وفى هذه السنةِ - يعنى سنةَ أربعٍ - أمَر [٢/ ٢٥١و] رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ ثابتٍ أن يَتَعَلَّمَ كتابَ يهودَ.

قلتُ: فثبَت عنه فى «الصحيحِ» أنه قال: تعَلَّمْتُه فى خمسةَ عشَرَ يومًا[2]. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) ذكره الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٦١. حوادث السنة الرابعة.

(٢) الترمذى (٢٧١٥). وأبو داود (٣٦٤٥). حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢١٨٣). وقد أخرج البخارى فى صحيحه تعليقًا (٧١٩٥) أول الحديث، وهو أمر النبى ﷺ لزيدٍ بالتعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم (*) [٣/ ١ظ]

سنة خَمسٍ من الهجرةِ النبويةِ

غزوةُ دُومةِ الجَنْدلِ(١)، فى رَبيعِ الأوّلِ منها

قال ابنُ إسحاقَ(٢): ثُم غَزا رسولُ اللَّهِ ﷺ دُومةَ الجَنْدلِ. قال ابنُ هشامٍ(٢): فى ربيعِ الأولِ - يعنى مِن سنةِ خَمْسٍ - واسْتَعْمل على المدينةِ سِباعَ ابنَ عُرْفُطةَ الغِفارىَّ.

قال ابنُ إسحاقَ(٢): ثُم رجَع إلى المدينةِ قبلَ أن يصِلَ إليها، ولم يَلْقَ كَيْدًا، فأقام بالمدينةِ بقيةَ سنتِه. هكذا قال ابنُ إسحاقَ.

وقد قال محمدُ بنُ عمرَ الواقدىُّ(٣) بإسنادِه، عن شيوخِه، (٤عن جماعةٍ٤)

(*) من هنا بداية الجزء الثالث من النسخة الأحمدية.

(١) دومة الجندل: بضم الدال وبفتحها، هى ما بين بَرك الغماد ومكة،... وقيل أيضًا: إنها ما بين الحجاز والشام، والمعنى واحد وإن اختلفت العبارة، ودومة هذه على عشر مراحل من المدينة. معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٤، ٥٦٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٣.

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٤٠٢ - ٤٠٤، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٣٩٠، ٣٩١ والسياق له، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٤، حوادث السنة الخامسة.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

مِن السَّلَفِ قالوا : أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يدْنُوَ إلى أدانى الشامِ ، وقيل له : إنّ ذلك مما يُفْزِعُ قَيْصَرَ . وذُكِر له أن بدُومةِ الجَنْدلِ جَمْعًا كثيرًا ، وأنهم يَظْلِمون مَن مَرَّ بهم[1] ، وكان بها سوقٌ عظيمٌ ، وهم يُريدون أن يَدْنوا مِن المدينةِ ، فندَب[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ ، فخَرج فى ألفٍ مِن المسلمين ، فكان يَسيرُ الليلَ ، ويَكْمُنُ النَّهارَ ، ومعه دليلٌ له مِن بنى عُذْرَةَ يُقالُ له : مَذكورٌ . هادٍ خِرِّيتٌ[3] ، فلما دَنا مِن دُومةِ الجَنْدلِ أخْبَره دليلُه بسَوائمِ[4] بنى تميمٍ ، فسار حتى هجَم على ماشيتِهم ورِعائِهم ، فأصابَ مَن أصاب ، وهَرَب مَن هَرَب فى كلِّ وَجْهٍ ، وجاء الخبرُ أهلَ دُومةِ الجَنْدلِ فتفرَّقوا ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بساحتِهم ، فلم يَجِدْ بها أحدًا ، فأقام بها أيامًا ، وبثَّ السَّرايا ، ثُم رجَعوا ، وأخَذ محمدُ بنُ مسلمةَ[5] رجلًا منهم ، فأتَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسَأله عن أصحابِه ، فقال : هرَبوا أمسِ . فعرَض عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ الإسلامَ ، فأسْلَم ، ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٢و] إلى المدينةِ .

قال الواقدىُّ[6] : وكان خروجُه ، عليه السلامُ ، إلى دُومةِ الجندلِ فى ربيعٍ

---

(١) بعده فى المغازى : « من الضافطة » . والضافط والضفاط : الذى يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ... وكانت الضافطة يومئذ قومًا من الأنباط - أخلاط الناس من غير العرب - يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما . انظر النهاية ٣/ ٩٤، ٩٥.

(٢) فى الأصل : « فبدر » .

(٣) الخريت : الماهر الذى يهتدى لأخرات المفازة ، وهى طرقها الخفية ومضايقها . وقيل : إنه يهتدى لمثل خَرْتِ - ثقب - الإبرة من الطريق . النهاية ٢/ ١٩.

(٤) جمع سائمة ؛ وهى كل إبل أو ماشية ترسل للرعى ولا تعلف . الوسيط (س و م) .

(٥) فى الأصل ، م : « سلمة » .

(٦) مغازى الواقدى ١/ ٤٠٢، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٣٩٠، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٤، حوادث السنة الخامسة .

الأولِ[1] سنةَ خمسٍ .

قال[2] : وفيه تُوُفِّيَت أمُّ سعدِ بنِ عُبادةَ ، وابنُها[3] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى هذه الغزوةِ .

وقد قال أبو عيسى التِّرْمذىُّ فى « جامعِه »[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدَّثنا يَحْيَى بنُ سَعيدٍ ، عن سَعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قَتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ : أن أمَّ سَعْدٍ ماتت والنبىُّ ﷺ غائبٌ ، فلمَّا قدِم صلَّى عليها وقد مضَى لذلك شهرٌ . وهذا مُرْسَلٌ جيدٌ[5] ، وهو يقْتَضِى أنه ، عليه السلامُ ، غاب فى هذه الغزوةِ شهرًا فما فوقَه ، على ما ذكَره الواقدىُّ ، رحِمه اللَّهُ[6] .

---

(١) فى م ، ص : « الآخر » .

(٢) أى الواقدى . نقله عنه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٦٤.

(٣) أى ؛ وكان ابنها غائبًا مع النبى ﷺ ، آنذاك .

(٤) الترمذى (١٠٣٨) .

(٥) سقط من : ص . وقال البيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٤٨ : وهو مرسل صحيح . وكذا قال الحافظ فى التلخيص ٢/ ١٢٥.

(٦) حيث ذكر أنه خرج لخمس بقين من ربيع الأول ، وقدم لعشرٍ بقين من ربيع الآخر .

غزوةُ الخَنْدَقِ (١) وهى غزوةُ (١) الأحزابِ

وقد أنزَل اللَّهُ تعالى فيها صَدْرَ سورةِ «الأحزابِ»، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ

(١ - ١) فى م: «أو».

أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ
ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ
كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ [٣/ ٢ظ] كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ
ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩- ٢٧]، وقد تكلَّمْنا على كلٍّ مِن هذه الآياتِ الكَريماتِ فى «التَّفسيرِ»[(١)]، وللَّه الحمدُ والمِنَّةُ، ولْنَذْكُرْ هـٰهنا ما يتَعَلَّقُ بالقصةِ إن شاء اللَّهُ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ.

وقد كانت غَزوةُ الخَنْدقِ فى شَوَّالٍ سنةَ خمسٍ مِن الهجرةِ. نصَّ على ذلك ابنُ إسحاقَ، وعروةُ بنُ الزبيرِ، وقَتادةُ، والبيهقىُّ[(٢)]، وغيرُ واحدٍ مِن العلماءِ، سَلَفًا وخَلَفًا[(٣)].

---

(١) التفسير ٦/٣٨٤ - ٤٠١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٤، ودلائل النبوة ٣/ ٣٩٤، ٣٩٥، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٥.

(٣) انظر الدرر لابن عبد البر ص ١٧٩، وتاريخ الإسلام للذهبى جزء المغازى ص ٢٨٣، ٢٨٤، وزاد المعاد ٣/ ٢٦٩، ٢٧٠.

وقد رَوى موسى بنُ عُقبةَ[1] ، عن الزُّهْرىِّ ، أنه قال : ثُم كانت وَقْعةُ الأحْزابِ فى شَوّالٍ سنةَ أربعٍ . وكذلك قال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ ، فيما رَواه أحمدُ بنُ حَنْبلٍ ، عن موسى بنِ داودَ ، عنه[2] .

قال البيهقىُّ[3] : ولا اختلافَ بينَهم فى الحقيقةِ ؛ لأن مُرادَهم أن ذلك بعدَ مُضِىِّ أربعِ سنينَ وقبلَ استكمالِ خمسٍ . ولاشكَّ أن المُشْركين لما انصَرَفوا عن أُحدٍ واعَدوا المسلمين إلى بدرٍ العامَ القابلَ ، فذهَب النبىُّ ﷺ وأصحابُه كما تقدَّم[4] فى شعبانَ سنةَ أربعٍ ، ورجَع أبو سفيانَ بقريشٍ لجَدْبِ ذلك العامِ ، فلم يكونوا لِيأْتوا إلى المدينةِ بعدَ شهرَيْن ، فتعَيَّن أن الخَنْدقَ فى شَوَّالٍ مِن سنةِ خمسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد صرَّح الزهرىُّ بأن الخندقَ كانت بعدَ أحدٍ بسنتَيْن[5] ، ولا خلافَ أن أُحدًا فى شَوَّالٍ سنةَ ثلاثٍ ، إلا على قولِ مَن ذهَب إلى أن أولَ التاريخِ مِن مُحَرَّمِ السنةِ التاليةِ لسنةِ الهجرةِ ، ولم يَعُدُّوا الشهورَ الباقيةَ مِن سنةِ الهجرةِ مِن ربيعٍ الأولِ إلى آخرِها ، كما حكاه البيهقىُّ[6] ، وبه قال يعقوبُ بنُ سُفيانَ الفَسَوىُّ[7] ، وقد صرَّح بأن بدرًا [٣/٣و] فى الأولى ، وأحدًا فى سنةِ ثِنْتَيْن ، وبدرًا المَوْعِدَ فى شعبانَ سنةَ ثلاثٍ ، والخندقَ فى شوالٍ سنةَ أربعٍ . وهذا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٩٢، ٣٩٣، عن موسى بن عقبة ، به .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٩٧، من طريق أحمد بن حنبل ، به .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٣٩٥.

(٤) تقدم فى ٥/ ٥٧٣.

(٥) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٥، ودلائل النبوة ٣/ ٣٩٤.

(٦) دلائل النبوة ٣/ ٣٩٦، ٣٩٧.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٦.

مُخالِفٌ لقولِ الجمهورِ ؛ فإن المشهورَ أن أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطابِ جعَل أولَ التاريخِ مِن مُحَرَّمِ سنةِ الهجرةِ[1] . وعن مالكٍ : مِن ربيعِ الأولِ سنةَ الهجرةِ[2] . فصارت الأقوالُ ثلاثةً . واللَّهُ أعلمُ .

والصحيحُ قولُ الجمهورِ أن أُحدًا فى شوالٍ سنةَ ثلاثٍ ، وأن الخندقَ فى شوالٍ سنةَ خمسٍ مِن الهجرةِ . واللَّهُ أعلمُ .

فأمَّا الحديثُ المتَّفَقُ عليه فى « الصحيحين »[3] مِن طريقِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه قال : عُرِضْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحدٍ وأنا ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنةً فلم يُجِزْنى ، وعُرِضْتُ عليه يومَ الخندقِ وأنا ابنُ خمسَ عشْرَةَ فأجازنى . فقد أجاب عنه جماعةٌ مِن العلماءِ ، منهم البيهقىُّ[4] بأنه عُرِض يومَ أحدٍ[5] فى أولِ الرابعةَ عشْرةَ ، ويومَ الأحزابِ فى أَواخرِ الخامسةَ عشْرةَ .

قلتُ : ويَحْتَمِلُ أنه أراد أنَّه لما عُرِض عليه فى يومِ الأحزابِ ، كان قد اسْتَكْمل خمسَ عشْرةَ سنةً ، التى يُجازُ لمثلِها الغِلمانُ ، فلا يبْقَى على هذا زيادةٌ عليها . ولهذا لما بلَّغ نافعٌ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ هذا الحديثَ قال : إن هذا لَفَرْقٌ[6] بينَ الصغيرِ والكبيرِ . ثُم كتَب به إلى الآفاقِ[7] . واعتَمَد على ذلك جمهورُ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/٣٨٩ حوادث السنة الأولى ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١/ ٤٢. كلاهما من حديث محمد بن سيرين .

(٢) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٠، وتاريخ ابن عساكر ١/ ٣٨.

(٣) البخارى (٢٦٦٤، ٤٠٩٧)، ومسلم (١٨٦٨) .

(٤) انظر دلائل النبوة ٣/ ٣٩٦.

(٥) فى ص : « الخندق » .

(٦) فى الأصل ، م : « الفرق » .

(٧) مسلم (١٨٦٨)، ودلائل النبوة ٣/ ٣٩٥.

العلماءِ. واللَّهُ أعلمُ.

وهذا سِياقُ القصةِ، مما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه:

قال ابنُ إسحاقَ[1]: ثُم كانت غزوةُ الخندقِ فى شوالٍ سنةَ خمسٍ، فحدَّثنى يزيدُ بنُ رُومانَ، عن[2] عروةَ، ومَن لا أتَّهِمُ، عن عبدِ[3] اللَّهِ بنِ كعبِ ابنِ مالكٍ، ومحمدُ بنُ كعبٍ القُرَظىُّ والزُّهْرىُّ وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ وغيرُهم مِن علمائِنا، وبعضُهم يُحَدِّثُ ما لا يُحَدِّثُ بعضٌ، قالوا: إنه كان مِن حديثِ الخندقِ أن نفَرًا مِن اليهودِ - منهم: سَلَّامُ بنُ أبى الحُقَيْقِ النَّضَرىُّ، وحُيَىُّ بنُ أخْطَبَ النَّضَرىُّ، وكِنانةُ [4]بنُ الربيعِ[4] بنِ أبى الحُقَيْقِ، وهَوْذَةُ بنُ قيسٍ الوَائلىُّ، وأبو عَمَّارٍ الوائلىُّ، فى نفَرٍ مِن بنى النَّضِيرِ ونفَرٍ مِن بنى وائلٍ، وهم الذين حزَّبوا الأحْزابَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ - خرَجوا حتى قدِموا على قريشٍ مكةَ، فدَعَوهم إلى حربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا: إنا سنكونُ معكم عليه، حتى نستَأْصِلَه. فقالت لهم قريشٌ: يا معشرَ يهودَ، إنكم أهلُ الكتابِ الأولِ والعلمِ بما أصبَحْنا[5] نختَلِفُ فيه نحن ومحمدٌ، أفدِينُنا خيرٌ أم دِينُه؟ قالوا: بل دِينُكم خيرٌ مِن [٣/٣ظ] دينِه، وأنتم أَولى بالحقِّ منه. فهم الذين أنزَل اللَّهُ فيهم[6]: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢١٤ - ٢١٦، وتاريخ الطبرى ٢/٥٦٤ - ٥٦٦. حوادث السنة الخامسة.

(٢) فى السيرة: «ابن» وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٢٢.

(٣) فى م: «عبيد». وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٧٥.

(٤ - ٤) سقط من: ص، والسيرة.

(٥) بعده فى الأصل: «مما».

(٦) التفسير ٢/٢٩١ - ٢٩٥.

يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ الآيات [النساء: ٥١، ٥٢]. فلمَّا قالوا ذلك لقريشٍ سَرَّهم ونشِطوا لِما دَعَوهم إليه مِن حربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فاجْتَمعوا لذلك واتَّعَدوا له، ثُم خرَج أولئك النفَرُ مِن يهودَ حتى جاءوا غَطَفانَ مِن قيسِ عَيْلانَ[1]، فدَعَوهم إلى حربِ النبيِّ ﷺ، وأخْبَروهم أنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم[2] على ذلك واجْتَمَعوا معهم فيه، فخرَجت قريشٌ وقائدُها أبو سفيانَ، وخرَجت غَطَفانُ وقائدُها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ[3] بنِ بَدرٍ، فى بنى فَزارَةَ، والحارثُ بنُ عَوْفِ ابنِ[4] أبى حارثةَ المُرِّىُّ، فى بنى مُرَّةَ، ومِسْعَرُ[5] بنُ رُخَيْلَةَ[6] بنِ نُوَيْرَةَ بنِ طَريفِ ابنِ سُحْمةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هِلالِ بنِ خُلاوةَ[7] بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ فيمَن تابعه مِن قومِه مِن أشْجَعَ. فلما سمِع بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وما أجْمَعوا له مِن الأمرِ، ضرَب الخندقَ على المدينةِ. قال ابنُ هشامٍ[8]: يُقالُ: إن الذى أشار

---

(١) فى الأصل، ص: «غيلان». وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٥.

(٢) فى الأصل: «بايعوهم».

(٣) بعده فى ص: «بن حذيفة». وانظر المصدر السابق ص ٢٥٦.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) كذا فى النسخ، والسيرة. وفى تاريخ الطبرى، والاستيعاب ٣/ ١٣٩٢، وأسد الغابة ٥/ ١٦١، والإصابة ٦/ ٩٨: «مسعود».

(٦) فى ص: «دخيلة». قال أبو ذر الخشنى: رُوى هنا بالجيم والخاء المعجمة. ورخيلة بالخاء المعجمة والراء المضمومة، قيده الدارقطنى. شرح غريب السيرة ٣/ ٣.

(٧) فى الأصل: «حلاوة»، وفى ص: «خلاد». قال فى شرح غريب السيرة ٣/ ٣: كذا وقع هنا بالخاء المعجمة مضمومة ومفتوحة، وبالحاء المهملة كذلك، وبالخاء المعجمة هو الجيد.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤.

به سَلْمانُ . قال الطبرىُّ والسُّهيلىُّ[1] : أولُ مَن حفَر الخنادقَ مِنُوشِهْرُ بنُ [2]إيرَجَ ابنِ أفْرِيدونَ[2] ، وكان فى زمنِ موسى ، عليه السلامُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فعمِل فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ تَرْغِيبًا للمسلمين فى الأجرِ ، وعمِل فيه المسلمون ، وتخَلَّف طائفةٌ مِن المُنافِقين يعْتَذِرون بالضَّعْفِ ، ومنهم مَن يَنْسَلُّ خُفْيةً بغيرِ إذنِه ولا عِلْمِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ . وقد أنزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك قولَه تعالى[4] : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور: ٦٢- ٦٤] .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فعمِل المسلمون فيه حتى أحْكَموه ، وارْتَجَزوا فيه برجلٍ مِن المسلمين يقالُ له : جُعَيلٌ . سمَّاه رسولُ اللَّهِ [٣/ ٤و] ﷺ عَمْرًا ، فقالوا فيما يقولون :

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٣٧٩. والروض الأنف ٦/ ٣٠٦.

(٢ - ٢) فى الأصل: «أبرخ بن الزيدون»، وفى ص: «أيرح بن أفريدون».

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٦، وتاريخ الطبرى ٣/ ٥٦٦، ٥٦٧، حوادث السنة الخامسة.

(٤) التفسير ٦/ ٩٥ - ٩٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٧، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٧، حوادث السنة الخامسة.

سمَّاه مِن بعدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا وكانَ للبائسِ يومًا ظَهْرَا[1]

وكانوا إذا قالوا : عمْرَا . قال معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَمْرَا » . وإذا قالوا : ظَهْرَا[2] . قال معهم[3] : « ظَهْرَا »[2] .

وقد قال البخاريُّ[4] : حدّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا أبو إسحاقَ ، عن حُمَيْدٍ ، سمِعْتُ أنسًا ، قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الخندقِ ، فإذا المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرون فى غَداةٍ باردةٍ ، ولم يَكُنْ لهم عَبِيدٌ يَعْمَلون ذلك لهم ، فلمَّا رَأَى ما بهم مِن النَّصَبِ والجوعِ قال : « اللهم إنَّ العيشَ عيشُ الآخِرَهْ ، فاغفِرْ لِلْأنصارِ والمُهاجِرَهْ » . فقالوا مُجِيبِين له :

نحن الذين بايَعُوا محمدًا على الجهادِ ما بَقِينا أَبَدَا

وفى « الصحيحين »[5] مِن حديثِ شُعبةَ ، عن معاويةَ بنِ[6] قُرَّةَ ، عن أنسٍ ، نحوَه . وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ[7] ، عن ثابتٍ ، وحُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، بنحوِه[8] .

---

(١) فى ص : « طهرًا » . والبائس هو الفقير ، والظهر : القوة والمعونة ، والضمير المستتر فى قوله : « سماه » وفى : « كان » راجع إلى النبى ﷺ ، والتقدير : وكان النبى ﷺ للبائس - أى الفقير - قوة ومعونة . وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا هو الإبل ، فيكون البيت على وجه آخر ، تقديره : وكان المال للبائس يومًا ظهرًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٣.

(٢) فى ص : « طهرا » .

(٣) فى الأصل ، م : « لهم » .

(٤) البخارى (٢٨٣٤، ٤٠٩٩) .

(٥) البخارى (٣٧٩٥، ٦٤١٣)، ومسلم (١٢٧، ١٨٠٥) .

(٦) فى الأصل : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠.

(٧) فى الأصل : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣.

(٨) رواية حماد عن ثابت عن أنس ، فى صحيح مسلم (١٨٠٥/١٣٠) . ورواية حماد عن حميد =

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ ، عن عبدِ العزيزِ ، عن أنسٍ قال : جعَل المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرون الخندقَ حولَ المدينةِ ، ويَنْقُلون التُّرابَ على مُتونِهم[2] ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهادِ[3] ما بَقِينا أبدًا

قال : يقولُ النبيُّ ﷺ يُجيبُهم : « اللهم إنه[4] لا خيرَ إلا خيرُ الآخِرَهْ ، فبارِكْ فى الأنصارِ والمهاجِرَهْ » . قال : يُؤْتَوْن بِمِلْءِ كَفِّى مِن الشَّعِيرِ ، فيُصْنَعُ لهم بإهالةٍ[5] سَنِخةٍ[6] تُوضَعُ بينَ يدي القومِ والقومُ جِياعٌ ، وهى بَشِعةٌ فى الحَلْقِ ، ولها ريحٌ مُنْتِنٌ .

وقال البخاريُّ[7] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سَعيدٍ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى حازمٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ ، قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الخندقِ ، وهم يَحْفِرون ، ونحن نَنْقُلُ التُّرابَ على أَكْتادِنا[8] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم لا عيشَ إلا

= عن أنس ، لم نجدها فى صحيح مسلم ، انظر صحيح مسلم (١٢٧/ ١٨٠٥، ١٢٨/ ٠٠٠، ١٢٩/ ٠٠٠، ١٣٠/ ٠٠٠)، وتحفة الأشراف ١/ ١٨٠ - ١٨٣.

(١) البخارى (٢٨٣٥) دون قوله : « يؤتون بملء كفى ...»، (٤١٠٠) به .

(٢) المتون : جمع متن ، وهو الظهر .

(٣) فى الأصل ، م : « الإسلام » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٣٩٥: فى رواية عبد العزيز : « على الإسلام » ، بدل « الجهاد » . والأول أثبت .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) الإهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء : الدهن الذى يؤتدم به ، سواء كان زيتا أو سمنا أو شحما . فتح البارى ٧/ ٣٩٥.

(٦) فى الأصل : « سنحة » . وسنخة : أى تغير طعمها ولونها من قِدَمها . انظر المصدر السابق .

(٧) البخارى (٤٠٩٨) .

(٨) فى الأصل : « أكبادنا » ، وفى ص : « أكتافنا » . قال الحافظ : وأكتاد بالمثناة جمع كتد ، بفتح أوله =

عيشُ الآخِرَهْ، فاغفِرْ للمهاجرين والأنصارِ». ورَواه مسلمٌ[1]، عن القَعْنبيِّ، عن عبدِ العزيزِ، به.

وقال البخاريُّ[2]: حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا شُعبةُ، عن أبي إسحاقَ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ينْقُلُ التُّرابَ يومَ الخندقِ حتى أغْمَرَ بطنَه - أو اغْبَرَّ بطنُه[3] - يقولُ:

والـلَّـهِ لـولا الـلَّـهُ ما اهـتـدَيْـنـا ... ولا تـصَـدَّقْـنـا ولا صـلَّـيْـنا

فـأَنْـزِلَـنْ سَـكِـينةً عـلـينا ... وثـبِّـتِ الأقْـدامَ إن لاقَـيْـنا

إن الأُلَـى قـد بَـغَـوا عـلـينا ... إذا أرادوا فِـتنةً أَبَـيْـنا

ورفَع بها صوتَه: «أبَيْنا، أبَيْنا». ورَواه مسلمٌ، مِن حديثِ شعبةَ به[4].

ثُم قال البخاريُّ[5]: حدَّثنا أحمدُ بنُ عثمانَ، حدَّثنا شُرَيْحُ بنُ مَسْلَمَةَ[6]، حدَّثني إبراهيمُ بنُ يُوسُفَ، [٣/ ٤ظ] حدَّثني أبي، عن أبي إسحاقَ، عن البَراءِ يُحَدِّثُ قال: لما كان يومُ الأحزابِ وخَنْدَق رسولُ اللَّهِ ﷺ، رأيْتُه يَنْقُلُ مِن

= وكسر المثناة، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر... وفي بعض النسخ: «على أكبادنا» بالموحدة؛ وهو موجه على أن يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب. فتح الباري ٧/ ٣٩٤.

(١) مسلم (١٨٠٤).

(٢) البخاري (٤١٠٤).

(٣) قال الحافظ: كذا وقع بالشك بالغين المعجمة فيهما، فأما التي بالموحدة فواضحٌ من الغبار، وأما التي بالميم فقال الخطابي: إن كانت محفوظة فالمعنى: واري التراب جلدة بطنه. فتح الباري ٧/ ٤٠١.

(٤) مسلم (١٨٠٣).

(٥) البخاري (٤١٠٦).

(٦) في الأصل: «مسلم». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤٨.

ترابِ الخَنْدقِ حتى وارَى عنى التُّرابُ[1] جِلْدَةَ بطنِه، وكان كثيرَ الشَّعْرِ، فسمِعْتُه يَرْتَجِزُ بكَلِماتِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ، وهو ينْقُلُ مِن الترابِ يقولُ:

اللهم لولا أنتَ ما اهتدَيْنا ... ولا تصَدَّقْنا ولا صلَّيْنا

فأنْزِلَنْ سَكينةً علَينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لَاقَيْنا

[2]إن الأُلَى قد بَغَوا علينا[2] ... وإن أرادوا فِتنةً أبَيْنا

ثُم يَمُدُّ صوتَه بآخرِها.

وقال البيهقيُّ فى «الدلائلِ»[3]: أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ الفَضْلِ البَلْخيُّ[4] حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسُفَ البَلْخيُّ، حدَّثنا المُسَيَّبُ بنُ شَرِيكٍ، عن زِيادِ بنِ أبى زِيادٍ، عن أبى عُثمانَ، عن سَلْمانَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ضرَب فى الخندقِ وقال:

بسمِ اللَّهِ[5] وبه هُدِينا ... ولو عَبَدْنا غيرَه شَقِينا

[6]يا حبَّذا ربًّا وحَبَّ دِينَا[6]

وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ.

---

(١) فى الأصل، ص: «الغبار». وهو لفظ رواية أخرى. انظر الفتح ٧/ ٤٠١.

(٢ - ٢) سقط من: ص. وفى الأصل: «إن الأولى رغبوا علينا». وهو لفظ بعض الروايات. انظر المصدر السابق.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤١٤. وانظر سبل الهدى والرشاد ٤/ ٥١٧. وقد رُوى موقوفًا على أبى عثمان، رواه الحارث بن أبى أسامة. بغية الباحث (٦٨٨) وقال محققه: ضعيف.

(٤) فى م، ص: «البجلى».

(٥) بعده فى الأصل: «الإله».

(٦ - ٦) كذا فى النسخ، والسيرة الشامية. وفى الدلائل: «فأحب ربا وأحب دينا».

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا سُلَيْمانُ ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ[2] ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال ، وهم يَحْفِرون الخَنْدقَ : « اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخِرَهْ ، فأصْلِحِ الأنصارَ والمُهاجِرَهْ » . وأخرجاه فى « الصحيحين »[3] مِن حديثِ غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ[4] .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقد كان فى حَفْرِ الخندقِ أحاديثُ [6]بلغَتْنى ، فيها مِن اللَّهِ تعالى عِبْرةٌ[6] فى تصديقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتحقيقِ نبوتِه ، عايَنَ ذلك المسلمون ؛ فمِن ذلك أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ كان يُحَدِّثُ أنه اشْتَدَّت عليهم فى بعضِ[7] الخندقِ كُدْيَةٌ[8] ، فشَكَوها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدَعا بإناءٍ مِن ماءٍ ، فتَفَل فيه ، ثُم دَعا بما شاء اللَّهُ أن يَدْعُوَ به ، ثُم نضَح الماءَ على تلك الكُدْيةِ ، فيقولُ مَن حضَرها : فوالذى بعَثه بالحقِّ[9] لَانْهالَتْ حتى عادت كالكَثِيبِ ما تَرُدُّ فأسًا ولا مِسْحاةً . هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ مُنْقَطِعًا ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

---

(١) المسند ٣/ ٢١٠.

(٢) فى الأصل : « مُرة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠.

(٣) البخارى (٦٤١٣) ، ومسلم (١٨٠٥) .

(٤) سقط من : ص . والحديث عند أحمد فى المسند ٣/ ١٧٢، من طريق غندر عن شعبة بلفظ الصحيحين .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٧، ٢١٨. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٤١٥.

(٦ - ٦) فى الأصل : « بلغنى فيها غيره » ، وفى م : « بلغتنى من اللَّه فيها عبرة » ، وفى ص : « بلغنى فيها عبرة » . والمثبت من السيرة .

(٧) فى الأصل ، ص : « حفر » .

(٨) الكدية : قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس . النهاية ٤/ ١٥٦.

(٩) بعده فى السيرة : « نبيًّا » .

وقد قال البخاريُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ : [2]حدَّثنا خَلّادُ بنُ يَحْيَى[2] ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ أيمنَ ، عن أبيه قال : أتيتُ جابرًا فقال : إنَّا يومَ الخندقِ نَحْفِرُ ، فعَرَضت كَيْدَةٌ[3] [٣/ ٥و] شديدةٌ ، فجاءوا النبيَّ ﷺ فقالوا : هذه كُدْيةٌ عرَضت فى الخندقِ . فقال : « أنا نازلٌ » . ثُم قام وبطنُه مَعْصُوبٌ بحجرٍ ، ولبِثْنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فأخَذ النبيُّ ﷺ المِعْوَلَ فضرَب ، فعاد كَثِيبًا أهْيَلَ أو أهْيَمَ[4] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ائذَنْ لى إلى البيتِ . فقلتُ لامرأتى : رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شيئًا ما كان فى ذلك صبرٌ ، فعندَكِ شىءٌ ؟ قالت : عندى شَعيرٌ وعَناقٌ[5] . فذبَحتِ العَناقَ ، وطحَنَتِ الشَّعيرَ ، حتى جعَلْنا اللحمَ فى البُرْمَةِ[6] ، ثُم جئْتُ النبيَّ ﷺ ، والعَجينُ قد انكَسَر[7] ، والبُرْمَةُ بينَ الأَثافىِّ[8] قد كادت أن تنْضَجَ ، فقلتُ : طُعَيِّمٌ لى ، فقم أنتَ يا رسولَ اللَّهِ ورجلٌ أو رجلان . قال : « كمْ هو ؟ » . فذكَرْتُ له ، فقال : « كثيرٌ طيبٌ ، قلْ لها لا تَنْزِعِ البُرْمةَ ولا

---

(١) البخارى (٤١٠١) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وفى ص : « حدثنا خالد بن يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٥٩.

(٣) فى م ، ص : « كدية » . وهى لفظ إحدى روايات البخارى . قال الحافظ : والكيدة : قيل : هى القطعة الشديدة الصلبة من الأرض . وقال عياض : كأن المراد أنها واحدة الكيد ، كأنهم أرادوا أن الكيد - وهى الحيلة - أعجزهم ، فلجئوا إلى النبى ﷺ . فتح البارى ٧/ ٣٩٦.

(٤) قال الحافظ : شك من الراوى ... والمعنى أنه صار رملًا يسيل ولا يتماسك ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وكانت الجبال كثيبًا مهيلًا ﴾ أى ؛ رملًا سائلًا ، وأما أهيم فقال القاضى عياض :... هى بمعنى أهيل . وقد قال فى قوله تعالى : ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ المراد الرمال التى لا يرويها الماء . الفتح ٧/ ٣٩٧.

(٥) العناق بفتح العين المهملة وتخفيف النون هى الأنثى من الماعز . المصدر السابق .

(٦) البرمة أى : القِدر مطلقا ، وجمعها برام ، وهى فى الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن . النهاية ١/ ١٢١.

(٧) أى : لان ورطب وتمكن منه الخمير . الفتح ٧/ ٣٩٨.

(٨) الأثافى : الحجارة التى توضع عليها القدر وهى ثلاثة . المصدر السابق .

الخبزَ مِن التَّنُّورِ حتى آتِيَ » . فقال : « قوموا » . فقام المهاجرون والأنصارُ ، فلما دخَل على امرأتِه قال : ويحكِ ، جاء النبيُّ ﷺ بالمهاجرين والأنصارِ ومَن معهم . قالت : هل سألكَ ؟ قلتُ : نعم . فقال : « ادْخُلوا ولا تَضاغَطُوا[1] » . فجعَل يَكْسِرُ الخبزَ ، ويَجْعلُ عليه اللَّحْمَ ، ويُخَمِّرُ البُرْمةَ والتَّنُّورَ إذا أخَذ منه ، ويُقَرِّبُ إلى أصحابِه ، ثُم يَنْزِعُ ، فلم يَزَلْ يَكْسِرُ الخبزَ[2] ويَغْرِفُ حتى شبِعوا ، وبقِيَ بقيةٌ ، قال : « كلى هذا وأَهْدِى ، فإن الناسَ أصابَتْهم مَجاعةٌ » . تفرَّد به البخاريُّ .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ[3] ، عن وَكيعٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أيْمنَ ، عن أبيه أيْمنَ الحَبَشيِّ مولى بنى مَخْزومٍ ، عن جابرٍ بقصةِ الكُدْيةِ ورَبْطِ الحجرِ على بطنِه الكريمِ .

ورَواه البيهقيُّ فى « الدلائلِ »[4] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أيْمَنَ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، بقصةِ الكُدْيةِ والطَّعامِ ، وطَوَّله أتَمَّ مِن روايةِ البخاريِّ ؛ قال فيه : لما علِم النبيُّ ﷺ بمقدارِ الطعامِ قال للمسلمين جميعًا : « قوموا إلى جابرٍ » . فقاموا ، قال : فلقِيتُ مِن الحياءِ ما لا يعْلَمُه إلا اللَّهُ ، وقلتُ : [5]جاء بالخَلْقِ[5] على صاعٍ مِن شَعيرٍ وعَناقٍ ! ودخَلْتُ على امرأتى أقولُ : افْتَضَحْتِ ؛ جاءكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أى : لا تزاحموا . الفتح ٣٩٨/٧ .

(٢) زيادة من : م .

(٣) المسند ٣/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤١٥، ٤١٦.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « جاءنا بخلق » .

بالخندقِ أجمعين. [٣/٥ظ] فقالت: هل كان سألك كمْ طعامُكَ؟ قلتُ: نعم. فقالت: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فكشَفَتْ عنى غمًّا شديدًا. قال: فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «خُذِى ودَعِينى مِن اللحمِ». وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَثْرُدُ ويَغْرِفُ اللَّحمَ، ثُم يُخَمِّرُ هذا ويُخَمِّرُ هذا، فما زال يُقَرِّبُ إلى الناسِ حتى شبِعوا أجمعين، ويَعودُ التَّنُّورُ والقِدْرُ أمْلأَ ما كانا، ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كلى وأَهْدِى». فلم (١نَزَلْ نَأكُلُ ونُهْدى يومَنا أجمعَ١).

وقد رَواه كذلك أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ(٢)، عن عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ المُحاربىِّ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أيْمنَ، عن أبيه، عن جابرٍ، به، وأبْسَطَ أيضًا، وقال فى آخِرِه: وأخبرَنى أنهم كانوا ثمانِمائةٍ أو قال: ثلاثَمائةٍ. وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ(٣)، عن هشامِ بنِ سعدٍ، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ، فذكَر القصةَ بطولِها فى الطعامِ فقط، وقال: وكانوا ثلاثَمائةٍ.

ثُم قال البخارىُّ(٤): حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ، حدثنا أبو عاصمٍ، حدَّثنا حَنْظَلَةُ بنُ أبى سفيانَ، (٥أخبرنا سعيدُ٥) بنُ مِيناءَ، سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قال: لما حُفِر الخندقُ رأيْتُ (٦مِن النبىِّ٦) ﷺ خَمَصًا(٧)، فانكَفَأْتُ إلى امرأتى، فقلتُ: هل عندكِ شىءٌ؟ فإنى رأيتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شديدًا.

(١ - ١) فى الأصل، م: «تزل تأكل وتهدى يومها».

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٢٢ - ٤٢٤، من طريق ابن أبى شيبة، به.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٢٤، ٤٢٥، من طريق يونس بن بكير، به.

(٤) البخارى (٤١٠٢).

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «عن أبى الزبير حدثنا». وانظر تهذيب الكمال ٧/٤٤٣.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ. وفى البخارى: «بالنبى».

(٧) بعده فى البخارى: «شديدًا». والخَمَص: خلوّ البطن وضموره. الوسيط (خ م ص).

فأخْرَجَت إلىَّ جِرابًا فيه صاعٌ مِن شعيرٍ، ولنا بُهَيْمةٌ داجِنٌ[1] فذبَحْتُها، وطحَنَتْ[2]، ففرغَتْ إلى فَراغى، وقطَّعْتُها فى بُرْمتِها، ثُم وَلَّيْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: لا تفْضَحْنى برسولِ اللَّهِ ﷺ وبمَن معه. فجئتُه فسارَرْتُه فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ذبَحْنا بُهَيْمةً لنا، وطَحَنّا صاعًا مِن شعيرٍ كان عندَنا، فتَعالَ أنت ونفَرٌ معك. فصاح رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «يا أهلَ الخندقِ، إن جابرًا قد صنَع سُورًا[3]، فحَىَّ هَلًا بكم[4]». فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُنْزِلُنَّ بُرْمتَكم، ولا تَخْبِزُنَّ عَجينَكم حتى أجِىءَ». فجئتُ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ الناسَ، حتى جئتُ امرأتى فقالت: بك وبك. فقلتُ: قد فعَلْتُ الذى قُلْتِ. فأخْرَجَت لنا عَجينًا، فبصَق فيه وبارَك، ثُم عمَد إلى بُرْمتِنا فبصَق وبارَك، ثُم قال: «ادْعُ [5]خبَّازةً فلْتَخْبِزْ معكِ[5]، واقْدَحى مِن بُرْمتِكم ولا تُنْزِلوها». وهم [٣/٦و] ألفٌ، فأُقْسِمُ باللَّهِ لقد أكَلوا حتى ترَكُوه وانحَرَفوا[6]، وإنَّ بُرْمتَنا لَتَغِطُّ[7] كما هى، وإنَّ عَجِينَنا لَيُخْبَزُ[8] كما هو. ورَواه مسلمٌ، عن حَجَّاجِ بنِ الشاعرِ، عن أبى عاصمٍ، به نحوَه[9].

---

(١) بهيمة داجن: أى سمينة، والداجن التى تترك فى البيت ولا تفلت للمرعى، ومن شأنها أن تسمن. الفتح ٧/ ٣٩٧.

(٢) بعده فى البخارى: «الشعير».

(٣) السور بضم المهملة وسكون الواو بغير همز: الصنيع بالحبشية. والمراد: الطعام. الفتح ٧/ ٣٩٩. والنهاية ٢/ ٤٢٠.

(٤) حىّ هلا بكم: هى كلمة استدعاء فيها حث، أى هلموا مسرعين. المصدر السابق.

(٥ - ٥) فى البخارى: «خابزة فلتخبز معى».

(٦) أى؛ مالوا عن الطعام. الفتح ٧/ ٣٩٩.

(٧) تغط: تغلى وتفور. المصدر السابق.

(٨) سقط من: الأصل، م.

(٩) مسلم (٢٠٣٩).

وقد رَوى محمدُ بنُ إسحاقَ هذا الحديثَ، وفى سِياقِه غرابةٌ مِن بعضِ الوجوهِ، فقال[1]: حدَّثنى سعيدُ بنُ مِيناءَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: عمِلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الخندقِ، وكانت عندى شُوَيْهَةٌ[2] غيرُ جِدٍّ سَمينةٍ[3]. قال: فقلتُ: واللَّهِ لو صنَعْناها لرسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: وأمَرْتُ امرأتى فطحَنَتْ لنا شيئًا مِن شعيرٍ، فصنَعَت لنا منه خبزًا، وذبَحْتُ تلك الشاةَ فشَوَيْناها لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فلما أمْسَيْنا وأراد رسولُ اللَّهِ ﷺ الانصِرافَ عن الخندقِ. قال: وكنا نَعمَلُ فيه نَهارًا، فإذا أمْسَيْنا رجَعْنا إلى أهالينا. قال: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنى قد صنَعْتُ لك شُوَيْهَةً كانت عندَنا، وصنَعْنا معها شيئًا مِن خبزِ هذا الشعيرِ، فأنا أحِبُّ أن تَنْصَرِفَ معى إلى منزلى. قال: وإنما أُرِيدُ أن ينْصِرفَ معى رسولُ اللَّهِ ﷺ وحدَه. قال: فلما أن قلتُ ذلك قال: «نعم». ثُم أمَر صارخًا، فصرَخ أن انصَرِفوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى بيتِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ. قال: قلتُ: إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. قال: فأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأَقْبَل الناسُ معه، فجلَس وأخْرَجْناها إليه. قال: فبَرَّك وسَمَّى اللَّهَ تعالى ثُم أكَل، وتَواردَها الناسُ، كلما فرَغ قومٌ قاموا وجاء ناسٌ، حتى صدَر أهلُ الخندقِ عنها. والعجَبُ أن الإمامَ أحمدَ إنما رَواه مِن طريقِ سَعيدِ بنِ مِيناءَ؛ عن يَعقوبَ ابنِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن أبيه، عن ابنِ إسحاقَ، عنه، عن جابرٍ مثلَه سواءً[4].

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: وحدَّثنى سَعيدُ بنُ مِيناءَ أنه قد حُدِّث أن ابنةً

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

(٢) شويهة: تصغير شاة.

(٣) غير جد سمينة: أى ليست بكاملة السمن. شرح غريب السيرة ٣/ ٤.

(٤) المسند ٣/ ٣٧٧.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨.

لبَشِيرِ بنِ سعدٍ أختَ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ قالت : دعتْنى أمِّى عَمْرَةُ بنتُ رَواحةَ ، فأعْطَتْنى حَفْنةً مِن تمرٍ فى ثوبى ، ثُم قالت : أى بُنَيَّةُ ، اذهبى إلى أبيك وخالِك عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ بغَدائِهما . قالت : فأخَذْتُها وانطَلَقْتُ بها ، فمرَرْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا أَلْتَمِسُ أبى وخالى ، فقال : « تَعالَىْ يابُنَيَّةُ ، ما هذا معك ؟ » . قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا تمرٌ بعَثَتْنى به أمى إلى أبى ؛ بَشِيرِ بنِ سعدٍ وخالى عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ يتغَدَّيانه . فقال : [٣/٦ظ] « هاتِيه » . قالت : « فصبَبْتُه فى كَفَّىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فما مَلأَتْهما ، ثُم أمَر بثوبٍ فبُسِط له ، ثم دَحا[1] بالتمرِ عليه ، فتبَدَّد فوقَ الثوبِ ، ثُم قال لإنسانٍ عندَه : « اصْرُخْ فى أهلِ الخندقِ أنْ هَلُمَّ إلى الغداءِ » . فاجْتَمع أهلُ الخندقِ عليه ، فجعَلوا يأكُلون منه ، وجعَل يَزيدُ ، حتى صدَر أهلُ الخندقِ عنه وإنه لَيَسْقُطُ مِن أطرافِ الثوبِ . هكذا رَواه ابنُ إسحاقَ ، وفيه انقِطاعٌ ، وهكذا رواه الحافظُ البيهقىُّ[2] مِن طريقِه ، ولم يَزِدْ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحُدِّثْتُ عن سَلْمانَ الفارسىِّ أنه قال : ضرَبْتُ فى ناحيةٍ مِن الخندقِ فغلُظَت علىَّ صخْرةٌ[4] ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قريبٌ منى ، فلمَّا رآنى أضْرِبُ ورَأَى شدةَ المكانِ علىَّ ، نزَل فأخَذ المِعولَ مِن يَدَىَّ ، فضرَب به ضَرْبةً لمَعت تحتَ المِعْوَلِ بُرْقةٌ ، ثُم ضرَب به ضَرْبةً أخرى فلَمَعت تحتَه بُرْقةٌ أخرى . قال : ثُم ضرَب به الثالثةَ فلمَعت بُرْقةٌ أخرى . قال : قلتُ : بأبى أنت

---

(١) فى الأصل : « دعا » . ودحا : بسط ووسع ، النهاية ٢/ ١٠٦.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٢٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٩، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٤١٧، ٤١٨.

(٤) زيادة من : م .

وأمى يا رسولَ اللَّهِ، ما هذا الذى رأيْتُ لَمَع تحتَ المِعْولِ [1] وأنت تضرِبُ [1]؟ قال: «أوَ قد رأيْتَ ذلك يا سلمانُ؟» قال: قلتُ: نعم. قال: «أمّا الأولى، فإنّ اللَّهَ فتَح علىَّ بها [2] اليَمَنَ، وأما الثانيةُ، فإن اللَّهَ فتَح علىَّ بها [2] الشامَ والمغرِبَ، وأما الثالثةُ، فإن اللَّهَ فتَح علىَّ بها المَشْرِقَ». قال البيهقىُّ [3]: وهذا الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ قد ذكَره موسى بنُ عُقبةَ فى «مغازيه»، وذكَره أبو الأسودِ، عن عروةَ.

ثُم رَوى البيهقىُّ مِن طريقِ محمدِ بنِ يونُسَ الكُدَيْمىِّ [4]، وفى حديثِه نظَرٌ، لكن رواه ابنُ جريرٍ فى «تاريخِه» [5] عن محمدِ بنِ بَشَّارٍ بُندارٍ [6]، كلاهما عن محمدِ بنِ خالدِ بنِ عَثْمةَ، عن كَثيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ المُزَنىِّ، عن أبيه، عن جَدِّه، فذكَر حديثًا فيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَّ الخندقَ بينَ كلِّ عشَرةٍ أربعين ذِراعًا. قال: واحْتَقَّ [7] المهاجرون والأنصارُ [8] فى سَلمانَ [8]، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سلمانُ منا أهلَ البيتِ». قال عمرُو بنُ عَوْفٍ: فكنتُ أنا وسَلْمانُ وحُذَيْفةُ والنُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ وستةٌ مِن الأنصارِ فى أربعين ذراعًا، فحَفَرْنا

(١ - ١) زيادة من: م.

(٢) فى م: «باب».

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤١٨.

(٤) المصدر السابق ٣/٤١٨ - ٤٢٠.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/٥٦٧ - ٥٧٠. حوادث السنة الخامسة.

(٦) فى الأصل، م: «وبندار»، وفى ص: «وشداد». وبندارٌ لقبه. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.

(٧) فى الأصل، ص: «تخاصم». واحتق؛ أى تخاصما فيه وادعى كل واحد منهما أن الحق معه. انظر الوسيط (ح ق ق).

(٨ - ٨) سقط من: ص.

حتى إذا بلَغْنا النَّدَى[1] ، ظهَرت لنا صخرةٌ بَيضاءُ مَرْوَةٌ[2] ، فكسَرت حَديدَنا وشَقَّت علينا ، فذهَب سلمانُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى قُبَّةٍ تُرْكيةٍ ، فأخْبَره عنها ، فجاء فأخَذ المِعْوَلَ مِن سَلمانَ ، فضرَب الصَّخْرةَ ضَرْبةً صدَعها ، وبرَقت منها بُرْقَةٌ أضاءت ما بينَ لَابَتَيْها - يعنى المدينةَ - حتى كأنَّها مِصباحٌ فى جوفِ ليلٍ مُظْلمٍ ، فكبَّر رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٧و] تكبيرَ فَتْحٍ ، وكبَّر المسلمون ، ثُم ضرَبها الثانيةَ فكذلك ، ثُم الثالثةَ فكذلك . وذكَر ذلك سلمانُ والمسلمون لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسألوه عن ذلك النورِ ، فقال : « لقد أضاء لى مِن الأولى قصورُ الحِيرةِ ومدائنُ كِسْرَى ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ ، فأخْبَرنى جبريلُ أن أُمَّتى ظاهرةٌ عليها ، ومِن الثانيةِ أضاءتِ القصورُ الحُمْرُ مِن أرضِ الرومِ ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ ، وأخْبرَنى جبريلُ أن أُمَّتى ظاهرةٌ عليها ، ومِن الثالثةِ أضاءت قصورُ صَنْعاءَ ، كأنَّها أنيابُ الكِلابِ ، وأخْبرَنى جبريلُ أنّ أُمَّتى ظاهرةٌ عليها ، فأبْشِروا » . واسْتَبْشَر المسلمون ، وقالوا : الحمدُ للَّهِ ، موعودٌ صادقٌ . قال : ولما طَلَعَتِ الأحزابُ قال المؤمنون[3] : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] . وقال المُنافقون : يُخْبِرُكم أنه يُبْصِرُ مِن يَثْرِبَ قُصورَ الحِيرةِ ومدائنَ كِسْرَى ، وأنها تُفْتَحُ لكم ، وأنتم تَحْفِرون الخنْدقَ لا تَسْتَطيعون أن تَبَرَّزوا[4] ؟! فنزَل فيهم[5] : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « الثرى » . وفى الدلائل : « الثدى » . والندى : الثرى . وندى الأرض : نداوتها وبللها . اللسان (ن د ى) .

(٢) فى الأصل ، ص ، والدلائل : « مدورة » . والمرو : حجارة بيض براقة . وقال أبو حنيفة : المرو أصلب الحجارة . اللسان (م ر و) .

(٣) التفسير ٦/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٤) فى الأصل : « تتزروا » .

(٥) التفسير ٦/ ٣٨٩.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]. وهذا حديثٌ غريبٌ.

وقال الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرَانيُّ[(١)]: حدَّثنا هارونُ بنُ مَلُّولٍ، حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ زِيادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرٍو، قال: لما أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالخندقِ فَخَنْدَق على المدينةِ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنا وجَدْنا صَفاةً[(٢)] لا نَسْتَطيعُ حَفْرَها، فقام النبيُّ ﷺ، وقُمْنا معه، فلمَّا أتاها أخَذ المِعْوَلَ، فضرَب به ضَرْبةً وكبَّر، فسمِعْتُ هَدَّةً[(٣)] لم أسْمَعْ مثلَها قط، فقال: «فُتِحت [(٤)]فارسُ». ثُم ضرَب أخرى فكبَّر، فسَمِعْتُ هَدَّةً لم أسمَعْ مثلها قطُّ، فقال: «فُتِحتِ[(٤)] الرُّومُ». ثُم ضرَب أخرى فكَبَّرَ، فسَمِعْتُ هَدَّةً لم أسمعْ مثلَها قطُّ، فقال: «جاء اللَّهُ بحِمْيَرَ أعْوانًا وأنصارًا». وهذا أيضا غريبٌ مِن هذا الوجهِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ زِيادِ بنِ أَنْعُمَ الأفْريقيُّ فيه ضَعْفٌ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال الطبرانيُّ أيضًا[(٥)]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ، حدَّثنى سعيدُ ابنُ محمدٍ الجَرْميُّ، حدَّثنا أبو تُمَيْلَةَ[(٦)]، حدَّثنا [(٧)]نُعَيْمُ بنُ[(٧)] سعيدٍ العبديُّ[(٨)] أن

---

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٣١، والحافظ فى الفتح ٧/ ٣٩٧. وعزاه كلاهما إلى الطبرانى.

(٢) الصفاة: الصخرة والحجر الأملس. النهاية ٣/ ٤١.

(٣) الهدة: صوت وقوع الشىء الثقيل. الوسيط (هـ د د).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) المعجم الكبير ١١/٣٧٦ (١٢٠٥٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٣٢: ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدى وهما ثقتان.

(٦) فى الأصل، م: «أبو نميلة». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٢.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) فى الأصل: «العزى»، وفى م، ص: «الغرى». والمثبت من مصدر التخريج.

عِكْرِمةَ حدَّث عن ابنِ عباسٍ، قال: احتَفَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الخندقَ، وأصحابُه قد شَدُّوا الحِجارةَ على بطونِهم مِن الجوعِ، فلمَّا رَأَى ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ قال: «هل دَلَلْتُم على رجلٍ يُطْعِمُنا أَكْلَةً؟» قال رجلٌ: نعم. قال: «إمَّا لا[1] فتقَدَّمْ فدُلَّنا عليه». فانطَلَقوا إلى[2] الرجلِ، فإذا هو فى الخندقِ يُعالِجُ [٣/٧ظ] نَصيبَه منه، فأرسَلتِ امرأتُه أن جِئْ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أتانا. فجاء الرجلُ يَسْعَى وقال: بأبى وأمى. وله مَعْزَةٌ ومعها جَدْيُها، فوثَب إليها، فقال النبىُّ ﷺ: «الجَدْىُ مِن ورائِها». فذبَح الجَدْىَ، وعمَدتِ المرأةُ إلى طَحِينةٍ لها فعجَنَتْها وخَبَزَتْ، فأدْرَكَتِ القِدْرَ، فثرَدَتْ قَصْعَتَها، فقرَّبَتها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه، فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ أُصْبُعَه فيها، وقال: «بسمِ اللَّهِ، اللهم بارِكْ فيها، اطْعَمُوا». فأكَلوا منها حتى صدَروا، ولم يَأْكُلوا منها إلا ثُلُثَها، وبَقِىَ ثُلُثاها، فسَرَّح أولئك العشَرةَ الذين كانوا معه، أن اذهَبوا وسَرِّحوا إلينا بعِدَّتِكم. فذهَبوا، فجاء أولئك العشَرةُ[3]، فأكَلوا منها حتى شبِعوا، ثُم قام ودَعا لرَبَّةِ البيتِ، وسمَّتَ[4] عليها وعلى أهلِ بيتِها، ثُم مشَوا إلى الخندقِ فقال: «اذهَبوا بنا إلى سلمانَ». وإذا صخرةٌ بينَ يديه قد ضعُفَ عنها، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «دعونى فأكونَ أولَ مَن ضرَبها». فقال: «بسمِ اللَّهِ». فضرَبها فوقَعتْ فِلْقَةٌ ثُلُثُها، فقال: «اللَّهُ أكبرُ، قصورُ الرومِ[5] وربِّ الكعبةِ». ثُم ضرَب أخرى فوقَعت فِلْقَةٌ، فقال: «اللَّهُ أكبرُ، قصورُ فارسَ وربِّ

---

(١) أصلها: إن وما ولا، فأدغمت النون فى الميم. ومعناها: إن لم تفعل هذا فليكن هذا. النهاية ١/ ٧٢.

(٢) بعده فى م: «بيت». وغير واضحة فى الأصل.

(٣) بعده فى المعجم: «مكانهم».

(٤) أى دعا لها ولأهل بيتها بالبركة. انظر اللسان (س م ت).

(٥) فى م: «الشام».

الكعبةِ » . فقال عندَها المنافقون : نحن نُخَنْدِقُ على أنفسِنا ، وهو يَعِدُنا قصورَ فارسَ والرومِ .

ثُم قال الحافظُ البيهقيُّ[1] : أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أخبرَنا أحمدُ ابنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، حدَّثنا محمدُ[2] بنُ غالبِ بنِ حربٍ ، حدَّثنا هَوْذَةُ ، حدَّثنا عَوْفٌ ، عن مَيْمونِ بنِ أُسْتاذِ الزُّهْرِيِّ[3] ، حدَّثنى البَراءُ بنُ عازبٍ الأنصاريُّ ، قال : لما كان حينَ أمَرنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بحَفْرِ الخندقِ ، عرَض لنا فى بعضِ الخندقِ صخرةٌ عظيمةٌ شديدةٌ ، لا تأخُذُ فيها المَعاوِلُ ، فشَكَوا ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما رآها أَخَذ المِعْوَلَ وقال : « بسمِ اللَّهِ » . وضرَب ضَرْبةً فكسَر ثُلُثَها ، وقال : « اللَّهُ أكبرُ ، أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ ، واللَّهِ إنى لأُبْصِرُ قُصورَها الحُمْرَ إن شاء اللَّهُ » . ثُم ضرَب الثانيةَ فقطَع ثُلُثًا آخرَ ، فقال : « اللَّهُ أكبرُ ، أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ فارِسَ ، واللَّهِ إنى لَأُبْصِرُ قَصْرَ المدائنِ الأبْيضَ » . ثُم ضرَب الثالثةَ ، فقال : « بسمِ اللَّهِ » . فقطَع بقيةَ[4] الحجَرِ ، فقال : « اللَّهُ أكبرُ ، أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليمنِ ، واللَّهِ إنى لَأُبْصِرُ أبوابَ صَنْعاءَ مِن مكانى الساعةَ » . وهذا حديثٌ غريبٌ أيضًا ، تفرَّد به مَيْمونُ بنُ [٣/ ٨و] أُستاذِ هذا ، وهو بَصْرِيٌّ[5] رَوَى عن البراءِ وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، وعنه حُمَيْدٌ الطَّويلُ والجُرَيْرِيُّ وعَوْفٌ الأعْرابيُّ ، قال أبو حاتمٍ[6] ، عن إسحاقَ بنِ منصورٍ ، عن ابنِ مَعِينٍ : كان ثِقةً . وقال عليٌّ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٤٢١.

(٢) فى الدلائل : « أحمد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٠.

(٣) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « الزهرانى » .

(٤) فى الأصل : « اللَّه » .

(٥) فى الأصل : « مصرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٣١.

(٦) الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٣.

ابنُ المَدينيِّ[1] : كان يَحْيَى بنُ سَعيدٍ القَطَّانُ لا يُحَدِّثُ عنه .

[2]وقال النسائيُّ[3] : حدَّثنا عيسى بنُ يونُسَ ، حدَّثنا ضَمْرةُ ، عن أبى زُرْعةَ السَّيْبانيِّ[4] ، عن أبى سُكَيْنَةَ - رجلٍ مِن المُحَرَّرِين[5] - عن رجلٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، قال : لما أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بحفْرِ الخندقِ ، عرَضت لهم صخرةٌ حالت بينَهم وبينَ الحفْرِ ، فقام النبيُّ ﷺ وأخَذ المِعْوَلَ ، ووضَع رِداءَه ناحيةَ الخندقِ ، وقال : « (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[6] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) » [الأنعام : ١١٥] . فندَر[7] ثُلُثُ الحجَرِ ، وسَلمانُ الفارسيُّ قائمٌ ينْظُرُ ، فبرَق مع ضرْبةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بُرْقَةٌ ، ثُم ضرَب الثانيةَ ، وقال : « (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[5] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) » . فندَر الثُّلُثُ الآخرُ وبرَقت بُرْقَةٌ ، فرَآها سلمانُ ، ثُم ضرَب الثالثةَ ، وقال : « (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[5] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) » . فندَر الثُّلُثُ الباقى ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فأخَذ رِداءَه وجلَس ، فقال سلمانُ : يا رسولَ اللَّهِ ، رأيْتُك حينَ ضرَبْتَ لا تَضْرِبُ ضَرْبةً إلا كانت معها بُرْقَةٌ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا سلمانُ ، رأيْتَ ذلك ؟ » . قال : إى والذى بعَثك بالحقِّ يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فإنى حينَ ضرَبْتُ الضَّرْبةَ الأولى رُفِعت لى مَدائنُ كِسْرَى وما حولَها ومَدائنُ كثيرةٌ ، حتى رأيْتُها بعينى » . فقال له مَن حضَره مِن أصحابِه : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّه أن[2]

---

(١) الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٣.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) النسائى (٣١٧٦) . حسن (صحيح سنن النسائى ٢٩٧٦) .

(٤) السيبانى - بفتح وكسر السين المهملة - نسبة إلى سَيْبان ، بطن من مراد . انظر تبصير المنتبه ٢/ ٨١٩ .

(٥) فى الأصل ، م : « البحرين » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٦٧.

(٦) هكذا فى النسخ « كلمات » . وقد قرأ عاصم وحمزة والكسائى : (كلمت) على التوحيد . وقرأ الباقون : (كلمات) على الجمع . انظر حجة القراءات ص ٢٦٨.

(٧) ندر : أى ؛ سقط ووقع . النهاية ٥/ ٣٥.

(١) يَفْتَحَها علينا ويُغَنِّمَنا ذَراريَّهم ، ونُخَرِّبَ بأيدينا بلادَهم . فدَعا بذلك ، قال : « ثُم ضرَبْتُ الضَّرْبةَ الثانيةَ ، فرُفِعت لى مَدائنُ قَيْصَر وما حولَها ، حتى رأيْتُها بعينى » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يَفْتَحَها علينا ويُغَنِّمَنا ذَرارِيَّهم ، ونُخَرِّبَ بأيدينا بلادَهم . فدَعا ، ثُم قال : « ثُم ضرَبْتُ الضرْبةَ الثالثةَ ، فرُفِعت لى مَدائنُ الحبشةِ وما حولَها مِن القُرَى ، حتى رأيْتُها بعينى » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعوا الحَبَشةَ ما ودَعوكم ، واتْرُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم » . هكذا رَواه النسائىُّ مُطَوَّلًا ، وإنما رَوى منه أبو داودَ(٢) : [٣/ ٨ظ] « دعُوا الحبَشةَ ما ودَعوكم ، واتْرُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم » . عن عيسى بنِ محمدٍ الرَّمْلىِّ ، عن ضَمْرةَ بنِ رَبيعةَ ، عن أبى زُرْعةَ يَحْيَى بنِ أبى عمرٍو السَّيْبانىِّ ، به(١) .

ثُم قال ابنُ إسحاقَ(٣) : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن أبى هريرةَ أنه كان يقولُ حينَ فُتِحت هذه الأمْصارُ فى زمانِ عمرَ وزمانِ عثمانَ وما بعدَه : افتَتِحوا ما بَدا لكم ، فوالذى نفسُ أبى هريرةَ بيدِه ، ما افتَتَحْتم مِن مدينةٍ ولا تَفْتَحونها إلى يومِ القيامةِ ، إلا وقد أعْطَى اللَّهُ محمدًا ﷺ مَفاتيحَها قبلَ ذلك . وهذا مِن هذا الوجهِ مُنْقطِعٌ أيضًا ، وقد وُصِل مِن غيرِ وجهٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

فقال الإمامُ أحمدُ(٤) : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، (١حدَّثنا لَيْثٌ١) ، حدَّثنى عُقَيْلُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أن أبا هريرةَ قال : سمِعْتُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أبو داود (٤٣٠٢) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٤) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٩.

(٤) المسند ٢/ ٤٥٥.

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « بُعِثْتُ بجوامعِ الكَلِمِ ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وبينا أنا نائمٌ أُتِيتُ بمفاتيحِ خَزائنِ الأَرْضِ ، فوُضِعت فى يدِى » . وقد رَواه البخارىُّ مُنْفَرِدًا به ، عن يَحْيَى بنِ بُكَيْرٍ ، وسعيدِ[1] بنِ عُفَيْرٍ ، كلاهما عن اللَّيْثِ ، به[2] ، وعندَه[3] ، قال أبو هريرةَ : فذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنتم تَنْتَثِلونها[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وأُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ ، وجُعِلتْ لىَ الأرضُ مسجدًا وطَهورًا ، وبينا أنا نائمٌ أُتِيتُ بمفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ فَتُلَّتْ[6] فى يدى » . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ على شرطِ مسلم ولم يُخْرِجوه . وفى « الصحيحين »[7] : « إذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، [8]وإذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه[8] ، والذى نفسى بيدِه لتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » . وفى الحديثِ الصحيحِ[9] : « إن اللَّهَ زَوَى[10] لى [11]الأرضَ ؛ مَشارِقَها[11] ومَغارِبَها ، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أمتى ما زُوِىَ لى منها » .

---

(١) فى م : « سعد » ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٦.

(٢) البخارى (٢٩٧٧) من رواية ابن بكير ، و(٧٠١٣) من رواية ابن عفير .

(٣) أى البخارى من رواية سعيد بن عفير دون رواية يحيى بن بكير .

(٤) تنتثلونها : أى تستخرجون الأموال وما فتح عليكم من زهرة الدنيا . انظر النهاية ٥/ ١٦.

(٥) المسند ٢/ ٥٠١، ٥٠٢.

(٦) تلت : أى ألقيت . وقيل : التل الصب ، فاستعاره للإلقاء . يقال : تل يتُل . إذا صب . وتل يتِل . إذا سقط . وأراد ما فتحه اللَّه تعالى لأمته بعد وفاته من خزائن ملوك الأرض . النهاية ١/ ١٩٥.

(٧) البخارى (٣١٢٠، ٣٦١٨) ، ومسلم (٢٩١٨) ، من حديث أبى هريرة ، والبخارى (٣١٢١، ٣٦١٩) ، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة ، مع تقديم وتأخير .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) رواه مسلم (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذى (٢١٧٦) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) ، بألفاظ متفاوتة .

(١٠) زوى : جمع . وانظر النهاية ٢/ ٣٢٠.

(١١ - ١١) فى ص : « مشارق الأرض » .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولما فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ من الخندقِ ، أقْبلت قريشٌ حتى نزَلت بمُجْتَمعِ الأَسْيالِ مِن رُومَةَ ، بينَ الجُرُفِ وزَغابةَ ، فى عشَرةِ آلافٍ من أَحابيشِهم ومَن تَبِعهم من بنى كِنانةَ وأهلِ تِهامةَ ، وأقْبلت غَطَفانُ ومَن تَبِعهم مِن أهلِ نَجْدٍ ، حتى نزَلوا بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانبِ أُحدٍ ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون ، حتى جعَلوا ظهورَهم إلى سَلْعٍ فى ثلاثةِ آلافٍ مِن المسلمين ، فضرَب هنالك عسكرَه ، والخندقُ بينَه [٣/ ٩و] وبينَ القومِ ، وأمَر بالذَّرارىِّ والنساءِ فجُعِلوا فوقَ الآطامِ[2] . قال ابنُ هشامٍ : واستَعمَل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ .

قلتُ : وهذا معنى قولِه تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ .

قال البخارىُّ[3] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا عَبْدَةُ[4] ، عن هشامِ ابنِ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ قالت : ذلك يومَ الخندقِ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) الآطام : القصور . ويقال : هى الحصون . واحدها أطم . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

(٣) البخارى (٤١٠٣) .

(٤) فى م : « عبيد » . وهو عبدة بن سليمان الكلابى . انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥٣٠، ٥٣١.

قال موسى بنُ عُقبةَ[1] : ولما نزَل الأحزابُ حولَ المدينةِ أغْلَق بنو قُرَيْظةَ حصنَهم دونَهم .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وخرَج حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ النَّضَرىُّ حتى أتَى كعبَ بنَ أسدٍ القُرَظِىَّ صاحبَ عَقْدِهم وعهدِهم ، فلمَّا سَمِع به كعبٌ أغلَق بابَ حصنِه دونَ حُيَىٍّ ، فاستَأْذَن عليه ، فأبَى أن يَفْتَحَ له ، فناداه : ويحَك يا كعبُ ! افْتَحْ لى . قال : ويحك يا حُيَىُّ ! إنك امرُؤٌ مَشْئومٌ ، وإنى قد عاهَدْتُ محمدًا ، فلسْتُ بناقضٍ ما بينى وبينَه ، ولم أَرَ منه إلَّا وفاءً وصدقًا . قال : ويحك ! افْتَحْ لى أُكَلِّمْك . قال : ما أنا بفاعلٍ . قال : واللَّهِ إن أَغلقْتَ دونى إلَّا خوفًا على جَشِيشَتِك[3] أن آكُلَ معك منها . فأحْفَظَ الرجلَ[4] ، ففتَح له ، فقال : ويحك يا كعبُ ! جئتُك بعِزِّ الدَّهْرِ وبحرٍ طامٍ[5] . [6]قال : وما ذاك ؟[6] قال : جئْتُك بقريشٍ على قادتِها وسادتِها ، حتى أنزَلْتُهم بمجتمعِ الأَسْيالِ مِن رُومَةَ ، وبغَطَفانَ على قادتِها وسادتِها ، حتى أنزَلْتُهم بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانبِ أُحدٍ ، قد عاهَدونى وعاقَدونى على أن لا يَبْرَحوا حتى نَسْتَأْصِلَ محمدًا ومَن معه . فقال كعبٌ : جئتَنى واللَّهِ بذلِّ الدهرِ ، وبجَهَامٍ قد هَراقَ ماءَه[7] ، يُرْعِدُ ويُبْرِقُ ، وليس فيه

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠٠، عن موسى بن عقبة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) الجشيشة : هى أن تُطْحَن الحنطة طحنًا جليلًا ، ثم تُجعَل فى القدور ويلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ ، وقد يقال لها : دَشِيشة . النهاية ١/ ٢٧٣.

(٤) أحفظ الرجل : أى أغضبه ، والحفيظة : الغضب . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

(٥) بحر طام : مرتفع الأمواج . وهو كناية عن كثرة الرجال .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل . وليست فى السيرة .

(٧) الجهام : السحاب الذى فرغ ماؤه . والمعنى : أى الذى تَعْرِضُه علىَّ لا خير فيه . انظر النهاية ١/ ٣٢٣.

شيءٌ، ويحك يا حُيَيُّ! فدَعْنى وما أنا عليه؛ فإنى لم أَرَ مِن محمدٍ إلَّا صدقًا ووفاءً. وقد تَكَلَّم عمرُو بنُ سعدٍ القُرَظيُّ فأحْسَن، فيما ذكَره موسى بنُ عُقبةَ[1]، ذكَّرَهم ميثاقَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وعهدَه، ومُعاقدتَهم إياه على نصْرِه، وقال: إذا لم تنْصُروه فاتْرُكوه وعدوَّه. قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلم يَزَلْ حُيَيٌّ بكعبٍ يَفْتِلُ[3] فى الذِّروَةِ والغارِبِ حتى سَمَحَ[4] له - يعنى فى نقضِ عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وفى محاربتِه مع الأحْزابِ - على أن أعْطاه حُيَيٌّ عهدَ اللَّهِ وميثاقَه: لئن رجَعتْ قريشٌ وغَطَفانُ ولم يُصِيبوا محمدًا؛ أن أدْخُلَ معك فى حصنِك حتى يُصِيبَنى ما أصابك. فنقَض كعبُ بنُ أسدٍ عهدَه، وبَرِئَ مما كان بينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال موسى [٣/ ٩ظ] بنُ عُقبةَ[5]: وأمَر كعبُ بنُ أسدٍ وبنو قُرَيْظَةَ حُيَيَّ بنَ أخْطَبَ أن يَأْخُذَ لهم مِن قريشٍ وغَطَفَانَ رهائنَ تكونُ عندَهم. يَعْنِى لئلا ينالَهم ضَيْمٌ إن هم رجَعوا ولم يُناجِزوا محمدًا. قالوا: وتكونُ الرهائنُ تسعين[6] رجلًا مِن أشرافِهم. فنازَلهم حُيَيٌّ على ذلك، فعندَ ذلك نقَضوا العهدَ، ومزَّقوا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٠١ عن موسى بن عقبة.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢١.

(٣) فى م، والسيرة: «يفتله». ويفتل فى الذروة والغارب: الغارب: مقدم السنام، والذروة: أعلاه. والمعنى: أراد أنه مازال يخادعه ويتلطفه حتى أجابه، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يُؤنِّس البعير الصعب ليَرُمَّه وينقاد له؛ جعل يُمِر يده عليه ويمسح غاربه، ويفتل وبَرَه حتى يَسْتَأْنِس، ويضع فيه الزمام. انظر النهاية ٣/ ٣٥٠، ٤١٠.

(٤) فى الأصل، م: «سمع».

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠١، عن موسى بن عقبة.

(٦) كذا بالنسخ. وفى الدلائل: «سبعين».

الصحيفةَ التى كان فيها العهدُ، إلَّا بنى سَعْيَةَ[1] أَسَدٌ وأَسِيدٌ وثَعْلبةُ، فإنهم خرَجوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلما انتهى الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وإلى المسلمين، بعَث سعدَ بنَ معاذٍ، وهو يومَئذٍ سيدُ الأوْسِ، وسعدَ بنَ عُبادةَ، وهو يومَئذٍ سيدُ الخزرجِ، ومعهما عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ وخَوَّاتُ بنُ جُبَيْرٍ، فقال: «انطَلِقوا حتى تأْتُوا هؤلاءِ القومَ فتنْظُروا أحقٌّ ما بَلَغَنا عنهم، فإن كان حقًّا فالْحَنوا لى لَحْنًا أعْرِفُه[3]، ولا تَفُتُّوا فى أعْضادِ المسلمين، وإن كانوا على الوفاءِ فاجْهَروا به للناسِ». قال: فخرَجوا حتى أتَوْهم.

قال موسى بنُ عُقبةَ[4]: فدخَلوا معهم حِصنَهم، فدَعَوهم إلى المُوادَعةِ وتجديدِ الحِلفِ، فقالوا: الآنَ وقد كُسِر جَناحُنا وأخْرَجهم؟! يُرِيدون بنى النَّضِيرِ، ونالوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجعَل سعدُ بنُ عُبادةَ يُشاتِمُهم، فأغْضَبوه، فقال له سعدُ بنُ مُعاذٍ: إنا واللَّهِ ما جئْنا لهذا، ولَمَا بينَنا أكْبرُ من المشاتمةِ. ثم ناداهم سعدُ بنُ معاذٍ فقال: إنكم قد علِمْتمُ الذى بينَنا وبينَكم يا بنى قُرَيْظةَ، وأنا خائفٌ عليكم مثلَ يومِ بنى النَّضِيرِ أو أَمَرَّ منه. فقالوا: أكَلْتَ أَيْرَ أبيك. فقال: غيرُ هذا مِن القولِ كان أجملَ بكم وأحسنَ.

---

(١) مطموسة فى الأصل. وفى م، ص: «سعنة». وفى الدلائل: «شعية». والمثبت من أسد الغابة ١/ ٨٤، ١١٤، ٢٨٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) الحنوا لى لحنًا أعرفه: أى أشيروا إلىَّ ولا تفصحوا، وعَرِّضوا بما رأيتم. انظر النهاية ٤/ ٢٤١.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠٣، عن موسى بن عقبة.

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : نالوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقالوا : مَن رسولُ اللَّهِ ؟ لا عهَد بينَنا وبينَ محمدٍ [2]ولا عقْدَ[2] . فشاتَمهم سعدُ بنُ مُعاذٍ وشاتَموه ، وكان رجلًا فيه حِدَّةٌ ، فقال له سعدُ بنُ عُبادةَ : دَعْ عنك مُشاتَمتَهم ، لَمَا بينَنا وبينَهم أَرْبَى من المشاتمةِ[3] . ثُم أقْبَل السَّعدانِ ومَن معهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فسَلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقارَةُ . أى كغدرِهم بأصحابِ الرَّجيعِ ، خُبَيْبٍ وأصحابِه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أكبرُ ، أبْشِروا يا معشرَ المسلمين » .

قال موسى بنُ عقبةَ[4] : ثُم تقَنَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ بثوبِه حينَ جاءه الخبرُ عن بنى قُرَيْظةَ ، فاضْطَجع ومكَث طويلًا ، فاشتَدَّ على الناسِ البلاءُ والخوفُ حينَ رَأَوه اضْطَجع ، وعرَفوا أنه [٣/ ١٠و] لم يَأْتِه عن بنى قُرَيظةَ خيرٌ ، ثم إنه رفَع رأسَه فقال : « أبْشِروا بفتحِ اللَّهِ ونصرِه » . فلما أن أصبَحوا ، دَنا القومُ بعضُهم من بعضٍ ، وكان بينَهم رَمْىٌ بالنَّبْلِ والحجارةِ ، قال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم إنى أَسألُك عهدَك ووعْدَك ، اللهم إن تَشَأْ لا تُعْبَدْ » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وعظُم عندَ ذلك البلاءُ ، واشتَدَّ الخوفُ ، وأتاهم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٢.

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) هذا السياق مخالف لسياق موسى بن عقبة ، ولسياق محمد بن إسحاق عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٧٠، ٥٧١، والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٤٢٩، ٤٣٠، ففى سياقهم أن سعد بن عبادة هو الذى شاتمهم . وهذا هو الراجح - واللَّه أعلم - حيث وصف النبى ﷺ سعد بن عبادة فقال : « إن سعدا لغيور » . وكان شديد الغيرة ، وهذا يتناسب مع الحدة التى أظهرها هنا . أما سعد بن معاذ فكان حليفا لبنى قريظة ، فالأولى به الحلم فى هذا الموقف . كما قال لهم فى رواية موسى بن عقبة السابقة : أنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمر منه . فاللَّه أعلم .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٠٣ عن موسى بن عقبة .

عدُوُّهم من فوقِهم ومِن أسفلَ منهم، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ، ونجَمَ النفاقُ، حتى قال مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ: كان محمدٌ يَعِدُنا أن نَأْكُلَ كنوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ، وأحدُنا اليومَ[1] لا يَأْمَنُ على نفسِه أن يَذْهَبَ إلى الغائطِ. وحتى قال أوسُ بنُ قَيْظِيٍّ: يا رسولَ اللَّهِ، إن بُيوتَنا عَوْرةٌ مِن العدُوِّ - وذلك عن ملأٍ من رجالِ قومِه - فأْذَنْ لنا أن نَرْجِعَ إلى دارِنا؛ فإنها خارجٌ مِن المدينةِ.

قلتُ: هؤلاء وأمثالُهم المرادون بقولِه تعالى[2]: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣].

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى مُرابطًا - وأقام المشركون يُحاصِرونه بضْعًا وعشرين ليلةً، قريبًا مِن شهرٍ، ولم يَكُنْ بينَهم حربٌ إلّا الرِّمِّيَّا[4] بالنَّبْلِ، فلما اشتَدَّ على الناسِ البلاءُ، بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ - كما حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ، ومَن لا أتَّهِمُ، عن الزُّهْرِىِّ - إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ والحارثِ بنِ عوفٍ المُرِّىِّ، وهما قائدا غَطَفانَ، فأعْطاهما ثلثَ ثمارِ المدينةِ، على أن يَرْجِعا بمن معهما عنه وعن أصحابِه، فجرَى بينَه وبينَهم

---

(١) زيادة من: ص.

(٢) التفسير ٦/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) فى الأصل: «رميًا»، وفى ص: «الرمى». والرِّمِّيَّا: من الرَّمْيِ، وهو مصدر يراد به المبالغة. النهاية ٢/ ٢٦٩.

الصلحُ ، حتى كتَبوا الكتابَ ، ولم تَقَعِ الشهادةُ ولا عَزيمةُ الصلحِ إلّا المُراوضَةُ ، فلما أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يفعَلَ ذلك ، بعَث إلى السَّعْدينِ ، فذكَر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسولَ اللَّهِ ، أمْرًا تُحِبُّه فنَصْنَعَه ، أم شيئًا أمَرك اللَّهُ به لابدَّ لنا مِن العملِ به ، أم شيئًا تَصْنَعُه لنا ؟ فقال : « بل شيءٌ أَصنَعُه لكم ، واللَّهِ ما أَصْنَعُ ذلك إلَّا أنى رأيْتُ العربَ قد رمَتْكم عن قوْسٍ واحدةٍ ، وكالَبُوكم مِن كلِّ جانبٍ ، فأرَدْتُ أن أَكْسِرَ عنكم من شَوْكتِهم إلى أمرٍ ما » . فقال له سعدُ ابنُ معاذٍ [٣/ ١٠ظ] : يا رسولَ اللَّهِ ، قد كنا نحن[1] وهؤلاء القومُ[1] على الشركِ باللَّهِ وعبادةِ الأوْثانِ ، لا نَعْبُدُ اللَّهَ ولا نعْرِفُه ، وهم لا يَطْمَعون أن يَأْكُلوا منها تمرةً واحدةً إلَّا قِرًى أو بيعًا ، أفحينَ أكْرَمَنا اللَّهُ بالإسلامِ وهدانا له وأعَزَّنا بك وبه ، نُعْطِيهم أموالَنا ! ما لنا بهذا مِن حاجةٍ ، واللَّهِ لا نُعْطِيهم إلَّا السيفَ ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَهم . فقال النبيُّ ﷺ : « أنت وذاك » . فتَناوَل سعدُ بنُ معاذٍ الصحيفةَ ، فمَحَا ما فيها مِن الكتابِ ، ثم قال : لِيَجْهَدوا علينا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فأقام النبيُّ ﷺ وأصحابُه محاصَرين ، ولم يَكُنْ بينَهم وبينَ عدُوِّهم قِتالٌ ، إلّا أنَّ فَوارسَ مِن قريشٍ منهم عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ بنِ أبى قَيْسٍ ، أحدُ بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، وعِكْرمةُ بنُ أبى جهلٍ وهُبَيْرةُ بنُ أبى وَهْبٍ المخْزوميَّان ، وضِرارُ بنُ الخطَّابِ بنِ مِرْداسٍ ، أحدُ بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ ، تَلَبَّسوا للقتالِ ، ثم خرَجوا على خيلِهم ، حتى مَرُّوا بمنازلِ بنى كِنانةَ فقالوا : تَهَيَّئُوا يا بنى كِنانةَ للحربِ ، فستَعْلَمون مَن الفُرسانُ اليومَ . ثم أقْبَلوا تُعْنِقُ[3] بهم

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) تعنق : تسرع . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

خيلُهم، حتى وقَفوا على الخندقِ، فلمَّا رَأَوه قالوا: واللَّهِ إنَّ هذه لمكيدةٌ ما كانت العربُ تَكِيدُها. ثم تيَمَّموا مكانًا مِن الخندقِ ضيِّقًا، فضرَبوا خيلَهم فاقْتَحمتْ منه، فجالت بهم فى السَّبْخةِ بينَ الخندقِ وسَلْعٍ، وخرَج علىُّ بنُ أبى طالبٍ فى نفَرٍ معه مِن المسلمين، حتى أخَذوا عليهم الثُّغْرةَ[1] التى أَقْحَموا منها خيلَهم، وأقْبلت الفُرسانُ تُغْنِقُ نحوَهم، وكان عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ قد قاتَل يومَ بدرٍ حتى أثْبَتَته الجِراحةُ، فلم يَشْهَدْ يومَ أحدٍ، فلمَّا كان يومُ الخندقِ، خرَج مُعْلِمًا ليُرَى مكانُه، فلما وقَف[2] هو وخيلُه قال: مَن يُبارِزُ؟ فبرَز له علىُّ ابنُ أبى طالبٍ، رضى اللَّهُ عنه، فقال له: يا عمرُو، إنك كنتَ عاهَدْتَ اللَّهَ لا يدْعُوك رجلٌ مِن قريشٍ إلى إحْدى خَلَّتَيْن إلا أخَذْتَها منه. قال: أجَلْ. قال له علىٌّ: فإنى أدْعُوك إلى اللَّهِ وإلى رسولِه وإلى الإسلامِ. قال: لا حاجةَ لى بذلك. قال: فإنى أدْعُوك إلى النِّزالِ. قال له: لِمَ يا بنَ أخى، فواللَّهِ ما أحِبُّ أن أَقْتُلَك. قال له علىٌّ: لكنى واللَّهِ أحِبُّ أن أقْتُلَك. فحَمِىَ عمرٌو عندَ ذلك، فاقْتَحم عن فرسِه، فعقَره وضرَب وجهَه، ثم أقْبَل على علىٍّ، فتَنازَلا وتَجاوَلا، فقتَله علىٌّ، رضى اللَّهُ عنه، وخرَجت خيلُهم منهزمةً، حتى اقْتَحمت مِن الخندقِ هاربةً.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ فى ذلكِ:

[٣/ ١١و] نصَرَ الحجارةَ مِن سَفاهةِ رأْيِهِ ونصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ

---

(١) الثغرة: هى الثلم - أى الشق - الذى كان هنالك فى الخندق. شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

(٢) فى م: «خرج».

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٥.

فصدَدتُ[1] حينَ ترَكْتُه مُتَجدِّلًا كالجِذْعِ بينَ دَكادِكٍ ورَوَابى[2]

وعفَفْتُ عن أثوابِه ولوَ انَّنى كنتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِى أثْوابى[3]

لا تَحْسَبُنَّ اللَّهَ خاذلَ دينِه ونبيِّه يا معشرَ الأحْزابِ

قال ابنُ هشامٍ: وأكثرُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يَشُكُّ فيها لعلىٍّ.

قال ابنُ هشامٍ[4]: وألْقَى عِكْرِمةُ رمحَه يومَئذٍ وهو منهزمٌ عن عمرٍو، فقال فى ذلك حسانُ بنُ ثابتٍ[5]:

فرَّ وألْقَى لنا رُمحَهُ لعلّك عِكْرِمَ لم تَفْعَلِ

ووَلَّيْتَ تَعْدو كعَدْوِ الظَّليـ ـمِ ما أن تَحُورَ عن المَعْدِلِ[6]

ولم تُلْقِ[7] ظهرَك مُسْتَأْنِسًا كأَنَّ قَفاكَ قَفا فُرْعُلِ

قال ابنُ هشامٍ: الفَراعِلُ صغارُ الضِّباعِ.

وذكَر الحافظُ البيهقىُّ فى «دلائلِ النبوةِ»[8]، عن ابنِ إسحاقَ فى موضعٍ

---

(١) فى م: «فصدرت».

(٢) متجدلا: لاصقا بالأرض. والجذع: فرع النخلة. والدكادك: جمع دَكداك، وهو الرمل اللين. والروابى: جمع رابيَة، وهى الكُدية المرتفعة. شرح غريب السيرة ٣/ ٦.

(٣) المقطر: الذى أُلْقِى على أحد قُطْريه، أى جنبيه. وبزنى: أى سلبنى وجردنى. المصدر السابق.

(٤) كذا بالنسخ. وفى سائر أصول سيرة ابن هشام إلا نسخة واحدة: «قال ابن إسحاق». انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٦ هامش (١).

(٥) ديوان حسان ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٦) الظليم: ذَكَرُ النعام. وتحور: ترجع. شرح غريب السيرة ٣/ ٦. واللسان (ح و ر).

(٧) فى الأصل: «تكن»، وفى م: «تلو».

(٨) دلائل النبوة ٣/ ٤٣٨، ٤٣٩. وذكره السهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣١٦ - ٣١٨.

آخرَ غيرِ[1] «السيرةِ» قال: خرَج عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ وهو مُقَنَّعٌ بالحديدِ، فنادَى: [2]مَن يُبارِزُ؟[2] فقام عليٌّ بنُ أبى طالبٍ فقال: أنا لها يا نبيَّ اللَّهِ. فقال: «إنه عمرٌو، اجْلِسْ». ثم نادَى عمرٌو: ألَا رجلٌ يَبْرُزُ؟ فجعَل يُؤَنِّبُهم ويقولُ: أين جنَّتُكم التى تَزْعُمون أنه مَن قُتِل منكم دخَلها، أفلا تُبْرِزون إلىَّ رجلًا؟ فقام عليٌّ فقال: أنا يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «اجْلِسْ». ثم نادَى الثالثةَ فقال:

ولقد بَحَحْتُ مِن الندا ... ءِ بجَمْعِكُم[3] هل مِن مُبارِزْ
ووقَفْتُ إذ جَبُنَ المُشَجَّـ ... ـعُ مَوْقِفَ القِرْنِ المُناجِزْ
ولذاك إنى لم أزَلْ ... مُتَسَرِّعًا قِبَلَ الهَزاهِزْ[4]
إنّ الشجاعةَ فى الفَتى ... والجُودَ مِن خيرِ الغَرائِزْ

قال: فقام عليٌّ، رضى اللَّهُ عنه، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، أنا. فقال: «إنه عمرٌو». فقال: وإن كان عَمْرًا. فأَذِن له رسولُ اللَّهِ ﷺ، فمشَى إليه، حتى أتَى وهو يقولُ:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتا ... ك مجيبُ صوتِك غيرَ عاجِزْ
فى نِيَّةٍ وبَصِيرةٍ ... والصدقُ مَنْجَى كلِّ فائزْ

---

(١) فى الأصل، م: «من». والموضع فى مغازى ابن إسحاق. انظر الروض ٦/ ٣١٦.
(٢ - ٢) فى الأصل: «هل من مبارز».
(٣) فى النسخ: «لجمعهم». والمثبت من الدلائل والروض.
(٤) الهزاهز: الفِتَن يهتز فيها الناس. اللسان (هـ ز ز).

[٣/١١ظ] إنى لَأرْجو أن أُقيـ ـمَ عليك نائحةَ الجنائزْ
مِن ضَرْبةٍ نَجْلاءَ يَبْـ ـقَى ذِكْرُها عندَ الهَزاهِزْ

فقال له عمرٌو : مَن أنت ؟ قال : أنا عليٌّ . قال : ابنُ عبدِ منافٍ ؟ قال : أنا عليُّ بنُ أبى طالبٍ . فقال : غيرَك[1] يا بنَ أخى ، ومِن أعمامِك مَن هو أسَنُّ منك ، فإنى أكْرَهُ أن أُهَرِيقَ دمَك . فقال له عليٌّ : لكنى واللَّهِ لا أكْرَهُ أن أُهَرِيقَ دمَك . فغَضِب ، فنزَل وسَلَّ سيفَه كأنه شُعلةُ نارٍ ، ثم أقْبَل نحوَ عليٍّ مُغْضَبًا ، واستَقْبَله عليٌّ بدَرَقتِه ، فضرَبه عمرٌو فى الدَّرَقةِ فقَدَّها وأثْبَت فيها السيفَ ، وأصاب رأسَه فشَجَّه ، وضرَبه عليٌّ على حَبْلِ عاتقِه فسقَط ، وثار العَجَاجُ[2] ، وسَمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ التكبيرَ فعرَف[3] أن عليًّا قد قتَله . فثَمَّ عليٌّ يقولُ :

أعلَىَّ تَقْتَحِمُ الفَوارسُ هكذا عنى وعنهم أخَّروا[4] أصحابى
اليومَ تَمْنَعُنى الفرارَ حَفيظتى ومُصَمِّمٌ[5] فى الرأسِ ليس بنابى

إلى أن قال :

عَبَدَ الحجارةَ مِن سَفاهةِ رأيِه وعبَدْتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ

إلى آخرِها . قال : ثُم أقْبَل عليٌّ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ووجهُه يَتَهَلَّلُ ، فقال له عمرُ بنُ الخطابِ : هَلَّا اسْتَلَبْتَه دِرْعَه ، فإنه ليس للعربِ دِرْعٌ خيرٌ منها ؟

---

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل والروض .
(٢) العجاج : الغبار . اللسان (ع ج ج) .
(٣) فى النسخ : « فعرفنا » . والمثبت من الدلائل والروض .
(٤) فى الأصل : « أخبروا » .
(٥) المصمم : السيف القاطع . انظر الوسيط (ص م م) .

فقال : ضرَبْتُه فاتَّقانى بسَوْأتِه ، فاستَحْيَيْتُ ابنَ عمى أن أَسْلُبَه . قال : وخرَجتْ خيولُه منهزمةً حتى اقْتَحمتْ مِن الخندقِ .

وذكر ابنُ إسحاقَ فيما حكاه عنه[1] البيهقىُّ ، أنَّ عليًّا طعَنه فى تَرْقُوَتِه حتى أخرَجَها مِن مَرَاقِّه[2] ، فمات فى الخندقِ ، وبعَث المشركون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يشْتَرون جِيفَتَه بعشَرةِ آلافٍ ، فقال : « هو لكم ، لا نَأْكُلُ ثمنَ الموتى » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا نصْرُ بنُ بابٍ ، حدثنا حجَّاجٌ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : قَتَل المسلمون يومَ الخندقِ رجلًا من المشركين ، فأُعْطُوا بجيفتِه مالًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْفَعوا إليهم جيفتَه ، فإنه خبيثُ الجِيفةِ خبيثُ الدِّيَةِ » . فلم يَقْبَلْ منهم شيئًا .

وقد رَواه البيهقىُّ[4] مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن حَجَّاجٍ ، هو ابنُ أرْطَاةَ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ : أنَّ رجلًا مِن المشركين قُتِل [٣/ ١٢و] يومَ الأحزابِ ، فبَعثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنِ ابْعَثْ إلينا بجسدِه ونُعْطِيَك[5] اثنَىْ عشَرَ ألفًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا خيرَ فى جسدِه ولا فى ثمنِه » . وقد رَواه الترمذىُّ[6] ، مِن حديثِ سفيانَ الثَّوْرىِّ ، عن ابنِ أبى لَيْلَى ،

---

(١) فى م : « عن » . والأثر فى الدلائل ٣/ ٤٣٨.

(٢) الترقوة : عظم وَصَل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين . والمراق : ما سَفَل من البطن فما تحته من المواضع التى تَرِقُّ جلودها . اللسان (ت ر ق) . والنهاية ٢/ ٢٥٢.

(٣) المسند ١/ ٢٤٨. (إسناده صحيح) .

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٤٠، والسنن الكبرى ٩/ ١٣٣.

(٥) فى النسخ والدلائل : « نعطيهم » . والمثبت من السنن الكبرى .

(٦) الترمذى (١٧١٥) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٢٨٩) .

عن الحكَمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ، وقال: غريبٌ.

وقد ذكَر موسى بنُ عُقبةَ[1]، أن المشركين إنما بعَثوا يَطْلُبون جسدَ نَوْفَلِ بنِ عبدِ اللَّهِ المخْزوميِّ حينَ قُتِل، وعرَضوا عليه الدِّيةَ، فقال: «إنه خبيثٌ خبيثُ الدِّيَةِ، فلَعَنه اللَّهُ ولعَن دِيتَه، فلا أَرَبَ لنا فى دِيَتِه، ولسْنا نَمْنَعُكم أن تَدْفِنوه».

وذكَر يونسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ، قال[2]: وخرَج نَوْفَلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ المُغيرةِ المخزوميُّ يَسْأَلُ المبارزةَ، فخرَج إليه الزبيرُ بنُ العَوَّامِ، فضرَبه، فشقَّه باثْنَتَيْن، حتى فَلَّ فى سيفِه فَلًّا، وانصَرَف وهو يقولُ:

إنى امرُؤٌ أَحْمِى وأَحْتَمِى ... عن النبىِّ المُصْطَفى الأُمِّى

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ[3] أن نَوْفلًا لما تَوَرَّط فى الخندقِ، رماه الناسُ بالحجارةِ، فجعَل يقولُ: قِتْلةً أحسنَ مِن هذه يا معشرَ العربِ. فنزَل إليه علىٌّ فقتَله، وطلَب المشركون رِمَّتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بالثمنِ، فأَبَى عليهم أن يَأْخُذَ منهم شيئًا، ومكَّنَهم مِن أخْذِه إليهم. وهذا غريبٌ مِن وجهَيْن.

وقد رَوَى البيهقىُّ[4]، مِن طريقِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ[5]، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، قال: جُعِلْتُ يومَ الخندقِ مع النساءِ والصبيانِ فى الأُطُمِ، ومعى عمرُ بنُ أبى سَلَمةَ، فجعَل يُطَأْطِئُ لى فأَصْعَدُ على ظَهْرِه،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٠٤ عن موسى بن عقبة.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٣٧ عن يونس بن بكير، به.

(٣) تاريخ الطبرى ٢/٥٧٤ حوادث السنة الخامسة.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٥) فى م: «يزيد». وهو خطأ.

فأنْظُرُ . قال : فنظَرْتُ إلى أبى وهو يَحْمِلُ مرةً هـٰهنا ومرةً هـٰهنا ، فما يَرْتَفِعُ له شىءٌ إلّا أتاه ، فلما أمْسَى جاءنا إلى الأُطُمِ ، قلتُ : يا أبَتِ ، رأيتُك اليومَ وما تصْنَعُ . قال : ورأيْتَنى يا بنىَّ ؟ قلتُ : نعم . قال : فِدًى لك أبى وأمى .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى أبو لَيْلَى عبدُ اللَّهِ بنُ سهلِ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ سهلٍ الأنصارىُّ ، أخو بنى حارِثةَ ، أن عائشةَ أمَّ المؤمنين كانت فى حصنِ بنى حارِثةَ يومَ الخندقِ ، وكان مِن أحْرَزِ حصونِ المدينةِ . قال : وكانت أمُّ سعدِ ابنِ مُعاذٍ معها فى الحصنِ ، قالت عائشةُ : وذلك قبلَ أن يُضْرَبَ علينا الحِجابُ . قالت : فمرَّ سعدٌ وعليه درعٌ مُقَلَّصةٌ[2] ، قد خرَجَت منها ذراعُه كلُّها ، وفى يدِه حربتُه يَرْقُدُّ[3] بها ويقولُ :

[٣/١٢ظ] لَبِّثْ قليلًا يَشْهَدِ الهَيْجَا حَمَلْ[4] لا بأسَ بالموتِ إذا حان الأجَلْ

فقالت له أمُّه : الْحَقْ بنىَّ ، فقد واللَّهِ أخَّرْتَ . قالت عائشةُ : فقلتُ لها : يا أمَّ سعدٍ ، واللَّهِ لَوَدِدْتُ أنَّ دِرعَ سعدٍ كانت أسْبَغَ مما هى . قالت : وخِفْتُ عليه حيث أصابَ السهمُ منه ، فرُمِىَ سعدُ بنُ معاذٍ بسهمٍ فقَطَع منه الأكْحَلَ[5] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) مقلصة : قصيرة . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦.

(٣) فى الأصل ، ص : « يرتد » ، وفى م : « يرفل » . ويرقد : يسرع . المصدر السابق .

(٤) فى م ، ص ، والسيرة : « جمل » . قال السهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣١٩: هو بيت تمثل به ، عنى به حمل بن سَعْدانة بن حارثة بن مَعْقِل بن كعب بن عُلَيْم بن جناب الكلبى . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٤٣١ حاشية (٥) .

(٥) الأكحل : عرق فى الذراع . شرح غريب السيرة ٣/ ٧.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ قال : رَمَاه حِبّانُ[2] بنُ قَيْسِ بنِ العَرِقةِ ، أحدُ بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، فلمَّا أصابه قال : خُذْها منى وأنا ابنُ العَرِقةِ . فقال له سعدٌ : عَرَّق اللَّهُ وجهَك فى النارِ ، اللهم إن كنتَ أبْقَيْتَ مِن حربِ قريشٍ شيئًا فأبْقِنِى لها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إلىَّ أن أُجاهِدَ مِن قومٍ آذَوْا رسولَك وكَذَّبوه وأخْرَجوه ، اللهم وإن كنتَ وضَعْتَ الحربَ بينَنا وبينَهم فاجْعَلْها لى شهادةً ، ولا تُمِتْنى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى قُرَيْظَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ أنه كان يقولُ : ما أصاب سعدًا يومَئذٍ إلا أبو أُسامةَ الجُشَمىُّ ، حليفُ بنى مَخْزومٍ . وقد قال أبو أسامةَ فى ذلك شعرًا ، قاله لِعِكْرمةَ بنِ أبى جهلٍ :

أعِكْرِمَ هَلَّا لُمْتَنى إذ تقولُ لى ... فِداكَ بآطامِ المدينةِ خالدُ

ألستُ الذى ألزَمْتُ سعدًا مُرِشَّةً[4] ... لها بينَ أثناءِ المَرافِقِ عانِدُ[5]

قضَى نَحْبَه منها سُعَيْدٌ فأَعْوَلتْ ... عليه مع الشُّمْطِ العَذَارَى النَّواهِدُ[6]

وأنت الذى دافَعْتَ عنهُ وقد دَعا ... عُبَيْدَةُ جَمْعًا منهمُ إذ يُكابِدُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٧.

(٢) فى الأصل غير منقوطة . وفى م ، ص : « حيان » . والمثبت من السيرة . وانظر جمهرة الأنساب ص ١٧١.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) فى م : « مريشة » . ومرشة : يعنى رمية أصابته فأطارت رشاش الدم منه . شرح غريب السيرة ٣/ ٧.

(٥) العاند : العرق الذى لا ينقطع منه الدم . المصدر السابق .

(٦) أعولت : بكت بصوت مرتفع . والشمط : جمع شمطاء ، وهى التى خالط شعرها الشيب . المصدر السابق .

على حينِ ما هم جائِرٌ عن طريقِه وآخرُ مَرْعوبٌ[1] عن القَصْدِ قاصِدُ

قال ابنُ إسحاقَ : واللَّهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان . قال ابنُ هشامٍ : ويقالُ : إنَّ الذى رمَى سعدًا خَفاجةُ بنُ عاصمِ بنِ حِبَّانَ .

قلتُ : وقد استجاب اللَّهُ دعوةَ وليِّه سعدِ بنِ معاذٍ فى بنى قُرَيْظَةَ ، أقَرَّ اللَّهُ عينَه ؛ فحكَم فيهم بقدرتِه وتيسيرِه ، وجعَلهم هم الذين يَطْلُبون ذلك ، كما سيأتى بيانُه ، فحَكَم بقتلِ مقاتِلَتِهم وسَبْيِ ذرارِيِّهم ، حتى قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد حكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللَّهِ من فوقِ سبعةِ [٣/١٣و] أرْقِعةٍ »[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه عَبَّادٍ ، قال : كانت صَفِيَّةُ بنتُ عبدِ المطلبِ فى فارعِ حِصْنِ حسانَ بنِ ثابتٍ ، قالت : وكان حسانُ معنا فيه مع النساءِ والصِّبيانِ . [4]قالت صَفِيَّةُ[4] : فمرَّ بنا رجلٌ من يهودَ ، فجعَل يُطِيفُ بالحصنِ ، وقد حاربَتْ بنو قُرَيْظَةَ ، وقطَعَت ما بينَها وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وليس بينَنا وبينَهم أحدٌ يَدْفَعُ عنا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون فى نحورِ عدُوِّهم ، لا يَستَطِيعون أن يَنْصَرِفوا عنهم إلينا إن[5]

---

(١) فى ص : « مرغوب » . قال أبو ذر : المرعوب : المفَزَّع ، ومن رواه مرغوب ، فمعناه رغب عن القصد ، أى تركه . شرح غريب السيرة ٣/٧ .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ، كما فى سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠. وعنه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٨٨. كلاهما عن علقمة بن وقاص الليثى مرسلا . كما سيأتى ذلك فى غزوة بنى قريظة مفصلا .

وسبعة أرقعة : يعنى سبع سماوات ، وكل سماء يقال لها : رَقِيع . وقيل : الرقيع اسم سماء الدنيا . سميت بذلك لأن الكواكب رفعتها ، وقيل : لأنها مرقوعة بالنجوم . فأعطى كل سماء اسمها . انظر النهاية ٢/ ٢٥١. واللسان (ر ق ع) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٨.

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) فى الأصل ، م : « إذ » .

أتانا آتٍ ، فقلتُ : يا حسانُ ، إن هذا اليهوديَّ كما تَرَى يُطِيفُ بالحصنِ ، وإنى واللَّهِ ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عورتِنا مَن وراءَنا مِن يهودَ ، وقد شُغِل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، فانْزِلْ إليه فاقْتُلْه . قال : يغْفِرُ اللَّهُ لكِ يا بنةَ عبدِ المطلبِ ، واللَّهِ لقد عرَفْتِ ما أنا بصاحبِ هذا . قالت : فلمَّا قال لى ذلك ولم أرَ عندَه شيئًا ، احتَجَزْتُ[1] ثم أخَذْتُ عمودًا ، ثم نزَلْتُ من الحصنِ إليه ، فضرَبْتُه بالعمودِ حتى قتَلْتُه ، فلما فرَغْتُ منه ، رجَعْتُ إلى الحصنِ ، فقلتُ : يا حسانُ ، انزِلْ فاسْلُبْه ، فإنه لم يَمْنَعْنى من سَلَبِه إلّا أنه رجلٌ . قال : ما لى [2]بسَلَبِه حاجةٌ[2] يا بنةَ عبدِ المطلبِ .

[3]حكى السُّهَيْلِىُّ[4] عن بعضِهم أنه قال : كان حسانُ جبانًا شديدَ الجُبنِ . قال : وأَنكَر آخرون ذلك ، وطعَنوا فى الخبرِ ، فقالوا : هو منقطعٌ . قالوا : وقد كان يُهَاجِى المشركين من الشعراءِ ؛ كابنِ الزِّبَعْرَى ، وضِرارِ بنِ الخطَّابِ ، وغيرِهما ، فلم يُعَيِّرْه واحدٌ منهم بالجبنِ . قال : وممَّن أنكَرَ ذلك الشيخُ أبو عُمَرَ النَّمَرِىُّ[5] . قالوا : وبتقديرِ صحةِ هذا الخبرِ ، لعله كان منقطعًا فى الآطامِ لِعِلَّةٍ عارضةٍ . ومال إلى هذا السُّهَيْلِىُّ . واللَّهُ أعلمُ[3] .

قال موسى بنُ عقبةَ[6] : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعَلوهم فى مثلِ

---

(١) احتجزت : شددت وسطى .

(٢ - ٢) فى ص : « من سلبه بحاجة » .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤) الروض الأنف ٦/ ٣٢٤ بمعناه .

(٥) انظر الدرر فى اختصار المغازى والسير ص ١٨٦، والاستيعاب ١/ ٣٤٨.

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠١، ٤٠٢ عن موسى بن عقبة .

الحصنِ بينَ[1] كتائبِهم، فحاصروهم قريبًا مِنْ عشرين ليلةً، وأخَذوا بكلِّ ناحيةٍ، حتى لا يَدْرِى الرجلُ[2] أتمَّ صَلاتَه[3] أم لا. قال: ووجَّهوا نحوَ منزلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كتيبةً غليظةً، فقاتَلوهم يومًا إلى الليلِ، فلمَّا حانت صلاةُ العصرِ، دنَتِ الكتيبةُ، فلم يَقْدِرِ النبىُّ ﷺ ولا أحدٌ مِن أصحابِه الذين كانوا معه أن يُصَلُّوا الصلاةَ على نحوِ ما أرادوا، فانكَفَأت الكَتيبةُ مع الليلِ، فزَعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «شغَلونا عن صلاةِ العصرِ، ملأَ اللَّهُ بطونَهم وقلوبَهم - وفى روايةٍ: وقبورَهم[4] - نارًا». فلما اشتَدَّ البلاءُ، نافَق ناسٌ كثيرٌ، وتكَلَّموا بكلامٍ قبيحٍ، فلمَّا رَأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ما بالناسِ مِن البلاءِ والكَرْبِ، جعَل يُبَشِّرُهم ويقولُ: «والذى نفسى بيدِه ليُفَرَّجَنَّ عنكم ما ترَوْن من الشدةِ، وإنى لَأَرْجُو أن [٣/١٣ظ] أَطُوفَ بالبيتِ العتيقِ آمنًا، وأن يَدْفَعَ اللَّهُ إلىَّ مفاتيحَ الكعبةِ، وليُهْلِكَنَّ اللَّهُ كِسْرَى وقَيْصَرَ، ولتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ».

وقد قال البخارىُّ[5]: حدثنا إسْحاقُ، حدثنا رَوْحٌ، حدثنا هشامٌ، عن محمدٍ، عن عَبِيدةَ، عن علىٍّ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال يومَ الخندقِ: «ملأَ اللَّهُ عليهم بيوتَهم وقبورَهم نارًا؛ كما شغَلونا عن الصلاةِ الوسطى حتى غابت الشمسُ». وهكذا رواه بقيةُ الجماعةِ إلَّا ابنَ ماجه مِن طُرُقٍ، عن هشامِ بنِ

---

(١) فى النسخ: «من». والمثبت من الدلائل.
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.
(٤) فى الأصل: «بيوتهم».
(٥) البخارى (٤١١١).

حسانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن عَبِيدةَ ، عن عليٍّ ، به[1] . ورَواه مسلمٌ والترمذيُّ مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أبى حَسانَ الأعْرجِ ، عن عَبِيدةَ ، عن عليٍّ ، به[2] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

ثم قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا هشامٌ ، عن يحيى ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطاب جاء يومَ الخندقِ بعدَ ما غرَبت الشمسُ ، فجعَل يَسُبُّ كفارَ قريشٍ ، وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما كِدْتُ أن أُصَلِّىَ حتى كادت الشمسُ أن تَغْرُبَ . قال النبىُّ ﷺ : « واللَّهِ ما صليتُها » . فنزَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بُطْحانَ ، فتوضَّأ للصلاةِ وتوضَّأْنا لها ، فصلَّى العصرَ بعدَ ما غرَبت الشمسُ ، ثم صلى بعدَها المغربَ . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ والترمذيُّ والنَّسائيُّ ، مِن طُرُقٍ ، عن يحيى بنِ أبى كَثِيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، به[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا عبدُ الصمدِ ، حدثنا ثابتٌ ، حدَّثنا هلالٌ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قاتَل النبىُّ ﷺ عدوًّا ، فلم يَفْرُغْ منهم حتى أخَّرَ العصرَ عن وقتِها ، فلمَّا رأَى ذلك ، قال : « اللهم مَن حبَسَنا عن الصلاةِ الوُسْطَى ، فامْلَأْ بيوتَهم نارًا وامْلَأْ قبورَهم نارًا » . ونحوَ ذلك . تفرَّد به

---

(١) مسلم (٦٢٧/٢٠٢) ، وأبو داود (٤٠٩) . ولم نجد للترمذى ولا النسائى رواية من هذا الطريق . انظر تحفة الأشراف ٧/ ٤٢٩، والمسند الجامع ١٣/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) مسلم (٦٢٧/٢٠٣) ، والترمذى (٢٩٨٤) .

(٣) البخارى (٤١١٢) .

(٤) البخارى (٥٩٦، ٥٩٨، ٦٤١، ٩٤٥) ، ومسلم (٦٣١) ، والترمذى (١٨٠) ، والنسائى (١٣٦٥) .

(٥) المسند ١/ ٣٠١. (إسناده صحيح) .

أحمدُ ، وهو مِن روايةِ هِلالِ بنِ خَبَّابٍ العَبْدىِّ الكُوفىِّ ، وهو ثِقةٌ ، يُصَحِّحُ له الترمذىُّ وغيرُه .

وقد استدل طائفةٌ مِن العلماءِ بهذه الأحاديثِ على كونِ الصلاةِ الوُسْطَى هى صلاةَ العصرِ ، كما هو منصوصٌ عليه فى هذه الأحاديثِ . وألزَم القاضى الماوَرْدِىُّ مذهبَ الشافعىِّ بهذا[1] ؛ لصحةِ الحديثِ ، وقد حرَّرْنا ذلك نقْلًا واستدلالًا عندَ قولِه تعالى[2] : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . وقد استَدَلَّ طائفةٌ بهذا الصنيعِ على جوازِ تأخيرِ الصلاةِ لعذرِ القتالِ ، كما هو مذهبُ مَكْحولٍ والأوْزاعىِّ ، وقد بوَّب [٣/ ١٤و] البخارىُّ على ذلك ، واستدَلَّ بهذا الحديثِ ، [3]وبقولِه ﷺ يومَ أمَرهم بالذَّهابِ إلى بنى قُرَيْظةَ ، كما سيأتى : « لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا فى بنى قُرَيْظةَ » . وكان مِن الناس مَن صلى العصرَ[3] فى الطريقِ ، ومنهم مَن لم يُصَلِّ إلّا فى بنى قُرَيْظةَ بعدَ الغروبِ ، ولم يُعَنِّفْ واحدًا مِن الفريقَيْن ، واستدَلَّ بما ذكَره عن الصحابةِ ومَن معهم فى حِصارِ تُسْتَرَ سنةَ عشرين فى زمنِ عمرَ ، حيث صلَّوُا الصبحَ بعدَ طلوعِ الشمسِ ؛ لعذرِ القتالِ واقترابِ فتحِ الحصنِ[4] .

وقال آخرون مِن العلماءِ ، وهم الجمهورُ ، منهم الشافعىُّ : هذا الصنيعُ يومَ الخندقِ منسوخٌ بشرعيةِ صلاةِ الخوفِ بعدَ ذلك ، فإنها لم تَكُنْ مشروعةً إذ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ١٢٨.

(٢) التفسير ١/ ٤٢٧ - ٤٣٧.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل.

(٤) فتح البارى ٢/ ٤٣٤ باب : الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو. و٢/ ٤٣٦ باب : صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء. من كتاب الخوف.

ذاك ، فلهذا أخَّروها يومئذٍ . وهو مُشْكِلٌ ، فإنَّ[1] ابنَ إسحاقَ وجماعةً ذهَبوا إلى أنَّ النبيَّ ﷺ صلى صلاةَ الخوفِ بعُسْفانَ ، وقد ذكرَها ابنُ إسحاقَ ، وهو إمامٌ فى المغازى ، قبلَ الخندقِ ، وكذلك ذاتُ الرِّقاعِ ذكَرها قبلَ الخندقِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وأما الذين قالوا : إنَّ تأخيرَ الصلاةِ يومَ الخندقِ وقَع نسيانًا[2] . كما حكاه شُرَّاحُ مسلمٍ عن بعضِ الناسِ ، فهو مُشْكِلٌ ، إذ يَبْعُدُ أن يَقَعَ هذا مِن جَمْعٍ كبيرٍ ، مع شدةِ حرصِهم على [3]المحافظةِ على الصلاةِ[3] ، كيف وقد رُوِىَ أنهم ترَكوا يومَئذٍ الظهرَ والعصرَ والمغرِبَ حتى صلَّوُا الجميعَ فى وقتِ العشاءِ[4] .

قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يزيدُ وحَجَّاجٌ قالا : حدَّثنا ابنُ أبى ذِئْبٍ ، عن المَقْبُرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن أبيه قال : حُبِسْنا يومَ الخندقِ حتى ذهَب هَوِىٌّ[6] مِن الليلِ ، حتى كُفِينا ، وذلك قولُه : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . قال : فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بلالًا ، فأمَره فأقام ، فصلى الظهرَ كما كان يُصَلِّيها فى وقتِها ، ثم أقام العصرَ فصلاها كذلك ، ثم أقام المغربَ فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاءَ فصلاها كذلك ، وذلك قبلَ أن

---

(١) فى م : « قال » .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ١٣٠.

(٣ - ٣) فى النسخ : « محافظة الصلاة » .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « من رواية أبى هريرة وأبى سعيد » .

(٥) مسند الإمام أحمد ٣/ ٦٧، ٦٨.

(٦) هويًّا من الليل : أى قطعة منه ، ويقال بفتح الهاء وضمها . شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

يُنَزَّلَ - قال حَجَّاجٌ : فى صلاةِ الخوفِ - : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٩] .

وقد رَواه النسائىُّ[١] ، عن الفَلَّاسِ ، عن يحيى القَطَّانِ ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، به : قال : شغَلَنا المشركون يومَ الخندقِ عن صلاةِ الظهرِ حتى غرَبت الشمسُ . فذكَره .

وقال أحمدُ[٢] : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، حدثَّنا أبو الزُّبيرِ ، عن نافعِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبى عُبَيْدةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيه ، أن المشركين شغَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الخندقِ عن أربعِ صَلَواتٍ ، حتى ذهَب من الليلِ ما شاء اللَّهُ . قال : فأمَر بلالًا فأذَّن ثم أقام [٣/ ١٤ظ] فصلَّى الظهرَ ، ثم أقام فصلَّى العصرَ ، ثم أقام فصلَّى المغربَ ، ثم أقام فصلَّى العشاءَ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[٣] : حدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، حدَّثنا مُؤَمَّلٌ ، يعنى ابنَ إسماعيلَ ، حدثنا حَمَّادُ ، يعنى ابنَ سَلَمَةَ ، عن عبدِ الكَريمِ ، يعنى ابنَ أبى المُخارِقِ ، عن مُجاهِدٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن النبىَّ ﷺ شُغِل يومَ الخندقِ عن صلاةِ الظهرِ ، والعصرِ ، والمغربِ ، والعشاءِ ، فأمَر بلالًا فأذَّن وأقام ، فصلَّى الظهرَ ، ثم أمَره فأذَّن وأقام ، فصلى العصرَ ، ثم أمَره فأذَّن وأقام ، فصلى

---

(١) النسائى (٦٦٠) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٦٣٨) .

(٢) المسند ١/ ٣٧٥ . (إسناده ضعيف) .

(٣) كشف الأستار (٣٦٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٢/ ٤٠ : رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، وفيه عبد الكريم بن أبى المخارق وهو ضعيف .

المغربَ ، ثم أمَره فأذَّن وأقام ، فصلى العشاءَ ، ثم قال : « ما على وجهِ الأرضِ قومٌ يذكُرون اللَّهَ فى هذه الساعةِ غيرُكم » . تفرَّد به البَزَّارُ ، وقال : لا نعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ ، وقد رَواه بعضُهم عن عبدِ الكَريمِ ، عن مُجاهدٍ ، عن أبى عُبَيْدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ .

فصلٌ فى دعائِه، عليه السلامُ، على الأحزابِ

(١) وكيف صرَفهم اللَّهُ تعالى، بحولِه وقوتِه؛ استجابةً(٢) لرسولِه ﷺ، وصيانةً لحَوزتِه الشريفةِ، فزَلزَل قلوبَهم، ثم أرسَل عليهم الريحَ الشديدةَ؛ فزلزَل أبدانَهم(١).

قال الإمامُ أحمدُ(٣): حدَّثنا أبو عامرٍ، حدَّثنا الزُّبيرُ - يعنى ابنَ عبدِ اللَّهِ - حدَّثنا رُبَيْحُ بنُ أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ، عن أبيه قال: قُلْنا يومَ الخندقِ: يا رسولَ اللَّهِ، هل مِن شىءٍ نقولُه؟ فقد بلَغت القلوبُ الحناجرَ. قال: «نعم، اللهم اسْتُرْ عوراتِنا وآمِنْ رَوْعاتِنا». قال: فضرَب اللَّهُ وُجوهَ أعدائِه (٤)بالريحِ، فهَزَمَهم اللَّهُ(٤) بالرِّيحِ. وقد رَواه ابنُ أبى حاتمٍ فى «تفسيرِه»(٥) عن أبيه، عن أبى عامرٍ، وهو العَقَدىُّ، عن الزبيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ مولى عثمانَ بنِ عفانَ، عن رُبَيْحِ بنِ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «استحبابًا».

(٣) المسند ٣/ ٣. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦: رواه أحمد والبزار، وإسناد البزار متصل، ورجاله ثقات، وكذلك رجال أحمد.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٨٥، وعزاه إلى ابن أبى حاتم. وذكره المصنف فى تفسيره ٦/ ٣٨٩ بإسناد ابن أبى حاتم، وفيه: «رتيج بن عبد الرحمن». والمثبت هو الصواب. انظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٩.

عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدٍ، عن أبيه، عن أبى سعيدٍ. فذكَره، وهذا هو الصوابُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا حُسَيْنٌ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ، عن رجلٍ مِن بنى سَلِمةَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أن النبىَّ ﷺ أتَى مسجدَ الأحْزابِ فوضَع رداءَه، وقام ورفَع يَديه مَدًّا يدْعو عليهم، ولم يُصَلِّ. قال: ثُم جاء ودَعا عليهم وصلَّى.

وثبَت فى «الصحيحين»[2] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوْفَى قال: دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ على الأحزابِ فقال: «اللهم مُنْزِلَ الكتابِ، سريعَ الحسابِ، اهْزِمِ الأحزابَ، اللهم اهزِمْهم وزَلْزِلْهم». وفى روايةٍ[3]: «اهْزِمْهم وانصُرْنا عليهم».

ورَوَى البخارىُّ[4]، عن قُتَيْبَةَ، (٥عن اللَّيْثِ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ٥) [٣/ ١٥و] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ: «لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه، أعَزَّ جُندَه، ونصَر عبدَه، وغلَب الأحْزابَ وحدَه، فلا شىءَ بعدَه».

وقال ابنُ إسحاقَ[6]: وأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه فى ما وصَف اللَّهُ مِن الخوفِ والشدةِ؛ لتَظاهُرِ عدوِّهم عليهم، وإتيانِهم إياهم مِن فوقِهم ومِن أسفلَ

---

(١) المسند ٣/ ٣٩٣. قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٢: رواه أحمد وفيه رجل لم يسمّ.

(٢) البخارى (٢٩٣٣، ٤١١٥، ٦٣٩٢، ٧٤٨٩)، ومسلم (١٧٤٢).

(٣) بعده فى م: «اللهم». والرواية فى البخارى (٢٩٦٦، ٣٠٢٥)، ومسلم (٢٠/ ١٧٤٢).

(٤) البخارى (٤١١٤).

(٥ - ٥) بياض بالأصل.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٩ - ٢٣١.

منهم. قال[1]: ثُم إن نُعَيْمَ بنَ مَسعودِ بنِ عامرِ بنِ أُنَيْفِ [2]بنِ ثعْلبةَ[2] بنِ قُنْفُذِ ابنِ هِلالِ بنِ خُلَاوَةَ بنِ أَشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفَانَ أتى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنى قد أسْلَمتُ وإنَّ قومى لم يَعْلَموا بإسلامى، فمُرْنى بما شِئْتَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخَذِّلْ عنا إن اسْتَطَعْتَ، فإنَّ الحربَ خَدْعَةٌ». فخرَج نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ حتى أتَى بنى قُرَيْظةَ، وكان لهم نَديمًا[3] فى الجاهليةِ، فقال: يا بنى قُرَيْظةَ، قد عرَفْتُم وُدِّى إياكم وخاصةَ ما بينى وبينَكم. قالوا: صدَقْتَ، لسْتَ عندَنا بمُتَّهَمٍ. فقال لهم: إنَّ قريشًا وغَطَفانَ ليسوا كأنتم، البلدُ بلدُكم، فيه أموالُكم وأبناؤُكم ونساؤُكم، لا تَقْدِرون على أن تَتَحَوَّلُوا منه إلى غيرِه، وإنَّ قريشًا وغطفانَ قد جاءوا لحربِ محمدٍ وأصحابِه، وقد ظاهَرْتُموهم عليه، وبلدُهم ونساؤُهم وأموالُهم بغيرِه فليسوا كأنتم، فإن رأَوْا نُهْزَةً[4] أصابوها، وإن كان غيرُ ذلك لحِقوا ببلادِهم وخلَّوا بينَكم وبينَ الرجلِ ببلدِكم، ولا طاقةَ لكم به إن خَلَا بكم، فلا تُقاتِلوا مع القومِ حتى تأخُذوا منهم رُهُنًا مِن أشرافِهم يكونون بأيديكم؛ ثِقةً لكم على أن تُقاتِلوا معهم محمدًا حتى تُناجِزوه. قالوا: لقد أشَرْتَ بالرأْيِ. ثُم خرَج حتى أتَى قريشًا فقال لأبى سُفيانَ بنِ حربٍ ومَن معه مِن رجالِ قريشٍ: قد عرَفْتُم وُدِّى لكم وفِراقى محمدًا، وإنه قد بلَغنى أمرٌ قد رأيْتُ علىَّ حقًّا أن أُبَلِّغَكموه؛ نُصْحًا لكم، فاكْتُموا عنى. قالوا: نفعَلُ. قال: تعَلَّموا أن معشرَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٩ - ٢٣١.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) النديم: المصاحب على الشراب، المسامر.

(٤) النهزة: انتهاز الشيء وهو اختلاسه. شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

يهودَ قد ندِموا على ما صنَعوا فيما بينَهم وبينَ محمدٍ ، وقد أرْسَلوا إليه أنّا قد ندِمْنا على ما فعَلْنا ، فهل يُرْضيك أن نَأْخُذَ لك مِن القبيلتين مِن قريشٍ وغَطَفانَ (١ رجالًا مِن أشرافِهم ، فنُعْطِيَكهم فتَضْرِبَ ١) أعناقَهم ، ثُم [٣/ ١٥ظ] نكونَ معك على مَن بَقِيَ منهم حتى تَسْتَأْصِلَهم ؟ فأرْسَل إليهم أن نعم . فإن بعَثَتْ إليكم يهودُ يلْتَمِسون منكم رُهُنًا مِن رِجالِكم ، فلا تَدْفَعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا . ثُم خرَج حتى أتَى غَطَفانَ ، فقال : يا معشرَ غَطَفانَ ، إنكم أصْلى وعشيرتى ، وأحَبُّ الناسِ إلىَّ ، ولا أراكم تَتَّهِمونى . قالوا : صدَقْتَ ، ما أنت عندَنا بمُتَّهَمٍ . قال : (٢ فاكْتُموا عنى ٢) . قالوا : نَفْعَلُ . ثُم قال لهم مثلَ ما قال لقريشٍ ، وحذَّرَهم ما حذَّرَهم ، فلما كانت ليلةُ السبتِ مِن شوَّالٍ سنةَ خمسٍ ، وكان مِن صُنعِ اللَّهِ تعالى لرسولِه ﷺ أن أرْسَل أبو سفيانَ بنُ حربٍ ورُءوسُ غَطَفانَ إلى بنى قُرَيْظةَ عِكْرمةَ بنَ أبى جهلٍ ، فى نفَرٍ مِن قريشٍ وغَطَفَانَ ، فقال لهم : إنَّا لسْنا بدارِ مُقامٍ ، قد هلك الخُفُّ والحافرُ (٣) ، فأعِدُّوا (٤) للقِتالِ حتى نُناجِزَ محمدًا ونَفْرُغَ مما بينَنا وبينَه . فأرْسَلوا إليهم : إنَّ اليومَ يومُ السبتِ ، وهو يومٌ لا نَعْمَلُ فيه شيئًا ، وقد كان أحْدَث فيه بعضُنا حَدَثًا فأصابهم ما لم يَخْفَ عليكم ، ولسْنا مع ذلك بالَّذين نُقاتِلُ معكم محمدًا حتى تُعْطُونا رُهُنًا مِن رجالِكم يكونون بأيدينا ؛ ثِقةً لنا حتى نُناجِزَ محمدًا ، فإنا نخْشَى إن

(١ - ١) فى الأصل : « رجلا فتضرب » . وفى ص : « رجالا من أشرافهم نضرب » .

(٢ - ٢) فى ص : « فاكتمونى » .

(٣) يعنى بالخف : الإبل ، وبالحافر : الخيل . شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

(٤) فى السيرة : « فاغدوا » .

ضَرَّسَتْكم[1] الحربُ، واشتدَّ عليكم القِتالُ أن تَنْشَمِروا[2] إلى بلادِكم وتتْرُكونا، والرجلُ فى بلادِنا، ولا طاقةَ لنا بذلك منه. فلما رجَعتْ إليهم الرسلُ بما قالت بنو قُرَيْظةَ، قالت قريشٌ وغَطَفانُ: واللَّهِ إنَّ الذى حدَّثكم نُعَيْمُ ابنُ مَسعودٍ لَحَقٌّ. فأرْسَلوا إلى بنى قُرَيْظةَ: إنّا واللَّهِ لا نَدْفَعُ إليكم رجلًا واحدًا مِن رجالِنا، فإن كنتم تُريدون القِتالَ فاخْرُجوا فقاتِلوا. فقالت بنو قُرَيْظةَ حينَ انتَهَتْ إليهم الرسلُ بهذا: إن الذى ذكَر لكم نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ لحَقٌّ، ما يُريدُ القومُ إلّا أن تُقاتِلوا، فإن رَأَوْا فُرصةً انتَهَزوها، وإن كان غيرُ ذلك انشَمَروا إلى بلادِهم، وخَلَّوا بينَكم وبينَ الرجلِ فى بلدِكم. فأرْسَلوا إلى قريشٍ وغَطَفانَ: إنا واللَّهِ ما نُقاتِلُ معكم حتى تُعْطُونا رُهُنًا. فأبَوْا عليهم، وخَذَّلَ اللَّهُ بينَهم، وبعَث اللَّهُ الرِّيحَ فى ليلةٍ شاتيةٍ شديدةِ [٣/ ١٦و] البردِ، فجعَلتْ تَكْفَأُ قُدورَهم وتَطْرَحُ أبنيتَهم[3].

وهذا الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ مِن قصةِ نُعَيْمِ بنِ مسعودٍ أحسنُ مما ذكَره موسى بنُ عقبةَ. وقد أوْرَده عنه البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[4]، فإنه ذكَر ما حاصلُه أن نُعَيْمَ بنَ مسعودٍ كان يُذِيعُ ما يَسْمَعُه مِن الحديثِ، فاتَّفق أنه مرَّ برسولِ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل: «ضرستهم». وضرستكم الحرب: أى نالت منكم كما يصاب ذو الأضراس بأضراسه. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

(٢) تنشمروا: أى تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم. المصدر السابق.

(٣) فى م، ص: «آنيتهم». وهو لفظ سائر أصول السيرة، كما أشار محققوها. سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣١ حاشية (٥). والمثبت لفظ إحدى نسخ السيرة، ويشهد له رواية الطبرى فى التاريخ ٢/ ٥٧٩. وأبنيتهم: أخبيتهم. شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٠٤، ٤٠٥.

ﷺ ذاتَ يومٍ عِشاءً ، فأشار إليه أن تَعالَ ، فجاء فقال : « ما وراءَك ؟ » . فقال : إنه قد بعَثتْ قريشٌ وغَطَفانُ إلى بنى قُرَيْظةَ يطْلُبون منهم أن يَخْرُجوا إليهم فيُناجِزوك ، فقالت بنو قُرَيْظةَ : نعم ، فأرْسِلوا إلينا بالرُّهُنِ . وقد ذكَر كما تقدَّم أنهم إنما نقَضوا العهدَ على يَدَىْ حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ ، بشرطِ أن يأْتِيَهم برَهائنَ تكونُ عندَهم تَوْثِقةً ، قال : فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى مُسِرٌّ إليك شيئًا فلا تَذْكُرْه » . قال : « إنهم قد أرْسَلوا إلىَّ يَدْعُوننى إلى الصُّلْحِ وأرُدُّ بنى النَّضِيرِ إلى دُورِهم وأموالِهم » . فخرَج نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ عامدًا إلى غَطَفانَ ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحربُ خَدعةٌ ، وعسى أن يَصْنَعَ اللَّهُ لنا » . فأتَى نُعَيْمٌ غَطَفانَ وقريشًا فأعْلَمهم ، فبادر القومُ وأرْسَلوا إلى بنى قُرَيْظةَ عِكْرِمةَ وجماعةً معه ، واتفق ذلك ليلةَ السبتِ ، يَطْلُبون منهم أن يَخْرُجوا للقِتالِ معهم ، فاعتَلَّتِ اليهودُ بالسبتِ ، ثُم أيضًا طلَبوا الرُّهُنَ تَوْثِقةً ، فأوْقَع اللَّهُ بينَهم واخْتَلفوا .

قلتُ : وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ قُرَيظةُ لما يَئِسوا مِن انتظامِ أمْرِهم مع قريشٍ وغَطَفَانَ ، بعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَطْلُبون[1] منه الصلْحَ على أن يَرُدَّ بنى النَّضيرِ إلى المدينةِ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فلما انتَهَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ما اخْتَلَف مِن أمْرِهم ، وما فرَّق اللَّهُ مِن جماعتِهم[3] ، دَعا حُذَيْفَةَ بنَ اليَمانِ ، فبعَثه إليهم ليَنْظُرَ ما فعَل القومُ ليلًا .

---

(١) فى الأصل ، م : « يريدون » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) فى الأصل ، م : « جمعهم » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى يزيدُ بنُ زِيادٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ قال : قال رجلٌ مِن أهلِ الكُوفةِ لحُذَيفةَ بنِ اليَمانِ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتُم رسولَ اللَّهِ ﷺ وصحِبْتُموه ؟ قال : نعم [٣/١٦ظ] يا بنَ أخى . قال : فكيف كنتم تصْنَعون ؟ قال : واللَّهِ لقد كنا نَجْتَهِدُ . قال : فقال : واللَّهِ لو أدْرَكْناه ما ترَكْناه يَمْشِى على الأرضِ ، ولَحَمَلناه على أعناقِنا . قال : فقال حُذَيفةُ : يا بنَ أخى ، واللَّهِ لقد رَأَيْتُنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بالخندقِ ، وصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِن الليلِ ، ثُم التَفَت إلينا فقال : « مَن رجلٌ يَقُومُ فيَنْظُرُ لنا ما فعَل القومُ ثُم يَرْجِعُ » فشرَط له رسولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ « أسْأَلُ اللَّهَ أن يكونَ رفيقى فى الجنةِ » . فما قام رجلٌ [2]مِن القومِ[2] ؛ مِن شدةِ الخوفِ وشدةِ الجوعِ والبردِ ، فلما لم يَقُمْ أحدٌ دعانى ، فلم يَكُنْ لى بُدٌّ مِن القيامِ حينَ دعانى ، فقال : « يا حُذَيفةُ ، اذْهَبْ فادْخُلْ فى القومِ ، فانْظُرْ ماذا يفْعَلون ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تأْتِينا » . قال : فذَهَبْتُ فدخَلْتُ فى القومِ ، والرِّيحُ وجُنودُ اللَّهِ تفْعَلُ بهم ما تفْعَلُ ، لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بِناءً ، فقام أبو سفيانَ فقال : يا معشرَ قريشٍ ، لِيَنْظُرِ امرُؤٌ مَن جَلِيسُه . قال حُذَيفةُ : فأخَذْتُ بيدِ الرجلِ الذى كان إلى جَنبى فقلتُ : مَن أنت ؟ قال : فلانُ ابنُ فلانٍ . ثُم قال [3]أبو سفيانَ[3] : يا معشرَ قريشٍ ، إنكم واللَّهِ ما أصْبَحْتم بدارِ مُقامٍ ، لقد هلَك الكُراعُ[4] والخُفُّ ، وأخْلَفَتْنا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٣١ - ٢٣٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الكراع هنا : الخيل . شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

بنو قريظةَ ، وبلغَنا عنهم الذى نَكْرَهُ ، ولَقِينا مِن شدةِ الرِّيحِ ما ترَوْن ؛ ما تَطْمئنُّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقومُ لنا نارٌ ، ولا يَسْتَمْسِكُ لنا بِناءٌ ، فارْتَحِلوا ، فإنى مُرْتَحِلٌ . ثُم قام إلى جملِه وهو مَعْقولٌ فجلَس عليه ، ثُم ضرَبه فوثَب به على ثلاثٍ ، فواللَّهِ ما أطْلَق عِقالَه إلّا وهو قائمٌ ، ولولا عهدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلىَّ : « لا تُحْدِثْ شيئًا حتى تأْتِيَنى » . [1]ثُم شئتُ[1] ؛ لقتَلْتُه بسهمٍ . قال حُذَيفةُ : فرجَعتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو قائمٌ يُصَلِّى فى مِرْطٍ[2] لبعضِ نسائِه مراجلَ[3] ، فلمَّا رآنى أدْخَلَنى إلى رِجْلَيْه ، وطرَح علىَّ طَرَفَ المِرْطِ ، ثُم ركَع وسجَد وإنى لَفِيهِ ، فلمَّا سلَّم أخْبَرْتُه الخبرَ ، وسمِعَتْ غَطَفانُ بما فعَلت قريشٌ ، فانشَمَروا راجعين إلى بلادِهم . وهذا مُنْقَطِعٌ مِن هذا الوجهِ .

وقد رَوى هذا الحديثَ مسلمُ بنُ الحجَّاجِ فى « صحيحِه »[4] مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ بنِ يزيدَ التَّيْمىِّ ، عن أبيه قال : كنا عندَ حُذَيفةَ فقال له رجلٌ : لو أدْرَكْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قاتَلْتُ معه وأبْلَيْتُ . فقال حُذَيفةُ : أنت كنتَ تفْعَلُ ذلك ؟ [٣/١٧و] لقد رَأَيْتُنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةَ الأحْزابِ فى ليلةٍ ذاتِ ريحٍ شديدةٍ وقُرٍّ[5] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا رجلٌ يأْتِينى بخبرِ القومِ يكونُ معى يومَ القيامةِ ؟ » فلم يُجِبْه منا أحدٌ ، ثُم الثانيةَ ثُم الثالثةَ مثلَه ، ثُم قال : « يا حُذَيفةُ ، قُمْ فأْتِنا بخبرِ القومِ » . فلم أجِدْ بُدًّا إذ دعانى باسمى أن

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) المرط : الكساء . شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

(٣) فى م : « مرجل » ، قال ابن هشام : مراجل ؛ ضرب من وَشْيِ اليمن . سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٣.

(٤) مسلم (١٧٨٨) .

(٥) القر : البرد . النهاية ٤/ ٣٨.

أَقُومَ ، فقال : « ائتنى بخبرِ القومِ ولا تَذْعَرْهم[1] علىَّ » . قال : فمضَيْتُ كأنما أمْشِى فى حَمَّامٍ[2] حتى أتَيْتُهم ، فإذا أبو سفيانَ يَصْلِى ظَهْرَه بالنارِ[3] ، فوضَعْتُ سهمًا فى كَبِدِ قوْسى وأردْتُ أن أرْمِيَه ، ثُم ذكَرْتُ قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا تَذْعَرْهم علىَّ » . ولو رمَيْتُه لأَصَبْتُه ، فرجَعْتُ كأنما أمْشِى فى حَمَّامٍ ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، [4]فأصابنى البَرْدُ حينَ رجَعْتُ وقُرِرْتُ ، فأخْبَرْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[4] ، وألْبَسنى مِن فَضْلِ عَباءةٍ كانت عليه يُصَلِّى فيها ، فلم أزلْ[5] نائمًا حتى الصُّبْحِ ، فلما أن أصْبَحْتُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُمْ يا نَوْمانُ » .

وقد رَوى الحاكمُ والحافظُ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[6] هذا الحديثَ مَبْسوطًا مِن حديثِ عِكْرِمةَ بنِ عَمَّارٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الدُّؤَلِىِّ[7] ، عن عبدِ العزيزِ ابنِ أخى حُذَيفةَ قال : ذكَر حُذَيْفةُ مَشاهدَهم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال جُلَساؤُه : أمَا واللَّهِ لو كنا شهِدْنا ذلك لكنا فعَلْنا وفعَلْنا . فقال حُذَيْفةُ : لا تَمَنَّوا

---

(١) الذعر : الفزع ، يريد صلى اللَّه عليه وسلم : لا تعلمهم بنفسك وامشِ فى خفية لئلا ينفروا منك ويُقبِلوا علىّ . النهاية ٢/ ١٦١.

(٢) لفظة « الحمام » عربية ، وهو مذكر مشتق من الحميم ، وهو الماء الحار ، والمعنى أنه لم يجد البرد الذى يجده الناس . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٤٦.

(٣) يصلى ظهره بالنار ، بفتح الياء وإسكان الصاد : يدفئه ويدنيه منها . المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى الأصل ، م : « أبرح » .

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٤٥١ - ٤٥٣ عن الحاكم . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٨٢، ٢٨٣، من طريق البيهقى عن الحاكم . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٨٤، ١٨٥ إلى الحاكم والبيهقى وغيرهما .

(٧) كذا فى النسخ ، وتفسير المصنف ٦/ ٢٨٦. وفى الدلائل وتاريخ دمشق : « محمد بن عبيد أبى قدامة الحنفى » . وانظر ترجمته فى التاريخ الكبير ١/ ١٧٢.

ذلك ، لقد رَأَيْتُنا ليلةَ الأحْزابِ ونحن صافُّون قُعودٌ ، وأبو سفيانَ ومَن معه [1] مِن الأحزابِ [1] فوقَنا ، وقرَيْظةُ اليهودُ أسفلَ منا ، نَخافُهم على ذَراريِّنا ، وما أتتْ علينا ليلةٌ قطُّ أشدُّ ظُلْمةً ولا أشدُّ رِيحًا منها [2] ، فى أصواتِ ريحِها أمثالُ الصَّواعقِ ، وهى ظُلْمةٌ ما يَرى أحدُنا أُصْبُعَه ، فجعَل المُنافقون يَسْتَأْذِنون النبىَّ ﷺ ، ويقولون : إنَّ بُيوتَنا عَوْرةٌ . وما هى بعَوْرةٍ ، فما يسْتَأْذِنُه أحدٌ منهم إلَّا أذِن له ، ويَأْذَنُ لهم ويَتَسَلَّلون ، ونحن ثَلاثُمائةٍ ونحوُ ذلك إذِ اسْتَقْبَلَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ رجلًا رجلًا ، حتى أتَى علىَّ ، وما علىَّ جُنَّةٌ مِن العدُوِّ ولا مِن البرْدِ إلا مِرْطٌ لامرأتى ما يُجاوِزُ رُكْبتى . قال : فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتى فقال : « مَن هذا ؟ » فقلتُ : حُذَيْفةُ . فقال : « حُذَيْفةُ ! » . فَتَقاصَرْتُ بالأرضِ ، فقلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ . كراهيةَ أن أقومَ . [٣/١٧ظ] [3] قال : « قُمْ » [3] . فقُمْتُ ، فقال : « إنه كائنٌ فى القومِ خبرٌ ، فأْتِنى بخبرِ القومِ » . قال : وأنا مِن أشدِّ الناسِ فَزَعًا وأشدِّهم قُرًّا . قال : فخرَجْتُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم احْفَظْه مِن بينِ يدَيه ، ومِن خلفِه ، وعن يمينِه وعن شمالِه ، ومِن فوقِه ومِن تحتِه » . قال : فواللَّهِ ما خلَق اللَّهُ فَزَعًا ولا قُرًّا فى جوفى إلا خرَج مِن جوفى ، فما أجِدُ منه شيئًا . قال : فلما وَلَّيْتُ قال : « يا حُذَيْفةُ ، لا تُحْدِثَنَّ فى القومِ شيئًا حتى تَأْتِيَنى » . قال : فخرَجْت حتى إذا دَنَوْتُ مِن عَسْكرِ القومِ نظَرْتُ فى ضوْءِ نارٍ لهم تَوَقَّدُ ، وإذا رجلٌ أدْهَمُ [4] ضَخْمٌ يقولُ بيديه على النارِ ، ويَمْسَحُ خاصِرتَه

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سقط من : ص . وليس فى الدلائل وتاريخ دمشق . والمثبت موافق لما فى الدر المنثور .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) أدهم : أى أسود . اللسان (د هـ م) .

ويقولُ : الرحيلَ الرحيلَ . ولم أكُنْ أعْرِفُ أبا سفيانَ قبلَ ذلك ، فانتَزَعْتُ سهمًا مِن كِنانتى أبْيضَ الرِّيشِ ، فأضَعُه على كَبِدِ قوسى لأرْمِيَه به فى ضوءِ النارِ ، فذكَرْتُ قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا تُحْدِثَنَّ فيهم شيئًا حتى تأْتِيَنى » . فأمْسَكْتُ ورَدَدْتُ سهمى إلى كِنانتى ، ثُم إنِّى شجَّعْتُ نفْسى حتى دخَلْتُ العَسْكَرَ ، فإذا أدْنَى الناسِ منى بنو عامرٍ ، يقولون : يا آلَ عامرٍ ، الرحيلَ الرحيلَ ، لا مُقامَ لكم . وإذا الريحُ فى عَسْكرِهم ما تُجاوِزُ عَسْكَرَهم شِبْرًا ، فواللَّهِ إنِّى لأسْمَعُ صوتَ الحِجارةِ فى رِحالِهم وفُرُشِهم ، الريحُ تَضْرِبُهم بها ، ثم خرَجْتُ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما انتصَفَتْ بىَ الطريقُ أو نحوٌ مِن ذلك ، إذا أنا بنحوٍ مِن عشرين فارسًا أو نحوِ ذلك مُعْتَمِّين ، فقالوا : أخْبِرْ صاحبَك أنَّ اللَّهَ قد كفاه . قال : فرجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُشْتَمِلٌ فى شَمْلَةٍ يُصَلِّى ، فواللَّهِ ما عَدا أن رجَعْتُ ؛ راجعنى القُرُّ وجعَلْتُ أُقَرْقِفُ[1] ، فأوْمَأ إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه ، وهو يُصَلِّى ، فدَنَوْتُ منه فأسْبَل علىَّ شَمْلتَه ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا حزَبه أمْرٌ صلَّى ، فأخْبَرْتُه خبرَ القومِ ؛ أخْبَرْتُه أنى ترَكْتُهم يرْحَلون . قال : وأنزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يعنى الآياتِ كلَّها إلى قولِه : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٩- ٢٥] . أى صرَف اللَّهُ عنهم عدوَّهم بالريحِ التى أرْسَلها عليهم والجُنودِ [٣/١٨و] مِن الملائكةِ وغيرِهم التى بعَثها اللَّهُ إليهم . ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾ أى ؛ لم

---

(١) أقرقف : أرعد من البرد . النهاية ٤/ ٤٩.

يَحْتاجوا إلى مُنازلتِهم ومُبارزتِهم، بل صرَفهم القويُّ العزيزُ بحولِه وقوتِه[1].

لهذا ثبَت فى «الصحيحين»[2] عن أبى هريرةَ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه، صدَق وَعْدَه، ونصَر عبْدَه، وأعَزَّ جُندَه، وهزَم[3] الأحْزابَ وحدَه، فلا شىءَ بعدَه». وفى قولِه: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾. إشارةٌ إلى وضْعِ الحربِ بينَهم وبينَهم. وهكذا وقَع، ولم تَرْجِعْ قريشٌ بعدَها إلى حربِ المسلمين، كما قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]، رحِمه اللَّهُ: فلما انصَرَف أهلُ الخندقِ عن الخندقِ؛ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما بلَغَنا: «لن تَغْزُوَكم قريشٌ بعدَ عامِكم هذا، ولكنكم تَغْزُونهم». قال: فلم تَغْزُهم[5] قريشٌ بعدَ ذلك، وكان يَغْزُوهم بعدَ ذلك، حتى فتَح اللَّهُ عليه مكةَ. وهذا بلاغٌ مِن ابنِ إسحاقَ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا يَحْيَى، عن سفيانَ، حدَّثنى أبو إسحاقَ، سمِعْتُ سليمانَ بنَ صُرَدٍ، رضى اللَّهُ عنه، يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ نَغْزوهم ولا يَغْزونا». وهكذا رواه البُخارىُّ، مِن حديثِ إسرائيلَ وسفيانَ الثورىِّ، كلاهما عن أبى إسحاقَ السَّبِيعىِّ، عن سُليمانَ بنِ صُرَدٍ، به[7].

---

(١) التفسير ٦/٣٨٤ - ٣٩٧.

(٢) البخارى (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

(٣) فى الصحيحين: «غلب».

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤.

(٥) فى الأصل، م: «تغز»، وفى ص: «تعد». والمثبت من السيرة.

(٦) المسند ٤/ ٢٦٢، من طريق عبد الرحمن ويحيى عن سفيان، به. و٦/٣٩٤ من طريق يحيى، به.

(٧) البخارى (٤١٠٩، ٤١١٠).

قال ابنُ إسحاقَ[1] : واسْتُشْهِد مِن المسلمين يومَ الخندقِ ستةٌ[2] ؛ ثلاثةٌ مِن بنى عبدِ الأشْهلِ ، وهم : سعدُ بنُ مُعاذٍ - وستأتى وفاتُه مَبسوطةً - وأنسُ بنُ أوسِ بنِ عَتِيكِ بنِ عمرٍو ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سهلٍ ، والطُّفَيْلُ بنُ النُّعمانِ ، وثَعْلبةُ بنُ غَنَمةَ الجُشَمِيَّانِ السَّلَمِيَّانِ ، وكعبُ بنُ زيدٍ النَّجَّارىُّ ، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ[3] فقتَله . قال : وقُتِل مِن المشركين ثلاثةٌ ، وهم : مُنَبِّهُ بنُ عثمانَ بنِ عُبَيْدِ بنِ السَّبَّاقِ ابنِ عبدِ الدارِ ، أصابه سَهْمٌ فمات منه بمكةَ ، ونَوْفلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المغيرةِ ، اقْتَحم الخندقَ بفرسِه[4] فتوَرَّط فيه فقُتِل هناك ، وطلَبوا جسَدَه بثمنٍ كبيرٍ كما تقدَّم[5] ، وعمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ العامرىُّ ، قتَله علىُّ بنُ أبى طالبٍ .

قال ابنُ هشامٍ[6] : وحدَّثنى الثِّقةُ أنه حُدِّث عن الزهرىِّ ، أنه قال : قتَل علىٌّ يومَئذٍ عمرَو بنَ عبدِ وُدٍّ وابنَه حِسْلَ بنَ عمرٍو . قال ابنُ هشامٍ[7] : يُقالُ : عمرُو ابنُ عبدِ وُدٍّ . ويُقالُ : عمرُو بنُ عبدٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) السهم الغرب ، قال ابن هشام : هو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.

(٤) فى ص : « فى نفر يسير » .

(٥) تقدم فى صفحة ٤٥ ، ٤٦ .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٢٥٤.

فصلٌ فى غزوةِ بنى قُرَيظَةَ

وما أحَلَّ اللَّهُ تعالى [٣/١٨ظ] بهم مِن البأسِ الشديدِ، مع ما أعَدَّ اللَّهُ لهم فى الآخرةِ مِن العذابِ الأليمِ، وذلك لكُفْرِهم ونقْضِهم العهودَ التى كانت بينَهم وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومُمالأَتِهم الأحْزابَ عليه، فما أجْدَى ذلك عنهم شيئًا، وباءُوا بغضبٍ مِن اللَّهِ ورسولِه، والصَّفْقةِ الخاسرةِ فى الدنيا والآخرةِ، وقد قال اللَّهُ تعالى[1]: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥- ٢٧].

قال البخاريُّ[2]: حدَّثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ، حدَّثنا موسى ابنُ عُقبةَ، عن سالمٍ ونافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا قفَل مِن الغزْوِ والحجِّ والعُمرةِ، يَبْدَأُ فيُكَبِّرُ[3] ثُم يقولُ: «لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيِبُون تائِبون عابِدون ساجدون، لربِّنا حامدون؛ صدَق اللَّهُ وَعْدَه، ونصَر عبدَه، وهزَم الأحْزابَ

---

(١) التفسير ٦/٣٩٦ - ٤٠١.

(٢) البخارى (٤١١٦).

(٣) بعده فى صحيح البخارى: «ثلاث مرار».

وحدَه » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] ، رَحِمه اللَّهُ : ولمَّا أصْبح رسولُ اللَّهِ ﷺ انصَرَف عن الخندقِ راجعًا إلى المدينةِ والمسلمون ، ووَضَعوا السلاحَ ، فلمَّا كانتِ الظُّهرُ أتَى جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كما حدَّثنى الزهرىُّ ، مُعْتَجِرًا بعِمامةٍ مِن إسْتَبْرقٍ ، على بَغْلةٍ عليها رِحالَةٌ[2] ، عليها قَطِيفةٌ مِن دِيباجٍ ، فقال : أوَقد وضَعْتَ السلاحَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نعم » . فقال جبريلُ : ما وَضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بعدُ ، وما رجَعْتُ الآنَ إلا مِن طلَبِ القومِ ، إن اللَّهَ يأمُرُك يا محمدُ بالمسيرِ إلى بنى قُرَيظةَ ، فإنِّى عامدٌ إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَذِّنًا فأذَّن فى الناسِ : مَن كان سامعًا مُطيعًا فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلَّا فى بنى قُرَيظةَ .

قال ابنُ هشامٍ[3] : واسْتَعْمَل على المدينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتومٍ .

وقال البخارىُّ[4] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : لمَّا رجَع النبىُّ ﷺ مِن الخندقِ ووضَع السلاحَ واغْتَسل ، أتاه جبريلُ فقال : قد وَضَعْتَ السلاحَ ، واللَّهِ ما وَضَعْناه ، فاخْرُجْ إليهم . [٣/١٩و] قال : « فإلى أين ؟ » قال : هـٰهنا . وأشار إلى بنى قُرَيظةَ . فخرَج النبىُّ ﷺ إليهم[5] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) الرحالة : السرج . شرح غريب السيرة ٣/ ٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.

(٤) البخارى (٤١١٧) .

(٥) سقط من : م .

وقال أحمدُ[1] : وحدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا فرَغ مِن الأحْزابِ دخَل المُغْتَسَلَ يَغْتَسِلُ ، وجاء جبريلُ ، فرَأَيْتُه مِن خَلَلِ البابِ[2] قد عصَب رأسَه الغُبارُ[3] ، فقال : يا محمدُ ، أوَضَعْتم أسْلِحَتَكم ؟ فقال : ما[4] وَضَعْنا أسْلحتَنا[5] بعدُ ، انْهَدْ[6] إلى بنى قُرَيظةَ .

ثُم قال البخاريُّ[7] : حدَّثنا موسى ، حدَّثنا جَريرُ بنُ حازمٍ ، عن حُمَيدِ بنِ هلالٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كأنِّى أنظُرُ إلى الغُبارِ ساطِعًا فى زُقاقِ بنى غَنْمٍ ، موكبَ جبريلَ حينَ سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بنى قُرَيظةَ .

ثم قال البخاريُّ[8] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أسْماءَ ، حدَّثنا جُوَيْرِيَةُ ابنُ أسْماءَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأحْزابِ : « لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلَّا فى بنى قُرَيْظَةَ » . فأدْرَك بعضَهم العصرُ فى الطريقِ ، فقال بعضُهم : لا نُصَلِّى العصرَ حتى نَأْتِيَها . وقال بعضُهم : بل نُصَلِّى ؛ لم يُرِدْ مِنّا ذلك . فذُكِر ذلك للنبىِّ ﷺ فلم يُعَنِّفْ واحدًا منهم . وهكذا رَواه مسلمٌ[9] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أسماءَ ، به .

---

(١) المسند ٦/ ٢٨٠.

(٢) فى م : « البيت » .

(٣) أى رَكِبه وعَلِق به ، مِن عصب الرِّيقُ فاه ، إذا لصق به . النهاية ٣/ ٢٤٤.

(٤) سقط من : م . وقائل هذه العبارة هو جبريل أيضًا .

(٥) بعده فى م : « فقال : إنا لم نضع أسلحتنا » .

(٦) انهد : انهض وامضِ . انظر الوسيط (ن هـ د) .

(٧) البخارى (٤١١٨) .

(٨) البخارى (٩٤٦، ٤١١٩) .

(٩) مسلم (١٧٧٠) .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[1] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى ، قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يَعقوبَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ خالدِ بنِ خَلِّىٍّ[2] ، حدَّثنا بِشرُ بنُ شُعيبٍ[3] ، عن أبيه ، حدَّثنا الزُّهْرِىُّ ، أخبرَنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، أنَّ عمَّه عُبيدَ اللَّهِ أخبرَه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا رجَع مِن طَلَبِ الأحْزابِ ، وَضَع عنه اللَّأْمَةَ واغْتَسل واسْتَجْمَرَ[4] ، فَتَبَدَّى له جبريلُ ، عليه السلامُ ، فقال : عَذِيرَكَ[5] من مُحارِبٍ ، ألا أراك قد وضَعْتَ اللَّأْمةَ وما وضَعْناها بعدُ . قال : فوَثَب النبىُّ ﷺ فَزِعًا ، فعَزَم على الناسِ أن لا يُصَلُّوا صلاةَ العصرِ [6]حتى يَأْتُوا[6] بنى قُرَيظةَ . قال : فلَبِس الناسُ السلاحَ ، فلم يَأْتُوا بنى قُرَيظةَ حتى غَرَبتِ الشمسُ ، فاخْتَصَم الناسُ عندَ غروبِ الشمسِ ، فقال بعضُهم : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَزَم علينا أن لا نُصَلِّىَ حتى نَأْتِىَ بنى قُرَيظةَ ، فإنَّما نحنُ فى عَزيمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فليس علينا إثْمٌ . وصَلَّى طائفةٌ مِن الناسِ احْتِسابًا ، وتَرَكَتْ طائفةٌ منهم الصلاةَ حتى غَرَبتِ الشمسُ ، فصَلَّوْها حينَ جاءوا بنى قُرَيظةَ احتسابًا ، فلم يُعَنِّفْ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١٩ظ] واحدًا من الفريقَيْن .

ثم رَوَى البيهقىُّ[7] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ العُمَرىِّ ، عن أخيه عُبَيدِ اللَّهِ ، عن

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٧، ٨.

(٢) فى م ، ص : « على » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٣٧.

(٣) فى النسخ : « حرب » . والمثبت من الدلائل . وانظر المصدر السابق ٤/ ١٢٦.

(٤) فى النسخ : « واستحم » . والمثبت من الدلائل . واستجمر بالمجمرة : تبخَّر بها .

(٥) عذيرك : يقال : عذيرك من فلان . أى هات مَن يعذرك فيه . فعيل بمعنى فاعل . انظر النهاية ٣/ ١٩٧.

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « إلا فى » .

(٧) دلائل النبوة ٤/ ٨ - ١٠، بنحوه .

القاسمِ بنِ محمدٍ، عن عائشةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان عندَها، فسلَّم علينا رجلٌ ونحنُ فى البيتِ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فَزِعًا، وقُمْتُ فى أثَرِه، فإذا بدِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، فقال: «هذا جبريلُ، أمَرَنى أن أذهَبَ إلى بنى قُرَيظةَ، وقال: قد وضَعْتم السلاحَ، لَكِنّا لم نَضَعْ، طَلَبْنا المشركين حتى بَلَغْنا حَمْراءَ الأَسَدِ». وذلك حينَ رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الخندقِ. فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فَزِعًا، وقال لأصحابِه: «عَزَمْتُ عليكم أن لا تُصَلُّوا صلاةَ العصرِ حتى تَأْتُوا بنى قُرَيظةَ». فغَرَبتِ الشمسُ قبلَ أن يَأْتُوهم، فقالت طائفةٌ مِن المسلمين: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُرِدْ أن تَدَعُوا الصلاةَ. فصَلَّوْا. وقالت طائفةٌ: واللَّهِ إنّا لَفى عَزِيمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وما علينا مِن إثْمٍ. فصَلَّتْ طائفةٌ إيمانًا واحتسابًا، وتَرَكتْ طائفةٌ إيمانًا واحتسابًا، ولم يُعَنِّفْ[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ واحدًا مِن الفريقَيْن، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فمرَّ بمَجالِسَ بينَه وبينَ بنى قُرَيظةَ، فقال: «هل مرَّ بكم أحدٌ؟» فقالوا: مرَّ علينا دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ على بَغْلةٍ شَهْباءَ، تحتَه قَطِيفةُ دِيباجٍ. فقال: «ذلك جبريلُ، أُرْسِلَ إلى بنى قُرَيظةَ لِيُزَلْزِلَهم ويَقْذِفَ فى قلوبِهم الرعبَ». فحاصَرَهم النبىُّ ﷺ، وأمَر أصحابَه أن يَسْتُروه[2] بالحَجَفِ[3] حتى [4]يُسْمِعَهم كلامَه[4]، فناداهم: «يا إخوةَ القِرَدَةِ والخَنازيرِ». فقالوا: يا أبا القاسمِ، لم تَكُنْ فَحّاشًا. فحاصَرَهم حتى نَزَلوا على حُكْمِ سعدٍ

---

(١) كذا فى النسخ. وفى الدلائل: «يعب».

(٢) فى الدلائل: «يستروا».

(٣) فى م، ص، والدلائل: «الجحف». والحَجَف: جمع حَجَفة، وهى التُّرس من جلود بلا خشب، ولا رباط من عصب. انظر الوسيط (ح ج ف).

(٤ - ٤) فى النسخ: «يسمع كلامهم». والمثبت من الدلائل.

ابنِ مُعاذٍ، وكانوا حُلفاءَه، فحَكَم فيهم أن تُقْتَلَ مُقاتِلَتُهم، وتُسْبَى ذَرارِيُّهم ونساؤُهم. ولهذا الحديثِ طُرُقٌ جيدةٌ، عن عائشةَ وغيرِها[1].

وقد اخْتَلف العلماءُ فى المُصيبِ مِن الصحابةِ يومَئذٍ، مَن هو؟ بل الإجماعُ على أن كُلًّا مِن الفريقَيْن مأجورٌ ومَعْذورٌ، غيرُ مُعَنَّفٍ؛ فقالت طائفةٌ مِن العلماءِ: الذين أخَّروا الصلاةَ يومئذٍ عن وقتِها المُقَدَّرِ لها، حتى صَلَّوْها فى بنى قُرَيظةَ، هم المُصِيبون؛ لأنَّ أمْرَهم يومئذٍ بتأخيرِ الصلاةِ خاصٌّ، فيُقَدَّمُ على عمومِ الأمرِ بها فى وقتِها المُقَدَّرِ لها شرعًا. قال أبو محمدِ بنُ حزمٍ الظّاهِرِىُّ [٣/ ٢٠و] فى كتابِه «السيرةِ»[2]: وعَلِم اللَّهُ أنَّا لو كُنّا هناك، لم نُصَلِّ العصرَ إلَّا فى بنى قُرَيْظةَ، ولو بعدَ أيامٍ. وهذا القولُ منه ماشٍ على قاعدتِه الأصْليَّةِ فى الأخْذِ بالظاهرِ. وقالت طائفةٌ أخرى مِن العلماءِ: بل الذين صَلَّوُا الصلاةَ فى وقتِها لمَّا أدْرَكَتْهم وهم فى مسيرِهم، هم المُصِيبون؛ لأنَّهم فَهِموا أنَّ المرادَ إنَّما هو تعجيلُ السَّيْرِ إلى بنى قُرَيْظةَ، لا تأخيرُ الصلاةِ، فعَمِلوا بمُقْتَضى الأدِلَّةِ الدّالَّةِ على أفْضَلِيَّةِ الصلاةِ فى أولِ وقتِها، مع فَهْمِهم عن الشارعِ ما أراد، ولهذا لم يُعَنِّفْهم، ولم يَأْمُرْهم بإعادةِ الصلاةِ فى وقتِها الذى حُوِّلتْ إليه يومَئذٍ، كما يَدَّعِيه أولئك، وأمّا أولئك الذين أخَّروا، فعُذِروا بحَسَبِ ما فَهِموا، وأكثرُ ما كانوا يُؤْمَرون بالقضاءِ، وقد فَعَلوه. وأمّا على قولِ مَن يُجَوِّزُ تأخيرَ الصلاةِ لعُذْرِ القِتالِ، كما فهِمه البخارىُّ[3]، حيثُ احْتَجَّ على ذلك بحديثِ ابنِ عمرَ

---

(١) انظر فتح البارى ٧/٤١٣ - ٤١٥.

(٢) جوامع السيرة ص ١٩٢.

(٣) وذلك أن البخارى رحمه اللَّه أخرج هذا الحديث فى موضعين؛ الأول هو الذى يشير إليه المصنف هنا، وهو باب صلاة الطالب والمطلوب إيماءً، من كتاب صلاة الخوف. انظر الفتح ٢/ ٤٣٦.

المُتقدِّمِ[1] فى هذا ، فلا إشكالَ على مَن أخَّر ، ولا على مَن قَدَّم أيضًا . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ومعه رايتُه[3] ، وابْتَدَرها الناسُ .

وقال موسى بنُ عُقبةَ فى « مغازيه »[4] ، عن الزهرىِّ : فبينما رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مُغْتَسَلِه ، كما يَزْعُمون ، قد رَجَّل أحدَ شِقَّيْه ، أتاه جبريلُ على فرَسٍ عليه لَأْمَتُه ، حتى وقَف ببابِ المسجدِ عند مَوضِعِ الجَنائزِ ، فخرَج إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال له جبريلُ : غفَر اللَّهُ لك ، أوَقد وضَعْتَ السلاحَ ؟ قال : « نعم » . فقال جبريلُ : لكنَّا لم نَضَعْه منذُ نزَل بك العدُوُّ ، ومازِلْتُ فى طَلَبِهم حتى هزَمهم اللَّهُ . ويقولون : إنَّ على وجهِ جبريلَ لَأَثَرَ الغُبارِ . فقال له جبريلُ : إنَّ اللَّهَ قد أمَرَك بقِتالِ بنى قُرَيظةَ ، فأنا عامدٌ إليهم بمَن معى مِن الملائكةِ ؛ لأُزَلْزِلَ بهم الحُصونَ ، فاخْرُجْ بالناسِ . فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أثَرِ جبريلَ ، فمرَّ على مجلسِ بنى غَنْمٍ وهم يَنْتَظِرون رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسَأَلهم فقال : « مرَّ عليكم فارسٌ آنفًا ؟ » قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكَلْبىُّ على فرسٍ أبيضَ ، تحتَه نَمَطٌ[5] أو قَطِيفةٌ مِن دِيباجٍ ، عليه اللَّأْمَةُ . فذكَروا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « ذاك جبريلُ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُشَبِّهُ دِحْيةَ الكَلْبىَّ بجبريلَ ، فقال : [٣/ ٢٠ظ]

---

(١) تقدم فى ص ٧٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.

(٣) بعده فى السيرة : « إلى بنى قريظة » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/١١ - ١٤، عن موسى بن عقبة عن الزهرى ، بنحوه .

(٥) النمط : ضربٌ من البُسُط . اللسان (ن م ط) .

«الْحَقونى ببنى قُرَيظةَ، فصَلُّوا فيهم العصرَ». فقاموا ومَن[1] شاء اللَّهُ مِن المسلمين، فانْطَلَقوا إلى بنى قُرَيظةَ، فحانتْ صلاةُ العصرِ وهم بالطريقِ، فذَكَروا الصلاةَ فقال بعضُهم لبعضٍ: ألم تَعْلَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَكم أن تُصَلُّوا العصرَ فى بنى قُرَيظةَ؟! وقال آخرون: هى الصلاةُ. فصَلَّى منهم قومٌ، وأخَّرتْ طائفةٌ الصلاةَ حتى صَلَّوها فى بنى قُرَيْظةَ بعدَ أن غابتِ الشمسُ، فذَكَروا لرسولِ اللَّهِ ﷺ مَن عَجَّل منهم الصلاةَ ومَن أخَّرها، فذَكَروا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُعَنِّفْ واحدًا مِن الفريقَيْن. قال: فلمَّا رأَى علىُّ بنُ أبى طالبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا تَلَقَّاه وقال: ارْجِعْ يا رسولَ اللَّهِ، فإن اللَّهَ كافِيك اليهودَ. وكان علىٌّ قد سَمِع منهم قولًا سيِّئًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ وأزواجِه، رَضِىَ اللَّهُ عنهنَّ، فكَرِهَ علىٌّ أن يَسْمَعَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لِمَ تأمُرُنى بالرجوعِ؟» فكَتَمَه ما سَمِع منهم فقال: «أظُنُّك سمِعْتَ لى منهم أَذًى، فامْضِ فإنَّ أعداءَ اللَّهِ لو قد رَأَوْنى، لم يقولوا شيئًا ممَّا سَمِعْتَ». فلمَّا نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بحِصْنِهم، وكانوا فى أعْلاه، نادَى بأعلى صوتِه نفَرًا مِن أشْرافِهم، حتى أسْمَعَهم فقال: «أجِيبوا يا معشرَ يهودَ، يا إخوةَ القِرَدةِ، قد نَزَل بكم خِزْىُ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ». فحاصَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بكَتائبِ المسلمين بِضْعَ عشْرةَ ليلةً، ورَدَّ اللَّهُ حُيَىَّ بنَ أخْطَبَ، حتى دَخَل حصنَ بنى قُرَيظةَ، وقذَف اللَّهُ فى قلوبِهم الرعبَ، واشتَدَّ عليهم الحصارُ، فصرَخوا بأبى لُبابةَ بنِ عبدِ المُنْذِرِ، وكانوا حُلفاءَ الأنصارِ، فقال أبو لُبابةَ: لا آتِيهم حتى يَأْذَنَ لى رسولُ اللَّهِ ﷺ. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قد أذِنْتُ لك». فأتاهم أبو لُبابةَ

---

(١) فى م: «وما».

فبَكَوْا إليه وقالوا : يا أبا لُبابةَ ، ماذا تَرَى وماذا تأْمُرُنا ، فإنَّه لا طاقةَ لنا بالقِتالِ . فأشار أبو لُبابةَ بيدِه إلى حَلْقِه ، وأمَرَّ عليه أصابِعَه ، يُرِيهم أنَّما يُرادُ بكم القَتْلُ . فلمَّا انصَرَف أبو لُبابةَ سُقِط فى يدِه[1] ، ورَأَى أنَّه قد أصابَتْه فِتنةٌ عظيمةٌ ، فقال : واللَّهِ لا أنْظُرُ فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أُحْدِثَ للَّهِ توبةً نَصُوحًا ، يَعْلَمُها اللَّهُ مِن نفسى . فرَجَع إلى المدينةِ ، فرَبَط يَديه إلى جِذْعٍ مِن [٣/ ٢١و] جُذوعِ المسجدِ . وزعَموا أنَّه ارْتَبَط قريبًا مِن عشرين ليلةً ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [2]كما ذُكِر[2] ، حين راثَ[3] عليه أبو لُبابةَ : « أمَا فرَغ أبو لُبابةَ مِن حُلفائِه ؟ »[4] قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد واللَّهِ انْصَرَف مِن عندِ الحِصنِ ، وما نَدْرى أين سَلَك . فقال رسول اللَّه ﷺ : « قد[5] حَدَث لأبى لُبابَةَ أمرٌ ، ما كان عليه » . فأقْبَل رجلٌ مِن عندِ المسجدِ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد رأيتُ أبا لُبابةَ ارْتَبَط بحبلٍ إلى جِذعٍ مِن جُذُوعِ المسجدِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] : « لقد أصابَتْه بعدى فتنةٌ ، ولو جاءَنى لَاسْتَغْفَرْتُ له ، وإذ قد فعَل هذا فلن أُحَرِّكَه مِن مكانِه حتى يَقْضِىَ اللَّهُ فيه ما يشاءُ » .

وهكذا رواه ابنُ لَهِيعةَ[6] ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ . وكذا ذكره محمدُ ابنُ إسحاقَ فى « مغازيه »[7] فى مثلِ سياقِ موسى بنِ عُقبةَ ، عن الزهرىِّ ، ومثلِ

---

(١) سقط فى يده : ندم وتحيَّر . الوسيط (س ق ط) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « غاب » . وراث : أبطأ . الوسيط (ر ى ث) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « فذكر له ما فعل فقال » .

(٥) فى الدلائل : « وقد » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٤، من طريق ابن لهيعة ، به نحوه ، قال البيهقى : إلا أنه لم يقل : « بضع عشرة ليلة » .

(٧) انظر سيرة ابن هشام ٢/٢٣٤ - ٢٣٧.

روايةِ أبى الأسْودِ ، عن عُروةَ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : ونزل رسولُ اللَّهِ ﷺ على بئرٍ مِن آبارِ بنى قُرَيْظةَ مِن ناحيةِ أموالِهم ، يقالُ لها : بئرُ أنَّا . فحاصَرَهم خمسًا وعشرين ليلةً ، حتى جهَدهم الحِصارُ ، وقَذَف اللَّهُ[2] فى قلوبِهم الرعبَ ، وقد كان حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ دخَل معهم حصنَهم ، حينَ رَجَعتْ عنهم قريشٌ وغَطَفانُ ؛ وفاءً لكعبِ بنِ أسدٍ بما كان عاهَدَه عليه ، فلمَّا أيْقَنوا بأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرُ مُنْصرِفٍ عنهم حتى يُناجِزَهم ، قال كعبُ بنُ أسدٍ : يا معشرَ يهودَ ، قد نزَل بكم مِن الأمْرِ ما تَرَوْن ، وإنِّى عارضٌ عليكم خِلَالًا ثلاثًا ، فخُذوا بما شِئْتُم منها . قالوا : وما هُنَّ ؟ قال : نُتابِعُ هذا الرجلَ ونُصَدِّقُه ، فواللَّهِ لقد تَبَيَّن لكم أنَّه لَنبيٌّ مُرْسَلٌ ، وأنَّه لَلَّذى تَجِدونَه فى كتابِكم ، فتَأْمَنُون به على دمائِكم وأموالِكم وأبنائِكم ونسائِكم . قالوا : لا نُفارِقُ حُكْمَ التَّوْراةِ أبدًا ، ولا نَسْتَبْدِلُ به غيرَه . قال : فإذا أبَيْتُم علىَّ هذه ، فهَلُمَّ فلْنَقْتُلْ أبناءَنا ونساءَنا ، ثُم نَخْرُجْ إلى محمدٍ وأصحابِه رجالًا مُصْلِتِين بالسيوفِ[3] ، لم نَتْرُكْ وراءَنا ثَقَلًا ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَ محمدٍ ، فإن نَهْلِكْ نَهْلِكْ ولم نَتْرُكْ وراءَنا نَسْلًا نَخْشَى عليه ، وإن نَظْهَرْ فلَعَمْرى لنَجِدَنَّ النساءَ والأبناءَ . قالوا : أنَقْتُلُ هؤلاء المساكينَ ؟! فما خيرُ العيشِ بعدَهم ! قال : فإن أبَيْتُم علىَّ هذه ، فإنَّ الليلةَ ليلةُ السبتِ ، وإنَّه عسى أن يكونَ محمدٌ وأصحابُه قد أمِنُونا فيها ، فانْزِلوا لعلَّنا نُصِيبُ مِن محمدٍ وأصحابِه غِرَّةً . قالوا : أنُفْسِدُ سبتَنا ونُحْدِثُ فيه ما لم يُحْدِثْ فيه مَن كان قبلَنا ، إلّا مَن قد عَلِمْتَ ، فأصابه ما لم يَخْفَ عنك مِن المَسْخِ . فقال : ما بات

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٣٤ - ٢٣٧ .

(٢) سقط لفظ الجلالة من : الأصل ، م .

(٣) فى السيرة : « السيوف » . وأصلت السيف : جرّده من غمده . الوسيط (ص ل ت) .

رجلٌ منكم منذ وَلَدتْه [٣/ ٢١ظ] أمُّه ليلةً واحدةً مِن الدهرِ حازمًا . ثُم إنَّهم بَعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أن ابْعَثْ إلينا أبا لُبابةَ بنَ عبدِ المُنذرِ أخا بنى عمرِو بنِ عوفٍ - وكانوا حُلفاءَ الأوسِ - نَسْتَشِيرُه فى أمْرِنا . فأرْسَلَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رَأَوْه ، قام إليه الرجالُ ، وجَهَش إليه النساءُ والصِّبيانُ يَبْكون فى وجهِه ، فرَقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لُبابةَ ، أتَرَى أن نَنْزِلَ على حُكمِ محمدٍ ؟ قال : « نعم » . وأشار بيدِه إلى حَلْقِه أنَّه الذَّبْحُ . قال أبو لُبابةَ : فواللَّهِ ما زالتْ قَدَماىَ مِن مكانِهما ، حتى عرَفْتُ أنِّى قد خُنْتُ اللَّهَ ورسولَه ﷺ . ثُم انطَلَق أبو لُبابةَ على وجهِه ، ولم يأْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ حتى ارْتَبَط فى المسجدِ إلى عمودٍ مِن عُمُدِه ، وقال : لا أبْرَحُ مكانى حتى يَتُوبَ اللَّهُ علىَّ مما صنَعْتُ . وعاهَدَ اللَّهَ ؛ أن لا أطَأ بنى قُرَيْظَةَ أبدًا ، ولا أُرَى فى بلدٍ خُنْتُ اللَّهَ ورسولَه فيه أبدًا .

قال ابنُ هشامٍ[(١)] : وأنْزَل اللَّهُ[(٢)] ، فيما قال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قَتادةَ[(٣)] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] . قال ابنُ هشامٍ[(٤)] : أقام مُرْتَبِطًا سِتَّ ليالٍ ، تَأْتِيه امرأتُه فى وقتِ كلِّ صلاةٍ ، فتَحُلُّه حتى يتَوَضَّأَ ويُصَلِّىَ ثُم يَرْتَبِطُ ، حتى نَزَلت توبتُه فى قولِه تعالى[(٥)] : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧.

(٢) بعده فى السيرة : « تعالى ، فى أبي لبابة » .

(٣) التفسير ٣/ ٥٨١، ٥٨٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٨.

(٥) التفسير ٤/ ١٤٤، ١٤٥.

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢]. وقولُ موسى بنِ عقبةَ[١]: إنه مكَث عشرين ليلةً مُرْتَبِطًا به، أشْبَهُ[٢]. واللَّهُ أعلمُ.

وذكَر ابنُ إسحاقَ[٣] أنَّ اللَّهَ أنزَل توبتَه على رسولِه ﷺ مِن [٤]آخِرِ الليلِ[٤]، وهو فى بيتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فجَعَل يَتَبَسَّمُ، فسألتْه أُمُّ سَلَمةَ، فأخْبَرَها بتَوْبةِ اللَّهِ على أبى لُبابةَ، فاسْتَأْذَنَتْه أن تُبَشِّرَه، فأَذِن لها فخَرَجتْ فبَشَّرَتْه، فثار الناسُ إليه يُبَشِّرونه، وأرادوا أن يَحُلُّوه مِن رِباطِه فقال: واللَّهِ لا يَحُلُّنى منه إلّا رسولُ اللَّهِ ﷺ. فلمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى صلاةِ الفجرِ حَلَّه مِن رِباطِه، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه.

قال ابنُ إسحاقَ[٥]: ثُم إنَّ ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيَةَ، وأُسَيْدَ بنَ سَعْيَةَ، وأسَدَ بنَ عُبَيْدٍ، وهم نفَرٌ مِن بنى هَدْلٍ، ليسوا مِن بنى قُرَيْظةَ ولا النَّضِيرِ، نَسَبُهم فوقَ ذلك، هم بنو عمِّ القومِ، أسْلَموا فى تلك الليلةِ التى نَزَلَتْ فيها قُرَيظةُ على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وخَرَج فى تلك الليلةِ عمرُو بنُ سُعْدَى القُرَظىُّ، فمرَّ بحَرَسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، [٣/ ٢٢و] وعليهم محمدُ بنُ مَسْلَمةَ تلك الليلةَ، فلمَّا رَآه قال: مَن هذا؟ قال: أنا عمرُو بنُ سُعْدَى. [٦]وكان عمرٌو قد أَبَى أن يَدْخُلَ مع بنى قُرَيْظةَ فى غَدْرِهم برسولِ اللَّهِ ﷺ، وقال: لا أغْدِرُ بمحمدٍ أبدًا[٦].

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٧٦. وعبارة موسى بن عقبة: «قريبًا من عشرين ليلة».
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧.
(٤ - ٤) فى السيرة: «السَّحَر».
(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

فقال محمدُ بنُ مَسْلَمةَ حينَ عَرَفه : اللهم لا تَحْرِمْنى إقالةَ عَثَراتِ الكِرامِ . ثُم خَلَّى سبيلَه فخرَج على وجهِه ، حتى [(١] بات فى [١)] مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ تلك الليلةَ ، ثُم ذهَب فلم يُدْرَ أين تَوَجَّهَ مِن الأرضِ إلى يومِه هذا . فذُكِر شأْنُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « ذاك رجلٌ نجَّاه اللَّهُ بوفائِه » . وبعضُ الناسِ يَزْعُمُ أنه كان أُوثِقَ برُمَّةٍ[٢] فيمن أُوثِقَ مِن بنى قُرَيْظةَ[٣] ، فأصْبَحَت رُمَّتُه مُلْقاةً ، ولم يُدْرَ أين ذهَب ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه تلك المَقالةَ . واللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : فلمَّا أصْبحَوا نَزَلوا على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتَواثَبَت الأوْسُ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّهم مَوالِينا دونَ الخزرجِ ، وقد فَعَلْتَ فى مَوالى إخْوانِنا بالأمسِ ما قد علِمْتَ . يَعْنون عَفْوَه عن بنى قَيْنُقاعَ حينَ سَأَله فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ ، كما تقدَّم[٥] . قال ابنُ إسحاقَ[٦] : فلما كلَّمَتْه الأوسُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا معشرَ الأوسِ ، ألا تَرْضَون أن يَحْكُمَ فيهم رجلٌ منكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « فذلك إلى سعدِ بنِ مُعاذٍ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد جَعَل سعدَ بنَ مُعاذٍ فى خَيْمةٍ لامرأةٍ مِن أسْلَمَ ، يقالُ لها : رُفَيْدَةُ . فى مسجدِه ، وكانت تُداوِى الجَرْحَى ، فلمَّا حَكَّمه فى بنى قُرَيظةَ ، أتاه قومُه

(١ - ١) فى السيرة : « أتى باب » . والمثبت هو لفظ إحدى روايات السيرة ، كما أشار محققوها .

(٢) الرمة : القطعة من الحبل البالية . الوسيط (ر م م) .

(٣) بعده فى السيرة : « حين نزلوا على حكم رسول اللَّه ﷺ » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٩.

(٥) هذه الجملة تعقيب من المصنف . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠ بنحوه .

فَحَمَلوه على حمارٍ قد وَطَّئُوا له بوِسادةٍ مِن أَدَمٍ، وكان رجلًا جَسيمًا جميلًا، ثُم أقْبَلوا معه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرٍو، أحْسِنْ فى مَواليك، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ إنَّما وَلَّاك ذلك لتُحْسِنَ فيهم. فلمَّا أكْثَروا عليه قال: قد آنَ لسعدٍ أن لا تَأْخُذَه فى اللَّهِ لَوْمَةُ لائمٍ. فرَجَع بعضُ مَن كان معه مِن قومِه إلى دارِ بنى عبدِ الأشْهَلِ، فنَعَى لهم رجالَ بنى قُرَيظةَ قبلَ أن يَصِلَ إليهم سعدٌ؛ عن كَلِمَتِه التى سَمِع منه، فلمَّا انتَهَى سعدٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ والمسلمين، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قوموا إلى سيِّدِكم». فأمّا المُهاجرون مِن قُريشٍ فيقولون: إنَّما أراد الأنصارَ. وأمّا الأنصارُ فيقولون: قد عَمَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين. فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرٍو، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد وَلَّاك أمْرَ مَواليك لتَحْكُمَ فيهم. فقال سعدٌ: عليكم بذلك [٣/ ٢٢ظ] عهدُ اللَّهِ وميثاقُه، أنَّ الحُكْمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ؟ قالوا: نعم. قال: وعلى مَن هـٰهنا؟ فى الناحيةِ التى فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، وهو مُعْرِضٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ إجلالًا له، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نعم». قال سعدٌ: فإنى أحْكُمُ فيهم أن يُقْتَلَ الرجالُ، وتُقْسَمَ الأموالُ، وتُسْبَى الذَّرارِىُّ والنساءُ. قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عمرٍو[2] بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ، عن عَلْقَمةَ بنِ وَقّاصٍ اللَّيْثِىِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لسعدٍ: «لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللَّهِ مِن فوقِ سبعةِ أرْقِعَةٍ».

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠.

(٢) فى م: «عمر».

وقال ابنُ هشامٍ[1] : حدَّثنى[2] مَن أثِقُ به مِن أهلِ العلمِ ، أنَّ علىَّ بنَ أبى طالبٍ صاح ، وهم مُحاصِرو بنى قُرَيظةَ : يا كَتيبةَ الإيمانِ . وتقدَّم هو والزبيرُ بنُ العَوَّامِ ، وقال : واللَّهِ لَأَذوقَنَّ ما ذاق حَمْزةُ أو أقْتَحِمُ[3] حِصنَهم . فقالوا : يا محمدُ ، نَنْزِلُ على حُكْمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن سعدِ ابنِ إبراهيمَ ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ بنَ سهلٍ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِىَّ ، قال : نَزَل أهلُ قُرَيظةَ على حُكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ . قال : فأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى سعدٍ ، فأتاه على حمارٍ ، فلمَّا دَنا قريبًا مِن المسجدِ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُوموا لسيِّدِكم . أو : خَيْرِكم » . ثُم قال : « إن هؤلاء نَزَلوا على حُكْمِك » . قال : تَقْتُلُ مُقاتِلَتَهم وتَسْبِى ذُرِّيَّتَهم[5] . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَضَيْتَ بحُكْمِ اللَّهِ » . وربَّما قال : « قضَيْتَ بحُكْمِ المَلِكِ » . وفى روايةٍ : « المَـلَـكِ »[6] . أخْرَجاه فى « الصحيحين » مِن طُرُقٍ ، عن شُعبةَ[7] .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا حُجَيْنٌ ويونسُ ، قالا : حدَّثنا اللَّيْثُ بنُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠.

(٢) بعده فى السيرة : « بعض » .

(٣) فى السيرة : « لأفتحن » .

(٤) المسند ٣/ ٢٢.

(٥) فى المسند : « ذراريهم » .

(٦) المصدر السابق ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة . وهو أيضا لفظ رواية الكرمانى للبخارى . وفسره بجبريل عليه السلام . انظر فتح البارى ٧/ ٤١٢.

(٧) البخارى (٣٠٤٣، ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢) ، ومسلم (١٧٦٨) .

(٨) المسند ٣/ ٣٥٠.

سعدٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّه قال : رُمِىَ يومَ الأحْزابِ سعدُ ابنُ مُعاذٍ ، فقَطَعوا أكْحَلَه ، فحَسَمه رسولُ اللَّهِ ﷺ بالنارِ ، فانتَفَخَتْ يدُه [1] فنَزَفه ، فحَسَمه أخرى ، فانتَفَخَت يدُه [1] فنَزَفه ، فلمَّا رأَى ذلك ، قال : اللَّهُمَّ لا تُخْرِجْ نَفْسِى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى قُرَيْظةَ . فاستَمْسَك عِرْقُه ، فما قَطَر قَطْرةً حتى نَزَلوا على حُكمِ سعدٍ ، فأرْسَل إليه ، فحَكَم أن تُقْتَلَ رجالُهم ، وتُسْبَى نساؤُهم وذَرارِيُّهم ؛ يَستعِينُ بهم المسلمون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فيهم » . وكانوا أربَعَمائةٍ ، فلمَّا فرغ مِن قَتْلِهم ، انْفَتَق عِرْقُه فمات . وقد رَواه الترمذىُّ والنَّسائىُّ [٣/٢٣و] جميعًا ، عن قُتَيْبَةَ ، عن اللَّيْثِ ، به [2] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ [3] : حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، عن هشامٍ ، أخْبَرَنى أبى ، عن عائشةَ ، قالت : لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الخندقِ ، ووَضَع السلاحَ واغْتَسَل ، فأتاه جبريلُ وعلى رأسِه الغُبارُ ، فقال : قد وَضَعْتَ السلاحَ ! فواللَّهِ ما وَضَعْتُها ، اخْرُجْ إليهم . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فأين ؟ » قال : هـٰهنا . وأشار إلى بنى قُرَيْظةَ ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إليهم . قال هشامٌ : فأخبرَنى أبى أنَّهم نَزَلوا على حُكمِ النبىِّ ﷺ ، فرَدَّ الحُكْمَ فيهم إلى سعدٍ ، قال : فإنِّى أحْكُمُ أن تُقْتَلَ المُقاتِلَةُ وتُسْبَى النساءُ والذُّرِّيَّةُ ، وتُقْسَمَ أموالُهم . قال هشامٌ : قال أبى : فأُخْبِرْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لقد حَكَمْتَ فيهم بحكمِ اللَّهِ » .

(١ - ١) فى المسند : « فحسمه فانتفخت يده فحسمه أخرى فانتفخت يده » . وحسمه : كواه ليقطع دمه . وأصل الحسم القَطْع . ونزفه : أى خرج منه الدم بكثرة . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٣.

(٢) الترمذى (١٥٨٢) ، والنسائى فى الكبرى (٨٦٧٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٨٧) .

(٣) المسند ٦/ ٥٦.

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا زكريا بنُ يحيى ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيرٍ ، حدَّثنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : أُصِيب سعدٌ يومَ الخندقِ ، رَماه رجلٌ مِن قريشٍ يُقالُ له : حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ . رَماه فى الأَكْحَلِ ، فضَرَب النبىُّ ﷺ خَيْمةً فى المسجدِ ليَعُودَه مِن قريبٍ ، فلمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الخندقِ ، وضَع السلاحَ واغْتَسَل ، فأتاه جبريلُ وهو يَنْفُضُ رأسَه مِن الغُبارِ ، فقال : قد وَضَعْتَ السلاحَ ! واللَّهِ ما وضعتُه ، اخْرُجْ إليهم . قال النبىُّ ﷺ : « فأين ؟ » فأشار إلى بنى قُرَيْظةَ ، فأتاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فنَزَلوا على حُكمِه ، فرَدَّ الحكمَ إلى سعدٍ ، قال : فإنِّى أَحْكُمُ فيهم أن تُقْتَلَ المُقاتِلةُ ، وأن تُسْبَى النساءُ والذُّرِّيَّةُ ، وأن تُقْسَمَ أموالُهم . قال هشامٌ : فأخْبَرَنى أبى ، عن عائشةَ ، أن سعدًا قال : اللَّهُمَّ إنَّك تَعْلَمُ أنَّه ليس أحدٌ أحبَّ إلىَّ أن أُجاهِدَهم فيك ، مِن قومٍ كَذَّبوا رسولَك وأخْرَجوه ، اللَّهمَّ فإنِّى أظُنُّ أنَّك قد وَضَعْتَ الحربَ بينَنا وبينَهم ، فإن كان بَقِىَ مِن حربِ قُريشٍ شىءٌ ، فأَبْقِنى له حتى أُجاهِدَهم فيك ، وإن كنتَ وضَعْتَ الحربَ ، فافْجُرْها[2] واجْعَلْ موتى[3] فيها . فانفَجَرَتْ مِن لَبَّتِه[4] فلم يَرُعْهم ، وفى المسجدِ خَيْمةٌ مِن بنى غِفارٍ[5] ، إلَّا الدمُ يَسِيلُ إليهم ، فقالوا : يا أهلَ الخَيْمةِ ، ما هذا الذى يَأْتِينا مِن قِبَلِكم ؟ فإذا سعدٌ يَغْذُو[6] جُرْحُه دمًا ، فمات

---

(١) البخارى (٤١٢٢) .

(٢) فافجرها : أى الجراحة . فتح البارى ٧/ ٤١٥.

(٣) فى صحيح البخارى : « موتتى » .

(٤) لبته : هى موضع القلادة من الصدر . فتح البارى ٧/ ٤١٥.

(٥) قال الحافظ : تقدَّم أن ابن إسحاق ذكر أن الخيمة كانت لرفيدة الأسلمية ، فيحتمل أن تكون كان لها زوج من بنى غفار . فتح البارى ٧/ ٤١٥.

(٦) يغذو : أى يسيل . المصدر السابق .

منها . وهكذا رَواه مسلمٌ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، به[1] .

قلتُ : كان دَعا أولًا بهذا [٣/٢٣ظ] الدعاءِ قبلَ أن يَحْكُمَ فى بنى قُرَيْظَةَ ، ولهذا قال فيه : ولا تُمِتْنى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى قُرَيظَةَ . فاستجاب اللَّهُ له ، فلما حكم فيهم ، وأقرَّ اللَّهُ عينَه أتمَّ قَرارٍ ، دَعا ثانيًا بهذا الدعاءِ ، فجَعَلها اللَّهُ له شَهادةً ، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه . وسيأتى ذِكْرُ وفاتِه قريبًا ، إن شاء اللَّهُ .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ مِن وجهٍ آخرَ ، عن عائشةَ مُطَوَّلًا جدًّا[2] ، وفيه فوائدُ ، فقال : حدَّثنا يزيدُ ، أنبأنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبيه ، عن جَدِّه عَلْقَمَةَ ابنِ وَقّاصٍ قال : أخبرَتْنى عائشةُ ، قالت : خَرَجْتُ يومَ الخندقِ أقْفُو[3] الناسَ ، فسَمِعْتُ وَئِيدَ الأرْضِ ورائى[4] ، فإذا أنا بسعدِ بنِ مُعاذٍ ، ومعه ابنُ أخيه الحارثُ ابنُ أوسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ[5] . قالت : فجَلَسْتُ إلى الأرضِ ، فمرَّ سعدٌ وعليه دِرْعٌ مِن حديدٍ ، قد خَرَجَتْ منها أطرافُه ، فأنا أتَخَوَّفُ على أطرافِ سعدٍ . قالت : وكان سعدٌ مِن أعظمِ الناسِ وأطْوَلِهم ، فمرَّ وهو يَرْتَجِزُ ويقولُ :

لَبِّثْ[6] قليلًا يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ[7] ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجَلْ

---

(١) مسلم (٦٥/ ١٧٦٩، ٦٦/ ...، ٦٧/ ...) .

(٢) المسند ٦/ ١٤١، ١٤٢. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٣٨: فى الصحيح بعضه ، رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) بعده فى المسند : « آثار » .

(٤) بعده فى المسند : « يعنى حسَّ الأرض » .

(٥) مجنه : المِجَنّ والمِجَنَّة : التُّرس . الوسيط (م ج ن) .

(٦) فى المسند : « ليت » . وفى الأصل غير منقوطة .

(٧) فى م ، ص ، المسند : « جمل » . وحمل : هو حمل بن سعدانة بن حارثة الكلبى ، وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٧ حاشية (٤) .

قالت : فقُمْتُ فاقْتَحَمْتُ حديقةً ، فإذا فيها[1] نفرٌ مِن المسلمين ، وإذا فيهم[2] عمرُ بنُ الخطابِ ، وفيهم رجلٌ عليه تَسْبِغَةٌ[3] له ؛ تَعْنى المِغْفَرَ ، فقال عمرُ : ما جاء بكِ ، واللَّهِ إنَّك لجَرِيئةٌ ، وما يُؤْمِنُك أن يكونَ بلاءٌ أو يكونَ تَحَوُّزٌ[4] . فما زال يَلُومُنى حتى تَمَنَّيْتُ أنَّ الأرضَ انْشَقَّتْ لى ساعتئذٍ فدَخَلْتُ فيها ، فرَفَع الرجلُ التَّسْبِغَةَ[5] عن وجهِه ، فإذا هو طلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فقال : يا عمرُ ، وَيْحَك ، إنَّك قد أكْثَرْتَ منذُ اليومِ ، وأين التَّحَوُّزُ أو الفِرارُ إلَّا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ؟ قالت : ويَرْمِى سعدًا رجلٌ مِن[6] قُريشٍ ، يقالُ له : ابنُ العَرِقَةِ[7] . وقال : خُذْها وأنا ابنُ العَرِقةِ . فأصاب أكْحَلَه فقَطَعَه ، فدَعا اللَّهَ سعدٌ ، فقال : اللَّهُمَّ لا تُمِتْنى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى[8] قُرَيْظةَ . قالت : وكانوا حُلفاءَه ومَوالِيَه فى الجاهليَّةِ . قالت : فرَقَأ كَلْمُه[9] ، وبعَث اللَّهُ الرِّيحَ على المشركين ، وكفَى اللَّهُ المؤمنين القِتالَ ، وكان اللَّهُ قويًّا عزيزًا . فلَحِق أبو سفيانَ ومَن معه بتِهامةَ ، ولَحِق

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى النسخ : « فيها » . والمثبت من المسند .

(٣) فى م ، والمسند : « سبغة » . وفى ص : « مسبغة » . ويبدو أنه قد سقط حرف التاء من « تسبغة » فى نسخة المسند ، خاصة وأنها غير محققة ، ويدل لذلك ورود الحديث من مجمع الزوائد بلفظ « تسبغة » ، ونسبه الهيثمى لأحمد ، وعند المصنف فى التفسير ٦/ ٤٠٠ باللفظ السابق ، ونسبه أيضا لأحمد . وانظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٨١.

(٤) تحوز : أى حربٌ أو أشرٌ . بلوغ الأمانى ٢١/ ٨١.

(٥) فى م : « السبغة » . وفى ص : « المسبغة » .

(٦) بعده فى المسند : « المشركين من » .

(٧) بعده فى المسند : « بسهم له » .

(٨) زيادة من النسخ .

(٩) الكلم : الجرح ، ورقأ كلمه : أى جفّ وانقطع جَرَيان دمه .

عُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ ومَن معه بنَجْدٍ، ورَجَعَتْ بنو قُرَيْظةَ فتَحَصَّنوا فى صَياصِيهم[1]، ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ، وأمَر بقُبَّةٍ مِن أَدَمٍ فضُرِبَتْ على سعدٍ فى المسجدِ. قالت: فجاءَه جبريلُ وإنَّ على ثَناياه لَنَقْعَ الغُبارِ، فقال: أقَد وَضَعْتَ السلاحَ؟ لا واللَّهِ ما وَضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بعدُ، اخْرُجْ إلى بنى قُرَيْظةَ فقاتِلْهم. [٣/ ٢٤و] قالت: فلَبِس رسولُ اللَّهِ ﷺ لأْمتَه، وأذَّن فى الناسِ بالرَّحيلِ أن يَخْرُجوا[2]، فمرَّ على بنى غَنْمٍ، وهم جِيرانُ المسجدِ حولَه، فقال: «مَن مرَّ بكم؟» قالوا: مرَّ بنا دِحْيةُ الكَلْبىُّ. وكان دِحْيةُ الكَلْبىُّ تُشْبِهُ لِحْيَتُه وسِنُّه ووجهُه جبريلَ، عليه السلامُ، فأتاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فحاصَرَهم خمسًا وعشرين ليلةً، فلمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهم واشتدَّ البَلاءُ، قِيل لهم: انْزِلوا على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فاسْتَشاروا أبا لُبابةَ بنَ عبدِ المُنذرِ، فأشار إليهم أنَّه الذَّبْحُ، قالوا: نَنْزِلُ على حكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «انْزِلوا على حُكْمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ». فأُتِىَ به على حمارٍ عليه إكافٌ[3] مِن لِيفٍ، قد حُمِل عليه وحَفَّ به قومُه، فقالوا: يا أبا عمرٍو، حلفاؤُك ومَواليك وأهلُ النِّكايةِ ومَن قد عَلِمْتَ. قالت: ولا[4] يَرْجِعُ إليهم شيئًا، ولا يَلْتَفِتُ إليهم، حتى إذا دَنا مِن دُورِهم الْتَفَت إلى قومِه، فقال: قد آنَ[5] لى أن لا أُبالِىَ فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائمٍ -

---

(١) صياصيهم: أى حصونهم، جمع صيصة. وكل شىء امتنع به وتحصّن به فهو صيصة. انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٢.

(٢) بعده فى المسند: «فخرج رسول الله ﷺ».

(٣) الإكاف: هو ما يشد على ظهر الحمار، كالرحل للبعير والسرج للفرس. بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٢.

(٤) فى المسند: «وأنى لا». وأنَى: أى أبطأ فى الجواب وسكت عنهم لا يرد عليهم. المصدر السابق.

(٥) فى المسند: «أنا». ويرسم: «أنى». أنى وآن بمعنى: حان. انظر النهاية ١/ ٧٨.

قال[1] : قال أبو سعيدٍ : فلَمَّا طَلَع [2]قال رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] : « قُوموا إلى سيِّدِكم فأنْزِلُوه » . قال عمرُ : سيدُنا اللَّهُ - قال : « أنزِلوه » . فأنْزَلوه ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « احكُمْ فيهم » . فقال سعدٌ : فإنِّى أَحْكُمُ فيهم أن تُقْتَلَ مُقاتِلَتُهم ، وتُسْبَى ذَرارِيُّهم ، وتُقْسَمَ أمْوالُهم[3] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللَّهِ وحُكْمِ رسولِه » . ثُم دَعا سعدٌ ، فقال : اللَّهُمَّ إن كنتَ أبْقَيْتَ على نبيِّك ﷺ مِن حربِ قريشٍ شيئًا ، فأَبْقِنى لها ، وإن كنتَ قَطَعْتَ الحربَ بينَه وبينَهم ، فاقْبِضْنى إليك . قالت : فانْفَجَر كَلْمُه ، وكان قد بَرِئَ حتى لا يُرَى منه إلا مِثْلُ الخُرْصِ[4] ، ورجَع إلى قُبَّتِه التى ضرَب عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالت عائشةُ : فحَضَره رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ . قالت : فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، إنِّى لَأَعْرِفُ بُكاءَ عمرَ مِن بكاءِ أبى بكرٍ وأنا فى حُجْرتى ، وكانوا كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] . قال عَلْقَمَةُ : فقلتُ : يا أُمَّهْ ، فكيف كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ؟ قالت : كانت عينُه لا تَدْمَعُ على

---

(١) فى النسخ : « قالت » . وهو خطأ . والمثبت من المسند . والقائل هو الإمام أحمد وهذه الزيادة ليست من حديث عائشة ، وإنما هى من حديث أبى سعيد الخدرى المتقدمة ص ٨٤ أدرجها الإمام أحمد فى الحديث . وانظر حديث عائشة فى جامع المسانيد للمصنف ٣٦/ ٣٠٩. وتفسيره ٦/ ٤٠٠. ومجمع الزوائد ٦/ ١٣٨. قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٤١٢، ١١/ ٥١: « ووقع فى مسند عائشة رضى اللَّه عنها ، من مسند أحمد من طريق علقمة بن وقاص عنها فى أثناء حديث طويل وفيه : قال أبو سعيد : فلما طلع قال النبى ﷺ ...» .

(٢ - ٢) فى المسند : « على رسول اللَّه ﷺ قال » .

(٣) بعده فى المسند : « وقال يزيد ببغداد : ويقسم » . قال فى بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٣: ومعناه أن يزيد شيخ الإمام أحمد حدثه مرة أخرى ببغداد ، بلفظ « ويقسم » بالياء التحتية بدل التاء الفوقية .

(٤) الخرص : الحلقة الصغيرة من الحلى ، وهو حلى الأذن ، والمعنى أنه لم يبق من جرح سعد إلا مثل حلقة الخرص فى قلة ما بقى منه . المصدر السابق .

أحدٍ، ولكنَّه كان إذا وَجَد[1]، فإنَّما هو آخِذٌ بلِحْيَتِه. وهذا الحديثُ إسنادُه جيدٌ، وله [٣/٢٤ظ] شَواهدُ مِن وجوهٍ كثيرةٍ. وفيه التَّصْريحُ بدُعاءِ سعدٍ مرتين؛ مَرَّةً قبلَ حُكْمِه فى بنى قُرَيْظةَ، ومرةً بعدَ ذلك كما قُلْناه أولًا، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، وسنذْكُرُ كيفيةَ وفَاتِه ودَفْنَه وفَضْلَه فى ذلك، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه، بعدَ فَراغِنا مِن القصةِ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: ثُم استُنْزِلوا فحَبَسهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ فى دارِ بنتِ الحارثِ، امرأةٍ مِن بنى النَّجَّارِ - قلتُ: هى نُسَيْبةُ بنتُ الحارثِ بنِ كُرْزِ ابنِ حَبِيبِ بنِ عبدِ شَمْسٍ، وكانت تحتَ مُسيْلِمةَ الكذَّابِ، ثُم خلَف عليها عبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ[3] - ثُم خرَج ﷺ إلى سوقِ المدينةِ، فخَنْدَقَ بها خَنادِقَ، ثُم بعَث إليهم فضرَب أعناقَهم فى تلك الخَنادقِ، فخُرِج بهم إليه أرْسالًا، وفيهم عدُوُّ اللَّهِ حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، وكعبُ بنُ أسدٍ رأسُ القومِ، وهم سِتُّمائةٍ أو سَبعُمائةٍ، والمُكَثِّرُ لهم يقولُ: كانوا ما بينَ الثمانِمائةِ والتِّسعِمائةِ.

قلتُ: وقد تقدَّم[4] فيما رَواه اللَّيْثُ، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ، أنَّهم كانوا أربَعَمائةٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وقد قالوا لكعبِ بنِ أسدٍ وهم يُذْهَبُ بهم إلى

---

(١) وجد: أى حزن.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) انظر الروض ٦/ ٣٣٣، وتبصير المنتبه ٣/ ١١٨٣. واسمها عندهما: «كيِّسة»، واسم جدِّها «كُريز».

(٤) تقدم فى صفحة ٨٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤١.

رسولِ اللَّهِ ﷺ أرْسالًا : يا كعبُ ، ما تُراه يُصْنَعُ بنا ؟ قال : أفى كلِّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلون ، ألا تَرَوْن الداعِيَ لا يَنْزِعُ ، وأنَّه من ذُهِب به منكم لا يَرْجِعُ ، هو واللَّهِ القَتْلُ . فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ حتى فُرِغ منهم[1] ، وأُتِيَ بحُيَيِّ بنِ أخْطَبَ وعليه حُلَّةٌ له فُقّاحِيَّةٌ[2] ، قد شَقَّها عليه مِن كلِّ ناحيةٍ قَدْرَ أُنْمُلَةٍ[3] ؛ لِئَلّا يُسْلَبَها ، مجموعةً يداه إلى عُنُقِه بحبلٍ ، فلمَّا نظَر إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : أمَا واللَّهِ ما لُمتُ نفسى فى عَداوَتِك ، ولكنَّه مَن يَخْذُلِ اللَّهَ ، يُخْذَلْ . ثُم أقْبَل على الناسِ فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّه لا بأسَ بأمرِ اللَّهِ ، كتابٌ وقدَرٌ ومَلْحَمَةٌ كَتَبها اللَّهُ على بنى إسرائيلَ . ثُم جلَس فضُرِبَتْ عنُقُه ، فقال جَبَلُ بنُ جَوّالٍ الثَّعْلَبيُّ :

لَعَمْرُك ما لامَ ابنُ أَخْطَبَ نَفْسَه ... ولكنَّه مَن يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلِ[4]

لَجاهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها ... وقَلْقَلَ[5] يَبْغِى العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

[٣/ ٢٥و] وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ الزَّبيرِ بنِ باطا[6] ، وكان شيخًا كبيرًا[7] ، وكان قد مَنَّ يومَ بُعاثٍ على ثابتِ بنِ قيسِ بن شَمَّاسٍ ، وجزَّ ناصِيَتَه[8] ، فلمَّا

---

(١) بعده فى السيرة : « رسول اللَّه ﷺ » .

(٢) يقال : على فلان حُلّة فُقّاحِيَّة . أى على لون الورد حين همّ أن يتفتّح . انظر اللسان (ف ق ح) .

(٣) بعده فى السيرة : « أنملة » . وأشار محققوها إلى أنها زيادة من إحدى نسخ السيرة .

(٤) من يخذل اللَّه يخذل : قال السهيلى فى الروض ٦/ ٣٣٧: بنصب الهاء من اسم اللَّه ، ويُصحِّح هذه الرواية أن فى الخبر قول النبى ﷺ : « ألم يمكِّن اللَّه منك ؟ » . قال : بلى ، ولقد قلقلتُ كلَّ مُقلقل ، ولكن من يخذُلْك يُخذَل . فقوله : يخذُلك . كقول الآخر فى البيت :

ولكنَّه من يَخذُل اللَّهَ يُخذَلِ

(٥) قلقل : معناه تحرَّك وسار . شرح غريب السيرة ٣/ ٩.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣، بنحوه .

(٧) بعده فى م ، ص : « قد عمى » .

(٨) بعده فى السيرة : « ثم خلّى سبيله » .

كان هذا اليومُ أراد أن يُكافِئَه فجاءَه فقال : هل تعْرِفُنى يا أبا عبدِ الرحمنِ[1] ؟ قال : وهل يَجْهَلُ مثلى مِثْلَك ؟ فقال له ثابتٌ : أُريدُ أن أُكافئَك . فقال : إنَّ الكريمَ يَجْزى الكريمَ . فذَهَب ثابتٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَطْلَقَه ؛ فأطْلَقَه له ، ثُم جاءه فأخْبَره ، فقال : شيخٌ كبيرٌ لا أهلَ له ولا ولدَ ، فما يَصْنَعُ بالحياةِ ؟ فذَهَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَطْلَق له امرأتَه وولدَه ، فأطْلَقَهم له ، ثُم جاءه ، فأخْبَرَه[2] فقال : أهلُ بيتٍ بالحجازِ لا مالَ لهم ، فما بقاؤُهم على ذلك ؟ فأتَى ثابتٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَطْلَق مالَ الزَّبيرِ بنِ باطا ، فأَطْلَقه له ، ثُم جاءه فأخْبَرَه ، فقال له : يا ثابتُ ، ما فَعَل الذى كان[3] وجهُه مِرْآةً صِينِيَّةً تتَراءى فيها عَذارَى [4]الحىِّ ؟ يَعْنى[4] كعبَ بنَ أسدٍ . قال : قُتِل . قال : فما فَعَل سيِّدُ الحاضِرِ والبادى حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ ؟ قال : قُتِل . قال : فما فعَل مُقَدِّمَتُنا إذا شَدَدْنا وحامِيَتُنا إذا فَرَرْنا ؛ عَزَّالُ بنُ شَمَوْأَلَ[5] ؟ قال : قُتِل . قال : فما فعَل المِجْلِسان ؟ يَعْنى بنى كعبِ بنِ قُرَيْظَةَ وبنى عمرِو بنِ قُرَيْظةَ . قال : ذَهَبوا قُتِلوا . قال : فإنِّى أسْأَلُك يا ثابتُ ، بيدى عندَك ، إلَّا أَلْحَقْتَنى بالقومِ ، فواللَّهِ ما فى العيشِ بعدَ هؤلاء مِن خيرٍ ، فما أنا بصابرٍ للَّهِ فيلةَ[6] دَلْوِ ناضِحٍ حتى أَلْقَى الأحِبَّةَ . فقدَّمه ثابتٌ فضُرِبَتْ عنُقُه ، فلمَّا بلَغ أبا بكرٍ الصديقَ قولُه : أَلْقَى الأحِبَّةَ . قال : يَلْقاهم واللَّهِ فى نارِ جهنمَ خالدًا فيها مُخَلَّدًا . قال ابنُ إسحاقَ : « فيلة » .

---

(١) أبو عبد الرحمن هى كنية الزبير كما فى السيرة .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى السيرة : « كأن » .

(٤ - ٤) فى م : « حى » .

(٥) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « سموأل » .

(٦) فى الأصل : « قبلة » . وفى السيرة : « فتلة » . وانظر ما يأتى بعد .

بالفاءِ [1] والياءِ المُثَنَّاةِ مِن أسْفلَ [1] . وقال ابنُ هشامٍ [2] : بالقافِ والباءِ المُوَحَّدةِ [3] . وقال ابنُ هشامٍ : الناضحُ : البعيرُ الذى يَسْتَقِى الماءَ لسَقْيِ النَّخْلِ [4] . وقال أبو عُبَيْدةَ [5] : معناه إفْراغَةُ دَلْوٍ .

قال ابنُ إسحاقَ [6] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أمَر بقَتْلِ كلِّ مَن أنْبَت منهم ، فحدَّثنى شعبةُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن عَطِيَّةَ القُرَظىِّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أمَر أن يُقْتَلَ مِن بنى قُرَيظةَ كلُّ مَن أنْبَت منهم ، وكنتُ غلامًا ، فوجَدونى لم أُنْبِتْ فَخَلَّوْا سبيلى . [٣/ ٢٥ظ] ورَواه أهلُ السننِ الأربعةِ ، مِن حديثِ عبدِ الملكِ بنِ [7] عُمَيْرٍ ، عن عطيةَ القُرَظىِّ [8] نحوَه . وقد استدلَّ به مَن ذَهب مِن العلماءِ إلى أنَّ إنباتَ الشَّعْرِ الخَشِنِ حولَ الفَرْجِ دليلٌ

(١ - ١) سقط من : الأصل . ولم نجد لفظ « فيلة » عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٩٠ من رواية سلمة عن ابن إسحاق ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٤ من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، ولم يشر محققو السيرة إلى هذا اللفظ « فيلة » وكذا لم يذكره أبو ذر فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٠، والسهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣٣٦ . فاللَّه أعلم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣.

(٣) قال أبو ذر فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٠: أراد بقوله : فتلة دلو ناضح . مقدار ما يأخذ الرجلُ الدلوَ إذا خرجتْ ، فيصبُّها فى الحوض ثم يَفْتِلُها أو يرُدُّها إلى موضعها . ومن رواه « قَبْلَة » بالقاف والباء ، فهو بمقدار ما يَقْبَل - أى يأخُذ - الرجل الدلوَ ، فيصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة .

(٤) هذه العبارة التى ذكرها المصنف نقلًا عن ابن هشام ، أثبتها محققو السيرة - على أنها إحدى الروايات - فى الحاشية ، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٥) عزاه السهيلى فى الروض ٦/ ٣٣٦ لأبى عبيدة .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤.

(٧) فى الأصل : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠.

(٨) أبو داود (٤٤٠٤، ٤٤٠٥) . والترمذى (١٥٨٤) . والنسائى فى المجتبى (٤٩٩٦) ، وفى الكبرى (٨٦٢٠، ٨٦٢١) . وابن ماجه (٢٥٤١، ٢٥٤٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٠٤) .

على البلوغِ ، بل هو بلوغٌ فى أصحِّ قولىِ الشافعىِّ ، ومِن العلماءِ مَن يُفَرِّقُ بينَ صِبْيانِ أهلِ الذِّمَّةِ ، فيكونُ بُلوغًا فى حقِّهم دونَ غيرِهم ؛ لأن المُسْلمَ قد يَتَأَذَّى بذلك المَقْصِدِ[1] .

وقد رَوى ابنُ[2] إسحاقَ[3] ، عن أيوبَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أنَّ سَلْمَى بنتَ قيسٍ أُمَّ المُنْذِرِ اسْتَطْلَقَت مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ رِفاعةَ بنَ سِمْوَالَ[4] ، وكان قد بلَغ فَلاذَ بها ، وكان يَعْرِفُهم قبلَ ذلك ، فأَطْلَقَه لها ، وكانت قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن رِفاعةَ يَزْعُمُ أنَّه سيُصَلِّى ويَأْكُلُ لحمَ الجملِ . فأجابها إلى ذلك فأَطْلَقَه .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : لم يُقْتَلْ مِن نسائِهم إلَّا امرأةٌ واحدةٌ . قالت : واللَّهِ إنَّها لعندى تَحَدَّثُ[6] معى تَضْحَكُ ظَهْرًا وبَطْنًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رجالَها فى السوقِ ، إذ هتَف هاتفٌ باسمِها : أين فلانةُ ؟ قالت : أنا واللَّهِ . قالت : قلتُ لها : ويلَكِ ما لَكِ ؟ قالت : أُقْتَلُ . قلتُ : ولِمَ ؟ قالت : لحَدَثٍ أحْدَثْتُه . قالت : فانْطُلِق بها فضُرِبَتْ عُنُقُها . وكانت عائشةُ ، تقولُ : فواللَّهِ ما أنْسَى عَجَبًا منها ؛ طِيبَ نفسِها وكثرةَ ضَحِكِها ، وقد عَرَفَتْ أنَّها تُقْتَلُ . وهكذا رَواه

---

(١) فى النسخ : « لمقصد » . والمثبت هو الأنسب لمعنى السياق .

(٢) سقط من : م .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤، بنحوه .

(٤) فى النسخ : « شموال » . غير مهموز . وفى السيرة : « سموأل » . والمثبت من أسد الغابة ٢/ ٢٢٨. وقد نصّ هناك على ضبطه بكسر السين وسكون الميم . والاسم جاء مهموزا وغير مهموز . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٠٠، والإصابة ٢/ ٤٩١.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢.

(٦) تحدث : أى تتحدث .

الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، به .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : هى التى طَرَحتِ الرَّحَا على خَلَّادِ بنِ سُوَيْدٍ فقَتَلَتْه . يعنى فقَتَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ به . قاله[3] ابنُ إسحاقَ فى موضعٍ آخرَ ، وسمَّاها نباتَةَ[4] امرأةَ الحكَمِ القُرَظىِّ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَسَم أموالَ بنى قُرَيْظةَ ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين بعدَما أخْرَج الخُمُسَ ، وقسَم للفارسِ ثلاثةَ أسْهُمٍ ؛ سهميْن للفرسِ وسهمًا لراكِبِه ، وسهمًا للراجلِ ، وكانت الخيلُ يومئذ سِتًّا وثلاثين .

قال[6] : وكان أولَ فَىْءٍ وَقَعتْ فيه السُّهْمانُ وخُمِّس .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وبَعَث [٣/٢٦و] رسولُ اللَّهِ ﷺ سعدَ[8] بنَ زيدٍ[9] بسبايا مِن بنى قُرَيْظةَ إلى نَجْدٍ ، فابْتاع بها خَيلًا وسلاحًا ، وكان رسولُ اللَّهِ

---

(١) المسند ٦/ ٢٧٧. وأخرجه أبو داود من طريق محمد بن إسحاق به (٢٦٧١) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٣٢٥) .

(٢) كذا فى النسخ . والقول فى السيرة لابن هشام ، لا ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢.

(٣) فى م : « قال » . وهذا القول لم نجده لابن إسحاق فى سيرة ابن هشام التى بين أيدينا . ولعله فى مغازيه .

(٤) فى الأصل : غير منقوطة . وفى ص : « بنانه » . وقد سمّاها أبو ذر الخشنى فى غريب السيرة ٣/٩ « بُنانَة » ، وسمّى زوجها « الحسن القرظى » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤، بنحوه .

(٦) أى ابن إسحاق . المصدر السابق .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٥، بنحوه .

(٨) فى م ، ص : « سعيد » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٩٢. وأسد الغابة ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٩) بعده فى السيرة : « الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل » .

ﷺ قد اصْطَفَى مِن نسائِهم رَيْحانَةَ بنتَ عمرِو بنِ خُنافةَ ، إحدى نساءِ بنى عمرِو بنِ قُرَيْظةَ ، وكان عليها[1] ، [2]حتى تُوُفِّىَ عنها وهى فى مِلْكِه ، وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ عرَض عليها الإسلامَ فامْتَنَعَتْ ، ثُم أسْلَمَتْ بعدَ ذلك ، فسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بإسلامِها ، وقد عَرَض عليها[2] أن يُعْتِقَها ويتَزَوَّجَها ، فاختارتْ أن تَسْتَمِرَّ على الرِّقِّ ليكونَ أسهلَ عليها ، فلم تَزَلْ عندَه حتى تُوُفِّىَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

ثُم تَكَلَّم ابنُ إسحاقَ[3] على ما نَزَل مِن الآياتِ فى قصةِ الخندقِ مِن أولِ سورةِ الأحْزابِ . وقد ذكَرْنا ذلك مُسْتَقْصًى فى تفسيرِها[4] . وللَّه الحمدُ والمنَّةُ .

وقد قال ابنُ إسحاقَ[5] : واسْتُشْهِد مِن المسلمين يومَ بنى قُرَيْظةَ خَلَّادُ بنُ سُوَيْدِ بنِ ثَعْلبَةَ بنِ عمرِو الخزرجىُّ ، طُرِحَتْ عليه رَحًا فشَدَخَتْه شَدْخًا شديدًا ، فزَعَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ له لأجرَ شَهيدَيْن » . قلتُ : كان الذى أَلْقى عليه الرَّحَا ، تلك المرأةُ التى لم يُقْتَلْ مِن بنى قُرَيْظَةَ امرأةٌ غيرُها ، كما تقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ومات أبو سِنانِ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ مِن بنى أسدِ بنِ خُزَيمةَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُحاصِرٌ بنى قُرَيْظةَ ، فدُفِن فى مَقْبَرَتِهم اليومَ[7] .

---

(١) عبارة السيرة : « فكانت عند رسول اللَّه ﷺ » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٥ - ٢٥٠ .

(٤) التفسير ٦/٣٨٤ - ٤٠١ . سورة الأحزاب ، الآيات ٩ - ٢٧ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) عبارة السيرة : « التى يدفنون فيها اليوم » .

وفـاةُ سعـدِ بنِ معـاذٍ رَضِىَ اللَّـهُ عنه

قد تقدَّم[1] أن حِبَّانَ بنَ العَرِقةِ، لعَنه اللَّهُ، رَماه بسهمٍ فأصاب أكْحَلَه، فحَسَمَه رسولُ اللَّهِ ﷺ كيًّا بالنارِ، فاسْتَمْسك الجُرْحُ، وكان سعدٌ قد دَعا اللَّهَ أن لا يُميتَه حتى يُقِرَّ عينَه مِن بنى قُرَيْظةَ، وذلك حينَ نَقَضوا ما كان بينَهم وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن العهودِ والمَواثيقِ والذِّمامِ، ومالوا عليه مع الأحْزابِ، فلمَّا ذَهَب الأحْزابُ وانْقَشَعوا عن المدينةِ، وباءَتْ بنو قُرَيْظةَ بسَوادِ الوجهِ والصَّفْقةِ الخاسرةِ فى الدنيا والآخرةِ، وسار إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ليُحاصِرَهم، كما تقدَّم[2]، فلمَّا ضَيَّق عليهم وأخَذَهم مِن كلِّ جانبٍ، أنابوا إلى[3] أن يَنْزِلوا على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيَحْكُمَ فيهم بما أراه اللَّهُ، فرَدَّ الحُكمَ فيهم إلى رئيسِ الأوْسِ، وكانوا حُلفاءَهم فى الجاهليَّةِ، [٣/٢٦ظ] وهو سعدُ بنُ مُعاذٍ، فَرَضُوا بذلك، ويقالُ: بل نزَلوا ابْتداءً على حكمِ سعدٍ؛ لِمَا يَرْجُون مِن حُنُوِّه عليهم وإحسانِه ومَيْلِه إليهم، ولم يَعْلَموا بأنَّهم أبْغَضُ إليه مِن أعْدادِهم مِن القِرَدَةِ والخَنازيرِ؛ لشِدَّةِ إيمانِه وصِدِّيقيَّتِه، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه، فبَعَث إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وكان فى خَيْمةٍ فى المسجدِ النبوىِّ، فجِىءَ به على حمارٍ

---

(١) تقدم فى صفحة ٨٦، ٨٨.

(٢) تقدم فى صفحة ٧٤، ٧٧.

(٣) زيادة من: ص.

تحتَه إكافٌ قد وُطِّئَ تحتَه لمرضِه، ولمَّا قارَب خَيْمةَ الرسولِ ﷺ أمَر، عليه السلامُ، مَن هناك بالقيامِ له، قيلَ: ليُنَزَّلَ مِن شدَّةِ مرضِه. وقيل: تَوْقيرًا له بحَضْرَةِ المحْكومِ عليهم؛ ليكونَ أبْلَغَ فى نُفوذِ حُكْمِه. واللَّهُ أعلمُ. فلمَّا حكَم فيهم بالقَتْلِ والسَّبْيِ، وأقَرَّ اللَّهُ عينَه وشفَى صدرَه منهم، وعاد إلى خَيْمتِه مِن المسجدِ النبوىِّ صُحْبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، دَعا اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، أن تكونَ له شَهادةً، واختار اللَّهُ له ما عندَه، فانْفَجَر جُرْحُه مِن الليلِ، فلم يَزَلْ يَخْرُجُ منه الدمُ حتى مات، رَضِى اللَّهُ عنه[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلمَّا انقَضَى شأنُ بنى قُرَيْظةَ انْفَجَر بسعدِ بنِ مُعاذٍ جُرْحُه، فمات منه شهيدًا، حدَّثنى مُعاذُ بنُ رِفاعةَ الزُّرَقِىُّ قال: حَدَّثنى مَن شِئتُ مِن رجالِ قومى، أنَّ جبريلَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، حينَ قُبِض سعدُ بنُ معاذٍ، مِن جَوْفِ الليلِ، مُعْتَجِرًا بعِمامةٍ مِن إسْتَبْرَقٍ، فقال: يا محمدُ، مَن هذا الميِّتُ الذى فُتِحت له أبوابُ السماءِ، واهْتَزَّ له العرشُ؟ قال: فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ سريعًا يَجُرُّ ثوبَه إلى سعدٍ، فوَجَده قد مات، رَضِى اللَّهُ عنه. هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ، رَحِمه اللَّهُ.

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[3]: حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يَعْقوبَ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكَمِ، حدَّثنا أَبى، وشُعَيْبُ بنُ اللَّيْثِ، قالا: حدَّثنا اللَّيْثُ بنُ سعدٍ، عن يَزيدَ بنِ

---

(١) بعده فى ص: «كما تقدم فى الأحاديث الصحيحة والحسان».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٩.

الهادِ ، عن مُعاذِ بنِ رِفاعةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : جاء جبريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : مَن هذا العبدُ الصالحُ الذى مات ففُتِحَتْ[1] له أبوابُ السماءِ ، وتَحَرَّكَ له العرشُ ؟ قال : فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فإذا سعدُ بنُ مُعاذٍ . قال : فجَلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٢٧و] على قبرِه وهو يُدْفَنُ ، فبينَما هو جالسٌ إذ قال : « سُبحانَ اللَّهِ » . مرَّتين ، فسبَّح القومُ . ثُم قال : « اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ » . فكَبَّر القومُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجِبْتُ لهذا العبدِ الصالحِ ، شُدِّدَ عليه فى قبرِه ، حتى كان هذا حينَ فُرِّجَ له » .

وروَى الإمامُ أحمدُ والنَّسائىُّ[2] مِن طريقِ يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُسامةَ بنِ الهادِ ، ويحيى بنِ سعيدٍ ، عن مُعاذِ بنِ رِفاعةَ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لسعدٍ يومَ مات وهو يُدْفَنُ : « سبحانَ اللَّهِ لهذا العبدِ[3] الصالحِ الذى تَحَرَّكَ له عرشُ الرحمنِ ، وفُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ ، شُدِّد عليه ، ثُم فَرَّج اللَّهُ عنه » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى مُعاذُ بنُ رِفاعةَ ، عن محمودِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ الجَمُوحِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : لمَّا دُفِن سعدٌ ونحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، سبَّح رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فسَبَّح الناسُ معه ، ثُم كَبَّر فكبَّر الناسُ معه ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، مِمَّ سَبَّحْتَ ؟ قال : « لقد تَضايَقَ على هذا العبدِ الصالحِ قبرُه ، حتى فَرَّجَه اللَّهُ عنه » . وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ ، عن

---

(١) فى النسخ : « فتحت » . والمثبت من الدلائل .

(٢) المسند ٣/٣٢٧، والنسائى فى الكبرى (٨٢٢٤) بنحوه . وكذا أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٠٦ وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) سقط من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥١، ٢٥٢.

يَعقوبَ بنِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن أبيه، عن ابنِ إسحاقَ، به[1].

قال ابنُ هشامٍ[2]: ومَجازُ هذا الحديثِ قولُ عائشةَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ للقبرِ ضَمَّةً، لو كان أحدٌ منها ناجيًا لكان سعدَ بنَ مُعاذٍ».

قلتُ: وهذا الحديثُ قد رَواه الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا يَحْيَى، عن شُعبةَ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، عن نافعٍ، عن عائشةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إن للقبرِ ضَغْطَةً، ولو كان أحدٌ ناجيًا منها لنَجا سعدُ بنُ مُعاذٍ». وهذا الحديثُ سَنَدُه على شرطِ «الصحيحين» إلَّا أن الإمامَ أحمدَ رَواه عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبةَ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، عن إنسانٍ، عن عائشةَ، به[4].

وقد رَواه الحافظُ البَزَّارُ[5]، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال[6]: [7]حدَّثنا عبدُ الأعْلى[7]

---

(١) المسند ٣/ ٣٦٠، ٣٧٧. قال الهيثمى فى المجمع: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وفيه محمود بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، قال الحسينى: «فيه نظر». قلت: ولم أجد من ذكره غيره. اهـ.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢.

(٣) المسند ٦/ ٥٥. قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٤٦: رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة - قلت: وهذا الطريق سيذكره المصنِّف بعد - وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح.

(٤) كذا فى النسخ: «عن سعد بن إبراهيم عن إنسان عن عائشة». والصواب: «عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن إنسان عن عائشة». وهذا الذى ذكره الهيثمى فى المجمع. وانظر المسند ٦/ ٥٥، ٩٨، وجامع المسانيد للمصنف ٣٧/ ٢٨٠، وأطراف المسند ٩/ ٢٤٧، ٢٩٩.

(٥) كشف الأستار (٢٦٩٩) ولم يذكر اللفظ وإنما الإسناد. وذكره الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٠٨. وقال: رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

قلت: وإسنادنا هذا الذى رجاله رجال الصحيح. والآخر هو الآتى بعد.

(٦) أى البزار.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(١ ابنُ حَمَّادٍ ، حدَّثنا داودُ بنُ[٢] عبدِ الرحمنِ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال[١] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد هَبَط يومَ مات سعدُ بنُ مُعاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ إلى الأرضِ ، لم يَهْبِطوا قبلَ ذلك ، ولقد ضَمَّه القبرُ ضَمَّةً » . قال[٣] : ثُم بَكَى نافعٌ . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، لكنْ قال البزارُ : رَواه غيرُه ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ مُرْسَلًا .

ثُم رَواه البزَّارُ[٤] ، عن سليمانَ بنِ سيفٍ ، عن أبى عَتَّابٍ ، عن مسكينِ[٥] ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ[٦] [٣/٢٧ظ] بنِ الخطابِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد نَزَل لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ، ما وَطِئوا الأرضَ قبلَها » . وقال حينَ دُفِن : « سبحانَ اللَّهِ لو انْفَلَت أحدٌ مِن ضَغْطةِ القبرِ لَانْفَلَتَ منها سعدٌ » .

قال البزَّارُ[٧] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ حَفْصٍ ، حدَّثنا محمدُ[٨] بنُ فُضَيْلٍ ، حدَّثنا عَطاءُ بنُ السَّائبِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : اهتَزَّ العرشُ لحُبِّ لقاءِ اللَّهِ سعدَ بنَ مُعاذٍ . قال[٩] : فقال[١٠] : إنَّما يعنى السَّريرَ . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « عن » . وهو داود بن عبد الرحمن العطار ، أبو سليمان المكى . انظر تهذيب الكمال ٨/ ٤١٣، ٤١٤.

(٣) سقط من : م .

(٤) كشف الأستار (٢٦٩٨) .

(٥) فى النسخ : « سكين » . والمثبت من كشف الأستار .

(٦) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من كشف الأستار .

(٧) كشف الأستار (٢٦٩٧) .

(٨) فى كشف الأستار : « يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٩٣.

(٩) زيادة من : ص .

(١٠) سقط من : الأصل . وفى م ، ص : « فقيل » . والمثبت من كشف الأستار . ويشهد له قول =

عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]. قال: تَفَسَّخَتْ[1] أعْوادُه. قال: ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ قبرَه فاحْتُبس، فلمَّا خرَج قيل له: يا رسولَ اللَّهِ، ما حَبَسَك؟ قال: «ضُمَّ سعدٌ فى القبرِ ضَمَّةً، فدَعَوْتُ اللَّهَ فكشَف عنه». قال البزَّارُ: تفرَّد به عطاءُ بنُ السائبِ. قلتُ: وهو مُتَكَلَّمٌ فيه[2].

وقد ذكَر البيهقىُّ[3]، رحِمه اللَّهُ، بعدَ روايتِه ضَمَّةَ سعدٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، فى القبرِ، أثَرًا غريبًا فقال: حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنا أبو العباسِ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبَّارِ، حدَّثنا يونُسُ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى أميةُ بنُ[4] عبدِ اللَّهِ أنَّه سأَل بعضَ أهلِ سعدٍ: ما بَلَغَكم مِن قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى هذا؟ فقالوا: ذُكِر لنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن ذلك فقال: «كان يُقَصِّرُ[5] فى بعضِ الطُّهورِ مِن البولِ».

وقال البخارىُّ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ مُسَاوِرٍ، حدَّثنا أبو عَوانَةَ[7] عن الأعمشِ، عن أبى سفيانَ، عن جابرٍ قال: سمِعْتُ النبىَّ

= الحافظ: قال ابن عمر: يعنى عرش سعد الذى حمل عليه. فتح البارى ٧/ ١٢٤. وقال البزار عقب الحديث: «هذا الحديث بهذا التفسير، لا نعلمه إلا عن ابن عمر».

(١) فى م: «تفتحت».

(٢) وذلك لأنه اختلط فى آخر عمره. انظر تهذيب الكمال ٢٠/٨٦ - ٩٤. والكواكب النيرات ص ٣١٩.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٣٠.

(٤) فى الأصل: «عن».

(٥) فى الأصل: «نقص».

(٦) البخارى (٣٨٠٣).

(٧) فى الأصل، م: «معاوية».

ﷺ يقولُ : « اهتزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ » . وعن الأعمشِ[1] ، حدَّثنا أبو صالحٍ ، عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه ، فقال رجلٌ لجابرٍ : فإن البَراءَ بنَ عازِبٍ يقولُ : اهتزَّ السَّريرُ . فقال[2] : إنَّه كان بينَ هذين الحَيَّيْنِ ضَغائِنُ[3] ، سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ » . ورَواه مسلمٌ ، عن عمرٍو الناقدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدْريسَ ، وابنُ ماجه ، عن عليِّ بنِ محمدٍ ، عن أبى مُعاويةَ ، كلاهما عن الأعْمشِ ، به[4] . وليس عندَهما زيادةُ قولِ الأعْمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن جابرٍ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزُّبيرِ ، أنَّه سَمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ وجِنازةُ سعدِ بنِ مُعاذٍ بينَ أيديهم : « اهتزَّ لها عرشُ الرحمنِ » . ورَواه مسلمٌ ، عن عبدِ بنِ [٣/٢٨و] حُمَيْدٍ ، والتِّرْمِذِيُّ ، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ ، كلاهما عن [6]عبدِ الرزاقِ[6] ، به[7] .

---

(١) قال الحافظ : هو معطوف على الإسناد الذى قبله ، وهذا من شأن البخارى فى حديث أبى سفيان طلحة بن نافع ، صاحبِ جابرٍ ، لا يخرج له إلا مقرونًا بغيره أو استشهادًا . فتح البارى ١٢٣/٧ .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) قال الحافظ : وإنما قال جابر ذلك إظهارًا للحق واعترافًا بالفضل لأهله ، فكأنه تعجَّب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى - يعنى مع أن سعد بن معاذ أوسى أيضًا - ثم قال : أنا وإن كنت خزرجيا ، وكان بين الأوس والخزرج ما كان ، لا يمنعنى ذلك أن أقول الحق . وذكر الحديث ، والعذر للبراء أنه لم يقصد تغطية فضل سعد ، وإنما فهم ذلك فجزم به ، هذا الذى يليق أن يُظَنَّ به ، وهو دالٌّ على عدم تعصُّبه . المصدر السابق .

(٤) مسلم (٢٤٦٦/١٢٤) ، وابن ماجه (١٥٨) .

(٥) المسند ٣/ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٦ - ٦) فى الأصل : « عبد الرحمن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢.

(٧) مسلم (٢٤٦٦) ، والترمذى (٣٨٤٨) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عَوْفٌ[2] ، حدَّثنا أبو نَضْرةَ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ : « اهتزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ » .

ورَواه النَّسائيُّ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن يَحْيَى ، به[3] .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الوهَّابِ ، عن سعيدٍ ، قال قَتادةُ : حدَّثنا[5] أنسُ ابنُ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وجِنازتُه موضوعةٌ : « اهتزَّ لها عرشُ الرحمنِ » . ورَواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الرُّزِّيِّ[6] ، عن عبدِ الوهَّابِ ، به[7] .

وقد روَى البيهقيُّ[8] مِن حديثِ المُعْتَمِر بنِ سُليمانَ ، عن أبيه ، عن الحسنِ البَصْريِّ قال : اهتزَّ عرشُ الرحمنِ فَرَحًا برُوحِه .

وقال الحافظُ [9]أبو بكرٍ[9] البَزّارُ[10] : حدَّثنا زُهَيْرُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا

---

(١) المسند ٣/ ٢٣، ٢٤.

(٢) فى المسند : « عون » . وهو تحريف ، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٤٦٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٣٧.

(٣) النسائى فى الكبرى (٨٢٢٥) .

(٤) المسند ٣/ ٢٣٤.

(٥) فى المسند : « وحدثنا » . وهو خطأ . إذ كل سياقات أحاديث أنس عنده من طريق قتادة عن أنس . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٤٩٨.

(٦) فى النسخ : « الأزدى » . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر الأنساب ١/ ١١١، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥٧٥.

(٧) مسلم (٢٤٦٧) .

(٨) دلائل النبوة ٤/ ٢٨.

(٩ - ٩) زيادة من : الأصل ، ص .

(١٠) أخرجه الترمذى (٣٨٤٩) من طريق عبد الرزاق به ، نحوه . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٢٤) .

عبدُ الرَّزّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ قال : لما حُمِلَت جِنازةُ سعدٍ قال المُنافقون : ما أخَفَّ جِنازتَه . وذلك لحُكْمِه فى بنى قُرَيْظةَ ، فسُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لا ، ولكنَّ الملائكةَ [1]كانت تَحْمِلُه[1] » . إسنادٌ جيدٌ .

[2]**فائدةٌ** : قال الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ[3] : حديثُ اهتزازِ العرشِ ثابتٌ مُتواتِرٌ . قال السُّهَيْلِىُّ[4] : رَواه جماعةٌ مِن الصَّحابةِ ؛ منهم جابرٌ ، وأبو سعيدٍ ، وأسيدُ بنُ حُضيرٍ ، ورُمَيْثَةُ[5] بنتُ عمرٍو . قال[6] : وهو محمولٌ على الحقيقةِ ؛ لأنَّ العرشَ لا يَمْتَنِعُ عليه الحركةُ والاهتزازُ . قال : وما رُوِى عن مالكٍ مِن تضعيفِه لهذا الحديثِ ، وتَوْهِينِه للتحدُّثِ به ، فلعلَّه لم يَصِحَّ عنه ذلك ، واللَّهُ أعلمُ[2] .

وقال البخارىُّ[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، حدَّثنا غُنْدَرٌ ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، سمِعْتُ البَراءَ بنَ عازِبٍ يقولُ : أُهْدِيَتْ للنبىِّ ﷺ حُلَّةُ حَريرٍ ، فجَعَل أصحابُه يَمَسُّونها ، ويَعْجَبون مِن لِينِها ، فقال : « أتَعْجَبون مِن لِينِ هذه ، لَمَنادِيلُ سعدِ بنِ معاذٍ خيرٌ منها أو ألْيَنُ » . ثُم قال : رَواه قَتادةُ والزهرىُّ ، سمِعْنا[8] أنسًا ، عن النبىِّ ﷺ[9] .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « تحملته » .

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) الاستيعاب ٢/ ٦٠٤، بنحوه .

(٤) الروض الأنف ٦/ ٣٤٠، ٣٤١، بنحوه .

(٥) فى ص : « ريثة » . والمثبت من الروض . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٩، والإصابة ٧/ ٦٥٦.

(٦) أى السهيلى .

(٧) البخارى (٣٨٠٢) .

(٨) فى صحيح البخارى : « سمعا » .

(٩) قال الحافظ : أما رواية قتادة فوصلها المؤلف - أى البخارى - فى الهبة ، وأما رواية الزهرى فوصلها فى اللباس . فتح البارى ٧/ ١٢٣.

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الوهَّابِ ، عن سعيدٍ ، هو ابنُ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةً ، وذلك قبلَ أن يُنْهَى عن الحريرِ فلَبِسَها ، فعَجِب الناسُ منها ، فقال : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، لَمَناديلُ سعدٍ فى الجنةِ أحْسنُ مِن هذه » . وهذا إسنادٌ على شرطِ الشيخين ، ولم يُخْرِجوه ، وإنَّما ذَكَره البخاريُّ تَعْليقًا[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنى واقِدُ بنُ عمرِو بنِ سعدِ[4] بنِ معاذٍ - قال محمدٌ : وكان واقِدٌ مِن أحْسنِ الناسِ وأعْظَمِهم وأطْولِهم - قال : دخَلْتُ على أنسِ بنِ مالكٍ فقال لى : من أنت ؟ قلتُ : أنا واقدُ بنُ عمرِو بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ . فقال : إنَّك بسعدٍ لَشَبِيهٌ . ثُم بكَى وأكْثَر البُكاءَ ، وقال : رَحْمةُ اللَّهِ على سعدٍ ، كان مِن أعْظمِ [٣/٢٨ظ] الناسِ وأطْولِهم . ثُم قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشًا إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ ، فأرْسَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بجُبَّةٍ مِن دِيباجٍ ، مَنسوجٍ فيها الذهَبُ ، فلَبِسها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقام على المِنْبرِ أو[5] جلَس فلم يَتَكَلَّمْ ، ثُم نَزَل فجعَل الناسُ يَلْمَسون الجُبَّةَ ، ويَنْظُرون إليها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَعْجَبون منها[6] ، لَمَناديلُ سعدِ ابنِ مُعاذٍ فى الجنةِ أحْسنُ ممَّا تَرَوْنَ » . وهكذا رَواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ ، مِن

---

(١) المسند ٣/ ٢٣٤.

(٢) البخارى (٢٦١٦) .

(٣) المسند ٣/ ١٢١، ١٢٢.

(٤) فى ص : « سعيد » .

(٥) فى م : « و » .

(٦) بعده فى المسند : « قالوا : ما رأينا ثوبًا قط أحسن منه . فقال النبى ﷺ » .

حديثِ [1]محمدِ بنِ[1] عمرٍو به[2]، وقال الترمذىُّ: حسنٌ صحيحٌ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]، بعدَ ذِكْرِ اهتزازِ العرشِ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ: وفى ذلك يقولُ رجلٌ مِن الأنصارِ:

وما اهتزَّ عرشُ اللَّهِ مِن موتِ هالكٍ ... سَمِعْنا به إلَّا لسعدٍ أبى عمرِو

قال[4]: وقالت أُمُّه - يعنى كُبَيْشةَ بنتَ رافعِ بنِ مُعاويةَ بنِ عُبَيدِ بنِ ثعلبةَ الخُدْرِيَّةَ الخزْرجيَّةَ[5] - حينَ احْتُمِل سعدٌ على نَعْشِه تَنْدُبُه:

وَيْلُ امِّ سعدٍ سعدَا ... صَرامةً وحَدَّا

وسُؤْدُدًا ومَجْدَا ... وفارسًا مُعَدَّا

سُدَّ به مَسَدَّا ... يَقُدُّ[6] هامًا قَدَّا

قال[4]: يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كلُّ نائحةٍ تَكْذِبُ إلَّا نائحةَ سعدِ بنِ مُعاذٍ».

قلتُ: كانت وفاتُه بعدَ انصرافِ الأحْزابِ بنحْوِ مِن خمسٍ وعشرين ليلةً، وكان قُدومُ الأحْزابِ فى شَوَّالٍ سنةَ خمسٍ كما تقدَّم[7]، فأقاموا قريبًا مِن

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الترمذى (١٧٢٣)، والنسائى (٥٣١٧). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٤٠٧).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٢ بنحوه.

(٤) أى ابن إسحاق. المصدر السابق.

(٥) ما بين الحاصرتين كلام ابن هشام، كما فى السيرة.

(٦) يقد: يشقّ. انظر الوسيط (ق د د).

(٧) تقدم فى صفحة ٩.

شهرٍ ، ثُم خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لحصارِ بنى قُرَيْظةَ فأقام عليهم خمسًا وعشرين ليلةً ، ثُم نَزَلوا على حكمِ سعدٍ ، فمات بعدَ حُكمِه عليهم بقليلٍ ، فيكونُ ذلك فى أواخرِ ذى القَعْدةِ أو أوائلِ ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ خمسٍ . واللَّهُ أعلمُ . وهكذا قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : إنَّ فَتْحَ بنى قُرَيْظةَ كان فى ذى القَعْدةِ وصَدْرِ ذى الحِجَّةِ . قال[2] : ووَلِىَ تلك الحِجَّةَ المشركون .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ[4] يَرْثِى سعدَ بنَ مُعاذٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه :

لقد سجَمَتْ مِن دَمْعِ عينىَ عَبْرةٌ ... وحُقَّ لعَيْنِى أن تَفِيضَ على سعدِ[5]

قَتيلٌ ثَوَى فى مَعْرَكٍ فُجِعَتْ به ... عيونٌ ذَوارِى الدمْعِ دائمةُ الوَجْدِ[6]

على ملَّةِ الرحمنِ وارِثِ جَنةٍ ... مع الشُّهَداءِ وَفْدُها أكْرَمُ الوَفْدِ

[٣/ ٢٩و] فإن تَكُ قد وَدَّعْتَنا[7] وترَكْتَنا ... وأمْسَيْتَ فى غَبْراءَ مُظْلِمةِ اللَّحْدِ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩.

(٢) أى ابن إسحاق . المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠.

(٤) ديوان حسان ص ١١٤.

(٥) سجمت : أى سالت ، يقال : سجم الدمع . إذا سال . والعَبرة : الدمعة . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٨.

(٦) ثوى : أى أقام . والمعرك : موضع القتال فى الحرب . وذوارى الدمع : أى سائلة الدمع . والوجد : الحزن . المصدر السابق .

(٧) فى م : « وعدتنا » .

(٨) فى غبراء : يعنى القبر . واللحد : ما يُلْحَد - أى يُشَقُّ - للميت فى جانب القبر . انظر المصدر السابق . والوسيط (ل ح د) .

فأنت الذى يا سعدُ أُبْتَ[1] بمَشْهَدٍ كريمٍ وأثوابِ المكارِمِ والحمدِ[2]

بحُكْمِك فى حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بالذى قضَى اللَّهُ فيهم ما قضَيْتَ على عَمْدِ

فوافقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُك فيهمُ ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كان مِن عهدِ

فإن كان رَيْبُ الدَّهْرِ أمْضاك فى الأُلَى[3] شَرَوْا هذه الدنيا بجَنَّاتِها الخُلْدِ

فنِعْمَ مَصيرُ الصادِقِين إذا دُعُوا إلى اللَّهِ يومًا للوَجاهةِ والقَصْدِ

---

(١) أبت : عُدتَ ورجعتَ .

(٢) فى م ، ص : « والمجد » . والمثبت موافق لما فى الديوان والسيرة .

(٣) الألى هنا بمعنى الذين . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٨.

فصلٌ فيما قيلَ مِن الأشعارِ في الخندقِ وبنى قُرَيْظَةَ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا حَجَّاجُ بنُ مِنهالٍ ، حدَّثنا شُعبةُ ، حدَّثنا عَدِيُّ بنُ ثابتٍ ، أنه سمِع البَراءَ بنَ عازِبٍ قال : قال النبيُّ ﷺ لحسانَ : « اهْجُهم - أو هاجِهم - وجبريلُ معك » .

قال البخاريُّ[2] : وزاد إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن الشَّيْبانيِّ ، عن عَدِيِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ قال : قال النبيُّ ﷺ يومَ قُرَيْظَةَ لحسانَ بنِ ثابتٍ : « اهْجُ المشركين ، فإنَّ جبريلَ معك » . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ والنَّسائيُّ ، مِن طُرُقٍ ، عن شُعبةَ ، بدونِ الزيادةِ التى ذكَرها البخاريُّ يومَ بنى قُرَيْظَةَ[3] .

قال ابنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ[4] : وقال ضِرارُ بنُ الخطابِ بنِ مِرْداسٍ ، أخو بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ فى يومِ الخندقِ - قلتُ : وذلك قبلَ إسلامِه - :

ومُشْفِقةٍ تظُنُّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا[5]

---

(١) البخارى (٤١٢٣) .

(٢) البخارى (٤١٢٤) .

(٣) البخارى (٣٢١٣، ٦١٥٣)، ومسلم (٢٤٨٦)، والنسائى فى الكبرى (٦٠٢٤، ٦٠٢٥) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٥) العرنْدَسة : الشديدة القوة ، ويعنى بها الكتيبة . والطحون : التى تطحن كل ما مرت به . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣.

كـأنَّ زُهـاءَهـا[1] أُحُـدٌ إذا مـا بـدَتْ أركـانُـه لـلـنـاظـرِيـنَـا

تـرَى الأبْـدانَ فيهـا مُـسْـبِـغـاتٍ على الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينَا[2]

[3]وجُـرْدًا[3] كـالـقِـداحِ مُـسَـوَّمـاتٍ نَـؤُمُّ بـهـا الـغُـواةَ الخَاطِـئِـينَا[4]

كـأنَّـهـمُ إذا صـالـوا وَصُـلْـنـا بـبـابِ الخَنْـدَقَـيْـن مُـصـافـحُـونـا

أُنـاسٌ لا نَـرَى فيهـم رَشِـيـدًا وقـد قـالـوا أَلَـسْـنـا راشِـدِيـنـا

فـأحْـجَـرْنـاهـمُ شـهـرًا كَـرِيـتًـا وكـنَّـا فـوقَـهـم كـالـقـاهِـرِيـنَـا[5]

نُـراوِحُـهـم ونَـغْـدُو كـلَّ يـومٍ عليهم فى السِّلاحِ مُدَجَّجِينَا

بـأيْـدِيـنـا صَـوارِمُ مُـرْهَـفَـاتٌ نَـقُـدُّ بـهـا المَفـارِقَ والـشُّـئـونـا[6]

[٣/ ٢٩ظ] كأنَّ وَمِيضهُنَّ مُعَرَّياتٍ إذا لاحـت بـأيْـدى مُـصْـلِـتِـينا[7]

وَمِـيـضُ عَـقِـيـقـةٍ[8] لمَعَـتْ بـلـيـلٍ تـرَى فيها العَقـائـقَ[9] مُـسْـتَـبِـينَا

---

(١) زهاءها : أى تقدير عددها .

(٢) الأبدان هنا : الدروع . والمسبغات : الكاملة . واليلب : الترسة . وقيل : الدَّرَق . المصدر السابق ٣/ ١٣، ١٤. وانظر الروض الأنف ٦/ ٣٦٦.

(٣ - ٣) فى الأصل : « وخودا » .

(٤) الجرد : الخيل العتاق . والقداح : السهام . والمسومات : المرسلة . ونؤم : نقصد . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤.

(٥) أحجرناهم : حصرناهم . وكريتا : تاما كاملا . انظر المصدر السابق .

(٦) الصوارم : السيوف . ومرهفات : قاطعة . وتقد : تقطع . والمفارق جمع مفرق ، وهو حيث يتفرق الشعر فى أعلى الجبهة . والشئون هنا : مجتمع العظام فى أعلى الرأس . المصدر السابق .

(٧) الوميض : اللمعان . والمصلت : الذى جرَّد سيفه من غمده . المصدر السابق .

(٨) العقيقة هنا : السحابة التى تنشق عن البرق . المصدر السابق .

(٩) العقائق : السيوف تلمع كالبروق . الوسيط (ع ق ق) .

فلَوْلا خَندقٌ كانوا لَدَيْه ... لَدمَّرْنا عليهم أجْمَعِينا

ولكن حالَ دونَهمُ وكانوا ... به مِن خَوْفِنا مُتَعَوِّذِينا

فإن نَرْحَلْ فإنَّا قد تَرَكْنا ... لدى أبْياتِكم[1] سعدًا رَهِينَا

إذا جَنَّ الظلامُ سمِعْتَ نَوْحَى[2] ... على سَعدٍ يُرَجِّعْن الحَنِينَا

وسوف نَزورُكم عمَّا قَريبٍ ... كما زُرْناكُمُ مُتَوازِرِينَا[3]

بجَمْعٍ مِن كِنانةَ غيرِ عُزْلٍ ... كأُسْدِ الغابِ إذ حَمَتِ العَرِينَا[4]

قال[5] : فأجابه كعبُ بنُ مالكٍ [6]أخو بنى سَلِمَةَ[6] ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال :

وسائلةٍ تُسائِلُ ما لَقِينَا ... ولو شهِدَتْ رأَتْنا صابِرِينَا

صَبَرْنا لا نرَى للَّهِ عِدْلًا[7] ... على ما نَابَنا مُتَوَكِّلِينا

وكان لنا النبىُّ وَزِيرَ صِدْقٍ ... به نَعْلُو البَرِيَّةَ أجْمَعِينا

نُقاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَموا وعَقُّوا ... وكانوا بالعَداوةِ مُرْصِدِينَا[8]

---

(١) فى الأصل : « أبنائكم » .

(٢) النوحى : جماعة النساء اللاتى تنحن . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤.

(٣) متوازرين : متعاونين . المصدر السابق .

(٤) العزْل : الذين لا سلاح معهم . واحدهم أعزل . والغاب جمع غابة ، والعرين : موضع الأسد . واحدته عرينة . المصدر السابق .

(٥) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٥.

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل ، م .

(٧) العدل : الشريك .

(٨) المرصد : المعدُّ للأمر ، يقال : أرصدت لهذا الأمر كذا وكذا . أى أعددته . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤، ١٥.

نُعاجِلُهم[1] إذا نهَضوا إلينا بضَرْبٍ يُعْجِلُ المُتَسَرِّعِينَا

تَرانا فى فَضافِضَ سابِغاتٍ كغُدْرانِ الملَا مُتَسَرْبِلِينَا[2]

وفى أَيْمانِنا بِيضٌ خِفافٌ بها نَشْفِى مِرَاحَ[3] الشاغِبِينَا

ببابِ الخَنْدَقَيْن كأنَّ أُسْدًا شَوابِكُهنَّ[4] يَحْمِينَ العَرِينَا

فوارِسُنا إذا بكَروا وراحوا على الأعداءِ شُوسًا[5] مُعْلِمِينَا

لنَنْصُرَ أحمدًا واللَّهَ حتى نكونَ عبادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا

ويَعْلَمَ أهلُ مَكَّةَ حينَ ساروا وأحْزابٌ أتَوْا مُتَحَزِّبِينَا

بأنَّ اللَّهَ ليس له شريكٌ وأنَّ اللَّهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينَا

[٣/ ٣٠و] فإما تَقْتُلوا سعدًا سَفاهًا فإنّ اللَّهَ خيرُ القادِرِينَا

سيُدْخِلُه جِنانًا طَيِّباتٍ تكونُ مُقامَةً للصَّالِحِينا

كما قد رَدَّكم فَلًّا شَرِيدًا[6] بغيظِكُمُ خَزايا خائِبِينا

خَزايا لم تَنالوا ثَمَّ خيرًا وكِدْتم أن تكُونوا دامِرِينَا[7]

---

(١) فى م: «نعالجهم».

(٢) الفضافض هنا: الدروع المتسعة. وسابغات: كاملة. والغدران: جمع غدير. والملا: المتسع من الأرض، وهو مقصور. ومتسربلون: لابسون للدروع. شرح غريب السيرة ٣/ ١٥.

(٣) فى الأصل: «مراج»، وفى ص: «مزاج». والمراح: النشاط. المصدر السابق.

(٤) فى الأصل: «سوابلهن». والشوابك تتشبث بما تأخذ فلا يُفْلِت منها. المصدر السابق.

(٥) الشوس: جمع أَشْوسَ، وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه. المصدر السابق.

(٦) الفل: القوم المنهزمون. الشريد: الطريد. المصدر السابق.

(٧) دامرين: أى هالكين، من الدمار وهو الهلاك. المصدر السابق.

بريحٍ عاصفٍ هَبَّتْ عليكم فكنتُم تحتَها مُتَكَمِّهينَا[1]

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ فى يومِ الخندقِ - قلتُ : وذلك قبلَ أن يُسْلِمَ - :

حَيِّ الدِّيارَ مَحا مَعارِفَ رَسْمِها طولُ البِلَى وتَراوُحُ الأحْقابِ

فكأنما كتَبَ اليهودُ رُسومَها إلا الكَنِيفَ ومَعْقِدَ الأطْنابِ[3]

قفْرًا كأنَّك لم تَكُنْ تَلْهُو بها فى نِعْمةٍ بأوانِسٍ أتْرابِ

فاتْرُكْ تَذَكُّرَ ما مَضَى مِن عِيشَةٍ ومَحَلَّةٍ خَلَقِ المُقامِ يَبَابِ

واذْكُرْ بَلاءَ مَعاشِرٍ واشْكُرْهمُ ساروا بأجْمعِهم مِن الأنْصابِ[4]

أنصابِ مكةَ عامِدِين ليَثْرِبٍ فى ذى غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ[5]

يَدَعُ الحُزونَ مَناهجًا معلومةً فى كلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ[6]

فيها الجِيادُ شَوازِبٌ مجنوبةٌ قُبُّ البُطونِ لَواحِقُ الأقْرابِ[7]

---

(١) فى الأصل: «متهكمينا»، وفى ص: «متكمينا». والمتكمِّه: الأعمى. شرح غريب السيرة ٣/ ١٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٦ - ٢٥٨.

(٣) الكنيف: يعنى به الحظيرة والزَّرْب الذى يصنع للإبل. والأطناب: الحبال التى تُشَد بها الأخبية وبيوت العرب. شرح غريب السيرة ٣/ ١٦.

(٤) الأنصاب هنا: الحجارة التى يُعْلَم بها الحرم. المصدر السابق.

(٥) ذو غياطل: يعنى جيشا كثير الأصوات، والغياطل جمع غَيْطَلة، وهى الصوت هنا. والجحفل: الجيش الكثير. وجبجاب: كثير أيضا. المصدر السابق.

(٦) الحزون: جمع حَزْن، وهو ما ارتفع من الأرض. والمناهج: جمع مَنْهَج، وهو الطريق البَيِّن. والنشْز: المرتفع من الأرض، ويقال فيه: نَشَز أيضا. المصدر السابق.

(٧) الشوازب: الضامرة. ومجنوبة: مَقُودة. وقب: أى ضامرة. ولواحق: ضامرة أيضا. والأقراب: جمع قِرْب، وهو الخاصرة وما يليها. المصدر السابق.

مِن كلِّ سَلْهَبَةٍ وأجْرَدَ سَلْهَبٍ كالسِّيدِ بادرَ غَفْلَةَ الرُّقَّابِ[1]

جيشٌ عُيَيْنَةُ قاصِدٌ بلِوائِه فيه وصَخْرٌ قائدُ الأحْزابِ

قَرْمانِ[2] كالبَدْرَيْن أصْبَحَ فيهما غَيْثُ الفَقيرِ ومَعْقِلُ الهُرَّابِ

حتى إذا وَرَدوا المَدِينةَ وارْتَدَوْا للمَوْتِ كلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّابِ[3]

شهرًا وعشْرًا قاهرين محمدًا وصِحابُه فى الحربِ خيرُ صِحابِ

نادَوْا برِحْلتِهم صَبِيحةَ قُلْتُمُ كِدْنا نَكونُ بها مع الخُيَّابِ

لولا الخنادِقُ غادَرُوا مِن جَمْعِهم قَتْلَى لطَيْرٍ سُغَّبٍ[4] وذِئابِ

قال[5] : فأجابه حسانُ بنُ ثابتٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال[6] :

هل رَسْمُ دَارِسَةِ المُقامِ يَبابِ مُتَكَلِّمٌ لمُحاوِرٍ بجوابِ

قَفْرٌ عَفا رِهَمُ السَّحابِ رُسومَه وهُبوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبابِ[7]

ولقد رأيْتُ بها الحُلولَ[8] يَزِينُهم بِيضُ الوُجوهِ ثَواقبُ الأحْسابِ

[٣/ ٣٠ظ] فدَعِى الدِّيارَ وذِكْرَ كُلِّ خَريدَةٍ بَيْضاءَ آنِسةِ الحديثِ كَعابِ[9]

---

(١) السلهبة : الطويلة . والسِّيد : الذئب . شرح غريب السيرة ١٦/٣ .

(٢) قرمان : سَيِّدان .

(٣) مجرب قضاب : سيف قاطع . المصدر السابق .

(٤) سغب : جائعة . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٨، ٢٥٩.

(٦) ديوان حسان ص ١١٩، ١٢٠.

(٧) الرهم جمع رِهْمَة . وهو المطر . مرباب : دائمة ثابتة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧.

(٨) الحلول : البيوت المجتمعة . المصدر السابق .

(٩) الخريدة : المرأة الناعمة الحيية . والكعاب : التى نهَد ثديها فى أول ما يَنْهَد . المصدر السابق .

واشْكُ الهمومَ إلى الإلهِ وما تَرَى ... مِن معشرٍ ظَلَموا الرسولَ غِضابِ

ساروا بجَمْعِهِمُ[1] إليه وألَّبوا ... أهلَ القُرَى وبَوادِىَ الأعرابِ

جيشٌ عُيَيْنةُ وابنُ حَرْبٍ فيهمُ ... مُتَخَمِّطون بحَلْبةِ الأحزابِ[2]

حتى إذا ورَدوا المدينةَ وارْتَجَوْا ... قتْلَ الرسولِ ومَغْنَمَ الأسلابِ

وغدَوْا علينا قادِرين بأيْدِهم[3] ... رُدُّوا بغَيْظِهمُ على الأعقابِ

بهُبوبِ مُعْصِفةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهم ... وجنودِ ربِّك سيدِ الأَرْبابِ

فكفَى الإلهُ المؤمنين قِتالَهم ... وأثابهم فى الأجرِ خيرَ ثوابِ

مِن بعدِ ما قَنَطوا ففرَّق جمعَهم ... تنزيلُ نصْرِ مَليكِنا الوهَّابِ

وأقَرَّ عينَ محمدٍ وصِحابِه ... وأذَلَّ كلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتابِ

عاتى الفؤادِ مُوَقَّعٍ[4] ذى رِيبةٍ ... فى الكُفْرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ

عَلِقَ الشقاءُ بقلبِه ففؤادُه ... فى الكُفْرِ آخرَ هذه الأحْقابِ

قال[5] : وأجابه كعبُ بنُ مالكٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أيضًا فقال :

أبْقَى لنا حَدَثُ الحُروبِ بَقيَّةً ... مِن خيرِ نِحْلةِ ربِّنا الوَهَّابِ

---

(١) فى م ، والسيرة : « بأجمعهم » .

(٢) المتخمطون : المختلطون ، ويقال : المتخمط : الشديد الغضب المتكبر . والحلبة : جماعة الخيل التى تعد للسباق . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧، ١٨.

(٣) الأيْدُ : القوة . المصدر السابق ٣/ ١٨.

(٤) موقع : أى ذو عيب ، وأصله من التوقيع فى ظهر الدابة ، وهو انسلاخ يكون فيه . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠.

بَيْضاءَ مُشْرِفةَ الذُّرَى ومَعاطِنًا ... حُمَّ الجُذوعِ غَزِيرةَ الأحْلابِ[1]

كاللُّوبِ يُبْذَلُ جَمُّها وحَفِيلُها ... للجارِ وابنِ العمِّ والمُنْتابِ[2]

ونَزائعًا[3] مِثْلَ السِّراحِ[4] نَمَى بها ... عَلَفُ الشَّعِيرِ وجَزَّةُ المِقْضابِ[5]

عَرِىَ الشَّوَى منها وأردف نَحْضَها ... جُرْدَ المُتُونِ وسائرِ الآرابِ[6]

قُودًا تَراحُ إلى الصِّياحِ[7] إذا غدَت ... فِعْلَ الضِّراءِ تَراحُ للكَلَّابِ[8]

وتَحُوطُ سائمةَ الديارِ وتارةً ... تُرْدِى العِدَا وتَئُوبُ بالأسلابِ

حُوشَ الوحوشِ مُطارَةً عندَ الوَغَى ... عُبْسَ اللِّقاءِ مُبِينةَ الإنجابِ[9]

عُلِفت على دَعَةٍ فصارت بُدَّنًا ... دُخْسَ البَضيعِ خَفِيفةَ الأقْصابِ[10]

---

(١) حم : أى سود . ويعنى بالجذوع : الأعناق . والأحلاب : ما يحلب منها . شرح غريب السيرة ٣/ ١٩.

(٢) اللوب جمع لُوبة : وهى الحَرَّة ، والحرة : أرض ذات حجارة سود . وجمها : ما اجتمع من لبنها . وكذلك حفيلها . والمنتاب : الزائر . المصدر السابق .

(٣) فى الأصل : « توابعا » . ونزائعا : يعنى الخيل العربية التى نزعت من الأعداء . الروض الأنف ٦/ ٣٧١.

(٤) فى م ، ص : « السراج » . قال السهيلى : السراج بالجيم ، كذا وقع فى الأصل أى كل واحد منها ، كالسراج . ووقع فى الحاشية بالحاء ، وفسره فقال : جمع سِرْحان ، وهو الذئب . الروض الأنف ٦/ ٣٧١.

(٥) جزة المقضاب : يعنى ما يُجَزُّ لها من النبات فتَطعَمه . شرح غريب السيرة ٣/١٩ .

(٦) الشوى : القوائم . والنحض : اللحم . والآراب : المفاصل ، واحدها إرْب . الروض الأنف ٦/ ٣٧١.

(٧) فى النسخ : « الصباح » . والمثبت من السيرة .

(٨) قودا : طوال الأعناق . وتَراح : أى تنشط . والضراء : الكلاب الضارية بالصيد . والكَلَّاب : الصائد صاحب الكِلاب . الروض الأنف ٣/ ٣٧١، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٩.

(٩) حوش : نافرة . ومطارة : مستخفة . والإنجاب : الكرم والعِتق . المصدر السابق .

(١٠) دخس : كثيرة اللحم . والبضيع : اللحم . والأقصاب : الأمعاء ، جمع قصب . انظر المصدر السابق .

يَغْدُون بالزَّغْفِ المُضاعَفِ شَكُّه ... وبمُتْرَصاتٍ فى الثِّقافِ صِيابِ[1]

[٣/ ٣١و] وصَوارِمٍ نَزَع الصَّياقِلُ عَلْبَها[2] ... وبكلِّ أرْوَعَ ماجِدِ الأنسابِ

يَصِلُ اليَمينَ بمارِنٍ مُتقارِبٍ ... وُكِلتْ وَقِيعتُه إلى خَبَّابِ[3]

وأغَرَّ أزْرقَ فى القَناةِ كأنَّه ... فى طُخْيَةِ الظَّلْماءِ ضَوْءُ شِهابِ[4]

وكَتيبةٍ يَنْفِى القِرانَ قَتِيرُها ... وتَرُدُّ حَدَّ قَواحِزِ النُّشَّابِ[5]

جَأْوَى مُلَمْلِمَةٍ كأنَّ رماحَها ... فى كلِّ مَجْمعةٍ ضَرِيمةُ غابِ[6]

تَأْوِى إلى ظِلِّ اللِّواءِ كأنَّه ... فى صَعْدةِ الخَطِّىِّ فَيْءُ عُقابِ[7]

أعْيَتْ أبا كَرِبٍ وأعْيَت تُبَّعًا ... وأَبَت بَسالَتُها على الأعرابِ[8]

---

(١) الزغف : الدروع اللينة . والشك : النسج . والمترصات : الشديدات ، يعنى رماحا . والثقاف : الخشبة التى تُقَوَّم فيها الرماح . وصياب : أى صائبة . شرح غريب السيرة ٣/١٩ .

(٢) فى الأصل : « غلتها » . وفى م ، ص ، والسيرة ، وشرح غريب السيرة : « غلبها » . والمثبت من الروض الأنف ٦/ ٣٧٢. وانظر اللسان (ع ل ب) .

وعلبها : جُسْأتُها - أى صلابتها - وخشونة درئها . الروض الأنف ٦/ ٣٧٢.

(٣) المارن : الرمح اللين . ووقيعته : أى صَنْعَته وتَطْريقُه وتحديده ، وخباب : اسم حدّاد . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٩.

(٤) أغر أزرق : يعنى سِنانا . والطخية : شدة السواد . المصدر السابق .

(٥) القران : تقارن النبل . والقتير : مسامير حَلَق الدرع . والقواحز : من قَحَز السهم إذا شخص ؛ أى ارتفع . والنشاب : السهام . انظر المصدر السابق ، واللسان (ق ح ز) ، (ش خ ص) ، (ن ش ب) .

(٦) الجأواء : التى يخالط سوادَها حمرةٌ ، وقصرها هنا ضرورة . وململمة : مجتمعة . والضريمة : اللهب المتوقد . والغاب : الشجر الملتف . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.

(٧) الصعدة : القناة المستوية . والخطى : الرماح . والفىء : الظل . والعقاب : العَلَم الضخم . المصدر السابق . واللسان (ع ق ب) .

(٨) أبو كرب وتبع : ملكان من ملوك اليمن . وبسالتها : شدتها وكراهيتها . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.

ومَواعظٌ مِن ربِّنا نُهْدَى بها بلسانِ أَزْهَرَ[1] طَيِّبِ الأثوابِ
عُرِضَت علينا فاشتَهَيْنا ذِكْرَها مِن بعدِ ما عُرِضَت على الأحْزابِ
حِكَمًا يَراها المجرمون بزَعْمِهم حَرَجًا[2] ويَفْهَمُها ذَوُو الألْبابِ
جاءت سَخِينةُ كى تُغالِبَ ربَّها فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ

قال ابنُ هشامٍ[3] : حدَّثنى مَن أَثِقُ به ، حدَّثنى عبدُ الملكِ بنُ يَحيى بنِ عَبَّادِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له لمَّا سمِع منه هذا البيتَ : « لقد شكَرك اللَّهُ يا كعبُ على قولِك هذا » .

قلتُ : ومُرادُه بسَخِينةَ قُريشٌ ، وإنما كانت العربُ تُسَمِّيهم بذلك لكثرةِ أَكْلِهم الطعامَ السُّخْنَ ، الذى لا يَتَهَيَّأُ لغيرِهم غالبًا مِن أهلِ البَوادِى . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ أيضًا :

مَن سَرَّه ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ[5] بعضُه بَعْضًا كمَعْمَعةِ الأَباءِ[6] المُحْرَقِ
فلْيَأْتِ مَأْسَدةً تَسُنُّ سيوفَها بينَ المَذَادِ وبينَ جِزْعِ الخندقِ[7]

---

(١) أزهر : أبيض . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠ .
(٢) الحرج هنا : الحرام الضيق . المصدر السابق .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦١.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٦١ - ٢٦٣.
(٥) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.
(٦) فى الأصل ، م : « الإناء » . والأباء : القَصَب ، واحدتها أَباءة . الروض الأنف ٦/ ٣٧٤.
(٧) المأسدة : هى الأرض الكثيرة الأُسْد ، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أَسَد . انظر المصدر السابق . والمذاد : موضع . والجزع : الجانب . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.

دَرِبوا بضَرْبِ المُعْلِمين وأسلَموا مُهَجاتِ أنفسِهم لربِّ المشرقِ

فى عُصْبَةٍ نَصَرَ الإلهُ نبيَّه بهمُ وكان بعبدِه ذا مَرْفَقِ

فى كلِّ سابغةٍ[1] يَحُطُّ[2] فُضُولُها كالنِّهْيِ هَبَّت رِيحُه المُتَرَقْرِقِ[3]

بيضاءَ مُحْكَمةً كأنَّ قَتِيرَها حَدَقُ الجَنادِبِ ذاتَ شَكٍّ مُوثَقِ[4]

جَدْلاءَ يَحْفِزُها نِجادُ مُهَنَّدٍ صافى الحَدِيدةِ صارِمٍ ذى رَوْنَقِ[5]

[٣/ ٣١ظ] تلكم مع التَّقْوَى تكونُ لِباسَنا يومَ الهِياجِ وكلَّ ساعةِ مَصْدَقِ

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنا قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

فترَى الجَماجمَ ضاحِيًا هاماتُها بَلْهَ[6] الأُكُفَّ كأنها لم تُخْلَقِ

نَلْقَى العدُوَّ بفَخْمَةٍ مَلْمُومةٍ تَنْفِى الجُموعَ كقَصْدِ رأسِ المُشْرِقِ[7]

---

(١) السابغة: الدروع الكاملة.

(٢) فى الأصل: «بحط». وفى م، ص، والسيرة: «تخط». والمثبت - وهو لفظ إحدى نسخ السيرة - من شرح غريب السيرة ٣/ ٢١. ويحط فضولها: يَنْجَرُّ على الأرض ما فَضِل منها. شرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

(٣) النهى: الغدير من الماء. والمترقرق: صفة للنهى، وهو الذى تُصَفِّقه الريح فيجىء ويذهب. انظر المصدر السابق.

(٤) حدق الجنادب: عيون ذكور الجراد. والشك هنا: إحكام السَّرْد. المصدر السابق.

(٥) جدلاء: من الجَدْل، وهو قوة الفَتْل، أى الدرع المحكمة النسج. ويحفزها: يرفعها ويشمرها. والنجاد: حمائل السيف. الروض الأنف ٦/ ٣٧٥. وشرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

(٦) بله: من أسماء الأفعال بمعنى: دَعْ واتْرُكْ، تقول: بَلْهَ زيدًا. وقد يوضع موضع المصدر ويضاف فيقال: بَلْهَ زيدٍ؛ أى تَرْكَ زيدٍ. النهاية ١/ ١٥٤، ١٥٥.

ومعنى البيت، كما فى اللسان: هى تقطع الهام، فدع الأكف، أى هى أجدر أن تقطع الأكف. اللسان (ب ل هـ).

(٧) فخمة ملمومة: أى كتيبة مجموعة. والمشرق: اسم جبل. شرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

ونُعِدُّ للأعداءِ كلَّ مُقَلَّصٍ ... وَرْدٍ ومَحْجُولِ القَوائمِ أبْلَقِ[1]

تَرْدِى بفُرْسانٍ كأَنَّ كُماتَهم ... عندَ الهِياجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ[2]

صُدُقٍ يُعاطُون الكُماةَ حُتوفَهم ... تحتَ العَمايةِ بالوَشيجِ المُزْهِقِ[3]

أمَر الإلهُ بِرَبْطِها لعدُوِّه ... فى الحربِ إن اللَّهَ خيرُ مُوَفِّقِ

لتكونَ غَيْظًا للعدُوِّ وحُيَّطًا ... للدارِ إن دَلَفت خُيولُ النُّزَّقِ[4]

ويُعينُنا اللَّهُ العزيزُ بقوةٍ ... منه وصدقِ الصبرِ ساعةَ نَلْتَقى

ونُطِيعُ أمْرَ نبيِّنا ونُجِيبُه ... وإذا دَعا لكَرِيهةٍ لم نُسْبَقِ

ومتى (٥يُنَادِ إلى الشدائدِ٥) نَأْتِها ... ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِقِ[6]

مَن يَتَّبِعْ قولَ النبىِّ فإنه ... فينا مُطاعُ الأمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقِ

فبذاك ينْصُرُنا ويُظْهِرُ عِزَّنا ... ويُصِيبُنا مِن نَيْلِ ذاك بِمِرْفَقِ

إن الذين يُكَذِّبون محمدًا ... كفَروا وضَلُّوا عن سبيلِ المُتَّقِى

---

(١) المقلص : يعنى فرسا خفيفا مُشمِّرا . وفرس وَرْد : لونه أحمر ، يضرب إلى صفرة . ومحجول القوائم أبلق : ما يكون البَلَق – وهو السواد والبياض – فى قوائمه الأربع ، ولا يقال له ذلك حتى يبلغ البياض ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٢١، واللسان (و ر د) ، (ب ل ق) ، (ح ج ل) .

(٢) تردى : تسرع . والكماة : الشجعان . والطل : الضعيف من المطر . شرح غريب السيرة ٣/ ٢١. واللُّثَق : ما يكون عن الطل من زَلَقٍ وطين ، والأُسْد أَجْوَع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين . الروض الأنف ٣/ ٣٧٦.

(٣) العماية : سحابة الغبار وظِلُّه . والوشيج : الرماح . شرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

(٤) حيط : جمع حائط ، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط . والنزق : جمع نازق ، وهو الغاضب ، السيِّئ الخلق . المصدر السابق ٣/ ٢٢.

(٥ – ٥) فى الأصل ، ص : « ننادى للشدائد » ، وفى م : « ينادى للشدائد » . والمثبت من السيرة .

(٦) نعنق : نسرع .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ أيضًا :

لقد عَلِم الأحزابُ حين تألَّبوا[2] علينا وراموا دِينَنا ما نُوادِعُ
أَضامِيمُ[3] مِن قيسِ بنِ عَيْلانَ أصْفَقَت وخِنْدِفَ لم يَدْروا بما هو واقِعُ
يَذُودُوننا عن دينِنا ونَذُودُهم عن الكفرِ والرحمنُ راءٍ وسامِعُ
إذا غايظونا فى مَقامٍ أعاننا على غيظِهم نَصْرٌ مِن اللَّهِ واسِعُ
وذلك حِفظُ اللَّهِ فينا وفضلُه علينا ومَن لم يَحْفَظِ اللَّهُ ضائعُ
هدانا لدينِ الحقِّ واختاره لنا وللَّهِ فوقَ الصانِعِين صنائعُ[4]

قال ابنُ هشامٍ : وهذه الأبياتُ فى قصيدةٍ له . يعنى طويلةً .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقال [٣/٣٢و] حسانُ بنُ ثابتٍ فى مَقْتَلِ بنى قُرَيْظةَ[6] :

لقد لَقِيَت قُرَيظةُ ما سآها[7] وما وجَدَت لذُلٍّ مِن نَصِيرِ
أصابَهمُ بَلاءٌ كان فيهِ سِوى ما قَد أصاب بنى النَّضِيرِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٣.
(٢) تألبوا : تجمعوا .
(٣) واحد الأضاميم : إضْمامة ، وهو كل شىء مجتمِع . الروض الأنف ٦/ ٣٧٧.
(٤) فى الأصل ، م : « صانع » .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧١.
(٦) ديوان حسان ص ٢٤٥.
(٧) فى الأصل : « ثناها » ، وفى م : « ساءها » . وما سآها : أراد ما ساءها ، فقلب ، والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال ، يقولون : رأى ، وراءَى . فى معنى واحد على جهة القلب . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٠.

غَداةَ أتاهُمُ يَهْوِى إليهم ... رسولُ اللَّهِ كالقمرِ المنيرِ

له خيلٌ مُجَنَّبةٌ تَعادَى ... بفُرْسانٍ عليها كالصقورِ

ترَكْناهم وما ظَفِروا بشىءٍ ... دِماؤُهمُ عليها كالعَبيرِ

فهم صَرْعَى تَحُومُ الطيرُ فيهم ... كذاك يُدانُ ذو العَنَدِ الفَجُورِ[1]

فأنْذِرْ مثلَها نُصْحًا قُريشًا ... مِن الرحمنِ إن قَبِلت نَذِيرى

قال[2] : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا فى بنى قُرَيظةَ[3] :

تَفاقَدَ[4] معشرٌ نصَروا قريشًا ... وليس لهم ببَلْدتِهم نَصِيرُ

همُ أُوتُوا الكتابَ فضَيَّعوه ... وهم عُمْىٌ مِن التوراةِ بُورُ

كفَرْتُم بالقُرانِ وقد أُتِيتُم ... بتصديقِ الذى قال النذيرُ

فهان على سَراةِ بنى لُؤَىٍّ ... حَرِيقٌ بالبُوَيْرةِ[5] مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ فقال :

أدام اللَّهُ ذلك مِن صَنِيعٍ ... وحَرَّق فى طَوائِفِها السعِيرُ

ستَعْلَمُ أيُّنا منها بنُزْهٍ[6] ... وتَعْلَمُ أىَّ أرْضَيْنا تَضِيرُ

---

(١) تحوم الطير : تستدير بهم . ويدان أى يُجْزَى . والعند : الخروج عن الحق . والفَجور من الفُجُور ، وخفضه هنا على الجوار ، وقد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء فى القوافى . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٢.

(٣) ديوان حسان ص ٢٥٣.

(٤) فى م : « تعاقد » . وتفاقد : أى فقَد بعضهم بعضا ، وهو دعاء عليهم . شرح غريب السيرة ٣/ ٣١.

(٥) البويرة : موضع بنى قريظة . المصدر السابق .

(٦) النزه : البُعْد . المصدر السابق .

فلو كان النَّخيلُ بها رِكابًا لقالوا لا مُقامَ لكم فسِيرُوا

قلتُ : وهذا قاله أبو سفيانَ بنُ الحارثِ قبلَ أن يُسْلِمَ ، وقد تقَدَّم فى « صحيحِ البخاريِّ » بعضُ هذه الأبْياتِ .

وذكَر ابنُ إسحاقَ جوابَ حسَّانَ فى ذلك لجَبَلِ بنِ جَوَّالٍ الثعلبيِّ[1] ، ترَكْناه قصْدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَبْكِى سعدًا وجماعةً ممن اسْتُشْهِد يومَ بنى قُرَيْظةَ[3] :

أَلَا يا لَقومى هل لِمَا حُمَّ[4] دافعُ وهل ما مَضَى مِن صالحِ العيشِ راجِعُ

تذكَّرْتُ عصْرًا قد مَضَى فتَهافَتَت بناتُ الحَشَا وانهَلَّ منى المَدامِعُ[5]

صَبابةُ وَجْدٍ ذكَّرَتْنِىَ إخْوةً وقَتْلَى مَضَى فيها طُفَيْلٌ ورافِعُ

[٣/ ٣٢ظ] وسعدٌ فأَضْحَوا فى الجِنانِ وأوْحَشَتْ منازِلُهم فالأرضُ منهم بَلاقِعُ[6]

وفَوْا يومَ بدرٍ للرسولِ وفوقَهم ظِلالُ المَنايا والسيوفُ اللَّوامِعُ

دَعا فأجابوه بحَقٍّ وكلُّهم مُطِيعٌ له فى كلِّ أمْرٍ وسامِعُ

فما نَكَلوا حتى تَوالَوا جماعةً ولا يَقْطَعُ الآجالَ إلّا المَصارِعُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٣) ديوان حسان ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٤) حُم : قُدِّر .

(٥) فتهافتت : سقطت بسرعة . وبنات الحشا : يعنى قلبه وما اتصل به . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٩ .

(٦) بلاقع : أى قفار خالية . المصدر السابق .

لأنهمُ يَرْجُون منه شَفاعةً إذا لم يَكُنْ إلا النبيُّون شافعُ

فذلك يا خيرَ العبادِ بَلاؤُنا إجابَتُنا للَّهِ والموتُ ناقِعُ[1]

لنا القَدَمُ الأُولى إليك وخَلْفُنا[2] لأَوَّلِنا فى ملةِ اللَّهِ تابِعُ

ونعْلَمُ أن المُلْكَ للَّهِ وحدَه وأنَّ قضاءَ اللَّهِ لا بُدَّ واقِعُ

---

(١) ناقع: ثابت. شرح غريب السيرة ٣/ ٢٩.

(٢) خلفنا: آخرنا. المصدر السابق.

مقتلُ أبى رافعٍ

(١ عبدِ اللَّهِ - ويقالُ ١) : (٢ سلَّامٌ - بنِ أبى الحُقَيْقِ ٢) اليهوديِّ ، (٢ لعنه اللَّهُ ، وكان فى قصرٍ له فى أرضِ خَيْبَرَ ، وكان تاجرًا مشهورًا بأرضِ الحجازِ ٢) .

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : ولما انقَضَى شأنُ الخندقِ وأمْرُ بنى قُرَيْظةَ ، وكان سَلَّامُ ابنُ أبى الحُقَيْقِ - وهو أبو رافعٍ - فيمَن حَزَّب الأحزابَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكانت الأوسُ قبلَ أُحُدٍ قد قتَلت كعبَ بنَ الأشْرفِ ، فاسْتَأْذَنَ الخزرجُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى قتلِ سَلَّامِ بنِ أبى الحُقَيْقِ وهو بخَيْبَرَ ، فأذِن لهم .

قال ابنُ إسحاقَ (٤) : فحدَّثنى محمدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، قال : وكان مما صنَع اللَّهُ لرسولِه ﷺ أنَّ هذين الحيَّيْنِ مِن الأنصارِ ؛ الأوسَ والخزرجَ ، كانا يتَصاوَلان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ تَصاوُلَ الفَحْلَيْنِ (٥) ، لا تَصْنَعُ الأوسُ شيئًا فيه غَناءٌ (٦) عن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا قالت الخزرجُ : واللَّهِ لا يَذْهَبون بهذه فَضْلًا علينا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ (٧ وفى الإسلامِ ٧) . فلا ينْتَهون حتى يُوقِعوا مثلَها ، وإذا فعلتِ الخزرجُ شيئًا قالت الأوسُ

(١ - ١) زيادة من : ا ١٥، ص .

(٢ - ٢) ليست فى : م .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٣.

(٤) المصدر السابق ٢/٢٧٣ - ٢٧٥.

(٥) يقال : تصاول الفحلان ، إذا حمل هذا على هذا وهذا على هذا . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٢.

(٦) غناء : أى منفعة ودفع عنه ﷺ . المصدر السابق .

(٧ - ٧) سقط من : ا ١٥، م .

مثلَ ذلك . قال : ولما أصابت الأوسُ كعبَ بنَ الأشْرفِ فى عَداوتِه لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، قالت الخزرجُ : واللَّهِ لا يَذْهَبون بها فَضْلًا علينا أبدًا . قال : فتذاكَروا مَن رجلٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فى العَداوةِ (١كابنِ الأشْرفِ١) ، فذكَروا ابنَ أبى الحُقَيْقِ ، وهو بخَيْبَرَ ، فاسْتَأْذنوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى قتلِه ، فأذِن لهم ، فخرَج إليه[٢] مِن الخزرجِ مِن بنى سَلِمَةَ خمسةُ نَفَرٍ ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ ، ومسعودُ بنُ سِنانٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ ، وأبو [٣/ ٣٣و] قَتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعىٍّ ، وخُزاعىُّ بنُ أسْودَ ، حليفٌ لهم مِن أسْلَمَ ، فخرَجوا ، وأمَّر عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ عَتِيكٍ ، ونهاهم أن يَقْتُلوا وَليدًا أو امرأةً ، فخرَجوا ، حتى إذا قدِموا خَيْبَرَ ، أتَوا دارَ ابنِ أبى الحُقَيْقِ ليلًا ، فلم يَدَعوا بيتًا فى الدارِ إلَّا أغْلَقوه على أهلِه . قال : وكان فى عُلِّيَّةٍ[٣] ، له إليها عَجَلةٌ[٤] . قال : فأسْنَدوا[٥] إليها حتى قاموا على بابِه ، فاسْتَأْذنوا ، فخرَجت إليهم امرأتُه فقالت : من[٦] أنتم ؟ قالوا : أُناسٌ مِن العربِ نَلْتَمِسُ المِيرةَ . قالت : ذاكم صاحبُكم فادْخُلوا عليه . قال : فلما دخَلْنا أغْلَقْنا علينا وعليه[٧] الحُجْرةَ ؛ تَخَوُّفًا أن يكونَ دونَه مُجَاوَلَةٌ[٨] تحولُ بينَنا وبينَه . قال : فصاحت امرأتُه ، فنوَّهَت بنا[٩] ، فابتَدرْناه وهو على فراشِه بأسيافِنا ، فواللَّهِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) زيادة من : ص .

(٣) بضم العين وكسرها ، وهى الغرفة . النهاية ٣/٢٩٥ .

(٤) العجلة هنا : جذع النخلة ، ينقر فى مواضع منه ويجعل كالسلم ، فيصعدوا عليه إلى العلالى والغرف . شرح غريب السيرة ٣/٣٢ .

(٥) فى الأصل : « فاستندوا » ، وفى ا ١٥ : « فاشتدوا » . وأسندوا إليها : صعدوا . النهاية ٢/ ٤٠٨ .

(٦) فى ا ١٥ ، ص : « ممن » .

(٧) سقط من : ص . وفى السيرة : « عليها » .

(٨) المجاولة : حركة تكون بينهم وبينه . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٣ .

(٩) فنوهت بنا : أى رفعت صوتها تشهر به . المصدر السابق .

ما يَدُلُّنا عليه فى سوادِ الليلِ إلا بَياضُه، كأنه قُبْطِيَّةٌ[1] مُلْقاةٌ. قال: فلما صاحت بنا امرأتُه جعَل الرجلُ منا يَرْفَعُ عليها سيفَه، ثُم يَذْكُرُ نَهْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيَكُفُّ يدَه، ولولا ذلك لَفرَغْنا منها بليلٍ. قال: فلما ضرَبْناه بأسْيافِنا، تَحامَل عليه عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ بسيفِه فى بطنِه حتى أنفَذَه وهو يقولُ: قَطْنِى قَطْنِى. أى حَسْبى حَسْبى. قال: وخرَجْنا، وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ رجلًا سيِّئَ البَصَرِ. قال: فوقَع مِن الدَّرَجةِ، [2]فوُثِئَت يدُه وَثْئًا[2] شديدًا، وحمَلْناه حتى نَأْتىَ به مَنْهَرًا[3] مِن عُيونِهم فندْخُلَ فيه، فأوقدوا النيرانَ، واشْتَدُّوا فى كلِّ وجهٍ يَطْلُبوننا، حتى إذا يَئِسوا رجَعوا إلى صاحبِهم فاكْتَنفوه وهو يَقْضِى. قال: فقلنا: كيف لنا بأن نَعْلَمَ بأن عدوَّ اللَّهِ قد مات؟ قال: فقال رجلٌ منا: أنا أذْهَبُ فأنْظُرُ لكم. فانطَلَق حتى دخَل فى الناسِ، قال: فوجَدْتُها - يعنى امرأتَه - ورجالَ يَهودَ حولَه، وفى يدِها المِصْباحُ تنْظُرُ فى وجهِه وتُحَدِّثُهم وتقولُ: أمَا، سمِعْتُ صوتَ ابنِ عَتِيكٍ ثم أكْذَبْتُ نفسى[4] وقلتُ: أنَّى ابنُ عَتِيكٍ بهذه البلادِ؟ ثم أكَبَّتْ[5] عليه تَنْظُرُ فى وجهِه، فقالت: فاظَ[6] وإلهِ

---

(١) قبطية: بضم القاف وكسرها، جمعها القباطى، وهى ثياب بيض كانت تصنع بمصر. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٣٣.

(٢ - ٢) فى م: «فوثبت يده وثبا». ووثئت يده وثئًا: أى أصاب عظمها شىء ليس بكسر. وقال بعض اللغويين: الوثء إنما هو توجع فى اللحم لا فى العظم. المصدر السابق.

قال الحافظ: ووقع فى رواية ابن إسحاق: «فوثئت يده». وهو وهم، والصواب «رجله»، وإن كان محفوظا فوقع جميع ذلك. فتح البارى ٧/ ٣٤٤.

(٣) المنهر: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله. شرح غريب السيرة ٣/٣٣.

(٤) سقط من: ا ١٥، ص.

(٥) فى م، والسيرة: «أقبلت».

(٦) فاظ: مات. المصدر السابق.

يهودَ . فما سمِعْتُ كلمةً كانت ألذَّ على نفسى منها . قال : ثم جاءنا فأخْبَرَنا الخبرَ[1] ، فاحْتَمَلْنا صاحبَنا وقدِمنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرْناه بقتلِ عدوِّ اللَّهِ ، واختَلَفْنا عندَه فى قتلِه ، كلُّنا يَدَّعِيه . قال : فقال : « هاتُوا أسيافَكم » . فجئْنا بها ، فنظَر إليها ، فقال لسيفِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ : « هذا قتَله ، أَرَى فيه أثَرَ الطعامِ » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : فقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى ذلك :

[٣/٣٣ظ] للَّهِ دَرُّ عِصابةٍ لاقَيْتَهم ... يا بنَ الحُقَيْقِ وأنتَ يا بنَ الأشْرفِ

يَسْرُون بالبِيضِ الخِفافِ إليكمُ ... مُرُحًا كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرِفِ

حتى أَتَوْكم فى مَحَلِّ بلادِكم ... فسَقَوْكمُ حَتْفًا ببِيضٍ ذُفَّفِ

مُسْتَبْصِرِين لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مُسْتَصْغِرين لكلِّ أمْرٍ مُجْحِفِ

هكذا أوْرَد هذه القِصةَ الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ البخاريُّ[3] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ نصْرٍ ، حدَّثنا يحيى بنُ آدَمَ ، حدَّثنا ابنُ أبى زائِدةَ ، عن أبيه ، عن أبى إسْحاقَ ، عن البَراءِ بنِ عازِبٍ قال : بعَث النبىُّ ﷺ رَهْطًا إلى أبى رافعٍ ، فدَخَل عليه عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ بيتَه ليلًا وهو نائمٌ فقتَله .

ثُم قال البخاريُّ[4] : حدثنا يوسُفُ بنُ موسى ، حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ[5] بنُ

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٦. وتقدم هذا الشعر فى ٥/ ٣٣٤.

(٣) البخارى (٤٠٣٨) .

(٤) البخارى (٤٠٣٩) .

(٥) فى ا ١٥، م، ص: «عبد الله» . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

موسى ، عن إسْرائيلَ ، عن أبى إسْحاقَ ، عن البَراءِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى رافعٍ اليهودىِّ رجالًا مِن الأنصارِ ، وأمَّر عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ عَتِيكٍ ، وكان أبو رافعٍ يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ويُعِينُ عليه ، وكان فِى حصنٍ له بأرضِ الحجازِ ، فلمَّا دَنَوا منه وقد غرَبَتِ الشمسُ ، وراح الناسُ بسَرْحِهم[1] ، قال عبدُ اللَّهِ لأصحابِه[2] : اجْلِسوا مكانَكم ، فإنى مُنْطلِقٌ ومُتَلَطِّفٌ للبَوَّابِ ؛ لعلِّى أن أَدْخُلَ . فأقْبَل حتى دَنا مِن البابِ ، ثم تَقَنَّع بثوبِه كأنه يَقْضِى حاجتَه ، وقد دخَل الناسُ ، فهتَف به البَوَّابُ : يا عبدَ اللَّهِ ، إن كنتَ تريدُ أن تدْخُلَ فادْخُلْ ، فإنى أُريدُ أن أُغْلِقَ البابَ . فدخَلْتُ فكَمَنْتُ ، فلمَّا دخَل الناسُ أَغْلَق البابَ ، ثُم علَّق الأَغالِيقَ على وَدٍّ[3] . قال : فقمْتُ إلى الأقالِيدِ[4] فأخَذْتُها ففتَحْتُ البابَ ، وكان أبو رافعٍ يُسْمَرُ عندَه ، وكان فى عَلَالِىَّ له ، فلمَّا ذهَب عنه أهلُ سَمَرِه ، صَعِدْتُ إليه ، فجعَلْتُ كلما فَتَحْتُ بابًا أغْلَقْتُ علىَّ مِن داخلٍ ، فقلتُ : إنِ القومُ [5]نَذِروا بى[5] لم يَخْلُصوا إلىَّ حتى أقْتُلَه . فانتَهَيْتُ إليه ، فإذا هو فى بيتٍ مُظلِمٍ وَسْطَ عِيالِه ، لا أَدْرِى أين هو مِن البيتِ ، قلت : أبا رافعٍ . قال : مَن هذا ؟ فأهْوَيْتُ نحوَ الصوتِ فأضْرِبُه ضَرْبةً بالسيفِ وأنا دَهِشٌ ، فما أغْنَيْتُ شيئًا ، وصاح فخرَجْتُ مِن البيتِ ، فأمْكُثُ غيرَ بعيدٍ ، ثُم دخَلْتُ إليه فقلتُ :

---

(١) بسرحهم : أى رجعوا بمواشيهم التى ترعى . والسرح : السائمة من إبل وبقر وغنم . فتح البارى ٧/٣٤٣ .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) الأغاليق : المفاتيح ، واحدها إغليق . والود : بفتح الواو وتشديد الدَّال ، هو الوتد . النهاية ٣/ ٣٨٠. وفتح البارى ٧/ ٣٤٣.

(٤) الأقاليد : جمع إقليد ، وهو المفتاح . فتح البارى ٧/ ٣٤٣.

(٥ - ٥) فى م : « سدروا لى » . ونذروا بى : بكسر الذال المعجمة ، أى علموا ، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشىء الذى يُحْذَر منه . المصدر السابق ٧/ ٣٤٤.

ما هذا الصوتُ يا أبا رافعٍ؟ فقال: لأُمِّك الويْلُ[1]، إنَّ رجلًا فى البيتِ [2]ضرَبنى قَبْلُ[2] بالسيفِ. قال: فأَضْرِبُه ضَرْبةً أثْخَنَتْه ولم أقْتُلْه، ثُم وضَعْتُ ضَبِيبَ السيفِ[3] فى بطنِه، حتى أخَذ فى ظهرِه، فعرَفْتُ أنى قتَلْتُه، فجعَلْتُ أفْتَحُ الأبْوابَ [٣/ ٣٤و] بابًا بابًا، حتى انتَهَيْتُ إلى دَرَجةٍ له فوضَعْتُ رِجلى، وأنا أُرَى أنى قد انتَهَيْتُ [4]إلى الأرضِ[4]، فوقَعْتُ فى ليلةٍ مُقْمِرةٍ، فانكسَرَت ساقى فعصَبْتُها بعِمامةٍ، ثم انطَلَقتُ حتى جلَسْتُ على البابِ، فقلتُ: لا أخْرُجُ الليلةَ حتى أعْلَمَ أقتَلْتُه. فلمَّا صاح الديكُ، قام الناعى على السُّورِ فقال: أَنْعَى أبا رافعٍ تاجرَ[5] أهلِ الحجازِ. فانطَلَقْتُ إلى أصحابى، فقلتُ: النَّجاءَ[6]، فقد قتَل اللَّهُ أبا رافعٍ. فانتَهَيْتُ إلى النبىِّ ﷺ فحَدَّثْتُه، فقال لى: «ابْسُطْ رِجْلَك». فبسَطْتُ رجلى فمسَحها، فكأنما لم أَشْتَكِها قطُّ.

ثُم قال البخارىُّ[7]: حدَّثنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكِيمٍ الأَوْدىُّ، حدَّثنا شُرَيْحٌ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ يوسُفَ، عن أبيه، عن أبى إسحاقَ، سمِعْتُ البَراءَ قال: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى رافعٍ عبدَ اللَّهِ بنَ عَتِيكٍ وعبدَ اللَّهِ بنَ عُتبةَ فى ناسٍ معهم، فانطَلَقوا حتى دَنَوا مِن الحصنِ، فقال لهم عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ: امْكُثوا أنتم حتى أنْطَلِقَ أنا فأنْظُرَ. قال: فتلَطَّفْتُ حتى أدْخُلَ الحصنَ، ففقَدوا

---

(١) لأمك الويل: هى كلمة تفجع وتعجب. النهاية ٥/ ٢٣٦.

(٢ - ٢) فى م: «قتل».

(٣) ضبيب السيف: حدُّه. تاج العروس (ض ب ب).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى م: «ناصر».

(٦) النجاء: أى أسرِعوا. فتح البارى ٧/ ٣٤٥.

(٧) البخارى (٤٠٤٠).

حمارًا لهم، فخرَجوا بقَبَسٍ[1] يطْلُبونه. قال: فخَشِيتُ أن أُعْرَفَ. قال: فغطَّيْتُ رأسى، وجلَسْتُ كأنى أقْضِى حاجةً، فقال البوابُ[2]: مَن أراد أن يَدْخُلَ فلْيَدْخُلْ قبلَ أن أُغْلِقَه. فدخَلْتُ ثُم اخْتَبَأْتُ فى مَرْبِطِ حمارٍ عندَ بابِ الحصنِ، فتَعَشَّوا عندَ أبى رافعٍ، وتحَدَّثوا حتى ذهَبَتْ ساعةٌ مِن الليلِ، ثُم رجَعوا إلى بيوتِهم، فلمَّا هدأَتِ الأصْوَاتُ ولا أسْمَعُ حركةً، خرَجْتُ. قال: ورأيْتُ صاحبَ البابِ حيثُ وضَع مِفتاحَ الحِصنِ فى كَوَّةٍ، فأخَذْتُه ففتَحْتُ به بابَ الحصنِ. قال: قلتُ: إن نَذِرَ بىَ القومُ انطَلَقْتُ على مَهَلٍ، ثُم عَمَدْتُ إلى أبوابِ بُيوتِهم فغَلَّقْتُها عليهم مِن ظاهرٍ، ثُم صَعِدْتُ إلى أبى رافعٍ فى سُلَّمٍ، فإذا البيتُ مُظْلِمٌ، قد طَفِئَ سِراجُه، فلم أدْرِ أين الرجلُ؟ فقلتُ: يا أبا رافعٍ. قال: مَن هذا؟ قال: فعمَدْتُ نحوَ الصوتِ فأضْرِبُه وصاح، فلم تُغْنِ شيئًا. قال: ثُم جئْتُ كأنى أُغِيثُه، فقلتُ: ما لك يا أبا رافعٍ؟ وغيَّرْتُ صوتى. قال: ألا[3] أُعْجِبُك، لأُمِّك الويلُ، دخَل علىَّ رجلٌ فضرَبنى بالسيفِ. قال: فعمَدْتُ إليه أيضًا فأضْرِبُه أخْرى فلم تُغْنِ شيئًا، فصاح وقام أهلُه، ثُم جئْتُ وغيَّرْتُ صوتى كهيئةِ المُغِيثِ، فإذا هو مُسْتَلْقٍ على ظهْرِه، فأضَعُ السيفَ فى بطنِه ثُم أنْكَفِئُ عليه، حتى سَمِعْتُ صوتَ العظْمِ، ثُم خرَجْتُ دَهِشًا، حتى أتيْتُ السُّلَّمَ أُريدُ أن أَنْزِلَ، فأسْقُطُ منه، فانخَلَعَت رجلى، فعصَبْتُها ثُم أتَيْتُ أصْحابى أَحْجُلُ، فقلتُ: انطَلِقوا فبَشِّروا رسولَ اللَّهِ ﷺ، فإنى لا أبْرَحُ [٣/ ٣٤ظ] حتى أسْمَعَ الناعيةَ. فلمَّا كان فى وجهِ الصبحِ صَعِد الناعيةُ فقال: أنْعَى

---

(١) القبس: شعلة من نار. انظر الفتح ٧/ ٣٤٣.

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) فى م: «لا».

أبا رافعٍ. قال: فقُمْتُ أمْشى ما بى قَلَبَةٌ[1]، فأدْرَكْتُ أصحابى قبلَ أن يأْتُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فبَشَّرْتُه. تفرد به البخاريُّ بهذه السياقاتِ مِن بينِ أصحابِ الكتبِ الستةِ.

[2]قلتُ: يَحْتَمِلُ أن عبدَ اللَّهِ بنَ عَتِيكٍ لما سقَط مِن تلك الدَّرَجةِ، انفكَّت قدمُه، وانكسَرَت ساقُه، ووُثِئت[3] رِجلُه ويدُه[4]، فلما عصَبها استَكَنَّ ما به؛ لِمَا هو فيه من الأمْرِ الباهرِ، ولَمّا أراد المشْىَ أُعِين على ذلك؛ لِمَا هو فيه مِن الجهادِ النافعِ، ثُم لَمّا وصَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ واستَقَرَّت نفسُه، ثاوَره الوَجَعُ فى رِجْلِه، فلما بسَط رِجْلَه ومسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ، ذهَب ما كان بها مِن بَأْسٍ فى الماضى، ولم يَبْقَ بها وَجَعٌ يُتَوقَّعُ حُصولُه فى المستقبلِ، جَمْعًا بينَ هذه الروايةِ والتى تقَدَّمت[5]. واللَّهُ أعلمُ. هذا وقد ذكَر موسى بنُ عقبةَ فى «مغازيه»[6] مثلَ سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ، وسَمَّى الجماعةَ الذين ذهَبوا إليه كما ذكَره ابنُ إسحاقَ[7][2].

ثُم قال[8]: قال الزهرىُّ: قال [9]ابنُ كعبٍ[9]: فقدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) قلب: أى علة أنقلب بها. فتح البارى ٣٤٥/٧.

(٢ - ٢) جاءت هذه الفقرة فى الأصل، م بعد الفقرة التالية. والمثبت أنسب للسياق.

(٣) فى م: «وثبت».

(٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت هو المراد بقول المصنف الآتى: جمعا بين هذه الرواية والتى تقدمت.

(٥) يقصد المصنف، رحمه الله، روايتى البخارى وابن إسحاق. انظر ص ١٢٩ حاشية (٢-٢).

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨، ٣٩، والسنن الكبرى ٣/ ٢٢٢.

(٧) بعده فى الأصل، م: «وإبراهيم وأبو عبيد».

(٨) أى موسى بن عقبة.

(٩ - ٩) فى الأصل، م: «أبى بن كعب». وابن كعب هو عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصارى. انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٦٩.

وهو على المِنْبرِ فقال : « أفْلَحتِ الوجوهُ » . قالوا : أفْلَح وجهُك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أقتَلْتموه[1] ؟ » . قالوا : نعم . قال : « ناوِلْنى السيفَ » . فسَلَّه فقال : « أجَلْ ، هذا طَعامُه فى ذُبابِ السيفِ » .

---

(١) فى الأصل ، م : « أفتكتموه » .

مقتلُ خالدِ بنِ سُفيانَ
(١)ابنِ نُبَيْحٍ(١) الهُذَلـيِّ

ذكَره الحافظُ البيهقيُّ فى «الدلائلِ»(٢) تِلْوَ مَقْتَلِ أبى رافعٍ.

قال الإمامُ أحمدُ(٣): حدَّثنا يعقوبُ، حدَّثنا أبى، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ، عن أبيه قال: دعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «إنه قد بلَغنى أن خالدَ بنَ سفيانَ بنِ نُبَيْحٍ الهُذَلىَّ يَجْمَعُ لىَ الناسَ ليَغْزُونى(٤)، وهو بعُرَنةَ، فأْتِه فاقْتُلْه». قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، انْعَتْه لى حتى أَعْرِفَه. قال: «إذا رأيْتَه وجَدْتَ له قُشَعْرِيرَةً(٥)». قال: فخرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سيفى حتى وقَعْتُ عليه، وهو بعُرَنةَ مع ظُعُنٍ(٦) يَرْتادُ لهنّ منْزِلًا، وحينَ كان وقتُ العصرِ، فلمَّا رأيْتُه وجَدْتُ ما وصَف لى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن القُشَعْرِيرةِ، فأقبَلْتُ نحوَه، وخشِيتُ أن يكونَ بينى وبينَه مُجاوَلةٌ تَشْغَلُنى عن الصلاةِ، فصلَّيْتُ وأنا أمْشِى نحوَه؛ أُومِئُ برأسى للركوعِ والسجودِ، فلمَّا انتَهَيْتُ إليه قال: مَن الرجلُ؟ قلتُ: رجلٌ مِن العربِ سَمِع

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) دلائل النبوة ٤/٤٠ - ٤٣.

(٣) المسند ٣/ ٤٩٦.

(٤) سقط من: ا ١٥.

(٥) قشعريرة: رعدة. أى أن عبد اللَّه بن أنيس سيجد رعدة وهَيْبة عندما يراه. انظر بلوغ الأمانى ٧/ ٢٧.

(٦) الظعن: النساء فى الهوادج.

بك وبجَمْعِك لهذا [٣/٣٥و] الرجلِ، فجاءك لذلك. قال: أجَلْ، إنّا فى ذلك. قال: فمشَيْتُ معه شيئًا، حتى إذا أمْكَننى حمَلْتُ عليه السيفَ حتى قتَلْتُه، ثُم خرَجْتُ وترَكْتُ ظَعائِنَه مُكِبَّاتٍ عليه، فلمَّا قدِمتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فرآنى قال: «أفْلَح الوجهُ». قال: قلتُ: قتَلْتُه يا رسولَ اللَّهِ. قال: «صدَقْتَ». قال: ثُم قام معى رسولُ اللَّهِ ﷺ، فدخَل فى بيتِه فأعْطانى عصًا فقال: «أمْسِكْ هذه عندَك يا عبدَ اللَّهِ بنَ أُنَيْسٍ». قال: فخرَجْتُ بها على الناسِ، فقالوا: ما هذه العَصَا؟ قال: قلتُ: أعْطانيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأمَرنى أن أُمْسِكَها. قالوا: أوَ لا تَرْجِعُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فتَسْأَلَه عن ذلك؟ قال: فرجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، لمَ أعْطَيْتَنى هذه العصا؟ قال: «آيةٌ بينى وبينَك يومَ القيامةِ، إنَّ أقَلَّ الناسِ المُتَخَصِّرون[1] يومَئذٍ». قال فقرَنها عبدُ اللَّهِ بسيفِه، فلم تَزَلْ معه، حتى إذا مات أُمِر بها فضُمَّت فى كفنِه، ثُم دُفِنا جميعًا. ثُم رَواه الإمامُ أحمدُ[2]، عن يحيى بنِ آدَمَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدْريسَ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن بعضِ ولدِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ - أو قال: عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ، فذكَر نحوَه. وهكذا رَواه أبو داودَ[3]، عن أبى مَعْمَرٍ، عن عبدِ الوارثِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ، عن ابنِ[4] عَبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى الأصل، م: «المنحصرون»، وفى ا ١٥: «المحصرون». والمتخصرون: هم المتكئون على المخاصر وهى العصىّ، واحدتها مخصرة. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٢.

(٢) المسند ٣/ ٤٩٦.

(٣) أبو داود (١٢٤٩). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٧١).

(٤) سقط من: الأصل، م.

أُنَيْسٍ ، عن أبيه ، فذكَر نحوَه .

ورَواه الحافظُ البيهقيُّ[1] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ سَلَمةَ[2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عبدِ اللَّهِ [3]بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ ، عن أبيه[3] فذكَره . وقد ذكَر نحوَه[4] عروةُ بنُ الزبيرِ ، وموسى بنُ عقبةَ فى « مغازيهما »[5] مُرْسَلةً . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ هشامٍ[6] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ فى قتلِه خالدَ بنَ سُفيانَ :

تَرَكْتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوارِ وحولَهُ ... نوائِحُ تَفْرِى كلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ[7]

تَناوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفى وخَلْفَهُ ... بأبْيضَ مِن ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ[8]

عَجُومٍ لِهامِ الدَّارِعِينَ كأنهُ ... شِهابُ غَضًى مِن مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ[9]

أقولُ له والسيفُ يَعْجُمُ رأسَهُ ... أنا ابنُ أُنَيْسٍ فارسًا غيرَ قُعْدُدِ[10]

أنا ابنُ الذى لم يُنْزِلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ[11] ... رَحِيبُ فِناءِ الدارِ غيرُ مُزَنَّدِ[12]

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٤٢، ٤٣.

(٢) فى الأصل ، ص : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٨٩.

(٣ - ٣) فى ص : « بن عيسى » .

(٤) فى الأصل ، م : « قصة » ، وفى ا ١٥ : « قصته عن » .

(٥) أخرجهما البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠، ٤١، عن عروة وموسى بن عقبة .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٠، ٦٢١.

(٧) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيرًا . وتفرى : تقطع . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٢.

(٨) فى الأصل ، م : « المهند » .

(٩) عجوم : عضوض . والهام هنا : الرءوس . وشهاب : قطعة من النار . والغضى : شجر يشتد التهاب النار فيه . المصدر السابق .

(١٠) القعدد هنا : اللئيم . المصدر السابق .

(١١) لم ينزل الدهر قدره : القِدْر هو الإناء الذى يُطبخ فيه . ويعنى هنا كرمه وجوده .

(١٢) رحيب : متسع . والمزند : الضيق البخيل . المصدر السابق .

[٣/ ٣٥ظ] وقلتُ له خُذْها بضَرْبةِ ماجدٍ[(١)] حَنيفٍ[(٢)] على دينِ النبيِّ محمدِ

وكنتُ إذا هَمَّ النبيُّ بكافرٍ سبَقْتُ إليه باللسانِ وباليَدِ

قلتُ: عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسِ [(٣)]بنِ أسعدَ[(٣)] بنِ حَرامٍ، أبو يحيى الجُهَنيُّ، صحابيٌّ مشهورٌ كبيرُ القَدْرِ، كان فيمَن شَهِد العقَبةَ، وشَهِد أُحُدًا والخندقَ وما بعدَ ذلك، وتأخَّر موتُه بالشامِ إلى سنةِ ثمانين على المشهور، وقيل: تُوُفِّيَ سنةَ أربعٍ وخمسين. واللَّهُ أعلمُ. وقد فرَّق عليُّ بنُ المدينيِّ[(٤)] وخَلِيفةُ بنُ خَيَّاطٍ بينَه وبينَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ أبى عِيسى الأنصاريِّ[(٥)]، الذى روَى عن النبيِّ ﷺ أنه دَعا يومَ أُحُدٍ بإدَاوةٍ فيها ماءٌ، فخنَثَ[(٦)] فمَها وشرِب منها، كما رَواه أبو داودَ والترمذيُّ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ العُمَرىِّ، عن عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ، عن أبيه[(٧)]. ثُم قال الترمذيُّ: [(٨)]وليس إسنادُه يَصِحُّ[(٨)]، وعبدُ اللَّهِ العُمَرىُّ ضعيفٌ مِن قِبَلِ حِفْظِه.

---

(١) الماجد: الشريف. المصدر السابق.

(٢) فى الأصل، م: «خفيف».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. وانظر الاستيعاب ٣/ ٨٦٩.

(٤) فى الأصل، م، ص: «الزبير».

(٥) انظر تحفة الأشراف ٤/ ٢٧٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣١٦.

(٦) فى م: «فحل». وخنثتُ السقاء: إذا ثَنَيْتُ فمه إلى خارج وشربت منه. النهاية ٢/ ٨٢.

(٧) الترمذى (١٨٩١)، وأبو داود (٣٧٢١). منكر (ضعيف سنن أبى داود ٧٩٧).

(٨ - ٨) سقط من: ص.

قصةُ عمرِو بنِ العاصِ مع النجاشىِّ
(١) بعدَ وقعةِ الخندقِ، وإسلامِه على يدَيه (١)

قال محمدُ بنُ إسحاقَ، بعدَ مَقْتَلِ أبى رافعٍ (٢): وحدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ، عن راشدٍ مَوْلَى حَبِيبِ بنِ أبى أوسٍ الثَّقَفىِّ، عن حَبِيبِ بنِ أبى أوْسٍ، حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ، مِن فِيه، قال: لما انصَرَفْنا يومَ الأحزابِ عن الخندقِ، جَمَعْتُ رجالًا مِن قريشٍ كانوا يَرَوْن رأيى، ويَسْمَعون منى، فقلتُ لهم: تَعلَمُون واللَّهِ أنى أَرَى أمرَ محمدٍ يَعْلو الأمورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وإنى قد رأيْتُ أمْرًا، فما ترَوْن فيه؟ قالوا: وما رأيْتَ؟ قال: رأيْتُ أن نَلْحَقَ بالنجاشىِّ فنكونَ عندَه، فإن ظهَر محمدٌ على قومِنا كنا عندَ النجاشىِّ، فإنّا أن نكونَ تحتَ يديه أحبُّ إلينا مِن أن نكونَ تحتَ يَدَىْ محمدٍ، وإن ظهَر قومُنا فنحن مَن قد عرَفوا، فلن يَأْتِيَنا منهم إلا خيرٌ. قالوا: إنّ هذا لَرَأْىٌ. قلتُ: فاجْمَعوا لنا ما نُهْدِى له. وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه مِن أرْضِنا الأَدَمُ (٤)، فجَمَعْنا له أَدَمًا كثيرًا، ثُم خرَجْنا حتى قدِمْنا عليه، فواللَّهِ إنا لعندَه، إذ جاءه عمرُو بنُ أُمَيةَ الضَّمْرىُّ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد بعَثه إليه فى شأنِ جعفرٍ وأصحابِه. قال: فدخَل عليه ثم خرَج من عندِه. قال: فقلتُ لأصحابى: هذا عمرُو بنُ أميةَ، لو

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٦ - ٢٧٨.

(٣) فى ص: «الأديم». والأدم: الجلود، واحدها: أديم. شرح غريب السيرة ٣/٣٣.

قد دخَلْتُ على النجاشىِّ فسَأَلْتُه إياه فأعْطانيه فضَرَبْتُ عُنُقَه ، فإذا فعَلْتُ ذلكَ رَأَت قريشٌ أنى قد أجْزَأْتُ عنها حينَ قتَلْتُ رسولَ محمدٍ . قال : فدخَلْتُ عليه ، فسجَدْتُ له كما كنتُ أصْنَعُ . فقال : مَرْحبًا بصديقى ، هل [٣/٣٦و] أهْدَيْتَ لى مِن بلادِك شيئًا ؟ قال : قلتُ : نعم أيُّها الملِكُ ، قد أَهْدَيْتُ لك أَدَمًا كثيرًا . قال : ثُم قرَّبْتُه إليه ، فأعْجَبه واشْتَهاه ، ثُم قلتُ له: أيُّها الملِكُ ، إنى قد رأيْتُ رجلًا خرَج مِن عندِك ، وهو رسولُ رجلٍ عدُوٍّ لنا ، فأعْطِنيه لأقْتُلَه ؛ فإنه قد أصاب مِن أشْرافِنا وخِيارِنا . قال : فغضِب ثُم مدَّ يدَه ، فضرَب بها أنفَه[1] ضَرْبةً ظنَنْتُ أنه قد كسَره ، فلو انشَقَّتِ الأرضُ لدخَلتُ فيها فَرَقًا منه . ثُم قلتُ له : أيُّها الملِكُ ، واللَّهِ لو ظَنَنْتُ أنك تَكْرَهُ هذا ما سأَلْتُكَه . قال : أتَسْأَلُنى أن أُعْطِيَك رسولَ رجلٍ يَأتِيه الناموسُ الأكْبرُ الذى كان يأتى موسى لِتَقْتُلَه ؟! قال : قلتُ : أيُّها الملِكُ ، أكذاك هو ؟ قال : ويحَك يا عمرُو ! أَطِعْنى واتَّبِعْه ، فإنَّه واللَّهِ لعلى الحقِّ ، وليَظْهَرَنَّ على مَن خالفه ، كما ظهَر موسى بنُ عِمرانَ على فِرْعونَ وجنودِه . قال : قلتُ : أفتُبايِعُنى له على الإسلامِ ؟ قال : نعم . فبسَط يدَه ، فبايَعْتُه على الإسلامِ ، ثم خرَجْتُ على أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتَمْتُ أصحابى إسلامى ، ثم خرَجْتُ عامدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لأُسْلِمَ ، فلَقِيتُ خالدَ بنَ الوَليدِ ، وذلك قُبَيْلَ الفتْحِ ، وهو مُقْبِلٌ مِن مكةَ ، فقلتُ : أين أبا سُليمانَ ؟ فقال : واللَّهِ لقد استقام المِيسَمُ[2] ، وإنَّ الرجلَ لَنبىٌّ ،

---

(١) الظاهر من السياق أن النجاشى ضرب أنف نفسه ، والصحيح أنه ضرب أنف عمرو ، كما بينته رواية الواقدى فى مغازيه ، فيما سيأتى ص ٤٠١ فى قصة إسلام عمرو .

(٢) كذا فى النسخ . وهو لفظ أصول السيرة ، كما أشار محققوها . والمثبت فى السيرة : « المنسم » على اعتبار أنه الصواب ، كما أشار بذلك أبو ذر فى غريب السيرة . قال السهيلى : من رواه « الميسم » بالياء فهى العلامة ؛ أى قد تبين الأمر واستقامت الدلالة ، ومن رواه « المنسم » بفتح الميم وبالنون ، =

أذْهَبُ واللَّهِ فأُسْلِمُ ، فحتى متى ؟ قال : قلتُ : واللَّهِ ما جئْتُ إلا لأُسْلِمَ . قال : فقَدِمْنا المدينةَ على النبيِّ ﷺ ، فتقدَّم خالدُ بنُ الوَليدِ فأسْلَم وبايَعَ ، ثُم دنَوْتُ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أُبايِعُك على أن يُغْفَرَ لى ما تقدَّم مِن ذنبى . ولا أذْكُرُ ما تأخَّر . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمرُو ، بايِعْ فإن الإسلامَ يَجُبُّ[1] ما كان قبلَه ، وإن الهجرةَ تجُبُّ ما كان قبلَها » . قال : فبايَعْتُه ثُم انصَرَفْتُ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقد حدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ أن عثمانَ بنَ طَلْحَةَ بنِ أبى طَلْحةَ كان معهما ، أسْلَم حينَ أسْلَما ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمىُّ :

أَنْشُدُ عثمانَ بنَ طَلْحةَ حِلْفَنا[3] ... ومُلْقَى نِعالِ القومِ عندَ المُقَبَّلِ[4]

وما عقَدَ الآباءُ مِن كلِّ حِلْفةٍ ... وما خالدٌ مِن مثْلِها بمُحَلَّلِ[5]

أمِفْتاحَ بيْتٍ غيرِ بيتِك تَبْتَغى ... وما تبْتَغى مِن بيتِ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ[6]

فلا تأمَنَنَّ خالدًا بعدَ هذه ... وعثمانَ جاءا بالدُّهَيْمِ المُعَضَّلِ[7]

قلتُ : كان إسلامُهم بعدَ الحُدَيْبِيَةِ ، وذلك أن خالدَ بنَ الوليدِ كان يومَئذٍ

= فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة ، والمنسم مقدم خف البعير ، وكنّى به عن الطريق ؛ للتوجه به فيه . انظر الروض الأنف ٦/ ٣٨٦. وشرح غريب السيرة ٣/ ٣٣.

(١) يجب : يقطع ويمحو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٨.

(٣) فى ١٥١، م : « خلفنا » .

(٤) فى ١٥١، ص : « المقتل » . والمقبل هنا : موضع تقبيل الحجر الأسود . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٤.

(٥) فى ١٥١: « بمجلجل » . وفى ص : « بمحلحل » .

(٦) المؤثل : القديم . المصدر السابق .

(٧) الدهيم : اسم من أسماء الداهية . والمعضل : الشديدة . المصدر السابق .

فى [٣/٣٦ظ] خيلِ المشركين، كما سيأتى بيانُه، فكان ذِكْرُ هذا الفصلِ فى إسلامِهم بعدَ ذلك أنسَبَ، ولكنْ ذكَرْنا ذلك تَبَعًا للإمامِ محمدِ بنِ إسحاقَ، رحِمه اللَّهُ تعالى؛ لأن أولَ ذَهابِ عمرِو بنِ العاصِ إلى النجاشىِّ كان بعدَ وقعةِ الخندقِ، والظاهرُ أنه ذهَب فى بَقِيَّةِ سنةِ خَمْسٍ. واللَّهُ أعلمُ.

فصلٌ فى تزويجِ النبىِّ ﷺ بأمّ حَبيبةَ (١) رملةَ بنتِ أبى سفيانَ (١)

ذكَر البيهقىُّ (٢) بعدَ وقعةِ الخندقِ مِن طريقِ الكَلْبىِّ، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة: ٧]. قال: هو تزويجُ النبىِّ ﷺ بأمِّ حَبِيبةَ بنتِ أبى سفيانَ، فصارت أمَّ المؤمنين، وصار مُعاويةُ خالَ المؤمنين.

ثُم قال البيهقىُّ (٣): أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، (٤) حدثنا علىُّ بنُ عيسى (٤)، حدَّثنا أحمدُ بنُ نَجْدَةَ، حدَّثنا يَحْيَى بنُ عبدِ الحميدِ، أنبأَنا ابنُ المُبارَكِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهرىِّ، عن عُروةَ، عن أمِّ حَبِيبةَ، أنها كانت عندَ (٥) عُبَيدِ اللَّهِ (٥) بنِ جَحْشٍ، وكان رحَل إلى النجاشىِّ فمات، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج بأمِّ حَبِيبةَ وهى بأرضِ الحَبَشةِ، وزوَّجها إياه النجاشىُّ، ومهَرها أربعةَ آلافِ درهمٍ، وبعَث بها مع شُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنةَ، وجهَّزها مِن عندِه، وما بعَث إليها (٦) رسولُ اللَّهِ ﷺ بشىءٍ. قال: وكان مهورُ أزواجِ النبىِّ ﷺ أربعَمائةٍ.

(١ - ١) زيادة من: ١٥١، ص.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٥٩.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٤٦٠.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «عبد الله».

(٦) سقط من: م.

قلتُ : والصحيحُ أن مُهورَ أزواجِ النبيِّ ﷺ كانت ثِنْتَيْ عشْرةَ أُوقِيَّةً ونَشًّا ، والوُقِيَّةُ أربعون درهمًا ، والنَّشُّ النصفُ ، وذلك يَعْدِلُ خمسَمائةِ درهمٍ .

ثُم روَى البيهقيُّ[1] ، مِن طريقِ ابنِ لَهِيعةَ ، عن أبى الأسْودِ ، عن عُروةَ ، أن عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ جَحْشٍ مات بالحبشةِ نصْرانيًّا ، فخلَف على زوجتِه أمِّ حَبِيبةَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، زوَّجها منه عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قلتُ : أمّا تَنَصُّرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ فقد تقدَّم بيانُه ، وذلك على أَثَرِ ما هاجر مع المسلمين إلى أرضِ الحبَشةِ ؛ اسْتَزَلَّه الشيطانُ فزَيَّن له دينَ النَّصارَى ، فصار إليه حتى مات عليه ، لعَنه اللَّهُ ، وكان يَلْقَى[2] المسلمين فيقولُ لهم : أبْصَرْنا وصَأْصَأْتُم[3] . وقد تقدَّم شرحُ ذلك فى هجرةِ الحبشةِ . وأما قولُ عروةَ : إنَّ عثمانَ زوَّجها منه . فغريبٌ ؛ لأن عثمانَ كان قد رجَع إلى مكةَ قبلَ ذلك ، ثُم هاجر إلى المدينةِ وصُحْبَتُه زوجتُه رُقَيَّةُ كما تقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

والصحيحُ[4] ما ذكَره يونُسُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال[5] : بلَغنى أن الذى وَلِىَ نِكاحَها [٣/٣٧و] ابنُ عمِّها خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ .

قلتُ : وكان وكيلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قَبولِ العقدِ أَصْحَمَةُ النجاشىُّ مِلِكُ الحبشةِ ، كما قال يونُسُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[6] ، حدَّثنى أبو جعفرٍ محمدُ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٠.

(٢) فى الأصل : « يبصر » ، وفى م : « يعير » .

(٣) أبصرنا وصأصأتم : أى أبصرنا أمرنا ولم تبصروا أمركم . النهاية ٣/ ٣.

(٤) فى ١٥١، ص : « المعروف » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٦٠، ٤٦١، من طريق يونس بن بكير ، به .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٦١ من طريق يونس بن بكير ، به .

ابنُ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرىَّ إلى النجاشىِّ ، فزوَّجه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، وساق عنه أربعَمائةِ دِينارٍ .

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ الحسَنِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرِو بنِ زُهَيْرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عمرٍو ، أن أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبى سفيانَ قالت : ما شعَرْتُ وأنا بأرضِ الحبشةِ إلا برسولِ النجاشىِّ جاريةٍ يُقالُ لها : أبْرَهةُ . كانت تَقومُ على ثيابِه ودُهْنِه ، فاسْتَأْذَنَتْ علىَّ فأذِنْتُ لها ، فقالت : إن المِلِكَ يقولُ لك : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتَب إلىَّ أن أُزَوِّجَكِه . فقلتُ : بشَّرَكِ اللَّهُ بالخيرِ . وقالت : يقولُ لكِ المِلِكُ : وكِّلى مَن يُزَوِّجُك . قالت : فأرْسَلْتُ إلى خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، فوكَّلْتُه ، وأعْطَيْتُ أبْرَهةَ سِوارَيْن مِن فِضَّةٍ ، وخَدَمَتَيْنْ[2] مِن فِضةٍ كانتا علىَّ ، وخَواتِيمَ مِن فضةٍ كانت[3] فى كلِّ أصابعِ رِجلىَّ ؛ سُرورًا بما بشَّرَتْنى به ، فلما أن كان مِن العَشِىِّ ، أمَر النجاشىُّ جعفرَ بنَ أبى طالبٍ ومَن كان هناك مِن المسلمين أن يَحْضُروا ، وخطَب النجاشىُّ وقال : الحمدُ للَّهِ الملكِ القُدُّوسِ السلامِ المُؤْمِنِ المهيمنِ العزيزِ الجبارِ ، وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأنه الذى بشَّر به عيسى بنُ مَرْيَمَ ، أمَّا بعدُ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ [4]كتَب إلىَّ[4] أن أُزوجَه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، فأجَبْتُ إلى ما دعا إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد أصْدَقْتُها أربعَمائةِ دينارٍ . ثم سكَب الدنانيرَ بينَ يدىِ القومِ ، فتَكَلَّم خالدُ بنُ سعيدٍ فقال : الحمدُ للَّهِ ، أحْمَدُه

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٦١، ٤٦٢، من طريق الزبير ، به .

(٢) فى م : « خذمتين » . وفى ص : « خدنتين » . والخدمة : الخلخال .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « طلب » .

وأسْتَغْفِرُه ، وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأشْهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرْسَله بالهُدَى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَه على الدينِ كلِّه ولو كرِه المشركون ، أمّا بعدُ ، فقد أجَبْتُ إلى ما دعا إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وزوَّجْتُه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، فبارَكَ اللَّهُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ . ودفَع النجاشىُّ الدنانيرَ إلى خالدِ بنِ سعيدٍ فقبَضها ، ثُم أرادوا أن يقوموا فقال : اجْلِسوا ، فإن مِن سنةِ الأنْبياءِ إذا تزَوَّجوا أن يُؤْكَلَ طعامٌ على التزويجِ . فدعا بطعامٍ فأكَلوا ثُم تفرَّقوا .

قلتُ : فلعل عمرَو بنَ العاصِ لما رَأى عمرَو بنَ أميةَ خارجًا مِن عندِ النجاشىِّ بعدَ الخندقِ إنما كان فى قضيةِ [٣/٣٧ظ] أمِّ حَبِيبةَ . (١) فاللَّهُ أعلمُ .

لكن قال الحافظُ البيهقىُّ(٢) : ذكَر أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه أن تَزْوِيجَه ، عليه السلامُ ، بأمِّ حَبِيبةَ(١) كان فى سنةِ سِتٍّ ، وأن تزويجَه بأمِّ سَلَمةَ كان فى سنةِ أربعٍ .

قلتُ : وكذا قال خليفةُ وأبو عُبَيْدَةَ(٣) مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى وابنُ البَرْقىِّ : إن تَزْويجَ أمِّ حَبِيبةَ كان فى سنةِ سِتٍّ . وقال بعضُ الناسِ : سنةَ سبعٍ(٤) . (٥) قال البَيْهَقِىُّ(٦) : وذهَب ابنُ إسحاقَ إلى أنه ﷺ تَزوجَ بأمِّ حَبِيبةَ قبلَ أمِّ سلمةَ(٥) . قال البيهقىُّ : وهو أشْبهُ .

(١ - ١) سقط من : ١٥١.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٢.

(٣) فى م : «عبيد الله» . وانظر تهذيب الكمال ٣١٦/٢٨ - ٣٢١.

(٤) انظر فى ذلك تاريخ خليفة ١/ ٤٦، وتهذيب الكمال ٣٥/ ١٧٥.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٦) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٢.

قلتُ : قد تقدَّم تزويجُه ، عليه السلامُ ، بأمِّ سَلَمةَ فى أواخرِ سنةِ أربعٍ ، وأمَّا أمُّ حَبِيبةَ فيَحْتَمِلُ أن يكونَ قبلَ ذلك ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ بعدَه ، وكونُه بعدَ الخندقِ أشْبَهُ ؛ لما تقدَّم مِن ذِكْرِ عمرِو بنِ العاصِ أنه رَأى عمرَو بنَ أميةَ عندَ النجاشىِّ ، فهو فى قضيتِها . واللَّهُ أعلمُ .

وقد حكَى الحافظُ ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[1] عن قَتادةَ ، أن أمَّ حَبِيبةَ لما هاجرتْ مِن الحبشةِ إلى المدينةِ خطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ وتزَوَّجها . وحكَى[1] عن بعضِهم أنه تزَوَّجها بعدَ إسلامِ أبيها بعدَ الفتحِ ، واحتجَّ هذا القائلُ بما رواه مسلمٌ[2] مِن طريقِ عِكْرمةَ بنِ عمَّارٍ اليَمامىِّ[3] ، عن أبى زُمَيْلٍ سِماكِ بنِ الوَليدِ ، عن ابنِ عباسٍ أن أبا سُفيانَ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ثلاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ . قال : « نعم » . قال : تُؤَمِّرُنى على أن أُقاتِلَ الكُفارَ كما كنتُ أُقاتِلُ المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومُعاويةُ تجْعَلُه كاتبًا بينَ يدَيْك . قال : « نعم » . قال : وعندى أحسنُ العربِ وأجْملُه أمُّ حَبِيبةَ بنتُ أبى سفيانَ أزَوِّجُكَها . الحديثُ بتمامِه . قال ابنُ الأثِيرِ[1] : وهذا الحديثُ مما أُنْكِر على مسلمٍ ؛ لأن أبا سفيانَ لما جاء يُجَدِّدُ العقدَ قبلَ الفتحِ ، دخَل على ابنتِه أمِّ حَبِيبةَ فَثَنَتْ عنه فراشَ النبىِّ ﷺ ، فقال : واللَّهِ ما أَدْرِى أرَغِبْتِ بى عنه ، أو به عنى ؟ قالت: بل هذا فراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنت رجلٌ مُشْرِكٌ . فقال : واللَّهِ لقد أصابكِ بعدى يا بُنَيَّةُ شرٌّ .

---

(١) أسد الغابة ٧/ ١١٦.

(٢) مسلم (٢٥٠١) .

(٣) فى م ، ص : « اليمانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٥٦.

وقال ابنُ حَزْمٍ[1] : هذا الحديثُ وضَعه عكرمةُ بنُ عَمَّارٍ. وهذا القولُ منه لا يُتابَعُ عليه. وقال آخَرون: أراد أن يُجَدِّدَ العقدَ لما فيه بغيرِ إذنِه مِن الغَضاضةِ عليه. وقال بعضُهم: لأنه اعتَقَد انفساخَ نكاحِ ابنتِه بإسلامِه. وهذه كلُّها ضعيفةٌ، والأحْسنُ فى هذا أنه أراد أن يُزَوِّجَه ابنتَه الأخرى عَزَّةَ، لَمّا رَأَى فى ذلك مِن الشرفِ له، واستعان بأختِها أمِّ حبيبةَ كما فى «الصحيحَيْن»[2]، وإنما وَهِم الراوى هذا بتسميتِه أمَّ حبيبةَ، [٣/٣٨و] وقد أفْرَدْنا لذلك جُزءًا مُفْرَدًا.

[3]قال أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلَّامٍ[4] : تُوُفِّيَتْ أمُّ حبيبةَ سنةَ أربعٍ وأربعين. وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمَةَ[4] : تُوُفِّيَتْ قبلَ مُعاويةَ بسنةٍ، وكانت وفاةُ معاويةَ فى رَجَبٍ سنةَ ستين[3].

---

(١) ذكره عنه النووى فى شرح صحيح مسلم ١٦/ ٦٣.

(٢) البخارى (٥١٠١، ٥١٠٦، ٥١٠٧، ٥١٢٣، ٥٣٧٢). ومسلم (١٤٤٩).

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) ذكر ذلك عنه الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٧٦.

تَزْوِيجُه، عليه السلامُ، بزَيْنَبَ بنتِ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَبيرِ[1] بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدِ ابنِ خُزَيْمةَ، الأَسَديَّةِ أمّ المؤمنين

وهى بنتُ أُمَيْمةَ بنتِ عبدِ المُطَّلِبِ، عمَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت قبلَه عندَ مَوْلاه زيدِ بنِ حارِثَةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

قال قَتادةُ، والواقدىُّ، وبعضُ أهلِ المدينةِ[2]: تزَوَّجها، عليه السلامُ، سنةَ خمسٍ. زاد بعضُهم[3]: فى ذى القَعْدةِ. قال الحافظُ البيهقىُّ[4]: تزَوَّجها بعدَ بنى قُرَيْظَةَ. وقال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ، وأبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[5]، وابنُ مَنْدَه[6]: تزَوَّجَها سنةَ ثلاثٍ. والأولُ أشهرُ، وهو الَّذى سَلَكه ابنُ جَريرٍ[7] وغيرُ واحدٍ مِن أهلِ التاريخِ. وقد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرين، والفقهاءِ، وأهلِ التاريخِ فى سببِ تَزْويجِه إيَّاها، عليه السلامُ، حديثًا ذكَره أحمدُ بنُ حنبلٍ فى

---

(١) فى ١٥١، ص: «كثير». وانظر جمهرة النسب ص ١٨٦، وجمهرة أنساب العرب ص ١٩١.

(٢) انظر ذلك فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٨٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١١٤.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٧.

(٥) ذكر ذلك عنهما الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٨٤. وانظر تاريخ خليفة ١/ ٢٨.

(٦) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٦٧ عنه.

(٧) تاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٢. حوادث السنة الخامسة.

« مسنده »[1] تَرَكْنا إيرادَه قَصْدًا ؛ لِئلَّا يَضَعَه بعضُ مَن لا يَفْهَمُ على غيرِ مَوضِعِه ، وقد قال اللَّهُ تعالى فى كتابِه العزيزِ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧، ٣٨] .

وقد تكلَّمْنا على ذلك فى « التفسيرِ »[2] بما فيه كفايةٌ ، فالمرادُ بالَّذى أنعَم اللَّهُ عليه هـٰهنا زيدُ بنُ حارثةَ ، مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنْعم اللَّهُ عليه بالإسلامِ ، وأَنْعم عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ بالعِتْقِ ، وزوَّجه بابنةِ عَمَّتِه[3] زينبَ بنتِ جَحْشٍ . قال مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ[4] : وكان صَداقُه لها عَشَرةَ دَنانِيرَ وستين درهمًا ، وخِمارًا ، ومِلْحَفةً ، ودِرْعًا ، وخمسين مُدًّا [5]مِن طَعامٍ[5] ، وعشَرةَ أمْدادٍ مِن تمرٍ[6] ، فمَكَثتْ عندَه قريبًا مِن سنةٍ أو فوقَها ، ثُم وقَع بينَهما ، فجاء زوجُها يَشْكُوها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [٣/٣٨ظ] ، فجعل صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يقولُ له : « اتَّقِ اللَّهَ وأمْسِكْ عليك زَوْجَك » . قال اللَّهُ : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ

---

(١) المسند ٣/ ١٤٩، ١٥٠ .

(٢) التفسير ٦/ ٤١٩ - ٤٢٢.

(٣) فى م : « عمه » .

(٤) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ٢/ ٢٦١. وقال الزيلعى فى تخريجه لأحاديث الكشاف ٣/ ١١٠: غريب بهذا اللفظ . وقال محققه : قال ابن حجر : أخرجه ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان موضوعًا .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى ص : « بر » .

مُبْدِيهِ ﴾ . قال عليُّ بنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العابِدِين ، والسُّدِّيُّ[1] : كان اللَّهُ قد أَعْلَمه[2] أَنَّها ستكونُ مِن أزواجِه ، فهو الذى كان فى نفسِه ، عليه السلامُ . وقد تكَلَّم كثيرٌ مِن السلَفِ هـٰهنا بآثارٍ غريبةٍ ، وبعضُها فيه نظَرٌ ، ترَكْناها قصدًا[3] .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ . وذلك أنَّ زيدًا طلَّقها ، فلمَّا انقَضَتْ عِدَّتُها ، بعَث إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَخْطُبُها إلى نفسِها ، ثُم تزَوَّجها ، وكان الذى زوَّجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبَت فى « صحيحِ البخاريِّ »[4] عن أنسِ بنِ مالكٍ أن زينبَ بنتَ جَحْشٍ كانت تَفْخَرُ على أزواجِ النبيِّ ﷺ فتقولُ : زوَّجَكُنَّ أَهَاليكُنَّ ، وزوَّجنىَ اللَّهُ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ . وفى روايةٍ مِن طريقِ عيسى بنِ طَهْمانَ ، عن أنسٍ[5] قال : كانت زينبُ تَفْخَرُ على نساءِ النبيِّ ﷺ وتقولُ : أنْكَحَنِىَ اللَّهُ مِن السماءِ . وفيها أُنْزِلَتْ آيةُ الحِجابِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

ورَوَى البيهقىُّ[6] مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : جاء زيدٌ يَشْكو زينبَ ، فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اتَّقِ اللَّهَ ، وأمْسِكْ عليك زَوْجَك » . قال أنسٌ : فلو كان رسولُ اللَّهِ ﷺ كاتمًا شيئًا لكَتَم هذه ،

---

(١) أخرج الطبرى قول على بن الحسين فى التفسير ٢٢/ ١٣، أما قول السدى فذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٢٠٣ وعزاه إلى ابن أبى حاتم .

(٢) فى الأصل ، م : « علم » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) البخارى (٧٤٢٠) .

(٥) البخارى (٧٤٢١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤١١) واللفظ له .

(٦) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٥ .

فكانت تفْخَرُ على أزواجِ النبيِّ ﷺ تقولُ : زوَّجَكن أهاليكُنَّ ، وزوَّجَنىَ اللَّهُ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ . ثُم قال[1] : رَواه البخاريُّ ، عن أحمدَ ، عن محمدِ بنِ أبى بكرٍ المُقَدَّميِّ ، عن حمَّادِ بنِ زيدٍ .

[2]ثُم رَوى البيهقيُّ[3] مِن طريقِ عفانَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ[2] ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : جاء زيدٌ يَشْكو إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن زينبَ بنتِ جَحْشٍ ، فقال النبيُّ ﷺ : « أمْسِكْ عليك أهْلَك » . فنزَلتْ : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ . ثُم قال : رواه[4] البخاريُّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ ، عن مُعَلَّى بنِ مَنْصورٍ ، عن حمادٍ[5] مُختصَرًا .

وقال ابنُ جريرٍ[6] : حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الشعْبيِّ قال : كانت زينبُ تقولُ للنبيِّ ﷺ : [٣/ ٣٩و] إنِّى لأَدِلُّ عليك بثلاثٍ ما مِن نِسائِك امرأةٌ تَدِلُّ بهنَّ ؛ أنَّ جَدِّى وجَدَّك واحدٌ - تعنى عبدَ المُطَّلِبِ ؛ فإنه أبو أبى النبيِّ ﷺ وأبو أُمِّها أُمَيْمةَ بنتِ عبدِ المُطَّلِبِ - وأنى أنْكَحَنِيكَ اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، مِن السماءِ ، وأن السَّفِيرَ جبريلُ ، عليه السلامُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا هاشمٌ - يعنى ابنَ القاسمِ أبا[8] النَّضْرِ -

---

(١) أى البيهقى ، والحديث تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة حاشية (٤) .

(٢ - ٢) سقط من : ١٥١، ص .

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٦.

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، م : « محمد » . والحديث عند البخارى (٤٧٨٧) .

(٦) تفسير الطبرى ٢٢/ ١٤.

(٧) المسند ٣/ ١٩٥، ١٩٦.

(٨) فى الأصل ، م : « حدثنا » . وفى ١٥١: « أنا » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٣٠.

حدَّثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : لما انقَضَتْ عِدَّةُ زينبَ ، قال النبيُّ ﷺ لزيدٍ : « اذْهَبْ فاذْكُرْها عليَّ » . فانْطَلَق حتى أتاها وهى تُخَمِّرُ عجينَها . قال : فلمَّا رأيْتُها ، عَظُمَتْ فى صَدْرى ، حتى ما أسْتَطيعُ أن أنْظُرَ إليها أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَرها ، فوَلَّيْتُها ظَهْرى ، ونكَصْتُ على عَقِبَىَّ وقلْتُ : يا زينبُ ، أَبْشِرى ، أرْسَلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ . قالتْ : ما أنا بصانعةٍ شيئًا حتى أُؤَامِرَ ربِّى ، عَزَّ وجَلَّ . فقامتْ إلى مسجدِها ، ونزَل القرآنُ ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فدخَل عليها بغيرِ إذنٍ . قال أنسٌ : ولقد رأيْتُنا حينَ دخَل عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أطْعَمَنا عليها الخبزَ واللحمَ ، فخرَج الناسُ ، وبَقِىَ رِجالٌ يتَحَدَّثون فى البيتِ بعدَ الطَّعامِ ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ واتَّبَعْتُه ، فجعَل يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نسائِه يُسَلِّمُ عليهنَّ ، ويقُلْنَ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف وجَدْتَ أهلَك ؟ فما أدْرِى أنا أخْبَرْتُه أنَّ[1] القومَ قد خرَجوا ، أو أُخْبِر . قال : فانْطَلَق حتى دخَل البيتَ ، فذهَبْتُ أدْخُلُ معه ، فألْقَى السِّتْرَ بينى وبينَه ، ونزَل الحِجابُ ، ووُعِظ القومُ بما وُعِظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية . وكذا رَواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن [2]طرقٍ ، عن[2] سليمانَ بنِ المُغيرةِ[3] .

---

(١) فى الأصل : « أو » ، وفى م : « و » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « طريق » .

(٣) مسلم (١٤٢٨) ، والنسائى (٣٢٥١) .

ذكرُ[1] نزولِ آيةِ[2] الحجابِ صبيحةَ [3]عُرْسِها الذى وَلِىَ اللَّهُ عقدَ نكاحِه[3]

فناسَب نزولُ الحجابِ فى هذا العُرْسِ صيانةً[4] لها ولأخَواتِها مِن أُمهاتِ المؤمنين، وذلك وَفْقَ الرأْيِ العُمَرىِّ[5].

قال البخارىُّ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىُّ، حدثنا مُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ، سمِعْتُ أبى، حدَّثنا أبو مِجْلَزٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: لما تزَوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ زينبَ بنتَ جَحْشٍ دَعا القومَ فطَعِموا ثُم جلَسوا يتحَدَّثون، فإذا هو يتَهَيَّأُ[7] للقيامِ فلم يقوموا، فلمَّا رَأَى ذلك قام، فلمَّا قام، قام مَن قام، وقعَد ثلاثةُ نفَرٍ، وجاء النبىُّ ﷺ ليَدْخُلَ فإذا القومُ جُلوسٌ، ثُم إنهم [٣/ ٣٩ظ] قاموا فانطَلَقوا[8]، فجئْتُ فأخْبَرْتُ النبىَّ ﷺ أنهم قد انطَلقوا، فجاء حتى دخَل

---

(١) سقط من: م.

(٢) سقط من: الأصل، م، ص.

(٣ - ٣) فى م: «عرس زينب».

(٤) فى ا ١٥١: «ضيافة».

(٥) وذلك لما رواه البخارى (٤٧٩٠)، من حديث أنس، قال: قال عمر رضى اللَّه عنه: قلت: يا رسول اللَّه، يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل اللَّه آية الحجاب.

(٦) البخارى (٤٧٩١).

(٧) فى البخارى: «يتأهب».

(٨) فى البخارى: «فانطلقت».

فذهَبْتُ أدْخُلُ ، فألْقَى الحِجابَ بينى وبينَه ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية . وقد رَواه البخارىُّ فى مَواضعَ أُخَرَ ومسلمٌ والنسائىُّ ، مِن طُرُقٍ عن مُعْتَمِرٍ[1] . ثُم رَواه البخارىُّ مُنْفرِدًا به مِن حديثِ أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أنسٍ ، بنحوِه[2] .

وقال البخارىُّ[3] : حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدَّثنا عبدُ الوارِثِ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ابنُ صُهَيْبٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : بُنِىَ على النبىِّ ﷺ بزينبَ بنتِ جَحْشٍ بخُبْزٍ ولَحْمٍ ، فأُرْسِلْتُ على الطعامِ داعيًا ، فيَجِىءُ قومٌ فيأكُلون ويخْرُجون ، ثُم يَجِىءُ قومٌ فيأْكُلون ويخْرُجون ، فدَعَوْتُ حتى ما أجِدُ أحدًا أدْعوه ، [4]فقلتُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، ما أجِدُ أحدًا أدْعوه[4] . قال : « فارْفَعوا طَعامَكم » . وبَقِىَ ثلاثةُ رَهْطٍ يتَحَدَّثون فى البيتِ ، فخرَج النبىُّ ﷺ ، فانطَلَق إلى حُجْرةِ عائشةَ فقال : « السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ اللَّهِ وبَركاتُه[5] » . قالت : وعليك السلامُ ورحمةُ اللَّهِ[6] ، كيف وجَدْتَ أهْلَك ، بارك اللَّهُ لك ؟ فتَقَرَّى[7] حُجَرَ نسائِه كُلِّهن ، يقولُ لهن كما يقولُ لعائشةَ ، ويقُلْن له كما قالت عائشةُ ، ثُم رجَع النبىُّ ﷺ ، فإذا رَهْطٌ ثلاثةٌ فى البيتِ يتَحَدَّثون ، وكان النبىُّ ﷺ شديدَ الحَياءِ ، فخرَج مُنْطلِقًا نَحْوَ حُجرةِ عائشةَ ، فما أدْرى آخْبَرْتُه ،

---

(١) البخارى (٦٢٣٩، ٦٢٧١) ، ومسلم (١٤٢٨/٩٢) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٢٠) .

(٢) البخارى (٤٧٩٢) .

(٣) البخارى (٤٧٩٣) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) كذا فى النسخ ، وهى زيادة عما فى البخارى .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « وبركاته » .

(٧) تقرى : تتبع الحجرات واحدة واحدة . فتح البارى ٨/ ٥٣٠.

أم أُخْبِر أنَّ القومَ خرَجوا؟ فرجَع[1] حتى إذا وَضَع رِجْلَه فى أُسْكُفَّةِ البابِ[2] داخلةً[3] وأخْرى خارِجةً أرْخَى السِّتْرَ بينى وبينَه، وأُنْزِلت آيةُ الحِجابِ. تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ. ثُم رَواه مُنْفرِدًا به أيضًا، عن إسحاقَ هو ابنُ منصورٍ[4]، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ بكرٍ[5] السَّهْمىِّ، عن حُمَيْدٍ، عن[6] أنسٍ، بنحوِ ذلك[7]، وقال: رجلان. بدلَ ثلاثةٍ. فاللَّهُ أعلمُ. قال البخاريُّ[8]: وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ، عن الجَعْدِ أبى عُثمانَ، عن أنسٍ، فذكَر نحوَه.

وقد قال ابنُ أبى حاتمٍ[9]: حدَّثنا أبى، حدَّثنا أبو المُظَفَّرِ، حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ، عن الجَعْدِ أبى عثمانَ اليَشْكُرىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: أعْرَس رسولُ اللَّهِ ﷺ ببعضِ نسائِه، فصنَعتْ أمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا[10] ثُم وضعتْه[11] فى تَوْرٍ[12]، فقالت: اذْهَبْ بهذا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ[13]، وأخْبِرْه أنَّ هذا منا له قليلٌ. قال أنسٌ: والناسُ يومَئذٍ فى جَهْدٍ، فجِئْتُ به فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل، م: «فخرج».

(٢) أسكفة الباب: عتبته التى يوطأ عليها. انظر اللسان (س ك ف).

(٣) سقط من: م.

(٤) فى النسخ: «نصر». والمثبت من صحيح البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٧٤.

(٥) فى الأصل، م: «بكير». وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٠.

(٦) فى م: «بن».

(٧) البخارى (٤٧٩٤).

(٨) البخارى (٥١٦٣) تعليقًا.

(٩) ذكره المصنف فى التفسير ٦/ ٤٤٢، بسند ابن أبى حاتم.

(١٠) الحيس: تمر وأقط - لبن مجفف - وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد. الوسيط (ح ى س).

(١١) فى م: «حطته».

(١٢) فى الأصل، م: «ثور»، والتور: هو إناء من صفر أو حجارة. النهاية ١/ ١٩٩.

(١٣) بعده فى التفسير: «وأقرئه منى السلام».

بعَثَت بهذا أمُّ سُلَيْمٍ إليك ، [٣/ ٤٠و] وهى تُقْرِئُك السلامَ وتقولُ : أخبِرْه[1] أنّ هذا منّا له قليلٌ . فنظَر إليه ثُم قال : « ضَعْه » . فوضعْتُه[1] فى ناحيةِ البيتِ ، ثُم قال : « اذْهَبْ فادْعُ لى فلانًا وفلانًا » . فسَمَّى رِجالًا كثيرًا . قال : « ومَن لقِيتَ مِن المسلمين » . فدَعَوْتُ مَن قال لى ، ومَن لقِيتُ مِن المسلمين ، فجِئْتُ والبيتُ والصُّفَّةُ والحُجْرةُ مَلْأَى مِن الناسِ ، فقلتُ : يا أبا عثمانَ ، كم كانوا ؟ قال : كانوا زُهاءَ ثلاثِمائةٍ . قال أنسٌ : فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « جِئْ به[2] » . فجئتُ به إليه ، فوضَع يدَه عليه ودَعا ، وقال : « ما شاء اللَّهُ » . ثُم قال : « لِيَتَحَلَّقْ عشَرةٌ عشَرةٌ ويُسَمُّوا ، ولْيَأْكُلْ كلُّ إنسانٍ مما يليه » . فجعَلوا يُسَمُّون ويأكلون حتى أكَلوا كلُّهم ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَعْه » . قال : فجئتُ فأخَذْتُ التَّورَ[3] فنظَرْتُ ، فما[4] أدْرى أهو حينَ وضَعْتُه أكثرُ أم حينَ رفَعْتُه . قال : وتخَلَّف رجالٌ يتَحَدَّثون فى بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وزوجُ رسولِ اللَّهِ ﷺ التى دخَل بها معهم مُولِّيَةٌ وجْهَها إلى الحائطِ ، فأطالوا الحديثَ ، فشَقُّوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان أشَدَّ الناسِ حياءً ، ولو علِموا كان ذلك عليهم عزيزًا ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فخرج[5] فسَلَّم على حُجَرِه وعلى نسائِه ، فلمَّا رَأَوْه قد جاء ظَنُّوا أنهم قد ثَقُلوا عليه ، ابْتَدروا البابَ فخرَجوا ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى أرْخَى السِّتْرَ ، ودخَل البيتَ وأنا فى الحُجْرةِ ، فمكَث رسولُ اللَّهِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى الأصل ، م : « الثور » .

(٤) فى الأصل ، م : « فيه فلا » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

ﷺ فى بيته يسيرًا، وأنزل اللَّهُ عليه القرآنَ، فخرَج وهو يَقْرأُ هذه الآيةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣، ٥٤]. قال أنسٌ: فقرَأهن علىَّ قبلَ الناسِ، وأنا أحْدَثُ الناسِ بهن عهْدًا. وقد رَواه مسلمٌ والترمذىُّ والنسائىُّ جميعًا، عن قُتَيْبةَ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ، عن الجَعْدِ أبى عُثمانَ به[1]. وقال الترمذىُّ: حسنٌ صحيحٌ. ورَواه مسلمٌ أيضًا، عن محمدِ بنِ [٣/ ٤٠ظ] رافعٍ، عن عبدِ الرزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الجَعْدِ أبى عثمانَ، به[2]. وقد رَوَى هذا الحديثَ البخارىُّ والترمذىُّ والنسائىُّ، مِن طُرُقٍ، عن بيانٍ[3] أبى بِشْرٍ الأحْمَسىِّ الكوفىِّ، عن أنسٍ، بنحوِه[4]. ورَواه ابنُ أبى حاتمٍ مِن حديثِ أبى نَضْرَةَ العَبْدىِّ، عن أنسٍ، بنحوِه، ولم يُخْرِجوه[5]. ورَواه ابنُ جَريرٍ[6]،

---

(١) مسلم (١٤٢٨/٩٤)، والترمذى (٣٢١٨)، والنسائى (٣٣٨٧).

(٢) مسلم (١٤٢٨/٩٥).

(٣) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٣.

(٤) البخارى (٥١٧٠) مختصرا، والترمذى (٣٢١٩)، والنسائى فى الكبرى (١١٤١٧).

(٥) انظر التفسير ٦/ ٤٤٣.

(٦) تفسير الطبرى ٢٢/ ٣٧، ٣٨.

مِن حديثِ عمرِو بنِ سعيدٍ ، ومِن حديثِ الزهرىِّ[1] ، عن أنسٍ ، بنحوِ ذلك .

قلتُ : كانت زينبُ بنتُ جَحْشٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، مِن المُهاجِراتِ الأُوَلِ ، وكانت كثيرةَ الخيرِ والصَّدَقةِ ، وكان اسمُها أولًا بَرَّةَ فسمَّاها النبىُّ ﷺ زينبَ ، وكانت تُكَنَّى بأمِّ الحكَمِ ، قالت عائشةُ[2] ، رَضِىَ اللَّهُ عنها : ما رأيْتُ امرأةً قطُّ خيرًا فى الدينِ مِن زينبَ ، وأتْقَى للَّهِ وأصْدَقَ حديثًا وأوْصَلَ للرَّحِمِ وأعْظَمَ أمانةً وصَدَقةً .

وثبَت فى « الصحيحين »[3] كما سيأتى فى حديثِ الإفْكِ ، عن عائشةَ أنها قالت : وسأَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عنِّى زينبَ بنتَ جَحْشٍ ، وهى التى كانت تُسامِينى مِن نساءِ النبىِّ ﷺ ، فعصَمها اللَّهُ بالوَرَعِ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أحْمِى سمعى وبصرى ، ما علِمْتُ إلَّا خيرًا .

وقال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ فى « صحيحِه »[4] : حدَّثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ ، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ موسى السِّينانىُّ[5] ، حدَّثنا طَلْحةُ بنُ يَحْيَى بنِ طَلْحةَ ، [6]عن عائشةَ بنتِ طلحةَ[6] ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسْرَعُكُنَّ لحُوقًا بى أطْوَلُكن يدًا » . قالت : فكنا نَتَطاوَلُ أيُّنا أطْوَلُ يدًا . قالت : فكانت زينبُ أَطْوَلَنا يدًا ؛ لأنها كانت تَعْمَلُ بيدِها وتتَصَدَّقُ .انفرَد به مسلمٌ .

---

(١) فى ص : « الترمذى » .

(٢) رواه مسلم (٢٤٤٢) .

(٣) البخارى (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٤) مسلم (٢٤٥٢) .

(٥) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « الشيبانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٥٤.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤١.

قال الواقدىُّ[1] وغيرُه مِن أهلِ السِّيَرِ والمغازى والتَّواريخِ: تُوُفِّيَتْ سنةَ عشرين مِن الهجرةِ. وصلَّى عليها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، ودُفِنَتْ بالبَقِيعِ، وهى أولُ امرأةٍ صُنِع لها النَّعْشُ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١١٥، وتاريخ الطبرى ٤/ ١١٣، حوادث سنة عشرين، والمنتظم ٤/ ٣٠٠، ٣٠١، والكامل ٢/ ٥٦٩. وتاريخ الإسلام - جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٢١١ - ٢١٤.

(١) بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ (١)

سنةُ سِتٍّ مِن الهجرةِ النبويةِ

قال البيهقىُّ (٢) : يُقالُ : فى المُحَرَّمِ منها كانت سَرِيَّةُ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ قِبَلَ نَجْدٍ ، وأسَروا فيها ثُمامَةَ بنَ أُثالٍ اليَمامىَّ . قلتُ : لكن فى سياقِ ابنِ إسحاقَ (٣) ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ أنه شهِد ذلك ، وهو إنما هاجَر بعدَ خيبرَ ، فتؤخَّرُ إلى ما بعدَها . واللَّهُ أعلمُ .

وهى السنةُ التى كان فى أوائلِها غزوةُ بنى لِحْيانَ ، على الصحيحِ .

قال ابنُ إسحاقَ (٤) : وكان فتحُ بنى قُرَيْظةَ فى ذى القَعْدةِ وصدرٍ مِن ذى الحِجَّةِ . [٣/ ٤١و] ووَلِىَ تلك الحِجَّةَ المشركون . يَعْنى فى سنةِ خمسٍ كما تقدَّم (٥) . قال (٤) : ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وصَفَرًا وشَهْرَىْ ربيعٍ ، وخرَج فى جُمَادَى الأُولى على رأسِ ستةِ أشهرٍ مِن فتحِ قُرَيْظةَ إلى بنى لِحْيانَ يَطْلُبُ بأصحابِ الرَّجِيعِ ، خُبَيْبٍ (٦) وأصحابِه ، وأظْهَر أنه يُريدُ الشامَ ليُصِيبَ مِن القومِ غِرَّةً .

(١ - ١) زيادة من : ا ١٥١.

(٢) فى ص : « السهيلى » . وهو فى دلائل النبوة ٤/ ٧٨.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٧٩، من طريق ابن إسحاق ، به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩.

(٥) تقدم فى صفحة ١٠٩ .

(٦) فى الأصل ، م : « حبيب » .

قال ابنُ هشامٍ[1] : واستَعْمل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ . والمقصودُ أنه ، عليه السلامُ ، لما انتَهَى إلى منازلِهم هرَبوا مِن بينِ يدَيْه ، فتَحَصَّنوا فى رءُوسِ الجبالِ ، فمال إلى عُسْفانَ فلَقِىَ بها جَمْعًا مِن المشركين ، وصلَّى بها صلاةَ الخَوْفِ . وقد تقدَّم[2] ذِكْرُ هذه الغزوةِ فى سنةِ أرْبعٍ ، وهنالك ذكَرها البيهقىُّ ، والأشبهُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ أنها كانت بعدَ الخندقِ ، [3]فإنّ صلاةَ الخوفِ على المشهورِ إنما فُعِلَت بعدَ يومِ الخندقِ[3] ، وقد ثبَت أنه صلَّى بعُسْفانَ يومَ [4]بنِى لِحْيَانَ[4] ، فلْتُكْتَبْ هـٰهنا ، وتُحَوَّلْ مِن هناك اتِّباعًا لإمامِ أصحابِ المغازى فى زمانِه وبعدَه ، كما قال الشافعىُّ[5] رحِمه اللَّهُ : مَن أراد المغازىَ فهو عِيالٌ على محمدِ بنِ إسحاقَ . وقد قال كعبُ بنُ مالكٍ فى غزوةِ بنى لِحْيَانَ[6] :

لوَ انَّ بنى لِحْيَانَ كانوا تَناظَروا ... لقُوا عُصَبًا فى دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ[7]

لَقُوا سَرَعانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُه ... أمـامَ طَـحُـونٍ كـالمجَـرَّةِ فَيْلَـقِ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩.

(٢) تقدم فى ٥/ ٥٣٣.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤ - ٤) فى ص : «الخندق والله أعلم» . وانظر ما تقدم فى غزوة بنى لحيان ٥/٥٥٣ - ٥٥٨.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢١٩.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٧) تناظروا : أى انتظر بعضهم بعضًا . والعصب : الجماعات . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٥.

(٨) السرعان : أول القوم . والسرب : بفتح السين : الطريق ، وبكسر السين النَّفْس . والروع : الفزع . وطحون : كتيبة تطحن كل ما تمر به . والمجرة هنا : مجرة السماء وهو البياض المستطيل بين النجوم . وفيلق : أى كتيبة شديدة . المصدر السابق .

ولكنَّهم كانوا وِبارًا تتَبَّعتْ شِعابَ حِجارٍ غيرِ ذى مُتَنَفَّقِ[1]

(١) الوبار: جمع وبر: وهى دويبة على قدر الهر، تشبه بها العربُ الضعفاءَ. والشعاب: جمع شعب وهو المنخفض بين جبلين. وحجار: جمع حِجْر. وغير ذى متنفق: أى ليس له باب يخرج منه، وأصله من النافقاء وهو أحد أبواب جِحَرة اليربوع إذا أخذ عليه من باب الجحر خرج عليه. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٥، ٣٦.

غزوةُ ذى قَرَدٍ[1]

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلم يُقِمْ بها إلا ليالىَ قَلائلَ ، حتى أغار عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيفةَ بنِ بدرٍ الفَزَارىُّ ، فى خيلٍ مِن غَطَفانَ على لِقاحٍ[3] النبىِّ ﷺ بالغابةِ ، وفيها رجلٌ مِن بنى غِفارٍ ومعه امرأتُه ، فقتَلوا الرجلَ واحْتَملوا المرأةَ فى اللِّقاحِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ومَن لا أَتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ - كلٌّ قد حدَّث فى غزوةِ ذى قَرَدٍ بعضَ الحديثِ - أنه كان أولَ مَن نَذِر[5] بهم سَلَمةُ بنُ عمرِو بنِ الأكْوعِ الأسْلَمىُّ ، غَدا يُريدُ الغابةَ مُتَوَشِّحًا قوْسَه ونَبْلَه ، ومعه غلامٌ لطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ معه [6]فرَسٌ له[6] يَقودُه ، حتى إذا عَلا [٣/ ٤١ظ] ثَنِيَّةَ الوَداعِ نظَر إلى بعضِ خُيولِهم ، فأَشْرَف فى ناحيةِ سَلْعٍ[7] ، ثُم صرَخ : واصَباحاه[8] . ثُم خرَج يشْتَدُّ

---

(١) ذو قرد : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر . معجم البلدان ٤/ ٥٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨١.

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل وذوات الألبان . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٥) فى ا ١٥١: «بدر» ، وفى ص : «ندر» . ونذر بهم : علم بهم . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥١.

(٧) سلع بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة : جبل متصل بالمدينة . معجم ما استعجم ٣/ ٧٤٧.

(٨) واصباحاه : هذه كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة : يوم الصباح . انظر النهاية ٣/ ٦، ٧.

فى آثارِ القومِ ، وكان مِثْلَ السَّبُعِ حتى لَحِق بالقومِ ، فجعَل يَرُدُّهم بالنَّبْلِ ويقولُ [1]إذا رمَى[1] :

خُذْها وانا ابنُ الأكْوعْ اليومُ يومُ الرُّضَّعْ[2]

فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوَه انطلَق هاربًا ثُم عارَضهم ، فإذا أمْكَنه الرمْىُ رَمَى ، ثُم قال :

خُذْها وانا ابنُ الأَكْوعْ اليومُ يومُ الرُّضَّعْ

قال : فيقولُ قائلُهم : أُوَيْكِعُنا هو أولَ النهارِ . قال : وبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ صياحُ ابنِ الأكْوعِ ، فصرَخ بالمدينةِ : « الفزَعَ الفزَعَ » . فتَرامت الخيولُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكان أولَ مَن انتَهَى إليه مِن الفُرْسانِ المِقْدادُ بنُ الأسْودِ[3] ، ثُم عَبَّادُ بنُ بِشْرٍ[4] ، وسعدُ[5] بنُ زيدٍ[6] ، [7]وأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ[8] - يُشَكُّ فيه - وعُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ[9][7] ، ومُحْرِزُ بنُ نَضْلةَ ، أخو بنى أسدِ بنِ خُزَيْمةَ ، وأبو

(١ - ١) زيادة من : ا ١٥١، ص .

(٢) اليوم يوم الرضع : قالوا : معناه ؛ اليوم يوم هلاك اللئام وهم الرضع ، من قولهم : لئيم راضع . أى رضع اللؤم فى بطن أمه . وقيل : يمص حلمة الشاة والناقة لئلا يسمع السؤّال والضِّيفان صوت الحلاب فيقصدوه . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٧٤.

(٣) بعده فى حاشية ا ١٥١ : « قال ابن هشام : وكان اسم فرسه بعزجة . ويقال : سبحة » . وبعده فى ص : « واسم فرسه بغرجة ويقال : سبحة » . وما فى ١٥١ موافق لما فى السيرة ٢/ ٢٨٤.

(٤) بعده فى ا ١٥١ : « واسم فرسه ذو اللمة » ، وبعده فى ص : « واسم فرسه طلع » . وفى السيرة : « واسم فرسه لماع » .

(٥) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ص : « سعيد » . وانظر الإصابة ٣/ ٦١.

(٦) بعده فى ا ١٥١، ص : « واسم فرسه ذو اللمة » . وفى السيرة : « واسم فرسه لاحق » .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) وبعده فى ا ١٥١ : « واسم فرسه مسسول » . وفى السيرة : « واسم فرسه مسنون » .

(٩) بعده فى ا ١٥١ : « واسم فرسه حلوة » . وفى السيرة : « واسم فرسه ذو اللمة » .

قَتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعيٍّ ، أخو بنى سَلِمةَ[1] ، وأبو عَيَّاشٍ عُبَيْدُ بنُ زيدِ بنِ صامتٍ ، أخو بنى زُرَيْقٍ[2] . قال : فلمَّا اجْتَمعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أمَّر عليهم سعدَ بنَ زَيْدٍ ، ثُم قال : « اخرُجْ فى طلبِ القومِ حتى ألْحَقَك فى الناسِ » . وقد قال النبىُّ ﷺ لأبى عَيَّاشٍ فيما بلَغنى عن رجالٍ مِن بنى زُرَيْقٍ : « يا أبا عَيَّاشٍ ، لو أعْطَيْتَ هذا الفرسَ رجلًا هو أفْرَسُ منك فلحِق بالقومِ » . قال أبو عَيَّاشٍ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أفْرَسُ الناسِ . ثُم ضرَبتُ الفرسَ ، فواللَّهِ ما جرَى بى خمسين ذِراعًا حتى طرَحنى ، فعجِبْتُ مِن ذلك ، فزعَم رجالٌ مِن بنى[3] زُرَيْقٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطَى فرسَ أبى عَيَّاشٍ مُعاذَ بنَ ماعصٍ ، أو عائذَ بنَ ماعصِ ابنِ قيسِ بنِ خَلَدةَ ، وكان ثامنًا . قال[4] : وبعضُ الناسِ يَعُدُّ سَلَمةَ بنَ الأكْوعِ ثامنًا ، ويَطْرَحُ أُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان . قال[5] : ولم يَكنْ سَلَمةُ بنُ الأكْوعِ يومَئذٍ فارسًا ، وقد كان أولَ مَن لحِق بالقومِ على رجلَيه . قال[5] : فخرَج الفُرْسانُ حتى تلاحَقوا ، فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ أن أولَ فارسٍ لحِق بالقومِ مُحْرِزُ بنُ نَضْلةَ ، وكان يقالُ له : الأخْرمُ . ويقالُ له : قُمَيْرٌ . وكانت الفرسُ التى تحتَه لمحمودِ بنِ مَسْلَمةَ - وكان يقالُ للفرسِ : ذو اللِّمَّةِ - فلما انتَهَى إلى العدُوِّ قال لهم : قِفوا معشرَ بنى اللَّكِيعةِ[6] حتى يَلْحَقَ بكم مَن وراءَكم مِن أدْبارِكم مِن المهاجرين [٣/ ٤٢و] والأنصارِ . قال : فحمَل

---

(١) بعده فى ص : « واسم فرسه حزون » . وفى السيرة : « واسم فرسه حزوة » .

(٢) بعده فى ص : « واسم فرسه جلوة » . وهو كذلك فى السيرة .

(٣) زيادة من : ١٥١، ص .

(٤) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٨٣.

(٦) اللكيعة : اللئيمة . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

عليه رجلٌ منهم فقتَله ، وجال الفرسُ فلم يُقْدَرْ عليه حتى وقَف على أرِيَّةٍ مِن بنى عبدِ الأشْهلِ ، أى رجَع إلى مِرْبَطِه الذى كان فيه بالمدينةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولم يُقْتَلْ يومَئذٍ مِن المسلمين غيرُه . قال ابنُ هشامٍ : وقد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ أنه قد قُتِل معه أيضًا وقَّاصُ بنُ مُجَزِّزٍ[2] المُدْلِجِىُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى بعضُ مَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، أن مُحْرِزًا[4] كان على فرسٍ لعُكَّاشةَ بنِ مِحْصَنٍ يقالُ لها : الجَناحُ . فقُتِل مُحْرِزٌ واسْتُلِبت الجَناحُ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال[5] : ولما تلاحَقت الخيلُ قتَل أبو قَتادةَ حَبِيبَ بنَ عُيَيْنةَ وغشَّاه بُرْدَه ، ثُم لحِق بالناسِ ، وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المسلمين - قال ابنُ هشامٍ : واستَعْمل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ - فإذا حَبِيبٌ مُسَجًّى ببُردِ أبى قَتادةَ ، فاسْتَرْجَع الناسُ ، وقالوا : قُتِل أبو قَتادةَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس بأبى قَتادةَ ، ولكنه قَتِيلٌ لأبى قَتادةَ ، ووضَع عليه بُرْدَه لتَعْرِفوا أنه صاحِبُه » . قال : وأدْرَك عُكَّاشةُ ابنُ مِحْصَنٍ أَوْبارًا وابنَه عمرَو بنَ أَوْبارٍ ، وهما على بعيرٍ واحدٍ ، فانتَظَمهما بالرُّمْحِ فقتَلهما جميعًا واستَنْقَذوا بعضَ اللِّقاحِ . قال : وسار رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل بالجبلِ مِن ذى قَرَدٍ ، وتَلاحَق به الناسُ ، فأقام عليه يومًا وليلةً ، وقال

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٣.
(٢) فى ص : « محرز » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٦٧، والإصابة ٦/ ٦١٢.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٤. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/٦٠٣ ، من طريق ابن إسحاق به .
(٤) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ١٥١ ، م ، والسيرة : « مجززا » . وهو خطأ .
(٥) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ . وتاريخ الطبرى ٢/٦٠٣ ، ٦٠٤ .

له سَلَمةُ بنُ الأكْوعِ : يا رسولَ اللَّهِ ، لو سَرَّحْتَنى فى مائةِ رجلٍ لاسْتَنْقَذْتُ بَقيةَ السَّرْحِ وأخَذْتُ بأعناقِ القومِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ - فيما بلَغنى - : « إنهم الآنَ ليُغْبَقون[1] فى غَطَفانَ » . فقسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه فى كل مائةِ رجلٍ جَزُورًا ، وأقاموا عليها ، ثُم رجَع قافلًا حتى قدِم المدينةَ . قال[2] : وأقْبَلت[3] امرأةُ الغِفارىِّ على ناقةٍ مِن إبلِ النبىِّ ﷺ ، حتى قدِمت عليه المدينةَ فأخْبرَته الخبرَ ، فلمَّا فرَغت قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى قد نذَرْتُ للَّهِ أن أنْحَرَها إن نجانى اللَّهُ عليها . قال : فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال : « بِئْسَ ما جزَيْتِها أن حمَلكِ اللَّهُ عليها ونجَّاك بها ثُم تَنْحَرينها ، إنه لا نذرَ فى معصيةِ اللَّهِ ، ولا فيما لا تَمْلِكين ، إنما هى ناقةٌ مِن إبلى ، فارْجِعى إلى أهلِك على بركةِ اللَّهِ » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : والحديثُ [٣/ ٤٢ظ] فى ذلك عن أبى الزُّبيرِ المكِّىِّ ، عن الحسنِ البصْرىِّ . هكذا أوْرَد ابنُ إسحاقَ هذه القصةَ بما ذكَره مِن الإسنادِ والسِّياقِ .

وقد قال البخارىُّ[4] ، رحِمه اللَّهُ ، بعدَ قصةِ الحُدَيْبِيَةِ وقبلَ خَيْبَرَ : غزوةُ ذى قَرَدٍ ، وهى الغزوةُ التى أغاروا على لِقاحِ النبىِّ ﷺ قبلَ خَيْبَرَ بثلاثٍ ، حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا حاتمٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، سمعتُ سَلَمةَ بنَ الأكْوعِ يقولُ : خرَجْتُ قبلَ أن يُؤَذَّنَ بالأولَى[5] ، وكانت لِقاحُ النبىِّ ﷺ تَرْعَى بذى قَرَدٍ ، قال : فلقِيَنى غلامٌ لعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، فقال : أُخِذت لِقاحُ النبىِّ ﷺ . فقلتُ : مَن أخَذها ؟ قال : غَطَفانُ . قال : فصرَخْتُ ثلاثَ صَرَخاتٍ : يا

---

(١) سقط من : ص . ويغبقون : يسقون اللبن بالعشى . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٥ .

(٣) فى ص : « وأفلتت » . وهو لفظ صحيح مسلم (١٦٤١) ، كما سيأتى .

(٤) فى باب غزوة ذات القرد . من كتاب المغازى (٤١٩٤) .

(٥) المراد بالأولى : صلاة الصبح . فتح البارى ٧/ ٤٦١.

صَباحاهْ. قال: فأسْمَعْتُ ما بين لَابَتَي المدينةِ، ثُم اندَفَعْتُ على وجهى حتى أدْرَكْتُهم وقد أخَذوا يسْتَقون مِن الماءِ، فجعَلْتُ أرْمِيهم بنَبْلى، وكنتُ راميًا، وأقولُ: أنا ابنُ الأكْوَعْ، اليومُ يومُ الرُّضَّعْ. وأَرْتَجِزُ حتى استَنْقَذْتُ اللِّقاحَ منهم واسْتَلَبْتُ منهم ثلاثين بُرْدَةً. قال: وجاء النبىُّ ﷺ والناسُ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، قد حَمَيْتُ[1] القومَ الماءَ، وهم عِطاشٌ، فابْعَثْ إليهم الساعةَ. فقال: «يا بنَ الأكْوعِ، ملَكْتَ فأسْجِحْ[2]». ثُم رجَعْنا، ويُردِفُنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ناقتِه حتى قدِمْنا المدينةَ. وهكذا رَواه مسلمٌ، عن قُتَيْبةَ، به[3]، ورَواه البخاريُّ، عن [4]أبى عاصمٍ النبيلِ[4]، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ[5]، عن مولاه سَلَمةَ، بنحوِه[6].

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ، حدَّثنا عِكْرمةُ بنُ عمَّارٍ، حدَّثنى إياسُ بنُ سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ، عن أبيه قال: قدِمْنا المدينةَ زمنَ الحُدَيبيةِ مع

---

(١) حميت القوم الماء: أى منعتهم الشرب. فتح البارى ٧/ ٤٦٢.

(٢) أسجح، بهمزة قطع وسين مهملة ساكنة وجيم مكسورة بعدها مهملة: أى سهِّل. والمعنى: قدرت فاعف، والسجاحة السهولة. فتح البارى ٧/ ٤٦٣.

(٣) مسلم (١٨٠٦).

(٤ - ٤) فى م: «أبى عاصم السهلى»، وفى ص: «عاصم النبيل». وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٨١.

(٥) فى الأصل، م: «عبيدة». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٠٦.

(٦) هكذا ذكر الحافظ ابن كثير: «عن أبى عاصم النبيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة». ولم نجده فى الصحيح من طريق أبى عاصم، وهو فيه من طريق مكى بن إبراهيم (٣٠٤١)، فلعل المصنف - رحمه الله - تابع البيهقى فى الدلائل ٤/ ١٨١، ١٨٢ حيث ذكر الحديث من طريق أبى عاصم النبيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة، وقال عقبه: رواه البخارى فى الصحيح عن أبى عاصم. وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٤٥، والسنن الكبرى للبيهقى ١٠/ ٢٣٦.

(٧) المسند ٤/ ٥٢ - ٥٤.

رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فخرَجْتُ أنا ورَباحٌ غلامُ النبيِّ ﷺ بظَهْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخرَجْتُ بفرسٍ لطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، كنتُ[1] أُريدُ أن أُنَدِّيَه[2] مع الإبلِ ، فلمَّا كان بغَلَسٍ أغار عبدُ الرحمنِ بنُ عُيَيْنةَ على إبلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقَتَل راعِيَها وخرَج يَطْرُدُها هو وأُناسٌ معه فى خيلٍ ، فقلتُ : يا رَباحُ ، اقْعُدْ على هذا الفرسِ فألْحِقْه بطَلْحةَ ، وأخْبِرْ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنه قد أُغِير على سَرْحِه . قال : وقُمْتُ على تَلٍّ فجعَلْتُ وجْهى مِن قِبَلِ المدينةِ ، ثُم نادَيْتُ ثلاثَ مراتٍ : يا صَباحاهْ . قال : ثُم اتَّبَعْتُ القومَ معى سيفى ونَبْلى ، فجعَلْتُ أرْميهم وأعْقِرُ[3] بهم ، [٣/ ٤٣و] وذلك حينَ [4]يَكْثُرُ الشَّجَرُ[4] . فإذا رجَع إلىَّ فارسٌ جلَسْتُ له فى أصلِ شجَرةٍ ، ثُم رمَيْتُ ، فلا يُقْبِلُ علىَّ فارسٌ إلا عقَرْتُ به ، فجعلتُ أرْمِيهم ، وأنا أقولُ : أنا ابنُ الأكْوعْ ، واليومُ يومُ الرُّضَّعْ . قال : فألْحَقُ برجلٍ منهم فأرْمِيه ، وهو على راحلتِه فيقَعُ سهمى فى الرَّجُلِ[5] حتى انتَظَم كتِفَه ، فقلتُ :

خُذْها وانا ابنُ الأكْوعْ واليومُ يومُ الرُّضَّعْ

فإذا كنتُ فى الشجرِ أحْرَقْتُهم بالنَّبْلِ ، فإذا تَضايَقتِ الثَّنايا علَوْتُ الجبلَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى المسند : « أبديه » . وأنديه معناه : أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلا ثم ترسل فى المرعى ، ثم ترد الماء فترد قليلًا ثم ترد إلى المرعى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٧٨.

(٣) أعقر بهم : أى أقتل مركوبَهم . يقال : عقرت به : إذا قتلت مركوبه وجعلته راجلًا . النهاية ٣/ ٢٧١.

(٤ - ٤) فى ص : « بكر السحر » .

(٥) كذا فى النسخ والمسند : « الرجل » بالجيم المعجمة . ولعلها : « الرحل » بالحاء المهملة ، كما رجح ذلك النووى فى شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٧٨، ١٧٩.

فرَدَيْتُهم[1] بالحجارةِ، فما زال ذاك شأني وشأْنهم أتْبَعُهم وأرْتَجِزُ، حتى ما خلَق اللَّهُ شيئًا مِن ظَهْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا خَلَّفْتُه وراءَ ظهْرى، فاستَنْقَذْتُه مِن أيديهم، ثُم لم أزَلْ أرْمِيهم حتى أَلْقَوا أكثرَ مِن ثلاثين رُمْحًا، وأكثرَ مِن ثلاثين بُرْدَةً يسْتَخِفُّون منها، ولا يُلْقون مِن ذلك شيئًا إلا جعَلْتُ عليه حِجارةً، وجمَعْتُ على طريقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، حتى إذا [2]امتَدَّ الضُّحى[2] أتاهم عُيَيْنةُ بنُ بدرٍ الفَزاريُّ مَدَدًا لهم، وهم فى ثَنِيَّةٍ ضَيِّقةٍ، ثُم عَلَوْتُ الجبلَ، فأنا فوقَهم، فقال عُيَيْنةُ: ما هذا الذى أَرَى؟ قالوا: لقِينا مِن هذا البَرْحَ[3]، ما فارَقَنا بسَحَرَ حتى الآنَ، وأخَذ كلَّ شيءٍ فى أيدينا وجعَله وراءَ ظهْرِه. فقال عُيَيْنةُ: لولا أنَّ هذا يَرَى أنَّ وراءه طَلَبًا لقد ترَكَكم، لِيَقُمْ إليه نفَرٌ منكم. فقام إليه نفَرٌ منهم أربعةٌ، فصعِدوا فى الجبلِ، فلمَّا أسْمَعْتهم الصوتَ قلتُ: أتَعْرِفوننى؟ قالوا: ومَن أنت؟ قلتُ: أنا ابنُ الأكْوَعِ، والذى كرَّم وجْهَ محمدٍ لا يطلبُنى رجلٌ منكم فيُدْرِكَنى ولا أطْلُبُه فيَفوتَنى. فقال رجلٌ منهم: إنْ[4] أظُنُّ. قال: فما برِحْتُ مَقْعدى ذلك حتى نظَرْتُ إلى فَوارسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، [5]يتخَلَّلون الشجرَ، وإذا أولُهم الأخْرَمُ الأسَدىُّ، وعلى أثَرِه أبو قَتادةَ فارسُ رسولِ اللَّهِ ﷺ[5]، وعلى أثَرِ أبى قتادةَ المِقدادُ بنُ الأسْودِ الكِنْدىُّ، فوَلَّى المشركون

---

(١) فى الأصل، ص: «فرداتهم». ورديتهم بالحجارة: أى رميتهم بالحجارة التى تسقطهم وتنزلهم. صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٧٩.

(٢ - ٢) فى ص: «اشتد الضحاء».

(٣) البرح: بفتح الباء وإسكان الراء، أى شِدَّة. المصدر السابق.

(٤) فى الأصل، ص: «إنى». و «إن» هنا نافية بمعنى «ما».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

مُدْبِرين، وأَنزِلُ مِن الجبلِ[1] فآخُذُ عِنانَ فرسِه، فقلتُ: يا أَخْرَمُ، انْذَرِ[2] القومَ - يعنى احْذَرْهم - فإنى لا آمَنُ أن يَقْتَطِعوك، فاتَّئِدْ[3] حتى يلْحَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه. قال: يا سَلَمةُ، إن كنتَ تُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ وتَعْلَمُ أنَّ الجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ فلا تَحُلْ بينى وبينَ الشهادةِ. قال: فخَلَّيْتُ عِنانَ فرسِه، فيَلْحَقُ بعبدِ الرحمنِ بنِ عُيَيْنَةَ، ويَعْطِفُ عليه عبدُ الرحمنِ، فاخْتَلَفا طَعْنَتَيْن، فعقَر الأَخْرمُ بعبدِ الرحمنِ، وطعَنه عبدُ الرحمنِ فقتَله، فتَحَوَّل عبدُ الرحمنِ على فرسِ الأَخْرمِ، فيَلْحَقُ أبو قَتادةَ بعبدِ الرحمنِ فاخْتَلَفا [٣/٤٣ظ] طَعْنَتَيْن فعقَر بأبى قَتادةَ، وقتَله أبو قَتادةَ، وتحَوَّل أبو قَتادةَ على فرسِ الأَخْرمِ، ثُم إنى خرَجْتُ أعْدُو فى أثَرِ القومِ حتى ما أَرَى مِن غُبارِ صَحابةِ النبىِّ ﷺ شيئًا، ويُعْرِضون قبلَ غَيْبوبةِ الشَّمْسِ إلى شِعْبٍ فيه ماءٌ يقالُ له: ذو قَرَدٍ. فأرادوا أن يَشْرَبوا منه، فأبْصَرونى أعْدُو وراءَهم فعطَفوا عنه، واشتدوا[4] فى الثنِيَّةِ ثَنِيَّةِ ذى بِئْرٍ، وغرَبت الشمسُ، وألْحَقُ رجلًا فأرْمِيه فقلتُ:

خُذْها وانا ابنُ الأَكْوعْ والـيـومُ يـومُ الـرُّضَّـعْ

قال: فقال: يا ثُكْلَ أُمٍّ أَكْوعَ بُكْرةَ[5]. فقلتُ: نعم، أىْ عدُوَّ نفسِه. وكان الذى رمَيْتُه بُكْرةَ وأتْبَعْتُه سهمًا آخرَ فعَلِق به سهمان، ويَخْلُفون فرسَيْن

---

(١) بعده فى المسند: «فأعرض للأخرم».

(٢) فى م «ائذن». وما فى الأصل، ص مثله فى النهاية ٥/٣٩.

(٣) اتئد: تأنَّ وتمهلْ. انظر الوسيط (و أ د).

(٤) فى م: «أسندوا».

(٥) رواية مسلم «يا ثكلته أمُّه، أكوَعُه بُكْرةَ، وللنووى عليه كلام. انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٨١.

فجئتُ بهما أسوقُهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو على الماءِ الذى أَجْلَيْتُهم عنه ، ذو قَرَدٍ ، وإذا بنبىِّ اللَّهِ ﷺ فى خمسِمائةٍ ، وإذا بلالٌ قد نحرَ جَزورًا مما خَلَفْتُ ، فهو يَشْوِى لرسولِ اللَّهِ ﷺ مِن كَبِدِها وسَنامِها ، فأَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، خَلِّنى فأَنْتَخِبُ مِن أصحابِك مائةً ، فآخُذُ على الكفارِ بالعَشْوَةِ ، فلا يَبْقَى منهم مُخْبِرٌ إلا قتَلْتُه . فقال : « أكنتَ فاعلًا ذلك يا سَلَمةُ ؟ » قال : قلتُ : نعم والذى أكْرَمك . فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى رأيْتُ نَواجِذَه فى ضوءِ النارِ ، ثُم قال : « إنهم يُقْرَوْن[1] الآنَ بأرضِ غَطَفانَ » . فجاء رجلٌ مِن غَطَفانَ فقال : مَرُّوا على فلانٍ الغَطَفانىِّ ، فنحَر لهم جَزورًا ، فلمَّا أخَذوا يَكْشِطون جلدَها رَأَوْا غَبَرةً ، فترَكوها وخرَجوا هِرابًا ، فلمَّا أصْبَحْنا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ فُرْسانِنا اليومَ[2] أبو قَتادةَ ، وخيرُ رَجَّالتِنا سَلَمةُ » . فأعْطانى رسولُ اللَّهِ ﷺ سهمَ الفارسِ والراجلِ جميعًا ، ثُم أرْدَفنى وراءَه على العَضْباءِ[3] راجعين إلى المدينةِ ، فلمَّا كان بينَنا وبينَها قريبٌ مِن ضَحْوَةٍ[4] ، وفى القومِ رجلٌ مِن الأنصارِ كان لا يُسْبَقُ جعَل يُنادِى : هل مِن مُسابقٍ ؟ ألا رجلٌ يُسابِقُ إلى المدينةِ ؟ فأعاد ذلك مِرارًا ، وأنا وراءَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُرْدِفى ، فقلتُ له : أما تُكْرِمُ كريمًا ولا تَهابُ شريفًا ؟ قال : لا ، إلا رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت وأمى ، خَلِّنى فَلْأُسابقِ الرجلَ . [٣/٤٤و] قال :

---

(١) يُقْرَوْن : أى يضافون ، والقرى الضيافة .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) العضباء : لقب ناقة النبى ﷺ ، اسم لها علم ، ولم تكن عضباء ، أى من العضب ؛ الذى هو الشق فى الأذن ، إنما هو اسم لها سميت به لنجابتها ومضيها فى وجهها . تاج العروس (ع ض ب) .

(٤) الضحوة : الضحى ؛ وهو قرب انتصاف النهار أو الغداء .

« إن شئتَ » . قلتُ : اذْهَب إليك . فطفَر[1] عن راحلتِه وثَنَيْتُ رجلَيَّ فطَفَرْتُ عن الناقةِ ، ثُم إنى ربَطْتُ عليه شَرَفًا أو شَرَفَيْن[2] ، يعنى اسْتَبْقَيْتُ مِن نفَسى ، ثُم إنى عدَوْتُ حتى ألْحَقَه ، فأصُكُّ[3] بينَ كَتِفيه بيدى ، قلت : سبَقْتُك واللَّهِ . أو كلمةً نحوَها . قال : فضحِك وقال : إنْ أظُنُّ . حتى قدِمْنا المدينةَ . وهكذا رَواه مسلمٌ ، مِن طُرُقٍ ، عن عِكْرمةَ بنِ عمارٍ ، بنحوِه[4] ، وعندَه : سبَقْتُه إلى المدينةِ ، فلم نَلْبَثْ إلا ثلاثًا حتى خرَجْنا إلى خَيْبَرَ . ولأحمدَ هذا السياقُ .

ذكَر البخاريُّ والبيهقيُّ هذه الغزوةَ بعدَ الحُدَيْبيةِ وقبلَ خَيْبَرَ ، وهو أشْبهُ مما ذكَره ابنُ إسحاقَ . واللَّهُ أعلمُ . فيَنْبَغى تأخيرُها إلى أوائلِ سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ ، فإن خَيْبَرَ كانت فى صَفَرٍ منها .

وأما قصةُ المرأةِ التى نجَت على ناقةِ النبىِّ ﷺ ونذَرت نحْرَها لنجاتِها عليها ، فقد أوْرَدها ابنُ إسحاقَ بروايتِه ، عن أبى الزبيرِ ، عن الحسنِ البصرىِّ مُرْسَلًا[5] . وقد جاء مُتَّصِلًا مِن وجوهٍ أُخَرَ .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، حدَّثنا أيوبُ[7] ، عن أبى قِلابةَ ، عن أبى المُهَلَّبِ ، عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : كانت العَضْباءُ

---

(١) طفر : قفز .

(٢) أى ؛ حبست نفسى عن الجرى الشديد ، وتأخرت عنه شوطا أو شوطين . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ١١٥، والنهاية ٢/١٨٦ .

(٣) أصك : أضرب .

(٤) مسلم (١٨٠٧) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٥.

(٦) المسند ٤/ ٤٣٠.

(٧) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٣٩.

لرجلٍ مِن بنى عُقَيْلٍ، وكانت مِن سَوابقِ الحاجِّ [1]فأُسِر الرجلُ[1]، فأُخِذت العَضْباءُ معه. قال: فمرَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو فى وَثاقٍ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ على حِمارٍ عليه قَطِيفةٌ فقال: يا محمدُ، علامَ تأخُذونى وتأخُذون سابقةَ الحاجِّ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نأْخُذُك بجَرِيرةِ حُلفائِك ثَقِيفٍ». قال: وكانت ثَقِيفٌ قد أسَروا رجلين مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ. وقال فيما قال: وإنى مسلمٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لو قلْتَها[2] وأنت تَمْلِكُ أمْرَك، أفْلَحْتَ كلَّ الفَلاحِ». قال: ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: يا محمدُ، إنى جائعٌ فأطْعِمْنى وإنى ظَمْآنُ فاسْقِنى. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذه حاجتُك». ثُم فُدِىَ بالرجلين، وحبَس رسولُ اللَّهِ ﷺ العَضْباءَ لرَحْلِه. قال: ثُم إن المشركين أغاروا على سَرْحِ المدينةِ، فذهَبوا به، وكانت العَضْباءُ فيه، قال: وأسَروا امرأةً مِن المسلمين. قال: وكانوا إذا نزَلوا أراحوا إبلَهم بأفْنِيَتِهم. قال: فقامت المرأةُ ذاتَ ليلةٍ بعدَ ما نَوَّمُوا، فجَعَلَت كلما أتَتْ [٣/ ٤٤ظ] على بعيرٍ رَغا[3] حتى أتَتْ على العَضْباءِ، فأتَتْ على ناقةٍ ذَلولٍ مُجَرَّسَةٍ[4] فرَكِبَتها، ثُم وجَّهَتْها قِبَلَ المدينةِ. قال: ونذَرَت إنِ اللَّهُ أنْجاها عليها لَتَنْحَرَنَّها، فلمَّا قدِمت المدينةَ عُرِفت الناقةُ، فقيل: ناقةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: وأُخْبِر رسولُ اللَّهِ ﷺ بنَذْرِها أو أتَتْه فأخْبَرَته فقال: «بئس ما جزَيْتِها». أو: «بِئْس ما جَزَتْها أن أنجاها اللَّهُ عليها لَتَنْحَرَنَّها». قال: ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا وفاءَ لنَذْرٍ فى معصيةِ اللَّهِ، ولا

(١ - ١) سقط من: النسخ. والمثبت من المسند.

(٢) فى م: «قتلتها».

(٣) الرُّغاء: صوت البعير. النهاية ٢/ ٢٤٠.

(٤) فى ص: «مجربة». ومجرسة: مجربة مدربة فى الركوب والسير. النهاية ١/ ٢٦٠، ٢٦١.

فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدمَ » . ورواه مُسْلِمٌ ، عن أبى الرَّبيعِ الزَّهْرانىِّ ، عن حَمَّادِ بنِ زيدٍ ، به[1] .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان مما قيل مِن الأشْعارِ فى غَزْوةِ ذى قَرَدٍ قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ ، رضى اللَّهُ عنه :

لولا الذى لاقَتْ ومسَّ نُسُورَها ... بجَنوبِ سايَةَ[3] أمسِ فى التَّقْوادِ[4]

لَلَقِينَكم يَحْمِلْنَ كلَّ مُدَجَّجٍ ... حامى الحقيقةِ ماجدِ الأجْدادِ[5]

ولَسَرَّ أولادَ اللَّقِيطةِ أننا ... سِلْمٌ غداةَ فَوارسِ المِقْدادِ[6]

كنّا ثمانيةً وكانوا جَحْفَلًا ... لَجِبًا فشُكُّوا بالرِّماحِ بَدادِ[7]

كنا مِن القومِ الذين يَلُونَهم ... ويُقَدِّمون عِنانَ كلِّ جَوادِ

كَلَّا وربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... يَقْطَعْن عُرْضَ مَخارِمِ الأَطْوادِ[8]

---

(١) مسلم (١٦٤١) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦. وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٣٢٦ - ٣٢٨.

(٣) فى ص : « شابة » .

(٤) أضمر فى « لاقت » ذكر الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر لأن الكلام يدل عليها . والنسور هنا : ما يكون فى باطن حافر الدابة مثل الحصى والنوى . وساية : اسم موضع . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦، ٣٧.

(٥) مدجج : كامل السلاح . والماجد : الشريف . المصدر السابق ٣/ ٣٧.

(٦) أولاد اللقيطة : هم الملتقطون الذين لا يعرف آباؤهم . والسِّلم والسُّلم بفتح السين وكسرها : الصلح . المصدر السابق .

(٧) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات . وشكوا : طعنوا . وبداد : هو فعال من التبدد . المصدر السابق .

(٨) الراقصات هنا : الإبل ، والرقص والرقصان : ضرب من مشيها . والمخارم جمع مخرم : وهو ما بين الجبلين . والأطواد : الجبال المرتفعة . المصدر السابق .

حتى نُبِيلَ الخيلَ فى عرَصاتِكم ... ونئوبَ بالمَلَكاتِ والأوْلادِ[1]

رَهْوًا بكلِّ مُقَلَّصٍ وطِمِرَّةٍ[2] ... فى كلِّ مُعْتَرَكٍ عطَفْنَ ووَادِ[3]

أفْنَى دَوابِرَها[4] ولاحَ مُتُونَها ... يومٌ تُقادُ به ويومُ طِرادِ[5]

فكذاك إنَّ جِيادَنا مَلْبُونَةٌ ... والحربُ مُشْعَلةٌ بريحِ غَوادِ[6]

وسيوفُنا بِيضُ الحَدائدِ تَجْتَلِى[7] ... جُنَنَ الحَديدِ وهَامةَ المُرْتادِ[8]

أخَذ الإلهُ عليهمُ لحَرامِه ... ولعِزَّةِ الرحْمنِ بالأَسْدادِ[9]

كانوا بدارٍ ناعمين فبُدِّلوا ... أيامَ ذى قَرَدٍ وجوهَ عِنادِ[10]

قال ابنُ إسحاقَ[11] : فغضِب [12]سعدُ بنُ زيدٍ[12] أميرُ سَرِيةِ الفَوارسِ

---

(١) نبيل الخيل: هو من لفظ البول أى نجعلها تبول. والعرصات: جمع عرصة وهى وسط الدار. ونئوب: نرجع. والملكات: النساء اللائى أُمْلِكْن. شرح غريب السيرة ٣/٣٧ .

(٢) الرهو: مشى فى سكون. ومقلص: مشمر. وطمرة: فرس وثابة سريعة. المصدر السابق.

(٣) كذا فى النسخ والسيرة. وفى الروض الأنف: «روادى». قال أبو ذر: رواد: من رواه بفتح الراء فمعناه سريعات من ردى الفرس يردى إذا أسرع، ومن رواه بكسر الراء فهو من المشى الرُّويد؛ وهو الذى فيه فتور. المصدر السابق. والروض الأنف ٦/ ٣٩٧، ٤٢٨.

(٤) فى الأصل، ص: «دوائرها». ودوابرها: أواخرها. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٧.

(٥) لاح: غيَّر وأضعف. ومتونها: ظهورها. والطراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضًا. المصدر السابق.

(٦) ملبونة: تُسقَى اللبن. المصدر السابق.

(٧) فى ص: «تختلى»، وتجتلى: تقطع. المصدر السابق.

(٨) الجنن: جمع جنة، وهى السلاح. والمرتاد: الطالب للحرب هنا. المصدر السابق.

(٩) الأسداد جمع سد: وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه. المصدر السابق ٣/ ٣٨.

(١٠) كذا فى النسخ. وهو لفظ سائر أصول السيرة، كما أشار محققوها. وفى السيرة: «عباد». ووجوه عباد: أراد وجوه عَبيد. المصدر السابق.

(١١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧. وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٤٥.

والقول فى السيرة منسوبٌ إلى ابن هشام، وليس لابن إسحاق كما ذكر المصنف.

(١٢ - ١٢) سقط من: ص.

المتقدمين أمامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ على حسانَ، وحلَف لا يُكَلِّمُه أبدًا، وقال: انْطَلَقَ إلى خيلى وفَوارسى فجعَلها للمِقْدادِ. [٣/ ٤٥و] فاعْتَذر إليه حسانُ بأنه وافق الرَّوِىُّ اسمَ المِقْدادِ، ثُم قال أبياتًا يَمْدَحُ بها سعدَ بنَ زيدٍ:

إذا أرَدْتُم الأشَدَّ الجَلْدَا أو ذا غَناءٍ فعليكم سعْدَا

سعدَ بنَ زيدٍ لا يُهَدُّ هَدَّا

قال: فلم تَقَعْ منه بمَوْقِعٍ. وقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى يومِ ذى قَرَدٍ[(١)]:

أظَنَّ عُيَيْنةُ إذ زارها بأنْ سوف يَهْدِمُ فيها قُصورَا[(٢)]

فأُكْذِبْتَ ما كنتَ صدَّقْتَهُ وقلْتُم سنَغْنَمُ أمْرًا كبيرَا

فعِفْتَ المدينةَ إذ زُرْتَها وآنَسْتَ للأُسْدِ فيها زَئِيرَا[(٣)]

ووَلَّوا سِراعًا كشَدِّ النَّعامِ ولم يَكْشِفوا عن مُلِطٍّ حَصِيرَا[(٤)]

أميرٌ علينا رسولُ المَلِيـ ـكِ أحْبِبْ بذاك إلينا أميرَا

رسولٌ نُصَدِّقُ ما جاءهُ ويَتْلو كِتابًا مُضِيئًا مُنيرَا

وقال كعبُ بنُ مالكٍ فى يومِ ذى قَرَدٍ، يَمْدَحُ الفُرْسانَ يومئذٍ مِن المسلمين[(٥)]:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧. وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٣٨٤.

(٢) إذ زارها: يعنى المدينة، فأضمرها للعلم بها وإن لم يتقدم لها ذكر. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٨.

(٣) عفت: كرهت. وآنست: أحسست ووجدت. والزئير: من أصوات الأسود. المصدر السابق.

(٤) الشد: الجرى. والملط هنا: اللاصق بالأرض. والحصير هنا: وجه الأرض. المصدر السابق.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧، ٢٨٨.

أيَحْسَبُ أولادُ اللَّقِيطةِ أننا ... على الخيلِ لسنا مثلَهم فى الفَوارسِ

وإنا أُناسٌ لا نرَى القَتْلَ سُبَّةً ... ولا نَنْثَنِى عندَ الرِّماحِ المَداعِسِ[1]

وإنا لنَقْرِى الضَّيفَ مِن قَمَعِ الذُّرَى[2] ... ونَضْرِبُ رأسَ الأَبْلَخِ[3] المُتَشاوِسِ

نَرُدُّ كُماةَ المُعْلَمِين إذا انتَخَوا ... بضربٍ يُسَلِّى نَخْوةَ المُتَقاعِسِ[4]

بكلِّ فَتًى حامى الحقيقةِ ماجدٍ ... كريمٍ كسِرْحانِ الغَضاةِ[5] مُخالِسِ

يَذودون عن أحسابِهم وتِلادِهم[6] ... ببِيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحتَ القَوانِسِ[7]

فسائِلْ بنى بدرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... بما فعَل الإخوانُ يومَ التَّمارُسِ[8]

إذا ما خرَجْتُم فاصْدُقوا مَن لَقِيتُمُ ... ولا تَكْتُموا أخْبارَكم فى المَجالِسِ

وقُولوا زَلَلْنا عن مَخالِبِ خادِرٍ[9] ... به وَحَرٌ[10] فى الصدرِ ما لم يُمارِسِ[11]

---

(١) المداعس: المطاعن. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٨، ٣٩.

(٢) القمع: جمع قَمَعَة؛ وهى أعلى سنام البعير. والذرى: الأسنمة. المصدر السابق ٣/ ٣٩.

(٣) فى النسخ: «الأبلج». والمثبت من السيرة وشرح غريبها. والأبلخ: المتكبر. والمتشاوس: الذى ينظر بمؤخَّر عينه نظر المتكبر. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٩.

(٤) انتخوا: تكبروا. والمتقاعس: الذى لا يلين ولا ينقاد. المصدر السابق.

(٥) السرحان: الذئب. والغضاة: شجرة، وجمعها غضًى، ويقال: إن أخبث الذئاب ذئاب الغضى. المصدر السابق.

(٦) فى م، ص: «بلادهم». والتلاد: المال القديم. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٩.

(٧) تقد: تقطع. والقوانس: جمع قونس؛ أعلى بيضة الحديد وهى الخوذة. انظر المصدر السابق.

(٨) التمارس: المضاربة فى الحرب والمقاربة. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٩.

(٩) خادر: الأسد فى خِدره. المصدر السابق.

(١٠) الوحر: الحقد. المصدر السابق.

(١١) فى ص: «يدارس».

غزوَةُ بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ

قال البخاريُّ[1] : وهى غَزوةُ المُرَيْسِيعِ . قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : وذلك فى سنةِ سِتٍّ . وقال موسى بنُ عُقْبةَ[3] : سنةَ أربعٍ . وقال النُّعمانُ بنُ راشدٍ ، عن الزُّهْرىِّ[4] : كان حديثُ الإفْكِ فى غزوةِ المُرَيْسِيعِ . هكذا حَكاه[5] البخاريُّ ، عن مغازى موسى بنِ عُقبةَ ؛ أنَّها كانت فى سنةِ أربعٍ . والذى حَكاه البَيْهَقِىُّ عنه [٣/ ٤٥ظ] وعن عُروةَ ؛ أنَّها كانت فى شَعبانَ ، سنةَ خمسٍ[6] . وقال الواقدىُّ[7] : كانت لليلتَيْن مِن شعبانَ ، سنةَ خمسٍ ، فى سبعِمائةٍ مِن أصحابِه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ ، بعدَما أوْرَد قصةَ ذى قَرَدٍ[8] : فأقام

---

(١) فتح البارى ٧/ ٤٢٨.

(٢) المصدر السابق . وانظر سيرة ابن هشام ٢/٢٨٩ بنحوه .

(٣) فتح البارى ٧/ ٤٢٨.

(٤) المصدر السابق .

(٥) فى الأصل ، م : « رواه » .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٥، عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، وفى ٤/٤٤ عن عروة .

وانظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧. قال الحافظ : كذا ذكره البخارى ، وكأنه سبق قلم ؛ أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع . فتح البارى ٧/ ٤٣٠.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٤٥، ٤٦ عن الواقدى حتى قوله : سنة خمس . وأخرج بقية الأثر عن المسور بن رفاعة من طريق الواقدى فى ٤/ ٤٦. وانظر مغازى الواقدى ١/٤٠٤ دون قوله : « فى سبعمائة » .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٩.

رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ بعضَ جُمادَى الآخِرةِ، ورجَبًا، ثُم غزا بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ فى شعبانَ، سنةَ سِتٍّ. قال ابنُ هشامٍ: واسْتَعْمَل على المدينةِ أبا ذَرٍّ الغِفارِىَّ، ويُقالُ: نُمَيْلَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثِىُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّانَ، كلٌّ قد حدَّثنى بعضَ حديثِ بنى المُصْطَلِقِ، قالوا: بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنَّ بنى المُصْطَلِقِ يَجْمَعون له، وقائدُهم الحارثُ بنُ أبى ضِرارٍ، أبو جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارثِ التى تزَوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ هذا، فلمَّا سَمِع بهم خرَج إليهم، حتى لَقِيَهم على ماءٍ مِن مياهِهم يقالُ له: المُرَيْسِيعُ. مِن ناحيَةِ قُدَيْدٍ إلى الساحلِ، فتَزاحَم الناسُ واقْتَتَلوا، فهزَم اللَّهُ بنى المُصْطَلِقِ، وقَتَل مَن قَتَل منهم، ونَفَّل[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم، فأفاءَهم[3] عليه.

وقال الواقدىُّ[4]: خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ للَيْلتَيْن خلتا مِن شعبانَ، سنةَ خمسٍ مِن الهجرةِ، فى سبعِمائةٍ مِن أصحابِه إلى بنى المُصْطَلِقِ، وكانوا حُلفاءَ بنى مُدْلِجٍ، فلمَّا انْتَهَى إليهم، دفَع رايةَ المُهاجرين إلى أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ، ويُقالُ: إلى عَمّارِ بنِ ياسرٍ. ورايةَ الأنْصارِ إلى سعدِ بنِ عُبادةَ، ثُم أمَر عمرَ بنَ الخطابِ، فنادَى فى الناسِ، أن قولوا: لا إلهَ إلا اللَّهُ. تَمْنَعوا بها أنفُسَكم،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٠.

(٢) فى م، ص: «ونقل».

(٣) فى الأصل، ص: «فأقام».

(٤) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة إلى قوله: «فى سبعمائة من أصحابه». وانظر بقيته فى مغازى الواقدى ١/ ٤٠٤ - ٤٠٧ بنحوه مطولًا.

وأمْوالكم. فأبَوْا، فترامَوْا بالنَّبْلِ، ثُم أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين، فحَمَلوا حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ، فما أفْلَت منهم رجلٌ واحدٌ، وقُتِل منهم عشَرةٌ، وأُسِر سائرُهم، ولم يُقْتَلْ مِن المسلمين إلَّا رجلٌ واحدٌ.

وثبَت فى «الصحيحين»[1] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْنٍ، قال: كَتَبْتُ إلى نافعٍ أسْأَلُه عن الدُّعاءِ قبلَ القتالِ، فقال: قد أغار رسولُ اللَّهِ ﷺ على بنى المُصْطَلِقِ وهم غارُّون[2]، و[3]أنْعامُهم تُسْقَى على الماءِ، فقَتَل مُقاتِلَتَهم، وسَبَى سَبْيَهم، فأصاب يومَئذٍ - أحسَبُه قال: - جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارثِ. وأخْبَرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بذلك، وكان فى ذلك الجيشِ.

[٣/٤٦و] قال ابنُ إسحاقَ[4]: وقد أُصِيب رجلٌ مِن المسلمين، يقالُ له: هشامُ بنُ صُبابَةَ. أصابَه رجلٌ مِن الأنصارِ، وهو يَرَى أنه مِن العدوِّ، فقَتَلَه خطأً.

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ أخاه مِقْيَسَ بنَ صُبابةَ قَدِم مِن مكةَ مُظْهِرًا للإسلامِ، فطَلَب دِيَةَ أخيه هِشامٍ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ لأنَّه قُتِل خطأً، فأعْطاه دِيَتَه، ثُم مَكَث يَسيرًا، ثُم عَدا على قاتلِ أخيه فقَتَله، ورجَع مُرْتَدًّا إلى مكةَ، وقال فى ذلك:

---

(١) البخارى (٢٥٤١). ومسلم (١٧٣٠).

(٢) غارون: جمع غار - بالتشديد - أى غافل، أى أخَذَهم على غِرَّة. فتح البارى ٥/ ١٧١.

(٣) فى م: «فى».

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٠.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤.

شَفَى النفسَ أن قد باتَ بالقاعِ مُسْنَدًا يُضَرِّجُ[1] ثَوْبَيْه دِماءُ الأَخادِعِ[2]

وكانت همومُ النفسِ مِن قبلِ قتْلِه تُلِمُّ فتَحْمِينى وِطاءَ المَضاجِعِ[3]

حَلَلْتُ به وِتْرِى وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتى[4] وكنتُ إلى الأَوْثانِ أَوَّلَ راجِعِ

ثَأَرْتُ به فِهْرًا وحَمَّلْتُ عَقْلَه سَراةَ بنى النَّجّارِ أربابَ فارِعِ[5]

قلتُ : ولهذا كان مِقْيَسٌ هذا مِن الأربعةِ الذين أَهْدَر رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ دِماءَهم ، وإن وُجِدوا مُعَلَّقِين بأَسْتارِ الكعبةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فبينا الناسُ[7] على ذلك الماءِ ، وَرَدَتْ وَارِدةُ الناسِ ، ومع عمرَ بنِ الخطابِ أَجِيرٌ له مِن بنى غِفارٍ ، يُقالُ له : جَهْجَاهُ بنُ مَسْعودٍ . يقودُ فرسَه ، فازْدَحم جَهْجَاهٌ ، وسِنانُ بنُ وَبَرٍ الجُهَنىُّ ، حليفُ بنى عَوْفِ بنِ الخزرجِ ، على الماءِ ، فاقْتَتَلا ، فصَرَخ الجُهَنىُّ : يا معشرَ الأنصارِ . وصرَخ جَهْجاهٌ : يا معشرَ المُهاجرين . فغَضِب عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ ابنُ سَلُولَ ، وعندَه رَهْطٌ مِن قومِه ، فيهم زيدُ بنُ أَرْقَمَ ؛ غلامٌ حَدَثٌ ، فقال[8] : أَوَ قد فَعَلوها ؟ قد

---

(١) فى الأصل : « يصرخ » ، وفى ص : « يضرح » . وفى السيرة : « تضرج » . ويضرج : يُلطِّخ . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤١.

(٢) الأخادع : عروق فى القفا ، وإنما هما أخدعان فجَمَعَهما مع ما يليهما . المصدر السابق .

(٣) تلم : أى تنزل وتزور . وتحمينى : أى تمنعنى . ووطاء المضاجع : ليّناتُها . المصدر السابق .

(٤) وترى : الوتر طَلَبُ الثأر . والثؤرة : الثأر . المصدر السابق .

(٥) العقل هنا الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : اسم حصنٍ لهم . المصدر السابق .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٠ - ٢٩٢.

(٧) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « رسول اللَّه ﷺ » .

(٨) أى عبد اللَّه بنُ أبى ، لعنه اللَّه .

نافَرُونا ، وكاثَرُونا فى بلادِنا ، واللَّهِ ما أعُدُّنا وجَلابِيبَ قريشٍ[1] هذه ، إلَّا كما قال الأولُ : سَمِّنْ كلْبَك يَأْكُلْك . أمَا واللَّهِ ، لَئِنْ رَجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ . ثُم أقْبَل على مَن حَضَره مِن قومِه فقال : هذا ما فَعَلْتُم بأنفُسِكم ؛ أحْلَلْتُموهم بِلادَكم ، وقاسَمْتُموهم أمْوالكم ، أما واللَّهِ ، لو أمْسَكْتُم عنهم ما بأيدِيكُم ؛ لَتَحَوَّلوا إلى غيرِ دارِكم . فسَمِع ذلك زيدُ بنُ أرْقَمَ ، فمَشَى به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [2]وذلك عندَ فراغِ رسول اللَّه ﷺ[2] [3]مِن عدوِّه[3] ، فأخْبَرَه الخبرَ ، وعندَه عمرُ بنُ الخطابِ فقال[4] : مُرْ به عَبّادَ بنَ بِشْرٍ فلْيَقْتُلْه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فكيف يا عمرُ ، إذا تَحَدَّثَ الناسُ أن محمـدًا يَقْتُلُ [٣/ ٤٦ظ] أصحابَه ، لا ، ولكن أذِّنْ بالرحيلِ » . وذلك فى ساعةٍ لم يَكُنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْتَحِلُ فيها ، فارْتَحَل الناسُ ، وقد مشَى عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ بَلَغه أن زيدَ بنَ أرْقَمَ قد بَلَّغه ما سَمِع منه ، فحَلَف باللَّهِ : ما قلتُ ما قال ، ولا تَكَلَّمْتُ به . وكان فى قومِه شريفًا عظيمًا ، فقال مَن حَضَر رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن الأنصارِ مِن أصحابِه : يا رسولَ اللَّهِ ، عسى أن يكونَ الغلامُ أوْهَم فى حديثِه ، ولم يَحْفَظْ ما قال الرجلُ . حَدَبًا[5] على ابنِ أُبَيٍّ ودَفْعًا عنه . فلمَّا استَقَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وسار ، لَقِيَه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ ، فحيَّاه بتحيةِ النبوةِ وسَلَّم عليه ، وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد رُحْتَ فى ساعةٍ

---

(١) جلابيب قريش : هو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقَّبهم بذلك المشركون . وأصل الجلابيب الأُزُر الغلاظ ، واحدها جلباب ، وكانوا يلتحفون بها ، فلَقَّبوهم بذلك . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠ .

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « من » .

(٥) الحَدَب : التَّحنُّن والعطف . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠ .

مُنْكَرَةٍ ، ما كنتَ تَرُوحُ فى مثلِها . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَ ما بَلَغك ما قال صاحبُكم ؟ » قال : أىُّ صاحبٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ » . قال : وما قال ؟ قال : « زَعَم أنَّه إن رجَع إلى المدينةِ ؛ أخْرَج الأعَزُّ منها الأذَلَّ » . قال : فأنت واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، تُخْرِجُه[1] إن شِئْتَ ، هو واللَّهِ الذَّليلُ وأنت العزيزُ . ثُم قال : يا رسولَ اللَّهِ ارْفُقْ به[2] ، فواللَّهِ لقد جاءنا اللَّهُ بك ، وإنَّ قومَه لَيَنْظِمون له الخَرَزَ لِيُتَوِّجُوه ، فإنَّه لَيَرَى أنَّك قد اسْتَلَبْتَه مُلْكًا . ثُم مَشَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ يومَهم ذلك حتى أمْسَى ، وليلَتَهم حتى أصْبَح ، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتى آذَتْهم الشمسُ ، ثُم نزلَ بالناسِ ، فلم يَلْبَثوا أن وجَدوا مَسَّ الأرْضِ ، فوَقَعوا نِيامًا ، وإنَّما فعَل ذلك لِيَشْغَلَ الناسَ عن الحديثِ الذى كان بالأمسِ ؛ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ، ثُم راح رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ ، وسلَك الحجازَ ، حتى نزَل على ماءٍ بالحجازِ فُوَيْقَ النَّقِيعِ[3] ، يقالُ له : بَقْعَاءُ . فلمَّا راحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، هَبَّت على الناسِ رِيحٌ شديدةٌ ، فآذَتْهم وتَخَوَّفوها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَخَوَّفوها[4] ؛ فإنَّما هبَّتْ لموتِ عظيمٍ مِن عُظماءِ الكفارِ » . فلمَّا قَدِموا المدينةَ وَجَدوا رِفاعةَ بنَ زيدِ بنِ التَّابوتِ ، أحدَ بنى قَيْنُقاعَ[5] ، وكان عظيمًا مِن عُظماءِ يهودَ ، وكَهْفًا للمنافِقِين ، مات ذلك اليومَ . وهكذا ذكَر

---

(١) بعده فى السيرة : « منها » .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣) النقيع : موضع تلقاء المدينة ، بينها وبين مكة ، على ثلاث مراحل من مكة . معجم ما استعجم ٤/ ١٣٢٣ .

(٤) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « تخافوها » . وتخوفوها : أى تَتَخَوَّفوها .

(٥) بعده فى الأصل : « قد أظهر الإسلام » .

موسى بنُ عُقبةَ ، والواقدىُّ[1] .

وروَى مسلمٌ[2] ، مِن طريقِ الأعْمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ نحوَ هذه القصةِ ، إلَّا أنه لم يُسَمِّ الذى مات مِن المُنافقِين ، قال : [٣/٤٧و] هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ والنبىُّ ﷺ فى بعضِ أسْفارِه ، فقال : « هذه لِموتِ مُنافِقٍ » . فلمَّا قَدِمْنا المدينةَ ، إذا هو قد مات عظيمٌ مِن عُظماءِ المُنافقِين .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ونزَلت السورةُ التى ذكَر اللَّهُ فيها المُنافِقِين ؛ فى ابنِ أُبَىٍّ ، ومَن كان على مثلِ أمرِه ، فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأُذُنِ زيدِ بنِ أرْقَمَ ، وقال : « هذا الذى أَوْفَى اللَّهُ[4] بأُذُنِه » .

قلتُ : وقد تَكَلَّمْنا على تفسيرِها بتمامِها ؛ فى كتابِنا « التفسيرِ »[5] بما فيه كِفايةٌ عن إعادتِه هـٰهنا ، وسَرَدْنا طُرُقَ هذا الحديثِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، فمَن أراد الوقوفَ عليه ، أو أحَبَّ أن يَكْتُبَه هـٰهنا ، فلْيَطْلُبْه مِن هناك ، وباللَّهِ التوفيقُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّه بَلَغَنى أنَّك تُريدُ قَتْلَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ، فيما بَلَغَك عنه ، فإن كنتَ فاعلًا فمُرْنى[7] به ،

---

(١) دلائل النبوة ٤/٥٦ - ٥٨، ومغازى الواقدى ٢/٤١٥ - ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣، مطولًا ، بنحوه .

(٢) مسلم (٢٧٨٢) بنحوه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٢.

(٤) فى م : « للَّه » .

(٥) التفسير ٨/١٥١ - ١٦٠. سورة « المنافقون » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٧) فى الأصل ، م : « فمر لى » .

فأنا أحْمِلُ إليك رأسَه، فواللَّهِ لقد عَلِمَتِ الخزرجُ؛ ما كان بها مِن رجلٍ أبَرَّ بوالِدِه منِّى، وإنِّى أخْشَى أن تَأْمُرَ به غيرى فيَقْتُلَه، فلا تَدَعُنى نفسى أن أنْظُرَ إلى قاتلِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ يَمْشى فى الناسِ، فأَقْتُلَه، فأقْتُلَ مؤمنًا بكافرٍ، فأدْخُلَ النارَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بل نَترَفَّقُ به، ونُحْسِنُ صُحْبَتَه ما بَقِىَ معنا». وجعَل بعدَ ذلك إذا أحْدَث الحَدَثَ؛ كان قومُه هم الذين يُعاتِبُونه، ويَأْخُذونه ويُعَنِّفونه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ بنِ الخطابِ، حينَ بلَغه ذلك مِن شأْنِهم: «كيف تَرَى يا عمرُ، أمَا واللَّهِ لو قَتَلْتُه يومَ قلتَ لى: اقتُلْه[1]. لأَرْعَدَتْ له آنُفٌ[2]، لو أمَرْتُها اليومَ بقتلِه لَقَتَلَتْه». فقال عمرُ: قد واللَّهِ عَلِمْتُ؛ لَأَمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أعْظَمُ برَكةً مِن أمْرِي.

وقد ذكَر عِكْرِمةُ وابنُ زيدٍ وغيرُهما[3]، أنَّ ابنَه عبدَ اللَّهِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، وَقَف لأبيه عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ عندَ مَضِيقِ المدينةِ فقال: قِفْ، فواللَّهِ لا تَدْخُلْها حتى يَأْذَنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ذلك. فلمَّا جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَأْذَنه فى ذلك، فأذِن له، فأَرْسَلَه حتى دَخَل المدينةَ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وأُصِيب يومئذٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ ناسٌ، وقتَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ منهم رَجُلَيْن؛ مالكًا وابنَه. قال ابنُ هشامٍ[4]: وكان شِعارُ المسلمين: يا مَنْصورُ، أمِتْ أمِتْ.

قال ابنُ إسحاق[4]: [٣/٤٧ظ] وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أصاب منهم سَبْيًا

---

(١) زيادة من: ص.

(٢) أرعدت: توعَّدتْ بالشر وهدَّدتْ. والآنف: الأنوف.

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٨/١١٣ عن عكرمة، وفى ٢٨/ ١١٤، ١١٥ عن ابن زيد. كلاهما مطولا.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٤.

كثيرًا ، فقَسَمهم فى المسلمين .

وقال البخارىُّ[1] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سَعِيدٍ ، أخْبَرَنى إسماعيلُ بنُ جعفرٍ ، عن رَبيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ حَبَّانَ ، عن ابنِ مُحَيْرِيزٍ ، أنَّه قال : دَخَلْتُ المسجدَ فرأيْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِىَّ ، فجَلَسْتُ إليه ، فسَأَلْتُه عن العَزْلِ ، فقال أبو سعيدٍ : خَرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ بنى المُصْطَلِقِ ، فأصَبْنا سَبْيًا مِن سَبْيِ العربِ ، فاشْتَهَيْنا النساءَ ، واشتَدَّتْ علينا العُزُوبَةُ ، وأحْبَبْنا العَزْلَ ، وقلْنا : نَعْزِلُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أظْهُرِنا ، قبلَ أن نَسْأَلَه . فسَأَلْناه عن ذلك فقال : « ما عليكم أن لا تَفْعلوا ، ما مِن نَسَمةٍ كائنةٍ إلى يومِ القيامةِ إلَّا وهى[2] كائنةٌ » . وهَكذا رَواه[3] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان فيمَن أُصِيب يومَئذٍ مِن السَّبايا جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ بنِ أبى ضِرَارٍ ، فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ قالت : لمَّا قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ سَبايا بنى المُصْطَلِقِ وقَعت جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ فى السهمِ لثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، أو لابنِ عَمٍّ له ، فكاتَبَتْه على نفسِها ، وكانت امرأةً حُلْوةً مُلَّاحةً[5] ، لا يراها أحدٌ إلَّا أخَذَتْ بنفسِه ، فأتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ لتَسْتَعِينَه فى كِتابتِها . قالتْ[6] : فواللَّهِ ، ما هو إلَّا أن رأيْتُها

---

(١) البخارى (٤١٣٨) .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) أى البخارى فى كتاب المغازى . وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه بألفاظ مختلفة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥، بنحوه .

(٥) ملاحة : هى الشديدة المَلاحة . شرح غريب السيرة ٣/ ٤١ .

(٦) بعده فى السيرة : « عائشة » .

على بابِ حُجْرتى فكَرِهْتُها ، وعَرَفْتُ أنَّه سيَرَى منها ما رأيْتُ . فدخَلَتْ عليه فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ بنِ أبى ضِرارٍ سيِّدِ قومِه ، وقد أصابَنى مِن البَلاءِ ما لم يَخْفَ عليك ، فوَقَعْتُ فى السهمِ لثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، أو لابنِ عَمٍّ له ، فكاتَبْتُه على نفسى ، فجِئْتُك أسْتَعِينُك على كِتابتى . قال : « فهل لكِ فى خيرٍ مِن ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أقْضِى عنكِ[1] كِتابَتَكِ[2] ، وأتَزَوَّجُكِ » . قالت : نعم ، يا رسولَ اللَّهِ . قال[3] : « قد فَعَلْتُ » . قالت[4] : وخَرَج الخبرُ إلى الناسِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارثِ ، فقال الناسُ : أصْهارُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأرْسَلوا ما بأيدِيهم . قالت : فلقد أُعْتِق بتَزْويجِه إيَّاها مائةُ أهلِ بيتٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ ، فما أعْلَمُ امرأةً كانتْ[5] أعْظَمَ برَكةً على قومِها منها . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ الإفْكِ بتمامِها[6] فى هذه الغزوةِ ، وكذلك البخارىُّ[7] ، وغيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ، وقد حرَّرْتُ طُرُقَ ذلك كلِّه فى تفسيرِ سورةِ النُّورِ[8] ، فلْيُلْحَقْ بكَمالِه إلى هـٰهنا . وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « كتابك » .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٤) أى عائشة ، رضى الله عنها .

(٥) زيادة من : ص .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٧ - ٣٠٧.

(٧) البخارى : كتاب المغازى ، باب حديث الإفك ، حديث (٤١٤١) . وكتاب التفسير ، تفسير سورة النور باب ﴿لولا إذ سمعتموه ...﴾ ، حديث (٤٧٥٠) .

(٨) التفسير ٦/١٧ - ٣١. سورة النور ، الآيات ١١ - ٢٢.

وقال الواقدىُّ[1] : [٣/٤٨و] حدَّثنا [2]حَرامٌ ، عن[2] هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه ، قال : قالت جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ : رأيْتُ قبلَ قُدومِ النبىِّ ﷺ بثلاثِ ليالٍ ، كأَنَّ القمرَ يَسِيرُ مِن يَثْرِبَ ، حتى وَقَع فى حِجْرى ، فكَرِهْتُ أن أُخْبِرَ به أحدًا مِن الناسِ ، حتى قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا سُبِينا رجَوْتُ الرُّؤْيا . قالت : فأعْتَقَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وتَزَوَّجنى ، واللَّهِ ، ما كَلَّمْتُه فى قومى ، حتى كان المسلمون هم الذين أرْسَلوهم ، وما شَعَرْتُ إلَّا بجاريةٍ مِن بناتِ عمِّى تُخْبِرُنى الخبرَ ، فحَمِدْتُ اللَّهَ تعالى . قال الواقدىُّ[3] : ويُقالُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [4]جعَل صداقَها عِتْقَ كلِّ أسيرٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ . ويُقالُ[4] : جعَل صَداقَها عِتْقَ أرْبعين مِن بنى المُصْطَلِقِ . وذَكَر موسى بنُ عُقْبةَ[5] ، عن بنى المُصْطلِقِ أنَّ أباها طَلَبَها وافْتَداها ، ثُم خَطَبها منه رسولُ اللَّهِ ﷺ فزَوَّجه إيَّاها .

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٤١١، ٤١٢. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٥٠ من طريق الواقدى به .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « حزام بن » .

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٤١٢. وأخرجه عنه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٥٠.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٥١ عن موسى بن عقبة ، به .

(١) قِصَّةُ الإفْكِ (١)

(*) وهذا سياقُ محمدِ بنِ إسحاقَ لحديثِ الإفْك؛ قال ابنُ إسحاقَ (٢): حدَّثنى الزُّهْرىُّ، عن عَلْقمةَ بنِ وَقّاصٍ، وسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ (٣)، و (٤) عروةَ بنِ الزبيرِ (٥) وعُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ (٥) بنِ عُتْبةَ. قال الزُّهْرىُّ: كلٌّ قد حَدَّثنى بعضَ هذا الحديثِ، وبعضُ القومِ كان أوْعَى له مِن بعضٍ، وقد جَمَعْتُ لك الذى حدَّثنى القومُ.

قال ابنُ إسحاقَ (٦): و (٧) حدَّثنى يَحْيَى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، عن أبيه، عن عائشةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، عن عَمْرَةَ بنتِ عبدِ الرحمنِ، عن

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٧.

(٣) كذا فى النسخ وهو الصواب. وفى السيرة: «جبير». وهو خطأ. فقد رواه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦١١ من طريق ابن إسحاق عن الزهرى عن مشايخه الأربعة، وذكر منهم سعيد بن المسيب، وليس ابن جبير، وكذلك رواه البخارى فى صحيحه (٤٧٥٠) من طريق الزهرى بسند الطبرى، ولم يذكر سعيد ابن جبير. وقد صرح الحافظ فى الفتح أنه تتبع طرق الحديث من رواية محمد بن إسحاق عن عروة، وعلقمة، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله. ولم يذكر رواية لابن جبير عن عائشة. فيظهر بذلك خطأ ذكر سعيد بن جبير فى الإسناد. والله أعلم.

(٤) فى ص: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤١٩.

(٥ - ٥) فى الأصل: «وعبد الله بن عبد الله». وفى م: «وعبد الله بن عبيد الله». وانظر المصدر السابق.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٧ - ٣٠٢.

(٧) سقط من: م.

عائشةَ ، عن نفسِها ، حينَ قال فيها أهلُ الإفْكِ ما قالوا ، فكلٌّ قد دخَل فى حديثِها ، عن هؤلاء جميعًا ، يُحَدِّثُ بعضُهم ما لم يُحَدِّثْ صاحبُه ، وكلٌّ كان عنها ثِقةً ، فكلُّهم حدَّث عنها بما سمِع ، قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أراد سَفَرًا أقْرَع بينَ نسائِه ، فأيَّتُهُنَّ خَرَج سهمُها ، خرَج بها معه ، فلمَّا كان غزوةُ بنى المُصْطَلِقِ أقْرَع بينَ نسائِه ، كما كان يَصْنَعُ ، فخرَج سهمى عليهنَّ معه ، فخرَج بى رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالت : وكان النساءُ إذْ ذاك يأْكُلْن العُلَقَ[1] ، لم يُهبِّجْهُنَّ[2] اللحمُ فيثْقُلْن ، وكنتُ إذا رُحِّل لى بعيرى جلَسْتُ فى هَوْدَجى ، ثُم يأتى القومُ الذين كانوا يُرَحِّلون لى ، ويَحْمِلُوننى فيأْخُذون بأسْفلِ الهَوْدَجِ ، فيَرْفَعونه فيَضَعُونه على ظهرِ البعيرِ ، فيَشُدُّونه بحبالِه ، ثُم يَأخُذون برأسِ البعيرِ فينْطَلِقون به . قالت : فلمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٤٨ظ] مِن سفرِه ذلك ، وجَّه قافلًا ، حتى إذا كان قريبًا مِن المدينةِ نزَل مَنْزِلًا ، فبات به بعضَ الليلِ ، ثُم أذَّن[3] فى الناسِ بالرحيلِ ، فارْتَحل الناسُ ، وخَرَجْتُ لبعضِ حاجتى ، وفى عُنُقى عِقْدٌ لى ، فيه جَزْعُ ظَفَارِ[4] ، فلمَّا فَرَغتُ انْسَلَّ مِن عُنُقى ، [5]ولا أدْرى ، فلمَّا رَجَعْتُ إلى الرَّحْلِ ذهَبْتُ [6]ألْتَمِسُه فى عُنُقى[5] ، فلم أجِدْه ، وقد أخَذ الناسُ فى الرَّحيلِ ، فرجَعْتُ إلى مكانى الذى ذهَبْتُ[6] إليه ، فالْتَمَسْتُه حتى وَجَدْتُه ، وجاء

---

(١) العلق : جمع عُلْقة ، وهى ما فيه بُلْغَةٌ من الطعام إلى وقت الغداء . شرح غريب السيرة ٣/ ٤١، ٤٢.

(٢) فى ا ١٥، ص : « يهيجهن » ، وفى م والسيرة : « يهجهن » ، وفى النهاية ٥/ ٢٤٠ : « لم يُهَبِّلْهُنّ » . قال أبو ذر : التهبيج كالورم فى الجسد ، وفى الجمهرة : التهبيج انتفاخ الوجه وتقبُّضه . المصدر السابق ٣/ ٤٢. وانظر الروض الأنف ٦/ ٤٣٦.

(٣) بعده فى الأصل : « لمؤذن » . وفى م : « المؤذن » .

(٤) الجزع : الخَرَز . وظفار : اسم مدينة قُرْب صنعاء ، وهى التى يُنسب إليها الجزع فيقال : جزع ظفارى . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢. ومعجم البلدان ٣/ ٥٧٧.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥.

القومُ خِلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلون لىَ البعيرَ ، وقد كانوا فرَغوا مِن رِحْلَتِه ، فأخَذوا الهَوْدَجَ وهم يَظُنُّون أنِّى فيه ، كما كنتُ أصْنَعُ ، فاحْتَمَلوه فشَدُّوه على البعيرِ ، ولم يَشُكُّوا أنِّى فيه ، ثُم أخذُوا برأسِ البعيرِ فانْطَلَقوا به ، فرَجَعْتُ إلى العَسْكَرِ ، وما فيه داعٍ ولا مُجيبٌ ، قد انْطَلَق الناسُ . قالت : فتَلَفَّفْتُ بجِلْبابى ، ثُم اضْطَجَعْتُ فى مكانى ، وعرَفْتُ أن لو افْتُقِدْتُ لَرُجِع[1] إلىَّ . قالت : فواللَّهِ إنِّى لَمُضْطَجِعةٌ إذْ مَرَّ بى صَفْوانُ بنُ [2]المُعَطَّلِ السُّلَمىُّ[2] ، وقد كان تَخَلَّف عن العَسْكَرِ لبعضِ حاجتِه ، فلم يَبِتْ مع الناسِ ، فرَأَى سَوادى فأقْبَل حتى وقَف علىَّ ، وقد كان يرانى قبلَ أن يُضْرَبَ علينا الحجابُ ، فلمَّا رآنى قال : إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، ظَعِينةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! وأنا مُتَلَفِّفَةٌ فى ثيابى . قال : ما خَلَّفكِ ، يَرْحَمُكِ اللَّهُ ؟ قالت : فما كلَّمْتُه . ثُم قَرَّب إلىَّ البعيرَ ، فقال : ارْكَبى . واسْتَأْخَر عنى . قالت : فرَكِبْتُ ، وأخَذ برأسِ البعيرِ ، فانْطَلَق سريعًا يَطْلُبُ الناسَ ، فواللَّهِ ما أدْرَكْنا الناسَ ، وما افْتُقِدْتُ حتى أصْبَحْتُ ، ونَزَل الناسُ ، فلمَّا اطْمَأَنُّوا طَلَع الرجلُ يَقُودُ بى ، فقال أهلُ الإفْكِ ما قالوا ،

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « الناس » .

(٢ - ٢) فى ص : « المعطل بن رميضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى ثم الذكوانى . قال السهيلى : وكان يكون على الساقة يلتقط ما يسقط من ضياع المسافرين حتى يأتيهم به ، فلهذا تأخر بعد الجيش . قال : وقد قيل : إنما تأخر بسبب ثقل نومه . قال : ويشهد له بهذا ، الحديث الذى رواه أبو داود ، أن امرأته اشتكته إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه ، إنه ينام عن صلاة الصبح ، ويضربنى إذا صليت ، ويفطرنى إذا صمت . فذكر أنه ثقيل النوم ، وأنهم أهل بيت معروف لهم ذلك . فقال رسول اللَّه ﷺ : إذا استيقظت فصله . وذكر أن امرأته تطيل الصلاة ، وتقرأ فيها بما يقرأ به فى صلاته ، وأنها تكثر الصيام وهو حاضر . فنهى رسول اللَّه ﷺ أن تصوم المرأة وزوجها شاهد ، إلا بإذنه ... الحديث . قال السهيلى : وقتل صفوان شهيدا فى خلافة معاوية ، وقد اندقت رجله يوم قتل ، رضى اللَّه عنه ، ودفن بالجزيرة فى موضع يقال له : شمطاط » .

وارْتَجَّ[1] العَسْكَرُ، وواللَّهِ ما أعْلَمُ بشيءٍ مِن ذلك، ثُم قَدِمْنا المدينةَ، فلم أَلْبَثْ أنِ اشْتَكَيْتُ شَكْوى شديدةً، لا يَبْلُغُنى مِن ذلك شيءٌ، وقد انتهَى الحديثُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وإلى أبَوَىَّ، لا يَذْكُرون لى منه قليلًا ولا كثيرًا، إلَّا أنِّى قد أنْكَرْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بعضَ لُطْفِه بى؛ كنتُ إذا اشْتَكَيْتُ رَحِمنى، ولطَف بى، فلم يَفْعَلْ ذلك بى [٣/ ٤٩و] فى شَكواىَ تلك، فأنْكَرْتُ ذلك منه، كان إذا دخَل علىَّ وعندى أُمِّى تُمَرِّضُنى قال: كيف تِيكُم[2]؟ لا يَزيدُ على ذلك. قالت: حتى وجَدْتُ فى نفسى فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ - حينَ رَأَيْتُ ما رأيْتُ مِن جَفائِه لى - لو أذِنْتَ لى فانتَقَلْتُ[3] إلى أُمِّى فمَرَّضتْنى؟ قال: «لا عليكِ». قالتْ: فانْتَقَلْتُ[4] إلى أُمِّى، ولا عِلمَ لى بشيءٍ ممَّا كان، حتى نَقِهْتُ[5] مِن وجَعى بعدَ بِضْعٍ وعشرين ليلةً، وكُنّا قومًا عَرَبًا، لا نَتَّخِذُ فى بُيوتِنا هذه الكُنُفَ[6] التى تَتَّخِذُها الأعاجِمُ، نَعافُها ونَكْرَهُها، إنَّما كنا نخْرُجُ فى فُسَحِ المدينةِ، وإنَّما كانتِ النساءُ يَخْرُجْن فى كلِّ ليلةٍ فى حَوائِجِهنَّ، فخَرَجْتُ ليلةً لبعضِ حاجتى ومعى أُمُّ مِسْطَحٍ، ابنةُ أبى رُهْمِ بنِ المُطَّلِبِ[7] بنِ عبدِ مَنافٍ، وكانت أُمُّها بنتَ صَخْرِ بنِ عامرِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمٍ، خالةَ أبى بكرٍ الصديقِ[7]. قالت: فواللَّهِ، إنَّها لَتَمْشِى معى، إذ عَثَرَتْ فى مِرْطِها

---

(١) كذا فى النسخ. وهو لفظ إحدى نسخ السيرة، كما أشار محققوها. وفى السيرة: «ارتعج».

(٢) «تيكم» اسم إشارة للمفردة المؤنثة، مثل «ذاكم» للمذكر.

(٣) فى الأصل: «فأنقلب».

(٤) فى الأصل، م: «فانقلبت».

(٥) الناقِه: الذى أفاق من مرضه، ولم تتكامل صحته. فتح البارى ٨/ ٤٦٥.

(٦) الكنف: جمع كنيف وهو الساتر، والمراد به هنا المكان المتَّخَذ لقضاء الحاجة. المصدر السابق.

(٧ - ٧) زيادة من: ا ١٥، ص.

فقالت : تَعِس مِسْطَحٌ . ومِسْطَحٌ لقَبٌ ، واسمُه عَوْفٌ . قالت : فقلتُ : بِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ ما قُلتِ لرجلٍ مِن المهاجرين ، وقد شَهِد بدرًا . قالت : أوَ مَا بَلَغَكِ الخبرُ يا بنتَ أبى بكرٍ ؟! قالت : قلتُ : وما الخبرُ ؟ فأخْبَرَتْنى بالذى كان مِن قولِ أهلِ الإفْكِ . قلتُ : أوَ قد كان هذا ؟! قالت : نعم واللَّهِ لقد كان . قالت : فواللَّهِ ما قَدَرْتُ على أن أَقْضِىَ حاجتى ، ورَجَعْتُ ، فواللَّهِ ما زِلْتُ أَبْكى حتى ظَنَنْتُ أن البكاءَ سيَصْدَعُ كَبِدى[1] . قالت : وقلتُ لأُمِّى : يَغْفِرُ اللَّهُ لكِ ، تَحَدَّثَ الناسُ بما تَحَدَّثُوا به ولا تَذْكُرين لى مِن ذلك شيئًا ؟! قالت : أىْ بُنَيَّةُ ، خَفِّضى[2] عليكِ الشأنَ ، فواللَّهِ لَقلَّما كانتِ امرأةٌ حسناءُ عندَ رجلٍ يُحِبُّها ، لها ضَرائرُ ، إلَّا كَثَّرْن ، وكَثَّر الناسُ عليها . قالت : وقد قام رسولُ اللَّهِ ﷺ فخَطَبَهم ، ولا أعْلَمُ بذلك ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثُم قال : « أيها الناسُ ، ما بالُ رجالٍ يُؤْذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقِّ ، واللَّهِ ما علِمْتُ عليهم إلَّا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجلٍ ؛ واللَّهِ ما علِمْتُ منه إلَّا خيرًا ، وما يَدْخُلُ بيتًا مِن بُيوتى إلَّا وهو معى » . قالت : وكان كِبْرُ[3] ذلك عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ ، فى رجالٍ مِن الخزرجِ ، مع الذى قال مِسْطَحٌ ، وحَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ ؛ وذلك أنَّ أختَها زينبَ بنتَ جحشٍ كانت عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم تَكُنِ امرأةٌ مِن نسائِه تُناصِينى[4] فى المنزلةِ عندَه غيرُها ، فأمَّا زينبُ فعَصَمها اللَّهُ بدينِها فلم تَقُلْ إلَّا خيرًا ، وأمَّا [٣/ ٤٩ظ] حَمْنةُ فأشاعَتْ مِن ذلك ما أشاعتْ ،

---

(١) سيصدع كبدى : أى يَشقُّه . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢.

(٢) فى م : « خففى » . وخفضى عليك : أى هَوِّنى وسهِّلى . المصدر السابق .

(٣) الكبر : الإثم الكبير . الوسيط (ك ب ر) .

(٤) تناصينى : أى تنازعنى فى الرُّتبة عنده والمنزلة . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢.

تُضادُّنى[1] لأُختِها ، فشَقِيَتْ بذلك ، فلمَّا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ تلك المَقالةَ ، قال أُسَيْدُ بنُ حُضيْرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن يكونوا مِن الأوسِ ، نَكْفِكَهُم ، وإن يكونوا مِن إخْوانِنا مِن الخزرجِ ، فمُرْنا أمْرَك ، فواللَّهِ إنَّهم لأهلٌ أن تُضْرَبَ أعناقُهم . قالت : فقام سعدُ بنُ عُبادةَ ، وكان قبلَ ذلك يُرَى رجلًا صالحًا[2] ، فقال : كَذَبْتَ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ، لا تَضْرِبُ[3] أعْناقَهم ، أمَا واللَّهِ ما قلتَ هذه المَقالةَ إلَّا أنَّك قد عَرَفْتَ أنَّهم مِن الخزرجِ ، ولو كانوا مِن قومِك ما قُلتَ هذا . فقال أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ : كذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، ولكنَّك مُنافِقٌ تُجادِلُ عن المُنافِقِين[4] . قالت : وتَساوَر الناسُ[5] ، حتى كاد يكونُ بينَ هذين الحَيَّيْنِ مِن الأوْسِ والخزرجِ شرٌّ ، ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فدَخَل علَيَّ . قالت : فدَعا عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، وأسامةَ ابنَ زيدٍ فاسْتَشارهما ، فأمَّا أسامةُ فأثْنَى خيرًا وقاله ، ثُم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أهلُك ولا نَعْلَمُ منهم إلَّا خيرًا ، وهذا الكذبُ والباطلُ . وأمَّا عليٌّ فإنَّه قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ النساءَ لكثيرٌ ، وإنَّك لقادرٌ على أن تَسْتَخْلِفَ ، وسَلِ الجاريةَ فإنَّها ستَصْدُقُك . فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرةَ ليَسْأَلَها . قالت : فقام إليها عليٌّ فضَرَبَها ضَرْبًا شديدًا ، ويقولُ : اصْدُقى رسولَ اللَّهِ ﷺ . قالت : فتقولُ : واللَّهِ

---

(١) فى الأصل ، م : « تضارنى » .

(٢) قال الحافظ : قال ابن التين : أى لم يتقدَّم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية ، ولم تُرِدْ أنه ناضل عن المنافقين . قال الحافظ : وهو كما قال . فتح البارى ٨/ ٤٧٣.

(٣) فى السيرة : « نضرب » .

(٤) قال الحافظ : وقد اعتذر المازرى عن قول أسيدٍ لسعد بن عبادة ؛ أن ذلك وقع منه على جهة الغيظ والحنق والمبالغة فى زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن ابن أُبىٍّ وغيره ، ولم يُرِد النفاق الذى هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، قال : ولعلَّه صلى اللَّه عليه وسلم إنما ترك الإنكار عليه لذلك . فتح البارى ٨/ ٤٧٣، ٤٧٤.

(٥) تساور الناس : تواثبوا . انظر الوسيط (س و ر) .

ما أعْلَمُ إلَّا خيرًا ، وما كنتُ أعِيبُ على عائشةَ شيئًا ، إلَّا أنِّى كنتُ أعْجِنُ عجينى ، فآمُرُها أن تَحْفَظَه ، فتنامُ عنه ، فتَأْتى الشاةُ فتَأْكُلُه . قالت : ثُم دخَل علَىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعندى أبَواىَ ، وعندى امرأةٌ مِن الأنصارِ ، وأنا أبْكى وهى تَبْكى ، فجلَس فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثُم قال : يا عائشةُ ، إنَّه قد كان ما قد بَلَغكِ مِن قولِ الناسِ ، فاتَّقى اللَّهَ ، وإن كنتِ قد قارَفْتِ سُوءًا ممّا يقولُ الناسُ ، فتوبى إلى اللَّهِ ؛ فإنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التوبةَ عن عبادِه . قالت : فواللَّهِ إن هو إلَّا أن قال لى ذلك ، فقَلَص[1] دمعى ، حتى ما أُحِسُّ منه شيئًا ، وانتَظَرْتُ أبَوَىَّ أن يُجِيبا عنِّى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلم يَتَكَلَّما . قالت : وايْمُ اللَّهِ لَأنا كنتُ أحْقَرَ فى نفسى ، وأصْغَرَ شأنًا مِن أن يُنَزِّلَ اللَّهُ فىَّ قرآنًا يُقْرَأُ به ويُصَلَّى به ، ولكنِّى كنتُ أرْجو أن يُرَى النبىُّ ﷺ فى نومِه شيئًا يُكَذِّبُ به اللَّهُ عنى ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِن بَراءَتى ، أو[2] يُخْبَرَ خَبَرًا ، [٣/ ٥٠و] وأمَّا قرآنًا يَنْزِلُ فىَّ ، فواللَّهِ لَنفسى كانت أحْقَرَ عندى مِن ذلك . قالت : فلمَّا لم أرَ أبَوَىَّ يَتَكَلَّمان ، قلتُ لهما : ألا تُجِيبان رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالا : واللَّهِ ما نَدْرى بماذا نُجِيبُه . قالت : وواللَّهِ ما أعْلَمُ أهلَ بيتٍ دخَل عليهم ما دَخَل على آلِ أبى بكرٍ فى تلك الأيامِ . قالت : فلمَّا اسْتَعْجَما[3] علىَّ ، اسْتَعْبَرْتُ فبَكَيْتُ ، ثُم قلتُ : واللَّهِ لا أتوبُ إلى اللَّهِ ممَّا ذكَرْتَ أبدًا ، واللَّهِ إنِّى لَأعْلمُ لئن أقْرَرْتُ بما يقولُ الناسُ ، واللَّهُ يَعْلَمُ أنِّى منه بريئةٌ ، لَأَقُولَنَّ ما لم يَكُنْ ، ولئن أنا أنْكَرْتُ ما يقولون ، لا تُصَدِّقُونَنى . قالت : ثُم الْتَمَسْتُ اسمَ يعقوبَ ، فما أذْكُرُه ، فقلتُ : ولكنْ سأقولُ كما قال

---

(١) قلص : أى استمسك نزوله فانقطع . فتح البارى ٨/ ٤٧٥.

(٢) فى م : « و » .

(٣) استعجما : سَكَتا . يقال : سألته فاستعجم . انظر الوسيط (ع ج م) .

أبو يوسُفَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] .

قالت : فواللَّهِ ما بَرِح رسولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَه حتى تَغَشَّاه مِن اللَّهِ ما كان يَتَغَشَّاه ، فسُجِّيَ[(١)] بثوبِه ، ووُضِعَت وِسادةٌ مِن أَدَمٍ تحتَ رأسِه ، فأمَّا أنا حينَ رأيتُ مِن ذلك ما رأيتُ ، فواللَّهِ ما فَزِعْتُ وما بالَيْتُ ، قد عرَفْتُ أنِّى بريئةٌ ، وأنَّ اللَّهَ غيرُ ظالمى ، وأمَّا أبَواىَ فوالذى نفسُ عائشةَ بيدِه ، ما سُرِّىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى ظَنَنْتُ لتَخْرُجَنَّ أنْفُسُهما ؛ فَرَقًا[(٢)] مِن أن يَأْتِىَ مِن اللَّهِ تَحْقيقُ ما قال الناسُ . قالت : ثم سُرِّىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجَلَس وإنَّه لَيَتَحَدَّرُ[(٣)] مِن وجهِه مثلُ الجُمَانِ[(٤)] فى يومٍ شاتٍ ، فجعَل يَمْسَحُ العرَقَ عن جَبِينِه[(٥)] ويقولُ : أبْشِرى يا عائشةُ ، قد أنْزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، بَراءَتَكِ . قالت : قلتُ : الحمدُ للَّهِ . ثُم خَرَج إلى الناسِ فخَطَبهم وتَلا عليهم ما أنْزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، مِن القرآنِ فى ذلك ، ثُم أمَر بمِسْطَحِ بنِ أُثاثَةَ ، وحسانَ بنِ ثابتٍ ، وحَمْنَةَ بنتِ جَحْشٍ ، وكانوا ممَّن أفْصَح بالفاحشةِ ، فضُرِبوا حَدَّهم .

وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحين » عن الزُّهْرِىِّ[(٦)] . وهذا السياقُ فيه فوائدُ جَمَّةٌ ، وذِكْرُ حدِّ القَذْفِ لحسانَ ومَن معه رَواه أبو داودَ فى « سُننِه »[(٧)] .

---

(١) سجى : غُطِّى .

(٢) فرقًا : خوفًا وجَزَعًا .

(٣) يتحدَّر : ينزل ويسيل . انظر الوسيط (ح د ر) .

(٤) الجمان : حَبٌّ من فِضَّة يُصنع على مثال الدُّرّ . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢ .

(٥) فى الأصل ، م : « وجهه » . وفى ا ١٥ : « جبهته » .

(٦) البخارى (٢٦٦١ ، ٤١٤١ ، ٤٧٥٠) . ومسلم (٥٦/ ٢٢٧٠ ، ٥٧/ ٠٠٠) .

(٧) أبو داود (٤٧٧٥) . قال الشيخ الألبانى ، فى صحيح سنن أبى داود (٣٧٥٧) : حسن بما قبله .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقال قائلٌ مِن المسلمين فى ضرْبِ حسانَ وأصحابِه :

لقد ذاقَ حسّانُ الذى كان أهلَه ... وحَمْنةُ إذ قالوا هَجِيرًا[2] ومِسْطَحُ

تَعاطَوْا برَجْمِ الغيبِ زوجَ نَبِيِّهم ... وسَخْطةَ ذى العرشِ الكريمِ فأُتْرِحُوا[3]

وآذَوْا رسولَ اللَّهِ فيها فجُلِّلوا[4] ... مَخازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا

[٣/ ٥٠ظ] وصُبَّتْ عليهم مُحْصَداتٌ[5] كأنَّها ... شَآبِيبُ قَطْرٍ مِن[6] ذُرا المُزْنِ تَسْفَحُ[7]

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[8] أن حسانَ بنَ ثابتٍ قال شعرًا[9] ، يهْجُو فيه صَفْوانَ بنَ المُعَطَّلِ وجماعةً مِن قريشٍ ممَّن تَخاصَم على الماءِ مِن أصحابِ جَهْجاهٍ كما تقدَّم[10] ، أوَّلُه[11] :

أمْسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيْعةِ أمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[12]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٧.

(٢) الهَجِير : الهُجْر هنا ؛ وهو القول الفاحش القبيح . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٤، ٤٥.

(٣) الرجم : الظن هنا . وأترحوا : أى أُحزِنوا ، من التَّرَح وهو الحزن . انظر المصدر السابق ٣/ ٤٥.

(٤) فجُلِّلوا : فعُمِّمُوا . انظر الوسيط (ج ل ل) .

(٥) محصدات : يعنى سياطًا محكمة الفَتْل شديدات . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « فى » .

(٧) الشآبيب : جمع شُؤبُوب ، وهى الدفعة من المطر . والقطر : المطر . والذرا : الأعالى . والمزن : السحاب . وتسفح : تسيل . المصدر السابق ، والوسيط (ق ط ر) .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٩) ديوان حسان ص ١٦٠، ١٦١.

(١٠) تقدم فى صفحة ١٨٤ .

(١١) سقط من : ص . وبعده فى م : « هى » .

(١٢) الجلابيب : لقب لمن كان أسلم من المهاجرين . وابن الفريعة : يعنى به نفسه . وأُمّ حسان كان يُقال لها : الفريعة . وأمسى بيضة البلد : يعنى واحدًا لا يجاريه أحد ، وهو فى هذا الموضع مدح . وقد تكون =

قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَن كنتَ صاحِبَه ... أو كان مُنْتَشِبًا فى بُرْثُنِ الأَسَدِ[1]

ما لِقَتيلى الذى أغْدو[2] فآخُذُه ... مِن دِيَةٍ فيه يُعْطاها ولا قَوَدِ[3]

ما البحرُ حينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيَةً ... فيَغْطَئِلُّ ويَرْمى العِبْرَ بالزَّبَدِ[4]

يومًا بأَغْلَبَ مِنِّى حينَ تُبْصِرُنى ... مِلْغَيْظِ أفْرِى كفَرْيِ العارِضِ البَرِدِ[5]

أمَّا قريشٌ فإنى [6]لا أُسالِمُها[6] ... حتى يُنِيبوا مِنَ الغَيَّاتِ للرَّشَدِ[7]

ويَتْرُكوا اللَّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلةٍ ... ويَسْجُدوا كلُّهم للواحدِ الصَّمَدِ

ويَشْهَدوا أنَّ ما قال الرسولُ لهمْ ... حَقٌّ فيُوفوا بحقِّ اللَّهِ والوُكُدِ[8]

قال: فاعْتَرضه صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ، فضرَبه بالسيفِ وهو يقولُ:

تَلَقَّ ذُبابَ السيفِ[9] عنِّى فإنَّنى ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

= بيضة البلد ذمًّا، وأصل ذلك أن توجد بيضة واحدة من بيض النعام ليس معها غيرها، فإذا أُريد بها المدح شُبِّه بها الرجل الذى لا نظير له، وإذا أُريد بها الذم شُبه بها الرجل الذى لا رهط له ولا عشيرة. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠، ٤٣.

(١) ثكلت أمه: أى فقدت. ومنتشبًا: أى عالِقًا. والبرثن - وجمعه بَراثِن - بمنزلة الأصابع للناس، وقيل: بمنزلة الأظفار. انظر المصدر السابق ٢/ ٤٣، والوسيط (ن ش ب).

(٢) فى الأصل: «أعدر». وفى م، ص: «أعدو».

(٣) القود: قتل النفس بالنفس. شرح غريب السيرة ٢/ ٤٣.

(٤) يغطئل: يموج ويتحرك. العبر: جانب البحر. انظر المصدر السابق.

(٥) ملغيظ: أى من الغيظ. وأفرى: أقطع. والعارض: السحاب هنا. والبَرِد: الذى فيه بَرَد. انظر المصدر السابق.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ. وفى السيرة: «لن أسالمهم».

(٧) ينيبوا: أى يرجعوا. والغَيّات: جمع غَيَّة؛ من الغَىّ وهو خلاف الرُّشْد. المصدر السابق.

(٨) الوكد: يريد توكيد العهد. المصدر السابق.

(٩) ذباب السيف: حدُّ طرفيه. الوسيط (ذ ب ب).

وذكَر[1] أن ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شمَّاسٍ أخَذ صَفْوانَ حينَ ضرَب حسانَ، فشَدَّه وَثاقًا، فلَقِيَه عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ فقال: ما هذا؟ فقال: ضرَب حسانَ بالسيفِ. فقال عبدُ اللَّهِ: هل عَلِم رسولُ اللَّهِ ﷺ بشيءٍ [2]مِمّا صَنَعْتَ[2]؟ قال: لا. فأطْلَقَه، ثُم أتَوْا كلُّهم رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال ابنُ المُعَطَّلِ: يا رسولَ اللَّهِ، آذانى وهَجانى، فاحْتَمَلَنىَ الغضبُ فضَرَبْتُه. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا حسانُ، أتَشَوَّهْتَ على قومى إذْ هداهمُ اللَّهُ». ثُم قال: «أحْسِنْ يا حسانُ فيما أصابَك». فقال: هى لك يا رسولَ اللَّهِ. فعَوَّضَه منها بَيْرُحاءَ التى تَصَدَّق بها أبو طلحةَ، وجاريةً قِبْطِيَّةً، يقالُ لها: سِيرِينُ. جاءَه منها ابنُه عبدُ الرحمنِ. قال: وكانت عائشةُ تقولُ: سُئِل عن ابنِ المُعَطَّلِ، فَوُجِد رجلًا حَصُورًا ما يَأْتى النساءَ[3]، ثُم قُتِل بعدَ ذلك شهيدًا، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

[4]وقد تَرْجَمَه الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ فى تاريخِه[5]، وروَى عنه شيئًا مِن الحديثِ، وذكَر أنَّه تُوُفِّىَ شهيدًا فى فتحِ سُمَيْساطَ[6]، سنةَ[4]

---

(١) أى ابن إسحاق، سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦ بنحوه.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «من ذلك».

(٣) وهذا يشكل عليه ما تقدم فى صفحة ١٩٤ حاشية (٢ - ٢) من أن امرأة صفوان جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، إنه ينام عن صلاة الصبح، ويضربنى إذا صليت، ويفطرنى إذا صمت ... الحديث. قال الحافظ: وإسناده صحيح - أى حديث الشكوى - ويمكن أن يجاب بأنه تزوج بعد ذلك. الإصابة ٣/ ٤٤١.

(٤ - ٤) زيادة من: ا ١٥١.

(٥) تاريخ دمشق ٢٤/١٥٨ - ١٧٦.

(٦) فى ا ١٥: «شميصات». والمثبت من مصدر التخريج. وسميساط: مدينة على شاطىء الفرات، غربى الفرات. معجم البلدان ٣/ ١٥١، ١٥٢.

(١ ستين[٢] . وقيل : إنَّه تُوُفِّىَ فى بعضِ الفُتوحاتِ عند ذلك بعد العشرين[٣] . وهذا أشْبَهُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الطَّبَرَانىُّ[٤] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثنا عمرُ[٥] بنُ عبدِ الوَهّابِ الرِّياحىُّ ، ثنا عامرُ بنُ صالحِ بنِ رُسْتُمَ ، عن أبيه ، عن الحسنِ ، عن سعدٍ مولى أبى بكرٍ قال : شكا رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ صَفْوانَ بنَ المُعَطَّلِ ، وكان يقولُ هذا الشِّعْرَ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ صفوانَ هَجانى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوا صفوانَ ؛ فإنَّ صفوانَ خَبِيثُ اللِّسانِ ، طيِّبُ القلبِ » . حديثٌ غريبٌ جِدًّا[٦]١) .

قال ابنُ إسحاقَ[٧] : ثُم قال حسانُ بنُ ثابتٍ[٨] ، يَعْتَذِرُ مِن الذى كان قال [٣/ ٥١و] فى شأنِ عائشةَ :

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ[٩]

(١ - ١) زيادة من : ١٥١.

(٢) ذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق لوفاة صفوان تاريخين ؛ أولهما الذى ذكره المصنف هنا ، والثانى هو سنة تسع عشرة ، وذلك فى الأخبار التى ساقها بإسناده . انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٦٢، ١٧٥، ١٧٦.

(٣) لم نجد من ذكر وفاته سنة عشرين . انظر ترجمة صفوان فى : الاستيعاب ٢/ ٧٢٥، ٧٢٦. وأسد الغابة ٣/ ٣٠، ٣١. والإصابة ٣/ ٤٤٠، ٤٤١.

(٤) المعجم الكبير ٦/٦٦ (٤٥٩٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٦٤: رواه الطبرانى ، وفيه عامر بن صالح بن رستم ، وثقة غير واحد ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٥) فى ا ١٥: « محمد » . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٥١.

(٦) هذه العبارة الأخيرة تعقيب من المصنف .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٦.

(٨) ديوان حسان ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٩) الحصان هنا : العفيفة . والرزان : المُلازِمَة موضعها التى لا تتصرّف كثيرًا . وما تُزن : أى ما تُتَّهم . وغرثى : أى جائعة . والغوافل : جمع غافلة . ومعنى هذا الكلام أنها كافَّة عن أعراض الناس . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٣، ٤٤.

عَقِيلةُ حَيٍّ مِن لُؤَيِّ بنِ غالبٍ كِرامِ المَساعى مَجْدُهم غيرُ زائِلِ[1]

[2]مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّب اللَّهُ خِيمَها وطَهَّرَها مِن كُلِّ سُوءٍ وباطلِ[3]

فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ فلا رَفَعَتْ سَوْطى إلىَّ أنامِلى

وكيف ووُدِّى ما حَيِيتُ ونُصْرَتى لآلِ رسولِ اللَّهِ زَيْنِ المَحافِلِ

له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كلِّهِمْ تَقاصَرُ عنه سَوْرَةُ المُتطاوِلِ[4]

فإنَّ الذى قد قِيل ليس بلائِطٍ ولكنَّه قولُ امرئٍ بىَ ماحِلِ[5]

وقد زاد يونسُ بنُ بُكَيْرٍ فى روايتِه عن ابنِ إسحاقَ[6] قبلَ البيتِ الأوَّلِ:

رأيتُكِ وليَغْفِرْ لكِ اللَّهُ حُرَّةً مِن المُحْصَناتِ[7] غيرَ ذاتِ غوائِلِ[8]

[9]حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحومِ الغَوافِلِ[2]

---

(١) العقيلة: الكريمة. والمساعى: جمع مسعاة، وهو ما يُسعى فيه من طلب المجد والمكارم. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٤.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) مهذبة: أى صافية مخلصة. والخيم: الطبع والأصل. المصدر السابق.

(٤) الرتب: الموضع المُشرِف - أى المرتفع - من الأرض، فاستعاره هنا للشرف والمجد. والسَّورة، بفتح السين: الوَثْبة. وبضم السين: المَنْزِلة. انظر المصدر السابق، والوسيط (ش ر ف).

(٥) ليس بلائط: أى ليس بلاصق. والماحل هنا: الواشى النَّمّام، يقال: مَحَل به إلى السلطان إذا رفع عليه عنده كَذِبًا. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٤.

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٧٤ - ٧٦. من طريق يونس بن بكير، به.

(٧) فى ا ١٥، ص: «المحسنات». والمثبت من الدلائل.

(٨) الغوائل: جمع غائلة، والغائلة: صفة لخصلةٍ مهلكة. انظر النهاية ٣/ ٣٩٧.

(٩) من هنا إلى آخر الأبيات هو سياق يونس عن ابن إسحاق كما فى الدلائل وإلا كان فى القصيدة تكرار، وإنما البيت السابق هو الذى عناه المصنف بأنه الزائد عن رواية زياد البكائى عند ابن هشام.

وإنَّ الذى قد قِيل ليس بلَائِطٍ ... بكِ الدَّهْرَ بلْ قِيلُ امرئٍ مُتَماحِلِ[1]

فإن كنتُ [2]أهْجُوكم كما بَلَّغُوكُمُ[2] ... فلا رَجَعَتْ[3] سَوْطِى إلىَّ أَنامِلى

فكيف ووُدِّى ما حَيِيتُ ونُصْرتى ... لآلِ رسولِ اللَّهِ زَيْنِ المَحافِلِ

[4]وإنَّ لهم عِزًّا يُرَى[5] الناسُ دُونَه ... قِصارًا وطال العِزُّ كلَّ التَّطاوُلِ[4]

ولْتُكْتَبْ هـهنا الآياتُ مِن سورةِ النورِ، وهى مِن قولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ﴾ إلى قولِه: ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ١١- ٢٦]. وما أوْرَدْناه هُنالك مِن الأحاديثِ، والطُّرُقِ، والآثارِ عن السَّلَفِ والخَلَفِ[6]. وباللَّهِ التوفيقُ.

---

(١) فى الأصل، م: «بى ماحل».

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «قد قلت الذى قد زعمتم». وفى ا ١٥: «أهجوكم كما قد بلغنكم». وفى ص: «أهجوكم كما قد بلغكم». والمثبت من الدلائل.

(٣) فى الأصل، م: «رفعت». وهو لفظ رواية الحاكم من غير رواية ابن إسحاق كما فى الفتح ٨/ ٤٨٦.

(٤ - ٤) سقط من: ا ١٥.

(٥) فى م: «ترى».

(٦) التفسير ٦/١٧ - ٣٥.

غزوةُ الحُدَيْبِيَةِ

وقد كانت فى ذى القَعْدةِ سنةَ سِتٍّ بلا خلافٍ. وممَّن نصَّ على ذلك الزُّهْرىُّ، ونافعٌ مَوْلَى ابنِ عمرَ، وقَتادةُ، وموسى بنُ عُقْبةَ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ابنِ يَسارٍ، وغيرُهم، وهو الذى رَواه ابنُ لَهيعةَ، عن أبى الأسْودِ، عن عُرْوةَ أنها كانت فى ذى القَعْدةِ سنةَ سِتٍّ[1].

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2]: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ الخَليلِ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ، أخْبَرَنى هِشامُ بنُ عروةَ، عن أبيه قال: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُدَيْبيَةِ فى رمضانَ، وكانت الحُدَيْبيةُ فى شَوَّالٍ. وهذا غريبٌ جدًّا عن عروةَ.

وقد روَى البخارىُّ ومسلمٌ جميعًا[3]، عن هُدْبَةَ، عن هَمَّامٍ، عن قَتادةَ أن أنسَ بنَ مالكٍ أخْبَرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَمر أربعَ عُمَرٍ، كلُّهنَّ[4] فى ذى القَعْدةِ، (5)إلَّا العمرةَ التى مع حَجَّتِه؛ عُمْرةً مِن الحُدَيبيةِ فى ذى القَعْدةِ، وعُمْرةً مِن العامِ المُقْبِلِ فى ذى القَعْدةِ(5)، وعمرةً[4] مِن الجِعْرَانةِ فى ذى القَعْدَةِ، حيثُ قسَم غنائمَ حُنَيْنٍ، وعُمْرةً مع حَجَّتِه. وهذا لفظُ البخارىِّ.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٩١، ٩٢.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٧.

(٣) البخارى (٤١٤٨)، ومسلم (١٢٥٣).

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ رمضانَ وشَوَّالًا ، وخرَج فى ذى القَعْدةِ مُعْتَمِرًا لا يُريدُ حربًا . قال ابنُ هشامٍ[1] : واستعمل على المدينةِ نُمَيْلَةَ بنَ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثِىَّ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : واستَنفرَ [٣/ ٥١ظ] العربَ ومَن حولَه مِن أهلِ البوادى مِن الأعرابِ ليَخْرُجوا معه ، وهو يَخْشَى مِن قريشٍ [2]الذى صنَعوا[2] ، أن يَعْرِضوا له بحَرْبٍ ، أو يَصُدُّوه عن البيتِ ، فأبْطأ عليه كثيرٌ مِن الأعرابِ ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ بمَن معه مِن المُهاجرين والأنصارِ ، ومَن لَحِق به مِن العربِ ، وساق معه الهَدْىَ ، وأحْرَم بالعُمرةِ ؛ ليَأْمَنَ الناسُ مِن حربِه ، وليَعْلَمَ الناسُ أنه إنما خرَج زائرًا لهذا البيتِ ، ومُعَظِّمًا له .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى محمدُ بنُ مُسْلمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرىُّ ، عن عروةَ بنِ الزُّبَيرِ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ، ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، أنَّهما حدَّثاه قالا : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ ، يُريدُ زيارةَ البيتِ لا يُريدُ قتالًا ، وساق معه الهَدْىَ سبعين بَدَنةً ، وكان الناسُ سَبْعَمائةِ رجلٍ ، وكانت كلُّ بَدَنةٍ عن عشَرةِ نَفَرٍ ، وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ فيما بلَغنى يقولُ : كنا أصحابَ الحُدَيْبيَةِ أربعَ عشْرةَ مائةً .

قال الزهرىُّ[4] : وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفانَ لَقِيَه بِشْرُ[5]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٠٨ - ٣١٠.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٩.

(٥) كذا قال ابن إسحاق ، وقال ابن هشام : ويقال : بُشر . ولعل هذا هو الصواب ، ففى الاستيعاب ١/ ١٦٦، وأسد الغابة ١/ ٢١٦، والإصابة ١/ ٢٩٢: بسر . ولم يذكروا خلافا فى اسمه .

ابنُ سفيانَ الكَعْبىُّ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذه قريشٌ قد سَمِعَت بمسِيرِك، فخرَجوا معهم العُوذُ المَطافيلُ[1]، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمورِ[2]، وقد نزَلوا بذِى طُوًى، يُعاهِدون اللَّهَ لا تَدْخُلُها عليهم أبدًا، وهذا خالدُ بنُ الوليدِ فى خَيلِهم، قد قَدَّموها[3] إلى كُراعِ الغَمِيمِ[4]. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا ويحَ قريشٍ! لقد أكَلَتْهم الحربُ! ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى وبينَ سائرِ العربِ؛ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظْهَرنىَ اللَّهُ عليهم دخَلوا فى الإسلامِ وافِرين، وإن لم يَفْعَلوا قاتلوا وبهم قوةٌ، فما تَظُنُّ قريشٌ؟ فواللَّهِ لا أزال أُجاهِدُ على الذى بعَثنىَ اللَّهُ به حتى يُظْهِرَه اللَّهُ أو تنْفَرِدَ هذه السالِفةُ»[5]. ثم قال: «مَن رجلٌ يَخْرُجُ بنا على طريقٍ غيرِ طريقِهم التى هم بها؟» قال ابنُ إسحاقَ[6]: فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن رجلًا مِن أسْلَمَ قال: أنا يا رسولَ اللَّهِ. قال: فسلَك بهم طريقًا وَعْرًا أَجْرَلَ[7] بينَ شِعابٍ، فلمَّا خرَجوا منه، وقد شَقَّ ذلك على المسلمين، فأفْضَوا [٣/٥٢و] إلى أرضٍ سَهْلةٍ عندَ مُنْقَطَعِ الوادى، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قولوا: نَسْتَغفِرُ اللَّهَ ونتوبُ إليه». فقالوا

---

(١) العوذ من الإبل: جمع عائذ، وهى التى ولدت. والمطافيل: جمع مُطْفِل، وهى التى لها طِفل أى وَلَدٌ، فاستعاره ههنا للنساء والصبيان، يعنى أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لئلا يفروا عنهم. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٢) لبسوا جلود النمور: مثل يُكْنَى به عن إظهار العداوة. انظر المصدر السابق.

(٣) فى الأصل، م: «قدموا».

(٤) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو وادٍ أمام عسفان بثمانية أميال. معجم البلدان ٤/ ٢٤٧.

(٥) السالفة: صفحة العنق، وكَنَّى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. وقيل: أراد: حتى يفرق بين رأسى وجسدى. النهاية ٢/ ٣٩٠، وانظر ٣/ ٤٢٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٧) الأجرل: الكثير الحجارة. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

ذلك ، فقال : « واللَّهِ إنها لَلْحِطَّةُ التى عُرِضَت على بنى إسرائيلَ ، فلم يقولوها » .

قال ابنُ شِهابٍ[1] : فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ فقال : « اسْلُكوا ذاتَ اليمينِ » . بينَ ظَهْرَيِ الحَمْضِ[2] فى طريقٍ تُخْرِجُه على ثَنِيَّةِ المُرارِ ، مَهْبِطِ الحُدَيْبِيَةِ مِن أسفلِ مكةَ . قال : فسلَك الجيشُ ذلك الطريقَ ، فلمَّا رَأَت خيلُ قريشٍ قَتَرَةَ الجيشِ[3] قد خالفوا عن طريقِهم ، رَكَضوا راجعين إلى قريشٍ ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا سلَك فى ثَنِيَّةِ المُرارِ بَرَكَتْ ناقتُه ، فقال الناسُ : خَلأَتْ[4] . فقال : « ما خَلأَتْ ، وما هو لها بخُلُقٍ ، ولكن حبسَها حابسُ الفيلِ عن مكةَ ، لا تَدْعونى قريشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ[5] يَسْألوننى فيها صِلةَ الرَّحِمِ ، إلا أعْطَيْتُهم إيَّاها » . ثُم قال للناسِ : « انْزِلوا » . قيل له : يارسولَ اللَّهِ ، ما بالوادى ماءٌ نَنزِلُ عليه . فأخْرَج سهمًا مِن كِنانتِه ، فأعطاه رجلًا مِن أصحابِه ، فنزَل به فى قَلِيبٍ مِن تلك القُلُبِ ، فغَرَزه فى جوفِه ، فجاش بالرَّوَاءِ ، حتى ضرَب الناسُ عنه بعَطَنٍ[6] .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : فحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ ، عن رجالٍ مِن أسْلَمَ ، أن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠.

(٢) فى ا ١٥: « الحمص » ، وفى السيرة : « الحمش » . والحمض : ما مَلُحَ من النبات وهو هنا اسم موضع . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥. وفى معجم البلدان ٢/ ٣٣٩: وادى حمض : موضع قريب من اليمامة .

(٣) قترة الجيش : غُباره . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٤) خلأت : بَرَكت من غير علة . اللسان (خ ل أ) .

(٥) الخطة : الخَصْلَة . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٦) العطن : مَبْرَك الإبل حول الماء . المصدر السابق ٣/ ٤٦.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠.

الذى نزَل فى القَلِيبِ بسهمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ناجِيةُ بنُ جُنْدُبٍ ، سائقُ بُدْنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد زعَم بعضُ أهلِ العلمِ أن البَراءَ بنَ عازبٍ كان يقولُ : أنا الذى نزَلْتُ بسهمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان . ثم استَدَلَّ ابنُ إسحاقَ للأولِ بأن جاريةً مِن الأنصارِ جاءت البئرَ ، وناجيةُ فى أسْفلِه يَميحُ[2] ، فقالت :

يا أيُّها المائحُ دَلْوِى دونكا إنى رأيْتُ الناسَ يَحْمَدونكا

يُثْنــون خيــرًا ويُمَجِّـدونكا

فأجابها فقال :

قد علِمتْ جاريةٌ يَمانِيَهْ أنى أنا المائحُ واسمى ناجِيَهْ

وطَعْنةٍ ذاتِ رَشاشٍ وَاهِيَهْ طعَنْتُها عندَ صُدورِ العادِيَهْ[3]

قال الزهرىُّ فى حديثِه[4] : فلمَّا اطْمأنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أتاه بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ ، فى رجالٍ مِن خُزاعةَ ، فكَلَّموه وسألوه ما الذى جاء به ، فأخْبَرَهم أنه لم يأتِ يُريدُ حربًا ، وإنما جاء زائرًا للبيتِ ومُعَظِّمًا لحُرْمتِه . ثم قال لهم نحوًا مما قال لبِشْرِ بنِ سفيـانَ ، فرجَعوا إلى قريشٍ فقالوا : يا معشرَ قريشٍ ، إنكم تَعْجَلون [٣/ ٥٢ظ] على محمدٍ ، إن محمدًا لم يأتِ لقِتالٍ ، إنما جاء زائرًا لهذا البيتِ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١.

(٢) يميح : يملأ الدلاء فى أسفل البئر . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦.

(٣) العادية : القوم الذين يَعْدُون ، أى يُسرعون . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١، ٣١٢.

فاتَّهموهم وجَبَّهوهم[1] وقالوا : وإن كان جاء ولا يُريدُ قتالًا ؛ فواللَّهِ لا يَدْخُلُها علينا عَنْوةً أبدًا[2] ، ولا تَحَدَّثُ بذلك عنا العربُ . قال الزُّهْرِىُّ[3] : وكانت خُزاعةُ عَيْبةَ نُصْحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[4] ؛ مُسْلِمُها ومُشْرِكُها ، لا يُخْفون عنه شيئًا كان بمكةَ . قال : ثُم بعَثوا إليه مِكْرَزَ بنَ حَفْصِ بنِ الأَخْيَفِ ، أخا بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا قال : « هذا رجلٌ غادرٌ » . فلمَّا انتهى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وكلَّمه ، قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ نحوًا مما قال لبُدَيْلٍ وأصحابِه ، فرجَع إلى قريشٍ فأخْبَرَهم بما قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم بعَثوا إليه الحُلَيْسَ بنَ عَلْقمةَ ، أو ابنَ زَبَّانَ ، وكان يومَئذٍ سيدَ الأحابِيشِ ، وهو أحدُ بنى الحارثِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ هذا مِن قومٍ يَتَأَلَّهون ، فابْعَثوا الهَدْىَ فى وجهِه حتى يراه » . فلمَّا رَأَى الهَدْىَ يَسيلُ عليه مِن عُرْضِ الوادى فى قَلائِدِه ، قد أكَل أوْبارَه من طُولِ الحَبْسِ عن مَحِلِّه ، رجَع إلى قريشٍ ، ولم يَصِلْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ إعْظامًا لِمَا رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجْلِسْ ، فإنما أنت أعْرابىٌّ لا علمَ لك . قال ابنُ إسحاقَ[5] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن الحُلَيْسَ غَضِب عندَ ذلك وقال : يا معشرَ قريشٍ ، واللَّهِ ما على هذا حالَفْناكم ، ولا على هذا عاقَدْناكم ، أيُصَدُّ عن بيتِ اللَّهِ مَن جاءه مُعَظِّمًا له ؟! والذى نفسُ الحُلَيْسِ بيدِه لتُخَلُّنَّ بينَ محمدٍ وبينَ ما جاء له ، أو

---

(١) جبهوهم : أى خاطبوهم بما يكرهون . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦.

(٢) سقط من : م .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٢.

(٤) أى خاصّته وأصحاب سره . شرح غريب السيرة ٣/٤٦ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٢.

لَأَنْفِرَنَّ بالأحابِيشِ نَفْرَةَ رجلٍ واحدٍ. قالوا: مَهْ، كُفَّ عنا يا حُلَيْسُ حتى نَأْخُذَ لأنفسِنا ما نرْضَى به.

قال الزُّهْرِيُّ فى حديثِه[1]: ثم بعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ عُرْوةَ بنَ مسعودٍ الثَّقَفِيَّ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، إنى قد رأيْتُ ما يَلْقَى منكم مَن بعَثْتُموه إلى محمدٍ إذا جاءكم؛ مِن التَّعْنِيفِ، وسوءِ اللفْظِ، وقد عرَفْتُم أنكم والدٌ وأنى ولدٌ - وكان عروةُ لسُبَيْعةَ بنتِ عبدِ شمسٍ - وقد سَمِعْتُ بالذى نابَكم، فجَمَعْتُ مَن أطاعنى مِن قومى، ثُم جئتُكم، حتى آسَيْتُكم بنفسى. قالوا: صدَقْتَ، ما أنت عندَنا بمتَّهَمٍ. فخرَج حتى أَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فجلَس بينَ يديه، ثم قال: يا محمدُ، أجَمَعْتَ أوْشابَ الناسِ[2]، ثم جئتَ بهم إلى بَيْضتِك لتَفُضَّها[3] بهم، إنها قريشٌ قد خرَجَت[4] [٣/٥٣و] معها العُوذُ المَطافِيلُ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمورِ، يُعاهِدون اللَّهَ، لا تَدْخُلُها عليهم عَنْوَةً أبدًا، وايمُ اللَّهِ لكأنِّى بهؤلاء قد انكَشَفوا عنك غدًا. قال[5]: وأبو بكرٍ الصديقُ، رضى اللَّهُ عنه، خلفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أنحن نَنْكَشِفُ عنه؟! قال: مَن هذا يا محمدُ؟ قال: «هذا ابنُ أبى قُحافةَ». قال: أمَا واللَّهِ لولا يدٌ كانت لك عندى لكافَأْتُك بها، ولكن هذه بها. قال: ثم جعَل يَتَناولُ لحيةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُكَلِّمُه. قال: والمغيرةُ بنُ شُعْبةَ واقفٌ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٣.

(٢) أوشاب الناس: أخلاطهم. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

(٣) فى ا ١٥: «لتقُصَّها». وتفضها: تكسرها. المصدر السابق.

(٤) فى الأصل، ا ١٥، ص: «جمعت».

(٥) أى الزهرى فى حديثه.

على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الحَديدِ . قال : فجعَل يَقْرَعُ يدَه ، إذا تَناوَلَ لِحيةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويقولُ : اكْفُفْ يدَك عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قبلَ ألَّا تَصِلَ إليك . قال : فيقولُ عروةُ : وَيْحَكَ ، ما أفظَّك وأغْلَظَك ! قال : فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال له عروةُ : مَن هذا يا محمدُ ؟ قال : « هذا ابنُ أخيك ، المغيرةُ ابنُ شُعبةَ » . قال : أىْ غُدَرُ[1] ، وهل غسَلْتُ سَوْءَتَك إلَّا بالأمسِ ؟!

[2]قال ابنُ هشامٍ[3] : أراد عُروةُ بقولِه هذا ، أنَّ المغيرةَ قبلَ إسلامِه قتَل ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، مِن بنى مالكٍ مِن ثَقِيفٍ ، فتهايَجَ الحيَّانِ مِن ثَقِيفٍ ؛ بنو مالكٍ رَهْطُ المقتولِين ، والأحلافُ رَهْطُ المغيرةِ ، فوَدَى عروةُ المقتولِينَ ثلاثَ عشْرةَ ديَةً ، وأصلح ذلك الأمرَ[2] .

قال الزُّهرىُّ[4] : فكلَّمه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بنحوٍ ممَّا كلَّم به أصحابَه ، وأخْبَرَه أنه لم يأتِ يُريدُ حربًا ، فقام مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد رَأى ما يَصْنَعُ به أصحابُه ، لا يَتَوَضَأُ إلَّا ابتَدَروا وَضُوءَه ، ولا يَبْصُقُ بُصاقًا إلا ابْتَدَروه ، ولا يَسْقُطُ مِن شَعْرِه شىءٌ إلَّا أخَذوه ، فرجَع إلى قريشٍ ، فقال : يا معشرَ قريشٍ ، إنى قد جئتُ كِسْرَى فى مُلْكِه ، وقَيْصَرَ فى مُلْكِه ، والنَّجاشىَّ فى مُلْكِه ، وإنى واللَّهِ ما رأيْتُ مَلِكًا فى قومِه قطُّ مثلَ محمدٍ فى أصحابِه ، ولقد رأيْتُ قومًا لا يُسْلِمونه لشىءٍ أبدًا ، فرَوْا رأْيَكم .

---

(١) غُدَر : معدول عن غادر ، للمبالغة ، يقال للذكر : غدر . وللأنثى : غَدَارِ . كقَطَامِ ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب . النهاية ٣/ ٣٤٥.

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٣، ٣١٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣١٤.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا خِراشَ بنَ أميةَ الخُزاعىَّ ، فبعَثه إلى قريشٍ بمكةَ ، وحمَله على بعيرٍ له ، يقالُ له : الثَّعْلَبُ . ليُبَلِّغَ أشْرافَهم عنه ما جاء له ، فعقَروا به جملَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأرادوا قتلَه ، فمنَعه الأحابيشُ ، فخلَّوا سبيلَه ، حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى بعضُ مَن لا أتَّهِمُ ، عن عِكْرمةَ ، [3]عن ابنِ عباسٍ[3] أن قريشًا كانوا بعَثوا أربعين رجلًا منهم أو خمسين ، وأمَروهم أن يُطِيفوا بعَسْكرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ليُصِيبوا لهم مِن أصحابِه أحدًا ، فأُخِذوا أخذًا[4] ، فأُتِىَ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فعفَا عنهم وخلَّى سبيلَهم ، وقد كانوا رَمَوْا [٣/٥٣ظ] فى عَسْكَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالحِجارةِ والنَّبْلِ ، ثُم دَعا عمرَ بنَ الخطابِ ليَبْعَثَه إلى مكةَ ، فيُبَلِّغَ عنه أشْرافَ قريشٍ ما جاء له ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أخافُ قريشًا على نفسى ، وليس بمكةَ مِن بنى عدِىِّ بنِ كَعْبٍ أحدٌ يَمْنَعُنى ، وقد عرَفَتْ قريشٌ عداوَتى إيَّاها وغِلْظَتى عليها ، ولكنى أَدُلُّك على رجلٍ أعزَّ بها مِنى ، عثمانَ بنِ عفانَ . فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ ، فبعَثه إلى أبى سفيانَ وأشرافِ قريشٍ ، يُخْبِرُهم أنه لم يأْتِ لحربٍ ، وإنما جاء زائرًا لهذا البيتِ ومُعَظِّمًا لحُرْمتِه ، فخرَج عثمانُ إلى مكةَ ، فلَقِيَه أبانُ بنُ سعيدِ ابنِ العاصِ حينَ دخَل مكةَ ، أو قبلَ أن يَدْخُلَها ، فحمَله بينَ يديه ، ثُم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فانطَلَق عثمانُ حتى أتَى أبا سفيانَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣١٤، ٣١٥.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ١٥، ص.

(٤) سقط من: الأصل، م. وفى ص: «واحدًا واحدًا».

وعظماءَ[1] قريشٍ ، فبلَّغهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما أرْسَله به ، فقالوا لِعثمانَ حينَ بلَّغ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم : إن شِئتَ أن تَطوفَ بالبيتِ فطُفْ . قال : ما كنتُ لِأفْعلَ حتى يَطوفَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ . واحتَبَسَتْه قريشٌ عندَها ، فبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ والمسلمين أن عثمانَ قد قُتِل .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال حينَ بلَغه أن عثمانَ قد قُتِل : « لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَ القومَ » . ودَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى البَيْعةِ ، فكانت بَيْعةُ الرِّضْوانِ تحتَ الشجرةِ ، فكان الناسُ يقولون : بايَعَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ على الموتِ . وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يقولُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُبايِعْنا على الموتِ ، ولكن بايعَنا على ألَّا نَفِرَّ . فبايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ الناسُ ، ولم يتخَلَّفْ عنه أحدٌ مِن المسلمين حضَرها ، إلَّا الجَدُّ بنُ قيسٍ ، أخو بنى سَلِمةَ ، وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يقولُ : واللَّهِ لكأنِّى أنْظُرُ إليه لاصِقًا بإبِطِ ناقتِه ، قد ضبأَ[3] إليها ، يَسْتَتِرُ مِن الناسِ ، ثم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ أن الذى ذُكِر مِن أمرِ عثمانَ باطلٌ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : فذكَر وَكِيعٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ أن أولَ مَن بايع رسولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعةَ الرِّضْوانِ أبو سِنانٍ الأسَدِىُّ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : وحدَّثنى مَن أثِقُ به ، عمَّن حدَّثه بإسنادٍ له ، عن ابنِ أبى

---

(١) فى ا ١٥، ص : « أشراف » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٥، ٣١٦.
(٣) ضبأ : لصق واستتر . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٦.

مُلَيْكَةَ، عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بايع لِعثمانَ، فضرَب [٣/ ٥٤و] بإحدى يديه على الأخرى. وهذا الحديثُ الذى ذكَره ابنُ هشامٍ بهذا الإسنادِ الضعيفِ[(١)] ثابتٌ فى «الصحيحين»[(٢)].

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)]: قال الزُّهْرىُّ: ثُم بعَثتْ قريشٌ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو أخا بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا: ائْتِ محمدًا وصالِحْه، ولا يَكُنْ فى صُلحِه إلَّا أن يَرْجِعَ عنَّا عامَه هذا، فواللَّهِ لا يَتَحَدَّثُ العربُ أنه دخَلها عَنْوَةً أبدًا. فأتاه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ مقبِلًا قال: «قد أراد القومُ الصلحَ حينَ بعَثوا هذا الرجلَ». فلما انْتَهَى سُهَيلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، تكَلَّم فأطال الكلامَ وتراجعا، ثُم جرَى بينَهما الصلحُ، فلمَّا الْتَأَم الأمْرُ ولم يَبْقَ إلَّا الكتابُ، وثَب عمرُ فأتَى أبا بكرٍ، فقال: يا أبا بكرٍ، أليس برسولِ اللَّهِ؟! قال: بلى. قال: أوَ لسْنا بالمسلمين؟! قال: بلى. قال: أوَ ليسوا بالمشركين؟! قال: بلى. قال: فعلامَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا؟! قال أبو بكرٍ: يا عُمَرُ، الْزَمْ غَرْزَه[(٤)]، فإنى أَشْهَدُ أنه رسولُ اللَّهِ. قال عمرُ: وأنا أشْهَدُ أنه رسولُ اللَّهِ. ثُم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، ألسْتَ برسولِ اللَّهِ؟! قال: «بلى». قال: أوَ لَسْنا بالمسلمين؟! قال: «بلى». [(٥)]قال: أوَ ليسوا بالمشركين؟! قال: «بلى»[(٥)]. قال: فعلامَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا؟! قال: «أنا

---

(١) فى م: «ضعيف لكنه».

(٢) كذا بالنسخ. وهو فى البخارى (٣٦٩٩)، ولم نجده فى صحيح مسلم.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣١٦ - ٣١٩.

(٤) الزم غرزه: الغرز للرَّحْل بمنزلة الركاب للسرج، وعنى به: الزم أمره ولا تفارقه. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

(٥ - ٥) سقط من: ا ١٥.

عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، لن أخالِفَ أمْرَه ولن يُضَيِّعَنى » . فكان عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه ، يقولُ : ما زِلْتُ أصومُ ، وأتَصَدَّقُ ، وأُصَلِّى ، وأُعْتِقُ ، مِن الذى صنَعْتُ يومَئذٍ ؛ مخافةَ كلامى الذى تكَلَّمْتُ يومَئذٍ ، حتى رجَوْتُ أن يكونَ خيرًا . قال[1] : ثُم دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، فقال : « اكْتُبْ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ » . قال : فقال سُهَيْلٌ : لا أعْرِفُ هذا ، ولكن اكْتُبْ : باسمِك اللهمَّ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اكْتُبْ : باسمِك اللهمَّ » . فكتَبها ، ثُم قال : « اكْتُبْ : هذا ما صالَحَ عليه محمدٌ رسولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو » . قال : فقال سُهَيْلٌ : لو شَهِدْتُ أنك رسولُ اللَّهِ لم أُقاتِلْك ، ولكن اكْتُبِ اسمَك واسمَ أبيك . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اكْتُبْ : هذا ما صالَحَ عليه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو » ؛ اصْطَلَحا على وضْعِ الحربِ عن الناسِ عشْرَ سنين ، يَأْمَنُ فيهنَّ الناسُ ، ويَكُفُّ بعضُهم عن بعضٍ ، على أنه مَن أتَى محمدًا مِن قريشٍ بغيرِ إذْنِ وَلِيِّه ردَّه عليهم ، ومَن جاء قريشًا ممَّن مع محمدٍ لم يرُدُّوه عليه ، وأنَّ بينَنا عَيْبَةً مَكْفوفةً[2] ، وأنه لا إسْلالَ ولا إغْلالَ[3] ، وأنه مَن أحَبَّ أن يَدْخُلَ فى عَقْدِ محمدٍ وعهْدِه دخَل فيه ، ومَن أحَبَّ أن يدْخُلَ فى عَقْدِ قريشٍ وعَهْدِهم دخَل فيه - فتَواثَبت خُزاعةُ فقالوا : نحن فى عَقْدِ محمدٍ وعهْدِه . وتَواثَبت بنو بكرٍ فقالوا : [٣/ ٥٤ظ] نحن فى عَقْدِ قريشٍ وعهْدِهم - وأنك تَرْجِعُ عنا عامَك هذا ، فلا تَدْخُلُ علينا مكةَ ، وأنه إذا كان عامُ قَابلٍ خرَجْنا عنك ، فدَخَلْتَها بأصحابِك ، فأقَمْتَ بها ثلاثًا ، معك سلاحُ

---

(١) أى الزهرى .

(٢) فى حاشية ا ١٥: « أى أمرا منطويا مسكوتا عنه » .

(٣) فى حاشية ا ١٥: « أى لا سرقة ولا خيانة » .

الراكبِ ؛ السيوفُ فى القُرُبِ ، لا تَدْخُلُها بغيرِها . قال : فبينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يكْتُبُ الكتابَ هو وسُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، إذ جاء أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو يَرْسُفُ فى الحَديدِ ، قد انفَلَتَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ خرجوا وهم لا يَشُكُّون فى الفتحِ ؛ لرُؤْيا رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رَأَوْا ما رَأَوْا مِن الصلحِ والرجوعِ ، وما تحَمَّل عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى نفسِه ، دخَل على الناسِ مِن ذلك أمْرٌ عظيمٌ ، حتى كادوا يَهْلِكون ، فلما رَأَى سُهَيْلٌ أبا جَنْدَلٍ ، قام إليه فضرَب وجهَه ، وأخَذ بتَلْبِيبِه ، وقال : يا محمدُ ، قد لَجَّتِ[1] القضيةُ بينى وبينَك قبلَ أن يَأْتِيَك هذا . قال : « صدَقْتَ » . فجَعل ينْتُرُه[2] بتَلْبِيبِه ويَجُرُّه ، يعنى ليَرُدَّه إلى قريشٍ ، وجعَل أبو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بأعلى صوتِه : يا معشرَ المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركين يَفْتِنوننى فى دينى ؟! فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أبا جَنْدَلٍ ، اصْبِرْ واحْتَسِبْ ، فإن اللَّهَ جاعلٌ لك ولِمن معك مِن المستضعفين فرَجًا ومَخْرَجًا ، إنّا قد عقَدْنا بينَنا وبينَ القومِ صُلحًا ، وأعْطَيْناهم على ذلك وأعْطَونا عهْدَ اللَّهِ ، وإنّا لا نَغْدِرُ بهم » . قال : فوثَب عمرُ بنُ الخطابِ مع أَبى جَنْدَلٍ يَمْشِى إلى جنبِه ويقولُ : اصْبِرْ يا أبا جَنْدَلٍ ، فإنما هم المشركون ، وإنما دمُ أحدِهم دمُ كلبٍ . قال : ويُدْنِى قائمَ السيفِ منه . قال : يقولُ عمرُ : رجَوْتُ أن يَأْخُذَ السيفَ فيَضْرِبَ أباه . قال : فضَنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفَذتِ القضيةُ . فلمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الكتابِ ، أشْهَدَ على الصلحِ رجالًا مِن المسلمين ، ورجالًا مِن المشركين ؛ أبو بكرٍ

---

(١) لجت : انعقدت وتمت . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

(٢) ينتره : يجذبه جذبا شديدا عنيفا . المصدر السابق .

الصديقُ، وعمرُ بنُ الخطابِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ، ومحمودُ بنُ مَسْلَمَةَ، ومِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ - وهو يومَئذٍ مشركٌ - وعلىٌّ بنُ أبى طالبٍ، وكتَب، وكان هو كاتبَ الصحيفةِ.

وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَرِبًا فى الحِلِّ[1]، وكان يُصَلِّى فى الحرَمِ، فلما فرَغ مِن الصلحِ قام إلى هَدْيِه فنحَره، ثم جلَس فحلَق رأسَه، وكان الذى حلَقه فى ذلك اليومِ خِراشُ بنُ أميةَ بنِ الفَضْلِ الخُزاعىُّ، فلمَّا رَأى الناسُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/٥٥و] قد نحَر وحلَق، تَواثبوا ينْحَرون ويَحْلِقون.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ، عن مُجاهِدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: حلَق رجالٌ يومَ الحُدَيبيَةِ وقَصَّر آخَرون، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين». قالوا: والمُقَصِّرين يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين». قالوا: والمُقَصِّرِين يا رسولَ اللَّهِ؟ [3]قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين». قالوا: والمُقَصِّرِين يا رسولَ اللَّهِ؟[3] قال: «والمُقَصِّرِين». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، فلِمَ ظاهَرْتَ التَّرْحِيمَ للمُحَلِّقِين دونَ المُقَصِّرِين؟ قال: «لم يَشُكُّوا».

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ[4]: حدَّثنى مُجاهِدٌ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أهْدَى عامَ الحُدَيْبيةِ - فى هَدَاياه - جملًا لأبى جهلٍ، فى رأسِه بُرَةٌ[5]

---

(١) معناه أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل، وكانت صلاته فى الحرم، وهذا لقرب الحديبية. شرح غريب السيرة ٣/٤٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٩.

(٣ - ٣) سقط من: ا ١٥، ص.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٢٠.

(٥) البرة: حلقة تجعل فى أنف البعير ليَذِلَّ ويرتاض، فإن كانت من شعر فهى خِزامة، وإن كانت من خشب فهى خِشَاش. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

مِن فِضَّةٍ ؛ ليَغِيظَ بذلك المشركين . هذا سياقُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ ، لهذه القصةِ ، وفى سياقِ البخاريِّ - كما سيأتى - مُخالفةٌ فى بعضِ الأماكنِ لهذا السياقِ ، كما ستَراها إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ . ولْنُورِدْها بتمامِها ، ونَذْكُرْ ما فى الأحاديثِ الصِّحاحِ والحِسانِ ما فيه [1] شاهدٌ ، فى كلِّ موطنٍ بحَسَبِه [1] ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وعليه التُّكْلانُ ، وهو المُسْتعانُ .

قال البخاريُّ [2] : حدَّثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنا صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ ، فأصابَنا مطرٌ ذاتَ ليلةٍ ، فصلَّى لنا [3] رسولُ اللَّهِ ﷺ الصبحَ ، ثُم أقْبَل علينا [4] فقال : « أتَدْرون ماذا قال ربُّكم ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعْلَمُ . فقال : « قال اللَّهُ تعالى : أصْبَح مِن عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ بى ؛ فأمَّا مَن قال : مُطِرْنا برَحْمةِ اللَّهِ ، وبرِزْقِ اللَّهِ ، وبفَضْلِ اللَّهِ . فهو مؤمنٌ بى كافرٌ بالكَوْكَبِ ، وأمَّا مَن قال : مُطِرْنا بنَجْمِ كذا . فهو مؤمنٌ بالكَوْكَبِ كافرٌ بى » . وهكذا رَواه فى غيرِ موضعٍ مِن « صحيحِه » . ومسلمٌ مِن طُرُقٍ [5] . وقد روَى [6] عن الزُّهْرىِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى هُرَيرةَ .

(١ - ١) بياض فى : م .

(٢) البخارى (٤١٤٧) .

(٣) فى الأصل ، م : « بنا » .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « بوجهه » .

(٥) بعده فى النسخ : « عن الزهرى » . ولعله سبق قلم من الناسخ ، وهو فى البخارى (٨٤٦ ، ١٠٣٨ ، ٧٥٠٣) ، ومسلم (١٢٥/ ٧١) ، (١٢٦/ ٧٢ ، ...) .

(٦) أى مسلم (١٢٦/ ٧٢) .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسْرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ قال : تَعُدُّون أنتم الفتحَ فتحَ مكةَ ، وقد كان فتحُ مكةَ فتحًا ، ونحن نَعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضْوانِ يومَ الحُدَيْبيةِ ، كنا مع النبىِّ ﷺ أربعَ عشْرةَ مائةً ، والحُدَيْبيةُ بئرٌ ، فنزَحْناها فلم نَتْرُكْ فيها قَطْرةً ، فبلَغ ذلك النبىَّ ﷺ ، فأتاها فجلَس على شَفِيرِها ، ثم دعا بإناءٍ مِن ماءٍ ، فتَوضَّأ [٣/٥٥ظ] ثم مَضْمَض ودَعا ، ثُم صبَّه فيها ، فترَكْناها غيرَ بعيدٍ ، ثُم إنها أصْدَرَتنا ما شِئْنا نحن ورِكابَنا . انفرد به البخاريُّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : فى قولِه تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] ، صلحُ الحُدَيْبيةِ .

قال الزهرىُّ[2] : فما فُتِح فى الإسلامِ فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه ، إنما كان القتالُ حيثُ الْتَقَى الناسُ ، فلمَّا كانت الهُدْنةُ ، ووَضَعتِ الحربُ أوْزارَها ، وأَمِن الناسُ كلُّهم بعضُهم بعضًا ، والْتَقَوا فتَفاوَضوا فى الحديثِ والمُنازعةِ ، فلم يُكَلَّمْ أحدٌ فى الإسلامِ - يَعْقِلُ شيئًا - إلا دخَل فيه ، ولقد دخَل فى تَيْنِك السنتين مثلُ مَن كان دخَل فى الإسلامِ قبلَ ذلك أو أكثرُ . قال ابنُ هشامٍ[2] : والدليلُ على ما قاله الزّهرىُّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج إلى الحُدَيْبيةِ فى ألفٍ وأربعِمائةِ رجلٍ فى قولِ جابرٍ ، ثُم خرَج عامَ فتحِ مكةَ بعدَ ذلك بسنتَين فى عشَرةِ آلافٍ .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا يوسفُ بنُ عيسى ، حدَّثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، حدَّثنا

---

(١) البخارى (٤١٥٠) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٢.

(٣) البخارى (٤١٥٢) .

حُصَيْنٌ، عن سالمٍ، عن جابرٍ، قال: عَطِش الناسُ يومَ الحُدَيْبِيةِ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ يديه رَكْوَةٌ، فتَوَضَّأ منها، ثُم أقْبَل الناسُ نحوَه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما لكم؟» قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ليس عندَنا ماءٌ نَتوضَّأُ به ولا نَشْرَبُ إلَّا ما فى رَكْوَتِك. قال: فوضَع النبىُّ ﷺ يدَه فى الرَّكْوةِ، فجعَل الماءُ يَفورُ مِن بينِ أصابعِه كأمثالِ العُيونِ. قال: فشرِبْنا وتوَضَّأْنا. فقُلْنا لجابرٍ: كم كنتم يومَئذٍ؟ قال: لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا، كنا خمسَ عشْرةَ مائةً.

وقد رَواه البخارىُّ أيضًا، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ، عن حُصَيْنٍ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ، عن جابرٍ، به[1].

وقال البخارىُّ[2]: حدَّثنا الصَّلْتُ بنُ محمدٍ، حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، عن سعيدٍ، عن قَتادةَ، قلتُ لسعيدِ بنِ المُسيَّبِ: بلَغنى أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ كان يقولُ: كانوا أربعَ عشْرةَ مائةً. فقال لى سعيدٌ: حدَّثنى جابرٌ: كانوا خمسَ عشْرةَ مائةً، الذين بايعوا النبىَّ ﷺ يومَ الحُدَيْبِيةِ. تابعه أبو داودَ[3]: حدَّثنا قُرَّةُ، عن قَتادةَ. تفرَّد به البخارىُّ.

ثم قال البخارىُّ[4]: حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثنا سفيانُ، قال عمرٌو: سَمِعْتُ جابرًا، قال: قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيْبِيةِ: «أنتم خيرُ أهلِ

---

(١) البخارى (٣٥٧٦)، ومسلم (٧٣/ ١٨٥٦).

(٢) البخارى (٤١٥٣).

(٣) هذا من كلام البخارى فى نفس الحديث. وأبو داود هو سليمان بن داود الطيالسى، وهذه المتابعة أسندها الحافظ فى تغليق التعليق ٤/ ١٢٤. وانظر فتح البارى ٧/ ٤٤٣.

(٤) البخارى (٤١٥٤).

الأرضِ » . وكنا ألفًا وأربَعمائةٍ ، ولو كنتُ أُبْصِرُ اليومَ لأَرَيْتُكم مكانَ الشجرةِ . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ [٣/ ٥٦و] به[(١)] . وهكذا رَواه اللَّيْثُ بنُ سعدٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن عبدًا لحاطبٍ جاء يَشْكُوه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ليَدْخُلَنَّ حاطبٌ النارَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كذَبْتَ ، لا يَدْخُلُها ؛ فإنه شهِد بدرًا والحُدَيْبيةَ » . رواه مسلمٌ[(٢)] .

وعندَ مسلمٍ أيضًا[(٣)] مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزُّبَيرِ ، أنه سمِع جابرًا يقولُ : أخْبَرَتْنى أمُّ مُبَشِّرٍ[(٤)] أنها سَمِعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ عندَ حَفْصَةَ : « لا يَدْخُلُ أحدٌ النارَ ، إن شاء اللَّهُ ، مِن أصحابِ الشجرةِ ، الذين بايعوا تحتَها » . فقالت حَفْصَةُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ . فانْتَهَرها ، فقالت حَفْصَةُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ » [مريم : ٧٢] .

قال البخاريُّ[(٥)] : وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ مُعاذٍ : حدَّثنا أبى ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى أَوْفَى قال : كان أصحابُ الشجرةِ ألفًا وثلاثَمائةٍ ، وكانت أسْلَمُ ثُمُنَ المهاجرين . تابعه[(٦)] محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدَّثنا

---

(١) البخارى (٤٨٤٠) ، ومسلم (٧١/ ١٨٥٦) .

(٢) مسلم (١٦٢/ ٢٤٩٥) .

(٣) مسلم (١٦٣/ ٢٤٩٦) .

(٤) فى م : « ميسر » . انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٨٥.

(٥) البخارى (٤١٥٥) معلقًا .

(٦) هذا من كلام البخارى ، وهذه المتابعة أسندها الحافظ فى تغليق التعليق ٤/ ١٢٥. وانظر فتح البارى ٧/ ٤٤٤.

أبو داودَ ، حدَّثنا شُعْبةُ . هكذا رَواه البخاريُّ مُعَلَّقًا ، عن عُبَيدِ اللَّهِ . وقد رَواه مسلمٌ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ ، عن أبيه ، عن شُعْبةَ ، وعن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن أبى داودَ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، عن النَّضْرِ بنِ شُمَيْلٍ ، كلاهما عن شُعْبةَ ، به[1] .

ثم قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عروةَ ، عن مَرْوانَ والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ قالا : خرَج النبيُّ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ فى بِضْعَ عشْرةَ مائةً مِن أصحابِه ، فلمَّا كان بذى الحُلَيفةِ قلَّد الهَدْىَ ، وأشْعَر ، وأحْرَم منها . تفرَّد به البخاريُّ . وسيأتى هذا السياقُ بتمامِه .

والمقصودُ أن هذه الرواياتِ كلَّها مخالِفةٌ لِمَا ذهَب إليه ابنُ إسحاقَ ؛ مِن أن أصحابَ الحُدَيْبيةِ كانوا سبعَمائةٍ ، وهو ، واللَّهُ أعلمُ ، إنما قال ذلك تَفَقُّهًا مِن تِلْقاءِ نفسِه ؛ مِن حيثُ إنّ البُدْنَ كُنَّ سبعين بَدَنةً ، وكلٌّ منها عن عشَرةٍ ، على اختيارِه ، فيكونُ المُهِلُّون سبعَمائةٍ ، ولا يَلْزَمُ أن يُهْدِىَ كلُّهم ، ولا أن يُحْرِمَ كلُّهم أيضًا ؛ فقد ثبَت أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث طائفةً منهم ، فيهم أبو قَتادةَ ، ولم يُحْرِمْ أبو قَتادةَ حتى قتَل ذلك الحمارَ الوحْشِيَّ ، فأكَل منه هو وأصحابُه ، وحمَلوا منه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أثناءِ الطريقِ ، فقال : « أَمِنْكم أحدٌ أَمَرَه أن يَحْمِلَ عليها ، أو أشار إليها ؟ » قالوا : لا . قال : « فكُلوا ما بَقِىَ مِن لحمِها[3] » .

---

(١) مسلم (٧٥/١٨٥٧) ، (٠٠٠/١٨٥٧) .

(٢) البخارى (٤١٥٧، ٤١٥٨) .

(٣) فى م : « الحمار » . والحديث رواه البخارى (١٨٢٤) ، ومسلم (١١٩٦) .

وقد قال البخاريُّ[1] : [٣/٥٦ظ] حدَّثنا سعيدُ[2] بنُ الرَّبيعِ ، حدَّثنا عليُّ بنُ المُبارِكِ ، عن يحيى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قَتادةَ ، أن أباه حدَّثه قال : انطَلَقْنا مع النبيِّ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ ، فأحْرَم أصحابُه[3] ولم أُحْرِمْ .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ رافعٍ ، حدَّثنا شَبَابةُ بنُ سَوَّارٍ الفَزَاريُّ ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن قَتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه قال : لقد رأيْتُ الشجرةَ ، ثم أتَيْتُها بعدُ فلم أَعْرِفْها .

حدَّثنا[5] مُوسى ، حدَّثنا أبو عَوانةَ ، حدَّثنا طارقٌ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه ، أنه كان ممن بايع تحتَ الشجرةِ ، فرجَعْنا إليها العامَ المُقْبِلَ ، فعَمِيَتْ علينا .

وقال البخاريُّ أيضًا[6] : حدَّثنا محمودٌ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، عن إسْرائيلَ ، عن طارقِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، قال : انطَلَقْتُ حاجًّا ، فمرَرْتُ بقومٍ يُصَلُّون ، فقلتُ : ما هذا المسجدُ ؟ قالوا : هذه الشجرةُ ، حيث بايَع النبيُّ ﷺ بيعةَ الرِّضْوانِ . فأتَيْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ فأخْبَرْتُه ، فقال سعيدٌ : حدَّثنى أبى أنه كان فيمَن بايع رسولَ اللَّهِ ﷺ تحتَ الشجرةِ . قال : فلمَّا كان مِن العامِ المُقْبِلِ نَسِيناها فلم نَقْدِرْ عليها . ثم قال سعيدٌ : إن أصحابَ محمدٍ ﷺ لم يَعْلَموها

---

(١) البخارى (١٨٢٢) .
(٢) فى الأصل ، م : « شعبة » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٢٨، ٤٢٩.
(٣) فى الأصل ، م : « أصحابى » .
(٤) البخارى (٤١٦٢) .
(٥) البخارى (٤١٦٤) .
(٦) البخارى (٤١٦٣) .

وعلِمْتُموها أنتم ؟! فأنتم أَعْلَمُ ![1] . ورَواه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ الثوريِّ وأبى عَوانةَ وشَبابةَ ، عن طارقٍ[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا إسماعيلُ[4] ، حدَّثنى أخى ، عن سليمانَ ، عن عمرِو بنِ يَحيى ، عن عبَّادِ بنِ تَميمٍ قال : لَمَّا كان يومُ الحَرَّةِ والناسُ يُبايِعون لعبدِ اللَّهِ بنِ حَنْظلةَ ، فقال ابنُ زيدٍ[5] : على ما يُبايِعُ ابنُ حَنْظلةَ الناسَ ؟ قيل له : على الموتِ . فقال : لا أُبايِعُ على ذلك أحدًا بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وكان شَهِد معه الحُدَيْبيةَ . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ[6] ، عن عمرِو بنِ يَحْيَى ، به[7] .

وقال البخاريُّ[8] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا حاتمٌ ، عن يَزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ قال : قلتُ لسَلَمةَ بنِ الأَكْوَعِ : على أىِّ شىءٍ بايَعْتُم رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيْبيةِ ؟ قال : على الموتِ . ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ[9] .

---

(١) قال الحافظ : قال سعيد هذا الكلامَ منكِرًا ، وقوله : فأنتم أعلم . هو على سبيل التهكم . فتح البارى ٧/ ٤٤٧.

(٢) البخارى (٤١٦٤، ٤١٦٥)، ومسلم (٧٧، ١٨٥٩/٧٨) من طريقى الثورى وأبى عوانة عن طارق ، أما حديث شبابة فهو ليس عن طارق ، وإنما عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه . البخارى (٤١٦٢)، ومسلم (٧٩/ ١٨٥٩) . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٨٨.

(٣) البخارى (٤١٦٧) .

(٤) فى م : « سعيد » . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٩، ١٢٤.

(٥) فى حاشية ا ١٥: « هو عبد الله بن زيد بن عاصم » .

(٦) كذا فى النسخ . والحديث عند البخارى ومسلم من طريقين - وليس من طرق كما ذكر المصنف - عن عمرو بن يحيى ، به . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٣٤٠.

(٧) البخارى (٢٩٥٩)، ومسلم (١٨٦١) .

(٨) البخارى (٤١٦٩) .

(٩) مسلم (١٨٦٠) .

وفى « صحيحِ مسلمٍ » عن سَلَمةَ أنه بايع ثلاثَ مَرَّاتٍ ؛ فى أوائلِ الناسِ ووسَطِهم وأَواخرِهم[1] . وفى « صحيحِ مسلمٍ » عن مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ ، أنه كان آخذًا بأغصانِ الشجرةِ عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُبايِعُ الناسَ[2] . وكان أولَ مَن بايع رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ أبو سِنانٍ ، وهو وَهْبُ بنُ مِحْصَنٍ ، أخو عُكَّاشةَ ابنِ مِحْصَنٍ ، وقيل : سِنانُ بنُ أبى سِنانٍ[3] .

وقال البخاريُّ[4] : [٣/٥٧و] حدَّثنى شُجاعُ بنُ الوليدِ ، سَمِع النَّضْرَ بنَ محمدٍ ، حدَّثنا صَخْرُ بنُ الربيعِ ، عن نافعٍ قال : إن الناسَ يَتَحَدَّثون أن ابنَ عمرَ أَسْلَم قبلَ عمرَ ، وليس كذلك ، ولكنْ عمرُ يومَ الحُدَيْبيةِ أرْسَل عبدَ اللَّهِ إلى فرسٍ له ، عندَ رجلٍ مِن الأنصارِ ، أن يَأْتِىَ به ليُقاتِلَ عليه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُبايِعُ عندَ الشجرةِ ، وعمرُ لا يَدْرِى بذلك ، فبايَعه عبدُ اللَّهِ ، [5]ثم ذهَب إلى الفَرسِ ، فجاء به إلى عمرَ ، وعمرُ يَسْتَلْئِمُ[6] للقتالِ ، فأخبَرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ يُبايِعُ تحتَ الشجرةِ[5] . قال : فانطَلَقَ فذَهَب معه حتى بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهى التى يَتَحَدَّثُ الناسُ أن ابنَ عمرَ أَسْلَم قبلَ عمرَ .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ[7] : حدَّثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، حدَّثنا عمرُ بنُ محمدٍ

---

(١) مسلم (١٨٠٧) .

(٢) مسلم (١٨٥٨) .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٦، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٨، وتاريخ الطبرى ٢/ ٦٣٢ حوادث السنة السادسة ، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ١٣٧.

(٤) البخارى (٤١٨٦) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٦) يستلئم : يلبس لأمَتَه . انظر الوسيط (ل أ م) .

(٧) البخارى (٤١٨٧) معلقا .

العُمَرىُّ ، أخبَرَنى نافعٌ ، عن ابنِ عمرَ أن الناسَ كانوا مع النبىِّ ﷺ يومَ الحُدَيْبيةِ تفرَّقوا فى ظلالِ الشجرِ ، فإذا الناسُ مُحْدِقون بالنبىِّ ﷺ ، فقال[1] : يا عبدَ اللَّهِ ، انْظُرْ ما شأنُ الناسِ قد أحْدَقوا برسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فوجَدَهم يُبايِعون ، فبايَعَ ثم رجَع إلى عمرَ ، فخرَج فبايَع . تفرَّد به البخارىُّ مِن هذين الوجهين .

---

(١) أى عمر بن الخطاب ، رضى اللَّه عنه .

ذِكْرُ[1] سياقِ البخاريّ لعُمْرةِ الحُدَيْبيةِ

قال فى كتابِ المَغازى[2] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، سمِعْتُ الزُّهْرِيَّ حينَ حدَّث هذا الحديثَ ، حفِظْتُ بعضَه ، وثَبَّتَنى مَعْمَرٌ ، عن عُروةَ بنِ الزبيرِ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، يَزيدُ أحدُهما على صاحبِه ، قالا : خرَج النبيُّ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ فى بِضْعَ عشْرةَ مائةً مِن أصحابِه ، فلمَّا أَتَى ذا الحُلَيفةِ قلَّد الهَدْىَ وأشْعَره ، وأحْرَم منها بعُمْرةٍ ، وبعَث عينًا له مِن خُزاعةَ ، وسار النبيُّ ﷺ حتى إذا كان بغَدِيرِ الأَشْطاطِ أتاه عَيْنُه ، قال : إن قريشًا قد جَمَعوا لك جُموعًا ، وقد جَمَعوا لك الأَحابيشَ ، وهم مُقاتِلوك وصادُّوك عن البيتِ ومانعوك . فقال : « أشِيروا أيها الناسُ علىَّ ، أترَوْن أن أَمِيلَ إلى عِيالِهم ، وذَرارِيِّ هؤلاء الذين يُريدونَ أن يصُدُّونا عن البيتِ ؟ فإن يأتونا كان اللَّهُ قد قطَع عينًا مِن المشركين وإلا ترَكْناهم مَحْرُوبين[3] » . قال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، خرَجْتَ عامدًا لهذا البيتِ لا تُريدُ قَتْلَ أحدٍ ولا حربَ أحدٍ ، فتوجَّهْ له ، فمَن صدَّنا عنه قاتَلْناه . قال : « امضُوا على اسمِ اللَّهِ » . هكذا رَواه هـٰهنا ، [٣/٥٧ظ] ووقَف ، ولم يَزِدْ شيئًا على هذا .

---

(١) سقط من : م .

(٢) البخارى (٤١٧٨، ٤١٧٩) .

(٣) محروبين : مسلوبين منهوبين . والحرب بالتحريك : نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له . النهاية ١/ ٣٥٨.

وقال فى كتابِ الشَّهاداتِ[1] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، أنبأنا مَعْمَرٌ ، أخبرَنى الزُّهْرِىُّ ، أخْبَرَنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، عن المِسْورِ ابنِ مَخْرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، يُصَدِّقُ كلُّ واحدٍ منهما حديثَ صاحبِه ، قالا : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ زمنَ الحُدَيْبيةِ ، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ ، قال النبىُّ ﷺ : « إن خالدَ بنَ الوليدِ بالغَمِيمِ ، فى خيلٍ[2] لقريشٍ طَلِيعةً ، فخذوا ذاتَ اليمينِ » . فواللَّهِ ما شعَر بهم خالدٌ حتى إذا هم بقَتَرَةِ الجيشِ ، فانطَلَق يَرْكُضُ نَذِيرًا لقريشٍ ، وسار النبىُّ ﷺ حتى إذا كان بالثَّنِيَّةِ التى يُهْبَطُ عليهم منها برَكَت به راحلتُه ، فقال الناسُ : حَلْ حَلْ[3] . فألَحَّت[4] ، فقالوا : خَلأَتِ القَصْواءُ ، خلأَتِ القصْواءُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما خَلأَتِ القَصْواءُ ، وما ذاك لها بخُلُقٍ ، ولكن حبَسها حابسُ الفيلِ » . ثُم قال : « والذى نفسى بيدِه لا يَسْأَلُونى خُطَّةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ اللَّهِ إلا أعْطَيْتُهم إيَّاها » . ثُم زجَرها فوثَبَت ، فعدَل عنهم حتى نزَل بأقْصَى الحُدَيْبيةِ ، على ثَمَدٍ[5] قليلِ الماءِ يَتَبَرَّضُه الناسُ[6] تبرُّضًا ، فلم يُلَبِّثْه الناسُ حتى نزَحوه ، وشُكِىَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ العطَشُ ، فانْتَزَع سهمًا مِن كِنانتِه ، ثُم أمَرَهم أن يَجْعلوه فيه ، فواللَّهِ مازال

---

(١) البخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢) ، من كتاب الشروط وليس الشهادات كما ذكر المصنف . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٣.

(٢) فى ا ١٥: « جبل » .

(٣) قال الحافظ : حل حل ؛ كلمة تقال للناقة إذا تركت السير . فتح البارى ٥/ ٣٣٥.

(٤) فألحت : تمادت على عدم القيام ، وهو من الإلحاح . المصدر السابق .

(٥) على ثمد : أى حفيرة فيها ماء مثمود ؛ أى قليل . المصدر السابق ٥/ ٣٣٦.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

قال الحافظ : يتبرضه الناس ؛ هو الأخذ قليلا قليلا ، والبرض بالفتح والسكون اليسير من العطاء ، وقال صاحب العين : هو جمع الماء بالكفين . المصدر السابق ٥/ ٣٣٧.

يَجِيشُ لهم بالرَّىِّ حتى صَدَروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ الخُزَاعىُّ ، فى نفَرٍ مِن قومِه مِن خُزاعةَ - وكانوا عَيْبةَ نُصْحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أهلِ تِهامةَ - فقال : إنى تَرَكْتُ كعبَ بنَ لُؤَىٍّ ، وعامرَ بنَ لُؤَىٍّ نزَلوا أعْدادَ[1] مياهِ الحُدَيْبيةِ ، معهم العُوذُ المَطافِيلُ وهم مُقاتِلوك وصادُّوك عن البيتِ . فقال النبىُّ ﷺ : « إنا لم نجِئْ لقِتالِ أحدٍ ، ولكن جِئْنا مُعْتَمِرين ، وإن قريشًا قد نهِكَتْهمُ الحربُ وأضَرَّت بهم ، فإن شاءوا مادَدْتُهم مُدةً ، ويُخَلُّوا بينى وبينَ الناسِ ، [2]فإن أَظْهَرْ ، فإن شاءوا أن يَدْخُلوا فيما دخَل فيه الناسُ[2] فعَلوا ، وإلَّا فقَد جَمُّوا[3] ، وإن هم أبَوا ، فوالذى نفسى بيدِه لأُقاتِلَنَّهم على أمْرى هذا حتى تنْفَرِدَ سالِفتى ، ولَيُنْفِذَنَّ أمْرُ اللَّهِ » . قال بُدَيْلٌ : سأُبَلِّغُهم ما تقولُ . فانطَلَق حتى أتَى قريشًا ، فقال : إنا قد جِئْناكم مِن عندِ هذا الرجلِ ، وسَمِعْناه يقولُ قولًا ، فإن شئْتم أن نَعْرِضَه عليكم فعَلْنا . فقال سُفهاؤُهم : لا حاجةَ لنا أن تُخْبِرَنا عنه بشىءٍ . وقال ذَوُو الرأْىِ منهم : هاتِ ما سمِعْتَه يقولُ . قال : سمِعْتُه يقولُ كذا وكذا ، [٣/٥٨و] فحدَّثَهم بما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقام عُروةُ بنُ مسعودٍ فقال : أىْ قوْمِ ، ألسْتُم[4] بالوالدِ ؟ قالوا : بلى . قال : أوَ لسْتُ[5] بالولدِ ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتَّهِمونى ؟ قالوا : لا . قال : ألسْتُم تعلَمون أنى اسْتَنْفَرْتُ أهلَ عُكاظٍ ، فلمَّا بلَّحوا[6] علىَّ جِئْتُكم بأهْلى ووَلَدى ومَن أطاعنى ؟ قالوا : بلى .

---

(١) أعْداد : جمع عِدّ ، وهو الماء الذى لا انقطاع له . انظر النهاية ٣/ ١٨٩، وفتح البارى ٥/ ٣٣٨.

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥، ص .

(٣) فى الأصل : « حموا » ، وفى ص : « جمعوا » . وجموا : استراحوا . انظر المصدر السابق .

(٤) فى م : « ألست » .

(٥) فى م : « أو لستم » .

(٦) بلحوا : امتنعوا ، والتبلح : التمنع من الإصابة ، وبلح الغريم ، إذا امتنع من أداء ما عليه . المصدر السابق ٥/ ٣٣٩.

قال : فإنَّ هذا قد عرَض لكم خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلوها ودَعونى آتِه . فقالوا : ائْتِه . فأتاه ، فجعَل يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ نحوًا مِن قولِه لبُدَيْلٍ ، فقال عروةُ عندَ ذلك : أىْ محمدُ ، أرأيْتَ إنِ اسْتَأْصَلْتَ أمْرَ قومِك ، هل سمِعْتَ بأحدٍ مِن العربِ اجْتاح[1] أهْلَه قَبْلَك ؟ وإن تَكُنِ الأخرى ، فإنى واللَّهِ لا أرَى وُجوهًا ، وإنى لأرَى أشْوابًا[2] مِن الناسِ خَلِيقًا أن يَفِرُّوا ويدَعُوك . فقال له أبو بكرٍ : امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ ، أنحن نَفِرُّ عنه وندَعُه ؟ قال : مَن ذا ؟ قالوا : أبو بكرٍ . قال : أما والذى نفسى بيدِه لولا يدٌ كانت لك عندى لم أجْزِك بها ، لأَجَبْتُك . قال : وجعَل يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ ، فكلما تكَلَّمَ أخَذ بلحيتِه ، والمغيرةُ بنُ شُعبةَ قائمٌ على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعه السيفُ وعليه المِغْفَرُ ، فكلما أهْوَى عروةُ بيدِه إلى لحيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ضرَب يدَه بنَعْلِ السيفِ ، وقال له : أخِّرْ يدَك عن لحيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فرفَع عروةُ رأسَه فقال : مَن هذا ؟ قالوا : المغيرةُ ابنُ شُعْبةَ . فقال : أىْ غُدَرُ ، ألسْتُ أسْعَى فى غَدْرَتِك ؟ وكان المغيرةُ بنُ شعبةَ صحِب قومًا فى الجاهليةِ فقتَلهم وأخَذ أموالَهم ، ثُم جاء فأسْلَم ، فقال النبىُّ ﷺ : « [3]أمَّا الإسلامُ فأقْبَلُ ، وأمَّا المالُ فلسْتُ منه فى شىءٍ » . ثُم إن عروةَ جعَل يَرْمُقُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] بعيْنيْه ، قال : فواللَّهِ ما تنَخَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ نُخامةً إلَّا وقَعت فى كَفِّ رجلٍ منهم ، فدَلَك بها وجْهَه وجلْدَه ، وإذا

---

(١) اجتاح : أهلك .

(٢) الأشواب : الأخلاط من أنواع شتى . فتح البارى ٥/ ٣٤٠. وجاء فى نسخة بحواشى صحيح البخارى : « أو شابا » وكذلك هى فى النهاية ٥/ ١٨٧.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

أمَرهم ابْتَدَروا أمْرَه، وإذا توضَّأ كادوا يقْتَتِلون على وَضوئِه، وإذا تَكَلَّموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّون إليه النظرَ تعظيمًا له. (١) فرجَع عروةُ إلى أصحابِه فقال: أىْ قومِ، واللَّهِ لقد وفَدْتُ على الملوكِ؛ وفَدْتُ على قَيْصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشىِّ، واللَّهِ إن رأيْتُ مَلِكًا قطُّ يُعَظِّمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ محمدٍ محمدًا، واللَّهِ إن تَنَخَّم نُخامةً إلَّا وقَعت فى كفِّ رجلٍ منهم فدلَك بها وجْهَه وجلْدَه، وإذا [٣/٥٨ظ] أمَرَهم ابْتَدَروا أمْرَه، وإذا توَضَّأ كادوا يقْتَتِلون على وَضوئِه، وإذا تكَلَّموا خفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّون النظرَ إليه تعظيمًا له (١)، وإنه قد عرَض عليكم خُطَّةَ رُشدٍ فاقْبَلُوها. فقال رجلٌ مِن بنى كِنانةَ: دعونى آتِه. فقالوا: ائْتِه. فلمَّا أشْرَف على النبىِّ ﷺ وأصحابِه قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا فلانٌ، وهو مِن قومٍ يُعَظِّمون البُدْنَ فابْعَثوها له». فبُعِثت له، واسْتَقْبَله الناسُ يُلَبُّون، فلمَّا رَأَى ذلك قال: سبحانَ اللَّهِ! ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيتِ. (٢) فلمَّا رجَع إلى أصحابِه قال: رأيْتُ البُدْنَ قد قُلِّدت وأُشْعِرت، فما أَرَى أن يُصَدُّوا عن البيتِ (٢)، فقام رجلٌ منهم يقال له: مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ. فقال: دعونى آتِه. قالوا: ائْتِه. فلمَّا أشْرَف عليهم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا مِكْرَزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ». فجعَل يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ، فبينما هو يُكَلِّمُه إذ جاء سُهَيْلُ بنُ عمرٍو.

قال مَعْمَرٌ: فأخْبَرَنى أيوبُ، عن عِكْرِمةَ أنه لما جاء سُهَيْلُ بنُ عمرٍو قال

(١ - ١) سقط من: ا ١٥.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد سَهُل لكم مِن أمْرِكم » . قال مَعْمَرٌ : قال الزهْرىُّ فى حديثِه : فجاء سُهَيْلٌ فقال : هاتِ اكْتُبْ بينَنا وبينَكم كتابًا . فدَعا النبىُّ ﷺ الكاتبَ ، فقال النبىُّ ﷺ : « اكْتُبْ بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ » . فقال سُهَيْلٌ : أمَّا الرحمنُ ، فواللَّهِ ما أدْرِى ما هُوَ ، ولكن اكْتُبْ باسمِك اللهمَّ ، كما كنتَ تَكْتُبُ . فقال المسلمون : واللَّهِ لا نَكْتُبُها إلا بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فقال النبىُّ ﷺ : « اكْتُبْ باسمِك اللهمَّ » . ثُم قال : « هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ اللَّهِ » . فقال سُهَيْلٌ : واللَّهِ لو كنا نعْلَمُ أنك رسولُ اللَّهِ ما صدَدْناك عن البيتِ ولا قاتَلْناك ، ولكن اكْتُبْ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « واللَّهِ إنى لَرسولُ اللَّهِ وإن كذَّبْتُمونى ، اكْتُبْ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ » . قال الزهرىُّ : وذلك لقولِه : « لا يَسْأَلونى خُطَّةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ اللَّهِ ، إلَّا أعْطَيْتُهم إيَّاها » . فقال له النبىُّ ﷺ : « على أن تُخَلُّوا بينَنا وبينَ البيتِ فنطوفَ به » . قال سُهَيْلٌ : واللَّهِ لا تتَحَدَّثُ العربُ أنا أُخِذْنا ضُغْطَةً ، ولكن ذلك مِن العامِ المُقْبِلِ . فكتَب ، فقال سُهَيْلٌ : وعلى أنه لا يأتيك منَّا رجلٌ ، وإن كان على دينِك ، إلَّا ردَدْتَه إلينا . قال المسلمون : سبحانَ اللَّهِ ! كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مُسْلمًا . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو يَرْسُفُ فى قُيودِه ، وقد خرَج مِن أسفلِ مكةَ حتى رَمَى بنفسِه بينَ أظْهُرِ [٣/٥٩و] المسلمين ، فقال سُهَيْلٌ : هذا يا محمدُ ، أولُ مَن أُقاضِيك عليه أن تَرُدَّه إلىَّ . فقال النبىُّ ﷺ : « إنا لم نَقْضِ الكتابَ بعدُ » . قال : فواللَّهِ إذًا لم أُصالِحْك على شىءٍ أبدًا . فقال النبىُّ ﷺ : « فأَجِزْه لى » . قال : ما أنا بمُجيزِه لك . قال : « بلى ، فافْعَلْ » . قال : ما أنا بفاعلٍ . قال مِكْرَزٌ : بل قد أجَزْناه لك . قال أبو جَنْدَلٍ : أى معشرَ المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئْتُ

مسلمًا ؟ ألا ترَوْن ما قد لقِيتُ ؟! - وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا فى اللَّهِ - قال : فقال عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : ألستَ نبيَّ اللَّهِ حقًّا ؟ قال : « بلى » . قلتُ : ألسْنا على الحقِّ ، وعدوُّنا على الباطلِ ؟ قال : « بلى » . قلتُ : فلِمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا إذن ؟ ! . قال : « إنى رسولُ اللَّهِ ، ولسْتُ أَعْصِيه وهو ناصرى » . قلتُ : أوَلسْتَ كنتَ تُحَدِّثُنا أنا سنأتى البيتَ فنطوفُ به ؟ قال : « بلى ، فأَخْبَرْتُك أنا نأتيه العامَ ؟ » قال : قلتُ : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به » . قال : فأتَيْتُ أبا بكرٍ فقلتُ : يا أبا بكرٍ ، أليس هذا نبيَّ اللَّهِ حقًّا ؟ قال : بلى . قلتُ : ألسْنا على الحقِّ ، وعدوُّنا على الباطلِ ؟ . قال : بلى . قال : قلتُ : فلِمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا إذن ؟ قال : أيها الرجلُ ، إنه لرسولُ اللَّهِ ، وليس يَعْصى ربَّه ، وهو ناصرُه ، فاسْتَمْسِكْ بغَرْزِه ، فواللَّهِ إنه على الحقِّ . قلتُ : أليس كان يُحَدِّثُنا أنا سنأتى البيتَ ونَطُوفُ به ؟ قال : بلى ، أفأخْبَرَك أنك تأتيه العامَ ؟ فقلتُ : لا . قال : فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به .

قال الزهرىُّ : قال عمرُ : فعمِلْتُ لذلك أعْمالًا[1] . قال : فلمَّا فرَغ مِن قَضِيَّةِ الكتابِ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه : « قوموا فانْحَروا ثُم احْلِقوا » . قال : فواللَّهِ ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ ، فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخَل على أمِّ سَلَمَةَ ، فذكَر لها ما لقِىَ مِن الناسِ ، فقالت أمُّ سَلَمةَ : يا نبيَّ اللَّهِ ، أتُحِبُّ ذلك ؟ اخْرُجْ ثُم لا تُكَلِّمْ أحدًا منهم كَلِمةً حتى تَنْحَرَ بُدْنَك ، وتدْعوَ حالِقَك فيَحْلِقَك . فخرَج فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعَل ذلك ؛ نحَر

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ٥/ ٣٤٦: المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف فى الامتثال ابتداء .

وقد تقدم عن عمر التصريح بمراده فى رواية ابن إسحاق ص ٢١٧ .

بُدْنَه ودَعا حالِقَه فحلَقَه ، فلمَّا رَأَوْا ذلك قاموا فنحَروا ، وجعَل بعضُهم يَحْلِقُ بعضًا ، حتى كاد بعضُهم يَقْتُلُ بعضًا غمًّا . ثُم جاءه نِسوةٌ مُؤْمناتٌ ، فأنزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] فطلَّق عمرُ يومئذٍ امرأتين كانتا له فى الشِّرْكِ ، فتزوَّج إحداهما مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ ، والأخرى صفوانُ [٣/ ٥٩ظ] ابنُ أميةَ . ثُم رجَع النبىُّ ﷺ إلى المدينةِ فجاءه أبو بَصِيرٍ - رجلٌ مِن قريشٍ - وهو مُسْلِمٌ ، فأرْسَلوا فى طلبِه رجلين فقالوا : العَهْدَ الذى جعَلْتَ لنا . فدفَعه إلى الرجلين ، فخرَجا به حتى بلَغا ذا الحُلَيْفةِ ، فنزَلوا يَأْكُلون مِن تمرٍ لهم ، فقال أبو بَصِيرٍ لأحدِ الرجلين : واللَّهِ إنى لأرَى سيفَك هذا يا فلانُ جيدًا . فاسْتَلَّه الآخرُ فقال : أجَلْ واللَّهِ إنه لجيدٌ ، لقد جرَّبْتُ به ، (١ثم جَرَّبتُ به١) ، ثُم جرَّبْتُ . فقال أبو بَصِيرٍ : أرنى أنْظُرْ إليه . فأمْكَنه منه ، فضرَبه حتى برَد(٢) ، وفرَّ الآخرُ حتى أتَى المدينةَ ، فدخَل المسجدَ يعْدُو ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ رآه : « لقد رَأَى هذا ذُعْرًا » . فلمَّا انتهى إلى النبىِّ ﷺ قال : قُتِل واللَّهِ صاحبى وإنى لَمَقتولٌ . فجاء أبو بَصِيرٍ فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، قد واللَّهِ أوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَك ، قد ردَدْتَنى إليهم ، ثُم أنْجانى اللَّهُ منهم . فقال النبىُّ ﷺ : « ويلُ امِّه(٣) ، مِسْعَرَ حربٍ(٤) ، لو كان له

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من الصحيح .

(٢) برد : مات .

(٣) ويل امه : هى كلمة ذم تقولها العرب فى المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم ؛ لأن الويل الهلاك . فتح البارى ٥/ ٣٥٠.

(٤) قال الحافظ : مسعر حرب : أى يسعرها . قال الخطابى : كأنه يصفه بالإقدام فى الحرب والتسعير لنارها . المصدر السابق .

أحدٌ[1] » . فلما سمِع ذلك عرَف أنه سيَرُدُّه إليهم ، فخرَج حتى أتى سِيفَ البحرِ[2] . قال : ويَنْفَلِتُ منهم أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو ، فلحِق بأبى بَصِيرٍ ، فجعَل لا يَخْرُجُ مِن قريشٍ رجلٌ قد أسْلَم إلا لَحِقَ بأبى بَصِيرٍ ، حتى اجْتَمَعت منهم عِصابةٌ ، فواللَّهِ ما يَسْمَعون بِعِيرٍ خرَجت لقريشٍ إلى الشامِ إلا اعْتَرضوا لها فقتَلوهم وأخَذوا أمْوالَهم ، فأرْسَلَت قريشٌ إلى النبىِّ ﷺ تُناشِدُه اللَّهَ والرَّحِمَ لَمَا أرْسَلَ إليهم[3] ، فمَن أتاه فهو آمِنٌ ، فأرْسَل النبىُّ ﷺ إليهم ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ حتى بَلَغ ﴿ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٤- ٢٦] . وكانت حَمِيَّتُهم أنهم لم يُقِرُّوا أنه نبىُّ اللَّهِ ، ولم يُقِرُّوا ببسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، وحالوا بينَهم وبينَ البيتِ . فهذا السياقُ فيه زِياداتٌ وفوائدُ حسنةٌ ليست فى روايةِ ابنِ إسحاقَ عن الزهرىِّ ، فقد رَواه عن الزهرىِّ[4] جماعةٌ ؛ منهم سفيانُ ابنُ عُيَيْنَةَ ، ومَعْمَرٌ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، كلُّهم عن الزهرىِّ ، عن عُرْوةَ ، عن مَرْوانَ ، ومِسْوَرٍ[5] ، فذكَر القصةَ .

وقد رَواه البخارىُّ فى أولِ كتابِ الشُّروطِ[6] ، عن يَحْيَى بنِ بُكَيْرٍ ، عن

---

(١) لو كان له أحد : أى ينصره ويعاضده ويناصره ... فلقنها أبو بصير فانطلق ، وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين ، ورمز إلى من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحقوا به ، قال جمهور العلماء من الشافعية وغيرهم : يجوز التعريض بذلك لا التصريح كما فى هذه القصة واللَّه أعلم . ا هـ . فتح البارى ٥/ ٣٥٠ .

(٢) سيف البحر : ساحله .

(٣) ليس فى الصحيح .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « عن » .

(٥) البخارى (١٦٩٤ ، ١٦٩٥ ، ١٨١١ ، ٤١٥٧ ، ٤١٥٨ ، ٤١٧٨ ، ٤١٧٩) مختصرا ومطولا ، من طريق سفيان ومعمر . أما طريق محمد بن إسحاق فهو فى السيرة ٢/ ٣٠٨ ، ٣١٣ كما تقدم .

(٦) البخارى (٢٧١١ ، ٢٧١٢) .

اللَّيْثِ بنِ سعدٍ، عن عُقَيْلٍ، عن الزهريِّ، عن عُرْوةَ، عن مَرْوانَ بنِ الحكَمِ والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فذكَر القصةَ. وهذا هو الأشْبهُ؛ (١) فإن مَرْوانَ، ومِسْوَرًا كانا صَغيرَيْن [٣/ ٦٠و] يومَ الحُدَيْبيةِ، والظاهرُ أنهما أخذَاه عن الصحابةِ، رضى اللَّهُ عنهم أجمعين (١).

وقال البخاريُّ (٢): حدَّثنا الحسنُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا محمدُ بنُ سابقٍ، حدَّثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ، سمِعْتُ أبا حَصينٍ قال: قال أبو وائلٍ: لمَّا قدِم سَهْلُ (٣) ابنُ حُنَيْفٍ مِن صِفِّينَ (٤) أتَيْناه نسْتَخْبِرُه، فقال: اتَّهِموا الرأىَ، فلقد رأيْتُنى يومَ أبى جَنْدَلٍ ولو أسْتَطِيعُ أن أَرُدَّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ أمْرَه لَرَدَدْتُ، واللَّهُ ورسولُه أعْلَمُ، وما وضَعْنا أسْيافَنا على (٥) عواتِقِنا لأمْرٍ يُفْظِعُنا (٦) إلا أسْهَلْنَ بنا إلى أمْرٍ نَعْرِفُه قبلَ هذا الأمرِ، ما نَسُدُّ منها خُصْمًا (٧) إلا انفَجَر علينا خُصْمٌ، ما ندرى كيف نأتى له.

وقال البخاريُّ (٨): حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ، أخْبَرَنا مالكٌ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ، عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَسِيرُ فى بعضِ أسْفارِه، وكان عمرُ بنُ الخطابِ يَسِيرُ معه ليلًا، فسأله عمرُ بنُ الخطابِ عن شىءٍ فلم يُجِبْه رسولُ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) البخارى (٤١٨٩).

(٣) فى ا ١٥، م: «سهيل».

(٤) فى الأصل: «صفيان».

(٥) فى الأصل، م: «عن».

(٦) فى م: «يقطعنا».

(٧) خصم: جانب. فتح البارى ٧/ ٤٥٨.

(٨) البخارى (٤١٧٧، ٤٨٣٣، ٥٠١٢).

ﷺ ، ثُم سأَله فلم يُجِبْه ، ثُم سأَله فلم يُجِبْه ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ثكِلَتْك أمُّك يا عمرُ ، نزَّرْتَ[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ مراتٍ ، كلُّ ذلك لا يُجِيبُك . قال عمرُ : فحرَّكْتُ بَعيرى ثُم تقَدَّمْتُ أمامَ المسلمين ، وخشِيتُ أن يَنْزِلَ فىَّ قرآنٌ ، فما نَشِبْتُ[2] أن سمِعْتُ صارخًا يَصْرُخُ بى ، قال : فقلتُ : لقد خشِيتُ أن يكونَ نزَل فىَّ قرآنٌ . فجئْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسَلَّمْتُ عليه فقال : « لقد أُنْزِلَتْ علىَّ الليلةَ سورةٌ لَهى أحبُّ إلىَّ مما طَلَعت عليه الشمسُ » . ثُم قرَأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

قلتُ : وقد تكَلَّمْنا على سورةِ « الفتحِ » بكَمالِها فى كتابِنا « التفسيرِ »[3] بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ ، ومَن أحَبَّ أن يَكْتُبَ ذلك هنا فَلْيَفْعَلْ .

---

(١) نزرت : ألححت . فتح البارى ٧/ ٤٥٣.

(٢) نشبت : لبثت .

(٣) التفسير ٧/٣٠٧ - ٣٤٤.

فصلٌ فى ذِكْرِ[1] السَّرايا والبُعوثِ[1] التى كانت فى سنةِ سِتٍّ مِن الهجرةِ

وتلخيصُ ذلك ما أوْرَده الحافظُ البيهقىُّ، عن الواقدىِّ قال[2]:

فى ربيعِ الأولِ منها أو الآخِرِ بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عُكَّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ، فى أربعين رجلًا إلى [3]غَمْرِ مَرْزُوقٍ، [4]ماءٍ لِبنى أَسَدٍ[3][4]، فهرَبوا منه، ونزَل على مياهِهم، وبعَث فى آثارِهم، وأخَذ منهم مِائَتَىْ بَعيرٍ، فاسْتاقها إلى المدينةِ.

وفيها كان بَعْثُ أبى عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ إلى ذى القَصَّةِ، فى أربعين رجلًا أيضًا، فساروا ليلتَهم[5] مُشاةً، حتى أتَوْها فى عَمايةِ الصُّبْحِ، فهرَبوا منه فى رُءوسِ الجبالِ، فأسَر منهم رجلًا، فقدِم به على رسولِ اللَّهِ [٣/ ٦٠ظ] ﷺ فأسلم[6].

وبعْثُ محمدِ بنِ مَسْلَمةَ فى عشَرةِ نفَرٍ، فكمَن القومُ لهم حتى ناموا، فَقُتِل[7] أصحابُ محمدِ بنِ مَسْلمةَ كُلُّهم، وأفْلتَ هو جَريحًا.

---

(١) سقط من: م.
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣ - ٣) بياض فى: م، ص.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) فى الأصل، م: «إليهم».
(٦) سقط من: الأصل، ١٥١، م.
(٧) بياض فى: الأصل، م.

وفيها كان بَعْثُ زيدِ بنِ حارثةَ بالحَمُومِ، فأصاب امرأةً مِن مُزَيْنةَ، يقالُ لها: حَلِيمةُ. فدلَّتْهم على مَحَلَّةٍ مِن مَحَالِّ بنى سُلَيْمٍ، فأصابوا منها نَعَمًا، وشاءً وأَسْرى[1]، وكان فيهم زوجُ حَلِيمةَ هذه، فوهَبها[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ لزَوْجِها، وأطْلَقَهما.

وفيها كان بعْثُ زيدِ بنِ حارثةَ أيضًا، فى جُمادَى الأولى إلى بنى ثَعْلَبةَ، فى خَمْسةَ عشَرَ رجلًا، فهرَبَتْ منه الأعْرابُ، فأصاب مِن نَعَمِهم عِشْرين بَعيرًا، ثُم رجَع بعدَ أرْبَعِ ليالٍ.

وفيها خرَج زيدُ بنُ حارثةَ فى جُمادىَ الأولى إلى العِيصِ.

قال: وفيها أُخِذتِ الأموالُ التى كانت مع أبى العاصِ بنِ الربيعِ، فاسْتجار بزينبَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأجارتْه، وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ - [3]كما تقدَّم[3] - قِصَّتَه حينَ أُخِذتِ العِيرُ التى كانت معه، وقُتِل أصحابُه، وفَرَّ هو مِن بينِهم حتى قدِم المدينةَ، وكانتِ امرأتُه زينبُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد هاجَرتْ بعدَ بدرٍ، فلمَّا جاء المدينةَ استجار بها، فأجارَتْه بعدَ صلاةِ الصُّبْحِ، فأجاره لها رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأمَر الناسَ بردِّ ما أخَذوا مِن عِيرِه، فرَدُّوا كلَّ شىءٍ كانوا أخَذوه منه، حتى لم يَفْقِدْ منه شيئًا، فلمَّا رجَع بها إلى مكةَ، وأدَّى إلى أهلِها ما كان لهم معه مِن الوَدائعِ، أسْلَم وخرَج مِن مكةَ راجعًا إلى المدينةِ، فردَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ زَوْجَتَه زينبَ[4] بالنِّكاحِ الأولِ، ولم يُحْدِثْ نِكاحًا ولا عقدًا،

---

(١) فى الأصل، م: «وأسروا».

(٢) فى م: «فوهبه».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) زيادة: من ١٥١.

كما تقدَّم بيانُ ذلك .

وكان بينَ إسلامِه وهِجْرتِها سِتُّ سِنينَ ، ويُرْوَى سنتان . وقد بيَّنَّا أنه لا منافاةَ بينَ الروايتين ؛ لأنَّ[1] إسلامَه تأخَّر عن وقتِ تحريمِ المؤْمناتِ على الكفَّارِ بسنتين ، وكان إسلامُه فى سنةِ ثمانٍ فى سنةِ الفَتْحِ ، لا كما [2]يُفْهَمُ مِن[2] كلامِ الواقدىِّ ، مِن أنَّه سنةُ سِتٍّ . واللَّهُ أعلمُ .

وذكر الواقدىُّ فى هذه السنةِ ، أنَّ دِحْيَةَ بنَ خَلِيفةَ الكَلْبىَّ[3] أقْبَل مِن عندِ قَيْصَرَ ، وقد أجازه بأموالٍ وخِلَعٍ ، فلمَّا كان بحِسْمَى[4] لقِيَه ناسٌ مِن جُذامٍ ، فقطَعوا عليه الطريقَ ، [٣/ ٦١و] فلم يَتْرُكوا معه شيئًا ، فبعَث إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ أيضًا ، رضى اللَّهُ عنه .

قال الواقدىُّ[5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن يعقوبَ بنِ عُتْبةَ قال : خرَج علِىٌّ ، رضى اللَّهُ عنه ، فى مائةِ رجلٍ إلى [6]أن نزَل[6] إلى حىٍّ مِن بنى سعدِ[7] بنِ بكرٍ ، وذلك أنه بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنَّ لهم جَمْعًا يُريدون أن يُمِدُّوا يهودَ خَيْبَرَ ، فسار إليهم باللَّيلِ ، وكمَن بالنهارِ ، وأصاب عَيْنًا لهم ، فأقَرَّ له أنه بُعِث إلى خَيْبَرَ ، يَعْرِضُ عليهم نصرَهُم[8] على أن يجْعَلوا لهم تمرَ خَيْبَرَ .

---

(١) فى الأصل : « أن » . وفى م : « وأن » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « تقدم من » . وفى م : « تقدم فى » .

(٣) زيادة من : ١٥١، م .

(٤) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان . معجم البلدان ٢/ ٢٦٧.

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٥٦٢، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٨٤، ٨٥.

(٦ - ٦) فى ١٥١، ص : « فدك » .

(٧) فى النسخ : « أسد » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) سقط من : الأصل ، م .

قال الواقدىُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى : وفى سنةِ سِتٍّ ، فى شَعْبانَ منها[2] ، كانت سَرِيَّةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، إلى دُومَةِ الجَنْدَلِ ، وقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن هم أطاعوا فتزَوَّجْ بنتَ مَلِكِهم » . فأسْلَم القومُ ، وتزَوَّج عبدُ الرحمنِ بنتَ مَلِكهم ؛ تُماضِرَ بنتَ الأَصْبَغِ[3] الكَلْبيةَ ، وهى أمُّ أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ .

قال الواقدىُّ[4] : فى شوالٍ سنةَ سِتٍّ كانت سَرِيَّةُ كُرْزِ بنِ جابرٍ الفِهْرىِّ إلى العُرَنِيِّين الذين قتَلوا راعىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واسْتاقوا النَّعَمَ ، فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى آثارِهم كُرْزَ بنَ جابرٍ ، فى عشرين فارسًا ، فردُّوهم .

فكان مِن أمرِهم ما أخْرَجه البخارىُّ ، ومسلمٌ[5] ، مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رَهْطًا مِن عُكْلٍ وعُرَيْنةَ - وفى روايةٍ[6] : مِن عُكْلٍ أو عُرَيْنةَ - أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا أُناسٌ أهلُ ضَرْعٍ ، ولم نَكُنْ أهلَ رِيفٍ ، فاسْتَوْخَمْنا المدينةَ . فأمَر لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بذَوْدٍ وراعٍ[7] ، وأمَرهم أن يَخْرُجوا فيها ، فيَشْرَبوا مِن ألبانِها وأبوالِها ، فانطَلَقوا ، حتى إذا كانوا ناحيةَ الحَرَّةِ قتَلوا راعىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واسْتاقوا

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٥٦١، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٨٥.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى الأصل ، م : « الأصبع » بالعين المهملة .

(٤) مغازى الواقدى ٢/ ٥٦٨، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٨٥.

(٥) البخارى (٤١٩٢) ، ومسلم (١٦٧١/١٣) .

(٦) البخارى (٢٣٣) ، ومسلم (١٦٧١/١١) .

(٧) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « وزاد » . والذود من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع . انظر النهاية ٢/ ١٧١.

الذَّوْدَ، وكفَروا بعدَ إسلامِهم، فبعَث النبيُّ ﷺ فى طلبِهم، فأمَر بهم فقطَع أيديَهم وأرجُلَهم، وسمَرَ أعينَهم[1]، وترَكَهم فى ناحِيةِ الحَرَّةِ حتى ماتوا وهم كذلك. قال قَتادةُ: فبلَغَنا أن [٣/ ٦١ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا خطَب بعدَ ذلك حَضَّ على الصَّدَقَةِ، ونهَى عن المُثْلةِ.

وهذا الحديثُ قد رَواه جماعةٌ عن قَتادةَ[2]، ورَواه جماعةٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ[3]. وفى رِوايَةِ مسلمٍ، عن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ، عن أنسٍ[4]، أنَّ نَفَرًا مِن عُرَيْنةَ أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْلَموا وبايعوه، وقد وقَع فى المدينةِ المُومُ - وهو البِرْسامُ[5] - فقالوا: هذا الوجعُ[6] قد وقَع يا رسولَ اللَّهِ، فلو أذِنْتَ لنا فرجَعْنا إلى الإبلِ. قال: «نعم، فاخْرُجوا فكونوا فيها». فخرَجوا فقتَلوا الرَّاعِيَيْن، وذهَبوا بالإبلِ، وعندَه شبابٌ[7] مِن الأنصارِ قريبٌ من عِشْرين، فأرْسَلهم

---

(١) قال الحافظ: قال الخطابى: السمل فقء العين بأى شىء كان... قال: والسمر لغة فى السمل ومخرجهما متقارب. قال: وقد يكون من المسمار يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت. قلت - أى الحافظ -: قد وقع التصريح بالمراد عند المصنف... ولفظه: «ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها». فهذا يوضح ما تقدم، ولا يخالف ذلك رواية السمل. فتح البارى ١/ ٣٤٠.

(٢) البخارى (١٥٠١، ٥٦٨٦)، ومسلم (١٣/١٦٧١)، وأبو داود (٤٣٦٨)، وأحمد فى المسند ٣/ ١٦٣، ١٧٧، ٢٨٧.

(٣) البخارى (٢٣٣، ٥٦٨٥)، ومسلم (٩ - ١٤/١٦٧١). وأبو داود (٤٣٦٧)، والترمذى (٧٢، ١٨٤٥، ٢٠٤٢)، والنسائى (٤٠٤٠ - ٤٠٤٣، ٤٠٤٦)، وابن ماجه (٢٥٧٨، ٣٥٠٣).

(٤) مسلم (١٣/١٦٧١).

(٥) قال النووى: المُوم، بضم الميم وإسكان الواو، وأما البرسام فبكسر الباء وهو نوع من اختلال العقل. ويطلق على ورم الرأس، وورم الصدر، وهو معرب، وأصل اللفظة سريانية. شرح صحيح مسلم ١١/ ١٥٦.

(٦) فى الأصل: «لموصع»، وفى م: «الموم».

(٧) فى م: «سار».

إليهم ، وبعَث معهم قائِفًا[1] يَقْتَصُّ أثَرَهم ، فأُتِىَ بهم ، فقطَع أيديَهم وأرجلَهم ، وسمَر أعينَهم .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[2] مِن طريقِ أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أنسٍ ، أنه قال : قدِم رَهْطٌ مِن عُكْلٍ فأسْلَموا ، واجْتَوَوُا المدينةَ ، فأتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكَروا ذلك له فقال : « الْحَقُوا بالإبلِ ، واشْرَبوا مِن أبوالِها وألبانِها » . قال[3] : فذهَبوا فكانوا فيها ما شاء اللَّهُ ، فقتَلوا الراعىَ ، واسْتاقوا الإبلَ ، فجاء الصَّرِيخُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [4]فأرسلَ فى طَلَبِهم[4] ، فلم تَرْتَفِعِ الشمسُ حتى أُتِىَ بهم ، فأمَر بمَساميرَ فأُحْمِيَت فكَواهم بها ، وقطَع أيديَهم وأرجلَهم ، وألْقَاهم فى الحَرَّةِ يسْتَسْقون فلا يُسْقَون ، حتى ماتوا ولم يَحسِمْهم[5] . وفى روايةٍ عن أنسٍ ، قال[6] : فلقد رأيْتُ أحدَهم يَكْدُمُ[7] الأرضَ بفيه مِن العطَشِ . قال أبو قِلابةَ[8] : فهؤلاء قتَلوا ، وسرَقوا ، وكفَروا بعدَ إيمانِهم ، وحارَبوا اللَّهَ ورسولَه ﷺ .

وقد روَى البيهقىُّ[9] مِن طريقِ عثمانَ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن عبدِ الرحمنِ[10]

---

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار وغيرها . صحيح مسلم بشرح النووى ١١/ ١٥٧.

(٢) البخارى (٢٣٣، ٣٠١٨، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥) .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) فى م : « يحمهم » . والحسم ، بفتح الحاء وسكون السين المهملتين ، الكىُّ بالنار لقطع الدم . فتح البارى ١٢/ ١١١.

(٦) البخارى (٥٦٨٥) .

(٧) كدم : أحدث فيه أثرًا بعضٍّ ونحوه . الوسيط (ك د م) .

(٨) البخارى (٢٣٣) .

(٩) دلائل النبوة ٤/ ٨٨.

(١٠) كذا بالنسخ ، وفى الدلائل : « عبد الرحيم » .

ابنِ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لَمّا بعَث فى آثارِهم قال : « اللهمَّ عَمِّ عليهمُ الطريقَ ، واجْعَلْها عليهم أضْيَقَ مِن مَسْكِ[1] جَمَلٍ » . قال : فعمَّى اللَّهُ عليهمُ السبيلَ فأُدْرِكوا ، فأُتِىَ بهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقطَع أيديَهم وأرْجلَهم ، [٣/٦٢و] وسَمَل أعينَهم . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] : إنما سمَلهم ؛ لأنهم سمَلوا أعيُنَ الرِّعاءِ .

---

(١) المسك : الجِلْد . اللسان (م س ك) .

(٢) مسلم (١٦٧١/١٤) .

فصلٌ فيما وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ

أَعْنى سنةَ ستٍّ مِن الهجرةِ ؛ فيها نزَل فرضُ الحَجِّ ، كما قرَّره الشافعىُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ ، زمنَ الحُدَيْبِيةِ ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] . ولهذا ذهَب إلى أن الحَجَّ على التَّراخى لا على الفَوْرِ ؛ لأنه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم لم يَحُجَّ إلّا فى سنةِ عشْرٍ . وخالفه الثلاثةُ ؛ مالكٌ وأبو حنيفةَ وأحمدُ ، فعندَهم أن الحجَّ يَجِبُ على كلِّ مَن استطاعه على الفَوْرِ ، ومنَعوا أن يكونَ الوجوبُ مستفادًا من قولِه تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ . وإنما فى هذه الآيةِ الأمرُ بالإتمامِ بعدَ الشروعِ فقط ، واستَدَلوا بأدلةٍ قد أوردْنا كثيرًا منها عندَ تفسيرِ هذه الآيةِ مِن كتابِنا « التفسيرِ »[2] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، بما فيه كِفايةٌ .

وفى هذه السنةِ حُرِّمت المسلماتُ على المشركين ؛ تَخْصِيصًا لعمومِ ما وقَع به الصلحُ عامَ الحُدَيْبِيةِ على أنه : لا يَأْتِيك منا أحدٌ ، وإن كان على دينِك ، إلّا ردَدْتَه علينا . فنزَل قولُه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية [الممتحنة : ١٠] .

وفى هذه السنةِ كانت غزوةُ المُرَيْسِيعِ ، التى كانت فيها قضيَّةُ الإفْكِ ، ونزولُ براءةِ أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رضىَ اللَّهُ عنها ، كما تقدَّم[3] .

---

(١) انظر معرفة السنن والآثار ٣/ ٤٩٠، ٤٩١.

(٢) التفسير ١/٣٣٣ - ٣٤١.

(٣) فى صفحة ١٩٢ .

وفيها كانت عمرةُ الحُدَيْبيةِ ، وما كان مِن صَدِّ المشركين لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكيف وقَع الصلحُ بينَهم على وَضْعِ الحربِ عشْرَ سنين ، [1]يَأْمَنُ فيهن الناسُ[1] بعضُهم بعضًا ، وعلى أنه لا إغْلالَ ولا إسْلالَ ، وقد تقدَّم كلُّ ذلك مبسوطًا فى أماكنِه ، وللَّه الحمدُ والمنةُ . ووَلِىَ الحَجَّ فى هذه السنةِ المشركون .

قال الواقدىُّ[2] : وفيها فى ذى الحِجَّةِ منها بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ ستةَ نفَرٍ مُصْطَحِبين ؛ حاطبَ بنَ أبى بَلْتَعةَ ، إلى المُقَوْقِسِ صاحبِ الإسكندريَّةِ ، وشُجاعَ ابنَ وهبٍ ، [3]من بنى[3] أَسَدِ بنِ خُزَيمةَ[4] - شَهِد بدرًا - إلى الحارِثِ [٣/ ٦٢ظ] ابنِ أبى شِمْرٍ الغَسَّانىِّ ، يعنى ملِكَ عربِ النَّصارَى بالشامِ[5] ، ودِحْيَةَ[6] بنَ خَلِيفةَ الكَلْبىَّ ، إلى قَيْصَرَ ، وهو هِرَقْلُ ملِكُ الرومِ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ السَّهْمِىَّ إلى كِسْرَى ملِكِ الفرسِ ، وسَلِيطَ بنَ عمرٍو العامرىَّ إلى هَوْذَةَ بنِ علىٍّ الحَنَفىِّ ، وعمرَو بنَ أُميةَ الضَّمْرىَّ ، إلى النجاشىِّ ملِكِ النَّصارَى بالحبشةِ ، وهو أَصْحَمَةُ ابنُ أَبْجَرَ[7] .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « فأمن الناس فيهن » .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/١٦٤٤ ، حوادث السنة السادسة ، عن الواقدى .

(٣ - ٣) فى النسخ : « بن » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٠٧، وأسد الغابة ٢/ ٥٠٥.

(٤) فى الأصل ، م : « جذيمة » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل : « رخية » ، وفى م : « رضية » .

(٧) فى الأصل : « الجُرّ » ، وفى م : « الحر » .

بسم الله الرحمن الرحيم

سنةُ سبعٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

غزوةُ خَيْبَرَ فى أوَّلِها

قال شعبةُ[1] ، عن الحكَمِ[2] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، فى قولِه : ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] . قال : خَيْبَرَ .

وقال مُوسى بنُ عُقْبَةَ[3] : لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الحُدَيْبيةِ مكَث بالمدينةِ[4] عشرين يومًا[5] ، أو قريبًا مِن ذلك ، ثُم خرَج إلى خَيْبَرَ ، وهى التى وَعَده اللَّهُ إيَّاها . وحكَى موسى ، عن الزهرىِّ ، أنَّ افتتاحَ خَيْبَرَ فى سنةِ سِتٍّ[6] .

والصحيحُ أن ذلك فى أولِ سنةِ سبعٍ كما قدَّمْنا .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ، حينَ رجَع مِن الحُدَيْبيةِ ، ذا الحِجَّةِ وبعضَ المُحَرَّمِ ، ثُم خرَج فى بقيَّةِ المُحَرَّمِ إلى خَيْبَرَ .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٦/ ٨٨، من طريق شعبة ، به .

(٢) فى الأصل ، م : « الحاكم » . وهو الحكم بن عتيبة . انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٤٣٤.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٩٤، ١٩٥، عن موسى بن عقبة .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) فى الدلائل : « ليلة » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٩٥، عن موسى ، به .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨.

وقال يونسُ بنُ بُكيْرٍ[1] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهْرىِّ ، عن عروةَ ، عن مَرْوانَ والمِسْوَرِ ، قالا : انْصَرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ ، فنزَلَتْ عليه سورةُ الفَتْحِ بينَ مكةَ والمدينةِ ، فقدِم المدينةَ فى ذى الحِجَّةِ ، فأقام بها حتى سار إلى خَيْبَرَ [2]فى المحرمِ[2] ، فنزَل بالرَّجيعِ ؛ وادٍ بينَ [3]خيبرَ و[3]غَطَفانَ ، فتَخَوَّف أن تُمِدَّهم غَطَفانُ ، فبات[4] حتى أصْبَحَ ، فغَدا إليهم .

قال البيهقىُّ[5] : وبمعناه رَوَاه الواقدىُّ[6] عن شيوخِه ، فى خروجِه فى أوَّلِ سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ إدْريسَ[7] ، عن ابنِ[8] إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ قال : كان افتتاحُ خَيْبَرَ فى عَقِبِ[9] المُحَرَّمِ ، وقَدِم النبىُّ ﷺ فى آخرِ صَفَرٍ . قال ابنُ هشامٍ[10] : واسْتَعْمَل على المدينةِ نُمَيْلَةَ بنَ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثىَّ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[11] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا وُهَيْبٌ ، حدَّثنا خُثَيْمٌ[12] ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٩٧، من طريق يونس بن بكير ، به نحوه .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) بياض فى الأصل . وسقط من : ا ١٥١، م .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) دلائل النبوة ٤/ ١٩٧.

(٦) مغازى الواقدى ٢/ ٦٣٤ - ٦٣٨.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٩٦، ١٩٧، عن عبد الله بن إدريس ، به .

(٨) سقط من : الأصل ، م .

(٩) فى الأصل ، م : « عقيب » .

(١٠) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨.

(١١) المسند ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦. (إسناده صحيح) .

(١٢) فى الأصل : « خيثم » . وفى م : « حسيم » . وفى المسند : « حشيم » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٢٨.

يَعْنى ابنَ عِراكٍ ، عن أبيه أنَّ أبا هُريرةَ قَدِم المدينةَ فى رَهْطٍ مِن قومِه والنبىُّ ﷺ بخَيْبَرَ ، وقد اسْتَخْلَف سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ - يَعْنى [٣/٦٣و] الغَطَفانىَّ - على المدينةِ . قال : فانتَهَيْتُ إليه وهو يقْرَأُ فى صلاةِ الصُّبحِ فى الركعةِ الأُولى بـ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] . وفى الثانيةِ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] . فقلتُ فى نفسى : ويلٌ لفلانٍ ، إذا اكْتال اكْتال[1] بالوافى ، وإذا كال كال بالناقصِ . قال : فلمَّا صَلَّى زَوَّدَنا[2] شيئًا حتى أتَيْنا خَيْبَرَ ، وقد افتتح النبىُّ ﷺ خَيْبَرَ . قال : فكَلَّم المسلمين ، فأشْرَكونا فى سِهامِهم .

وقد رَواه البَيْهقىُّ[3] ، مِن حديثِ سُليمانَ بنِ حربٍ ، عن وُهَيْبٍ ، عن خُثيمِ[4] بنِ عِراكٍ ، عن أبيه ، عن نفَرٍ مِن بنى غِفارٍ قالوا : إنَّ أبا هريرةَ قَدِم المدينةَ . فذَكَره .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ خرَج مِن المدينةِ إلى خَيْبَرَ ، سلَك على عِصْرٍ[6] ، فبُنِىَ له فيها مسجدٌ ، ثُم على الصَّهْباءِ[7] ، ثُم أقْبَل بجيشِه حتى نَزَل به بوادٍ يُقالُ له : الرَّجيعُ . فنَزَل بينَهم وبينَ غَطَفانَ ؛ [8]ليَحُولَ بينَهم وبينَ أن يُمِدُّوا أهلَ خَيْبَرَ ، و[9]كانوا لهم مُظاهِرين على رسولِ اللَّهِ ﷺ ،[8]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى الأصل ، م : « رددنا » . وفى ا ١٥١ : « رودنا » . وفى ص : « وزودنا » . والمثبت من المسند .

(٣) دلائل النبوة ٤/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) فى الأصل ، م « خيثم » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٠.

(٦) عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرع . معجم البلدان ٣/ ٦٨٣.

(٧) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر رَوْحَة . المصدر السابق ٣/ ٤٣٧.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) سقط من : م .

(١ فبَلَغنى أنَّ غَطَفانَ ١) لمَّا سَمِعوا بذلك جَمَعوا ، ثُم خَرَجوا ليُظاهِروا يهودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقَلةً[٢] ، سَمِعوا خَلْفَهم فى أموالِهم وأهليهم حِسًّا ، ظَنُّوا أنَّ القومَ قد خالَفوا إليهم ، فرجَعوا على أعقابِهم ، فأقاموا فى أموالِهم وأهليهم ، وخَلَّوْا بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ خَيْبرَ .

وقال البخاريُّ[٣] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ ، عن مالكٍ ، عن يحْيَى بنِ سعيدٍ ، عن بُشَيرٍ أنَّ سُوَيْدَ بنَ النُّعمانِ أخْبَرَه أنَّه خرَج مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ خَيْبَرَ ، حتى إذا كانوا بالصَّهْباءِ ، وهى من أدْنى خَيْبرَ ، صَلَّى العصرَ ، ثُم دَعا بالأزْوادِ ، فلم يُؤْتَ إلَّا بالسَّوِيقِ ، فأمَر به فثُرِّىَ[٤] ، فأكَل وأكَلْنا ، ثُم قام إلى المغربِ فمَضْمَض[٥] ، ثُم صلى ولم يتَوَضَّأْ .

وقال البخاريُّ[٦] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ ، حدَّثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى خَيْبَرَ ، فسِرْنا ليلًا ، فقال رجلٌ مِن القومِ لعامرٍ : يا عامرُ ، ألا تُسْمِعُنا مِن هُنَيْهاتِك[٧] ؟ وكان عامرٌ رجلًا شاعرًا ، فنَزَل يَحْدُو بالقومِ ، يقولُ :

لاهُمَّ[٨] لولا أنت ما اهْتدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) المنقلة : المرحلة . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٥١ .

(٣) البخارى (٤١٩٥) .

(٤) ثرى : بُلَّ بالماء . النهاية ١/ ٢١٠ .

(٥) بعده فى صحيح البخارى : « ومضمضنا » .

(٦) البخارى (٤١٩٦) .

(٧) هنيهاتك : أى من كلماتك . أو من أراجيزك . النهاية ٥/ ٢٧٩ .

(٨) فى صحيح البخارى : « اللهم » .

فاغفِرْ فِداءً لك ما اتَّقَيْنا[1] وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا

وألْقِيَنْ سَكِينةً علينا إنّا إذا صِيحَ بنا أَبَيْنا[2]

وبالصِّياحِ عَوَّلوا علينا[3]

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن هذا السائقُ؟» قالوا: عامرُ بنُ الأكْوَعِ. قال: [٣/٦٣ظ] «يَرْحَمُه اللَّهُ». فقال رجلٌ مِن القومِ: وَجَبَتْ يا نبيَّ اللَّهِ، لولا[4] أمْتَعْتَنَا به. فأتَيْنا خَيْبَرَ فحاصَرْناهم[5] حتى أصابَتْنا مَخْمَصَةٌ[6] شَديدةٌ، ثُم إنَّ اللَّهَ فَتَحها عليهم، فلمَّا أمْسَى الناسُ مساءَ اليومِ الذى فُتِحتْ عليهم، أوْقَدوا نِيرانًا كثيرةً، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما هذه النِّيرانُ؟ على أىِّ شىءٍ تُوقِدون؟» قالوا: على لحمٍ. قال: «على أىِّ لحمٍ؟» قالوا: لحمُ الحُمُرِ الإنْسِيَّةِ. قال النبىُّ ﷺ: «أهْرِيقُوها واكْسِروها». فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ، أوَ نُهَرِيقُها ونَغْسِلُها؟ فقال: «أَوْ ذاك». فلمَّا تَصَافَّ الناسُ، كان سيفُ عامرٍ قصيرًا، فتَناوَل به ساقَ يهودىٍّ ليَضْرِبَه، فيَرْجِعُ ذُبابُ سيفِه، فأصاب عَيْنَ رُكْبةِ عامرٍ[7] فمات منه، فلمَّا قَفَلَوا قال سَلَمةُ: رآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو آخِذٌ

---

(١) فى الأصل: «بقينا». وفى م، ص: «أبقينا» وهو لفظ بعض رواة البخارى. قال الحافظ: وقد استشكل هذا الكلام؛ لأنه لا يقال فى حق اللَّه، إذ معنى فداء لك: نفديك بأنفسنا. وحذف متعلق الفداء للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء. وأُجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يُراد بها ظاهرها، بل المراد بها المحبة والتعظيم، مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ. فتح البارى ٧/ ٤٦٥.

(٢) أى إذا دُعينا إلى غير الحق امتنعنا. انظر المصدر السابق ٧/ ٤٦٦.

(٣) أى قصدونا بالدعاء بالصوت العالى واستغاثوا علينا. انظر المصدر السابق.

(٤) قال الحافظ: معنى قوله: لولا. أى هلاّ. انظر المصدر السابق.

(٥) فى الأصل، م: «فناصرناهم».

(٦) مخمصة: مجاعة. انظر المصدر السابق.

(٧) عين ركبة عامر: أى طرف ركبته الأعلى. المصدر السابق.

بيدى ، قال : « ما لك ؟ » قلتُ : فِداك أبى وأُمِّى ، زَعَموا أنَّ عامرًا حَبِط عملُه . قال النبىُّ ﷺ : « كَذَب[1] مَن قالَه ، إنَّ له لَأَجْرَيْن - وجَمَع بينَ إصْبَعَيْه - إنَّه لَجَاهِدٌ مُجاهِدٌ ، قلَّ عربىٌّ مَشَى بها[2] مِثْلَه » .

ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، وغيرِه ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، [3]عن سَلَمةَ ، به نحوَه[4] . ويُروَى[5] : « نَشَأ بها مثلَه » .

قال السُّهَيْلىُّ[6] : ويُروَى : « قَلَّ عربىٌّ مُشابِهًا[3] مِثلَه » . ويكونُ منصوبًا على الحاليَّةِ مِن نكرةٍ ، وهو سائغٌ ؛ إذا دلَّت على تصحيحِ معنًى ، كما جاء فى الحديثِ : « فَصَلَّى وَراءَه رجالٌ[7] قِيامًا »[8] .

وقد روَى ابنُ إسحاقَ[9] قصةَ عامرِ بنِ الأكْوعِ مِن وجهٍ آخرَ فقال : حدَّثنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمىُّ ، عن أبى الهَيْثَمِ بنِ نصرِ بنِ دَهْرٍ الأسْلَمىِّ أنَّ أباه حدَّثه أنَّه سَمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى مَسيرِه إلى خَيْبَرَ لعامرِ بنِ

---

(١) كذب : أى أخطأ . فتح البارى ٤٦٦/٧ .

(٢) مشى بها : الضمير للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة . المصدر السابق ٧/ ٤٦٧.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) من حديث حاتم بن إسماعيل أخرجه مسلم (١٨٠٢/١٢٣) باب غزوة خيبر ، من كتاب الجهاد والسير . و(١٨٠٢/٣٣) باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية ، من كتاب الصيد والذبائح . ومن حديث غير حاتم أخرجه مسلم (١٨٠٢/٠٠٠) باب تحريم أكل لحم الحمر الأهلية ، من كتاب الصيد والذبائح .

(٥) أخرجه البخارى (٤١٩٦) مختصرا إسناده . وأخرجه موصولا فى (٦١٤٨) .

(٦) فى الأصل : « البيهقى » . الروض الأنف ٥٧٤/٦ بنحوه .

(٧) فى الأصل ، م : « رجل » .

(٨) هذا الحديث الذى ذكره السهيلى ، فى البخارى (٦٨٨، ١١١٣، ١٢٣٦) بلفظ : « وصلى وراءه قومٌ قيامًا » .

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨، ٣٢٩.

الأكْوعِ ، وهو عمُّ سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأَكْوع : « انْزِلْ يا بنَ الأكْوعِ ، فخُذْ لنا مِن هَناتِك[1] » . قال : فنزَل يَرْتَجِزُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال :

والله لولا اللَّهُ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

إنّا إذا قومٌ بَغَوا علينا ... وإن أرادوا فِتنةً أبَيْنا

فأنْزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُك ربُّك » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : وَجَبَتْ[2] يا رسولَ اللَّهِ ، لو أمْتَعْتَنا به . فقُتِل يومَ خَيْبَرَ شهيدًا . ثُم ذكَر صِفةَ قَتْلِه كنحوِ ما ذَكَرَه البخاريُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عطاءِ بنِ أبى مَرْوانَ الأسْلمىِّ ، عن أبيه ، عن أبى مُعَتِّبٍ [٣/ ٦٤و] بنِ عمرٍو أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أشْرَف على خَيْبَرَ قال لأصحابِه وأنا فيهم : « قِفوا » . ثُم قال : « اللَّهُمَّ ربَّ السمواتِ وما أظْلَلْنَ ، وربَّ الأرَضِينَ وما أقْلَلْنَ ، وربَّ الشَّياطِينِ وما أضْلَلْنَ ، وربَّ الرِّياحِ وما أذْرَيْن ، فإنّا نَسْأَلُك خيرَ هذه القريةِ ، وخيرَ أهلِها ، وخيرَ ما فيها ، ونعوذُ بك مِن شرِّها ، وشرِّ أهلِها ، وشرِّ ما فيها ، أقْدِموا بسمِ اللَّهِ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ .

---

(١) هناتك : هى بمعنى « هنيهاتك » المتقدمة فى حديث البخارى . انظر النهاية ٥/ ٢٧٩.

(٢) بعده فى السيرة : « والله » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٩. وأخرجه من طريق ابن إسحاق به النسائى فى الكبرى (١٠٣٨١) ، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/ ١٧٥٩: إسناده ليس بالقائم .

وقد رَواه الحافظُ البيهقيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن العُطارِديِّ ، عن يونسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ مُجَمِّعٍ ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ ، عن أبى مَرْوانَ الأسْلَمىِّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى خَيْبرَ ، حتى إذا كُنّا قريبًا وأشْرَفْنا عليها ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للناس : « قِفوا » . فوَقَف الناسُ ، فقال : « اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ وما أظْلَلْن ، وربَّ الأرَضِينَ السبعِ وما أقْلَلْن ، وربَّ الشياطينِ وما أضْلَلْن ، فإنّا نَسْأَلُك خيرَ هذه القريةِ ، وخيرَ أهلِها ، وخيرَ ما فيها ، ونعوذُ بك مِن شرِّ هذه القريةِ ، وشرِّ أهلِها ، وشرِّ ما فيها ، أقْدِموا بسمِ اللَّهِ [2]الرحمنِ الرحيمِ[2] » .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا غَزا قومًا لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبِحَ ، فإن سمِع أذانًا أمْسَك ، وإن لم يَسْمَعْ أذانًا أغار ، فنَزَلْنا خَيْبرَ ليلًا ، فبات رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى إذا[4] أصْبَحَ لم يَسْمَعْ أذانًا ، فرَكِب ورَكِبْنا معه ، ورَكِبْتُ خلفَ أبى طَلْحةَ ، وإنَّ قَدَمى لَتَمَسُّ قدمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واسْتَقْبَلَنا عمالُ خَيْبرَ غادِين ، قد خَرَجوا بمَساحِيهم ومَكاتِلِهم[5] ، فلمَّا رَأَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ والجيشَ ، قالوا : محمدٌ

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٠٣، ٢٠٤. وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٦/٤٧٢ ، من طريق يونس بن بكير به ، وقال عقبه : ولا يصح هذا .

(٢ - ٢) زيادة فى النسخ . وليست فى الدلائل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٤) سقط من النسخ ، والمثبت من السيرة .

(٥) المساحى : جمع مِسْحاة ، وهى المجْرَفة من الحديد . والمكاتل : جمع مِكْتل ، وهى قفة كبيرة ، ويقال لها : الزَّنْبيل . انظر اللسان (س ح و) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ٥١.

والخَمِيسُ[1] معه . فأدْبَروا هُرَّابًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أكبرُ ، خَرِبَتْ خَيْبرُ ، إنّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرِين » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنا هارونُ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، بمثلِه[3] .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، حدَّثنا مالكٌ ، عن حُمَيْدٍ الطويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتَى خَيْبرَ ليلًا ، وكان إذا أتى قومًا بليلٍ لم يَقْرَبْهم[5] حتى يُصْبحَ ، فلمَّا أصْبَح خَرَجتِ اليهودُ بمَساحِيهم ومَكاتِلِهم ، فلمَّا رَأَوْه قالوا : محمدٌ واللَّهِ ، محمدٌ والخَمِيسُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَرِبَتْ خَيْبرُ ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرِين » . تفرَّد به دونَ مسلمٍ .

[٣/ ٦٤ظ] وقال البخاريُّ[6] : حدَّثنا صَدَقَةُ بنُ الفَضْلِ ، حدَّثنا ابنُ[7] عُيَيْنَةَ ، حدَّثنا أيوبُ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صبَّحْنا خَيْبرَ بُكْرةً ، فخرَج أهلُها بالمَساحى ، فلمَّا بَصُروا بالنبيِّ ﷺ قالوا : محمدٌ

---

(١) الخميس : الجيش ؛ لأنه ينقسم على خمسة أقسام : مقدمة وساقة وجناحان - وهما الميمنة والميسرة - والقلب . شرح غريب السيرة ٣/ ٥١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٠.

(٣) بعده فى ص : « فائدة : قال السهيلى : فيه إباحة التفاؤل ؛ لأنه لما رأى بأيديهم المساحى والمكاتل ، وهى من آلات الهدم والحفر ، قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميسًا ؛ لأن له ساقة ومقدمة وجناحين وقلبًا . قال : وليس من تخميس الغنيمة ؛ لأن هذا حكم شرعى » .

(٤) البخارى (٤١٩٧) . كما أخرجه البخارى (٩٤٧) من طريق إبراهيم بن صهيب وثابت كلاهما عن أنس بنحوه .

(٥) فى م : « يُغِر بهم » . وهو لفظ أكثر رواة صحيح البخارى . انظر الفتح ٧/ ٤٦٨.

(٦) البخارى (٤١٩٨) .

(٧) فى الأصل ، م : « أبو » .

واللَّهِ، محمدٌ والخَمِيسُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أكبرُ، خَرِبَتْ خَيْبرُ، إنّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرِين». قال: فأصَبْنا مِن لحومِ الحُمُرِ، فنادَى مُنادِى النبىِّ ﷺ: إنَّ اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيانِكم عن لحومِ الحُمُرِ؛ فإنها رِجْسٌ. تفرَّد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا عبدُ الرزاقِ، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن قَتادةَ، عن أنسٍ قال: لمَّا أتَى النبىُّ ﷺ خَيْبرَ، فوَجَدَهم حينَ خرَجوا إلى زَرْعِهم [2]ومعهم مَساحيهم[2]، فلمَّا رَأَوْه ومعه الجيشُ، نَكَصوا فرَجَعوا إلى حِصْنِهم، فقال النبىُّ ﷺ: «اللَّهُ أكْبرُ، خَرِبَتْ خَيْبرُ، إنّا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرين». تفرَّد به أحمدُ، وهو على شرطِ «الصحيحَيْن».

وقال البخارىُّ[3]: حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ زيدٍ، عن ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: [4]صَلَّى النبىُّ ﷺ الصُّبْحَ قريبًا مِن خَيْبرَ بغَلَسٍ، ثُم قال: «اللَّهُ أكبرُ خَرِبت خَيْبرُ، إنّا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صَباحُ المُنْذَرِين». فخرَجوا يَسْعَون فى السِّكَكِ، فقَتَل النبىُّ ﷺ المُقاتِلَةَ، وسَبَى الذُّرِّيَّةَ، وكان فى السَّبْيِ صَفِيةُ، فصارتْ إلى دِحْيَةَ الكَلْبىِّ، ثُم صارت إلى النبىِّ ﷺ، فجَعَل عِتْقَها صَداقَها. قال عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ لثابتٍ: يا أبا محمدٍ، أأنت قُلتَ لأنسٍ: ما أصْدَقَها؟ فحرَّك ثابتٌ رأسَه تَصْديقًا له. تفرَّد به دونَ مسلمٍ. وقد أوْرَد البخارىُّ ومسلمٌ النَّهْىَ عن لُحومِ الحُمُرِ الأهْليَّةِ مِن

---

(١) المسند ٣/ ١٦٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «ومساحيهم».

(٣) البخارى (٤٢٠٠).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

طُرُقٍ[1] تُذْكَرُ فى كتابِ «الأَحْكامِ».

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ[2]: أنبأَنا أبو طاهرٍ الفقيهُ، أنبأنا حاجبُ[3] بنُ أحمدَ الطُّوسِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ حمادٍ[4] الأَبِيوَرْدِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ الفُضيلِ[5]، عن مسلمٍ الأعْورِ المُلَائِىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ المريضَ، ويَتَّبِعُ الجَنائزَ، ويُجيبُ دَعْوةَ المَمْلوكِ، ويَرْكَبُ الحِمارَ، وكان يومَ[6] قُرَيْظةَ، والنَّضِيرِ على حمارٍ، ويومَ خَيْبَرَ على حمارٍ مَخْطومٍ بِرَسَنِ لِيفٍ، وتحتَه إكافٌ مِن لِيفٍ[7]. وقد روَى هذا الحديثَ بتمامِه الترمذىُّ، [٣/ ٦٥و] عن علىِّ بنِ حُجْرٍ، عن علىِّ بنُ مُسْهِرٍ، وابنُ ماجه، عن محمدِ بنِ الصَّبَّاحِ، عن سفيانَ، وعن عمرِو[8] بنِ رافعٍ، عن جريرٍ، كلُّهم عن مسلمٍ، وهو ابنُ كَيْسانَ المُلَائِىُّ الأعْورُ الكُوفىُّ، عن أنسٍ، به[9]. وقال الترمذىُّ: لا

---

(١) منها ما أخرجه البخارى (٣١٥٥)، ومسلم (١٩٣٧/٢٦). كلاهما من حديث ابن أبى أوفى، والبخارى (٤٢١٥)، ومسلم (٥٦١/٢٤) باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية. من كتاب الصيد والذبائح. كلاهما من حديث ابن عمر. والبخارى (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧/٢٢) الكتاب والباب السابقان. كلاهما من حديث على.

(٢) دلائل النبوة ٢٠٤/٤ بنحوه.

(٣) فى النسخ: «خطاب». والمثبت من الدلائل. وانظر الأنساب ٤/ ٨١.

(٤) فى الأصل: «حمير»، وفى ١٥١ مطموسة، وفى م: «حميد». وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٩٢.

(٥) فى النسخ: «الفضل». والمثبت من الدلائل. وانظر المصدر السابق ٢٦/ ٢٩٣.

(٦) بعده فى م: «بنى».

(٧) مخطوم: أى له خطام، وهو الزِّمام. والرسن: الحبل. والإكاف: شِبْه الرَّحال والأقتاب. انظر اللسان (خ ط م)، (ر س ن)، (أ ك ف).

(٨) فى م: «عمر». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٩.

(٩) الترمذى (١٠١٧)، وابن ماجه (٢٢٩٦، ٤١٧٨). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٥٠٣، ٩١٥).

نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه ، وهو يُضَعَّفُ .

قلتُ : والذى ثبَت فى « الصحيحِ » عندَ البخارىِّ عن أنسٍ[1] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أجْرَى فى زُقاقِ[2] خَيْبرَ ، حتى انْحَسَر الإزارُ عن فَخِذِه . فالظاهرُ أنَّه كان يومَئذٍ على فرسٍ ، لا على حمارٍ . ولعلَّ هذا الحديثَ[3] - إن كان صحيحًا - محمولٌ على أنَّه رَكِبه فى بعضِ الأيَّامِ وهو مُحاصِرُها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخارىُّ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ سعيدٍ الخُزاعىُّ ، حدَّثنا زِيادُ بنُ الربيعِ ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنىِّ قال : نظَر أنسٌ إلى الناسِ يومَ الجُمُعةِ ، فرأَى طَيالِسةً ، فقال : كأنَّهم الساعةَ يهودُ خَيْبَرَ[5] .

---

(١) البخارى (٣٧١) . وعنده : « حسَر » بدلا من « انحسر » . قال الحافظ تعليقًا على هذه اللفظة : هكذا وقع فى رواية البخارى ، والصواب أنه عنده بفتح المهملتين ، ويدل على ذلك تعليقه الماضى فى أوائل الباب حيث قال : « وقال أنس : حَسَر النبى ﷺ » . وضبطه بعضهم بضم أوله وكسر ثانيه على البناء للمفعول ، بدليل رواية مسلم « فانحسر » ، وليس ذلك بمستقيم ، إذ لا يلزم من وقوعه كذلك فى رواية مسلم ، أن لا يقع عند البخارى على خلافه ، ويكفى فى كونه عند البخارى بفتحتين ما تقدم من التعليق . وقد وافق مسلمًا على روايته بلفظ « فانحسر » أحمدُ بن حنبل عن ابن علية ، وكذا رواه الطبرانى عن يعقوب شيخ البخارى ، ورواه الإسماعيلى عن القاسم بن زكريا عن يعقوب المذكور .

قلت : لفظ مسلم « فانحسر » الذى ذكره المصنف وابن حجر فى الفتح ، عند مسلم (١٣٦٥/٨٤) باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ، من كتاب النكاح . و(١٣٦٥/١٢٠) باب غزوة خيبر ، من كتاب الجهاد والسير . انظر فتح البارى ١/ ٤٨٠.

(٢) فى م : « رفاق » .

(٣) أى حديث الترمذى وابن ماجه .

(٤) البخارى (٤٢٠٨) .

(٥) الطيالسة : جمع طيلسان ، وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف . انظر الوسيط (ط ل س) .

قال الحافظ : والذى يظهر أن يهود خيبر كانوا يُكثرون من لبس الطيالسة ، وكان غيرهم من الناس الذين شاهدهم أنس لا يكثرون منها ، فلما قدم البصرة رآهم يكثرون من لبس الطيالسة فشبَّههم بيهود خيبر ، ولا يلزم من هذا كراهية لبس الطيالسة ، وقيل : المراد بالطيالسة الأكسية ، وإنما أنكر ألوانها ؛ لأنها كانت صفراء . فتح البارى ٧/ ٤٧٦.

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ ، حدَّثنا حاتمٌ ، عن يَزيدَ بنِ أبى عُبَيدٍ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ قال : كان عليُّ بنُ أبى طالبٍ تَخَلَّف عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى خَيْبرَ ، وكان رَمِدًا فقال : أنا أتَخَلَّفُ عن النبىِّ ﷺ ؟! فلَحِق به ، فلمَّا بِتْنا الليلةَ التى فُتِحت خَيْبرُ قال : « لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا - أو : ليَأْخُذَنَّ الرايةَ غدًا - رجلٌ يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، يُفْتَحُ عليه » . فنحنُ نَرْجُوها . فقيل : هذا علىٌّ . فأعْطاه ، ففُتِح عليه . ورَواه[2] البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ ، عن قُتَيْبةَ ، عن حاتمٍ ، به[3] .

ثُم قال البخاريُّ[4] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى حازمٍ قال : أخْبَرَنى سهلُ بنُ سعدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ خَيْبرَ : « لَأُعْطِيَنَّ هذه الرايةَ غدًا رجلًا يَفْتَحُ اللَّهُ على يديْه ، يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه » . قال : فبات الناسُ يَدُوكُون ليلتَهم[5] ؛ أيُّهم يُعْطاها ؟ فلمَّا أصْبَح الناسُ غَدَوْا على النبىِّ ﷺ ، كلُّهم يَرْجُو أن يُعْطاها ، فقال : « أين علىُّ بنُ أبى طالبٍ ؟ » فقالوا : هو يا رسولَ اللَّهِ ، يَشْتكى عينيْه . قال : فأَرْسَلوا[6] إليه ، فأُتِىَ به[7] ، فبَصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينيْه ودَعا له ، فبَرَأ حتى كأنْ لم يَكُنْ به وَجَعٌ ، فأعْطاه الرايةَ ، فقال علىٌّ : يا رسولَ اللَّهِ ، أُقاتِلُهم حتى يكونوا مِثْلَنا ؟

---

(١) البخارى (٤٢٠٩) .

(٢) فى م : « وروى » .

(٣) البخارى (٢٩٧٥، ٣٧٠٢) . ومسلم (٢٤٠٧) .

(٤) البخارى (٤٢١٠) .

(٥) يدوكون ليلتهم : أى باتوا فى اختلاط واختلاف ، والدوكة : الاختلاط . انظر الفتح ٧/ ٤٧٧ .

(٦) فى م ، ص : « فأرسل » .

(٧) سقط من : م .

فقال ﷺ: «انْفُذْ على رِسْلِك حتى تنْزِلَ بساحتِهم، ثُم ادْعُهم إلى الإسلامِ، وأخْبِرْهم بما يجِبُ عليهم مِن حقِّ اللَّهِ تعالى فيه، فواللَّهِ لأَن يَهْدىَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك [٣/٦٥ظ] مِن أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ». وقد رَواه مسلمٌ والنَّسائىُّ جميعًا، عن قُتَيْبةَ، به[(١)].

وفى «صحيحِ مسلمٍ» والبيهقىِّ[(٢)] مِن حديثِ سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ، عن أبيه، عن أبى هُرَيْرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، يَفْتَحُ اللَّهُ عليه». قال عمرُ: فما أحبَبْتُ الإمارةَ قَطُّ[(٣)] إلّا يومَئذٍ. فدَعا عليًّا فبَعَثه، ثُم قال: «اذهَبْ فقاتِلْ حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليك، ولا تلْتَفِتْ». قال علىٌّ: على ما أُقاتِلُ الناسَ؟ قال: «قاتِلْهم حتى يَشْهَدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، فإذا فعَلوا ذلك فقد منَعوا منك[(٤)] دماءَهم وأموالَهم، إلّا بحقِّها، وحسابُهم على اللَّهِ»[(٥)]. لفظُ البَيْهَقىِّ[(٦)].

وقال الإمامُ أحمدُ[(٧)]: حدَّثنا مُصْعَبُ بنُ المِقْدامِ، وحُجَيْنُ[(٨)] بنُ المُثَنَّى

---

(١) مسلم (٢٤٠٦). والنسائى فى الكبرى (٨١٤٩، ٨٥٨٧).

(٢) مسلم (٢٤٠٥). ودلائل النبوة ٤/ ٢٠٦.

(٣) سقط من: م.

(٤) فى م، ص: «منا».

(٥) بعده فى م: «هـ».

(٦) فى الأصل، م: «البخارى». وهو خطأ.

(٧) المسند ٣/ ١٦. وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥١: رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال فى ٩/ ١٢٤: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن عصمة وهو ثقة يخطئ.

(٨) فى م: «وجحش». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٣.

قالا : حدَّثنا إسْرائيلُ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ العِجْلِيُّ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، يقولُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ الرايةَ فهزَّها ، ثُم قال : « مَن يأْخُذُها بحقِّها ؟ » فجاء فلانٌ فقال : أنا . قال : « أمِطْ[1] » . ثُم جاء رجلٌ[2] ، فقال : « أمِطْ » . ثُم قال النبيُّ ﷺ : « والذى كَرَّم وجهَ محمدٍ ، لَأُعْطِيَنَّها رجلًا لا يَفِرُّ[3] ، هاكَ[4] يا عليُّ » . فانْطَلَق حتى فتَح اللَّهُ عليه خَيْبرَ وفَدَكَ ، وجاء [5]بعَجْوَتِهما ، وقَدِيدِهما[5] . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه لا بأسَ به ، وفيه غرابةٌ . وعبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ - ويقالُ : ابنُ عُصَمَ[6] - هذا[7] يُكَنَّى بأبى عَلْوانَ العِجْليِّ ، وأصلُه مِن اليَمامةِ ، سكَن الكوفةَ ، وقد وثَّقه ابنُ مَعِينٍ ، وقال أبو زُرْعةَ : لا بأسَ به . وقال أبو حاتمٍ : شيخٌ . وذَكَره ابنُ حِبانَّ فى « الثِّقاتِ » ، وقال : يُخْطِئُ كثيرًا . وذكَره فى « الضُّعفاءِ » ، وقال : يُحَدِّثُ عن الأثْباتِ ممَّا لا يُشْبِهُ حديثَ الثِّقاتِ ، حتى يَسْبِقَ إلى القلبِ أنَّها مَوْهومةٌ أو مَوْضوعةٌ[8] .

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[9] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ : حدَّثنى بُرَيْدةُ بنُ سفيانَ

---

(١) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، ا ١٥، م : « امض » . وهو لفظ رواية أبى يعلى كما فى مجمع الزوائد . وأمط : أى تَنَحَّ واذهَبْ . النهاية ٤/ ٣٨١.

(٢) بعده فى م : « آخر » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « فقال » .

(٤) سقط من : الأصل . وها : اسم فعل أمر بمعنى : خُذ . والكاف للخطاب .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وفى ا ١٥١، م ، ص : « بعجوتها وقديدها » . وهو لفظ رواية أبى يعلى . والمثبت من المسند .

(٦) فى ا ١٥١: « عم » . وفى م : « أعصم » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٠٥.

(٧) فى م : « وهكذا » . وفى ص : « هكذا » .

(٨) انظر هذه الأقوال فى : الجرح والتعديل ٥/ ١٢٦، وثقات ابن حبان ٥/ ٥٧، وكتاب المجروحين له ٢/ ٥، تهذيب الكمال ٥/ ٣٠٦.

(٩) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٠٩، ٢١٠ ، من طريق يونس بن بكير به نحوه .

ابنِ فَرْوَةَ الأسْلمىُّ ، عن أبيه ، عن سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأكْوعِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قال : بعَث النبىُّ ﷺ أبا بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، إلى بعضِ حُصونِ خَيْبرَ ، فقاتَل ثُم رجَع ، ولم يَكُنْ فتْحٌ ، وقد جَهِد ، ثُم بَعَث[1] عمرَ ، رضى اللَّهُ عنه ، فقاتَل ثُم رجَع ، ولم يَكُنْ فتْحٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، ويُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، يَفْتَحُ اللَّهُ على يديه ، [2]ليس بفَرَّارٍ » . قال سَلَمةُ : فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، وهو يومَئذٍ أرْمَدُ ، فتَفَل فى عينيْه[3] ، ثُم قال : « خُذِ الرايةَ وامْضِ [٣/٦٦و] بها ، حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليك »[2] . فخرَج بها واللَّهِ يَأْنِحُ[4] ، يُهَرْوِلُ هَرْوَلةً ، وإنّا لَخلفَه نَتْبَعُ أثَرَه ، حتى رَكَز رايتَه فى رَضْمٍ[5] مِن حجارةٍ تحتَ الحِصْنِ ، فاطَّلَع يهودىٌّ مِن رأسِ الحِصْنِ فقال : مَن أنت ؟ قال : أنا علىُّ بنُ أبى طالبٍ . فقال اليهودىُّ : عَلَيْتُم[6] وما أُنزِل على موسى . فما رجَع حتى فتَح اللَّهُ على يديْه .

وقال البَيْهَقىُّ[7] : أنبأَنا الحاكمُ ، أنبأَنا الأصَمُّ ، أنبأَنا العُطارِدىُّ ، عن يونُسَ ابنِ بُكَيْرٍ ، عن الحُسَيْنِ[8] بنِ واقدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، أخبرَنى أبى قال : لمَّا

---

(١) بعده فى الدلائل : « الغد » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى الدلائل : « عينه » .

(٤) فى الأصل : « يقول » . وفى ا ١٥١ : « يأج يقول » . وفى ص : « يأج » . وفى م : « يصول » . والمثبت من الدلائل . ويأنح : أى يحملها مثقلًا بها . انظر النهاية ١/ ٧٤. وقد ذكره ابن الأثير فى النهاية ١/ ٢٥ بلفظ « يَؤُجُّ » فى هذا الحديث ، وقال : الأَجُّ : الإسراعُ والهرولة .

(٥) الرضم : هو الكُدْس من الحجارة يُجعل بعضها على بعض . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦، والنهاية ٢/ ٢٣١.

(٦) فى ا ١٥١، م ، ص : « غلبتم » .

(٧) دلائل النبوة ٤/ ٢١٠ بنحوه . وأخرجه أيضًا فى السنن الكبرى ٩/ ١٣٢ ، من طريق الحسين بن واقد به .

(٨) فى الأصل : « الحسن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٩١.

كان يومُ خَيْبَرَ، أخَذ اللواءَ أبو بكرٍ، فرجَع ولم يُفْتَحْ له[1]، وقُتِل محمودُ بنُ مَسْلَمةَ، فرَجَع الناسُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَدْفَعَنَّ لوائى غدًا إلى رجلٍ يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، لن يَرْجِعَ حتى يُفْتَحَ له». فبِتْنا طَيِّبةً نفوسُنا أنَّ الفتحَ غدًا، فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الغَداةِ، ثُم دعا باللِّواءِ وقام قائمًا، فما مِنّا مِن رجلٍ له مَنْزِلةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلّا وهو يَرْجُو أن يكونَ ذلك الرجلَ، حتى تَطاوَلْتُ أنا لها، ورفَعْتُ رأسى؛ لمَنْزِلةٍ كانت لى منه، فدَعا عليَّ بنَ أبى طالبٍ، وهو يَشْتكى عينيْه[2]. قال: فمَسَحَها[3]، ثُم دفَع إليه اللِّواءَ ففُتِح له. فسمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ بُرَيْدةَ يقولُ: حدَّثنى أبى أنَّه كان صاحبَ مَرْحَبٍ. قال يونُسُ[4]: قال ابنُ إسحاقَ: كان أولُ حُصونِ خَيْبرَ فتحًا حصنَ ناعِمٍ، وعندَه قُتِل محمودُ بنُ مَسْلَمةَ، أُلْقِيَت عليه رَحًى منه فقَتَلَتْه.

ثُم روَى البَيْهَقِيُّ[5]، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن المُسَيَّبِ بنِ مَسلَمةَ[6] الأزْدىِّ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدةَ، عن أبيه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ رُبما أخَذَتْه الشَّقِيقَةُ[7]، فيَلْبَثُ[8] اليومَ واليومين لا يَخْرُجُ، فلمَّا نزَل خَيْبرَ أخَذَتْه الشَّقِيقةُ، فلم يَخْرُجْ إلى الناسِ، وإنَّ أبا بكرٍ أخَذ رايةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُم

---

(١) بعده فى الدلائل: «فلما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له».

(٢) فى الدلائل: «عينه».

(٣) كذا فى النسخ والدلائل. وفى السنن الكبرى: «فمسحهما» وهو أنسب للسياق.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢١٠.

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢١٠ - ٢١٢ بنحوه. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ١٢، ١٣ حوادث السنة السابعة، من طريق يونس به.

(٦) فى الدلائل: «مسلم».

(٧) الشقيقة: ألم ينتشر فى نصف الرأس والوجه. الوسيط (ش ق ق).

(٨) فى الأصل، م، ص: «فلبث».

نَهَض فقاتل قِتالًا شديدًا ثُم رجَع ، فأخَذها عمرُ فقاتَل قِتالًا شديدًا هو أشدُّ مِن القِتالِ الأوَّلِ ، ثُم رجَع ، فأُخْبِر بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لَأُعْطِيَنَّها غدًا رجلًا[1] يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، يأخُذُها عَنْوةً » . وليس ثَمَّ عليٌّ ، فتَطاوَلَتْ لها قريشٌ ، ورَجا كلُّ رجلٍ منهم أن يكونَ صاحبَ ذلك ، فأصْبَح[2] ، وجاء عليُّ بنُ أبى طالبٍ على بعيرٍ له حتى أناخ قريبًا ، وهو أرْمَدُ قد عَصَب عينَه بشُقَّةِ بُرْدٍ قِطْرِيٍّ[3] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/ ٦٦ظ] « ما لك ؟ » قال : رَمِدْتُ بعدَك . قال : « ادْنُ منِّى » . فتَفَل فى عينِه ، فما وَجِعها حتى مضَى لسبيلِه ، ثُم أعْطاه الرايةَ فنَهَض بها ، وعليه جُبَّةُ أُرْجُوانَ حمراءُ ، قد أُخْرِج خَمْلُها[4] ، فأتَى مدينةَ خَيْبَرَ ، وخرَج[5] مَرْحَبٌ صاحبُ الحِصْنِ وعليه مِغْفَرٌ[6] يمانيٌّ ، وحجَرٌ قد ثَقَبه[7] مثلَ البَيْضةِ على رأسِه ، وهو يَرْتَجِزُ ويقولُ :

قد عَلِمَتْ خيبرُ أنِّى مَرْحَبُ ... شاكٍ سِلاحى بطلٌ مُجَرَّبُ[8]

إذا اللُّيوثُ أقْبَلَتْ تَلَهَّبُ ... وأحْجَمَتْ عن صَوْلةِ المُغَلَّبِ[9]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) أصبح : أى جاء وقت الصبح .

(٣) برد قطرى : هو ضرب من البرود فيه حُمرة ، ولها أعلام فيها بعض الخشونة . انظر النهاية ٤/ ٨٠.

(٤) أرجوان : أى شديدة الحُمرة ، وهو مُعرَّب من أُرْغُوان ، وهو شجر له نَوْر أحمر ، وكل لون يُشبهه فهو أرجوان . وقيل : هو الصبغ الأحمر الذى يُقال له : النَّشاشتَجُ . والذكر والأنثى فيه سواء ، يقال : ثوب أرجوان ، وقطيفة أرجوان . والخمل : القطيفة . انظر النهاية ٢/ ٢٠٦، والوسيط (خ م ل) .

(٥) ليس فى الدلائل .

(٦) بعده فى الدلائل : « مظهر » .

(٧) فى الدلائل : « نقبه » .

(٨) شاكى السلاح : حاد السلاح . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٢.

(٩) وفى البيت عيب ، وهو الإقواء .

فقال عليٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه :

أنا الذى سَمَّتْنى أُمِّى حَيْدَرَهْ كليثِ غاباتٍ شديدِ القَسْوَرَهْ

أَكِيلُكم[1] بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[2]

قال : فاخْتَلَفا ضَرْبتيْن ، فبَدَره عليٌّ بضربةٍ ، فقَدَّ الحَجَرَ والمِغْفَرَ ورأسَه ، ووقَعَ فى الأَضْراسِ ، وأخَذ المدينةَ .

وقد روَى الحافظُ البَزَّارُ[3] ، عن عَبَّادِ بنِ يَعْقوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُكيرٍ[4] ، عن حَكِيمِ بنِ جُبيرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قصةَ بَعْثِ أبى بكرٍ ، ثُم عمرَ يومَ خَيْبرَ ، ثُم بعثِ عليٍّ ، فكان الفتْحُ على يديْه . وفى سياقِه غرابةٌ ونَكارةٌ ، وفى إسنادِه مَن هو مُتَّهمٌ بالتَّشَيُّعِ[5] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى مسلمٌ والبيهقىُّ[6] واللفظُ له ، مِن طريقِ عكرمةَ بنِ عَمَّارٍ ، عن إياسِ بنِ سَلَمةَ بنِ الأَكْوعِ ، عن أبيه ، فذكَر حديثًا طويلًا ، وذكَر فيه رُجوعَهم مِن غزوةِ بنى فَزارةَ . قال : فلم نَمْكُثْ إلّا ثلاثًا ، حتى خَرَجْنا إلى خَيْبَرَ . قال :

---

(١) فى الدلائل : « أكيلهم » .

(٢) أى أقتلكم قتلًا واسعًا ذريعًا ، والسندرة : مكيال واسع . انظر النهاية ٢/ ٤٠٨ .

(٣) كشف الأستار (٢٥٤٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٢٤ : فيه حكيم بن جبير ، وهو متروك ليس بشىء .

(٤) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « بكر » . وفى ص : « أبى بكر » . والمثبت من كشف الأستار . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١٦٧ .

(٥) قال الحافظ الذهبى : حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير : فيه رفض ، ضعّفه غير واحد ، ومشَّاه بعضهم وحسَّن أمره ، وهو مُقِلٌّ . المغنى فى الضعفاء ١/ ٢٧٥ .

(٦) مسلم (١٨٠٧) . ودلائل النبوة ٤/ ٢٠٧ - ٢٠٩ نحوه .

وخرَج عامرٌ ، فجعَل يقولُ :

واللَّهِ لولا أنت ما اهْتَدَيْنا ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

ونحن مِن فضلِك ما اسْتَغْنَيْنا فأَنْزِلَنْ سَكينةً علينا

وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن هذا القائلُ ؟ » فقالوا : عامرٌ . فقال : « غفَر لك ربُّك » . قال : وما خصَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ قطُّ أحدًا به إلَّا اسْتُشْهِد . فقال عمرُ وهو على جملٍ : لولا مَتَّعْتَنا بعامرٍ . قال : فقَدِمْنا خَيْبرَ ، فخرَج مَرْحَبٌ وهو يَخْطِرُ بسيفِه[1] ويقولُ :

قد علِمتْ خَيْبرُ أنى مَرْحَبُ شاكى السلاحِ بطلٌ مُجَرَّبُ

إذا الحروبُ أقْبَلت تَلَهَّبُ

قال : فبرَز له عامرٌ ، رضى اللَّهُ عنه ، وهو يقولُ :

قد علِمت خَيْبرُ أنِّى عامرُ شاكى السلاحِ بطلٌ مُغامِرُ

قال : فاخْتَلفا ضَرْبَتَيْن ، فوقَع سيفُ مَرْحَبٍ فى تُرْسِ عامرٍ ، فذهَب يُسَفِّلُ[2] له ، فرَجَع على نفسِه ، فقطَع أكْحَلَه وكانت فيها نَفْسُه . قال سَلَمةُ : فخرَجْتُ فإذا نفَرٌ مِن [٣/٦٧و] أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولون : بطَل عملُ

---

(١) يخطر بسيفه : أى يهزُّه مُعجَبًا بنفسه متعرِّضًا للمبارزة ، أو أنه كان يخطر فى مِشْيته ؛ أى يتمايل ويمشى مِشية المعجب وسيفه فى يده ، يعنى أنه كان يخطر وسيفه معه ، والباء للمُلابسة . النهاية ٢/ ٤٦ .

(٢) فى م : « يسعل » . وضبطت فى ١٥١ بضم الياء وفتح السين مع تشديد الفاء المكسورة . وهو من التسفيل ، وهو التصويب . اللسان (س ف ل) .

عامرٍ ؛ قتَل نفسَه . قال : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنا أبْكى ، فقال : « ما لك ؟ » فقلتُ : قالوا : إنَّ عامرًا بطَل عملُه . فقال : « مَن قال ذلك ؟ » فقلتُ : نفَرٌ مِن أصحابِك . فقال : « كذَب أولئك ، بل له الأجْرُ مرتين » . قال : وأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى عليٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، يدْعُوه وهو أرْمَدُ ، وقال : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ اليومَ رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه[1] » . قال : فجئتُ به أقُودُه . قال : فبَصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينيْه[2] فبرَأ ، فأعْطاه الرَّايةَ ، فبَرَز مَرْحَبٌ وهو يقولُ :

قد عَلِمتْ خيبرُ أنِّى مَرْحَبُ شاكى السلاحِ بطلٌ مُجَرَّبُ

إذا الحـروبُ أقْبَـلَتْ تَلَهَّـبُ

قال : فبَرَز له عليٌّ وهو يقولُ :

أنا الذى سمَّتْنى أمِّى حَيْدَرهْ كليثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بالصـاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قال : فضرَب مَرْحَبًا ففَلَق رأسَه فقَتَله ، وكان الفتحُ . هكذا وقَع فى هذا السياقِ أنَّ عليًّا هو الذى قتَل مَرْحَبًا اليهوديَّ ، لَعَنه اللَّهُ .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا حسينُ بنُ حسنٍ[4] الأشْقرُ ، حدَّثنى ابنُ[5]

---

(١) بعده فى الدلائل : « ويحبه الله ورسوله » .

(٢) فى م ، ص : « عينه » .

(٣) المسند ١/ ١١١. إسناده ضعيف جدًّا .

(٤) فى المسند : « حسين » . والمثبت هو الصواب . انظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٦.

(٥) سقط من : م ، ص . وانظر تعجيل المنفعة ص ٥٣٤.

(١ قابوسِ ابنِ أبى ١) ظَبْيانَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن (٢) علىٍّ قال : لما قتَلْتُ مَرْحَبًا جئتُ برأسِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى مُوسى بنُ عُقبةَ (٣) ، عن الزهْرىِّ أن الذى قتَل مَرْحَبًا هو محمدُ ابنُ مَسْلَمةَ .

وكذلك قال محمدُ بنُ إسحاقَ (٤) : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ (٥) بنُ سهلٍ ، أحدُ بنى حارثةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : خرَج مَرْحَبٌ اليهودىُّ مِن حصنِ خَيْبَرَ وهو يَرْتَجِزُ ويقولُ :

قد علِمَت خيْبرُ أنِّى مَرْحَبُ ... شاكى السلاحِ بطَلٌ مُجَرَّبُ

أطْعُنُ أحيانًا وحِينًا أضْرِبُ ... إذا اللُّيوثُ أقْبَلت تَحَرَّبُ (٦)

إنَّ حِماىَ لَلْحِمَى (٧) لا يُقْرَبُ

قال : فأجابه كعبُ بنُ مالكٍ :

قد عَلِمتْ خيبرُ أنى كعبُ ... مُفَرِّجُ الغَمَّا جَرِىءٌ صُلْبُ (٨)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢١٤، ٢١٥، من طريق موسى بن عقبة به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٣.

(٥) فى ١٥١: « عبد الملك » .

(٦) فى الأصل ، م : « تلهب » . وهو لفظ رواية البيهقى المتقدمة . وتحرّب : تغضّب ، يقال حرب الرجل إذا غضب . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٢.

(٧) الحمى : كل ما حميته ومنعته . المصدر السابق .

(٨) الغما : الكرب والشدة . والجرىء : الشجاع المقدم ، والصلب : الشديد . المصدر السابق .

إذْ شُبَّتِ الحَرْبُ تلثْها[1] الحربُ معىَ حُسامٌ كالعَقِيقِ عَضْبُ[2]

يَطَأْكُمو حتى يَذِلَّ الصَّعْبُ [3]نُعْطى الجزاءَ أو يفىءَ النَّهْبُ[3]

بكَفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ[4]

قال: وجعَل مَرْحَبٌ - [5]وهو ابنُ حِمْيَرَ[5] - يَرْتَجِزُ، ويقولُ: هل مِن مُبارِزٍ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن لِهذا؟» فقال محمدُ بنُ مَسْلَمةَ: أَنا له يا رسولَ اللَّهِ، أنا واللَّهِ المَوْتورُ[6] الثائرُ، قتَلوا أخى بالأمسِ. فقال: «قُمْ إليه، اللَّهم أعِنْه عليه». قال: فلمَّا دَنا أحدُهما مِن صاحبِه دخَلَتْ بينَهما شجرةٌ عُمْرِيَّةٌ[7]، مِن شجرِ [٣/٦٧ظ] العُشَرِ[8]، فجعَل كلُّ واحدٍ منهما يلوذُ[9] مِن صاحبِه بها، كلما لاذ بها أحدُهما اقْتَطَع صاحبُه[10] بسيفِه ما دونه منها، حتى

---

(١) فى النسخ: «وثار». والمثبت من السيرة.

(٢) شبت الحرب: أوقدت وهيجت. والعقيق هنا: جمع عقيقة وهى شعاع البرق وشبَّه السيف به. وعضب: قاطع. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٢، ٥٣.

(٣ - ٣) سقط من: م. وأراد بالجزاء هنا: الجزية التى تؤخذ. والنهب: ما انتهب من الأموال. المصدر السابق ٣/ ٥٣.

(٤) فى الأصل، م، ص: «عيب»، وليس فيه عتب: أى ليس فيه ما يلام عليه. المصدر السابق.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) الموتور: الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. اللسان (و ت ر).

(٧) فى الأصل، ص، ١٥١: «عمورية»، وعمرية: أى قديمة وهى مأخوذة من العُمْر. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٣.

(٨) فى ص: «المعشر»، وبعده فى الأصل، ١٥١، م: «المسد»، والعشر: شجر له صمغ، واحدته عشرة. المصدر السابق.

(٩) يلوذ: يستتر.

(١٠) سقط من: الأصل، م، ص.

برَز كلُّ واحدٍ منهما لصاحبِه، وصارت بينَهما كالرَّجُلِ القائمِ، ما فيها فَنَنٌ[1]، ثُم حمَل على محمدِ بنِ مَسْلَمةَ فضرَبه فاتَّقاه بالدَّرَقةِ، فوقَع سيفُه فيها، فعَضَّت [2]به فأمسَكتْه[2]، وضرَبه محمدُ بنُ مَسْلمةَ حتى قتَله. وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[3]، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ، عن أبيه، عن ابنِ إسحاقَ، بنحوِه.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وزعَم بعضُ الناسِ أن محمدًا ارْتَجَز حينَ ضرَبه وقال:

قد علِمَتْ خيبرُ أنِّى ماضِ ... حُلْوٌ إذا شئتُ وسُمٌّ قاضِ

وهكذا رَواه الواقدىُّ[5]، عن جابرٍ وغيرِه مِن السلفِ، أن محمدَ بنَ مَسْلَمةَ هو الذى قتَل مَرْحَبًا، وذكَر الواقدىُّ أن محمدًا قطَع رجلَىْ مَرْحَبٍ، فقال له: أجْهِزْ علىَّ. فقال: لا، ذُقِ الموتَ كما ذاقه محمودُ بنُ مَسْلَمةَ. فمرَّ به علىٌّ وقطَع رأسَه، فاخْتَصَما فى سَلَبِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأعْطَى رسولُ اللَّهِ ﷺ محمدَ بنَ مَسْلَمةَ سيفَه ورُمْحَه ومِغْفَرَه وبَيْضتَه. قال: وكان مكتوبًا على سيفِه:

هـذا سـيـفُ مَـرْحَـبْ ... مَـن يَـذُقْـه[6] يَـعْـطَـبْ

ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[7] أن أخا مَرْحَبٍ، وهو ياسرٌ، خرَج بعدَه وهو يقولُ:

---

(١) الفنن: الغصن، وجمعه أفنان. شرح غريب السيرة ٣/٥٣.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «فاستله».

(٣) المسند ٣/ ٣٨٥. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥٠: رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢١٥.

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٦٥٦، ٦٥٧.

(٦) فى ص: «يكذبه».

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٤.

هل مِن مُبارِزٍ؟ فزعَم هشامُ بنُ عُروةَ أن الزبيرَ خرَج له، فقالت أُمُّه[1] صفيةُ بنتُ عبدِ المطلبِ: يَقْتُلُ ابنى يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «بلِ ابنُكِ يَقْتُلُه إن شاء اللَّهُ». فالْتَقَيا فقتَله الزبيرُ. قال: فكان الزبيرُ إذا قيل له: واللَّهِ إن كان سيفُك يومئذٍ لَصارمًا. يقولُ: واللَّهِ ما كان صارمًا، [2]ولكنى أكرَهْتُه[2].

وقال يونسُ[3]، عن ابنِ إسحاقَ، عن بعضِ أهلِه، عن أبى رافعٍ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: خرَجْنا مع علىٍّ حينَ[4] بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ برايتِه، فلمَّا دَنا مِن الحِصنِ خرَج إليه أهلُه، فقاتَلهم، فضرَبه رجلٌ منهم مِن يهودَ، فطرَح تُرْسَه مِن يدِه، فتَناوَل علىٌّ بابَ الحصنِ، فتَرَّس به عن نفسِه، فلم يَزَلْ فى يدِه وهو يُقاتِلُ حتى فتَح اللَّهُ عليه، ثُم ألقاه مِن يدِه، فلقد رأيْتُنى فى نفَرٍ معى سبعةٌ أنا ثامنُهم، نَجْهَدُ على أن نَقْلِبَ ذلك البابَ، فما اسْتَطَعْنا أن نَقْلِبَه. وفى هذا الخبرِ جَهالةٌ وانقِطاعٌ ظاهرٌ.

ولكن روَى الحافظُ البيهقىُّ، والحاكمُ[5] مِن طريقِ مُطَّلِبِ بنِ زِيادٍ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ، عن أبى جعفرٍ الباقرِ، عن جابرٍ، أن عليًّا حمَل البابَ يومَ خَيْبَرَ حتى صعِد المسلمون عليه [٣/ ٦٨و] فافْتَتَحوها، وأنه جُرِّب[6] بعدَ ذلك، فلم يَحْمِلْه أربعون رجلًا. وفيه ضعفٌ أيضًا. وفى روايةٍ ضعيفةٍ، عن جابرٍ: ثُم

---

(١) فى م: «أم».

(٢ - ٢) فى ص، ١٥١: «أداهنه».

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢١٢، من طريق يونس به.

(٤) فى الأصل، م: «إلى خيبر».

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢١٢، من طريق الحاكم به.

(٦) فى ١٥١: «خرب».

اجْتَمع عليه سبعون رجلًا ، وكان جَهْدَهم أن أعادوا البابَ .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا مَكِّيُّ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا يَزيدُ بنُ أبى عُبَيْدٍ قال : رأيْتُ أثَرَ ضربَةٍ فى ساقِ سَلَمةَ[2] ، فقلتُ : يا أبا مُسْلمٍ[3] ، ما هذه الضربةُ ؟ قال : هذه ضربةٌ أصابَتْها[4] يومَ خَيْبَرَ ، فقال الناسُ : أُصِيب سلمةُ[2] . فأتَيْتُ النبىَّ ﷺ [5]فنفَث فيه ثلاثَ نَفَثَاتٍ[5] ، فما اشْتَكَيْتُ حتى الساعةِ .

ثُم قال البخاريُّ[6] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ ، حدَّثنا ابنُ أبى حازمٍ ، عن أبيه ، عن سهلٍ قال : الْتَقَى النبىُّ ﷺ والمشركون فى بعضِ مَغازيه فاقْتَتَلوا ، فمال كلُّ قومٍ إلى عَسْكرِهم ، وفى المسلمين رجلٌ لا يَدَعُ مِن المشركين شاذَّةً ولا فاذَّةً[7] إلَّا اتَّبَعها فضرَبها بسيفِه ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أجْزَأ أحدٌ ما أجْزَأ فلانٌ . قال : « إنه مِن أهلِ النارِ » . فقالوا : أيُّنا مِن أهلِ الجنةِ إن كان هذا مِن أهلِ النارِ ؟ فقال رجلٌ مِن القومِ : لأَتَّبِعَنَّه ، فإذا أسْرَع وأبْطَأ كنتُ معه . حتى جُرِح فاسْتَعْجَل الموتَ ، فوضَع نِصابَ سيفِه بالأرضِ وذُبابَه بينَ ثَدْيَيْه ، [8]ثُم تَحامَل عليه[8] فقتَل نفسَه . فجاء الرجلُ إلى النبىِّ ﷺ فقال : [8]أشْهَدُ أنك رسولُ اللَّهِ . قال : « وما ذاك ؟ » فأخْبَره فقال[8] : « إنّ الرجلَ لَيَعْمَلُ بعملِ أهلِ

---

(١) البخارى (٤٢٠٦) .

(٢) سقط من : ١٥١ .

(٣) فى ١٥١ : « سلمة » . وأبو مسلم : هى كنية سلمة بن الأكوع . فتح البارى ٧/ ٤٧٥ .

(٤) فى م : « أصابتنى » ، وأصابتها : أى أصابت ركبته . المصدر السابق .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فتفل فيه ثلاث تفلات » ، والنفث : فوق النفخ ودون التفل . المصدر السابق .

(٦) البخارى (٤٢٠٧) .

(٧) الشاذة : بتشديد المعجمة ، ما انفرد عن الجماعة ، وبالفاء مثله ما لم يختلط بهم . والمعنى أنه لا يلقى شيئا إلا قتله . فتح البارى ٧/ ٤٧٢ .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

الجنةِ فيما يَبْدو للناسِ، وإنه مِن أهلِ النارِ، ويَعْمَلُ بعملِ أهلِ النارِ فيما يَبْدو للناسِ، وإنه مِن أهلِ الجنةِ». رَواه أيضًا عن قُتَيْبةَ، عن يعقوبَ، عن أبى حازمٍ، عن سهلٍ، فذكَر مثلَه أو نحوَه[1].

وقال البخاريُّ[2]: حدَّثنا أبو اليَمانِ، حدَّثنا شُعَيْبٌ، عن الزهريِّ، أخْبَرنى سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ أن أبا هريرةَ قال: شهِدْنا خيبرَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لرجلٍ ممَّن معه يدَّعى الإسلامَ: «هذا مِن أهلِ النارِ». فلمَّا حضَر القتالُ قاتل الرجلُ أشَدَّ القِتالِ، حتى كثُرَت به الجِراحةُ، حتى كاد بعضُ الناسِ يَرْتابُ، فوجَد الرجلُ ألَمَ الجِراحةِ، فأهْوَى بيدِه إلى كِنانتِه، فاسْتَخْرج منها أسْهُمًا فنحَر بها نفسَه، فاشْتَدَّ رجالٌ مِن المسلمين فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، صدَّق اللَّهُ حديثَك، انتَحَر فلانٌ فقتَل نفسَه. فقال: «قُمْ يا فلانُ، فأذِّنْ أنه لا يَدْخُلُ الجنةَ إلَّا مؤمنٌ، وأنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدينَ بالرجلِ الفاجرِ».

وقد [٣/٦٨ظ] رَوى موسى بنُ عُقْبةَ[3] قصةَ العبدِ الأسْودِ؛ الذى رزَقه اللَّهُ الإيمانَ والشَّهادةَ فى ساعةٍ واحدةٍ، وكذلك رَواها ابنُ لَهِيعةَ، عن أبى الأسْودِ، عن عروةَ، قالا: وجاء عبدٌ حَبَشيٌّ أسودُ، مِن أهلِ خَيْبرَ، كان فى غَنَمٍ لسيدِه، فلمَّا رَأى أهلَ خَيْبرَ قد أخَذوا السلاحَ سأَلهم قال: ما تُرِيدون؟ قالوا: نُقاتِلُ هذا الرجلَ الذى يزْعُمُ أنه نبيٌّ. فوقَع فى نفسِه ذِكْرُ النبيِّ ﷺ فأقْبَل

---

(١) البخارى (٢٨٩٨، ٤٢٠٢).

(٢) البخارى (٤٢٠٣).

(٣) بعده فى الأصل، ١٥١، م: «عن الزهرى». والأثر أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٢١٩، ٢٢٠، عن موسى بن عقبة، وعن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة، ونص البيهقى على أن اللفظ لحديث موسى ابن عقبة.

بغنَمِه حتى عمَد لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: إلى ما تَدْعو؟ قال: «أدْعوك إلى الإسلامِ؛ أن تَشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنى رسولُ اللَّهِ، وأن [1]لا تَعْبدَ إلا[1] اللَّهَ». قال: فقال العبدُ: فماذا يكونُ لى إن شَهِدْتُ بذلك وآمنتُ باللَّهِ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الجنةُ إن مُتَّ على ذلك». فأسْلَم العبدُ فقال: يا نبيَّ اللَّهِ، إن هذه الغنمَ عندى أمانةٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أخْرِجْها مِن عَسْكرِنا وارْمِها بالحَصْباءِ، فإن اللَّهَ سيُؤَدِّى عنك أمانتَك». ففعَل فرجَعَتِ الغنمُ إلى سيدِها، فعرَف اليهوديُّ أن غلامَه قد أسْلَم. فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فوعَظ الناسَ، فذكَر الحديثَ فى إعطائِه الرايةَ عليًّا، ودُنُوَّه مِن حصنِ اليهودِ وقَتْلِه مَرْحَبًا، وقُتِل مع علىٍّ ذلك العبدُ الأسْودُ، فاحْتَمله المسلمون إلى عسكرِهم، فأُدْخِل فى الفُسْطاطِ، فزَعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اطَّلع فى الفُسْطاطِ، ثُم اطَّلع على أصحابِه فقال: «لقد أكْرَم اللَّهُ هذا العبدَ وساقه إلى خيرٍ، قد كان الإسلامُ [2]مِن نفسِه[2] حقًّا، وقد رأيْتُ عندَ رأسِه اثْنَتَين مِن الحُورِ العِينِ».

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ[3] مِن طريقِ ابنِ وَهْبٍ، عن حَيْوَةَ بنِ شُرَيحٍ، عن ابنِ الهادِ، عن شُرَحْبيلَ بنِ سعدٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ خَيْبرَ، فخَرَجتْ سَرِيَّةٌ، فأخَذوا إنسانًا معه غنمٌ يَرْعاها، فذكَر نحوَ قصةِ هذا العبدِ الأسْودِ، وقال فيه: قُتِل شهيدًا وما سجَد للَّهِ سَجْدةً.

(١ - ١) فى ا ١٥١: «تعبد»، وفى م: «لا تعبدوا إلا». وفى الدلائل: «لا نعبد إلا».
(٢ - ٢) فى الأصل، م: «فى قلبه».
(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٢١.

ثم قال البيهقيُّ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ مَحْمِشٍ[2] الفقيهُ ، حدَّثنا أبو بكرٍ القَطَّانُ ، حدَّثنا أبو الأزْهَرِ ، حدَّثنا مُؤَمَّلُ[3] بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا حَمَّادٌ ، حدَّثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رجلًا أتى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى رجلٌ أسْودُ اللونِ ، قبيحُ الوَجْهِ ، [4]مُنتِنُ الريحِ[4] ، لا مالَ لى ، فإن قاتَلْتُ هؤلاء حتى أُقْتلَ ، أدْخُلِ الجنةَ ؟ قال : « نعم » . فتقَدَّم فقاتَل حتى قُتِل ، فأتَى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو مقْتولٌ ، فقال : « لقد حسَّن اللَّهُ [٣/ ٦٩و] وجهَك ، وطيَّبَ رِيحَك[5] ، وكثَّر مالَك » . وقال : « لقد رأيْتُ زَوْجَتَيْه مِن الحُورِ العِينِ يتَنازعانِ جُبَّتَه عنه ؛ يدْخُلان فيما بينَ جلدِه وجُبَّتِه » .

ثُم روَى البيهقيُّ[6] ، مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرَنى عِكرمةُ بنُ خالدٍ ، عن [7]ابنِ أبى عَمَّارٍ[7] ، عن شَدَّادِ بنِ الهادِ ، أن رجلًا مِن الأعْرابِ جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ فآمَن به واتَّبَعَه ، فقال : أُهاجِرُ معك . فأوْصَى به النبىُّ ﷺ بعضَ أصحابِه ، فلمَّا كانت غزوةُ خيبرَ غنِم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقسَمه وقسَم له ، فأعْطَى أصحابَه ما قسَم له ، وكان يَرْعَى ظهْرَهم[8] ، فلمَّا جاء دفَعوه إليه ، فقال : ما

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٢١ .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « محمد » . انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

(٣) فى م ، ص : « موسى » . انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٧٦.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « روحك » .

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٢٢٢.

(٧ - ٧) فى الأصل : « أبى عثمان » . وفى ١٥١ : « أبى عمار » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٢٩، والحديث فى ترجمته .

(٨) الظهر : الركاب التى تحمل الأثقال فى السفر لحملها إياها على ظهورها . اللسان (ظ هـ ر) .

هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قسَمه لك رسولُ اللَّهِ ﷺ. فقال: ما على هذا اتَّبَعْتُك، ولكنى اتَّبَعْتُك على أن أُرْمَى هـٰهنا - وأشار إلى حَلْقِه - بسهمٍ فأموتَ فأدْخُلَ الجنةَ. فقال: «إن تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْك». ثُم نهَضوا إلى قِتالِ العدُوِّ، فأُتِىَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحْمَلُ، وقد أصابه سهمٌ حيثُ أشار، فقال النبىُّ ﷺ: «هو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدَق اللَّهَ فصدَقه». وكفَّنه النبىُّ ﷺ (١) فى جُبَّةِ النبىِّ ﷺ (١)، ثُم قدَّمه فصلَّى عليه، فكان ممَّا ظهَر مِن صلاتِه: «اللَّهم هذا عبدُك خرَج مُهاجرًا فى سبيلِك، قُتِل شهيدًا، أنا عليه شهيدٌ». وقد رَواه النسائىُّ، عن سُوَيْدِ بنِ نصْرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، به نحوَه(٢).

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ(٣): وتدَنَّى(٤) رسولُ اللَّهِ ﷺ الأموالَ، يأخُذُها مالًا مالًا، ويفْتَتِحُها حِصنًا حِصنًا، وكان أولَ حُصونِهم فُتِح حصنُ ناعم، وعندَه قُتِل محمودُ بنُ مَسْلَمةَ؛ أُلْقِيَت عليه رَحًى منه فقتَلَته، ثُم القَموصُ(٥) حصنُ بنى أبى الحُقَيْقِ، وأصاب رسولُ اللَّهِ ﷺ منهم سَبايا؛ منهن صَفِيَّةُ بنتُ حُيَىِّ بنِ

(١ - ١) زيادة من النسخ، وليس فى الدلائل.

(٢) النسائى (١٩٥٢). صحيح (صحيح سنن النسائى ١٨٤٥).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٤) بعده فى ١٥١: «أى أخذ الأدنى فالأدنى. قاله السهيلى».

(٥) فى الأصل، ١٥١: «العموص».

أخْطَبَ ، وكانت عندَ كِنانةَ بنِ الربيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ ، وبِنْتا عَمٍّ لها ، فاصْطَفى رسولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لنفسِه ، وكان دِحْيةُ بنُ [٣/ ٦٩ظ] خَلِيفةَ قد سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ ، فلمَّا اصْطَفاها لنفسِه أعْطاه ابنَتَىْ عمِّها . قال : وفشَتِ السَبايا مِن خَيْبرَ فى المسلمين ، وأكَل الناسُ لحومَ الحُمُرِ . فذكَر[1] نهْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياهم عن أكلِها . وقد اعْتَنى البخاريُّ بهذا الفصلِ ؛ فأوْرَد النهْىَ عنها مِن طُرُقٍ جيدةٍ[2] ، وتحريمُها مذهبُ جمهورِ العلماءِ سَلَفًا وخَلَفًا ، وهو مذهبُ الأئمةِ الأربعةِ . وقد ذهَب بعضُ السلفِ - منهم ابنُ عباسٍ[3] - إلى إباحتِها ، وتنَوَّعَت أجْوِبتُهم عن الأحاديثِ الواردةِ فى النهيِ عنها ، فقيل : لأنها كانت [4]ظَهْرًا يسْتَعينون بها فى الحَمُولَةِ . وقيل : لأنها لم تَكُن خُمِّسَت بعدُ . وقيل : لأنها كانت[4] تأْكُلُ العَذِرةَ[5] . يعنى جَلَّالةً .

---

(١) أى ابن إسحاق .

(٢) انظر ما تقدم من صفحة ٢٥٧ - ٢٥٩ .

(٣) كأن المصنف رحمه اللَّه يشير إلى حديث البخارى (٥٥٢٩) من طريق ابن عيينة قال : قال عمرو : قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن حمر الأهلية . فقال : قد كان يقول ذاك الحكم ابن عمرو الغفارى عندنا بالبصرة ، ولكنْ أبى ذلك البحرُ ابن عباس ، وقرأ : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرَّمًا ﴾ . قلت : لكن قال الحافظ فى الفتح ٩/ ٦٥٥: فى رواية ابن مردويه وصححه الحاكم ، من طريق محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذُّرًا ، فبعث اللَّه نبيه وأنزل كتابه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، فما أحل فيه فهو حلال ، وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو . وتلا هذه : ﴿ قل لا أجد ...﴾ إلى آخرها ... وقد تقدم فى المغازى عن ابن عباس أنه توقف فى النهى عن الحمر ؛ هل كان لمعنى خاص أو للتأبيد ... وهذا التردد أصح من الخبر الذى جاء عنه بالجزم بالعلة المذكورة . اهـ كلام الحافظ . والحديث الذى يشير إليه فى المغازى عن ابن عباس ، هو عند البخارى (٤٢٢٧) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أما القول بالنهى لأنها كانت حمولة ، فهو فى حديث ابن عباس عند البخارى (٤٢٢٧) . وأما لأنها لم تكن خمست أو كانت تأكل العذرة ، فهو عند البخارى أيضًا (٤٢٢٠) . وانظر فتح البارى ٩/ ٦٥٥، ٦٥٦.

والصحيحُ أنه نُهِىَ عنها لذاتِها ؛ فإن فى الأثَرِ الصحيحِ[1] أنه نادَى مُنادِى رسولِ اللَّهِ ﷺ : إن اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيانِكم عن لحومِ الحُمُرِ ؛ فإنها رِجْسٌ . فأكْفِئوها والقُدورُ تفورُ بها . ومَوْضِعُ تقريرِ ذلك فى كتابِ « الأحكامِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى سَلَّامُ بنُ كِرْكِرَةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ - ولم يَشْهَدْ جابرٌ خيبرَ - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ نهَى الناسَ عن أكْلِ لُحومِ الحُمُرِ أذِن لهم فى لُحومِ الخيلِ . وهذا الحديثُ أصلُه ثابتٌ فى « الصحيحين »[3] مِن حديثِ حمَّادِ بنِ زيدٍ ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، عن جابرٍ ، رضى اللَّهُ عنه قال : نهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ خيبرَ عن لُحومِ الحُمُرِ ، ورخَّص فى الخيلِ . لفظُ البخارىِّ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وحدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ ، عن مَكْحولٍ أن النبىَّ ﷺ نهاهم يومَئذٍ عن أربعٍ ؛ عن إتْيانِ الحَبالَى مِن النساءِ[5] ، وعن أكلِ الحمارِ الأهْلىِّ ، وعن أكْلِ كلِّ ذى نابٍ مِن السِّباعِ ، وعن بيعِ المَغانمِ حتى تُقْسَمَ . وهذا مرسلٌ .

وقال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن أبى مَرْزوقٍ مَوْلَى تُجِيبَ ، عن حَنَشٍ[7] الصَّنْعانىِّ قال : غزَوْنا مع رُوَيْفِعِ بنِ ثابتٍ الأنصارىِّ

---

(١) البخارى (٥٥٢٨) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣١.

(٣) البخارى (٤٢١٩، ٥٥٢٠، ٥٥٢٤) ، ومسلم (١٩٤١/٣٦) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣١.

(٥) فى السيرة : « السبايا » .

(٦) المصدر السابق ٢/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٧) فى الأصل ، م : « حسن » . انظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٢٩، والروض الأنف ٦/ ٥٦٤.

المغربَ ، فافْتَتَح قريةً مِن قُرَى المغربِ يقالُ لها : جَرْبَةُ[1] . فقام فينا خطيبًا فقال : أيها الناسُ ، إنى لا أقولُ فيكم إلا ما سمِعْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُ فينا يومَ خيبرَ ؛ قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ [2]أن يَسْقِيَ ماءَه زَرْعَ غيرِه » يعنى إتيانَ الحَبالَى مِن السَّبْيِ « ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ[2] أن يُصيبَ امرأةً مِن السَّبْيِ حتى يَسْتَبْرِئَها ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يبيعَ مَغْنمًا حتى يُقْسَمَ ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ [٣/ ٧٠و] الآخرِ أن يَرْكَبَ دابةً مِن فَيْءِ المسلمين حتى إذا أعْجَفها[3] ردَّها فيه ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَلْبَسَ ثوبًا[4] مِن فَيْءِ المسلمين حتى إذا أخْلَقه ردَّه فيه » . وهكذا رَوَى هذا الحديثَ أبو داودَ[5] مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، به . ورَواه الترمذىُّ[6] ، عن [7]عمرَ بنِ حفصٍ[7] الشَّيْبانىِّ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن يَحْيَى بنِ أيوبَ ، عن رَبيعةَ ابنِ سُلَيْمٍ ، عن بُسْرِ[8] بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن رُوَيفِعِ بنِ ثابتٍ ، مُخْتَصَرًا ، وقال : حسنٌ .

---

(١) جَرْبة : قرية بالمغرب ، وقيل : هى جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس يسكنها البربر . انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) أعجفها : أى أهزلها . النهاية ٣/ ١٨٦.

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « يومًا » .

(٥) أبو داود (٢١٥٨، ٢١٥٩) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٨٩٠، ١٨٩١) .

(٦) الترمذى (١١٣١) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٩٠٣) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « حفص بن عمر » . والمثبت من الترمذى ، وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٠١.

(٨) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من الترمذى ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥.

وفى «صحيحِ البخاريِّ»[1] عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى يومَ خيبرَ عن لُحومِ الحُمُرِ الأهْليَّةِ وعن أكْلِ الثُّومِ. وقد حكَى ابنُ حَزْمٍ[2]، عن عليٍّ وشَرِيكِ بنِ الحَنْبلِ، أنهما ذهَبا إلى تحريمِ البَصَلِ والثُّومِ النِّيءِ. والذى نقَله الترمذىُّ[3] عنهما الكراهةُ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد تكَلَّم الناسُ فى الحديثِ الواردِ فى «الصحيحين»[4] مِن طريقِ الزهْرىِّ، عن عبدِ اللَّهِ والحسنِ ابنَىْ محمدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ، عن أبيهما، عن أبيه علىِّ بنِ أبى طالبٍ، رضى اللَّهُ عنه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن نِكاحِ المُتْعَةِ يومَ خيبرَ، وعن لحومِ الحُمُرِ الأهْليةِ. هذا لفظُ «الصحيحين» مِن طريقِ مالكٍ وغيرِه، عن الزهرىِّ، وهو يقْتَضى تَقْييدَ تحريمِ نكاحِ المُتْعةِ بيومِ خَيْبرَ، وهو مُشْكِلٌ مِن وجهين؛ أحدُهما، أن يومَ خيبرَ لم يكُنْ ثَمَّ نساءٌ يتَمَتَّعون بهنَّ؛ إذ قد حصَل لهم الاستغناءُ بالسِّباءِ[5] عن نكاحِ المُتْعةِ. الثانى، أنه قد ثبَت فى «صحيحِ مسلمٍ»[6] عن الربيعِ بنِ سَبْرةَ بنِ[7] مَعْبَدٍ، عن أبيه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أذِن لهم فى المُتعةِ زمنَ الفتْحِ، ثُم لم يَخْرُجْ مِن مكةَ حتى نهَى عنها، وقال: «إن اللَّهَ قد حرَّمها إلى يومِ القيامةِ». فعلى هذا يكون قد نهَى عنها، ثُم أذِن فيها، ثُم حُرِّمت؛ فيَلْزَمُ النَّسْخُ مرتين، وهو بعيدٌ. ومع هذا فقد نص

---

(١) البخارى (٤٢١٥).

(٢) المحلى ٤/ ٦٧.

(٣) انظر الترمذى (١٨٠٨، ١٨٠٩).

(٤) البخارى (٤٢١٦، ٥١١٥، ٥٥٢٣، ٦٩٦١)، ومسلم (١٤٠٧).

(٥) فى ا ١٥١: «بالنساء».

(٦) مسلم (١٤٠٦).

(٧) فى الأصل، م: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٨٢.

الشافعيُّ[1] على أنه لا يَعْلَمُ شيئًا أُبِيح ثُم حُرِّم، ثُم أُبِيح ثُم حُرِّم، غيرَ نكاحِ المُتعةِ، وما حداه على هذا، رحِمه اللَّهُ، إلا اعتمادُه على هذين الحديثَيْن، كما قدَّمْناه.

[2]وقد حكَى السهيليُّ[3] وغيرُه، عن بعضِهم أنه ادَّعى أنها أُبِيحت ثلاثَ مراتٍ، وحُرِّمت ثلاثَ مراتٍ. وقال آخرون: أربعَ مراتٍ. وهذا بعيدٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ. واخْتَلفوا؛ أيُّ وقتٍ أولُ ما حُرِّمت[4]؟ فقيل: فى خيبرَ. وقيل: فى عُمْرةِ القَضاءِ. وقيل: فى عامِ الفتحِ. وهو الذى يَظْهَرُ، وقيل: فى أوْطاسٍ. وهو قريبٌ مِن الذى قبلَه. وقيل: فى تبوكَ. وقيل: فى حَجَّةِ الوداعِ. رَواه أبو داودَ[5].

وقد حاول بعضُ العلماءِ [٣/ ٧٠ظ] أن يُجِيبَ عن حديثِ عليٍّ، رضِىَ اللَّهُ عنه، بأنه وقَع فيه تقديمٌ وتأخيرٌ[6].

وإنما المحْفوظُ فيه ما رَواه الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثنا سفيانُ، عن الزهرىِّ، عن الحسنِ وعبدِ اللَّهِ ابنَىْ محمدٍ، عن أبيهما - وكان حسنٌ أرْضاهما فى أنفسِهما - أن عليًّا قال لابنِ عباسٍ: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عن نِكاحِ[2]

---

(١) انظر معرفة السنن والآثار ٥/ ٣٤٤، وفتح البارى ٩/ ١٧٠.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) الروض الأنف ٦/ ٥٥٧.

(٤) انظر لهذه الأقوال فتح البارى ٩/ ١٦٩، ١٧٠.

(٥) أبو داود (٢٠٧٢). شاذ (ضعيف سنن أبى داود ٤٤٧).

(٦) انظر لذلك فتح البارى ٩/ ١٦٨، ١٦٩.

(٧) المسند ١/ ٧٩. (إسناده صحيح).

(١) المُتْعةِ ، وعن لُحومِ الحُمُرِ الأهْليةِ زمنَ خَيْبرَ . قالوا : فاعتقَد[٢] الراوى أن قولَه : « خَيبرَ » . ظرفٌ للمَنْهيِّ عنهما ، وليس كذلك ، إنما هو ظرفٌ للنَّهْيِ عن لُحومِ الحُمُرِ ، فأمَّا نِكاحُ المُتْعةِ فلم يَذْكُرْ له ظرفًا ، وإنما جَمَعه معه[٣] ؛ لأن عليًّا ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، بلَغه أن ابنَ عباسٍ أباح نِكاحَ المُتْعةِ ، ولُحومَ الحُمُرِ الأهْليةِ ، كما هو المشهورُ عنه ، فقال له أميرُ المؤمنين عليٌّ : إنك امرُؤٌ تائهٌ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن نِكاحِ المُتْعةِ ولحُومِ الحُمُرِ الأهْليةِ يومَ خَيْبرَ . فجمَع له النهىَ ليَرْجِعَ عما كان يَعْتِقدُه فى ذلك مِن الإباحةِ . وإلى هذا التقريرِ كان ميلُ شيخِنا الحافظِ أبى الحجَّاجِ المِزِّىِّ ، تغَمَّده اللَّهُ برحمتِه ، آمين . ومع هذا ما رجَع ابنُ عباسٍ عما كان يذْهَبُ إليه مِن إباحةِ الحُمُرِ والمُتْعةِ ، أما النهىُ عن الحُمُرِ فتأوَّلَه بأنها كانت حَمولَتَهم ، وأما المُتْعةُ فإنما كان يُبِيحُها عندَ الضَّرورةِ فى الأسْفارِ ، وحمَل النهىَ على ذلك فى حالِ الرَّفاهيةِ والوِجْدانِ ، وقد تبِعه على ذلك طائفةٌ مِن أصحابِه وأتْباعِهم ، ولم يزلْ ذلك مشهورًا عن علماءِ الحجازِ ، إلى زمنِ ابنِ جُرَيْجٍ ، وبعدَه . وقد حُكِىَ عن الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ روايةٌ كمذهبِ ابنِ عباسٍ ، وهى ضعيفةٌ ، وحاول بعضُ مَن صنَّف فى الخلافِ[٤] نقلَ روايةٍ عن الإمامِ أحمدَ[٥] بمثلِ ذلك ، ولا يَصِحُّ أيضًا . واللَّهُ أعلمُ . وموضعُ تحريرِ ذلك فى كتابِ « الأحكامِ » . وباللَّهِ المُسْتعانُ[١] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « فاعتقدنا » .

(٣) لكن روى أحمد ١/ ١٤٢ . بإسناد صحيح ، عن الزهرى بالإسناد السابق ، وقال فيه : قد نهى عنها يوم خيبر - أى نكاح المتعة - فلينظر .

(٤) فى الأصل ، م : « الحلال » .

(١) قال ابنُ إسحاقَ[٢] : ثُم جعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يتَدَنَّى الحصونَ والأموالَ ، فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أنه حدَّثه بعضُ[٣] أسلمَ أن بنى سَهْمٍ مِن أسْلَمَ أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : واللَّهِ[٤] يا رسولَ اللَّهِ ، لقد جُهِدْنا وما بأيدينا مِن شىءٍ . فلم يجِدوا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا يُعْطيهم إيَّاه ، فقال : « اللَّهم إنك قد عرَفْتَ حالَهم ، وأن ليست بهم قوةٌ ، وأن ليس بيدى شىءٌ أُعْطيهم إيَّاه ، فافْتَحْ عليهم أعْظَمَ حُصونِها عندَهم[٥] ، وأكْثرَها طَعامًا ووَدَكًا[٦] » . فغَدَا الناسُ ففُتِح عليهم حصنُ الصَّعْبِ بنِ مُعاذٍ ، وما بخيبرَ حِصنٌ [٣/ ٧١و] كان أكثرَ طعامًا ووَدَكًا منه .

قال ابنُ إسحاقَ[٧] : ولما افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حصونِهم ما افْتَتح ، وحاز مِن الأموالِ ما حاز ، انتَهَوا إلى حصنِهم الوَطِيحِ ، والسُّلالِمِ ، وكان آخرَ حصونِ خيبرَ افْتتاحًا ، فحاصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بضْعَ عشْرَةَ ليلةً . قال ابنُ هشامٍ[٨] : وكان شِعارُهم يومَ خيبرَ : يا منصورُ ، أمِتْ أمِتْ .

قال ابنُ إسحاقَ[٩] : وحدَّثنى بُرَيْدةُ بنُ سفيانَ[١٠] الأسْلمىُّ ، عن بعضِ (١

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٢.
(٣) بعده فى الأصل ، م : « مَن » .
(٤) واو القسم ولفظ الجلالة سقطا من : الأصل ، م .
(٥) فى الأصل ، م : « عنهم غنى » .
(٦) الودك : دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه . النهاية ٥/ ١٦٩.
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٢.
(٨) المصدر السابق ٢/ ٣٣٣.
(٩) المصدر السابق ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦.
(١٠) بعده فى الأصل ، م : « الأسدى » .

(١) رجالِ بنى سَلِمةَ ، عن أبى اليَسَرِ كعبِ بنِ عمرٍو قال : إنّا لَمَع رسولِ اللَّهِ ﷺ بخيبرَ ذاتَ عَشِيَّةٍ ، إذْ أقْبلتْ غَنَمٌ لرجلٍ مِن يهودَ ، تُرِيدُ حِصنَهم ونحن مُحاصِروهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن رجلٌ يُطْعِمُنا مِن هذه الغنمِ ؟ » قال أبو اليَسَرِ : فقلتُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فافْعَلْ » . قال : فخرَجْتُ أشْتَدُّ مثلَ الظَّلِيمِ[٢] ، فلمَّا نظَر إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًا قال : « اللَّهم أمْتِعْنا به » . قال : فأدْرَكْتُ الغنمَ وقد دخَلتْ أُولاها الحِصنَ ، فأخَذْتُ شاتَيْن مِن أُخْراها فاحْتَضَنْتُهما تحتَ يدىَّ ، ثُم جئتُ بهما أشْتَدُّ كأنه ليس معى شىءٌ ، حتى ألْقَيْتُهما عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذبَحوهما فأكَلوهما ، فكان أبو اليَسَرِ مِن آخرِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ موتًا ، وكان إذا حدَّث هذا الحديثَ بكَى ، ثم قال : أُمْتِعوا بى لعَمْرِى ، حتى كنتُ مِن آخرِهم موتًا[٣] .

وقال الحافظُ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[٤] : أخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأصْبهانىُّ ، حدَّثنا أبو سعيدِ بنُ الأعْرابىِّ ، حدَّثنا سَعْدانُ بنُ نَصْرٍ ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن عاصمِ الأحْولِ ، عن أبى عُثمانَ النَّهْدىِّ ، أو عن أبى قِلابةَ قال : لما قدِم النبىُّ ﷺ خيبرَ قدِم والثمَرةُ خَضِرَةٌ ، قال : فأسْرع الناسُ فيها[٥] ، فحُمُّوا ، فشَكَوا ذلك إليه ، فأمَرهم أن يُقَرِّسوا[٦] الماءَ فى الشِّنانِ ، ثُم[١]

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الظليم : ذَكَرُ النعام . النهاية ٣/ ١٦٢.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٢.

(٥) أى بالأكل .

(٦) فى الأصل : « يرضموا » ، وقرسوا الماء فى الشنان : بردوه فى الأسقية . النهاية ٤/ ٣٩.

(١) يَحْدِروا(٢) عليهم (٣) بين أذانَي(٣) الفجرِ، ويَذْكُروا اسمَ اللَّهِ عليه، ففعلوا ذلك فكأنما نشِطوا مِن عُقُلٍ. قال البيهقيُّ: ورَوَيْناه عن عبدِ الرحمنِ بنِ رافعٍ(٤) موصولًا، وعنه: بينَ صلاتَي المغربِ والعشاءِ.

وقال الإمامُ أحمدُ(٥): حدَّثنا يَحْيَى وبَهْزٌ، قالا: حدَّثنا سُليمانُ بنُ المغيرةِ، حدَّثنا حُمَيْدُ بنُ هِلالٍ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُغَفَّلٍ، قال: دُلِّيَ جِرابٌ مِن شَحْمٍ يومَ خيبرَ. قال: فالتزَمْتُه، فقلتُ: لا أُعْطى أحدًا منه شيئًا. قال: فالْتَفَتُّ فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ.

وقال أحمدُ(٦): حدَّثنا عفانُ، حدَّثنا شعبةُ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ، قال: كنا محاصِرين(٧) قصرَ [٣/ ٧١ظ] خَيْبرَ، فأُلْقِيَ إلينا جِرابٌ فيه شَحْمٌ، فذهَبْتُ آخُذُه(٨)، فرأيْتُ النبيَّ ﷺ فاسْتَحْيَيْتُ. وقد أخْرَجه صاحبا «الصحيحِ»(٩) مِن حديثِ شعبةَ. ورَواه مسلمٌ(١٠) أيضًا عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ، عن سليمانَ(١١) بنِ المغيرةِ، به نحوَه(١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى الأصل: «يجدونه»، وفى ١٥١: «يحدونه»، وفى م: «يجرونه»، والمثبت من الدلائل، ويحدرون: يصبون.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «إذا أتى».

(٤) فى ١٥١: «المرقع»، وبعده فى الدلائل: «عن النبى ﷺ».

(٥) المسند ٤/ ٨٦.

(٦) المسند ٥/ ٥٥.

(٧) فى الأصل، م: «نحاصر».

(٨) فى الأصل، م: «فأخذته».

(٩) البخارى (٣١٥٣، ٤٢١٤، ٥٥٠٨)، ومسلم (١٧٧٢/٧٣).

(١٠) مسلم (١٧٧٢/٧٢).

(١١) فى الأصل، م: «عثمان». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٦٩.

(١) وقال ابنُ إسحاقَ(٢) : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ المُزَنىِّ ، قال : أصَبْتُ مِن فَيْءِ خيبرَ جِرابَ شَحْمٍ . قال : فاحْتَمَلْتُه على عُنُقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلَقِيَنى صاحبُ المَغانمِ الذى جُعِل عليها ، فأخَذ بناحيتِه ، وقال : هَلُمَّ هذا(٣) ؛ حتى نَقْسِمَه بينَ المسلمين . قال : وقلتُ : لا واللَّهِ لا أُعْطِيكَه . قال : وجعَل يُجابذُنى الجِرابَ . قال : فرآنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن نصْنَعُ ذلك فتَبَسَّم ضاحكًا ، ثُم قال لصاحبِ المَغانمِ : «(٤لا أبا لك٤) ، خَلِّ بينَه وبينَه» . قال : فأرْسَله ، فانْطَلَقْتُ به إلى رَحْلى وأصحابى فأكَلْناه . وقد اسْتَدَلَّ الجمهورُ بهذا الحديثِ على الإمامِ مالكٍ ؛ فى تحريمِه شُحُومَ ذَبائحِ اليهودِ - ما كان (٥حرامًا عليهم - على٥) غيرِهم مِن المسلمين ؛ لأن اللَّهَ تعالى قال(٦) : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] . قال : لكم . قال(٧) : وليس هذا مِن طعامِهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديثِ ، وفيه نظَرٌ ، وقد يكونُ هذا الشَّحْمُ ممَّا كان حلالًا لهم . واللَّهُ أعلمُ . وقد اسْتَدَلوا بهذا الحديثِ على أن الطعامَ لا يُخَمَّسُ .

ويَعْضُدُ ذلك ما رَواه الإمامُ أبو داودَ(٨) : حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، حدَّثنا أبو(٩) إسحاقَ الشَّيْبانىُّ ، عن محمدِ بنِ أبى مُجالِدٍ ، عن(١)

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٩.
(٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥ - ٥) فى الأصل ، م : «غلبهم عليه» .
(٦) انظر التفسير ٣/ ٣٦.
(٧) أى الإمام مالك رحمه الله .
(٨) أبو داود (٢٧٠٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٥٣) .
(٩) سقط من : الأصل ، م . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٤٤.

(١ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى قال : قلتُ : هل كنتم تُخَمِّسون الطعامَ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : أصَبْنا طعامًا يومَ خيبرَ ، فكان الرجلُ يجِىءُ ، فيأخُذُ منه قدْرَ ما يكفيه ، ثُم يَنْصَرِفُ . تفرَّد به أبو داودَ ، وهو حسنٌ ١) .

(١ - ١) سقط من : ص .

ذكرُ قصَّةِ صفيةَ بنتِ حُيَيّ (١بنِ أخطبَ١) النَّضريةِ ، رضِيَ اللَّهُ عنها

وكان مِن شأنِها أنه لما أجْلَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يهودَ بنى النَّضِيرِ مِن المدينةِ ، كما تقدَّم ، فذهَب عامَّتُهم إلى خيبرَ ، وفيهم حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ وبنو أبى الحُقَيْقِ ، وكانوا ذَوِى أموالٍ وشرفٍ فى قومِهم ، وكانت صفيةُ إذ ذاك طفلةً دون البلوغ ، ثُم لمَّا تأَهَّلَت للتَّزْويجِ ، تزَوَّجها بعضُ بنى عمِّها ، فلما زُفَّت إليه وأُدْخِلت عليه[٢] بَنَى بها ، ومضَى على ذلك ليالٍ ، رَأَت فى منامِها كأنَّ قمرَ السماءِ قد سَقَط فى حِجْرِها ، فقصَّت رُؤْياها على ابنِ عمِّها ، فلطَم وجْهَها ، وقال : أَتَتَمَنَّين مَلِكَ يَثْرِبَ [٣/٧٢و] أن يصِيرَ بَعْلَكِ . فما كان إلَّا مَجِىءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحِصارُه إيَّاهم ، فكانت صفيةُ فى جُملةِ السَّبْيِ ، وكان زوجُها فى جملةِ القَتْلَى . ولمَّا اصْطَفاها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وصارت فى حَوْزِه ومُلْكِه ، كما سيأتى ، وبَنَى بها بعدَ اسْتِبْرائِها وحِلِّها ، وجَد أثَرَ تلك اللَّطْمةِ فى خَدِّها ، فسأَلها : « ما شأْنُها ؟ » فذكَرت له ما كانت رَأَت مِن تلك الرُؤْيا الصالحةِ ، رضِىَ اللَّهُ عنها وأرْضاها .

قال البخارىُّ[٣] : حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « إليه » .

(٣) البخارى (٤٢٠٠) .

ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صلى النبيُّ ﷺ الصبحَ قريبًا مِن خيبرَ بغَلَسٍ ثُم قال : « اللَّهُ أكبرُ ، خَرِبت خيبرُ ، إنا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساء صباحُ المُنْذَرِين » . فخرَجوا يَسْعَون فى السِّكَكِ ، فقتَل النبيُّ ﷺ المُقاتِلةَ وسَبَى الذُّريةَ ، وكان فى السَّبْيِ صفيةُ ، فصارت إلى دِحْيةَ [1] الكَلْبيِّ ، ثُم صارت إلى النبيِّ ﷺ ، فجعَل عِتْقَها صداقَها . ورَواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ - وله طُرُقٌ - عن أنسٍ [2] [1] .

وقال البخاريُّ [3] : حدَّثنا آدمُ ، ثنا شعبةُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ قال : سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : سَبَى النبيُّ ﷺ صفيةَ ، فأعْتَقها وتزَوَّجها . قال ثابتٌ لأنسٍ : ما أصْدَقَها ؟ قال : أصْدَقَها نفسَها فأعْتَقها . تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

وقال البخاريُّ [4] : حدَّثنا عبدُ الغَفَّارِ بنُ داودَ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ . ح وحدَّثنا أحمدُ بنُ عيسى ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى يعقوبُ ابنُ عبدِ الرحمنِ الزهْرِيُّ ، عن عمرٍو مَوْلَى المُطَّلِبِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قدِمنا خيبرَ ، فلمَّا فتَح اللَّهُ عليه الحصنَ ، ذُكِر له جمالُ صفيةَ بنتِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ ، وقد قُتِل زوجُها ، وكانت عَرُوسًا ، فاصْطَفاها النبيُّ ﷺ لنفسِه ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) مسلم (٨٤، ٨٥، ٨٧، ١٣٦٥/٨٨) باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ، من كتاب النكاح . و(١٣٦٥/١٢٠) باب غزوة خيبر ، من كتاب الجهاد والسير .

(٣) البخارى (٤٢٠١) .

(٤) البخارى (٤٢١١) .

فخرَج بها حتى بلَغ بها [1] سُدَّ الصَّهْباءِ [1] حَلَّت ، فبنَى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُم صنَع حَيْسًا [2] فى نِطْعٍ صغيرٍ ، ثُم قال لى : « آذِنْ مَن حولَك » . فكانت تلك وَليمتَه على صفيةَ ، ثُم خرَجْنا إلى المدينةِ ، فرَأَيْتُ النبىَّ ﷺ يُحَوِّى [3] لها وراءَه بعَباءةٍ ، ثُم يَجْلِسُ عندَ بعيرِه فيضَعُ رُكْبتَه وتضَعُ صفيةُ رِجْلَها على رُكبتِه حتى تَرْكَبَ . تفرَّد به دون مسلمٍ .

وقال البخارىُّ [4] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبى كَثِيرٍ ، أخبَرَنى حُمَيْدٌ أنه سمِع أنسًا يقولُ : أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ خيبرَ والمدينةِ ثلاثَ ليالٍ ، يُبْنَى عليه بصفيةَ ، فدَعَوْتُ المسلمين إلى [٣/ ٧٢ظ] وَليمتِه ، وما كان فيها مِن خُبْزٍ ولا [5] لحمٍ ، وما كان فيها إلا أن أمَر بلالًا بالأنْطاعِ فبُسِطت ، فأَلْقَى عليها التمرَ والأَقِطَ والسَّمْنَ ، فقال المسلمون : إحْدى أمهاتِ المؤمنين أو ما ملَكت يمينُه ؟ فقالوا : إن حجَبها فهى إحدى أمهاتِ المؤمنين ، وإن لم يَحْجُبْها فهى مما ملَكت يمينُه . فلما ارْتَحل وطَّأ لها خلفَه ، ومدَّ الحجابَ . انفرد به البخارىُّ .

وقال أبو داودَ [6] : حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ

(١ - ١) فى ا ١٥١ : « سد الروحاء » . وفى ص : « أسد الروحاء » . والسد بالفتح والضم : الجبل والردم . والصهباء : اسم موضع على بريد من خيبر . انظر النهاية ٢/ ٣٥٣ . والفتح ٧/ ٤٨٠ .

(٢) حيسا : الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت . النهاية ١/ ٤٦٧ .

(٣) قال الحافظ : أى يجعل لها حوية ، وهى كساء محشوة تدار حول الراكب . الفتح ٧/ ٤٨٠ .

(٤) البخارى (٤٢١٣) .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) أبو داود (٢٩٩٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٨٩) .

صُهَيْبٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صارت صفيةُ لدِحْيةَ الكَلْبيِّ ، ثُم صارت لرسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ قال : جُمِع السَّبْيُ - يَعْنى بخيبرَ - فجاء دِحْيةُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطنى جاريةً مِن السَّبْيِ . قال : « اذْهَبْ فخُذْ جاريةً » . فأخَذ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ ، فجاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، أعْطَيْتَ دِحْيةَ - قال يعقوبُ : - صَفِيةَ بنتَ حُيَيٍّ سيدةَ قُرَيْظةَ والنَّضِيرِ ؟ ما تَصْلُحُ إلا لكَ . قال : « ادْعُ بها » . فلمَّا نظَر إليها النبيُّ ﷺ قال : « خُذْ جاريةً مِن السَّبْيِ غيرَها » . وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْتَقها وتزَوَّجها . وأخْرَجاه مِن حديثِ ابنِ عُلَيَّةَ[2] .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ خَلَّادٍ الباهليُّ ، حدثنا بَهْزُ بنُ أسدٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ قال : وقَع فى سهمِ دِحْيةَ جاريةٌ جميلةٌ ، فاشْتراها رسولُ اللَّهِ ﷺ بسبعةِ أَرْؤُسٍ ، ثُم دفَعها إلى [4]أمِّ سُلَيْمٍ[4] تَصْنَعُها وتُهَيِّئُها . قال حمَّادٌ : وأحْسَبُه قال : وتَعْتَدُّ فى بيتِها - صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ[5] . تفرَّد به أبو داودَ .

---

(١) أبو داود (٢٩٩٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩١) .

(٢) البخارى (٣٧١) ، ومسلم (١٣٦٥/٨٤) من كتاب النكاح .

(٣) أبو داود (٢٩٩٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٠) .

(٤ - ٤) فى م : « أم سلمة » .

(٥) قوله : فى بيتها . أى فى بيت أم سليم . وقوله : صفية بنت حيى . أى وتلك الجارية هى صفية بنت حيى . وليس قوله : صفية بنت حيى فاعلا لقوله : تعتد . بل هو خبر مبتدأ محذوف . عون المعبود ٣/ ١١٢ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلما افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ القَمُوصَ ، حصنَ بنى أبى الحُقَيْقِ ، أُتِىَ بصفيةَ بنتِ حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ وأخرى معها ، فمرَّ بهما بلالٌ - وهو الذى جاء بهما - على قَتْلَى مِن قَتْلَى يهودَ ، فلمَّا رَأَتْهم التى مع صفيةَ ، صاحت ، وصَكَّت وجْهَها ، وحثَتِ الترابَ على رأسِها ، فلمَّا رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « أعْزِبوا عنى هذه الشيطانةَ » . وأمَر بصفيةَ فحِيزت خلفَه ، وألْقَى عليها رداءَه ، فعرَف المسلمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد اصْطَفاها لنفسِه ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لبلالٍ - فيما بلَغنى - [2]حينَ رَأَى بتلك اليهوديةِ ما رَأَى[2] : « أنزِعَت منك الرحمةُ يا بلالُ حتى تمُرَّ بامرأتَيْنِ على قَتْلَى رجالِهما » . وكانت صفيةُ قد رَأَت فى المَنـامِ وهى عَروسٌ بكِنانةَ بنِ الربيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ ، أن قمرًا [٣/٧٣و] وقَع فى حِجْرِها ، فعرَضت رُؤْياها على زوجِها ، [2]فقال : ما هذا إلَّا أنك تَمَنَّيْن مَلِكَ الحِجازِ محمدًا[2] . فلطَم وجْهَها لَطْمةً خَضَّر عينَها منها[3] . فأُتِىَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ وبها أثَرٌ منه ، فسأَلها : « ما هذا ؟ » فأخبَرَته الخبرَ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وأُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بكِنانةَ بنِ الربيعِ ، وكان عندَه كَنْزُ بنى النَّضِيرِ ، فسأَله عنه ، فجحَد أن يكونَ يَعْلَمُ مكانَه ، فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ رجلٌ مِن اليهودِ ، فقال لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إنى رأيْتُ كِنانةَ يَطِيفُ بهذه الخَرِبَةِ كلَّ غَداةٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لكِنانةَ : « أرَأَيْتَ إن وجَدْناه عندَك أقْتُلُك ؟ » قال : نعم . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالخَرِبةِ فحُفِرَت ، فأُخْرِج منها بعضُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) قد يطلق الاخضرار ويراد به السواد . انظر الوسيط (خ ض ر) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧، وتاريخ الطبرى ٣/ ١٤ . حوادث السنة السابعة .

كَنْزِهم ، ثُم سأَله عما بقِىَ ، فأَبَى أن يُؤَدِّيَه ، فأمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ الزبيرَ بنَ العوامِ فقال : « عَذِّبْه حتى تَسْتَأْصِلَ ما عندَه » . وكان الزبيرُ يَقْدَحُ بزَنْدٍ[1] فى صدرِه حتى أشْرَف على نفْسِه ، ثُم دفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى محمدِ بنِ مَسْلَمةَ ، فضرَب عُنُقَه بأخيه محمودِ بنِ مَسْلمةَ .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحاصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أهلَ خيبرَ فى حِصنَيْهم[3] الوَطِيحِ والسُّلالِمِ ، حتى إذا أيْقَنوا بالهَلَكةِ ، سأَلوه أن يُسَيِّرَهم وأن يَحْقِنَ دماءَهم ، ففعَل ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد حاز الأموالَ كلَّها[4] ؛ الشِّقَّ ، والنَّطَاةَ ، والكتيبةَ ، وجميعَ حصونِهم ، إلا ما كان مِن ذَيْنِك الحِصْنَيْن ، فلمَّا سمِع بهم[5] أهلُ فَدَكَ قد صنَعوا ما صنَعوا ، بعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلونه[6] أن يُسَيِّرَهم ويَحْقِنَ دماءَهم ، ويُخَلُّوا له الأموالَ ، ففعَل ، وكان ممَّن مشَى بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَهم فى ذلك مُحَيِّصةُ بنُ مسعودٍ ، أخو بنى حارثةَ ، فلمَّا نزَل أهلُ خيبرَ على ذلك ، سأَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُعامِلَهم فى الأموالِ على النصفِ ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ، وأعْمرُ لها . فصالحهم رسولُ اللَّهِ ﷺ على النصفِ ، على أنَّا إذا شئْنا أن نُخْرِجَكم أخْرَجْناكم . وعامل أهلَ فَدَكَ بمثلِ ذلك .

---

(١) فى م : « بزنده » . والزند والزندة : خشبتان يُستقدَح بهما ، فالسفلى زندة والأعلى زند . اللسان (ز ن د) .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٧.
(٣) فى ص : « حصنهم » .
(٤) بعده فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « إلا » .
(٥) زيادة من السيرة .
(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص .

فصلٌ
فى فتحِ حُصونِها وقَسْمِ[1] أرضِها

قال الواقدىُّ[2] : لما تحوَّلت اليهودُ مِن حصنِ ناعمٍ وحصنِ الصَّعْبِ بنِ مُعاذٍ إلى قَلْعةِ الزُّبيرِ ، حاصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثةَ أيامٍ ، فجاء رجلٌ مِن اليهودِ يقالُ له : غَزَّالٌ[3] . فقال : يا أبا القاسمِ ، تُؤَمِّنُنى على أن أدُلَّك على ما تَسْتَرِيحُ به مِن أهلِ النَّطاةِ ، وتَخْرُجُ إلى أهلِ الشِّقِّ ، فإن أهلَ الشِّقِّ قد هلَكوا رُعْبًا منك ؟ قال : فأَمَّنه رسولُ اللَّهِ [٣/٧٣ظ] ﷺ على أهلِه ومالِه ، فقال له اليهودىُّ : إنك لو أقَمْتَ شهرًا تُحاصِرُهم ما بالوا بك ، إنَّ لهم تحتَ الأرضِ دُبولًا[4] يَخْرُجون بالليلِ فيَشْرَبون منها ، ثُم يَرْجِعون إلى قَلْعتِهم . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقطعِ دُبولِهم ، فخرَجوا فقاتَلوا أشدَّ القِتالِ ، وقُتِل مِن المسلمين يومئذٍ نفَرٌ ، وأُصِيب مِن اليهودِ عشَرةٌ ، وافْتَتحه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكان آخرَ حصونِ النَّطاةِ ، وتحوَّل إلى الشِّقِّ ، وكان به حصونٌ ذواتُ عُدَدٍ ، فكان أولَ حصنٍ بدَأ به منها حصنُ أُبَىٍّ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ على قلعةٍ يقالُ لها : سُمْوانُ[5] .

---

(١) فى ص : « قسمة » ، وفى م : « قسيمة » .

(٢) مغازى الواقدى ٢/٦٦٦ - ٦٦٨.

(٣) فى الأصل : « عداك » . وفى ١٥١ : « عرال » . وفى م ، ص : « عزال » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) فى الأصل : « ذيول » . والدبول : جداول ماء ، واحدها دَبْل ، سميت به لأنها تُدْبَل : أى تُصْلَح وتُعَمَّر . النهاية ٢/ ٩٩.

(٥) فى المغازى : « سمران » .

فقاتَل عليها [1]أهلُ الحصنِ[1] أشدَّ القِتالِ، فخرَج منهم رجلٌ يقالُ له: عَزولٌ[2]. فدَعا إلى البِرازِ، فبرَز إليه الحُبابُ بنُ المنذرِ، فقطَع يدَه اليمنى مِن نصفِ ذِراعِه، ووقَع السيفُ مِن يدِه، وفرَّ اليهوديُّ راجعًا، فاتَّبعه الحُبابُ فقطَع عُرْقوبَه[3]، وبرَز منهم آخرُ، فقام إليه رجلٌ مِن المسلمين، فقتَله اليهوديُّ، فنهَض إليه أبو دُجانةَ فقتَله وأخَذ سَلَبَه، وأحْجَموا عن البِرازِ، فكبَّر المسلمون، ثُم تَحامَلوا على الحصنِ فدخَلوه، وأمامَهم أبو دُجانةَ، فوجَدوا فيه أثاثًا ومَتاعًا وغَنمًا وطعامًا، وهرَب مَن كان فيه مِن المُقاتِلةِ، وتقَحَّموا الجُدُرَ[4] كأنهم الظِّباءُ[5]، حتى صاروا إلى حصنِ النِّزارِ[6] بالشِّقِّ، وتمنَّعوا أشدَّ الامْتناعِ، فزحَف إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه، فترامَوْا، ورمَى معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه الكريمةِ، حتى أصاب نَبْلُهم ثِيابَه[7]، عليه الصلاةُ والسلامُ. فأخَذ عليه السلامُ كَفًّا مِن الحَصَا فرمَى حصنَهم بها، فرجَف بهم حتى ساخ فى الأرضِ، وأخَذهم المسلمون أخْذًا باليدِ.

وقال الواقدىُّ[8]: ثم تحوَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ الكَتِيبَةِ[9] والوَطِيحِ

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من المغازى.

(٢) كذا فى النسخ. وفى المغازى: «غزَّال».

(٣) عرقوبه: العرقوب: هو الوتر الذى خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فويق العقب. النهاية ٣/ ٢٢١.

(٤) فى الأصل: «الجذر»، وفى م: «الجزر».

(٥) فى الأصل: «الضبا». وفى م: «الضباب».

(٦) فى الأصل: «البراز». وفى ١٥١، ص: «البزاز». وفى م: «البزاة». والمثبت من المغازى.

(٧) فى النسخ: «بنانه». والمثبت من المغازى.

(٨) مغازى الواقدى ٢/ ٦٧٠، ٦٧١.

(٩) فى م، ص: «الأخبية».

والسُّلالِم ؛ حصنَىْ بنى أبى الحُقَيْقِ ، وتحَصَّنوا أشدَّ التَّحَصُّنِ ، وجاء إليهم كلُّ فَلٍّ[1] كان قد انهَزم مِن النَّطاةِ و[2]الشِّقِّ ، فتحَصَّنوا معهم فى القَمُوصِ - وهو[3] فى الكَتِيبَةِ ، وكان حصنًا مَنيعًا - وفى الوَطِيحِ والسُّلالِم ، وجعَلوا لا يطْلُعون مِن حُصونِهم ، حتى همَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَنصِبَ المَنْجَنِيقَ عليهم ، فلمَّا أيْقَنوا بالهَلَكةِ - وقد حصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعةَ عشَرَ يومًا - نزَل إليه ابنُ أبى الحُقَيْقِ ، فصالَحه على حَقْنِ دمائِهم ويُسَيِّرُهم ، [٣/ ٧٤و] ويُخَلُّون بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ ما كان لهم مِن الأرضِ ، والأموالِ ، والصفْراءِ ، والبَيْضاءِ ، والكُراعِ والحَلْقةِ[4] ، وعلى البَزِّ ، إلا ما كان على ظهرِ الإنسانِ ، يعنى لِباسَهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وبرِئت منكم ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رسولِه إن كتَمْتُم شيئًا » . فصالحوه على ذلك .

قلتُ : ولهذا لما كتَموا وكذَبوا وأخْفَوا ذلك المَسْكَ[5] الذى كان فيه أموالٌ جَزِيلةٌ ، تَبَيَّنَ أنه لا عهْدَ لهم ، فقُتِل ابنُ[6] أبى الحُقَيْقِ وطائفةٌ مِن أهلِه ، بسببِ نَقْضِ العهودِ منهم والمَواثيقِ .

---

(١) فى ١٥١، ص : « من » .

(٢) فى النسخ : « إلى » . والمثبت من المغازى .

(٣) سقط من : ١٥١، م .

(٤) الصفراء والبيضاء والحلقة : الذهب والفضة والدروع . النهاية ٣/ ٣٧. والكراع : اسم لجميع الخيل . النهاية ٤/ ١٦٥.

(٥) المسك : الجلد .

(٦) فى الأصل، ١٥١، م : « ابنى » .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[1] : حدَّثنى أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ المُقْرِئُ الإسْفِراييِنىُّ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنا يوسفُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ غِياثٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ - فيما يَحْسَبُ أبو سَلَمةَ[2] - عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قاتَل أهلَ خَيْبرَ حتى ألْجَأَهم إلى قصرِهم ، فغلَب على الأرضِ والزَّرْعِ والنَّخْلِ ، فصالَحوه على أن يُجْلَوْا منها ، ولهم ما حمَلت رِكابُهم ، ولِرسولِ اللَّهِ ﷺ الصفراءُ والبيضاءُ ، ويخْرُجون منها ، واشْتَرَط عليهم أن لا يَكْتُموا ولا يُغَيِّبوا[3] شيئًا ، فإن فعَلوا فلا ذِمَّةَ لهم ولا عهْدَ ، فغَيَّبوا مَسْكًا فيه مالٌ وحُلِىٌّ لحُيَىِّ بنِ أخْطَبَ ، وكان احْتَمله معه إلى خيبرَ حينَ أُجْلِيَت النَّضِيرُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]لعَمِّ حُيَىٍّ[4] : « ما فعَل مَسْكُ حُيَىٍّ الذى جاء به مِن النضيرِ ؟ » فقال : أذْهَبَتْه النَّفَقاتُ والحروبُ . فقال : « العهْدُ قريبٌ والمالُ أكْثرُ مِن ذلك » . فدفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الزبيرِ ، فمسَّه بعذابٍ ، وقد كان حُيَىٌّ قبلَ ذلك دخَل خَرِبةً ، فقال : قد رأَيْتُ حُيَيًّا يَطوفُ فى خَرِبةٍ هـٰهنا . فذهبوا فطافوا فوجَدوا المَسْكَ فى الخَرِبةِ ، فقتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ابنَىْ أبى الحُقَيْقِ ، وأحدُهما زوجُ صَفِيةَ بنتِ حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ ، وسَبَى رسولُ اللَّهِ ﷺ نساءَهم وذَرارِيَّهم ، وقسَم أموالَهم بالنَّكْثِ الذى نكَثوا ، وأراد إجْلاءَهم منها[5] ، فقالوا : يا محمدُ ، دَعْنا

---

(١) دلائل النبوة ٤/٢٢٩ - ٢٣١.

(٢) أبو سلمة كُنية حماد بن سلمة . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣.

(٣) فى ص : « يصيبوا » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « لعم حتى » . وفى م : « حينئذ » . وفى ص : « حيى » .

(٥) فى الأصل ، م : « منهما » .

نكونُ فى هذه الأرضِ نُصْلِحُها ونقومُ عليها . [1]ولم يَكُنْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولا لأصحابِه غِلمانٌ[2] يَقومون عليها ، وكانوا لا يَفْرُغون أن يَقوموا عليها[1] ، فأعْطاهم خيبرَ على أنَّ لهم الشَّطْرَ مِن كلِّ زرعٍ ونخيلٍ وشىءٍ ما بدَا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، [٣/ ٧٤ظ] وكان عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ يَأْتِيهم كلَّ عامٍ فيَخْرُصُها[3] عليهم ، ثُم يُضَمِّنُهم الشَّطْرَ ، فشَكَوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شدةَ خَرْصِه ، وأرادوا أن يَرْشُوه ، فقال : يا أعداءَ اللَّهِ ، تُطْعِمونى السُّحْتَ ، واللَّهِ لقد جئْتُكم مِن عندِ أحبِّ الناسِ إلىَّ ، وَلأنتم أبْغَضُ إلىَّ مِن عِدَّتِكم مِن القِرَدَةِ والخَنازيرِ ، ولا يَحْمِلُنى بُغْضى إياكم وحُبِّى إياه على أن لا أعْدِلَ عليكم . فقالوا : بهذا قامت السمواتُ والأرضُ . قال : فرأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بعينِ صفيةَ خُضْرةً ، فقال : « يا صفيةُ ، ما هذه الخُضْرةُ ؟ » فقالت : كان رأسى فى حِجْرِ ابنِ أبى الحُقَيْقِ وأنا نائمةٌ ، فرأَيْتُ كأنَّ قمرًا وقَع فى حِجْرى ، فأخْبَرْتُه بذلك فلطَمنى ، وقال : تَتَمَنَّين مَلِكَ يَثْرِبَ ؟! قالت : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أبغَضِ الناسِ إلىَّ ؛ قتَل زوجى وأبى ، فما زال يَعْتَذِرُ إلىَّ ويقولُ : « إن أباكِ ألَّب علىَّ العربَ » . وفعَل و[4] فعَل ، حتى ذهَب ذلك مِن نفسى . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِى كلَّ امرأةٍ مِن نسائِه ثمانين وَسْقًا مِن تمرٍ كلَّ عامٍ ، وعشرين وَسْقًا مِن شعيرٍ ، فلمَّا كان فى زمانِ عمرَ غشُّوا المسلمين ، وألْقَوا ابنَ عمرَ مِن فوقِ بيتٍ ففَدعوا يديه[5] ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م ، ص : « غلال » .

(٣) فى م : « فيخرجها » . ويخرصها : خرص الشىء : حزره وقدره بالظن ، يقال : خرص النخل والكرم : حزر ما عليه من الرطب تمرًا ومن العنب زبيبًا . الوسيط (خ ر ص) .

(٤) فى م : « ما » .

(٥) الفَدَع بالتحريك : زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وكذلك فى اليد ، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها . النهاية ٣/ ٤٢٠ .

فقال عمرُ: مَن كان له سهمٌ بخيبرَ فلْيَحْضُرْ حتى نَقْسِمَها. فقسَمها بينَهم. فقال رئيسُهم: لا تُخْرِجْنا، دَعْنا نكونُ فيها كما أقَرَّنا رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ. فقال عمرُ لرئيسِهم: أتُرانى سقَط عنى[1] قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «كيف بك إذا رقَصَتْ[2] بك راحِلتُك نحوَ الشامِ يومًا ثُم يومًا ثُم يومًا؟» وقسَمها عمرُ بينَ مَن كان شهِد خيبرَ مِن أهلِ الحُدَيْبيةِ. وقد رَواه أبو داودَ مختصرًا مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ[3].

قال البيهقيُّ[4]: علَّقه البخاريُّ فى «كتابِه» فقال: ورَواه حمَّادُ بنُ سَلَمةَ[5]. قلتُ: ولم أرَه فى «الأطْرافِ»[6]. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو داودَ[7]: وحدَّثنى سليمانُ بنُ داودَ المَهْرىُّ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، أخبرنى أسامةُ بنُ زيدٍ اللَّيْثىُّ، عن نافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال: لما فُتِحت خيبرُ سألَتْ يهودُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُقِرَّهم، على أن يَعْمَلوا على النصفِ مما

---

(١) فى النسخ: «على». والمثبت من دلائل النبوة.

(٢) فى الأصل، م، ص: «وقصت». ورقَص البعير يَرْقُص رَقْصًا: إذا أسرع فى سيره. اللسان (ر ق ص).

(٣) أبو داود (٣٠٠٦). حسن الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٧).

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٣١.

(٥) ذكره البخارى بعد إيراده لحديث رقم (٢٧٣٠).

(٦) الظاهر من قول المصنف: «لم أره فى الأطراف» أنه لم يره فى أطراف أحاديث عبد اللَّه بن عمر، فإن الحافظ المزى لم يذكره هناك والحامل للمصنف على قوله هذا هو ذكر البيهقى استشهاد البخارى بحديث حماد بن سلمة عقب رواية البيهقى - التى تقدمت - فظن المصنف أن الحديث عند البخارى من حديث عبد اللَّه بن عمر. وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى نكته ١٣٣/٦، فى أطراف أحاديث عبد اللَّه بن عمر، كالمستدرِك على الحافظ المزى. والحديث أورده الحافظ المزى على الصواب فى أطراف أحاديث عمر بن الخطاب من تحفة الأشراف ٨/ ٦٨.

(٧) أبو داود (٣٠٠٨). حسن الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٩).

خرَج منها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُقِرُّكم فيها على ذلك ما [٣/٧٥و] شِئْنا » . فكانوا على ذلك ، وكان التمرُ يُقْسَمُ على السُّهْمانِ مِن نصفِ خَيبرَ ، ويأخُذُ رسولُ اللَّهِ ﷺ الخُمُسَ ، وكان أطْعَم كلَّ امرأةٍ مِن أزواجِه مِن الخُمُسِ مائةَ وسْقٍ مِن تمرٍ ، وعشرين وسْقًا مِن شعيرٍ ، فلما أراد عمرُ إخْراجَ اليهودِ ، أرْسَل إلى أزواجِ النبيِّ ﷺ فقال لهن : مَن أَحَبَّ منكن أن أَقْسِمَ لها [1] نَخْلًا بخرصِها [1] مائةَ وَسْقٍ ، فيكونَ لها أصلُها وأرضُها وماؤُها ، ومِن الزرْعِ مَزْرَعةً عشرين وَسْقًا مِن شعيرٍ فعَلْنا ، ومَن أحبَّ أن نَعْزِلَ الذى لها فى الخُمُسِ كما هو فَعَلْنا .

وقد رَوى أبو داودَ [2] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى نافعٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن عمرَ قال : أيها الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ عامَل يهودَ خيبرَ على أن يُخْرِجَهم إذا شاء ، فمَن كان له مالٌ فلْيَلْحَقْ به ، فإنى مُخْرِجٌ يهودَ . فأخْرَجهم .

وقال البخاريُّ [3] : حدَّثنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن يونسَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أن جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ أخبرَه قال : مشَيْتُ أنا وعثمانُ بنُ عفانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقُلْنا : أعْطَيْتَ بنى المُطَّلِبِ مِن خُمُسِ خيبرَ وترَكْتَنا ، ونحن وهم بمنزلةٍ واحدةٍ منك . فقال : [4] « إنما بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبِ شىءٌ [5] واحدٌ » . قال جبيرُ بنُ مُطْعِمٍ : ولم يَقْسِمِ النبيُّ ﷺ لبنى [4]

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أبو داود (٣٠٠٧) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٨) .

(٣) البخارى (٤٢٢٩) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) وفى رواية ليحيى بن معين « سِىٌّ واحد » أى مثل وسواء . النهاية ٢/٤٣٥ .

(١ عبدِ شمسٍ وبنى نَوْفَلٍ شيئًا . تفرَّد به دونَ مسلم . وفى لفظٍ[٢] : أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن بنى هاشمٍ وبنى المُطَّلِبِ شىءٌ واحدٌ ، إنهم لم يُفارِقونا فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ »[١] .

قال الشافعىُّ : دخَلوا معهم فى الشِّعْبِ ، وناصَروهم فى إسلامِهم وجاهليتِهم .

قلتُ : وقد ذَمَّ أبو طالبٍ بنى عبدِ شمْسٍ و[٣]بنى نَوْفَلٍ[٣] حيث يَقولُ :

جزَى اللَّهُ عنا عبدَ شمسٍ ونوْفَلًا عقوبةَ شرٍّ عاجلًا غيرَ آجلِ

وقال البخارىُّ[٤] : حدَّثنا الحسنُ بنُ إسحاقَ ، ثنا محمدُ بنُ سابقٍ[٥] ، ثنا زائدةُ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ خيبرَ للفرسِ سهمَين وللراجلِ سهمًا . قال : فسَّرَه نافعٌ فقال : إذا كان مع الرجلِ فرسٌ ، فله ثلاثةُ أسْهُمٍ ، وإن لم يَكُنْ معه فرسٌ ، فله سهمٌ .

وقال البخارىُّ[٦] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، أخبَرَنى زيدٌ ، عن أبيه ، أنه سمِع عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ : أمَا والذى نفسى بيدِه ، لولا أن أتْرُكَ آخِرَ الناسِ بَبَّانًا[٧] ليس لهم شىءٌ ، ما فُتِحَتْ علىَّ قريةٌ إلا قسَمْتُها

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أبو داود (٢٩٨٠) ، والنسائى (٤١٤٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٨٢) .

(٣ - ٣) فى م : « نوفلا » .

(٤) البخارى (٤٢٢٨) .

(٥) فى م : « ثابت » .

(٦) البخارى (٤٢٣٥) .

(٧) قال ابن الأثير : فى حديث عمر رضى اللَّه عنه : لولا أن أترك آخر الناس بَبَّانا واحدا أى : أتركهم =

[٣/ ٧٥ظ] كما قسَم النبيُّ ﷺ خيبرَ، ولكنى أتْرُكُها خِزانةً لهم يَقْتَسِمونها. وقد رَواه البخاريُّ أيضًا مِن حديثِ مالكٍ، وأبو داودَ، عن أحمدَ بنِ حَنْبلٍ، عن ابنِ مَهْدِيٍّ، عن مالكٍ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ، عن أبيه، عن عمرَ، به[(١)]. وهذا السياقُ يَقْتَضى أنَّ خَيبرَ بكمالِها قُسِمت بينَ الغانِمين.

وقد قال أبو داودَ[(٢)]: ثنا ابنُ السَّرْحِ، أنبأنا ابنُ وَهْبٍ، أخبرَنى يونُسُ، عن ابنِ شِهابٍ قال: بلَغنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ افْتَتَح خيبرَ عَنْوةً بعدَ القِتالِ، [(٣)]ونزَل مَن نزَل[(٣)] مِن أهلِها على الجَلاءِ بعدَ القتالِ. وبهذا قال الزهريُّ[(٤)]: خمَّس رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ، ثُم قسَم سائرَها على مَن شَهِدها.

وفيما قاله الزهريُّ نظرٌ؛ فإن الصحيحَ أن خَيْبرَ جميعَها لم تُقْسَمْ، وإنما قُسِم نصفُها بينَ الغانمين[(٥)] كما سيأتى بيانُه، وقد احْتَجَّ بهذا مالكٌ ومَن تابعه على أن الإمامَ مُخَيَّرٌ فى الأراضى المَغْنومةِ؛ إن شاء قسَمها، وإن شاء أرْصَدها

= شيئا واحدا. لأنه إذا قسم البلاد المفتوحة على الغانمين بقى من لم يحضر الغنيمة ومن يجىء بعدُ من المسلمين بغير شىء منها، فلذلك تركها لتكون بينهم جميعا. قال أبو عبيد: ولا أحسبه عربيا. وقال أبو سعيد الضرير: ليس فى كلام العرب بيّان، والصحيح عندنا - والكلام لأبى سعيد - بيّانا واحدا، والعرب إذا ذكرت من لا يُعْرَف قالوا: هَيّان بن بيّان. والمعنى: لأُسَوِّيَن بينهم فى العطاء حتى يكونوا شيئا واحدا، لا فضل لأحد على غيره. قال الأزهرى: ليس كما ظن، وهذا حديث مشهور رواه أهل الإتقان، وكأنها لغة يمانية ولم تَفْشُ فى كلام مَعَدٍّ. النهاية ١/ ٩١. وقال أبو سعيد الضرير: صوابه بيانا، أى شيئا واحدًا. انظر الفتح ٧/ ٤٩٠.

(١) البخارى (٣١٢٥، ٤٢٣٦)، وأبو داود (٣٠٢٠).

(٢) أبو داود (٣٠١٨). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٧).

(٣ - ٣) فى م: «وترك من ترك».

(٤) أبو داود (٣٠١٩). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٨).

(٥) فى الأصل، م: «الناس».

لمصالحِ المسلمين، وإن شاء قسَم بعضَها وأرْصَد بعضَها لِمَا يَنوبُه فى الحاجاتِ والمصالحِ.

[1]قال أبو داودَ[2]: حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ المُؤَذِّنُ، ثنا أسَدُ بنُ موسى، حدَّثنا يَحْيَى بنُ زكريا، حدَّثنى سفيانُ، عن يَحْيَى بنِ سَعيدٍ، عن بُشَيْرِ بنِ يَسارٍ، عن سهلِ بنِ أبى حَثْمَةَ، قال: قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ نصفين؛ نصفًا لنَوائبِه [3]وحاجتِه[3]، ونصفًا بينَ المسلمين، قسَمها بينَهم على ثمانيةَ عشَرَ سهمًا. تفرَّد به أبو داودَ. ثُم رَواه أبو داودَ مِن حديثِ بُشَيْرِ بنِ يَسارٍ مُرْسلًا[4]، فعيَّن نصفَ النَّوائبِ؛ الوَطِيحَ والكَتِيبَةَ والسُّلالِمَ وما حِيز معها، ونصفَ المسلمين؛ الشِّقَّ والنَّطَاةَ وما حِيز معهما، وسهمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيما حِيز معهما.

وقال أيضًا[5]: حدَّثنا حسينُ بنُ علىٍّ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ، عن يَحْيَى ابنِ سعيدٍ، عن بُشَيْرِ بنِ يَسارٍ، مَوْلى الأنصارِ، عن رجالٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما ظهَر على خيبرَ فقسَمها على ستةٍ وثلاثين سهمًا، جمَع كلُّ سهمٍ مائةَ سهمٍ، فكان لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمسلمين النصفُ مِن ذلك، وعزَل النصفَ الثانىَ لمن نزَل به مِن الوُفودِ والأمورِ ونوائبِ الناسِ. تفرَّد به أبو داودَ.

---

(١) من هنا حتى نهاية الفصل. سقط من: ص.
(٢) أبو داود (٣٠١٠). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠١).
(٣ - ٣) زيادة من سنن أبى داود.
(٤) أبو داود (٣٠١٣). صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٤).
(٥) أبو داود (٣٠١٢). صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٣).

قال أبو داودَ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عيسى ، ثنا مُجَمِّعُ بنُ يعقوبَ بنِ مُجَمِّعِ [٣/٧٦و] بنِ يزيدَ الأنصاريُّ ، سمِعْتُ أبى يعقوبَ بنَ مُجَمِّعٍ يقولُ ، عن عمِّه عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ الأنصاريِّ ، عن عمِّه مُجَمِّعِ بنِ جاريةَ[2] الأنصاريِّ - وكان أحدَ القُرَّاءِ الذين قرَءوا القرآنَ - قال : قُسِمَت خيبرُ على أهلِ الحُدَيْبيةِ ، فقسَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ على ثمانيةَ عشَرَ سهمًا ، وكان الجيشُ ألفًا وخمسَمائةٍ ، فيهم ثلاثُمائةِ فارسٍ ، فأعْطَى الفارسَ سهمين ، وأعْطَى الراجلَ سهمًا . تفرَّد به أبو داودَ .

وقال مالكٌ : عن الزهريِّ ، أن سعيدَ بنَ المسيَّبِ أخْبرَه أن النبيَّ ﷺ افْتَتَح بعضَ خيبرَ عَنْوةً . رَواه أبو داودَ[3] . ثُم قال أبو داودَ : قُرِئَ على الحارثِ بنِ مِسْكينٍ وأنا شاهدٌ ، أخْبَرَكم ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثنى مالكُ بنُ أنسٍ ، عن ابنِ شِهابٍ أن خيبرَ بعضُها كان عَنْوةً ، وبعضُها صُلْحًا ، والكَتِيبةَ أكثرُها عَنْوةً ، وفيها صُلحٌ . قلتُ لمالكٍ : وما الكَتِيبةُ ؟ قال : أرضُ خَيْبرَ ، وهى أربعون ألفَ عَذْقٍ . قال أبو داودَ[4] : والعَذْقُ : النَّخلةُ . والعِذْقُ : العُرْجونُ .

ولهذا قال البخاريُّ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا حَرَميٌّ ، ثنا شعبةُ ، ثنا

---

(١) أبو داود (٣٠١٥) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٦) .

(٢) فى م : « حارثة » .

(٣) أبو داود (٣٠١٧) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٥٠) .

(٤) كذا فى الأصل ، م ، ولم نجده فى سنن أبى داود . ولعله من قول الخطابى . فقد قال فى معالم السنن ٣/٣١ بعد إيراده الحديث : العَذق : النخلة ، والعِذق الكِباسة .

وقد أورد صاحب عون المعبود ٣/١٢٢ قول الخطابى هذا بدون إشارة إلى أن أبا داود قال مثل هذا .

(٥) البخارى (٤٢٤٢) .

عُمارَةُ، عن عكرمةَ، عن عائشةَ قالت: لما فُتِحت خيبرُ قلنا: الآنَ نَشْبَعُ مِن التمرِ.

حدَّثنا[1] الحسنُ، ثنا قُرَّةُ بنُ حَبِيبٍ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ قال: ما شبِعْنا - يعنى مِن التمرِ - حتى فتَحْنا خيبرَ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: كانت الشِّقُّ والنَّطَاةُ فى سُهْمانِ المسلمين؛ الشِّقُّ ثلاثةَ عشَرَ سهمًا، ونَطاةُ خَمْسةُ أسهمٍ، قسَم الجميعَ على ألفٍ وثمانِمائةِ سهمٍ، ودفَع ذلك إلى مَن شهِد الحُدَيْبيةَ؛ مَن حضَر خيبرَ ومَن غاب عنها، ولم يَغِبْ عن خيبرَ ممَّن شهِد الحُدَيْبيةَ إلا جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ، فضرَب له بسهمِه. قال: وكان أهلُ الحُدَيْبيةِ ألفًا وأربعَمائةٍ، وكان معهم مائتا فرسٍ، لكل فرسٍ سَهمان، فصُرِف إلى كلِّ مائةِ رجلٍ سهمٌ مِن ثمانيةَ عشَرَ سهمًا، وزِيد المائتا فارسٍ أربعَمائةِ سهمٍ لخيولِهم.

وهكذا رَواه البيهقىُّ[3] مِن طريقِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ أنهم كانوا ألفًا وأربعَمائةٍ، و[4] مائتَا فرسٍ.

قلتُ: وضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ معهم بسهمٍ، وكان أولَ سهمٍ مِن سُهْمانِ

---

(١) البخارى (٤٢٤٣).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠ بمعناه، وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ١٩. حوادث السنة السابعة، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٣٨.

(٤) فى م: «معهما».

الشِّقِّ مع عاصمِ بنِ عَدِيٍّ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانت الكَتِيبَةُ خُمُسًا للَّهِ تعالى ، وسهمَ النبيِّ ﷺ ، وسهمَ ذَوِى القُرْبَى واليَتامَى [٣/٧٦ظ] والمساكينِ وابنِ السبيلِ ، وطُعْمَةَ أزواجِ النبيِّ ﷺ ، وطُعْمَةَ أقوامٍ مشَوْا فى صلحِ أهلِ فَدَكَ ، منهم مُحَيِّصةُ بنُ مسعودٍ ، أقْطَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثين وَسْقًا مِن تمرٍ ، وثلاثين وَسْقًا مِن شعيرٍ . قال : وكان واديا اللذان قُسِّمَت عليه يقالُ لهما : وادى السُّرَيْرِ[2] ووادى خاصٍ . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ تفاصيلَ الإقْطاعاتِ منها فأجاد وأفاد ، رحِمه اللَّهُ .

قال[3] : وكان الذى وَلِىَ قِسْمتَها وحسابَها جَبَّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أميةَ بنِ خَنْساءَ ، أخو بنى سَلِمة ، وزيدُ[4] بنُ ثابتٍ ، رضى اللَّهُ عنهما .

قلتُ : وكان الأميرَ على خَرْصِ نخيلِ خيبرَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فخرَصها سنتين ، ثُم لما قُتِل ، رضى اللَّهُ عنه - كما سيأتى فى يومِ مُؤْتَةَ - ولِىَ بعدَه جَبَّارُ ابنُ صَخْرٍ ، رضى اللَّهُ عنه .

وقد قال البخاريُّ[5] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنى مالكٌ ، عن عبدِ المجيدِ بنِ سُهَيْلٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ وأبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استَعْمل رجلًا على خيبرَ ، فجاءه بتمرٍ جَنِيبٍ[6] ، فقال رسولُ اللَّهِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٤٩ - ٣٥٧.

(٢) فى سيرة ابن هشام : « السريرة » . قال ياقوت : السرير وخاص : واديان بخيبر . معجم البلدان ٣/ ٨٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٧.

(٤) فى السيرة : « يزيد » .

(٥) البخارى (٤٢٤٤، ٤٢٤٥) .

(٦) الجنيب : نوع جيد معروف من أنواع التمر . النهاية ١/ ٣٠٤.

ﷺ : « كلُّ تمرِ خيبرَ هكذا ؟ » قال : لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، إنا لَنأخُذُ الصاعَ مِن هذا بالصاعَيْن ، والصاعَيْن بالثلاثةِ . فقال : « لا تَفْعلْ ، بِعِ الجَمْعَ[1] بالدراهمِ ، ثُم ابْتَعْ بالدراهمِ جَنِيبًا » .

قال البخاريُّ[2] : وقال الدَّراوَرْديُّ ، عن عبدِ المَجيدِ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أن أبا سعيدٍ وأبا هريرةَ حدَّثاه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث أخا بنى عَدِيٍّ مِن الأنصارِ إلى خيبرَ وأمَّره عليها . وعن عبدِ المجيدِ ، عن أبى صالحٍ السَّمَّانِ ، عن أبى سعيدٍ وأبى هريرةَ ، مثلَه .

قلتُ : كان سهمُ النبيِّ ﷺ الذى أصاب مع المسلمين مما قسَم بخيبرَ وفَدَكَ بكمالِها - وهى طائفةٌ كبيرةٌ مِن أرضِ خيبرَ ، نزَلوا مِن شدةِ رُعْبِهم منه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، فصالحوه - وأموالَ بنى النَّضِيرِ ، المُتَقَدِّمَ ذِكْرُها ، مما لم يُوجِفِ المسلمون عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ ، فكانت هذه الأموالُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ خاصةً ، وكان يَعْزِلُ منها نفقةَ أهلِه لسنةٍ ، ثُم يَجْعَلُ ما بقِىَ مَجْعَلَ مالِ اللَّهِ ؛ يَصْرِفُه فى الكُراعِ والسلاحِ ومصالحِ المسلمين ، فلمَّا مات ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، اعْتَقَدتْ فاطمةُ وأزواجُ النبيِّ ﷺ - أو أكثرُهن - أن هذه الأراضىَ تكونُ مَوْروثةً عنه ، ولم [٣/ ٧٧و] يَبْلُغْهن ما ثبَت عنه مِن قولِه ﷺ : « نحن معشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ ، ما ترَكْناه فهو صدقةٌ »[3] . ولمَّا طَلَبت فاطمةُ وأزواجُ النبيِّ ﷺ والعباسُ نصيبَهم مِن ذلك ، وسأَلوا الصِّدِّيقَ أن يُسْلِمَه

---

(١) الجمع : تمر مختلط من أنواع متفرقة غير مرغوب فيها . الوسيط (ج م ع) .

(٢) البخارى (٤٢٤٦، ٤٢٤٧) .

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

إليهم ، ذكَر لهم قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا فهو[1] صدقةٌ » . وقال : أنا أَعولُ مَن كان يَعولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهِ لَقرابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحبُّ إلىَّ أن أصِلَ مِن قَرابتى . وصدَق ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشدُ فى ذلك ، التابعُ للحقِّ ، وطلَب العباسُ وعلىٌّ - على لسانِ فاطمةَ ، إذ قد فاتهم الميراثُ - أن يَنْظُرَا فى هذه الصدقةِ ، وأن يَصْرِفا ذلك فى المَصارفِ التى كان النبىُّ ﷺ يَصْرِفُها فيها ، فأبَى عليهم الصديقُ ذلك ، ورَأى أنَّ حقًّا عليه أن يقومَ فيما كان يَقومُ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأن لا يَخْرُجَ مِن مَسْلَكِه ولا عن سَنَنِه . فتغَضَّبَت فاطمةُ ، رضىَ اللَّهُ عنها ، عليه فى ذلك ، ووجَدت فى نفسِها بعضَ المَوْجِدةِ ، ولم يَكُنْ لها ذلك ، والصديقُ مَن قد عرَفتْ هى والمسلمون مَحَلَّه ومَنْزِلتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقيامَه فى نُصْرةِ النبىِّ ﷺ فى حياتِه وبعدَ وفاتِه ، فجزاه اللَّهُ عن نبيِّه وعن الإسلامِ وأهلِه خيرًا ، وتُوُفِّيَتْ فاطمةُ ، رضى اللَّهُ عنها ، بعدَ ستةِ أشْهُرٍ ، ثُم جدَّد علىٌّ البَيْعةَ بعدَ ذلك ، فلما كان أيامُ عمرَ بنِ الخطابِ ، سأَلوه أن يُفَوِّضَ أمْرَ هذه الصدقةِ إلى علىٍّ ، والعباسِ ، وثقَّلوا عليه بجماعةٍ مِن ساداتِ الصحابةِ ، ففعَل عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه ، ذلك ، وذلك لكثرةِ أشْغالِه واتساعِ مَمْلكتِه وامتدادِ رَعِيَّتِه ، فتغَلَّبَ على علىٍّ عمُّه العباسُ فيها ، ثُم تَساوَقا يَخْتَصِمانِ إلى عمرَ ، وقدَّما بينَ أيديهما جماعةً مِن الصحابةِ ، وسأَلا منه أن يَقْسِمَها بينَهما ، فيَنْظُرَ كلٌّ منهما فيما لا يَنْظُرُ فيه الآخرُ . فامتَنَع عمرُ مِن ذلك أشدَّ الامْتناعِ ، وخشِىَ أن تكونَ هذه القِسْمةُ تُشْبِهُ قِسْمةَ المَواريثِ ، وقال : انْظُرا فيها وأنتما جميعٌ ، فإن عَجَزْتُما

---

(١) سقط من : م .

عنها فادْفَعاها إلىَّ ، والذى تقومُ السماءُ والأرضُ بأمْرِه لا أقْضى فيها قضاءً غيرَ هذا . فاسْتَمَرَّا [٣/٧٧ظ] فيها ، ومَن بعدَهما مِن[(١)] ولدِهما إلى أيامِ بنى العباسِ ، تُصْرَفُ فى المَصارفِ التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُها فيها ، أموالُ بنى النَّضيرِ وفَدَكَ ، وسهمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ .

فصلٌ

وأما مَن شَهِد خيبرَ مِن العبيدِ والنساءِ ، فرضَخ[(٢)] لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ شيئًا مِن الغَنِيمةِ ، ولم يُسْهِمْ لهم .

قال أبو داودَ[(٣)] : حدَّثنا أحمدُ بنُ حَنبَلٍ ، ثنا بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ ، عن محمدِ ابنِ زيدٍ ، حدَّثنى عُمَيْرٌ مَوْلَى آبِى اللَّحْمِ قال : شهِدْتُ خيبرَ مع سادتى ، فكَلَّموا فىَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأمَر بى فقُلِّدْتُ سيفًا ، فإذا أنا أَجُرُّه ، فأُخْبِر أنى مملوكٌ ، فأمَر لى بشىءٍ مِن خُرْثِىِّ[(٤)] المتاعِ . ورَواه الترمذىُّ والنَّسائىُّ جميعًا ، عن قُتَيْبةَ ، عن بِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ [(٥)] به[(٦)] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . ورَواه ابنُ ماجه ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، عن وَكِيعٍ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ[(٥)] ، عن محمدِ بنِ زيدِ بنِ

---

(١) فى م : « إلى » .

(٢) الرَّضْخ : العطية القليلة . النهاية ٢/ ٢٢٨.

(٣) أبو داود (٢٧٣٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٧٠) .

(٤) فى م : « طريق » . والخرثى : أردأ المتاع والغنائم . اللسان (خ ر ث) . قال أبو داود عقب الحديث : معناه ؛ أنه لم يسهم له بشىء .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

(٦) الترمذى (١٥٥٧) ، والنسائى فى الكبرى (٧٥٣٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٦١) .

المُهاجِرِ [1] بنِ قُنْفُذٍ [1] ، عن عُمَيْرٍ ، به [2] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ [3] : وشهِد خيبرَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ نساءٌ ، فرضَخ لهنَّ ، ولم يَضْرِبْ لهنَّ بسهمٍ ، حدَّثنى سليمانُ بنُ سُحَيْمٍ ، عن أميةَ بنتِ [4] أبى الصَّلْتِ ، عن امرأةٍ مِن بنى غِفارٍ قد سمَّاها لى ، قالت : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى نسوةٍ مِن بنى غِفارٍ ، فقلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد أرَدْنا أن نَخْرُجَ معك إلى وجهِك هذا - وهو يَسِيرُ إلى خيبرَ - فنُداوِىَ الجرحَى ، ونُعِينَ المسلمين بما استَطَعْنا . فقال : « على بركةِ اللَّهِ » . قالت : فخرَجْنا معه . قالت : وكنتُ جاريةً حَدَثةً ، فأرْدَفنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على حقيبةِ رَحْلِه [5] . [6] قالت : فواللَّهِ لَنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الصبحِ وأناخ [7] ، ونزَلْتُ عن حقيبةِ رَحْلِه . قالت [6] : وإذا بها دمٌ منى ، وكانت أولَ حَيْضةٍ حِضْتُها . قالت : فتَقَبَّضْتُ إلى الناقةِ واستَحْيَيْتُ . فلمَّا رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ما بى ، ورأى الدمَ ، قال : « ما لكِ ؟ لعلكِ نَفِسْتِ ؟ » قالت : قلتُ : نعم . قال : « فأصْلِحى مِن نفسِكِ ، ثُم خُذى إناءً مِن ماءٍ ، فاطْرَحى فيه مِلْحًا ، ثُم اغْسِلى ما أصاب الحَقيبةَ مِن الدمِ ، ثُم عودى لمَرْكَبِك » . قالت : فلمَّا فتَح اللَّهُ خيبرَ ، رضَخ لنا مِن الفَىْءِ ، وأخَذ هذه القِلادةَ التى تَرَيْنَ فى عُنُقى ، فأَعْطانِيها وعلَّقها بيدِه فى عُنقى ، فواللَّهِ لا

(١ - ١) فى م : « عن منقذ » . انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٣١.

(٢) ابن ماجه (٢٨٥٥) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٠٤) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٢.

(٤) فى السيرة : « بن » . انظر ترجمتها فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٣٢.

(٥) حقيبة الرحل: الزيادة التى تجعل فى مؤخرة القتب . النهاية ١/ ٤١٢.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

تُفارِقُنى أبدًا. وكانت فى عُنُقِها حتى ماتت، ثُم أوْصَت أن تُدْفَنَ معها. قالت: وكانت لا تَطَّهَّرُ مِن حَيْضِها إلّا [٣/٧٨و] جعَلتْ فى طَهورِها مِلْحًا، وأوْصَت به أن يُجْعَلَ فى غُسْلِها حينَ ماتت. وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ، مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، به[(١)]. قال شيخُنا أبو الحَجَّاجِ المِزِّىُّ فى «أطْرافِه»[(٢)]: ورَواه الواقدىُّ، عن أبى بكرِ بنِ أبى سَبْرَةَ، عن سليمانَ بنِ سُحَيْمٍ، عن أمِّ علىٍّ بنتِ أبى الحكَمِ، عن أُمَيَّةَ بنتِ أبى الصَّلْتِ، عن النبىِّ ﷺ به[(٣)].

وقال الإمامُ أحمدُ[(٤)]: حدَّثنا حسنُ بنُ موسى، ثنا رافِعُ بنُ سَلَمةَ الأشْجعىُّ، حدَّثنى حَشْرَجُ بنُ زِيادٍ، عن جَدَّتِه أمِّ أبيه، قالت: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غَزاةِ خيبرَ، وأنا سادسةُ سِتِّ نسوةٍ. قالت: فبلَغ النبىَّ ﷺ أنَّ معه نساءً. قالت: فأرْسَل إلينا فدَعانا. قالت: فرأَيْنا فى وجهِه الغضبَ، فقال: «ما أخْرَجَكن، وبأمْرِ مَن خرَجْتُن؟» قلنا: خرَجْنا نُناوِلُ السهامَ، ونَسْقِى السَّوِيقَ، ومعنا دواءٌ للجَرْحَى، ونَغْزِلُ الشَّعْرَ فنُعِينُ به فى سبيلِ اللَّهِ. قال: «قُمْنَ[(٥)] فانصَرِفْن». قالت: فلمَّا فتَح اللَّهُ عليه خيبرَ أخْرَج لنا سِهامًا كسهامِ الرجالِ. فقلتُ لها: يا جَدَّةُ، وما الذى أخْرَج لكُنَّ؟ قالت: تمرًا.

قلتُ: إنما أعْطاهن مِن الحاصلِ، فأمَّا أنه أسْهم لهن فى الأرضِ كسهامِ

---

(١) المسند ٦/ ٣٨٠، وأبو داود (٣١٣). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٦).

(٢) تحفة الأشراف ١٣/ ١٢٣.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٦٨٥، ٦٨٦.

(٤) المسند ٦/ ٣٧١. ضعيف [فقه السيرة ص ٣٥٩].

(٥) فى الأصل، م: «فمرن». والمثبت من المسند.

الرجالِ فلا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[1] : وفى كتابى ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الحافظِ ، أن عبدَ اللَّهِ[2] الأَصْبَهانىَّ أخبرَه ، حدَّثنا الحُسَيْنُ[3] بنُ الجَهْمِ ، ثنا الحسينُ بنُ الفَرَجِ ، ثنا الواقدىُّ ، حدَّثنى عبدُ السلامِ بنُ موسى بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ ، قال : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى خيبرَ ، ومعى زوجتى وهى حُبْلَى ، فنَفِسَتْ فى الطريقِ ، فأخْبَرْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال لى : « انْقَعْ لها تمرًا ، فإذا انْغَمَر بَلُّه[4] ، فامْرُثْه[5] لِتَشْرَبَه » . ففعلْتُ ، فما رَأَت شيئًا تَكْرَهُه ، فلما فتَحْنا خيبرَ أجْدَى[6] النساءَ ، ولم يُسْهِمْ لهن ، فأجْدَى زوجتى وولدى الذى وُلِد . قال عبدُ السلامِ : لستُ أَدْرِى غلامٌ أو جاريةٌ .

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣. وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٦٨٦.

(٢) كذا فى الأصل، م. وفى الدلائل: «أبا عبد الله».

(٣) كذا فى الأصل، م. وفى الدلائل: «الحسن».

(٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الدلائل والمغازى.

(٥) فى م، والدلائل: «فأمر به». ومرث الشىء: فتّته. انظر اللسان (م ر ث).

(٦) أجدى: أعطى. اللسان (ج د ى).

ذِكْرُ قُدومِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ

[1]ومن كان بَقِيَ بالحبشةِ ممن هاجر إليها من المسلمين، ومن انضَمَّ إليهم من أهلِ اليمنِ، على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُخَيِّمٌ بخَيْبرَ[1]

قال البخاريُّ[2]: حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ، ثنا أبو أسامةَ، ثنا بُرَيدُ[3] بنُ عبدِ اللَّهِ [٣/٧٨ظ] بنِ أبى بُرْدَةَ، عن أبى بُرْدَةَ، عن أبى موسى قال: بلَغَنا مَخْرَجُ النبىِّ ﷺ ونحن باليمنِ، فخرَجْنا مُهاجرِين إليه أنا وأخَوان لى، أنا أصْغرُهم؛ أحدُهما أبو بُرْدَةَ، والآخرُ أبو رُهْمٍ - إمَّا قال: فى بِضْعٍ. وإما قال: فى ثلاثةٍ وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلًا مِن قومى - فركِبْنا سفينةً، فألْقَتْنا سفينتُنا إلى النجاشىِّ بالحبشةِ، فوافَقْنا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ، فأقَمْنا معه حتى قَدِمْنا جميعًا، فوافَقْنا النبىَّ ﷺ حينَ افْتَتَح خيبرَ، فكان أُناسٌ مِن الناسِ يقولون لنا - يعنى لأهلِ السفينةِ -: سبَقْناكم بالهجرةِ. ودخَلت أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وهى ممن قدِم معنا، على حَفْصَةَ زوجِ النبىِّ ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجَرت إلى النجاشىِّ فيمَن هاجَر، فدخَل عمرُ على حَفْصَةَ، وأسماءُ عندَها، فقال عمرُ حينَ رأى أسماءَ: مَن هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ. قال عمرُ:

(١ - ١) فى م: «ومسلمو الحبشة المهاجرون».

(٢) البخارى (٤٢٣٠- ٤٢٣٢).

(٣) فى م، ص: «يزيد». انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠.

الحبشيةُ هذه؟ البَحْريةُ هذه؟ قالت أسماءُ: نعم. قال: سَبَقْناكم بالهجرةِ، فنحن أحقُّ برسولِ اللَّهِ ﷺ منكم. فغَضِبَت وقالت: كلَّا واللَّهِ، كنتم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جائعَكم، ويَعِظُ جاهلَكم، وكنا فى دارِ - أو فى أرضِ - البُعَداءِ والبُغَضاءِ بالحبشةِ، وذلك فى اللَّهِ وفى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وايْمُ اللَّهِ لا أَطْعَمُ طعامًا ولا أَشْرَبُ شرابًا حتى أَذْكُرَ ما قلتَ للنبىِّ ﷺ وأَسأَلَه، وواللَّهِ لا أَكْذِبُ ولا أَزِيغُ ولا أَزِيدُ عليه. فلمَّا جاء النبىُّ ﷺ قالت: يا نبىَّ اللَّهِ، إن عمرَ قال كذا وكذا[1]. قال: «فما قلْتِ له؟» قالت: قلتُ كذا وكذا. قال: «ليس بأحقَّ بى منكم، وله ولأصحابِه هجرةٌ واحدةٌ، ولكم أنتم أهلَ السفينةِ هجرتان». قالت: فلقد رأيْتُ أبا موسى وأصحابَ[2] السفينةِ يَأْتُونى أرْسَالًا يَسْألونى عن هذا الحديثِ، ما مِن الدنيا شىءٌ هُمْ به أفْرَحُ ولا أعظمُ فى أنفسِهم مما قال لهم النبىُّ ﷺ. قال أبو بُرْدَةَ: قالت أسماءُ: فلقد رأيْتُ أبا موسى، وإنه ليَسْتَعِيدُ هذا الحديثَ منى.

وقال أبو بُرْدَةَ[3]، عن أبى موسى، قال النبىُّ ﷺ: «إنى لَأَعْرِفُ أصواتَ رُفْقةِ الأَشْعَرِيِّين بالقرآنِ، حينَ يدْخُلون بالليلِ، [4]وأعْرِفُ منازلَهم مِن أصواتِهم بالقرآنِ بالليلِ[4]، وإن كنتُ لم أرَ منازلَهم حينَ نزَلوا بالنهارِ، ومنهم حكيمٌ[5]، إذا لَقِىَ العدُوَّ - أو قال: الخيلَ - قال لهم: إن أصحابى يَأْمُرونكم أن

---

(١) بعده فى الأصل، م: «قالت».

(٢) فى الأصل، م: «أهل».

(٣) البخارى (٤٢٣٢). قال الحافظ: هو موصول بالإسناد المذكور. أى السابق. فتح البارى ٧/ ٤٨٧.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) بعده فى م: «بن حزام». قال الحافظ: قال عياض: قال أبو على الصدفى: هو صفة لرجل منهم. وقال أبو على الجيانى: هو اسم علم على رجل من الأشعريين. فتح البارى ٧/ ٤٨٧.

تَنْظُروهم[1] » . وهكذا رَواه مسلمٌ ، عن أبى كُرَيْبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ بَرَّادٍ ، عن أبى أُسامةَ ، به[2] .

ثُم قال البخارىُّ[3] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا حَفْصُ بنُ غِياثٍ ، [٣/ ٧٩و] ثنا بُرَيْدُ[4] بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ ، [5]عن أبى بُرْدَةَ[5] ، عن أبى موسى قال : قَدِمنا على النبىِّ ﷺ بعدَ أن افْتَتَح خيبرَ ، فقسَم لنا ولم يَقْسِمْ لأحدٍ لم يَشْهَدِ الفتحَ غيرَنا . تفرَّد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ . ورَواه أبو داودَ ، والترمذىُّ وصحَّحه مِن حديثِ بُرَيْدٍ[6] ، به[7] .

وقد ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[8] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عمرَو بنَ أميةَ الضَّمْرىَّ إلى النجاشىِّ ، يَطْلُبُ منه مَن بَقِىَ مِن أصحابِه بالحبشةِ ، فقدِموا صُحْبةَ جَعْفرٍ وقد فتَح النبىُّ ﷺ خيبرَ . قال [9]ابنُ هشامٍ[9] : وذكَر سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن الأَجْلَحِ ، عن الشعبىِّ ، أن جعفرَ بنَ أبى طالبٍ قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ خيبرَ ، فقَبَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ عينيه والْتَزَمه ، وقال : « ما أَدْرِى بأيِّهما أنا أُسَرُّ ؛ بفتحِ خيبرَ أم بقُدومِ جعفرٍ ؟ » وهكذا رَواه سفيانُ الثَّوْرىُّ ، عن

---

(١) قال الحافظ : قال ابن التين : معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال فى سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم . فتح البارى ٧/ ٤٨٧.

(٢) مسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) .

(٣) البخارى (٤٢٣٣) .

(٤) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من البخارى .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل ، م : « يزيد » .

(٧) أبو داود (٢٧٢٥) ، والترمذى (١٥٥٩) .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٩.

(٩ - ٩) سقط من النسخ ، والمثبت من السيرة .

الأَجْلَحِ ، عن الشعبيِّ مُرْسلًا[1] .

وأسْنَد البيهقيُّ[2] ، مِن طريقِ [3]حسنِ بنِ حُسَينٍ العُرَنيِّ[3] ، عن الأَجْلَحِ ، عن الشعبيِّ ، عن جابرٍ قال : لما قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ قدِم جعفرٌ مِن الحبشةِ ، فتلَقَّاه وقبَّل جبهتَه وقال : « واللَّهِ ما أدرى بأيِّهما أفْرَحُ ، بفتحِ خيبرَ أم بقُدومِ جعفرٍ » .

ثُم قال البيهقيُّ[4] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا [5]أبو الحسينِ[5] بنُ أبى إسماعيلَ العَلَويُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمدٍ البَيْروتيُّ ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبى طَيْبَةَ ، حدثنى مَكيُّ بنُ إبراهيمَ الرُّعَيْنيُّ ، ثنا سفيانُ الثَّوْريُّ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ قال : لما قَدِم جعفرُ بنُ أبى طالبٍ مِن أرضِ الحبشةِ ، تلَقَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا نظَر جعفرٌ إليه حجَل - قال مَكيٌّ : يعنى مشَى على رجلٍ واحدةٍ ؛ إعظامًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ - فقبَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ عينيه . ثُم قال البيهقيُّ : فى إسنادِه مَن لا يُعْرَفُ إلى الثَّوريِّ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وكان الذين تأخَّروا مع جعفرٍ مِن أهلِ مكةَ إلى أن

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ١٠١، من طريق سفيان الثورى به .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٢٤٦ من طريق حسن بن حسين به . والحديث عند الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢١١.

(٣ - ٣) فى الأصل : « حسن بن حسن العربى » ، وفى م : « حسن بن حسين العرزمى » ، وفى ص : « حسن بن حسين المقرى » ، وفى الدلائل : « الحسين بن الحسين العربى » . والمثبت من المستدرك . وانظر ميزان الاعتدال ١/ ٤٨٣.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٦.

(٥ - ٥) فى م : « حسين » ، وفى الدلائل : « أبو الحسن » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٣٥٩ - ٣٦٢.

قَدِموا معه خيبرَ ستةَ عشَرَ رجلًا. وسرَد أسماءَهم وأسماءَ نسائِهم وهم؛ جعفرُ ابنُ أبى طالبٍ الهاشمىُّ، وامرأتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وابنُه عبدُ اللَّهِ، وُلِد بالحبشةِ، وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ (١) بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ، وامرأتُه أُمَيْنةُ بنتُ خَلَفِ بنِ أسْعَدَ، وولداه سَعيدٌ وأَمَةُ بنتُ خالدٍ، وُلِدا بأرضِ الحبشةِ، وأخوه عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ (١)، ومُعَيْقِيبُ بنُ أبى فاطمةَ، وكان إلى آلِ سعيدِ بنِ العاصِ. قال: وأبو موسى الأشْعَرىُّ عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْسٍ، حليفُ آلِ عتبةَ بنِ ربيعةَ، وأسودُ بنُ نَوْفلِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدٍ الأسَدىُّ، [٣/ ٧٩ظ] وجَهْمُ ابنُ قيسِ بنِ عبدِ شُرَحْبِيلَ العَبْدَرىُّ، وقد ماتت امرأتُه أمُّ حَرْمَلَةَ بنتُ عبدِ الأسْودِ بأرضِ الحبشةِ، وابنُه عمرٌو وابنتُه خُزَيْمةُ (٢) ماتا بها، رحِمهم اللَّهُ، وعامرُ بنُ أبى وقاصٍ الزُّهْرىُّ، وعتبةُ بنُ مسعودٍ، حليفٌ لهم مِن هُذَيْلٍ، والحارثُ بنُ خالدِ بنِ صَخْرٍ التَّيْمىُّ، وقد هَلَكَتْ بها امرأتُه رَيْطةُ بنتُ الحارثِ، رحِمها اللَّهُ، وعثمانُ بنُ رَبيعةَ بنِ أُهْبانَ الجُمَحىُّ، ومَحْمِيَةُ بنُ جَزْءٍ الزُّبَيْدىُّ حليفُ بنى سَهْمٍ، ومَعْمَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نَضْلَةَ العَدَوىُّ، وأبو حاطبِ بنُ عمرِو ابنِ عبدِ شمسٍ، ومالكُ بنُ ربيعةَ بنِ قيسِ بنِ عبدِ شمسٍ العامريان، ومع مالكٍ هذا امرأتُه عَمْرةُ بنتُ السَّعْدِىِّ، والحارثُ بنُ (٣) عبدِ قيسٍ (٣) بنِ لَقِيطٍ الفِهْرىُّ.

قلتُ: ولم يَذْكُرِ ابنُ إسحاقَ أسماءَ الأشْعَرِيِّين الذين كانوا مع أبى موسى الأشْعرىِّ، وأخويه أبا بُرْدَةَ وأبا رُهْمٍ، وعمَّه أبا عامرٍ، بل لم يَذْكُرْ مِن

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) ذكرها ابن إسحاق فى السيرة ٢/ ٣٦١ على أنها ابن له، فقال: خزيمة بن الجهم. وهو خطأ. انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٢٦، وأسد الغابة ٧/ ٨٦، والإصابة ٧/ ٦٠٩.

(٣ - ٣) فى م: «عبد شمس»، وفى ص: «قيس».

الأشْعريِّين غيرَ أبى موسى ، ولم يَتَعَرَّضْ لذكرِ أخويه وهما أسَنُّ منه ، كما تقدَّم فى « صحيحِ البخاريِّ » . وكأنَّ ابنَ إسحاقَ ، رحمه اللَّهُ ، لم يَطَّلِعْ على حديثِ أبى موسى فى ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

قال[1] : وقد كان معهم فى السفينتين نساءٌ ، مِن نساءِ مَن هلَك مِن المسلمين هنالك . وقد حرَّر هـٰهنا شيئًا كثيرًا حسنًا .

قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ ، سَمِعْتُ الزهريَّ وسأَله إسماعيلُ بنُ أميةَ ، قال : أخْبَرَنى عَنْبَسةُ بنُ سعيدٍ ، أن أبا هريرةَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فسأَله - [3]يعنى أن يَقْسِمَ له[3] - فقال بعضُ بنى سعيدِ بنِ العاصِ : لا تُعْطِه . فقال أبو هريرةَ : هذا قاتلُ ابنِ قَوْقَلٍ[4] . فقال : واعَجَبًا لوَبْرٍ تَدَلَّى مِن قَدُومِ الضأْنِ[5] ! تفرَّد به دونَ مسلمٍ .

قال البخاريُّ[6] : ويُذْكَرُ عن الزُّبَيْدىِّ ، عن الزُّهْرىِّ ، أخبرنى عَنْبَسةُ بنُ سعيدٍ ، أنه سَمِع أبا هريرةَ يُخْبِرُ سعيدَ بنَ العاصِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٢.

(٢) البخارى (٤٢٣٧) .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل ، م . وليست فى البخارى .

(٤) ابن قوقل هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أصْرَم الأنصارى الأوسى ، وقوقل لقب ثعلبة ، وقيل : لقب أصرم . وقد استشهد ابن قوقل يوم أحد ، قتله أبان بن سعيد بن العاص . وأبان هو المراد بقول عنبسة : بعض بنى سعيد بن العاص ، وذلك قبل أن يسلم أبان . وانظر فتح البارى ٦/ ٤١.

(٥) فى م : « الضأل » . وقوله : واعجبا لوبر تدلى من قدوم الضأن . الوبر : دابة صغيرة كالسنور وحشية . وقدوم : طرف . والضأن : قيل : هو رأس الجبل لأنه فى الغالب موضع مَرْعَى الغنم . وقيل : هو بغير همز ، وهو جبل لدوس قوم أبى هريرة . قال الخطابى : أراد أبان تحقير أبى هريرة ، وأنه ليس فى قدر من يشير بعطاء ولا منع ، وأنه قليل القدرة على القتال . انظر فتح البارى ٧/ ٤٩٢.

(٦) البخارى (٤٢٣٨) .

أَبانَ على سَرِيةٍ مِن المدينةِ قِبَلَ نَجْدٍ. قال أبو هريرةَ: فقدِم أبانُ وأصحابُه على النبيِّ ﷺ بخيبرَ بعدَ ما افْتَتَحها، وإن حُزُمَ خيلِهم لَلِيفٌ. قال أبو هريرةَ: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، لا تَقْسِمْ لهم. فقال أبانُ: وأنت بهذا يا وَبْرُ تَحَدَّرَ مِن رأسِ ضالٍ[1]؟! فقال النبيُّ ﷺ: «يا أبانُ، اجْلِسْ». ولم يَقْسِمْ لهم. وقد أسْنَد أبو داودَ هذا الحديثَ، عن سعيدِ بنِ منصورٍ، عن إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ، عن محمدِ بنِ الوليدِ الزُّبَيْدِيِّ، به نحوَه[2].

ثُم قال البخاريُّ[3]: حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، ثنا عمرُو بنُ يَحْيَى بنِ سعيدٍ، أخْبرَنى جَدِّى - وهو [٣/ ٨٠و] سعيدُ بنُ عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ - أن أبانَ بنَ سعيدٍ أقْبَل إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم عليه، فقال أبو هريرةَ: يا رسولَ اللَّهِ، هذا قاتِلُ ابنِ قَوْقَلٍ. فقال أبانُ لأبى هريرةَ: واعَجَبًا لك، وَبْرٌ تَرَدَّى مِن قَدومِ ضالٍ[4]! تَنْعَى عليَّ امْرَأً أكْرَمه اللَّهُ بيدى، ومنَعه أن يُهِينَنى بيدِه؟![5] هكذا رَواه منفردًا به هـٰهنا[6].

وقال فى الجهادِ[7]: حدَّثنا[8] الحُمَيْدِيُّ، عن سفيانَ، عن الزهْرِيِّ، عن

---

(١) فى م: «ضأل». قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٤٩٢: وقد فسر البخارى فى رواية المستملى الضال باللام فقال: هو السِّدْر البرى.

(٢) أبو داود (٢٧٢٣).

(٣) البخارى (٤٢٣٩).

(٤) كذا بالنسخ، وفى البخارى: «ضأن».

(٥) هذا من أقسام الحديث يسمى بالحديث المقلوب، فإنه فى رواية سفيان بن عيينة أن أبا هريرة هو السائل أن يقسم له وأن أبان هو الذى أشار بمنعه. وفى رواية الزبيدى العكس. ويحتمل أن يجمع بينهما أن يكون كل من أبان وأبى هريرة أشار أن لا يقسم للآخر. انظر فتح البارى ٧/ ٤٩٢.

(٦) خرم فى، ص من هنا حتى خبر الحجاج بن علاط البهزى فى صفحة ٣٤٣.

(٧) البخارى (٢٨٢٧).

(٨) فى الأصل، م: «بعد حديث». والمثبت من البخارى. وهو الأنسب للسياق.

عَنْبَسَةَ بنِ سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بخيبرَ بعدَ ما افْتَتَحها[1] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أسْهِمْ لى . فقال بعضُ آلِ سعيدِ بنِ العاصِ : لا تَقْسِمْ له . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا قاتِلُ ابنِ قَوْقَلٍ . الحديثَ . قال سفيانُ : حدَّثَنِيه السَّعِيدىُّ - يعنى عمرَو بنَ يَحْيَى بنِ سعيدٍ - عن جَدِّه ، عن أبى هريرةَ بهذا . ففى هذا الحديثِ التصريحُ مِن أبى هريرةَ بأنه لم يَشْهَدْ خيبرَ ، وتقدَّم فى أولِ هذه الغزوةِ ، رَواه الإمامُ أحمدُ مِن طريقِ عِراكِ بنِ مالكٍ ، عن أبى هريرةَ ، وأنه قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ ما افْتَتَح خيبرَ ، فكلَّم المسلمين ، فأشْرَكونا فى أسْهامِهم[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا رَوْحٌ ، ثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن عَمَّارِ بنِ أبى عَمَّارٍ قال : [4]قال أبو هريرةَ[4] : ما شهِدْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مَغْنمًا قطُّ إلا قسَم لى ، إلّا خيبرَ ، فإنها كانت لأهلِ الحُدَيْبيةِ خاصةً .

قلت : وكان أبو هريرةَ وأبو موسى ، جاءا بينَ الحُدَيْبيةِ وخيبرَ .

وقد قال البخارىُّ[5] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا مُعاويةُ بنُ عمرٍو ، ثنا أبو إسحاقَ ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، حدَّثنى ثَوْرٌ ، حدَّثنى سالمٌ ، مَوْلَى عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ ، أنه سَمِع أبا هريرةَ يقولُ : افتَتَحْنا خيبرَ ، فلم نَغْنَمْ ذهبًا ولا فضةً ، إنما

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى البخارى : « افتتحوها » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٥٠ ، حاشية (١١) .

(٣) المسند ٢/ ٥٣٥ . قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥٥ : رواه أحمد ، وفيه على بن زيد وهو سَيِّئ الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من المسند .

(٥) البخارى (٤٢٣٤) .

غَنِمْنا الإبلَ، والبقرَ، والمَتاعَ، والحَوائطَ، ثُم انصَرَفْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى وادى القُرَى، ومعه عبدٌ له يقالُ له: مِدْعَمٌ. أهْداه له بعضُ بنى الضُّبَيْبِ[1]، فبينما هو يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ جاءه سهمٌ عائرٌ[2]، حتى أصاب ذلك العبدَ، فقال الناسُ: هَنِيئًا له الشهادةُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كلا، والذى نفسى بيدِه إنَّ الشَّمْلَةَ التى أصابها يومَ خَيْبَرَ، لم تُصِبْها المَقاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عليه نارًا». فجاء رجلٌ حينَ سَمِع ذلك مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بشِراكٍ أو شِراكَيْن فقال: هذا شىءٌ كنتُ أصَبْتُه. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «شِراكٌ أو شِراكان مِن نارٍ».

---

(١) كذا فى الأصل، م. وفى البخارى «الضِّباب». والضُّبَيْب، بضم أوله بصيغة التصغير. وهو لفظ رواية مسلم (١٨٣). انظر فتح البارى ٧/ ٤٨٩.

(٢) العائر: أى لا يُدْرَى من رمى به. وقيل: هو الحائل عن القصد. المصدر السابق.

[٣/ ٨٠ظ] ذِكْرُ[1] قِصَّةِ الشَّاةِ المَسْمومَةِ، وَ[2]ما كان مِن أمرِ[2] البُرهانِ الذى ظهَر عِندَها[1]

قال البخاريُّ[3] : رَواه عروةُ، عن عائشةَ، عن النبيِّ ﷺ. ثُم قال[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ، ثنا اللَّيْثُ، حدَّثنى سعيدٌ، عن أبى هريرةَ قال : لما فُتِحت خَيْبرُ أُهْدِيَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ. هكذا أوْرَده هـٰهنا مُخْتَصرًا.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا حَجَّاجٌ، ثنا لَيْثٌ، عن سعيدِ بنِ أبى سَعِيدٍ[6]، عن أبى هريرةَ قال : لما فُتِحت خيبرُ أُهْدِيَت للنبيِّ ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «اجْمَعوا لى مَن كان هـٰهنا مِن اليهودِ». فجُمِعوا له، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «إنى سائلُكم عن شىءٍ، فهل أنتم صادقىَّ عنه؟» قالوا : نعم يا أبا القاسمِ. فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : «مَن أبوكم؟» قالوا : أبونا فُلانٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «كذَبْتُم، بل أَبوكم فُلانٌ». قالوا :

---

(١) سقط من : م.

(٢ - ٢) سقط من : م.

(٣) باب الشاة التى سُمت للنبى ﷺ بخيبر، من كتاب المغازى. فتح البارى ٧/ ٤٩٧.

(٤) البخارى (٤٢٤٩).

(٥) المسند ٢/ ٤٥١.

(٦) بعده فى المسند : «عن أبيه». والحديث ذكره المصنف هنا من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة. وكذا الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند ٧/ ٢٥٤.

صدَقْتَ وبرَرْتَ . فقال : « هل أنتم صادقيَّ عن شيءٍ إن[1] سألْتُكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسمِ ، وإن كذَبْناك[2] عرَفْتَ كَذِبَنا ، كما عرَفْتَه فى أبينا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أهلُ النارِ ؟ » . فقالوا : نكونُ فيها يسيرًا ، ثُم تَخْلُفونا فيها . فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « واللَّهِ لا نَخْلُفُكم فيها أبدًا » . ثُم قال لهم : « هل أنتم صادقيَّ عن شيءٍ[3] سألْتُكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسمِ . فقال : « هل جعَلْتُم فى هذه الشاةِ سُمًّا ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حمَلَكم على ذلك ؟ » . قالوا : أرَدْنا إن كنتَ كاذبًا أن نَسْتريحَ مِنك ، وإن كنتَ نبيًّا لم يَضُرَّك .

وقد رَواه البخاريُّ فى الجِزْيةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسُفَ[4] ، وفى المغازى أيضًا ، عن قُتَيْبةَ[5] كِلاهما عن اللَّيْثِ ، به .

وقال البيهقيُّ[6] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنا أبو العباسِ الأصَمُّ[7] ، حدَّثنا سعيدُ بنُ سُليمانَ ، ثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، عن سفيانَ بنِ حُسَيْنٍ ، عن الزهْرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، وأبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ

---

(١) فى م : « إذا » .

(٢) فى الأصل ، م : « كذبنا » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) بعده فى م : « إذا » .

(٤) البخارى (٣١٦٩) .

(٥) البخارى (٥٧٧٧) ورواية البخارى عن قتيبة فى كتاب الطب وليس المغازى كما ذكر المصنف ، وأما روايته عن عبد الله بن يوسف ففى الجزية والمغازى ، وهى الرواية المختصرة التى تقدمت فى الصفحة السابقة . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٤٨٤.

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٢٥٩، ٢٦٠.

(٧) بعده عند البيهقى : حدثنا العباس بن محمد .

أن امرأةً مِن اليهودِ أهْدَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً مَسمومةً، فقال لأصحابِه: «أمْسِكوا؛ فإنها مَسمومةٌ». وقال لها: ما حَمَلكِ على ما صنَعْتِ؟» قالت: أرَدْتُ أن أعْلَمَ؛ إن كنتَ نبيًّا فسَيُطْلِعُك اللَّهُ عليه، وإن كنتَ كاذبًا أُرِيحُ الناسَ منك. قال: فما عرَض لها رسولُ اللَّهِ ﷺ. رَواه أبو داودَ، عن هارونَ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن سعيدِ بنِ سليمانَ، به[1]. [٣/ ٨١و] ثُم رَوى البيهقيُّ، عن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ أبى نَضْرةَ، عن أبيه، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ نحوَ ذلك[2].

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا سُرَيْجٌ[4]، ثنا عَبَّادٌ، عن هِلالٍ - هو ابنُ خَبَّابٍ - عن عِكْرمةَ، عن ابنِ عباسٍ أن امرأةً مِن اليهودِ أهْدَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً مسمومةً، فأرْسَل إليها، فقال: «ما حَمَلكِ على ما صنَعْتِ؟» قالت: أحْبَبْتُ - أو: أرَدْتُ - إن كنتَ نبيًّا فإن اللَّهَ سيُطْلِعُك عليه، وإن لم تَكُنْ نبيًّا أُرِيحُ الناسَ منك. قال: فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا وجَد مِن ذلك شيئًا احْتَجم. قال: فسافر مرةً، فلمَّا أحْرَمَ وجَد مِن ذلك شيئًا فاحْتَجم. تفرَّد به أحمدُ، وإسنادُه حسنٌ.

وفى «الصحيحين»[5] مِن حديثِ شُعبةَ، عن هشامِ بنِ زيدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن امرأةً يهوديَّةً أتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ، فأكَل منها، فجِيء بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فسألَها عن ذلك. قالت: أرَدْتُ لِأقْتُلَك. فقال: «ما

---

(١) أبو داود (٤٥٠٩). ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٩٧٢).

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٠.

(٣) المسند ١/ ٣٠٥، ٣٠٦. (إسناده صحيح).

(٤) فى الأصل: «سريح». وفى م: «شريح». والمثبت من مصدر التخريج، وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢١٨.

(٥) البخارى (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

كان اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ علىَّ » . أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا نَقْتُلُها[1] ؟ قال : « لا » . قال أنسٌ : فمازِلْتُ أعْرِفُها فى لَهَواتِ[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْرىُّ[4] ، ثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : كان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ أن يهوديَّةً مِن أهلِ خيبرَ سمَّت شاةً مَصْلِيَّةً[5] ، ثُم أهْدَتْها لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ الذِّراعَ ، فأكَل منها ، وأكَل رَهْطٌ مِن أصحابِه معه ، ثُم قال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَعوا أيديَكم » . وأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المرأةِ ، فدَعاها فقال لها : « أسَمَمْتِ هذه الشاةَ ؟ » قالت اليهوديَّةُ : مَن أخْبَرَك ؟ قال : « أخْبَرَتْنى هذه التى فى يدى » . وهى الذِّراعُ . قالت : نعم[6] . قال : « فما أرَدْتِ بذلك ؟ » قالت : قلْتُ : إن كنتَ نبيًّا فلن تَضُرَّك ، وإن لم تَكُنْ نبيًّا اسْتَرَحْنا منكَ[7] . فعَفا عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولم يُعاقِبْها ، وتُوُفِّىَ بعضُ أصحابِه الذين أكَلوا مِن الشاةِ ، واحْتَجم النبىُّ ﷺ على كاهِلِه ، مِن أجلِ الذى

---

(١) فى م : « تقتلها » .

(٢) قال الحافظ : لهوات ، بفتح اللام جمع لهاة ، وهو سقف الفم أو اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل : هى أقصى الحلق ، وقيل : ما يبدو من الفم عند التبسم . وقال فى موضع آخر : ومراد أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه المرض من تلك الأكلة أحيانًا . وقال القرطبى : ويحتمل أن يكون أراد أنه يعرف ذلك فى اللهوات بتغير لونها أو بنتوء فيها أو تحفير . فتح البارى ٥/ ٢٣٢، ١٠/ ٢٤٧.

(٣) أبو داود (٤٥١٠) مرسل . وسيأتى موصولًا فى الرواية الآتية . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٩٧٣) .

(٤) فى الأصل : « النهرى » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٠٩.

(٥) أى مَشويّة .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى الأصل : « منه » . وكلام المرأة فى رواية أبى داود هذه بضمير الغائب ، وليس كما هنا بضمير المخاطب .

أكَل مِن الشاةِ، حجَمه أبو هندَ بالقَرْنِ والشَّفْرةِ، وهو مَوْلًى لِبنى بَياضةَ مِن الأنصارِ.

ثُم قال أبو داودَ[1]: حدَّثنا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ، ثنا خالدٌ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، عن أبى سَلَمَةَ [٣/ ٨١ظ] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أَهْدَت له يهوديَّةٌ بخيبرَ شاةً مَصْلِيَّةً، نحوَ حديثِ جابرٍ، قال: فمات بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ، فأرْسَل إلى اليهوديَّةِ، فقال: «ما حمَلَكِ على الذى صنَعْتِ؟» فذكَر نحوَ حديثِ جابرٍ، فأمَر بها[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ فقُتِلت. ولم يَذْكُرْ أمْرَ[3] الحِجامةِ.

قال البيهقىُّ[4]: ورَوْيناه مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، [5]عن أبى سَلَمةَ[5]، عن أبى هريرةَ قال[6]: ويَحْتَمِلُ أنه لم يَقْتُلْها فى الابتداءِ، ثُم لما مات بِشْرُ بنُ البَراءِ أمَر بقتلِها.

وروَى البيهقىُّ[7] مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزهْرىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، أن امرأةً يهوديَّةً أهْدَت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً مَصْلِيَّةً بخيبرَ، فقال: «ما هذه؟» قالت: هَدِيَّةٌ. وحَذِرت أن تقولَ: صدقةٌ. فلا يَأْكُلَ. قال: فأكَل وأصحابُه، ثُم قال[8]: «أمْسِكوا». ثم قال

---

(١) أبو داود (٤٥١١). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٨٣).

(٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «أثر».

(٤) دلائل النبوة ٤/٢٦٢، ٢٦٣.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) أى البيهقى.

(٧) دلائل النبوة ٤/٢٦٠، ٢٦١.

(٨) سقط من: الأصل.

للمرأةِ : « هل سَمَمْتِ [1] هذه الشَّاةَ [1] ؟ » قالت : مَن أخْبَرَك هذا ؟ قال : « هذا العَظْمُ » . لِساقِها ، وهو فى يدِه . قالت : نعم . قال : « لِمَ ؟ » قالت : أرَدْتُ إن كنتَ كاذبًا أن نَسْتَرِيحَ منك ، وإن كنتَ نبيًّا لم يَضُرَّك . قال : فاحْتَجم رسولُ اللَّهِ ﷺ على الكاهِلِ ، وأمَر أصحابَه فاحْتَجَموا ، ومات بعضُهم . قال الزهْرِىُّ [2] : فأسْلَمَتْ ، فترَكها النبىُّ ﷺ . قال البيهقىُّ [3] : هذا مُرسلٌ ، ولعله قد يكونُ عبدُ الرحمنِ حمَله عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رضى اللَّهُ عنه .

وذكَر ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الأسودِ ، عن عُروةَ ، وكذلك موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهرىِّ قالوا [4] : لما فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ ، وقتَل منهم مَن قتَل ، أَهْدَت زينبُ بنتُ الحارثِ اليهوديَّةُ - وهى ابنةُ أخى مَرْحَبٍ - لِصَفِيَّةَ شاةً مَصْلِيَّةً وسمَّتْها ، وأكْثَرَت فى الكَتِفِ والذِّراعِ ؛ لأنه بلَغها أنه أحبُّ أعضاءِ الشاةِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على صَفِيَّةَ ، ومعه بِشْرُ بنُ البرَاءِ بنِ مَعْرورٍ ، وهو أحدُ [5] بنى سَلِمةَ ، فقدَّمَت إليهم الشاةَ المَصْلِيَّةَ ، فتَناول رسولُ اللَّهِ ﷺ الكَتِفَ ، وانتَهَش منها ، وتَناوَل بِشرٌ عَظْمًا فانتَهَش منه ، فلما استَرَط [6] رسولُ اللَّهِ ﷺ لُقْمَتَه ، اسْتَرط بشرُ بنُ البَراءِ ما فى فيه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَعوا أيديَكم ؛ فإنَّ كَتِفَ هذه الشاةِ يُخْبِرُنى [7] أنى نُعِيتُ [7] فيها » .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الدلائل .

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق ٤/٢٦٣ ، ٢٦٤.

(٥) كذا بالنسخ ، وفى الدلائل : « أخو » .

(٦) استرط : ابتلع . الوسيط (س ر ط) .

(٧ - ٧) فى الدلائل : « أن قد بُغيتُ » . ويقال : نعاه لنا ونعاه إلينا : أخبرنا بموته . الوسيط (ن ع ى) .

فقال بِشْرُ بنُ البَرَاءِ: والذى أكْرَمَك لقد وجَدْتُ ذلك فى أكْلَتى التى أكَلْتُ، فما منَعنى أن[1] أَلْفِظَها إلا أنِّى أعْظَمْتُك أن أُنَغِّصَك[2] طعامَك، فلمَّا [٣/ ٨٢و] أسَغْتَ ما فى فيك، لم أرْغَبْ بنفسى عن نفسِك، ورجَوْتُ أن لا تكونَ استَرَطْتَها وفيها نَعْىٌ[3]. فلم يَقُمْ بِشْرٌ مِن مَكانِه حتى عاد لونُه كالطَّيْلَسانِ[4]، وماطلَه وجَعُه، حتى كان لا يَتحَوَّلُ حتى يُحَوَّلَ. قال الزُّهرىُّ[5]: قال جابرٌ: واحْتَجَمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ، حجَمَه مولَى بنى بَياضةَ بالقَرْنِ والشَّفْرةِ، وبقِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَه ثلاثَ سنين، حتى كان وجَعُه الذى تُوُفِّىَ فيه، فقال: «مازِلْتُ أجِدُ مِن الأُكْلةِ التى أكَلْتُ مِن الشاةِ يومَ خيبرَ عِدادًا[6]، حتى كان هذا أوانَ انقطاعِ أَبْهَرِى[7]». فتُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ شهيدًا.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[8]: فلمَّا اطْمَأن رسولُ اللَّهِ ﷺ أَهْدَت له زينبُ بنتُ الحارثِ امرأةُ سَلَّامِ بنِ مِشكَمٍ شاةً مَصْلِيَّةً، وقد سألت: أىُّ عُضْوٍ أَحَبُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقيل لها: الذِّراعُ. فأكْثَرت فيها مِن السُّمِّ، ثُم سَمَّت سائرَ الشاةِ، ثُم جاءت بها، فلمَّا وضَعَتْها بينَ يديه، تَناوَل الذِّراعَ، فَلاكَ

---

(١) فى الأصل: «أنى».

(٢) فى م: «أبغضك».

(٣) فى الأصل: «بنعى». وفى الدلائل: «بغى».

(٤) قال الحافظ: يعنى أصفر شديد الصفرة. فتح البارى ١٠/ ٢٤٧.

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٤.

(٦) العِداد: وقت الموت. ويقال: هذا عِداد الحمَّى. أى وقتها الذى تعود فيه. وبه مرض عِداد: يدعُه زمنًا ثم يعاوِده. انظر الوسيط (ع د د).

(٧) قال الحافظ: قال أهل اللغة: الأبهر: عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه. فتح البارى ٨/ ١٣١.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨.

منها مُضْغَةً فلم يُسِغْها، ومعه بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرورٍ، قد أخَذ منها كما أخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ فأمَّا بِشْرٌ فأساغها، وأما رسولُ اللَّهِ ﷺ فلفَظها، ثُم قال: «إنَّ هذا العَظْمَ يُخْبِرُنى أنه مَسْمومٌ». ثُم دَعا بها، فاعْتَرفت، فقال: «ما حمَلكِ على ذلك؟» قالت: بلَغْتَ مِن قومى ما لم يَخْفَ عليك. فقلتُ: إن كان كذَّابًا[1] اسْتَرَحْتُ منه، وإن كان نبيًّا فسَيُخْبَرُ. قال: فتَجاوَز عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ومات بِشْرٌ مِن أكْلتِه التى أكَل.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثنى مَرْوانُ بنُ عثمانَ بنِ أبى سعيدِ بنِ المُعَلَّى قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد قال فى مرضِه الذى تُوُفِّىَ فيه - ودَخَلَتْ عليه [3]أُمُّ بِشْرٍ بنتُ[3] البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ -: «يا أُمَّ بِشْرٍ، إنَّ هذا الأَوانَ وجَدْتُ انقطاعَ أبْهَرِى مِن الأُكْلةِ التى أكَلْتُ مع أخيك[4] بخيبرَ». [5]قال ابنُ هشامٍ: الأبْهَرُ: العِرْقُ المُعَلَّقُ بالقَلْبِ[5]. قال: فإن كان المسلمون لَيَرَوْن أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مات شهيدًا، مع ما أكْرَمه اللَّهُ به مِن النبوةِ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[6]: حدَّثنا هِلالُ بنُ بِشْرٍ وسليمانُ بنُ سَيْفٍ[7]

---

(١) فى السيرة: «ملكا».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٨.

(٣ - ٣) فى الأصل: «أم بشر بن»، وفى م: «أخت بشر بن». والمثبت من السيرة. وانظر الاستيعاب ٤/ ١٩٢٦، ١٩٢٧، وأسد الغابة ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) فى الأصل: «ابنك».

(٥ - ٥) كذا فى الأصل، م. وقول ابن هشام لم نجده فى مظانه من السيرة ولم يرد فى غريب السيرة لأبى ذر، ولا الروض الأنف.

(٦) كشف الأستار (٢٤٢٤).

(٧) فى م: «يوسف». وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٥٠.

الحرَّانىُّ قالا : ثنا أبو عَتَّابٍ[1] سهلُ بنُ حمادٍ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ أبى نَضْرةَ ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، أن يهوديَّةً أهْدَت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً سَمِيطًا[2] ، فلما بسَط القومُ أيديَهم ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/٨٢ظ] « أمْسِكوا ، فإنَّ عُضْوًا مِن أعضائِها يُخْبِرُنى أنها مسمومةٌ » . فأرْسَل إلى صاحبتِها : « أسمَمْتِ طعامَكِ ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حمَلكِ على ذلك ؟ » قالت : أَحْبَبْتُ[3] إن كنتَ كاذبًا أن أُرِيحَ الناسَ منك ، وإن كنتَ صادقًا علِمْتُ أن اللَّهَ سيُطْلِعُكَ عليه . فبسَط يدَه وقال : « كلوا بسمِ اللَّهِ » . قال : فأكَلْنا وذكَرْنا اسمَ اللَّهِ ، فلم يَضُرَّ أحدًا منا . ثُم قال[4] : لا يُرْوَى عن عبدِ الملكِ بنِ أبى نَضْرةَ إلَّا مِن هذا الوجهِ .

قلتُ : وفيه نَكارةٌ وغرابةٌ شديدةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وذكَر الواقدىُّ[5] أن عُيَيْنةَ بنَ حِصْنٍ قبلَ أن يُسْلِمَ رأَى فى منامِه رُؤْيَا ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُحاصِرٌ خيبرَ ، فطَمِع مِن رُؤْياه أنه يُقاتِلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فيَظْفَرُ به ، فلمَّا قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ خيبرَ وَجَده قد افتَتَحها ، فقال : يا محمدُ ، أَعْطِنى ما غَنِمْتَ مِن حُلَفائى - يعنى أهلَ خيبرَ - فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كذَبَتْ رُؤْياك » . وأخْبَرَه بما رأَى ، فرجَع عُيَيْنةُ ، فلقِيَه الحارثُ بنُ عوفٍ فقال : ألم أقُلْ إنك تُوضِعُ فى غيرِ شىءٍ ؟! واللَّهِ لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على ما

---

(١) فى م ، وكشف الأستار : « أبو غياث » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٧٩.

(٢) سميطا : مشوية . اللسان (س م ط) .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من كشف الأستار .

(٤) أى الحافظ البزار .

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٦٧٥، ٦٧٦.

بينَ المشرقِ والمغربِ ، وإنَّ يهودَ كانوا يُخْبِروننا بهذا ، أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أبا رافعٍ سلَّامَ بنَ أبى الحُقَيْقِ يقولُ : إنا لَنَحْسُدُ محمدًا على النبوةِ حيث خرَجت مِن بنى هارونَ ، إنه لمُرْسَلٌ ، ويهودُ لا تُطاوِعُنى على هذا ، ولنا منه ذَبْحان ؛ واحدٌ بيثْرِبَ ، وآخرُ بخيبرَ . قال الحارثُ : قلتُ لسَلَّامٍ : يَمْلِكُ الأرضَ ؟! قال : نعم والتوراةِ التى أُنْزِلت على موسى ، وما أُحِبُّ أن تَعْلَمَ يهودُ بقولى فيه .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ ، انصَرَف إلى وادى القُرَى ، فحاصَر أهلَها ليالىَ ، ثُم انصَرَف راجعًا إلى المدينةِ . ثُم ذكَر مِن قصةِ مِدْعَم ، وكيف جاءه سَهْمٌ غارِبٌ فقتَله ، وقال الناسُ : هَنِيئًا له الشهادةُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلَّا والذى نفسى بيدِه ، إن الشَّمْلةَ التى أخَذها يومَ خيبرَ ، لم تُصِبْها المَقاسِمُ ، لتَشْتَعِلُ عليه نارًا » . وقد تقدَّم فى « صحيحِ البخارىِّ » نحوُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ[2] . واللَّهُ أعلمُ . وسيأتى ذكرُ قتالِه ، عليه السلامُ ، بوادى القُرَى .

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، [4]عن يحيى بنِ سعيدٍ[4] ، عن محمدِ بنِ يَحْيَى بنِ حَبَّانَ ، عن أبى عَمْرةَ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنىِّ ، أن رجلًا مِن أشْجَعَ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ يومَ خَيْبرَ ، فذُكِر ذلك للنبىِّ ﷺ ، فقال : « صلُّوا على صاحِبِكم » . فتغيَّر [٣/٨٣و] وجوهُ الناسِ مِن ذلك ، فقال : « إن صاحبَكم غَلَّ فى سبيلِ اللَّهِ » . ففتَّشْنا مَتاعَه ، فوجَدْنا خَرَزًا مِن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٢٢ .

(٣) المسند ٥/ ١٩٢.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، والمسند . والمثبت من أطراف المسند ٢/ ٤١٣. ويحيى بن سعيد - الأول - هو ابن فروخ القطان ، والثانى هو ابن قيس بن عمرو الأنصارى . وانظر ما سيأتى عن أبى داود والنسائى وابن ماجه . وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩- ٣٣٢، ٣٤٦- ٣٥١.

خَرَزِ يهودَ ما يُساوِى دِرْهَمين. وهكذا رواه أبو داودَ والنَّسائىُّ مِن حديثِ يَحْيَى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ - زاد[1] أبو داودَ: وبِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ - وابنُ ماجه مِن حديثِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ، ثلاثتُهم عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ، به[2].

وقد ذكَر البيهقىُّ[3] أن بنى فَزارةَ أرادوا أن يُقاتِلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرْجِعَه مِن خيبرَ، وتجَمَّعوا لذلك، فبعَث إليهم يُواعِدُهم مَوضِعًا مُعَيَّنًا، فلمَّا تحقَّقوا ذلك، هرَبوا كلَّ مَهْرَبٍ، وذهَبوا مِن طريقِه كلَّ مَذْهَبٍ. وتقدَّم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما حَلَّت صفيةُ مِن استِبْرائِها، دخَل بها بمكانٍ يقالُ له: سَدُّ الصَّهْباءِ. فى أثناءِ طريقِه إلى المدينةِ، وأوْلَم عليها بحَيْسٍ، وأقام ثلاثةَ أيامٍ يُبْنَى عليه بها، وأسْلَمت، فأعْتَقها وتزَوَّجها، وجعَل عِتاقَها صَداقَها، وكانت إحدى أمهاتِ المؤمنين، كما فَهِمه الصحابةُ لَمَّا مَدَّ عليها الحِجابَ وهو مُرْدِفُها وراءَه، رضىَ اللَّهُ عنها.

وذكر محمدُ بنُ إسحاقَ فى «السيرةِ»[4] قال: لمَّا أعْرَس رسولُ اللَّهِ ﷺ بصفيةَ بخيبرَ، أو ببعضِ الطريقِ، وكانت التى جَمَّلَتْها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومشَّطَتها، وأصْلَحت مِن أمرِها أمُّ سُلَيْمٍ بنتُ مِلْحانَ، أمُّ أنسِ بنِ مالكٍ، وبات بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قُبَّةٍ له، وبات أبو أيوبَ مُتَوَشِّحًا سيفَه، يَحْرُسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، ويُطِيفُ بالقُبَّةِ حتى أصْبَح، فلمَّا رأى رسولُ اللَّهِ ﷺ مكانَه قال:

---

(١) فى م: «ورواه».

(٢) أبو داود (٢٧١٠)، والنسائى (١٩٥٨)، وابن ماجه (٢٨٤٨). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٧٩).

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠.

« ما لك يا أبا أيوبَ ؟ » قال : خِفْتُ عليك مِن هذه المرأةِ ، وكانت امرأةً قد قتَلْتَ أباها وزوجَها وقومَها ، وكانت حديثةَ عهدٍ بكفرٍ ، فخِفْتُها عليك . فزعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللَّهم احفَظْ أبا أيوبَ كما بات يَحْفَظُنى » . ثم قال[1] : حدَّثنى الزُّهْرِىُّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ . فذكَر نومَهم عن صلاةِ الصُّبحِ مَرْجِعَهم مِن خيبرَ ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان أولَهم استيقاظًا ، فقال : « ماذا صنَعْتَ بنا يا بلالُ ؟! » قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أخَذ بنفسى الذى أخَذ بنفسِك . قال : « صدَقْتَ » . ثم اقْتادَ ناقتَه غيرَ كثيرٍ ، ثم نزَل فتوَضَّأَ ، وصلَّى كما كان يُصليها قبلَ ذلك . وهكذا رَواه مالكٌ ، عن الزهْرِىِّ ، عن سعيدٍ مرسلًا[2] . وهذا مرسلٌ مِن هذا الوجْهِ .

وقد قال أبو داودَ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، ثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرَنى [٣/ ٨٣ظ] يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ قفَل مِن غزوةِ خيبرَ ، فسار ليلةً ، حتى إذا أدْرَكَنا الكَرَى عرَّس[4] ، وقال لبلالٍ : « اكْلَأْ لنا الليلَ » . قال : فغلَبَتْ بلالًا عيناه وهو مُسْتَنِدٌ إلى راحلتِه ، فلم يَسْتَيْقِظِ النبىُّ ﷺ ولا بلالٌ ، ولا أحدٌ مِن أصحابِه ، حتى ضرَبَتْهم الشمسُ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أوَّلَهم استيقاظًا ، ففزِع رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « يا بلالُ ! » قال : أخَذ بنفسى الذى أخَذ بنفسِك ، بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللَّهِ . قال : فاقْتادوا رَواحلَهم شيئًا ، ثُم توَضَّأ رسولُ اللَّهِ ﷺ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٠.

(٢) الموطأ (٢٥) .

(٣) أبو داود (٤٣٥) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٢٠) .

(٤) الكرى : النعاس . وعرَّس المسافرون : أعرسوا أى نزلوا آخر الليل للراحة . الوسيط (ك ر و) (ع ر س) .

وأمَر بلالًا فأقام لهم[1] الصلاةَ، وصلَّى بهم الصبحَ، فلمَّا أن قضَى الصلاةَ قال: «مَن نَسِيَ صلاةً فَلْيُصَلِّها إذا ذكرَها، فإن اللَّهَ تعالى قال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِلذِّكْرَىٰ ﴾» [طه: ١٤]. قال يونُسُ: وكان ابنُ شِهابٍ يَقْرَأُها كذلك.

وهكذا رَواه مسلمٌ، عن حَرْمَلَةَ بنِ يَحيى، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وَهْبٍ، به[2].

وفيه: أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن خيبرَ.

وفى حديثِ شعبةَ، عن جامعِ بنِ شَدَّادٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَلْقَمةَ، عن ابنِ مسعودٍ أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن الحُدَيْبيةِ، ففى روايةٍ عنه أن بلالًا هو الذى كان يكْلَؤُهم. وفى روايةٍ أنه هو الذى كان يَكْلَؤُهم[3].

قال الحافظُ البيهقىُّ[4]: فيَحْتَمِلُ أن ذلك كان مرتين. قال: وفى حديثِ عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ وأبى قَتادةَ نومُهم عن الصلاةِ، وفيه حديثُ الميضَأَةِ، فيَحْتَمِلُ أن ذلك إحدى هاتين المرتين، أو مرةٌ ثالثةٌ. قال: وذكَر الواقدىُّ فى حديثِ أبى قَتادةَ أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن غزوةِ تَبوكَ. قال: وروَى زافرُ بنُ سليمانَ، عن شعبةَ، عن جامعِ بنِ شَدَّادٍ، عن عبدِ الرحمنِ، عن ابنِ مسعودٍ

---

(١) سقط من: م.

(٢) مسلم (٦٨٠).

(٣) أخرج الرواية الأولى أبو داود (٤٤٧)، والإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٨٦، والنسائى فى الكبرى (٨٨٥٣) عن شعبة به. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٠).

وأخرج الرواية الثانية الإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٩١، والنسائى فى الكبرى (٨٨٥٤)، وأبو يعلى فى مسنده (٥٢٨٥) كلهم من طريق عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن جامع بن شداد به. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ٣١٨، ٣١٩. رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير، وأبو يعلى باختصار عنهم، وفيه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى، قد اختلط فى آخر عمره.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٧٥.

أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن تبوكَ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثُم أوْرَد البيهقيُّ[1] ما رَواه صاحبُ «الصَّحيحِ»[2] مِن قصةِ عَوْفٍ الأعرابيِّ ، عن أبى رَجاءٍ ، عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ فى قصةِ نومِهم عن الصلاةِ ، وقصةِ المرأةِ صاحبةِ السَّطِيحَتَيْنِ[3] ، وكيف أخَذوا منهما ماءً رَوَى الجيشَ بكَمالِه ، ولم يَنْقُصْ ذلك منهما شيئًا . ثم ذَكَر ما رَواه مسلمٌ[4] من حديثِ ثابتٍ البُنانيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى قَتادةَ ، وهو حديثٌ طويلٌ ، وفيه نومُهم عن الصلاةِ ، وتَكْثِيرُ الماءِ مِن تلك المِيضَأَةِ . وقد رَواه عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قَتادةَ[5] .

وقال البخاريُّ[6] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ الواحدِ ، عن عاصمٍ ، عن أبى عُثمانَ ، [٨٤/٣و] عن أبى موسى الأشْعريِّ قال : لما غَزا رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ - أو قال : لما توَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ[7] - أشرف الناسُ على وادٍ ، فرفعوا أصواتَهم بالتكبيرِ : اللَّهُ أكبرُ ، [8]اللَّهُ أكبرُ[8] ، لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «ارْبَعُوا[9] على أنفسِكم ، إنكم لا تَدْعون أصَمَّ ولا غائبًا ، إنكم

---

(١) دلائل النبوة ٤/٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) البخارى (٣٤٤) .

(٣) السطيحة : المزادة . وهى القِربة .

(٤) دلائل النبوة ٤/٢٨٢ - ٢٨٥. والحديث فى صحيح مسلم (٦٨١) .

(٥) مصنف عبد الرزاق (٢٠٥٣٨) . وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٢٨٥، ٢٨٦، من طريق عبد الرزاق به .

(٦) البخارى (٤٢٠٥) .

(٧) بعده فى م : «إلى خيبر» . وهى زيادة مقحمة .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) اربعوا : أى ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم . فتح البارى ١١/ ١٨٨.

تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم» . وأنا خلفَ دابةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسمِعنى وأنا أقولُ : لا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ . فقال : «يا عبدَ اللَّهِ بنَ قيسٍ» . قلتُ : لَبَّيْك يا رسولَ اللَّهِ . قال : «ألَا أَدُلُّك على كلمةٍ مِن كَنْزِ الجنةِ ؟» قلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ ، فِداك أبى وأمى . قال : «لا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ» . وقد رَواه بقيةُ الجماعةِ مِن طُرُقٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ملٍّ[1] ، أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن أبى موسى الأشْعرىِّ[2] . والصوابُ أنه كان مَرْجِعَهم مِن خيبرَ ؛ فإنَّ أبا موسى إنَّما قَدِم بعدَ فتحِ خيبرَ ، كما تقدَّم .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنى ، قد أعْطَى ابنَ لَقِيمٍ[4] العَبْسىَّ حينَ افتَتَح خيبرَ ما بها مِن دَجاجةٍ أو داجِنٍ ، وكان فتحُ خيبرَ فى صَفَرٍ ، فقال ابنُ لَقِيمٍ فى فتحِ خيبرَ :

رُمِيَتْ نَطاةُ مِن الرسولِ بفَيْلَقٍ ... شَهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقارِ[5]

واستَيْقَنَتْ بالذُّلِّ لمَّا شُيِّعَتْ ... ورجالُ أسْلَمَ وَسْطَها وغِفارِ

---

(١) مل : بميم مثلثة . أى يقال فيه بالضم والفتح والكسر . انظر تقريب التهذيب ١/ ٤٩٩.

(٢) مسلم (٢٧٠٤) ، وأبو داود (١٥٢٦- ١٥٢٨) ، والترمذى (٣٤٦١) ، والنسائى فى الكبرى (٧٦٧٩- ٧٦٨١، ٨٨٢٣، ٨٨٢٤، ١٠٣٧١، ١٠٣٧٢، ١١٤٢٧) ، وابن ماجه (٣٠٨٢) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٤) سماه الحافظ فى الإصابة ٥/ ٦٨٨، ٦٨٩: لقيم الدجاج . وذلك نقل عن الجاحظ فى كتابه «الحيوان» ٢/ ٢٧٨. قال الحافظ تعليل لهذا الخلف : فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه . أى أن يكون اسمه لقيم بن لقيم .

(٥) نطاة : قيل : هو اسم أرض خيبر . وقال الزمخشرى : نطاة : حصن بخيبر . وقيل : عين بها تسقى بعض نخيل قراها . معجم البلدان ٤/ ٧٩٢. والفيلق : الكتيبة . وشهباء : كثيرة السلح . وذات مناكب وفقار : يريد بذلك شدتها . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.

صبَحَتْ بنى عمرِو بنِ زُرْعةَ غُدْوَةً والشَّقُّ أظْلَمَ أهلُه بنَهارِ
جَرَّت بأبْطَحِها الذُّيولَ فلم تَدَعْ إلا الدَّجاجَ تَصِيحُ بالأسحارِ
ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ مِن خيلِهم مِن عبدِ الاشْهلِ أو بنى النَّجَّارِ
ومُهاجرِينَ قدَ اعْلَموا سِيماهُمُ فوقَ المَغافِرِ لم يَنُوا[1] لفِرارِ
ولقد عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ محمدٌ ولَيَثْوِيَنَّ بها إلى أصفارِ[2]
فرَّتْ[3] يهودٌ عندَ ذلك فى الوَغَى تحتَ العَجاجِ [4]غَمائمَ الأبْصارِ[4]

فصلٌ

مَن استُشْهِد بخيبرَ مِن الصحابةِ، على ما ذكَره ابنُ إسحاقَ ابنِ يَسارٍ، رحِمه اللَّهُ، وغيرُه مِن أصحابِ المَغازى[5]

فمِن خيرِ المهاجرين؛ رَبيعةُ بنُ أكْثَمَ بنِ سَخْبَرَةَ الأسَدىُّ، مَوْلى بنى أميةَ، وثَقِيفُ بنُ عمرٍو، ورِفاعةُ بنُ مَسْرُوحٍ، حلفاءُ بنى أميةَ، [٣/ ٨٤ظ] وعبدُ اللَّهِ

---

(١) ينوا: يضعفوا ويفتروا. شرح غريب السيرة ٣/ ٤.
(٢) أصفار: جمع صَفَر، يعنى به الشهور. المصدر السابق.
(٣) قال ابن هشام فى السيرة ٢/ ٣٤٢: فرت: كشفت، كما تُفِر الدابة بالكشف عن أسنانها.
(٤ - ٤) فى الأصل: «عمائم الأنصار». قال أبو ذر: الغمائم: جفون العين. قال ابن سراج: ويصح أن تكون عمائم الأنصار. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، وانظر جوامع السيرة ص ٢١٥- ٢١٨.

ابنُ الهُبَيْبِ بنِ أُهَيْبِ بنِ سُحَيْمِ بنِ غِيَرَةَ، مِن بنى سعدِ بنِ ليثٍ، حليفُ بنى أسدٍ وابنُ أختِهم.

ومِن الأنصارِ؛ بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ - مِن أَكَلَةِ الشاةِ المسمومةِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ كما تقدَّم - وفُضَيْلُ بنُ النُّعمانِ السَّلَمِيَّانِ، ومَسعودُ بنُ سعدِ ابنِ قيسِ بنِ خَلَدَةَ[1] بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقِيُّ، ومحمودُ بنُ مَسْلمةَ الأَشْهليُّ، وأبو ضَيَّاحٍ[2] بنُ ثابتِ بنِ النُّعمانِ العَمْرِيُّ، والحارثُ بنُ حاطبٍ، وعروةُ بنُ مُرَّةَ بنِ سُراقةَ، وأوْسٌ الفائدُ[3]، وأُنَيْفُ بنُ حَبِيبٍ، وثابتُ بنُ أَثْلَةَ، وطَلْحةُ[4]، وعُمارةُ بنُ عُقْبةَ، رُمِيَ بسهمٍ فقتَله، وعامرُ بنُ الأكْوعِ[5]، أصابه طَرَفُ سيفِه فى ركبتِه فقتَله، رحِمه اللَّهُ، كما تقدَّم، والأسْودُ الراعى. وقد أفْرَد ابنُ إسحاقَ هـٰهنا قصتَه، وقد أسْلَفْناها فى أوائلِ الغزوةِ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

---

(١) فى الأصل، م: «خالد». والمثبت من سيرة ابن هشام، وجوامع السيرة. وانظر أسد الغابة ٥/ ١٦٢، والإصابة ٦/ ٩٩، ٣٥٨.

(٢) بعده فى الأصل: «وحارثة»، وبعده فى م: «حارثة». وهو خطأ فى كليهما. فاسم أبى الضياح: النعمان، وقيل: عمير. انظر الروض الأنف ٦/ ٥٧٣، وأسد الغابة ٦/ ١٧٨.

(٣) فى الأصل: «الفارض». وفى السيرة: «القائد». والمثبت موافق لبعض ما قيل فى اسمه فى أسد الغابة ١/ ١٧٤، ١٧٥. والإصابة ١/ ١٥٩.

(٤) هكذا ذكره ابن إسحاق غير منسوب. وكذلك فعل أبو عمر فى الاستيعاب ٢/ ٧٧١، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٩٢، وابن حجر فى الإصابة ٣/ ٥٣٧ فقالوا جميعا: طلحة غير منسوب. وقال أبو ذر: هو طلحة بن يحيى بن إسحاق بن مُلَيل بن ضمرة. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.

(٥) بعده فى م: «ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع». وهو خطأ بيّن، فإن سلمة بن عمرو بن الأكوع - وقيل: سلمة بن الأكوع - عُمِّر طويلاً، فقد توفى سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة. وقيل: توفى سنة أربع وستين. انظر أسد الغابة ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وممَّن استُشْهِد بخيبرَ - فيما ذكَره ابنُ شِهابٍ - مِن بنى زُهْرةَ ، مسعودُ بنُ ربيعةَ ، حليفٌ لهم مِن القارَةِ ، ومِن الأنصارِ ثُم مِن بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، أوسُ بنُ قَتادةَ ، رضىَ اللَّهُ عنهم أجمعين .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٤.

(١) خبرُ الحجّاجِ بنِ عِلاطٍ البَهْزىّ، رضىَ اللَّهُ عنه (١)

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : ولما فُتِحت خيبرُ، كلَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ الحجاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمىُّ ثُم البَهْزىُّ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ، إن لى بمكةَ مالًا عندَ صاحبتى أمِّ شَيْبةَ بنتِ أبى طَلْحةَ - وكانت عندَه، له منها مُعَرِّضُ(٣) بنُ الحَجَّاجِ - ومالًا متفرقًا فى تُجَّارِ أهلِ مكةَ، فأْذَنْ لى يا رسولَ اللَّهِ. فأذِن له، فقال : إنه لابد لى يا رسولَ اللَّهِ مِن أن أقولَ. قال : «قُلْ». قال الحجاجُ : فخرَجْتُ حتى إذا قدِمْتُ مكةَ، وجَدْتُ بثَنِيَّةِ البَيْضاءِ(٤) رجالًا مِن قريشٍ يستَمِعون الأخبارَ، ويسْألون عن أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد بلَغهم أنه قد سار إلى خيبرَ، وقد عرَفوا أنها قريةُ الحجازِ؛ رِيفًا ومَنَعةً(٥) ورجالًا، وهم يتَجَسَّسون الأخبارَ مِن الرُّكْبانِ، فلمَّا رَأَوْنى قالوا : الحجاجُ بنُ عِلاطٍ - قال : ولم يكونوا عَلِموا بإسْلامى - عندَه واللَّهِ الخبرُ، أخْبِرْنا يا أبا محمدٍ، فإنه قد بلَغَنا أن القاطعَ قد سار إلى خيبرَ، وهى بلدُ يهودَ ورِيفُ الحِجازِ. قال : قلتُ : قد بلَغنى ذلك، وعندى مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٤٥ - ٣٤٧.

(٣) فى م : «معوض». انظر تبصير المنتبه ٤/ ١٣٠٠.

(٤) ثنية البيضاء : عقبة قرب مكة. معجم البلدان ١/ ٩٣٦.

(٥) فى ص : «سعة».

الخبرِ ما يَسُرُّكم . قال : فالْتَبَطوا بجنبَىْ ناقتى[1] يقولون : إيهِ[2] يا حجاجُ . قال : قلتُ : هُزِم هزيمةً لم تَسْمَعوا بمثلِها قطُّ ، وقد قُتِل أصحابُه قَتْلًا لم تَسْمَعوا بمثلِه قطُّ ، وأُسِر محمدٌ أسْرًا ، وقالوا : لا نَقْتُلُه [٣/ ٨٥و] حتى نَبْعَثَ به إلى مكةَ ، [3]فيَقْتُلوه بينَ أظْهُرِهم بمَن كان أصاب مِن رجالِهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكةَ[3] ، وقالوا : قد جاءكم الخبرُ ، وهذا محمدٌ ، إنما تنْتَظِرون أن يُقْدَمَ به عليكم ، فيُقْتَلَ بينَ أظْهُرِكم . قال : قلتُ : أعِينونى على جمعِ مالى بمكةَ وعلى غُرَمائى ، فإنى أُريدُ أن [4]أقْدَمَ خيبرَ[4] ، فأُصِيبَ مِن فَلِّ[5] محمدٍ وأصحابِه قبلَ أن يَسْبِقَنى التُّجارُ [6]إلى ما هنالك[6] . قال : فقاموا فجَمَعوا لى ما كان لى كأحَثِّ جَمْعٍ[7] سمِعْتُ به . قال : وجئْتُ صاحبتى فقلتُ : مالى - وكان عندَها مالٌ موضوعٌ - فلعلى ألْحَقُ بخيبرَ فأُصِيبَ مِن فُرَصِ البيعِ قبلَ أن يَسْبِقَنى التُّجارُ . قال : فلما سمِع العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ الخبرَ وجاءه عنى ، أقْبَل حتى وقَف إلى جنبى وأنا فى خَيْمةٍ مِن خِيامِ التُّجارِ ، فقال : يا حجاجُ ، ما هذا الذى جئْتَ به ؟! قال : قلتُ : وهل عندَك حِفْظٌ لما وَضَعْتُ عندَك ؟ قال : نعم .

---

(١) فالتبطوا بجنبى ناقتى : مشوا إلى جنبها كمشى العَرَجان - وهى مشية الأعرج - لازدحامهم حولها . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.

(٢) إيه ، كلمة سُمى بها الفعل ومعناها حدثنا . المصدر السابق ٣/ ٥٤، ٥٥.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) فى ص : « ألحق بخيبر » .

(٥) الفل : القوم المنهزمون . أراد : لعلى أشترى مما أصيب من غنائمهم عند الهزيمة . المصدر السابق ٣/ ٥٥، النهاية ٣/ ٤٧٣.

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) كأحث جمع : كأسرعه ، والحثيث السريع . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٥.

قال : قلتُ : فاسْتَأْخِرْ عنّى[1] حتى أَلْقاك على خَلاءٍ ؛ فإنى فى جمعِ مالى كما ترَى ، فانْصَرِفْ عنّى[1] حتى أَفْرُغَ . قال : حتى إذا فرَغْتُ مِن جمعِ كلِّ شىءٍ كان لى بمكةَ ، وأجْمَعْتُ الخروجَ ، لَقِيتُ العباسَ فقلتُ : احْفَظْ علىَّ حديثى يا أبا الفَضْلِ ، فإنى أخْشَى الطَّلَبَ ، ثلاثًا ، ثُم قُلْ ما شِئْتَ . قال : أفْعَلُ . قلتُ : فإنى واللَّهِ لقد ترَكْتُ ابنَ أخيك عَرُوسًا على بنتِ ملِكِهم - يعنى صَفِيةَ بنتَ حُيَىٍّ - وقد افْتَتَح خيبرَ ، وانْتَثَل ما فيها[2] ، وصارت له ولأصحابِه . قال : ما تقولُ يا حجاجُ ؟! قال : قلتُ : إى واللَّهِ ، فاكْتُمْ عنى ، ولقد أسْلَمْتُ ، وما جئْتُ إلَّا لِآخُذَ مالى ؛ فرَقًا مِن أن أُغْلَبَ عليه ، فإذا مضَت ثلاثٌ فأظْهِرْ أمْرَك ، فهو واللَّهِ على ما تُحِبُّ . قال : حتى إذا كان اليومُ الثالثُ ، لبِس العباسُ حُلَّةً له وتخَلَّق[3] وأخَذ عصاه ، ثُم خرَج حتى أتَى الكعبةَ فطاف بها ، فلمَّا رَأَوْه قالوا : يا أبا الفَضْلِ ، هذا واللَّهِ التَّجَلُّدُ لحَرِّ المُصِيبةِ . قال : كلَّا واللَّهِ الذى حلَفْتُم به ، لقد افْتَتَح محمدٌ خيبرَ ، وتُرِك[4] عَرُوسًا على بنتِ ملِكِهم ، وأحْرَز أموالَهم وما فيها ، وأصْبَحَت له ولأصحابِه . قالوا : مَن جاءك بهذا الخبرِ ؟! قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخَل عليكم مُسْلِمًا وأخَذ مالَه ، فانْطَلَق لِيَلْحَقَ بمحمدٍ وأصحابِه فيكونَ معه . فقالوا : يا لَعبادِ اللَّهِ ، انفَلَت عدُوُّ اللَّهِ ، أمَا واللَّهِ لو علِمْنا لَكان لنا وله شأنٌ . قال : ولم يَنْشَبوا[5] أن جاءهم الخبرُ بذلك . هكذا

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى الأصل : « استل » . وانتثل ما فيها : استخرج ما فيها . يقال : نثلت الشىء إذا استخرجته . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٥.

(٣) تخلق : تطيب بالخلوق وهو ضرب من الطيب . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل ، م : « نزل » .

(٥) فى الأصل : « يلبثوا » .

ذكَر ابنُ إسحاقَ هذه القصةَ مُنْقطِعَةً .

وقد أسْنَد ذلك الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ فقال[1] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا مَعْمَرٌ ، سمِعْتُ ثابتًا يُحَدِّثُ عن أنسٍ قال : لما افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ ، قال الحجاجُ بنُ عِلاطٍ : [٣/ ٨٥ظ] يا رسولَ اللَّهِ ، إن لى بمكةَ مالًا ، وإن لى بها أهلًا ، وإنى أريدُ أن آتيَهم ، أفأنا فى حِلٍّ إن أنا نِلْتُ منك أو قلتُ شيئًا ؟ فأذِن له رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يقولَ ما شاء ، فأتَى امرأتَه حينَ قدِم فقال : اجْمعى لى ما كان عندَك ؛ فإنى أُريدُ أن أشترِىَ مِن غَنائمِ محمدٍ وأصحابِه ، فإنهم قد اسْتُبِيحوا وأُصِيبَت أموالُهم . قال : وفشَى ذلك بمكةَ ، فانْقَمَع[2] المسلمون وأظْهَر المشركون فرَحًا وسرورًا . قال : وبلَغ الخبرُ العباسَ فعُقِرَ[3] وجعَل لا يَسْتطيعُ أن يقومَ . قال مَعْمَرٌ : فأخْبرَنى عثمانُ الجَزَرِىُّ[4] ، عن مِقْسَمٍ قال : فأخَذ ابنًا له يقالُ له : قُثَمُ . واسْتَلْقَى ووضَعه على صدرِه وهو يقولُ :

حَىَّ[5] قُثَمْ [6]حَىَّ قُثَمْ[6]

شَبِيهُ ذى الأنفِ الأَشَمْ

---

(١) المسند ٣/ ١٣٨، ١٣٩، قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥٤، ١٥٥: ورواه أحمد ... ورجاله رجال الصحيح .

(٢) فى ص : « فاجتمع » ، وانقمع : أى ذلوا وكأنهم ضُربوا بالمقمعة وهى خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذل ويهان . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٢٢.

(٣) فعقر : أى كأنه ضربت قوائمه بسيف . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل ، م : « الخزرجى » . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٢.

(٥) فى م : « حبى » . وحَىَّ قثم : هَلُمَّ إلىَّ وأقْبل ياقثم . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٢٢.

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

نَبِـــىٌّ ذى النِّعَـــمْ

(١) يُرْغِـــمُ مَن رَغِـــمْ (١)

قال ثابتٌ(٢) ، عن أنسٍ : ثُم أرْسَل غلامًا له إلى الحجاجِ بنِ عِلاطٍ : ويلَك ! ما جئتَ به وماذا تقولُ ؟! فما وعَد اللَّهُ خيرٌ مما جئتَ به ! فقال الحجاجُ بنُ عِلاطٍ لغلامِه(٣) : أَقْرِئْ على أبى الفَضْلِ السلامَ ، وقُلْ له فلْيَخْلُ لى فى بعضِ بيوتِه لآتيَه ، فإنّ الخبرَ على ما يَسُرُّه . فجاء غلامُه ، فلمَّا بلَغ بابَ(٣) الدارِ قال : أبْشِرْ يا أبا الفَضْلِ . قال : فوثَب العباسُ فرَحًا حتى قبَّل بينَ عينيه ، فأخْبَرَه ما قال الحجاجُ فأَعْتَقه . قال : ثُم جاءه الحجاجُ فأخْبرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد افتَتَح خيبرَ وغنِم أموالَهم ، وجرَت سهامُ اللَّهِ فى أموالِهم ، واصْطَفى رسولُ اللَّهِ ﷺ صفيةَ بنتَ حُيَيٍّ واتخَذها لنفسِه ، وخيَّرها أن يُعْتِقَها وتكونَ زوجةً ، أو تَلْحَقَ بأهلِها ، فاخْتارت أن يُعْتِقَها وتكونَ زوجتَه . قال : ولكنى جئتُ لمالٍ كان لى هـٰهنا أرَدْتُ أن أجْمعَه فأذْهَبَ به ، فاسْتَأْذَنْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأذِن لى أن أقولَ ما شئتُ ، فأخْفِ علىَّ ثلاثًا ، ثُم اذْكُرْ ما بَدا لك . قال : فجمَعَت امرأتُه ما كان عندَها مِن حُلِيٍّ ومَتاعٍ ، فجمَعَته ودفَعَته إليه ، ثُم استمرَّ(٤) به ، فلمَّا كان بعدَ ثلاثٍ أتَى العباسُ امرأةَ الحجاجِ ، فقال : ما فعَل زوجُك ؟ فأخْبَرَته أنه

(١ - ١) فى الأصل : « برغم من رغم » . وفى م : « بزعم من زعم » . ويرغم من رغم : يذل الله به من أراد ذله وينصره على أعدائه . بلوغ الأمانى ١٢٢/٢١ .

(٢) بعده فى المسند : « عن حجاج » . ولكن فى المصنف لعبد الرزاق (٩٧٧١) ، والإحسان (٤٥٣٠) ، وجامع المسانيد ١٢١/٢١ كلهم من طريق معمر به : « ثابت عن أنس » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى م : « انشمر » .

ذهَب يومَ كذا وكذا، وقالت: لا يُحْزِنُك[1] اللَّهُ يا أبا الفَضْلِ، لقد شَقَّ علينا الذى بلَغك. قال: أجَلْ، لا يُحْزِنُنى[2] اللَّهُ، ولم يَكُنْ بحمدِ اللَّهِ إلا ما أحْبَبْنا، فتَح اللَّهُ خيبرَ على رسولِه، وجرَت فيها سهامُ اللَّهِ، واصْطَفى رسولُ اللَّهِ ﷺ صفيةَ لنفسِه، فإن كانت لكِ حاجةٌ فى زوجِكِ فالْحَقى به. قالت: أظُنُّك واللَّهِ صادقًا. قال: فإنى صادقٌ، والأمرُ على ما أخْبَرْتُكِ. [٣/ ٨٦و] ثُم ذهَب حتى أتَى مجالسَ قريشٍ، وهم يقولون إذا مَرَّ بهم: لا يُصِيبُك إلا خيرٌ يا أبا الفَضْلِ. قال: لم يُصِبْنى إلا خيرٌ بحمدِ اللَّهِ، أخْبَرَنى الحجاجُ بنُ عِلاطٍ أن خيبرَ فتَحها اللَّهُ على رسولِه، وجرَت فيها سهامُ اللَّهِ، واصْطَفى صفيةَ لنفسِه، وقد سألَنى أن أُخْفِيَ عليه ثلاثًا، وإنما جاء ليأْخُذَ مالَه وما كان له مِن شىءٍ هـٰهنا، ثُم يَذْهَبَ. قال: فردَّ اللَّهُ الكآبةَ التى كانت بالمسلمين على المشركين، وخرَج المسلمون ومَن كان دخَل بيتَه مُكْتَئِبًا حتى أتَوُا العباسَ، فأخْبَرَهم الخبرَ، فسُرَّ المسلمون ورَدَّ اللَّهُ ما كان مِن كآبةٍ أو غيظٍ أو حُزْنٍ على المشركين. وهذا الإسنادُ على شرطِ الشيخَيْن، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ سوى النَّسائىِّ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، عن عبدِ الرزاقِ، به نحوَه[3]. ورَواه الحافظُ البيهقىُّ، مِن طريقِ محمودِ بنِ غَيْلانَ، عن عبدِ الرزاقِ[4]. ورَواه أيضًا مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ، عن زيدِ بنِ المباركِ، عن محمدِ بنِ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، به نحوَه[5].

---

(١) فى المسند: «لا يخزيك».

(٢) فى المسند: «لا يخزينى».

(٣) النسائى فى الكبرى (٨٦٤٦)، مختصرًا.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٨.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٦٦، ٢٦٧.

وكذلك ذكَر موسى بنُ عُقْبةَ فى «مَغازيه»[1] أن قريشًا كان بينَهم تَراهُنٌ عظيمٌ وتَبايُعٌ، منهم مَن يقولُ: يَظْهَرُ محمدٌ وأصحابُه. ومنهم مَن يقولُ: يَظْهَرُ الحَلِيفانِ ويهودُ خيبرَ. وكان الحجاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمىُّ ثُم البَهْزىُّ قد أسْلَم وشهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فتحَ خيبرَ، وكانت تحتَه أمُّ شَيْبةَ أختُ بنى[2] عبدِ الدارِ بنِ قُصَىٍّ، وكان الحجاجُ مُكْثِرًا مِن المالِ، وكانت له مَعادِنُ أرضِ بنى سُلَيْمٍ، فلما ظهَر رسولُ اللَّهِ ﷺ على خيبرَ، اسْتَأْذن الحجَّاجُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الذَّهابِ إلى مكةَ يَجْمَعُ أموالَه، فأذِن له، فذكَر[3] نحوَ ما تقدَّم. واللَّهُ أعلمُ[4].

قال ابنُ إسحاقَ[5]: ومما قيل مِن الشعرِ فى غزوةِ خيبرَ قولُ حسانَ:

بئس ما قاتَلَتْ خَيابِرُ[6] عمَّا ... جَمَّعوا مِن مَزارِعٍ ونَخيلِ

كرِهوا الموتَ فاسْتُبِيحَ حِماهمْ ... وأقَرُّوا فعلَ اللَّئيمِ[7] الذَّلِيلِ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٦٥، ٢٦٦ عن موسى بن عقبة.

(٢) سقط من النسخ، والمثبت من الدلائل.

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) بعده فى ص: «قال السهيلى، رحمه الله: وروينا فى سبب إسلام الحجاج هذا أمرا عجبا مع الجن. قال: وهو والد نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من المدينة بسبب افتتان بعض جوارى المدينة، وفيه تقول الفُرَيْعَة بنت هشام أم الحجاج بن يوسف الثقفى:

ألا سبيل إلى خمر فأشربها ... ولا سبيل إلى نصر بن حجاج

قال: فلما ذهب إلى الشام، فهوى امرأة أبى الأسود السلمى، وأضنى من حبها، وكان يقال له: الضنى. ومات بذلك.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٧، وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٥٠.

(٦) خيابر: جمع خيبر وأراد أهلها، كما تقول: اجتمعت المدينة. وإنما تريد أهل المدينة. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٥.

(٧) فى الأصل، م: «الذميم».

أمِنَ الموتِ يَهْرُبون فإنَّ الـ ـموتَ موتَ الهُزالِ[1] غيرُ جَميلِ

وقال كعبُ بنُ مالكٍ فيما ذكَره ابنُ هشامٍ، عن أبى زيدٍ الأنصارىِّ[2]:

ونحن ورَدْنا خيبرًا وفُروضَه بكلِّ فَتًى عارِى الأشاجِعِ مِذْوَدِ[3]

جَوَادٍ لدَى الغاياتِ لا واهنِ القُوَى جَرِىءٍ على الأعداءِ فى كلِّ مَشْهَدِ

[٣/ ٨٦ظ] عظيمِ رَمادِ القِدْرِ فى كلِّ شَتْوَةٍ ضَروبٍ بنَصْلِ المَشْرَفىِّ[4] المُهَنَّدِ

يرَى القتلَ مَدْحًا إن أصاب شَهادةً مِن اللَّهِ يَرْجوها وفوزًا بأحمدِ

يَذُودُ ويَحْمِى عن ذِمارِ[5] محمدٍ ويَدْفَعُ عنه باللسانِ وباليدِ

ويَنْصُرُه مِن كل أمرٍ يَرِيبُه يَجُودُ بنفسٍ دونَ نفسِ محمدِ

يُصَدِّقُ بالإنباءِ بالغيبِ مُخْلِصًا يُريدُ بذاك العزَّ والفوزَ فى غَدِ

---

(١) الهزال: الجوع وضعف الحال. شرح غريب السيرة ٣/٥٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) الفروض: المواضع التى يشرب منها من الأنهار. والأشاجع: عروق ظاهر الكتف. ومذود: مانع. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٦.

(٤) المشرفى: السيف. المصدر السابق.

(٥) الذمار: ما يجب حمايته. المصدر السابق.

فصـــلٌ
فى مُرورِه ﷺ بوادى القُرَى [1] ومُحاصـرتِه قومًا من اليهودِ، [2] ومُصالَحةِ يَهودِ تَيْماءَ [2] على ما ذكَرَه الواقدىُّ [1]

قال الواقدىُّ [3] : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ، عن الزهرىِّ، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ [2] قال: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ إلى وادى القُرَى، وكان رِفاعةُ بنُ [2] زيدِ بنِ وَهْبٍ الجُذَامىُّ [4] قد وهَب لرسولِ اللَّهِ ﷺ عبدًا أسودَ يقالُ له: مِدْعَمٌ. وكان يُرَحِّلُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فلمَّا نزَلْنا بوادى القُرَى انتَهَيْنا إلى يهودَ، وقدِم إليها ناسٌ مِن العربِ، فبينا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد اسْتَقْبَلَتنا يهودُ بالرَّمْيِ حينَ نزَلْنا، ولم نَكُنْ على تَعْبِيةٍ، وهم يَصِيحون فى آطامِهم، فيُقْبِلُ سهمٌ عائرٌ، فأصاب مِدْعَمًا فقتَله، فقال الناسُ: هَنِيئًا له بالجنةِ. فقال النبىُّ ﷺ: «كلَّا والذى نفسى بيدِه، إن الشَّمْلةَ التى أخَذها يومَ خيبرَ مِن المَغانمِ لم تُصِبْها المَقاسمُ، لتَشْتَعِلُ عليه نارًا».

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٠٩، ٧١٠.

(٤) فى الأصل: «الحرامى».

فلمَّا سمِع بذلك الناسُ، جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بشِراكٍ أو شِراكَيْن، فقال النبيُّ ﷺ: «شِراكٌ مِن نارٍ أو شِراكان مِن نارٍ». وهذا الحديثُ فى «الصحيحين» مِن حديثِ مالكٍ، عن ثَوْرِ بنِ زَيدٍ[1]، عن أبى الغَيْثِ، عن أبى هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه[2].

قال الواقدىُّ[3]: فعَبَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه للقِتالِ وصفَّهم، ودفَع لواءَه إلى سعدِ بنِ عُبادةَ، وراية إلى الحُبابِ بنِ المنذرِ، وراية إلى سهلِ بنِ حُنَيْفٍ، وراية إلى عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ، ثُم دعاهم إلى الإسلامِ، وأخْبرهم أنهم إن أسْلَموا أحْرَزوا أموالَهم وحقَنوا دماءَهم، وحسابُهم على اللَّهِ. قال: فبرَز رجلٌ منهم، فبرَز إليه الزُّبيرُ بنُ العوامِ فقتَله، ثُم برَز آخرُ، فبرَز إليه علىٌّ فقتَله، [4]ثم برَز آخرُ، فبرَز إليه أبو دُجانةَ فقتَله[4]، حتى قُتِل منهم أحدَ عشَرَ رجلًا، كلَّما قُتِل منهم رجلٌ، دعا مَن بقِىَ منهم إلى الإسلامِ، ولقد كانت الصلاةُ تَحْضُرُ ذلك اليومَ، فيُصَلِّى [٣/٨٧و] رسولُ اللَّهِ ﷺ بأصحابِه، ثُم يعودُ فيَدْعوهم إلى الإسلامِ وإلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسولِه، وقاتَلهم حتى أمْسَوا[5]، وغَدا عليهم، فلم ترْتَفِعِ الشمسُ قِيدَ رُمْحٍ حتى أَعْطَوا بأيديهم، وفتَحها عَنْوَةً، وغنَّمهم اللَّهُ أموالَهم، وأصابوا أثاثًا ومَتاعًا كثيرًا، وأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بوادى القُرَى أربعةَ أيامٍ، فقسَم ما أصاب على أصحابِه، وترَك الأرضَ والنَّخِيلَ فى أيدى اليهودِ

---

(١) فى النسخ: «يزيد». والمثبت من الصحيحين، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤١٦.

(٢) البخارى (٤٢٣٤، ٦٧٠٧)، ومسلم (١١٥).

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧١٠، ٧١١.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى الأصل، م: «أمسى».

وعامَلهم عليها ، فلما بلَغ يهودَ تَيْماءَ ما وَطِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ وفَدَكَ ووادىَ القُرَى ، صالحوا رسولَ اللَّهِ ﷺ على الجِزْيةِ ، وأقاموا بأيديهم أموالَهم ، فلمَّا كان عُمَرُ أَخْرَج يهودَ خيبرَ وفَدَكَ ، ولم يُخْرِجْ أهلَ تَيْماءَ ووادى القُرَى ؛ لأنهما داخلتان فى أرضِ الشامِ ، ويَرَى أن ما دون وادى القُرَى إلى المدينةِ حجازٌ ، وما[1] وراءَ ذلك مِن الشامِ . قال : ثُم انصرف رسولُ اللَّهِ ﷺ راجعًا إلى المدينةِ بعدَ أن فرَغ مِن خيبرَ ووادى القُرَى ، وغنَّمه اللَّهُ عزَّ وجلَّ .

قال الواقدىُّ[2] : حدَّثنى يعقوبُ بنُ محمدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى صَعْصَعةَ ، عن الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبٍ ، عن أمِّ عُمارةَ ، قالت : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بالجُرْفِ وهو يقولُ : « لا تَطْرُقوا[3] النساءَ بعدَ صلاةِ العشاءِ » . قالت : فذهَب رجلٌ مِن الحَىِّ ، فطرَق أهلَه فوجَد ما يَكْرَهُ ، فخلَّى سبيلَه[4] ولم يَهِجْه[5] ، وضنَّ بزوجتِه أن يُفارِقَها ، وكان له منها أولادٌ ، وكان يُحِبُّها ، فعصَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فرَأَى ما يَكْرَهُ .

فصلٌ

ثبَت فى « الصحيحين »[6] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما افْتَتَح خيبرَ ، عامَل

---

(١) فى الأصل ، م : « من » .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧١٢، ٧١٣.

(٣) الطرق والطروق : القدوم على القوم ليلاً .

(٤) فى النسخ : « سبيلها » والمثبت من المغازى .

(٥) فى النسخ : « يهجر » والمثبت من المغازى . ولم يهجه : لم يُزْعِجه ولم يُنَفِّره . النهاية ٥/ ٢٨٦.

(٦) البخارى (٢٢٨٥، ٢٣٢٨، ٢٣٢٩، ٢٣٣١، ٤٢٤٨)، ومسلم (١، ٢، ٣/ ١٥٥١) .

يهودَها[1] على شَطْرِ ما يَخْرُجُ منها مِن تمرٍ أو زرعٍ . وقد وَرَد فى بعضِ ألفاظِ هذا الحديثِ : على أن يَعْمَلوها مِن أموالِهم[2] . وفى بعضِها[3] : وقال لهم النبىُّ ﷺ : « نُقِرُّكم فيها[4] ما شِئْنا » .

وفى « السِّيَرِ » أنه كان يَبْعَثُ عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ ، يَخْرُصُها عليهم عندَ استواءِ ثِمارِها ، ثُم يُضَمِّنُهم إياه ، فلما قُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ بمُؤْتةَ ، بعَث جَبَّارَ بنَ صَخْرٍ ، كما تقدَّم . ومَوْضِعُ تحريرِ ألفاظِه وبيانِ طُرُقِه كتابُ المُزارعةِ مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » ، إن شاء اللَّهُ وبه الثقةُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : سألْتُ ابنَ شِهابٍ : كيف [6]كان إعطاءُ[6] رسولِ اللَّهِ ﷺ يهودَ خيبرَ نَخْلَهم ؟ فأخْبَرَنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ افْتَتَح خيبرَ عَنْوةً بعدَ القِتالِ ، وكانت خيبرُ مما أفاء اللَّهُ عليه ، خَمَّسَها وقسَمها بينَ المسلمين ، ونزَل مَن نزَل مِن أهلِها على الجَلاءِ بعدَ القِتالِ ، فدعاهم رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه [٣/٨٧ظ] وسَلَّم فقال : « إن شِئْتُم دفَعْتُ إليكم هذه الأموالَ ؛ على أن تَعْمَلوها وتكونَ ثِمارُها بينَنا وبينَكم ، فأُقِرُّكم ما أَقَرَّكم اللَّهُ » . فقبِلوا ، وكانوا على ذلك يَعْمَلونها ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْعَثُ عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فيَقْسِمُ ثمَرَها ، ويَعْدِلُ عليهم فى الخَرْصِ ، فلما تَوَفَّى اللَّهُ نبيَّه ﷺ ، أقَرَّها

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « عليها » .

(٢) مسلم (١٥٥١/٥) . وفيه « يعتملوها » .

(٣) البخارى (٢٣٣٨، ٣١٥٢) . مسلم (٤، ١٥٥١/٦) .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٦، ٣٥٧.

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « أعطى » .

أبو بكرٍ بأيديهم، على المُعاملةِ التى عامَلهم عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى تُوُفِّىَ، ثُم أقَرَّهم عمرُ بنُ الخطابِ صَدْرًا مِن إمارتِه، ثُم بلَغ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى وَجَعِه الذى قبَضه اللَّهُ فيه: «لا يَجْتَمِعَنَّ بجزيرةِ العربِ دينان». ففحَص عمرُ عن ذلك حتى بلَغه الثَّبَتُ، فأرْسَل إلى يهودَ فقال: إن اللَّهَ قد أذِن لى فى إجْلائِكم، وقد بلَغنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعَنَّ فى جزيرةِ العربِ دينان». فمَن كان عندَه عهدٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فلْيأْتِنى به أُنْفِذْه له، ومَن لم يَكُنْ عندَه عهدٌ فلْيَتَجَهَّزْ للجَلاءِ. فأجْلَى عمرُ مَن لم يَكُنْ عندَه عهدٌ من[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قلتُ: قد ادَّعى يهودُ خيبرَ فى أزمانٍ متأخرةٍ بعدَ الثلاثِمائةِ، أن بأيديهم كتابًا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ فيه أنه وضَع الجزيةَ عنهم، وقد اغْتَرَّ بهذا الكتابِ بعضُ العلماءِ، حتى قال بإسقاطِ الجزيةِ عنهم؛ مِن الشافعيةِ الشيخُ أبو علىٍّ بنُ خَيْرونَ، وهو كتابٌ مُزَوَّرٌ مَكْذوبٌ مُفْتَعَلٌ لا أصلَ له، وقد بيَّنْتُ بُطلانَه مِن وُجوهٍ عديدةٍ فى كتابٍ مُفرَدٍ، وقد تعَرَّض لذكرِه وإبطالِه جماعةٌ مِن الأصحابِ فى كُتُبِهم، كابنِ الصَّبَّاغِ فى «شاملِه»[2]، والشيخِ أبى حامدٍ فى «تعليقتِه»[3]، وصنَّف فيه ابنُ المُسْلِمةِ جزءًا منفردًا للردِّ عليه. وقد تَحَرَّكوا به بعدَ السبعِمائةِ، وأظْهَروا كتابًا فيه نسخةُ ما ذكَره الأصحابُ فى كتبِهم، وقد وقَفْتُ عليه، فإذا هو مَكْذُوبٌ؛ فإن فيه شهادةَ سعدِ بنِ مُعاذٍ، وقد كان مات

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل، م: «مسائله». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٢٢.

(٣) فى الأصل: «تعليقه». وانظر الكلام على التعليقة فى ترجمة الشيخ أبى حامد الإسفراييني فى سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٤. وانظر طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٦٨.

قبلَ زمنِ خَيْبرَ ، وفيه شهادةُ مُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، ولم يَكُنْ أسْلَم يومئذٍ ، وفى آخرِه : وكتَبه علىُّ بنُ أبو طالبٍ . وهذا لحْنٌ وخطأٌ ، وفيه وَضْعُ الجزيةِ ، ولم تَكُنْ شُرِعَت بعدُ ، فإنها إنما شُرِعت أولَ ما شُرِعت وأُخِذت مِن أهلِ نَجْرانَ . وذكَروا أنهم وفَدوا فى حدودِ سنةِ تسعٍ[1] . واللَّهُ أعلمُ .

ثم قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى نافعٌ مَوْلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن ابنِ عمرَ قال : خرَجْتُ أنا والزبيرُ بنُ العوامِ والمِقْدادُ بنُ الأسْودِ إلى أمْوالِنا بخيبرَ نَتَعاهَدُها ، فلمَّا قدِمْنا تفرَّقْنا فى أموالِنا . قال : فعُدِىَ علىَّ تحتَ الليلِ وأنا [٣/ ٨٨و] نائمٌ على فراشى ففُدِعَتْ يَداىَ مِن مِرْفقىَّ ، فلما اسْتَصْرَخْتُ علىَّ صاحبَىَّ ؛ فأتَيانى فسَألانى : مَن صنعَ هذا بك ؟ فقلتُ : لا أدْرى . فأَصْلَحا مِن يدىَّ ، ثُم قدِما بى على عمرَ ، فقال : هذا عملُ يهودَ . ثُم قام فى الناسِ خطيبًا فقال : أيها الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان عامَل يهودَ خيبرَ على أنَّا نُخْرِجُهم إذا شِئْنا ، وقد عَدَوْا على عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، ففدَعوا يديه كما بلَغكم ، مع عَدْوتِهم على الأنصارىِّ قبلَه ، لا نَشُكُّ أنهم كانوا أصحابَه ، ليس لنا هناك عَدُوٌّ غيرُهم ، فمَن كان له مالٌ مِن خيبرَ فلْيَلْحَقْ به ، فإنِّى مُخْرِجٌ يهودَ . فأخْرَجهم .

قلتُ : كان لعمرَ بنِ الخطابِ سَهْمُه الذى بخيبرَ ، وقد كان وقَفَه فى سبيلِ اللَّهِ ، وشرَط فى الوَقْفِ ما أشار به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما هو ثابتٌ فى « الصحيحينِ »[3] ، وشرَط أن يكونَ النظرُ فيه للأرشدِ فالأرشدِ مِن بناتِه وبنيه[4] .

---

(١) أى ذكر علماء السير أن أهل نجران وفدوا على النبى ﷺ سنة تسع .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٧.

(٣) البخارى (٢٧٣٧، ٢٧٦٤، ٢٧٧٢) ، ومسلم (١٦٣٢، ١٦٣٣) .

(٤) بعده فى ص : « وأما قول عمر : مع عَدْوَتهم على الأنصارى . فيشير به إلى ما ثبت فى الصحيحين من رواية ... كذا ...» .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[1] : جِماعُ أبوابِ السَّرايا التى تُذْكَرُ بعدَ فتحِ خيبرَ وقبلَ عُمْرةِ القَضِيَّةِ ، وإن كان تاريخُ بعضِها ليس بالواضحِ عندَ أهلِ المَغازى

سريَّةُ أبى بكرٍ الصّدّيقِ إلى بنى فَزارةَ

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا بَهْزٌ ، ثنا عكرمةُ بنُ عَمَّارٍ ، ثنا إياسُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنى أبى قال : خرَجْنا مع أبى بكرِ بنِ أبى قُحافةَ ، وأمَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ علينا ، فغزَوْنا بنى فَزارةَ ، فلما دنَوْنا مِن الماءِ ، أمَرَنا أبو بكرٍ فعرَّسْنا ، فلمَّا صَلَّيْنا الصبحَ أمَرَنا أبو بكرٍ فشَنَنَّا الغارَةَ ، فقتَلْنا على الماءِ مَن قَتَلْنا[3] . قال سَلَمةُ : ثُم نظَرْتُ إلى عُنُقٍ مِن الناسِ[4] فيه مِن الذُّرِّيةِ والنساءِ ، نحوَ الجبلِ وأنا أعْدُو فى آثارِهم ، فخشِيتُ أن يَسْبقونى إلى الجبلِ ، فرَمَيْتُ بسهمٍ فوقَع بينَهم وبينَ الجبلِ . قال : فجِئْتُ بهم أسُوقُهم إلى أبى بكرٍ حتى أتَيْتُه على الماءِ ، وفيهم امرأةٌ مِن فَزارةَ عليها قَشْعٌ[5] مِن أَدَمٍ ، ومعها ابنةٌ لها مِن أحسنِ العربِ . قال : فنَفَّلَنى أبو بكرٍ بنتَها . قال : فما كشَفْتُ لها ثوبًا حتى قدِمْتُ المدينةَ ، ثُم بِتُّ فلم

---

(١) مترجما لجماع السرايا بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية . دلائل النبوة ٤/ ٢٩٠.

(٢) المسند ٤/ ٤٦.

(٣) فى م : «مر قبلنا» .

(٤) العنق من الناس : الجماعة . النهاية ٣/ ٣١٠.

(٥) القشع : الفرو الخلق . النهاية ٤/ ٦٥.

أكْشِفْ لها ثوبًا . قال : فلقِيَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى السوقِ ، فقال لى : « يا سَلَمةُ ، هَبْ لىَ المرأةَ » . قال : فقلتُ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ لقد أعْجَبَتْنى ، وما كشَفْتُ لها ثوبًا . قال : فسَكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ وترَكنى ، حتى إذا كان مِن الغدِ لقِيَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى السوقِ فقال : « يا سَلَمةُ ، هَبْ لىَ المرأةَ ، للَّهِ أبوك[1] » . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد أعْجَبَتْنى وما كشَفْتُ لها ثوبًا[2] . وهى لك يا رسولَ اللَّهِ . قال : فبعَث بها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ مكةَ ، وفى أيديهم أُسارَى مِن المسلمين ، ففَداهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بتلك المرأةِ . وقد رَواه مسلمٌ والبيهقىُّ مِن حديثِ عِكْرمةَ بنِ عَمَّارٍ ، به[3] .

سريَّةُ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، إلى تُرَبةَ [4]مِن أرضِ هوازنَ[4] ، وراءَ مكةَ بأربعةِ أميالٍ

ثم أوْرَد البيهقىُّ مِن طريقِ الواقدىِّ بأسانيدِه[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عمرَ بنَ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، فى ثلاثين راكبًا ، ومعه دليلٌ مِن بنى هِلالٍ ، وكانوا يسيرون الليلَ ويَكْمُنون النَّهارَ ، فلما انتَهَوا إلى بلادِهم هَربوا منهم ،

---

(١) لله أبوك : كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها ، مثل قولهم : لله درك . فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، فإذا وجد من الولد ما يحمد ؛ يقال : لله أبوك ؛ حيث أتى بمثلك . الفتح الربانى ٢١/ ١٢٨.

(٢) بعده فى النسخ تكرار : « قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان من الغد [٣/ ٨٨ظ] لقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال : « يا سلمة ، هب لى المرأة ، لله أبوك » . قال : قلت : يا رسول الله ، والله ما كشفت لها ثوبًا » .

(٣) مسلم (١٧٥٥) ، ودلائل النبوة ٤/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢٩٢، وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٢٢.

وكرَّ عمرُ راجعًا إلى المدينةِ، فقيل له: هل لك فى قِتالِ خَثْعَمٍ؟ فقال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يأْمُرْنى إلا بقِتالِ هَوازنَ فى أرضِهم.

سريَّةُ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ إلى يُسَيْرِ[1] بنِ رِزامٍ اليهودىّ

ثُم أوْرد[2] مِن طريقِ[3] ابنِ لَهِيعَةَ، عن أبى الأسْودِ، عن عروةَ، ومِن طريقِ موسى بنِ عُقبةَ، عن الزهرىِّ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فى ثلاثين راكبًا، فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُنيسٍ[4]، إلى يُسَيْرِ بنِ رِزامٍ اليهودىِّ، حتى أتَوْه بخيبرَ، وبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنه يَجْمَعُ غَطَفانَ لِيَغْزُوَه بهم، فأتَوْه فقالوا: أرْسَلَنا إليك رسولُ اللَّهِ ﷺ لِيَسْتَعْمِلَك على خيبرَ. فلم يَزالوا به حتى تبِعهم فى ثلاثين رجلًا، مع كلِّ رجلٍ منهم رَدِيفٌ مِن المسلمين، فلمَّا بلَغوا قَرْقَرةَ ثِبارَ، وهى مِن خيبرَ على سِتةِ أميالٍ، ندِم يُسَيرُ بنُ رِزامٍ، فأَهْوى بيدِه إلى سيفِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ[4]، ففطِن له عبدُ اللَّهِ بنُ أُنيسٍ[4]، فزجَر بعيرَه، ثُم اقْتَحم يَسُوقُ بالقومِ، حتى إذا اسْتَمْكن مِن يُسَيْرٍ، ضرَب رجلَه فقطَعها،

---

(١) فى الأصل، ص: «بشر».

(٢) أى البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) بعده فى الأصل، م: «إبراهيم». وابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة. انظر تهذيب الكمال ١٥/٤٨٧.

(٤) فى م: «رواحة».

واقْتَحَم يُسَيْرٌ وفى يدِه مِخْرَشٌ[1] مِن شَوْحَطٍ، فضرَب به وجهَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ[2] فشَجَّه شَجَّةً مأْمُومةً[3]، وانْكَفأ كلُّ رجلٍ مِن المسلمين على رَديفِه فقتَله، غيرَ رجلٍ واحدٍ مِن اليهودِ أعْجَزهم شَدًّا، ولم يُصَبْ مِن المسلمين أحدٌ، وبصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى شَجَّةِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ[2]، فلم تَقِحْ ولم تُؤْذِه حتى مات.

سريَّةٌ أخرى مع بَشِيرِ بنِ سعدٍ

رَوَى[4] مِن طريقِ الواقدىِّ [٣/٨٩و] بإسنادِه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بَشيرَ بنَ سعدٍ فى ثلاثين راكبًا إلى بنى مُرَّةَ فى أرضِ فَدَكَ، فاستاق نَعَمَهم، فقاتَلوه وقتَلوا عامةَ مَن معه، وصبرَ هو يومئذٍ صبرًا عظيمًا، وقاتَل قتالًا شديدًا، ثُم لجأَ إلى فَدَكَ، فبات بها عندَ رجلٍ مِن اليهودِ، ثُم كَرَّ راجعًا إلى المدينةِ.

قال الواقدىُّ[5]: ثُم بَعث إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ غالبَ بنَ عبدِ اللَّهِ ومعه جماعةٌ مِن كبارِ الصحابةِ. فذكَر منهم أسامةَ بنَ زيدٍ، وأبا مسعودٍ البَدْرىَّ، وكَعْبَ بنَ عُجْرَةَ، ثُم ذكَر مَقْتَلَ أسامةَ بنِ زيدٍ لمِرْداسِ بنِ نَهِيكٍ حليفِ بنى مُرَّةَ، وقولَه حينَ عَلَاه بالسيفِ: لا إلهَ إلا اللَّهُ. وأن الصحابةَ لاموه على

---

(١) فى م: «مخراش». والمخراش والمخرش: عصا معوجة الرأس كالصولجان. اللسان (خ ر ش). والشوحط: ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القِسِيُّ. النهاية ٢/ ٥٠٨.

(٢) فى م: «رواحة».

(٣) شجة مأمومة: شجة بلغت أم الرأس. المحيط (أ م م).

(٤) أى البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٥.

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٧٢٣ - ٧٢٥.

ذلك ، حتى سُقِط فى يدِه ونَدِم على ما فعَل . وقد ذكَر هذه القصةَ يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[1] ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن شيخٍ مِن [2]بنى سَلِمَةَ[2] ، عن رجالٍ مِن قومِه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعث غالبَ بنَ عبدِ اللَّهِ الكَلْبىَّ إلى أرضِ بنى مُرَّةَ ، فأصاب مِرْداسَ بنَ نَهِيكٍ [3]حليفًا لهم مِن الحُرَقَةِ . قال : فقتَله أسامةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فحدَّثنى محمدُ بنُ أسامةَ بنِ محمدِ بنِ أسامةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه أسامةَ بنِ زيدٍ قال : أدْرَكْتُه أنا ورجلٌ مِن الأنصارِ - يعنى مِرْداسَ بنَ نَهِيكٍ[3] - فلما شهرْنا عليه السِّلاحَ قال : أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ . فلم نَنْزِعْ عنه حتى قتَلْناه ، فلمَّا قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبَرْناه ، فقال : « يا أسامةُ ، مَن لك بلا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما قالها تَعَوُّذًا مِن القتلِ . قال : « فمَن لك يا أسامةُ بلا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » فوالذى بعَثه بالحقِّ ما زال يُرَدِّدُها علىَّ حتى تمنَّيْتُ أن ما مضَى مِن إسلامى لم يَكُنْ ، وأنى أسْلَمْتُ يومئذٍ ولم أقْتُلْه . فقلتُ : إنى أُعْطِى اللَّهَ عهدًا أن لا أَقْتُلَ رجلًا يقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . أبدًا . فقال : « بعدى يا أسامةُ » . فقلتُ : بعدَك .

قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا هُشَيْمُ بنُ بَشِيرٍ ، أنبأنا حُصَيْنٌ ، عن أبى ظَبْيانَ قال : سمِعْتُ أسامةَ بنَ زيدٍ يُحَدِّثُ قال : بعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنةَ . قال : فصبَّحْناهم ، وكان منهم رجلٌ إذا أقْبَل القومُ كان مِن أشدِّهم

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، من طريق يونس بن بكير به .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل : « أسلم » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٩٧. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٢، ٦٢٣.

(٥) المسند ٥/ ٢٠٠.

علينا ، وإذا أدبَروا كان حامِيتَهم . قال : فغشيتُه أنا ورجلٌ مِن الأنصارِ ، فلمَّا تَغَشَّيْناه قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فكفَّ عنه الأنصاريُّ وقتَلْتُه ، فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا أسامةُ ، أقْتَلْتَه بعدَ ما قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما كان مُتَعَوِّذًا مِن القتلِ . قال : فكَرَّرها عليَّ حتى تَمَنَّيْتُ أنى لم أكُنْ أسْلَمْتُ إلَّا يومئذٍ . وأخْرَجه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ هُشَيْمٍ به [٣/ ٨٩ظ] نحوَه[(١)] .

وقال ابنُ إسحاقَ[(٢)] : حدَّثنى يعقوبُ بنُ عُتبةَ ، عن مسلمِ[(٣)] بنِ عبدِ اللَّهِ الجُهَنىِّ ، عن جُنْدَبِ بنِ مَكِيثٍ الجُهَنىِّ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ غالبَ بنَ عبدِ اللَّهِ الكَلْبىَّ ، كلبَ لَيْثٍ ، إلى بنى المُلَوَّحِ بالكَدِيدِ ، وأمَره أن يُغِيرَ عليهم ، وكنتُ فى سريَّتِه ، فمَضيْنا حتى إذا كنا بالقُدَيْدِ ، لقِيَنا الحارثُ بنُ مالكٍ ابنُ البَرْصاءِ اللَّيْثىُّ ، فأخَذْناه فقال : إنى إنما جئْتُ لِأُسْلِمَ . فقال له غالبُ بنُ عبدِ اللَّهِ : إن كنتَ إنما جئتَ لِتُسْلِمَ ، فلا يَضُرُّك رِباطُ يومٍ وليلةٍ ، وإن كنتَ على غيرِ ذلك اسْتَوْثَقْنا منك . قال : فأوْثَقه رِباطًا وخلَّف عليه رُوَيْجِلًا أسودَ كان معنا ، وقال : امكُثْ معه حتى نَمُرَّ عليك ، فإن نازَعك فاحْتَزَّ رأسَه . ومضَيْنا حتى أتَيْنا بَطْنَ الكَدِيدِ ، فنزَلْنا عَشِيَّةً بعدَ العصرِ ، فبعَثنى أصحابى إليه ، فعَمَدْتُ إلى تَلٍّ يُطْلِعُنى على الحاضرِ[(٤)] فانبَطَحْتُ عليه ، وذلك قبلَ غروبِ الشمسِ ، فخرَج

---

(١) البخارى (٤٢٦٩، ٦٨٧٢) ، ومسلم (٩٦/١٥٩) .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٨، ٢٩٩ من طريق محمد بن إسحاق به . وانظر سيرة ابن هشام ٢/٦٠٩ - ٦١١.

(٣) فى الأصل ، ص : « سلمة » . انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٢٤.

(٤) الحاضر : القوم النزول على ماء ، يقيمون به ولا يرحلون عنه . الوسيط (ح ض ر) .

رجلٌ منهم ، فنظَر فرآنى مُنْبَطِحًا على التَّلِّ ، فقال لامرأتِه : إنى لأَرَى سَوادًا على هذا التَّلِّ ما رأيْتُه فى أولِ النَّهارِ ، فانظُرى لا تكونُ الكِلابُ اجْتَرَّت بعضَ أوْعِيتِكِ ؟ فنظَرَت فقالت : واللَّهِ ما أفْقِدُ منها شيئًا . قال : فناوِلينى قوسى وسَهْمين مِن نَبْلى . فناوَلَتْه ، فرمانى بسهمٍ فى جَبينى - أو قال : فى جَنْبى - فنَزَعْتُه فوضَعْتُه ولم أتَحَرَّكْ ، ثُم رَمانى بالآخرِ فوضَعه فى رأسِ مَنْكِبى ، فنزَعْتُه فوضَعْتُه ولم أتَحَرَّكْ . فقال لامرأتِه : أمَا واللَّهِ لقد خالطَه سهماىَ ، ولو كان رَبِيئَةً[1] لتَحَرَّك ، فإذا أصْبَحْتِ فابْتَغى سهمَىَّ فخُذِيهما ، لا تَمْضُغُهما علىَّ الكِلابُ .

قال : فأمْهَلْنا ، حتى إذا راحت رَوايحُهم ، وحتى احْتَلبوا وعطَّنوا[2] وسكَنوا ، وذهَبَت عَتَمةٌ مِن الليلِ ، شنَنَّا عليهم الغارةَ فقتَلْنا واسْتَقْنا النَّعَمَ ، ووجَّهْنا قافِلِين به ، وخرَج صَرِيخُ القومِ إلى قومِهم بقُربِنا . قال : وخرَجْنا سِراعًا حتى نَمُرَّ بالحارثِ بنِ مالكٍ ابنِ البَرْصاءِ وصاحبِه ، فانْطَلَقْنا به معنا ، وأتانا صَرِيخُ الناسِ ، فجاءنا ما لا قِبَلَ لنا به ، حتى إذا لم يَكُنْ بينَنا وبينَهم إلا بطْنُ الوادى مِن قُدَيْدٍ ، بعَث اللَّهُ مِن حيث شاء ماءً ، ما رأَيْنا قبلَ ذلك مطرًا ولا حالًا ، وجاء بما لا يَقْدِرُ أحدٌ أن يُقْدِمَ عليه ، فلقد رأيْتُهم وُقوفًا يَنْظُرون إلينا ، ما يَقْدِرُ أحدٌ منهم أن يُقْدِمَ عليه ، [٣/٩٠و] ونحن [3]نَجِدُّ بها أو نَحْدُوها[3] - شَكَّ

---

(١) فى م ، والدلائل : « ربية » . والربيئة : العين والطليعة الذى ينظر للقوم لِئَلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شَرَفٍ ينظر منه . اللسان (ر ب أ) .

(٢) عطنوا مواشيهم : أى أراحوها ، سمى المَراحُ - وهو مأواها - عَطَنا ، والعطن : مبرك الإبل حول الماء . النهاية ٣/ ٢٥٨ .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل : « نحدوها أو نحذرها » . ونجدُّ بها : نسرع بها . ونحدوها : نسوقها .

الثُّفَيْلِيُّ - فذهَبْنا سِراعًا حتى أسْنَدْنا بها فى المَسْلَكِ، ثُم حدرْنا[1] عنه حتى أعْجَزْنا القومَ بما فى أيدينا. وقد رَواه أبو داودَ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، فقال فى روايتِه: عبدُ اللَّهِ بنُ غالبٍ. والصوابُ غالبُ بنُ عبدِ اللَّهِ كما تقدَّم.

وذكَر الواقدىُّ[3] هذه القصةَ بإسنادٍ آخرَ، وقال فيه: وكان معه مِن الصحابةِ مائةٌ وثلاثون رجلًا.

ثُم ذكَر البيهقىُّ[4] مِن طريقِ الواقدىِّ سريةَ بَشِيرِ بنِ سعدٍ أيضًا إلى ناحيةِ خيبرَ، فلَقُوا جَمعًا مِن العربِ، وغَنِموا نَعَمًا كثيرًا، وكان بَعْثُه فى هذه السريةِ بإشارةِ أبى بكرٍ وعمرَ، رضى اللَّهُ عنهما، وكان معه مِن المسلمين ثلاثُمائةِ رجلٍ، ودليلُه حُسَيْلُ بنُ نُوَيْرَةَ، وهو الذى كان دليلَ النبىِّ ﷺ إلى خيبرَ. قاله الواقدىُّ.

سريَّةُ أبى حَدْرَدٍ إلى الغابةِ[5]

قال يونسُ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[6]: كان مِن حديثِ قصةِ أبى حَدْرَدٍ

---

(١) فى الأصل، م: «حذرنا».

(٢) أبو داود (٢٦٧٨). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٧٣).

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٢٦، ٧٢٧.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٠١، ٣٠٢، وانظر مغازى الواقدى ٢/٧٢٧ - ٧٣١.

(٥) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال أهل المدينة. معجم البلدان ٣/ ٧٦٧.

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٣، ٣٠٤، من طريق يونس به. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٩- ٦٣١.

وغزوتِه إلى الغابةِ ما حدَّثنى جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبى حَدْرَدٍ قال : تزَوَّجْتُ امرأةً مِن قومى فأصْدَقْتُها مائتى درهمٍ . قال : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أسْتعِينُه على نكاحى فقال : « كم أصْدَقْتَ ؟ » فقلتُ : مائتى درهمٍ . فقال : « سبحانَ اللَّهِ ! واللَّهِ لو كنتُمْ تأخُذُونها مِن وادٍ ما زاد[1] ، واللَّهِ ما عندى ما أُعِينُك به » . فلبثْتُ أيامًا ، ثُم أقْبَل رجلٌ مِن جُشَمَ بنِ مُعاويةَ يقالُ له : رِفاعةُ بنُ قيسٍ ، أو قيسُ بنُ رِفاعةَ . فى بَطْنٍ عظيمٍ مِن جُشَمَ ، حتى نزَل بقومِه ومَن معه بالغابةِ ، يريدُ أن يَجْمَعَ قَيْسًا على محاربةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان ذا اسمٍ وشرفٍ فى جُشَمَ . قال : فدعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ ورجلَيْن مِن المسلمين فقال : « اخْرُجوا إلى هذا الرجلِ حتى تأتوا منه بخبَرٍ وعلمٍ » . وقدَّم لنا شارفًا عَجْفاءَ ، فحُمِل عليها أحَدُنا ، فواللَّهِ ما قامت به ضعفًا ، حتى دَعَمها الرجالُ مِن خلفِها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تَبَلَّغوا على هذه » . فخرَجْنا ومعنا سلاحُنا مِن النَّبْلِ والسيوفِ ، حتى إذا جِئْنا قريبًا مِن الحاضرِ مع غروبِ الشمسِ ، فكَمَنْتُ فى ناحيةٍ ، وأمَرْتُ صاحبىَّ فكَمَنا فى ناحيةٍ أخرى مِن حاضرِ القومِ ، وقلتُ لهما : إذا سمِعْتُمانى قد كبَّرْتُ [٣/٩٠ظ] وشدَدْتُ فى العَسْكَرِ فكَبِّرا وشُدَّا معى . فواللَّهِ إنا لكذلك ننْتَظِرُ أن نَرَى غِرَّةً أو نَرَى شيئًا ، وقد غشِيَنا الليلُ حتى ذهَبَت فَحْمَةُ العِشاءِ[2] ، وقد كان لهم راعٍ قد سرَّح فى ذلك البلدِ ، فأبْطَأ عليهم وتخَوَّفوا عليه ، فقام صاحبُهم رِفاعةُ بنُ قيسٍ ، فأخَذ

---

(١) فى م : « زدتم » .

(٢) فحمة العشاء : هى إقباله وأول سواده . يقال للظلمة التى بين صلاتى العشاء : الفحمة ، وللظلمة التى بين العتمة والغداة : العسعسة . النهاية ٣/ ٤١٧.

سيفَه فجعَله فى عنقِه فقال : واللَّهِ [1] لأَتيقَّنَنَّ أمرَ [1] راعِينا ، ولقد أصابه شرٌّ . فقال نفَرٌ ممَّن معه : واللَّهِ لا تَذْهَبُ ، نحن نكْفِيك . فقال : لا يَذْهَبُ [2] إلا أنا . قالوا : فنحن معك . فقال : واللَّهِ لا يتْبَعُنى منكم أحدٌ . وخرَج حتى يَمُرَّ بى ، فلمَّا أمْكَننى نفَحْتُه بسهمٍ ، فوضَعْتُه فى فؤادِه ، فواللَّهِ ما تكَلَّم ، فوثَبْتُ إليه فاحْتَزَزْتُ رأسَه ، ثُم شَدَدْتُ ناحيةَ العَسْكرِ وكبَّرْتُ ، وشَدَّ صاحباىَ وكبَّرا ، فواللَّهِ ما كان إلا النَّجَاءُ ممَّن كان فيه ، عندَك عندَك [3] ، بكلِّ ما قدَروا عليه مِن نسائِهم وأبنائِهم وما خَفَّ معهم مِن أموالِهم ، واسْتَقْنا إبلًا عظيمةً وغنمًا كثيرةً ، فجِئْنا بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجئْتُ برأسِه أحْمِلُه معى ، فأعْطانى مِن تلك الإبلِ ثلاثةَ عشَرَ بعيرًا فى صداقى ، فجمَعْتُ إلىَّ أهلى .

السريَّةُ التى قتَل فيها مُحلّمُ بنُ جَثَّامةَ عامرَ بنَ الأضْبَطِ

قال ابنُ إسحاقَ [4] : حدَّثنى يزيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن ابنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى حَدْرَدٍ ، عن أبيه قال : بعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى إضَمٍ [5] فى نفرٍ مِن

(١ - ١) فى ص : « لأقفون أمر » ، وفى الدلائل : « لأتبعن أثر » .

(٢) زيادة من الدلائل .

(٣) زيادة من ص ، وسيرة ابن هشام . قال أبو ذر : عندك عندك : كلمتان بمعنى الإغراء . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٤ .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٥ ، من طريق محمد بن إسحاق به . وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

(٥) إضم : واد دون المدينة . معجم ما استعجم ١/ ١٦٥ ، ١٦٦ .

المسلمين منهم؛ أبو قَتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعيٍّ، ومُحَلِّمُ بنُ جَثَّامةَ بنِ قيسٍ، فخرَجْنا حتى إذا كنا ببَطْنِ إِضَم، مَرَّ بنا عامرُ بنُ الأَضْبَطِ الأَشْجعيُّ على قَعودٍ له[1]، معه مُتيِّعٌ[2] له، ووَطْبٌ[3] مِن لبَنٍ، فسلَّم علينا بتحيةِ الإسلامِ، فأمْسَكْنا عنه، وحمَل عليه مُحَلِّمُ بنُ جَثَّامةَ فقتَله لشيءٍ كان بينَه وبينَه، وأخَذ بعيرَه ومُتيِّعَه، فلمَّا قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبَرْناه الخبرَ، فنزلَ فينا القرآنُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]. وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ[4]، عن يعقوبَ، عن أبيه، [5]عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن يزيدَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُسَيْطٍ، عن القَعْقاعِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حَدْرَدٍ، عن أبيه[5] فذكَره.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ، سمِعْتُ [٣/٩١و] زِيادَ بنَ ضُمَيْرةَ بنِ سعدٍ الضَّمْرىَّ يُحدِّثُ[7] عروةَ بنَ الزبيرِ، عن أبيه وجَدِّه، قال -

---

(١) القعود: البعير المتخذ للركوب. شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٣.

(٢) فى ص: «تبيع». ومتيع: هو تصغير متاع. المصدر السابق.

(٣) الوطب: الزق الذى يكون فيه السمن واللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه. النهاية ٥/ ٢٠٣.

(٤) المسند ٦/ ١١. قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٨: رواه أحمد والطبرانى، ورجاله ثقات.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧، من طريق محمد بن إسحاق به، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٧.

(٧) بعده فى الأصل، م: «عن»، وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٧٤.

وكانا شهِدا حُنَيْنًا - قال : فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الظهرِ ، فقام إلى ظِلِّ شجرةٍ ، فقعَد فيه ، فقام إليه عُيَيْنةُ بنُ بَدْرٍ يطلُبُ بدمِ عامرِ بنِ الأَضْبطِ الأَشْجعيِّ ، وهو سيدُ [1] قيسٍ ، وجاء الأقرعُ بنُ حابسٍ يرُدُّ عن مُحَلِّمِ بنِ جثَّامةَ وهو سيدُ خِنْدِفٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لقومِ [1] عامرٍ : « هل لكم أن تأخُذوا منا الآنَ خمسين بعيرًا وخمسين إذا رجَعْنا إلى المدينةِ ؟ » فقال عيينةُ بنُ بدرٍ : واللَّهِ لا أدَعُه حتى أُذِيقَ نساءَه مِن الحزَنِ [2] مثلَ ما أذاق نسائى . فقام رجلٌ مِن بنى ليثٍ يقالُ له : ابنُ مُكَيْتِلٍ . وهو قَصْدٌ [3] مِن الرجالِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أجِدُ لهذا القتيلِ مَثَلًا [4] فى غُرَّةِ الإسلامِ إلا كغنمٍ ورَدَت فَرُمِيَتْ [5] أُولاها فنفَرَتْ أُخْراها ، اسْنُنِ [6] اليومَ وغَيِّرْ غدًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل لكم أن تأخُذوا خمسين بعيرًا الآنَ وخمسين إذا رجَعْنا إلى المدينةِ ؟ » فلم يزَلْ بهم حتى رضُوا بالدِّيَةِ ، فقال قومُ مُحَلِّمِ بنِ جَثَّامةَ : ائتُوا به حتى يَسْتَغْفِرَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : فجاء رجلٌ طُوالٌ ضَرْبُ اللحمِ [7] ، فى حُلَّةٍ قد تَهَيَّأَ فيها للقتلِ ، فقام بينَ يدىِ النبىِّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ : « اللهم لا تَغْفِرْ لمُحَلِّمٍ » . قالها ثلاثًا ، فقام وإنه ليتَلَقَّى دُموعَه بطرَفِ ثوبِه . قال محمدُ بنُ إسحاقَ : زعَم قومُه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « الحرب » ، وفى الدلائل : « الحرقة » .

(٣) فى م : « قصير » . والقصد : هو الذى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم . النهاية ٤/ ٦٧.

(٤) سقط من : الأصل ، وفى م : « شبهًا » .

(٥) فى الأصل ، م : « فشربت » .

(٦) فى م : « استن » . واسنن اليوم وغير غدًا : أى احكم لنا اليوم بالدم فى أمرنا هذا واحكم غدًا بالدية لمن شئت . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٤.

(٧) الضرب من الرجال : الخفيف اللحم . المصدر السابق .

أنه اسْتَغفَر له بعدَ ذلك . وهكذا رَواه أبو داودَ مِن طريقِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن ابنِ إسحاقَ[1] . ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن أبى خالدٍ الأحْمرِ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن زيدِ بن ضُمَيْرةَ ، عن أبيه وعمِّه ، فذكَر بعضَه[2] . والصوابُ كما رَواه ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن زيادِ بنِ سعدِ بنِ ضُمَيْرةَ ، عن أبيه وجَدِّه . وهكذا رَواه أبو داودَ مِن طريقِ ابنِ وَهْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن[3] عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن زيادِ بنِ سعدِ بنِ ضُمَيْرةَ ، عن أبيه وجَدِّه ، بنحوِه[1] كما تقدَّم .

وقال ابنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى سالمٌ أبو النَّضْرِ أنه قال : لم [٣/ ٩١ظ] يَقْبَلوا الديةَ حتى قام الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ فخَلَا بهم وقال : يا معشرَ قيسٍ ، سألكم رسولُ اللَّهِ ﷺ قَتيلًا تَتْرُكونه ليُصْلِحَ به بينَ الناسِ فمنَعْتُموه إيَّاه ، أفأَمِنْتُم أن يَغْضَبَ عليكم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيَغْضَبَ اللَّهُ لغضبِه ، أو يَلْعَنَكم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيَلْعَنَكم اللَّهُ بلعنتِه لكم ، واللَّهِ[5] لَتُسْلِمُنَّه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أو لآتِيَنَّ بخمسين مِن بنى تَميمٍ كلُّهم يَشْهَدون أن القتيلَ كافرٌ ما صلَّى قطُّ ، فلأُطُلَّنَّ[6] دمَه . فلمَّا قال ذلك لهم ، أخَذوا الدِّيَةَ . وهذا منقَطِعٌ مُعْضَلٌ .

---

(١) أبو داود (٤٥٠٣) ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٧٠) .

(٢) ابن ماجه (٢٦٢٥) ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٥٧٤) .

(٣) فى م : « وعن » . انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٩٥.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٠٨/٤ ، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٥) زيادة من الدلائل .

(٦) فى النسخ : « فلا يطلبن » . وطل دمه : أهدره . انظر النهاية ٣/ ١٣٦.

وقد رَوَى ابنُ إسحاقَ[1] ، عمَّن لا يَتَّهِمُ ، عن الحسنِ البصريِّ ، أن مُحَلِّمًا لما جلَس بينَ يديه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قال له : « أَمَّنْتَه باللَّهِ[2] ثُم قتَلْتَه ؟! » ثُم دَعا عليه . قال الحسنُ : فواللَّهِ ما مكَث مُحَلِّمٌ إلا سَبْعًا حتى مات ، فلفَظَتْه الأرضُ ، ثُم دفَنوه ، فلفَظَتْه الأرضُ ، [3]ثم دَفَنوه ، فلفَظَتْه الأرضُ[3] ، فرضَموا عليه مِن الحجارةِ حتى وارَوْه ، فبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : « إن الأرض لَتَطَّابَقُ على مَن هو شَرٌّ منه ، ولكنَّ اللَّهَ أراد أن يَعِظَكم فى حُرْمِ ما بينَكم بما أراكم منه » .

وقال ابنُ جريرٍ[4] : ثنا وَكِيعٌ ، ثنا جريرٌ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ مُحَلِّمَ بنَ جَثَّامةَ مَبْعثًا ، فلقِيَهم عامرُ بنُ الأَضْبَطِ فحيَّاهم بتحيةِ الإسلامِ - وكانت بينَهم حِنَةٌ[5] فى الجاهليةِ - فرَماه مُحَلِّمٌ بسهمٍ فقتَله ، فجاء الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتكَلَّم فيه عُيَيْنةُ والأقْرعُ ، فقال الأقْرعُ : يا رسولَ اللَّهِ ، سُنَّ اليومَ وغَيِّر غدًا . فقال عُيَيْنةُ : لا واللَّهِ حتى تَذُوقَ نِساؤه [3]مِن الثُّكْلِ[3] ما ذاقَ نِسائى . فجاء مُحَلِّمٌ فى بُرْدَيْن ، فجلَس بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليَستَغفرَ له ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا غفَرَ اللَّهُ لكَ » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٨. وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (٥٤٥٦) عن الحسن البصرى بنحوه . وقال الهيثمى ٧/ ٢٩٤: وإسناده منقطع .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تفسير الطبرى ٥/ ٢٢٢.

(٥) فى م : « هنة » . وفى تفسير الطبرى : « إحنة » . والحنة : العداوة ، وهى لغة قليلة فى الإحنة . النهاية ١/ ٤٥٣. والإحنة : الحقد . النهاية ١/ ٢٧.

فقام وهو يَتلقَّى دُموعَه ببُردَيْه ، فما مضتْ له سابعةٌ حتى مات ، فدفَنوه فلَفَظتْه الأرضُ ، فجاءوا النبيَّ ﷺ فذكَروا ذلك له ، فقال : « إنَّ الأرضَ تَقْبَلُ مَن هو شرٌّ مِن صاحِبِكم ، ولكنَّ اللَّهَ أرادَ أن يَعِظَكم مِن حُرْمَتِكم » . ثُم طرَحوه [1] بيـنَ صَدَفَيْ [1] جبلٍ ، فألقَوا عليه من الحجارةِ ، ونَزَلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية . وقد ذكَره موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهْريِّ ، ورَواه شعيبٌ ، عن الزهْريِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ [2] ، عن قَبِيصةَ ابنِ ذُؤَيْبٍ نحوَ هذه القصةِ [3] ، إلا أنه لم يُسَمِّ [٣/ ٩٢و] مُحَلِّمَ بنَ جَثَّامةَ ، ولا عامرَ بنَ الأضْبَطِ . وكذلك رَواه البيهقيُّ [4] ، عن الحسنِ البصْرِيِّ بنحوِ هذه القصةِ ، وقال : وفيه نزَل قولُه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية .

قلتُ : وقد تكلَّمْنا فى سببِ نزولِ هذه الآيةِ ومعناها فى « التفسيرِ » [5] بما فيه الكفايةُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

(١ - ١) فى النسخ : « فى » . والمثبت من تفسير الطبرى .

(٢) فى الأصل ، م : « وهب » ، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٩١.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٩، ٣١٠ ، من طريق موسى بن عقبة وشعيب كلاهما عن الزهرى ، به .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٣١٠.

(٥) التفسير ٢/٣٣٦ ، ٣٣٧ .

سريَّةُ عبدِ اللَّهِ بنِ حُذافَةَ السهمىّ

ثبَت فى «الصحيحيْن»[1] مِن طريقِ الأعمشِ، عن سعدِ بن عُبَيْدةَ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ[2]، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال: استعمَل النبىُّ ﷺ رجلًا مِن الأنصارِ على سريّةٍ، بعَثهم وأمَرهم أن يَسْمَعوا له ويُطيعوا. قال: فأَغضَبوه فى شىءٍ فقال: اجْمَعوا لى حطَبًا. فجمَعوا، فقال: أوْقِدوا نارًا. فأوْقَدوا، ثُم قال: ألم يأْمُرْكم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تَسْمَعوا لى وتُطِيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخُلوها. قال: فنظَر بعضُهم إلى بعضٍ، وقالوا: إنما فرَرْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن النارِ. قال: فسكَن غضبُه وطُفِئَت النارُ، فلما قدِموا على النبىِّ ﷺ، ذكَروا ذلك له، فقال: «لو دخَلوها ما خرَجوا منها، إنما الطاعةُ فى المعروفِ». وهذه القصةُ ثابتةٌ أيضًا فى «الصحيحيْن» مِن طريقِ يَعْلَى بنِ مسلمٍ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ[3]. وقد تكلَّمْنا على هذه الآيةِ[4] بما فيه كفايةٌ فى «التفسيرِ»[5] وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

---

(١) البخارى (٤٣٤٠، ٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠/٤٠).

(٢) فى الأصل، م: «الحبلى»، وفى ص: «الجبلى». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر الأنساب ٣/ ٢٧٩.

(٣) البخارى (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤).

(٤) سقط من: م، وهى الآية ٥٩ من سورة النساء والمشار إليها فى «الصحيحين» فى الحاشية السابقة.

(٥) التفسير ٢/٣٠١ - ٣٠٤.

عمرةُ القَضاءِ

ويقالُ: القِصاصِ. ورجَّحه السهيليُّ[1]. ويقالُ: عمرةُ القَضِيَّةِ. فالأولُ قضاءٌ عما كان أُحْصِر عامَ الحُدَيْبِيَةِ، والثانى مِن قولِه تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤]. والثالثُ مِن المُقاضاةِ التى كان قاضاهم عليها، على أن يرْجِعَ عنهم عامَه هذا، ثم يأتىَ في العامِ القابلِ، ولا يَدْخُلَ مكةَ إلا فى جُلْبانِ[2] السلاحِ، وأن لا يُقيمَ أكثرَ مِن ثلاثةِ أيامٍ، وهذه العمرةُ هى المذكورةُ فى قولِه تعالى فى سورةِ «الفتحِ» المُباركةِ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧]. وقد تكلَّمْنا عليها مُسْتَقْصًى فى كتابِنا «التفسيرِ»[3] بما فيه كفايةٌ. وهى الموعودُ بها فى قولِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لعمرَ بنِ الخطابِ حينَ قال له: ألم تَكُنْ تُحَدِّثُنا أنَّا سَنأتى البيتَ ونطوفُ به؟ قال: «بلى، أفأخبرتُك أنكَ تأْتيه عامَك هذا؟» قال: لا. قال: «فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به». وهى المُشارُ إليها فى قولِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ [٣/ ٩٢ظ] حينَ دخَل بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مكةَ، يومَ عمرةِ القَضاءِ وهو يقولُ:

---

(١) الروض الأنف ٧/ ٢٥.

(٢) الجلبان: شِبْهُ الجراب من الأَدَم يُوضَع فيه السيف مغمودًا، ويَطرح فيه الراكب سوطه وأداته، ويُعلِّقه فى آخِرة الكُور أو واسطته واشتقاقه من الجِلْبة، وهى الجِلْدة التى تُجعل على القَتَب. النهاية ١/ ٢٨٢.

(٣) التفسير ٧/٣٣٧ - ٣٤١.

خَلُّوا بَنِى الكفارِ عن سبيلِهِ اليومَ نَضْرِبكم على تأْوِيلِهِ

كما ضرَبْناكم على تنْزِيلِهِ

أى هذا تأويلُ الرُّؤْيا التى كان رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ، جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصبحِ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فلما رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ إلى المدينةِ، أقام بها شَهْرَىْ ربيعٍ وجُمادَيَيْن ورجبًا وشعبانَ وشهرَ رمضانَ وشوَّالًا، يَبْعَثُ فيما بينَ ذلك سَراياه، ثم خرَج فى ذى القَعْدةِ، فى الشهرِ الذى صدَّه فيه المشركون، معتمرًا عمرةَ القضاءِ، مكانَ عمرتِه التى صَدُّوه عنها - قال ابنُ هشامٍ: واستعمَل على المدينةِ عُوَيْفَ بنَ الأَضْبَطِ الدُّئِلىَّ - ويقالُ لها: عمرةُ القِصاصِ؛ لأنهم صَدُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذى القَعْدةِ فى الشهرِ الحرامِ مِن سنةِ ستٍّ، فاقتصَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ منهم، فدخَل مكةَ فى ذى القَعْدةِ، فى الشهرِ الحرامِ الذى صدُّوه فيه مِن سنةِ سبعٍ. بلَغَنا عن ابنِ عباسٍ أنه قال: فأَنزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك: ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾.

وقال مُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ[2]، عن أبيه فى «مَغازيه»: لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ، أقام بالمدينةِ وبَعَث سَراياه، حتى استهلَّ ذو القَعْدةِ، فنادَى فى الناسِ أن يَتَجَهَّزوا للعُمْرَةِ. فتجَهَّزوا وخرَجوا إلى مكةَ.

وقال ابنُ إسحاقَ[3]: وخرَج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه فى عمرتِه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٠.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣١٤، من طريق معتمر بن سليمان به.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٠.

تلكَ ، وهى سنةُ سبعٍ ، فلما سَمِع به أهلُ مكةَ خرَجوا عنه ، وتحَدَّثتْ قريشٌ بينَها أن محمدًا (١ وأصحابَه ١) فى عُسْرَةٍ وجَهْدٍ وشِدَّةٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[٢] : فحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال : صَفُّوا له عندَ دارِ الندوةِ ؛ ليَنْظُروا إليه وإلى أصحابِه ، فلما دَخل رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ ، اضْطَبَع[٣] بردائِه ، وأَخْرَج عَضُدَه اليُمنى ، ثُم قال : « رَحِمَ اللَّهُ امرأً أراهم اليومَ مِن نفسِه قوةً » . ثم استلَم الركنَ ، وخرَج يُهَرْوِلُ ، ويُهَرْوِلُ أصحابُه معه ، حتى إذا واراه البيتُ منهم واستلَم الركنَ اليَمانىَّ ، مشَى حتى يَسْتَلِمَ الركنَ الأسودَ ، ثم هَرْوَل كذلك ثلاثةَ أطْوافٍ ومشَى سائرَها . فكان ابنُ عباسٍ يقولُ : كان الناسُ يَظُنُّونَ أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ إنما صنَعها لهذا [٣/٩٣و] الحىِّ مِن قريشٍ ؛ للذى بلَغه عنهم ، حتى حجَّ حِجَّةَ الوداعِ ، فلزِمها ، فمضَتِ السُّنَّةُ بها .

وقال البخارىُّ[٤] : ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمَّادٌ ، هو ابنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، فقال المشركون : إنه يَقْدَمُ عليكم وفدٌ[٥] وهَنهم حُمَّى يَثْرِبَ .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧١.

(٣) الاضطباع : هو أن يأخذ الإزار أو البُرْد ، فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ، ويُلقى طرفيْه على كتفه الأيسر من جهتَىْ صدره وظهره . وسمى بذلك لإبداء الضَّبْعَين ، ويقال للإبط : الضَّبْع ؛ للمُجاورة . النهاية ٣/ ٧٣.

(٤) البخارى (٤٢٥٦) .

(٥) فى م : « وقد » .

فأمَرهم النبىُّ ﷺ أن يَرْمُلوا[1] الأشواطَ الثلاثةَ ، وأن يَمْشُوا ما بينَ الرُّكنيْن ، ولم يَمْنَعْه أن يَأْمُرَهم أن يَرْمُلُوا الأشواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم . قال أبو عبدِ اللَّهِ : [2]وزاد ابنُ[2] سَلَمةَ - يَعنى حمَّادَ بنَ سَلَمةَ - عن أيوبَ ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لمَّا قدِم النبىُّ ﷺ لعامِه[3] الذى استأمَن قال : « ارْمُلُوا » . لِيَرَى المشركون قوَّتَهم[4] ، والمشركون مِن قِبَلِ قُعَيْقِعانَ . ورَواه مسلمٌ ، عن أبى الرَّبيعِ الزَّهْرانىِّ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ[5] . وأَسْند البيهقىُّ طريقَ حمادِ بنِ سَلَمةَ[6] .

وقال البخارىُّ[7] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، سَمِع ابنَ أبى أوْفَى يقولُ : لما اعتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ستَرْناه مِن غِلمانِ المشركين ومنهم ؛ أن يُؤْذوا رسولَ اللَّهِ ﷺ . وسيأتى بقيةُ الكلامِ على هذا المَقامِ .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ دَخَل مكةَ فى تلك العمرةِ ، دَخَلها وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ آخذٌ بخِطامِ ناقتِه يقولُ :

خَلُّوا بنى الكُفَّارِ عن سبيلِهِ ... خَلُّوا فكلُّ الخيرِ فى رسولِهِ

---

(١) يرملوا : يقال : رمَل يرمُل رَمَلًا ورملانًا . إذا أسرع فى المشى وهزّ منكبيْه . انظر النهاية ٢/ ٢٦٥.

(٢ - ٢) فى الأصل : « زاد أبو » . وفى م : « رواه أبو » .

(٣) فى الأصل ، م : « لعامهم » .

(٤) فى م : « قوتكم » .

(٥) مسلم (١٢٦٦) .

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٣٢٦.

(٧) البخارى (٤٢٥٥) .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧١.

يـاربِّ إنـى مـؤمـنٌ بـقِـيـلِـهِ أعْـرفُ حـقَّ الـلَّـهِ فـى قَـبـولِـهِ
نـحـنُ قـتَـلْـنَـاكـم عـلـى تـأْوِيـلِـهِ كـمـا قـتَـلْـنـاكـم عـلـى تَـنْـزِيـلِـهِ
ضَـرْبًـا يُـزيـلُ الـهـامَ عـن مَـقِـيـلِـهِ ويُـذْهِـلُ الخَـلِـيـلَ عـن خَـلِـيـلِـهِ

قال ابنُ هشامٍ[1] : نحن قَتَلْناكم على تأويلِهِ . إلى آخرِ الأبياتِ لعَمَّارِ بنِ ياسرٍ فى غيرِ هذا اليومِ . يَعنى يومَ صِفِّينَ . قاله السهيلىُّ[2] . قال ابنُ هشامٍ[1] : والدليلُ على ذلك أن ابنَ رَواحةَ إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيلِ ، وإنما يُقْتَلُ[3] على التأويلِ مَن أقرَّ بالتنزيلِ .

وفيما قاله ابنُ هشامٍ نظرٌ ؛ فإنَّ الحافظَ البيهقىَّ روَى مِن غيرِ وجهٍ[4] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ قال : لمَّا دَخَل النبىُّ ﷺ [٣/ ٩٣ظ] مكةَ فى عمرةِ القَضاءِ ، مشَى عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ بينَ يَديه - وفى روايةٍ[5] : وهو آخِذٌ بغَرْزِه - وهو يقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ قد نزَّل الرحمنُ فى تنزِيلِهِ
بأنَّ خيرَ القتلِ فى سبيلِهِ نحن قتَلْناكم على تأوِيلِهِ

وفى روايةٍ بهذا الإسنادِ بعينِه[5] :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) الروض الأنف ٧/ ٢٨.

(٣) فى النسخ : « يقاتل » . والمثبت من السيرة .

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٢٢، ٣٢٣. وعنده : « قاتلناكم » بدل « قتلناكم » .

(٥) المصدر السابق ٤/ ٣٢٣.

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ اليومَ نَضْرِبكم على تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ
يا رَبِّ إنِّى مؤمنٌ بقِيلِهِ

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[1] ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَخَل عامَ القَضِيَّةِ مكةَ ، فطَاف بالبيتِ على ناقتِه ، واسْتَلم الرُّكنَ بمِحْجَنِه[2] - قال هشامٌ[3] : مِن غيرِ عِلَّةٍ - والمسلمون يَشْتَدُّون حولَه ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ رَوَاحةَ يقولُ :

بسمِ الذى لا دينَ إلا دينُهُ بسمِ الذى محمدٌ رسولُهُ
خلُّوا بنى الكفَّارِ عن سبيلِهِ

قال موسى بنُ عُقبةَ ، عن الزهرىِّ[4] : ثُم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن العامِ القابلِ مِن عامِ الحُدَيْبيَةِ مُعْتَمِرًا ، فى ذى القَعْدةِ سنةَ سبعٍ ، وهو الشهرُ الذى صَدَّه المشركون عن المسجدِ الحرامِ ، حتى إذا بلَغ يَأْجَجَ وضع الأداةَ كلَّها ؛ الحَجَفَ والمَجانَّ[5] والرِّماحَ والنَّبْلَ ، ودخَلوا بسلاحِ الراكبِ ؛ السيوفِ ، وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ يديه جعفرَ بنَ أبى طالبٍ إلى ميمونةَ بنتِ الحارثِ

---

(١) دلائل النبوة ٤/٣٢٥ ، من طريق يونس بن بكير به .
(٢) المحجن : عصا مُعَقَّفَة الرأس كالصَّوْلجان ، والميم زائدة . النهاية ١/ ٣٤٧.
(٣) فى الأصل ، م : «ابن هشام» . وهشام هو ابن سعد شيخ يونس بن بكير .
(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣١٤ - ٣١٦، من طريق موسى بن عقبة به .
(٥) الحَجَف : جمع حَجَفَة ؛ وهى التُّرس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب . والمَجانُّ : جمع مِجَنّ وهو التُّرس . انظر اللسان (ح ج ف) ، (ج ن ن) .

العامريَّةِ ، فخطَبها عليه ، فجعَلتْ أمْرَها إلى العباسِ ، وكان تحتَه أختُها أمُّ الفَضْلِ بنتُ الحارثِ ، فزوَّجها العباسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أمَر أصحابَه فقال : « اكْشِفوا عن المناكبِ ، واسْعَوا فى الطوافِ » . ليَرَى المشركون جَلَدَهم وقوَّتَهم ، وكان يُكايِدُهم بكلِّ ما استطاع ، فاستَكَفَّ[1] أهلُ مكةَ ؛ الرجالُ والنساءُ والصِّبْيانُ ، ينظُرون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، وهم يَطُوفون بالبيتِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ يَرْتَجِزُ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُتَوَشِّحًا بالسيفِ ، وهو يقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ ... أنا الشَّهيدُ أنه رسولُهُ[2]

قد أنزَلَ الرحمنُ فى تنزيلِهِ ... فى صُحُفٍ تُتْلَى على رسولِهِ

فاليومَ نَضْرِبكم على تأويلِهِ ... كما ضَرَبْناكم على تنزيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ

قال : وتغَيَّب رجالٌ مِن أشرافِ المشركين أن يَنْظُروا [٣/٩٤و] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ غيظًا ، وحَنَقًا ، ونَفاسَةً ، وحسَدًا ، وخرَجوا إلى الخَنْدَمةِ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، وأقام ثلاثَ ليالٍ ، وكان ذلك آخرَ القَضِيةِ يومَ الحديبيةِ ، فلمَّا أن أَصبَح مِن اليومِ الرابعِ أتاه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، وحُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى مجلسِ الأنصارِ يَتَحَدَّثُ مع سعدِ بنِ عُبادَةَ ، فصاح حُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى : نُناشِدُك اللَّهَ والعقدَ لَمَا خرَجْتَ مِن أرضِنا ، فقد مضَتِ الثلاثُ . فقال سعدُ بنُ عُبادةَ : كذَبْتَ ، لا أُمَّ لك ، ليس بأرضِك ولا

---

(١) استكف فلانٌ فلانًا : أى أحاط به واجتمع حوله . انظر النهاية ٤/ ١٩٠.

(٢) فى هذا البيت إقواء .

بأَرْضِ آبائِك ، واللَّهِ لا يَخْرُجُ . ثُم نادَى رسولُ اللَّهِ ﷺ سُهَيْلًا وحُوَيْطِبًا فقال : « إنى قد نكَحْتُ فيكم امرأةً ، فما يَضُرُّكم أن أمْكُثَ حتى أدْخُلَ بها ، ونَصْنَعُ الطعامَ فنأْكُلُ وتأكلون معنا ؟ » . فقالوا : نُناشِدُك اللَّهَ والعقدَ إلَّا خرَجْتَ عنا . فأمر رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا رافعٍ فأذَّن بالرحيلِ ، ورَكِب رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل بَطْنَ سَرِفٍ ، وأقام المسلمون ، وخلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا رافعٍ لِيَحْمِلَ مَيْمونةَ ، وأقام بسَرِفٍ حتى قَدِمَت عليه مَيْمونةُ ، وقد لَقِيَت مَيْمونةُ ومَن معها عَناءً وأَذًى مِن سُفهاء المشركين ومِن صِبيانِهم ، فقَدِمَت على رسولِ اللَّهِ ﷺ بسَرِفٍ ، فبنَى بها ، ثُم أدْلَج ، فسار حتى قَدِم[1] المدينةَ ، وقدَّر اللَّهُ أن يكونَ موتُ مَيْمونةَ بسَرِفٍ بعدَ ذلك بحينٍ ، فماتت حيثُ بنَى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثُم ذكَر قصةَ ابنةِ حمزةَ ، إلى أن قال : وأنزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فى تلك العُمْرةِ : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ . فاعْتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشهرِ الحرامِ الذى صُدَّ فيه . وقد رَوَى ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الأسودِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ نحوًا مِن هذا السِّياقِ[2] .

ولهذا السياقِ شَواهدُ كثيرةٌ مِن أحاديثَ متعددةٍ ، ففى « صحيحِ البخارىِّ »[3] مِن طريقِ فُلَيْحِ بنِ سليمانَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج مُعْتَمِرًا ، فحالَ كفارُ قريشٍ بينَه وبينَ البيتِ ، فنحَر هَدْيَه وحلَق رأسَه بالحُدَيْبيةِ ، وقاضاهم على أن يَعْتَمِرَ العامَ المُقْبِلَ ، [4]ولا يَحْمِلَ سلاحًا[4]

---

(١) فى م : « أتى » .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣١٤ - ٣١٦، من طريق ابن لهيعة به .

(٣) البخارى (٤٢٥٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(١ إلا سيوفًا ، ولا يُقيمَ بها إلَّا ما أحَبُّوا . فاعْتَمَر مِن العامِ المُقْبِلِ ١) ، فدخَلها كما كان صالَحهم ، فلمَّا أن أقام بها ثلاثًا أمَروه أن يَخْرُجَ فخرَج .

وقال الواقديُّ(٢) : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ [٣/٩٤ظ] نافعٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ قال : لم تَكُنْ هذه عمرةَ قَضاءٍ ، وإنما كانت شرطًا على المسلمين أن يَعْتَمِروا مِن قابلٍ ، فى الشهرِ الذى صدَّهم فيه المشركون .

وقال أبو داودَ(٣) : ثنا النُّفَيْلىُّ ، ثنا محمدُ بنُ سَلَمةَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، سَمِعْتُ أبا حاضرٍ الحِمْيَرىَّ يُحَدِّثُ أبى(٤) مَيْمونَ بنَ مِهْرانَ قال : خرَجْتُ مُعْتَمِرًا عامَ حاصَر أهلُ الشامِ ابنَ الزبيرِ بمكةَ ، وبعَث معى رجالٌ مِن قومى بهَدْيٍ . قال : فلما انتَهَيْنا إلى أهلِ الشامِ ، منَعونا أن نَدْخُلَ الحَرَمَ . قال : فنحَرْتُ الهَدْىَ مكانى ، ثم أحْلَلْتُ ، ثم رجَعْتُ ، فلمَّا كان من العامِ المُقبلِ خرَجْتُ لأقْضِىَ عمرتى ، فأتَيْتُ ابنَ عباسٍ فسألْتُه ، فقال : أَبْدِلِ الهَدْىَ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر أصحابَه أن يُبْدِلوا الهَدْىَ الذى نحَروا عامَ الحُدَيْبيةِ ، فى عُمْرةِ القَضاءِ . تفرَّد به أبو داودَ مِن حديثِ أبى حاضِرٍ عثمانَ ابنِ حاضِرٍ الحِمْيرىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَره .

وقال الحافظُ البيهقىُّ(٥) : أنبأنا الحاكمُ ، أنبأنا الأصَمُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عمرُو بنُ مَيْمونٍ قال :

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣١٨، من طريق الواقدى به .

(٣) أبو داود (١٨٦٤) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٠٧) .

(٤) سقط من : الأصل . وفى م : «أن» .

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٣١٩، ٣٢٠.

كان أبى يُسْأَلُ كثيرًا : هل كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أبْدَل هَدْيَه الذى نحَر ، حينَ صَدَّه المشركون عن البيتِ ؟ ولا يَجِدُ فى ذلك شيئًا ، حتى سَمِعْتُه يَسْأَلُ أبا حاضِرٍ الحِمْيَرىَّ عن ذلك ، فقال له : على الخَبِيرِ سقَطْتَ ، حَجَجْتُ عامَ ابنِ الزُّبَيرِ فى الحَصْرِ الأولِ ، فأهْدَيْتُ هَدْيًا ، فحالوا بينَنا وبينَ البيتِ ، فنحَرْتُ فى الحَرَمِ ، ورجَعْتُ إلى اليمنِ ، وقلتُ : لى برسولِ اللَّهِ ﷺ أُسوةٌ . فلمَّا كان العامُ المقبلُ حجَجْتُ ، فلَقِيتُ ابنَ عباسٍ ، فسأَلْتُه عما نحَرْتُ : علىَّ بَدَلُه أم لا ؟ قال : نعم فأبْدِلْ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه قد أبْدَلوا الهَدْىَ الذى نحَروا عامَ صَدَّهم المشركون ، فأبْدَلوا ذلك فى عُمْرةِ القَضاءِ ، فعزَّتِ الإبلُ عليهم ، فرخَّص لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى البقرِ .

وقال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى غانمُ بنُ أبى غانمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : جعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ناجيةَ بنَ جُنْدُبٍ الأسْلَمىَّ على هَدْيِه ، يَسِيرُ بالهَدْيِ أمامَه ، يَطْلُبُ الرَّعْىَ فى الشجرِ ، معه أربعةُ فتيانٍ مِن أسْلَمَ ، وقد ساق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عمرةِ القَضِيَّةِ ستين بَدَنةً .

فحدَّثنى[2] محمدُ بنُ نُعَيْمٍ المُجْمِرُ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : كنتُ مع صاحبِ البُدْنِ أسُوقُها .

[٣/٩٥و] قال الواقدىُّ[3] : وسار رسولُ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّى والمسلمون معه يُلَبُّون ، ومضَى محمدُ بنُ مَسْلَمةَ بالخيلِ إلى مَرِّ الظَّهْرانِ ، فيجِدُ بها نفَرًا مِن

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٧٣٢، ٧٣٣. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣٢٠، من طريق الواقدى به .

(٢) القائل الواقدى .

(٣) مغازى الواقدى ٢/٧٣٤ - ٧٣٦. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣٢١ ، عن الواقدى .

قريشٍ ، فسألوا محمدَ بنَ مَسْلَمةَ ، فقال : هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَبِّحُ هذا المنزلَ غدًا إن شاء اللَّهُ . ورَأَوْا سلاحًا كثيرًا مع بَشِيرِ بنِ سعدٍ ، فخرَجوا سِراعًا حتى أتَوْا قريشًا ، فأخْبروهم بالذى رَأَوْا مِن السلاحِ والخيلِ ، ففَزِعت قريشٌ وقالوا : واللَّهِ ما أحْدَثْنا حَدَثًا ، وإنا على كتابِنا وهُدْنتِنا ، ففيمَ يغْزُونا محمدٌ فى أصحابِه ؟ ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ ، وقدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ السلاحَ إلى بطنِ يَأْجَجَ ، حيثُ يَنْظُرُ إلى أنْصابِ الحَرَمِ ، وبعَثت قريشٌ مِكْرَزَ بنَ حَفْصِ بنِ الأَحْنفِ فى نفَرٍ مِن قريشٍ ، حتى لَقُوه ببطنِ يَأْجَجَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه والهَدْيِ والسلاحِ ، قد تَلاحَقوا ، فقالوا : يا محمدُ ، ما عُرِفْتَ صغيرًا ولا كبيرًا بالغَدْرِ ، تَدْخُلُ بِالسلاحِ فى الحرمِ على قومِك ، وقد شرَطْتَ لهم أن لا تَدْخُلَ إلا بسلاحِ المسافرِ ؛ السيوفِ فى القُرُبِ ؟! فقال النبىُّ ﷺ : « إنى لا أُدْخِلُ عليهم السلاحَ » . فقال مِكْرَزُ بنُ حفصٍ : هذا الذى تُعْرَفُ به ؛ البِرُّ والوَفاءُ . ثُم رجَع سريعًا بأصحابِه إلى مكةَ [1] فقال : إن محمدًا لا يَدْخُلُ بسلاحٍ ، وهو على الشرطِ الذى شرَط لكم [1] . فلما أن جاء مِكْرَزُ بنُ حفصٍ بخبرِ النبىِّ ﷺ ، خرَجَت قريشٌ مِن مكةَ إلى رُءُوسِ الجبالِ ، وخَلَّوا مكةَ ، وقالوا : لا نَنْظُرُ إليه ولا إلى أصحابِه . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالهَدْيِ أمامَه حتى حُبِس بذى طُوًى ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه وهو على ناقتِه القَصْواءِ ، وهم مُحْدِقون به يُلَبُّون ، وهم مُتَوَشِّحون السيوفَ ، فلما انتَهَى إلى ذى طُوًى ، وقَف على ناقتِه القَصْواءِ ، [2] والمسلمون حولَه ، ثم دخَل من الثَّنِيَّةِ التى تُطْلِعُه على الحَجُونِ على راحلتِه القَصواءِ [2] ، وابنُ رَواحةَ آخِذٌ بزِمامِها ، وهو يَرْتَجِزُ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المغازى والدلائل .

(٢ - ٢) سقط من النسخ : والمثبت من المغازى . وقد أثبته محقق الدلائل نقلًا عن المغازى .

بشعرِه ويقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ

إلى آخرِه .

وفى « الصحيحين »[1] مِن حديثِ ابنِ عباسٍ قال : قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه صَبِيحةَ رابعةٍ - يعنى مِن ذى القَعْدةِ سنةَ سبعٍ - فقال المشركون : إنه يَقْدَمُ عليكم وفْدٌ قد وَهَنتْهم حُمَّى يثْرِبَ . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَرْمُلُوا الأشْواطَ الثلاثةَ ، وأن يَمْشُوا ما بينَ الرُّكْنين ، ولم يَمْنَعْه أن يَرْمُلوا الأشْواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا محمدُ [٣/٩٥ظ] بنُ الصَّبَّاحِ ، ثنا إسماعيلُ ، يعنى ابنَ زكريا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما نزَل مَرَّ الظَّهْرانِ فى[3] عُمْرتِه ، بلَغ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن قريشًا تقولُ : ما يَتَباعَثون مِن العَجَفِ[4] . فقال أصحابُه : لو انتَحَرْنا مِن ظَهْرِنا[5] ، فأكَلْنا مِن لحمِه ، وحَسَوْنا مِن مَرَقِه ، أصْبَحْنا غدًا حينَ نَدْخُلُ على القومِ وبنا جَمَامَةٌ[6] . فقال : « لا تَفْعَلوا ، ولكنِ اجْمَعوا لى مِن أزْوادِكم » .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحتى ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٢) المسند ١/ ٣٠٥. (إسناده صحيح) .

(٣) فى الأصل ، م : « من » .

(٤) العَجَف : ذهابُ السِّمَن ، والهزالُ . اللسان (ع ج ف) .

(٥) أى : لو نحرنا من الإبل التى نركبها .

(٦) جمامة : راحة وشِبَع ورِىّ . النهاية ١/ ٣٠١.

فجمَعوا له ، وبسَطوا الأنْطاعَ ، فأكَلوا حتى تَرَكوا[1] ، وحَثا[2] كلُّ واحدٍ منهم فى جِرابِه ، ثم أقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل المسجدَ ، وقعَدَت قريشٌ نحوَ الحِجْرِ ، فاضْطَبَع بردائِه ثم قال : « لا يَرَى القومُ فيكم غَمِيزةً[3] » . فاسْتَلم الرُّكْنَ ثم رَمَل[4] ، حتى إذا تغَيَّب بالركنِ اليَمانىِّ مشَى إلى الركنِ الأسودِ ، فقالت قريشٌ : ما يَرْضَون بالمشْيِ ، أمَا إنهم [5]لَيَنْقُزُون نَقْزَ[5] الظِّباءِ ! ففعَل ذلك ثلاثةَ أطْوافٍ ، فكانت سُنَّةً . قال أبو الطُّفَيْلِ : وأخبرَنى ابنُ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ فعَل ذلك فى حِجَّةِ الوَداعِ . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

قال أبو داودَ[6] : ثنا أبو سَلَمةَ موسى ، ثنا حَمَّادٌ - يعنى ابنَ سَلَمةَ - أنبأَنا أبو عاصمٍ الغَنوىُّ ، عن أبى الطُّفَيْلِ قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : يَزْعُمُ قومُك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد رمَل بالبيتِ ، وأن ذلك سُنَّةٌ . فقال : صدَقوا وكذَبوا . قلتُ : ما صدَقوا وما كذَبوا ؟! قال : صدَقوا ؛ رمَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكذَبوا ؛ ليس بسُنةٍ ، إنَّ قريشًا قالت زمنَ الحديبيةِ : دَعُوا محمدًا وأصحابَه حتى يَمُوتوا موتَ النَّغَفِ[7] . فلمَّا صالَحوه على أن يَجيئوا مِن العامِ المقبلِ فيُقِيموا بمكةَ ثلاثةَ أيامٍ ، فقَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمشركون مِن قِبَلِ قُعَيْقِعانَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه : « ارْمُلوا بالبيتِ ثلاثًا » . قال : وليس بسُنةٍ . وقد رَواه مسلمٌ مِن

---

(١) فى المسند : « تولوا » .

(٢) فى النسخ : « حشى » . والمثبت من المسند .

(٣) الغميزة : العيب . اللسان (غ م ز) .

(٤) فى المسند : « دخل » .

(٥ - ٥) فى النسخ : « لينفرون نفر » . والمثبت من المسند . والنقز : الوثب والقفز . اللسان (ن ق ز) .

(٦) أبو داود (١٨٨٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٠) .

(٧) النغف : دود يكون فى أنوف الإبل والغنم . النهاية ٥/ ٨٧.

حديثِ سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى حُسَيْنٍ ، وعبدِ الملكِ ابنِ سعيدِ بنِ أَبْجَرَ ، ثلاثتُهم عن أبى الطُّفَيْلِ عامرِ بنِ واثلةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، به نحوَه[1]

وكونُ الرَّمَلِ فى الطَّوافِ سُنةً مذهبُ الجمهورِ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ رمَل فى عُمرةِ القَضاءِ ، وفى عمرةِ الجِعْرَانةِ أيضًا ، كما رواه أبو داودَ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَره[2] . وثبَت فى حديثِ جابرٍ [٣/٩٦و] عند مسلمٍ وغيرِه ، أنه صلَّى اللَّهُ عليه وسلم رمَل فى حِجةِ الوَداعِ فى الطوافِ[3] . ولهذا قال عمرُ بنُ الخطابِ : فيمَ الرَّمَلانُ وقد أَطَّأَ[4] اللَّهُ الإسلامَ ؟ ومع هذا لا نَتْرُكُ شيئًا فعَله رسولُ اللَّهِ ﷺ[5] . وموضعُ تقريرِ هذا كتابُ « الأحكامِ » .

وكان ابنُ عباسٍ فى المشهورِ عنه لا يرَى ذلك سُنةً ، كما ثَبَت فى « الصحيحين »[6] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : إنما سعَى النبىُّ ﷺ بالبيتِ [7]وبينَ الصفا[7] والمَرْوَةِ ؛ لِيُرِىَ

---

(١) مسلم (٢٣٧، ١٢٦٤/٢٣٨) ، (١٢٦٥) .

(٢) أبو داود (١٨٩٠) . وابن ماجه (٢٩٥٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٤) .

(٣) مسلم (١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، والنسائى (٢٩٣٩، ٢٩٤٤، ٢٩٦١، ٢٩٦٢، ٢٩٧٤، ٢٩٨٢، ٢٩٨٣) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) .

(٤) فى الأصل ، م : « أطال » . وأطأ اللَّه الإسلام : أى ثبته وأرساه . النهاية ١/ ٥٣.

(٥) رواه أبو داود (١٨٨٧) . وابن ماجه (٢٩٥٢) . والإمام أحمد فى المسند ١/ ٤٥. حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٢) .

(٦) البخارى (١٦٤٩، ٤٢٥٧) ، ومسلم (١٢٦٦/٢٤١) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « وبالصفا » . والمثبت من صحيح البخارى .

المشركين قوَّتَه . لفظُ البخاريِّ .

وقال الواقديُّ[1] : لما قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ نُسُكَه فى القَضاءِ ، دخَل البيتَ ، فلم يَزَلْ فيه حتى أذَّن بلالٌ الظهرَ فوقَ ظهرِ الكعبةِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أمَره بذلك ، فقال عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ : لقد أكرم اللَّهُ أبا الحكَمِ حيثُ[2] لم يَسْمَعْ هذا العبدَ يقولُ ما يقولُ . وقال صفوانُ بنُ أميةَ : الحمدُ للَّهِ الذى أذْهَب أبى قبلَ أن يَرَى هذا . وقال خالدُ بنُ أَسِيدٍ : الحمدُ للَّهِ الذى أمات أبى ولم يَشْهَدْ هذا اليومَ ، حينَ[3] يقومُ بلالُ [4]ابنُ أمِّ بلالٍ[4] يَنْهَقُ فوقَ الكعبةِ[5] . وأما سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ورجالٌ معه ، لمَّا سمِعوا بذلك غطَّوا وجوهَهم . قال الحافظُ البيهقيُّ[6] : قد أكْرم اللَّهُ أكثرَهم بالإسلامِ .

قلتُ : كذا ذكَره البيهقيُّ[7] مِن طريقِ الواقديِّ ؛ أن هذا كان فى عمرةِ القَضاءِ . والمشهورُ أن ذلك كان فى عامِ الفتحِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه الواقدى فى مغازيه ٢/ ٧٣٧، ٧٣٨ ، عن على بن عمر ، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل ، عن سعيد بن المسيب مرسلًا .

(٢) فى الأصل ، م : « حين » .

(٣) فى الأصل ، م : « حتى » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، م : « البيت » .

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٣٢٩.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩ ، من طريق الواقدى ، بإسناد الواقدى السابق .

وأما[1] قصةُ تزويجِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بميمونةَ

فقال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى أَبانُ بنُ صالحٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ، عن عطاءٍ ومُجاهِدٍ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّج ميمونةَ بنتَ الحارثِ فى سفَرِه ذلك وهو حَرامٌ، وكان الذى زَوَّجه إيَّاها العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ. قال ابنُ هشامٍ[3] : كانت جَعَلَتْ أمْرَها إلى أُخْتِها أمِّ الفَضْلِ، فجَعَلتْ أمُّ الفَضْلِ أمْرَها إلى زوجِها العباسِ، فزوَّجها رسولَ اللَّهِ ﷺ، وأصْدَقها عنه أربعَمائةِ درهمٍ. وذكَر السُّهَيْلِىُّ[4] أنَّه لمَّا انْتَهَتْ إليها خِطْبةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لها وهى راكبةٌ بعيرًا قالت : الجملُ وما عليه لرسولِ اللَّهِ ﷺ. قال : وفيها نزَلت الآيةُ : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن [٣/٩٦ظ] دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠].

وقد رَوَى البخارىُّ[5] مِن طريقِ أيوبَ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّج ميمونةَ وهو مُحْرِمٌ، وبنَى بها وهو حَلالٌ، وماتَتْ بسَرِفٍ.

---

(١) سقط من : م.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الروض الأنف ٧/ ٢٩.

(٥) البخارى (٤٢٥٨).

قال السُّهَيْلِيُّ[1] : ورَوَى الدارَقُطْنِيُّ[2] مِن طريقِ أبى الأسْودِ يتيمِ عُرْوةَ ، ومِن طريقِ مَطَرٍ الوَرَّاقِ ، عن عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّج ميمونةَ وهو حَلالٌ . قال : وتَأَوَّلوا روايةَ ابنِ عباسٍ الأُولى أنَّه كان مُحْرِمًا ؛ أى فى شهرِ حَرامٍ ، كما قال الشاعرُ[3] :

قَتَلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... فدَعا فلم أرَ مثلَه مَخْذولَا

أى فى شهرِ حَرامٍ .

قلتُ : وفى هذا التأويلِ نظَرٌ ؛ لأنَّ الرواياتِ[4] مُتَظافرةٌ عن ابنِ عباسٍ بخلافِ ذلك ، ولا سيَّما قولُه : تزوَّجها وهو مُحْرِمٌ ، وبنَى بها وهو حَلالٌ . وقد كان فى شهرِ ذى القَعْدةِ أيضًا ، وهو شهرٌ حَرامٌ .

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلِيُّ[5] : ثنا عبدُ الرزاقِ قال : قال لى الثَّوْرِيُّ : لا تَلْتَفِتْ[6] إلى قولِ أهلِ المدينةِ ؛ أخبرَنى عمرٌو ، عن أبى الشَّعْثاءِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّج وهو مُحْرِمٌ . قال أبو عبدِ اللَّهِ[7] : قلتُ لعبدِ الرزاقِ : رَوَى سفيانُ الحديثَيْن جميعًا ؛ عن عمرٍو عن أبى الشَّعْثاءِ عن ابنِ عباسٍ[8] ، وابنِ خُثَيْمٍ

---

(١) فى م : « البيهقى » . الروض الأنف ٧/ ٣٠.

(٢) سنن الدارقطنى ٣/ ٢٦٣. وقال عقب طريق مطر عن عكرمة : تفرد به محمد بن عثمان ، عن أبيه ، عن سلام أبى المنذر ، وهو غريب ، عن مطر .

(٣) هو الراعى النميرى . والبيت فى ديوانه ص ٢٠٧ .

(٤) فى الأصل ، م : « الرواية » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٣٣١ ، من طريق محمد بن يحيى الذهلى به .

(٦) فى م : « يلتفت » .

(٧) هو محمد بن يحيى الذهلى . انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٦١٧.

(٨) أخرجه أحمد فى المسند ١/٣٦٢ ، من طريق سفيان الثورى عن عمرو به (إسناده صحيح) .

عن سعيدِ بنِ جبيرٍ عن ابنِ عباسٍ[1] ؟ قال : نعم ، أمَّا حديثُ ابنِ خُثَيْمٍ فحدَّثَنا هـٰهنا - يعنى باليمنِ - وأمَّا حديثُ عمرٍو فحدَّثَنا ثَمَّ - يعنى بمكةَ - وأخْرَجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ عمرِو بنِ دينارٍ به[2] .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[3] مِن طريقِ الأوْزاعىِّ ، أنبأَنا عطاءٌ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج ميمونةَ وهو مُحْرِمٌ .

فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[4] : وَهِلَ[5] ابنُ عباسٍ ، وإن كانت خالتَه ؛ ما تزوَّجها إلَّا بعدَ ما أحَلَّ .

وقال يونُسُ[6] ، عن ابنِ إسحاقَ : حدَّثنى ثقةٌ[7] ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّه قال : هذا عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، يَزْعُمُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [8]نكَح ميمونةَ وهو مُحْرِمٌ . فذكَر كلمتَه[9] : إنَّما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ[8] ، فكان الحِلُّ والنِّكاحُ جميعًا ، فشُبِّه ذلك على الناسِ[10] .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٢٨٣، ٣٣٢، ٣٦٢ ، من طريق الثورى عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم به .

(٢) البخارى (٥١١٤) ، ومسلم (١٤١٠) .

(٣) البخارى (١٨٣٧) .

(٤) القائل : « فقال » . هو البيهقى . انظر الدلائل ٤/ ٣٣٢. وأثر سعيد بن المسيب أخرجه أبو داود (١٨٤٥) عن إسماعيل بن أمية ، عن رجل ، عن سعيد قال : وهم ابن عباس فى تزويج ميمونة وهو محرم . صحيح مقطوع (صحيح أبى داود ١٦٢٨) .

(٥) فى م : « وهم » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٣٦، من طريق يونس به نحوه .

(٧) فى الأصل ، م : « بقية » .

(٨ - ٨) فى الدلائل : « دخل مكة » .

(٩) فى ص : « كلمة » .

(١٠) فى الأصل ، م : « ابن عباس » .

ورَوَى مسلمٌ وأهلُ السُّنَنِ[1] مِن طُرُقٍ، عن يزيدَ بنِ الأصَمِّ العامريِّ، عن خالتِه ميمونةَ بنتِ الحارثِ قالت: تزَوَّجنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحنُ حَلالان[2] بسَرِفٍ. لكنْ قال الترمـذيُّ: رَوَى غيرُ واحدٍ هذا الحديثَ، عن يزيدَ بنِ الأصَمِّ [٣/٩٧و] مُرْسلًا، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج ميمونةَ [3]وهو حلالٌ[3].

وقال الحافظُ البيهقيُّ[4]: [5]أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ[5]، أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأصْفهانيُّ الزاهدُ، ثنا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضى، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ، ثنا مَطَرٌ الوَرَّاقُ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ، عن أبى رافعٍ قال: تَزَوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمونةَ وهو حَلالٌ، وبنَى بها وهو حَلالٌ، وكنتُ الرسولَ بينَهما. وهكذا رواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ جميعًا، عن قُتَيْبةَ، عن حمادِ بنِ زيدٍ، به[6]. ثُم قال الترمذيُّ: حسنٌ، ولا نعْلَمُ أحدًا أسْنَده غيرَ[7] حمادٍ عن مَطَرٍ، ورَواه مالكٌ، عن ربيعةَ، عن سليمانَ مُرْسَلًا[8]، [9]ورواه سليمانُ بنُ بلالٍ، عن ربيعةَ[9]

---

(١) مسلم (١٤١١)، وأبو داود (١٨٤٣) واللفظ له، والترمذى (٨٤٥). والنسائى فى الكبرى (٥٤٠٤)، وابن ماجه (١٩٦٤).

(٢) فى م: «حلال».

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من سنن الترمذى.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٣٦.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) الترمذى (٨٤١). والنسائى فى الكبرى (٥٤٠٢). ضعيف، وصحح الشيخ الألبانى الشطر الأول منه - تزوج النبى ﷺ ميمونة وهو حلال - بطريق مالك مرسلًا. انظر ضعيف سنن الترمذى (١٤٣)، وإرواء الغليل ٦/ ٢٥٢، ٢٥٣ (١٨٤٩).

(٧) فى النسخ: «عن». والمثبت من سنن الترمذى.

(٨) ولفظه، كما ذكر الترمذى: أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال. والحديث عند مالك، فى الموطأ ١/ ٣٤٨.

(٩ - ٩) سقط من: ص.

(١ مُرْسَلًا .

قلتُ : وكانت وفاتُها بسَرِفٍ سنةَ ثلاثٍ وستين ، ويقالُ : سنةَ ستين . رَضِى اللَّهُ عنها ١) .

(١ - ١) سقط من : ص .

ذكرُ خُروجِه ﷺ مِن مكةَ بعدَ قضاءِ عُمْرَتِه

قد تقَدَّم ما ذكَره موسى بنُ عقبةَ ؛ أنَّ قريشًا بعثوا إليه حُوَيْطِبَ بنَ عبدِ العُزَّى بعدَ مُضِيِّ أربعةِ أيامٍ لِيَرْحَلَ عنهم ، كما وقَع به الشرطُ ، فعَرَض عليهم أن يَعْمَلَ وَليمةَ عُرْسِه بميمونةَ عندَهم ، وإنَّما أراد تأليفَهم بذلك ، فأبَوْا عليه وقالوا : بل اخرُجْ عنا . فخرَج . وكذلك ذكَره ابنُ إسحاقَ[1] .

وقال البخاريُّ[2] : حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ قال : اعْتَمَر النبيُّ ﷺ فى ذى القَعْدةِ ، فأبَى أهلُ مكةَ أن يَدَعُوه يَدْخُلُ مكةَ ، حتى قاضاهم على أن يُقِيموا بها ثلاثةَ أيامٍ ، فلمَّا كتَبوا الكتابَ ، كتَبوا : هذا ما قاضَى عليه محمدٌ رسولُ اللَّهِ . قالوا : لا نُقِرُّ بهذا ، لو نَعْلَمُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ما منَعْناك شيئًا ، ولكنْ أنت محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ . قال : « أنا رسولُ اللَّهِ ، وأنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ » . ثم قال لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ : « امْحُ رسولَ اللَّهِ » . قال : لا واللَّهِ لا أمْحوك أبدًا . فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ الكتابَ ، وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ ، فكَتَب : هذا ما قاضَى عليه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ؛ لا يُدْخِلُ مكةَ إلَّا السيفَ فى القِرابِ ، وأن لا يَخْرُجَ مِن أهلِها بأحدٍ أراد أن يَتْبَعَه ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٢. وعنده أنهم أرسلوا إليه فى اليوم الثالث . وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٥. حوداث السنة السابعة .

(٢) البخارى (٤٢٥١) .

وأن لا يَمْنَعَ مِن أصحابِه أحدًا أراد أن يُقيمَ بها . فلمَّا دخَلها ومضَى الأجلُ ، أتَوْا عليًّا فقالوا : قلْ لصاحبِك : اخْرُجْ عنا ، فقد مَضَى الأجلُ . فخرَج النبيُّ ﷺ فتَبِعَتْه ابنةُ حمزةَ تُنادى : يا عمِّ ، يا عمِّ . فتَناوَلها عليٌّ فأخَذ بيدِها ، وقال لفاطمةَ : دونَكِ ابنةَ عمِّك . فحَمَلَتْها ، فاخْتَصَم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرٌ ، فقال [٣/٩٧ظ] عليٌّ : أنا أخَذْتُها وهى ابنةُ عمى . وقال جعفرٌ : ابنةُ عمى ، وخالتُها تحتى . وقال زيدٌ : ابنةُ أخى . فقضَى بها النبيُّ ﷺ لخالتِها وقال : « الخالةُ بمنزلةِ الأُمِّ » . وقال لعليٍّ : « أنت منى وأنا منك » . وقال لجعفرٍ : « أَشْبَهْتَ خَلْقى وخُلُقى » . وقال لزيدٍ : « أنت أخونا ومولانا » . قال عليٌّ : أَلَا تتزوَّجُ ابنةَ حمزةَ ؟ قال : « إنها ابنةُ أخى مِن الرَّضاعةِ » .

تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

وقد روَى الواقديُّ[1] قصةَ ابنةِ حمزةَ ، فقال : حدَّثنى ابنُ أبى حَبِيبةَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن عُمارةَ ابنةَ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ ، وأمُّها سَلْمَى بنتُ عُمَيْسٍ ، كانت بمكةَ ، فلمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ كلَّم عليُّ بنُ أبى طالبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : علامَ نَتْرُكُ ابنةَ عمِّنا يتيمةً بينَ ظَهْرانى المشركين ؟ فلم يَنْهَ النبيُّ ﷺ عن إخراجِها ، فخَرَج بها ، فتَكَلَّم زيدُ بنُ حارثةَ وكان وَصِيَّ حمزةَ ، وكان النبيُّ ﷺ قد آخَى بينَهما حينَ آخَى بينَ المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنةُ أخى . فلمَّا سَمِع بذلك جعفرٌ قال : الخالةُ والدةٌ ، وأنا أحقُّ بها لمكانِ خالتِها عندى أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ . وقال عليٌّ : ألا أُراكم تَخْتصمون ! هى ابنةُ عمى ، وأنا أخْرَجْتُها مِن بينِ أظْهُرِ المشركين ، وليس

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٧٣٨، ٧٣٩. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٣٩، ٣٤٠ عن الواقدى به .

لكم إليها سببٌ[1] دونى ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبىُّ ﷺ : « أنا أحْكُمُ بينَكم ، أمّا أنت يا زيدُ فمَوْلى اللَّهِ ومولَى رسولِ اللَّهِ ، [2]وأمّا أنت يا علىُّ فأخى وصاحبى[2] ، وأما أنت يا جعفرُ فتُشْبِهُ خَلْقِى وخُلُقِى ، وأنت يا جعفرُ أَوْلَى بها ؛ تحتَك خالتُها ، ولا تُنْكَحُ المرأةُ على خالتِها ولا على عَمَّتِها » . فقضَى بها لجعفرٍ .

قال الواقدىُّ[3] : فلما قضَى بها لجعفرٍ ، قام جعفرٌ فحجَل حولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفرُ ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، كان النَّجَاشِىُّ إذا أرْضَى أحدًا ، قام فحَجَل حولَه . فقال للنبىِّ ﷺ : تزَوَّجْها . فقال : « ابنةُ أخى مِن الرَّضاعةِ » . فزوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ سَلَمةَ بنَ أبى سَلَمةَ ، فكان النبىُّ ﷺ يقولُ : « هل جَزَيْتُ[4] سَلَمةَ ؟ » .

قلتُ : لأنَّه ذكَر الواقدىُّ وغيرُه[5] ، أنَّه هو الذى زوَّج رسولَ اللَّهِ ﷺ بأُمِّه أمِّ سَلَمةَ ؛ لأنَّه كان أكبرَ مِن أخيه عمرَ بنِ أبى سَلَمةَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ فى ذى [٣/٩٨و]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « نسب » . وما فى النسخ أنسب للسياق معنًى ، من حيث كونهم لم يتوصلوا إليها إلا بسبب إخراج على ، رضى اللَّه عنه ، لها من مكة .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المغازى والدلائل .

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٣٩. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٤٠ عن الواقدى .

(٤) بعده فى النسخ : « أبا » . وهو خطأ ؛ يدل عليه ما يأتى من كلام المصنف .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٤، ٦٤٥. ولم نجده عند الواقدى ، لكن ذكر ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٩٢ عن الواقدى بإسناده عن محمد بن عمر بن أبى سلمة ، أن عمر بن أبى سلمة هو الذى زوج أمَّه النبىَّ ﷺ . وانظر كلام المصنف على ذلك فيما تقدم فى ٥/ ٥٨٢.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٢، ٣٧٣.

الحِجَّةِ ، وتَوَلَّى المشركون تلك الحِجَّةَ . قال ابنُ هشامٍ[1] : وأنزَل اللَّهُ فى هذه العمرةِ ، فيما حدَّثنى أبو عُبَيْدةَ ، قولَه تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] . يعنى خيبرَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٧٢ ، ٣٧٣ .

فصلٌ

ذكَر البيهقىُّ هـٰهُنا[1] سريَّةَ ابنِ أبى العَوْجاءِ السُّلَمىِّ إلى بنى سُلَيْمٍ ، ثُم ساق بسندِه عن الواقدىِّ[2] : حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، عن الزُّهْرىِّ قال : لمَّا رَجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عُمرةِ القَضِيَّةِ ، رجَع فى ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ سبعٍ ، فبَعَث ابنَ أبى العَوْجاءِ السُّلَمىَّ فى خمسين رجلًا[3] ، فخرَج [4]إلى بنى سُلَيْمٍ ، وكان عَينُ بنى سُلَيْمٍ معه ، فلما فصَل مِن المدينةِ ، خرَج[4] العَيْنُ إلى قومِه ، فحذَّرَهم وأخْبرَهم ، فجمَعوا جمعًا كثيرًا ، وجاءهم ابنُ أبى العَوْجاءِ والقومُ مُعِدُّون ، فلمَّا أن رآهم أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورَأَوْا جمعَهم ، دَعَوْهم إلى الإسلامِ ، فرَشَقوهم بالنَّبْلِ ولم يَسْمَعوا قولَهم ، وقالوا : لا حاجةَ لنا إلى ما دَعَوْتُم إليه ، فرَمَوْهم ساعةً ، وجعَلت الأمْدادُ تأتى ، حتى أحْدَقوا بهم مِن كلِّ جانبٍ ، فقاتَل القومُ قتالًا شديدًا ، حتى قُتِل عامَّتُهم ، وأُصِيب ابنُ أبى العَوْجاءِ [5]بجِراحاتٍ كثيرةٍ[5] ، فتَحامَل حتى رجَع إلى المدينةِ بمَن بَقِىَ معه مِن أصحابِه فى أولِ يومٍ مِن صفَرٍ سنةَ ثمانٍ .

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) المصدر السابق . وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٤١.

(٣) فى م : « فارسا » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل والمغازى .

(٥ - ٥) فى الدلائل والمغازى : « جريحًا مع القتلى » .

فصلٌ

قال الواقدىُّ[1] : فى المُحرَّمِ[2] مِن هذه السنةِ - يعنى سنةَ سبعٍ - ردَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ابنتَه زينبَ على زوجِها أبى العاصِ بنِ الربيعِ - وقد قدَّمْنا الكلامَ على ذلك - وفيها قَدِم حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعةَ مِن عندِ المُقَوْقِسِ ومعه مارِيَةُ وسِيرينُ، وقد أسْلَمَتا فى الطريقِ، وغلامٌ خَصِىٌّ . قال الواقدىُّ[3] : وفيها اتَّخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِنبرَه درجتينِ ومَقعدَه . قال : والثَّبَتُ عندَنا أنَّه عُمِل فى سنةِ ثمانٍ .

---

(١) ذكره عنه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٢١. حوادث السنة السابعة .

(٢) فى م : « الحجة » .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يَسّرْ وأعِنْ بحولِك وقوتِك

سَنةُ ثمانٍ مِن الهجرةِ النبويةِ

[1](*)فصلٌ فى[1] إسلامِ عمرِو بنِ العاصِ وخالدِ بنِ الوليدِ وعثمانَ بنِ طلحةَ، [1]رضى اللَّه عنهم، وكان قدومُهم أوائلَ سنةِ ثمانٍ، على ما سيأتى[1]

قد تقدَّم طَرَفٌ مِن ذلك[2]، فيما ذَكَره ابنُ إسحاقَ بعدَ مَقْتلِ أبى رافعٍ اليهوديِّ، وذلك فى سنةِ خمسٍ مِن الهجرةِ. وإنَّما ذكَره الحافظُ البَيْهَقىُّ[3] هـٰهنا بعدَ عُمرةِ القَضاءِ، [٣/٩٨ظ] فرَوَى مِن طريقِ الواقدىِّ: أنبأَنا عبدُ الحميدِ ابنُ جعفرٍ، عن أبيه قال[4]: قال عمرُو بنُ العاصِ: كنتُ للإسلامِ مُجانِبًا

(١ - ١) سقط من: م.

(*) بداية النسخة الأولى من الجزء الرابع، من نسخة أحمد الثالث، ويشار إليها بـ (٤١).

(٢) تقدم فى صفحة ١٤٠ وما بعدها.

(٣) دلائل النبوة ٣٤٣/٤ - ٣٤٦ وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٩٦/١٣ - ٤٩٨ مخطوط، من طريق الواقدى به. وانظر مغازى الواقدى ٧٤١/٢ - ٧٤٥، وتاريخ الإسلام، جزء المغازى ص ٤٧٠ - ٤٧٣.

(٤) سقط من: م.

مُعانِدًا ، حَضَرْتُ بدرًا مع المشركين فنَجَوْتُ ، ثُم حضرتُ أُحدًا فنجوتُ ، ثُم حضرتُ الخندقَ فنجوتُ . قال : فقلتُ فى نفسى : كم أُوضِعُ[1] ! واللَّهِ لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على قريشٍ . فلَحِقْتُ بمالى بالوَهْطِ[2] ، وأَقْلَلْتُ مِن الناسِ - أى من لقائِهم - فلمَّا حَضَر الحديبيةُ ، وانْصَرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الصُّلحِ ، ورجَعَتْ قريشٌ إلى مكةَ ، جَعَلتُ أقولُ : يَدْخُلُ محمدٌ قابلًا مكةَ بأصحابِه ، ما مكةُ بمنزِلٍ ولا الطائفُ ، ولاشىءَ خيرٌ مِن الخروجِ . وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلامِ ، وأَرَى لو أسْلَمَتْ قريشٌ كلُّها لم أُسْلِمْ ، فقدِمْتُ مكةَ وجَمعْتُ رجالًا مِن قومى ، وكانوا يرَوْن رأيـى ، ويَسْمَعون منى ، ويُقَدِّموننى فيما نابهم ، فقلتُ لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رَأْيِنا ومِدْرَهُنا[3] فى يُمْنِ نَقِيبَةٍ[4] وبركةِ أمرٍ ، قال : قلتُ : تَعْلَمون أنِّى واللَّهِ لَأَرَى أمرَ محمدٍ أمرًا يعْلو الأمورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا ، وإنِّى قد رأيْتُ رأيًا . قالوا : وما هو ؟ قلتُ : نَلْحَقُ بالنجاشىِّ فنكونُ معه ، فإن يَظْهَرْ محمدٌ كنا عندَ النجاشىِّ ، فنكونُ تحتَ يدِ النَّجاشىِّ أحبُّ إلينا مِن أن نكونَ تحتَ يَدِ محمدٍ ، وإن تَظْهَرْ قريشٌ فنحن مَن قد عرَفوا . قالوا : هذا الرأىُ . قال : قلتُ : فاجْمَعوا ما نُهْدِيه له . وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه مِن أرضِنا الأَدَمُ ، فجَمَعْنا[5] أدَمًا كثيرًا ، ثُم خرَجْنا حتى قدِمْنا على النجاشىِّ ، فواللَّهِ إنّا

---

(١) أوضع : أوضع فى الشر : أسرع . الوسيط (و ض ع) .

(٢) فى النسخ ، والدلائل والمغازى : « بالرهط » . والمثبت من تاريخ دمشق وتاريخ الإسلام . والوهط : مال كان لعمرو بن العاص بالطائف ... قال ابن موسى : الوهط : قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وَجّ كانت لعمرو بن العاص . معجم البلدان ٤/ ٩٤٣، ٩٤٤.

(٣) المدره : السيِّد الشريف ، والمُقدَّم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال . المحيط (د ر هـ) .

(٤) فى م : « نفسه » .

(٥) فى م : « فحملنا » .

لعندَه إذْ جاء عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِىُّ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد بَعَثه بكتابٍ كتَبه ، يُزوِّجُه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، فدَخَل عليه ثُم خرَج مِن عندِه ، فقلتُ لأصحابى : هذا عمرُو بنُ أُمَيَّةَ ، ولو قد دَخَلْتُ على النجاشىِّ فسألْتُه إيَّاه فأعْطانِيه فضرَبْتُ عنقَه ، فإذا فعلتُ ذلك (١سَرَرْتُ قريشًا١) ، وكنتُ قد أجزأْتُ عنها حينَ(٢) قتَلْتُ رسولَ محمدٍ . فدخَلْتُ على النجاشىِّ فسجَدْتُ له كما كنتُ أصنعُ ، فقال : مرحبًا بصَديقى ، أهْدَيْتَ لى مِن بلادِك شيئًا ؟ قال : قلتُ : نعم أيها الملكُ ، أهديتُ لك أَدَمًا كثيرًا . ثُم قدَّمتُه فأعْجَبه ، وفرَّق منه شيئًا بينَ بطَارِقتِه ، وأمَر بسائرِه فأُدخِل فى موضعٍ ، وأمَر أن يُكتَبَ ويُحتفَظَ به ، فلما رأيْتُ طِيبَ نفسِه قلتُ : أيها الملكُ ، إنى قد رأيتُ رجلًا خرَج مِن عندِك ، وهو رسولُ عدوٍّ لنا قد وَتَرَنا ، وقَتَل أشْرافَنا وخِيارَنا ، [٣/٩٩و] فأعْطنِيه فأقتُلَه . فغضِب مِن ذلك ، ورفَع يدَه فضرَب بها أنْفى ضربةً ظَنَنْتُ أنَّه كسرَه ، فابتَدَر مَنْخَراىَ ، فجعلتُ أتلقَّى الدَّمَ بثيابِى ، فأصابَنى مِن الذُّلِّ ما لو انْشَقَّتْ بىَ الأرضُ دخلتُ فيها ؛ فَرَقًا منه . ثُم قلتُ : أيها الملكُ ، لو ظننتُ أنَّك تَكْرَهُ ما قلتُ ما سألتُك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرُو ، تسألُنى أنْ أُعْطِيَك رسولَ مَن يأْتيه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يأْتى موسى ، والذى كان يأتى عيسى لتقتُلَه ؟! قال عمرٌو : فغيَّر اللَّهُ قلبى عمَّا كنتُ عليه ، وقلتُ فى نفسِى : عرَف هذا الحقَّ العربُ(٣) والعجمُ وتُخالِفُ أنت ؟! ثُم قلتُ : أتشهَدُ أيُّها الملكُ بهذا ؟ قال : نعم ، أشهَدُ به عندَ اللَّهِ يا عمرُو ، فأطِعْنى واتَّبِعْه ، فواللَّهِ إنَّه لَعَلى الحقِّ ،

(١ - ١) فى م : « سرت قريش » .

(٢) فى م : « حتى » .

(٣) فى م : « والعرب » .

ولَيَظْهَرَنَّ على مَن خالَفه، كما ظهرَ موسى على فرعونَ وجنودِه. قلتُ: أتُبايعُنى له على الإسلامِ؟ قال: نعم. فبسَط يدَه فبايَعنى على الإسلامِ، ثُم دَعا بطَسْتٍ، فغسَل عنى الدمَ وكَسانى ثيابًا، وكانتْ ثِيابى قد امتلأتْ بالدمِ فألقيتُها، ثم خرجتُ على أصْحابى، فلمَّا رأوْا كِسوةَ النجاشىِّ سُرُّوا بذلك وقالوا: هل أدْرَكْتَ مِن صاحبِكَ ما أرَدْتَ؟ فقلتُ لهم: كرِهْتُ أن أُكلِّمَه فى أولِ مرةٍ، وقلتُ: أعودُ إليه. فقالوا: الرأىُ ما رأيْتَ. قال: ففارقْتُهم وكأنِّى أعْمِدُ لحاجةٍ، فعَمَدْتُ إلى موضعِ السُّفُنِ، فأجِدُ سفينةً قد شُحِنتْ تُدْفَعُ[1]. قال: فركِبْتُ معهم ودفَعُوها، حتى انتهَوْا إلى الشُّعَيْبَةِ[2]، وخرَجْتُ مِن السفينةِ ومعى نفقةٌ، فابْتَعْتُ بعيرًا، وخرَجْتُ أريدُ المدينةَ، حتى مرَرْتُ على مَرِّ الظَّهْرانِ، ثم مضَيتُ، حتى إذا كنتُ بالهَدَةِ، فإذا رَجُلان قد سبَقانى بغيرِ كثيرٍ يُريدَان مَنْزلًا، وأحدُهما داخلٌ فى الخيمةِ، والآخرُ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتيْن. قال: فنظَرْتُ فإذا خالدُ بنُ الوليدِ. قال: قلتُ: أينَ تريدُ؟ قال: محمدًا؛ دخَل الناسُ فى الإسلامِ، فلم يبقَ أحدٌ به طَعْمٌ[3]، واللَّهِ لو أقمتُ لأُخِذَ برِقابِنا كما يُؤْخَذُ برقبةِ الضَّبُعِ فى مَغارتِها. قلتُ: وأنا واللَّهِ قد أرَدْتُ محمدًا، وأرَدْتُ الإسلامَ. فخرَج عثمانُ بنُ طلحةَ فرحَّب بى، فنزَلْنا جميعًا فى المنزلِ، ثُم تَرافَقْنا[4] حتى أتَيْنا

---

(١) فى المغازى: «برُقَع». والرقع: جمع رُقَعَة كهُمَزَة: وهى شجرة عظيمة كالجوزة. تاج العروس (ر ق ع).

(٢) فى النسخ: «الشعبة». والمثبت من مصادر التخريج. والشعيبة: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز. معجم البلدان ٣/ ٣٠١.

(٣) فى المغازى: «طمع». فلم يبق أحدٌ به طعم: هذه استعارة؛ أى بقى من لا اعتداد به ولا معرفة له ولا قدر. ويجوز فيه فتح الطاء وضمها؛ لأن الشىء إذا لم يكن فيه طُعْم ولا له طَعْم فلا جدوى فيه للآكل ولا منفعة. انظر النهاية ٣/١٢٥.

(٤) فى النسخ: «اتفقنا»، وفى الدلائل: «رافقنا». والمثبت من مصادر التخريج.

المدينةَ ، فما أنسَى قولَ رجلٍ لقِيناه ببئرِ أبى عِنَبَةَ[1] يصيحُ : يا رَبَاحُ ، يا رَبَاحُ ، [2]يا رَبَاحُ[2] . فتفاءَلْنا بقولِه وسُرِرْنا[3] ، ثُم نظَر إلينا فأسمَعُه يقولُ : قد أعطتْ مكةُ المَقادةَ بعدَ هذيْن . فظَنَنْتُ أنه يَعْنينى ويَعْنى خالدَ بنَ الوليدِ ، وولَّى مُدْبرًا إلى المسجدِ [٣/٩٩ظ] سريعًا ، فظنَنْتُ أنَّه بشَّر رسولَ اللَّهِ ﷺ بقُدومِنا ، فكان كما ظنَنْتُ ، وأنَخْنا بالحَرَّةِ ، فلَبِسْنا مِن صالحِ ثيابِنا ، ثُم نُودِىَ بالعصرِ ، فانطَلَقْنا [4]حتى اطَّلَعْنا[4] عليه وإنَّ لوجهِهِ تَهَلُّلًا ، والمسلمون حولَه قد سُرُّوا بإسلامِنا ، فتقدَّم خالدُ بنُ الوليدِ فبايَع ، ثُم تقدَّم عثمانُ بنُ طَلْحَةَ فبايَع ، ثُم تقدَّمْتُ ، فواللَّهِ ما هو إلَّا أنْ جَلَسْتُ بينَ يَدَيْه ، فما اسْتَطَعْتُ أن أَرْفَعَ طَرْفى إليه[5] حياءً مِنه . قال : فبايعْتُه على أنْ يُغْفَرَ لى ما تقدَّم من ذنبى ، ولم يَحْضُرْنى ما تأخَّر ، فقال : « إنَّ الإسلامَ يَجُبُّ[6] ما كان قبلَه ، والهِجْرةَ تَجُبُّ ما كان قبلَها » . قال : فواللَّهِ ما عَدَل بى رسولُ اللَّهِ ﷺ وبخالدِ بنِ الوليدِ أحدًا مِن أصحابِه فى أمرٍ حَزَبَه[7] منذ أسْلَمْنا ، ولقد كُنَّا عندَ أبى بكرٍ بتلكَ المنزلةِ ، ولقد كنتُ عندَ عمرَ بتلك الحالةِ ، وكان عمرُ على خالدٍ كالعاتبِ .

قال عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ شيخُ الواقدىِّ[8] : فذكَرْتُ هذا الحديثَ ليزيدَ بنِ

---

(١) فى الأصل : « غنية » . وفى م : « عتبة » . وفى ص غير منقوطة . وبئر أبى عنبة : بئر معروفة بالمدينة ، عرض رسول اللَّه ﷺ أصحابه عندها لمّا سار إلى بدر . اللسان (ع ن ب) .

(٢ - ٢) ليست فى مصادر التخريج .

(٣) فى النسخ ، والدلائل ، والمغازى وتاريخ الإسلام : « سرنا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤ - ٤) فى الأصل : « على اطلعنا » . وفى م : « على أظلعنا » . واطَّلعْنا عليه : أشرفنا عليه .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦) يجب : يقطع ويمحو .

(٧) حزبه : نابه واشتدَّ عليه .

(٨) هو بالإسناد السابق فى دلائل البيهقى ٤/ ٣٤٦. وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٤٥.

أبى[1] حَبِيبٍ ، فقال : أخبرَنى راشدٌ مَولى حَبيبِ بنِ أبى أوسٍ[2] الثقفىِّ ، عن مَولاه حَبِيبٍ ، عن عمرِو بنِ العاصِ نحوَ ذلك .

قلْتُ : كذلك رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ[3] ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن راشدٍ ، عن مَولاه حَبيبٍ قال : حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ مِن فِيهِ . فذكَر ما تقدَّم فى سنةِ خمسٍ بعدَ مقتلِ أبى رافعٍ . وسياقُ الواقدىِّ أبسطُ وأحسنُ . قال الواقدىُّ ، عن شيخِه عبدِ الحميدِ[4] : فقلتُ ليزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ : وَقَّتَ لك متى قَدِم عمرٌو وخالدٌ ؟ قال : لا ، إلَّا أنَّه قال : قبلَ الفتحِ . قلتُ : فإنَّ أبى أخبرَنى أنَّ عمرًا وخالدًا وعثمانَ بنَ طلحةَ قدِموا[5] لهلالِ صفَرٍ سنةَ ثمانٍ .

وسيأتى عندَ وفاةِ عمرٍو مِن « صحيحِ مسلمٍ » ما يَشْهَدُ لسياقِ إسلامِه ، وكيفيةِ حُسْنِ صُحبتِه لرسولِ اللَّهِ ﷺ مدةَ حياتِه ، وكيف مات وهو يتأَسَّفُ على ما كان منه فى مدةِ مُباشرتِه الإمارةَ بعدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وصفةُ موتِه ، رَضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٢) كذا فى النسخ . وفى الدلائل والمغازى : « أويس » . وهو حبيب بن أوس - ويقال : ابن أبى أوس - الثقفى المصرى . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨.

(٤) الدلائل ٤/ ٣٤٦ بنفس الإسناد المتقدم . وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٤٥.

(٥) بعده فى الدلائل والمغازى : « المدينة » .

طريقُ إسلامِ خالدِ بنِ الوليدِ

قال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى يحيى بنُ المغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ قال : سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ عن خالدِ بنِ الوليدِ قال : لمَّا أرادَ اللَّهُ بى ما أرادَ مِن الخيرِ ، قذَف فى قلبِىَ الإسلامَ ، وحضَرنى رُشْدى ، فقلت : قد شَهِدْتُ هذه المواطنَ كلَّها على محمدٍ ﷺ ، فليس فى موطنٍ أشهَدُه إلَّا أنْصَرِفُ وأنا أَرَى فى نفسِى أنِّى مُوضِعٌ فى غيرِ شىءٍ ، وأنَّ محمدًا سيَظْهَرُ ، [٣/١٠٠و] فلمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ خرَجْتُ فى خيلٍ مِن المشركين ، فلَقِيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه بعُسْفانَ ، فقُمْتُ بإزائِه وتعرَّضْتُ له ، فصَلَّى بأصحابِه الظُّهْرَ أمامَنا ، فهَمَمْنا أن نُغِيرَ عليهم ، ثُم لم يُعْزَمْ لَنا - وكانتْ فيه خِيَرَةٌ - فاطَّلَعَ على ما فى أنفسِنا مِن الهَمِّ به ، فصَلَّى بأصحابِه صلاةَ العصرِ صلاةَ الخوفِ ، فوقَع ذلك مِنَّا موقعًا ، وقلتُ : الرجلُ ممنوعٌ . فاعْتَزَلَنا [2]وعَدَل عن سَنَنِ[3] خيلِنا[2] ، وأخَذ ذاتَ اليمينِ ، فلمَّا صالَحَ قريشًا بالحُدَيبِيَةِ ، ودافَعَتْه قريشٌ بالراحِ[4] ، قلتُ فى نفسِى : أىُّ شىءٍ بَقِىَ ؟ أين المَذْهَبُ[5] ؟ إلى

---

(١) مغازى الواقدى ٢/٧٤٥ - ٧٤٩. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣٤٩ - ٣٥٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٢٢٦ - ٢٢٩، كلاهما من طريق الواقدى به . وانظر تاريخ الإسلام جزء المغازى ص ٤٧٣ - ٤٧٦.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٤.

(٣) فى الأصل ، م : « سير » .

(٤) فى الأصل ، م : « بالرواح » .

(٥) فى الأصل ، م : « أذهب » .

النجاشىّ ؟ فقد اتَّبع محمدًا ، وأصحابُه عندَه آمِنون ، فأخْرُجُ إلى هِرَقْلَ ؟ فأخرُجُ مِن دينِى إلى نصرانيَّةٍ أو يهوديةٍ ، فأُقيمُ مع عَجَمٍ تابعًا[1] ، فأقيمُ فى دارِى فيمَن بَقِىَ ؟ فأنا فى ذلك إذْ دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ فى عمرةِ القَضِيَّةِ ، فتَغَيَّبْتُ ولم أشْهَدْ دُخُولَه ، وكان أخى الوليدُ بنُ الوليدِ قد دَخَل مع النبىِّ ﷺ فى عمرةِ القضيةِ ، فطَلَبَنى فلم يَجِدْنى ، فكتَب إلىَّ كتابًا ، فإذا فيه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، أمَّا بعدُ ، فإنِّى لم أرَ أعجبَ مِن ذَهابِ رأيِك عن الإسلامِ وعَقْلُكَ عَقْلُكَ ! ومِثْلُ الإسلامِ جَهِلَه أحدٌ ؟! وقد سألَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ عنك ، وقال : « أين خالدٌ ؟ » فقلتُ : يأتى اللَّهُ به . فقال : « ما[1] مِثلُه جَهِل الإسلامَ ، ولو كان جعَل نِكايتَه وحَدَّه[2] مع المسلمين كان خيرًا له ، ولَقَدَّمْناه على غيرِه » . فاسْتَدْرِكْ يا أخى ما قد فاتك ، [3]فقد فاتَك[3] مواطنُ صالحةٌ . قال : فلمَّا جاءنى كتابُه نَشِطْتُ للخروجِ ، وزادَنى رغبةً فى الإسلامِ ، وسرَّنى سؤالُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عنى ، وأَرَى فى النومِ كأنِّى فى بلادٍ ضيِّقةٍ مُجْدِبةٍ ، فخَرَجْتُ إلى بلادٍ خضراءَ واسعةٍ ، فقلتُ : إنَّ هذه لرُؤْيا . فلمَّا أنْ قَدِمْتُ المدينةَ قلتُ : لأذْكُرَنَّها لأبى بكرٍ . فقال : مخْرَجُك الذى هَداك اللَّهُ للإسلامِ ، والضِّيقُ الذى كنتَ فيه مِن الشركِ . قال : فلمَّا أجْمَعْتُ الخروجَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلتُ : مَن أُصاحِبُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فلَقِيتُ صفوانَ بنَ أُمَيَّةَ ،

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) فى م ، والمغازى ، والدلائل : « جِدَّه » . والحدّ : السيف .

(٣ - ٣) فى م : « من » .

فقلتُ : يا أبا وَهْبٍ ، أمَا ترَى ما نحن فيه ، إنَّما نحن [1]أَكَلةُ رأسٍ[1] ، وقد ظهَر محمدٌ على العربِ والعَجَمِ ، فلو قَدِمْنا على محمدٍ واتَّبَعْناه ؛ فإنَّ شرفَ محمدٍ لنا شرفٌ . فأبَى أشدَّ الإباءِ ، فقال : لو لم يَبْقَ غيرِى ما اتَّبَعْتُه أبدًا . فافْتَرَقْنا ، وقلتُ : هذا رجلٌ قُتِل أخوه وأبوه ببدرٍ . فلَقِيتُ عِكرِمةَ بنَ أبى [٣/١٠٠ظ] جهلٍ ، فقلتُ له مثلَ ما قلتُ لصفوانَ بنِ أميةَ ، فقال لى مثلَ ما قال صفوانُ بنُ أُميةَ ، قلتُ : فاكْتُمْ علىَّ . قال : لا أذْكُرُه . فخرَجْتُ إلى منزلِى ، فأمرتُ براحلتِى ، فخرَجْتُ بها إلى أن لَقِيتُ عثمانَ بنَ طلحةَ ، فقلتُ : إنَّ هذا لى صديقٌ ، فلو ذكَرْتُ له ما أرجو . ثُم ذكرتُ مَن قُتِل مِن آبائِه ، فكرِهتُ أن أُذَكِّرَه ، ثُم قلتُ : وما علىَّ وأنا راحلٌ مِن ساعتِى . فذَكَرتُ له ما صارَ الأمرُ إليه ، فقلتُ : إنما نحن بمنزلةِ ثعلبٍ فى جُحْرٍ ، لو صُبَّ فيه ذَنوبٌ مِن ماءٍ لخَرَج . وقلتُ له نحوًا ممَّا قلتُ لصاحِبَىَّ ، فأسْرَع الإجابةَ ، وقال[2] : إنِّى غَدَوْتُ اليومَ وأنا أريدُ أن أغْدُوَ ، وهذه راحلتِى بفَخٍّ[3] مُناخةً . قال : فاتَّعَدْتُ أنا وهو يَأْجَجَ ؛ إن سَبَقَنى أقام ، وإن سَبَقْتُه أقَمْتُ عليه . قال : فأدْلَجْنا سَحَرًا ، فلم يَطْلُعِ الفجرُ حتى التَقَيْنا بيَأْجَجَ ، فغَدَوْنا حتى انتَهَيْنا إلى الهَدَةِ ، فنجِدُ عمرَو ابنَ العاصِ بها فقال : مرحبًا بالقومِ . فقلْنا : وبك . فقال : إلى أين مسيرُكم ؟ فقلنا : وما أخْرَجَك ؟ فقال : وما أخرَجكم ؟ قلْنا : الدخولُ فى الإسلامِ واتِّباعُ

(١ - ١) فى النسخ ، والدلائل : « كأضراس » . وأكلة رأس : أى هم قليل يشبعهم رأس واحد ، وهو جمع آكِل . الصحاح واللسان (أ ك ل) .

(٢) فى الأصل ، م : « قلت له » . وفى ا ٤١ ، ص : « قلت » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) سقط من : ا ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص ، وتاريخ دمشق : « بفج » . والمثبت من المغازى والدلائل . وفخ : واد بمكة . معجم البلدان ٣/ ٨٥٤ .

محمدٍ ﷺ . قال : وذاك الذى أَقْدَمَنى . فاصْطَحَبْنا جميعًا حتى دخَلْنا المدينةَ ، فأنخْنا بظهرِ[1] الحَرَّةِ ركابَنا ، فأُخْبِر بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فسُرَّ بنا ، فلَبِسْتُ مِن صالحِ ثيابِى ، ثُم عَمَدْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فلَقِيَنى أخى ، فقال : أسْرِعْ ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أُخبِر بك ، فسُرَّ بقُدومِك ، وهو ينْتَظِرُكم . فأسْرَعْنا المشىَ ، فاطَّلَعْتُ عليه ، فما زالَ يَتَبَسَّمُ إلىَّ حتى وقفْتُ عليه ، فسلَّمْتُ عليه بالنبوةِ ، فردَّ علىَّ السلامَ بوَجْهٍ طَلْقٍ ، فقلتُ : إنِّى أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنَّك رسولُ اللَّهِ . فقال : « تعالَ » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحمدُ للَّهِ الذى هداك ، قد كنتُ أرَى لك عقلًا رجَوْتُ أن لا يُسْلِمَك إلَّا إلى خيرٍ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ[2] ، قد رأيْتَ ما كنتُ أشهَدُ مِن تلكَ المواطنِ عليك مُعانِدًا للحقِّ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَغْفِرَها لى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الإسلامُ يَجُبُّ ما كان قبلَه » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، على ذلك[3] . قال : « اللهمَّ اغفِرْ لخالدِ بنِ الوليدِ كلَّ ما أَوْضَع فيه مِن صدٍّ عن سبيلِكَ » . قال خالدٌ : وتقدَّم عثمانُ وعمرٌو فبايَعا رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : وكان قدومُنا فى صفَرٍ سنةَ ثمانٍ . قال : فواللَّهِ ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْدِلُ بى أحدًا [٣/١٠١و] مِن أصحابِه فيما حَزَبه .

---

(١) فى المغازى وتاريخ دمشق : « بظاهر » .

(٢) بعده فى النسخ : « إنى » . وليست فى مصادر التخريج .

(٣) أى : ادع اللَّه أن يغفر لى هذا الأمر بعينه .

سريَّةُ شُجاعِ بنِ وهبٍ الأسَدىّ إلى (١نفرٍ من١) هَوازِنَ

قال الواقدىُّ[٢] : حدثنى ابنُ أبى سَبْرةَ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوةَ ، عن عمرَ بنِ الحكَمِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ شُجاعَ بنَ وهبٍ فى أربعةٍ وعشرينَ رجلًا إلى جَمْعٍ مِن هَوازِنَ ، وأمَره أن يُغِيرَ عليهم ، فخرَج وكان يسيرُ الليلَ ويَكْمُنُ النهارَ ، حتى صَبَّحَهم[٣] غارِّين ، وقد أَوْعَز إلى أصحابِه أن لا يُمعِنوا فى الطَّلَبِ ، فأصابوا نَعَمًا كثيرًا وشاءً ، فاسْتاقُوا ذلك حتى قدِموا المدينةَ ، فكانتْ سهامُهم خمسةَ عشَرَ بعيرًا ، كلَّ رجلٍ .

وزعَم غيرُه[٤] أنَّهم أصابوا سَبْيًا أيضًا ، وأنَّ الأميرَ اصْطَفى منه[٥] جاريةً وَضيئةً ، ثم قدِم أهلوهم مسلمين ، فشاوَر النبىُّ ﷺ أميرَهم فى ردِّهن إليهم ، فقال : نعم . فرَدُّوهن ، وخَيَّر التى عندَه[٦] فاختارت المُقامَ عندَه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٣، ٧٥٤. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٥٣، من طريق الواقدى به .

(٣) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل : « تحينهم » ، وفى م : « جاءهم وهم » ، وفى ص : « فجئهم » . والمثبت من المغازى والدلائل . وغارين : أى غافلين . انظر النهاية ٣/ ٣٥٥.

(٤) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٤. والضمير فى « غيره » عائد على عمر بن الحكم المتقدم فى الإسناد السابق .

(٥) فى ا ٤١: « منهم » ، وفى م : « عنهم » .

(٦) بعده فى م : « الجارية » .

وقد تكونُ هذه السَّريَّةُ هى المذكورةَ فيما روَاه الشافعىُّ[1] ، عن مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث سريَّةً قِبلَ نجدٍ ، فكان فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ . قال : فأَصبْنا إبلًا كثيرًا ، فبلَغتْ سهامُنا اثْنَىْ عشَرَ بعيرًا ، ونفَّلَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بعيرًا بعيرًا . أخرَجاه فى « الصحيحيْن » مِن حديثِ مالكٍ ، ورَواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ الليثِ ، ومِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ ، كلُّهم عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، بنحوِه[2] .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثَنا هَنَّادٌ ، حدَّثَنا عَبْدَةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ سريةً إلى نَجْدٍ ، فخرَجْتُ فيها ، فأَصَبْنا نَعَمًا كثيرًا ، فنفَّلَنا أميرُنا بعيرًا بعيرًا لكلِّ إنسانٍ ، ثُم قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقسَم بينَنا غَنِيمتَنا ، فأصاب كلُّ رجلٍ مِنا اثنَىْ عشَرَ بعيرًا بعدَ الخُمُسِ ، وما حاسبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالذى أعطانا صاحبُنا ، ولا عاب عليه ما صنَع ، فكان لكلِّ مِنا ثلاثةَ عشَرَ بعيرًا بنفَلِه .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٥٥، من طريق الشافعى به .

(٢) البخارى (٣١٣٤) ، ومسلم (١٧٤٩/٣٥) ، كلاهما من طريق مالك به ، ومسلم (٣٦، ٣٧/ ١٧٤٩) ، من طريق الليث وعبيد اللَّه كلاهما عن نافع به .

(٣) أبو داود (٢٧٤٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٨٩) .

سريَّةُ كعبِ بنِ عُمَيْرٍ إلى بنى قُضاعةَ [1]مِن أرضِ الشامِ[1]

قال الواقدىُّ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[3] الزهرىِّ ، قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ كعبَ بنَ عُمَيْرٍ الغِفارىَّ فى خمسةَ عشَرَ رجلًا ، حتى انتَهَوْا إلى ذاتِ أطْلاحٍ[4] مِن الشامِ ، فوجَدوا جَمْعًا مِن جمعِهم كثيرًا ، فدَعَوهم إلى الإسلامِ ، فلم يَسْتَجِيبوا لهم ورشَقوهم بالنَّبْلِ ، [٣/١٠١ظ] فلمَّا رَأَى ذلك أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قاتَلوهم أشدَّ القِتالِ حتى قُتِلوا ، فأفلتَ[5] منهم رجلٌ جريحٌ فى القَتْلَى ، فلمَّا أن برَد عليه الليلُ تَحامَل حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فهَمَّ بالبَعْثةِ إليهم ، فبلَغه أنهم ساروا إلى موضعٍ آخرَ[6] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٢، ٧٥٣. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٥٧، من طريق الواقدى به .

(٣) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م .

(٤) ذات أطلاح : موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة . معجم البلدان ١/ ٣١١.

(٥) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « فارتث » . والمثبت من المغازى والدلائل .

(٦) بعده فى مصدرى التخريج : « فتركهم » .

غزوةُ مُؤْتَة

وهى سريةُ زيدِ بنِ حارثةَ ، فى نحوٍ مِن ثلاثةِ آلافٍ ، إلى أرضِ البَلْقاءِ مِن أرضِ[1] الشامِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ بعدَ قصةِ عُمرةِ القَضِيَّةِ[2] : فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ بقيةَ ذى الحِجَّةِ - ووِلِى تلك الحِجةَ المشركون - والمُحَرَّمَ وصفَرًا وشهْرَىْ ربيعٍ ، وبعَث فى جُمادَى الأولى بَعْثَه إلى الشامِ ، الذين أُصِيبوا بمُؤْتةَ ، فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بعْثَه إلى مُؤْتةَ فى جُمادَى الأولى مِن سنةِ ثمانٍ ، واستعمل عليهم زيدَ بنَ حارثةَ ، وقال : « إنْ أُصِيب زيدٌ فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ على الناسِ ، فإن أُصِيب جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ على الناسِ » . فتجَهَّز الناسُ ثُم تهَيَّئوا للخروجِ ، وهم ثلاثةُ آلافٍ .

وقال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى ربيعةُ بنُ عثمانَ ، عن عمرَ[4] بنِ الحكَمِ ، [5]عن أبيه[5] قال : جاء النُّعمانُ بنُ فُنْحُصٍ[6] اليَهودىُّ ، فوقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى ص : « أطراف » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٣.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٥، ٧٥٦ مطولًا . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦١، ٣٦٢، من طريق الواقدى به . وانظر تاريخ الإسلام جزء المغازى ص ٤٨٢.

(٤) فى الأصل ، م : « عمرو » .

(٥ - ٥) سقط من المغازى .

(٦) فى ا ٤١ : « حصن » . وفى ص غير واضحة . وفى الدلائل ومغازى الواقدى : « مهض » . وأثبت محقق المغازى : « فنحص » نقلًا عما عندنا هنا .

مع الناسِ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « زيدُ بنُ حارثةَ أميرُ الناسِ ، فإن قُتِل زيدٌ فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، فإن قُتِل جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فإن قُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فلْيَرْتَضِ المسلمون بينَهم رجلًا ، فلْيَجْعلوه عليهم » . فقال النُّعمانُ : أبا القاسمِ ، إن كنتَ نبيًّا ، فلو سمَّيْتَ مَن سمَّيْتَ قليلًا أو كثيرًا ، أُصِيبوا جميعًا ، إن الأنبياءَ مِن بنى إسرائيلَ كانوا إذا سَمَّوُا الرجلَ على القومِ ، فقالوا : إن أُصيب فلانٌ ففلانٌ . فلو سمَّوا مائةً أُصيبوا جميعًا . ثُم جعَل اليهوديُّ[1] يقولُ لزيدٍ : اعْهَدْ فإنَّك لا تَرْجعُ أبدًا ، إن كان محمدٌ نبيًّا . فقال زيدٌ : أشهَدُ أنه نبيٌّ صادقٌ بارٌّ . رَواه البيهقيُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فلما حضَر خروجُهم ، ودَّع الناسُ أُمراءَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وسلَّموا عليهم ، فلمَّا وُدِّعَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ مع مَن وُدِّعَ بَكَى ، فقالوا : ما يُبْكيك يا بنَ رَواحةَ ؟ فقال : أما واللَّهِ ما بى حُبُّ الدنيا ولا صَبابةٌ بكم ، ولكنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقْرَأُ آيةً مِن كتابِ اللَّهِ [٣/١٠٢و] يَذْكُرُ فيها النارَ[3] : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] ، فلسْتُ أدرى كيف لى بالصَّدَرِ[4] بعد الوُرودِ ؟ فقال المسلمون : صحِبكم اللَّهُ ودفَع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ :

لكنَّنى أسألُ الرحمنَ مَغفرةً ... وضَرْبةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[5]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) التفسير ٥/ ٢٤٧ - ٢٥٢.

(٤) الصدر : الرجوع والانصراف .

(٥) ذات فرغ : يعنى ذات سعة . والزبد : رَغْوة الدم . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠.

أو طعنةً بيَدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزةً بحَرْبةٍ تُنْفِذُ الأحْشاءَ والكَبِدَا[1]

حتى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثى[2] أرْشَده اللَّهُ مِن غازٍ وقد رشَدَا

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثم إن القومَ تَهَيَّئوا للخروجِ ، فأتَى عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فودَّعه ثم قال :

فثبَّتَ اللَّهُ ما آتاك مِن حَسَنٍ تَثْبيتَ موسى ونَصْرًا كالذى نُصِروا

إنى تفَرَّسْتُ فيك الخيرَ نافلةً[4] اللَّهُ يَعْلَمُ أنى ثابتُ البصرِ[5]

أنت الرسولُ فمَن يُحْرَمْ نَوافِلَه والوجْهَ منه فقد أزْرَى به القَدَرُ[6]

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم خرَج القومُ وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ يُشَيِّعُهم ، حتى إذا ودَّعهم وانصَرَف قال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ :

خلَفَ السلامُ على امرئٍ ودَّعْتُهُ فى النَّخْلِ خيرِ مُشَيِّعٍ وخَلِيلِ

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو خالدٍ الأَحْمَرُ ، عن الحَجَّاجِ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث

---

(١) الحران : الملتهب الجوف . ومجهزة : يعنى سريعة القتل . شرح غريب السيرة ٣/٦٠ .

(٢) الجدث : القبر . المصدر السابق .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٤.

(٤) نافلة : أى هبة من اللَّه وعَطِيَّة منه . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠.

(٥) فى هذا البيت إقواء .

(٦) النوافل : العطايا والمواهب . وأزرى به القدر : أى قَصَّر به . المصدر السابق .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٤.

(٨) المسند ١/ ٢٥٦. (إسناده ضعيف) انظر مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب ١٩٦٦، ٢٣١٧.

إلى مُؤْتةَ فاستعمل زيدًا ، فإن قُتِل زيدٌ فجعفرٌ ، فإن قُتِل جعفرٌ فابنُ رَواحةَ ، فتخَلَّف ابنُ رَواحةَ ، فجمَّع مع النبيِّ ﷺ ، فرآه فقال : « ما خلَّفك ؟ » فقال : أُجَمِّعُ معك[1] . قال : « لَغَدْوةٌ أو رَوْحةٌ خيرٌ مِن الدنيا وما فيها » .

وقال أحمدُ[2] : ثنا أبو مُعاويةَ ، ثنا الحَجَّاجُ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فى سريةٍ ، فوافقَ ذلك يومَ الجُمُعةِ . قال : فقدَّم أصحابَه ، وقال : أتخَلَّفُ فأُصَلِّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ الجُمُعةَ ، ثُم ألْحَقُهم . قال : فلمَّا صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ رآه فقال : « ما منَعك أن تَغْدُوَ مع أصحابِك ؟ » قال : فقال : أرَدْتُ أن أُصَلِّيَ معك الجُمُعةَ ، [٣/١٠٢ظ] ثُم ألْحَقَهم . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو أنْفَقْتَ ما فى الأرضِ جميعًا ما أدْرَكْتَ غَدْوَتَهم » .

وهذا الحديثُ قد رَواه الترمذىُّ[3] مِن حدِيثِ أبى مُعاويةَ ، عن الحَجَّاجِ - وهو ابنُ أَرْطاةَ - ثُم علَّله الترمذىُّ بما حكاه عن شُعبةَ أنه قال : لم يَسْمَع الحكَمُ عن مِقْسَمٍ إلا خمسةَ أحاديثَ ، وليس هذا منها .

قلتُ : والحجَّاجُ بنُ أَرْطاةَ فى روايتِه نظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ . والمقصودُ مِن إيرادِ هذا الحديثِ ، أنه يقتضى أن خروجَ الأمراءِ إلى مُؤْتةَ كان فى يومِ جمُعةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « جمعك » .

(٢) المسند ١/ ٢٢٤. إسناده ضعيف : انظر المصدر السابق .

(٣) الترمذى (٥٢٧) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٨١) .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم مضَوا حتى نزَلوا مَعانَ[2] مِن أرضِ الشامِ ، فبلَغ الناسَ أن هِرَقْلَ قد نزَل مآبَ[3] مِن أرضِ البَلْقاءِ ، فى مائةِ ألفٍ مِن الرومِ ، وانضمَّ إليه مِن لَخْمٍ وجُذامٍ والقَيْنِ وبَهْراءَ وبَلِىٍّ مائةُ ألفٍ منهم ، عليهم رجلٌ مِن بَلِىٍّ ، ثُم أحدُ إراشَةَ[4] ، يُقالُ له : مالكُ بنُ زافِلَةَ[5] - وفى روايةِ يونُسَ ، عن ابنِ إسحاق[6] : فبلَغهم أن هِرَقْلَ نزَل بمآبَ[7] ، فى مائةِ ألفٍ مِن الرومِ ومائةِ ألفٍ مِن المُسْتَعْرِبةِ . [8]وقيل : كان الرومُ مائتَىْ ألفٍ ، ومَن عداهم خمسون ألفًا . وأقلُّ ما قيل : إن الرومَ كانوا مائةَ ألفٍ ، ومن العرب خمسون ألفًا . حكاه السهيلىُّ[9] -[8] فلما بلَغ ذلك المسلمينَ أقاموا على مَعانَ ليلتَيْن ينظُرون فى أمرِهم ، وقالوا : نَكْتُبُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ نُخْبِرُه بعددِ عدوِّنا ؛ فإما أن يُمِدَّنا بالرجالِ ، وإما أن يأمُرَنا بأمْرِه فنَمْضِىَ له . قال : فشجَّع الناسَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ وقال : يا قومِ ، واللَّهِ إن التى تَكْرَهون لَلَّتى خرَجْتم تطْلُبون ؛ الشهادةُ ، وما نُقاتِلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ ، ما نُقاتِلُهم إلَّا بهذا الدينِ الذى أكْرَمَنا اللَّهُ به ، فانطَلِقوا فإنما هى إحدى الحُسْنَيَيْن ؛ إما ظُهورٌ وإما شَهادةٌ . قال : فقال

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦.

(٢) معان بالفتح وآخره نون ، والمحدِّثون يقولونه بالضم : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . انظر معجم البلدان ٤/ ٥٧١.

(٣) هى مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء . المصدر السابق ٤/ ٣٧٧.

(٤) إراشة ، بالكسر : أبو قبيلة من بلىّ . تاج العروس ١٧/ ٦٤.

(٥) فى م ، ص : « رافلة » . وكذا فى الاشتقاق ص ٥٥١، وذكر أنه هو قاتِلُ زيدٍ يوم مؤتة .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٠ من طريق يونس به .

(٧) فى الدلائل : « بمأرب » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، م .

(٩) الروض الأنف ٧/ ٤١.

الناسُ : قد واللَّهِ صدَق ابنُ رَواحةَ . فمضَى الناسُ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فى مَحْبِسِهم ذلك :

جَلَبْنا الخيلَ مِن أَجَأٍ وفَرْعٍ ... تُغَرُّ مِن الحَشِيشِ لها[1] العُكومُ[2]

حَذَوْناها مِن الصَّوَّانِ سِبْتًا ... أزَلَّ كأنَّ صَفْحتَه أدِيمُ[3]

أقامَتْ لَيْلتَيْن على مَعانٍ[4] ... فأُعْقِبَ بعدَ فَتْرَتِها جُمومُ[5]

فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّماتٌ ... تنَفَّسُ فى مَناخرِها السَّمومُ[6]

فَلَا وأبى مَآبَ لنَأْتِيَنْها ... وإن كانت بها عربٌ و رومُ

فعَبَّأْنا أعِنَّتَها فجاءتْ ... عَوابِسَ والغُبارُ لها بَرِيمُ[7]

بذِى لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيهِ ... إذا برَزتْ قوانِسُها النجومُ[8]

---

(١) فى الأصل ، م : « إلى » .

(٢) قال أبو ذر : أجأ : أحد جبلى طيئ . وفرع ، يروى هنا بالعين والغين : اسم موضع . وتغر : أى تُطعَم شيئا بعد شىء ، يقال : غرَّ الطائرُ فَرْخَه . إذا أطعمه . اهـ . والعكوم : الأحمال التى تكون فيها الأمتعة وغيرها . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠، ٦١. والنهاية ٣/ ٢٨٥.

(٣) حذوناها : جعلنا لها حذاء وهو النعل . والصوان : حجارة ملس واحدتها صوانة . والسبت : النعال التى تصنع من الجلود المدبوغة . وأزل : أملس . وصفحته : ظاهره . والأديم : الجلد . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١.

(٤) الأصل فى « معان » المنع من الصرف ، وصُرفت ههنا لضرورة الشعر .

(٥) الجموم : استراحة الفرس . المصدر السابق .

(٦) مسومات : مرسلات . والسموم : الريح الحارة . المصدر السابق .

(٧) بريم : الحزام ، وأصل البريم خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها . المصدر السابق .

(٨) بذى لجب : يعنى جيشًا . واللجب : اختلاط الأصوات وكثرتها . والبيض هنا : الحديد . والقوانس : أعالى البيض . المصدر السابق .

[٣/١٠٣و] فراضيةُ المَعِيشةِ[١] طلَّقَتْها أسِنَّتُنا[٢] فتَنْكِحُ أو تَئِيمُ[٣]

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أنه حُدِّث عن زيدِ بنِ أرْقمَ قال : كنتُ يتيمًا لعبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ فى حِجْرِه ، فخرَج بى فى سفرِه ذلك ، مُرْدِفى على حقيبةِ رَحْلِه[٥] ، فواللَّهِ إنه لَيَسِيرُ ليلةً إذْ سمِعْتُه وهو يُنْشِدُ أبياتَه هذه :

إذا أدَّيتِنى[٦] وحَمَلْتِ رَحْلى مسيرةَ أربعٍ بعدَ الحِساءِ[٧]

فشأنُكِ أنعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ[٨] ولا أرْجِعْ إلى أهلى وَرائى

وجاء المسلمون وغادَرونى بأرضِ الشامِ مُشْتَهِىَ[٩] الثَّواءِ

ورَدَّكِ كلُّ ذى نَسَبٍ قريبٍ إلى الرحمنِ مُنْقَطِعَ الإخاءِ

هنالك لا أُبالى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أَسافلُها رِواءِ[١٠]

---

(١) فراضية المعيشة : أى المعيشة المرضية . الروض الأنف ٧/ ٣٤.

(٢) فى ص : « أشنتنا » . وفى السيرة : « أسنتها » .

(٣) تئيم : تبقى دون زوج . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٦.

(٥) حقيبة رحله : الحقيبة ما يجعله الراكبُ وراءه إذا ركب . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١.

(٦) فى م : « أدنيتنى » .

(٧) الحساء : جمع حِشى ، وهو ماء يغور فى الرمل إذا بُحِث عنه وُجِد . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١، ٦٢.

(٨) خلاك ذم : أى فارقك الذم . الروض الأنف ٧/ ٣٤.

(٩) فى م : « مستنهى » . ومشتهى الثواء : أى لا أريد رجوعًا . ومن رواه : مُشتَنْهِى الثواء . فمعناه : مستفعل ؛ من النهاية والانتهاء أى حيث انتهى مثواه . انظر المصدر السابق ٧/ ٣٥.

(١٠) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . ورواء : من رواه بكسر الهمزة فمعناه ممتلئة من الماء . ومن رواه بالرفع فهو إقواء . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦٢.

قال : فلمَّا سمِعْتُهن منه بكَيْتُ ، فخفَقنى بالدِّرَّةِ[1] وقال : ما عليك يا لُكَعُ[2] أن يَرْزُقَنِى اللَّهُ الشهادةَ ، وتَرْجِعَ بينَ شُعْبَتَيِ الرَّحْلِ ؟! ثُم قال عبدُ اللَّهِ ابنُ رَواحةَ فى بعضِ سفرِه ذلك وهو يَرْتَجِزُ :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ تَطاوَل الليلُ هُدِيتَ فانزِلِ[3]

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ثم مضَى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخُومِ البَلْقاءِ ، لَقِيَتْهم جُموعُ هِرَقْلَ مِن الرومِ والعربِ ، بقريةٍ مِن قُرَى البَلْقاءِ يقالُ لها : مَشارِفُ . ثم دَنا العدوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قريةٍ يقالُ لها : مُؤْتَةُ . فالْتَقى الناسُ عندَها ، فتعَبَّأ لهم المسلمون ، فجعَلوا على مَيْمَنتِهم رجلًا مِن بنى عُذْرةَ يقالُ له : قُطْبةُ ابنُ قَتادةَ . وعلى مَيْسَرتِهم رجلًا مِن الأنصارِ يقالُ له : عَبايةُ بنُ مالكٍ .

وقال الواقدىُّ[5] : حدَّثنى رَبيعةُ بنُ عثمانَ ، عن المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ قال : شهِدْتُ مُؤْتةَ ، فلمَّا دَنا منا المشركون ، رأَيْنا ما لا قِبَلَ لأحدٍ به ، مِن العُدَّةِ[6] ، والسلاحِ ، والكُراعِ ، والدِّياجِ ، والحريرِ ، والذهبِ ، فبَرِق بصرى ، فقال لى ثابتُ بنُ أَقْرَمَ[7] : يا أبا هريرةَ ، كأنك ترَى جُموعًا كثيرةً ! قلتُ : نعم . قال : إنك لم تَشْهَدْ معنا بدرًا ، إنا لم نُنْصَرْ بالكثرةِ . رَواه البيهقىُّ .

---

(١) فخفقنى بالدرة : ضربنى بها . شرح غريب السيرة ٣/٦٢ .

(٢) اللكع : اللئيم . المصدر السابق .

(٣) اليعملات : جمع يعملة وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير فقل لحمها . انظر المصدر السابق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٧.

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦٠. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٣٦٢ ، من طريق الواقدى به .

(٦) كذا فى النسخ والدلائل . وفى المغازى : « العدد » .

(٧) فى الأصل : « أبر قم » . وفى ا ٤، م : « أرقم » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم الْتَقَى الناسُ فاقْتَتَلوا ، فقاتَل زيدُ بنُ حارثةَ برايةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى شاط فى رماحِ القومِ[2] ، ثم أخَذها جعفرٌ ، فقاتَل [3]بها ، حتى إذا أَلْحَمه القتالُ[4] ، اقتَحَم عن فرسٍ له شَقْراءَ فعقَرها ، ثم قاتَل[3] القومَ حتى قُتِل ، فكان جعفرٌ [٣/١٠٣ظ] أولَ [3]رجلٍ مِن[3] المسلمين عَقَر فى الإسلامِ .

وقال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى يحيىَ بنُ عَبَّادِ [6]بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه عَبَّادٍ[6] ، حدَّثنى أبى الذى أرْضَعنى ، وكان أحدَ بنى مُرَّةَ بنِ عَوْفٍ ، وكان فى تلك الغزوةِ غزوةِ مؤتةَ ، قال : واللَّهِ لكأنى أَنظُرُ إلى جعفرٍ حين اقْتَحَم عن فرسٍ له شقراءَ ثم عقَرها ، ثُم قاتل القومَ حتى قُتِل وهو يقولُ :

يا حَبَّذَا الجنةُ واقترابُها ... طَيِّبةً وباردًا شرابُها

والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها ... [7]كافرةً بعيدةً أنسابُها[7]

علىَّ إن لاقَيْتُها ضِرابُها

وهذا الحديثُ قد رَواه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ ، ولم يَذْكُر الشعرَ[8] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٨.

(٢) شاط فى رماح القوم : أى هلك . يقال : شاط الرجل . إذا سال دمه فهلك . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) ألحمه القتال ، يقال : ألحم الرجلُ واسْتَلْحَم . إذا نَشِب فى الحرب فلم يجد له مَخْلَصًا . النهاية ٤/ ٢٣٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٨.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٣٦، ٣١/ ٣٩٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص .

(٨) أبو داود (٢٥٧٣) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٢٤٣) .

وقد استدل به[1] مَن جَوَّز[2] قتلَ الحيوانِ خشيةَ أن يَنْتَفِعَ به العدوُّ، كما يقولُ أبو حنيفةَ فى الأغنامِ إذا لم تَتْبَعْ فى السَّيرِ، ويُخْشَى مِن لُحوقِ العدوِّ لها وانتفاعِهم بها، أنها تُذْبَحُ وتُحَرَّقُ؛ ليُحالَ بينَهم وبينَ ذلك. واللَّهُ أعلمُ.

قال السهيلىُّ[3]: ولم يُنْكِرْ أحدٌ على جعفرٍ، فدل على جوازِه [4]إذا خِيفَ[4] أَخْذُ العدوِّ له، ولا يَدْخُلُ ذلك فى النهيِ عن قتلِ الحيوانِ عَبَثًا.

قال ابنُ هشامٍ[5]: وحدَّثنى مَن أثِقُ به مِن أهلِ العلمِ أن جعفرًا أخَذ اللواءَ بيمينِه فقُطِعتْ، فأخَذه بشمالِه فقُطِعتْ، فاحْتَضَنه بعَضُدَيْه، حتى قُتِل وهو ابنُ ثَلاثٍ وثلاثين سنةً، فأثابه اللَّهُ بذلك جَناحَيْن فى الجنةِ يَطيرُ بهما حيثُ شاء، ويقالُ: إن رجلًا مِن الرومِ ضرَبه يومَئذٍ ضربةً فقطَعه بنصفين.

قال ابن إسحاقَ[6]: وحدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، عن أبيه عَبَّادٍ قال: حدَّثنى أبى الذى أرْضَعنى، وكان أحدَ بنى مُرَّةَ بنِ عَوْفٍ، قال: فلما قُتِل جعفرٌ، أخَذ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ الرايةَ، ثُم تقدَّم بها وهو على فرسِه، فجعَل يَسْتَنْزِلُ نفسَه، ويتَرَدَّدُ بعضَ التَّرَدُّدِ، ثم قال:

أقْسَمْتُ يا نفسُ لتَنْزِلِنَّهْ ... لَتَنْزِلِنَّ أو لتُكْرَهِنَّهْ

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى م: «جواز».

(٣) الروض الأنف ٧/ ٣٦.

(٤ - ٤) فى الأصل: «إذا من». وفى م: «إلا إذا أمن».

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٨.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٣٧٩، ٣٨٠.

إن أجْلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ[1] مالى أراكِ تَكْرَهِين الجنَّهْ
قد طال ما قد كنتِ مُطْمَئِنَّهْ هل أنتِ إلا نُطفةٌ فى شَنَّهْ[2]

وقال أيضًا :

يا نفسُ إن لا تُقْتَلى تموتى هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ إن تَفْعَلى فِعْلَهما هُدِيتِ

يريدُ صاحبَيْه ؛ زيدًا وجعفرًا ، ثُم نزَل ، فلمَّا نزَل أتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ مِن لحمٍ فقال : [٣/١٠٤و] شُدَّ بهذا صُلْبَك ، فإنك قد لقِيتَ فى أيَّامِك هذه ما لَقِيتَ . فأخَذه مِن يدِه ، فانتَهَسَ منه نَهْسَةً ، ثُم سمِع الحَطْمةَ[3] فى ناحيةِ الناسِ فقال : وأنتَ فى الدنيا ؟ ! ثم ألْقاه مِن يدِه ، ثُم أخَذ سيفَه ، ثُم تقدَّم فقاتَل حتى قُتِل ، رضى اللَّهُ عنه . قال : ثُم أخَذ الرايةَ ثابتُ بنُ أقْرَمَ ، أخو بنى العَجْلانِ ، فقال : يا معشرَ المسلمينَ ، اصطَلِحوا على رجلٍ منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعلٍ . فاصطَلَح الناسُ على خالدِ بنِ الوليدِ ، فلما أخَذ الرايةَ دافع القومَ وحاشى[4] بهم ، ثم انحاز وانْحِيز عنه حتى انصَرف بالناسِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ولما أُصِيب القومُ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنى :

---

(١) يقال : أجلب القوم : إذا صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع شِبهُ البكاء . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٣.

(٢) النطفة : القليل من الماء . والشنة : السِّقاء البالى . فيوشك أن تُهَراق النطفة ، وينخرق السقاء . ضرب ذلك مثلًا لنفسه فى جسده . الروض الأنف ٧/ ٣٦.

(٣) الحطمة : صوت ازدحام الناس . انظر اللسان (ح ط م) .

(٤) فى م : « خاشى » . قال السهيلى : المخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ؛ لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم . ومن رواه : حاشى ، فهو من الحَشَى ، وهى الناحية . الروض الأنف ٧/ ٤١ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ص ١٦٣: حاشى بهم ، يعنى اتَّقَى بهم .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٠ .

« أخَذ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ ، فقاتَل بها حتى قُتِل شهيدًا ، ثُم أخَذها جعفرٌ ، فقاتَل بها حتى قُتِل شهيدًا » . قال : ثُم صمَت رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى تغَيَّرَتْ وجوهُ الأنصارِ ، وظَنُّوا أنه قد كان فى عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ بعضُ ما يَكْرَهون ، ثُم قال : « ثم أخَذها عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فقاتَل بها حتى قُتِل شهيدًا » . ثُم قال : « لقد رُفِعوا إلىَّ فى[1] الجنةِ ، فيما يَرَى النائمُ ، على سُرُرٍ مِن ذهبٍ ، فرأَيْتُ فى سَريرِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ ازْوِرارًا[2] عن سَريرَىْ صاحبَيْه ، فقلتُ : عَمَّ هذا ؟ » . فقيل لى : مَضَيا ، وتردَّد عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ بعضَ التَّرَدُّدِ ثُم مضَى . هكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ هذا مُنْقَطِعًا .

وقد قال البخاريُّ[3] : ثنا أحمدُ بنُ واقدٍ ، ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن حُمَيْدِ بنِ هِلالٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نعَى زيدًا وجعفرًا وابنَ رَواحةَ للناسِ ، قبلَ أن يَأْتِيَهم خبرُهم[4] ، فقال : « أخَذ الرايةَ زيدٌ فأُصِيب ، ثُم أخَذها جعفرٌ فأُصِيب ، ثُم أخَذها ابنُ رَواحةَ فأُصِيب - وعَيْناه تَذْرِفان - حتى أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ، حتى فتَح اللَّهُ عليهم » . تفرَّد به البخاريُّ[5] ، ورَواه فى موضعٍ آخرَ[6] ، وقال فيه وهو على المنبرِ : « وما

---

(١) سقط من : م .

(٢) الازورار : الميل والعوج . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٣.

(٣) البخارى (٤٢٦٢) .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « خبر » .

(٥) قول المصنف : تفرد به البخارى . ليس كما قال ، فقد رواه النسائى فى الجنائز ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن سليمان بن حرب عن حماد به مختصرًا . سنن النسائى (١٨٧٧) . وانظر تحفة الأشراف ١/ ٢١٥، وجامع المسانيد ٢٢/ ٢٧٣.

(٦) البخارى (٢٧٩٨، ٣٠٦٣) .

يَسُرُّهم أنهم عندَنا » .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أحمدُ بنُ أبى بكرٍ[2] ، ثنا مُغيرةُ بنُ عبدِ الرحمنِ - المَخْزوميُّ[3] ، وليس بالحِزامىِّ[4] - عن عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ ، عن نافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : أمَّر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ مُؤْتةَ زيدَ بنَ حارثةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/١٠٤ظ] « إن قُتِل زيدٌ فجعفرٌ ، وإن قُتِل جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ » . قال عبدُ اللَّهِ : كنتُ فيهم فى تلك الغزوةِ ، فالْتَمَسْنا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ ، فوجَدْناه فى القَتْلَى ، ووجَدْنا فى جسدِه بضعًا وتسعين مِن طعنةٍ[5] ورَمْيةٍ . تفرَّد به البخاريُّ أيضًا .

وقال البخاريُّ أيضًا[6] : حدَّثنا أحمدُ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، عن [7]عمرٍو ، عن ابنِ أبى هِلالٍ[7] - هو سعيدُ بنُ أبى هِلالٍ اللَّيْثىُّ - قال[8] : وأخبرَنى نافعٌ أن ابنَ عمرَ أخبرَه أنه وقَف على جعفرِ بنِ أبى طالبٍ يومَئذٍ وهو قتيلٌ ، فعَدَدْتُ به

---

(١) البخارى (٤٢٦١) .

(٢) فى م : « بكير » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٢٧٨.

(٣) هذه النسبة إضافة من المصنف نقلا عن شيخه المزى ، وليست فى صحيح البخارى . وانظر الحاشية القادمة .

(٤) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، م : « الحرامى » . وفى ص : « الخزامى » . والمثبت من تحفة الأشراف ٦/ ١٠٦. وانظر ترجمة الحزامى هذا فى تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٨٧. وترجمة المخزومى فى المصدر نفسه ٢٨/ ٣٨١.

(٥) فى الأصل ، م : « ضربة » .

(٦) البخارى (٤٢٦٠) .

(٧ - ٧) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، م : « ابن عمرو عن أبى هلال » . وفى ص : « عمرو بن أبى هلال » . والمثبت من صحيح البخارى . وعمرٌو هو ابن الحارث بن يعقوب بن عبد اللَّه الأنصارى . تهذيب الكمال ٢١/ ٥٧٠.

(٨) فى م : « قالا » .

خمسين ، بينَ طعنةٍ وضربةٍ ، ليس منها شيءٌ فى دُبُره[1] . وهذا أيضًا مِن أفرادِ البخاريِّ . ووجهُ الجَمعِ بينَ هذه الروايةِ والتى قبلَها ، أنَّ ابنَ عمرَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، اطَّلَع على هذا العددِ ، وغيرَه اطَّلَع على أكثرَ مِن ذلك . أو[2] أنَّ هذه فى قُبُلِه أُصيبَها قبلَ أنْ يُقتَلَ ، فلمَّا صُرِع إلى الأرضِ ، ضرَبوه أيضًا ضرَباتٍ فى ظهرِه ، فعدَّ ابنُ عمرَ ما كان فى قُبُلِه وهو فى وجوهِ الأعداءِ قبلَ أنْ يُقْتَلَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

ومما يَشهَدُ لِمَا ذكَره ابنُ هشامٍ مِن قطعِ يمينِه وهى مُمْسِكةٌ اللواءَ ، ثُم شِمالِه ، ما روَاه البخاريُّ[3] ، ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، ثنا عمرُ بنُ عليٍّ ، عن إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ[4] ، عن عامرٍ قال : كان ابنُ عمرَ إذا حَيَّا ابنَ جعفرٍ قال : السلامُ عليك يا بنَ ذى الجَناحيْن . ورَواه أيضًا فى المناقبِ ، والنسائيُّ مِن حديثِ يزيدَ ابنِ هارونَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[5] .

وقال البخاريُّ[6] : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا سفيانُ ، عن[7] إسماعيلَ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ قال : سِمعْتُ خالدَ بنَ الوليدِ يقولُ : لقد انقَطَعتْ[8] فى يَدى يومَ مُؤْتةَ تسعةُ أسيافٍ ، فما بَقِىَ فى يَدى إلَّا صفيحةٌ[9] يَمانِيَةٌ .

---

(١) فى دبره : يعنى فى ظهره . كما جاء بعده فى صحيح البخارى .
(٢) فى الأصل ، ا ٤١ ، م : « و » .
(٣) البخارى (٣٧٠٩ ، ٤٢٦٤) .
(٤) فى الأصل ، م : « خلاد » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩ .
(٥) البخارى (٣٧٠٩) ، والنسائى فى الكبرى (٨١٥٨) .
(٦) البخارى (٤٢٦٥) .
(٧) فى م : « بن » .
(٨) فى الأصل ، م : « دق » .
(٩) فى الأصل ، م ، ص : « صفحة » .

ثُم رَواه[1] عن محمدِ بنِ المُثَنَّى، عن يحيى، عن[2] إسماعيلَ، حدَّثنى قيسٌ، سَمِعْتُ خالدَ بنَ الوليدِ يقولُ: لقد دُقَّ فى يَدى يَومَ مُؤْتَةَ تسعةُ أسيافٍ، وصَبَرتْ فى يَدى صفيحةٌ يَمانِيَةٌ. انفرَد به البخاريُّ.

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[3]: أخبرَنا أبو نَصْرِ بنُ قَتادةَ، أخبرَنا أبو عمرٍو ابنُ[4] مَطَرٍ، ثنا أبو خليفةَ الفَضْلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحِيُّ، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ، ثنا الأسودُ بنُ شَيْبانَ، عن خالدِ بنِ سُمَيْرٍ قال: قَدِم علينا عبدُ اللَّهِ بنُ رَبَاحٍ الأنصاريُّ، وكانت الأنصارُ تُفَقِّهُه، فغَشِيَه الناسُ، فغَشِيتُه فى مَن غَشِيه فقال: حدَّثَنا[4] أبو قتادةَ، فارسُ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشَ الأُمراءِ، وقال: «عليكم زيدُ بنُ حارثةَ، [٣/١٠٥و] فإن[5] أُصِيب زيدٌ فجعفرٌ، فإن أُصِيب جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ». قال: فوثَب جعفرٌ وقال: يارسولَ اللَّهِ، ما كنتُ أَرْهَبُ أن تَستَعمِلَ زيدًا علىَّ. قال: «امضِ، فإنَّك لا تَدْرِى أىُّ ذلك خيرٌ». فانطَلَقوا، فلَبِثوا ما شاء اللَّهُ، فصَعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ المنبرَ، فأمَر فنُودِىَ: الصلاةُ جامعةٌ. فاجتَمع الناسُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «أُخبِرُكم عن جيشِكم هذا؛ إنَّهم انطلَقوا فلَقُوا العدوَّ، فقُتِل زيدٌ شهيدًا - فاستغفَر له - ثمَّ أخَذ اللواءَ جعفرٌ، فشدَّ على القومِ حتى قُتِل شهيدًا - شَهِد له بالشهادةِ، واستَغفَر له - ثُم أخَذ اللواءَ عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ، فأَثبَت قدَمَيه حتى

---

(١) أى البخارى (٤٢٦٦).

(٢) فى م: «بن».

(٣) دلائل النبوة ٤/٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى الأصل، ا ٤١، م: «وقال إن».

قُتِل شهيدًا - فاستغفر له - ثُم أخَذ اللواءَ خالدُ بنُ الوليدِ ولم يَكُنْ مِن الأُمراءِ، هو أمَّر نفسَه». ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللهمَّ إنه سيفٌ مِن سيوفِك، فأنت تَنْصُرُه». فمِن يومئذٍ سُمِّىَ خالدٌ سيفَ اللَّهِ. ورَواه النسائىُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ، عن الأسودِ بنِ شيبانَ، به نحوَه[1]. وفيه زيادةٌ حسنةٌ، وهو أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لمَّا اجتمَع إليه الناسُ قال: «ثابَ خبرٌ، ثابَ خبرٌ»[2]. وذكَر الحديثَ.

وقال الواقدىُّ[3]: حدَّثنى عبدُ الجبارِ بنُ عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ قال: لمَّا التقَى الناسُ بمؤتةَ، جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ على المنبرِ، وكشَف اللَّهُ له ما بينَه وبينَ الشامِ، فهو يَنْظُرُ إلى مُعْتَرَكِهم، فقال: «أخَذ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ، فجاءه الشيطانُ، فحبَّب إليه الحياةَ، وكرَّه إليه الموتَ، وحبَّب إليه الدُّنيا، فقال: الآنَ حينَ[4] استَحْكَم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين، تُحبِّبُ إلىَّ الدُّنيا؟! فمضَى قُدُمًا حتى استُشْهِد». فصلَّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقال: «استَغفِروا له، فقد دخَل الجنةَ، وهو يَسْعَى[5]».

قال الواقدىُّ[6]: وحدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ،

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨١٥٩).

(٢) فى النسخ: «باب خير باب خير». والمثبت من سنن النسائى. وثاب: أى رجع. انظر النهاية ١/ ٢٢٧.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦١، ٧٦٢. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٨، ٣٦٩، من طريق الواقدى به.

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من المغازى والدلائل.

(٥) فى النسخ: «شهيد». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٦) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦١، ٧٦٢. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٩، من طريق الواقدى به.

أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لمَّا قُتِل زيدٌ أخَذ الرايةَ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، فجاءَه الشيطانُ ، فحبَّب إليه الحياةَ ، وكرَّه إليه الموتَ ، ومنَّاه الدُّنيا ، فقال : الآنَ حينَ استَحكَم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين تُمَنِّينى الدنيا ؟ ! ثم مضَى قُدُمًا حتى استُشْهِد » . فصلَّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم قال : « استَغفِروا لأخِيكم ، فإنَّه شهيدٌ ، دخَل الجنةَ ، فهو يَطِيرُ فى الجنةِ بجَناحيْن مِن ياقوتٍ ، حيثُ يشاءُ من[1] الجنةِ » . قال : [٣/١٠٥ظ] « ثُم أخَذ الرايةَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فاستُشْهِد ، ثُم دخَل الجنةَ مُعْتَرِضًا » . فشَقَّ ذلك على الأنصارِ ، فقِيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ما اعتَرَضه ؟ قال : « لمَّا أصابتْه الجِراحُ نكَل ، فعاتَب نفسَه فتشَجَّع ، واستُشْهِد فدخَل الجنةَ » . فسُرِّىَ عن قومِه .

قال الواقدىُّ[2] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ الفُضَيْلِ ، عن أبيه قال : لمَّا أخَذ خالدُ بنُ الوليدِ الرايةَ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الآنَ حَمِىَ الوَطِيسُ » .

قال الواقدىُّ[3] : فحدَّثنى العَطَّافُ بنُ خالدٍ قال : لمَّا قُتِل ابنُ رواحةَ مساءً ، بات خالدُ بنُ الوليدِ ، فلمَّا أصبَح ، غَدَا وقد جعَل مُقَدِّمتَه ساقَتَه ، وساقَتَه مُقَدِّمتَه ، ومَيْمَنَتَه مَيْسَرتَه . قال : فأنكَروا[4] ما كانوا يَعْرِفون مِن راياتِهم وهيئتِهم ، وقالوا : قد جاءَهم مَدَدٌ . فرُعِبوا وانكشَفوا مُنهَزِمين . قال : فقُتِلوا مَقْتَلَةً لم يُقْتَلْها قومٌ . وهذا يُوافِقُ ما ذكَره موسى بنُ عقبةَ ، رحِمه اللَّهُ ، فى

---

(١) فى م : « فى » .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦٤. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣٦٩ ، من طريق الواقدى به .

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦٤. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣٦٩، ٣٧٠ ، من طريق الواقدى به .

(٤) أى الروم وأعوانهم .

«مغازِيه»[1]، فإنَّه قال بعدَ عمرةِ الحُدَيبِيَةِ: ثُم صدَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ، فمكَث بها ستةَ أشهرٍ، ثُم إنه بعَث جيشًا إلى مؤتةَ، وأَمَّرَ عليهم زيدَ ابنَ حارثةَ، وقال: «إنْ أُصِيب فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ أميرُهم، فإن أُصِيب جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ أميرُهم». فانطلَقوا، حتى لَقُوا ابنَ أبى سَبْرةَ الغَسَّانىَّ بمؤتةَ، وبها جموعٌ مِن نَصارَى العربِ والرومِ، بها[2] تَنُوخُ وبَهْراءُ، فأغْلَق ابنُ أبى سبرةَ دونَ المسلمين الحصنَ ثلاثةَ أيامٍ، ثُم [3]خرَجوا فالتقَوْا[3] على [رَدَغٍ[4]] أحمرَ، فاقتَتلوا قتالًا شديدًا، فأخَذ اللواءَ زيدُ بنُ حارثةَ فقُتِل، ثُم أخَذه جعفرٌ فقُتِل، ثُم أخَذه عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ فقُتِل، ثُم اصطلَح المسلمون بعدَ أُمراءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على خالدِ بنِ الوليدِ المخزومىِّ، فهزَم اللَّهُ العدوَّ، وأظهَر المسلمين. قال: [5]وبعَثهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى جُمادَى الأولى، يَعنى سنةَ ثمانٍ[5]. قال موسى بنُ عقبةَ: وزعَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مرَّ علىَّ جعفرٌ فى الملائِكةِ، يَطِيرُ كما يَطِيرون، له جَناحان». قال: وزعَموا، واللَّهُ أعلمُ، أنَّ يَعْلَى بنَ أُمَيَّةَ[7] قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ بخبرِ أهلِ مؤتةَ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن شئتَ فأَخْبِرْنى، وإن شئتَ أَخبرتُك». قال: أخْبِرْنى يا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٤، ٣٦٥، عن موسى بن عقبة.

(٢) زيادة من النسخ.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «التقوا».

(٤) فى الأصل، م: «زرع». وفى ا ٤١، ص: «ردع». وفى الدلائل: «ذرع». والمثبت ما يقتضيه السياق. والردغ: طين ووحل كثير. انظر النهاية ٢/ ٢١٥.

(٥ - ٥) سقط من: ا ٤١. وفى ص غير واضحة. وفى الدلائل: «ونعتهم رسول الله ﷺ». وانظر ما تقدم عن عروة فى الدلائل ٤/٣٥٨، ٣٥٩.

(٦) فى الدلائل: «مُنْيَة». وهو صواب أيضًا. فمنية أمه، وقيل: أم أبيه. انظر الإصابة ٦/ ٦٨٥.

رسولَ اللَّهِ . قال : فأخبرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ خبرَهم كلَّه ، ووصَفه لهم . فقال : والذى بعَثك بالحقِّ ما ترَكْتَ مِن حديثِهم حرفًا لم تَذْكُرْه ، وإنَّ أمرَهم لكما ذكرْتَ . [٣/١٠٦و] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ رفَع لىَ الأرضَ حتى رأيتُ مُعْتَرَكَهم » .

فهذا السياقُ فيه فوائدُ كثيرةٌ ليستْ عندَ ابنِ إسحاقَ ، وفيه مخالَفةٌ لِمَا ذكَره ابنُ إسحاقَ ، مِن أنَّ خالدًا إنَّما حاشَى بالقومِ ، حتى تخَلَّصوا مِن الرومِ وعربِ النصارَى فقط ، وموسى بنُ عقبةَ والواقدىُّ مُصَرِّحان بأنهم هزَموا جُموعَ الرومِ والعربِ الذين معهم ، وهو ظاهرُ الحديثِ المتقدمِ[1] عن أنسٍ مرفوعًا : « ثُم أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ، ففتَح اللَّهُ على يديه » . رَواه البخارىُّ . وهذا هو الذى رَجَّحه ومال إليه الحافظُ البيهقىُّ[2] بعدَ حكايةِ القولين ؛ لِمَا ذكَره مِن الحديثِ .

[3]قلتُ : ويُمْكِنُ الجمعُ بينَ قولِ ابنِ إسحاقَ وبينَ قولِ الباقين ، وهو[4] أن خالدًا لمَّا أخَذ الرايةَ حاشَى بالقومِ المسلمين ، حتى خلَّصهم مِن أيدى الكافرين مِن الرومِ والمُسْتَعْرِبةِ ، فلمَّا أصْبح وحوَّل الجيشَ مَيْمنةً ومَيْسرةً ، ومُقَدِّمةً وساقةً ، كما ذكَره الواقدىُّ ، توَهَّم الرومُ أن ذلك عن مَدَدٍ جاء إلى المسلمين ، فلما حمَل عليهم خالدٌ ، هزَموهم بإذنِ اللَّهِ . واللَّهُ أعلمُ[3] .

---

(١) تقدم بتخريجه ص ٤٢٣ حاشية (٣) .

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٣٧٥.

(٣ - ٣) سقط من : ٤١، ص .

(٤) يعنى المصنف بقوله : « وهو » . أى وهذا الجمع هو .

ولكن قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ، عن عروةَ قال : لمَّا أقْبَل أصحابُ مُؤْتةَ، تَلَقَّاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون معه . [2]قال : ولَقِيَهم الصِّبيانُ يَشْتَدُّون، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلٌ مع القومِ على دابةٍ، فقال : « خُذوا الصِّبيانَ فاحْمِلوهم، وأعْطونى ابنَ جعفرٍ » . فأُتِىَ بعبدِ اللَّهِ، فأخَذه فحمَله بينَ يديه[2] . [3]قال : وجَعَل الناسُ[3] يَحْثون عليهم بالترابِ ويقولون : يا فُرَّارُ، فَرَرْتُم فى سبيلِ اللَّهِ ؟! . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليسوا بالفُرَّارِ، ولكنهم الكُرَّارُ إن شاء اللَّهُ تعالى » . وهذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ، وفيه غرابةٌ . [4]وعندى، أن ابنَ إسحاقَ قد وَهِم فى هذا السياقِ، فظنَّ أن هذا لجمهورِ[5] الجيشِ، وإنما كان للذين فَرُّوا حينَ الْتَقَى الجَمْعانِ، وأما بقيَّتُهم فلم يَفِرُّوا، بل نُصِروا، كما أخْبَر بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين وهو على المنبرِ، فى قولِه : « ثم أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ، ففتَح اللَّهُ على يديه » . فما كان المسلمون لِيُسَمُّوهم فُرَّارًا بعدَ ذلك، وإنما تلَقَّوْهم ؛ إكرامًا لهم[6] وإعْظامًا، وإنما كان التأنيبُ وحَثْىُ الترابِ للذين فَرُّوا وترَكوهم هنالك، وقد كان فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، رضى اللَّهُ عنهما[4] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا حسنٌ، ثنا زُهَيْرٌ، ثنا يزيدُ بنُ أبى زِيادٍ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ٤١، ص.

(٣ - ٣) فى النسخ : « فجعلوا » . والمثبت من السيرة .

(٤ - ٤) سقط من : ٤١، ص.

(٥) فى م : « الجمهور » .

(٦) سقط من : م .

(٧) المسند ٢/ ٧٠. (إسناده صحيح) .

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : كنتُ فى سريةٍ مِن سَرايا رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فحاصَ الناسُ حَيْصَةً[1] ، وكنتُ فيمن حاصَ ، فقُلْنا : كيف [٣/١٠٦ظ] نَصْنَعُ وقد فرَرْنا مِن الزحفِ وبُؤْنا بالغضبِ ؟ ثم قلنا : لو دَخَلْنا المدينةَ فبِتْنا[2] . ثم قلنا : لو عرَضْنا أنفسَنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن كانت لنا توبةٌ ، وإلَّا ذَهَبْنا . فأتَيْناه قبلَ صلاةِ الغَداةِ ، فخرَج فقال : « مَن القومُ ؟ » قال : فقُلْنا : نحن الفَرَّارون[3] . فقال : « لا ، بل أنتم العَكَّارون[4] ، أنا فِئَتُكم ، وأنا فِئَةُ المسلمين » . قال : فأتَيْناه حتى قَبَّلْنا يدَه .

ثُم رَواه[5] عن[6] غُنْدَرٍ ، عن شُعْبةَ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن ابنِ عمرَ قال : كُنّا فى سَرِيَّةٍ ففَرَرْنا ، فأرَدْنا أن نرْكَبَ البحرَ ، فأتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقُلْنا : يارسولَ اللَّهِ ، نحن الفَرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العَكَّارون » . [7]ورَواه أبو داودَ ، والترمذىُّ[7] ، وابنُ ماجه مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ[8] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه .

وقال أحمدُ[9] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى وأسودُ بنُ عامرٍ قالا : حدَّثنا

---

(١) فحاص الناس حيصة : أى جالوا جولة يطلبون الفرار . والمحيص : المهرب والمحيد . ويروى أيضا بالجيم والضاد المعجمة « فجاض ... جيضة » النهاية ١/ ٣٢٤، ٤٦٨.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « قتلنا » .

(٣) فى الأصل ، م : « فرارون » .

(٤) فى الأصل ، ٤١ ، م : « الكرارون » . والعكارون : أى الكرارون إلى الحرب والعَطَّافون نحوها . يقال للرجل يولِّى عن الحرب ثم يكُرُّ راجعًا إليها : عكَر واعْتَكر . النهاية ٣/ ٢٨٣.

(٥) أى أحمد . المسند ٢/ ٨٦. (إسناده صحيح) .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧ - ٧) فى م : « رواه الترمذى » .

(٨) أبو داود (٢٦٤٧، ٥٢٢٣) ، والترمذى (١٧١٦) ، وابن ماجه (٣٧٠٤) .

(٩) المسند ٢/ ١١٠، ١١١. (إسناده صحيح) .

شَريكٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن ابنِ عمرَ قال : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سريَّةٍ ، فلمَّا لَقِينا العدُوَّ انْهَزَمْنا فى أولِ غَادِيَةٍ[1] ، فقدِمْنا المدينةَ فى نفَرٍ ليلًا فاخْتَفَيْنا ، ثُم قلْنا : لو خَرَجْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ واعْتَذَرْنا إليه . فخرَجْنا إليه ، [2]فلمَّا لَقِيناه[2] قلْنا : نحن الفَرَّارون يا رسولَ اللَّهِ . قال : « بل أنتم العَكَّارون ، وأنا فِئَتُكم » . قال الأسودُ : « وأنا فِئَةُ كلِّ مسلمٍ » .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، عن عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ ، [4]عن بعضِ آلِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وهم أخوالُه[4] أنَّ أمَّ سَلَمةَ زوجَ النبىِّ ﷺ قالت لامرأةِ سَلَمةَ بنِ هشامٍ [5]بنِ المُغيرةِ[5] : ما لى لا أَرَى سَلَمةَ يَحْضُرُ الصلاةَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ومع المسلمين؟ قالت : ما يَسْتَطِيعُ أن يخرُجَ ، كلَّما خَرَج صاح به الناسُ : يا فُرَّارُ ، فَرَرْتُم فى سبيلِ اللَّهِ ؟! حتى قَعَد فى بيتِه ما يخرُجُ . وكان فى غَزاةِ مُؤْتَةَ .

قلتُ : لعلَّ طائفةً منهم فَرُّوا لمَّا عايَنوا كثرةَ جُموعِ العدُوِّ ، [6]وكانوا أكثرَ منهم بأضعافٍ مُضاعَفَةٍ ؛ فإنَّ الصحابةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، كانوا ثلاثةَ[6]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند : « عادية » . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٨/ ١٥٣: وفى نسخة بهامش م : « غادية » بالغين المعجمة . اهـ .

والعادية : الخيل تعدو . والغادية من الغُدُوّ وهو سَيْر أول النهار ، نقيضُ الرَّواح . انظر النهاية ٣/ ١٩٤، ٣٤٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « ثم التقينا » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « بن العاص بن المغيرة » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٦٤٣، وأسد الغابة ٢/ ٤٣٥، والإصابة ٣/ ١٥٥.

(٦ - ٦) زيادة من : ا ٤١، ص .

(١ آلافٍ ، وكان العدوُّ ١) - على ما ذكَروه - مائتَىْ ألفٍ ، ومثلُ هذا يُسَوِّغُ الفِرارَ ، على ما قد تقرَّر ، فلمَّا فرَّ هؤلاءِ ، ثَبَت باقيهم ، وفتَح اللَّهُ عليهم ، وتَخَلَّصوا مِن أيدى أولئك ، وقتَلوا منهم مَقْتَلةً عَظيمةً ، كما ذكَره الواقدىُّ وموسى بنُ عقبةَ مِن قبلِه .

ويُؤَيِّدُ ذلك ويُشاكِلُه بالصحةِ ، ما رَواه الإمامُ أحمدُ(٢) : حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنى صَفْوانُ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ [١٠٧/٣و] نُفَيْرٍ ، عن أبيه ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجعىِّ قال : خرَجْتُ مع مَن خرَج مع زيدِ بنِ حارثةَ مِن المسلمين ، فى غزوةِ مُؤْتةَ ، (٣ ورافَقَنى مَدَدِىٌّ ٣) مِن اليمنِ ، ليس معه غيرُ سيفِه ، فنَحَر رجلٌ مِن المسلمين جَزُورًا ، فسأله المَدَدِىُّ(٤) طائِفَةً(٥) مِن جِلْدِه ، فأعْطاه إيَّاه ، فاتَّخذه كهيئةِ الدَّرَقةِ(٦) ، ومَضَيْنا فلَقِينا جموعَ الرومِ ، وفيهم رجلٌ على فرسٍ له أشْقَرَ ، عليه سَرْجٌ مذهَّبٌ وسلاحٌ مُذَهَّبٌ ، فجعل الرومىُّ يُغْرِى(٧) بالمسلمين ، وقَعَد له المَدَدِىُّ خلفَ صخرةٍ ، فمرَّ به الرومىُّ (٨ فعَرْقَب فرسَه ٨) ، فخرَّ وعلاه ، فقتَلَه ، وحاز فرسَه وسلاحَه ، فلمَّا فتَح اللَّهُ

(١ - ١) زيادة من : ٤١، ص .

(٢) المسند ٦/ ٢٧، ٢٨.

(٣ - ٣) فى الأصل : « مددى » . وفى م : « ومدوى » . وفى ص : « ووافقنى مدرى » . والمددى منسوب إلى المَدَد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يَمُدُّون المسلمين فى الجهاد . انظر النهاية ٤/ ٣٠٨.

(٤) هنا وفيما يأتى فى م : « المدوى » .

(٥) فى الأصل : « طابعة » . وفى م : « طابقة » .

(٦) فى المسند : « الدرق » . والدرقة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

(٧) فى الأصل ، م : « يغزى » .

(٨ - ٨) فى الأصل ، م : « فعرقبه » . وعرقب فرسه : أى قطع عُرْقُوبه ، وهو الوتر الذى خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع ، وهو من الإنسان فُوَيق العَقِب . انظر النهاية ٣/ ٢٢١.

للمسلمين ، بَعَث إليه خالدُ بنُ الوليدِ [1] فأَخَذ منه [1] السَّلَبَ . قال عَوْفٌ : فأتَيْتُه فقلتُ : يا خالدُ ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بالسَّلَبِ للقاتلِ ؟ قال : بلى ، ولكنِّى اسْتَكْثَرْتُه [2] . فقلتُ : لتَرُدَّنَّه إليه أو لأُعَرِّفَنَّكَها عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأبى أن يَرُدَّ عليه ، قال عوفٌ : فاجْتَمَعْنا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقصَصْتُ عليه قصةَ المددِيِّ وما فَعَل خالدٌ [3] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا خالدُ ، رُدَّ عليه ما أخَذْتَ منه » . قال عوفٌ : فقلتُ : دُونَك يا خالدُ ، ألم أفِ لك ؟! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وما ذاك؟ » فأخْبَرْتُه ، فغضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « يا خالدُ ، لا تَرُدَّ عليه ، هل أنتم تارِكُو لى [4] أُمَرائى ، لكم صِفْوةُ [5] أمْرِهم ، وعليهم كَدَرُه » . قال الوليدُ : سأَلْتُ ثَوْرًا عن هذا الحديثِ ، فحدَّثنى عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن عوفٍ ، بنحوِه . ورَواه مسلمٌ وأبو داودَ ، مِن حديثِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، به [6] نحوَه .

وهذا يَقْتَضى أنَّهم غَنِموا منهم ، وسَلَبوا مِن أشرافِهم ، وقَتَّلوا مِن أُمرائِهم ، وقد تقَدَّم [7] فيما رَواه البخاريُّ أنَّ خالدًا ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قال : انْدَقَّتْ فى يَدِى يومَ مُؤْتةَ تسعةُ أسيافٍ ، وما ثَبَت فى يَدِى إلَّا صَفِيحَةٌ يَمانِيَةٌ . وهذا يقْتَضى أنَّهم أثْخَنوا فيهم قَتْلًا ، ولو لم يَكُنْ كذلك لَما قَدَروا على التخَلُّصِ

(١ - ١) فى الأصل ، م : « يأخذ من » . وفى ص : « فأخذ من » .

(٢) فى الأصل : « استكثر به » . وفى م : « استكثر به فقلت به » .

(٣) بعده فى المسند : « فقال رسول الله ﷺ : يا خالد ، ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله ، استكثرته » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) الصِّفوة هنا بكسر الصاد : خيار الشىء وخلاصتُه وما صفا منه ، وإذا حذفت الهاء فتحت الصاد . النهاية ٣/ ٤٠ .

(٦) مسلم (١٧٥٣) . وأبو داود (٢٧١٩) .

(٧) تقدم فى صفحة ٤٢٦ .

منهم ، وهذا وحدَه دليلٌ مُسْتَقِلٌّ . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا هو اختيارُ موسى بنِ عُقبةَ والواقديِّ والبيهقيِّ ، وحكاه ابنُ هشامٍ عن الزهْريِّ[1] .

قال البيهقيُّ[2] ، رَحِمه اللَّهُ : اخْتَلَف أهلُ المغازى فى فِرارِهم وانْحِيازِهم ، فمنهم مَن ذهَب إلى ذلك ، ومنهم مَن زَعَم أن المسلمين ظَهَروا على المشركين ، وأنَّ المشركين انهَزَموا . قال[3] : وحديثُ أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ : [٣/ ١٠٧ظ] « ثُم أخَذها خالدٌ ، ففَتَح اللَّهُ عليه » . يَدُلُّ على ظُهورِهم عليهم . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[4] أنَّ قُطْبَةَ بنَ قَتَادةَ العُذْرِىَّ ، وكان رأسَ مَيْمَنةِ المسلمين ، حمَل على مالكِ بنِ زافِلَةَ - [5]قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ : رافلةُ[6] . بالراءِ[5] - [7]وهو أميرُ أعْرابِ النَّصارَى ، فقَتَلَه ، وقال يَفْتَخِرُ بذلك[7] :

طَعَنْتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإراشِ بِرُمْحٍ مضَى فيه ثُم انحَطَمْ[8]

---

(١) تقدم تخريج رواية موسى بن عقبة والواقدى فى صفحتى ٤٢٨، ٤٢٩. ويأتى تخريج كلام البيهقى فى الحاشية التالية . وانظر حكاية ابن هشام كلام الزهرى فى سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٣٧٥.

(٣) القائل هو البيهقى . وحديث أنس تقدم تخريجه فى صفحة ٤٢٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨١.

(٥ - ٥) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : « ويقال : رافلة » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

(٧ - ٧) فى السيرة : « فقتله فقال قطبة بن قتادة » .

(٨) انحطم : أى انكسر . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٤.

ضَرَبْتُ على جِيدِهِ ضَرْبةً فمال كما مال غُصنُ السَّلَمْ[1]

وسُقْنا نساءَ بنى عمِّه غَداةَ رَقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ[2]

وهذا يُؤَيِّدُ ما نحن فيه؛ لأنَّ مِن عادةِ أميرِ الجيشِ إذا قُتِل، أن يَفِرَّ أصحابُه، ثُم إنَّه صَرَّح فى شعرِه بأنهم سَبَوا مِن نسائِهم، وهذا واضحٌ فيما ذكَرْناه. واللَّهُ أعلمُ. وأمَّا ابنُ إسحاقَ[3] فإنَّه ذهَب إلى أنَّه لم يَكُنْ إلَّا المُخاشاةُ[4] والتخلُّصُ مِن أيدى الرومِ، وسمَّى هذا نصرًا وفتحًا؛ أى باعتبارِ ما كانوا فيه مِن إحاطةِ العدوِّ بهم، وتَراكُمِهم وتَكاثُرِهم وتَكاثُفِهم عليهم، فكان مُقْتَضَى العادةِ[5] أَن يُصْطَلَمُوا[6] بالكُلِّيَّةِ، فلمَّا تخَلَّصُوا منهم وانْحازوا عنهم، كان هذا غايةَ المُرامِ فى هذا المُقامِ، وهذا مُحْتَمَلٌ، لكنَّه خلافُ الظاهرِ مِن قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «ففَتَح اللَّهُ عليهم».

والمقصودُ أن ابنَ إسحاقَ يَسْتَدِلُّ على ما ذهَب إليه، فقال[7]: وقد قال - فيما كان من أمْرِ الناسِ، وأمْرِ خالدِ بنِ الوليدِ، ومُخاشاتِه بالناسِ، وانصرافِه

---

(١) الجيد: العنق. والسلم: ضربٌ من الشجر، والواحدة منه سَلَمة. المصدر السابق.

(٢) رقوقين: هو هنا اسم موضع. المصدر السابق.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

(٤) فى الأصل، ٤١، ص: «المحاشاة» بالحاء المهملة. وانظر ما ذكرناه آنفًا فى حاشية (٤) من صفحة ٤٢٢.

(٥) فى م: «العادات».

(٦) فى م: «يصطلحوا». ويُصطلموا: يُستأصلوا ويُبادوا. انظر الوسيط (ص ل م). يشير المصنف إلى أن مقتضى عادة التقاءِ جيش كثير العَدد - كما فى حالة الروم ومن معهم - وجيش قليل العدد لا يكاد عدده يذكر فى جانب الجيش الأول، أن يُبيد الجيشُ الكبير المضاعف أضعافًا، هذا الجيشَ الصغير.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

بهم - قيسُ بنُ المُحَسَّرِ[1] اليَعْمَرىُّ، يَعْتَذِرُ ممَّا صَنَع يومَئذٍ وصنَع الناسُ:

فواللَّهِ لا تَنْفكُّ نفسى تَلُومُنى ... على مَوْقفى والخيلُ قابِعةٌ قُبْلُ[2]

وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا[3] فَنافِذًا ... ولا مانعًا مَن كان حُمَّ له القَتْلُ[4]

على أنَّنى آسَيْتُ نفسى بخالدٍ[5] ... ألا خالدٌ فى القومِ ليس له مِثْلُ

وجاشَتْ إلىَّ النفسُ مِن نَحْوِ جعفرٍ ... بمُؤْتَةَ إذْ لا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ[6]

وضَمَّ إلينا حُجْزَتَيْهم[7] كِليْهما ... مُهاجِرَةٌ لا مُشْركون ولا عُزْلُ[8]

قال ابنُ إسحاقَ[9]: فبَيَّنَ قيسٌ ما اختلف فيه الناسُ مِن ذلك فى شعرِه؛ أنَّ القومَ حاجَزُوا وكَرِهوا الموتَ، وحَقَّق انحيازَ خالدٍ بمَن معه. قال ابنُ هشامٍ[9]: وأمَّا الزهْرىُّ فقال، فيما بلَغَنا عنه: أمَّر المسلمون عليهم خالدَ بنَ الوليدِ، ففَتَح اللَّهُ عليهم، وكان عليهم [٣/١٠٨و] حتى رجَع إلى المدينةِ.

---

(١) فى الأصل، ص: «المسجر». وفى السيرة: «المسحر». وقد ذكره الخشنى فى شرح غريب السيرة ٣/٦٤ بالجيم «المسجَّر» وأثار محققه فى الحاشية أنه فى إحدى النسخ «المحسر».

(٢) قابعة: منقبضة. وقُبْل: جمع أَقْبَلَ وقَبْلاء، وهو الذى يُميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى، وقد يفعل ذلك الخيلُ؛ حدَّةً ونشاطًا. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٣) فى النسخ: «مستجيزًا». والمثبت من السيرة. وأشار محققوها فى الحاشية إلى أن إحدى الروايات فيها: «مستحيزًا»، وهو ما سيشير إليه ابن إسحاق هنا فيما سيورده المصنف من كلامه عقب هذا الشعر.

(٤) حم له القتل: أى قُدِّر. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٥) آسيت نفسى بخالد: أى اقتديتُ به. من الأسوة، وهى القدوة. انظر المصدر السابق.

(٦) جاشت: أى ارتفعت. والنابل: صاحب النبل. المصدر السابق.

(٧) فى الأصل، ص: «حجرتيهم». وحجرتيهم وحجزتيهم: ناحِيَتَيْهم. انظر الوسيط (ح ج ر)، (ح ج ز).

(٨) فى م: «عذل». وعزل: جمع أعزل، وهو الذى لا سلاح له. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

فصـــلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، عن أمِّ عيسى الخُزاعِيَّةِ ، عن أُمِّ جعفرٍ بنتِ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، عن جَدَّتِها أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت : لمَّا أُصِيب جعفرٌ وأصحابُه ، دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد دَبَغْتُ أربعين مَنًّا[2] ، وعجَنْتُ عجينى ، وغسَّلْتُ بنىَّ ودَهَّنْتُهم ونَظَّفْتُهم . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْتِينى ببنى جعفرٍ » . فأتَيْتُه بهم فشَمَّهم وذَرَفَتْ عَيْناه ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت وأُمِّى ، ما يُبْكيك ، أبَلَغَك عن جعفرٍ وأصحابِه شىءٌ؟ قال : « نعم ، أُصِيبوا هذا اليومَ » . قالت : فقُمْتُ أَصِيحُ ، واجْتَمَع إلىَّ النساءُ ، وخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِه فقال : « لا تَغْفُلوا عن آلِ جعفرٍ أن تَصْنَعوا لهم طعامًا ؛ فإنَّهم قد شُغِلوا بأمرِ صاحِبِهم » . وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ[3] مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ ، [4]ورَواه ابنُ ماجه[5] مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن[4] عبدِ اللَّهِ بنِ أَبى بكرٍ ، عن أُمِّ عيسى ، عن أمِّ عَوْنٍ بنتِ محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن أسماءَ ، فذَكَر الأمرَ بعملِ الطعامِ . والصوابُ أنَّها أمُّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) فى م : « مناء » . والمَنُّ ، والمَنَا - مقصورًا يكتب بالألف - : الكيل أو الميزان الذى يوزن به . وتعنى به أربعين رطلًا من دباغ . انظر اللسان (م ن و) . وشرح غريب السيرة ٣/ ٦٣.

(٣) المسند ٦/ ٣٧٠. وعنده : « أم عيسى الجزار » . وهى نفسها أم عيسى الخزاعية . انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٨.

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « ورواه ابن إسحاق من طريق » . وفى ا ٤١ : « وابن ماجه عن ابن إسحاق أيضًا » .

(٥) ابن ماجه (١٦١١) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٠٧) .

جعفرٍ وأمُّ عَوْنٍ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا سفيانُ ، ثنا جعفرُ بنُ خالدٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ قال : لمَّا جاء نَعْىُ جعفرٍ حينَ قُتِل ، قال النبىُّ ﷺ : « اصْنَعوا لآلِ جعفرٍ طعامًا ، فقد أتاهم أمْرٌ يَشْغَلُهم » . أو : « أتاهم ما يَشْغَلُهم » . وهكذا رَواه أبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن جعفرِ بنِ خالدِ بنِ سارَةَ المخزومىِّ المكىِّ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ[3] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ .

ثُم قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالت : لما أتَى نَعْىُ جعفرٍ ، عَرَفْنا فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الحُزْنَ . قالت : فدَخَل عليه رجلٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن النساءَ عَنَّيْنَنا[5] وفَتَنَّنا . قال : « ارْجِعْ إليهنَّ فأسْكِتْهُنَّ » . قالت : فذَهَب ثُم رَجَع ، فقال له مِثْلَ ذلك . قالت[6] : وربما ضَرَّ التَّكَلُّفُ . يعنى أهلَه . قالت : قال : « فاذْهَبْ فأَسْكِتْهن ، فإن أبَيْنَ فاحْثُ[7] فى أفواهِهِنَّ الترابَ » . قالت : وقلتُ

---

(١) يعنى المصنف ، رحمه اللَّه ، أن أم جعفر وأم عون اسمان لامرأة واحدة ، وقد ترجم الحافظ المزى ، رحمه اللَّه ، لأم عون ، وذكر أنه يقال لها : « أم جعفر » ، وروى الحديث بإسناده . انظر تهذيب الكمال ٣٥/٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) المسند ١/ ٢٠٥. (إسناده صحيح) .

(٣) أبو داود (٣١٣٢) . والترمذى (٩٩٨) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١٦١٠) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٦٨٦) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨١.

(٥) فى الأصل ، م : « عيبننا » ، وفى ا ٤ : « غلبننا » . وعَنَّيْننا : كَلَّفْتَنا ما يشقُّ علينا . انظر الوسيط (ع ن و) .

(٦) بعده فى م : « يقول » .

(٧) فى الأصل : « فاحثو » . وفى م : « فاحثوا » . وحثا يحثو حَثْوا ، ويَحْثى حَثْيا : رمى . انظر النهاية ١/ ٣٣٩.

فى نفسى : أبْعَدَكَ اللَّهُ ، فواللَّهِ ما تَرَكْتَ نفسَك ، وما أنت بمُطِيعِ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قالت : وعَرَفْتُ أنَّه لا يَقْدِرُ [1] على أن [1] يَحْثِىَ فى أفواهِهِنَّ الترابَ . انْفَرَدَ به ابنُ إسحاقَ مِن هذا الوجهِ ، وليس فى شىءٍ مِن الكتبِ .

وقال البخارىُّ [2] : ثنا قُتَيْبةُ ، ثنا عبدُ الوهَّابِ ، سمِعْتُ يحيَى بنَ [٣/ ١٠٨ظ] سعيدٍ قال : أخبَرَتْنى عَمْرةُ قالت : سمِعْتُ عائشةَ تقولُ : لمَّا قُتِل ابنُ حارثةَ وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرَفُ فى وجهِه الحُزْنُ . قالت عائشةُ : وأنا أطَّلِعُ مِن صائرِ البابِ - شَقٍّ [3] - فأتاه رجلٌ فقال : أىْ رسولَ اللَّهِ ، إن نساءَ جعفرٍ . وذَكَر بُكاءَهُنَّ ، فأمَرَه أن يَنْهاهُنَّ . قالت : فذَهَب الرجلُ ، ثُم أتَى فقال [4] : واللَّهِ لقد غَلَبْننا . فزَعَمَتْ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فاحْثُ فى أفواهِهِنَّ مِن الترابِ » [5] . قالت عائشةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها : فقلتُ : أرْغَم اللَّهُ أنفَك ، فواللَّهِ ما أنت تَفْعَلُ [6] ، وما ترَكْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن العَناءِ . وهكذا رَواه مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائىُّ مِن طُرُقٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ ، عن عَمْرةَ ، عنها [7] .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . وفى ص : « أن » .

(٢) البخارى (٤٢٦٣) .

(٣) الشق : بالكسر وبالفتح أيضًا ، يقال : بالفتح هو الموضع الذى ينظر منه كالكُوّة ، وبالكسر : الناحية . انظر فتح البارى ٧/ ٥١٤.

(٤) بعده فى صحيح البخارى : « قد نهيتهن . وذكر أنه لم يطعنه . قال : فأمر أيضا ، فذهب ثم أتى فقال » .

(٥) قال الحافظ : ووجه المناسبة فى قوله : « احث فى أفواههن » دون أعينهن ، مع أن الأعين محلّ البكاء ، الإشارة إلى أن النهى لم يقع عن مجرد البكاء ، بل عن قدر زائد عليه من صياح أو نياحة ، والله أعلم . فتح البارى ٧/ ٥١٥.

(٦) بعده فى الأصل ، م : « ذلك » .

(٧) مسلم (٩٣٥) ، وأبو داود (٣١٢٢) ، والنسائى (١٨٤٦) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا وهبُ بنُ جَريرٍ ، ثنا أبى ، سمِعْتُ محمدَ بنَ أبى يعقوبَ يُحَدِّثُ عن الحسنِ بنِ سعدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشًا ، اسْتَعْمَل عليهم زيدَ بنَ حارثةَ ، وقال : « إن قُتِل زيدٌ أو استُشْهِد فأميرُكم جعفرٌ ، فإن قُتِل أو اسْتُشْهِد فأميرُكم عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ » . فلَقُوا العدوَّ ، فأخَذ الرايةَ زيدٌ فقاتَل حتى قُتِل ، ثُم أخَذ الرايةَ جعفرٌ فقاتَل حتى قُتِل ، ثُم أخَذَها عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فقاتَل حتى قُتِل ، ثُم أخَذ الرايةَ خالدُ بنُ الوليدِ ففتَح اللَّهُ عليه ، وأتى خبرُهم النبىَّ ﷺ فَخَرَج إلى الناسِ ، فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه وقال : إنَّ إخوانَكم لَقُوا العدوَّ ، وإنَّ زيدًا أخَذ الرايةَ فقاتَل حتى قُتِل أو اسْتُشْهِد ، ثُم أخَذ الرايةَ بعدَه جعفرُ بنُ أبى طالبٍ فقاتَل حتى قُتِل أو اسْتُشْهِد ، ثُم أخَذ الرايةَ عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ فقاتَل حتى قُتِل أو اسْتُشْهِد ، ثُم أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ؛ خالدُ بنُ الوليدِ ، ففتَح اللَّهُ عليه » . قال : ثُم أمْهَل آلَ جعفرٍ ثلاثًا أن يَأْتِيَهم ، ثُم أتاهم فقال : « لا تَبْكُوا على أخى بعدَ اليومِ ، ادْعوا[2] لى ابْنَىْ[3] أخى » . قال : فجِيء بنا كأننا أفْرُخٌ ، فقال : « ادْعوا لىَ الحلَّاقَ » . فجِيء بالحلاقِ ، فحَلَق رُءُوسَنا ، ثُم قال : « أمّا محمدٌ فشبيهُ عمِّنا أبى طالبٍ ، وأمَّا عبدُ اللَّهِ فشبيهُ خَلْقى وخُلُقى » . ثُم أخَذ بيدى فأَشالَها[4] وقال : « اللهم اخْلُفْ جعفرًا فى أهلِه ، وبارِكْ لعبدِ اللَّهِ فى صَفْقةِ يَمينِه » . قالها

---

(١) المسند ١/ ٢٠٤، ٢٠٥ بنحوه (إسناده صحيح) .

(٢) فى المسند : «أو غدا» . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ١٩٣/٣ فى الحاشية : وهو خطأ بيّن .

(٣) فى النسخ : « بنى » . والمثبت من المسند .

(٤) أشالها : رفعها . انظر الوسيط (ش و ل) .

ثلاثَ مراتٍ . قال : فجاءت أُمُّنا فذَكَرتْ له يُتْمَنا ، وجَعَلتْ تُفْرِحُ[1] [٣/ ١٠٩و] له ، فقال : « العَيْلَةَ[2] تخافين عليهم وأنا وليُّهم فى الدنيا والآخرةِ ؟! » ورَواه أبو داودَ ببعضِه ، والنَّسائىُّ[3] فى السِّيَرِ بتمامِه مِن حديثِ وهبِ بنِ جريرٍ ، به . وهذا يقْتَضى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أرْخَص لهم فى البكاءِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم نهاهم عنه بعدَها .

ولعلَّه معنى الحديثِ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ[4] ، مِن حديثِ الحَكَمِ ، عن[5] عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، عن أسماءَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لها لمَّا أُصِيب جعفرٌ : « تَسَلَّبى[6] ثلاثًا ثُم اصْنَعى ما شئْتِ » . تفرَّد به أحمدُ . فيَحْتَمِلُ أنَّه أذِن لها فى التَّسَلُّبِ ، وهو المبالغةُ فى البكاءِ وشَقِّ الثيابِ ، ويكونُ هذا مِن بابِ التَّخْصيصِ لها بهذا ؛ لشِدَّةِ حُزنِها على جعفرٍ أبى أولادِها ، وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ أمرًا لها بالتَّسلُّبِ ، وهو المبالغةُ فى الإحدادِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم تَصْنَعُ بعدَ ذلك ما شاءتْ ؛ ممَّا يَفْعَلُه المُعْتَدَّاتُ على أزواجِهنَّ ، مِن الإحدادِ المُعتادِ . واللَّهُ أعلمُ . ويُرْوَى[7] :

---

(١) تُفرح له : مِن أفْرَحه إذا غَمَّه وأزال عنه الفرحَ ، وأفرحَه الدَّيْن إذا أثقله . النهاية ٣/ ٤٢٤.

(٢) العيلة : الفقر . انظر الوسيط (ع ى ل) .

(٣) أبو داود (٤١٩٢) . والنسائى فى الكبرى (٨٦٠٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٣٢) .

(٤) المسند ٦/ ٤٣٨. قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٧: رجال أحمد رجال الصحيح .

(٥) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١١٤.

(٦) كذا فى النسخ . وفى المسند : « أمى البسى ثوب الحداد » . وكذا فى جامع المسانيد ١٥/٢٥٣ بمثل ما فى المسند . وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧/٤٣٨ من طريق الحكم بن عتيبة به ، ووقع عنده : « تسلبنى » ، فلعله محرّف عن « تسلبى » . ويشهد له ما أورده ابن الأثير فى النهاية ٢/ ٣٨٧.

(٧) ذكرها الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ١٧، وعزاها لأحمد .

« تَسَلَّىْ ثلاثًا » . أى تصَبَّرى ثلاثًا ، وهذا بخلافِ الروايةِ الأُخرى . واللَّهُ أعلمُ .

فأما الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يزيدُ ، ثنا محمدُ بنُ طلحةَ ، ثنا الحكَمُ بنُ عُتيْبَةَ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت : دخَل علىَّ[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ اليومَ الثالثَ مِن قَتْلِ جعفرٍ فقال : « لا تُحِدِّى بعدَ يومِكِ هذا » . فإنه مِن أفرادِ أحمدَ أيضًا ، وإسنادُه لا بأسَ به ، ولكنَّه مُشْكِلٌ إن حُمِل على ظاهرِه ؛ لأنَّه قد ثبَت فى « الصحيحين »[4] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن تُحِدَّ على ميِّتٍ أكثرَ مِن ثلاثةِ أيامٍ ، إلَّا على زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشْرًا » . فإن كان ما رَواه الإمامُ أحمدُ محفوظًا ، فتكونُ مخصوصةً بذلك ، أو هو أمرٌ بالمبالغةِ فى الإحْدادِ هذه الثلاثةَ أيامٍ كما تقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : ورَثَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ زوجَها بقصيدةٍ تقولُ فيها :

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسى حزينةً ... عليكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْدِىَ أغْبَرا

فللَّهِ عينا مَن رَأى مثلَه فتًى ... أكَرَّ وأحْمَى فى الهِيَاجِ وأصْبَرا

ثم لم تَنْشَبْ أن انقَضَتْ عِدَّتُها ، فخطَبها أبو بكرٍ الصديقُ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فتَزَوَّجَها ، فأوْلَم ، وجاء الناسُ للوَليمةِ ، فكان فيهم علىُّ بنُ أبى طالبٍ ،

---

(١) المسند ٦/ ٣٦٩. وقد جعل الهيثمى فى المجمع ٣/١٧ هذا الحديث روايةً من الحديث الذى أورده المصنف أولًا من طريق الحكم .

(٢) فى م ، ص : « عيينة » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١١٤.

(٣) سقط من : م .

(٤) البخارى (١٢٨٠) . ومسلم (١٤٨٦) .

فلمَّا ذهَب الناسُ اسْتَأْذَن عليٌّ أبا بكرٍ، رَضِى اللَّهُ عنهما، فى أن يُكَلِّمَ أسماءَ مِن وراءِ السِّتْرِ، فأذِن له، فلمّا اقْتَرب مِن السِّتْرِ نَفَحه رِيحُ طِيبِها، فقال لها عليٌّ، على وجهِ البَسْطِ: مَن القائلةُ فى شعرِها:

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسى حزينةً عليك ولا ينْفَكُّ جِلْدىَ أغْبَرا

قالت: دَعْنا منك يا أبا الحسنِ، فإنَّك امرُؤٌ فيك دُعابةٌ. فوَلَدَتْ للصديقِ محمدَ بنَ أبى بكرٍ، ولَدَتْه [٣/ ١٠٩ظ] بالشَّجَرةِ بينَ مكةَ والمدينةِ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ذاهبٌ إلى حِجَّةِ الوَداعِ، فأمَرها أن تَغْتَسِلَ وتُهِلَّ، وسيأتى فى موضعِه، ثُم لمَّا تُوُفِّىَ الصديقُ، تزوَّجها بعدَه علىُّ بنُ أبى طالبٍ، ووَلَدَتْ له أولادًا، رَضِى اللَّهُ عنه وعنها وعنهم أجمعين.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال: فلما دَنَوا مِن المدينةِ تلَقَّاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون. قال: ولقِيَهم الصِّبيانُ يَشْتَدُّون، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلٌ مع القومِ على دابةٍ، فقال: «خُذوا الصِّبيانَ فاحْمِلوهم وأعْطونى ابنَ جعفرٍ». فأُتِىَ بعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، فأَخذه فحمَله بينَ يديه. قال: وجعَل الناسُ يَحْثُون على الجيشِ الترابَ ويقولون: يا فُرَّارُ، فرَرْتُم فى سبيلِ اللَّهِ؟! قال: فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ليسوا بالفُرَّارِ، ولكنهم الكُرَّارُ إن شاء اللَّهُ». وهذا مُرْسَلٌ.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

[1]وقد قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا أبو مُعاويةَ ، ثنا عاصمٌ ، عن مُوَرِّقٍ[3] العِجْليِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا قدِم مِن سفرٍ تُلُقِّيَ بالصبيانِ مِن أهلِ بيتِه ، وإنه قَدِم مِن سفرٍ فسُبِق بى إليه . قال : فحمَلنى بينَ يديه . قال : ثم جِيء بأَحدِ ابنَىْ فاطمةَ ، إما حَسنٌ وإما حُسَينٌ ، فأرْدَفه خلفَه ، فدخَلْنا المدينةَ ثلاثةً على دابةٍ . وقد رَواه مسلمٌ وأبو داودَ والنسائىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ عاصمٍ الأحْولِ ، عن مُوَرِّقٍ به[4][1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا رَوْحٌ ، حدَّثَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، ثنا [6]جعفرُ بنُ[6] خالدِ ابنِ سارَةَ ، أن أباه أخبرَه أن عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ قال : لو رأيتَنى وقُثَمَ وعُبَيْدَ اللَّهِ ابنَىِ العباسِ ونحن صِبيانٌ نلْعَبُ ، إذ مَرَّ النبىُّ ﷺ على دابةٍ فقال : « ارْفَعوا هذا إلىَّ » . فحمَلنى أمامَه وقال لقُثَمَ : « ارْفعوا هذا إلىَّ » . فجعَله وراءَه ، وكان عُبَيْدُ اللَّهِ أحبَّ إلى عباسٍ مِن قُثَمَ ، فما استَحَى مِن عمِّه أن حمَل قُثَمَ وترَكه . قال : ثم مسَح على رأسِى ثلاثًا ، وقال كُلَّما مسَح : « اللهم اخْلُفْ جعفرًا فى ولدِه » . قال : قلتُ لعبدِ اللَّهِ : ما فعَل قُثَمُ ؟ قال : استُشْهِد . قال : قلتُ : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ بالخيرِ . قال : أجل . ورَواه النسائىُّ فى « اليومِ والليلةِ » مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، به[7] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ١/ ٢٠٣. (إسناده صحيح) .

(٣) فى الأصل : « مروان » . وفى م : « مؤرق » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٦.

(٤) مسلم (٢٤٢٨) ، وأبو داود (٢٥٦٦) ، والنسائى فى الكبرى (٤٢٤٦) ، وابن ماجه (٣٧٧٣) .

(٥) المسند ١/ ٢٠٥. (إسناده صحيح) .

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٦.

(٧) النسائى فى الكبرى (١٠٩٠٥) .

وهذا كان بعدَ الفتحِ ؛ فإن العباسَ إنما قدِم المدينةَ بعدَ الفتحِ . فأما الحديثُ الذى[1] رَواه الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا إسماعيلُ ، ثنا حَبيبُ بنُ الشَّهيدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكةَ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ لابنِ الزبيرِ : أتذْكُرُ إذْ تلَقَّيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنا وأنت وابنُ عباسٍ ؟ قال : نعم . فحمَلَنا وتَرَكك[3] .

[3]هكذا رأيتُه فى المسندِ ، وكأنه غلطٌ فى النسخةِ ، فإنَّه مِن مسندِ عبدِ اللَّهِ ابنِ جعفرٍ ، فصوابُه : قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ : أتَذْكُرُ إذ تَلَقَّيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنا وأنت وابنُ عباسٍ ؟ قال : نعم ، فحَمَلَنا وتَرَكَك[3] . وبهذا [٣/ ١١٠و] اللفظِ أخرَجه البخاريُّ ، ومسلمٌ[4] مِن حديثِ حَبيبِ بنِ الشَّهيدِ ، وهذا يُعَدُّ مِن الأجوبةِ المُسْكِتَةِ ، ويُرْوَى أن عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ أجاب به ابنَ الزبيرِ أيضًا[5] ، وهذه القصةُ قصةٌ أخرى كانت بعدَ الفتحِ ، كما قدَّمنا بيانَه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) المسند ١/ ٢٠٣. (إسناده صحيح) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . وإنما تعينُّ إثبات ما فى « ص ، ا ٤١ » ؛ لأن النسخ جميعًا هنا جاء آخر الحديث فيها هكذا : « قال : نعم ، فحملنا وتركك » . والظاهر من السياق أنه من كلام ابن الزبير ، وبهذا يصح تعقيب المصنف الذى أثبتناه من نسختى « ص ، ا ٤١ » . وفى المسند كان آخر الحديث هكذا : « قال : نعم . قال : فحملنا وتركك » . ففيه لفظ « قال » قبل « فحملنا » ، وبه يستقيم المعنى على أنه من ردِّ ابن جعفرٍ وليس ابن الزبير . وقال الإمام أحمد : وحدثنا به - يعنى إسماعيل بن علية - مرة أخرى فقال فيه : « قال : نعم فحملنا وتركك » . وهذه المرة الثانية الكلام فيها غير مستقيم ، وهى - على ما يبدو - النسخة التى وقعت للمصنف . وانظر كلام الحافظ على روايات الحديث فى فتح البارى ٦/ ١٩١، ١٩٢.

(٤) البخارى (٣٠٨٢) ، ومسلم (٢٤٢٧) . وإنما جاء عند مسلم مقلوبًا ، ونبَّه عليه الحافظ فى الفتح ٦/ ١٩٢ قائلًا : جعل - أى مسلم فى صحيحه - المستفهم عبد اللَّه بن جعفر ، والقائل « فحملنا » عبد اللَّه ابن الزبير ، والذى فى البخارى أصح .

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٤٠. (إسناده صحيح) .

فصلٌ فى فضلِ هؤلاء الأمراءِ الثلاثةِ ؛ زيدٍ وجعفرٍ وعبدِ اللّـهِ ، رضِى اللّـهُ عنهم

أما زيدُ بنُ حارثةَ بنِ شَراحيلَ بنِ كعبِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ امرئِ القيسِ بنِ عامرِ بنِ النعمانِ بنِ عامرِ بنِ عبدِ وُدٍّ بنِ عوفِ بنِ كِنانةَ بنِ بَكْرِ بنِ عوفِ بنِ عُذْرةَ بنِ زيدِ اللاتِ بنِ رُفَيْدةَ بنِ ثَوْرِ بنِ كلبِ بنِ وَبَرَةَ بنِ تَغْلِبَ[1] بنِ حُلْوانَ ابنِ عِمْرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ الكَلْبىُّ القُضاعىُّ ، مولى[2] رسولِ اللّهِ ﷺ ؛ وذلك أن أمَّه ذهَبت تَزورُ أهلَها ، فأغارت عليهم خيلُ بَلْقَيْنِ[3] فأخَذوه ، فاشْتراه حَكِيمُ بنُ حِزامٍ لعمَّتِه خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ . وقيل : اشْتراه رسولُ اللّهِ ﷺ لها ، [4]فوَهَبَتْه مِن رسولِ اللّهِ ﷺ[4] قبلَ النبوةِ ، فوجَده أبوه ، فاخْتار المُقامَ عندَ رسولِ اللّهِ ﷺ ، فأعْتَقه وتبنَّاه ، فكان يُقالُ له : زيدُ بنُ محمدٍ . وكان رسولُ اللّهِ ﷺ يُحِبُّه حُبًّا شديدًا ، وكان أولَ مَن أَسْلَمَ مِن المَوالى ، ونزَل فيه آياتٌ مِن القرآنِ ؛ منها قولُه تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤] . وقولُه تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] . وقولُه تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . وقولُه : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ

---

(١) فى م : « ثعلب » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٤٢، وأسد الغابة ٢/ ٢٨١.

(٢) هكذا فى النسخ ، ولعل الأولى : « فهو مولى ... » لأنه جواب « أما » .

(٣) سقط من : « م » . ويقال لبنى القَيْن : بَلْقَيْن . كما قالوا : بلحارث وبلهُجيم . وهو من شواذّ التخفيف . انظر اللسان (ق ى ن) .

(٤ - ٤) كذا بالنسخ . ولعله : « فوهبته لرسول اللّه ﷺ » . انظر أسد الغابة ٢/٢٨١ .

وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]. أجْمَعوا أن هذه الآياتِ أُنْزِلت فيه، ومعنى ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أى بالإسلامِ، ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ أى بالعِتقِ، وقد تكلَّمْنا عليها فى «التفسيرِ»[1].

والمقصودُ أن اللَّهَ تعالى لم يُسَمِّ أحدًا مِن الصحابةِ فى القرآنِ غيرَه، وهداه إلى الإسلامِ، وأعْتَقه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وزوَّجه مولاتَه أمَّ أيمنَ، واسْمُها بَرَكةُ، فولَدت له أسامةَ بنَ زيدٍ، فكان يقالُ له: الحِبُّ بنُ الحِبِّ. ثُم زوَّجه بابنةِ عمَّتِه زينبَ بنتِ جحشٍ، وآخى بينَه وبينَ عمِّه حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ، وقدَّمه فى الإمْرةِ على ابنِ عمِّه جعفرِ بنِ أبى طالبٍ يومَ مُؤْتةَ، كما ذكَرْناه.

وقد قال الإمامُ أحمدُ، والإمامُ [٣/ ١١٠ظ] الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبى شيْبةَ[2] - وهذا لفظُه -: ثنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ، عن وائلِ بنِ داودَ، سمِعْتُ البَهِىَّ يُحَدِّثُ أن عائشةَ كانت تقولُ: ما بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ فى سريةٍ إلَّا أمَّره عليهم، ولو بَقِىَ بعدَه[3] لَاستَخْلَفَه. ورَواه النسائىُّ، عن أحمدَ بنِ سُليمانَ[4]، عن محمدِ بنِ عُبَيْدٍ الطَّنافِسىِّ، به[5]. وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ على شرطِ الصحيحِ، وهو غريبٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) التفسير ٦/ ٣٧٧ - ٣٧٩، ٤١٩ - ٤٢٦.

(٢) المسند ٦/ ٢٢٦، ٢٢٧، ومصنف ابن أبى شيبة (١٨٨٢٤).

(٣) فى م: «بعد».

(٤) فى م: «سلمان». وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٢٠.

(٥) النسائى فى الكبرى (٨١٨٢).

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا سليمانُ ، ثنا إسماعيلُ ، أخبرنى ابنُ دينارٍ ، عن ابنِ عَمرَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بعْثًا ، وأمَّر عليهم أسامةَ بنَ زيدٍ ، فطعَن بعضُ الناسِ فى إمْرتِه ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « إن تَطْعَنوا فى إمْرتِه فقد كنتم تطْعَنون فى إمرةِ أبيه مِن قبلُ ، وايمُ اللَّهِ إن كان لَخَلِيقًا للإمارةِ ، وإن كان لمِن أحبِّ الناسِ إلىَّ ، وإن هذا لمن أحبِّ الناسِ إلىَّ بعدَه » .

وأخْرَجاه فى « الصحيحين » عن قُتَيْبةَ ، عن إسماعيلَ - هو ابنُ جعفرِ بنِ أبى كثيرٍ المدنىُّ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَره[2] . ورواه البخارىُّ مِن حديثِ موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه[3] . ورواه البزارُ مِن حديثِ عاصمِ بنِ عمرَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ العُمَرىِّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ[4] ، ثم استَغْرَبه مِن هذا الوجهِ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[5] : ثنا عمرُ بنُ إسماعيلَ [6]بنِ مُجالدٍ ، حدثنى أبى[6] ، عن مُجالِدٍ ، عن الشعبىِّ ، عن مَسْروقٍ ، عن عائشةَ قالت : لما أُصِيب زيدُ بنُ حارثةَ ، جِىء بأسامةَ بنِ زيدٍ ، فأُوقِف بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدمَعت عينا رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأُخِّرَ ، ثم عاد مِن الغدِ فوقَف بينَ يديه فقال : « أُلاقِى منك اليومَ ما لقِيتُ منك أمسِ » . وهذا الحديثُ فيه غرابةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٢/ ١١٠. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٦٦٢٧)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٣) البخارى (٤٤٦٨).

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨/ ٦٠، من طريق عبيد الله بن عمر به.

(٥) كشف الأستار (٢٦٧٥). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٧٥: رواه البزار عن شيخه عمر بن إسماعيل ابن مجالد وهو كذاب.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

وقد تقدم فى «الصحيحين»[1] أنه لما ذكَر مُصابَهم وهو، عليه الصلاةُ والسلامُ، فوقَ المنبرِ، جعَل يقولُ: «أخَذ الرايةَ زيدٌ فأُصِيب، ثُم أخَذها جعفرٌ فأُصِيب، ثُم أخَذها عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فأُصِيب، ثم أخَذها سيفٌ مِن سيوفِ اللَّهِ ففتَح اللَّهُ عليهم». قال: وإن عينيه لتَذْرِفان. وقال: «وما يَسُرُّهم أنهم عندَنا». وفى الحديثِ الآخرِ أنه شهدِ لهم بالشهادةِ، فهم ممن يُقْطَعُ لهم بالجنةِ.

وقد قال حسانُ بنُ ثابتٍ يَرْثِى زيدَ بنَ حارثةَ وابنَ رَواحةَ[2]:

عينُ جُودى بدمْعِك المَنْزورِ[3] ... واذْكُرى فى الرَّخاءِ أهلَ القبورِ

[٣/ ١١١و] واذْكُرى مُؤْتةً وما كان فيها ... يومَ راحوا فى وقعةِ التَّغْويرِ[4]

حينَ راحوا وغادروا ثَمَّ زيدًا ... نِعْمَ مأْوَى الضَّرِيكِ[5] والمأسُورِ

حِبَّ خيرِ الأنامِ طُرًّا[6] جميعًا ... سيدِ الناسِ حُبُّه فى الصدورِ

ذاكمُ أحمدُ الذى لا سواه ... ذاك حُزْنى له معًا وسُرورى

---

(١) تقدم الحديث فى صفحة ٤٢٣ حاشية (٥) وهو ليس فى صحيح مسلم، فقد أشار المصنف أن البخارى تفرد به دون مسلم. انظر تحفة الأشراف ١/ ٢١٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، وانظر ديوان حسان ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) المنزور: القليل، وإنما أراد أنه بكى حتى قل دمعه، فأمر عينه أن تجود بذلك القليل. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٤) التغوير: هو مصدر غَوَّرْت، إذا توسط القائلة من النهار. الروض الأنف ٧/ ٤٩. يقول: ورد القوم مغوِّرين. إذا وردوا فى وقت الظهيرة ساعة القائلة فى نصف النهار. الديوان ص ٢٢١.

(٥) الضريك: الفقير. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٦) طرا: جميعا. اللسان (ط ر ر).

إن زيدًا قد كان منا بأمْرٍ ... ليس أمرَ المُكَذَّبِ المَغْرورِ
ثُم جُودى للخَزْرجىِّ بدمْعٍ ... سيِّدًا كان ثَمَّ غيرَ نَزورِ[1]
قد أتانا مِن قتلِهم ما كفانا ... فبحُزْنٍ نَبِيتُ غيرِ سُرورِ

وأما جعفرُ بنُ أبى طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، فهو ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان أكبرَ مِن أخيه علىٍّ بعشرِ سِنِينَ، وكان عقيلٌ أسنَّ من جعفرٍ بعشرِ سنينَ، وكان طالبٌ أسنَّ مِن عَقِيلٍ بعشرِ سنينَ، أسلَم جعفرٌ قديمًا، وهاجَر إلى الحبشةِ، وكانتْ له هنالك مواقفُ مشهورةٌ، ومَقاماتٌ محمودةٌ، وأجوِبةٌ سَديدةٌ، وأحوالٌ رَشيدةٌ، وقد قدَّمْنا ذلك فى هجرةِ الحبشةِ، وللَّهِ الحمدُ. وقد قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ خيبرَ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «ما أدْرِى بأيِّهما أنا أُسَرُّ؛ أبقُدومِ جعفرٍ، أمْ بفتْحِ خيبرَ؟» وقام إليه واعتَنقه وقبَّل بينَ عَيْنيْهِ، وقال له يومَ خرَجوا مِن عمرةِ القضيةِ: «أشبَهْتَ خَلْقى وخُلُقى». فيقالُ: إنَّه حجَل عندَ ذلك فرَحًا. كما تقَدَّم ذلك فى موضعِه. وللَّهِ الحمدُ والمنةُ. ولمَّا بعَثه إلى مؤتةَ جعَله[2] فى الإمْرةِ مُصَلِّيًا - أىْ ثانيًا[3] - لزيدِ بنِ حارثةَ، ولمَّا قُتِل وجَدوا فيه بضعًا وتسعينَ ما بينَ ضَربةٍ بسيفٍ، وطَعنةٍ برُمحٍ، ورميةٍ بسهمٍ، وهو فى ذلك كلِّه مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبرٍ، وكانت قد

---

(١) نزور: قليل العطاء. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٢) فى الأصل، م: «جعل».

(٣) فى ا ٤: «تاليا»، وفى م: «نائبا».

قُطِعتْ[1] يدُه اليُمنَى ثُم اليُسرَى وهو مُمْسِكٌ اللواءَ، فلمَّا فقَدهما احتَضنه حتى قُتِل وهو كذلك. فيُقالُ: إنَّ رجلًا مِن الرومِ ضرَبه بسيفٍ فقطَعه باثنتيْنِ. رَضِىَ اللَّهُ عن جعفرٍ ولعَن قاتلَه، وقد أخبَر عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ بأنَّه شهيدٌ، فهو مِمَّن يُقْطَعُ له بالجنةِ. وجاء فى الأحاديثِ تسميتُه بذِى الجَناحَيْن.

وروَى البخارىُّ[2]، عن ابنِ عمرَ أنَّه كان إذا سَلَّم على ابنِه عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ يقولُ: السلامُ عليك يا بنَ ذِى الجَناحَيْن. [٣/ ١١١ظ] وبعضُهم يَرْوِيه عن عمرَ بنِ الخطابِ نفسِه[3]، والصحيحُ ما فى «الصحيحِ» عن ابنِ عمرَ. قالوا: لأنَّ اللَّهَ تعالى عوَّضه عن يدَيه بجَناحيْن فى الجنةِ. وقد تقدَّم بعضُ ما رُوِىَ فى ذلك.

قال الحافظُ أبو عيسى الترمذىُّ[4]: حدَّثنا علىُّ بنُ حُجْرٍ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رأيتُ جعفرًا يَطِيرُ فى الجنةِ مع الملائكةِ». وتقدَّم فى حديثٍ أنَّه، رَضِىَ اللَّهُ عنه، قُتِل وعمْرُه ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً. وقال ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ»[5]: كان عمرُه يومَ قُتِل إحدَى وأربَعينَ سنةً. قال: وقيل غيرُ ذلك.

قلتُ: وعلى ما قِيل: إنَّه كان أسنَّ مِن علىٍّ بعشرِ سنينَ. يَقْتضِى أنَّ

---

(١) فى م: «طعنت».

(٢) تقدم فى الصفحة (٤٢٥).

(٣) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٣٤٤ ولم يَعْزُه لأحد.

(٤) الترمذى (٣٧٦٣). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٦٣).

(٥) أسد الغابة ١/ ٣٤٤.

عمرَه يومَ قُتِل تسعٌ وثلاثونَ سنةً ؛ لأنَّ عليًّا أسلَم وهو ابنُ ثمانِ سنينَ على المشهورِ ، فأقام بمكةَ ثلاثَ عشْرةَ سنةً ، وهاجَر وعمرُه إحدَى وعشرون سنةً ، ويومُ مؤتةَ كان فى سنةِ ثمانٍ مِن الهجرةِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد كان يقالُ لجعفرٍ بعدَ قتْلِه : الطَّيارُ . لِما ذكَرْنا ، وكان كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، وكان لكرمِه يقالُ له [1]فى حياته[1] : أبو المساكينِ . لإحسانِه إليهم .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا[3] وُهَيْبٌ ، ثنا خالدٌ ، عن عكرمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : ما احتَذى النِّعالَ ولا انتعَل ، ولا ركِب المطَايا ، ولا لبِس الثيابَ مِن رَجلٍ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أفضلُ مِن جعفرِ بنِ أبى طالبٍ . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ إلى أبى هريرةَ ، وكأنَّه إنَّما يُفَضِّلُه فى الكرمِ ، فأمَّا فى الفضيلةِ الدِّينيةِ فمعلومٌ أنَّ الصِّديقَ والفاروقَ بل وعثمانَ بنَ عفَّانَ أفضلُ منه ، وأمَّا أخوه علىٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، فالظَّاهرُ أنَّهما مُتكافِئان ، أو علىٌّ أفضلُ منه .

وإنَّما أرَاد أبو هريرةَ تفضيلَه فى الكرمِ ، بدليلِ ما روَاه البخارىُّ[4] ؛ ثنا أحمدُ ابنُ أبى بكرٍ ، ثنا محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ دينارٍ أبو عبدِ اللَّهِ الجُهَنىُّ ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، عن سعيدٍ المقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ أنَّ الناسَ كانوا يقولونَ : أكثَر أبو هريرةَ . وإنِّى كنتُ ألزَمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشِبَعِ بَطْنِى حينَ[5] لا آكلُ الخَميرَ ، ولا ألبَسُ الحريرَ ، ولا يَخْدُمُنى فلانٌ وفلانةُ ، وكنتُ أُلْصِقُ بطنى بالحَصْباءِ مِن

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢) المسند ٢/ ٤١٣، ٤١٤.

(٣) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.

(٤) البخارى (٣٧٠٨) .

(٥) فى م : « خبز » .

الجوعِ ، وإنِّى كنتُ لأستقرِئُ الرجلَ الآيةَ[1] هى معى ؛ كى ينقَلِبَ بى فيُطْعِمَنى ، وكان خيرَ الناسِ للمساكينِ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، وكان [٣/ ١١٢و] ينقَلِبُ بِنا فيُطعِمُنا ما كان فى بيتِه ، حتى إن كان لَيُخْرِجُ إلينا العُكَّةَ[2] التى ليس فيها شىءٌ فنَشُقُّها فنَلْعَقُ ما فيها . تفرَّد به البخارىُّ .

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ يَرْثِى جعفرًا[3] :

ولقد بَكَيتُ وعَزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ ... حِبُّ النبىِّ على البَرِيَّةِ كلِّها

ولقدْ جَزِعْتُ وقلتُ حينَ نُعِيتَ لى ... مَن للجِلادِ لَدَى العُقابِ[4] وظلِّها

بالبِيضِ حينَ تُسَلُّ مِن أغمادِها ... ضرْبًا وإنْهالِ الرِّماحِ وعَلِّها[5]

بعدَ ابنِ فاطمةَ المُبارَكِ جعفرٍ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ كلِّها وأجَلِّها

رُزْءًا وأكرَمِها جميعًا مَحْتِدًا[6] ... وأعزِّها مُتَظَلِّمًا وأذَلِّها

للحقِّ حينَ ينوبُ غيرَ تَنَحُّلٍ ... كذِبًا وأنْداها يدًا وأقلِّها

فُحْشًا وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى[7] ... فضلًا [8]وأَبذَلِها نَدًى[8] وأَبَلِّها

---

(١) أستقرئ الرجل الآية : أى أطلب منه أن يعلمنى قراءة الآية .

(٢) العكة : وعاء من جلود مستدير ، يختص بالسمن والعسل ، وهو بالسمن أخص . انظر النهاية ٣/ ٢٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧. وانظر ديوان حسان ص ٢٢٢.

(٤) العقاب : الراية . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٨.

(٥) الإنهال : الشرب الأول . والعل : الشرب الثانى . المصدر السابق .

(٦) الرزء : المصيبة . والمحتد : الأصل .

(٧) فى ص : « تحتذى » . ويجتدى : يطلب جَدْواه أى عطيته .

(٨ - ٨) فى النسخ ، والسيرة : « وأنداها يدا » . والمثبت من الديوان .

بالعُرْفِ غيرَ محمدٍ لا مِثلُه حيٌّ مِنَ احْياءِ البَريَّةِ كلِّها

وأمَّا ابنُ رَواحةَ ، فهو عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ بنِ ثعلبةَ بنِ امرئِ القيسِ بنِ عمرِو ابنِ امرئِ القيسِ الأكبرِ بنِ مالكِ بنِ الأغرِّ بنِ ثعلبةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ أبو محمدٍ - ويقالُ : أبو رواحةَ . ويقالُ : أبو عمرٍو - الأنصاريُّ الخزرجيُّ ، وهو خالُ النعمانِ بنِ بَشِيرٍ ، أختُه عَمْرَةُ بنتُ رَواحةَ ، أسلَم قديمًا وشهِد العقبةَ ، وكان أحدَ النُّقَباءِ ليلتَئذٍ لبنى الحارثِ بنِ الخزرجِ ، وشهِد بدرًا وأُحدًا والخندقَ والحديبيةَ وخيبرَ ، وكان يَبْعَثُه صلى اللَّه عليه وسلم على خَرْصِها كما قدَّمنا ، وشهِد عُمرةَ القَضاءِ ، ودخَل يومئذٍ وهو مُمْسِكٌ بزِمامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وقيل : بغَرزِها . يَعْنى الرِّكابَ - وهو يقولُ :

خلُّوا بَنى الكفارِ عن سبيلِهِ

الأَبياتِ ، كما تقدَّم . وكان أحدَ الأمراءِ الشهَداءِ يومَ مؤتةَ ، كما تقدَّم ، وقد شجَّع المسلمين للقاءِ الرومِ حينَ اشتَوَرُوا فى ذلك ، وشجَّع نفسَه أيضًا حتى نزَل بعدَما قُتِل صاحبَاه ، وقد شهِد له رسولُ اللَّهِ ﷺ بالشهادةِ ، فهو مِمَّن يُقْطَعُ له بدخولِ الجنةِ . ويُرْوَى أنَّه لمَّا أنشَد النبىَّ ﷺ شِعْرَه ، حينَ وَدَّعه ، الذى يَقولُ فيه :

فثبَّتَ اللَّهُ ما آتاك مِن حَسَنٍ تَثْبيتَ موسى ونصرًا كالَّذى نُصِروا

قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وأنت فثبَّتك اللَّهُ » . قال هشامُ بنُ عروةَ : فثبَّته اللَّهُ حتى قُتِل شهيدًا ودخَل الجنةَ[1] .

---

(١) ذكره ابن عبد البر بتمامه فى الاستيعاب ٣/ ٩٠٠. ورواه ابن أبى الدنيا بإسناده عن هشام بن عروة فى منازل الأشراف (٢٦٦) حتى قوله : « فثبتك اللَّه » .

وروَى حمادُ بنُ زيدٍ[1] ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ الرحمنِ[٣/ ١١٢ظ] بنِ أبى ليلى ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يخطُبُ فسمِعه يقولُ : « اجْلِسوا » . فجلَس مكانَه خارجًا مِن المسجدِ ، حتى [2]فرَغ النبىُّ[2] مِن خُطبتِه ، فبلَغ ذلك النبىَّ ﷺ فقال : « زادَك اللَّهُ حرصًا على طَواعيةِ اللَّهِ وطَواعيةِ رسولِه » .

وقال البخارىُّ فى « صحيحِه »[3] : وقال مُعاذٌ[4] : اجلِسْ بِنا نُؤْمِنْ ساعةً .

وقد ورد الحديثُ المرفوعُ فى ذلك ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ بنحوِ ذلك ، فقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، عن عُمارةَ ، عن زِيادٍ النُّمَيرىِّ[6] ، عن أنسٍ قال : كان عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ إذا لقِىَ الرجلَ مِن أصحابِه يقولُ : تعالَ نُؤْمِنْ بربِّنا ساعةً . فقال ذاتَ يومٍ لرجلٍ ، فغضِب الرجلُ فجاء فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ألَا تَرَى ابنَ رواحةَ يَرغَبُ عن إيمانِك إلى إيمانِ ساعةٍ ! فقال النبىُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ ابنَ رَواحةَ ، إنه يُحِبُّ المَجالسَ التى تَتَباهَى بها الملائكةُ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

وقال البيهقىُّ[7] : ثنا الحاكمُ ، ثنا أبو بكرٍ ، ثنا محمدُ بنُ أيوبَ ، ثنا أحمدُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٥٧، من طريق حماد بن زيد به .

(٢ - ٢) فى الأصل : « فزع الناس » . وفى م : « فرغ الناس » .

(٣) فتح البارى ١/ ٤٥، باب الإيمان وقول النبى : « بنى الإسلام على خمس » . من كتاب الإيمان .

(٤) فى م ، ص : « ابن معاذ » .

(٥) المسند ٣/ ٢٦٥.

(٦) فى م ، ص : « النحوى » .

(٧) شعب الإيمان ١/ ٧٥.

ابنُ يونُسَ ، ثنا شيخٌ مِن أهلِ المدينةِ ، عن صفوانَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ قال لصاحبٍ له : تعالَ حتى نؤمِنَ ساعةً . قال : أوَ لسْنا بمؤمِنين ؟ قال : بلى ، ولكنَّا نذكُرُ اللَّهَ فنزدَادُ إيمانًا .

وقد روَى الحافظُ أبو القاسمِ اللَّالَكائيُّ[1] ، مِن حديثِ أبى اليَمانِ ، عن صفوانَ بنِ سُليْمٍ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ كان يأخُذُ بيدِ الرجلِ مِن أصحابِه فيقولُ : قُمْ بنا نؤمنْ ساعةً فنجلِسَ فى مجلِسِ ذِكْرٍ . وهذا مرسلٌ مِن هذيْن الوَجهيْن ، وقد استقصَيْنا الكلامَ على ذلك فى أولِ « شرحِ البخاريِّ » . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[2] عن أبى الدَّرْداءِ قال : كنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ فى حَرٍّ شديدٍ ، وما فينا صائمٌ إلَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ . رَضِىَ اللَّهُ عنه . وقد كان مِن شعَراءِ الصَّحابةِ المَشهورِينَ ، وممَّا نقَله البخاريُّ مِن شعرِه قولُه فى رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] :

وفينا رسولُ اللَّهِ يَتْلُو[4] كِتابَهُ ... إذا انشَقَّ مَعْروفٌ مِن الفجرِ ساطِعُ

يَبِيتُ يُجافِى جَنْبَه عن فِراشِه ... إذا استَثْقَلتْ بالمُشرِكين المَضاجِعُ

(5أتَى بالهُدى5) بعدَ العَمَى فقُلوبُنا ... به مُوقِناتٌ أنَّ ما قال واقِعُ

---

(١) فى الأصل : « اللالكانى » . وفى م : « اللاكائى » . وقال السمعانى : بفتح اللام ألف واللام والكاف ، بعدها الألف ، وفى آخرها الياء آخر الحروف . هذه النسبة إلى بيع اللَّوالك ، وهى التى تلبس فى الأرجل . الأنساب ٥/ ٦٦٩. والأثر لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) البخارى (١٩٤٥) .

(٣) البخارى (١١٥٥، ٦١٥١) .

(٤) فى م : « نتلو » .

(٥ - ٥) كذا بالنسخ ، وفى البخارى : « أرانا الهدى » .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عِمرانُ بنُ مَيْسَرَةَ ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن حُصَيْنٍ ، عن عامرٍ ، عن النعمانِ [٣/١١٣و] بنِ بَشِيرٍ قال : أُغْمِيَ على عبدِ اللَّهِ ابنِ رَواحةَ ، فجعَلَتْ أُخْتُه عَمْرَةُ تَبْكِي : واجَبَلاه ، واكَذا ، واكَذا . تُعدِّدُ عليه ، فقال حينَ أفاقَ : ما قُلْتِ شيئًا إلَّا قِيل لى : أنت كذلك ؟!

حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، ثنا عَبثرٌ[2] ، عن حُصَيْنٍ ، عن الشعبيِّ ، عن النعمانِ بنِ بَشِيرٍ قال : أُغْمِيَ على عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ ، بهذا ، فلمَّا مات لم تبكِ عليه .

وقد قدَّمْنا ما رَثاه به حسانُ بنُ ثابتٍ مع غيرِه .

وقال شاعرٌ مِن المسلمين مِمَّن رجَع مِن مؤتةَ مع مَن رجَع ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم[3] :

كَفى حَزَنًا أنِّى رجَعتُ وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُ اللَّهِ فى رَمْسِ[4] أقبُرِ

قضَوْا نَحْبَهم لمَّا مضَوْا لِسبيلِهم ... وخُلِّفْتُ للبلْوَى مع المُتغَبِّرِ[5]

وسَيأْتى إنْ شاء اللَّهُ تعالَى بقيةُ ما رُثِيَ به هَؤلاءِ الأمراءُ الثلاثةُ مِن شعرِ حسانَ بنِ ثابتٍ ، وكعبِ بنِ مالكٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما وأرْضَاهما .

---

(١) البخارى (٤٢٦٧، ٤٢٦٨) .

(٢) فى م ، ص : « خيثمة » . وهو عبثر بن القاسم الزبيدى . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٦٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٨.

(٤) رمس : الرمس : خَفِيُّ القبر . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٥) فى النسخ : « المتغير » . والمثبت من السيرة . والمتغبر : الباقى . المصدر السابق .

فصلٌ فى ذكرِ[1] مَن استُشهِد يومَ مؤتةَ [2]مِن المسلمين[2]

فمِن المهاجرين؛ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ، ومولاهم زيدُ بنُ حارثةَ الكلبىُّ، ومسعودُ بنُ الأسودِ بنِ حارثةَ بنِ نَضْلةَ العَدَوىُّ، ووَهْبُ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، فهَؤلاءِ أربَعةُ نفرٍ. ومِن الأنصارِ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ وعَبَّادُ بنُ قيسٍ الخَزْرجيَّان، والحارثُ بنُ النُّعمانِ بنِ إسافِ بنِ نَضْلَةَ النجّارىُّ، وسُراقةُ بنُ عمرِو بنِ عطِيَّةَ بنِ خَنْساءَ المازِنىُّ، أربعةُ نفرٍ. فمَجموعُ مَن قُتِل مِن المسلمين يومَئذٍ هَؤلاءِ الثَّمانيةُ، على ما ذكَره ابنُ إسحاقَ، لكنْ قال ابنُ هشامٍ[3]: ومِمَّن استُشهِد يومَ مؤتةَ، فيما ذكره ابنُ شهابٍ الزهرىُّ، أبو كُلَيْبٍ[4] وجابرٌ ابْنا عمرِو بنِ زيدِ بنِ عوفِ بنِ مَبْذولٍ المازِنيَّان، وهما شَقيقان لأبٍ وأمٍّ، وعمرٌو وعامرٌ ابْنا سعدِ بنِ الحارثِ بنِ عَبَّادِ بنِ سعدِ بنِ عامرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالكِ بنِ أفْصى. فَهَؤلاءِ أربعةٌ مِن الأنْصارِ أيضًا، فالمجْموعُ على القَوليْن اثْنا عشَرَ رجلًا، وهذا عظيمٌ جدًّا أنْ يَتَقاتلَ جيشان مُتَعادِيان فى الدِّينِ؛ أحدُهما، وهو الفِئةُ التى تُقاتِلُ[5] فى سبيلِ اللَّهِ، عِدّتُها ثلاثةُ آلافِ مقاتِلٍ، وأخْرَى كافِرةٌ عِدَّتُها

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(٤) فى ص: «كلاب». ويقال فيه بالاثنين، كما قال ابن هشام، وانظر الإصابة ٧/ ٣٤٥.

(٥) فى ص: «يتقابل».

مِائتا ألْفِ مُقاتلٍ ؛ مِن الرومِ مائةُ ألفٍ ، ومِن نصارَى العرب مائةُ ألفٍ ، يتَبارَزون ويتَصاوَلون ، ثُم مع هذا كلِّه لا يُقْتَلُ مِن المسلِمين إلَّا اثْنا عشَرَ رجلًا ، وقد قُتِل مِن المشرِكين خَلْقٌ كثيرٌ . هذا خالدٌ وحدَه يقولُ : لقد اندقَّتْ فى يَدى يومَئذٍ تسعةُ أسْيافٍ ، وما صَبَرَتْ فى يَدى إلَّا صفيحةٌ يَمانيَةٌ . فماذا تُرَى قد قُتِل [٣/ ١١٣ظ] بهذه الأسيافِ كلِّها ؟! دَعْ غيرَه مِن الأبْطالِ والشُّجعانِ ، مِن حَملةِ القرآنِ ، وقد تَحكَّموا فى عَبَدَةِ الصُّلْبانِ ، عليهم لَعائنُ الرحمنِ ، فى ذلك الزَّمانِ ، وفى كلِّ أوَانٍ . وهذا مما يَدْخُلُ فى قولِه تعالَى[1] : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

---

(١) التفسير ٢/١٢ - ١٤.

[1]حديثٌ فيه فضِيلةٌ عظيمةٌ

لأمَراءِ هذه السَّريَّةِ

وهم ؛ زيدُ بنُ حارثةَ ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم .

قال الإمامُ العالِمُ الحافظُ أبو زُرْعَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الكَريمِ الرَّازِىُّ ، نضَّر اللَّهُ وجهَه ، فى كِتابِه « دلائلِ النبوةِ »[2] - وهو كِتابٌ جليلٌ - : حدَّثنا صفوانُ بنُ صالحٍ الدمشقىُّ ، ثنا الوليدُ ، ثنا ابنُ جابرٍ ، (ح) وحدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ الدمشقىُّ ، ثنا الوليدُ وعمرٌو - يعنِى ابنَ عبدِ الواحدِ - قالا : ثنا ابنُ جابرٍ ، سمعتُ سُلَيْمَ بنَ عامرٍ الخَبائرىَّ يقولُ : أخبرَنى أبو أُمامةَ الباهِلِىُّ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « بينا أنا نائمٌ إذ أتانِى رَجُلان ، فأخَذا بضَبْعَىَّ[3] فأتَيا بى جبلًا وَعْرًا فقالا : اصعَدْ . فقلتُ : لا أُطيقُه . فقالا : إنَّا سنُسهِّلُه لك . قال : فصعِدْتُ حتى إذا كنتُ فى سَواءِ الجبلِ[4] إذا أنا بأصْواتٍ شَديدةٍ ، فقلتُ : ما هَؤلاءِ الأصواتُ ؟ فقالا : عُواءُ أهلِ النارِ . ثُم انطلَقا بى ، فإذا

---

(١) من هنا حتى نهاية الحديث سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (١٩٨٦) ، والطبرانى فى الكبير (٧٦٦٧) ، كلاهما من طريق ابن جابر بنحوه . وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ٧٦، ٧٧: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح .
كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٤٣٠، من طريق ابن جابر به مختصرا ، وصححه ، ووافقه الذهبى .

(٣) الضبع : وسط العضد . وقيل هو ما تحت الإبط . النهاية ٣/ ٧٣.

(٤) سواء الجبل : السواء من الجبل ونحوه : ذروته . الوسيط (س و ى) .

بقومٍ مُعَلَّقِين بعَراقيبِهم ، مُشَقَّقَةٍ أشْدَاقُهم ، تَسيلُ أشدَاقُهم دمًا ، فقلتُ : ما هَؤلاءِ؟ فقالا : هؤلاءِ الذين يُفْطِرون قبلَ تَحِلَّةِ صومِهم » . فقال : خابت اليهودُ والنَّصارَى . قال سُلَيمٌ : (١) لا أَدْرِى (١) أسمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ أمْ مِن رأْيِه « ثُم انطلَقا بى ، فإذا قومٌ أشدُّ شيءٍ انْتِفاخًا ، وأنْتَنُ شيءٍ رِيحًا ، كأنَّ رِيحَهم المَراحيضُ ، قلتُ : مَن هؤلاءِ؟ قالا : هؤلاءِ قَتْلى الكفارِ . ثُم انطلَقا بى ، فإذا بقومٍ أشدِّ شيءٍ (٢) انتِفاخًا ، وأنْتَنِ شيءٍ رِيحًا ، كأنَّ رِيحَهم المَراحيضُ . قلتُ : مَن هؤلاءِ؟ قال : هَؤلاءِ الزَّانون والزَّوانِى . ثُم انطلَقا بى ، فإذا بِنساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهنَّ الحيَّاتُ ، فقلت : ما بالُ هؤلاءِ؟ قالا : هؤلاءِ اللاتى يمنَعْن أولادَهن ألبانَهن . ثُم انطلَقا بى ، فإذا بغلمانٍ يلعَبون بينَ بَحريْن ، قلتُ : مَن هؤلاء؟ قالا : هؤلاء ذَرارِىُّ المؤمِنين . ثُم أشرَفا بى شَرَفًا ، فإذا بنفَرٍ ثلاثةٍ يشرَبون مِن خمرٍ لهم ، فقلتُ : مَن هؤلاءِ؟ قالا : هؤلاء جعفرُ بنُ أبى [٣/ ١١٤و] طالبٍ ، وزيدُ بنُ حارثةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ . ثُم أشرَفا بى شَرَفًا آخرَ ، فإذا أنا بنفَرٍ ثلاثةٍ ، فقلتُ : مَن هؤلاءِ؟ قالا : هؤلاء إبراهيمُ ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلامُ ، وهم ينتَظِرونك » .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا٤١ ، م . والمثبت من صحيح ابن خزيمة .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

فصلٌ فيما قِيل مِن الأشْعارِ فى غَزوةِ مؤتَة

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان مما بُكِىَ به أصحابُ مؤتةَ قولُ حسانَ :

تأوَّبَنى[2] ليلٌ بيثرِبَ أعسَرُ ... وهَمٌّ إذا ما نَوَّمَ الناسُ مُسْهِرُ

لِذكْرَى حبيبٍ هيَّجتْ لىَ عَبْرةً ... سَفوحًا وأسبابُ البُكاءِ التَّذكُّرُ[3]

بَلى إنَّ فُقدانَ الحبيبِ بَلِيَّةٌ ... وكم مِن كريمٍ يُبتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

رأيتُ خيارَ المسلمين توارَدُوا ... شَعوبًا وخَلْفًا بعدَهم يتأخَّرُ[4]

فلا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تتابَعُوا[5] ... بمؤتةَ منهم ذو الجَناحيْن جعفرُ

وزيدٌ وعبدُ اللَّهِ حينَ تَتابَعُوا[5] ... جميعًا وأسبابُ المَنيَّةِ تَخْطِرُ[6]

غداةَ مضَوْا بالمؤمِنين يقودُهم ... إلى الموتِ مَيمونُ النَّقيبةِ أزهَرُ[7]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٨٣ - ٣٨٥، وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) فى ص : « يأوينى » ، وتأوبنى : عاودنى . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٣) عبرة : دمعة . والسفوح : السائلة . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل : « يتأخروا » ، وفى ص : « متأخر » ، وتواردوا شعوبًا : من رواه بضم الشين فهو جمع شَعْب وهى القبيلة . وقيل : هو أكثر من القبيلة . ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمَنيَّة من قولك : شَعَبْتُ الشئ : إذا فَرَّقْتُه ، ويجوز فيه الصرف وتركه . وخلفا : من يأتى بعده . المصدر السابق .

(٥) فى الأصل ، ص : « تبايعوا » .

(٦) تخطِر : يقال : خطر فى مشيته إذا تبختر فيها وتحرك واهتز . المصدر السابق .

(٧) ميمون النقيبة : مسعودٌ مُنْجَح فيما يطلبه . وأزهر : أبيض . المصدر السابق .

أغَرُّ كضَوءِ البَدْرِ مِن آلِ هاشمٍ ... أبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مِجْسَرُ[1]

فطاعَنَ حتى مالَ غيرَ مُوَسَّدٍ ... بمُعْتَرَكٍ[2] فيه القَنَا مُتَكَسِّرُ

فصار مع المُسْتشهِدين ثوابُه ... جِنانٌ ومُلْتَفُّ الحَدائقِ أخضرُ

وكُنا نَرى فى جعفرٍ مِن محمدٍ ... وفاءً وأمرًا حازمًا حينَ يأمُرُ

ومازالَ فى الإسلامِ مِن آلِ هاشمٍ ... دَعائمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ ومَفخَرُ

هُمُ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولَهم ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ ويَقْهَرُ[3]

بَهالِيلُ[4] منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّه ... علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخيَّرُ

وحمزةُ والعبَّاسُ منهم ومِنهمُ ... عَقِيلٌ وماءُ العُودِ مِن حيثُ يُعْصَرُ

بهم تُفْرَجُ اللَّأْواءُ فى كلِّ مأزِقٍ ... عَماسٍ إذا ما ضاقَ بالنَّاسِ مَصدَرُ[5]

همُ أوْلياءُ اللَّهِ أنزَل حُكْمَه ... عليهم وفيهم ذا الكِتابُ المُطَهَّرُ

وقال كعبُ بنُ مالكٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه[6] :

---

(١) مجسر: كثير الجسارة، وهى الجراءة والإقدام على الشىء. النهاية ١/ ٢٧٢.

(٢) المعترك: موضع الحرب. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦.

(٣) فى م: «يبهر». ورضام جمع رضمة: وهو الكدس من الحجارة يجعل بعضها على بعض. وطود: جبل. ويروق: يعجب. المصدر السابق.

(٤) بهاليل: جمع بُهْلُول وهو الوضىء الوجه مع طول. الروض الأنف ٧/ ٤٣.

(٥) اللأواء: الشدة. والمأزق: المكان الضيق فى الحرب. والعماس: المظلم، يريد من ارتفاع الغبار فيه. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٥، ٣٨٦.

نامَ العيونُ ودمعُ عينِك يَهْمُلُ ... سَحًّا كما وكَفَ الطِّبابُ المُخْضِلُ[1]

[٣/ ١١٤ظ] فى ليلةٍ ورَدتْ علىَّ هُمومُها ... طَورًا أَحِنُّ[2] وَتارةً أتَمَلْمَلُ[3]

واعتادَنى حُزْنٌ فبِتُّ كأنَّنى ... ببَناتِ نَعْشٍ والسِّمَاكِ مُوَكَّلُ[4]

وكأنما بينَ الجَوانحِ[5] والحَشا ... ممَّا تأوَّبَنى شِهابٌ مُدخَلُ

وَجْدًا على النَّفَرِ الذينَ تَتابَعوا ... يومًا بمؤتةَ أُسْنِدوا لم يُنْقَلوا

صلَّى الإلهُ عليهمُ مِن فِتيَةٍ ... وسقَى عِظامَهمُ الغَمامُ المُسْبِلُ[6]

صبَروا بمؤتةَ للإلهِ نُفوسَهم ... حَذَرَ الرَّدَى ومخافةً أن يَنْكُلوا

فمضَوْا أمامَ المُسْلمين كأنَّهم ... فُنُقٌ عليهنَّ الحَديدُ المُرْفَلُ[7]

إذْ يَهتَدون بجعفرٍ ولِوائِه ... قُدَّامَ أوَّلِهم فنِعْمَ الأوَّلُ

حتى تفرَّجتِ الصُّفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ الْتَقى وَعْثُ الصُّفوفِ مُجَدَّلُ[8]

---

(١) يهمل: يسيل. وسحًّا: صبًّا. ووكف: قطر. والطباب: ثقب خرز المزادة التى يجعل فيها الماء. والمخضل: السائل الندى. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦، ٦٧.

(٢) فى م: أَخِن. قال أبو ذر: من رواه بالحاء المهملة فهو من الحنين، ومن رواه بالخاء المعجمة فهو من الخنين، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء. المصدر السابق ٣/ ٦٧.

(٣) فى م: «أتمهل». وأتململ: أتقلب. المصدر السابق.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى شبهت بحملة النعش. الوسيط (ن ع ش). والسماك: نجم نير معروف. اللسان (س م ك).

(٥) الجوانح: عظام أسفل الصدر. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٧.

(٦) المسبل: الممطر، يقال للمطر: سَبَلٌ. المصدر السابق.

(٧) فنق جمع فَنِيق: وهو الفحل من الإبل. والمرفل: الذى تَنْجَرُّ أطرافه على الأرض، يعنى الدروع. المصدر السابق.

(٨) الوعث: الرمل الذى تغيب فيه الأرجل. ومجدل: مطروح بالجَدالة وهى الأرض. المصدر السابق.

فتَغيَّر القمرُ المُنيرُ لِفَقدِه ... والشَّمسُ قد كَسَفتْ وكادتْ تَأْفِلُ[1]

قَوْمٌ علا بُنْيانُه مِن هاشمٍ ... فَرْعًا أشَمَّ وسُؤدَدًا ما يُنقَلُ

قومٌ بهم عصَم الإلهُ عِبادَهُ ... وعليهمُ نزَل الكِتابُ المُنْزَلُ

فضَلُوا المَعاشرَ عِزَّةً وتَكرُّمًا ... وتغمَّدتْ أحلامُهم[2] مَن يَجهَلُ

لا يُطلِقون إلى السَّفاهِ حُباهُمُ ... ويُرَى خطيبُهمُ بحقٍّ يَفصِلُ

بِيضُ الوُجوهِ ترَى بُطونَ أكُفِّهِم ... تَنْدَى إذا اعتذَر الزمانُ المُمْحِلُ[3]

وبهَدْيِهم رَضِيَ الإلهُ لِخَلْقِه ... وبجِدِّهِم[4] نُصِرَ النبيُّ المُرْسَلُ

---

(١) قال السهيلى : قوله - أى قول كعب فى هذا البيت - حق ؛ لأنه إن كان عنى بالقمر رسول اللّه ، فجعله قمرا ثم جعله شمسا ، فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر ، وإن كان أراد القمر نفسه ، فمعنى الكلام ومغزاه حق أيضا ؛ لأن المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب ، وإذا فهم مغزى الشاعر فى كلامه والمبالغ فى الشيء فليس بكذب . الروض الأنف ٧/ ٤٦.

(٢) تغمدت أحلامهم : سترت عقولهم .

(٣) الممحل : هو من المحل ، وهو شدة القحط . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٨.

(٤) قال أبو ذر : من رواه بالحاء المهملة المفتوحة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم ، ومن رواه بالجيم المكسورة فهو معلوم . المصدر السابق .

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

كتابُ بعْثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى ملوكِ الآفاقِ وكَتْبِه إليهم (١)يَدْعُوهم إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، وإلى الدخولِ فى الإسلامِ(١)

ذكَر الواقدىُّ(٢) أن ذلك كان فى آخرِ سنةِ ستٍّ فى ذى الحِجَّةِ، بعدَ عمرةِ الحدَيبيةِ. وذكَر البيهقىُّ هذا الفصلَ فى هذا الموضعِ، بعدَ غزوةِ مؤتةَ(٣). واللَّهُ أعلمُ. ولا خلافَ بينَهم أن بَدءَ ذلك كان قبلَ فتحِ مكةَ وبعدَ الحدَيبيةِ؛ لقولِ أبى سفيانَ لِهِرَقْلَ حينَ سأَله: هل يَغْدِرُ؟ فقال: لا، ونحن منه فى مدةٍ لا نَدْرِى ما هو صانعٌ فيها. وفى لفظٍ للبخارىِّ(٤): وذلك فى المدةِ [٣/١١٥و] التى مادَّ فيها أبو سفيانَ رسولَ اللَّهِ ﷺ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ(٥): كان ذلك ما بينَ الحدَيبيةِ ووفاتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ. ونحن نذكُرُ ذلك هـٰهنا، وإن كان قولُ الواقدىِّ مُحتَمِلًا. واللَّهُ أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) ذكره عنه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٤، حوادث السنة السادسة.

(٣) دلائل النبوة ٤/٣٧٦ - ٣٩٦.

(٤) البخارى (٧).

(٥) ذكره عنه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٥، حوادث السنة السادسة.

وقد روَى مسلمٌ[1] ، عن يوسُفَ بنِ حمَّادٍ المَعْنِيِّ ، عن عبدِ الأعْلَى بنِ عبدِ الأعْلَى ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتَب [2]قبلَ موتِه[2] إلى كِسْرَى وقَيْصَرَ وإلى النجاشىِّ ، وإلى كلِّ جبَّارٍ ؛ يَدْعُوهم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وليس بالنجاشىِّ الذى صلَّى عليه .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[3] ، حدَّثنى الزُّهْرىُّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، حدَّثنى أبو سفيانَ ، مِن فيه إلى فِىَّ ، قال : كنا قومًا تجارًا ، وكانت الحربُ قد حصَرتْنا حتى نهَكتْ أموالَنا ، فلمَّا كانت الهدنةُ - هدنةُ الحديبيةِ - بينَنا وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ [4]لم نأْمَنْ أن وجَدْنا أمنًا[4] ، فخرَجتُ تاجرًا إلى الشامِ مع رهطٍ مِن قريشٍ ، فواللَّهِ ما علمتُ بمكةَ امرأةً ولا رجلًا إلَّا وقد حمَّلنى بضاعةً ، وكان وجهُ مَتْجَرِنا مِن الشامِ غَزَّةَ مِن أرضِ فِلَسْطِينَ ، فخرَجْنا حتى قدِمْناها ، وذلك حينَ ظهَر قيصرُ صاحبُ الرومِ على مَن كان فى بلادِه مِن الفرسِ ، فأخرَجهم منها ، ورَدَّ عليه صليبَه الأعظمَ ، وقد كان اسْتلَبوه إياه ، فلمَّا أن بلَغه ذلك ، وقد كان منزلُه بحِمْصَ مِن أرضِ[4] الشامِ ، فخرَج منها يمشِى مُتَشَكِّرًا[6] إلى بيتِ المقدسِ ؛

---

(١) مسلم (١٧٧٤) .

(٢ - ٢) زيادة ليست فى صحيح مسلم ، وفى م : « قبل مؤتة » . وقد ذكر الحافظ الذهبى هذا الحديث فى تاريخ الإسلام ، جزء المغازى ص ٥٠١ ، وعزاه إلى مسلم ، مثبتا هذه الزيادة .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨١/٤ - ٣٨٣ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٢٨/٢٣ - ٤٣١ ، كلاهما من طريق يونس بن بكير به . كما أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٦ ، من طريق سلمة عن ابن إسحاق ، به نحوه .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « لم نأمن ألا نجد أمنا » .

(٥) سقط من : م .

(٦) عند الطبرى : متشكّرًا للّه حين ردَّ عليه ما رَدّ .

لِيُصَلِّىَ فيه ، تُبْسَطُ له البُسُطُ ، وتُطْرَحُ له عليها الرياحينُ ، حتى انتهَى إلى إيلِياءَ فصلَّى بها ، فأصبَح ذاتَ غداةٍ وهو مهمومٌ ، يُقَلِّبُ طَرْفَه إلى السماءِ ، فقالت بَطارِقتُه : أيها الملكُ ، لقد أصبحتَ مهمومًا . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُرِيتُ فى هذه الليلةِ أن مَلِكَ الخِتانِ ظاهرٌ . فقالوا : واللَّهِ ما نعلَمُ أمةً مِن الأممِ تخْتتِنُ إلَّا اليهودَ ، وهم تحتَ يدَيك وفى سلطانِك ، فإن كان قد وقَع هذا فى نفسِك منهم ، فابْعَثْ فى مملكتِك كلِّها ، فلا يَبْقَى يهوديٌّ إلا ضُرِبَتْ عنقُه ، فتَستَرِيحَ مِن هذا الهمِّ . فإنهم فى ذلك مِن رأيِهم يُدَبِّرُونهُ[1] ، إذْ أتاهم رسولُ صاحبِ بُصْرَى [٣/ ١١٥ظ] برجلٍ مِن العربِ قد وقَع إليهم ، فقال : أيها الملكُ ، إن هذا رجلٌ مِن العربِ مِن أهلِ الشاءِ والإبلِ ، يُحَدِّثُك عن حَدَثٍ كان ببلادِه ، فاسألْه عنه . فلمَّا انتَهى إليه ، قال لتَرْجُمانِه : سَلْه ما هذا الخبرُ الذى كان فى بلادِه ؟ فسأله فقال : رجلٌ مِن العربِ مِن قريشٍ ، خرَج يَزْعُمُ أنه نبيٌّ ، وقد اتَّبَعَه أقوامٌ وخالَفه آخَرون ، وقد كانت بينَهم مَلاحِمُ فى مواطنَ ، فخرَجْتُ مِن بلادى وهم على ذلك . فلمَّا أخبَره الخبرَ قال : جرِّدُوه . فإذا هو مَخْتونٌ ، فقال : هذا واللَّهِ الذى قد أُريتُ ، لا ما تقولون ، أَعْطِه ثوبَه ، انطلِقْ لشأنِك . ثم إنه دعا صاحبَ شُرْطتِه ، فقال له : قلِّبْ لىَ الشامَ ظَهرًا لبَطنٍ ، حتى تأتىَ برجلٍ مِن قومِ هذا أسألُه عن شأنِه . قال أبو سفيانَ : فواللَّهِ إنِّى وأصحابِى لَبِغَزَّةَ ، إذْ هجَم علينا ، فسألَنا : مِمَّن أنتم ؟ فأخبرْناه ، فساقَنا إليه جميعًا ، فلمَّا انتَهيْنا إليه ، قال أبو سفيانَ : فواللَّهِ ما رأيتُ مِن رجلٍ قطُّ أزعُمُ أنه كان أدْهَى مِن ذلك الأغْلَفِ[2] - يريدُ هِرَقْلَ - قال : فلمَّا انتهيْنا إليه قال :

---

(١) مطموسة فى الأصل . وفى م ، ص : « يديرونه بينهم » .

(٢) الأغلف : الذى لم يختتن . اللسان (غ ل ف) .

أيُّكم أمَسُّ به رحِمًا ؟ فقلت : أنا . قال : أَدْنُوه مِنِّى . قال : فأجلَسنى بينَ يدَيه ثم أمَر بأصْحابى ، فأجلَسهم خلفى ، وقال : إن كذَب فرُدُّوا عليه . قال أبو سفيانَ : فلقد عرَفْتُ أنى لو كذَبتُ ما رَدُّوا علىَّ ، ولكنِّى كنتُ امْرءًا سيِّدًا ، أتَكَرَّمُ وأسْتَحِى مِن الكذبِ ، وعرَفْتُ أنَّ أدنَى ما يكونُ فى ذلك أن يَرْوُوه عنِّى ، ثم [1] يَتَحَدَّثوا به [1] عنِّى بمكةَ ، فلم أَكْذِبْه . فقال : أخبِرْنى عن هذا الرجلِ الذى خرَج فيكم . فزهَّدْتُ له شأنَه ، وصَغَّرتُ له أمرَه ، [2] فواللَّهِ ما الْتَفَتَ إلى ذلك مِنِّى ، وقال لى : أَخْبِرْنى عما أَسْأَلُك عنه مِن أمرِه [2] . فقلتُ : سلْنى عما بَدَا لك ؟ فقال : كيف نسبُه فيكم ؟ فقلتُ : مَحْضًا [3] ، مِن أوسَطِنا نسبًا . [4] قال: فأخبِرْنى هل كان مِن أهلِ بيتِه أحدٌ يقولُ مثلَ قولِه ، فهو يَتَشَبَّهُ به ؟ فقلتُ : لا . قال : فأخبِرْنى هل كان [5] له مُلْكٌ فاستَلَبْتُموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديثِ لِتَرُدُّوه عليه ؟ فقلتُ : لا . قال : فأخبِرْنى عن أتْباعِه ، مَن هم ؟ فقلتُ : الأحْداثُ والضُّعفاءُ والمساكينُ ، فأمَّا أشرافُهم وذَوُو الأسنانِ [6] فلا . قال : فأخبِرْنى عمَّن يَصْحَبُه ، أيُحِبُّه ويَلْزَمُه [7] ، أم يَقلِيه ويُفارِقُه ؟ قلتُ : قَلَّ [8] ما صَحِبه رجلٌ ففارَقه . قال : فأخبِرْنى عن الحربِ بينَكم وبينَه ؟ فقلتُ : [4]

(١ - ١) فى م : « يتحدثونه » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) المحض من كل شىء : الخالص . وعربى محض : خالص النسب . اللسان (م ح ض) .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤ .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى م ، ص : « الأنساب » . وذوو الأسنان : أى الكبار .

(٧) فى النسخ : « يكرمه » . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(٨) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(١ سِجالٌ ، يُدالُ علينا ونُدالُ(٢) عليه . قال : فأخبِرْنى هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجِدْ شيئًا أغُرُّه به إلا هى ، قلتُ : [٣/١١٦و] لا ، ونحن منه فى مُدَّةٍ ، ولا نَأْمَنُ غَدْرَه فيها . فواللَّهِ ما التفَتَ إليها منى . قال : فأعاد علىَّ الحديثَ ، فقال : زعَمْتَ أنه مِن أمْحضِكم نسبًا ، وكذلك يَأخُذُ اللَّهُ النبىَّ (٣إذا أخَذه٣) ، لا يأخُذُه إلَّا مِن أوسطِ قومِه ، وسألتُك هل كان مِن أهلِ بيتِه أحدٌ يقولُ مثلَ قولِه فهو يَتَشَبَّهُ به ، فقلتَ : لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فاسْتَلَبْتُموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديثِ لِتَرُدُّوا عليه مُلْكَه ، فقلتَ : لا . وسألتُك عن أتْباعِه ، فزعَمْتَ أنهم الأحْداثُ والمساكينُ والضعفاءُ ، وكذلك أتْباعُ الأنبياءِ فى كلِّ زمانٍ ، وسألتُك عمَّن يَتَّبِعُه ، أيُحِبُّه ويَلْزَمُه(٤) ، أم يَقْلِيه ويُفارِقُه ، فزعَمْتَ أنه قلَّ مَن يَصْحَبُه فيُفارِقُه ، وكذلك حَلاوَةُ الإيمانِ ، لا تَدْخُلُ قلبًا فتخرُجُ منه ، وسألتُك كيف الحربُ بينَكم وبينَه ، فزعمتَ أنها سِجالٌ ؛ يُدالُ عليكم وتُدالُون عليه ، وكذلك تكونُ حربُ الأنبياءِ ، ولهم تكونُ العاقِبةُ ، وسألتُك هل يغدِرُ ، فزعمتَ أنه لا يَغْدِرُ(١) ، فلَئِن كنتَ صَدَقْتَنى ، لَيَغْلِبنَّ علَى ما تحتَ قدَمَىَّ هاتيْن ، ولَوَدِدْتُ أنى عندَه فأغْسِلُ عن قدمَيْه . ثم قال : الحَقْ بشأنِك . قال : فقمتُ وأنا أضرِبُ بإحْدى يدىَّ على الأخْرى ، وأقولُ : يا عبادَ اللَّهِ ، لقد أَمِر أمْرُ(٥) ابنِ

(١ - ١) سقط من : ٤١.

(٢) فى ص ، الدلائل : « تدال » . ويدال علينا وندال عليه : يغلبنا مرة ونغلبه أخرى . انظر النهاية ٢/ ١٤١.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(٤) فى النسخ : « يكرمه » . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(٥) أمر أمره : أى كثر وارتفع شأنه . النهاية ١/ ٦٥.

[1]أبى كَبْشَةَ ! أصبَح ملوكُ بنى الأصْفرِ يَخافُونه فى سلطانِهم .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى [1] الزُّهْرىُّ قال : حدَّثنى أُسْقُفٌّ مِن النَّصارَى ، قد أدرَك ذلك الزمانَ قال : قَدِم دِحْيةُ بنُ خليفةَ على هِرَقْلَ بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّومِ ، سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدى ، أمَّا بعدُ ؛ فأسْلِمْ تَسْلَمْ ، [3]وأَسْلِمْ[3] يُؤْتِك اللَّهُ أجرَك مرَّتيْن ، فإن أبَيْتَ فإنَّ إثْمَ الأكَّارِين[4] عليك » . قال : فلمَّا انتهَى إليه كِتابُه وقرَأه ، أخَذه فجعَله بينَ فخِذِه وخاصِرَتِه ، ثم كتَب إلى رجلٍ مِن أهلِ رُومِيَةَ ، كان يَقْرَأُ مِن العِبرانيَّةِ ما يَقْرَأُ ، يُخْبِرُه عما جاءَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكتَب إليه : إنه النبىُّ الذى يُنْتَظَرُ لا شكَّ فيه ، فاتَّبِعْه . فأمَر بعُظَماءِ الرومِ ، فجُمِعوا له فى دَسْكَرَةٍ[5] مُلْكِه ، ثم أمَر بها فأُشْرِجَتْ[6] عليهم ، واطَّلَع عليهم مِن عِلِّيَّةٍ له وهو منهم خائفٌ ، فقال : يا معشرَ الرومِ ، إنَّه قد جاءنى كتابُ أحمدَ ، وإنَّه واللَّهِ النبىُّ الذى كُنَّا نَنتظِرُ ونَجِدُ[7] ذِكْرَه فى كتابِنا ، نعرِفُه بعلاماتِه وزمانِه ، فأسلِموا واتَّبِعوه تَسْلَمْ لكم دُنياكم وآخِرتُكم . [٣/١١٦ظ] فنخَروا

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨٤، من طريق ابن إسحاق به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ٤١، م .

(٤) فى الأصل ، م : « الأكارين » . والأكارين : جمع أكار ، وهو الحَرّاث ، والزَّرّاع . اللسان (أ ك ر) .

(٥) الدسكرة : بناء على هيئة القصر ، فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست بعربية مَحْضة . النهاية ٢/ ١١٧.

(٦) فى الأصل ، م : « فأشرحت » ، وفى ا ٤١: « فأسرجت » ، وفى ص : « فأسرحت » . والمثبت من الدلائل . والشَّرْج : عُرَى العَيبة والخِباء . وأشرجت العيبة : إذا شددتها بالشرج . اللسان (ش ر ج) . والمعنى هنا أنه أحكم غلق الدسكرة عليهم .

(٧) فى الأصل ، ا ٤١: « محل » ، وفى م ، ص : « مجمل » . والمثبت من الدلائل .

نَخْرةَ رجلٍ واحدٍ ، وابتَدَروا أبوابَ الدَّسْكَرةِ فوجَدُوها مغلَقةً دونَهم ، فخافَهم وقال : رُدُّوهم عليَّ . فردُّوهم عليه ، فقال لهم : يا معشرَ الرومِ ، إنى إنما قلتُ لكم هذه المقالةَ أخْتَبِرُكم بها ؛ لأنظُرَ كيف صَلابتُكم فى دينِكم ، فلقد رأيتُ منكم ما سرَّنى . فوقَعوا له سُجَّدًا ، ثم فُتِحتْ لهم أبوابُ الدَّسْكَرةِ فخرَجوا .

وقد روَى البخاريُّ قصةَ أبى سفيانَ مع هِرَقْلَ بزياداتٍ أُخَرَ ، أحببْنا أن نُورِدَها بسَندِها وحُروفِها مِن « الصحيحِ » ؛ ليُعلَمَ ما بينَ السِّياقيْن مِن التبايُنِ ، وما فيهما مِن الفوائدِ .

قال البخاريُّ قبلَ الإيمانِ[1] مِن « صحيحِه »[2] : حدَّثنا أَبو اليَمانِ الحكَمُ بنُ نافعٍ ، أخبَرَنا شُعَيبٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، أخبَرنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ أخبَره ، أن أبا سفيانَ أخبَره أن هِرَقْلَ أرْسَل إليه فى رَكْبٍ مِن قريشٍ ، وكانوا تُجَّارًا بالشامِ فى المُدَّةِ التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مادَّ فيها أبا سفيانَ وكفارَ قريشٍ ، فأتَوْه وهم بإيلِيَاءَ ، فدَعاهم فى مجلِسِه وحولَه عُظماءُ الرومِ ، ثم دَعاهم ودَعا بالتَّرْجُمانِ فقال : أيُّكم أقرَبُ نَسَبًا بهذا الرجلِ الذى يَزعُمُ أنه نبيٌّ ؟ قال أبو سفيانَ : فقلتُ : أنا أقرَبُهم نسبًا . قال : أَدْنُوه منِّى ، وقرِّبوا أصحابَه ، فاجْعَلُوهم عندَ ظهرِه . ثم قال لتَرْجُمانِه : قلْ لهم : إنى سائلٌ هذا عن هذا الرجلِ ، فإن كذَبنى فكذِّبوه . فواللَّهِ لولا أن يَأْثِروا عنِّى كذِبًا لكذَبْتُ عنه ، ثم كان أوَّلَ ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلتُ : هو فينا ذو نسبٍ . قال : فهل قال هذا القولَ منكم أحدٌ قطُّ

---

(١) أى قبل كتاب الإيمان .

(٢) البخارى (٧) كتاب بدء الوحى .

قبلَه ؟ قلتُ : لا . قال : فهل كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ ؟ قلتُ : لا . قال : فأشرافُ الناسِ اتَّبعوه أم ضعفاؤُهم ؟ قلتُ : بل ضعفاؤُهم . قال : أيَزيدُون أمْ يَنقُصون ؟ قلتُ : بل يَزيدُون . قال : فهل يَرْتَدُّ أحدٌ منهم سَخْطةً لدينِه بعدَ أن يدخُلَ فيه ؟ قلتُ : لا . قال : فهل كنتُم تتَّهِمونه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال ؟ قلتُ : لا . قال : فهل يغدِرُ ؟ قلتُ : لا ، ونحن منه فى مُدَّةٍ لا نَدرِى ما هو فاعلٌ فيها . قال : ولم تُمْكِنِّى كلمةٌ أُدخِلُ فيها شيئًا غيرُ هذه الكلمةِ . قال : فهل قاتَلْتُموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالُكم إياه ؟ قلتُ : الحربُ بينَنا وبينَه سِجالٌ ؛ يَنالُ مِنَّا وننالُ مِنه . قال : ماذا يَأمُرُكم ؟ قلتُ : يقولُ : [٣/١١٧و] اعبُدوا اللَّهَ وحدَه ولا تُشرِكوا به شيئًا ، واترُكوا ما يقولُ آباؤُكم . ويأمُرُنا بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ والصِّلةِ . فقال للتَّرْجُمانِ : قلْ له : سألْتُك عن نسَبِه ، فزعمْتَ أنه فيكم ذو نسبٍ ، وكذلك الرسلُ تُبْعَثُ فى نسبِ قومِها ، وسألتُك هل قال أحدٌ منكم هذا القولَ قبلَه ، فذكَرتَ أن لا ، فقلتُ : لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبلَه ، لقلتُ : رجلٌ يَتَأَسَّى بقولٍ قِيل قبلَه . وسألتُك هل كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ ، فذكَرْتَ أن لا ، فلو كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ ، قلتُ : رجلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أبيه . وسألتُك هل كنتم تتَّهِمونه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال ، فذكَرْتَ أن لا ، فقد أَعْرِفُ أنه لم يكُنْ لِيَذَرَ الكذبَ على الناسِ ويَكْذِبَ على اللَّهِ . وسألتُك أشْرَافُ الناسِ اتَّبعوه أمْ ضعفاؤُهم ، فذكَرْتَ أن ضعفاءَهم اتَّبعوه ، وهم أتْباعُ الرُّسلِ . وسألتُك أيَزِيدُون أمْ يَنقُصون ، فذكَرتَ أنهم يَزِيدُون ، وكذلك أمرُ الإيمانِ حتى يَتِمَّ ، وسألتُك أيرتَدُّ أحدٌ منهم سَخْطَةً لدِينِه بعدَ أن يَدْخُلَ فيه ، فذكَرتَ أن لا ، وكذلك الإيمانُ حينَ تُخالِطُ بَشاشتُه القلوبَ . وسألتُك : هل يَغْدِرُ ، فذكَرتَ أن لا ، وكذلك الرُّسلُ لا تَغْدِرُ .

وسألتُك بما يأمُرُكم ، فذكَرتَ أنه يأمُرُكم أن تَعبُدوا اللَّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا ، ويَنْهاكم عن عبادةِ الأوْثانِ ، ويأمُرُكم بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ ، فإن كان ما تقولُ حقًّا ، فسَيَمْلِكُ مَوضِعَ قَدمَيَّ هاتيْن ، وقد كنتُ أعلَمُ أنه خارجٌ ، لم أكُنْ أظُنُّ أنه منكم ، فلو أعلَمُ أنِّى أخْلُصُ إليه ، لَتَجَشَّمْتُ لِقاءَه ، ولو كنتُ عندَه ، لغسَلْتُ عن قدَمَيْه . ثم دَعا بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى بعَث به مع دِحْيَةَ إلى عظيمِ بُصْرَى ، فدَفَعَه إلى هِرَقْلَ ، فإذا فيه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ[1] عبدِ اللَّهِ ورسولِه إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرومِ ، سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدَى ، أمَّا بعدُ ؛ فإنى أدْعُوك بدِعايةِ الإسلامِ ، أسلِمْ تَسلَمْ ، يُؤْتِك اللَّهُ أجرَك مرَّتيْن ، فإن تولَّيْتَ فإن عليك إثْمَ الأَرِيسِيِّين[2] ، و : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] . قال أبو سفيانَ : فلمَّا قال ما قال ، وفرَغ مِن قراءةِ الكتابِ ، كَثُر عندَه الصَّخَبُ ، [٣/١١٧ظ] وارتفَعت الأصواتُ ، وأُخرِجْنا ، فقلتُ لأصحابِى حينَ أُخْرِجْنا[3] : لقد أَمِرَ أمْرُ ابنِ أبى كَبْشةَ ! إنَّه يَخافُه مَلِكُ بَنى الأصْفرِ ! فمازِلتُ مُوقِنًا أنَّه سيَظْهَرُ ، حتى أدخَلَ اللَّهُ علىَّ الإسلامَ . قال : وكان ابنُ النَّاطورِ[4] -

---

(١) بعده فى م : « بن » .

(٢) قال ابن الأثير : قد اختلف فى هذه اللفظة صيغة ومعنى : فرُوى الأريسين بوزن الكريمين . وروى الإرّيسين بوزن الشِّريين . وروى الأريسيّين بوزن العظيميّين وروى بإبدال الهمزة ياء مفتوحة فى البخارى . وأما معناها فقال أبو عبيد : هم الخدم والخوَل ، يعنى لصده إياهم عن الدين . النهاية ١/ ٣٨.

(٣) فى م : « خرجنا » .

(٤) فى الأصل : « الناظور » . قال الحافظ : هو بالطاء المهملة ، وفى رواية الحموى بالظاء المعجمة ، وهو بالعربية حارس البستان ، ووقع فى رواية الليث عن يونس « ابن ناطورا » بزيادة ألف آخره ، فعلى هذا هو اسم أعجمى . فتح البارى ١/ ٤٠.

صاحبُ إيلِياءَ وهِرَقْلَ[1] - سُقُفًّا[2] على نصارَى الشامِ ، يُحدِّثُ أن هِرَقْلَ حينَ قدِم إيلِياءَ أصبَح يومًا خَبيثَ النَّفسِ ، فقال بعضُ بَطارِقتِه : قد استَنكَرْنا هَيئتَك . قال ابنُ النَّاطُورِ : وكان هِرَقْلُ حَزّاءً يَنْظُرُ فى النُّجومِ ، فقال لهم حينَ سأَلوه : إنِّى رأيتُ حينَ نظَرْتُ فى النُّجومِ مَلِكَ الخِتانِ قد ظهَر ، فمَن يَخْتَتِنُ مِن هذه الأمةِ ؟ قالوا : ليس يَخْتَتِنُ إلَّا اليهودُ ، فلا يُهِمَّنَّك شأنُهم ، واكتُبْ إلى مدائنِ مُلْكِك فلْيَقْتُلوا مَن فيهم مِن اليهودِ . فبينَما هم على أمرِهم ، أُتِىَ هِرَقْلُ برجلٍ أرسَلَ به ملكُ غسَّانَ ، يُخْبِرُ[3] عن خبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا استَخْبَره هِرَقْلُ قال : اذْهَبوا فانظُروا أمُخْتَتِنٌ هو أمْ لا ؟ فنظَروا إليه ، فحدَّثوه أنَّه مُخْتَتِنٌ . وسأله عن العربِ ، فقال : هم يَخْتَتِنون . فقال هِرَقْلُ : هذا مُلْكُ[4] هذه الأمَّةِ قد ظهَر . ثم كتَب هِرَقْلُ[5] إلى صاحبٍ له برُوميَةَ ، وكان نَظيرَه فى العلمِ ، وسارَ هِرَقْلُ إلى حِمْصَ ، فلم يَرِمْ حِمْصَ[6] حتى أتاه كتابٌ مِن صاحبِه ، يُوافِقُ رأىَ هِرَقْلَ على خروجِ النبىِّ ﷺ وأنه نبىٌّ ، فأَذِن هِرَقْلُ لعُظماءِ الرومِ فى دَسْكَرَةٍ له بحِمْصَ ، ثم أمَر بأبْوابِها فغُلِّقتْ ، ثم اطَّلَع فقال : يا معشرَ الرومِ ، هل لكم فى الفَلاحِ والرُّشْدِ ، وأن يَثْبُتَ لكم مُلْكُكم ، فتُبايِعوا لهذا النبىِّ . فحاصُوا[7] حَيْصةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبْوابِ ، فوجَدوها قد غُلِّقتْ ، فلمَّا رأى هِرَقْلُ نَفْرَتَهم ، وأَيِس مِن الإيمانِ قال : رُدُّوهم علىَّ . وقال : إنِّى إنما قلتُ مَقالَتى آنِفًا

---

(١) قال الحافظ : هرقل معطوف على إيلياء . وأطلق عليه الصحبة له إما بمعنى التبع ، وإما بمعنى الصداقة . وفيه استعمال « صاحب » فى معنيين حقيقى ومجازى . فتح البارى ١/ ٤١.

(٢) فى الأصل ، ٤١، ص : « سقف » ، وفى م : « أسقف » . والأسقفُ والسقفُ كلاهما بمعنًى .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فخبرهم » .

(٤) قال الحافظ : كذا لأكثر الرواة بالضم ثم السكون ، وللقابس بالفتح ثم الكسر ، ولأبى ذر عن الكشميهنى وحده « يملك » فعل مضارع . المصدر السابق ١/ ٤٢.

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل ، م : « بحمص » . ولم يرم حمص : أى لم يبرح مكانه . المصدر السابق .

(٧) حاصوا : نفروا . المصدر السابق ١/٤٣ .

أَخْتَبِرُ بها شِدَّتَكم على دينِكم، فقد رأيتُ. فسجَدوا له ورضُوا عنه، فكان ذلك آخرَ شأنِ هِرَقْلَ. قال البخاريُّ: ورواه صالحُ بنُ كَيْسانَ، ويونُسُ، ومَعْمَرٌ، عن الزهْرِيِّ.

وقد رَواه البخاريُّ فى مواضعَ كثيرةٍ فى «صحيحِه»[1] بألفاظٍ يَطُولُ استِقْصاؤُها. وأخرَجه بقيةُ الجماعةِ، إلَّا ابنَ ماجه، مِن طُرُقٍ عن الزُّهْرِيِّ[2]. وقد تكَلَّمْنا على هذا الحديثِ مطوَّلًا فى أوَّلِ شرْحِنا لصحيحِ البخاريِّ بما فيه كِفايةٌ، وذكَرْنا فيه مِن الفَوائدِ والنُّكَتِ المَعنويةِ واللَّفظيةِ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

[٣/١١٨و] وقال ابنُ لَهِيعَةَ، عن الأسودِ، عن عُرْوَةَ قال[3]: خرَج أبو سفيانَ بنُ حربٍ إلى الشامِ تاجرًا فى نفَرٍ مِن قريشٍ، وبلَغ هِرَقْلَ شأنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأرادَ أن يَعْلَمَ ما يُعْلَمُ مِن أمرِ[4] رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأرسَل إلى صاحبِ العربِ الذى بالشامِ فى مُلْكِه، فأمَرَه أن يَبْعَثَ إليه برجالٍ مِن العربِ يَسْأَلُهم عنه، فأرسَل إليه ثَلاثينَ رجلًا، منهم أبو سفيانَ بنُ حربٍ، فدخَلوا عليه فى كَنيسةِ إيلِياءَ التى فى جوفِها، فقال هِرَقْلُ: أرسَلْتُ إليكم لِتُخْبِرونى عن هذا الذى بمكةَ، ما أمْرُه؟ قالوا: ساحرٌ كذابٌ، وليس بنبيٍّ. قال: فأخبِرونى بأعلَمِكم[5] به وأقرَبِكم منه رَحِمًا؟ قالوا: هذا أبو سفيانَ ابنُ عمِّه،

---

(١) البخارى (٢٩٤١، ٤٥٥٣) بطوله، و(٥١، ٢٦٨١، ٢٨٠٤، ٢٩٤١، ٢٩٧٨، ٣١٧٤، ٥٩٨٠، ٦٢٦٠، ٧١٩٦) ببعضه.

(٢) مسلم (١٧٧٣)، وأبو داود (٥١٣٦)، والترمذى (٢٧١٧)، والنسائى فى الكبرى (١١٠٦٤).

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨٤، ٣٨٥، من طريق ابن لهيعة به.

(٤) فى الأصل، م: «شأن».

(٥) فى الأصل: «ما علمكم»، وفى م: «من أعلكم».

وقد قاتَله . فلمَّا أخبَروه ذلك ، أمَر بهم فأُخْرِجوا عنه ، ثم أَجلَس أبا سفيانَ فاستَخبَره ، قال : أخبِرْنى يا أبا سفيانَ . فقال : هو ساحرٌ كَذابٌ . فقال هِرَقْلُ : إنِّى لا أريدُ شَتْمَه ، ولكن كيف نسبُه فيكم ؟ قال : هو واللَّهِ مِن بيتِ قريشٍ . قال : كيف عقلُه ورأيُه ؟ قال : لم [1]نَعِبْ له عقْلًا ولا رأيًا[1] قطُّ . قال هِرَقْلُ : هل كان حَلَّافًا كَذَّابًا مُخادِعًا فى أمْرِه ؟ قال : لا واللَّهِ ما كان كذلك . قال : لعلَّه يطلُبُ مُلْكًا أو شَرَفًا كان لأحدٍ مِن أهلِ بيتِه قبلَه ؟ قال أبو سفيانَ : لا . ثم قال : مَن يَتَّبِعُه مِنكم هل يَرْجِعُ إليكم منهم أحدٌ ؟ قال : لا . قال هِرَقْلُ : هل يَغْدِرُ إذا عاهَد ؟ قال : لا ، إلَّا أن يَغْدِرَ مُدَّتَه هذه . فقال هِرَقْلُ : وما تخافُ مِن مُدَّتِه هذه ؟ قال : إن قومِى أمدُّوا حُلفاءَهم على حُلفائِه وهو بالمدينةِ . قال هِرَقْلُ : إن كنتُم أنتم بدَأْتُم فأنتم أغدَرُ . فغَضِب أبو سفيانَ وقال : لم يَغْلِبْنا إلَّا مرَّةً واحِدةً وأنا يومَئذٍ غائبٌ - وهو يومُ بدرٍ - ثم غزَوْتُه مرَّتيْن فى بُيوتِهم ، نَبقُرُ البُطونَ ، ونُجَدِّعُ الآذانَ والفُروجَ . فقال هِرَقْلُ : أكاذبًا تُراه أمْ صادقًا ؟ فقال : بل هو كاذِبٌ . فقال : إن كان فيكم نبىٌّ ، فلا تَقْتُلوه ، فإنَّ أفعلَ الناسِ لذلك اليهودُ . ثم رجَع أبو سفيانَ .

ففى هذا السياقِ غرابةٌ ، وفيه فَوائدُ ليست عندَ ابنِ إسحاقَ ، ولا البخارىِّ . وقد أورَد موسى بنُ عقبةَ فى « مغازيه »[2] قريبًا مما ذكَره عروةُ بنُ الزُّبيرِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ جريرٍ فى « تاريخِه »[3] : حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، ثنا سلمةُ ، ثنا محمدُ

(١ - ١) فى الأصل ، ٤١ ، ص : « نعب له رأيا » ، وفى م : « يغب له رأى » . والمثبت من الدلائل .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، عن موسى بن عقبة .
(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٦٥٠ ، ٦٥١ . حوادث السنة السادسة .

ابنُ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، أن هِرَقْلَ قال لدِحْيَةَ بنِ خَلِيفةَ الكلبيِّ حينَ قَدِم عليه بكِتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : [٣/١١٨ظ] واللَّهِ إنِّى لأعلَمُ أن صاحبَك نبيٌّ مرسلٌ ، وأنَّه الذى كُنَّا نَنتَظِرُ ونجِدُه فى كتابِنا ، ولكنِّى أخافُ الرومَ على نفسِى ، ولولا ذلك لاتَّبَعتُه ، فاذهَبْ إلى ضَغاطرَ[1] الأُسْقُفِّ ، فاذكُرْ له أمْرَ صاحبِكم ، فهو واللَّهِ فى الرُّومِ أعظمُ مِنِّى ، وأجوَزُ[2] قولًا عندَهم مِنِّى ، فانظُرْ ماذا يقولُ لك ؟ قال : فجاءَه[3] دِحيةُ ، فأخبَره بما جاء به مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى هِرَقْلَ ، وبما يَدْعُو إليه ، فقال ضغاطِرُ[1] : صاحبُك واللَّهِ نبيٌّ مُرسَلٌ ، نعرِفُه بصِفَتِه ، ونجِدُه فى كِتابِنا باسمِه . ثم دخَل وألْقَى ثيابًا كانتْ عليه سُودًا ، ولَبِس ثيابًا بَياضًا ، ثم أخَذ عَصاه فخرَج على الرُّومِ فى الكَنيسةِ فقال : يا معشرَ الرُّومِ ، إنَّه قد جاءَنا كِتابٌ مِن أحمدَ ، يدعُونا فيه إلى اللَّهِ ، وإنِّى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ أحمدَ عبدُه ورسولُه . قال : فوَثَبوا إليه وَثْبَةَ رجلٍ واحدٍ ، فضرَبوه حتى قَتَلوه . قال : فلمَّا رجَع دِحيةُ إلى هِرَقْلَ ، فأخبَره الخبرَ ، قال : قد قلتُ لك : إنَّا نخافُهم على أنفسِنا ، فضَغاطرُ واللَّهِ كان أعظَمَ عندَهم ، وأجوَزَ قولًا مِنِّى .

[4]وقد روَى الطبرانيُّ[5] مِن طريقِ يَحيى بنِ سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدّادٍ ، عن دِحيةَ الكَلبيِّ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى[4]

---

(١) فى النسخ : « صفاطر » ، وفى تاريخ الطبرى : « صغاطر » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر أسد الغابة ٣/ ٥٥، ٥٦، والإصابة ٣/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) فى م : « أجود » . وأجوز : أى أنفذُ وأمضى .

(٣) فى النسخ : « فجاء » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤، ص .

(٥) المعجم الكبير ٤/٢٦٦ (٤١٩٨) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٦: رواه الطبرانى وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى وهو ضعيف .

(١) قيصرَ صاحبِ الرُّومِ بكِتابٍ ، فقلتُ : استأذِنوا لرسولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأُتِيَ قيصرُ فقِيل له : إنَّ على البابِ رجلًا يَزْعُمُ أنَّه رسولُ رسولِ اللَّهِ . ففزِعوا لذلك ، فقال : أدخِلْه . فأدخَلَنى عليه وعندَه بَطارقتُه ، فأعطَيتُه الكتابَ ، فإذا فيه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى قيصرَ صاحبِ الرُّومِ » . فنَخَر ابنُ أخٍ له أحمرُ أزرقُ سَبِطٌ ، فقال : لا تقرَأ الكتابَ اليومَ ، فإنه بدَأ بنفسِه ، وكتَب صاحبَ الرومِ ، ولم يَكْتُبْ ملكَ الرُّومِ . قال : فقُرِئَ الكتابُ حتى فُرِغ منه ، ثم أمَرهم فخرَجوا مِن عندِه ، ثم بعَث إلىَّ ، فدخَلْتُ عليه ، فسأَلنى فأخبَرْتُه ، فبعَث إلى الأُسْقُفِّ فدخَل عليه ، وكان صاحبَ أمرِهم ، يَصْدُرون عن رأيِه وعن قولِه ، فلمَّا قرَأ الكِتابَ قال الأُسْقُفُّ : هو واللَّهِ الذى بشَّرَنا به موسى وعيسى ، الذى كنا نَنتظِرُ . قال قيصرُ : فما تأمُرُنى ؟ قال الأُسْقُفُّ : أمَّا أنا فإنِّى مُصدِّقُه ومُتَّبِعُه . فقال قيصرُ : أعرِفُ أنَّه كذلك ، ولكنْ لا أستطِيعُ أن أفعَلَ ، إن فعَلْتُ ذهَب مُلْكِى وقتَلنىَ الرُّومُ (١) .

وبه [٣/١١٩و] قال محمدُ بنُ إسحاقَ (٢) ، عن خالدِ بنِ يَسارٍ ، عن رجلٍ مِن قُدَماءِ أهلِ الشامِ قال : لمَّا أرادَ هِرَقلُ الخروجَ مِن أرضِ الشامِ إلى القُسْطَنْطِينيَّةِ ؛ لِمَا بلَغَه مِن أمْرِ النبىِّ ﷺ جمَع الرُّومَ فقال : يا معشرَ الرُّومِ ، إنى عارضٌ عليكم أمورًا ، فانظُروا فيما أرَدْتُ بها . قالوا : ما هى ؟ قال : تعلَمون واللَّهِ أن هذا الرجلَ لَنبىٌّ مرسلٌ ، نجِدُه (٣) فى كتابِنا (٣) ، نعرِفُه بصفتِه التى وُصِف

(١ - ١) سقط من : ٤١، ص .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥١، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٣ - ٣) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

لنا ، فهَلُمَّ فلْنَتَّبِعْه ، فتَسْلَمَ لنا دنيانا وآخِرتُنا . فقالوا : نحن نكونُ تحتَ أيدِى العربِ ، ونحن أعظَمُ الناسِ مُلْكًا ، وأكثرُهم رجالًا ، وأقصَاهم بلدًا ؟! قال : فهَلُمَّ أُعْطِيه الجِزْيَةَ كلَّ سنةٍ ، أَكْسِرُ عنِّى[1] شوكتَه ، وأستريحُ مِن حربِه بما أُعْطِيه إيَّاه . قالوا : نحن نُعْطِى العربَ الذُّلَّ والصَّغارَ بخَرْجٍ يَأْخُذونه منَّا ، ونحن أكثرُ الناسِ عددًا ، [2]وأعظَمُهم مُلْكًا ، وأمنَعُهم[2] بلدًا ؟! لا واللَّهِ لا نفعَلُ هذا أبدًا . قال : فهَلُمَّ فلْأُصالِحْه على أن أُعْطِيَه أرضَ سُورِيَةَ ، ويَدَعَنى وأرضَ الشامِ - قال: وكانت أرضُ سُورِيَةَ ؛ فِلَسْطِينَ ، والأُرْدُنَّ ، ودمشقَ ، وحِمْصَ ، وما دونَ الدَّربِ [3]من أرضِ[3] سُورِيَةَ ، وما كان وراءَ الدَّربِ عندَهم فهو الشامُ - فقالوا : نحن نُعْطِيه أرضَ سُورِيَةَ وقد عرَفتَ أنها سُرَّةُ[4] الشامِ ؟! لا نَفْعَلُ هذا أبدًا . فلمَّا أبَوْا عليه قال : أمَا واللَّهِ لَتَوَدُّنَّ[5] أنَّكم قد ظَفِرْتم ، إذا امتنَعْتم منه فى مَدينتِكم . قال : ثم جلَس على بَغْلٍ له فانطلَق ، حتى إذا أشرَف على الدَّربِ ، استقبَل أرضَ الشامِ ، ثم قال : السلامُ عليكِ يا أرضَ سوريَةَ تسليمَ الوَداعِ . ثم ركَض حتى دخَل القُسْطَنْطِينِيَّةَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢ - ٢) فى النسخ : « أعظمه ملكا وأمنعه » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى الأصل : « سوريَّة » ، وفى م ، ص : « أرض سورية » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) فى تاريخ الطبرى : « لترون » .

ذِكرُ إرسَالِه ﷺ إلى ملكِ العربِ مِن النصارى الذين بالشامِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ شُجاعَ بنَ وهبٍ ، أخا بَنى أسَدِ بنِ خُزَيمةَ ، إلى المُنْذِرِ بنِ الحارثِ بنِ أبى شَمِرٍ الغسانىِّ ، صاحبِ دمشقَ .

قال الواقدىُّ[2] : وكتَب معه : « سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدى وآمَن به ، وأدْعُوك إلى أن تؤمِنَ باللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ؛ يبقَى لك مُلْكُك » . فقدِم شجاعُ بنُ وهبٍ فقرَأه عليه فقال : ومَن يَنتَزِعُ مُلْكِى ؟ إنِّى سأسيرُ إليه .

ذِكْرُ بَعْثِه ﷺ إلى كِسرى ملكِ الفرسِ

روَى البخارىُّ[3] مِن حديثِ الليثِ ، عن يونُسَ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١١٩ظ] بعَث بكتابِه مع رجلٍ إلى كِسرى ، وأمَره أن يَدْفَعَه إلى عظيمِ البَحرَيْن ، فدفَعه عظيمُ البَحْرَيْن إلى كِسرى ، فلمَّا قرَأه كِسرى مزَّقه . قال : فحسِبْتُ أن ابنَ المُسَيَّبِ قال : فدَعا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُمزَّقوا كلَّ مُمزَّقٍ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[4] ، عن يونُسَ ، عن الزُّهرىِّ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥٢، حوادث السنة السادسة . من طريق ابن إسحاق به .

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٦٥٢.

(٣) البخارى (٧٢٦٤) .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٣٨٧، ٣٨٨، من طريق ابن وهب به نحوه .

ابنُ عبدٍ القارىُّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قام ذاتَ يومٍ على المنبرِ خطيبًا ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه وتشهَّد ثم قال : « أمَّا بعدُ ، فإنِّى أرِيدُ أن أبعَثَ بعضَكم إلى ملوكِ الأعاجِمِ ، فلا تختَلِفوا علىَّ كما اختَلَفَتْ بنو إسْرائيلَ على عيسى بنِ مريمَ » . فقال المُهاجِرون : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا لا نختَلِفُ عليك فى شىءٍ أبدًا فمُرْنا وابعَثْنا . فبعَث شُجاعَ بنَ وهبٍ إلى كِسرى ؛ فأمَر كِسرى بإيوانِه أن يُزَيَّنَ ، ثم أَذِن لعظماءِ فارسَ ، ثم أَذِن لشجاعِ بنِ وهبٍ ، فلما أن دخَل عليه أمَر كسرى بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يُقْبَضَ منه ، فقال شجاعُ بنُ وهبٍ : لا ، حتى أدْفَعَه أنا إليك كما أمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال كسرى : ادْنُهْ . فدَنا فناوَله الكتابَ ، ثم دَعا كاتبًا له مِن أهلِ الحيرةِ فقرَأه ، فإذا فيه : « مِن محمدٍ[1] عبدِ اللَّهِ ورسولِه إلى كسرى عظيمِ فارسَ » . قال : فأغْضَبه حينَ بدَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ بنفسِه ، وصاح وغضِب ومزَّق الكتابَ قبلَ أن يَعْلَمَ ما فيه ، وأمَر بشجاعِ ابنِ وهبٍ فأُخْرِج ، فلما رَأى ذلك قعَد على راحلتِه ، ثم سار ، ثم قال : واللَّهِ ما أُبالى على أىِّ الطريقين أكونُ إذْ أدَّيْتُ كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : ولما ذهَب عن كسرى سَوْرَةُ غضَبِه[2] بعَث إلى شجاعٍ ليدْخُلَ عليه ، فالتُمِس فلم يُوجَدْ ، فطُلِب إلى الحيرةِ فسَبَق[3] ، فلما قدِم شجاعٌ على النبىِّ ﷺ أخبَرَه بما كان مِن أمرِ كسرى وتَمْزيقِه لكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَزَّق كسرى مُلْكَه » .

---

(١) بعده فى م : « بن » .

(٢) سورة غضبه : شدَّته وحدَّته وهياجه .

(٣) يعنى أنهم بحثوا عن شجاع وبلغوا فى ذلك الحيرة ، ولكنه كان قد تجاوزها فلم يلحقوا به .

ورَوى محمدُ بنُ إسحاقَ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، [2]عن الزُّهْرىِّ[2] ، عن أبى سَلَمةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَث عبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ بكتابِه إلى كسرى ، فلما قرأه مزَّقه ، فلما بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَزَّق مُلْكَه » .

وقال ابنُ جريرٍ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ حُمَيْدٍ ، ثنا سَلَمةُ ، ثنا ابنُ إسحاقَ ، عن يَزيدَ[4] بنِ أبى حَبِيبٍ ، قال : وبَعَث [٣/ ١٢٠و] عبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ بنِ قيسِ ابنِ عدىِّ بنِ سَعْدِ[5] بنِ سهمٍ إلى كسرى بنِ هُرْمُزَ ملكِ فارسَ ، وكتَب معه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى كسرى عظيمِ فارسَ ، سلامٌ على مَنِ اتبع الهُدَى ، وآمَن باللَّهِ ورسولِه ، وشهِد أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأدْعُوك بدعاءِ اللَّهِ ، فإنى أنا رسولُ اللَّهِ إلى الناسِ كافةً ؛ لأُنذرَ مَن كان حيًّا ، ويَحِقَّ القولُ على الكافرين ، فإن تُسْلِمْ تَسْلَمْ ، وإن أبَيْتَ فإنَّ إثْمَ المَجوسِ عليك » . قال : فلما قرَأه شقَّه ، وقال : يَكْتُبُ إلىَّ بهذا وهو عبدى ؟! قال : ثم كتَب كسرى إلى باذامَ[6] ، وهو نائبُه على اليمنِ ، أن ابْعَثْ إلى هذا الرجلِ بالحجازِ رجلين مِن عندِك جَلْدَيْن فلْيَأْتِيانى به . فبعَث باذامُ قَهْرَمانَهُ[7] ، وكان كاتبًا حاسِبًا بكتابِ فارسَ ، وبعَث

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥٥. حوادث السنة السادسة . عن ابن إسحاق به .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٩، ٢٦/ ٤١٩.

(٣) تاريخ الطبرى ٢/٦٥٤ - ٦٥٧، حوادث السنة السادسة ، بنحوه .

(٤) فى الأصل ، م : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٥) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر أسد الغابة ٣/ ٢١١، والإصابة ٤/ ٥٧.

(٦) فى تاريخ الطبرى : « باذان » . وفى ص : « باذانه » . وسيأتى بعد ذلك فى كل النسخ : « باذام » . قال الحافظ فى الإصابة ١/ ٣٣٨: باذان : آخره نون ، ويقال : ميم .

(٧) القهرمان : أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخَرْجه . الوسيط (قهرم) .

معه رجلًا مِن الفرسِ يقالُ له : خُرخرةُ[1] . وكتَب معهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يأمُرُه أن يَنصرفَ معهما إلى كسرى ، وقال لأباذويه[2] : ائْت بلادَ هذا الرجلِ وكَلِّمْه وأْتِنى بخبرِه . فخرَجا حتى قدِما الطائفَ ، فوجَدا رجلًا مِن قريشٍ فى أرضِ الطائفِ ، فسألَوه عنه فقال : هو بالمدينةِ . واستبشَر أهلُ الطائفِ - يَعْنى وقريشٌ بهما - وفرِحوا ، وقال بعضُهم لبعضٍ : أبْشِروا ، فقد نَصِب[3] له كسرى ملكُ الملوكِ ، كُفِيتُم الرجلَ . فخرَجا حتى قدِما على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكَلَّمه أباذويه[2] فقال : شاهَنْشَاهْ ملكُ الملوكِ كسرى ، قد كتَب إلى الملكِ باذامَ يأمُرُه أن يَبْعَثَ إليك مَن يأتيه بك ، وقد بعَثنى إليك لتَنْطَلِقَ معى ، فإن فعَلْتَ كتَب[4] لك إلى ملكِ الملوكِ ينفعُك ويكُفُّه عنك ، وإن أبَيْتَ فهو مَن قد علِمْتَ ، فهو مُهْلِكُك ومُهْلِكُ قومِك ومُخَرِّبُ بلادِك . ودخَلا على رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد حَلَقا لحاهما وأعْفَيا شواربَهما ، فكرِه النَّظرَ إليهما ، وقال : « ويلَكما ! مَن أمَركما بهذا ؟! » قالا : أمَرَنا ربُّنا . يعنيان كِسْرَى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ولكنَّ ربى أمَرنى بإعفاءِ لحيتى وقصِّ شاربى » . ثُم قال : « ارْجِعا حتى تأتيانى غدًا » . قال : وأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ الخبرُ مِن السماءِ ، بأنَّ اللَّهَ قد سَلَّط على كِسْرَى ابنَه شيرَوَيْهِ ، فقتَله [5]فى شهرِ كذا وكذا ، فى ليلةِ كذا وكذا ؛ [٣/ ١٢٠ظ] مِن الليلِ ؛ سُلِّط عليه ابنُه شيرويه فقتَله[5] . قال : فدعاهما

---

(١) كذا فى النسخ هنا وفيما يأتى . وفى تاريخ الطبرى : « خر خسره » . وانظر الإصابة ١/ ٣٣٧، ٢/ ٣٦٠.

(٢) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « بابويه » .

(٣) نصب : جدَّ واجتهد .

(٤) فى ص : « كتبت » . وفاعل : « كتب » يعود على « باذام » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

فأخْبَرَهما فقالا : هل تدرى ما تقولُ ؟! إنا قد نقَمْنا عليك ما هو أيْسَرُ مِن هذا ، فنكْتُبُ عنك بهذا ونُخْبِرُ الملكَ باذامَ ؟ قال : « نعم أخْبراه ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى سيبْلُغُ ما بلَغ مُلْكُ[1] كسرى ، وينتهى إلى مُنتَهَى[1] الخُفِّ والحافرِ ، وقولا له : إن أسْلَمْتَ أعْطَيْتُك ما تحتَ يديك ، ومَلَّكْتُك على قومِك مِن الأبناءِ » . ثم أعْطَى خُرخرةَ مِنطقةً[2] فيها ذهبٌ وفضةٌ كان أهْداها له بعضُ الملوكِ ، فخرَجا مِن عندِه حتى قدِما على باذامَ فأخْبراه الخبرَ ، فقال : واللَّهِ ما هذا بكلامِ ملِكٍ ، وإنى لأرَى الرجلَ نبيًّا كما يقولُ ، ولَيَكُونَنَّ[3] ما قد قال ، فلئن كان هذا حقًّا فإنه نبىٌّ مُرسَلٌ ، وإن لم يَكُنْ فسنرَى فيه رأيَنا[4] . فلم يَنْشَبْ باذامُ أن قدِم عليه كتابُ شيرويه : أما بعدُ ، فإنى قد قتَلْتُ كِسْرَى ، ولم أقْتُلْه إلا غضبًا لفارسَ ؛ لِمَا كان استَحَلَّ مِن قتلِ أشْرافِهم ونحرِهم[5] فى ثغورِهم ، فإذا جاءك كتابى هذا فخُذ لىَ الطاعةَ ممن قِبَلَك ، وانطلِقْ إلى الرجلِ الذى كان كِسْرَى قد كتَب فيه ، فلا تُهِجْه حتى يأتيَك أمرى فيه . فلما انتهى كتابُ شيرويه إلى باذامَ قال : إن هذا الرجلَ لَرسولٌ . فأسْلَم وأسْلَمتِ الأبناءُ مِن فارسَ مَن كان منهم باليمنِ . قال : وقد قال باذَوَيْهِ[6] لباذامَ : ما كلَّمْتُ أحدًا أهْيَبَ عندى منه . فقال له باذامُ : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

قال الواقدىُّ ، رحِمه اللَّهُ[7] : وكان قتْلُ كِسْرَى على يدىِ ابنِه شيرويه ليلةَ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢) المنطقة والمنطق والنطاق : كل ما يشدُّ به وسطه .
(٣) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « لننظرن » .
(٤) فى الأصل ، م : « رأيًا » .
(٥) فى ص : « غيرهم » . وفى تاريخ الطبرى : « تجميرهم » .
(٦) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « بابويه » .
(٧) ذكره الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥٦، حوادث السنة السادسة .

الثلاثاءِ، لعشرِ ليالٍ مَضَين مِن جُمادَى الأُولَى[1] مِن سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ، لستٍّ ساعاتٍ مضَت منها.

قلتُ: وفى شعرِ بعضِهم ما يُرْشِدُ أن قتْلَه كان فى شهرِ حرامٍ، وهو قولُ بعضِ الشعراءِ:

قَتَلُوا كِسْرَى بليلٍ مُحْرِمًا ... فتوَلَّى لم يُمَتَّعْ بكفَنْ

وقال بعضُ شعراءِ العربِ:

وكِسْرَى إذ تَقاسَمُه بنوهُ ... بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحامُ

تَمَخَّضتِ المَنونُ له بيومٍ ... أنَى ولكلِّ حاملةٍ تَمامُ[2]

ورَوى الحافظُ البيهقىُّ[3] مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن حميدٍ، عن الحسنِ، عن أبى بَكْرةَ، أن رجلًا مِن أهلِ فارسَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن [٣/ ١٢١و] ربى قد قَتَل الليلةَ ربَّك». قال: وقيل له - يعنى النبىَّ ﷺ -: إنه قد استَخْلَف ابنتَه. فقال: «لا يُفْلِحُ قومٌ تَمْلِكُهم امرأةٌ». قال البيهقىُّ[4]: ورُوِىَ فى حديثِ دِحْيةَ بنِ خليفةَ، أنه لما رجَع مِن عندِ قيْصرَ وجَد عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رسلَ عاملِ[5] كِسْرَى، وذلك أن كِسْرَى بعَث يتَوَعَّدُ صاحبَ صَنْعاءَ، ويقولُ له: ألا تَكْفِينى أمْرَ رجلٍ قد ظهَر بأرضِك

---

(١) فى النسخ: «الآخرة». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر فتح البارى ٨/ ١٢٧.

(٢) هذا البيت وحده ينسب للنابغة الذبيانى. ملحقات ديوانه ص ٢٣٢، وهو من أبيات أربعة فى اللسان (م خ ض) لعمرو بن حسان، أحد بنى الحارث بن همام بن مرّة. و«أنى» بالنون بمعنى حانَ.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٣٩٠.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

يَدْعونى إلى دينِه ؟ لَتَكْفِيَنَّه أو لَأَفْعَلَنَّ بك . فبعَث إليه ، فقال لرسلِه : « أخْبروه أن ربى قد قتَل ربَّه الليلةَ » . فوجَدوه كما قال . قال[1] : ورَوَى داودُ بنُ أبى هِنْدَ ، عن عامرٍ الشعبىِّ نحوَ هذا .

ثُم رَوَى البيهقىُّ[2] مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : أقْبَل سعدٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « [2]إن فى وجهِ سعدٍ خبرًا[2] » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَك كِسْرَى . فقال : « لعَن اللَّهُ كِسْرَى ، أولُ الناسِ هلاكًا فارسُ ثُم العربُ » .

قلتُ : الظاهرُ أنه لما أَخْبَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بهلاكِ كِسْرَى لِذَيْنِكَ الرجلين ، يعنى الأميرَين اللذين قدِما مِن نائبِ اليمنِ باذامَ ، فلما جاء الخبرُ بوَفْقِ ما أخْبَرَ به ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وشاع فى البلادِ ، وكان سعدُ بنُ أبى وقاصٍ أولَ مَن سِمع ، جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخْبَره بوَفْقِ إخبارِه ، عليه السلامُ ، وهكذا بنحوِ هذا التقديرِ ذكَره البيهقىُّ ، رحِمه اللَّه[2] .

ثُم رَوَى البيهقىُّ مِن غيرِ وجهٍ[3] ، عن الزهرىِّ ، أخبرنى أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أنه بلَغه أن كِسْرَى بينما هو فى دَسْكَرَةِ مُلْكِه بُعِث له - أو قُيِّضَ له - عارضٌ يَعْرِضُ عليه الحقَّ ، فلم يَفْجَأْ كِسْرَى إلا برجلٍ يمشى وفى يدِه عصًا ، فقال : يا كِسْرَى ، هل لك فى الإسلامِ قبلَ أن أَكْسِرَ هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، لا تَكْسِرْها . فولَّى الرجلُ ، فلما ذهَب ، أرْسَل كسرى إلى

---

(١) أى البيهقى . دلائل النبوة ٤/٣٩١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣ - ٣) فى الدلائل : « إن وجه سعد خير . أو قال : الخير » .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٣٩١، ٣٩٢.

حُجَّابِه فقال : مَن أذِن لهذا الرجلِ علىَّ ؟ فقالوا : ما دخَل عليك أحدٌ . فقال : كذَبْتم . قال : فغضِب عليهم وتهَدَّدهم[1] ، ثُم ترَكهم . قال : فلما كان رأسُ الحَوْلِ ، أتى ذلك الرجلُ ومعه العصا ، قال : يا كِسْرَى ، هل لك فى الإسلامِ قبلَ أن أكْسِرَ هذه العصا ؟ قال : نعم ، لا تَكْسِرْها[2] . فلما انصرَف عنه دَعا حُجَّابَه ، فقال لهم كالمرةِ الأولى ، فلما كان العامُ المُسْتَقْبَلُ أتاه ذلك الرجلُ ، [٣/ ١٢١ظ] معه العصا ، فقال له : هل لك يا كسرى فى الإسلامِ قبلَ أن أَكْسِرَ العصا ؟ فقال : لا تَكْسِرَها[3] . فكسَرها ، فأهْلَك اللَّهُ كسرى عندَ ذلك .

وقال الإمامُ الشافعىُّ[4] : أنبأنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا هلَك كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هلَك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، والذى نفسى بيدِه لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما فى سبيلِ اللَّهِ » . أخْرَجه مسلمٌ من حديثِ ابنِ عيينةَ[5] ، وأخْرَجاه مِن حديثِ الزهرىِّ ، به[6] .

قال الشافعىُّ[7] : ولما أُتِىَ كسرى بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مزَّقه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَمَزَّقَ مُلْكُه » . وحَفِظْنا أن قيصرَ أكْرَم كتابَ رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى ص : « هددهم » . وفى الدلائل : « وتلتلهم » . وتلتلهم : زعزعهم وأقلقهم وزلزلهم . اللسان (ت ل ل) .

(٢) بعده فى الدلائل : « لا تكسرها » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « لا تكسرها » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٩٣، من طريق الشافعى به .

(٥) مسلم (٢٩١٨/٧٥) .

(٦) البخارى (٣٦١٨، ٦٦٣٠) . ومسلم (٢٩١٨/٧٥) .

(٧) دلائل النبوة ٤/٣٩٣ بإسناد البيهقى السابق إلى الشافعى .

ﷺ ووضَعه فى مَسْكٍ[1] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثبَت مُلْكُه » .

قال الشافعىُّ وغيرُه مِن العلماءِ[2] : ولَمَّا كانت العربُ تأتى الشامَ والعراقَ للتجارةِ ، فأسْلَم مَن أسْلَم منهم ، شَكَوا خوفَهم مِن مَلِكَيِ العراقِ والشامِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « إذا هلَك كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هَلَك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه » . قال : فباد مُلْكُ الأكاسرةِ بالكليةِ ، وزال ملكُ قَيْصرَ عن الشامِ بالكليةِ ، وإن ثبَت لهم ملكٌ فى الجملةِ ببركةِ دُعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لهم حينَ عظَّموا كتابَه . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وفى هذا بِشارةٌ عظيمةٌ بأن مُلْكَ الرومِ لا يعودُ أبدًا إلى أرضِ الشامِ ، وكانت العربُ تُسَمِّى قيصرَ لمن ملَك الشامَ مع الجزيرةِ مِن الرومِ ، وكسرى لمن مَلَك الفرسَ ، والنجاشىَّ لمن ملَك الحبشةَ ، والمُقَوْقِسَ لمن ملَك الإسْكَنْدَرِيةَ ، وفرعونَ لمن مَلَك مصرَ كافرًا ، وبَطْلَيْموسَ لمن مَلَك الهندَ ، ولهم أعلامُ أجناسٍ غيرُ ذلك ؛ وقد ذكَرْناها فى غيرِ هذا الموضعِ . واللَّهُ أعلمُ .

ورَوى مسلمٌ[3] ، عن قتيبةَ [4]وغيرِه ، عن أبى عَوانةَ ، عن سِماكٍ[4] ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتَفْتَحَنَّ عِصابةٌ مِن المسلمين كنوزَ كسرى[5] فى القصرِ الأبيضِ » . ورَوَى أسباطٌ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ مثلَ ذلك ، وزاد : وكنتُ أنا وأبى فيهم ، فأصَبْنا مِن ذلك ألفَ درهمٍ[6] .

---

(١) المسك : بالفتح وسكون السين : الجِلد . اللسان (م س ك) .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٣٩٤ عن الشافعى . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٤٢ .

(٣) مسلم (٢٩١٩/٧٨) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى صحيح مسلم : « كنز آل كسرى » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨٩، من طريق أسباط به .

[٣/ ١٢٢و] بَعْثُه ﷺ إلى المُقَوْقِسِ صاحبِ مدينةِ الإسكَندريةِ، واسمُه جُرَيْجُ بنُ مِينا القِبْطىُّ

قال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ: حدَّثنى الزهرىُّ، عن عبدِ الرحمنِ[(١)] بنِ عبدٍ القارىِّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَث حاطبَ بنَ أبى بَلْتَعةَ إلى المُقَوْقِسِ صاحبِ الإسكَندريةِ، فمضَى بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليه، فقبَّل الكتابَ، وأكْرَم حاطبًا وأحْسَن نُزُلَه، وسَرَّحه إلى النبىِّ ﷺ، وأهْدَى له مع حاطبٍ كُسْوةً، وبَغْلةً بسَرْجِها، وجاريتَيْن؛ إحداهما أمُّ إبراهيمَ، وأمّا الأُخرى فوَهَبَها رسولُ اللَّهِ ﷺ لمحمدِ بنِ قيسٍ العَبْدىِّ. رواه البيهقىُّ[(٢)].

ثم رَوى[(٣)] مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسْلَمَ، عن أبيه، ثنا يحيى بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعةَ، قال: بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المُقَوْقِسِ ملكِ الإسكَندريةِ. قال: فجئتُه بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأنْزَلنى فى منزلِه وأقَمْتُ عندَه، ثم بعَث إلىَّ وقد جَمَع بَطارِقتَه، وقال: إنِّى سائلُك عن كلامٍ، فأحِبُّ أن تَفْهَمَ عنى. قال: قلتُ: هَلُمَّ. قال: أخْبِرْنى عن صاحبِك، أليس هو نبيًّا؟ قلتُ: بلى[(٤)]، هو رسولُ اللَّهِ. قال: فما له

---

(١) فى الأصل، م: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦٣.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٣٩٥.

(٣) أى البيهقى. دلائل النبوة ٤/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٤) سقط من: ا ٤١. وفى الأصل، م: «بل».

حيثُ كان هكذا، لم يَدْعُ على قومِه حيث أخْرَجوه مِن بلدِه إلى غيرِها؟ قال: فقلتُ: عيسى بنُ مريمَ، أليس تَشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ؟ (١قال: بلى. قلتُ١): فما له حيث أخَذه قومُه، فأرادوا أن يَصْلُبوه، ألَّا يكونَ دَعا عليهم بأن يُهْلِكَهم اللَّهُ حتى[٢] رفَعه اللَّهُ إلى[٣] السماءِ الدنيا؟ فقال لى: أنت حكيمٌ، قد جاء مِن عندِ حكيم، هذه هدايا أبْعَثُ بها معك إلى محمدٍ، وأُرْسِلُ معك ببَذْرَقةٍ يُبَذْرِقُونك[٤] إلى مَأْمَنِك. قال: فأَهْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ جوارٍ، منهنَّ أُمُّ إبراهيمَ بنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، (٥وواحدةٌ وَهَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبى جَهْمِ بنِ حُذيفةَ العَدَوىِّ٥)، وواحدةٌ وَهَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ لحسانَ بنِ ثابتٍ الأنصارىِّ، وأَرْسل إليه بطُرَفٍ مِن طُرَفِهم. وذكَر ابنُ إسحاقَ[٦] أنه أهْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أربعَ جوارٍ؛ إحداهنَّ مارِيَةُ أمُّ إبراهيمَ، والأُخرى سِيرينُ التى وَهَبَها لحسانَ بنِ ثابتٍ، فولَدَتْ له عبدَ الرحمنِ بنَ حسانَ.

قلتُ: وكان فى جملةِ الهديَّةِ غلامٌ أسودُ [٣/١٢٢ظ] خَصِىٌّ، اسمُه مَأْبورُ، وخُفّان ساذَجان[٧] أسوَدان، وبغلةٌ بيضاءُ اسمُها الدُّلْدُلُ، وكان مأبورُ هذا خَصِيًّا، ولم يَعْلَموا بأمرِه بادئَ الأمرِ، فصار يَدْخُلُ على مارِيَةَ، كما كان

(١ - ١) زيادة من النسخ.

(٢) فى م، ص: «حيث».

(٣) فى الدلائل: «إليه فى».

(٤) البذرقة هى الخُفارة، فارسىٌّ مُعرَّب. يقال: بعث السلطان بَذْرَقَةً مع القافلة. والمُبَذْرِق: الخَفير - أى الحارس - انظر تاج العروس (بذرق).

(٥ - ٥) سقط من: النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/٦٤٥ حوادث السنة السادسة. عن ابن إسحاق بنحوه.

(٧) الساذج: مُعرَّب سادَهْ. وهو الخالص غير المشوب وغير المنقوش. الوسيط (س ذ ج).

مِن عاداتِهم ببلادِ مصرَ، فجعَل بعضُ الناسِ يتَكَلَّمُ فيهما بسببِ ذلك، ولا يعْلَمون بحقيقةِ الحالِ، وأنَّه خَصِيٌّ، حتى قال بعضُهم: إنَّه الذى أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ بقَتْلِه، فوَجَده خَصِيًّا فتَرَكَه، والحديثُ فى «صحيحِ مسلمٍ»[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وبَعَث [3]رسولُ اللَّهِ ﷺ[3] سَلِيطَ بنَ عمرِو[4] بنِ عبدِ وُدٍّ، أخا بنى عامرِ بنِ لُؤَيٍّ، إلى هَوْذَةَ بنِ عليٍّ صاحبِ اليَمامةِ، وبَعَث العلاءَ بنَ الحَضْرَميِّ، [5]إلى المنذرِ بنِ ساوى، أخى بنى عبدِ القَيْسِ، صاحبِ البحْرَيْن، وعمرَو بنَ العاصِ[5] إلى جَيْفَرِ بنِ الجُلَنْدَى وعَمَّارِ[6] بنِ الجُلَنْدَى الأَزْدِيَّيْن صاحبَىْ عُمَانَ.

---

(١) بعده فى الأصل، م: «من طريق». وبعده فى ص: «من طريق كذا». والحديث فى صحيح مسلم (٢٧٧١).

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٥، عن ابن إسحاق. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ٤١، م.

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى: «بن عبد شمس».

(٥ - ٥) سقط من: النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى. ولعله وقع انتقال نظر من المصنف أو الناسخ.

(٦) فى التاريخ: «عباد».

غزوةُ ذاتِ السَّلاسِلِ

ذكَرها الحافظُ البيهقيُّ[1] هـٰهنا قبلَ غزوةِ الفتحِ، فساق مِن طريقِ موسى ابنِ عقبةَ وعُروةَ بنِ الزبيرِ[2] قالا: بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ العاصِ إلى ذاتِ السَّلاسِلِ مِن مَشارفِ الشامِ فى بَلِيٍّ، [3]وعبدِ اللَّهِ[3]، ومَن يليهم مِن قُضاعةَ - قال عروةُ بنُ الزُّبيرِ: بنو بَلِيٍّ أخوالُ العاصِ بنِ وائلٍ - فلمَّا صار إلى هناك خاف مِن كثرةِ عدوِّه، فبعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِدُّه، فنَدَب رسولُ اللَّهِ ﷺ المهاجرين الأولين، فانْتَدَب أبو بكرٍ وعمرُ فى جماعةٍ مِن سَراةِ المهاجرين، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين، وأمَّر عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ. قال موسى بنُ عُقْبةَ: فلمَّا قَدِموا على عمرٍو قال: أنا أميرُكم، وأنا أَرْسَلْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أسْتَمِدُّه بكم. فقال المهاجرون: بل أنت أميرُ أصحابِك، وأبو عُبيدةَ أميرُ المهاجرين. فقال عمرٌو: إنَّما أنتم مَدَدٌ أُمْدِدْتُه. فلمَّا رأَى ذلك أبو عُبَيْدةَ، وكان رجلًا حسَنَ الخُلُقِ ليِّنَ الشِّيمَةِ[4]، قال: تَعَلَّمْ[5] يا عمرُو أنَّ آخرَ ما عَهِد إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قال: «إذا قَدِمْتَ على صاحبِك فتَطَاوَعا». وإنَّك إن عَصَيْتَنى لَأُطِيعَنَّك.

---

(١) دلائل النبوة ٤/٣٩٧ - ٤٠٣.

(٢) المصدر السابق ٤/٣٩٧ - ٣٩٩.

(٣ - ٣) فى الدلائل: «وسعد اللَّه».

(٤) الشيمة: الخُلُق. الوسيط (ش ى م).

(٥) تَعَلَّمْ؛ بصيغة الأمر: اعْلَمْ.

فسَلَّم أبو عُبيدةَ الإمارةَ لعمرِو بنِ العاصِ[1]

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُصَينِ التَّميميُّ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/١٢٣و] عمرَو بنَ العاصِ يَسْتَنْفِرُ العربَ إلى الإسلامِ ، وذلك أنَّ أمَّ العاصِ بنِ وائلٍ كانت مِن بنى بَلِيٍّ ، فبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إليهم يَسْتَأْلِفُهم بذلك ، حتى إذا كان على ماءٍ بأرضِ جُذامَ يُقالُ له : السَّلاسلُ . وبه سُمِّيَتْ تلك الغزوةُ ذاتَ السَّلاسلِ . قال : فلمَّا كان عليه وخافَ ، بَعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِدُّه ، فبَعَث إليه أبا عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ فى المهاجرين الأَوَّلين ، فيهم أبو بكرٍ وعمرُ ، وقال لأبى عُبَيْدةَ حينَ وَجَّهه : « لا تَخْتَلِفا » . فخرَج أبو عُبَيدةَ ، حتى إذا قدِم عليه قال له عمرٌو : إنَّما جِئتَ مَدَدًا إلىَّ . فقال له أبو عُبَيدةَ : لا ، ولكنِّى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عُبَيْدةَ رجلًا لَيِّنًا سهلًا ، هَيِّنًا عليه أمرُ الدنيا ، فقال له عمرٌو : أنت مَدَدى . فقال له أبو عُبَيْدةَ : يا عمرُو ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قال لى : « لا تَخْتَلِفا » . وإنَّك إن عَصَيْتَنى أَطَعْتُك . فقال له عمرٌو : فإنِّى أميرٌ عليك ، وإنَّما أنت مَدَدٌ لى . قال : فدُونَكَ . فصَلَّى عمرُو بنُ العاصِ بالناسِ .

وقال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى ربيعةُ بنُ عثمانَ ، عن يزيدَ بنِ رُومانَ ، أنَّ أبا عُبَيدةَ لمَّا آب إلى عمرِو بنِ العاصِ ، فصاروا خمسَمائةٍ ، فساروا الليلَ والنهارَ

---

(١) قال البيهقى : لفظُ حديثِ موسى بن عقبة ، وحديثُ عروة بمعناه .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٩٩، ٤٠٠، من طريق محمد بن إسحاق به . قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة ص ٣٨٣: ضعيف ؛ رواه ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن الحصين التميمى مرسلًا .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠١، من طريق الواقدى به .

حتى وَطِئ بلادَ بَلِيٍّ ودَوَّخها[1] ، وكلَّما انْتَهَى إلى موضعٍ بَلَغه أنَّه قد كان بهذا الموضعِ جمعٌ ، فلمَّا سَمِعوا بك تفرَّقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلادِ بَلِيٍّ وعُذْرَةَ وبَلْقَيْنَ ، ولَقِيَ فى آخرِ ذلك جَمْعًا ليس بالكثيرِ ، فاقْتَتَلوا ساعةً ، وتَرامَوْا بالنَّبْلِ[2] ، ورُمِيَ يومَئذٍ عامرُ بنُ ربيعةَ وأُصِيب ذِراعُه ، وحَمَل المسلمون عليهم فهَرَبوا[3] ، وأَعْجَزوا هرَبًا فى البلادِ وتفرَّقوا ، ودوَّخ[4] عمرٌو ما هناك ، وأقام أيامًا لا يَسْمَعُ لهم بجمعٍ ولا مكانٍ صاروا فيه ، وكان يبْعَثُ أصحابَ الخيلِ فيَأْتون بالشَّاءِ والنَّعَمِ ، فكانوا يَنْحَرون ويَذْبَحون ، ولم يَكُنْ فى ذلك أكثرُ مِن ذلك ، ولم تَكُنْ غَنائمُ تُقْسَمُ[5] .

وقال أبو داودَ[6] : ثنا ابنُ المُثَنَّى ، ثنا وَهْبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبى ، سَمِعْتُ يحيى بنَ أيوبَ يُحَدِّثُ عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنسٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن عمرِو بنِ العاصِ ، قال : احْتَلَمْتُ فى ليلةٍ باردةٍ فى غزوةِ [٣/١٢٣ظ] ذاتِ السَّلاسلِ ، فأشْفَقْتُ إنِ اغْتَسَلْتُ أن أهْلِكَ . قال : فتَيَمَّمْتُ ثُم صَلَّيْتُ بأصحابى الصبحَ ، فذكَروا ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا عمرُو ، صَلَّيْتَ بأصحابِك وأنت جُنُبٌ ؟ » قال : فأخْبَرْتُه بالذى مَنَعَنى مِن الاغْتِسالِ وقلتُ : إنِّى سَمِعْتُ اللَّهَ يقولُ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

(١) دوَّخ البلاد : سار فيها حتى عرفها ، ولم تخف عليه طرقها . اللسان (د و خ) .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « ساعة » .

(٣) فى ا ٤ : « فانهزموا » . وفى م ، ص : « فهزموا » .

(٤) دوخ ما هناك : وطئه . اللسان (د و خ) .

(٥) بعده فى الدلائل : « إلا ما لا ذكر له » .

(٦) أبو داود (٣٣٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٢٣) .

بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]. فضَحِك نبيُّ اللَّهِ ﷺ ولم يقُلْ شيئًا.

(١ حدَّثنا(٢) محمدُ بنُ سَلَمةَ، (٣ثنا ابنُ وهبٍ٣)، ثنا ابنُ لَهِيعةَ وعمرُو بنُ الحارثِ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنسٍ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ جُبَيْرٍ، عن أبى قيسٍ مولى عمرِو بنِ العاصِ، (٤أنَّ عمرَو بنَ العاصِ كان٤) على سريَّةٍ. فذكَر الحديثَ بنحوِه، قال: فغَسَل مَغابِنَه(٥) وتَوَضَّأ وُضوءَه للصلاةِ، ثُم صلَّى بهم. فذكَر نحوَه، ولم يَذْكُرِ التَّيَمُّمَ. قال أبو داودَ: ورَوَى هذه القصةَ عن(٦) الأَوْزاعىِّ، عن حسانَ بنِ عَطِيةَ، وقال فيه: فتيَمَّم١).

وقال الواقدىُّ(٧): حدَّثنى أفْلَحُ بنُ سعيدٍ، عن ابنِ(٨) عبدِ الرحمنِ بنِ رُقَيْشٍ، عن أبى بكرِ بنِ حَزْمٍ قال: كان عمرُو بنُ العاصِ حينَ قَفَلوا، احْتَلَم فى ليلةٍ باردةٍ كأشدِّ ما يكونُ مِن البردِ، فقال لأصحابِه: ما تَرَوْن؟ قد واللَّهِ احتَلَمْتُ، فإنِ اغْتَسَلْتُ مِتُّ. فدَعا بماءٍ فتَوَضَّأ، وغَسَل فرجَه وتَيَمَّم، ثُم قام فصَلَّى بهم، فكان أوَّلَ مَن بَعَث عوفُ بنُ مالكٍ بَرِيدًا، قال عوفٌ: فقَدِمْتُ

(١ - ١) سقط من: ٤١.

(٢) القائل أبو داود. والحديث أخرجه أبو داود فى سننه (٣٣٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٢٤).

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والمثبت من مصدرى التخريج.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «وكان».

(٥) المغابن: الآباط - جمع إبط - والأرفاغ، وهى بواطن الأفخاذ عند الحوالب، جمع مغبن. انظر النهاية ٣/ ٣٤١، والوسيط (غ ب ن).

(٦) كذا فى النسخ وسنن أبى داود. والصواب حذف «عن»، كما ذكره الشيخ الألبانى فى الإرواء ١/ ١٨٣ عن أبى داود فى السنن.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠١، ٤٠٢، من طريق الواقدى به.

(٨) هو سعيد بن عبد الرحمن كما فى الدلائل.

على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى السَّحَرِ وهو يُصَلِّى فى بيتِه ، فسَلَّمْتُ عليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عوفُ بنُ مالكٍ ؟ » فقلتُ : عوفُ بنُ مالكٍ يا رسولَ اللَّهِ . قال : « صاحبُ الجَزُورِ ؟ » قلتُ : نعم . ولم يَزِدْ على هذا بعدَ ذلك شيئًا ، ثُم قال : « أخْبِرْنى » . فأخبَرْتُه بما كان مِن مسيرِنا ، وما كان بينَ أبى عُبيدةَ وعمرٍو ، ومُطاوعةِ أبى عُبَيْدةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرَّاحِ » . قال : ثم أخبَرْتُه أن عمرًا صَلَّى بالناسِ وهو جنبٌ ومعه ماءٌ ، لم يَزِدْ على أن غَسَل فرجَه وتَوَضَّأ[1] . فسَكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا قدِم عمرٌو على رسولِ اللَّهِ ﷺ سأَله عن صلاتِه ، فأخْبَره فقال : والذى بَعَثك بالحقِّ ، إنِّى لو اغْتَسَلْتُ [٣/ ١٢٤و] لَمِتُّ ، لم أجِدْ بَرْدًا قطُّ مثلَه ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . قال : فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولم يَبْلُغْنا أنَّه قال له شيئًا .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجعىِّ قال : كنتُ فى الغزوةِ التى بعَث فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ العاصِ ، وهى غزوةُ ذاتِ السَّلاسلِ ، فصَحِبْتُ أبا بكرٍ وعمرَ ، فمرَرْتُ بقومٍ وهم على جَزُورٍ قد نحَروها ، وهم لا يَقْدِرون على أن يُعَضُّوها[3] ، وكنتُ امْرَأً جازِرًا[4] ، فقلتُ

---

(١) فى الدلائل : « وتيمم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٥، ٦٢٦. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠٤، ٤٠٥، من طريق ابن إسحاق به نحوه .

(٣) فى الأصل ، م : « يبعضوها » . وفى ا ٤ : « يضعوها » . ويعضوها : أى يقسموها ويجعلوها أعضاء . انظر النهاية ٣/ ٢٥٦.

(٤) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « امرأ لبقا جازرا » .

لهم : تُعْطونى منها عَشِيرًا[1] على أن أَقْسِمَها بينَكم ؟ قالوا : نعم . فأَخَذْتُ الشَّفْرةَ ، فجَزَّأْتُها مكانى ، وأَخَذْتُ منها جُزءًا فحمَلْتُه إلى أصحابى ، فاطَّبَخْناه وأَكَلْناه ، فقال أبو بكرٍ وعمرُ : أنَّى لك هذا اللحمُ يا عوفُ ؟ فأَخْبَرْتُهما[2] فقالا : لا[3] واللَّهِ ما أحسَنْتَ حينَ أَطْعَمْتَنا هذا . ثُم قاما يَتَقَيَّآن ما فى بطونِهما منه ، فلمّا أنْ قَفَل الناسُ مِن ذلك السفرِ ، كنتُ أولَ قادمٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجِئتُه وهو يُصَلِّى فى بيتِه فقلتُ : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . فقال : « أعوفُ بنُ مالكٍ ؟ » فقلت : نعم ، بأبى أنت وأُمِّى . فقال : « صاحبُ الجَزورِ ؟ » ولم يَزِدْنى على ذلك شيئًا . هكذا رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، وهو مُنْقَطِعٌ ، بل مُعْضَلٌ .

قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[4] : وقد رواه ابنُ لَهِيعةَ وسعيدُ بنُ أبى أيوبَ ، عن يزيدَ ابنِ أبى حَبِيبٍ ، عن رَبِيعةَ بنِ لَقِيطٍ ، عن مالكِ بنِ هِدْمٍ[5] ، أظنُّه عن عوفِ بنِ مالكٍ ، فذكَر نحوَه ، إلَّا أنَّه قال : فعَرَضْتُه على عمرَ فسأَلنى عنه ، فأَخْبَرْتُه فقال : قد تَعَجَّلْتَ أجرَك . ولم يَأْكُلْه . ثم حَكَى[6] عن أبى عُبيدةَ مثلَه ، ولم يَذْكُرْ فيه أبا بكرٍ ، وتمامُه كنحوِ ما تقدَّم .

---

(١) فى ا ٤ : « جزءا » . وفى م : « عشرا » . والعشير : النصيب ؛ لأن الجزور كانت تُقسم على عشرة أجزاء ، فكل جزء منها عشير . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٣ .

(٢) بعده فى السيرة : « خبره » .

(٣) كذا فى النسخ والدلائل . وليست فى السيرة .

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٤٠٥ .

(٥) فى النسخ : « زهدم » . والمثبت من الدلائل .

(٦) أى عوف .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[1] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ الأصَمُّ ، ثنا يحيَى بنُ أبى طالبٍ ، ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا خالدٌ الحذَّاءُ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، سَمِعْتُ عمرَو بنَ العاصِ يقولُ : بعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على جيشِ ذاتِ السَّلاسلِ ، وفى القومِ أبو بكرٍ وعمرُ ، فحَدَّثْتُ نفسى أنَّه لم يَبْعَثْنى على أبى بكرٍ وعمرَ إلَّا لمنزلةٍ لى عندَه . قال : فأتَيْتُه حتى قَعَدْتُ بينَ يديْه ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أحبُّ الناسِ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : إنِّى لستُ [٣/١٢٤ظ] أسألُك عن أهلِك . قال : « فأبوها » . قلتُ : ثُم مَن ؟ قال : « عمرُ » . قلت : ثم مَن ؟ حتى عدَّد[2] رهطًا ، قال : قلتُ فى نفسى : لا أعودُ أسألُ عن هذا .

وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحين »[3] مِن طريقِ خالدِ بنِ مِهْرانَ الحذَّاءِ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، واسمُه عبدُ الرحمنِ بنُ مَلٍّ ، حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثه على جيشِ ذاتِ السَّلاسلِ ، فأتَيْتُه فقلتُ : أىُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : فمِن الرجالِ ؟ قال : « أبوها » . قلتُ : ثم مَن ؟ قال : « ثم عمرُ بنُ الخطابِ » . فعدَّ[4] رجالًا . وهذا لفظُ البخارىِّ . وفى روايةٍ[5] : قال عمرٌو : فسَكَتُّ مَخافةَ أن يجْعَلَنى فى آخرِهم .

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) فى الدلائل : « عد » .

(٣) البخارى (٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤) .

(٤) سقط من : ا ٤١. وفى م : « فعدد » .

(٥) البخارى (٤٣٥٨) .

سريَّةُ أبى عُبَيْدةَ بنِ الجَرّاحِ إلى سِيفِ البحرِ

قال الإمامُ مالكٌ[1] ، عن وهبِ بنِ كَيْسانَ ، عن جابرٍ قال : بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا قِبَلَ الساحلِ ، وأمَّر عليهم أبا عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ ، وهم ثلاثُمائةٍ . قال جابرٌ : وأنا فيهم ، فخَرَجْنا حتى إذا كُنّا ببعضِ الطريقِ فَنِيَ الزادُ ، فأتَوْا أبا عُبَيْدةَ بأزْوادِ ذلك الجيشِ ، فجُمِع كلُّه ، فكان مِزْوَدَىْ تمرٍ[2] ، فكان يَقُوتُنا كلَّ يومٍ قليلًا قليلًا حتى فَنِيَ ، فلم يَكُنْ يصيبُنا إلَّا تَمْرَةٌ تمرةٌ . قال : فقلتُ : وما تُغْنى تمرةٌ ؟ فقال : لقد وَجَدْنا فَقْدَها حينَ فَنِيَتْ . قال : ثُم انتَهَيْنا إلى البحرِ ، فإذا حُوتٌ مثلُ الظَّرِبِ[3] . قال : فأكَل منه ذلك الجيشُ ثمانىَ عشْرةَ ليلةً ، ثُم أمَر أبو عُبَيْدةَ بضِلَعَيْنِ مِن أضلاعِه فنُصِبا ، ثُم أمَرَ براحِلَةٍ[4] فرُحِلَتْ[5] ، ثُم مَرَّتْ[6] [7]تحتَهما فلم تُصِبْهما[7] . أخْرَجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ مالكٍ ، بنحوِه .

وهو فى « الصحيحينِ » أيضًا[8] مِن طريقِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤٨٣، ٤٣٦٠)، ومسلم (١٩٣٥/٢١)، من طريق مالك به نحوه.

(٢) مزودى تمر: المِزْوَد: ما يجعل فيه الزاد. فتح البارى ٨/ ٧٩.

(٣) الظرب: الجبل الصغير. المصدر السابق.

(٤) فى م: « براحلته ».

(٥) رحلت: أى وضع عليها الرحل. وقيل: رُكبت. انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/ ٨٧، والنهاية ٢/ ٢١٠.

(٦) فى الأصل، م، ص: « مر ».

(٧ - ٧) فى ا ٤: « تحتها فلم تصبها ». وفى م: « تحتها فلم يصبهما ». وفى ص: « تحتها فلم تصبهما ».

(٨) البخارى (٤٣٦١، ٥٤٩٤)، ومسلم (١٩٣٥/١٨). بنحوه عندهما.

دينارٍ، عن جابرٍ قال: بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثِمائةِ راكبٍ، وأميرُنا أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرَّاحِ، نَرْصُدُ عِيرًا لقُرَيشٍ، فأصابنا جوعٌ شديدٌ، حتى أكَلْنا الخَبَطَ[1]، فسُمِّىَ ذلك الجيشُ جيشَ الخَبَطِ. قال: ونحَر رجلٌ ثلاثَ جَزائرَ، ثم نحَر ثلاثَ جَزائرَ، ثُم ثلاثًا، فنَهاه أبو عُبيدةَ. قال: وأَلْقَى البحرُ دابةً يقالُ لها: العَنْبَرُ. فأكَلْنا منها نصفَ شهرٍ وادَّهَنّا، حتى ثابَتْ إلينا أجسامُنا وصَلَحَتْ. ثُم ذكَر قصةَ الضِّلَعِ. فقولُه فى الحديثِ: نَرْصُدُ عيرًا لقريشٍ. دليلٌ على أنَّ هذه السريَّةَ كانت قبلَ صُلحِ الحديبيةِ. واللَّهُ أعلمُ. والرجلُ الذى نحَر لهم الجَزائرَ هو قيسُ بنُ سعدِ بنِ [٣/ ١٢٥و] عُبادةَ، رَضِى اللَّهُ عنهما[2].

وقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[3]: [4]أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ[4]، [5]أنبأنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ، ثنا إسماعيلُ بنُ قُتيبةَ، ثنا يحيىَ بنُ يحيَى، ثنا أبو خَيْثَمةَ، وهو زُهَيرُ ابنُ معاويةَ، عن أبى الزبيرِ[5]، عن جابرٍ قال: بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأمَّر علينا أبا عُبيدةَ، نَتَلَقَّى عِيرًا لقريشٍ، وزَوَّدَنا جِرابًا مِن تمرٍ، لم يَجِدْ لنا غيرَه، فكان أبو عُبَيْدةَ يُعْطِينا تمرةً تمرةً. قال: فقلتُ: كيف كنتم تَصْنَعون بها؟ قال: كُنّا نَمُصُّها كما يَمُصُّ الصبىُّ، ثم نَشْرَبُ عليها الماءَ، فتَكْفِينا يومَنا إلى الليلِ، وكُنّا

---

(١) الخبط: من الخَبْط، وهو ضَرْب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط: خَبَط. انظر النهاية ٢/ ٧.

(٢) هذا التصريح باسم الذى نحر الجزائر، فى البخارى (٤٣٦١) من حديث عمرو بن دينار عن أبى صالح السمان أن قيس بن سعد قال لأبيه:... الحديث. قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٨١: وهذا صورته مرسل لأن عمرو بن دينار لم يدرك زمان تحديث قيس لأبيه، لكنه فى مسند الحميدى موصول. انظر مسند الحميدى (١٢٤٤).

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٤ - ٤) سقط من: ٤١، م.

(٥ - ٥) سقط من: ٤١.

نَضْرِبُ بعِصِيِّنا الخَبَطَ ، ثُم نَبُلُّه بالماءِ فنَأْكُلُه . قال : فانْطَلَقْنا إلى ساحلِ البحرِ ، فرُفِع لنا على ساحلِ البحرِ كهيئةِ الكَثِيبِ الضخمِ ، فأتَيْناه فإذا به دابَّةٌ تُدْعَى العَنْبَرَ ، فقال أبو عُبيدةَ : مَيْتَةٌ . ثُم قال : لا ، بل نحنُ رُسُلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفى سبيلِ اللَّهِ ، وقد اضْطُرِرْتُم ؛ فكُلُوا . قال : فأقَمْنا عليه شهرًا ونحن ثلاثُمائةٍ حتى سَمِنَّا ، ولقد كُنّا نَغْرِفُ مِن وَقْبِ[1] عينِه بالقِلالِ[2] الدُّهْنَ ، ونَقْتَطِعُ منه الفِدَرَ[3] كالثَّوْرِ ، أو كقَدْرِ الثورِ ، ولقد أخَذ مِنّا أبو عُبَيدةَ ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، فأقْعَدَهم فى عينِه ، وأخَذ ضِلَعًا مِن أضلاعِه ، فأقامها ثُم رَحَل أعظمَ بعيرٍ منها ، فمرَّ تحتَها ، وتزَوَّدْنا مِن لحمِها وَشائقَ[4] ، فلمَّا قدِمنا المدينةَ ، أتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكَرْنا ذلك له ، فقال : « هو رِزقٌ أخْرَجه اللَّهُ لكم ، فهل معكم شىءٌ مِن لحمِه تُطْعِمونا ؟ » قال : فأرْسَلْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأكَل منه . ورَواه مسلمٌ ، عن يحيى بنِ يحيى وأحمدَ بنِ يونسَ ، وأبو داودَ ، عن النُّفَيْلىِّ ، ثلاثتُهم عن أبى خَيْثَمةَ زُهَيْرِ بنِ مُعاويةَ الجُعْفىِّ الكُوفىِّ ، عن أبى الزُّبيرِ محمدِ بنِ مُسْلمِ بنِ تَدْرُسَ المكىِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارىِّ ، به[5] .

قلتُ : ومُقتضَى أكثرِ هذه السياقاتِ ، أنَّ هذه السريَّةَ كانت قبلَ صُلحِ

---

(١) الوقب : هو النُّقْرة التى تكون فيها العين . النهاية ٥/ ٢١٢.

(٢) القلال : جمع قُلَّة ، وهى الحُبّ - أى الجَرَّة - العظيم . والقلال معروفة بالحجاز . انظر النهاية ٤/ ١٠٤. والقاموس المحيط (ح ب ب) .

(٣) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : « القدر » . والفدر : جمع فِدْرة . وهى القطعة من كل شىء . انظر النهاية ٣/ ٤٢٠.

(٤) الوشائق : جمع وشيقة ، والوشيقة هى اللحم الذى يُغلى قليلًا ولا يُنضَج ، ويحمل فى الأسفار . وقيل : هى القديد . انظر النهاية ٥/ ١٨٨.

(٥) مسلم (١٩٣٥/١٧) . وأبو داود (٣٨٤٠) .

الحديبيةِ ، ولكن أوْرَدْناها هـٰهنا تَبَعًا للحافظِ البَيْهَقيِّ ، رَحِمه اللَّهُ ، فإنَّه أوْرَدها بعدَ مؤتةَ وقبلَ غزوةِ الفتحِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذكَر البخاريُّ[1] بعدَ غزوةِ مُؤْتةَ سريَّةَ أسامةَ بنِ زيدٍ إلى الحُرَقاتِ مِن جُهَيْنةَ ، فقال : حدَّثنا عمرُو بنُ محمدٍ ، ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا حُصَيْنُ بنُ جُنْدَبٍ ، [٣/١٢٥ظ] ثنا أبو ظَبْيانَ ، قال : سَمِعْتُ أسامةَ بنَ زيدٍ يقولُ : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُرَقةِ ، فصَبَّحْنا القومَ فهزَمْناهم ، ولحِقْتُ أنا ورجلٌ مِن الأنصارِ رجلًا منهم ، فلمَّا غَشِيناه قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فكَفَّ الأنصاريُّ ، فطَعَنْتُه برُمحى حتى قَتَلْتُه ، فلمّا قَدِمْنا بَلَغ النبيَّ ﷺ فقال : « يا أسامةُ ، أقَتَلْتَه بعدَ ما قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » قلتُ : كان مُتَعَوِّذًا . فمازال يُكَرِّرُها ، حتى تَمَنَّيْتُ أنِّى لم أكُنْ أسْلَمْتُ قبلَ ذلك اليومِ . وقد تَقَدَّم هذا الحديثُ والكلامُ عليه فيما سَلَف[2] .

ثُم روَى البخاريُّ[3] مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى عُبيدٍ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوعِ قال : غَزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَواتٍ ، وخَرَجْتُ فيما يَبْعَثُ مِن البُعوثِ تسعَ غَزَواتٍ ، علينا مرةً أبو بكرٍ ، ومرةً أسامةُ بنُ زيدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما .

ثُم ذكَر الحافظُ البَيْهَقِيُّ[4] هـٰهنا موتَ النجاشيِّ - صاحبِ الحبشةِ - على الإسلامِ ، ونَعْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ له إلى المسلمين ، وصلاتَه عليه ، فروَى[5] مِن

---

(١) البخارى (٤٢٦٩) .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٢٢.

(٣) البخارى (٤٢٧٠) .

(٤) دلائل النبوة ٤/٤١٠ - ٤١٢.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤١٠.

طريقِ مالكٍ، عن الزهريِّ، عن سعيدِ بنِ المسَيَّبِ، عن أبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى إلى الناسِ النجاشىَّ فى اليومِ الذى مات فيه، وخَرَج بهم إلى المُصَلَّى، فصَفَّ بهم وكبَّر أربعَ تَكْبيراتٍ. أخْرجاه[1] مِن حديثِ مالكٍ، وأخْرَجاه أيضًا[2] مِن حديثِ الليثِ، عن عُقَيْلٍ، عن الزهريِّ، عن سعيدٍ وأبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ بنحوِه.

وأخْرجاه[3] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ، عن عطاءٍ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مات اليومَ رجلٌ صالحٌ». فصَلُّوا على أصْحَمَةَ. وقد تقَدَّمت هذه الأحاديثُ أيضًا والكلامُ عليها[4]، وللَّهِ الحمدُ.

قلتُ: والظاهرُ أن موتَ النجاشىِّ كان قبلَ الفتحِ بكثيرٍ؛ فإنَّ فى «صحيحِ مسلمٍ»[5] أنَّه لمَّا كَتَب إلى ملوكِ الآفاقِ، كتَب إلى النَّجاشىِّ، وليس هو بالمسلمِ. وزعَم آخرون كالواقدىِّ أنَّه هو. واللَّهُ أعلمُ.

ورَوى الحافظُ البيهقىُّ[6] مِن طريقِ مسلمِ بنِ خالدٍ الزَّنْجىِّ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن أبيه، عن أمِّ كُلْثومٍ قالت: لمَّا تزَوَّج النبىُّ ﷺ أُمَّ سَلَمةَ قال: «قد أَهْدَيْتُ إلى النجاشىِّ أواقِىَ مِن مِسْكٍ وحُلَّةً، وإنِّى [7]لا أُراه إلَّا[7] قد مات،

---

(١) البخارى (١٢٤٥، ١٣٣٣). ومسلم (٩٥١/٦٢). من حديث مالك عن الزهرى به.

(٢) البخارى (١٣٢٧، ١٣٢٨). ومسلم (٩٥١/٦٣). من حديث الليث عن عقيل به.

(٣) البخارى (١٣٢٠، ٣٨٧٧). ومسلم (٩٥٢/٦٥).

(٤) تقدم فى ٤/١٩٠ - ١٩٤.

(٥) مسلم (١٧٧٤).

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٤١٢.

(٧ - ٧) فى ا ٤: «أراه». وفى م: «لأراه».

[٣/١٢٦و] ولا أرى الهديةَ إلَّا ستُرَدُّ عليَّ، فإن رُدَّت عليَّ - أظُنُّه قال - قَسَمْتُها بَيْنَكُنَّ» أو «فهى لكِ». قال: فكان كما قاله رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ مات النجاشيُّ ورُدَّتِ الهديةُ، فلمَّا رُدَّت عليه، أعْطَى كلَّ[1] امرأةٍ مِن نسائِه أُوقِيَّةً مِن ذلك المِسْكِ، وأعْطَى سائرَه أُمَّ سَلَمةَ، وأعْطاها الحُلَّةَ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) سقط من: م. وفى الأصل: «كله». وفى ص: «ذلك».

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوةُ الفتحِ الأعْظمِ، وكانت فى رمضانَ سنةَ ثمانٍ

وقد ذكَرها اللَّهُ تعالى فى القرآنِ فى غيرِ موضعٍ، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الآيةَ [الحديد: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر].

وكان سببَ الفتحِ بعدَ هُدْنةِ الحديبيةِ ما ذكَره محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)]، حدَّثنى الزُّهْرىُّ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ أنهما حدَّثاه جميعًا قالا: كان فى صلحِ الحديبيةِ أنه مَن شاء أن يَدْخُلَ فى عقدِ محمدٍ وعهدِه دخَل، ومَن شاء أن يَدْخُلَ فى عقدِ قريشٍ وعهدِهم [(٢)]دخَل[(٣)]، فتَواثَبَت خُزاعةُ وقالوا: نحن ندْخُلُ فى عقدِ محمدٍ وعهدِه. وتَواثَبت بنو بكرٍ وقالوا: نحن ندْخُلُ فى عقدِ قريشٍ وعهدِهم[(٢)]. فمكَثوا فى تلك الهُدْنةِ نحوَ السبعةَ أو الثمانيةَ عشَرَ شهرًا، ثم إن بنى بكرٍ وثَبوا على خُزاعةَ ليلًا، بماءٍ يقالُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٥ - ٧، من طريق ابن إسحاق به.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سقط من: م.

له : الوَتِيرُ . وهو قريبٌ مِن مكةَ ، وقالت قريشٌ : ما يَعْلَمُ بنا محمدٌ ، وهذا الليلُ وما يَرانا أحدٌ . فأعانوهم عليهم بالكُراعِ والسلاحِ ، وقاتَلوهم معهم ؛ للضِّغْنِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنَّ عمرَو بنَ سالمٍ رَكِب عندَما كان مِن أمرِ خُزاعةَ وبنى بكرٍ بالوَتِيرِ ، حتى قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُه الخبرَ ، وقد قال أبياتَ شعرٍ ، فلما قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ أنشَدَه إياها :

لاهُمَّ إنى ناشدٌ محمدَا ... حِلْفَ أبيهِ وأبينا الأَتْلَدَا

قد كنتُمُ وُلْدًا وكنا والِدَا ... ثُمَّتَ أَسلَمْنا فلم نَنْزِعْ يدَا[1]

فانصُرْ رسولَ اللَّهِ نصْرًا أعْتَدَا[2] ... وادْعُ عبادَ اللَّهِ يأتوا مَدَدَا

فيهم رسولُ اللَّهِ قد تجَرَّدا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وجهُه تربَّدَا[3]

[٣/ ١٢٦ظ] فى فَيْلَقٍ كالبحرِ يجرى مُزْبِدَا ... إنَّ قريشًا أخْلَفوك المَوْعِدَا

ونقَضُوا ميثاقَك المُؤَكَّدا ... وجَعَلوا لى فى كَداءٍ رُصَّدَا

وزعَموا أن لستُ أدْعو أحدَا ... فهم أذَلُّ وأقلُّ عدَدَا

هم بَيَّتونا بالوَتِيرِ هُجَّدا ... وقَتَّلونا رُكَّعًا وسُجَّدَا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتَ يا عمرَو بنَ سالمٍ » . فما بَرِح رسولُ اللَّهِ

---

(١) يريد أن بنى عبد مناف أمُّهم من خزاعة ، وكذلك قُصَىٌّ أمُّه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والوُلْد بمعنى الوَلَد . وأسلمنا : هو من السِّلْم ؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : رُكَّعا وسُجَّدا . فدل على أنه كان فيهم من صلى له ، فقتل . واللَّه أعلم . الروض الأنف ٧/ ٨٤.

(٢) فى الأصل : « أيْدا » ، وفى م : « أبدا » ، وفى الدلائل : « أعندا » . ونصرا أعتدا : أى حاضرا . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٥.

(٣) سيم : طُلب منه وكُلِّف . والخسف : الذل . وتربد : أى تغير إلى السواد . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٥.

ﷺ حتى مرَّت بنا عَنَانةٌ[1] فى السماءِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ هذه السحابةَ لَتَستهِلُّ بنصرِ بنى كعبٍ». وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ بالجَهازِ، وكتَمَهم مَخْرَجَه، وسأَل اللَّهَ أن يُعَمِّىَ على قريشٍ خبرَه، حتى يَبْغَتَهم فى بلادِهم.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وكان السببَ الذى هاجَهم، أنَّ رجلًا مِن بنى الحَضْرَمىِّ، اسمُه مالكُ بنُ عبَّادٍ، مِن حُلفاءِ الأسودِ بنِ رَزْنٍ خرَج تاجرًا، فلمَّا توسَّط أرضَ خُزاعةَ، عدَوْا عليه، فقتَلُوه وأخَذُوا مالَه، فعَدَتْ بنو بكرٍ على رجلٍ مِن بَنى خُزاعةَ فقتَلُوه، فعَدَت خُزاعةُ قُبَيلَ الإسلامِ على بنى الأسودِ بنِ رَزْنٍ [3]الدُّئِلىِّ - وهم مَنْخَرُ[4] بَنى كِنانةَ وأشْرافُهم؛ سَلْمَى وكُلْثومٌ وذُؤَيْبٌ - فقتَلُوهم بعَرَفةَ عندَ أنْصابِ الحَرَمِ[5]. قال ابنُ إسحاقَ[6]: وحدَّثنى رجلٌ مِن الدُّئِلِ قال: كان بَنو الأسودِ بنِ رَزْنٍ[3] يُودَوْن فى الجاهليةِ دِيَتَيْن دِيَتَين[7].

قال ابنُ إسحاقَ: فبينا بنو بكرٍ وخُزاعةُ على ذلك، إذْ حجَز بينَهم الإسلامُ، فلمَّا كان يومُ الحديبيةِ، ودخَل بنو بكرٍ فى عقدِ قريشٍ، ودخَلتْ

---

(١) العنانة: السحابة. اللسان (ع ن ن).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٩.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «مفخر». قال أبو ذر: هم منخر كنانة: يعنى المتقدِّمين منهم؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه. شرح غريب السيرة ٣/ ٧١.

(٥) أنصاب الحرم: حدوده. اللسان (ن ص ب). وقال أبو ذر: حجارة تُجعَل علامات بين الحِل والحرم. شرح غريب السيرة ٣/ ٧١.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٧) بعده فى السيرة: «ونُودَى دية دية؛ لفضلهم فينا».

خُزاعةُ فى عقدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت الهُدنةُ، اغتَنَمها بنو الدُّئِلِ مِن بَنى بكرٍ، وأرادُوا أن يُصِيبُوا مِن خُزاعةَ ثأْرًا بأولئك[1] النفرِ، فخرَج نَوْفَلُ بنُ مُعاويةَ الدُّئِلِىُّ فى قومِه، وهو يومَئذٍ سيدُهم وقائدُهم، وليس كلُّ بنى بكرٍ تابَعَه، فبَيَّتَ خُزاعةَ وهم على الوَتِيرِ - ماءٍ لهم - فأصابوا رجلًا منهم، وتَحاوَزوا[2] واقْتتَلوا، ورفَدتْ قريشٌ بنى بكرٍ بالسلاحِ، وقاتَل معهم مِن قريشٍ مَن قاتَل بالليلِ مستخفيًا، حتى حازُوا[3] خُزاعةَ إلى الحرمِ، فلمَّا انتَهَوْا إليه، قالت بنو بكرٍ: [4]يا نَوْفَلُ[4]، إنَّا قد دخَلْنا الحرمَ! إلهَك إلهَك. فقال كلمةً عظيمةً: لا إلهَ اليومَ، يا بَنى بكرٍ أصِيبوا ثأْرَكم، فلَعَمْرِى [٣/١٢٧و] إنَّكم لَتَسْرِقون فى الحرمِ، أفلا تُصِيبون ثأْرَكم فيه؟! ولجأَتْ خُزاعةُ إلى دارِ بُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ بمكةَ، وإلى دارِ مَولًى لهم يقالُ له: رافعٌ.

وقد قال الأخْزَرُ بنُ لُعْطٍ الدُّئِلِىُّ فى ذلك[5]:

أَلَا هل أتَى قُصْوَى الأحَابيشِ أنَّنا ... رَدَدْنا بنى كعبٍ بأفوقَ ناصِلِ[6]

---

(١) سقط من: ا ٤، وفى الأصل، م، ص: «من أولئك». والمثبت من السيرة.

(٢) فى النسخ: «تجاوزوا». والمثبت من السيرة. وتحاوز الفريقان فى الحرب: انحاز كل فريق منهم عن الآخر، أى تركوا مركزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر. اللسان (ح و ز).

(٣) فى الأصل: «تجاوزوا»، وفى ا ٤، م: «جاوزوا»، وفى ص: «جازوا». والمثبت من السيرة. وحازوهم: ساقوهم. اللسان (ح و ز).

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٦) قصوى: أبعد. والأحابيش: من حالف قريشا ودخل فى عهدها من القبائل. والأفوق: السهم الذى انكسر فُوقه، وهو طرفه الذى يلى الوتر. والناصل: الذى زال نصله، وتقول: رددته بأفوق ناصل: إذا رددته خائبا. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٢، ٧٣.

حبَسْناهمُ فى دَارةِ العبدِ رافِعٍ وعندَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غيرَ طائِلِ

بدارِ الذَّليلِ الآخذِ الضَّيْمَ بعدَما شفَيْنا النُّفوسَ مِنهمُ بالمَناصِلِ

حبَسْناهمُ حتى إذا طالَ يومُهم نفَحْنا لهم مِن كلِّ شِعْبٍ بوابلِ

نُذَبِّحُهمْ ذَبْحَ التُّيُوسِ كأنَّنا أُسُودٌ تَبارَى فيهمُ بالقَواصِلِ[1]

همُ ظلَمونا واعتدَوْا فى مَسيرِهم وكانوا لَدَى الأنْصابِ أوَّلَ قاتلِ

كأنَّهمُ بالجِزْعِ[2] إذ يَطرُدُونهم قَفَا ثَوْرَ[3] حَفَّانُ النَّعامِ الجَوافلِ[4]

قال : فأجَابه بُدَيْلُ بنُ عبدِ مَناةَ بنِ سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأَجَبِّ ، وكان يقالُ له : بُديلُ بنُ أمِّ أصْرَمَ ، فقال :

تَعاقَد قومٌ يَفْخَرُون ولم نَدَعْ لهم سيِّدًا يَنْدُوهمُ غيرَ نافلِ[5]

أمِنْ خِيفَةِ القومِ الأُلَى[6] تَزدَرِيهِمُ تُجِيزُ الوَتِيرَ خائِفًا[7] غيرَ آيلِ[8]

وفى كلِّ يومٍ نحن نحْبُو حِباءَنا لِعَقْلٍ ولا يُحْبَى لنا فى المَعاقلِ[9]

---

(١) القواصل : الأنياب . شرح غريب السيرة ٣/٧٣ .

(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى . المصدر السابق .

(٣) فى ص : « وماثور » ، وفى السيرة : « بفائور » . قال أبو ذر : من رواه : قفا ثور : فثور اسم جبل بمكة . ومنعه الشاعر من الصرف لأنه قصد به البقعة . وقفاه : هو وراؤه . وفائور : ظاهره أنه اسم موضع . انظر المصدر السابق .

(٤) حفان النعام : صغارها . والجوافل : الذاهبة المسرعة . المصدر السابق ٣/ ٧٣.

(٥) يندوهم : يجمعهم فى النَّدِىِّ وهو المجلس . ونافل : رجل . المصدر السابق ٣/ ٧٣، ٧٤.

(٦) الألى : بمعنى الذين .

(٧) فى الأصل ، ص : « آمنا » .

(٨) آيل : راجع .

(٩) نحبو : نعطى . والعقل : الدية . المصدر السابق .

ونحن صبَحْنا بالتَّلاعةِ[1] دارَكم بأسيافِنا يَسْبِقْنَ لَوْمَ العَواذلِ

ونحن منَعْنا بينَ بَيْضٍ وعَتْوَدٍ إلى خَيْفِ رَضْوَى مِن مَجَرِّ القَنابلِ[2]

ويومَ الغَميمِ قد تكَفَّتَ ساعيًا عُبَيْسٌ فَجَعْناه بجَلْدٍ حُلاحِلِ[3]

أأنْ أجْمَرَتْ فى بيتِها أمُّ بعضِكم بجُعْمُوسِها تَنْزُون إن لم نُقاتِلِ[4]

كذَبْتُم وبيتِ اللَّهِ ما إنْ قتَلْتُمُ ولكنْ ترَكْنا أمرَكم فى بَلابِلِ[5]

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى سَلَمةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « كأنكم بأبى سفيانَ قد جاءَكم يَشُدُّ فى العَقدِ ويَزيدُ فى المدةِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثم خـرَج بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ فى نفرٍ مِن خُزاعةَ ، حتى [٣/١٢٧ظ] قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخبَروه بما أُصِيب منهم ، ومُظاهرةِ قريشٍ بنى بكرٍ عليهم ، ثم انصرَفوا راجِعِين ، حتى لَقُوا أبا سفيانَ بعُسْفَانَ ، قد بعَثَتْه قريشٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَشُدُّ العقدَ ويَزيدُ فى المدةِ ، وقد رَهِبوا للذى صنَعوا ، فلمَّا لَقِى أبو سفيانَ بُدَيْلًا قال : مِن أين أقبلتَ يا بُدَيْلُ ؟ وظنَّ أنه قد

---

(١) فى الأصل ، ص : « بالبلاغة » . والتلاعة : اسم ماء لبنى كنانة بالحجاز . معجم البلدان ١/ ٨٩٤.

(٢) فى الأصل ، م : « القبائل » . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل . وبيض وعتود : موضعان . وخيف رضوى : ما انحدر من جبل رضوى . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٤.

(٣) تكفت : حاد عن طريقه . وعبيس : اسم رجل . وحلاحل : سيد . المصدر السابق .

(٤) الجعموس : العَذِرة ، وما يطرحه الإنسان من ذى بطنه . وتنزون : تثبون وترتفعون . اللسان (جعمس) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ٧٤.

(٥) البلابل : الاختلاط ووساوس الهموم . المصدر السابق .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧، من طريق ابن إسحاق به .

(٧) المصدر السابق ٥/ ٧، ٨. وانظر سيرة ابن هشام ٢/٣٩٥ - ٣٩٧، وتاريخ الطبرى ٣/٤٥ - ٤٧. حوادث السنة الثامنة .

أتى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: سرتُ فى خُزاعةَ فى هذا الساحلِ وفى بطنِ هذا الوادِى. قال: فعمَد أبو سفيانَ إلى مَبْرَكِ راحلتِه فأخَذ مِن بَعْرِها ففَتَّه، فرأَى فيه النَّوَى، فقال: أحْلِفُ باللَّهِ لقد جاء بُدَيْلٌ محمدًا. ثم خرَج أبو سفيانَ حتى قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ، فدخَل على ابنتِه أمِّ حَبِيبةَ، فلمَّا ذهَب ليَجْلِسَ على فراشِ رسولِ اللَّهِ ﷺ طوَتْه، فقال: يا بُنَيةُ، ما أَدْرِى أرغِبْتِ بى عن هذا الفراشِ أو رَغِبْتِ به عنِّى؟ فقالت: هو فِراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأنت مُشركٌ نَجِسٌ، فلم أُحِبَّ أن تَجْلِسَ على فِراشِه. فقال: يا بُنيةُ، واللَّهِ لقد أصابَك بعدِى شرٌّ. (١)ثم خرَج فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فكلَّمه، فلم يَرُدَّ عليه شيئًا(١)، ثم ذهَب إلى أبى بكرٍ فكلَّمه أن يُكَلِّمَ له رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: ما أنا بفاعلٍ. ثم أتَى عمرَ بنَ الخطابِ فكلَّمه، فقال عمرُ: أنا أَشْفَعُ لكم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ؟! فواللَّهِ لو لم أجِدْ لكم إلَّا الذَّرَّ(٢) لجاهَدْتُكم به. ثم خرَج فدخَل على علىِّ بنِ أبى طالبٍ، وعندَه فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وعندَها حَسَنٌ، غلامٌ يَدِبُّ بينَ يَديْهما، فقال: يا علىُّ، إنك أَمَسُّ القومِ بى رَحِمًا، وأقرَبُهم منى قَرابةً، وقد جئْتُ فى حاجةٍ، فلا أرْجِعَنَّ كما جئْتُ خائِبًا، فاشفَعْ لى إلى (٣)رسولِ اللَّهِ ﷺ(٣). فقال: وَيْحَك أبا سفيانَ! واللَّهِ لقد عزَم رسولُ اللَّهِ ﷺ على أمرٍ ما نَسْتَطيعُ أن نُكَلِّمَه فيه. فالْتفَتَ إلى فاطمةَ فقال: يا بنتَ محمدٍ، هل لكِ أن تَأْمُرِى بُنَيَّكِ هذا فيُجِيرَ بينَ الناسِ، فيكونَ سيِّدَ العربِ إلى آخرِ الدَّهرِ؟ فقالت: واللَّهِ ما بلَغ بنىَّ [٣/١٢٨و] ذلك أن يُجيرَ بينَ

(١ - ١) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) الذر: النمل الأحمر الصغير، واحدتها ذرَّة. النهاية ٢/ ١٥٧.

(٣ - ٣) كذا بالنسخ ومصادر التخريج.

الناسِ ، وما يُجيرُ أحدٌ على النبيِّ ﷺ . فقال : يا أبا الحسنِ ، إنِّى أرَى الأمورَ قد اشْتدَّت علىَّ ، فانصَحْنى ؟ قال : واللَّهِ ما أعلَمُ شيئًا يُغْنى عنك ، ولكنَّك سيِّدُ بنى كِنانةَ ، فقُمْ فأَجِرْ بينَ الناسِ ، ثم الْحَقْ بأرضِك . فقال : أوَ ترَى ذلك مُغْنِيًا عنِّى شيئًا ؟ قال : لا واللَّهِ ما أظنُّ ، ولكن لا أجِدُ لك غيرَ ذلك . فقامَ أبو سفيانَ فى المسجدِ ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ . ثم رَكِب بعيرَه فانطَلَق ، فلمَّا قدِم على قريشٍ قالوا : ما وراءَك ؟ قال : جئتُ محمدًا فكلَّمتُه ، فواللَّهِ ما ردَّ علىَّ شيئًا ، ثم جئتُ ابنَ أبى قُحافةَ ، فواللَّهِ ما وجَدْتُ فيه خيرًا ، ثم جئتُ عمرَ فوجَدْتُه أعْدَى العدُوِّ ، ثم جئتُ عليًّا فوجَدتُه أليـنَ القومِ ، وقد أشارَ علىَّ بأمرٍ صنَعْتُه ، فواللَّهِ ما أدْرِى هل يُغْنِى عنَّا شيئًا أم لا ؟ قالوا : بماذا أمَرك ؟ قال : أمَرنى أن أُجِيرَ بينَ الناسِ ففعَلْتُ . قالوا : هل أجازَ ذلك محمدٌ ؟ قال : لا . قالوا : وَيْحَك ! ما زادَك الرجلُ على أن لَعِب بك ، فما يُغْنِى عنَّا ما قلتَ . فقال : لا واللَّهِ ما وجَدْتُ غيرَ ذلك .

(١ **فائدةٌ ذكَرها السُّهيلىُّ**(٢) ، تكلَّم على قولِ فاطمةَ فى هذا الحديثِ : وما يُجِيرُ أحدٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . على ما جاء فى الحديثِ : « ويُجِيرُ على المسلمين أدْناهم »(٣) . قال : وَجْهُ الجمعِ بينَهما ، بأن المرادَ بالحديثِ مَن يُجِيرُ واحدًا أو نفرًا يسيرًا ، وقولُ فاطمةَ فيمن(٤) يُجِيرُ عدوًّا(٥) مِن غَزْوِ الإمامِ ١)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(٢) الروض الأنف ٧/ ٨٥، ٨٦ .

(٣) رواه أبو داود (٢٧٥١، ٤٥٣١) ، وابن ماجه (٢٦٨٥) ، والإمام أحمد فى المسند ٢/ ٣٦٥، ٤/ ١٩٧، ٥/ ٢٥٠، ٦/ ١٩٠، ٣١٥. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٩٠) .

(٤) فى م : « فمن » .

(٥) فى م : « عددا » .

(١) إيَّاهم ، فليس له ذلك . قال : كان سُحْنُونُ وابنُ الماجِشُونَ يقولان : إن أمانَ المرأةِ مَوقوفٌ على إجازةِ الإمامِ ؛ لقولِه ﷺ لأمِّ هانئٍ : « قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ يا أمَّ هانئٍ » . قال : ويُرْوَى هذا عن عمرِو بنِ العاصِ ، وخالدِ بنِ الوليدِ ، وقال أبو حنيفةَ : لا يجوزُ أمانُ العبدِ . وفى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ : « ويُجِيرُ عليهم أدْناهم » . ما يَقْتَضى دخولَ العبدِ والمرأةِ . واللَّهُ أعلمُ(١) .

وقد رَوَى البيهقىُّ(٢) مِن طريقِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قالت بنو كعبٍ :

لاهُمَّ إنِّى ناشدٌ محمدا ... حِلْفَ أبِينا وأبيه الأَتْلَدا

فانصُرْ هَدَاك اللَّهُ نصرًا أعْتَدا ... وادعُ عبادَ اللَّهِ يأْتُوا مَدَدَا

وقال موسى بنُ عقبةَ فى فتحِ مكَّةَ(٣) : ثم إن بَنى نُفاثَةَ مِن بَنى الدُّئِلِ أغاروا على بنى كعبٍ ، وهم فى المُدَّةِ التى بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ قريشٍ ، وكانت بنو كعبٍ فى صُلحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكانت بنو نُفاثةَ فى صُلحِ قريشٍ ، فأعَانت بنو بكرٍ بنى نُفاثةَ ، وأعانَتْهم قريشٌ بالسِّلاحِ والرَّقيقِ ، واعتزَلَتْهم بنو مُدْلِجٍ ، ووفَوا بالعهدِ الذى كانوا عاهَدوا عليه رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وفى بنى الدُّئِلِ رجلان هما سيِّداهم ؛ سَلْمُ(٤) بنُ الأسودِ ، وكُلثومُ بنُ الأسودِ ، ويذكُرون أن مِمَّن أعانَهم صفوانَ بنَ أميةَ ، وشيبةَ بنَ عثمانَ ، وسهيلَ بنَ عمرٍو ، فأغارَت بَنو الدُّئِلِ على بنى عمرٍو ، وعامَّتُهم - زعَموا - [٣/١٢٨ظ] نساءٌ وصِبيانٌ وضعفاءُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(٢) دلائل النبوة ٥/ ١٣ .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٩ - ١٢ ، عن موسى بن عقبة .

(٤) فى م : « سلمى » .

الرجالِ ، فألجَئُوهم وقتَلوهم حتى أدخَلوهم إلى دارِ بُدَيلِ بنِ وَرْقاءَ بمكَّةَ ، فخرَج رَكْبٌ مِن بنى كعبٍ حتى أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فذكَروا له الذى أصابَهم ، وما كان مِن[1] قريشٍ عليهم فى ذلك ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارجِعوا فتفرَّقوا فى البُلدانِ » . وخرَج أبو سفيانَ مِن مكَّةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتخوَّف الذى كان ، فقال : يا محمدُ ، اشدُدِ العَقدَ ، وزِدْنا فى المدةِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ولذلك قدِمْتَ ؟ هل كان مِن حَدَثٍ قِبَلَكم ؟ » فقال : معاذَ اللَّهِ ، نحن على عهدِنا وصُلحِنا يومَ الحديبيةِ ، لا نُغَيِّرُ ولا نُبَدِّلُ . فخرَج مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأتَى أبا بكرٍ فقال : جدِّدِ العقدَ ، وزِدْنا فى المدةِ . فقال أبو بكرٍ : جِوارِى فى جِوارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهِ لو وجَدْتُ الذَّرَّ تُقاتِلُكم لأعَنْتُها عليكم . ثم خرَج فأتَى عمرَ بنَ الخطابِ فكلَّمه ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ما كان مِن حِلْفِنا جَديدًا فأخلَقه اللَّهُ ، وما كان منه مَتينًا[2] فقطعَه اللَّهُ ، وما كان منه مَقْطوعًا فلا وصَله اللَّهُ . فقال له أبو سفيانَ : جُزِيتَ مِن ذِى رَحِمٍ شرًّا . ثم دخَل على عثمانَ فكلَّمه ، فقال عثمانُ : جِوارِى فى جِوارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثم اتَّبع أشْرافَ قريشٍ[3] يُكَلِّمُهم ، فكلُّهم يقولُ : عقدُنا فى عقدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فلمَّا يَئِس ممَّا عندَهم ، دخَل على فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فكلَّمها ، فقالت : إنما أنا امرأةٌ ، وإنَّما ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال لها : فأْمُرى أحدَ ابْنَيْكِ . فقالت : إنَّهما صَبِيَّان ، وليس مثلُهما يُجِيرُ . قال : فكلِّمى عليًّا .

---

(١) بعده فى م : « أمر » .

(٢) فى النسخ والدلائل : « مثبتا » . والمثبت من إحدى نسخ الدلائل كما فى هامش الدلائل ٥/ ١٠ . وانظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٣١٤ .

(٣) بعده فى الدلائل : « والأنصار » .

فقالت : أنت فكلِّمْه . فكلَّم عليًّا ، فقال له : يا أبا سفيانَ ، إنَّه ليس أحدٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَفْتاتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بجِوارٍ ، وأنت سيِّدُ قريشٍ وأكبرُها وأمنعُها ، فأَجِرْ بينَ عَشيرتِك . قال : صدقتَ ، وأنا كذلك . فخرَج فصاحَ : ألا إنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ ، ولا واللَّهِ ما أظنُّ أن يُخْفِرَنى أحدٌ . ثم دخَل على النبىِّ ﷺ فقال : يا محمدُ ، إنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ ، ولا واللَّهِ ما أظنُّ أن يُخْفِرَنى أحدٌ ولا يَرُدَّ جِوارِى . فقال : « أنت تقولُ ذلك يا أبا حَنْظلةَ ؟! » فخَرَج أبو سفيانَ على ذلك ، فزعَموا - واللَّهُ أعلمُ - أن رسولَ اللَّهِ [٣/١٢٩و] ﷺ قال حينَ أدبَر أبو سفيانَ : « اللهمَّ خُذْ على أسماعِهم وأبْصارِهم ، فلا يَرَوْنا إلَّا بَغْتةً ، ولا يَسْمَعُوا بِنا إلَّا فَجْأةً » . وقدِم أبو سفيانَ مكةَ ، فقالتْ له قريشٌ : ما وراءَك ؟ هل جئتَ بكتابٍ مِن محمدٍ أو عهدٍ ؟ قال : لا واللَّهِ ، لقد أبَى علَىَّ ، وقد تتبَّعْتُ أصحابَه ، فما رأيتُ قومًا لمِلِكٍ عليهم أطوعَ مِنهم له ، غيرَ أنَّ علىَّ بنَ أبى طالبٍ قد قال لى : (١) لِمَ تَلْتَمِسُ جِوارَ الناسِ على محمدٍ (١) ، ولا تُجِيرُ أنت عليه وعلى قومِك ، وأنت سيِّدُ قريشٍ وأكبرُها وأحقُّها أن لا يُخْفَرَ جِوارُه ؟ فقُمْتُ بالجِوارِ ، ثم دخَلتُ على محمدٍ ، فذكَرتُ له أنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ ، وقلتُ : ما أظُنُّ أن تُخْفِرَنى . فقال : « أنت تقولُ ذلك يا أبا حنظلةَ ؟! » فقالوا مُجيبِين له : رَضِيتَ بغيرِ رِضًا ، وجِئْتَنا بما لا يُغنِى عنَّا ولا عنك شيئًا ، وإنما لَعِب بك عَلىٌّ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ما جِوارُك بجائزٍ ، وإنَّ إخْفارَك عليهم لهَيِّنٌ . ثم دخَل على امرأتِه فحدَّثها الحديثَ فقالت : قبَّحَك اللَّهُ مِن وافدِ قومٍ ، فما جِئتَ بخيرٍ . قال : ورأَى رسولُ اللَّهِ

(١ - ١) فى النسخ : « التمس جوار الناس عليك » . والمثبت من الدلائل .

ﷺ سَحابًا فقال: «إنَّ هذه السَّحابَ لَتَبِضُّ بنصرِ بنى كعبٍ». فمكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ ما شَاء اللَّهُ أن يمكُثَ بعدَما خَرَج أبو سفيانَ، ثم أخَذ فى الجَهازِ، وأمَر عائشةَ أن تُجَهِّزَه وتُخْفِيَ ذلك، ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المسجدِ أو إلى بعضِ حاجاتِه، فدخَل أبو بكرٍ على عائشةَ، فوجَد عندَها حِنْطةً تُنْسَفُ[1] وتُنَقَّى، فقال لها: يا بُنَيَّةُ، لماذا تَصْنَعِين هذا الطعامَ؟ فسكَتَت، فقال: أيُريدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَغْزوَ؟ فصمَتَت، فقال: يريدُ بنى الأصفرِ؟- وهم الرُّومُ - فصمَتت، قال: فلعلَّه يريدُ أهلَ نجدٍ؟ فصمَتت، قال: فلعلَّه يريدُ قريشًا؟ فصمَتت. قال: فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال له: يا رسولَ اللَّهِ، أتريدُ أن تَخرُجَ مخرجًا؟ قال: «نعم». قال: فلعلَّك تريدُ بنى الأصفرِ؟ قال: «لا». قال: أتريدُ أهلَ نجدٍ؟ قال: «لا». قال: فلعلَّك تريدُ قريشًا؟ قال: «نعم». قال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللَّهِ، أليس بينَك وبينَهم مدَّةٌ؟ قال: «ألم يَبْلُغْك ما صنَعوا ببَنى كعبٍ؟» قال: وأذَّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الناسِ بالغزوِ، وكتَب حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ إلى قريشٍ، وأطْلَع اللَّهُ رسولَه ﷺ على الكتابِ. وذكَر القصةَ كما سيأتى.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ أن أبا بكرٍ دخَل [٣/١٢٩ظ] على عائشةَ وهى تُغَرْبِلُ حِنْطةً، فقال: ما هذا؟ أمَركم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالجَهازِ؟ قالت: نعم فتَجَهَّزْ. قال: وإلى أين؟ قالتْ: ما سَمَّى لنا شيئًا، غيرَ أنَّه قد أمَرَنا بالجَهازِ.

---

(١) نسَف الشىء: غربله.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٢، من طريق ابن إسحاق به.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعلَم الناسَ أنَّه سائرٌ إلى مكَّةَ ، وأمَر بالجِدِّ والتَّهَيُّؤ ، وقال : « اللهم خُذِ العُيونَ والأَخْبارَ عن قريشٍ ، حتى نَبْغَتَها فى بلادِها » . فتَجهَّز الناسُ، فقال حسانُ يُحَرِّضُ الناسَ ، ويذكُرُ مُصابَ خُزاعةَ[2] :

عَنانِى ولم أشهَدْ بِبَطْحاءِ مكَّةٍ ... رجالُ بنى كعبٍ تُحَزُّ رِقابُها

بأيدِى رجالٍ لم يَسُلُّوا سُيوفَهم ... وقَتْلى كَثيرٌ لم تُجَنَّ ثِيابُها[3]

ألَا ليتَ شِعْرِى هل تَنالَنَّ نُصْرَتى ... سُهَيلَ بنَ عمرٍو حَرُّها[4] وعِقابُها

وصَفْوانُ عَوْدٌ حُزَّ مِن شُفْرِ اسْتِهِ ... فهذا أوَانُ الحربِ شُدَّ عِصابُها[5]

فلا تَأْمَنَنَّا يا بنَ أمِّ مُجالِدٍ ... إذا احتُلِبَتْ صِرْفًا وأعْصَلَ نابُها[6]

ولا تَجْزَعُوا منها فإنَّ سيوفَنا ... لها وَقْعَةٌ بالموتِ يُفْتَحُ بابُها

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) ديوان حسان ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) أى لم تُستَر، يريد أنهم قُتلوا ولم يدفنوا. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

(٤) كذا بالنسخ. وفى السيرة والديوان : « وخزها » .

(٥) العود : المُسن من الإبل. والشفر : الناحية. وعصابها : ما تُعصَب به ، أى تشد. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

(٦) أم مجالد : أم عكرمة ابن أبى جهل. والصرف : اللبن الخالص. وأعصل : أعوج. ديوان حسان ص ٣٣١، وشرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

قصةُ حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعَةَ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ، [2]عن عروةَ[2] بنِ الزُّبيرِ وغيرِه مِن علمائِنا قالوا : لمَّا أجمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ المَسيرَ إلى مكَّةَ ، كتَب حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ كِتابًا إلى قريشٍ ، يُخْبِرُهم بالَّذى أجمَع عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الأمرِ فى السَّيرِ إليهم ، ثُم أعطَاه امرأةً - زعَم محمدُ بنُ جعفرٍ أنَّها مِن مُزَيْنَةَ ، وزعَم لى غيرُه أنَّها سارَةُ ، مَوْلاةٌ لبَعضِ بَنى عبدِ المُطَّلبِ - وجعَل لها جُعْلًا على أن تُبَلِّغَه قريشًا ، فجعَلَتْه فى رأْسِها ، ثُم فتَلتْ عليه قُرونَها ثم خرَجتْ به ، وأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ الخبرُ مِن السماءِ بما صنَع حاطبٌ ، فبعَث علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، والزُّبيرَ بنَ العوَّامِ فقال : « أدْرِكا امرأةً قد كتَب معها حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ بكِتابٍ إلى قريشٍ ، يُحَذِّرُهم ما قد أجمَعْنا له مِن أمرِهم » . فخرَجا حتى أدْرَكاها [3]بالخَلِيقَةِ خَلِيقَةِ[3] بَنى أبى أحمدَ ، فاسْتَنْزَلاها ، فالتَمَساه فى رَحْلِها فلم يَجِدَا فيه شيئًا ، فقال لها علىٌّ : إنِّى أحلِفُ باللَّه ما كُذِب رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا كُذِبْنا ، ولَتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتابَ أو لَنَكْشِفَنَّكِ . فلمَّا رأتِ الجِدَّ مِنه قالت : أعرِضْ . فأعرَض ، فحلَّتْ قرونَ [٣/ ١٣٠و] رأْسِها ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) فى ٤١ : « بحديقة » ، وفى الأصل ، م ، ص : « بالحليفة حليفة » . والمثبت من السيرة وشرح غريب السيرة ٣/ ٧٦. قال ياقوت : خَلِيقة ... بالقاف : منزل على اثنى عشر ميلا من المدينة . معجم البلدان ٢/ ٤٦٧.

فاستَخرَجت الكتابَ منها فدَفَعتْه إليه، فأتَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ، فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ حاطبًا فقال: «يا حاطبُ، ما حمَلك على هذا؟» فقال: يا رسولَ اللَّهِ، أمَا واللَّهِ إنِّى لَمؤمنٌ باللَّهِ وبرسولِه، ما غيَّرْتُ ولا بدَّلْتُ، ولكنَّنى كنتُ امْرَأً ليس لى فى القومِ مِن أصلٍ ولا عشيرةٍ، وكان لى بينَ أظْهُرِهم ولدٌ وأهلٌ فصانَعْتُهم عليهم. فقال عمرُ بنُ الخطابِ: يا رسولَ اللَّهِ، دَعْنِى فلأَضْرِبْ عُنُقَه؛ فإنَّ الرَّجلَ قد نافَق. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وما يُدْرِيك يا عمرُ، لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع إلى أصحابِ بدرٍ يومَ بدرٍ فقال: اعمَلوا ما شِئْتُم فقد غفَرْتُ لكم». وأنزَل اللَّهُ تعالى فى حاطبٍ[1]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى آخرِ القصةِ [الممتحنة: ١- ٩]. هكذا أورَد ابنُ إسحاقَ [2]هذه القصةَ مُرْسلةً، وقد ذكَر السهيلىُّ[3] أنه كان فى كتابِ حاطبٍ: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد توجَّه إليكم بجيشٍ كالليلِ يَسيرُ كالسَّيلِ، وأُقْسِمُ باللَّهِ لو سارَ إليكم وحدَه لنصَره اللَّهُ عليكم، فإنَّه مُنْجِزٌ له ما وعَده. قال: وفى «تفسيرِ ابنِ سلَّامٍ»[4] أنَّ حاطبًا كتَب: إن محمدًا قد نفَر؛ فإمَّا إليكم وإمَّا إلى غَيْرِكم، فعليكم الحَذَرَ[2].

---

(١) التفسير ٨/١٠٨ - ١١٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) الروض الأنف ٧/ ٨٦.

(٤) ابن سلّام هو يحيى بن سلّام بن أبى ثعلبة، قال أبو عمرو الدانى عن تفسيره: ليس لأحد من المتقدمين مثله. توفى فى صفر سنة مائتين. طبقات المفسرين ٢/ ٣٧١.

وقد قال البخاريُّ[1] : ثنا قتيبةُ ، ثنا سفيانُ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، أخبرَنى الحسنُ بنُ محمدٍ ، أنَّه سمِع عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ أبى رافعٍ ، سمِعْتُ عليًّا يقولُ : بَعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أنا والزُّبيرَ والمِقْدادَ فقال : « انطلِقُوا حتى تأتُوا رَوْضَةَ خاخٍ[2] ، فإنَّ بها ظَعِينةً معها كِتابٌ فخُذُوه منها » . فانطَلَقْنا تَعادَى[3] بنا خَيْلُنا حتى أتيْنا الرَّوْضةَ ، فإذا نحن بالظَّعِينةِ ، فقلنا : أخْرِجى الكتابَ . فقالت : ما معى كتابٌ[4] . فقلنا : لَتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لَنُلْقِيَنَّ الثِّيابَ . قال : فأخرَجَتْه مِن عِقاصِها[5] ، فأتَيْنا به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فإذا فيه : مِن حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعةَ . إلى ناسٍ بمكَّةَ مِن المُشْرِكين ، يُخْبِرُهم ببعضِ أمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا حاطبُ ، ما هذا ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لا تَعْجَلْ علىَّ ، إنِّى كنتُ امرأً مُلْصَقًا فى قريشٍ - يقولُ : كنتُ حَلِيفًا ولم أكُنْ مِن أنفُسِها - وكان مَن معك مِن المُهاجرين مَن لهم قراباتٌ يَحْمُون بها أهْلِيهم وأمْوالَهم ، فأحبَبْتُ إذْ فاتَنِى ذلك مِن النسبِ فيهم أن أتَّخِذَ عندَهم يدًا يَحْمُون قَرابَتى ، ولم أفعَلْه ارْتدادًا عن دينِى ، ولا رضًا بالكُفرِ بعدَ الإسلامِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا إنَّه قد صدَقكم » . فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، دَعْنى أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنافقِ . فقال : « إنَّه قد شهِد بدرًا ، وما يُدْرِيك لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع على مَن شهِد بدرًا فقال : اعمَلُوا ما شِئتُم فقد غفَرتُ لكم » . فأنزَل اللَّهُ السورةَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

---

(١) البخارى (٤٢٧٤) .

(٢) خاخ : موضع بين الحرمين ويقال له : روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة . معجم البلدان ٢/ ٣٨٤.

(٣) تعادى : تتبارى فى العَدْو .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) عقاصها : أى ضفائرها ، جمع عَقِيصة أو عِقْصة . النهاية ٣/٢٧٦ .

[٣/ ١٣٠ظ] أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

وأخرَجه بقيةُ الجماعةِ ، إلَّا ابنَ ماجه مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ[١] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[٢] : ثنا حُجَينٌ ويونُسُ قالا : حدَّثنا ليثُ بنُ سعدٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ حاطبَ بنَ أبى بَلْتعةَ كتَب إلى أهلِ مكَّةَ يَذكُرُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أرادَ غزوَهم ، فدُلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على المرأةِ التى معها الكِتابُ ، فأرْسَل إليها ، فأخَذ كتابَها مِن رأْسِها ، وقال : « يا حاطبُ ، أفعَلْتَ ؟ » قال : نعم . قال : أمَا إنِّى لم أفعَلْه غِشًّا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولا نِفاقًا ، قد علِمْتُ أنَّ اللَّهَ مُظْهِرٌ رسولَه ، ومُتِمٌّ له أمْرَه ، غيرَ أنِّى كنتُ عَرِيرًا[٣] بينَ ظهْرَيهم ، وكانتْ والدَتى معهم ، فأرَدتُ أنْ أتَّخِذَ هذا[٤] عندَهم . فقال له عمرُ : ألَا أضرِبُ رأسَ هذا ؟ فقال : « أتقتُلُ رجلًا مِن أهلِ بدرٍ ، وما يُدْرِيك لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع إلى[٥] أهلِ بدرٍ فقال : اعمَلوا ما شِئْتُم » . تفرَّد بهذا الحديثِ مِن هذا الوجْهِ الإمامُ أحمدُ ، وإسْنادُه على شَرْطِ مسلمٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) مسلم (٢٤٩٤) ، وأبو داود (٢٦٥٠) ، والترمذى (٣٣٠٥) ، والنسائى فى الكبرى (١١٥٨٥) .

(٢) المسند ٣/ ٣٥٠. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٠٣: رواه أبو يعلى وأحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) سقط من : ٤١، وفى الأصل ، م : « غريبا » ، وفى ص : « حرسا » ، وفى المسند : « عزيزا » . والمثبت من الفتح الربانى ٢١/ ١٤٨. قال فى بلوغ الأمانى : فى الأصل « عزيزا » بزايين بدل الرائين ، وهو خطأ من الطابع أو الناسخ ؛ لأنه يناقض حديث بعث على والزبير . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٤٨. قال ابن الأثير : عريرا : أى دخيلا غريبا ولم أكن من صميمهم . النهاية ٣/ ٢٠٤.

(٤) فى م : « يدًا » .

(٥) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « على » .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى محمدُ بنُ مسلمِ بنِ شِهابٍ الزهْرىُّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : ثُم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ لسفرِه ، واستَخْلَف على المدينةِ أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بنَ حُصَيْنِ بنِ عُتْبةَ بنِ خَلَفٍ الغِفارىَّ ، وخرَج لعشرٍ مَضَين مِن شهرِ رمضانَ ، فصامَ وصامَ الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكَدِيدِ ، بينَ عُسْفَانَ وأمَجَ أفْطَر ، ثُم مضَى حتى نزَل مَرَّ الظَّهْرَانِ فى عشَرةِ آلافٍ مِن المسلمين - [2]وقال عُروةُ بنُ الزُّبيرِ[3] : كان معه اثْنا عشَرَ ألفًا . وكذا قال الزهْرىُّ وموسى بنُ عُقْبةَ[4][2] - فسَبَّعَتْ سُلَيْمٌ ، وبعضُهم يقولُ : ألَّفَتْ سُلَيمٌ[5] - وألَّفَتْ مُزَيْنَةُ ، وفى كلِّ القَبائلِ عَددٌ وإسلامٌ، وأوْعَب[6] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ المهاجرون والأنْصارُ فلم يَتخلَّفْ عنه منهم أحدٌ . وروَى البخارىُّ ، عن محمودٍ ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهرىِّ نحوَه[7] .

وقد روَى البيهقىُّ[8] مِن حديثِ عاصمِ بنِ علىٍّ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهرىِّ ، أخبَرَنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٦، عن عروة .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٩، عن الزهرى وموسى بن عقبة .

(٥) سبعت سليم ؛ أى كانت سبع مائة ، وألفت : أى كانت ألفًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

(٦) أوعب المهاجرون والأنصار : خرجوا بأجمعهم فى الغزو . انظر النهاية ٥/ ٢٠٦.

(٧) البخارى (٤٢٧٦) .

(٨) دلائل النبوة ٥/ ٢١.

رسولَ اللَّهِ ﷺ غزَا غزوةَ الفتحِ فى رمضانَ. قال[1]: وسمِعتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ يقولُ مثلَ ذلك، لا أَدْرِى أخرَج فى ليالٍ مِن شعبانَ فاسْتَقبَل رمضانَ، أو خرَج فى رمضانَ بعدَ ما دخَل؟ غيرَ أنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ أخبَرنى أنَّ ابنَ عباسٍ قال: صامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى بلَغ الكَدِيدَ - الماءَ الذى بينَ قُدَيْدٍ وعُسْفانَ - أفطَر، فلم يَزَلْ [٣/ ١٣١و] يُفْطِرُ حتى انصَرَم الشهرُ. ورواه البخارىُّ[2]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ، عن الليثِ، غيرَ أنَّه لم يذكُرِ التَّرديدَ بينَ شعبانَ ورمضانَ.

وقال البخارىُّ[3]: ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، ثنا جَريرٌ، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ، عن طاوُسٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: سافَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رمضانَ، فصامَ حتى بلَغ عُسْفَانَ، ثم دعَا بإناءٍ فشَرِب نهارًا ليَرَاه الناسُ، فأفطَر حتى قدِم مكةَ. قال: وكان ابنُ عباسٍ يقولُ: صامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى السَّفرِ وأفطَر، فمَن شاء صامَ، ومَن شاء أفطَر.

وقال يونُسُ[4]، عن ابنِ إسحاقَ، عن الزهرىِّ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ قال: مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ لسَفْرةِ الفتحِ، واستَعمَل على المدينةِ أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بنَ الحُصَينِ الغِفارىَّ، وخرَج لعَشْرٍ مضَيْن مِن رمضانَ، فصامَ وصامَ الناسُ معه، حتى أتَى الكَدِيدَ - ماءً بينَ عُسْفَانَ وأمَجَ - فأفطَر، ودخَل مكةَ مُفْطرًا، فكان الناسُ يَرَوْن أنَّ آخِرَ الأمْرَيْن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ الفِطْرُ، وأنَّه

---

(١) القائل هو الزهرى.

(٢) البخارى (٤٢٧٥).

(٣) البخارى (٤٢٧٩).

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٩، ٢٠، من طريق يونس به.

نَسَخ ما كان قبلَه .

قال البيهقيُّ[1] : فقولُه : خرَج لعَشْرٍ مِن رمضانَ . مُدْرَجٌ فى الحديثِ ، وكذلك ذكَره عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، عن ابنِ إسحاقَ . ثُم روَى[2] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن [3]حامدِ بنِ يَحيى[3] ، عن صَدَقةَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، أنَّه قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لعَشْرٍ مَضَيْن مِن رمضانَ سنةَ ثَمانٍ .

ثُم روَى البيهقيُّ[4] مِن حديثِ أبى إسحاقَ الفَزارىِّ ، عن محمدِ بنِ أبى حَفْصةَ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان الفتحُ لثلاثَ عشْرةَ خَلَتْ مِن شهرِ رمضانَ . قال البيهقيُّ : وهذا الإدْراجُ وَهْمٌ ، إنما هو مِن كلامِ الزهرىِّ .

ثُم روَى[5] مِن طريقِ ابنِ وهبٍ ، عن يونُسَ ، عن الزهرىِّ قال : غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ غزوةَ الفتحِ - فتحِ مكةَ - فخرَج مِن المدينةِ فى رمضانَ ومعه مِن المسلمين عشَرةُ آلافٍ ، وذلك على رأسِ ثَمانِى سِنينَ ونصفِ سنةٍ مِن مَقْدَمِه المدينةَ ، وافْتَتَح مكةَ لِثلاثَ عشْرةَ بقِينَ مِن رمضانَ .

وروَى البيهقيُّ[6] مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ ، [7]عن مَعْمرٍ[7] ، عن الزهرىِّ ، عن

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٠.

(٢) أى البيهقى ، المصدر السابق ٥/ ٢٠، ٢١، وهو فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « جابر يحيى » ، وفى ا ٤، م : « جابر عن يحيى » ، وفى ص : « جابر بن يحيى » ، والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٢٥.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٣.

(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٣، ٢٤.

(٦) المصدر السابق ٥/ ٢١، ٢٢.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل.

عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج فى رمضانَ ومعه عشَرةُ آلافٍ مِن المسلمين، فصام حتى بلَغ الكَدِيدَ ثُم أفطَر. فقال الزهرىُّ: وإنَّما يُؤخذُ (١ بالأحْدَثِ فالأحْدَثِ ١). قال الزهرىُّ: فصبَّح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ لِثلاثَ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ. [٣/١٣١ظ] ثُم عزَاه إلى «الصَّحيحيْن»(٢) مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ. واللَّهُ أعلمُ.

وروَى البيهقىُّ(٣) مِن طريقِ سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ التَّنُوخِىِّ، عن عطيةَ بنِ قيسٍ، (٤عن قَزَعةَ بنِ يحيى٤)، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال: آذَنَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالرَّحيلِ عامَ الفتحِ للَيلتيْن خَلَتا مِن رمضانَ، فخَرَجْنا صُوَّامًا حتى بلَغْنا الكَدِيدَ، فأمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالفِطرِ، فأصبَح الناسُ شَرْجَين(٥)؛ مِنهم الصَّائمُ ومِنهم المُفْطِرُ، حتى إذا بلَغْنا المنزلَ الذى نَلْقَى العدوَّ فيه(٦)، أمَرَنا بالفطرِ فأفطَرْنا (٧أجْمَعون.

وقد روَاه الإمامُ أحمدُ(٨)، عن أبى المُغيرةِ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، حدَّثنى عطيةُ بنُ قيسٍ، عمَّن حـدَّثه، عن أبى سعيدٍ الخدرِىِّ قال: آذَنَنا٧)

(١ - ١) فى الدلائل: «الآخِر فالآخر».

(٢) البخارى (٤٢٧٦)، ومسلم (١١١٣/٨٨).

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٢٤.

(٤ - ٤) سقط من: النسخ. والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٩٧.

(٥) سقط من: ا ١، وفى م: «مرحى»، وفى ص: «مرضى». وشرجين: نصفين؛ نصف صيام ونصف مفاطير. النهاية ٢/ ٤٥٦.

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) المسند ٣/ ٨٧. والحديث أصله فى صحيح مسلم (١١٢٠).

(١ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالرَّحيلِ عامَ الفتحِ لِلَيلتيْن خَلَتا مِن رمضانَ ، فخرَجْنا صُوَّامًا حتى بلَغْنا الكَدِيدَ ، فأمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالفطرِ ، فأصبَح الناسُ مِنهم الصَّائمُ ومِنهم المُفطِرُ ، حتى إذا بلَغ أدْنَى مَنْزِلٍ تِلْقاءَ[٢] العدوِّ ، أَمَرَنا[٣] بالفِطْرِ ، فأفطَرْنا أجْمَعُون ١) .

قلتُ : فعلى ما ذكَره الزهريُّ مِن أنَّ الفتحَ كان يومَ الثالثَ عشَرَ مِن رمضانَ ، وما ذكَره أبو سعيدٍ مِن أنَّهم خرَجوا مِن المدينةِ فى ثانِى شهرِ رمضانَ ، يَقْتَضِى أنَّ مسيرَهم كان بينَ مكةَ والمدينةِ فى إحْدَى عشْرةَ ليلةً .

ولكن روَى البيهقىُّ[٤] ، عن أبى الحُسَيْنِ بنِ الفَضْلِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، عن يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن الحسنِ بنِ الربيعِ ، عن ابنِ إدْريسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهرىِّ ، ومحمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ ، وعاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ ، وعمرِو بنِ شعيبٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ وغيرِهم قالوا : كان فتحُ مكةَ فى عَشْرٍ بقِيَتْ مِن شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[٥] : ثنا وُهَيْبٌ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ[٦] عبدِ اللَّهِ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ صائمًا حتى أتَى كُراعَ الغَميمِ ، والناسُ معه مُشَاةٌ ورُكْبانًا ، وذلك فى شهرِ رمضانَ ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ الناسَ قد اشتَدَّ عليهم الصومُ ، وإنَّما يَنْظُرُون إليك

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ٤، م ، ص : « يلقى » . والمثبت من المسند .

(٣) فى المسند : « وأمرنا » .

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٤.

(٥) مسند أبى داود (١٦٦٧) .

(٦) فى الأصل ، م : « عن » .

(١ كيف فعَلْتَ . فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بقَدَحٍ فيه ماءٌ فرفَعه ، فشرِب والناسُ يَنْظُرُون ١) ، فصامَ بعضُ الناسِ وأفطَر البعضُ ، حتى أُخْبِر النبيُّ ﷺ أنَّ بعضَهم صائمٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أولئك العُصَاةُ » . وقد روَاه مسلمٌ مِن حديثِ الثَّقَفيِّ والدَّراوَرْدىِّ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ[٢] .

وروَى الإمامُ أحمدُ[٣] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى بَشِيرُ بنُ يَسارٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ فى رمضانَ ، فصامَ وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكَدِيدِ دعَا بماءٍ فى قَعْبٍ وهو على رَاحِلتِه ، فشرِب والناسُ يَنْظُرُون ؛ يُعْلِمُهم أنَّه قد أفطَر ، فأفطَر المسلمون . تفرَّد به أحمدُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) مسلم (١١١٤) .

(٣) المسند ١/ ٢٦١ . (إسناده صحيح) .

فصلٌ

فى إسلامِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ [٣/ ١٣٢و] عمِّ النبىِّ ﷺ، وأبى سفيانَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ابنِ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى أميةَ بنِ المغيرةِ المخْزُومىِّ أخى أمِّ سَلَمةَ أمِّ المؤمنين، وهِجْرتِهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فوجَدوه فى أثْناءِ الطريقِ وهو ذاهبٌ إلى فتحِ مكةَ

قال ابنُ إسحاقَ[(١)]: وقد كان العبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ لَقِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ببعضِ الطريقِ. قال ابنُ هشامٍ: لَقِيه بالجُحْفَةِ مُهاجِرًا بعيالِه، وقد كان قبلَ ذلك مُقِيمًا بمكةَ على سِقايتِه، ورسولُ اللَّهِ ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكَره ابنُ شهابٍ الزهرىُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[(٢)]: وقد كان أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى أميةَ قد لقِيا رسولَ اللَّهِ ﷺ أيضًا [(٣)]بنِيقِ العُقَابِ[(٣)] فيما بينَ مكَّةَ والمدينةِ، والتَمَسا الدُّخولَ عليه، فكلَّمَتْه أمُّ سَلَمَةَ فيهما، فقالتْ:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣ - ٣) فى الأصل: «بفيق العقاب»، وفى ص: «بنيق العقيق»، وفى ا ٤: «ببثق العقاب»، وانظر معجم ما استعجم ٤/ ١٣٤١، ومعجم البلدان ٤/ ٨٦٠.

يا رسولَ اللَّهِ[1] ، ابنُ عمِّك ، وابنُ عَمَّتِك وصِهْرُك . قال : « لا حاجةَ لى بهما ؛ أمَّا ابنُ عمِّى فهَتَك عِرْضِى[2] ، وأمَّا ابنُ عمَّتى فهو الذى قال لى بمكةَ ما قال[3] » . قال : فلمَّا خَرَج إليهما الخبرُ بذلك ومع أبى سفيانَ بُنَيٌّ له ، فقال : واللَّهِ ليَأْذَنَنَّ لى أو لآخُذَنَّ بيَدِ بُنَيَّ هذا ، ثم لَنَذْهَبَنَّ فى الأرضِ حتى[4] نموتَ عطشًا وجوعًا . فلمَّا بلَغ ذلك النبىَّ ﷺ رقَّ لهما ، ثُم أَذِن لهما فدَخَلا عليه فأسلَما ، وأنشَد أبو سفيانَ قولَه فى إسلامِه ، واعتَذَر إليه ممَّا كان مضَى منه :

لَعَمرُك إنِّى يومَ أحمِلُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللَّاتِ خيلَ محمدِ

لَكَالمُدْلِجِ[5] الحَيْرانِ أَظْلَم ليلُهُ ... فهذا أوَانِى حينَ أُهْدَى وأَهْتَدِى

هَدَانِىَ هادٍ غيرُ نفسى ونالنى ... مع اللَّهِ مَن طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

أصُدُّ وأنْأَى جاهِدًا عن محمدٍ ... وأُدْعَى وإنْ لم أنْتَسِبْ مِن محمدِ

هُمُ ما هُمُ مَن لم يَقُلْ بِهَواهُمُ ... وإن كان ذَا رأْيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ[6]

أُرِيدُ لأُرْضِيهِمْ ولَستُ بِلَائِطٍ[7] ... مع القومِ ما لم أُهْدَ فى كلِّ مَقْعَدِ

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « إن » .

(٢) قوله صلى اللَّه عليه وسلم : « أما ابن عمى فهتك عرضى » لأنه كان ممن يؤذى رسول اللَّه ﷺ ويهجوه . انظر الاستيعاب ٧/ ١٧٩، ١٨٠، وأسد الغابة ٦/ ١٤٤، ١٤٥.

(٣) قال السهيلى : يعنى حين قال له : واللَّه لا آمنت بك حتى تتخذ سُلَّما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتى بصَكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون أن اللَّه قد أرسلك . الروض الأنف ٧/ ٨٩.

(٤) فى الأصل ، م : « ثم » .

(٥) المدلج : الذى يسير ليلا. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

(٦) يفند : يُكَذِّب . المصدر السابق ٣/ ٧٧.

(٧) لائط : ملصَق . المصدر السابق .

فقُلْ لثَقِيفٍ لا أُرِيدُ قِتالَها وقُلْ لِثَقِيفٍ تلك غَيْرِىَ أَوْعِدِى[1]

فما كنتُ فى الجيشِ الذى نالَ عامرًا وما كان عن جَرًّا[2] لِسانى ولا يَدِى

[٣/ ١٣٢ظ] قَبائلُ جاءَت مِن بلادٍ بَعيدةٍ نَزائِعُ جَاءت مِن سِهامٍ وسَرْدُدِ[3]

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فزعَموا أنَّه حينَ أنشَد رسولَ اللَّهِ ﷺ :

..... ونالَنِى مع اللَّهِ مَن طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ بيَدِه فى صدْرِه وقال : « أنت طرَّدْتَنى كلَّ مُطَرَّدٍ ! » .

فصلٌ

ولمَّا انتَهى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مَرِّ الظَّهْرَانِ ، نزَل فيه فأقامَ ؛ كما روَى البخاريُّ عن يَحيى بنِ بُكيرٍ ، عن اللَّيْثِ ، ومسلمٌ عن أبى الطَّاهرِ ، عن ابنِ وَهْبٍ كِلاهما[5] ، عن يونُسَ ، عن الزهريِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن جابرٍ قال : كُنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْتَنِى الكَبَاثَ[6] ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « عليكم بالأسْودِ منه فإنَّه أطيَبُ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أكنتَ تَرْعَى الغنمَ ؟ قال: « نعم ، وهل مِن نبيٍّ إلا وقد رعَاها ؟ » .

---

(١) أوعدِى : هدِّدى . المصدر السابق .

(٢) عن جرا : عن جراء . سهلت الهمزة لضرورة الوزن .

(٣) نزائع : غرباء . وسهام وسردد : واديان باليمن . المصدر السابق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠١.

(٥) البخارى (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠) .

(٦) الكباث : ثمر الأراك . الفتح ٦/ ٤٣٩.

وقال البيهقىُّ[1] : عن الحاكمِ ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، عن يونُسَ بنِ بكيرٍ ، عن سِنانِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبى الوليدِ سعيدِ بنِ مِينا قال : لمَّا فرَغ أهلُ مُؤْتَةَ[2] ورجَعوا ، أمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمَسيرِ إلى مكةَ ، فلمَّا انتَهى إلى مَرِّ الظَّهْرانِ نزَل بالعَقَبةِ ، فأرْسَل الجُناةَ يَجْتَنُون الكَبَاثَ ، فقُلْتُ لسعيدٍ : وما هو ؟ قال : ثَمَرُ الأَراكِ . قال : فانطَلَق ابنُ مسعودٍ فيمَن يَجْتَنِى . قال : فجعَل أحدُهم إذا أصابَ حبةً طَيِّبةً قذَفها فى فِيه ، وكانوا يَنْظُرون إلى دِقَّةِ سَاقَيِ ابنِ مسعودٍ وهو يَرْقَى فى الشَّجرةِ فيَضْحَكُون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَعْجَبُون مِن دِقَّةِ سَاقَيْه ؟ فوالذى نفسِى بيَدِه لَهما أثقَلُ فى الميزانِ مِن أُحُدٍ » . وكان ابنُ مسعودٍ ما اجْتَنَى مِن شىءٍ ، جاء به وخِيَارُه فيه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال فى ذلك :

هـذا جَـنـاىَ وخِـيَـارُه فيهْ إذْ كـلُّ جـانٍ يـدُهُ إلـى فِيهْ[3]

وفى « الصَّحيحيْن »[4] عن أنسٍ قال : أنفَجْنا[5] أرنبًا ونحن بمَرِّ الظَّهْرانِ ، فسَعَى القومُ فلَغِبُوا[6] ، فأدْرَكْتُها فأخَذْتُها ، فأتيْتُ بها أبا طَلْحةَ فذبَحها ، وبعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بوَرِكِها أو[7] فَخِذَيْها فقَبِلَه .

وقال ابنُ إسحاقَ[8] : ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، وقد عُمِّيَتِ

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٩.

(٢) فى النسخ : « مكة » . والمثبت من الدلائل .

(٣) هذا من أمثال عمرو بن عدىّ ، ابن أخت جَذيمة الأبرش . مجمع الأمثال ٢/ ١٣٨.

(٤) البخارى (٢٥٧٢، ٥٤٨٩، ٥٥٣٥) ، ومسلم (١٩٥٣) .

(٥) أنفج : أثار ، وأنفجْتُ الأرنبَ : أثرته ، فثار من جحره . اللسان (ن ف ج) .

(٦) لغبوا : تعبوا . فتح البارى ٥/ ٢٠٢.

(٧) فى النسخ وصحيح مسلم : « و » . والمثبت كما فى صحيح البخارى وإحدى روايات مسلم . وهو شك من الراوى . انظر فتح البارى ٥/٢٠٢ ، ٩/٦٦٢ .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠.

الأخْبارُ عن قريشٍ، فلا يأتِيهم خبرٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا يَدْرُون ما رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/١٣٣و] فاعلٌ، وخرَج فى تلك اللَّيالى أبو سفيانَ بنُ حربٍ، وحَكيمُ بنُ حزامٍ، وبُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ، يَتَحَسَّسُون[1] الأخْبارَ، ويَنْظُرُون هل يَجِدُون خبرًا أو يَسْمَعون به.

وذكَر ابنُ لَهِيعَةَ[2]، عن أبى الأسْودِ، عن عُرْوةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بينَ يَدَيْه[3] خَيْلًا يَقْتَصُّون العُيونَ، وخُزَاعةُ لا تَدَعُ أحدًا يَمْضِى وراءَها، فلمَّا جاء أبو سفيانَ وأصْحابُه أخَذَتْهم خيلُ المسلمين، وقامَ إليه عمرُ يَجَأُ فى عُنُقِه، حتى أجارَه العبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وكان صاحبًا لأبى سفيانَ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وقال العبَّاسُ حينَ نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ: قلتُ: واصَباحَ قريشٍ، واللَّهِ لَئن دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ عَنْوةً قبلَ أن يأتوه فيسْتَأْمِنوه، إنه لَهلاكُ قريشٍ إلى آخرِ الدهرِ. قال: فجلَسْتُ على بغلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ البيضاءِ، فخرَجْتُ عليها حتى جئْتُ الأراكَ، فقلتُ: لَعَلِّى أجِدُ بعضَ الحَطَّابةِ، أو صاحبَ لبنٍ، أو ذا حاجةٍ يأتى مكةَ فيُخْبِرَهم بمكانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ ليخْرُجوا إليه فيسْتَأْمِنوه قبلَ أن يَدْخُلَ عليهم عَنْوةً. قال: فواللَّهِ إنى لَأسيرُ عليها وألْتَمسُ ما خرَجْتُ له، إذ سمِعْتُ كلامَ أبى سفيانَ وبُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ وهما يتَراجعان، وأبو سفيانَ يقولُ: ما رأيْتُ كالليلةِ نيرانًا قطُّ ولا

---

(١) فى ٤١، م، ص: «يتجسسون». قيل: معناهما واحد فى تَطَلُّب معرفة الأخبار. انظر النهاية ١/ ٢٧٢، واللسان (ج س س، ح س س).

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٣٦ - ٣٩، من طريق ابن لهيعة به.

(٣) بعده فى الأصل ٤١، م: «عيونا».

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٢.

عَسْكرًا ! قال : يقولُ بُدَيْلٌ : هذه واللَّهِ خُزاعةُ حمشَتْها الحربُ[1] . قال : يقولُ أبو سفيانَ : خُزاعةُ أذَلُّ وأقلُّ مِن أن تكونَ هذه نيرانَها وعَسْكرَها . قال : فعَرَفتُ صوتَه فقلتُ : يا أبا حنْظَلَةَ . فعرَف صوتى ، فقال : أبو الفَضْلِ ؟ قال : قلتُ : نعم . قال : ما لك ، فِدًى لك أبى وأمى ؟ قال : قلتُ : ويحَك يا أبا سفيانَ ! هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الناسِ ، واصباحَ قريشٍ واللَّهِ . قال : فما الحيلةُ ، فِداك أبى وأمى ؟ قال : قلتُ : واللَّهِ لئن ظفِر بك لَيَضْرِبَنَّ عنقَك ، فارْكَبْ فى عَجُزِ هذه البغلةِ حتى آتِىَ بك رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْتَأْمِنَه لك . قال : فركِب خلفى ورجَع صاحباه - [2]وقال عروةُ : بل ذهَبا إلى النبىِّ ﷺ فأسْلَما ، وجعَل يسْتَخْبِرُهما عن أهلِ مكةَ . وقال الزهرىُّ وموسى بنُ عقبةَ[3] : بل دخَلوا مع العباسِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ - قال ابنُ إسحاقَ[2] : قال : فجئتُ به كلما مرَرْتُ بنارٍ مِن نيرانِ المسلمين قالوا : مَن هذا ؟ فإذا رأَوا بغلةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ على بغلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . حتى مرَرْتُ بنارِ عمرَ بنِ الخطابِ فقال : مَن هذا ؟ وقام إلىَّ ، فلما رأى أبا سفيانَ [٣/ ١٣٣ظ] على عَجُزِ الدابةِ قال : أبو سفيانَ عدوُّ اللَّهِ ! الحمدُ للَّهِ الذى أمْكَن منك بغيرِ عَقدٍ ولا عهدٍ . [2]وزعَم عروةُ بنُ الزبيرِ أن عمرَ وجَأ فى رقبةِ أبى سفيانَ ، وأراد قتْلَه فمنَعه منه العباسُ .

وهكذا ذكَر موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهرىِّ أن عيونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[2]

---

(١) حمشتها الحرب : أحرقتها وهَيَّجتها . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٤١.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٩ - ٤٩ ، عن الزهرى وموسى بن عقبة .

(١) أخَذوهم بأَزِمَّةِ جمالِهم، فقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: وفدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فلقِيَهم العباسُ، فدخَل بهم على رسولِ اللَّهِ، فحادثَهم عامَّةَ الليلِ، ثم دَعاهم إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، فشهِدوا، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ، فشهِد حَكيمٌ وبُدَيْلٌ، وقال أبو سفيانَ: ما أعْلَمُ ذلك. ثم أسْلَم بعدَ الصبحِ، ثم سألوه أن يُؤَمِّنَ قريشًا، فقال: «مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ - وكانت بأعلى مكةَ - ومَن دخَل دارَ حكيمِ بنِ حِزامٍ فهو آمِنٌ - وكانت بأسفلِ مكةَ - ومَن أغْلَق بابَه فهو آمِنٌ».

قال العباسُ(٢)(١): ثم خرَج عمرُ يشْتَدُّ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وركَضَت البغلةُ، فسبَقَتْه بما تَسْبِقُ الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيءَ. قال: فاقْتَحَمْتُ عن البغلةِ، فدخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ودخَل عليه عمرُ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذا أبو سفيانَ قد أمْكَن اللَّهُ منه بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ، فدَعْنى فلأَضْرِبْ عنقَه. قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنى قد أجَرْتُه. ثم جلَسْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخَذْتُ برأسِه، فقلتُ: واللَّهِ لا يُناجيه الليلةَ دونى رجلٌ. فلما أكثر عمرُ فى شأنِه. قال: قلتُ: مهْلًا يا عمرُ، فواللَّهِ أن لو كان مِن رجالِ بنى عَدِىِّ بنِ كعبٍ ما قلتَ هذا، ولكنك قد عرَفْتَ أنه مِن رجالِ بنى عبدِ مَنافٍ. فقال: مهْلًا يا عباسُ، فواللَّهِ لَإسْلامُك يومَ أسلَمْتَ كان أحبَّ إلىَّ مِن إسلامِ الخطابِ لو أسْلَم، وما بى إلا أنى قد عرَفْتُ أن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن إسلامِ الخطابِ لو أسْلَم. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْهَبْ به يا عباسُ إلى

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٢، ٤٠٣.

رَحْلِك ، فإذا أصْبَحْتَ فأْتِنى به » . قال : فذَهَبْتُ به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غدَوْتُ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « ويحَك يا أبا سفيانَ ! ألم يَأْنِ لك أن تعْلَمَ أنه لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » فقال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلَمَك وأكْرَمَك وأوْصَلَك ، واللَّهِ لقد ظنَنْتُ أن لو كان مع اللَّهِ غيرُه لقد أغْنَى عنى شيئًا بعدُ . قال : « ويحَك يا أبا سفيانَ ! ألم يَأْنِ لك أن تعْلَمَ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلَمَك وأكْرَمَك وأوْصَلَك ، أمَّا هذه واللَّهِ فإن فى النفسِ منها حتى الآنَ شيئًا . فقال له العباسُ : ويحَك ! أسْلِمْ واشْهَدْ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، قبلَ أن تُضْرَبَ عنقُك . قال : فشهِد شهادةَ الحقِّ فأسْلَم . قال العباسُ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أبا سفيانَ رجلٌ يُحِبُّ هذا الفخْرَ ، فاجْعَلْ له شيئًا . قال : « نعم ، مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ - [1] زاد عروةُ : « ومَن دخَل دارَ حَكيمِ بنِ حِزامٍ فهو آمِنٌ » . وهكذا قال موسى بنُ عقبةَ عن الزهرىِّ [1] - ومَن أغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل المسجدَ فهو آمِنٌ » . فلما ذهَب لِينْصَرِفَ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عباسُ ، احْبِسْه بمَضيقِ الوادى عندَ خَطْمِ الجبلِ [2] ؛ حتى تمُرَّ به جنودُ اللَّهِ فيَراها » .

[1] وذكر موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهرىِّ أن أبا سفيانَ وبُدَيْلًا وحَكيمَ بنَ حِزامٍ كانوا وقوفًا مع العباسِ عندَ خَطْمِ الجبلِ ، وذكَر أن سعدًا لما قال لأبى سفيانَ : اليومُ يومُ المَلْحمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . فشكَى أبو سفيانَ إلى [1]

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(٢) ويروى « حطم الجبل » و « حطم الخيل » . وخطم الجبل : أنف الجبل ... وإنما حبسه هناك لكونه مَضِيقًا ، ليرى الجميع ولا يفوته رؤية أحد منهم . انظر فتح البارى ٨/ ٨، والنهاية ١/ ٤٠٣، وما يأتى ص ٥٤٢ .

(١) رسولِ اللَّهِ ﷺ، فعزَله عن رايةِ الأنصارِ، وأعْطاها الزبيرَ بنَ العَوَّامِ، فدخَل بها مِن أعْلى مكةَ وغرَزها بالحَجونِ[٢]، ودخَل خالدٌ مِن أسفلِ مكةَ، فلقِيَه بنو بكرٍ وهُذَيْلٌ، فقتَل مِن بنى بكرٍ عشرين ومِن هُذَيْلٍ ثلاثةً أو أربعةً، وانهَزموا فقُتِلوا بالحَزْوَرةِ[٣] حتى بلَغ قتلُهم بابَ المسجدِ[١].

قال العباسُ[٤]: فخرَجْتُ بأبى سفيانَ حتى حبَسْتُه بمَضيقِ الوادى حيث أمَرَنى [٣/١٣٤و] رسولُ اللَّهِ ﷺ أن أَحْبِسَه. قال: ومَرَّت القبائلُ على راياتِها، كلما مَرَّت قبيلةٌ قال: يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ فأقولُ: سُلَيْمٌ. فيقولُ: مالى ولسليمٍ. ثُم تمُرُّ به القبيلةُ فيقولُ: يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ فأقولُ: مُزَيْنةُ. فيقولُ: مالى ولمزينةَ. حتى نَفِدَت القبائلُ، ما تمُرُّ به قبيلةٌ إلا سألَنى عنها، فإذا أَخبَرْتُه قال: مالى ولبنى فلانٍ. حتى مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى كَتيبتِه الخضْراءِ[٥] وفيها المهاجرون والأنصارُ، لا يُرَى منهم إلا الحَدَقُ[٦] مِن الحديدِ، فقال: سبحانَ اللَّهِ! يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ قال: قلتُ: هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المهاجرين والأنصارِ. قال: ما لأحدٍ بهؤلاءِ مِن قِبَلٍ ولا طاقةٍ، واللَّهِ يا أبا الفَضْلِ لقد أصْبَح مُلْكُ ابنِ أخيك الغَداةَ عظيمًا. قال: قلتُ: يا أبا سفيانَ،

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان ٢/ ٢١٥.

(٣) الحزورة: سوق مكة وقد دخلت فى المسجد لمّا زِيد فيه. المصدر السابق ٢/ ٢٩٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٥) قال ابن هشام فى السيرة ٢/ ٤٠٤: وإنما قيل لها: الخضراء. لكثرة الحديد وظهوره فيها.

(٦) الحدق جمع حدقة، وهى السواد المستدير وسط العين. الوسيط (ح د ق).

إنها النبوةُ. قال: فنعم إذن. قال: قلتُ: النَّجاءَ[1] إلى قومِك. حتى إذا جاءهم صرَخ بأعْلى صوتِه: يا معشرَ قريشٍ، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به، فمن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ. فقامت إليه هندُ بنتُ عتبةَ، فأخَذت بشارِبِه فقالت: اقْتُلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ[2]، قُبِّح مِن طَليعةِ قومٍ. فقال أبو سفيانَ: ويلَكم لا تَغُرَّنَّكم هذه مِن أنفسِكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ. قالوا: قاتَلَك اللَّهُ، وما تُغْنى عنا دارُك؟ قال: ومَن أغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ، ومَن دخَل المسجدَ فهو آمِنٌ. فتفرَّق الناسُ إلى دُورِهم وإلى المسجدِ.

[3]وذكَر عروةُ بنُ الزبيرِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما مَرَّ بأبى سفيانَ قال له: إنى لَأَرَى وجوهًا كثيرةً لا أعْرِفُها، لقد كثُرَت هذه الوجوهُ علىَّ. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أنت فعَلْتَ هذا وقومُك، إنّ هؤلاءِ صدَّقونى إذ كذَّبْتُمونى، ونصَرونى إذ أخْرَجْتُمونى». ثم شكَى إليه قولَ سعدِ بنِ عُبادةَ حينَ مرَّ عليه فقال: يا أبا سفيانَ، اليومُ يومُ المَلْحَمةِ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كذَب سعدٌ، بل هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكْسَى فيه الكعبةُ».

وذكَر عروةُ أن أبا سفيانَ لما أصبَح صَبِيحةَ تلك الليلةِ التى كان عندَ[3]

---

(١) النجاء: السرعة. يقال: مرّ ينجو نجاء. إذا أسرع. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧.

(٢) الحميت: زِقُّ السَّمْن. والدسم: الكثير الوَدَك. والأحمس: الذى لا خير عنده. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧، والروض الأنف ٧/ ٩٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ٤١.

(١) العباسِ، ورَأى الناسَ يُحَشْحِشُون[٢] للصلاةِ، وينْتَشِرون فى استعمالِ الطَّهارةِ خاف وقال للعباسِ: ما بالُهم؟ قال: إنهم سمِعوا النداءَ، فهم ينْتَشِرون للصلاةِ. فلما حضَرَت الصلاةُ ورآهم يرْكَعون بركوعِه، ويسْجُدون بسجودِه قال: يا عباسُ، ما يأمُرُهم بشىءٍ إلا فعَلوه! قال: نعم، واللَّهِ لو أمَرهم بتركِ الطعامِ والشرابِ لَأطاعوه.

وذَكَر موسى بنُ عقبةَ[٣]، عن الزهرىِّ، أنه لما توَضَّأ رسولُ اللَّهِ ﷺ جعَلوا يتَكَفَّفون[٤]، فقال: يا عباسُ، ما رأيْتُ كالليلةِ ولا مُلْكَ كسرى وقيْصَرَ[١].

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ[٥]، عن الحاكمِ وغيرِه، عن الأصَمِّ، عن أحمدَ ابنِ عبدِ الجبارِ، عن يونُسَ بنِ بكيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، فذكَر هذه القصةَ بتمامِها كما أوْرَدها زِيادٌ البَكَّائىُّ، عن ابنِ إسحاقَ مُنْقَطِعةً[٦]. فاللَّهُ أعلمُ. على أنه قد روَى البيهقىُّ[٧] مِن طريقِ أبى بلالٍ الأشْعرىِّ، عن زِيادٍ البَكَّائىِّ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن الزهرىِّ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١.

(٢) فى م: «يجنحون»، وفى ص: «يحسحون» هكذا رسمت، وفى الدلائل «تحشحش الناس». والمثبت - حملا على رسم الكلمة فى نسخة ص - يوافق سياق رواية عروة عند البيهقى. وحشحشوا وتحشحشوا: تحركوا للنهوض. والحشحشة: الحركة. ويقال: الحشحشة: دخول القوم بعضهم فى بعض. انظر تاج العروس (ح ش ش).

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٠، عن الزهرى.

(٤) فى الدلائل: «يتلقون وضوء رسول الله ﷺ». وتكفف: إذا أخذ بباطن كفه. النهاية ٤/ ١٩٠.

(٥) دلائل النبوة ٥/٣٢ - ٣٥.

(٦) وهى ما روى ابن هشام عن ابن إسحاق كما تقدم ص ٥٣٤ وما بعدها.

(٧) دلائل النبوة ٥/ ٣١، ٣٢.

قال : جاء العباسُ بأبى سفيانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال . فذكَر القصةَ ، إلا أنه ذكَر أنه أسْلَم من ليلتِه قبلَ أن يُصْبِحَ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنه لما قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ » . قال أبو سفيانَ : وما تَسَعُ دارى ؟ فقال : « ومَن دخَل الكعبةَ فهو آمِنٌ » . قال : وما تسَعُ الكعبةُ ؟ فقال : « ومَن دخَل المسجدَ [٣/ ١٣٤ظ] فهو آمِنٌ » . قال : وما يَسَعُ المسجدُ ؟ فقال : « ومَن أغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ » . فقال أبو سفيانَ : هذه واسعةٌ .

وقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا عبَيْدُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو أسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : لما سار رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ فبلَغ ذلك قريشًا ، خرَج أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ ، وبُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ ، يلْتَمِسون الخبرَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأقْبَلوا يَسيرون حتى أتَوْا مَرَّ الظَّهْرانِ ، فإذا هم بنيرانٍ كأنها نيرانُ عرَفةَ ، فقال أبو سفيانَ : ما هذه ؟ كأنها نيرانُ عرفةَ ! فقال بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ : نيرانُ بنى عمرٍو . فقال أبو سفيانَ : عمرٌو أقلُّ مِن ذلك . فرآهم ناسٌ مِن حَرَسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأدْرَكوهم فأخَذوهم ، فأتَوْا بهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأسْلَم أبو سفيانَ ، فلما سار ، قال للعباسِ : « احْبِسْ أبا سفيانَ عندَ [(٢)] خَطْمِ الجبلِ [(٢)] حتى يَنْظُرَ إلى المسلمين » . فحبَسه العباسُ ، فجعَلت القبائلُ تَمُرُّ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تَمُرُّ كتيبةً كتيبةً على أبى سفيانَ ، فمرَّت كتيبةٌ فقال : يا عباسُ ، مَن هذه ؟ قال : هذه غِفارٌ . قال : ما لى ولغفارٍ . ثم مرَّت جُهَيْنةُ فقال

---

(١) البخارى (٤٢٨٠) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حطم الخيل » ، وهو إحدى نسخ البخارى ، وعند حطم الخيل : معناه ، أنه يحبسه عند الموضع المتضايق الذى تتحطم فيه الخيل ، أى يدوس بعضها بعضا ، ويزحم بعضها بعضا ، فيراها جميعا ، وتكثر فى عينه بمرورها فى ذلك الموضع الضيق . النهاية ١/ ٤٠٤ .

مثلَ ذلك ، ثم مرَّت سعدُ بنُ هُذَيْمٍ فقال مثلَ ذلك ، ومرَّت سُلَيْمٌ فقال مثلَ ذلك ، حتى أقبَلَت كتيبةٌ لم يَرَ مثلَها فقال : مَن هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصارُ ، عليهم سعدُ بنُ عُبادةَ معه الرايةُ . فقال سعدُ بنُ عُبادةَ : يا أبا سفيانَ ، اليومُ يومُ المَلْحَمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الكعبةُ . فقال أبو سفيانَ : يا عباسُ ، حبذا يومُ الذِّمارِ[1] . ثم جاءت كتيبةٌ ، وهى أقلُّ الكَتائبِ ، فيهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، ورايةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مع الزبيرِ بنِ العوامِ ، فلما مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأبى سفيانَ قال : ألم تعْلَمْ ما قال سعدُ بنُ عُبادةَ ؟ فقال : « ما قال ؟ » قال : كذا وكذا . فقال : « كذَب سعدٌ ، ولكن هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فيه[2] الكعبةَ ، ويومٌ تُكْسَى فيه الكعبةُ » . وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تُرْكَزَ رايتُه بالحَجُونِ . قال عروةُ : وأخْبَرنى نافعُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، قال : سمِعْتُ العباسَ يقولُ للزبيرِ بنِ العَوَّامِ[3] : هـٰهنا أمرك رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تَرْكِزَ الرايةَ ؟ [4]قال : نعم[4] . قال : وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ أن يَدْخُلَ مِن أعْلى مكةَ [٣/ ١٣٥و] مِن كَدَاءٍ ، ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن كُدًى[5] فقُتِل مِن خيلِ خالدِ بنِ الوليدِ يومئذٍ رجلان ؛ حُبَيْشُ[6] بنُ الأشْعَرِ ، وكُرْزُ بنُ جابرٍ الفِهْرِىُّ .

---

(١) حبذا يوم الذمار : يريد الحربَ ؛ لأن الإنسان يقاتل على ما يلزمه حفظه . النهاية ٢/ ١٦٧.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) بعده فى الصحيح : « يا أبا عبد اللَّه » .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، وليست فى صحيح البخارى .

(٥) قال ابن حزم : كداء الممدودة بأعلى مكة ... وكدى بضم الكاف وتنوين الدال بأسفل مكة . معجم البلدان ٤/ ٢٤١.

(٦) فى م : « حنيش » . وهو حبيش بن خالد ، والأشعر لقبه أو لقب أبيه . انظر الاستيعاب ١/ ٤٠٦، وأسد الغابة ١/ ٤٥١، والإصابة ٢/ ٢٧.

وقال أبو داودَ[1] : ثنا عثمانُ بنُ أبي شَيْبةَ ، ثنا يحيَى بنُ آدمَ ، ثنا ابنُ[2] إدْريسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهريِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ جاءه العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ بأبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ ، فأسْلَم بمَرِّ الظَّهْرانِ ، فقال له العباسُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أبا سفيانَ رجلٌ يُحِبُّ هذا الفخرَ ، فلو جعَلْتَ له شيئًا ؟ قال : « نعم ، مَن دخَل دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ ، ومَن أغْلَق بابَه فهو آمِنٌ » .

---

(١) أبو داود (٣٠٢١) حسن (صحيح سنن أبي داود ٢٦١٠) .

(٢) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٩٣.

صفةُ دخولِه ﷺ مكةَ

ثبَت فى « الصحيحين »[1] مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعلى رأسِه المِغْفَرُ ، فلما نزَعه ، جاءه رجلٌ فقال : إن ابنَ خَطَلٍ مُتَعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ . فقال : « اقْتُلوه » . قال مالكٌ : ولم يكنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما نَرَى ، واللَّهُ أعلمُ ، مُحْرِمًا .

وقال أحمدُ[2] : ثنا عفانُ ، ثنا حمادٌ ، أنا أبو الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل يومَ فتحِ مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ . ورَواه أهلُ السننِ الأربعةِ ، مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ[3] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

ورَواه مسلمٌ[4] ، عن قُتَيْبةَ ويحيى بنِ يحيى ، عن معاويةَ بنِ عَمَّارٍ الدُّهْنىِّ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ ، مِن غيرِ إحْرامٍ .

ورَوَى مسلمٌ[5] مِن حديثِ أبى أسامةَ ، عن مُساوِرٍ الوَرَّاقِ ، عن جعفرِ بنِ عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، عن أبيه قال : كأنِّى أنظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ

---

(١) البخارى (٤٢٨٦) ، ومسلم (١٣٥٧) .

(٢) المسند ٣/ ٣٦٣.

(٣) أبو داود (٤٠٧٦) ، والترمذى (١٧٣٥) ، والنسائى فى الكبرى (٩٧٥٧) ، وابن ماجه (٢٨٢٢، ٣٥٨٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٣٦) .

(٤) مسلم (١٣٥٨) .

(٥) مسلم (١٣٥٩/٤٥٣) .

وعليه عِمامةٌ حَرَقانِيَّةٌ[1] سَوداءُ قد أرْخَى طرَفَيْها بينَ كَتِفَيْه.

وروَى مسلمٌ فى «صحيحِه» والتِّرمذىُّ والنَّسائىُّ[2] مِن حديثِ عَمَّارٍ الدُّهْنىِّ، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ.

وروَى أهلُ السننِ الأربعةِ[3] مِن حديثِ يَحْيَى بنِ آدمَ، عن شَرِيكٍ القاضى [٣/ ١٣٥ظ]، عن عَمَّارٍ الدُّهْنىِّ، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ قال: كان لواءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ دخَل مكةَ أبيضَ.

وقال ابنُ إسحاقَ[4]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ، عن عائشةَ قالت: كان لواءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ أبيضَ، ورايتُه سَوداءَ تُسَمَّى العُقَابَ، وكانت قطعةً مِن مِرْطٍ مُرَحَّلٍ[5].

---

(١) كذا فى النسخ. وليست فى صحيح مسلم. فلعله تابع ما ذكره الحافظ المزى فى التحفة ٨/ ١٤٣، ١٤٤ حيث ذكر هذا اللفظ من رواية عبد اللَّه بن محمد بن عبد الرحمن الزهرى عن سفيان عن مساور، به، وقال عقب ذلك - أى المزى -: زاد أبو أسامة: قد أرخى طرفها بين كتفيه. فاعتبره المصنف - رحمه اللَّه - عند مسلم. وليس فيه. والرواية التى ذكرها الحافظ المزى هى عند النسائى فى المجتبى (٥٣٥٨)، وفى الكبرى (٩٧٥٩). ووقع عند النسائى فى الموضعين السابقين: «عبد الرحمن بن محمد». والصواب «عبد اللَّه بن محمد». انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٦٩.

والحرقانية؛ قال الزمخشرى: هى التى على لون ما أحرقته النار، كأنها منسوبة بزيادة الألف والنون إلى الحَرَق، يقال: الحَرْق بالنار والحَرَق معًا. وقال ابن الأثير: جاء تفسيرها فى الحديث أنها السوداء، ولا يدرى ما أصله. انظر الفائق للزمخشرى ١/ ٢٧١، والنهاية لابن الأثير ١/ ٣٧٢.

(٢) مسلم (١٣٥٨/٠٠٠)، والترمذى (١٦٧٩)، والنسائى (٥٣٦٠).

(٣) أبو داود (٢٥٩٢)، والترمذى (١٦٧٩)، والنسائى (٢٨٦٦)، وابن ماجه (٢٨١٧). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٢٥٩).

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٦٨، من طريق ابن إسحاق به.

(٥) فى م: «مرجل». والمرحل: الذى قد نقش فيه تصاوير الرِّحال. النهاية ٢/ ٢١٠.

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أبو الوليدِ ، ثنا شعبةُ ، عن مُعاوِيةَ[2] بنِ قُرَّةَ قال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مُغَفَّلٍ يقولُ : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ على ناقتِه وهو يقرأُ سورةَ « الفتحِ » يُرَجِّعُ[3] . وقال[4] : لولا أن يَجْتَمِعَ الناسُ حولِى لرجَّعْتُ كما رجَّع .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا انتَهى إلى ذى طُوًى ، وقَف على راحلتِه مُعْتَجِرًا بشُقَّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ[6] حمراءَ ، وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ لَيَضَعُ رأسَه تواضعًا للَّهِ ، حينَ رأَى ما أكرَمه اللَّهُ به مِن الفتحِ ، حتى إن عُثْنونَه[7] لَيكادُ يَمَسُّ واسِطةَ الرَّحْلِ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[8] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا دَعْلَجُ بنُ أحمدَ ، ثنا أحمدُ بنُ علىٍّ الأبَّارُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمىُّ[9] ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ وذَقَنُه

---

(١) البخارى (٤٢٨١) .

(٢) فى م ، ص : « عبد اللَّه » . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠ .

(٣) الترجيع : ترديد القارئ الحرف فى الحلق . فتح البارى ٨/ ١٤.

(٤) القائل هو معاوية بن قرة راوى الحديث . وقوله : كما رجَّع . يعنى كما رجع ابنُ مغفلٍ حاكيًا النبىَّ ﷺ . انظر المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٥.

(٦) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧.

(٧) العثنون : اللحية ، أو طرَفها . اللسان (ع ث ن) .

(٨) دلائل النبوة ٥/ ٦٨، ٦٩. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٧، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبى .

(٩) فى النسخ : « المقدسى » . والمثبت من الدلائل والمستدرك . وانظر الأنساب ٥/ ٣٦٤، والمغنى فى الضعفاء ١/ ٤٧٥.

على رَحْلِه[1] مُتَخَشِّعًا .

وقال[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ بالوَيْه ، ثنا أحمدُ بنُ صاعدٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى الحارثِ ، ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن أبى مسعودٍ[3] أن رجلًا كلَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ ، فأخَذتْه الرِّعْدةُ ، فقال : « هوِّنْ عليك ، فإنَّما أنا ابنُ امرأةٍ مِن قريشٍ كانت[4] تأكُلُ القَدِيدَ[5] » . قال : وهكذا رواه محمدُ بنُ سليمانَ بنِ فارسٍ ، وأحمدُ بنُ يَحيى بنِ زُهيرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى الحارثِ ، موصولًا . ثم روَاه[6] عن أبى زَكريا المُزَكِّى ، عن أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ يعقوبَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ ، عن جعفرِ بنِ عونٍ ، عن إسماعيلَ ، عن[7] قيسٍ ، مرسلًا . قال[8] : وهو المحفوظُ .

وهذا التواضعُ فى هذا الموطنِ عندَ دخولِه ﷺ مكةَ ، فى مثلِ هذا الجيشِ الكثيفِ العَرَمْرَمِ ، بخلافِ ما اعتَمَده سفهاءُ بنى إسرائيلَ ، حينَ أُمِروا أن يَدخُلُوا بابَ بيتِ [٣/ ١٣٦و] المقدسِ وهم سجودٌ ، أىْ رُكَّعٌ ، يقولون : حِطَّةٌ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٤١ ، م : « راحلته » .

(٢) دلائل النبوة ٥/ ٦٩. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٧، ٤٨، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٣) فى النسخ : « ابن مسعود » . والمثبت من الدلائل والمستدرك .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل والمستدرك .

(٥) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس . النهاية ٤/ ٢٢.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٦٩.

(٧) فى الأصل ، م : « بن » .

(٨) سقط من : الأصل ، م ، ص .

فدخَلُوا يزحَفُون على أَسْتَاهِهم وهم يقولون : حِنْطةٌ فى شَعِيرةٍ[1] .

وقال البخارىُّ[2] : ثنا الهَيثمُ[3] بنُ خارجةَ ، ثنا حفصُ بنُ مَيْسرةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، أن عائشةَ أخبرَتْه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل عامَ الفتحِ مِن كَداءٍ التى بأعْلى مكةَ . وتابَعَه أبو أسامةَ ووُهَيْبٌ[4] : فى كَداءٍ .

حدَّثنا[5] عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو أسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ مِن أعلى مكةَ مِن كَداءٍ . وهو أصحُّ .

إن أرادَ أن المرسلَ أصحُّ مِن المُسْنَدِ المتقدمِ انتظَم الكلامُ ، وإلَّا فكَدَاءٌ بالمدِّ هى المذكورةُ فى الروايتيْن ، وهى فى أعلى مكَّة ، وكُدًى مقصورًا فى أسفلِ مكةَ ، وهذا هو المشهورُ والأنسبُ ، وقد تقدَّم أنَّه ، عليه السلامُ ، بعَث خالدَ بنَ الوليدِ مِن أعلى مكةَ ، ودخَل هو ، عليه السلامُ ، مِن أسفلِها مِن كُدًى . وهو فى « صحيحِ البخارىِّ » . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد قال البيهقىُّ[6] : أنبأنا أبو الحسنِ[7] بنُ عَبْدانَ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ ، [8]ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ [9]الصَّقْرِ ، عن[9] إبراهيمَ بنِ المنذرِ الحِزامىِّ ، ثنا[8]

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « شعرة » .

(٢) البخارى (٤٢٩٠) .

(٣) فى النسخ : « القاسم » . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٧٤.

(٤) فى م ، ص : « وهب » . وهو وهيب بن خالد بن عَجْلان . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.

(٥) البخارى (٤٢٩١) .

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٦٦.

(٧) فى م : « الحسين » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٧.

(٨ - ٨) سقط من : ا ٤١، ص .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الدلائل . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٧٣.

(١ مَعْنٌ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ حَفْصٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال ١) : لمَّا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ رأَى[٢] النساءَ يُلَطِّمْنَ وجُوهَ الخيلِ[٣] ، فتبسَّم إلى أبى بكرٍ وقال : « يا أبا بكرٍ، كيف قال حسانُ ؟ » فأنشَده أبو بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه :

عَدِمْتُ بُنَيَّتى إن لم تَرَوْها ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِن كَتِفَىْ[٤] كَداءِ[٥]

يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ مُسْرَجاتٍ ... يُلَطِّمُهن بالخُمُرِ النساءُ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادخُلوها مِن حيث قال حسانُ » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[٦] : حدَّثنى يَحيى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، عن أبيه، عن جدَّتِه أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ، قالت : لمَّا وقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ بذِى طُوًى، قال أبو قُحافةَ لابنةٍ له مِن أصغرِ ولدِه : أىْ بُنَيَّةُ، اظْهَرى بى على أبى قُبَيْسٍ . قالت : وقد كُفَّ بصرُه . قالتْ[٧] : فأشرَفَتْ به عليه، فقال : أىْ بنيةُ، ماذا تَرَينَ ؟ قالتْ : أرَى سَوادًا مُجْتَمِعًا . قال : تلك الخيلُ . قالت : وأرَى رجلًا يَسْعَى بينَ [٣/١٣٦ظ] يَدَى ذلك السَّوادِ مُقْبلًا ومُدْبِرًا . قال : أىْ بنيةُ، ذلك الوازِعُ . يعنِى الذى يأمُرُ الخيلَ ويَتَقَدَّمُ إليها . ثم قالت : قد واللَّهِ انتَشَر السَّوادُ .

(١ - ١) سقط من : ٤١، ص .

(٢) فى الأصل، م : « وأتى » .

(٣) يلطمن وجوه الخيل : ينفضن ما عليها من الغبار . انظر النهاية ٤/ ٢٥١.

(٤) فى الأصل، م : « كنفى » .

(٥) فى هذا البيت إقواء . والقصيدة قافيتها الهمزة المضمومة . انظر ديوان حسان ص ٧١ - ٧٧.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٥، ٤٠٦.

(٧) أى أسماء بنت أبى بكر .

فقال : قد واللَّهِ إذنْ دَفَعتِ الخيلُ[1] ، فأسرِعى بى إلى بيتِى . فانحطَّتْ به ، وتلَقَّاه الخيلُ قبلَ أن يَصِلَ إلى بيتِه . قالت : وفى عُنُقِ الجاريةِ طَوْقٌ مِن وَرِقٍ[2] ، فتَلَقّاها رجلٌ فيَقْتَطِعُه مِن عنقِها . قالت : فلمَّا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ودخَل المسجدَ ، أتَى أبو بكرٍ بأبِيه يَقُودُه ، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « هلَّا ترَكْتَ الشَّيخَ فى بيتِه حتى أكونَ أنا آتِيه فيه ؟ » قال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، هو أحقُّ أن يَمْشِىَ إليك مِن أن تَمْشِىَ أنت إليه . [3]قال : فقالت[3] : فأجْلَسه بيـنَ يَدَيه ، ثُم مسَح صدرَه ، ثُم قال : « أسلِمْ » . فأسلَم . قالت : ودخَل به أبو بكرٍ ، وكان رأسُه كالثَّغامةِ[4] بَياضًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « غَيِّرُوا هذا مِن شَعْرِه » . ثُم قام أبو بكرٍ ، فأخَذ بيدِ أختِه ، وقال : أنشُدُ اللَّهَ والإسلامَ طَوْقَ أختى . فلم يُجِبْه أحدٌ ، قالت[5] : فقال : أىْ أُخَيَّةُ ، احتَسِبى طَوْقَكِ ، فواللَّهِ إن الأمانةَ فى الناسِ اليومَ لَقليلٌ . يعنِى الصِّدِّيقُ ذلك اليومَ على التَّعيِينِ ؛ لأن الجيشَ فيه كثرةٌ ، ولا يَكادُ أحدٌ يَلْوِى على أحدٍ مع انتِشارِ الناسِ ، ولعل الذى أخَذه تأوَّل أنَّه مِن حربىٍّ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[6] : ثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو العبَّاسِ الأصَمُّ ، ثنا بحرُ بنُ نصرٍ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخبَرَنى ابنُ جُرَيْجٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ أن عمرَ بنَ الخطابِ أخَذ بيدِ أبى قُحافةَ ، فأتَى به النبىَّ ﷺ ، فلمَّا وقَف به على

---

(١) دفعت الخيل : أى بدأت السير . انظر النهاية ٢/ ١٢٤.

(٢) أى فضّة .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الثغامة : شجرة ، وجمعها ثَغام ، إذا يبست ابيضت أغصانها ، فيُشَبَّه بها الشيب . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨.

(٥) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « قال » . والمثبت من السيرة .

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٩٦.

رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « غيِّروه ولا تُقَرِّبوه سَوادًا » . قال ابنُ وهبٍ : وأخبَرنى عمرُ ابنُ محمدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ هنَّأ أبا بكرٍ بإسلامِ أبيه .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ فرَّق جيشَه مِن ذى طُوًى ، أمَر الزُّبيرَ بنَ العوَّامِ أن يَدْخُلَ فى بعضِ الناسِ مِن كُدًى[2] ، وكان الزُّبيرُ على المُجَنِّبةِ اليُسْرَى ، وأمَر سعدَ بنَ عُبادةَ أن يدخُلَ فى بعضِ الناسِ مِن كَدَاءٍ[3] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فزعَم بعضُ أهلِ العلمِ أن سعدًا حينَ وَجَّه داخلًا قال : اليومُ يومُ المَلْحمةِ ، [٣/١٣٧و] اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . فسمِعَها رجلٌ - قال ابنُ هشامٍ : يقالُ : إنه عمرُ بنُ الخطابِ - فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أتسْمَعُ ما يقولُ سعدُ بنُ عُبادةَ ؟! ما نأْمَنُ أن يكونَ له فى قريشٍ صَوْلَةٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ : « أدْرِكْه فخُذِ الرايةَ منه ، فكُن أنت تَدْخُلُ بها » .

قلتُ : وذكَر غيرُ محمدِ بنِ إسحاقَ[5] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما شَكَى إليه أبو سفيانَ قولَ سعدِ بنِ عُبادةَ حينَ مَرَّ به . وقال : يا أبا سفيانَ ، اليومُ يومُ المَلْحمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ - يعنى الكعبةَ - فقال النبىُّ ﷺ : « بل هذا يومٌ تُعَظَّمُ فيه الكعبةُ » . وأمَر بالرايةِ - رايةِ الأنصارِ - أن تُؤْخَذَ مِن سعدِ بنِ عُبادةَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٦.

(٢) فى م : « كداء » .

(٣) فى م : « كُدى » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٨ معلقًا ، عن عروة بن الزبير .

كالتأديبِ له ، ويقالُ : إنها دُفِعت إلى ابنِه قيسِ بنِ سعدٍ[1] . وقال موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهريِّ[2] : دفَعها إلى الزُّبيرِ بنِ العوّامِ . فاللَّهُ أعلمُ .

[3]وذكَر الحافظُ ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ دينارٍ[4] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ السَّرِيِّ الأنطاكيُّ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، وحدَّثنى موسى ابنُ عقبةَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : دفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ الرايةَ يومَ فتحِ مكةَ إلى سعدِ بنِ عُبادةَ ، فجعَل يَهُزُّها ويقولُ : اليومُ يومُ المَلْحَمةِ ، يومٌ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . قال : فشَقَّ ذلك على قريشٍ وكبُر فى نفوسِهم . قال : فعارَضت امرأةٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَسيرِه وأنشأَت تقولُ :

يا نبيَّ الهُدَى إليك لَجَا[5] حَـ ... ـيُّ قريشٍ [6]ولاتَ حينَ لَجَاءِ[6]

حينَ ضاقتْ عليهمُ سَعةُ الأر ... ضِ وعاداهمُ إلـهُ[7] السماءِ

والتَقَت حَلْقَتا البِطانِ على القو ... مِ ونُودُوا بالصَّيْلَمِ الصَّلْعاءِ[8][3]

---

(١) عزاه الحافظ فى الفتح ٩/٨ إلى الأموى فى مغازيه .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٤، عن موسى بن عقبة ، عن الزهرى .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٤١، ص .

(٤) لم نجد له ترجمة فى تاريخ دمشق ، ولا فى المختصر ، وعزاه الحافظ فى الفتح ٩/٨ إلى ابن عساكر . وذكر السهيلى الأبيات - عدا بيتين - فى الروض الأنف ٧/ ٩٩، ١٠٠، وذكر أن قائلها ضرار بن الخطاب . وقال الحافظ فى الفتح فى ذلك : وكأنه - أى ضرارا - أرسل به المرأة ؛ ليكون أبلغ فى المعاطفة عليهم .

(٥) لجا : أى لجأ بالهمز ، والتسهيل للوزن .

(٦ - ٦) فى الأصل : « وأنت خير جاء » . ومعنى لات حين لجاء : أى ليس الوقت وقت لجوء .

(٧) فى الأصل : « أهل » .

(٨) هذا البيت زيادة من : م . والبطان : الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير ، يقال : التقت حلقتا البطان . للأمر إذا اشتدَّ . والصيلم : الداهية . والصلعاء : الداهية أيضا . انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٢٤، والقاموس المحيط (ص ل ع) .

(١) إن سعدًا يريدُ قاصِمةَ الظَّهـ ـرِ بأهلِ الحَجونِ والبَطْحاءِ

خزرجيٌّ لو يستطيعُ مِن (٢) الغيـ ـظِ رَمَانا بالنَّسْرِ والعَوَّاءِ (٢)

فانهَيْنَهُ فإنه الأسدُ الأسْـ ـوَدُ والليثُ والغُ في الدماءِ

فلئن أقْحَم اللواءَ ونادى يا حُماةَ اللواءِ أهلَ اللواءِ

لتَكونَنَّ بالبِطاحِ قريشٌ بُقْعةَ (٣) القاعِ في أَكُفِّ الإماءِ

إنه مُصْلَتٌ يريدُ لها الرأْ ىَ صموتٌ كالحَيَّةِ الصَّمَّاءِ

قال : فلما سمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ هذا الشعرَ دخَله رحمةٌ لهم ورأفةٌ بهم ، وأمَر بالرايةِ فأُخِذت مِن سعدِ بنِ عُبادةَ ، ودُفِعت إلى ابنِه قيسِ بنِ سعدٍ . قال : فيُرْوَى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أحَبَّ أن لا يُخَيِّبَها إذ رَغِبت إليه واستغاثت [٣/ ١٣٧ظ] به ، وأحَبَّ (٤) أن لا يَغْضَبَ (٤) سعدٌ ، فأخَذ الرايةَ منه فدفَعها إلى ابنِه (١) .

قال ابنُ إسحاقَ (٥) : وذكَر ابنُ أبي نَجِيحٍ في حديثِه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر خالدَ بنَ الوليدِ ، فدخَل مِن اللِّيطِ أسفلَ مكةَ في بعضِ الناسِ ، وكان خالدٌ على المُجَنِّبةِ اليمنى ، وفيها : أسْلَمُ ، وسُلَيْمٌ ، وغِفارٌ ، ومُزَيْنةُ ، وجُهَيْنةُ ، وقبائلُ مِن

(١ - ١) سقط من : ٤١ ، ص .

(٢ - ٢) في الأصل : « البغض رمانا بالحم والعواء » . والنسر : اسم نجم . والعواء : خمسة أنجم يقال لها : ورك الأسد . وقال السهيلي : قال أبو على القالى : من مد العوّاء فهى عنده فَعّال من عويت الشيء إذا لويت طرفه . وهذا حسن جدا ... والأصح : أن العواء من العُوَّة ، والعُوَّة هى الدبر ، فكأنهم سموها بذلك لأنها دبر الأسد من البروج . انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٢٥، والروض الأنف ٧/ ١٠١.

(٣) في الأصل : « نقعة » .

(٤ - ٤) في الأصل : « أن يسبق » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧.

قبائلِ العربِ ، وأقْبَل أبو عُبَيدةَ بنُ الجرَّاحِ بالصَّفِّ مِن المسلمين ، يَنْصَبُّ لمكةَ بينَ يَدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أَذاخِرَ ، حتى نزَل بأعلى مكةَ ، فضُرِبت له هنالك قُبَّتُه .

ورَوى البخاريُّ[1] ، مِن حديثِ الزهريِّ ، عن عليِّ بنِ الحُسَيْنِ ، عن عمرِو ابنِ عثمانَ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، أنه قال زمَن الفتحِ : يا رسولَ اللَّهِ ، أين تَنْزِلُ غدًا ؟ فقال : « وهل ترَك لنا عَقِيلٌ مِن رِباعٍ ؟ »[2] . ثم قال : « لا يَرِثُ المؤمنُ الكافرَ ولا الكافرُ المؤمنَ » .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا أبو اليَمانِ ، ثنا شُعَيبٌ ، ثنا أبو الزِّنادِ[4] ، عن عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « منزِلُنا - إن شاء اللَّهُ ، إذا فتَح اللَّهُ - الخَيْفُ ، حيثُ تَقاسَموا على الكفرِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا يونُسُ ، ثنا إبراهيمُ ، يعنى ابنَ سعدٍ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « منزِلُنا غدًا ، إن شاء اللَّهُ ، بخَيْفِ بنى كِنانةَ حيث تَقاسَموا على الكفرِ » . ورواه البخاريُّ مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، به نحوَه[6] .

وقال ابنُ إسحاقَ[7] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى

---

(١) البخارى (١٥٨٨، ٤٢٨٢) .

(٢) الرباع : جمع رَبْع ، وهو المنزل المشتمل على أبيات . وقيل : هو الدار . فتح البارى ٣/ ٤٥٢.

(٣) البخارى (٤٢٨٤) .

(٤) فى النسخ : « أبو الزبير » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٥) المسند ٢/ ٣٥٣.

(٦) البخارى (٤٢٨٥) .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧، ٤٠٨.

بكرٍ، أن صَفْوانَ بنَ أميةَ، وعِكْرِمةَ بنَ أبى جهلٍ، وسُهَيْلَ بنَ عمرٍو كانوا قد جَمعوا ناسًا بالخَنْدَمةِ[1] ليُقاتِلوا، وكان حِماسُ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ، أخو بنى بكرٍ يُعِدُّ سلاحًا قبلَ قدومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويُصْلِحُ منه، فقالت له امرأتُه: لماذا تُعِدُّ ما أَرَى؟ قال: لمحمدٍ وأصحابِه. فقالت: واللَّهِ ما أَرَى يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شىءٌ. قال: واللَّهِ إنى لَأَرْجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم. ثم قال:

إن يُقْبِلوا اليومَ فما لى عِلَّهْ ... هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّهْ[2]

وذو غِرارَيْن[3] سريعُ السَّلَّهْ

قال: ثم شهِد الخَنْدَمةَ مع صفوانَ وعكرمةَ وسُهَيلٍ، فلما لَقِيَهم المسلمون مِن أصحابِ خالدٍ، ناوَشوهم شيئًا مِن قتالٍ، فقُتِل كُرْزُ بنُ جابرٍ، أحدُ بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، وخُنَيْسُ[4] بنُ خالدِ بنِ رَبيعةَ بنِ أصْرَمَ، حليفُ بنى مُنْقِذٍ، وكانا فى جيشِ[5] خالدٍ، فشَذَّا [٣/١٣٨و] عنه، فسلَكا غيرَ طريقِه، فقُتِلا جميعًا، [6]وكان قبلَ كُرْزٍ قُتِلَ خُنَيْسٌ[6]. قالا[7]: وقُتِل مِن خيلِ خالدٍ أيضًا

---

(١) الخندمة، بفتح أوله: جبل بمكة. معجم البلدان ٢/ ٤٧٦.

(٢) الألة: الحربة لها سنان طويل. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨.

(٣) ذو غرارين: يعنى سيفا، والغرار: حد السيف. المصدر السابق.

(٤) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م: «حنيش»، وفى ص: «حنيس». والمثبت من السيرة، وقد اختلف فى اسمه، فجزم فى الاستيعاب ١/ ٤٠٦ بأنه «حبيش»، وذكره فى أسد الغابة والإصابة فى «حبيش» و«خنيس». انظر أسد الغابة ١/ ٤٥١، ٢/ ١٤٧، والإصابة ٢/ ٢٧، ٣٨٢. وانظر ما تقدم فى صفحة ٥٤٣.

(٥) فى السيرة: «خيل».

(٦ - ٦) فى النسخ: «وكان قتل كرز قبل خنيس». ولعله حدث إبدال بين قبل وقتل، فالجملة رويت بالمعنى، ففى السيرة: قُتِل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر، فجعله كرز بن جابر بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قتل.

(٧) أى عبد اللَّه بن أبى نجيح وعبد اللَّه بن أبى بكر.

سَلَمةُ بنُ المَيْلاءِ الجُهَنىُّ ، وأُصِيب مِن المشركين قريبٌ مِن اثنَىْ عشَرَ أو ثلاثةَ عشَرَ ، ثم انهَزَموا ، فخرَج حِماسٌ مُنْهزِمًا حتى دخَل بيتَه ، ثم قال لامرأتِه : أغْلقى علىَّ بابى . قالت : فأين ما كنتَ تقولُ ؟ فقال :

إنكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمهْ ... إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمهْ

وأبو يزيدَ قائمٌ كالمُوتَمَهْ[1] ... واستقْبَلَتْهم بالسيوفِ المُسْلِمَهْ

يقْطَعْنَ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ... ضَرْبًا فلا يُسْمَعُ إلا غَمْغَمَهْ[2]

لهم نَهِيتٌ خلفَنا وهَمْهَمَهْ[3] ... لم تَنْطِقى فى اللوْمِ أدنى كَلِمَهْ

قال ابنُ هشامٍ[4] : وتُرْوَى هذه الأبياتُ للرَّعَّاشِ الهُذَلىِّ .

قال[5] : وكان شِعارُ المهاجرين يومَ الفتحِ وحُنَيْنٍ والطائفِ : يا بنى عبدِ الرحمنِ . وشِعارُ الخزرجِ : يا بنى عبدِ اللَّهِ . وشِعارُ الأوسِ : يا بنى عُبَيْدِ اللَّهِ .

وقال الطبرانىُّ[6] : ثنا علىُّ بنُ سعيدٍ الرازىُّ ، ثنا أبو حسانَ الزِّيادىُّ ، ثنا شعيبُ بنُ صفوانَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إن اللَّهَ حرَّم هذا البلدَ يومَ خلَق السمواتِ والأرضَ

---

(١) الموتمة ، بفتح التاء : هى التى قتل زوجها فبقى لها أيتام . ومن قاله بكسر التاء ؛ فيعنى التى لها أيتام ، يقال منه : أيتَمَتْ ، فهى موتِم . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨.

(٢) الغمغمة : الكلام الذى لا يَبِين . وغمغم الأبطال : صوَّتوا عند القتال . انظر الوسيط (غ م م) .

(٣) النهيت : نوعٌ من صياح الأسد . والهمهمة : صوتٌ فى الصدر . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨، ٧٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٩.

(٥) أى ابن إسحاق . المصدر السابق .

(٦) المعجم الأوسط (٣٨٧٨) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٨٤: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

وصاغه يومَ صاغ الشمسَ والقمرَ، وما حِيالُه مِن السماءِ حَرامٌ[1]، وإنه لا يَحِلُّ لأحدٍ قبلى، وإنما حَلَّ لى ساعةً مِن نَهارٍ، ثم عاد كما كان». فقيل له: هذا خالدُ بنُ الوليدِ يَقْتُلُ. فقال: «قمْ يا فلانُ فأْتِ خالدَ بنَ الوليدِ، فقل له فلْيَرْفَعْ يديه مِن القتلِ». فأتاه الرجلُ فقال: إن النبىَّ ﷺ يقولُ: اقْتُلْ مَن قدَرْتَ عليه. فقتَل سبعين إنسانًا، فأتَى النبىَّ ﷺ فذكَر ذلك له، فأَرْسَل إلى خالدٍ فقال: «ألم أنْهَكَ عن القتلِ؟» فقال: جاءنى فلانٌ فأمَرنى أن أقْتُلَ مَن قدَرْتُ عليه. فأَرْسَل إليه[2]: «ألم آمُرْكَ؟» قال: أرَدْتَ أمرًا، وأراد اللَّهُ أمرًا، فكان أمْرُ اللَّهِ فوقَ أمرِك، وما استَطَعْتُ إلا الذى كان. فسكَت عنه النبىُّ ﷺ، فما رَدَّ عليه شيئًا.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ عهِد إلى أمرائِه أن لا يُقاتِلوا إلا مَن قاتَلهم، غيرَ أنه أهْدَر دمَ نفَرٍ سمَّاهم، وإن وُجِدوا تحتَ أسْتارِ الكعبةِ، [٣/١٣٨ظ] وهم عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ؛ كان قد أسْلَم وكتَب الوَحْىَ ثم ارْتَدَّ، فلما دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ وقد أهْدَر دمَه، فرَّ إلى عثمانَ، وكان أخاه مِن الرَّضاعةِ، فلما جاء به ليَسْتَأمِنَ له، صمَت عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ طويلًا، ثم قال: «نعم». فلما انصرف مع عثمانَ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لمَن حولَه: «أما كان فيكم رجلٌ رَشيدٌ يقومُ إلى هذا حينَ رآنى قد صمَتُّ فيقْتُلَه». فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، هَلَّا أوْمَأْتَ إلينا؟ فقال: «إن النبىَّ لا يقتُلُ

---

(١) وما حياله من السماء: أى ما قُبالَته فى السماء. انظر الوسيط (ح و ل).

(٢) أى أرسل إلى الرجل الذى بعثه إلى خالدٍ.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٩.

بالإشارةِ». وفى روايةٍ[1]: «إنه لا ينْبَغى لنبىٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعينِ».

قال ابنُ هشامٍ[2]: وقد حسُن إسلامُه بعدَ ذلك، وولَّاه عمرُ بعضَ أعمالِه، ثم ولَّاه عثمانُ.

قلتُ: ومات وهو ساجدٌ فى صلاةِ الصبحِ، أو بعدَ انقضاءِ صلاتِها فى بيتِه[3]، كما سيأتى بيانُه.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وعبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ؛ رجلٌ مِن بنى تَيْمِ بنِ غالبٍ - قلتُ: ويقالُ: إن اسمَه عبدُ العُزَّى بنُ خَطَلٍ. ويَحْتَمِلُ أنه كان كذلك، ثم لما أسلَم سُمِّىَ عبدَ اللَّهِ - ولما أسلم بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا[5] وبعَث معه رجلًا مِن الأنصارِ، وكان معه مولًى له فغضِب عليه غَضْبةً فقتَله، ثم ارتَدَّ مشركًا، وكان له قَيْنَتان؛ فَرْتَنَى وصاحبتُها، فكانتا تُغَنِّيان بهِجاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والمسلمين، فلهذا أهْدَر دمَه ودمَ قَيْنَتَيْه، فقُتِل وهو مُتَعلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ، اشترك فى قتلِه أبو بَرْزةَ الأسْلمىُّ وسعيدُ بنُ حُرَيْثٍ المخْزومىُّ[6]، وقُتِلت إحدى قَيْنَتَيْه، واسْتُؤْمِن للأخرى. قال[7]: والحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذِ[8] بنِ وهبِ بنِ عبدِ بنِ[9]

---

(١) بعده فى الأصل، ص: «لهذا». والرواية فى سنن أبى داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٣٤، ٣٦٦٤).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٩.

(٣) فى الأصل: «سنه».

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٠٩، ٤١٠.

(٥) المُصَدِّق: هو عامل الزكاة الذى يستوفيها من أربابها. النهاية ٣/ ١٨.

(٦) فى الأصل: «الأسلمى».

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٠، ٤١١.

(٨) فى الأصل: «نفيل».

(٩) سقط من: النسخ. والمثبت من سيرة ابن هشام.

قُصَيٍّ ، وكان ممن يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، ولما تحَمَّل العباسُ بفاطمةَ وأمِّ كُلْثومٍ ليذهَبَ بهما إلى المدينةِ يُلْحِقُهما برسولِ اللَّهِ ﷺ أولَ الهجرةِ ، نخَس بهما الحُوَيْرِثُ هذا ، الجملَ الذى هما عليه ، فسقَطتا إلى الأرضِ ، فلما أُهْدِر دمُه قتَله علىُّ بنُ أبى طالبٍ . قال : ومِقْيَسُ بنُ صُبَابةَ ؛ لأنه قتَل قاتلَ أخيه خطأً بعدَ ما أخَذ الديَةَ ، ثم ارتدَّ مُشْركًا ، قتَله رجلٌ مِن قومِه يقالُ له : نُمَيْلةُ بنُ عبدِ اللَّهِ . قال : وسارَةُ مَوْلاةٌ لبنى عبدِ المطلبِ ولعكرمةَ بنِ أبى جهلٍ ؛ لأنها كانت تُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهى [٣/ ١٣٩و] بمكةَ .

قلتُ : وقد تقدم عن بعضِهم أنها التى تحَمَّلَت الكتابَ مِن حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعَةَ[(١)] ، وكأنها عُفِيَ عنها أو هرَبت ثم أُهْدِر دمُها . واللَّهُ أعلمُ . فهرَبت حتى اسْتُؤْمِن لها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَّنها ، فعاشت إلى زمنِ عمرَ فأوْطَأها رجلٌ فرسًا[(٢)] فماتت . وذكَر السُّهيلىُّ[(٣)] أن فَرْتَنَى أسْلَمت أيضًا .

قال ابنُ إسحاقَ[(٤)] : وأما عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ فهَرَب إلى اليمنِ ، وأسْلَمت امرأتُه أمُّ حَكِيمٍ بنتُ الحارثِ بنِ هشامٍ ، واستَأْمَنَت له مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَّنه ، فذهَبت فى طَلَبِه ، حتى أتَتْ به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأسْلَم .

وقال البيهقىُّ[(٥)] : أنبأنا أبو طاهرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ مَحْمِشٍ[(٦)] الفقيهُ ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٥٢١ .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) الروض الأنف ٧/ ١١١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٠.

(٥) دلائل النبوة ٥/ ٥٩، ٦٠.

(٦) فى م ، ص : « محمس » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

أنبأنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسينِ القَطَّانُ، أنبأنا أحمدُ بنُ يوسفَ السُّلَمىُّ، ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ، ثنا أسْباطُ بنُ نَصْرٍ الهَمْدانىُّ، قال: زعَم السُّدِّىُّ، عن مُصْعَبِ بنِ سعدٍ، عن أبيه، قال: لما كان يومُ فتحِ[1] مكةَ آمن رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ إلا أربعةَ نفرٍ وامرأتين، وقال: «اقتُلوهم وإن وجَدْتموهم مُتَعلِّقِين بأسْتارِ الكعبةِ». وهم عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ، ومِقْيَسُ بنُ صُبابةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ. فأما عبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ فأُدْرِك وهو مُتَعلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ، فاسْتَبق إليه سعيدُ بنُ حُرَيْثٍ وعَمَّارُ بنُ ياسرٍ، فسبَق سعيدٌ عَمَّارًا، وكان أشَبَّ الرجُلَيْن، فقتَله، وأما مِقْيَسٌ فأدْرَكه الناسُ فى السوقِ فقتَلوه، وأما عكرمةُ فركِب البحرَ فأصابتهم قاصفٌ[2]، فقال أهلُ السفينةِ [3]لأهلِ السفينةِ[3]: أخْلِصوا فإن آلهتَكم لا تُغْنِى عنكم شيئًا هـٰهنا. فقال عكرمةُ: واللَّهِ لئن لم يُنْجِ فى البحرِ إلا الإخلاصُ فإنه لا يُنْجِى فى البَرِّ غيرُه، اللهم إنَّ لك علىَّ عهدًا إن أنت عافيْتَنى مما أنا فيه، أن آتىَ محمدًا حتى أضَعَ يدى فى يدِه فلأَجِدَنَّه عفُوًّا كريمًا. فجاء فأسلم، وأما عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ فإنه اخْتَبأ عندَ عثمانَ بنِ عفانَ، فلما دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ إلى البيعةِ جاء به حتى أوْقَفه على النبىِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، بايِعْ عبدَ اللَّهِ. فرفَع رأسَه فنظَر إليه ثلاثًا، كلُّ ذلك يأْبَى، فبايَعه بعدَ ثلاثٍ، ثم أقْبَل على

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الدلائل: «عاصف». والقاصف: من القَصْف؛ وهو شدة صوت الرعد. وقد يكون القصف صفة للريح، فيكون معناه: شدة هبوب الريح بصوت قوى، أو هبوبها شديدة مع كسر ما تمر به من شجر ونحوه. انظر الوسيط (ق ص ف).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ٤١. ومعناه: قال بعض أهل السفينة لبعضهم الآخر. كما فسرته رواية الحاكم فى المستدرك ٢٤١/٣ من حديث عروة.

أصحابِه فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رَشيدٌ يقومُ إلى هذا حينَ رآنى كفَفْتُ يدى عن بيعتِه [٣/ ١٣٩ظ] فيقتُلَه؟» فقالوا: ما يُدْرينا يا رسولَ اللَّهِ ما فى نفسِك، هَلَّا أوْمَأْتَ إلينا بعينِك؟ فقال: «إنه لا ينْبَغى لنبىٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعْيُنِ». ورَواه أبو داودَ والنَّسائىُّ مِن حديثِ أحمدَ بنِ المُفَضَّلِ[(١)] به نحوَه[(٢)].

وقال البيهقىُّ[(٣)]: أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأنا أبو العباسِ الأصَمُّ، أنبأنا أبو زُرْعةَ الدِّمَشقىُّ، ثنا الحسنُ بنُ بشرٍ الكوفىُّ، ثنا الحكَمُ بنُ عبدِ الملكِ، عن قتادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أمَّن رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ يومَ فتحِ مكةَ إلا أربعةً؛ عبدَ العُزَّى بنَ خَطَلٍ، ومِقْيَسَ بنَ صُبابةَ، وعبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، وأمَّ سارَةَ؛ فأمَّا عبدُ العُزَّى بنُ خَطَلٍ فإنه قُتِل وهو مُتَعلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ. قال: ونذَر رجلٌ [(٤)]مِن الأنصارِ[(٤)] أن يقْتُلَ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ إذا رآه، وكان أخا عثمانَ بنِ عفانَ مِن الرَّضاعةِ، فأتَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ ليَشْفَعَ له، فلما بَصُر به الأنصارىُّ اشْتَمل على السيفِ، ثم أتاه فوجَده فى حَلْقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجعَل يتَرَدَّدُ ويَكْرَهُ أن يُقْدِمَ عليه[(٥)]، فبسَط النبىُّ ﷺ يدَه[(٦)] فبايَعَه، ثم قال للأنصارىِّ: «قد انتَظَرْتُك أن تُوفِىَ بنذرِك». قال: يا رسولَ اللَّهِ، هِبْتُك[(٧)]، أفلا أومَضْتَ[(٨)] إلىَّ؟ قال: «إنه ليس للنبىِّ

---

(١) فى الأصل: «الفضل». وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٨٧.

(٢) أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائى (٤٠٧٨). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٣٤).

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٦٠، ٦١.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٥) بعده فى الدلائل: «لأنه فى حلقة النبى ﷺ».

(٦) سقط من: الأصل، ا ٤١، م.

(٧) سقط من: ا ٤١، ص.

(٨) كذا فى النسخ. وفى الدلائل: «أومأت». أفلا أومضت: أفلا أشرت إلىّ إشارة خفية. يقال:=

أن يُومِضَ[1] » . وأما مِقْيَسُ بنُ صُبابةَ ، فذكَر[2] قصتَه فى قتلِه رجلًا مسلمًا بعدَ إسلامِه ، ثم ارْتدادِه بعدَ ذلك . قال : وأما أمُّ سارَةَ فكانت مَوْلاةً لقريشٍ ، فأتَت النبىَّ ﷺ فشكَت إليه الحاجةَ [3]فأعْطاها شيئًا[3] ، ثم بعَث معها رجلٌ بكتابٍ إلى أهلِ مكةَ . فذكَر[4] قصةَ حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعةَ .

ورَوى محمدُ بنُ إسحاقَ[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو ابنِ حَزْمٍ ، أن مِقْيَسَ بنَ صُبابةَ قُتِل أخوه هشامٌ يومَ بنى المُصْطَلِقِ ، قتَله رجلٌ مِن المسلمين وهو يَظُنُّه مُشْركًا ، فقدِم مِقْيَسٌ مُظْهِرًا للإسلامِ ليَطْلُبَ ديةَ أخيه ، فلما أخَذها عدَا على قاتلِ أخيه فقتَله ، ورجَع إلى مكةَ مُشْركًا ، فلما أَهْدر رسولُ اللَّهِ ﷺ دمَه قُتِل وهو بينَ الصَّفا والمروةِ .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ والبيهقىُّ[6] شعرَه حينَ قتَل قاتلَ أخيه ، وهو قولُه :

شفَى النفسَ مَن[7] قد بات بالقاعِ مُسْنَدًا ... يُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِعِ[8]

وكانت همومُ النفسِ مِن قبلِ قتلِه ... تُلِمُّ وتُنْسِينى[9] وِطاءَ المَضاجعِ[10]

= أومض البرق وومض إيماضًا ووميضًا . إذا لمع لمعًا خفيا ولم يَعْتَرِض . انظر النهاية ٥/ ٢٣٠.

(١) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « يومئ » .

(٢) أى البيهقى .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٤١.

(٤) هذا لفظ البيهقى ، والضمير عائد على أنس .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٦١، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤، ودلائل النبوة للبيهقى ٥/ ٦١ بإسناده السابق .

(٧) كذا فى النسخ . وفى السيرة والدلائل : « أن » .

(٨) القاع : المنخفض من الأرض . ويضرج : يلطخ . والأخادع : عروق فى القفا ، وإنما هما أخدعان ، فجَمَعَهما مع ما يليهما . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠، ٤١.

(٩) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « تحمينى » . وتحمينى : أى تمنعنى . المصدر السابق ٣/ ٤١.

(١٠) تلم : تنزل وتزور . ووطاء المضاجع : ليّناتُها . المصدر السابق .

[٣/ ١٤٠و] قَتَلْتُ[١] به فِهْرًا وغرَّمْتُ[٢] عَقْلَه سَراةَ بنى النَّجَّارِ أرْبابَ فارِعِ[٣]

حلَلْتُ به نَذْرى[٤] وأدْرَكْتُ ثُؤْرتى[٥] وكنتُ إلى الأوْثانِ أولَ راجِعِ

قلتُ : وقيل[٦] : إن القَيْنَتَيْن اللتين أُهْدِر دمُهما كانتا لِمِقْيَسِ بنِ صُبابةَ هذا ، وإن ابنَ عمِّه قتَله بينَ الصفا والمروةِ . وقال بعضُهم[٧] : قَتَل ابنَ خَطَلٍ الزبيرُ بنُ العوامِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ[٨] : حدَّثنى سعيدُ بنُ أبى هندَ ، عن أبى مُرَّةَ مولى عَقيلِ ابنِ أبى طالبٍ ، أن أمَّ هانئٍ ابنةَ أبى طالبٍ قالت : لما نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بأعْلى مكةَ فرَّ إلىَّ رجلان مِن أحْمائى[٩] [١٠]مِن بنى مَخْزومٍ[١٠] . قال ابنُ هشامٍ : هما الحارثُ بنُ هشامٍ وزهيرُ بنُ أبى أميةَ بنِ المغيرةِ . قال ابنُ إسحاقَ : وكانت عندَ هُبَيْرةَ بنِ أبى وهبٍ المخزومىِّ ، قالت : فدخَل علىَّ أخى علىُّ بنُ أبى طالبٍ فقال : واللَّهِ لأقتُلُهما . فأغْلَقْتُ عليهما بابَ[١١] بيتى ، ثم جئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بأعلى مكةَ ، فوجَدْتُه يغْتَسِلُ مِن جَفْنةٍ ، إنَّ فيها لأثَرَ

---

(١) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « ثأرت » .

(٢) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « حملت » .

(٣) العقل هنا : الدِّيَة . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : اسم حصن لهم . المصدر السابق .

(٤) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « وترى » . والوتر : طلب الثأر . المصدر السابق .

(٥) الثؤرة : الثأر . المصدر السابق .

(٦) انظر ما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٦٢، ٦٣.

(٧) المصدر السابق .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١١.

(٩) حَمْوُ المرأة وحَمُوها وحماها : أبو زوجها وأخو زوجها ، وكذلك من كان من قِبَله . وكل من وَلِى الزوج من ذى قرابته فهم أحماء المرأة . اللسان (ح م و) .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

(١١) سقط من : الأصل ، ٤١، ص .

العجينِ ، وفاطمةُ ابنتُه تستُرُه بثوبِه ، فلما اغتسل أخَذ ثوبَه فتوشَّح به ، ثم صلى ثمانىَ رَكَعاتٍ مِن الضُّحَى ، ثم انصرف إلىَّ ، فقال : « مرحبًا وأهلًا بأمِّ هانئٍ، ما جاء بكِ ؟ » فأخبَرْتُه خبرَ الرجلين وخبرَ علىٍّ ، فقال : « قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ وأمَّنَّا مَن أمَّنْتِ ، فلا يَقْتُلْهما » .

وقال البخارىُّ[1] : ثنا أبو الوليدِ ، ثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن ابنِ أبى ليلى قال : ما أخبَرَنا أحدٌ أنه رَأَى النبىَّ ﷺ يُصَلِّى الضُّحَى غيرَ أمِّ هانئٍ، فإنها ذكَرت أنه[2] يومَ فتحِ مكةَ[3] اغتَسَل فى بيتِها ، ثم صلَّى ثمانىَ رَكَعاتٍ . قالت : ولم أرَه صلَّى صلاةً أخفَّ منها ، غيرَ أنه يُتِمُّ الركوعَ والسجودَ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ الليثِ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن سعيدِ[5] بنِ أبى هندَ ، أن أبا مُرَّةَ مولى عَقيلٍ حدَّثه أن أمَّ هانئٍ بنتَ أبى طالبٍ حدَّثتْه أنه لما كان عامُ الفتحِ ، فرَّ إليها رجلان مِن بنى مخزومٍ فأجارتْهما ، قالت : فدخَل علىَّ علىٌّ فقال : أقتُلُهما . فلما سمِعْتُه أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بأعْلى مكةَ ، فلما رآنى رحَّب ، وقال : « ما جاء بكِ ؟ » قلتُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، كنتُ أمَّنْتُ رجلين مِن أحْمائى ، فأراد علىٌّ قتلَهما . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ [6]يا أمَّ هانئٍ[6] » . ثم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى

---

(١) البخارى (٤٢٩٢) .

(٢) سقط من : ٤١، م ، ص .

(٣) بعده فى ٤١، م ، ص : « أن النبى ﷺ » .

(٤) مسلم (٣٣٦/٧١) مختصرًا ، ومن طريق الليث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٨٠، ٨١، واللفظ له .

(٥) فى م : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٣.

(٦ - ٦) زيادة من النسخ عما فى الدلائل .

غُسْلِه فستَرَت عليه فاطمةُ، ثم أخَذ ثوبًا فالتَحَف به، ثم صلى ثمانىَ رَكَعاتٍ سُبْحةَ الضُّحَى.

وفى روايةٍ[1]: أنها دخَلت عليه وهو يغْتَسِلُ وفاطمةُ ابنتُه تسْتُرُه بثوبٍ، فقال: [٣/ ١٤٠ظ] «مَن هذه؟» قالت: أمُّ هانئٍ. قال: «مرحبًا بأمِّ هانئٍ». قالت: يا رسولَ اللَّهِ، زعَم ابنُ أمِّى علىُّ بنُ أبى طالبٍ أنه قاتلٌ [2]رجلين قد أجَرْتُهما[2]. فقال: «قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ يا أمَّ هانئٍ». قالت: ثم صلى ثمانىَ رَكَعاتٍ، وذلك ضُحًى. فظَنَّ كثيرٌ مِن العلماءِ أن هذه كانت صلاةَ الضحى. وقال آخرون[3]: بل كانت هذه صلاةَ الفتحِ. وجاء التصريحُ بأنه كان يُسَلِّمُ مِن كلِّ ركعتين[4]. وهو يَرُدُّ على السهيلىِّ[5] وغيرِه ممن يزْعُمُ أن صلاةَ الفتحِ تكونُ ثمانيًا بتسليمةٍ واحدةٍ، وقد صلى سعدُ بنُ أبى وقاصٍ يومَ فتحِ المَدائنِ[6] فى إيوانِ كسرى، ثمانىَ رَكَعاتٍ[7]، [8]يُسَلِّمُ مِن كلِّ ركعتين[8]، وللَّهِ الحمدُ.

قال ابنُ إسحاقَ[9]: وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) البخارى (٣٥٧، ٣١٧١، ٦١٥٨)، ومسلم (٣٣٦/٨٢) باب استحباب صلاة الضحى..، من كتاب صلاة المسافرين وقصرها. واللفظ هنا بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٢ - ٢) كذا فى النسخ. وفى الصحيحين: «رجلًا قد أجرته؛ فلان بن هبيرة».

(٣) انظر الروض الأنف ٧/ ١٠٨، وتاريخ الطبرى ٤/ ١٦، حوادث السنة السادسة عشرة.

(٤) أبو داود (١٢٩٠). وقد صحح إسناده الإمام النووى؛ قال: إسناد أبى داود فى هذا الحديث صحيح على شرط البخارى. انظر عون المعبود ١/ ٤٩٢.

(٥) انظر الروض الأنف ٧/ ١٠٨.

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٦، حوادث السنة السادسة عشرة.

(٧) بعده فى ا ٤: «بتسليمة واحدة».

(٨ - ٨) كذا فى النسخ. وفى تاريخ الطبرى: «لا يفصل بينهن». وعلى هذا فليس يصلح ذلك بدليلٍ للمصنف هنا، على أنه يكفيه الاستدلال بما أورده من الحديث الذى فى سنن أبى داود. واللَّه تعالى أعلم.

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١١، ٤١٢.

عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ثَوْرٍ، عن صفيةَ بنتِ شَيْبةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما نزَل بمكةَ واطْمَأنَّ الناسُ، خرَج حتى جاء البيتَ فطاف به سبعًا على راحلتِه، يَسْتَلِمُ الركنَ بمِحْجَنٍ[1] فى يدِه، فلما قضَى طوافَه دعا عثمانَ بنَ طلحةَ فأخَذ منه مِفتاحَ الكعبةِ، ففُتِحتْ له فدخَلها فوجَد فيها حَمامةً مِن عِيدانٍ، فكسَرها بيدِه ثم طرَحها، ثم وقَف على بابِ الكعبةِ وقد استَكَفَّ[2] له الناسُ فى المسجدِ.

وقال موسى بنُ عقبةَ[3]: ثم سجَد سجدتين، ثم انصرف إلى زمزمَ فاطَّلع فيها ودَعا بماءٍ فشرِب منها وتوضأ، والناسُ يَتَدِرون وَضوءَه، والمشركون يتَعَجَّبون مِن ذلك، ويقولون: ما رأينا مَلِكًا قطُّ ولا سمِعْنا به - يعنى مثلَ هذا -. وأخَّر المَقامَ إلى مَقامِه اليومَ وكان مُلْصَقًا بالبيتِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: فحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام على بابِ الكعبةِ فقال: «لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، صدَق وعْدَه، ونصَر عبدَه، وهزَم الأحْزابَ وحدَه، ألا كلُّ مَأْثُرةٍ[5] أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو موضوعٌ[6] تحتَ قدمَىَّ هاتين، إلا سِدانةَ البيتِ وسِقايةَ الحاجِّ، ألا وقتيلُ الخطأ شبهِ العمْدِ بالسَّوْطِ والعَصا ففيه الديةُ مُغَلَّظةً؛ مائةٌ مِن الإبلِ؛ أربعون منها فى

---

(١) المحجن: عود معوج الطرف يمسكه الراكب للبعير فى يده. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٩.

(٢) فى الأصل: «استلف». وفى ا ٤١: «اصطف». واستكف له الناس: أى أحدقوا به وتجمعوا حوله ينظرون إليه. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٧٩، والنهاية ٤/ ١٩٠.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٥، ٤٦، عن موسى بن عقبة.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٢.

(٥) المأثرة: الخصلة المحمودة التى تُتوارث ويُتحدَّث بها. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٩.

(٦) زيادة من النسخ عما فى السيرة.

بطونِها أولادُها، يا معشرَ قريشٍ، إن اللَّهَ قد أذْهَب عنكم نَخْوةَ الجاهليةِ وتَعَظُّمَها بالآباءِ، الناسُ مِن آدمَ وآدمُ مِن ترابٍ» ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ [٣/ ١٤١و] إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية كلَّها [الحجرات: ١٣]. ثم قال: «يا معشرَ قريشٍ، ما ترَوْن أنى فاعلٌ فيكم؟» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ. قال: «اذْهَبوا فأنتم الطُّلَقاءُ». ثم جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ، فقام إليه عليُّ بنُ أبى طالبٍ ومِفتاحُ الكعبةِ فى يدِه، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، اجْمَعْ لنا الحِجابةَ مع السِّقايةِ، صلَّى اللَّهُ عليك. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أين عثمانُ بنُ طلحةَ؟» فدُعِىَ له فقال: «هاكَ مِفتاحَك يا عثمانُ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووَفاءٍ».

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا سفيانُ، عن ابنِ جُدْعانَ، عن القاسمِ بنِ رَبيعةَ، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ، يومَ فتحِ مكةَ، وهو على دَرَجِ الكعبةِ: «الحمدُ للَّهِ الذى صدَق وعدَه، ونصَر عبدَه، وهزَم الأحْزابَ وحدَه، ألا إن قتيلَ العمدِ الخطأِ بالسَّوْطِ أو العصا فيه مائةٌ مِن الإبلِ». وقال مرةً أخرى: «مُغَلَّظةٌ فيها، أربعون خَلِفةً[2] فى بطونِها أولادُها، ألا إن كلَّ مَأْثُرَةٍ كانت فى الجاهليةِ ودمٍ ودَعْوى - وقال مرةً[3]: ومالٍ - تحتَ قدَمىَّ هاتين، إلا ما كان مِن سِقايةِ الحاجِّ وسِدانةِ البيتِ، فإنى[4] أمْضَيْتُهما لأهلِهما على ما كانت». وهكذا رواه أبو داودَ والنَّسائىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ علىِّ بنِ زيدِ بنِ

---

(١) المسند ٢/ ١١. (صحيح).

(٢) الخلفة: الحامل من النوق. النهاية ٢/ ٦٨.

(٣) بعده فى المسند: «ودم».

(٤) فى الأصل، ا ٤١، م: «فإنهما».

جُدْعانَ، عن القاسمِ بنِ ربيعةَ بنِ جَوْشَنٍ الغَطفانيِّ، عن ابنِ عمرَ به[1].

قال ابنُ هشامٍ[2]: وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل البيتَ يومَ الفتحِ، فرأَى فيه صُوَرَ الملائكةِ وغيرِهم، ورأى إبراهيمَ، عليه السلامُ، مُصَوَّرًا فى يدِه الأَزْلامُ يستَقْسِمُ بها، فقال: «قاتَلهم اللَّهُ، جعَلوا شيخَنا يستَقْسِمُ بالأَزْلامِ، ما شأنُ إبراهيمَ والأزْلامِ؟! ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾» [آل عمران: ٦٧]. ثم أمَر بتلك الصُّورِ كلِّها فطُمِست.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا سليمانُ، أنبأ عبدُ الرحمنِ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن أبى الزبيرِ، عن جابرٍ قال: كان فى الكعبةِ صورٌ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]عمرَ بنَ الخطابِ[4] أن يَمْحُوَها، فبَلَّ عمرُ ثوبًا ومحاها به، فدخَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ وما فيها منها شىءٌ.

وقال البخاريُّ[5]: حدَّثنا صَدَقةُ بنُ الفَضْلِ، ثنا ابنُ عُيَينةَ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مُجاهدٍ، عن أبى مَعْمَرٍ، عن عبدِ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - قال: [٣/١٤١ظ] دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ، وحولَ البيتِ ستون

---

(١) أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائى (٤٨١٣)، وابن ماجه (٢٦٢٨). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢١٢٧).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٣.

(٣) المسند ٣/ ٣٩٦. وله شاهد من حديث جابر عند أبى داود (٤١٥٦). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٠٢).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ٤١، م.

(٥) البخارى (٤٢٨٧).

وثلاثُمائةِ نُصُبٍ ، فجعَل يطْعُنُها بعُودٍ فى يدِه ، ويقولُ : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ ، جاء الحقُّ وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعِيدُ » . وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ عُيَينةَ[1] .

ورَوَى البَيْهَقِيُّ[2] ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن علىِّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن أبيه قال : دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ مكةَ ، وعلى الكعبةِ ثلاثُمائةِ صنمٍ ، فأخَذ قَضِيبَه فجعَل يَهْوِى به[3] إلى الصنمِ ، وهو يَهْوِى ، حتى مرَّ عليها كلِّها .

ثُم مِن طريقِ سُوَيْدٍ[4] ، عن القاسمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا دخَل مكةَ وجَد بها ثلاثَمائةٍ وستين صنمًا ، فأشار إلى كلِّ صنمٍ بعصًا وقال : « جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زَهُوقًا » . فكان لا يُشيرُ إلى صنمٍ إلا ويسْقُطُ مِن غيرِ أن يَمَسَّه بعصاه . ثُم قال[5] : وهذا وإن كان ضعيفًا ، فالذى قبلَه يُؤَكِّدُه .

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[6] : أنبأنا أبو الربيعِ ، عن يعقوبَ القُمِّىِّ ، ثنا جعفرُ ابنُ أبى المغيرةِ ، عن ابنِ أبْزَى قال : لمَّا افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ، جاءتْ عجوزٌ شَمْطاءُ حَبَشِيَّةٌ تَخْمِشُ وجهَها ، وتَدْعو بالويلِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) مسلم (١٧٨١) .

(٢) دلائل النبوة ٥/ ٧١، ٧٢.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) بعده فى النسخ : « بن » . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٧٢ من طريق سويد به .

(٥) أى البيهقى .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٥، من طريق حنبل به .

« تلك نائلةُ ، أيِسَتْ أن تُعْبَدَ ببلدِكم هذا أبدًا » .

وقال ابنُ هشامٍ[1] : حدَّثنى مَن أثِقُ به مِن أهلِ الروايةِ فى إسنادٍ له ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال : دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ على راحلتِه ، فطاف عليها ، وحولَ الكعبةِ أصنامٌ مَشْدودةٌ بالرَّصاصِ ، فجعَل النبىُّ ﷺ يُشيرُ بقَضِيبٍ فى يدِه إلى الأصنامِ ويقولُ : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زَهوقًا » . فما أشار إلى صنمٍ منها فى وجهِه إلَّا وَقَع لِقَفاهُ ، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقَع لوجهِه ، حتى ما بَقِىَ منها صنمٌ إلَّا وقَع ، فقال تَميمُ بنُ أسدٍ الخُزاعىُّ :

وفى الأصنامِ مُعْتَبَرٌ وعِلْمٌ ... لِمَن يَرْجُو الثوابَ أو العِقابَا

[2]وفى « صحيحِ مسلمٍ »[3] عن شَيْبانَ[4] بنِ فَرُّوخَ ، عن سليمانَ بنِ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى هُريرةَ ، فى حديثِ فتحِ مكةَ ، قال : وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١٤٢و] حتى أقْبَل إلى[5] الحَجَرِ فاسْتَلَمَه ، وطاف بالبيتِ ، وأتَى إلى صنمٍ إلى جنبِ البيتِ كانوا يَعْبُدُونه ، وفى يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قوسٌ ، وهو آخذٌ بسِيَتِها[6] ، فلمَّا أتَى على الصنمِ ، جَعَل[7] يَطْعُنُ[2]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٦، ٤١٧.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٤١.

(٣) مسلم (١٧٨٠) .

(٤) فى م : « سنان » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٨.

(٥) فى م : « على » .

(٦) سِيَة القوس : ما عُطِف من طرفيها . الوسيط (س ى ى) .

(٧) فى الأصل ، م : « فجعل » .

[1] فى عينِه ويقولُ : « جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زَهوقًا » . فلمّا فَرَغ مِن طَوافِه أتَى الصفا ، فعلَا عليه ، حتى نظَر إلى البيتِ ، فرَفَع يديْه وجَعَل يَحْمَدُ اللَّهَ ويَدْعو بما شاء أن يَدْعُوَ[1] .

وقال البخاريُّ[2] : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، ثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا أبى ، ثنا أيوبُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا قَدِم مكةَ ، أبَى أن يَدْخُلَ البيتَ وفيه الآلهةُ ، فأَمَر بها فأُخْرِجَتْ ، فأُخْرِج صورةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ ، عليهما السلامُ ، وفى أيدِيهِما مِن[3] الأزْلامِ ، فقال : « قاتَلَهم اللَّهُ ، لقد عَلِموا ما اسْتَقْسَما بها قطُّ » . ثُم دخَل البيتَ ، فكَبَّر فى نواحى البيتِ ، وخَرَج ولم يُصَلِّ . تفرَّد به البخاريُّ دونَ مسلمٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا هَمّامٌ ، ثنا عطاءٌ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل الكعبةَ وفيها سِتُّ سَوارٍ ، فقام إلى كلِّ ساريةٍ ، فدعا ولم يُصَلِّ فيه . ورواه مسلمٌ ، عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن همامِ بنِ يحيى العَوْذىِّ ، عن عطاءٍ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرَنى عمرُو بنُ الحارثِ ، أنَّ بُكيرًا حدَّثه عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من : ا ٤ .

(٢) البخارى (٤٢٨٨) .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) المسند ١/ ٣١١ . (إسناده صحيح) .

(٥) مسلم (١٣٣١) . وعنده : « فقام عند سارية » .

(٦) المسند ١/ ٢٧٧ . (إسناده صحيح) .

ﷺ حينَ دخَل البيتَ وَجَد فيه صورةَ إبراهيمَ وصورةَ مريمَ، فقال: «أمَّا هم فقد سَمِعوا أنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بيتًا فيه صورةٌ، هذا إبراهيمُ مُصَوَّرًا، فما بالُه يَسْتَقْسِمُ؟!». [1] وقد روَاه البخاريُّ والنسائيُّ مِن حديثِ ابنِ وهبٍ به [2].

وقال الإمامُ أحمدُ [3]: ثنا عبدُ الرزاقِ، أخبَرَنا مَعْمرٌ، أخبَرَنى عثمانُ الجَزَرِيُّ [4]، أنَّه سَمِع مِقْسَمًا يُحدِّثُ عن ابنِ عباسٍ قال: دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] البيتَ فدَعا فى نَواحِيه، ثُم خَرَج فصَلَّى ركعتيْن. تفرَّد به أحمدُ.

وقال الإمامُ أحمدُ [5]: ثنا إسماعيلُ، أخبَرَنا ليثٌ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فى البيتِ ركعتيْن.

قال البخاريُّ [6]: وقال الليثُ: ثنا يونسُ، أخبَرَنى نافعٌ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أقْبَل يومَ الفتحِ مِن أعلى [٣/ ١٤٢ظ] مكةَ على راحلتِه، مُرْدِفًا أسامةَ بنَ زيدٍ، [7] ومعه بلالٌ [7]، ومعه عثمانُ بنُ طلحةَ، مِن الحَجَبَةِ، حتى أناخ فى المسجدِ، فأمَرَه [8] أن يَأْتِيَ [9] بمِفتاحِ الكعبةِ، فدخَل ومعه أسامةُ بنُ زيدٍ

(١ - ١) سقط من: ا ٤١.

(٢) البخارى (٣٣٥١). والنسائى فى الكبرى (٩٧٧٢).

(٣) المسند ١/ ٢٨٣. (صحيح لغيره). انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ٤/ ٣٤١.

(٤) فى الأصل، م، ص: «الخزرجى». والمثبت من المسند. انظر الجرح والتعديل ٦/ ١٧٤.

(٥) المسند ٢/ ٥٠. (إسناده صحيح).

(٦) البخارى (٤٢٨٩) معلقا. قال الحافظ فى الفتح ٨/ ١٨: وهذه الطريق وصلها المؤلف فى الجهاد. انظر (٢٩٨٨) باب الردف على الحمار، من كتاب الجهاد.

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح البخارى.

(٨) فى النسخ: «فأمر». والمثبت من صحيح البخارى. والضمير فى قوله: «فأمره» يعود إلى عثمان بن طلحة.

(٩) فى ا ٤١، م: «يؤتى».

وبلالٌ وعثمانُ بنُ طلحةَ، فمكَث فيه نهارًا طويلًا، ثُم خَرَج فاسْتَبَق الناسُ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ أولَ مَن دَخَل، فوجَد بلالًا وراءَ البابِ قائمًا، فسألَه: أين صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فأشار له إلى المكانِ الذى صَلَّى فيه. قال عبدُ اللَّهِ: فنَسِيتُ أن أسألَه كم صلَّى مِن سجدةٍ.

ورواه الإمامُ أحمدُ[1]، عن هُشَيْمٍ، ثنا غيرُ واحدٍ وابنُ عونٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ البيتَ[2] ومعه الفَضْلُ بنُ عباسٍ، وأسامةُ بنُ زيدٍ، وعثمانُ بنُ طَلْحةَ، وبلالٌ، فأمَر بلالًا فأجاف عليهم البابَ[3]، فمَكَثَ فيه ما شاء اللَّهُ، ثُم خَرَج. قال ابنُ عمرَ: فكان أوَّلُ مَن لَقِيتُ منهم بلالًا، فقلتُ: أين صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: هـٰهنا بينَ الأُسْطُوانَتَيْن.

قلتُ: وقد ثَبَت فى «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِه[4]، أنَّه ﷺ صَلَّى فى الكعبةِ تِلْقاءَ وِجْهةِ بابِها مِن وراءِ ظهرِه، فجعَل عمودَيْن عن يمينِه، وعمودًا عن يسارِه، وثلاثةَ أعمدةٍ وراءَه، وكان البيتُ يومَئذٍ على ستةِ أعْمِدَةٍ، وكان بينَه وبينَ الحائطِ الغربيِّ مقدارُ ثلاثةِ أذْرُعٍ.

قال ابنُ هشامٍ[5]: وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَخَل

---

(١) المسند ٢/ ٣. (إسناده صحيح).

(٢) سقط من: الأصل، ٤١، م.

(٣) أجاف عليهم الباب: أى رَدَّه عليهم. انظر النهاية ١/ ٣١٧.

(٤) البخارى (٥٠٥، ٥٠٦)، وأبو داود (٢٠٢٣، ٢٠٢٤)، والنسائى (٧٤٨) عن ابن عمر.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٣.

الكعبةَ عامَ الفتحِ ومعه بلالٌ ، فأمَره أن يُؤَذِّنَ ، وأبو سفيانَ بنُ حربٍ وعَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ والحارثُ بنُ هشامٍ جُلُوسٌ بفناءِ الكعبةِ ، فقال عَتَّابٌ : لقد أكْرَم اللَّهُ أَسِيدًا أن لا يكونَ سَمِع هذا ، فيَسْمَعَ[1] منه ما يَغِيظُه . فقال الحارثُ بنُ هشامٍ : أمَا واللَّهِ لو أعْلَمُ أنه مُحِقٌّ لَاتَّبَعْتُه . فقال أبو سفيانَ : لا أقولُ شيئًا ، لو تَكَلَّمْتُ لأَخْبَرَتْ عنى هذه الحَصا . فخرَج عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « قد علِمْتُ الذى قلتُم » . ثُم ذَكَرَ ذلك لهم ، فقال الحارثُ وعَتَّابٌ : نَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ، ما اطَّلَع على هذا أحدٌ كان معنا فنقولَ : أخْبَرَك .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[2] ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى والدى ، حدَّثنى بعضُ آلِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا دَخَل مكةَ أمَر بلالًا ، فعلَا على الكعبةِ على ظهرِها ، فأذَّن عليها بالصلاةِ ، فقال بعضُ بنى سعيدِ بنِ العاصِ : لقد أكرَم اللَّهُ سعيدًا إذْ قَبَضه قبلَ أن يَرَى[3] هذا [٣/١٤٣و] الأسودَ على ظهرِ الكعبةِ .

وقال عبدُ الرزاقِ[4] ، عن معمرٍ ، عن أيوبَ قال : قال ابنُ أبى مُلَيْكةَ : أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بلالًا فأذَّن يومَ الفتحِ فوقَ الكعبةِ ، فقال رجلٌ مِن قريشٍ للحارثِ بنِ هشامٍ : ألَا ترَى إلى هذا العبدِ أين صَعِد ؟! فقال : دَعْه ، فإن يكنِ اللَّهُ يَكْرَهُه ، فسيُغَيِّرُه .

---

(١) فى م : « سمع » .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٨، من طريق يونس بن بكير به .

(٣) فى النسخ : « يسمع » . والمثبت من الدلائل .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٩، من طريق عبد الرزاق به .

وقال يونسُ بنُ بكيرٍ وغيرُه[1] ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر بلالًا عامَ الفتحِ فأذَّن على الكعبةِ ليَغِيظَ به المشركين .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] ، عن محمدِ بنِ عبيدٍ[3] ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى إسحاقَ ، أنَّ أبا سفيانَ بنَ حربٍ بعدَ فتحِ مكةَ كان جالسًا ، فقال فى نفسِه : لو جَمَعْتُ لمحمدٍ جمعًا . فإنَّه لَيُحَدِّثُ نفسَه بذلك ، إذ ضَرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ بيـنَ كَتِفَيْه وقال : « إذًا يُخْزِيَك اللَّهُ » . قال : فرَفَع رأسَه ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ على رأسِه ، فقال : ما أيْقَنْتُ أنَّك نبيٌّ حتى الساعةِ .

قال البَيْهَقِيُّ[4] : وقد أخبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إجازةً ، أنبأنا أبو حامدٍ أحمدُ [5]بنُ علىٍّ[5] بنِ الحسنِ المُقْرِئُ ، أنبأنا أحمدُ بنُ يوسفَ السُّلَمِيُّ ، ثنا محمدُ بنُ يوسفَ الفِرْيابِيُّ ، ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، عن أبى السَّفَرِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : رَأَى أبو سفيانَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يمشِى والناسُ يَطَئُون عَقِبَه ، فقال بينَه وبيـنَ نفسِه : لو عاوَدْتُ هذا الرجلَ القِتالَ . فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى ضَرَب بيدِه فى صدرِه فقال : « إذًا يُخْزِيَك اللَّهُ » . فقال : أتوبُ إلى اللَّهِ ، وأستَغفرُ اللَّهَ مما تَفَوَّهْتُ به .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٨، من طريق يونس بن بكير ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٦٦، من طريق أبى معاوية ، كلاهما عن هشام بن عروة به .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « عن الواقدى » . وبعده فى ص : « الواقدى » . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٠٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣/ ٤٥٨، كلاهما من طريق ابن سعد به .

(٣) فى الأصل ، م : « حرب » . وهو محمد بن عبيد الطنافسى ، كما فى تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ١٠٢.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص . انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٤٨ - ٥٥٠.

ثم روَى البيهقىُّ[1] ، مِن طريقِ ابنِ خُزَيْمَةَ وغيرِه ، عن أبى حامدٍ ابنِ الشَّرْقىِّ ، عن محمدِ بنِ يَحْيَى الذُّهْلىِّ ، ثنا [2]محمدُ بنُ[2] موسى بنِ أعْيَنَ الجزَرىُّ ، ثنا أبى ، عن إسحاقَ بنِ راشدٍ ، [3]عن الزُّهْرىِّ[3] ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : لمَّا كان ليلةُ دَخَل الناسُ مكةَ ليلةَ الفتحِ ، لم يَزَالوا فى تكبيرٍ وتهليلٍ وطوافٍ بالبيتِ حتى أصْبَحوا ، فقال أبو سفيانَ لهندَ : أتَرَيْن هذا مِن اللَّهِ ؟ قالتْ : نعم ، هذا مِن اللَّهِ . قال : ثُم أصبَح أبو سفيانَ فغدَا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُلتَ لهندَ : أتَرَيْنَ هذا مِن اللَّهِ ؟ قالت : نعم ، هذا مِن اللَّهِ » . فقال أبو سفيانَ : أشْهَدُ أنَّك عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، والذى يُحْلَفُ به ما سَمِع قولى هذا أحدٌ مِن الناسِ غيرُ هندَ .

وقال البخارىُّ[4] : ثنا إسحاقُ ، ثنا [٣/١٤٣ظ] أبو عاصمٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبَرنى حسنُ بنُ مسلمٍ ، عن مجاهدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ حَرَّم مكةَ يومَ خَلَق السماواتِ والأرضَ ، فهى حرامٌ بحَرامِ اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ ، لم تَحِلَّ لأحدٍ قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدِى ، ولم تَحْلِلْ لى إلَّا ساعةً مِن الدَّهرِ ، لا يُنَفَّرُ صيدُها ، ولا يُعْضَدُ شَوْكُها ، ولا يُخْتَلَى خَلاها[5] ، ولا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلَّا لمُنْشِدٍ » . فقال العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ : إلَّا الإذْخِرَ يا رسولَ اللَّهِ ؛ فإنَّه لابُدَّ منه

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٠٢، ١٠٣.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٢٢. وترجمة أبيه موسى فى ٢٩/ ٢٧.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) البخارى (٤٣١٣) .

(٥) فى م : « خلاؤها » . ولا يعضد : أى لا يُقطع بالمعضد ، وهو آلة كالفأس . ولا يختلى خلاها : الخلا هو الرطب من النبات . واختلاؤه : قطْعه واحتشاشه . انظر فتح البارى ١/ ١٩٨، ٤/ ٤٨.

للقَيْنِ[1] والبيوتِ . فسَكَت ثُم قال : « إلَّا الإذْخِرَ ، فإنَّه حَلالٌ » .

وعن ابنِ جُرَيْجٍ[2] ، أخبَرنى عبدُ الكريمِ - هو ابنُ مالكٍ الجَزَرىُّ - عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ بمثْلِ هذا أو نحوِ هذا . ورواه أبو هريرةَ عن النبىِّ ﷺ[3] . تفرَّد به البخارىُّ مِن الوجهِ الأوَّلِ ، وهو مرسلٌ ، ومِن الوجهِ الثانى أيضًا .

وبهذا الحديثِ[4] وأمثالِه اسْتَدَلَّ مَن ذهَب إلى أن مكةَ فُتِحت عَنْوةً ، وللوقعةِ التى كانت فى الخَنْدَمةِ ، كما تقدَّم ، وقد قُتِل فيها قريبٌ مِن عشرِين نفْسًا مِن المسلمين والمشركين ، وهى ظاهرةٌ فى ذلك ، وهو مذهبُ جمهورِ العلماءِ . والمشهورُ عن الشافعىِّ أنها فُتِحت صُلحًا[5] ؛ لأنها لم تُقْسَمْ ، ولقولِه ﷺ ليلةَ الفتحِ : « مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل الحَرَمَ فهو آمِنٌ ، ومَن أغلَق بابَه فهو آمنٌ » . وموضعُ تقريرِ هذه المسألةِ فى كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال البخارىُّ[6] : ثنا سعيدُ بنُ شُرَحْبِيلَ ، ثنا الليثُ ، عن المَقْبُرِىِّ ، عن أبى شُرَيْحٍ العَدَوىِّ[7] ، أنَّه قال لعمرِو بنِ سعيدٍ ، وهو يَبْعَثُ البُعُوثَ إلى مكةَ : ائْذَنْ

---

(١) فى الأصل : « القين » ، وفى م ، ص : « للدفن » . والقين : الحداد . قال الحافظ : قال ابن البيطار : والذى بمكة أجوده - أى الإذخر - وأهل مكة يَسْقَفون به البيوت بين الخشبِ ، ويسدون به الخلل بين اللبنات فى القبور ، ويستعملونه بدلا من الحَلْفَاء فى الوقود . فتح البارى ٤/ ٤٩ .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٤٩: هو موصول بالإسناد الذى قبله .

(٣) البخارى (١١٢) .

(٤) زيادة من : ٤١، ص .

(٥) انظر الجوهر النقى بذيل السنن الكبرى للبيهقى ٩/ ١٢١ .

(٦) البخارى (٤٢٩٥) .

(٧) فى م : « الخزاعى » .

لى أيُّها الأميرُ، أُحَدِّثْك قولًا قام به رسولُ اللَّهِ ﷺ الغدَ مِن يومِ الفتحِ، سَمِعَتْه أُذُناىَ ووَعاه قلبى وأبْصَرَتْه عيناىَ حينَ تكلَّم به؛ إنَّه حَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ثُم قال: «إنَّ مكةَ حَرَّمها اللَّهُ ولم يُحَرِّمْها الناسُ، لا يَحِلُّ لامْرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ أن يَسْفِكَ بها دمًا، ولا يَعْضِدَ بها شجرًا، فإنْ أحدٌ تَرَخَّص لقتالِ[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ فقولوا: إنَّ اللَّهَ أذِن لرسولِه ولم يَأْذَنْ لكم. وإنما أَذِن لى فيها ساعةً مِن نهارٍ، وقد عادتْ حُرمتُها اليومَ كحُرمتِها بالأمسِ، فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ». فقيل لأبى شُرَيْحٍ: ماذا قال لك عمرٌو؟ قال: قال: أنا أعلَمُ بذلك منك يا أبا شُرَيْحٍ، إن الحَرَمَ لا يُعِيذُ عاصيًا ولا فارًّا بدمٍ، ولا فارًّا بخَرْبَةٍ[2]. ورَوى البخاريُّ [٣/ ١٤٤و] أيضًا ومسلمٌ، عن قتيبةَ، عن الليثِ بنِ سعدٍ به نحوَه[3].

وذكَر ابنُ إسحاقَ[4] أن رجلًا يقالُ له: ابنُ الأثْوَعِ. قَتَل رجلًا فى الجاهليةِ مِن خُزاعةَ يقالُ له: أحمرُ بأْسًا. فلمَّا كان يومُ الفتحِ قتَلت خزاعةُ ابنَ الأثْوَعِ[5] وهو بمكةَ، قَتَله خِراشُ بنُ أميةَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا معشرَ خُزاعةَ، ارفَعوا أيديَكم عن القتلِ، لقد كثُر القتلُ إن نفَع[6]، لقد قتَلْتُم رجلًا لأَدِيَنَّه».

---

(١) فى النسخ: «بقتال». والمثبت من صحيح البخارى.

(٢) فى النسخ: «بجزية». والمثبت من صحيح البخارى. وقد فسرها أبو عبد اللَّه البخارى كما فى بعض نسخ الصحيح قائلا: الخربة: البَلِيَّة. انظر صحيح البخارى طبعة الشعب ٥/ ١٩٠.

(٣) البخارى (١٨٣٢)، ومسلم (١٣٥٤).

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٤، ٤١٥.

(٥) هنا وفيما يأتى، فى النسخ: «الأثوغ». والمثبت من السيرة.

(٦) فى ص: «يقع».

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ حَرْمَلَةَ الأسْلمىُّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : لمَّا بَلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ ما صنَع خِراشُ بنُ أميَّةَ قال : « إنَّ خِراشًا لَقَتَّالٌ » .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ المَقْبُرىُّ ، عن أبى شُرَيْحٍ الخُزاعىِّ العَدَوىِّ قال : لمَّا قَدِم عمرُو بنُ الزبيرِ مكةَ لقتالِ أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، جِئتُه فقلتُ له : يا هذا ، إنّا كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتَتَح مكةَ ، فلمَّا كان الغدُ مِن يومِ الفتحِ ، عَدَتْ خُزاعةُ على رجلٍ مِن هُذَيْلٍ فقَتَلوه وهو مشركٌ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا خطيبًا فقال : « يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ قد حرَّم مكةَ يومَ خَلَق السماواتِ والأرضَ ، فهى حَرامٌ مِن حَرامِ اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ ، فلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَسْفِكَ فيها دمًا ، ولا يَعْضِدَ فيها شجرًا ، لم تَحْلِلْ لأحدٍ كان قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ يكونُ بعدِى ، ولم تَحْلِلْ لى إلَّا هذه الساعةَ ؛ غضَبًا على أهلِها ، ألَا ثُمَّ قد رَجَعَتْ كحُرْمتِها بالأمسِ ، فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ ، فمَن قال لكم : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قاتَل فيها . فقولوا : إنَّ اللَّهَ قد أحلَّها لرسولِه ، ولم يُحِلَّها لكم . يا معشرَ خُزاعةَ ، ارفَعوا أيديَكم عن القتلِ فلقد كثُر إن نَفَع[3] ، لقد قتَلْتُم قتيلًا لَأَدِيَنَّه ، فمَن قُتِل بعدَ مقامى هذا فأهلُه بخيرِ النَّظَرَيْن ؛ إن شاءُوا فَدَمُ قاتلِه ، وإن شاءُوا فعَقْلُه » . ثُم وَدَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ذلك الرجلَ الذى قَتَلَتْه خُزاعةُ ، فقال عمرُو لأبى شُرَيْحٍ :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤١٥، ٤١٦.

(٣) فى ص : « يقع » .

انصَرِفْ أيها الشيخُ، فنحن أعلمُ بحُرْمَتِها منك، إنَّها لا تَمْنَعُ سافكَ دمٍ، ولا خالِعَ طاعةٍ، ولا مانِعَ جِزْيةٍ. فقال أبو شُرَيْحٍ: إنِّى كنتُ شاهدًا، وكنتَ غائبًا، وقد أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُبَلِّغَ شاهدُنا غائبَنا، وقد أبْلَغْتُك، فأنت وشأنُك.

قال ابنُ هشامٍ[1]: وبَلَغَنى أنَّ أوَّلَ قتيلٍ وَداه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ جُنَيْدِبُ بنُ الأكْوعِ، قَتَلَتْه بنو كعبٍ، فوَدَاه رسولُ اللَّهِ ﷺ بمائةِ ناقةٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: [٣/ ١٤٤ظ] حدَّثنا يحيى، عن حسينٍ، عن عمرِو ابنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: لمَّا فُتِحت مكةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «كُفُّوا السلاحَ، إلَّا خزاعةَ عن[3] بنى بكرٍ». فأذِن لهم حتى صَلَّى العصرَ، ثُم قال: «كفُّوا السلاحَ». فلَقِيَ رجلٌ مِن خُزاعةَ رجلًا مِن بنى بكرٍ مِن غدٍ بالمُزْدَلِفةِ فقَتَلَه، فبَلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقام خطيبًا فقال - فرأيتُه وهو مُسنِدٌ ظهرَه إلى الكعبةِ قال -: «إنَّ أعْدَى الناسِ على اللَّهِ مَن قَتَل فى الحرمِ، أو قَتَل غيرَ قاتِله، أو قتَل بذُحُولِ[4] الجاهليةِ». وذكَر تمامَ الحديثِ، وهذا غريبٌ جدًّا. وقد رَوَى أهلُ السننِ بعضَ هذا الحديثِ[5]، فأمّا ما فيه مِن أنه رَخَّص لخزاعةَ أن تأخُذَ بثأْرِها مِن بنى بكرٍ إلى العصرِ مِن يومِ الفتحِ، فلم أرَه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٦.

(٢) المسند ٢/ ١٧٩. (إسناده صحيح).

(٣) فى النسخ: «من». والمثبت من المسند.

(٤) الذحول: جمع ذَحْل، وهو الوَتْر، وطلب المكافأة بجناية جُنيت عليه مِن قَتْلٍ أو جرْح ونحو ذلك. والذحل: العداوة أيضًا. انظر النهاية ٢/ ١٥٥.

(٥) أبو داود (٣٥٤٦، ٤٥٦٢، ٤٥٦٦)، والترمذى (١٣٩٠، ١٥٨٥)، والنسائى (٢٥٣٩، ٣٧٦٦، ٤٨٦٥، ٤٨٦٦)، وابن ماجه (٢٦٥٥).

إلَّا فى هذا الحديثِ ، وكأنَّه - إن صَحَّ - مِن بابِ الاخْتِصاصِ لهم ممَّا كانوا أصابوا منهم ليلةَ الوَتِيرِ . واللَّهُ أعلمُ .

ورَوى الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يحْيَى بنِ سعيدٍ ، وسفيانَ بنِ عُيَينةَ ، ويزيدَ بنِ هارونَ ، ومحمدِ بنِ عُبَيْدٍ ، كلُّهم عن زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن عامرٍ الشعبىِّ ، عن الحارثِ بنِ مالكِ بنِ البَرْصاءِ الخُزاعىِّ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ فتحِ مكةَ : « لا تُغْزَى هذه بعدَ اليومِ إلى يومِ القيامةِ » . ورَواه الترمذىُّ ، عن بُنْدارٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ به[2] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

قلتُ : فإن كان نَهْيًا ، فلا إشكالَ ، وإن كان نَفْيًا ، فقال البيهقىُّ[3] : معناه على كفرِ أهلِها .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن عامرٍ الشعبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ ، عن أبيه مُطِيعِ بنِ الأسودِ العَدَوىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ : « لا يُقْتَلُ قُرَشِىٌّ صَبْرًا بعدَ اليومِ إلى يومِ القيامةِ » . والكلامُ عليه كالأولِ سواءٌ .

قال ابنُ هشامٍ[5] : وبَلَغَنى[6] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتَتَح مكةَ ودَخَلَها ،

---

(١) المسند ٣/ ٤١٢، من طريق يحيى بن سعيد ومحمد بن عبيد ، و٤/ ٣٤٣، من طريق سفيان بن عيينة ويزيد بن هارون .

(٢) الترمذى (١٦١١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٣١٢) .

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٧٥.

(٤) مسلم (١٧٨٢) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٦.

(٦) بعده فى السيرة : « عن يحيى بن سعيد » .

قام على الصفا يَدْعو وقد أحْدَقَتْ به الأنصارُ، فقالوا فيما بينَهم: أتُرَوْن رسولَ اللَّهِ ﷺ إذ فَتَح اللَّهُ عليه أرضَه وبلدَه يُقيمُ بها؟ فلمَّا فَرَغ مِن دُعائِه قال: «ماذا قلْتُم؟» قالوا: لا شيءَ يا رسولَ اللَّهِ. فلم يَزَلْ بهم حتى أخْبَروه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَعاذَ اللَّهِ، المحْيا مَحْياكم، والمَماتُ مَماتُكم».

وهذا الذى علَّقه ابنُ هشامٍ قد أسْنَدَه الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ فى «مسندِه»[1] فقال: ثنا بَهْزٌ وهاشمٌ، قالا: حدَّثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ، عن ثابتٍ، وقال [٣/١٤٥و] هاشمٌ: حدَّثنى ثابتٌ البُنانىُّ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَباحٍ، قال: وَفَدَتْ وفودٌ إلى معاويةَ أنا فيهم وأبو هريرةَ، وذلك فى رمضانَ، فجعَل بعضُنا يصْنَعُ لبعضٍ الطعامَ. قال: وكان أبو هريرةَ يُكْثِرُ ما يَدْعونا - قال هاشمٌ: يُكْثِرُ أن يدْعُوَنا - إلى رَحْلِه. قال: فقلتُ: ألا أصْنَعُ طعامًا فأدْعُوَهم إلى رَحْلى؟ قال: فأمَرْتُ بطعامٍ يُصْنَعُ، ولَقِيتُ أبا هريرةَ مِن العِشاءِ. قال: قلتُ: يا أبا هريرةَ، الدَّعْوَةُ[2] عندى الليلةَ. قال: أَسَبَقْتَنى؟! - قال هاشمٌ: قلتُ: نعم - قال: فدعَوْتُهم فهم عندى. قال: فقال أبو هريرةَ: ألا أُعْلِمُكم بحديثٍ مِن حديثِكم يا معشرَ الأنصارِ؟ قال: فذكَر فتحَ مكةَ. قال: أقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فدخَل مكةَ. قال: فبعَث الزبيرَ على إحدى المُجَنِّبَتَيْن، وبعَث خالدًا على المُجَنِّبةِ الأخرى، وبعَث أبا عبيدةَ على الحُسَّرِ[3]، وأخَذوا بطْنَ الوادى، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى كَتيبتِه. قال: وقد وَبَّشَت قريشٌ أوْباشَها[4].

---

(١) المسند ٢/ ٥٣٨.

(٢) فى م، ص: «الدعوى».

(٣) فى ا ٤: «الجيش»، وفى م: «الجسر». والحسر: الذين لا دروع عليهم. بلوغ الأمانى ٢١/ ١٤٩.

(٤) وبشت: جمعت جموعا من قبائل شتى. المصدر السابق.

قال : قالوا : نُقَدِّمُ هؤلاء ، فإن كان لهم شيءٌ كنا معهم ، وإن أُصِيبوا أعْطَيْناه الذى سُئِلْنا[1] . قال أبو هريرةَ : فنظَر فرآنى فقال : « يا أبا هريرةَ » . فقلتُ : لبيك رسولَ اللَّهِ . فقال : « اهْتِفْ لى بالأنصارِ ، ولا يأْتِينى إلا أنصارىٌّ » . فهتَفْتُ بهم ، فجاءوا فأطافوا برسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَرَوْن إلى أوباشِ قريشٍ وأتْباعِهم ؟ » ثم قال بيديه[2] إحداهما على الأخرى : « احْصُدوهم حَصْدًا حتى تُوافونى بالصفا » . قال : فقال أبو هريرةَ : فانطَلَقْنا ، فما يشاءُ أحدٌ منا أن يَقْتُلَ منهم ما شاء ، وما أحدٌ منهم يُوَجِّهُ إلينا منهم شيئًا . قال : فقال أبو سفيانَ : يا رسولَ اللَّهِ ، أُبِيحَت خضراءُ قريشٍ[3] ، لا قريشَ بعدَ اليومِ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أغْلَق بابَه فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ » . قال : فغلَّق الناسُ أبوابَهم . قال : وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحَجَرِ فاسْتَلَمه ثم طاف بالبيتِ . قال : وفى يدِه قوسٌ ؛ آخِذٌ بسِيَةِ القوسِ . قال : فأتَى فى طوافِه على صنمٍ إلى جنبِ البيتِ يَعْبُدونه . قال : فجعَل يَطْعُنُ بها فى عينِه ويقولُ : جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ . قال : ثم أتَى الصفا فعلَاه حيث يَنْظُرُ إلى البيتِ ، فرفَع يديه ، فجعَل يذْكُرُ اللَّهَ بما شاء أن يذْكُرَه ويدْعُوَه . قال : والأنصارُ تحتَه . قال : يقولُ بعضُهم لبعضٍ : أما الرجلُ فأدْرَكَتْه رغبةٌ فى قريتِه ورأفةٌ بعشيرتِه . قال أبو هريرةَ : وجاء الوحْىُ ، وكان إذا جاء لم يَخْفَ [٣/ ١٤٥ظ] علينا ، فليس أحدٌ مِن الناسِ يرْفَعُ طرْفَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى

---

(١) فى م ، ص : « سألنا » . وفى المسند : « قال » .

(٢) قال بيديه : فيه إطلاق القول على الفعل ، أى أشار إلى هيئتهم المجتمعة أو إلى حصدهم واستئصالهم . بلوغ الأمانى ١٤٩/٢١ .

(٣) أبيحت خضراء قريش : استؤصلت قريش بالقتل وأفنيت . المصدر السابق .

يقْضِىَ . قال هاشمٌ : فلما قضَى الوحىُ رفَع رأسَه ، ثم قال : « يا معشرَ الأنصارِ ، أقلْتُم : أما الرجلُ فأدْرَكَتْه رغبةٌ فى قريتِه ورأفةٌ بعشيرتِه ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فما اسمِى إذًا[1] ؟! كلا ، إنى عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، هاجَرْتُ إلى اللَّهِ وإليكم ، فالمحْيا مَحْياكم والمَماتُ مَماتُكم » . قال : فأقْبلوا إليه يبْكون ويقولون : واللَّهِ ما قلنا الذى قلنا إلا الضِّنَّ[2] باللَّهِ ورسولِه . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ ورسولَه يُصَدِّقانِكم ويَعْذِرانِكم » . وقد رَواه مسلمٌ والنَّسائىُّ مِن حديثِ سليمانَ بنِ المغيرةِ ، زاد النَّسائىُّ : وسلَّامِ بنِ مِسْكينٍ ، ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمَةَ ، ثلاثتُهم عن ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ الأنصارىِّ نزيلِ البصرةِ ، عن أبى هريرةَ به نحوَه[3] .

وقال ابنُ هشامٍ[4] : وحدَّثنى - يَعْنى بعضَ أهلِ العلمِ - أن فَضَالةَ بنَ عُمَيْرِ ابنِ المُلَوَّحِ ، يَعْنى الليثىَّ ، أراد قتلَ النبىِّ ﷺ وهو يطوفُ بالبيتِ عامَ الفتحِ ، فلما دَنا منه قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أفَضالةُ ؟ » قال : نعم ، فَضالةُ يا رسولَ اللَّهِ . قال : « ماذا كنتَ تُحَدِّثُ به نفسَك ؟ » قال : لا شىءَ ، كنتُ أذْكُرُ اللَّهَ .

---

(١) قال النووى : قال القاضى : يحتمل هذا وجهين ؛ أحدهما ، أنه أراد ﷺ : إنى نبى ؛ لإعلامى إياكم بما تحدثتم به سرا . والثانى : لو فعلت هذا الذى خفتم منه وفارقتكم ورجعت إلى استيطان مكة لكنت ناقضا لعهدكم فى ملازمتكم ، ولكان هذا غير مطابق لما اشتق منه اسمى وهو الحمد ، فإنى كنت أوصف حينئذ بغير الحمد . شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣١.

(٢) فى الأصل ، ٤١ : « الظن » . والضن باللَّه ورسوله : بخلا به وشحا أن يشاركنا فيه غيرنا . النهاية ٣/ ١٠٤.

(٣) مسلم (٨٤، ٨٥/١٧٨٠) من حديث سليمان بن المغيرة ، والنسائى فى الكبرى (١١٢٩٨) من حديث سليمان بن المغيرة وسلام بن مسكين ، ومسلم (٨٦/١٧٨٠) من حديث حماد بن سلمة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٧.

قال : فضحِك النبيُّ ﷺ ثم قال : « اسْتغفِرِ اللَّهَ » . ثم وضَع يدَه على صدرِه ، فسكَن قلبُه ، فكان فَضالةُ يقولُ : واللَّهِ ما رفَع يدَه عن صدرى حتى ما مِن خلْقِ اللَّهِ شيءٌ أحبَّ إلىَّ منه . قال فَضالةُ : فرجَعْتُ إلى أهلى ، فمرَرْتُ بامرأةٍ كنتُ أتَحَدَّثُ إليها فقالت : هلُمَّ إلى الحديثِ . فقال : لا . وانبعث فَضالةُ يقولُ :

قالت هَلُمَّ إلى الحديثِ فقلتُ لا ... يأْبَى عليكِ اللَّهُ والإسلامُ
أوَ ما رأيتِ محمدًا وقَبِيلَه ... بالفتحِ يومَ تَكَسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ اللَّهِ أضْحَى بَيِّنًا ... والشِّرْكُ يَغْشَى وجهَه الإظلامُ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عروةَ ، قال[2] : خرَج صفوانُ بنُ أميةَ يُريدَ جُدَّةَ ليَرْكَبَ منها إلى اليمنِ ، فقال عميرُ بنُ وهبٍ : يا نبيَّ اللَّهِ ، إن صفوانَ بنَ أميةَ سيدُ قومِه ، وقد خرَج هاربًا منك ليَقْذِفَ نفسَه فى البحرِ ، فأمِّنْه يا رسولَ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ عليك . فقال : « هو آمِنٌ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، فأعْطِنى آيةً يَعْرِفُ بها أمانَك . فأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عِمامتَه التى دخَل فيها مكةَ ، فخرَج بها عميرٌ حتى أدْرَكه وهو يُريدُ أن يرْكَبَ فى البحرِ ، فقال : يا صفوانُ ، فداك أبى وأمى ، اللَّهَ اللَّهَ فى نفسِك أن تُهْلِكَها ، هذا أمانٌ مِن [٣/١٤٦و] رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد جئْتُك به ، قال : [3]ويلَك ! اعْزُبْ[3] عنى فلا تُكَلِّمْنى . قال : أىْ صفوانُ ، فداك أبى وأمى ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤١٧، ٤١٨.
(٢) فى الأصل ، م : « عن عائشة قالت » .
(٣ - ٣) فى السيرة : « ويحك اغرب » .

أفضلُ الناسِ وأبَرُّ الناسِ وأحْلَمُ الناسِ وخيرُ الناسِ ابنُ عمِّك ، عِزُّه عِزُّك وشرفُه شرفُك ومُلْكُه مُلْكُك . قال : إنى أخافُه على نفسى . قال : هو أحْلَمُ مِن ذلك وأكْرمُ . فرجَع معه حتى وقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال صفوانُ : إن هذا يزْعُمُ أنك قد أمَّنْتَنى . قال : « صدَق » . قال : فاجْعَلْنى بالخيارِ فيه شهرين . قال : « أنت بالخيارِ أربعةَ أشهرٍ » .

ثم حكَى ابنُ إسحاقَ[1] ، عن الزهرىِّ أن فاخِتةَ[2] بنتَ الوليدِ امرأةَ صفوانَ ، وأمَّ حَكِيمٍ بنتَ الحارثِ بنِ هشامٍ امرأةَ عكرمةَ بنِ أبى جهلٍ [أسلمَتا[3]] ، وقد ذهَبت وراءَه[4] إلى اليمنِ ، فاسْتَرْجَعَته فأسْلَم ، فلما أسْلَما[5] أقرَّهما رسولُ اللَّهِ ﷺ تحتَهما بالنكاحِ الأولِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى سعيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حسانَ بنِ ثابتٍ قال : رمَى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنَجْرانَ ببيتٍ واحدٍ ما زاد عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أحَلَّك بُغْضُه ... نَجْرانَ فى عيشٍ أحَذَّ[7] لئيمِ

فلما بلَغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى ، خرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأسْلَم ، وقال حينَ أسلم :

يا رسولَ المليكِ إن لسانى ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٨. مفصلا .

(٢) فى م : « فاخة » .

(٣) زيادة من السيرة ليستقيم السياق .

(٤) أى ذهبت أم حكيم وراء عكرمة .

(٥) أى صفوان وعكرمة .

(٦) المصدر السابق ٢/ ٤١٨، ٤١٩.

(٧) فى الأصل : « أجد » ، وفى ص : « أجذ » . والأحذ : القليل المنقطع . ومن رواه « أجد » بالجيم والدال المهملة فمعناه منقطع أيضا ، وقد يكون معناه : فى عيش لئيم جدا . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٠.

(٨) الراتق : السادّ ، تقول : رتقت الشىء . إذا سددته . والبور : الهلاك . المصدر السابق ٣/ ٨١.

إذ أُبـارِى الشيطـانَ فى سَنَنِ الْـ غَـىِّ ومَن مالَ مَيْلَهُ مَثْبورُ[1]

آمَن اللحمُ والعِظامُ لربِّى ثم قلبى الشهيدُ أنت النذيرُ

إننى عنك زاجرٌ ثَمَّ حَيًّا مِن لُؤَىٍّ وكلُّهم مَغْرورُ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى أيضًا حينَ أسلم :

منَع الرُّقادَ بلابلٌ وهمومُ والليلُ مُعْتَلِجُ الرِّواقِ بَهِيمُ[3]

مما أتانى أنَّ أحمدَ لامَنى فيه فبِتُّ كأننى مَحْمومُ

يا خيرَ مَن حَمَلَتْ على أوصالِها عَيْرانةٌ سُرُحُ اليَدْين غَشُومُ[4]

إنى لَمُعْتذِرٌ إليك مِن الذى أسْدَيْتُ إذ أنا فى الضَّلالِ أَهِيمُ

أيامَ تأمُرُنى بأغْوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وتأْمُرُنى بها مَخْزومُ

وأمُدُّ أسبابَ الرَّدَى ويَقودُنى أمْرُ الغُواةِ وأمْرُهم مَشْئُومُ

فاليومَ آمَن بالنبىِّ محمدٍ قلبى ومُخْطِئُ هذه مَحْرومُ

[٣/١٤٦ظ] مضَتِ العداوةُ وانقَضَتْ أسبابُها ودَعَتْ أواصرُ بيننا وحُلُومُ

---

(١) فى الأصل : « معدود » ، وفى ص : « مغرور » . وأبارى : أعارض وأجارى . والسنن : وسط الطريق . والمثبور : الهالك . المصدر السابق .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان . ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . ورواقا الليل : مقدَّمُه وجوانبه . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨١، واللسان (ر و ق) .

(٤) عيرانة : ناقة تشبه العَيْر فى شدته ونشاطه ، والعير هنا : حمار الوحش . وسرح اليدين : خفيفة اليدين . وغشوم : ظلوم ؛ يعنى أن مشيها فيه جفاء . وقال السهيلى : الغشوم : التى لا تُرَدُّ عن وجهها . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨١، ٨٢، والروض الأنف ٧/ ١٤٦.

فاغفِرْ فِدًى لك والداى كلاهما زَلَلِى فإنك راحمٌ مَرْحومُ
وعليك مِن عِلْمِ المَليكِ عَلامةٌ نورٌ أغَرُّ وخاتَمٌ مَخْتومُ
أعطاك بعدَ محبةٍ بُرْهانَه شرفًا وبُرْهانُ الإلهِ عظيمُ
ولقد شَهِدْتُ بأن دينَك صادقٌ حقٌّ وأنك فى العبادِ[1] جَسيمُ[2]
واللَّهُ يَشْهَدُ أن أحمدَ مُصْطَفًى مُسْتَقْبَلٌ[3] فى الصالحين كريمُ
قَرْمٌ عَلا بنيانُه مِن هاشمٍ فرْعٌ تَمَكَّن فى الذُّرا وأُرُومُ[4]

قال ابنُ هشامٍ: وبعضُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنْكِرُها له.

قلتُ: كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السهميُّ مِن أكبرِ أعداءِ الإسلامِ، ومِن الشعراءِ الذين استعملوا قُواهم فى هِجاءِ المسلمين، ثم مَنَّ اللَّهُ عليه بالتوبةِ والإنابةِ والرجوعِ إلى الإسلامِ والقيامِ بنصرِه والذَّبِّ عنه.

---

(١) سقط من: ا ٤، وفى م، ص: «المعاد».
(٢) جسيم: عظيم. شرح غريب السيرة ٣/ ٨٢.
(٣) مستقبل: أى منظور إليه ملحوظ. المصدر السابق.
(٤) قرم: أى سيِّد. والأروم: الأصول. المصدر السابق.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان جميعُ مَن شَهِد فتحَ مكةَ مِن المسلمين عشَرةَ آلافٍ ؛ مِن بنى سُلَيْمٍ سبعُمائةٍ ، ويقولُ بعضُهم : ألفٌ . ومِن بنى غِفارٍ أربعُمائةٍ ، [2]ومِن أسْلَمَ أربعُمائةٍ[2] ، ومِن مُزَيْنةَ ألفٌ وثلاثةُ نفَرٍ ، وسائرُهم مِن قريشٍ والأنصارِ وحلفائِهم وطوائفِ العربِ مِن تَميمٍ وقيسٍ وأسدٍ . وقال عروةُ والزهرىُّ وموسى بنُ عقبةَ[3] : كان المسلمون يومَ الفتحِ الذين مع رسولِ اللَّهِ ﷺ اثنَىْ عشَرَ ألفًا . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان مما قيل مِن الشعرِ فى يومِ الفتحِ قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ[5] :

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ ... إلى عَذْراءَ منزلُها خَلاءُ[6]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٤١، ص .

(٣) أخرج البيهقى هذه الآثار عنهم فى الدلائل ؛ فأخرج أثر عروة فى ٥/ ٣٥، ٣٦، وأثر الزهرى وموسى ابن عقبة فى ٥/ ٣٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٤٢١ - ٤٢٤.

(٥) ديوان حسان ص ٧١ - ٧٧.

(٦) عفت : دَرَسَتْ وتغيَّرتْ . وذات الأصابع : موضع بالشام ، والجواء كذلك . وكان حسان كثيرًا ما يَرِد على ملوك غسان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعذراء : قرية عند دمشق . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨٣، والروض الأنف ٧/ ١٤٦، ١٤٧.

دِيارٌ مِن بنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيها الرَّوامِسُ والسماءُ[1]

وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ خلالَ مُرُوجِها[2] نَعَمٌ وشاءُ

فدَعْ هذا ولكن مَن لِطَيْفٍ يُؤَرِّقُنى إذا ذهَب العِشاءُ

لشَعْثاءَ[3] التى قد تَيَّمَتْهُ فليس لقلبِه منها شِفاءُ

كأن خَبِيئةً مِن بيتِ رأسٍ يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ[4]

إذا ما الأَشْرِباتُ ذُكِرْن يومًا فهنَّ لطَيِّبِ الراحِ[5] الفِداءُ

[٣/١٤٧و] نُوَلِّيها المَلامةَ إن أَلَمْنا[6] إذا ما كان مَغْثٌ[7] أو لِحاءُ

ونَشْرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكًا وأُسْدًا ما يُنَهْنِهُنا[8] اللقاءُ

---

(١) تعفيها : تُغيِّرها . والروامس : الرياح التى ترمس الآثار ؛ أى تغطيها . والسماء : المطر . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨٤، والروض الأنف ٧/ ١٤٧.

(٢) المروج : جمع مَرْج ، والمرج : أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدوابّ . انظر الوسيط (م ر ج) .

(٣) شعثاء : هى بنت سلَّام بن مِشْكم اليهودى . وقد كان تحت حسان أيضا امرأة اسمها شعثاء . انظر الروض الأنف ٧/ ١٤٩.

(٤) الخبيئة : الخمر المخبوءة ؛ أى المصونة فى دِنانها . وبيت رأس : موضع بالشام . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٤، ٨٥.

(٥) الراح : الخمر .

(٦) إن ألمنا : أى إن أتينا بما نُلام عليه صرفنا اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالسُّكر . الروض الأنف ٧/ ١٥١.

(٧) فى م : « مغت » . والمغث : الضرب باليد . واللحاء : الملاحاة باللسان . ويروى أن حسانَ مرَّ بفتيةٍ يشربون الخمر فى الإسلام فنهاهم ، فقالوا : واللّه لقد أردنا تركها ، فيزينها لنا قولك :

* ونشربها فتتركنا ملوكا *

فقال : واللّه لقد قلتها فى الجاهلية وما شربتها منذ أسلمت . وكذلك قيل : إن بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهلية وقال آخرَها فى الإسلام . الروض الأنف ٧/ ١٥١.

(٨) ما ينهنهنا : أى ما يزجرنا وما يَرُدّنا . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٥.

عَدِمْنا خيلَنا إن لم تَرَوْها تُثِيرُ النَّقْعَ موعدُها كَداءُ
يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ مُصْغِياتٍ على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماءُ[1]
تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ[2] يُلَطِّمُهن بالخُمُرِ النساءُ
فإما تُعْرِضوا عنا اعتَمَرْنا وكان الفتحُ وانكَشَف الغِطاءُ
وإلا فاصْبِروا لجِلادِ يومٍ يُعِزُّ اللَّهُ فيه مَن يشاءُ
وجبريلٌ رسولُ اللَّهِ فينا ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ[3]
وقال اللَّهُ قد أرْسَلْتُ عبدًا يقولُ الحقَّ إن نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدْتُ به فقُوموا صدِّقوه فقلْتُم لا نقومُ ولا نَشاءُ
وقال اللَّهُ قد سيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللقاءُ[4]
لنا في كلِّ يومٍ مِن مَعَدٍّ سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ
فنُحْكِمُ بالقوافي مَن هَجانا ونَضْرِبُ حينَ تَخْتَلِطُ الدِّماءُ
ألا أَبْلِغْ أبا سفيانَ عني مُغَلْغَلَةً[5] فقد بَرِح الخَفاءُ
بأنَّ سيوفَنا تَرَكَتْك عبدًا وعبدَ الدارِ سادتُها الإماءُ
هَجَوْتَ محمدًا فأجَبْتُ عنه وعندَ اللَّهِ في ذاكَ الجزاءُ

---

(١) الأسل: الرماح. والظماء: العطاش. شرح غريب السيرة ٣/٨٥ .
(٢) متمطرات: أى مصونات، ويقال: يسبق بعضها بعضا. المصدر السابق.
(٣) كفاء: مِثْلٌ. المصدر السابق.
(٤) عرضتها اللقاء: أى عادتها أن تتعرَّض للقاء عدوها. المصدر السابق .
(٥) المغلغلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد. المصدر السابق.

أتَهْجُوه ولسْتَ له بكُفءٍ فشَرُّكما لخيرِكما الفِداءُ
هَجَوْتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنيفًا أمينَ اللَّهِ شِيمتُه الوَفاءُ
أمَن يهْجو رسولَ اللَّهِ منكم ويَمْدَحُه ويَنْصُرُه سواءُ
فإنَّ أبى ووالدَه وعِرْضى لعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ
لسانى صارمٌ لا عَيْبَ فيه وبَحْرى لا تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

قال ابنُ هشامٍ[1] : قالها حسانُ قبلَ[2] الفتحِ .

قلتُ : والذى قاله مُتَوَجِّهٌ ؛ لِمَا فى أثناءِ هذه القصيدةِ مما يَدُلُّ على ذلك ، وأبو سفيانَ المذكورُ فى البيتِ هو أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ .

قال [٣/١٤٧ظ] ابنُ هشامٍ[1] : وبلَغَنى عن الزُّهْرىِّ أنه قال : لما رَأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ النساءَ يُلَطِّمْنَ الخيلَ بالخُمُرِ ، تبَسَّم إلى أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقال أنسُ بنُ زُنَيْمٍ الدُّئِلىُّ ، يَعْتَذِرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مما كان قال فيهم عمرُو بنُ سالمٍ الخُزاعىُّ - يعنى لما جاء يَسْتَنْصِرُ عليهم ، كما تقَدَّم - :

أأنت الذى تُهْدَى مَعَدٌّ بأمْرِه بل اللَّهُ يَهْديهم وقال لك اشْهَدِ
وما حمَلَتْ مِن ناقةٍ فوقَ رَحْلِها أبَرَّ وأوْفَى ذِمَّةً مِن محمدِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٤.
(٢) فى السيرة : « يوم » .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٢٤، ٤٢٥.

أحَثَّ على خيرٍ وأسْبَغَ نائِلًا ... إذا راح كالسيفِ الصَّقِيلِ المُهَنَّدِ[1]

وأكْسَى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابْتِذالِه ... وأعْطَى لرأسِ السابقِ المُتَجَرِّدِ[2]

تعَلَّمْ رسولَ اللَّهِ أنك مُدْرِكى ... وأن وَعيدًا منك كالأخْذِ باليدِ[3]

تعَلَّمْ رسولَ اللَّهِ أنك قادرٌ ... على كلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ ومُنْجِدِ[4]

تَعَلَّمْ بأنَّ[5] الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ ... همُ الكاذبون المُخْلِفو كلِّ مَوْعِدِ

ونَبِّئْ رسولَ اللَّهِ أنى هَجَوْتُه ... فلا حمَلَتْ سوطى إلىَّ إذَنْ يدى

سوى أننى قد قلتُ ويلُ امِّ فِتْيةٍ ... أُصِيبوا بنحْسٍ لا بطَلْقٍ وأسْعُدِ[6]

أصابهُمُ مَن لم يكُنْ لدمائِهم ... كِفاءً فَعَزَّت عَبْرتى وتَبَلَّدى[7]

وإنك قد [8]أخْفَرْتَ إن كنتَ[8] ساعِيًا ... بعبدِ بنِ عبدِ اللَّهِ وابنةِ مَهْوَدِ

---

(١) أحثّ: أسرع. وأسبغ: أكمل. والنائل: العطاء. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨٥، ٨٦.

(٢) الخال هنا: ضرب من برود اليمن. والسابق هنا: الفرس. والمتجرد: الذى يتجرّد من الخيل فيسبقها. المصدر السابق ٣/ ٨٦.

(٣) تعلم: معناه اعْلَمْ. والوعيد: التهديد. المصدر السابق.

(٤) الصرم: بيوت مجتمعة. والمتهمون: الذين سكنوا تِهامة؛ وهى ما انخفض من أرض الحجاز. والمنجد: من سكن نجدًا؛ وهو المرتفع من الأرض. المصدر السابق.

(٥) سقط من: ا ٤. وفى م: «أن».

(٦) الطلق: الأيام السعيدة. يقال: يوم طلق. إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شىء يؤذى. وكذلك ليلة طلقة. المصدر السابق.

(٧) الكفاء: المماثل. وعزت: اشتدّت. والعَبْرة: الدَّمْعة. وتبلدى: تحيَّرى. انظر الوسيط (ك ف ا). وشرح غريب السيرة ٣/ ٨٦.

(٨ - ٨) فى الأصل، م: «أخبرت أنك». وفى ص: «أجزت إن كنت». والمثبت من السيرة. وأخفرت: أى نقضت عهده. المصدر السابق.

ذُؤَيْبٌ وكُلْثومٌ وسَلْمَى تَتابَعوا جميعًا فإن لا تَدْمَعِ العينُ أَكْمَدِ[1]

وسَلْمَى وسَلْمَى ليس حيٌّ كمثلِه وإخوتُه وهل ملوكٌ كأَعْبُدِ

فإنِّىَ لا دِينًا[2] فتقْتُ[3] ولا دمًا هرَقْتُ تَبَيَّنْ عالمَ الحقِّ واقْصِدِ

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقال بُجَيْرُ بنُ زهيرِ بنِ أبى سُلْمَى فى يومِ الفتحِ :

نفَى أهلَ الحَبَلَّقِ[5] كلَّ فَجٍّ مُزَيْنةُ غُدْوةً وبنو خُفافِ

ضرَبْناهم بمكةَ يومَ فتحِ النَّبىِّ الخيرِ بالبِيضِ الخِفافِ

صَبَحْناهم بسبْعٍ مِن سُلَيْمٍ وأَلْفٍ مِن بنى عُثمانَ وَافِ

نَطَأْ أكْتافَهم[6] ضرْبًا وطعْنًا ورَشْقًا بالمُرَيَّشةِ[7] اللِّطافِ

[٣/ ١٤٨و] تَرَى بينَ الصفوفِ لها حَفِيفًا كما انْصاع الفُواقُ مِن الرِّصافِ[8]

فرُحْنا والجِيادُ تجولُ فيهم بأرْماحٍ مُقَوَّمةِ الثِّقافِ

فأُبْنا غانمين بما اشْتَهَيْنا وآبُوا نادمين على الخِلافِ

---

(١) أكمد : من الكَمَد وهو الحزن . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٦.

(٢) فى م : « ذنبا » .

(٣) فتقت : أى أحْدَثتُ فيه أو خَرَجتُ منه . المصدر السابق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٥، ٤٢٦.

(٥) الحبلق : الغنم الصغار . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٧.

(٦) فى ص : « أكنافهم » .

(٧) الرشق : الرَّمْى السريع . والمريشة : السهام ذوات الرِّيش . المصدر السابق ٣/ ٨٨.

(٨) الحفيف : الصوت . وانصاع : ذهب . والفواق : طرف السهم الذى يلى الوتر . والرصاف : عُصْبَة تُلْوَى على فُوق السهم . انظر المصدر السابق ، والروض الأنف ٧/ ١٥٥.

وأعْـطَـيْنا رسـولَ الـلَّـهِ مِـنَّـا مَواثِقَنا على حُسْنِ التَّصافى
وقـد سَـمِـعـوا مَـقـالـتَنا فـهَـمُّـوا غَـداةَ الـرَّوْعِ مـنـا بـانْـصِـرافِ

وقال ابنُ هشامٍ[1] : وقال عباسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمىُّ فى فتحِ مكةَ :

مِنَّا بمكةَ يومَ فتحِ محمدٍ ألْفٌ تَسِيلُ به البِطاحُ مُسَوَّمُ[2]
نصَروا الرسولَ وشاهدوا آياتِه[3] وشِعارُهم يومَ اللِّقاءِ مُقَدَّمُ
فى منزلٍ ثَبَتَتْ به أقدامُهم ضَنْكٍ كأنَّ الهامَ فيه الحَنْتَمُ[4]
جرَّت سنابِكَها بنَجْدٍ قبلَها حتى استقام لها الحجازُ الأدْهَمُ[5]
الـلَّـهُ مـكَّـنـه لـه وأذَلَّـه حُكْمُ السيوفِ لنا وجَدٌّ مِزْحَمُ[6]
عَوْدُ الرِّياسةِ شامخٌ عِرْنِينُه مُتَطَلِّعٌ ثُغَرَ المكارِمِ خِضْرِمُ[7]

وذكَر ابنُ هشامٍ[8] فى سببِ إسلامِ عباسِ بنِ مِرْداسٍ ، أن أباه كان يَعْبُدُ صنمًا مِن حجارةٍ يقالُ له : ضِمارٌ . فلما حضَرَتْه الوفاةُ أوْصاه به ، فبينما هو

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٦، ٤٢٧.
(٢) مسوم : أى مُرسَل ، ويقال : مُعلم بعلامة ، وشعارهم علامتهم فى الحرب . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٨.
(٣) سقط من : ٤١. وفى السيرة : « أيامه » .
(٤) ضنك : ضيِّق . والهام : الرءوس . والحنتم : الفَخّار المطليُّ بالزجاج . المصدر السابق ٣/ ٨٨.
(٥) سنابكها : أطراف حوافرها من مُقدَّمها . والأدهم هنا : المجتمِع ، من الدَّهْماء ، وهى جماعة الناس . المصدر السابق .
(٦) جد مزحم : أى يُزاحِم الأمور ولا يهابها . المصدر السابق .
(٧) عود الرياسة : أى قديمها ، وأصله المسِّن من الإبل . والعرنين : طرف الأنف . والخضرم : الجواد الكثير العطاء . المصدر السابق .
(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٧.

يومًا يَخْدِمُه إذ سَمِع صوتًا مِن جوفِه وهو يقولُ :

قلْ للقبائلِ مِن سُلَيْمٍ كلِّها أوْدَى[1] ضِمارُ وعاش أهلُ المسجدِ

إن الذى وَرِث النبوةَ والهُدَى بعدَ ابنِ مَرْيَمَ مِن قريشٍ مُهْتَدِى

أوْدَى ضِمارُ وكان يُعْبَدُ مَرَّةً[2] قبلَ الكتابِ إلى النبىِّ محمدِ

قال : فحرَّق عباسٌ ضِمارًا ، ثم لَحِق برسولِ اللَّهِ ﷺ فأسْلَم . وقد تقدَّمت هذه القصةُ بكَمالِها فى بابِ هَواتفِ الجانِّ ، مع أمثالِها وأشْكالِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) أودى : هلك .

(٢) فى م : « مدة » . وانظر ما تقدم فى ٣/٥٨٠ - ٥٨٢.

بعْثُه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم خالدَ بنَ الوليدِ بعدَ الفتحِ إلى بنى جَذِيمةَ مِن كِنانةَ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى [2]حَكِيمُ بنُ حَكيمِ[2] بنِ عَبَّادِ بنِ حُنَيْفٍ ، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ حينَ افتَتَح مكةَ داعيًا ، ولم يبعَثْه مُقاتلًا ، ومعه قبائلُ مِن العربِ ؛ سُلَيْمُ بنُ منصورٍ ومُدْلِجُ بنُ مُرَّةَ ، فوَطِئوا بنى جَذِيمةَ بنَ [٣/١٤٨ظ] عامرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ، فلمَّا رآه القومُ أخَذوا السلاحَ ، فقال خالدٌ : ضَعوا السلاحَ ، فإن الناسَ قد أسْلَموا .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا مِن أهلِ العلمِ مِن بنى جَذِيمةَ قال : لمَّا أمَرَنا خالدٌ أن نضَعَ السلاحَ ، قال رجلٌ مِنا - يقالُ له : جَحْدَمٌ -: ويلكم يا بنى جَذِيمةَ ، إنه خالدٌ ، واللَّهِ ما بعدَ وضْعِ السلاحِ إلَّا الإسارُ[4] ، وما بعدَ الإسارِ إلَّا ضربُ الأعْناقِ ، واللَّهِ لا أضَعُ سلاحِى أبدًا . قال : فأخَذه رجالٌ مِن قومِه ، فقالوا : يا جَحْدَمُ ، أتريدُ أن تَسْفِكَ دماءَنا ؟ إن الناسَ قد أسلَموا[5]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢ - ٢) فى ص : « حليم بن حليم » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١٩٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٩.

(٤) الإسار : الأسر .

(٥) بعده فى السيرة : « ووضعوا السلاح » . وأشار محققوها إلى أن هذه العبارة سقطت من إحدى نسخ السيرة .

ووُضِعَت الحربُ، وأَمِنَ[1] الناسُ. فلم يزالُوا به حتى نزَعوا سلاحَه، ووضَع القومُ سلاحَهم لقولِ خالدٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فحدثَنى[3] حَكِيمُ بنُ[4] حكيمٍ، عن أبى جعفرٍ قال: فلمّا وضَعوا السلاحَ أمَر بهم خالدٌ [5]عندَ ذلك[5]، فكُتِفوا[6]، ثم عرَضهم على السَّيفِ، فقتَل مَن قتَل منهم، فلمَّا انتَهى الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ رفَع يدَيه إلى السماءِ ثم قال: «اللهمَّ إنى أَبْرَأُ إليك ممَّا صنَع خالدُ بنُ الوليدِ».

قال ابنُ هشامٍ[7]: حدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أنه انفَلَت رجلٌ مِن القومِ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبَره الخبرَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هل أنكَر عليه أحدٌ؟» فقال: نعم، قد أنكَر عليه رجلٌ أبيضُ رَبْعَةٌ[8]، فنهَمه[9] خالدٌ، فسكَت عنه، وأنكَر عليه رجلٌ آخرُ طويلٌ مُضْطَرِبٌ[10]، فراجَعَه[11] فاشتدَّتْ مُراجعتُهما، فقال عمرُ بنُ الخطابِ: أمَّا الأولُ يا رسولَ اللَّهِ، فابْنى عبدُ اللَّهِ، وأمَّا الآخرُ

---

(١) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م، ص: «وآمن». والمثبت من السيرة.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٩.

(٣) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م: «فقال».

(٤) بعده فى ص: «أبى».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ٤١، م.

(٦) فكتفوا: أى شُدَّتْ أيديهم من خلفهم بالكِتاف؛ وهو ما شُدَّ به من حبلٍ ونحوه. انظر الوسيط (ك ت ف).

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٩، ٤٣٠.

(٨) الربعة من الرجال: الذى بين الطويل والقصير. شرح غريب السيرة ٣/ ٩٠.

(٩) فى ٤١: «فشتمه». وفى ص: «فهمه». ونهمه: زجره. المصدر السابق.

(١٠) مضطرب: أى ليس بمستوى الخلْق. المصدر السابق.

(١١) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة.

فسالمٌ مولى أبى[1] حُذيفةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدَّثنى حَكيمُ بنُ حَكيمٍ ، عن أبى جعفرٍ قال : ثم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ فقال : « يا علىُّ ، اخرُجْ إلى هؤلاء القومِ ، فانظُرْ فى أمرِهم ، واجعَلْ أمْرَ الجاهليةِ تحتَ قدمَيْك » . فخرَج علىٌّ حتى جاءهم ومعه مالٌ قد بعَث به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فودَى لهم الدماءَ وما أُصِيب لهم مِن الأموالِ حتى إنه لَيَدِى مِيلَغَةَ الكلبِ[3] ، حتى إذا لم يبقَ شىءٌ مِن دمٍ ولا مالٍ إلَّا وَداه ، بقِيَتْ معه بقيةٌ مِن المالِ ، فقال لهم علىٌّ حينَ فرَغ منهم : هل بَقِىَ لكم[4] دمٌ أو مالٌ لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أُعْطِيكم هذه البقيةَ مِن هذا المالِ احْتياطًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ [5]مما لا نعْلَمُ[5] ولا تعلَمون . ففعَل ، ثم رجَع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخبَره الخبرَ ، فقال : « أصَبتَ وأحسَنتَ » . ثم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ فاستَقبل القبلةَ قائمًا شاهرًا يدَيه ، حتى إنه ليُرى ما تحتَ مَنْكِبَيْه [٣/١٤٩و] يقولُ : « اللهمَّ إنى أبرَأُ إليك مما صنَع خالدُ بنُ الوليدِ » . ثلاثَ مراتٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقد قال بعضُ مَن يَعْذِرُ خالدًا : إنه قال : ما قاتَلْتُ حتى أمَرنى بذلك عبدُ اللَّهِ بنُ حُذافةَ السَّهْمىُّ وقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد

---

(١) سقط من : ص . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٠.

(٣) ميلغة الكلب : شىء يُحفر من خشب ويُجعل فيه الماء ليَلَغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وعند أهل البادية ، ويقال : ولغ الكلب فى الإناء . إذا شرب منه . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٠.

(٤) بعده فى السيرة : « بقية من » .

(٥ - ٥) فى ٤١، ص : « فيما لا يعلم » . وفى م : « مما لا يعلم » . وفى السيرة : « مما يعلم » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٠.

أمَرك أن تُقاتِلَهم لامتناعِهم مِن الإسلامِ. قال ابنُ هشامٍ[1]: قال أبو عمرٍو المَدِينىُّ: لمَّا أتاهم خالدُ بنُ الوليدِ قالوا: صبَأْنا صبَأْنا. وهذه مُرْسَلاتٌ ومُنْقطِعاتٌ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، ثنا معمرٌ، عن الزهرىِّ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن ابنِ عمرَ قال: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلى بنى - أحسَبُه قال - جَذِيمةَ. فدَعاهم إلى الإسلامِ، فلم يُحْسِنوا أن يقولوا: أسلَمْنا. فجعَلوا يقولون: صبَأْنا صبَأْنا. [3]وجعل خالدٌ[3] بهم أسْرًا وقتلًا. قال: ودفَع إلى كلِّ رجلٍ مِنّا أسيرًا، حتى إذا أصبَح يومًا أمَر خالدٌ أن يَقْتُلَ كلُّ رجلٍ مِنَّا أسيرَه. قال ابنُ عمرَ: فقلتُ: واللَّهِ لا أقتُلُ أسيرِى، ولا يقتُلُ أحدٌ مِن أصْحابى أسيرَه. قال: فقدِمُوا على النبىِّ ﷺ فذكَروا له صَنيعَ خالدٍ، فقال النبىُّ ﷺ [4]ورفَع يدَيه[4]: «اللهم إنى أَبْرَأُ إليك ممَّا صنَع خالدٌ». مرتيْن. ورَواه البخارىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ به نحوَه[5].

قال ابنُ إسحاقَ[6]: وقد قال لهم جَحْدَمٌ لمَّا رأَى ما يصنَعُ بهم خالدٌ: يا بنى جَذِيمةَ، ضاع الضَّرْبُ، قد كنتُ حذَّرْتُكم ما وقَعْتُم فيه. قال ابنُ إسحاقَ: وقد كان بينَ خالدٍ وبينَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ - فيما بلَغنى -

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١.

(٢) المسند ٢/ ١٥٠، ١٥١. (إسناده صحيح).

(٣ - ٣) فى ٤١: «وجعل خالد يفعل»، وفى م: «وخالد يأخذ».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) البخارى (٧١٨٩)، والنسائى فى الكبرى (٨٥٩٦).

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

كلامٌ فى ذلك، فقال له عبدُ الرحمنِ: عمِلْتَ بأمرِ الجاهليةِ فى الإسلامِ؟ فقال: إنما ثأَرْتُ بأبيك. فقال عبدُ الرحمنِ: كذَبْتَ، قد قتَلْتُ قاتلَ أبى، ولكنك ثأَرْتَ بعمِّك الفاكهِ بنِ المغيرةِ. حتى كان بينَهما شرٌّ، فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «مهلًا يا خالدُ، دَعْ عنك أصْحابى، فواللَّهِ لو كان لك أُحُدٌ ذهبًا ثم أنفقْتَه فى سبيلِ اللَّهِ، ما أدرَكْتَ غَدْوةَ رجلٍ مِن أصْحابى ولا رَوْحتَه». ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ الفاكهِ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ، عمِّ خالدِ بنِ الوليدِ، فى خروجِه هو وعوفِ بنِ عبدِ عوفِ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ زُهْرَةَ، ومعه ابنُه عبدُ الرحمنِ، وعفَّانِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ، ومعه ابنُه عثمانُ فى تجارةٍ إلى اليمنِ، ورجوعِهم ومعهم مالٌ لرجلٍ مِن بنى جَذِيمةَ كان هلَك باليمنِ، فحمَلوه إلى وَرَثَتِه، فادَّعاه رجلٌ منهم يقالُ له: خالدُ بنُ هشامٍ. ولقِيَهم بأرضِ بنى جَذِيمةَ فطلَبه منهم [٣/ ١٤٩ظ] (١) قبلَ أن يصِلُوا إلى أهلِ الميِّتِ (١)، فأبَوْا عليه، فقاتَلهم فقاتَلوه، حتى قُتِل عوفٌ والفاكهُ وأُخِذَت أموالُهما، وقتَل عبدُ الرحمنِ قاتلَ أبيه خالدَ بنَ هشامٍ، وفرَّ منهم عفَّانُ ومعه ابنُه عثمانُ إلى مكةَ، فهمَّتْ قريشٌ بغزوِ بنى جَذِيمةَ، فبعَثَتْ بنو جَذِيمةَ يَعْتَذِرون إليهم بأنه لم يكُنْ عن ملأٍ منهم، ووَدَوْا لهم القتيلَيْن وأموالَهما، ووضَعُوا الحربَ بينَهم.

يَعْنِى فلهذا قال خالدُ بنُ الوليدِ لعبدِ الرحمنِ: إنما ثأَرْتُ بأبيك. يعنى حينَ قتَلَتْه بنو جَذِيمةَ، فأجابه بأنه قد أخَذ ثأْرَه وقتَل قاتلَه، وردَّ عليه بأنه إنما ثأَر

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١، ص.

بعمِّه الفاكهِ بنِ المغيرةِ حينَ قتَلوه وأخَذوا أموالَه ، والمظنونُ بكلٍّ منهما أنه لم يَقْصِدْ شيئًا مِن ذلك ، وإنما يقالُ هذا فى وقتِ المُخاصمةِ ، فإنما أرادَ خالدُ بنُ الوليدِ نُصْرَةَ الإسلامِ وأهلِه ، وإن كان قد أخطَأ فى أمرٍ ، واعتَقد أنهم ينْتَقِصون الإسلامَ بقولِهم : صبَأْنا صبَأْنا . ولم يَفْهَمْ عنهم أنهم أسلَموا ، فقتَل طائفةً كثيرةً منهم وأسَر بقيَّتَهم ، وقتَل أكثرَ الأسْرَى أيضًا ، ومع هذا لم يَعْزِلْه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بل استَمرَّ به أميرًا ، وإن كان قد تبرَّأ منه فى صَنيعِه ذلك ، ووَدَى ما كان جَناه خطأً فى دمٍ أو مالٍ ، ففيه دليلٌ لأحدِ القولَيْن بينَ العلماءِ فى أن خطأَ الإمامِ يكونُ فى بيتِ المالِ لا فى مالِه . واللَّهُ أعلمُ . ولهذا لم يَعْزِلْه الصِّدِّيقُ حينَ قتَل مالكَ بنَ نُوَيْرةَ أيامَ الرِّدَّةِ ، وتأوَّل عليه ما تأوَّل حينَ ضرَب عنقَه واصطَفى امرأتَه أمَّ تميمٍ ، فقال له عمرُ بنُ الخطابِ : اعزِلْه ؛ فإن فى سيفِه رَهَقًا[1] . فقال الصديقُ : لا أَغْمِدُ سيفًا سَلَّه اللَّهُ على المشركين[2] .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المغيرةِ بنِ الأَخْنَسِ ، عن الزهرىِّ ، عن ابنِ أبى حَدْرَدٍ الأسلمىِّ قال : كنتُ يومَئذٍ فى خيلِ خالدِ بنِ الوليدِ ، فقال فَتًى مِن بنى جَذِيمةَ ، وهو فى سنِّى[4] ، وقد جُمِعتْ يداه إلى عُنُقِه برُمَّةٍ[5] ، ونسوةٌ مجتمعاتٌ غيرَ بعيدٍ منه : يا فتى . فقلتُ : ما تشاءُ ؟ قال : هل

---

(١) رهقًا : أى عجلة . النهاية ٢/ ٢٨٣.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٧٩، حوادث السنة الحادية عشرة ، وتاريخ دمشق ١٦/ ٢٤٠، ٢٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٣، ٤٣٤.

(٤) فى الأصل : « سبى » .

(٥) الرمة : الحبل البالى . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٢.

أنت آخذٌ بهذه الرُّمَّةِ ، فقائدِى إلى هؤلاء النِّسوةِ حتى أقضِىَ إليهن حاجةً ، ثم تردَّنى بعدُ ، فتَصنَعوا بى[1] ما بَدا لكم؟ قال : قلتُ : واللَّهِ لَيسِيرٌ ما طلَبتَ . فأخَذْتُ برُمَّتِه فقُدْتُه بها ، حتى وقَفْتُه عليهن فقال : اسْلَمى حُبَيْشْ على نَفَدِ العيشْ :

أرَيتُكِ إذْ طالَبْتُكم فوجَدْتُكم ... بِحَلْيَةَ أو ألْفَيْتُكم بالخَوانِقِ[2]

ألم يكُ أهْلًا أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدائِقِ[3]

فلا ذنْبَ لى قد قلتُ إذْ أهلُنا معًا ... أَثِيبى بوُدٍّ قبلَ إحدَى الصَّفائقِ[4]

[٣/ ١٥٠و] أثِيبى بوُدٍّ قبلَ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... ويَنأَى الأميرُ بالحبيبِ المُفارِقِ[5]

فإنِّىَ لا ضيَّعتُ سِرَّ أمانةٍ ... ولا راقَ[6] عينِى عنكِ بعدَكِ رائقُ

سوى أنَّ ما نال العشيرةَ شاغِلٌ ... عن الوُدِّ إلَّا أن يكونَ التَّوامُقُ[7]

قالت : وأنت فحُيِّيتَ عشْرًا ، وتِسْعًا وَتْرًا ، وثمانيًا تَتْرَى[8] .

قال : ثم انصرَفْتُ به ، فضُرِبتْ عنقُه . قال ابنُ إسحاقَ : فحدَّثنى أبو فِراسٍ

---

(١) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م .

(٢) الحلية والخوانق : اسمان لموضعين . شرح غريب السيرة ٣/٩٢ .

(٣) الإدلاج : سير الليل . والودائق : جمع وديقة وهى شدة الحر . المصدر السابق .

(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صَفِيقة . اللسان (ص ف ق) .

(٥) تشحط : تبعد ، والشحط : البعد . وينأى : يبعد أيضًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٢.

(٦) لا راق : ما أعجبَ . المصدر السابق .

(٧) التوامق : الحب . المصدر السابق . وفى هذين البيتين الأخيرين إقواء . وقال ابن هشام فى السيرة ٢/ ٤٣٤: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منها له .

(٨) أى : متتابعة .

ابنُ أبى سُنْبُلةَ الأسْلَمىُّ ، عن أشياخٍ منهم ، عمَّن كان حضَرها منهم ، قالوا : فقامتْ إليه حينَ ضُرِبَتْ عنقُهُ فأكبَّتْ عليه ، فما زالتْ تقبِّلُه حتى ماتتْ عندَه .

وروَى الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن طريقِ الحُمَيدىِّ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ نوفلِ بنِ مُساحِقٍ[2] ، أنه سمِع رجلًا مِن مُزَينةَ يقالُ له : ابنُ عِصامٍ . عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا بعَث سريةً قال : « إذا رأَيتُم مسجدًا أو سمِعتُم مؤذِّنًا فلا تقتُلُوا أحدًا » . قال : فبعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سريةٍ وأمَرَنا بذلك ، فخرَجْنا قِبَلَ تِهامةَ ، فأدرَكْنا رجلًا يَسُوقُ بظَعائنَ ، فقلْنا له : أسْلِمْ . فقال : وما الإسلامُ ؟ فأخبَرْناه به ، فإذا هو لا يعرِفُه ، قال : أفرأَيْتُم إن لم أفعَلْ ، ما أنتم صانِعون ؟ قال : قلْنا : نقتُلُك . فقال : فهل أنتم مُنْظِرِىَّ حتى أُدْرِكَ الظَّعائنَ ؟ قال : قلْنا : نعم ،ونحن مُدْرِكوك . قال : فأدرَك الظَّعائنَ فقال : اسْلَمِى[3] حُبَيشْ قبلَ نَفادِ العيشْ . فقالت الأُخْرى : اسْلَمْ عشْرًا ، وتسعًا وَتْرًا ، وثمانيًا تَتْرَى . ثم ذكَر الشعرَ المتقدِّمَ إلى قولِه : ويناَى الأميرُ بالحبيبِ المفارقِ . ثُم رجَع إلينا فقال : شأنُكم . قال : فقدَّمْناه ، فضرَبْنا عنقَه . قال : فانحدَرتِ الأُخْرى مِن هَوْدَجِها ، فحنَت[4] عليه حتى ماتت .

ثم روَى البيهقىُّ[5] مِن طريقِ أبى عبدِ الرحمنِ النسائىِّ ، ثنا محمدُ بنُ علىٍّ

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١١٦، ١١٧.

(٢) فى الأصل : « ماحق » . انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٢٩.

(٣) فى ص ، والدلائل : « اسلم » .

(٤) سقط : من ا ٤١. وفى م ، ص : « فجثت » .

(٥) دلائل النبوة ٥/ ١١٧، ١١٨.

ابنِ حربٍ المَرْوَزِيُّ ، ثنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن أبيه ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث سريةً فغنِموا ، وفيهم رجلٌ فقال لهم : إنِّى لستُ منهم ، إنِّى عشِقْتُ امرأةً فلحِقْتُها ، فدَعونى أنظُرْ إليها نظرةً ، ثم اصنَعوا بى ما بدَا لكم . قال : فإذا امرأةٌ أَدْماءُ[1] طويلةٌ ، فقال لها : اسْلَمى حُبَيشْ قبلَ نَفادِ العيشْ . ثم ذكَر البيتيْن بمعناهما . قال : فقالت : نعم فدَيتُك . قال : فقدَّموه فضرَبُوا عنقَه ، فجاءت المرأةُ فوقَعَت [٣/ ١٥٠ظ] عليه ، فشهِقتْ شَهْقةً أو شَهْقتيْن ثم ماتتْ ، فلمَّا قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبَروه الخبرَ ، فقال : « أمَا كان فيكم رجلٌ رحيمٌ ؟ » .

---

(١) أدماء : اشتدت سمرتها . الوسيط (أ د م) .

بعثُ خالدِ بنِ الوليدِ لهَدْمِ العُزَّى

قال ابنُ جريرٍ[1] : وكان هدمُها لخمسٍ بَقِين مِن رمضانَ عامَئذٍ .

[2]قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثم بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلى العُزَّى ، وكانت بيتًا بنَخْلةَ يُعَظِّمُه قريشٌ وكِنانةُ ومُضَرُ[2] ، وكان سَدَنَتُها وحُجَّابُها مِن بنى شَيبانَ مِن بنى سُليمٍ حُلفاءِ بنى هاشمٍ ، فلمَّا سمِع حاجِبُها السُّلَمىُّ بمسيرِ خالدِ بنِ الوليدِ إليها علَّق سيفَه عليها ، ثم اشتدَّ فى الجبلِ الذى هى فيه وهو يقولُ :

أيا عُزَّ شُدِّى شَدَّةً لا شَوَى لها[4] ... على خالدٍ أَلْقِى القِناعَ وشَمِّرِى

أيا عُزَّ إن لم تقتُلى المرءَ خالدًا ... فبُوئِى بإثْمٍ عاجِلٍ أو تَنَصَّرِى

قال : فلمَّا انتَهى خالدٌ إليها هدَمها ، ثم رجَع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى الواقدىُّ وغيرُه[5] أنه لمَّا قدِمها خالدٌ لخمسٍ بَقِين مِن رمضانَ فهدَمها ، ورجَع فأخبَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ما رأيتَ ؟ » قال : لم أرَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٥. حوادث السنة الثامنة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) لا شوى لها : لا بُقْيا لها . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٥.

(٥) مغازى الواقدى ٣/ ٨٧٣، ٨٧٤، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٤٥، ١٤٦.

شيئًا . فأمَره بالرُّجوعِ ، فلمَّا رجَع خرَجت إليه مِن ذلك البيتِ امرأةٌ سوداءُ ناشرةٌ شعرَها تُوَلْوِلُ ، فعلَاها بالسيفِ وجعَل يقولُ :

يا عُزَّ كُفْرانَكِ لا سبحانَكِ إنى رأيتُ اللَّهَ قد أهانَكِ

ثم خرَّب ذلك البيتَ الذى كانت فيه ، وأخَذ ما كان فيه مِن الأموالِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه ، ثم رجَع فأخبَر رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعْبدُ أبدًا » .

وقال البيهقىُّ[1] : أنبأَنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ الفقيهُ ، أنبأنا محمدُ بنُ أبى جعفرٍ ، أنبأنا أحمدُ بنُ علىٍّ ، ثنا أبو كُرَيْبٍ ، عن ابنِ فُضَيْلٍ ، عن الوليدِ بنِ جُمَيْعٍ ، عن أبى الطُّفَيلِ قال : لمَّا فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ بعَث خالدَ بنَ الوليدِ إلى نَخْلةَ ، وكانت بها العُزَّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاثِ سَمُراتٍ[2] ، فقطَع السَّمُراتِ وهدَم البيتَ الذى كان عليها ، ثم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبَرَه ، فقال : « ارجِعْ فإنك لم تَصْنَعْ شيئًا » . فرجَع خالدٌ ، فلمَّا نظَرَتْ إليه السَّدَنةُ وهم حُجَّابُها ، أَمْعَنوا هربًا فى الجبلِ وهم يقولون : يا عُزَّى خبِّليه ، يا عُزَّى عَوِّرِيه ، وإلَّا فموتى برُغْمٍ . قال : فأَتاها خالدٌ ، فإذا امرأةٌ عُرْيانةٌ ناشرةٌ شعرَها ، تَحثو الترابَ على رأسِها ووجهِها ، فعمَّمها بالسيفِ حتى قتَلها ، ثم رجَع إلى النبىِّ ﷺ فأخبَره ، فقال : « تلك العُزَّى » .

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٧٧.

(٢) سمرات : مفردها سمرة . وهى ضرب من شجر الطلح . الوسيط (س م ر) .

فصلٌ فى مـدَّةِ إقامـتِه عليه السلامُ، بمكةَ

[٣/ ١٥١و] لا خلافَ أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أقام بقيةَ شهرِ رمضانَ يقصُرُ الصلاةَ ويُفطِرُ، وهذا دليلُ مَن قال مِن العلماءِ: إن المسافرَ إذا لم يُجْمِعِ الإقامةَ فله أن يقصُرَ ويُفطِرَ إلى ثمانيةَ عشَرَ يومًا فى أحدِ القولَيْن، وفى القولِ الآخرِ، كما هو مقرَّرٌ فى موضعِه.

قال البخاريُّ[(١)]: ثنا أبو نُعَيمٍ، ثنا سفيانُ (ح) وحدَّثنا قَبِيصةُ، ثنا سفيانُ، عن يَحيى بنِ أبى إسحاقَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أقَمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عشْرًا نقصُرُ الصلاةَ. وقد رَواه بقيةُ الجماعةِ مِن طرقٍ متعددةٍ، عن يحيى بنِ أبى إسحاقَ الحَضْرميِّ البصريِّ، عن أنسٍ به نحوَه[(٢)].

ثم قال البخاريُّ[(٣)]: ثنا عَبْدانُ، ثنا عبدُ اللَّهِ، أنبأنا عاصمٌ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: أقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ[(٤)] تسعةَ عشَرَ يومًا يصلِّى ركعتيْن. ورَواه البخاريُّ أيضًا مِن وجهٍ آخرَ - زادَ البخاريُّ: وحُصَيْنٌ[(٥)]

---

(١) البخارى (٤٢٩٧).

(٢) مسلم (٦٩٣)، وأبو داود (١٢٣٣)، والترمذى (٥٤٨)، والنسائى (١٤٣٧، ١٤٥١)، وابن ماجه (١٠٧٧).

(٣) البخارى (٤٢٩٨).

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من البخارى.

(٥) سقط من: ا ٤١، وفى م، ص: «أبو حصين»، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٥١٩.

كلاهما - وأبو داودَ[1] ، والترمذيُّ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ سليمانَ الأحْولِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ به[2] . وفى لفظٍ لأبى داودَ[3] : سبعَ عَشْرةَ .

وحدَّثنا[4] أحمدُ بنُ يونسَ ، ثنا [5]أبو شِهابٍ[5] ، عن عاصمٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أقَمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ تسعَ عشْرةَ نقصُرُ الصلاةَ . وقال ابنُ عباسٍ : فنحن نقصُرُ ما [6]بيننا وبينَ[6] تسعَ عشْرةَ ، فإذا زِدْنا أتَمَمْنا .

وقال أبو داودَ[7] : ثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، ثنا ابنُ عُليَّةَ ، ثنا عليُّ بنُ زيدٍ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ قال : غزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وشهِدتُ معه الفتحَ ، فأقامَ[8] ثمانىَ عشْرَةَ ليلةً لا يصلِّى إلَّا ركعتيْن ، يقولُ : « يا أهلَ البلدِ ، صلُّوا أربعًا فإنا سَفْرٌ »[9] . وهكذا رَواه الترمذيُّ[10] مِن حديثِ علىٍّ

---

(١) رواية أبى داود من طريق عاصم عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ « سبع عشرة » .

(٢) البخارى (١٠٨٠) ، وأبو داود (١٢٣٠) ، والترمذى (٥٤٩) ، وابن ماجه (١٠٧٥) .

(٣) ذكره أبو داود عقب الحديث السابق معلقا من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ « تسع عشرة » . فلعله وقع خطأ من الناسخ فى إبدال النبرة فى كلتا الروايتين قبل السين وبعدها ، فوقع فى رواية عاصم (تسع) بدلاً من (سبع) ، وفى رواية منصور (سبع) بدلا من (تسع) . وانظر تحفة الأشراف ٥/ ١٤٤.

(٤) البخارى (٤٢٩٩) .

(٥ - ٥) سقط من : ٤١ ، وفى م ، ص : « أحمد بن شهاب » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٨٥.

(٦ - ٦) فى م : « بقينا بين » .

(٧) أبو داود (١٢٢٩) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٦٤) .

(٨) بعده فى أبى داود : « بمكة » .

(٩) السفر : جمع سافِر ، كصاحب وصحب . والسفر والمسافرون بمعنى . انظر النهاية ٢/ ٣٧١.

(١٠) الترمذى (٥٤٥) . صحيح بما قبله (صحيح سنن الترمذى ٤٥٠) . والذى فى متن الترمذى : حججت مع رسول اللَّه ﷺ فصلَّى ركعتين . فهو ليس دليلًا مباشرًا على مراد المصنف . واللَّه تعالى أعلم .

ابنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[1] .

ثُم [2]روى أبو داودَ[3][2] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهريِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] عامَ الفتحِ خمسَ عشْرةَ ليلةً يقصُرُ الصلاةَ . ثم قال : [5]رَواه غيرُ واحدٍ[5] ، عن ابنِ إسحاقَ ، لم يذكُروا ابنَ عباسٍ .

وقال ابنُ إدريسَ[6] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهريِّ ، ومحمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ[7] ، وعاصمِ بنِ عمرَ[8] بنِ قتادةَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، وعمرِو بنِ شعيبٍ ، وغيرِهم قالوا : أقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ خمسَ عشْرةَ ليلةً .

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ١٩٣.

(٢ - ٢) فى م : « رواه » .

(٣) أبو داود (١٢٣١) . ضعيف منكر (ضعيف سنن أبى داود ٢٦٥) .

(٤) بعده فى سنن أبى داود : « بمكة » .

(٥ - ٥) الذى فى سنن أبى داود : « روى هذا الحديث » . ثم ذكر أسماءهم .

(٦) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٦، من طريق ابن إدريس به ، إلا أن لفظه عنده : « خمسة عشر » . وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ١٠٦، من طريق الفسوى به ، وعنده : « عبد اللَّه بن أبى رهم » بدل « ابن أبى بكر » - وهو خطأ . وانظر اسمه فيمن روى ابنُ إسحاق عنهم فى تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٧، ٤٠٨ - وقال عَقِبَهُ : هذا منقطع ، والأصح رواية ابن المبارك عن عاصم الأحول التى اعتمدها البخارى .

(٧) فى ص : « الحسن » . وانظر اسمه فيمن روى ابن إسحاق عنهم فى تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٩.

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « عمرو » . وانظر المصدر السابق ٢٤/ ٤٠٧.

فصلٌ فيما حكَمَ به
صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم بمكةَ مِن الأحكامِ

[٣/ ١٥١ظ] قال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ[(٢)] ، عن مالكٍ ، عن[(٣)] ابنِ شهابٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ (ح) وقال الليثُ[(٤)] : حدَّثني يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، أخبرَني عروةُ بنُ الزبيرِ ، أن عائشةَ قالت : كان عتبةُ بنُ أبي وقَّاصٍ عهِد إلى أخيه سعدٍ أن يقبِضَ ابنَ وَليدةِ زَمْعةَ ، وقال عتبةُ : إنه ابني . فلمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ في الفتحِ ، أخَذ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ابنَ وَليدةِ زَمْعةَ ، فأقبَل به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأقبَل معه عبدُ بنُ زَمْعةَ ، فقال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ : هذا ابنُ أخي عهِد إليَّ أنه ابنُه . قال عبدُ بنُ زَمْعةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا أخي ، هذا ابنُ زمعةَ وُلِد على فِراشِه . فنظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى ابنِ وَليدةِ زَمْعةَ ، فإذا هو أشبَهُ الناسِ بعتبةَ بنِ أبي وقَّاصٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هو لك ، هو أخوك يا عبدَ بنَ زمعةَ ، مِن أجلِ أنه وُلِد على فراشِه » . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « احتَجِبي منه يا سَوْدةُ » . لِما رأَى مِن شَبَهِ عتبةَ بنِ أبي وقَّاصٍ . قال ابنُ شهابٍ : قالت عائشةُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) البخاري (٤٣٠٣) .

(٢) في النسخ : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦.

(٣) سقط من : ا ٤١، م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤١٩، ٢٧/ ٩١.

(٤) قال الحافظ ابن حجر : وصله الذهلي في الزهريات ، وساقه المصنف هنا - يعني البخاريَّ - على لفظ يونس ، وأورده مقرونًا بطريق مالك وفيه مخالفة شديدة له . انظر فتح الباري ٨/ ٢٤.

« الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحَجَرُ » . قال ابنُ شهابٍ[1] : وكان أبو هريرةَ يُصَرِّحُ[2] بذلك . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والترمذيُّ ، جميعًا عن قتيبةَ ، عن الليثِ به[3] . وابنُ ماجه مِن حديثِه[4] ، وانفرَد البخاريُّ بروايتِه له مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهريِّ[5] .

ثم قال البخاريُّ[6] : ثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ ، أنا يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أخبرَنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، أن امرأةً سرَقت فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ الفتحِ ، ففزِع قومُها إلى أسامةَ بنِ زيدٍ يستَشْفِعونه . قال عروةُ : فلمَّا كلَّمه أسامةُ فيها ، تلوَّن وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقال : « أتكلِّمُنى فى حدٍّ مِن حدودِ اللَّهِ ؟! » فقال أسامةُ : استَغفِرْ لى يا رسولَ اللَّهِ . فلمَّا كان العَشِيُّ قام رسولُ اللَّهِ ﷺ خطيبًا فأثنَى على اللَّهِ بما هو أهلُه ، ثم قال : « أمَّا بعدُ ، فإنما أهْلَكَ[7] الناسَ قبلَكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ ترَكوه ، وإذا سرَق

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : كذا هنا ، وهذا القدر موصول فى رواية مالك بذكر عروة فيه . المصدر السابق .

(٢) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « يصيح » . قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٤ : يصيح بذلك ؛ أى يعلن بهذا الحديث ، وهذا موصول إلى ابن شهاب ومنقطع بين ابن شهاب وأبى هريرة ، وهو حديث مستقل أغفل المزى التنبيه عليه فى الأطراف ... قلت : وسيأتى فى الفرائض من وجه آخر عن أبى هريرة باختصار لكن من غير طريق ابن شهاب . اهـ كلام الحافظ .

(٣) البخارى (٢٢١٨، ٦٧٦٥، ٦٨١٧) ، ومسلم (١٤٥٧) . وعندهما عن الليث عن الزهرى به ، لا عن الليث عن يونس عن الزهرى كما ذكر المصنف . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٧٣. وأما أبو داود فإن الحديث عنده ليس من طريق قتيبة عن الليث ، ولكن من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى به (٢٢٧٣) . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٣٦، ٣٧. وأما الترمذى فلم نعثر على الحديث فيه وانظر التحفة فى المواضع المذكورة قبل .

(٤) ابن ماجه (٢٠٠٤) ، من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى به .

(٥) البخارى (٢٧٤٥، ٤٣٠٣، ٦٧٤٩، ٧١٨٢) .

(٦) البخارى (٤٣٠٤) .

(٧) فى النسخ : « هلك » . والمثبت من صحيح البخارى .

فيهم الضعيفُ أقامُوا عليه الحدَّ، والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرَقت لَقطَعْتُ يدَها». ثم أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بتلك المرأةِ فقُطِعت يدُها، فحسُنت توبتُها بعدَ ذلك وتزوَّجت، قالت عائشةُ: فكانت تأتينى[1] بعدَ ذلك فأرفعُ [٣/١٥٢و] حاجتَها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقد رَواه البخاريُّ فى موضعٍ آخرَ، ومسلمٌ مِن حديثِ ابنِ وهبٍ، عن يونسَ، عن الزهريِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ به[2].

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[3] مِن حديثِ سَبْرةَ بنِ مَعْبَدٍ الجُهَنىِّ قال: أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمتعةِ عامَ الفتحِ حينَ دخَل مكةَ، ثم لم يخْرُجْ حتى نهانا[4] عنها. وفى روايةٍ فقال[5]: «ألَا إنها حرامٌ[6] مِن يومِكم هذا إلى يومِ القيامةِ». وفى روايةٍ فى «مسندِ أحمدَ» و«السننِ» أن ذلك كان فى حِجَّةِ الوداعِ[7]. فاللَّهُ أعلمُ.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[8] عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ، عن يونسَ بنِ محمدٍ، عن عبدِ الواحدِ بنِ زِيادٍ، عن أبى العُمَيْسِ، عن إياسِ بنِ سلمةَ بنِ الأكْوعِ،

---

(١) فى الأصل، م، ص: «تأتى».
(٢) البخارى (٢٦٤٨، ٦٨٠٠)، ومسلم (٩/ ١٦٨٨).
(٣) مسلم (٢٢/ ١٤٠٦).
(٤) فى الأصل، م: «نهى».
(٥) مسلم (٢٨/ ١٤٠٦).
(٦) بعده فى الأصل، م، ص: «حرام».
(٧) المسند ٣/ ٤٠٤، ٤٠٥، وأبو داود (٢٠٧٢)، والنسائى فى الكبرى (٥٥٤١)، وابن ماجه (١٩٦٢). (شاذ بهذا اللفظ) انظر السنن الكبرى للبيهقى ٧/ ٢٠٣، ٢٠٤، وإرواء الغليل ٦/ ٣١٢-٣١٥.
(٨) مسلم (١٨/ ١٤٠٥).

عن أبيه أنه قال: رخَّص لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ أوطاسٍ فى متعةِ النساءِ ثلاثًا، ثم نهَانا عنها.

قال البيهقىُّ[1]: وعامُ أوطاسٍ هو عامُ الفتحِ، فهو وحديثُ سَبْرةَ سواءٌ.

قلتُ: مَن أثبَت النَّهىَ عنها فى غزوةِ خيبرَ قال: إنها أُبيحَت مرتيْن وحُرِّمت مرتيْن، وقد نصَّ على ذلك الشافعىُّ وغيرُه. وقد قيل: إنها أُبِيحت وحُرِّمت أكثرَ مِن مرتيْن. فاللَّهُ أعلمُ. وقيل: إنها إنما حُرِّمت مرةً واحدةً، وهى هذه المرةُ فى غزوةِ الفتحِ. وقيل: إنها إنما أُبِيحت للضرورةِ. فعلى هذا إذا وُجِدت ضرورةٌ أُبِيحت، وهذا روايةٌ عن الإمامِ أحمدَ، وقيل: بل لم تُحَرَّمْ مطلقًا، وهى على الإباحةِ. هذا هو المشهورُ عن ابنِ عباسٍ وأصحابِه وطائفةٍ مِن الصحابةِ، وموضعُ تحريرِ ذلك فى «الأحكامِ»[2].

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٨٩.

(٢) وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٨١ - ٢٨٥.

فصلٌ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أنبأَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، أن محمدَ بنَ الأسودِ بنِ خَلَفٍ أخبَره أن أباه الأسودَ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ يُبايِعُ الناسَ يومَ الفتحِ . قال : جلَس عندَ قَرْنِ مَسْقَلَةَ[2] ، فبايَع الناسَ على الإسلامِ والشهادةِ . قال[3] : قلتُ : وما الشهادةُ ؟ قال : أخبَرنى محمدُ بنُ الأسودِ بنِ خلفٍ أنه بايَعهم على الإيمانِ باللَّهِ ، وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه . تفرَّد به أحمدُ . وعندَ البيهقيِّ[4] : فجاءَه الناسُ ؛ الكبارُ والصغارُ ، والرجالُ والنساءُ ، فبايَعَهم على الإسلامِ والشهادةِ .

وقال ابنُ جريرٍ[5] : ثم اجتمع الناسُ بمكةَ لبيعةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على الإسلام ، فجلَس لهم - فيما بلَغنى - على الصَّفا ، وعمرُ بنُ الخطابِ أسفلَ مِن مجلسِه ، [٣/١٥٢ظ] فأَخَذ على الناسِ السمعَ والطاعةَ للَّهِ ولرسولِه فيما استطاعوا . قال : فلما فرَغ مِن بيعةِ الرجالِ بايَع النساءَ ، وفيهن هندُ بنتُ عتبةَ

---

(١) المسند ٣/ ٤١٥.

(٢) فى م ، ص : « مستقبله » . قال الأزرقى : قرن مسقلة : هو قرن قد بقيت منه بقيةٌ بأعلى مكة ... ومسقلة : رجل كان يسكنه فى الجاهلية . انظر أخبار مكة ص ٤٨٠.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٩٤، من طريق ابن جريج به .

(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٦١، ٦٢، بنحوه . حوادث السنة الثامنة .

مُتَنَقِّبةً مُتَنَكِّرةً بحديثِها[1] ؛ لِما[2] كان مِن صنيعِها بحمزةَ ، [3]فهى تَخافُ أن يأخُذَها رسولُ اللَّهِ ﷺ بحدَثِها ذلك ، فلما دنَيْن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ليُبايِعَهن قال : « بايِعْنَنى على أن لا تُشْرِكْن باللَّهِ شيئًا » . فقالت هندُ : واللَّهِ إنك لَتأخُذُ علينا ما لا تأخُذُه على[4] الرجالِ[5] . قال : « ولا تَسْرِقْن » . فقالت : واللَّهِ إنى كنتُ أصَبْتُ مِن مالِ أبى سفيانَ الهَنَةَ بعدَ الهَنَةِ ، وما كنتُ أَدْرِى أكان ذلك[6] حلالًا لى[7] أم لا ؟ فقال أبو سفيانَ ، وكان شاهدًا لما تقولُ : أمّا ما أَصَبْتِ فيما مضَى فأنت منه فى حِلٍّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وإنكِ لَهندُ بنتُ عُتبةَ ؟! » قالت : نعم ، فاعْفُ عما سلَف ، عفَا اللَّهُ عنكَ . ثم قال : « ولا تَزْنِين » . فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، وهل تَزْنى الحرةُ ؟! ثم قال : « ولا تقْتُلْن أولادَكن » . قالت : قد ربَّيْناهم صغارًا ، وقتلْتَهم ببدرٍ كبارًا ، [8]فأنت وهم أعلمُ[8] . فضحِك عمرُ بنُ الخطابِ حتى استَغْرَب[9] ، ثم قال : « [10]ولا تَأْتِين ببُهتانٍ تَفْتَرِينَه بينَ أيدِيكن وأرجلِكن[11] [10] » . فقالت : واللَّهِ إنَّ إتيانَ البُهتانِ لَقبيحٌ ، ولَبعضُ[3]

---

(١) سقط من : ٤١ . وفى الأصل : « بحدثها » . وفى م ، وتاريخ الطبرى : « لحدثها » .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « وما » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى الأصل ، م : « من » .

(٥) بعده فى تاريخ الطبرى : « وسنؤتيكه » . قال على بن برهان الدين الحلبى : لأن الرجال كان صلى اللَّه عليه وسلم يبايعهم على الإسلام وعلى الجهاد فقط . السيرة الحلبية ٣/ ٤٦ .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « علينا » .

(٧) سقط من : الأصل ، م .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) فى الأصل ، ٤١ ، م : « استغرق » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وضحك حتى استغرب : أى بالغ فيه . يقال : أغرب فى ضَحِكه واستَغْرب وكأنه من الغَرْب : البُعْد . وقيل : هو القهقهة . النهاية ٣/ ٣٥٢ .

(١٠ - ١٠) فى الأصل ، ٤١ ، م : « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(١١) بعده فى ٤١ : « إلى آخره » .

(١) التَّجاوُزِ أمثَلُ. ثم قال: «ولا تَعْصِيننى». (٢) فقالت: فى معروفٍ (٢). فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ: «بايِعْهن واستغْفِرْ لهن اللَّهَ، إن اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ». فبايَعَهن عمرُ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يُصافِحُ النساءَ، ولا يَمَسُّ إلا امرأةً أحَلَّها اللَّهُ له، أو ذاتَ مَحْرَمٍ منه.

وثبَت فى «الصحيحين» (٣) عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أنها قالت: لا واللَّهِ ما مسَّت يدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يدَ امرأةٍ قطُّ. وفى روايةٍ (٤): ما كان يُبايِعُهن إلا كلامًا ويقولُ: «إنما قَولى لامرأةٍ واحدةٍ كقولى لمائةِ امرأةٍ».

وفى «الصحيحين» (٥) عن عائشةَ، أن هندَ بنتَ عتبةَ امرأةَ أبى سفيانَ أتَت رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، إن أبا سفيانَ رجلٌ شَحيحٌ، لا يُعْطِينى مِن النفقةِ ما يَكْفِينى ويكْفى بَنىَّ، فهل علىَّ مِن حَرَجٍ إذا أخَذْتُ مِن مالِه بغيرِ علمِه؟ قال: «خذى مِن مالِه بالمعروفِ ما يَكْفيك ويَكْفى بَنِيك».

وروى البيهقىُّ (٦)، مِن طريقِ يحيى بنِ بُكَيْرٍ، عن الليثِ، عن [٣/١٥٣و] يونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عروةَ، عن عائشةَ، أن هندَ بنتَ عتبةَ قالت: (١)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) كذا فى: الأصل، م. وفى تاريخ الطبرى: «فى معروفٍ. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فى معروف».

(٣) البخارى (٤٨٩١، ٥٢٨٨، ٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦).

(٤) رواه الترمذى (١٥٩٧)، والنسائى (٤١٩٢) من حديث أميمة بنت رُقَيْقة، والإمام أحمد فى المسند ٦/٣٥٧. صحيح. (صحيح سنن الترمذى ١٣٠٠).

(٥) البخارى (٢٢١١، ٥٣٦٤، ٥٣٧٠، ٧١٨٠)، ومسلم (١٧١٤).

(٦) دلائل النبوة ٥/١٠٠.

(١ يا رسولَ اللَّهِ ، ما كان مما على وجهِ الأرضِ أخْباءٌ[٢] أو أهلُ[٣] خِباءٍ - الشكُّ مِن (٤ابنِ بكيرٍ ٤) - أحبَّ إلىَّ مِن أن يَذِلُّوا مِن أهلِ أخْبائِك - أو خِبائِك - ثم ما أصبح اليومَ على ظهرِ الأرضِ أهلُ أخْباءٍ - أو خِباءٍ - أحبَّ إلىَّ مِن أن يَعِزُّوا مِن أهلِ أخْبائِك - أو خِبائِك -. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وأيضًا والذى نفسُ محمدٍ بيدِه » . قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أبا سفيانَ رجلٌ مَسِيكٌ[٥] ، فهل علىَّ حَرَجٌ أن أَطْعَمَ مِن الذى له ؟ قال : « لا ، إلَّا[٦] بالمعروفِ » . ورواه البخارىُّ ، عن يحيى بنِ بكيرٍ بنحوِه[٧] ، وتقدَّم ما يتَعَلَّقُ بإسلامِ أبى سفيانَ ١) .

وقال أبو داودَ[٨] : ثنا عثمانُ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ : « لا هجرةَ ولكن جهادٌ ونيةٌ ، وإذا استُنْفِرْتم[٩] فانفِروا » . ورواه البخارىُّ ، عن عثمانَ بنِ أبى شيبةَ[١٠] ، ومسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى ، عن جريرٍ[١١] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ١١/ ٥٢٩: أهل أخباء أو خباء . كذا فيه بالشك هل هو بصيغة الجمع أو الإفراد . انتهى كلامه . وقال ابن الأثير فى النهاية ٢/ ٩: الخباء أحد بيوت العرب من وبر أو صوف ولا يكون من شعر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة ... وقد يستعمل فى المنازل والمساكن .

(٣) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م . والمثبت من الدلائل .

(٤ - ٤) سقط من : ٤١ . وفى م : « أبى بكر » .

(٥) سقط من : ٤١ ، وفى م : « شحيح » ، وفى الدلائل : « ممسك » . وانظر النهاية ٤/ ٣٣٢ .

(٦) سقط من : ٤١ ، م .

(٧) البخارى (٦٦٤١) .

(٨) أبو داود (٢٤٨٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٦٧) .

(٩) بعده فى ٤١ ، م : « ألا » .

(١٠) البخارى (١٨٣٤) .

(١١) مسلم (٨٥/ ١٣٥٣) . باب المبايعة على فتح مكة ...، من كتاب الإمارة .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عفانُ ، ثنا وُهَيبٌ[2] ، ثنا ابنُ طاوُسٍ ، عن أبيه ، عن صفوانَ بنِ أميةَ أنه قيل له : إنه لا يدْخُلُ الجنةَ إلا مَن هاجَر . فقلتُ له : لا أدْخُلُ منزلى حتى آتىَ[3] رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسأَله . فأتَيْتُه[4] فذكَرْتُ له فقال : « لا هجرةَ بعدَ فتحِ مكةَ ، ولكن جهادٌ ونيةٌ ، وإذا استُنْفِرْتم فانفِروا » . تفرد به أحمدُ[5] .

وقال البخاريُّ[6] : ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، ثنا الفُضَيْلُ بنُ سليمانَ ، ثنا عاصمٌ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن مُجاشِعِ بنِ مسعودٍ قال : انطَلَقْتُ بأبى مَعْبَدٍ إلى النبىِّ ﷺ ليُبايِعَه على الهجرةِ ، فقال : « مضَت الهجرةُ لأهلِها ، أُبايِعُه على الإسلامِ والجهادِ » . فلقِيتُ أبا مَعْبَدٍ فسأَلْتُه ، فقال : صدَق مُجاشِعٌ . وقال خالدٌ ، عن أبى عثمانَ عن مجاشعٍ ، أنه جاء بأخيه مُجالِدٍ .

وقال البخاريُّ[7] : ثنا عمرُو بنُ خالدٍ ، ثنا زُهَيْرٌ ، ثنا عاصمٌ ، عن أبى عثمانَ قال : حدَّثنى مُجاشِعٌ قال : أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بأخى بعدَ يومِ الفتحِ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جئتُك بأخى لتُبايِعَه على الهجرةِ ، قال : « ذهَب أهلُ

---

(١) المسند ٣/ ٤٠١، ٦/ ٤٦٥، ٤٦٦. بنحوه.

(٢) فى ا ٤، م، ص: « وهب ». وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.

(٣) فى ا ٤، م، ص: « أسأل ».

(٤) بعده فى المسند: « فقلت: يا رسول اللَّه، إن هذا سرق خميصة لى لرجل معه. فأمر بقطعه. فقال: يا رسول اللَّه، إنى قد وهبتها له. قال: فهلا قبل أن تأتينى به ». وانظر ما رواه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٤٠١ (١٥٣٣٨).

(٥) قلت: لم يتفرد به أحمد؛ بل رواه النسائى فى المجتبى (٤١٨٠)، وفى الكبرى (٨٧٠٤)، من طريق وهيب به. صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٨٦).

(٦) البخارى (٤٣٠٧، ٤٣٠٨).

(٧) البخارى (٤٣٠٥، ٤٣٠٦).

الهجرةِ بما فيها». فقلتُ: على أيِّ شيءٍ تُبايِعُه؟ قال: «أُبايِعُه على الإسلامِ والإيمانِ والجهادِ». فلقِيتُ أبا مَعْبَدٍ بعدُ، وكان أكبرَهما سنًّا، [٣/١٥٣ظ] فسأَلْتُه، فقال: صدَق مُجاشِعٌ.

وقال البخاريُّ[(١)]: ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، ثنا غُنْدَرٌ، ثنا شعبةُ، عن أبى بشرٍ، عن مُجاهدٍ قال: قلتُ لابنِ عمرَ: أُريدُ أن أهاجرَ إلى الشامِ. فقال: لا هجرةَ، ولكن جهادٌ[(٢)]، انطَلِقْ فاعْرِضْ نفسَك، فإن وجَدْتَ شيئًا وإلا رجَعْتَ. وقال النَّضْرُ[(٣)]: أنا شعبةُ، أنا أبو بشرٍ، سمِعْتُ مجاهدًا قال: قلتُ لابنِ عمرَ، فقال: لا هجرةَ اليومَ - أو بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ -... مثلَه.

حدَّثنا[(٤)] إسحاقُ بنُ يزيدَ، ثنا يحيى بنُ حمزةَ، حدَّثنى أبو عمرٍو الأوْزاعيُّ، عن عَبْدَةَ بنِ أبى لُبابةَ، عن مُجاهدِ بنِ جبرٍ[(٦)]، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال: لا هجرةَ بعدَ الفتحِ.

وقال البخاريُّ[(٧)]: ثنا إسحاقُ بنُ يزيدَ، أنا يحيى بنُ حمزةَ، أنا الأوْزاعيُّ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ قال: زُرْتُ عائشةَ مع عُبَيْدِ بنِ عُميرٍ، فسأَلها عن الهجرةِ

---

(١) البخارى (٤٣٠٩، ٤٣١٠).

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من البخارى.

(٣) سقط من: ا ٤. وفى الأصل، م، ص: «أبو النضر». والمثبت من البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٧٩. قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٦: وصله الإسماعيلى من طريق أحمد بن منصور عنه.

(٤) البخارى (٤٣١١).

(٥) سقط من: ا ٤. وفى الأصل، م: جبير. ومطموسة فى ص. والمثبت من البخارى. وهو مما يقال فى اسمه. انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨.

(٦) البخارى (٤٣١٢).

فقالت : لا هجرةَ اليومَ ، كان المؤمنُ[1] يَفِرُّ أحدُهم بدينِه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وإلى رسولِه ﷺ ؛ مخافةَ أن يُفْتَنَ عليه ، فأما اليومَ فقد أظْهَر اللَّهُ الإسلامَ ، فالمؤمنُ يعْبُدُ ربَّه حيث يشاءُ ، ولكن جهادٌ ونيةٌ .

وهذه الأحاديثُ والآثارُ دالةٌ على أن الهجرةَ - إما الكاملةَ أو مطلقًا - قد انقطَعَت بعدَ فتحِ مكةَ ؛ لأن الناسَ دخَلوا فى دينِ اللَّهِ أفواجًا ، وظهَر الإسلامُ وثَبَتت أركانُه ودَعائمُه ، فلم تَبْقَ هجرةٌ ، اللهمَّ إلا أن يَعْرِضَ حالٌ يَقْتَضِى الهجرةَ بسببِ مجاورةِ أهلِ الحربِ ، وعدمِ القدرةِ على إظهارِ الدينِ عندَهم ، فتجِبُ الهجرةُ إلى دارِ الإسلامِ ، وهذا ما لا خلافَ فيه بينَ العلماءِ ، ولكنَّ هذه الهجرةَ ليست كالهجرةِ قبلَ الفتحِ ، كما أن كُلًّا مِن الجهادِ والإنفاقِ فى سبيلِ اللَّهِ مشروعٌ ومرغَّبٌ فيه إلى يومِ القيامةِ ، ولكن[2] ليس كالإنفاقِ ولا الجهادِ قبلَ الفتحِ ، فتحِ مكةَ . قال اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ الطَّائىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : لما نزَلت هذه السورةُ الكريمةُ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « المؤمنون » .

(٢) زيادة من : ا ٤ .

(٣) التفسير ٨/٣٧ - ٤٠ .

(٤) المسند ٣/ ٢٢ . قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٧ : رواه الطبرانى وأحمد ، ورجالهما رجال الصحيح .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١- ٣]. قرأها رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى ختَمها، وقال: «الناسُ حَيِّزٌ[(١)] وأنا وأصحابى حَيِّزٌ[(١)]». وقال: «لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكن جهادٌ ونيةٌ». فقال له مَرْوانُ: كذَبْتَ. [٣/ ١٥٤و] وعندَه رافعُ بنُ خَدِيجٍ وزيدُ بنُ ثابتٍ قاعدان معه على السَّريرِ، فقال أبو سعيدٍ: لو شاء هذان لحدَّثاك، ولكن هذا يَخافُ أن تنْزِعَه عن عِرافةِ قومِه[(٢)]، وهذا يَخْشَى أن تَنْزِعَه عن الصدقةِ[(٣)]. فرفَع مَرْوانُ عليه الدِّرَّةَ ليَضْرِبَه، فلما رأيا ذلك قالا: صدَق. تفرَّد به أحمدُ.

وقال البخاريُّ[(٤)]: ثنا موسى بنُ إسماعيلَ، ثنا أبو عَوانةَ، عن أبى بشرٍ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان عمرُ يُدْخِلُنى مع أشياخِ بدرٍ، فكأنَّ بعضَهم وجَد فى نفسِه، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عمرُ: إنه [(٥)]ممن قد[(٥)] علِمْتُم. فدعاهم ذاتَ يومٍ فأدْخَله معهم، فما رُئِيتُ أنه أدْخَلنى فيهم يومئذٍ إلا ليُرِيَهم، فقال: ما تقولون فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾؟ فقال بعضُهم: أُمِرْنا أن نحْمَدَ اللَّهَ ونسْتَغْفِرَه إذا نُصِرْنا وفُتِح علينا. وسكَت بعضُهم فلم يقُلْ شيئًا، فقال لى: أكذاك تقولُ يا بنَ عباسٍ؟ فقلتُ: لا. فقال: ما تقولُ؟ فقلتُ: هو أجلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى النسخ: «خير». والمثبت من المسند. وكل ناحية على حدة: حيز. اللسان (ح و ز).

(٢) العرافة: عمل العَرِيف، والعريف هو القَيِّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلى أمورهم ويتعرَّف الأمير منه أحوالهم. انظر النهاية ٣/ ٢١٨.

(٣) بعده فى المسند: «فسكتا».

(٤) البخارى (٤٩٧٠).

(٥ - ٥) سقط من: ٤١. وفى ص: «ممن». وفى البخارى: «من حيث». ولكن فى إحدى نسخ البخارى: «من قد». انظر البخارى طبعة الشعب ٦/ ٢٢١.

أعْلَمَه له ؛ قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ . فذلك علامةُ أجلِك ؛ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ . قال عمرُ بنُ الخطابِ : لا أعْلَمُ منها إلا ما تقولُ . تفرَّد به البخاريُّ . وهكذا رُوِىَ مِن غيرِ وجهٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه فسَّر ذلك بنَعْيِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أجَلِه . وبه قال مجاهدٌ وأبو العاليةِ والضَّحَّاكُ وغيرُ واحدٍ[1] كما قال ابنُ عباسٍ وعمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما .

فأما الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، ثنا عطاءٌ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُعِيتْ إلىَّ نفسى » . بأنه مقبوضٌ فى تلك السنةِ . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ ، وفى إسنادِه عطاءُ بنُ أبى مسلمٍ الخُراسانىُّ[3] ، وفيه ضعفٌ ، تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، وفى لفظِه نَكارةٌ شديدةٌ[4] ، وهو قولُه بأنه مقبوضٌ فى تلك السنةِ ، وهذا باطلٌ ؛ فإن الفتحَ كان فى سنةِ ثمانٍ فى رمضانَ منها ، كما تقدَّم بيانُه ، وهذا ما لا خلافَ فيه . وقد تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ربيعِ الأولِ مِن سنةِ إحْدَى عشْرةَ ، بلا خلافٍ أيضًا .

---

(١) روى هذه الآثار الطبرىُّ فى تفسيره ٣٠/٣٣٣ - ٣٣٥.

(٢) المسند ١/٢١٧. إسناده ضعيف ، انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ٣/٣٦٦، ٣٦٧.

(٣) كذا فى النسخ ، وليس كذلك بل هو عطاء بن السائب . وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٣٠/ ٣٣٤، من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به .

(٤) قال الإمام أحمد : كان يرفع - أى عطاء بن السائب - عن سعيد بن جبير أشياء لم يكن يرفعها . وقال أبو حاتم : وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب ؛ رفع أشياء كان يرويها عن التابعين فرفعها إلى الصحابة . الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٣، ٣٣٤.

وهكذا الحديثُ الذى رواه الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرانىُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ : ثنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الوَكِيعىُّ ، ثنا أبى ، ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، عن أبى العُمَيْسِ ، [٣/ ١٥٤ظ] عن أبى بكرِ بنِ أبى الجَهْمِ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : آخرُ سورةٍ نزَلت مِن القرآنِ جميعًا : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ . فيه نكارةٌ أيضًا ، وفى إسنادِه نظرٌ أيضًا ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ أنها آخرُ سورةٍ نزلَت جميعَها كما قال . واللَّهُ أعلمُ . وقد تكلَّمنا على تفسيرِ هذه السورةِ الكريمةِ[2] بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقال البخارىُّ[3] : ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن عمرِو بنِ سَلِمةَ - قال لى أبو قِلابةَ : ألا تَلْقاه فتَسْأَلَه فلقِيتُه فسأَلْتُه - قال : كنا بماءٍ مَمَرَّ الناسِ ، وكان يَمُرُّ بنا الرُّكْبانُ فنسألُهم ما للناسِ ما للناسِ ؟ ما هذا الرجلُ ؟ فيقولون : يزْعُمُ أن اللَّهَ أرْسَله [4]وأوْحَى إليه[4] كذا . فكنتُ أحْفَظُ ذاك الكلامَ ، فكأنما يَغْرَى[5] فى صدرى ، وكانت العربُ تَلَوَّمُ[6] بإسلامِهم الفتحَ ، فيقولون : اتْرُكوه وقومَه ، فإنه إن ظهَر عليهم فهو نبىٌّ صادقٌ . فلما كانت وقعةُ أهلِ الفتحِ بادَر كلُّ قومٍ بإسلامِهم ، وبدَر أبى قومى بإسلامِهم . فلما قدِم قال : جئتُكم واللَّهِ مِن عندِ النبىِّ حقًّا ، قال : « صَلُّوا

---

(١) المعجم الكبير ١٠/٣٦٩ (١٠٧٣٦) .

(٢) التفسير ٨/٥٢٩ - ٥٣٣.

(٣) البخارى (٤٣٠٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ٤١. وفى الأصل : « وأوحى اللَّه إليه » . وفى ص : « أوحى اللَّه إليه » . وفى البخارى : « أوحى إليه ، أو أوحى اللَّه » .

(٥) يغرى : يلصق بالغراء . انظر فتح البارى ٨/ ٢٣.

(٦) تلوم : تنتظر . المصدر السابق .

صلاةَ كذا فى حينِ كذا، وصلاةَ كذا فى حينِ كذا، فإذا حضَرَت الصلاةُ فلْيُؤَذِّنْ أحدُكم، ولْيَؤُمَّكم أكثرُكم قرآنًا». فنظَروا فلم يَكُنْ أحدٌ أكثرَ قرآنًا منى؛ لِما كنتُ أتَلَقَّى مِن الرُّكْبانِ، فقدَّمونى بينَ أيديهم وأنا ابنُ ستٍّ أو سبعِ سنين، وكانت علىَّ بُرْدَةٌ إذا سجَدْتُ تقَلَّصَتْ[1] عنِّى. فقالت امرأةٌ مِن الحىِّ: ألا تُغَطُّون عنا اسْتَ قارِئِكم؟ فاشْتَرَوا، فقطَعوا لى قميصًا، فما فرِحْتُ بشىءٍ فرَحى بذلك القميصِ. تفرَّد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ.

---

(١) تقلصت: انجمعت وارتفعت. فتح البارى ٨/٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوةُ هوازِنَ يومَ حُنَيْنٍ[1]

قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧] . وقد ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ فى كتابِه[3] أن خروجَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى هَوازِنَ بعدَ الفتحِ فى خامسِ شوالٍ سنةَ ثمانٍ ، وزعَم أن الفتحَ كان لعشرٍ بقِين مِن شهرِ رمضانَ قبلَ خروجِه إليهم بخمسَ عشْرةَ ليلةً . وهكذا روَى عن ابنِ مسعودٍ[4] ، وبه قال عروةُ بنُ الزبيرِ[5] ، واختاره [٣/ ١٥٥و] ابنُ[6] جريرٍ

---

(١) هو واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا . معجم ما استعجم ٢/ ٤٧١.

(٢) التفسير ٤/٦٧ - ٧٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٧.

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة . انظر المصدر السابق، وتاريخ الطبرى ٣/ ٦٩، حوادث السنة الثامنة .

(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٧٠، حوادث السنة الثامنة .

(٦) فى م : «أحمد وابن» ، وفى ص : «أحمد بن» .

فى « تاريخِه »[1] .

وقال الواقدىُّ[2] : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى هَوازِنَ لستٍّ خلَوْن مِن شوالٍ ، فانتهى إلى حنينٍ فى عاشرِه . وقال أبو بكرٍ الصديقُ[3] : لن نُغْلَبَ اليومَ مِن قِلَّةٍ . فانهزموا ، فكان أولَ مَن انهزم بنو سُلَيْمٍ ، ثم أهلُ مكةَ ، ثم بقيةُ الناسِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ولما سمِعَت هَوازِنُ برسولِ اللَّهِ ﷺ وما فتَح اللَّهُ عليه مِن مكةَ جمَعها مِلكُها مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْرىُّ ، فاجْتَمع إليه مع هَوازِنَ ثَقيفٌ كلُّها ، واجْتَمعت نَصْرٌ ، وجُشَمُ كلُّها ، وسعدُ بنُ بكرٍ ، وناسٌ مِن بنى هِلالٍ وهم قليلٌ ، ولم يشْهَدْها مِن قيسِ عَيْلانَ إلا هؤلاءِ ، وغاب عنها ولم يحْضُرْها مِن هَوازِنَ كعبٌ وكِلابٌ ، ولم يَشْهَدْها منهم أحدٌ له اسمٌ ، وفى بنى جُشَمَ دُرَيْدُ ابنُ الصِّمَّةِ شيخٌ كبيرٌ ، ليس فيه شىءٌ إلا التَّيَمُّنَ برأيِه ومعرفتَه بالحربِ ، وكان شيخًا مُجَرَّبًا ، وفى ثقيفٍ سيدان لهم ، وفى الأحْلافِ قاربُ بنُ الأسودِ بنِ مسعودِ بنِ مُعَتِّبٍ ، وفى بنى مالكٍ ذو الخِمارِ سُبَيْعُ بنُ الحارثِ وأخوه أحمرُ بنُ الحارثِ ، وجِماعُ أمرِ الناسِ إلى مالكِ بنِ عوفٍ النَّصْرىِّ[5] ، فلما أَجْمع السيْرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حطَّ[6] مع الناسِ أموالَهم ونساءَهم وأبناءَهم ، فلما نزَل بأوطاسٍ[7] اجتمع إليه الناسُ ، وفيهم دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ فى شِجارٍ[8] له يقادُ به ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٥٦، حوادث السنة الثامنة .

(٢) مغازى الواقدى ٣/ ٨٨٩، ٨٩٢.

(٣) أخرجه الواقدى فى مغازيه ٣/ ٨٩٠. عن أبى بكر الصديق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٤٣٧ - ٤٣٩.

(٥) فى ص : « النضرى » ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٩.

(٦) فى الأصل ، م : « أحضر » ، وفى ا ٤: « جعل » ، وحط : وضع .

(٧) أوطاس : واد فى ديار هوازن . معجم البلدان ١/ ٤٠٥.

(٨) الشجار : مركب مكشوف دون الهودج ، ويقال له : مَشْجَر أيضا . النهاية ٢/٤٤٦ .

فلما نزَل قال : بأىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاسٍ . قال : نِعْمَ مَجالُ الخيلِ ، لا حَزْنٌ ضَرِس[1] ، ولا سَهْلٌ دَهِس[2] ، ما لى أسمَعُ رُغاءَ البعير ، ونُهاقَ الحمير ، وبكاءَ الصغير ، ويُعارَ الشاءِ[3] ؟! قالوا : ساق مالكُ بنُ عوفٍ مع الناسِ أموالَهم ونساءَهم وأبناءَهم . قال : أين مالكٌ ؟ قالوا : هذا مالكٌ . ودُعِىَ له . قال : يا مالكُ ، إنك قد أصْبَحتَ رئيسَ قومِك ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعدَه مِن الأيامِ ، ما لى أسْمَعُ رُغاءَ البعير ، [4]ونُهاقَ الحمير[4] ، وبكاءَ الصغير ، ويُعارَ الشاءِ ؟ قال : سُقْتُ مع الناسِ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم . قال : ولِمَ ؟ قال : أرَدْتُ أن أجْعَلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ومالَه ليُقاتِلَ عنهم . قال : فأَنقَضَ به[5] . ثم قال : راعى ضأنٍ واللَّهِ ، هل يَرُدُّ المنهزمَ شىءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينْفَعْك إلا رجلٌ بسيفِه ورُمحِه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلِك ومالِك . ثم قال : ما فعَلَت كعبٌ وكِلابٌ ؟ قال : لم يشْهَدْها منهم أحدٌ . قال : غاب الحَدُّ[6] والجِدُّ ، لو كان يومَ عَلاءٍ ورِفْعةٍ لم تَغِبْ عنه كعبٌ وكِلابٌ ، ولودِدْتُ أنكم فعَلْتُم ما فعلَت كعبٌ وكِلابٌ ، فمَن شهِدها منكم ؟ قالوا : عمرُو بنُ عامرٍ ، وعوفُ بنُ عامرٍ . قال : ذانك [٣/ ١٥٥ظ] الجَذَعان[7] مِن عامرٍ لا ينفَعان ولا يضُران . ثم قال : يا مالكُ ،

---

(١) الحزن : المرتفع من الأرض . والضرس : الذى فيه حجارة محددة . شرح غريب السيرة ٣/٩٥ .

(٢) دهس : أى لين كثير التراب . المصدر السابق .

(٣) يعار الشاء : صوتها . المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) أنقض به : أى زجره كما تزجر الدابة . والإنقاض للدابة أن تلصق لسانها بالحنك الأعلى وتصوت به . انظر المصدر السابق .

(٦) الحد : يريد الشجاعة والجرأة . المصدر السابق .

(٧) الجذع : الشاب الحدث . قال أبو ذر : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب بمنزلة الجذع فى سنه . انظر الوسيط (ج ذ ع) ، والمصدر السابق .

إنك لم تَصْنَعْ بتقديمِ البَيْضةِ بَيْضةِ هَوازِنَ[1] إلى نُحورِ الخيلِ شيئًا ، ثم قال دُرَيْدٌ لمالكِ بنِ عوفٍ : ارفَعْهم إلى مُتَمَنَّعِ بلادِهم وعُلْيَا قومِهم ، ثم ألْقِ الصُّبىَّ[2] على مُتونِ الخيلِ ، فإن كانت لك لحِق بك مَن وراءَك ، وإن كانت عليك ألْفاك ذلك وقد أحْرَزْتَ أهلَك ومالَك . قال : واللَّهِ لا أفْعَلُ ، إنك قد كبِرْتَ وكبِرَ عقلُك . ثم قال مالكٌ : واللَّهِ لَتُطِيعُنَّنى يا معشرَ هَوازِنَ أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيفِ حتى يخرُجَ مِن ظهرى - وكَرِهَ أن يكونَ لدُرَيْدٍ فيها ذكرٌ أو رأىٌ - فقالوا : أطَعْناك . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشْهَدْه ولم يَفُتْنى :

يا ليتَنى فيها جَذَعْ ... أخُبُّ فيها وأَضَعْ[3]

أقودُ وَطْفاءَ الزَّمَعْ ... كأنها شاةٌ صَدَعْ[4]

ثم قال مالكٌ للناسِ : إذا رأيْتُموهم فاكْسِروا جفونَ سيوفِكم ، ثم شِدُّوا شَدةَ رجلٍ واحدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى أميةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ أنه حُدِّثَ أن مالكَ بنَ عوفٍ بعَث عيونًا مِن رجالِه ، فأتَوْه وقد تفرَّقَت أوْصالُهم ، فقال : ويلَكم ، ما شأنُكم ؟ قالوا : رأيْنا رجالًا بِيضًا على خيلٍ بُلْقٍ ، فواللَّهِ ما تَماسَكْنا أن أصابنا ما ترَى . فواللَّهِ ما رَدَّه ذلك عن وجهِه أن مضَى على ما يريدُ .

---

(١) بيضة هوازن : جماعتهم . شرح غريب السيرة ٣/٩٥ .

(٢) وقع في السيرة ، وشرح غريبها : « الصُّبَّاء » مهموزةً ، بمعنى الصابئين ، وبهذا فسره الخشنى فى غريب السيرة ، والمعنى يقتضى ما قاله ابن الأثير : أى الذين يشتهون الحرب ويميلون إليها ويحبون التقدم فيها والبِراز . النهاية ٣/١١ .

(٣) يا ليتنى فيها جذع : أراد يا ليتنى شاب . والخبب والوضع ؛ ضربان من السير . المصدر السابق ٣/٩٦.

(٤) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة ؛ يريد فرسًا صفتها هكذا ، وهو محمود فى وصف الخيل . الشاة هنا : الوعل . وصدع : وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٤٣٩.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولما سمِع بهم نبيُّ اللَّهِ ﷺ بعَث إليهم عبدَ اللَّهِ بنَ أبى حَدْرَدٍ الأسْلمىَّ ، وأمَره أن يدْخُلَ فى الناسِ فيقيمَ فيهم حتى يعْلمَ عِلْمَهم ، ثم يأتِيَه بخبرِهم ، فانطلق ابنُ أبى حَدْرَدٍ ، فدخَل فيهم [2]فأقام فيهم[2] حتى سمِع وعلِم ما قد أجْمعوا له مِن حربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسمِع مِن مالكٍ وأمْرِ هَوازِنَ ما هم عليه ، ثم أقْبَل حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبَره الخبرَ . فلما أجْمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ السيرَ إلى هَوازِنَ[3] ذُكِر له أن عندَ صفوانَ بنِ أميةَ أدْراعًا له وسلاحًا ، فأرْسل إليه وهو يومئذٍ مُشْركٌ فقال : « يا أبا أميةَ ، أعِرْنا سلاحَك هذا نَلْقَ فيه عدُوَّنا غدًا » . فقال صفوانُ : أغَصْبًا يا محمدُ ؟ قال : « بل عاريَّةً مضمونةً حتى نؤديَها إليك » . قال : ليس بهذا بأسٌ . فأعْطاه مائةَ دِرعٍ بما يَكْفيها مِن السلاحِ ، فزعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سأله أن يَكْفِيَهم حمْلَها ففعَل . هكذا أوْرد هذا ابنُ إسحاقَ مِن غيرِ إسنادٍ .

وقد روَى يونُسُ بنُ بُكيرٍ[4] ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قَتادةَ ، عن [٣/١٥٦و] [5]عبدِ الرحمنِ بنِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه . وعن عمرِو بنِ شعيبٍ والزهرىِّ وعبدِ اللَّهِ[5] بنِ أبى بكرِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ وغيرِهم ، قصةَ حنينٍ ، فذكَر نحوَ ما تقدم ، وقِصةَ الأدْراعِ كما تقدم ، وفيه أن ابنَ أبى حَدْرَدٍ لما رجَع فأخبر رسولَ اللَّهِ ﷺ خبرَ هَوازِنَ كذَّبه عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال له ابنُ أبى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٤١، م .

(٣) بعده فى السيرة : « ليلقاهم » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١١٩ - ١٢١، من طريق يونس بن بكير به . كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٨، من طريق يونس بن بكير بالطريق الأول مختصرا . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

حَدْرَدٍ : لئن كذَّبْتَنى يا عمرُ ، فربما كذَّبْتَ بالحقِّ . فقال عمرُ : ألا تسْمَعُ ما يقولُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « قد كنتَ ضالًّا فهداك اللَّهُ » .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأنا شَريكٌ ، عن[2] عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيعٍ ، عن أميةَ بنِ صفوانَ بنِ أميةَ ، عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استعار منه[3] يومَ حنينٍ[4] أدْراعًا فقال : أغَصْبًا يا محمدُ ؟ فقال : « بل عارِيَّةً مضمونةً » . قال : فضاع بعضُها ، فعرَض عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يضْمَنَها له ، فقال : أنا اليومَ يا رسولَ اللَّهِ فى الإسلامِ أرْغَبُ . ورواه أبو داودَ والنسائىُّ مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ به[5] ، وأخْرجه النَّسائىُّ مِن روايةِ إسرائيلَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن[6] عبدِ الرحمنِ بنِ صفوانَ بنِ أميةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استعار مِن صفوانَ دُروعًا ، فذكَره[7] . ورواه مِن حديثِ هُشَيْمٍ ، عن حَجَّاجٍ ، عن عطاءٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استعارَ مِن صفوانَ أدْراعًا وأفْراسًا ، وساق الحديثَ[8] .

وقال أبو داودَ[9] ، ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا جريرٌ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، عن أناسٍ مِن آلِ عبدِ اللَّهِ بنِ صفوانَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يا صفوانُ ،

---

(١) المسند ٣/ ٤٠٠، ٤٠١، ٦/ ٤٦٥.
(٢) فى ٤١، م، ص: « بن ». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٦٢.
(٣) فى الأصل : « من أمية » . وهو خطأ . والضمير فى « منه » يعود إلى صفوان .
(٤) فى الموضع الأول من المسند : « خيبر » ، وهو تحريف .
(٥) أبو داود (٣٥٦٢) ، والنسائى فى الكبرى (٥٧٧٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٠٤٢) .
(٦) سقط من: الأصل، ٤١، م. وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٥٦.
(٧) النسائى فى الكبرى (٥٧٨٠) .
(٨) النسائى فى الكبرى (٥٧٧٨) .
(٩) أبو داود (٣٥٦٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٠٤٣) . وانظر السلسلة الصحيحة (٦٣١) .

هل عندَك مِن سلاحٍ ؟ » قال : عاريَّةً أم غَصْبًا ؟ قال : « لا[1] ، بل عاريَّةً » . فأعاره ما بينَ الثلاثين إلى الأرْبعين درعًا ، وغَزا رسولُ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا ، فلما هُزِم المشركون جُمِعتْ دروعُ صفوانَ ففَقَد منها أدراعًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لصفوانَ : « قد فَقَدْنا مِن أدراعِك أدراعًا ، فهل نَغْرَمُ لك ؟ » قال : لا يا رسولَ اللَّهِ ، إن فى قلبى اليومَ ما لم يكُنْ[2] يومئذٍ . وهذا مرسَلٌ أيضًا .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ معه ألفان مِن أهلِ مكةَ مع عشَرةِ آلافٍ مِن أصحابِه الذين خرَجوا معه ، [4]ففتَح اللَّهُ بهم مكةَ ، فكانوا اثنَىْ عشَرَ ألفًا[4] .

قلتُ : وعلى قولِ عروةَ والزهرىِّ وموسى بنِ عقبةَ[5] يكون مجموعُ الجيشين اللذين سار بهما إلى هَوازِنَ أربعةَ عشَرَ ألفًا ؛ لأنه قدِم باثنَىْ عشَرَ [٣/ ١٥٦ظ] ألفًا إلى مكةَ على قولِهم ، وأُضِيف إليهم ألفان مِن الطُّلَقاءِ . وذكَر ابنُ إسحاقَ أنه خرَج مِن مكةَ فى خامسِ شوالٍ[6] ، قال[7] : واستَخْلَف على أهلِ مكةَ عَتَّابَ بنَ أَسِيدِ بنِ أبى العِيصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ الأُمويَّ .

قلتُ : وكان عمرُه إذ ذاك قريبًا مِن عشرين سنةً[8] . قال[9] : ومضَى رسولُ

---

(١) سقط من : ا ٤١، م، ص .
(٢) بعده فى الأصل، م : « فيه » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٠.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥) انظر دلائل النبوة ٥/ ٢٤، ٢٦، ١٢١.
(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٥ .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٠.
(٨) انظر لذلك أسد الغابة ٣/ ٥٥٦، وتهذيب الكمال ١٩/ ٢٨٢.
(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٠ - ٤٤٢.

اللَّهِ ﷺ يريدُ لقاءَ هَوازِنَ . وذكَر قصيدةَ العباسِ بنِ مِرْداسٍ السُّلَمىِّ فى ذلك ، منها قولُه :

أبْلِغْ هَوازِنَ أعْلاها وأسفلَها ... منى رسالةَ نُصْحٍ فيه تِبْيانُ
إنى أظُنُّ رسولَ اللَّهِ صابِحَكُمْ[1] ... جيشًا له فى فَضاءِ الأرضِ أرْكانُ
فيهم سُلَيْمٌ أخوكم غيرُ تارِكِكُمْ ... والمسلمون عبادُ اللَّهِ غَسَّانُ
وفى عِضادتِه اليُمْنى بنو أسَدٍ ... والأجْرَبان بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ
تكادُ ترْجُفُ منه الأرضُ رَهْبَتَه ... وفى مُقَدَّمِه أوسٌ وعُثْمانُ

قال ابنُ إسحاقَ : أوسٌ وعثمانُ قَبيلا مُزَيْنةَ .

قال[2] : وحدَّثنى الزهرىُّ ، عن سِنانِ بنِ أبى سِنانٍ الدُّئِلىِّ ، عن أبى واقدٍ الليثىِّ أن الحارثَ بنَ مالكٍ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى حنينٍ ونحن حَدِيثو عهدٍ بالجاهليةِ . قال : فسِرْنا معه إلى حنينٍ . قال : وكانت لكفارِ قريشٍ ومَن سواهم مِن العربِ شجرةٌ عظيمةٌ خَضْراءُ يقالُ لها : ذاتُ أنْواطٍ . يأْتونها كلَّ سنةٍ فيُعَلِّقون أسلحتَهم عليها ، ويذْبَحون عندَها ، ويعْكُفون عليها يومًا . قال : فرأَيْنا ونحن نَسِيرُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سِدْرةً خضراءَ عظيمةً . قال : فتَنادَيْنا مِن جَنَباتِ الطريقِ : يا رسولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لنا ذاتَ أنْواطٍ كما لهم ذاتُ أنْواطٍ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أكبرُ ، قلْتُم والذى [3]نفسُ محمدٍ[3] بيدِه كما قال قومُ موسى لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] . إنها السَّنَنُ ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم » . وقد روَى هذا الحديثَ

---

(١) فى الأصل : « يحكم » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٢.
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « نفسى » .

الترمذيُّ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ المخزوميِّ ، عن سفيانَ ، والنَّسائيُّ ، عن محمدِ ابنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، كلاهما عن الزهريِّ[1] كما رواه ابنُ إسحاقَ عنه . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ . ورواه ابنُ أبي حاتمٍ في « تفسيرِه » مِن طريقِ كَثيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عوفٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه مرفوعًا[2] .

وقال أبو داودَ[3] : ثنا أبو تَوْبةَ ، ثنا معاويةُ بنُ سلَّامٍ ، عن زيدِ بنِ سَلَّامٍ أنه سمِع أبا سَلَّامٍ ، عن السَّلُوليِّ أنه حدَّثه سهلُ بنُ الحَنْظَليةِ [٣/١٥٧و] أنهم ساروا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ فأَطْنَبوا السيرَ[4] حتى كان عَشِيةً ، فحضَرتْ صلاةُ الظهرِ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاء رجلٌ فارسٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إني انطَلَقْتُ بينَ أيديكم حتى طلَعْتُ جبلَ كذا وكذا ، فإذا أنا بهَوازِنَ عن بَكْرةِ أبيهم [5] بظُعُنِهم و[5] بنَعَمِهم وشائِهم ، اجْتَمعوا إلى حنينٍ ، فتبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « تلك غنيمةُ المسلمين غدًا إن شاء اللَّهُ » . ثم قال : « مَن يَحْرُسُنا الليلةَ » . قال أنسُ بنُ أبي مَرْثَدٍ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فارْكَبْ » . فركِب فرسًا له ، وجاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « استَقْبِلْ هذا الشِّعْبَ حتى تكونَ في أعْلاه ولا نُغَرَّنَّ[6] مِن قِبَلِك الليلةَ » . فلما أصْبَحْنا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مصلَّاه فركَع ركعتين ، ثم قال : « هل أحْسَسْتُم فارسَكم ؟ » قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أحْسَسْنا . فثُوِّب بالصلاةِ فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يصلِّي ، ويلْتَفِتُ إلى

---

(١) الترمذى (٢١٨٠) ، والنسائى فى الكبرى (١١١٨٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٧١) .
(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١١٤، وعزاه لابن أبى حاتم . وانظر التفسير ٣/ ٤٦٥.
(٣) أبو داود (٢٥٠١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٨٣) .
(٤) أطنبو السير : بالغوا فيه .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦) فى ا ٤: « نؤتين » .

الشِّعْبِ ، حتى إذا قضَى صلاتَه قال : « أبْشِروا فقد جاءكم فارسُكم » . [1] فجَعَلْنا نَنْظُرُ [1] إلى خلالِ الشجرِ فى الشِّعْبِ ، وإذا هو قد جاء حتى وقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ [2] فقال : إنى انطَلَقْتُ حتى كنتُ فى أعلى هذا الشِّعْبِ حيث أمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلما أصْبَحْتُ طلَعْتُ الشِّعْبَيْن كليهما ، فنظَرْتُ فلم أرَ أحدًا . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل نزَلْتَ الليلةَ ؟ » قال : لا ، إلا مصليًا أو قاضىَ حاجةٍ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد أوْجَبْتَ فلا عليك ألَّا تعْمَلَ بعدَها » . وهكذا رواه النسائىُّ ، عن محمدِ بنِ يحْيَى بنِ [3] محمدِ بنِ كثيرٍ الحرَّانىِّ ، عن أبى تَوْبةَ الربيعِ ابنِ نافعٍ به [4] .

[5] فصلٌ فى كيفيةِ [5] الوقعةِ وما كان فى [6] أولِ الأمرِ مِن الفرارِ ثم كانت [7] العاقبةُ للمتقين

قال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ وغيرُه ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ [8] : حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه قال : فخرَج مالكُ

(١ - ١) فى النسخ : « فجعل ينظر » . والمثبت من سنن أبى داود .

(٢) بعده فى سنن أبى داود : « فسلم » .

(٣) فى الأصل ، ٤١ ، م : « عن » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٧.

(٤) النسائى فى الكبرى (٨٨٧٠) .

(٥ - ٥) سقط من : ٤١ ، م .

(٦) سقط من : ٤١ ، م ، ص .

(٧) سقط من : ٤١ ، م .

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٢٦ - ١٢٨ ، من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به ، والسياق له ، وابن هشام فى السيرة ٢/ ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، من رواية زياد البكائى عن ابن إسحاق به ، وابن جرير فى تاريخه ٣/ ٧٤ ، ٧٥ ، من طريق سلمة عن ابن إسحاق به . حوادث السنة الثامنة .

ابنُ عوفٍ بمَن معه إلى حُنَيْنٍ فسبَق رسولَ اللَّهِ ﷺ إليها ، فأعَدُّوا وتهيَّئوا فى مَضايقِ الوادى وأحنائِه[1] ، وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه حتى انْحَطَّ بهم الوادى فى عَمايةِ الصبحِ[2] ، فلمّا انحَطَّ الناسُ ثارت فى وجوهِهم الخيلُ فشَدَّت عليهم ، وانكَفَأ [3]الناسُ مُنْهزِمين لا يُقْبِلُ أحدٌ على أحدٍ ، [٣/١٥٧ظ] وانحاز[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ اليمينِ يقولُ : « أين أيها الناسُ ؟ هَلُمُّوا إلىَّ ، أنا رسولُ اللَّهِ ، أنا رسولُ اللَّهِ ، أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ » . [4]قال : فلا شىءَ[4] ، وركِبَت الإبلُ بعضُها بعضًا ، فلمّا رَأى رسولُ اللَّهِ ﷺ أمْرَ الناسِ ، ومعه رهْطٌ مِن أهلِ بيتِه ؛ علىٌّ بنُ أبى طالبٍ ، وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، وأخوه ربيعةُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، والفَضْلُ بنُ العباسِ - وقيل : الفُضَيْلُ[5] بنُ أبى سفيانَ - وأيْمَنُ بنُ أمِّ أيمنَ ، وأسامةُ بنُ زيدٍ ، ومِن الناسِ مَن يَزيدُ فيهم قُثَمَ بنَ العباسِ[6] ، ورَهْطٌ مِن المهاجرين منهم ؛ أبو بكرٍ وعمرُ ، والعباسُ آخذٌ بحَكَمَةِ[7] بغلتِه البيضاءِ وهو عليها قد شجَرها[8] . قال : ورجلٌ مِن هَوازِنَ على جملٍ له أحمرَ ، بيدِه رايةٌ سوداءُ فى رأسِ رُمْحٍ طويلٍ أمامَ هَوازِنَ ، وهَوازنُ خلفَه إذا أدْرَكَ طعَن برمحِه ، وإذا فاته الناسُ رفَع رمحَه لمن وراءَه فاتَّبَعوه . قال : فبينما هو

---

(١) أى جوانبه . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٧.

(٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين . المصدر السابق .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) كذا فى الأصل ، ٤١ ، م . وفى ص : « الفضل » ، قال ابن هشام : « واسم ابن أبى سفيان جعفر » . وهو الصواب . انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٥٥. والإصابة ١/ ٤٨٥.

(٦) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٣.

(٧) فى ٤١ : « بلجام » . والحكمة : ما أحاط بحنكى الدابة من اللجام . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٧.

(٨) فى الأصل : « شجوها » . وشجرها : فتح فمها ومنعها من أن تتقدم . انظر المصدر السابق .

كذلك إذ هَوَى له[1] عليٌّ بنُ أبى طالبٍ ورجلٌ مِن الأنصارِ يُريدانِه . قال : فيأتى عليٌّ مِن خلفِه فضرَب عُرْقُوبَي الجملِ ، فوقَع على عَجُزِه[2] ، ووثَب الأنصاريُّ على الرجلِ فضرَبه ضربةً أطَنَّ قدمَه[3] بنصفِ ساقِه ، فانجَعَفَ[4] عن رحْلِه . قال : واجْتَلد الناسُ ، فواللَّهِ ما رجَعتْ راجعةُ الناسِ مِن هزيمتِهم حتى وجَدوا الأُسارَى مُكَتَّفين عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورَواه الإمامُ أحمدُ[5] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ الزهريِّ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : والتَفَت رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى سفيانَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، وكان ممن صبَر يومئذٍ [7]مع رسولِ اللَّهِ ﷺ[7] ، وكان حسَنَ الإسلامِ حينَ أسْلَم وهو آخذٌ [8]بثَفَرِ بغلةِ[8] رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « مَن هذا ؟ » قال : ابنُ أمِّك[9] يا رسولَ اللَّهِ .

قال ابنُ إسحاقَ[10] : ولمَّا انهزم الناسُ تكَلَّم رجالٌ مِن جُفاةِ الأعرابِ بما فى أنفسِهم مِن الضِّغْنِ[11] ، فقال أبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حربٍ - وكان إسلامُه بعدُ

---

(١) هوى له وأهوى ؛ إذا مال إليه . شرح غريب السيرة ٣/٩٧ .

(٢) عجزه : مؤخره .

(٣) أطن قدمه : أطارها وسُمع لضربته طنين ؛ أى دوى . المصدر السابق .

(٤) انجعف : سقط بمرَّة - أى بشدة - كما تنجعف الشجرة من أصلها . المصدر السابق . وانظر النهاية ٤/ ٣١٦.

(٥) المسند ٣/ ٣٧٦، ٣٧٧. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٨٠: رواه أحمد وأبو يعلى ...، وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فى رواية أبى يعلى ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٦.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م .

(٨ - ٨) فى ٤١ : « بشعر بغلته » ، والثفر : السير الذى فى مؤخر السرج . اللسان (ث ف ر) .

(٩) فى ٤١ : « عمك » . قال الخشنى : إنما هو ابن عمه لكنه أراد أن يتقرب إليه ؛ لأن الأم التى هى الجدة قد تجمعهم فى النسب . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٨. وربما كان قصده أُخوَّته للنبى ﷺ بالرضاع . انظر الإصابة ٧/ ١٧٩.

(١٠) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤.

(١١) الضغن : العداوة . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٧.

مدخولًا ، وكانت الأزْلامُ معه يومئذٍ - : لا تنتهى هزيمتُهم دون البحرِ ، وصرَخ كَلَدةُ[1] بنُ الحَنْبلِ ، وهو مع أخيه صفوانَ بنِ أميةَ - يعنى لأمِّه - وهو مشركٌ فى المدةِ التى جعَل له رسولُ اللَّهِ ﷺ : ألا بطَل السِّحْرُ اليومَ . فقال له صفوانُ : اسْكُتْ ، فضَّ اللَّهُ فاك ، فواللَّهِ لأن يَرُبَّنى[2] رجلٌ مِن قريشٍ أحبُّ إلىَّ مِن أن يَرُبَّنى[2] رجلٌ مِن هَوازِنَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عفانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، [٣/ ١٥٨و] أنبأنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن هَوازِنَ جاءت يومَ حُنَيْنٍ بالنساءِ والصبيانِ والإبلِ والغنمِ ، فجعَلوها صفوفًا يُكَثِّرون على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما التَقَوا ولَّى المسلمون مُدْبِرين كما قال اللَّهُ تعالى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عبادَ اللَّهِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . ثُم قال : « يا معشرَ الأنصارِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . قال : فهزَم اللَّهُ المشركين ، ولم يُضْرَبْ بسيفٍ ولم يُطْعَنْ برُمحٍ . قال : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ : « مَن قتَل كافرًا فله سَلَبُه » . قال : فقتَل أبو طلحةَ يومئذٍ عشرين رجلًا وأخَذ أسْلابَهم . وقال أبو قَتادةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى ضرَبْتُ رجلًا على حبلِ العاتقِ[4] وعليه دِرعٌ له ، فأُجْهِضْتُ عنه[5] ، فانظُرْ مَن أخَذها . قال : فقام رجلٌ فقال : أنا أخَذْتُها ، فأَرْضِه منها وأعْطِنيها . قال : وكان

---

(١) بعده فى ص : « جبلة » . وفى السيرة : « جبلة » . والمثبت موافق لتصويب ابن هشام . وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٩٦، والإصابة ٥/ ٦١٩.

(٢) فى الأصل : « يرثنى » ، وفى ص : « يربننى » . ولَأَنْ يربنى ؛ معناه أن يكون ربًّا لى أى ؛ ملكا على . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٧.

(٣) المسند ٣/ ٢٧٩. إسناده صحيح على شرط مسلم (فقه السيرة ص ٤٠٦).

(٤) حبل العاتق : هو موضع الرداء من العنق . وقيل : هو ما بين العنق والمنكب . وقيل : هو عرق أو عصب هناك . النهاية ١/ ٣٣٣.

(٥) أجهضت عنه : غُلبت حتى أُخذ منى . انظر اللسان (ج هـ ض).

رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يُسْأَلُ شيئًا إلا أعْطاه أو سكَت ، فسكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال عمرُ : واللَّهِ لا يُفِيئُها اللَّهُ على أَسدٍ مِن أُسْدِ اللَّهِ ويُعْطِيكها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صدَق عمرُ » . قال : ولقِيَ أبو طلحةَ أمَّ سُلَيْمٍ ومعها خِنْجَرٌ ، فقال أبو طلحةَ : ما هذا ؟ فقالت : إن دَنا منى بعضُ المشركين أن أَبْعَجَ به[1] بطنَه . فقال أبو طلحةَ : أما تسْمَعُ ما تقولُ أمُّ سُلَيْمٍ ؟ فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، اقْتُلْ مَن بعدَنا مِن الطُّلَقاءِ ؛ انهزموا بك[2] . فقال : « إن اللَّهَ قد كفَى وأحسَنَ يا أمَّ سليمٍ » .

وقد روى مسلمٌ منه قصةَ خِنْجَرِ أمِّ سُليمٍ ، وأبو داودَ قولَه : « مَن قتَل قتيلًا فله سَلَبُه » . كلاهما مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ به[3] . وقولُ عمرَ فى هذا مُسْتَغْرَبٌ ، والمشهورُ أن ذلك أبو بكرٍ الصديقُ[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، ثنا أبى ، ثنا نافعٌ أبو غالبٍ ، شهِد أنسَ بنَ مالكٍ قال[6] : فقال العلاءُ بنُ زِيادٍ العَدَوىُّ : يا أبا حمزةَ ، بسنٍّ أىِّ الرجالِ كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذ بُعِث ؟ فقال : ابنَ أربعين

---

(١) فى النسخ : « فى » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وأبعج : أشق . النهاية ١/ ١٣٩.

(٢) انهزموا بك : الباء فى « بك » هنا ، بمعنى عن ، أى انهزموا عنك ، كقوله تعالى : ﴿فاسأل به خبيرا﴾ . وربما تكون للسببية ، أى انهزموا بسببك لنفاقهم .

(٣) مسلم (١٨٠٩) ، وأبو داود (٢٧١٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٦١) .

(٤) كما ثبت ذلك فى الصحيحين من حديث أبى قتادة . البخارى (٣١٤٢، ٤٣٢١، ٤٣٢٢، ٧١٧٠) ، ومسلم (١٧٥١) . وقال الحافظ ابن حجر :... لكن الراجح أن الذى قال ذلك أبو بكر كما رواه أبو قتادة وهو صاحب القصة فهو أتقن لما وقع فيها من غيره ، ويحتمل الجمع بأن يكون عمر أيضًا قال ذلك تقوية لقول أبى بكر . واللَّه أعلم . فتح البارى ٨/ ٤٠.

(٥) المسند ٣/ ١٥١. إسناده حسن (السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٠٢) .

(٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكةَ عشْرَ سنين ، وبالمدينةِ عشْرَ سنين ، فتمَّت له ستون سنةً ، ثم قبَضه اللَّهُ إليه . قال : بسنٍّ أيِّ الرجالِ هو يومئذٍ ؟ قال : كأشَبِّ الرجالِ وأحْسَنِه وأجْملِه وألْحِمه . قال : يا أبا حمزةَ ، وهل غزَوْتَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، غزَوْتُ معه يومَ حنينٍ ، [٣/١٥٨ظ] فخرَج المشركون بُكْرةً[(١)] ، فحمَلوا علينا حتى رأَيْنا خيْلَنا وراءَ ظهورِنا ، وفى المشركين رجلٌ يَحْمِلُ علينا فيَدُقُّنا ويَحْطِمُنا ، فلما رأى ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ نزَل ، فهزَمهم اللَّهُ فولَّوا ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ رأَى الفتحَ ، فجُعِل يُجاءُ بهم أُسارَى رجلًا رجلًا ، فيُبايِعونه على الإسلامِ ، فقال رجلٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : إن علىَّ نَذْرًا ، لئن جِيء بالرجلِ الذى كان منذ اليومِ يَحْطِمُنا لأَضْرِبَنَّ عنقَه . قال : فسكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وجِيء بالرجلِ ، فلما رأى نبيَّ اللَّهِ ﷺ قال : يا نبيَّ اللَّهِ ، تُبْتُ إلى اللَّهِ . قال : وأمْسَك نبيُّ اللَّهِ ﷺ أن يُبايِعَه ليُوفِيَ الآخرُ نذْرَه . قال : وجعَل ينْظُرُ إلى النبيِّ ﷺ ليأمُرَه بقتلِه ، ويَهابُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[(٢)] ، فلما رأى النبيُّ ﷺ أنه لا يصْنَعُ شيئًا بايَعه[(٣)] ، فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، نذرى ؟! قال : « لم أُمْسِكْ عنه منذُ اليومِ إلا لتُوفِيَ نذرَك » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا أوْمَأْتَ[(٤)] إلىَّ ؟ قال : « إنه ليس لنبيٍّ أن يُومِيَ[(٥)] » . تفرد به أحمدُ[(٦)] .

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « بكثرة » .

(٢) بعده فى المسند : « أن يقتله » .

(٣) كذا فى النسخ ، وهو لفظ رواية أبى داود . وفى المسند : « يأتيه » .

(٤) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « أومضت » .

(٥) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « يومض » .

(٦) أخرج أبو داود بعضه ، من طريق عبد الوارث به (٣١٩٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٣٥) . وانظر جامع المسانيد للمصنف ٢٣/ ٤٦٠ .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا يزيدُ ، ثنا حُمَيْدٌ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان مِن دُعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ : « اللهم إنك إن تَشأْ لا تُعْبَدْ بعدَ اليومِ » . إسنادُه ثلاثيٌّ على شرطِ الشيخَيْن ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوجهِ .

وقال البخاريُّ[2] : ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا غُنْدَرٌ ، ثنا شعبةُ ، عن أبى إسحاقَ سمِع البَراءَ بنَ عازبٍ - وسأله رجلٌ مِن قيسٍ : أفرَرْتُم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ ؟ - فقال : لكنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَفِرَّ ؛ كانت هَوازِنُ رُماةً ، وإنا لمَّا حمَلْنا عليهم انكَشَفوا ، فأكْبَبْنا على الغَنائمِ ، فاستَقْبَلَتنا[3] بالسهامِ ، ولقد رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على بَغْلتِه البيضاءِ ، وإن أبا سفيانَ آخذٌ بزِمامِها ، وهو يقولُ : « أنا النبيُّ لا كَذِبْ » . ورَواه البخاريُّ ، عن أبى الوليدِ ، عن شعبةَ به[4] وقال :

« أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ »

قال البخاريُّ[5] : وقال إسرائيلُ وزهيرٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ : ثم نزَل عن بغلتِه . ورواه مسلمٌ والنسائيُّ عن بُنْدارٍ . زاد مسلمٌ : وأبى موسى . كلاهما عن غُنْدَرٍ به[6] .

وروى مسلمٌ[7] مِن حديثِ زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ

---

(١) المسند ٣/ ١٢١. ولفظه فى المسند : « اللهم إن شئت ألا تعبد بعد اليوم » .
(٢) البخارى (٤٣١٧) .
(٣) فى البخارى : « فاستُقْبلنا » .
(٤) البخارى (٤٣١٦) .
(٥) البخارى (٤٣١٧) .
(٦) مسلم (١٧٧٦/٨٠) ، والنسائى فى الكبرى (٨٦٣٨) .
(٧) مسلم (١٧٧٦/٧٩) .

قال : ثم نزَل فاسْتَنْصَر وهو يقولُ :

« أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطلبْ

اللهم [٣/ ١٥٩و] نزِّلْ نصرَك » . قال البَراءُ : ولقد كنا إذا حَمِيَ البَأْسُ نَتَّقِي برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإن الشجاعَ الذى يُحاذِى به .

وروَى البيهقيُّ[(١)] مِن طُرُقٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومئذٍ : « أنا ابنُ العَواتِكِ » .

وقال الطبرانيُّ[(٢)] : ثنا عباسُ بنُ الفَضْلِ الأَسْفاطِيُّ[(٣)] ، ثنا عمرُو بنُ عوفٍ الواسطيُّ ، ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، عن [(٤)]سَيَابةَ بنِ عاصمٍ السُّلَمِيِّ[(٤)] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ حنينٍ : « أنا ابنُ العَواتِكِ » .

وقال البخاريُّ[(٥)] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ ، أنبأنا مالكٌ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن عمرَ[(٦)] بنِ كثيرِ بنِ أفْلَحَ ، عن أبى محمدٍ مولى أبى قَتادةَ ، عن أبى قَتادةَ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ حنينٍ ، فلما الْتَقَيْنا كانت للمسلمين جَوْلَةٌ[(٧)] ، فرأَيْتُ رجلًا مِن المشركين قد علَا رجلًا مِن المسلمين ، فضرَبْتُه مِن

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) المعجم الكبير ٧/ ٢٠١ (٦٧٢٤) ، قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٩: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٣) سقط من ا ٤١، ص . وفى م : « الأسقاطى » ، وانظر اللباب ١/ ٤٣.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤١، ص . وفى الأصل ، م : « شبابة عن ابن عاصم السلمى » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦.

(٥) البخارى (٤٣٢١) .

(٦) سقط من ا ٤١. وفى الأصل ، م : « عمرو » ، وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٩١.

(٧) جولة : حركة فيها اختلاف . فتح البارى ٨/ ٣٧.

ورائِه على حَبْلِ عاتقِه بالسيفِ ، فقطَعْتُ الدرعَ ، وأقْبَل عليَّ فضمَّنى ضَمَّةً وجَدْتُ منها رِيحَ الموتِ ، ثم أدْرَكه الموتُ ، فأرْسَلنى فلحِقْتُ عمرَ ، فقلتُ : ما بالُ الناسِ ؟ فقال : أمرُ اللَّهِ ، عَزَّ وجَلَّ . ثم رجَعوا ، وجلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « مَن قتَل قتيلًا له عليه بيِّنةٌ فله سَلَبُه » . فقمْتُ فقلتُ : مَن يشْهَدُ لى ؟ ثم جلَسْتُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَه ، فقلتُ : مَن يشْهَدُ لى ؟ ثم جلَسْتُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَه ، فقلتُ : مَن يشْهَدُ لى ؟ ثم جلَسْتُ ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَه ، فقمْتُ فقال : « ما لك يا أبا قَتادةَ ؟ » فأخبَرْتُه ، فقال رجلٌ : صدَق ، سَلَبُه عندى ، فأرْضِه منى . فقال أبو بكرٍ : لَاهَا اللَّهِ إذًا[1] لا[2] يَعْمِدُ إلى أَسدٍ مِن أُسْدِ اللَّهِ يُقاتِلُ عن اللَّهِ ورسولِه فيُعْطِيَك سَلَبَه ؟! فقال النبىُّ ﷺ : « صدَق فأعْطِه » . فأعْطانيه فابتَعْتُ به مَخْرَفًا[3] فى بنى سَلِمةَ ، فإنه لَأولُ مالٍ تَأَثَّلْتُه[4] فى الإسلامِ . ورواه بقيةُ الجماعةِ إلا النسائىَّ مِن حديثِ يحيى بنِ سعيدٍ به[5] .

[6]قال البخارىُّ[7] : وقال الليثُ بنُ سعدٍ : حدَّثنى يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عمرَ[8] بنِ كثيرِ بنِ أفْلَحَ ، عن أبى محمدٍ مولى أبى قتادةَ ، أن أبا قتادةَ قال : لما كان يومُ حنينٍ نظَرْتُ إلى رجلٍ مِن المسلمين يُقاتِلُ رجلًا مِن المشركين ، وآخرُ[6]

---

(١) لاها اللَّه إذًا : قال ابن الأثير : هكذا جاء الحديث ، والصواب : « لاها اللَّه ذا » بحذف الهمزة ، ومعناه : لا واللَّه لا يكون ذا . أو : لا واللَّه الأمر ذا . فحذف تخفيفًا . النهاية ٥/ ٢٣٨، وانظر فتح البارى ٨/ ٣٧- ٣٩.

(٢) سقط من : ٤١، م ، ص .

(٣) سقط من : ٤١. وفى م ، ص : « مخرافا » . ومخرفا ، بفتح الميم والراء ويجوز كسر الراء ، أى بستانا ؛ سمى بذلك لأنه يخترف منه التمر ، أى يجتنى . فتح البارى ٨/ ٤٠.

(٤) تأثلته : أصلته ، وأثلة كل شىء أصله . المصدر السابق ٨/ ٤١.

(٥) مسلم (١٧٥١) ، وأبو داود (٢٧١٧) ، والترمذى (١٥٦٢) ، وابن ماجه (٢٨٣٧) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ٤١.

(٧) البخارى (٤٣٢٢) .

(٨) فى م ، ص : « عمرو » ، والمثبت من صحيح البخارى .

(١ مِن المشركين يَخْتِلُه[٢] مِن ورائِه ليَقْتُلَه ، فأسْرَعْتُ إلى الذى يَخْتِلُه ، فرفَع يدَه ليَضْرِبَنى فأضْرِبُ يدَه فقطَعْتُها ، ثم أخَذنى فضمَّنى ضمًّا شديدًا حتى تخَوَّفْتُ ، ثم ترَك فتحَلَّل ، فدفَعْتُه ثم قتَلْتُه ، وانهزم المسلمون وانهزَمْتُ معهم ، فإذا بعمرَ بنِ الخطابِ فى الناسِ ، فقلتُ له : ما شأنُ الناسِ ؟ قال : أمْرُ اللَّهِ . ثم تراجَع الناسُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أقام بينةً على قتيلٍ[٣] فله سَلَبُه » . فقمتُ لِألتَمِسَ بيِّنةً على قتيلى ، فلم أرَ أحدًا يَشْهَدُ لى ، فجلَسْتُ ، ثم بَدا لى فذكَرْتُ أمْرَه لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رجلٌ مِن جُلَسائِه : سلاحُ هذا القتيلِ الذى يذْكُرُ عندى ، فأَرْضِه منى . فقال أبو بكرٍ : كلا ، لا يُعْطيه أُضَيْبِعَ[٤] مِن قريشٍ ، ويدَعُ أَسَدًا مِن أُسْدِ اللَّهِ يُقاتِلُ عن اللَّهِ ورسولِه . قال : فقام رسولُ اللَّهِ فأدَّاه إلىَّ ، فاشْتَرَيْتُ به خِرافًا[٥] ، فكان أولَ مالٍ تأَثَّلْتُه[٦]١) . وقد رواه البخاريُّ فى موضعٍ آخرَ ومسلمٌ ، كلاهما عن قُتَيبةَ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ به[٧] ، وقد تقدم مِن روايةِ نافعٍ أبى غالبٍ ، عن أنسٍ أن القائلَ لذلك عمرُ بنُ الخطابِ[٨] ، فلعله

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(٢) يختله : أى يريد أن يأخذه على غرة .

(٣) بعده فى البخارى : « قتله » .

(٤) فى بعض روايات البخارى : « أصيبغ » .

قال الحافظ : قال ابن التين : وصفه بالضعف والمهانة ، والأصيبغ نوع من الطير ، أو شبَّهه بنبات ضعيف يقال له : الصبغاء ... وعلى الثانى - أضيبع بالضاد المعجمة - تصغير أضبع على غير قياس ، كأنه لما عظم أبا قتادة بأنه أسد ، صغر خصمه وشبهه بالضبع ؛ لضعف افتراسه وما يوصف به من العجز . فتح البارى ٨/ ٤١ .

(٥) فى م : « مخرافًا » . وخرافًا بكسر أوله : هو التمر الذى يخترف أى ؛ يجتنى ، وأطلقه على البستان مجازا ، فكأنه قال : بستان خراف . انظر فتح البارى ٨/ ٤٠ .

(٦) بعده فى البخارى : « فى الإسلام » .

(٧) البخارى (٧١٧٠) ، ومسلم (١٧٥١) .

(٨) انظر ما تقدم صفحة ١٨ حاشية ٤ .

قاله مُتابعةً لأبى بكرٍ الصديقِ ، ومُساعدةً ومُوافقةً له ، أو قد اشْتَبَهَ على الراوى . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[1] : أنبأنا الحاكمُ ، أنبأنا الأصَمُّ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، عن يونُسَ بنِ بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جابرٍ ، عن أبيه جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ حنينٍ حينَ رأى [٣/ ١٥٩ظ] مِن الناسِ ما رأى : « يا عباسُ ، نادِ[2] : يا معشرَ الأنصارِ ، يا أصحابَ الشجرةِ[3] » . فأجابوه : لبَّيك لبَّيك . فجعَل الرجلُ يذْهَبُ ليَعْطِفَ بعيرَه ، فلا يَقْدِرُ على ذلك فيَقْذِفُ درعَه فى[4] عنقِه ، ويأخُذُ سيفَه وقَوْسَه[5] ، ثم يَؤُمُّ الصوتَ[6] حتى اجتمع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ منهم مائةٌ ، فاسْتَعْرض[7] الناسَ فاقْتَتَلوا ، وكانت الدعوةُ أولَ ما كانت بالأنصارِ ، ثم جُعِلَت آخِرًا بالخزرجِ ، وكانوا صُبُرًا عندَ الحربِ ، وأشْرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رَكائبِه فنظَر إلى مُجْتَلَدِ القومِ[8] فقال : « الآنَ حَمِىَ الوَطِيسُ » . قال : فواللَّهِ ما [9]رَجَعَتْ راجِعةُ[9] الناسِ إلا والأُسارَى عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُكَتَّفون ، فقتَل اللَّهُ منهم مَن

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٢٩.

(٢) فى الدلائل : « اصرخ » .

(٣) فى الدلائل : « السمرة » . وأصحاب السمرة : يريد أصحاب بيعة الرضوان ، والسمر ضرب من الشجر . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٧.

(٤) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م : « عن » ، وفى ص : « من » . والمثبت من دلائل النبوة .

(٥) فى م : « ترسه » .

(٦) يؤم الصوت : أى يقصده . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٧.

(٧) فى دلائل النبوة : « فاستعرضوا » .

(٨) مجتلد القوم : أى موضع الجلاد ، وهو الضرب بالسيف فى القتال . يقال : جلدته بالسيف والسوط ونحوه ؛ إذا ضربته به . النهاية ١/ ٢٨٥.

(٩ - ٩) فى النسخ : « راجعه » . والمثبت من دلائل النبوة .

قتَل ، وانهَزَم منهم مَن انهزم ، وأفاء اللَّهُ على رسولِه ﷺ أموالَهم[1] وأبناءَهم .

وقال ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ ، وذكر موسى بنُ عقبةَ فى « مغازيه »[2] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما فتَح اللَّهُ عليه مكةَ وأقَرَّ بها عينَه ، خرَج إلى هَوازِنَ ، وخرَج معه أهلُ مكةَ ، لم يُغادِرْ منهم أحدًا رُكْبانًا ومُشاةً حتى خرَج النساءُ يَمْشِين على غيرِ دِينٍ نُظَّارًا ينظُرون ويرْجون الغَنائمَ ، ولا يَكْرَهون مع ذلك أن تكونَ الصَّدْمةُ برسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، قالوا : وكان معه أبو سفيانَ بنُ حربٍ و[3] صفوانُ بنُ أميةَ ، وكانت امرأتُه مُسْلمةً ، وهو مُشْركٌ لم يُفَرَّقْ بينَهما . قالوا : وكان رئيسَ المشركين يومئذٍ مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْرىُّ[4] ، ومعه دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ يَرْعَشُ مِن الكِبَرِ ، ومعه النساءُ والذَّرارىُّ والنَّعَمُ ، فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ أبى حَدْرَدٍ عينًا ، فبات فيهم ، فسمِع مالكَ بنَ عوفٍ يقولُ لأصحابِه : إذا أصبَحْتُم فاحْمِلوا عليهم حَمْلةَ رجلٍ واحدٍ ، واكسِروا أغْمادَ سيوفِكم ، واجْعَلوا مَواشيَكم صفًّا ونساءَكم صفًّا[5] . فلما أصْبَحوا اعتزَل أبو سفيانَ ، وصفوانُ وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ وراءَهم ينظُرون لمن تكونُ الدائرةُ ، وصفَّ الناسُ بعضُهم لبعضٍ ، وركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ بغلةً له شَهْباءَ فاستَقْبل الصفوفَ ، فأمَرهم وحضَّهم على القتالِ وبشَّرهم بالفتحِ إن صبَروا ، فبينما هم كذلك حمَل المشركون على المسلمين حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ ، فجال المسلمون جَوْلةً ، ثم ولَّوا

---

(١) بعده فى الدلائل : « ونساءهم » .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « عن الزهرى » . والأثر أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٢٩ ، من طريق ابن لهيعة به ، وعن موسى بن عقبة مسندا .

(٣ - ٣) فى ص : « الحارث بن » .

(٤) فى الأصل ، ص : « النضرى » .

(٥) بعده فى الدلائل : « ثم احملوا على القوم » .

مُدْبِرين ، فقال حارثةُ بنُ النعمانِ : لقد حزَرْتُ مَن بقِىَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أدْبَر [٣/١٦٠و] الناسُ ، فقلتُ : مائةُ رجلٍ . قالوا : ومَرَّ رجلٌ مِن قريشٍ بصفوانَ ابنِ أميةَ ، فقال : أَبْشِرْ بهزيمةِ محمدٍ وأصحابِه ، فواللَّهِ لا يَجْتَبِرونها[1] أبدًا . فقال له صفوانُ : تُبَشِّرُنى بظهورِ الأعْرابِ ! فواللَّهِ لَرَبٌّ مِن قريشٍ أحَبُّ إلىَّ مِن رَبٍّ مِن الأعْرابِ . وغضِب صفوانُ لذلك . قال موسى[2] : وبعَث صفوانُ غلامًا له فقال : اسمَعْ لمن الشِّعارُ ؟ فجاءه فقال : سمِعْتُهم يقولون : يا بنى عبدِ الرحمنِ ، يا بنى عبدِ اللَّهِ ، يا بنى عُبَيْدِ اللَّهِ . فقال : ظهَر محمدٌ . وكان ذلك شِعارَهم فى الحربِ . قالوا : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لما غشِيَه القِتالُ قام فى الركابَين وهو على البَغْلةِ ، فرفَع يديه إلى اللَّهِ يدعوه يقولُ : « اللهم إنى أنشُدُك ما وعَدْتَنى ، اللهم لا ينبغى لهم أن يظْهَروا علينا » . ونادَى أصحابَه وذمَّرهم[3] : « يا أصحابَ البيعةِ يومَ الحديبيةِ ، اللَّهَ اللَّهَ ، الكَرَّةُ على نبيِّكم » . ويقالُ : حرَّضهم فقال : « يا أنصارَ اللَّهِ وأنصارَ رسولِه ، يا بنى الخزرجِ ، يا أصحابَ سورةِ البقرةِ » . وأمَر مِن أصحابِه مَن يُنادى بذلك . قالوا : وقبَض قُبْضةً مِن الحَصْباءِ ، فحَصَب بها وجوهَ المشركين ونَواحِيَهم[4] كلَّها ، وقال : « شاهت الوجوهُ » . وأقْبل أصحابُه إليه سِراعًا يتَدِرون ، وزعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الآنَ حَمِىَ الوَطِيسُ » . فهزَم اللَّهُ أعداءَه مِن كلِّ ناحيةٍ حصَبهم منها ، واتَّبعهم المسلمون يَقْتُلونهم ، وغنَّمهم اللَّهُ نساءَهم وذَرارِيَّهم[5] ، وفرَّ مالكُ بنُ عوفٍ حتى دخَل حصنَ الطائفِ هو وأُناسٌ

---

(١) يجتبرونها : يصلحونها .

(٢) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « عروة » ، والمثبت من الدلائل .

(٣) فى م : « زمرهم » . وذمرهم : حضهم وشجعهم . انظر النهاية ٢/ ١٦٧.

(٤) سقط من : ٤١. وفى م ، ص : « نواصيهم » .

(٥) بعده فى الدلائل : « وشاءهم » .

مِن أشرافِ قومِه ، وأسْلم عندَ ذلك ناسٌ كثيرٌ مِن أهلِ مكةَ حينَ رأَوْا نصرَ اللَّهِ رسولَه ﷺ وإعْزازَه دينَه . رواه البيهقيُّ[1] .

وقال ابنُ وهبٍ[2] : أخبرنى يونُسُ ، عن الزهرىِّ ، أخبَرَنى كَثيرُ بنُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ قال : قال العباسُ : شَهِدْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حُنينٍ ، فلَزِمْتُه أنا وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ لا نُفارِقُه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ على بغلةٍ بيضاءَ أهْداها له فَرْوةُ بنُ نُفاثةَ الجُذاميُّ ، فلمَّا الْتَقَى الناسُ ولَّى المسلمون مُدْبِرين ، فطَفِق رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بغلتَه[3] قِبَلَ الكفارِ . قال العباسُ : وأنا آخِذٌ بلِجامِها أكُفُّها إرادةَ أن لا تُسْرِعَ ، وأبو سفيانَ آخذٌ برِكابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أى عباسُ ، نادِ أصحابَ السَّمُرَةِ[4] » . قال : فواللَّهِ لكأنَّما [٣/١٦٠ظ] عَطْفَتُهم[5] حينَ سمِعوا صوتى عَطْفةُ البقرِ على أولادِها ، فقالوا : يا لَبَّيْكاه ، يا لَبَّيْكاه . قال : فاقْتَتَلوا هم والكفارُ ، والدعوةُ فى الأنصارِ[6] يقولون : يا معشرَ الأنصارِ ، [7]يا معشرَ الأنصارِ[7] . ثُم قُصِرَت الدعوةُ على بنى الحارثِ بنِ الخزرجِ ، فقالوا : يا بنى الحارثِ بنِ الخزرجِ[8] . فنَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو على بغلتِه ، كالمُتطاوِلِ عليها إلى قتالِهم فقال : « [9]هذا حينَ[9] حَمِىَ الوَطِيسُ » . ثُم أخَذ

---

(١) تقدم تخريجه فى أول الأثر . وقد ذكره المصنف هنا ملفقا من روايتى عروة وموسى بن عقبة .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/١٣٧ - ١٣٩، من طريق ابن وهب به .

(٣) يركض بغلته : أى يضرب جنبيها برجله أو برجليْه ليَحُثَّها على السير . انظر الوسيط (ر ك ض) .

(٤) بعده فى الدلائل : « فقال عباس ، وكان رجلا صيتا : فقلت بأعلى صوتى : أى أصحاب السمرة » .

(٥) عطفتهم : يعنى ميلهم واستجابتهم ، يشبه ذلك بميل البقر وحنوه على أولاده . انظر الوسيط (ع ط ف) .

(٦) بعده فى ا ٤١، م : « وهم » .

(٧ - ٧) سقط من : ا ٤١، م .

(٨) بعده فى الدلائل : « يا بنى الحارث بن الخزرج » .

(٩ - ٩) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « الآن » . والمثبت لفظ صحيح مسلم .

صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم حَصَياتٍ فرمَى بهن فى وجوهِ الكفارِ ، ثم قال : « انهَزَموا وربِّ محمدٍ » . قال : فذهَبْتُ أنظُرُ فإذا القِتالُ على هيئتِه فيما أرى ، قال : فواللَّهِ ما هو إلا أن رَماهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بحَصَياتِه ، فما زِلْتُ أرى حَدَّهم كَلِيلًا[1] ، وأمْرَهم مُدْبِرًا .[2] ورَواه مسلمٌ ، عن أبى الطاهرِ ، عن ابنِ وهبٍ به نحوَه[3] . ورواه أيضًا ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ نحوَه[4][2] .

وروى مسلمٌ[5] مِن حديثِ عكرمةَ بنِ عَمَّارٍ ، عن إياسِ بنِ سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ ، عن أبيه قال : غزَوْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حُنينًا ، فلما واجَهْنا العدوَّ تقَدَّمْتُ فأعْلُو ثَنِيَّةً فاسْتَقْبَلنى رجلٌ مِن المشركين فأَرْمِيه بسهمٍ ، وتَوارى عنى ، فما درَيْتُ ما صنَع ، ثم نظَرْتُ إلى القومِ فإذا هم قد طلَعوا مِن ثَنِيَّةٍ أخرى ، فالتَقَوا هم وصحابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فولَّى أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأَرْجِعُ مُنهزِمًا ، وعلىَّ بُرْدَتان مُتَّزِرًا بإحداهما مُرْتَدِيًا بالأخرى ، قال : فاستَطْلَق إزارى فجمَعْتُها جمعًا ومرَرْتُ على النبىِّ ﷺ [6]وأنا منهزمٌ[6] ، وهو على بغلتِه الشَّهْباءِ ، فقال ﷺ : « لقد رأى ابنُ الأكْوعِ فَزَعًا » . فلما غَشُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ نزَل عن البغلةِ ، ثم قبَض قُبْضةً مِن ترابٍ مِن الأرضِ واستَقْبَل به وجوهَهم ، وقال : « شاهت الوجوهُ » . فما خلَق[7] اللَّهُ منهم إنسانًا إلا ملأَ عينَيه ترابًا مِن تلك القُبضةِ ، فوَلَّوا

---

(١) فمازلت أرى حدهم كليلا : أى مازلت أرى قوتهم ضعيفة . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١١٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) مسلم (١٧٧٥/٧٦) .

(٤) مسلم (١٧٧٥/٧٧) .

(٥) مسلم (١٧٧٧) .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى صحيح مسلم : « منهزمًا » . وكأنه تفسير من المصنف رحمه اللَّه تعالى ؛ فقد قال النووى : قوله : « منهزما » : حال من ابن الأكوع كما صرح أولا بانهزامه ، ولم يرد أن النبى ﷺ انهزم ، وقد قال الصحابة كلهم ، رضى اللَّه عنهم ، أنه ﷺ ما انهزم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٢٢.

(٧) فى م : « خلى » .

مُدْبِرين ، فهزَمهم اللَّهُ ، وقسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ غَنائمَهم بينَ المسلمين .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ فى « مسندِه »[1] : ثنا [2]حمادُ بنُ سَلَمةَ[2] ، عن يَعْلَى ابنِ عطاءٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يَسارٍ[3] ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الفِهْرىِّ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حنينٍ ، فسِرْنا فى يومٍ قائظٍ شديدِ الحرِّ ، فنزَلْنا تحتَ ظِلالِ السَّمُرِ[4] ، فلما زالت الشمسُ لبِسْتُ لأْمَتى ، وركِبْتُ فرسى ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو فى فُسْطاطِه ، فقلتُ : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، قد حان الرَّواحُ [٣/ ١٦١و] يا رسولَ اللَّهِ؟ قال : « أجل » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قم[5] يا بلالُ » . فثار مِن تحتِ سَمُرةٍ كأن ظلَّه ظلُّ طائرٍ[6] فقال : لبيك وسعديك ، وأنا فداؤُك . فقال : « أسْرِجْ لى فرسى » . فأتاه بدَفَّتَيْن مِن لِيفٍ ليس فيهما أشَرٌ ولا بَطَرٌ . قال : فركِب فرسَه فسِرْنا يومَنا ، فلقِينا العدوَّ ، وتَشامَت[7] الخيلان ، فقاتَلْناهم فولَّى المسلمون مُدْبِرين كما قال اللَّهُ تعالى ، فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يا عبادَ اللَّهِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . واقْتَحم رسولُ اللَّهِ ﷺ عن فرسِه[8] ، وحدَّثنى مَن كان أقربَ إليه منى أنه أخَذ حَفْنةً مِن الترابِ ، فحثَى بها وجوهَ العدوِّ وقال : « شاهت الوجوهُ » . قال يَعْلَى بنُ عطاءٍ : فحدَّثنا أبناؤُهم عن

---

(١) مسند أبى داود (١٣٧١) . كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٥/ ٢٨٦، من طريق حماد بن سلمة به .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٤١.

(٣) فى الأصل : « بشار » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٢٧.

(٤) فى مسند أبى داود : « الشجر » .

(٥) زيادة من مسند أبى داود .

(٦) كأن ظله ظل طائر : مبالغة فى رقته ونحافة جسمه . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٦٨.

(٧) سقط من : ٤١، وفى الأصل ، م : « تسامت » . وتشامت ؛ أى تمنى كل فريق أن يظفر بعدوه ويشمت فيه . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٦٨.

(٨) اقتحم عن فرسه : نزل عنها . المصدر السابق ٢١/ ١٦٩.

آبائِهم قالوا : ما بقِيَ أحدٌ إلا امتَلأَت عيناه وفمُه مِن الترابِ ، وسمِعْنا صَلْصَلةً مِن السماءِ ، كمرِّ الحديدِ على الطَّسْتِ الجديدِ[1] ، فهزَمهم اللَّهُ عز وجل . ورواه أبو داودَ السِّجِسْتانيُّ في « سننِه » عن موسى بنِ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ به نحوَه[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عفانُ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زِيادٍ ، ثنا الحارثُ بنُ حصيرَةَ[4] ، ثنا القاسمُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيه قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : كنتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ فولَّى عنه الناسُ ، وثبَت معه ثمانون رجلًا مِن المهاجرين والأنصارِ ، فنكَصْنا على أقدامِنا نحوًا مِن ثمانين قدَمًا ، ولم نُوَلِّهم الدُّبُرَ ، وهم الذين أنزَل اللَّهُ عليهم السكينةَ . قال : ورسولُ اللَّهِ ﷺ على بغلتِه يَمْضى قُدُمًا ، فحادت به بغلتُه ، فمال عن السَّرْجِ ، فقلتُ له : ارتَفِعْ رفَعك اللَّهُ . فقال : « ناوِلْنى كفًّا مِن ترابٍ » . فضرَب به وجوهَهم فامْتَلأَت أعينُهم ترابًا ، قال : « أين المهاجرون والأنصارُ ؟ » قلتُ : هم أُولاءِ . قال : « اهْتِفْ بهم » . [5]فهتَفْتُ بهم ، فجاءوا وسيوفُهم بأيمانِهم كأنَّها الشُّهُبُ ، وولَّى المشركون أدْبارَهم[5] . تفرَّد به أحمدُ .

وقال البيهقيُّ[6] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنى أبو الحسينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ تَميمٍ القَنْطَرِيُّ ، ثنا أبو قِلابةَ ، ثنا أبو عاصمٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ

---

(١) تنبيهًا على قوة الصوت الذى سمعوه فإن صوت الجديد أقوى من صوت العتيق . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٦٩.
(٢) أبو داود (٥٢٣٣) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٣٦٠) .
(٣) المسند ١/ ٤٥٣، ٤٥٤ . (إسناده صحيح) .
(٤) سقط من : ٤١، وفي م ، ص : « حصين » ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٢٤.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٤١، ص .
(٦) دلائل النبوة ٥/ ١٤٢.

الطَّائفيُّ ، أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ عِياضِ بنِ الحارثِ الأنصاريُّ ، عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أتَى هَوازِنَ فى اثنَىْ عشَرَ ألفًا ، فقُتِل مِن أهلِ الطائفِ يومَ حنينٍ مثلُ مَن قُتِل يومَ بدرٍ . قال : وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ كفًّا مِن حصًى ، فرمَى بها وجوهَنا فانهَزَمْنا . ورواه [٣/ ١٦١ظ] البخاريُّ فى « تاريخِه »[١] ولم يَنْسِبْ عِياضًا .

وقال مُسَدَّدٌ : ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، ثنا عوفٌ ، ثنا[٢] عبدُ الرحمنِ مولى أمِّ بُرْثُنٍ ، عمن شهِد حنينًا كافرًا قال : لما التقَيْنا نحن ورسولُ اللَّهِ ﷺ [٣]والمسلمون[٣] ، لم يقُوموا لنا حَلْبَ شاةٍ ، فجئنا نَهُشُّ سيوفَنا بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا غشِيناه ، فإذا بينَنا وبينَه رجالٌ حِسانُ الوجوهِ فقالوا : شاهت الوجوهُ ، فارجِعوا . فهُزِمْنا مِن ذلك الكلامِ . رواه البيهقيُّ[٤] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[٥] : ثنا أبو سعيدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ ، ثنا الوليدُ ابنُ مسلم ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الشُّعَيْثِيُّ[٦] ، عن الحارثِ بنِ بَدَلٍ النَّصْرِيِّ[٧] ، عن رجلٍ مِن قومِه شهِد ذلك يومَ حنينٍ ، وعمرِو بنِ سفيانَ الثَّقَفيِّ قال : انهزم المسلمون يومَ حنينٍ ، فلم يَبْقَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا عباسٌ وأبو

---

(١) التاريخ الكبير ٧/ ١٩.

(٢) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : « عن » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٣٧.

(٣ - ٣) سقط من : ٤١، م ، ص .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٤٣، من طريق مسدد به . وقال الذهبى : إسناده جيد . تاريخ الذهبى ، جزء المغازى ص ٥٨٣.

(٥) بعده فى م ، ص : « ثنا أبو سفيان » . والأثر فى المعرفة والتاريخ ١/ ٣٢٧. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٢٧.

(٦) سقط من : ٤١. وفى الأصل : « الشهيبى » ، وفى م : « الشعبى » ، وفى ص : « الشعيبى » ، والمثبت من المعرفة والتاريخ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٥٩.

(٧) سقط من : ٤١. وفى ص : « النضرى » وانظر الإصابة ٢/ ١٩١، وقال فى الاستيعاب ١/ ٢٨٣: حديثه عند محمد بن عبد الله الشعيثى ، لا يصح حديثه ؛ لكثرة الاضطراب فيه ، ولضعف الشعيثى المتفرد به .

سفيانَ بنُ الحارثِ . قال : فقبَض رسولُ اللَّهِ ﷺ قُبْضةً مِن الحَصْباءِ ، فرمَى بها فى وجوهِهم . قال : فانهَزَمْنا فما خُيِّل إلينا إلا أنَّ كلَّ حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يَطْلُبُنا . قال الثَّقَفىُّ : فأعْجَزْتُ على فرسى حتى دخَلْتُ الطائفَ .

(١) وروى يونُسُ بنُ بكيرٍ فى « مغازيه »(٢) عن يوسفَ بنِ صُهَيْبٍ عن(٣) عبدِ اللَّهِ أنه لم يَبْقَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ إلا رجلٌ واحدٌ اسمُه زيدٌ(١) .

ورَوى البيهقىُّ(٤) مِن طريقِ الكُدَيْمىِّ(٥) ، ثنا موسى بنُ مسعودٍ ، ثنا سعيدُ (٦)ابنُ السائبِ(٦) بنِ يَسارٍ الطائفىُّ ، عن السائبِ بنِ يَسارٍ ، عن يزيدَ بنِ عامرٍ السُّوائىِّ أنه قال : عندَ انكِشافةٍ انكَشَفَها المسلمون يومَ حنينٍ فتبِعهم الكفارُ ، وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ قُبْضةً مِن الأرضِ ، ثم أقْبَل على المشركين فرمَى بها وجوهَهم وقال : « ارجِعوا شاهت الوجوهُ » . فما أحدٌ يَلْقَى أخاه إلا وهو يَشْكو قَذًى فى عينيه(٧) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٨٨٣٦) ، والبزار كما فى كشف الأستار (١٨٢٨) ، كلاهما من طريق يوسف بن صهيب به . وقال البزار : لا نعلم رواه إلا بريدة ، ولا رواه عن عبد اللَّه إلا يوسف بن صهيب وهو كوفى مشهور . قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٨١ : رواه البزار ورجاله ثقات .

(٣) فى م ، ص : « بن » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٣٣ ، وعبد اللَّه هو ابن بريدة .

(٤) دلائل النبوة ٥/ ١٤٣ ، ١٤٤ . ومن طريق سعيد بن السائب أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٢/ ٢٣٧ (٦٢٢) . وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٨٣ : رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٥) فى الأصل ، ص : « الكريمى » . وانظر الأنساب ٥/ ٣٩ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٥٨ .

(٧) بعده فى مصدرى التخريج : « ويمسح عينيه » .

ثم روى[1] مِن طريقين آخرين، عن أبى حُذَيْفةَ، ثنا سعيدُ بنُ السائبِ بنِ يَسارٍ الطائفىُّ، حدَّثنى أبى السائبُ بنُ يَسارٍ، سمِعْتُ يزيدَ بنَ عامرٍ السُّوائىَّ - وكان شهِد حنينًا مع المشركين ثم أسلم بعدُ - قال: فنحن نسْأَلُه عن الرُّعْبِ الذى أَلْقَى اللَّهُ فى قلوبِ المشركين يومَ حنينٍ كيف كان؟ قال: فكان يأْخُذُ لنا بحَصاةٍ فيَرْمِى بها فى الطَّشْتِ فيَطِنُّ. قال: كنا نجِدُ فى أجْوافِنا مثلَ هذا.

وقال البيهقىُّ[2]: أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ومحمدُ بنُ موسى بنِ الفَضْلِ قالا: ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، [٣/ ١٦٢و] ثنا العباسُ، عن[3] محمدِ بنِ بُكَيْرٍ الحَضْرمىِّ، ثنا[4] أيوبُ بنُ جابرٍ، عن صَدَقةَ بنِ سعيدٍ، عن مصعبِ بنِ شيبةَ، عن أبيه قال: خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ، واللَّهِ ما أخْرَجنى إسلامٌ ولا معرفةٌ به، ولكن أبَيْتُ[5] أن تظْهرَ هَوازِنُ على قريشٍ، فقلتُ وأنا واقفٌ معه: يا رسولَ اللَّهِ، إنى أرى خيلًا بُلْقًا. فقال: «يا شيبةُ، إنه لا يراها إلا كافرٌ». فضرَب يدَه فى صدرى، ثم قال: «اللهم اهْدِ شيبةَ». [6]ثم ضرَبها الثانيةَ فقال: «اللهم اهْدِ شيبةَ». ثم ضرَبها الثالثةَ، ثم قال: «اللهم اهْدِ شيبةَ»[6]. قال: فواللَّهِ ما رفَع يدَه عن صدرى فى الثالثةِ حتى ما كان أحدٌ مِن خَلْقِ اللَّهِ أحبَّ إلىَّ منه. ثم ذكَر الحديثَ فى التقاءِ الناسِ، وانهزامِ المسلمين، ونداءِ العباسِ، واستنصارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى هزَم اللَّهُ المشركين.

---

(١) أى البيهقى. دلائل النبوة ٥/ ١٤٤. كما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٢/ ٢٣٧ (٦٢٣)، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٨٣: رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) دلائل النبوة ٥/ ١٤٥، ١٤٦.

(٣) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م، ص: «بن». والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٤٣.

(٤) سقط من: ٤١. وبعده فى م: «أبو»، وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٦٤.

(٥) كذا فى النسخ، وفى الدلائل: «أنفت»، وهما بمعنى.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ٤١.

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو محمدٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنيُّ ، ثنا يوسفُ بنُ موسى ، ثنا هشامُ بنُ خالدٍ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن أبى بكرٍ الهُذَليِّ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، عن شيبةَ ابنِ عثمانَ قال : لما رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ قد عُرِّىَ ، ذكَرْتُ أبى وعمى ، وقتلَ عليٌّ وحمزةَ إياهما ، فقلتُ : اليومَ أُدْرِكُ ثأرى مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فذهَبْتُ لأجِيئَه عن يمينِه ، فإذا أنا بالعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ قائمًا ، عليه درعٌ بيضاءُ كأنها فضةٌ ينْكَشِفُ عنها العَجاجُ[2] ، فقلتُ : عمُّه ولن يَخْذُلَه . قال : ثم جئتُه عن يسارِه ، فإذا أنا بأبى سُفيانَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فقلتُ : ابنُ عمِّه ولن يَخْذُلَه . قال : ثم جئتُه مِن خلفِه ، فلم يَبْقَ إلا أن أُساوِرَه سَوْرةً بالسيفِ[3] إذ رُفِع شُواظٌ مِن نارٍ بينى وبينَه ، كأنه بَرْقٌ ، فخِفْتُ أن يَمْحَشَنى[4] ، فوضَعْتُ يدى على بصرى ومشَيْتُ القَهْقَرَى ، فالتَفَت رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « يا شَيْبُ [5] يا شيبُ[5] ، ادْنُ منى ، اللهم أذْهِبْ عنه الشيطانَ » . قال : فرفَعْتُ إليه بصرى ولَهو أحبُّ إلىَّ مِن سمعى وبصرى . فقال : « يا شَيْبُ ، قاتِلِ الكفارَ » .

وقال ابنُ إسحاقَ[6] : وقال شيبةُ بنُ عثمانَ بنِ أبى طلحةَ ، أخو بنى عبدِ الدارِ : قلتُ : اليومَ أُدْرِكُ ثأرى - وكان أبوه قد قُتِل يومَ أحدٍ - اليومَ أقْتُلُ محمدًا . قال : فأدَرْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ لأقْتُلَه ، فأقْبَل شىءٌ حتى تغَشَّى فؤادى ،

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٤٥.

(٢) العجاج : الغبار . شرح غريب السيرة ٢/ ٢٩.

(٣) أساوره سورة بالسيف : أى أواثبه وأقاتله . وانظر النهاية ٢/ ٤٢٠.

(٤) المحش : احتراق الجلد وظهور العظم . النهاية ٤/ ٣٠٢.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٤.

فلم أُطِقْ ذاك وعلِمْتُ أنه ممنوعٌ منى .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى والدى إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عمن حدَّثه ، عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قال : إنا لَمع [٣/ ١٦٢ظ] رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ ، والناسُ يقْتَتِلون ، إذ نظَرْتُ إلى مثلِ البِجادِ[2] الأسودِ يَهْوِى مِن السماءِ حتى وقَع بينَنا وبينَ القومِ ، فإذا نملٌ مَنْثُورٌ قد مَلأ الوادىَ ، فلم يكنْ إلا هزيمةُ القومِ ، فما كنا نشُكُّ أنها الملائكةُ . ورواه البيهقىُّ ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بكيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ به[3] . وزاد : فقال خَدِيجُ بنُ العوجاءِ النَّصْرىُّ - يعنى فى ذلك - :

ولما دنَوْنا مِن حُنينٍ ومائِه ... رأيْنا سَوادًا مُنكَرَ اللونِ أخْصَفا[4]

بمَلْمومةٍ شَهْباءَ لو قَذَفوا بها ... شَماريخَ مِن عَروى[5] إذًا عادَ صَفْصَفا[6]

ولو أن قومى طاوَعَتْنى سَراتُهم ... إذًا ما لقِينا العارضَ المُتَكَشِّفا[7]

إذًا ما لقِينا جندَ آلِ محمدٍ ... ثمانين ألفًا واسْتَمَدُّوا بخِنْدِفَا

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ مِن شعرِ مالكِ بنِ عوفٍ النَّصْرىِّ رئيسِ هَوازِنَ يومَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٩، بنحوه .

(٢) فى ص : « النجاد » ، قال ابن الأثير : والبجاد : الكساء ، وجمعه بُجُد . أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم . النهاية ١/ ٩٦.

(٣) دلائل النبوة ٥/ ١٤٦، ١٤٧، واللفظ له .

(٤) سوادًا : أشخاصًا على البعد . والأخصف : الذى فيه ألوان . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٢.

(٥) سقط من : ا ٤، وغير واضحة فى : ص ، وفى الدلائل : « عود » ، وعروى هنا : اسم جبل ، يروى بالدال والراء . المصدر السابق ٣/ ١٢٣.

(٦) ملمومة : كتيبة مجتمعة . وشهباء ؛ يعنى من السلاح . والشماريخ : أعالى الجبال واحدها شمراخ . والصفصف : المستوى من الأرض . المصدر السابق ٣/ ١٢٢، ١٢٣.

(٧) العارض هنا : السحاب . المتكشف : الظاهر . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٣.

القتالِ وهو فى حَوْمةِ الوَغَى يَرْتَجِزُ ويقولُ[1] :

أَقْدِمْ مُحاجُ[2] إنه يومٌ نُكُرْ ... مثلى على مثلِكَ يَحْمِى ويَكُرْ

إذا أُضِيعَ الصَّفُّ يومًا والدُّبُرْ ... ثُم احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بعدَ زُمَرْ[3]

كتائبٌ يَكِلُّ فيهن البَصَرْ ... قد أَطْعُنُ الطَّعْنةَ تَقْذِى بالسُّبُرْ[4]

حينَ يُذَمُّ المُسْتَكينُ المُنْجَحِرْ ... وأَطْعُنُ النَّجْلاءَ تَعْوِى وتَهِرْ[5]

لها مِن الجَوْفِ رَشاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَقُ تاراتٍ وحينًا تَنْفَجِرْ[6]

وثَعْلَبُ العاملِ[7] فيها مُنْكَسِرْ ... يا زينُ[8] يا بنَ هَمْهَمٍ أين تَفِرْ

قد نَفِدَ[9] الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ ... قد علِم البِيضُ الطَّويلاتُ الخُمُرْ[10]

أنِّىَ فى أمثالِها غيرُ غَمِرْ ... إذ تَخْرُجُ الحاضِنُ مِن تحتِ السُّتُرْ[11]

وذكَر البيهقىُّ مِن طريقِ يونُسَ بنِ بكيرٍ، عن أبى إسحاقَ أنه أنشَد مِن شعرِ مالكٍ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٧.

(٢) سقط من: ا ٤١. وفى الأصل، م: «مجاج». ومحاج: اسم فرس مالك بن عوف. شرح غريب السيرة ٣/ ٩٨.

(٣) احزألت: ارتفعت. وزمر: جماعات. المصدر السابق ٣/ ٩٩.

(٤) تقذى بالسبر: أى يرمى الطعنة بالفتائل التى تجعل فيها. والسبر أيضا؛ المراود التى يسبر بها غور الجرح، أى يختبر. المصدر السابق.

(٥) المستكين: الخاضع الذليل. انظر اللسان (س ك ن). والنجلاء: الطعنة المتسعة. وتعوى وتهر، أى التى يسمع لخروج الدم منها صوت كالوعاء والهرير. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٩٩.

(٦) المنهمر: المنصب. وتفهق: تنفتح. المصدر السابق.

(٧) الثعلب: ما دخل من عصا الرمح فى السنان. والعامل: أعلى الرمح. المصدر السابق.

(٨) سقط من: ا ٤١. وفى ص: «زيد».

(٩) سقط من: ا ٤١. وفى م: «أنفذ»، ونفد الضرس: فنى وذهب السن وأراد بذلك أنه محنك فى الحرب.

(١٠) الخمر: جمع خمار، وهو ثوب تغطى المرأة به رأسها. الوسيط (خ م ر).

(١١) الغمر: الذى لم يجرب الأمور. والحاضن: التى تحضن ولدها. شرح غريب السيرة ٣/ ٩٩.

أيضًا حينَ ولَّى أصحابُه منهزمين، وذلك قولُه بعدَ ما أسلم، وقيل: هى لغيرِه[1]:

اذكُرْ مسيرَهمُ للناسِ[2] كلِّهمُ[3] ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ[4]

ومالكٌ مالكٌ ما فوقَه أحدٌ يومَ حنينٍ عليه التاجُ يأْتَلِقُ[5]

[٣/١٦٣و] حتى لقُوا الناسَ حينَ البأْسِ[6] يَقْدُمُهمْ عليهم البَيْضُ والأبْدانُ[7] والدَّرَقُ

فضارَبوا الناسَ حتى لم يَرَوْا أحَدًا حولَ النبىِّ وحتى جَنَّه الغَسَقُ[8]

حتى تنَزَّل جبريلٌ بنصرِهمُ فالقومُ منهزمٌ منا[9] ومُعْتَلِقُ[10]

منا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلُنا لَمَنَّعَتْنا إذًا أسْيافُنا الغُلُقُ[11]

وقد وفَى عمرُ الفاروقُ إذ هزَموا بطعنةٍ بلَّ[12] منها سَرْجَه العَلَقُ[13]

قال ابنُ إسحاقَ[14]: ولما هزم اللَّهُ المشركين[15]، وأمْكَن اللَّهُ رسولَه ﷺ

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٤٧.

(٢) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م: «والناس».

(٣) سقط من: ٤١. وفى الدلائل: «إذ جمعوا».

(٤) الخفق: اضطراب الشىء العريض. يقال: راياتهم تخفق وتختفق. اللسان (خ ف ق).

(٥) يأتلق: يلمع. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٠.

(٦) سقط من: ٤١. وفى ص: «الناس».

(٧) الأبدان: الدروع. المصدر السابق.

(٨) جنه: ستره. والغسق: الظلمة؛ يعنى ظلمة النهار. المصدر السابق.

(٩) سقط من: ٤١. وفى الدلائل: «منهم».

(١٠) كذا فى النسخ والدلائل، وفى سيرة ابن هشام ٢/ ٤٧٥: «معتنق». ومعتنق: مأخوذ ليؤسر. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٠.

(١١) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م: «الفلق»، وفى ص: «القلق»، والمثبت من الدلائل. وفى السيرة ٢/ ٤٧٥: «العتق» والعتق: القديمة. وقيل: النفيسة. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢١.

(١٢) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م: «كان».

(١٣) العلق: الدم الغليظ أو الجامد. الوسيط (ع ل ق).

(١٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٩.

(١٥) بعده فى السيرة: «من أهل حنين».

منهم ، قالت امرأةٌ مِن المسلمين :

قد غلَبَتْ خيلُ اللَّهِ خيلَ اللاتْ والـلَّـهُ أحَـقُّ بـالـثَّـبـاتْ

قال ابنُ هشامٍ : وقد أنشَدَنيه بعضُ أهلِ الروايةِ للشعرِ :

غلَبْتِ خيلَ اللَّهِ خيلَ اللاتِ وخـيـلُـه أحـقُّ بـالـثَّـبـاتِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلما انهزَمت هَوازِنُ استَحَرَّ القتلُ[2] مِن ثَقيفٍ فى بنى مالكٍ ، فقُتِل منهم سبعون رجلًا تحتَ رايتِهم ، وكانت مع ذى الخِمارِ ، فلما قُتِل أخَذها عثمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ رَبيعةَ بنِ الحارثِ بنِ حَبيبٍ ، فقاتَل بها حتى قُتِل ، فأخبرَنى عامرُ بنُ وهبِ بنِ الأسودِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما بلَغه قتْلُه قال : « أبعدَه اللَّهُ ، فإنه كان يُبْغِضُ قريشًا » .

وذكَر ابنُ إسحاقَ[3] ، عن يعقوبَ بنِ عتبةَ أنه قُتِل مع عثمانَ هذا غلامٌ له نصرانىٌّ ، فجاء رجلٌ مِن الأنصارِ ليَسْلُبَه ، فإذا هو أغْرَلُ[4] ، فصاح بأعلى صوتِه : يا معشرَ العربِ ، (٥يَعْلَمُ اللَّهُ٥) أن ثَقيفًا غُرْلٌ . قال المغيرةُ بنُ شعبةَ الثقفىُّ : فأخَذْتُ بيدِه ، وخشِيتُ أن تذْهَبَ عنا فى العربِ ، فقلتُ : لا تَقُلْ كذلك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلامٌ لنا نصرانىٌّ . ثم جعلتُ أكْشِفُ له القَتْلَى فأقولُ له : ألا تراهم مُخْتتِنين كما ترَى ؟

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكانت رايةُ الأحْلافِ مع قاربِ بنِ الأسودِ ، فلما انهزم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) استحر القتل : اشتد . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٠.

(٤) الأغرل : هو الذى ليس بمختتن . والغرلة هى الجلدة التى يقطعها الخاتن . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٩.

(٥ - ٥) سقط من : م .

الناسُ أسْنَد رايتَه إلى شجرةٍ ، وهرَب هو وبنو عمِّه وقومُه ، فلم يُقْتَلْ مِن الأحْلافِ غيرُ رجلين ؛ رجلٌ مِن بنى غِيَرَةَ يقالُ له : وهبٌ . ورجلٌ مِن بنى كُبَّةَ يقالُ له : الجُلاحُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ بلَغه قتلُ الجُلاحِ : « قُتِل اليومَ سيدُ شبابِ ثقيفٍ ، إلا ما كان مِن ابنِ هُنَيْدةَ » . يعنى الحارثَ بنَ أُوَيْسٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فقال العباسُ بنُ مِرْداسٍ يَذْكُرُ قاربَ بنَ الأسودِ وفِرارَه مِن بنى أبيه وذا الخِمارِ وحَبْسَه نفسَه وقومَه للموتِ :

[٣/١٦٣ظ] ألا مَن مُبْلِغٌ غَيْلانَ عنى ... وسوف إخالُ[2] يأتيه الخَبيرُ
وعروةَ إنما أُهْدِى جوابًا ... وقولًا غيرَ قولِكما يَسيرُ
بأنَّ محمدًا عبدٌ رسولٌ ... لربٌّ لا يَضِلُّ ولا يَجورُ
وجَدْناه نبيًّا مثلَ موسى ... فكلُّ فتًى يُخايِرُه مَخيرُ[3]
وبئس الأمرُ أمرُ بنى قَسِيٍّ ... بوَجٍّ إذ تُقُسِّمَت الأُمورُ[4]
أضاعوا أمْرَهم ولكلِّ قومٍ ... أميرٌ والدوائرُ قد تَدورُ
فجِئْنا أُسْدَ غاباتٍ إليهم ... [5]جنودُ اللَّهِ ضاحيةً[6] تَسيرُ[5]
[5]نَؤُمُّ الجمعَ جمعَ بنى قسيٍّ[5] ... على حَنَقٍ نَكادُ له نَطِيرُ[7]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤٥٠ - ٤٥٢.
(٢) إخال : أظن .
(٣) يخايره : أى يقول له : أنا خير منك . ومخير : يغلبه فى الخير . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٩، ١٠٠.
(٤) قسى : اسم ثقيف . ووج : موضع بالطائف . المصدر السابق ٣/ ١٠٠.
(٥ - ٥) سقط من : ٤١، ص .
(٦) ضاحية : بارزة لا تختفى . المصدر السابق .
(٧) نؤم : نقصد . والحنق : الغضب . المصدر السابق .

وأُقْسِمُ لو هُمُ مكَثوا لسِرْنا إليهم بالجنودِ ولم يَغُوروا[1]

فكنا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حتى أبَحْناها وأسْلَمَت النُّصورُ[2]

ويومٌ كان قبلُ لدَى حنينٍ فأقْلَع والدماءُ به تَمورُ[3]

مِن الأيامِ لم تَسْمَعْ كيومٍ ولم يَسْمَعْ به قومٌ ذُكورُ

قتَلْنا فى الغُبارِ بنى حُطَيْطٍ على راياتِها والخيلُ زُورُ[4]

ولم يَكُ ذو الخِمارِ رئيسَ قومٍ لهم عَقْلٌ يُعاقِبُ أو نَكِيرُ

أقام بهم على سَنَنِ المَنايا[5] وقد بانت لمُبْصِرِها الأمورُ

فأفْلَتَ مَن نجا منهم جرَيضًا[6] وقُتِّلَ منهمُ بَشَرٌ كثيرُ

ولا يُغْنى الأمورَ أخو التَّوانى ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحَصورُ[7]

أحانهمُ[8] وحان ومَلَّكوه أمورَهمُ وأفْلَتَتِ الصُّقورُ

بنو عوفٍ تَمِيحُ بهم جِيادٌ أُهِينَ لها الفَصافِصُ والشَّعيرُ[9]

---

(١) لم يغوروا: لم يذهبوا. شرح غريب السيرة ٣/١٠٠ .

(٢) لية: اسم موضع، وهو بكسر اللام لا غير. والنصور: يعنى بنى نصر، وهم رهط مالك بن عوف النصرى. المصدر السابق.

(٣) تمور: تسيل. المصدر السابق.

(٤) الخيل زور: مائلة. المصدر السابق.

(٥) سنن المنايا: طريقها. المصدر السابق.

(٦) سقط من: ٤١. وفى الأصل: «حريصًا»، وفى م: «حريضا»، وفى ص: «مريضًا». والمثبت من السيرة. والجريض: المختنق بريقه. المصدر السابق.

(٧) التوانى: الفتور والإبطاء. والغلق: الكثير الحرج كأنه تنغلق عليه أموره. والصريرة تصغير صرورة: وهو الذى لا يأتى النساء، وهو فى الإسلام الذى لم يحج. والحصور: هنا العَيِّ. المصدر السابق ٣/١٠٠، ١٠١.

(٨) أحانهم: أهلكهم. المصدر السابق ٣/١٠١.

(٩) تميح بهم جياد: تمشى بهم مشيا حسنا. والفصافص جمع فصفصة: وهى البقلة التى تأكلها الدواب. المصدر السابق.

فلولا قاربٌ وبنو أبيه ... تُقُسِّمَت المَزارعُ والقُصورُ

[1]ولكنَّ الرِّياسةَ عُمِّموها[2] ... على يُمْنٍ أشار به المُشِيرُ[1]

أطاعوا قاربًا ولهم جُدُودٌ ... وأحْلامٌ إلى عِزٍّ تَصيرُ

فإن يُهْدَوْا إلى الإسلامِ يُلْفَوا ... أُنُوفَ الناسِ ما سمَر السَّمِيرُ[3]

فإن لم يُسْلِموا فهُمُ أذانٌ ... بحربِ اللَّهِ ليس لهم نَصِيرُ

[٣/١٦٤و] كما حَكَّتْ[4] بنو سعدٍ وحربٍ[5] ... برَهْطِ بنى غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ[6]

كأنَّ بنى مُعاويةَ بنِ بكرٍ ... إلى الإسلامِ ضَائِنةٌ تَخورُ[7]

فقلْنا أسْلِموا إنا أخوكم ... وقد برَأَت مِن الإحَنِ[8] الصُّدورُ

كأن القومَ إذ جاءوا إلينا ... مِن البَغْضاءِ بعدَ السِّلْمِ عُورُ[9]

(١ - ١) سقط من: ٤١، ص.

(٢) عمموها: أى أسندت إليهم وقدموا لها. شرح غريب السيرة ٣/١٠١.

(٣) أنوف الناس: المقدمون فيهم. وسمر السمير: أراد ما سمر أهل السمير، فحذف المضاف، وقد يحتمل أن يكون السمير اسمًا لجماعة السمار. المصدر السابق.

(٤) سقط من: ٤١. وفى الأصل، ص: «جلت»، وفى م: «حكمت». والمثبت من السيرة، وانظر تاريخ دمشق ٢٦/ ٤١٩.

(٥) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م، ص: «جرت». والمثبت من السيرة، وانظر تاريخ دمشق ٢٦/ ٤١٩.

(٦) عنقفير: من أسماء الداهية. شرح غريب السيرة ٣/ ١٠١.

(٧) تخور: تصيح. المصدر السابق.

(٨) سقط من: ٤١. وفى الأصل، ص: «الترة» كما فى شرح الغريب، وتاريخ دمشق ٢٦/ ٤١٩. والمثبت من السيرة، وانظر أمالى الشجرى ٢/ ٣٨، والترة: العداوة. والإحَن، جمع إحْنة، وهى بمعنى الترة. وانظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٠١.

(٩) عور: جمع أعور.

فصلٌ

ولما انهزَمت هَوازِنُ وقَف مِلكُهم مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْرىُّ على ثَنِيَّةٍ مع طائفةٍ مِن أصحابِه ، فقال : قِفوا حتى تَجوزَ ضعفاؤُكم وتَلْحَقَ أُخْراكم .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فبلَغنى أن خيلًا طلَعَت ، ومالكٌ وأصحابُه على الثَّنِيَّةِ ، فقال لأصحابِه : ماذا ترَوْن ؟ قالوا : نرَى قومًا واضِعى رِماحِهم بينَ آذانِ خيلِهم ، طويلةً بَوادُّهم[2] . فقال : هؤلاء بنو سُلَيْمٍ ، ولا بأسَ عليكم منهم . فلما أقْبَلوا سلَكوا بطنَ الوادى ، ثم طَلَعت خيلٌ أخرى تتْبَعُها ، فقال لأصحابِه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى قومًا عارضى رِماحِهم أغْفالًا[3] على خيلِهم . فقال : هؤلاء الأوسُ والخزرجُ ، ولا بأسَ عليكم منهم . فلما انتَهَوا إلى أصلِ الثَّنِيةِ سلَكوا طريقَ بنى سُلَيْمٍ ، ثم طلَع فارسٌ ، فقال لأصحابِه : ماذا تَرَوْن ؟ فقالوا : نرَى فارسًا طويلَ البادِّ ، واضعًا رمحَه على عاتقِه ، عاصبًا رأسَه بمُلاءةٍ[4] حمراءَ . قال : هذا الزبيرُ ابنُ العوامِ ، وأُقْسِمُ باللاتِ لَيُخالِطَنَّكم فاثْبتوا له . فلما انتهى الزبيرُ إلى أصلِ الثَّنِيَّةِ أبْصَر القومَ فصمَد لهم[5] ، فلم يَزَلْ يُطاعِنُهم حتى أزاحهم[6] عنها .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٦. وفيها : قال ابن هشام ، وليس ابن إسحاق .

(٢) بوادهم : البوادُّ جمع بادّ ، والبادّ لحم الفخذ . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٣.

(٣) أغفالًا : جمع غُفْل ، وهو الذى لا علامة له ، يريد أنهم لم يعلِّموا أنفسهم بشىء يُعرفون به . المصدر السابق .

(٤) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة . المصدر السابق .

(٥) صمد : قصد . المصدر السابق .

(٦) أزاحهم : أزالهم . المصدر السابق .

فصلٌ[1]

وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالغَنائمِ ، فجُمِعت مِن الإبلِ والغنمِ والرقيقِ ، وأمَر أن تُساقَ إلى الجِعْرانةِ فتُحْبَسَ هناك .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على الغَنائمِ مسعودَ بنَ عمرٍو الغِفاريَّ .

فصلٌ[1]

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ يومئذٍ بامرأةٍ قتَلها خالدُ بنُ الوليدِ ، والناسُ مُتَقَصِّفون[4] عليها ، فقال لبعضِ أصحابِه : « أدْرِكْ خالدًا فقل له : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهاك أن تَقْتُلَ وَليدًا أو امرأةً أو عَسِيفًا[5] » . هكذا رواه ابنُ إسحاقَ مُنْقطِعًا .

وقد قال الإمامُ [٣/ ١٦٤ظ] أحمدُ[6] : ثنا أبو عامرٍ عبدُ الملكِ بنُ عمرٍو ، ثنا المغيرةُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى الزِّنادِ ، حدَّثنى المُرَقَّعُ بنُ صَيْفِىٍّ ، عن جَدِّه رَباحٍ

---

(١) سقط من : ٤١، م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٩.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٥٧، ٤٥٨.

(٤) متقصفون : مزدحمون ، يكاد بعضهم يقصف بعضًا ، أى يكسره . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٤.

(٥) العسيف : الأجير المستهان به . الوسيط (ع س ف) .

(٦) المسند ٣/ ٤٨٨.

ابنِ ربيعٍ أخى[1] حَنْظلةَ الكاتبِ أنه أخبره أنه [2]خَرَج مع[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةٍ غزاها، وعلى مُقَدِّمَتِه خالدُ بنُ الوليدِ، فمَرَّ رَباحٌ وأصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ على امرأةٍ مقتولةٍ مما أصابت المُقَدِّمةُ، فوقَفوا ينظُرون إليها ويتعَجَّبون مِن خَلْقِها حتى لحِقهم رسولُ اللَّهِ ﷺ على راحلتِه، فانفَرجوا عنها، فوقَف عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «ما كانت هذه لِتُقاتِلَ». فقال لأحدِهم: «الْحَقْ خالدًا فقل له: لا تَقْتُلَنَّ ذرِّيَّةً ولا عَسِيفًا». وكذلك رواه أبو داودَ، والنسائىُّ، وابنُ ماجه مِن حديثِ المُرَقَّعِ بنِ صَيْفىٍّ به نحوَه[3].

سَريّةُ[4] أوْطاسٍ

وكان سببُها أن هَوازِنَ لما انهزَمتْ ذهَبتْ فرقةٌ منهم، فيهم الرئيسُ مالكُ بنُ عوفٍ النصرىُّ، فلجَئوا إلى الطائفِ فتحَصَّنوا بها، وسارت فرقةٌ فعسْكَروا بمكانٍ يقالُ له: أَوْطاسٌ. فبعَث إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ سريةً مِن أصحابِه، عليهم أبو عامرٍ الأشعرىُّ، فقاتَلوهم فغلَبوهم، ثم سار رسولُ اللَّهِ ﷺ بنفسِه الكريمةِ، فحاصَر أهلَ الطائفِ كما سيأتى.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: ولما انهزم المشركون يومَ حنينٍ، أتَوُا الطائفَ ومعهم

---

(١) بعده فى الأصل، م: «بنى»، وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤١.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «رجع».

(٣) أبو داود (٢٦٦٩)، والنسائى فى الكبرى (٨٦٢٥، ٨٦٢٦)، وابن ماجه (٢٨٤٢). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٢٤).

(٤) فى الأصل، م: «غزوة». وأوطاس: واد فى ديار هوازن. معجم البلدان ١/ ٤٠٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٣.

مالكُ بنُ عوفٍ ، وعسْكَر بعضُهم بأوْطاسٍ ، وتوَجَّه بعضُهم نحوَ نخلةَ ، ولم يَكُنْ فيمَن توَجَّه نحوَ نَخْلةَ إلا بنو غِيَرَةَ مِن ثقيفٍ ، وتبِعَت خيلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ (١) مَن سلَك فى نخلةَ مِن الناسِ ، ولم تَتْبَعْ (١) مَن سلَك الثَّنايا . قال : فأدْرَك رَبيعةُ بنُ رُفَيْعِ بنِ أُهْبانَ (٢) السُّلَمىُّ - ويُعْرَفُ بابنِ الدُّغُنَّةِ ، وهى أمُّه - دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ ، فأخَذ بخِطامِ جملِه وهو يَظُنُّ أنه امرأةٌ ، وذلك أنه فى شِجارٍ له ، فإذا برجلٍ ، فأناخ به ، فإذا شيخٌ كبيرٌ ، وإذا دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ ، ولا يَعْرِفُه الغلامُ ، فقال له دُرَيْدٌ : ماذا تريدُ بى ؟ قال : أقْتُلُك . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا رَبيعةُ بنُ رُفَيْعٍ السُّلَمىُّ . ثم ضرَبه بسيفِه ، فلم يُغْنِ شيئًا ، قال : بئس ما سَلَّحَتْك أمُّك ، خُذْ سيفى هذا مِن مُؤَخَّرِ رحلى فى الشِّجارِ ، ثم اضْرِبْ به ، وارْفَعْ عن [٣/ ١٦٥و] العظامِ (٣) واخْفِضْ عن الدِّماغِ (٣) ، فإنى كذلك كنتُ أضْرِبُ الرجالَ ، ثم إذا أتَيْتَ أمَّك فأخْبِرْها أنك قتَلْتَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ ، فربَّ - واللَّهِ - يومٍ منَعْتُ فيه نساءَك . فزعَم بنو سُلَيْمٍ أن ربيعةَ قال : لما ضرَبْتُه فوقَع تكَشَّف ، فإذا عِجانُه (٤) وبطونُ فَخِذيه مثلُ القَراطِيسِ مِن ركوبِ الخيلِ أعْراءٌ (٥) . فلما رجَع ربيعةُ إلى أمِّه أخْبَرَها بقتلِه إياه ، فقالت : أما واللَّهِ لقد أعْتَق أمهاتٍ لك ثلاثًا . ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ ما رثَت به عَمْرةُ بنتُ دُرَيْدٍ أباها ، فمِن ذلك قولُها (٦) :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص : « أهان » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر أسد الغابة ٢/ ٢١١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٦٢ .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) عجانه : هو ما بين فرجيه . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠١ .

(٥) أعراء جمع عُرْى ؛ وهو الفرس الذى لا سرج له . انظر الوسيط (ع ر ى) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٤ .

قالوا قتَلْنا دُرَيْدًا قلتُ قد صدَقوا فظلَّ دمعى على السِّرْبالِ[1] مُنْحَدِرُ[2]

لولا الذى قهرَ الأقوامَ كلَّهمُ رأتْ سُلَيْمٌ وكعبٌ كيف تأْتمِرُ

إذن لصبَّحَهم غِبًّا وظاهرةً[3] حيث استقَرَّت نَواهم [4]جَحْفَلٌ ذَفِرُ[4]

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى آثارِ مَن توَجَّه قِبَلَ أوْطاسٍ أبا عامرٍ الأشْعرىَّ ، فأدْرَك مِن الناسِ بعضَ مَن انهزم ، فناوَشوه القتالَ ، فرُمِى أبو عامرٍ فقُتِل ، فأخَذ الرايةَ أبو موسى الأشْعرىُّ وهو ابنُ عمِّه فقاتَلهم ، ففتَح اللَّهُ عليه ، وهزَمهم اللَّهُ ، عز وجل ، ويزْعُمون أن سَلَمةَ بنَ دُرَيْدٍ هو الذى رَمَى أبا عامرٍ الأشْعرىَّ بسهمٍ ، فأصاب ركبتَه فقتَله ، وقال :

إن تسْألوا عنى فإنى سَلَمهْ ابنُ سَمادِيرَ لمن توَسَّمهْ[6]

أضْرِبُ بالسيفِ رءوسَ المُسْلِمَهْ

قال ابنُ هشامٍ[7] : وحدَّثنى مَن أثِقُ به مِن أهلِ العلمِ بالشعرِ وحديثِه ، أن أبا عامرٍ الأشْعرىَّ لقِىَ يومَ أوْطاسٍ عشَرةَ إخوةٍ مِن المشركين ، فحمَل عليه أحدُهم ، فحمَل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلامِ ويقولُ : اللهم اشْهَدْ عليه . فقتَله

---

(١) سقط من : ٤١. وفى ص : الرمال .

(٢) فى السيرة : « ينحدر » .

(٣) الغب : أن ترِد الإبل الماء يومًا وتدعه يومًا . والظاهرة : أن ترده كل يوم ، فضربته ههنا مثلا . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٢.

(٤ - ٤) سقط من : ٤١. وفى ص : « محفل خطر » . وجحفل : جيش كثير . وذفر : كريه الرائحة . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٤، ٤٥٥.

(٦) سمادير : أمه . قاله ابن إسحاق عقب هذا الرجز . وتوسمه : أى لمن استدل عليه ونظر فيه . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٣.

(٧) فى الأصل ، م : « ابن إسحاق » . انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٧.

أبو عامرٍ، ثم حمَل عليه آخرُ، فحمَل عليه أبو عامرٍ، وهو يدعوه إلى الإسلامِ ويقولُ: اللهم اشْهَدْ عليه. فقتَله أبو عامرٍ، ثم جعَلوا يَحْمِلون عليه وهو يقولُ ذلك، حتى قتَل تسعةً، وبَقِيَ العاشرُ، فحمَل على أبى عامرٍ، وحمَل عليه أبو عامرٍ، وهو يدعوه إلى الإسلامِ ويقولُ: اللهم اشْهَدْ عليه. فقال الرجلُ: اللهم لا تَشْهَدْ عليَّ. فكَفَّ عنه أبو عامرٍ، فأفْلَت، فأسْلَم بعدُ، فحسُن إسلامُه، فكان النبيُّ ﷺ إذا رآه قال: «هذا شَريدُ أبى عامرٍ». قال: ورمَى أبا عامرٍ أخَوان؛ [٣/ ١٦٥ظ] العَلاءُ وأوْفَى أَبناءُ الحارثِ مِن بنى جُشَمَ بنِ مُعاويةَ، فأصاب أحدُهما قلبَه والآخرُ ركبتَه فقتَلاه، وولَّى الناسُ أبا موسى، فحمَل عليهما فقتَلهما، فقال رجلٌ مِن بنى جُشَمَ يَرْثِيهما:

وإن الرَّزِيَّةَ قتلُ العَلاءِ ... وأوْفَى جميعًا ولم يُسْنَدا
هما القاتلان أبا عامرٍ ... وقد كان (١)ذا هَبَّةٍ(١) أرْبَدا
هما تركاه لدى مَعْرَكٍ ... كأنَّ على عِطْفِه مُجْسَدَا(٢)
فلم يَرَ فى الناسِ مثليهما ... أقلَّ عِثارًا وأرْمَى يَدَا

وقال البخاريُّ(٣): ثنا محمدُ بنُ العَلاءِ(٤)، حدثنا أبو أسامةَ، عن بُرَيْدِ(٥) بنِ عبدِ اللَّهِ، عن أبى بُرْدةَ، عن أبى موسى قال: لما فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حنينٍ بعَث أبا عامرٍ على جيشٍ إلى أوْطاسٍ، فلقِيَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ، فقُتِل دُرَيْدٌ وهزَم

(١ - ١) سقط من: ا ٤١. وفى الأصل، م، ص: «داهية». وكان ذا هبة: يعنى سيفًا، وهبة السيف: اهتزازه. والأربد: هو الذى فيه رُبَد، أى طرائق من جوهره وفِرِنْده. شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٤.

(٢) المعرك: موضع الحرب. والمجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران. المصدر السابق.

(٣) البخارى (٤٣٢٣).

(٤) بعده فى الأصل، م: «و».

(٥) سقط من: ا ٤١. وفى م، ص: «يزيد». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠.

اللَّهُ أصحابَه . قال أبو موسى : وبعَثنى مع أبى عامرٍ ، فرُمِىَ أبو عامرٍ فى ركبتِه ، رماه جُشَميٌّ بسهمٍ فأثْبَته فى ركبتِه . قال : فانتَهَيْتُ إليه ، فقلت : يا عمِّ ، مَن رماك ؟ فأشار إلى أبى موسى فقال : ذاك قاتلى الذى رمانى . فقصَدْتُ له فلحِقْتُه ، فلما رآنى ولَّى ، فاتَّبَعْتُه وجعَلْتُ أقولُ له : ألا تستَحِى ؟ ألا تَثْبُتُ ؟ فكَفَّ ، فاختَلَفْنا ضرْبتَيْن بالسيفِ فقتَلْتُه ، ثم قلت لأبى عامرٍ : قتَل اللَّهُ صاحبَك . قال : فانزِعْ هذا السهمَ . فنزَعْتُه فنزَا منه الماءُ . قال : يا بنَ أخى أقْرِئْ رسولَ اللَّهِ ﷺ السلامَ ، وقل له : استَغْفِرْ لى . واستخْلَفنى أبو عامرٍ على الناسِ ، فمكَث يسيرًا ثم مات ، فرجَعْتُ فدخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بيتِه على سَريرٍ مُرَمَّلٍ[1] ، وعليه فِراشٌ قد أثَّر رِمالُ السَّريرِ بظهرِه وجَنْبَيْه ، فأخْبَرْتُه بخبرِنا وخبرِ أبى عامرٍ وقولِه : قلْ له : استغْفِرْ لى . قال : فدَعا بماءٍ فتوَضَّأ ، ثم رفَع يديه فقال : « اللهم اغفِرْ لعُبَيْدٍ أبى عامرٍ » . ورأيْتُ بَياضَ إبطَيْه ، ثم قال : « اللهم اجْعَلْه يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ مِن خلقِك » أو « مِن الناسِ » . فقلتُ : ولى فاستَغْفِرْ . فقال : « اللهم اغفِرْ لعبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ ذنبَه ، وأدْخِلْه يومَ القيامةِ مُدْخَلًا كريمًا » . قال أبو بُرْدَةَ : إحداهما لأبى عامرٍ ، والأخرى لأبى موسى ، رضى اللَّهُ عنهما . ورواه مسلمٌ ، عن أبى كُرَيْبٍ محمدِ بنِ العَلاءِ وعبدِ اللَّهِ بنِ بَرَّادٍ[2] ، عن أبى أسامةَ به نحوَه[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا سفيانُ - هو الثوريُّ - عن

---

(١) سرير مرمل : معمول بالرمال ، وهى حبال الحصر التى تضفر بها الأسِرَّة . فتح البارى ٨/ ٤٣.

(٢) فى م ، ص : « بن أبى براد » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٧.

(٣) مسلم (٢٤٩٨) .

(٤) المسند ٣/ ٧٢.

عثمانَ [٣/١٦٦و] البَتِّيِّ، عن أبى الخَليلِ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ قال: أصَبْنا نساءً مِن سَبْيِ أوْطاسٍ ولهن أزواجٌ، فكرِهْنا أن نقَعَ عليهن ولهن أزواجٌ، فسألْنا النبىَّ ﷺ، فنزلَت هذه الآيةُ[1]: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]. قال: فاسْتَحْلَلْنا بها فروجَهن. وهكذا رواه الترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ عثمانَ البَتِّيِّ به[2]. وأخرجه مسلمٌ فى «صحيحِه» مِن حديثِ شعبةَ، عن قتادةَ، عن أبى الخَليلِ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ[3].

وقد رواه الإمامُ أحمدُ، ومسلمٌ، وأبو داودَ، والنسائىُّ مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ - زاد مسلمٌ: وشعبةَ - والترمذىُّ مِن حديثِ همامِ بنِ[4] يحيى، ثلاثتُهم عن قتادةَ، عن أبى الخَليلِ، عن أبى علقمةَ الهاشمىِّ، عن أبى سعيدٍ[5] أن أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أصابوا سَبايا يومَ أوْطاسٍ لهن أزواجٌ مِن أهلِ الشركِ، فكان أُناسٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كفُّوا وتأثَّموا مِن غِشْيانِهن، فنزَلتْ هذه الآيةُ فى ذلك: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾. وهذا لفظُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ، فزاد فى هذا الإسنادِ أبا علقمةَ الهاشمىَّ، وهو ثقةٌ، وكان هذا هو المحفوظَ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد استدل جماعةٌ مِن السلفِ بهذه الآيةِ الكريمةِ على أن بيعَ الأمةِ طلاقُها. رُوِىَ ذلك عن ابنِ مسعودٍ، وأُبَىِّ بنِ كعبٍ، وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، وابنِ عباسٍ،

---

(١) التفسير ٢/٢٢٣ - ٢٢٥.

(٢) الترمذى (١١٣٢)، والنسائى فى الكبرى (١١٠٩٧). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٩٠٤).

(٣) مسلم (١٤٥٦/٣٥).

(٤) فى النسخ: «عن»، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٠٢.

(٥) المسند ٣/ ٨٤، ومسلم (٣٣، ١٤٥٦/٣٤)، وأبو داود (٢١٥٥)، والنسائى (٣٣٣٣)، والترمذى (٣٠١٦).

وسعيدِ بنِ المسيَّبِ ، والحسنِ البصريِّ[1] ، وخالَفهم الجمهورُ مُستدلين بحديثِ بَرِيرةَ[2] ، حيث بِيعَت ثم خُيِّرت فى فسخِ نكاحِها أو إبقائِه ، فلو كان بيعُها طلاقًا لها لَما خُيِّرت ، وقد تقَصَّيْنا الكلامَ على ذلك فى « التفسيرِ »[3] بما فيه كفايةٌ ، وسنذكُرُه إن شاء اللَّهُ فى « الأحكامِ الكبيرِ » . وقد استدل جماعةٌ مِن السلفِ على إباحةِ الأمةِ المُشْركةِ بهذا الحديثِ فى سَبايا أوْطاسٍ ، وخالَفهم الجمهورُ ، وقالوا : هذه قضيةُ عَيْنٍ ، فلعلهن أسْلَمْن أو كُنَّ كتابياتٍ ، وموضعُ تقريرِ ذلك فى « الأحكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ تعالى .

[4]فصلٌ فيمَن[4] استُشْهِد يومَ حُنينٍ وسَرِيةِ[5] أوْطاسٍ

أيمنُ ابنُ أمِّ أيمنَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو أيمنُ بنُ عُبَيْدٍ ، ويزيدُ[6] بنُ زَمْعةَ ابنِ الأسْودِ بنِ المطلبِ بنِ أسدٍ ؛ جَمَح به فرسُه [٣/١٦٦ظ] الذى يقالُ له : الجَناحُ . فمات ، وسُراقةُ بنُ مالكِ بنِ الحارثِ بنِ عَدِيٍّ الأنصاريُّ ، مِن بنى العَجْلانِ ، وأبو عامرٍ الأشعريُّ ، أميرُ سريةِ أوْطاسٍ ، فهؤلاء أربعةٌ ، رضىَ اللَّهُ عنهم .

---

(١) تفسير الطبرى ٥/ ٣، ٤.

(٢) البخارى (٢٥٣٦، ٥٢٧٩) ، ومسلم (١٥٠٤) .

(٣) التفسير ٢/٢٢٣ - ٢٢٥.

(٤ - ٤) فى ا ٤: « فصل : وقد » . وفى م : « من » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل ، م : « زيد » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٧٤، وأسد الغابة ٥/ ٤٨٨، والإصابة ٦/ ٦٥٧.

(١) فصلٌ فيما (١) قِيل مِن الأشعارِ في غزوةِ هَوازِنَ

فمِن ذلك قولُ بُجيرِ بنِ زُهيرِ بنِ أبى سُلْمى (٢) :

لولا الإلهُ وعبدُه (٣) ولَّيتُمُ ... حينَ استَخَفَّ الرُّعْبُ كلَّ جَبانِ

بالجِزْعِ يومَ (٤ حَبا لَنا ٤) أقرانُنا ... وسَوابِحٌ يَكْبُونَ للأذْقانِ (٥)

مِن بينِ ساعٍ ثوبُه فى كفِّه ... ومُقَطَّرٍ بسَنابِكٍ ولَبانِ (٦)

واللَّهُ أكْرَمَنا وأظْهَرَ دينَنا ... وأعَزَّنا بعِبادَةِ الرحمنِ

واللَّهُ أهْلَكهم وفرَّق جمعَهم ... وأذَلَّهم بعِبادَةِ الشيطانِ (٧)

قال ابنُ هشامٍ (٨) : ويَرْوى فيها بعضُ الرُّواةِ :

إذ قام عمُّ نبيِّكم ووَلِيُّه ... يَدْعون يا لَكتِيبَةِ الإيمانِ

أين الذين همُ أجابوا ربَّهم ... يومَ العُرَيْضِ (٩) وبيعةِ الرِّضْوانِ

(١ - ١) فى م : « ما » . وهذا الفصل بكامله حذفه الناسخ من ا ٤، وأشار إليه بقوله : « وقد قيل من الأشعار فى وقعة حنين شيء كثير للمسلمين والمشركين » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٩.

(٣) فى م : « وعيده » .

(٤ - ٤) فى م، ص : « حيالنا » . الجزع : ما انعطف من الوادى . وحبا : اعترض . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٥.

(٥) سوابح : خيل كأنها تسبح فى جريها أى تعوم . ويكبون : أى يسقطن . المصدر السابق .

(٦) مقطر : أى مرميٌّ على جنبه . واللبان : الصدر . المصدر السابق .

(٧) فى الأصل، ص : « الأوثان » .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦٠.

(٩) العريض : موضع . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٥.

وقال عباسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمىُّ[1] :

فإنى والسَّوابحُ يومَ جمعٍ[2] وما يَتْلو الرسولُ مِن الكتابِ
لقد أحْبَبْتُ ما لَقِيَتْ ثقيفٌ بجَنْبِ الشِّعْبِ أمسِ مِن العذابِ
هُمُ رأسُ العدوِّ مِن اهلِ نجدٍ فقتْلُهُمُ ألذُّ مِن الشرابِ
هزَمْنا الجمعَ جمعَ بنى قَسىٍّ وحَكَّتْ[3] بَرْكَها ببنى رِئابِ
وصِرْمًا[4] مِن هلالٍ غادَرَتْهم بأوطاسٍ تُعَفَّرُ[5] بالتُّرابِ
ولو لَاقَيْن جمعَ بنى كِلابٍ لقام نساؤُهم والنَّقْعُ كابى[6]
ركَضْنا الخيلَ فيهم بينَ بُسٍّ[7] إلى الأوْرالِ[8] تَنْحِطُ بالنِّهابِ[9]
بذى لَجَبٍ[10] رسولُ اللّهِ فيهم كتيبتُه تَعَرَّضُ للضِّرابِ

وقال عباسُ بنُ مِرْداسٍ أيضًا[11] :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦٠.
(٢) جمع: هى المزدلفة، وهى المشعر الحرام أيضًا. شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٥.
(٣) فى الأصل، م، ص: «حلت». والمثبت من السيرة، والبرك: الصدر، يعنى الحرب. المصدر السابق.
(٤) الصرم: جماعة بيوت انقطعت عن الحى الكبير. المصدر السابق.
(٥) فى ص: «مقفر».
(٦) النقع: الغبار. وكاب: أى مرتفع. المصدر السابق.
(٧) فى الأصل، ص: «بسر». وبس: بالضم والتشديد جبل. وقيل: ماء لغطفان. وقيل: موضع فى أرض بنى جشم ونصر ابنى معاوية بن بكر. وبس أيضا بيت بنته غطفان مضاهاة للكعبة. انظر معجم البلدان ١/ ٦٢٢.
(٨) فى الأصل، م، ص: «الأوراد». والمثبت من السيرة. والأورال: ثلاثة جبال سود فى جوف الرمل، واحدها الورل. معجم البلدان ١/ ٤٠٠.
(٩) النَّحْط والنَّحِيط: صوت الخيل من الثقل والإعياء، يكون بين الصدر إلى الحلق. والنهاب جمع نَهْب، وهو ما ينتهب ويغنم. اللسان (ن ح ط)، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٠٥.
(١٠) ذو لجب: أى بجيش كثير الأصوات.
(١١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦١.

يا خاتَمَ النُّبآءِ إنك مُرْسَلٌ ... بالحقِّ كلُّ هُدَى السبيلِ هُداكا

[٣/١٦٧و] إن الإلهَ بنَى عليك محبةً ... فى خَلْقِه ومحمدًا سمَّاكا

ثم الذين وفَوْا بما عاهَدْتَهم[١] ... جندٌ بعَثْتَ عليهمُ الضَّحَّاكا

رجلًا به ذَرَبُ[٢] السلاحِ كأنه ... لَمَّا تكَنَّفه[٣] العدوُّ يَراكا

يَغْشَى ذَوِى النسبِ القريبِ وإنما ... يَبْغِى رِضا الرحمنِ ثم رِضاكا

أُنْبِيك أنى قد رأيْتُ مَكَرَّهُ ... تحتَ العَجاجةِ يَدْمَغُ الإشْراكا[٤]

طَوْرًا يُعانِقُ باليدين وتارةً ... يَفْرِى[٥] الجَماجمَ صارمًا بَتَّاكا[٦]

يغْشَى به هامَ الكُماةِ ولو تَرى ... منه الذى عايَنْتُ كان شِفاكا[٧]

وبنو سُلَيْمٍ مُعْنِقون[٨] أمامَه ... ضَرْبًا وطعنًا فى العدوِّ دِراكا[٩]

يمشون تحتَ لوائِه وكأنَّهم ... أُسْدُ العَرينِ أرَدْنَ ثَمَّ عِراكا

ما يَرْتجون مِن القريبِ قَرابةً ... إلَّا لطاعةِ ربِّهم وهَواكا

هذى مشاهدُنا التى كانت لنا ... مَعْروفةً ووِلِيُّنا مَوْلاكا

---

(١) فى م: «عاهدتم».

(٢) ذَرِبَ: صار حادًا. شرح غريب السيرة ٣/١٠٦.

(٣) فى الأصل: «تكففه». وتكنفه: أحاط به.

(٤) هذا البيت سقط من: الأصل. والعجاجة: الغَبَرة. ويدمغ الإشراك: أى يضربه على دماغه، وإنما أراد أهل الإشراك. انظر المصدر السابق.

(٥) فى ص: «يقرى». قال أبو ذر: من رواه بالفاء فمعناه يقطع، ومن رواه بالقاف، فهو من القِرى، وهو ما يصنع للضيف من الطعام، فجعل قِرى الجماجمِ السيفَ مجازًا. المصدر السابق.

(٦) فى م: «فتّاكا». وبتاكًا: قاطعًا.

(٧) هذا البيت سقط من: الأصل، ص.

(٨) معنقون: مسرعون. شرح غريب السيرة ٣/١٠٧.

(٩) فى الأصل: «كذاكا». ودراكًا أى متتابعًا. المصدر السابق.

وقال عباسُ بنُ مِرْداسٍ أيضًا[1] :

عَفا مِجْدَلٌ مِن أهلِه فمُتالِعُ ... فمِطْلَى أَرِيكٍ قد خَلا فالمَصانِعُ[2]

دِيارٌ لنا يا جُمْلُ[3] إذ جُلُّ عَيْشِنا ... رَخِيٌّ وصَرْفُ الدَّهْرِ[4] للحيِّ جامِعُ

حُبَيِّبةٌ أَلْوَتْ بها غُرْبَةُ النَّوَى ... لِبَيْنٍ فهل ماضٍ مِن العيشِ راجِعُ[5]

فإن تَبْتغى الكفارَ غيرَ مَلومةٍ ... فإنى وزيرٌ للنبىِّ وتابعُ

دعانا إليه[6] خيرُ وفدٍ عَلِمْتُم ... خُزَيْمةُ والمَرَّارُ منهم وواسِعُ

فجِئْنا بألفٍ مِن سُلَيْمٍ عليهمُ ... لَبوسٌ لهم مِن نسجِ داودَ رائِعُ

نُبايِعُه بالأَخْشَبَيْن وإنما ... يدَ اللَّهِ بينَ الأَخْشَبَيْن نُبايِعُ

فجُسْنا مع المهدىِّ مكةَ عَنْوةً ... بأسيافِنا والنَّقْعُ كابٍ وساطعُ[7]

عَلانيَةً والخيلُ يَغْشَى مُتونَها ... حميمٌ وآنٍ مِن دمٍ[8] الجوفِ ناقعُ[8]

ويومَ حنينٍ حينَ سارت[9] هَوازِنٌ ... إلينا وضاقت بالنفوسِ الأضالعُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) عفا: درس وتغير. ومجدل: موضع؛ وأصل المجدل القصر، ويقال: الحصن. ومتالع: جبل. والمطلة: أرض يستقر فيها الماء، وقصره هاهنا فى الشعر. وأريك: موضع. والمصانع: مواضع تصنع للماء تشبه الصهاريج. شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٩.

(٣) جمل: اسم امرأة. المصدر السابق.

(٤) فى السيرة: «الدار».

(٥) حُبيبة: تصغير حَبيبة. وألوت: أى ذهبت. والنوى: الفراق. المصدر السابق.

(٦) فى السيرة: «إليهم».

(٧) جُسنا: وطِئنا. والمهدى هنا هو النبى ﷺ. وساطع: متفرق. شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٩، ١١٠.

(٨ - ٨) فى الأصل: «الخوف نافع». والحميم هنا العرق. وآن: دم سُخن حارٌّ. وناقع هنا معناه كثير. المصدر السابق ٣/ ١١٠.

(٩) فى الأصل، ص: «صارت».

صبَرْنا مع الضَّحَّاكِ لا يستَفِزُّنا[1] قِراعُ الأعادى منهمُ والوَقائعُ

أمامَ رسولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فوقَنا لِواءٌ كخُذْروفِ[2] السحابةِ لامعُ

عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بنُ سفيانَ مُعْتَصٍ[3] بسيفِ رسولِ اللَّهِ والموتُ كانعُ[4]

[٣/١٦٧ظ] نذُودُ أخانا عن أخينا ولو نَرَى مَصالًا لَكُنَّا الأقْرَبين نُتابِعُ[5]

ولكنَّ دينَ اللَّهِ دينَ محمدٍ رَضِينا به فيه الهُدَى والشَّرائعُ

أقام به بعدَ الضَّلالةِ أمْرَنا وليس لأمرٍ حمَّه اللَّهُ دافعُ[6]

وقال عباسٌ أيضًا[7] :

تَقَطَّعَ باقى وَصْلِ أُمِّ مُؤَمَّلِ بعاقبةٍ[8] واستَبْدَلَت نِيَّةً خُلْفا[9]

وقد حَلَفَت باللَّهِ لا تَقْطَعُ القُوَى[10] فما صدَقَت فيه ولا بَرَّتِ الحَلْفا

خُفافِيَّةٌ بَطْنُ العَقيقِ مَصِيفُها وتَحْتَلُّ فى البادِين وَجْرةَ فالعُرْفا[11]

---

(١) لا يستفزنا : لا يستخفنا . شرح غريب السيرة ٣/١١٠ .

(٢) خذروف السحابة : طرَفها ، وأراد به هنا السرعة فى تحرك هذا اللواء واضطرابه . المصدر السابق .

(٣) فى الأصل : « معتض » . وفى ص : « مقتص » . ومعتص أى ضارب . شرح غريب السيرة ٣/ ١١٠ .

(٤) كانع : دانٍ . يقال : كنع منه الموت . إذا دنا . المصدر السابق .

(٥) يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس . فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا ، ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى فى حكم الدين مَصالًا - مَفْعَلًا من الصولةِ - لكنا مع الأقربين هوازن . الروض الأنف ٧/ ٢١٩ .

(٦) حمه اللَّه : قدَّره .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/٤٦٤ - ٤٦٦ .

(٨) فى الأصل ، ص : « بعافية » .

(٩) خلفا : من رواه بضم الخاء فهو من خُلْف الوعد ، ومن رواه خلفا بفتح الخاء فهو من المخالفة . شرح غريب السيرة ٣/ ١١١ .

(١٠) القُوى هاهنا أسباب المودة . المصدر السابق .

(١١) خفافية : منسوبة إلى بنى خُفافٍ حى من سليم . والعقيق : وادٍ بالحجاز . ووجرة : موضع . والعُرف : موضع أيضًا . المصدر السابق .

فإن تَتْبَعِ الكفارَ أمُّ مُؤَمَّلٍ فقد زَوَّدَت قلبى على نَأْيِها شَغْفا
وسوف يُنَبِّئُها الخبيرُ بأنَّنا أتَيْنا ولم نَطْلُبْ سِوى ربِّنا حِلْفا
وأنَّا مع الهادى النبىِّ محمدٍ وفَيْنا ولم يستَوْفِها معشرٌ أَلْفا
بفتيانِ صدقٍ مِن سُليمٍ أعِزَّةٍ أطاعوا فما يَعصُون مِن أمرِه حَرْفا
خُفافٌ وذَكْوانٌ وعوفٌ تَخالُهم مَصاعِبَ زافَتْ[1] فى طَروقتِها كُلْفا[2]
كأنَّ النسيجَ[3] الشُّهْبَ والبِيضَ مُلْبَسٌ أُسودًا تَلاقَت فى مراصدِها غُضْفا[4]
بنا عَزَّ دينُ اللَّهِ غيرَ تنَحُّلٍ[5] وزِدْنا على الحىِّ الذى معه ضِعْفا
بمكةَ إذْ جِئْنا كأنَّ لِواءَنا عُقابٌ أرادت بعدَ تحْليقِها خَطْفا
على شُخَّصِ الأبْصارِ تحْسِبُ بينَها إذا هى جالت فى [6]مَراودِها عَزْفا[6]
غداةَ وَطِئْنا المشركين ولم نجدْ لأمرِ رسولِ اللَّهِ عَدْلًا ولا صَرْفا
بمُعْتَرَكٍ لا يَسْمَعُ القومُ وسْطَه لنا زَجْمةً إلا التَّذامرَ والنَّقْفَا[7]
ببِيضٍ تُطِيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها ونَقْطِفُ أعناقَ الكُماةِ[8] بها قَطْفا

---

(١) فى الأصل، ص: «راقت». وزافت: أسرعت. اللسان (ز ى ف).
(٢) مصاعب: فحول. والطروقة: النوق التى يطرقها الفحل. والكلف: السود الوجوه. شرح غريب السيرة ٣/ ١١١.
(٣) فى م: «نسيج». والنسيج هنا الدروع. المصدر السابق.
(٤) مراصدها: حيث يرصد بعضها بعضا. وغضفا: مسترخية الآذان. المصدر السابق.
(٥) غير تنحل: غير كذب. المصدر السابق.
(٦ - ٦) فى الأصل: «مزاورها غرفا». ومراودها: جمع مِرود وهو الوتد. وعزفًا: صوتًا وحركة. انظر المصدر السابق.
(٧) المعترك: موضع الحرب. وزجمة: كلمة. قال ابن سراج: هو من قولهم: ما زجم بكلمة. أى ما تكلم بها. والتذامر: أن يحض بعضهم بعضا على القتال. والنقف هنا استخراج حشو الدماغ بالضرب. شرح غريب السيرة ٣/ ١١١.
(٨) الكماة: الشجعان.

فَكائِنْ[1] ترَكْنا مِن قتيلٍ مُلَحَّبٍ[2] وأرملةٍ تدْعو على بعلِها لَهْفا

رِضا اللَّهِ نَنْوى[3] لا رِضا الناسِ نبْتغى وللَّهِ ما يبدو جميعًا وما يَخْفَى

وقال عباسُ بنُ مِرْداسٍ أيضًا[4] :

ما بالُ عينِك فيها عائرٌ سَهِرُ مثلُ الحَماطَةِ أغْضَى فوقَها[5] الشُّفُرُ[6]

[٣/ ١٦٨و] عينٌ تأَوَّبها مِن شَجْوِها أرَقٌ فالماءُ يَغْمُرُها طَوْرًا ويَنْحَدِرُ[7]

كأنَّه نَظْمُ دُرٍّ عندَ ناظِمِه تقَطَّعَ السِّلْكُ مِنه فهْو مُنْتَثِرُ

يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَن تَرْجو مَوَدَّتَه ومَن أتَى دونَه الصَّمَّانُ فالحَفَرُ[8]

دَعْ ما تقَدَّم مِن عهدِ[9] الشبابِ فقد ولَّى الشبابُ وزار الشَّيْبُ والزَّعَرُ[10]

واذكُرْ بلاءَ سُلَيْمٍ فى مواطِنِها وفى سُلَيْمٍ لأهلِ الفخرِ مُفْتَخَرُ

قَومٌ هُمُ نصَروا الرحمنَ واتَّبَعوا دينَ الرسولِ وأمْرُ الناسِ مُشْتَجِرُ

لا يَغْرِسون فَسِيلَ النخلِ وَسْطَهمُ ولا تَخاوَرُ فى مَشْتاهمُ البقرُ

---

(١) فى الأصل : « فكأين » .

(٢) ملحب : مقطع اللحم . شرح غريب السيرة ٣/١١١ .

(٣) فى الأصل ، ص : « نبغى » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦٦، ٤٦٧.

(٥) فى ص : « فوقه » .

(٦) العائر : وجع العين . والحماطة هنا بثرة تكون فى جفن العين . والشفر : أجفان العين . شرح غريب السيرة ٣/ ١١٢.

(٧) تأوبها : جاءها ليلًا . والشجو : الهم والحزن . والماء هنا : الدمع . الوسيط (أوب) ، (ش ج و) . وشرح غريب السيرة ٣/ ١١٢.

(٨) الصَّمان والحفر : موضعان . انظر المصدر السابق .

(٩) فى الأصل : « غصن » . وفى ص : « عصر » .

(١٠) الزعر : قلة الشَّعر . شرح غريب السيرة ٣/ ١١٢.

إلا سَوابِحَ كالعِقْبانِ[1] مُقْرَبَةً[2] ... فى دارَةٍ[3] حولَها الأَخْطارُ والعَكَرُ[4]

تُدْعَى خُفافٌ وعوفٌ فى جَوانبِها ... وحَىٌّ ذَكْوانَ لا مِيلٌ[5] ولا ضُجُرُ

الضاربون جنودَ الشِّرْكِ ضاحيةً[6] ... ببطنِ مكةَ والأرواحُ تُبْتدَرُ

حتى دفَعْنا[7] وقَتْلاهم كأنهمُ ... نخلٌ بظاهرةِ البَطْحاءِ مُنْقَعِرُ[8]

ونحن يومَ حنينٍ كان مَشْهَدُنا ... للدينِ عِزًّا وعندَ اللَّهِ مُدَّخَرُ

إذ نَرْكَبُ الموتَ مُخْضَرًّا[9] بَطائنُه ... والخيلُ يَنْجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ

تحتَ اللِّواءِ مع الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنا ... كما مشَى الليثُ فى غاباتِه الخَدِرُ[10]

فى مأْزِقٍ مِن مَجَرِّ الحربِ كَلْكَلُها ... تَكادُ تأْفُلُ مِنه الشمسُ والقمرُ[11]

وقد صبَرْنا بأوطاسٍ أسِنَّتَنا ... للَّهِ نَنْصُرُ مَن شِئْنا ونَنْتَصِرُ

حتى تأوَّب أقوامٌ منازلَهم ... لولا المليكُ ولولا نحن ما صدَروا

فما تَرى معشرًا قلُّوا ولا كثُروا ... إلا قدَ[12] اصْبح منا فيهمُ أثَرُ

---

(١) فى ص: «كالعقيان».

(٢) فى م: «مغرية».

(٣) فى الأصل، ص: «حارة».

(٤) المقربة: المقرَّبة من البيوت محافَظةً عليها. والأخطار: الجماعات من الإبل. والعكر: الإبل الكثيرة. المصدر السابق.

(٥) الميل: جمع أميل، وهو الذى لا سلاح له. شرح غريب السيرة ١١٢/٣.

(٦) فى الأصل: «صاحبه». وضاحية: منكشفة. المصدر السابق.

(٧) فى م، ص: «رفعنا».

(٨) فى الأصل: «منعقر». ومنقعر: منقلع من أصله. المصدر السابق.

(٩) فى ص: «محضرا».

(١٠) الخدر: الداخل فى خِدْره، والخدْر هنا غابة الأسد. المصدر السابق.

(١١) مأزق: مكان ضيق فى الحرب. والكلكل: الصدر. وتأفل: تغيب. المصدر السابق.

(١٢) فى م: «وقد».

وقال عباسٌ أيضًا[1] :

يا أيها الرجلُ الذى تَهْوِى به ... وَجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ[2]

إمَّا أتيتَ على النبىِّ فقل له ... حقًّا عليك إذا اطْمَأَنَّ المَجْلِسُ

يا خيرَ مَن ركِب المَطِىَّ ومَن مشى ... فوقَ الترابِ إذا تُعَدُّ الأَنْفُسُ

إنا وفَيْنا بالذى عاهَدْتَنا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماةِ وتُضْرَسُ[3]

[٣/ ١٦٨ظ] إذ سال مِن أفناءِ بُهْثَةَ[4] كلُّها ... جَمْعٌ تَظَلُّ به المَخارِمُ تَرْجُسُ[5]

حتى صبَحْنا أهلَ مكةَ فَيْلَقًا ... شَهْباءَ يَقْدُمُها الهُمامُ الأَشْوَسُ[6]

مِن كلِّ أغْلَبَ مِن سُلَيْمٍ فوقَه ... بيضاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخالِ[7] وقَوْنَسُ[8]

يَرْوِى القناةَ إذا تَجاسَرَ فى الوَغَى ... وتَخالُه أسَدًا إذا ما يَعْبِسُ

يَغْشَى الكتيبةَ [9]مُعْلِمًا وبكفِّه[9] ... عَضْبٌ يَقُدُّ به وَلَدْنٌ مِدْعَسُ[10]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) تهوى به : تسرع به . ووجناء : ناقة ضخمة . ومجمرة : منضمة . والمناسم جمع منسم وهو مقدم طرف خفِّ البعير . وعرمس : شديدة . شرح غريب السيرة ٣/ ١١٣، ١١٤.

(٣) تقدع : تُكَف . وتضرس : تجرح . المصدر السابق ٣/ ١١٤. وفى الروض : تُضرس : أى تُضرب أضراسُها باللُّجم . تقول : ضرسته ، أى ضربت أضراسه . الروض الأنف ٧/ ٢٢٧.

(٤) فى ص : « بهتة » . وبهثة : حى من سُلَيم . شرح غريب السيرة ٣/١١٤ وفيه : بهشنة . انظر الاشتقاق ص ٣٠٧، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٦١.

(٥) المخارم : الطرق فى الجبال ، واحدها مخرم . وترجس : تهتز وتتحرك . شرح غريب السيرة ٣/ ١١٤.

(٦) شهباء : كثيرة السلاح . والأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر . المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « الدهال » . ومحكمة الدخال : يعنى نسج الدرع . المصدر السابق .

(٨) الأغلب : الشديد الغليظ . والقونس : أعلى بيضة الحديد . المصدر السابق .

(٩ - ٩) فى الأصل : « معلما فى كفه » . وفى ص : « معلمك فى كفه » .

(١٠) عضب : سيف قاطع . ولدن : لين فى الهزة . ومدعس : طعَّان . المصدر السابق .

وعلى حُنينٍ قد وَفَى مِن جَمْعِنا ... ألفٌ أُمِدَّ به الرسولُ عَرَنْدَسُ[1]

كـانـوا أمـامَ المؤمـنـين دَرِيـئـةً[2] ... والشمسُ يومئذٍ عليهم أشْمُسُ[3]

نَمْضِى ويحْرُسُنا الإلهُ بحفظِه ... واللَّهُ ليس بضائعٍ مَن يحْرُسُ

ولقد حُبِسْنا بالمناقبِ[4] محْبِسًا ... رضِىَ الإلهُ به فنِعْم المَحْبِسُ

وغـداةَ أوطـاسٍ شـدَدْنـا شـدةً ... كفَتِ العدوَّ وقيل منها يا احبِسوا[5]

تـدعـو هَـوازِنُ بالإخاوةِ[6] بينَنا ... ثَـدْىٌ تُمَـدُّ بـه هَـوازِنُ أيْـبَـسُ

حتى ترَكْنا جمعَهم وكأنه ... عَيْرٌ تَعاقَبُه السِّباعُ مُفَرَّسُ[7]

وقال أيضًا، رضى اللَّهُ عنه[8] :

فمَنْ مُبْلِغُ الأقوامِ أن محمدًا ... رسولَ الإلهِ راشدٌ حيث يَمَّمَا

دعا ربَّه واستَنْصَر اللَّهَ وحدَه ... فأصبح قد وفَّى إليه وأنْعَما

سَرَيْنا وواعَدْنا قُدَيْدًا محمدًا ... يؤُمُّ بنا أمرًا مِن اللَّهِ مُحْكَمَا

---

(١) عرندس: شديد. شرح غريب السيرة ٣/١١٤ .

(٢) فى ص: «درئة».

(٣) قال السهيلى: الدريئة: الحلقة التى يُتعلم عليها الرمى، أى كانوا كالدريئة للرماح. وأشمس: يريد: لمعان الشمس فى كل بيضة من بيضات الحديد والسيوفِ كأنها شمس. وهو معنى صحيح وتشبيه مليح. الروض الأنف ٧/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) المناقب: هو اسم جبل معترض. قالوا: وسمى بذلك؛ لأن فيه ثنايا وطرقا إلى اليمن وإلى اليمامة وإلى أعالى نجد وإلى الطائف. معجم البلدان ٤/ ٦٥١. وانظر معجم ما استعجم ٤/ ١٢٦٤، ١٢٦٥.

(٥) فى الأصل: «ياحس».

(٦) فى الأصل، م: «بالأخوة».

(٧) العير: حمار الوحش. ومفرس: معقور افترسته السباع. شرح غريب السيرة ٣/ ١١٤.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠.

تَمارَوا بنا فى الفجرِ[1] حتى تبيَّنوا ... مع الفجرِ[1] فِتْيانًا وغابًا مُقَوَّمَا[2]

على الخيلِ مَشْدودًا علينا دُروعُنا ... ورَجْلًا كدُفَّاعِ الأَتِيِّ عَرَمْرَمَا[3]

فإن سَراةَ الحيِّ إن كنتَ سائلًا ... سُلَيمٌ وفيهم مِنهمُ مَن تسَلَّمَا[4]

وجندٌ مِن الأنصارِ لا يَخْذُلونه ... أطاعوا[5] فما يَعْصُونه ما تكَلَّما

فإن تَكُ قد أمَّرْتَ فى القومِ خالدًا ... وقدَّمْتَه فإنَّه قد تقدَّما

بجُندٍ هداه اللَّهُ أنت أميرُه ... تُصِيبُ[6] به فى الحقِّ مَن كان أظْلَما

حلَفْتُ يمينًا بَرَّةً لمحمدٍ ... فأكْمَلْتُها ألفًا مِن الخيلِ مُلْجَمَا

[٣/ ١٦٩و] وقال نبيُّ المؤمنين تقَدَّموا ... وحُبَّ إلينا أن نكونَ[7] المُقَدَّما

وبِتْنا بنَهيِ[8] المُستديرِ ولم يَكُنْ ... بنا الخوفُ إلَّا رغْبةً وتَحَزُّمَا

أطَعْناكَ حتى أسْلَم الناسُ كلُّهم ... وحتى صَبَحْنا الجمعَ أهلَ يَلَمْلَما[9]

يَضِلُّ[10] الحِصانُ الأبْلَقُ الوَرْدُ وَسْطَه ... ولا يطْمَئِنُّ الشيخُ حتى يُسَوَّما[11]

---

(١) فى الأصل: «الفخر».

(٢) تماروا بنا: شكُّوا فينا. والغاب هنا: الرماح. شرح غريب السيرة ٣/ ١١٥، ١١٦.

(٣) الأتى: السَّيْل يأتى من بلد إلى بلد. والعرمرم: الكثير الشديد. المصدر السابق ٣/ ١١٦.

(٤) تسلما: يريد: وفى سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم، فتسلم بذلك، كما تقول: تقيس الرجل إذا اعتزى إلى قيس. الروض الأنف ٧/ ٢٢٧.

(٥) فى الأصل: «أضاعوا».

(٦) فى الأصل: «نصبت».

(٧) فى الأصل: «تكون».

(٨) فى ص: «بنهم». النهى - بفتح النون وكسرها - الغدير من الماء. شرح غريب السيرة ٣/ ١١٦.

(٩) يلملم: موضع. المصدر السابق.

(١٠) فى الأصل، م، ص: «يظل». والمثبت من السيرة.

(١١) الأبلق: الذى فيه بياض وسواد. والورد من الخيل: مابين الكميت - ما كان لونه بين الأسود والأحمر - والأشقر. ويسوما: يعلم نفسه بعلامة يعرف بها. الوسيط (ب ل ق)، (و ر د)، (ك م ت)، وشرح غريب السيرة ٣/ ١١٦.

سَمَوْنا لهم وِرْدَ القَطا زَفَّهُ ضُحًى وكلٌّ تَراه عن أخيه قَدَ احْجَما[1]

لَدُنْ غُدْوةٍ حتى ترَكْنا عَشِيَّةً حُنينًا وقد سالت دَوافِعُه[2] دَمَا

إذا شِئْتَ مِن كُلٍّ رأيْتَ طِمِرَّةً[3] وفارسَها يَهْوِى ورُمحًا مُحَطَّمَا

وقد أحْرَزَت مِنا هَوازِنُ سَرْبَها [4]وحُبَّ إليها أن نَخِيبَ ونُحْرَما[4]

هكذا أوْرد الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ هذه القصائدَ مِن شعرِ عباسِ بنِ مِرْداسٍ السُّلَمىِّ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، وقد ترَكْنا بعضَ ما أورده مِن القصائدِ خَشيةَ الإطالةِ وخوفَ المَلالةِ ، ثم أورد مِن شعرِ غيرِه أيضًا[5] ، وقد حصَل ما فيه كِفايةٌ مِن ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الورد : القطيع من الطير . والقطا : نوع من اليمام . وزفه : ساقه سوقًا رفيقا . وأحجم : رجع وانقبض . الوسيط (ورد) ، (ق ط و) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ١١٦.

(٢) فى م : « دوامعه » . ودوافعه : مجارى السيول فيه . شرح غريب السيرة ١١٦/٣ .

(٣) طمرة : فرس سريعة وَثّابة . المصدر السابق .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « وحب إلينا أن تخيب وتحرما » . والسرب : المال الراعى . المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٤٥٩/٢ - ٤٧٨.

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

غزوةُ الطائفِ

قال عروةُ، وموسى بنُ عقبةَ عن الزهريِّ[1] : قاتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ، وحاصَر الطائفَ فى شوالٍ سنةَ ثمانٍ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : ولما قدِم فَلُّ ثقيفٍ الطائفَ أغْلَقوا عليهم أبوابَ مدينتِها، وصنَعوا الصنائعَ للقتالِ، ولم يشْهَدْ حنينًا ولا حصارَ الطائفِ عروةُ بنُ مسعودٍ ولا غَيْلانُ[3] بنُ سَلَمةَ؛ كانا بجُرَشَ[4] يتعلَّمان صنعةَ الدباباتِ والمَجانيقِ والضُّبورِ[5].

قال: ثم سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ حينَ فرَغ مِن حنينٍ، فقال كعبُ ابنُ مالكٍ فى ذلك:

قضَيْنا مِن تِهامةَ كلَّ ريْبٍ ... وخيبرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا[6]

نُخَيِّرُها ولو نطَقَت لقالت ... قَواطِعُهن دَوْسًا أو ثقيفَا[7]

فلستُ لحاضنٍ[8] إن لم ترَوْها ... بساحةِ دارِكم منا ألوفا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٥٦، من حديث عروة والزهرى به.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٧٨ - ٤٨٠.

(٣) فى السيرة: «غيدن». انظر الاستيعاب ٣/ ١٢٥٦، وأسد الغابة ٤/ ٣٤٣، والإصابة ٥/ ٣٣٠.

(٤) جرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة. معجم البلدان ٢/ ٥٩.

(٥) الدبابات: آلات تُصنع من خشب وتُغشَّى بجلودٍ يدخل فيها الرجال فيدبُّون بها للأسوار لينقبوها. والمجانيق آلات للحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة على الأسوار. والضبور جلود يُغشَّى بها خشب يتَّقى بها فى الحرب. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٣.

(٦) أجممنا: أرحنا. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٣.

(٧) هذا البيت سقط من: ص.

(٨) الحاضن: المرأة التى تحضن ولدها. المصدر السابق.

ونَنْتَزِعُ العُروشَ ببطنِ وَجٍّ ... وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلوفَا[1]

ويَأْتِيكم لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادِرُ خلفَه جمعًا كثيفَا[2]

[٣/ ١٦٩ظ] إذا نزَلوا بساحتِكم سمِعْتُم ... لها مما أناخَ بها رَجِيفَا

بأيديهم قَواضِبُ مُرْهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِين بها الحُتوفَا

كأمثالِ العقائقِ أخْلَصَتْها ... قُيونُ الهندِ لم تُضْرَبْ كَتِيفَا[3]

تَخالُ جَدِيَّةَ الأبْطالِ فيها ... غَداةَ الزَّحْفِ جادِيًّا مَدُوفَا[4]

أجَدَّهُمُ أليس لهم نَصِيحٌ ... مِن الأقوامِ كان بنا عَرِيفَا

يُخَبِّرُهم بأنا قد جَمَعْنا ... عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا[5]

وأنا قد أتَيْناهم بزَحْفٍ ... يُحِيطُ بسورِ حصنِهمُ صُفوفَا

رئيسُهُمُ النبيُّ وكان صُلْبًا ... نقيَّ القلبِ مُصْطَبِرًا عَروفَا[6]

رشيدَ الأمرِ ذا حُكْمٍ وعلمٍ ... وحِلْمٍ لم يَكُنْ نَزِقًا[7] خَفِيفَا

نُطِيعُ نبيَّنا ونُطِيعُ ربًّا ... هو الرحمنُ كان بنا رءُوفَا

---

(١) العروش هنا : سُقُف البيوت . وخلوف هنا : غائبون ، وهو من الأضداد . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٤.

(٢) سرعان الخيل : أوائلها . اللسان (س ر ع) .

(٣) فى الأصل ، م : « كثيفا » . والعقائق : جمع عقيقة وهى هنا شعاع البرق . والقيون : جمع قَيْن ، وهو الحداد . وكتيف : جمع كتيفة ، وهى صفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها . اللسان (ق ى ن) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٢٤.

(٤) الجدية : لون الوجه ، يقال : اصفرت جدية وجهه . والجادى : الزعفران . ومدوف : مختلط . اللسان (ج د ى) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٢٤.

(٥) الطروف : جمع طِرْف ، وهو الكريم العتيق . اللسان (ط ر ف) .

(٦) فى م : « عزوفا » . وعروفا : صابرا . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٤.

(٧) نزقًا : كثير الطيش والخفة . شرح غريب السيرة ٣/١٢٤ .

فإن تُلْقُوا إلينا السِّلْمَ نَقْبَلْ ونجْعَلْكم لنا عَضُدًا ورِيفَا[1]

وإن تَأْبَوْا نُجاهِدْكم ونَصْبِرْ ولا يَكُ أمْرُنا رَعِشًا ضعيفَا

نُجالِدُ ما بَقِينا أو تُنِيبوا إلى الإسلامِ إذعانًا مُضِيفَا[2]

نُجاهِدُ لا نُبالى ما لقِينا أأهْلَكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفَا[3]

وكم مِن معشرٍ أَلَبوا علينا صَميمَ الجِذْمِ منهم والحَلِيفَا[4]

أتَوْنا لا يَرَوْن لهم كِفاءً فجَدَّعْنا المَسامعَ والأُنوفَا

بكلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقيلٍ نَسوقُهمُ بها سَوْقًا عَنيفَا

لأمْرِ اللَّهِ والإسلامِ حتى يقومَ الدينُ معتدلًا حَنيفَا

وتُنْسَى اللاتُ والعُزَّى ووُدٌّ ونَسْلُبَها القَلائدَ والشُّنوفَا[5]

فأمْسَوا قد أقَرُّوا واطْمَأنُّوا ومَن لا يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسوفَا[6]

وقال ابنُ إسحاقَ[7] : فأجابه كِنانةُ بنُ عبدِ يَالِيلَ بنِ عمرِو بنِ عُميرٍ الثقفيُّ - قلتُ : وقد وفَد على رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ ذلك فى وفدِ ثقيفٍ ، فأسْلَم معهم . قاله موسى بنُ عقبةَ ، وابنُ[8] إسحاقَ ، وأبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ ، وابنُ الأثيرِ ، وغيرُ[٣/ ١٧٠و] واحدٍ[9] .

---

(١) الريف : المواضع المخصبة التى على المياه . شرح غريب السيرة ١٢٤/٣ .

(٢) مضيفا : مشفقا خائفا . المصدر السابق .

(٣) التلاد : المال القديم . والطريف : المال المحدث . المصدر السابق ٣/ ١٢٥.

(٤) ألبوا علينا : جمعوا علينا . والجذم : الأصل . المصدر السابق .

(٥) الشنوف : جمع شَنْف ؛ وهو القُرْط الذى يكون فى الأذن . المصدر السابق .

(٦) الخسوف : الذل . المصدر السابق .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨١.

(٨) فى الأصل ، م : « أبو » .

(٩) انظر الإصابة ٥/ ٦٦٩، والاستيعاب ٣/ ١٣٣٠، وأسد الغابة ٤/ ٥٠٠.

وزعَم المَدائنيُّ[1] أنه لم يُسْلِمْ، بل صار إلى بلادِ الرومِ فتنَصَّر ومات بها - :

فمَن كان يَبْغِينا يريدُ قتالَنا ... فإنا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُها[2]

وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما ترَى ... وكانت لنا أَطْواؤُها[3] وكُرومُها

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخْبَرها ذو رأْيِها وحَليمُها

وقد عَلِمَتْ إن قالت الحقَّ أننا ... إذا ما أبَت صُعْرُ الخُدودِ[4] نُقِيمُها

نُقَوِّمُها حتى يَلينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَفَ للحقِّ المُبِينِ ظَلومُها

علينا دِلاصٌ[5] مِن تُراثِ[6] مُحَرِّقٍ ... كلَوْنِ السماءِ زيَّنَتْها نُجومُها

نُرَفِّعُها عنا ببِيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدَت في غَمْرةٍ لا نَشِيمُها[7]

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وقال شدادُ بنُ عارضٍ الجُشَميُّ في مسيرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ :

لا تَنْصُروا اللاتَ إن اللَّهَ مُهْلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَن هو ليس يَنْتَصِرُ

إن التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشْتَعَلت ... ولم تُقاتِلْ لدَى أحجارِها هَدَرُ

إن الرسولَ متى ينْزِلْ بلادَكُمُ ... يَظْعَنْ وليس بها مِن أهلِها بشَرُ

---

(١) انظر أسد الغابة ٤/ ٥٠١، والإصابة ٥/ ٦٦٩.

(٢) معلم: مشهورة. ولا نريمها: لا نبرح منها ولا نزول. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٥.

(٣) أطواؤها: جمع طوىً: وهي البئر. المصدر السابق.

(٤) صعر الخدود: هي المائلة إلى جهة تكبرًا وعجبًا. المصدر السابق.

(٥) دلاص: دروع لينة. المصدر السابق.

(٦) في النسخ: «تراب». والمثبت من السيرة. ومحرق هو عمرو بن هند الملك، وذلك لتحريقه بني تميم. ويقال: هو عمرو بن عامر وهو أول من حرّق من العرب بالنار. انظر المصدر السابق ٣/ ١٢٥، ١٢٦.

(٧) لا نشيمها: لا نغمدها. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٦.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨١، ٤٨٢.

قال ابنُ إسحاقَ : فسلَك رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى مِن حنينٍ إلى الطائفِ - على نَخْلةَ اليمانيَةِ ، ثم على قَرْنٍ[1] ، ثم على المُلَيْحِ ، ثم على بَحْرةِ الرُّغاءِ مِن لِيَّةَ ، فابْتَنى بها مسجدًا فصلَّى فيه .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدَّثنى عمرُو بنُ شعيبٍ أنه ، عليه السلامُ ، أقاد يومئذٍ ببَحْرةِ الرُّغاءِ حينَ نزَلها بدمٍ ، وهو أولُ دمٍ أُقِيد به فى الإسلامِ ، رجلٌ مِن بنى ليثٍ قتَل رجلًا مِن هُذَيْلٍ فقتَله به ، [3]وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو بلِيَّةَ ، بحصنِ مالكِ بنِ عوفٍ فهُدِم[3] .

قال ابنُ إسحاقَ : ثم سلَك فى طريقٍ يقالُ لها : الضَّيْقَةُ . [4]فلما توَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ سأَل عن اسمِها فقال : « ما اسمُ هذه الطريقِ ؟ » فقيل : الضيقةُ[4] . فقال : « بل هى اليُسْرى » . ثم خرَج منها على نَخِبٍ ، حتى نزَل تحتَ سِدْرةٍ يقالُ لها: الصادرةُ . قريبًا مِن مالِ رجلٍ مِن ثقيفٍ ، فأرسل إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إما أن تَخْرُجَ إلينا وإما أن نُخْرِبَ عليك حائِطَك » . فأبَى أن يَخْرُجَ ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بإخْرابِه .

وقال ابنُ إسحاقَ[5] ، عن إسماعيلَ بنِ أميةَ ، عن [6]بُجَيْرِ بنِ أبى بُجَيْرٍ[6] ، سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ حينَ خرَجْنا معه إلى

---

(١) قرن : قرية بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلا ، وهى ميقات أهل اليمن بينها وبين الطائف ذات اليمين ستة وثلاثون ميلا . انظر معجم البلدان ٤/ ٧٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٢.

(٣ - ٣) سقط من : ا ٤، ص.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ا ٤، ص.

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٦/ ٢٩٧، من طريق ابن إسحاق به .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٤. وفى الأصل : « بحر بن أبى بحر » ، وفى ص : « بحير بن أبى بحير » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٩.

الطائفِ فمرَرْنا بقبرٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا [٣/ ١٧٠ظ] قبرُ أبى رِغالٍ، وهو أبو ثقيفٍ، وكان مِن ثمودَ، وكان بهذا الحرَمِ يُدْفَعُ عنه، فلما خرَج أصابته النِّقْمةُ التى أصابت قومَه بهذا المكانِ، فدُفِن فيه، وآيةُ ذلك أنه دُفِن معه غصنٌ مِن ذهبٍ، إن أنتم نبَشْتُم عنه أصَبْتُموه». قال: فابْتَدره الناسُ فاسْتَخْرجوا معه الغصنَ. ورواه أبو داودَ، عن يحيى بنِ مَعِينٍ، عن وهبِ بنِ جريرِ بنِ حازمٍ، عن أبيه، عن محمدِ بنِ إسحاقَ به[1]. ورواه البيهقىُّ مِن حديثِ يزيدَ بنِ زُرَيْعٍ، عن رَوْحِ بنِ القاسمِ، عن إسماعيلَ بنِ أميةَ به[2].

قال ابنُ إسحاقَ[3]: ثم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل قريبًا مِن الطائفِ، فضرَب به عسكرَه، فقُتِل ناسٌ مِن أصحابِه بالنبْلِ، وذلك أن العسكرَ اقترب مِن حائطِ الطائفِ[4]، فتأخَّروا إلى موضعِ مسجدِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، اليومَ بالطائفِ الذى بنَتْه ثقيفٌ بعدَ إسلامِها، بناه [5]عمرُو بنُ أميةَ[5] بنِ وهبٍ، وكانت فيه ساريةٌ لا تطْلُعُ عليها الشمسُ صبيحةَ كلِّ يومٍ إلا سُمِع لها نَقِيضٌ فيما يذكُرون. قال: فحاصَرهم بضعًا وعشرين ليلةً.

قال ابنُ هشامٍ: ويقالُ: سبعَ عشْرةَ ليلةً.

---

(١) أبو داود (٣٠٨٨). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٧٨).

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٢٩٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٢، ٤٨٣.

(٤) بعده فى السيرة: «فكانت النبل تنالهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل».

(٥ - ٥) فى الأصل، ا ٤، ص: «أمية بن عمرو». قال الحافظ: وقد اختلف فى اسمه، ففى مختصر السيرة كذا - أى عمرو بن أمية - وعند الأموى فى المغازى عن ابن إسحاق: أبو أميه بن عمرو بن وهب. وعند الواقدى: أمية بن عمرو بن وهب. الإصابة ٤/٦٠٣.

وقال عروةُ ، وموسى بنُ عقبةَ عن الزهريِّ[1] : ثم سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ وترَكَ السَّبْيَ بالجِعْرانةِ ، ومُلِئت عُرُشُ مكةَ منهم ، ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بالأَكَمةِ عندَ حصنِ الطائفِ بضعَ عشْرةَ ليلةً يُقاتِلُهم ويُقاتِلونه مِن وراءِ حصنِهم ، ولم يخرُجْ إليه أحدٌ منهم غيرَ أبى بَكْرةَ بنِ مَسْروحٍ أخى زيادٍ لأمِّه ، فأعْتَقه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكثُرت الجراحُ ، وقطَعوا طائفةً مِن أعنابِهم ليُغِيظُوهم بها ، فقالت لهم ثقيفٌ : لا تُفْسِدوا الأموالَ ، فإنها لنا أو لكم . وقال عروةُ : أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ كلَّ رجلٍ مِن المسلمين أن يقْطَعَ خمسَ نخَلاتٍ أو خمسَ حُبْلاتٍ[2] ، وبعَث مناديًا يُنادى : « مَن خرَج إلينا فهو حُرٌّ » . فاقْتَحم إليه نفَرٌ منهم ، فيهم أبو بَكْرةَ ابنُ مَسْروحٍ أخو زِيادِ بنِ أبى سفيانَ لأمِّه ، فأعْتَقهم ودفَع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجلٍ مِن المسلمين يعولُه ويحمِلُه .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا يزيدُ ، ثنا حجاجٌ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُعْتِقُ مَن جاءه مِن العَبيدِ قبلَ مواليهم إذا أسْلموا ، وقد أعْتَق يومَ الطائفِ رجلين .

وقال أحمدُ أيضًا[4] : ثنا عبدُ القُدُّوسِ بنُ بكرِ بنِ خُنَيْسٍ ، ثنا الحجاجُ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : حاصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١٧١و] أهلَ الطائفِ ، فخرَج إليه عبدانِ فأعْتَقهما ، أحدُهما أبو بَكْرةَ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٥٧، ١٥٨، عن عروة وموسى بن عقبة، ولم نجده عن الزهرى .

(٢) بعده فى الدلائل : « من كرومهم فأتاه ابن الخطاب فقال : يا رسول الله ، إنها عفاء لم تؤكل ثمارها . فأمرهم أن يقطعوا ما أكلت ثمرته الأول فالأول » . والحبلات : واحدها حَبْلة ، وهى القَضِيب من الكرم .

(٣) المسند ١/ ٢٣٦.

(٤) المسند ١/ ٢٤٣.

يُعْتِق العبيدَ إذا خرَجوا إليه .

وقال أحمدُ أيضًا[1] : ثنا نصرُ بنُ بابٍ[2] ، عن الحجاجِ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الطائفِ : « مَن خرَج إلينا مِن العبيدِ فهو حرٌّ » . فخرَج عَبيدٌ مِن العبيدِ فيهم أبو بكرةَ فأعْتَقهم رسولُ اللَّهِ ﷺ .

هذا الحديثُ تفرَّد به أحمدُ ، ومَدارُه على الحجاجِ بنِ أرْطاةَ ، وهو ضعيفٌ ، لكن ذهَب الإمامُ أحمدُ إلى هذا ، فعندَه أن كلَّ عبدٍ جاء مِن دارِ الحربِ إلى دارِ الإسلامِ عَتَق ، حكمًا شرعيًا مطلقًا عامًّا . وقال آخرون : إنما كان هذا شرطًا لا حكمًا عامًّا ، ولو صح الحديثُ لكان التشريعُ العامُّ أظهرَ ، كما فى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ : « مَن قتَل قتيلًا فله سَلَبُه »[3] .

وقد قال يونُسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[4] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ المُكَدَّمِ[5] الثقفيُّ قال : لما حاصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أهلَ الطائفِ خرَج إليه رقيقٌ مِن رقيقِهم ؛ أبو بكرةَ وكان عبدًا للحارثِ بنِ كَلَدَةَ ، والمُنْبَعِثُ وكان اسمُه المُضْطَجِعَ ، فسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ المُنْبَعِثَ ، ويُحَنَّسُ ووَرْدانُ ، فى رهطٍ مِن رقيقِهم فأسْلَموا ، فلما قدِم وفدُ أهلِ الطائفِ فأسْلموا ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، رُدَّ علينا رقيقَنا الذين أتَوْك . قال : « لا ، أولئك عُتقاءُ اللَّهِ » . وردَّ على ذلك الرجلِ ولاءَ عبدِه فجعله إليه .

---

(١) المسند ١/ ٢٤٨.

(٢) سقط من : ا ٤. وفى م ، ص : « رئاب » . انظر المشتبه ١/ ٣٧، وتعجيل المنفعة ص ٤٢٠.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٢ .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٥٩، من طريق يونس بن بكير به .

(٥) فى النسخ : « المكرم » . والمثبت من الدلائل . وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٣١٤.

وقال البخاريُّ[1] : ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا غُنْدَرٌ ، ثنا شعبةُ ، عن عاصمٍ ، سمِعْتُ أبا عثمانَ قال : سمِعْتُ سعدًا - وهو أولُ مَن رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ - وأبا بَكْرةَ - وكان تسَوَّر حصنَ الطائفِ فى أناسٍ ، فجاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ - قالا : سمِعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن ادَّعَى إلى غيرِ أبيه وهو يعْلَمُه ، فالجنةُ عليه حرامٌ » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ عاصمٍ به[2] .

قال البخاريُّ[3] : وقال هشامٌ : أنبأنا مَعْمَرٌ ، عن عاصمٍ ، عن أبى العاليةِ ، أو أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، قال : سمِعْتُ سعدًا وأبا بَكْرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال عاصمٌ : قلتُ : لقد شهِد عندَك رجلان حسبُك بهما . قال : أجل ، أمَّا أحدُهما فأولُ مَن رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، وأمَّا الآخرُ فنزَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين مِن الطائفِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : وكان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ امرأتان [٣/ ١٧١ظ] مِن نسائِه ، إحداهما أمُّ سَلَمةَ ، فضرَب لهما قُبَّتَيْن ، فكان يصلى بينَهما ، فحاصَرهم وقاتَلهم قتالًا شديدًا ، وترامَوْا بالنَّبْلِ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : ورماهم بالمَنْجَنِيقِ ، [5]فحدَّثنى مَن أثِقُ به أن النبىَّ ﷺ أولُ مَن رمَى فى الإسلامِ بالمَنْجَنِيقِ[5] ، رمَى به أهلَ الطائفِ .

[6]وذكَر ابنُ إسحاقَ[4] أن نفرًا مِن الصحابةِ دخَلوا تحتَ دَبَّابةٍ ، ثم زحَفوا[6]

---

(١) البخارى (٤٣٢٦) .
(٢) مسلم (١١٥/ ٦٣) .
(٣) البخارى (٤٣٢٧) معلقا .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/٤٨٢ - ٤٨٤ .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(١ ليَخْرِقوا[٢] جدارَ أهلِ الطائفِ ١) ، فأرْسَلَت عليهم ثَقِيفٌ[٣] سِكَكَ الحديدِ مُحْماةً ، فخرَجوا مِن تحتِها ، فرمَتْهم ثقيفٌ بالنبلِ ، فقتَلوا منهم رجالًا ، فحينئذٍ أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقطعِ أعْنابِ ثقيفٍ ، فوقَع الناسُ فيها يُقَطِّعون .

قال : وتقدَّم أبو سفيانَ بنُ حربٍ والمغيرةُ بنُ شعبةَ ، فنادَيا ثقيفًا بالأمانِ حتى يُكَلِّماهم ، فأمَّنوهما ، فدَعَوا نساءً مِن قريشٍ وبنى كِنانةَ ليَخْرُجْنَ إليهم - وهما يخافان عليهن السِّباءَ إذا فُتِح الحصنُ - فأبَيْنَ ، فقال لهما ابنُ الأسودِ[٤] بنِ مسعودٍ : ألا أدلُّكما على خيرٍ مما جئْتُما له ؟ إن مالَ بنى[٥] الأسودِ بنِ مسعودٍ حيث قد علِمْتُما - وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ نازلًا بوادٍ يقالُ له : العَقِيقُ . وهو بينَ مالِ بنى الأسودِ وبينَ الطائفِ - وليس بالطائفِ مالٌ أبعدَ رِشاءً ولا أشدَّ مَؤُونةً ولا أبعدَ عِمارةً منه ، وإن محمدًا إن قطَّعه لم يَعْمُرْ أبدًا ، فكَلِّماه فلْيَأْخُذْه لنفسِه أو لِيدَعْه للَّهِ وللرحمِ . فزعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ترَكه لهم .

وقد رَوى الواقدىُّ عن شيوخِه نحوَ هذا[٦] ، وعندَه أن سلمانَ الفارسىَّ هو الذى أشار بالمَنْجَنِيقِ وعمِلَه بيدِه ، وقيل : قدِم به وبدَبَّابتَيْنِ[٧] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد أوْرَد البيهقىُّ[٨] مِن طريقِ ابنِ لَهيعةَ ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ أن عُيَيْنةَ بنَ حصنٍ اسْتَأْذن رسولَ اللَّهِ ﷺ فى أن يأتىَ أهلَ الطائفِ فيدْعوَهم إلى

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « ليحرقوا » .

(٣) زيادة من السيرة .

(٤) فى الأصل ، م : « أبو الأسود » .

(٥) سقط من : ا ٤ . وفى م : « أبى » .

(٦) مغازى الواقدى ٣/ ٩٢٩ .

(٧) المصدر السابق ٣/ ٩٢٧ .

(٨) دلائل النبوة ٥/ ١٦٣ .

الإسلامِ ، فأذِن له ، فجاءهم فأمَرهم بالثَّباتِ فى حصنِهم ، وقال : لا يَهُولنَّكم قطعُ ما قطَّع مِن الأشجارِ . فى كلامٍ طويلٍ ، فلما رجَع قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما قلتَ لهم ؟ » قال : دعَوْتُهم إلى الإسلامِ ، وأنذَرْتُهم النارَ ، وذكَّرْتُهم بالجنةِ . فقال : « كذَبْتَ ، بل قلتَ لهم كذا وكذا » . فقال : صدَقْتَ يا رسولَ اللَّهِ ، أتوبُ إلى اللَّهِ وإليك مِن ذلك .

وقد رَوى البيهقىُّ[1] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونُسَ بنِ [٣/ ١٧٢و] بكيرٍ ، عن هشامٍ الدَّسْتُوائىِّ ، عن قتادةَ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن مَعْدانَ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن[2] أبى نَجِيحٍ السُّلَمىِّ ؛ وهو عمرُو بنُ عَبَسةَ ، رضى اللَّهُ عنه ، قال : حاصَرْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ قصرَ الطائفِ ، فسَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن بلَغ بسهمٍ فله درجةٌ فى الجنةِ » . فبلَّغْتُ يومئذٍ ستةَ عشَرَ سهمًا ، وسمِعْتُه يقولُ : « مَن رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ فهو عَدْلُ مُحَرَّرٍ ، ومَن شاب شَيْبةً فى سبيلِ اللَّهِ كانت له نورًا يومَ القيامةِ ، وأيُّما رجلٍ أعْتَق رجلًا مسلمًا فإن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ مِن عظامِه وِقاءً ، كلَّ عظمٍ بعظمٍ ، وأيُّما امرأةٍ مسلمةٍ أعْتَقت امرأةً مسلمةً فإن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ مِن عظامِها وِقاءَ كلِّ عظمٍ مِن عظامِها مِن النارِ » . ورواه أبو داودَ ، والترمذىُّ وصحَّحه ، و[3] النسائىُّ ، مِن حديثِ قتادةَ به[4] .

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٥٩، ١٦٠.

(٢) بعده فى النسخ : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١١٨.

(٣) سقط من : م .

(٤) أبو داود (٣٩٦٥) ، والترمذى (١٦٣٨) مختصرا ، والنسائى (٣١٤٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٣٥٥) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا الحُمَيْدىُّ ، سمِع سفيانَ ، ثنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن زينبَ بنتِ أمِّ سَلَمةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعندى مُخَنَّثٌ ، فسمِعْتُه[2] يقولُ لعبدِ اللَّهِ بنِ أبى أُميةَ : أرأيتَ إن فتَح اللَّهُ عليكم الطائفَ غدًا فعليك بابنةِ غَيْلانَ ، فإنها تُقْبِلُ بأربعٍ وتُدْبِرُ بثمانٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَدْخُلَنَّ هؤلاء عليكن » . قال ابنُ عُيَينةَ : وقال ابنُ جُرَيْجٍ : المُخَنَّثُ هِيتٌ . وقد رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ مِن طُرُقٍ ، عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه به[3] . وفى لفظٍ : وكانوا يرَوْنه مِن غيرِ أولى الإرْبةِ مِن الرجالِ . وفى لفظٍ[4] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا أرَى هذا يَعْلَمُ ما هـٰهنا ؟! لا يَدْخُلَنَّ عليكن هؤلاء » . يعنى إذا كان ممن يَفْهَمُ ذلك فهو داخلٌ فى قولِه تعالى[5] : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور : ٣١] . والمرادُ بالمُخَنَّثِ فى عُرْفِ السلفِ الذى لا هِمَّةَ له إلى النساءِ ، وليس المرادُ به الذى يُؤْتَى ؛ إذ لو كان كذلك لوجَب قتلُه حتمًا كما دلَّ عليه الحديثُ[6] ، وكما قتَله أبو بكرٍ الصديقُ ، رضى اللَّهُ عنه[7] ، ومعنى قولِه : تُقْبِلُ بأربعٍ وتُدْبِرُ بثمانٍ . يعنى بذلك عُكَنَ[8] بطنِها ، فإنها تكونُ أربعًا [٣/ ١٧٢ظ] إذا أقْبَلت ، ثم تَصيرُ كلُّ واحدةٍ ثِنْتَين إذا أدْبَرت ، وهذه المرأةُ هى باديةُ بنتُ غَيْلانَ بنِ سلمةَ مِن ساداتِ ثقيفٍ ، وهذا المُخَنَّثُ قد ذكَر

---

(١) البخارى (٤٣٢٤) .

(٢) فى م : « فسمعه » .

(٣) البخارى (٤٣٢٤، ٥٢٣٥، ٥٨٨٧) ، ومسلم (٢١٨٠) .

(٤) مسلم (٢١٨١) بهذين اللفظين من حديث عائشة .

(٥) التفسير ٦/ ٥٢ .

(٦) يشير إلى الحديث الذى رواه أحمد ١/ ٣٠٠، وأبو داود (٤٤٦٢) ، والترمذى (١٤٥٦) ، وابن ماجه (٢٥٦١) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٤٥) .

(٧) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٨/ ٢٣٢ .

(٨) عكن : جمع عُكْنة ، وهى الأطواء فى البطن من السِّمَن . اللسان (ع ك ن) .

البخاريُّ عن ابنِ جُرَيْجٍ أن اسمَه هِيتٌ ، وهذا هو المشهورُ .

لكن قال يونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ قال[1] : وكان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مولًى لخالتِه فاخِتَةَ[2] بنتِ عمرِو بنِ عائذٍ[3] مُخَنَّثٌ يقالُ له : ماتعٌ . يدْخُلُ على نساءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بيتِه ، ولا يُرَى أنه يَفْطِنُ لشىءٍ مِن أمورِ النساءِ مما يفْطِنُ إليه الرجالُ ، ولا يُرَى أن له فى ذلك إرْبًا ، فسمِعه وهو يقولُ لخالدِ بنِ الوليدِ : يا خالدُ ، إن افتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ الطائفَ فلا تَنْفَلِتَنَّ منكم باديةُ بنتُ غَيْلانَ ، فإنها تُقْبِلُ بأربعٍ وتُدْبِرُ بثمانٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ سمِع هذا منه : « ألا أَرَى هذا يَفْطِنُ لهذا ؟! » الحديثَ ، ثم قال لنسائِه : « لا يدْخُلَنَّ عليكم » . فحُجِب عن بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، عن أبى العباسِ الشاعرِ الأعْمى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو[5] قال : لما حاصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الطائفَ ، فلم يَنَلْ منهم شيئًا ، قال : « إنا قافلون غدًا إن شاء اللَّهُ » . فثَقُل عليهم ، وقالوا : نذْهَبُ ولا نفْتَحُه ؟ فقال : « اغْدُوا على القتالِ » . فغَدَوا ، فأصابهم [6]جِراحٌ ، فقال : « إنا قافلون غدًا إن شاء اللَّهُ » . فأعْجَبهم ، فضحِك النبىُّ ﷺ . وقال سفيانُ مرةً : فتبَسَّم[6] . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ به[7] ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٦٠، ١٦١، من طريق يونس بن بكير به .

(٢) زيادة من الدلائل .

(٣) فى الأصل ، ٤١ ، م : « عائد » . وفى ص : « عاين » . والمثبت من الدلائل ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٤١ .

(٤) البخارى (٤٣٢٥) .

(٥) فى ا ٤ : « عمر » وهو فى بعض نسخ البخارى كما سيأتى .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) مسلم (١٧٧٨) .

وعندَه عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ[1] ، واخْتُلِف فى نسخِ البخاريِّ ؛ ففى نسخةٍ كذلك ، [2]وفى نسخةٍ[2] : عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الواقديُّ[3] : حدَّثنى كَثِيرُ بنُ زيدٍ ، عن[4] الوليدِ بنِ رَباحٍ[5] ، عن أبى هريرةَ قال : لما مضَت خمسَ عشْرةَ ليلةً[6] مِن حصارِ الطائفِ استشار رسولُ اللَّهِ ﷺ نوفلَ بنَ معاويةَ الدُّئِلِيَّ فقال : « يا نوفلُ ، ما تَرى فى المُقامِ عليهم ؟ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ثعلبٌ فى جُحْرٍ ، إن أقمْتَ عليه أخَذْتَه ، وإن ترَكْتَه لم يضُرَّك .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وقد بلَغنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأبى بكرٍ الصديقِ وهو محاصِرٌ ثقيفًا : « يا أبا بكرٍ ، إنى رأيْتُ أنى أُهْدِيَت لى قَعْبَةٌ[8] مملوءةٌ زُبْدًا ، فنقَرها ديكٌ ، فهَراق ما فيها » . فقال أبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه : ما أظُنُّ أن تُدْرِكَ منهم يومَك هذا ما تريدُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » . قال : ثم إن خُوَيْلَةَ[9] بنتَ حكيمٍ السُّلَمية ، وهى امرأةُ عثمانَ بنِ [٣/١٧٣و] مَظْعونٍ قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطنى - إن فتَح اللَّهُ عليك الطائفَ[10] - حُلِيَّ باديةَ بنتِ

---

(١) بل وقع عنده : « عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص » ، وقال النووى فى شرحه ١٢/ ١٢٣: هكذا هو فى نسخ صحيح مسلم . وانظر تحفة الأشراف ٥/ ٤١٨.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٤، م، ص .

(٣) المغازى ٣/ ٩٣٦، ٩٣٧.

(٤) فى الأصل، م : « بن » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١١٣.

(٥) فى المغازى : « رياح » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١١.

(٦) زيادة من المغازى .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥.

(٨) القعبة : القدح . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٦.

(٩) فى م : « خولة » ، وقد ذكر فيها القولان ، وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٣٢، وأسد الغابة ٧/ ٩٣، والإصابة ٧/ ٦٢١، ٦٢٢.

(١٠) سقط من : الأصل ، م .

غَيْلانَ ابنِ سلمةَ ، أو حُلِيَّ الفارعةِ بنتِ عَقِيلٍ ، وكانتا[1] مِن أحْلى نساءِ ثقيفٍ ، فذُكِرَ لى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لها : « وإن كان لم يُؤْذَنْ فى ثقيفٍ يا خُوَيْلةُ ؟ » . فخرَجتْ خويلةُ[2] فذكَرتْ ذلك لعمرَ بنِ الخطابِ ، فدخَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما حديثٌ حدَّثَتْنيه خويلةُ[2] زعَمتْ أنك قلتَه ؟ قال : « قد قلتُه » . قال : أو ما أُذِن فيهم ؟ قال : « لا » . قال : أفلا أُؤَذِّنُ بالرحيلِ ؟ قال : « بلى » . فأذَّن عمرُ بالرحيلِ ، فلما استَقَلَّ[3] الناسُ نادَى سعيدُ ابنُ عُبَيْدِ بنِ أَسِيدِ بنِ أبى عمرِو بنِ عِلاجٍ : ألا إن الحىَّ مُقيمٌ . قال : يقولُ عيينةُ ابنُ حصنٍ : أجل ، واللَّهِ مَجدةً كِرامًا . فقال له رجلٌ مِن المسلمين : قاتَلك اللَّهُ يا عيينةُ ، أتَمْدَحُ المشركين بالامتناعِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد جئتَ تنْصُرُه ؟ فقال : إنى واللَّهِ ما جئتُ لأقاتلَ ثقيفًا معكم ، ولكنى أرَدْتُ أن يفْتَحَ محمدٌ الطائفَ ، فأُصِيبَ مِن ثقيفٍ جاريةً أطؤُها ، لعلها تَلِدُ لى رجلًا ، فإن ثقيفًا مَناكِيرُ[4] .

وقد رَوى ابنُ لَهِيعةَ[5] ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ قصةَ خويلةَ بنتِ حكيمٍ ، وقولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما قال ، وتَأْذِينَ عمرَ بالرحيلِ ، قال : وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ أن لا يُسَرِّحوا ظهرَهم ، فلما أصبَحوا ارْتَحل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، ودَعا حينَ ركِب قافلًا فقال : « اللهم اهْدِهم واكْفِنا مُؤْنتَهم » .

وروى الترمذىُّ[6] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ[7] ، عن أبى

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « كانت » .
(٢) فى م : « خولة » وانظر حاشية (٩) فى الصفحة السابقة .
(٣) فى م : « استقبل » .
(٤) مناكير : جمع مُنْكَر ، وهو الداهِى الفَطِن . اللسان (ن ك ر) .
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٦٨، ١٦٩، من طريق ابن لهيعة به .
(٦) الترمذى (٣٩٤٢) ضعيف . (ضعيف سنن الترمذى ٨٣٠) .
(٧) فى الترمذى « خيثم » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٩.

الزبيرِ ، عن جابرٍ قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أحْرَقَتْنا نِبالُ ثقيفٍ ، فادْعُ اللَّهَ عليهم . فقال : « اللهم اهْدِ ثقيفًا » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

ورَوى يونسُ[1] ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ وعبدُ اللَّهِ ابنُ المُكَدَّمِ[2] ، عمن أدْرَكوا مِن أهلِ العلمِ قالوا : حاصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أهلَ الطائفِ ثلاثين ليلةً أو قريبًا مِن ذلك ، ثم انصَرفوا عنهم ، ولم يُؤْذَنْ فيهم ، فقدِم المدينةَ ، فجاءه وفدُهم فى رمضانَ فأسْلَموا . وسيأتى ذلك مُفَصَّلًا فى رمضانَ مِن سنةِ تسعٍ إن شاء اللَّهُ .

وهذه تسميةُ مَن استُشْهِد مِن المسلمين بالطائفِ فيما قاله ابنُ إسحاقَ[3] ، فمِن قريشٍ ؛ سعيدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أميةَ ، وعُرْفُطةُ بنُ جَنّابٍ[4] ، حليفٌ [٣/ ١٧٣ظ] لبنى أميةَ مِنَ الأسدِ بنِ الغَوْثِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ الصديقِ ، رُمِىَ بسهمٍ فتُوُفِّىَ منه بالمدينةِ بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى أميةَ بنِ المغيرةِ المخزومىُّ ، مِن رَمْيةٍ رُمِيَها يومئذٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ ، حليفٌ لبنى عَدِىٍّ ، والسائبُ بنُ الحارثِ بنِ قيسِ بنِ عَدِىٍّ السهمىُّ ، وأخوه عبدُ اللَّهِ ، وجُلَيْحةُ بنُ عبدِ اللَّهِ مِن بنى سعدِ بنِ ليثٍ ، ومِن الأنصارِ ثم مِن الخزرجِ ؛ ثابتُ ابنُ الجِذْعِ السُّلَمىُّ[5] ، والحارثُ بنُ سهلِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ المازنىُّ ، والمنذرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، مِن بنى ساعدةَ ، ومِن الأوسِ ، رُقَيْمُ بنُ ثابتِ بنِ ثعلبةَ بنِ زيدِ بنِ لَوْذانَ ابنِ معاويةَ فقطْ ، فجميعُ مَن استُشْهِد يومئذٍ اثنا عشَرَ رجلًا ؛ سبعةٌ مِن قريشٍ ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٦٩، من طريق يونس بن بكير به .

(٢) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م ، ص : « المكرم » . والمثبت من الدلائل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٦، ٤٨٧.

(٤) فى ا ٤، م : « حباب » ، وبه قال ابن هشام ، وانظر الإصابة ٤/ ٤٨٦، ففيه الوجهان .

(٥) فى الأصل ، ا ٤، م : « الأسلمى » ، وانظر الإصابة ١/ ٣٨٤.

وأربعةٌ مِن الأنصارِ، ورجلٌ مِن بنى ليثٍ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: ولما انصرف رسولُ اللَّهِ ﷺ راجعًا عن الطائفِ قال بُجَيْرُ بنُ زهيرِ بنِ أبى سُلْمَى يذكُرُ حنينًا والطائفَ:

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبْرقِ[2]

جَمَعَت بإغْواءٍ هَوازِنُ جَمْعَها ... فتبَدَّدوا كالطائرِ المُتَمزِّقِ

لم يَمْنَعوا منا مَقامًا[3] واحدًا ... إلا جدارَهمُ[4] وبطنَ الخندقِ

ولقد تعَرَّضْنا لكيما يَخْرُجوا ... فاسْتَحْصنوا منا بابٍ مُغْلَقِ

ترْتَدُّ حَسْرَانَا[5] إلى رَجْراجةٍ ... شَهْباءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلَقِ[6]

مَلْمومةٍ خضراءَ لو قذَفوا بها ... حَضَنًا[7] لظلَّ كأنه لم يُخْلَقِ

مشْىَ الضِّراءِ على الهَراسِ كأننا ... قُدُرٌ تفرَّقُ فى القِيادِ وتَلْتقى[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) قال السهيلى: العلالة: جَرْى بعد جرى، أو قتال بعد قتال، وحذف التنوين من علالة ضرورة. وقال أبو ذر: العلالة من العَلل، وهو الشرب بعد الشرب، وأراد به ههنا معنى التكرار. وحنينٌ: تصغير حنينْ. الروض الأنف ٧/ ٢٧٧، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٢٧.

(٣) فى ص: «مقالًا».

(٤) فى ص: «حذارهم».

(٥) فى ص: «خسرانا».

(٦) الرجراجة: الكتيبة التى يموج بعضها فى بعض. وفيلق: الجيش الكثير الشديد. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٧.

(٧) فى النسخ: «حصنا». والمثبت من السيرة. وحضن: اسم جبل بأعلى نجد. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٧، وانظر معجم البلدان ٢/ ٢٨٨.

(٨) الهراس: شوك معروف. والضراء: الكلاب، وهى إذا مشت فى الهراس ابتغت لأيديها موضعًا، ثم تضع أرجلها فى موضع أيديها، وشبه الخيل بها. وقدر: يعنى خيلًا تجعل أرجلها فى مواضع أيديها إذا مشت. الروض الأنف ٧/ ٢٧٧. وشرح غريب السيرة ٣/ ١٢٨.

فى كلِّ سابغةٍ إذا ما استَحْصَنَت كالنِّهيِ هَبَّت ريحُه المُتَرَقْرِقِ[1]

جُدُلٌ تَمَسُّ فُضولُهن نِعالَنا مِن نَسْجِ داودٍ وآلِ مُحَرِّقِ[2]

وقال أبو داودَ[3] : ثنا عمرُ بنُ الخطابِ أبو حفصٍ ، ثنا الفِرْيابيُّ ، ثنا أبانٌ ، [4]قال عمرُ[4] : هو ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حازمٍ . ثنا عثمانُ بنُ أبى حازمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه صخرٍ - هو ابنُ[5] العَيْلةِ الأحْمَسيُّ - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ غزا ثقيفًا ، فلما أن سمِع ذلك صخرٌ ركِب فى خيلٍ يُمِدُّ النبيَّ ﷺ ، فوجَده قد انصرف ولم يَفْتَحْ ، فجعَل [٣/ ١٧٤و] صَخْرٌ حينئذٍ [6]عهدًا وذِمّةً لا أُفارقُ[6] هذا القصرَ حتى يَنْزِلوا على حكمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [7]ولم يُفارِقْهم حتى نزَلوا على حكمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[7] ، وكتَب إليه صخرٌ : أما بعدُ ، فإن ثقيفًا قد نزَلت على حكمِك يا رسولَ اللَّهِ ، وأنا مُقْبِلٌ بهم[8] ، وهم فى خيلٍ[9] ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالصلاةِ جامعةً ، فدَعا لأحْمَسَ عشْرَ دَعَواتٍ : « اللهم بارِكْ لأحْمَسَ فى خيلِها ورجالِها » . وأتَاه[10] القومُ ، فتكَلَّم المغيرةُ بنُ شعبةَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن صخرًا أخَذ عمتى ، ودخَلَتْ فيما دخَل فيه المسلمون . فدعاه فقال : « يا صخرُ ،

---

(١) السابغة : الدرع الكاملة . والنهى : الغدير من الماء . والمترقرق : المتحرك . شرح غريب السيرة ١٢٨/٣ .

(٢) جدل جمع جدلاء ؛ وهى الدرع الجيدة النسج . وفضولهن : ما انْجَرَّ منهن . المصدر السابق .

(٣) أبو داود (٣٠٦٧) ضعيف . (ضعيف سنن أبى داود ٦٧٠) .

(٤ - ٤) فى النسخ « ثنا عمرو » . والمثبت من مصدر التخريج ، وعمر : هو ابن الخطاب شيخ أبى داود . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٤٩.

(٥) سقط من ا ٤. وفى الأصل ، م : « أبى » ، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٢٤.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى المصدر : « عهد اللَّه وذمته ألا يفارق » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى سنن أبى داود : « إليهم » .

(٩) فى الأصل ، م : « خيلى » .

(١٠) فى الأصل ، ا ٤، م : « أتى » .

إن القومَ إذا أسْلَموا أحْرَزوا دماءَهم وأموالَهم ، فادْفَعْ إلى المغيرةِ عمَّتَه » . فدفَعها إليه ، وسأل رسولَ اللَّهِ ﷺ ماءً[1] لبنى سُلَيْم ، قد هرَبوا عن الإسلامِ وترَكوا ذلك الماءَ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أنْزِلْنيه أنا وقومى . قال : « نعم » . فأنْزَله ، وأسْلَم - يعنى السُّلَمِيِّين[2] - فأتَوْا صخرًا فسألوه أن يَدْفَعَ إليهم الماءَ ، فأبَى ، فأتَوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أسْلَمْنا وأتَيْنا صخرًا ليدْفَعَ إلينا ماءَنا ، فأبَى علينا[3] . فقال : « يا صخرُ ، إن القومَ إذا أسْلَموا أحْرَزوا أموالَهم ودماءَهم ، فادْفَعْ إليهم ماءَهم » . قال : نعم يا نبيَّ اللَّهِ . فرأَيْتُ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يتَغَيَّرُ عندَ ذلك حُمْرةً ؛ حَياءً[4] مِن أخْذِه الجاريةَ وأخْذِه الماءَ . تفرَّد به أبو داودَ ، وفى إسنادِه اختلافٌ[5] .

قلتُ : وكانت الحكمةُ الإلهيةُ تقْتَضى أن يُؤَخَّرَ الفتحُ عامَئذٍ ؛ لئلا يُسْتَأْصَلُوا[6] قتلًا ، لأنه قد تقَدَّم[7] أنه ﷺ لما كان خرَج إلى الطائفِ فدَعاهم إلى اللَّهِ تعالى ، وإلى أن يُؤْوُوه حتى يُبَلِّغَ رسالةَ ربِّه عز وجل ، وذلك بعدَ موتِ عمِّه أبى طالبٍ ، فردُّوا عليه قولَه وكذَّبوه ، فرجع مهمومًا ، فلم يَسْتَفِقْ إلا عندَ قَرْنِ الثَّعالِبِ ، فإذا هو بغمامةٍ ، وإذا فيها جبريلُ ، فناداه مَلَكُ الجبالِ فقال : يا محمدُ ،

---

(١) فى سنن أبى داود : « ما » . وفيها أن النبى ﷺ هو الذى سأل ، وهو خطأ . قال صاحب عون المعبود ٣/ ١٤١ : « وسأل » : أى صخر . « ما لبنى سليم » . كذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها « ماء » بالهمزة ، وهو الظاهر .

(٢) فى النسخ : « الأسلميين » ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) بعده فى أبى داود : « فأتاه » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) وانظر لهذا الاختلاف الإصابة ٣/ ٤١٦، ٤١٧.

(٦) أى أهل الطائف .

(٧) تقدم فى ٤/ ٣٣٧ - ٣٤٢.

إن ربَّك يَقْرَأُ عليك السلامَ ، وقد سمِع قولَ قومِك لك ، وما رَدُّوا عليك ، فإن شئتَ أن أُطْبِقَ عليهم الأخْشَبَيْن . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل أَسْتَأْنِى[1] بهم ؛ لعل اللَّهَ أن يُخْرِجَ مِن أصْلابِهم مَن يَعْبُدُه وحدَه لا يُشْرِكُ به شيئًا » . فناسَب قولُه : « بل أَسْتَأْنِى بهم » . أن لا يَفْتَحَ حصنَهم لئلا يُقْتَلوا عن آخرِهم ، وأن يُؤَخِّرَ الفتحُ ليَقْدَموا بعدَ ذلك مسلمين فى رمضانَ مِن العامِ المقبلِ ، كما سيأتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

[٣/ ١٧٤ظ] [٢]فصلٌ فى[٢] مرجعِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، عن[٣] الطائفِ ، وقسمةِ غنائمِ هَوازنَ التي أصابها يومَ حُنَينٍ قبلَ دخولِه مكةَ معتمرًا من الجِعْرانةِ

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ انصرف عن الطائفِ على دَحْنَا ، حتى نزَل الجِعْرَانةَ فيمَن معه مِن المسلمين ، ومعه مِن هَوازنَ سَبْىٌ كثيرٌ ، وقد قال له رجلٌ مِن أصحابِه يومَ ظعَن عن ثقيفٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادعُ عليهم . فقال : « اللهم اهدِ ثقيفًا وائْتِ بهم » . قال : ثم أتاه وفدُ هَوازِنَ بالجِعْرانةِ ، وكان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن سبيِ[٥] هَوازِنَ ستةُ آلافٍ مِن الذَّرارىِّ

---

(١) أستأنى : أنتظر وأتربص . انظر النهاية ١/ ٧٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « من » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٨.

(٥) فى الأصل : « وفد » .

والنساءِ، ومِن الإبلِ والشاءِ ما لا يُدْرَى عِدَّتُه.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدَّثنى عمرُو بنُ شُعَيْبٍ - وفى روايةِ يونسَ بنِ بكيرٍ عنه قال[2]: حدثنا[3] عمرُو بنُ شعيبٍ - عن أبيه، عن جدِّه قال[2]: كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بحنينٍ، فلما أصاب مِن هَوازِنَ ما أصاب مِن أموالِهم وسَباياهم، أدْرَكه وفدُ هَوازِنَ بالجِعْرانةِ وقد أسْلَموا، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنا أصلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابنا مِن البلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فامْنُنْ علينا مَنَّ اللَّهُ عليك. وقام خَطيبُهم زُهيرُ بنُ صُرَدٍ أبو صُرَدٍ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ ما فى الحظائرِ مِن السبايا خالاتُك [4]وعماتُك[4] وحَواضنُك اللاتى كن يَكْفُلْنَك، ولو أنا مَلَحْنا[5] لابنِ أبى شَمِرٍ أو النعمانِ بنِ المنذرِ، ثم أصابنا منهما مثلُ الذى أصابنا منك، رجَوْنا عائدتَهما وعطفَهما، وأنت يا[6] رسولَ اللَّهِ خيرُ المكْفولين. ثم أنشأ يقولُ:

امْنُنْ علينا رسولَ اللَّهِ فى كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرْجوه وندَّخِرُ[7]

امنُنْ على بَيْضةٍ [8]قد عاقَها[8] قدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَملُها فى دَهْرِها غِيَرُ

أبْقَت [9]لها الحربُ[9] هُتَّافًا على حَزَنٍ ... على قلوبِهمُ الغَمَّاءُ والغَمَرُ[10]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤٨٨ - ٤٩٠، ٤٩٢. ولم يذكر ابن إسحاق - كما فى رواية البكائى عند ابن هشام - شعر زهير فى النبى ﷺ.

(٢) أخرجها البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٩٤، ١٩٥، من طريق يونس بن بكير، به.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة والدلائل.

(٥) فى الأصل: «منحنا». وملحنا: أرضعنا. شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٨.

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) فى م: «ننتظر».

(٨ - ٨) فى الأصل، ص: «أعناقها». وفى ا ٤: «أعتاقها».

(٩ - ٩) فى النسخ: «لنا الدهر». والمثبت من الدلائل.

(١٠) الغمر: الحقد والغل. الوسيط (غ م ر). =

إن لم تَدَارَكْهُمُ[1] نَعْماءُ تَنْشُرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْمًا حينَ يُخْتَبَرُ

امنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فوكَ تَمْلؤُه مِن مَحْضِها[2] الدِّرَرُ[3]

امنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... وإذْ يَزينُكَ ما تأتى وما تَذَرُ[4]

لا تَجْعَلَنَّا كمَن شالتْ نَعامَتُه[5] ... واسْتَبْقِ مِنا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ

إنا لَنَشْكُرُ آلاءً[6] وإن كُفِرت ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

[٣/ ١٧٥و] قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نساؤُكم وأبناؤُكم[7] أحَبُّ إليكم أم أموالُكم ؟ » فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، خيَّرْتَنا بينَ أحسابِنا وأموالِنا ، بل أبناؤُنا ونساؤُنا أحَبُّ إلينا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَّا ما كان لى ولبنى عبدِ المطلبِ فهو لكم ، وإذا أنا صلَّيْتُ بالناسِ فقوموا فقولوا : إنا نسْتَشْفِعُ برسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أبنائِنا ونسائِنا . فإنى سأُعْطيكم عندَ ذلك وأسْأَلُ لكم » . فلما صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ الظهرَ ، قاموا فقالوا ما أمَرهم به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَّا ما كان لى ولبنى عبدِ المطلبِ فهو لكم » . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسولِ اللَّهِ ﷺ . وقالت

= وبعده فى م :

يا خير طفل ومولود ومنتجب ... فى العالمين إذا ما حُصِّل البشر

وأشار محقق (م) إلى أنه زيادة من السهيلى . وعند السهيلى ٧/ ٢٨٠: « منتخب » بدلًا من « منتجب » .

(١) فى النسخ : « تداركها » . والمثبت من دلائل النبوة . وانظر الروض الأنف ٧/ ٢٨٠، وتاريخ الإسلام جزء المغازى ص ٦٠٧ .

(٢) فى م ، ص ، والدلائل : « مخضها » .

(٣) فى الأصل ، ا ٤، ص : « درر » .

(٤) هذا البيت ليس فى الدلائل .

(٥) شالت نعامتهم : إذا ماتوا وتفرقوا ، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية . والنعامة : الجماعة . اللسان (ش و ل) .

(٦) فى الأصل ، ا ٤، ص : « للنعمى » .

(٧) فى الأصل : « أولادكم » .

الأنصارُ : وما كان لنا فهو لرسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال الأقْرعُ بنُ حابسٍ : أمَّا أنا وبنو تميمٍ فلا . وقال عُيَينةُ : أمَّا أنا وبنو فَزارةَ فلا . وقال العباسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمىُّ : أما أنا وبنو سُلَيْمٍ فلا . [1] فقالت بنو سُلَيْمٍ : بل ما كان لنا فهو لرسولِ اللَّهِ ﷺ [1] . قال : يقولُ عباسُ بنُ مِرْداسٍ لبنى سُلَيْمٍ : وهَّنْتُمونى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أمْسَكَ منكم بحقِّه فله بكلِّ إنسانٍ ستُّ فَرائضَ [2] مِن أولِ فَيْءٍ نُصِيبُه » . فرَدوا إلى الناسِ نساءَهم وأبناءَهم . ثم ركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ واتَّبعه الناسُ يقولون : يا رسولَ اللَّهِ ، اقْسِمْ علينا فيئَنا . حتى اضطروه إلى شجرةٍ فانتَزَعت رِداءَه ، فقال : « يا أيها الناسُ ، رُدوا علىَّ ردائى ، فوالذى نفسى فى يدِه لو كان لكم عندى عددُ شجرِ تِهامةَ نَعَمًا لقسَمْتُه عليكم ، ثم [3] ما ألْفَيْتُمونى [3] بخيلًا ولا جبانًا ولا كذابًا » . ثم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جنبِ بعيرٍ فأخَذ مِن سَنامِه وَبَرةً فجعَلها بينَ أُصبُعيه [4] ثم رفَعها [4] وقال : « أيها الناسُ ، واللَّهِ ما لى مِن فيئِكم ولا هذه الوَبَرةُ إلا الخُمُسُ ، والخُمُسُ مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخياطَ والمِخْيَطَ ، فإنَّ الغُلولَ عارٌ ونارٌ وشَنارٌ على أهلِه يومَ القيامةِ » . فجاء رجلٌ مِن الأنصارِ بكُبَّةٍ مِن خُيوطِ شعرٍ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أخَذْتُ هذه لأَخِيطَ بها بَرْذَعةَ بعيرٍ لى دَبِرٍ [5] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَّا حقى منها فلك » . فقال الرجلُ : أما إذا بلَغ الأمرُ [6] فيها إلى هذا [6] فلا حاجةَ لى بها . فرمَى بها مِن يدِه . وهذا السياقُ يَقتَضِى أنه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الفرائض : جمع فريضة ؛ وهو البعير المأخوذ فى الزكاة ، سُمى فريضة ؛ لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتُّسع فيه حتى سُمى البعير فريضة فى غير الزكاة . النهاية ٣/ ٤٣٢ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ما لقيتمونى » ، وفى ا ٤ : « لا تجدونى » .

(٤ - ٤) زيادة من م ، والسيرة .

(٥) دبر : أصابه الدَّبَر ، والدَّبَر : الجرح الذى يكون فى ظهر البعير . النهاية ٢/ ٩٧ .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م ، ص : « فيها » . وفى السيرة والدلائل : « هذا » .

عليه الصلاةُ والسلامُ [٣/ ١٧٥ظ] ردَّ إليهم سبْيَهم قبلَ القِسْمةِ، كما ذهَب إليه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ، خلافًا لموسى بنِ عقبةَ وغيرِه[(١)].

وفى «صحيحِ البخاريِّ»[(٢)] مِن طريقِ الليثِ، عن عُقَيْلٍ، عن الزهريِّ، عن عروةَ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومَرْوانَ بنِ الحكَم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام حينَ جاءه وفدُ هَوازِنَ مسلمين، فسألوا أن [(٣)]يَرُدَّ إليهم[(٣)] أموالَهم ونساءَهم[(٤)]، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «معى مَن ترَوْن، وأَحَبُّ الحديثِ إلىَّ أصْدَقُه، فاخْتاروا إحدى الطائفتَيْن؛ إما السَّبْىَ، وإما المالَ، وقد كنتُ اسْتَأْنَيْتُ بكم». وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ انتَظَرهم بضعَ عشْرةَ ليلةً حينَ قفَل مِن الطائفِ، فلما تبيَّنَ لهم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم[(٥)] إلا إحِدى الطائفتين، قالوا: إنا نَخْتارُ سبْيَنا. فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المسلمين فأثْنَى على اللَّهِ بما هو أهلُه، ثم قال: «أما بعدُ، فإن إخوانَكم هؤلاء قد جاءونا[(٦)] تائبين، وإنى قد رأيْتُ أن أرُدَّ إليهم[(٧)] سبيَهم، فمَن أحَبَّ منكم[(٨)] أن يُطَيِّبَ ذلك فلْيَفْعلْ، ومَن أحَبَّ منكم أن يكونَ على حظِّه حتى نُعْطِيَه إيَّاه مِن أولِ ما[(٩)] يُفِيءُ اللَّهُ علينا فلْيَفْعلْ». فقال الناسُ: قد طيَّبْنا ذلك يا رسولَ اللَّهِ. فقال لهم: «إنا لا نَدرى مَن أذِن مِنكم [(١٠)]فى ذلك[(١٠)] مِمَّن لم

---

(١) انظر ما ذهب إليه موسى بن عقبة الذى أخرجه عنه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٩٠ - ١٩٢.

(٢) البخارى (٤٣١٨).

(٣ - ٣) فى ا ٤، ص: «يرد عليهم». وفى م: «ترد إليهم».

(٤) كذا فى النسخ، وفى صحيح البخارى: «سبيهم».

(٥) بعده فى الأصل، م، ص: «أموالهم».

(٦) فى م، ص: «جاءوا».

(٧) فى ص: «لهم».

(٨) زيادة من صحيح البخارى.

(٩) فى الأصل، م: «مال».

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، م.

يأْذَنْ ، فارْجِعوا حتى يَرْفَعَ إلينا عُرفاؤُكم أمْرَكم » . فرجَع[1] الناسُ ، فكلَّمهم عرفاؤُهم ، ثم رجعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبروه بأنهم قد طَيَّبوا وأذِنوا . فهذا ما بلَغنا عن سَبيِ هَوازِنَ[2] . ولم يتَعَرَّضِ البخاريُّ لمنعِ الأقْرعِ وعُيَيْنةَ وقومِهما ، بل سكَت عن ذلك ، والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النَّافى ، فكيف الساكتُ ؟!

وقد روَى البخاريُّ[3] مِن حديثِ الزهريِّ ، أخْبرنى عمرُ بنُ محمدِ بنِ جُبيرِ ابنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه ، أخْبَره جبيرُ بنُ مُطْعِمٍ أنه بينما هو مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعه الناسُ مَقْفَلَه مِن حنينٍ ، علِقتِ الأعْرابُ برسولِ اللَّهِ[4] ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ[5] فخطِفت رداءَه ، فوقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم قال : « أَعْطونى ردائى ، فلو كان عددُ هذه العِضاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُه بينَكم ، ثم لا تجدونى بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا » . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى أبو وَجْزةَ يزيدُ بنُ عُبَيْدٍ السَّعْدىُّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطَى علىَّ بنَ أبى طالبٍ جاريةً يقالُ لها : رَيْطَةُ بنتُ هِلالِ بنِ حَيَّانَ بنِ عُمَيْرةَ . وأعْطَى عثمانَ بنَ عفانَ جاريةً يقالُ لها : [٣/ ١٧٦و] زينبُ بنتُ حَيَّانَ بنِ عمرِو بنِ حَيَّانَ . وأعْطَى عمرَ جاريةً فوهَبها لابنِه[7] عبدِ اللَّهِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثنى نافعٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : بعَثْتُ بها إلى

---

(١) فى الأصل : « وفد » .
(٢) قائل هذه العبارة الزهرى . انظر فتح البارى ٨/ ٣٤.
(٣) البخارى (٢٨٢١، ٣١٤٨) .
(٤) فى ص : « رسول الله » .
(٥) فى م : « شجرة » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٠.
(٧) فى النسخ : « من ابنه » . والمثبت من السيرة .

أخوالى مِن بنى جُمَحَ ؛ ليُصْلِحوا لى منها ويُهَيِّئوها ، حتى أطوفَ بالبيتِ ثم آتيَهم ، وأنا أريدُ أن أُصيبَها إذا رجَعْتُ إليها . قال : فخرَجْتُ[1] مِن المسجدِ حينَ فرَغْتُ ، فإذا الناسُ يشْتَدُّون ، فقلتُ : ما شأنُكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ نساءَنا وأبناءَنا . قلت : تِلْكم صاحبتُكم فى بنى جُمَحَ ، فاذْهَبوا فخُذوها . فذهَبوا إليها فأخَذوها .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وأمَّا عُيَينةُ بنُ حصنٍ فأخَذ عجوزًا مِن عجائزِ هَوازِنَ ، وقال حينَ أخَذها : أرى عجوزًا إنى لأَحْسَبُ لها فى الحىِّ نسبًا ، [3]وعسى أن يَعْظُمَ فِداؤُها . فلما ردَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ السبايا بستِّ[3] فَرائضَ ، أبَى أن يَرُدَّها ، فقال له زُهَيْرُ بنُ صُرَدٍ : خُذْها عنك ، فواللَّهِ ما فُوها ببارِدٍ ، ولا ثَدْيُها بناهدٍ ، ولا بطنُها بوالدٍ ، ولا زوجُها بواجدٍ ، ولا دَرُّها بماكدٍ[4] . فردَّها بستِّ فَرائضَ . [5]قال : فَزعَموا أن عُيَيْنةَ لَقِىَ الأَقْرعَ فشكى إليه ذلك ، فقال[5] : إنَّك واللَّهِ ما أخذْتَها بيضاءَ غَرِيرةً ، ولا نَصَفًا وَثِيرةً[6] .

قال الواقدىُّ[7] : ولما قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ الغَنائمَ بالجِعْرانةِ أصاب كلَّ رجلٍ أربعٌ مِن الإبلِ وأربعون شاةً .

---

(١) فى الأصل ، م : « فجئت » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٩٠ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) بواجد : من الوجد ، وهو الحزن ؛ أى لا يحزن زوجها عليها ؛ لأنها عجوز كبيرة . والدَّر : اللبن . والماكد : الغزير . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٨.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٤، م .

(٦) الغريرة : الصغيرة الغافلة . والنَّصَف : المتوسطة من النساء فى السن . والوثيرة : الرطبة السمينة ؛ من قولك : فراش وثير إذا كان رطْبًا . المصدر السابق .

(٧) مغازى الواقدى ٣/ ٩٤٩.

وقال سَلَمةُ[1] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ أن رجلًا ممن شهِد حُنينًا قال : واللَّهِ إنى لَأسيرُ إلى جنبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على ناقةٍ لى ، وفى رِجْلى نعْلٌ غليظةٌ ، إذ زحَمَت ناقتى ناقةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويقَعُ حرفُ نعلى على ساقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأوْجَعه ، فقرَع قدمى بالسَّوْطِ ، وقال : « أوجَعْتَنى فتأَخَّرْ عنى » . فانصرَفْتُ ، فلما كان مِن[2] الغدِ إذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يلْتَمِسُنى . قال : قلتُ: هذا واللَّهِ لِما كنتُ أصَبْتُ مِن رِجْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالأمسِ .[3] قال : فجئتُه وأنا أتوَقَّعُ[4] . فقال : « إنك أصَبْتَ رِجْلى بالأمسِ[3] فأوْجَعْتَنى ، فقرَعتُ قدمَك بالسوطِ ، فدَعَوْتُك لأُعَوِّضَك منها » . فأَعْطانى ثمانين نَعْجةً بالضربةِ التى ضرَبنى .

والمقصودُ مِن هذا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ردَّ إلى هَوازِنَ سبْيَهم بعدَ القِسْمةِ ، كما دلَّ عليه هذا[5] السياقُ وغيرُه ، وظاهرُ سِياقِ حديثِ عمرِو بنِ شعيبٍ [6]الذى أوْرَده محمدُ بنُ إسحاقَ عنه[7] ، عن أبيه ، عن جدِّه[6] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ردَّ إلى هَوازِنَ سبْيَهم قبلَ القِسمةِ ، ولهذا لما ردَّ السَّبْىَ وركِب ، علِقتِ الأعْرابُ برسولِ اللَّهِ ﷺ يقولون له : اقْسِمْ علينا فَيْئَنا . حتى اضطروه إلى سَمُرةٍ ، فخطِفتْ رداءَه [٣/ ١٧٦ظ] فقال : « رُدُّوا علىَّ رِدائى أيها الناسُ ، فوالذى نفسى بيدِه لو كان لكم عددُ هذه العِضاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُه بينكم[8] ، ثم لا تجدونى بخيلًا

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٩٣، من طريق سلمة به . حوادث السنة الثامنة .
(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) أتوقع : أترقب .
(٥) سقط من : الأصل ، م .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل .
(٧) سقط من : م .
(٨) فى الأصل ، م : « فيكم » .

ولا جبانًا ولا كذابًا » . كما رواه البخاريُّ ، عن جبيرِ بنِ مُطْعِمٍ بنحوِه .

وكأنهم خَشُوا أن يَرُدَّ إلى هَوازِنَ أموالَهم كما رد إليهم نساءَهم وأطفالَهم ، فسألوه قِسْمةَ ذلك فقَسمها ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بالجِعْرانةِ كما أمَره اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وآثَر أُناسًا فى القِسْمةِ ، وتألَّف أقوامًا مِن رؤساءِ القبائلِ وأمرائِهم ، فعتَب[1] عليه أُناسٌ مِن الأنصارِ حتى خطَبهم ، وبيَّن لهم وجهَ الحكمةِ فيما فعَله ؛ تَطْييبًا لقلوبِهم ، وتنقَّد بعضُ مَن لا يعْلَمُ مِن الجَهَلَةِ والخوارِج ، كذى الخُوَيْصِرةِ وأشباهِه ، قبَّحه اللَّهُ ، كما سيأتى تفصيلُه وبيانُه فى الأحاديثِ الواردةِ فى ذلك ، وباللَّهِ المُسْتعانُ .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عارمٌ ، ثنا معتمرُ بنُ سليمانَ ، سمِعْتُ أبى يقولُ : ثنا السُّمَيْطُ السَّدوسيُّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : فتَحْنا مكةَ ، ثم إنَّا غزَوْنا حُنينًا ، فجاء المشركون بأحسنِ صفوفٍ رأيْتُ ، فصُفَّتِ الخيلُ ، ثم صُفَّتِ المُقاتِلةُ ، ثم صُفَّتِ النساءُ مِن وراءِ ذلك ، ثم صُفَّتِ الغنمُ ، ثم النَّعَمُ . قال : ونحن بشرٌ كثيرٌ ، قد بلَغْنا ستةَ آلافٍ ، وعلى مُجَنَّبةِ خيلِنا خالدُ بنُ الوليدِ . قال : فجعَلت خيلُنا تَلوذُ خلفَ ظهورِنا . قال : فلم نَلْبَثْ أن انكَشَف خيلُنا ، وفرَّت الأعْرابُ ومَن نَعْلَمُ[3] مِن الناسِ . قال : فنادَى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا لَلمهاجرين يا لَلمهاجرين ، يا لَلأنصارِ [4]يا لَلأنصارِ[4] » . قال أنسٌ : هذا حديثُ عَمِّيه[5] . قال :

---

(١) فى ص : « فعيب » .

(٢) المسند ٣/ ١٥٧، ١٥٨.

(٣) فى ص : « يعلم » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) قال النووى : ضبطت هذه اللفظة على أوجه ؛ أحدها : « عِمِّيَّة » ، قال القاضى : كذا روينا هذا الحرف عن عامة شيوخنا . قال : وفُسِّر بالشِّدة . والثانى : « عُمِّيَّة » . والثالث : « عَمِّيَهْ » أى حدثنى =

قلنا : لبيك يا رسولَ اللَّهِ . قال : وتقدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : وايمُ اللَّهِ ما أتَيْناهم حتى هزَمهم اللَّهُ . قال : فقبَضْنا ذلك المالَ ، ثم انطَلَقْنا إلى الطائفِ ، فحاصَرْناهم أربعين ليلةً ، ثم رجَعْنا إلى مكةَ . قال : فنزَلْنا ، فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِى الرجلَ المائةَ ، ويُعْطِى الرجلَ المائةَ[1] . قال : فتحَدَّث الأنصارُ بينَها : أمَّا مَن قاتَله فيُعْطِيه ، وأمَّا مَن لم يُقاتِلْه فلا يعطيه ! فرُفِع الحديثُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم أمَر بسَراةِ المهاجرين والأنصارِ أن يَدْخلوا عليه ، ثم قال : « لا يدْخُلَنَّ عليَّ إلا أنصاريٌّ » أو « الأنصارُ » . قال : فدخَلْنا القُبَّةَ حتى ملأْناها . قال نبيُّ اللَّهِ ﷺ : « يا معشرَ الأنصارِ » - أو كما قال - « ما حديثٌ أتانى ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « ما حديثٌ أتانى ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « ألا تَرْضَوْن أن يذْهَبَ الناسُ [٣/ ١٧٧و] بالأموالِ ، وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ حتى تُدْخِلوه بيوتَكم ؟ » قالوا : رضِينا يا رسولَ اللَّهِ . قال : فرضُوا . أو كما قال . وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ[2] . وفيه مِن الغريبِ قولُه : إنهم كانوا يومَ هَوازِنَ ستةَ آلافٍ . وإنما كانوا اثنَىْ عشَر ألفًا ، وقولُه : إنهم حاصَروا الطائفَ أربعين ليلةً . وإنما حاصَروها قريبًا مِن شهرٍ ، أو دون العشرِين ليلةً . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[3] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا هشامٌ ، ثنا مَعْمَرٌ ، عن

= به عمى . وقال القاضى : على هذا الوجه معناه عندى : جماعتى . قال صاحب « العين » : العم : الجماعة . قال القاضى : وهذا أشبه بالحديث . والوجه الرابع : « عَمُّيَّةٌ » وهو الذى ذكره الحميدي وفسره بعمومتى . أى هذا حديث فضل أعمامى . أو : هذا الحديث الذى حدثنى به أعمامى . كأنه حَدَّث بأول الحديث عن مشاهدة ، ثم لعله لم يضبط هذا الموضع ؛ لتفرق الناس ، فحدثه به من شهده من أعمامه أو جماعته الذين شهدوه ؛ ولهذا قال بعده . قال : قلنا : لبيك يا رسول اللَّه . انتهى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٥/٧ بتصرف .

(١) فى م : « المائتين » .

(٢) مسلم (١٣٦/ ١٠٥٩) .

(٣) البخارى (٤٣٣١) .

الزهريِّ ، حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ قال : قال ناسٌ مِن الأنصارِ ، حينَ أفاء اللَّهُ على رسولِه ما أفاء مِن أموالِ هَوازِنَ ، فطفِق النبيُّ ﷺ يُعْطِى رجالًا المائةَ مِن الإبلِ ، فقالوا : يغْفِرُ اللَّهُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ يُعْطِى قريشًا ويترُكُنا وسيوفُنا تَقْطُرُ مِن دمائِهم ؟ ! قال أنسُ بنُ مالكٍ : فحُدِّث رسولُ اللَّهِ ﷺ (١) بمقالتِهم ، فأرْسَل إلى الأنصارِ (١) فجمَعهم فى قُبَّةِ أَدَمٍ ، ولم يَدْعُ معهم غيرَهم ، فلما اجْتَمعوا قام النبيُّ ﷺ فقال : « ما حديثٌ بلَغنى عنكم ؟ » . فقال فقهاءُ الأنصارِ : أمّا رؤساؤُنا يا رسولَ اللَّهِ ، فلم يقولوا شيئًا ، وأما ناسٌ منا حديثةٌ أسْنانُهم فقالوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ يُعْطِى قريشًا ويترُكُنا ، وسيوفُنا تَقْطُرُ مِن دمائِهم . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فإنى لأُعْطِى رجالًا حديثى عهدٍ بكفرٍ أتألَّفُهم ، أمَا تَرْضَون أن يذْهَبَ الناسُ بالأموالِ ، وتذْهَبون بالنبيِّ إلى رحالِكم ؟ فواللَّهِ لَما تنْقَلِبون به خيرٌ مما ينْقَلِبون به » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد رَضِينا . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « فستَجِدون أَثَرةً شديدةً ، فاصْبِروا حتى تلْقَوُا اللَّهَ ورسولَه ، فإنى على الحوضِ » . قال أنسٌ : فلم يَصْبِروا . تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ ابنِ عونٍ (٢) ، عن هشامِ بنِ زيدٍ ، عن جدِّه أنسِ بنِ مالكٍ قال : لما كان يومُ حنينٍ الْتَقَى هَوازِنُ ، ومع النبيِّ ﷺ عشَرةُ آلافٍ والطُّلَقاءُ ، فأدْبَروا ، فقال : « يا معشرَ الأنصارِ » . قالوا : لبيك يا رسولَ اللَّهِ وسعْدَيْك ، لبيك نحن (٣) بينَ يديك . فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « أنا عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . فانهَزَم المشركون ، فأعْطَى الطُّلَقاءَ والمهاجرين ، ولم يُعْطِ الأنصارَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م ، ص : « عوف » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤. والحديث فى البخارى (٤٣٣٣) ، ومسلم (١٣٥/ ١٠٥٩) .

(٣) فى ص : « ونحن » .

شيئًا ، فقالوا ، فدعاهم فأدْخلهم فى قُبَّةٍ[1] ، فقال : « أما تَرْضَوْن أن يذْهَبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ ، وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ [٣/١٧٧ظ] عليه وسلَّم ؟ » . [2]قالوا : بلى[2] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو سلَك الناسُ واديًا وسلَكتِ الأنصارُ شِعْبًا لسلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ » . وفى روايةٍ للبخارىِّ مِن هذا الوجهِ قال[3] : لما كان يومُ حنينٍ أقبَلت هَوازِنُ وغَطَفانُ وغيرُهم بنَعَمِهم وذراريِّهم ، ومع رسولِ اللَّهِ ﷺ عشَرةُ آلافٍ والطُّلَقاءُ ، فأدْبَروا عنه حتى بقِىَ وحدَه ، فنادَى يومئذٍ نداءين لم يَخْلِطْ بينَهما ؛ التفت عن يمينِه فقال : « يا معشرَ الأنصارِ » . قالوا : لبيك يا رسولَ اللَّهِ ، أبْشِرْ نحن معك . ثم التفت عن يسارِه فقال : « يا معشرَ الأنصارِ » . قالوا : لبيك يا رسولَ اللَّهِ ، أبْشِرْ نحن معك . وهو على بغلةٍ بيضاءَ ، فنزَل فقال : « أنا عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . فانهَزم المشركون ، وأصاب يومئذٍ غنائمَ كثيرةً ، فقسَم بينَ المهاجرين والطُّلَقاءِ[4] ، ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئًا . فقالت الأنصارُ : إذا كانت شديدةٌ فنحن نُدْعَى ويُعْطَى الغنيمةَ غيرُنا . فبلَغه ذلك ، فجمَعهم فى قُبَّةٍ فقال : « يا معشرَ الأنصارِ ، ما حديثٌ بلَغنى ؟ » فسكَتوا ، فقال : « يا معشرَ الأنصارِ ، ألا ترْضَوْن أن يَذْهَبَ الناسُ بالدنيا ، وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ تَحوزونه إلى بيوتِكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلَك الناسُ واديًا وسلكت الأنصارُ شِعْبًا ، لسلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ » . قال هشامٌ : قلتُ : يا أبا حمزةَ ، وأنت شاهدٌ ذلك[5] ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟

---

(١) فى م : « قبته » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص .

(٣) البخارى (٤٣٣٧) .

(٤) سقط من : ا ٤، ص .

(٥) سقط من : ص .

ثم رَواه البخاريُّ ومسلمٌ أيضًا[1] مِن حديثِ شُعبةَ، عن قتادةَ، عن أنسٍ قال: جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ الأنصارَ فقال: «إن قريشًا حَديثو عهدٍ بجاهليةٍ ومُصِيبةٍ، وإنى أرَدْتُ أن أَجْبُرَهم وأتَأَلَّفَهم، أما تَرْضَون أن يَرْجِعَ الناسُ بالدنيا وترجِعون برسولِ اللَّهِ إلى بيوتِكم؟» قالوا: بلى. قال: «لو سلَك الناسُ واديًا وسلَكت الأنصارُ شِعْبًا لسلَكْتُ وادىَ الأنصارِ» أو «شِعْبَ الأنصارِ».

وأخْرجاه أيضًا مِن حديثِ شعبةَ، عن أبى التَّيَّاحِ يزيدَ بنِ حُمَيْدٍ، عن أنسٍ بنحوِه[2]، وفيه: فقالوا: واللَّهِ إن هذا لَهو العَجَبُ، إن سيوفَنا لَتَقْطُرُ مِن دمائِهم، والغَنائمُ تُقْسَمُ فيهم! فخطَبهم[3]. وذكَر نحوَ ما تقدم.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا عفانُ، ثنا حمادٌ، ثنا ثابتٌ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطَى أبا سفيانَ وعُيَيْنةَ والأقْرعَ وسُهَيلَ بنَ عمرٍو فى آخَرِين يومَ حنينٍ، [٣/١٧٨و] فقالت الأنصارُ: يا رسولَ اللَّهِ، سيوفُنا تَقْطُرُ مِن دمائِهم، وهم يذهَبون بالمَغْنَمِ؟ فبلَغ ذلك النبىَّ ﷺ، فجمَعهم فى قُبَّةٍ له حتى فاضت، فقال: «فيكم أحدٌ مِن غيرِكم؟» قالوا: لا، إلا ابنَ أختِنا. قال: «ابنُ أختِ[5] القومِ منهم». ثم قال: «أقلْتُم كذا وكذا؟» قالوا: نعم. قال: «أنتم الشِّعارُ والناسُ الدِّثارُ[6]، أما تَرْضَون أن يذهَبَ الناسُ بالشاءِ والبعيرِ وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ

---

(١) البخارى (٤٣٣٤)، ومسلم (١٣٣/ ١٠٥٩).
(٢) البخارى (٤٣٣٢)، ومسلم (١٣٤/ ١٠٥٩).
(٣) فى الأصل: «فخطب».
(٤) المسند ٣/ ٢٤٦.
(٥) فى الأصل: «الأخت».
(٦) أى؛ أنتم الخاصة والبطانة، والشعار: الثوب الذى يلى الجسد لأنه يلى شعره. والدثار: الثوب الذى فوق الشعار. النهاية ٢/ ٤٨٠.

ﷺ إلى ديارِكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « الأنصارُ كَرِشى وعَيْبتى ، لو سلَك الناسُ واديًا وسلَكت الأنصارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَهم ، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا مِن الأنصارِ » . وقال حمادٌ : أعْطَى مائةً مِن الإبلِ ، فسَمَّى[1] كلَّ واحدٍ مِن هؤلاء . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ ، وهو على شرطِ مسلمٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يا معشرَ الأنصارِ ، ألم آتِكم ضُلَّالًا فهداكم اللَّهُ بى ؟ ألم آتِكم مُتَفَرِّقين فجمَعكم اللَّهُ بى ؟ ألم آتِكم أعداءً فألَّف اللَّهُ بينَ قلوبِكم ؟ » قالوا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أفلا تقولون : جِئْتَنا خائفًا فأمَّنَّاك ، وطَرِيدًا فآوَيْناك ، ومَخْذولًا فنصَرْناك ؟ » قالوا : بل للَّهِ المَنُّ علينا ولرسولِه . وهذا إسنادٌ ثلاثىٌّ على شرطِ « الصحيحين »[3] ، فهذا الحديثُ كالمُتواتِرِ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، وقد رُوِىَ عن غيرِه مِن الصحابةِ ؛

فقال البخارىُّ[4] : ثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا عمرُو بنُ يحيى ، عن عَبَّادِ بنِ تَمِيمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زيدِ بنِ عاصمٍ قال : لما أفاء اللَّهُ على رسولِه ﷺ يومَ حنينٍ قسَم فى الناسِ فى المُؤَلَّفةِ قلوبُهم ، ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئًا ، فكأنهم وجَدوا فى أنفسِهم ، إذ لم يُصِبْهم ما أصاب الناسَ ، فخطبَهم فقال : « يا معشرَ الأنصارِ ، ألم أجِدْكم ضُلَّالًا فهداكم اللَّهُ بى ؟ وكنتم مُتَفَرِّقين فألَّفكم اللَّهُ بى ؟ وعالةً فأغْناكم اللَّهُ بى ؟ » كلما قال شيئًا قالوا : اللَّهُ ورسولُه أمَنُّ . قال : « لو شئْتُم

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند : « يسمى » .

(٢) المسند ٣/ ١٠٤، ١٠٥.

(٣) الحديث ليس على شرط الصحيحين ، بل هو على شرط مسلم ، حيث إن البخارى لم يخرج لابن أبى عدى عن حميد الطويل . انظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٥٧، ٢٤/ ٣٢٢.

(٤) البخارى (٤٣٣٠) .

قلتُم : جِئْتَنا كذا وكذا ، ألَا[1] تَرْضَون أن يذهَبَ الناسُ بالشاءِ والبعيرِ وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ إلى رِحالِكم ؟ لولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا مِن الأنصارِ ، ولو سلَك الناسُ واديًا وشِعْبًا ، لسلَكْتُ وادىَ الأنصارِ وشِعْبَها ، الأنصارُ شِعارٌ والناسُ دِثارٌ ، إنكم ستلْقَون بعدى أَثَرةً ، فاصْبِروا حتى تلْقَونى على الحوضِ » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ عمرِو بنِ يحيى المازنىِّ به[2] .

وقال [٣/ ١٧٨ظ] يونُسُ بنُ بكيرٍ[3] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عاصمُ ابنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، عن محمودِ بنِ لَبيدٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ قال : لما أصاب رسولُ اللَّهِ ﷺ الغَنائمَ يومَ حنينٍ ، وقسَم للمُتألِّفين مِن قريشٍ وسائرِ العربِ ما قسَم ، ولم يكُنْ فى الأنصارِ منها شىءٌ قليلٌ ولا كثيرٌ ، وجَد هذا الحىُّ مِن الأنصارِ فى أنفسِهم حتى قال قائلُهم : لقِىَ واللَّهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ قومَه . فمشَى سعدُ بنُ عُبادةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ هذا الحىَّ مِن الأنصارِ قد وجَدوا عليك فى أنفسِهم . فقال : « فيم ؟ » . قال : فيما كان مِن قَسْمِك هذه الغنائمَ فى قومِك وفى سائرِ العربِ ، ولم يكُنْ فيهم مِن ذلك شىءٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فأين أنت مِن ذلك يا سعدُ ؟ » قال : ما أنا إلا امرُؤٌ مِن قومى . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فاجْمَعْ لى قومَك فى هذه الحَظيرةِ ، فإذا اجْتَمعوا فأعْلِمْنى » . فخرَج سعدٌ ، فصرَخ فيهم ، فجمَعهم فى تلك الحَظيرةِ ، فجاء رجالٌ[4] مِن

---

(١) سقط من النسخ ، وصحيح البخارى طبعة الشعب . وفى م : « أما » . والمثبت من فتح البارى ، وصحيح مسلم .

(٢) مسلم (١٠٦١) .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/١٧٦ - ١٧٨ ، من طريق يونس بن بكير به .

(٤) فى النسخ : « رجل » . والمثبت من الدلائل .

المهاجرين ، فأذِن لهم[1] فدخَلوا ، وجاء آخرون فردَّهم[2] ، حتى إذا لم يَبْقَ مِن الأنصارِ أحدٌ إلا اجتمع له ، أتاه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد اجْتَمع لك هذا الحيُّ مِن الأنصارِ حيث أمَرْتَنى أن أجْمَعَهم . فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فقام فيهم خَطيبًا ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : « يا معشرَ الأنصارِ ، ألم آتِكم ضُلَّالًا فهداكم اللَّهُ ، وعَالةً فأغْناكم اللَّهُ ، وأعْداءً فألَّف اللَّهُ بينَ قلوبِكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا تُجيبوننى يا معشرَ الأنصارِ ؟ » قالوا : وما نقولُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ وبماذا نُجِيبُك ؟ المَنُّ للَّهِ ولرسولِه . قال : « أَمَا[3] واللَّهِ لو شِئْتُم لقلْتُم فصدَقْتُم وصُدِّقْتُم : جِئْتَنا طَريدًا فآوَيْناك ، وعائلًا فآسَيْناك ، وخائفًا فأمَّنَّاك ، ومَخْذولًا فنصَرْناك » . فقالوا : المَنُّ للَّهِ ولرسولِه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَجَدْتم فى نفوسِكم يا معشرَ الأنصارِ فى لُعاعةٍ[4] مِن الدنيا تألَّفْتُ بها قومًا أسْلَموا[5] ، ووكَلْتُكم إلى ما قسَم اللَّهُ لكم مِن الإسلامِ ؟! أفلا ترْضَوْن يا معشرَ الأنصارِ أن يذْهَبَ الناسُ إلى رِحالِهم بالشاءِ والبعيرِ وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ إلى رحالِكم ؟ فوالذى نفسى بيدِه لو أن الناسَ سلَكوا شِعْبًا وسلَكَت الأنصارُ شِعْبًا ، لسلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ ، ولولا الهجرةُ لكنت امرَءًا مِن الأنصارِ ، اللهم ارْحَمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ » . قال : [٣/ ١٧٩و] فبكَى القومُ حتى أَخْضَلوا لحاهم ، وقالوا : رَضِينا باللَّهِ[6] ورسولِه قَسْمًا . ثم انصَرف وتفرَّقوا . وهكذا رواه

---

(١) فى م : « له » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) زيادة من الدلائل .

(٤) اللعاعة : نبت ناعم فى أول ما ينبت ... يعنى أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء . النهاية ٤/ ٢٥٤.

(٥) فى الدلائل : « ليُسْلموا » .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « ربا » .

الإمامُ أحمدُ مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ[1] ، ولم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوجهِ ، وهو صحيحٌ .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن يحيى بنِ بُكيرٍ ، عن الفضلِ بنِ مَرْزوقٍ ، عن عطيةَ بنِ سعدٍ العَوْفيِّ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ : قال رجلٌ مِن الأنصارِ لأصحابِه : أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أُحَدِّثُكم أنه لو قد استقامت الأمورُ قد آثَر عليكم . قال : فرَدُّوا عليه ردًّا عنيفًا . فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فجاءهم ، فقال لهم أشياءَ لا أحفَظُها ، قالوا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « وكنتم لا ترْكَبون الخيلَ » . وكلما قال لهم شيئًا قالوا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . ثم ذكَر بقيةَ الخُطْبةِ كما تقَدَّم . تفرَّد به أحمدُ أيضًا . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ منفردًا به مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ بنحوِه[3] . ورَواه أحمدُ أيضًا عن موسى[4] ، عن ابنِ لَهيعةَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ مختصرًا[5] .

وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن عمرَ بنِ سعيدِ بنِ مَسْروقٍ ، عن أبيه ، عن عَبَايةَ [6]ابنِ رِفاعةَ[6] بنِ رافعِ بنِ خَدِيجٍ ، [6]عن جَدِّه رافعِ بنِ خَدِيجٍ[6] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطَى المؤَلَّفةَ قلوبُهم مِن سبْيِ حنينٍ مائةً مِن الإبلِ ، فأعْطَى أبا سفيانَ بنَ حربٍ مائةً ، وأعْطَى صفوانَ بنَ أميةَ مائةً ، [7]وأعْطَى عُيَينةَ بنَ حصنٍ مائةً ،[7]

---

(١) المسند ٣/ ٧٦، ٧٧.

(٢) المسند ٣/ ٨٩.

(٣) المسند ٣/ ٥٧.

(٤) بعده فى الأصل، م: « بن عقبة » . وهو خطأ، والصحيح: « موسى بن داود » . انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٥٧، ٥٨.

(٥) المسند ٣/ ٣٤٧.

(٦ - ٦) سقط من: ص.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

[1] وأعْطَى الأقْرعَ بنَ حابسٍ مائةً ، وأعْطَى علقمةَ بنَ عُلَاثةَ مائةً[1] ، وأعطى مالكَ ابنَ عوفٍ مائةً ، وأعْطَى العباسَ بنَ مِرْداسٍ دون المائةِ ، ولم يبْلُغْ به أولئك ، فأنْشَأ يقولُ :

أتَجْعَلُ نَهْبى ونَهْبَ العُبَيْـ ... ـدِ[2] بيـنَ عُيَيْنةَ والأقْرَعِ
فما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ ... يَفُوقان مِرْداسَ فى المجْمَعِ
وما كنتُ دونَ امرِئٍ منهما[3] ... ومَن تَخْفِضِ[4] اليومَ لا يُرْفَعِ
وقد كنتُ فى الحربِ ذا تُدْرَأٍ[5] ... فلم أُعْطَ شيئًا ولم أُمْنَعِ

قال : فأتَمَّ له رسولُ اللَّهِ ﷺ مائةً . رواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ عُيَيْنةَ بنحوِه[6] ، وهذا لفظُ البيهقىِّ[7] . وفى روايةٍ[8] ذكَرها موسى بنُ عقبةَ وعروةُ بنُ الزبيرِ وابنُ إسحاقَ[9] : فقال :

كانت نِهابًا تَلافَيْتُها[10] ... بِكَرِّى على المُهْرِ فى الأجْرَعِ[11]
وإيقاظِىَ الحىَّ[12] أن يَرْقُدوا ... إذا هجَع الناسُ لم أَهْجَعِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس . شرح غريب السيرة ٣/١٣٠ . وسيذكره المصنف فى الصفحة القادمة .
(٣) فى ص : « منهم » .
(٤) فى الأصل ، ص : « يخفض » . وفى الدلائل : « تضع » .
(٥) التُدْرَأ : الحفاظ والمنعة والقوة . الوسيط (درأ) .
(٦) مسلم (١٣٧/ ١٠٦٠) .
(٧) دلائل البيهقى ٥/ ١٧٨، ١٧٩.
(٨) بعده فى الأصل ، ص : « و » .
(٩) أخرج البيهقى بإسناده فى دلائل النبوة ٥/١٧٩ - ١٨٢ روايتى موسى بن عقبة وعروة بن الزبير . ورواية ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٣، ٤٩٤.
(١٠) فى هذا الشطر خرم .
(١١) الأجرع : المكان السهل . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٩، ١٣٠.
(١٢) فى الدلائل ، والسيرة : « القوم » .

فأصْبَح نَهْبى ونهْبُ العُبَيْـ ... ـدِ بيـنَ عُـيَـيْنةَ والأقْـرعِ

[٣/ ١٧٩ظ] وقد كنتُ فى الحربِ ذا تُدْرَإٍ ... فلـم أُعْـطَ شيـئًا ولم أُمْنَـعِ

إلَّا أفـائِـلَ[١] أُعْـطِـيـتُـهـا[٢] ... عَـديـدَ قـوائِـمِـهـا الأرْبـعِ

وما كان حصنٌ[٣] ولا حابسٌ ... يَفُوقانِ مِرْداسَ[٤] فى المجْمَعِ

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ... ومَن تضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال عروةُ، وموسى بنُ عقبةَ عن الزهرىِّ[٥]: فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال له: «أنت القائلُ: أصْبَح نَهْبى ونَهْبُ العُبَيْدِ بينَ الأقرعِ وعُيَينةَ؟» فقال أبو بكرٍ: ما هكذا قال يارسولَ اللَّهِ، ولكن واللَّهِ ما كنتَ بشاعرٍ وما ينْبَغى [٦]لك. فقال: «كيف قال؟». فأنْشَده أبو بكرٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هما سواءٌ، ما[٦] يضُرُّك بأيِّهما بدَأْتَ». ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْطَعوا عنى لِسانَه». فخَشِىَ بعضُ الناسِ أن يكونَ أراد المُثْلَةَ به، وإنما أراد النبىُّ ﷺ العطيةَ. قال: وعُبَيْدٌ فرسُه.

وقال البخارىُّ[٧]: حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ، ثنا أبو[٨] أسامةَ، عن بُرَيْدِ[٩] بنِ عبدِ اللَّهِ، عن أبى بُرْدَةَ، عن أبى موسى قال: كنتُ عندَ النبىِّ ﷺ، وهو نازلٌ بالجِعْرانةِ بينَ مكةَ والمدينةِ ومعه بلالٌ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْرابىٌّ فقال: ألا

---

(١) أفائل: جمع أفيل، وهى الصغار من الإبل. شرح غريب السيرة ٣/١٣٠.

(٢) فى هذا الشطر خرم.

(٣) فى الأصل، ص: «بدر».

(٤) فى الدلائل، والسيرة: «شيخي».

(٥) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة، وليس فى الدلائل «عن الزهرى».

(٦ - ٦) سقط من: ص.

(٧) البخارى (٤٣٢٨).

(٨) سقط من: الأصل، م.

(٩) فى م، ص: «يزيد».

تُنْجِزُ لى ما وعَدْتَنى ؟ فقال له : « أَبْشِرْ » . فقال : قد أَكْثَرْتَ علىَّ مِن أَبْشِرْ . فأَقْبَل على أبى موسى وبلالٍ كهيئةِ الغَضْبانِ فقال : « رَدَّ البُشْرَى فاقْبَلا أنتما » . [1] قالا : قبلنا [1] . ثم دَعا بقَدَحٍ فيه ماءٌ ، فغسَل يديه ووجهَه فيه [2] ومَجَّ فيه ، ثم قال : « اشْرَبا منه وأَفْرِغا على وجوهِكما ونُحورِكما وأَبْشِرا » . فأَخَذا القَدَحَ ففعَلا [3] ، فنادَت أمُّ سَلَمةَ مِن وراءِ السِّتْرِ أن أَفْضِلا لأُمِّكما . فأَفْضَلا لها منه طائفةً . هكذا رواه .

وقال البخاريُّ [4] : حدَّثنا يحيى بنُ بكيرٍ ، ثنا مالكٌ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كنتُ أمْشى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانىٌّ غَليظُ الحاشيةِ ، فأَدْرَكه أعرابىٌّ ، فجذَبه جَذْبةً شديدةً ، حتى نظَرْتُ إلى صفحةِ عاتقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد أثَّرَت به حاشيةُ الرِّداءِ مِن شدةِ جَذْبتِه ، ثم [5] قال : مُرْ لى مِن مالِ اللَّهِ الذى عندَك . [٣/ ١٨٠و] فالتفت إليه فضحِك ثم أمَر له بعَطاءٍ .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ [6] الذين أعْطاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ مائةً مِن الإبلِ ، وهم ؛ أبو سفيانَ صخرُ بنُ حربٍ ، وابنُه مُعاويةُ ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ ، والحارثُ بنُ كَلَدَةَ أخو بنى عبدِ الدارِ ، وعلقمةُ بنُ عُلاثةَ ، والعَلاءُ بنُ جاريةَ [7] الثَّقَفىُّ حليفُ بنى زُهْرةَ ، والحارثُ بنُ هشامٍ ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ ، ومالكُ بنُ عوفٍ النَّصْرىُّ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣) سقط من : ص .
(٤) البخارى (٣١٤٩) .
(٥) سقط من : الأصل ، م .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٢، ٤٩٣.
(٧) فى الأصل ، م : « حارثة » . وكذا فى أسد الغابة ٤/ ٧٣، ٧٤ وقال : وقال أبو أحمد العسكرى : العلاء بن جارية ، وبعضهم يقول : خارجة . وفى الاستيعاب ٣/ ١٠٨٥، والإصابة ٤/ ٥٤٠: « جارية » .

وسُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، وحُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى ، وعُيَيْنةُ بنُ حصنٍ ، وصفوانُ بنُ أميةَ ، والأقْرعُ بنُ حابسٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمىُّ ، أن قائلًا قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أصحابِه : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطَيْتَ عُيَينةَ والأقْرعَ مائةً مائةً ، وترَكْتَ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ الضَّمْرىَّ ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لَجُعَيْلٌ خيرٌ مِن طِلاعِ الأرضِ كلُّهم مثلُ عُيَينةَ والأقْرعِ ، ولكن تألَّفْتُهما ليُسْلِما ، ووكَلْتُ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ إلى إسلامِه » .

ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ[2] مَن أعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ دونَ المائةِ ممن يطولُ ذِكْرُه .

وفى الحديثِ الصحيحِ عن صفوانَ بنِ أميةَ أنه قال : مازال رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطينى مِن غَنائمِ حنينٍ وهو أبغضُ الخلقِ إلىَّ ، حتى ما خلَق اللَّهُ شيئًا أحبَّ إلىَّ منه[3] .

ذكرُ[4] قدومِ مالكِ بنِ عوفٍ النَّصْرىّ على الرسولِ ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لوفدِ هَوازِنَ وسألَهم عن مالكِ بنِ عوفٍ « ما فعَل ؟ » فقالوا : هو بالطائفِ مع ثَقيفٍ . فقال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٦.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٩٣.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٣) ، والترمذى (٦٦٦) .

(٤) سقط من : ا ٤، م .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩١.

« أخْبِروه أنه إن أتانى مسلمًا ردَدْتُ إليه أهلَه ومالَه وأعْطَيْتُه مائةً مِن الإبلِ » . فلمَّا بلَغ ذلك مالكًا انسَلَّ مِن ثقيفٍ ، حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بالجِعْرانةِ - أو بمكةَ - فأسْلَم وحسُنَ إسلامُه ، فردَّ عليه أهلَه ومالَه ، وأعطاه مائةً [1] مِن الإبلِ [1] ، فقال مالكُ بنُ عوفٍ ، رضِى اللَّهُ عنه :

ما إن رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ بمثلِه ... فى الناسِ كلِّهِمُ بمثلِ محمدِ
أوْفَى وأعْطَى للجَزيلِ إذا اجْتُدِى [2] ... ومتى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عمَّا فى غَدِ
وإذا الكتيبةُ عرَّدَتْ أنيابُها ... بالسَّمْهَرِىِّ وضَرْبِ كلِّ مُهَنَّدِ [3]
[٣/ ١٨٠ظ] فكأنه ليثٌ على أشْبالِه ... وسْطَ الهَباءةِ خادرٌ فى مَرْصَدِ [4]

قال : واستَعْمله رسولُ اللَّهِ ﷺ على مَن أسْلَم مِن قومِه ، وتلك القبائلُ ؛ ثُمالةُ وسَلِمةُ وفَهْمٌ ، فكان يُقاتِلُ بهم ثقيفًا لا يَخْرُجُ لهم سَرْحٌ [5] إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم .

وقال البخارىُّ [6] : ثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا جريرُ بنُ حازمٍ ، ثنا الحسنُ ، حدَّثنى عمرُو بنُ تَغْلِبَ ، رضى اللَّه عنه ، قال : أعْطَى رسولُ اللَّهِ ﷺ قومًا ومنَع آخرِين ، فكأنهم عتَبوا عليه ، فقال : « إنى أُعْطِى قومًا أخافُ ظَلَعَهم [7] وجَزَعَهم ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٤ ، م .
(٢) اجتدى أى ؛ طلب منه ، والجدا : العطية . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٩ .
(٣) عرَّدَت : اعوجَّتْ . والسمهرى : الرماح . شرح غريب السيرة ١٢٩/٣ .
(٤) الهباءة : الغُبرة . والخادر : الداخل فى خِدْره ، والخدر هنا : غابة الأسد . والمرصد : الموضع الذى يرصد منه ويرقب . شرح غريب السيرة ٣/ ١٢٩ .
(٥) السرح : الماشية . اللسان (س ر ح) .
(٦) البخارى (٣١٤٥) .
(٧) فى م ، ص : « هلعهم » . وظلعهم أى ؛ اعوجاجهم ، وأصل الظلع الميل ، وأطلق هنا على مرض القلب وضعف اليقين . فتح البارى ٦/ ٢٥٣ .

وأَكِلُ قومًا إلى ما جعَل اللَّهُ فى قلوبِهم مِن الخيرِ والغِنى ، منهم عمرُو بنُ تَغْلِبَ » .
قال عمرٌو : فما أُحِبُّ أن لى بكلمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَم . زاد أبو عاصمٍ ، عن جريرٍ ، سمِعْتُ الحسنَ ، ثنا عمرُو بنُ تَغْلِبَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِىَ بمالٍ - أو سَبْيٍ - [1] فقَسَمه ... بهذا[2] .

وفى روايةٍ للبخارىِّ قال[3] : أُتِىَ رسولُ اللَّهِ بمالٍ - أو[1] بشىءٍ - فأَعْطى رجالًا وترَك رجالًا ، فبلَغه أن الذين ترَك عتَبوا ، فخطَبهم فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : « أما بعدُ » . فذكَر مثلَه سواءً . تفرَّد به البخارىُّ .

وقد ذكَر ابنُ هشامٍ أن حسانَ بنَ ثابتٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، قال فيما كان مِن أمرِ الأنصارِ وتأَخُّرِهم عن الغنيمةِ[4] :

[5] زادَتْ هُمومٌ[5] فماءُ العينِ مُنْحَدِرُ ... سَحًّا إذا حَفَلَتْه عَبْرَةٌ دِرَرُ[6]
وَجْدًا بشَمَّاءَ إذ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفاءُ لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَرُ[7]
دَعْ عنك شَمَّاءَ إذ كانت مَوَدَّتُها ... نَزْرًا وشَرٌّ وِصالِ الواصلِ النَّزِرُ
وأْتِ الرسولَ فقل يا خيرَ مُؤْتَمَنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّد البَشَرُ
علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وهْى نازحةٌ[8] ... قُدَّامَ قومٍ همُ آوَوْا وهمْ نصَروا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٤١ .
(٢) أى بهذا المتن السابق .
(٣) البخارى (٩٢٣) .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٧، ٤٩٨، وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٠٦، ٢٠٧.
(٥ - ٥) فى م : « ذر الهموم » ، وفى ص : « ذار الهموم » ، وسقط البيت من : الأصل ، ١ ٤. والمثبت من السيرة .
(٦) السح : الصب . وحفلته : جمعته . ودرر : سائلة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٠، ١٣١.
(٧) فى الأصل : « سرر » . وشماء : اسم امرأة . وبهكنة : كثيرة اللحم . وهيفاء : ضامرة الخصر . وذنن : قذر ، ومنه الذنين ، وهو ما يسيل من الأنف . المصدر السابق ٣/ ١٣١.
(٨) فى ص : « بارحة » . ونازحة : بعيدة . المصدر السابق .

سمَّاهُمُ اللَّهُ أنصارًا بنصرِهِمُ ... دينَ الهُدَى وعَوانُ الحربِ تَسْتَعِرُ[1]

وسارَعوا فى سبيلِ اللَّهِ واعْتَرَفوا[2] ... للنائباتِ وما خانوا[3] وما ضَجِروا

والناسُ أَلْبٌ علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوفَ وأطرافَ القَنا وَزَرُ[4]

نُجالِدُ الناسَ لا نُبْقِى على أحدٍ ... ولا نُضَيِّعُ ما تُوحِى به السُّوَرُ

ولا تُهِرُّ[5] جُناةُ الحربِ نادِيَنا[6] ... ونحن حينَ تَلَظَّى نارُها سُعُرُ[7]

كما ردَدْنا ببدرٍ دونَ ما طلَبوا ... أهلَ النِّفاقِ وفينا يَنْزِلُ الظَّفَرُ

[٣/ ١٨١و] ونحن جندُك يومَ النَّعْفِ[8] مِن أُحُدٍ ... إذ حزَّبَتْ بَطَرًا أحْزابَها مُضَرُ

فما وَنَيْنا وما خِمْنا وما خَبَروا ... منَّا عِثارًا وكلُّ الناسِ قد عثَروا

اعتراضُ بعضِ [9]الجهلةِ مِن أهلِ الشِّقاقِ والنِّفاقِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى القسمةِ العادلةِ بالاتفاقِ[9]

قال البخاريُّ[10] : ثنا قَبِيصةُ ، ثنا سفيانُ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى وائلٍ ، عن

---

(١) الحرب العوان : هى التى قوتل فيها مرة بعد مرة . شرح غريب السيرة ١٣١/٣ .

(٢) فى الأصل ، م : « اعترضوا » . واعترفوا : صبروا . المصدر السابق .

(٣) كذا فى النسخ : وفى السيرة : « خاموا » . وخاموا : جبنوا . المصدر السابق .

(٤) ألب : مجتمعون . والوزر : الملجأ . المصدر السابق .

(٥) تهر : تكره . المصدر السابق .

(٦) فى الأصل : « حومتنا » . وفى ص : « بأيدينا » .

(٧) سعر : نوقد الحرب ونشعلها . المصدر السابق .

(٨) النعف : أسفل الجبل . المصدر السابق .

(٩ - ٩) فى م : « أهل الشقاق على الرسول » .

(١٠) البخارى (٤٣٣٥) .

عبدِ اللَّهِ قال : لما قسَم النبيُّ ﷺ قِسْمةَ حنينٍ قال رجلٌ مِن الأنصارِ : ما أراد بها وجهَ اللَّهِ . قال : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرْتُه ، فتغيَّر وجهُه ، ثم قال : « رحمةُ اللَّهِ على موسى ، قد أُوذِىَ بأكثرَ مِن هذا فصبرَ » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ الأعمشِ به[1] .

ثم قال البخاريُّ[2] : ثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : لما كان يومُ حنينٍ آثَر النبيُّ ﷺ ناسًا ؛ أعْطَى الأقْرعَ بنَ حابسٍ مائةً مِن الإبلِ ، وأعْطَى عُيَينةَ مثلَ ذلك ، وأعطى ناسًا ، فقال رجلٌ : ما أُريدَ بهذه القِسْمةِ وجهُ اللَّهِ . فقلتُ : لأُخْبِرَنَّ النبيَّ ﷺ[3] . قال : « رحِم اللَّهُ موسى ، قد أُوذِىَ بأكثرَ مِن هذا فصبرَ » . وهكذا رواه[4] مِن حديثِ منصورِ ابنِ[5] المُعْتَمِرِ به .

وفى روايةٍ للبخاريِّ[6] : فقال رجلٌ : واللَّهِ إن هذه لَقِسْمةٌ ما عُدِل فيها ، وما أُرِيدَ فيها وجهُ اللَّهِ . فقلتُ : واللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فأتَيْتُه فأخْبَرْتُه ، فقال : « مَن يَعْدِلُ إذا لم يَعْدِلِ اللَّهُ ورسولُه ؟! رحِم اللَّهُ موسى ، قد أُوذِىَ بأكثرَ مِن هذا فصبرَ » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[7] : وحدَّثنى أبو عُبَيْدةَ بنُ محمدِ بنِ عمارِ بنِ ياسرٍ ،

---

(١) مسلم (١٤١/ ١٠٦٢) .

(٢) البخارى (٤٣٣٦) .

(٣) بعده فى م : « فأخبرته » .

(٤) لعله سقطت كلمة « مسلم » من كلام المصنف ، فلعل الضمير عائد إلى مسلم ، كعادة المصنف فى ذكر المتابعات على البخارى . والحديث فى صحيح مسلم (١٤٠/ ١٠٦٢) .

(٥) فى الأصل ، م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٤٦.

(٦) البخارى (٣١٥٠) .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٦، ٤٩٧.

عن مِقْسَمٍ أبى القاسمِ مولى عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ قال : خرَجْتُ أنا وتَلِيدُ ابنُ كِلابٍ الليثىُّ ، حتى أتَيْنا عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ وهو يطوفُ بالبيتِ مُعَلِّقًا نعلَه بيدِه ، فقُلْنا له : هل حضَرْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ كلَّمه التَّميمىُّ يومَ حنينٍ ؟ قال : نعم ، جاء رجلٌ مِن بنى تميمٍ يقالُ له : ذو الخُوَيْصِرةِ . فوقَف عليه وهو يُعْطِى الناسَ ، فقال له : يا محمدُ ، قد رأَيْتُ ما صنَعْتَ فى هذا اليومِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أجل ، فكيف رأيْتَ ؟ » قال : لم أرَك عدَلْتَ . قال : فغضِب النبىُّ ﷺ فقال : « ويحَك ! إذا لم يكنِ العدلُ عندى فعندَ مَن [٣/ ١٨١ظ] يكونُ ؟ ! » فقال عمرُ بنُ الخطابِ : (١) يا رسولَ اللَّهِ (١) ، (٢) ألا نقْتُلُه ؟ فقال : « لا ، دَعُوه (٢) فإنه سيكونُ له شِيعةٌ يتَعَمَّقون فى الدينِ حتى يَخْرُجوا منه كما يَخْرُجُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ فى النَّصْلِ فلا يُوجَدُ شىءٌ ، ثم فى القِدْحِ فلا يُوجَدُ شىءٌ ، ثم فى الفُوقِ فلا يُوجدُ شىءٌ ، سبَق الفَرْثَ والدمَ (٣) » .

وقال الليثُ بنُ سعدٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : أتَى رجلٌ بالجِعْرانةِ النبىَّ ﷺ مُنْصَرَفَه مِن حنينٍ ، وفى ثوبِ بلالٍ فضةٌ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبِضُ منها ويُعْطِى الناسَ ، فقال : يا محمدُ ، اعْدِلْ . قال :

(١ - ١) سقط من : ا ٤، م ، ص .

(٢ - ٢) كذا بالنسخ ، وفى السيرة : « ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دعه » .

(٣) الرمية : بوزن فعيلة بمعنى مفعولة ، وهو الصيد المرمِى . والقدح : السهم قبل أن يُنَصَّل ويُراش . والفوقة : موضع الوتر من السهم . وسبق الفرث والدم : أى جاوزهما ولم يتعلق فيه منهما شىء ، بل خرجا بعده . فتح البارى ٦/ ٦١٨، ١٢/ ٢٩٠، ٢٩٤، واللسان (ق د ح) .

وقال الحافظ فى الفتح ١٢/ ٢٩٤: أى يخرجون من الإسلام بغتة ، كخروج السهم إذا رماه رام قوى الساعد فأصاب ما رماه ، فنفذ منه بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا بشىء منه من المرمِىّ شىء ، فإذا التمس الرامى سهمه وجده ولم يجد الذى رماه ، فينظر فى السهم ليعرف هل أصاب أو أخطأ ، فإذا لم يره علق فيه شىء من الدم ولا غيره ظن أنه لم يصبه ، والفرض أنه أصابه .

« ويلَك ! ومَن يَعْدِلُ إذا لم أكنْ أعْدِلُ ؟! لقد خِبْت وخَسِرْت[1] إذا لم أكنْ أعْدِلُ » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : دعْنى يا رسولَ اللَّهِ فأقْتُلَ هذا المنافقَ . فقال : « مَعاذَ اللَّهِ أن يَتَحَدَّثَ الناسُ أنى أقْتُلُ أصحابى ، إن هذا وأصحابَه يَقْرَءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ[2] حَناجرَهم ، يَمْرُقون منه كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرمِيَّةِ » . رواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ رُمْحٍ ، عن الليثِ[3] .

وقال أحمدُ[4] : ثنا أبو عامرٍ ، ثنا قُرَّةُ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرٍ قال : بينما رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ مَغانمَ حنينٍ ، إذ قام إليه رجلٌ فقال : اعْدِلْ . فقال : « لقد شقِيتُ إن[5] لم أعْدِلْ » . ورواه البخاريُّ ، عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، عن قُرَّةَ ابنِ خالدٍ السَّدوسيِّ به[6] .

وفى « الصحيحين »[7] مِن حديثِ الزهريِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : بينما نحن عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا إذ أتاه ذو الخُوَيْصِرةِ رجلٌ مِن بنى تميمٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، اعْدِلْ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ويلَك ! ومَن يَعْدِلُ إذا لم أعْدِلْ ؟! لقد خِبْت وخَسِرْت إن لم أعْدِلْ[8] » فقال عمرُ بنُ

---

(١) رُوِىَ بفتح التاء فى : « خبت وحسرت » وبضمهما فيهما ، ومعنى الضم ظاهر ، وتقدير الفتح : خبت أنت أيها التابع إذا كنتُ لا أعدل ؛ لكونك تابعا ومقتديا بمن لا يعدل . والفتح أشهر ، والله أعلم . صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ١٥٩.

(٢) فى الأصل ، م : « يتجاوز » .

(٣) مسلم (١٠٦٣) .

(٤) المسند ٣/ ٣٣٢.

(٥) فى الأصل ، م : « إذ » . وحكى الحافظ فى الفتح ٦/٢٤٣ الكلام فى ضبط التاء .

(٦) البخارى (٣١٣٨) .

(٧) البخارى (٣٦١٠) ، ومسلم (١٤٨/ ١٠٦٤) .

(٨) بعده فى النسخ : « فمن يعدل » . وليس فى الصحيحين .

الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لى فيه فأضْرِبَ عنقَه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْه فإن له أصحابًا يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم ، وصيامَه مع صيامِهم ، يقْرَءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقيَهم ، يمْرُقون مِن الإسلامِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرميةِ ، يُنْظَرُ إلى نَصْلِه فلا يوجدُ فيه شىءٌ ، ثُم يُنْظَرُ[1] إلى رِصافِه[2] فلا يوجدُ فيه شىءٌ ، ثُم يُنْظَرُ إلى نَضِيِّه[3] - وهو قِدْحُه - فلا يوجدُ فيه شىءٌ ، ثم يُنْظَرُ إلى قُذَذِه[4] فلا يوجدُ فيه شىءٌ ، قد سبَق الفَرْثَ والدمَ ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدى عَضُدَيه مثلُ ثَدْيِ المرأةِ ، أو مثلُ [٣/ ١٨٢و] البَضْعةِ تَدَرْدَرُ[5] ، ويَخْرُجون على حينِ فُرْقةٍ مِن الناسِ » . قال أبو سعيدٍ : فأشْهَدُ أنى سمِعْتُ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأشْهَدُ أن علىَّ بنَ أبى طالبٍ قاتَلهم وأنا معه ، وأمَر بذلك الرجلِ فالْتُمِس فأُتِىَ به ، حتى نظَرْتُ إليه على نَعْتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى نعَتَ . ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفَضْلِ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ به نحوَه[6] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) رصافه : أى عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل . فتح البارى ٦/ ٦١٨ .

(٣) فى الأصل ، م : « نصبه » ، وفى ص : « قضيه » .

(٤) القذذ : جمع قُذَّة ؛ وهى ريش السهم . المصدر السابق ٦/ ٦١٩ .

(٥) البضعة : قطعة اللحم . وتدردر : تضطرب ، والدردرة : صوت إذا اندفع سمع له اختلاط . المصدر السابق .

(٦) مسلم (١٥٠/ ١٠٦٥) ، مختصرًا .

ذِكْرُ[1] مجيءِ أختِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الرَّضاعةِ، إليه[2] وهو بالجِعْرانَةِ،[3] واسمُها الشَّيماءُ[3]

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وحدَّثنى بعضُ بنى سعدِ بنِ بكرٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ هَوازِنَ : «إن قدَرْتُم على بِجادٍ[5] - رجلٍ مِن بنى سعدِ بنِ بكرٍ - فلا يُفْلِتَنَّكم» . وكان قد أَحْدَث حدَثًا ، فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهلَه ، وساقوا معه الشيماءَ بنتَ الحارثِ بنِ عبدِ العُزَّى ، أختَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الرَّضاعةِ ، قال : فعَنُفوا عليها فى السَّوقِ ، فقالت للمسلمين : تَعَلَّموا[6] واللَّهِ إنى لَأُخْتُ صاحِبِكم مِن الرَّضاعةِ . فلم يُصَدِّقوها حتى أتَوْا بها رسولَ اللَّهِ ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فحدَّثنى يزيدُ بنُ عُبَيْدٍ السَّعْدىُّ - هو أبو وَجْزةَ - قال : فلما انْتُهِىَ بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أختُك مِن الرَّضاعةِ . قال : «وما علامةُ ذلك ؟» قالت : عَضَّةٌ عَضِضْتَنِيها فى ظهْرى وأنا مُتَوَرِّكَتُك[7] . قال : فعرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ العلامةَ ، فبسَط لها رداءَه فأجْلَسَها عليه ، وخيَّرها وقال : «إن أحْبَبْتِ فعندى مُحَبَّةً مُكْرَمةً ، وإن أحْبَبْتِ أن

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، وفى م : «عليه» .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٨.

(٥) فى الأصل : «مجاد» ، وفى م : «نجاد» .

(٦) فى م : «تعلمون» .

(٧) متوركتك : حاملتك على وركى . انظر النهاية ٥/ ١٧٦.

أُمَتِّعَكِ[1] وتَرْجِعى إلى قومِكِ فعَلْتُ » . قالت : بل تُمَتِّعُنى وتَرُدُّنى إلى قومى . فمتَّعها رسولُ اللَّهِ ﷺ وردَّها إلى قومِها ، فزعَمت بنو سعدٍ أنه أعْطاها غلامًا يقالُ له : مَكْحولٌ . وجاريةً ، فزوَّجت أحدَهما الآخرَ ، فلم يزَلْ فيهم مِن نَسْلِهما بقيَّةٌ .

ورَوى البيهقىُّ[2] مِن حديثِ الحكَمِ بنِ عبدِ الملكِ ، عن قَتادةَ قال : لما كان يومُ فتحِ هَوازِنَ جاءت جاريةٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أختُك ، أنا شيماءُ بنتُ الحارثِ . فقال لها : « إن تكونى صادقةً ، فإن بكِ منى أثَرًا لا يَبْلَى » . قال : فكشَفت عن عَضُدِها ، فقالت : نعم يا رسولَ اللَّهِ ، وأنت صغيرٌ ، فعَضِضْتَنى هذه العَضَّةَ . قال : فبسَط لها رسولُ اللَّهِ ﷺ رداءَه ، [٣/ ١٨٢ظ] ثم قال : « سَلِى تُعْطَىْ ، واشْفَعى تُشَفَّعِى » .

وقال البيهقىُّ[3] ، أنبأنا أبو نصرِ بنُ قَتادةَ ، أنبأنا [4]أبو عمرٍو إسماعيلُ بنُ نُجيدٍ السُّلَمِىُّ[4] ، ثنا أبو[5] مسلمٍ ، ثنا أبو عاصمٍ ، ثنا جعفرُ بنُ يحيى بنِ ثَوْبانَ ، أخبرنى عمِّى عُمارةُ بنُ ثَوْبانَ ، أن أبا الطُّفَيْلِ أخْبَره قال : كنتُ غلامًا أحْمِلُ عظمَ[6] البعيرِ ، ورأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لحمًا[7] بالجِعْرانةِ . قال : فجاءَتْه امرأةٌ فبسَط لها رداءَه ، فقلتُ : مَن هذه ؟ قالوا : أمُّه التى أرضَعَته . هذا حديثٌ غريبٌ ، ولعله يريدُ أختَه ، وقد كانت تَحْضُنُه مع أمِّها حَليمةَ السَّعْديَّةِ ، وإن كان محفوظًا فقد

---

(١) أمتعك : أى أعطيك ما يكون به الإمتاع ، أى الانتفاع . شرح غريب السيرة ٣/ ١٠٤.

(٢) دلائل النبوة ٥/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق ٥/ ١٩٩.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م : « عمرو بن إسماعيل بن عبد السلمى » ، وفى ص : « أبو عمرو إسماعيل بن عبد السلمى » . والمثبت من الدلائل . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦.

(٥) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٨١.

(٦) فى النسخ : « عضو » . والمثبت من الدلائل .

(٧) فى م ، ص : « نعما » .

عُمِّرت حَليمةُ دهرًا ، فإنَّ مِن وقتِ أرْضَعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ إلى وقتِ الجِعْرانةِ أزيدَ مِن ستين سنةً ، وأقلُّ ما كان عمرُها حينَ أرضَعَته ﷺ ، ثلاثون سنةً ، ثم اللَّهُ أعلمُ بما عاشت بعدَ ذلك .

وقد وَرَد حديثٌ مرسلٌ ، فيه أن أبويه مِن الرَّضاعةِ قدِما عليه ، واللَّهُ أعلمُ بصحَّتِه ؛ قال أبو داودَ فى « المراسيلِ »[1] : ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الهَمْدانىُّ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، ثنا عمرُو بنُ الحارثِ ، أن عمرَ بنَ السائبِ حدَّثه أنه بلَغه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان جالسًا يومًا ، فجاءه أبوه مِن الرَّضاعةِ ، فوضَع له بعضَ ثوبِه ، فقعَد عليه ، ثم أقْبَلَت أمُّه ، فوضَع لها شِقَّ ثوبِه مِن جانبِه الآخرِ ، فجلَسَت عليه ، ثم جاء أخوه مِن الرَّضاعةِ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فأجْلَسه بينَ يديه . وقد تقدم أن هَوازِنَ بكمالِها مُتواليةٌ برَضاعتِه مِن بنى سعدِ بنِ بكرٍ ، وهم شِرْذِمةٌ مِن هَوازِنَ ، فقال خطيبُهم زُهَيْرُ بنُ صُرَدٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ ما فى الحظائرِ أمهاتُك وخالاتُك وحواضنُك ، فامْنُنْ علينا مَنَّ اللَّهُ عليك ، وقال فيما قال :

امنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فوك يَمْلؤُه مِن مَحْضِها دِرَرُ
امنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... وإذ يَزِينُك ما تأتى وما تَذَرُ

فكان هذا سببَ إعتاقِهم عن بَكْرةِ أبيهم ، فعادت فواضلُه ﷺ عليهم قديمًا وحديثًا ، خصوصًا وعمومًا .

وقد ذكَر الواقدىُّ[2] ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ شُرَحْبيلَ ، عن أبيه قال : كان النُّضَيرُ بنُ الحارثِ بنِ كَلَدةَ مِن أحلمِ[3] الناسِ ، فكان يقولُ : الحمدُ للَّهِ

---

(١) لم نجده فى المراسيل ، وهو فى السنن (٥١٤٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١١٠٣) .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٠٥، ٢٠٦ قراءة من كتاب الواقدى به ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٥٨٠، ٥٨١. مخطوط . بإسناده من طريق الواقدى به . وذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٦/ ٤٣٧.
(٣) فى النسخ : « أجمل » ، وفى الإصابة : « أعلم » . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

الذى مَنَّ علينا بالإسلامِ ، ومَنَّ علينا بمحمدٍ ﷺ ، ولم نَمُتْ على ما مات عليه الآباءُ ، [٣/ ١٨٣و] وقُتِل عليه الإخْوةُ وبنو العمِّ . ثم ذكَر عداوتَه للنبىِّ ﷺ ، وأنه خرَج مع قومِه مِن قريشٍ إلى حنينٍ وهم على دينِهم بعدُ . قال : ونحن نريدُ إن كانت دائرةٌ[1] على محمدٍ أن نُعِينَ[2] عليه ، فلم يُمْكِنَّا ذلك ، فلما صار بالجِعْرانةِ ، فواللَّهِ إنى لعلى ما أنا عليه إن شَعَرْتُ إلَّا برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « أَنُضَيرُ » . قلت : لبيك . قال : « هذا[3] خيرٌ مما أرَدْتَ يومَ حنينٍ مما حال اللَّهُ بينَك وبينَه » . قال : فأقْبَلْتُ إليه سريعًا ، فقال : « قد آنَ لك أن تُبْصِرَ ما كنتَ فيه تُوضِعُ » . قلتُ : قد [4]أَرَى أنه[4] لو كان مع اللَّهِ غيرُه لقد أَغْنَى شيئًا ، وإنى أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم زِدْه ثَباتًا » . قال النُّضيرُ : فوالذى بعَثه بالحقِّ لكأنَّ قلبى حَجرٌ ثَباتًا فى الدينِ وتَبْصِرةً بالحقِّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحمدُ للَّهِ الذى هداه » .

عمرةُ الجِعْرانةِ فى ذى القَعْدةِ

قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا بَهْزٌ وعبدُ الصمدِ . المَعْنَى . قالا : ثنا همامُ بنُ يحيى ، ثنا قَتادةُ قال : سألْتُ أنسَ بنَ مالكٍ قلتُ : كم حَجَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟

---

(١) كذا فى النسخ . وفى مصادر التخريج : « دَبَرة » . وكلاهما بمعنى الهزيمة .
(٢) فى النسخ والدلائل : « نغير » . والمثبت من تاريخ دمشق ، والإصابة .
(٣) فى النسخ : « هل لك إلى » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٤ - ٤) فى النسخ : « أدرى أن » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٥) المسند ٣/ ١٣٤.

قال : حَجةً واحدةً ، واعْتَمر أربعَ مِرارٍ[1] ؛ عمرتُه زمنَ الحديبيةِ ، وعمرتُه فى ذى القَعْدةِ مِن المدينةِ ، وعمرتُه مِن الجِعْرانةِ فى ذى القَعْدةِ ، حيث قسَم غنيمةَ حنينٍ ، وعمرتُه مع حَجتِه . ورواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والترمذيُّ مِن طرقٍ ، عن همامِ بنِ يحيى به[2] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : [4]ثنا أبو النَّضْرِ[4] ، ثنا داودُ ، يعنى العَطَّارَ ، عن عمرٍو ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : اعْتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعَ عُمَرٍ ؛ عمرةُ الحديبيةِ ، وعمرةُ القَضاءِ ، والثالثةُ مِن الجِعْرانةِ ، والرابعةُ التى مع حَجتِه . ورواه أبو داودَ ، والترمذيُّ ، وابنُ ماجه مِن حديثِ داودَ بنِ عبدِ الرحمنِ العَطَّارِ المكيِّ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ به[5] ، وحسَّنه الترمذيُّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا يحيى بنُ زكريا بنِ أبى زائدةَ ، ثنا حَجَّاجُ[7] بنُ أرْطاةَ ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، هو[8] عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ قال : اعْتَمر رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ عُمَرٍ ، كلُّ ذلك [9]فى ذى القَعْدةِ[9] يُلَبِّى حتى يسْتَلِمَ الحَجرَ . غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وهذه الثلاثُ عُمَرِ اللاتى وقَعْن

---

(١) فى ا ٤: «عمر» . وفى م ، ص : «مرات» .

(٢) البخارى (١٧٧٨) ، ومسلم (١٢٥٣) ، وأبو داود (١٩٩٤) ، والترمذى (٨١٥) .

(٣) المسند ١/ ٣٢١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ا ٤.

(٥) أبو داود (١٩٩٣) ، والترمذى (٨١٦) ، وابن ماجه (٣٠٠٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٥٥) .

(٦) المسند ٢/ ١٨٠. (إسناده صحيح) .

(٧) بعده فى ص : «عن» ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٢٠.

(٨) فى م ، ص : «عن» .

(٩ - ٩) كذا فى النسخ ، وهى ليست فى المسند ، وإنما هى فى متن الحديث الذى بعده مباشرة فى المسند ، من طريق هشيم عن حجاج به .

فى ذى القَعْدةِ ما عدا عمرتَه مع حَجتِه ، فإنها وقَعَت فى ذى الحِجَّةِ مع [٣/ ١٨٣ظ] الحَجَّةِ ، وإن أراد ابتداءَ الإحْرامِ بهن فى ذى القَعْدةِ فلعله لم يُرِدْ عمرةَ الحديبيةِ ؛ لأنه صُدَّ عنها ، ولم يفْعَلْها . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وقد كان نافعٌ ومولاه ابنُ عمرَ يُنكران أن يكونَ رسولُ اللَّهِ ﷺ اعتمر مِن الجِعْرانةِ بالكليةِ ، وذلك فيما قال البخاريُّ[(١)] : ثنا أبو النعمانِ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ أن عمرَ بنَ الخطابِ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنه كان علىَّ اعتكافُ يومٍ فى الجاهليةِ . فأمَره أن يَفِىَ به . قال : وأصاب عمرُ جاريتين مِن سَبْيِ حنينٍ فوضَعهما فى بعضِ بيوتِ مكةَ . قال : فمَنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على سَبْيِ حنينٍ فجعَلوا يَسْعَون فى السِّكَكِ ، فقال عمرُ : يا عبدَ اللَّهِ ، انظُرْ ما هذا ؟ قال : منَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على السَّبْيِ . قال : اذْهَبْ فأرْسِلِ الجاريتَيْن . قال نافعٌ : ولم يعْتَمِرْ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الجِعْرانةِ ، ولو اعتمر لم يَخْفَ على عبدِ اللَّهِ . وقد رواه مسلمٌ مِن حديثِ أيوبَ السَّخْتِيانىِّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، رضى اللَّه عنهما ، به[(٢)] .

ورواه مسلمٌ[(٢)] أيضًا ، عن أحمدَ بنِ عَبْدةَ الضَّبِّىِّ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ قال : ذُكِر عندَ ابنِ عمرَ عُمرةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الجِعْرانةِ ، فقال : لم يَعْتمِرْ منها . وهذا غريبٌ جدًّا عن ابنِ عمرَ ، وعن مولاه نافعٍ فى إنكارِهما عمرةَ الجِعْرانةِ[(٣)] ، وقد أطْبَق النَّقَلةُ ممن عداهما على روايةِ ذلك مِن أصحابِ الصِّحاحِ والسُّننِ والمسانيدِ ، وذكَر ذلك أصحابُ المغازى والسيرِ[(٤)] كلُّهم .

---

(١) البخارى (٣١٤٤) .

(٢) مسلم (٢٨/ ١٦٥٦) .

(٣) وانظر لذلك فتح البارى ٣/ ٦٠٠ - ٦٠٢، وصحيح مسلم بشرح النووى ١١/ ١٢٦.

(٤) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م : « السنن » .

وهذا أيضًا كما ثبَت فى « الصحيحين »[1] مِن حديثِ عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ أنها أنْكَرت على ابنِ عمرَ قولَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَمَر فى رجبٍ ، وقالت : يغْفِرُ اللَّهُ لأبى عبدِ الرحمنِ ، ما اعتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلا وهو شاهدٌ[2] ، وما اعْتَمَر فى رجبٍ قطُّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا الأعْمشُ ، عن مجاهدٍ قال : سأل عروةُ بنُ الزبيرِ ابنَ عمرَ : فى أىِّ شهرٍ اعتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : فى رجبٍ . فسَمِعَتْنا عائشةُ ، فسألَها ابنُ الزبيرِ وأخبَرها بقولِ ابنِ عمرَ ، فقالت : يرْحَمُ اللَّهُ أبا عبدِ الرحمنِ ، ما اعتَمَر عمرةً إلا وقد شهِدها ، وما اعتَمَر عمرةً قطُّ إلا فى ذى القَعْدةِ[4] . وأخْرجه البخارىُّ ومسلمٌ مِن حديثِ جريرٍ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ به نحوَه[5] .

ورواه أبو داودَ والنسائىُّ [٣/١٨٤و] أيضًا[6] مِن حديثِ زُهَيْرٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن مجاهدٍ : سُئِل ابنُ عمرَ : كم اعتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشةُ : لقد علِم ابنُ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اعتَمر ثلاثًا سوى التى قرَنها بحَجةِ الوداعِ .

---

(١) البخارى (١٧٧٧) مختصرًا ، ومسلم (٢١٩/ ١٢٥٥) .

(٢) أى ابن عمر .

(٣) المسند ٢/ ١٤٣ .

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « الحجة » ، ولعل الصواب ما فى النسخ هنا كما ثبت ذلك من الروايات السابقة ، بأن عُمَره الثلاث وقعن فى ذى القعدة ما عدا عمرته مع حجته ، فإنها وقعت فى ذى الحجة . والله تعالى أعلم .

(٥) البخارى (١٧٧٦) ، ومسلم (٢٢٠/ ١٢٥٥) .

(٦) أبو داود (١٩٩٢) ، والنسائى فى الكبرى (٤٢١٨) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٣٣) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا مُفَضَّلٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ قال : دخَلْتُ مع عروةَ بنِ الزبيرِ المسجدَ ، فإذا ابنُ عمرَ مُسْتنِدٌ إلى حُجْرةِ عائشةَ وأُناسٌ يصلُّون الضُّحَى ، فقال عروةُ : أبا عبدِ الرحمنِ ، ما هذه الصلاةُ ؟ قال : بِدعةٌ . فقال له عروةُ : أبا عبدِ الرحمنِ ، كم اعتَمَر رسولُ اللَّهِ ؟ فقال : أربعًا ، إحداهن فى رجبٍ . قال : وسمِعْنا اسْتنانَ عائشةَ فى الحجرةِ . فقال لها عروةُ : إن أبا عبدِ الرحمنِ يزْعُمُ أن رسولَ اللَّهِ اعتمر أربعًا ، إحداهن فى رجبٍ . فقالت : يرْحَمُ اللَّهُ أبا عبدِ الرحمنِ ، ما اعتمر النبىُّ ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر فى رجبٍ قطُّ . وهكذا رَواه الترمذىُّ[2] ، عن أحمدَ بنِ مَنِيعٍ ، عن الحسنِ بنِ موسى ، عن[3] شَيْبانَ ، عن منصورٍ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا رَوْحٌ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرنى مُزاحِمُ بنُ أبى مُزاحِمٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن مُخَرِّشٍ[5] الكَعْبىِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج مِن الجِعْرانةِ ليلًا حينَ أمْسَى معتمرًا ، فدخَل مكةَ ليلًا يقْضِى عمرتَه ، ثم خرَج مِن تحتِ ليلتِه فأصبَح بالجِعْرانةِ كبائتٍ ، حتى إذا زالت الشمسُ خرَج مِن الجِعْرانةِ فى بطنِ سَرِفٍ ، حتى جامَع[6] الطريقَ طريقَ المدينةِ بسَرِفٍ . قال مُخَرِّشٌ : فلذلك خَفِيَت عمرتُه على كثيرٍ مِن الناسِ . ورواه الإمامُ أحمدُ ، عن

---

(١) المسند ٢/ ١٥٥.

(٢) الترمذى (٩٣٧) مختصرًا . كما أخرجه البخارى (١٧٧٥، ١٧٧٦)، ومسلم (٢٢٠/ ١٢٥٥)، من طريق منصور عن مجاهد به نحوه .

(٣) فى الأصل، ص: « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٢٨.

(٤) المسند ٣/ ٤٢٧.

(٥) بالخاء المعجمة، وقيل: بالحاء المهملة . واستصوبه الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند ٥/ ٢٦٩، وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٨٥.

(٦) فى م: « جاء مع »، وجامع: أى قرن .

يحيى بنِ سعيدٍ، عن ابنِ جُرَيْجٍ كذلك وهو مِن أفرادِه[1].

والمقصودُ أن عمرةَ الجِعْرانةِ ثابتةٌ بالنقلِ الصحيحِ الذى لا يمكنُ منعُه ولا دفعُه، ومَن نفاها لا حُجَّةَ معه فى مُقابلةِ مَن أثْبَتَها. واللَّهُ أعلمُ. ثم هم كالمُجْمِعين على أنها كانت فى ذى القَعْدَةِ بعدَ غزوةِ الطائفِ وقَسْمِ غَنائمِ حنينٍ.

وما رواه الحافظُ أبو القاسمِ الطبرانىُّ فى «مُعْجَمِه الكبيرِ»[2] قائلًا: حدَّثنا الحسينُ[3] بنُ إسحاقَ [٣/١٨٤ظ] التُّسْتَرىُّ، ثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ، ثنا محمدُ ابنُ الحسنِ الأَسَدىُّ، ثنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ، عن أبى الزبيرِ، عن عُمَيْرٍ مولى عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: لما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الطائفِ نزَل الجِعْرانةَ فقسَم بها الغَنائمَ، ثم اعْتَمر منها، وذلك لليلتَيْن بقِيتا مِن شوالٍ. فإنه غريبٌ جدًّا، وفى إسنادِه نظرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال البخارىُّ[4]: ثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، ثنا إسماعيلُ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ، أخبرنى عطاءٌ أن صفوانَ بنَ يَعْلَى [5]بنِ أميةَ أخْبَره أن يَعْلَى[5] كان يقولُ: ليتنى أرَى رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ يُنْزَلُ عليه. قال: فبينا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالجِعْرانةِ وعليه ثوبٌ قد أُظِلَّ به[6]، معه فيه ناسٌ مِن أصحابِه، إذ جاءه أعرابىٌّ عليه جُبَّةٌ

---

(١) المسند ٣/ ٤٢٦. ولم يتفرد به الإمام أحمد، فقد رواه الترمذى (٩٣٥) به، والنسائى فى الكبرى (٣٨٤٦)، والمجتبى (٢٨٦٣) بنحوه، كلهم من طريق ابن جريج به. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٧٤٣). وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٥٤، ٣٥٥، وجامع المسانيد والسنن للمصنف ١١/ ١٩٣.

(٢) المعجم الكبير ١١/ ٤٣١ (١٢٢٢٣).

(٣) سقط من: ا ٤. وفى الأصل، م، ص: «الحسن»، والمثبت من مصدر التخريج، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٧.

(٤) البخارى (٤٣٢٩).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ا ٤.

(٦) أظل به: أى جعل عليه كالظلة. فتح البارى ٣/ ٣٩٤.

مُتَضَمِّخٌ[1] بطِيبٍ ، فقال : [2]يا رسولَ اللَّهِ ، كيف ترَى فى رجلٍ أحرَم بعُمرةٍ فى جُبَّةٍ بعدَ ما تَضَمَّخَ بالطيبِ ؟[2] فأشار عمرُ بنُ الخطابِ إلى يَعْلَى بيدِه أن تعالَ ، فجاء يَعْلَى فأدْخَل رأسَه ، فإذا النبىُّ ﷺ مُحْمَرُّ الوجهِ يَغِطُّ كذلك ساعةً ، ثم سُرِّىَ عنه ، فقال : « أين الذى يسْأَلُنى عن العمرةِ آنفًا ؟ » فالتُمِس الرجلُ فأُتِىَ به ، قال : « أمَّا الطِّيبُ الذى بك فاغْسِلْه ثلاثَ مراتٍ ، وأمَّا الجُبَّةُ فانْزِعْها ، ثم اصْنَعْ فى عمرتِك كما تصْنَعُ فى حجِّك » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ[3] ، وأخْرَجاه مِن وجهٍ آخرَ ، عن عطاءٍ ، كلاهما عن صفوانَ بنِ يَعْلَى ، [4]عن أبيه[4] به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا أبو أُسامةَ ، أنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ مِن كَداءٍ مِن أعْلَى مكةَ ، ودخَل فى العمرةِ مِن كُدًى .

وقال أبو داودَ[7] : ثنا موسى أبو سَلَمةَ ، ثنا حمادٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه اعْتَمروا مِن الجِعْرانةِ ، فرمَلوا بالبيتِ [8]ثلاثًا ومشَوْا أربعًا[8] ، وجعَلوا أرْدِيَتَهم تحتَ

---

(١) التضمخ : التلطخ بالطيب وغيره والإكثار منه . النهاية ٣/ ٩٩.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى ليستقيم السياق .

(٣) مسلم (٨/ ١١٨٠) .

(٤ - ٤) فى م : « بن أمية » .

(٥) البخارى (١٧٨٩، ١٨٤٧، ٤٩٨٥) ، ومسلم (٦، ٧، ٩، ١٠/ ١١٨٠) .

(٦) المسند ٦/ ٢٠١، ٢٠٢. كما أخرجه الشيخان ؛ البخارى (١٥٧٨) ، ومسلم (١٢٥٨/٢٢٥) ، عن أبى أسامة بنحوه .

(٧) أبو داود (١٨٨٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٩) .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ . وهذه الزيادة هى لفظ روايتى أبى داود وابن ماجه الآتيتين بعد .

آباطِهم ، ثم قذَ رها على عواتِقِهم اليسرى . تفرد به أبو داودَ . ورواه أيضًا وابنُ ماجه مِن حديثِ ابنِ خُثَيْم ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن ابنِ عباسٍ مختصرًا[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، حدَّثنى حسنُ بنُ مسلمٍ ، عن طاوُسٍ ، أن ابنَ عباسٍ أخْبَره أن معاويةَ أخْبَره قال : قصَّرْتُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بِمِشْقَصٍ[3] أو قال : رأيتُه يُقَصِّرُ عنه بِمِشْقَصٍ [٣/ ١٨٥و] عندَ المروةِ . وقد أخرجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ به[4] . ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن هشامِ بنِ حُجَيْرٍ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن معاويةَ به[5] . ورواه أبو داودَ ، والنسائىُّ أيضًا مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه به[6] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[7] : حدَّثنى عمرُو بنُ محمدٍ الناقدُ ، ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، ثنا سفيانُ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، عن معاويةَ قال : قصَّرْتُ عن رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ المروةِ .

والمقصودُ أن هذا إنما يتَوَجَّهُ أن يكونَ فى عمرةِ الجِعْرانةِ ، وذلك أن عمرةَ

---

(١) أبو داود (١٨٩٠) ، وابن ماجه (٢٩٥٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٤) .

(٢) المسند ٤/ ٩٨.

(٣) قصرت عن رسول اللَّه ﷺ : أى أخذت من شعر رأسه . والمشقص : نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض ، فإذا كان عريضًا فهو المِعْبلة . النهاية ٢/ ٤٩٠.

(٤) البخارى (١٧٣٠) مختصرًا ، ومسلم (٢١٠/ ١٢٤٦) بنحوه .

(٥) مسلم (٢٠٩/ ١٢٤٦) .

(٦) أبو داود (١٨٠٣) ، والنسائى (٢٩٨٨) .

(٧) المسند ٤/ ٩٧، من رواية عبد اللَّه بن الإمام أحمد عن أبيه ، ولعل الراجح أنه من زيادات عبد اللَّه ، كما فى النسخ ؛ فقد ذكره المصنف فى جامع المسانيد والسنن ، والحافظ ابن حجر فى أطراف المسند ، كلاهما من رواية عبد اللَّه عن عمرو الناقد . انظر جامع المسانيد ١١/ ٥٩٨، وأطراف المسند ٥/ ٣٤٠، والمسند الجامع ١٥/ ٣٠٧.

الحديبيةِ لم يَدْخُلْ إلى مكةَ فيها ، بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانُه ، وأما عُمرةُ القَضاءِ فلم يَكُنْ أبو سفيانَ أسْلَم ، ولم يَبْقَ بمكةَ مِن أهلِها أحدٌ حينَ دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بل خرَجوا منها ، وتغَيَّبوا عنها مدةَ مُقامِه ﷺ بها تلك الثلاثةَ الأيامِ ، وعمرتُه التى كانت مع حَجتِه لم يتَحَلَّلْ منها بالاتفاقِ . فتعيَّن أن هذا التقصيرَ الذى تعاطاه معاويةُ بنُ أبى سفيانَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، مِن رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ المروةِ إنما كان فى عمرةِ الجِعْرانةِ كما قلنا . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] ، رحِمه اللَّهُ : ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الجِعْرانةِ معتمرًا ، وأمَر ببقايا الفىءِ فحُبِس بمَجَنَّةَ بناحيةِ مَرِّ الظَّهْرانِ .

قلتُ : الظاهرُ أنه ﷺ إنما اسْتَبْقَى بعضَ المَغْنمِ ليتألَّفَ به مَن يَلْقاه مِن الأعْرابِ فيما بينَ مكةَ والمدينةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عمرتِه انصرف راجعًا إلى المدينةِ ، واستَخْلَف عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ على مكةَ ، وخلَّف معه معاذَ بنَ جبلٍ يُفَقِّهُ الناسَ فى الدينِ ، ويُعَلِّمُهم القرآنَ .

وذكَر عروةُ ، وموسى بنُ عقبةَ[2] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خلَّف مُعاذًا مع عَتَّابٍ[3] بمكةَ قبلَ خروجِه إلى هَوازِنَ ، ثم خلَّفهما بها حينَ رجَع إلى المدينةِ .

وقال ابنُ هشامٍ[1] : وبلَغنى عن زيدِ بنِ أسلمَ أنه قال : لما استَعْمَل [٣/ ١٨٥ظ]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٠.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٠١، ٢٠٢، عن عروة، وموسى بن عقبة.

(٣) ليس فى روايتهما ذكر لعتاب بن أسيد، رضى اللَّه عنه، وإنما ورد ذكره عند الطبرى فى تاريخه ٣/ ٧٣. حوادث السنة الثامنة. من حديث سلمة عن ابن إسحاق.

رسولُ اللَّهِ ﷺ عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ على مكةَ رزَقه كلَّ يومٍ درهمًا ، فقام فخطَب الناسَ فقال : أيها الناسُ ، أجاع اللَّهُ كَبِدَ مَن جاع على درهمٍ ، فقد رزَقنى رسولُ اللَّهِ ﷺ درهمًا كلَّ يومٍ ، فليستْ بى حاجةٌ إلى أحدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانت عمرةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ذى القَعْدةِ ، وقدِم المدينةَ فى بقيةِ ذى القَعْدةِ ، أو فى أولِ ذى الحِجَّةِ .

قال ابنُ هشامٍ[1] : قدِمها لستٌّ بقِين مِن ذى القَعْدةِ . فيما قال أبو عمرٍو المَدينىُّ[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحجَّ الناسُ ذلك العامَ على ما كانت العربُ تحُجُّ عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنةَ عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ ، وهى سنةُ ثمانٍ . قال : وأقام أهلُ الطائفِ على شركِهم وامتناعِهم فى طائفِهم ما بينَ ذى القَعْدةِ[4] إلى رمضانَ مِن سنةِ تسعٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٠.

(٢) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « المدنى » . وهذه النسبة إلى عدة من المدن ، منها مدينة رسول اللَّه ﷺ ، أكثر ما ينسب إليها ، يقال : المدنى والمدينى . انظر الأنساب ٥/ ٢٣٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٤) بعده فى السيرة : « إذ انصرف رسول اللَّه ﷺ » .

إسلامُ كعبِ بنِ زُهيرِ بنِ أبى سُلْمَى، رضىَ اللَّهُ عنه، (١)وأبوه هو صاحبُ إحدى المعلَّقاتِ السبعِ، الشاعرِ ابنِ الشاعرِ(١)، وذكْرُ قصيدتِه (١)التى سَمِعها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهى(١): بانتْ سُعادُ

قال ابنُ إسحاقَ(٢): ولما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن مُنْصَرَفِه عن الطائفِ كتَب بُجَيْرُ بنُ زهيرِ بنِ أبى سُلْمَى إلى أخيه لأبويه كعبِ بنِ زهيرٍ يُخْبِرُه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قتَل رجالًا بمكةَ ممن كان يَهْجوه ويُؤْذيه، وأنَّ مَن بَقِىَ مِن شُعراءِ قريشٍ؛ ابنَ الزِّبَعْرَى، وهُبَيْرةَ بنَ أبى وهبٍ هرَبوا فى كلِّ وجهٍ، فإن كانت لك فى نفسِك حاجةٌ، فطِرْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فإنه لا يَقْتُلُ أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعَلْ فانْجُ إلى نَجائِك مِن الأرضِ. وكان كعبٌ قد قال(٣):

ألا أبلِغا(٤) عنى بُجَيْرًا رسالةً ... (٥)فويحَك ممَّا(٥) قلتَ ويحَك هل لكَا

فبيِّنْ لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ ... على أىِّ شىءٍ غيرِ ذلك دَلَّكَا

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠١.

(٣) شرح ديوان كعب ص ٣.

(٤) فى الأصل، م: «بلغا».

(٥ - ٥) فى ا ٤، م: «فويحك فيما». وفى السيرة والديوان: «فهل لك فيما».

على خُلُقٍ لم أُلْفِ يومًا أبًا له ... عليه وما تُلْفِى[1] عليه أبًا لَكَا

فإن أنت لم تفعَلْ فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمَّا عثَرْتَ لَعًا لَكَا[2]

[٣/ ١٨٦و] سقاك بها المأمونُ كأسًا رَوِيَّةً ... فأَنْهَلَك المأمونُ منها وعَلَّكا[3]

قال ابنُ هشامٍ[4] : وأنشَدنى بعضُ أهلِ العلمِ بالشعرِ :

مَن مُبْلِغٌ[5] عنى بُجَيْرًا رسالةً[6] ... فهل لك فيما قلتُ بالخَيْفِ[7] هل لكَا

شرِبْتَ مع المأمونِ كأسًا رَوِيَّةً ... فأنْهَلَك المأمونُ منها وعَلَّكَا

وخالَفْتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبَعْتَه ... على أىِّ شىءٍ وَيْبَ [8]غيرِك دَلَّكَا[8]

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا ... عليه ولم تُدْرِكْ عليه أخًا لكَا

فإن أنت لم تَفْعَلْ فلستُ بآسِفٍ ... ولا قائلٍ إمّا عثَرْتَ لَعًا لَكَا

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وبعَث بها إلى بُجَيْرٍ ، فلما أتَتْ بُجَيْرًا كرِه أن يَكْتُمَها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأنشَده إيَّاها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لما سمِع : سقاكَ بها المأمونُ : « صدَق وإنه لكذوبٌ ، أنا المأمونُ » . ولما سمِع : على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا عليه . قال : « أجل ، [9]لم يُلْفِ[9] عليه أباه ولا أمَّه » . قال[10] : ثم كتَب

---

(١) سقط من : ٤١ . وفى الأصل ، م : « تلقى » . وفى ص : « يلفى » . والمثبت من السيرة .

(٢) لعًا لك : كلمة تقال للعاثر ، ومعناها : قم وانتعش . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٢.

(٣) النَّهَل : الشرب الأول . والعَلَل : الشرب الثانى . المصدر السابق .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٢.

(٥) فى الأصل : « يبلغ » .

(٦) فى هذا الشطر خرم .

(٧) الخيف : أسفل الجبل . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٢.

(٨ - ٨) فى ص : « عزك ذلكا » . وويب غيرك : هو بمعنى ويح غيرك . المصدر السابق .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، ص .

(١٠) أى ابن إسحاق .

بُجَيْرٌ إلى كعبٍ يقولُ له :

مَن مُبْلِغٌ كعبًا فهل لك فى التى ... تلُومُ[1] عليها باطلًا وهْىَ أحْزَمُ

إلى اللَّهِ لا العُزَّى ولا اللاتِ وحدَهُ ... فتَنْجُو إذا كان النَّجاءُ وتَسْلَمُ

لدى يومٍ لا ينجو وليس بمُفْلِتٍ ... مِن الناسِ إلا طاهرُ القلبِ مُسْلِمُ

فدِينُ زُهيرٍ وهْو لا شىءَ دينُهُ ... ودينُ أبى سُلْمَى علىَّ مُحَرَّمُ

قال[2] : فلما بلَغ كعبًا الكتابُ ضاقت به الأرضُ ، وأشْفَق [3]على نفسِه[3] ، وأَرْجَف به مَن كان فى حاضرِه[4] مِن عدوِّه ، وقالوا : هو مقتولٌ . فلما لم يجِدْ مِن شىءٍ بُدًّا قال قصيدتَه التى يَمْدَحُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وذكَر فيها خوفَه وإرجافَ الوُشاةِ به مِن عدوِّه ، ثم خرَج حتى قدِم المدينةَ فنزَل على رجلٍ - كانت بينَه وبينَه معرفةٌ - مِن جُهَيْنةَ ، كما ذُكِر لى ، فغدا به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [5]فى صلاةِ[5] الصبحِ ، فصلَّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم أشار له إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : هذا رسولُ اللَّهِ ، فقُمْ إليه فاسْتَأْمِنْه . فذُكِر لى أنه قام إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فجلَس إليه ، ووضَع يدَه [٣/١٨٦ظ] فى يدِه ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَعْرِفُه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن كعبَ بنَ زهيرٍ قد جاء ليَسْتَأْمِنَ منك تائبًا مسلمًا ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتُك به ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نعم » . فقال : إذًا أنا يا رسولَ اللَّهِ كعبُ بنُ زهيرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ أنه وثَب عليه رجلٌ مِن

---

(١) فى ص : « تقوم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٢، ٥٠٣.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) حاضره : حيه .

(٥ - ٥) فى ٤١ ، ص ، والسيرة : « حين صلى » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٥٠٣ - ٥١٣.

الأنصارِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، دعْنى وعدوَّ اللَّهِ أضْرِبْ عنقَه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْه عنك ، فإنه قد جاء تائبًا نازعًا » . قال : فغضِب كعبُ بنُ زهيرٍ على هذا الحيِّ مِن الأنصارِ لِمَا صنَع به صاحبُهم ؛ وذلك أنه لم يتَكَلَّمْ فيه رجلٌ مِن المهاجرين إلَّا بخيرٍ ، فقال[1] فى قصيدتِه التى قال حينَ قدِم على[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ :

بانتْ سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثرَها[3] لم يُفْدَ[4] مَكْبولُ[5]

وما سعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ برَزَتْ[6] ... إلَّا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحولُ[7]

تجْلُو عَوارِضَ ذِى ظَلْمٍ إذا ابتَسَمتْ ... كأنَّه مُنْهَلٌ بالراحِ مَعْلولُ[8]

---

(١) بعده فى الأصل : « له » . وانظر هذا الشعر فى شرح ديوان كعب بن زهير ص ٦ - ٢٥.

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « عندها » .

(٤) فى الأصل ، ص : « يجد » . وفى الديوان : « يُجْزَ » من الجزاء . ولم يفد : لم يحرر من الأسر . انظر الوسيط (ف د ى) .

(٥) بانت : ذهبت وفارقت . وسعاد : اسم امرأة . وقيل : امرأته وبنت عمه . ومتبول : هالك . ومتيم : معبد مذلل . ومكبول : مقيد . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٣، ١٣٤.

(٦) فى م ، والسيرة ، والديوان : « رحلوا » . والمثبت موافق للفظ إحدى نسخ السيرة . انظر سيرة ابن هشام ، والديوان .

(٧) بعده فى م ، والسيرة :

هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً ... لا يُشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

والبين : الفِراق . والأغن هنا : الظبى الصغير الذى فى صوته غنة ؛ وهو صوت يخرج من الخياشيم . وغضيض الطرف : فاتر الطرف . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٤.

وهذا البيت غير موجود فى شرح الديوان ، وقد أثبته محققه فى الحاشية وقال أنه لم يجده إلا فى « جمهرة أشعار العرب » لأبى زيد القرشى ! كذا قال . انظر شرح ديوان كعب ص ٦ حاشية (٥) .

(٨) تجلو : تصقل . والعوارض هنا : الأسنان . والظَّلم : شدة بريق الأسنان ، ويقال : هو ماؤها . ومُنهل : مَسْقِىّ . والراح : من أسماء الخمر . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٤.

شُجَّت بذى شَبَمٍ مِن ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبْطَحَ أضْحَى وهْو مَشْمولُ[1]

تَنْفِى الرياحُ القَذَى عنه وأفْرَطَهُ ... مِن صَوْبِ غاديةٍ[2] بِيضٌ يَعالِيلُ[3]

فيالها[4] خُلَّةً لو أنها صدَقَت ... بوَعْدِها أوْ لَوَ انَّ النصحَ مقبولُ[5]

لكنَّها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِن[6] دمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ[7]

فما تدومُ[8] على حالٍ تكونُ بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابِها الغُولُ[9]

[10]وما تُمَسِّكُ بالعهدِ الذى زعَمَتْ ... إلا كما يُمْسِكُ الماءَ الغَرابيلُ[10][11]

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّت وما وعَدَت ... إن الأمانىَّ والأحلامَ تَضْليلُ

كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ[12] لها مَثَلًا ... وما مَواعِيدُها[13] إلا الأباطيلُ

---

(١) شجت : مزجت . وبذى شبم : يعنى ماءً باردًا ، والشبم : البَرْد . والمحنية : منتهى الوادى ، ويقال : ما انعطف منه . وأبطح : موضع سهل . ومشمول : عليه ريح الشَّمال ، وهى عندهم باردة إذا هبت . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٥.

(٢) فى الديوان : « سارية » .

(٣) القذى : ما يقع فى الماء من تبن أو عود أو غيره ، وكذلك ما يقع فى العين أيضًا . وأفرطه : سبق إليه وملأه . وصوب : مطر . وغادية : سحابة مطرت بالغدوّ . واليعاليل : الحَبَاب الذى يعلو على وجه الماء ؛ وهى رُغوته . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل ، ا ٤، ص ، وإحدى روايات الديوان : « ويل امها » . وفى الديوان : « يا ويحها » .

(٥) الخُلَّة هنا : الصديقة . المصدر السابق .

(٦) فى الأصل ، ا ٤، ص : « فى » .

(٧) سيط : يروى بالسين وبالشين ، فمن رواه بالسين المهملة ، فمعناه : خُلط . ومن رواه بالشين المعجمة ، فمعناه : غلا وارتفع . وبالسين المهملة أحسن فى المعنى . والولع : الكذب . المصدر السابق .

(٨) فى الأصل ، ص ، وإحدى نسخ السيرة : « تقوم » .

(٩) الغول : ساحرة الجن .

(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل ، ص . والشطر الأول فى ا ٤: « وما تمسكت بالوعد الذى وعدت » .

(١١) فى الأصل ، ا ٤، ص تقديم وتأخير فى الأبيات الأربع التالية .

(١٢) عرقوب : اسم رجل أخلف موعدًا فى حديث مشهور ، فضربت العرب به المثل فى خلف الوعد . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٥.

(١٣) فى الأصل ، ص : « مواعيده » .

أرجو وآمُلُ أن (١يَعْجَلْنَ فِى أَبَدِ١) (٢وما لهن إخالُ الدَّهرَ تعجيلُ٢)

أمسَتْ سعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها إلا العِتاقُ النَّجِيباتُ المَراسيلُ(٣)

ولـن(٤) يُـبَـلِّـغَـهـا إلا عُـذافِـرةٌ فيها(٥) على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ(٦)

مِن كلِّ نَضَّاخةِ الذِّفْرَى إذا عرِقَت عُرْضتُها طامِسُ الأعْلامِ مجهولُ(٧)

[٣/١٨٧و] تَرْمِى النِّجادَ(٨) بعينَىْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذا تـوَقَّـدَتِ الحزَّانُ والميـلُ(٩)

ضَـخْـمٌ مُـقَـلَّـدُها فَـعْـمٌ مُـقَـيَّـدُها فى خَلْقِها عن بَناتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ(١٠)

حَرْفٌ أخوها أبوها مِن مُهَجَّنَةٍ وعمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليلُ(١١)

(١ - ١) فى م ، والسيرة : « تدنو مودتها » .

(٢ - ٢) كذا بالنسخ . وفى السيرة : « وما إخال لدينا منك تنويل » . وأشار محققوها إلى أنه فى إحدى نسخ السيرة : « وما إخال لهن الدهر تعجيل » . وفى الديوان : « وما لهن طَوال الدهر تعجيل » . وإخال : بكسر الهمزة ؛ لغة لبنى تميم . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٥.

(٣) المراسيل : السريعة . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل ، ا ٤، ص : « ولا » .

(٥) فى السيرة : « لها » . وأشار محققوها إلى أنه فى إحدى نسخها : « فيها » .

(٦) عذافرة : ناقة ضخمة . والأين : الفتور ، والإعياء . والإرقال والتبغيل : ضربان من السَّير . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٥.

(٧) نضاخة : بالخاء والخاء ؛ هى التى يرشح عرقها . والذفرى : عظم فى أصل الأذن . وعرضتها : الشىء الذى تقوى عليه . وطامس : متغير . والأعلام : العلامات . المصدر السابق ٣/ ١٣٥، ١٣٦.

(٨) كذا بالنسخ ، وإحدى نسخ السيرة . وفى م ، والسيرة ، والديوان : « الغيوب » .

(٩) النجاد هنا : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . والمفرد هنا : الثور الوحشى الذى انفرد فى الصحراء . واللهق بفتح الهاء وكسرها : الأبيض . والحزان : المواضع المرتفعة ؛ واحدها حَزين . والميل هنا : العلم الذى يُبنى على الطريق . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٦.

(١٠) بعده فى السيرة بيتان لم يذكرا فى النسخ . ومقلدها : عنقها . وفعم : ممتلىء . ومقيدها : موضع القيد منها . المصدر السابق .

(١١) حرف : شديدة . وأخوها أبوها ، وعمها خالها : يريد أنها مُدَاخَلَةُ النسب فى الكرم لم يدخل فى نسبها هجين . والمهجنة هنا : الكريمة ؛ وهى من الهجان وهى البيض من الإبل وهى كرامها . وقوداء : طويلة . وشمليل : سريعة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٦.

يَمْشِى القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُهُ ... منها لَبانٌ وأقْرابٌ زَهاليلُ[1]

عَيْرانةٌ قُذِفت بالنَّحْضِ[2] عن عُرُضٍ ... مِرْفقُها عن بَناتِ الزَّوْرِ مَفْتولُ[3]

قَنْواءُ فى حُرَّتَيْها[4] للبَصيرِ بها ... عِتْقٌ مُبِينٌ وفى الخدَّين تَسْهيلُ[5]

كأنَّ ما فاتَ عينَيْها ومَذْبَحَها ... مِن خَطْمِها ومِن اللَّحْيَيْن بِرْطِيلُ[6]

تُمِرُّ[7] مثلَ عَسِيبِ النخلِ ذا خُصَلٍ ... فى غارِزٍ[8] لم تَخَوَّنْهُ[9] الأَحاليلُ[10]

تَهْوِى[11] على يَسَراتٍ وهْى لاهيةٌ[12] ... ذَوابلٍ وَقْعُهنَّ[13] الأرضَ تَحْليلُ[14]

[15]سُمْرِ العُجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا ... لم يَقِهِنَّ[16] رُءوسَ الأُكْمِ[16] تَنْعِيلُ[15]

---

(١) لبان : صدر . وأقراب : جمع قُرْب ؛ وهى الخاصرة وما يليها . وزهاليل : مُلْس . شرح غريب السيرة ٣/١٣٦ .

(٢) فى الديوان : « فى اللحم » .

(٣) عيرانة : تشبه العَيْر فى شدته ونشاطه ، والعير هنا ؛ حمار الوحش . والنحض : اللحم . والزور : أسفل الصدر . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل : « حديثها » . وفى م : « حربتيها » .

(٥) قنواء : فى أنفها ارتفاع . وحرتاها : أذناها . المصدر السابق .

(٦) الخطم : الأنف . وبرطيل : حجر طويل ، ويقال : هى فأس طويلة . وفات : تقدم . المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « تر » . وفى ا ٤ : « شما » . وتمر : تمد وتحرك أى ذنبها . المصدر السابق .

(٨) فى م : « غادر » . وغارز : قليل اللبن . المصدر السابق .

(٩) فى الأصل ، ص : « يخوفه » . ولم تخونه : لم تنقصه ولم تضعفه . المصدر السابق .

(١٠) العسيب : جريد النخل . والأحاليل : جمع إحليل ؛ وهو الثُّقب الذي يخرج منه اللبن . المصدر السابق .

(١١) كذا بالنسخ ، وإحدى نسخ السيرة . وفى السيرة ، والديوان : « تخدى » . وكلاهما بمعنى تسرع . ويُروى : « تخذى » بمعجمتين ؛ أى تسترخى .

(١٢) كذا بالنسخ ، وإحدى نسخ السيرة . وفى السيرة ، والديوان : « لاحقة » .

(١٣) فى السيرة : « مَسُّهن » .

(١٤) وعلى يسرات : يعنى قوائمها ؛ لأنها تحسن السير بها كلها . وذوابل : شداد . التحليل : أصله من قولهم : تحلل فى يمينه . إذا حلف ثم استثنى استثناءً متصلاً ، ثم جعل مثلا لكل شىء يَقِلُّ وقته . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٦. وانظر تاج العروس (ح ل ل) .

(١٥ - ١٥) سقط من : الأصل ، م . والعُجايات : جمع عجاية ؛ وهى عصب تكون فوق مِربط القيد من ذى الخف ومن ذى الحافر . وزيم : متكسر متفرق . والأُكَم : الكُدَى ؛ واحدتها أَكَمَة . والتنعيل : نعَّل الدابَّة : كسا حافرها أو خفَّها ما يقيه . المصدر السابق ٣/ ١٣٦، ١٣٧. وانظر الوسيط (ن ع ل) .

(١٦ - ١٦) فى ا ٤، ص : « سواد اللحم » . والمثبت من السيرة ، والديوان .

يوْمًا يَظَلُّ[1] به الحِرْباءُ مُرْتَبِئًا[2] كأنَّ ضاحيَهُ بالشمسِ[3] مَمْلولُ[4]

وقال للقومِ حادِيهم وقد جَعَلتْ وُرْقُ[5] الجَنادبِ يَرْكُضْن الحَصا قِيلُوا[6]

[7]كأنَّ أَوْبَ[8] ذِراعَيْها وقد عَرِقَتْ وقد تَلَفَّعَ [9]بالقُورِ العَساقِيلُ[9][7]

[10]أَوْبُ يَدَىْ فاقِدٍ شَمْطَاءَ مُعْوِلَةٍ[10] قامتْ [11]فجاوَبَها نُكْدٌ[11] مَثاكِيلُ

---

(١) فى النسخ : « تظل » . والمثبت من السيرة ، والديوان .

(٢) كذا فى الأصل ، ا ٤ ، ص ، وإحدى روايات السيرة والديوان . وفى م ، والسيرة : « مصطخدًا » . وفى الديوان : « مصطخمًا » . وكلها روايات . قال السكرى فى شرح ديوان كعب ص ١٥ : المصطخم : القائم من الحر ...، ويُروى : مصطخدًا ، أى قد صخدته الشمس إذا اشتدت عليه . اهـ .

(٣) فى الأصل ، ا ٤ ، ص : « فى النار » . وفى الديوان : « بالنار » .

(٤) فى م : « محلول » . ومرتبئا : مرتفعًا . وضاحيه : ما برز منه للشمس . ومملول : محرق فى المَلَّة ؛ والملة : الحجارة والجمر والرماد . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧ .

(٥) فى الأصل ، ا ٤ ، ص : « بقع » . وهى إحدى الروايات كما أشار محقق الديوان . وهى أيضًا الرواية التى وقعت لأبى ذر الخشنى ؛ قال فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧ : البُقْع : التى فيها ألوان .

(٦) حاديهم : الحادى هو الذى يسوق الإبل . والورق من الوُرْقَة ؛ وهى سَواد فى غُبْرة ، وقيل : سواد وبياض كدُخان الرِّمْث - والرمث شجر من الحَمْض - يكون ذلك فى أنواع البهائم ، وأكثر ذلك فى الإبل . والجنادب : جمع جُنْدُب ، وهو ذَكَر الجراد . ويركضن الحصا : يُحرِّكْنه بأرجلهن . وقيلوا : أمر من القَيْل - وهو النوم وسط النهار - أى انزِلوا واستريحوا . انظر اللسان (ورق) ، (ر م ث) ، (ر ك ض) . وشرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧ .

(٧ - ٢) سقط من : الأصل ، م . وترتيب هذا البيت هنا كما فى إحدى نسخ السيرة . انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠٨ ، ٥٠٩ . حاشية (٥) .

(٨) الأوب : الرجوع . يقال : آب إلى كذا . إذا رجع إليه . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧ .

(٩ - ٩) فى ا ٤ : « بالنور العباقيل » . وتلفع : اشتمل . والقور : جمع قارة ؛ وهى الجبَل الصغير . والعساقيل : لَمْع السراب . المصدر السابق .

(١٠ - ١٠) فى السيرة وشرح الديوان : « شد النهار ذراعا عيطل نصف » . والمثبت موافق لإحدى الروايات فى هذا البيت ، كما أشار بذلك محققو السيرة وشرح الديوان . وفى الأصل ، م : « أوب بذى فاقد سمطا معولة » . وقد جاء فى ا ٤ ، ص : « بذى » بدل « يدى » . فأثبتنا « يدى » من السيرة والديوان . وفاقد : التى فقدتْ ولدها ، يقال « فاقد » للمذكر والمؤنث . والشمطاء : التى خالَطَها الشيب . والشَّمَط : اختلاط الشعر الأسود بالأبيض . ومعولة : رافعة صوتها بالبكاء . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧ .

(١١ - ١١) فى م : « فجاء بها نكر » . والنكد : اللواتى لا يصيبهن خير . والنكد أيضًا : المشائيم اللواتى قد ثكلن أزواجهن وأولادهن . والمثاكيل : جمع مِثْكال وهى الفاقد ، التى فقدت ولدها . انظر المصدر السابق ، وشرح ديوان كعب ص ١٧ .

نَوَّاحةٌ رِخْوةُ الضَّبْعَيْنِ[1] ليس لها ... لَمَّا نَعَى بِكْرَها الناعونَ مَعْقولُ

تَفْرِى اللَّبانَ بكفَّيْها ومِدْرَعُها ... مُشَقَّقٌ عن تَراقِيها رَعابِيلُ[2]

تَسْعَى الغُواةُ جَنابَيْها وقولُهمُ ... إنَّك يا بنَ أبى سُلْمَى لَمَقتولُ[3]

وقال كلُّ صديقٍ كُنتُ آمُلُهُ ... لا أُلْهِيَنَّك[4] إنِّى عنك مَشْغولُ

فقلتُ خَلُّوا سبيلى[5] لا أبا لَكُمُ ... فكلُّ ما قَدَّر الرحمنُ مَفْعولُ

كلُّ ابنِ أُنْثى وإن طالَتْ سلامتُهُ ... يومًا على آلةِ حَدْباءَ مَحْمولُ[6]

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللَّهِ أوْعَدَنى ... والعفوُ عندَ رسولِ اللَّهِ مَأْمولُ

مَهْلًا هداك الذى أعْطاك نافلةَ الْـ ... ـقرآنِ فيه[7] مَواعيظٌ وتَفْصيلُ

لا تَأْخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ولم ... أُذْنِبْ ولو كَثُرَتْ فىَّ الأَقاويلُ

لقد أقومُ مَقامًا لو يَقومُ بهِ ... أرَى وأَسْمَعُ ما قد[8] يَسْمَعُ الفِيلُ[9]

---

(١) الضبعان: لحمتا العَضُدَيْن. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧.

(٢) تفرى: تقطع وتشق الثياب عن اللبان. واللبان: الصدر. وتراقيها: واحدة التراقى تَرْقُوَة، وهما ترقوتان عن يمين وشمال، فجَمَعَهما بما حولهما. ورعابيل: قِطَع متفرِّقة. شبَّه ناقته بهذه التى تفرى صدرها ومدرعها بما هلك من ولدها. انظر المصدر السابق، وشرح ديوان كعب ص ١٨.

(٣) الغواة: المُمْعِنون فى الضلال. وجنابيها: حَوالَيْها. انظر الوسيط (غ و ى)، (ج ن ب).

(٤) ألهينك: أَشْغَلَنَّك. انظر الوسيط (ل هـ و).

(٥) فى الأصل، ا ٤، ص: «طريقى».

(٦) آلة حدباء: أى النعش. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧، والوسيط (ح د ب).

(٧) فى السيرة وشرح الديوان: «فيها».

(٨) فى السيرة والديوان: «لو».

(٩) ما قد يسمع الفيل: قال السكرى فى شرح ديوان كعب ص ٢٠: ولما كان الفيل عنده ضخمًا؛ توهَّم أنه أسْمَعُ الأشياء. وقد قيل: إن الفيل ههنا: الذى لا رأى له ولا عقْل؛ يقال: رجل فائِلُ الرأى، وفَيِّل الرأى، وفِيل الرأى.

(١) لَظَلَّ تُرْعَدُ مِن وَجْدٍ بَوادِرُهُ ... إن لم يَكُنْ مِن رسولِ اللَّهِ تَنْوِيلُ (١)

[٣/ ١٨٧ظ] حتى وضَعْتُ يَمينى ما أُنازِعُهُ (٢) ... فى كفِّ ذى نَقَماتٍ قولُه (٣) القِيلُ

فَلَهْوَ أخوفُ عندى إذْ أُكَلِّمُهُ ... وقِيل إنَّك مَنْسوبٌ ومَسْئولُ

مِن ضَيْغَمٍ بِضَراءِ الأرضِ مَخْدَرُهُ ... فى بطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَه غِيلُ (٤)

يغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغامَيْن عيشُهما ... لحمٌ مِن الناسِ مَعْفورٌ خَراديلُ (٥)

إذا يُساوِرُ قِرْنًا (٦) لا يَحِلُّ لهُ ... أن يَتْرُكَ القِرْنَ إلا وهْو مَفْلولُ (٧)

منه تَظَلُّ (٨) حميرُ الوحْشِ نافرةً (٨) ... ولا تَمَشَّى بِوادِيهِ الأراجِيلُ (٩)

(١ - ١) فى م:

«لظل يرعد من وجد موارده ... من الرسول بإذن اللّه تنويل»

وفى السيرة وشرح الديوان:

«لظل يرعد إلّا أن يكون له ... من الرسول بإذن اللّه تنويل»

والمثبت موافق لإحدى الروايات فى البيت كما أشار بذلك محققو السيرة وشرح الديوان. كما أن المثبت فى الشطر الأول موافق للنسخة التى شرح عليها الخشنى، فقال: البوادر: الذى بين العنق والمَنْكِب. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧.

(٢) فى الأصل، م، ص: «ينازعها».

(٣) كذا فى النسخ. وفى السيرة وشرح الديوان: «قيله». وقوله القيل: أى قوله الصادق. انظر شرح ديوان كعب ص ٢١.

(٤) الضيغم: الأسد. وضراء الأرض: ما وارى من شجر. ومخدر الأسد: غابته وأجمته. والأجمة: الشجر الكثير الملتف. وعثر: اسم موضع قِبَل تَبالَةَ تكثر فيه الأسود. والغِيل: الأجمة. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧، والوسيط (أ ج م)، وشرح ديوان كعب ص ٢١، ومعجم البلدان ٣/ ٦١٥.

(٥) يلحم: يطعمها اللحم. وضرغامين: يعنى أسدين، وأراد بهما شِبْلَيْه. ومعفور: مُمَرَّغ فى العَفَر وهو التراب. والخراديل: جمع خُرْدُولة وهى العضو الوافر من اللحم. انظر اللسان (خردل).

(٦) يساور: يُواثِب. والقِرن: كُفْؤك فى الشجاعة. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٧، واللسان (ق ر ن).

(٧) فى الأصل، م: «مغلول». ومفلول: أى قد أُثِّر فيه. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨.

(٨ - ٨) فى ا ٤: «حمير الجو نافرة». وفى السيرة: «سباع الجو نافرة». وفى شرح الديوان: «حمير الوحش ضامزة».

(٩) الأراجيل: الجماعات من الرجال. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨.

ولا يـزالُ بِـوادِيـهِ أخـو ثِـقَـةٍ مُضَرَّجُ البَزِّ والدِّرْسانِ مَأْكولُ[1]

إن الرسولَ لَنُورٌ يُسْتضاءُ بهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلولُ

فى عُصْبةٍ مِن قريشٍ قال قائلُهمْ ببطنِ مكةَ لَمَّا أسْلموا زُولوا

زالوا فما زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عندَ اللقاءِ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ[2]

يَمْشون مَشْىَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهمْ ضَرْبٌ إذا عَرَّد السُّودُ التَّنابِيلُ[3]

شُمُّ العَرانِينِ أبْطالٌ لَبُوسُهُمُ مِن نَسْجِ داودَ فى الهَيْجا سَرابِيلُ[4]

بِيضٌ سَوابِغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ كأنها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجْدولُ[5]

ليسوا مَفارِيحَ[6] إن نالت رِماحُهُمُ قومًا وليسوا مَجازيعًا إذا نِيلوا

---

(١) مضرج : مُخضَّب بالدماء . والبز : الثياب . والدرسان : جمع دِرْس ، وهو الثوب الخَلَق . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨، واللسان (د ر س) .

(٢) الأنكاس : جمع نِكْس وهو الضعيف . والكشف : الذين ينهزمون ولا يثبتون . والكشف أيضا : جمع أكْشَفَ وهو الذى لا تُرْس معه فى الحرب . والميل : جمع أمْيَل وهو الذى لا يثبت على السَّرْج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨، وشرح ديوان كعب ص ٢٣، ولسان العرب (ك ش ف) .

(٣) كذا ترتيب هذا البيت فى النسخ . وقد جاء فى السيرة بعد البيت الذى أوله : « ليسوا مفاريح » ، وجاء فى شرح الديوان بعد البيت الذى أوله : « بيض سوابغ » . والزهر : البِيض . ويعصمهم : يمنعهم . وعرَّد : نَكَّب عن قِرنه وهرب عنه . والتنابيل : جمع تِنْبال وهو القصير . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨، وشرح الديوان ص ٢٤.

(٤) شم : جمع أشَمّ ، من الشمم وهو هنا ارتفاع قصبة الأنف فى استواء ؛ يبيِّنه بعده قوله : « العرانين » . وهى الأنوف . ولبوسهم : دروعهم . والهيجا : الحرب . والسرابيل : جمع سربال وهو القميص والدرع ، أو كل ما لُبِس . الوسيط (ش م م) ، (ل ب س) ، (هـ ى ج) ، (سربل) .

(٥) سوابغ : كاملة . يعنى الدروع أنها سابغة ضافية فَضْفاضة . وشُكت : أُدخِل بعضُ حلَقها فى بعض وسُمِّرت . والقفعاء : ضربٌ من الحَسَك وهو نبات له شوك تُشَبّه به حَلَقُ الدروع . ومجدول : مُحْكَم السَّرْد .

(٦) فى م : « معاريج » . وفى ص : « مفاويح » . والمفاريح : جمع مِفْراح ، وهو الذى يفرح كلما سرَّه الدهر ، وهو الكثير الفرح أيضًا . انظر اللسان (ف ر ح) .

لا يقَعُ الطَّعْنُ إلَّا فى نُحُورِهِمُ وما[1] لهم عن حِياضِ الموتِ تَهْليلُ[2]

هكذا[3] أوْرَد محمدُ بنُ إسحاقَ هذه القصيدةَ، ولم يذْكُرْ لها إسنادًا.

وقد رواها الحافظُ البيهقىُّ فى «دلائلِ النبوةِ»[4] بإسنادٍ متصلٍ، فقال: أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنا أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ الأسَدىُّ بهَمْدانَ[5]، ثنا إبراهيمُ بنُ الحسينِ، ثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحِزامىُّ، ثنا الحَجَّاجُ بنُ ذى الرُّقَيْبةِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ زُهيرِ بنِ أبى سُلْمَى[6]، عن أبيه، عن جدِّه قال: خرَج كعبٌ وبُجَيْرٌ ابنا زُهيرٍ حتى أتَيا أبْرَقَ العَزَّافِ[7]، فقال بجيرٌ لكعبٍ: اثْبُتْ[8] فى هذا المكانِ حتى آتِىَ هذا الرجلَ - يعنى رسولَ اللَّهِ ﷺ - فأسْمَعَ ما يقولُ. فثَبَت كعبٌ، وخرَج بُجيرٌ فجاء رسولَ اللَّهِ ﷺ، فعَرَض عليه [٣/١٨٨و] الإسلامَ فأسْلَم، فبلَغ ذلك كعبًا فقال[9]:

ألا أبْلِغا عنى بُجيرًا رسالةً على أىِّ شىءٍ[10] وَيْبَ غيرِك[10] دَلَّكَا

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا عليه ولم تُدْرِكْ عليه أخًا لَكَا

---

(١) فى الأصل، م، ص: «ولا».

(٢) تهليل: فرار. يقال: هَلَّل عن قِرنه: إذا فرَّ منه. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨.

(٣) قبله فى م: «قال ابن هشام». وهو خطأ.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٠٧ - ٢٠٩، بنحوه.

(٥) فى م: «بهذان».

(٦) بعده فى الدلائل: «والمزنى».

(٧) فى الأصل: «الغراف»، وفى ا ٤: «العراق»، وفى الدلائل: «العراف». وأبرق العزاف: ماء لبنى أسد ابن خزيمة بن مدركة مشهور، ذُكر فى أخبارهم، وهو فى طريق القاصد من المدينة إلى البصرة... سمِّى العزَّاف؛ لأنهم يسمعون فيه عزيف الجن. انظر معجم ما استعجم ٣/ ٩٤٠، ومعجم البلدان ١/ ٨٤.

(٨) اثبت: يعنى أقِم وانتظِر.

(٩) شرح ديوان كعب ص ٣، ٤. مع بعض اختلاف فى الألفاظ.

(١٠ - ١٠) كذا فى النسخ والديوان. وفى الدلائل: «غير ذلك».

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رَوِيَّةٍ وأنْهَلَك المأمونُ منها وعَلَّكا

فلما بلَغت الأبياتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أهْدَر دمَه، وقال: «مَن لَقِيَ كعبًا فلْيَقْتُلْه». فكتَب بذلك بجيرٌ إلى أخيه، وذكَر له أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أهْدَر دمَه، ويقولُ له: النَّجاءَ وما أراك تَنْفَلِتُ. ثُم كتَب إليه بعدَ ذلك: اعْلَمْ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يأتيه أحدٌ يشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، إلَّا قَبِل ذلك منه وأسْقَط ما كان قبلَ ذلك، فإذا جاءك كتابى هذا، فأَسْلِمْ وأَقْبِلْ. قال: فأسْلَم كعبٌ، وقال قصيدتَه التى يَمْدَحُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ، ثُم أقْبَل حتى أناخ راحِلَتَه ببابِ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُم دَخَل المسجدَ ورسولُ اللَّهِ مع أصحابِه كالمائدةِ بينَ القومِ، مُتَحَلِّقون معه حَلْقةً خلفَ حَلْقةٍ، يَلْتَفِتُ إلى هؤلاء مرةً فيُحَدِّثُهم، وإلى هؤلاء مرةً فيُحَدِّثُهم. قال كعبٌ: فأنَخْتُ راحلتى ببابِ المسجدِ، (١ثُم دخلْتُ المسجدَ١)، فعَرَفْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بالصِّفَةِ، فتَخَطَّيْتُ(٢) حتى جلَسْتُ إليه، فأسْلَمْتُ وقلتُ: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنَّك محمدٌ رسولُ اللَّهِ، الأمانَ يا رسولَ اللَّهِ. قال: «ومَن أنت؟» قلتُ(٣): كعبُ بنُ زهيرٍ. قال: «الذى يقولُ». ثُم التَفَت رسولُ اللَّهِ ﷺ (١إلى أبى بكرٍ١) فقال: «كيف قال يا أبا بكرٍ؟» فأنْشَدَه أبو بكرٍ:

سقاك (٤أبو بكرٍ بكأسٍ٤) رَوِيَّةٍ وأنْهَلَكَ المأمورُ(٥) منها وعَلَّكا

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٢) سقط من: الأصل، ا ٤، م.

(٣) فى النسخ: «قال». والمثبت من الدلائل.

(٤ - ٤) فى م: «بها المأمون كأسًا».

(٥) فى م، والدلائل: «المأمون». ويبدو أنه خطأ وقع فى نسخة الدلائل من الناسخ أو الطابع. فلفظ :=

قال[1] : يا رسولَ اللَّهِ ، ما قلتُ هكذا . قال : « فكيف قلتَ ؟ » قال : قلتُ :

سقاك [2]أبو بكرٍ بكأسٍ[2] رَوِيَّةٍ وأنْهَلَك المأمونُ[3] منها وعَلَّكا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مأمونٌ[4] واللَّهِ » . ثم أنشَده القصيدةَ كلَّها حتى أتى على [٣/١٨٨ظ] آخرِها ، وهى هذه القصيدةُ :

بانت سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ عندَها لم يُفْدَ مَكْبولُ[5]

وقد تقَدَّم ما ذكَرْناه مِن الرَّمْزِ لما اختَلَف فيه إنشادُ ابنِ إسحاقَ والبيهقىِّ ، رَحِمهما اللَّهُ عزَّ وجلَّ . وذكر أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ فى كتابِ « الاستيعابِ »[6] أنَّ كعبًا لَمَّا انتَهَى إلى قولِه :

إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ به مُهَنَّدٌ مِن سيوفِ اللَّهِ مَسْلولُ

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللَّهِ أَوْعَدَنى والعفوُ عندَ رسولِ اللَّهِ مَأْمولُ

قال : فأشار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مَن معه أنِ اسْمَعوا . وقد ذكَر ذلك قبلَه موسى بنُ عقبةَ فى « مغازيه »[7] ، وللَّه الحمدُ والمنةُ .

قلتُ : ورَد فى بعضِ الرواياتِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أعطاه بُرْدَتَه حينَ أنْشَدَه

= « المأمون » هو ما قاله كعب أولًا ، كما فى روايتنا هذه ورواية ابن إسحاق التى مرت وعند ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى ١٦٨/٥ ، فلا يصحُّ أن ينكره على أبى بكر .

(١) القائل : كعب .

(٢ - ٢) فى م : « بها المأمون كأسًا » .

(٣) فى الدلائل : « المأمور » . خطأ ، ولعلَّه كالسابق . فهو خلاف ما قاله كعب نفسه أول مرة ، وانظر موضع كلامه الأول فى الدلائل ٥/ ٢٠٨.

(٤) فى الدلائل : « مأمور » . وراجع الحاشية (٥) فى الصفحة السابقة .

(٥) فى الدلائل : « معلول » .

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٣١٤، ١٣١٥.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢١١، عن موسى بن عقبة .

القصيدةَ . وقد نَظَمَ ذلك الصَّرْصَرِيُّ[1] فى بعضِ مَدائِحِه . وهكذا ذكَر ذلك[2] الحافظُ أبو الحسنِ بنُ الأثيرِ فى « الغابةِ » قال : وهى البُرْدَةُ التى عندَ الخلفاءِ[3] .

قلتُ : وهذا مِن الأمورِ المشهورةِ جدًّا ، ولكنْ لم أرَ ذلك فى شىءٍ مِن هذه الكتبِ المشهورةِ بإسنادٍ أرْتضيه . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد رُوِىَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له لمَّا قال : بانت سعادُ : « ومَن سعادُ ؟ » قال : زوجتى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « لم تَبِنْ » . ولكن لم يصحَّ ذلك ، وكأنَّه على ذلك تَوَهَّم أنَّ بإسلامِه تَبِينُ امرأتُه ، والظاهرُ أنَّه إنَّما أراد البَيْنونةَ الحِسِّيَّةَ لا الحُكْمِيَّةَ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقال عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ : فلمَّا قال كعبٌ - يعنى فى قصيدتِه -: إذا عرَّد السودُ التَّنابِيلُ . وإنَّما يُريدُنا معشرَ الأنصارِ ؛ لِمَا كان صاحِبُنا صَنَعَ به[5] ، وخَصَّ المهاجرين مِن قريشٍ بمِدْحَتِه ؛ غَضِبَتْ عليه الأنصارُ فقال بعدَ أن أسْلَم يَمْدَحُ الأنصارَ ، ويذكُرُ بلاءَهم مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وموضِعَهم مِن اليُمْنِ[6] :

---

(١) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصارى ، أبو زكريا جمال الدين الصرصرى ، شاعر من أهل صَرْصَر - على مقربة من بغداد - سكن بغداد ، وكان ضريرًا ، له ديوان شعر صغير ، ومنظومات فى الفقه وغيره ، وله « المنتقى من مدائح الرسول » لعلّه المسمَّى « المختار من مدائح المختار » . قتله التتار يوم دخلوا بغداد ؛ قيل : قتَل أحدهم بعكازه ثم استشهد ، كان ذلك فى عام ٦٥٦هـ . وحُمل إلى صرصر فدفن فيها . انظر الأعلام للزركلى ٩/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) أى ذكَر إعطاءَ النبىِّ ﷺ بردتَه لكعبٍ .

(٣) أسد الغابة ٤/ ٤٧٧. وذكر الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٥/٥٩٤ أن هذا الخبر - الذى فى إعطاء النبى ﷺ البردة لكعب - أخرجه ابن قانع من طريق الزبير بن بكار .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٤، ٥١٥.

(٥) انظر ما تقدم فى ص ١٢٦ .

(٦) شرح ديوان كعب ٢٥ - ٤١ والقصيدة عنده ثلاثة وثلاثون بيتًا .

مَن سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... فى مِقْنَبٍ[1] مِن صالحى الأنصارِ

[٣/ ١٨٩و] وَرِثوا المكارمَ كابرًا عن كابرٍ ... إنَّ الخيارَ هُمُ بَنُو الأخيارِ

المُكْرِهِينَ السَّمْهَرِىَّ بأَذْرُعٍ ... كسَوالِفِ الهِنْدىِّ غيرِ قِصارِ[2]

والناظرينَ بأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجَمْرِ غيرِ كليلةِ الإبْصارِ[3]

والبائعينَ نفوسَهم لنبيِّهم ... للموتِ يومَ تعانُقٍ وكِرارِ

[4]والقائدينَ[5] الناسَ عن أديانِهم ... بالمَشْرَفىِّ وبالقَنا الخَطَّارِ[6][4]

يتَطَهَّرون يَرَوْنَه نُسُكًا لهم ... بدماءِ مَن عَلِقوا مِن الكُفَّارِ

دَرِبوا[7] كما دَرِبَتْ ببطنِ[8] خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرِّقابِ مِن الأُسُودِ ضَوارِى[8]

وإذا حَلَلْتَ ليَمْنَعُوك إليهمُ ... أصْبَحْتَ عندَ مَعاقِلِ الأغْفارِ[9]

---

(١) المقنب: الجماعة من الخيل. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٨.

(٢) المكرهين: يقول: هم حامِلُوها على المكروه. والسمهرى: الرماح. يقال: رمح سمهرى. أى شديد. وسوالف الهندى: يريد حواشى السيوف، وقد يريد به الرماح أيضًا؛ لأنها قد تُنسب إلى الهند. انظر المصدر السابق ٣/ ١٣٨، ١٣٩. وشرح ديوان كعب ص ٢٦.

(٣) بأعين محمرة: أى لا تبرق أعينهم فى الحرب ولكنها كالجمر؛ للغيظ وشهوة اللقاء. والكليلة: الضعيفة النظر من علة أو غير علة. شرح ديوان كعب ص ٢٧.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٤، ص.

(٥) كذا فى م والسيرة. وفى شرح الديوان، وشرح غريب السيرة: «الذائدين». قال الخشنى: الذائدين: يريد المانعين والمدافعين. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٩.

(٦) المشرفى: السيف، وأراد به ههنا الجنس. والخطار: المُهْتَزّ. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٩.

(٧) دربوا: تَعَوَّدوا. المصدر السابق.

(٨) فى النسخ: «بطون». والمثبت من السيرة. وخفية: موضعٌ كثيرُ الأُسْد. شرح ديوان كعب ص ٢٨.

(٩) الغلب: الغُلْظ الرقاب. الذَّكَرُ أغْلَب، والأنثى غَلْباء. والضوارى: اللواتى قد ضَرِين - أى أُولِعْنَ - بأكل لحوم الناس. انظر شرح ديوان كعب ص ٢٨، والوسيط (ض ر و).

(١٠) معاقل: جمع مَعْقِل، وهو الموضع المُمْتَنِعُ. والأغفار: جمع غُفر وهو ولد الوَعْل. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٩.

ضَرَبوا عليًّا[1] يومَ بدرٍ ضربةً دانتْ لوَقْعَتِها جميعُ نِزارِ
لو يعْلَمُ الأقْوامُ عِلْمِىَ كلَّهُ فيهم لَصَدَّقَنى الذين أُمارِى
قومٌ إذا خَوَتِ النجومُ فإنَّهم للطَّارِقِين النّازِلِين مَقارِى[2]

قال ابنُ هشامٍ[3] : ويقالُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له حينَ أنشَده بانت سعادُ : «لولا ذكَرْتَ الأنصارَ بخيرٍ ، فإنهم لذلك أهلٌ» . فقال كعبٌ هذه الأبياتَ ، وهى فى قصيدةٍ له .

قال : وبلَغنى عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ أن كعبَ بنَ زهيرٍ أنشَد رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ : بانت سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبولُ . وقد رواه الحافظُ البيهقىُّ[4] بإسنادِه المتقدمِ إلى إبراهيمَ بنِ المنذرِ الحِزامىِّ ، حدَّثنى مَعْنُ بنُ عيسى ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأوْقصُ[5] ، عن ابنِ جُدْعانَ ، فذكَره ، وهو مرسلٌ .

وقال الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِ «الاستيعابِ فى

---

(١) قال الخشنى فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٩: يريد على بن مسعود بن مازن الغسّانى ، وإليه تُنسب بنو كنانة ؛ لأنه كَفَل ولد أخيه عبدَ مناة بن كنانة بعد وفاته فنُسبوا إليه . وقال السكرى فى شرح ديوان كعب ص ٣٤: قالوا : علىٌّ هو على بن بكر بن وائل . ويقال : علىٌّ أخو عبد مناة بن كنانة بن خزيمة من أمه . وقالوا : على بن مسعود بن مازن ... من غسان .

(٢) خوت : أى غَرَبتْ ولم يكن لها تأثير ، على زعمهم . والطارقون : الذين يأتون بالليل . ومن أتاك ليلًا فقد طرقك . والمقارى : جمع مقراة ، وهى الجفْنة التى يُصنع فيها الطعام للأضياف . شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٩.

وبعده فى السيرة .

فى الغرّ من غسانَ من جرثومة أعيت محافرها على المنقار

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٥.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢١١.

(٥) فى النسخ : «الأفطس» . وهو خطأ . والمثبت من الدلائل . وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومى الأوقص . انظر الجرح والتعديل ٧/ ٣٢٣. ونزهة الألباب فى الألقاب لابن حجر ١/ ١٠٠.

معرفةِ الأصحابِ »[1] بعدَ ما أوْرَد طرفًا مِن ترجمةِ كعبِ بنِ زهيرٍ إلى أن قال : وقد كان كعبُ بنُ زهيرٍ شاعرًا مُجَوِّدًا كثيرَ الشعرِ مُقَدَّمًا فى طبقتِه هو وأخوه بُجَيْرٌ ، وكعبٌ أشعرُهما ، وأبوهما زهيرٌ فوقَهما ، ومما يُسْتَجادُ من شعرِ كعبِ بنِ زهيرٍ قولُه :

لو كنتُ أَعْجبُ مِن شيءٍ لَأَعْجبنى ... سَعْىُ الفتَى وهْو مَخْبوءٌ له القَدَرُ
يسْعَى الفتى لأُمورٍ ليس يُدْرِكُها ... فالنفسُ واحدةٌ والهَمُّ مُنْتشِرُ
[٣/ ١٨٩ظ] والمرءُ ما عاشَ ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهى العينُ حتى ينتهى الأَثَرُ

ثم أوْرَد له ابنُ عبدِ البرِّ أشعارًا كثيرةً يطولُ ذكْرُها ولم يُؤَرِّخْ وفاتَه ، وكذا لم يُؤَرِّخْها أبو الحسنِ بنُ الأثيرِ فى كتابِ « الغابةِ فى معرفةِ الصحابةِ » ولكن حكَى أن أباه تُوُفِّىَ قبلَ المَبعَثِ بسنةٍ[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال السهيلىُّ[3] : ومما أجاد فيه كعبُ بنُ زهيرٍ قولُه يَمْدَحُ رسولَ اللَّهِ ﷺ :

تَجْرِى[4] به الناقةُ الأَدْماءُ مُعْتَجِرًا ... بالبُرْدِ كالبدرِ جَلَّى ليلةَ الظُّلَمِ
ففى عِطافَيْه أو أثناءِ بُرْدتِه ... ما يعلمُ اللَّهُ مِن دينٍ ومِن كَرَمِ

---

(١) الاستيعاب ٣/١٣١٣ - ١٣١٧.
(٢) أسد الغابة ٤/٤٧٥ - ٤٧٧.
(٣) الروض الأنف ٧/ ٣٠٤.
(٤) كذا فى النسخ ، وفى الروض : « تخدى » ، والخدى : ضرب من السير . النهاية ٢/ ١٥.

[1]فصلٌ فيما كان مِن[1] الحوادثِ المشهورةِ، في سنةِ ثمانٍ، والوَفياتِ

فكان في جُمادَى منها وقعةُ مُؤْتةَ، وفي رمضانَ غزوةُ فتحِ مكةَ، وبعدَها في شوالٍ غزوةُ هَوازِنَ بحنينٍ، وبعدَها كان حِصارُ الطائفِ، ثم كانت عمرةُ الجِعْرانةِ في ذي القَعْدةِ، ثم عاد إلى المدينةِ في بقيةِ السنةِ.

قال الواقديُّ[2]: رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ لليالٍ بقِين مِن ذي الحِجَّةِ في سَفْرتِه هذه.

قال الواقديُّ: وفي هذه السنةِ بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ العاصِ إلى جَيْفرٍ وعمرٍو ابنَيِ الجُلَنْدَى مِن الأزْدِ، وأُخِذت الجزيةُ مِن مَجوسِ بلدِهما ومَن حولَها مِن الأعرابِ. قال: وفيها تزوج رسولُ اللَّهِ ﷺ فاطمةَ بنتَ الضَّحَّاكِ بنِ سفيانَ الكِلابيِّ في ذي القَعْدةِ، فاستعاذت منه ﷺ، ففارَقها، وقيل: بل خيَّرها فاختارت الدنيا ففارَقها. قال: وفي ذي الحِجَّةِ منها وُلِد إبراهيمُ بنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن ماريةَ القِبْطيةِ، فاشتدَّت غَيْرةُ أمهاتِ المؤمنين منها حينَ رُزِقَت ولدًا ذَكَرًا، وكانت قابِلتُها فيه سَلْمَى مولاةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فخرَجَت إلى أبي رافعٍ فأخبرَته فذهَب فبشَّر به رسولَ اللَّهِ ﷺ فأعْطاه مملوكًا، ودفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أمِّ بُرْدَةَ[3] بنتِ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) ذكره الطبري في تاريخه ٣/ ٩٥، حوادث السنة الثامنة، عن الواقدي بنحوه.

(٣) في النسخ: «برة»، والمثبت من مصدر التخريج، وانظر الاستيعاب ٤/ ١٩٢٦، وأسد الغابة ٧/ ٣٠٥، والإصابة ٨/ ١٧٥.

المنذرِ بنِ زيدِ[1] بنِ خِداشِ[2] بنِ عامرِ بنِ غَنْمِ[3] بنِ عَدِيِّ بنِ النجارِ، وزوجُها البراءُ بنُ [٣/ ١٩٠و] أوسِ بنِ خالدِ بنِ الجَعْدِ بنِ عوفِ بنِ مَبْذولٍ[4]. وكانت فيها وفاةُ مَن ذكَرْنا مِن الشهداءِ فى هذه الوقائعِ. وقد قدَّمْنا هدْمَ خالدِ بنِ الوليدِ البيتَ الذى كانت العُزَّى تُعْبَدُ فيه بنَخْلةَ بينَ مكةَ والطائفِ[5]، وذلك لخمسٍ بقِين مِن رمضانَ منها.

قال الواقدىُّ[6]: وفيها كان هدْمُ سُواعِ الذى كانت تَعْبُدُه هُذَيْلٌ برُهاطٍ[7]، هدَمَه عمرُو بنُ العاصِ، رضى اللَّهُ عنه، ولم يجِدْ فى خزانتِه شيئًا. وفيها هُدِم مَناةُ بالمُشَلَّلِ[8]، وكانت الأنصارُ أوسُها وخزرجُها يُعَظِّمونه، هدَمه سعدُ بنُ زيدٍ الأشْهلىُّ، رضى اللَّهُ عنه. وقد ذكَرْنا مِن هذا فصلًا مفيدًا مبسوطًا فى تفسيرِ «سورةِ النجمِ» عندَ قولِه تعالى[9]: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

قلت: وقد ذكَر البخارىُّ بعدَ فتحِ مكةَ قصةَ تخريبِ خَثْعَمٍ البيتَ الذى كانت تعْبُدُه ويُسَمُّونه الكعبةَ اليَمانيَةَ[10] مُضاهيةً للكعبةِ التى بمكة، ويُسَمُّون التى بمكةَ الكعبةَ الشاميَّةَ، ولتلك الكعبةَ اليمانيَةَ[10].

---

(١) فى النسخ: «أسيد»، والمثبت من مصدر التخريج، وانظر المصادر السابقة.
(٢) كذا فى النسخ ومصدر التخريج. وفى الاستيعاب، وأسد الغابة: «خراش».
(٣) فى الأصل، ص: «نجيم»، وانظر المصادر السابقة.
(٤) بعده فى مصدر التخريج: «بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار».
(٥) تقدم فى ٦/ ٦٠٧، ٦٠٨.
(٦) ذكره الطبرى فى تاريخه ٣/ ٦٦، حوادث السنة الثامنة، عن الواقدى بنحوه.
(٧) رهاط: بضم أوله، وآخره طاء مهملة؛ موضع على ثلاث ليال من مكة. معجم البلدان ٢/ ٨٧٨.
(٨) المشلل: بالضم ثم الفتح، وفتح اللام أيضا والشل الطرد، وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. المصدر السابق ٤/ ٥٤٣.
(٩) التفسير ٧/ ٤٣٠ - ٤٣٣.
(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

فقال البخاريُّ[1] : ثنا يوسفُ بنُ موسى ، ثنا أبو أسامةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن جريرٍ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا تُرِيحُنى مِن ذى الخَلَصةِ ؟ » فقلتُ : بلى . فانطَلَقْتُ فى خمسين ومائةِ فارسٍ مِن أَحْمَسَ ، وكانوا أصحابَ خيلٍ ، وكنتُ لا أَثْبُتُ على الخيلِ ، فذكَرْتُ ذلك للنبىِّ ﷺ ، فضرَب يدَه فى صدرى حتى رأيْتُ أثرَ يدِه على صدرى ، وقال : « اللهم ثَبِّتْه واجعَلْه هاديًا مهديًّا » . قال : فما وقَعْتُ عن فرسٍ بعدُ . قال : وكان ذو الخَلَصةِ بيتًا باليمنِ لخَثْعَمٍ وبَجِيلةَ ، فيه نُصُبٌ تُعْبَدُ - يقالُ له : الكعبةُ اليَمانيَةُ[2] . قال : فأتاها فحرَّقها فى النارِ وكسَرها[3] . قال : فلما قدِم جريرٌ اليمنَ كان بها رجلٌ يستَقْسِمُ بالأزْلامِ ، فقيل له : إن رسولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ هاهنا ، فإن قدَر عليك ضرَب عنقَك . قال : فبينما هو يَضْرِبُ بها إذ وقَف عليه جريرٌ ، فقال : لَتَكْسِرَنَّها وتشْهَدُ[4] أن لا إلهَ إلا اللَّهُ أو لأَضْرِبَنَّ عنقَك . فكسَرها وشهِد . ثم بعَث جريرٌ رجلًا مِن أَحْمَسَ يُكَنَّى أبا[5] أرْطاةَ إلى النبىِّ ﷺ يُبَشِّرُه بذلك ، قال : فلما أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، والذى بعَثك بالحقِّ ما جئتُ حتى ترَكْتُها كأنها جملٌ أجْرَبُ[6] . قال : فبرَّك رسولُ اللَّهِ ﷺ على خيلِ [٣/ ١٩٠ظ] أحْمَسَ ورجالِها خمسَ مراتٍ . ورواه مسلمٌ مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلىِّ بنحوِه[7] .

---

(١) البخارى (٤٣٥٧) .

(٢) كذا فى النسخ ، وليس فى البخارى .

(٣) فى م : « وكسرنها » .

(٤) كذا فى النسخ ، وفى البخارى : « ولتشهدن » .

(٥) سقط من : الأصل ، م ، وانظر فتح البارى ٨/ ٧٣.

(٦) كأنها جمل أجرب : كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها . المصدر السابق .

(٧) مسلم (١٣٧/ ٢٤٧٦) .

[1]بسم الله الرحمن الرحيم[1]

سنةُ تسعٍ مِن الهجرةِ

ذكرُ غزوةِ تَبوكَ فى رجبٍ منها

قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٨ ، ٢٩] . رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ وعكرمةَ وسعيدِ بنِ جبيرٍ وقَتادةَ والضَّحَّاكِ وغيرِهم[3] ، أنه لما أمَر اللَّهُ تعالى أن يُمْنَعَ المشركون مِن قُرْبانِ المسجدِ الحرامِ فى الحجِّ وغيرِه قالت قريشٌ : لَيَنْقَطِعَنَّ عنا المَتاجرُ والأسواقُ أيامَ الحجِّ ، ولَيَذْهَبَنَّ ما كنا نُصيبُ منها . فعوَّضهم اللَّهُ عن ذلك بالأمرِ بقتالِ أهلِ الكتابِ حتى يُسْلِموا أو يُعْطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون .

قلتُ : فعزَم رسولُ اللَّهِ ﷺ على قتالِ الرومِ ؛ لأنهم أقربُ الناسِ إليه وأولى الناسِ بالدعوةِ إلى الحقِّ ؛ [4]لقُرْبِهم إلى الإسلامِ وأهلِه[4] . وقد قال اللَّهُ تعالى[5] :

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) التفسير ٤/٧٣ - ٧٦.

(٣) أخرج الطبرى فى تفسيره ١٠/١٠٦ - ١٠٨، عن كل هؤلاء المذكورين بنحو ما ذكر المصنف .

(٤ - ٤) فى ا ٤: «لأنهم أهل الكتاب» .

(٥) التفسير ٤/ ١٧٤، ١٧٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣]. فلما عزَم رسولُ اللَّهِ ﷺ على غزوِ الرومِ عامَ تبوكَ، وكان ذلك فى حرٍّ شديدٍ وضيقٍ مِن الحالِ، جلَّى للناس أمْرَها ودعَا مَن حولَه مِن أحياءِ الأعْرابِ للخروجِ معه، فأوْعَب[1] معه بشرٌ كثيرٌ، كما سيأتى، قريبًا مِن ثلاثين ألفًا، وتخلَّف آخرون، فعاتب اللَّهُ مَن تخلَّف منهم لغيرِ عذرٍ مِن المنافقين والمُقصِّرين، ولامَهم ووَبَّخهم وقرَّعهم أشدَّ التَّقْريعِ، وفضَحهم أشدَّ الفَضيحةِ، وأنزَل فيهم قرآنًا يُتْلَى وبيَّنَ أمرَهم فى سورةِ «براءةٌ» كما قد بيَّنَّا ذلك مبسوطًا فى «التفسيرِ»[2] وأمَر المؤمنين بالنَّفْرِ على كلِّ حالٍ. فقال تعالى[3]: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا [٣/ ١٩١و] لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٤١، ٤٢]، ثم الآياتِ بعدَها. ثم قال تعالى[4]: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فقيل: إن هذه ناسخةٌ لتلك. وقيل: لا. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: ثم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ما بينَ ذى الحِجَّةِ إلى

---

(١) أوعب: أى خرج إلى الغزو.

(٢) التفسير ٤/ ٩٤، ٩٥.

(٣) التفسير ٤/٩٦ - ٩٩.

(٤) التفسير ٤/١٧٢ - ١٧٤.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٥، ٥١٦.

رجبٍ - يعنى مِن سنةِ تسعٍ - ثم أمَر الناسَ بالتهيُّؤ لغزوِ الرومِ . فذكَر الزهرىُّ ، ويزيدُ بنُ رُومانَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، وغيرُهم مِن علمائِنا ، كلٌّ يُحَدِّثُ عن غزوةِ تَبوكَ ما بلَغه عنها ، وبعضُ القومِ يُحَدِّثُ ما لم يُحَدِّثْ بعضٌ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر أصحابَه بالتهيؤ لغزوِ الرومِ ، وذلك فى زمانِ عُسْرةٍ مِن الناسِ وشدةٍ مِن الحرِّ وجَدْبٍ مِن البلادِ ، وحينَ طابت الثمارُ ، فالناسُ يُحِبون المُقامَ فى ثمارِهم وظِلالِهم ، ويَكْرَهون الشُّخوصَ[1] فى الحالِ مِن الزمانِ الذى هم عليه ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ [2]قلَّ ما[2] يخْرُجُ فى غزوةٍ إلا كَنَّى عنها[3] إلا ما كان مِن غزوةِ تَبوكَ ، فإنه بيَّنها للناسِ ، لبُعْدِ المشقةِ وشدةِ الزمانِ وكثرةِ العدوِّ الذى يُصمَدُ إليه ليتأهبَ الناسُ لذلك أُهْبتَه ، فأمَرهم بالجهادِ وأخبرهم أنه يريدُ الرومَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ وهو فى جَهازِه ذلك ، للجَدِّ بنِ قيسٍ أحدِ بنى سَلِمةَ : « يا جَدُّ ، هل لك العامَ فى جِلادِ بنى الأصْفرِ ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أوَ تأْذَنُ لى ولا تَفْتِنِّى ، فواللَّهِ لقد عرَف قومى أنه ما رجلٌ بأشدَّ عجبًا[4] بالنساءِ منى ، وإنى أخْشَى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصْفرِ أن لا أصْبِرَ . فأعْرض عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « قد أذِنْتُ لك » . ففى الجَدِّ أنزَل اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] . وقال قومٌ مِن المنافقين بعضُهم لبعضٍ : لا تَنْفِروا فى الحرِّ . زَهادةً فى الجِهادِ وشكًّا فى الحقِّ وإرْجافًا بالرسولِ ﷺ ، فأنْزل اللَّهُ تعالى فيهم ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ

---

(١) الشخوص : الخروج .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « كل ما » ، وفى ا ٤ : « لا » .

(٣) بعده فى ا ٤ : « بغيرها » .

(٤) عجبًا تعنى إعجابًا .

[٣/ ١٩١ظ] أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢].

قال ابنُ هشامٍ[(١)]: حدثنى الثقةُ، عمن حدَّثه، عن محمدِ بنِ طلحةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حارثةَ، عن أبيه، عن جدِّه قال: بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن ناسًا مِن المنافقين يجْتَمِعون فى بيتِ سُوَيْلِمٍ اليهودىِّ - وكان بيتُه عندَ جاسومَ[(٢)] - يُثَبِّطون الناسَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ تَبوكَ، فبعَث إليهم طلحةَ بنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فى نفرٍ مِن أصحابِه، وأمَره أن يُحَرِّقَ عليهم بيتَ سُوَيْلِمٍ، ففعَل طلحةُ، فاقْتَحم الضَّحَّاكُ بنُ خليفةَ مِن ظهرِ البيتِ، فانكَسَرت رِجْلُه، واقْتَحَمَ أصحابُه فأفْلَتوا[(٣)]، فقال الضحاكُ فى ذلك:

كادَت وبيتِ اللَّهِ نارُ محمدٍ ... يَشِيطُ بها الضَّحاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ
وظَلْتُ[(٤)] وقد طبَّقْتُ[(٥)] كَبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أنوءُ على رِجْلى كسيرًا ومِرْفَقِى[(٦)]
سلامٌ عليكم لا أعودُ لمثلِها ... أخافُ ومَن تَشْمَلْ به النارُ يُحْرَقِ

قال ابنُ إسحاقَ[(٧)]: ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ جَدَّ فى سفرِه وأمَر الناسَ بالجَهازِ والانكماشِ[(٨)]، وحضَّ أهلَ الغِنى على النفقةِ والحُمْلانِ فى سبيلِ اللَّهِ، فحمَل رجالٌ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٧.
(٢) فى ا ٤: «خاشوم»، وفى ص: «حاسوم». وجاسوم: اسم موضع. شرح غريب السيرة ٣/ ١٤١.
(٣) فى الأصل: «فأقاموا»، وفى ص: «فأفاتوا».
(٤) فى الأصل: «طلت».
(٥) فى ص: «طبعت»، وطبقت: علوت. شرح غريب السيرة ٣/ ١٤١.
(٦) كبس سويلم: البيت الصغير. وأنوء: أنهض متثاقلًا. المصدر السابق.
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٧، ٥١٨.
(٨) سقط من: ا ٤. وفى الأصل، ص: «الانكماس». والانكماش: التشمُّر والجدُّ. انظر النهاية ٤/ ٢٠٠.

مِن أهلِ الغِنى واحْتَسبوا ، وأنْفَقَ عثمانُ بنُ عفَّانَ نفقةً عظيمةً لم يُنْفِقْ أحدٌ مثلَها .

قال ابنُ هشامٍ[1] : فحدَّثنى مَن أثِقُ به أن عثمانَ أنْفَق فى جيشِ العُسْرةِ فى غزوةِ تَبوكَ ألفَ دينارٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم ارْضَ عن عثمانَ ، فإنى عنه راضٍ » .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ ، ثنا ضَمْرةُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ شَوْذَبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ ، عن كَثِيرٍ[3] مَوْلى عبدِ الرحمنِ بنِ سَمُرةَ قال : جاء عثمانُ بنُ عفانَ إلى النبىِّ ﷺ بألفِ دينارٍ فى ثوبِه حينَ جهَّز النبىُّ ﷺ جيشَ العُسْرةِ . قال : فصبَّها فى حِجْرِ النبىِّ ﷺ ، فجعَل النبىُّ ﷺ يُقَلِّبُها بيدِه ، ويقولُ : « ما ضرَّ ابنَ عفانَ ما عمِل بعدَ اليومِ[4] » . ورواه الترمذىُّ ، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ ، عن الحسنِ بنِ واقعٍ ، عن ضَمْرةَ به . وقال : حسنٌ غريبٌ[5] . وقاله [٣/ ١٩٢و] عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ فى « مسندِ » أبيه[6] : حدَّثنى أبو موسى العَنَزىُّ[7] . حدَّثنا عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، حدثنى سَكَنُ[8] بنُ المغيرةِ ، حدَّثنى الوليدُ بنُ أبى هشامٍ ، عن فَرْقَدٍ أبى طَلْحةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ خبَّابٍ[9] السُّلَمىِّ قال : خطَب النبىُّ ﷺ فحثَّ على جيشِ العُسْرةِ ، فقال عثمانُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٨.

(٢) المسند ٥/ ٦٣.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « كثة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١٥٢.

(٤) بعده فى ا ٤ : « يرددها مرارا » ، وفى المسند : « مرتين » .

(٥) الترمذى (٣٧٠١) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٩٢٠) .

(٦) وقع فى المسند « حدثنى أبى حدثنى أبو موسى ...» . وهو خطأ . والصواب أنه من زيادات عبد اللَّه ابن الإمام أحمد . وانظر أطراف المسند ٤/ ٢٥٧.

(٧) فى الأصل : « الغزى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٩.

(٨) فى ص : « مسكين » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٠٩.

(٩) فى النسخ : « حباب » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٨٠.

ابنُ عفانَ : عليَّ مائةُ بعيرٍ بأحْلاسِها وأقْتابِها[1] . [2]قال : ثم نزَل مِرْقاةً[3] مِن المنبرِ ثم حَثَّ ، فقال عثمانُ : عليَّ مائةٌ أخرى بأحْلاسِها وأقْتابِها[2] . قال : فرأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ بيدِه هكذا يُحَرِّكُها ، وأخْرَج عبدُ الصمدِ يدَه ، كالمُتَعَجِّبِ : « ما على عثمانَ ما عمِل بعدَ هذا » . وهكذا رواه الترمذيُّ ، عن محمدِ بنِ بَشارٍ[4] ، عن أبى داودَ الطَّيالسيِّ ، عن سَكَنِ بنِ المغيرةِ أبى محمدٍ مولًى لآلِ عثمانَ به . وقال : غريبٌ مِن هذا الوجهِ[5] .

ورواه البيهقيُّ ، مِن طريقِ عمرِو بنِ مرزوقٍ ، عن سَكَنِ بنِ المغيرةِ به[6] . وقال : ثلاثَ مراتٍ ، وإنه التزم بثلاثِمائةِ بعيرٍ بأحْلاسِها وأقْتابِها . قال عبدُ الرحمنِ : فأنا شهِدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ وهو على المنبرِ : « ما ضَرَّ عثمانَ بعدَها » . أو قال : « بعدَ اليومِ » .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[7] : حدَّثنا أبو عَوانةَ ، عن حصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عمرِو بنِ جاوانَ ، عن الأحْنفِ بنِ قيسٍ قال : سمِعْتُ عثمانَ بنَ عفانَ يقولُ لسعدِ بنِ أبى وقاصٍ وعليٍّ والزبيرِ وطلحةَ : أنشُدُكم باللَّهِ هل تعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن جهَّز جيشَ العُسْرةِ غفَر اللَّهُ له » . فجهَّزْتُهم حتى ما يَفْقِدون

---

(١) بعده فى المسند : « قال : ثم حث فقال عثمان : عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها » . والحلس : كل ما ولى ظهر الدابة تحت الرحل والقَتَب والسَّرج . والقتب : رحل صغير على قدر سنام البعير . الوسيط (ح ل س) ، (ق ت ب) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المرقاة : الدرجة .

(٤) فى النسخ : « يسار » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.

(٥) الترمذى (٣٧٠٠) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٩٦٦) .

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٢١٤.

(٧) مسند أبى داود الطيالسى (٨٢) .

خِطامًا ولا عِقالًا . قالوا : اللهم نعم . ورَواه النسائيُّ مِن حديثِ حصينٍ به[1] .

فصلٌ في مَن تَخلَّف معذورًا مِن البَكَّائِين وغيرِهم

قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ [٣/ ١٩٢ظ] كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٨٦- ٩٣] . قد تكلَّمْنا على تفسيرِ هذا كلِّه في « التفسيرِ »[2] بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) سنن النسائي (٣٦٠٨) . صحيح (صحيح سنن النسائي ٣٣٧٢) .

(٢) التفسير ٤/١٣٥ - ١٣٩.

والمقصودُ ذكْرُ البَكَّائين الذين جاءُوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ليَحْمِلَهم ، حتى يَصْحَبوه فى غزوتِه هذه ، فلم يَجِدوا عندَه مِن الظَّهْرِ ما يَحْمِلُهم عليه ، فرَجَعوا وهم يَبْكون ؛ تأسُّفًا على ما فاتهم مِن الجهادِ فى سبيلِ اللَّهِ ، والنَّفَقَةِ فيه .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانوا سبعةَ نفرٍ مِن الأنصارِ وغيرِهم ؛ فمِن بنى عمرِو ابنِ عوفٍ سالمُ بنُ عميرٍ ، وعُلْبةُ بنُ زيدٍ أخو بنى حارثةَ ، وأبو ليلى عبدُ الرحمنِ ابنُ كعبٍ أخو بنى مازنِ بنِ النَّجّارِ ، وعمرُو بنُ الحُمامِ بنِ الجَمُوحِ أخو بنى سَلِمةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ المُغَفَّلِ المُزَنىُّ ، وبعضُ الناسِ يقولون : بل هو عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو المُزَنىُّ . وهَرَمىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ أخو بنى واقِفٍ ، وعِرْباضُ بنُ ساريةَ الفَزارىُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فبلَغنى أن ابنَ يَامِينَ بنَ عُميرِ بنِ كعبٍ النَّضَرىَّ لَقِىَ أبا ليلى ، وعبدَ اللَّهِ بنَ مُغَفَّلٍ وهما يَبْكيان ، فقال : ما يُبْكيكما ؟ قالا : جئْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليَحْمِلَنا ، فلم نَجِدْ عندَه ما يَحْمِلُنا عليه ، وليس عندَنا ما نَتَقَوَّى به على الخروجِ معه . فأعْطاهما ناضِحًا[3] له فارْتَحَلاه ، وزَوَّدهما شيئًا مِن تمرٍ ، فخرَجا مع النبىِّ ﷺ . زاد يونسُ بنُ بكيرٍ[4] ، عن ابنِ إسحاقَ : وأمَّا عُلْبةُ بنُ زيدٍ فخَرَج مِن الليلِ ، فصلَّى مِن ليلتِه ما شاء اللَّهُ ، ثُم بكَى وقال : اللهم إنَّك أمَرْتَ بالجهادِ ورَغَّبْتَ فيه ، ثُم لم تَجْعَلْ عندى ما أتقَوَّى به[5] ، ولم تَجْعَلْ فى يدِ رسولِك ﷺ ما يَحْمِلُنى عليه ، وإنِّى أتَصَدَّقُ على كلِّ مسلمٍ بكلِّ مَظْلِمَةٍ أصابنى فيها ؛ فى مالٍ أو جسدٍ [٣/١٩٣و] أو عِرْضٍ . ثم أصبح مع الناسِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أين

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٨، بنحوه .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الناضح : الدابة يستقى عليها . الوسيط (ن ض ح) .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢١٨، ٢١٩، من طريق يونس به .

(٥) بعده فى الدلائل : « مع رسول الله ﷺ » .

المُتَصَدِّقُ هذه الليلةَ ؟ » فلم يَقُمْ أحدٌ ، ثُم قال : « أين المُتَصَدِّقُ ؟ فلْيَقُمْ » . فقام إليه فأخْبَرَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أبْشِرْ ، فوالذى نفسى بيدِه ، لقد كُتِبَتْ فى الزكاةِ المُتَقَبَّلةِ » .

وقد أوْرَد الحافظُ البيهقىُّ هـٰهنا حديثَ أبى موسى الأشْعرىِّ ، فقال[1] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الحميدِ الحارِثىُّ[2] ، حدَّثنا أبو أسامةَ ، عن بُرَيْدٍ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى قال : أرْسَلَنى أصْحابى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أسْأَلُه لهم الحُمْلانَ ، إذ هم معه فى جيشِ العُسْرَةِ ، [3]وهو فى[3] غزوةِ تَبُوكَ ، فقلتُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، إن أصحابى أرْسَلونى إليك لتَحْمِلَهم . فقال : « واللَّهِ لا أحْمِلُكم على شىءٍ » . ووافَقْتُه وهو غَضْبانُ ولا أشْعُرُ ، فرَجَعْتُ حزينًا مِن مَنْعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومِن مَخافَةِ أن يكونَ رسولُ اللَّهِ قد وَجَد فى نفسِه علىَّ ، فرَجَعْتُ إلى أصْحابى فأخْبَرْتُهم بالذى قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم أَلْبَثْ إلَّا سُوَيْعةً إذ سمِعْتُ بلالًا يُنادى : أين عبدُ اللَّهِ بنُ قيسٍ[4] ؟ فأجَبْتُه فقال : أجِبْ ، رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعوك . فلمَّا أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خُذْ هَذَيْن القَرِينَيْنِ[5] وهذيْن القَرِينَيْنِ[5] [6]وهذيْن القَرِينَيْنِ[6] » . لستةِ أبْعِرَةٍ ابْتاعَهُنَّ حينَئذٍ مِن سعدٍ ، فقال : « انْطَلِقْ بهنَّ إلى أصحابِك ، فقل :

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢١٦، ٢١٧.

(٢) فى الأصل، م، ص: «المازنى». والمثبت من الدلائل. وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٠٨.

(٣ - ٣) سقط من: م. وفى الأصل: «وهو».

(٤) عبد اللَّه بن قيس هو اسم أبى موسى الأشعرى.

(٥) فى الأصل، م: «القربتين». وفى ص مطموسة. والمثبت من الدلائل. والقرينان: الجملان المشدودان أحدُهما إلى الآخر. انظر النهاية ٤/ ٥٣.

(٦ - ٦) سقط من: ص. وفى الأصل، م: «وهذين القربتين». والمثبت من الدلائل.

إنَّ اللَّهَ - أو قال[1] : إنَّ رسولَ اللَّهِ - يَحْمِلُكم على هؤلاءِ فارْكَبُوهم[2] » .

فقلتُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يحْمِلُكم على هؤلاءِ ، ولكنْ واللَّهِ لا أدَعُكم حتى يَنْطَلِقَ معى بعضُكم إلى مَن سَمِع مقالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ سأَلْتُه لكم ، ومَنْعَه لى فى أولِ مرةٍ ، ثم إعطاءَه إياىَ بعدَ ذلك ، لا تَظُنُّوا أنِّى حَدَّثْتُكم شيئًا لم يَقُلْه . فقالوا لى : واللَّهِ إنَّك عندَنا لَمُصَدَّقٌ ولَنَفْعَلَنَّ ما أحْبَبْتَ . قال : فانْطَلَق أبو موسى بنفرٍ منهم ، حتى أتَوُا الذين سَمِعوا مقالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مَنْعِه إياهم ، ثُم إعطائِه بعدُ ، فحدَّثوهم بما حدَّثهم به أبو موسى سواءً . وأخْرَجه البخارىُّ ومسلمٌ جميعًا ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى أسامةَ[3] . وفى روايةٍ لهما[4] ، عن أبى موسى قال : أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى رَهْطٍ مِن الأشْعريِّين ليَحْمِلَنا ، فقال : « واللَّهِ ما أحْمِلُكم ، وما عندى ما أحْمِلُكم عليه » . قال : ثُم جِىءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١٩٣ظ] بنَهْبِ[5] إبِلٍ ، فأمَر لنا بستِّ[6] ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى[7] ، فأخَذْناها ، ثم قلنا : تَغَفَّلْنا[8] رسولَ اللَّهِ ﷺ يمينَه ، واللَّهِ لا يُبارَكُ لنا . فرَجَعْنا له فقال : « ما أنا حَمَلْتُكم ، ولكنَّ اللَّهَ حَمَلَكم » . ثُم قال : « إنِّى واللَّهِ ، إن شاء اللَّهُ ، لا أحْلِفُ

---

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٢) زيادة من الدلائل .

(٣) البخارى (٤٤١٥) . ومسلم (٨/ ١٦٤٩) .

(٤) البخارى (٣١٣٣، ٤٣٨٥، ٥٥١٨، ٦٦٢٣، ٦٦٤٩، ٦٧١٨، ٦٧٢١، ٧٥٥٥) ، ومسلم (٧ ، ٩/ ١٦٤٩) .

(٥) نهب : أى غنيمة . انظر النهاية ٥/ ١٣٣.

(٦) كذا فى النسخ . والذى فى البخارى ومسلم : « بثلاث » ، و « بخمس » . والذود من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع . وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . انظر النهاية ٢/ ١٧١.

(٧) غر الذرى : بِيض الأسنمة سِمانُها . والذرى : جمع ذِرْوَة ، وهى أعلى سنام البعير . انظر النهاية ٢/ ١٥٩.

(٨) فى الأصل ، م : « يعقلنا » . والمثبت هو لفظ البخارى . وفى مسلم : « أغفلنا » . قال ابن الأثير : أغفلنا ؛ أى جعلناه غافلًا عن يمينه بسبب سؤالنا . وقيل : سألناه فى وقت شُغله ، ولم نَنتظِر فراغه . يقال : تَغَفَّلْتُه واستغفلته . أى تحيَّنْتُ غَفْلَتَه . النهاية ٣/ ٣٧٥، ٣٧٦.

على يمينٍ فأرَى غيرَها خيرًا منها إلَّا أتَيْتُ الذى هو خيرٌ وتَحَلَّلْتُها » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كان نفرٌ مِن المسلمين أبطَأَتْ بهم النِّيَّةُ[2] حتى تَخَلَّفوا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن غيرِ شكٍّ ولا ارتيابٍ ؛ منهم كعبُ بنُ مالكِ بنِ أبى كعبٍ أخو بنى سَلِمةَ ، ومُرارةُ بنُ ربيعٍ أخو بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، وهلالُ بنُ أميةَ أخو بنى واقفٍ ، وأبو خَيْثَمَةَ أخو بنى سالمِ بنِ عوفٍ ، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهَمون فى إسلامِهم .

قلتُ : أما الثلاثةُ الأُوَلُ فستأتى قصتُهم مَبْسوطةً قريبًا ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وهم الذين أنزَل اللَّهُ فيهم[3] : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة : ١١٨] . وأما أبو خَيْثمةَ ، فإنَّه عاد وعزَم على اللُّحُوقِ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما سيأتى .

فصلٌ

قال يونسُ بنُ بكيرٍ[4] ، عن ابنِ إسحاقَ : ثم اسْتَتَبَّ[5] برسولِ اللَّهِ ﷺ سفرُه[6] وأجْمَع السيرَ ، فلما خرَج يومَ الخميسِ ضرَب عَسْكرَه على ثنيةِ الوَداعِ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٩.

(٢) فى الأصل : « الغية » . وفى م : « الغيبة » .

(٣) التفسير ٤/ ١٦٥ - ١٧٠.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢١٩، من طريق يونس بن بكير به .

(٥) فى الأصل : « استب » .

(٦) سقط من : الأصل .

ومعه زيادةٌ على ثلاثين ألفًا مِن الناسِ ، وضرَب عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ عدُوُّ اللَّهِ عَسْكرَه أسفلَ منه ، وما كان فيما يزعُمون بأقلِّ العَسْكَرَيْن ، فلما سار رسولُ اللَّهِ ﷺ تخَلَّف عنه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ فى طائفةٍ مِن المنافقين وأهلِ الرَّيْبِ .

قال ابنُ هشام[1] : واسْتَخْلَف رسولُ اللَّهِ ﷺ على المدينةِ محمدَ بنَ مَسْلَمةَ الأنصاريَّ . قال[1] : وذكَر الدَّراوَرْدِيُّ أنه استَخْلَف عليها عامَ تَبوكَ سِباعَ بنَ عُرْفُطةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وخلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ على أهلِه وأمَره بالإقامةِ فيهم فأرْجَف به المنافقون ، وقالوا : ما خلَّفه إلا اسْتِثْقالًا له وتخفُّفًا منه . فلما قالوا ذلك أخَذ عليٌّ سلاحَه ، ثم خرَج حتى لحِق برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو نازلٌ بالجُرْفِ[3] ، فأخْبَره بما قالوا فقال : « كذَبوا ولكنِّى خلَّفْتُك لِما ترَكْتُ ورائى ، فارْجِعْ فاخْلُفْنى فى أهلى وأهلِك ، أفلا تَرْضَى يا عليُّ أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى ، إلَّا أنه لا نبيَّ بعدى ؟ » فرجَع عليٌّ ، ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١٩٤و] فى سفرِه .

ثم قال ابنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى محمدُ بنُ طلحةَ بنِ يزيدَ بنِ رُكانةَ ، عن إبراهيمَ بنِ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ ، عن أبيه سعدٍ أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعليٍّ هذه المقالةَ . وقد روى البخاريُّ ومسلمٌ هذا الحديثَ مِن طريقِ شعبةَ ، عن سعدِ ابنِ إبراهيمَ ، عن إبراهيمَ بنِ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ ، عن أبيه به[5] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥١٩، ٥٢٠.

(٣) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . معجم البلدان ٢/ ٦٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٠.

(٥) البخارى (٣٧٠٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) .

وقد قال أبو داودَ الطَّيالسيُّ فى « مسندِه »[1] : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحكَمِ ، عن مُصعبِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه قال : خلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ فى غزوةِ تَبوكَ ، فقال : [2] يا رسولَ اللَّهِ ، أتُخَلِّفُنى فى النساءِ والصبيانِ ؟ فقال : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ [2] مِن موسى غيرَ أنه لا نبيَّ بعدى ؟ » وأخْرجاه مِن طرقٍ ، عن شعبةَ نحوَه[3] . وعلَّقه البخاريُّ أيضًا مِن طريقِ أبى داودَ ، عن شعبةَ[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ[6] ، حدَّثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن بُكيرِ بنِ مِسْمارٍ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه قال[7] : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ له - وخلَّفه فى بعضِ مغازيه ، فقال عليٌّ : يا رسولَ اللَّهِ ، تُخَلِّفُنى مع النساءِ والصبيانِ ؟ - فقال : « يا عليُّ ، أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى [8] إلا أنه لا نبيَّ بعدى ؟ » ورواه مسلمٌ ، والترمذيُّ ، عن قتيبةَ ، زاد مسلمٌ : ومحمدِ بنِ عَبَّادٍ[9][8] ، كلاهما عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ به[10] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

قال ابنُ إسحاقَ[11] : ثم إن أبا خَيْثمةَ رجَع بعدَ ما سار رسولُ اللَّهِ ﷺ أيامًا

---

(١) مسند أبى داود (٢٠٩) .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) البخارى (٤٤١٦) ، ومسلم (٣١/٠٠٠٠/٢٤٠٤) .
(٤) البخارى عقب الحديث (٤٤١٦) .
(٥) المسند ١/ ١٨٥ . (إسناده صحيح) .
(٦) فى ص : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٢٣ .
(٧) زيادة من : المسند .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل .
(٩) فى ص : « عياد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٣٥ .
(١٠) مسلم (٣٢/ ٢٤٠٤) ، والترمذى (٣٧٢٤) .
(١١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٠ ، ٥٢١ .

إلى أهلِه فى يومٍ حارٍّ، فوجَد امرأتَيْن له فى عَرِيشَيْن لهما فى حائطِه، قد رَشَّت كلُّ واحدةٍ منهما عريشَها، وبرَّدَت له[1] فيه ماءً، وهيَّأَت له فيه طعامًا، فلما دخَل قام على بابِ العَرِيشِ فنظَر إلى امرأتيه وما صنَعتا له، فقال: رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الضِّحِّ[2] والريحِ والحرِّ، وأبو خَيْثمةَ فى ظِلٍّ باردٍ وطعامٍ مُهَيَّأٍ وامرأةٍ حَسْناءَ، فى مالِه مقيمٌ! ما هذا بالنَّصَفِ[3]. [4]ثم قال[4]: واللَّهِ لا أدْخُلُ عَرِيشَ واحدةٍ منكما حتى أَلْحَقَ برسولِ اللَّهِ ﷺ، فهَيِّئا زادًا. ففعَلَتا، ثم قدَّم ناضِحَه فارْتَحله، ثم خرَج فى طلبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أدْرَكَه حينَ نزَل تَبوكَ، [٣/١٩٤ظ] وقد[5] كان أدرك أبا خَيْثمةَ عُميرُ بنُ وهبٍ الجُمَحىُّ فى الطريقِ يطْلُبُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فترافَقا، حتى إذا دنَوْا مِن تَبوكَ قال أبو خَيْثمةَ لعميرِ بنِ وهبٍ: إنَّ لى[6] ذنبًا فلا عليك أن تخَلَّفَ عنِّى حتى آتىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ. ففعَل حتى إذا دنا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال الناسُ: هذا راكبٌ على الطريقِ مُقْبِلٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كن أبا خَيْثمةَ». فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، هو واللَّهِ أبو خَيْثمةَ. فلما بلَغ أقْبَل فسلَّم على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال له: «أَوْلى لك يا أبا خَيْثمةَ!». ثم أخْبَر رسولَ اللَّهِ الخبرَ، فقال خيرًا، ودعا له بخيرٍ.

وقد ذكَر عروةُ بنُ الزبيرِ، وموسى بنُ عقبةَ قصةَ أبى خَيْثمةَ[7] بنحوٍ مِن سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ وأبسطَ، وذكَر أن خروجَه، عليه السلامُ، إلى تَبوكَ

---

(١) سقط من: الأصل، م.
(٢) الضِّح: الشمس. الوسيط (ض ح ح).
(٣) النَّصَف: العدل. المحيط (ن ص ف).
(٤ - ٤) زيادة من: ص.
(٥) سقط من: الأصل، م.
(٦) سقط من: الأصل.
(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٢٢٣ - ٢٢٦، عن عروة وموسى بن عقبة.

كان فى زمنِ الخريفِ[1] . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ هشامٍ[2] : وقال أبو خَيْثمةَ ، واسمُه مالكُ بنُ قيسٍ ، فى ذلك :

لمَّا رَأَيْتُ الناسَ فى الدينِ نافقوا ... أَتَيْتُ التى كانت أعَفَّ وأكْرَما

وبايَعْتُ[3] باليُمْنَى يَدِى لمحمدٍ ... فلم أكْتَسبْ إثْمًا و[4]لم أغْشَ مَحْرمَا

ترَكْتُ خَضِيبًا[5] فى العَرِيشِ وصِرْمةً ... صَفايا كِرامًا بُسْرُها قد تَحَمَّمَا[6]

وكنتُ إذا شَكَّ المنافقُ أسْمَحَت ... إلى الدينِ نفسى شَطْرَه حيث يَمَّمَا[7]

قال يونسُ بنُ بكيرٍ[8] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن بُرَيْدةَ بنِ[9] سفيانَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : لمَّا سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى تَبوكَ جعَل لا يزالُ الرجلُ يتَخَلَّفُ ، فيقولون : يا رسولَ اللَّهِ ، تخَلَّف فلانٌ . فيقولُ : « دَعُوه ، إن يكُ فيه خيرٌ فسيُلْحِقُه اللَّهُ بكم ، وإن يكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم اللَّهُ منه » . حتى قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، تخَلَّف أبو ذرٍّ وأبْطَأ به بعيرُه . فقال : « دَعُوه ، إن يكُ فيه خيرٌ فسيُلْحِقُه اللَّهُ بكم ، وإن يكُ غيرَ ذلك فقد

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٢٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢١.

(٣) فى ا ٤: « وصافحت » .

(٤) سقط من : « م » .

(٥) فى الأصل ، ص : « خصيبًا » . وفى ا ٤١: « حصانا » . والخضيب : المخضوبة بالحناء . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٢.

(٦) الصرمة هنا : جماعة النخل . وصفايا : أى كثيرة الحمل . والبسر : التمر قبل أن يطيب . وتحمم : أى أخذ فى الإرطاب فاسودَّ . المصدر السابق .

(٧) أسمحت : انقادت . وشطره : نحوه وقصده . ويمم : قصد . المصدر السابق .

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٢١، ٢٢٢، من طريق يونس بن بكير به .

(٩) فى الأصل ، م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٥.

أراحكم اللَّهُ منه » . فتَلَوَّم[1] أبو ذَرٍّ بعيرَه ، فلما أبْطَأ عليه أخَذ متاعَه فجعَله على ظهرِه ، ثم خرَج يَتَّبِعُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ماشيًا ، ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١٩٥و] فى بعضِ منازِله ، ونظَر ناظرٌ مِن المسلمين ، فقال : يارسولَ اللَّهِ ، إن هذا الرجلَ ماشٍ على الطريقِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كن أبا ذَرٍّ » . فلما تأمَّلَه القومُ قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هو واللَّهِ أبو ذَرٍّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أبا ذَرٍّ ، يمشى وحدَه ، ويموتُ وحدَه ، ويُبْعَثُ وحدَه » . قال : فضرَب [2]الدَّهرُ مِن[2] ضَرْبِه[3] ، وسُيِّر أبو ذرٍّ إلى الرَّبَذَةِ[4] ، فلما حضَره الموتُ أوْصَى امرأتَه وغلامَه فقال : إذا مُتُّ فاغْسِلانى وكفِّنانى مِن الليلِ ، ثم ضَعانى على قارعةِ الطريقِ ، فأوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّون بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ . فلما مات فعَلوا به كذلك ، فاطَّلع رَكْبٌ ، فما عَلِموا به حتى كادت رِكابُهم تطَأُ سَريرَه ، فإذا ابنُ مسعودٍ فى رهطٍ مِن أهلِ الكوفةِ فقال : ما هذا ؟ فقيل : جِنازةُ أبى ذرٍّ . فاستهلَّ ابنُ مسعودٍ يبكى ، وقال : صدَق رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أبا ذرٍّ يمشى وحدَه ، [5]ويموتُ وحدَه[5] ، ويُبْعَثُ وحدَه » . فنزَل فوليَه بنفسِه حتى أجَنَّه[6] . إسنادُه حسنٌ ، ولم يُخْرِجوه .

قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، أخْبَرنا مَعمَرٌ ، أخبَرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) فى ا ٤: « فحرك » . وفى الدلائل : « فيلزم » . وتلوم : انتظر .

(٢ - ٢) سقط من : م . وبياض فى : الأصل ، ص .

(٣) ضرب الدهر من ضربه : أى مرَّ من مُروره ، وذهب بعضه . النهاية ٣/ ٨٠.

(٤) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق ، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريدُ مكة ؛ وبهذا الموضع قبر أبى ذر الغفارى ، رضىَ اللَّه عنه ، وكان قد خرج إليها مغاضبًا لعثمان بن عفان ، رضىَ اللَّه عنه ، فأقام بها إلى أن مات فى سنة ٣٢. معجم البلدان ٢/ ٧٤٩.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) أجنَّه : دَفَنَه .

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٢٧، من طريق أحمد بن حنبل به .

محمدِ بنِ عَقِيلٍ فى قولِه تعالى[1] : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] . قال : خرَجوا فى غزوةِ تَبوكَ ، الرجلان والثلاثةُ على بعيرٍ واحدٍ ، وخرَجوا فى حرٍّ شديدٍ ، فأصابهم فى يومٍ عطشٌ حتى جعَلوا ينْحَرون إبلَهم ليَعْصِرُوا[2] أكْراشَها ويشْرَبوا ماءَها ، فكان ذلك عُسْرةً فى الماءِ وعُسْرةً فى النفقةِ وعُسْرةً فى الظَّهْرِ .

قال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[2] : أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن سعيدِ[3] بنِ أبى هلالٍ ، عن عتبةَ بنِ أبى عتبةَ ، عن نافعِ بنِ جبيرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ أنه قيل لعمرَ بنِ الخطابِ : حدِّثْنا عن شأنِ ساعةِ العُسْرةِ . فقال عمرُ : خرَجْنا إلى تَبوكَ فى قَيْظٍ شديدٍ ، فنزَلْنا منزلًا وأصابنا فيه عطشٌ حتى ظَنَنَّا أن رِقابَنا ستَنْقَطِعُ ، حتى إن كان[4] أحدُنا لَيَذْهَبُ فيلْتَمِسُ الرحلَ[5] فلا يرجِعُ حتى يظُنَّ أن رقبتَه ستَنْقَطِعُ ، حتى إنَّ الرجلَ لَيَنْحَرُ بعيرَه فيَعْتَصِرُ فَرْثَه فيَشْرَبُه ، ثم يجعَلُ ما بَقِىَ على كبدِه ، فقال أبو بكرٍ الصديقُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن اللَّهَ قد عوَّدك فى الدعاءِ خيرًا ، فادْعُ اللَّهَ لنا . فقال : « أتُحِبُّ ذلك ؟ » [٣/ ١٩٥ظ] قال : نعم . قال : فرفَع يديه نحوَ السماءِ ، فلم يُرْجِعْهما حتى قالت[6] السماءُ ، فأظَلَّت[7] ثم سكَبَت ، فملَئوا ما معهم ، ثم ذهَبْنا ننظُرُ فلم نجِدْها جاوَزت العسكرَ . إسنادُه جيدٌ ، ولم يُخْرِجوه

---

(١) التفسير ٤/ ١٦٤، ١٦٥.

(٢) فى النسخ : « لينفضوا » . والمثبت من دلائل النبوة . وانظر تاريخ الإسلام جزء المغازى ص ٦٣٤.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٣١، من طريق ابن وهب به .

(٤) فى الدلائل : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٤.

(٥) فى الأصل ، ص : « كاد » .

(٦) فى الأصل ، والدلائل : « الرجل » .

(٧) أى تهيأت واستعدت . قال ابن الأثير : والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان . انظر القاموس المحيط (ق و ل) . والنهاية ٤/ ١٢٤.

(٨) فى الأصل : « فأطلعت » . وفى م : « فأطلت » .

مِن هذا الوجهِ .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[1] ، عن عاصمِ بنِ عمرَ[2] بنِ قتادةَ ، عن رجالٍ مِن قومِه أن هذه القَضِيَّةَ كانت وهم بالحِجْرِ ، وأنَّهم قالوا لرجلٍ معهم منافِقٍ : ويحَك ! هل بعدَ هذا مِن شيءٍ ؟! فقال : سحابةٌ مارَّةٌ . وذكَر أن ناقةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ضَلَّت ، فذهَبوا[3] فى طلبِها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعُمارةَ بنِ حزمٍ الأنصاريِّ - وكان عندَه - : « إن رجلًا قال : هذا محمدٌ يُخْبِرُكم أنه نبيٌّ ويُخْبِرُكم خبرَ السماءِ وهو لا يَدْرى أين ناقتُه . وإنى واللَّهِ ما أعْلَمُ إلا ما علَّمنىَ اللَّهُ ، وقد دلَّنىَ اللَّهُ عليها ، هى فى الوادى قد[4] حبَسَتْها شجرةٌ بزِمامِها » . فانطَلَقوا فجاءوا بها فرجَع عُمارةُ إلى رَحلِه ، فحدَّثهم عما جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن خبرِ الرجلِ ، فقال رجلٌ ممن كان فى رحلِ عُمارةَ : إنما قال ذلك زيدُ بنُ اللُّصَيْتِ ، وكان فى رحلِ عُمارةَ قبلَ أن يأتىَ ، فأقْبلَ عُمارةُ على زيدٍ يجَأُ فى عنقِه ويقولُ : إن فى رحلى لَداهيةً وأنا لا أدرى ، اخْرُجْ عنى يا عدوَّ اللَّهِ ، فلا تَصْحَبْنى . فقال بعضُ الناسِ : إن زيدًا تاب . وقال بعضُهم : لم يزلْ[5] مُصِرًّا[6] حتى هلَك .

قال الحافظُ البيهقىُّ[7] : وقد رُوِّينا مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ شبيهًا بقصةِ الراحلةِ . ثم روَى[8] مِن حديثِ الأعْمشِ ، وقد رواه الإمامُ أحمدُ[9] ، عن أبى

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٣١، ٢٣٢، من طريق ابن إسحاق به .
(٢) فى ص : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٥٢٨.
(٣) بعده فى ص : « صحابه » .
(٤) سقط من : الأصل ، ص .
(٥) سقط من : الأصل .
(٦) فى الأصل : « حصيرًا » . وفى م : « متهمًا بشرٍ » وهو لفظ رواية ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٣.
(٧) دلائل النبوة ٥/ ٢٣٢.
(٨) أى البيهقى ، دلائل النبوة ٥/ ٢٢٩، ٢٣٠.
(٩) المسند ٣/ ١١. والحديث عند مسلم كما سيأتى .

معاويةَ، عن الأعْمشِ، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ، أو عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ - شكَّ الأعْمشُ - قال: لما كان يومُ غزوةِ تَبوكَ أصاب الناسَ مَجاعةٌ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، لو أَذِنْتَ لنا فننْحَرَ نَواضحَنا، فأكَلْنا وادَّهَنَّا. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلوا». فجاء عمرُ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، (١إن فعَلْتَ قلَّ الظَّهْرُ١)، ولكن ادْعُهم بفضلِ أزْوادِهم، وادْعُ اللَّهَ لهم فيها بالبركةِ، لعل اللَّهَ أن يَجْعَلَ فيها البركةَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نعم». فدَعا بنِطَعٍ فبسَطه، ثم دَعا بفَضْلِ أزْوادِهم فجعَل الرجلُ يجىءُ بكفِّ ذُرَةٍ، ويجىءُ الآخر بكفٍّ مِن التمرِ، ويجىءُ الآخرُ [٣/١٩٦و] بكِسْرةٍ حتى اجتمع على النِّطَعِ مِن ذلك شىءٌ يسيرٌ، فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالبركةِ، ثم قال لهم: «خذُوا فى أوعيتِكم». فأخَذوا فى أوعيتِهم حتى ما ترَكوا (٢فى العسكرِ٢) وعاءً إلا ملَئوه وأكَلوا حتى شبِعوا، وفضَلَت فَضْلةٌ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنِّى رسولُ اللَّهِ لا يَلْقَى اللَّهَ بها عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحْجَبَ عن الجنةِ». ورواه مسلمٌ، عن أبى كُرَيْبٍ، عن أبى معاويةَ، عن الأعْمشِ به[٣]. ورواه الإمامُ أحمدُ[٤] مِن حديثِ سُهيلِ (٥بنِ أبى صالحٍ٥)، (٦عن أبيه٦)، عن أبى هريرةَ[٧]. ولم يذكُرْ غزوةَ تَبوكَ، بل قال: كان فى غزوةٍ غزاها.

(١ - ١) بياض فى: ص. وفى المسند: «إنهم إن فعلوا قل الظهر».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) مسلم (٤٥/٢٧).

(٤) المسند ٢/ ٤٢١.

(٥ - ٥) زيادة من: ا ٤.

(٦ - ٦) سقط من مطبوعة المسند، وهو ذكوان أبو صالح السمان. انظر أطراف المسند ٧/١٨٧، ١٨٨.

(٧) بعده فى م: «به».

ذكرُ[1] مرورِه ﷺ في ذهابِه إلى تبوكَ بمساكنِ ثمودَ [2]وصَرْحَتِهم[2] بالحِجْرِ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ مرَّ بالحِجْرِ نزَلها واسْتَقَى الناسُ مِن بئرِها ، فلما راحوا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَشْرَبوا مِن مياهِها شيئًا ، ولا تتَوَضَّئوا منه للصلاةِ ، وما كان مِن عجينٍ عجَنْتُموه فأعْلِفوه الإبلَ ، ولا تأْكُلوا منه شيئًا » . هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ بغيرِ إسنادٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يَعْمَرُ بنُ بِشْرٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ - هو ابنُ المباركِ - أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، أخبرني سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجْرِ قال : « لا تدْخُلوا مساكنَ الذين ظلَموا أنفسَهم إلَّا أن تكونوا باكين ؛ أن يُصِيبَكم ما أصابهم » . وتَقَنَّع بردائِه وهو على الرَّحْلِ . ورواه البخاريُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ وعبدِ الرزاقِ ، كلاهما عن مَعْمَرٍ بإسنادِه نحوَه[5] .

وقال مالكٌ[6] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأصحابِه : « لا تدْخُلوا على هؤلاء القومِ[7] المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م . والصرحة : ساحة الدار . الوسيط (ص ر ح) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢١ .

(٤) المسند ٢/ ٦٦ . (إسناده صحيح) .

(٥) البخاري (٣٣٨٠، ٤٤١٩) .

(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٣٣، من طريق مالك به .

(٧) سقط من : الأصل ، م .

تكونوا باكين فلا تدْخُلوا عليهم، أن يُصِيبَكم مثلُ ما أصابهم». ورواه البخاريُّ مِن [1]حديثِ مالكٍ ومِن[1] حديثِ سليمانَ بنِ بلالٍ، كلاهما عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ[2]. ورواه مسلمٌ مِن وجهٍ آخرَ، [1]عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ نحوَه[3][1].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا عبدُ الصمدِ، حدَّثنا صَخْرٌ - هو ابنُ جُوَيْرِيَةَ - عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ عامَ تَبوكَ الحِجْرَ عندَ بيوتِ ثَمودَ، [٣/ ١٩٦ظ] فاسْتَقَى الناسُ مِن الآبارِ التى كانت تَشْرَبُ منها ثمودُ، فعجَنوا ونصَبوا القُدورَ [1]باللحمِ، فأمَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأهْرَقوا القُدورَ[1]، وعلَفوا العجينَ الإبلَ، ثم ارتحل بهم حتى نزَل بهم على البئرِ التى كانت تَشْرَبُ منها الناقةُ، ونهاهم أن يدْخُلوا على القومِ الذين عُذِّبوا فقال: «إنى أخْشَى أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم، فلا تدْخُلوا عليهم». وهذا الحديثُ إسنادُه على شرطِ «الصحيحين» مِن هذا الوجهِ، ولم يُخْرِجوه، وإنما أخْرَجه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ أنسِ بنِ عِياضٍ[5] أبى ضَمْرةَ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ به[6]. قال البخاريُّ: وتابعه أسامةُ، عن نافعٍ[7]. ورواه مسلمٌ مِن حديثِ شعيبِ بنِ إسحاقَ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ، عن نافعٍ به[8].

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) البخارى (٤٣٣، ٣٣٧٨، ٤٤٢٠، ٤٧٠٢).

(٣) مسلم (٢٩٨٠).

(٤) تقدم تخريجه فى ١/ ٣٢١.

(٥) بعده فى الأصل: «بن»، وبعده فى ا ٤، م، ص: «عن». والمثبت من مصادر ترجمته، وأبو ضمرة هو أنس بن عياض بن ضمرة. انظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٤٩.

(٦) البخارى (٣٣٧٩)، ومسلم (٠٠٠/ ٢٩٨١).

(٧) فى النسخ: «عبيد الله»، وهو خطأ. والمثبت من البخارى. وأسامة هو ابن زيد بن أسلم. انظر تهذيب الكمال ٢/ ٣٣٤. ووصل هذه الطريق الحافظُ فى تغليق التعليق ٤/ ٢٢. وانظر الفتح ٦/ ٣٨٠.

(٨) مسلم (٢٩٨١).

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ قال : لما مرَّ النبىُّ ﷺ بالحِجْرِ قال : « لا تَسْألوا الآياتِ ، فقد سأَلها قومُ صالحٍ فكانت تردُ مِن هذا الفَجِّ ، وتَصْدُرُ مِن هذا الفَجِّ ، فعتَوْا عن أمْرِ ربِّهم فعقَروها ، وكانت تَشْرَبُ ماءَهم يومًا ويشْرَبون لبنَها يومًا ، فعقَروها ، فأخَذَتهم صَيْحةٌ أهْمَد اللَّهُ مَن تحتَ أَديمِ السماءِ منهم ، إلا رجلًا واحدًا كان فى حَرَمِ اللَّهِ » . قيل : مَن هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هو أبو رِغالٍ ، فلما خرَج مِن الحَرَمِ أصابه ما أصاب قومَه » . إسنادُه صحيحٌ ، ولم يُخْرِجوه .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أخبرنا المَسْعودىُّ ، عن إسماعيلَ بنِ أَوْسطَ[3] ، عن محمدِ بنِ أبى كَبْشةَ الأنمارىِّ ، عن أبيه قال : لما كان فى غزوةِ تَبوكَ تَسارَع الناسُ إلى أهْلِ الحِجْرِ يَدْخُلون عليهم ، فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فنُودِىَ فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . قال : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو مُمْسِكٌ بعيرَه وهو يقولُ : « ما تدْخُلون على قومٍ غضِب اللَّهُ عليهم ؟ » فناداه رجلٌ منهم[4] : نَعْجَبُ منهم [5]يا رسولَ اللَّهِ[5] . قال : « أفلا أُنَبِّئُكم بأعجبَ مِن ذلك ؟ رجلٌ مِن أنفسِكم يُنَبِّئُكم بما كان قَبلَكم وما هو كائنٌ بعدَكم ، فاسْتَقِيموا وسدِّدوا ، فإن اللَّهَ لا يَعْبَأُ بعذابِكم شيئًا ، وسيأتى قومٌ لا يَدْفَعون عن أنفسِهم شيئًا » . إسنادُه حسنٌ ، ولم يُخْرِجوه .

وقال يونسُ بنُ بكيرٍ[6] ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٣١٧.

(٢) تقدم تخريجه فى ١/ ٣٢٢.

(٣) فى م : « واسط » . وانظر التاريخ الكبير ١/ ٣٤٦.

(٤) سقط من : ا ، ٤ ، م .

(٥ - ٥) زيادة من المسند .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٤٠، من طريق يونس بن بكير به .

حَزْمٍ [٣/ ١٩٧و] عن العباسِ بنِ سَهْلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ - أو عن العباسِ ، [١] عن سَهْلِ [١] بنِ سعدٍ ، الشكُّ منى - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ مرَّ بالحِجْرِ ونزَلها اسْتَقَى الناسُ مِن بئرِها ، فلما راحوا منها قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للناسِ : « لا تشْرَبوا مِن مائِها شيئًا ، ولا تتَوَضَّئوا منه للصلاةِ ، وما كان مِن عجينٍ عجَنْتُموه فأعْلِفوه الإبلَ ولا تأكلوا منه شيئًا ، ولا يَخْرُجَنَّ أحدٌ منكم الليلةَ إلا ومعه صاحبٌ له » . ففعَل الناسُ ما أمَرهم به رسولُ اللَّهِ ﷺ إلا رجلين مِن بنى ساعدةَ ، خرَج أحدُهما لحاجتِه ، وخرَج الآخرُ فى طلبِ بعيرٍ له ؛ فأما الذى ذهَب لحاجتِه ، فإنه خُنِق على مَذْهَبِه [٢] ، وأما الذى ذهَب فى طلبِ بعيرِه ، فاحتَمَلته الريحُ حتى أَلْقَته بجَبَلَىْ [٣] طَيِّئٍ ، فأُخْبِر رسولُ اللَّهِ ﷺ بذلك فقال : « ألم أنْهَكم أن يخْرُجَ رجلٌ إلا ومعه صاحبٌ له ؟ » ثم دعا للذى أُصِيب على مذْهَبِه فشُفِىَ ، وأما الآخرُ فإنه وصَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [٤] بعدَ مرجعِه [٤] مِن تَبوكَ - وفى روايةِ زيادٍ ، عن ابنِ إسحاقَ [٥] أن طَيِّئًا أهْدَته إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ رجَع إلى المدينةِ - قال ابنُ إسحاقَ [٥] : وقد حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن العباسَ بنَ سهلٍ سَمَّى له الرجلين ، لكنه استَكْتَمه إيَّاهما ، فلم يُحَدِّثْنى بهما .

وقد قال الإمامُ أحمدُ [٦] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا وُهَيْبُ بنُ خالدٍ ، ثنا عمرُو بنُ يحيى ، عن العباسِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ ، عن أبى حُمَيدٍ الساعديِّ قال :

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٢) المذهب : الموضع الذى يتغوط فيه . النهاية ٢/ ١٧٣ .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « بجبل » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، ص . وفى الدلائل : « حين قدم » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٢ .

(٦) المسند ٥/ ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

خرَجنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ تبوكَ حتى جئْنا وادىَ القُرَى ، فإذا امرأةٌ فى حديقةٍ لها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه : « اخْرُصوا » . فخرَص القومُ وخرَص رسولُ اللَّهِ ﷺ عشَرةَ أوْسُقٍ ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ للمرأةِ : « أحْصِى ما يخْرُجُ منها حتى أرْجِعَ إليكِ إن شاءَ اللَّهُ » . قال : فخرَج حتى قدِم تبوكَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنها ستَهُبُّ[1] عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ ، فلا يَقُومَنَّ فيها رجلٌ ، فمَن كان له بعيرٌ فلْيُوثِقْ عِقالَه » . قال أبو حُميدٍ : فعقَلْناها ، فلما كان مِن الليلِ ، هبَّت علينا ريحٌ شديدةٌ ، فقام فيها رجلٌ فألْقَتْه [٣/١٩٧ظ] فى جبلِ طَيِّئٍ ، ثم جاء رسولَ اللَّهِ مَلِكُ أَيْلةَ ، فأهْدى لرسولِ اللَّهِ بغلةً بيضاءَ ، وكساه رسولُ اللَّهِ بُرْدًا ، وكتَب له ببَحْرِهم[2] ، ثم أقبل وأقْبَلْنا معه ، حتى جئنا وادىَ القُرَى ، فقال للمرأةِ : « كم جاءت حديقتُك ؟ » قالت : عشَرةَ أوْسُقٍ ، خَرْصَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى مُتَعَجِّلٌ ، فمَن أحَبَّ منكم أن يَتَعَجَّلَ فلْيَفْعَلْ » . قال : فخرَج رسولُ اللَّهِ وخرَجْنا معه ، حتى إذا أَوْفَى على المدينةِ ، قال : « هذه طابةُ » . فلما رأى أُحُدًا قال : « هذا أُحدٌ[3] ، يُحِبُّنا ونُحِبُّه ، ألا أُخْبِرُكم بخيرِ دُورِ الأنصارِ ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « خيرُ دُورِ الأنصارِ بنو النجّارِ ، ثم دارُ بنى عبدِ الأشْهلِ ، ثم دارُ بنى ساعدةَ ، ثم فى كلِّ دُورِ الأنصارِ خيرٌ » . وأخْرَجه البخارىُّ ومسلمٌ مِن غيرِ وجهٍ عن عمرِو بنِ يحيى به نحوَه[4] .

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند : « ستبيت » .

(٢) سقط من : ا ٤ . وفى الأصل ، ص : « يخبرهم » ، وفى م : « يجيرهم » . والمثبت من المسند . وكتب له ببحرهم : أى ببلدهم وأرضهم . النهاية ١/ ١٠٠ .

(٣) فى ا ٤ : « جبل » .

(٤) البخارى (١٤٨١ ، ١٨٧٢ ، ٣١٦١ ، ٣٧٩١ ، ٤٤٢٢) ، ومسلم (١٣٩٢) .

وقال الإمامُ مالكٌ، رحمه اللَّه[1]، عن أبى الزُّبَيرِ، عن أبى الطُّفيلِ عامرِ بنِ واثلةَ، أن مُعاذَ بنَ جبلٍ أخبره أنهم خرَجوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ تَبوكَ، فكان يَجْمَعُ بينَ الظهرِ والعصرِ، وبينَ المغربِ والعشاءِ. قال: فأخَّر الصلاةَ يومًا، ثم خرَج فصلَّى الظهرَ والعصرَ جميعًا، ثم دخَل، ثم خرَج فصلَّى المغربَ والعشاءَ جميعًا، ثم قال: «إنكم ستأتون غدًا، إن شاء اللَّهُ، عينَ تَبوكَ، وإنكم لن تأتُوها حتى يَضْحَى[2] النهارُ، فمَن جاءها فلا يَمَسَّ مِن مائِها شيئًا حتى آتىَ». قال: فجِئْناها وقد سبَق إليها رجلان، والعينُ مثلُ الشِراكِ تَبِضُّ بشىءٍ مِن ماءٍ، فسألهما رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هل مسَسْتُما مِن مائِها شيئًا؟» قالا: نعم. فسبَّهما وقال لهما ما شاء اللَّهُ أن يقولَ، ثم غرَفوا بأيديهم[3] مِن العينِ قليلًا قليلًا حتى اجتمع فى شىءٍ، ثم غسَل رسولُ اللَّهِ فيه وجهَه ويديْه، ثم أعاده فيها، فجَرت العينُ بماءٍ كثيرٍ، فاسْتَقى الناسُ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا معاذُ، يُوشِكُ إن طالت بك حياةٌ أن ترَى ما هـٰهنا قد مُلِئَ جِنانًا». وأخْرَجه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ به[4].

---

(١) الموطأ ١/١٤٣، ١٤٤.

(٢) بعده فى النسخ: «ضحى».

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من الموطأ، وصحيح مسلم.

(٤) مسلم (١٠/٧٠٦) باب من معجزات النبى ﷺ، من كتاب الفضائل.

ذكرُ خطبتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى تَبوكَ إلى نَخْلةٍ هناك

روَى الإمامُ أحمدُ[1]، عن أبى النَضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ، ويونُسَ بنِ محمدٍ المُؤَدِّبِ، وحَجَّاجِ بنِ محمدٍ، ثلاثتُهم عن الليثِ بنِ سعدٍ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ، عن أبى الخيرِ، عن أبى الخطابِ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ أنه قال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ عامَ تبوكَ [٣/١٩٨و] خطَب الناسَ وهو مُسْنِدٌ ظهرَه إلى نخْلةٍ فقال: «ألَا أخْبِرُكم بخيرِ الناسِ وشرِّ الناسِ؟ إن مِن خيرِ الناسِ رجلًا عمِل فى سبيلِ اللَّهِ على ظهرِ فرسِه، أو على ظهرِ بعيرِه، أو على قدميْه، حتى يأتيَه الموتُ، وإنَّ مِن شرِّ الناسِ رجلًا فاجرًا جريئًا يَقْرَأُ كتابَ اللَّهِ لا يَرْعَوِى إلى شىءٍ منه». ورواه النسائىُّ، عن قتيبةَ، عن الليثِ به[2]. وقال[3]: أبو الخطابِ لا أعرِفُه. وروَى البيهقىُّ[4] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ محمدٍ الزُّهْرىِّ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عِمْرانَ، حدَّثنا [5]عبدُ اللَّهِ بنُ مُصْعَبِ بنِ[5] مَنْظورِ بنِ جَميلِ بنِ سِنانٍ، أخبَرَنى أبى، سَمِعْتُ عقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنىَّ يقولُ[6]: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ تَبوكَ، فاسترَقَد رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يَستَيْقِظْ حتى كانت الشمسُ قِيدَ رمحٍ،

---

(١) المسند ٣/٣٧ من حديث أبى النضر، و ٣/ ٤١، ٤٢ من حديث يونس بن محمد، و ٣/ ٥٧، ٥٨ من حديث حجاج بن محمد.

(٢) النسائى (٣١٠٦). ضعيف الإسناد (ضعيف سنن النسائى ١٩٩).

(٣) أى: النسائى. انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٨٢.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٥ - ٥) فى النسخ: «مصعب بن عبد الله عن». والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٧٩ فيمن يَروِى عنهم عبد العزيز بن عمران.

(٦) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

قال : « ألم أقلْ لك يا بلالُ : اكْلأْ لنا الفجرَ ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ذهَب بى مِن النومِ مثلُ الذى ذهَب بك . قال : فانتقَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن منزلِه غيرَ بعيدٍ ، ثم صلَّى وسار بقيةَ يومِه وليلتَه ، فأصْبَح بتَبوكَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : « أيها الناسُ ، أما بعدُ ؛ فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللَّهِ ، وأوْثَقَ العُرَى كلمةُ التَّقْوى ، وخيرَ المِلَلِ ملةُ إبراهيمَ ، وخيرَ السُّننِ سنةُ محمدٍ ، وأشرفَ الحديثِ ذكرُ اللَّهِ ، وأحسنَ القَصَصِ هذا القرآنُ ، وخيرَ الأمورِ عَوازمُها[1] ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وأحسنَ الهَدْيِ هدْىُ الأنبياءِ ، وأشرفَ الموتِ قتلُ الشهداءِ ، وأعْمَى العَمَى الضلالةُ بعدَ الهُدَى ، وخيرَ الأعمالِ ما نفَع ، وخيرَ الهَدْيِ ما اتُّبِع ، وشرَّ العَمَى عَمَى القلبِ ، واليدَ العليا خيرٌ مِن اليدِ السفلى ، وما قلَّ وكفَى خيرٌ مما كَثُر وألْهَى ، وشرَّ المَعْذِرةِ حينَ يَحْضُرُ الموتُ ، وشرَّ النَّدامةِ يومَ القيامةِ ، ومِن الناسِ مَن لا يأتى الجمعةَ إلا دُبْرًا[2] ، ومِن الناسِ مَن لا يذْكُرُ اللَّهَ إلا هَجْرًا ، ومِن أعظمِ الخطايَا اللسانُ الكَذّابُ[3] ، وخيرَ الغِنى غِنى النفسِ ، وخيرَ الزادِ التقوى ، ورأسَ الحكمةِ مخافةُ اللَّهِ ، عز وجل ، وخيرَ ما وقَر فى القلوبِ اليقينُ ، والارتيابَ مِن الكفرِ ، والنِّياحةَ مِن عملِ الجاهليَّةِ ، والغُلولَ مِن جُثَى[4] جهنمَ[5] ، والشعرَ مِن إبليسَ ، والخمرَ جِماعُ الإثْمِ ، والنساءَ حَبائلُ الشيطانِ ، والشبابَ شعبةٌ مِن الجنونِ ، وشرَّ المكاسبِ كسبُ الرِّبا ، وشرَّ المآكلِ[6] أكلُ مالِ اليتيمِ ، [٣/ ١٩٨ظ] والسعيدَ مَن وُعِظ بغيرِه ، والشقىَّ مَن شَقِىَ فى بطنِ أمِّه ، وإنما يَصِيرُ

---

(١) عوازمها : أى فرائضها التى عزم اللَّه عليك بفعلها . النهاية ٣/ ٢٣١.

(٢) لا يأتى الجمعة إلا دبرًا : أى يأتى الصلاة حين يُدبِر وقتها . انظر النهاية ٢/ ٩٧.

(٣) فى ا ٤، م : « الكذوب » .

(٤) فى م : « جثاء » ، وفى الدلائل : « حثاء » . وجثى : جمع جُثْوَة ، وهو الشىء المجموع . النهاية ١/ ٢٣٩.

(٥) بعده فى الدلائل : « والسكر من كى النار » .

(٦) فى الدلائل : « المأكل » .

أحدُكم إلى موضعِ أربعةِ أذْرعٍ ، والأمرَ إلى الآخرةِ ، ومِلاكَ العملِ خواتِمُه ، وشرَّ الرَّوايا[1] رَوايا الكذبِ ، وكلَّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وسِبابَ المؤمنِ فُسوقٌ ، وقتالَ المؤمنِ كفرٌ ، وأكْلَ لحمِه مِن معصيةِ اللَّهِ ، وحُرْمةَ مالِه كحرمةِ دمِه ، ومَن يتَأَلَّ على اللَّهِ يُكْذِبْه ، ومَن يسْتَغْفِرْه[2] يَغْفِرْ له ، ومَن يعْفُ يَعْفُ اللَّهُ عنه ، ومن يَكْظِمْ يأجُرْه اللَّهُ ، ومَن يصْبِرْ على الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضْه اللَّهُ ، ومَن يَبْتَغِ السُّمْعةَ يُسَمِّعِ اللَّهُ به ، ومَن يَصْبِرْ يُضَعِّفِ اللَّهُ له ، ومَن يَعْصِ اللَّهَ يُعَذِّبْه اللَّهُ ، اللهمَّ اغفِرْ لى ولأمتى ، اللهمَّ اغفِرْ لى ولأمتى ، اللهمَّ اغفِرْ لى ولأمتى » . قالها ثلاثًا ، ثم قال : « أسْتَغْفِرُ اللَّهَ لى ولكم » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وفيه نَكارةٌ ، وفى إسنادِه ضعفٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

وقال أبو داودَ[3] : ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الهَمْدانىُّ ، وسليمانُ بنُ داودَ قالا : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى معاويةُ ، عن سعيدِ بنِ غَزْوانَ ، عن أبيه أنه نزَل بتَبوكَ وهو حاجٌّ ، فإذا رجلٌ مُقْعَدٌ ، فسألَه[4] عن أمْرِه فقال : سأحدِّثُك حديثًا ، فلا تُحَدِّثْ به ما سمِعْتَ أنِّى حىٌّ ؛ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نزَل بتَبوكَ إلى نَخْلةٍ فقال : « هذه قِبْلتُنا » . ثم صلَّى إليها . قال : فأقْبَلْتُ وأنا غلامٌ أسْعَى ، حتى مرَرْتُ بينَه وبينَها ، فقال : « قطَع صلاتَنا قطَع اللَّهُ أثَرَه » . [5]قال : فما قُمْتُ عليها إلى يومى هذا . ثم رواه أبو داودَ[6] مِن حديثِ سعيدِ بنِ[7] عبدِ العزيزِ التَّنُوخىِّ ، عن مولًى[5]

---

(١) الروايا : جمع رَوِيّة ، وهى ما يُرَوِّى الإنسان فى نفسه من القول والفعل ، أى يُرَوِّرُ ويفكر . النهاية ٢/ ٢٧٩.

(٢) فى الدلائل : « يغفر » .

(٣) أبو داود (٧٠٧) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٤٠) .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « فسألته » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) أبو داود (٧٠٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٣٨) .

(٧) فى م : « عن » .

(١) ليزيدَ بنِ نِمْرانَ ، عن يزيدَ بنِ نِمْرانَ قال : رأيْتُ بتَبوكَ مُقعدًا فقال : مَرَرْتُ بينَ يدىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا على حِمارٍ ، وهو يُصَلِّى ، فقال : « اللهم اقْطَعْ أثَرَه » . فما مَشِيتُ عليها بعدُ . وفى روايةٍ(٢) : « قطَع صلاتَنا قطَع اللَّهُ أثَرَه »(١) .

ذكرُ(٣) الصلاةِ على معاويةَ بنِ معاويةَ(٤) (٥)إن صحَّ الخبرُ فى ذلك(٥)

روى البيهقىُّ(٦) مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ ، أخبرنا العلاءُ أبو محمدٍ الثقفىُّ قال : سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بتَبوكَ ، فطلَعَت الشمسُ بضياءٍ و(٧) شعاعٍ ونورٍ لم أرَها طَلَعَتْ فيما مضَى ، فأتَى جبريلُ رسولَ اللَّهِ ، فقال : « يا جبريلُ ، ما لى أرَى الشمسَ اليومَ طلَعَت بضياءٍ(٨) ونورٍ وشعاعٍ لم أرَها طلَعت فيما مضى ؟ » قال : ذلك أن معاويةَ بنَ معاويةَ(٩) الليثىَّ مات بالمدينةِ اليومَ ، فبعَث اللَّهُ إليه سبعين ألفَ مَلَكٍ يُصَلُّون عليه . قال : « ومِمَّ(١٠) ذاك ؟ » قال : بكثرةِ قراءتِه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] بالليلِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أبو داود (٧٠٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٣٩) .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، م : « أبى معاوية » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٤٢٣ ، وأسد الغابة ٥/ ٢١٤ ، والإصابة ٦/ ١٥٩ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٥ .

(٧) بعده فى م : « لها » .

(٨) فى الأصل ، م : « بيضاء » .

(٩) فى م : « أبى معاوية » .

(١٠) فى الدلائل : « فيم » .

والنهارِ ، وفى ممشاه وفى قيامِه وقعودِه ، فهل لك يا رسولَ اللَّهِ أن أقْبِضَ لك الأرضَ فتصلِّىَ عليه ؟ قال : « نعم » . قال : فصلَّى عليه ثم رجَع . وهذا الحديثُ [٣/ ١٩٩و] فيه غرابةٌ شديدةٌ ونَكارةٌ ، والناسُ يُسْنِدون أمرَه[١] إلى العَلاءِ بنِ زيدٍ هذا ، وقد تكَلَّموا فيه[٢] .

ثم قال البيهقىُّ[٣] : أخبرنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أخبرنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، حدَّثنا هشامُ[٤] بنُ علىٍّ ، أخبرنا عثمانُ بنُ الهيثمِ ، حدَّثنا مَحْبوبُ بنُ هلالٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى ميمونةَ ، عن أنسٍ قال : جاء جبريلُ فقال : يا محمدُ ، مات معاويةُ بنُ معاويةَ المُزَنىُّ ، أفتُحِبُّ أن تُصَلِّىَ عليه ؟ قال : « نعم » . فضرَب بجَناحِه ، فلم يَبْقَ مِن شجرةٍ ولا أَكَمةٍ إلا تضَعْضَعَت له . قال : فصلَّى وخلفَه صفَّان مِن الملائكةِ ، فى كلِّ صفٍّ سبعون ألفَ ملَكٍ . قال : قلتُ : « يا جِبريلُ ، بم نال هذه المنزلةَ مِن اللَّهِ ؟ » قال : بحبِّه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقْرؤُها قائمًا وقاعدًا ، وذاهبًا وجائيًا ، وعلى كلِّ حالٍ . قال عثمانُ : فسألْتُ أبى : أين كان النبىُّ ﷺ ؟ قال : بغزوةِ تَبوكَ بالشامِ ، ومات معاويةُ بالمدينةِ ، ورُفِع له سَريرُه حتى نظَر إليه وصلَّى عليه . وهذا أيضًا منكرٌ مِن هذا الوجهِ[٥] .

---

(١) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل : « أمرهم » . وفى م : « أمرها » .

(٢) انظر التاريخ الكبير ٦/ ٥٢٠، وميزان الاعتدال ٣/ ٩٩، والضعفاء للعقيلى ٣/ ٣٤٢.

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٦.

(٤) فى م : « هاشم » .

(٥) قال ابن حبان : حديث منكر لم يتابع عليه ، ولست أحفظ من أصحاب رسول الله ﷺ أحدًا يقال له : معاوية بن معاوية الليثى ، وقد سرق هذا الحديث شيخ من أهل الشام فرواه عن بقية عن محمد بن زياد عن أبى أمامة بطوله . كتاب المجروحين والضعفاء والمتروكين ٢/ ١٨١.

قدومُ رسولِ قَيْصرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بتَبوكَ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى ، حدَّثنا يحيى بنُ سُلَيْم[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْم[3] ، عن سعيدِ بنِ أبى راشدٍ قال : لقِيتُ[4] التَّنُوخىَّ رسولَ هِرَقْلَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بحِمْصَ[5] ، وكان جارًا لى شيخًا كبيرًا قد بلَغ الفَنَدَ[6] أو قرُب . فقلتُ : ألا تُخْبِرُنى عن رسالةِ هِرَقْلَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ورسالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى هِرَقْلَ ؟ فقال : بلى ، قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ تبوكَ ، فبَعَث دِحْيةَ الكَلْبىَّ إلى هِرَقْلَ ، فلما أن جاءه كتابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ دعا قِسِّيسِى الرومِ وبَطارقتَها ، ثم أغْلَق عليه وعليهم الدارَ ، فقال : قد نزَل هذا الرجلُ حيث رأيْتُم ، وقد أرْسَل إلىَّ يدْعُونى إلى ثلاثِ خِصالٍ ؛ يدعونى إلى أن أتَّبِعَه على دينِه ، أو على أن نُعْطِيَه مالَنا على أرضِنا والأرضُ أرضُنا ، أو نُلْقِىَ إليه الحربَ ، واللَّهِ لقد عرَفْتُم فيما تقرءُون مِن الكتبِ ليَأْخُذَنَّ[7] ما تحتَ قَدَمَىَّ[7] فهلُمَّ فلْنَتَّبِعْه على دينِه أو نُعْطِه مالَنا على أرضِنا . فنخَروا نَخْرةَ[8] رجلٍ واحدٍ حتى خرَجوا مِن

---

(١) المسند ٣/ ٤٤١، ٤٤٢.

(٢) فى المسند « سليمان » . وهو خطأ . وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٣١/ ٣٦٥، ٣٧٢.

(٣) فى م ، ص : « خيثم » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٩.

(٤) فى الأصل : « رأيت » . وانظر الفتح الربانى ٢١/ ١٩٨.

(٥) فى الأصل : « بمصر » . وانظر المصدر السابق .

(٦) فى الأصل ، م : « العقد » . والفند : فى الأصل الكذب وأفند : تكلم بالفند ، ثم قالوا للشيخ إذا هرم : قد أفند . لأنه يتكلم بالمحرَّف من الكلام عن سنن الصحة ، وأفنده الكبر إذا أوقعه فى الفند . النهاية ٣/ ٤٧٤، ٤٧٥.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م ، ص . وفى ا ٤ : « أرضكم » . والمثبت من المسند .

(٨) نخروا نخرة : أى تكلموا كلام رجل واحد ، وكأنه كلام مع غضب ونفور حملهم على أن يخرجوا من برانسهم . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٩٨.

بَرانسِهم[1] ، وقالوا : تدْعونا إلى أن نذَرَ النصرانيةَ أو نكونَ عبيدًا لأعْرابيٍّ جاء مِن الحِجازِ ؟ فلما ظنَّ أنهم إن خرَجوا مِن عندِه أفْسَدوا عليه الرومَ رَفَأهم[2] ولم يَكِدْ ، وقال : إنما قلتُ ذلك لكم لأعْلَمَ صَلابتَكم على أمرِكم . ثم دعا [٣/ ١٩٩ظ] رجلًا مِن عربِ تُجِيبَ[3] كان على نَصارَى العربِ ، قال : ادْعُ لى رجلًا حافظًا للحديثِ عربيَّ اللسانِ أبْعَثْه إلى هذا الرجلِ بجوابِ كتابِه . فجاء بى فدفَع إلىَّ هِرَقْلُ كتابًا ، فقال : اذهَبْ بكتابى إلى هذا الرجلِ ، فما سمِعْتَ[4] مِن حديثِه فاحْفَظْ لى منه ثلاثَ خِصالٍ ؛ انظُرْ هل يذْكُرُ صحيفتَه التى كتَب إلىَّ بشىءٍ ، وانظُرْ إذا قرَأ كتابى فهل يذْكُرُ الليلَ ، وانظُرْ فى ظَهْرِه هل به شىءٌ يُرِيبُك . قال : فانطَلَقْتُ بكتابِه حتى جئتُ تَبوكَ ، فإذا هو جالسٌ بينَ ظَهْرانَى أصحابِه مُحْتَبِيًا على الماءِ ، فقلتُ : أين صاحبُكم ؟ قيل : ها هو ذا . فأقْبَلْتُ أمشى حتى جلَسْتُ بينَ يديه فناوَلْتُه كتابى ، فوضَعه[5] فى حِجْرِه ثم قال : « ممن أنت ؟ » فقلتُ : أنا أخو[6] تَنُوخَ . قال : « هل لك إلى[7] الإسلامِ الحنيفيةِ ملةِ أبيك[8] إبراهيمَ ؟ » قلتُ : إنى رسولُ قومٍ وعلى دينِ قومٍ ، لا أرْجِعُ عنه حتى أرْجِعَ إليهم . فضحِك وقال : « ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

(١) البرانس جمع بُرْنُس ، وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به . الوسيط (برنس) .

(٢) رفأهم : أى سكَّنهم ودعا لهم .

(٣) تجيب : اسم قبيلة من كندة . معجم البلدان ١/ ٨٢٧.

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « ضيعت » . ولفظ المسند معناه : أى مهما نسيت من شىء فاحفظ لى منه ثلاث خصال . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ١٩٩.

(٥) فى الأصل ، ص : « فوضعته » .

(٦) فى ص ، والمسند : « أحد » . وفى ٤١ « جد » . ولعل المثبت هو الصواب ، ويشهد لهذا قوله ﷺ - فيما سيأتى : « ... يا أخا تنوخ ... » .

(٧) كذا فى النسخ . وفى المسند : « فى » .

(٨) فى الأصل ، م : « أبيكم » .

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] يا أخا تَنُوخَ، إنى كتَبْتُ بكتابٍ إلى كِسْرَى فمزَّقه[1]، واللَّهُ مُمَزِّقُه ومُمَزِّقٌ مُلْكَه، وكتَبْتُ إلى النجاشىِّ بصحيفةٍ فخرَّقها واللَّهُ مُخَرِّقُه ومُخرِّقٌ مُلْكَه، وكتَبْتُ إلى صاحبِك بصحيفةٍ فأمْسَكها، فلن يزالَ الناسُ يجِدون منه بأسًا ما دام فى العيشِ خيرٌ». قلتُ: هذه إحدى الثلاثِ التى أوْصانى بها صاحبى. فأخَذْتُ سهمًا مِن جَعْبَتى فكتَبْتُه فى جِلْدِ[2] سيفى، ثم إنه ناول الصحيفةَ رجلًا عن يسارِه، قلتُ: مَن صاحبُ كتابِكم الذى يقْرَأُ لكم؟ قالوا: معاويةُ. فإذا فى كتابِ صاحبى: تدْعونى إلى جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ أُعِدَّت للمتقين، فأين النارُ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سبحانَ اللَّهِ! أين الليلُ إذا جاء النهارُ؟!» قال: فأخَذْتُ سهمًا مِن جَعْبَتى فكَتَبْتُه فى جِلْدِ سيفى. فلما أن فرَغ مِن قراءةِ كتابى، قال: «إن لك حقًّا وإنك رَسولٌ، فلو وجَدْتُ عندَنا جائزةً جوَّزْناك بها، إنَّا سَفْرٌ مُرْمِلون[3]». قال: فناداه رجلٌ مِن طائفةِ الناسِ، قال: أنا أُجَوِّزُه. ففتَح رحلَه، فإذا هو يأتى بحُلَّةٍ صَفُّوريَّةٍ[4] فوضَعها فى حِجْرى، قلتُ: مَن صاحبُ الجائزةِ؟ قيل لى: عثمانُ. ثم قال رسولُ اللَّهِ: «أيُّكم يُنْزِلُ هذا الرجلَ؟» فقال فتًى مِن الأنصارِ: أنا. فقام الأنصارىُّ وقمتُ معه حتى إذا خرَجْتُ مِن طائفةِ المجلسِ نادانى رسولُ اللَّهِ فقال: «تعال يا أخا [٣/٢٠٠و] تَنوخَ». فأقْبَلْتُ أَهوِى إليه حتى كنتُ قائمًا فى مجلسى الذى كنتُ

---

(١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) فى النسخ: «جنب». والمثبت من المسند.

(٣) سفر: بفتح المهملة وسكون الفاء أى مسافرون. ومرملون: أى نفذ زادنا. وأصله من الرَّمْل كأنهم لصقوا بالرمل كما قيل للفقير: الترِب. بكسر الراء. بلوغ الأمانى ٢١/ ١٩٩.

(٤) صفورية: نسبة إلى صَفُّورية - بفتح أوله وتشديد ثانيه، وواو، وراء مهملة ثم ياء مخففة - كورة وبلدة من نواحى الأردن بالشام وهى قرب طبرية. انظر المصدر السابق، ومعجم البلدان ٣/ ٤٠٢.

بينَ يديه ، فحلَّ حُبْوتَه[1] عن ظهرِه ، وقال : « هـٰهنا امْضِ لما أُمِرْتَ به » . فجُلْتُ في ظهرِه ، فإذا أنا بخاتمٍ في موضعِ غُضونِ الكتفِ مثلِ الحَجْمةِ[2] الضخمةِ . هذا حديثٌ غريبٌ ، وإسنادُه لا بأسَ به ، تفرد به الإمامُ أحمدُ .

ذكرُ[3] مُصالحتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ملِكَ أيْلَةَ وأهْلَ جَرْباءَ وأَذْرُحَ[4] وهو مخيِّمٌ على تبوكَ[4] قبلَ رجوعِه

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ولما انتهى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى تبوكَ أتاه يُحَنَّةُ بنُ رُؤْبةَ صاحبُ أيْلةَ ، فصالح رسولَ اللَّهِ ﷺ وأعْطاه الجِزيةَ ، وأتاه أهلُ جَرْباءَ وأَذْرُحَ فأعْطَوْه الجزيةَ ، وكتَب لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ كتابًا[6] فهو عندَهم ، فكتَب ليُحَنَّةَ ابنِ رُؤْبةَ [7]وأهلِ أيْلةَ[7] : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذه أَمَنةٌ مِن اللَّهِ ومحمدٍ النبيِّ رسولِ اللَّهِ ليُحَنَّةَ بنِ رُؤْبةَ وأهلِ أيْلةَ ، سُفُنِهم وسَيَّارتِهم في البرِّ والبحرِ ، لهم ذِمَّةُ اللَّهِ و[8] محمدٍ النبيِّ ومَن كان معهم مِن أهلِ الشامِ وأهلِ اليمنِ وأهلِ البحرِ ،

---

(١) حل حبوته : أى ألقى بردة كانت عليه عن ظهره . بلوغ الأمانى ٢١/ ٢٠٠.

(٢) فى الأصل ، م : « الحمحمة » . وفى ا ٤، ص : « الحجمة » . والمثبت من المسند . ولعلها المِحْجَمة ، كما فى الفتح الربانى ٢١/ ٢٠٠. والحديث أخرجه أيضا عبد اللَّه بن الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٧٤، ٧٥، من طريق عباد بن عباد ، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٦٦، من طريق يحيى بن سُليم ، كلاهما عن عبد اللَّه بن عثمان بن خُثيم به ، وفيهما : « المحجمة » . والمحجمة : الآلة التى يُجتمع بها دمُ الحِجامة عند المصّ . انظر النهاية ١/ ٣٤٧، وبلوغ الأمانى ٢١/ ٢٠٠.

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٥.

(٦) سقط من : الأصل ، ص .

(٧ - ٧) ليس فى السيرة .

(٨) بعده فى السيرة : « ذمة » .

فمن أحْدَث منهم حدَثًا فإنه لا يَحُولُ مالُه دون نفسِه ، وإنه طيِّبٌ لِمَن أخَذه مِن الناسِ ، وإنه لا يَحِلُّ أن يمْنَعوه[1] ماءً يَرِدونه ولا طريقًا يَرِدونه[2] مِن برٍّ أو بحرٍ » . زاد يونسُ بنُ بكيرٍ[3] ، عن ابنِ إسحاقَ بعدَ هذا . وهذا كتابُ جُهَيْمِ بنِ الصَّلْتِ وشُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنةَ بإذنِ رسولِ اللَّهِ .

قال يونسُ[4] ، عن ابنِ إسحاقَ : وكتَب لأهلِ جَرْباءَ وأَذْرُحَ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ مِن محمدٍ النبيِّ رسولِ اللَّهِ لأهلِ جَرْباءَ وأَذْرُحَ ، أنهم آمنون بأمانِ اللَّهِ وأمانِ محمدٍ ، وأن عليهم مائةَ دينارٍ فى كلِّ رجبٍ ، [5]ومائةَ أوقيَّةٍ[5] طيبةٍ[6] وأن اللَّهَ عليهم كفيلٌ بالنُّصحِ والإحسانِ إلى المسلمين ، ومَن لجأ إليهم مِن المسلمين[7] » . قال : وأعْطَى النبيُّ ﷺ أهلَ أيْلَةَ بُرْدَه مع كتابِه أمانًا لهم . قال : فاشتراه [8]بعدَ ذلك[8] أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ[9] بثلاثِمائةِ دينارٍ .

---

(١) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « يمنعوا » .

(٢) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « يريدونه » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٥/ ٢٤٨، عن يونس بن بكير به .

(٤) المصدر السابق ٥/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « وافية » .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) بعده فى الدلائل : « من المخافة . وذكر باقى الكتاب » .

(٨ - ٨) زيادة من النسخ . وليس فى الدلائل .

(٩) هو المعروف بالسفاح ، أول خلفاء بنى العباس ، توفى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعاش ثمانيا وعشرين سنة فى قول ، انظر تاريخ خليفة ٢/ ٦٢٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧٧. وانظر ما سيأتى فى ٨/٣٧٧.

بَعْثُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، خالدَ بنَ الوليدِ إلى أُكَيْدِرِ دُومةَ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا خالدَ بنَ الوليدِ فبَعَثَه إلى أُكَيْدِرِ دُومةَ ، وهو أُكَيْدِرُ بنُ عبدِ الملكِ ؛ رجلٌ مِن كِنْدَةَ[2] ، كان مَلِكًا عليها ، وكان نصرانيًّا . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لخالدٍ : « إنكَ ستَجِدُه يَصِيدُ البقرَ » . فخرَج خالدٌ ، حتى إذا كان مِن [٣/ ٢٠٠ظ] حِصْنِه بمَنْظَرِ العينِ ، وفى ليلةٍ مُقْمِرةٍ صائِفَةٍ ، وهو على سطحٍ له ، ومعه امرأتُه ، وباتتِ البقرُ تَحُكُّ بقُرونِها بابَ القصرِ ، فقالت له امرأتُه : هل رأيْتَ مثلَ هذا قطُّ ؟ ! قال : لا واللَّهِ ! قالت : فمن يَتْرُكُ هذا ؟ قال : لا أحدَ . فنزَل فأمَر بفرسِه فأُسْرِج له ، ورَكِب معه نَفَرٌ مِن أهلِ بيتِه ، فيهم أخٌ له يُقالُ له : حسَّانُ . فرَكِب وخرَجوا معه بمَطارِدِهم . فلمَّا خرَجوا تَلَقَّتْهم خيلُ النبيِّ ﷺ ، فأخَذَتْه وقتَلوا أخاه ، وكان عليه قَباءٌ مِن دِيباجٍ مُخَوَّصٌ بالذهبِ[3] ، فاسْتَلَبَه خالدٌ ، فبَعَث به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ قدومِه عليه . قال : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : رأيْتُ قَباءَ أُكَيْدِرٍ حينَ قُدِم به على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجَعَل المسلمون يَلْمِسُونه بأيديهم ويَتَعَجَّبون منه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَعْجَبون مِن هذا ؟ فوالذى نفسى بيدِه لَمَناديلُ سعدِ ابنِ معاذٍ فى الجنةِ أحْسَنُ مِن هذا » .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : ثُم إن خالدَ بنَ الوليدِ لمَّا قَدِم بأُكَيْدِرٍ على رسولِ اللَّهِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٦.

(٢) فى الأصل ، م : « بنى كنانة » ، وفى ا ٤ ، ص : « بنى كندة » . والمثبت من السيرة .

(٣) القباء : ثوب يُلْبس فوق الثياب أو القميص ويُتَمَنْطَق عليه . انظر الوسيط (ق ب و) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٦، ٥٢٧.

ﷺ حَقَن له دمَه فصالَحَه على الجِزْيَةِ ، ثُم خَلَّى سبيلَه ، فرَجَع إلى قريتِه ، فقال رجلٌ مِن بنى طَيِّئٍ - يقالُ له : بُجَيْرُ بنُ بَجْرَةَ - فى ذلك :

تَبارَكَ سائقُ البَقَراتِ إنِّى ... رأيْتُ اللَّهَ يَهْدِى كلَّ هادِ
فمَنْ يَكُ حائدًا عن ذى تَبُوكٍ ... فإنَّا قد أُمِرْنا بالجِهادِ

وقد حكَى البيهقىُّ[1] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لهذا الشاعرِ : لا يَفْضُضِ اللَّهُ فاك » . فأتَت عليه تسعون[2] سنةً ما تحرَّك له فيها ضِرْسٌ ولا سِنٌّ .

وقد روَى ابنُ لَهيعةَ[3] ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَث خالدًا مَرْجِعَه مِن تَبُوكَ فى أربعِمائةٍ وعشرين فارسًا إلى أُكَيْدِرِ دُومةَ . فذَكَر نحوَ ما تقدَّم ، إلَّا أنَّه ذكَر أنَّه ماكَرَه حتى أنْزَله مِن الحصنِ ، وذكَر أنَّه قدِم مع أُكَيْدِرٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانُمائةٍ مِن السَّبْىِ ، وألفُ بعيرٍ ، وأربعُمائةِ درعٍ ، وأربعُمائةِ رمحٍ ، وذكَر أنَّه لمَّا سَمِع عظيمُ أيْلَةَ يُحَنَّةُ بنُ رُؤْبةَ[4] بقضيةِ أُكَيْدِرِ دُومةَ أقْبَل قادمًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ليُصالِحَه ، فاجْتَمَعا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بتَبوكَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وروَى يونسُ بنُ بكيرٍ[5] ، عن سعدِ بنِ أوسٍ ، عن بلالِ بنِ يحيى ، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ [٣/ ٢٠١و] كان على المهاجرين فى غزوةِ دُومةِ الجَنْدَلِ ، وخالدَ بنَ الوليدِ على الأعْرابِ فى غزوةِ دُومةِ الجَنْدلِ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٥١.
(٢) فى النسخ : « سبعون » . والمثبت من الدلائل . وانظر أسد الغابة ١/ ١٩٦، والإصابة ١/ ٢٦٨، ٢٦٩.
(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٥١، ٢٥٢، من طريق ابن لهيعة به .
(٤) فى الدلائل : « رومة » . والمثبت موافق لما عند ابن هشام ٢/ ٥٢٥.
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٥٣، من طريق يونس به .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بِضْعَ عشْرةَ ليلةً بتَبُوكَ[2] لم يُجاوِزْها ، ثم انْصَرَف قافِلًا إلى المدينةِ . قال : وكان فى الطريقِ ماءٌ يَخْرُجُ مِن وَشَلٍ[3] ، يَرْوِى الراكبَ والراكبَيْنِ والثلاثةَ ، بوادٍ يُقالُ له : وادى المُشَقَّقِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن سَبَقَنا إلى ذلك الماءِ فلا يَسْتَقِيَنَّ منه شيئًا حتى نَأْتِيَه » . قال : فسبَقه إليه نفرٌ مِن المنافقين فاسْتَقَوْا ما فيه ، فلمَّا أتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ وَقَف عليه فلم يَرَ فيه شيئًا ، فقال : « مَن سَبَقَنا إلى هذا الماءِ ؟ » فقيل له : يا رسولَ اللَّه ، فلانٌ وفلانٌ . فقال : « أوَ لم أنْهَهُم أن يَسْتَقُوا منه حتى آتِيَه ؟ » ثُم لَعَنهم ودعا عليهم ، ثُم نَزَل فوَضَع يدَه تحتَ الوَشَلِ ، فجَعَل يَصُبُّ فى يدِه ما شاءَ اللَّهُ أن يَصُبَّ ، ثُم نَضَحَه به ومَسَحَه بيدِه ، ودعا بما شاء اللَّهُ أن يَدْعُوَ ، فانْخَرَق مِن الماءِ - كما يقولُ مَن سَمِعَه - ما إنَّ له حِسًّا كحِسِّ الصَّواعِقِ ، فشَرِب الناسُ واسْتَقَوا حاجَتَهم منه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَئِنْ بَقِيتُم أو مَن بَقِىَ منكم لَيَسْمَعَنَّ بهذا الوادى وهو أخْصَبُ ما بينَ يَدَيْه وما خلفَه » .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وحَدَّثنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمىُّ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ كان يُحَدِّثُ قال : قُمْتُ مِن جوفِ الليلِ وأنا مع رسولِ اللَّهِ فى غزوةِ تَبوكَ ، فرأيتُ شُعْلةً مِن نارٍ فى ناحيةِ العَسْكرِ ، فاتَّبَعْتُها أنْظُرُ إليها . قال : فإذارسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ ، وإذا عبدُ اللَّهِ ذو البِجادَيْن قد مات ، وإذا هم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٧.

(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٧، ٥٢٨.

قد حَفَروا له ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى حُفْرَتِه ، وأبو بكرٍ وعمرُ يُدَلِّيانِه إليه ، وإذا هو يقولُ : « أدْنِيا إلىَّ أخاكما » . فدَلَّياه إليه ، فلمَّا هَيَّأَه لشِقِّه قال : « اللهمَّ إنِّى قد أمْسَيْتُ راضيًا عنه ، فارْضَ عنه » . قال : يقولُ ابنُ مسعودٍ : يا ليتَنى كنتُ صاحبَ الحفرةِ .

قال ابنُ هشامٍ : إنَّما سُمِّىَ ذا البِجادَيْن ؛ لأنَّه كان يريدُ الإسلامَ ، فمَنَعَه قومُه وضَيَّقوا عليه ، حتى خَرَج مِن بينِهم وليس عليه إلَّا بِجادٌ ، وهو الكساءُ الغليظُ[1] ، فشَقَّه باثنتَيْن ، فائْتَزَر بواحدةٍ وارْتَدَى بالأُخْرى ، ثُم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، [٣/ ٢٠١ظ] فسُمِّىَ ذا البِجادَيْن .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وذكَر ابنُ شِهابٍ الزهرىُّ ، عن ابنِ أُكَيْمةَ اللَّيْثىِّ ، عن ابنِ أخى أبى رُهْمٍ الغِفارىِّ ، أنَّه سَمِع أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بنَ الحُصَينِ ، وكان مِن أصحابِ الشجرةِ ، يقولُ : غزوتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ غزوةَ تَبوكَ ، فسِرْتُ ذاتَ ليلةٍ معه ونحن بالأخْضَرِ[3] ، وألْقَى اللَّهُ علىَّ النُّعاسَ ، فطَفِقْتُ أسْتَيْقِظُ وقد دَنَتْ راحلتى مِن راحلةِ النبىِّ ﷺ ، فيُفْزِعُنى دُنُوُّها منه ؛ مَخافةَ أن أُصِيبَ رِجْلَه فى الغَرْزِ[4] ، فطفِقْتُ أَحُوزُ[5] راحِلَتى عنه ، حتى غَلَبَتْنى عينى فى بعضِ الطريقِ ، فزاحَمَتْ راحلتى راحلتَه ورِجْلُه فى الغَرْزِ ، فلم أسْتَيْقِظْ إلَّا بقولِه : « حَسِّ »[6] . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرْ لى . قال : « سِرْ » . فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُنى

---

(١) سقط من : ص . وبعده فى السيرة : « الجافى » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٨، ٥٢٩.
(٣) الأخضر : منزل قُرب تبوك ، بينه وبين وادى القرى . معجم البلدان ١/ ١٦٤.
(٤) الغرز للرَّحل بمنزلة الرِّكاب للسَّرج . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٣.
(٥) أحوز : أبْعِد . المصدر السابق .
(٦) حسِّ ، كلمةٌ تقولها العرب عند وجود الألم ، وهى صوت كالأنين الذى يُخرجه المتألم نحو : آه . انظر : الروض الأنف ٧/ ٣٦٦، ٣٦٧.

عمَّن تَخَلَّف عنه مِن بنى غِفارٍ ، فأُخْبِرُه به ، فقال وهو يسألُنى : « ما فَعَل النَّفَرُ الحُمْرُ الطِّوالُ الثِّطَاطُ الذين لا شعرَ فى وجوهِهم ؟ » فحَدَّثْتُه بتَخَلُّفِهم ، قال : « فما فَعَل النفرُ السُّودُ الجِعادُ[1] القِصارُ ؟ » قال : قلتُ : واللَّهِ ما أعْرِفُ هؤلاءِ مِنّا . قال : « بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشَبَكةِ شَدَخٍ[2] » . فتَذَكَّرْتُهم فى بنى غِفارٍ ، فلم أذْكُرْهم ، حتى ذَكَرْتُ أنَّهم رَهْطٌ مِن أسْلَم كانوا حُلفاءَ فينا ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أولئك رَهْطٌ مِن أسْلَمَ حُلفاءُ فينا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما مَنَع أحدَ أولئك حينَ تخَلَّفَ أن يحْمِلَ على بعيرٍ مِن إبلِه امْرَأً نشيطًا فى سبيلِ اللَّهِ ؟ إنَّ أعَزَّ أهلى علىَّ أن يَتَخَلَّفَ عنِّى ؛ المهاجرون والأنصارُ وغِفارٌ وأسْلَمُ » .

وقال ابنُ لَهِيعةَ[3] ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال : لمَّا قَفَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن تَبوكَ إلى المدينةِ ، همَّ جماعةٌ مِن المنافقين بالفَتْكِ به ، وأن يَطْرَحوه مِن رأسِ عَقَبةٍ فى الطريقِ ، فأُخْبِر بخبرِهم ، فأمَر الناسَ بالمسيرِ مِن الوادى ، وصَعِد هو العَقَبةَ ، وسَلَكَها معه أولئك النفرُ وقد تَلَثَّموا ، وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ عمارَ بنَ ياسرٍ وحذيفةَ بنَ اليَمانِ أن يَمْشِيا معه ، عمارٌ آخِذٌ بزِمامِ الناقةِ ، وحُذَيْفةُ يَسُوقُها ، فبينما هم يسيرون إذ سَمِعوا بالقومِ قد غَشُوهم ، فغَضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبْصَر حذيفةُ غضبَه ، فرجَع إليهم ومعه مِحْجَنٌ ، فاسْتَقْبل وجوهَ رواحِلِهم بمِحْجَنِه ، فلما رَأَوْا حذيفةَ ظَنُّوا أنْ قد أُظْهِرَ على ما أضْمَروه مِن الأمرِ العظيمِ ، فأسْرَعوا حتى [٣/ ٢٠٢و] خالَطُوا الناسَ ، وأقْبَلَ حُذيفةُ حتى أدْرَكَ

---

(١) الجِعاد : جمع جَعْد ، والجعد فى صفات الرجال يكون مدحًا وذمًّا ؛ فالمدح معناه أن يكون شديد الأسْرِ والخَلْق ، أو يكون جَعْدَ الشَّعْر . وأما الذم فهو القصير المُتَرَدِّد الخَلْق . انظر النهاية ١/ ٢٧٥.

(٢) شبكةُ شدَخٍ : موضع من بلاد غفار . الروض الأنف ٧/ ٣٦٧.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٥٦، ٢٥٧، من طريق ابن لهيعة به نحوه .

رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأمَرهما فأسْرَعا حتى قطَعوا العَقَبةَ ، ووَقَفوا يَنْتَظرون الناسَ ، ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لحذيفةَ : « هل عَرَفْتَ هؤلاء القومَ ؟ » قال : ما عَرَفْتُ إلَّا رَواحِلَهم فى ظُلْمةِ الليلِ حينَ غَشِيتُهم . ثُم قال : « عَلِمْتُما ما كان مِن شأنِ هؤلاءِ الرَّكْبِ ؟ » . قالا : لا . فأخْبَرَهما بما كانوا تَمالَئوا عليه ، وسمَّاهم لهما ، واسْتَكْتَمَهما ذلك ، فقالا : يا رسولَ اللَّهِ ، أفلا تَأْمُرُ بقتلِهم ؟ فقال : « أكْرَهُ أن يَتَحَدَّثَ الناسُ أنَّ محمدًا يقْتُلُ أصحابَه » .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ هذه القصةَ[1] ، إلَّا أنَّه ذَكَر أنَّ النبىَّ ﷺ إنَّما أعْلَمَ بأسمائِهم حُذيفةَ بنَ اليَمانِ وحدَه ، وهذا هو الأشْبهُ . واللَّهُ أعلمُ . ويَشْهَدُ له قولُ أبى الدَّرْداءِ لعَلْقمةَ[2] صاحبِ ابنِ مسعودٍ : أليس فيكم - يعنى أهلَ الكوفةِ - صاحبُ السَّوادِ والوِسادِ ؟ - يعنى ابنَ مسعودٍ - أليس فيكم صاحبُ السرِّ الذى لا يعْلَمُه غيرُه ؟ - يعنى حذيفةَ - أليس فيكم الذى أجاره اللَّهُ مِن الشيطانِ على لسانِ محمدٍ ﷺ ؟ - يعنى عمارًا . ورُوِّينا[3] عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنَّه قال لحذيفةَ : أقْسَمْتُ عليك باللَّهِ ، أنا منهم ؟ قال : لا ولا أُبَرِّئُ بعدَك أحدًا . يعنى حتى لا يكونَ مُفْشِيًا سرَّ النبىِّ ﷺ .

قلتُ : وقد كانوا أربعةَ عشَرَ رجلًا ، وقيل[1] : كانوا اثْنَىْ عشَرَ رجلًا .

وذكَر ابنُ إسحاقَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث إليهم حُذيفةَ بنَ اليَمانِ فجمَعَهم له ، فأخْبَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بما كان مِن أمرِهم وبما تَمالَئوا عليه . ثُم سَرَد ابنُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٢٥٧ - ٢٥٩، عن ابن إسحاق .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٧٤٢، ٣٧٤٣، ٣٧٦١) .
(٣) وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٧٦.

إسحاقَ أسماءَهم، قال: وفيهم أنزَل اللَّهُ عز وجل[1]: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤].

وروى البيهقيُّ[2] مِن طريقِ محمدِ بنِ سَلَمَةَ[3]، عن ابنِ إسحاقَ[4]، عن الأعْمَشِ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، عن أبى البَخْتَرِىِّ، عن حُذيفةَ بنِ اليَمانِ قال: كنتُ آخذًا بخِطامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أقودُ به، وعمارٌ يسوقُ الناقةَ - أو أنا أسوقُ وعمارٌ يقودُ به - حتى إذا كُنّا بالعَقَبَةِ إذا أنا باثْنَىْ عشَرَ راكبًا[5] قد اعْتَرَضُوه فيها. قال: فأنْبَهْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فصَرَخ بهم فوَلَّوْا مُدْبِرين، فقال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هلْ عَرَفْتُم القومَ؟». قلنا: لا يا رسولَ اللَّهِ، قد كانوا مُتَلَثِّمِين، ولكنَّا قد عَرَفْنا الرِّكابَ. قال: «هؤلاء المنافقون إلى يومِ القيامةِ، وهل تدْرُون ما أرادوا؟». قلنا: لا. قال: «أرادوا أن يَزْحَموا رسولَ اللَّهِ فى العَقَبةِ، فيُلْقُوه منها». قلنا: يا رسولَ اللَّهِ، أوَ لا تَبْعَثُ إلى عَشائرِهم؛ [٣/ ٢٠٢ظ] حتى يَبْعَثَ إليك كلُّ قومٍ برأسِ صاحبِهم؟ قال: «لا، أكْرَهُ أن تَحَدَّثَ[6] العربُ بينَها أن محمدًا قاتَلَ بقومٍ[7]، حتى إذا أظْهَرَه اللَّهُ بهم أقْبَل عليهم يَقْتُلُهم». ثُم قال: «اللهم ارْمِهم بالدُّبَيْلَةِ». قلنا: يا رسولَ اللَّهِ، وما الدُّبَيْلةُ؟ قال: «شِهابٌ مِن نارٍ يَقَعُ على نِياطِ قلبِ أحدِهم فيَهْلِكُ».

---

(١) التفسير ٤/١٢١ - ١٢٣.

(٢) دلائل النبوة ٥/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) فى الأصل، م: «مسلمة».

(٤) فى م: «أبى إسحاق».

(٥) فى الأصل، م: «رجلًا».

(٦) فى ا ٤: «تتحدث». وفى م، ص: «يتحدث». وهو معنى تحدث.

(٧) فى الأصل، م، ص: «لقومه». وفى ا ٤: «بقومه». والمثبت من الدلائل.

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[1] مِن طريقِ شعبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن قيسِ بنِ عُبادٍ[2] قال : قلتُ لعمارٍ : أرَأَيْتُم صنيعَكم هذا فيما كان مِن أمْرِ علىٍّ ؛ أرأيًا رَأَيْتُموه ، أم شيئًا عَهِدَه إليكم رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : ما عَهِد إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ شيئًا لم يَعْهَدْه إلى الناسِ كافَّةً ، ولكنْ حذيفةُ أخْبَرَنى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال : « فى أصحابى اثنا عشرَ منافقًا ، منهم ثمانيةٌ لا يَدْخُلون الجنةَ حتى يَلِجَ الجملُ فى سَمِّ الخياطِ » .

[3]وفى روايةٍ له[4] مِن وجهٍ آخرَ عن قَتادةَ : « إن فى أمتى اثنَىْ عَشَرَ منافقًا ، لا يدْخُلون الجنةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخياطِ[3] ، ثمانيةٌ منهم تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلةُ ؛ سِراجٌ مِن النارِ يَظْهَرُ بينَ أكتافِهم حتى يَنْجُمَ[5] مِن صدورِهم » .

قال الحافظ البيهقىُّ[6] : ورُوِّينا عن حُذيفةَ أنَّهم كانوا أربعةَ عشَرَ ، أو خمسةَ عشَرَ ، وأشْهَدُ باللَّهِ أنَّ اثنَىْ عشَرَ منهم حربٌ للَّهِ ولرسولِه ﷺ فى الحياةِ الدنيا ويومَ يقومُ الأشْهادُ ، وعذَر ثلاثةً أنَّهم قالوا : ما سَمِعْنا المُنادىَ ولا عَلِمْنا بما أراد .

وهذا الحديثُ قد رواه الإمامُ أحمدُ فى « مسندِه »[7] قال : حدثنا يزيدُ - هو ابنُ هارونَ - أخبرَنا الوليدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جُمَيْعٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ قال : لمَّا أقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن غزوةِ تَبوكَ أمَر مناديًا فنادى : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ آخذٌ بالعَقَبَةِ ،

---

(١) مسلم (٩/ ٢٧٧٩) .

(٢) فى م : « عبادة » . انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٦٤، ٦٥.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : م . والرواية فى صحيح مسلم (١٠/ ٢٧٧٩) .

(٥) ينجم : يظهر ويعلو . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٢٥.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٢٦٢.

(٧) المسند ٥/ ٤٥٣، ٤٥٤.

فلا يَأْخُذْها أحدٌ . فبينما رسولُ اللَّهِ ﷺ يقودُه حذيفةُ ويَسوقُه عمارٌ ، إذ أقْبَل رَهْطٌ مُتَلَثِّمون على الرَّواحلِ ، فغشُوا عمارًا وهو يَسُوقُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأقْبَل عمارٌ يَضْرِبُ وجوهَ الرَّواحلِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لحذيفةَ : « قُدْ قُدْ »[1] . حتى هبَط رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] ، فلمَّا هَبَط نَزَل[3] ورجَع عمارٌ ، قال : « يا عمارُ ، هل عَرَفْتَ القومَ ؟ » قال : قد عرَفْتُ عامةَ الرواحلِ ، والقومُ مُتَلَثِّمون . قال : « هل تدرى ما أرادوا ؟ » قال : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « أرادوا أن يَنْفِروا برسولِ اللَّهِ ﷺ فيَطْرَحوه » . قال : فسارَّ[4] عمارٌ رجلًا مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ فقال : [٣/ ٢٠٣و] نَشَدْتُك باللَّهِ ، كم تَعْلَمُ كان أصحابُ العَقَبةِ ؟ قال : أربعةَ عشَرَ . فقال : إن كنتَ فيهم فقد كانوا خمسةَ عشَرَ . قال : فعَذَر[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ منهم ثلاثةً قالوا : ما سمِعْنا مُنادىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وما عَلِمْنا ما أراد القومُ . فقال عمارٌ : أشْهَدُ أن الاثنَىْ عشَرَ الباقين حربٌ للَّهِ ولرسولِه فى الحياةِ الدنيا ، ويومَ يقومُ الأشْهادُ .

قصةُ[6] مسجدِ الضِّرارِ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا

---

(١) قدقد : بمعنى أسرع . وتكرارها لتأكيد الأمر .

(٢) بعده فى م : « من الوادى » .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « فساب » .

(٥) فى المسند : « فعدد » .

(٦) فى ص : « قضية » .

ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٧- ١١٠]. وقد تكلَّمْنا على تفسيرِ ما يَتَعَلَّقُ بهذه الآياتِ الكريمةِ فى كتابِنا «التفسيرِ»[(١)] بما فيه كفايةٌ، وللَّهِ الحمدُ.

وذكَر ابنُ إسحاقَ[(٢)] كيفيةَ بناءِ هذا المسجدِ الظالمِ أهلُه، وكيفيةَ أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بخَرابِه مَرْجِعَه مِن تبوكَ قبلَ دخولِه المدينةَ. ومضمونُ ذلك؛ أن طائفةً مِن المنافقين بنَوْا صورةَ مسجدٍ قريبًا مِن مسجدِ قُباءٍ، وأرادوا أن يصلِّيَ لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه؛ حتى يَرُوجَ لهم ما أرادوه مِن الفسادِ والكفرِ والعِنادِ، فعصَم اللَّهُ رسولَه ﷺ مِن الصلاةِ فيه، وذلك أنه كان على جَناحِ سَفَرٍ[(٣)] إلى تبوكَ، فلما رجَع منها فنزَل بذى أَوانٍ - مكانٍ بينَه وبينَ المدينةِ ساعةٌ - نزَل عليه الوحىُ فى شأنِ هذا المسجدِ؛ وهو قولُه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ الآية. أما قولُه: ﴿ ضِرَارًا ﴾. فلأنهم أرادوا مُضاهاةَ مسجدِ قُباءٍ، ﴿ وَكُفْرًا ﴾ باللَّهِ لا للإيمانِ به، ﴿ وَتَفْرِيقًۢا ﴾ للجماعةِ عن مسجدِ قُباءٍ، ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ وهو أبو عامرٍ الراهبُ الفاسقُ، قبَّحه اللَّهُ، وذلك أنه لما دعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الإسلامِ فأبَى [٣/٢٠٣ظ] عليه،

---

(١) التفسير ٤/١٤٨ - ١٥٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٩، ٥٣٠.

(٣) يقال: هو على جناح سفر. إذ كان يريد السفر. انظر الوسيط (ج ن ح).

ذهَب إلى أهلِ[1] مكةَ فاستَنْفَرهم، فجاءوا عامَ أُحُدٍ، فكان مِن أمرِهم ما قدَّمْناه، فلما لم يَنْهَضْ أمرُه ذهَب إلى مَلِكِ الرومِ قيصرَ؛ ليستَنْصِرَه على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان أبو عامرٍ على دينِ هِرَقْلَ ممن تنَصَّر معهم مِن العربِ، وكان يَكْتُبُ إلى إخوانِه الذين نافقوا يعِدُهم ويُمَنِّيهم، وما يَعِدُهم الشيطانُ إلا غُرورًا، فكانت مُكاتَباتُه ورُسُلُه تفِدُ إليهم كلَّ حينٍ، فبنَوْا هذا المسجدَ فى الصورةِ الظاهرةِ، وباطنُه دارُ حربٍ ومَقَرٌّ لمن يَفِدُ مِن عندِ أبى عامرٍ الراهبِ، ومُجَمَّعٌ لمن هو على طريقتِهم مِن المنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾. ثم قال: ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾. أى الذين بنَوْه ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾. أى؛ إنما أرَدْنا ببنائِه الخيرَ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾. ثم قال اللَّهُ تعالى لرسولِه: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾. فنهاه عن القيامِ فيه لئلَّا يُقَرِّرَ أمْرَه، ثم أمَره وحثَّه على القيامِ فى المسجدِ الذى أُسِّس على التقْوى مِن أولِ يومٍ، وهو مسجدُ قُباءٍ، لِمَا دل عليه السياقُ، والأحاديثُ الواردةُ فى الثناءِ على تطهيرِ أهلِه مشيرةٌ إليه، وما ثبَت فى «صحيحِ مسلمٍ»[2] مِن أنه مسجدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لا يُنافى ما تقَدَّم؛ لأنه إذا كان مسجدُ قُباءٍ أُسِّس على التقوى مِن أولِ يومٍ، فمسجدُ الرسولِ أولى بذلك وأحْرَى، وأثْبَتُ فى الفضلِ منه وأقوى، وقد أشْبَعْنا القولَ فى ذلك فى «التفسيرِ» وللَّهِ الحمدُ.

والمقصودُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما نزَلَ بذى أَوانٍ دعا مالكَ بنَ الدُّخْشُمِ ومَعْنَ بنَ عَدِىٍّ - أو أخاه عاصمَ[3] بنَ عَدِىٍّ - رضى اللَّهُ عنهما، فأمَرهما أن يَذْهَبا إلى هذا

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) مسلم (١٣٩٨)، من حديث أبى سعيد الخدرى.

(٣) فى الأصل، ص: «عامر». وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٨١، وأسد الغابة ٣/ ١١٤، والإصابة ٣/ ٥٧٢.

المسجدِ الظالمِ أهلُه فيُحَرِّقاه بالنارِ، فذهَبا فحَرَّقاه بالنارِ، وتفرَّق عنه أهلُه.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: وكان الذين بَنَوه اثنَىْ عشَرَ رجلًا وهم؛ خِذامُ بنُ خالدٍ - وفى جنبِ دارِه كان بناءُ هذا المسجدِ - وثعلبةُ بنُ حاطبٍ، ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، وأبو حَبيبةَ بنُ الأَزْعَرِ، وعَبَّادُ بنُ حُنَيْفٍ أخو سهلِ بنِ حُنَيْفٍ، وجاريةُ بنُ عامرٍ، وابناه مُجَمِّعٌ وزيدٌ، ونَبْتَلُ بنُ الحارثِ، وبَحْزَجٌ[2] وهو إلى بنى ضُبَيْعةَ، وبِجادُ بنُ عثمانَ، وهو من بنى ضُبَيْعةَ، ووَديعةُ بنُ ثابتٍ وهو إلى بنى أميَّةَ.

قلتُ: وفى غزوةِ تبوكَ هذه صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ خلفَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ صلاةَ الفجرِ، أَدْرَك معه الركعةَ الثانيةَ منها، وذلك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ذهَب [٣/ ٢٠٤و] يتوضَّأُ ومعه المغيرةُ بنُ شعبةَ، فأَبْطأَ على الناسِ، فأُقِيمت الصلاةُ، فتقدَّم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، فلما سلَّم الناسُ أعْظَموا ما وقَع، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أحسَنْتم وأصبتُم». وذلك فيما رواه البخاريُّ، رحِمه اللَّهُ، قائلًا: حدَّثنا[3].

وقال البخاريُّ[4]: حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدٍ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ، أخبرنا حُمَيْدٌ الطويلُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، رضى اللَّه عنه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رجَع مِن غزوةِ تبوكَ، فدَنا مِن المدينةِ فقال: «إن بالمدينةِ أقوامًا، ما سِرْتُم مسيرًا ولا قطَعْتُم واديًا إلَّا كانوا معكم». فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وهم بالمدينةِ؟! قال: «وهم بالمدينةِ، حبَسهم العُذْرُ». تفرد به مِن هذا الوجهِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٣٠.

(٢) فى النسخ: «بخرج». والمثبت من السيرة. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٦.

(٣) الذى فى صحيح البخارى قصة وضوء النبى ﷺ (٤٤٢١)، أما الحديث بتمامه فهو فى صحيح مسلم (٨١/ ٢٧٤) من كتاب الطهارة، و (١٠٥/ ٢٧٤) من كتاب الصلاة.

(٤) البخارى (٤٤٢٣).

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، حدَّثنا سليمانُ ، حدَّثني عمرُو بنُ يحيى ، عن العباسِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ ، عن أبي حُمَيْدٍ قال : أقْبَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن غزوةِ تبوكَ ، حتى إذا أشْرَفْنا على المدينةِ قال : « هذه طابةُ ، وهذا أحدٌ ؛ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه » . ورواه مسلمٌ ، مِن حديثِ سليمانَ بنِ بلالٍ به نحوَه[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن الزهريِّ ، عن السائبِ بنِ يزيدَ قال : أذْكُرُ أنِّي خرَجْتُ مع الصبيانِ نتَلَقَّى رسولَ اللَّهِ ﷺ إلى ثَنِيَّةِ الوَداعِ مَقْدَمَه مِن غزوةِ تبوكَ . ورواه أبو داودَ والترمذيُّ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ به[4] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البيهقيُّ[5] : أخبرَنا أبو نصرِ بنُ قَتادةَ ، أخْبَرَنا أبو عمرِو بنُ مطَرٍ ، سمِعْتُ أبا خليفةَ يقولُ : سمِعْتُ ابنَ عائشةَ يقولُ : لما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، جعَل النساءُ والصبيانُ والوَلائدُ يقُلْن :

طلَع البَدْرُ علينا ... مِن ثَنِيَّاتِ الوَداعْ
وجَب الشكرُ علينا ... ما دَعا للَّهِ داعْ

قال البيهقيُّ : وهذا يذْكُرُه علماؤُنا عند مَقْدَمِه المدينةَ مِن مكةَ ، لا أنه لما قدِم المدينةَ مِن ثَنِيَّاتِ الوَداعِ عندَ مَقْدَمِه مِن تبوكَ ، واللَّهُ أعلمُ ، فذكَرْناه هـٰهنا أيضًا .

قال البخاريُّ ، رحِمه اللَّهُ[6] : حديثُ كعبِ بنِ مالكٍ ، رضى اللَّهُ عنه ،

---

(١) البخارى (٤٤٢٢) .
(٢) مسلم (١٣٩٢) .
(٣) البخارى (٤٤٢٧) .
(٤) أبو داود (٢٧٧٩) ، والترمذى (١٧١٨) .
(٥) دلائل النبوة ٥/ ٢٦٦ .
(٦) البخارى (٤٤١٨) .

حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيرٍ، حدَّثنا الليثُ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ كعبِ بنِ مالكٍ - وكان قائدَ كعبٍ مِن بَنِيه[1] حينَ عَمِيَ - قال: سمِعْتُ [٣/ ٢٠٤ظ] كعبَ بنَ مالكٍ يُحَدِّثُ حينَ تخلَّف عن قصةِ تَبوكَ، قال كعبٌ: لم أتخلَّفْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ في غزوةٍ غزاها إلَّا في غزوةِ تبوكَ، غيرَ أني كنتُ تخلَّفْتُ في غزوةِ بدرٍ، ولم يُعاتَبْ أحدٌ تخلَّف عنها، إنما خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ يريدُ عِيرَ قريشٍ[2]، حتى جمَع اللَّهُ بينَهم وبينَ عدوِّهم على غيرِ ميعادٍ، ولقد شهِدْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العقبةِ [3]حينَ تواثَقْنا[3] على الإسلامِ، وما أُحِبُّ أن لي بها مَشهَدَ بدرٍ، وإن كانت بدرٌ أذْكَرَ في الناسِ منها، كان مِن خبري أني لم أكُنْ قطُّ أقوى ولا أيْسَرَ حين تخلَّفْتُ عنه في تلك الغزاةِ، واللَّهِ ما اجْتَمَعَت عندي قبلَه راحلتان قطُّ، حتى جمَعْتُهما في تلك الغَزوةِ، ولم يكنْ رسولُ اللَّهِ يريدُ غزوةً إلَّا وَرَّى بغيرِها، حتى كانت تلك الغزوةُ، غزاها رسولُ اللَّهِ في حرٍّ شديدٍ، واستقبل سفرًا بعيدًا، [4]ومَفازًا، وعدوًّا[4] كثيرًا، فجلَّى للمسلمين أمْرَهم؛ ليتأهَّبوا أُهْبَةَ غزوِهم، فأخْبرهم بوجهِه الذي يريدُ، والمسلمون مع رسولِ اللَّهِ ﷺ كثيرٌ، ولا يَجْمَعُهم كتابٌ حافظٌ - يريدُ الدِّيوانَ - قال كعبٌ: فما رجلٌ يريدُ أن يتَغَيَّبَ إلا ظنَّ أن سَيَخْفَى له ما لم يَنْزِلْ فيه وحيُ اللَّهِ، وغزا رسولُ اللَّهِ ﷺ [5]تلك الغزوةَ[5] حينَ طابت الثمارُ والظِّلالُ، وتجهَّز رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون معه، فطفِقْتُ

---

(١) في الأصل: «بيته».

(٢) بعده في الأصل، ا ٤، ص: «وذكر الحديث».

(٣ - ٣) في الأصل، م، ص: «حتى تواثبنا». وفي ا ٤: «حين توافقنا». والمثبت من صحيح البخاري.

(٤ - ٤) في الأصل: «وعدادا وعدوا». وفي ا ٤: «وقفارا وعدوا». وفي م: «عددا وعدادا». وفي ص: «وعدوا». والمثبت من صحيح البخاري. والمفاز: الصحراء.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ا ٤، ص.

أغْدُو؛ لكى أتجَهَّزَ معهم، فأَرْجِعُ ولم أَقْضِ شيئًا، فأقولُ فى نفسى: أنا قادرٌ عليه. فلم يَزَلْ يَتمادَى بى، حتى اشْتَدَّ بالناسِ الجِدُّ، فأصْبح رسولُ اللَّهِ والمسلمون معه ولم أقْضِ مِن جَهازى شيئًا، فقلتُ: أتجَهَّزُ بعدَه بيومٍ أو يومين، ثم ألْحَقُهم. فغدَوْتُ بعدَ أن فصَلوا لأتجَهَّزَ، فرجَعْتُ ولم أقْضِ شيئًا، ثم غدَوْتُ ثم رجَعْتُ ولم أقْضِ شيئًا، فلم يَزَلْ بى حتى أَسْرعوا وتفارَط[1] الغزوُ، وهمَمْتُ أن أرْتَحِلَ فأُدْرِكَهم - وليتنى فعلْتُ - فلم يُقَدَّرْ لى ذلك، فكنتُ إذا خرَجْتُ فى الناسِ بعدَ خروجِ رسولِ اللَّهِ فطُفْتُ فيهم، أحْزَننى أنى لا أرَى إلا رجلًا مَغْموصًا[2] عليه النفاقُ، أو رجلًا ممن عذَر اللَّهُ مِن الضعفاءِ، ولم يذْكُرْنى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى بلَغ تبوكَ، فقال وهو جالسٌ فى القومِ بتبوكَ: «ما فعَل كعبٌ؟» فقال رجلٌ من بنى سَلِمةَ: يا رسولَ اللَّهِ، حبَسه بُرْداه، ونَظَرُه فى عِطْفَيْه[3]. فقال معاذُ بنُ [٣/ ٢٠٥و] جبلٍ: بئس ما قلتَ، واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ما علِمْنا عليه إلا خيرًا. فسكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ. قال كعبُ بنُ مالكٍ، قال: فلما بلَغنى أنه توَجَّه قافلًا، حضَرنى همى، وطفِقْتُ أتذَكَّرُ الكذبَ وأقولُ: بماذا أخْرُجُ مِن سَخَطِه غدًا؟ واستَعَنْتُ على ذلك بكلِّ ذى رأيٍ مِن أهلى، فلما قيل: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أظَلَّ قادمًا، زاح عنى الباطلُ، وعرَفْتُ أنى لن أخْرُجَ منه أبدًا بشىءٍ فيه كذبٌ، فأجْمَعْتُ صِدْقَه، وأصبح رسولُ اللَّهِ ﷺ قادمًا، وكان إذا قدِم مِن سفرٍ بدَأ بالمسجدِ، فيركَعُ فيه ركْعَتَيْن، ثم جلَس للناسِ، فلما فعَل ذلك جاء المُخَلَّفون فطفِقوا يَعْتَذِرون إليه، ويَحْلِفون له، وكانوا بِضْعةً وثمانين رجلًا، فقبِل

---

(١) تفارط: فات وسبق، والفرط: السبق. فتح البارى ٨/ ١١٨.

(٢) مغموصًا: أى مطعونًا عليه فى دينه متهَمًا بالنفاق. المصدر السابق.

(٣) كذا فى النسخ. وفى البخارى: «عطفه». والعطفان: الجانبان، وكنى بذلك عن الإعجاب بنفسه واختياله بحسن لباسه، فهو يلتفت إليهما من شدة خيلائه. انظر المصدر السابق، والوسيط (ع ط ف).

منهم رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهم، وبايَعهم واسْتَغْفَر لهم، ووكَل سَرائرَهم إلى اللَّهِ، عز وجل، فجئْتُه، فلما [1] سلَّمْتُ عليه [1] تبَسَّم تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثم قال: «تعالَ». فجئْتُ أمْشِي حتى جلَسْتُ بينَ يديه، فقال لى: «ما خلَّفك؟ ألم تَكُنْ قد ابْتَعْتَ ظَهْرَك؟» فقلتُ: بلى، إنِّى واللَّهِ لو جلَسْتُ عندَ غيرِك مِن أهلِ الدنيا لَرأيْتُ أنْ سأخْرُجُ مِن سَخَطِه بعُذْرٍ، ولقد أُعْطِيتُ جَدَلًا، ولكنى واللَّهِ لقد علِمْتُ لئن حدَّثْتُك اليومَ حديثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عنى، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أن يُسْخِطَك علىَّ، ولئن حدَّثْتُك حديثَ صِدْقٍ تَجِدُ علىَّ فيه، إنِّى لأَرْجو فيه عفوَ اللَّهِ، لا واللَّهِ ما كان لى مِن عُذْرٍ، واللَّهِ ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيْسَرَ منِّى حينَ تخَلَّفْتُ عنك. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أمَّا هذا فقد صدَق، فقُمْ حتى يقْضِيَ اللَّهُ فيك». فقمْتُ، وثار رجالٌ من بنى سَلِمةَ [2] فاتَّبَعونى فقالوا لى: واللَّهِ ما علِمْناك كنتَ أذْنَبْتَ ذنبًا قبلَ هذا، ولقد عجَزْتَ أن لا تكونَ اعْتَذَرْت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بما اعْتَذر إليه المُخَلَّفون، وقد كان كافيَك ذنبَك استغفارُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لك. فواللَّهِ ما زالوا يُؤَنِّبوننى حتى هممْتُ [3] أن أرْجِعَ فأُكَذِّبَ نفسى، ثم قلتُ لهم: هل لقِيَ هذا معى أحدٌ؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثلَ ما قلتَ، وقيل لهما مثلَ ما قيل لك. فقلتُ: مَن هما؟ قالوا: مُرارةُ بنُ الربيعِ العَمْرىُّ، وهلالُ بنُ أميَّةَ الواقفىُّ. فذكَروا لى [٣/٢٠٥ظ] رجلَيْن صالحَيْن قد شهِدا بدرًا فيهما أُسْوةٌ، فمضَيْتُ حينَ ذكَروهما لى [4]، ونهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين عن

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص. وفى ا ٤: «رآنى».

(٢) فى الأصل، ص: «أمية». وثار رجال أى: وثبوا. انظر الفتح ١١٩/٨.

(٣) كذا فى النسخ. وفى البخارى: «أردت».

(٤) سقط من: الأصل، م.

كلامِنا أيُّها الثلاثةُ مِن بينِ مَن تخَلَّف عنه[1] ، فاجْتَنَبَنا الناسُ وتغَيَّروا لنا ، حتى تنَكَّرَت فى نفسىَ الأرضُ ، فما هى التى أعْرِفُ ، فلبِثْنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأما صاحباىَ فاسْتَكانا ، وقعَدا فى بيوتِهما يبْكِيان ، وأما أنا فكنتُ أشَبَّ القومِ وأجْلدَهم ، فكنتُ أخرُجُ فأشْهَدُ الصلاةَ مع المسلمين ، وأطوفُ فى الأسْواقِ ولا يُكَلِّمُنى أحدٌ ، وآتِى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأُسَلِّمُ عليه وهو فى مَجْلِسه بعدَ الصلاةِ ، فأقولُ فى نفسى : هل حرَّك شَفَتَيْه بردِّ السلامِ علىَّ أم لا ؟ ثم أُصلِّى قريبًا منه ، فأُسارِقُه النظرَ ، فإذا أقْبَلْتُ على صلاتى أقْبَل إلىَّ ، وإذا التَفَتُّ نحوَه أعْرَض عنى ، حتى إذا طال علىَّ ذلك مِن جَفْوةِ الناسِ ، مشَيْتُ حتى تسَوَّرْتُ جِدارَ حائطِ أبى قَتادةَ ، وهو ابنُ عمِّى وأحَبُّ الناسِ إلىَّ ، فسَلَّمْتُ عليه ، فواللَّهِ ما ردَّ علىَّ السلامَ ، فقلتُ : يا أبا قتادةَ ، أَنْشُدُك باللَّهِ هل تَعْلَمُنى أُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ؟ فسكَت فعُدْتُ له فنشَدْتُه [2]فسكَت ، فعُدْتُ له فنشَدْتُه[2] ، فقال : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . ففاضت عَيْناىَ ، وتوَلَّيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ الجِدارَ . قال : وبينا أنا أمشِى بسوقِ المدينةِ إذا نَبَطِىٌّ مِن أنْباطِ أهلِ الشامِ[3] ممن قدِم بطعامٍ يَبيعُه بالمدينةِ يقولُ : مَن يدُلُّنى على كعبِ بنِ مالكٍ ؟ فطفِق الناسُ يُشِيرون له ، حتى إذا جاءنى دفَع إلىَّ كتابًا مِن ملِكِ غَسَّانَ[4] ، فإذا فيه : أمَّا بعدُ ، فإنه قد بلَغنى أن صاحبَك قد جَفاك ، ولم يجْعَلْك اللَّهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعةٍ ، فالْحَقْ بنا نُواسِك . فقلتُ لما قرَأْتُها : وهذا أيضًا مِن البلاءِ . فتيَمَّمْتُ بها التَّنُّورَ فسجَرْتُه بها[5] ، حتى إذا

---

(١) زيادة من صحيح البخارى .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) قال ابن حجر : قوله : « من أنباط أهل الشام » . نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه ، وهؤلاء كانوا فى ذلك الوقت أهل الفلاحة . ويقال : إن النبط يُنسبون إلى نبط بن هانب بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح . فتح البارى ٨/ ١٢٠ .

(٤) بعده فى م : « فى سراقة من حرير » .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « فأقمنا على ذلك » . وسجرته : أوقدته .

مضَت أربعون ليلةً مِن الخمسين إذا رسولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يأْتِينى ، فقال : إن[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ يأْمُرُك أن تَعْتَزِلَ امرأتَك . فقلتُ : أُطَلِّقُها أم ماذا أفْعَلُ ؟ قال : لا ، بل اعْتَزِلْها ولا تَقْرَبْها . وأرْسَل إلى صاحبىَّ بمثلِ ذلك ، فقلتُ لامرأتى : الْحَقِى بأهلِك فتكونى عندَهم ، حتى يَقْضِىَ اللَّهُ فى هذا الأمرِ . قال كعبٌ : فجاءت امرأةُ هلالِ بنِ أميَّةَ إلى رسولِ اللَّهِ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هلالَ بنَ أميَّةَ شيخٌ ضائعٌ ليس [٣/٢٠٦و] له خادمٌ ، فهل تَكْرَهُ أن أَخْدُمَه ؟ قال : « لا ، ولكن لا يَقْرَبْكِ » . قالت : إنه واللَّهِ ما به حركةٌ إلى شىءٍ ، واللَّهِ مازال يَبْكِى منذ كان مِن أمرِه ما كان إلى يومِه هذا . فقال لى بعضُ أهلى : لو اسْتَأْذَنْتَ رسولَ اللَّهِ فى امرأتِك كما [2]أَذِن لامرأةِ[2] هلالِ بنِ أميَّةَ أن تَخْدُمَه . فقلتُ : واللَّهِ لا أسْتَأْذِنُ فيها رسولَ اللَّهِ ، وما يُدْرينى ما يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا استَأْذَنْتُه فيها وأنا رجلٌ شابٌّ ! قال : فلبِثْتُ بعدَ ذلك عشْرَ ليالٍ ، حتى كمَلَت لنا خمسون ليلةً مِن حينَ نهَى رسولُ اللَّهِ عن كلامِنا ، فلما صلَّيْتُ الفجرَ صُبْحَ خمسين ليلةً وأنا على ظهرِ بيتٍ مِن بُيوتِنا ، فبينا أنا جالسٌ على الحالِ التى ذكَر اللَّهُ ، عز وجل ، قد ضاقت علىَّ نفسى ، وضاقت علىَّ الأرضُ بما رَحُبَت ، سمِعْتُ صوتَ صارخٍ أَوْفَى على جبلِ سَلْعٍ[3] بأعلى صوتِه : يا كعبُ بنَ مالكٍ ، أبْشِرْ . فخرَرْتُ ساجدًا ، وعرَفْتُ أن قد جاء فرَجٌ ، وآذَن رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] بتوبةِ اللَّهِ علينا حينَ صلَّى صلاةَ الفجرِ ، فذهَب الناسُ يُبَشِّروننا ، وذهَب قِبَلَ صاحبىَّ مُبَشِّرون ، وركَض رجلٌ إلىَّ فَرَسًا ، وسعَى ساعٍ مِن أسْلَمَ ، فأوْفَى على الجبلِ ، وكان الصوتُ أسْرَعَ مِن

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « استأذن هلال » . وفى ص : « أذن لهلال » .

(٣) بعده فى م : « يقول » .

(٤) بعده فى م : « للناس » .

الفرسِ ، فلما جاءنى الذى سمِعْتُ صوتَه يُبَشِّرُنى ، نزَعْتُ له ثوبىَّ فكسَوْتُه إياهما ببُشْراه ، واللَّهِ ما أمْلِكُ غيرَهما يومَئذٍ ، واسْتَعَرْتُ ثوبين فلبِسْتُهما ، وانطَلَقْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتلَقَّانى الناسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونى بالتوبةِ يقولون : لِيَهْنِكَ توبةُ اللَّهِ عليك . قال كعبٌ : حتى دخَلْتُ المسجدَ ، فإذا برسولِ اللَّهِ ﷺ جالسٌ حولَه الناسُ ، فقام إلىَّ طلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حتى صافحنى وهنَّأنى ، واللَّهِ ما قام إلىَّ رجلٌ مِن المهاجرين غيرُه ولا أنساها لطلحةَ . قال كعبٌ : فلما سلَّمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يَبْرُقُ وجهُه مِن السرورِ : « أبْشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذ ولَدَتك أمُّك » . قال : قلتُ : أمِن عندِك يا رسولَ اللَّهِ أم مِن عندِ اللَّهِ ؟ قال : « لا ، بل مِن عندِ اللَّهِ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه حتى كأنه قطعةُ قمرٍ ، وكنا نَعْرِفُ ذلك منه ، فلما جلَسْتُ بينَ يديه ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن مِن توبتى أن أنْخَلِعَ مِن مالى صدقةً إلى اللَّهِ وإلى رسولِه . قال [٣/٢٠٦ظ] رسولُ اللَّهِ : « أمْسِكْ عليك بعضَ مالِك ، فهو خيرٌ لك » . قلتُ : فإنى أُمْسِكُ سهمِى الذى بخيبرَ . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن اللَّهَ إنما نجَّانى بالصدقِ ، وإن مِن توبتى ألا أُحدِّثَ إلا صدقًا ما بقِيتُ . فواللَّهِ ما أعْلَمُ أحدًا مِن المسلمين أبْلاه اللَّهُ فى صدقِ الحديثِ منذ ذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ أحسنَ مما أبْلانى ، ما تَعَمَّدْتُ[1] منذ ذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ إلى يومى هذا كَذِبًا ، وإنى لأَرْجُو أن يحْفَظَنِىَ اللَّهُ فيما بقِيتُ ، وأنزل اللَّهُ على رسولِه ﷺ : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٧- ١١٩] . فواللَّهِ ما أنْعَم اللَّهُ علىَّ مِن نعمةٍ قطُّ بعدَ أن هدانى للإسلامِ أعظمَ فى نفسى مِن صدقى لرسولِ اللَّهِ ﷺ أن لا أكونَ كذَبْتُه ،

---

(١) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م : « شهدت » .

فأَهْلِكَ كما هلَك الذين كذَبوا، فإن اللَّهَ تعالى قال للذين كذَبوا حينَ أَنْزَل الوحيَ شرَّ ما قال لأحدٍ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾ إلى قولِه: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦]. قال كعبٌ: وكنا تخَلَّفْنا أيُّها الثلاثةُ عن أمرِ أولئك الذين قَبِل منهم رسولُ اللَّهِ حينَ حلَفوا له فبايَعهم واستَغْفَر لهم، وأرْجَأ رسولُ اللَّهِ أمرَنا حتى قضَى اللَّهُ فيه، فبذلك قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [التوبة: ١١٨]. ليس الذى ذكَر اللَّهُ مما خُلِّفْنا مِن الغزوِ، وإنما هو تخليفُه إيانا وإرجاؤُه أمْرَنا عمن حلَف له واعْتَذر إليه فقَبِل منه. وهكذا رواه مسلمٌ، مِن طريقِ الزهريِّ بنحوِه[(١)]. وهكذا رواه محمدُ بنُ إسحاقَ، عن الزهريِّ مثلَ سياقِ البخاريِّ[(٢)]، وقد سُقْناه فى «التفسيرِ» مِن «مسندِ الإمامِ أحمدَ»[(٣)]، وفيه زياداتٌ يسيرةٌ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

ذكرُ أقوامٍ تخَلَّفوا مِن العُصاةِ غيرِ هؤلاء

قال عليُّ بنُ طلحةَ الوالبيُّ، عن ابنِ عباسٍ[(٤)] فى قولِه تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢]. قال: كانوا عشَرةَ رَهْطٍ تخَلَّفوا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) مسلم (٢٧٦٩).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥٣١ - ٥٣٧.

(٣) التفسير ٤/١٦٥ - ١٦٩، والمسند ٣/٤٥٦ - ٤٥٩.

(٤) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١١/ ١٢، ١٣، ١٦، والبيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٧١، ٢٧٢، كلاهما من طريق على بن طلحة به.

فى غزوةِ تبوكَ ، فلما حضَر[1] رجوعُه أوْثَق سبعةٌ منهم أنفسَهم بسوارى المسجدِ ، [2]وكان مَمَرُّ النبىِّ ﷺ إذا رجَع من المسجدِ عليهم[2] ، فلما مرَّ بهم رسولُ اللَّهِ قال : « مَن هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لُبابةَ وأصحابٌ له ، تخَلَّفوا عنك ، حتى تُطْلِقَهم وتَعْذُرَهم . قال : « وأنا [٣/٢٠٧و] أُقْسِمُ باللَّهِ لا أُطْلِقُهم ولا أَعْذُرُهم حتى يكونَ اللَّهُ ، عز وجل ، هو الذى يُطْلِقُهم ، رَغِبوا عنى ، وتخَلَّفوا عن الغزوِ مع المسلمين » . فلما أن بلَغهم ذلك قالوا : ونحن لا نُطْلِقُ أنفسَنا حتى يكونَ اللَّهُ هو الذى يُطْلِقُنا . فأنْزَل اللَّهُ عز وجل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية . و « عسى » مِن اللَّهِ واجبٌ ، فلما أُنْزِلت ، أرْسَل إليهم رسولُ اللَّهِ فأطْلَقهم وعذَرَهم ، فجاءوا بأموالِهم وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذه أموالُنا فتصَدَّقْ بها عنا ، واستغفِرْ لنا . فقال : « ما أُمِرْتُ أن آخذَ أموالكم » . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ [التوبة : ١٠٣- ١٠٦] . وهم الذين لم يَرْبُطوا أنفسَهم بالسوارى فأُرْجِئوا ، حتى نزَل قولُه تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ إلى آخرِها [التوبة : ١١٧، ١١٨] . وكذا رواه عطيةُ بنُ سعدٍ[3] العَوْفىُّ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه[4] .

وقد ذكَر سعيدُ بنُ المسيَّبِ ومجاهدٌ[5] ومحمدُ بنُ إسحاقَ[6] قصةَ أبى لُبابةَ

---

(١) فى م : « حضروا » .

(٢ - ٢) زيادة من تفسير الطبرى والدلائل .

(٣) فى م : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٤٥.

(٤) تفسير الطبرى ١١/ ١٣، ١٧.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٧٠، ٢٧١ ، بإسنادين عن سعيد بن المسيب ومجاهد به .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٣٦ - ٢٣٨.

وما كان مِن أمرِه يومَ بنى قُرَيْظةَ ، ورَبْطِه نفسَه حتى تِيب عليه ، ثم إنه تَخَلَّف عن غزوةِ تبوكَ ، فربَطَ نفسَه أيضًا حتى تاب اللَّهُ عليه ، وأراد أن ينْخَلِعَ مِن مالِه كلِّه صدقةً ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكْفِيك مِن ذلك الثُّلُثُ » . قال مجاهدٌ وابنُ إسحاقَ : وفيه نزَل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية . قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ : ثم لم يُرَ منه بعدَ ذلك فى الإسلامِ إلا خيرٌ ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه .

قلتُ : ولعل هؤلاء الثلاثةَ لم يَذْكُروا معه بقيةَ أصحابِه ، واقْتَصروا على أنه كان كالزعيمِ لهم ، كما دلَّ عليه سياقُ ابنِ عباسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن طريقِ أبى أحمدَ الزبيرىِّ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن سلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن عِياضِ بنِ عِياضٍ ، عن أبيه ، عن أبى[2] مسعودٍ قال : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « إن منكم منافقِين ، فمَن سمَّيْتُ فلْيَقُمْ ، قُمْ يا فلانُ ، قمْ يا فلانُ ، قمْ يا فلانُ » . حتى عدَّ ستةً وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم - أو إن منكم - منافقين فسلوا اللَّهَ العافيةَ » . قال : فمرَّ عمرُ برجلٍ مُتَقَنِّعٍ ، وقد كان بينَه وبينَه معرفةٌ ، فقال : ما شأنُك ؟ فأخْبَره بما قال [٣/٢٠٧ظ] رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : بُعْدًا لك سائرَ اليومِ .

قلتُ : كان المُتَخَلِّفون عن غزوةِ تبوكَ أربعةَ أقسامٍ ؛ مأمورون مأجورون كعلىِّ بنِ أبى طالبٍ ومحمدِ بنِ مَسْلَمةَ وابنِ أمِّ مَكْتومٍ ، ومَعْذورون وهم الضعفاءُ والمرْضَى والمُقِلُّون وهم البَكَّاءون ، وعُصاةٌ مُذْنِبون وهم الثلاثةُ و[3]أبو لُبابةَ وأصحابُه المذكورون ، وآخرون مَلومون مَذْمومون وهم المنافقون .

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من الدلائل . وانظر تعجيل المنفعة ص ٣٢٦.

(٣) سقط من : م .

[1]ذِكْرُ ما كان مِن الحوادثِ بعدَ رجوعِه ﷺ إلى المدينةِ مُنْصَرَفه مِن تبوكَ[1]

قال الحافظُ البيهقيُّ[2] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إملاءً ، أخبرنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا أبو البَخْتَرِيِّ عبدُ اللَّه بنُ [3]محمدِ بنِ[3] شاكرٍ ، حدَّثنا زكريا بنُ يحيى ، حدَّثنا عمُّ أبى زَحْرُ[4] بنُ حصنٍ ، عن جدِّه حُمَيْدِ بنِ مُنْهِبٍ[5] قال : سمِعْتُ جدى خُرَيْمَ بنَ أوسِ بنِ حارثةَ بنِ لامٍ يقولُ : هاجَرْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مُنْصَرفَه مِن تبوكَ[6] ، فسَمِعْتُ العباسَ بنَ عبدِ المطلبِ يقولُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أريدُ أن أَمْتَدِحَك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قل ، لا يَفْضُضِ اللَّهُ فاك » . فقال :

مِن قَبْلِها طِبْتَ فى الظِّلالِ وفى ... مُسْتَوْدَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ[7]

(١ - ١) فى م : « ما كان من الحوادث بعد منصرفه من تبوك » .

(٢) دلائل النبوة ٥/ ٢٦٧. وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٤/ ٢٥٢ (٤١٦٧) من طريق أبى السكين زكريا ابن يحيى به نحوه ، قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٨: وفيه من لم أعرفهم .

(٣ - ٣) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل . انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣.

(٤) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، ص : « زجر » ، وفى م : « زخر » ، والمثبت من الدلائل والمعجم الكبير . وانظر ميزان الاعتدال ٢/ ٦٩.

(٥) فى الدلائل : « منيب » . وهو تحريف . والمثبت موافق لما فى المعجم الكبير . انظر الإصابة ٢/ ١٢٩.

(٦) بعده فى الدلائل : « فأسلمت » .

(٧) قبلها : أى الأرض أو الدنيا أو الولادة . والظلال : أى ظلال الجنة فى صلب آدم . ومستودع : الموضع الذى كان آدم وحواء به فى الجنة . يخصف : يلزق . شرح المواهب اللدنية ٣/ ٨٤.

ثم هبطتَ البلادَ لا بَشَرٌ أنت ولا مضغةٌ[1] ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركَبُ السفينَ وقد ألجَم نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ[2]
تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضَى عالَمٌ بدَا طَبَقُ
حتى احتوى بيتَك المهيمنُ مِن خِنْدِفَ عَلْياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنت لمَّا وُلِدْتَ أشْرَقَت الأرْ ضُ وضاءتْ بنورِك الأُفُقُ
فنحن فى ذلك الضياءِ وفى النو رِ وسُبْلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

ورواه البيهقىُّ[3] مِن طريقٍ أخرى، عن أبى السُّكينِ[4] زكريا بنِ يحيى الطائىِّ، وهو فى جزءٍ له مروىٌّ عنه. قال البيهقىُّ: وزاد: ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذه الحيرةُ البيضاءُ رُفِعت لى، وهذه الشَّيْماءُ بنتُ بُقَيْلةَ[5] الأزْديةُ على بغْلةٍ شَهْباءَ مُعْتَجِرةٌ بخمارٍ أسودَ». فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنْ نحن دخَلْنا الحيرةَ فوجَدْتُها كما [٣/٢٠٨و] تَصِفُ فهى لى؟ قال: «هى لك». قال: ثم كانت الرِّدَّةُ، فما ارتد أحدٌ من طيِّئٍ، وكنا نُقاتِلُ مَن يلينا مِن العربِ على الإسلامِ، فكنا نُقاتِلُ قيسًا وفيها عُيَيْنةُ بنُ حصنٍ، وكنا نُقاتِلُ بنى أَسَدٍ وفيهم طُلَيحةُ[6] بنُ خُوَيْلِدٍ، وكان خالدُ بنُ الوليدِ يَمْدَحُنا، وكان فيما قال فينا:

جزَى اللَّهُ عنا طيِّئًا فى ديارِها بمُعْتَرَكِ الأبطالِ خيرَ جزاءِ
همُ أهلُ راياتِ السَّماحةِ والنَّدَى إذا ما الصَّبَا أَلْوَتْ بكلِّ خِباءِ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «نطفة».
(٢) نسرًا: أحد الأصنام التى عبدها قوم نوح. أهله: عباده. المصدر السابق.
(٣) دلائل النبوة ٥/٢٦٨، ٢٦٩. وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٤/٢٥٣، ٢٥٤ من طريق أبى السكين به.
(٤) فى الأصل، م، ص: «السكن». وانظر تهذيب الكمال ٩/٣٨٣.
(٥) فى م، والدلائل: «نفيلة». وانظر الإكمال ١/٣٤٧.
(٦) فى الأصل، م، ص: «طلحة». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٩٦.

هُمُ ضرَبوا قيسًا على الدِّينِ بعدَما أجابوا مُنادى ظلمةٍ وعَماءِ

قال : ثم سار خالدٌ إلى مُسَيْلِمةَ الكذابِ فسِرْنا معه ، فلما فرَغْنا مِن مُسَيْلِمةَ أقْبَلْنا إلى ناحيةِ البصرةِ ، فلقِينا هُرْمُزَ بكاظِمةَ[1] فى جيشٍ[2] هو أكبرُ مِن جَمْعِنا ، ولم يكنْ أحدٌ مِن الناسِ[3] أعْدَى للعربِ والإسلامِ مِن هُرْمُزَ ، فخرَج إليه خالدٌ ودعاه إلى البِرازِ ، فبرَز له فقتَله خالدٌ ، وكتَب بخبرِه إلى الصديقِ ، فنفَّله سَلَبَه ، فبلَغت قَلَنْسُوَةُ هُرْمُزَ مائةَ ألفِ درهمٍ ، وكانت الفُرسُ إذا شَرُف فيها الرجلُ جعَلت قَلَنْسُوَتَه بمائةِ ألفِ درهمٍ . قال : ثم أقبَلْنا[4] على طريقِ الطَّفِّ[5] إلى الحيرةِ ، فأولُ مَن تلَقَّانا حينَ دخَلْناها الشيماءُ بنتُ بُقَيْلةَ[6] ، كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « على بغلةٍ شَهْباءَ مُعْتَجِرةً بخمارٍ أسودَ » . فتعَلَّقْتُ بها وقلتُ : هذه وهَبها لى رسولُ اللَّهِ ﷺ . فدعانى خالدٌ عليها بالبينةِ ، فأتَيْتُه بها ، وكانت البينةُ محمدَ ابنَ مَسْلَمةَ ومحمدَ بنَ بَشيرٍ الأنصاريَّ ، فسلَّمها إلىَّ ، فنزَل إلىَّ أخوها عبدُ المسيحِ يريدُ الصلحَ ، فقال : بِعْنيها . فقلتُ : لا أنْقُصُها واللَّهِ عن عَشْرِ مائةِ درهمٍ . فأعطانى ألفَ درهمٍ ، وسلَّمْتُها إليه ، فقيل : لو قلتَ مائةَ ألفٍ لدفَعها إليك . فقلتُ : ما كنتُ أَحْسَبُ أن عددًا أكثرُ مِن عشْرِ مائةٍ .

---

(١) كاظمة : جَوٌّ - وهو المنخفض من الأرض - على سِيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان . معجم البلدان ٤/ ٢٢٨، واللسان (ج و و) .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى مصدرى التخريج : « جمع » .

(٣) فى الأصل ، ص : « العرب » ، وفى م : « العجم » .

(٤) فى الأصل ، م : « قفلنا » .

(٥) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية . معجم البلدان ٣/ ٥٣٩.

(٦) فى م : « نفيلة » .

قدومُ وفدِ ثقيفٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ في رمضانَ مِن سنةِ تسعٍ

تقدم[1] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما ارتَحَل عن ثقيفٍ سُئِل أن يَدعُوَ عليهم فدعا لهم بالهدايةِ، وقد تقدم[2] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ أسْلَم مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْرىُّ أنعم عليه وأعطاه، وجعَله أميرًا على مَن أسْلَم مِن قومِه، فكان يغْزُو بلادَ ثقيفٍ ويُضَيِّقُ عليهم، حتى ألْجَأهم إلى الدخولِ في الإسلامِ، وتقدم[3] أيضًا فيما رواه [٣/٢٠٨ظ] أبو داودَ، عن صخرِ بنِ العَيْلةِ الأحْمَسِيِّ أنه لم يَزَلْ بثقيفٍ حتى أنزَلهم مِن حصنِهم على حكمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأقْبَل بهم إلى المدينةِ النبويةِ بإذنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ له في ذلك.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وقدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ مِن تبوكَ في رمضانَ، وقدِم عليه في ذلك الشهرِ وفدُ ثقيفٍ، وكان مِن حديثِهم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما انصَرف عنهم، اتَّبَع أثَرَه عروةُ بنُ مسعودٍ، حتى أدْرَكه قبلَ أن يَصِلَ إلى المدينةِ فأسْلَم، وسأَله أن يَرْجِعَ إلى قومِه بالإسلامِ، فقال له رسولُ اللَّهِ - كما يَتحدثُ قومُه -: «إنهم قاتِلوكَ». وعرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ أن فيهم نَخْوةَ الامتناعِ؛ للذى كان منهم، فقال عروةُ: يا رسولَ اللَّهِ، أنا أَحَبُّ إليهم مِن أبْكارِهم. وكان فيهم

---

(١) تقدم في ٤/ ٣٤٢.

(٢) تقدم في صفحة ١٠٣.

(٣) تقدم في صفحة ٨٠، ٨١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٣٧، ٥٣٨.

كذلك مُحَبِّبًا[1] مُطاعًا ، فخرَج يدعو قومَه إلى الإسلامِ ، رجاءَ أن لا يُخالِفوه ؛ لمنزلتِه فيهم ، فلما أشْرَف على عِلِّيَّةٍ له ، وقد دعاهم إلى الإسلامِ وأظْهَر لهم دينَه ، رَمَوْه بالنبل مِن كلِّ وجهٍ فأصابه سهمٌ فقتَله ، فيَزْعُمُ بنو مالكٍ أنه قتلَه رجلٌ منهم [2]يقالُ له : أوسُ بنُ عوفٍ . أخو بنى سالمِ بنِ مالكٍ ، وتزْعُمُ الأحْلافُ أنه قتلَه رجلٌ منهم[2] مِن بنى عَتَّابٍ يقالُ له : وهبُ بنُ جابرٍ . فقيل لعروةَ : ما ترَى فى دمِك[3] ؟ قال : كرامةٌ أكْرَمنِى اللَّهُ بها ، وشهادةٌ ساقها اللَّهُ إلىَّ ، فليس فىَّ إلا ما فى الشهداءِ الذين قُتِلوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ أن يَرْتَحِلَ عنكم ، فادْفِنونى معهم . فدفَنوه معهم ، فزعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فيه : « إن مَثَلَه فى قومِه كمَثَلِ صاحبِ يس فى قومِه » . وهكذا ذكر موسى بنُ عقبةَ قصةَ عروةَ[4] ، ولكن زعَم أن ذلك كان بعدَ حَجةِ أبى بكرٍ الصديقِ ، وتابعه أبو بكرٍ البيهقىُّ فى ذلك[5] وهذا بعيدٌ ، والصحيحُ أن ذلك قبلَ حَجةِ أبى بكرٍ كما ذكَره ابنُ إسحاقَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ثم أقامت ثقيفٌ بعدَ قتلِ عروةَ أشْهُرًا ، ثم إنهم ائْتَمروا بينَهم ، ورأَوْا أنه لا طاقةَ لهم بحربِ مَن حولَهم مِن العربِ ، وقد بايَعوا وأسْلَموا ، فائْتَمَروا فيما بينَهم ، وذلك عن رأيِ عمرِو بنِ أميةَ أخى بنى عِلاجٍ ، فائْتَمروا بينَهم ، ثم أجْمَعوا على أن يُرْسِلوا رجلًا منهم ، فأرْسَلوا عبدَ ياليلَ بنَ عمرِو بنِ

---

(١) فى الأصل ، ص : « مجيبا » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى النسخ : « دينك » . والمثبت من السيرة .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٢٩٩ - ٣٠٤، عن موسى بن عقبة .

(٥) المصدر السابق .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٥٣٨، ٥٣٩.

عميرٍ ، ومعه اثنان مِن الأحْلافِ وثلاثةٌ مِن بنى مالكٍ ، وهم ؛ الحكمُ بنُ عمرِو بنِ وهبِ بنِ مُعَتِّبٍ ، وشُرَحْبِيلُ بنُ غَيْلانَ بنِ سَلَمةَ بنِ مُعَتِّبٍ ، [٣/ ٢٠٩و] وعثمانُ ابنُ أبى العاصِ ، وأوسُ بنُ عوفٍ أخو بنى سالمٍ ، ونُمَيْرُ بنُ خَرَشةَ بنِ ربيعةَ .

وقال موسى بنُ عقبةَ : كانوا بضعةَ عشَرَ رجلًا ، فيهم كِنانةُ بنُ عبدِ يا لِيلَ ، وهو رئيسُهم ، وفيهم عثمانُ بنُ أبى العاصِ ، وهو أصغرُ الوفدِ .

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : فلما دنَوْا مِن المدينةِ ونزَلوا قَناةَ ، أَلْفَوْا المغيرةَ بنَ شعبةَ يَرْعَى فى نَوْبتِه رِكابَ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما رآهم ذهَب يشْتَدُّ ليُبَشِّرَ رسولَ اللَّهِ بقدومِهم ، فلقِيَه أبو بكرٍ الصديقُ فأخْبَره عن ركبِ ثقيفٍ أنهم قدِموا يُريدون البَيْعةَ والإسلامَ [(٢)] بأن يَشْرُطَ [(٢)] لهم رسولُ اللَّهِ شروطًا ، ويَكْتَتِبُوا[(٣)] كتابًا فى قومِهم ، فقال أبو بكرٍ للمغيرةِ : أقْسَمْتُ عليك لا تَسْبِقْنى إلى رسولِ اللَّهِ حتى أكونَ أنا أُحَدِّثُه . ففعَل المغيرةُ ، فدخَل أبو بكرٍ فأخْبَر رسولَ اللَّهِ ﷺ بقدومِهم ، ثم خرَج المغيرةُ إلى أصحابِه فرَوَّح الظَّهْرَ معهم ، وعلَّمهم كيف يُحَيُّون[(٤)] رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلم يَفْعَلوا إلا بتحيةِ الجاهليةِ ، ولما قدِموا على رسولِ اللَّهِ ضُرِبت عليهم قُبَّةٌ فى المسجدِ ، وكان خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ هو الذى يمشى بينَهم وبينَ رسولِ اللَّهِ ، فكان إذا جاءهم بطعامٍ مِن عندِه لم يأْكُلوا منه حتى يأْكُلَ خالدُ بنُ سعيدٍ قبلَهم ، وهو الذى كتَب لهم كتابَهم . قال : وكان مما اشْتَرطوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يدَعَ لهم الطاغيةَ - [(٥)]وهى اللاتُ[(٥)] - ثلاثَ سنين ، فما برِحوا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٣٩، ٥٤٠.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « إن شرط » .

(٣) فى النسخ : « يكتبوا » . والمثبت من السيرة .

(٤) فى ص : « يجيئون » .

(٥ - ٥) زيادة من السيرة .

يسْأَلونه سنةً سنةً ويأْبَى عليهم ، حتى سأَلوه شهرًا واحدًا بعدَ مَقْدَمِهم ليتَأَلَّفوا سفهاءَهم ، فأبَى عليهم أن يدَعَها شيئًا مُسَمًّى إلا أن يبْعَثَ معهم أبا سفيانَ بنَ حربٍ والمغيرةَ ليَهْدِماها ، وسأَلوه مع ذلك أن لا يُصَلُّوا وأن لا يَكْسِروا أصنامَهم بأيديهم ، فقال : « أما كَسْرُ أصنامِكم بأيديكم فسنُعْفِيكم مِن ذلك ، وأما الصلاةُ فلا خيرَ فى دينٍ لا صلاةَ فيه » . فقالوا : سنُؤْتِيكها وإن كانت دَناءةً .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدثنا عفانُ ، ثنا [(٢)] حمادُ بنُ سَلَمةَ[(٢)] ، عن حُمَيْدٍ ، عن الحسنِ ، عن عثمانَ بنِ أبى العاصِ ، أنَّ وفدَ ثقيفٍ قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأنْزَلهم المسجدَ ليكونَ أرَقَّ لقلوبِهم ، فاشْتَرطوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَروا ولا يُجَبُّوا ولا يُسْتَعْملَ عليهم غيرُهم[(٣)] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[(٤)] : « لكم أن لا تُحْشَروا ولا تُعْشَروا[(٥)] ولا يُسْتَعْملَ عليكم غيرُكم ، ولا خيرَ فى دينٍ لا ركوعَ فيه » . وقال [٣/ ٢٠٩ظ] عثمانُ بنُ أبى العاصِ : يا رسولَ اللَّهِ ، علِّمْنى القرآنَ واجْعَلْنى إمامَ قومى . وقد رواه أبو داودَ مِن حديثِ أبى داودَ الطَّيالسىِّ ، عن حمادِ بنِ سلَمةَ ، عن حُمَيْدٍ به[(٦)] .

---

(١) المسند ٤/ ٢١٨.

(٢ - ٢) فى النسخ : « محمد بن مسلمة » . والمثبت من المسند ، وسنن أبى داود ، كما سيأتى . وانظر أطراف المسند ٤/ ٢٩٥.

(٣) لا يحشروا : أى لا يُندَبون إلى المغازى ولا تضرب عليهم البعوث . وقيل : لا يحشرون إلى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم ، بل يأخذها فى أماكنها . النهاية ١/ ٣٨٩. ولا يعشروا : أى لا يؤخذ عشر أموالهم . وقيل : أرادوا به الصدقة الواجبة ، وإنما فَسَّح لهم فى تركها لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم ، وإنما تجب بتمام الحول . النهاية ٣/ ٢٣٩. ولا يجبوا : أصل التجبية أن يقوم الإنسان قيام الراكع . وقيل : هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم . وقيل : هو السجود . النهاية ١/ ٢٣٨.

(٤) بعده فى المسند : « إن » .

(٥) فى م : « تجبوا » .

(٦) أبو داود (٣٠٢٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٥٢) .

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا الحسنُ بنُ الصَّبَّاحِ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، حدثنى إبراهيمُ بنُ عَقِيلِ بنِ مَعْقِلِ بنِ مُنَبِّهٍ ، [2]عن أبيه[2] ، عن وهبٍ قال[3] : سألْتُ جابرًا عن شأنِ ثقيفٍ إذ بايَعتْ ، قال : اشتَرَطتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ أن لا صدقةَ عليها ولا جهادَ ، وأنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ بعدَ ذلك : « سيتَصَدَّقون ويُجاهِدون إذا أسْلَموا » .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فلما أسْلَموا وكتَب لهم كتابَهم أمَّر عليهم عثمانَ بنَ أبى العاصِ - وكان أحْدَثَهم سنًّا - لأن الصِّدِّيقَ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى رأيْتُ هذا الغلامَ مِن أحرصِهم على التفقهِ فى الإسلامِ وتعَلُّمِ القرآنِ .

وذكَر موسى بنُ عقبةَ[5] أن وفدَهم كانوا إذا أتَوْا رسولَ اللَّهِ خلَّفوا عثمانَ بنَ أبى العاصِ فى رِحالِهم ، فإذا رجَعوا وَسْطَ النهارِ جاء هو إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فسأَله عن العلمِ فاسْتَقْرَأه القرآنَ ، فإن وجَده نائمًا ذهَب إلى أبى بكرٍ الصديقِ ، فلم يَزَلْ دَأْبَه حتى فَقُه فى الإسلامِ ، وأحَبَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ حبًّا شديدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : حدثنى سعيدُ بنُ أبى هندَ ، عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن عثمانَ بنِ أبى العاصِ قال : كان مِن آخرِ ما عَهِد إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ بعَثنى إلى ثقيفٍ أن[7] قال : « يا عثمانُ ، تجَوَّزْ[8] فى الصلاةِ ، واقْدُرِ

---

(١) أبو داود (٣٠٢٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦١٤) .
(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من سنن أبى داود . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٥٤.
(٣) زيادة من سنن أبى داود .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٠.
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٠٠، ٣٠١، عن موسى بن عقبة .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤١.
(٧) سقط من : م .
(٨) فى الأصل ، ص ، والسيرة : « تجاوز » .

الناسَ بأضعفِهم ، فإن فيهم الكبيرَ والصغيرَ والضعيفَ وذا الحاجةِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عفانُ ، حدثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أخبرنا سعيدٌ الجُرَيرِيُّ ، عن أبي العَلاءِ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، اجْعَلْني إمامَ قومي . قال : « أنت إمامُهم ، فاقْتَدِ بأضعَفِهم ، واتَّخِذْ مؤذِّنًا لا يأخُذُ على أذانِه أجرًا » . رواه أبو داودَ والنسائيُّ[2] مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ به . ورواه ابنُ ماجه ، عن أبي بكرِ بنِ أبي شَيْبةَ ، عن إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[3] ، كما تقدم .

وروَى أحمدُ[4] ، عن عفانَ ، عن وهيبٍ[5] ، وعن معاويةَ[6] بنِ عمرٍو ، عن زائدةَ ، كلاهما عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن داودَ بنِ أبي عاصمٍ ، عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ أن آخرَ ما فارقه رسولُ اللَّهِ حينَ استَعْمَله على الطائفِ أن قال : « إذا صَلَّيْتَ بقومٍ فخَفِّفْ بهم » . حتى وقَّت لي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . وأشباهَها [٣/ ٢١٠و] مِن القرآنِ .

وقال أحمدُ[7] : حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، سِمعْتُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ قال : حدَّث عثمانُ بنُ أبي العاصِ قال : آخِرُ ما عَهِد

---

(١) المسند ٤/ ٢١.

(٢) في النسخ : « الترمذي » . والمثبت من جامع المسانيد للمصنف ٩/ ٢٤، فالحديث لم يروه الترمذي ، فلعل ذلك سبق قلم من المصنف . انظر تحفة الأشراف ٧/ ٢٣٩. والحديث في سنن أبي داود (٥٣١) ، والنسائي (٦٧١) . صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٩٧) .

(٣) ابن ماجه (٩٨٧) . حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٨٠٦) .

(٤) المسند ٤/ ٢١٨.

(٥) في النسخ : « وهب » . والمثبت من المسند . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.

(٦) في المسند : « أبو معاوية » . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٠٧.

(٧) المسند ٤/ ٢٢.

إليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قال : « إذا أَمَمْتَ[1] قومًا فخَفِّفْ بهم الصلاةَ » . ورواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ مُثَنَّى وبُنْدارٍ ، كلاهما عن محمدِ بنِ جعفرٍ [2]غُنْدَرٍ به[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا أبو أحمدَ الزبيريُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ يَعْلَى الطائفيُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحكَمِ ، أنه سمِع عثمانَ بنَ أبى العاصِ يقولُ : استَعْمَلَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على الطائفِ ، فكان آخِرَ ما عهِده إليَّ أن قال : « خَفِّفْ عن[4] الناسِ الصلاةَ » . تفرد به مِن هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، أخبرنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثنى موسى - هو ابنُ طلحةَ - أن عثمانَ بنَ أبى العاصِ حدَّثه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَره أن يَؤُمَّ قومَه ، ثم قال : « مَن أَمَّ قومًا فلْيُخَفِّفْ بهم ، فإن فيهم الضعيفَ والكبيرَ والمريضَ[6] وذا الحاجةِ ، فإذا صلَّى وحدَه فلْيُصَلِّ كيف شاء » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ عمرِو بنِ عثمانَ به[7] .

وقال أحمدُ[8] : حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ[9] ، حدثنا شعبةُ ، عن النعمانِ بنِ سالمٍ ، سمِعْتُ أشياخًا مِن ثقيفٍ قالوا : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى العاصِ أنه قال : قال

---

(١) كذا فى النسخ ، وصحيح مسلم . وفى المسند : « أميت » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « عن غندر به » ، وفى م : « عن عبد ربه » . وغندر لقب محمد بن جعفر الهذلى . انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥. والحديث فى صحيح مسلم (١٨٧/ ٤٦٨) .

(٣) المسند ٤/ ٢١٨.

(٤) فى المسند : « على » .

(٥) المسند ٤/ ٢١٦.

(٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٧) مسلم (١٨٦/ ٤٦٨) .

(٨) المسند ٤/ ٢١.

(٩) وقع فى المسند : « بكر » . وانظر أطراف المسند ٤/ ٢٩٧.

لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُمَّ قومَك ، وإذا أَمَمْتَ قومًا[1] فأخِفَّ[2] بهم الصلاةَ ؛ فإنه يقومُ فيها الصغيرُ والكبيرُ والضعيفُ والمريضُ وذو الحاجةِ » .

وقال أحمدُ[3] : حدثنا [4]إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ[4] ، عن الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى العَلاءِ بنِ الشِّخِّيرِ ، أن عثمانَ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، حال الشيطانُ بينى وبينَ صلاتى وقراءتى . قال : « ذاك شيطانٌ يقالُ له : خِنْزَبٌ . فإذا أنت حسَسْتَه فتعَوَّذْ باللَّهِ منه واتْفُلْ عن يسارِك ثلاثًا » . قال : ففعَلْتُ ذلك فأذْهَبه اللَّهُ عنى . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ به[5] .

وروَى مالكٌ وأحمدُ ومسلمٌ وأهلُ السننِ مِن طرقٍ[6] ، عن نافعِ بنِ جبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن عثمانَ بنِ أبى العاصِ أنه شكَا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وجَعًا يجِدُه فى جسدِه ، فقال له : « ضَعْ يدَك على الذى تألَّمَ مِن جسدِك ، وقلْ : بسمِ اللَّهِ . ثلاثًا ، وقلْ سبعَ مراتٍ : أعوذُ بعزةِ اللَّهِ وقدرتِه مِن شرِّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ » . وفى بعضِ الرواياتِ : [٣/٢١٠ظ] ففعَلْتُ ذلك فأذْهَبَ اللَّهُ ما كان بى ، فلم أزَلْ آمُرُ به أهلى وغيرَهم .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ ماجه[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ[8] ، ثنا محمدُ بنُ

---

(١) فى المسند : « قومك » .

(٢) فى الأصل ، ص : « فاخفف » . وفى م : « فخفف » .

(٣) المسند ٤/ ٢١٦.

(٤ - ٤) فى م : « إبراهيم بن إسماعيل » . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٣.

(٥) مسلم (٢٢٠٣) .

(٦) الموطأ ٢/ ٩٤٢، والمسند ٤/ ٢١، ومسلم (٢٢٠٢) ، وأبو داود (٣٨٩١) ، والترمذى (٢٠٨٠) ، والنسائى فى الكبرى (١٠٨٣٧ - ١٠٨٤٠) ، وابن ماجه (٣٥٢٢) .

(٧) ابن ماجه (٣٥٤٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٥٨) .

(٨) فى النسخ : « يسار » . والمثبت من سنن ابن ماجه . وانظر تحفة الأشراف ٧/ ٣٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.

عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، حدثنى عيينةُ بنُ عبدِ الرحمنِ - وهو ابنُ جَوْشَنٍ - حدثنى أبى ، عن عثمانَ بنِ أبى العاصِ قال : لما اسْتَعْمَلَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على الطائفِ جعَل يَعْرِضُ لى شىءٌ فى صلاتى ، حتى ما أدْرى ما أصلِّى ، فلما رأيْتُ ذلك رحَلْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ابنُ أبى العاصِ ؟ » قلتُ : نعم يا رسولَ اللَّهِ . قال : « ما جاء بك ؟ » قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، عرَض لى شىءٌ فى صلاتى ، حتى ما أدرى ما أصلِّى . قال : « ذاك الشيطانُ ، ادْنُه » . فدنَوْتُ منه ، فجلَسْتُ على صدورِ قدمىَّ . قال : فضرَب صدرى بيدِه وتفَل فى فمى ، وقال : « اخْرُجْ عدوَّ اللَّهِ » . ففعَل ذلك ثلاثَ مراتٍ ، ثم قال : « الْحَقْ بعملِك » . قال : فقال عثمانُ : فلَعَمْرى ما أحْسَبُه خالطنى بعدُ . تفرَّد به ابنُ ماجه .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[2] عطيَّةَ بنِ سفيانَ بنِ ربيعةَ الثقفىِّ ، عن بعضِ وفدِهم قال : كان بلالٌ يأتينا حينَ أسْلَمْنا وصُمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ما بقِىَ مِن شهرِ رمضانَ بفَطورِنا وسَحورِنا[3] ، فيأتينا بالسَّحورِ ، فإنا لَنقولُ : إنا لَنَرَى الفجرَ قد طلَع . فيقولُ : قد ترَكْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يتَسَحَّرُ لتأخيرِ السَّحورِ. ويأتينا بفِطْرِنا ، وإنا لَنقولُ : ما نَرَى الشمسَ ذهَبت كلُّها بعدُ . فيقولُ : ما جئتُكم حتى أكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثم يضَعُ يدَه فى الجفْنةِ فيَلْقَمُ منها .

وروَى الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ وابنُ ماجه[4] ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يَعْلَى الطائفىِّ ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أوسٍ ، عن جدِّه أوسِ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٠.

(٢) وقع فى السيرة : « ابن » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٦٢٣.

(٣) بعده فى السيرة : « من عند رسول الله ﷺ » .

(٤) المسند ٤/ ٩، ٣٤٣، وأبو داود (١٣٩٣) ، وابن ماجه (١٣٤٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٩٧) .

حذيفةَ قال : قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى وفدِ ثقيفٍ . قال : فنُزِّلَت الأحْلافُ على المغيرةِ بنِ شعبةَ ، وأنْزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بنى مالكٍ فى قُبَّةٍ له ، كلَّ ليلةٍ يأتينا بعدَ العِشاءِ يُحَدِّثُنا قائمًا على رجليه ، حتى يُراوِحَ بينَ رجليه مِن طولِ القيامِ ، فأكثرُ ما يُحَدِّثُنا ما لقِيَ مِن قومِه مِن قريشٍ ، ثم يقولُ : « لا أَنْسَى[1] وكنا مُسْتَضْعَفِين مُسْتَذَلِّين بمكةَ ، فلما خرَجْنا إلى المدينةِ كانت سِجالُ الحربِ بينَنا وبينَهم ، نُدالُ عليهم ويُدالُون علينا » . فلما كانت ليلةٌ أبْطَأ عن[2] الوقتِ الذى كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبْطَأْتَ عنَّا[3] الليلةَ . فقال : « [٣/ ٢١١و] إنه طَرَأ علىَّ حِزْبى[4] مِن القرآنِ ، فكرِهْتُ أن أجِيءَ حتى أُتِمَّه » . قال أوسٌ : سأَلْتُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ كيف تُحَزِّبُون[5] القرآنَ ؟ فقالوا : ثلاثٌ ، وخمسٌ ، وسبعٌ ، وتسعٌ ، وإحْدَى عشْرةَ ، وثلاثَ عشْرةَ ، وحِزْبُ المُفَصَّلِ وحدَه[6] . لفظُ أبى داودَ .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : فلما فرَغوا مِن أمرِهم وتوَجَّهوا إلى بلادِهم راجعين ،

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « آسى » . وفى مصادر التخريج : « سواء » . قال صاحب عون المعبود : « لا سواء » هكذا فى أكثر النسخ ، قال الطيبى : أى : لا نحن سواء ... والمعنى : حالنا الآن غيرما كانت عليه قبل الهجرة . انتهى ... وفى بعض نسخ الكتاب : « لا أنسى » وهكذا فى نسختين من المنذرى ، والمعنى : لا أنسى أذيتهم وعداوتهم معنا . عون المعبود ١/ ٥٢٧، ٥٢٨.

(٢) فى النسخ : « عنا » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) فى النسخ : « علينا » .

(٤) فى الأصل ، ٤١، م : « جزئى » . والمثبت موافق لما فى المسند وسنن ابن ماجه ، وهو لفظ بعض نسخ سنن أبى داود . انظر المصدر السابق .

(٥) فى النسخ : « تجزئون » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦) قال صاحب عون المعبود : ثلاث : أى البقرة وآل عمران والنساء ، فهذه السور منزل واحد من سبع منازل القرآن . وخمس : من المائدة إلى البراءة . وسبع : من يونس إلى النحل . وتسع : من بنى إسرائيل إلى الفرقان . وإحدى عشرة : من الشعراء إلى يس . وثلاث عشرة : من الصافات إلى الحجرات . وحزب المفصل وحده : من ق إلى آخر القرآن ، فعلم من هذا أن فى عصر الصحابة كان ترتيب القرآن مشهورًا على هذا النمط المعروف الآن . عون المعبود ٣/ ٥٢٨.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤١.

بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ معهم أبا سفيانَ بنَ حربٍ والمغيرةَ بنَ شعبةَ فى هَدْمِ الطاغيةِ ، فخرَجا مع القومِ ، حتى إذا قدِموا الطائفَ أراد المغيرةُ أن يُقَدِّمَ أبا سفيانَ ، فأبَى ذلك عليه أبو سفيانَ وقال : ادْخُلْ أنت على قومِك . وأقام أبو سفيانَ بمالِه [1] بذى الهَرْمِ [1] ، فلما دخَل المغيرةُ عَلاها يَضْرِبُها بالمِعْوَلِ ، وقام قومُه بنو مُعَتِّبٍ دونَه ؛ خشيةَ أن يُرْمَى أو يُصابَ كما أُصِيب عروةُ بنُ مسعودٍ . قال : وخرَج نساءُ ثقيفٍ حُسَّرًا يَبْكِين عليها ، ويَقُلْن : لتُبْكَيَنَّ دَفَّاعْ ، أسْلَمَها الرُّضَّاعْ ، لم يُحْسِنوا المِصاعْ [2]

قال ابنُ إسحاقَ [3] : ويقولُ أبو سفيانَ والمغيرةُ يَضْرِبُها بالفأسِ : واهًا لكِ إهلاكَكِ [4] . فلما هدَمها المغيرةُ وأخَذ مالَها وحُلِيَّها أرْسَل إلى أبى سفيانَ وقال له : إن رسولَ اللَّهِ قد أمَرَنا أن نقْضِىَ عن عروةَ بنِ مسعودٍ وأخيه الأسودِ بنِ مسعودٍ ، والدِ قاربِ بنِ الأسودِ ، دَيْنَهما مِن مالِ الطاغيةِ . فقَضَى [5] ذلك عنهما .

قلت : كان الأسودُ قد مات مشركًا ، ولكن أمَر رسولُ اللَّهِ بذلك تأليفًا وإكرامًا لولدِه قاربِ بنِ الأسودِ ، رضى اللَّهُ عنه .

وذكَر موسى بنُ عقبةَ [6] أن وفدَ ثقيفٍ كانوا بضعةَ عشَرَ رجلًا ، فلما قدِموا

(١ - ١) فى الأصل : « يد فى الهدم » ، وفى السيرة : « بذى الهدم » . وذو الهرم : مال كان لعبد المطلب بالطائف . وقيل : بل ذو الهرم مال لأبى سفيان بن حرب بالطائف . معجم البلدان ٤/ ٩٦٩.

(٢) دفاع : سَمَّيْتَها دفاعًا ، لأنها كانت تدفع عنهم وتنفع وتضر على زعمهم . والرضاع : اللئام ، من قولهم : لئيم راضع . والمصاع : المضاربة بالسيوف . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٢، مطولًا .

(٤) كذا فى الأصل ، ٤١، ص . وفى م والسيرة : « آها لك » . وواها لك : كلمة تقال فى معنى التأسف والتحزن . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٤.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « يقضى » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٠٠ - ٣٠٤، عن موسى بن عقبة به .

أنزَلهم رسولُ اللَّهِ المسجدَ ليَسْمَعوا القرآنَ ، فسأَلوه عن الربا والزنا والخمرِ ، فحرَّم عليهم ذلك كلَّه ، فسأَلوه عن الرَّبَّةِ ما هو صانعٌ بها . قال : « اهْدِموها » . قالوا : هيهاتَ ، لو تَعْلَمُ الرَّبَّةُ أنك تريدُ أن تَهْدِمَها قتَلَتْ أهلَها . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ويْحَك يا بنَ عبدِ يا لِيلَ ! ما أجْهلَك ! إنما الرَّبَّةُ حَجَرٌ . فقالوا : إنا لم نأْتِك يا بنَ الخطابِ . ثم قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، تولَّ أنت هدْمَها ، (١)أما نحن فإنا لن نهدِمَها(١) أبدًا . فقال : « سأبْعَثُ إليكم مَن يكْفِيكم هدمَها » . فكاتَبوه على ذلك ، واستَأْذَنوه أن يَسْبِقوا رسلَه إليهم ، فلما جاءوا قومَهم تلَقَّوْهم ، فسأَلوهم ما وراءَكم ؟ فأظْهَروا الحزنَ ، وأنهم إنما جاءوا مِن عندِ رجلٍ فَظٍّ غليظٍ ، قد ظهَر بالسيفِ ، يَحْكُمُ ما يريدُ وقد دوَّخ العربَ ، قد حرَّم [٣/ ٢١١ظ] الربا والزنا والخمرَ ، وأمَر بهدمِ الرَّبَّةِ ، فنفَرت ثقيفٌ وقالوا : لا نُطيعُ لهذا أبدًا . قال : فأَهِّبُوا للقتالِ وأعِدُّوا السلاحَ . فمكَثوا على ذلك يومين أو ثلاثةً ، ثم ألْقَى اللَّهُ فى قلوبِهم الرعبَ ، فرجَعوا وأنابوا ، وقالوا : ارجعوا إليه ، فشارِطوه على ذلك وصالِحوه عليه . قالوا : فإنا قد فعَلْنا ذلك ، ووجَدْناه أتْقَى الناسِ وأوْفاهم وأرْحمَهم وأصدقَهم ، وقد بُورِك لنا ولكم فى مسيرِنا إليه وفيما قاضَيْناه عليه(٢) ، فافْهَموا (٣)ما فى(٣) القضيةِ واقْبَلوا عافيةَ اللَّهِ . قالوا : فلمَ كتَمْتُمونا هذا أولًا ؟ قالوا : أرَدْنا أن يَنْزِعَ اللَّهُ مِن قلوبِكم نَخْوةَ الشيطانِ . فأسْلَموا مكانَهم ، ومكَثوا أيامًا ، ثم قدِم عليهم رسلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد أمَّر عليهم خالدَ بنَ الوليدِ ، وفيهم المغيرةُ بنُ شعبةَ ، فعمَدوا إلى اللاتِ ، وقد استَكَفَّت(٤) ثقيفٌ رجالُها ونساؤها والصبيانُ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) استكف القوم حول الشيء : أى أحاطوا به ينظرون إليه . اللسان (ك ف ف) .

حتى خرَج العَواتقُ مِن الحِجالِ[1] ، ولا يرَى عامةُ ثقيفٍ أنها مَهْدومةٌ ، ويظنون أنها ممتنِعةٌ ، فقام المغيرةُ بنُ شعبةَ ، فأخَذ الكِرْزِينَ - يعنى المِعْوَلَ - وقال لأصحابِه : واللَّهِ لَأُضْحِكَنَّكم مِن ثقيفٍ .

فضرَب بالكِرْزِينِ ، ثم سقَط يرْكُضُ برِجلِه ، فارْتَجَّ أهلُ الطائفِ بصَيْحةٍ واحدةٍ وفرِحوا وقالوا : أبْعَد اللَّهُ المغيرةَ ، قتَلَته الرَّبَّةُ . وقالوا لأولئك : مَن شاء منكم فلْيَقْتَرِبْ . فقام المغيرةُ فقال : واللَّهِ يا معشرَ ثقيفٍ إنما هى لَـكاعِ[2] حِجارةٌ ومَدَرٌ ، فاقْبَلوا عافيةَ اللَّهِ واعْبُدوه . ثم إنه ضرَب البابَ فكسَره ، ثم علا سُورَها ، وعلا الرجالُ معه ، فما زالوا يَهْدِمونها حجرًا حجرًا حتى سوَّوْها بالأرضِ ، وجعَل سادِنُها يقولُ : لَيَغْضَبَنَّ الأَساسُ فلَيَخْسِفَنَّ بهم . فلما سمِع ذلك[3] المغيرةُ قال لخالدٍ : دَعْنى أَحْفِرْ أساسَها . فحفَروه حتى أخرجوا ترابَها ، وجَمَعوا ماءَها وبناءَها ، وبُهِتَت عندَ ذلك ثقيفٌ ، ثم رجَعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقسَم أموالَها مِن يومِه ، وحمِدوا اللَّهَ تعالى على اعتزازِ دينِه ونصرةِ رسولِه .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان كتابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى كتَب لهم : بسم اللَّهِ الرحمنِ الرحيم ، مِن محمدٍ النبىِّ رسولِ اللَّهِ إلى المؤمنين ؛ إن عِضاهَ وَجٍّ[5] وصيدَه لا يُعْضَدُ[6] ، مَن وُجِد يَفْعَلُ شيئًا مِن ذلك فإنه يُجْلَدُ وتُنْزَعُ ثيابُه ، وإن

---

(١) الحجال جمع حَجَلة ؛ وهى بيت كالقبة يُستَر بالثياب وتكون له أزرار كبار . النهاية ١/ ٣٤٦.

(٢) اللكع عند العرب : العبد ، ثم استعمل فى الحمق والذم . يقال للرجل : لكَع . وللمرأة : لكاع . النهاية ٤/ ٢٦٨.

(٣) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٢، ٥٤٣.

(٥) العضاه : شجر له شوك وهو أنواع ، واحدته : عِضَةٌ . ووج : اسم موضع بالطائف . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٤.

(٦) لا يعضد : لا يقطع . المصدر السابق .

تَعَدَّى ذلك فإنه يُؤْخَذُ (١ فيُبْلَغُ به ١) النبيَّ محمدًا، وإنَّ هذا أمْرُ النبيِّ محمدٍ. وكتب خالدُ بنُ سعيدٍ بأمرِ الرسولِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ فلا يتَعَدَّه أحدٌ فيَظْلِمَ نفسَه فيما أمَر به محمدٌ رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[٢]: حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ - مِن أهلِ مكةَ مخزوميٌّ - حدثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إنسانَ - وأثْنَى عليه خيرًا - عن [٣/ ٢١٢و] أبيه، عن عروةَ بنِ الزبيرِ، (٣ عن أبيه ٣) قال: أقْبَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن لِيَّةَ[٤] حتى إذا كنا عندَ السِّدْرةِ وقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ فى طَرَفِ القَرْنِ الأسودِ[٥] حَذْوَها، فاسْتَقْبل نَخِبًا[٦] ببصرِه، يعنى واديًا، ووقَف حتى اتَّقَفَ[٧] الناسُ كلُّهم، ثم قال: «إن صيدَ وَجٍّ وعِضاهَه حَرَمٌ مُحَرَّمٌ للَّهِ». وذلك قبلَ نزولِه الطائفَ وحِصارِه ثقيفًا. وقد رواه أبو داودَ مِن حديثِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إنسانَ الطائفيِّ[٨]، وقد ذكَره ابنُ حِبانَّ فى «ثقاتِه»[٩]. وقال ابنُ مَعينٍ[١٠]: ليس به بأسٌ. تكَلَّم فيه بعضُهم، وقد ضعَّف أحمدُ والبخاريُّ وغيرُهما هذا الحديثَ[١١]، وصحَّحه الشافعيُّ[١٢] وقال بمُقْتَضاه. واللَّهُ أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: ٤١. وفى الأصل، ص: «فبلغ».

(٢) المسند ١/ ١٦٥.

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والمثبت من المسند. وانظر أطراف المسند ٢/ ٣٥٧.

(٤) فى المسند: «ليلة»، وهو تحريف. ولية: اسم موضع بالطائف. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٧٦.

(٥) سقط من النسخ. والقرن الأسود: جبل صغير فى الحجاز بقرب الطائف. عون المعبود ٢/ ١٦٤.

(٦) فى م: «محبسا».

(٧) فى م، والمسند: «اتفق». واتقف الناس: وقفوا... مثل: وصفته فاتصف. ووعدته فاتَّعد. انظر النهاية ٥/ ٢١٦.

(٨) أبو داود (٢٠٣٢). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٤١).

(٩) الثقات ٩/ ٣٣.

(١٠) أخرجه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٧/ ٢٩٤ عنه.

(١١) انظر التاريخ الكبير ١/ ١٤٠، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٩٣.

(١٢) انظر المصدر السابق.

ذكرُ[1] موتِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ، قبَّحه اللَّهُ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى الزهرىُّ، عن عروةَ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، رضِىَ اللَّه عنه، قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ يَعودُه فى مرضِه الذى مات فيه، فلما[3] عرَف فيه الموتَ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أما واللَّهِ إن كنتُ لَأنهاك عن حبِّ يهودَ » . فقال : قد أبغَضَهم أسعدُ بنُ زُرارةَ، فمَهْ[4] ؟

وقال الواقدىُّ[5] : مرِض عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ فى ليالٍ بقِين مِن شوالٍ، ومات فى ذى القَعْدةِ، وكان مرَضُه عشرين ليلةً، فكانَ رسولُ اللَّهِ يَعودُه فيها، فلما كان اليومُ الذى مات فيه دخَل عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يَجودُ بنفسِه، فقال : « قد نَهَيْتُك عن حبِّ يهودَ » . فقال : قد أبْغَضهم أسعدُ بنُ زُرارةَ، فما نفَعه ؟ ثم قال : يا رسولَ اللَّهِ، ليس هذا بحينِ[6] عِتابٍ ! هو الموتُ، [7]فإن مُتُّ[7] فاحْضُرْ غُسْلى، وأعْطِنى قميصَك الذى يَلِى جلدَك فكفِّنِّى فيه، وصلِّ علىَّ واستَغْفِرْ لى . ففعَل ذلك به رسولُ اللَّهِ ﷺ . وروَى البيهقىُّ[8] مِن حديثِ سالمِ بنِ عَجْلانَ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ نحوًا مما ذكَره الواقدىُّ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : ا ٤١، م .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٨٥، من طريق ابن إسحاق به .

(٣) بعده فى ا ٤١، ص : « أن » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) مغازى الواقدى ٣/ ١٠٥٧.

(٦) فى م : « الحين » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل، م، ص .

(٨) دلائل النبوة ٥/ ٢٨٨.

وقد قال إسحاقُ بنُ رَاهَوَيْهِ[1] : قلتُ لأبى أسامةَ : أَحَدَّثكم عُبَيْدُ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : لما تُوُفِّىَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ بنِ سلولَ جاء ابنُه عبدُ اللَّهِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسأله أن يُعْطِيَه قميصَه ليُكَفِّنَه فيه ، فأعْطاه ، ثم سأله أن يُصَلِّىَ عليه ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ يصلِّى عليه ، فقام عمرُ بنُ الخطابِ فأخَذ بثوبِه [٣/ ٢١٢ظ] فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تصلِّى عليه وقد نهاك اللَّهُ عنه ؟! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن ربى خيَّرَنى فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] . وسأزيدُ على السبعين » . فقال : إنه منافقٌ ، [2]أتصلِّى عليه[2] ؟! فأنزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٨٤] فأقرَّ به أبو أسامةَ ، وقال : نعم . وأخرجاه فى « الصحيحين »[3] مِن حديثِ أبى أسامةَ .

وفى روايةٍ للبخارىِّ وغيرِه[4] : قال عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، تُصَلِّى عليه وقد قال فى يومِ كذا : كذا وكذا ، وقال فى يومِ كذا : كذا وكذا ؟! فقال : « دَعْنى يا عمرُ ، فإنى بينَ خَيْرَتَيْن ، ولو أعْلَمُ أنى إن زِدْتُ على السبعين غُفِر له لزِدْتُ » . ثم صلَّى عليه ، فأنزَل اللَّهُ عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ ﴾ الآية . قال عمرُ : فعجِبْتُ بعدُ[5] مِن جُرْأتى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهُ ورسولُه أعلمُ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٨٧، من طريق إسحاق بن إبراهيم - وهو ابن راهويه - به .

(٢ - ٢) كذا بالنسخ . وفى الدلائل : « فصلى عليه رسول الله ﷺ » .

(٣) البخارى (٤٦٧٠) ، ومسلم (٢٧٧٤) .

(٤) البخارى (٤٦٧١) ، ومسند أحمد ١/ ١٦، والترمذى (٣٠٩٧) ، والنسائى (١٩٦٥) .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[1] ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، يقولُ : أتَى رسولُ اللَّهِ ﷺ قبرَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ بعدَما أُدْخِل حفرتَه ، فأمَر به فأُخْرِج ، فوضَعه على ركبتيه - أو فخِذيه - ونفَث عليه مِن رِيقِه ، وألْبَسه قميصَه . فاللَّهُ أعلمُ .

وفى « صحيحِ البخارىِّ » بهذا الإسنادِ مثلُه[2] ، وعندَه أنه إنما ألْبَسه قميصَه مكافأةً لِمَا كان كَسَا العباسَ ، رضىَ اللَّه عنه ، قميصًا حينَ قدِم المدينةَ ، فلم يجِدوا قميصًا يصْلُحُ له إلا قميصَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ . وقد ذكَر البيهقىُّ هـٰهنا قصةَ ثعلبةَ بنِ حاطبٍ[3] ، وكيف افْتُتِن بكثرةِ المالِ ، ومنْعَه الصدقةَ ، وقد حرَّرْنا ذلك فى « التفسيرِ »[4] عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ﴾ الآية [التوبة : ٧٥] .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وكانت غزوةُ تبوكَ آخرَ غزوةٍ غزاها رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، يُعَدِّدُ أيَّامَ الأنصارِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويَذْكُرُ مَواطنَهم معه فى أيامِ غزوِه[6] - قال ابنُ هشامٍ : وتُرْوَى لابنِه عبدِ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٢٨٦، من طريق سفيان بن عيينة به .

(٢) البخارى (١٣٥٠، ٣٠٠٨) .

(٣) دلائل النبوة ٥/٢٨٩ - ٢٩٢.

(٤) التفسير ٤/ ١٢٤، ١٢٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥٤.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٥٥٤، ٥٥٥، وديوان حسان ص ٣٩٤، ٣٩٥. وهذه الأبيات ليست فى ا ٤١.

الرحمنِ بنِ حسانَ - :

أَلَسْتُ خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نفَرًا ... ومَعْشرًا إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلوا[1]

قومٌ همُ شهِدوا بدرًا بأجْمعِهِمْ ... مع الرسولِ فما آلَوْا وما خَذَلوا

[٣/ ٢١٣و] وبايَعوه فلم يَنْكُثْ به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ فى إيمانِه دَخَلُ

ويومَ صبَّحَهم فى الشِّعْبِ مِن أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كحرِّ النارِ مُشْتَعِلُ

ويومَ ذى قَرَدٍ يومَ استَثار بهمْ ... على الجِيادِ فما خاموا[2] وما نكَلوا[3]

وذا العُشَيْرةِ جاسوها بخيلِهمُ ... مع الرسولِ عليها البِيضُ والأَسَلُ[4]

ويومَ وَدَّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصًا ... بالخيلِ حتى نهانا الحَزْنُ والجبلُ[5]

وليلةً طلَبوا فيها عدوَّهمُ ... للَّهِ واللَّهُ يَجْزِيهم بما عمِلوا

وليلةً بحُنينٍ جالدوا معهُ ... فيها يَعُلُّهمُ[6] [7]فى الحربِ[7] إذ نهِلوا[8]

وغزوةً يومَ نَجْدٍ ثَمَّ كان لهمْ ... مع الرسولِ بها الأَسْلابُ والنَّفَلُ

وغزوةَ القاعِ فرَّقْنا العدوَّ به ... كما تُفَرَّقُ دونَ المَشْرَبِ الرَّسَلُ[9]

---

(١) عمُّوا وإن حُصِلُوا: أى؛ جمعوا كلهم، وأراد حُصِّلوا بالتشديد فخففه. شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٥، ١٤٦.

(٢) فى الأصل، م، ص: «خانوا». والمثبت من السيرة.

(٣) خاموا أى رجعوا، ونكلوا أيضًا رجعوا، ولا يكونان إلا رجوع هيبة وفزع. شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٦.

(٤) جاسوها: وطِئوها. والأسل: الرماح. المصدر السابق.

(٥) رقصًا: الرقص: ضرب من المشى. والحزن: ما غَلُظ من الأرض. الوسيط (ح ز ن).

(٦) فى ص: «يعلمهم». ويعلهم: أى؛ يكررها عليهم. شرح غريب السيرة ٣/ ١٤٦.

(٧ - ٧) فى الأصل، ص: «بالحرب».

(٨) نهلوا: شربوها أولًا. المصدر السابق.

(٩) الرسل: الإبل. المصدر السابق ٣/ ١٤٦، ١٤٧.

ويومَ بُويعَ كانوا أهلَ بيعتِه ... على الجِلادِ فآسَوْه[1] وما عدَلوا
وغزوةَ الفتحِ كانوا فى سَرِيَّتِه ... مُرابِطِين فما طاشوا وما عَجِلوا
ويومَ خيبرَ كانوا فى كَتيبتِه ... يَمْشُون كلُّهمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ
بالبِيضِ تُرْعَشُ فى الأَيْمانِ عاريةً ... تَعْوَجُّ [2]فى الضَّرْبِ[2] أحيانًا وتَعْتَدِلُ
ويومَ سار رسولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا ... إلى تبوكَ وهم راياتُه الأُوَلُ
وساسةُ[3] الحربِ إن حربٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بَدَا لهمُ الإقْبالُ فالقَفَلُ[4]
أولئك القومُ أنصارُ النبىِّ وهمْ ... قومى أَصِيرُ إليهمْ حينَ أتَّصِلُ[5]
ماتوا كِرامًا ولم تُنْكَثْ عهودُهمُ ... وقَتْلُهمْ فى سبيلِ اللَّهِ إذ قُتِلوا

---

(١) فى الأصل: «فما آسوا». وفى ص: «فما آسوه».
(٢ - ٢) فى م: «بالضرب».
(٣) فى الأصل، ص: «دساسة».
(٤) القفل: الرجوع. شرح غريب السيرة ١٤٧/٣.
(٥) أتَّصل: أنتسب. المصدر السابق.

ذكرُ بعثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ أميرًا على الحَجّ سنةَ تسعٍ ونزولِ سورةِ «براءة»

قال ابنُ إسحاقَ بعدَ ذِكْرِه وفودَ أهلِ الطائفِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى رمضانَ كما تقدم بيانُه مبسوطًا. قال[1]: ثم[2] أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بقيةَ شهرِ رمضانَ وشَوَّالًا وذا القَعْدةِ، ثم بعَث أبا بكرٍ أميرًا على الحجِّ مِن سنةِ تسعٍ؛ ليقيمَ للمسلمين حَجَّهم، وأهلُ الشركِ على منازلِهم مِن حجِّهم [3]لم يُصَدُّوا بعدُ عن البيتِ، ومنهم مَن له عهدٌ مُؤَقَّتٌ إلى أَمَدٍ[3]، فلما خرَج أبو بكرٍ، [٣/٢١٣ظ] رضىَ اللَّهُ عنه، بمَن معه مِن المسلمين، وفصَل عن المدينةِ[4] أنزَل اللَّهُ عز وجل هذه الآياتِ مِن أولِ سورةِ التوبةِ ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ إلى آخرِ القصةِ.

ثم شرَع ابنُ إسحاقَ يتكَلَّمُ على هذه الآياتِ، وقد بسَطْنا الكلامَ عليها فى «التفسيرِ»[5] وللَّهِ الحمدُ والمنةُ، والمقصودُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عليًّا، رضىَ اللَّهُ عنه، بعدَ أبى بكرٍ الصديقِ؛ ليكونَ معه، ويتَوَلَّى علىٌّ بنفسِه إبلاغَ البراءةِ إلى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٣.

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣ - ٣) ليس فى السيرة.

(٤) فى الأصل، م، ص: «البيت».

(٥) التفسير ٤/ ٤٤ - ٦٥.

المشركين نيابةً عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لكونِه ابنَ عمِّه مِن عَصَبَتِه .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدثنى حكيمُ بنُ حكيمِ بنِ عَبَّادِ بنِ حُنَيْفٍ ، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ أنه قال : لما نزَلت « براءةٌ » على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد كان بعَث أبا بكرٍ الصديقَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ليقيمَ للناسِ الحجَّ ، قيل له : يا رسولَ اللَّهِ ، لو بعَثْتَ بها إلى أبى بكرٍ . فقال : « لا يُؤَدِّى عنى إلا رجلٌ مِن أهلِ بيتى » . ثم دعا علىَّ بنَ أبى طالبٍ فقال : « اخْرُجْ بهذه القصةِ مِن صدرِ « براءةٌ » وأَذِّنْ فى الناسِ يومَ النحرِ إذا اجْتَمَعوا بمِنًى : ألَا إنه لا يدْخُلُ الجنةَ كافرٌ ، ولا يحُجُّ بعدَ العامِ مشركٌ ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ ، ومَن كان له عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عهدٌ فهو له إلى مدتِه » . فخرَج علىُّ بنُ أبى طالبٍ على ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ العَضْباءِ حتى أدْرَك أبا بكرٍ بالطريقِ[2] ، فلما رآه أبو بكرٍ قال : أميرٌ أو مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ . ثم مضَيا ، فأقام أبو بكرٍ للناسِ الحجَّ ، والعربُ إذ ذاك فى تلك السنةِ على منازلِهم مِن الحجِّ التى كانوا عليها فى الجاهليةِ ، حتى إذا كان يومُ النحرِ ، قام علىُّ ابنُ أبى طالبٍ فأَذَّن فى الناسِ بالذى أمَره به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأجَّل الناسَ[3] أربعةَ أشهرٍ مِن يومَ أذَّن فيهم ؛ ليَرْجِعَ كلُّ قومٍ إلى مَأْمَنِهم وبلادِهم[4] ، ثم لا عهدَ لمشركٍ ولا ذمةَ إلا أحدٍ كان له عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عهدٌ[5] ، فهو له إلى مدتِه ، فلم يَحُجَّ بعدَ ذلك العامِ مشركٌ ، ولم يَطُفْ بالبيتِ عُرْيانٌ ، ثُم قدِما على رسولِ اللَّهِ ﷺ . وهذا مرسلٌ مِن هذا الوجهِ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٥. والسياق هنا مختصر.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « الصديق » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى السيرة : « أو بلادهم » .

(٥) بعده فى السيرة : « إلى مدة » .

وقد قال البخاريُّ[1] : بابُ حجِّ أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، بالناسِ سنةَ تسعٍ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ أبو الربيعِ ، حدثنا فُلَيْحٌ ، عن الزهريِّ ، عن حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ ، أن أبا بكرٍ الصديقَ ، رضى اللَّهُ عنه ، بعَثه فى الحَجَّةِ التى أمَّره النبىُّ ﷺ عليها قبلَ حَجةِ [٣/ ٢١٤و] الوَداعِ فى رهطٍ يُؤَذِّنُ فى الناسِ أن لا يَحُجَّ بعدَ العامِ مشركٌ ، ولا يطُوفَنَّ بالبيتِ عُرْيانٌ .

وقال البخاريُّ فى موضعٍ آخرَ[2] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، ثنا الليثُ ، حدثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أخْبَرَنى حُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أن أبا هريرةَ قال : بعَثنى أبو بكرٍ الصديقُ فى تلك الحَجةِ فى المُؤَذِّنين ، بعَثهم يومَ النحرِ يُؤَذِّنون بمِنًى أن لا يَحُجَّ بعدَ العامِ مشركٌ ، ولا يَطوفَنَّ[3] بالبيتِ عُريانٌ . قال حُمَيْدٌ : ثم أرْدَف النبىُّ ﷺ بعلىٍّ ، فأمَره أن يُؤَذِّنَ بـ « براءةٌ » . قال أبو هريرةَ : فأذَّن معنا علىٌّ فى أهلِ منًى يومَ النحرِ بـ « براءةٌ » أن لا يَحُجَّ بعدَ العامِ مشركٌ ، ولا يَطوفَنَّ[3] بالبيتِ عُرْيانٌ .

وقال البخاريُّ فى كتابِ الجهادِ[4] : حدثَّنا أبو اليَمانِ ، أنبأنا شعيبٌ ، عن الزهريِّ ، أخبرَنى حُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أن أبا هريرةَ قال : بعَثنى أبو بكرٍ الصديقُ فيمَن يُؤَذِّنُ يومَ النحرِ بمِنًى . لا يَحُجُّ بعدَ العامِ مشركٌ ، ولا يَطوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ . ويومُ الحجِّ الأكبرِ يومُ النَّحْرِ ، وإنما قيل : الأكبرُ . مِن أجلِ قولِ الناسِ[5] : الحجُّ الأصغرُ . فنبَذ أبو بكرٍ إلى الناس فى ذلك العامِ ، فلم يحُجَّ عامَ

---

(١) البخارى (٤٣٦٣) .

(٢) البخارى (٤٦٥٦) .

(٣) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « يطوف » .

(٤) البخارى (٣١٧٧) .

(٥) بعده فى م : « العمرة » .

حَجةِ الوداعِ - الذى حجَّ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ - مشركٌ . ورَواه مسلمٌ مِن طريقِ الزهرىِّ به نحوَه[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبىِّ ، عن مُحَرَّرِ[3] بنِ أبى هريرةَ ، عن أبيه قال : كنتُ مع علىِّ بنِ أبى طالبٍ حينَ[4] بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال : ما كنتُم تُنادُون ؟ قال[5] : كنَّا نُنادِى : إنه لا يدخُلُ الجنةَ إلا مؤمنٌ ، ولا يَطوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ ، ومَن كان بينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عهدٌ فإن أجلَه - أو أمَدَه - إلى أربعةِ أشهرٍ ، فإذا مضَت الأربعةُ الأشهرِ فإن اللَّهَ برىءٌ مِن المشركين ورسولُه ، ولا يحُجُّ هذا البيتَ بعدَ العامِ مشركٌ . قال : فكنتُ أُنادِى حتى صَحِل صوتى[6] . وهذا إسنادٌ جيدٌ لكنْ فيه نكارةٌ مِن جهةِ قولِ الراوى : إنَّ مَن كان له عهدٌ فأجلُه إلى أربعةِ أشهرٍ . وقد ذهَب إلى هذا ذاهِبون ، ولكنَّ الصحيحَ أن مَن كان له عهدٌ ، فأجلُه إلى أمدِه بالغًا ما بلَغ ولو زاد على أربعةِ أشهرٍ ، ومَن ليس له أمدٌ بالكليةِ ، فله تأجيلُ أربعةِ أشهرٍ ، بقِىَ قسمٌ ثالثٌ وهو مَن له أمدٌ يَتَناهَى إلى أقلَّ مِن أربعةِ أشهرٍ مِن يومِ التأجيلِ ، وهذا يَحْتَمِلُ أن يلتحِقَ بالأوَّلِ ، فيكونَ أجلُه إلى مدتِه وإن قلَّ ، ويَحْتَمِلُ أن يقالَ : إنه يؤجَّلُ إلى أربعةِ أشهرٍ ؛ لأنه أوْلى ممن ليس له عهدٌ بالكليةِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) مسلم (١٣٤٧) .

(٢) المسند ٢/ ٢٩٩. (إسناده صحيح) .

(٣) فى الأصل ، م : « محرز » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٧٥.

(٤) فى المسند : « حيث » .

(٥) فى الأصل ، م : « قالوا » .

(٦) صَحِل فلان : كان فى صوته بُحَّة . ويقال : صحل صوته . الوسيط (ص ح ل) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمَّادٌ ، عن سِماكٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بـ « براءةٍ » مع أبى بكرٍ ، فلمَّا بلَغ ذا الحُلَيْفةِ قال[2] : « لا يُبلِّغُها إلا أنا أو رجلٌ مِن أهلِ بيتى » . فبعَث بها مع علىِّ بنِ أبى طالبٍ . وقد رَواه الترمذىُّ مِن حديثِ حمادِ بنِ سلَمةَ[3] ، وقال : حسنٌ غريبٌ مِن حديثِ أنسٍ .

وقد روَى عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[4] ، عن لُوَيْنٍ ، عن محمدِ بنِ جابرٍ ، عن سِماكٍ ، عن حَنَشٍ[5] ، عن علىٍّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أردَف أبا بكرٍ بعلىٍّ فأَخَذ منه الكتابَ بالجُحْفَةِ ، رجَع أبو بكرٍ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، نزَل فىَّ شىءٌ ؟ قال : « لا ، ولكنَّ جبريلَ جاءنى فقال : لا يؤدِّى عنك إلا أنت أو رجلٌ منك » . وهذا ضعيفُ الإسنادِ ، ومتنُه [٣/ ٢١٤ظ] فيه نكارةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ[7] - رجلٍ مِن هَمْدانَ - قال : سأَلْنا عليًّا : بأىِّ شىءٍ بُعِثْتَ ؟ - يومَ بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ مع أبى بكرٍ فى الحِجةِ - قال : بأربعٍ ؛ لا يدخُلُ الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنةٌ ، ولا يطوفُ بالبيتِ عريانٌ ، ومَن كان بينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ عهدٌ فعهدُه إلى مدتِه ، ولا

---

(١) المسند ٣/ ٢١٢.

(٢) بعده فى المسند : « عفان » .

(٣) الترمذى (٣٠٩٠) . حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٤٦٧) .

(٤) المسند ١/ ١٥١ مطولا .

(٥) فى الأصل ، م : « حلس » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٣٢.

(٦) المسند ١/ ٧٩. (إسناده حسن) .

(٧) فى م : « بثيع » . وفى المسند : « أثيع » . واختلف فى اسمه فقيل : يثيع . وقيل : أثيع . وقال الترمذى : والصحيح هو زيد بن أثيع . انظر الترمذى (٣٠٩٢) ، والإكمال ١/ ١٢، ١٣، وتهذيب الكمال ١٠/ ١١٥، ١١٦.

يَحُجُّ المشركون والمسلمون[1] بعدَ عامِهم هذا. وهكذا رَواه الترمذيُّ، من حديثِ سفيانَ - هو ابنُ عُيَيْنةَ - عن أبي إسحاقَ السَّبِيعيِّ، عن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ[2]، عن عليٍّ به[3]، وقال: حسنٌ صحيحٌ. ثم قال: وقد رَواه شعبةُ، عن أبي إسحاقَ فقال: عن زيدِ بنِ أُثَيْلٍ[4]، ورَواه الثوريُّ، عن أبي إسحاقَ، عن بعضِ أصحابِه، عن عليٍّ.

قلتُ: ورَواه ابنُ جريرٍ، مِن حديثِ معمرٍ، عن أبي إسحاقَ، عن الحارثِ، عن عليٍّ[5].

وقال ابنُ جريرٍ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ، أخبرَنا أبو زُرْعةَ وهبُ اللَّهِ[7] بنُ راشدٍ، أخبرَنا حَيْوةُ بنُ شُرَيْحٍ، أخبرَنا أبو صخرٍ[8]، أنه سمِع أبا معاويةَ البَجَليَّ مِن أهلِ الكوفةِ يقولُ: سمِعْتُ أبا الصَّهْباءِ البَكْريَّ وهو يقولُ: سألْتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ عن يومِ الحجِّ الأكبرِ فقال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث أبا بكرِ بنَ أبي قُحافةَ يُقِيمُ للناسِ الحجَّ، وبعَثني معه بأربَعين آيةً مِن «براءةٌ» حتى أتَى عرفةَ، فخطَب الناسَ يومَ عرفةَ، فلمَّا قضَى خطبتَه التفَت إليَّ فقال: قمْ

---

(١) سقط من: ا ٤، م. ومعنى: «لا يحج المشركون والمسلمون». بينته رواية الترمذى الآتية التى فيها: «يجتمع» بدلا من: «يحج».

(٢) انظر الصفحة السابقة حاشية (٧).

(٣) الترمذى (٨٧١، ٨٧٢، ٣٠٩٢). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٩١، ٢٤٦٩).

(٤) وهذا وهمٌ من شعبة، كما قال الترمذى عقب حديث (٣٠٩٢).

(٥) تفسير الطبرى ١٠/ ٦٤.

(٦) تفسير الطبرى ١٠/ ٦٧.

(٧) فى تفسير الطبرى: «وهبة اللَّه». انظر الثقات ٩/ ٢٢٨، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٨٠ فيمن روى عن حيوة بن شريح، وأيضا ٢٥/ ٤٩٨ فيمن روى عنه محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم.

(٨) فى النسخ: «ابن صخر». والمثبت من تفسير الطبرى. وأبو صخر هو حميد بن زياد. انظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٦٦.

يا عليُّ فأدِّ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقمْتُ ، فقرَأْتُ عليهم أربعين آيةً مِن « براءةٌ » ، ثم صدَرْنا حتى أَتينا مِنًى ، فرمَيْتُ الجمرةَ ، ونحَرْتُ البَدَنةَ ثم حلَقْتُ رأسِى ، وعلِمتُ أن أهلَ الجَمْعِ لم يكونوا (١ حُضُورًا كلُّهم ١) خُطبةَ أبى بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يومَ عرفةَ ، فطَفِقْتُ[٢] أتَتبَّعُ بها الفَساطِيطَ أقرَؤُها عليهم . قال عليٌّ : فمِن ثَمَّ إخالُ حسِبتُم أنه يومُ النحرِ ، ألا وهو يومُ عرفةَ . وقد تقصَّيْنا الكلامَ على هذا المَقامِ فى « التفسيرِ »[٣] . وذكَرْنا أسانيدَ الأحاديثِ والآثارِ فى ذلك مبسوطًا بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

قال الواقدىُّ[٤] : وقد كان خرَج مع أبى بكرٍ مِن المدينةِ ثلاثُمائةٍ مِن الصحابةِ ، منهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وخرَج أبو بكرٍ معه بخمسِ بَدَناتٍ ، وبعَث معه رسولُ اللَّهِ ﷺ بعِشرين بَدَنةً ، ثم أردَفه بعليٍّ ، فلحِقه بالعَرْجِ[٥] فنادَى بـ« براءةٌ » أمامَ المَوْسِمِ .

فصلٌ

كان فى هذه السنةِ - أعنى فى سنةِ تسعٍ - مِن الأمورِ الحادثةِ غزوةُ تبوكَ فى

(١ - ١) كذا فى النسخ . وفى تفسير الطبرى : « حضروا » .

(٢) سقط من : ا ، ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص : « فطفت » . والمثبت من تفسير الطبرى .

(٣) التفسير ٤/٤٤ - ٦٥ .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/١٢٢ ، عن الواقدى مطولاً .

(٥) العرج ، بفتح أوله وسكون ثانيه وجيم : قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف . معجم البلدان ٣/٦٣٧ .

رجبٍ منها[1] كما تقدَّم بيانُه .

قال الواقدىُّ[2] : وفى رجبٍ منها مات النجاشىُّ صاحبُ الحبشةِ ونعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الناسِ . وفى شعبانَ منها - أى مِن هذه السنةِ - تُوُفِّيَتْ أمُّ كُلْثومٍ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فغسَّلتْها أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وصفيةُ بنتُ عبدِ المطلبِ ، وقيل : غسَّلها نسوةٌ مِن الأنصارِ فيهن أمُّ عطيةَ .

قلتُ : وهذا ثابتٌ فى « الصحيحيْن »[3] ، وثبَت فى الحديثِ[4] أيضًا أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لمَّا صلَّى عليها وأراد دفنَها قال : « لا يدخُلُه أحدٌ قارَفَ الليلةَ أهلَه[5] » . فامتنَع زوجُها عثمانُ لذلك ، [٣/٢١٥و] ودفَنها أبو طلحةَ الأنصارىُّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، [6]ويَحْتَمِلُ أنه أراد بهذا الكلامِ مَن كان يتولَّى ذلك مِمن يتَبَرَّعُ بالحفرِ والدَّفنِ مِن الصحابةِ كأبى عبيدةَ ، وأبى طلحةَ ، ومَن شابَهَهم فقال : « لا يدخلُ قبرَها إلَّا مَن لم يُقارِفْ أهلَه مِن هؤلاءِ » . إذ يَبْعُدُ أن عثمانَ كان عندَه غيرُ أمِّ كُلْثومٍ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، هذا بعيدٌ . واللَّهُ أعلمُ[6] .

وفيها صالحَ مِلِكَ أيْلَةَ وأهلَ جَرْباءَ وأَذْرُحَ وصاحبَ دُومةِ الجندلِ كما تقدَّم إيضاحُ ذلك كلِّه فى مواضعِه . وفيها هُدِم مسجدُ الضِّرارِ الذى بناه جماعةُ المنافِقين صورةَ مسجدٍ ، وهو دارُ حربٍ فى الباطنِ فأمَر به ، عليه الصلاةُ والسلامُ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١٢٢/٣ ، ١٢٤ ، عن الواقدى .

(٣) المقصود حديث أم عطية فى غسل أم كلثوم رضى اللَّه عنها . البخارى (١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٨- ١٢٦٣)، ومسلم (٩٣٩).

(٤) البخارى (١٢٨٥ ، ١٣٤٢).

(٥) يقال : قارف الرجل امرأته . إذا جامعها . انظر النهاية ٤٥/٤ .

(٦ - ٦) سقط من: ا ٤١، ص.

فحُرِّق . وفى رمضانَ منها قدِم وفدُ ثقيفٍ فصالَحوا عن قومِهم ، ورجَعوا إليهم بالأمانِ ، وكُسِّرتِ اللاتُ كما تقدَّم ، وفيها تُوُفِّىَ عبدُ اللَّهِ بنُ أبىٍّ بنِ سَلُولَ رأسُ المنافِقين ، لعَنه اللَّهُ ، فى أواخرِها ، وقبلَه بأشهرٍ تُوُفِّىَ معاويةُ بنُ معاويةَ الليثىُّ - أو المزنىُّ - وهو الذى صلَّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو نازلٌ بتبوكَ إن صحَّ الخبرُ فى ذلك[1] ، وفيها حجَّ أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، بالناس عن إذنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ له فى ذلك ، وفيها كان قدومُ عامَّةِ وفودِ أحياءِ العربِ ، ولذلك تُسمَّى سنةُ تسعٍ سنةَ الوفودِ ، وها نحن نعقِدُ لذلك كتابًا برأسِه اقتداءً بالبخارىِّ وغيرِه .

---

(١) بعده فى ا ٤ : « وفيها توفى عبد اللَّه ذو النجادين - كذا فى المخطوطة ، والصواب : ذو البِجادَيْن - وفيها تيب على كعب بن مالك وصاحبيه ، رضى اللَّه عنهم ، وعلى أبى لبابة ومن معه من المربوطين » .

كتابُ الوُفودِ الوَاردين إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : لمَّا افتتح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ، وفرَغ مِن تبوكَ ، وأسلَمت ثَقِيفٌ وبايَعت ، ضرَبَت إليه وفودُ العربِ مِن كلِّ وجهٍ - قال ابنُ هشامٍ : حدَّثنى أبو عُبَيدةَ أن ذلك فى سنةِ تسعٍ ، وأنها كانت تُسمَّى سنةَ الوفودِ - قال ابنُ إسحاقَ : وإنما كانت العربُ تَرَبَّصُ بإسلامِها أمْرَ هذا الحىِّ مِن قريشٍ ؛ لأن قريشًا كانوا إمامَ الناسِ وهادِيَهم[2] ، وأهلَ البيتِ والحرمِ ، وصَرِيحَ ولدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، وقادةَ العربِ ، لا يُنْكَرون ذلك ، وكانت قريشٌ هى التى نصَبَت الحربَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ وخلافه ، فلمَّا افتُتحَتْ مكةُ ، ودانَتْ له قريشٌ ، ودوَّخها الإسلامُ ، عرَفَت العربُ أنهم لا طاقةَ لهم بحربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا عداوتِه ، فدخَلوا فى دينِ اللَّهِ - كما قال عزَّ وجلَّ - أفواجًا ، يَضْرِبون إليه مِن كلِّ وجهٍ [٣/ ٢١٥ظ] يقولُ اللَّهُ تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ١ - ٣] . أى ؛ فاحْمَدِ اللَّهَ على ما أَظْهَر[3] مِن دينِك ، واستَغفِرْه إنه كان توابًا .

وقد قدَّمْنا حديثَ عمرِو بنِ سَلَمةَ[4] قال : وكانتِ العربُ تَلَوَّمُ بإسلامِهم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥٩، ٥٦٠.

(٢) فى الأصل ، م : « هاديتهم » ، وفى ا ٤١ : « قادتهم » ، وفى ص : « هادتهم » . والمثبت من السيرة .

(٣) سقط من : ا ٤١، ص . وفى الأصل ، م : « ظهر » . والمثبت من السيرة .

(٤) فى الأصل ، م : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٠. والحديث تقدم فى ٦/ ٦٢٥.

الفتحَ فيقولون : اترُكوه وقومَه ، فإنه إن ظَهَر عليهم فهو نبيٌّ صادقٌ . فلمَّا كانت وقعةُ أهلِ الفتحِ بادَر كلُّ قومٍ بإسلامِهم ، وبدَر أبى قومى بإسلامِهم ، فلمَّا قَدِم قال : جئتُكم واللَّهِ مِن عندِ النبيِّ حقًّا ، قال : « صلُّوا صلاةَ كذا فى حينِ كذا ، وصلاةَ كذا فى حينِ كذا ، فإذا حضَرتِ الصَّلاةُ فلْيُؤَذِّنْ لكم أحدُكم ، ولْيَؤُمَّكم أكثرُكم قرآنًا » . وذكَر تمامَ الحديثِ ، وهو فى « صحيحِ البخاريِّ » .

قلتُ : وقد ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ ، ثم الواقديُّ والبخاريُّ ، ثم البيهقيُّ بعدَهم ، مِن الوفودِ ما هو متقدِّمٌ تاريخُ قدومِهم[1] على سنةِ تسعٍ ، بل وعلى فتحِ مكةَ . وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد : ١٠] . وتقدَّم قولُه ﷺ يومَ الفتحِ[2] : « لا هجرةَ ، ولكن جهادٌ ونيةٌ » . فيَجِبُ التمييزُ بينَ السابقِ مِن هؤلاءِ الوافدين على زمنِ الفتحِ مِمن يُعَدُّ وفودُه هجرةً ، وبينَ اللاحقِ لهم بعدَ الفتحِ ممن وعَدَه [3]اللَّهُ خيرًا وحُسْنَى ، ولكن ليس فى ذلك كالسابقِ له فى الزمانِ والفضيلةِ . واللَّهُ أعلمُ[3] . على أن هؤلاءِ الأئمةَ الذين اعتَنَوْا بإيرادِ الوفودِ قد ترَكوا فيما أورَدوه أشياءَ [3]لم يَذْكُرُوها ، ونحن نُورِدُ بحمدِ اللَّهِ ومَنِّه ما ذكروه ، ونُنَبِّهُ على ما يَنبَغِى التَّنبيهُ عليه مِن ذلك ، ونذكُرُ ما وقَع لنا مما أهمَلوه إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ[3] .

وقد قال محمدُ بنُ عمرَ الواقديُّ[4] : حدَّثنا كَثِيرُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنيُّ ، عن

---

(١) فى م : « قومهم » .

(٢) تقدم فى ٦/ ٦١٩.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ٢٩١، من طريق الواقدى به .

أبيه ، عن جدِّه قال : كان أوَّلَ مَن وفَد على رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مُضَرَ أربعُمائةٍ مِن مُزَيْنةَ ، وذلك فى رجبٍ سنةَ خمسٍ ، فجعَل لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ الهجرةَ فى دارِهم وقال : « أنتم مهاجِرون حيث كنتم ، فارجِعوا إلى أموالِكم » . فرجَعوا إلى بلادِهم .

ثم ذكَر الواقدىُّ[1] ، عن هشامِ بنِ الكَلْبىِّ بإسنادِه ، أن أوَّلَ مَن قدِم [٣/ ٢١٦و] مِن مُزَيْنةَ خُزاعىُّ بنُ عبدِ نُهْمٍ ، ومعه عشَرةٌ مِن قومِه ، فبايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ على إسلامِ قومِه ، فلمَّا رجَع إليهم لم يَجِدْهم كما ظنَّ فيهم ، فتأخَّروا عنه ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ حسانَ بنَ ثابتٍ أن يُعَرِّضَ بخزاعىٍّ مِن غيرِ أن يَهْجُوَه ، فذكَر أبياتًا ، فلمَّا بلَغَت خُزاعيًّا شكَى ذلك إلى قومِه ، فحَمُوا[2] له ، وأسلَموا معه ، وقدِم بهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا كان يومُ الفتحِ دفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ لواءَ مُزَيْنةَ - وكانوا يومَئذٍ ألفًا - إلى خُزاعىٍّ هذا . قال : وهو أخو عبدِ اللَّهِ ذى البِجادَيْن .

وقال البخارىُّ ، رحِمه اللَّهُ[3] : بابُ وفدِ بنى تَميمٍ ، حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى صَخْرةَ ، عن صفوانَ بنِ مُحْرِزٍ المازنىِّ ، عن عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : أتَى نفرٌ مِن بنى تَميمٍ إلى النبىِّ ﷺ ، فقال : « اقْبَلوا البُشْرَى يا بنى تَميمٍ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد بَشَّرْتَنا فأعْطِنا . فرُئِىَ ذلك فى وجهِه ، فجاء نفرٌ مِن اليمنِ ، فقال : « اقْبَلوا البُشْرَى إذ لم يَقْبَلْها بنو تَميمٍ » . قالوا : قد قَبِلْنا يا رسولَ اللَّهِ .

ثم قال البخارىُّ[4] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، حدَّثنا هشامُ بنُ يوسفَ أن

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ٢٩١، من طريق الواقدى به .

(٢) فى الأصل، م: «فجمعوا». وحموا: أى أخذتهم الحميّة، وهى الأنفة والغيرة. انظر النهاية ١/ ٤٤٧.

(٣) البخارى (٤٣٦٥) .

(٤) البخارى (٤٣٦٧) .

ابنَ جُرَيْجٍ أخبَرَه[1] عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ أخبَرهم أنه قدِم رَكْبٌ مِن بنى تميمٍ على النبىِّ ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أمِّرِ القَعْقاعَ بنَ مَعْبَدِ بنِ زُرارةَ. فقال عمرُ: بل أمِّرِ الأقرعَ بنَ حابِسٍ. فقال أبو بكرٍ: ما أرَدْتَ إلا خِلافى. فقال عمرُ: ما أرَدتُ خلافَك. فتمارَيا حتى ارتفَعتْ أصواتُهما، فنزَلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١]. حتى انقضَتْ. ورَواه البخارىُّ أيضًا مِن غيرِ وجهٍ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ بألفاظٍ أُخَرَ[2]، قد ذكَرنا ذلك فى «التفسيرِ» عندَ قولِه تعالى[3]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية [الحجرات: ٢].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: ولمَّا قدِمَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفودُ العربِ قدِم عليه عُطارِدُ بنُ حاجبِ بنِ زُرارةَ بنِ عُدُسٍ التميمىُّ فى أشرافِ بنى تميمٍ، منهم؛ الأقْرعُ بنُ حابسٍ التَّمِيمىُّ، والزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ التميمىُّ، أحدُ بنى سعدٍ، وعمرُو بنُ الأهْتَمِ، والحَبْحابُ[5] بنُ يَزيدَ، ونُعَيْمُ بنُ يزيدَ، وقيسُ بنُ الحارثِ، وقيسُ بنُ عاصمٍ أخو بنى سعدٍ، فى وفدٍ عظيمٍ مِن بنى تميمٍ. قال ابنُ إسحاقَ: ومعهم عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ [٣/ ٢١٦ظ] بنِ حُذَيفةَ بنِ بَدْرٍ الفَزارىُّ، وقد كان الأقرعُ ابنُ حابسٍ وعيينةُ شَهِدا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فتحَ مكةَ وحُنَينًا والطائفَ، فلمَّا قدِم

---

(١) فى البخارى: «أخبرهم».

(٢) البخارى (٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢).

(٣) التفسير ٧/ ٢٤٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٠ - ٥٦٣.

(٥) كذا فى الأصل، والسيرة، وسقط من: ا ٤. وفى م: «الحتحات»، وفى ص: «الحجاب». قال ابن هشام: الحُتات. والذى ذكره ابن هشام موافق لما فى الاستيعاب ١/ ٤١٢، وأسد الغابة ١/ ٤٥٤، والإصابة ٢/ ٢٩.

وفدُ بنى تَميمٍ كانا معهم ، فلمّا دخَلوا المسجدَ نادَوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن وراءِ حُجُراتِه ؛ أنِ اخرُجْ إلينا يا محمدُ . فآذَى ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن صِياحِهم ، فخرَج إليهم ، فقالوا : يا محمدُ ، جئْناك نُفاخِرُك ، فأْذَنْ لشاعرِنا وخطيبِنا . قال : « قد أذِنتُ لخطيبِكم فليَقُلْ » . فقام عُطارِدُ بنُ حاجبٍ ، فقال : الحمدُ للَّهِ الذى له علينا الفضلُ والمنُّ[1] وهو أهلُه ، الذى جعَلَنا ملوكًا ، ووهَب لنا أموالًا عِظامًا نفعَلُ فيها المعروفَ ، وجعَلَنا أعزَّ[2] أهلِ المشرقِ ، وأكثرَه عددًا ، وأيسرَه عُدَّةً ، فمَن مِثْلُنا فى الناسِ ؟ ألسْنا برءُوسِ الناسِ وأُولِى فضلِهم ؟ فمَن فاخَرَنا فلْيُعَدِّدْ مثلَ ما عَدَّدْنا ، وإنا لو نشاءُ لأكثَرْنا الكلامَ ، ولكنا نَستَحِى[3] مِن الإكثارِ فيما أعطَانا ، وإنا نُعرَفُ بذلك ، أقولُ هذا لأنْ تأتوا بمثلِ قولِنا ، وأمرٍ أفضلَ مِن أمرِنا . ثم جلَس ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، أخى بنى الحارثِ بنِ الخزرجِ : « قُمْ فأجبِ الرجلَ فى خُطبتِه » . فقام ثابتٌ فقال : الحمدُ للَّهِ الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه ، قضَى فيهن أمرَه ، ووَسِع كرسيُّه علمُه ، ولم يكُ شىءٌ قطُّ إلا مِن فضلِه ، ثم كان مِن قدرتِه أن جعَلَنا ملوكًا ، واصْطَفى مِن [4]خَيْرِ خلقِه[4] رسولًا ، أكرمَه نسبًا ، وأصدقَه حديثًا ، وأفضلَه حَسَبًا ، فأنزَل عليه كتابًا[5] ، وائْتَمَنه على خلقِه ، فكان خِيرةَ اللَّهِ مِن العالمِين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمانِ به ، فآمَن برسولِ اللَّهِ المهاجِرون مِن قومِه وذَوِى رحمِه ، أكرمُ الناسِ أحسابًا ، وأحسنُ الناسِ وجوهًا ، وخيرُ الناسِ فَعَالًا ، ثم كان أوَّلَ الخلقِ إجابةً

---

(١) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص ، وسقط من إحدى نسخ السيرة ، كما أشار إلى ذلك محققوها .
(٢) فى الأصل ، م : « أعزة » .
(٣) فى الأصل ، م ، ص : « نخشى » . وفى السيرة : « نحيا » . ونحيا ؛ أى نستحى .
(٤ - ٤) فى النسخ : « خيرته » . والمثبت من السيرة .
(٥) فى السيرة : « كتابه » .

واسْتَجاب للَّهِ حينَ دعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ نحن ، فنحن أنصارُ اللَّهِ ووزراءُ رسولِه ، نُقاتِلُ الناسَ حتى يُؤْمِنوا ، فمَن آمَن باللَّهِ ورسولِه منَع مالَه ودمَه ، ومَن كفَر جاهَدْناه فى اللَّهِ أبدًا ، وكان قتلُه علينا يسيرًا ، أقولُ قولى هذا ، وأسْتغفِرُ اللَّهَ لى ولكم وللمؤمنين والمؤمناتِ ، والسلامُ عليكم . فقام الزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ فقال :

نحن الكرامُ فلا حىٌّ يُعادِلُنا ... منا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وكم قَسَرْنا مِن الأحْياءِ كلِّهِمُ ... عندَ النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
[٣/٢١٧و] ونحن يُطْعِمُ[(١)] عندَ القَحْطِ مُطْعِمُنا ... مِن الشِّواءِ إذا لم يُؤْنَسِ القَزَعُ[(٢)]
بِما تَرَى الناسَ تأتينا سَراتُهُمُ ... مِن كلِّ أرضٍ هُوِيًّا[(٣)] ثم نَصْطَنِعُ
فنَنْحَرُ الكُومَ عَبْطًا فى أَرُومتِنا ... للنازلين إذا ما أُنزِلوا شَبِعوا[(٤)]
فما ترانا إلى حىٍّ نُفاخِرُهم ... إلا استفادوا وكانوا الرأسَ يُقْتَطَعُ
فمَن يُفاخِرُنا فى ذاك نَعْرِفُه ... فيَرْجِعُ القومُ والأخبارُ تُسْتَمَعُ
إنا أَبَيْنا ولم يأبَى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخرِ نَرْتَفِعُ

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : وكان حسانُ بنُ ثابتٍ غائبًا ، فبعَث إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . [(٦)]قال حسانُ : فجاءَنى رسولُه ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأُجِيبَ شاعرَ[(٦)]

---

(١) فى ا ٤، م، ص : « نطعم » .
(٢) فى الأصل، م : « الفزع » . وفى ا ٤ : « الهزع » . وفى ص : « الفرع » . والمثبت من السيرة . والقزع : جمع قَزَعة ، وهو سحاب رقيق يكون فى الخريف . شرح غريب السيرة ٣/ ١٥١.
(٣) هويا : سراعا . المصدر السابق .
(٤) الكوم : جمع كَوماء، وهى العظيمة السنام من الإبل . وعبطا : أى نحرا من غير داء ولا علة . والأرومة : الأصل . المصدر السابق .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/٥٦٣ - ٥٦٥.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل، م، ص.

(١) بنى تَمِيمٍ . قال : فخرجتُ وأنا أقولُ(٢) :

مَنَعْنا رسولَ اللَّهِ إذ حلَّ وَسْطَنا ... على أنفِ راضٍ مِن مَعَدٍّ وراغمِ
منعْناه لما حلَّ بينَ بُيُوتِنا ... بأسيافِنا من كلِّ باغٍ وظالمِ
ببيتِ حَرِيدٍ(٣) عِزُّه وثراؤُه ... بجابيةِ الجَوْلانِ وسْطَ الأعاجمِ
هل المجدُ إلا السؤْدُدُ العَوْدُ(٤) والندَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ(١)

قال : فلمَّا انتهَيتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقام شاعرُ القومِ فقال ما قال ، عرَضتُ(٥) فى قولِه ، وقلتُ على نحوِ ما قال . قال : فلمَّا فرَغ الزِّبْرِقَانُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لحسانَ بنِ ثابتٍ : « قمْ يا حسانُ فأجِبِ الرجلَ فيما قال » . فقال حسانُ(٦) :

إنَّ الذَّوائبَ مِن فِهْرٍ وإخْوَتِهمْ ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَرِيرتُه ... تَقْوَى الإلهِ وكلَّ الخيرِ يَصْطَنِعُ
قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عدوَّهمُ ... أو حاولوا النفعَ فى أشياعِهم نفَعوا
سَجِيةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثةٍ ... إنَّ الخَلائِقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ
إن كان فى الناسِ سَبَّاقون بعدَهمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لِأَدْنى سَبْقِهم تَبَعُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٢) انظر ديوان حسان ص ٢٣٦.
(٣) فى ا ٤ : « جريد » . والمثبت من السيرة . والحريد : البيت المنفرد عن البيوت . يريد غسان وهم ملوك الشام وهم وسط الأعاجم . وجابية الجولان : موضع بالشام . انظر الروض الأنف ٧/ ٤٣٤، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٥٤.
(٤) العود : القديم الذى يتكرر على مر الزمان . شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٤.
(٥) فى الأصل ، م : « أعرضت » .
(٦) ديوان حسان ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

لا يَرْقَعُ[1] الناسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهمُ ... عندَ الدِّفاعِ ولا يُوهُون ما رَقَعوا[2]

إن سابَقوا الناسَ يومًا فاز سَبْقُهمُ ... أو وازنوا أهلَ مَجْدٍ بالنَّدَى مَتَعوا[3]

أعِفَّةٌ ذُكِرت فى الوَحْيِ عِفَّتُهمْ ... لا يَطْمَعون ولا يُرْدِيهمُ طَمَعُ

لا يَبْخَلون على جارٍ بِفَضْلِهمُ ... ولا يَمَسُّهمُ مِن مَطْمَعٍ طَبَعُ[4]

إذا نَصَبْنا لحيٍّ لم نَدِبَّ لهمْ ... كما يَدِبُّ إلى الوحشيَّةِ الذَّرَعُ[5]

نَسْمُو إذا الحربُ نَالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزَّعانِفُ مِن أظفارِها خَشَعوا

[6]لا يَفْخَرون إذا نالوا عدُوَّهمُ ... وإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ[6]

كأنهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيَةَ فى أرْساغِها فَدَعُ[7]

خُذْ منهمُ ما أتَوْا عَفْوًا إذا غَضِبوا ... ولا يَكُنْ همُّك الأمرَ الذى منَعوا

[٣/٢١٧ظ] فإنَّ فى حربِهمْ فاتْرُكْ عداوتَهمْ ... شرًّا يُخاضُ عليه السُّمُّ والسَّلَعُ[8]

أَكْرِمْ بقومٍ رسولُ اللَّهِ شيعتُهمْ ... إذا تَفاوَتَت الأهواءُ والشِّيَعُ

أَهْدَى لهم مِدْحتى قلبٌ يُؤازِرُه ... فيما أُحِبُّ لسانٌ حائِكٌ صَنَعُ[9]

---

(١) فى النسخ: «يرفع». والمثبت من السيرة.

(٢) فى النسخ: «رفعوا». والمثبت من السيرة.

(٣) فى م: «منعوا». وفى ص: «قنعوا». ومتعوا: ارتفعوا، يقال: متع النهار. إذا ارتفع. الروض الأنف ٧/ ٤٣٦.

(٤) الطبع: الدنس. شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٢.

(٥) الذرع: ولد البقرة الوحشيّة. المصدر السابق ٣/ ١٥٣.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) مكتنع: دانٍ، يقال: اكتنع منه الموت. إذا دنا. وحلية: اسم موضع تنسب إليه الأسود. والفدع: اعوجاج إلى ناحية. المصدر السابق.

(٨) السلع: شجر مر. الروض الأنف ٧/ ٤٣٥.

(٩) صنع: يحسن العمل. شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٣.

فإنهم أفضلُ الأحْياءِ كلِّهمُ ... إن جَدَّ فى الناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعوا[1]

وقال ابنُ هشامٍ[2] : وأخبَرَنى بعضُ أهلِ العلمِ بالشِّعرِ مِن بنى تميمٍ أن الزِّبْرِقَانَ لمَّا قدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى وفدِ بنى تميمٍ قام فقال :

أتَيْناك كيما يَعْلَمَ الناسُ فَضْلَنا ... إذا اخْتَلفوا عندَ احتضارِ المواسِمِ

بأنَّا فروعُ الناسِ فى كلِّ موطِنٍ ... وأن ليس فى أرضِ الحجازِ كَدارِمِ

وأنَّا نَذودُ المُعْلِمين إذا انْتَخَوْا ... ونَضْرِبُ رأسَ الأَصْيَدِ المُتَفاقِمِ[3]

وأنَّ لنا المِرْباعَ[4] فى كلِّ غارةٍ ... نُغِيرُ بنَجْدٍ أو بأرضِ الأعاجمِ

قال : فقام حسانُ فأجابه فقال[5] :

هل المجدُ إلا السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوكِ واحتِمالُ العَظائمِ

نصَرْنا وآوَيْنا النبىَّ محمدًا ... على أنفِ راضٍ مِن مَعَدٍّ وراغِمِ

بحَىٍّ حَرِيدٍ أصلُه وثَراؤُه ... بجابيةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ

نصَرْناه لمّا حَلَّ بينَ ديارِنا[6] ... بأسيافِنا مِن كلِّ باغٍ وظالمِ

جعَلْنا بَنِينا دونَه وبناتِنا ... وطِبْنا له نفسًا بفىءِ المَغانِمِ

ونحن ضرَبْنا الناسَ حتى تَتابَعوا ... على دينِه بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

---

(١) فى الأصل، ٤١، ص: «سمعوا». وشمعوا: هزلوا، وأصل الشمع الطرب واللهو. شرح غريب السيرة ١٥٣/٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٥، ٥٦٦.

(٣) المعلمون: الذين يُعلِمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يُعرفون بها. وانتخوا: من النخوة وهى التكبر والإعجاب. والأصيد: المتكبر الذى لا يلوى عنقه يمينا وشمالا. والمتفاقم: المتعاظم. شرح غريب السيرة ١٥٣/٣، ١٥٤.

(٤) المرباع: أخْذ الربع من الغنيمة، يريد أنهم رؤساء. المصدر السابق.

(٥) ديوان حسان ص ٢٣٧.

(٦) فى الأصل، م: «بيوتنا».

ونحن ولَدْنا مِن قريشٍ عظيمَها ... ولَدْنا نبيَّ الخيرِ مِن آلِ هاشمِ[1]

بنى دارمٍ لا تَفْخَروا إنَّ فخرَكم ... يَعودُ وَبالًا عندَ ذكرِ المكارِمِ

هَبِلْتم علينا تَفْخَرون وأنتمُ ... لنا خَوَلٌ مِن بينِ ظِئْرٍ وخادِمِ[2]

فإن كنتمُ جئتم لحَقْنِ دمائِكم ... وأموالِكم أن تُقْسَموا فى المقاسِمِ

فلا تَجْعَلوا للَّهِ نِدًّا وأسْلِموا ... ولا تَلْبَسوا زِيًّا كزِيِّ الأعاجِمِ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا فرَغ حسانُ بنُ ثابتٍ مِن قولِه ، قال الأقرعُ بنُ حابسٍ : وأبِى إنَّ هذا لَمُؤَتًّى له[4] ، [٣/٢١٨و] لَخَطيبُه أخْطبُ مِن خطيبِنا ، ولَشاعرُه أشعرُ مِن شاعرِنا ، وَلأصواتُهم أعلى مِن أصواتِنا . قال : فلمَّا فرَغ القومُ أسلَموا ، وجَوَّزَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأحسَن جوائزَهم ، وكان عمرُو بنُ الأهْتَمِ قد خَلَّفه القومُ فى رحالِهم ، وكان أصغرَهم سنًّا ، فقال قيسُ بنُ عاصمٍ ، وكان يُبْغِضُ عمرَو بنَ الأهتمِ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنه قد كان رجلٌ منا فى رحالِنا ، وهو غلامٌ حَدَثٌ . وأزْرَى به . فأعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَ ما أعطَى القومَ ، فقال عمرُو بنُ الأهتمِ ، حينَ بلَغه أن قيسًا قال ذلك ، يَهْجُوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ[5] تَشْتُمُنى ... عندَ الرسولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

سُدْناكمُ سُؤْدُدًا رَهْوًا وسُؤْدُدُكم ... بادٍ نَواجِذُه مُقْعٍ على الذنَبِ[6]

---

(١) قول حسان : ولدنا نبى الخير . لأن أم عبد المطلب جدّ النبى ﷺ كانت نجّاريّة من الأنصار . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٤.

(٢) هبلتم : فُقِدتم . والخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية . والظئر : التى ترضع ولد غيرها . وقد تأخذ على ذلك أجرا . المصدر السابق ، واللسان (خ و ل) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٧.

(٤) لمؤتى له : لموفق له . شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٤.

(٥) الهلباء : شعر الذنب ، فاستعاره هنا للإنسان . المصدر السابق ٣/ ١٥٥.

(٦) الرهو هنا : المتسع . ومقع على الذنب : يقال : أقعى الكلب والذئب . إذا جلس على أليتيه وضم ساقيه ومد ذنبه خلفه . المصدر السابق .

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن محمدِ بنِ الزُّبَيرِ الحنظلىِّ قال : قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ الزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ ، وقيسُ بنُ عاصمٍ ، وعمرُو بنُ الأهتمِ ، فقال لعمرِو بنِ الأهتمِ : « أخبِرْنى عن الزِّبْرِقانِ ، فأمَّا هذا فلستُ أسألُك عنه » . وأُرَاه كان قد عرَف قيسًا . قال : فقال : مطاعٌ فى أَدْنَيه[2] ، شديدُ العارضةِ ، مانعٌ لِما وراءَ ظهرِه . فقال الزِّبْرِقانُ : قد قال ما قال وهو يعلمُ أنى أفضلُ مما قال . قال : فقال عمرٌو : واللَّهِ ما علِمْتُك إلَّا زَمِرَ[3] المُروءةِ ، ضَيِّقَ العَطَنِ[4] ، أحمقَ الأبِ ، لئيمَ الخالِ . ثم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد صدَقْتُ فيهما جميعًا ، أرْضَانى فقلتُ بأحسنِ ما أعلمُ فيه ، وأسخَطَنى فقلتُ بأسوءِ ما أعلمُ فيه[5] . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن مِن البيانِ سحرًا » . وهذا مرسلٌ مِن هذا الوجهِ .

قال البيهقىُّ[6] : وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ موصولًا ، أخبرَنا أبو جعفرٍ كاملُ بنُ أحمدَ المُسْتَمْلِى ، ثنا محمدُ بنُ محمدِ[7] بنِ أحمدَ بنِ عثمانَ البغدادىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[8] العَلَّافُ ببغدادَ ، حدَّثنا علىُّ بنُ حربٍ الطائىُّ ، أنبأَنا أبو سعدٍ[9] الهيثمُ بنُ محفوظٍ ، عن أبى المُقَوِّمِ يحيى بنِ يزيدَ الأنصارىِّ ، عن

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٣١٦.

(٢) سقط من ا ٤. وفى ص، والدلائل: «أذنيه». ومطاع فى أدنيه: أى مطاع فى أقربائه.

(٣) فى الأصل، م: «زبر». والزمر: قليل المروءة. اللسان (ز م ر).

(٤) فى الدلائل: «العطية». وضيق العطن: كناية عن البخل.

(٥) زيادة من الدلائل.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٣١٦، ٣١٧.

(٧) بعده فى النسخ: «بن محمد». وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٦٦.

(٨) فى النسخ: «الحسن». والمثبت من الدلائل. وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٧.

(٩) بعده فى م، ص: «بن». وانظر المغنى فى الضعفاء ٢/ ٣٧٨.

الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جلَس إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قيسُ بنُ عاصمٍ ، والزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ ، وعمرُو بنُ الأهتمِ التميميُّون ، ففخَر الزِّبْرِقانُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا سيِّدُ بنى تميمٍ ، والمطاعُ فيهم والمجابُ ، أمنَعُهم مِن الظلمِ ، وآخُذُ لهم بحقوقِهم ، وهذا يَعْلَمُ [٣/٢١٨ظ] ذلك . يعنى عمرَو بنَ الأهتمِ . فقال عمرُو ابنُ الأهتمِ : إنه لَشديدُ العارضةِ ، مانعٌ لجانبِه ، مطاعٌ فى أَدْنَيه[1] . فقال الزِّبْرِقانُ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، لقد عَلِم منِّى غيرَ ما قال ، وما منَعه أن يَتَكَلَّمَ إلَّا الحسدُ . فقال عمرُو بنُ الأهتمِ : أنا أحسُدُك ؟! فواللَّهِ إنك لَلئيمُ الخالِ ، حديثُ المالِ ، أحمقُ الوالدِ[2] ، مُضَيَّعٌ فى العشيرةِ ، واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، لقد صدَقْتُ فيما قلتُ أولًا ، وما كذَبْتُ فيما قلتُ آخرًا ، ولكنى رجلٌ إذا رضِيتُ قلتُ أحسنَ ما علِمْتُ ، وإذا غضِبْتُ[3] قلتُ أقبحَ ما وجَدْتُ ، ولقد صدَقْتُ فى الأولى والأخرى جميعًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن مِن البيانِ سحرًا » . وهذا إسنادٌ غريبٌ جدًّا .

وقد ذكَر الواقدىُّ سببَ قدومِهم[4] ، وهو أنه كانوا قد شَهروا السلاحَ على خُزاعةَ ، فبعَث إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ عُيَينةَ بنَ بدرٍ فى خمسين ، ليس فيهم أنصارىٌّ ولا مهاجرىٌّ ، فأسَر منهم أحدَ عشَرَ رجلًا ، وإحْدَى عشْرةَ امرأةً ، وثلاثِين صبيًّا ، فقَدِم رؤساؤهم بسببِ أُسرائِهم ، ويقالُ : قَدِم منهم تسعون أو ثمانون رجلًا فى ذلك ، منهم ؛ عُطارِدٌ ، والزِّبْرِقانُ ، وقيسُ بنُ عاصمٍ ، وقيسُ بنُ

---

(١) فى الأصل ، والدلائل : « أذنيه » .

(٢) فى الدلائل : « الولد » .

(٣) فى ص : « سخطت » .

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٢٩٣، ٢٩٤.

الحارثِ ، ونُعَيْمُ بنُ سعدٍ ، والأقرعُ بنُ حابسٍ ، ورِياحُ[1] بنُ الحارثِ ، وعمرُو بنُ الأهتمِ ، فدخَلوا المسجدَ وقد أذَّن بلالٌ الظهرَ ، والناسُ يَنتَظِرون رسولَ اللَّهِ ﷺ ليخرُجَ إليهم ، فعَجَّل هؤلاء ، فنادَوْه مِن وراءِ الحُجُراتِ ، فنزَل فيهم ما نزَل . ثم ذكَر الواقديُّ خطيبَهم وشاعرَهم ، وأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أجازهم على كلِّ رجلٍ اثْنَتَيْ عشْرَةَ أُوقيَّةً ونَشًّا ، إلا عمرَو بنَ الأهتمِ ، فإنما أُعْطِيَ خمسَ أواقٍ لحداثةِ سنِّه . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ونزَل فيهم مِن القرآنِ قولُه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٤، ٥] .

قال ابنُ جريرٍ[3] : حدَّثنا أبو عمارٍ الحسينُ بنُ حُرَيْثٍ المَرْوَزِيُّ ، حدَّثنا الفضلُ بنُ موسى ، عن الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البرَاءِ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ . قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا محمدُ ، إن حَمْدِى زَيْنٌ ، وذَمِّى شَيْنٌ . فقال : « ذاك اللَّهُ عزَّ وجلَّ » . وهذا إسنادٌ جيدٌ متصلٌ .

وقد رُوِىَ عن [٣/ ٢١٩و] الحسنِ البصرىِّ وقتادةَ مرسلًا عنهما[4] ، وقد وقَع تسميةُ هذا الرجلِ ؛ فقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا موسى ابنُ عقبةَ ، عن أبى سلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن الأقرعِ بنِ حابسٍ أنه نادَى رسولَ

---

(١) فى النسخ : « رباح » . والمثبت من الطبقات . وانظر الإصابة ٢/ ٥٠٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٧.
(٣) تفسير الطبرى ٢٦/ ١٢١.
(٤) المصدر السابق ٢٦/ ١٢٢.
(٥) المسند ٦/ ٣٩٣، ٣٩٤.

اللَّهِ ﷺ فقال : يا محمدُ ، يا محمدُ - وفى روايةٍ : يا رسولَ اللَّهِ - فلم يُجِبْه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن حمدى لَزَيْنٌ ، وإن ذمِّى لَشَيْنٌ . فقال : « ذاك اللَّهُ عزَّ وجلَّ » .

[1] حديثٌ فى فضلِ بنى تميمٍ

قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا زُهَيرُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى هريرةَ قال : لا أزالُ أحِبُّ بنى تميمٍ بعدَ ثلاثٍ سمِعْتُهن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُها فيهم : « هم أشدُّ أمَّتى على الدَّجّالِ » . وكانت فيهم سَبِيَّةٌ عندَ عائشةَ فقال : « أعتقِيها ؛ فإنها مِن ولدِ إسماعيلَ » . وجاءَتْ صَدَقاتُهم فقال : « هذه صدقاتُ قومِ - أو : قومى - » . وهكذا رَواه مسلمٌ ، عن زُهَيْرِ بنِ حربٍ به[3] .

وهذا الحديثُ يَرُدُّ على[4] ما ذكَره صاحبُ « الحَماسةِ »[5] وغيرُه مِن شعرِ مَن ذمَّهم ، حيث يقولُ[6] :

تَميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِن القَطَا ... ولو سلكَت طُرْقَ الرَّشادِ لَضَلَّتِ
ولو أنَّ بُرْغوثًا على ظهرِ قَمْلةٍ ... رأَتْه تميمٌ مِن بعيدٍ لَوَلَّتِ[1]

(١ - ١) سقط من : ا٤، ص .
(٢) البخارى (٤٣٦٦) .
(٣) مسلم (٢٥٢٥/٠٠) .
(٤) بعده فى الأصل ، م : « قتادة » . وليس لذكره معنى هنا .
(٥) وهو هبة اللَّه بن على بن حمزة العلوى الحسنى ، أبو السعادات ، المعروف بابن الشجرى .
(٦) البيتان فى الحماسة الشجرية ، ضمن قصيدة للطِّرِماح بن حكيم . الحماسة الشجرية ١/ ٤٣٨، ٤٣٩ .

وفدُ بنى عبدِ القيسِ

ثم قال البخاريُّ[1] بعدَ وفدِ بنى تميم: بابُ وفدِ عبدِ القيسِ، حدثَّنا إسحاقُ[2]، حدثَّنا أبو عامرٍ العَقَدِيُّ، حدَّثنا قُرَّةُ، عن أبى جَمْرَةَ[3] قال: قلتُ لابنِ عباسٍ: إنَّ لى جَرَّةً يُنْتَبَذُ لى فيها نَبِيذٌ[4]، فأشرَبُه حُلْوًا فى جَرٍّ[5]، إن أكثَرْتُ منه فجالَسْتُ القومَ فأطَلْتُ الجلوسَ، خَشِيتُ أن أَفْتَضِحَ. فقال: قَدِم وفدُ عبدِ القيسِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «مرحبًا بالقومِ غيرَ خَزايا، ولا النَّدَامى». فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ بيننا وبينَك المشركين مِن مُضَرَ، وإنَّا لا نَصِلُ إليك إلَّا فى الشهرِ الحرامِ، فحَدِّثْنا بجُمَلٍ[6] مِن الأمرِ إن عَمِلْنا به دَخَلْنا الجنةَ، ونَدْعُو به مَن وراءَنا. قال: «آمُرُكم بأربعٍ، وأنْهَاكم عن أربعٍ؛ الإيمانُ باللَّهِ، هل تدرُون ما الإيمانُ باللَّهِ؟ شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصومُ رمضانَ، وأن تُعْطُوا مِن المَغانمِ الخُمُسَ، وأنهَاكم عن أربعٍ؛ ما يُنْتَبَذُ فى الدُّبَّاءِ والنَّقِيرِ والحَنْتَمِ والمُزَفَّتِ[7]». [٣/ ٢١٩ظ] وهكذا رَواه مسلمٌ

---

(١) البخارى (٤٣٦٨).

(٢) فى الأصل، م: «أبو إسحاق». وهو خطأ. وإسحاق هو إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَدٍ الحَنْظَلِيُّ، أبو يعقوب المروزى المعروف بابن راهويه. انظر تهذيب الكمال ٢/ ٣٧٣.

(٣) فى ا ٤: «حمرة». وفى م، ص: «حمزة». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٦٢.

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) الجَرّ والجِرار: جمع جَرَّة؛ وهو الإناء المعروف من الفَخَّار. وقوله: «فى جر» يتعلق بـ«جرة»، وتقديره: إن لى جرةً كائنةً فى جملة جرارٍ. انظر النهاية ١/ ٢٦٠، وفتح البارى ٨/ ٨٦.

(٦) فى م: «بجميل».

(٧) الدباء: القَرْع، واحدها دُبَّاءَة، كانوا ينتبذون فيها فتُسرع الشِّدَّةُ فى الشراب. والنقير: أصل النخلة، يُنْقَر وسَطه ثم يُنْبَذ فيه التمر، ويُلقَى عليه الماء ليصير نبيذًا مسكرًا. والحنتم: جِرار مدهونةٌ =

[1] مِن حديثِ قُرَّةَ بنِ خالدٍ، عن أبى جَمْرَةَ[2] به[3][1]، وله طرقٌ فى «الصحيحيْن» عن أبى جَمْرة[4].

وقال أبو داوَد الطيالسىُّ فى «مسندِه»[5]: حدَّثَنا شُعْبةُ، عن أبى جَمْرَةَ، سمِعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ: إنَّ وفدَ عبدِ القيسِ لمَّا قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: «مِمَّن القومُ؟» قالوا: مِن رَبيعةَ. قال: «مرحبًا بالوفدِ غيرِ [6]الخَزايا ولا النَّدامى[6]». فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّا حىٌّ مِن رَبيعةَ، وإنَّا نَأْتِيك مِن[7] شُقَّةٍ بعيدةٍ، وإنَّه يَحُولُ بينَنا وبينَك هذا الحىُّ مِن كفارِ مُضَرَ، وإنّا لا نَصِلُ إليك إلَّا فى شهرٍ حرامٍ، فمُرْنا بأمرٍ فَصْلٍ نَدْعُو إليه مَن وراءَنا ونَدْخُلُ به الجنةَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «آمُرُكم بأربعٍ وأنْهَاكم عن أربعٍ؛ آمُرُكم بالإيمانِ باللَّهِ وحدَه، أتدرُون ما الإيمانُ باللَّهِ؟ شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصومُ رمضانَ، وأن تُعْطُوا مِن المَغانمِ الخُمُسَ، وأنهَاكم عن أربعٍ؛ عن الدُّبَّاءِ والحَنْتَمِ والنَّقِيرِ والمُزَفَّتِ - وربما قال: والمُقَيَّرِ - فاحْفَظُوهُنَّ

= خُضْرٌ، كانت تُحمَل الخمر فيها إلى المدينة، ثم اتُّسِع فيها فقيل للخزف كله: حنتم. واحدتها حَنْتَمة. وإنما نُهى عن الانتباذ فيها؛ لأنها تُسرع الشدَّةُ فيها لأجل دَهْنها، وقيل: لأنها كانت تُعمل من طين يُعجن بالدم والشعر فنُهى عنها ليُمتَنَع مِن عَمَلها. والأول الوجه. والمزفت: هو الإناء الذى طُلِىَ بالزِّفْت وهو نوع من القار، ثم انْتُبِذ فيه. انظر النهاية ١/ ٤٤٨، ٢/ ٩٦، ٣٠٤، ٥/ ١٠٤. وفتح البارى ١/ ١٢٩ - ١٣٥.

(١ - ١) سقط من: ا ٤.

(٢) فى م، ص: «حمزة».

(٣) سقط من: م. والحديث فى صحيح مسلم (١٧/٢٥).

(٤) فى م، ص: «حمزة». وانظر طرق الحديث فى البخارى (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥، ٣٥١٠، ٤٣٦٩، ٦١٧٦، ٧٢٦٦، ٧٥٥٦)، ومسلم (٢٣، ١٧/٢٤)، ومسلم أيضًا (١٧/٣٩) باب النهى عن الانتباذ فى المزفت ...، من كتاب الأشربة.

(٥) مسند أبى داود (٢٧٤٧).

(٦ - ٦) فى المسند: «خزايا ولا ندامى».

(٧) سقط من: الأصل، م.

وادْعُوا إليهن مَن وراءَكم » . وقد أخْرَجه صاحِبا « الصحيحيْن » مِن حديثِ شعبةَ بنحوِه[1] . وقد رَواه مسلمٌ[2] مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قتادةَ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ بحديثِ قِصَّتِهم بمثلِ هذا السياقِ ، وعندَه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأشَجِّ عبدِ القيسِ : « إنَّ فيك لَخَلَّتيْن يُحِبُّهما اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ؛ الحِلْمُ والأناةُ » . وفى روايةٍ[3] : « يُحِبُّهما اللَّهُ ورسولُه » . [4]فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تَخَلَّقْتُهما أم جَبَلَنىَ اللَّهُ عليهما ؟ فقال : « بل جَبَلَك اللَّهُ عليهما » . فقال : الحمدُ للَّهِ الذى جَبَلَنى على خُلُقَيْن يُحِبُّهما اللَّهُ ورسولُه[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ ، حدَّثنا مطرُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، سمِعتُ هندَ بنتَ الوازعِ تقولُ[6] : إنَّها سمِعَت الوازعَ يقولُ : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ والأشجُّ المنذرُ بنُ عامرٍ[7] ، أو عامرُ بنُ المنذرِ ، ومعهم رجلٌ مصابٌ ، فانتَهَوْا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رأَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ وَثَبُوا مِن رَواحلِهم ، فأتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقبَّلُوا يدَه ، ثُم نَزَل الأشَجُّ فعَقَل راحلتَه ، وأخرَج عَيْبَتَه[8] ففَتَحها ، فأخْرَج ثوبَيْن أبيضَيْن مِن ثيابِه فلَبِسَهما ، ثُم أتَى رَواحلَهم فعَقَلها ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٢٢٠و] فقال : « يا أشجُّ ، إنَّ فيك خَصْلَتَيْن

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة حاشية (٤) .

(٢) مسلم (١٨) .

(٣) أخرج هذه الرواية البخارى فى الأدب المفرد (٥٨٧) بنحوها . ضعيف الإسناد (ضعيف الأدب المفرد ٩٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/٩ ، وعزاه إلى الإمام أحمد ، وقال : فيه هند بنت الوازع ولم أعرفها ، وبقية رجاله ثقات .

(٦) زيادة ليستقيم السياق .

(٧) كذا فى النسخ . وفى المجمع : « عاصم » .

(٨) العَيْبَة : وعاء من أدَم ونحوه يكون فيه المتاع . الوسيط (ع ى ب) .

يُحِبُّهما اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، ورسولُه ؛ الحِلْمُ والأَناةُ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا تَخَلَّقْتُهما أو جبَلَنىَ اللَّهُ عليهما ؟ فقال : « بل اللَّهُ جَبَلك عليهما » . قال : الحمدُ للَّهِ الذى جَبَلَنى على خُلُقيْن يُحِبُّهما اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، ورسولُه . فقال الوازعُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ معى خالًا لى مُصابًا ، فادْعُ اللَّهَ له . فقال : « أين هو ؟ ائْتِنِى به » . قال : فصَنَعْتُ مثلَ ما صنَع الأشَجُّ ؛ ألْبَسْتُه ثوبَيْه ، وأتَيْتُه ، فأخَذَ طائفةً[1] مِن رِدائِه[2] يرفَعُها حتى رَأَيْنا بياضَ إبطِه ، ثم ضَرَب بظَهْرِه فقال : « اخْرُجْ عدوَّ اللَّهِ » . فوَلَّى وجهَه وهو يَنْظُرُ بنَظَرِ رجلٍ صحيحٍ .

وروَى الحافظُ البيهقىُّ[3] ، مِن طريقِ هُودِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدٍ[4] ، أنه سمِع جدَّه مَزِيدَةَ العَصَرِىَّ[5] قال : بينما رسولُ اللَّهِ ﷺ يحدِّثُ أصحابَه إذ قال لهم : « سيَطْلُعُ مِن هـٰهنا رَكْبٌ هم خيرُ أهلِ المشرقِ » . فقام عمرُ فتَوَجَّه نحوَهم ، فلَقِىَ[6] ثلاثةَ عشَرَ راكبًا ، فقال : مَنِ القومُ ؟ قالوا : مِن بنى عبدِ القيسِ . قال : فما أقدَمَكم هذه البلادَ ؟ التجارةُ ؟ قالوا : لا . قال : أمَا إنَّ النبىَّ ﷺ قد ذَكَرَكم آنفًا فقال خيرًا . ثُم مشَوا معه حتى أتَوُا النبىَّ ﷺ فقال عمرُ للقومِ : هذا صاحبُكم الذى تُريدون . فرَمَى القومُ بأنفُسِهم عن رَكائِبِهم ، فمنهم مَن مَشَى ، ومنهم مَن هَرْوَل ، ومنهم مَن سَعَى ، حتى أتَوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأخَذُوا بيدِه فقَبَّلُوها ، وتَخَلَّف الأشَجُّ فى الرِّكابِ حتى أناخَها ، وجَمَع متاعَ القومِ ، ثُم جاء

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المجمع .

(٢) فى م : « ورائه » . والمعنى أن الوازع ألبس خالَه ثوبين ، ثم أتى به النبى ﷺ فرفع النبى ﷺ بعض رداء خال الوازع .

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٤) فى الدلائل : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٢١.

(٥) فى م : « العبدى » . وهو يُنسب إلى كلتا النسبتين . انظر المصدر السابق .

(٦) فى الأصل ، م : « فتلقى » .

يَمْشِى حتى أخَذ بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقبَّلَها ، فقال النبىُّ ﷺ : « إنَّ فيك خَلَّتَيْن يُحِبُّهما اللَّهُ ورسولُه » . قال : جَبْلٌ جُبِلْتُ عليه[1] أم تَخَلُّقٌ منى ؟ قال : « بل جَبْلٌ » . فقال : الحمدُ للَّهِ الذى جَبَلَنى على ما يُحِبُّ اللَّهُ ورسولُه .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : وقَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ الجارودُ بنُ عمرِو بنِ حَنَشٍ ، أخو عبدِ القيسِ . قال ابنُ هشامٍ[2] : هو الجارودُ بنُ بِشرِ بنِ المُعَلَّى فى وفدِ عبدِ القيسِ ، وكان نصرانيًّا .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن الحسنِ قال : لمَّا انْتَهَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ كلَّمه ، فعَرَض عليه الإسلامَ ، ودعاه إليه ، ورَغَّبه فيه ، فقال : يا محمدُ ، إنِّى كنتُ على دينٍ ، وإنِّى تاركٌ دينى لدينِك ، أفتَضْمَنُ لى دينى ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نعم ، أنا ضامنٌ أن قد هدَاك اللَّهُ إلى ما هو خيرٌ منه » . قال : فأسْلَم وأسلَم أصحابُه ، [٣/ ٢٢٠ظ] ثُم سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ الحُمْلانَ ، فقال : « واللَّهِ ما عندِى ما أحمِلُكم عليه » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ بينَنا وبينَ بلادِنا ضَوالَّ مِن ضَوالِّ الناسِ ، أفنَتَبَلَّغُ عليها إلى بلادِنا ؟ قال : « لا ، إيَّاك وإيَّاها ، فإنَّما تلك حَرَقُ النارِ[4] » . قال : فخرَج الجارودُ راجعًا إلى قومِه ، وكان حسَنَ الإسلامِ صُلْبًا على دينِه ، حتى هلَك وقد أدْرَك الرِّدَّةَ ، فلمَّا رَجَعَ مِن قومِه مَن كان أَسلَم منهم إلى دينِهم الأوَّلِ مع الغَرُورِ بنِ المنذرِ بنِ النعمانِ بنِ المنذرِ ، قام الجارودُ فتَشَهَّد شهادةَ الحقِّ ودعا إلى الإسلامِ ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنِّى أشهَدُ أن لا إلهَ إلا

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٧٥، ٥٧٦.

(٤) حرق النار : لهبُها . انظر النهاية ١/ ٣٧١.

اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأُكَفِّرُ مَن لم يَشْهَدْ . وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ بَعَث العَلاءَ بنَ الحَضْرَمىِّ قبلَ فتحِ مكةَ إلى المنذرِ بنِ ساوَى العَبْدِىِّ ، فأسْلَم فحسُن إسلامُه ، ثُم هَلَك بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ رِدَّةِ أهلِ البحرينِ ، والعَلاءُ عندَه أميرًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ على البحرينِ .

ولهذا روَى البخارىُّ[1] مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ طَهْمانَ ، عن أبى جَمْرَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أولُ جُمُعةٍ [2]جُمِّعَتْ - بعدَ جُمُعةٍ[2] جُمِّعَتْ فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - فى مسجدِ عبدِ القيسِ بجُوَاثَى[3] مِن البحرَيْنِ .

وروَى البخارىُّ[4] ، عن أمِّ سلمةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَّر الرَّكعتَيْن بعدَ الظهرِ بسببِ وفدِ عبدِ القيسِ ، حتى صلَّاهما بعدَ العصرِ فى بيتِها .

قلتُ : لكنْ فى سياقِ ابنِ عباسٍ ما يدلُّ على أنَّ قدومَ وفدِ عبدِ القيسِ كان قبلَ فتحِ مكةَ ؛ لقولِهم : وبينَنا وبينَك هذا الحىُّ مِن مُضَرَ ، لا نَصِلُ إليك إلَّا فى شهرٍ حرامٍ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) البخارى (٨٩٢، ٤٣٧١) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م : « بحوانا » .

(٤) البخارى (٤٣٧٠) مطولًا .

قصةُ ثُمامةَ ووفدِ بنى حَنِيفةَ ومعهم مُسَيْلِمةُ الكذَّابُ، (١لَعَنَه اللَّهُ١)

قال البخاريُّ[٢] : بابُ وفدِ بنى حَنِيفةَ وقصةِ ثُمامةَ بنِ أُثالٍ ؛ حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ يوسفَ ، حدَّثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ ، أنَّه[٣] سَمِع أبا هريرةَ قال : بَعَث النبىُّ ﷺ خيلًا قِبَلَ نجدٍ ، فجاءتْ برجلٍ مِن بنى حَنِيفةَ يُقالُ له : ثُمامةُ بنُ أُثالٍ . فرَبَطُوه بساريةٍ مِن سَوارِى المسجدِ ، فخرَج إليه النبىُّ ﷺ فقال : « ما عندَك يا ثُمامةُ ؟ » قال : عندى خيرٌ يا محمدُ ، إن تَقْتُلْنى تَقْتُلْ ذا دمٍ[٤] ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ ، وإن كنتَ تريدُ المالَ فسَلْ منه ما شئتَ . فتَرَكَه حتى كان الغدُ ، ثم قال له : « ما [٣/ ٢٢١و] عندَك يا ثُمامةُ ؟ » فقال : عندِى ما قلتُ لك : إن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ . فتَرَكه حتى بعدِ الغدِ فقال : « ما عندَك يا ثُمامةُ ؟ » فقال : عندِى ما قلتُ لك . فقال : « أَطْلِقُوا ثُمامةَ » . فانْطَلَق إلى نخلٍ قريبٍ مِن المسجدِ ، فاغْتَسَل ثُم دخَل المسجدَ ، فقال : أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، يا محمدُ ، واللَّهِ ما كان على وجهِ الأرضِ وجهٌ أبغضَ إلىَّ مِن وجهِك ، فقد أصْبَحَ وجهُك أحَبَّ الوجوهِ إلىَّ ، واللَّهِ ما كان دِينٌ أبغضَ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ص .

(٢) البخارى (٤٣٧٢) .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٤) قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم ١٢/ ٨٧، ٨٨: قوله : إن تقتل تقتل ذا دم . اختلفوا فى معناه ؛ فقال القاضى عياض فى المشارق ، وأشار إليه فى شرح مسلم : معناه إن تقتلْ تقتلْ صاحبَ دمٍ ؛ لدمِه موقعٌ يَشتفى بقتْله قاتلُه ، ويُدرك قاتلُه به ثأرَه ، أى لرياسته وفضيلته ، وحُذف هذا ؛ لأنهم يفهمونه فى عُرفهم . وقال آخرون : معناه تقتل مَن عليه دم ومطلوب به ، وهو مستحَقٌّ عليه ، فلا عتْبَ عليك فى قتله . انتهى كلام الإمام النووى .

إلىَّ مِن دينِك ، فأصبَح دِينُك أحبَّ الدينِ إلىَّ ، واللَّهِ ما كان مِن بلدٍ أبغضَ إلىَّ مِن بلدِك ، فأصْبَح بلدُك أحبَّ البلادِ إلىَّ ، وإنَّ خيلَك أخَذَتْنى وأنا أريدُ العُمْرةَ ، فماذا ترَى ؟ فبشَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأمَره أن يَعْتَمِرَ ، فلمَّا قدِم مكةَ قال له قائلٌ : صَبَوْتَ[1] ؟ قال : لا ، ولكنْ أسلَمْتُ مع محمدٍ ﷺ ، ولا واللَّهِ لا يأتِيكم مِن اليَمامةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حتى يَأْذَنَ فيها النبىُّ ﷺ . وقد رَواه البخارىُّ فى موضعٍ آخرَ ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنسائىُّ ، كلُّهم عن قُتَيبةَ ، عن الليثِ به[2] . وفى ذِكْرِ البخارىِّ هذه القصةَ فى الوفودِ نظرٌ ؛ وذلك أنَّ ثُمامةَ لم يَفِدْ بنفسِه ، وإنَّما أُسِر وقُدِم به فى الوَثاقِ ، فرُبِط بساريةٍ مِن سوارِى المسجدِ . ثُم فى ذِكْرِه مع الوفودِ سنةَ تسعٍ نظرٌ آخرُ ؛ وذلك أن الظَّاهرَ مِن سياقِ قصتِه أنَّها قُبَيْلَ الفتحِ ؛ لأنَّ أهلَ مكةَ عَيَّرُوه بالإسلامِ ، وقالوا : أصَبَوْتَ ؟ فتَوَعَّدَهم بأنَّه لا يَفِدُ إليهم مِن اليَمامةِ حَبَّةُ حِنْطةٍ مِيرةً ، حتى يَأْذَنَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فدَلَّ على أنَّ مكةَ كانت إذ ذاك دارَ حربٍ لم يُسْلِمْ أهلُها بعدُ . واللَّهُ أعلمُ . ولهذا ذكَر الحافظُ البيهقىُّ[3] قصةَ ثُمامةَ بنِ أُثالٍ قبلَ فتحِ مكةَ ، وهو أشبَهُ ، ولكنْ ذَكَرْناه هـٰهنا اتِّباعًا للبخارىِّ ، رَحِمه اللَّهُ .

وقال البخارىُّ[4] : حدَّثنا أبو اليَمانِ ، ثنا شُعَيبٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حُسينٍ ، ثنا نافعُ بنُ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قدِم مُسَيْلِمَةُ الكذَّابُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجعَل يقولُ : إن جَعَل لى محمدٌ الأمرَ مِن بعدِه ، اتَّبَعْتُه .

---

(١) هى لغة ، والمشهور بالهمز . وعلى الأول جاء قولهم : الصُّباة . كقاضٍ وقُضاة . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ٨٩، ٩٠.

(٢) البخارى (٤٦٩، ٢٤٢٢)، ومسلم (١٧٦٤/٥٩)، وأبو داود (٢٦٧٩)، والنسائى (١٨٩، ٧١١).

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٧٨ - ٨١.

(٤) البخارى (٤٣٧٣، ٤٣٧٤).

وقَدِمَها فى بَشَرٍ كثيرٍ مِن قومِه ، فأقْبَل إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ومعه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، وفى يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قطعةُ جَرِيدٍ ، حتى وقَف على مُسَيْلِمةَ فى [٣/ ٢٢١ظ] أصحابِه ، فقال[١] : « لو سَأَلْتَنى هذه القطعةَ ما أعْطَيْتُكَها[٢] ، ولن تَعْدُوَ أمرَ اللَّهِ فيك ، ولَئن أدْبَرْتَ ليَعْقِرَنَّك اللَّهُ ، وإنى لَأُراكَ الذى [٣]أُرِيتُ فيه ما رَأَيْتُ[٣] ، وهذا ثابتٌ يُجِيبُك عنى » . ثُم انْصَرَف عنه . قال ابنُ عباسٍ : فسَأَلْتُ عن قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « إنَّك أُرَى[٤] الذى [٥]أُرِيتُ فيه ما أُرِيتُ »[٥] . فأخْبَرَنى أبو هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بينَا أنا نائمٌ ، رأيتُ فى يَدَىَّ سِوارَيْن مِن ذهبٍ ، فأهَمَّنى شأنُهما ، فأُوحِىَ إلىَّ فى المنامِ أن انْفُخْهُما ، فنَفَخْتُهما فطارا ، فأوَّلْتُهما كَذَّابَيْن يَخْرُجان بعدِى ؛ أحدُهما[٦] العَنْسىُّ ، والآخرُ مُسَيْلِمَةُ » .

ثُم قال البخارىُّ[٧] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ نصرٍ[٨] ، ثنا عبدُ الرزاقِ ، أخْبَرَنى مَعْمَرٌ ، عن [٩]هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ[٩] ، أنَّه سَمِع أبا هُريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بينَا أنا نائمٌ ، أُتِيتُ بخَزائنِ الأرضِ ، فوُضِع فى كَفِّى سِوارانِ مِن ذهبٍ ، فكَبُرا علىَّ ، فأُوحِىَ إلىَّ أنِ انْفُخْهما ، فنَفَخْتُهما فذَهَبا ، فأوَّلْتُهما الكذَّابَيْن اللذَيْن أنا بينَهما ؛ صاحبَ صَنْعاءَ ، وصاحبَ اليَمامةِ » .

---

(١) بعده فى م : « له » .
(٢) فى م : « أعطيتها » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ٤١ : « رأيت فيه ما رأيت » . وفى م : « رأيت فيه ما أريت » .
(٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥ - ٥) فى م : « رأيت فيه ما أريت » . وفى ص : « أريت فيه ما رأيت » .
(٦) بعده فى م : « الأسود » .
(٧) البخارى (٤٣٧٥) .
(٨) فى النسخ : « منصور » . والمثبت من البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٣٨٨.
(٩ - ٩) فى م : « هشام بن أمية » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٩٨.

(١ ثُم قال البخاريُّ (٢) : ثنا سعيدُ بنُ محمدٍ الجَرْميُّ ، ثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا أبى ، عن صالحٍ ، عن ابنِ (٣) عُبَيْدةَ بنِ (٤) نَشِيطٍ - وكان فى موضعٍ آخرَ اسمُه عبدُ اللَّهِ - أنَّ ١) عُبَيدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ قال : بَلَغَنا أنَّ مُسَيْلِمةَ الكذَّابَ قدِمَ المدينةَ ، فنَزَل فى دارِ بنتِ الحارثِ ، وكان تحتَه بنتُ الحارثِ بنِ كُرَيْزٍ ، وهى أمُّ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ (٥) بنِ كُرَيْزٍ ، فأتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ومعه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ - وهو الذى يقالُ له : خَطيبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وفى يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قَضِيبٌ ، فوَقَفَ عليه فكَلَّمَه ، فقال له مُسَيْلِمةُ : إن شئتَ خَلَّيْتُ بينك (٦) وبينَ الأمرِ ، ثُم جَعَلْتَه لنا بعدَك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو سَأَلْتَنى هذا القَضيبَ ما أعْطَيْتُكَه ، وإنِّى لأُراك الذى (٧) أُرِيتُ فيه ما أُرِيتُ (٧) ، وهذا ثابتُ بنُ قيسٍ وسيُجِيبُك عنى » . فانْصَرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال عُبَيدُ (٨) اللَّهِ : سألْتُ ابنَ عباسٍ عن رُؤْيا رسولِ اللَّهِ ﷺ التى (٩) ذَكَر ، فقال ابنُ عباسٍ : ذُكِر لى أنَّ

(١ - ١) فى ا ٤: « ورواه فى صحيحه من حديث » .

(٢) البخارى (٤٣٧٨، ٤٣٧٩) .

(٣) فى الأصل ، ص : « أبى » . وهو خطأ . وهو عبد اللَّه بن عُبيدة بن نَشيط الرَّبذى ، كما سيشير إليه البخارى فى الجملة التالية المعترضة . قال الحافظ ابن حجر : قوله : وكان فى موضع آخر اسمه عبد اللَّه . أراد بهذا أن ينبه على أن المبهم هو عبد اللَّه بن عبيدة لا أخوه موسى . وموسى ضعيف جدا وأخوه عبد اللَّه ثقة ، وكان عبد اللَّه أكبر من موسى بثمانين سنة . انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٦٣، وفتح البارى ٨/ ٩٢.

(٤) فى الأصل ، م : « عن » . وهو خطأ . انظر الحاشية السابقة .

(٥) فى النسخ : « الحارث » . والمثبت من البخارى . قال الحافظ : والذى وقع هنا - أى فى الصحيح - أنها أم عبد اللَّه بن عامر ، قيل : الصواب أم أولاد عبد اللَّه بن عامر ؛ لأنها زوجته لا أمه ، فإن أم ابن عامر ليلى بنت أبى حثمة العدوية . وهو اعتراض متجه . ولعله كان فيه أم عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن عامر فإن لعبد اللَّه بن عامر ولدا اسمه عبد اللَّه كاسم أبيه . فتح البارى ٨/ ٩٢.

(٦) فى الأصل : « بينى » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، م : « رأيت فيه ما رأيت » . وفى ا ٤: « أريت فيه ما رأيت » .

(٨) فى م : « عبد » .

(٩) فى النسخ : « الذى » . والمثبت من البخارى .

رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٢٢٢و] قال : « بينَا أنا نائمٌ ، رأيتُ أنَّه وُضِع فى يَدَىَّ سِوارانِ مِن ذهبٍ ، فَفَظِعْتُهما[١] وكَرِهْتُهما ، فأُذِن لى فنَفَخْتُهما فطارا ، فأوَّلْتُهما كذَّابَيْن [٢]يَخْرُجان[٢] » . فقال عُبَيدُ اللَّهِ : أحَدُهما العَنْسىُّ الذى قَتَلَه[٢] فَيْروزُ باليمنِ ، والآخرُ مُسَيْلِمةُ الكذَّابُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[٣] : قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدُ بنى حَنِيفةَ ، فيهم [٤]مُسَيْلِمَةُ بنُ حَبِيبٍ الكذَّابُ . وقال ابنُ هشامٍ[٣] : هو مُسَيلِمَةُ بنُ ثُمامَةَ ، ويُكَنَّى أبا ثُمامةَ .

وقال أبو[٥] القاسمِ السُّهَيْلىُّ : هو[٤] مُسَيْلمةُ بنُ ثُمامةَ بنِ كَبيرِ[٦] بنِ حَبيبِ ابنِ الحارثِ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ هِفَّانَ[٧] بنِ ذُهْلِ بنِ الدُّولِ[٨] بنِ حَنِيفةَ ، ويُكَنَّى أبا ثُمامةَ ، وقِيل : أبا هارونَ . وكان قد تَسَمَّى بالرحمنِ ، فكان يقالُ له : رحمنُ اليمامةِ . وكان عمرُه يومَ قُتِل مائةً وخمسِين سنةً ، وكان يَعْرِفُ أبوابًا مِن

---

(١) فى النسخ : « فقطعتهما » . والمثبت من البخارى . قال الحافظ : يقال : فظُع الأمر فهو فظيع . إذا جاوز المقدار . وقال ابن الأثير : الفظيع : الأمر الشديد ، وجاء هنا متعدِّيا ، والمعروف : فظِعت به وفظِعت منه ، فيحتمل التعدية على المعنى ؛ أى خفتهما ، أو معنى فظعتهما : اشتد علىَّ أمرهما . فتح البارى ٨/ ٩٣. وانظر النهاية ٣/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ٤١ ، م .

(٥) فى ص : « ابن » . وهو خطأ . والمثبت من شذرات الذهب ٤/ ٢٧١. وانظر كلام السهيلىّ فى الروض الأنف ٧/ ٤٤٢ - ٤٤٤.

(٦) فى الأصل، ٤١، م : « كثير » . وكذا ورد « كثير » فى جمهرة أنساب العرب ص ٣١٠.

(٧) فى الأصل : « حماز » . وفى م : « هماز » . وفى ص : « همان » . والمثبت من الروض .

(٨) فى الأصل، م : « الزول » . وفى ص : « المرول » . والمثبت من الروض .

النِّيرَجاتِ[1] ؛ فكان يُدخِلُ البيضةَ إلى القارورةِ ، وهو أوَّلُ مَن فَعَل ذلك ، وكان يَقُصُّ جناحَ الطيرِ ثم يَصِلُه[2] ، ويَدَّعِى أن ظَبْيَةً تَأْتِيه مِن الجبلِ فيَحْلِبُ لبنَها[3] .

قلتُ : وسنذكُرُ أشياءَ مِن خبرِه عندَ ذِكْرِ مقتلِه ، لعَنه اللَّهُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان منزلُهم فى دارِ بنتِ الحارثِ ، امرأةٍ مِن الأنصارِ ، ثُم مِن بنى النَّجّارِ ، فحدَّثنى بعضُ علمائِنا مِن أهلِ المدينةِ أنَّ بنى حَنِيفةَ أتَتْ به رسولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتُرُه بالثِّيابِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى أصحابِه ، معه عَسِيبٌ[5] مِن سَعَفِ النخلِ فى رأسِه خُوصاتٌ ، فلمَّا انْتَهى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهم يستُرُونه بالثِّياب كلَّمه وسَأَلَه ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو سَأَلْتَنى هذا العَسِيبَ ما أعْطَيْتُكَه » . قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى شيخٌ مِن بنى حَنيفةَ مِن أهلِ اليَمامةِ ، أنَّ حديثَه كان على غيرِ هذا ، وزَعَم أنَّ وفدَ بنى حَنيفةَ أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، خَلَّفُوا مُسَيْلِمةَ فى رِحالِهم ، فلمَّا أسلموا ذَكَروا مكانَه فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّا قد خَلَّفْنا صاحبًا لنا فى رِحالِنا وفى رَكائِبِنا يحفظُها لنا . قال : فأمَر له رسولُ اللَّهِ ﷺ بمِثْلِ ما أمَر به للقومِ ، وقال : « أمَا إنَّه ليس بشَرِّكم مكانًا » . أى لحِفْظِه ضَيْعَةَ أصحابِه ، ذلك الذى يريدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : ثُم

---

(١) كذا فى النسخ . وفى الروض : « نيروجات » . والنِّيرَج : أُخَذٌ تشبِه السِّحْر ، وليست بحقيقته ، ولا كالسحر ، إنما هو تشبيه وتلبيس . لسان العرب (ن ر ج) .

(٢) الذى فى الروض أنه أول من وصل جناح الطائر المقصوص .

(٣) فى الأصل ، م : « منها » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٦.

(٥) العسيب : جريدة النخل . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٠.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٦، ٥٧٧.

انْصَرَفوا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجاءُوا مُسَيْلِمةَ بما أعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا انتَهَوا إلى اليَمامةِ ارْتَدَّ عدوُّ اللَّهِ وتَنَبَّأَ وتَكَذَّب لهم ، وقال : إنِّى قد أُشْرِكْتُ فى الأمرِ معه . وقال لوفدِه [٣/٢٢٢ظ] الذين كانوا معه : ألم يَقُلْ لكم حينَ ذَكَرْتُمونى له : « أمَا إنَّه ليس بشَرِّكم مكانًا ؟ » ما ذاك إلَّا لِمَا كان يَعْلَمُ أنِّى قد أُشْرِكْتُ فى الأمرِ معه . ثُم جعل يَسْجَعُ لهم السَّجَعاتِ[١] ، ويقولُ لهم فيما يقولُ ؛ مُضاهاةً للقرآنِ : لقد أنْعَم اللَّهُ على الحُبْلَى ، أخْرَج منها نَسَمةً تَسْعَى ، مِن بينِ صِفاقٍ[٢] وَحَشَا . وأحَلَّ[٣] لهم الخمرَ والزنا ، ووَضَع عنهم الصلاةَ ، وهو مع هذا يشْهَدُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ بأنَّه نبىٌّ ، فأَصْفَقَتْ[٤] معه بنو حَنيفةَ على ذلك . قال ابنُ إسحاقَ[٥] : فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

وذَكَر السُّهَيْلِىُّ[٦] وغيرُه أنَّ الرَّجّالَ[٧] ابنَ عُنْفُوَةَ ، واسمُه نَهارُ بنُ عُنْفُوَةَ ، كان قد أسْلَم وتعَلَّم شيئًا مِن القرآنِ ، وصَحِب رسولَ اللَّهِ ﷺ مدةً ، وقد مَرَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو جالسٌ مع أبى هُريرةَ وفُراتِ بنِ حَيَّانَ ، فقال لهم : « أحدُكم ضِرْسُه فى النارِ مثلُ أُحُدٍ » . فلم يَزالا خائفَيْن حتى ارتدَّ الرَّجّالُ مع مُسَيْلِمةَ ، وشَهِد له زُورًا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَشْرَكه فى الأمرِ معه ، وألْقَى إليه شيئًا ممَّا كان

---

(١) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « السجائع » . والمثبت لفظ إحدى نسخ السيرة .

(٢) الصفاق : ما رَقَّ من البطن . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٠ .

(٣) أى مسيلمة الكذاب ، لعنه اللَّه .

(٤) أصفقت : اجتمعت . انظر الوسيط (ص ف ق) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٧ .

(٦) الروض الأنف ٧/ ٤٤٣ .

(٧) فى النسخ والروض : « الرحال » بالحاء ، قال صاحب القاموس : ووَهم مَن ضبطه - أى الرجّالَ - بالحاء . القاموس المحيط (ر ج ل) . انظر الإكمال ٤/ ٣١ ، ٣٢ ، وتبصير المنتبه ٢/ ٥٩٣ .

يَحْفَظُه مِن القرآنِ ، فادَّعاه مُسَيْلِمةُ لنفسِه ، فحصَل بذلك فتنةٌ عظيمةٌ لبنى حَنِيفةَ ، وقد قتَله زيدُ بنُ الخطابِ يومَ اليَمامةِ ، كما سيأتى .

قال السهيلىُّ[1] : وكان مؤذِّنُ مُسَيْلِمةَ يقالُ له : حُجَيْرٌ . وكان مُدَبِّرُ الحربِ بينَ يديه مُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيْلِ ، وأُضِيف إليهم سَجَاحُ ، وكانت تُكَنَّى أُمَّ صادِرٍ ، تَزَوَّجَها مُسَيْلِمةُ ، وله معها أخبارٌ فاحشةٌ ، واسمُ مُؤَذِّنِها زهيرُ بنُ عمرٍو ، وقِيل : جَنَبَةُ بنُ طارقٍ . ويقالُ : إن شِبْثَ بنَ رِبْعِىٍّ أذَّن لها أيضًا ، [2]ثُم أسْلَم[2] . وقد أسْلَمَت هى أيضًا أيامَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فحَسُن إسلامُها .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[3] ، عن ابنِ إسحاقَ : وقد كان مُسَيْلِمةُ بنُ حَبيبٍ كَتَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ : مِن مُسَيْلِمةَ رسولِ اللَّهِ إلى محمدٍ رسولِ اللَّهِ ، سلامٌ عليك ، أمَّا بعدُ ، فإنِّى قد أُشْرِكْتُ فى الأمرِ معك ، فإنَّ لنا نصفَ الأمرِ ، ولقُرَيشٍ نصفَ الأمرِ ، ولكنَّ قريشًا قومٌ يَعْتَدُون[4] . فقَدِم عليه رسولانِ بهذا الكتابِ ، فكتَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى مُسَيْلِمةَ الكذَّابِ ، سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدَى ، أمَّا بعدُ ، فإنَّ الأرضَ للَّهِ يُورِثُها مَن يشاءُ مِن عبادِه ، والعاقبةُ للمتقين » . [٣/ ٢٢٣و] قال : وكان ذلك فى آخرِ سنةِ عشْرٍ . يعنى ورودَ هذا الكتابِ[5] .

---

(١) الروض الأنف ٧/ ٤٤٤، ٤٤٥.

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى الروض .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٣١، ٣٣٢، من طريق يونس به مطولًا .

(٤) فى م : « لا يعتدون » .

(٥) بعده فى ا ٤ : « وقد روى البخارى قصة هذا الكتاب فى صحيحه » . وبعده فى ص : « وقد روى البخارى قصة هذا الكتاب فى صحيحه فقال » . وهذا خطأ ؛ فلم يروه البخارى فى صحيحه . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٣٣. وإنما رواه أبو داود فى سننه (٢٧٦١) ، من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق به . وهى الطريق الآتية بعد . وحديث أبى داود صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٩٩) .

قال يونسُ بنُ بُكيرٍ[1] ، عن ابنِ إسحاقَ : فحدَّثنى سعدُ بنُ طارقٍ ، عن سَلَمةَ بنِ نُعَيْمِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيه قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، حينَ جاءَه رَسُولَا مُسَيْلِمةَ الكذَّابِ بكتابِه ، يقولُ لهما : « وأنتما تقولان مثلَ ما يقولُ ؟ » قالا : نعم . فقال : « أمَا واللَّهِ لولا أنَّ الرسلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أعناقَكما » .

وقال أبو داودَ الطيالسىُّ[2] : حدَّثنا المَسْعُودىُّ ، عن عاصمٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : جاء ابنُ النَّوَّاحةِ وابنُ أُثالٍ رسولَيْن لمُسَيْلِمةَ الكذَّابِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لهما : « أتَشْهَدانِ أنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ » فقالا : نَشْهَدُ أنَّ مُسَيْلِمةَ رسولُ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آمَنْتُ باللَّهِ ورسلِه ، ولو كنتُ قاتلًا رسولًا لَقَتَلْتُكما » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : فمَضَتِ السُّنَّةُ بأنَّ الرسلَ لا تُقْتَلُ . قال عبدُ اللَّهِ : فأمّا ابنُ أُثالٍ فقد كَفاه اللَّهُ ، وأمَّا ابنُ النَّوَّاحةِ فلم يَزَلْ فى نفسى منه[3] حتى أمْكَنَ اللَّهُ منه .

قال الحافظُ البيهقىُّ[4] : أمَّا أسامةُ بنُ أُثالٍ فإنَّه أسْلَم ، وقد مضَى الحديثُ فى إسلامِه ، وأمَّا ابنُ النَّوَّاحةِ ، فأخْبَرَنا أبو زكريا بنُ أبى إسحاقَ المُزَكِّى[5] ، أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، ثنا جعفرُ بنُ عَوْنٍ ، أنبأنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ قال : جاء رجلٌ إلى عبدِ اللَّهِ ابنِ مسعودٍ ، فقال : إنِّى مَرَرْتُ ببعضِ مساجدِ بنى حَنيفةَ وهم يَقْرَءُون قراءةً

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٣٢، من طريق يونس به .

(٢) مسند أبى داود (٢٥١) . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٣٢، من طريق أبى داود به .

(٣) زيادة من النسخ ليست فى المسند والدلائل .

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٣٣٢، ٣٣٣.

(٥) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، م : « المزنى » . وهو أبو زكريا يحيى بن المحدث المزكى أبى إسحاق إبراهيم بن محمد النيسابورى . انظر الأنساب ٥/ ٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٩٥.

ما أنزلها اللَّهُ على محمدٍ ﷺ : والطاحِناتِ طَحْنًا ، والعاجناتِ عَجْنًا ، والخابزاتِ خَبْزًا ، والثارداتِ ثَرْدًا ، واللّاقِماتِ لَقْمًا . قال : فأرسل إليهم عبدُ اللَّهِ ، فأُتِىَ بهم ، وهم سبعون رجلًا ، ورأسُهم عبدُ اللَّهِ بنُ النَّوَّاحةِ . قال : فأَمَر به عبدُ اللَّهِ فقُتِلَ ، ثُم قال : ما كُنّا بمُحْرِزِين الشيطانَ مِن هؤلاءِ ، (١ ولَكِنَّا نَحُوزُهم ١) إلى الشامِ ، لعلَّ اللَّهَ أن يَكْفِيَناهم .

وقال الواقدىُّ[٢] : كان وفدُ بنى حَنيفةَ بضعةَ عشَرَ رجلًا عليهم سَلْمَى بنُ حَنْظَلَةَ[٣] ، وفيهم ؛ الرَّجّالُ ابنُ عُنْفُوَةَ ، وطَلْقُ بنُ علىٍّ ، وعلىُّ بنُ سِنانٍ ، ومُسَيْلِمةُ بنُ حَبيبٍ الكذَّابُ ، فأُنْزِلوا فى دارِ رَمْلَةَ[٤] بنتِ الحارثِ ، وأُجْرِيَت عليهم[٥] الضِّيافةُ ، فكانوا يُؤْتَوْن بغداءٍ وعشاءٍ ؛ مرةً خُبزًا ولحمًا ، ومرةً خبزًا ولبنًا ، (٦ ومرةً خبزًا ٦) ، ومرةً خبزًا وسمنًا ، ومرةً تمرًا يُنْثَرُ[٧] لهم . فلمَّا قَدِموا المسجدَ أسْلَموا [٣/٢٢٣ظ] وقد خَلَّفوا مُسَيْلِمةَ فى رِحالِهم ، ولمَّا أرادوا الانصرافَ أعْطاهم جوائزَهم خمسَ أواقٍ (٨ مِن فضةٍ ٨) ، وأمَر لمسيلِمةَ بمثلِ ما

(١ - ١) فى ٤١: «ولكنا نرسلهم». وفى ص : «ولكنا نحدرهم» . وفى الدلائل : «ولا كنا نحدرهم» . والمعنى أنهم لن يقدروا على منع الشيطان من إغواء أمثالِ هؤلاء، ولكن سيرسلونهم إلى الشام إبعادًا لهم. ونحوزهم : أى نجمعهم ونسوقهم . انظر النهاية ٤٥٩/١ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٣١٦، ٣١٧ ، عن الواقدى عن الضحاك بن عثمان عن يزيد بن رومان ، وعن على بن محمد القرشى عمن سمَّى من رجاله ، بنحوه .

(٣) لم يذكر ابن سعد فى الطبقات أن سلمى كان عليهم ، وإنما عدَّه ممن كان فيهم . وذكر أسماء أخرى أكثر مما ذكره المصنف هنا .

(٤) فى م : «مسلمة» .

(٥) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : «على» .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى الطبقات .

(٧) سقط من : ٤١. وفى م : «ينز» .

(٨ - ٨) زيادة من النسخ ليست فى الطبقات . وبعده فى الطبقات : «لكل رجل» .

أعطاهم ، لمَّا ذَكَروا أنه فى رِحالِهم ، فقال : « أمَا إنَّه ليس بشرِّكم مكانًا » . فلما رجَعوا إليه أخبروه بما قال عنه ، فقال : إنَّما قال ذلك ؛ لأنَّه عرَف أنَّ الأمرَ لى مِن بعدِه . وبهذه[1] الكلمةِ تَشَبَّث ، قبَّحه اللَّهُ ، حتى ادَّعَى النبوةَ . قال الواقدىُّ[2] : وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ بعَث معهم بإداوةٍ فيها فضلُ طَهُورِه ، وأمَرهم أن يَهْدِموا بِيعَتَهم ، ويَنْضَحُوا هذا الماءَ مكانَها ويَتَّخِذوه مسجدًا ، ففَعَلُوا ، وسيأتى ذكرُ مَقتَلِ الأسْودِ العَنْسىِّ فى آخرِ حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومقتلِ مُسَيلمةَ الكذَّابِ فى أيامِ الصِّدِّيقِ ، وما كان مِن أمرِ بنى حَنِيفةَ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفدُ أهلِ نَجْرانَ

قال البخارىُّ[3] : حدثنا عباسُ بنُ الحسينِ ، ثنا يَحيى بنُ آدَمَ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن صِلَةَ بنِ زُفَرَ ، عن حُذيفةَ قال : جاء العاقبُ والسيِّدُ صاحبا نَجْرانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يُريدان أن يُلاعِناه . قال : فقال أحدُهما لصاحبِه : لا تفْعَلْ ، فواللَّهِ لئن كان نبيًّا فلاعنَّاه[4] لا نُفْلِحُ نحن ولا عَقِبُنا مِن بعدِنا . قالا : إنا نُعْطيك ما سألْتَنَا ، وابْعَثْ معنا رجلًا أمينًا ، ولا تَبْعَثْ معنا إلا[5] أمينًا . فقال : « لأَبعَثَنَّ معكم رجلًا أمينًا حقَّ أمينٍ » . فاستَشْرَف لها أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال : « قُمْ يا أبا عُبَيدةَ بنَ الجراحِ » . فلما قام قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا أمينُ

---

(١) تعقيب من المصنف بعد سياق الواقدى .

(٢) طبقات ابن سعد ٣١٧/١ بنفس الإسناد .

(٣) البخارى (٤٣٨٠) .

(٤) كذا فى النسخ . وعند البخارى : « فلاعنَّا » .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « رجلا » .

هذه الأُمَّةِ » . وقد رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ به[1] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[2] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدٍ محمدُ ابنُ موسى بنِ الفضلِ ، قالا : ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، ثنا يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن سَلَمةَ بنِ [3]عبدِ يَسوعَ[3] ، عن أبيه ، عن جدِّه - قال يونُسُ : وكان نصرانيًّا فأسْلَم - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتَب إلى أهلِ[4] نَجْرانَ قبلَ أن ينْزِلَ عليه « طس » سُليمانَ[5] : « باسمِ إلهِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، مِن محمدٍ النبيِّ رسولِ اللَّهِ إلى أُسْقُفِّ نَجْرانَ [6]وأهلِ نجْرانَ ، إن أَسلَمْتم[6] فإنى أحْمَدُ إليكم[7] إلهَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ؛ أمَّا بعدُ ، فإنى أدْعوكم إلى عبادةِ اللَّهِ مِن عبادةِ العبادِ ، وأدْعوكم إلى وِلايةِ اللَّهِ مِن ولايةِ العبادِ ، [٣/ ٢٢٤و] فإن أبَيْتُم فالجزيةُ ، فإن أبَيْتُم آذَنْتُكم بحربٍ ، والسلامُ » .

فلما أتَى الأُسْقُفَّ الكتابُ فقرَأه فُظِع[8] به وذُعِر به ذُعْرًا شديدًا ، وبعَث إلى رجلٍ مِن أهلِ نَجْرانَ يقالُ له : شُرَحْبِيلُ بنُ وَداعَةَ - وكان مِن أهلِ[9] هَمْدانَ ، ولم يكنْ أحدٌ يُدْعَى إذا نزَلت مُعْضِلةٌ قَبلَه ، [10]لا الأيهَمُ[10] ولا السيدُ ولا

---

(١) البخارى (٣٧٤٥، ٤٣٨١، ٧٢٥٤) ، ومسلم (٢٤٢٠) .
(٢) دلائل النبوة ٥/٣٨٥ - ٣٩١.
(٣ - ٣) فى م : « يسوع » . وفى الدلائل : « عبد يشوع » .
(٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥) سقط من : الأصل . ويعنى سورة « النمل » .
(٦ - ٦) فى الأصل ، م ، ص : « أسلم أنتم » . وفى ا ٤١ : « أسلم أنتم أم حرب » . والمثبت من الدلائل .
(٧) بعده فى الدلائل لفظ الجلالة .
(٨) فى الأصل ، ا ٤١ ، م : « قطع » .
(٩) ليس فى النسخ .
(١٠ - ١٠) فى الأصل : « إلا الأتهم » . وفى ا ٤١ : « لا الأهيم » . وفى م : « لا الأتهم » . وفى ص : « الأيهم » . والمثبت من الدلائل .

العاقبُ - فدفَع الأُسْقُفُّ كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى شُرَحْبِيلَ فقرَأه ، فقال الأُسْقُفُّ : يا أبا مرْيَمَ ، ما رأيُك ؟ فقال شُرَحْبيلُ : قد علِمْتَ ما وعَد اللَّهُ إبراهيمَ فى ذريَّةِ إسماعيلَ مِن النبوةِ ، فما يُؤْمَنُ أن يكونَ هذا هو ذاك الرجلَ ، ليس لى فى النبوةِ رأىٌ ، ولو كان أمرٌ مِن أمورِ الدنيا لأَشَرْتُ عليك فيه برأيي[1] وجهِدْتُ لك . فقال له الأُسْقُفُّ : تنَحَّ فاجْلِسْ . فتَنَحَّى شُرَحْبِيلُ ، فجلَس ناحيةً[2] ، فبعَث الأُسْقُفُّ إلى رجلٍ مِن أهلِ نَجْرانَ يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ شُرَحْبيلَ . وهو مِن ذى أصْبَحَ مِن حِمْيَرَ ، فأقْرَأَه الكتابَ ، وسأَله عن الرأيِ ، فقال له مثلَ قولِ شُرَحْبيلَ ، فقال له الأُسْقُفُّ : تنَحَّ[1] فاجْلِسْ . فتَنَحَّى فجلَس ناحيةً[2] ، فبعَث الأُسْقُفُّ إلى رجلٍ مِن أهلِ نَجْرانَ يقالُ له : جَبَّارُ بنُ فَيْضٍ . مِن بنى الحارثِ بنِ كعبٍ أحدِ بنى الحِمَاسِ ، فأقْرَأه الكتابَ ، وسأَله عن الرأيِ فيه ، فقال له مثلَ قولِ شُرَحْبيلَ وعبدِ اللَّهِ ، فأمَره الأُسْقُفُّ ، فتَنَحَّى فجلَس ناحيةً[2] ، فلما اجتمع الرأىُ منهم على تلك المقالةِ جميعًا ، أمَر الأُسْقُفُّ بالناقوسِ فضُرِب به ، ورُفِعت[3] المُسوحُ[4] فى الصَّوامِعِ ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فَزِعوا بالنهارِ ، وإذا كان فَزَعُهم ليلًا ضرَبوا بالناقوسِ ، ورُفِعت النيرانُ فى الصَّوامعِ ، فاجْتَمع حينَ ضُرِب بالناقوسِ ورُفِعت المُسوحُ ، أهلُ الوادى أعلاه وأسفلِه ، وطُولُ الوادى مسيرةُ يومٍ للراكبِ السريعِ ، وفيه ثلاثٌ وسبعون قريةً ، وعشرون ومائةُ ألفِ مُقاتِلٍ ، فقرَأ عليهم كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسأَلهم عن الرأيِ فيه ، فاجتمعَ رأىُ أهلِ الرأيِ منهم على أن يبْعَثوا

---

(١) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٢) فى م : « ناحيته » .

(٣) بعده فى النسخ : « النيران و » . وهى زيادة مخالفة لصحة المعنى فى السياق ، كما يتبين مما بعده .

(٤) المسوح : جمع مَسْح ، وهو ثوب الراهب . انظر الوسيط (م س ح) .

شُرَحْبِيلَ بنَ وَداعةَ الهَمْدانيَّ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ شُرَحْبيلَ الأَصْبَحيَّ ، وجَبَّارَ بنَ فَيْضٍ الحارثيَّ ، فيأتوهم بخبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فانطلق الوفدُ ، حتى إذا كانوا بالمدينةِ وضَعوا ثيابَ السفرِ عنهم ، ولبِسوا حُلَلًا لهم يَجُرُّونها مِن حِبَرةٍ ، وخواتيمَ الذهبِ ، ثم انطَلَقوا حتى أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فسلَّموا عليه ، [٣/ ٢٢٤ظ] فلم يَرُدَّ عليهم السلامَ ، وتَصَدَّوا لكلامِه نهارًا طويلًا ، فلم يكَلِّمْهم وعليهم تلك الحُلَلُ والخواتيمُ الذهبُ ، فانطلقوا يَتَّبَعُون[1] عثمانَ بنَ عفانَ وعبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ ، [2]وكانوا يعْرِفونهما[2] ، فوجَدوهما فى ناسٍ مِن المهاجرين والأنصارِ فى مجلسٍ ، فقالوا : يا عثمانُ ، ويا عبدَ الرحمنِ ، إن نبيَّكم كتَب إلينا بكتابٍ ، فأَقْبَلْنا مُجِيبين له ، فأتَيْناه فسلَّمْنا عليه ، فلم يَرُدَّ سلامَنا ، وتصَدَّيْنا لكلامِه نهارًا طويلًا ، فأعْيانا أن يُكَلِّمَنا ، فما الرأىُ منكما ؟ [3]أترَوْن أن[3] نَرْجِعَ ؟ فقالا لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ وهو فى القومِ : ما ترَى يا أبا الحسنِ فى هؤلاءِ القومِ ؟ فقال علىٌّ لعثمانَ ولعبدِ الرحمنِ ، رضىَ اللَّه عنهم : أرَى أن يضَعوا حُلَلَهم هذه وخواتيمَهم ، ويَلْبَسوا ثيابَ سفرِهم ، ثم يعودوا إليه . ففعَلوا فسلَّموا فردَّ سلامَهم ، ثم قال : « والذى بعَثنى بالحقِّ ، لقد أتَوْنى المرةَ الأولى وإن إبليسَ لمعهم » . ثم ساءلهم وساءَلُوه ، فلم تزَلْ به وبهم المسألةُ حتى قالوا له[4] : ما تقولُ فى عيسى ؟ فإنا نَرْجِعُ إلى قومِنا ، ونحن نصارَى يَسُرُّنا[5] إن كنتَ نبيًّا أن نسْمَعَ ما تقولُ فيه . فقال رسولُ اللَّهِ

---

(١) فى ا ٤ : « يبتغون » . وفى ص غير منقوطة . وتتبَّعه : تطلَّبه شيئًا بعد شىء فى مهلة . الوسيط (ت ب ع) .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « وكانا معرفة لهم ، كانا يجدعان العتائر إلى نجران فى الجاهلية فيشتروا لهما من بزها وثمرها وذرتها » .

(٣ - ٣) فى الدلائل : « أنعود أم » .

(٤) زيادة من الدلائل .

(٥) فى م : « ليسرنا » .

ﷺ : « ما عندى فيه شىءٌ يومى هذا ، فأقيموا حتى [1]أُخْبِرَكم بما يقولُ اللَّهُ[1] فى عيسى » . فأصبح الغدَ وقد أنزل اللَّهُ عز وجل هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩- ٦١] . فأبَوْا أن يُقِرُّوا بذلك ، فلما أصْبَح رسولُ اللَّهِ ﷺ الغدَ بعدَما أَخْبَرَهم الخبرَ ، أقبل مُشْتَمِلًا على الحسنِ والحسينِ فى خَمِيلٍ[2] له ، وفاطمةُ تمشى عندَ ظهرِه للمُلاعَنةِ ، وله يومئذٍ عدةُ نسوةٍ ، فقال شُرَحْبِيلُ لصاحبَيه : قد علِمْتُما أن الوادىَ إذا اجتمع أعلاه وأسفلُه لم يَرِدُوا ولم يَصْدُروا إلا عن رأيى ، وإنى واللَّهِ أرَى أمرًا ثقيلًا[3] ، واللَّهِ لئن كان هذا الرجلُ مَلِكًا متقوِّيًا[4] ، فكُنّا أولَ العربِ طَعَن فى عَيْنِه[5] ورَدَّ عليه أمرَه ، لا يَذْهَبُ لنا مِن صدرِه ولا مِن صدورِ أصحابِه[6] حتى يُصيبونا بجائحةٍ ، وإنا أدنى العربِ منهم جِوارًا ، ولئن كان هذا الرجلُ نبيًّا مرسلًا فلاعَنَّاه ؛ لا يَبْقَى على وجهِ الأرضِ منا شعرٌ ولا [٣/ ٢٢٥و] ظُفرٌ إلا هلَك . فقال له صاحباه : فما الرأىُ يا أبا مريمَ[7] ؟ فقال : رأيى أن أُحَكِّمَه فإنى أرَى رجلًا لا يَحْكُمُ شَطَطًا أبدًا . فقالا له : أنت وذاك . قال : فتَلَقَّى شُرَحْبِيلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : إنى قد رأيتُ خيرًا مِن

(١ - ١) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « أخبركما بما يقال » .

(٢) الخميل : القطيفة ، وهو كل ثوب له خَمْل من أى شىء كان . وقيل : الخميل : الأسود من الثياب . واشتمل على فلان أى : وقاه بنفسه . انظر النهاية ٢/ ٨١، والوسيط (ش م ل) .

(٣) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « مقبلًا » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « مبعوثًا » .

(٥) فى الأصل : « عيبه » . وفى م : « عيبته » .

(٦) فى الدلائل : « قومه » .

(٧) بعده فى الدلائل : « فقد وضعتك الأمور على ذراعٍ ، فهاتِ رأيك » .

مُلاعَنتِك . فقال : « وما هو ؟ » . فقال : حُكْمُك اليومَ إلى الليلِ ، وليلتَك إلى الصباحِ ، [1] فمهما حَكَمْتَ [1] فينا فهو جائزٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لعل وراءَك أحدًا يُتَرِّبُ عليك [2] ؟ » فقال شُرَحْبيلُ : سلْ صاحبيَّ . فسَألَهما [3] فقالا : ما يَرِدُ الوادى ولا يَصْدُرُ إلا عن رأيِ شُرَحْبيلَ . [4] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كافرٌ - أو قال : جاحِدٌ - مُوَفَّقٌ » [4] . فرجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يُلاعِنْهم ، حتى إذا كان الغدُ أتَوْه ، فكتَب لهم هذا الكتابَ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما كتَب محمدٌ النبيُّ [5] رسولُ اللَّهِ ﷺ لنَجْرانَ ، أنَ [6] كان عليهم حُكمُه فى كلِّ ثمرةٍ وكلِّ صفراءَ وبيضاءَ ورقيقٍ ، فأَفْضَلَ عليهم وترَك ذلك كلَّه على ألْفَىْ حُلَّةٍ [7] ، فى كلِّ رجبٍ ألفُ حُلَّةٍ ، وفى كلِّ صَفَرٍ ألفُ حُلَّةٍ » . وذكَر تمامَ الشروطِ ، [8] إلى أن قال [8] : شَهِد أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، وغَيْلانُ بنُ عمرٍو ، ومالكُ بنُ عوفٍ مِن بنى نَصْرٍ ، والأقرعُ بنُ حابسٍ الحَنْظلىُّ ، والمغيرةُ [9] بنُ شُعْبَةَ [9] ، وكتَب ، حتى إذا قبَضوا كتابَهم انصَرفوا إلى نجْرانَ ، [10] فتَلَقَّاهم الأُسْقُفُ ووجوهُ نجرانَ على مسيرةِ ليلةٍ مِن نجرانَ [10] ، ومع الأُسْقُفِّ أخٌ له مِن أمِّه ، وهو ابنُ عمِّه مِن النسبِ يقالُ له : بِشْرُ بنُ معاويةَ . وكنيتُه أبو عَلْقمةَ ، فدفَع الوفدُ كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى

(١ - ١) فى الأصل : « فمهما حكمك » . وفى م : « فما حكمك » .

(٢) يترب عليك أى : يلومك ويعيّرك بذنبك . انظر الوسيط (ث ر ب) .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) بعده فى م : « الأمى » .

(٦) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « إذ » .

(٧) بعده فى الدلائل : « من حُلل الأواقى » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « قال » . وفى م : « إلى أن » .

(٩ - ٩) من : ا ٤ .

(١٠ - ١٠) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

الأُسْقُفُّ ، فبينما هو يقْرَأُه ، وأبو عَلْقمةَ معه وهما يسيران ، إذ كَبَتْ ببشرٍ ناقتُه ، فتَعَّس بشرٌ غيرَ أنه لا يُكَنِّى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له الأُسْقُفُّ عندَ ذلك : قد واللَّهِ تَعَّسْتَ نبيًّا مرسلًا . فقال له بشرٌ : لا جَرَمَ ، واللَّهِ لا أَحُلُّ عنها عَقدًا حتى [1]آتىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ[1] . [2]قال : فضرَب[2] وجهَ ناقتِه نحوَ المدينةِ ، وثنَى الأُسْقُفُّ ناقتَه عليه ، فقال له : افْهَم عنى ، إنى إنما قلتُ هذا ليَبْلُغَ عنى العربَ ؛ مخافةَ أن يرَوْا أنا أخَذْنا حقَّه ، أو رَضِينا [3]نصرتَه ، أو بَخَعْنا لهذا الرجلِ بما لم تَبْخَعْ[3] به العربُ ، ونحن أعزُّهم وأجْمعُهم دارًا . فقال له بشرٌ : لا واللَّهِ لا أَقْبَلُ ما خرَج مِن رأسِك أبدًا . فضرَب بشرٌ ناقتَه وهو مُوَلٍّ الأُسْقُفَّ ظهرَه ، وارتجز يقولُ :

إليك تَغْدو[4] قلِقًا وَضِينُها[5] مُعترِضًا فى بطنِها جنينُها

[٣/٢٢٥ظ] مخالفًا دينَ النَّصارَى دينُها

حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْلَم ، ولم يزَلْ معه حتى قُتِل[6] بعدَ ذلك . قال : ودخَل الوفدُ نَجْرانَ ، فأتى الراهبَ ليثَ[7] بنَ أبى شمرٍ الزبيدىَّ وهو فى رأسِ صَوْمعتِه[8] ، فقال له : إن نبيًّا بُعِث بتِهامةَ . فذكَر له[9] ما كان مِن وفدِ نَجْرانَ إلى

(١ - ١) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « آتيه » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « قال : فصرف » . وفى م : « فصرف » . وفى ص : « قال : وصرف » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م ، ص : « بصوته أو نجعنا لهذا الرجل بما لم تنجع » . وفى ا ٤ : « بقوله أو يجمعنا لهذا الرجل بما لم يجمع » . والمثبت من الدلائل . وبخع له : تذلَّل وأطاع وأقرَّ . الوسيط (ب خ ع) .

(٤) فى النسخ : « تغدو » . والمثبت من الدلائل .

(٥) الوضين : حزام عريض منسوج بعضه على بعض من سيور أو شعر ، أو لا يكون إلا من جلد ، يشد به الرحل على البعير . ويقال : إنه لقلق الوضين : سريع الحركة ، خفيف ، قليل الثبات . الوسيط (و ض ن) .

(٦) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « استشهد أبو علقمة » .

(٧) زيادة من الدلائل .

(٨) فى ص : « صومعة له » . وفى الدلائل : « صومعة » .

(٩) سقط من : الأصل ، م .

رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنه عرَض عليهم المُلاعَنةَ فأبَوْا ، وأن بشرَ بنَ مُعاويةَ دفَع[1] إليه فأسْلَم ، فقال الراهبُ : أنْزِلونى وإلا ألْقَيْتُ نفسى مِن هذه الصومعةِ . قال : فأنْزَلوه فأخَذ معه هديَّةً ، وذهَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، منها هذا البُرْدُ الذى يَلْبَسُه الخلفاءُ ، وقَعْبٌ ، وعَصًا ، فأقام مدةً عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يسمعُ الوحىَ ، ثم رجَع إلى قومِه ، ولم يُقَدَّرْ له الإسلامُ ، ووعَد أنه سيعودُ[2] ، فلم يُقَدَّرْ له حتى تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وإن الأُسْقُفَّ أبا الحارثِ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ومعه السيدُ والعاقبُ ووجوهُ قومِه ، فأقاموا عندَه يسمَعون ما يُنَزِّلُ اللَّهُ عليه ، وكتَب للأُسْقُفِّ هذا الكتابَ ولأساقِفَةِ نَجْرانَ بعدَه[3] : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ النبىِّ ﷺ للأُسْقُفِّ أبى الحارثِ وكلِّ[4] أساقِفَةِ نَجْرانَ وكهنتِهم ورُهْبانِهم ، وكلِّ ما تحتَ أيديهم مِن قليلٍ أو كثيرٍ ، جِوارُ اللَّهِ ورسولِه ، لا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِن أُسْقُفَّتِه ، ولا راهبٌ مِن رَهْبانِيَّتِه ، ولا كاهنٌ مِن كَهانتِه ، ولا يُغَيَّرُ حقٌّ مِن حقوقِهم ولا سلطانِهم ، ولا مما[5] كانوا عليه ، على[6] ذلك جِوارُ اللَّهِ ورسولِه أبدًا ، ما نصَحوا[7] وأَصلَحوا عليهم ، غيرَ مُثْقَلِين[8] بظلمٍ ولا ظالمين » . وكتَب المغيرةُ بنُ شعبةَ .

وذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[9] أن وفدَ نصارى نجرانَ كانوا ستين راكبًا ، يَرْجِعُ

---

(١) فى ص : « رجع » . ودفع إليه : انتهى إليه . الوسيط (د ف ع) .
(٢) ليس فى رواية الدلائل ذِكْر وعد الراهب أنه سيعود .
(٣) ليس فى الدلائل .
(٤) زيادة من الدلائل .
(٥) فى النسخ : « ما » . والمثبت من الدلائل .
(٦) فى الأصل ، م : « من » .
(٧) بعده فى الدلائل : « اللَّه » .
(٨) فى م ، ص : « مبتلين » .
(٩) سيرة ابن هشام ١/٥٧٣ - ٥٧٥ ، مطولًا .

أمرُهم إلى أربعةَ عشَرَ منهم، وهم؛ العاقبُ واسمُه عبدُ المسيحِ، والسيدُ وهو الأَيهمُ[1]، وأبو حارثةَ بنُ عَلْقمةَ، وأوسٌ، و[2]الحارثُ، وزيدٌ، وقيسٌ، ويزيدُ، ونُبَيْهٌ، وخُوَيْلِدٌ، وعمرٌو، وخالدٌ، وعبدُ اللَّهِ، ويُحَنَّسُ، وأمْرُ هؤلاء الأربعةَ عشَرَ يئُولُ إلى ثلاثةٍ منهم، وهم؛ العاقبُ وكان أميرَ القومِ وذا رأيِهم وصاحبَ مَشورتِهم، والذى لا يَصْدُرون إلا عن رأيِه، والسيدُ وكان ثِمالَهم[3] وصاحبَ رَحْلِهم، وأبو حارثةَ بنُ عَلْقمةَ وكان [٣/٢٢٦و] أُسْقُفَّهم وحَبْرَهم[4]، وكان رجلًا مِن العرب مِن بكرِ بنِ وائلٍ، ولكن دخَل فى دينِ النصرانيةِ، فعظَّمَتْه الرومُ وشرَّفوه، وبنَوْا له الكَنائسَ، ومَوَّلوه وأخدَموه[5]؛ لِمَا يَعْرِفون مِن صَلابتِه فى دينِهم، وكان مع ذلك يَعْرِفُ أمرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولكن صَدَّه الشَّرَفُ والجاهُ عن[6] اتِّباعِ الحقِّ.

وقال يونسُ بنُ بكيرٍ[7]، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى بُرَيْدةُ بنُ سفيانَ[8]، عن ابنِ البَيْلَمانىِّ، عن كُرْزِ بنِ عَلْقمةَ قال: قدِم وفدُ نصارى نجرانَ ستون راكبًا، منهم أربعةٌ وعشرون رجلًا مِن أشرافِهم، والأربعةُ والعشرون منهم ثلاثةُ نفَرٍ إليهم

---

(١) فى الأصل، م: «الأتهم».

(٢) فى الأصل، م، ص: «بن». والمثبت من السيرة.

(٣) الثِّمالُ: يقال: فلان ثمال لبنى فلان. إذا كان يقوم بأمرهم ويكون أصلًا لهم وغياثًا. شرح غريب السيرة ١/ ١٧٣.

(٤) فى م: «خيرهم».

(٥) فى م: «وخدموه». وأخدموه: جعلوا له خادمًا. الوسيط (خ د م).

(٦) فى الأصل، م: «من».

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٨٢، ٣٨٣، من طريق يونس بن بكير به.

(٨) فى ص: «سليمان». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٥.

يَحُولُ أمْرُهم ؛ العاقبُ ، والسيدُ ، وأبو حارثةَ أحدُ بنى بكرِ بنِ وائلٍ ، أُسْقُفُّهم وصاحبُ مِدراسِهم[1] ، وكانوا قد شرَّفوه فيهم ، ومَوَّلوه وأخدموه[2] ، وبسَطوا عليه الكَراماتِ ، وبنَوْا له الكَنائسَ ؛ لِمَا بلَغهم عنه مِن علِمه واجتهادِه فى دينِهم ، فلما توَجَّهوا مِن نجرانَ جلَس أبو حارثةَ على بغلةٍ له ، وإلى جنبِه أخٌ له يقالُ له : كُرْزُ[3] بنُ عَلْقمةَ . يُسايِرُه إذ عثَرت بغلةُ أبى حارثةَ ، فقال كُرْزٌ : تعِس الأبْعدُ . يريدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال له أبو حارثةَ : بل أنت تَعِسْتَ . فقال له كُرْزٌ : ولِمَ يا أخى ؟ فقال : واللَّهِ إنه لَلنبىُّ الذى كنا ننتظرُه . فقال له كُرْزٌ : وما يَمْنَعُك وأنت تَعْلَمُ هذا ؟ فقال : ما صنَع بنا هؤلاء القومُ ؛ شرَّفونا ومَوَّلونا وأخْدَمونا[4] ، وقد أَبَوْا إلا خلافَه ، ولو فعَلْتُ نزَعوا منا كلَّ ما تَرَى . قال : فأضْمَر عليها منه أخوه كُرْزٌ حتى أسْلَم بعدَ ذلك .

وذكَر ابنُ إسحاقَ[5] أنهم لما دخَلوا المسجدَ النبوىَّ دخَلوا فى تَجَمُّلٍ وثيابِ حِسانٍ ، وقد حانت صلاةُ العصرِ فقاموا يُصلُّون إلى المشرقِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دعُوهم » . فكان المُتَكَلِّمُ لهم أبا حارثةَ بنَ عَلْقمةَ والسيدَ والعاقبَ حتى نزَل فيهم صَدْرُ[6] سورةِ آلِ عِمْرانَ والمُباهَلَةُ ، فأبَوْا ذلك[7] وسأَلوا أن يُرْسِلَ معهم

---

(١) فى الأصل ، م : « مدارستهم » . والمدراس : الموضع يُدرس فيه كتاب اللَّه ، ومنه مدراس اليهود . الوسيط (د ر س) .

(٢) فى م : « أكرموه » .

(٣) هنا وفيما يأتى ، فى الدلائل : « كوز » . ويبدو أنه خطأ من الطابع إذ جاءت فى أول سياق الدلائل بالراء - كرز -. وقد ذكره الحافظ فى الإصابة ٥/٥٨٤ فقال : كرز ، ويقال : كوز .

(٤) فى الدلائل : « وأكرمونا » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/٥٧٤ - ٥٨٤، مطولًا .

(٦) بعده فى م : « من » . قال المصنف - رحمه اللَّه - فى صدر تفسيره سورة آل عمران : هى مدنية ؛ لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت فى وفد نجران . التفسير ٢/٣.

(٧) أى : أَبَوا المباهلة . وباهل بعضهم بعضًا مباهلة : اجتمعوا فتداعَوْا ، فاستنزلوا لعنة اللَّه على الظالم منهم . الوسيط (ب هـ ل) .

أمينًا ، فبعَث معهم أبا عُبَيْدةَ بنَ الجرَّاحِ ، كما تقدم[1] فى روايةِ البخاريِّ ، وقد ذكَرْنا ذلك مُسْتَقْصًى فى تفسيرِ سورةِ آلِ عمرانَ[2] . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفدُ بنى عامرٍ وقصةُ عامرِ بنِ الطُّفَيلِ وأرْبدَ بنِ قَيْسٍ[3] [4]لعَنَهما اللَّهُ[4]

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدُ بنى عامرٍ ، فيهم ؛ عامرُ [٣/٢٢٦ظ] ابنُ الطُّفَيْلِ ، وأرْبَدُ بنُ قَيْسٍ[3] بنِ جَزْءِ بنِ [6]خالدِ بنِ جعفرٍ[6] ، وجَبَّارُ[7] بنُ سُلْمَى بنِ مالكِ بنِ جعفرٍ ، وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤساءَ القومِ وشياطينَهم ، وقدِم عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ عدوُّ اللَّهِ ، على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يريدُ الغدرَ به ، وقد قال له قومُه : [8]يا عامرُ[8] ، إن الناسَ قد أسْلَموا ، فأسْلِمْ . قال : واللَّهِ لقد كنتُ آلَيْتُ ألَّا أنْتَهِىَ حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبى ، أفأنا أتْبَعُ عقبَ هذا الفتى مِن قريشٍ ؟! ثم قال لأرْبَدَ : إن قدِمْنا على الرجلِ ، فإنى سأشْغَلُ عنك وجهَه ، فإذا فعَلْتُ ذلك فاعْلُه بالسيفِ . فلما قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال عامرُ بنُ

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٦٣ .

(٢) التفسير ٢/٣ - ٤٦.

(٣) فى الأصل ، م : « مقيس » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٥.

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٥٦٧ - ٥٦٩.

(٦ - ٦) سقط من : ا ٤. وفى الأصل : « جعفر » . وفى م : « جعفر بن خالد » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٥.

(٧) فى الأصل ، ص : « حيان » . وفى ا ٤: « حبان » . وانظر جمهرة الأنساب ص ٢٨٦، والإصابة ١/٤٤٨.

(٨ - ٨) فى النسخ : « يا أبا عامر » . والمثبت من السيرة .

الطُّفَيْلِ : يا محمدُ ، خالِنى[1] . قال : « لا واللَّهِ ، حتى تُؤْمِنَ باللَّهِ وحدَه » . قال : يا محمدُ ، خالِنى[1] . قال : وجعَل يُكَلِّمُه ، وينْتَظِرُ مِن أرْبَدَ ما كان أمَره به ، فجعَل أرْبَدُ لا يُحِيرُ شيئًا[2] ، فلما رأى عامرٌ ما يَصْنَعُ أرْبَدُ قال : يا محمدُ ، خالِنى[1] . قال : « لا ، حتى تُؤْمِنَ باللَّهِ وحدَه لا شريكَ له » . فلما أبَى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : أما واللَّهِ لأمْلَأَنَّها عليك خيلًا ورجالًا . فلما ولَّى قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اكْفِنى عامرَ بنَ الطُّفَيْلِ » . فلما خرَجوا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال عامرٌ لأرْبَدَ[3] : أين ما كنتُ أمَرْتُك به ، واللَّهِ ما كان على ظهرِ الأرضِ رجلٌ أخْوفَ على نفسى منك ، وايْمُ اللَّهِ لا أخافُك بعدَ اليومِ أبدًا . قال : لا أبا لك ! لا تَعْجَلْ علىَّ ، واللَّهِ ما هممْتُ بالذى أمَرْتَنى به[4] إلا دخَلْتَ بينى وبينَ الرجلِ حتى ما أرَى غيرَك ، أفأَضْرِبُك بالسيفِ ؟! وخرَجوا راجعين إلى بلادِهم ، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ بعَث اللَّهُ ، عز وجل ، على عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ الطاعونَ فى عُنُقِه ، فقتَله اللَّهُ فى بيتِ امرأةٍ مِن بنى سَلُولَ[5] ، فجعَل يقولُ : يا بنى عامرٍ ، أغُدَّةً كغُدَّةِ البَكْرِ فى بيتِ امرأةٍ مِن بنى سَلُولَ ؟! قال ابنُ هشامٍ[6] : ويقالُ : أغُدَّةً

---

(١) فى ا ٤ : « خاللنى » . وخالنى : قال أبو ذر : من رواه بتخفيف اللام فمعناه : تفرَّدْ لى خاليًا حتى أتحدث معك . ومن رواه خالِّنى بتشديد اللام فمعناه : اتَّخذْنى خليلًا وصاحبًا . من المخالَّة وهى الصداقة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٥.

(٢) لا يحير شيئا : لا يردُّ شيئا . انظر الوسيط (ح و ر) .

(٣) بعده فى السيرة : « ويلك يا أربد » .

(٤) بعده فى السيرة : « من أمره » .

(٥) سلول : فخذ من قيس بن هوازن ؛ وقال الجوهرى: وسلول قبيلة من هوازن ، وهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول : اسم أمهم نُسبوا إليها . وإنما تأسف عامر أن لم يمت مقتولًا كما يتأسف الشجعان . وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ؛ لأن بنى سلول قَبِيلٌ موصوف عندهم باللؤم ، وليس ذلك لِلُؤمِ أصولهم ؛ لأن مكانهم من قومهم مشهور ، وإنما هو شئٌ غَلَب عليهم ، وكذلك محارب وباهلة . انظر اللسان (س ل ل) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٥٥.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٩.

كغُدَّةِ الإبلِ وموتًا فى بيتِ سَلُوليَّةٍ ؟

وروَى الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن طريقِ الزبيرِ بنِ بكَّارٍ ، حدثتنى فاطمةُ بنتُ عبدِ العزيزِ بنِ مَوَلَةَ[2] ، عن أبيها ، عن جَدِّها مَوَلَةَ بنِ جَميلٍ[3] قال : أتَى عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال له : « يا عامرُ ، أَسْلِمْ » . فقال : أُسْلِمُ على أنَّ لىَ الوَبَرَ ولك المَدَرَ ؟ . قال : « لا » . ثم قال : « أَسْلِمْ » . فقال : أُسْلِمُ على أنَّ لىَ الوَبَرَ ولك المَدَرَ ؟ [4]قال : « لا »[4] . فولَّى وهو يقولُ : واللَّهِ يا محمدُ لأَمْلَأَنَّها عليك خيلًا جُرْدًا[5] ورجالًا مُرْدًا ، ولأربِطَنَّ بكلِّ نخلةٍ فرسًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/ ٢٢٧و] « اللهم اكْفِنى عامرًا ، واهْدِ قومَه » . فخرَج حتى إذا كان بظهرِ المدينةِ صادف امرأةً [6]مِن قومِه[6] ، يقالُ لها : سَلُولِيَّةُ . فنزَل عن فرسِه ، ونام فى بيتِها ، فأخَذَته غُدَّةٌ فى حَلْقِه ، فوثَب على فرسِه وأخَذ رُمْحَه ، وأقْبَل يجولُ وهو يقولُ : غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَكْرِ ، وموتٌ فى بيتِ سلوليَّةَ . فلم تَزَلْ تلك حالَه حتى سقَط عن فرسِه ميتًا . وذكَر الحافظُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ فى « الاستيعابِ »[7] فى أسماءِ الصحابةِ مَوَلَةَ هذا ، فقال : هو مَوَلَةُ بنُ كُثَيْفٍ الضِّبابىُّ الكِلابىُّ العامرىُّ مِن بنى عامرِ بنِ صَعْصَعةَ ، أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ عشرين سنةً ، فأسْلَم وعاش فى الإسلامِ مائةَ سنةٍ ، وكان يُدْعَى ذا اللسانين ؛ مِن فصاحتِه ، روَى عنه ابنُه

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٣٢١.

(٢) فى الدلائل : « مؤمل » . وانظر أسد الغابة ٥/ ٢٨٣، والإصابة ٦/ ٢٣٥.

(٣) فى الأصل ، م : « حميل » . وجاء اسمه فى الأسد والإصابة : « حَمَل » . والمثبت موافق لما فى الدلائل .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ عما فى الدلائل .

(٥) الجُرْد : جمع أجْرَد ، وفرسٌ أجرد : قصير الشعر . وذلك من علامات العِتْق والكرم . اللسان (ج ر د) .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٧) الاستيعاب ٤/ ١٤٨٧.

عبدُ العزيزِ ، وهو الذى روَى قصةَ عامرِ بنِ الطفيلِ : غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعيرِ ، وموتٌ فى بيتِ سلوليّةٍ .

قال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[1] : حدثتنى ظَمْيَاءُ بنتُ عبدِ العزيزِ بنِ مَوَلةَ بنِ كُثَيْفِ بنِ حَمَلٍ[2] بنِ خالدِ بنِ عمرِو بنِ معاويةَ ، وهو الضِّبابُ بنُ كِلابِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ ابنِ صَعْصَعةَ ، قالت : حدثنى أبى ، عن أبيه[3] مَوَلَةَ أنه أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْلَم وهو ابنُ عشرين سنةً ، وبايع رسولَ اللَّهِ ﷺ ومسَح يمينَه ، وساق إبلَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فصَدَّقَها بنتَ لَبُونٍ ، ثم صحِب أبا هريرةَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعاش فى الإسلامِ مائةَ سنةٍ ، وكان يُسَمَّى ذا اللسانين ؛ مِن فَصاحتِه .

قلتُ : والظاهرُ أن قصةَ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ متقدِّمةٌ على الفتحِ ، وإن كان ابنُ إسحاقَ والبيهقىُّ قد ذكَراها[4] بعدَ الفتحِ ، وذلك لما رواه الحافظُ البيهقىُّ[5] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، أنبأنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، أنبأنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، ثنا أبو إسحاقَ الفَزارىُّ ، عن الأوْزاعىِّ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، عن أنسٍ فى قصةِ بئرِ مَعونةَ وقتلِ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ حَرامَ بنَ مِلْحانَ - خالَ أنسِ بنِ مالكٍ - وغدرِه بأصحابِ بئرِ مَعونةَ ، حتى قُتِلوا عن آخرِهم سوى عمرِو بنِ أميَّةَ ، كما تقدم .

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٦/٢٣٥ ، وعزاه للبغوى وغيره من طريق الزبير به .

(٢) فى الأصل ، م : « حميل » . وفى ا ٤ : « جميل » .

(٣) بعده فى م : « عن » وهو خطأ .

(٤) فى الأصل ، ا ٤ ، م : « ذكرها » . وانظر سيرة ابن هشام ٢/٥٦٧ - ٥٦٩ ، ودلائل النبوة ٥/ ٣١٨- ٣٢١ .

(٥) دلائل النبوة ٥/ ٣٢٠ .

قال الأوْزاعىُّ[1] : قال يحيى : فمكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ يدعو على عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ ثلاثين صباحًا : « اللهم اكْفِنى عامرَ بنَ الطفيلِ بما شئتَ ، وابْعَثْ عليه ما[2] يَقْتُلُه » . فبعَث اللَّهُ عليه الطاعونَ[3] .

وروَى[4] عن همامٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أنسٍ فى قصةِ حَرامِ بنِ مِلْحانَ قال : وكان[5] عامرُ بنُ الطفيلِ قد أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : أُخَيِّرُك بينَ ثلاثِ خِصالٍ ؛ يكونُ لك أهلُ السهلِ ويكونُ [٣/٢٢٧ظ] لى أهلُ الوَبَرِ[6] ، وأكونُ خليفتَك مِن بعدِك ، أو أغزوك بغَطَفانَ بألفِ أشْقرَ وألفِ شَقْراءَ . قال : فطُعِن فى بيتِ امرأةٍ ، فقال : أغُدَّةٌ كغُدَّةِ البَكْرِ[7] ، وموتٌ فى بيتِ امرأةٍ مِن بنى فلانٍ ، ائتونى بفرسى . فركِب فمات على ظهرِ فرسِه .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : ثم خرَج أصحابُه حينَ وارَوه[9] ، حتى قَدِموا أرضَ بنى عامرٍ شاتِين ، فلما قدِموا أتاهم قومُهم ، فقالوا : ما وراءَك يا أرْبَدُ ؟ قال : لا شىءَ ، واللَّهِ لقد دعانا إلى عبادةِ شىءٍ لَوَدَدْتُ لو أنه عندى الآنَ ، فأرْمِيَه بالنَّبلِ حتى أقْتُلَه

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٣٢٠ ، من طريق الأوزاعى به .

(٢) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « داء » .

(٣) بعده فى الدلائل : « فقتله » .

(٤) أى البيهقى . دلائل النبوة ٥/ ٣٢٠.

(٥) بعده فى الدلائل : « رئيس المشركين » .

(٦) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « المدر » .

(٧) فى الأصل ، ا ٤١ ، م : « البعير » .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٩.

(٩) فى الأصل ، ا ٤١ ، م : « رأوه » .

الآنَ . فخرَج بعدَ مقالتِه بيومٍ أو يومين معه جملٌ له يبيعُه[1] ، فأرْسَل اللَّهُ تعالى عليه وعلى جملِه صاعقةً فأحْرَقَتْهما .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان أربدُ بنُ قيسٍ أخا لَبِيدِ بنِ ربيعةَ لأمِّه ، فقال لَبيدٌ يَبْكى أرْبَدَ :

ما إن تُعَرِّى[3] المَنونُ مِن أحدِ ... لا والـدِ مُـشْـفِـقٍ ولا ولـدِ
أخْشَى على أرْبَدَ الحُتوفَ ولا ... أرْهَـبُ نَـوْءَ الـسِّـماكِ والأسـدِ[4]
فـعـينِ هـلَّا بَـكَـيْـتِ أرْبـدَ إذ ... قُـمْـنا وقام النساءُ فى كَبَدِ[5]
إن يَشْغَبوا لا يُبَالِ شَغْبَهُمُ ... أو يَقْصِدوا فى الحُكومِ يَقْتَصِدِ
حُـلـوٌ أَرِيـبٌ[6] وفـى حـلاوتِـه ... مُرٌّ لَطيفُ[7] الاحْشاءِ والكَبِدِ
وعـينِ هـلَّا بـكـيْـتِ أرْبَـدَ إذ ... ألْوَتْ رِياحُ الشتاءِ بالعَضَدِ[8]
وأصْـبَـحَـتْ لاقـحًـا مُـصَـرَّمـةً[9] ... حـتـى تجَـلَّـت غَـوابِـرُ[10] المَدَدِ

---

(١) فى السيرة : « يتبعه » . والمثبت من النسخ موافق لما فى إحدى نسخ السيرة . أشار بذلك محققوها .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٩، ٥٧٠.
(٣) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، ص : « تعزى » . وفى السيرة : « تعدى » . والمثبت موافق لرواية الخشنى فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٦؛ قال : قوله هنا : تعرى . معناه تَتْرُك .
(٤) النوء : السقوط . والسماك : اسم نجم معروف . والأسد أحد بروج السماء ، بين السرطان والعذراء . انظر اللسان (ن و أ) ، والوسيط (أ س د) .
(٥) الكبد : الجَهد والمشقة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٥٦.
(٦) الأريب : العاقل . المصدر السابق .
(٧) سقط من : ا ٤١. وفى م : « لصيق » .
(٨) ألوت : ذهبت . والعضد : قوائم أبواب بيوت العرب . المصدر السابق .
(٩) اللاقح : الحامل . والمصرمة : التى لا لبن لها . المصدر السابق .
(١٠) فى ص : « عواير » . والغوابر : البقايا . المصدر السابق .

أشجعُ مِن ليثِ غابةٍ لَحِمٍ[1] ذو نَهْمةٍ[2] فى العُلَا ومُنْتَقَدِ
لا تَبْلُغُ العينُ كلَّ نَهْمتِها ليلةَ تُمْسِى الجِيادُ كالقِدَدِ[3]
الباعثُ النَّوْحَ[4] فى مآتِمِه[5] مثلَ الظِّباءِ الأبكارِ بالجَرَدِ[6]
فَجَّعَنى البَرْقُ والصَّواعقُ بالْفارسِ يومَ الكَرِيهةِ النَّجِدِ[7]
والحاربِ الجابرِ الحريبِ إذا جاء نَكِيبًا وإن يَعُدْ يَعُدِ[8]
يعفو على الجَهْدِ والسؤالِ كما يَنْبُتُ غيثُ الربيع ذو الرَّصَدِ[9]
كلُّ بنى حُرَّةٍ مَصِيرُهمُ قُلٌّ[10] وإن كَثُروا[11] مِن العددِ
إن يُغْبَطوا يُهْبَطوا وإن أَمِروا يومًا فهمْ للهلاكِ والنَّفَدِ[12] [٣/٢٢٨و]

وقد روَى ابنُ إسحاقَ[13]، عن لَبيدٍ أشعارًا كثيرةً فى رِثاءِ أخيه لأمِّه، أربدَ

---

(١) لحم: كثير الأكل للحم. شرح غريب السيرة ٣/١٥٦.
(٢) النهمة: الحب فى بلوغ غاية الشىء. ومن رواه «ذو نهية» فمعناه: ذو عقل، وجمعه: نُهَى. المصدر السابق.
(٣) القدد: جمع قِدَّة وهى سَيْر يُقَدُّ من الجلد غير المدبوغ. النهاية ٤/٢١.
(٤) النوح: جماعة النساء اللاتى يَنحْنَ. شرح غريب السيرة ٣/١٥٦، ١٥٧.
(٥) فى ص: «حاتمه». ومآتمه: جمع مأتم وهو الجماعات من النساء يجتمعن فى الخير والشر. وقال بعض اللغويين: قد يكون المأتم من الرجال. المصدر السابق ٣/١٥٧.
(٦) الجرد، بالجيم والدال المهملة: الأرض التى لا نبات فيها. المصدر السابق.
(٧) النجد: الشجاع. المصدر السابق.
(٨) الحارب: السالب. والحريب: المسلوب. ونكيب: منكوب؛ أى أصابته نكبة. المصدر السابق.
(٩) يعفو على الجهد: يكثر عطاؤه ويزيد. والجهد: المشقة. والرصد: كلأٌ قليل. المصدر السابق.
(١٠) قل: قليل. المصدر السابق.
(١١) سقط من: ا ٤. وفى السيرة: «أكثرث».
(١٢) يُهبَطوا: تُغَيَّر أحوالهم. من قوله: هبطه المرض. إذا غيَّره. وأمِروا: كثروا، يقال: أمر الناس والنبات والزرع، أى كثر ذلك. المصدر السابق.
(١٣) سيرة ابن هشام ٢/٥٧١ - ٥٧٣.

ابنِ قِيسٍ ، ترَكْناها اختصارًا واكتفاءً بما أوْرَدْناه ، واللَّهُ الموفِّقُ للصوابِ .

قال ابنُ هشامٍ[1] : وذَكر زيدُ بنُ أسْلَمَ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : وأنْزَل اللَّهُ ، عز وجل ، فى عامرٍ وأرْبَدَ : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [الرعد : ٨ - ١١] . يعنى محمدًا ﷺ ثم ذكر أرْبَدَ وقتلَه ، فقال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١١ - ١٣] .

قلتُ : وقد تكلَّمنا على هذه الآياتِ الكريماتِ فى سورةِ « الرعدِ »[2] . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وقد وقَع لنا إسنادُ ما علَّقه ابنُ هشامٍ ، رحِمه اللَّهُ ، فرُوِّينا مِن طريقِ الحافظِ أبى القاسمِ سليمانَ بنِ أحمدَ الطبرانىِّ فى « مُعْجَمِه الكبيرِ »[3] حيث قال : حدَّثنا مَسْعَدةُ بنُ سعدٍ العَطَّارُ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحِزامىُّ ، حدثنى عبدُ العزيزِ بنُ عِمرانَ ، حدثنى عبدُ الرحمنِ وعبدُ اللَّهِ ابنا زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٥٦٩.

(٢) التفسير ٤/٣٥٧ - ٣٦٧.

(٣) المعجم الكبير ١٠/٣٧٩ - ٣٨١ (١٠٧٦٠)، وأخرجه الطبرانى أيضا فى المعجم الأوسط (٩١٢٣) . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٤٢: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بنحوه ... وفى إسنادهما عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف .

أبيهما ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن أربدَ بنَ قيسِ بنِ جَزْءٍ[1] بنِ خالدِ ابنِ جعفرِ بنِ كِلابٍ ، وعامرَ بنَ الطفيلِ بنِ مالكٍ قدِما المدينةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فانتَهَيَا إليه وهو جالسٌ ، فجلسا بينَ يديه ، فقال عامرُ بنُ الطفيلِ : يا محمدُ ، ما تجْعَلُ لى إن أسْلَمْتُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم » . قال عامرٌ : أتجْعَلُ لىَ الأمرَ إن أسْلَمْتُ مِن بعدِك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس ذلك لك ولا لقومِك ، ولكن لك أعِنَّةُ الخيلِ » . قال : أنا الآنَ فى أَعِنَّةِ خيلِ نجدٍ ، اجْعَلْ لى الوَبَر ولك المَدَرَ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا » . فلما قَفا مِن عندِه ، قال عامرٌ : أما واللَّهِ لأمْلأَنَّها عليك خيلًا ورجالًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَمْنَعُك اللَّهُ » . فلما خرَج أرْبَدُ وعامرٌ ، قال عامرٌ : يا أرْبَدُ ، أنا أَشْغَلُ عنك محمدًا بالحديثِ ، فاضْرِبْه بالسيفِ ، فإن الناسَ إذا قتَلْتَ محمدًا لم يَزِيدوا على أن يَرْضَوْا بالديَةِ ويَكْرَهوا الحربَ ، فسنُعْطِيهم الديَةَ . قال أربدُ : أفْعَلُ . فأقْبَلا راجعَيْن [٣/ ٢٢٨ظ] إليه ، فقال عامرٌ : يا محمدُ ، قُمْ معى أُكَلِّمْك . فقام معه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فخلَّيا إلى الجدارِ ، ووقَف معه رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُه ، وسلَّ أربدُ السيفَ ، فلما وضَع يدَه على السيفِ ، يبِسَت يدُه على قائمِ السيفِ ، [2]فلم يَسْتَطِعْ سَلَّ السيفِ[2] ، فأبْطَأ أرْبَدُ على عامرٍ بالضربِ ، فالتَفَت رسولُ اللَّهِ ﷺ فرَأَى أرْبَدَ وما يَصْنَعُ ، فانصرف عنهما ، فلما خرَج أربدُ وعامرٌ مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى إذا كانا بالحَرَّةِ ، حَرَّةِ واقمٍ[3] ، نزَلا ، فخرَج إليهما سعدُ بنُ

---

(١) فى ا ٤: « حرر » . وفى مصادر التخريج : « جزى » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٥.

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى مصادر التخريج .

(٣) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أُحرقت بالنار . وحرة واقم : إحدى حرّتى المدينة وهى الشرقية . معجم البلدان ٢/ ٢٤٧، ٢٥٢.

معاذٍ وأُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ، فقالا: اشْخَصا[1] يا عدوَّيِ اللَّهِ، لعَنكما اللَّهُ. فقال عامرٌ: مَن هذا يا سعدُ؟ قال: أُسَيْدُ بنُ حضيرِ الكتائبِ[2]. فخرَجا حتى إذا كانا بالرَّقَمِ[3] أرْسَل اللَّهُ، عز وجل، على أرْبَدَ صاعقةً فقتَلَتْه، وخرَج عامرٌ حتى إذا كان بالخُرَيْمِ[4]، أرْسَل اللَّهُ عليه[5] قُرْحةً فأخَذَتْه، فأدْرَكه الليلُ فى بيتِ امرأةٍ مِن بنى سَلُولَ، فجعَل يَمَسُّ قُرْحَتَه فى حلقِه ويقولُ: غُدَّةٌ كغُدَّةِ الجملِ فى بيتِ سَلُوليَّةٍ! يَرْغَبُ عن[6] أن يموتَ فى بيتِها، ثم ركِب فرسَه فأحْضَرها[7] حتى مات عليها راجعًا، فأنْزَل اللَّهُ فيهما ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ ﴾ إلى قولِه: [8]﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[8]. قال: المعقِّباتُ من أمرِ اللَّهِ يحفَظون[8] محمدًا ﷺ، ثم ذكَر أربدَ وما قتَله به، فقال: ﴿ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ الآية.

وفى هذا السياقِ دَلالةٌ [9]على تقدُّمِ[9] قصةِ عامرٍ وأربَدَ، وذلك لذكرِ سعدِ بنِ مُعاذٍ فيه. واللَّهُ أعلمُ. وقد تقدم وفودُ الطُّفيلِ بنِ عامرٍ الدَّوْسىِّ، رضى اللَّهُ عنه،

---

(١) سقط من الأصل، م، ص. واشخصا: اخرجا.

(٢) سقط من: ٤١. وفى المعجم الكبير والمجمع: «الكاتب». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٩. والاستيعاب ١/ ٩٣، ٩٤.

(٣) رقم، بفتح أوله وثانيه: موضع قرب المدينة تُنسب إليه الرقميّات. معجم البلدان ٢/ ٨٠١.

(٤) سقط من: ٤١. وفى م: «الحرة»، وفى ص: «بالخرم». وفى المعجم الكبير: «بالحر». خطأ واضح ينافى السياق. والمثبت موافق لما فى المعجم الأوسط والمجمع. والخريم: ثنية بين جبلين بين الجار والمدينة. وقيل: بين المدينة والرَّوْحاء. معجم البلدان ٢/ ٤٣١.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٦) زيادة من «م». وهى لازمة للمعنى.

(٧) فأحضرها: جعلها تثب فى عَدْوِها. انظر الوسيط (ح ض ر).

(٨ - ٨) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م، ص: «﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ يعنى». والمثبت من مصادر التخريج.

(٩ - ٩) فى م: «على ما تقدم من».

على رسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ وإسلامُه ، وكيف جعَل اللَّهُ له نورًا بينَ عينيه ، ثم سأَل اللَّهَ فحوَّله له إلى طَرَفِ سَوْطِه ، وبسَطْنا ذلك هنالك ، فلا حاجةَ إلى إعادتِه هـٰهنا ، كما صنَع البيهقيُّ[1] وغيرُه .

قدومُ ضِمامِ بنِ ثعلبةَ [2]على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وافدًا عن قومِه بنى سعدِ بنِ بكرٍ[2]

قال ابنُ إسحاقَ[3] : حدثنى محمدُ بنُ الوليدِ بنِ نُوَيفِعٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بَعَثَتْ بنو سعدِ بنِ بكرٍ ضِمامَ بنَ ثعلبةَ وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقدِم إليه[4] وأناخ بعيرَه على بابِ المسجدِ ، ثم عقَله ، ثم دخَل المسجدَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى أصحابِه ، وكان ضِمامٌ رجلًا جَلْدًا أشعرَ ذا غَدِيرَتَيْنِ[5] ، فأَقبل حتى وقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه ، [٣/ ٢٢٩و] فقال : أيُّكم ابنُ عبدِ المطلبِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنا ابنُ عبدِ المطلبِ » . فقال : يا محمدُ . قال : « نعم » . قال : يابنَ عبدِ المطلبِ ، إنى سائلُك ومُغَلِّظٌ عليك فى المسألةِ ، فلا تَجِدَنَّ فى نفسِك . قال : « لا أجِدُ فى نفسى ، فسَلْ عما بدا لك » . فقال : أنْشُدُك اللَّهَ إلهَك ، وإلهَ مَن كان قبلَك ، وإلهَ مَن هو كائنٌ

---

(١) دلائل النبوة ٥/٣٥٩ - ٣٦٢.

(٢ - ٢) فى م : « وافدا على قومه » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٥٧٣ - ٥٧٥.

(٤) فى ص ، والسيرة : « عليه » .

(٥) الغديرتان : مثنى الغديرة ، وهى الذؤابة المضفورة من الشعر . والذؤابة : شعر مقدَّم الرأس . انظر الوسيط (غ د ر) ، (ذ أ ب) .

بعدَك ، آللَّهُ بعَثك إلينا رسولًا ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشُدُك اللَّهَ إلهَك ، وإلهَ مَن كان قبلَك ، وإلهَ مَن هو كائنٌ بعدَك ، آللَّهُ أمَرك أن تأْمُرَنا أن نعبدَه وحدَه ، ولا نشركَ به شيئًا ، وأن نَخْلَعَ هذه الأَنْدادَ التى كان آباؤُنا يعْبُدون[1] ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشُدُك اللَّهَ إلهَك ، وإلهَ مَن كان قبلَك ، وإلهَ مَن هو كائنٌ بعدَك ، آللَّهُ أمَرك أن نصلِّىَ هذه الصلواتِ الخمسَ ؟ قال : « اللهم[2] نعم » . قال : ثم جَعَل يَذْكُرُ فرائضَ الإسلامِ فريضةً فريضةً ؛ الزكاةَ ، والصيامَ ، والحجَّ ، وشرائعَ الإسلامِ كلَّها ، ينْشُدُه عندَ كلِّ فريضةٍ منها ، كما ينْشُدُه فى التى قبلَها ، حتى إذا فرَغ قال : فإنى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، وسأُؤَدِّى هذه الفرائضَ ، وأجْتَنِبُ ما نهيْتَنى عنه ، ثم لا أَزيدُ ولا أَنْقُصُ . ثم انصرَف إلى بعيرِه راجعًا . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن صدَق ذو العَقِيصَتَيْنِ[3] دخَل الجنةَ » . قال : فأتَى بعيرَه فأطْلَق عِقالَه ، ثم خرَج حتى قدِم على قومِه ، فاجْتَمَعوا إليه ، فكان أوَّلَ ما تكَلَّم به[4] أن قال : بئسَت اللاتُ والعُزَّى . فقالوا : مَهْ يا ضِمامُ ، اتَّقِ البَرَصَ ، اتقِ الجُذامَ ، اتقِ الجُنونَ . فقال : ويلَكم ، إنهما واللَّهِ لا يَضُرَّان ولا ينْفَعان ، إنَّ اللَّهَ قد بعَث رسولًا ، وأنْزَل عليه كتابًا اسْتَنْقَذَكم به مما كنتُم فيه ، وإنى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، وقد جئتُكم مِن عندِه بما أمَركم به وما نهاكم عنه . قال : فواللَّهِ ما أمْسَى مِن ذلك اليومِ فى حاضرِه[5] رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا .

---

(١) بعده فى السيرة : « معه » .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣) العقيصتان : مثنى العقيصة ، وهى الشعر المعقوص ، وهو نَحْوٌ من المضفور . والعَقْص أن تلوى الخُصْلة من الشعر ثم تَعْقِدها ثم تُرْسِلها . انظر اللسان (ع ق ص) .

(٤) سقط من : الأصل ، ا ٤١ ، م .

(٥) الحاضر : الحى .

قال : يقولُ ابنُ عباسٍ : فما سمِعْنا بوافدِ قومٍ كان أفضلَ مِن ضِمامِ بنِ ثعلبةَ . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ الزهريِّ ، عن أبيه ، عن ابنِ إسحاقَ ، فذكَره[1] ، وقد رَوَى هذا الحديثَ أبو داودَ ، مِن طريقِ سَلَمةَ بنِ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن سَلمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، ومحمدِ بنِ الوليدِ بنِ نُوَيْفعٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه[2] . وفى هذا [٣/ ٢٢٩ظ] السياقِ ما يدُلُّ على أنه رجَع إلى قومِه قبلَ الفتحِ ؛ لأن العُزَّى خرَّبها خالدُ بنُ الوليدِ أيامَ الفتحِ .

وقد قال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن شَرِيكِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَمِرٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بعَثَتْ بنو سعدِ بنِ بكرٍ فى رجبٍ سنةَ خمسٍ ضِمامَ بنَ ثعلبةَ ، وكان جَلْدًا أشعرَ ذا غَديرتين[4] ، وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأقْبَل حتى وقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ فسأَله فأغْلَظ فى المسألةِ ؛ سأَلَه عمن أرْسَله ، وبما أرْسَله ، وسأَله عن شرائعِ الإسلامِ ، فأجابه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ذلك كلِّه ، فرجَع إلى قومِه مسلمًا قد خلَع الأنْدادَ ، فأخْبَرَهم بما أمَرهم به ونهاهم عنه ، فما أمْسَى فى ذلك اليومِ فى حاضرِه رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا ، وبنَوُا المساجدَ ، وأذَّنوا بالصلاةِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا سليمانُ - يعنى ابنَ المغيرةِ - عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كنا نُهِينا أن نسألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن شىءٍ ، فكان يُعْجِبُنا أن يَجىءَ الرجلُ مِن أهلِ الباديةِ العاقلُ ، فيسْأَله ونحن

---

(١) المسند ١/ ٢٥٠. (إسناده صحيح) .

(٢) أبو داود (٤٨٧) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٦١) .

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٩٩، عن الواقدى به .

(٤) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، م : « عذارتين » .

(٥) المسند ٣/ ١٤٣.

نسْمَعُ ، فجاء رجلٌ مِن أهلِ الباديةِ ، فقال : يا محمدُ ، أتانا رسولُك فزعَم لنا أنك تزْعُمُ أن اللَّهَ أرْسَلَك . قال: « صَدَق » . قال : فمَن خلَق السماءَ[1] ؟ قال : « اللَّهُ » . قال : فمَن خلَق الأرضَ ؟ قال : « اللَّهُ » . قال : فمَن نصَب هذه الجبالَ ، وَجعَل فيها ما جعَل ؟ قال : « اللَّهُ » . قال : فبالذى خلَق السماءَ ، وخلَق الأرضَ ، ونصَب هذه الجبالَ ، آللَّهُ أرْسَلَك ؟ قال : « نعم » . قال : وزعَم رسولُك أنَّ علينا خمسَ صلواتٍ فى يومِنا وليلتِنا . قال : « صدَق » . قال : فبالذى أرْسَلك ، آللَّهُ أمَرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعَم رسولُك أن علينا زكاةً فى أموالِنا . قال : « صدَق » . قال : فبالذى أرْسَلك ، آللَّهُ أمَرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعَم رسولُك أنَّ علينا صومَ شهرِ رمضانَ[2] فى سَنتِنا . قال[3] : « صدَق » . قال : فبالذى أرْسَلك ، آللَّهُ أمَرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعَم رسولُك أنَّ علينا حجَّ البيتِ مَن استطاع إليه سبيلًا . قال : « صدَق » . قال : ثم ولَّى فقال : والذى بعَثك بالحقِّ نبيًّا[4] لا أَزيدُ عليهن شيئًا ، ولا أنقُصُ منهن[5] شيئًا . فقال النبىُّ ﷺ : « لئن صدَق لَيَدْخُلَنَّ الجنةَ » .[6] وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحين » وغيرِهما بأسانيدَ وألفاظٍ كثيرةٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، رضى اللَّهُ عنه[6] ، وقد رواه مسلمٌ مِن حديثِ أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ ، عن سليمانَ بنِ المغيرةِ ، وعلَّقه [٣/ ٢٣٠و] البخاريُّ مِن طريقِه[7] .

---

(١) فى ا ٤، م : « السماوات » .
(٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .
(٣) بعده فى المسند : « نعم » .
(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .
(٥) فى النسخ : « عنهن » . والمثبت من المسند .
(٦ - ٦) سقط من : ا ٤، ص . وسيأتى تفصيل ذلك فى الآتى من كلام المصنف .
(٧) مسلم (١٢/١٠) ، والبخارى من طريق سليمان بن المغيرة معلقا عقب الحديث (٦٣) .

وأخْرَجه[1] مِن وجهٍ آخرَ بنحوِه ، فقال الإمامُ أحمدُ : حدثنا حجاجٌ ، ثنا ليثٌ ، حدثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ ، عن شَرِيكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَمِرٍ ، أنه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : بينا نحن معَ[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ جلوسًا فى المسجدِ ، دخَل رجلٌ على جملٍ ، فأناخه فى المسجدِ ثم عقَله ، ثم قال : أيُّكم محمدٌ[3] ؟ ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكئٌ بينَ ظَهْرانَيهم . قال : فقلنا : هذا الرجلُ الأبيضُ المتكئُ . فقال الرجلُ : يا بنَ عبدِ المطلبِ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد أجَبْتُك » . فقال الرجلُ : يا محمدُ ، إنى سائلُك فمُشْتَدٌّ[4] عليك فى المسألةِ فلا تجِدْ علىَّ فى نفسِك . فقال : « سَلْ ما بدا لك » . فقال الرجلُ : أنْشُدُك[5] بربِّك وربِّ مَن كان قبلَك ، آللَّهُ أرْسَلك إلى الناسِ كلِّهم ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم نعم » . [6]قال : فأنشُدُك اللَّهَ ، آللَّهُ أمَرك أن نصلِّىَ الصلواتِ الخمسَ فى اليومِ والليلةِ ؟ قال : « اللهم نعم »[6] . قال : فأنشُدُك اللَّهَ ، آللَّهُ أمَرك أن نصومَ هذا الشهرَ مِن السَّنةِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم نعم » . [7]قال : أنشُدُك اللَّهَ ، آللَّهُ أمَرك أن تأخذَ هذه الصدقةَ مِن أغنيائِنا فتَقْسِمَها على فقرائِنا ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم نعم »[7] . قال الرجلُ : آمنْتُ بما جئتَ به ، وأنا رسولُ مَن ورائى مِن قومى ، وأنا ضِمامُ بنُ ثعلبةَ ، أخو بنى سعدِ بنِ بكرٍ . وقد رواه البخاريُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ به[8] ، وهكذا رواه

---

(١) أى الإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٦٨.

(٢) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : « عند » .

(٣) بعده فى المسند : « رسول الله » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « فمشدد » .

(٥) فى الأصل ، م : « أسألك » . وفى المسند : « نشدتك » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م .

(٨) البخارى (٦٣) .

أبو داودَ والنسائيُّ وابنُ ماجه عن الليثِ به[1] ، والعَجَبُ أن النسائيَّ رواه مِن طريقٍ آخرَ ، عن الليثِ ، قال : حدَّثنى ابنُ عَجْلانَ وغَيرُه مِن أصحابِنا ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن شَرِيكٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، فذكَره[2] ، وقد رواه النسائيُّ أيضًا مِن حديثِ عُبَيْدِ اللَّهِ العُمَرىِّ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ[3] ، فلعله عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ مِن الوجهين جميعًا .

فصلٌ

وقد قدَّمْنا[4] ما رواه الإمامُ أحمدُ ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن حفصِ بنِ غِياثٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قدومِ ضِمادٍ الأَزْدىِّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ قبلَ الهجرةِ ، وإسلامِه وإسلامِ قومِه ، كما ذكَرْناه مبسوطًا بما أغْنَى عن إعادتِه هـٰهنا ، وللَّه الحمدُ والمنةُ .

---

(١) أبو داود (٤٨٦) ، والنسائى (٢٠٩١) ، وابن ماجه (١٤٠٢) .

(٢) النسائى (٢٠٩٢) . ووجه العجب عند المصنف - رحمه اللَّه - أن الحديث رواه النسائى ، من طريق الليث عن سعيد المقبرى بغير واسطة ، ورواه النسائى أيضًا من وجه آخر من طريق الليث عن ابن عجلان وغيره عن سعيد المقبرى ، مع أن الليث أثبتُهم فى سعيد . وقد أزال هذا العجب الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١/١٥٠ ، فانظره هناك .

(٣) النسائى (٢٠٩٣) .

(٤) تقدم فى ٤/٩٢ - ٩٥، ولكن من رواية مسلم والبيهقى من طريق داود بن أبى هند به ، وأما حديث أحمد فهو فى المسند ١/٣٠٢. (إسناده صحيح) .

وفدُ طيّئٍ مع زيدِ الخَيْلِ، رضى اللّـهُ عنه

(١) وهو زيدُ بنُ مُهَلهِلِ بنِ زيدِ بنِ مُنْهِبٍ أبو مُكْنِفٍ الطائيُّ، وكان من أحسنِ العربِ وأطولِهم رجلًا، وسُمِّىَ زيْدَ الخيلِ لخَمْسِ أفراسٍ كنَّ له. قال السُّهيليُّ[٢]: ولهنَّ أسماءٌ لا يَحْضُرُنى الآنَ حفظُها(١).

قال ابنُ إسحاقَ[٣]: وقدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدُ طيِّئٍ، فيهم زيدُ الخيلِ، وهو سيدُهم، فلما انْتَهَوا إليه كلَّموه، وعرَض عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ الإسلامَ، فأسْلَموا فحسُن إسلامُهم، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ، كما حدَّثَنى مَن لا أتَّهِمُ مِن رجالِ طيِّئٍ: «ما ذُكِرَ لى[٤] رجلٌ مِن العربِ [٣/ ٢٣٠ظ] بفضلٍ، ثم جاءنى إلا رأيتُه دونَ ما يقالُ فيه، إلا زيدَ الخيلِ، فإنه لم يُبْلَغْ كلُّ الذى[٥] فيه». ثم سمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ الخَيْرِ، وقطَع له فَيْدَ[٦] وأرَضِين معه، وكتَب له بذلك، فخرَج مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ راجعًا إلى قومِه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن يَنْجُ زيدٌ مِن حُمَّى المدينةِ فإنَّه[٧]». قال: وقد سمَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ باسمِ غيرِ الحُمَّى

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) الروض الأنف ٧/ ٤٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٧، ٥٧٨.

(٤) سقط من: الأصل، ص، م.

(٥) فى السيرة: «ما كان».

(٦) فيدُ: مكان بشرقىّ سَلْمَى، وسلمى أحد جبلَىْ طيئ. وقال السكونى: كان فيد فَلاةً فى الأرض بين أسدٍ وطيئ فى الجاهلية، فلما قدم زيد الخيل على رسول اللّه ﷺ أقطعه فيدَ. انظر معجم ما استعجم ٣/ ١٠٣٣. قال فى تاج العروس (ف ى د): والغالب على فيد التأنيث ... قال التدمرى: والاختيار فيها عند سيبويه عدم الانصراف.

(٧) فإنه: فى «إنه» قولان؛ أحدهما أن تجعل «إنه» بمعنى «نَعَم»، والآخر أن تجعل الكلام =

وغيرِ أمِّ مَلْدَمٍ ، لم يُثْبِتْه[1] . قال : فلما انتهى مِن بلدِ نجدٍ إلى ماءٍ مِن مياهِه يقالُ له : فَرْدَةُ . أصابتْه الحُمَّى ، فمات بها ، ولما أحَسَّ بالموتِ قال :

أَمُرْتَحِلٌ قومِى المشارقَ غُدْوَةً وأُتْرَكُ فى بيتٍ بفَرْدَةَ مُنْجِدِ
ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضْتُ لَعادنى عَوائِدُ مَن لم يُبْرَ منهن يَجْهَدِ

قال : ولما مات عَمَدَتِ امرأتُه - [2]بجهلِها وقلةِ عقلِها ودينِها[2] - إلى ما كان معه مِن الكتبِ فحرَقَتْها بالنارِ .

قلتُ : وقد ثبَت فى « الصحيحينِ »[3] ، عن أبى سعيدٍ أن علىَّ بنَ أبى طالبٍ بعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن اليمنِ بذُهَيْبَةٍ[4] فى تُرْبتِها ، فقسَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أربعةٍ ؛ زيدِ الخَيْلِ ، وعَلْقمةَ بنِ عُلاثةَ ، والأقْرعِ بنِ حابسٍ ، وعُيَيْنَةَ[5] بنِ بدرٍ . الحديثَ . وسيأتى ذكرُه فى بعثِ علىٍّ إلى اليمنِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

قصةُ عدىّ بنِ حاتمٍ الطائىّ

قال البخارىُّ فى « الصحيحِ »[6] : وفدُ طيئٍ وحديثُ عدىِّ بنِ حاتمٍ ، حدثنا

= مختصرا مقتصرا مما بعده عليه ، كأنه قال : وإنه كذلك . انظر غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٥٣٧.

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف ٧/ ٤٤٧: الاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمَّى هو : أم كُلْبَة ، ذُكر لى أن أبا عُبيدة ذكَره فى مَقاتِل الفرسان ، ولم أره .

(٢ - ٢) زيادة من النسخ . وهو تعليق المصنف - رحمه اللَّه - على صنيع امرأة زيد .

(٣) فى الأصل ، ٤١ ، م : « الصحيح » . والحديث عند البخارى (٣٣٤٤) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٤) فى م : « بذهبية » . وذهيبة فى تربتها : يعنى أنها لم تخلَّص من تراب المعدن فكأنها كانت تبرًا ، وتخليصها بالسبك . فتح البارى ٨/ ٦٨.

(٥) فى الأصل ، م : « عتبة » .

(٦) البخارى (٤٣٩٤) .

موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو عَوانةَ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ ، عن عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، عن عدىِّ بنِ حاتمٍ قال : أتَيْنا عمرَ بنَ الخطابِ فى وفدٍ ، فجعَل يدعو رجلًا رجلًا يُسَمِّيهم ، فقلتُ : أما تَعْرِفُنى يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : بلى ، أسْلَمْتَ إذ كفَروا ، وأقْبَلْتَ إذ أدْبَروا ، ووفَيْتَ إذ غدَروا ، وعرَفْتَ إذ أنكَروا[1] . فقال عدىٌّ : لا أُبالى إذًا .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : وأما عدىُّ بنُ حاتمٍ فكان يقولُ ، فيما بلَغنى : ما رجلٌ مِن العربِ كان أشدَّ كراهةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ سمِع به منى ، أمَّا أنا فكنتُ امرأً شريفًا ، وكنتُ نصرانيًّا ، وكنتُ أَسيرُ فى قومى بالمِرْباعِ ، وكنتُ فى نفسى على دينٍ ، وكنتُ مِلِكًا فى قومى ؛ لِما كان يُصْنَعُ بى ، فلما سمِعْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ كرِهْتُه ، فقلتُ لغلامٍ كان لى عربىٍّ ، وكان راعيًا لإبلى : لا أبَا لك ، أعْدِدْ لى مِن إبلى أجمالًا ذُلُلًا[3] سِمانًا ، فاحْتَبِسْها قريبًا منى ، فإذا سمِعْتَ بجيشٍ لمحمدٍ قد وَطِئ هذه البلادَ فآذِنِّى . ففعَل ، [٣/ ٢٣١و] ثم إنه أتانى ذاتَ غداةٍ فقال : يا عدىُّ ، ما كنتَ صانعًا إذا غَشِيَتْك خيلُ محمدٍ ، فاصْنَعْه الآنَ ؛ فإنى قد رأيتُ راياتٍ ، فسألْتُ عنها فقالوا : هذه جيوشُ محمدٍ . قال : قلْتُ : فقرِّبْ إلىَّ أجمالى . فقرَّبَها فاحْتَمَلْتُ بأهلى وولدى ، ثم قلتُ : ألْحَقُ بأهلِ دينى مِن النصارى بالشامِ . فسلَكْتُ الجُوشِيَّةَ[4] وخلَّفْتُ بنتًا لحاتمٍ[5] فى الحاضِرِ ، فلما

---

(١) فى م : « نكروا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥٧٨ - ٥٨١.

(٣) ذللا : جمع ذَلُول : وهو السهل الانقياد .

(٤) فى الأصل، ٤١، م : « الحوشية » . والجوشية : قال الحازمى : موضع بين نجد والشام . معجم البلدان ٢/ ١٥٤.

(٥) قال السهيلى فى الروض الأنف ٧/ ٤٥١ : « لا يُعرف له - أى لحاتم - بنت إلا سَفَّانة ، فهى إذًا هذه المذكورة فى السيرة . واللَّه أعلم » .

قدِمْتُ الشامَ أقمْتُ بها وتُخالِفُنى خيلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فتُصِيبُ ابنةَ حاتمٍ فيمَن أصابت ، فقُدِم بها على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سَبايا مِن طيِّئٍ، وقد بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ هربى إلى الشامِ . قال : فجُعِلت ابنةُ حاتمٍ فى حَظيرةٍ ببابِ المسجدِ ، كانت السَّبايا تُحْبَسُ بها ، فمرَّ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقامت إليه ، وكانت امرأةً جَزْلةً[1] ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَك الوالدُ ، وغاب الوافدُ[2] ، فامْنُنْ علىَّ مَنَّ اللَّهُ عليك . قال : « ومَن وافدُك ؟ » قالت : عدىُّ بنُ حاتمٍ . قال : « الفارُّ مِن اللَّهِ ورسولِه ؟ » قالت : ثم مضى وترَكنى حتى إذا كان الغدُ مَرَّ بى ، فقلتُ له مثلَ ذلك ، وقال لى مثلَ ما قال بالأمسِ . قالت : حتى إذا كان بعدَ الغدِ مرَّ بى وقد يئِسْتُ ، فأشار إلىَّ رجلٌ خلفَه أنْ قومى فكَلِّميه . قالت : فقُمْتُ إليه فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَك الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فامْنُنْ علىَّ مَنَّ اللَّهُ عليك . فقال ﷺ : « قد فعَلْتُ ، فلا تعْجَلى بخروجٍ حتى تجدى مِن قومِك مَن يكونُ لك ثقةً حتى يُبلِّغَك إلى بلادِك ، ثم آذِنِينى » . فسألْتُ عن الرجلِ الذى أشار إلىَّ أنْ كلِّميه ، فقيل لى : علىُّ بنُ أبى طالبٍ . قالت : فأقمْتُ[3] حتى قدِمَ رَكْبٌ[4] مِن بَلِىٍّ أو قُضاعةَ . قالت : وإنما أُريدُ أن آتىَ أخى بالشامِ ، فجئتُ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد قَدِم رَهْطٌ مِن قومى ، لى فيهم ثقةٌ وبَلاغٌ . قالت : فكسانى وحَمَلنى ، وأعطانى نفقةً ، فخرَجْتُ معهم حتى قدِمْتُ الشامَ . قال عدىٌّ : فواللَّهِ إنى لقاعدٌ فى أهلى ، إذ نظَرْتُ إلى ظَعينةٍ تُصَوِّبُ[5] [6]إلى قومِنا[6] . قال : فقلتُ : ابنةُ حاتمٍ ؟

---

(١) جزلة : ذات كلام جَزْلٍ ؛ أى قوىّ شديد . انظر النهاية ١/ ٢٧٠.

(٢) الوافد : تريد به الزائر الذى كان يتردد عليها ويتعهَّدها بالصلة والمعونة . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٢.

(٣) فى م : « فقمت » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) تصوِّب : أى تتوجَّه . انظر الوسيط (ص و ب) .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « إلىَّ تؤمنا » .

قال : فإذا هى هى ، فلما وقَفتْ علىَّ انْسَحلَتْ[1] تقولُ : القاطعُ الظالمُ ، احتَمَلْتَ بأهلِك وولدِك ، وترَكْتَ بقيةَ والدِك عَوْرَتَك ؟ قال : قلتُ : أىْ أُخَيَّةُ ، لا تقولى إلا خيرًا ، فواللَّهِ ما لى مِن عذرٍ ، لقد صنَعْتُ ما ذكَرْتِ . قال : ثم نزَلَتْ فأقامت عندى ، فقلتُ لها ، وكانت امرأةً حازمةً : ماذا ترَيْن فى أمرِ هذا الرجلِ ؟ قالت : أرى واللَّهِ أن تَلْحَقَ به سريعًا ، [٣/ ٢٣١ظ] فإن يكنِ الرجلُ نبيًّا فللسابقِ إليه فضلُه ، وإن يكنْ ملِكًا فلن تذِلَّ[2] فى عزِّ اليَمنِ وأنت أنت . قال : قلتُ : واللَّهِ إن هذا الرأىُ . قال : فخرَجْتُ حتى أقدَمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فدخَلْتُ عليه وهو فى مسجدِه ، فسلَّمْتُ عليه ، فقال : « مَن الرجلُ ؟ » فقلتُ : عدىُّ بنُ حاتمٍ . فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وانطَلق بى إلى بيتِه ، فواللَّهِ إنه لعامدٌ بى إليه إذ لقِيَتْه امرأةٌ ضعيفةٌ كبيرةٌ فاستَوْقَفَتْه ، فوقَف لها طويلًا تُكَلِّمُه فى حاجتِها . قال : قلتُ فى نفسى : واللَّهِ ما هذا بمِلِكٍ . قال : ثم مضَى بى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى إذا دخَل[3] بيتَه تناول وِسادةً مِن أَدَمٍ مَحْشُوَّةً لِيفًا ، فقذَفها إلىَّ ، فقال : « اجْلِسْ على هذه » . قال : قلتُ : بل أنت فاجْلِسْ عليها . قال : « بل أنت » . فجلَسْتُ وجلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ بالأرضِ . قال : قلتُ فى نفسى : واللَّهِ ما هذا بأمرِ ملِكٍ . ثم قال : « إيهِ يا عدىَّ بنَ حاتمٍ ، ألم تكُ رَكُوسِيًّا[4] ؟ » . قال : قلتُ : بلى . قال : « أوَ لم تَكُنْ تسيرُ فى قومِك بالمِرْباعِ ؟ » قال : قلتُ : بلى . قال : « فإن ذلك لم يكنْ يحِلُّ لك فى دينِك » . قال : قلتُ : أجَلْ واللَّهِ . قال :

---

(١) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م ، ص : « استحلت » . والمثبت من السيرة . وانسحلت : أى لامت . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٠.

(٢) فى م : « تزل » .

(٣) بعده فى ص : « فى » . وبعده فى السيرة : « بى » .

(٤) الرَّكُوسِيَّة : قوم لهم دين بين النصارى والصابئين . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦١.

وعرَفْتُ أنه نبيٌّ مرسلٌ يعْلَمُ ما يُجْهَلُ . ثم قال : « لعلك يا عديُّ ، إنما يَمْنَعُك مِن دخولِ فى هذا الدينِ ما ترَى مِن حاجتِهم ، فواللَّهِ لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يَفيضَ فيهم ، حتى لا يُوجَدَ مَن يأخذُه ، ولعلك إنما يمْنَعُك مِن دخولِ فيه ما ترَى مِن كثرةِ عدوِّهم وقلةِ عددِهم ، فواللَّهِ ليُوشِكَنَّ أن تسمعَ بالمرأةِ تخرُجُ مِن القادسيَّةِ على بعيرِها حتى تزورَ هذا البيتَ لا تخافُ ، ولعلك إنما يمنَعُك مِن دخولِ فيه أنك ترى أن المُلْكَ والسلطانَ فى غيرِهم ، وايمُ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أن تسمعَ بالقصورِ البِيضِ مِن أرضِ بابلَ قد فُتِحت عليهم » . قال : فأسْلَمْتُ . قال : فكان عديٌّ يقولُ : مضَت اثنتان وبقِيَتِ الثالثةُ ، واللَّهِ لَتكُونَنَّ ؛ وقد رأيْتُ القصورَ البِيضَ مِن أرضِ بابلَ قد فُتِحت ، ورأيْتُ المرأةَ تخرُجُ مِن القادسيَّةِ على بعيرِها لا تخافُ حتى تحُجَّ هذا البيتَ ، وايمُ اللَّهِ لَتَكونَنَّ الثالثةُ ؛ لَيَفيضُ المالُ حتى لا يُوجدَ مَن يأخُذُه . هكذا أَورد ابنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ ، هذا السياقَ بلا إسنادٍ ، وله شواهدُ مِن وجوهٍ أخرَ .

فقال الإمامُ أحمَدُ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدثنا شعبةُ ، سمِعْتُ سِماكَ ابنَ حربٍ ، سمِعْتُ عَبَّادَ بنَ حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ عن [٣/ ٢٣٢و] عَدِيِّ بنِ حاتمٍ قال : جاءت خيلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا بعقربٍ[2] ، فأخذوا عمَّتى[3] وناسًا ، فلما أتَوْا بهم رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : فصُفُّوا له . قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، نأى[4] الوافدُ

---

(١) المسند ٤/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٢) كذا فى النسخ والمسند . وعقرب بلفظ الحشرة المعروفة : اسم لمكان كما يعطيه السياق ، وفى معجم البلدان : عقرباء - بالمد - منزل من أرض اليمامة كان للمسلمين مع مسيلمة الكذاب عنده وقائعُ . وعقرباء أيضا اسم مدينة الجَوْلان وهى كورة من كور دمشق كان ينزلها ملوك غسان . وقال الأدبى : العقربة ماء لبنى أسد . انظر بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢١، ٣٢٢، ومعجم البلدان ٣/ ٦٩٤، ٦٩٥.

(٣) هكذا الرواية ، والمشهور فى كتب السيرة أن المأخوذ أخته ، فإن أمكن التوفيق وإلا كان ما فى الحديث أصح . انظر بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٢.

(٤) فى م : « بان » .

وانقطع الولدُ ، وأنا عجوزٌ كبيرةٌ ، ما بى مِن خِدْمةٍ ، فمُنَّ علىَّ مَنَّ اللَّهُ عليك . فقال : « ومَن وافدُك ؟ » قالت : عدىُّ بنُ حاتمٍ . قال : « الذى فرَّ مِن اللَّهِ ورسولِه ؟ » قالت : فمَنَّ علىَّ . فلمَّا رجَع ورجلٌ إلى جنبِه تُرَى أنه علىٌّ ، قال : سليه حُمْلانًا[1] . قال : فسألَتْه ، فأمَر لها . قال عدىٌّ : فأتَتْنى فقالت : لقد فعَلْتَ فَعْلةً ما كان أبوك يفْعَلُها . وقالت : ائتِه راغبًا أو راهبًا ، فقد أتاه فلانٌ فأصاب منه ، وأتاه فلانٌ فأصاب منه . قال : فأتَيْتُه فإذا عندَه امرأةٌ وصبيانٌ أو صبىٌّ ، فذكَر قُرْبَهم منه ، فعرَفْتُ أنه ليس ملكَ كسرى ولا قيصرَ . فقال له : « يا عدىَّ بنَ حاتمٍ ، ما أفَرَّك[2] ؟ أفَرَّك أن يُقالَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ فهل مِن إلهٍ إلا اللَّهُ ؟! ما أفَرَّك ؟ أفَرَّك أن يُقالَ : اللَّهُ أكبرُ ؟ فهل شىءٌ هو أكبرُ مِن اللَّهِ عز وجل ؟! » قال[3] : فأسْلَمْتُ فرأيْتُ وجهَه استَبْشَر ، وقال : « إن المغضوبَ عليهم اليهودُ ، وإن الضالِّين النصارى » . قال : ثم سألوه ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : « أمَّا بعدُ ، فلكم أيها الناسُ أن تُرْضَخوا مِن الفَضْلِ ، ارتَضَخ امرُؤٌ بصاعٍ[4] ، ببعضِ صاعٍ ، بقُبضةٍ ، ببعضِ قُبضةٍ » - قال شعبة : وأكثرُ علمى أنه قال : « بتمرةٍ ، بشِقِّ تمرةٍ » - وإن أحدَكم لاقِى اللَّهِ فقائلٌ[5] ما أقولُ : ألم أجعلْك سميعًا بصيرًا ؟ ألم أجعلْ لك مالًا وولدًا ؟ فماذا قدَّمْتَ ؟ فينْظُرُ مِن بينِ يديه ومِن خلفِه ، وعن

---

(١) حملانًا : المراد به ما يحملها من الإبل إلى قومها ومعه الزاد وما تحتاج إليه . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٢.

(٢) أفرك : أى ما حَمَلَك على الفرار . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٢.

(٣) القائل عدىٌّ رضى اللَّه عنه .

(٤) ترضخوا : أى تُعطوا . وقوله ﷺ : « ارتضخ امرؤ بصاع » . خبر معناه الأمر ؛ أى ليُعطِ كل منكم ما يستطيع . انظر بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٢.

(٥) فى م : « فقاتل » . وقوله ﷺ : « فقائل » . أى اللَّه عز وجل لمن يلقاه من عباده . وقوله ﷺ بعده : « ما أقول » . أى ما أقول لكم الآن من الأسئلة . وهى : « ألم أجعلك سميعًا بصيرًا ...» إلخ . انظر بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٢.

يمينِه وعن شمالِه ، فلا يَجِدُ شيئًا ، فما يتَّقى النارَ إلا بوجهِه ، فاتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، فإن لم تجِدوه فبكلمةٍ ليِّنةٍ ، إنى لا أخْشَى عليكم الفاقَةَ ، لَينصُرَنَّكم اللَّهُ ولَيُعْطِيَنَّكم أو لَيَفْتَحَنَّ عليكم[1] حتى تسيرَ الظَّعينةُ بينَ الحِيرةِ ويثربَ أو[2] أكثرَ ما تَخافُ[3] السَّرَقَ[4] على ظعينتِها[5] » . وقد رواه الترمذىُّ[6] ، مِن حديثِ شعبةَ وعمرِو بنِ أبى قيسٍ ، كلاهما عن سِماكٍ ، ثم قال : حسنٌ غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ سِماكٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] أيضًا : حدَّثنا يزيدُ ، أنبأنا هشامُ بنُ حسانَ ، عن محمدِ ابنِ سِيرينَ ، عن أبى عُبَيدةَ - هو ابنُ حُذَيفةَ - عن رجلٍ ، قال : قلتُ لعدىِّ بنِ حاتمٍ : حديثٌ بلَغنى عنك أُحِبُّ أن أسْمعَه منك . قال : نعم ، لما بلَغنى خروجُ رسولِ اللَّهِ [٣/ ٢٣٢ظ] ﷺ كرِهْتُ خروجَه كراهيةً شديدةً ، فخرَجْتُ حتى وقَعْتُ ناحيةَ الرومِ - وفى روايةٍ[8] : حتى قدِمْتُ على قيصرَ - قال : فكرِهْتُ مكانى ذلك أشدَّ مِن كراهتى لخروجِه . قال : قلتُ : واللَّهِ لو أتَيْتُ هذا الرجلَ ، فإن كان كاذبًا لم يَضُرَّنى ، وإن كان صادقًا علِمْتُ . قال : فقدِمْتُ فأتَيْتُه ، فلما قدِمْتُ ، قال الناسُ : عدىُّ بنُ حاتمٍ ، [9]عَدِىُّ بنُ حاتمٍ[9] . فدخَلْتُ على رسولِ

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند : « لكم » .

(٢) فى النسخ : « إن » . والمثبت من المسند .

(٣) فى الأصل : « نخاف » . وفى ا ٤ : « نحاف » . وفى م : « يخاف » .

(٤) السرق : المراد به السرقة . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٢٣.

(٥) المراد بالظعينة فى الموضع الأول المرأة ، وفى الثانى الراحلة التى تحملها . انظر المصدر السابق .

(٦) الترمذى (٢٩٥٣ مكرر) ، من طريق عمرو بن أبى قيس ، ومن طريق شعبة (٢٩٥٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٣٥٤) .

(٧) المسند ٤/ ٢٥٧.

(٨) هى رواية يزيد - الذى حدَّث عنه الإمام أحمد أول الإسناد - ببغداد ؛ ففى المسند : وقال يعنى يزيد ببغداد .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م .

اللَّهِ ﷺ ، فقال لى : « يا عدىَّ بنَ حاتمٍ ، أسْلِمْ تَسْلَمْ » ثلاثًا . قال : قلتُ : إنى على دِينٍ . قال : « أنا أعلمُ بدينِك منك » . فقلتُ : أنت أعْلَمُ[1] بدينى منى ؟! قال : « نعم ، ألسْتَ مِن الرَّكوسِيَّةِ ، وأنت تأْكُلُ مِرْباعَ قومِك ؟ » قلتُ : بلى . قال : « هذا لا يَحِلُّ لك فى دينِك » . قال : نعم . فلم يَعْدُ أن قالها فتَواضَعْتُ لها . قال : « أمَا إنى أعْلَمُ الذى يَمْنَعُك مِن الإسلامِ ؛ تقولُ : إنَّما اتَّبَعه ضَعَفةُ الناسِ ومَن لا قوةَ له[2] ، وقد رمَتْهم العربُ ، أتَعْرِفُ الحيرةَ ؟ » قلتُ : لم أرَها وقد سمِعْتُ بها . قال : « فوالذى نفسى بيدِه لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمرَ حتى تخْرُجَ الظَّعينةُ مِن الحيرةِ حتى تَطوفَ بالبيتِ فى غيرِ جِوارِ أحدٍ ، ولَيَفْتَحَنَّ كنوزَ كِسرى بنِ هُرْمُزَ » . قال : قلتُ : كسرى[3] بنِ هُرْمُزَ ؟ قال : « نعم ، كسرى بنِ هُرْمُزَ ، ولَيُبْذَلَنَّ المالُ حتى لا يَقْبَلَه أحدٌ » . قال عدىُّ بنُ حاتمٍ : فهذه الظَّعِينةُ تخرُجُ[4] مِن الحيرةِ تَطوفُ بالبيتِ فى غيرِ جِوارٍ ، ولقد كنتُ فيمَن فتَح كنوزَ كِسْرى [5]بنِ هُرْمُزَ[5] ، والذى نفسى بيدِه لَتَكونَنَّ الثالثةُ ؛ لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قالها .

ثم قال أحمدُ[6] : حدَّثنا يونسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن أبى عُبَيدةَ بنِ حذيفةَ ، عن رجلٍ - وقال حمادٌ عن[7] هشامٍ ، عن محمدٍ عن[8] أبى عُبَيْدةَ ، ولم يذْكُرْ : عن رجلٍ -

---

(١) فى م : « تعلم » .
(٢) سقط من : الأصل . وفى م : « لهم » .
(٣) فى النسخ : « كنوز » . والمثبت من المسند .
(٤) سقط من : الأصل ، ص . وفى ا ٤١ ، م : « تأتى » . والمثبت من المسند .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٤١ ، م .
(٦) المسند ٤/ ٣٧٩.
(٧) فى الأصل ، م : « بن » .
(٨) فى النسخ والمسند : « و » . وهو خطأ . والمثبت من أطراف المسند ٤/ ٣٣٢. وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٣٩، ٣٠/ ١٨١، والمسند الجامع ١٢/ ٥٠٠.

قال[1] : كنتُ أسْألُ الناسَ عن حديثِ عدىِّ بنِ حاتمٍ ، وهو إلى جنبى لا أسألُه . قال : فأتَيْتُه فسألْتُه ، فقال : نعم . فذكَر الحديثَ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[2] ، أنبأنا أبو عَمرٍو الأديبُ ، أنبأنا أبو بكرٍ الإسماعيلىُّ ، أخبرنى الحسنُ بنُ سفيانَ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، أنبأنا النَّضْرُ ابنُ شُمَيْلٍ ، أنبأنا إسرائيلُ ، أنبأنا سعدٌ الطائىُّ ، أنبأنا مُحِلُّ بنُ خليفةَ ، عن عدىِّ ابنِ حاتمٍ قال : بينا أنا عندَ النبىِّ ﷺ إذ أتاه رجلٌ فشكَى إليه الفاقَةَ ، وأتاه آخرُ فشكَى إليه قطعَ السبيلِ . قال : « يا عدىَّ بنَ حاتمٍ ، هل رأيتَ الحيرةَ ؟ » قلتُ : لم أَرَها ، وقد أُنْبِئْتُ عنها . قال : « فإن طالت [٣/٢٣٣و] [3]بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعينةَ ترْتَحِلُ مِن الحيـرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تَخافُ أحـدًا إلا اللَّهَ عز وجل » . قال : قلتُ فى نفسى : فأين[4] دُعّارُ[5] طيئٍ الذين سَعَّروا[6] البلادَ ؟ « ولئن طالت بك حياةٌ لَتُفْتَحَنَّ كنوزُ كسرى بنِ هُرْمُزَ » . قلتُ : كسرى بنِ هُرْمُزَ ؟! قال : « كسرى بنِ هُرْمُزَ » . « ولئن طالت[3] بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الرجلَ يخرُجُ بملءِ كفِّه[7] مِن ذهبٍ أو فضةٍ ، يطْلُبُ مَن يَقْبَلُه منه فلا يجِدُ أحدًا يقْبَلُه

---

(١) بعده فى المسند : « حماد يعنى » .

(٢) دلائل النبوة ٥/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ص : « فإن » .

(٥) فى م ، ص ، والدلائل: « ذعار » . والمثبت موافق للفظ البخارى (٣٥٩٥) . والدعار : جمع داعر ، وهو الشاطر الخبيث المفسد ، وأصله عُودٌ داعرٌ ؛ إذا كان كثير الدخان ، قال الجواليقى : والعامة تقوله بالذال المعجمة ، فكأنهم ذهبوا به إلى معنى الفزع ، والمعروف الأول والمراد به قطاع الطريق . انظر فتح البارى ٦/ ٦١٣.

(٦) سعروا : أى أوقدوا نار الفتنة ، أى ملئوا الأرض شرا وفسادا ، وهو مستعار من اسْتِعارِ النار ، وهو توقُّدها . فتح البارى ٦/ ٦١٣.

(٧) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « كفيه » .

منه ، ولَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحدُكم يومَ يَلْقاه ليس بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ ، فيَنْظُرُ عن يمينِه فلا يرَى إلا جهنمَ ، وينْظُرُ عن شمالِه فلا يَرَى إلا جهنَّمَ » . قال عدىٌّ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، فإن لم تَجِدْ[1] شِقَّ تمرةٍ ، فبكلمةٍ طيِّبةٍ » . قال عدىٌّ : فقد رأيتُ الظَّعينةَ ترْتَحِلُ مِن الكوفةِ حتى تَطوفَ بالبيتِ ، لا تَخافُ إلا اللَّهَ ، عز وجل ، وكنتُ فيمن افتَتَح كنوزَ كسرى بنِ هُرْمُزَ ، ولئن طالت بكم حياةٌ ستَرَوْن ما قال أبو القاسمِ ﷺ . وقد رواه البخاريُّ ، عن محمدِ بنِ الحكمِ ، عن النَّضْرِ بنِ شُمَيْلٍ به بطولِه[2] ، وقد رواه مِن وجهٍ آخرَ ، عن سَعْدانَ بنِ بشرٍ ، عن سعدٍ أبى مجاهدٍ الطائىِّ ، عن مُحِلِّ بنِ خَليفةَ ، عن عدىٍّ به[3] ، ورواه الإمامُ أحمدُ والنسائىُّ مِن حديثِ شعبةَ ، عن سعدٍ أبى مجاهدٍ الطائىِّ به[4] . وممن رَوَى هذه القصةَ عن عدىٍّ عامرُ بنُ شُرَحْبِيلَ الشعبىُّ ، فذكَر نحوَه ، وقال : « لا تَخافُ إلا اللَّهَ والذئبَ على غنمِها[5] » .

وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[6] ، مِن حديثِ شعبةَ ، وعندَ مسلمٍ[7] مِن حديثِ زهيرِ بنِ معاويةَ ، كلاهما عن أبى إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْقِلِ بنِ مُقَرِّنٍ المُزَنىِّ ، عن عدىِّ بنِ حاتمٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اتقوا النارَ ولو بشِقِّ

---

(١) فى م : « تجدوا » .

(٢) البخارى (٣٥٩٥) .

(٣) البخارى (١٤١٣) .

(٤) المسند ٤/ ٢٥٦، والنسائى (٢٥٥١) . وعندهما : عن شعبة عن محل به . وليس كما ذكر المصنف عن شعبة عن سعد . وليس لشعبة رواية عن سعدٍ على ما ذكره الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب . انظر جامع المسانيد ٩/ ٦٨، وأطراف المسند ٤/ ٣٢٨، وتحفة الأشراف ٧/ ٢٨٢، ٢٨٣، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٨٥، ٤/ ٣٣٨.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٤٤، ٣٤٥.

(٦) البخارى (١٤١٧) .

(٧) مسلم (١٠١٦/٦٦) .

تمرةٍ » . ولفظُ مسلمٍ : « مَن استطاع منكم أن يَسْتَتِرَ مِن النارِ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، فلْيَفْعَلْ » .

طريقٌ أخرى فيها شاهدٌ لما تقدم : وقد قال الحافظُ البيهقىُّ[1] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنى أبو بكرٍ[2] محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسُفَ ، ثنا أبو سعيدٍ عُبَيدُ ابنُ كثيرِ بنِ عبدِ الواحدِ الكوفىُّ ، ثنا ضِرارُ بنُ صُرَدٍ ، ثنا عاصمُ بنُ حُمَيدٍ ، عن أبى حَمزةَ الثُّمالىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُنْدُبٍ ، عن كُمَيْلِ بنِ زِيادٍ النَّخَعىِّ قال : قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : يا سبحانَ اللَّهِ ! ما أزهدَ كثيرًا مِن الناسِ فى خيرٍ ، عجبًا لرجلٍ يجيئُه أخوه المسلمُ فى الحاجةِ ، فلا يرَى نفسَه للخيرِ أهلًا ، فلو كان لا يرجو ثوابًا ، ولا يخْشَى عقابًا لكان ينْبَغى له أن يُسارِعَ فى مَكارمِ الأخْلاقِ ؛ فإنها تدُلُّ على سُبُلِ[3] النجاحِ . فقام إليه رجلٌ فقال : فداك أبى وأمى يا أميرَ المؤمنين ، سمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لمَّا أُتِىَ بسبايا طيِّئٍ وقَفَت جاريةٌ حمراءُ ، لَعْساءُ ، ذَلْفاءُ[4] ، عَيْطاءُ ، شَمَّاءُ الأنفِ ، معتدلةُ القامةِ [٣/٢٣٣ظ] والهامةِ ، دَرْماءُ الكعبين ، خَدْلَةُ الساقين ، لَفَّاءُ الفخِذَيْن ، خَمِيصةُ الخَصْرَيْن ، ضامرةُ الكَشْحَيْن ، مَصْقولةُ المَتْنَيْن . قال : فلما رأيْتُها أُعْجِبْتُ بها ، وقلتُ : لأَطْلُبَنَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَجْعَلُها فى فَيْئى . فلما تكَلَّمَت أُنسيتُ جمالَها مِن فصاحتِها . فقالت : يا محمدُ ، إن رأيتَ أن تُخَلِّىَ عنا ، ولا تُشْمِتَ بنا أحياءَ العربِ ، فإنى ابنةُ سيدِ قومى ، وإنَّ أبى كان يَحْمِى الذِّمارَ ،

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٣٤١. وقد تقدم الحديث فى ٣/ ٢٥٤.

(٢) بعده فى الأصل ، م : « بن » .

(٣) فى م : « سبيل » .

(٤) فى الأصل ، م : « دلفاء » .

ويَفُكُّ العانىَ ، ويُشْبِعُ الجائعَ ، ويَكْسو العارىَ ، ويَقْرِى الضيفَ ، ويُطْعِمُ الطعامَ ، ويُفْشِى السلامَ ، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ ، أنا ابنةُ حاتمِ طيِّئٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا جاريةُ ، هذه صفةُ المؤمنين حقًّا ، لو كان أبوك مسلمًا لَتَرَحَّمْنا عليه ، خَلُّوا عنها ؛ فإن أباها كان يُحِبُّ مكارمَ الأخلاقِ ، واللَّهُ يُحِبُّ مَكارمَ الأخْلاقِ » . [1] فقام أبو بُرْدَةَ بنُ نِيارٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، [2] واللَّهُ يُحِبُّ [2] مَكارمَ الأخلاقِ ؟ [1] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « والذى نفسى بيدِه لا يَدْخُلُ أحدٌ الجنةَ إلا بحسنِ الخُلُقِ » . هذا حديثٌ حسنُ المتنِ ، غريبُ الإسنادِ جدًّا ، عَزيزُ المَخْرَجِ ، وقد ذكَرْنا ترجمةَ حاتمٍ الطائىِّ [3] فى أيامِ الجاهليةِ عندَ ذكرِنا مَن مات مِن أعيانِ المشهورين فيها ، وما كان يُسْدِيه حاتمٌ إلى الناسِ مِن المكارمِ والإحسانِ ، إلا أنَّ نفعَ ذلك فى الآخرةِ مَعْذوقٌ [4] بالإيمانِ ، وهو ممن لم يَقُلْ يومًا مِن الدهرِ : ربِّ اغفِرْ لى خطيئتى يومَ الدينِ . وقد زعَم الواقدىُّ [5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث علىَّ ابنَ أبى طالبٍ فى ربيعٍ الآخرِ مِن سنةِ تسعٍ إلى بلادِ طيِّئٍ ، فجاء معه بسبايا ، فيهم أختُ عدىِّ بنِ حاتمٍ ، وجاء معه بسيفَيْن كانا فى بيتِ الصنَمِ ، يقالُ لأحدِهما : الرَّسُوبُ . والآخرِ : المِخْذَمُ . كان الحارثُ بنُ أبى شِمْرٍ [6] قد نذَرهما لذلك الصنمِ .

قال البخارىُّ رحِمه اللَّهُ [7] :

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : ص . وفى الأصل ، م : « تحب » .

(٣) فى م : « طيئ » . وتقدم ذكر ترجمة حاتم فى ٣/٢٥٢ - ٢٦٤.

(٤) فى ٤١ : « مقرون » . ومعذوق بالإيمان أى معلَّق به . انظر النهاية ٣/ ١٩٩.

(٥) ذكره الطبرى فى تاريخه ٣/ ١١١. حوادث السنة التاسعة .

(٦) فى م : « سمر » .

(٧) البخارى (٤٣٩٢) .

قصةُ دَوْسٍ والطُّفَيْلِ بنِ عمرٍو

حدثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا سفيانُ ، عن ابنِ ذَكْوانَ - هو عبدُ اللَّهِ [1]أبو الزِّنادِ[1] - عن عبدِ الرحمنِ الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ قال : جاء الطُّفَيْلُ بنُ عمرٍو إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : إن دَوْسًا قد هلكت[2] ، عصَت وأبَت ، فادْعُ اللَّهَ عليهم . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اهْدِ دَوْسًا ، وأْتِ بهم » . انفرد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

ثم قال[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ ، حدَّثنا أبو أسامةَ ، حدَّثنا إسماعيلُ ، عن قيسٍ ، عن أبى هريرةَ [٣/ ٢٣٤و] قال : لمَّا قدِمْتُ على النبىِّ ﷺ قلتُ فى الطريقِ :

يا ليلةً مِن طُولِها وعَنائِها[4] على أنَّها مِن دارَةِ[5] الكفرِ نَجَّتِ

وأبَقَ غلامٌ لى فى الطريقِ ، فلما قدِمْتُ على النبىِّ ﷺ وبايَعْتُه ، فبينا أنا عندَه إذ طلَع الغلامُ ، فقال لىَ النبىُّ ﷺ : « [6]يا أبا هريرةَ[6] ، هذا غلامُك » . فقلتُ : هو حرٌّ لوجهِ اللَّهِ ، عز وجل ، فأعتقتُه . انفرد به البخاريُّ مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ . وهذا الذى ذكَره البخاريُّ مِن قدومِ الطُّفيلِ ابنِ عمرٍو فقد كان قبلَ الهجرةِ ، ثم إنْ قُدِّر قدومُه بعدَ الهجرةِ فقد كان قبلَ الفتحِ ؛ لأنَّ دوسًا قدِموا ومعهم أبو هريرةَ ، وكان قدومُ أبى هريرةَ ورسولُ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل : « بن الزناد » . وفى م : « بن زياد » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٧٦.

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « و » .

(٣) البخارى (٤٣٩٣) .

(٤) فى هذا الشطر من البيت خرم .

(٥) الدارة ؛ أخص من الدار ، وقد كثر استعمالها فى أشعار العرب . فتح البارى ٥/ ١٦٣.

(٦ - ٦) سقط من : ا ٤١، ص .

ﷺ مُحاصِرٌ خيبرَ ، ثم ارتحَل أبو هريرةَ حتى قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ خيبرَ بعدَ الفتحِ ، فرضَخ لهم شيئًا مِن الغنيمةِ ، وقد قدَّمْنا ذلك كلَّه مطولًا فى مواضعِه .

وقال البخاريُّ ، رحِمه اللَّهُ[1] :

قدومُ الأشْعَرِيّين وأهلِ اليمنِ

ثم رَوَى[2] مِن حديثِ شعبةَ ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعْمشِ ، عن ذَكْوانَ أبى صالحٍ السَّمَّانِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أتاكم أهلُ اليَمنِ ، هم أرقُّ أفئدةً ، وألينُ قلوبًا ، الإيمانُ يَمانٍ ، والحكمةُ يَمانيَةٌ ، والفخرُ والخُيَلاءُ فى أصحابِ الإبلِ ، والسكينةُ والوَقارُ فى أهلِ الغَنَمِ » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[3] .

ثم رواه البخاريُّ[4] ، عن أبى اليَمانِ ، عن شعيبٍ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أتاكم أهلُ اليمنِ ، أضعفُ قلوبًا وأرقُّ أفئدةً ، الفقهُ يمانٍ ، والحكمةُ يَمانيَةٌ » .

ثم روَى[5] ، عن إسماعيلَ ، عن سليمانَ ، عن ثورٍ ، عن أبى الغيثِ[6] ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الإيمانُ يمانٍ ، والفتنةُ هـٰهنا ؛ هـٰهنا يَطْلُعُ قرنُ الشيطانِ » . ورواه مسلمٌ ، عن شعيبٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، عن أبى هريرةَ[7] .

---

(١) فتح البارى ٨/٩٦ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، من كتاب المغازى .
(٢) البخارى (٤٣٨٨) .
(٣) مسلم (٥٢/٩١) .
(٤) البخارى (٤٣٩٠) .
(٥) البخارى (٤٣٨٩) .
(٦) فى الأصل ، م : « المغيث » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٧٩ .
(٧) مسلم (٥٢/٨٩) .

ثم رَوَى البخاريُّ[1] مِن حديثِ شعبةَ، عن إسماعيلَ، عن قيسٍ، عن أبى مسعودٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الإيمانُ هـٰهنا - وأشار بيدِه إلى اليَمنِ - والجَفاءُ وغِلَظُ القُلوبِ فى الفَدَّادِين[2] عندَ أُصولِ أذْنابِ الإبلِ مِن حيث يَطْلُعُ قرنا الشيطانِ ربيعةَ ومُضَرَ». وهكذا رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ [٣/ ٢٣٤ظ] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ، عن أبى مسعودٍ عقبةَ بنِ عمرٍو[3].

ثم رَوَى[4] مِن حديثِ سفيانَ الثوريِّ، عن أبى صَخْرةَ جامعِ بنِ شدَّادٍ، ثنا صفوانُ بنُ مُحْرِزٍ، عن عمرانَ بنِ حُصينٍ قال: جاءت بنو تميمٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «أبْشِروا يا بنى تميمٍ». فقالوا: أمَّا إذ بشَّرْتَنا فأعْطِنا. فتغَيَّر وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجاء ناسٌ مِن أهلِ اليَمنِ، فقال: «اقْبَلوا البُشْرَى إذ لم يَقْبَلْها بنو تميمٍ». فقالوا: قبِلْنا يا رسولَ اللَّهِ. وقد رواه الترمذىُّ، والنسائىُّ مِن حديثِ الثوريِّ به[5].

وهذا كلُّه مما يدُلُّ على فضلِ وفودِ أهلِ اليَمنِ، وليس فيه تَعَرُّضٌ لوقتِ

---

(١) البخارى (٤٣٨٧).

(٢) الفدادين، بالتشديد: الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم. وقيل: إنما هو «الفَدَادين» مخففًا، واحدها: فدَّان، مشدد، وهى البقر التى يُحرث بها، وأهلها أهل جفاء وغلظة. انظر النهاية ٣/ ٤١٩.

(٣) البخارى (٣٣٠٢)، ومسلم (٨١/٥١).

(٤) البخارى (٤٣٨٦).

(٥) الترمذى (٣٩٥١). والنسائى فى الكبرى (١١٢٤٠) ولكن من حديث عبد الرحمن المسعودى - لا سفيان الثورى كما ذكر المصنف - عن جامع بن شداد به، ببعضه وفيه: «كان اللَّه ولا شىء غيره، وكان عرشه على الماء، فكتب فى الذكر كل شىء ثم خلق سبع سماوات». وانظر تحفة الأشراف والنكت الظراف ٨/ ١٨٢، ١٨٣، وجامع المسانيد للمصنف ٩/ ٤٤٧، ٤٤٨.

وفودِهم . ووفدُ بنى تميمٍ ، وإن كان متأخِّرًا قدومُهم ، لا يلزَمُ مِن هذا أن يكونَ مُقارِنًا لقدومِ الأشْعَرِيِّين ، بل الأشْعَرِيُّون متقدمٌ وفدُهم على هذا ، فإنهم قَدِموا صُحْبةَ أبى موسى الأشْعرىِّ فى صحبةِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ وأصحابِه مِن المهاجرين الذين كانوا بالحبشةِ ، وذلك كلُّه حين فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ ، كما قدَّمْناه مبسوطًا فى موضعِه ، وتقدم قولُه ﷺ : « واللَّهِ ما أدرِى بأيِّهما أُسَرُّ ؛ أبقدومِ جعفرٍ ، أو بفتحِ خيبرَ ؟ » . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

قال البخارىُّ[1] :

قصةُ عُمَانَ والبَحْرَيْن

حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ ، ثنا سفيانُ ، سمِع محمدَ بنَ المُنْكَدِرِ ، سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو قد جاءَ مالُ البَحْرَيْن لقد أعْطَيْتُك هكذا وهكذا[2] » . ثلاثًا ، [3]فلم يَقْدَمْ مالُ البحْرَيْن حتى قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلما قَدِم على أبى بكرٍ أمَر مناديًا فنادَى : مَن كان له عندَ النبىِّ[3] ﷺ دَينٌ أو عِدَةٌ فلْيَأْتِنى . قال جابرٌ : فجئتُ أبا بكرٍ ، فأخْبَرْتُه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لو جاء مالُ البحْرَيْن أعْطَيْتُك هكذا وهكذا » . ثلاثًا . قال : فأعطانى[4] . قال[5] جابرٌ : فلقِيتُ أبا بكرٍ بعدَ ذلك فسألْتُه ، فلم يُعْطنى ، ثم أتَيْتُه فلم يُعْطِنى ، ثم أتَيْتُه الثالثةَ

---

(١) فتح البارى ٨/ ٩٥، حديث (٤٣٨٣) .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « وهكذا » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى النسخ : « فأعرض عنى » . والمثبت من البخارى .

(٥) القائل محمد بن المنكدر . كما بينته رواية البخارى (٣١٣٧) .

فلم يُعْطِنى ، فقلتُ له : قد أتَيْتُك فلم تُعْطنى ، ثم أتَيْتُك فلم تُعْطنى ، [1] ثم أتيتُك فلم تُعْطِنى [1] ، فإمَّا أن تُعْطِيَنى ، وإمَّا أن تَبْخَلَ عنى . قال : أقلتَ : تبْخَلُ عنى ؟ قال : وأىُّ داءٍ أدْوَأُ مِن البخلِ ؟ - قالها ثلاثًا - ما مَنَعْتُك مِن مرةٍ إلا وأنا أريدُ أن أُعْطِيَك . هكذا رواه البخارىُّ هـٰهنا ، وقد رواه مسلمٌ ، عن عمرٍو الناقدِ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ به [2] .

ثم قال البخارىُّ بعدَه [3] : وعن عمرٍو ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، سمِعْتُ جابرَ ابنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : جئتُه ، فقال لى أبو بكرٍ : عُدَّها . فعدَدْتُها فوجَدْتُها خمسَمائةٍ ، فقال : خذْ مثلَها مرتين . وقد رواه البخارىُّ أيضًا ، عن علىِّ بنِ المَدينىِّ ، عن سفيانَ - هو ابنُ عُيَينةَ - عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن محمدِ بنِ علىٍّ أبى جعفرٍ الباقرِ ، عن جابرٍ [4] ، كروايتِه [٣/ ٢٣٥و] له ، عن قتيبةَ ، ورواه أيضًا هو ومسلمٌ مِن طُرقٍ أخرَ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن عمرٍو ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، عن جابرٍ بنحوِه [5] ، وفى روايةٍ أخرى له [6] أنه أمَره فحثَى بيديه مِن دراهمَ ، فعدَّها فإذا هى خمسُمائةٍ فأضْعَفها له مرتين ، يعنى فكان جملةُ ما أعطاه ألفًا وخمسَمائةِ درهمٍ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) مسلم (٢٣١٤/٦٠) .

(٣) البخارى (٤٣٨٣) . قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٩٦: هو معطوف على الإسناد الأول .

(٤) البخارى (٢٢٩٦) .

(٥) البخارى (٢٢٩٦) ، ومسلم (٢٣١٤/٦٠) .

(٦) البخارى (٣١٣٧ ، ٣١٦٤) .

وفودُ فَرْوَةَ بنِ مُسَيْكٍ المُرادىّ، [1]أحدِ رؤساءِ قومِه[1]، إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقدِم فروةُ بنُ مُسَيْكٍ المُرادىُّ مُفارِقًا لملوكِ كِنْدةَ، ومُباعِدًا لهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد كان بينَ قومِه مُرادٍ وبينَ هَمْدانَ وقعةٌ قُبيلَ الإسلامِ، أصابت هَمْدانُ مِن قومِه حتى أثْخَنوهم، وكان ذلك فى يومٍ يقالُ له: الرَّدْمُ. وكان الذى قاد هَمْدانَ إليهم الأجْدعُ بنُ مالكٍ. قال ابنُ هشامٍ[2] : ويقالُ: مالكُ بنُ خُرَيْمٍ[3] الهَمْدانىُّ. قال ابنُ إسحاقَ[4] : فقال فروةُ بنُ مُسَيْكٍ فى ذلك اليومِ:

مَرَرْنَ على لِفاتَ وهن خُوصٌ ... يُنازِعْن الأعِنَّةَ يَنْتَحِينَا[5]

فإن نَغْلِبْ فغَلَّابون قِدْمًا ... وإن نُغلَبْ فغيرُ مُغَلَّبِينا

وما إن طِبُّنا جُبْنٌ[6] ولكنْ ... مَنايانا وطُعْمَةُ آخَرِينا

كذاك الدهرُ دولتُه سِجالٌ ... تَكُرُّ صُروفُه حينًا فحِينَا

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨١.

(٣) سقط من: ا ٤. وفى السيرة: «حريم». قال أبو ذر الخشنى: يُروى هنا بفتح الحاء المهملة، ويروى أيضًا: خُريم، بضم الخاء المعجمة. وحريم بفتح الحاء المهملة هو الصواب. شرح غريب السيرة ٣/ ١٦١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨١، ٥٨٢.

(٥) فى الأصل: «ينتخينا». وفى ص: «ينتحنا». وينتحين: يعترضن ويعتمرن. ولِفات: اسم موضع، يروى هنا بكسر اللام وفتحها. وخوص: غائرات العيون. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٦١.

(٦) وما إن طبنا جبن: أى ما عادتنا. والجبن: الفزع. المصدر السابق.

فبينا ما نُسَرُّ به ونَرْضَى ... ولو لُبِست غَضارتُه[1] سِنِينَا

إذِ[2] انقَلَبَت به كرَّاتُ دهرٍ ... فأَلْفَيْتَ[3] الأُولَى غُبِطوا طَحِينا[4]

فمَن يُغْبَطْ برَيْبِ الدهرِ منهم ... يَجِدْ رَيْبَ الزمانِ له خَئُونَا

فلو خلَدَ الملوكُ إذًا خلَدْنا ... ولو بقِيَ الكِرامُ إذًا بَقِينا

فأَفْنَى ذلكم سَرَواتِ[5] قومى ... كما أَفْنَى القُرونَ الأَوَّلِينا

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ولما توَجَّه فروةُ بنُ مُسَيْكٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مُفارِقًا ملوكَ كِندَةَ قال :

لمَّا رأيْتُ ملوكَ كِنْدةَ أعْرَضَتْ ... كالرِّجلِ خان الرِّجلَ عِرْقُ نَسائِها[7]

قرَّبْتُ راحلتى أَؤُمُّ محمدًا ... [8]أرجو فَواضِلَها وحسنَ ثَرائِها[8]

[٣/ ٢٣٥ظ] قال[9] : فلمَّا انتَهى فَرْوةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال له ، فيما بلَغنى : « يا فَرْوةُ ، هل ساءك ما أصاب قومَك يومَ الرَّدْمِ ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن ذا الذى يُصيبُ قومَه ما أصاب قومى يومَ الرَّدْمِ ، لا يسوءُه ذلك ؟! فقال له

---

(١) فى ص : « عضارته » . وغضارة الشىء : طراوته ونعمته . المصدر السابق ٣/ ١٦٢.

(٢) فى الأصل ، م : « إذا » .

(٣) فى الأصل : « فألقى فى » . وفى ا ٤، م ، ص : « فألفى فى » . والمثبت من السيرة .

(٤) الأولى هنا : بمعنى الذين . وغبطوا : أى استحسنت حالهم . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٢.

(٥) سروات القوم : أشرافهم . المصدر السابق .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٢.

(٧) النَّسا : عِرْق مُشتَبِطَن فى الفخذ ، وهو مقصور غير ممدود ، فإن مُدّ فى شِعرٍ فلضرورةٍ ، وقد رُوى ههنا ممدودًا . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٢.

(٨ - ٨) فى ص :

* أرجو فواضله وحسن ثنائها *

وهى الرواية التى ذكر ابن هشام فى السيرة ٢/٥٨٣ أن أبا عبيدة أنشده إياها .

(٩) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٣.

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا[1] إن ذلك لم يَزِدْ قومَك فى الإسلامِ إلا خيرًا » . واستعمَله على مُرادٍ وزُبَيْدٍ ومَذْحِجٍ كلِّها ، وبعَث معه خالدَ بنَ سعيدِ بنِ العاصِ على الصدقةِ ، فكان معه فى بلادِه حتى تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ .

قدومُ عمرِو بنِ مَعْدِ يكَرِبَ فى أناسٍ مِن زُبَيْدٍ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقد كان عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ قال لقيسِ بنِ مَكْشوحٍ المُرادىِّ ، حينَ انتَهى إليهم أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ : يا قيسُ ، إنك سيِّدُ قومِك ، وقد ذُكِر لنا أن رجلًا مِن قريشٍ يقالُ له : محمدٌ . قد خرَج بالحجازِ ، يقالُ : إنه نبىٌّ . فانطَلِقْ بنا إليه حتى نعلَمَ علمَه ، فإن كان نبيًّا كما يقولُ[3] ، فإنه لن يَخْفَى علينا[4] ، و[5] إذا لقِيناه اتَّبعناه ، وإن كان غيرَ ذلك علِمْنا علمَه . فأبَى عليه قيسٌ ذلك ، وسفَّه رأيَه ، فركِب عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ حتى قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأسلَم وصدَّقه وآمَن به ، فلمَّا بلَغ ذلك قيسَ بنَ مَكْشوحٍ أوعَد عَمرًا ، وقال : خالَفنى وترَك [6]أمرِى ورَأْيِى[6] . فقال عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ فى ذلك :

أمرْتُك يومَ ذى صنعا ءَ أمرًا بادِيًا رَشَدُهْ[7]

---

(١) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٣) فى الأصل ، م : « تقول » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « عليك » .

(٥) زيادة من السيرة .

(٦ - ٦) فى م : « ورائى » . وفى السيرة : « رأيى » .

(٧) ذو صنعاء : موضع . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٢ .

أمرتُـك باتقـاءِ اللّـهِ والمعـروفِ تَتَّعِـدُهْ

خرَجْـتَ مِـن المُنَى مثلَ الْـ ـحُـمَـيِّـرِ غَـرَّهُ وَتِـدُهْ

تَمَنَّـانـى عـلـى فـرسٍ عـلـيـه جـالـسًـا أسَـدُهْ

عليَّ مُفاضـةٌ كالنَّهْـ ـيِ أخْلَص ماءَه جَدَدُهْ[1]

تَرُدُّ الرُّمْـحَ مُنْثَنِـىَ السِّـنانِ عَـوائِـرًا[2] قِـصَـدُهْ[3]

فلـو لاقَيْتَـنى لَلقِيـ ـتَ لـيـثًـا فـوقَـه لِـبَـدُهْ[4]

تُلاقى شَنْبَثًا شَثْنَ[5] الْـ بَـرَاثِـنِ نـاشـزًا[6] كَـتَـدُهْ[7]

يُـسـامـى الـقِـرْنَ إنْ قِـرْنٌ تَـيَـمَّـمَـه فيَعْـتَـضِـدُهْ

فيأْخُـذُه فيَرْفَـعُـه فيَخْـفِـضُـه فيَقْـتَـصِـدُهْ[8]

فيَدْمَـغُـه فيَحْـطِـمُـه[9] فيَخْضِمُه[10] فيَـزْدَرِدُهْ[11]

ظَـلومُ الشِّرْكِ فيما أحْـ ـرَزَتْ أنيابُـه ويَـدُهْ

---

(١) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٢.

(٢) فى الأصل : « غوابرا » . وفى ص : « غوائرا » . وعوائرًا : متطايرةً . المصدر السابق .

(٣) القصد : جمع قِصْدَة ، وهى ما تكسَّر من الرمح . المصدر السابق .

(٤) لبد : جمع لِبدة ؛ وهى ما علا كَتِفَى الأسد من الشعر . المصدر السابق ٣/ ١٦٢، ١٦٣.

(٥) فى الأصل : « شتن » . وشثن البراثن : غليظ الأصابع . والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . المصدر السابق ٣/ ١٦٣.

(٦) فى الأصل : « ناشدا » . وفى م : « ناشرا » . وناشزًا : مرتفعًا . المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « كتده » . والشنبث : الذى يتعلَّق بقِرْنه - أى مِثْله ونظيره - ولا يُزايله . والكتد : ما بين الكتفين . انظر المصدر السابق .

(٨) فى ص : « فنقتصده » . ويقتصده : يقتله . المصدر السابق .

(٩) يدمغه : يخرج دماغه . ويحطمه : يكسره . المصدر السابق .

(١٠) فى الأصل ، ص : « فيخصمه » . وفى م : « فيخمضه » . ويخضمه : يأكله . المصدر السابق .

(١١) يزدرده : يبتلعه . المصدر السابق .

[٣/ ٢٣٦و] قال ابنُ إسحاقَ[١] : فأقام عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ فى قومِه مِن بنى زُبَيْدٍ وعليهم فَرْوَةُ بنُ مُسَيْكٍ ، فلمَّا تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ارتدَّ عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ فى مَنِ ارتدَّ وهجَا فَرْوَةَ بنَ مُسَيْكٍ فقال :

وجَدْنا مُلْكَ فَرْوةَ شرَّ مُلكٍ ... حِمارًا سافَ[٢] مَنْخِرُه بثَفْرِ[٣]

وكنتَ إذا رأيْتَ أبا عُميرٍ ... ترَى الحُوَلاءَ[٤] مِن خُبْثٍ وغَدْرِ

قلتُ : ثم رجَع إلى الإسلامِ ، وحَسُن إسلامُه ، وشهِد فتوحاتٍ كثيرةً فى أيامِ الصِّديقِ ، وعمرَ الفاروقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، وكان مِن الشُّجعانِ المذكورِين ، والأبطالِ المشْهورِين ، والشُّعراءِ المجيدِين ، تُوُفِّىَ سنةَ إحدَى وعشرين بعدَما شهِد فتحَ نَهاوَنْدَ ، وقيل : بل شهِد القادِسيَّةَ ، وقُتِل يومَئذٍ[٥] .

قال أبو عمرَ بنُ عبدِالبرِّ[٦] : وكان وفودُه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ سنةَ تسعٍ . وقيل : سنةَ عَشْرٍ . فيما ذكَره ابنُ إسحاقَ والواقدىُّ .

قلتُ : وفى كلامِ الشَّافعىِّ ما يدلُّ عليه[٧] . فاللَّهُ أعلمُ .

قال يونسُ[٨] ، عن ابنِ إسحاقَ : وقد قيل : إنَّ عمرَو بنَ مَعْدِ يكَرِبَ لم يأتِ النبىَّ ﷺ ، وقد قال فى ذلك :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٤، ٥٨٥.

(٢) فى ص : « ساق » . وساف : شمَّ . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٣.

(٣) ثفر : الثفر فى البهائم بمنزلة الرحم فى الإنسان . المصدر السابق .

(٤) فى ص : « الخولاء » . والحولاء : الجِلْدة التى يخرج فيها ولد الناقة . المصدر السابق .

(٥) ذكر ذلك ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٠٢، وابن الأثير فى أسد الغابة ٤/ ٢٧٣.

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٠١، ١٢٠٢.

(٧) أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٠٣، ١٢٠٤ بسنده عن الشافعى .

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٦٩، من طريق يونس به .

إننى بالنبـــىِّ مُوقِنـــةٌ نفـــ ـســـى وإن لم أر النبىَّ عَيانَا
سـيـدُ الـعـالمين طُـرًّا وأدْنـا هم إلى اللَّهِ حينَ بان[1] مكانَا
جاءنا[2] بالناموسِ مِن لَدُنِ اللَّهِ وكـان الأمـيـنَ فيه المُعـانَـا
حُكمُه بعدَ حِكمةٍ وضياءٍ فاهْتَدَيْنا[3] بنورِها مِن عَمانا
وركِبْنا السبيلَ حيـــنَ ركِبْنـا هُ جديدًا بكُرْهِنا ورضانا
وعبَدْنا[4] الإلهَ حقًّا وكنا للجَهالاتِ نعبُدُ الأوْثانا
وائتَلَفْنا به وكنا عدُوًّا فرجَعْنا به معًا إخوانَا
فعليه السلامُ والسِّلْمُ[5] منا حيث كنّا مِن البلادِ وكانا
إن نكنْ لم نرَ النبىَّ فإنا قد تبِعْنا سبيلَه إيمانَا

قُدومُ الأشْعثِ بنِ قيسٍ فى وَفدِ كِنْدةَ

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقدِم على [٣/٢٣٦ظ] رسولِ اللَّهِ ﷺ الأشْعثُ بنُ قيسٍ فى وفدِ كِنْدةَ ، فحدَّثنى الزهرىُّ أنه قدِم فى ثمانِين راكبًا مِن كِنْدةَ ، فدخَلوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ مسجدَه قد رَجَّلوا جُمَمَهم وتكَحَّلوا ، عليهم جُبَبٌ

---

(١) فى ا ٤: « يأتى » . وفى الدلائل : « ثاب » .
(٢) فى النسخ : « جاء » . والمثبت من الدلائل .
(٣) فى الدلائل : « قد هدينا » .
(٤) فى الدلائل : « وعبد » .
(٥) سقط من : الأصل . وفى ا ٤: « والتحية » . وفى م : « والسلام » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٥، ٥٨٦.

الحِبَرَةِ[1] قد كَفَّفُوها[2] بالحَرِيرِ ، فلمَّا دخَلوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال لهم : « ألم تُسْلِموا ؟ » قالوا : بلى . قال : « فما بالُ هذا الحريرِ فى أعْناقِكم ؟ » قال : فشَقُّوه منها فألْقَوه ، ثم قال له الأشْعثُ بنُ قيسٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، نحن بنو آكلِ المُرَارِ[3] ، وأنت ابنُ آكلِ المُرَارِ . قال : فتبسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « ناسِبُوا بهذا النَّسَبِ العبَّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلبِ ، وربيعةَ بنَ الحارثِ » . وكانا تاجِرَيْن ، [4]إذا شاعا[4] فى العربِ فسُئِلا : مِمَّن أنتما ؟ قالا : نحن بنو آكلِ المُرَارِ . يعنِى يَنْتَسِبان إلى كِنْدةَ ليَعِزَّا فى تلك البلادِ ؛ لأن كِندةَ كانوا ملوكًا ، فاعتقَدتْ كِندةُ أن قريشًا منهم ؛ لقولِ عباسٍ ورَبيعةَ : نحن بنو آكلِ المُرَارِ . [5]وهو الحارثُ بنُ عمرِو[5] [6]بنِ حُجْرِ بنِ عمرِو[6] بنِ معاويةَ بنِ الحارثِ بنِ معاويةَ بنِ ثورِ بنِ مُرْتِعِ بنِ معاويةَ بنِ كِنْدِىٌّ . ويقالُ : ابنِ كِندةَ[5] . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لهم : « لا ، نحن بنو النَّضْرِ بنِ كِنانةَ لا نَقْفُو[7] أُمَّنا ، ولا نَنْتَفِى مِن أبينا » . فقال لهم الأشْعثُ بنُ قيسٍ : واللَّهِ يا معشرَ كِندةَ لا أسمَعُ رجلًا يقولُها إلا ضرَبْتُه ثمانِين .

وقد رُوِىَ هذا الحديثُ مُتَّصِلًا مِن وجهٍ آخرَ ، فقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا

---

(١) جبب الحبرة ؛ الجبب : جمع جُبَّة . والحبرة : ضرب من برود اليمن . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٣.

(٢) كففوها : كفف الثوب بالحرير وغيره : عمل على ذيله وأكمامه وجيبه كِفافًا . والكِفاف من الثوب : حواشيه وأطرافه . الوسيط (ك ف ف) .

(٣) المُرار : نبت إذا أكلته الإبل ارتفعت مشافرها - والمشافر للإبل بمنزلة الشِّفاه للإنسان - وتقبَّضتْ ؛ لمرارة هذا النبات . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٤.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤١. وفى م : «إذْ أشاعا» . وشاعا : بَعُدا . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٣.

(٥ - ٥) هذه العبارة من كلام ابن هشام . انظر السيرة ٢/ ٥٨٦.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى الأصل : « لا تنفوا » . ولا نقفو أمَّنا : أى لا نتبعها فى نسبها ، وإنما يتبع الرجلُ نسب أبيه لا نسب أُمِّه . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٣.

(٨) المسند ٥/ ٢١٢.

بَهْزٌ وعفَّانُ[1] قالا : حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنى عَقيلُ بنُ[2] طلحةَ - وقال عفَّانُ[1] فى حديثِه : أنبأنا عَقيلُ بنُ طلحةَ السُّلَمىُّ - عن مسلمِ بنِ هَيْصَمٍ[3] ، عن الأشْعثِ بنِ قيسٍ أنه قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى وفدِ كِندةَ - قال عفَّانُ : لا يَرَوْنى أفضلَهم - قال : قلت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا نَزْعُمُ[4] أنَّكم منَّا . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نحن بنو النَّضرِ بنِ كِنانةَ لا نقْفو أُمَّنا ، ولا ننتَفِى مِن أبينا » . قال : قال الأشْعثُ : فواللَّهِ لا أسمَعُ أحدًا نفَى قريشًا مِن النَّضرِ ابنِ كِنانةَ إلا جلَدْتُه الحدَّ . وقد رَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، وعن محمدِ بنِ يحيى ، عن سليمانَ بنِ حربٍ ، وعن هارونَ بنِ حَيَّانَ[5] ، عن عبدِ العزيزِ بنِ المغيرةِ ، ثلاثتُهم عن حمادِ[6] بنِ سلمةَ[6] به نحوَه[7] .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا سُرَيجُ[9] بنُ النُّعمانِ ، [٣/٢٣٧و] حدَّثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا مُجالدٌ ، عن الشعبىِّ ، حدَّثنا الأشْعثُ بنُ قيسٍ قال : قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى وفدِ كِندةَ فقال لى : « هل لك مِن ولدٍ ؟ » قلتُ : غلامٌ وُلِد

---

(١) فى الأصل : « عثمان » . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٦٠.

(٢) بعده فى الأصل ، ٤١ ، ص : « أبى » . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٣٦.

(٣) فى الأصل : « هضيم » . وفى ٤١ : « هتيم » . و فى م ، ص ، والمسندُ : « هيضم » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر التاريخ الكبير ٧/ ٢٧٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ٤٠ ، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٤٧.

(٤) سقط من : ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص : « ابن عم » . والمثبت من المسند .

(٥) فى ص : « حبان » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١١٢.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) سنن ابن ماجه (٢٦١٢) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢١١٥) .

(٨) المسند ٥/ ٢١١.

(٩) فى الأصل ، ص : « شريح » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢١٨.

لى فى مخرجِى إليك مِن ابنةِ جَمْدٍ[1] ، ولودِدْتُ أن مكانَه شَبِعَ القومُ[2] . قال : « لا تقولَنَّ ذلك ؛ فإن فيهم قُرَّةَ عينٍ ، وأجرًا إذا قُبِضوا ثَمَّ ، ولئن قلتُ ذاك[3] إنهم لمَجْبَنةٌ مَحْزَنةٌ ، إنهم لَمَجْبَنةٌ مَحْزَنةٌ » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو حديثٌ حسنٌ جيدُ الإسنادِ .

قدومُ أعشَى بنى[4] مازنٍ على النبىِّ ﷺ

قال عبدُ اللَّهِ بنُ[5] الإمامِ أحمدَ[6] : حدَّثنى العبَّاسُ بنُ عبدِ العظيمِ العَنْبَرىُّ ، ثنا أبو سَلَمةَ عُبَيْدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الحنفىُّ قال : حدَّثنى الجُنَيْدُ بنُ أُمَيْنِ بنِ ذِرْوَةَ ابنِ نَضْلةَ [7] بنِ طَريفِ بنِ [8] بُهْصُلٍ الحِرْمَازىُّ[8] ، حدَّثنى أبى أُمينٌ عن أبيه ذِرْوَةَ ، عن أبيه نضلةَ[7] أنَّ رجلًا منهم يقالُ له : الأعشَى . واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ[9] الأعورِ كانت عندَه امرأةٌ يقالُ لها : مُعاذةُ . خرَج فى رجبٍ يَمِيرُ أهلَه مِن هَجَرَ ، فهرَبَت امرأتُه بعدَه ناشزًا عليه ، فعاذَت برجلٍ منهم يقالُ له : مُطَرِّفُ بنُ نَهْشَلِ[10] بنِ

---

(١) بياض فى الأصل . وفى ا ٤، ص : « حمد » . وقد جاء ذكر اسمه كاملًا فى حديث أخرجه الطبرانى فى الكبير ١/٢٠٧ (٦٤٧) عن الأشعث بن قيس ، وهو جمد بن وليعة الكندى .

(٢) قال فى بلوغ الأمانى ١٩/ ٤٤: الظاهر أن قومه كانوا مُجدبين ، فتمنَّى شِبَع قومه بَدَل هذا الولد .

(٣) أى : ومع قولى : إن فيهم قُرةَ عين وأجرًا إذا قبضوا . فإنهم لمجبنة محزنة . المصدر السابق .

(٤) فى م : « بن » .

(٥) سقط من : « الأصل » .

(٦) المسند ٢/ ٢٠٢. من رواية الإمام أحمد ، وهو خطأ ، بل هو من زوائد عبد اللَّه . (إسناده ضعيف) . انظر شرح الشيخ أحمد شاكر للمسند ١١/ ١٠٤.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨ - ٨) فى ا ٤١: « نهشل الجرماوى » . وفى م : « نهصل الحرمازى » . وفى ص : « بهصل الحرمازنى » . والمثبت من المسند .

(٩) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(١٠) كذا فى النسخ . وفى المسند : « بُهْصُل » .

كعبِ [1] بنِ قُميثعِ [1] بنِ ذُلَفِ [2] بنِ أهضمَ [3] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحِرْمازِ [4] ، فجعَلها خلفَ ظهرِه ، فلمَّا قدِم لم يجِدْها فى بيتِه ، وأُخْبِر أنها نشَزَت عليه ، وأنها عاذَت بمُطَرِّفِ بنِ نَهْشَلٍ [5] فأتاه فقال : يا بنَ عمٍّ ، أعندَك امرأتى مُعاذةُ ؟ فادفَعْها إلىَّ . قال : ليست عندى ، ولو كانت عندى لم أدفَعْها إليك . قال : وكان مُطَرِّفٌ أعزَّ منه . قال [6] : فخرَج الأعْشَى حتى أتَى النبىَّ ﷺ فعاذ به وأنشَأ يقولُ :

يا سيِّدَ الناسِ ودَيَّانَ العربْ ... إليك أشْكو ذِرْبَةً [7] مِن الذِّرَبْ

كالذئبةِ الغَبْساءِ فى ظِلِّ السَّرَبْ ... خرَجْتُ أبْغيها الطعامَ فى رجبْ

فخلَّفَتْنى بنِزاعٍ وهرَبْ ... أخْلَفَتِ الوعدَ [8] ولَطَّتْ بالذَّنَبْ [9]

وقذَفَتْنى بينَ عصرٍ [10] مُؤْتَشَبْ ... وهن شرُّ غالبٍ لِمَن غَلَبْ

فقال النبىُّ ﷺ عندَ ذلك : « وهن شرُّ غالبٍ لمن غلَبْ » . فشكَى إليه امرأتَه

(١ - ١) سقط من : ٤١. وفى الأصل : « بن قمثيع » ، وفى ص : « فميثع » ، وفى المسند : « قميشع » . وانظر شرح الشيخ أحمد شاكر ١١/ ١٠٧.

(٢) فى المسند : « دُلف » .

(٣) فى المسند : « أهْصَم » .

(٤) سقط من : ٤١. وفى الأصل : « الحرمان » .

(٥) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « بهصل » .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى الأصل : « أذربة » . قال أبو منصور : أراد بالذربة امرأته ، كنى بها عن فسادها وخيانتها إياه فى فرجها ، وقيل : أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها . انظر اللسان (ذ ر ب) .

(٨) فى المسند : « العهد » .

(٩) فى الأصل : « بالذب » .

(١٠) فى المسند : « عيص » .

وما صنَعَت به ، وأنها عندَ رجلٍ منهم يقالُ له : مُطَرِّفُ بنُ نُهْشُلٍ ، فكتَب له النبيُّ ﷺ إلى مُطَرِّفٍ : « انظُرِ امرأةَ هذا ، مُعاذةَ ، فادفَعْها إليه » . فأتاه كتابُ النبيِّ ﷺ فقُرِئَ عليه ، فقال لها : يا مُعاذةُ ، هذا كتابُ النبيِّ صلَّى اللَّهُ [٣/ ٢٣٧ظ] عليه وسلَّم ، فيكِ ، فأنا دافِعُكِ إليه . فقالت : خُذْ لى عليه العهدَ والميثاقَ وذِمَّةَ نبيِّه أن لا يعاقِبَنى فيما صنَعْتُ . فأخَذ لها ذلك عليه ، ودفَعها مُطَرِّفٌ إليه ، فأنشَأ يقولُ :

لَعَمْرُكَ ما حُبِّى مُعاذةَ بالذى ... يُغَيِّرُه الواشِى ولا قِدَمُ العَهْدِ
ولا سوءُ ما جاءت به إذْ أزالها ... غُواةُ الرجالِ إذ يُناجونَها بعْدِى

قدومُ صُرَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأزْدِىّ فى نفرٍ مِن قومِه ثم وفودِ أهلِ جُرَشَ بعدَهم

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : وقدِم صُرَدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأَزْدِىُّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى وفدٍ مِن الأزْدِ ، فأسلَم وحسُنَ إسلامُه ، وأمَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ على مَن أسلَم مِن قومِه ، وأمَره أن يُجاهِدَ بمَن أسلَم مَن يلِيه مِن أهلِ الشِّركِ مِن قبائلِ اليمنِ ، فذهَب فحاصَرَ جُرَشَ ، وبها قبائلُ مِن اليمنِ ، وقد ضَوَت[(٢)] إليهم خَثْعَمُ حينَ سمِعوا بمسيرِه إليهم ، فأقام عليهم قريبًا مِن شهرٍ ، فامتَنعوا فيها منه ، ثم رجَع عنهم حتى إذا كان قريبًا مِن جبلٍ يقالُ له : شَكَرُ . فظنُّوا أنه[(٣)] قد ولَّى عنهم مُنْهَزِمًا ، فخرَجوا فى طلبِه ، فعطَف عليهم فقتَلهم قتلًا شديدًا ، وقد كان أهلُ جُرَشَ بعَثوا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « صوت » . وضوت : لجأت .
(٣) سقط من : الأصل .

منهم رَجُليْن إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، فبينَما هما عندَه بعدَ العصرِ إذْ قال : « بأيِّ بلادِ اللَّهِ شَكَرُ ؟ » . فقام الجُرَشِيَّان ، فقالا : يا رسولَ اللَّهِ ، ببلادِنا جبلٌ يقالُ له : كَشَرُ[1] ، وكذلك يُسمِّيه أهلُ جُرَشَ . فقال : « إنه ليس بكَشَرَ[2] ، ولكنه شَكَرُ » . قالا : فما شأنُه يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « إن بُدْنَ اللَّهِ لَتُنْحَرُ عندَه الآنَ » . قال : فجلَس الرجلان إلى أبى بكرٍ ، أو إلى عثمانَ ، فقال لهما : ويحَكما ! إن رسولَ اللَّهِ ﷺ الآنَ لَيَنْعَى لكما قومَكما ، فقُوما إليه ، فاسأَلاه أن يدعوَ اللَّهَ فيرفَعَ عن قومِكما . فقاما إليه ، فسأَلاه ذلك فقال : « اللهم ارفَعْ عنهم » . فرجَعا ، فوجَدا قومَهما قد أُصِيبوا يومَ أخبَرَ عنهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم جاء وفدُ أهلِ جُرَشَ بمَن بقِيَ منهم حتى قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأسلَموا وحسُن إسلامُهم ، وحمَى لهم حولَ قريتِهم .

قُدومُ رسولِ ملوكِ[3] حميرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ

قال الواقدىُّ[4] ، وكان ذلك فى رمضانَ سنةَ [٣/ ٢٣٨و] تسعٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقدِم على رسولِ اللَّهِ كتابُ ملوكِ حميرَ ، ورسلُهم[6]

---

(١) فى الأصل ، ٤١ : « شكر » .

(٢) فى الأصل : « بكبير » . وفى ٤١ : « بكثر » .

(٣) فى ٤١ ، ص : « ملك » .

(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ١٢٠ . حوادث السنة التاسعة .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٨ ، وتاريخ الطبرى ٣/ ١٢٠ ، من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق .

(٦) فى السيرة : « ورسولهم » .

بإسلامِهم مَقْدَمَه مِن تبوكَ ، وهم ؛ الحارثُ بنُ عبدِ كُلَالٍ ، ونُعَيمُ بنُ عبدِ كُلالٍ ، والنُّعمانُ قَيْلُ[1] ذِى رُعَيْنٍ ومَعَافرَ وهَمْدانَ[2] ، وبعَث إليه زُرْعَةُ ذو يَزَنَ مالكَ بنَ مُرَّةَ الرَّهاوِىَّ بإسلامِهم ومفارقتِهم الشركَ وأهلَه ، فكتَب إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ النبىِّ ، إلى الحارثِ ابنِ عبدِ كُلَالٍ ، ونُعَيمِ بنِ عبدِ كُلَالٍ ، والنُّعمانِ قَيْلِ ذى رُعَيْنٍ ومَعَافِرَ وهَمْدانَ ، أمَّا بعدَ ذلكم ؛ فإنى أحَمَدُ إليكم اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو[3] ، فإنه قد وقَع بنا[4] رسولُكم مُنْقَلَبَنا مِن أرضِ الرومِ ، فلَقِيَنا بالمدينةِ ، فبلَّغ ما أرسلتُم به ، وخبَّر ما قِبَلَكم ، وأنبأنا بإسلامِكم ، وقتلِكم المشركين ، وأنَّ اللَّهَ قد هَدَاكم بهُداه ، إن أصلَحتُم وأطَعتُم اللَّهَ ورسولَه ، وأقَمتُم الصلاةَ ، وآتَيتُم الزَّكاةَ ، وأعطَيتُم مِن المغانمِ خُمُسَ اللَّهِ ، وسهمَ النبىِّ ﷺ وصَفِيَّه[5] ، وما كُتِب على المؤمنين فى[6] الصدقةِ ؛ مِن العَقارِ[7] عُشْرُ ما سَقَت العينُ وسَقَت السماءُ ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ[8] نِصْفُ العُشْرِ ، وأن فى الإبلِ فى الأربعين ابنةَ لَبُونٍ ، وفى ثلاثين مِن الإبلِ ابنُ لبونٍ ذكرٌ ، وفى كلِّ خمسٍ مِن الإبلِ شاةٌ ، وفى كلِّ عشرٍ مِن الإبلِ شاتان ، وفى

---

(١) القيل : الملك ويقال : هو دون الملك الأكبر . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٤.

(٢) رعين بضم أوله ، على لفظ تصغير رعن : جبل باليمن فيه حصن ينسب إليه ملك من ملوكهم ، يقال له : ذو رعين . ومعافر : موضع باليمن . وهمدان : قبيلة باليمن . معجم ما استعجم ٢/ ٦٦٢، ٤/ ١٢٤١. والقاموس المحيط (هـ م د).

(٣) بعده فى السيرة : « أما بعد » .

(٤) فى م : « نبأ » .

(٥) الصفى : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تُقْسَمَ المغانم . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٤.

(٦) كذا فى النسخ . وهو لفظ رواية الطبرى . وفى السيرة : « من » .

(٧) العقار : الأرض . المصدر السابق .

(٨) الغرب : الدلو العظيمة . المصدر السابق .

كلِّ أربعين مِن البقرِ بقرةٌ ، وفى كلِّ ثلاثين [1] من البقرِ [1] تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفى كلِّ أربعِين مِن الغنمِ سائمةٍ وَحْدَها شاةٌ ، وإنها فريضةُ اللَّهِ التى فرَض على المؤمنين فى الصدقةِ ، فمَن زاد خيرًا ، فهو خيرٌ له ، ومَن أدَّى ذلك وأشهَد على إسلامِه وظاهَر المؤمنين على المشركين ، فإنه مِن المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذِمَّةُ اللَّهِ ، وذِمَّةُ رسولِه ، وإنه مَن أسلَم مِن يهوديٍّ أو نصرانيٍّ ، فإنه مِن المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومَن كان على يهوديتِه أو نصرانيتِه فإنه لا يُرَدُّ عنها وعليه الجِزيةُ ؛ على كلِّ حالمٍ [2] ذكرٍ أو [3] أنثى ، حرٍّ أو عبدٍ ، دينارٌ وافٍ مِن قيمةِ المَعَافرِ [4] أو عِوَضُه ثيابًا ، فمَن أدَّى ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ، فإن له ذِمَّةَ اللَّهِ وذِمَّةَ رسولِه ، ومَن منَعه ، فإنه عدوٌّ للَّهِ ولرسولِه .

أمَّا بعدُ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ محمدًا النبىَّ أرسَل إلى زُرْعَةَ بنِ [5] ذى يزنَ أنْ إذا [٣/٢٣٨ظ] أتاك رُسُلى فأُوصِيكُم بهم خيرًا ؛ معاذُ بنُ جبلٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ زيدٍ [6] ، ومالكُ بنُ عُبَادةَ ، وعُقْبةُ بنُ نَمِرٍ ، ومالكُ بنُ مُرَّةَ ، وأصحابُهم ، وأنِ اجْمَعوا ما عندَكم مِن الصدقةِ والجزيةِ مِن مَخاليفِكم [7] ، وأبْلِغُوها رُسُلى ، وإنَّ أميرَهم معاذُ بنُ جبلٍ ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلَّا راضيًا .

أمَّا بعدُ ؛ فإن محمدًا يشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنه عبدُه ورسولُه ، ثم إن مالكَ ابنَ مُرَّةَ الرَّهاوىَّ قد حدَّثنى أنك أسلَمْتَ مِن أوَّلِ حِمْيرَ ، وقتَلْتَ المشركين ،

(١ - ١) ليست فى النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « حال » .

(٣) فى الأصل ، م : « و » .

(٤) المعافر : ثياب من ثياب اليمن . المصدر السابق .

(٥) ليس فى السيرة وتاريخ الطبرى .

(٦) فى ا ٤١ : « قيس » . وفى ص : « يزيد » . والصواب ما أثبتناه ، وهو الضمرى . وانظر الإصابة ٤/ ١٠٠ .

(٧) فى ص : « مخالفيكم » . ومخاليف : عشائر . انظر النهاية ٢/ ٦٩ ، ٧٠ .

فأبْشِرْ بخيرٍ ، وآمُرُك بحِمْيَرَ خيرًا ، ولاتخونوا ولا تَخاذَلوا ، فإن رسولَ اللَّهِ هو مولى[1] غَنيِّكم وفقيرِكم ، وإن الصدقةَ لا تحِلُّ لمحمدٍ ولا لأهلِ بيتِه ، وإنما هى زكاةٌ يُزَكَّى بها على فقراءِ المسلمين وابنِ السَّبيلِ ، وإن مالكًا قد بلَّغ الخبرَ وحفِظ الغيبَ ، فآمُرُكم به خيرًا ، وإنى قد أرسَلْتُ إليكم مِن صالحِى أهلى وأُولِى دينِهم وأُولِى علمِهم ، فآمُرُكم[2] بهم خيرًا ، فإنهم منظورٌ إليهم ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه » .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا عُمارةُ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ ، أن مالكَ ذى يَزَنَ أهدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةً قد أخَذها بثلاثةٍ وثلاثِين بعيرًا ، [4]وثلاثةٍ وثلاثين ناقةً[4] . ورَواه أبو داودَ ، عن عمرِو بنِ عونٍ[5] الواسطىِّ ، عن عُمارةَ بنِ زاذانَ الصَّيْدلانىِّ[6] ، عن ثابتٍ البُنَانىِّ ، عن أنسٍ به[7] .

وقد أورَد الحافظُ البيهقىُّ[8] هـٰهنا حديثَ كتابِ عمرِو بنِ حزمٍ ، فقال : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، ثنا يونُسُ بنُ بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، عن أبيه أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ قال : هذا كتابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَنا ، الذى كتَبه لعمرِو بنِ حزمٍ حينَ بعَثه إلى اليمنِ يُفَقِّهُ أهلَها ، ويعلِّمُهم السُّنَّةَ ، ويأخُذُ صَدَقاتِهم ، فكتَب له كتابًا وعهدًا ، وأمَره فيه أمْرَه ، فكتَب : « بسمِ اللَّهِ

---

(١) كذا فى النسخ . وهو لفظ رواية الطبرى . وفى السيرة : « ولى » .
(٢) فى السيرة : « وآمرك » . والمثبت موافق للفظ الطبرى .
(٣) المسند ٣/ ٢٢١.
(٤ - ٤) فى الأصل : « وثلاثين ناقة » .
(٥) فى الأصل : « عنون » . وفى ٤١ : « عوف » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٧٧.
(٦) فى الأصل : « الصيلانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٤٣.
(٧) أبو داود (٤٠٣٤) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٧١) .
(٨) دلائل النبوة ٥/ ٤١٣. وسيرة ابن هشام ٢/ ٥٩٤ - ٥٩٦.

الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ مِن اللَّهِ ورسولِه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة : ١] عهدًا مِن رسولِ اللَّهِ لعمرِو بنِ حزمٍ حينَ بعثَه إلى اليمنِ ؛ آمُرُه[(١)] بتقْوى اللَّهِ فى أمْرِه كلِّه[(٢)] ، فإن اللَّهَ مع الذين اتَّقَوا والذين هم محسنون » وأمَره أن يأخُذَ بالحقِّ كما أمَره اللَّهُ ، وأن يُبشِّرَ الناسَ بالخيرِ ويأمُرَهم به[(٢)] ، ويعلِّمَ الناسَ القرآنَ ويُفَقِّهَهم [(٣)] فى الدينِ[(٣)] ، وأن يَنْهَى الناسَ فلا [٣/ ٢٣٩و] يَمَسَّ أحدٌ القرآنَ إلا وهو طاهرٌ ، وأن يُخبِرَ الناسَ بالذى لهم والذى عليهم ، ويَلينَ لهم فى الحقِّ ويشتَدَّ[(٤)] عليهم فى الظلمِ ، فإن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، حرَّم الظلمَ ونهَى عنه ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [هود : ١٨، ١٩] . وأن يُبشِّرَ الناسَ بالجنةِ وبعملِها ، ويُنذِرَ الناسَ النارَ وعمَلَها ، ويَستأْلِفَ الناسَ حتى يَتَفَقَّهوا[(٥)] فى الدِّينِ ، ويُعلِّمَ الناسَ معالمَ الحجِّ وسُنَنَه وفرائضَه ، وما أمَر[(٦)] اللَّهُ به ، [(٧)]والحجُّ الأكبرُ الحجُّ ، والحجُّ الأصغرُ العمرةُ[(٧)] ، وأن ينْهَى الناسَ أن يصلِّيَ الرجلُ فى ثوبٍ واحدٍ صغيرٍ ، إلا أن يكونَ واسعًا فيُخالِفُ بينَ طرفَيه على عاتِقَيه ، وينهَى أن يَحْتبِيَ الرَّجلُ فى ثوبٍ واحدٍ ويُفضِى[(٨)] بفرْجِه إلى السماءِ ، ولا ينقُضَ[(٩)] شعرَ رأسِه إذا عفا[(١٠)] فى قَفاه ،

---

(١) فى م ، ص : « أمره » .

(٢) ليس فى الدلائل . والمثبت من النسخ ، وهو موافق لما فى السيرة .

(٣ - ٣) فى الدلائل : « فيه » .

(٤) فى الدلائل : « يشد » .

(٥) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « يفقهوا » .

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « أمره » .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « والحج الأكبر والحج الأصغر ، فالحج الأصغر العمرة » .

(٨) فى الدلائل : « يغضى » . والمثبت من النسخ ، وهو موافق لما فى السيرة .

(٩) فى الدلائل : « يعقد » .

(١٠) عفا الشعر : كثر وطال . اللسان (ع ف و) .

ويَنْهى الناسَ إن كان بينَهم هَيْجٌ[1] أن يدْعُوا إلى القبائلِ والعَشائرِ، ولْيكُنْ دعاؤُهم إلى اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، فمَن لم يدْعُ إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ودعَا إلى العَشائرِ والقَبائلِ فلْيَعْطِفوا[2] بالسيفِ حتى يكونَ دعاؤُهم إلى اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، ويأمُرَ الناسَ بإسباغِ الوضوءِ وجوهَهم وأيديَهم إلى المَرافقِ، وأرجلَهم إلى الكعبيْن، وأن يمسَحوا رءوسَهم، كما أمَرهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وأُمِروا بالصَّلاةِ لوقتِها، وإتمامِ الرُّكوعِ والسجودِ[3]، وأن يُغَلِّسَ[4] بالصبحِ، وأن يُهَجِّرَ بالهاجرةِ[5] حينَ[6] تَميلُ الشمسُ، وصلاةُ العصرِ والشمسُ فى الأرضِ مُبْدَّدَةٌ[7]، والمغربُ حينَ يُقْبِلُ الليلُ ولا تؤخَّرُ حتى تبدُوَ النجومُ فى السماءِ، والعِشاءُ أوَّلُ الليلِ، وأمَره [8]بالسَّعْيِ إلى الجُمُعةِ إذا نُودِىَ بها، والغُسْلِ عند الرَّواحِ إليها، وأَمَره[8] أن يأخُذَ مِن المغانمِ خُمُسَ اللَّهِ، وما كُتِب على المؤمنين مِن الصدقةِ مِن العَقارِ فيما [9]سقت العينُ[9] وفيما سقَت السماءُ العُشْرُ، وما سقَى القَرَبُ[10] فنصفُ العُشْرِ، وفى كلِّ عشرٍ مِن الإبلِ شاتان، وفى عشرِين أربعُ شِياهٍ[11]،

---

(١) الهيج: الحرب.

(٢) عطف: حمل وكرّ. انظر الوسيط (ع ط ف).

(٣) فى الدلائل: «الخشوع». والمثبت من النسخ وهو موافق لما فى السيرة.

(٤) غلّس بالصلاة: صلاها بغلَس. والغلس: ظلمة الليل إذا اختلطت بضوء الصبح. الوسيط (غ ل س).

(٥) يهجر بالهاجرة: التهجير: التبكير إلى كل شىء والمبادرة إليه، يقال: هجّر يهجّر تهجيرا، فهو مهجِّر، وهى لغة حجازية، والمراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة. وصلاة الهجير: صلاة الظهر، والهجير والهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار. انظر النهاية ٥/ ٢٤٦.

(٦) فى النسخ والدلائل: «حتى». والمثبت من السيرة.

(٧) ليس فى الدلائل. وفى الأصل، م، ص: «مبدرة». والمثبت بمعنى لفظ السيرة.

(٨ - ٨) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٩ - ٩) فى الأصل، م، ص: «سقى المغل».

(١٠) فى الأصل، م، ص: «الغرب». والمثبت من الدلائل. والقرب: البئر القريبة الماء. الوسيط (ق ر ب).

(١١) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل.

(١ وفى أربعين مِن البقرِ بقرةٌ ١) ، وفى كلِّ ثلاثين مِن البقرِ تَبيعٌ أو تَبِيعةٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ ، وفى كلِّ أربعين مِن الغنمِ سائِمةٍ وحْدَها شاةٌ ، فإنها فريضةُ اللَّهِ التى افترَض على المؤمنين (٢ من الصدقة ٢) فمَن زاد فهو خيرٌ له ، وإنه مَن أسلَم مِن يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلامًا خالصًا مِن نفسِه فدَانَ دينَ الإسلامِ ، فإنه مِن المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومَن كان على يهوديَّتِه أو نصرانيَّتِه ، فإنه لا يُغَيَّرُ عنها ، وعلى كلِّ حالمٍ ذكرٍ أو أنثى حرٍّ أو عبدٍ ، دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه مِن الثِّيابِ ، فمَن أدَّى ذلك فإن له ذِمَّةَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وذِمَّةَ رسولِه ﷺ ، ومَن منَع ذلك فإنه عدُوٌّ اللَّهِ ورسولِه والمؤمنين جميعًا ، صلواتُ اللَّهِ على محمدٍ ، والسلامُ عليه ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه » .

قال الحافظُ البيهقىُّ (٣) : وقد روَى سليمانُ بنُ داودَ ، عن [٣/ ٢٣٩ظ] الزهرىِّ ، عن أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه هذا الحديثَ موصولًا بزياداتٍ كثيرةٍ ونقصانٍ عن بعضِ ما ذكَرناه فى الزكاةِ والدِّياتِ وغيرِ ذلك .

قلتُ : ومِن هذا الوجهِ رَواه الحافظُ أبو عبدِ الرحمنِ النسائىُّ فى « سننِه » مطوَّلًا ، وأبو داودَ فى كتابِ « المراسيلِ » (٤) ، وقد ذكَرْتُ ذلك بأسانيدِه وألفاظِه فى « السننِ » (٥) ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وسنذكُرُ بعدَ الوفودِ بعثَ النبىِّ ﷺ الأمراءَ إلى اليمنِ لتعليمِ الناسِ وأخذِ صَدَقاتِهم وأخماسِهم ؛ معاذَ بنَ جبلٍ ، وأبا موسى ، وخالدَ بنَ الوليدِ ، وعلىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

(١ - ١) ليس فى الدلائل .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٤١٥ .

(٤) النسائى (٤٨٦٨، ٤٨٦٩) ، وأبو داود فى المراسيل (٨٥ مختصرا ، ٩٧ مطولا) .

(٥) جامع المسانيد والسنن ٩/ ٥٦٠ - ٥٦٥ .

قدُومُ جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلىّ وإسلامُه

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو قَطَنٍ ، حدثنى يونُسُ ، عن المغيرةِ بنِ شِبْلٍ قال : وقال جريرٌ : لمَّا دنَوْتُ مِن المدينةِ أنخْتُ راحِلَتى ، ثم حلَلْتُ عَيْبَتِى[2] ، ثم لبِسْتُ حُلَّتى ، ثم دخَلْتُ فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يخطُبُ فرَمانى الناسُ بالحَدَقِ[3] ، فقلتُ لجليسى : يا عبدَ اللَّهِ[4] ، ذكَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، ذكَرك[5] بأحسنِ الذِّكرِ . فبينَما هو يخطُبُ إذ عُرِض له فى خطبتِه ، وقال : « يدخُلُ عليكم مِن هذا البابِ أو مِن هذا الفَجِّ مِن خيرِ ذى يَمَنٍ إلا أنَّ على وجهِه مَسْحَةَ مَلَكٍ[6] » . قال جريرٌ : فحمِدْتُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، على ما أبلَانى : وقال أَبو[7] قَطَنٍ : فقلتُ له : سمِعتَه منه ؟ أو : سمِعْتَه مِن المغيرةِ بنِ شِبْلٍ ؟ قال : نعم . ثم رَواه الإمامُ أحمدُ ، عن أبى نعيمٍ[8] وإسحاقَ بنِ يوسفَ[9] ، وأخرَجه النسائىُّ مِن حديثِ الفضلِ بنِ موسى[10] ، ثلاثتُهم عن يونسَ بنِ[11] أبى إسحاقَ السَّبِيعىِّ ،

---

(١) المسند ٤/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) العيبة : وعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع . الوسيط (ع ى ب) .

(٣) الحدق : جمع حدقة بالتحريك وهى العين . والتحديق شدة النظر . بلوغ الأمانى ٢١/ ٢١٦.

(٤) بعده فى النسخ : « هل » .

(٥) بعده فى المسند : « آنفًا » .

(٦) يقال : على وجهه مسحة مَلَك ، ومسحة جمال . أى ؛ أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا فى المدح . النهاية ٤/ ٣٢٨.

(٧) ليس فى المسند .

(٨) المسند ٤/ ٣٦٠.

(٩) المسند ٤/ ٣٦٤.

(١٠) النسائى فى الكبرى (٨٣٠٤) .

(١١) فى ا ٤، م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٨٨.

عن المغيرةِ بنِ شِبْلٍ - ويقالُ : ابنِ شُبَيْلٍ - عن عوفٍ البَجَليِّ الكوفيِّ ، عن جريرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ ، وليس له عنه غيرُه[1] .

وقد رَواه النسائيُّ ، عن قُتَيبةَ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن جريرٍ بقصَّتِه[2] : « يدخُلُ عليكم مِن هذا البابِ رجلٌ[3] على وجهِه مَسْحةُ مَلَكٍ » . الحديث ، وهذا على شرطِ « الصحيحيْن » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ ، ثنا إسماعيلُ ، عن قيسٍ ، عن جريرٍ قال : ما حجَبنى[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ منذُ أسلَمْتُ ، ولا رآنى إلا تبسَّم [6]فى وجهى[6] . وقد رَواه الجماعةُ إلا أبا داودَ مِن طرقٍ عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ عنه[7] . وفى « الصحيحيْن » زيادةُ[8] : وشكَوْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنى لا أَثْبُتُ على الخيلِ ، [9]فضرَب بيدِه فى صدرِى[9] ، وقال : « اللهم ثبِّتْه ، [٣/ ٢٤٠و] واجعَلْه هاديًا مهديًّا » .

ورَواه النسائيُّ ، عن قُتَيبةَ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ

---

(١) انظر تحفة الأشراف ٢/ ٤٣١.

(٢) النسائى فى الكبرى (٨٣٠٢) ، وليس فيه قصة .

(٣) كذا فى النسخ . وفى النسائى : « من خير ذى يمن » .

(٤) المسند ٤/ ٣٥٨.

(٥) بعده فى المسند : « عنه » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٧) البخارى (٣٣٥، ٣٨٢٢، ٦٠٨٩) ، ومسلم (٢٤٧٥) ، والترمذى (٣٨٢٠، ٣٨٢١) ، والنسائى فى الكبرى (٨٣٠٢) ، وابن ماجه (١٥٩) .

(٨) البخارى (٣٠٣٦) ، ومسلم (١٣٥/٢٤٧٥) . وكذا هذه الزيادة عند ابن ماجه فى الموضع السابق .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل .

عنه ، وزاد فيه : « يدخُلُ عليكم مِن هذا البابِ رجلٌ[1] على وجهِه مَسْحَةُ مَلَكٍ » . فذكَر نحوَ ما تقدَّم[2] .

قال الحافظُ البيهقيُّ[3] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ السَّمَّاكُ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ سلَّامٍ السَّوَّاقُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ الخُراسانيُّ ، حدَّثنا حُصينُ[4] بنُ عمرَ الأحْمَسيُّ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن[5] قيسِ بنِ[6] أبى حازمٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : بعَث إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا جريرُ ، لأىِّ شىءٍ جئتَ ؟ » قلتُ : أُسلِمُ[7] على يَديك يا رسولَ اللَّهِ . قال : فألقَى علىَّ[8] كِساءً ، ثم أقبَل على أصحابِه فقال : « إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرِموه » . ثم قال : « يا جريرُ ، أدعُوك إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنِّى رسولُ اللَّهِ ، وأن تؤمِنَ باللَّهِ واليومِ الآخرِ ، والقدرِ خيرِه وشرِّه ، وتصلِّىَ الصلاةَ المكتوبةَ ، وتؤدِّىَ الزَّكاةَ المفروضةَ » . ففعَلْتُ ذلك فكان بعدَ ذلك لا يرانى إلا تبسَّم فى وجهى . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدَّثنا يَحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : بايَعْتُ

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى النسائى : « من خير ذى يمن » .
(٢) النسائى فى الكبرى (٨٣٠٢) ، وليس فيه قصة .
(٣) دلائل النبوة ٥/ ٣٤٧.
(٤) فى الدلائل : « حسين » ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٥٢٦.
(٥) فى الأصل ، م : « أو » .
(٦) فى ص : « عن » .
(٧) فى الدلائل : « جئت لأسلم » .
(٨) فى الدلائل : « إلىّ » .
(٩) المسند ٤/ ٣٦٥.

رسولَ اللَّهِ ﷺ على إقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، [1]والنُّصحِ لكلِّ مسلمٍ. وأخرَجاه فى «الصحيحيْن» مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[2]، وهو فى «الصحيحيْن»[1] مِن حديثِ زِيادِ بنِ عِلاقةَ[3]، عن جريرٍ به[4].

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا أبو سعيدٍ، حدَّثنا زائِدةُ، ثنا عاصمٌ، عن شقيقٍ[6] - يعنى أبا وائلٍ - عن جريرٍ قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، اشتَرِطْ علىَّ، فأنت أعلَمُ بالشَّرطِ. قال: «أُبايِعُك على أن تعبُدَ اللَّهَ[7] لا تشرِكُ به شيئًا، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِىَ الزَّكاةَ، وتنصَحَ المسلمَ، وتَبْرأَ مِن المُشْرِكِ[8]». ورَواه النسائىُّ مِن حديثِ شُعْبةَ، عن الأعمشِ، عن أبى وائلٍ، عن جريرٍ[9]. وفى طريقٍ أخرى[10]، عن الأعمشِ[11] وعن منصورٍ، عن أبى وائلٍ، عن أبى نُخَيْلةَ[12]، عن جريرٍ به. فاللَّهُ أعلمُ.

ورَواه[13] أيضًا، عن محمدِ بنِ قُدامةَ، عن جريرٍ، عن مُغيرةَ، عن أبى

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) البخارى (٥٧، ٥٢٤، ١٤٠١، ٢١٥٧، ٢٧١٥)، ومسلم (٥٦).

(٣) فى ا ٤١، م، ص: «علاثة». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٩٨.

(٤) البخارى (٥٨، ٢٧١٤)، ومسلم (٥٦/٩٨).

(٥) المسند ٤/ ٣٦٤.

(٦) فى الأصل، م، ص: «سفيان». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٨.

(٧) بعده فى ا ٤١، م، ص: «وحده».

(٨) فى الأصل، ا ٤١، م: «الشرك».

(٩) النسائى (٤١٨٦). صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٩٢).

(١٠) النسائى (٤١٨٧، ٤١٨٨). صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٩٣).

(١١) سقط من: الأصل، م، ص.

(١٢) فى ص: «بجيلة». وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٤٢.

(١٣) أى النسائى.

وائلٍ، والشعبيِّ، عن جريرٍ به[1]. ورَواه عن جريرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عَميرةَ[2]، رَواه أحمدُ منفردًا به[3]. وابنُه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ جريرٍ، رواه[4] أحمدُ أيضًا منفردًا به[5]. وأبو جَميلةَ وصوابُه [6]أبو نُخَيْلةَ[6]، ورَواه أحمدُ أيضًا[7] والنسائيُّ[8]. ورَواه أحمدُ أيضًا[9]، عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبةَ، عن منصورٍ، عن أبى وائلٍ، [10]عن رجلٍ[10]، [11]عن جريرٍ[11]، فذكَره، والظَّاهرُ أن هذا الرجلَ هو أبو نُخَيلةَ البَجَلىُّ. [٣/ ٢٤٠ظ] واللَّهُ أعلمُ.

وقد ذكَرْنا بعثَ النبىِّ ﷺ له حينَ أسلَم إلى ذى الخَلَصةِ[12] - بيتٍ كان يعبُدُه خَثْعَمٌ وبُجَيلةُ، وكان يقالُ له: الكعبةُ اليَمانيَةُ. يُضاهون به الكعبةَ التى بمكةَ، ويقولون للتى ببكةَ: الكعبةُ الشَّاميَّةُ. ولبيتِهم: الكعبةُ اليَمانيَةُ. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ألَا تُريحُنى مِن ذى الخَلَصةِ؟» فحينَئذٍ شكَى إلى النبىِّ ﷺ أنه لا يثبُتُ على الخيلِ، فضرَب بيدِه الكريمةِ فى صدرِه حتى أثَّرت فيه وقال: «اللهمَّ ثبِّتْه، واجعَلْه هاديًا مَهْديًّا». فلم يسقُطْ بعدَ ذلك عن فرسٍ، ونفَر إلى

---

(١) النسائى (٤١٨٥). صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٩١).

(٢) فى ص: «عمرة». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١١٦.

(٣) المسند ٤/ ٣٦٦.

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) المسند ٤/ ٣٥٨.

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: «نحيلة». وفى ا ٤١: «أبو نجيلة». وفى م: «نخيلة». وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٤٢.

(٧) المسند ٥/ ٣٦٥.

(٨) سقط من: الأصل. وهو فى النسائى، كما سبق (٤١٨٧، ٤١٨٨).

(٩) المسند ٤/ ٣٥٨.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

(١١ - ١١) سقط من: ص.

(١٢) تقدم فى صفحة ١٤٣.

ذى الخَلَصةِ فى خمسين ومائةِ راكبٍ مِن قومِه مِن أَحْمَسَ ، فخرَّب ذلك البيتَ ، وحرَّقه حتى ترَكه مثلَ الجملِ الأجربِ ، وبعَث إلى النبىِّ ﷺ بَشيرًا[1] يقالُ له : أبو أرْطاةَ . فبشَّره بذلك ، فبرَّك رسولُ اللَّهِ ﷺ على خيلِ أحْمَسَ ورجالِها خمسَ مراتٍ . والحديثُ مبسوطٌ فى « الصحيحيْن »[2] وغيرِهما ، كما قدَّمناه بعدَ الفتحِ استطرادًا بعدَ ذكرِ تخريبِ بيتِ العُزَّى على يَدَىْ خالدِ بنِ الوليدِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

والظَّاهرُ أن إسلامَ جريرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كان متأخِّرًا عن الفتحِ بمقدارٍ جيِّدٍ ، فإن الإمامَ أحمدَ قال[3] : حدَّثنا هاشمُ[4] بنُ القاسمِ ، حدَّثنا زيادُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُلاثةَ[5] عن[6] عبدِ الكريمِ بنِ مالكٍ الجَزَرىِّ ، عن مجاهدٍ ، عن جريرِ ابنِ[7] عبدِ اللَّهِ البَجَلىِّ قال : إنما أسلَمْتُ بعدَ ما أُنزِلت المائدةُ ، وأنا رأَيت رسولَ اللَّهِ ﷺ يمسَحُ بعدَ ما أسلَمْتُ . تفرَّد به أحمدُ ، وهو إسنادٌ جيِّدٌ ، اللهمّ إلا أن يكونَ منقطِعًا بينَ مجاهدٍ وبينَه .

وثبَت فى « الصحيحيْن »[8] أن أصحابَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ كان يُعْجِبُهم حديثُ جريرٍ فى مسحِ الخُفِّ ؛ لأن إسلامَ جريرٍ إنما كان بعدَ نزولِ المائدةِ ،

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) البخارى (٣٠٢٠، ٣٠٧٦، ٣٨٢٣، ٤٣٥٥، ٤٣٥٦، ٤٣٥٧، ٦٣٣٣) ، ومسلم (٢٤٧٦) .
(٣) المسند ٤/ ٣٦٣.
(٤) فى الأصل ، ا ٤١، م : « هشام » .
(٥) فى المسند : « علاقة » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٩٠.
(٦) فى ا ٤١، م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٥٢.
(٧) فى الأصل : « عن » . وهو خطأ .
(٨) فى ص : « الصحيح » ، وهو فى البخارى (٣٨٧) ، ومسلم (٢٧٢) .

وسيأتى فى حَجةِ الوداعِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « استَنصِتِ الناسَ يا جريرُ » . وإنما أمَره بذلك لأنه كان صبيًّا[1] ، وكان ذا شَكْلٍ عظيمٍ ، كانت نعلُه طولُها ذراعٌ[2] ، وكان مِن أحسنِ الناسِ وجهًا ، وكان مع هذا مِن أغضِّ الناسِ طَرْفًا ، ولهذا رَوَيْنا فى الحديثِ الصحيحِ[3] عنه أنه قال : سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن نظرِ الفَجْأَةِ فقال : « أطرِقْ بصرَك » .

وِفادةُ وائلِ بنِ حُجْرِ بنِ رَبيعةَ بنِ وائلِ ابنِ يَعْمَرَ الحَضْرمىّ[4] أبى هُنيدٍ[5] ، أحدِ ملوكِ اليمنِ ، على رسولِ اللَّهِ ﷺ

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ[6] : كان أحدَ أَقْيالِ حَضْرَموتَ ، وكان أبوه مِن [٣/ ٢٤١و] ملوكِهم . ويقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بشَّر أصحابَه قبلَ قدومِه به ، وقال : « يأتِيكم بقيةُ أبناءِ الملوكِ » . فلمَّا دخَل رحَّب به ، وأدْناه مِن نفسِه ، وقرَّب مجلِسَه ، وبسَط له رداءَه ، وقال : « اللهم بارِكْ فى وائلٍ وولدِه وولدِ ولدِه » .

---

(١) كذا فى النسخ . ولعلها « صَيِّتًا » أى شديد الصوت .

(٢) انظر المسند ٤/ ٣٦٢. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٧٣: « رواه عبد الله ، وابن جرير لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٣) مسلم (٢١٥٩) .

(٤) فى ص : « الخضرمى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤١٩.

(٥) فى ص : « هنيدة » . وكلاهما صواب . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٦٢، وأسد الغابة ٥/ ٤٣٥.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٥٦٢، ١٥٦٣، مطولًا .

واستعمَله على الأَقْيالِ مِن حَضْرَموتَ ، وكتَب معَه ثلاثةَ كتبٍ ؛ منها كتابٌ إلى المُهاجرِ بنِ أبى أميَّةَ ، وكتابٌ إلى الأَقْيالِ والعباهلةِ[1] ، وأقطَعه أرضًا ، وأرسَل معه معاويةَ بنَ أبى سفيانَ ، فخرَج معه راجِلًا ، فشكَى إليه معاويةُ[2] حرَّ الرَّمْضاءِ ، فقال : انتعِلْ ظِلَّ الناقةِ . فقال : وما يُغْنِى عنى ذلك ؟ لو جعَلْتَنى رِدْفًا . فقال له وائلٌ : اسكُتْ فلستَ مِن أرْدافِ الملوكِ . ثم عاش وائلُ بنُ حُجْرٍ حتى وفَد على مُعاويةَ وهو أميرُ المؤمنين فعرَفه معاويةُ ، فرحَّب به وقرَّبه وأدْنَاه ، وأذكَره الحديثَ ، وعرَض عليه جائزةً سَنِيَّةً فأبَى أن يأخُذَها ، وقال : أعْطِها مَن هو أحوَجُ إليها منِّى . وأوْرَد الحافظُ البيهقىُّ[3] بعضَ هذا ، وأشار إلى أن البخارىَّ فى « التاريخِ »[4] روَى فى ذلك شيئًا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا حجَّاجٌ ، أنبأَنا شعبةُ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عَلْقمةَ بنِ وائلٍ ، عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أقطَعه أرضًا . قال : فأرسَلَ معى مُعاويةَ أن أَعْطِها إيَّاه - أو قال : أَعْلِمْها إياه - قال : فقال لى مُعاويةُ : أردِفْنى خلفَك . فقلتُ : لا تكونُ مِن أرْدافِ الملوكِ . قال : فقال : أعطِنى نعلَك . فقلتُ : انتَعِلْ ظلَّ النَّاقةِ . قال : فلمَّا استُخْلِف معاويةُ أتيتُه ، فأقعَدنى معه على السَّريرِ ، فذكَّرنى الحديثَ . قال سِماكٌ : فقال : وَدَدْتُ أنى كنتُ حملْتُه بينَ يَدىَّ . وقد رَواه أبو داودَ ، والترمذىُّ مِن حديثِ شُعبةَ[6] ، وقال الترمذىُّ : صحيحٌ .

---

(١) فى الأصل : « العناهلة » . وفى ا ٤، م ، ص : « العياهلة » . والمثبت من الاستيعاب والعباهلة : هم الذين أُقِرُّوا على مُلْكهم لا يُزالُون عنه . وواحد العباهلة : عَبْهل . انظر النهاية ٣/ ١٧٤، والاشتقاق ص ٥٥٦.

(٢) زيادة من : ا ٤.

(٣) دلائل النبوة ٥/ ٣٤٩.

(٤) انظر التاريخ الكبير ٨/ ١٧٥، ١٧٦.

(٥) المسند ٦/ ٣٩٩.

(٦) أبو داود (٣٠٥٨)، والترمذى (١٣٨١)، مختصرًا. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٣١).

وِفادةُ لَقِيطِ بنِ عامرٍ المُنْتَفِقِ أبى رَزِينٍ العُقَيْلىّ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ

قال عبدُ اللّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[1] : كَتَب إلىَّ إبراهيمُ بنُ حَمزةَ بنِ محمدِ بنِ حمزةَ بنِ مُصعَبِ بنِ الزُّبيرِ الزُّبَيْرىُّ : كتَبْتُ إليك بهذا الحديثِ ، وقد عَرَضْتُه وسَمِعْتُه[2] على ما كَتَبْتُ به إليك ، فحَدِّثْ بذلك عنِّى . قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ ابنُ المغيرةِ الحِزامىُّ ، قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ عَيّاشٍ[3] السَّمَعىُّ الأنصارىُّ القُبائىُّ مِن بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، عن دَلْهَمِ بنِ الأَسْوَدِ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ حاجِبِ بنِ عامرِ بنِ المُنْتَفِقِ العُقَيْلىِّ ، عن أبيه ، [٣/ ٢٤١ظ] عن عمِّه لَقِيطِ بنِ عامرٍ ، قال دَلْهَمٌ : وحَدَّثَنِيه أبى الأسودُ ، عن عاصمِ بنِ لَقيطٍ ، أنَّ لَقيطًا خَرَج وافدًا إلى رسولِ اللّهِ ﷺ ، ومعه صاحبٌ له يقالُ له : نَهِيكُ بنُ عاصمِ بنِ مالكِ بنِ المُنْتَفِقِ . قال لَقِيطٌ : فخرَجْتُ أنا وصاحِبِى حتى قَدِمْنا على رسولِ اللّهِ ﷺ

---

(١) المسند ٤/ ١٣، ١٤. وهو من زوائد عبد اللّه على المسند من طريقين. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٠: رواه عبد اللّه والطبرانى ، وإحدى طريقى عبد اللّه إسنادها متصل ، ورجالها ثقات ، والإسناد الآخر وإسناد الطبرانى مرسل عن عاصم بن لقيط .

وقد أورده الإمام ابن القيم فى زاد المعاد ٣/ ٦٧٣، وبيَّن من أخرجه من أئمة الحديث ثم تكلم على بعض كلماته شرحا وإيضاحا .

(٢) كذا فى النسخ . وفى المسند : « وجمعته » .

(٣) فى الأصل ، ا ٤، ص : « عباس » . وهو مما يقال فى اسمه . انظر الإكمال ٦/ ٧٥، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٣٢.

[1] انسلاخَ رجبٍ ، فأتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فوافَيْناه[1] حينَ انْصَرَف مِن صلاةِ الغداةِ ، فقام فى الناسِ خطيبًا ، فقال : « أيُّها الناسُ ، ألا إنِّى قد خَبَّأْتُ لكم صوتى منذُ أربعةِ أيامٍ ، ألَا لأُسْمِعَنَّكم ، ألَا فهل مِن امرِئٍ بَعَثه قومُه فقالوا : اعْلَمْ لنا ما يقولُ رسولُ اللَّهِ ؟ ألَا ثُم لَعَلَّه أن يُلْهِيَه حديثُ نفسِه ، أو حديثُ صاحبِه ، أو يُلهِيَه الضُّلَّالُ ، ألَا إنِّى مسئولٌ ، هل بَلَّغْتُ ، ألَا اسْمَعوا تَعِيشوا ، ألَا اجلِسوا ، ألَا اجْلِسوا » . قال : فجلَس الناسُ ، وقمْتُ أنا وصاحبى حتى إذا فرَغ لنا فؤادُه وبصرُه قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما عندَك مِن علمِ الغيبِ ؟ فضَحِك ، لَعَمْرُ اللَّهِ وهَزَّ رأسَه ، وعَلِم أنى أَبتَغى لسقطِه ، فقال : « ضَنَّ ربُّك ، عزَّ وجلَّ ، بمفاتيحَ خمسٍ مِن الغيبِ ، لا يعلَمُها إلَّا اللَّهُ » . وأشار بيدِه ، قلتُ : وما هى ؟ قال : « عِلْمُ المَنِيَّةِ ، قد علِم متى مَنِيَّةُ أحدِكم ولا تَعْلَمونه ، وعِلْمُ [2] المَنِىِّ حينَ يكونُ فى الرَّحِمِ ، قد عَلِمَه ولا تَعْلَمون ، وعِلْمُ[2] ما فى غدٍ ، وما أنت طاعِمٌ غدًا ولا تَعْلَمُه ، وعِلْمُ يومِ[3] الغيثِ يُشْرِفُ عليكم [4] آزِلِين مُسْنِتِين[4] ، فيَظَلُّ يضحَكُ ، قد عَلِمَ أنَّ غَيْرَكم[5] إلى قريبٍ[6] » . قال لَقِيطٌ : قلتُ : لن نَعْدَمَ مِن ربٍّ يَضْحَكُ خيرًا . « وعِلْمُ يومِ الساعةِ » . قلتُ[7] : يا رسولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنا مما تُعَلِّمُ[8] الناسَ ، وما تَعْلَمُ ، فأنا مِن قَبِيلِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٤ ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) كذا فى النسخ . وفى المسند : « اليوم » .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « آرلين آدلين مشفقين » . وآزِلين : أى فى شِدَّةٍ وضِيق . ومسنتين : أى مجدبين ، أصابتْهم السَّنة ، وهى القَحْط والجَدْب . انظر اللسان (أ ز ل) ، والنهاية ٢/ ٤٠٧ .

(٥) غيركم : غيثكم وسقياكم بالمطر . وهو مصدر غار ، يقال : غارهم اللَّه بمطر . أى سقاهم بمطر . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٣ .

(٦) فى المسند : « قرب » .

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « قلنا » .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « لا يعلم » .

لا يُصَدِّقون[1] تَصْدِيقَنا أحَدٌ مِن مَذْحِجٍ التى تَرْبُو علينا[2] ، وخَثْعَمٍ التى تُوالِينا ، وعَشِيرتِنا التى نحن منها . قال : « تَلْبَثُون ما لَبِثْتُم ثُم يُتَوَفَّى نَبِيُّكم ، ثُم تَلْبَثون ما لبِثْتُم ثُم تُبْعَثُ الصائحةُ ، لعَمْرُ إلهِك ما تَدَعُ على ظهرِها مِن شىءٍ إلَّا مات ، والملائكةُ الذين مع ربِّك ، عزَّ وجلَّ ، فأصْبَح ربُّك ، عزَّ وجلَّ ، يَطُوفُ[3] فى الأرضِ وقد خَلَتْ عليه البلادُ ، فأرْسَل ربُّك السماءَ تَهْضِبُ[4] مِن عندِ العرشِ ، فلَعَمْرُ إلهِك ما تَدَعُ على ظهرِها مِن مَصْرَعِ قتيلٍ ، ولا مَدْفَنِ ميتٍ ، إلَّا شَقَّتِ القبرَ عنه حتى تُخْلِفَه[5] مِن عندِ رأسِه ، فيَسْتَوِىَ جالسًا ، فيقولُ ربُّك عز وجل : مَهْيَمْ[6] ؟ - لِمَا كان فيه - فيقولُ : ياربِّ ، أمسِ اليومَ[7] . فلِعهدِه بالحياةِ يَحْسَبُه[8] حديثًا بأهلِه » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف يَجْمَعُنا بعدَما تُمَزِّقُنا[9] الرِّياحُ والبِلَى والسِّباعُ ؟ فقال : « أُنْبِئُك بمثلِ ذلك فى آلاءِ اللَّهِ ، الأرضُ أشْرَفْتَ عليها وهى [٣/ ٢٤٢و] مَدَرةٌ بالِيَةٌ[10] ، فقلتَ : لا تَحْيَا أبدًا . ثُم أَرْسَل ربُّك عليها السماءَ ، فلم

---

(١) قال صاحب بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٣: هكذا بالأصل، والأَوْلَى : « لا يصدق تصديقنا أحد من مذحج » ، ولعله جاء على لغة إثبات الضمير مع الفاعل الظاهر، وقد وردت فى بعض الأحاديث .

(٢) تربو علينا : أى ترتفع فى مساكنها عن مساكننا . المصدر السابق .

(٣) كذا فى النسخ . وفى المسند : « يطيف » .

(٤) تهضب : تمطر . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٤.

(٥) فى م : « تخلقه » . وفى المسند : « تجعله » . وتخلفه : أى تُحْيِيه . انظر المصدر السابق .

(٦) مهيم : كلمة استفهام معناها : ما حالك وما شأنك . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٤.

(٧) أى يخلط ما بين أمسه ويومه ؛ لما يظنه من أنه على قيد الحياة ، أو لحداثة عهده بأهله . المصدر السابق .

(٨) فى م : « يتحسبه » .

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « تفرقنا » .

(١٠) مدرة بالية : المدرة قطعة الحجر ؛ أى وهى صخر أصَمّ . ومعنى بالية : أى لا تنبت . المصدر السابق .

تَلْبَثْ عليك إلَّا أيامًا حتى أشْرَفْتَ عليها وهى شَرْبَةٌ[1] واحدةٌ ، فلَعَمْرُ إلهِك لَهو أقْدَرُ على أن يجمعَكم[2] مِن الماءِ على أن يَجْمَعَ نباتَ الأرضِ ، فتُخْرَجون مِن الأصواءِ[3] ومِن مَصارِعِكم[4] ، فتَنظُرُون إليه ويَنْظُرُ إليكم » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، وكيف و[5]نحن مِلءُ الأرضِ ، وهو عزَّ وجلَّ شخصٌ[6] واحدٌ ، يَنْظُرُ إلينا ونَنْظُرُ إليه ؟! فقال : « أُنْبِئُك بمثلِ ذلك فى آلاءِ اللَّهِ ، الشمسُ والقمرُ آيةٌ منه صغيرةٌ ، تَرَوْنهما ويَرَيانِكم ساعةً واحدةً ، لا تُضارُّون[7] فى رُؤْيَتِهما ، ولَعَمْرُ إلهِك لَهو أقْدَرُ على أن يَراكم وتَرَوْنه من أن تَرَوْنهما ويرَيانكم لا تُضارُّوَن فى رؤيتِهما » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فما يفْعَلُ بنا ربُّنا إذا لَقِيناه ؟ قال : « تُعْرَضُون عليه باديةً له

---

(١) فى م : « شرية » . قال ابن قتيبة : هكذا رواه ، وأنا من ذلك على ارتياب فإن كان ذلك هو المحفوظ ، فإنه أراد أن الماء قد كثُر ، فمن حيث أردتَ أن تشرب شربتَ . وإن كان المحفوظ « شرَبة » بفتح الراء ، فإن الشرَبة حَوْض يكون فى أصل النخلة يُملأ ماءً لشِرْبها . وبعض المحدِّثين يرويه « شَرْية » والشرية : الحَنْظَلَة فإن كان هذا هو المحفوظ فإنه أراد أن الأرض قد اخضرَّتْ بالنبات فكأنها شرية واحدة . انظر غريب الحديث ١/ ٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) كذا فى النسخ . وفى المسند : « يجمعهم » .

(٣) الأصواء : قال ابن قتيبة : يعنى القبور ، وأصل الأصواء ، الأعلام تُنصب فى الأرض للهدى ، شبه القبور بها . غريب الحديث ١/ ٥٣٢.

(٤) كذا فى النسخ : وفى المسند : « مصارعهم » .

(٥) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٦) الشخص : كل جسم له ارتفاع وظهور ، والمراد به فى حق اللَّه - تعالى - إثبات الذات . انظر النهاية ٢/ ٤٥١.

قال ابن القيم : قد جاء هذا فى هذا الحديث . وفى قوله فى حديث آخر : « لا شخص أغير من اللَّه » . والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ، ولا يقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص ، بل هم أشرف عقولا ، وأصح أذهانًا ، وأسلم قلوبًا من ذلك . انظر زاد المعاد ٣/ ٦٨١.

(٧) لا تضارون : قال الحافظ ابن حجر فى الفتح ١١/ ٤٤٦: أى لا تضرون أحدًا ، ولا يضركم بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة ، وجاء بتخفيف الراء ، من الضَّيْر وهو لغة فى الضُّرّ ، أى لا يخالف بعض بعضًا فيكذبه وينازعه ، فيضيره بذلك ... وقيل : المعنى لا تضايقون ، أى لا تزاحمون ... وقيل : المعنى لا يحجب بعضكم بعضًا عن الرؤية فيضرّ به .

صَفَحاتُكم[1] ، لا يَخْفَى عليه منكم خافيةٌ ، فيأْخُذُ ربُّك ، عزَّ وجلَّ ، بيدِه غُرْفةً مِن الماءِ فيَنْضَحُ قَبِيلَكم[2] بها ، فلَعَمْرُ إلهِك ما تُخْطِئُ وجهَ أحدِكم منها قطرةٌ ، فأمَّا المسلمُ فتَدَعُ[3] وجهَه مثلَ الرَّيْطَةِ[4] البيضاءِ ، وأما الكافرُ فتَخْطِمُه[5] [6] بمثلِ الحُمَمِ[6] الأَسودِ ، ألا ثُم يَنْصَرِفُ نبيُّكم ، ويَنْصَرِفُ[7] على أثَرِه الصالحون ، فتَسْلُكُون[8] جِسْرًا مِن النارِ ، فيَطَأُ أحدُكم الجَمْرَ فيقولُ : حَسِّ[9] . فيقولُ ربُّك عزَّ وجلَّ : أو أنَّه[10] ، فتَطْلُعون على حوضِ الرسولِ على أَظْمَأِ[11] واللَّهِ ناهِلَةٍ[12] عليها ، ما رأيتُها قطُّ ، فلعمرُ إلهِك لا يَبْسُطُ واحدٌ منكم يدَه إلَّا وَقَعَ[13] عليها قَدَحٌ يُطَهِّرُه مِن الطَّوْفِ[14] والبولِ والأذَى ، وتُحْبَسُ الشمسُ والقمرُ فلا تَرَوْن منهما واحدًا » .

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « صحائفكم » .

(٢) فى النسخ : « قبلكم » . والمثبت من المسند . والقبيل : الجماعة . الوسيط (ق ب ل) .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « على » .

(٤) الريطة : كل مُلاءة غير ذات لِفْقَيْنِ كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب رقيق ليِّن . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

(٥) تخطمه : أى تصيب خَطْمَه ، وهو أنفه ، يعنى تصيبه فتجعل له أثرًا مثل أثر الخِطام . المصدر السابق .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى المسند : « مثل الحميم » . قال صاحب بلوغ الأمانى : الحميم : الماء المغلى . وقد جاء فى عدد من الروايات بلفظ « الحمم » بضمّ الحاء وفتح الميم . وهو الفحم . المصدر السابق .

(٧) كذا فى النسخ . وفى المسند : « يفترق » .

(٨) كذا فى النسخ . وفى المسند : « فيسلكون » .

(٩) حسِّ : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضَّه وأحرقه غَفْلةً ؛ كالجمرة والضربة ونحوهما . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

(١٠) بعده فى المسند : « ألا » . قال ابن قتيبة : وأنَّه : فيه قولان : أحدهما أن تجعل « أنَّه » بمعنى نعم . والآخر : أن تجعل الكلام مختصرا مقتصرا مما بعده عليه ، كأنه قال : وأنه كذلك ، أو أنه على ما تقول . غريب الحديث ١/ ٥٣٧.

(١١) فى الأصل ، ص : « اضماء » . وفى م : « اطماء » .

(١٢) الناهلة : الذاهبة للمنهل للشرب . وجاءت الجملة فى بعض الروايات : « على أظمأ واللَّه ناهلة قط رأيتها » ، والمعنى : أى تطلعون على أظمأ حال . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

(١٣) فى المسند : « وضع » .

(١٤) الطوف : الغائط . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فبمَ[1] نُبْصِرُ ؟ قال : « بِمِثْلِ[2] بصرِك ساعتَك هذه ، وذلك مع[3] طُلُوعِ الشمسِ فى يومِ أشْرَقَتِ[4] الأرضُ وواجَهَته[5] الجبالُ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فبمَ[1] نُجْزَى من سيئاتِنا وحسناتِنا ؟ قال : « الحسنةُ بعشرِ أمثالِها ، والسيِّئةُ بمثلِها إلَّا أن يَعْفُوَ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إمَّا الجنةُ وإمَّا النارُ ؟ قال : « لعمرُ إلهِك ، إنَّ للنارِ لسبعةَ أبوابٍ ، ما منهنَّ بابان إلَّا يسيرُ الراكبُ بينَهما سبعين عامًا ، [6]وإنَّ للجنةِ لَثمانيةَ أبوابٍ ، ما منها[7] بابانِ إلَّا يسيرُ الراكبُ بينَهما سبعين عامًا[6] » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فعَلامَ نَطَّلِعُ مِن الجنةِ ؟ قال : « على أنهارٍ مِن عسلٍ مُصَفًّى ، وأنهارٍ مِن كأسٍ ما بها مِن صُداعٍ ولا نَدامةٍ ، وأنهارٍ مِن لبنٍ لم يتَغَيَّرْ طعمُه ، وماءٍ غيرِ آسِنٍ ، وفاكهةٍ[8] ، لَعمرُ إلهِك ما تعلمون ، وخيرٌ مِن مثلِه معه ، وأزواجٌ [٣/ ٢٤٢ظ] مُطَهَّرَةٌ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ولنا فيها أزواجٌ ؟ أوَ منهنَّ مُصْلِحاتٌ ؟ قال : « الصالحاتُ للصالحين ، تَلَذُّون بهنَّ مثلَ لَذَّاتِكم فى الدنيا ويَلْذَذْن بكم[9] ، غيرَ أن لا تَوالُدَ » . قال لَقِيطٌ : فقلتُ : أقصى[10] ما نحن بالغون ومنتهون إليه ؟ فلم يُجِبْه النبىُّ ﷺ . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، علامَ[11] أُبايعُك ؟

---

(١) فى الأصل ، والمسند : « فيما » .
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « مثل » .
(٣) فى ا ٤ : « من » . وفى المسند : « قبل » .
(٤) فى الأصل ، م ، ص : « أشرقته » .
(٥) كذا فى النسخ . وفى المسند : « واجهت به » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .
(٧) فى المسند : « منهما » .
(٨) فى ص ، والمسند : « بفاكهة » .
(٩) فى النسخ : « ويلذونكم » .
(١٠) كذا فى النسخ ، ومجمع الزوائد . وفى المسند : « أقضى » .
(١١) كذا فى النسخ ، والمجمع . وفى المسند : « ما » .

قال[1] : فبسَط النبيُّ ﷺ يدَه ، وقال : « على إقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وزِيالِ المُشركِ[2] ، وأن لا تُشْركَ باللَّهِ إلهًا غيرَه » . [3]قال : قلتُ : وإن لنا ما بينَ المشرقِ والمغربِ ؟ فقَبَض النبيُّ ﷺ يدَه[4] وظَنَّ أنِّى مُشْتَرِطٌ شيئًا لا يُعْطِينِيهِ . قال : قلتُ : نَحِلُّ منها حيثُ شِئْنا ولا يَجْنِى[5] امرُؤٌ إلَّا على نفسِه . فبسَط يدَه ، وقال : « ذلك لك ، تَحِلُّ حيثُ شئتَ ، ولا تَجْنِى عليك إلَّا نفسُك » . قال : فانْصَرَفْنا عنه ، ثُم قال : « إنَّ هذَيْن مِن أتْقَى الناسِ - لَعَمْرُ إلهِك - فى الأُولى والآخِرةِ » . فقال له كعبُ بنُ الخُدارِيَةِ[6] أحدُ بنى [7]بكرِ بنِ[7] كِلابٍ : مَن هم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال[8] : بنو المُنْتَفِقِ [9]أهلُ ذلك[9] . قال : فانْصَرَفْنا وأقْبَلْتُ عليه[3][10] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل لأحدٍ ممَّن مضَى خيرٌ فى جاهليَّتِهم ؟ قال : فقال رجلٌ مِن عُرْضِ قريشٍ[11] : واللَّهِ إنَّ أباك المُنْتَفِقَ لفى النارِ . قال : فلكأنَّه وقَع حَرٌّ بينَ جِلدى ووجهى ولحمى ؛ مما قال لأبى[12] على رءوسِ الناسِ ، فهَمَمْتُ أن أقولَ : وأبوك يا

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) فى الأصل ، ا ٤ ، م : « الشرك » . وزيال : مفارقة . انظر بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٦.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) بعده فى ا٤ ، م ، والمجمع : « وبسط أصابعه » .

(٥) بعده فى م : « منها » .

(٦) فى ا ٤ ، م : « الحدارية » . وفى المسند : « الخدرية » . والمثبت من مجمع الزوائد . والخدارية بضم المعجمة وتخفيف الدال ، كما نص عليه الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٥/ ٥٩١، ٥٩٢. وانظر الاستيعاب ٣/ ١٣١٣، وأسد الغابة ٤/ ٤٧٤.

(٧ - ٧) سقط من : م . وانظر المصادر السابقة .

(٨) سقط من : ا ٤، م . والمثبت من المسند .

(٩ - ٩) فى ا ٤: « بنو المنتفق أهل ذلك منهم » . وفى م : « أهل ذلك منهم » . والمثبت من المسند .

(١٠) بعده فى الأصل ، م ، ص : « وذكر تمام الحديث إلى أن قال » .

(١١) عُرض قريش : أى من عامة قريش ، وليس من خاصتهم . انظر بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٦.

(١٢) فى م : « لأنى » .

رسولَ اللَّهِ ؟ ثُم إذا الأخرى أَجْمَلُ[1] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ؟ وأهلُك ؟ قال : « وأهلى لَعَمْرُ اللَّهِ ، ما أتَيْتَ عليه مِن قبرِ عامرىٍّ أو قرشىٍّ مِن مشركٍ ، فقل : أرْسَلَنى إليك محمدٌ ، فأُبَشِّرُك بما يَسوءُك ؛ تُجَرُّ على وجهِك وبطنِك فى النارِ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما فعَل بهم ذلك وقد كانوا على عملٍ لا يُحْسِنون إلَّا إياه ، وقد كانوا يَحْسَبون أنهم مُصْلِحون ؟ قال : « ذلك بأنَّ اللَّهَ بَعَثَ فى آخرِ كلِّ سبعِ أممٍ - يعنى نبيًّا - فمَن عَصَى نبيَّه كان مِن الضالين ، ومَن أطاع نبيَّه كان مِن المهتدين » . هذا حديث غريبٌ جدًّا ، وألفاظُه فى بعضِها نَكارةٌ ، وقد أخْرَجه الحافظُ البيهقىُّ فى كتابِ « البعثِ والنُّشورِ » ، وعبدُ الحقِّ الإشْبِيلىُّ فى « العاقبةِ » ، والقرطبىُّ فى كتابِ « التَّذْكرةِ فى أحوالِ الآخرةِ »[2] ، وسيأتى فى كتابِ « البعثِ والنشورِ » إن شاء اللَّهُ تعالى .

وِفادةُ زِيادِ بنِ الحارثِ الصُّدَائىّ[3] ، رضِى اللَّهُ عنه

قال الحافظُ البيهقىُّ[4] : أنبأنا أبو أحمدَ الأَسَداباذىُّ بها ، أنبأنا أبو بكرٍ

---

(١) فى الأصل ، ص : « أحمل » . وفى المسند : « أجهل » .

(٢) لم نجد الحديث فى كتاب البعث للحافظ البيهقى ، وأشار إليه القرطبى فى كتاب التذكرة ص ١٧٣ ، وعزاه لأبى داود الطيالسى ، وهو فى مسنده (١٠٨٩ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤) مختصر عنده .

(٣) سقط من : م .

(٤) دلائل النبوة ٥/٣٥٥ - ٣٥٧.

(١ أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ حمدانَ ١) بنِ مالكٍ القَطِيعيُّ ، (٢ ثنا أبو عليٍّ بِشرُ بنُ موسى ٢) ، حدثنا أبو عبدِ الرحمنِ المُقْرِئُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادِ بنِ أَنْعُمٍ ، حدَّثنى زيادُ بنُ نُعيمٍ الحَضْرميُّ ، سَمِعْتُ زيادَ بنَ الحارثِ الصُّدَائيَّ يُحَدِّثُ قال : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فبايَعْتُه على الإسلامِ ، فأُخْبِرْتُ أنَّه قد بَعَث جيشًا إلى قومى ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ارْدُدِ الجيشَ ، وأنا لك بإسلامِ قومى وطاعتِهم . فقال لى : « اذْهَبْ فرُدَّهم » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ راحلتى قد كلَّتْ . فبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ رجلًا فرَدَّهم . قال الصُّدَائيُّ : وكَتَبْتُ إليهم كتابًا ، فقَدِم وفدُهم بإسلامِهم ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أخا صُدَاءٍ ، إنك لَمُطاعٌ فى [٣/ ٢٤٣و] قومِك » . فقلتُ : بل اللَّهُ هداهم للإسلامِ . فقال : « أفلا أُؤَمِّرُك عليهم ؟ » قلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : فكتَب لى كتابًا أمَّرنى ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، (٣ مُرْ لى ٣) بشىءٍ مِن صَدَقاتِهم . قال : « نعم » . فكَتَب لى كتابًا آخرَ . قال الصُّدَائيُّ : وكان ذلك فى بعضِ أسْفارِه ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ منزلًا ، فأتاه أهلُ ذلك المنزلِ يَشْكُون عاملَهم ، ويقولون : أخَذَنا بشىءٍ كان بينَنا وبينَ قومِه فى الجاهليةِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَ فعَل ذلك ؟ » قالوا : نعم . فالْتَفَت رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أصحابِه وأنا فيهم ، فقال : « لا خيرَ فى الإمارةِ لرجلٍ مؤمنٍ » . قال الصُّدائيُّ : فدَخَل قولُه فى نفسى ، ثُم أَتاه آخرُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطِنى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن سأَل الناسَ عن ظهرِ غِنًى ، فصُداعٌ فى الرأسِ ، وداءٌ فى البطنِ » . فقال السائلُ : فأعْطنى مِن الصدقةِ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل. وانظر الأنساب ٤/ ٥٢٨.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٢.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « مرنى » .

لم يَرْضَ [1] فى الصَّدَقاتِ [1] بحكمِ نبىٍّ ولا غيرِه ، حتى حكَم هو فيها ، فجَزَّأها ثمانيةَ أجزاءٍ ، فإن كنتَ مِن تلك الأجْزاءِ أعْطَيْتُك [2] » . قال الصُّدائىُّ : فدَخل ذلك فى نفسى أنِّى غنىٌّ وأنِّى سَأَلْتُه مِن الصدقةِ . قال : ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَشَى [3] مِن أولِ الليلِ ، فلَزِمْتُه وكنتُ قريبًا ، فكان أصحابُه يَنْقَطِعون عنه ويَسْتَأْخِرون منه ، ولم يَبْقَ معه أحدٌ غيرى ، فلمَّا كان أوانُ صلاةِ الصبحِ أمَرنى فأذَّنْتُ ، فجَعَلْتُ أقولُ : أُقيمُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ فجَعَل يَنْظُرُ ناحيةَ المشرقِ إلى الفجرِ ويقولُ : « لا » . حتى إذا طَلَعَ الفجرُ نَزَل فتَبَرَّز ، ثُم انْصَرَف إلىَّ وهو مُتلاحِقٌ أصحابَه فقال : « هل مِن ماءٍ يا أخا صُداءٍ ؟ » قلتُ : لا ، إلَّا شىءٌ قليلٌ لا يَكْفِيك . فقال : « اجْعَلْه فى إناءٍ ثُم ائْتِنى به » . ففَعَلْتُ فوَضَعَ كفَّه فى الماءِ . قال : فرأيْتُ بينَ أُصْبُعَيْن مِن أصابعِه عينًا تَفُورُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لولا أنِّى أسْتَحى مِن ربى ، عزَّ وجلَّ ، لَسَقَيْنا واسْتَقَيْنا ، نادِ فى أصحابى : مَن له حاجةٌ فى الماءِ ؟ » فنادَيْتُ فيهم فأخَذ مَن أراد منهم شيئًا ، ثُم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الصلاةِ ، فأراد بلالٌ أن يُقيمَ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أخا صُداءٍ أذَّن ، ومَن أذَّن فهو يُقيمُ » . قال الصُّدائىُّ : فأقَمْتُ ، فلمَّا قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ الصلاةَ أتَيْتُه بالكتابَيْنِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْفِنى مِن هذَيْن . فقال : « ما بدا لك ؟ » فقلتُ : [٣/٢٤٣ظ] سَمِعْتُك يا رسولَ اللَّهِ تقولُ : « لا خيرَ فى الإمارةِ لرجلٍ مؤمنٍ » . وأنا أُؤمنُ باللَّهِ وبرسولِه ، وسَمِعْتُك تقولُ للسائلِ : « مَن سأل الناسَ عن ظهرِ غِنًى ، فهو صُداعٌ فى الرأسِ ، وداءٌ فى البطنِ » . وسأَلْتُك وأنا غنىٌّ . فقال :

(١ - ١) فى الدلائل : « فيها » .

(٢) بعده فى الدلائل : « أو أعطيناك حقك » .

(٣) اعتشى : سار وقت العشاء . النهاية ٣/ ٢٤٢.

« هو ذاك ، فإن شئتَ فاقْبَلْ ، وإن شئتَ فدَعْ » . فقلتُ : أدَعُ . فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فدُلَّنى على رجلٍ أُؤَمِّرُه عليكم » . فدَلَلْتُه على رجلٍ مِن الوفدِ الذين قَدِموا عليه ، فأمَّره عليهم ، ثُم قلنا[1] : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ لنا بئرًا ؛ إذا كان الشتاءُ وَسِعَنا ماؤُها واجْتَمَعْنا عليها ، وإذا كان الصيفُ قَلَّ ماؤُها فتَفَرَّقْنا على مياهٍ حولَنا ، وقد أسْلَمْنا ، وكلُّ مَن حولَنا عدوٌّ ، فادْعُ اللَّهَ لنا فى بئرِنا ، فيَسَعَنا ماؤُها فنَجْتَمِعَ عليه ولا نَتَفَرَّقَ . فدعا بسبعِ[2] حَصَياتٍ فعَرَكَهُنَّ بيدِه ودَعا فيهنَّ ، ثم قال : « اذْهَبوا بهذه الحَصَياتِ ، فإذا أتَيْتُم البئرَ فأَلْقُوا واحدةً واحدةً ، واذْكُروا اللَّهَ » . قال الصُّدائىُّ : ففَعَلْنا ما قال لنا ، فما اسْتَطَعْنا بعدَ ذلك أن نَنْظُرَ إلى قَعْرِها . يعنى البئرَ . وهذا الحديثُ له شواهدُ فى « سننِ أبى داودَ » والترمذىِّ وابنِ ماجه[3] .

وقد ذكَر الواقدىُّ[4] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان بعَث بعدَ عُمرةِ الجِعْرانةِ قيسَ ابنَ سعدِ بنِ عُبادةَ ، فى أربعِمائةٍ إلى بلادِ صُداءٍ فيُوَطِّئُها ، فبعَثوا رجلًا منهم فقال : جئتُك لتَرُدَّ عن قومى الجيشَ ، وأنا لك بهم . ثُم قَدِم وفْدُهم خمسةَ عشَرَ رجلًا ، ثُم رأى منهم حَجةَ الوَداعِ مائةَ رجلٍ . ثُم روَى الواقدىُّ[5] ، عن الثورىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادِ بنِ أَنْعُمٍ ، عن زيادِ بنِ نُعيمٍ ، عن زيادِ بنِ الحارثِ الصُّدائىِّ ، قصتَه فى الأذانِ .

---

(١) فى الأصل : « قال » . وفى الدلائل : « قلت » .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « سبع » .

(٣) أبو داود (٥١٤) ، والترمذى (١٩٩) ، وابن ماجه (٧١٧) . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح سنن الترمذى ١/ ٣٨٦: حديث صحيح ، رواته ثقات ، ولم يتكلموا فيه إلا من أجل الإفريقى ، يعنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٣٢٦، عن الواقدى عن شيخ من بنى المصطلِق عن أبيه .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٣٢٦، ٣٢٧، عن الواقدى به .

وِفادةُ الحارثِ بنِ حسّانَ البَكْرىّ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا زيدُ بنُ الحُبَابِ ، حدَّثنى أبو المُنذِرِ سَلَّامُ بنُ سليمانَ النَّحْوىُّ ، حدَّثَنا عاصمُ بنُ أبى النَّجُودِ ، عن أبى وائلٍ ، عن الحارثِ البَكْرىِّ قال : خَرَجْتُ أشكو العلاءَ بنَ الحَضْرَمىِّ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ ، فمرَرْتُ بالرَّبَذَةِ ، فإذا عجوزٌ من بنى تَمِيمٍ مُنْقَطِعٌ بها ، فقالت : يا عبدَ اللّهِ ، إنَّ لى إلى رسولِ اللّهِ ﷺ حاجةً ، فهل أنت مُبَلِّغِى إليه ؟ قال : فحَمَلْتُها ، فأتيتُ المدينةَ فإذا المسجدُ غاصٌّ بأهلِه ، وإذا رايةٌ سوداءُ تَخْفِقُ ، وبلالٌ مُتَقَلِّدٌ السيفَ بينَ يدَىْ رسولِ اللّهِ ﷺ ، فقلتُ : ما شأنُ الناسِ ؟ [٣/ ٢٤٤و] قالوا : يريدُ أن يَبْعَثَ عمرَو بنَ العاصِ وَجْهًا . قال : فجلستُ فدَخَل منزلَه - أو قال : رَحْلَه - فاستأذنتُ عليه فأذِنَ لى ، فدخلتُ فسَلَّمْتُ ، فقال : « هل كان بينَكم وبينَ تَمِيمٍ شىءٌ ؟ » قلتُ : نعم ، وكانت الدائرةُ[2] عليهم ، ومررتُ بعجوزٍ من بنى تَمِيمٍ مُنقطِعٍ بها ، فسألَتْنى أن أَحْمِلَها إليك ، وها هى بالبابِ . فأَذِنَ لها فدخلتْ ، فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ ، إن رأيتَ أن تَجْعَلَ بينَنا وبينَ تَمِيمٍ حاجزًا ، فاجْعَلِ الدَّهْناءَ[3] .

---

(١) المسند ٣/ ٤٨٢. وقد تقدم فى ١/ ٢٩٦ - ٢٩٨.

(٢) كذا فى النسخ . وفى المسند : « الدبرة » . والدَّبْرَة : الدَّوْلَة والظَّفَر والنُّصْرة ، وتفتح الباء وتُسكَّن . ويقال : علَى مَن الدبرة ؟ أى الهزيمة . انظر النهاية ٢/ ٩٨.

(٣) الدهناء : من ديار بنى تميم . انظر معجم البلدان ٢/ ٦٣٥.

فحَمِيَتِ العجوزُ واسْتَوْفَزَتْ[1] ، وقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أينَ يَضْطَرُّ مُضَرُك ؟ قال : قلتُ : إنَّما[2] مَثَلى ما قال الأولُ : مِعْزًى حَمَلَتْ حَتْفَها . حمَلْتُ هذه ولا أشْعُرُ أنَّها كانت لى خَصمًا ، أعوذُ باللَّهِ ورسولِه أن أكونَ كوافدِ عادٍ . قال[3] : « هِيهِ[4] ، وما وافدُ عادٍ ؟ » وهو أعلمُ بالحديثِ منه ، ولكن يَسْتَطْعِمُه[5] . قلتُ : إن عادًا قُحِطوا ، فبَعَثوا وافدًا لهم يقالُ له : قَيْلٌ . فمَرَّ بمعاويةَ بنِ بكرٍ ، فأقام عندَه شهرًا يَسْقِيه الخمرَ ، وتُغَنِّيه جاريتان يُقالُ لهما : الجَرادَتان . فلمَّا مضَى الشهرُ خرَج إلى جبالِ مَهَرةَ[6] فقال : اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّى[7] لم أجِئْ إلى مريضٍ ، فأُداوِيهْ ، ولا إلى أسيرٍ فأُفادِيهْ ، اللهم اسْقِ عادًا ما كنتَ تَسْقِيهْ . فمرَّت به سَحاباتٌ سُودٌ فنُودِىَ منها : اخْتَرْ . فأوْمَأَ إلى سَحابةٍ منها سوداءَ ، فنُودِىَ منها : خُذْها رمادًا رِمْدِدا[8] ، لا تُبْقى مِن عادٍ أحدا . قال : فما بَلَغَنى أنَّه أُرْسِل عليهم مِن الريحِ ، إلَّا بقَدْرِ ما يَجْرى فى خاتَمى هذا ، حتى هَلَكوا . قال أبو[9] وائلٍ :

---

(١) استوفز فى قعدته . إذا قَعَد قعودًا منتصِبًا غيرَ مُطمئِنٍّ . اللسان (و ف ز) . ولعل معناها هنا التحفُّز .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « إن » .

(٣) فى م : « قالت » .

(٤) فى النسخ : « هى » . والمثبت من المسند . وهيه بمعنى إيهِ فأُبدل من الهمزة هاء ، وإيه اسم فعل ، ومعناه الأمر ، تقول للرجل : إيهِ . بغير تنوين ، إذا استزدتَه من الحديث المعهود بينكما ، فإن نوَّنتَ استزدتَه من حديثٍ ما غير معهود . انظر اللسان (هـ ى هـ) .

(٥) فى م : « تستطعمه » . واستطعمه الحديث : طلب منه أن يُحدِّثه وأن يُذيقه طعم حديثه ، انظر النهاية ١٢٧/٣ .

(٦) كذا فى النسخ . وفى المسند : « تهامة » . و« مهرة » لفظ حديث المسند من طريق أبى بكر بن عياش ، الذى سيشير إليه المصنف عقب هذه الرواية . ومهرة : قبيلة ، وهى مهرة بن حَيْدان ... تُنسب إليهم الإبل المهرية . انظر معجم البلدان ٤/ ٧٠٠.

(٧) سقط من : الأصل ، م .

(٨) الرِّمْدِد : المُتناهى فى الاحتراق والدِّقَّة . كما يقال : ليلٌ أَلْيَل ، ويومٌ أيْوَم . إذا أرادوا المبالغة . انظر النهاية ٢/ ٢٦٢.

(٩) كذا فى النسخ . وفى المسند « ابن » . وهو خطأ .

وصَدَق . قال[1] : وكانت المرأةُ أو الرجلُ إذا بَعَثوا وافدًا لهم ، قالوا : لا تكُنْ[2] كوافدِ عادٍ . وقد رواه الترمذيُّ ، والنسائيُّ مِن حديثِ أبى المنذرِ سلَّامِ بنِ سليمانَ به[3] . ورواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن الحارثِ البَكْرىِّ[4] ، ولم يذكُرْ أبا وائلٍ ، وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن عاصمٍ ، عن الحارثِ[5] ، والصوابُ : عن عاصمٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن الحارثِ كما تقدَّم .

وِفادةُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَقِيلٍ مع قومِه

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[6] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ السُّوسىُّ ، أنبأنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَغدادىُّ ، أنبأنا علىُّ بنُ الجَعْدِ ، ثنا عبدُ العزيزِ ، [٣/ ٢٤٤ظ] ثنا أحمدُ بنُ يونسَ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا أبو خالدٍ يزيدُ الأَسَدىُّ ، ثنا عَوْنُ بنُ أبى جُحَيْفةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَلْقمةَ الثقفىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَقِيلٍ قال : انطَلَقْتُ فى وفدٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأتَيْناه فأنَخْنا بالبابِ ، وما فى الناسِ[7] أبْغَضُ إلينا مِن رجلٍ نَلِجُ عليه ، فلما

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) فى النسخ : « يكن » . والمثبت من المسند .

(٣) الترمذى (٣٢٧٤) ، والنسائى فى الكبرى (٨٦٠٧) .

(٤) ابن ماجه (٢٨١٦) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٧٢) .

(٥) المسند ٣/٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٦) دلائل النبوة ٥/٣٥٨ .

(٧) بعده فى م : « رجل » .

دخَلْنا وخرَجْنا ، فما فى الناسِ[1] أحبُّ إلينا مِن رجلٍ دخَلْنا عليه . قال : فقال قائلٌ منا : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا سألْتَ ربَّك مُلْكًا كملكِ سليمانَ ؟ قال : فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم قال : « فلعل لصاحبِك[2] عندَ اللَّهِ أفضلَ مِن مُلْكِ سليمانَ ، إن اللَّهَ ، عز وجل ، لم يَبْعَثْ نبيًّا إلا أعطاه دعوةً ، فمنهم مَن اتخَذها دُنيا فأُعْطِيَها ، ومنهم مَن دعا بها على قومِه إذ عصَوْه فأُهْلِكوا بها ، وإن اللَّهَ أعطانى دعوةً فاخْتَبَأْتُها عندَ ربى شَفاعةً لأمتى يومَ القيامةِ » .

قدومُ طارقِ بنِ عبدِ اللَّهِ وأصحابِه

روَى الحافظُ البيهقىُّ[3] ، مِن طريقِ أبى جَنَابٍ[4] الكَلْبىِّ ، عن جامعِ بنِ شَدَّادٍ المُحاربىِّ ، حدَّثنى رجلٌ مِن قومى يقالُ له : طارقُ بنُ عبدِ اللَّهِ . قال : إنى لَقائمٌ بسُوقِ ذى المَجازِ ، إذ أقْبَل رجلٌ عليه جُبَّةٌ وهو يقولُ : « يا أيُّها الناسُ ، قولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . تُفْلِحوا » . ورجلٌ يَتْبَعُه يَرْمِيه بالحجارةِ ، يقولُ : يا أيُّها الناسُ ، إنه كذَّابٌ [5]فلا تُصَدِّقوه[5] . فقلتُ : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا غلامٌ مِن بنى هاشمٍ يزْعُمُ أنه رسولُ اللَّهِ . قال : قلتُ : مَن هذا الذى يفعلُ به هذا ؟ قالوا : هذا عمُّه عبدُ العُزَّى . قال : فلما أسْلَم الناسُ وهاجروا خرَجْنا مِن الرَّبَذةِ نريدُ المدينةَ

---

(١) بعده فى م : « رجل » .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « صاحبك » . وفى الدلائل : « لصاحبكم » .

(٣) دلائل النبوة ٥/٣٨٠، ٣٨١ .

(٤) فى الأصل ، م : « خباب » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/٢٨٤ .

(٥ - ٥) زيادة من الدلائل .

نَمتارُ مِن تمرِها ، فلما دنَوْنا مِن حِيطانِها ونخلِها قلتُ : لو نزَلْنا فلبِسْنا ثيابًا غيرَ هذه ، إذا رجلٌ فى طِمْرَيْن[1] فسلَّم علينا وقال : « مِن أين أقْبَل القومُ ؟ » قلنا : مِن الرَّبَذةِ . قال : « وأين تُريدون ؟ » قلنا : نُريدُ هذه المدينةَ . قال : « ما حاجتُكم منها ؟ » قلنا : نَمْتارُ مِن تمرِها . قال : ومعنا ظَعينةٌ لنا ، ومعها جَملٌ أحمرُ مَخْطومٌ ، فقال : « أتَبيعون جملَكم هذا ؟ » قلنا : نعم ، بكذا وكذا صاعًا مِن تمرٍ . قال : فما اسْتَوْضَعَنا[2] مما قلنا شيئًا ، وأخذ بخِطامِ الجملِ فانطلق ، فلما تَوارى عنا بحِيطانِ المدينةِ ونخلِها قلنا : ما صنَعْنا ؟! واللَّهِ ما بِعْنا جملَنا ممَّن نَعْرِفُ ، ولا [٣/ ٢٤٥و] أخَذْنا له ثمنًا . قال : تقولُ المرأةُ التى معنا : واللَّهِ لقد رأيْتُ رجلًا كأنَّ وجهَه شُقَّةُ القمرِ ليلةَ البدرِ ، أنا ضامنةٌ لثمنِ جملِكم . إذ أقْبَل رجلٌ فقال : أنا رسولُ[3] رسولِ اللَّهِ ﷺ إليكم ، هذا تمرُكم ، فكلوا واشْبَعوا واكْتَالوا واسْتَوْفُوا . فأكَلْنا حتى شبِعْنا ، واكْتَلْنا فاسْتَوْفَيْنا ، ثم دخَلْنا المدينةَ ، فدخَلْنا المسجدَ ، فإذا هو قائمٌ على المنبرِ يخطُبُ الناسَ ، فأدْرَكْنا مِن خطبتِه وهو يقولُ : « تصَدَّقوا ، فإن الصدقةَ خيرٌ لكم ، اليدُ العُلْيا خيرٌ مِن اليدِ السُّفْلى ، أُمَّك وأباك ، وأختَك وأخاك ، وأدْناك أدْناك » . إذ أقْبَل رجلٌ[4] مِن بنى يَرْبوعٍ - أو قال : رجلٌ مِن الأنصارِ - فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لنا فى هؤلاء دماءٌ فى الجاهليةِ . فقال : « [5]إنَّ أبًا لا يَجْنى على ولدٍ[5] » . ثلاثَ مراتٍ . وقد رَوَى النسائىُّ فضلَ الصدقةِ منه ، عن يوسفَ بنِ عيسى ، عن الفضلِ بنِ موسى ، عن يزيدَ بنِ زيادِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن

---

(١) الطمر : الثوب الخَلَق البالى . الوسيط (ط م ر) .
(٢) استوضع : طلب الحَطَّ والتقليل .
(٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤) بعده فى الدلائل : « فى نفر » .
(٥ - ٥) فى الدلائل : « إنا لا نجنى على ولد » .

جامعِ بنِ شَدَّادٍ ، عن طارقِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُحاربيِّ ببعضِه[1] . ورواه الحافظُ البيهقيُّ أيضًا ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، عن يونسَ بنِ بكيرٍ ، عن يزيدَ بنِ زيادٍ ، عن جامعٍ ، عن[2] طارقٍ بطولِه ، كما تقدم[3] ، وقال فيه : فقالت الظَّعينةُ : لا تَلاوَموا ، فلقد رأيتُ وجهَ رجلٍ لا يَغْدِرُ ، ما رأيْتُ شيئًا أشبهَ بالقمرِ ليلةَ البدرِ مِن وجهِه .

قدومُ وافدِ فَرْوةَ بنِ عمرٍو الجُذاميّ صاحبِ بلادِ مُعَانَ [4]بإسلامِه على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأظنُّ ذلك إما بتبوكَ أو بعدَها[4]

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وبعَث فَرْوةُ بنُ عمرِو بنِ النافرةِ[6] الجُذاميُّ ثم النُّفاثيُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ رسولًا بإسلامِه ، وأَهْدَى له بغلةً بيضاءَ ، وكان فروةُ عاملًا للرومِ على مَن يليهم مِن العربِ ، وكان منزلُه مُعَانَ وما حولَها مِن أرضِ الشامِ ، فلما بلَغ الرومَ ذلك مِن إسلامِه طَلَبوه حتى أخَذوه ، فحبَسوه عندَهم ، فقال فى

---

(١) النسائى (٢٥٣١) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٣٧٢) .

(٢) فى الأصل ، م : « بن » .

(٣) دلائل النبوة ٣٨١/٥ .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٩١/٢ .

(٦) سقط من ٤١ . و فى الأصل ، ص : « الباقرة » . وفى الاستيعاب ١٢٥٩/٣ وأسد الغابة ٣٥٧/٤ ، والإصابة ٣٨٧/٥: « الناقدة » . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٢١٣/١٤، ٢١٤ مخطوط .

مَحْبِسِه ذلك :

طرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أصْحابى ... والرومُ بينَ البابِ والقِرْوانِ[1]

صدَّ الخَيالُ وساءَه ما قد رأَى ... وهمَمْتُ أن أُغْفِى وقد أبْكانى[2]

لا تَكْحُلِنَّ العينَ بعدى إثْمِدًا ... سَلْمَى ولا تَدْنِنَّ[3] للإتْيانِ

[٣/ ٢٤٥ظ] ولقد عَلِمْتَ أبا كُبَيْشةَ أننى ... وسْطَ الأعِزَّةِ لا يُحَصُّ[4] لسانى

فلئن هلَكْتُ لتَفْقِدُنَّ أخاكمُ ... ولئن بقِيتُ ليَعْرِفُنَّ مكانى

ولقد جَمَعْتُ أجَلَّ ما جمَع الفتَى ... مِن جَوْدةٍ وشَجاعةٍ وبَيانِ

قال : فلما أجْمَعَت الرومُ على صَلْبِه على ماءٍ لهم يقالُ له : عِفْرَى . بفِلَسْطِينَ ، قال :

ألا هل أتَى سَلْمَى بأنَّ حَلِيلَها ... على ماءِ عِفْرَى فوقَ إحدى الرَّواحلِ[5]

على ناقةٍ لم يَضْرِبِ الفَحْلُ أُمَّها ... مُشَذَّبَةٍ[6] أطْرافُها بالمَناجِلِ

قال : وزعَم الزهرىُّ أنهم لما قدَّموه ليَقْتُلوه قال :

بَلِّغْ سَراةَ المسلمين بأننى ... سِلْمٌ لربى أعْظُمى ومَقامى

قال : ثم ضرَبوا عنقَه وصلَبوه على ذلك الماءِ ، رحِمه اللَّهُ ، ورضِى عنه وأرضاه ، وجعَل الجنةَ مَثْواه .

---

(١) الموهن : بعد ساعة من الليل . والقروان : الجماعة ، وهى كلمة فارسية عُرِّبت . شرح غريب السيرة ٣/١٦٥ .

(٢) أُغْفِى : أنام نومًا خفيفًا . انظر المصدر السابق .

(٣) فى النسخ ، والسيرة : « تدين » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) فى ص : « يخص » ، ويحص : يُقطع .

(٥) فوق إحدى الرواحل : يعنى الخشبة التى صلبوه عليها . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٥.

(٦) فى الأصل ، م : « يشد به » . وفى ص : « سدية » ، والمشذبة التى أزيلت أغصانها . المصدر السابق .

قدومُ تميمٍ الداريّ على رسولِ اللّهِ ﷺ ، [1]وإخبارُه إياه بأمرِ الجَسَّاسَةِ وما سَمِع مِن الدَّجَّالِ[1] في خروجِ النبى ﷺ وإيمانِ مَن آمَن به

[قال البيهقيُّ][2] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ سهلُ بنُ محمدِ بنِ نَصْرَوَيْهِ المَرْوَزِيُّ بنَيْسابورَ ، أنبأنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ [3]بنِ حبيبٍ ، أنبأنا يحيى بنُ أبى طالبٍ (ح) وأخبرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو بكرٍ أحمدُ[3] بنُ الحسنِ القاضى قالا[4] : أنبأنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ زيادٍ القَطَّانُ ، حدَّثنا يحيى بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، أنبأنا وهبُ بنُ جريرٍ ، حدثنا أبى ، سمِعْتُ غَيْلانَ بنَ جريرٍ يُحَدِّثُ عن الشعبيِّ ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ قالت : قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ تميمٌ الدَّاريُّ ، فأَخْبَر رسولَ اللَّهِ ﷺ أنه ركِب البحرَ ، فتاهت به سفينتُه ، فسقَطوا إلى جزيرةٍ ، فخَرَجوا إليها يلْتَمِسون الماءَ ، فلقِى إنسانًا يجُرُّ شعَرَه ، فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا الجَسَّاسةُ . قالوا : فأَخْبِرْنا . قال : لا أُخْبِرُكم ، ولكن عليكم بهذه الجزيرةِ . فدخَلْناها فإذا رجلٌ مُقَيَّدٌ ، فقال : مَن أنتم ؟ قلْنا : ناسٌ مِن العربِ . قال : ما فعَل هذا النبيُّ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من النسخ . وأثبتناه ليستقيم السياق ؛ فإن المصنف نقل ترجمة الباب والأثر من دلائل النبوة ٥/٤١٦، ٤١٧ .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

الذى خرَج فيكم؟ قلنا: قد آمَن به الناسُ واتَّبعوه وصدَّقوه. قال: ذلك خيرٌ لهم. قال: أفلا تُخْبِرونى عن عينِ زُغَرَ[1] ما فعلت؟ فأخْبَرْناه عنها، فوثَب وَثْبةً كاد أن يَخْرُجَ مِن وراءِ الجِدارِ، ثم [٣/ ٢٤٦و] قال: ما فعَل نَخْلُ بَيْسانَ[2]؟ هل أطْعَمَ بعدُ؟ فأخْبَرْناه أنه قد أَطْعَمَ، فوثَب مثلَها، ثم قال: أمَا لو قد أُذِن لى فى الخروجِ لَوَطِئْتُ البلادَ كلَّها غيرَ طَيْبةَ. قالت: فأخْرَجه رسولُ اللَّهِ ﷺ فحدَّث الناسَ، فقال: «هذه طَيْبةُ، وذاك الدجالُ». وقد رَوَى هذا الحديثَ الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ وأهلُ السُّننِ مِن طرقٍ، عن عامرِ بنِ شَراحِيلَ الشعبىِّ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ[3]، وقد أوْرَد له الإمامُ أحمدُ شاهدًا مِن روايةِ أبى هريرةَ وعائشةَ أمِّ المؤمنين[4]، وسيأتى هذا الحديثُ بطرقِه وألفاظِه فى كتابِ «الفتنِ». وذكَر الواقدىُّ وفدَ الداريِّين مِن لَخْمٍ، وكانوا عشَرةً[5].

وَفْدُ بنى أَسَدٍ

وهكذا ذكَر الواقدىُّ[6] أنه قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أوَّلِ سنةِ تسعٍ وفدُ

---

(١) فى م: «زعر»، وزغر: قرية بمشارف الشام. معجم البلدان ٢/ ٩٣٣.

(٢) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامى، ويقال: هى لسان الأرض، وهى بين حوران وفلسطين. معجم البلدان ١/ ٧٨٨.

(٣) المسند ٦/ ٣٧٣، ٣٧٤، ومسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، والترمذى (٢٢٥٣)، والنسائى فى الكبرى (٤٢٥٨)، وابن ماجه (٤٠٧٤).

(٤) المسند ٦/ ٣٧٤.

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٣٤٣، ٣٤٤، عن الواقدى.

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٩٢، ٢٩٣، عن الواقدى.

بنى أسَدٍ، وكانوا عشَرةً، منهم؛ ضِرارُ بنُ الأزْورِ، ووابِصةُ بنُ مَعْبَدٍ، وطُلَيْحةُ بنُ خُوَيْلدٍ الذى ادَّعى النبوَّةَ بعدَ ذلك، ثم أسلَم وحسُن إسلامُه، ونُقَادَةُ[1] بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خلفٍ، فقال له رئيسُهم حَضْرميُّ بنُ عامرٍ: يا رسولَ اللَّهِ، أتَيْناك نَتَدَرَّعُ الليلَ البَهيمَ فى سنةٍ شَهْباءَ، ولم تَبْعَثْ إلينا بعثًا. فنزَل فيهم: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وكان فيهم قبيلةٌ يقالُ لهم: بنو الزِّنْيَةِ[2]. فغيَّر اسمَهم فقال: «أنتم بنو الرِّشْدةِ». وقد اسْتَهْدَى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن نُقَادةَ[1] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خلفٍ ناقةً تكونُ جيدةً للرُّكوبِ وللحَلْبِ مِن غيرِ أن يكونَ لها ولدٌ معها، فطلَبَها فلم يجِدْها إلا عندَ ابنِ عمٍّ له، فجاء بها، فأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بحَلْبِها، فشرِب منها وسقاه سُؤْرَه، ثم قال: «اللهم بارِكْ فيها وفيمَن منَحها». فقال: يا رسولَ اللَّهِ، وفيمَن جاء بها. فقال: «وفيمَن جاء بها».

وفدُ بنى عَبْسٍ

ذكَر الواقديُّ[3] أنهم كانوا تسعةَ نفرٍ، وسمَّاهم الواقديُّ، فقال لهم النبيُّ

---

(١) فى الأصل غير منقوطة، وفى ٤١: «نفاذة»، وفى م، ص: «نفادة». والمثبت من الطبقات. وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٣١، وأسد الغابة ٥/ ٣٥٥، والإصابة ٦/ ٦٨٦.

(٢) فى الأصل، م، ص: «الرتية»، والزنية بالفتح والكسر: آخر ولد الرجل والمرأة، كالعِجْزة. وبنو مالك يُسمَّون بنى الزنية لذلك. وإنما قال لهم النبى ﷺ: «بل أنتم بنو الرشدة». نفيا لهم عما يوهمه لفظ الزنية من الزنا، وهو نقيض الرشدة. النهاية ٢/ ٣١٧.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٩٥، ٢٩٦، عن الواقدى.

[٣/٢٤٦ظ] ﷺ : « أنا عاشِرُكم » . وأمَر طلحةَ بنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فعقَد لهم لواءً ، وجعَل شِعارَهم : يا عشَرةُ . وذكَر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سأَلهم عن خالدِ بنِ سِنانٍ العَبْسيِّ الذى قدَّمْنا ترجمتَه فى أيامِ الجاهليةِ[1] ، فذكَروا أنه لا عَقِبَ له ، وذكَر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثهم يَرْصُدون عِيرًا لقريشٍ قَدِمَت مِن الشامِ ، وهذا يقتَضى تقدُّمَ وِفادتِهم على الفتحِ . واللَّهُ أعلمُ .

وفدُ بنى فَزارةَ

قال الواقدىُّ[2] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عمرَ الجُمَحِىُّ ، عن أبى وَجْزةَ السَّعْدىِّ قال : لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ مِن تبوكَ ، وكان سنةَ تسعٍ ، قدِم عليه وَفدُ بنى فَزارةَ بضعةَ عشَرَ رجلًا ، فيهم ؛ خارجةُ بنُ حصنٍ ، والحارثُ[3] بنُ قيسِ بنِ حصنٍ ، وهو أصغرُهم ، على ركابٍ عِجافٍ ، فجاءُوا مُقِرِّين بالإسلامِ ، وسأَلهم رسولُ اللَّهِ عن بلادِهم ، فقال أحدُهم : يا رسولَ اللَّهِ ، أسْنَتَت بلادُنا ، وهلَكت مواشِينا ، وأجدَب جَنابُنا[4] وغَرِثَ[5] عيالُنا ، فادعُ اللَّهَ لنا . فصعِد رسولُ اللَّهِ المنبرَ ، ودعا فقال : « اللهم اسقِ بلادَك وبهائمَك ، وانشُرْ رحمتَك ، وأحْيِ بلدَك

---

(١) تقدم فى ٣/٢٤٨ - ٢٥١ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٩٧، عن الواقدى به .

(٣) كذا فى النسخ . وفى الطبقات : « الحر » . وقد اختُلف فى اسمه فقيل : الحارث . وقيل : الحر . وانظر الاستيعاب ١/ ٤٠٣، وأسد الغابة ١/ ٤١١، ٤٧١، والإصابة ٢/ ٥٨، ١٩٧.

(٤) فى م : « جناتنا » . والجناب : الناحية . النهاية ١/ ٣٠٣ .

(٥) غرث : جاع . الوسيط (غ ر ث) .

الميِّتَ ، اللهم اسْقِنا غَيْثًا مُغيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا طَبَقًا[1] واسعًا عاجلًا غيرَ آجلٍ ، نافعًا غيرَ ضارٍّ ، اللهم اسقِنا سُقْيَا رحمةٍ لا سُقْيَا عذابٍ ، ولا هَدْمٍ ، ولا غَرَقٍ ، ولا مَحْقٍ ، اللهم اسْقِنا الغيثَ وانصرْنا على الأعداءِ » . قال : فمطَرَت فما رَأَوُا السَّماءَ سَبْتًا ،[2] فصعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ المنبرَ ، فدعا فقال : « اللهم حَوالَينا ولا علينا ، اللهم على الآكامِ والظِّرابِ وبطونِ الأوديةِ ومَنابتِ الشَّجرِ » . فانجابَت السماءُ عن المدينةِ انجِيابَ الثوبِ .

وَفدُ بنى مُرَّةَ

ذَكَر[3] الواقدىُّ أنهم قدِموا سنةَ تسعٍ مَرْجِعَه مِن تبوكَ ، وكانوا ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، رأسُهم[4] الحارثُ بنُ عوفٍ ، فأجازَهم عليه الصلاةُ والسلامُ بعشرِ أواقٍ مِن فضةٍ ، وأعطَى الحارثَ بنَ عوفٍ ثِنْتَيْ عشْرةَ أُوقيَّةً ، وذكَروا أن بلادَهم مُجْدِبةٌ ، فدعَا لهم فقال : « اللهم اسقِهم الغيثَ » . فلمَّا رجَعوا إلى بلادِهم وجَدوها قد مطَرَت ذلك اليومَ الذى دعا لهم فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) فى الطبقات : « مطبقًا » ، وطبقًا أى ؛ مالئًا للأرض مغطيًا لها ، ويقال : غيث طبق : أى عامّ واسع . النهاية ٣/ ١١٣.

(٢) فى الطبقات : « ستا » . قال فى النهاية ٢/ ٣٣١: قيل : أراد أسبوعًا ، من السبت إلى السبت ، فأُطلِق عليه اسم اليوم ... وقيل : أراد بالسبت مدة من الزمان قليلة كانت أو كثيرة . وانظر فتح البارى ٢/ ٥٠٤.

(٣) فى م : « قال » . وأخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٩٧، ٢٩٨ ، عن الواقدى .

(٤) فى الأصل ، م : « منهم » . وفى ص : « فيهم » .

وَفدُ بنى ثَعْلبةَ

قال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى موسى بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن رجلٍ مِن بنى ثَعْلبةَ ، عن أبيه قال : لمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الجِعْرانةِ سنةَ ثمانٍ ، قدِمْنا عليه أربعةَ نفرٍ ، فقلنا : نحن رسلُ مَن خلْفَنا مِن قومِنا ، وهم يُقِرُّون بالإسلامِ . فأمَر لنا بضِيافةٍ وأقَمْنا أيامًا ، ثم جِئْناه لنودِّعَه ، [٣/٢٤٧و] فقال لبلالٍ : « أجِزْهم كما تُجيزُ الوفدَ » . فجاءِ بنُقَرٍ[2] مِن فضةٍ ، فأعطَى كلَّ رجلٍ منا خمسَ أواقٍ ، وقال : « ليس عندَنا دراهمُ » . وانصرَفنا إلى بلادِنا .

وَفدُ[3] بنى مُحاربٍ

قال الواقدىُّ[4] : حدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ ، عن أبى وَجْزةَ السَّعدىِّ قال : قدِم وفدُ مُحاربٍ سنةَ عشرٍ فى حَجةِ الوَداعِ ، وهم عشَرةُ نفرٍ ، فيهم ؛ سَواءُ بنُ الحارثِ ، وابنُه خُزَيمةُ بنُ سَواءٍ ، فأُنْزِلوا دارَ رَمْلةَ بنتِ الحارثِ ، وكان بلالٌ يأتِيهم

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢٩٨/١ ، عن الواقدى به .

(٢) فى الأصل ، م : « بيقر » . وفى ٤١ : « بنقد » . وفى ص : « بيقرة » . والنقر : جمع نُقْرة ، والنُّقْرة من الذهب والفضة : القطعة المذابة . انظر اللسان (ن ق ر) .

(٣) فى الأصل : « وفادة » .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢٩٩/١ ، من طريق الواقدى به .

بغَداءٍ وعَشاءٍ ، فأسْلَموا ، وقالوا : نحن على مَن وراءَنا . ولم يكُنْ أحدٌ فى تلك المواسمِ أفظَّ ولا أغلظَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ منهم ، وكان فى الوفدِ رجلٌ منهم ، فعرَفه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : الحمدُ للَّهِ الذى أبْقَانى حتى صدَّقْتُ بك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن هذه القلوبَ بيدِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ » . ومسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ وجهَ خُزَيْمَةَ بنِ سَواءٍ ، فصارَت له[1] غُرَّةٌ بيضاءُ ، وأجازَهم كما يُجِيزُ الوفدَ ، وانصرَفوا إلى بلادِهم .

وَفدُ[2] بنى كِلابٍ

ذكَر الواقدىُّ[3] أنهم قدِموا سنةَ تسعٍ وهم ثلاثةَ عشَرَ رجلًا[4] ، منهم[5] ؛ لَبيدُ بنُ رَبيعةَ الشاعرُ ، وجَبَّارُ[6] بنُ سُلْمَى ، وكان بينَه وبينَ كعبِ بنِ مالكٍ خُلَّةٌ ، فرحَّب به وأكْرَمه وأهْدَى إليه ، وجاءوا معه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسلَّموا عليه بسلامِ الإسلامِ ، وذكَروا له أن الضَّحاكَ بنَ سفيانَ الكِلابىَّ سار فيهم بكتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه التى أمَره اللَّهُ بها ، ودعاهم إلى اللَّهِ ، فاستَجابوا له ، وأخَذ صَدَقاتِهم مِن أغنيائِهم ، فصرَفها على فقرائِهم .

---

(١) سقط من النسخ .

(٢) فى الأصل : « وفادة » .

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣٠٠ ، عن الواقدى .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) سقط من : ص .

(٦) فى الأصل ، ص : « جابر » . وانظر الاستيعاب ١/٢٢٩ ، وأسد الغابة ١/٣١٥ ، والإصابة ١/٤٤٨.

وَفدُ[1] بنى رُؤَاسِ بنِ كِلابٍ

ثم ذكَر الواقدىُّ[2] أن رجلًا يقالُ له : عمرُو بنُ مالكِ بنِ قيسِ بنِ بُجَيْدِ بنِ رُؤاسِ بنِ كِلابِ بنِ رَبيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعةَ . قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ فأسلَم ، ثم رجَع إلى قومِه ، فدَعاهم إلى اللَّهِ ، فقالوا : حتى نُصيبَ مِن بنى عُقَيْلٍ مثلَ ما أصابوا منَّا . فذكَر مَقْتَلةً كانت بينَهم ، وأن عمرَو بنَ مالكٍ هذا قتَل رجلًا مِن بنى عُقَيْلٍ . قال : فشدَدْتُ يَدى فى غُلٍّ ، وأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وبلَغه ما صنَعتُ ، فقال : « لئنْ أتانِى لأضرِبُ ما فوقَ الغُلِّ مِن يدِه » . فلمَّا جئتُ سلَّمتُ فلم يرُدَّ علىَّ السَّلامَ وأعرَض عنِّى[3] ، فأتيتُه عن يمينِه ، فأعرَض عنِّى ، فأتيتُه عن يسارِه ، فأعرَض عنِّى ، فأتيتُه مِن قِبَلِ وجهِه فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن الربَّ عزَّ وجلَّ ليَترضَّى[4] فيَرضَى ، فارضَ عنِّى ، رضِى اللَّهُ عنك . قال : « قد رضِيتُ » .

وَفدُ[1] بنى عُقَيْلِ بنِ كعبٍ

ذكَر الواقدىُّ[5] أنهم قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأقطَعهم العَقِيقَ - عَقِيقَ

---

(١) فى الأصل : « وفادة » .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣٠٠ ، ٣٠١ بسنده عن طارق بن علقمة مطولا .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « ليرتضى » .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣٠١ ، ٣٠٢ ، عن أشياخ من بنى عقيل مطولا .

بنى عُقَيْلٍ - وهى أرضٌ فيها نخيلٌ وعيونٌ ، وكتَب لهم[1] بذلك كتابًا : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أعطَى محمدٌ رسولُ اللَّهِ رَبيعًا ومُطَرِّفًا وأَنسًا ، أعطاهم العَقيقَ ما أقاموا [٣/٢٤٧ظ] الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ ، وسَمِعوا وأطاعوا ، ولم يُعْطِهم حقًّا لمسلمٍ » . فكان الكتابُ فى يدِ مُطَرِّفٍ . قال : وقَدِم عليه أيضًا لَقِيطُ بنُ عامرِ بنِ المُنْتَفِقِ بنِ عامرِ بنِ عُقَيْلٍ ، وهو أبو رَزينٍ ، فأعْطَاه ماءً يقالُ له : النَّظيمُ . وبايَعَه على قومِه . وقد قدَّمْنا قُدومَه وقصَّتَه وحديثَه بطولِه ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وَفدُ بنى قُشَيرِ بنِ كعبٍ

وذلك قبلَ حَجةِ الوداعِ ، وقبلَ حُنَينٍ ، فذكَر[2] فيهم قُرَّةَ بنَ هُبَيرةَ بنِ [3]عامرِ بنِ[3] سَلَمَةَ الخيرِ بنِ قُشَيرٍ ، فأسلَم ، فأعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكسَاه بُرْدًا ، وأمَره أن يلِىَ صدقاتِ قومِه ، فقال قُرَّةُ حينَ رجَع :

حَباها رسولُ اللَّهِ إذ نزَلَت به ... وأمْكَنها مِن نائلٍ غيرِ مُنفَدِ
فأضْحَت برَوْضِ الخُضْرِ وهْى حَثيثةٌ ... وقد أنْجَحَت حاجاتِها مِن محمدِ
عليها فتًى لا يُرْدِفُ الذمَّ رَحلَه ... تَرُوكٌ[4] لأمرِ العاجزِ المترددِ

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) أى الواقدى . انظر طبقات ابن سعد ١/٣٠٣ .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص ، وليس فى الطبقات . انظر الاستيعاب ٣/١٢٨١ ، وأسد الغابة ٤/٤٠٢، والإصابة ٥/٤٣٧، وانظر أيضًا جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٩.
(٤) فى النسخ : « تروى » . والمثبت من الطبقات والإصابة ٥/ ٤٣٩.

وَفدُ بنى البَكَّاءِ

ذكَرَ الواقدىُّ[1] أنهم قدِموا سنةَ تسعٍ ، وأنهم كانوا ثلاثِين[2] رجلًا ، فيهم مُعاويةُ بنُ ثورِ[3] بنِ عِبادةَ بنِ البَكَّاءِ ، وهو يومَئذٍ ابنُ مائةِ سنةٍ ، ومعه ابنٌ له يقالُ له : بِشْرٌ . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أتبرَّكُ بمَسِّكَ ، وقد كبِرْتُ ، وابنى هذا برٌّ بى ، فامسَحْ وجهَه . فمسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ وجهَه ، وأعطَاه أَعْنُزًا عُفْرًا[4] وبرَّك عليهن ، فكانوا لا يُصيبُهم بعدَ ذلك قَحْطٌ ولا سَنَةٌ . وقال محمدُ بنُ بِشرِ بنِ مُعاويةَ فى ذلك :

وأبِى الذى مسَح الرسولُ برأسِه ... ودعا له بالخيرِ والبَرَكاتِ
أعطاه أحمدُ إذ أتاه أعْنُزًا ... عُفْرًا ثَواجِلَ[5] لَسْنَ باللَّجَبَاتِ[6]
يَمْلَأْن رِفْدَ[7] الحىِّ كلَّ عشيةٍ ... ويعودُ ذاك المَلْءُ بالغَدَواتِ
بُورِكْن مِن مِنَحٍ وبُورِك مانِحًا ... وعليه منِّى ما حَيِيتُ صلاتى

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣٠٤ عن الواقدى .

(٢) ذكر فى الطبقات أنهم كانوا ثلاثة نفر .

(٣) بعده فى م : « بن معاوية » . وانظر الاستيعاب ٣/١٤١٣ ، وأسد الغابة ٥/ ٢٠٥، والإصابة ٦/ ١٤٥، وقد نصَّ مصنفوها على أن « عبادة » بكسر العين . وانظر تبصير المنتبه ٣/ ٨٩٦.

(٤) العفر : جمع عَفْراء ، والعفراء : ما خالط بياضها حمرة فصار لونها كالعَفَر . الوسيط (ع ف ر) .

(٥) فى النسخ : « نواحل » ، وفى الطبقات : « نواجل » .
والمثبت من أسد الغابة ١/ ٢٢٥، والإصابة ٦/ ١٤٦. قال فى أسد الغابة : قوله : ثواجل . يعنى عِظام البطون . وانظر اللسان (ث ج ل) .

(٦) فى الأصل : « اللحبات » . وفى ٤١ : « بالحسنات » . وفى م ، ص : « باللحيات » . والمثبت من الطبقات . واللَّجَبَة : النعجة التى قل لبنها . اللسان (ل ج ب) .

(٧) فى النسخ والطبقات : « وفد » . والمثبت من أسد الغابة والإصابة . والرفد : القَدَح العظيم الضخم . اللسان (ر ف د) .

وَفدُ كِنانةَ

روَى الواقدىُّ بأسانيدِه[1] أن واثلةَ بنَ الأسْقَعِ الليثىَّ قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يتجهَّزُ إلى تبوكَ ، فصلَّى معه الصُّبحَ ، ثم رجَع إلى قومِه فدعاهم ، وأخبرَهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال أبوه : واللَّهِ لا أُكَلِّمُك[2] أبدًا . وسمِعَت أختُه كلامَه فأسلَمَت ، وجهَّزَته حتى سار مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى تبوكَ وهو راكبٌ على بعيرِ لكعبِ بنِ عُجْرةَ ، وبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ مع خالدٍ إلى أُكَيْدِرِ دُومةَ ، فلمَّا رجَعوا عرَض واثلةُ على كعبِ بنِ عُجْرةَ ما كان شارَطَه عليه مِن [3]سهمِه مِن[3] الغنيمةِ ، فقال له كعبٌ : إنما حمَلْتُك للَّهِ عزَّ وجلَّ .

وَفدُ أَشْجَعَ

ذكَر الواقدىُّ[4] أنهم قدِموا عامَ الخندقِ ، وهم مائةُ رجلٍ ، ورئيسُهم مسعودُ ابنُ رُخَيْلةَ ، فنزَلوا شِعْبَ سَلْعٍ ، فخرَج [٣/٢٤٨و] إليهم رسولُ اللَّهِ ، وأمَر لهم بأحْمالِ التمرِ ، ويقالُ : بل قدِموا بعدَ ما فرَغ مِن بنى قُرَيظةَ ، وكانوا سَبْعَمائةِ رجلٍ ، فوادَعهم ورجَعوا ، ثم أسلَموا بعدَ ذلك .

---

(١) مغازى الواقدى ١٠٢٨/٣ . وانظر طبقات ابن سعد ١/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) فى النسخ : « أحملك » . والمثبت من المغازى والطبقات .

(٣ - ٣) فى م : « سهم » .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٠٦/١ بأسانيد عن رجال من أهل العلم ليس الواقدى من بينهم .

وَفدُ باهِلَةَ

قدِم رئيسُهم مُطَرِّفُ بنُ الكاهنِ بعدَ الفتحِ فأسلَم ، وأخَذ لقومِه أمانًا ، وكتَب له كتابًا فيه الفرائضُ وشرائعُ الإسلامِ ، كتَبه عثمانُ بنُ عفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه .

وَفدُ بنى سُلَيمٍ

قال[1] : وقدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ رجلٌ مِن بنى سُلَيْمٍ يقالُ له : قيسُ بنُ نُشْبَةَ[2] ، فسمِع كلامَه وسأَله عن أشياءَ ، فأجابه ووعَى ذلك كلَّه ، ودعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الإسلامِ ، فأسلَم ورجَع إلى قومِه بنى سُلَيمٍ ، فقال : قد سمِعْتُ تَرْجمةَ[3] الرُّومِ ، وهَيْنَمةَ[4] فارسَ ، وأشعارَ العربِ ، وكَهانةَ الكُهَّانِ ، وكلامَ مَقاولِ حِمْيَرَ[5] ، فما يُشْبهُ كلامُ محمدٍ شيئًا مِن كلامِهم ، فأَطِيعُونى وخذُوا بنصيبِكم منه . فلمَّا كان عامُ الفتحِ خرَجت بنو سُلَيْمٍ ، فلَقُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أى الواقدى . انظر طبقات ابن سعد ١/٣٠٧ .

(٢) فى الأصل : « نشيه » . وفى ٤١ ، ص : « نشيبة » . وفى الطبقات : « نسيبة » . وانظر أسد الغابة ٤/٤٤٨، والإصابة ٥/٥٠٣.

(٣) كذا فى النسخ وطبقات ابن سعد . ولعلها « برجمة » . والبرجمة : غلظ الكلام . انظر نهاية الأرب ١٨/ ٢٤، والنهاية ١/١١٣.

(٤) الهينمة : الكلام الخفى الذى لا يُفهم . انظر النهاية ٥/٢٩٠ .

(٥) المقاول : جمع مِقْوَل ، والمقول : القَيْل بلغة أهل اليمن ، قال ابن سِيدَه : المقول والقيل الملك من ملوك حمير يقول ما يشاء. اللسان (ق و ل).

بقُدَيْدٍ وهم سبعُمائةٍ[1] . ويقالُ : كانوا ألفًا . وفيهم العباسُ بنُ مِرْداسٍ وجماعةٌ مِن أعيانِهم ، فأسلَموا وقالوا : اجعَلْنا فى مُقَدِّمتِك ، واجعَلْ لواءَنا أحمرَ ، وشِعارَنا مقدَّمًا . ففعَل ذلك بهم ، فشهِدوا معه الفتحَ والطَّائفَ ، وحُنَيْنًا ، وقد كان راشدُ ابنُ عبدِ ربِّه السُّلَمىُّ يعبُدُ صنمًا ، فرآه يومًا وثعلَبانِ يبولان عليه ، فقال :

أربٌّ[2] يبولُ الثُّعْلبانِ برأسِه لقد ذَلَّ مَن بالت عليه الثَّعالبُ

ثم شدَّ عليه فكسَّره ، ثم جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأسلَم ، وقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما اسمُك ؟ » قال : غاوى بنُ عبدِ العُزَّى . فقال : « بل أنت راشدُ بنُ عبدِ ربِّه » . وأقطَعه موضعًا يقال له : رُهاطٌ . فيه عينٌ تجرِى يقالُ لها : عينُ الرسولِ . وقال : « هو خيرُ بنى سُلَيمٍ » . وعقَد له على قومِه ، وشهِد الفتحَ وما بعدَها .

وَفدُ بنى هلالِ بنِ عامرٍ

ذكَر[3] فى وفدِهم عبدَ عوفِ بنَ أصرمَ ، فأسلَم وسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ ، وقَبِيصةَ بنَ مُخارقٍ ، الذى له حديثٌ فى الصدقاتِ ، وذكَر فى وفدِ بنى هلالٍ زيادَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ مالكِ بنِ بُجَيْرٍ[4] بنِ الهُزَمِ[5] بنِ رُؤَيبةَ بنِ عبدِ اللَّهِ [٣/٢٤٨ظ] بنِ هلالِ بنِ عامرٍ ، فلمَّا دخَل المدينةَ تَيَمَّم[6] منزلَ خالتِه ميمونةَ بنتِ

---

(١) فى الطبقات : « تسعمائة » . وانظر نهاية الأرب ١٨/٢٤ .

(٢) فى الأصل ، ص : « رب » .

(٣) أى الواقدى . انظر طبقات ابن سعد ١/٣٠٩ .

(٤) فى ٤١ ، م ، ص : « نجير » .

(٥) فى الأصل : « الهرم » . وفى ٤١ ، م : « الهدم » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٤، والإكمال ٧/ ٤١٢.

(٦) فى م : « يمم » ، وكلاهما بمعنى قصَد .

الحارثِ فدخَل عليها ، فلمَّا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ منزلَه رآه ، فغضِب ورجَع ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّه ابنُ أختى . فدخَل ، ثم خرَج إلى المسجدِ ومعهُ زيادٌ ، فصلَّى الظهرَ ، ثم أدْنَى زيادًا فدعَا له ، ووضَع يدَه على رأسِه ثم حدَرها على طرَفِ أنفِه ، فكانت بنو هلالٍ تقولُ : مازِلْنا نتعرَّف البركةَ فى وجهِ زيادٍ . وقال الشاعرُ لعلىِّ بنِ زيادٍ :

(١ يا بنَ ١) الذى مسَح الرسولُ برأسِه ... ودعا له بالخيرِ عندَ المسجدِ
أغْنِى زِيادًا لا أُريدُ سِواءَه ... مِن غائرٍ أو مُتْهِمٍ أو مُنْجِدِ
ما زال ذاك النورُ فى عِرْنِينِه ... حتى تَبَوَّأَ بيتَه فى مُلْحَدِ (٢)

وَفدُ بنى بَكرِ بنِ وائلٍ

ذكَر الواقدىُّ (٣) أنهم لمَّا قدِموا ، سأَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن قُسِّ بنِ ساعدةَ ، فقال : « ليس ذاك منكم ، ذاك رجلٌ مِن إيادٍ ، تحنَّف فى الجاهليةِ فوافَى عُكاظًا والناسُ مجتمِعون ، فكلَّمهم بكلامِه الذى حُفِظ عنه » . قال : وكان فى الوفدِ بَشيرُ بنُ الخَصَاصيَةِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَرْثَدٍ ، وحسانُ بنُ خُوطٍ (٤) ، فقال رجلٌ مِن ولدِ حسانَ :

(١ - ١) فى م : « إن » .
(٢) العرنين : ما صلُب من عَظْم الأنف حيث يكون الشَّمَمُ . والملحد : اللَّحد . انظر الوسيط (ع ر ن) ، (ل ح د) .
(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/٣١٥ .
(٤) فى الأصل ، ٤١ ، ص ، والطبقات : « حوط » . وانظر الاستيعاب ١/٣٥١ ، وأسد الغابة ٢/ ٨، والإصابة ٢/ ٦٥.

أنا ابنُ حسانَ بنِ خُوطٍ[1] وأبى رسولُ بكرٍ كلِّها إلى النَّبِى

وَفدُ بنى تَغْلِبَ

ذكَر الواقدىُّ[2] أنهم كانوا ستةَ عشَرَ رجلًا مسلمين ، ونصارى عليهم صُلُبُ الذهبِ ، فنزَلوا دارَ رَملةَ بنتِ الحارثِ ، فصالَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ النصارى على أن لا يَصْبِغُوا[3] أولادَهم فى النصرانيَّةِ ، وأجاز[4] المسلمين منهم .

وِفاداتُ أهلِ اليمنِ
وَفدُ تُجِيبَ[5]

ذكَر الواقدىُّ[6] أنهم قدِموا سنةَ تسعٍ ، وأنهم كانوا ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، فأجازَهم [7]رسولُ اللَّهِ ﷺ[7] أكثرَ ما أجاز غيرَهم ، وأن غلامًا منهم قال له

---

(١) فى الأصل ، ٤١ ، ص ، والطبقات : « حوط » . انظر الاستيعاب ١/٣٥١ ، وأسد الغابة ٢/ ٨، والإصابة ٢/ ٦٥.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣١٦ ، عن الواقدى بإسناده .

(٣) فى الأصل ، م : « يضيعوا » .

(٤) فى الأصل ، م : « أجار » .

(٥) فى م : « نجيب » .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣٢٣ ، عن الواقدى بإسناده .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما حاجتُك ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادعُ اللَّهَ يغفِرْ لى ويرحَمْنى ، ويجعَلْ غِناىَ فى قلبى . فقال : « اللهمَّ اغفِرْ له وارحَمْه ، واجعَلْ غِناه فى قلبِه » . فكان بعدَ ذلك مِن أزهدِ الناسِ .

[1]وَفدُ خَوْلانَ

ذكَر الواقدىُّ[2] أنَّهم كانوا عَشَرَةً ، وأنَّهم قدِموا فى شعْبانَ سنةَ عشْرٍ ، وسألهم رسولُ اللَّهِ ﷺ عن صَنَمِهم الذى كان يقالُ له : عَمُّ أنسٍ . فقالوا : [3]أُبْدِلْنا به[3] خيرًا منه ، ولو قد رجَعْنا لهدَمْناه . وتعلَّموا القرآنَ والسُّننَ ، فلمَّا رجَعوا هدَموا الصنمَ ، وأحلُّوا ما أحلَّ اللَّهُ ، وحرَّموا ما حرَّم اللَّهُ[1] .

وَفدُ جُعْفِىٍّ

ذكَر الواقدىُّ[4] أنهم كانوا يُحَرِّمون أكلَ القَلْبِ ، فلمَّا أسلَم وفدُهم أمَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٢٤٩و] بأكْلِ القلبِ ، وأمَر به فشُوِىَ ، وناوَله[5] رئيسَهم ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٢٤/١ ، عن الواقدى بإسناده .

(٣ - ٣) فى م : « أبدلناه » .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٢٤/١، ٣٢٥ بسنده عن محمد بن السائب وأبى بكر بن قيس الجعفى مطولا .

(٥) فى الأصل : « أمر » . وفى ٤١ : « قاول » .

وقال : « لا يَتمُّ إيمانُكم حتى تأكُلوه » . فأخَذه ويدُه تُرْعَدُ فأكَلَه ، وقال :

على أنِّى أكَلْتُ القَلْبَ كُرْهًا وتُرْعَدُ حينَ مسَّتْه بَنانى

ثم ذكَر[1] وفدَ كِنْدةَ [٣/٢٤٩ظ] . وأنهم كانوا بضعةَ عشَرَ راكبًا ، عليهم الأشعثُ بنُ قيسٍ ، وأنه أجازهم بعشْرِ أواقٍ ، وأجاز الأشْعثَ ثِنتَيْ عشْرَةَ أوقيَّةً ، وقد تقدَّم .

وفدُ الصَّدِفِ

قدِموا فى بضعةَ عشَرَ راكبًا ، فصادَفوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يخطُبُ على المنبرِ ، فجلَسوا ولم يُسَلِّموا ، فقال : « أمسلِمون أنتم ؟ » . قالوا : نعم . قال : « فهلَّا سلَّمتُم » . فقاموا قيامًا فقالوا : السلامُ عليك أيُّها النبىُّ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . فقال : « وعليكم السلامُ ، اجلِسوا » . فجلَسوا ، وسأَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن أوقاتِ الصَّلواتِ[2] .

وَفدُ خُشَينٍ

قال[3] : وقدِم أبو ثَعْلبةَ الخُشَنىُّ ورسولُ اللَّهِ يجهِّزُ إلى خيبرَ ، فشهِد معه

---

(١) أى الواقدى . أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٢٨/١ عنه .

(٢) المصدر السابق ٣٢٩/١ .

(٣) أى الواقدى . طبقات ابن سعد ٣٢٩/١ .

خيبرَ، ثم قدِم بعدَ ذلك بضعةَ عشَرَ رجلًا منهم فأسلَموا[1] .

ثم ذكَر وَفدَ بنى سعدِ هُذَيم، وبَلِيٍّ، وبَهْراءَ، وبنى عُذْرةَ، وسَلامانَ، وجُهَينةَ، وبنى كلبٍ، والجَرْميِّين[2] . وقد تقدَّم حديثُ عمرِو بنِ سَلِمةَ الجَرْميِّ فى «صحيحِ البخاريِّ»[3] .

وذكَر وفدَ الأزْدِ، ووفدَ غَسَّانَ، والحارثِ بنِ كعبٍ، وهَمْدانَ، وسعدِ العَشيرةِ، وعَنْسٍ[4] ، ووفدَ الدَّارِيِّين، والرَّهاوِيِّين[5] ، وبنى غامدٍ[6] ، والنَّخَعِ[7] ، وبَجِيلةَ، وخَثْعم[8] ، وحَضْرَمَوْتَ، وذكَر فيهم وائلَ بنَ حُجْرٍ، وذكَر فيهم الملوكَ الأربعةَ؛ جَمْدًا[9] ، ومِخْوَسًا، ومِشْرَحًا[10] ، وأبْضَعَةَ. وقد ورَد فى «مسندِ أحمدَ»[11] لعنُهم مع أختِهم العَمَرَّدَةِ[11] ، وتكلَّم الواقدىُّ كلامًا فيه طولٌ[12] .

وذكَر وفدَ أزْدِ عُمانَ، وغافقٍ، وبارقٍ، ودَوْسٍ، وثُمَالةَ والحُدَّانِ[13] ،

---

(١) بعده فى م: «وفد بنى سعد».
(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/٣٢٩ - ٣٣٧.
(٣) تقدم فى ٦/٦٢٥، ٦٢٦.
(٤) فى م: «قيس».
(٥) فى م: «الزهاووين».
(٦) فى م: «عامر».
(٧) فى الأصل: «المشجع»، وفى م: «المسجع».
(٨) ذكر الواقدى - كما فى الطبقات - بعد وفد خثعم وفدَ الأشعريين. انظر المصدر السابق.
(٩) سقط من ٤١. وفى الأصل، م: «حميدا». وفى ص: «حمدا». وفى الطبقات: «حمدة». والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٨، وأسد الغابة ١/ ٣٤٩، والإكمال ٢/ ٥٤١.
(١٠) فى الأصل، م: «مشرجا».
(١١ - ١١) سقط من: ٤١. وفى الأصل، م: «نعتهم مع أخيهم الغمر». وفى ص: «لعنهم فى أحمم الغمرة». والحديث فى المسند ٤/ ٣٨٧.
(١٢) انظر طبقات ابن سعد ١/٣٣٧ - ٣٥١.
(١٣) فى الأصل: «الحرار». وفى: «الحدار».

وأسْلَمَ ، وجُذامٍ ، ومَهْرةَ ، وحِمْيَرَ ، ونجرانَ ، وجَيْشانَ[1] . وبسَط الكلامَ على هذه القبائلِ بطولٍ جدًّا[2] ، وقد قدَّمْنا بعضَ ما يتعلَّقُ بذلك ، وفيما أورَدْناه كفايةٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ . ثم قال الواقدىُّ[3] :

وافِدُ[4] السّباعِ

حدَّثنى شعيبُ بنُ عُبادةَ ، عن المطَّلبِ[5] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ[6] قال : بينَما رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ بالمدينةِ فى أصحابِهِ أقبَل ذئبٌ فوقَف بينَ يَدَيه فعوَى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا وافدُ السِّباعِ إليكم ، فإن أحببْتُم أن تَفْرِضوا له شيئًا لا يَعْدُوه إلى غيرِه ، وإن أحببْتُم ترَكْتُموه وتحرَّزْتُم[7] منه ، فما أخَذ فهو رزقُه » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما تَطِيبُ أنفسُنا [٣/ ٢٥٠و] له بشىءٍ . فأومأ إليه النبىُّ ﷺ بأصابعِه الثلاثِ[8] ؛ أى : خالِسْهم . فولَّى وله عَسَلانٌ[9] .

وهذا مرسلٌ مِن هذا الوجهِ ، ويشبِهُ هذا الذِّئبُ الذِّئبَ الذى ذُكِر فى الحديثِ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ[10] ، حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأَنا القاسمُ بنُ الفضلِ الحُدَّانىُّ[11] ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : عدَا الذِّئبُ

---

(١) فى م : « حيان » .
(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/٣٥١ - ٣٥٩ .
(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٣٥٩ ، عن الواقدى به .
(٤) فى ٤١ ، م : « وفد » .
(٥) فى الأصل ، م : « عبد المطلب » .
(٦) فى ٤١ ، م : « حنظب » .
(٧) فى النسخ : « تحذرتم » .
(٨) كذا فى النسخ ، وليس فى الطبقات .
(٩) عسل الذئب : عدا واهتزَّ فى عدوه . الوسيط (ع س ل) .
(١٠) المسند ٣/٨٣ ، ٨٤ .
(١١) فى الأصل ، م : « الحرانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/٤١٠ .

على شاةٍ فأخَذها ، فطلَبها[1] الرَّاعى ، فانتزَعها منه ، فأقعَى الذِّئبُ على ذَنَبِه فقال : ألا تتَّقى اللَّهَ ، تنزِعُ منِّى رزقًا ساقَه اللَّهُ إلىَّ ؟! فقال : يا عجبًا ! ذئبٌ مُقْعٍ على ذَنَبِه يكلِّمُنى كلامَ الإنسِ ؟! فقال الذِّئبُ : ألا أخبِرُك بأعجبَ مِن ذلك ؟ محمدٌ ﷺ بيثربَ يُخبِرُ الناسَ بأنباءِ ما قد سبَق . قال : فأقبَل الرَّاعى يسوقُ غنمَه حتى دخَل المدينةَ ، فزوَاها إلى زاويةٍ مِن زَواياها ، ثم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبَره ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فنُودِىَ : الصلاةَ جامعةً . ثم خرَج فقال للأعرابىِّ : « أخبِرْهم » . فأخبَرَهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صدَق ، والذى نفسى بيدِه لا تقومُ السَّاعةُ حتى يُكَلِّمَ السِّباعُ الإنسَ ، ويُكلِّمَ الرَّجلَ عَذَبةُ سوطِه ، وشِراكُ نعلِه ، ويُخْبِرَه فَخِذُه بما أحدَث[2] أهلُه بعدَه » . وقد رَواه الترمذىُّ ، عن سفيانَ بنِ وكيعِ بنِ الجرَّاحِ ، عن أبيه ، عن القاسمِ بنِ الفضلِ به[3] ، وقال : حسنٌ غريبٌ صحيحٌ ، لا نعرِفُه إلا مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفضلِ به ، وهو ثقةٌ مأمونٌ عندَ أهلِ الحديثِ ، وثَّقه يحيى وابنُ مهدِىٍّ .

قلتُ : وقد رواه الإمامُ أحمدُ أيضًا : حدَّثنا أبو اليَمانِ ، أنبأَنا شعيبٌ ، هو ابنُ أبى حَمزةَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الحُسينِ ، حدَّثنى شَهْرٌ[4] أنَّ أبا سعيدٍ الخدرىَّ حدَّثه . فذكَر هذه القصةَ بطولِها بأبسطَ مِن هذا السياقِ[5] . ثم رَواه أحمدُ : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، ثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَهْرامٍ ، ثنا شَهْرٌ ، قال : وحدَّث أبو سعيدٍ .

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند « فطلبه » .

(٢) فى ٤١ : « فعل » . وفى المسند : « حدث » .

(٣) الترمذى (٢١٨١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٧٢) .

(٤) فى الأصل ، م : « مهران » . وشهر هو ابن حوشب . وانظر تهذيب الكمال ٥٧٨/١٢ .

(٥) المسند ٨٨/٣ ، ٨٩ .

فذكَره[1] . وهذا السياقُ أشبَهُ ، واللَّهُ أعلمُ . وهو إسنادٌ على شرطِ أهلِ السُّننِ ولم يُخرِجوه .

[2]فصلٌ فى قدومِ الأَزْدِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ

ذكَر أبو نُعَيْمٍ فى كتابِ « معرفةِ الصحابةِ » ، والحافظُ أبو موسى المَدينىُّ[3] ، مِن حديثِ أحمدَ بنِ أبى الحَوارىِّ قال : سمِعتُ أبا سليمانَ الدارانىَّ قال : حدَّثنى عَلقمةُ بنُ يَزيدَ[4] بنِ سُوَيدٍ الأزْدىُّ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن جَدِّى[5] سُوَيدِ بنِ الحارثِ ، قال : وفَدْتُ سابعَ سبعةٍ مِن قومى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا دخَلْنا عليه وكلَّمناه ، فأعجَبه ما رأَى مِن سَمْتِنا وزِيِّنا فقال : « ما أنتم ؟ » قلنا : مؤمِنون . فتبسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « إن لكلِّ قولٍ حقيقةً ، فما حقيقةُ قولِكم وإيمانِكم ؟ » . قال سُوَيدٌ : قلنا : خمسَ عشْرَةَ خَصْلةً ؛ خمسٌ منها أمَرَتْنا بها رسلُك أن نؤمِنَ بها ، وخمسٌ أمَرَتْنا أن نعمَلَ بها ، وخمسٌ تخلَّقْنا بها فى الجاهليةِ ، فنحن عليها إلَّا أن تَكْرَهَ منها شيئًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما الخمسةُ التى أمَرَتكم بها رُسلى أن تؤمِنوا بها ؟ » قلنا : أمَرَتْنا أن نؤمِنَ باللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه والبعثِ بعدَ الموتِ . قال : « وما الخمسةُ التى أمَرَتكم أن تعمَلوا بها ؟ » [2] .

---

(١) المسند ٣/٨٩ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٩/٢٧٩ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٨٣٢- ٨٣٥ مخطوط ، من طريق أحمد بن أبى الحوارى ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٢/ ٤٨٧، ٤٨٨ عن أبى موسى المدينى به .

(٤) فى م : « مرثد » .

(٥) بعده فى م : « عن » .

[1] قلنا : أمَرَتنا أن نقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، ونقيمَ الصَّلاةَ ، ونؤتِىَ الزَّكاةَ ، ونصومَ رمضانَ ، ونحُجَّ البيتَ مَن استطَاع إليه سبيلًا . فقال : « وما الخمسةُ التى تخلَّقْتُم بها أنتم فى الجاهليةِ ؟ » . قالوا : الشكرُ عندَ الرخاءِ ، والصَّبرُ عندَ البلاءِ ، والرِّضَا بمُرِّ القضاءِ ، والصِّدقُ فى مواطنِ اللِّقاءِ ، وتركُ الشماتةِ بالأعداءِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حكماءُ علماءُ ، كادوا مِن فقهِهم[2] أن يكونوا أنبياءَ » . ثم قال : « وأنا أزيدُكم خمسًا فتتِمُّ لكم عِشرون خَصلةً ؛ إن كنتمُ كما تقولون فلا تجْمَعوا ما لا تأكُلون ، ولا تَبْنُوا ما لا تسكُنون ، ولا تنافَسوا فى شىءٍ أنتم عنه غدًا زائلون ، واتَّقُوا اللَّهَ الذى إليه تُرْجَعون وعليه تُعرَضون ، وارغَبوا فيما عليه تُقدِمون وفيه تخلُدون » . فانصرَف القومُ مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحفِظوا وصيَّتَه وعمِلوا بها[1] .

فصلٌ

وقد تقدَّم[3] ذِكْرُ وفودِ الجنِّ بمكَّةَ [٣/ ٢٥٠ظ] قبلَ الهجرةِ ، وقد تقصَّيْنا الكلامَ فى ذلك أيضًا عندَ قولِه تعالى فى سورةِ الأحقافِ[4] : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] ، فذكَرنا ما ورَد مِن الأحاديثِ فى ذلك والآثارِ ، وأورَدْنا حديثَ سَوادِ بنِ قاربٍ الذى كان كاهنًا

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) كذا فى الأصل ، ٤١ ، م . وفى المصادر : « صدقهم » .
(٣) تقدم فى ٣٤٢/٤ .
(٤) التفسير ٢٧٢/٧ - ٢٨٧ .

فأسلَم[1] ، وما رَواه عن رَئِيِّه ، الذى كان يأتِيه بالخبرِ حينَ أسلَم الرَّئِيُّ[2] ، حينَ قال له :

عجِبْتُ للجنِّ[3] وأنجاسِها ... وشدِّها العِيسَ بأحْلاسِها
تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مؤمنو[4] الجنِّ كأرْجاسِها
فانْهَضْ إلى الصِّفوةِ مِن هاشمٍ ... واسْمُ بعينَيْك إلى رأسِها

ثم قوله :

عجِبْتُ للجنِّ وتَطْلابِها ... وشدِّها العِيسَ بأقْتابِها
تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغى الهُدَى ... ليس قُدَاماها[5] كأذنابِها
فانْهَضْ إلى الصِّفوةِ مِن هاشمٍ ... واسْمُ بعينَيْك إلى نابِها[6]

ثم قوله :

عجِبْتُ للجنِّ وتَخْبارِها[7] ... وشدِّها العِيسَ بأكْوارِها
تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغى الهُدَى ... ليس ذَوُو الشرِّ كأخْيارِها
فانْهَضْ إلى الصِّفوةِ مِن هاشمٍ ... ما مؤمنو الجنِّ ككُفَّارِها

وهذا وأمثالُه مما يدلُّ على تَكْرارِ وفودِ الجنِّ إلى مكةَ ، وقد قرَّرْنا ذلك هنالك

---

(١) سقط من : ٤١ ، ص .
(٢) سقط من : ٤١ ، م .
(٣) فى الأصل : « من الجن » .
(٤) فى الأصل ، م : « مؤمن » .
(٥) فى ٤١ ، م : « قدامها » .
(٦) فى م : « بابها » .
(٧) فى الأصل : « تخيارها » .

بما فيه كفايةٌ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبه التوفيقُ والعصمةُ .

وقد أورَد الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ هـٰهنا حديثًا غريبًا جدًّا بل منكرًا أو موضوعًا ، ولكنَّ مَخْرَجَه عزيزٌ أحببْنا أن نُورِدَه كما أورَده ، والعجبُ منه ؛ فإنه قال فى كتابِه « دلائلِ النُّبوةِ »[1] : بابُ قدومِ هامةَ بنِ هَيْمِ[2] بنِ لاقيسَ بنِ إبليسَ على النبىِّ ﷺ وإسلامِه ، أخبرَنا أبو الحسنِ[3] محمدُ بنُ الحسينِ بنِ داودَ العَلَوىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، أنبأَنا أبو نصرٍ محمدُ بنُ حَمدَوَيْهِ بنِ سهلٍ الغازِىُّ[4] المَرْوَزىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ حمادٍ الآمُلىُّ[5] ، ثنا محمدُ بنُ أبى معشرٍ ، أخبرَنى أبى ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال عمرُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه : بينَا نحن قعودٌ مع النبىِّ ﷺ على جبلٍ مِن جبالِ تِهامةَ ، إذ أقبَل شيخٌ بيدِه عصًا ، فسلَّم على النبىِّ ﷺ ، فردَّ [6]عليه النبىُّ ﷺ[6] ، ثم قال : « نَغْمةُ جنٍّ وغَمْغَمَتُهم ، مَن أنت ؟ » . قال : أنا هَامةُ بنُ هيمِ[7] بنِ لاقيسَ بنِ إبليسَ . فقال النبىُّ ﷺ : « فما بينَك وبينَ إبليسَ إلا أبوانِ ، فكم أتَى عليك[8] مِن الدَّهرِ ؟ » قال : قد أفنيْتُ [٣/ ٢٥١و] الدُّنيا عمرَها إلا قليلًا ؛ ليالىَ قتَل قابيلُ هابيلَ كنتُ غلامًا ابنَ أعوامٍ ، أفهَمُ الكلامَ ، وأمُرُّ بالآكامِ ، وآمُرُ بإفسادِ الطَّعامِ ، وقَطِيعَةِ الأرْحامِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) دلائل النبوة ٥/٤١٨ - ٤٢٠ .

(٢) فى الأصل : « الهيتم » . وفى م : « الهيثم » .

(٣) فى الدلائل : « أبو الحسين » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/٩٨ .

(٤) فى النسخ : « القارى » . والمثبت من الدلائل . قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٠: الفازى بالفاء ، من أهل قرية فاز ، وبعضهم يقول : الغازى .

(٥) فى الأصل ، ص : « الأيلى » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/٤٢٩ .

(٦ - ٦) زيادة من : ٤١ .

(٧) فى الأصل ، م : « الهيثم » .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « لك » .

« بئسَ عملُ الشيخِ المُتَوَسِّمِ ، والشابِّ المُتَلوِّمِ » . قال : ذرْنى مِن التَّرْدادِ ، إنى تائبٌ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، إنى كنتُ مع نوحٍ فى مسجدِه مع مَن آمَن به مِن قومِه ، فلم أزَلْ أُعاتِبُه على دعْوتِه على قومِه حتى بكَى وأبكانى ، وقال : لا جرَمَ أنى على ذلك مِن النادِمين ، وأعوذُ باللَّهِ أن أكونَ مِن الجاهِلين . قال : قلتُ : يا نوحُ ، إنى كنتُ مِمَّن اشترَك فى دمِ السَّعيدِ الشهيدِ هابيلَ بنِ آدمَ ، فهل تجِدُ لى (١عندَ ربِّك١) توبةً ؟ قال : يا هامُ ، هُمَّ بالخيرِ وافعَلْه قبلَ الحسرةِ والنَّدامةِ ، إنى قرَأْتُ فيما أنزَل اللَّهُ علىَّ أنه ليس مِن عبدٍ تاب إلى اللَّهِ بالغٌ أمرُه ما بلَغ إلا تاب اللَّهُ عليه ، قُمْ فتوضَّأْ واسجُدْ للَّهِ سجْدَتيْن . قال : ففعَلْتُ مِن ساعتِى ما أمَرنى به ، فنادَانى : ارفَعْ رأسَك ، فقد نزَلَت توبتُك مِن السماءِ . فخرَرْتُ للَّهِ ساجدًا . قال : وكنتُ مع هودٍ فى مسجدِه مع مَن آمَن به مِن قومِه ، فلم أزَلْ أُعاتِبُه على دعوتِه على قومِه حتى بكَى عليهم وأبكانى ، فقال : لا جرَمَ أنى على ذلك مِن النادِمِين ، وأعوذُ باللَّهِ أن أكونَ مِن الجاهِلين . قال : وكنتُ مع صالحٍ فى مسجدِه مع مَن آمَن به مِن قومِه ، فلم أزَلْ أُعاتِبُه على دعوتِه على قومِه حتى بكَى عليهم(٢) وأبكانى ، وقال : أنا على ذلك مِن النادِمين ، وأعوذُ باللَّهِ أن أكونَ مِن الجاهِلين . وكنتُ أزورُ يعقوبَ ، وكنتُ مع يوسفَ فى المكانِ الأمينِ ، وكنتُ ألقَى إلياسَ فى الأوديةِ وأنا ألقاه الآنَ ، وإنى لقِيتُ موسى بنَ عِمرانَ ، فعلَّمنى مِن التَّوراةِ ، وقال : إن لقِيتَ عيسى ابنَ مريمَ ، فأقْرِئْه مِنِّى السلامَ ، (٣وإنى لقِيتُ عيسى ابنَ مريمَ فأقرَأْتُه من موسى السلامَ ، وإن عيسى قال : إن لَقِيتَ محمدًا ﷺ فأقْرِئْه منى السلامَ٣) . قال : فأرسَل

(١ - ١) فى النسخ : « عندك » . والمثبت من الدلائل .

(٢) ليس فى النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٣ - ٣) ليس فى الدلائل .

رسولُ اللَّهِ ﷺ عينَيْه فبكَى ، ثم قال : « وعلى عيسى السلامُ مادامَت الدُّنيا ، وعليك السلامُ يا هامُ بأدائِك الأمانةَ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، افعَلْ بى ما فعَل موسى ؛ إنه علَّمنى مِن التَّوراةِ . قال : فعلَّمه رسولُ اللَّهِ ﷺ « إذا وقعت الواقعة » ، و « المرسلات » ، و « عم يتساءلون » ، و « إذا الشمس كورت » ، و « المعوذتين » ، و « قل هو اللَّه أحد » . وقال : « ارفَعْ [٣/ ٢٥١ظ] إلينا حاجتَك يا هامةُ ، ولا تدَعْ زيارتَنا » . قال عمَرُ : فقُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ولم يَنْعَه[1] إلينا ، فلا نَدرِى الآنَ أحىٌّ هو أم ميِّتٌ ؟ ثم قال البيهقىُّ : أبو مَعْشرٍ قد روَى عنه الكِبارُ ، إلا أن أهلَ العلمِ بالحديثِ يضعِّفونه ، وقد رُوِى هذا الحديثُ مِن وجهٍ آخرَ هو أقوَى منه ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م : « يعد » .

سنةُ عشْرٍ مِن الهجرةِ النَّبَوِيَّةِ

(١) بابُ بَعْثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ (١)

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : ثُم بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ فى شهرِ ربيعٍ الآخِرِ أو جُمادَى الأولى سنةَ عشْرٍ إلى بنى الحارثِ بنِ كعبٍ بنَجْرانَ ، وأمَره أن يَدْعُوَهم إلى الإسلامِ قبلَ أن يُقاتِلَهم ثلاثًا ، فإن استَجابوا فاقْبَلْ منهم ، وإن لم يفعَلوا فقاتِلْهم . فخَرَج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبَعَث الرُّكْبانَ يَضْرِبون فى كلِّ وجهٍ ، ويَدْعُون إلى الإسلامِ ويقولون : أيُّها الناسُ ، أسْلِموا تَسْلَموا . فأسْلَم الناسُ ، ودخَلُوا فيما دُعُوا إليه ، فأقام فيهم خالدٌ يُعَلِّمُهم الإسلامَ وكتابَ اللَّهِ وسنةَ نبيِّه ﷺ كما أمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ إن هم أسْلَموا ولم يُقاتِلوا ، ثُم كتَب خالدُ بنُ الوليدِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، إلى محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن خالدِ بنِ الوليدِ ، السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، فإنِّى أحْمَدُ إليكَ اللَّهَ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، أمَّا بعدُ ، يا رسولَ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ عليك ، فإنَّك بَعَثْتَنى إلى بنى الحارثِ بنِ كعبٍ ، وأمَرْتَنى إذا أتيتُهم أن لا أُقاتِلَهم ثلاثةَ أيامٍ ، وأن أدْعُوَهم إلى الإسلامِ ، فإن أسْلَموا قبِلْتُ منهم وعَلَّمْتُهم معالمَ الإسلامِ ، وكتابَ اللَّهِ ، وسنةَ نبيِّه ، وإن لم يُسلِموا قاتَلْتُهم ، وإنِّى قَدِمْتُ عليهم فدَعَوْتُهم إلى الإسلامِ ثلاثةَ أيامٍ كما أمَرَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبَعَثْتُ فيهم رُكبانًا قالوا(٣) : يا بنى الحارثِ ، أسلِموا تَسْلَموا . فأسلَموا ولم يُقاتِلوا ، وأنا مُقيمٌ بينَ أظْهُرِهم ، آمُرُهم بما أمَرَهم اللَّهُ به ، وأنهَاهم عمَّا نهَاهم اللَّهُ عنه ، وأُعَلِّمُهم معالمَ

(١ - ١) زيادة من : ٤١ ، م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥٩٢ - ٥٩٤ .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

الإسلامِ ، وسنةَ النبيِّ ﷺ ، حتى يَكْتُبَ إليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، والسلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . فكتَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ النبيِّ رسولِ اللَّهِ إلى خالدِ بنِ الوليدِ ، سلامٌ عليك ، فإنِّى أحمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، أمَّا بعدُ ، [٣/ ٢٥٢و] فإنَّ كتابَك جاءَنى مع رسولِك ، تُخْبِرُ أنَّ بنى الحارثِ بنِ كعبٍ قد أسْلَموا قبلَ أن تُقاتِلَهم ، وأجابوا إلى ما دَعَوْتَهم إليه مِن الإسلامِ ، وشَهِدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأن محمدًا عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وأن قد هَدَاهم اللَّهُ بهُدَاه ، فبَشِّرْهم وأنذِرْهم ، وأقبِلْ وليُقبِلْ معك وفدُهم ، والسلامُ عليك ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه » . فأقْبَل خالدٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأقْبَل معه وفدُ بنى الحارثِ بنِ كعبٍ ، منهم ؛ قيسُ بنُ الحُصَينِ ذى الغُصَّةِ[1] ، ويزيدُ بنُ عبدِ المَدَانِ ، ويزيدُ بنُ المُحَجَّلِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ قُرَادٍ الزِّيادىُّ ، وشَدَّادُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ القَنَانىُّ ، وعمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ الضِّبابىُّ ، فلمَّا قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ورآهم قال : « مَن هؤلاء القومُ الذين كأنَّهم رجالُ الهندِ ؟! » قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، هؤلاء بنو الحارثِ بنِ كعبٍ . فلمَّا وقَفوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ سلَّموا عليه ، وقالوا : نَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ، وأنَّه لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وأنا أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنِّى رسولُ اللَّهِ » . ثم قال : « أنتم الذين إذا زُجِرُوا اسْتَقْدَموا ؟ » فسَكَتوا فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ ، ثُم أعادَها الثانيةَ ، ثُم الثالثةَ ، فلم يُراجِعْه منهم أحدٌ ، ثُم أعادَها الرابعةَ ، فقال يزيدُ بنُ عبدِ المَدَانِ : نعم يا رسولَ اللَّهِ ، نحنُ الذين إذا زُجِروا اسْتَقْدَموا . قالها أربعَ مراتٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو أنَّ خالدًا لم يَكْتُبْ إلىَّ أنَّكم أسْلَمْتم ولم تُقاتِلوا ، لَأَلْقَيْتُ رءوسَكم تحتَ

---

(١) فى النسخ : « ذو الغصة » . والمثبت من السيرة . وانظر الاستيعاب ١٢٨٦/٣، وأسد الغابة ٤/ ٤١٨، والإصابة ٥/ ٤٦٣. قال أبو ذر : قال ابن سراج : سمى ذا الغصة لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص . قال أبو ذر : ووقع فى الرواية هنا « ذو الغصة » و« ذى الغصة » ، والصواب « ذى الغصة » لأنه نعت للحصين لا لقيس . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٥.

أقدامِكم » . فقال يزيدُ بنُ عبدِ المَدَانِ : أمَا واللَّهِ ما حَمِدْناك ، ولا حمِدْنا خالدًا . قال : « فمَن حَمِدْتُم ؟ » قالوا : حَمِدْنا اللَّهَ الذى هَدَانا بك يا رسولَ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقْتُم » . ثُم قال : « بِمَ كنتم تَغْلِبون مَن قاتَلَكم فى الجاهليَّةِ ؟ » قالوا : لم نكُ نَغْلِبُ أحدًا : قال : « بلى ، قد كنتم تَغْلِبون مَن قاتَلَكم » . قالوا : كُنّا نَغْلِبُ مَن قاتَلَنا يا رسولَ اللَّهِ ، أنّا كُنّا نَجْتَمِعُ ولا نتفرَّقُ ، ولا نَبْدَأُ أحدًا بظُلمٍ . قال : « صَدَقْتُم » . ثُم أمَّر عليهم قيسَ بنَ الحُصَينِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم رَجَعوا إلى قومِهم فى بقيَّةِ شوالٍ ، أو فى صدرِ ذى القَعْدةِ . قال : ثُم بَعَث إليهم بعدَ أن وَلَّى وفدُهم عمرَو بنَ حزمٍ ؛ ليُفَقِّهَهم فى الدِّينِ ، ويُعَلِّمَهم السُّنَّةَ ومعالمَ الإسلامِ ، ويَأْخُذَ منهم صَدَقاتِهم ، وكَتَب له كتابًا عَهِد إليه فيه عهدَه وأمَرَه أمْرَه . ثُم أورَده [٣/ ٢٥٢ظ] ابنُ إسحاقَ[2] . وقد قَدَّمْناه فى وفدِ ملوكِ حِميرَ مِن طريقِ البيهقىِّ ، وقد رَواه النسائىُّ[3] نظيرَ ما ساقَه محمدُ بنُ إسحاقَ بغيرِ إسنادٍ .

بَعْثُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الأمراءَ إلى أهلِ اليمنِ [4]قبلَ حَجَّةِ الوَداعِ ، يدعونهم إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ[4]

قال البخارىُّ[5] : بابُ بعْثِ أبى موسى ومعاذٍ إلى اليمنِ قبلَ حَجَّةِ الوداعِ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٥٩٤ .

(٢) المصدر السابق ٢/٥٩٤ - ٥٩٦ .

(٣) النسائى (٤٨٦٨) . ضعيف (ضعيف سنن النسائى ٣٣٩) .

(٤ - ٤) سقط من : أ٤ ، م .

(٥) البخارى (٤٣٤١، ٤٣٤٢) .

حدَّثنا موسى ، ثنا أبو عَوانةَ ، ثنا عبدُ الملكِ ، عن أبى بُرْدةَ قال : بعَث النبىُّ ﷺ أبا موسى ومعاذَ بنَ جبلٍ إلى اليمنِ . قال : وبَعَث كلَّ واحدٍ منهما على مِخْلافٍ[1] . قال : واليمنُ مِخْلافانِ . ثُم قال : « يَسِّرا ولا تُعَسِّرا ، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا » - وفى روايةٍ[2] : « وتطاوَعا ولا تختَلِفا » - فانْطَلَق كلُّ واحدٍ منهما إلى عملِه قال : وكان كلُّ واحدٍ منهما إذا سار فى أرضِه ، [3]وكان[3] قريبًا مِن صاحبِه أحْدَثَ به عَهْدًا ، [4]فسَلَّم عليه[4] ، فسار معاذٌ فى أرضِه قريبًا مِن صاحبِه أبى موسى ، فجاء يسيرُ على بغلتِه حتى انْتَهى إليه ، فإذا هو جالسٌ وقد اجْتَمَع إليه الناسُ ، وإذا رجلٌ عندَه قد جُمِعَتْ يداه إلى عنقِه ، فقال له معاذٌ : يا عبدَ اللَّهِ بنَ قيسٍ ، أيُّمَ[5] هذا ؟ قال : هذا رجلٌ كَفَر بعدَ إسلامِه . قال : لا أنزِلُ حتى يُقتَلَ . قال : إنَّما جِىءَ به لذلك ، فانْزِلْ . قال : ما أنْزِلُ حتى يُقْتَلَ . فأمَرَ به فقُتِل ، ثُم نَزَل فقال : يا عبدَ اللَّهِ ، كيف تَقْرَأُ القرآنَ ؟ قال : أتَفَوَّقُه[6] تَفَوُّقًا . قال : فكيف تقرأُ أنت يا معاذُ ؟ قال : أنامُ أولَ الليلِ ، فأقومُ وقد قَضَيْتُ جُزْئى مِن النومِ ، فأقْرَأُ ما كَتَب اللَّهُ لى ، فأحْتَسِبُ نَومَتى كما أحْتَسِبُ قَوْمَتى . انْفَرَد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ مِن هذا الوجهِ .

ثُم قال البخارىُّ[7] : ثنا إسحاقُ ، ثنا خالدٌ ، عن الشَّيْبانىِّ ، عن سعيدِ بنِ أبى

---

(١) المخلاف بلغة أهل اليمن هو الكُورَة والإقليم والرُّستاق . انظر فتح البارى ٨/ ٦١.

(٢) البخارى (٣٠٣٨) . ومسلم (١٧٣٣/٧) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وفى ص ، والبخارى : « كان » . والمثبت لفظ أكثر روايات البخارى . انظر فتح البارى ٨/ ٦١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص .

(٥) أيم : أصله « أىُّ » الاستفهامية دخلتْ عليها « ما » . وعبد اللَّه بن قيس هو اسم أبى موسى الأشعرى . انظر المصدر السابق .

(٦) أتفوقه : أى ألازم قراءته ليلًا ونهارًا ، شيئًا بعد شىءٍ ، وحِينًا بعد حينٍ . مأخوذ من فَوَاق الناقة ؛ وهو أن تُحلب ثم تُترك ساعة حتى تَدِرَّ ثم تُحلب ، هكذا دائمًا . المصدر السابق ٨/ ٦٢.

(٧) البخارى (٤٣٤٣) .

بُرْدةَ ، عن أبيه ، عن أبى موسى الأشعرىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثه إلى اليمنِ ، فسَأَلَه[1] عن أَشْرِبةٍ تُصْنَعُ بها ، فقال : « ما هى ؟ » قال : البِتْعُ والمِزْرُ - فقلتُ لأبى بُردةَ : ما البِتْعُ ؟ قال : نَبِيذُ العَسَلِ ، والمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعيرِ - فقال : « كلُّ مسكرٍ حرامٌ » . رَواه جريرٌ وعبدُ الواحدِ ، عن الشَّيْبانىِّ ، عن أبى بُرْدةَ[2] . ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى بُرْدةَ[3] .

وقال البخارىُّ[4] : حدَّثنا حِبَّانُ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ ، عن زكريا بنِ إسحاقَ[5] ، عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ صَيْفىٍّ ، عن أبى مَعْبَدٍ مولى ابنِ عباسٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ حينَ بَعَثه إلى اليمنِ : « إنَّك ستأتى قومًا أهلَ كتابٍ ، فإذا جِئْتَهم فادْعُهم إلى أن يَشْهَدوا أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، فإن هم [٣/٢٥٣و] أطاعوا لك بذلك ، فأخْبِرْهم أنَّ اللَّهَ قد فَرَض عليهم خمسَ صلواتٍ فى[6] كلِّ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبِرْهم أنَّ اللَّهَ قد فَرَض عليهم صدقةً تُؤْخَذُ مِن أغنيائِهم فتُرَدُّ على فُقَرائِهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإيَّاك وكرائمَ أموالِهم ، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ ، فإنَّه ليس بينَها[7] وبينَ اللَّهِ حجابٌ » . وقد أخرَجه بقيةُ الجماعةِ مِن طرقٍ مُتعدِّدةٍ[8] .

---

(١) السائل هو أبو موسى الأشعرى ، رضى اللَّه عنه .

(٢) انتهى هنا سياق البخارى . قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٦٣: يعنى أنهما روياه . عن الشيبانى عن أبى بردة بدون ذكر سعيد بن أبى بردة ، وهو كما قال .

(٣) مسلم (١٧٣٣) مختصرًا .

(٤) البخارى (٤٣٤٧) .

(٥) فى النسخ : « بن أبى إسحاق » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٥٦.

(٦) سقط من : م .

(٧) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « بينه » . والمثبت مثل لفظ بقية الجماعة .

(٨) مسلم (١٩) ، وأبو داود (١٥٨٤) ، والترمذى (٦٢٥) ، والنسائى (٢٤٣٤، ٢٥٢١) ، وابن ماجه (١٧٨٣) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا أبو المُغيرةِ ، ثنا صفوانُ ، حدَّثنى راشدُ بنُ سعدٍ ، عن عاصمِ بنِ حُمَيدٍ السَّكُونىِّ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ قال : لمَّا بَعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ خَرَج معه يُوصِيه ، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِى تحتَ راحلتِه ، فلمَّا فَرَغ قال : « يا معاذُ ، إنَّك عسى ألَّا تَلْقَانى بعدَ عامى هذا ، و[2] لعلَّك أن تَمُرَّ بمسجدِى هذا و[2] قبرى » . فبكَى معاذٌ جَشَعًا[3] لفِراقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم الْتَفَت بوجهِه نحوَ المدينةِ فقال : « إن أَولَى الناسِ بى المُتَّقون مَنْ كانوا وحيثُ كانوا » .

ثُم رَواه[4] عن أبى اليَمانِ ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو ، عن راشدِ بنِ سعدٍ ، عن عاصمِ بنِ حُمَيدٍ السَّكُونىِّ ، أنَّ معاذًا لمَّا بَعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ خَرَج معه يُوصيه ، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يمشِى تحتَ راحلتِه ، فلمَّا فرَغ قال : « يا معاذُ ، إنَّك عسى ألَّا تلقَانى بعدَ عامى هذا ، ولعلَّك أن تمرَّ بمسجدى هذا وقبرى » . فبكَى معاذٌ جَشَعًا[5] لفِراقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « لا تَبْكِ يا معاذُ ، للبُكاءِ أوانٌ ، البكاءُ مِن الشيطانِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا أبو المُغِيرةِ ، ثنا صفوانُ ، حدَّثنى أبو زيادٍ

---

(١) المسند ٥/٢٣٥ . قال فى المجمع ٩/ ٢٢: رواه أحمد بإسنادين ، ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان .

(٢) فى المسند : « أو » . قال فى بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٥٣: كذا فى المسند ، والظاهر التعبير بالواو كما فى الرواية الثانية للحديث . انتهى كلامه . يشير إلى الرواية التى سيسوقها المصنف من مسند أحمد ، من طريق أبى اليمان .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « خشعا » . والجَشَع : الجزَع لفِراق الإلْفِ . النهاية ١/ ٢٧٤.

(٤) أى الإمام أحمد ، المسند ٥/٢٣٥ .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « خشعا » ، وفى ا ٤: « شجعا » . والمثبت من المسند .

(٦) المسند ٥/٢٣٥ . قال الهيثمى فى المجمع ١٠/٥٥ : رواه أحمد والطبرانى ورجالهما ثقات ، إلا أن يزيد بن قطيب لم يسمع من معاذ .

يحيى بنُ عُبَيدٍ الغَسَّانىُّ ، عن يزيدَ بن قُطَيْبٍ ، عن معاذٍ أنَّه كان يقولُ : بَعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ فقال : « لعلَّك أن تَمُرَّ بقبرِى ومسجدِى ، فقد بعَثْتُك إلى قومٍ رقيقةٍ قلوبُهم ، يُقاتلون على الحقِّ مرتيْن ، فقاتِلْ بمَن أطاعك منهم مَن عصَاك ، ثم يَفِيئُون[1] إلى الإسلامِ ، حتى تُبادِرَ المرأةُ زوجَها ، والولدُ والدَه ، والأخُ أخاه ، فانْزِلْ بينَ الحَيَّيْنِ[2] ؛ السَّكُونِ والسَّكاسِكِ » .

وهذا الحديثُ فيه إشارةٌ وظُهُورٌ وإيماءٌ إلى أنَّ معاذًا ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، لا يَجْتَمِعُ بالنبىِّ ﷺ بعدَ ذلك ، وكذلك وَقَع ؛ فإنَّه أقام باليمنِ حتى كانت حَجَّةُ الوداعِ ، ثُم كانتْ وفاتُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ أحدٍ وثمانين يومًا مِن يومِ الحجِّ الأكبرِ .

فأمَّا الحديثُ الذى قال الإمامُ [٣/٢٥٣ظ] أحمدُ[3] : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى ظَبْيانَ ، عن معاذٍ ، أنَّه لمَّا رَجَع مِن اليمنِ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، رأيتُ رجالًا باليمنِ يَسْجُدُ بعضُهم لبعضٍ ، أفلا نَسْجُدُ لك ؟ قال : « لو كنتُ آمِرًا بشرًا أن يَسْجُدَ لبشرٍ ، لأَمَرْتُ المرأةَ أن تَسْجُدَ لزوجِها » . وقد رَواه أحمدُ[4] ، عن ابنِ نُمَيرٍ ، عن الأعمشِ : سَمِعْتُ أبا ظَبْيانَ يُحَدِّثُ عن رجلٍ مِن الأنصارِ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ، قال : أقْبَل معاذٌ مِن اليمنِ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى رأيتُ رجالًا . فذَكَر معناه . فقد دار على رجلٍ مُبْهَمٍ[5] ، ومِثْلُه لا يُحْتَجُّ به ، لاسيَّما

---

(١) كذا فى النسخ والمجمع . وفى المسند : « يعود » .

(٢) فى المسند : « الجبينين » . وهو تصحيف .

(٣) المسند ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) المسند ٥/٢٢٨ .

(٥) فى ٤١ ، م : « منهم » .

وقد خالَفَه غيرُه مِمَّن يُعْتَدُّ به ، فقالوا : لمَّا قَدِم معاذٌ مِن الشامِ . كذلك رَواه [1]أحمدُ .

وقال[1] أحمدُ[2] : ثنا إبراهيمُ بنُ مَهْدىٍّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن [3]عبدِ اللَّهِ بنِ[3] عبدِ الرحمنِ بنِ أبى حسينٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَفاتِيحُ الجنَّةِ شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ » .

وقال أحمدُ[4] : ثنا وكيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن ميمونِ ابنِ أبى شَبيبٍ ، عن معاذٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يا معاذُ ، أَتْبِعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها ، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ » . قال وكيعٌ : وَجَدْتُه فى كتابى ، عن أبى ذَرٍّ ، وهو السَّماعُ الأوَّلُ ، وقال سفيانُ مرةً : عن معاذٍ .

ثُم قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا إسماعيلُ ، عن ليثٍ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن ميمونِ بنِ أبى شَبِيبٍ ، عن معاذٍ ، أنَّه قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أوْصِنى . فقال : « اتَّقِ اللَّهَ حيثما كنتَ » . قال : زِدْنى . قال : « أَتْبِعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها » . قال : زِدْنى . قال : « خالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ » . وقد رَواه الترمذىُّ فى « جامعِه » ، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ ، عن وَكِيعٍ ، عن سفيانَ الثَّوْرىِّ به[6] ، وقال :

(١ - ١) سقط من : م . ولفظة « أحمد » سقطت من الأصل، وبياض فى ص.
وحديث قدوم معاذ من الشام فى المسند ٤/ ٣٨١.
(٢) المسند ٥/٢٤٢ . ضعيف (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٣١١).
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٥/٢٠٥ .
(٤) المسند ٥/٢٢٨.
(٥) المسند ٥/٢٣٦ .
(٦) الترمذى (١٩٨٧) . حسن (صحيح سنن الترمذى ١٦١٨).

حسنٌ . قال شيخُنا فى « الأطرافِ »[1] : وتابَعَه فُضَيلُ بنُ عِياضٍ[2] ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ و[3]الأعمشِ ، عن حَبِيبٍ به .

وقال أحمدُ[4] : ثنا أبو اليَمانِ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبيرِ بنِ نُفَيرٍ الحَضْرمىِّ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ قال : أوصانى رسولُ اللَّهِ ﷺ بعشْرِ كلِماتٍ ، قال : « لا تُشرِكْ باللَّهِ شيئًا وإن قُتِلْتَ وحُرِّقْتَ ، ولا تَعُقَّنَّ والدَيك وإن أمَراك أن تَخْرُجَ مِن أهلِك ومالِك ، ولا تَتْرُكَنَّ صلاةً مكتوبةً مُتَعَمِّدًا ؛ فإنَّ مَن تَرَك صلاةً مكتوبةً مُتَعَمِّدًا ، فقد بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ اللَّهِ ، ولا تَشْرَبَنَّ خمرًا ؛ فإنَّه رأسُ كلِّ فاحشةٍ ، وإيّاك والمعصيةَ ؛ فإن بالمعصيةِ يَحِلُّ سَخَطُ اللَّهِ ، وإيَّاك والفِرارَ مِن الزَّحْفِ وإن هَلَك الناسُ ، وإذا أصاب الناسَ موتٌ[5] وأنت فيهم فاثْبُتْ ، وأنفِقْ [٣/ ٢٥٤و] على عيالِك مِن طَوْلِك ، ولا ترفَعْ عنهم عصاك أدبًا ، وأخِفْهُم[6] فى اللَّهِ عزَّ وجلَّ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا يونسُ ، ثنا بَقِيَّةُ ، عن السَّرِىِّ بنِ يَنْعُمَ ، عن [8]مُرِيحِ ابنِ[8] مسروقٍ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا بعَثه إلى اليمنِ قال :

---

(١) تحفة الأشراف ٨/٤١٧، ٤١٨.

(٢) فى النسخ : « سليمان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨١.

(٣) فى ٤١ ، م ، ص : « عن » .

(٤) المسند ٥/٢٣٨ . والحديث فيه انقطاع بين عبد الرحمن بن جبير ومعاذ ، ولكن له طرق وشواهد ترقى به إلى درجة الصحيح . انظر إرواء الغليل (٢٠٢٦) .

(٥) كذا فى النسخ . وفى المسند : « موتان » . والموتان ، بضم الميم : الموت الكثير كطاعون ونحوه . بلوغ الأمانى ١٩/ ٢٩٨.

(٦) فى م ، ص : « وأحبهم » .

(٧) المسند ٥/٢٤٣ ، ٢٤٤ . صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٣) .

(٨ - ٨) فى م : « شريح عن » . ووقع فى المسند فى الموضع الثانى ص ٢٤٤: « مريح عن » . وهو=

« إيَّاكَ[1] والتَّنعُّمَ ، فإن عبادَ اللَّهِ ليسوا بالمُتَنَعِّمِين » .

وقال أحمدُ[2] : ثنا سليمانُ بنُ داودَ الهاشميُّ ، ثنا أبو بكرٍ - يعنى ابنَ عيَّاشٍ - ثنا عاصمٌ ، عن أبى وائلٍ ، عن معاذٍ قال : بَعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ ، وأمَرَنى أن آخُذَ مِن كلِّ حالمٍ دينارًا ، أو عَدْلَه مِن المَعافِرِ ، وأمَرنى أن آخُذَ مِن كلِّ أربعين بقرةً مُسِنَّةً[3] ، ومِن كلِّ ثلاثِين بقرةً تَبِيعًا حَوْلِيًّا[4] ، وأمَرَنى فيما سَقَتِ السَّماءُ العُشْرُ ، وما سُقِىَ بالدَّوالى[5] نصفُ العُشْرِ . وقد رَواه أبو داودَ مِن حديثِ أبى مُعاويةَ ، والنسائىُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الأعمشِ كذلك[6] . وقد رَواه أهلُ السُّنَنِ الأربعةِ ، مِن طرقٍ عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ ، عن مسروقٍ ، عن معاذٍ به[7] .

وقال أحمدُ[8] : ثنا مُعاويةُ ، عن عمرٍو وهارونَ بنِ معروفٍ ، قالا : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، عن حَيْوةَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن سَلَمةَ بنِ أُسامةَ ، عن يحيى بنِ الحكمِ ، أنَّ معاذًا قال : بَعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أُصَدِّقُ أهلَ اليمنِ ، فأمَرنى أن آخُذَ مِن البقرِ مِن كلِّ ثلاثِين تَبِيعًا - قال هارونُ : والتَّبِيعُ الجَذَعُ أو

= خطأ . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٣٥.

(١) فى المسند : « إياى » .

(٢) المسند ٥/ ٢٣٣.

(٣) المسنة : هى ما استكملت سنتين ودخلت فى الثالثة على الصحيح . بلوغ الأمانى ٨/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) التبيع : ولد البقر أول سنة . والحولىّ : أى حال عليه الحول . انظر بلوغ الأمانى ٨/ ٢٢٠.

(٥) الدوالى هنا : آلات السَّقْى . انظر المصدر السابق .

(٦) أبو داود (١٥٧٦) ، والنسائى (٢٤٥٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٣٩٤) .

(٧) أبو داود (١٥٧٨) ، والترمذى (٦٢٣) ، والنسائى (٢٤٤٩، ٢٤٥٠) ، وابن ماجه (١٨٠٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٣٩٦) .

(٨) المسند ٥/ ٢٤٠.

الجَذَعةُ[1] - ومِن كلِّ أربعين مُسِنَّةً ، فعَرَضوا علىَّ أن آخُذَ ما بينَ الأربعِين والخمسِين ، وما بينَ السِّتين والسَّبعِين ، وما بينَ الثَّمانين والتِّسعِين ، فأبَيْتُ ذلك ، وقلتُ لهم : حتى[2] أسأَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك . فقدِمْتُ فأخبَرْتُ النبىَّ ﷺ ، فأمَرَنى أن آخُذَ مِن كلِّ ثلاثِين تَبِيعًا ، ومِن كلِّ أربعِين مُسِنَّةً ، ومِن السِّتين تَبِيعَيْن ، ومِن السَّبعِين مُسِنَّةً وتَبِيعًا ، ومِن الثَّمانين مُسِنَّتَيْن ، ومِن التِّسعين ثلاثةَ أتْباعٍ ، ومِن المائةِ مُسِنَّةً وتَبِيعَيْن ، ومِن العشَرةِ ومائةٍ مُسِنَّتَيْن وتَبِيعًا ، ومِن العشرين ومائةٍ ثلاثَ مُسِنَّاتٍ أو أربعةَ أتْباعٍ . قال : وأمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ألَّا آخُذَ فيما بينَ ذلك شيئًا ، إلَّا أن يَبْلُغَ مُسِنَّةً أو جَذَعًا . وزعَم أن الأوْقاصَ[3] لا فريضةَ فيها . وهذا مِن أفرادِ أحمدَ ، وفيه دَلالةٌ على أنَّه قَدِمَ بعدَ مَصِيرِه إلى اليمنِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والصحيحُ أنَّه لم يَرَ النبىَّ ﷺ بعدَ ذلك [٣/ ٢٥٤ظ] كما تقدَّم فى الحديثِ .

وقد قال عبدُ الرَّزاقِ[4] : أنبأَنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن أُبىِّ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ قال : كان معاذُ بنُ جبلٍ شابًّا جميلًا سَمْحًا ، مِن خيرِ شبابِ قومِه ، لا يُسْأَلُ شيئًا إلَّا أَعْطاه ، حتى كان عليه دَيْنٌ أغْلَق مالَه ، فكَلَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ فى أن يُكَلِّمَ غُرَماءَه ، ففعَل ، فلم يَضَعوا له شيئًا ، فلو تُرِك لأحدٍ بكلامِ أحدٍ ، لَتُرِك

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « جذعة » . والجذع والجذعة من البقر : ما كان له سنة ودخل فى الثانية . بلوغ الأمانى ٨/ ٢٢١.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) الأوقاص : جمع وَقَص ، وهو ما بين الفريضتين ؛ كالزيادة على الخَمْس من الإبل على التسع ، وعلى العشر إلى أربع عشرة . النهاية ٥/ ٢١٤.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٤٠٥، ٤٠٦، من طريق عبد الرزاق به . وهو فى المصنف (١٥١٧٧) بنحوه .

لمعاذٍ بكلامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فدعَاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم يَبْرَحْ أن باع مالَه ، وقَسَمَه بينَ غُرمائِه . قال : فقام معاذٌ ولا مالَ له . قال : فلمَّا حَجَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بَعَث معاذًا إلى اليمنِ ليَجْبُرَه[1] . قال : فكان أوَّلَ مَن تَجَر فى هذا المالِ معاذٌ . قال : فقَدِم على أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ مِن اليمنِ وقد تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجاء عمرُ [2]إلى معاذٍ[2] فقال : هل لك أن تُطِيعَنى فتَدْفَعَ هذا المالَ إلى أبى بكرٍ ، فإن أعْطاكَه فاقْبَلْه ؟ قال : فقال معاذٌ : لِمَ أدْفَعُه إليه ، وإنَّما بَعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ليَجْبُرَنى ؟! فلمَّا أبَى عليه انْطَلَق عمرُ إلى أبى بكرٍ فقال : أرْسِلْ إلى هذا الرجلِ فخُذْ منه ودَعْ له . فقال أبو بكرٍ : ما كنتُ لِأَفْعَلَ ، إنَّما بَعَثَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ليَجْبُرَه ، فلستُ آخُذُ منه شيئًا . قال : فلمَّا أصْبَح معاذٌ انْطَلَقَ إلى عمرَ فقال : ما أُرانى[3] إلا فاعلَ الذى قلتَ ، إنِّى رأيْتُنى البارحةَ فى النومِ - فيما يَحْسَبُ عبدُ الرزّاقِ قال - أُجَرُّ إلى النارِ وأنت آخِذٌ بحُجْزَتى . قال : فانْطَلَق إلى أبى بكرٍ بكلِّ شىءٍ جاء به ، حتى جاءه بسَوْطِه ، وحلَفَ له أنَّه لم يَكْتُمْه شيئًا . قال : فقال أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه : هو لك ، لا آخُذُ منه شيئًا .

وقد رَواه ابنُ ثورٍ[4] ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ ابنِ مالكٍ ، فذكَره ، إلَّا أنَّه قال : حتى إذا كان عامُ فتحِ مكةَ بَعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ على طائفةٍ مِن اليمنِ أميرًا ، فمَكَث حتى قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُم قَدِم فى

---

(١) سقط من : م ، وفى ص : « ليخبره » . وفى الدلائل : « يستجيره » . ويجبره : يغنيه ، أى يردّ عليه ما ذهب منه ويعوضه . انظر النهاية ١/ ٢٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) فى م : « أرى » .

(٤) فى الأصل ، ٤١ ، م : « أبو ثور » ، والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٠٥ ، من طريق ابن ثور به . وابن ثور هو محمد بن ثور الصنعانى أبو عبد اللَّه العابد . انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٦٢.

خلافةِ أبى بكرٍ ، وخَرَج إلى الشامِ .

قال البيهقىُّ[1] : وقد قدَّمْنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَخْلَفَه بمكةَ مع عَتَّابِ بنِ أَسيدٍ ليُعَلِّمَ أهلَها ، وأنَّه شَهِد غزوةَ تبوكَ ، فالأَشْبَهُ أنَّ بَعْثَه إلى اليمنِ كان بعدَ ذلك . واللَّهُ أعلمُ . ثم ذَكَر البَيْهَقِىُّ لقصةِ منامِ مُعاذٍ شاهدًا مِن طريقِ الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ ، [٣/ ٢٥٥و] عن عبدِ اللَّهِ[2] ، وأنَّه كان مِن جُملةِ ما جاء به عَبِيدٌ ، فأتَى بهم أبا بكرٍ ، فلمَّا ردَّ الجميعَ عليه رَجَع بهم ، ثُم قام يُصَلِّى ، فقاموا كلُّهم يُصَلُّون معه ، فلمَّا انْصَرَفَ . قال : لِمَن صَلَّيْتُم ؟ قالوا : للَّهِ . قال : فأنتم له عُتقاءُ ، فأَعْتَقَهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن أبى عَوْنٍ ، عن الحارثِ بنِ عمرٍو ، ابنِ أخى المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ ، عن ناسٍ مِن أصحابِ مُعاذٍ مِن أهلِ حِمْصَ ، عن معاذٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ بَعَثَه إلى اليمنِ قال : « كيف تَصْنَعُ إن عَرَض لك قضاءٌ ؟ » قال : أَقْضِى بما فى كتابِ اللَّهِ . قال : « فإن لم يَكُنْ فى كتابِ اللَّهِ ؟ » قال : فبسُنَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : « فإن لم يَكُنْ فى سنةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ » . قال : أَجْتَهِدُ برأْيى[4] ، لا آلُو . قال : فضَرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ صدرى ، ثُم قال : « الحمدُ للَّهِ الذى وَفَّق رسولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ لِما يُرْضِى رسولَ اللَّهِ » . وقد رَواه أحمدُ ، عن وكيعٍ وعن عفانَ ، عن شعبةَ بإسنادِه ولفظِه[5] . وأخرَجَه

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) المسند ٥/ ٢٣٠.

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « وإنى » .

(٥) المسند ٥/ ٢٤٢ من طريق وكيع عن شعبة ، و٥/ ٢٣٦ من طريق عفان عن شعبة .

أبو داودَ والترمذيُّ مِن حديثِ شعبةَ به[1] ، وقال الترمذيُّ : لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ ، وليس إسنادُه عندِى بمتصلٍ . وقد رَواه ابنُ ماجه مِن وجهٍ آخرَ عنه ، إلَّا أنَّه مِن طريقِ محمدِ [2]بنِ سعيدِ[2] بنِ حسانَ - وهو المصلوبُ ، أحدُ الكَذَّابِين - عن [3]عُبادَةَ بنِ نُسَيٍّ[3] ، عن عبدِ الرحمنِ [4]بنِ غَنْمٍ[4] ، عن معاذٍ به نحوَه[5] .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[6] ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ويحيى بنِ سعيدٍ ، عن شعبةَ ، عن عمرِو بنِ أبى حَكيمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ[7] ، عن أبى الأسودِ الدُّئِلِيِّ قال : كان معاذٌ باليمنِ ، فارتفَعوا إليه فى يهوديٍّ مات وترَك أخًا مسلمًا ، فقال معاذٌ : إنِّى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن الإسلامَ يزيدُ ولا ينقُصُ » . فورَّثه . ورَواه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ بُرَيْدَةَ به[8] . وقد حُكِى هذا المذهبُ عن مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، ورَواه[9] يحيى بنُ يَعْمَرَ[7] القاضى وطائفةٌ مِن السلفِ ، وإليه ذهَب إسحاقُ بنُ راهَوَيْهِ ، وخالَفَهم الجمهورُ ، ومنهم الأئمةُ الأربعةُ وأصحابُهم ، مُحتجِّين بما ثبَت فى « الصحيحيْن »[10] عن أسامةَ بنِ زيدٍ

---

(١) أبو داود (٣٥٩٢، ٣٥٩٣)، والترمذى (١٣٢٧، ١٣٢٨). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٧٧٠، ٧٧١).

(٢ - ٢) سقط من : ٤١ ، وفى م ، ص : « بن سعد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٦٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « عبادة بن بسر » ، وفى م : « عياذ بن بشر » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٩٤.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٣٩.

(٥) ابن ماجه (٥٥). موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٨).

(٦) المسند ٥/ ٢٣٠ ، ٢٣٦ .

(٧) فى م : « معمر » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٣ .

(٨) أبو داود (٢٩١٢ ، ٢٩١٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٢٤) .

(٩) فى م : « ورواه عن » . وفى ص : « وراويه » .

(١٠) البخارى (٤٢٨٢، ٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).

قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَرِثُ الكافرُ المسلمَ ، ولا المسلمُ الكافرَ » .

والمقصودُ أن معاذًا ، رضِيَ اللَّهُ عنه ، كان قاضيًا للنبيِّ ﷺ باليمنِ ، وحاكمًا في الحروبِ ، ومُصَدِّقًا ؛ إليه تُدْفَعُ الصَّدَقاتُ ، [٣/ ٢٥٥ظ] كما دلَّ عليه حديثُ ابنِ عباسٍ المُتَقَدِّمُ . وقد كان بارزًا للناسِ يُصَلِّي بهم الصلواتِ الخمسَ ، كما قال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا شعبةُ ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، أنَّ معاذًا لمَّا قَدِمَ اليمنَ صلَّى بهم الصبحَ فقرأَ : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] . فقال رجلٌ مِن القومِ : لقد قَرَّتْ عينُ أمِّ[2] إبراهيمَ . انفرَد به البخاريُّ .

ثم قال البخاريُّ[3] :

بابُ بعثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وخالدَ بنَ الوليدِ إلى اليمنِ قبلَ حَجَّةِ الوداعِ

حدَّثنا أحمدُ بنُ عثمانَ ، ثنا شُرَيْحُ بنُ مَسْلَمةَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ[4] بنِ أبي إسحاقَ ، حدَّثني أبي ، عن أبي إسحاقَ ، سمِعْتُ البَراءَ بنَ عازبٍ قال : بعَثَنا

---

(١) البخاري (٤٣٤٨) .

(٢) سقط من : م .

(٣) فتح الباري ٨/ ٦٥، حديث (٤٣٤٩) .

(٤) بعده في الأصل : « عن » . وهو إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي ، وقد يُنسب أبوه يوسف إلى جده أبي إسحاق السبيعي . انظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٤٩، ٣٢/ ٤١١.

رسولُ اللَّهِ ﷺ مع خالدِ بنِ الوليدِ إلى اليمنِ . قال : ثم بعَث عليًّا بعدَ ذلك مكانَه قال : « مُرْ أصحابَ خالدٍ مَن شاء منهم أن يُعَقِّبَ معك[1] فلْيُعَقِّبْ ، ومَن شاء فلْيُقْبِلْ » . فكنتُ فيمن عقَّب معه . قال : فغنِمْتُ أَواقيَ ذاتَ عددٍ . انفرَد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

ثم قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، ثنا عليُّ بنُ سُوَيدِ بنِ مَنْجوفٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُريدةَ ، عن أبيه قال : بعَث النبيُّ ﷺ عليًّا إلى خالدِ بنِ الوليدِ لِيَقْبِضَ الخُمُسَ ، وكنتُ أُبْغِضُ عليًّا[3] ، فأصبَح[4] وقد اغتسَل ، فقلتُ لخالدٍ : ألا تَرَى إلى هذا ؟ فلمَّا قدِمْنا على النبيِّ ﷺ ذكَرْتُ ذلك له ، فقال : « يا بُريدةُ ، تُبْغِضُ عليًّا ؟ » . فقلتُ : نعم . فقال : « لا تُبْغِضْه ، فإن له في الخُمُسِ أكثرَ مِن ذلك » . انفرَد به البخاريُّ دونَ مسلمٍ مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، ثنا عبدُ الجليلِ قال : انتهَيْتُ إلى

---

(١) يعقب معك : أى يرجع إلى اليمن . والتعقيب : أن يعود بعض العسكر بعد الرجوع ليصيبوا غزوة من الغد . كذا قال الخطابى . وقال ابن فارس : غزاة بعد غزاة . والظاهر أنه أعم من ذلك ، وأصله أن الخليفة يرسل العسكر إلى جهة مدة ، فإذا انقضت رجعوا وأرسل غيرهم ، فمن شاء أن يرجع من العسكر الأول مع العسكر الثانى سمى رجوعه تعقيبًا . فتح البارى ٨/ ٦٦.

(٢) البخارى (٤٣٥٠) .

(٣) قال الحافظ : قال أبو ذر الهروى : إنما أبغض الصحابيُّ عليًّا ؛ لأنه رآه أخذ من المغنم ، فظنَّ أنه غلَّ ، فلما أعلمه النبى ﷺ أنه أخذ أقل من حقِّه أحبه . قال الحافظ : وهو تأويل حسن ، لكن يعده صدر الحديث الذى أخرجه أحمد ، فلعلَّ سبب البغض كان لمعنى آخر ، وزال بنهى النبى ﷺ لهم عن بغضه . فتح البارى ٨/ ٦٧.

قلت : يشير إلى حديث أحمد الذى سيسوقه المصنف عقب حديثنا هذا .

(٤) كذا فى النسخ ، وليس فى صحيح البخارى ، وهو لفظ رواية البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٣٩٦، ٣٩٧ من طريق محمد بن بشار به .

(٥) المسند ٥/ ٣٥٠، ٣٥١.

حَلْقةٍ فيها أبو مِجْلَزٍ، وابنُ[1] بُرَيْدةَ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ بُريدةَ: حدَّثنى أبى[2] بُرَيدةُ قال: أبغَضْتُ عليًّا بُغْضًا لم أُبْغِضْه أحدًا قطُّ. قال: وأحبَبْتُ رجلًا مِن قريشٍ لم أُحِبَّه إلا على بُغْضِه عليًّا. قال: فبُعِث ذلك الرجلُ على خيلٍ فصحِبْتُه، ما أصحَبُه إلا على بُغضِه عليًّا. قال: فأصَبْنا سَبْيًا. قال: فكتَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ: ابعَثْ إلينا مَن يُخَمِّسُه. قال: فبعَث إلينا عليًّا، وفى السَّبيِ وَصِيفةٌ[3] مِن أفضلِ السَّبْيِ. قال: فخمَّس وقسَم، فخرَج ورأسُه يَقْطُرُ[4]، فقلنا: يا أبا الحسنِ، ما هذا؟ فقال: ألم ترَوْا إلى الوَصِيفةِ التى كانت فى السَّبيِ، [٣/ ٢٥٦و] فإنى قسَمْتُ وخمَّسْتُ فصارت فى الخُمُسِ، ثم صارت فى أهلِ بيتِ النبىِّ ﷺ، ثم صارت فى آلِ علىٍّ، ووقَعْتُ بها. قال: فكتَب الرجلُ إلى نبىِّ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: ابعَثْنى[5]. فبعَثنى مُصَدِّقًا[6]، فجعَلْتُ أقْرَأُ الكتابَ وأقولُ: صدَق. قال: فأمسَك يدىَّ والكتابَ فقال: «أتُبْغِضُ عليًّا؟» قال: قلتُ: نعم. قال: «فلا تُبْغِضْه، وإن كنتَ تُحِبُّه فازْدَدْ له حبًّا، فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِه لَنصيبُ آلِ علىٍّ فى الخُمُسِ أفضلُ مِن وَصِيفةٍ». قال: فما كان مِن الناسِ أحدٌ بعدَ قولِ النبىِّ ﷺ أحبَّ إلىَّ مِن علىٍّ. قال عبدُ اللَّهِ بنُ بُريدةَ: فوالذِى لا إلهَ غيرُه ما بينى وبينَ النبىِّ ﷺ فى هذا الحديثِ غيرُ أبى بُريدةَ. تفرَّد به بهذا السياقِ عبدُ الجَليلِ ابنُ عطيةَ الفقيهُ أبو صالحٍ البَصْرىُّ؛ وثَّقه ابنُ معينٍ وابنُ حِبَّانَ، وقال البخارىُّ:

---

(١) فى النسخ: «ابنا». والمثبت من المسند.

(٢) فى ٤١، م، ص: «أبو».

(٣) الوصيف: العبد. والأَمَة وصيفةٌ، والمراد أنها جاريةٌ أفضل جوارى السبى. انظر النهاية ٥/ ١٩١، وبلوغ الأمانى ١٧/ ٥٥.

(٤) كذا فى النسخ، وهو لفظ رواية البيهقى السالفة الذكر. وفى المسند: «مغطى».

(٥) فقلت ابعثنى: أى ابعثنى بالكتاب. بلوغ الأمانى ١٧/ ٥٥.

(٦) مصدقًا: أى شاهدًا على صِدْق ما فى الكتاب. المصدر السابق ١٧/ ٥٦.

إنما يَهِمُ فى الشىءِ [1] بعدَ الشىءِ [1][2] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ [3] : ثنا أبانُ بنُ صالحٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نِيارٍ [4] الأسْلمىِّ ، عن خالِه عمرِو بنِ شاسٍ الأسْلمىِّ ، وكان مِن أصحابِ الحديبيةِ قال : كنتُ مع علىِّ بنِ أبى طالبٍ فى خيلِه التى بعَثه فيها [5] رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ ، فجفانى علىٌّ بعضَ الجَفاءِ ، فوجَدْتُ فى نفسِى عليه ، فلمَّا قدِمْتُ المدينةَ اشتَكَيْتُه فى مجالسِ المدينةِ وعندَ مَن لقِيتُه ، فأقبَلْتُ يومًا ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ [6] فى المسجدِ [6] ، فلمَّا رآنى أنظُرُ إلى عَيْنَيْه نظَر إلىَّ حتى جلَسْتُ إليه ، فلمَّا جلَسْتُ إليه قال : « إنه واللَّهِ يا عمرَو بنَ شاسٍ لقد آذَيْتَنى » . فقلتُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، أعوذُ باللَّهِ والإسلامِ أن أُوذِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فقال : « مَن آذَى عليًّا فقد آذانى » . وقد رَواه البيهقىُّ [7] مِن وجهٍ آخرَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن أبانٍ ، عن [8] الفضلِ [9] بنِ مَعْقِلِ بنِ سِنانٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نِيارٍ ، عن خالِه عمرِو بنِ شاسٍ ، [10] فذكَره بمعناه [10][9] .

وقال الحافظُ البيهقىُّ [11] : أنبأَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنا أبو إسحاقَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) انظر تاريخ ابن معين ٢/٣٤١ ، وثقات ابن حبان ٨/ ٤٢١، والتاريخ الكبير للبخارى ٦/ ١٢٣.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٩٤، من طريق ابن إسحاق به .

(٤) فى الأصل ، ٤١ ، ص : « بيان » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢٣١.

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٧) دلائل النبوة ٥/٣٩٥ .

(٨) فى م : « بن » .

(٩ - ٩) فى الأصل : « به » .

(١٠ - ١٠) فى الدلائل : « فذكر معناه أتم منه » .

(١١) دلائل النبوة ٥/٣٩٦ .

المُزَكِّى[1] [2]أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ عليٍّ الجُوزْجَانىُّ[2] ، ثنا أبو[3] عُبيدةَ بنُ أبى السَّفَرِ ، سمِعْتُ إبراهيمَ بنَ يوسفَ بنِ أبى إسحاقَ[4] ، عن أبيه ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث خالدَ بنَ الوليدِ إلى أهلِ اليمنِ يدعُوهم إلى الإسلامِ . قال البراءُ : فكنتُ فيمَن خرَج مع خالدِ بنِ الوليدِ ، فأقَمْنا ستةَ أشهرٍ يدعُوهم إلى الإسلامِ ، فلم يُجِيبوه ، ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، وأمَره أن يُقْفِلَ خالدًا ، إلا رجلًا كان مِمَّن[5] مع خالدٍ [٣/٢٥٦ظ] فأحَبَّ[6] أن يُعَقِّبَ مع عليٍّ فلْيُعَقِّبْ معه . قال البراءُ : فكنتُ فيمَن عقَّب مع عليٍّ ، فلمَّا دنَوْنا مِن القومِ خرَجوا إلينا فصلَّى بنا عليٌّ ، ثم صفَّنا صفًّا واحدًا ، ثم تقدَّم بينَ أيدينا ، وقرَأ عليهم كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأسلَمَت هَمْدانُ جميعًا ، فكتَب عليٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بإسلامِهم ، فلمَّا قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ الكتابَ خرَّ ساجدًا ، ثم رفَع رأسَه فقال : « السلامُ على هَمْدانَ ، السلامُ على هَمْدانَ » . قال البيهقىُّ : رَواه البخارىُّ مختصَرًا مِن وجهٍ آخرَ ، عن إبراهيمَ بنِ يوسفَ[7] .

وقال البيهقىُّ[8] : أنبأَنا أبو الحسينِ محمدُ بنُ [9]الحسينِ بنِ محمدِ بنِ[9]

---

(١) فى م : « المولى » . وانظر الأنساب للسمعانى ٥/ ٢٧٥.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٤٨.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ، وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٦٧.

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٣٩٠ حاشية (٤) .

(٥) بعده فى الدلائل : « يمم » .

(٦) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « ومن أحب » .

(٧) البخارى (٤٣٤٩) .

(٨) دلائل النبوة ٥/٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٩ - ٩) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٣١ .

الفضلِ القَطَّانُ ، أنبأَنا أبو سهلِ[1] بنُ زيادٍ القَطَّانُ ، [2]حدثنا أبو إسحاقَ إسماعيلُ ابنُ إسحاقَ القاضى[2] ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى أُوَيْسٍ ، حدَّثنى أخى ، عن سليمانَ ابنِ بلالٍ ، عن سعدِ[3] بنِ إسحاقَ بنِ كعبِ بنِ عُجْرةَ ، عن عمَّتِه زينبَ بنتِ كعبِ ابنِ عُجْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ أنه قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ إلى اليمنِ . قال أبو سعيدٍ : فكنتُ فيمَن خرَج معه ، فلمَّا أخَذ مِن إبلِ الصدقةِ سأَلْناه أن نركَبَ منها ونُرِيحَ إبلَنا - وكنا قد رأَيْنا فى إبلِنا خَلَلًا - فأَبَى علينا وقال : إنما لكم فيها سهمٌ كما للمسلمين . قال : فلمَّا فرَغ علىٌّ وانْطَلَق[4] مِن اليمنِ راجعًا ، أمَّر علينا إنسانًا وأسرَع هو فأدرَك الحجَّ ، فلمَّا قضَى حَجَّتَه قال له النبىُّ ﷺ : « ارجِعْ إلى أصحابِك حتى تَقْدَمَ عليهم » . قال أبو سعيدٍ : وقد كنا سأَلْنا الذى استَخْلَفَه ما كان علىٌّ منَعَنا إيَّاه ، ففعَل ، فلمَّا عرَف فى إبلِ الصدقةِ أنها قد رُكِبَت ، ورأَى أثرَ الرَّاكبِ[5] ذَمَّ[6] الذى أمَّره ولامه ، فقلتُ : أمَا إن للَّهِ علىَّ لئن قدِمْتُ المدينةَ ، لأَذْكُرَنَّ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولأُخْبِرَنَّه ما لقِينا مِن الغِلْظةِ والتَّضْييقِ . قال : فلمَّا قَدِمْنا المدينةَ غدَوْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أريدُ أن أفعَلَ ما كنتُ حلَفْتُ عليه ، فلَقِيتُ أبا بكرٍ خارجًا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رآنى وقَف معى ورحَّب بى ، وساءَلَنى وساءلْتُه وقال : متى قَدِمْتَ ؟ فقلتُ : قدمتُ البارحةَ . فرجَع معى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدخَل وقال : هذا سعدُ بنُ

---

(١) فى الأصل : « الفضل » . وانظر سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٥ .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ، وانظر سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٣ .

(٣) فى الدلائل : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤٨/١٠ .

(٤) فى الأصل : « وانصرف » . وفى م : « وانطفق » . وفى ص : « وانصفق » .

(٥) فى ٤١ ، ص : « المراكب » . وفى م : « الركب » . وفى الدلائل : « المركب » .

(٦) فى م ، ص : « قدم » .

مالكٍ ابنُ الشَّهيدِ[1] . فقال : « ائذَنْ له » . فدخَلتُ فحيَّيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وحيَّانى ، وأقبَل علىَّ وسأَلنى عن نفسِى وأهلى ، وأحْفَى المسألةَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لقِينا مِن علىٍّ مِن الغِلْظةِ وسُوءِ الصُّحْبةِ [٣/ ٢٥٧و] والتَّضْييقِ ؟ فانْتَبَذ[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وجعَلْتُ أنا أُعَدِّدُ ما لقِينا منه حتى إذا كنتُ فى وسَطِ كلامى ، ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ على فخذِى ، وكنتُ منه قريبًا ، وقال : « يا سعدَ بنَ مالكٍ ، ابنَ الشهيدِ ، مَهْ[3] بعضَ قولِك لأخيك علىٍّ ، فواللَّهِ لقد علِمْتُ أنه أخْشَنَ فى سبيلِ اللَّهِ » . قال : فقلتُ فى نفسى : ثكِلَتْك أمُّك سعدَ بنَ مالكٍ ! ألا أُرَانى كنتُ فيما يَكرَهُ منذُ اليومِ وما أدرِى ، لا جرَمَ واللَّهِ لا أذكُرُه بسوءٍ أبدًا سرًّا ولا علانيةً . وهذا إسنادٌ جيدٌ على شرطِ النسائىِّ ، ولم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ .

وقد قال يونسُ[4] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَمْرَةَ[5] ، عن يزيدَ بنِ طلحةَ بنِ يزيدَ بنِ رُكَانةَ قال : إنما وجَد جيشُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ الذين كانوا معه باليمنِ ؛ لأنهم حينَ أقبَلوا خلَّف عليهم رجلًا ، [6] وتعَجَّل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [6] . قال : فعمَد الرجلُ فكسَا كلَّ رجلٍ حُلَّةً ، فلمَّا دنَوْا خرَج[7] علىٌّ يستقبلُهم[8] ، فإذا عليهم الحُلَلُ ، قال علىٌّ : ما هذا ؟ قالوا :

---

(١) الشهيد : هو مالك بن سنان ، والد أبى سعيد الخدرى ، شهد أحدًا واستشهد بها . انظر الإصابة ٥/ ٧٢٧.

(٢) فى م : « فاتئد » . وانتبذ : اعتزل ناحية . الوسيط (ن ب ذ) .

(٣) مه : اسم فعل أمر معناه : كُفّ .

(٤) هو ابن بكير . أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٣٩٥ ، من طريق يونس به .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « عمر » . وفى ا ٤ : « عمرو » . والمثبت من الدلائل ، وانظر التاريخ الكبير ٨/ ٢٨٤، والثقات ٧/ ٦٠٣.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « ويعمد إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر » .

(٧) بعده فى م : « عليهم » .

(٨) فى م : « يستلقيهم » .

كسَانا فلانٌ . قال : فما دعاك إلى هذا قبلَ[1] تَقْدَمُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فيصنَعُ ما شاء ؟ فنزَع الحُلَلَ منهم ، فلمَّا قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ اشتَكَوْه لذلك ، وكانوا قد صالَحوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وإنما بعَث عليًّا إلى جزيةٍ موضوعةٍ .

قلتُ : هذا السياقُ أقربُ مِن سياقِ البيهقيِّ ، وذلك أن عليًّا سبَقهم لأجلِ الحجِّ ، وساق معه هَدْيًا ، وأهلَّ بإهلالٍ كإهلالِ[2] النبيِّ ﷺ ، فأمَره أن يَمْكُثَ حرامًا . وفى روايةِ البَراءِ بنِ عازبٍ أنه قال له : « إنى سُقْتُ الهَدْىَ وقرَنْتُ »[3] .

والمقصودُ أن عليًّا لمَّا كَثُرَ فيه القِيلُ والقالُ مِن ذلك الجيشِ ؛ بسببِ منعِه إياهم استعمالَ إبلِ الصدقةِ ، واسترجاعِه منهم الحُلَلَ التى أطْلَقها لهم نائبُه ، وعلىٌّ مَعْذورٌ فيما فعَل ، لكن اشتَهر الكلامُ فيه فى الحَجيجِ ، فلذلك - واللَّهُ أعلمُ - لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حَجتِه وتفرَّغ مِن مَناسكِه ورجَع إلى المدينةِ فمرَّ بغَديرِ خُمٍّ[4] ، قام فى الناسِ خطيبًا فبرَّأ ساحةَ علىٍّ ، ورفَع مِن قَدْرِه ونبَّه على فضلِه ؛ ليُزيلَ ما وقَر فى نفوسِ كثيرٍ مِن الناسِ ، وسيأتى هذا مُفَصَّلًا فى موضعِه ، إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ .

وقال البخاريُّ[5] : ثنا قُتيبةُ ، ثنا عبدُ الواحدِ ، [٣/٢٥٧ظ] عن عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ بنِ شُبْرُمةَ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى نُعْمٍ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ الخدريَّ يقولُ : بعَث علىُّ بنُ أبى طالبٍ إلى النبيِّ ﷺ مِن اليمنِ بذُهَيْبةٍ فى أَدِيمٍ

---

(١) بعده فى ٤١، م : « أن » . قال ابن الأثير فى النهاية ٢/ ٢٨٧ : وهى لغة فاشية فى الحجاز ، يقولون : يريد يفعل . أى أن يفعل . وما أكثر ما رأيتها واردة فى كلام الشافعى . انظر الرسالة للإمام الشافعى ص ٤٩، ٢٦٥، ٥٨٢، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى للدكتور محمود محمد الطناحى ص ٩٣- ٩٥.

(٢) سقط من : م .

(٣) يأتى تخريجه صفحة ٤٦٥ حاشية (٢) .

(٤) غديرخم : بين مكة والمدينة ، وبينه وبين الجحفة ميلان . معجم البلدان ٣/٧٧٧ .

(٥) البخارى (٤٣٥١) .

مَقْروظٍ[1] ، لم تُحَصَّلْ مِن ترابِها . قال : فقسَمها بينَ أربعةٍ ؛ بينَ عُيينةَ بنِ بدرٍ ، والأقرعِ بنِ حابسٍ ، وزيدِ الخَيْلِ ، والرابعُ إمَّا علقمةُ - يَعْنى[2] ابنَ عُلاثةَ - وإمَّا عامرُ بنُ الطُّفيلِ[3] . فقال رجلٌ مِن أصحابِه : كنا نحن أحقَّ بهذا مِن هؤلاءِ . فبلَغ ذلك النبىَّ ﷺ فقال : « ألا تأْمَنونى وأنا أمينُ مَن فى السماءِ ، يأتينى خبرُ السماءِ صباحًا ومساءً ؟! » . قال : فقام رجلٌ غائرُ العينيْنِ ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ ، ناشزُ الجَبْهةِ[4] كَثُّ اللحيةِ ، محلوقُ الرأسِ مُشَمَّرُ الإزارِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، اتقِ اللَّهَ . فقال : « ويلَك ، أولستُ أحقَّ الناسِ أن يتقىَ اللَّهَ ؟! » قال : ثم ولَّى الرجلُ . قال خالدُ بنُ الوليدِ : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا أضرِبُ عنقَه ؟ قال : « لا ، لعله أن يكونَ يصلِّى » . قال خالدٌ : وكم مِن مصلٍّ يقولُ بلسانِه ما ليس فى قلبِه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى لم أُومَرْ أن أنْقُبَ عن قلوبِ الناسِ ، ولا أشُقَّ بطونَهم » . قال : ثم نظَر إليه وهو مُقَفٍّ ، فقال : « إنه يخرُجُ مِن ضِئْضِئِ[5] هذا قومٌ يَتْلون كتابَ اللَّهِ رَطْبًا ، لا يُجاوزُ حناجرَهم ، يَمْرُقون مِن الدينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ » . أظنُّه قال : « لئن أدرَكتُهم لأقتُلَنَّهم قتلَ ثمودَ » . وقد رَواه

---

(١) أديم مقروظ : أى مدبوغ بالقرَظ ، وهو ورق السَّلَم . ولم تحصل من ترابها : أى لم تُخلَّص من تراب المعدن ، فكأنها كانت تبرًا ، وتخليصها بالسبك . انظر فتح البارى ٨/ ٦٨، والنهاية ٤/ ٤٣.

(٢) سقط من : م .

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٦٨: ذِكْر عامر بن الطفيل غلطٌ من عبد الواحد ؛ فإنه كان مات قبل ذلك . وقال النووى فى شرح مسلم ٧/ ١٦٢، ١٦٣: الصواب الجزم بأنه علقمة كما هو مجزوم به فى باقى الروايات .

(٤) غائر العينين : المراد أن عينيه داخلتان في محاجرهما لاصقتين بقعر الحدقة ، وهو ضد الجحوظ . ومشرف الوجنتين : أى بارزهما . والوجنتان : العظمان المشرفان على الخدين . وناشز الجبهة : أى مرتفعها . انظر فتح البارى ٨/ ٦٨.

(٥) ضئضئ : المراد به النسل والعقب . فتح البارى ٨/٦٩ .

البخاريُّ فى مواضعَ أُخَرَ مِن كتابِه[1] ، ومسلمٌ فى كتابِ الزكاةِ مِن « صحيحِه » مِن طرقٍ متعددةٍ إلى عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ به[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا يحيى ، عن الأعمشِ ، عن عمرِو بنِ مرةَ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ ، عن علىٍّ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ وأنا حديثُ السنِّ . قال : فقلتُ : تَبْعَثُنى إلى قومٍ يكونُ بينَهم أحْداثٌ ولا علمَ لى بالقضاءِ . قال : « إن اللَّهَ سيهدِى لسانَك ، ويُثَبِّتُ قلبَك » . قال : فما شكَكْتُ فى قضاءٍ بينَ اثنين بعدُ[4] . ورَواه ابنُ ماجه مِن حديثِ الأعمشِ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا شَريكٌ ، عن سِماكٍ ، عن حَنَشٍ ، عن علىٍّ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، تَبْعَثُنى إلى قومٍ أسنَّ منى وأنا حَدَثٌ[7] لا أُبْصِرُ القضاءَ ؟! [٣/ ٢٥٨و] قال : فوضَع يدَه على صدرى وقال : « اللهم ثبِّتْ لسانَه ، واهدِ قلبَه . يا علىُّ ، إذا جلَس إليك الخَصمان فلا تَقْضِ بينَهما حتى تسمَعَ مِن الآخَرِ كما[8] سمِعْتَ مِن الأوَّلِ ، فإنك إذا فعَلْتَ ذلك تبيَّنَ لك القضاءُ[9] » . قال : فما اختلَف علَىَّ قضاءٌ بعدُ . أو : ما أَشْكَلَ علىَّ قضاءٌ بعدُ . ورَواه أحمدُ أيضًا وأبو داودَ مِن طرقٍ ، عن

---

(١) البخارى (٣٦١٠، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١) من طرق مختلفة عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) مسلم (١٤٤ - ١٠٦٤/١٤٦) .

(٣) المسند ١/ ٨٣. (إسناده ضعيف) .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) ابن ماجه (٢٣١٠) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦٩) . وانظر إرواء الغليل ٨/ ٢٢٦.

(٦) المسند ١/ ١١١. (إسناده صحيح) .

(٧) فى المسند : « حديث » .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « ما » .

(٩) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

شَريكٍ ، والترمذىُّ مِن حديثِ زائدةَ ، كلاهما عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن حَنَشِ بنِ المُعْتمرِ - وقيل : ابنِ ربيعةَ الكِنانىِّ الكوفىِّ[1] - عن علىٍّ به[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ ، عن الأجْلحِ ، عن الشعبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الخَليلِ ، عن زيدِ بنِ أرقمَ أن نفرًا وَطِئوا امرأةً فى طُهْرٍ ، فقال علىٌّ لاثنيْن : أتَطِيبان نفسًا لذا ؟ فقالا : لا . فأقبَل على الآخَرَيْن فقال : أتَطِيبان نفسًا لذا ؟ فقالا : لا . فقال : أنتم شركاءُ مُتَشاكِسون . فقال : إنى مُقْرِعٌ بينَكم ، فأيُّكم قرَع أغرَمْتُه ثُلُثَي الدِّيَةِ ، وألزَمْتُه الولدَ . قال : فذُكِر ذلك للنبىِّ ﷺ فقال : « لا أعلَمُ إلا ما قال علىٌّ » .

وقال أحمدُ[4] : ثنا سُرَيجُ[5] بنُ النعمانِ ، ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأَنا الأجْلحُ ، عن الشعبىِّ ، عن أبى الخليلِ ، عن زيدِ بنِ أرقمَ أن عليًّا أُتِىَ فى ثلاثةِ نفرٍ ، إذ كان فى اليمنِ ، اشترَكوا فى ولدٍ ، فأقرَع بينَهم فضمِن الذى أصابَتْه القُرْعةُ ثُلُثَي الدِّيةِ وجعَل الولدَ له . قال زيدُ بنُ أرقمَ : فأتيتُ النبىَّ ﷺ فأخبَرْتُه بقضاءِ علىٍّ ، فضحِك حتى بَدَتْ نَواجِذُه .

ورَواه أبو داودَ ، عن مُسَدَّدٍ ، عن يحيى القطَّانِ ، والنسائىُّ ، عن علىِّ بنِ حُجْرٍ ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ ، كلاهما عن الأجْلَحِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عامرٍ الشَّعْبىِّ ،

---

(١) أى : وقيل : حنش بن ربيعة . انظر تهذيب الكمال ٧/٤٣٢ .

(٢) المسند ١/ ٩٦، ١٤٩، ١٥٠، وأبو داود (٣٥٨٢)، والترمذى (١٣٣١) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٠٥٧) .

(٣) المسند ٤/ ٣٧٤.

(٤) المسند ٤/٣٧٤ .

(٥) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢١٨.

عن عبدِ اللَّهِ بنِ الخَليلِ - وقال النسائيُّ فى روايتِه[1] : عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الخَليلِ[2] - عن زيدِ بنِ أرقمَ[3] قال : كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ فجاء رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ فقال : إن ثلاثةَ نفرٍ أتَوا عليًّا يخْتَصِمون فى ولدٍ ، وقَعوا على امرأةٍ فى طُهْرٍ واحدٍ . فذكَر نحوَ ما تقدَّم . وقال : فضحِك النبيُّ ﷺ . وقد رَوَياه - أعنى أبا داودَ والنسائيَّ - مِن حديثِ شُعبةَ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهَيلٍ ، عن الشعبيِّ ، عن أبى الخليلِ أو ابنِ الخليلِ ، عن عليٍّ[4] قولَه ، فأرسَله ولم يرفَعْه .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[5] أيضًا ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن [٣/٢٥٨ظ] سفيانَ الثوريِّ ، عن الأجْلحِ ، عن الشعبيِّ ، عن عبدِ خَيْرٍ ، عن زيدِ بنِ أرقمَ ، فذكَر نحوَ ما تقدَّم . وأخرَجه أبو داودَ ، والنسائيُّ جميعًا ، عن خُشَيْشِ[6] بنِ أصرمَ ، وابنُ ماجه ، عن إسحاقَ بنِ منصورٍ ، كلاهما عن عبدِ الرزاقِ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، عن صالحٍ الهَمْدانيِّ ، عن الشعبيِّ ، عن عبدِ خيرٍ ، عن زيدِ بنِ أرقمَ به[7] .

قال شيخُنا فى « الأطرافِ »[8] : لعلَّ عبدَ خيرٍ هذا هو عبدُ اللَّهِ بنُ الخليلِ ، ولكن لم يَضْبُطِ الراوى اسمَه . قلتُ : فعلى هذا يقوَى الحديثُ ، وإن كان غيرُه كان أجودَ لمتابعتِه له ، لكنَّ الأجْلحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الكِندىَّ فيه كلامٌ ما[9] ، وقد

---

(١) فى الأصل ، م : « رواية » .

(٢) هو عبد الله بن الخليل . ويقال : ابن أبى الخليل . ويقال : ابن الخليل بن أبي الخليل ، الحضرمى ، أبو الخليل الكوفى . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٥٧.

(٣) أبو داود (٢٢٦٩) ، والنسائى (٣٤٨٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٩٨٦) .

(٤) أبو داود (٢٢٧١) ، والنسائى (٣٤٩٢) .

(٥) المسند ٤/٣٧٣ .

(٦) فى الأصل : « حبيش » . وفى م ، ص : « حنش » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٥١.

(٧) أبو داود (٢٢٧٠) ، والنسائى (٣٤٨٨) ، وابن ماجه (٢٣٤٨) .

(٨) لم نجد كلام الحافظ المزى فى نسخة الأطراف التى بين أيدينا . انظر تحفة الأشراف ٣/١٩٦، ١٩٧.

(٩) انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢/ ٢٧٥- ٢٨٠.

ذهَب إلى القولِ بالقُرْعةِ فى الأنسابِ الإمامُ أحمدُ وهو مِن أفرادِه[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا أبو سعيدٍ ، ثنا إسرائيلُ ، ثنا سِماكٌ ، عن حَنَشٍ ، عن عليٍّ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ فانتَهَيْنا إلى قومٍ قد بنَوا زُبْيَةً[3] للأسدِ ، فبينَما هم كذلك يتدافَعون[4] إذ سَقَط رجلٌ فتعلَّق بآخرَ ، ثم تعلق رجلٌ[5] بآخَرَ ، حتى صاروا فيها أربعةً فجرَحهم الأسدُ ، فانْتَدَب له رجلٌ بحربةٍ فقتَله ، وماتوا مِن جراحتِهم كلُّهم ، فقام أولياءُ الأوَّلِ إلى أولياءِ الآخرِ فأخرَجوا السلاحَ ليَقْتَتِلوا ، فأتاهم عليٌّ على تَفِئَةِ[6] ذلك فقال : تُريدون أن تَقاتَلوا ورسولُ اللَّهِ ﷺ حيٌّ ؟! إنى أقضِى بينَكم قضاءً إن رضِيتُم فهو القضاءُ ، وإلا حَجَز[7] بعضُكم عن بعضٍ حتى تأتوا النبىَّ ﷺ ، فيكونَ هو الذى يَقضِى بينَكم ، فمَن عدا بعدَ ذلك فلا حقَّ له ، اجْمَعوا مِن قبائلِ الذين حضَروا[8] البئرَ ربُعَ الدِّيَةِ ، وثلُثَ الديةِ ، ونصفَ الديةِ ، والديةَ كاملةً ، فللأوَّلِ الربُعُ ؛ لأنه هلَك [9]مَن فَوقَه[9] ، وللثانى ثلُثُ الديةِ ، وللثالثِ نصفُ الديةِ ، [10]وللرابعِ الديةُ[10] . فأبَوا أن

---

(١) كذا فى النسخ . والمشهور عن الإمام أحمد أخذُه بحديث القافة . انظر معالم السنن ٣/ ٢٧٧. والمغنى ٨/ ٣٧١.

(٢) المسند ١/ ٧٧. (إسناده صحيح) .

(٣) الزبية : حَفِيْرة تُحفَر للأسد والصيد ، ويُغطَّى رأسها بما يسترها ليقع فيها . النهاية ٢/ ٢٩٥.

(٤) قال فى بلوغ الأمانى ١٦/ ٥٨: وقوله : للأسد . زاد فى رواية : « فتكابَّ الناس عليه » . أى ازدحموا . ولذلك قال : « فبينما هم كذلك يتدافعون » . أى يدفع بعضهم بعضًا من شدة الزحام . انتهى من بلوغ الأمانى . والرواية التى يشير إليها سيذكر المصنف طريقها عقب حديثنا هذا .

(٥) فى الأصل ، م : « آخر » .

(٦) فى الأصل : « تقفة » . وفى م : « تعبية » . وأتاهم على تفئة ذلك : أى على أثَرِه . انظر النهاية ١/ ١٩٢.

(٧) فى م : « أحجز » .

(٨) فى الأصل ، ٤١ ، ص : « حفروا » .

(٩ - ٩) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(١٠ - ١٠) زيادة من النسخ . وهى من الرواية الأخرى فى المسند التى سيشير إليها المصنف عقب حديثنا هذا .

يرضَوا ، فأتَوُا النبيَّ ﷺ وهو عندَ مَقامِ إبراهيمَ ، فقصُّوا عليه القصةَ ، فقال : « أنا أحكُمُ بينَكم » . فقال رجلٌ مِن القومِ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن عليًّا قضَى فينا[1] . فقصُّوا عليه القصةَ ، فأجازه رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثم رَواه الإمامُ أحمدُ[2] أيضًا ، عن وكيعٍ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن حَنَشٍ ، عن عليٍّ فذكَره .

---

(١) فى الأصل : « بيننا » . وفى م : « علينا » .

(٢) المسند ١/١٢٨ . (إسناده صحيح) .

كتابُ حَجَّةِ الوَداعِ فى سنةِ عشرٍ

ويقالُ لها : حَجةُ البَلاغِ ، وحَجةُ الإسلامِ . وحَجةُ الوداعِ ؛ لأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ودَّع [٣/ ٢٥٩و] الناسَ فيها ، ولم يحُجَّ بعدَها . وسُمِّيت حَجةَ الإسلامِ ؛ لأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يَحُجَّ مِن المدينةِ غيرَها ، ولكن حجَّ قبلَ الهجرةِ مراتٍ قبلَ النبوةِ وبعدَها . وقد قيل : إن فريضةَ الحجِّ نَزَلتْ عامَئذٍ . وقيل : سنةَ تسعٍ . وقيل : سنةَ ستٍّ . وقيل : قبلَ الهجرةِ . وهو غريبٌ جدًّا . وسمِّيت حَجةَ البلاغِ ؛ لأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بلَّغ الناسَ شرعَ اللَّهِ فى الحجِّ قولًا وفعلًا ، ولم يكنْ بَقِىَ مِن دعائمِ الإسلامِ وقواعدِه شىءٌ إلا وقد بيَّنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فلما بيَّنَ لهم شريعةَ الحجِّ ووضَّحه وشَرَحه أنزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، عليه وهو واقفٌ بعرفةَ[1] : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . وسيأتى إيضاحٌ لهذا كلِّه .

والمقصودُ ذكرُ حجَّتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كيف كانت ، فإنَّ النَّقَلَةَ اختلَفوا فيها اختلافًا كثيرًا جدًّا ، بحَسَبِ ما وصَل إلى كلٍّ منهم مِن العلمِ ، وتفاوَتوا فى ذلك تفاوتًا كثيرًا لاسيَّما مَن بعدَ الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، ونحن نُورِدُ بحمدِ اللَّهِ وعونِه وحسنِ توفيقِه ما ذكَره الأئمةُ فى كتبِهم مِن هذه الرواياتِ ، ونجمَعُ بينَها جمعًا يُثْلِجُ قلبَ مَن تأمَّله وأنعَم النظرَ فيه ، وجَمَع بينَ طَريقَتِي الحديثِ وفَهْمِ معانيه ، إن شاء اللَّهُ ، وباللَّهِ الثقةُ وعليه التُّكْلانُ . وقد

---

(١) التفسير ٣/ ٢٣- ٢٦ .

اعتَنى الناسُ بحَجةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ اعتناءً كثيرًا مِن قدماءِ الأئمةِ ومتأخِّريهم ، وقد صنَّف العلامةُ أبو محمدِ بنُ حزمٍ الأندلسيُّ ، رحِمه اللَّهُ ، مجلدًا فى حَجةِ الوداعِ أجاد فى أكثرِه ، ووقَع له فيه أوهامٌ ، سنُنبِّهُ عليها فى مواضعِها ، وباللَّهِ المُستعانُ .

بـــابُ
بيانِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يحُجَّ مِن المدينةِ إلا حَجةً واحدةً ، وأنه اعتَمر قبلَها ثلاثَ عُمَرٍ

كما رَواه البخاريُّ ومسلمٌ[(١)] ، عن هُدْبةَ ، عن هَمَّامٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : اعتَمر رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعَ عمرٍ ، كلُّهن فى ذى القَعدةِ إلا التى فى حَجتِه . الحديثَ . وقد رَواه يونسُ بنُ بُكيرٍ[(٢)] ، عن عمرَ بنِ ذرٍّ ، عن مجاهدٍ ، عن أبى هريرةَ مثلَه .

وقال سعيدُ[(٣)] بنُ منصورٍ ، عن الدَّراوَرْدىِّ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : اعتَمر رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ عمرٍ ؛ عمرةً فى شوالٍ ، وعمرتيْن فى ذى القَعدةِ . وكذا رَواه ابنُ بكيرٍ ، [(٤)]عن مالكٍ[(٤)] ، عن هشامِ بنِ عروةَ[(٥)] .

---

(١) البخارى (١٧٨٠) ، ومسلم (١٢٥٣/٢١٧) والسياق له .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤٥٦/٥ ، من طريق يونس بن بكير به . ولفظه : اعتمر رسول اللَّه ﷺ ثلاث عمر ، كلها فى ذى القعدة .

(٣) فى م : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ٧٧/١١ . وعزاه الحافظ ابن حجر فى الفتح ٦٠٠/٣ لسعيد بن منصور ، وقال : إسناده قوى .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أخرجه مالك فى الموطأ ٣٤٢/١ ، عن هشام بن عروة به ، مرسلًا .

وروَى الإمامُ أحمدُ[1] مِن حديثِ عمرِو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن [٣/ ٢٥٩ظ] جدِّه أن رسولَ اللَّهِ اعتَمر ثلاثَ عمرٍ، كلُّهن فى ذى القَعْدةِ.

وقال أحمدُ[2]: ثنا أبو النَّضْرِ، ثنا داودُ[3] - يعنى العَطَّارَ - عن عمرٍو، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: اعتَمر رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعَ عمرٍ؛ عمرةُ الحديبيةِ، [4]وعمرةُ القَضاءِ، والثالثةُ مِن الجِعْرانةِ، والرابعةُ التى مع حَجتِه. ورَواه أبو داودَ، والترمذىُّ، والنسائىُّ، مِن حديثِ داودَ العَطَّارِ، وحسَّنه الترمذىُّ[5].

وقد تقدَّم هذا الفصلُ عندَ عمرةِ الجِعْرانةِ، وسيأتى فى فصلِ مَن قال: إنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، حجَّ قارنًا. وباللَّهِ المستعانُ.

فالأُولى مِن هذه العُمَرِ عمرةُ الحديبيةِ[4] التى صُدَّ عنها، ثم بعدَها عمرةُ القَضاءِ - ويقالُ: عمرةُ القِصاصِ. ويقالُ: عمرةُ القضيةِ - ثم بعدَها عمرةُ الجِعْرانةِ مَرْجِعَه مِن الطائفِ حينَ قسَم غنائمَ حُنَينٍ، وقد قدَّمْنا ذلك كلَّه فى مواضعِه، والرابعةُ عمرتُه مع حَجتِه، وسنبيِّنُ اختلافَ الناسِ فى عمرتِه هذه مع الحَجةِ؛ هل كان متمتِّعًا بأن أوقَع العمرةَ قبلَ الحجةِ وحلَّ منها؟ أو منَعه مِن الإحلالِ منها سَوْقُه الهَدىَ؟ أو كان قارنًا لها مع الحجةِ؟ كما نذكُرُه مِن الأحاديثِ الدَّالةِ على ذلك، أو كان مُفرِدًا لها عن الحَجةِ بأن أوقَعها بعدَ قضاءِ

---

(١) المسند ٢/١٨٠. (إسناده صحيح).

(٢) المسند ١/٣٢١. (إسناده صحيح).

(٣) فى الأصل: «أبو داود». وانظر تهذيب الكمال ٨/٤١٣.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) أبو داود (١٩٩٣)، والترمذى (٨١٦). ولم يروه النسائى، إنما رواه ابن ماجه (٣٠٠٣)، وانظر تحفة الأشراف ٥/١٥٥، وجامع المسانيد ٣١/٥٣٧، ٥٣٨.

الحَجةِ ؟ وهذا هو الذى يقولُه مَن يقولُ بالإفرادِ كما هو المشهورُ عن الشافعىِّ ، وسيأتى بيانُ هذا عندَ ذكرِنا إحرامَه ﷺ كيف كان ، مُفرِدًا أو متمتِّعًا أو قارنًا .

قال البخارىُّ[1] : ثنا عمرُو بنُ خالدٍ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا أبو إسحاقَ ، حدَّثنى زيدُ بنُ أرقمَ أن النبىَّ ﷺ غزا تسعَ عشْرَةَ غزوةً ، وأنه حجَّ بعدَ ما هاجَر حَجةً واحدةً[2] . قال أبو إسحاقَ[3] : وبمكةَ أُخْرَى . وقد رَواه مسلمٌ مِن حَديثِ زهيرٍ[4] ، وأَخرَجاه مِن حديثِ شعبةَ[5] - زاد البخارىُّ[6] : وإسرائيلَ - ثلاثتُهم عن أبى إسحاقَ عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ السَّبيعىِّ ، عن زيدٍ . وهذا الذى قاله أبو إسحاقَ مِن أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، حجَّ بمكةَ حَجةً أخرى ؛ أى أراد أنه لم يقَعْ منه بمكةَ إلا حَجةٌ واحدةٌ ، كما هو ظاهرُ لفظِه ، فهو بعيدٌ ، فإنه عليه الصلاةُ والسلامُ كان بعدَ الرسالةِ يَحْضُرُ مواسمَ الحجِّ ، ويدعو الناسَ إلى اللَّهِ ويقولُ[7] : « مَن رجلٌ يُؤْوينى حتى أُبلِّغَ كلامَ ربى ؟ فإن قريشًا قد منَعونى أن أُبلِّغَ كلامَ ربِّى ، عزَّ وجلَّ » . حتى قَيَّض اللَّهُ له[8] جماعةَ الأنصارِ يلقَوْنه ليلةَ العَقَبةِ ، أى عشيَّةَ يومِ النحرِ عندَ جمرةِ العقبةِ ، ثلاثَ سنينَ متتالياتٍ ، حتى إذا كانوا آخرَ سنةٍ بايَعوه ليلةَ العقبةِ الثانيةِ ، وهى ثالثُ اجتماعِه لهم به ، ثم كانت بعدَها

---

(١) البخارى (٤٤٠٤) .

(٢) بعده فى البخارى : « لم يحج بعدها حجةَ الوداع » .

(٣) قال الحافظ فى الفتح ١٠٧/٨ : هو موصول بالإسناد المذكور .

(٤) مسلم (١٢٥٤) .

(٥) البخارى (٣٩٤٩) ، ومسلم باب عدد غزوات النبى ﷺ ، من كتاب الجهاد والسير (١٤٣/ ١٢٥٤) .

(٦) البخارى (٤٤٧١) ، وليس فى روايته ذكر للحج .

(٧) تقدم تخريجه ٣٦٢/٤ ، ٣٦٣ .

(٨) سقط من : م .

الهجرةُ إلى المدينةِ ، كما قدَّمنا ذلك مبسوطًا فى موضِعه . واللَّهُ أعلمُ .

وفى حديثِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٢٦٠و] بالمدينةِ تسعَ سنينَ لم يحُجَّ ، ثم أذَّن فى الناسِ بالحجِّ ، فاجتَمع بالمدينةِ بشرٌ كثيرٌ ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ أو لأربعٍ ، فلمَّا كان بذى الحُلَيفةِ صلَّى ، ثم استَوى على راحلتِه ، فلمَّا أخَذَت به فى البَيْداءِ لبَّى ، وأهْلَلْنا لا نَنْوِى إلا الحجَّ . وسيأتى الحديثُ بطولِه ، وهو فى « صحيحِ مسلمٍ » وهذا لفظُ البيهقىِّ[1] ، مِن طريقِ أحمدَ بنِ حَفْصٍ[2] ، عن إبراهيمَ بنِ طَهْمانَ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ به .

---

(١) دلائل النبوة ٥/٤٣٢ . وهو فى مسلم (١٤٧/١٢١٨) من حديث جابر الطويل .

(٢) فى النسخ : « حنبل » . والمثبت من الدلائل . وانظر تراجم أحمد بن حفص وأحمد بن حنبل وحفص بن عبد الله فى تهذيب الكمال ١/٢٩٤ ، ٤٣٧ ، ٧/١٨.

بابُ تاريخِ[1] خروجِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، مِن المدينةِ لَحجةِ الوداعِ بعدَ ما استَعْمَل عليها أبا دُجانةَ سِماكَ بنَ خَرَشةَ الساعدىَّ، ويقالُ: سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ الغِفارىَّ[2]

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا دخَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ ذو القَعْدةِ - مِن سنةِ عشرٍ - تجهَّز للحجِّ، وأمَر الناسَ بالجَهازِ له، فحدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ، عن أبيه القاسمِ بنِ محمدٍ، عن عائشةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالت: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحجِّ لخمسٍ ليالٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ. وهذا إسنادٌ جيدٌ.

وروَى الإمامُ مالكٌ فى «موطئِه»، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ، عن عَمْرةَ، عن عائشةَ[4]، ورَواه الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ، عن عَمْرةَ عنها[5]، وهو ثابتٌ فى «الصحيحيْن»، و«سننِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) بعده فى الأصل، ص: «حكاهما عبد الملك بن هشام». وبعده فى ا ٤: «ذكر ذلك ابن هشام». وهما قولا ابن هشام وليسا حكايته. انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الموطأ ١/ ٣٩٣.

(٥) المسند ٦/ ١٩٤.

النسائىّ » وابنِ ماجه ، و « مصنفِ ابنِ أبى شَيْبةَ » ، مِن طرقٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ ، عن عَمْرةَ ، عن عائشةَ[1] قالت : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ لا نُرَى إلا الحجَّ . الحديثَ بطولِه ، كما سيأتى .

وقال البخارىُّ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمىُّ ، ثنا فُضَيْلُ بنُ سليمانَ ، ثنا موسى بنُ عقبةَ ، أخبَرَنى كُرَيْبٌ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنهما ، قال : انطلَقَ النبىُّ ﷺ مِن المدينةِ بعدَ ما ترَجَّل وادَّهن ، ولبِس إزارَه ورِداءَه[3] ، ولم يَنْهَ عن شىءٍ مِن الأَرْديةِ ولا الأُزُرِ[4] إلا المُزَعْفَرةِ التى تَرْدَعُ على[5] الجلدِ ، فأصبَح بذى الحُلَيفةِ ، ركِب راحلتَه حتى استوَى على البَيْداءِ[6] ، وذلك لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ ، فقدِم مكةَ [7]لأربعِ ليالٍ خلَوْن[7] مِن ذى الحِجةِ . تفرَّد به البخارىُّ . فقولُه : وذلك لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ . إن أراد به صَبيحةَ يومِه بذى الحُلَيفةِ ، صحَّ قولُ ابنِ حزمٍ[8] فى دعواه أنه ﷺ خرَج مِن المدينةِ يومَ الخميسِ ، وبات بذى الحُلَيفةِ ليلةَ الجُمُعةِ ، وأصبَح بها [٣/ ٢٦٠ظ] يومَ الجُمُعةِ ،

---

(١) البخارى (١٧٠٩، ١٧٢٠، ٢٩٥٢) ، ومسلم (١٢٥/١٢١١) ، والنسائى (٢٨٠٣) ، وابن ماجه (٢٩٨١) . وليس فى مصنف ابن أبى شيبة ، وإنما أخرجه ابن ماجه - فى الموضع المذكور - عن ابن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن يحيى به .

(٢) البخارى (١٥٤٥) .

(٣) بعده فى البخارى : « هو وأصحابه » .

(٤) بعده فى البخارى : « تلبس » .

(٥) سقط من : م . وتردع على الجلد : تلطخ . يقال : ردع . إذا التطخ . والردع أثر الطيب . وردع به الطيب ؛ إذا لزق بجلده . انظر فتح البارى ٣/ ٤٠٦.

(٦) بعده فى البخارى : « أهلّ هو وأصحابه ، وقلّد بدنته » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، م : « لخمس خلون » وفى ٤١ : « ليال خلون » . وفى ص : « لخمس ليال بقين » . والمثبت من البخارى .

(٨) حجة الوداع لابن حزم ص ٣٧، ٣٩.

وهو اليومُ الخامسُ والعشرون مِن ذى القَعْدةِ . وإن أراد ابنُ عباسٍ بقولِه : وذلك لخمسٍ بَقِين[1] مِن ذى القَعْدةِ[2] . يومَ انطلاقِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن المدينةِ بعدَ ما ترَجَّل وادَّهن ولبِس إزارَه ورِداءَه - كما قالت عائشةُ وجابرٌ : إنهم خرَجوا مِن المدينةِ لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ - بَعُد قولُ ابنِ حزمٍ وتعذَّر المصيرُ إليه ، وتعيَّن القولُ بغيرِه ، ولم يَنْطبِقْ ذلك إلا على يومِ الجُمُعةِ ، إن كان شهرُ ذى القَعْدةِ كاملًا .

ولا يجوزُ أن يكونَ خروجُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن المدينةِ كان يومَ الجمعةِ ؛ لِما رواه البخاريُّ[3] ، حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا أيوبُ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن معه بالمدينةِ الظهرَ أربعًا ، والعصرَ بذى الحُلَيفةِ ركعتيْن ، ثم بات بها حتى أصبَح ، ثم ركِب ، حتى استَوت به راحلتُه على البَيْداءِ ، حمِد اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، وسبَّح وكبَّر[4] ، ثم أهلَّ بحَجٍّ وعمرةٍ .

وقد رَواه مسلمٌ والنسائىُّ جميعًا[5] عن قُتيبةَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ بالمدينةِ أربعًا ، والعصرَ بذى الحُلَيفةِ ركعتيْن .

وقال أحمدُ[6] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن سفيانَ ، عن محمدٍ - يعنى ابنَ

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى ص : « الحجة » .
(٣) البخارى (١٥٥١) .
(٤) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .
(٥) مسلم (١٠/٦٩٠) ، والنسائى (٤٧٦) .
(٦) المسند ٣/١٧٧ .

المُنْكَدِرِ - وإبراهيمَ بنِ مَيْسرةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ بالمدينةِ أربعًا ، والعصرَ بذى الحُلَيفةِ ركعتيْن . ورَواه البخاريُّ ، عن أبى نُعيمٍ ، عن سفيانَ الثوريِّ به[1] . وأخرَجه مسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنسائيُّ ، مِن حديثِ سفيانَ ابنِ عُيينةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ[2] وإبراهيمَ بنِ مَيْسرةَ ، عن أنسٍ به[3] .

وقال أحمدُ[4] : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ[5] ، ثنا ابنُ جُرَيجٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ[2] ، عن أنسٍ قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ الظهرَ بالمدينةِ أربعًا ، والعصرَ بذى الحُلَيفةِ ركعتيْن ، ثم بات بذى الحُلَيفةِ حتى أصبَح ، فلمَّا ركِب راحلتَه واستَوت به أهلَّ .

وقال أحمدُ[6] : ثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ المنكدرِ[2] التَّيْمىُّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ قال : صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ الظهرَ فى مسجدِه بالمدينةِ أربعَ رَكَعاتٍ ، ثم صلَّى بنا العصرَ بذى الحُلَيفةِ ركعتيْن آمِنًا لا يَخافُ ، فى حَجةِ الوداعِ . تفرَّد به أحمدُ مِن هذين الوجهيْن الآخريْن وهما على شرطِ الصحيحِ ، وهذا يَنفى كونَ خروجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، يومَ الجُمُعةِ قطعًا ، ولا يجوزُ على هذا أن يكونَ خروجُه يومَ الخميسِ كما قال [٣/ ٢٦١و] ابنُ حزمٍ ؛ لأنه كان يومَ الرابعِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ؛

---

(١) البخارى (١٠٨٩) .

(٢) فى م : «المنذر» . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٣.

(٣) مسلم (١١/ ٦٩٠) ، وأبو داود (١٢٠٢) ، والنسائى (٤٦٨) .

(٤) المسند ٣/ ٣٧٨ .

(٥) سقط من : ٤١ . وفى م ، ص : «بكير» . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٣٠.

(٦) المسند ٣/ ٢٣٧ .

لأنه لا خلافَ أن أولَ ذى الحِجةِ كان يومَ الخميسِ ؛ لِما ثبَت بالتواترِ والإجماعِ مِن أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وقَف بعرفةَ يومَ الجُمُعةِ ، وهو تاسعُ ذى الحِجةِ بلا نزاعٍ ، فلو كان خروجُه يومَ الخميسِ الرابعَ والعشرين مِن ذى القعدةِ ، لبقِىَ فى الشهرِ ستُّ ليالٍ قطعًا ؛ ليلةُ الجمعةِ ، والسبتِ ، والأحدِ ، والاثنينِ ، والثلاثاءِ ، والأربعاءِ ، فهذه ستُّ ليالٍ .

وقد قال ابنُ عباسٍ ، وعائشةُ ، وجابرٌ : إنه خرَج لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ . وتعذَّر أنه يومُ الجمعةِ ؛ لحديثِ أنسٍ ، فتعيَّن على هذا أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، خرَج مِن المدينةِ يومَ السبتِ ، وظنَّ الراوى أن الشهرَ يكونُ تامًّا ، فاتَّفَق فى تلك السنةِ نقصانُه ، فانسلَخ يومَ الأربعاءِ ، واستَهلَّ شهرُ ذى الحِجةِ ليلةَ الخميسِ ، ويؤيِّدُه ما وقَع فى روايةِ جابرٍ : لخمسٍ بقِين أو أربعٍ . وهذا التقريرُ على هذا التقديرِ لا مَحِيدَ عنه ، ولابدَّ منه . واللَّهُ أعلمُ .

بابُ صفةِ خروجِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، مِن المدينةِ إلى مكةَ للحَجّ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ، ثنا أنسُ بنُ عِياضٍ، عن عُبيدِ اللَّهِ - هو ابنُ عمرَ - عن نافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يخرُجُ مِن طريقِ الشجرةِ، ويدخُلُ مِن طريقِ المُعَرَّسِ[2] ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا خرَج إلى مكةَ يصلِّى فى مسجدِ الشجرةِ، وإذا رجَع صلَّى بذى الحُلَيفةِ ببطنِ الوادى، وبات حتى يصبحَ. تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ.

وقال [3]الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ: وجَدْتُ فى كتابى، عن عمرِو بنِ مالكٍ، عن يزيدَ بنِ زُرَيْعٍ، عن هشامٍ، عن[3] [4]عَزْرَةَ بنِ[4] ثابتٍ، عن ثُمامةَ، عنِ أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ حجَّ على رَحْلٍ رَثٍّ، وتحتَه قَطيفةٌ، وقال: «حَجَّةٌ لا رياءَ فيها ولا سُمْعةَ».

وقد علَّقه البخاريُّ فى «صحيحِه»[5] فقال: وقال: محمدُ بنُ أبى بكرٍ

---

(١) البخارى (١٥٣٣).

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٣/ ٣٩١: كل من الشجرة والمعرس على ستة أميال من المدينة، لكن المعرس أقرب.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤ - ٤) فى الأصل: «ابن». وفى ا٤، ص: «عروة بن». وفى م: «عروة عن». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٩، ٣٢/ ١٢٤، ١٢٥.

(٥) البخارى (١٥١٧) موصولًا فى رواية أبى ذر وأبى الوقت، ومعلقًا - كما قال المصنف - فى رواية غيرهما. وانظر البخارى طبعة الشعب ٢/ ١٦٣، ١٦٤، وفتح البارى ٣/ ٣٨١. وتغليق التعليق ٣/ ٤٤، ٤٥.

المُقَدَّمىُّ : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن [1]عَزْرَةَ بنِ[1] ثابتٍ ، عن ثُمامةَ قال : حجَّ أنسٌ على رَحْلٍ رَثٍّ[2] ، ولم يكُنْ شَحيحًا[3] . وحدَّث أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حجَّ على رَحْلٍ وكانت زامِلتَه[4] . هكذا ذكَره البزَّارُ والبخاريُّ معلَّقًا ، مقطوعَ الإسنادِ مِن أولِه .

وقد أسنَده الحافظُ البيهقيُّ فى « سننِه »[5] فقال : أنبأَنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ المُقْرِئُ ، أنبأَنا الحسنُ[6] بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، ثنا [7]يوسفُ بنُ يعقوبَ[7] القاضى ، ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، فذكَره .

وقد رَواه الحافظُ أبو يَعْلى الموصلىُّ[8] فى « مسندِه » مِن وجهٍ آخرَ ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ ، فقال : حدَّثنا علىُّ بنُ الجَعْدِ ، أنبأَنا الربيعُ بنُ صَبِيحٍ ، عن يزيدَ الرَّقَاشىِّ ، عن أنسٍ قال : حجَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على رَحْلٍ رَثٍّ ، [٣/ ٢٦١ظ] وقَطيفةٍ تُساوى - أو لا تُساوى - أربعةَ دراهمَ ، فقال : « اللهمَّ حَجةً لا رياءَ فيها »[9] .

(١ - ١) فى الأصل ، ٤١ : « عروة بن » . وفى م ، ص : « عروة عن » . والمثبت من البخارى .

(٢) زيادة من النسخ ليست فى البخارى فلعلها فى رواية البزار .

(٣) ولم يكن شحيحًا : إشارة إلى أنه فعل ذلك تواضعًا واتباعًا ، لا عن قلة وبخل . فتح البارى ٣/ ٣٨١ .

(٤) الزاملة : البعير الذى يُحمل عليه الطعام والمتاع ، من الزَّمْل وهو الحَمْل ، والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه ، بل كان ذلك محمولًا معه على راحلته ، وكانت هى الراحلة والزاملة . فتح البارى ٣/ ٣٨١.

(٥) السنن الكبرى ٤/ ٣٣٢ .

(٦) فى م : « أبو الحسن على » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٣٥، ٥٣٦، ١٦/ ٥٠.

(٧- ٧) فى الأصل : « يعقوب بن يوسف » . وفي ص : « يعقوب بن يعقوب » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٨٥.

(٨) لم نقف عليه فى مسند أبى يعلى ، وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٤٤، من طريق أبى يعلى به .

(٩) بعده فى الدلائل : « ولا سمعة » .

وقد رَواه الترمذيُّ فى «الشمائلِ» مِن حديثِ أبى داودَ الطيالسيِّ[1]، وسفيانَ الثوريِّ، وابنُ ماجه مِن حديثِ وكيعِ بنِ الجَرَّاحِ، ثلاثتُهم عن الربيعِ بنِ صَبِيحٍ به[2]. وهو إسنادٌ ضعيفٌ مِن جهةِ يزيدَ بنِ أبانٍ الرَّقاشيِّ، فإنه غيرُ مقبولِ الروايةِ عندَ الأئمةِ[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا هاشمٌ، ثنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ، عن أبيه قال: صدَرْتُ مع ابنِ عمرَ[5]، فمرَّت بنا رُفْقةٌ يَمانيَةٌ، ورِحالُهم الأُدُمُ وخُطُمُ إبلِهم الجُرُرُ[6]، فقال عبدُ اللَّهِ: مَن أحبَّ أن ينظرَ إلى أشبهِ رُفْقةٍ وردَت العامَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه إذْ قدِموا فى حَجةِ الوداعِ، فلْينظُرْ إلى هذه الرُّفْقةِ. ورَواه أبو داودَ، عن هَنَّادٍ، عن وكيعٍ، عن إسحاقَ بنِ[7] [8]سعيدِ بنِ عمرِو بنِ[8] سعيدِ بنِ

---

(١) فى الأصل: «الطنافسى».

(٢) شمائل الترمذى (٣١٩). وعنده: عن أبى داود الجفرى لا الطيالسى، عن سفيان لا عن أبى داود وسفيان معًا، عن الربيع به. ولعل أبا داود هذا هو الحفرى - بالحاء لا الجيم - ففى ترجمته فى تهذيب الكمال ٢١/ ٣٦٠- ٣٦٤ أنه روى عن الثورى - لا عن الربيع - وأنه روى عنه محمود بن غيلان، ومحمود هذا هو الراوى عنه كما فى الشمائل. أمّا الطيالسى؛ ففى ترجمته فى تهذيب الكمال ١١/ ٤٠١- ٤٠٨ أنه روى عن الثورى وعن ربيع، وروى عنه محمود بن غيلان. فاللَّه تعالى أعلم.
والحديث عند ابن ماجه من طريق وكيع عن الربيع به (٢٨٩٠). وقد صححه الشيخ الألبانى بمجموع طرقه. انظر السلسلة الصحيحة (٢٦١٧).

(٣) انظر ترجمة يزيد فى تهذيب الكمال ٣٢/ ٦٤- ٧٧.

(٤) المسند ٢/ ١٢٠. (إسناده صحيح).

(٥) بعده فى المسند: «يومَ الصَّدَر». ويوم الصدر: يوم الصدور من مكة بعد قضاء النسك. شرح المسند للشيخ أحمد شاكر ٨/ ٢٠١.

(٦) فى الأصل، م: «الخرز». والجرر؛ جمع جرير، وهو الحبل والزمام للبعير والفرس ونحوهما، وهذا جمع قياسى لم يُذكر فى المعاجم، إذ إنهم كثيرا ما يذكرون الجموع السماعية حفظا لها، ويَدَعُون الجمع القياسى لأنه لا يحتاج إلى نصٍّ، وقد يخطئ فى هذا كثير من المتشددين من أهل عصرنا، يُنكرون كل شىء لم يجدوه فى المعاجم، وينسون أن القياسى من أنواع الاشتقاق لا يحتاج إلى نصٍّ بعينه. قاله الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٨/ ٢٠١.

(٧) فى م، ص: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٢٨.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل.

العاصِ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ ، فذكره[1] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو طاهرٍ الفقيهُ ، وأبو زكريا بنُ أبى إسحاقَ ، وأبو بكرِ بنُ الحسنِ ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو قالوا : ثنا أبو العباسِ - هو الأصمُّ - أنبأَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ[3] الحكمِ ، أنبأَنا سعيدُ بنُ بَشِيرٍ القرشيُّ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ حكيمٍ الكِنانيُّ - رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ مِن مَواليهم - عن بشرِ بنِ قُدامةَ الضِّبابيِّ قال : أبصَرَتْ عيناىَ حِبِّى رسولَ اللَّهِ ﷺ واقفًا بعرفاتٍ مع الناسِ ، على ناقةٍ له حمراءَ قَصْواءَ[4] ، تحتَه قطيفةٌ بَوْلَانيَّةٌ[5] وهو يقولُ : « اللهمَّ اجعَلْها حَجةً غيرَ رِئاءٍ ولا هَباءٍ[6] ولا سُمْعةٍ » . والناسُ يقولون : هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، ثنا ابنُ إسحاقَ ، عن يحيى بنِ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه ، أن أسماءَ بنتَ أبى بكرٍ قالت : خرَجْنا مع النبىِّ ﷺ حُجَّاجًا ، حتى [8]إذا كنا[8] بالعَرْجِ ، نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فجلَسَتْ عائشةُ إلى جنبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجلَسْتُ إلى جنبِ أبى ، وكانت

---

(١) سقط من : م ، ص . والحديث أخرجه أبو داود (٤١٤٤) . صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٣٤٩١) .

(٢) السنن الكبرى ٣٣٢/٤ ، ٣٣٣ .

(٣) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٤٩٧/٢٥ .

(٤) القصواء : الناقة التى قُطع طرَف أذنها ، ولم تكن ناقة النبى ﷺ قصواء وإنما كان هذا لقبًا لها ، وقيل : كانت مقطوعة الأذن . انظر النهاية ٤/ ٧٥.

(٥) بولانية : منسوبة إلى بَوْلان ، وهو اسم موضع كان يسرق فيه الأعرابُ متاع الحاجِّ . انظر النهاية ١/ ١٦٣.

(٦) فى م : « منا » .

(٧) المسند ٣٤٤/٦ .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « أدركنا » .

زِمالةُ[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ وزِمالةُ أبى بكرٍ واحدةً مع غلامِ أبى بكرٍ ، فجلَس أبو بكرٍ ينتظرُ أن يطلُعَ عليه ، فطلَع[2] وليس معه بعيرُه ، فقال : أين بعيرُك ؟ فقال : أضلَلْتُه البارحةَ . فقال أبو بكرٍ : بعيرٌ واحدٌ تُضِلُّه ! فطفِق يضربُه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يتبسَّمُ ويقولُ : « انظُروا إلى هذا المُحْرِمِ وما يصنَعُ » . وكذا رَواه أبو داودَ ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، ومحمدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى رِزْمةَ . وأخْرَجه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، ثلاثتُهم عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدريسَ به[3] .

فأمَّا الحديثُ [٣/ ٢٦٢و] الذى رَواه أبو بكرٍ البزارُ فى « مسندِه » قائلًا : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ حفصٍ ، ثنا يحيى بنُ يَمانٍ ، ثنا حمزةُ الزَّيّاتُ ، عن حُمْرانَ بنِ أعْيَنَ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن أبى سعيدٍ قال : حجَّ النبىُّ ﷺ وأصحابُه مُشاةً مِن المدينةِ إلى مكةَ ، قد ربَطوا أوساطَهم ، ومشيُهم خِلْطُ[4] الهَرْوَلَةِ . فإنه حديثٌ منكرٌ ضعيفُ الإسنادِ ، وحمزةُ بنُ حَبيبٍ الزَّيَّاتُ ضعيفٌ ، وشيخُه متروكُ الحديثِ . وقد قال البزارُ : لا يُرْوَى إلا مِن هذا الوجهِ ، وإن كان إسنادُه حسنًا عندَنا ، ومعناه أنهم كانوا فى عمرةٍ إن ثبَت الحديثُ ؛ لأنه ، عليه الصلاة والسلام ، إنما حجَّ حَجةً واحدةً وكان راكبًا وبعضُ أصحابِه مُشاةً .

قلتُ : ولم يعتَمِرِ النبىُّ ﷺ فى شىءٍ مِن عُمَرِه ماشيًا ؛ لا فى الحديبيةِ ، ولا فى القَضاءِ ، ولا الجِعْرانةِ ، ولا فى حَجةِ الوداعِ ، وأحوالُه ، عليه الصلاةُ

---

(١) الزمالة : يعنى مركوبهما وأداتهما وما كان معهما فى السفر . انظر النهاية ٢/ ٣١٣.

(٢) بعده فى م : « عليه » .

(٣) أبو داود (١٨١٨) ، وابن ماجه (٢٩٣٣) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٦٠٢) .

(٤) الخلط : ما خالط الشىء . الوسيط (خ ل ط) .

والسلامُ ، أشهرُ وأعرفُ مِن أن تَخْفَى على الناسِ ، بل هذا الحديثُ منكرٌ شاذٌّ لا يثبُتُ مثلُه . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

تقدَّم أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، صلَّى الظهرَ بالمدينةِ أربعًا ، ثم ركِب منها إلى الحُلَيفةِ ، وهى وادى العَقِيقِ ، فصلَّى بها العصرَ ركعتيْن ، فدلَّ على أنه جاء الحُلَيفةَ نهارًا فى وقتِ العصرِ ، فصلَّى بها العصرَ قَصْرًا ، وهى مِن المدينةِ على ثلاثةِ أميالٍ ، ثم صلَّى بها المغربَ والعشاءَ ، وبات بها حتى أصبَح ، فصلَّى بأصحابِه ، وأخبَرَهم أنه جاءه الوحىُ مِن الليلِ بما يعتَمدُه فى الإحرامِ .

كما قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا زُهيرٌ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنه أُتِىَ وهو فى المُعَرَّسِ مِن ذى الحُلَيفةِ ، فقيل له : إنك ببَطْحاءَ مباركةٍ . وأخرَجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ موسى بنِ عقبةَ به[3] .

وقال البخارىُّ[4] : حدَّثنا الحُمَيْدىُّ ، ثنا الوليدُ وبشرُ بنُ بكرٍ قالا : ثنا الأوزاعىُّ ، ثنا يحيى ، حدَّثنى عكرمةُ ، أنه سمِع ابنَ عباسٍ ، أنه سمِع[5] عمرَ

---

(١) المسند ٢/٩٠ . (إسناده صحيح) .

(٢) سقط من النسخ . وما فى النسخ موافق للفظ بعض روايات البخارى ومسلم . انظر تحفة الأشراف ٥/٤١٣ .

(٣) البخارى (١٥٣٥، ٢٣٣٦، ٧٣٤٥) ، ومسلم (١٣٤٦) .

(٤) البخارى (١٥٣٤) .

(٥) بعده فى م ، ص : « ابن » .

يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بوادى العَقِيقِ يقولُ : « أتانى الليلةَ آتٍ مِن ربى ، فقال : صلِّ فى هذا الوادى المباركِ وقلْ : عمرةٌ فى حَجةٍ » . تفرَّد به دونَ مسلمٍ . فالظَّاهرُ أن أمْرَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بالصلاةِ فى وادى العَقِيقِ هو أمرٌ بالإقامةِ به إلى أن يصلِّىَ صلاةَ الظهرِ ؛ لأن الأمرَ إنما جاءه فى الليلِ ، وأخبَرَهم بعدَ صلاةِ الصبحِ ، فلم يبقَ إلا صلاةُ الظهرِ ، فأُمِر أن يصلِّيَها هنالك ، وأن يُوقِعَ الإحرامَ بعدَها ، ولهذا [٣/ ٢٦٢ظ] قال : « أتانى الليلةَ آتٍ مِن ربى ، عزَّ وجلَّ ، فقال : صلِّ فى هذا الوادى المباركِ وقل : عمرةٌ فى حَجةٍ » . وقد احْتُجَّ به على الأمرِ بالقِرانِ فى الحجِّ ، وهو من أقوى الأدلةِ على ذلك ، كما سيأتى بيانُه قريبًا .

والمقصودُ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أُمِر بالإقامةِ بوادى العَقِيقِ إلى صلاةِ الظهرِ ، وقد امتثل صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ذلك ، فأقام هنالك ، وطاف على نسائِه فى تلك الصَّبيحةِ ، وكنَّ تسعَ نسوةٍ ، وكلُّهن خرَج معه ولم يزَلْ هنالك حتى صلَّى الظهرَ . كما سيأتى فى حديثِ أبى حسانَ الأعْرجِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ بذى الحُلَيفةِ ، ثم أشْعَر بدَنَتَه[1] ثم ركِب فأهلَّ . وهو عندَ مسلمٍ[2] .

وهكذا قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا رَوْحٌ ، ثنا أشعثُ - هو ابنُ عبدِ الملكِ - عن الحسنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ ثم ركِب

---

(١) أشعر بدنته : أى شَقَّ أحد جَنْبَيْ سنامها حتى سال دمها . ويُجعل ذلك لها علامة تُعرف بها أنها هَدْى . انظر النهاية ٢/ ٤٧٩.

(٢) مسلم (١٢٤٣).

(٣) المسند ٣/٢٠٧ .

راحلتَه ، فلمَّا علا شَرَفَ[1] البَيْداءِ أهلَّ .

ورَواه أبو[2] داودَ ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، والنسائيُّ ، عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ ، عن النضرِ بنِ شُمَيْلٍ ، عن أشعثَ ، بمعناه[3] ، وعن أحمدَ بنِ الأزْهرِ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصاريِّ ، عن أشعثَ أتمَّ منه[4] . وهذا فيه ردٌّ على ابنِ حزمٍ حيث زعَم أن ذلك فى صدرِ النهارِ[5] .

وله أن يَعْتَضِدَ بما رَواه البخاريُّ[6] مِن طريقِ أيوبَ ، عن رجلٍ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بات بذى الحُلَيفةِ حتى أصبَح ، فصلَّى الصبحَ ثم ركِب راحلتَه حتى إذا استَوت به البَيْداءَ أهلَّ بعمرةٍ وحجٍّ . ولكن فى إسنادِه رجلٌ مبهمٌ ، والظاهرُ أنه أبو قِلابةَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند : « جبل » . والبيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة أمام ذى الحليفة ، تُعَدُّ من الشَّرَف . والشرف : الموضع العالى يُشرِف على ما حوله . انظر معجم البلدان ١/ ٧٨٢. والوسيط (ش ر ف) .

(٢) سقط من : الأصل . والحديث عند أبى داود (١٧٧٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥٥٩) .

(٣) النسائى (١٦٦٢، ٢٧٥٤) .

(٤) النسائى (٢٩٣١) .

(٥) حجة الوداع لابن حزم ص ١٨ .

(٦) البخارى (١٧١٥) . قال الحافظ فى الفتح ٣/ ٥٥٤، ٥٥٥: قوله فى الطريق الثانية : « وعن أيوب عن رجل عن أنس » المراد به بيان اختلاف إسماعيل بن علية ووهيب - راويى الحديث (١٧١٤، ١٧١٥) - على أيوب فيه ؛ فساقه وهيب عنه بإسناد واحد ، وفصل إسماعيل بعضه فقال : « عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس » ، وقال فى بعضه : « عن أيوب عن رجل عن أنس » . قال الداودى : لو كان كله عند أيوب عن أبى قلابة ما أبهمه . وقال ابن التين : يحتمل أن يكون إسماعيل شك فيه أو نسيه ، ووهيب ثقة فقد جزم بأن جميع الحديث عنه . انتهى كلام الحافظ ونَقْلُه ، ويؤيده ما سيذكره المصنف هنا - فى آخر عبارته - من أن الظاهر أنَّ هذا المبهم هو أبو قلابة ، وكذا يؤيده وروده بهذا اللفظ - بات حتى أصبح - عند البخارى من طريق عبد الوهاب عن أيوب عن أبى قلابة (١٥٤٧) ، والله أعلم .

قال مسلمٌ فى « صحيحِه »[1] : حدَّثنا يحيى بنُ حَبِيبٍ الحارثىُّ ، ثنا خالدٌ - يعنى ابنَ الحارثِ - ثنا شعبةُ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ المُنْتَشِرِ قال[2] : سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، أنها قالت : كنتُ أُطَيِّبُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ثم يطُوفُ على نسائِه ، ثم يُصْبِحُ محرِمًا يَنْضَحُ[3] طِيبًا .

وقد رَواه البخارىُّ مِن حديثِ شعبةَ ، وأخرَجاه مِن حديثِ أبى عَوانةَ - زاد مسلمٌ : ومِسْعَرٍ وسفيانَ بنِ سعيدٍ الثورىِّ - أربعتُهم عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ المُنْتَشِرِ به[4] . وفى روايةٍ لمسلمٍ[5] ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ المُنْتَشِرِ ، عن أبيه قال : سألْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ عن الرجلِ يتَطَيَّبُ ثم يُصْبِحُ محرمًا . قال : ما أُحِبُّ أنى أُصْبِحُ محرمًا أنْضَحُ[6] طِيبًا ، لَأن أَطَّلِىَ بقَطِرانٍ[7] أحبُّ إلىَّ مِن أن أفعلَ ذلك[8] . فقالت عائشةُ : أنا طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عندَ إحرامِه ، ثم طاف فى

---

(١) مسلم (١١٩٢/٤٨) .

(٢) زيادة من مسلم .

(٣) كذا فى النسخ . وفى مسلم : « ينضخ » . قال الإمام النووى فى شرح مسلم ٨/ ١٠٣ : ينضخ طيبا . أى يفور منه الطيب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عينان نضاختان ﴾ . هذا هو المشهور أنه بالخاء المعجمة ، ولم يذكر القاضى غيره ، وضبطه بعضهم بالحاء المهملة ، وهما متقاربان فى المعنى ؛ قال القاضى : قيل : النضخ بالمعجمة أقلّ من النضح بالمهملة ، وقيل عكسه ، وهو أشهر وأكثر .

(٤) البخارى من حديث شعبة (٢٦٧) ، ومن حديث أبى عوانة (٢٧٠) . ومسلم من حديث أبى عوانة ومسعر وسفيان (٤٧، ٤٩/ ١١٩٢) .

(٥) مسلم (١١٩٢/٤٧) .

(٦) فى مسلم : « أنضخ » .

(٧) فى م : « القطران » . وفى ص : « بالقطران » .

(٨) بعده فى مسلم : « فدخلت على عائشة ، رضى اللَّه عنها ، فأخبرتها أن ابن عمر قال : ما أحب أن أصبح محرمًا أنضخ طيبًا ، لأن أطلى بقطران أحب إلىّ من أن أفعل ذلك » .

نسائِه ثم أصبَح محرمًا . [٣/٢٦٣و] (١) وهذا اللفظُ الذى رَواه مسلمٌ يقتَضِى أنه كان صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يتطيَّبُ قبلَ أن يطوفَ على نسائِه (١) ، (٢) وكأنَّه ﷺ تطيَّب قبلَ أن يطوفَ على نسائِه (٢) ؛ ليكونَ ذلك أطيبَ لنفسِه وأحبَّ إليهنَّ ، ثم لمَّا اغتَسَل مِن الجنابةِ وللإحرامِ تطيَّب أيضًا للإحرامِ طِيبًا آخرَ .

كما رَواه الترمذىُّ والبيهقىُّ (٣) مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن خارجةَ بنِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن أبيه (٤) ، أنه رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ تجرَّد لإهلالِه واغتَسل . وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ (٥) : حدَّثنا زكريا بنُ عدىٍّ ، أنبأَنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أراد أن يُحْرِمَ غسَل رأسَه بخَطْمىٍّ وأُشنانٍ (٦) ، ودهَنه بشىءٍ مِن زيتٍ غيرِ كثيرٍ . الحديثَ ، تفرَّد به أحمدُ .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ (٧) ، رحِمه اللَّهُ ، أنبأَنا سفيانُ بنُ عُيينةَ ، عن عثمانَ بنِ عروةَ ، سمِعْتُ أبى يقولُ : سمِعْتُ عائشةَ تقولُ : طيَّبْتُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « النسائى » . ولم يعزه الحافظ المزى فى التحفة إلى غير الترمذى . انظر تحفة الأشراف ٣/ ٢١٣ .

(٤) الترمذى (٨٣٠) . والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/٣٢، ٣٣. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٦٤) .

(٥) المسند ٦/ ٧٨.

(٦) الخطمى : نبات كثير النفع ، يُدق ورقه يابسًا ويُجعل غِسْلًا للرأس فينقِّيه . والأُشنان : شجر ينبت فى الأرض الرملية ، يستعمل هو أو رماده فى الغَسْل . انظر الوسيط (خ ط م) ، (أ ش ن) .

(٧) ترتيب مسند الشافعى (٧٧٣) .

رسولَ اللَّهِ ﷺ لحُرْمِه ولحِلِّه . قلتُ لها : بأىِّ طِيبٍ ؟ قالت : بأطيبِ الطِّيبِ . وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيينةَ[1] ، وأخرَجه البخارىُّ مِن حديثِ وُهيبٍ[2] ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أخيه عثمانَ ، عن أبيه عروةَ ، عن عائشةَ به[3] .

[4]وقال البخارىُّ[5] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، أنبأَنا مالكٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كنتُ أُطَيِّبُ رسولَ اللَّهِ ﷺ لإحرامِه حينَ يُحْرِمُ ، ولحِلِّه قبلَ أن يطوفَ بالبيتِ .

وقال مسلمٌ[6] : حدَّثنا [7]عبدُ بنُ[7] حُمَيْدٍ ، أنبأَنا محمدُ بنُ بكرٍ[8] ، أنبأَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرَنى عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عروةَ أنه سمِع عروةَ والقاسمَ يُخْبِرانِه ، عن عائشةَ قالت : طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بيدىَّ بذَرِيرةٍ[9] فى حَجةِ الوداعِ للحِلِّ والإحْرامِ .

ورَوَى مسلمٌ[10] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ[4] ،

---

(١) مسلم (١١٨٩/٣٦) .
(٢) فى م : « وهب » .
(٣) البخارى (٥٩٢٨) .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) البخارى (١٥٣٩) .
(٦) مسلم (١١٨٩/٣٥) .
(٧ - ٧) فى الأصل : « عبد الرحمن » .
(٨) سقط من : ٤١ . وفى م : « أبى بكر » .
(٩) الذريرة : ما انتُحِت من قَصَب الطِّيب ، وهو قصب يجاء به من الهند . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٠٠، وتاج العروس (ذ ر ر) .
(١٠) مسلم (١١٨٩/٣١) .

(١ عن عائشةَ قالت : طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ (٢ بيدىَّ هاتين ٢) لحُرْمِه حينَ أحرَم ، ولحِلِّه قبلَ أن يَطوفَ بالبيتِ ١) .

وقال مسلمٌ (٣) : حدَّثنى أحمدُ بنُ مَنِيعٍ ، ويعقوبُ الدَّوْرَقىُّ ، قالا : ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأَنا منصورٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كنتُ أُطيِّبُ النبىَّ ﷺ قبلَ أن يُحْرِمَ (٤) ، ويومَ النحرِ قبلَ أن يَطوفَ بالبيتِ ، بطِيبٍ فيه مِسْكٌ .

وقال مسلمٌ (٥) : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، وزهيرُ [٣/٢٦٣ظ] بنُ حربٍ ، قالا : ثنا وَكِيعٌ ، ثنا الأعمشُ ، (٦ عن أبى الضُّحَى ٦) ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ قالت : كأنى أنظُرُ إلى وَبِيصِ المِسْكِ (٧) فى مَفارِقِ (٨) رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يلبِّى .

ثم رَواه مسلمٌ (٩) مِن حديثِ الثورىِّ وغيرِه ، عن الحسنِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : كأنى أنظرُ إلى وَبِيصِ المسْكِ فى مَفرِقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُحْرِمٌ . ورَواه البخارىُّ مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، ومسلمٌ مِن حديثِ الأعمشِ ، كلاهما عن مَنصورٍ ، عن إبراهيمَ عن (١٠) الأسودِ

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢ - ٢) زيادة من النسخ .
(٣) مسلم (١١٩١) .
(٤) بعده فى النسخ : « ويحل » .
(٥) مسلم (١١٩٠/٤١) .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ٤١ .
(٧) سقط من : ٤١ . وفى مسلم « الطيب » . والوبيص : البريق . النهاية ٥/ ١٤٦ .
(٨) سقط من : ٤١ . وفى م : « مفرق » .
(٩) مسلم (١١٩٠/٤٥) .
(١٠) فى ص : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٢/٢٣٣ .

عنها[1] . وأخرَجاه فى « الصحيحيْن » مِن حديثِ شعبةَ ، عن الحكمِ ، عن[2] إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ[3] .

وقال أبو داودَ الطيالسىُّ[4] : أنبأَنا شعبةُ[5] ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : كأنى أنظرُ إلى وَبِيصِ الطِّيبِ فى أُصولِ[6] شعْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو محرمٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، [8]أنا حمادٌ[8] ، عن إبراهيمَ النخَعىِّ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : كأنى أنظرُ إلى وَبِيصِ الطيبِ فى مَفْرِقِ النبىِّ ﷺ بعدَ أيامٍ وهو محرمٌ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ الحُمَيدىُّ[9] : ثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ ، ثنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن إبراهيمَ النخَعىِّ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : رأيتُ[10] الطيبَ

---

(١) البخارى (١٥٣٨) . ولم نجده عند مسلم ، من حديث الأعمش عن منصور به ، ولكنه عند مسلم من حديث حماد بن زيد عن منصور والأعمش كلاهما عن إبراهيم به (٣٩، ٤٠/١١٩٠) . انظر تحفة الأشراف ١١/ ٣٥٠، ٣٥١، ٣٧٠، ٣٧١، وجامع المسانيد للمصنف ٣٤/٧٤، ٩٨.

(٢) سقط من ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص : « بن » والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) البخارى (٢٧١) ، ومسلم (٤٢/١١٩٠) .

(٤) مسند أبى داود الطيالسى (١٣٧٨) .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « أشعث » . وفى ٤١ « شعيب » . والمثبت من مسند أبى داود . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٩.

(٦) فى الأصل : « أطول » . وفى مسند الطيالسى : « مفرق » .

(٧) المسند ٦/ ١٢٤.

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وهو حماد بن أبى سليمان . انظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٦٩، وأطراف المسند ٩/ ١١.

(٩) مسند الحميدى (٢١٥) .

(١٠) بعده فى المسند : « وبيص » .

فى مَفْرِقِ[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ ثالثةٍ وهو محرمٌ .

فهذه الأحاديثُ دالةٌ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، تطيَّب بعدَ الغُسْلِ ، إذ لو كان الطيبُ قبلَ الغُسْلِ لَذهَب به الغُسْلُ ، ولَمَا بقِىَ له أثرٌ ، ولا سيما بعدَ ثلاثةِ أيامٍ مِن يومِ الإحْرامِ ، وقد ذهَب طائفةٌ مِن السلفِ ، منهم ابنُ عمرَ إلى كراهةِ التطيُّبِ عندَ الإحرامِ .

وقد رُوِّينا هذا الحديثَ مِن طريقِ ابنِ عمرَ ، عن عائشةَ ؛ فقال الحافظُ البيهقىُّ[2] : أنبأَنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ ببغدادَ ، أنبأَنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ المصرىُّ ، ثنا يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الغمرِ[3] ، ثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن عائشةَ أنها قالت : طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بالغالِيَةِ الجيِّدةِ عندَ إحرامِه . وهذا إسنادٌ غريبٌ عَزيزُ المَخْرجِ ، ثم إنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لبَّد رأسَه[4] ليكونَ أحْفَظَ لِما فيه مِن الطيبِ ، وأصْوَنَ له مِن استقرارِ الترابِ والغُبارِ . قال مالكٌ[5] ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ : إن حفصةَ زوجَ النبىِّ ﷺ قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ما شأنُ الناسِ حلُّوا [٣/ ٢٦٤و] مِن العمرةِ ولم تَحِلَّ أنت مِن عمرتِك ؟ قال : « إنى لبَّدْتُ رأسى ، وقلَّدتُ هَدْيى فلا أَحِلُّ حتى أنحرَ » . وأخرَجاه فى « الصحيحيْن » مِن حديثِ

---

(١) فى مسند الحميدى : « مفارق » .

(٢) السنن الكبرى ٥/ ٣٥.

(٣) سقط من : ٤١ . وفى م ، ص : « العمر » . بالعين المهملة .

(٤) لبد رأسه : تلبيد الشعر : أن يُجعل فيه شىء من صمغ عند الإحرام ، لئلا يَشْعَث ويَقْمَل ، إبقاءً على الشعر . وإنما يُلبِّد من يطول مُكثه فى الإحرام . انظر النهاية ٤/ ٢٢٤.

(٥) الموطأ برواية أبى مصعب الزهرى المدنى ١/ ٥٤٠ .

مالكٍ[1] ، وله طرقٌ كثيرةٌ عن نافعٍ[2] .

وقال البيهقىُّ[3] : أنبأَنا الحاكمُ ، أنبأَنا الأصَمُّ ، أنبأَنا يحيى [4]بنُ محمدِ بنِ يحيى[4] ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ القَوارِيرىُّ ، ثنا عبدُ الأعلى ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لبَّد رأسَه بالغِسْلِ[5] . وهذا إسنادٌ جيدٌ ،ثم إنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أشعَر الهَدىَ وقلَّده وكان معه بذى الحُلَيفةِ .

قال الليثُ[6] ، عن عُقَيلٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه : تمتَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجةِ الوداعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ وأهدَى ، فساق معه الهدْىَ مِن ذى الحُلَيفةِ . وسيأتى الحديثُ بتمامِه وهو فى « الصحيحيْن » والكلامُ عليه إن شاء اللَّهُ .

وقال مسلمٌ[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، ثنا معاذُ بنُ هشامٍ ، هو الدَّسْتُوائىُّ ، حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ ، عن أبى حسانَ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أتَى ذا الحُلَيفةِ دعا بناقتِه فأشْعَرها فى صَفْحةِ سَنامِها الأيْمنِ ، وسَلَت الدمَ[8] وقلَّدها

---

(١) البخارى (١٥٦٦، ١٧٢٥، ٥٩١٦) ، ومسلم (١٢٢٩/١٧٦) .

(٢) البخارى (١٦٩٧، ٤٣٩٨) ، ومسلم (١٧٧- ١٢٢٩/١٧٩) ، وأبو داود (١٨٠٦) ، والنسائى (٢٦٨١، ٢٧٨٠) ، وابن ماجه (٣٠٤٦) .

(٣) السنن الكبرى ٥/ ٣٦.

(٤ - ٤) سقط من : ٤١ ، م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٥ .

(٥) فى الأصل ، ٤١ ، م : « بالعسل » . بالعين المهملة . والغِسْل بالكسر : ما يُغْسَل به من خِطْمِىٍّ وغيره . انظر النهاية ٣/ ٣٦٨.

(٦) أخرجه من طريق الليث به مطولًا : البخارى (١٦٩١) ، ومسلم (١٧٤/ ١٢٢٧) ، وأبو داود (١٨٠٥) .

(٧) مسلم (١٢٤٣/٠٠٠) .

(٨) سلت الدم : أى أماطه . انظر النهاية ٢/ ٣٨٧ .

نعليْن ، ثم ركِب راحلتَه . وقد رَواه أهلُ السننِ الأربعةِ مِن طرقٍ ، عن قتادةَ[1] . وهذا يدُلُّ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، تعاطَى هذا الإشعارَ والتقليدَ بيدِه الكريمةِ فى هذه البَدَنةِ ، وتولَّى إشعارَ بقيةِ الهدْيِ وتقليدَه غيرُه ، فإنه قد كان هَدْىٌ كثيرٌ ؛ إمَّا مائةُ بدَنةٍ ، أو أقلُّ منها بقليلٍ ، وقد ذبَحَ بيدِه الكريمةِ ثلاثًا وستين بدنةً ، وأعطَى عليًّا فذبَح ما غبَرَ .

وفى حديثِ جابرٍ أن عليًّا قدِم مِن اليمنِ ببُدْنٍ للنبىِّ ﷺ . وفى سياقِ ابنِ إسحاقَ[2] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أشرَك عليًّا فى بُدْنِه . واللَّهُ أعلمُ . وذكَر غيرُه أنه ذبَح هو وعلىٌّ يومَ النحرِ مائةَ بدَنةٍ . فعلى هذا يكونُ قد ساقها معه مِن ذى الحُلَيفةِ ، وقد يكونُ اشترى بعضَها بعدَ ذلك وهو محرمٌ .

---

(١) أبو داود (١٧٥٢، ١٧٥٣) ، والترمذى (٩٠٦) . والنسائى (٢٧٧٢، ٢٧٨١، ٢٧٩٠) ، وابن ماجه (٣٠٩٧) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٢.

بابُ بيانِ الموضعِ الذى أَهَلَّ منه، عليه الصلاةُ والسلامُ، واختلافِ الناقلين لذلك، وتَرْجيحِ الحقِّ فى ذلك

(١) ذِكْرُ مَن قال أنَّه أَحْرَم مِن المسجدِ الذى بِذى الحُليفةِ بعدَ الصلاةِ (١)

تقدَّم الحديثُ الذى رَواه البخاريُّ مِن حديثِ الأوزاعيِّ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن عمرَ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بوادى [٣/ ٢٦٤ظ] العَقيقِ يقولُ: «أتانى آتٍ مِن ربى، فقال: صلِّ فى هذا الوادى المباركِ، وقلْ: عُمرةٌ فى حَجَّةٍ».

وقال البخاريُّ(٢): بابُ الإهلالِ عندَ مسجدِ ذى الحُلَيفةِ، حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، ثنا سفيانُ، ثنا موسى بنُ عُقبةَ، سمِعْتُ سالمَ بنَ عبدِ اللَّهِ (٣)سمعتُ ابنَ عمرَ، رضِى اللَّهُ عنهما(٣). وحدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلمةَ، ثنا مالكٌ، عن موسى بنِ عُقبةَ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ أنه سمِع أباه يقولُ: ما أهلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلا مِن عندِ المسجدِ. يعنى مسجدَ ذى الحُلَيفةِ. وقد رَواه الجماعةُ إلا ابنَ ماجه مِن طرقٍ، عن موسى بنِ عُقبةَ(٤). وفى روايةٍ لمسلمٍ(٥)، عن موسى بنِ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) البخارى (١٥٤١).

(٣ - ٣) سقط من: ٤١، م، ص.

(٤) مسلم (١١٨٦)، وأبو داود (١٧٧١)، والترمذى (٨١٨)، والنسائى (٢٧٥٦).

(٥) مسلم ٢٠/ ١١٨٤.

عقبةَ ، عن سالمٍ ونافعٍ وحمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، ثلاثتُهم عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، فذكره ، وزاد : فقال : « لبيكَ [1] اللهم لبيك [1] » . وفى روايةٍ لهما[2] مِن طريقِ مالكٍ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ : بَيْداؤُكم هذه التى تكْذِبون على رسولِ اللَّهِ ﷺ فيها ، ما أهلَّ رسولُ اللَّهِ إلا مِن عندِ المسجدِ .

وقد رُوِىَ عن ابنِ عمرَ خلافُ هذا ، كما يأتى فى الشِّقِّ الآخرِ ، وهو ما أخرَجاه فى « الصحيحيْن »[3] مِن طريقِ مالكٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن عُبيدِ بنِ جُرَيجٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَر حديثًا فيه أن عبدَ اللَّهِ قال : وأمَّا الإهلالُ فإنى لم أرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُهِلُّ حتى تنبعِثَ به راحلتُه .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يعقوبُ ، حدَّثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى خُصَيْفُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجَزَرىُّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ قال : قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : يا أبا العباسِ ، عجبًا لاختلافِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى إهلالِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أوجَب ! فقال : إنى لأَعلَمُ الناسِ بذلك ، إنما كانت مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ حَجةٌ واحدةٌ ، فمِن هناك اختلَفوا ؛ خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ حاجًّا ، فلمَّا صلَّى فى مسجدِه بذى الحُلَيفةِ ركعتيه أوجَب فى مجلسِه ، فأهلَّ بالحجِّ حينَ فرَغ مِن ركعتيْه ، فسمِع ذلك منه أقوامٌ ، فحفِظوا عنه ، ثم ركِب فلمَّا استقلَّت[5] به ناقتُه أهلَّ ، وأدرَك ذلك منه أقوامٌ ، وذلك أن الناسَ إنما كانوا يأتون أرْسالًا ، فسمِعوه

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (١٥٤١) واللفظ له ، ومسلم (١١٨٦) .

(٣) البخارى (١٦٦، ٥٨٥١) ، ومسلم (١١٨٧) .

(٤) المسند ١/ ٢٦٠.

(٥) فى المسند : « استقبلت » .

حينَ استقلَّت به ناقتُه يُهِلُّ ، فقالوا : إنما أهلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ استقلَّت به ناقتُه . ثم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا علا شَرَفَ البَيْداءِ أهلَّ ، وأدرَكَ ذلك منه أقوامٌ ، فقالوا : إنما أهلَّ رسولُ اللَّهِ حينَ علا شَرَفَ البيداءِ . وايمُ اللَّهِ لقد أوجَب فى مصلَّاه ، وأهلَّ حينَ استقلَّت به ناقتُه ، [٣/ ٢٦٥و] وأهلَّ حينَ علا شَرَفَ البَيْدَاءِ . فمَن أخَذ بقولِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[(١)] ، أهلَّ فى مصلَّاه إذا فرَغ مِن ركعتيْه[(٢)] . وقد رَواه الترمِذىُّ والنسائىُّ جميعًا ، عن قُتيبةَ ، عن عبدِ السلامِ بنِ حربٍ ، عن خُصَيْفٍ به نحوَه[(٣)] ، وقال الترمذىُّ : حَسَنٌ غريبٌ ، لا نعرِفُ أحدًا رَواه غيرَ عبدِ السلامِ . كذا قال ، وقد تقدَّم روايةُ الإمامِ أحمدَ له مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ عنه ، وكذلك رَواه الحافظُ البيهقىُّ[(٤)] ، عن الحاكمِ ، عن القَطِيعىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، عن أبيه ، ثم قال : خُصَيْفٌ الجَزَرىُّ غيرُ قوىٍّ ، وقد رَواه الواقدىُّ بإسنادٍ له عن ابنِ عباسٍ . قال البيهقىُّ : إلا أنه لا ينفَعُ متابعةُ الواقدىِّ ، والأحاديثُ التى ورَدت فى ذلك عن ابنِ عمرَ وغيرِه أسانيدُها قويةٌ ثابتةٌ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ .

قلتُ : فلو صحَّ هذا الحديثُ لكان فيه جمعٌ لِما بينَ الأحاديثِ مِن الاختلافِ ، وبَسْطُ العذرِ لِمَن نقَل خلافَ الواقعِ ، ولكن فى إسنادِه ضعفٌ ، ثم قد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ وابنِ عمرَ خلافُ ما تقدَّم عنهما ، كما سننبِّهُ عليه ونُبيِّنُه ، وهكذا ذكَر مَن قال أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أهلَّ حينَ استَوت به راحلتُه .

---

(١) بعده فى الأصل ، ٤١ : « أنه » .
(٢) قائل هذه العبارة الأخيرة سعيد بن جبير ، كما ورد التصريح بذلك فى سنن البيهقى ٥/ ٣٧.
(٣) الترمذى (٨١٩) ، والنسائى (٢٧٥٣) مختصرا . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ١٣٥) .
(٤) السنن الكبرى ٥/ ٣٧.

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا هشَامُ بنُ يوسفَ ، أنبأَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، حدَّثنى محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صلَّى النبىُّ ﷺ بالمدينةِ أربعًا ، وبذى الحُلَيفةِ ركعتيْن ، ثم بات حتى أصبَح بذى الحُلَيفةِ ، فلمَّا ركِب راحلتَه واستَوت به أهلَّ . وقد رَواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأهلُ السننِ ، مِن طرقٍ ، عن محمدِ بنِ المنكدرِ وإبراهيمَ بنِ مَيسرةَ ، عن أنسٍ[2] .

وثابتٌ فى « الصحيحيْن »[3] مِن حديثِ مالكٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن عُبَيدِ بنِ جُريجٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : وأمَّا الإهلالُ فإنى لم أرَ رسولَ اللَّهِ يُهِلُّ حتى تنبعِثَ به راحلتُه .

وأخْرَجاه فى « الصحيحيْن »[4] مِن روايةِ ابنِ وهبٍ ، عن يونسَ ، عن الزهرىِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ كان يركَبُ راحلتَه بذى الحُلَيفةِ ، ثم يُهِلُّ حينَ[5] تستوى به قائمةً .

وقال البخاريُّ[6] : بابُ مَن أهلَّ حينَ استَوت به راحلتُه ، حدَّثنا أبو عاصمٍ ، ثنا ابنُ جُريجٍ ، أخبرَنى صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ رضى اللَّه عنهما قال : أهلَّ النبىُّ ﷺ حينَ استَوت به راحلتُه قائمةً . وقد رَواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن حديثِ ابنِ جُريجٍ به[7] .

---

(١) البخارى (١٥٤٦) .

(٢) البخارى (١٠٨٩) ، ومسلم (٦٩٠/١١) ، وأبو داود (١٢٠٢) . والترمذى (٥٤٦) ، والنسائى (٤٦٨) . والحديث ليس فى سنن ابن ماجه . انظر تحفة الأشراف ١/ ٨١.

(٣) البخارى (١٦٦، ٥٨٥١) ، ومسلم (١١٨٧/٢٥) .

(٤) البخارى (١٥١٤) ، ومسلم (١١٨٧/٢٩) .

(٥) فى الأصل ، ص : « حتى » . وهو لفظ بعض رواة البخارى .

(٦) البخارى (١٥٥٢) .

(٧) مسلم (١١٨٧/٢٨) ، والنسائى (٢٧٥٨) .

وقال مسلمٌ[1] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن عُبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا وضع رجلَه فى الغَرْزِ ، [٣/ ٢٦٥ظ] وانبعثت به راحلتُه قائمةً ، أهَلَّ مِن ذى الحُلَيْفةِ . انفرد به مسلمٌ مِن هذا الوجهِ ، وأخرجاه مِن وجهٍ آخرَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ ، عنه[2] .

ثم قال البخاريُّ[3] : بابُ الإهلالِ مستقبلَ القبلةِ ، قال أبو مَعمرٍ : حدثنا عبدُ الوارثِ ، حدثنا أيوبُ ، عن نافعٍ قال : كان ابنُ عمرَ إذا صلَّى الغَداةَ بذى الحُلَيْفةِ أمَر براحلتِه فرُحِلَت ، ثم ركِب ، فإذا اسْتَوَت به استقبل القِبلةَ قائمًا ، ثم يُلَبِّى حتى يَبْلُغَ الحَرَمَ ، ثم يُمْسِكُ ، حتى إذا جاء ذا طُوًى بات به حتى يُصْبِحَ ، فإذا صلَّى الغَداةَ اغْتَسَل وزعَم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ فعَل ذلك . ثم قال : تابعه إسماعيلُ ، عن أيوبَ فى الغُسْلِ . وقد علَّق البخاريُّ أيضًا هذا الحديثَ فى كتابِ الحجِّ[4] ، عن محمدِ بنِ عيسى ، عن حمادِ بنِ زيدٍ . وأسْنَدَه فيه[5] عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ الدَّوْرَقىِّ ، عن إسماعيلَ ، هو ابنُ عُلَيَّةَ . ورواه مسلمٌ ، عن زهيرِ بنِ حربٍ ، عن إسماعيلَ ، وعن أبى الربيعِ الزَّهْرانىِّ وغيرِه ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، ثلاثتُهم عن أيوبَ بنِ أبى تَميمةَ السَّخْتِيانىِّ به[6] . ورواه أبو داودَ ، عن أحمدَ بنِ

---

(١) مسلم (١١٨٧/٢٧) .

(٢) البخارى (٢٨٦٥) . وليس للحديث عند مسلم طريق أخرى . وانظر المسند الجامع ٢٧٣/١٠، ٢٧٤ .

(٣) البخارى (١٥٥٣) .

(٤) البخارى (١٧٦٩) .

(٥) البخارى (١٥٧٣) .

(٦) الذى فى صحيح مسلم رواية أبى الربيع الزهرانى عن حماد فقط (١٢٥٩/٢٢٧) . فلعله اختلاف فى نسخ صحيح مسلم . انظر تحفة الأشراف ٦٢/٦ .

حَنْبلٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ به[1] .

ثُم قال البخاريُّ[2] : حدثنا سليمانُ أبو الربيعِ ، ثنا فُلَيْحٌ ، عن نافعٍ قال : كان ابنُ عمرَ ، رضىَ اللَّهُ عنهما ، إذا أراد الخروجَ إلى مكةَ ادَّهَن بدُهْنٍ ليس له رائحةٌ طيبةٌ ، ثم يأتى مسجدَ ذى الحُلَيْفةِ فيصلِّى ، ثم يَرْكَبُ ، فإذا اسْتَوَت به راحلتُه قائمةً أحْرَم ، ثم قال : هكذا رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يفْعَلُ . تفرد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

وروى مسلمٌ[3] ، عن قتيبةَ ، عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه قال : بَيْداؤُكم هذه التى تَكْذِبون على رسولِ اللَّهِ ﷺ فيها ، واللَّهِ ما أَهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلا مِن عندِ المسجدِ[4] حينَ قام به بعيرُه . وهذا الحديثُ يجْمَعُ بينَ روايةِ ابنِ عمرَ الأولى وهذه الرواياتِ عنه ، وهو أن الإحْرامَ كان مِن عندِ المسجدِ ، ولكن بعدَما ركِب راحلتَه واستَوَتْ به على البَيْداءِ - يعنى الأرضَ - وذلك قبلَ أن يَصِلَ إلى المكانِ المعروفِ بالبَيْداءِ .

ثم قال البخاريُّ فى موضعٍ آخرَ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمىُّ ، ثنا فُضَيْلُ بنُ سُليمانَ ، ثنا موسى بنُ عقبةَ ، حدثنى كُرَيْبٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ،

---

(١) لم نجده فى سنن أبى داود ، وقد عزا المزى هذه الرواية إلى أبى داود فى تحفة الأشراف ٦/٦٢ ، مستدركًا بذلك على أبى القاسم بن عساكر . وذكر أنها فى رواية أبى الحسن بن العبد وأبى بكر بن داسة ؛ راويى سنن أبى داود .

(٢) البخارى (١٥٥٤) .

(٣) مسلم (١١٨٦/٢٤) . ولفظ الحديث هو متن الحديث الذى قبله (١١٨٦/٢٣) . وهو عن يحيى بن يحيى عن مالك عن موسى بن عقبة به . والحديثان بمعنًى .

(٤) فى الأصل ، م : « الشجرة » . وهو لفظ الحديث (١١٨٦/٢٤) . قال النووى فى شرح صحيح مسلم ٨/ ٩٢: وإنما أحرم قبلها - أى قبل البيداء - من عند مسجد ذى الحليفة ومن عند الشجرة التى كانت هناك ، وكانت عند المسجد .

(٥) البخارى (١٥٤٥) .

رضىَ اللَّهُ عنهما ، قال : انطَلَقَ النبىُّ ﷺ مِن المدينةِ بعدَما ترَجَّل وادَّهن ولبِس إزارَه وردَاءَه ، هو وأصحابُه ، فلم يَنْهَ عن شىءٍ مِن الأَرْديةِ والأُزُرِ تُلْبَسُ إلا المُزَعْفَرَةَ التى تُرْدَعُ على الجلدِ ، فأَصْبَح بذى الحُلَيْفةِ ركِب راحلتَه ، حتى استوى على البَيْداءِ ، أَهَلَّ هو وأصحابُه ، [٣/ ٢٦٦و] وقلَّد بُدْنَه ، وذلك لخمسٍ بقِين مِن (١)ذى القَعدةِ(١) (٢)فقدم مكةَ لأربعِ ليالٍ خَلَون مِن ذى الحِجَّةِ(٢) فطاف بالبيتِ ، وسعَى بينَ الصفا والمروةِ ، ولم يُحِلَّ مِن أجلِ بُدْنِه ؛ لأنه قلَّدها ، (٣)ثم نزَل(٣) بأعلى مكةَ عندَ الحَجُونِ وهو مُهِلٌّ بالحَجِّ ، ولم يَقْرَبِ الكعبةَ بعدَ طوافِه بها ، حتى رجَع مِن عرفةَ ، وأمَر أصحابَه أن يَطَّوَّفوا بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ ، ثم يُقَصِّروا مِن رءوسِهم ، ثم يُحِلُّوا ، وذلك لمن لم يكنْ معه بَدَنةٌ قلَّدها ، ومَن كانت معه امرأتُه فهى له حَلالٌ ، والطِّيبُ والثيابُ . انفرَد به البخارىُّ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ(٤) ، عن بَهْزِ بنِ أسدٍ ، وحجَّاجٍ ، ورَوْحِ بنِ عُبادةَ ، وعفانَ بنِ مسلمٍ ، كلُّهم عن شُعبةَ قال : أخبرَنى قَتادةُ قال : سمِعْتُ أبا حسَّانَ الأعرجَ الأجْردَ وهو مسلمُ بنُ عبدِ اللَّهِ البصرىُّ ، عن ابنِ عباسٍ قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ الظهرَ بذى الحُلَيفةِ ، ثم دعا ببدَنَتِه فأشعَر صَفْحةَ سَنامِها الأيمنِ ، وسَلَت الدمَ عنها ، وقلَّدها نعليْن ، ثم دعا براحلتِه ، فلمَّا استَوت به على البَيْداءِ أهلَّ بالحجِّ . ورَواه أيضًا ، عن هُشَيْمٍ ، أنبأَنا أصحابُنا ، منهم شُعبةُ ، فذكَر نحوَه(٥) . ثم رَواه الإمامُ أحمدُ أيضًا ، عن رَوْحٍ ، وأبى داودَ الطيالسىِّ ، ووكيعٍ

(١ - ١) سقط من : ٤١ ، وفى الأصل ، م ، ص : « ذى الحجة » . والمثبت من البخارى .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٣ - ٣) فى م : « لم تزل » .
(٤) المسند ١/ ٢٥٤، ٢٨٠، ٣٣٩، ٣٤٧. (إسناده صحيح) .
(٥) المسند ١/ ٢١٦. (إسناده صحيح) .

ابنِ الجرَّاحِ ، كلُّهم عن هشامٍ الدَّسْتُوائىِّ ، عن قتادةَ به نحوَه[1] . ومِن هذا الوجهِ رَواه مسلمٌ فى « صحيحِه » ، وأهلُ السننِ فى كتبِهم[2] .

فهذه الطرقُ عن ابنِ عباسٍ مِن أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أهلَّ حينَ استَوت به راحلتُه أصحُّ وأثبَتُ مِن روايةِ خُصَيْفٍ الجزَرىِّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عنه . واللَّهُ أعلمُ . وهكذا الروايةُ المُثْبِتةُ المفسِّرةُ أنه أهلَّ حينَ استَوت به الراحلةُ مُقَدَّمةٌ على الأخرى ، لاحتمالِ أنه أحرَم مِن عندِ المسجدِ حينَ استَوت به راحلتُه ، ويكونُ روايةُ رُكوبِه الراحلةَ فيها زيادةُ علمٍ على الأخرى . واللَّهُ أعلمُ .

وروايةُ أنسٍ فى ذلك سالمةٌ عن المُعارِضِ ، وهكذا روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ فى « صحيحِ مسلمٍ »[3] مِن طريقِ جعفرٍ الصادقِ ، عن أبيه [4]محمد بنِ علىٍّ[4] أبى الحسينِ زينِ العابدِين ، عن جابرٍ فى حديثِه الطويلِ الذى سيأتى ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أهلَّ حينَ استَوت به راحلتُه . سالمةٌ عن المعارِضِ . واللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى البخارىُّ[5] مِن طريقِ الأوزاعىِّ ، سمِعْتُ عطاءً ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن إهلالَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن ذى الحُلَيفةِ [٣/٢٦٦ظ] حينَ استَوت به راحلتُه .

---

(١) المسند ١/٣٤٤، ٣٧٢. (إسناده صحيح) .

(٢) مسلم (١٢٤٣) ، وأبو داود (١٧٥٢،١٧٥٣) ، والترمذى (٩٠٦) ، والنسائى (٢٧٧٣، ٢٧٨١، ٢٧٩٠) ، وابن ماجه (٣٠٩٧) .

(٣) مسلم (١٢١٨) .

(٤ - ٤) سقط من : ٤١ . وفى الأصل : « على » ، وفى م ، ص : « عن » . والمثبت من صحيح مسلم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وأبو الحسين زين العابدين هو جده على بن الحسين . انظر تهذيب الكمال ٥/٧٤، ٧٥، و٢٠/٣٨٢، ٣٨٣.

(٥) البخارى (١٥١٥) .

فأمَّا الحديثُ الذى رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن عائشةَ بنتِ سعدٍ قالت : قال سعدٌ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أخَذ طريقَ الفُرْعِ أهلَّ إذا استقلَّت به راحلتُه ، وإذا أخَذ (١طريقَ أُحدٍ١) أهلَّ إذا علا على شَرَفِ البَيْداءِ . فرَواه أبو داودَ والبيهقىُّ ، مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ(٢) ، وفيه غرابةٌ ونَكارةٌ . واللَّهُ أعلمُ . فهذه الطرقُ كلُّها دالةٌ - على القطعِ أو الظنِّ الغالبِ - أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أحرَم بعدَ الصلاةِ وبعدَ ما ركِب راحلتَه وابتدأَت به السيرَ . زاد ابنُ عمرَ فى روايتِه : وهو مستقبلٌ القبلةَ .

(١ - ١) فى النسخ : «طريقا أخرى» . والمثبت من سنن أبى داود والسنن الكبرى للبيهقى .

(٢) أبو داود (١٧٧٥) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٣٨/٥، ٣٩. ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٣٨٩) .

بابُ بسطِ البيانِ
لِما أحرَم به، عليه الصلاةُ والسلامُ،
فى حَجَّتِه هذه مِن الإفرادِ والتَّمتُّعِ والقِرانِ

(١) ذِكْرُ الأحاديثِ الواردةِ بأنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، كان مُفْرِدًا (١)

روايةُ عائشةَ أمِّ المؤمنين فى ذلك: قال أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ[٢]: أنبأَنا مالكٌ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ، عن أبيه، عن عائشةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفرَد الحجَّ. ورَواه مسلمٌ، عن إسماعيلَ، عن أبى أُوَيْسٍ ويحيى بنِ يحيى، عن مالكٍ[٣]. ورَواه الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ، عن مالكٍ به[٤].

وقال أحمدُ[٥]: حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى، حدَّثنى المُنْكَدِرُ بنُ محمدٍ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ، عن عائشةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفرَد الحجَّ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) ترتيب مسند الشافعى (٩٦٧).

(٣) مسلم (١٢١١/١٢٢).

(٤) المسند ٦/ ٣٦.

(٥) المسند ٦/ ١٠٧.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا سُرَيْجٌ ، ثنا[2] ابنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، وعن علقمةَ بنِ أبى علقمةَ ، عن أمِّه ، عن عائشةَ ، وعن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفرَد الحجَّ . تفرَّد به أحمدُ مِن هذه الوجوهِ عنها .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنى عبدُ الأعلى بنُ حمَّادٍ قال : قرَأْتُ على مالكِ ابنِ أنسٍ ، عن أبى الأسودِ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفرَد الحجَّ .

وقال[4] : حدَّثنا رَوْحٌ ، ثنا مالكٌ ، عن أبى الأسودِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ نوفلٍ - وكان يتيمًا فى حِجْرِ عُروةَ - عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفرَد الحجَّ . ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى مُصعبٍ ، عن مالكٍ كذلك[5] . ورَواه النسائىُّ ، عن قُتيبةَ ، عن مالكٍ ، عن أبى الأسودِ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أهلَّ بالحجِّ[6] .

وقال أحمدُ أيضًا[7] : ثنا عبدُ الرحمنِ ، عن مالكٍ ، عن أبى الأسودِ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ قالت : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فمنَّا مَن أهلَّ بالحجِّ ، ومنَّا مَن أهلَّ بالعمرةِ ، ومنَّا مَن أهلَّ بالحجِّ والعمرةِ ، وأهلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحجِّ ، فأمَّا مَن أهلَّ بالعمرةِ فأحلُّوا حينَ طافوا بالبيتِ وبالصفا والمروةِ ، وأمَّا مَن أهلَّ بالحجِّ أو بالحجِّ والعمرةِ فلم يُحِلُّوا إلى يومِ النحرِ . وهكذا رَواه البخارىُّ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ

---

(١) المسند ٦/١٠٧ .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣) المسند ٦/٢٤٣ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ابن ماجه (٢٩٦٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٠٠) .
(٦) النسائى (٢٧١٥) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٥٤٥) .
(٧) المسند ٦/ ٣٦.
(٨) خرم فى الأصل حتى رقم المخطوطة (٣/٢٦٧و) .

ابنِ يوسفَ والقَعْنَبىِّ وإسماعيلَ بنِ أبى أُوَيْسٍ ، عن مالكٍ[1] . ورَواه مسلمٌ ، عن يحيى بنِ يحيى ، عن مالكٍ به[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا سفيانُ ، عن الزهرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ قالت : أهلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحجِّ ، وأهلَّ ناسٌ بالحجِّ والعمرةِ ، وأهلَّ ناسٌ بالعمرةِ . ورَواه مسلمٌ ، عن ابنِ أبى عمرَ ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ به نحوَه[4] .

فأمَّا الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن عَلقمةَ بنِ أبى عَلقمةَ ، عن أمِّه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر الناسَ فى حَجَّةِ الوداعِ ، فقال : « مَن أحبَّ أن يبدأَ بعمرةٍ قبلَ الحَجِّ فلْيفعلْ » . وأفرَد رسولُ اللَّهِ ﷺ الحَجَّ ولم يعتمرْ . فإنه حديثٌ غريبٌ جدًّا ، تفرَّد به أحمدُ بنُ حنبلٍ ، وإسنادُه لا بأسَ به ، ولكن لفظُه فيه نكارةٌ شديدةٌ ، وهو قولُه : فلم يعتمرْ . فإنْ أُريدَ بهذا أنه لم يعتمرْ مع الحجِّ ولا قبلَه ، فهو قولُ مَن ذهَب إلى الإفرادِ ، وإن أُريدَ أنه لم يعتمرْ بالكلِّيةِ لا قبلَ الحجِّ ولا معه ولا بعدَه ، فهذا ممَّا لا أعلَمُ أحدًا مِن العلماءِ قال به ، ثم هو مُخالفٌ لِما صحَّ عن عائشةَ وغيرِها مِن أنه ﷺ اعتَمر أربعَ عُمرٍ ، كلُّهن فى ذى القَعْدةِ إلا التى مع حَجتِه . وسيأتى تقريرُ هذا فى فصلِ القِرانِ مستقصًى . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا الحديثُ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ قائلًا فى « مسندِه »[6] : حدَّثنا

---

(١) البخارى (١٥٦٢، ٤٤٠٨) .
(٢) مسلم (١٢١١/١١٨) .
(٣) المسند ٦/ ٣٧.
(٤) مسلم (١٢١١/١١٤) .
(٥) المسند ٦/ ٩٢ .
(٦) المسند ٦/ ٢٤٣ .

رَوْحٌ ، ثنا صالحُ بنُ أبى الأخضرِ ، ثنا ابنُ شِهابٍ أن عروةَ أخبَرَه أن عائشةَ زوجَ النبىِّ ﷺ قالت : أهلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحجِّ والعمرةِ فى حَجةِ الوداعِ ، وساق معه الهدىَ ، وأهلَّ ناسٌ معه بالعمرةِ وساقوا الهدىَ ، وأهلَّ ناسٌ بالعمرةِ ولم يسوقوا هديًا . قالت عائشةُ : وكنتُ مِمَّن أهلَّ بالعمرةِ ولم أسُقْ هديًا ، فلمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن كان منكم أهلَّ بالعمرةِ فساق معه الهدىَ ، فلْيَطُفْ بالبيتِ وبالصفا والمروةِ ، ولا يَحِلُّ منه شىءٌ حَرُم منه حتى يقضِىَ حَجَّه وينحرَ هديَه يومَ النَّحرِ ، ومَن كان منكم أهلَّ بالعمرةِ ولم يسُقْ معه هديًا فلْيَطُفْ بالبيتِ وبالصفا والمروةِ ، ثم (١)لْيُقَصِّرْ ولْيُحْلِلْ(١) ثم لْيُهِلَّ بالحجِّ ولْيُهدِ ، فمَن لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ فى الحجِّ وسبعةٍ إذا رجَع إلى أهلِه » . قالت عائشةُ : فقدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ الحجَّ الذى خاف فَوْتَه وأخَّر العمرةَ . فهو حديثٌ مِن أفْرادِ الإمامِ أحمدَ ، وفى بعضِ ألفاظِه نكارةٌ ، ولبعضِه شاهدٌ فى الصحيحِ(٢) ، وصالحُ بنُ أبى الأخضرِ ليس مِن عِلْيَةِ أصحابِ الزهرىِّ ، لاسيما إذا خالَفه غيرُه ، كما هـٰهنا فى بعضِ ألفاظِ سياقِه هذا . وقولُه : فقدَّم الحجَّ الذى يخافُ فَوْتَه وأخَّر العمرةَ . لا يَلْتَئِمُ مع أولِ الحديثِ : أهلَّ بالحجِّ والعمرةِ . فإن أراد أنه أهلَّ بهما فى الجملةِ وقدَّم أفعالَ الحجِّ ، ثم بعدَ فراغِه أهلَّ بالعمرةِ - كما يقولُه مَن ذهَب إلى الإفرادِ - فهو ممَّا نحن فيه هـٰهنا ، وإن أراد أنه أخَّر العمرةَ بالكليةِ بعَد إحرامِه بها ، فهذا لا أعلمُ أحدًا مِن العلماءِ صار إليه ، وإن أراد أنه المَقْضِىُّ بأفعالِ الحجِّ عن أفعالِ العمرةِ ، ودخَلَت العمرةُ فى الحجِّ ، فهذا قولُ مَن ذهَب إلى القِرانِ ، وهم يُؤَوِّلون قولَ مَن روَى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أفرَد الحجَّ . أى أفرَد أفعالَ الحجِّ وإن

(١ - ١) كذا فى ٤١ ، م ، ص . وفى المسند « ليفض وليحل » .

(٢) البخارى (١٦٩١) من حديث عائشة عقب حديث ابن عمر .

كان قد نوَى معه العمرةَ ، قالوا : لأنه قد روَى القِرانَ كلُّ مَن روَى الإفرادَ . كما سيأتى بيانُه . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ فى الإفرادِ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، ثنا الأعمشُ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : أهلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى [2]حَجَّةِ الوداعِ[2] بالحجِّ . إسنادُه جيدٌ على شرطِ مسلمٍ .

ورَواه البيهقىُّ[3] ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن أبى مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ قال : أهلَّ رسولُ اللَّهِ فى حَجَّتِه بالحجِّ ليس معه عمرةٌ . وهذه الزِّيادةُ غريبةٌ جدًّا ، وروايةُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ أحفظُ . واللَّهُ أعلمُ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن طريقِ جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ قال : وأَهْلَلْنَا بالحجِّ لسنا نعرفُ العمرةَ .

وقد رَوى ابنُ ماجه[5] ، عن هشامِ بنِ عمارٍ ، عن الدَّراوَرْدىِّ وحاتمِ بنِ إسماعيلَ ، كلاهما عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفرَد الحجَّ . وهذا إسنادٌ جيدٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا عبدُ الوهَّابِ الثقفىُّ ، ثنا حَبِيبٌ - يعنى المُعَلِّمَ -

---

(١) المسند ٣/ ٣١٥.

(٢ - ٢) فى المسند : « حجته » .

(٣) السنن الكبرى ٥/ ٤ .

(٤) مسلم (١٢١٨/١٤٧) .

(٥) ابن ماجه (٢٩٦٦) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٠١) .

(٦) المسند ٣/ ٣٠٥ .

عن عطاءٍ، حدَّثنى جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أهلَّ هو وأصحابُه بالحجِّ، ليس مع أحدٍ منهم هديٌ إلا النبيَّ ﷺ وطلحةَ. وذكَر تمامَ الحديثِ، وهو فى «صحيحِ البخاريِّ»[1] بطولِه، كما سيأتى عن محمدِ بنِ المثنَّى، عن عبدِ الوَهَّابِ.

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ للإفرادِ: قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ محمدٍ، ثنا عَبَّادٌ - يعنى ابنَ عبَّادٍ - حدَّثنى [3]عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ[3]، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: أهلَلْنا مع النبيِّ ﷺ بالحجِّ مُفْرَدًا.

ورَواه مسلمٌ فى «صحيحِه»[4]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْنٍ، عن عبَّادِ بنِ عبادٍ، [٣/٢٦٧و] عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أهلَّ بالحجِّ مُفْرَدًا.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[5]: ثنا الحسنُ بنُ عبدِ العزيزِ ومحمدُ بنُ مِسكينٍ، قالا: ثنا بشْرُ بنُ بكرٍ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ، عن[6] زيدِ بنِ أسلمَ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أهَلَّ بالحجِّ. يعنى مُفْرَدًا. إسنادُه جيدٌ، ولم يُخْرِجوه.

روايةُ ابنِ عباسٍ للإفرادِ: روى الحافظُ البيهقيُّ[7] مِن حديثِ رَوْحِ بنِ

---

(١) البخارى (١٦٥١).

(٢) المسند ٢/٩٧ (إسناده صحيح).

(٣ - ٣) فى ٤١: «عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر». وفى م: «عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٢٤.

(٤) مسلم (١٢٣١).

(٥) لم نجده فيما بين أيدينا من مصادر.

(٦) فى م: «بن». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥٣٩.

(٧) السنن الكبرى ٥/ ٤.

عُبادةَ ، عن شعبةَ ، عن أيوبَ ، عن أبى العاليةِ البَرّاءِ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : أهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحجِّ ، فقدِم لأربعِ مَضَين مِن ذى الحِجةِ ، فصلَّى بنا الصبحَ بالبَطْحَاءِ ، ثم قال : « مَن شاء أن يجْعَلَها عمرةً فلْيَجْعَلْها » . ثم قال : رواه مسلمٌ ، عن إبراهيمَ بنِ دينارٍ ، عن رَوْحٍ[1] .

وتقدَّم مِن روايةِ قتادةَ ، عن أبى حسانَ الأعْرجِ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ بذى الحُلَيْفةِ ، ثم أتَى ببدَنَةٍ فأشْعَر صَفْحةَ سَنامِها الأيْمنِ ، ثم أتَى براحلتِه فرَكِبها ، فلما استوت به على البَيْداءِ أهَلَّ بالحجِّ . وهو فى « صحيحِ مسلمٍ » أيضًا .

وقال الحافظُ أبو الحسنِ الدارَقطنىُّ[2] : ثنا الحسينُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو هشامٍ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، ثنا أبو حصينٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الأسودِ ، عن أبيه قال : حجَجْتُ مع أبى بكرٍ فجرَّد ، ومع عمرَ فجرَّد ، ومع عثمانَ فجرَّد . تابعه الثورىُّ ، عن أبى حصينٍ . وهذا إنما ذكَرْناه هـٰهنا ؛ لأن الظَّاهرَ أن هؤلاء الأئمةَ ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، إنما يفعَلون هذا عن توقيفٍ ، والمرادُ بالتجريدِ هـٰهنا الإفرادُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الدارَقطنىُّ[3] : ثنا أبو عُبَيدٍ[4] القاسمُ بنُ إسماعيلَ ومحمدُ بنُ مَخْلَدٍ قالا : ثنا علىُّ بنُ محمدِ بنِ معاويةَ البزَّازُ[5] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ ، عن

---

(١) فى م ، ص : « ابن روح » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٣٨. والحديث فى صحيح مسلم (٢٠١/ ١٢٤٠) .

(٢) سنن الدارقطنى ٢/ ٢٣٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) فى م ، ص : « أبو عبيد اللَّه » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٣.

(٥) فى الأصل ، ٤١ ، م : « الرزاز » .

عبدِ اللَّهِ[1] بنِ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ أن النبيَّ ﷺ استعمل عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ على الحجِّ فأَفْرَد، ثم استعمل أبا بكرٍ سنةَ تسعٍ فأفْرد الحجَّ، ثم حجَّ النبيُّ ﷺ سنةَ عشْرٍ فأفْرد الحجَّ، ثم تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ واستُخْلِف أبو بكرٍ، فبَعث عمرَ فأفْرَد الحجَّ، ثم حجَّ أبو بكرٍ فأفْرد الحجَّ، وتُوُفِّيَ أبو بكرٍ واستُخْلِف عمرُ، فبعَث عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ فأفْرد الحجَّ، ثم حجَّ [2]عُمَرُ سِنِيه كلَّها[2] فأفْرد الحجَّ، [3]ثم تُوُفِّيَ عمرُ واسْتُخْلِف عثمانُ فأفرد الحجَّ[3]، ثم حُصِرَ عثمانُ، فأقام عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ للناسِ فأفْرد الحجَّ. في إسنادِه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ العُمَرِيُّ، وهو ضعيفٌ، لكن [٣/٢٦٧ظ] قال الحافظُ البيهقيُّ: له شاهدٌ بإسنادٍ صحيحٍ.

ذكرُ [4]مَن قال أنه ﷺ[4] حجَّ مُتَمَتِّعًا

قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا حجاجٌ، ثنا ليثٌ، حدَّثني عُقَيْلٌ، عن ابنِ شِهابٍ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال: تمتَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ في حَجةِ الوَداعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ وأهْدَى[6]، فساق الهدْيَ مِن ذي الحُلَيْفةِ، وبدَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فأهَلَّ بالعمرةِ، ثم أهَلَّ بالحجِّ [7]وتَمَتَّع الناسُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بالعمرةِ إلى الحَجِّ[7]، فكان مِن الناسِ مَن أهْدَى فساق الهَدْيَ مِن ذي

---

(١) في سنن الدارقطني: «عبيد الله». وعبد الله وعبيد الله هما ابنا عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب. انظر تهذيب الكمال ١٥/٣٢٧، ١٩/ ١٢٤.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من سنن الدارقطني.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) في م: «ما قاله إنه ﷺ».

(٥) المسند ٢/١٣٩، ١٤٠. (إسناده صحيح).

(٦) في م، ص: «أهل».

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من المسند.

الحُلَيْفةِ ، ومنهم مَن لم يُهْدِ ، فلما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ قال للناسِ : « مَن كان منكم أهْدَى فإنه لا يُحِلُّ مِن شيءٍ حَرُم منه حتى يقضىَ حَجَّه ، ومَن لم يكنْ منكم أهْدَى فلْيَطُفْ بالبيتِ وبالصفا والمروةِ ، ولْيُقَصِّرْ ولْيُحْلِلْ ، ثم لْيُهِلَّ بالحجِّ ولْيُهْدِ ، فمَن لم يجدْ هدْيًا فلْيَصُمْ ثلاثةَ أيامٍ فى الحجِّ وسبعةً إذا رجَع إلى أهلِه » . وطاف رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قدِم مكةَ ، استلم الركْنَ[1] أولَ شيءٍ ، ثم خَبَّ ثلاثةَ أطوافٍ[2] مِن السبعِ ، ومشَى أربعةَ أطْوافٍ ، ثم ركَع حينَ قضَى طوافَه بالبيتِ عندَ المَقامِ ركعتين ، ثم سلَّم ، فانصَرَف ، فأتَى الصَّفا ، فطاف بالصفا والمروةِ ، ثم لم يُحْلِلْ مِن شيءٍ حَرُم منه حتى قضَى حَجَّه ونحَرَ هَدْيَه يومَ النحْرِ ، وأفاض فطاف بالبيتِ ، [3]ثم حَلّ مِن كلِّ شيءٍ حَرُمَ منه[3] ، وفعَل مثلَ ما فعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَن أهْدَى فساق الهَدْىَ مِن الناسِ .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : وحدَّثنا حجاجٌ ، ثنا ليثٌ ، حدثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، أن عائشةَ أخْبَرَته عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى تمتُّعِه بالعمرةِ إلى الحجِّ ، وتَمتُّعِ الناسِ معه بمثلِ الذى أخبرنى سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقد رَوى هذا الحديثَ البخاريُّ عن يحيى بنِ بكيرٍ ، ومسلمٌ وأبو داودَ عن عبدِ الملكِ بنِ شُعَيْبِ بنِ[5] الليثِ ، عن أبيه ، والنسائيُّ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ المَخْرَّميِّ ، عن حُجَيْنِ بنِ المُثَنَّى ، ثلاثتُهم عن الليثِ بنِ سعدٍ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهريِّ ، [6]عن سالمٍ ، عن أبيه[6]

---

(١) سقط من : ا ٤، ص . وفى م : « الحجر » .

(٢) فى النسخ : « أشواط » . والمثبت من المسند .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) المسند ٢/١٤٠ . (إسناده صحيح) .

(٥) فى النسخ : « عن » . والمثبت من صحيح مسلم وسنن أبى داود . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٢٩.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

[1] به[2] . وأخرجاه صاحبا «الصحيح»[3] من طريقِ الليثِ ، عن عُقيلٍ ، عن الزهريِّ[1] عن عروةَ ، عن عائشةَ كما ذكَره الإمامُ أحمدُ ، رحِمه اللَّهُ .

وهذا الحديثُ مِن المُشْكِلاتِ على كلٍّ مِن الأقْوالِ الثلاثةِ ؛ أمَّا قولُ الإفرادِ ففى هذا إثباتُ عمرةٍ إما قبلَ الحجِّ أو معه ، وأمَّا على قولِ التَّمتُّعِ الخاصِّ فلأنه ذكَر أنه لم يُحِلَّ مِن إحْرامِه بعدَ ما طاف بالصفا والمروةِ ، وليس هذا شأنَ المتمتعِ ، ومَن زعَم [٣/٢٦٨و] أنه إنما منَعه مِن التَّحلُّلِ سَوْقُ الهَدْيِ كما قد يُفْهَمُ مِن حديثِ ابنِ عمرَ ، عن حَفْصةَ أنها قالت[4] : يا رسولَ اللَّهِ ، ما شأنُ الناسِ حلُّوا مِن العمرةِ ، ولم تَحِلَّ أنت مِن عمرتِك ؟ فقال : «إنى لَبَّدْتُ رأسى وقلَّدْتُ هديى ، فلا أَحِلُّ حتى أنحرَ» . فقولُهم بعيدٌ ؛ لأن الأحاديثَ الواردةَ فى إثباتِ القِرانِ ترُدُّ هذا القولَ وتأبَى كونَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إنما أهَلَّ أولًا بعمرةٍ ، ثم بعدَ سعيِه بالصفا والمروةِ أهَلَّ بالحجِّ ، فإن هذا على هذه الصفةِ لم ينْقُلْه أحدٌ بإسنادٍ صحيحٍ ، بل ولا حسنٍ ولا ضعيفٍ . وقولُه فى هذا الحديثِ : تمتَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجةِ الوَداعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ . إن أُريد بذلك التَّمتُّعُ الخاصُّ ، وهو الذى يُحِلُّ منه بعدَ السَّعْيِ ، فليس كذلك ، فإن فى سِياقِ الحديثِ ما يرُدُّه ، ثم فى إثباتِ العمرةِ المُقارنةِ لحَجِّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ما يأْباه ، وإن أُريد به التمتعُ العامُّ دخَل فيه القِرانُ ، وهو المرادُ . وقولُه : وبدَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأهَلَّ بالعمرةِ ، ثم أهَلَّ بالحجِّ . إن أُريد به بدَأ بلفظِ العمرةِ على لفظِ الحجِّ بأن قال : «لبَّيك اللهم عمرةً وحَجًّا» . فهذا سهلٌ ولا يُنافى القِرانَ ، وإن أُريد به أنه أهَلَّ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (١٦٩١) ، ومسلم (١٢٢٧) .

(٣) البخارى (١٦٩٢) ، ومسلم (١٢٢٨) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٢٩ .

بالعمرةِ أولًا ، ثم أدْخَل عليها الحجَّ بتَراخٍ ، ولكن قبلَ الطوافِ ، قد صار قارنًا أيضًا ، وإن أُريد به أنه أهَلَّ بالعمرةِ ، ثم فرَغ مِن أفعالِها تحلَّلَ أو لم يتَحَلَّلْ بسَوْقِ الهَدْيِ - كما زعَمه زاعمون - ولكنه أهَلَّ بحجٍّ بعدَ قضاءِ مَناسكِ العمرةِ وقبلَ خروجِه إلى منًى ، فهذا لم ينقُلْه أحدٌ مِن الصحابةِ كما قدَّمْنا ، ومَن ادَّعاه مِن الناسِ فقولُه مردودٌ ؛ لعدمِ نقلِه ، ومُخالفتِه الأحاديثَ الواردةَ فى إثْباتِ القِرانِ كما سيأتى ، بل والأحاديثَ الواردةَ فى الإفرادِ كما سبَق . واللَّهُ أعلمُ . والظاهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أن حديثَ الليثِ هذا ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سالم ، عن ابنِ عمرَ مَرْوىٌّ مِن الطريقِ الأخْرى عن ابنِ عمرَ حينَ أراد[1] الحجَّ زمَن[2] مُحاصَرةِ الحَجَّاجِ لابنِ الزبيرِ ، فقيل له : إن الناسَ كائنٌ بينَهم شىءٌ ، فلو أخَّرْتَ الحجَّ عامَك هذا ؟ فقال : إذن أفْعَلَ كما فعَل النبىُّ ﷺ . يعنى زمنَ حُصِرَ عامَ الحديبيةِ . فأحْرم بعمرةٍ مِن ذى الحُلَيْفةِ ، ثم لما علا شَرَفَ البَيْداءِ قال : ما أرَى أمرَهما إلا واحدًا . فأهَلَّ بحجٍّ معها ، فاعتَقَد الراوى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ هكذا فعَل سواءً ؛ [٣/٢٦٨ظ] بدَأ فأهَلَّ بالعمرةِ ، ثم أهَلَّ بالحجِّ ، فرَوَوْه كذلك ، وفيه نظرٌ ؛ لما سنُبَيِّنُه .

وبيانُ هذا فى الحديثِ الذى رواه عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[3] : أخبرنى مالكُ بنُ أنسٍ وغيرُه ، أن نافعًا حدَّثهم أن عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ خرَج فى الفتنةِ مُعْتَمِرًا ، وقال : إن صُدِدْتُ عن البيتِ صنَعْنا كما صنَع رسولُ اللَّهِ ﷺ . فخرَج فأهَلَّ بالعمرةِ ، وسار حتى إذا ظهَر على ظاهرِ البَيْداءِ التفت إلى أصحابِه فقال : ما أمْرُهما إلا

---

(١) فى م ، ص : « أفرد » .

(٢) فى م ، ص : « ومن » .

(٣) لم نقف عليه من طريق ابن وهب ، ولعله فى الموطأ برواية ابن وهب عن مالك . وقد أخرجه مالك فى الموطأ برواية يحيى بن يحيى ١/ ٣٦٠.

واحدٌ ، أُشْهِدُكم أنى قد أوْجَبْتُ الحَجَّ مع العمرةِ . فخرَج حتى جاء البيتَ ، فطاف به ، وطاف بينَ الصفا والمروةِ سبعًا لم يَزِدْ عليه ، ورأى أن ذلك مُجْزِئٌ عنه ، وأهْدَى . وقد أخْرَجه صاحبا[1] « الصحيحِ » مِن حديثِ مالكٍ ، وأخْرَجاه مِن حديثِ عُبَيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ به[2] . ورواه عبدُ الرزاقِ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ وعبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ ، عن نافعٍ به نحوَه[3] ، وفيه : ثم قال فى آخرِه : هكذا فعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وفيما رواه البخاريُّ حيث قال[4] : حدَّثنا قتيبةُ ، ثنا ليثٌ ، عن نافعٍ ، أن ابنَ عمرَ أراد الحجَّ عامَ نزَل الحَجَّاجُ بابنِ الزبيرِ ، فقيل له : إن الناسَ كائنٌ بينَهم قِتالٌ ، وإنا نخافُ أن يَصُدُّوك . قال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، إذًا أصنعُ كما صنَع رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إنى أُشْهِدُكم أنى قد أوْجَبْتُ عمرةً . ثم خرَج ، حتى إذا كان بظاهرِ البَيْداءِ قال : ما[5] شأنُ الحجِّ والعمرةِ إلا واحدٌ ، أُشْهِدُكم أنى أوْجَبْتُ حَجًّا مع عمرتى . فأهْدَى هَدْيًا اشتراه بقُدَيْدٍ ، ولم يَزِدْ على ذلك ، ولم يَنْحَرْ ولم يَحِلَّ مِن شىءٍ حَرُم منه ، ولم يَحْلِقْ ولم يُقَصِّرْ حتى كان يومُ النَّحْرِ فنحَر وحلَق ، ورأى أن قد قضَى طوافَ الحجِّ والعمرةِ بطوافِه الأولِ . وقال ابنُ عمرَ : كذلك فعل رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال البخاريُّ[6] : حدثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ ، عن

---

(١) فى م ، ص : « صاحب » . والحديث فى البخارى (١٨٠٦، ١٨١٣، ٤١٨٣) ، ومسلم (١٨٠/ ١٢٣٠) .

(٢) البخارى (٤١٨٤) مختصرا ، ومسلم (١٨١/١٢٣٠) مطولًا .

(٣) أخرجه النسائى فى الكبرى (٣٩١٥) ، من طريق عبد الرزاق به .

(٤) البخارى (١٦٤٠) .

(٥) بعده فى النسخ : « أرى » .

(٦) البخارى (١٦٣٩) .

نافعٍ ، أن ابنَ عمرَ دخَل[1] ابنُه عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وظهرُه فى الدارِ فقال : إنى لا آمَنُ أن يكونَ العامَ بينَ الناسِ قِتالٌ فيَصُدوك عن البيتِ ، فلو أقَمْتَ . قال : قد خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فحال كفارُ قريشٍ بينَه وبينَ البيتِ ، فإن يُحَلْ بينى وبينَه أفعلْ كما فعل رسولُ اللَّهِ ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] ، إنى أُشْهِدُكم أنى قد أوْجَبْتُ مع عمرتى حَجًّا . ثم قدِم فطاف لهما طوافًا واحدًا . وهكذا رواه البخاريُّ ، عن أبى النعمانِ ، عن حمادٍ [٣/ ٢٦٩و] ابنِ زيدٍ ، عن أيوبَ بنِ أبى تَميمةَ السَّخْتِيانىِّ ، عن نافعٍ به[3] . ورواه مسلمٌ مِن حديثِهما عن أيوبَ به[4] . فقد اقْتَدَى ابنُ عمرَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، برسولِ اللَّهِ ﷺ فى التحَلُّلِ عندَ حَصْرِ العدوِّ ، والاكتفاءِ بِطوافٍ واحدٍ عن الحجِّ والعمرةِ ؛ وذلك لأنه كان قد أحْرَم أولًا بعمرةٍ ليكونَ متمتعًا ، فخشِىَ أن يكونَ حَصْرٌ فجَمَعهما ، وأدْخَل الحجَّ على[5] العمرةِ قبلَ الطوافِ فصار قارنًا ، وقال : ما أرَى أمْرَهما إلا واحدًا . يعنى لا فرقَ بينَ أن يُحْصَرَ الإنسانُ عن الحجِّ أو العمرةِ أو عنهما . فلما قدِم مكةَ اكْتَفَى عنهما بطوافِه الأولِ ، كما صرَّح به فى السياقِ الأولِ الذى أورَدْناه ، وهو قولُه : ورأى أن قد قضَى طوافَ الحجِّ والعمرةِ بطوافِه الأولِ . قال ابنُ عمرَ : كذلك فعل رسولُ اللَّهِ ﷺ . يعنى أنه اكْتَفى عن الحجِّ والعمرةِ بطوافٍ واحدٍ . يعنى بينَ الصفا والمروةِ . وفى هذا دَلالةٌ على أن ابنَ عمرَ رَوى القِرانَ ؛ ولهذا رَوى النسائىُّ[6] ، عن محمدِ بنِ منصورٍ ، عن سفيانَ بنِ

---

(١) بعده فى م : «عليه» .

(٢) بعده فى الأصل ، ٤١ ، م : «إذًا أصنع كما صنع رسول اللَّه ﷺ» .

(٣) البخارى (١٦٩٣) .

(٤) مسلم (١٢٣٠/١٨٣) .

(٥) فى م : «قبل» .

(٦) النسائى (٢٩٣٢) . صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائى ٢٧٤٤) .

عُيَينةَ ، عن أيوبَ بنِ موسى ، عن نافعٍ ، أن ابنَ عمرَ قرَن الحجَّ والعمرةَ ، فطاف طوافًا واحدًا .

ثم رواه النسائيُّ[1] ، عن عليِّ بنِ مَيْمونٍ الرَّقِّيِّ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن [2]إسماعيلَ بنِ أميَّةَ ، وأيوبَ بنِ موسى[2] ، وأيوبَ السَّخْتِيانيِّ ، وعُبَيْدِ اللَّهِ[3] بنِ عمرَ ، أربعتُهم عن نافعٍ ، أن ابنَ عمرَ أتَى ذا الحُلَيْفةِ فأهَلَّ بعمرةٍ ، فخَشِيَ أن يُصَدَّ عن البيتِ . فذكَر تمامَ الحديثِ مِن إدْخالِه الحجَّ على العمرةِ وصَيْرُورتِه قارنًا .

والمقصودُ أن بعضَ الرُّواةِ لما سمِع قولَ ابنِ عمرَ : إذًا أصْنَعَ كما صنَع رسولُ اللَّهِ ﷺ . وقولَه : كذلك فعل رسولُ اللَّهِ ﷺ . اعْتَقَد أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بدَأ فأهَلَّ بالعمرةِ ، ثم أهَلَّ بالحجِّ فأدْخَله عليها قبلَ الطوافِ ، فرواه بمعنى ما فَهِم ، ولم يُرِدِ ابنُ عمرَ ذلك ، وإنما أراد ما ذكَرْناه . واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ . ثم بتقديرِ أن يكونَ أهَلَّ بالعمرةِ أولًا ، ثم أدْخَل عليها الحجَّ قبلَ الطوافِ ، فإنه يصيرُ قارنًا لا متمتعًا التَّمتُّعَ الخاصَّ ، فيكونُ فيه دَلالةٌ لمن ذهَب إلى أفضليةِ التمتعِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وأما الحديثُ الذى رواه البخاريُّ فى «صحيحِه»[4] حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا همامٌ ، عن قتادةَ ، حدثنى مُطَرِّفٌ ، عن عِمرانَ قال : تمتَّعْنا على عهدِ النبيِّ ﷺ ونزَل القرآنُ ، قال رجلٌ برأيِه ما شاء . فقد رواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن عبدِ الصمدِ بنِ [٣/ ٢٦٩ظ] عبدِ الوارثِ ، عن همامٍ ، عن

---

(١) النسائى (٢٩٣٣) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٧٤٥) .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى م ، ص : «عبد الله» .
(٤) البخارى (١٥٧١) .

قَتادةَ به[1] . والمرادُ به المتعةُ التى أعَمُّ مِن القِرانِ والتمتعِ الخاصِّ .

ويدُلُّ على ذلك ما رواه مسلمٌ[2] مِن حديثِ شعبةَ وسعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قَتادةَ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن عِمرانَ بنِ الحصينِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جَمَع بينَ حجٍّ وعمرةٍ . وذكَر تمامَ الحديثِ .

وأكثرُ السلفِ يُطْلِقون المتعةَ على القِرانِ ، كما قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا قتيبةُ ، ثنا حجاجُ بنُ محمدٍ الأعْورُ ، عن شعبةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : اختلف علىٌّ وعثمانُ ، رضىَ اللَّهُ عنهما ، وهما بعُسْفانَ فى المتعةِ ، فقال علىٌّ : ما تُريدُ إلَّا أن تَنْهَى عن أمرٍ فعله رسولُ اللَّهِ ﷺ . فلما رأى ذلك علىٌّ ابنُ أبى طالبٍ أهَلَّ بهما جميعًا . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[4] .

[5] وأخرجه البخاريُّ مِن حديثِ شعبةَ[5] أيضًا[6] ، عن الحكمِ بنِ عيينةَ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ ، عن مَرْوانَ بنِ الحكمِ عنهما به . وقال علىٌّ : ما كنتُ لأدَعَ سنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ لقولِ أحدٍ[7] .

ورواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ أيضًا[8] ، عن قتادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ عنهما ، فقال له علىٌّ : لقد علِمْتَ أنَّا تمتَّعْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : أجل ، ولكنا كنا خائفين .

---

(١) مسلم (١٢٢٦/١٧٠) .
(٢) مسلم (١٦٨، ١٢٢٦/١٦٩) .
(٣) البخارى (١٥٦٩) .
(٤) مسلم (١٢٢٣/١٥٩) .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦) البخارى (١٥٦٣) .
(٧) بعده فى النسخ : « من الناس » .
(٨) مسلم (١٢٢٣/١٥٨) .

وأما الحديثُ الذى رواه مسلمٌ[1] مِن حديثِ غُنْدَرٍ، عن شعبةَ، وعن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ، عن أبيه، عن شعبةَ، عن مسلمِ بنِ مِخْراقٍ القُرَّىِّ[2]، سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ: أهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بعمرةٍ، وأهَلَّ أصحابُه بحجٍّ، فلم يَحِلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، ولا مَن ساق الهَدْىَ مِن أصحابِه، وحلَّ بقيَّتُهم. فقد رواه أبو داودَ الطَّيالسىُّ فى «مسندِه»[3] ورَوْحُ بنُ عُبادةَ، عن شعبةَ، عن مسلمٍ القُرَّىِّ[2]، عن ابنِ عباسٍ قال: أهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحجِّ - وفى روايةِ أبى داودَ: أهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه بالحجِّ[4] - فمَن كان منهم لم يكنْ له متعةُ هَدْيٍ حَلَّ، ومَن كان معه هَدْىٌ لم يَحِلَّ... الحديثَ. فإن صحَّحْنا الروايتَيْن جاء القِرانُ، وإن توَقَّفْنا فى كلٍّ منهما وقَف الدليلُ، وإن رجَّحْنا روايةَ مسلمٍ فى «صحيحِه» فى روايةِ العمرةِ فقد تقَدَّم عن ابنِ عباسٍ أنه رَوى الإفرادَ، وهو الإحْرامُ بالحجِّ، فتكونُ هذه زيادةً على الحجِّ، فيجىءُ القولُ بالقِرانِ لاسيما وسيأتى عن ابنِ عباسٍ ما يدُلُّ على ذلك.

ورَوَى [٣/ ٢٧٠و] مسلمٌ[5] مِن حديثِ غُنْدَرٍ ومُعاذِ بنِ معاذٍ، عن شعبةَ، عن الحكمِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ قال: «هذه عمرةٌ اسْتَمْتَعْنا بها، فمَن لم يكُنْ معه هَدْىٌ فلْيَحِلَّ الحِلَّ كلَّه فإنّ العمرةَ قد دخَلَت فى الحجِّ إلى يومِ القيامةِ».

---

(١) مسلم (١٢٣٩).

(٢) فى م، ص: «المقبرى». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/٥٣٥.

(٣) مسند أبى داود الطيالسى (٢٧٦٣). ورواية روح بن عبادة أخرجها الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٤٠، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٨.

(٤) قوله: وفى رواية أبى داود: أهل رسول الله ﷺ وأصحابه بالحج. ليس كما قال، فإن هذا اللفظ من رواية روح بن عبادة وليس من رواية أبى داود. ولفظ رواية أبى داود صدر الحديث. انظر المصادر السابقة.

(٥) مسلم (١٢٤١).

وروَى البخاريُّ ، عن آدمَ بنِ أبى إياسٍ ، ومسلمٌ مِن حديثِ غُنْدَرٍ ، كلاهما عن شعبةَ ، عن أبى جَمْرةَ قال[1] : تمتَّعْتُ فنهانى ناسٌ ، فسأَلْتُ ابنَ عباسٍ فأمَرنى بها ، فرأيْتُ فى المنامِ كأنَّ رجلًا يقولُ : حجٌّ مَبْرورٌ ومتعةٌ مُتَقَبَّلةٌ . فأخْبَرْتُ ابنَ عباسٍ فقال : اللَّهُ أكبرُ ، سنةُ أبى القاسمِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه . والمرادُ بالمتعةِ هـٰهنا القِرانُ .

وقال القَعْنَبِىُّ وغيرُه[2] ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلِ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، أنه حدَّثه أنه سمِع سعدَ بنَ أبى وقَّاصٍ والضحاكَ بنَ قيسٍ عامَ حجَّ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ [3]وهما يَذْكُران[3] التمتعَ بالعمرةِ إلى الحجِّ ، فقال الضَّحاكُ : لا يَصْنَعُ ذلك إلا مَن جَهِل أمْرَ اللَّهِ . فقال سعدٌ : بئس ما قلتَ يا بنَ أخى . فقال الضحاكُ : فإن عمرَ بنَ الخطابِ كان ينْهَى عنها . فقال سعدٌ : قد صنَعها رسولُ اللَّهِ ﷺ وصنَعْناها معه . ورواه الترمذىُّ والنسائىُّ ، عن قتيبةَ ، عن مالكٍ[4] ، وقال الترمذىُّ : صحيحٌ .

وقال عبدُ الرزاقِ[5] ، عن معتمرِ بنِ سليمانَ وعبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ ، كلاهما عن سليمانَ التَّيْمىِّ ، حدثنى غُنَيْمُ بنُ قيسٍ ، سأَلْتُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ عن التمتعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ قال : فعلْتُها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وهذا يومئذٍ كافرٌ فى العُرُشِ . يعنى مكةَ ، ويعنى به معاويةَ .

---

(١) البخارى (١٥٦٧) ، ومسلم (١٢٤٢) .

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/١٦، ١٧ من طرق عن القعنبى وابن بكير وعبد الملك بن عبد العزيز بن أبى سلمة . كلهم عن مالك به .

(٣ - ٣) فى النسخ : « يذكر » . والمثبت من السنن الكبرى .

(٤) الترمذى (٨٢٣) ، والنسائى (٢٧٣٣) .

(٥) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٧، من طريق عبد الرزاق به .

ورواه مسلمٌ[1] مِن حديثِ شعبةَ، وسفيانَ الثوريِّ، ويحيى بنِ سعيدٍ، ومَرْوانَ الفَزاريِّ، أربعتُهم عن سليمانَ التَّيْميِّ، سمِعْتُ غُنَيْمَ بنَ قيسٍ، سأَلْتُ سعدًا عن المتعةِ فقال: قد فعَلْناها وهذا يومئذٍ كافرٌ بالعُرُشِ. وفى روايةِ يحيى بنِ سعيدٍ: يعنى معاويةَ. وهذا كلُّه مِن بابِ إطلاقِ التمتعِ على ما هو أعمُّ مِن التمتعِ الخاصِّ، وهو الإحرامُ بالعمرةِ والفراغُ منها، ثم الإحْرامُ بالحجِّ، ومِن القِرانِ، بل كلامُ سعدٍ فيه دَلالةٌ على إطلاقِ التمتعِ على الاعتمارِ فى أشهُرِ الحَجِّ، وذلك أنهم اعْتَمروا ومعاويةُ بعدُ [٣/ ٢٧٠ظ] كافرٌ بمكةَ قبلَ الحَجِّ، إما عمرةَ الحديبيةِ أو عمرةَ القَضاءِ، وهو الأشْبهُ، فأما عمرةُ الجِعْرانةِ فقد كان معاويةُ أسْلَم مع أبيه ليلةَ الفتحِ، ورُوِّينا أنه قَصَّر مِن شعْرِ النبىِّ ﷺ بمِشْقَصٍ فى بعضِ عُمَرِه، وهى عمرةُ الجِعْرانةِ لا محالةَ. واللَّهُ أعلمُ.

ذكرُ حُجَّةِ مَن ذَهَب إلى أنَّه، عليه الصلاةُ والسلامُ، كان قارِنًا [2]وسَرْدُ الأحاديثِ فى ذلك[2]

رِوايةُ أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه: قد تقَدَّم ما رَواه البخاريُّ[3] مِن حديثِ أبى عمرٍو الأوْزاعىِّ، سَمِعْتُ يحيى بنَ أبى كَثِيرٍ، عن عِكرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن عمرَ بنِ الخطابِ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) مسلم (١٢٢٥).

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) تقدم تخرجه فى صفحة ٤٢٠.

بوادى العَقِيقِ يقولُ : « أتانى آتٍ مِن ربى ، عزَّ وجلَّ ، فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارَكِ ، وقلْ : عُمرةٌ فى حَجَّةٍ » .

وقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[1] : أنبأنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ المُقْرِئُ[2] ببغدادَ ، أنبأنا أحمدُ بنُ سَلْمانَ[3] قال : قُرِئَ على عبدِ الملكِ بنِ محمدٍ وأنا أسْمَعُ : حدَّثنا أبو زيدٍ الهَرَوىُّ ، ثنا علىُّ بنُ المباركِ ، ثنا يحيى بنُ أبى كثيرٍ ، ثنا عكرِمةُ ، حدَّثنى ابنُ عباسٍ ، حدَّثنى عمرُ بنُ الخطابِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتانى جبريلُ ، عليه السلامُ ، وأنا بالعَقِيقِ فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارَكِ ركعتين ، وقُلْ : عُمرةٌ فى حَجَّةٍ . فقد دَخَلَتِ العمرةُ فى الحَجِّ إلى يومِ القيامةِ » . ثم قال البيهقىُّ : رواه البخارىُّ ، عن أبى زيدٍ الهَرَوىِّ[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا هُشَيْمٌ[6] ، ثنا سَيَّارٌ ، عن أبى وائلٍ أنَّ رجلًا كان نَصْرانِيًّا ، يقالُ له : الصُّبَىُّ بنُ مَعْبَدٍ . فأراد الجهادَ ، فقيل له : ابْدَأْ بالحجِّ . فأتَى الأشْعَرِىَّ فأمَرَه أن يُهِلَّ بالحجِّ والعُمرةِ جميعًا ، ففَعَل ، فبينما هو يُلَبِّى إذ مَرَّ بزيدِ[7] بنِ صُوحانَ ، وسلمانَ بنِ ربيعةَ ، فقال أحدُهما لصاحبِه : لَهذا أضَلُّ مِن بعيرِ أهلِه . فسَمِعَها الصُّبَىُّ فكَبُر ذلك عليه ، فلمَّا قَدِم أتَى عمرَ بنَ الخطابِ فذكَر ذلك له ، فقال له عمرُ : هُدِيتَ لسُنَّةِ نبيِّك ﷺ . قال : وسَمِعْتُه مرةً أُخرى

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ١٣.

(٢) فى م ، ص : « المقبرى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٢ .

(٣) فى م ، ص : « سليمان » .

(٤) البخارى (٧٣٤٣) .

(٥) المسند ١/ ٣٤ (إسناده صحيح) .

(٦) فى النسخ : « هاشم » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

(٧) فى ص ، والمسند : « يزيد » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٥٥ ، وأسد الغابة ٢/ ٢٩١ .

يقولُ : وُفِّقْتَ لسُنَّةِ نبيِّك ﷺ .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، عن الأعْمشِ ، عن شَقيقٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن الصُّبَىِّ بنِ مَعْبَدٍ ، عن عمرَ بنِ الخطابِ . فذَكَره ، وقال : إنَّهما لم يقولا شيئًا ، هُدِيتَ لسُنَّةِ نبيِّك ﷺ . ورَواه عن عبدِ الرزاقِ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن منصورٍ ، عن أبى وائلٍ به[1] .

ورواه [٣/ ٢٧١و] أيضًا ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبةَ ، عن الحكم ، عن أبى وائلٍ[2] ، وعن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن عَبْدةَ بنِ أبى لُبابةَ ، عن أبى وائلٍ[3] قال : قال الصُّبَىُّ بنُ مَعْبَدٍ : كنتُ رجلًا نَصْرانيًّا فأسْلَمْتُ ، فأهْلَلْتُ بحجٍّ وعمرةٍ ، فسمِعنى زيدُ بنُ صُوحانَ ، وسلمانُ بنُ ربيعةَ وأنا أُهِلُّ بهما ، فقالا : لَهذا أضَلُّ مِن بعيرِ أهلِه . فكأنما حُمِّل علىَّ بكلمتِهما جبلٌ ، فقَدِمْتُ على عمرَ فأخْبَرْتُه ، فأقْبَل عليهما فلامهما ، وأقْبَل علىَّ فقال : هُدِيتَ لسُنَّةِ النبىِّ ﷺ . قال عَبْدةُ : قال أبو وائلٍ : كثيرًا ما ذَهَبْتُ أنا ومسروقٌ إلى الصُّبَىِّ بنِ مَعْبَدٍ نَسْأَلُه عنه . وهذه أسانيدُ جيِّدةٌ على شرطِ الصحيحِ . وقد رَواه أبو داودَ ، والنسائىُّ ، وابنُ ماجه مِن طرقٍ ، عن أبى وائلٍ شَقيقِ بنِ سَلَمةَ به[4] .

وقال النسائىُّ فى كتابِ الحجِّ مِن « سننِه »[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ علىِّ بنِ

---

(١) المسند ١/٣٧ . (إسناده صحيح) .

(٢) المسند ١/١٤ . (إسناده صحيح) .

(٣) المسند ١/٢٥ . (إسناده صحيح) .

(٤) أبو داود (١٧٩٨، ١٧٩٩) . والنسائى (٢٧١٨، ٢٧١٩، ٢٧٢٠) . وابن ماجه (٢٩٧٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥٨٢) .

(٥) النسائى (٢٧٣٥) . صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائى ٢٥٦٣) .

الحسنِ بنِ شَقِيقٍ ، ثنا أبى ، عن [1]أبى حَمْزةَ السُّكَّرىِّ[1] ، عن مُطَرِّفٍ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ أنَّه قال : واللَّهِ إنِّى لأنهاكم عن المُتْعَةِ ، وإنَّها لفى كتابِ اللَّهِ ، وقد فَعَلَها النبىُّ ﷺ[2] . إسنادٌ جيدٌ .

روايةُ أميرَىِ المؤمنين عثمانَ وعلىٍّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شُعْبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : اجْتَمَع علىٌّ وعثمانُ بعُسْفانَ ، وكان عثمانُ يَنْهَى عن [4]المتعةِ أو[4] العمرةِ فقال علىٌّ : ما تُريدُ إلى أمْرٍ فَعَلَه رسولُ اللَّهِ ﷺ تَنْهَى عنه ! فقال عثمانُ : دَعْنا منك . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ مختصَرًا .

وقد أخْرَجاه فى « الصحيحين »[5] مِن حديثِ شعبةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : اخْتَلَف علىٌّ وعثمانُ وهما بعُسْفانَ فى المتعةِ ، فقال علىٌّ : ما تُريدُ إلَّا[6] أن[7] تَنْهَى عن أمْرٍ فَعَلَه رسولُ اللَّهِ ﷺ . فلما رأى ذلك علىٌّ ابنُ أبى طالبٍ أهَلَّ بهما جميعًا . وهكذا لفظُ البخارىِّ .

وقال البخارىُّ[8] : ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ[9] ، ثنا غُنْدَرٌ ، عن شعبةَ ، عن الحكمِ ،

(١ - ١) فى الأصل : « أبى حمزة السكوى » . وفى م ، ص : « جمرة السكرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤٤.

(٢) بعده فى سنن النسائى : « يعنى العمرة فى الحج » .

(٣) المسند ١/١٣٦ . (إسناده صحيح) .

(٤ -٤) سقط من : ٤١ . وفى المسند : « المتعة و » .

(٥) البخارى (١٥٦٩) ، ومسلم (١٥٩/١٢٢٣) .

(٦) فى النسخ وبعض نسخ البخارى : « إلى » .

(٧) فى م ، ص : « أين » .

(٨) البخارى (١٥٦٣) .

(٩) فى م ، ص : « يسار » . وانظر تهذيب التهذيب ٩/٧٠ .

عن عليِّ بنِ الحُسينِ ، عن مَرْوانَ بنِ الحكمِ قال : شَهِدْتُ عثمانَ وعليًّا وعثمانُ يَنْهَى عن المتعةِ ، وأن يُجْمَعَ بينَهما ، فلما رأى عليٌّ أهَلَّ بهما : لبَّيْك بعمرةٍ وحجٍّ ، قال : ما كنتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ النبيِّ ﷺ لقولِ أحدٍ . ورَواه النسائيُّ مِن حديثِ شعبةَ به[1] ، ومِن حديثِ الأعْمشِ[2] ، عن مسلمٍ البَطِينِ ، عن عليِّ بنِ الحسينِ به[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن قَتادةَ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ شَقيقٍ : كان عثمانُ يَنْهَى عن المتعةِ وعليٌّ يأمُرُ بها ، فقال عثمانُ لعليٍّ : إنَّك لَكذا وكذا . ثُم قال عليٌّ : لقد عَلِمْتَ أنَّا تَمَتَّعْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ . [٣/ ٢٧١ظ] قال : أجل ، ولَكِنَّا كُنَّا خائِفِين . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[5] . فهذا اعترافٌ مِن عثمانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، بما رواه عليٌّ ، رضى اللَّهُ عنه ، ومعلومٌ أن عليًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، أحْرَمَ عامَ حَجةِ الوَداعِ بإهْلالِ كإهْلالِ النبيِّ ﷺ ، وكان قد ساق الهَدْيَ ، وأمَرَه عليه الصلاةُ والسلامُ أن يَمْكُثَ حَرامًا ، وأشْرَكَه النبيُّ ﷺ فى هَدْيِه ، كما سيأتى بيانُه .

ورَوَى مالكٌ فى « المُوَطَّأ »[6] عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، أنَّ المِقْدادَ بنَ الأسْودِ دَخَل على عليِّ بنِ أبى طالبٍ بالسُّقْيا ، وهو يَنْجَعُ بَكَراتٍ له دقيقًا

---

(١) النسائى (٢٧٢٢) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٥٥٢) .

(٢) فى سنن النسائى : « الأشعث » . ولم يرو أحد بهذا الاسم عن مسلم البطين . وانظر تحفة الأشراف ٤٤٥/٧، ٤٤٦، وترجمة الأعمش ومسلم البطين فى تهذيب الكمال ٧٦/١٢، ٢٧/ ٥٢٦. وقد أخرجه أيضًا أحمد فى المسند ٩٥/١ ، من طريق الأعمش به .

(٣) النسائى (٢٧٢١) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٥٥١) .

(٤) المسند ٩٧/١ . (إسناده صحيح) .

(٥) مسلم (١٢٢٣/١٥٨) .

(٦) الموطأ ٣٣٦/١ .

وخَبَطًا[1] ، فقال : هذا عثمانُ بنُ عفانَ يَنْهَى عن أن يُقْرَنَ بينَ الحجِّ والعُمرةِ . فخرَج عليٌّ ، وعلى يدِه أثَرُ الدقيقِ والخَبَطِ - ما أنْسَى أثَرَ الدقيقِ والخَبَطِ على ذِراعَيْه - حتى دخَل على عثمانَ فقال : أنت تَنْهَى أن يُقْرَنَ بينَ الحجِّ والعمرةِ ؟ ! فقال عثمانُ : ذلك رَأْيى . فخرَج عليٌّ مُغْضَبًا وهو يقولُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبَّيْك بحَجَّةٍ وعُمرةٍ معًا .

وقد قال أبو داودَ فى « سننِه »[2] : ثنا يحيى بنُ مَعِينٍ ، ثنا حَجَّاجٌ ، ثنا يونسُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ بنِ عازِبٍ قال : كنتُ مع عليٍّ حينَ أمَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ على اليمنِ ، فذَكَر الحديثَ فى قدومِ عليٍّ ، قال عليٌّ : فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كيف صَنَعْتَ ؟ » قال : قلتُ : إنَّما أهْلَلْتُ بإهْلالِ النبىِّ ﷺ . قال : « إنِّى قد سُقْتُ الهَدْىَ وقَرَنْتُ »[3] . وقد رَواه النسائىُّ مِن حديثِ يحيى بنِ مَعِينٍ ، بإسنادِه[4] ، وهو على شرطِ الشيخَيْن ، وعَلَّله الحافظُ البيهقىُّ بأنَّه لم يَذْكُرْ هذا اللفظَ فى سِياقِ حديثِ جابرٍ الطويلِ[5] ، وهذا التعليلُ فيه نظرٌ ؛ لأنَّه قد رُوِىَ القِرانُ مِن حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، كما سيأتى قريبًا ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وروَى ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[6] ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ قال : خرَج

---

(١) ينجع بكراتٍ : أى يَعْلِفها . يُقال : نجعتُ الإبل . أى علفتُها النَّجُوع والنَّجِيع ، وهو أن يُخلَط العلف من الخبط والدقيق بالماء ، ثم تُسقاه الإبل . انظر النهاية ٥/ ٢٢.

(٢) أبو داود (١٧٩٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥٨١) .

(٣) بعده فى أبى داود : « قال : فقال لى : انحر من البدن سبعًا وستين أو ستًّا وستين وأمسك لنفسك ثلاثا وثلاثين ، وأمسك لى من كل بدنة منها بضعة » .

(٤) النسائى (٢٧٢٤) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٥٥٣) .

(٥) السنن الكبرى ٥/١٥ . واللفظ الذى يقصده المصنف هو : « وقرنت » .

(٦) الإحسان (٣٧٧٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده قوى .

رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن المدينةِ، وخَرَجْتُ أنا مِن اليمنِ، وقلتُ: لَبَّيْك بإهْلالِ كإهْلالِ النبيِّ ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: «فإنِّى أهْلَلْتُ بالحجِّ والعُمرةِ جميعًا».

روايةُ أنسِ بنِ مالكٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه: وقد رَواه عنه جماعةٌ مِن التابعين، ونحن نُورِدُهم مُرَتَّبِين على حروفِ المُعْجَمِ:

بكرُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنىُّ عنه: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا هُشَيْمٌ، ثنا حُمَيْدٌ الطويلُ، أنبأنا بكرُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنىُّ قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يُحَدِّثُ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّى [٣/ ٢٧٢و] بالحجِّ والعُمرةِ جميعًا، فحَدَّثْتُ بذلك ابنَ عمرَ فقال: لبَّى بالحجِّ وحدَه. فَلَقِيتُ أنسًا فحَدَّثْتُه بقولِ ابنِ عمرَ، فقال: ما تَعُدُّونا إلَّا صِبْيانًا، سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لَبَّيْك عُمرةً وحجًّا». ورواه البخارىُّ، عن مُسَدَّدٍ، عن بِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ[2]، عن حُمَيْدٍ به[3]. وأخْرَجه مسلمٌ، عن سُرَيْجِ بنِ يونُسَ، عن هُشَيْمٍ به[4]. وعن أميَّةَ بنِ بِسْطامٍ، عن يزيدَ ابنِ زُرَيْعٍ، عن حَبيبِ بنِ الشَّهيدِ، عن بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَنىِّ به[5].

ثابتٌ البُنانىُّ، عن أنسٍ: قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا وَكِيعٌ، عن ابنِ أبى لَيْلَى، عن ثابتٍ، عن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لبيك بعمرةٍ وحَجةٍ معًا».

تفرَّد به مِن هذا الوجهِ الحسنُ البَصْرىُّ عنه: قال الإمامُ أحمدُ[7]: ثنا

---

(١) المسند ٣/٩٩.

(٢) فى م، ص: «الفضل». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٤٧.

(٣) البخارى (٤٣٥٣، ٤٣٥٤).

(٤) مسلم (١٢٣٢/١٨٥).

(٥) مسلم (١٢٣٢/١٨٦).

(٦) المسند ٣/١٨٣.

(٧) المسند ٣/١٤٢.

رَوْحٌ ، ثنا أشْعَثُ [(١] عن الحسنِ [١)] عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه قَدِموا مكةَ وقد لبَّوا بحجٍّ وعمرةٍ ، فأمَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ ما طافوا بالبيتِ وبالصفا والمروةِ ، أن يُحِلُّوا وأن يَجْعَلوها عمرةً فكأنَّ[٢] القومَ هابوا ذلك ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لولا أنِّى سُقْتُ هَدْيًا لَأَحْلَلْتُ » . فأحَلَّ القومُ وتَمَتَّعوا .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ : ثنا الحسنُ بنُ قَزَعةَ[٣] ، ثنا سفيانُ بنُ حَبيبٍ ، ثنا أشْعَثُ ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ أنَّ النبىَّ ﷺ أهَلَّ هو وأصحابُه بالحجِّ والعمرةِ ، فلمَّا قَدِموا مكةَ طافوا بالبيتِ وبالصفا والمروةِ ، أمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُحِلُّوا ، فهابوا ذلك ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أحِلُّوا ، فلولا أن معى الهَدْىَ لأحْلَلْتُ » . فحَلُّوا حتى حَلُّوا إلى النساءِ . ثم قال البزارُ : لا نَعْلَمُ رواه عن الحسنِ إلا أشعثَ ابنَ عبدِ الملكِ .

حُمَيْدُ بنُ تِيرَوَيْهِ الطويلُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[٤] : حدثنا يحيى ، عن حُميدٍ ، سمِعْتُ أنسًا ، سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لبيك [٥)] بعُمْرةٍ وحجٍّ [٥)] » . هذا إسنادٌ ثلاثىٌّ على شرطِ الشيخَيْنِ ، ولم يُخْرِجاه ولا أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوجهِ .

لكن رواه مسلمٌ[٦] ، عن يحيى بنِ يحيى ، عن هُشَيْمٍ ، عن يحيى بنِ أبى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص ، والمسند : « فكان » . والمثبت كما فى الأصل ، م ، وجامع المسانيد للمصنف ٢١/ ٣٠٠، وهو أنسب للسياق .

(٣) فى ص : « فرعة » .

(٤) المسند ١٨٢/٣ .

(٥ - ٥) سقط من : ٤١ . وفى الأصل : « بعمرة وحجة وحج » . وفى م : « بحج وعمرة وحج » . وغير واضحة فى ص ، والمثبت من المسند .

(٦) مسلم (١٢٥١/٢١٤) .

إسحاقَ ، وعبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ وحُميدٍ أنَّهم سمِعوا أنسَ بنَ مالكٍ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أهَلَّ بهما جميعًا : « لَبَّيْك عُمرةً وحَجًّا ، لَبَّيْك عُمرةً وحَجًّا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا يَعْمَرُ بنُ بِشرٍ[2] ، ثنا عبدُ اللَّهِ ، أنبأنا حُمَيدٌ الطويلُ ، عن أنسٍ [٣/ ٢٧٢ظ] بنِ مالكٍ قال : ساق رسولُ اللَّهِ ﷺ بُدْنًا كثيرةً وقال : « لَبَّيْك بعمرةٍ وحجٍّ » . وإنى لَعِندَ فَخِذِ ناقتِه اليسرى . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ أيضًا .

حُمَيْدُ بنُ هِلالٍ العَدَوىُّ البَصْرىُّ عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مسندِه » : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا عبدُ الوَهَّابِ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، وحدَّثناه سَلَمةُ بنُ شَبِيبٍ ، ثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، أنبأنا مَعْمرٌ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ وحُميدِ بنِ هلالٍ ، عن أنسٍ قال : إنِّى رِدْفُ أبى طلحةَ ، وإنَّ رُكْبتَه لَتَمَسُّ ركبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُلَبِّى بالحجِّ والعمرةِ . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ على شرطِ الصحيحِ ولم يُخْرِجوه ، وقد تَأَوَّله البَزّارُ على أنَّ الذى كان يُلبِّى بالحجِّ والعمرةِ أبو طلحةَ ، قال : ولم يُنْكِرْ عليه النبىُّ ﷺ . وهذا التأويلُ فيه نظرٌ ولا حاجةَ إليه ؛ لمجيءِ ذلك مِن طرقٍ عن أنسٍ ، كما مضَى وكما سيأتى ، ثُم عَوْدُ الضميرِ إلى أقْرَبِ المَذكُورِين أوْلَى ، وهو فى هذه الصورةِ أقوى دَلالةً . واللَّهُ أعلمُ . وسيأتى فى روايةِ سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ عن أنسٍ صريحُ الردِّ على هذا التأويلِ .

---

(١) المسند ٣/٢٦٦ .

(٢) فى م : « يسر » . وغير واضحة فى ص . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٤.

زيدُ بنُ أسْلَمَ عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ : روَى سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ التَّنُوخيُّ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ النبيَّ ﷺ أهَلَّ بحجٍّ وعمرةٍ . حدَّثَناه الحسنُ بنُ عبدِ العزيزِ الجَرَوِيُّ ، ومحمدُ بنُ مِسْكينٍ ، قالا : حدَّثنا بِشرُ بنُ بكرٍ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أنسٍ . قلتُ : وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ الصحيحِ ، ولم يُخْرِجوه مِن هذا الوجهِ .

وقد رَواه الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[1] بأبسطَ مِن هذا السياقِ ، فقال : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى ، قالا : ثنا أبو العباسِ محمدُ ابنُ يعقوبَ ، أنبأنا العباسُ بنُ الوليدِ بنِ مَزْيَدٍ[2] ، أخْبَرَنى أبى ، ثنا سعيدُ[3] بنُ عبدِ العزيزِ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ وغيرِه ، أنَّ رجلًا أتَى ابنَ عمرَ فقال : بِمَ أهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال ابنُ عمرَ : أهَلَّ بالحجِّ . فانْصَرَف ، ثُم أتاه مِن العامِ المقبلِ ، فقال : بِمَ أهَلَّ رسولُ اللَّهِ ؟ قال : ألم تأْتِنى عامَ أولٍ ؟ قال : بلى ، ولكنَّ أنسَ بنَ مالكٍ يزْعُمُ أنَّه قَرَن . قال ابنُ عمرَ : إنَّ أنسَ بنَ مالكٍ كان يَدْخُلُ على النساءِ وهنَّ مُكَشَّفاتُ الرءوسِ ، وإنِّى كنتُ تحتَ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَمَسُّنى لُعابُها ، [٣/ ٢٧٣و] أسْمَعُه يُلَبِّى بالحجِّ .

سالمُ بنُ أبى الجَعْدِ الغَطَفانىُّ الكوفىُّ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا شَريكٌ ، عن منصورٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن أنسِ بنِ

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ٩ .

(٢) فى م ، ص : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٥٥ .

(٣) فى م ، ص : « شعيب » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥٣٩ .

(٤) المسند ٣/ ٢٨٠ .

مالكٍ يرْفَعُه إلى النبيِّ ﷺ ، أنَّه جَمَع بينَ الحجِّ والعمرةِ ، فقال : « لبيك [1] بعمرةٍ وحَجةٍ [1] معًا » . حسنٌ ولم يُخْرِجوه .

وقال الإمامُ أحمدُ [2] : ثنا عفانُ ، ثنا أبو عَوانةَ ، ثنا عثمانُ بنُ المغيرةِ ، عن سالمِ بنِ أبي الجَعْدِ ، عن سعدٍ مَوْلَى الحسنِ بنِ عليٍّ قال : خَرَجْنا مع عليٍّ فأتَيْنا ذا الحُلَيْفةِ ، فقال عليٌّ : إنِّي أريدُ أن أجْمَعَ بينَ الحجِّ والعمرةِ ، فمن أراد ذلك فلْيَقُلْ كما أقولُ . ثُم لَبَّى ، قال : لَبَّيْك بحَجَّةٍ وعُمرةٍ معًا . قال : وقال سالمٌ : وقد أخْبَرَني أنسُ بنُ مالكٍ قال : واللَّهِ إنَّ رِجْلي لَتَمَسُّ رِجلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإنَّه لَيُهِلُّ بِهما جميعًا . وهذا أيضًا إسنادٌ جيدٌ مِن هذا الوجهِ ، ولم يُخْرِجوه . وهذا السياقُ يَرُدُّ على الحافظِ البزارِ ما تَأَوَّل به حديثَ حُميدِ بنِ هلالٍ عن أنسٍ ، كما تَقَدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

سليمانُ بنُ طَرْخانَ التَّيْميُّ عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ : حدَّثنا يحيى بنُ حَبيبِ بنِ عربيٍّ ، ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، سمِعْتُ أبي يُحَدِّثُ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : سمِعْتُ النبيَّ ﷺ يُلَبِّي بهما جميعًا . ثم قال البزارُ : لم يَرْوِه عن التيميِّ إلا ابنُه المعتمرُ ، ولم يَسْمَعْه إلا مِن يحيى بنِ حَبيبٍ العربيِّ عنه .

قلتُ : وهو على شرطِ الصحيحِ ، ولم يُخْرِجوه .

سُوَيْدُ بنُ حُجَيْرٍ عنه : قال الإمامُ أحمدُ [3] : حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن أبي قَزَعَةَ سُوَيدِ بنِ حُجَيْرٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كنتُ رَديفَ أبي طلحةَ ، فكانت ركبةُ أبي طلحةَ تكادُ أن تُصيبَ ركبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكان

(١ - ١) في المسند : « بحجة وعمرة » .

(٢) المسند ٣/٢٨٠ .

(٣) المسند ٣/١٧١ .

رسولُ اللَّهِ ﷺ يُهِلُّ بهما . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، تفرد به أحمدُ ، ولم يُخْرِجوه ، وفيه ردٌّ على الحافظِ البزارِ صريحٌ .

عبدُ اللَّهِ بنُ زيدٍ أبو قِلابةَ الجَرْميُّ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا معمرٌ ، عن أيوبَ ، عن أبي قِلابةَ ، عن أنسٍ قال : كنتُ رَديفَ أبي طَلْحةَ وهو يُسايِرُ النبيَّ ﷺ . قال : فإنَّ رِجلي لَتمَسُّ غَرْزَ النبيِّ ﷺ ، فسمِعْتُه يُلَبِّي بالحجِّ والعمرةِ معًا .

وقد رواه البخاريُّ مِن طرقٍ[2] ، عن أيوبَ ، عن أبي قِلابةَ ، عن أنسٍ قال : صلَّى النبيُّ ﷺ الظهرَ بالمدينةِ أربعًا ، والعصرَ بذي الحُلَيْفةِ ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، [٣/٢٧٣ظ] ثم ركِب راحلتَه ، حتى استوت به على البَيْداءِ حمِد اللَّهَ وسبَّح وكبَّر ، وأهَلَّ بحجٍّ وعمرةٍ ، وأهَلَّ الناسُ بهما جميعًا . وفي روايةٍ له[3] : كنتُ رَديفَ أبي طلحةَ وإنهم لَيَصْرُخون بهما جميعًا ؛ الحجِّ والعمرةِ . وفي روايةٍ له[4] ، عن أيوبَ ، عن رجلٍ ، عن أنسٍ قال : ثم بات حتى أصبح ، فصلى الصبحَ ، ثم ركِب راحلتَه ، حتى إذا استوت به البَيْداءُ أهَلَّ بعمرةٍ وحجٍّ .

عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ : تقَدَّمت روايتُه عنه مع روايةِ حُميدٍ الطويلِ عنه عندَ مسلمٍ .

عليُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عليُّ بنُ حكيمٍ ، عن شَرِيكٍ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن أنسٍ أن رسولَ اللَّهِ

---

(١) المسند ٣/١٦٤ .

(٢) البخاري (١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٥١، ١٧١٢، ١٧١٤، ١٧١٥، ٢٩٥١، ٢٩٨٦) .

(٣) البخاري (٢٩٨٦) .

(٤) البخاري (١٧١٥) .

ﷺ لبَّى بهما جميعًا . هذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ السننِ ، وهو على شرطِهم .

قتادةُ بنُ دِعامةَ السَّدوسيُّ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا بَهْزٌ وعبدُ الصمدِ ، المعنَى ، قالا : ثنا همامُ بنُ يحيى ، ثنا قتادةُ قال : سأَلْتُ أنسَ بنَ مالكٍ قلتُ : كم حجَّ النبيُّ ﷺ ؟ قال : حَجةً واحدةً ، واعْتَمر أربعَ مراتٍ ؛ عمرتُه زمنَ الحديبيةِ ، وعمرتُه فى ذى القَعْدِة [2] مِن المدينةِ ، وعمرتُه مِن الجِعْرانِة فى ذى القَعْدِة[2] حيث قسَم غنيمةَ حنينٍ ، وعمرتُه مع حَجتِه . وأخرجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ همامِ بنِ يحيى به[3] .

مصعبُ بنُ سُلَيمٍ الزبيريُّ مولاهم عنه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا وَكيعٌ ، ثنا مصعبُ بنُ سليمٍ ، سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : أَهَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بحَجةٍ وعمرةٍ . تفرد به أحمدُ .

يحيى بنُ إسحاقَ الحَضْرميُّ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا يحيى بنُ أبى إسحاقَ وعبدُ العزيزِ بنُ صهيبٍ وحُميدٌ الطويلُ ، عن أنسٍ أنهم سمِعوه يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّى بالحجِّ والعمرةِ جميعًا ، يقولُ : « لبيك عمرةً وحَجًّا ، لبيك عمرةً وحَجًّا » . وقد تقدم أن مسلمًا رواه عن يحيى بنِ يحيى ، عن هشيمٍ به .

---

(١) المسند ٣/١٣٤ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) البخارى (١٧٧٨، ١٧٧٩، ١٧٨٠، ٣٠٦٦، ٤١٤٨) ، ومسلم (١٢٥٣) .

(٤) المسند ٣/١٨٣ .

(٥) المسند ٣/٩٩ .

وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا[1] : ثنا عبدُ الأعلى ، عن يحيى ، عن أنسٍ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مكةَ . قال : فسمِعْتُه يقولُ : « لبيك عمرةً وحَجًّا » .

أبو أسماءَ[2] الصَّيْقَلُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا حسنٌ ، ثنا زهيرٌ ، وحدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثنا زهيرٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى أسماءَ الصَّيْقَلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : خرَجْنا نَصْرُخُ بالحَجِّ ، فلما قدِمْنا مكةَ أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نجْعَلَها عمرةً ، وقال : « لو استقْبَلْتُ [٣/ ٢٧٤و] مِن أمرى ما استَدْبَرْتُ لجعَلْتُها عمرةً ، ولكنى سُقْتُ الهَدْىَ وقرَنْتُ الحجَّ بالعمرةِ[4] » .

ورواه النسائىُّ[5] ، عن هَنَّادٍ ، عن أبى الأحْوصِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى أسماءَ الصَّيْقلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّى بهما .

أبو قُدامةَ الحَنفىُّ - ويقالُ : إن اسمَه محمدُ بنُ عُبَيْدٍ - عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، حدثنا شعبةُ ، عن يونسَ بنِ عُبَيْدٍ ، عن أبى قُدامةَ الحَنفىِّ قال : قلتُ لأنسٍ : بأىِّ شىءٍ كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّى[7] ؟ فقال : سمِعْتُه سبعَ مراتٍ[8] : بعُمرةٍ وحَجةٍ [9]بعُمرة وحجةٍ[9] . تفرد به الإمامُ أحمدُ ،

---

(١) المسند ٣/١٨٧ .

(٢) سقط من : م .

(٣) المسند ٣/١٤٨ من رواية حسن بن موسى ، و٣/٢٦٦ من رواية أحمد بن عبد الملك .

(٤) فى المسند : « والعمرة » .

(٥) النسائى (٢٧٢٩) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٥٥٨) .

(٦) المسند ٣/ ١٤٢ .

(٧) فى المسند : « يهل » .

(٨) بعده فى م : « يلبى » .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل م ، ص .

وهو إسنادٌ جيدٌ قويٌّ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ .

وروَى ابنُ حِبانَ فى « صحيحِه »[1] عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قرَن بينَ الحجِّ والعمرةِ ، وقرَن القومُ معه .

وقد أوْرَد الحافظُ البيهقىُّ بعضَ هذه الطرقِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ[2] ، ثم شرَع يُعَلِّلُ ذلك بكلامٍ فيه نظرٌ ، وحاصلُه أنه قال : والاشتباهُ وقَع لأنسٍ ، لا لمن دونه ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ سمِعه[3] ﷺ يُعَلِّمُ غيرَه كيف يُهِلُّ بالقِرانِ ، لا أنه يُهِلُّ بهما عن نفسِه . واللَّهُ أعلمُ . [4]قال : وقد رُوِى ذلك عن غيرِ أنسِ بنِ مالكٍ ، وفى ثبوتِه نظرٌ[4] .

قلتُ : ولا يَخْفَى ما فى هذا الكلامِ مِن النظرِ الظاهرِ لمن تأمَّله ، وربما كان ترْكُ هذا الكلامِ أوْلَى منه ، إذ فيه تطَرُّقُ احتمالٍ إلى حفظِ الصحابىِّ مع تواترِه عنه كما رأيْتَ آنفًا ، وفتحُ هذا يُفْضِى إلى محذورٍ كبيرٍ[5] . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

حديثُ البرَاءِ بنِ عازبٍ فى القِرانِ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[6] : أنبأنا أبو الحسينِ بنُ بشْرانَ ، أنبأنا علىُّ بنُ محمدٍ المصرىُّ ، حدثنا أبو غَسَّانَ مالكُ بنُ يحيى ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأنا زكريا بنُ أبى زائدةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ قال : اعْتَمر رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ عُمَرٍ ، كلُّهنَّ فى ذى القَعْدةِ . فقالت عائشةُ : لقد علِم أنه اعْتَمر أربعَ عُمَرٍ بعمرتِه التى حَجَّ معها . قال البيهقىُّ :

---

(١) الإحسان (٣٩٣١) .
(٢) السنن الكبرى ٥/ ٩، ١٠ .
(٣) بعده فى م : « رسول اللَّه » . وسمعه : أى سمع أنس رسولَ اللَّه ﷺ .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥) انظر تعليق صاحب الجوهر النقى على سنن البيهقى . السنن الكبرى ٥/ ١٢، ١٣ .
(٦) السنن الكبرى ٥/ ١١ .

ليس هذا بمحفوظٍ . قلتُ : سيأتى بإسنادٍ صحيحٍ إلى عائشةَ نحوُه .

روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رضى اللَّهُ عنهما : قال الحافظُ أبو الحسنِ الدارَقطنىُّ[1] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى داودَ ، ومحمدُ بنُ جعفرِ بنِ رُمَيْسٍ ، والقاسمُ بنُ إسماعيلَ أبو عُبَيدٍ ، وعثمانُ بنُ جعفرٍ اللَّبَّانُ وغيرُهم ، قالوا : حدَّثنا أحمدُ بنُ يحيى الصُّوفىُّ ، ثنا زيدُ بنُ الحُبَابِ ، ثنا سفيانُ الثورىُّ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن [٣/ ٢٧٤ظ] جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : حجَّ النبىُّ ﷺ ثلاثَ حِججٍ ؛ حَجتين قبلَ أن يُهاجِرَ ، وحَجةً قرَن معها عمرةً . وقد روَى هذا الحديثَ الترمذىُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ سفيانَ بنِ سعيدٍ الثورىِّ به[2] . أمَّا الترمذىُّ ، فرواه عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى زيادٍ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، عن سفيانَ به ، ثم قال : غريبٌ مِن حديثِ سفيانَ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ زيدِ بنِ الحُبابِ ، ورأيْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الرحمنِ - يعنى الدَّارِمِىَّ[3] - رَوَى هذا الحديثَ فى كتبِه عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى زيادٍ ، وسأَلْتُ محمدًا عن هذا ، فلم يَعْرِفْه[4] ، ورأيتُه لا يَعُدُّه محفوظًا . قال : وإنما رُوِىَ عن الثورىِّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن مجاهدٍ مرسلًا .

وفى « السننِ الكبيرِ »[5] للبيهقىِّ قال أبو عيسى الترمذىُّ : سأَلْتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ البخارىَّ عن هذا الحديثِ ، فقال : هذا حديثٌ خطأٌ ، وإنما رُوِىَ هذا عن الثورىِّ مرسلًا . قال البخارىُّ : وكان زيدُ بنُ الحُبابِ إذا رَوى حِفْظًا[6] ربما

---

(١) سنن الدارقطنى ٢/ ٢٧٨. ومن طريقه أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٢.

(٢) الترمذى (٨١٥)، وابن ماجه (٣٠٧٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٥٢) .

(٣) فى م : « الرازى » .

(٤) بعده فى الترمذى : « من حديث الثورى عن جعفر عن أبيه عن جابر عن النبى ﷺ » .

(٥) السنن الكبرى ٥/ ١٢.

(٦) فى م، ص : « خطأ » .

غَلِط فى الشىءِ[1] . وأما ابنُ ماجه فرواه عن القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عَبَّادٍ المُهَلَّبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ داودَ الخُرَيْبىِّ ، عن سفيانَ به . وهذه طريقٌ لم يَقِفْ عليها الترمذىُّ ولا البيهقىُّ ، ورُبما ولا البخارىُّ حيث تكلم فى زيدِ بنِ الحُبابِ ظانًّا أنه انفرد به ، وليس كذلك . واللَّهُ أعلمُ .

طريقٌ أخرى عن جابرٍ : قال أبو عيسى الترمذىُّ[2] : حدَّثنا [3]ابنُ أبى عمرَ[3] ، حدثنا أبو معاويةَ ، عن حجاجٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قرَن الحجَّ والعمرةَ ، وطاف لهما طوافًا واحدًا . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ . وفى نسخةٍ : صحيحٌ . ورواه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[4] عن جابرٍ قال : لم يَطُفِ النبىُّ ﷺ إلا طوافًا واحدًا لحَجِّه ولعمرتِه .

قلتُ : حجاجٌ هذا هو ابنُ أرْطاةَ ، وقد تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ[5] ، ولكن قد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ أيضًا ، كما قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ فى « مسندِه »[6] : حدَّثنا مُقَدَّمُ بنُ محمدٍ ، حدثنى عمِّى القاسمُ بنُ يحيى بنِ مُقَدَّمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قدِم فقرَن بينَ الحجِّ والعمرةِ ، وساق الهَدْىَ . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/ ٢٧٥و] « مَن لم يُقَلِّدِ الهَدْىَ فلْيَجْعَلْها عمرةً » . ثم قال البزارُ : وهذا الكلامُ لا نَعْلَمُه يُرْوَى عن جابرٍ إلا مِن هذا الوجهِ

---

(١) السنن الكبرى الموضع السابق .

(٢) الترمذى (٩٤٧) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٧٥٥) .

(٣ - ٣) وقع فى سنن الترمذى : « ابن عمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٦٣٩.

(٤) الإحسان : (٣٨١٩، ٣٩١٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح .

(٥) انظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٢٠ - ٤٢٨. وتهذيب التهذيب ٢/ ١٩٦ - ١٩٨.

(٦) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٦، وعزاه إلى البزار ، وقال بعده : ورجاله رجال الصحيح .

بهذا الإسنادِ. انفرد بهذه الطريقِ البزارُ فى «مسندِه»، وإسنادُها غريبٌ جدًّا، وليست فى شىءٍ مِن الكتبِ الستةِ مِن هذا الوجهِ. واللَّهُ أعلمُ.

روايةُ أبى طلحةَ زيدِ بنِ سهلٍ الأنصارىِّ، رضىَ اللَّهُ عنه: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدثنا أبو معاويةَ، ثنا حجاجٌ - هو ابنُ أرْطاةَ - عن الحسنِ بنِ سعدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: أخبرنى أبو طلحةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جَمَع بينَ الحجِّ والعمرةِ. ورواه ابنُ ماجه[2]، عن علىِّ بنِ محمدٍ، عن أبى مُعاويةَ بإسنادِه، ولفظُه: أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قرَن[3] الحجَّ والعمرةَ. الحجاجُ بنُ أرْطاةَ [4]فيه ضعفٌ[4]. واللَّهُ أعلمُ.

روايةُ سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ[5]: قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدثنا مَكىُّ[7] ابنُ إبراهيمَ، ثنا داودُ - يعنى ابنَ يَزِيدَ[8] - سمِعْتُ عبدَ الملكِ الزَّرَّادَ يقولُ: سمِعْتُ النَّزَّالَ بنَ سَبْرةَ صاحبَ علىٍّ يقولُ: سمِعْتُ سُراقةَ يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «دخَلَت العمرةُ فى الحجِّ إلى يومِ القيامةِ». قال: وقرَن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجةِ الوَداعِ.

روايةُ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ عن النبىِّ ﷺ أنه تمتع بالحجِّ إلى العمرةِ، وهو

---

(١) المسند ٤/ ٢٨.

(٢) ابن ماجه (٢٩٧١). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٠٥).

(٣) بعده فى الأصل، م: «بين».

(٤ - ٤) فى الأصل: «ضعيف».

(٥) فى ص: «جشم». وانظر الإصابة ٣/ ٤١، ٤٢.

(٦) المسند ٤/ ١٧٥. قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٣٥: رواه أحمد، وفيه داود بن يزيد الأودى، وهو ضعيف.

(٧) فى ص: «على». وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٧٦، ٤٧٧.

(٨) فى الأصل، م: «سويد». وفى ص: «زيد». وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٦٧، ٤٦٨.

القِرانُ : قال الإمامُ مالكٌ[1] : عن ابنِ شِهابٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ [2]الحارثِ بنِ[2] نوفلِ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ أنه حدَّثه ، أنه سمِع سعدَ بنَ أبى وقاصٍ والضحاكَ بنَ قيسٍ عامَ حجَّ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ يذكُرُ التمتعَ بالعمرةِ إلى الحجِّ ، فقال الضحاكُ : لا يصنَعُ ذلك إلا مَن جهِل أمْرَ اللَّهِ . فقال سعدٌ : بئس ما قلتَ يا بنَ أخى . فقال الضحاكُ : فإن عمرَ بنَ الخطابِ كان ينْهَى عنها . فقال سعدٌ : قد صنَعها رسولُ اللَّهِ ﷺ وصنَعْناها معه . ورواه الترمذىُّ والنسائىُّ جميعًا ، عن قتيبةَ ، عن مالكٍ به[3] . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، ثنا سليمانُ - يعنى التَّيْمىَّ - حدثنى غُنَيْمٌ قال : سأَلْتُ ابنَ أبى وقاصٍ عن المتعةِ فقال : فعَلْناها وهذا كافرٌ بالعُرُشِ . يعنى معاويةَ . هكذا رواه مختصرًا . وقد رواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[5] مِن حديثِ سفيانَ بنِ سعيدٍ الثورىِّ ، وشعبةَ ومَرْوانَ الفَزارىِّ ويحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، أربعتُهم عن سليمانَ بنِ طَرْخانَ التَّيْمىِّ ، سمِعْتُ [٣/ ٢٧٥ظ] غُنَيْمَ بنَ قيسٍ ، سأَلْتُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ عن المتعةِ ، فقال : قد فعَلْناها وهذا يومَئذٍ كافرٌ بالعُرُشِ . قال يحيى بنُ سعيدٍ فى روايتِه : يعنى معاويةَ . ورواه عبدُ الرزاقِ[6] ، عن معتمِرِ بنِ سليمانَ وعبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ ، كلاهما عن سليمانَ التَّيْمىِّ ، عن غُنَيْمِ ابنِ قيسٍ ، سأَلْتُ سعدًا عن التمتعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ ، فقال : فعَلْتُها مع رسولِ اللَّهِ

---

(١) الموطأ ١/ ٣٤٤.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الموطأ برواية أبى مصعب ١/ ٤٣٧. وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٥٦ حاشية (٤) .

(٤) المسند ١/ ١٨١. (إسناده صحيح) .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٥٧ حاشية (١) .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٥٦ حاشية (٥) .

ﷺ وهذا يومَئذٍ كافرٌ بالعُرُشِ . يعنى مكةَ ، ويعنى به معاويةَ ، وهذا الحديثُ الثانى أصحُّ إسنادًا ، وإنما ذكَرْناه اعتِضادًا لا اعتمادًا ، والأولُ صحيحُ الإسنادِ ، وهو[1] أصْرَحُ فى المقصودِ مِن هذا . واللَّهُ أعلمُ .

[2]**روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوْفَى** : قال الطبرانىُّ[3] : حدثنا سعيدُ بنُ محمدِ بنِ المغيرةِ المصرىُّ ، حدثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، حدثنا يزيدُ بنُ عطاءٍ ، عن إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى قال : إنما جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ الحجِّ والعمرةِ ؛ لأنه علِم أنه لم يكُنْ حاجًّا بعدَ ذلك العامِ[2] .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا أبو النَّضْرِ ، ثنا داودُ - يعنى العطَّارَ[5] - عن عمرٍو ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : اعتَمر رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعَ عُمَرٍ ؛ عمرةَ الحديبيةِ ، وعمرةَ القضاءِ ، والثالثةَ مِن الجِعْرانةِ ، والرابعةَ التى مع حَجتِه . وقد رواه أبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجه مِن طرقٍ ، عن داودَ بنِ عبدِ الرحمنِ العَطَّارِ المكىِّ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ به[6] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ . ورواه الترمذىُّ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن عمرٍو ، عن عِكرمةَ مرسلًا[7] . ورواه

---

(١) فى م : « هذا » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) المعجم الأوسط (٣٦٣٣) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٣٦ : رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفيه يزيد بن عطاء وثَّقه أحمد وغيره وفيه كلام . وكلمة « العام » ليست فى المعجم ولا المجمع .

(٤) المسند ١/ ٢٤٦ .

(٥) فى م ، ص : « القطان » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤١٣ ، ٤١٤ .

(٦) أبو داود (١٩٩٣) ، والترمذى (٨١٦) ، وابن ماجه (٣٠٠٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٥٥) .

(٧) الترمذى (٨١٦) .

الحافظُ البيهقيُّ مِن طريقِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ البَغَوىِّ ، عن الحسنِ بنِ الربيعِ وشِهابِ بنِ عَبَّادٍ ، كلاهما عن داودَ بنِ عبدِ الرحمنِ العَطَّارِ فذكَره[1] . وقال : الرابعةُ التى قَرَنها[2] مع حَجتِه .

ثم قال أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ : ليس أحدٌ يقولُ فى هذا الحديثِ عن ابنِ عباسٍ إلا داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ . ثم حكَى البيهقىُّ عن البخارىِّ أنه قال : داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ صدوقٌ ، إلا أنه ربما يَهِمُ فى الشىءِ[3] .

وقد تقدم ما رواه البخارىُّ[4] ، مِن طريقِ ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ أنه قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ بوادى العَقيقِ : « أتانى آتٍ مِن ربى ، فقال : صلِّ فى هذا الوادى المباركِ ، وقل : عمرةٌ فى حَجةٍ » . فلعل هذا مستندُ ابنِ عباسٍ فيما حكاه . [٣/ ٢٧٦و] واللَّهُ أعلمُ .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، رضى اللَّهُ عنهما : قد تقدم فيما رواه البخارىُّ ومسلمٌ ، مِن طريقِ الليثِ ، عن عُقَيلٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه قال : تمتع رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجةِ الوَداعِ ، وأهْدَى فساق الهَدْىَ مِن ذى الحُلَيْفةِ ، وبدأ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأهَلَّ بالعمرةِ ، ثم أهَلَّ بالحجِّ . وذكَر تمامَ الحديثِ فى عدمِ إحْلالِه بعدَ السَّعْيِ ، فعُلِم كما قرَّرْناه أولًا أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يكنْ متمتعًا التمتعَ الخاصَّ ، وإنما كان قارنًا ؛ لأنه[5] اكْتَفى بطوافٍ واحدٍ بينَ

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ١٢.

(٢) فى الأصل : « قرن » .

(٣) السنن الكبرى الموضع السابق .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٢٠ .

(٥) بعده فى م ، ص : « حكى أنه عليه السلام لم يكن متمتعا » .

الصفا والمروةِ عن حَجِّه وعمرتِه ، وهذا شأنُ القارنِ على مذهبِ الجمهورِ كما سيأتى بيانُه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ أبو يعلى المَوْصلىُّ[1] : ثنا أبو خَيْثمةَ ، ثنا يحيى بنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ طاف طوافًا واحدًا لإقرانِه ، لم يُحِلَّ بينَهما ، واشْتَرى مِن الطريقِ . يعنى الهَدْىَ . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، رجالُه كلُّهم ثِقاتٌ ، إلا أن يحيى بنَ يَمانٍ - وإن كان مِن رجالِ مسلمٍ - فى أحاديثِه عن الثورىِّ نَكارةٌ شديدةٌ . واللَّهُ أعلمُ . ومما يُرَجِّحُ أن ابنَ عمرَ أراد بالإفْرادِ الذى رواه إفرادَ أفعالِ الحجِّ ، لا الإفرادَ الخاصَّ الذى يَصيرُ إليه أصحابُ الشافعىِّ - وهو الحجُّ ثم الاعتمارُ بعدَه فى بقيةِ ذى الحِجَّةِ - قولُ الشافعىِّ[2] : أنبأنا مالكٌ ، عن صَدَقَةَ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه قال : لأن أَعْتَمِرَ قبلَ الحجِّ وأُهْدِىَ أحبُّ إلىَّ مِن أن أعْتَمِرَ بعدَ الحجِّ فى ذى الحِجةِ .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، رضى اللَّهُ عنهما : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا أبو أحمدَ - يعنى الزُّبَيْرىَّ - حدثنا يونُسُ بنُ الحارثِ ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ إنما قَرَن خشيةَ أن يُصَدَّ عن البيتِ ، وقال : « إن لم تكنْ حَجةٌ فعمرةٌ » . وهذا حديثٌ غريبٌ سندًا ومَتْنًا . تفرد بروايتِه الإمامُ

---

(١) لم نجده فى مسند أبى يعلى . والحديث أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٣٨، والترمذى (٩٠٧) ، وابن ماجه (٣١٠٢) ، من طريق يحيى بن اليمان به . وضعف إسناده الشيخ الألبانى فى (ضعيف سنن ابن ماجه ٦٦٢) وقال : والصحيح أن النبى ﷺ ساق هديه من ذى الحليفة . وقد أخرجه البخارى (١٦٩٣) ، موقوفًا على ابن عمر .

(٢) ترتيب مسند الشافعى (٩٦٤) .

(٣) المسند ٢/٢١٤ ، ٢١٥. قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٣٥، ٢٣٦: رواه أحمد ، وهو مرسل ، وفيه يونس بن الحارث ؛ وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه أحمد وغيره ، ولا أدرى ما معنى قوله : خشية أن يُصد عن البيت .

أحمدُ . وقد قال أحمدُ فى يونسَ بنِ الحارثِ الثقفىِّ هذا : كان مضطربَ الحديثِ . وضعَّفه ، وكذا ضعَّفه يحيى بنُ مَعينٍ فى روايةٍ عنه ، والنسائىُّ[1] ، وأما مِن حيث المتنُ ، فقولُه : إنما قرَن رسولُ اللَّهِ ﷺ خشيةَ أن يُصَدَّ عن البيتِ . فمَن الذى كان يَصُدُّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، عن البيتِ ؟ وقد أطَّد اللَّهُ[2] الإسلامَ ، وفَتَح البلدَ الحرامَ ، وقد نُودِىَ برِحابِ مِنًى أيامَ المَوْسمِ فى العامِ الماضى أن لا يَحُجَّ بعدَ العامِ مشركٌ ، ولا يَطُوفَنَّ بالبيتِ عُرْيانٌ ، وقد [٣/ ٢٧٦ظ] كان معه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى حَجةِ الوَداعِ قريبٌ مِن أربعين ألفًا[3] . وما هذا بأعجبَ مِن قولِ أميرِ المؤمنين عثمانَ لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ حينَ قال له علىٌّ : لقد علِمْتَ أنا تمتعْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال : أجلْ ، ولكنّا كنّا خائفين[4] . ولستُ أدرى علامَ يُحْمَلُ هذا الخوفُ ؟ [5]ولا[5] مِن أىِّ جهةٍ كان ؟ إلا أنه تضَمَّن روايةَ الصحابىِّ لما رواه ، وحَمَله على معنًى ظنَّه ، فما رواه صحيحٌ مقبولٌ ، وما اعتقده فليس بمعصومٍ فيه ، فهو موقوفٌ عليه ، وليس بحُجَّةٍ على غيرِه ، ولا يَلْزَمُ منه ردُّ الحديثِ الذى رواه . وهكذا قولُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو لو صح السندُ إليه . واللَّهُ أعلمُ .

روايةُ عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، رضى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا محمدُ ابنُ جعفرٍ وحجاجٌ ، قالا : ثنا شعبةُ ، عن حميدِ بنِ هلالٍ ، سمِعْتُ مُطَرِّفًا قال :

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٠١ - ٥٠٣، وتاريخ ابن معين ٢/ ٦٨٧، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٧٩، والضعفاء والمتروكين للنسائى ص ٢٤٧.

(٢) بعده فى م : «له».

(٣) بعده فى الأصل، م، ص : «فقوله : خشية أن يصد عن البيت».

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٤ .

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٤.

(٦) المسند ٤/ ٤٢٧.

قال لى عمرانُ بنُ حصينٍ : إنى مُحَدِّثُك حديثًا عسى اللَّهُ أن ينفعَك به ؛ إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد جَمَع بينَ حَجةٍ وعمرةٍ ، ثم لم يَنْهَ عنه حتى مات ، ولم يَنْزِلْ قرآنٌ فيه يُحَرِّمُه ، وإنه كان يُسَلِّمُ علىَّ ، فلما اكْتَوَيْتُ أمْسَك عنِّى ، فلما ترَكْتُه عاد إلىَّ . وقد رواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ المثَنَّى ومحمدِ بنِ بَشَّارٍ ، عن غُنْدَرٍ و[1] عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ ، عن أبيه ، والنسائىُّ عن محمدِ بنِ عبدِ الأعْلَى ، عن خالدِ بنِ الحارثِ ، ثلاثتُهم عن شعبةَ ، عن حميدِ بنِ هلالٍ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عِمرانَ به[2] . ورواه مسلمٌ[3] ، مِن حديثِ شعبةَ وسعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن عِمرانَ بنِ الحُصينِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جمَع بينَ حجٍّ وعمرةٍ . الحديثَ .

قال الحافظُ أبو الحسنِ الدارَقطنىُّ[4] : حديثُ شعبةَ ، عن حميدِ بنِ هلالٍ ، عن مُطَرِّفٍ صحيحٌ ، وأما حديثُه عن قتادةَ ، عن مُطَرِّفٍ فإنما رواه عن شعبةَ كذلك بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ ، وقد رواه غُنْدَرٌ وغيرُه ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ .

قلتُ : وقد رواه أيضًا النسائىُّ فى « سننِه »[5] عن عمرِو بنِ علىٍّ الفَلَّاسِ ، عن خالدِ بنِ الحارثِ ، عن شعبةَ ، وفى نسخةٍ : عن سعيدٍ . بدلَ شعبةَ ، عن قتادةَ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عِمرانَ بنِ الحصينِ ، فذكَره . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) مسلم (١٢٢٦/٠٠٠) ، (١٢٢٦/١٦٧) ، والنسائى (٢٧٢٥) .
(٣) مسلم (١٦٨، ١٦٩/ ١٢٢٦) .
(٤) انظر تحفة الأشراف ١٩٠/٨ .
(٥) النسائى (٢٧٢٦) .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ همامٍ ، عن قتادةَ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عمرانَ بنِ الحصينِ قال : تَمَتَّعْنا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم لم يَنْزِلْ قرآنٌ يُحَرِّمُه ، ولم يُنْهَ عنها حتى مات رسولُ اللَّهِ ﷺ .

روايةُ الهِرْماسِ بنِ زيادٍ الباهلىِّ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[2] : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرانَ بنِ أبى[3] علىٍّ أبو محمدٍ ، مِن أهلِ الرَّىِّ ، وكان أصلُه أصْبَهانيًّا ، حدثنا يحيى بنُ الضُّرَيْسِ ، حدثنا عكرمةُ بنُ عمارٍ ، عن الهِرْماسِ قال : كنتُ رِدْفَ أبى فرَأَيْتُ النبىَّ [٣/٢٧٧و] ﷺ وهو على بعيرٍ وهو يقولُ : « لبيكَ[4] بحَجةٍ وعمرةٍ معًا » . وهذا على شرطِ السننِ ، ولم يُخْرِجوه .

روايةُ حَفْصةَ بنتِ عمرَ أمِّ المؤمنين ، رضى اللَّهُ عنها : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن حَفْصةَ أنها قالت للنبىِّ ﷺ : ما لك لم تَحِلَّ مِن عُمرتِك ؟ قال : « إنى لبَّدْتُ رأسى ، وقلَّدْتُ هَدْيِى ، فلا أُحِلُّ حتى أنْحَرَ » . وقد أخرجاه فى « الصحيحين »[6] مِن حديثِ مالكٍ وعُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ . زاد البخارىُّ[7] : وموسى بنِ عقبةَ . زاد

---

(١) البخارى (١٥٧١) ، ومسلم (١٧٠/ ١٢٢٦) . والجملة الأخيرة من الحديث من رواية أبى رجاء العطاردى عن عمران بن الحصين عند البخارى (٤٥١٨) ، ومسلم (١٧٢/ ١٢٢٦)

(٢) المسند ٣/ ٤٨٥ . من رواية الإمام أحمد ، وهذا خطأ . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٣٥: رواه عبد اللَّه فى زياداته ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات . وقال الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند ٥/ ٤٢٩: هذه زيادة منكرة ، يعنى قوله : « لبيك بحجة وعمرة معًا » .

(٣) سقط من النسخ والمسند . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٧٩، وتقريب التهذيب ١/ ٤٣٨.

(٤) بعده فى الأصل : « لبيك » .

(٥) المسند ٦/ ٢٨٤.

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٢٩ .

(٧) البخارى (٤٣٩٨) .

مسلمٌ[1] : وابنِ جُرَيجٍ ، كلُّهم عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ به . وفى لفظِهما أنها قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ما شأنُ الناسِ حلُّوا مِن العمرةِ ولم تَحِلَّ أنت مِن عمرتِك ؟ فقال : « إنى قلَّدْتُ هدْيِى ، ولبَّدْت رأسى ، فلا أَحِلُّ حتى أنحَرَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا[2] : [3]حدثنا أبو اليَمانِ[3] ، حَدَّثَنا شعيبُ بنُ أبى حَمْزةَ قال : قال نافعٌ : كان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ يقولُ : أخبرَتنا حفصةُ زوجُ النبىِّ ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر أزواجَه أن يَحلِلْنَ عامَ حَجَّةِ الوداعِ . فقالت له فلانةُ : ما يمنعُك أن تَحِلَّ ؟ قال : « إنى لبَّدْتُ رأسى ، وقلَّدْتُ هَديِى ، فلستُ أُحِلُّ حتى أنحرَ هَديِى » .

وقال أحمدُ أيضًا[4] : حدثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، حدثنا أبى ، عن ابنِ[5] إسحاقَ ، حدثنى نافعٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن حفصةَ بنتِ عمرَ ، أنها قالت : لما أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ نساءَه أن يَحْلِلْنَ بعمرةٍ ، قلنا[6] : فما يمنعُك يا رسولَ اللَّهِ أن تَحِلَّ معنا ؟ قال : « إنى أهْدَيْتُ ولبَّدْتُ ، فلا أَحِلُّ حتى أنحرَ هديِى » . ثم رواه أحمدُ[7] ، عن كثيرِ بنِ هشامٍ ، عن جعفرِ بنِ بُرْقانَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن حفصةَ ، فذكَره . فهذا الحديثُ فيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان مُتَلَبِّسًا بعمرةٍ ، ولم يَحِلَّ منها ، وقد عُلِم بما تقدَّم مِن أحاديثِ الإفرادِ أنه كان قد أهَلَّ بحجٍّ أيضًا ، فدلَّ مجموعُ ذلك أنه قارنٌ ، مع ما سلَف مِن روايةِ مَن صرَّح

---

(١) مسلم (١٧٩/ ١٢٢٩).

(٢) المسند ٦/ ٢٨٥.

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٨/٤٠٥ .

(٤) المسند ٦/ ٢٨٥.

(٥) فى الأصل، ا ٤، م: «أبى».

(٦) فى المسند : « قلن » .

(٧) المسند ٦/ ٢٨٥.

بذلك . واللَّهُ أعلمُ .

روايةُ عائشةَ أمِّ المؤمنين ، رضى اللَّهُ عنها : قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ مَسْلمةَ ، عن مالكٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حَجَّةِ الوداعِ فأَهْلَلْنا بعمرةٍ ، ثم قال النبيُّ ﷺ : « مَن كان معه هَدىٌ فلْيُهِلَّ بالحجِّ مع العمرةِ ، ثم لا يَحِلَّ حتى يَحِلَّ منهما جميعًا » . فقدِمْتُ مكةَ [٣/ ٢٧٧ظ] وأنا حائضٌ فلم أَطُفْ بالبيتِ ولا بينَ الصفا والمروةِ ، فشكَوْتُ ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « انْقُضى رأسَك وامْتَشطى وأهِلِّى بالحجِّ ، ودَعى العمرةَ » . ففعَلْتُ ، فلما قضَيْتُ الحجَّ[2] أرْسَلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ مع عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ إلى التَّنعيمِ فاعْتَمرْتُ . فقال : « هذه مكانَ عُمرتِك » . قالت : فطاف الذين كانوا أهَلُّوا بالعمرةِ بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ ، ثم حلُّوا ، ثم طافوا طوافًا آخرَ بعدَ أن رجَعوا مِن مِنًى ، وأما الذين جَمَعوا الحجَّ والعمرةَ ، فإنما طافوا طوافًا واحدًا . وكذلك رواه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهريِّ ، فذكَره[3] .

ثم رواه[4] عن عبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ حَجَّةِ الوَداعِ فأَهْلَلْتُ بعمرةٍ ، ولم أكُنْ سُقْتُ الهَدْىَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن كان معه هدىٌ فلْيُهِلَّ بالحجِّ مع عمرتِه ، لا يَحِلَّ حتى يَحِلَّ منهما جميعًا » . وذكَر تمامَ

---

(١) البخارى (١٥٥٦) .
(٢) فى الأصل : « العمرة » .
(٣) مسلم (١١١/ ١٢١١) .
(٤) مسلم (١١٣/ ١٢١١) .

الحديثِ كما تقدم .

والمقصودُ مِن إيرادِ هذا الحديثِ هـٰهنا قولُه ﷺ : « مَن كان معه هدىٌ فلْيُهِلَّ بحجٍّ وعمرةٍ » . ومعلومٌ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قد كان معه هدىٌ ، فهو أولُ[1] وأوْلَى مَن ائْتَمر بهذا ؛ لأن المخاطِبَ داخلٌ فى عمومِ مُتَعلَّقِ خطابِه على الصحيحِ ، وأيضًا فإنها قالت : وأما الذين جَمَعوا الحجَّ والعمرةَ فإنما طافوا طوافًا واحدًا . يعنى بينَ الصفا والمروةِ .

وقد روى مسلمٌ[2] عنها أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [3]إنما طاف[3] بينَ الصفا والمروةِ طوافًا واحدًا . فعُلِم مِن هذا أنه كان قد جَمَع بينَ الحجِّ والعمرةِ .

وقد روَى مسلمٌ مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ[4] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : فكان الهدىُ مع النبىِّ ﷺ وأبى بكرٍ وعمرَ وذَوِى اليَسارِ . وأيضًا فإنها ذكَرَت أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَتَحَلَّلْ مِن النُّسُكَيْن ، فلم يَكُنْ متمتعًا ، وذكَرَت أنها سأَلَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُعْمِرَها مِن التَّنْعيمِ ، وقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، يَرجِعُ النَّاسُ بحجٍّ وعمرةٍ وأنْطَلِقُ بحجٍّ ؟ فبعَثها مع أخيها عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ ، فأعْمَرها مِن التَّنْعيمِ ، ولم يُذْكَرْ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، اعتمر بعدَ حَجَّتِه ، فلم يَكُنْ مُفْرِدًا ، فعُلِم أنه كان قارنًا ؛ لأنه كان

---

(١) سقط من : ا ٤. وفى الأصل : « أولى » .

(٢) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة حاشية (٣) .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٤: « وأصحابه إنما طافوا » .

(٤) لم نجده من رواية حماد بن زيد عن عبد الرحمن فى صحيح مسلم . والصواب أنه من رواية حماد ابن سلمة عن عبد الرحمن به ، كما أنه ليس فيها - أى رواية حماد بن سلمة - قولها : فكان الهدى مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وذوى اليسار . وإنما ذلك من رواية عبد العزيز بن الماجشون . انظر تحفة الأشراف ١٢/ ٢٦٥، وصحيح مسلم (١٢٠، ١٢١/ ١٢١١) .

باتفاقِ الناسِ قد اعتمر فى حَجَّةِ الوَداعِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد تقدم ما رواه [٣/ ٢٧٨و] الحافظُ البيهقىُّ مِن طريقِ يزيدَ بنِ هارونَ ، عن زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، أنه قال : اعتمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ عُمرٍ ، كلُّهن فى ذى القَعْدةِ . فقالت عائشةُ : لقد علِم أنه اعتمَر أربعَ عُمرٍ بعمرتِه التى حجَّ معها .

وقال البيهقىُّ فى « الخِلافياتِ »[1] : أخبرنا أبو بكرِ بنُ الحارثِ الفقيهُ ، أنبأنا أبو محمدِ بنُ حِبَّانَ الأَصْبهانىُّ ، أنبأنا إبراهيمُ بنُ شَريكٍ ، أنبأنا أحمدُ بنُ يونسَ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا أبو إسحاقَ ، عن مجاهدٍ قال : سُئِل ابنُ عمرَ : كم اعتمر رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشةُ : لقد علِم ابنُ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اعتمر ثلاثًا ، سوى العمرةِ التى قرَنها مع حَجَّةِ الوداعِ . ثم قال البيهقىُّ : وهذا إسنادٌ لا بأسَ به ، لكن فيه إرسالٌ ؛ مجاهدٌ لم يسْمَعْ مِن عائشةَ فى قولِ بعضِ المُحَدِّثين . قلتُ : كان شعبةُ يُنْكِرُه ، وأما البخارىُّ ومسلمٌ فإنهما أثْبتاه[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى[3] مِن حديثِ القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ وعروةَ بنِ الزبيرِ وغيرِ واحدٍ ، عن عائشةَ[4] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان معه الهَدْىُ عامَ حَجةِ الوداعِ ،

---

(١) لم نجده فى نسخة كتاب الخلافيات الناقصة التى بين أيدينا .

(٢) لم أقف على قول صريح للبخارى ولا مسلم يثبتان فيه سماع مجاهد من عائشة ، اللهم إلا أن يكون المصنف فهم هذا من إخراج الإمامين لمجاهد بن جبر عن عائشة فى صحيحيهما . وهذا جيد ؛ لأنه قد عُلم أنهما اشترطا السماع ، مع الفارق بينهما فى كيفية السماع ، ومحلُّ هذا مبسوطٌ فى كتب علم الحديث ، واللَّه أعلم . وقد نقل ابن حجر فى تهذيبه - ترجمة مجاهد - أن علىَّ بن المدينى ، وهو شيخ البخارى ، أثبت سماعَ مجاهدٍ من عائشة .

(٣) أى البخارى ومسلم .

(٤) حديث القاسم عن عائشة ، أخرجه البخارى فى (١٥٦٠، ١٦٥٠، ١٧٥٧، ١٧٨٨، ٥٥٤٨، ٥٥٥٩) مطولا ومختصرا ، ومسلم (١١٩ - ١٢٤/ ١٢١١) مطولا ومختصرا . وحديث عروة عن =

وفى إعمارِها مِن التنعيمِ ومُصادفَتِها[1] له مُنْهَبِطًا على أهلِ مكةَ وبَيْتوتتِه بالمُحَصَّبِ حتى صلَّى الصبحَ بمكةَ ، ثم رجَع إلى المدينةِ . وهذا كلُّه مما يدُلُّ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يَعْتَمِرْ بعدَ حَجتِه تلك ، ولم أعْلَمْ أحدًا مِن الصحابةِ نقَله . ومعلومٌ أنه لم يتَحَلَّلْ بينَ النُّسُكَيْن ، ولا رَوَى أحدٌ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ طوافِه بالبيتِ وسعيِه بينَ الصفا والمروةِ حلَق ولا قصَّر ولا تحلَّل ، بل استمر على إحرامِه باتفاقٍ ، ولم يُنْقَلْ أنه أهَلَّ بحجٍّ لما سار إلى مِنًى ، فعُلِم أنه لم يكُنْ متمتعًا . وقد اتفقوا على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، اعتمر عامَ حَجَّةِ الوَداعِ ، فلم يتَحَلَّلْ بينَ النُّسُكَيْنِ ، ولا أنشأ إحْرامًا للحجِّ ، ولا اعتمر بعدَ الحجِّ ، فلزِم القِرانُ ، وهذا مما يَعْسُرُ الجوابُ عنه . واللَّهُ أعلمُ . وأيضًا فإن روايةَ القِرانِ مُثْبِتةٌ لِما سَكَت عنه أو نفاه مَن رَوى الإفْرادَ والتمتعَ ، فهى مُقدَّمةٌ عليها ، كما هو مقررٌ فى علمِ الأصولِ .

وعن أبى عِمرانَ أنه حجَّ مع مواليه ، قال : فأتيْتُ أمَّ سَلَمَةَ فقلتُ : يا أمَّ المؤمنين ، إنِّى لم أحُجَّ قطُّ ، فبأيِّهما أبدأُ ؛ بالعمرةِ أم بالحجِّ ؟ قالت : ابدَأْ بأيِّهما شئتَ . قال : ثم أتيْتُ صفيةَ أمَّ المؤمنين فسألْتُها ، فقالت لى مثلَ ما قالت . قال : ثم جئتُ أمَّ سَلَمةَ فأخْبَرْتُها بقولِ صفيةَ ، فقالت لى أمُّ سَلَمةَ : [٣/٢٧٨ظ] سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يا آلَ محمدٍ ، مَن حجَّ منكم فلْيُهِلَّ بعمرةٍ فى

= عائشة أخرجه البخارى (٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ١٥٥٦، ١٥٦٢، ١٦٣٨، ١٧٨٣، ١٧٨٦، ٤٣٩٥، ٤٤٠٨، ٧٢٢٩) مطولا ومختصرا، ومسلم (١١١ - ١١٨/ ١٢١١) مطولا ومختصرا، وحديث غيرهما عن عائشة ، أخرجه البخارى (٣٢٨، ١٥٦١، ١٧٠٩، ١٧٢٠، ١٧٣٣، ١٧٦٢، ١٧٧١، ١٧٧٢، ١٧٨٧، ٢٩٥٢، ٢٩٨٤، ٥٣٢٩، ٦١٥٧)، ومسلم فى (١٢٥ - ١٣٤/ ١٢١١).

(١) فى م : « مصادقتها » .

حَجةٍ » . رواه ابنُ حِبَّانَ فى « صحيحِه »[1] ، وقد رواه ابنُ حزمٍ فى « حَجةِ الوداعِ »[2] مِن حديثِ الليثِ بنِ سعدٍ ، عن يزيدَ[3] بنِ أبى حَبيبٍ ، عن أسلمَ ، عن أبى عِمرانَ ، عن أمِّ سَلَمةَ به .

فصلٌ

إن قيل : قد رَوَيْتُم عن جماعةٍ مِن الصحابةِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أفرد الحجَّ ، ثم رَوَيْتُم عن هؤلاء بأعْيانِهم وعن غيرِهم ، أنه جَمَع بينَ الحجِّ والعمرةِ ، فما الجمعُ بين[4] ذلك ؟ فالجوابُ : أن روايةَ مَن روَى أنه أفرد الحجَّ محمولةٌ على أنه أفْرَد أفعالَ الحجِّ ، ودخَلَت العمرةُ فيه نيةً وفعلًا ووقتًا ، وهذا يدُلُّ على أنه اكْتَفى بطوافِ الحجِّ وسَعْيِه عنه وعنها ، كما هو مذهبُ الجمهورِ فى القارنِ ، خلافًا لأبى حنيفةَ ، رحمه اللَّهُ ، حيث ذهَب إلى أنَّ القارنَ يطوفُ طوافَيْن ويَسْعَى سعْيَيْن ، واعتمد على ما رُوِىَ فى ذلك عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ[5] ، وفى الإسنادِ إليه نظرٌ . وأما مَن روَى التمتعَ ثم روَى القِرانَ ، فقد قدَّمْنا الجوابَ عن ذلك بأن التمتعَ فى كلامِ السلفِ أعمُّ مِن التمتعِ الخاصِّ والقِرانِ ، بل ويُطْلِقونه على الاعتمارِ فى أشهُرِ الحجِّ وإن لم يكنْ معه حجٌّ ، كما قال سعدُ بنُ أبى

---

(١) الإحسان (٣٩٢٠، ٣٩٢٢) ، قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح .

(٢) حجة الوداع ص٦٨، ٦٩.

(٣) فى حجة الوداع : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٤) فى م ، ص : « من » .

(٥) أخرجه الدارقطنى فى سننه ٢/ ٢٦٣، ٢٦٥ ، وأبو حنيفة كما فى جامع المسانيد لأبى المؤيد محمد ابن محمود الخوارزمى ١/ ٥٢٤ بأسانيد ضعيفة .

وقَّاصٍ[1] : تمتعْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وهذا - يعنى معاويةَ - يومَئذٍ كافرٌ بالعُرُشِ . يعنى بمكةَ . وإنما يريدُ بهذا إحدى العمرتين ؛ إما الحديبيةَ أو القَضاءَ ، فأما عمرةُ الجِعْرانةِ فقد كان معاويةُ قد أسلم ؛ لأنها كانت بعدَ الفتحِ ، وحَجةُ الوداعِ بعدَ ذلك سنةَ عشْرٍ ، وهذا بيِّنٌ واضحٌ . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

إن قيل : فما جوابُكم عن الحديثِ الذى رواه أبو داودَ الطَّيالسىُّ فى « مسندِه »[2] : حدثنا هشامٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى شيخٍ[3] الهُنائىِّ ، واسمُه حَيْوانُ[4] بنُ خالدٍ ، أن معاويةَ قال لنفرٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : أتعْلَمون[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن صُفَفِ النمورِ[6] ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وأنا أشْهَدُ . قال : أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن لُبْسِ الذهبِ إلا مُقَطَّعًا ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى أن يُقْرَنَ بينَ الحجِّ والعمرةِ ؟ قالوا : اللهم لا . قال : واللَّهِ إنها لَمَعَهنَّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا عفانُ ، ثنا همامٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى شيخٍ الهُنائىِّ

---

(١) تقدم تخريجه صفحة ٤٥٧ .

(٢) مسند أبى داود (ل ٧٧) من المخطوطة العراقية . كما أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٩، ٢٠، من طريق أبى داود به .

(٣) هنا وفيما يسوقه المصنف من الحديث وطرقه ؛ فى م ، ص : « سيح » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٤١١ .

(٤) فى ا ٤ : « خيران » . وفى م : « صفوان » . وانظر المصدر السابق .

(٥) زيادة من : الأصل ، م .

(٦) صفف النمور : جمع صفَّة ، وهى للسَّرْج بمنزلة الميثَرة - والميثرة شىء كهيئة المِوْفَقَة - من الرَّحْل . انظر النهاية ٣/ ٣٧، والوسيط (و ث ر) .

(٧) المسند ٤/ ٩٢، والحديث ساقه المصنف عن الإمام أحمد بمعناه مع تقديم وتأخير .

قال : كنتُ فى ملأٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ معاويةَ ، فقال معاويةُ[(١)] : [٣/ ٢٧٩و] أنْشُدُكم باللَّهِ ، أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن [(٢)] جلودِ النمورِ أن يُرْكَبَ عليها[(٢)] ؟ قالوا : اللهم نعم[(٣)] . قال : وتعْلَمون[(٤)] أنه نهَى عن لباسِ الذهبِ إلا مُقَطَّعًا ؟ قالوا : اللهم نعم[(٣)] . قال : وتَعْلمون[(٤)] أنه نهَى عن الشُّربِ فى آنيةِ [(٥)]الذهبِ و[(٥)]الفضةِ ؟ قالوا : اللهم نعم[(٣)] . قال : وتَعْلَمون[(٤)] أنه نهَى عن المتعةِ ؟ - يعنى متعةَ الحجِّ - قالوا : اللهم لا . [(٦)]قال : أما إنها مَعَهنَّ[(٦)] .

وقال أحمدُ[(٧)] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى شيخٍ الهُنائىِّ أنه شهِد معاويةَ وعندَه جَمْعٌ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، فقال لهم معاويةُ : أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن ركوبِ جلودِ النمورِ ؟ قالوا : نعم. قال : أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن لُبْسِ الحريرِ ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى أن يُشْرَبَ فى آنيةِ [(٥)]الذهبِ و[(٥)]الفضةِ ؟ قالوا : اللهم نعم[(٨)] . قال : أتعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن جَمْعٍ بينَ حجٍّ وعمرةٍ ؟ قالوا : اللهم لا . قال : فواللَّهِ إنها لمعهن . وكذا رواه حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن قتادةَ ، وزاد : ولكنَّكم نَسِيتُم . وكذا رواه أشعثُ بنُ بَرَازٍ[(٩)] ، وسعيدُ بنُ أبى عَروبةَ

---

(١) بعده فى المسند : « أنشدكم اللَّه ، أتعلمون أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن لبس الحرير ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : وأنا أشهد . قال » .

(٢ - ٢) فى المسند : « ركوب النمور » . والمثبت من النسخ موافق لما فى أطراف المسند ٥/ ٣٣٣ .

(٣) بعده فى المسند : « قال : وأنا أشهد » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « أنشدكم اللَّه تعالى ، أتعلمون » .

(٥ - ٥) زيادة من النسخ ، ليست فى المسند ، وهى موافقة لما فى أطراف المسند .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٧) المسند ٤/ ٩٩.

(٨) بعده فى المسند : « قال : أتعلمون أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن لبس الذهب إلا مقطعًا ؟ قالوا : اللهم نعم » .

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « نزار » ، وفى ا ٤ : « زياد » . والمثبت من الإكمال ١/ ٢٥٩، وانظر الأنساب ٥/ ٦٢٨.

وهمامٌ ، عن قتادةَ بأصلِه . ورواه مَطَرٌ الوَرَّاقُ ، وبَيْهسُ[1] بنُ فَهْدانَ ، عن أبى شيخٍ فى متعةِ الحجِّ[2] . فقد رواه أبو داودَ والنسائىُّ مِن طرقٍ ، عن أبى شيخٍ الهُنائىِّ به[3] . وهو حديثٌ جيدُ الإسنادِ ، ويُسْتَغْرَبُ منه روايةُ معاويةَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، النهىَ عن الجمْعِ بينَ الحجِّ والعمرةِ ، ولعل أصلَ الحديثِ النهىُ عن المتعةِ ، فاعتقد الراوى أنها متعةُ الحجِّ ، وإنما هى متعةُ النساءِ ، ولم يكنْ عندَ أولئك الصحابةِ روايةٌ فى النهيِ عنها ، أو لعلَّ النهىَ عن الإقرانِ فى التمرِ ، كما فى حديثِ ابنِ عمرَ[4] ، فاعتقد الراوى أن المرادَ القِرانُ فى الحجِّ ، وليس كذلك ، أو لعل معاويةَ ، رضىَ اللَّهُ عنه[5] ، إنما قال : أتعْلَمون أنه نُهِىَ عن كذا ؟ فبناه لِمَا لم يُسَمَّ فاعلُه ، فصرَّح الراوى بالرفعِ إلى النبىِّ ﷺ ، ووهِم فى ذلك ؛ فإن الذى كان يَنْهَى عن متعةِ الحجِّ ، إنما هو عمرُ بنُ الخطابِ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، ولم يكنْ نهيُه عن ذلك على وجهِ التحريمِ [6]ولا[6] الحتمِ ، كما قدَّمْنا ، وإنما كان يَنْهَى عنها لتُفْرَدَ عن الحجِّ بسَفَرٍ آخرَ ؛ لتكْثُرَ زيارةُ البيتِ ، وقد كان الصحابةُ ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، يَهابونه كثيرًا ، فلا يتَجاسرون على مخالفتِه غالبًا ، وكان ابنُه عبدُ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل : « يهنس » ، وفى ا ٤ : « بهنس » ، وفى م : « بهيس » ، وفى ص : « مهيس » . والمثبت من تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٧.

(٢) طريق حماد بن سلمة عن قتادة أخرجها أبو داود (١٧٩٤) ، وطريق أشعث بن براز ذكرها البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٢٠، وطريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة أخرجها النسائى (٥١٦٦) ، وطريق همام عن قتادة تقدمت عند أحمد ، وطريق مطر الوراق عن أبى شيخ أخرجها النسائى (٥١٦٧) ، وطريق بيهس بن فهدان عن أبى شيخ أخرجها النسائى (٥١٧٤) .

(٣) تقدم تخريجه فيما مضى من كلام المصنف . انظر تحفة الأشراف ٨/ ٤٥٣، وجامع المسانيد ١١/ ٦٤٨، ٦٤٩.

(٤) البخارى (٢٤٥٥، ٢٤٨٩، ٢٤٩٠، ٥٤٤٦) ، ومسلم (٢٠٤٥) .

(٥) بعده فى م ، ص : « قال » .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « و » .

يُخالفُه ، فيُقالُ له : إن أباك كان ينْهَى عنها . فيقولُ : [٣/ ٢٧٩ظ] لقد خشِيتُ أن تقَعَ عليكم حجارةٌ مِن السماءِ ، قد فعَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أفسنةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ تُتَّبَعُ أم سنةُ عمرَ بنِ الخطابِ[1] ؟ وكذلك كان عثمانُ بنُ عفانَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، يَنْهَى عنها ، وخالفه علىُّ بنُ أبى طالبٍ - كما تقدم - وقال : لا أدَعُ سنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ لقولِ أحدٍ مِن الناسِ . وقال عِمرانُ بنُ حصينٍ : تمتعْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم لم يَنْزِلْ قرآنٌ يُحَرِّمُه ، ولم يَنْهَ عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى مات . أخرجاه فى « الصحيحَيْن »[2] . وفى « صحيحِ مسلم »[3] عن سعدٍ أنه أنْكَر على معاويةَ إنكارَه المتعةَ ، وقال : قد فعَلْناها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهذا يومَئذٍ كافرٌ بالعُرُشِ . يعنى معاويةَ أنه كان حينَ فعَلوها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ كافرًا بمكةَ يومَئذٍ .

قلتُ : وقد تقدم أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، حجَّ قارنًا ، بما ذكَرْناه مِن الأحاديثِ الواردةِ فى ذلك ، ولم يكنْ بينَ حَجَّةِ الوداعِ وبينَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا[4] أحدٌ وثمانون يومًا ، وقد شهِد تلَك الحَجةَ ما يُنَيِّفُ على[5] أربعين ألفَ صحابىٍّ قولًا منه وفعلًا ، فلو كان قد نهَى عن القِرانِ فى الحجِّ الذى شهِده منه الناسُ ؛ لم ينْفَرِدْ به واحدٌ مِن الصحابةِ ، ويرُدَّه عليه جماعةٌ منهم ممَّن سمِع منه ومَن[6] لم يَسْمَعْ ، فهذا كلُّه مما يدُلُّ على أن هذا هكذا[7] ليس محفوظًا عن معاويةَ ، رضىَ اللَّهُ عنه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) مسند أحمد ٢/٩٥ بنحوه . (إسناده صحيح) .

(٢) البخارى (٤٥١٨) ، ومسلم (١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣/ ١٢٢٦) .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٥٧ .

(٤) سقط من : ا ٤، م .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « عن » .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) سقط من : الأصل . وفى ا ٤ : « الحديث » .

وقال أبو داودَ[1] : ثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى حَيْوةُ ، أخبرنى أبو عيسى الخُراسانىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ الخُراسانىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أن رجلًا مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ أتَى عمرَ بنَ الخطابِ ، فشهِد أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مرضِه الذى قُبِض فيه يَنْهَى عن العمرةِ قبلَ الحجِّ . وهذا الإسنادُ لا يخْلو عن نظرٍ ، ثم إن كان هذا الصحابىُّ هو[2] معاويةَ فقد تقدم الكلامُ على ذلك ، ولكن فى هذا النهْىُ عن المُتْعةِ لا القِرانِ ، وإن كان فى غيرِه فهو مُشْكِلٌ فى الجملةِ ، لكن لا على القِرانِ . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكْرُ مُسْتَنَدِ مَن قال أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ أطْلَق الإحْرامَ ، ولم يُعَيِّنْ حَجًّا ولا عمرةً أولًا ، ثم بعدَ ذلك صَرَفَه إلى مُعيَّنٍ

وقد حُكِيَ عن الشافعىِّ أنه الأفضلُ ، إلا أنه قولٌ ضعيفٌ . قال الشافعىُّ[3] ، رَحِمه اللَّهُ : أنبأَنا سفيانُ ، أنبأنا ابنُ طاوُسٍ ، وإبراهيمُ بنُ مَيْسرةَ ، سَمِعَا[4] [٣/ ٢٨٠و] طاوُسًا يقولُ : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن المدينةِ لا يُسَمِّى حَجًّا ولا عمرةً ينْتَظِرُ القَضاءَ ، فنزَل عليه القَضاءُ ، وهو بينَ الصفا والمروةِ ، فأمَر أصحابَه مَن كان منهم[5]

---

(١) أبو داود (١٧٩٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٣٩٢) .

(٢) فى م ، ص : « عن » .

(٣) ترتيب مسند الشافعى (٩٦٠) .

(٤) فى النسخ : « وهشام بن حجير ، سمعوا » . والمثبت من مسند الشافعى ليستقيم مع نهاية سياق الحديث . وعبارة النسخ هى عبارة نص الحديث عند البيهقى فى السنن الكبرى ٦/٥ من طريق الشافعى .

(٥) بعده فى م : « من » .

أهَلَّ بالحجِّ ولم يكنْ معه هَدْىٌ ، أن يجعلَها عمرةً ، وقال : « لو استَقْبَلْتُ مِن أمرِى ما استَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الهَدْىَ ، ولكن لبَّدْتُ رأسى وسُقْتُ هديِى ، فليس لى مَحِلٌّ ، إلا مَحِلُّ هديِى » . فقام إليه سُراقةُ بنُ مالكٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، اقْضِ لنا قَضاءَ قومٍ[1] كأنما وُلِدوا اليومَ ؛ أعُمْرَتُنا هذه لعامِنا هذا ، أم للأبدِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل للأبدِ ، دخَلَت العمرةُ فى الحجِّ إلى يومِ القيامةِ » . قال : فدخَل علىٌّ مِن اليَمنِ فسأَله النبىُّ ﷺ : « بمَ أهْلَلْتَ ؟ » فقال [2]أحدُهما عن طاوُسٍ : قلتُ[2] : لبَّيْك إهْلالَ النبىِّ ﷺ . وقال الآخرُ : لبيك حَجَّةَ النبىِّ ﷺ . وهذا مرسلُ طاوُسٍ ، وفيه غرابةٌ . وقاعدةُ الشافعىِّ ، رحِمه اللَّهُ ، أنه لا يُقْبَلُ المرسلُ بمجردِه حتى يَعْتَضِدَ بغيرِه ، اللهم إلَّا أن يكونَ عن كبارِ التابعين كما عُوِّل عليه كلامُه فى « الرسالةِ » ؛ لأن الغالبَ أنهم لا يُرْسِلون إلَّا عن الصحابةِ . واللَّهُ أعلمُ . وهذا المرسلُ ليس مِن هذا القَبيلِ ، بل هو مخالفٌ للأحاديثِ المتقدِّمةِ كلِّها ؛ أحاديثِ الإفْرادِ وأحاديثِ التمتعِ وأحاديثِ القِرانِ ، وهى مُسْنَدةٌ صحيحةٌ كما تقدَّم ، فهى مُقَدَّمةٌ عليه ؛ ولأنها مُثْبِتةٌ أمرًا نفاه هذا المرسلُ ، والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النافى لو تَكافآ ، فكيف والمسنَدُ صحيحٌ والمرسَلُ مِن حيث لا ينْهَضُ حُجَّةً لانقطاعِ سندِه . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[3] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، حدَّثنا العباسُ بنُ محمدٍ الدُّورىُّ ، حدَّثنا مُحاضِرٌ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسْودِ ، عن عائشةَ قالت : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ لا نذْكُرُ

---

(١) سقط من : ا ٤، م ، ص .

(٢ - ٢) فى النسخ ، والسنن الكبرى : « أحدهما » . والمثبت من مسند الشافعى ، وبه يستقيم السياق ، وانظر حاشية (٤) الصفحة السابقة .

(٣) السنن الكبرى ٥/ ٦.

حَجًّا ولا عمرةً ، فلما قدِمْنا أمَرَنا أن نَحِلَّ ، فلما كانت ليلةُ النَّفْرِ حاضت صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ ، فقال النبيُّ ﷺ : « حَلْقَى عَقْرَى[1] ، ما أُراها إلَّا حابِسَتَكم » . قال : « هل كنتِ طُفْتِ يومَ النحرِ ؟ » قالت : نعم . قال : « فانْفِرى » . قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى لم أكُنْ أهْلَلْتُ . قال : « فاعْتَمرى مِن التَّنْعيم » . قال : فخرَج معها أخوها . قالت[2] : فلقِيَنا مُدَّلِجًا[3] ، فقال : « مَوْعِدُكِ[4] [٣/ ٢٨٠ظ] كذا وكذا » . هكذا رواه البيهقيُّ .

وقد رواه البخاريُّ ، عن محمدٍ - قيل : هو ابنُ يحيى الذُّهْلىُّ[5] - عن مُحاضِرِ بنِ المُوَرِّعِ به[6] ، إلا أنه قال : قالت[7] : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ لا نذْكُرُ إلَّا الحجَّ . وهذا أشبهُ بأحاديثِها المتقدمةِ .

لكن رَوى مسلمٌ[8] ، عن سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ[9] لا نذكُرُ حَجًّا ولا عمرةً .

وقد أخْرَجَه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن الأَسودِ

---

(١) حلقى عقرى : أى عَقَرَها اللَّه وحَلَقَها ؛ يعنى أصابها وجع فى حَلْقها خاصةً . وظاهره الدعاء عليها ، وليس بدعاءٍ فى الحقيقة . انظر النهاية ١/ ٤٢٨، ٣/ ٢٧٢.

(٢) سقط من : الأصل . وفى السنن الكبرى : « قال » .

(٣) مدلجًا : أى سائرًا من آخر الليل . فتح البارى ٣/ ٥٩٦.

(٤) فى م : « موعدكن » .

(٥) انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٦٠. قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٣/ ٥٩٥: وقع فى رواية أبى على بن السكن : محمد بن سلام .

(٦) البخارى (١٧٧٢) .

(٧) سقط من : م ، ص .

(٨) مسلم (١٢٩/ ١٢١١) .

(٩) بعده عند مسلم : « نُلبِّى » .

عنها[1] قالت: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا نَرَى إلا أنه الحجُّ . وهذا أصحُّ وأثْبتُ . واللَّهُ أعلمُ . وفى روايةٍ لها[2] مِن هذا الوجهِ : خرَجْنا نُلَبِّى لا نذْكُرُ حَجًّا ولا عمرةً .

وهو محمولٌ على أنهم لا يذكُرون ذلك مع التلبيةِ ، وإن كانوا قد سَمَّوه حالَ الإحْرامِ ، كما فى حديثِ أنسٍ[3] : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لبيك اللهم حَجًّا وعمرةً » . قال أنسٌ : وسمِعْتُهم يَصْرُخون بهما جميعًا .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ داودَ بنِ أبى هندَ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن جابرٍ وأبى سعيدٍ الخدرىِّ قالا : قدِمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ونحن نَصْرُخُ بالحجِّ صُراخًا ، فإنه حديثٌ مُشْكِلٌ على هذا . واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ تلبيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

قال الشافعىُّ[5] : أخبرنا مالكٌ ، عن نافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن تلبيةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريكَ لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ[6] ، لا شريكَ لك » . وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ يَزيدُ فيها : لبيك ، لبيك[7] وسَعْدَيْك ، والخيرُ فى يدَيْك[8] ، والرَّغْباءُ إليك والعملُ . ورواه

---

(١) البخارى (١٥٦١) ، ومسلم (١٢٨/ ١٢١١) .

(٢) فى الأصل ، ٤١ : « لهما » . وهذه الرواية عند مسلم (١٢٩/ ١٢١١) ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة .

(٣) تقدم تخريج حديث أنس بطرقه من صفحة ٤٦٣ - ٤٧١ .

(٤) مسلم (١٢٤٨) .

(٥) ترتيب مسند الشافعى (٧٨٩) .

(٦) بعده فى م ، ص : « لك » .

(٧) فى م ، ص : « لك » .

(٨) بعده فى م ، ص : « لبيك » . وهو لفظ رواية مسلم الآتية .

البخاريُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ ، ومسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى ، كلاهما عن مالكٍ به[1] .

وقال مسلمٌ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ عَبَّادٍ ، ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن موسى ابنِ عقبةَ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، و[3]نافعٍ مولى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وحمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا استوتْ به راحلتُه قائمةً عندَ مسجدِ ذى الحُلَيْفةِ أهَلَّ ، فقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريكَ لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ ، لا شريكَ لك » . قالوا : وكان عبدُ اللَّهِ يقولُ : هذه[4] تلبيةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال نافعٌ : وكان عبدُ اللَّهِ يَزيدُ مع هذا : لبيك [٣/ ٢٨١و] لبيك ، لبيك وسَعْدَيْك ، والخيرُ بيديك لبيك ، والرَّغْباءُ إليك والعملُ .

حدثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن [5]عُبَيْدِ اللَّهِ[5] ، أخبرنى نافعٌ ، عن ابنِ عمرَ قال : تَلَقَّفْتُ التلبيةَ مِن فِى[6] رسولِ اللَّهِ ﷺ . فذكَر بمثلِ حديثِهم .

حدَّثنى[7] حَرْمَلَةُ بنُ يحيى ، أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى يونسُ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : فإن سالمَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ أخبرَنى عن أبيه قال : سمِعْتُ

---

(١) البخارى (١٥٤٩) دون زيادة ابن عمر ، ومسلم (١٩/ ١١٨٤) .
(٢) مسلم (٢٠/ ١١٨٤) .
(٣) فى م ، ص : « عن » .
(٤) فى النسخ : « فى » . والمثبت من مسلم .
(٥ - ٥) فى النسخ : « عبد الله » . والمثبت من مسلم .
(٦) سقط من النسخ . والمثبت من مسلم .
(٧) مسلم (٢١/ ١١٨٤) .

رسولَ اللَّهِ ﷺ يُهِلُّ مُلَبِّدًا[1] يقولُ : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريكَ لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ ، لا شريكَ لك » . لا يَزيدُ على هؤلاء الكلماتِ ، وإن عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ كان يقولُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَعُ بذى الحُلَيْفةِ ركعتين ، ثم إذا استوت به الناقةُ قائمةً عندَ مسجدِ ذى الحُلَيْفةِ أَهَلَّ بهؤلاءِ الكلماتِ . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ : كان عمرُ بنُ الخطابِ يُهِلُّ بإهْلالِ النبىِّ ﷺ مِن هؤلاء الكلماتِ ، وهو يقولُ : لبيك اللهم لبيك ، لبيك[2] وسعديك ، والخيرُ فى يديك ، لبيك والرَّغْباءُ إليك والعملُ . هذا لفظُ مسلمٍ ، وفى حديثِ جابرٍ مِن التلبيةِ كما فى حديثِ ابنِ عمرَ ، وسيأتى مُطَوَّلًا قريبًا . رواه مسلمٌ منفردًا به .

وقال البخاريُّ[3] ، بعدَ إيرادِه مِن طريقِ مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ما تقَدَّم : حدَّثنا محمدُ بنُ يوسُفَ ، ثنا سفيانُ ، عن الأعْمشِ ، عن عُمارةَ ، عن أبى عطيةَ ، عن عائشةَ قالت : إنى لأعْلَمُ كيف كان النبىُّ ﷺ يلبِّى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريكَ لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمةَ لك » . تابعه أبو معاويةَ[4] ، عن الأعْمشِ . وقال شعبةُ[5] : أخبرَنا سليمانُ ، سمِعْتُ خَيْثمةَ ، عن أبى عطيةَ ، سمِعْتُ عائشةَ . تفرد به البخاريُّ .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعمشِ ، عن عُمارةَ بنِ عُميرٍ ، عن أبى عطيةَ الوادعىِّ[6] ،

---

(١) فى م : « ملبيًا » .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من مسلم .

(٣) البخارى (١٥٥٠) .

(٤) قال الحافظ : يعنى تابع سفيان وهو الثورى عن الأعمش ، وروايته وصلها مسدد فى مسنده عنه ، وكذلك أخرجها الجوزقى من طريق عبد الله بن هشام عنه . فتح البارى ٣/٤١١ .

(٥) قال الحافظ : وصله أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة . المصدر السابق .

(٦) فى الأصل : « المرادى » . وفى ا ٤ : « الدارى » . وفى م ، ص : « الوادى » . والمثبت من أطراف =

عن عائشةَ فذكَر مثلَ ما رواه البخاريُّ سواءً. ورواه أحمدُ، عن أبى معاويةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ، عن الأعمشِ[1]، كما ذكَره البخاريُّ سواءً. ورواه أيضًا، عن محمدِ بنِ جعفرٍ، ورَوْحِ بنِ عُبادةَ، عن شعبةَ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعْمشِ به[2]، كما ذكَره البخاريُّ. وكذلك رواه أبو داودَ الطَّيالسيُّ فى «مسندِه» عن شعبةَ سواءً[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ، حدَّثنا الأعمشُ، عن عُمارةَ ابنِ عميرٍ، عن أبى عطيةَ قال: قالت عائشةُ: إنى لأعْلَمُ كيف كان رسولُ اللَّهِ [٣/ ٢٨١ظ] ﷺ يُلَبِّى. قال: ثم سمِعْتُها تلبِّى، فقالت: لبيك اللهم لبيك، لبَّيْك[5] لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ، لا شريكَ لك. فزاد فى هذا السياقِ وحدَه: والملكَ لا شريكَ لك[6].

وقال البيهقىُّ[7]: أخبرنا الحاكمُ، أنبأنا الأصَمُّ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ، أنبأنا ابنُ وهبٍ، أخبرنى عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَلَمةَ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ الفضلِ حدَّثه عن عبدِ الرحمنِ الأعْرجِ، عن أبى هريرةَ أنه قال: كان مِن تلبيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «لبيك إلهَ الحقِّ». وقد رواه النسائىُّ، عن قتيبةَ، عن

= المسند ٩/ ٢٨٨. وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٩٠. والحديث فى المسند ٦/ ١٨١.

(١) المسند ٦/٢٢٩ عن أبى معاوية عن الأعمش. و٩/٢٣٠ عن ابن نمير عن الأعمش.

(٢) المسند ٦/ ١٠٠، ٢٤٣، من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن الأعمش، ولكن عن خيثمة عن أبى عطية. والمسند ٦/٢٤٣، من طريق روح عن شعبة عن الأعمش، ولكن عن خيثمة عن أبى عطية. وانظر أطراف المسند ٩/ ٢٨٨.

(٣) مسند الطيالسى (١٥١٣) من طريق شعبة عن الأعمش، ولكن عن خيثمة عن أبى عطية.

(٤) المسند ٦/ ٣٢.

(٥) زيادة من النسخ.

(٦) يعنى المصنف - رحمه اللَّه تعالى - أنها زيادة عما ذكره من الروايات السابقة من حديث عائشة.

(٧) السنن الكبرى ٥/ ٤٥.

حُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى سَلَمةَ ، وابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ ابنِ أبى شيبةَ وعلىِّ بنِ محمدٍ ، كلاهما عن وكيعٍ ، عن عبدِ العزيزِ به[1] . قال النسائىُّ : ولا أعْلَمُ أحدًا أسْنَده عن عبدِ اللَّهِ بنِ الفضلِ إلا عبدَ العزيزِ ، ورواه إسماعيلُ بنُ أميةَ مُرْسلًا .

وقال الشافعىُّ[2] : أنبأنا سعيدُ بنُ سالمٍ القَدَّاحُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى حُميدٌ الأعْرجُ ، عن مجاهدٍ أنه قال : كان النبىُّ ﷺ يُظْهِرُ مِن التلبيةِ : « لبيك اللهم لبيك » . فذكَر التلبيةَ . قال : حتى إذا كان ذاتَ يومٍ ، والناسُ يُصْرَفون عنه كأنه أعْجَبه ما هو فيه ، فزاد فيها : « لبيك إن العيشَ عيشُ الآخرةِ » . قال ابنُ جُرَيْجٍ : وحسِبْتُ أن ذلك يومَ عرفةَ . هذا مرسلٌ مِن هذا الوجهِ .

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[3] : أخبرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنى أبو أحمدَ يوسُفُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ يوسُفَ ، حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ ، ثنا نصرُ بنُ علىٍّ الجَهْضمىُّ ، ثنا مَحْبوبُ بنُ الحسنِ ، ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب بعرفاتٍ ، فلما قال : « لبيك اللهم لبيك » ، قال : « إنما الخيرُ خيرُ الآخرةِ » . وهذا إسنادٌ غريبٌ ، وإسنادُه على شرطِ السُّننِ ، ولم يُخْرِجوه .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا رَوْحٌ ، ثنا أسامةُ بنُ زيدٍ ، حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى لَبيدٍ ، عن المطلبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ ، سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال

---

(١) النسائى (٢٧٥١) ، وابن ماجه (٢٩٢٠) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٥٧٩) .
(٢) ترتيب مسند الشافعى (٧٩٢) .
(٣) السنن الكبرى ٥/ ٤٥ .
(٤) المسند ٢/ ٣٢٥ . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٢٤ : رجاله ثقات .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : «أمَرَنى جبريلُ برفعِ الصوتِ فى الإهْلالِ ؛ فإنه مِن شَعائرِ الحجِّ» . تفرد به أحمدُ . وقد رواه البيهقىُّ[1] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، عن ابنِ وهبٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى لَبيدٍ ، عن المطلبِ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَره .

وقد قال عبدُ الرزاقِ[2] : أخبرنا الثورىُّ ، عن ابنِ أبى لَبيدٍ ، عن المطلبِ بنِ حَنْطَبٍ ، عن خَلَّادِ بنِ[3] السائبِ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ [٣/ ٢٨٢و] قال : جاء جبريلُ إلى النبىِّ ﷺ فقال : مُرْ أصحابَك أن يَرْفَعوا أصواتَهم بالتَّلْبِيةِ ، فإنَّها شِعارُ الحجِّ . وكذا رواه ابنُ ماجه ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، عن وكيعٍ ، عن الثورىِّ به[4] . وكذلك رواه شعبةُ وموسى بنُ عقبةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى لَبيدٍ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا وكيعٌ ، ثنا سفيانُ[7] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى لَبيدٍ ، عن المطلبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ ، عن خَلَّادِ بنِ السائبِ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «جاءنى جبريلُ ، فقال : يا محمدُ ، مُرْ أصحابَك فلْيَرْفَعوا أصواتَهم بالتلبيةِ ، فإنها شِعارُ[8] الحجِّ» .

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ٤٢.

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٤٢، من طريق عبد الرزاق به .

(٣) فى الأصل ، م : «عن» . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٥٣.

(٤) ابن ماجه (٢٩٢٣) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٦٥) .

(٥) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/٤٢ ، من طريق شعبة به . وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٥/ ٢٦١، ٢٦٢ (٥١٧٢) من طريق موسى بن عقبة به .

(٦) المسند ٥/ ١٩٢.

(٧) فى الأصل ، م : «سليمان» . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ١٥٤.

(٨) فى المسند : «من شعائر» .

قال شيخُنا أبو الحجاجِ المِزِّىُّ فى كتابِه «الأطْرافِ»[1] : وقد رواه معاويةُ ابنُ[2] هشامٍ وقَبيصةُ، عن سفيانَ الثورىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى لَبيدٍ، عن المطلبِ، عن خَلَّادِ بنِ السائبِ، عن أبيه، عن زيدِ بنِ خالدٍ به.

وقال أحمدُ[3] : ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى بكرِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ، عن خَلَّادِ بنِ السائبِ بنِ خَلَّادٍ، عن أبيه، عن النبىِّ ﷺ قال: «أتانى جبريلُ فقال: مُرْ أصحابَك فلْيَرْفَعوا أصواتَهم بالإهْلالِ».

وقال أحمدُ[3] : قرأْتُ على عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ، [4]عن مالكٍ[4]، وحدَّثنا رَوْحٌ، ثنا مالكٌ، يعنى ابنَ أنسٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ، عن [5]عبدِ الملكِ[5] بنِ أبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ، عن خَلَّادِ بنِ السائبِ الأنصارىِّ، عن أبيه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أتانى جبريلُ فأمَرنى أن آمُرَ أصحابى - أو مَن معىَ - أن يَرْفَعوا أصواتَهم بالتلبيةِ - أو بالإهْلالِ -». يريدُ أحدَهما. وكذلك رواه الشافعىُّ، عن مالكٍ، ورواه أبو داودَ، عن القَعْنَبىِّ، عن مالكٍ به[6]. ورواه الإمامُ أحمدُ أيضًا مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ، والترمذىُّ، والنسائىُّ، وابنُ ماجه، مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ، عن

---

(١) تحفة الأشراف ٣/ ٢٣١.

(٢) فى م: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٨.

(٣) المسند ٤/ ٥٦.

(٤ - ٤) فى الأصل: «ذلك». وفى ص، والمسند: «مالك».

(٥ - ٥) فى م: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٨٩.

(٦) ترتيب مسند الشافعى (٧٩٤)، وأبو داود (١٨١٤). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥٩٩).

عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ به[1] . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[2] : ورواه ابنُ جُرَيْجٍ قال : كتَب إلىَّ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، فذكَره ، ولم يذكُرْ أبا خَلَّادٍ فى إسنادِه . قال : والصحيحُ روايةُ مالكٍ وسفيانَ بنِ عيينةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن عبدِ الملكِ ، عن خَلَّادِ بنِ السائبِ ، عن أبيه ، عن النبىِّ ﷺ ، كذلك قاله البخارىُّ وغيرُه . كذا قال .

وقد قال الإمامُ أحمدُ [3]فى مسندِ[3] السائبِ بنِ خَلَّادِ بنِ سُوَيْدٍ أبى سَهْلةَ الأنصارىِّ[4] : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، أنبأنا ابنُ جُرَيْجٍ ورَوْحٌ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ قال : كتَب إلىَّ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ[5] محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى بكرٍ [٣/ ٢٨٢ظ] بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، عن خَلَّادِ بنِ السائبِ الأنصارىِّ ، عن أبيه السائبِ بنِ خَلَّادٍ ، أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أتانى جبريلُ ، فقال : إن اللَّهَ يأمُرُك أن تأمُرَ أصحابَك أن يرْفَعوا أصواتَهم بالتلبيةِ والإهْلالِ » . وقال رَوْحٌ : بالتلبيةِ أو بالإهْلالِ . قال : ولا أدرى أيُّنا وَهِل ؛ أنا أو عبدُ اللَّهِ أو خَلَّادٌ فى الإهْلالِ أو التلبيةِ . هذا لفظُ أحمدَ فى « مسندِه » . وكذلك ذكَره شيخُنا فى أطرافِه ، عن ابنِ جُرَيْجٍ كروايةِ مالكٍ وسفيانَ بنِ عيينةَ[6] . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٤/ ٥٦، والترمذى (٨٢٩)، والنسائى (٢٧٥٢)، وابن ماجه (٢٩٢٢). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٦٣).

(٢) السنن الكبرى ٥/ ٤٢.

(٣ - ٣) فى م: «فى مسنده: حدثنا».

(٤) المسند ٤/ ٥٦.

(٥) سقط من: م، ص. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٩.

(٦) تحفة الأشراف ٣/ ٢٣١.

فصلٌ فى إيرادِ حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فى حَجَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

وهو وحدَه مَنْسَكٌ مُسْتقلٌّ، رأَيْنا أنَّ إيرادَه هـٰهنا أنسبُ؛ لتضمُّنِه التلبيةَ وغيرَها مِمّا[1] سَلَفَ وما سيأتى، فنُورِدُ طرقَه وألفاظَه، ثُم نُتْبِعُه بشواهدِه مِن الأحاديثِ الواردةِ فى معناه، وباللَّهِ المستعانُ.

قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ، ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ، حدَّثنى أبى قال: أتَيْنا جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ وهو فى بنى سَلِمةَ، فسأَلْناه عن حَجَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فحدَّثنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَكَث فى المدينةِ تسعَ سنين لم يَحُجَّ، ثم أُذِّن فى الناسِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حاجٌّ هذا العامَ. قال: فنَزَل المدينةَ بشرٌ كثيرٌ، كلُّهم يَلْتَمِسُ أن يَأْتَمَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ ويفعَلَ ما يفعلُ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لعشرٍ[3] بَقِينَ مِن ذى القَعْدةِ وخَرَجْنا معه، حتى إذا أتَى ذا الحُلَيْفةِ نَفِسَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ بمحمدِ بنِ أبى بكرٍ، فأرْسَلَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ: كيف أصْنَعُ؟ قال: «اغْتَسِلى ثم استَثْفِرى[4] بثوبٍ، ثُمَّ أهِلِّى». فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ، حتى إذا اسْتَوَتْ به ناقتُه على البَيْداءِ، أهَلَّ بالتوحيدِ: «لبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْك لا شريكَ لك لَبَّيْك، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ، لا شريكَ لك». ولَبَّى الناسُ، والناسُ

---

(١) فى م: «كما».

(٢) المسند ٣/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) فى م: «لخمس».

(٤) فى المسند: «استذفرى». قال فى بلوغ الأمانى ١١/ ٧٥: والمعنى واحد. انتهى. والاستثفار: هو أن تشد فرجها بخرقة عريضة بعد أن تحتشى قطنا، وتوثق طرفيها فى شىء تشده على وسطها، فتمنع بذلك سيل الدم. وهو مأخوذ من ثَفَر الدابة الذى يُجعَل تحت ذنبها. النهاية ١/ ٢١٤.

يَزيدون : ذا المَعارِجِ . ونحوَه مِن الكلامِ والنبيُّ ﷺ يسْمَعُ ، فلم يَقُلْ لهم شيئًا ، فنظَرْتُ مَدَّ بصرى بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن راكبٍ وماشٍ ، ومِن خلفِه مِثْلَ ذلك ، وعن يمينِه مثلَ ذلك ، وعن شمالِه مثلَ ذلك . قال جابرٌ : ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أظْهُرِنا ، عليه يَنْزِلُ [٣/٢٨٣و] القرآنُ ، وهو يَعْرِفُ تأويلَه ، وما عَمِل به مِن شىءٍ عمِلْناه ، فخَرَجْنا لا نَنْوِى إلَّا الحجَّ ، حتى إذا أتَيْنا الكعبةَ ، فاسْتَلَم نبىُّ اللَّهِ ﷺ الحجَرَ الأسودَ ، ثُم رَمَل ثلاثةً ، ومَشَى أربعةً ، حتى إذا فَرَغ عَمَد إلى مَقامِ إبراهيمَ ، فصَلَّى خلفَه ركعتين ، ثُم قرَأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] . قال أحمدُ : وقال أبو عبدِ اللَّهِ - يعنى جعفرًا - : فقَرَأ فيهما بالتوحيدِ وقُل يا أيُّها الكافرون . ثُم اسْتَلَم الحَجَرَ ، وخَرَج إلى الصفا ، ثُم قرَأ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨] . ثُم قال : « نَبْدَأُ بما بَدَأ اللَّهُ به » . فرَقِىَ على الصَّفا ، حتى إذا نَظَر إلى البيتِ كَبَّر ، ثُم قال : « لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه ، أنْجَز وعدَه ، وصَدَّق عبدَه[1] ، وهزَم - أو غَلَب - الأحْزابَ وحدَه » . ثُم دعا ، ثُم رَجَع إلى هذا الكلامِ ثُم نَزَل ، حتى إذا انْصَبَّتْ قدماه فى الوادى رَمَل ، حتى إذا صَعِد مَشَى حتى[2] أتَى المَرْوَةَ ، فرَقِىَ عليها حتى نَظَر إلى البيتِ ، فقال عليها كما قال على الصفا ، فلما كان السابعُ عندَ المروةِ قال : « يا أيُّها الناسُ ، إنِّى لو اسْتَقْبَلْتُ مِن أمرى ما اسْتَدْبَرْتُ ، لم أَسُقِ الهَدْىَ ، ولَجَعَلْتُها عُمرةً ، فمَن لم يكنْ معه هدىٌ فلْيَحِلَّ ، ولْيَجْعَلْها عمرةً » . فحلَّ الناسُ كلُّهم ، فقال سُراقةُ ابنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ[3] وهو فى أسفلِ الوادى : يا رسولَ اللَّهِ ، ألعامِنا هذا أم

---

(١) فى النسخ : « وعده » . والمثبت من المسند .

(٢) بعده فى الأصل ، ا ٤ ، م : « إذا » .

(٣) فى م : « جعشم » .

للأبدِ؟ فشبَّك رسولُ اللَّهِ ﷺ أصابعَه، فقال: «للأبدِ». ثلاثَ مراتٍ. ثُم قال: «دَخَلَتِ العمرةُ فى الحجِّ إلى يومِ القيامةِ». قال: وقدِم علىٌّ مِن اليمنِ بهَدْيٍ، وساق رسولُ اللَّهِ ﷺ معه مِن هَدْيِ المدينةِ هَدْيًا، فإذا فاطمةُ قد حَلَّتْ، ولَبِسَتْ ثيابًا صَبِيغًا واكْتَحَلَتْ، فأنْكَر ذلك علىٌّ[1] عليها، فقالتْ: أمَرَنى به أبى. قال: قال علىٌّ بالكوفةِ - قال جعفرٌ: قال أبى[2]: هذا الحرفُ لم يَذْكُرْه جابرٌ -: فذَهَبْتُ مُحَرِّشًا أسْتَفْتى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الذى ذَكَرَتْ فاطمةُ، قلتُ: إنَّ فاطمةَ لَبِسَتْ ثيابًا صَبيغًا واكْتَحَلَتْ، وقالت: أمَرنى به[3] أبى. قال: «صَدَقَتْ صدقتْ صدقتْ[4]، أنا أمَرْتُها به». وقال جابرٌ: وقال لعلىٍّ: «بِمَ أهْلَلْتَ؟» قال: قلتُ: اللَّهُمَّ إنِّى أُهِلُّ بما أهَلَّ به رسولُك. قال: ومعىَ الهَدْىُ. قال: «فلا تَحِلَّ». قال: وكان جماعةُ الهدىِ الذى أتَى به علىٌّ مِن اليمنِ، والذى أتَى به رسولُ اللَّهِ ﷺ مائةً، فنَحَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه [٣/ ٢٨٣ظ] ثلاثًا وستين، ثم أعْطَى عليًّا فنَحَر ما غَبَر[5]، وأشْرَكَه فى هَدْيِه، ثُم أمَر مِن كلِّ بَدَنةٍ ببَضْعةٍ، فجُعِلت فى قِدْرٍ فأكَلا مِن لحمِها، وشَرِبا مِن مَرَقِها، ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قد نَحَرْتُ هـٰهنا، ومِنًى كلُّها مَنْحَرٌ». ووَقَف بعرفةَ فقال: «وَقَفْتُ هـٰهنا، وعرفةُ كلُّها مَوْقِفٌ». ووقَف بالمُزْدَلِفةِ وقال: «وقَفْتُ هـٰهنا، والمُزْدَلِفةُ كلُّها مَوْقِفٌ». هكذا أوْرَد الإمامُ أحمدُ هذا الحديثَ، وقد اخْتَصَر آخِرَه جدًّا. ورَواه الإمامُ مسلمُ بنُ الحجَّاجِ فى المَناسكِ مِن «صحيحِه»[6]، عن أبى بكرِ بنِ

---

(١) سقط من: الأصل، م، ص.

(٢) فى م: «إلى».

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من المسند.

(٤) سقط من: ا ٤، م، ص.

(٥) ما غبر: أى ما بقى.

(٦) مسلم (١٤٧/ ١٢١٨).

أبى شيبةَ وإسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، كلاهما عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فذَكَره .

وقد أعْلَمْنا على الزياداتِ المُتفاوتةِ مِن سياقِ أحمدَ ومسلمٍ إلى قولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لعلىٍّ : « صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، ماذا قلتَ حينَ فرَضْتَ الحجَّ ؟ » قال : قلتُ : اللهمَّ إنِّى أُهِلُّ بما أهَلَّ به رسولُك ﷺ . قال : [1] « فإنَّ معىَ الهدىَ ، فلا تَحِلَّ » [1] . قال : فكان جماعةُ الهديِ الذى قَدِم به علىٌّ مِن اليمنِ والذى أتَى به رسولُ اللَّهِ ﷺ مائةً . قال : فحَلَّ الناسُ كلُّهم وقَصَّروا إلَّا النبىَّ ﷺ ومَن كان معه هَدْىٌ ، فلمَّا كان يومُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهوا إلى مِنًى فأهَلُّوا بالحجِّ ، ورَكِب رسولُ اللَّهِ ﷺ فصَلَّى بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ ، ثُم مَكَث قليلًا حتى طَلَعَتِ الشمسُ ، وأمَر بقُبَّةٍ له مِن شَعْرٍ ، فضُرِبَتْ له بنَمِرةَ ، فسار رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا تَشُكُّ قريشٌ إلَّا أنَّه واقِفٌ عندَ المَشْعَرِ الحَرامِ ، كما كانت قريشٌ تَصْنَعُ فى الجاهليةِ ، فأجاز [2] رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أتَى عرفةَ ، فوجَد القُبَّةَ قد ضُرِبتْ له بنَمِرةَ فنَزَل بها ، حتى إذا زاغتِ الشمسُ أمَر بالقَصْواءِ فرُحِلَتْ له ، فأتَى بطْنَ الوادى [3] ، فخطَب الناسَ وقال : « إنَّ دماءَكم وأموالَكم حَرامٌ عليكم ، كحُرمةِ يومِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، ألَا كلُّ شىءٍ مِن أمرِ الجاهليَّةِ تحت قَدَمَىَّ موضوعٌ ، ودماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ ، وإنَّ أولَ دمٍ أضَعُ مِن دمائِنا دمُ

(١ - ١) سقط من : ٤١ . وفى م : « على : فإن معى الهدى . قال : فلا تحل » . وفى الأصل ، ص : « فإن معى الهدى . قال : فلا تحل » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٢) أجاز : معناه جاوز المزدلفة ولم يقف بها ، بل توجه إلى عرفات . وقوله : حتى أتى عرفة فمجاز والمراد : قارَبَ عرفات . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٨١ .

(٣) بطن الوادى : هو وادى عُرَنَة . انظر المصدر السابق .

ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ ، كان مُسْتَرْضِعًا فى بنى سعدٍ فقَتَلَتْه هُذَيْلٌ ، ورِبا الجاهليةِ موضوعٌ ، وأولُ رِبًا أضَعُه رِبانا[1] ؛ رِبا العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فإنَّه موضوعٌ كلُّه ، واتَّقوا اللَّهَ فى النساءِ ، فإنَّكم أخَذْتُموهن [٣/ ٢٨٤و] بأمانةِ[2] اللَّهِ ، واسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بكلمةِ اللَّهِ ، ولكم عليهنَّ ألَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحدًا تَكْرَهونه ، فإن فَعَلْنَ ذلك فاضْرِبوهن ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ ، ولهنَّ عليكم رِزْقُهُنَّ وكِسوَتُهُنَّ بالمعروفِ ، وقد تَرَكْتُ فيكم ما لن[3] تَضِلوا بعدَه إن اعتَصَمْتُم به ؛ كتابَ اللَّهِ ، وأنتم تُسْأَلون عنى ؛ فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نَشْهَدُ أنَّك قد بَلَّغْتَ ونَصَحْتَ وأدَّيْتَ . فقال بأُصْبُعِه السَّبّابَةِ يَرْفَعُها إلى السماءِ ، ويَنْكُتُها إلى الناسِ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . ثلاثَ مراتٍ ، ثُم أذَّن ، ثُم أقام فصَلَّى الظهرَ ، ثُم أقام فصَلَّى العصرَ ، ولم يُصَلِّ بينَهما شيئًا ، ثُم رَكِب رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أتَى المَوْقِفَ ، فجَعَل بطنَ ناقتِه القَصْواءِ إلى الصَّخَراتِ ، وجَعَل جبَلَ[4] المُشاةِ بينَ يديْه ، واسْتَقْبَل القِبلةَ ، فلم يَزَلْ واقفًا حتى غَرَبَتِ الشمسُ ، وذَهَبَتِ الصُّفْرةُ قليلًا حتى غاب القُرْصُ ، وأرْدَفَ أسامةَ بنَ زيدٍ خلفَه ، ودَفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد شنَق للقَصْواءِ[5] الزِّمامَ ، حتى إن رأسَها لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِه[6] ، ويقولُ بيدِه اليمنى :

---

(١) سقط من : الأصل ، ا ٤ . وفى م : « من ربانا » .

(٢) فى صحيح مسلم : « بأمان » .

(٣) فى النسخ : « لم » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٤) سقط من : ا ٤ . وفى صحيح مسلم : « حبل » . قال الإمام النووى : روى حبل بالحاء المهملة وإسكان الباء ، وروى جبل بالجيم وفتح الباء ، قال القاضى عياض ، رحمه الله : الأول أشبه بالحديث ، وحبل المشاة أى مجتمعهم ، وحبل الرمل ما طال منه وضخم ، وأما بالجيم فمعناه طريقهم وحيث تسلك الرَّجَّالة . صحيح مسلم بشرح النووى ٨/١٨٦ .

(٥) سقط من : ا ٤ . وفى الأصل م ، ص : « القصواء » . والمثبت من صحيح مسلم . وشنق الزمام : أى ضمَّه وضيَّقه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٨٦.

(٦) فى م ، ص : « رجله » . ومورك رحله : الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا ملَّ من الركوب . انظر المصدر السابق .

« أيُّها الناسُ ، السَّكِينَةَ السكينةَ » . كلما أتَى جبلًا مِن الجبالِ أرْخَى لها قليلًا حتى تَصْعَدَ ، حتى أتَى المُزْدَلِفَةَ ، فصَلَّى بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ وإقامتَيْن ، ولم يُسَبِّحْ بينَهما شيئًا[1] ، ثُم اضْطَجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى طلَع الفجرُ ، فصَلَّى الفجرَ حينَ[2] تَبَيَّنَ له الصبحُ بأذانٍ وإقامةٍ ، ثم ركِب القَصْواءَ حتى أتَى المَشْعَرَ الحرامَ ، فاسْتَقْبَل القِبلةَ ، [3]فدَعاه وكَبَّرَه[3] وهَلَّلَه ووَحَّدَه ، فلم يَزَلْ واقفًا حتى أسْفَرَ جِدًّا[4] ، ودفَع قبلَ أن تَطْلُعَ الشمسُ ، وأرْدَف الفضلَ بنَ العباسِ ، وكان رجلًا حسنَ الشعرِ ، أبيضَ وَسيمًا ، فلمَّا دَفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ ظُعُنٌ يَجْرِين ، فطَفِق الفضلُ يَنْظُرُ إليهنَّ ، فوَضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه على وجهِ الفضلِ ، [5]فحَوَّل الفضلُ وجهَه[6] إلى الشِّقِّ الآخرِ ينظرُ[7] ، فحوَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه مِن الشِّقِّ الآخرِ على وجهِ الفضلِ[5] ، فصَرَف[8] وجهَه مِن الشقِّ الآخرِ يَنْظُرُ ، حتى إذا أتَى بطنَ مُحَسِّرٍ ، فحرَّك قليلًا ، ثُم سَلَك الطريقَ الوُسْطَى التى تخْرُجُ على الجَمْرَةِ الكُبرَى ، حتى أتَى الجمرةَ التى عندَ الشجرةِ ، فرماها بسبعِ حَصَياتٍ - يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ منها - حَصَى الخَذْفِ ، رمَى مِن بطنِ الوادى ، ثُم انْصَرَف إلى المَنْحَرِ فنَحَر ثلاثًا وستين بيدِه ، ثُم أعْطَى عليًّا فنَحَر ما غَبَر ، وأشْرَكه فى هديِه ، ثُم أمَر مِن كلِّ بَدَنةٍ ببَضْعَةٍ ، فجُعِلَتْ فى قِدْرٍ فطُبِخت ، فأكَلا مِن لحمِها وشَرِبا مِن

---

(١) أى لم يصل بينهما نافلة . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٨٨.

(٢) فى النسخ : « حتى » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٤. وفى الأصل : « فحمد اللَّه وكبره » . وفى م : « فدعا فحمد اللَّه وكبره » .

(٤) أسفر جدًّا : الضمير فى « أسفر » يعود إلى الفجر المذكور أولًا . أى إسفارًا بليغا . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٨٩.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٤.

(٦) فى م ، ص : « يده » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٧) سقط من : م ، ص . والمثبت من صحيح مسلم .

(٨) فى صحيح مسلم : « يصرف » .

مَرَقِها ، ثُم رَكِب رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [٣/ ٢٨٤ظ] فأفاض إلى البيتِ ، فصَلَّى بمكةَ الظهرَ ، فأتَى بنى عبدِ المطلبِ يَسْقُون[١] على زمزمَ ، فقال : « انْزِعوا بنى عبدِ المطلبِ ، فلولا أن يَغْلِبَكم الناسُ على سِقايتِكم ، لَنَزَعْتُ معكم » . فناوَلوه دَلْوًا فشَرِب منه . ثم رواه مسلمٌ ، عن عمرَ بنِ حفصٍ ، عن أبيه ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، فذكَره بنحوِه[٢] ، وذكَر قصةَ أبى سَيَّارَةَ[٣] ، وأنَّه كان يدْفَعُ بأهلِ الجاهليةِ على حمارٍ عُرْيٍ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « نحَرْتُ هـٰهنا ، ومِنًى كلُّها مَنْحَرٌ ، فانْحَروا فى رِحالِكم ، ووَقَفْتُ هـٰهنا ، وعَرَفَةُ كلُّها مَوْقِفٌ ، ووقَفْتُ هـٰهنا ، وجَمْعٌ[٤] كلُّها مَوْقِفٌ » . وقد رواه أبو داودَ بطولِه ، عن النُّفَيْلىِّ وعثمانَ بنِ أبى شيبةَ وهشامِ بنِ عَمَّارٍ وسليمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ - وربما زاد بعضُهم على بعضٍ الكلمةَ والشىءَ - أربعتُهم عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن جعفرٍ[٥] بنحوٍ مِن روايةِ مسلمٍ ، وقد رَمَزْنا لبعضِ زياداتِه عليه . ورواه أبو داودَ أيضًا والنسائىُّ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، عن جعفرٍ به[٦] . ورواه النسائىُّ أيضًا عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ببعضِه[٧] ، و[٨]عن إبراهيمَ بنِ هارونَ البَلْخىِّ ، عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ ببعضِه[٩] .

---

(١) فى م : « وهم يستقون » .
(٢) مسلم (١٤٨، ١٤٩/ ١٢١٨) .
(٣) فى ا ٤: « يسارة » . وفى م ، ص : « سنان » .
(٤) المزدلفة هى جمع . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٩٥.
(٥) أبو داود (١٩٠٥) .
(٦) أبو داود (١٩٠٩) ، والنسائى (٢٧٣٩) .
(٧) النسائى (٢٧١١، ٢٧٤٢) .
(٨) سقط من : م ، ص .
(٩) النسائى فى الكبرى (٤١٦٧) .

ذِكْرُ الأماكنِ التى صَلَّى فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ذاهِبٌ مِن المدينةِ إلى مكةَ فى عُمرتِه وحَجَّتِه

قال البخاريُّ[1] : بابُ المساجدِ التى على طرقِ المدينةِ ، والمواضعِ التى صَلَّى فيها النبيُّ ﷺ : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّميُّ ، قال : ثنا فُضَيْلُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا موسى بنُ عُقْبةَ ، قال : رأيْتُ سالمَ بنَ عبدِ اللَّهِ يَتَحَرَّى أماكنَ مِن الطريقِ فيُصَلِّى فيها ، ويُحَدِّثُ أنَّ أباه كان يُصلِّى فيها ، وأنَّه رأى النبيَّ ﷺ يُصلِّى فى تلك الأمكنةِ . وحدَّثنى نافعٌ[2] ، عن ابنِ عمرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، أنَّه كان يُصلِّى فى تلك الأمكنةِ ، وسَأَلْتُ سالمًا فلا أعْلَمُه إلَّا وافَقَ نافعًا فى الأمكنةِ كلِّها ، إلَّا أنَّهما اخْتَلفا فى مسجدٍ بشَرَفِ الرَّوْحاءِ .

حدَّثنا[3] إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، ثنا أنسُ بنُ عِياضٍ ، قال : ثنا موسى بنُ عُقبةَ ، عن نافعٍ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ أخْبَرَه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان ينْزِلُ بذى الحُلَيْفةِ حينَ يَعْتَمِرُ ، وفى حَجَّتِه حينَ حجَّ ، تحتَ سَمُرةٍ فى موضعِ المسجدِ الذى بذى الحُلَيْفةِ ، وكان إذا رجَع مِن غزوٍ كان فى تلك الطريقِ أو[4] حجٍّ أو عمرةٍ ، هبَط مِن بطنِ وادٍ[5] ، فإذا ظهَر مِن بطنِ وادٍ أناخ بالبَطْحاءِ التى على شَفيرِ الوادى

---

(١) فتح البارى ١/ ٥٦٧. حديث (٤٨٣) .

(٢) القائل هو موسى بن عقبة . انظر فتح البارى ٥٦٩/١ .

(٣) البخارى (٤٨٤ - ٤٩٢) .

(٤) بعده فى م : « فى » . ويعنى بقوله : تلك الطريق . طريق ذى الحليفة . انظر فتح البارى ٥٦٩/١ .

(٥) بطن واد : أى وادى العقيق . انظر المصدر السابق .

الشرقيةِ ، فعرَّس[1] ثَمَّ حتى [٣/ ٢٨٥و] يُصْبِحَ ، ليس عندَ المسجدِ الذى بحجارةٍ ، ولا على الأَكَمةِ التى عليها المسجدُ ، كان ثَمَّ خَلِيجٌ يُصَلِّى عبدُ اللَّهِ عندَه ، فى بطنِه كُثُبٌ كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ثَمَّ يُصلِّى ، فدَحَا[2] السَّيْلُ فيه بالبَطْحاءِ ، حتى دَفَن ذلك المكانَ الذى كان عبدُ اللَّهِ يُصَلِّى فيه .

وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ حدَّثه[3] أنَّ النبىَّ ﷺ صَلَّى حيث المسجدُ الصغيرُ الذى دونَ المسجدِ الذى بشَرَفِ الرَّوْحاءِ ، وقد كان عبدُ اللَّهِ يُعْلِمُ المكانَ الذى كان صَلَّى فيه النبىُّ ﷺ ؛ يقولُ : ثَمَّ عن يمينِك حينَ تقومُ فى المسجدِ تُصلِّى . وذلك المسجدُ على حافَّةِ الطريقِ اليمنى وأنت ذاهبٌ إلى مكةَ ، بينَه وبينَ المسجدِ الأكبرِ رَمْيةٌ بحجرٍ أو نحوُ ذلك .

وأن ابنَ عمرَ كان يُصلِّى إلى العِرْقِ الذى عندَ مُنْصَرَفِ الرَّوْحاءِ ، وذلك العِرْقُ انتهاءُ طَرَفِه على حافَّةِ الطريقِ ، دونَ المسجدِ الذى بينَه وبينَ المُنْصَرَفِ وأنت ذاهبٌ إلى مكةَ ، وقد ابْتُنِىَ ثَمَّ مسجدٌ ، فلم يَكُنْ عبدُ اللَّهِ يصلِّى فى ذلك المسجدِ ، كان يترُكُه عن يسارِه ووراءَه ، ويُصلِّى أمامَه إلى العِرْقِ نفسِه ، وكان عبدُ اللَّهِ يَرُوحُ مِن الرَّوْحاءِ ، فلا يُصلِّى الظهرَ حتى يَأْتِىَ ذلك المكانَ فيُصلِّىَ فيه الظهرَ ، وإذا أقْبَل مِن مكةَ فإن مَرَّ به قبلَ الصبحِ بساعةٍ أو مِن آخرِ السَّحَرِ ؛ عرَّس حتى يُصَلِّىَ بها الصبحَ .

---

(١) فعرس : قال الخطابى : التعريس نزول استراحة لغير إقامة وأكثر ما يكون فى آخر الليل . انظر فتح البارى ١/ ٥٦٩.

(٢) دحا : رمى وألقى ، النهاية ٢/ ١٠٦.

(٣) أى بالإسناد المذكور - فى هذا الموضع وما سيأتى من حديث ابن عمر - فى الصفحة السابقة .

وأنَّ عبدَ اللَّهِ حدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَنْزِلُ تحتَ سَرْحَةٍ ضخمةٍ دونَ الرُّوَيْثةِ عن يمينِ الطريقِ ووُجاهَ الطريقِ[1] ، فى مكانٍ بَطْحٍ[2] سهلٍ ، حتى يُفْضِيَ مِن أَكَمةٍ دُوَيْنَ بَرِيدِ الرُّوَيْثَةِ بِمِيلَيْن[3] ، وقد انْكَسَر أعلاها فانْثَنَى فى جوفِها ، وهى قائمةٌ على ساقٍ ، وفى ساقِها كُثُبٌ كثيرةٌ .

وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ حدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ صَلَّى فى طَرَفِ تَلْعةٍ مِن وراءِ العَرْجِ وأنت ذاهبٌ إلى هَضْبةٍ ، عندَ ذلك المسجدِ قبران أو ثلاثةٌ ، على القبورِ رَضْمٌ مِن حجارةٍ[4] ، عن يمينِ الطريقِ عندَ سَلِماتِ الطريقِ[5] ، بينَ أولئك السَّلِماتِ كان عبدُ اللَّهِ يَروحُ مِن العَرْجِ بعدَ أن تَمِيلَ الشمسُ بالهاجرةِ ، فيُصلِّى الظهرَ فى ذلك المسجدِ .

وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ حدَّثه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَزَل عندَ سَرَحاتٍ عن يَسارِ الطريقِ ، فى مَسِيلٍ دونَ هَرْشَى ، ذلك المَسِيلُ لاصِقٌ بكُراعِ هَرْشَى[6] ، بينَه وبينَ الطريقِ قريبٌ مِن غَلْوَةٍ[7] ، وكان عبدُ اللَّهِ يُصلِّى إلى سَرْحَةٍ هى أقربُ السَّرَحاتِ [٣/ ٢٨٥ظ] إلى الطريقِ ، وهى أطولُهنَّ .

---

(١) سرحة ضخمة : أى شجرة عظيمة . والجمع سَرَحات . والرويثة : قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخًا . ووجاه الطريق : أى مقابِلَه . انظر فتح البارى ١/ ٥٧٠.

(٢) بطح : أى واسع . انظر المصدر السابق .

(٣) دوين بريد الرويثة بميلين : أى بينه وبين المكان الذى ينزل فيه البريد بالرويثة ميلان ، وقيل : المراد بالبريد سكة الطريق . انظر المصدر السابق .

(٤) الرضم : الحجارة الكبار .

(٥) سلمات الطريق : قال الحافظ : أى ما يتفرع عن جوانبه : والسلمات بفتح المهملة وكسر اللام فى رواية أبى ذر والأصيلى ، وفى رواية الباقين بفتح اللام ، وقيل : هى بالكسر الصخرات ، وبالفتح الشجرات . انظر المصدر السابق .

(٦) هرشى : جبل فى بلاد تهامة ، وهو على ملتقى طريق الشام والمدينة . وكراع هرشى : طرفها . انظر معجم ما استعجم ٤/ ١٣٥٠، والمصدر السابق .

(٧) الغلوة : غاية بلوغ السهم . وقيل : قدر ثلثى ميل . انظر فتح البارى ١/ ٥٧٠ .

وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ حدَّثه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَنْزِلُ فى المَسِيلِ الذى فى أدنَى مَرِّ الظَّهْرانِ قِبَلَ المدينةِ حينَ يَهْبِطُ مِن الصَّفْراواتِ[1] يَنْزِلُ فى بطنِ ذلك المَسِيلِ، عن يَسارِ الطريقِ وأنت ذاهبٌ إلى مكةَ، ليس بينَ منزِلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ الطريقِ إلَّا رَمْيةٌ بحجرٍ.

وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ حدَّثه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان ينْزِلُ بذِى طُوًى، ويَبِيتُ حتى يُصْبِحَ، يُصلِّى الصبحَ حينَ يَقْدَمُ مكةَ، ومُصَلَّى رسولِ اللَّهِ ﷺ ذلك على أَكَمةٍ غليظةٍ، ليس فى المسجدِ الذى بُنِىَ ثَمَّ، ولكنْ أسفلَ مِن ذلك على أَكَمةٍ غَليظةٍ.

وأنَّ عبدَ اللَّهِ حدَّثه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَقْبَل فُرْضَتَيِ الجبلِ[2] الذى بينَه وبينَ الجبلِ الطويلِ نحوَ الكعبةِ، فجَعَل المسجدَ الذى بُنِىَ ثَمَّ يسارَ المسجدِ بطَرَفِ الأَكَمةِ، ومُصَلَّى النبىِّ ﷺ أسفلَ منه على الأَكَمَةِ السوداءِ، تَدَعُ مِن الأَكَمَةِ عشَرةَ أذْرُعٍ أو نحوَها، ثُمَّ تُصلِّى مُسْتَقْبِلَ الفُرْضَتَيْن مِن الجبلِ الذى بينَك وبينَ الكعبةِ. تفرَّد البخارىُّ، رَحِمَه اللَّهُ، بهذا الحديثِ بطُولِه وسِياقِه، إلَّا أنَّ مسلمًا روَى منه عندَ قولِه فى آخرِه: وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ حدَّثه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَنْزِلُ بذى طُوًى. إلى آخرِ الحديثِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ المُسَيَّبِىِّ، عن أنسِ بنِ عِياضٍ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، فذكَره[3]. وقد رواه الإمامُ أحمدُ بطولِه، عن أبى قُرَّةَ موسى بنِ طارقٍ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ به نحوَه[4].

---

(١) الصفراوات: جمع صفراء، وهو مكان بعد مر الظهران. انظر فتح البارى ١/ ٥٧٠.

(٢) فرضة الجبل: ما انحدر من وسطه وجانبه. وقيل: مدخل الطريق إلى الجبل. انظر النهاية ٣/ ٤٣٣، وفتح البارى ١/ ٥٧٠.

(٣) مسلم (٢٢٨/ ١٢٥٩، ٢٢٩/ ١٢٦٠).

(٤) المسند ٢/ ٨٧.

وهذه الأماكنُ لا يُعْرَفُ اليومَ كثيرٌ منها أو أكثرُها ؛ لأنه قد غُيِّر أسماءُ أكثرِ هذه البِقاعِ اليومَ عندَ هؤلاءِ الأعْرابِ الذين هناك ، فإن الجهلَ قد غلَب على أكثرِهم ، وإنَّما أوْردها البُخاريُّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه لعلَّ أحدًا يَهْتَدى إليها بالتأمُّلِ والتَّفَرُّسِ والتَّوَسُّمِ ، أو لعلَّ أكثرَها أو كثيرًا منها كان معلومًا فى زمانِ البخاريِّ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

بابُ دخولِ النبيِّ ﷺ
إلى مكةَ، شرَّفها اللهُ، عزَّ وجلَّ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا مُسَدَّدٌ، ثنا يحيى، [2]عن عُبَيْدِ اللَّهِ[2]، حدَّثنى نافعٌ، عن ابنِ عمرَ قال: بات النبيُّ ﷺ بذى طُوًى [٣/ ٢٨٦و] حتى أصْبَح، ثُم دَخَل مكةَ، وكان ابنُ عمرَ يفعَلُه. ورواه مسلمٌ مِن حديثِ يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ به[3]. وزاد: حتى صَلَّى الصبحَ. أو قال: حتى أصبح.

وقال مسلمٌ[4] : ثنا أبو الربيعِ الزَّهْرانيُّ، ثنا حمادٌ، عن أيوبَ، عن نافعٍ، أنَّ[5] ابنَ عمرَ كان لا يَقْدَمُ مكةَ إلَّا باتَ بذى طُوًى حتى يُصْبِحَ ويَغْتَسِلَ، ثُم يَدْخُلُ مكةَ نهارًا، ويَذْكُرُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه فَعَلَه. ورواه البخاريُّ مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ، عن أيوبَ به[6].

ولهما مِن طريقٍ أخرى[7]، عن أيوبَ، عن نافعٍ، أنَّ ابنَ عمرَ كان إذا دَخَل أدْنى الحَرَمِ أمْسَك عن التَّلْبيةِ، ثم يَبيتُ بذى طُوًى. وذَكَرَه. وتقدَّم آنفًا ما

---

(١) البخارى (١٥٧٤).

(٢ - ٢) فى م، ص: «بن عبد الله». وهو عبيد الله بن عمر العمرى. انظر تحفة الأشراف ٦/ ١٧٨، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٢٤.

(٣) مسلم (٢٢٦/ ١٢٥٩).

(٤) مسلم (٢٢٧/ ١٢٥٩).

(٥) فى م، ص: «عن».

(٦) البخارى (١٧٦٩) تعليقًا.

(٧) البخارى (١٥٥٣) تعليقًا، (١٥٧٣). وأما عند مسلم فقد ذكر الحافظ المزى فى التحفة ٦/ ٦٢ أنه عن زهير بن حرب عن إسماعيل ابن علية عن أيوب به، ولم نجده فى مطبوعة صحيح مسلم، وانظر المسند الجامع ١٠/ ٢٨١.

أخرجاه مِن طريقِ موسى بنِ عقبةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَبِيتُ بذى طُوًى حتى يُصْبِحَ فيُصَلِّىَ الصبحَ حينَ يَقْدَمُ مكةَ ، ومُصَلَّى رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ أَكَمةٍ غَليظةٍ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَقْبَل فُرْضَتَي الجبلِ الذى بينَه وبينَ الجبلِ الطويلِ نحوَ الكعبةِ ، فجعَل المسجدَ الذى بُنِىَ ثَمَّ يَسارَ المسجدِ بطَرَفِ الأَكَمةِ ، ومُصَلَّى رسولِ اللَّهِ ﷺ أسفلَ منه على الأَكَمةِ السوداءِ ، تَدَعُ[1] مِن الأَكَمةِ عشَرةَ أذْرُعٍ أو نحوَها ، ثُم تُصَلِّى[2] مُسْتَقْبِلَ الفُرْضَتَيْن مِن الجبلِ الذى بينَك وبينَ الكعبةِ . أخرجاه فى « الصحيحَيْن » .

وحاصلُ هذا كلِّه أنَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لمَّا انْتَهَى فى مَسيرِه إلى ذى طُوًى ، وهو قريبٌ مِن مكةَ مُتاخِمٌ للحَرمِ ، أمْسَك عن التَّلْبِيَةِ ؛ لأنَّه قد وَصَل إلى المقصودِ ، وبات بذلك المكانِ حتى أصْبَح ، فصَلَّى هنالك الصبحَ ، فى المكانِ الذى وصَفوه بينَ فُرْضَتَي الجبلِ الطَّويلِ هنالك ، ومَن تأَمَّل هذه الأماكنَ المُشارَ إليها بعينِ البَصيرةِ ، عَرَفَها معرفةً جيدةً ، وتعَيَّنَ له المكانُ الذى صلَّى فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، لأجْلِ دخولِ مكةَ ، ثُم رَكِب ودَخَلَها نهارًا جَهْرةً عَلانيةً ، مِن الثَّنِيَّةِ العُلْيا التى بالبَطْحاءِ - ويقالُ : كَدَاءٌ[3] - ليراه الناسُ ويُشْرِفَ عليهم ، وكذلك دَخَل منها يومَ الفتحِ ، كما ذكَرْناه .

قال مالكٌ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَخَل مكةَ مِن الثَّنِيَّةِ العُلْيا ، وخرَج مِن الثَّنِيَّةِ السُّفْلى . أخرجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِه[4] .

---

(١) فى م ، ص : « يدع » .

(٢) فى م ، ص : « يصلى » .

(٣) فى م : « كذا » .

(٤) البخارى (١٥٧٥) . وليس عند مسلم من هذا الطريق . انظر تحفة الأشراف ٦/ ٢٢٠ .

ولهما[1] مِن طريقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن [٣/ ٢٨٦ظ] ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ مِن الثَّنِيَّةِ العُلْيا التى فى البَطْحاءِ ، وخرَج مِن الثَّنِيَّةِ السُّفْلى . ولهما أيضًا[2] مِن حديثِ هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ مِثلُ ذلك .

ولمَّا وقَع بصرُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، على البيتِ قال ما رَواه الشافعيُّ فى « مسندِه »[3] : أخبرَنا سعيدُ بنُ سالمٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا رَأَى البيتَ رَفَع يديْه وقال : « اللَّهُمَّ زِدْ هذا البيتَ تَشْرِيفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومَهابةً ، وزِدْ مِن شَرَفِه وكَرَمِه مِمَّنْ[4] حَجَّه واعْتَمَرَه تشْريفًا وتكريمًا وتعظيمًا وبِرًّا » . قال الحافظُ البيهقيُّ : هذا مُنْقَطِعٌ ، وله شاهدٌ مرسلٌ عن سفيانَ الثَّوْرِيِّ ، عن أبى سعيدٍ الشاميِّ ، عن مَكْحولٍ قال : كان النبيُّ ﷺ إذا دَخَل مكةَ فرَأَى البيتَ ، رفَع يديْه وكَبَّر وقال : « اللَّهُمَّ أنت السلامُ ، ومنك السلامُ ، فحَيِّنا رَبَّنا بالسلامِ ، اللهم زِدْ هذا البيتَ تَشْرِيفًا وتعظيمًا [5]وتكريمًا ومَهابةً[5] ، وزِدْ مَن حَجَّه أو اعْتَمَرَه تكريمًا وتشْريفًا وتعظيمًا وبِرًّا » .

وقال الشافعيُّ[6] : أنبأَنا سعيدُ بنُ سالمٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قال : حُدِّثْتُ عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « تُرْفَعُ الأيدِى فى الصلاةِ ، وإذا رأى البيتَ ، وعلى الصفا والمَرْوَةِ ، وعَشِيَّةَ عرفةَ ، وبجَمْعٍ ، وعندَ الجَمْرَتَيْن ، وعلى المَيِّتِ » .

---

(١) البخارى (١٥٧٦) ، ومسلم (١٢٥٧) .

(٢) البخارى (١٥٧٧) ، ومسلم (٢٢٤/ ١٢٥٨) .

(٣) ترتيب مسند الشافعى (٨٧٤) ، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧٣/٥ ، من طريق الشافعى به .

(٤) فى م ، ص : « فمن » .

(٥ - ٥) فى ا ٤ : « وتكريما وبرا » . وفى م : « وتكريما ومهابة وبرا » . وفى السنن الكبرى : « ومهابة » .

(٦) ترتيب مسند الشافعى (٨٧٥) . وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧٢/٥ ، من طريق الشافعى به .

قال الحافظُ البيهقيُّ[1] : وقد رواه محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ؛ مرةً موقوفًا عليهما ، ومرةً مرفوعًا إلى النبىِّ ﷺ دونَ ذِكْرِ الميِّتِ . قال : وابنُ أبى ليلى هذا غيرُ قوىٍّ .

ثم إنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، دخَل المسجدَ مِن بابِ بنى شَيْبَةَ ، قال الحافظُ البيهقيُّ[2] : رُوِّينا عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ قال : يَدْخُلُ المُحْرِمُ مِن حيثُ شاءَ . قال : ودخَل النبىُّ ﷺ مِن بابِ بنى شَيْبَةَ ، وخرَج مِن بابِ بنى مَخْزومٍ إلى الصفا . ثُم قال البيهقىُّ : وهذا مرسلٌ جيدٌ .

وقد اسْتَدَلَّ البيهقىُّ على استحبابِ دخولِ المسجدِ مِن بابِ بنى شَيْبَةَ بما رواه[3] مِن طريقِ أبى داودَ الطَّيالِسِىِّ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ وقيسٌ و[4] سَلَّامٌ ، كلُّهم عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، عن علىٍّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : لمَّا انْهَدَم البيتُ بعدَ جُرْهُمٍ بَنَتْه قريشٌ ، فلمَّا أرادوا وَضْعَ الحجرِ تَشاجَروا مَن يضَعُه ، فاتَّفَقوا أن يَضَعَه أولُ مَن يَدْخُلُ [٣/ ٢٨٧و] مِن هذا البابِ ، فدَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن بابِ بنى شَيْبَةَ ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بثوبٍ ، فوَضَعَ الحَجَرَ فى وَسَطِه ، وأمَر كَلَّ فَخِذٍ أن يَأْخُذوا بطائفةٍ مِن الثوبِ ، فرَفَعُوه ، وأخَذَه رسولُ اللَّهِ ﷺ فوَضَعَه . وقد ذَكَرْنا هذا مبسوطًا فى بابِ بناءِ الكعبةِ قبلَ البِعثةِ[5] . وفى الاستدلالِ على استحبابِ الدخولِ مِن بابِ بنى شَيْبَةَ بهذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ٧٣.

(٢) السنن الكبرى ٥/ ٧٢.

(٣) المصدر السابق .

(٤) فى النسخ : « بن » . وهو خطأ . والمثبت من السنن الكبرى . وقيس هو قيس بن الربيع الأسدى ، أبو محمد الكوفى . انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥. وسلَّام هو أبو الأحوص سلّام بن سلَيم الحنفى . انظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٥٠.

(٥) تقدم فى ٣/ ٤٧٨، ٤٧٩.

صفةُ طَوافِه، صلواتُ اللَّـهِ وسلامُه عليه

قال البخاريُّ[1] : حدثنا أصْبَغُ بنُ الفَرَجِ، عن ابنِ وهبٍ، أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ[2] ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ قال: ذكَرْتُ لعروةَ، قال: أخْبَرَتْنى عائشةُ أن أولَ شيءٍ بدأ به حينَ قدِم النبىُّ ﷺ أنه توضأ ثم طاف، ثم لم تكُنْ عمرةٌ، ثم حجَّ أبو بكرٍ وعمرُ مثلَه، ثم حجَجْتُ مع أبى؛ الزبيرِ، فأولُ شيءٍ بدَأ به الطوافُ، ثم رأيْتُ المهاجرين والأنصارَ يفْعَلونه، وقد أخْبَرَتْنى أمى أنها أهَلَّت هى وأختُها والزبيرُ وفلانٌ وفلانٌ بعمرةٍ، فلما مسَحوا الركنَ حَلُّوا. هذا لفظُه، وقد رواه فى موضعٍ آخرَ، عن أحمدَ بنِ عيسى، ومسلمٌ عن هارونَ بنِ سعيدٍ، ثلاثتُهم عن ابنِ وهبٍ به[3] . وقولُها: ثم لم تكنْ عمرةٌ. يدُلُّ على أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لم يتَحَلَّلْ بينَ النُّسُكَيْن، ثم كان أولَ ما ابتدأ به، عليه الصلاةُ والسلامُ، استلامُ الحجرِ الأسودِ قبلَ الطوافِ، كما قال جابرٌ[4] : حتى إذا أتَيْنا البيتَ معه، استلم الركنَ، فرَمَل ثلاثًا، ومشَى أربعًا.

وقال البخاريُّ[5] : ثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ، ثنا سفيانُ، عن الأعمشِ، عن إبراهيمَ، عن عابسِ بنِ ربيعةَ، عن عمرَ أنه جاء إلى الحجَرِ فقبَّله، وقال: إنى لأعْلَمُ أنك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفَعُ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك ما قبَّلْتُك.

---

(١) البخارى (١٦١٤، ١٦١٥).

(٢) فى النسخ «محمد». والمثبت من البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٧٠، وفتح البارى ٣/ ٤٧٨.

(٣) البخارى (١٦٤١، ١٦٤٢، ١٧٩٦)، ومسلم (١٢٣٥).

(٤) حديث جابر الطويل تقدم فى صفحة ٥٠٣.

(٥) البخارى (١٥٩٧).

ورواه مسلمٌ[1] ، عن يحيى بنِ يحيى وأبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ وزهيرِ بنِ حربٍ وابنِ نُمَيْرٍ[2] جميعًا ، عن أبى معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن عابسِ بنِ ربيعةَ قال : رأيْتُ عمرَ يُقَبِّلُ الحجرَ ويقولُ : إنى لأَعْلَمُ أنك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفَعُ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك ما قَبَّلْتُك .

[3]وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ وأبو معاويةَ قالا : حدَّثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن[5] عابسِ بنِ ربيعةَ قال : رأيْتُ عمرَ أتَى الحجرَ فقال : أمَا واللَّهِ إنِّى[6] لأَعْلَمُ أنك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنْفَعُ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قبَّلَك ، ما قبَّلْتُك[3] . [٣/ ٢٨٧ظ] ثم دنَا ، فقبَّله . فهذا السِّياقُ يقْتَضى أنه قال ما قال ، ثم قبَّله بعدَ ذلك ، بخلافِ سياقِ صاحبَيِ « الصحيحِ » . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال أحمدُ[7] : ثنا وَكيعٌ ويحيى - واللفظُ لوَكيعٍ - عن هشامٍ ، عن أبيه ، أن عمرَ بنَ الخطابِ أتَى الحجرَ فقال : إنى لأَعْلَمُ أنك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفَعُ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ يُقَبِّلُك ما قبَّلْتُك . وقال : ثم قبَّله . وهذا مُنْقطعٌ بينَ عروةَ بنِ الزبيرِ وبينَ عمرَ .

وقال البخاريُّ أيضًا[8] : ثنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ ، ثنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبى

---

(١) مسلم (٢٥١/ ١٢٧٠) بنحوه ، ولفظه : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : إنى لأقبلك وأعلم أنك حجر ، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك .

(٢) فى م ، ص : « ابن أبى نمير » ، وهو محمد بن عبد الله بن نمير . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٦٦.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المسند ١/ ٢٦ عن أبى معاوية ، وفى ١/ ٤٦ عن محمد بن عبيد ، وهذا لفظه . (إسناده صحيح) .

(٥) فى م : « بن » .

(٦) سقط من : م .

(٧) المسند ١/ ٥٣، ٥٤ عن يحيى ، وفى ١/ ٥٤ عن وكيع . (إسناده ضعيف) .

(٨) البخارى (١٦٠٥) .

كثيرٍ ، أخبرنى زيدُ بنُ أسْلَمَ ، عن أبيه ، أن عمرَ بنَ الخطابِ قال للرُّكْنِ : أمَا واللَّهِ إنى لأعْلَمُ أنك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفَعُ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَلَمك ما استَلَمْتُك . فاسْتَلَمه . ثم قال : وما لنا وللرَّمَلِ ؟! إنما كنا راءَيْنا به المشركين ، ولقد أهْلَكهم اللَّهُ . ثم قال : شىءٌ صنَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ فلا نُحِبُّ أن نترُكَه . وهذا يدُلُّ على أن الاستلامَ تأخَّر عن القولِ .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أحمدُ بنُ سِنانٍ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا وَرْقاءُ ، ثنا زيدُ بنُ أسْلَمَ ، عن أبيه قال : رأيْتُ عمرَ بنَ الخطابِ قبَّل الحجرَ وقال : لولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك[2] ما قبَّلْتُك .

وقال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ[3] : ثنا حَرْمَلةُ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى يونُسُ ، هو ابنُ يزيدَ الأيْلىُّ ، وعمرٌو ، هو ابنُ دينارٍ . (ح)[4] وحدثنا هارونُ بنُ سعيدٍ الأيْلىُّ ، أنبأَنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى عمرٌو ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمٍ أن أباه حدَّثه ، أنه قال : قبَّل عمرُ بنُ الخطابِ الحجرَ ، ثم قال : أمَا واللَّهِ لقد علِمْتُ أنك حجرٌ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك ما قبَّلْتُك . زاد هارونُ فى روايتِه : قال عمرٌو : وحدثنى بمثلِها زيدُ بنُ أسْلَمَ ، عن أبيه أسْلَمَ . يعنى عن عمرَ به . وهذا صَريحٌ فى أن التَّقْبيلَ تَقَدَّمَ[5] على القولِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأَنا عبدُ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ

---

(١) البخارى (١٦١٠) .
(٢) فى البخارى : « قبلك » .
(٣) مسلم (٢٤٨/ ١٢٧٠) .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى م : « يقدم » .
(٦) المسند ١/ ٣٤. (صحيح الإسناد) .

عمرَ ، أن عمرَ قبَّل الحجرَ ثم قال : قد علِمْتُ أنك حجرٌ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قبَّلك ، ما قبَّلْتُك . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ .

وقد أخْرَجه مسلمٌ فى « صحيحِه »[1] ، عن محمدِ بنِ أبى بكرٍ المُقَدَّمىِّ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن عمرَ قبَّل الحجرَ وقال : إنى لَأُقَبِّلُك ، وإنى لَأَعْلَمُ أنك حجرٌ ، ولكنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك .

ثم قال مسلمٌ[2] : ثنا خَلَفُ بنُ هشامٍ والمُقَدَّمىُّ وأبو كاملٍ وقتيبةُ ، كلُّهم عن حمادٍ ، قال خَلَفٌ : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عاصمٍ الأحْولِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ قال : رأيْتُ الأصْلَعَ [٣/ ٢٨٨و] - يعنى عمرَ - يُقَبِّلُ الحجرَ ويقولُ : واللَّهِ إنى لَأُقَبِّلُك ، وإنى لَأَعْلَمُ أنك حجرٌ ، وأنك لا تضُرُّ ولا تنفَعُ ، ولولا أنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك[3] ما قبَّلْتُك . وفى روايةِ المُقَدَّمىِّ وأبى كاملٍ : رأيْتُ الأُصَيْلِعَ[4] . وهذا مِن أفرادِ مسلمٍ دون البخارىِّ . وقد رواه الإمامُ أحمدُ ، عن أبى مُعاويةَ ، عن عاصمٍ الأحْولِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ به[5] . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، عن عاصمٍ الأحولِ به[6] .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن سفيانَ ، عن إبراهيمَ ابنِ عبدِ الأعْلَى ، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ قال : رأيْتُ عمرَ يُقَبِّلُ الحَجَرَ ويقولُ : إنى

---

(١) مسلم (٢٤٩/ ١٢٧٠) .
(٢) مسلم (٢٥٠/ ١٢٧٠) .
(٣) فى مسلم : « قبلك » .
(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الأصلع » .
(٥) المسند ١/ ٣٤، ٣٥. (صحيح الإسناد) .
(٦) المسند ١/ ٥٠، ٥١. (صحيح الإسناد) .
(٧) المسند ١/ ٣٩. (صحيح الإسناد) .

لَأَعْلَمُ أنك حجرٌ لا تضُرُّ ولا تنفَعُ ، ولكنى رأيْتُ أبا القاسمِ ﷺ بك حَفِيًّا . ثم رواه أحمدُ ، عن وَكيعٍ ، عن سفيانَ الثوريِّ به[1] . وزاد : فقبَّله والتَزَمَه .

وهكذا رواه مسلمٌ[2] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ بلا زيادةٍ ، ومِن حديثِ وكيعٍ[3] بهذه الزيادةِ : قبَّل الحجرَ والتَزَمه وقال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بك حَفِيًّا .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا عفانُ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ أكَبَّ على الرُّكْنِ وقال : إنى لَأَعْلَمُ أنك حجرٌ ، ولو لم أرَ حبيبى ﷺ قبَّلك واسْتَلَمك[5] ما اسْتَلَمْتُك ولا قَبَّلْتُك : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] . وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ ، ولم يُخْرِجوه .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[6] : ثنا جعفرُ بنُ [7]عبدِ اللَّهِ بنِ[7] عثمانَ القرشيُّ مِن أهلِ مكةَ قال : رأيْتُ محمدَ بنَ عَبَّادِ بنِ جعفرٍ قبَّل الحجرَ وسجَد عليه ، ثم قال : رأيْتُ خالَك[8] ابنَ عباسٍ قبَّله وسجَد عليه ، وقال ابنُ عباسٍ : رأيْتُ عمرَ بنَ الخطابِ قبَّله وسجَد عليه ، ثم قال عمرُ : لو لم أرَ النبيَّ ﷺ قبَّله ما قبَّلْتُه . وهذا

---

(١) المسند ١/ ٥٤. (صحيح الإسناد).
(٢) مسلم (٠٠٠/ ١٢٧١).
(٣) مسلم (٢٥٢/ ١٢٧١).
(٤) المسند ١/ ٢١. (صحيح الإسناد).
(٥) فى المسند: «أو استلمك».
(٦) مسند أبى داود (٢٩).
(٧ - ٧) سقط من النسخ ومسند الطيالسى. والمثبت من مصادر ترجمته. انظر الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٢، ٤٨٣، وميزان الاعتدال ١/ ٤١١.
(٨) فى مسند الطيالسى: «عبد الله».

أيضًا إسنادٌ حسنٌ . ولم يُخْرِجْه إلا النسائيُّ[1] ، عن عمرِو بنِ عثمانَ ، عن الوليدِ ابنِ مسلمٍ ، عن حَنْظلةَ بنِ أبى سفيانَ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ ، فذكَر نحوَه . وقد رَوَى هذا الحديثَ عن عمرَ الإمامُ أحمدُ أيضًا مِن حديثِ يَعْلَى ابنِ أميَّةَ عنه[2] ، وأبو يَعْلى المَوْصِلىُّ فى « مسندِه »[3] مِن طريقِ هشامِ بنِ [4]حُبَيْشِ ابنِ الأشْعرِ[4] ، عن عمرَ . وقد أوْرَدْنا ذلك كلَّه بطرقِه وألفاظِه وعَزْوِه وعِلَلِه فى الكتابِ الذى جَمَعْناه فى « مُسْنَدِ أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ » ، رضى اللَّهُ عنه ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وبالجملةِ فهذا الحديثُ مَرْوِىٌّ مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، وهى تفيدُ القطعَ [٣/ ٢٨٨ظ] عندَ كثيرٍ من أئمةِ هذا الشأنِ ، وليس فى هذه الرواياتِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، سجَد على الحجرِ ، إلا ما أشْعَر به روايةُ أبى داودَ الطَّيالسىِّ ، عن جعفرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ ، وليست صريحةً فى الرفعِ .

ولكن رواه الحافظُ البيهقىُّ[5] مِن طريقِ أبى عاصمٍ النَّبيلِ ، ثنا جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ قال : رأيْتُ محمدَ بنَ عَبَّادِ بنِ جعفرٍ قبَّل الحجرَ وسجَد عليه ، ثم قال : رأيْتُ خالَك ابنَ عباسٍ [6]قبَّله وسجَد[6] عليه ، وقال ابنُ عباسٍ : رأيْتُ عمرَ قبَّله وسجَد عليه ، ثم قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فعَل هكذا ففعَلْتُ .

---

(١) النسائى (٢٩٣٨) .

(٢) المسند ١/ ٣٧، ٤٥. (إسناده صحيح) .

(٣) مسند أبى يعلى (٢٢١) . إسناده ضعيف ، ولكن الحديث صحيح . وانظر ما يأتى من كلام المصنف .

(٤ - ٤) فى الأصل « حبيش بن الأشعث » ، وفى م « حشيش بن الأشقر » ، وفى ص : « حشيش بن الأشعر » ، وفى مسند أبى يعلى : « حبيش بن الأشقر » . انظر الجرح والتعديل ٩/ ٥٣، والإكمال ١/ ٨٨.

(٥) السنن الكبرى ٥/ ٧٤.

(٦ - ٦) فى السنن الكبرى : « يقبله ويسجد » .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[1] : أنبأَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنبأنا الطبرانيُّ ، أنبأَنا أبو الزِّنْباعِ ، ثنا يحيى بنُ سليمانَ الجُعْفيُّ ، ثنا يحيى بنُ يَمانٍ ، ثنا سفيانُ ، عن[2] ابنِ أبى حسينٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يسجُدُ[3] على الحجرِ . قال الطبرانيُّ : لم يَرْوِه عن سفيانَ إلا يحيى بنُ يَمانٍ .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا حمادٌ ، عن الزبيرِ بنِ عَرَبِيٍّ قال : سأل رجلٌ ابنَ عمرَ عن استلامِ الحجرِ ، فقال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُه ويُقَبِّلُه . قال : أَرَأَيْتَ إن زُحِمْتُ ؟ أرَأَيْتَ إن غُلِبْتُ ؟ قال : اجْعَلْ « أرَأَيْتَ » باليَمَنِ[5] ؛ رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُه ويُقَبِّلُه . تفرَّد به دونَ مسلمٍ .

وقال البخاريُّ[6] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا يحيى ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : ما تَرَكْتُ استلامَ هذين الركنين فى شدةٍ ولا رَخاءٍ منذ رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يسْتَلِمُهما . فقلتُ لنافعٍ : أكان ابنُ عمرَ يمشِى بينَ الرُّكْنَيْن ؟ قال : إنما كان يمشِى ليكونَ أيْسَرَ لاستلامِه .

ورَوى أبو داودَ والنسائيُّ[7] ، مِن حديثِ يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان لا يدَعُ أن يسْتَلِمَ الرُّكنَ اليَمانىَ والحجرَ فى كلِّ طَوْفَةٍ .

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ٧٥.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « سجد » .

(٤) البخارى (١٦١١) .

(٥) قال الحافظ : يشعر بأن الرجل يمانى ...، وإنما قال له ذلك ، لأنه فهم منه معارضة الحديث بالرأى فأنكر عليه ذلك ، وأمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به ويتقى الرأى . فتح البارى ٣/ ٤٧٦.

(٦) البخارى (١٦٠٦) .

(٧) أبو داود (١٨٧٦) ، والنسائى (٢٩٤٧) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٢) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أبو الوليدِ ، ثنا ليثٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه قال : لم أرَ النبيَّ ﷺ يستَلِمُ مِن البيتِ إلا الرُّكْنَين اليَمانِيَيْن . ورواه مسلمٌ ، عن يحيى بنِ يحيى ، وقتيبةَ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ به[2] . وفى روايةٍ عنه أنه قال[3] : ما أُرَى النبيَّ ﷺ ترَك استلامَ الرُّكْنَين الشاميَّيْن إلا أنهما لم يُتَمَّمَا على قواعدِ إبراهيمَ .

وقال البخاريُّ[4] : وقال محمدُ بنُ بكرٍ : أنبأنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرنى عمرُو بنُ دينارٍ ، عن أبى الشَّعْثاءِ ، أنه قال : ومن يَتَّقى شيئًا مِن البيتِ ؟ وكان [٣/ ٢٨٩و] معاويةُ يستَلِمُ الأركانَ ، فقال له ابنُ عباسٍ: إنه لا يُستَلَمُ هذان الركنان . فقال له : ليس مِن البيتِ شيءٌ مهجورًا . وكان ابنُ الزبيرِ يستَلِمُهن كلَّهن . انفرد بروايتِه البخاريُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقال مسلمٌ فى « صحيحِه »[5] : حدَّثنى أبو الطاهرِ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، أن قتادةَ بنَ دِعامةَ حدَّثه ، أن أبا الطُّفَيْلِ البَكْرىَّ حدَّثه ، أنه سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : لم أرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يستَلِمُ غيرَ الركنين اليَمانِيَيْن . انفرد به مسلمٌ . فالذى رواه ابنُ عمرَ موافقٌ لما قاله ابنُ عباسٍ ؛ أنه لا يُستَلَمُ الرُّكْنان الشامِيَّان ؛ لأنَّهما لم يُتَمَّمَا على قواعدِ إبراهيمَ ، لأن قريشًا قَصَرَت بهم النفقةُ ، فأخْرَجوا الحِجْرَ مِن البيتِ حين بَنَوْه ، كما تقدَّم بيانُه[6] . ووَدَّ النبيُّ ﷺ أن لو بناه

---

(١) البخارى (١٦٠٨) .
(٢) مسلم (٢٤٢/ ١٢٦٧) .
(٣) البخارى (١٥٨٣) ، ومسلم (٣٩٩/ ١٣٣٣) ، وأبو داود (١٨٧٥) عن ابن عمر بنحوه .
(٤) البخارى (١٦٠٨) معلقا .
(٥) مسلم (١٢٦٩) .
(٦) انظر ما تقدم ٣/ ٤٨٩ .

فتَمَّمه على قواعدِ إبراهيمَ ، ولكن خَشِيَ مِن حداثةِ عهدِ الناسِ بالجاهليةِ فتُنْكِرُه قلوبُهم ، فلما كانت إمْرَةُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ هدَم الكعبةَ ، وبناها على ما أشار إليه ، صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ، كما أخبرته خالتُه أمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ الصديقِ . فإن كان ابنُ الزبيرِ استلم الأركانَ كلَّها بعدَ بنائِه إيَّاها على قواعدِ إبراهيمَ فحسنٌ جدًّا ، وهو واللَّهِ المظنونُ به .

وقال أبو داودَ[1] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا يحيى ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يدَعُ أن يستَلِمَ الركنَ اليَمانِىَ والحَجَرَ فى كلِّ طَوْفَةٍ[2] . ورواه النسائىُّ ، عن [٣/ ٢٨٩ظ] محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن يحيى[3] .

وقال النسائىُّ[4] : ثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرقىُّ ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن يحيى بنِ عُبَيْدٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ بينَ الركنِ اليَمانِى والحِجْرِ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] . ورواه أبو داودَ ، عن مُسَدَّدٍ ، عن عيسى بنِ يونُسَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ به[5] .

وقال الترمذىُّ[6] : ثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ ، ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا سفيانُ ، عن

---

(١) أبو داود (١٨٧٦) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٢) .
(٢) فى م : « طوافه » .
(٣) النسائى (٢٩٤٧) . حسن (صحيح سنن النسائى ٢٧٩٨) .
(٤) النسائى فى الكبرى (٣٩٣٤) .
(٥) أبو داود (١٨٩٢) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٦) .
(٦) الترمذى (٨٥٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٧٩) .

جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ قال : لمَّا قدِم النبيُّ ﷺ مكةَ دخَل المسجدَ ، فاسْتَلَم الحَجَرَ ، ثم مضَى على يمينِه فرمَل ثلاثًا ومشَى أربعًا ، ثم أتَى المَقامَ فقال : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . فصلَّى ركعتين ، والمَقامُ بينَه وبينَ البيتِ ، ثم أتَى الحَجَرَ بعدَ الركعتَيْن فاسْتَلَمه ، ثم خرَج إلى الصفا ، أظُنُّه قال : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ . هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، والعملُ على هذا عندَ أهلِ العلمِ . وهكذا رواه إسحاقُ بنُ راهَوَيْهِ ، عن يحيى بنِ آدمَ[1] ، ورواه الطبرانيُّ ، عن النسائيِّ وغيرِه ، عن عبدِ الأعْلَى بنِ واصلٍ ، عن يحيى بنِ آدمَ به[2] .

ذكرُ رَمَلِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، في طوافِه واضْطِباعِه[3]

قال البخاريُّ[4] : حدَّثنا أصْبَغُ بنُ الفَرَجِ ، أخبرنى ابنُ وهبٍ ، عن يونُسَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمٍ ، عن أبيه قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ يَقْدَمُ مكةَ إذا استلم الركنَ الأسودَ أولَ ما يطوفُ يَخُبُّ ثلاثةَ أشْواطٍ مِن السبعِ . ورواه مسلمٌ ، عن أبى الطاهرِ بنِ السَّرْحِ وحَرْمَلَةَ ، كلاهما عن ابنِ وهبٍ به[5] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٢١٨) من طريق إسحاق بن راهويه به مختصرا .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى (١٦٨٢) .

(٣) الاضطباع ، افتعال من الضَّبْع بإسكان الباء الموحدة وهو العَضُد ؛ وهو أن يُدخِل إزاره تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على منكبه الأيسر ويكون منكبه الأيمن مكشوفًا . بلوغ الأمانى ١٢/ ١٩ .

(٤) البخارى (١٦٠٣) .

(٥) مسلم (٢٣٢/ ١٢٦١) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا محمدُ بنُ سَلَامٍ ، ثنا سُرَيْجُ بنُ النعمانِ ، ثنا فُلَيْحٌ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : سعَى النبيُّ ﷺ ثلاثةَ أشْواطٍ ومشَى أربعةً فى الحجِّ والعمرةِ . تابعه الليثُ ، حدَّثنى كَثيرُ بنُ فَرْقَدٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبيِّ ﷺ . انفرد به البخاريُّ . وقد رواه النسائيُّ ، عن محمدٍ وعبدِ الرحمنِ ابنَى عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، كلاهما عن شعيبِ بنِ الليثِ ، عن أبيه الليثِ بنِ سعدٍ ، عن كثيرِ بنِ فَرْقَدٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ به[2] .

وقال البخاريُّ[3] : ثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، ثنا أبو ضَمْرةَ أنسُ بنُ عِياضٍ ، ثنا موسى بنُ عقبةَ ، عن نافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٢٩٠و] كان إذا طاف فى الحجِّ أو العمرةِ أولَ ما يَقْدَمُ سعَى ثلاثةَ أطَوافٍ ومشَى أربعةً ، ثم سجَد سجدتين ، ثم يَطوفُ بينَ الصفا والمروةِ . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ موسى بنِ عقبةَ[4] .

وقال البخاريُّ[5] : ثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، ثنا أنسٌ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا طاف بالبيتِ الطوافَ الأولَ يَخُبُّ ثلاثةَ أطْوافٍ ويمشِى أربعةً ، وأنه كان يسْعَى بَطْنَ المَسِيلِ إذا طاف بينَ الصفا والمروةِ . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[6] .

---

(١) البخارى (١٦٠٤) .
(٢) النسائى فى الكبرى (٣٩٣٧) . ووقع فى السنن : « عبد اللَّه بن محمد » بدلا من « عبد اللَّه بن عمر » .
(٣) البخارى (١٦١٦) .
(٤) مسلم (٢٣١/ ١٢٦١) .
(٥) البخارى (١٦١٧) .
(٦) مسلم (٢٣٠/ ١٢٦١) .

وقال مسلمٌ[1] : أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ أبانٍ الجُعْفيُّ ، أنبأنا ابنُ المُبارَكِ ، أنبأنا عُبَيدُ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : رمَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الحجَرِ إلى الحجَرِ ثلاثًا ومشى أربعًا . ثم رواه مِن حديثِ سُلَيمِ بنِ أخْضَرَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنحوِه[2] .

وقال مسلمٌ أيضًا[3] : حدَّثنى أبو الطاهرِ ، حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، أخبرنى مالكٌ وابنُ جُرَيْجٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رمَل الثلاثةَ أطوافٍ[4] مِن الحجَرِ إلى الحجَرِ .

وقال عمرُ بنُ الخطابِ : فيمَ الرَّمَلانُ والكشفُ عن المَناكِبِ وقد أطَّأ[5] اللَّهُ الإسلامَ ، ونفَى الكفرَ [6]وأهله[6] ؟! ومع ذلك لا نترُكُ شيئًا كنا نفعَلُه مع رسولِ اللَّهِ ﷺ . [7]رواه أحمدُ وأبو داودَ وابنُ ماجه والبيهقيُّ مِن حديثِ هشامِ بنِ سعدٍ[8] ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيه عنه[9][7] . وهذا كلُّه ردٌّ على ابنِ عباسٍ ومَن تابعه مِن أن الرمَلَ[10] ليس بسنةٍ ؛ لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ إنما فعَله لمَّا قدِم هو

---

(١) مسلم (٢٣٣/ ١٢٦٢) .

(٢) مسلم (٢٣٤/ ١٢٦٢) .

(٣) مسلم (٢٣٦/ ١٢٦٣) .

(٤) فى م : « أشواط » .

(٥) فى م ، ص : « أطد » . وأطَّأ اللَّه الإسلام : ثبّته وأرساه . والهمزة فيه بدل من واو وطّأ . النهاية ١/ ٥٣ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى م ، ص : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٠٤ .

(٩) المسند ١/ ٤٥ ، وأبو داود (١٨٨٧) ، وابن ماجه (٢٩٥٢) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٧٩ . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٢) .

(١٠) فى م : « المرسل » .

وأصحابُه صَبيحةَ رابعةٍ - يعنى فى عمرةِ القَضاءِ - وقال المشركون : إنه يَقْدَمُ عليكم وفدٌ وهَنَتْهم حُمَّى يثربَ . فأمَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَرْمُلوا الأشْواطَ الثلاثةَ ، وأن يمشوا ما بينَ الرُّكْنَيْن ، ولم يمنَعْهم أن يَرْمُلوا الأشْواطَ كلَّها إلا[1] الإبقاءَ عليهم ، وهذا ثابتٌ عنه فى « الصحيحين »[2] ، فكان ابنُ عباسٍ يُنْكِرُ وقوعَ الرَّمَلِ فى حَجَّةِ الوَداعِ ، وقد صح بالنقلِ الثابتِ كما تقدم - بل فيه زيادةُ تكميلٍ - الرَّمَلُ مِن الحَجَرِ إلى الحَجَرِ ، ولم يمشِ ما بينَ الركنَيْن اليَمانِيَيْن ؛ لزوالِ تلك العلةِ المشارِ إليها ، وهى الضعفُ .

وقد ورَد فى الحديثِ الصحيحِ ، عن ابنِ عباسٍ أنهم رمَلوا فى عمرةِ الجِعْرانةِ واضْطَبعوا . وهو [3]ردٌّ عليه[3] ، فإن عمرةَ الجِعْرانةِ لم يَبْقَ فى أيامِها خوفٌ ؛ لأنها بعد الفتحِ كما تقدم . رواه حمادُ بنُ سَلَمةَ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، [٣/ ٢٩٠ظ] عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأصحابَه اعْتَمَروا مِن الجِعْرانةِ ، فرمَلوا بالبيتِ واضْطَبعوا ، ووضَعوا أرْديتَهم تحتَ آباطِهم وعلى عَواتِقِهم . ورواه أبو داودَ مِن حديثِ حمادٍ بنحوِه[5] ، ومِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن ابنِ عباسٍ به[6] .

فأمَّا الاضْطِباعُ فى حَجَّةِ الوَداعِ ، فقد قال قَبِيصةُ والفِرْيابىُّ ، عن سفيانَ

---

(١) بعده فى م : « خشية » .

(٢) بعده فى م : « وتصريحه لعذر سببه فى صحيح مسلم أظهر » . وفى ص غير واضحة . والحديث فى البخارى (١٦٠٢) ، ومسلم (٢٤٠/ ١٢٦٦) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « وارد عليه » . وفى ا ٤ : « وارد عليها » . وفى ص : « واجب عليه » .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٠٦، ٣٧١ ، من طريق حماد بن سلمة به .

(٥) أبو داود (١٨٨٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٩) .

(٦) أبو داود (١٨٩٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٤) .

الثوريِّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جبيرِ بنِ شيبةَ ، عن ابنِ[1] يَعْلَى بنِ أميةَ ، عن أبيه[2] قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يطَوفُ بالبيتِ مُضْطَبِعًا . رواه الترمذيُّ مِن حديثِ الثوريِّ[3] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو داودَ[4] : ثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ ، ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن ابنِ يَعْلَى ، عن أبيه قال : طاف رسولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَبِعًا [5]بُرْدًا أخْضَرَ[5] .

[6]وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ[7] ، عن وكيعٍ ، عن الثوريِّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن ابنِ يَعْلَى ، عن أبيه ، أن النبيَّ ﷺ لما قدِم طاف بالبيتِ وهو مُضْطَبِعٌ [8]ببُرْدٍ له حضْرميٍّ[8][6] .

وقال جابرٌ فى حديثِه المتقدمِ : حتى إذا أتَيْنا البيتَ معه استلم الركنَ ، فرمَل ثلاثًا ومشَى أربعًا ، ثم نَفَذ[9] إلى مَقامِ إبراهيمَ فقرأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ . فجعَل المَقامَ بينَه وبينَ البيتِ . فذكَر أنه صلَّى ركعتين قرَأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] . و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون : ١] . فإن قيل : فهل كان ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى هذا الطوافِ

---

(١) سقط من : م ، ص . وفى الأصل : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٤٨٤.

(٢) فى م ، ص : « أمية » .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٩٥٤) من حديث قبيصة ومحمد بن يوسف الفريابى كلاهما عن الثورى ، والترمذى (٨٥٩) من حديث الثورى . حسن (صحيح سنن الترمذى ٦٨٢) .

(٤) أبو داود (١٨٨٣) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٨) .

(٥ - ٥) فى الأصل : « بِرداءٍ حضرمى » ، وفى م : « برداء أخضر » . وفى سنن أبى داود : « ببرد أخضر » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) المسند ٤/ ٢٢٣، ٢٢٤. وقد تقدم تخريجه قريبًا .

(٨ - ٨) فى م : « برد له أخضر » . وفى ص : « برد له حضرمى » .

(٩) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م ، ص : « تقدم » . والمثبت من صحيح مسلم .

راكبًا أو ماشيًا؟ فالجوابُ أنه قد ورَد نَقْلانِ قد يُظَنُّ أنهما مُتعارِضان، ونحن نذْكُرُهما، ونُشيرُ إلى التوفيقِ بينَهما، ورفعِ اللَّبْسِ عندَ مَن يتَوَهَّمُ فيهما تَعارُضًا، وباللَّهِ التوفيقُ، وعليه الاستعانةُ، وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ.

قال البخاريُّ، رحِمه اللَّهُ[1]: حَدَّثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ويحيى بنُ سليمانَ، قالا: ثنا ابنُ وهبٍ، أخبرنى يونُسُ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ قال: طاف النبيُّ ﷺ على بعيرِه[2] فى حَجَّةِ الوَداعِ يسْتَلِمُ الركنَ بمِحْجَنٍ. وأخرَجه بقيةُ الجَماعةِ إلا الترمذىَّ مِن طرقٍ، عن ابنِ وهبٍ[3]. قال البخاريُّ: تابعه الدَّراوَرْدىُّ، عن ابنِ أخى الزهرىِّ، عن عمِّه. وهذه المُتابعةُ غريبةٌ جدًّا.

وقال البخاريُّ[4]: ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، ثنا عبدُ الوَهَّابِ، ثنا خالدٌ الحَذَّاءُ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: طاف النبيُّ ﷺ بالبيتِ على بعيرٍ، كلما أتَى[5] الركنَ أشار إليه.

وقد رواه الترمذىُّ[6] مِن حديثِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ عبدِ المجيدِ الثَّقَفىِّ وعبدِ الوارثِ، كلاهما عن خالدِ بنِ مِهْرانَ الحَذَّاءِ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ [٣/ ٢٩١و] قال: طاف رسولُ اللَّهِ ﷺ على راحلتِه، فإذا انتهى إلى الركنِ أشار إليه. وقال: حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) البخارى (١٦٠٧).
(٢) كذا فى النسخ. وفى البخارى: «بعير».
(٣) مسلم (١٢٧٢)، وأبو داود (١٨٧٧)، والنسائى (٢٩٥٤)، وابن ماجه (٢٩٤٨).
(٤) البخارى (١٦١٢).
(٥) بعده فى صحيح البخارى: «على».
(٦) الترمذى (٨٦٥).

ثم قال البخاريُّ[1] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : طاف النبيُّ ﷺ بالبيتِ على بعيرٍ ، كلما[2] أتَى الركنَ أشار إليه بشيءٍ كان[3] عندَه وكبَّر . تابعه إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ . وقد أسْنَد هذا التعليقَ هـٰهنا فى كتاب الطَّلاقِ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، عن أبى عامرٍ ، عن إبراهيمَ بنِ طَهْمانَ به[5] .

ورَوى مسلمٌ[6] ، عن الحكمِ بنِ موسى ، عن شعيبِ بنِ إسحاقَ ، عن هشامِ ابنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ طاف فى حَجةِ الوَداعِ حولَ الكعبةِ على بعيرِه يَسْتَلِمُ الركنَ ؛ كراهيةَ أن يُضْرَبَ عنه الناسُ . فهذا إثباتُ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، طاف فى حَجَّةِ الوَداعِ على بعيرٍ ، ولكن حَجَّةُ الوداعِ كان فيها ثلاثةُ أطْوافٍ ؛ الأولُ طَوافُ القُدومِ ، والثانى طَوافُ الإفاضةِ ، وهو طوافُ الفَرْضِ ، وكان يومَ النحرِ ، والثالثُ طوافُ الوَداعِ . فلعل ركوبَه ﷺ كان فى أحدِ الأخيرَيْن ، أو فى كليهما . فأما الأولُ ، وهو طوافُ القُدومِ ، فكان ماشيًا فيه . وقد نصَّ الشافعيُّ على هذا كلِّه[7] . واللَّهُ أعلمُ وأحكمُ .

والدليلُ على ذلك ما قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ فى كتابِه « السننِ الكبيرِ »[8] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنى أبو بكرٍ محمدُ بنُ المُؤَمَّلِ بنِ

---

(١) البخارى (١٦١٣) .
(٢) فى م : « فلما » .
(٣) سقط من : ص .
(٤) فى م ، ص : « الطواف » .
(٥) البخارى (٥٢٩٣) .
(٦) مسلم (١٢٧٤) .
(٧) انظر الأم ٢/ ١٤٨.
(٨) السنن الكبرى ٥/ ٧٤.

الحسنِ بنِ عيسى ، ثنا الفضلُ بنُ محمدِ بنِ المسيَّبِ ، ثنا نُعيمُ بنُ حمادٍ ، ثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ - هو ابنُ يَسارٍ ، رحِمه اللَّهُ - عن أبى جعفرٍ ، وهو محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : دخَلْنا مكةَ عندَ ارتفاعِ الضُّحَى ، فأتَى النبىُّ ﷺ بابَ المسجدِ فأناخ راحلتَه ، ثم دخَل المسجدَ ، فبدَأ بالحَجَرِ فاسْتَلَمه ، وفاضت عَيْناه بالبُكاءِ ، ثم رمَل ثلاثًا ومشَى أربعًا ، حتى فرَغ ، فلما فرَغ قبَّلَ الحَجَرَ ، ووضَع يديه عليه ، ومسَح بهما وجهَه . وهذا إسنادٌ جيدٌ .

فأما ما رواه أبو داودَ[1] ، حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى زيادٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قدِم مكةَ وهو يشتكى ، فطاف على راحلتِه ، فلما أتَى على الركنِ استلمه بمِحْجَنٍ ، فلما فرَغ مِن طوافِه أناخ فصلى ركعتين . تفرد به يزيدُ بنُ أبى زيادٍ ، وهو ضعيفٌ . ثم لم يذْكُرْ أنه فى حَجَّةِ الوَداعِ [٣/ ٢٩١ظ] ، ولا ذكَر أنه فى الطوافِ الأولِ مِن حَجَّةِ الوَداعِ ، ولم يذْكُرِ ابنُ عباسٍ فى الحديثِ الصحيحِ عنه عندَ مسلمٍ ، وكذا جابرٌ أن النبىَّ ﷺ ركِب فى طوافِه لضعفِه[2] . وإنما [3]ذكَرَا كثرةَ[3] الناسِ وغِشْيانَهم له ، وكان لا يُحِبُّ أن يُضْرَبوا بينَ يديه ، كما سيأتى تقريرُه قريبًا إن شاء اللَّهُ . ثم هذا التَّقْبيلُ الثانى الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ فى روايتِه بعدَ الطوافِ وبعدَ ركعتيه أيضًا ثابتٌ فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ جابرٍ ، قال فيه بعدَ ذكرِ صلاةِ ركعتَيِ الطوافِ : ثم رجَع إلى الركنِ فاسْتَلَمَه .

---

(١) أبو داود (١٨٨١) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٠٩) .
(٢) مسلم (١٢٦٥) من حديث ابن عباس ، و (٢٥٤، ٢٥٥/ ١٢٧٣) من حديث جابر .
(٣ - ٣) فى الأصل : « ذكر كثرة » . وفى م : « ذكر لكثرة » .
(٤) مسلم (١٤٧/ ١٢١٨) من حديث جابر الطويل .

وقد قال مسلمُ بنُ الحَجاجِ فى « صحيحِه »[1] : حدثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ وابنُ نُمَيْرٍ جميعًا ، عن أبى خالدٍ - قال أبو بكرٍ : حدثنا أبو خالدٍ الأحْمرُ - عن عُبَيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ قال : رأيتُ ابنَ عمرَ يسْتَلِمُ الحجَرَ بيدِه ، ثم قبَّل يدَه وقال : ما ترَكْتُه منذ رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يفعلُه . فهذا يَحْتَمِلُ أنه رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى بعضِ الطَّوفاتِ أو فى آخرِ استلامٍ فعل هذا كما[2] ذكَرْنا ، أو أن ابنَ عمرَ لم يصِلْ إلى الحجَرِ لضعفٍ كان به ، أو لئلا يُزاحِمَ غيرَه فيَحْصُلَ لغيرِه أذًى به .

وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لوالدِه ما رواه أحمدُ فى « مسندِه »[3] ، حدثنا وَكيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن أبى يَعْفُورٍ العَبْدىِّ قال : سمِعْتُ شيخًا بمكةَ فى إمارةِ الحَجّاجِ يُحَدِّثُ عن عمرَ بنِ الخطابِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « يا عمرُ ، إنك رجلٌ قوىٌّ ، لا تُزاحِمْ على الحجَرِ فتُؤْذِىَ الضعيفَ ، إن وجَدْتَ خَلْوةً فاسْتَلِمْه ، وإلا فاسْتَقْبِلْه فهَلِّلْ[4] وكبِّرْ » . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، لكن راوِيهِ عن عمرَ مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ ، والظاهرُ أنه ثقةٌ جَليلٌ . فقد رواه الشافعىُّ[5] ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن أبى يَعْفورٍ العَبْدىِّ ، واسمُه وَقْدانُ ، سمِعْتُ رجلًا مِن خُزاعةَ حينَ قُتِل ابنُ الزبيرِ ، وكانَ أميرًا على مكةَ[6] ، يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ : « يا أبا حَفْصٍ ، إنك رجلٌ قوىٌّ فلا تُزاحِمْ على الركنِ ؛ فإنك تُؤْذِى الضعيفَ ، ولكن

---

(١) مسلم (٢٤٦/ ١٢٦٨) .

(٢) فى النسخ : « لما » . وأثبتنا « كما » ليستقيم السياق .

(٣) المسند ١/ ٢٨.

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) أخرجه البيهقى فى معرفة السنن والآثار ٤/ ٦٠، ٦١ ، من طريق الشافعى به .

(٦) أى هذا الرجل الذى من خزاعة هو الذى كان أميرا على مكة ، كما سيأتى أن الحجاج استعمله عليها .

إن وجَدْتَ خَلْوةً فاسْتَلِمْه ، وإلا فكبِّرْ وامْضِ » . قال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ : هو عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ ، كان الحجاجُ استعمَلَه عليها مُنْصَرَفَه منها حينَ قُتِل ابنُ الزبيرِ .

قلتُ : وقد كان عبدُ الرحمنِ هذا جَليلًا نَبيلًا كَبيرَ القَدْرِ ، وكان أحدَ النفرِ الأربعةِ الذين ندَبهم عثمانُ بنُ عفانَ فى كتابةِ المَصاحفِ الأئمةِ[1] التى نفَّذها إلى الآفاقِ ، ووقَع على ما فعَله الإجماعُ والاتفاقُ .

---

(١) سقط من : ا ٤، م .

[٣/ ٢٩٢و] ذِكرُ طوافِه ﷺ بينَ الصفا والمروةِ

رَوى مسلمٌ فى « صحيحِه » عن جابرٍ فى حديثِه الطويلِ المتقدمِ ، بعدَ ذكرِه طوافَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بالبيتِ سبعًا وصلاتَه عندَ المَقامِ ركعتين ، قال : ثم رجَع إلى الركنِ فاسْتَلمه ، ثم خرَج مِن البابِ إلى الصفا ، فلما دَنا مِن الصفا قرَأ : « ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أبْدَأُ بما بدَأ اللَّهُ به » . فبدَأ بالصفا ، فرقِىَ عليه حتى رأى البيتَ ، فاسْتَقْبل القِبلةَ ، فوحَّد اللَّهَ وكبَّره ، وقال : « لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه ، لا شريكَ له ، له الملكُ ، وله الحمدُ ، وهو على كل شىءٍ قديرٌ ، لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه[1] ، أنْجَز وعْدَه ، [2]ونصَر عبدَه[2] ، وهزَم الأحْزابَ وحدَه » . ثم دَعا بينَ ذلك ، فقال مثلَ هذا ثلاثَ مراتٍ ، ثم نزَل ، حتى إذا انصَبَّتْ قدَماه فى الوادى رمَل ، حتى إذا صعِد مشَى حتى أتَى المروةَ ، فرَقِىَ عليها ، حتى نظَر إلى البيتِ ، فقال عليها كما قال على الصفا .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عمرُ بنُ هارونَ البَلْخىُّ أبو حَفْصٍ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن بعضِ بنى يَعْلَى بنِ أميةَ ، عن أبيه قال : رأيْتُ النبىَّ ﷺ مُضْطَبِعًا بينَ الصفا والمروةِ ببُرْدٍ له نجْرانىٍّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا يونُسُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُؤَمَّلِ ، عن عمرَ بنِ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المسند ٤/ ٢٢٣ .

(٤) المسند ٦/ ٤٢١ .

عبدِ الرحمنِ ، ثنا عطاءٌ[1] ، [2]عن صَفيةَ بنتِ شَيبةَ[2] ، عن حَبيبةَ بنتِ أبى تِجْراةَ[3] قالت : دخَلْتُ دارَ [4]أبى حُسينٍ[4] فى نسوةٍ مِن قريشٍ ، والنبىُّ ﷺ يَطوفُ بينَ الصفا والمروةِ . قالت : وهو يسعى يدورُ به إزارُه مِن شدةِ السعيِ ، وهو يقولُ لأصحابِه : « اسعَوْا ، إن اللَّهَ كتَب عليكم السعىَ » .

وقال أحمدُ أيضًا[5] : ثنا سُرَيْجٌ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُؤَمَّلِ ، [2]عن عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ[2] ، ثنا عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ ، عن صفيةَ بنتِ شيبةَ ، عن حَبيبةَ بنتِ أبى تِجْراةَ[3] قالت : رأيْتُ النبىَّ ﷺ يَطوفُ بينَ الصفا والمروةِ ، والناسُ بينَ يديه وهو وراءَهم وهو يسْعَى ، حتى أَرَى ركبتيه مِن شدةِ السَّعْيِ يدورُ[6] به إزارُه ، وهو يقول : « اسْعَوا ، فإن اللَّهَ كتَب عليكم السعْىَ » . تفرد به أحمدُ .

وقد رواه أحمدُ أيضًا[7] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن واصلٍ مولى أبى عُيَينةَ ، عن موسى بنِ عُبَيدةَ ، عن صفيةَ بنتِ شيبةَ ، أن امرأةً أخبرَتْها أنها سمِعَت النبىَّ ﷺ بينَ الصفا والمروةِ يقولُ : « كُتِب عليكم السعْىُ فاسْعَوا » . وهذه المرأةُ هى حَبيبةُ بنتُ أبى تِجْراةَ المصَرَّحُ بذكرِها فى الإسنادَيْن الأَوَّلَيْن .

وعن أمِّ ولدِ شيبةَ بنِ عثمانَ أنها أبْصَرَت النبىَّ صلَّى اللَّهُ عليه [٣/ ٢٩٢ظ] وسلَّم وهو يَسْعَى بينَ الصفا والمروةِ ، وهو يقولُ : « لا يُقْطَعُ الأَبْطَحُ

---

(١) فى النسخ : « عطية » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٨/ ٤٠١ .

(٢ - ٢) سقط من النسخ والمسند . والمثبت من أطراف المسند .

(٣) فى م والمسند : « تجزأة » . انظر أسد الغابة ٧/ ٥٩ ، والإصابة ٧/ ٥٧٣ ، وتبصير المنتبه ١/ ٦٦ .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أبى حصين » . والمثبت من المسند . وانظر هذه الرواية فى طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٧ ، والمعجم الكبير للطبرانى ٢٤/ ٢٢٥ - ٢٢٧ . ففيهما « أبى حسين » .

(٥) المسند ٦/ ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٦) فى م : « يكور » .

(٧) المسند ٦/ ٤٣٧ .

[1] إلَّا شدًّا [1] » . رواه النسائيُّ [2] . والمرادُ بالسعيِ هـٰهنا هو الذَّهابُ [3] مِن الصفا إلى المروةِ [3] ، ومنها إليها ، وليس المرادُ بالسعيِ هـٰهنا الهَرْوَلةَ والإسراعَ ، فإن اللَّهَ لم يَكْتُبْه علينا حَتْمًا ، بل لو مشَى الإنسانُ على هِينَةٍ [4] فى السبعِ الطَّوْفاتِ بينَهما ولم يَرْمُلْ فى المَسيلِ ، أجْزَأه ذلك عندَ جماعةِ العلماءِ ، لا يُعْرفُ بينَهم اختلافٌ فى ذلك .

وقد نقَله الترمذيُّ [5] ، رحِمه اللَّهُ ، عن أهلِ العلمِ ، ثم قال [6] : ثنا يوسفُ بنُ عيسى ، ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن كَثيرِ بنِ جُمْهانَ قال : رأيْتُ ابنَ عمرَ يمشِى فى المسْعَى فقلتُ : أتمشِى فى السَّعْيِ بينَ الصفا والمروةِ ؟ فقال : لئن سعَيْتُ لقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يسْعَى ، ولئن مشَيْتُ لقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يمشِى ؛ وأنا شيخٌ كبيرٌ . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وقد رَوى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عمرَ [7] نحوَ هذا . وقد رواه أبو داودَ والنسائيُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ عطاءِ بنِ السائبِ ، عن كثيرِ بنِ جُمْهانَ السُّلَمىِّ الكوفىِّ ، عن ابنِ عمرَ [8] . فقولُ ابنِ عمرَ أنه شاهدَ الحالَيْن منه ﷺ ، يحتمِلُ شيئَيْن ؛ أحدُهما أنه رآه يسْعَى فى وقتٍ ماشيًا لم يَمزُجْه برَمَلٍ فيه بالكليةِ ، والثانى أنه رآه يسْعَى فى بعضِ الطريقِ ويمشى فى بعضِه . وهذا له قوةٌ ؛ لأنه قد رَوى البخاريُّ ومسلمٌ مِن

(١ - ١) فى م ، ص : « الأسدا » .

(٢) النسائى (٢٩٨٠) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٧٨٩) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بين الصفا والمروة » .

(٤) فى الأصل ، ص : « هيئته » . والهينة : التمهل وعدم الإسراع . انظر الوسيط (هـ و ن) .

(٥) سنن الترمذى ٣/ ٢١٧ ، عقب الحديث (٨٦٣) .

(٦) الترمذى (٨٦٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٨٦) .

(٧) فى النسخ : « عباس » . والمثبت من سنن الترمذى ، وهو كلامه عقب الحديث .

(٨) أبو داود (١٩٠٤) ، والنسائى (٢٩٧٦) ، وابن ماجه (٢٩٨٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٧٥) .

حديثِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ العُمَرىِّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ[1]، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يسْعَى بَطْنَ المَسِيلِ إذا طاف بينَ الصفا والمروةِ. وتقدم فى حديثِ جابرٍ أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، نزَل مِن الصفا، فلما انصَبَّتْ قدماه فى الوادى رمَل، حتى إذا صعِد مشَى حتى أتَى المروةَ. وهذا هو الذى تستَحِبُّه العلماءُ قاطبةً؛ أن الساعىَ بينَ الصفا والمروةِ يُسْتَحَبُّ له أن يَرْمُلَ فى بطنِ الوادى فى كلِّ طَوْفَةٍ فى بطنِ المَسِيلِ الذى بينَهما، وحدَّدوا ذلك بما بينَ الأميالِ الخُضْرِ، فواحدٌ مُفْرَدٌ مِن ناحيةِ الصفا مما يلِى المسجدَ، واثنان مُجْتَمِعانِ مِن ناحيةِ المروةِ مما يلِى المسجدَ أيضًا. وقال بعضُ العلماءِ: ما بينَ هذه الأميالِ اليومَ أوسعُ مِن بطْنِ المَسِيلِ الذى رمَل فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ. فاللَّهُ أعلمُ.

وأما قولُ محمدِ بنِ حزمٍ فى الكتابِ الذى جَمَعه [٣/٢٩٣و] فى حَجةِ الوَداعِ[2]: ثم خرَج، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى الصفا فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بما بدَأ اللَّهُ به». فطاف بينَ الصفا والمروةِ أيضًا سبعًا راكبًا على بعيرٍ، يَخُبُّ ثلاثًا ويمشى أربعًا. فإنه لم[3] يُتابَعْ على هذا القولِ، ولم يتَفَوَّه به أحدٌ قبلَه مِن أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، خَبَّ ثلاثةَ أشْواطٍ بينَ الصفا والمروةِ ومشَى أربعًا، ثم مع هذا الغلطِ الفاحشِ لم يذْكُرْ عليه دليلًا بالكليةِ، بل لمَّا انتهى إلى موضعِ الاستدلالِ عليه قال[4]: ولم نجِدْ عددَ[5] الرَّمَلِ بينَ الصفا والمروةِ منصوصًا، ولكنه متفقٌ عليه. هذا لفظُه، فإن أراد [6]أن الرَّمَلَ[6]

---

(١) البخارى (١٦٤٤)، ومسلم (٢٣٠/ ١٢٦١).

(٢) حجة الوداع ص ٢٠.

(٣) فى الأصل: «لا».

(٤) حجة الوداع ص ٦٣.

(٥) فى حجة الوداع: «عَدْوَ».

(٦ - ٦) فى الأصل: «بالرمل».

فى [1] الطَّوْفاتِ الثلاثِ [1] الأُوَلِ - على ما ذكَر - متفقٌ عليه ، فليس بصحيحٍ ، بل لم يَقُلْه أحدٌ . وإن أراد أن الرَّمَلَ فى الثلاثِ الأُوَلِ فى الجملةِ متفَقٌ عليه ، فلا يُجْدِى له شيئًا ولا يُحَصِّلُ له[2] مقصودًا ، فإنهم كما اتفقوا على الرَّمَلِ فى الثلاثِ الأُوَلِ فى بعضِها على ما ذكَرْناه ، كذلك اتفقوا على استحبابِه فى الأربعِ الأُخَرِ أيضًا ، فتخصيصُ ابنِ حزمٍ الثلاثَ الأُوَلَ باستحبابِ الرَّمَلِ فيها ، مخالفٌ لما ذكَره العلماءُ . واللَّهُ أعلمُ . وأما قولُ ابنِ حزمٍ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان راكبًا بينَ الصفا والمروةِ . فقد تقدم عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يسْعَى بطْنَ المَسِيلِ . أخْرجاه . وللترمذىِّ عنه : إنْ أسْعَى فقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَسْعَى ، وإن مشَيْتُ فقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يمشِى . وقال جابرٌ : فلما انصَبَّتْ قدماه فى الوادى رمَل ، حتى إذا صعِد مشَى . رواه مسلمٌ . وقالت حَبيبةُ بنتُ أبى تِجْراةَ[3] : يسْعَى ، يدورُ به إزارُه مِن شدةِ السَّعْيِ . رواه أحمدُ . وفى « صحيحِ مسلمٍ » عن جابرٍ ، كما تقدَّم ، أنه رَقِىَ على الصفا حتى رأى البيتَ . وكذلك على المروةِ .

وقد قدَّمْنا مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن أبى جعفرٍ الباقرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أناخ بعيرَه على بابِ المسجدِ ، يعنى حتى طاف ، ثم لم يَذْكُرْ أنه ركِبه حالَ ما خرَج إلى الصفا . وهذا كلُّه مما يقتضى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، سعَى بينَ الصفا والمروةِ ماشيًا .

ولكن قال مسلمٌ[4] : ثنا عبدُ بنُ حميدٍ ، ثنا محمدٌ - يعنى ابنَ بكرٍ - أنا ابنُ

(١ - ١) فى م : « الثلاثة التطوافات » .

(٢) بعده فى م : « شيئا » .

(٣) فى م : « مجزأة » .

(٤) مسلم (٢٥٥/ ١٢٧٣، ٠٠٠/ ١٢٧٩) .

جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزُّبيرِ ، أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : طاف النبىُّ ﷺ فى حَجةِ الوَداعِ على راحلتِه بالبيتِ وبينَ [٣/٢٩٣ظ] الصفا والمروةِ[(١)] ليراه الناسُ ، وليُشْرِفَ وليَسْألوه ؛ فإنَّ الناسَ غَشُوه ، ولم يَطُفِ النبىُّ ﷺ ولا أصحابُه بينَ الصفا والمروةِ إلا طوافًا واحدًا . ورواه مسلمٌ أيضًا ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ ، وعن علىِّ بنِ خَشْرَمٍ ، عن عيسى بنِ يونُسَ ، وعن محمدِ بنِ حاتمٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، كلُّهم عن ابنِ جُرَيْجٍ به[(٢)] . وليس فى بعضِها : وبينَ الصفا والمروةِ[(٣)] .

وقد رواه أبو داودَ[(٤)] ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزُّبيرِ ، أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : طاف النبىُّ ﷺ فى حَجَّةِ الوَداعِ على راحلتِه بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ . ورواه النسائىُّ ، عن الفَلَّاسِ ، عن يحيى ، وعن عِمرانَ بنِ يزيدَ ، عن شُعَيبِ[(٥)] بنِ إسحاقَ ، كلاهما عن ابنِ جُرَيْجٍ به[(٦)] . فهذا محفوظٌ مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، وهو مُشْكِلٌ جدًّا ؛ لأن بقيةَ الرواياتِ عن جابرٍ وغيرِه تدُلُّ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان ماشيًا بينَ الصفا والمروةِ . وقد تكونُ روايةُ أبى الزُّبيرِ عن جابرٍ بهذه الزيادةِ -

---

(١) بعده فى م : « على بعير » .

(٢) مسلم (٢٥٤ ، ١٢٧٣/٢٥٥ ، ١٢٧٩/٢٦٥) .

(٣) بعده فى الأصل : « وفى المعجم للطبرانى من طريق زياد بن عبد الله ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله ﷺ كان يكبر على الصفا والمروة ثلاثة أسابيع ؛ إحدى وعشرين تكبيرة » .

(٤) أبو داود (١٨٨٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٦) .

(٥) فى م ، ص : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٠١ .

(٦) النسائى (٢٩٧٥، ٢٩٨٦) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٧٨٥، ٢٧٩٥) .

وهى قولُه : وبينَ الصفا والمروةِ - مُقْحَمةٌ أو مُدْرَجةٌ ممن بعدَ الصحابىِّ . واللَّهُ أعلمُ . أوأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، طاف بينَ الصفا والمروةِ بعضَ الطَّوْفاتِ على قدميه ، وشُوهِد منه ما ذُكِر ، فلما ازْدَحم الناسُ عليه وكثُروا ، ركِب ، كما يدُلُّ عليه حديثُ ابنِ عباسٍ الآتى قريبًا . وقد سلَّم ابنُ حزمٍ أن طوافَه الأولَ بالبيتِ كان ماشيًا ، وحمَل رُكوبَه فى الطوافِ على ما بعدَ ذلك ، وادَّعَى أنه كان راكبًا فى السعيِ بينَ الصفا والمروةِ ، قال[1] : لأنه لم يَطُفْ بينَهما إلا مرةً واحدةً . ثم تأوَّل قولَ جابرٍ : حتى إذا انصَبَّتْ قدماه فى الوادى رمَل . بأنه[2] يَصْدُقُ ذلك وإن كان راكبًا ؛ فإنه إذا انصَبَّ بعيرُه فقد انصَبَّ كلُّه وانصَبَّت قدماه مع سائرِ جسدِه . قال : وكذلك ذِكْرُ الرَّمَلِ يعنى به رَمَلَ الدابةِ براكبِها . وهذا التأويلُ بعيدٌ جدًّا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال أبو داودَ[3] : ثنا أبو سَلَمةَ موسى ، ثنا حمادٌ ، أنبأنا أبو عاصمٍ الغَنَوىُّ ، عن أبى الطُّفَيلِ قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : يزْعُمُ قومُك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد رمَل بالبيتِ ، وأن ذلك سُنَّةٌ[4] . قال : صدَقوا وكذَبوا . فقلتُ : ما صدَقوا وما كذَبوا ؟! قال : صدَقوا ؛ [٣/ ٢٩٤و] قد رمَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكذَبوا ؛ ليس بسنةٍ ، إن قريشًا قالت زمنَ الحديبيةِ : دَعُوا محمدًا وأصحابَه حتى يموتوا موتَ النَّغَفِ . فلما صالحوه على أن يَجِيئُوا[5] مِن العامِ المقبلِ فيُقيموا بمكةَ ثلاثةَ أيامٍ ، فقدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ والمشركون مِن قِبَلِ قُعَيْقِعانَ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) حجة الوداع ص ٦٢.

(٢) بعده فى م : «لم» .

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٨٥.

(٤) فى الأصل ، م : «من سنته» .

(٥) فى النسخ : «يحجوا» . والمثبت من سنن أبى داود . وانظر ما تقدم فى ٦/ ٣٨٥.

لأصحابِه : « ارمُلوا بالبيتِ ثلاثًا » . وليس بسنةٍ . قلتُ[1] : يزعُمُ قومُك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ طاف بينَ الصفا والمروةِ على بعيرٍ [2]وأن ذلك سنةٌ . قال : صدَقوا وكذَبوا . قلتُ : ما صدَقوا وما كذَبوا ؟! قال : صدَقوا ؛ قد طاف رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ الصفا والمروةِ على بعيرٍ[2] ، وكذَبوا ؛ ليست بسنةٍ ، كان الناسُ لا يُدْفَعون عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا يُصْرَفون[3] عنه ، فطاف على بعيرٍ ليسْمَعوا كلامَه ، وليَرَوْا مكانَه ولا تَنالَه أيديهم . هكذا رواه أبو داودَ .

وقد رواه مسلمٌ ، عن أبى كاملٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ زيادٍ ، عن الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن ابنِ عباسٍ[4] ، فذكَر فضلَ الطوافِ بالبيتِ بنحوِ ما تقدم ، ثم قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : أخْبِرْنى عن الطوافِ بينَ الصفا والمروةِ راكبًا ، أسُنةٌ هو ؟ فإن قومَك يزعُمون أنه سنةٌ . قال : صدَقوا وكذَبوا . قلتُ : وما قولُك : صدَقوا وكذَبوا ؟! قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كثُر عليه الناسُ يقولون : هذا محمدٌ ، هذا محمدٌ . حتى خرَج العَواتِقُ مِن البيوتِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يُضْرَبُ الناسُ بينَ يديه ، فلما كثُر عليه الناسُ ركِب . قال ابنُ عباسٍ : والمشْىُ والسَّعْىُ أفضلُ . هذا لفظُ مسلمٍ ، وهو يقتضى أنه إنما ركِب فى أثناءِ الحالِ ، وبه يحْصُلُ الجمعُ بينَ الأحاديثِ . واللَّهُ أعلمُ .

وأما ما رواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[5] حيث قال : ثنا محمدُ بنُ رافعٍ ، ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا زهيرٌ ، عن عبدِ الملكِ بنِ سعيدٍ ، عن أبى الطُّفَيلِ قال :

---

(١) فى الأصل : « قال » . وفى م ، ص : « قالت » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى الأصل ، ا ٤ : « يضربون » .
(٤) مسلم (٢٣٧/ ١٢٦٤) .
(٥) مسلم (١٢٦٥) .

(١ قلتُ لابنِ عباسٍ : أُرانى قد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : فصِفْه لى ١) . قلتُ : رأيْتُه عندَ المروةِ على ناقةٍ (٢ وقد كثُر الناسُ عليه . فقال ابنُ عباسٍ : ذاك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إنهم كانوا لا يُدَعُّون (٣) عنه ولا يُكْرَهون . فقد تفرد به مسلمٌ ، وليس فيه ٢) دَلالةٌ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، سعَى بينَ الصفا والمروةِ راكبًا ، إذ لم يُقَيَّدْ ذلك بحَجةِ الوَداعِ ولا غيرِها ، وبتقديرِ أن يكونَ ذلك فى حَجةِ الوَداعِ ، فمِن الجائزِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ فراغِه مِن السَّعْيِ وجلوسِه على المروةِ وخُطْبتِه الناسَ وأمْرِه إياهم مَن لم يَسُقِ الهَدْىَ منهم أن يَفْسَخَ الحجَّ إلى العمرةِ ، فحلَّ الناسُ كلُّهم إلا مَن ساق الهدْىَ ، كما تقدم فى حديثِ جابرٍ . ثم بعدَ هذا كلِّه أُتِىَ بناقتِه فركِبها ، وسار إلى منزلِه بالأبْطَحِ ، كما سنذكُرُه قريبًا ، وحينَئذٍ رآه أبو الطُّفيلِ عامرُ بنُ واثلةَ البَكْرىُّ ، [٣/ ٢٩٤ظ] وهو معدودٌ فى صغارِ الصحابةِ .

لكن قال أبو داودَ (٤) : ثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ومحمدُ بنُ رافعٍ ، قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، عن معروفٍ ، يعنى ابنَ خَرَّبُوذَ المكىَّ ، حدَّثنا أبو الطُّفَيلِ قال : رأيْتُ النبىَّ ﷺ يطوفُ بالبيتِ على راحلتِه ، يسْتَلِمُ الركنَ بمِحْجَنِه ، ثم يُقَبِّلُه . زاد محمدُ بنُ رافعٍ : ثم خرَج إلى الصفا والمروةِ ، فطاف سبعًا على راحلتِه . وقد رواه مسلمٌ فى « صحيحِه » (٥) مِن حديثِ أبى داودَ الطَّيالسىِّ ، عن معروفِ بنِ خَرَّبُوذَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ا ٤ : « يصرفوا » ، وفى م : « يضربون » ، وبياض فى : ص . والمثبت من صحيح مسلم . ويدعون : يُدْفَعون .

(٤) أبو داود (١٨٧٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٥٥) .

(٥) مسلم (١٢٧٥) .

به ، بدونِ الزيادةِ التى ذكَرها محمدُ بنُ رافعٍ ، وكذلك رواه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى[1] ، عن معروفٍ بدونِها . ورواه الحافظُ البيهقىُّ[2] ، عن أبى سعيدِ بنِ أبى عمرٍو ، عن الأصَمِّ ، عن يحيى بنِ أبى طالبٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَكيمٍ ، عن يزيدَ ابنِ مُلَيْكٍ[3] ، عن أبى الطُّفيلِ بدونِها . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[2] : أنبأَنا أبو بكرِ بنُ الحسنِ وأبو زكريا بنُ أبى إسحاقَ ، قالا : ثنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ علىِّ بنِ دُحَيْمٍ ، ثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، أنبأَنا عُبَيدُ اللَّهِ ابنُ موسى وجعفرُ بنُ عَوْنٍ ، قالا : أنبأَنا أيمنُ بنُ نابلٍ ، عن قُدامةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمارٍ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يسْعَى بينَ الصفا والمروةِ على بعيرٍ ؛ لا ضَرْبٌ ، ولا طَرْدٌ ، ولا إليك إليك[4] . وقال البيهقىُّ : كذا قالا ، وقد رواه جماعةٌ عن[5] أيمنَ فقالوا : يَرْمِى الجمرةَ يومَ النحرِ . قال : ويَحتَمِلُ أن يكونا صحيحَيْن .

قلتُ : رواه الإمامُ أحمدُ فى « مسندِه »[6] عن وكيعٍ ، وقُرَّانَ[7] بنِ تَمَّامٍ ، وأبى قُرَّةَ موسى بنِ طارقٍ قاضى أهلِ اليمنِ ، وأبى أحمدَ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الزبيرىِّ ، ومعتمرِ بنِ سليمانَ ، عن أيمنَ بنِ نابلٍ الحَبَشىِّ أبى عِمرانَ المكىِّ نزيلِ عَسْقلانَ مولى أبى بكرٍ الصديقِ ، وهو ثقةٌ جليلٌ مِن رجالِ البخارىِّ ، عن قُدامةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمارٍ الكِلابىِّ ، أنه رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ يرْمِى الجمرةَ يومَ النحرِ مِن

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٠٠، ١٠١ ، من طريق عبيد الله بن موسى به .

(٢) السنن الكبرى ٥/ ١٠١.

(٣) فى م ، ص : « مالك » . وانظر التاريخ الكبير للبخارى ٨/ ٣٥٦، والإكمال ٧/ ٢٨٩.

(٤) معناه أنه لا تُضرب الناس أمامه ، ولا يُطردون ليفسحوا له الطريق ، كما يُفعل بين يدى الأمراء ، ولا يقال لمن أمامه : إليك إليك . يعنى ابعد وتنحَّ ، بل كان شأنه شأن الذين معه سواء بسواء . انظر بلوغ الأمانى ١٢/ ١٨٣.

(٥) فى م ، ص : « غير » .

(٦) المسند ٣/ ٤١٢، ٤١٣.

(٧) فى الأصل ، ص : « قرار » ، وفى ا ٤ : « فرات » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٥٩.

بطْنِ الوادى على ناقةٍ صَهْباءَ ؛ لا ضَرْبٌ ، ولا طَرْدٌ ، ولا إليك إليك . وهكذا رواه الترمذىُّ ، عن أحمدَ بنِ مَنيعٍ ، عن مَرْوانَ بنِ معاويةَ ، وأخْرَجه النسائىُّ عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ ، وابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، كلاهما[1] عن وكِيعٍ ، كلاهما[2] عن أيْمَنَ بنِ نابلٍ ، عن قُدامةَ كما رواه الإمامُ أحمدُ[3] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

قلتُ : قد ذهَب طائفةٌ مِن العراقيين ؛ كأبى حنيفةَ وأصحابِه والثورىِّ إلى أن القارنَ يَطوفُ طوافَيْن ويسعَى سعْيَيْن ، وهو مروىٌّ عن علىٍّ وابنِ مسعودٍ ومجاهدٍ [٣/ ٢٩٥و] والشعبىِّ ، ولهم أن يحْتَجوا بحديثِ جابرٍ الطويلِ ، [4]دلالةً على[4] أن النبىَّ ﷺ سعَى بينَ الصفا والمروةِ ماشيًا ، وحديثِه هذا أنه سعَى بينَهما راكبًا على تَعْدادِ الطوافِ بينَهما ؛ مرةً ماشيًا ومرةً راكبًا .

وقد رَوى سعيدُ بنُ منصورٍ فى « سُنَنِه » ، عن علىٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، أنه أهلَّ بحَجةٍ وعمرةٍ ، فلما قدِم مكةَ طاف بالبيتِ وبالصفا والمروةِ لعمرتِه ، ثم عاد فطاف بالبيتِ وبالصفا والمروةِ لحَجتِه ، ثم أقام حَرامًا إلى يومِ النحرِ . هذا لفظُه . ورواه أبو ذَرٍّ الهَرَوىُّ فى « مَناسِكِه » عن علىٍّ ، أنه جَمَع بينَ الحجِّ والعمرةِ ، فطاف لهما طوافَيْن وسعَى لهما سعْيَيْن ، وقال : هكذا رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فعَل .

---

(١) أى ؛ إسحاق بن راهويه ، وأبو بكر بن أبى شيبة .

(٢) أى ؛ وكيع ومروان بن معاوية .

(٣) أى كمتن الإمام أحمد المتقدم . الترمذى (٩٠٣) ، والنسائى (٣٠٦١) ، وابن ماجه (٣٠٣٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٧١٨) .

(٤) فى ٤١ : « ودلالته » .

وكذلك رواه البَيْهَقيُّ ، والدارَقطنيُّ[1] ، والنسائيُّ فى « خصائصِ عليٍّ »[2] فقال البيهقيُّ فى « سننِه »[3] : أنبأَنا أبو بكرِ بنُ الحارثِ الفقيهُ ، أنبأَنا عليُّ بنُ عمرَ الحافظُ ، أنبأَنا أبو محمدِ بنُ صاعدٍ ، ثنا محمدُ بنُ زُنْبُورٍ ، ثنا فُضَيْلُ بنُ عِياضٍ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن مالكِ بنِ الحارثِ - أو منصورٍ ، عن مالكِ بنِ الحارثِ - عن أبى نصْرٍ قال : لقِيتُ عليًّا وقد أهْلَلْتُ بالحجِّ وأهَلَّ هو بالحجِّ والعمرةِ ، فقلتُ : هل أسْتطيعُ أن أفعلَ كما فعَلْتَ ؟ قال : ذلك لو كنتَ بدأْتَ بالعمرةِ . قلتُ : كيف أفعَلُ إذا أرَدْتُ ذلك ؟ قال : تأخُذُ إداوةً مِن ماءٍ ، فتُفِيضُها عليك ، ثم تُهِلُّ بهما جميعًا ، ثم تطوفُ لهما طوافَيْن وتسْعَى لهما سعْيَيْن ، ولا يَحِلُّ لك حَرامٌ دون يومِ النحرِ . قال منصورٌ : فذكَرْتُ ذلك لمجاهدٍ ، قال : ما كنَّا نُفْتِى[4] إلا بطوافٍ واحدٍ ، فأما الآن فلا نفْعَلُ . قال الحافظُ البيهقيُّ : وقد رواه سفيانُ بنُ عُيَينةَ وسفيانُ الثوريُّ وشعبةُ ، عن منصورٍ ، فلم يذكُرْ فيه السعىَ . قال : وأبو نصرٍ[5] هذا مجهولٌ ، وإن صح فيَحْتَمِلُ أنه أراد طوافَ القُدومِ وطوافَ الزيارةِ . قال : وقد رُوِىَ بأسانيدَ أُخَرَ ، عن عليٍّ مرفوعًا وموقوفًا ، ومَدارُها على الحسنِ بنِ عُمارةَ ، وحفصِ بنِ أبى داودَ ، وعيسى بنِ عبدِ اللَّهِ ، وحمادِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، وكلُّهم ضعيفٌ لا يُحْتَجُّ بشىءٍ مما روَوْه فى ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سنن الدارقطنى ٢/٢٦٣ (١٢٩، ١٣٠) .

(٢) لم نجده فى خصائص على . لكن ذكره الزيلعى فى نصب الراية ٣/١١٠ وعزاه إلى النسائى فى الكبرى .

(٣) السنن الكبرى ٥/١٠٨، ١٠٩ .

(٤) سقط من : ا ٤ . وغير واضحة فى الأصل ، ص . وفى م : « نفىء » . والمثبت من المصدر .

(٥) فى الأصل ، ا ٤ : « أبو منصور » .

قلتُ : والمنقولُ فى الأحاديثِ الصِّحاحِ خلافُ ذلك ، فقد قدَّمْنا عن ابنِ عمرَ فى « صحيحِ البخاريِّ » أنه أهَلَّ بعمرةٍ وأدْخَل عليها الحجَّ ، فصار قارنًا ، وطاف لهما طوافًا واحدًا بينَ الحجِّ والعمرةِ ، وقال : هكذا فعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقد رَوى الترمذيُّ ، وابنُ ماجه ، والبيهقيُّ[1] مِن حديثِ الدَّراوَرْدِيِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، [٣/ ٢٩٥ظ] عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن جَمَع بينَ الحجِّ والعمرةِ طاف لهما طوافًا واحدًا ، وسعَى لهما سعيًا واحدًا » . قال الترمذيُّ : وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . قلتُ : إسنادُه على شرطِ مسلمٍ . وهكذا جرَى لعائشةَ أمِّ المؤمنين ، فإنها كانت ممن أهَلَّ بعمرةٍ ؛ لعدمِ سَوْقِ الهَدْيِ معها ، فلما حاضت أمَرها رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تغْتَسِلَ ، وتُهِلَّ بحجٍّ مع عمرتِها ، فصارت قارنةً ، فلما رجَعوا مِن مِنًى طلَبت أن يُعْمِرَها مِن بعدِ الحجِّ ، فأعْمَرها تَطْييبًا لقلبِها ، كما جاء مُصَرَّحًا به فى الحديثِ .

وقد قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ الشافعيُّ[2] : أنبأنا مسلمٌ ، هو ابنُ خالدٍ الزَّنْجيُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعائشةَ : « طَوافُكِ بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ يَكْفيكِ لحَجِّكِ وعمرتِكِ » . وهذا ظاهرُه الإرْسالُ ، وهو مسندٌ فى المعنى ، بدليلِ ما قال الشافعيُّ أيضًا[3] : أخبرَنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ - قال الشافعيُّ : وربما قال سفيانُ : عن عطاءٍ ، عن عائشةَ . وربما قال : عن عطاءٍ أن النبيَّ ﷺ قال

---

(١) الترمذى (٩٤٨) ، وابن ماجه (٢٩٧٥) ، والسنن الكبرى ٥/ ١٠٧. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٧٥٦) .

(٢) ترتيب مسند الشافعى (١٠٠٥) . كما أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/١٠٦ ، من طريق الشافعى به .

(٣) ترتيب مسند الشافعى (١٠٠٦) . كما أخرجه البيهقى فى المصدر السابق من طريق الشافعى به .

لعائشةَ - فذكَره . قال الحافظُ البيهقيُّ : رواه ابنُ أبى عمرَ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ موصولًا . وقد رواه مسلمٌ ، مِن حديثِ وُهَيْبٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ بمثلِه[1] .

ورَوى مسلمٌ[2] ، مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزبيرِ ، أنه سمِع جابرًا يقولُ : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على عائشةَ وهى تبكى ، فقال : « مالكِ تبكين ؟ » قالت : أبكى أن الناسَ حَلُّوا ولم أَحِلَّ ، وطافوا بالبيتِ ولم أطُفْ ، وهذا الحجُّ قد حضَر . قال : « إن هذا أمرٌ قد كتَبه اللَّهُ على بناتِ آدمَ ، فاغتسلى وأهِلِّى بحجٍّ » . قالت : ففعَلْتُ ذلك ، فلما طَهَرْتُ قال : « طوفى بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ ، ثم قد حلَلْتِ مِن حجِّك وعمرتِك » . قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أجِدُ فى نفسى مِن عمرتى أنى لم أكُنْ طُفْتُ حتى حجَجْتُ . قال : « اذْهَبْ بها يا عبدَ الرحمنِ فأعْمِرْها مِن التَّنْعيمِ » . وله مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ أيضًا[3] : أخبرنى أبو الزبيرِ ، سمِعْتُ جابرًا قال : لم يَطُفِ النبىُّ ﷺ وأصحابُه بينَ الصفا والمروةِ إلا طوافًا واحدًا . وعندَ أصحابِ أبى حنيفةَ ، رحِمه اللَّهُ ، أن النبىَّ ﷺ وأصحابَه الذين ساقوا الهدْىَ كانوا قد قرَنوا بينَ الحجِّ والعمرةِ ، كما دل عليه الأحاديثُ المتقدمةُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الشافعىُّ[4] : أنبأَنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ،

---

(١) بعده فى م : « عن ابن عباس » . والحديث فى مسلم (١٣٢/ ١٢١١) .
(٢) مسلم (٠٠٠/ ١٢١٣) .
(٣) مسلم (١٢١٥) .
(٤) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٠٨، من طريق الشافعى به .

عن عليٍّ قال فى القارنِ : يَطوفُ طوافَيْن ويسْعَى سَعْيًا[1] . قال الشافعىُّ[2] : وقال بعضُ الناسِ : طوافان وسعيان . واحْتَج [٣/٢٩٦و] فيه بروايةٍ ضعيفةٍ عن عليٍّ . قال[3] : جعفرٌ يَرْوِى عن عليٍّ قولَنا ، ورُوِّيناه عن النبىِّ ﷺ .

فصلٌ

قال جابرٌ فى حديثِه : حتى إذا كان آخرُ طوافِه عندَ المروةِ قال : « إنى لو اسْتَقْبَلْتُ مِن أمرى ما استَدْبَرْتُ لم أَسُقِ الهَدْىَ » . رواه مسلمٌ . ففيه دَلالةٌ على مَن ذهَب إلى أن السعْىَ بينَ الصفا والمروةِ أربعةَ عشَرَ ، كلُّ ذَهابٍ وإيابٍ يُحْسَبُ مرةً . قاله جماعةٌ مِن أكابرِ الشافعيةِ . وهذا الحديثُ ردٌّ عليهم ؛ لأن آخرَ الطوافِ على قولِهم يكونُ عندَ الصفا لا عندَ المروةِ ؛ ولهذا قال أحمدُ فى روايتِه فى حديثِ جابرٍ : فلما كان السابعُ عندَ المروةِ قال : « أيها الناسُ إنى لو استقْبَلْتُ مِن أمرى ما استَدْبَرْتُ لم أَسُقِ الهَدْىَ وجعَلْتُها عمرةً ، فمَن لم يَكُنْ معه هَدْىٌ فلْيَحِلَّ ولْيَجْعَلْها عمرةً » . فحلَّ الناسُ كلُّهم . وقال مسلمٌ : فحلَّ الناسُ كلُّهم وقَصَّروا إلا النبىَّ ﷺ ومَن كان معه هَدْىٌ .

فصلٌ

رَوى أمْرَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لمَن لم يَسُقِ الهَدْىَ ، بفسخِ الحجِّ إلى

---

(١) فى م : « سعيين » .
(٢) السنن الكبرى ٥/١٠٨ .
(٣) أى البيهقى .

العمرةِ خَلْقٌ مِن الصحابةِ يَطولُ ذِكْرُنا لهم هـٰهنا ، وموضعُ سَرْدِ ذلك كتابُ « الأحْكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ ، وقد اخْتَلف العلماءُ فى ذلك ، فقال مالكٌ وأبو حَنيفةَ والشافعىُّ : كان ذلك مِن خصائصِ الصحابةِ ، ثم نُسِخ جوازُ الفَسْخِ لغيرِهم . وتَمَسَّكوا بقولِ أبى ذَرٍّ ، رضى اللَّهُ عنه : لم يكنْ فَسْخُ الحجِّ إلى العمرةِ إلا لأصحابِ محمدٍ ﷺ . رواه مسلمٌ[1] . وأما الإمامُ أحمدُ فردَّ ذلك وقال[2] : قد رواه أحدَ عشَرَ صحابيًّا ، فأين تقَعُ هذه الروايةُ مِن ذلك ؟! وذهَب ، رحِمه اللَّهُ ، إلى جوازِ الفسخِ لغيرِ الصحابةِ . وقال ابنُ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنهما ، بوجوبِ الفسخِ على كلِّ مَن لم يَسُقِ الهَدْىَ ، بل عندَه أنه يَحِلُّ شرعًا إذا طاف بالبيتِ ولم يكنْ ساق هَدْيًا صار حلالًا بمجردِ ذلك ، وليس عنده النُّسُكُ إلا القِرانُ لمن ساق الهَدْىَ ، أو التمتعُ لمن لم يَسُقْ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال البخارىُّ[3] : ثنا أبو النعمانِ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن جابرٍ ، وعن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قالا : قدِم النبىُّ ﷺ وأصحابُه صُبْحَ رابعةٍ مِن ذى الحِجَّةِ يُهِلُّون[4] بالحجِّ لا يَخْلِطُه[5] شىءٌ ، فلما قدِمْنا أمَرَنا فجعَلْناها عمرةً ، وأن نَحِلَّ إلى نسائِنا ، ففشَت [6]فى ذلك القالةُ[6] . قال عطاءٌ : قال جابرٌ : فيَروحُ أحدُنا إلى مِنًى وذكَرُه يَقْطُرُ مَنِيًّا - قال جابرٌ بكفِّه - فبلَغ ذلك[7] النبىَّ ﷺ فقال : « بلَغنى أن قومًا يقولون كذا وكذا ، واللَّهِ

---

(١) مسلم (٠٠٠/ ١٢٢٤) ، ولفظه : « كانت المتعة فى الحج لأصحاب محمد ﷺ خاصة » .

(٢) انظر مسائل الإمام أحمد برواية ابن هانئ ١/ ١٤٧، ١٤٨.

(٣) البخارى (٢٥٠٥ ، ٢٥٠٦) .

(٤) فى البخارى : « مهلين » .

(٥) فى ا ٤ : « يخالطه » . وفى البخارى : « يخلطهم » .

(٦ - ٦) فى م : « تلك المقالة » ، وفى ص : « فى ذلك المقالة » .

(٧) سقط من : م ، ص .

لَأنا أبَرُّ وأتْقَى [٣/٢٩٦ظ] للَّهِ منهم ، ولو أنى اسْتَقْبَلْتُ مِن أمرى ما استَدْبَرْتُ ما أهْدَيْتُ ، ولولا أن معىَ الهَدْىَ لَأَحْلَلْتُ » . فقام سراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هى لنا أو للأبدِ ؟ فقال : « لا[1] ، بل للأبدِ » .

وقال مسلمٌ[2] : ثنا قتيبةُ ، ثنا الليثُ ، هو ابنُ سعدٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أنه قال : أقْبَلْنا مُهِلِّين مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بحجٍّ مُفْرَدٍ ، وأقبَلَت عائشةُ بعمرةٍ ، حتى إذا كنا بسَرِفٍ عرَكَتْ[3] ، حتى إذا قدِمْنا طُفْنا بالكعبةِ والصفا والمروةِ ، وأمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَحِلَّ منا مَن لم يكنْ معه هَدْىٌ . قال : فقلنا : حِلٌّ ماذا ؟ قال : « الحِلُّ كلُّه » . فواقَعْنا النساءَ ، وتطَيَّبْنا بالطِّيبِ ، ولبِسْنا ثيابَنا[4] ، وليس بينَنا وبينَ عرفةَ إلا أربعُ ليالٍ . فهذان الحديثان فيهما التصريحُ بأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قدِم مكةَ عامَ حَجةِ الوداعِ لصُبحِ رابعةِ ذى الحِجَّةِ ، وذلك يومَ الأحدِ حينَ ارتفع النهارُ وقتَ الضَّحاءِ ؛ لأن أولَ ذى الحِجَّةِ تلك السنةَ كان يومَ الخميسِ بلا خلافٍ ، لأن يومَ عرفةَ منه كان يومَ الجمعةِ بنصِّ حديثِ عمرَ بنِ الخطابِ الثابتِ فى « الصحيحَيْن » كما سيأتى . فلما قدِم ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، يومَ الأحدِ رابعَ الشهرِ بدَأ - كما ذكَرْنا - بالطوافِ بالبيتِ ، ثم بالسعيِ بينَ الصفا والمروةِ ، فلما انتهى طوافُه بينَهما عندَ المروةِ ، أمَر مَن لم يكنْ معه هَدْىٌ أن يَحِلَّ مِن إحرامِه حتمًا ، فوجَب ذلك عليهم لا مَحالةَ ، ففعَلوه وبعضُهم مُتَأَسِّفٌ ؛ لأجلِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يَحِلَّ مِن إحْرامِه لأجلِ سَوْقِه الهَدْىَ ، وكانوا يُحبون موافقتَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، والتأسِّىَ به ، فلما

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من صحيح البخارى .

(٢) مسلم (١٢١٣) .

(٣) عركت : حاضت .

(٤) فى م ، ص : « ثيابا » .

رأى ما عندَهم مِن ذلك قال لهم : « لو استقبَلْتُ مِن أمرى ما استَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الهدىَ ولَجَعَلْتُها عمرةً » . أى لو أعْلَمُ أن هذا يَشُقُّ عليكم لكنتُ ترَكْتُ سَوْقَ الهدىِ حتى أُحِلَّ كما أحْلَلْتُم . ومِن هـٰهنا تتَّضِحُ الدَّلالةُ على أفضليةِ التمتعِ كما ذهَب إليه الإمامُ أحمدُ أخْذًا مِن هذا ، فإنه قال[1] : لا أشُكُّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قارنًا ، ولكنَّ التمتعَ أفضلُ لتأسُّفِه عليه . وجوابُه أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يتأسَّفْ على التمتعِ لكونِه أفضلَ مِن القِرانِ فى حقِّ مَن ساق الهدْىَ ، وإنما تأسَّف عليه لئلا يَشُقَّ على أصحابِه فى بقائِه على إحرامِه وأمْرِه لهم بالإحْلالِ ، ولهذا واللَّهُ أعلمُ لمَّا تأمَّل الإمامُ أحمدُ هذا السرَّ ، نَصَّ فى روايةٍ أخرى عنه على أن التمتعَ أفضلُ فى حقِّ مَن لم يَسُقِ الهدىَ ؛ لأمْرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مَن لم يَسُقِ الهَدْىَ مِن أصحابِه بالتمتعِ ، وأن القِرانَ أفضلُ فى حقِّ مَن [٣/ ٢٩٧و] ساق الهدْىَ كما اختار اللَّهُ عز وجل لنبيِّه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، فى حَجةِ الوَداعِ وأمْرِه له بذلك كما تقدم . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

ثم سار صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، بعدَ فراغِه مِن طَوافِه بينَ الصفا والمروةِ ، وأمْرِه بالفسْخِ لِمن لم يَسُقِ الهدْىَ ، والناسُ معه حتى نزَل بالأبْطَحِ شَرْقِىَّ مكةَ ، فأقام هنالك بقيةَ يومِ الأحدِ ويومَ الاثنين والثلاثاءِ والأربعاءِ ، حتى صلَّى الصبحَ مِن يومِ الخميسِ ، وكلُّ ذلك[2] يصلِّى بأصحابِه هنالك ، ولم يَعُدْ إلى الكعبةِ مِن

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦/ ٨١، ١٦٦، ٢٨٣.
(٢) بعده فى الأصل : « لا » .

تلك الأيامِ كلِّها .

قال البخاريُّ[1] : بابُ مَن لم يَقْرَبِ الكعبةَ ، ولم يَطُفْ حتى يَخْرُجَ إلى عرفةَ ويَرْجِعَ بعدَ الطوافِ الأولِ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، ثنا فُضَيْلُ بنُ سليمانَ ، ثنا موسى بنُ عقبةَ قال : أخبرنى كُرَيْبٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال : قدِم النبىُّ ﷺ مكةَ فطاف سبعًا[2] ، وسعَى بينَ الصفا والمروةِ ، ولم يَقْرَبِ الكعبةَ بعدَ طوافِه بها حتى رجَع مِن عرفةَ . انفرد به البخاريُّ .

فصلٌ

وقدِم فى هذا الوقتِ - ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُنِيخٌ بالبَطْحاءِ خارجَ مكةَ - علىٌّ مِن اليمنِ ، وكان النبىُّ ﷺ قد بعَثه ، كما قدَّمْنا ، إلى اليمنِ أميرًا بعدَ خالدِ بنِ الوليدِ ، رضى اللَّهُ عنهما ، فلما قدِم وجَد زوجتَه فاطمةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد حَلَّت كما حَلَّ أزواجُ رسولِ اللَّهِ ﷺ والذين لم يسوقوا الهدْىَ ، واكْتَحَلت ، ولبِستْ ثيابًا صَبِيغًا ، فقال : مَن أمَرَكِ بهذا ؟ قالت : أبى . فذهَب مُحَرِّشًا عليها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخبره أنها حَلَّت ، ولبِسَت ثيابًا صَبِيغًا ، واكْتَحَلت ، وزعَمت أنك أمَرْتَها بذلك يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « صدَقَت ، صدَقَت ، صدَقَت » . ثم قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بم أهْلَلْتَ حينَ أوْجَبْتَ الحجَّ ؟ » قال : بإهْلالِ كإهْلالِ النبىِّ ﷺ . قال : « فإن معىَ الهدىَ[3] فلا تَحِلَّ » . فكان جماعةُ الهَدْىِ الذى جاء به علىٌّ مِن اليمنِ ، والذى أتَى به رسولُ اللَّهِ ﷺ[3] مِن المدينةِ

---

(١) البخارى (١٦٢٥) .

(٢) زيادة من النسخ ليست فى البخارى .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

واشتراه فى الطريقِ مائةً مِن الإبلِ، واشتركا فى الهَدْيِ جميعًا. وقد تقدم هذا كلُّه فى «صحيحِ مسلمٍ»، رحِمه اللَّهُ.

وهذا التقريرُ يرُدُّ الروايةَ التى ذكَرها الحافظُ أبو القاسمِ الطبرانىُّ[1]، رحمه اللَّهُ، مِن حديثِ عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أن عليًّا تلَقَّى النبىَّ ﷺ إلى الجُحْفةِ. واللَّهُ أعلمُ. وكان أبو موسى فى جملةِ [٣/٢٩٧ظ] مَن قدِم مع علىٍّ، ولكنه لم يَسُقْ هديًا، فأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بأن يَحِلَّ بعدَما طاف للعمرةِ وسعَى، ففسَخ حَجَّه إلى العمرةِ، وصار متمتِّعًا، فكان يُفْتِى بذلك فى أثناءِ خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ، فلما رأى عمرُ بنُ الخطابِ أن يُفْرِدَ الحجَّ عن العمرةِ ترَك فُتْياه؛ مَهابةً لأميرِ المؤمنين عمرَ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه.

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: حدثنا عبدُ الرزاقِ، أنبأَنا سفيانُ، عن عونِ بنِ أبى جُحَيْفةَ، عن أبيه قال: رأيْتُ بلالًا يُؤَذِّنُ ويدورُ وأتَتَبَّعُ[3] فاه هـٰهنا وهـٰهنا، وأُصْبُعاه فى أذنيه[4]. قال: ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى قُبَّةٍ له حمراءَ، أُراها مِن أَدَمٍ. قال: فخرَج بلالٌ بينَ يديه بالعَنَزَةِ فركَزها، فصلى رسولُ اللَّهِ ﷺ - قال عبدُ الرزاقِ: وسمِعْتُه بمكةَ قال: بالبَطْحاءِ - ويمُرُّ بينَ يديه الكلبُ والمرأةُ والحمارُ، وعليه حُلَّةٌ حمراءُ، كأنى أنظُرُ إلى بَرِيقِ ساقيه. قال سفيانُ: نُراها حِبَرَةً.

وقال أحمدُ[5]: ثنا وكيعٌ، ثنا سفيانُ، عن عونِ بنِ أبى جُحَيْفةَ، عن أبيه قال: أتيْتُ النبىَّ ﷺ بالأَبْطَحِ وهو فى قُبَّةٍ له حمراءَ، فخرَج بلالٌ بفَضْلِ

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١١/ ٢٣٠، ٢٣١ (١١٥٨٤).
(٢) المسند ٤/ ٣٠٨.
(٣) سقط من: الأصل. وفى ا ٤، م، ص: «يتبع». والمثبت من المسند.
(٤) فى م، ص: «أذنه».
(٥) المسند ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩.

وَضوئِه ، فمِن ناضحٍ ونائلٍ . قال : فأذَّن بلالٌ فكنتُ أتَتَبَّعُ فاه هكذا وهكذا - يعنى يمينًا وشمالًا - قال : ثم ركَزْتُ له عَنَزَةً ، فخرَج النبىُّ ﷺ وعليه جُبَّةٌ له حمراءُ - أو حُلَّةٌ حمراءُ - وكأنى أنظُرُ إلى بريقِ ساقيه ، فصلَّى بنا إلى عَنَزَةٍ الظهرَ - أو العصرَ - ركعتين ، [1]تمُرُّ المرأةُ والكلبُ والحمارُ ، لا يَمْنَعُ ، ثم لم يزَلْ يصلِّى ركعتين حتى أتَى المدينةَ . وقال وكيعٌ[2] مرةً : فصلَّى الظهرَ ركعتين والعصرَ ركعتين[1] . وأخرجاه فى « الصحيحَيْن » مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ[3] .

وقال أحمدُ أيضًا[4] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ . ح وحجاجٌ ، [5]أخبرنى شُعْبَةُ[5] ، عن الحكمِ ، سمِعْتُ أبا جُحَيْفةَ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ بالهاجرةِ إلى البَطْحاءِ ، فتوضأ وصلَّى الظهرَ ركعتين وبينَ يديه عَنَزَةٌ . وزاد فيه عَوْنٌ ، عن أبيه[6] أبى جُحَيْفةَ : وكان يمُرُّ مِن ورائِها[7] الحمارُ والمرأةُ . قال حجاجٌ فى الحديثِ : ثم قام الناسُ فجعَلوا يأخذون يدَه فيَمْسَحون بها وجوهَهم . قال : فأخَذْتُ يدَه فوضَعْتُها على وجهى ، فإذا هى أبْرَدُ مِن الثلجِ وأطْيَبُ ريحًا مِن المسكِ . وقد أخْرَجه صاحبا « الصحيحِ » مِن حديثِ شعبةَ بتمامِه[8] .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) البخارى (٦٣٤) مختصرًا ، ومسلم (٢٤٩/ ٥٠٣) .

(٤) المسند ٤/ ٣٠٩ .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٤ ، م ، ص . وانظر أطراف المسند ٦/ ١٢٠ .

(٦) بعده فى م : « عن » .

(٧) فى م ، ص : « ورائنا » .

(٨) البخارى (١٨٧ ، ٥٠١ ، ٣٥٥٣) ، ومسلم (٢٥٢ ، ٢٥٣/ ٥٠٣) .

فصلٌ

فأقام، عليه الصلاةُ والسلامُ، بالأبْطَحِ - كما قدَّمْنا - يومَ الأحدِ ويومَ الاثنينِ ويومَ الثلاثاءِ ويومَ الأربعاءِ وقد حَل الناسُ، إلا مَن ساق [٣/٢٩٨و] الهدْىَ، وقدِم فى هذه الأيامِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ مِن اليمنِ بمَن معه مِن المسلمين وما معه مِن الأموالِ، ولم يَعُدْ، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى الكعبةِ بعدَما طاف بها، فلما أصْبَح، عليه الصلاةُ والسلامُ، يومَ الخميسِ صلى بالأبْطَحِ الصبحَ مِن يومِئذٍ، وهو يومُ التَّرْوِيَةِ، ويقالُ له: يومُ مِنًى. لأنه يُسارُ فيه إليها، وقد رُوِىَ أن النبىَّ ﷺ خطَب قبلَ هذا اليومِ. ويقالُ للذى قبلَه فيما رأيْتُه فى بعضِ التَّعاليقِ: يومُ الزينةِ. لأنه تُزَيَّنُ فيه البُدْنُ بالجِلالِ[1] ونحوِها. فاللَّهُ أعلمُ.

قال الحافظُ البيهقىُّ[2]: أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأَنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ الجلُّودىُّ، ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ مِهْرانَ، ثنا محمدُ بنُ يوسفَ، ثنا أبو قُرَّةَ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا كان[3] قبلَ[4] يومِ التَّرْوِيَةِ خطَب الناسَ، فأَخْبَرهم بمَناسِكهم.

فركِب، عليه الصلاةُ والسلامُ، قاصدًا إلى مِنًى قبلَ الزَّوالِ، وقيل: بعدَه. وأحْرَم الذين كانوا قد حَلُّوا بالحجِّ مِن الأبْطَحِ حينَ توَجَّهوا إلى مِنًى، وانبَعَثت رَواحلُهم نحوَها.

---

(١) الجِلال: جمع جُلٍّ، وهو ما تُغطَّى به الدابة لتصان. المعجم الوسيط (ج ل ل).

(٢) السنن الكبرى ٥/ ١١١.

(٣) فى م، ص: «خطب».

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

قال عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ : قدِمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فأحْلَلْنا ، حتى كان يومُ التَّرْوِيةِ وجعَلْنا مكةَ منًّا بظَهْرٍ ، لبَّيْنا بالحجِّ . ذكَره البخاريُّ تَعْليقًا مَجْزومًا[1] .

وقال مسلمٌ[2] : ثنا محمدُ بنُ حاتمٍ ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزبيرِ ، عن جابرٍ قال : أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ لمَّا أحْلَلْنا أن نُحْرِمَ إذا توَجَّهْنا إلى مِنًى . قال : وأهْلَلْنا مِن الأبْطَحِ .

وقال عُبَيْدُ بنُ جُرَيْجٍ لابنِ عمرَ : رأيْتُك إذا كنتَ بمكةَ أهَلَّ الناسُ إذا رأَوُا الهلالَ ، ولم تُهِلَّ أنت حتى يومِ التَّرْوِيةِ . فقال : لم أرَ النبىَّ ﷺ يُهِلُّ حتى تَنْبَعِثَ به راحلتُه . رواه البخاريُّ فى جملةِ حديثٍ طويلٍ[3] .

قال البخاريُّ[4] : وسُئِل عطاءٌ عن المُجاوِرِ[5] مِنًى يُلَبِّى بالحجِّ ؟ فقال : كان ابنُ عمرَ يُلَبِّى يومَ التَّرْوِيةِ إذا صلى الظهرَ واستوى على راحلتِه .

قلتُ : هكذا كان ابنُ عمرَ يصْنَعُ إذا حجَّ معتمرًا ؛ يَحِلُّ مِن العمرةِ ، فإذا كان يومُ التَّرْوِيةِ لا يُلَبِّى حتى تنْبَعِثَ به راحلتُه مُتَوَجِّهًا إلى منًى ، كما أحْرَم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن ذى الحُلَيْفةِ بعدَ ما صلى الظهرَ وانبَعَثَت به راحلتُه ، لكنْ يومَ التَّرْوِيةِ لم يُصَلِّ النبىُّ ﷺ الظهرَ [٣/ ٢٩٨ظ] بالأبْطَحِ ، وإنما صلاها يومَئذٍ بمنًى ، وهذا مما لا نزاعَ فيه .

---

(١) البخارى فى : باب الإهلال من البطحاء وغيرها للمكىّ وللحاجّ إذا خرج إلى منى ، من كتاب الحج . فتح البارى ٣/ ٥٠٦.

(٢) مسلم (١٢١٤) .

(٣) البخارى (١٦٦، ٥٨٥١) . وذكر هذا الجزء من الحديث فى باب الإهلال ... فتح البارى ٣/ ٥٠٦.

(٤) فتح البارى ٣/ ٥٠٦.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « المجاوز » .

قال البخاريُّ[1] : بابُ أين يصلى الظهرَ يومَ التَّرْوِيةِ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا إسحاقُ الأزْرقُ ، ثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ قال : سألْتُ أنسَ بنَ مالكٍ قلتُ : أخبِرْنى بشىءٍ [2]عَقَلْتَه عن[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أين صلى[3] الظهرَ والعصرَ يومَ التَّرْوِيةِ ؟ قال : بمِنًى . قلتُ : فأين صلى العصرَ يومَ النَّفْرِ ؟ قال : بالأبْطَحِ . ثم قال : افْعَلْ كما يفعَلُ أُمراؤُك . وقد أخْرَجه بقيةُ الجماعةِ إلا ابنَ ماجه مِن طرقٍ ، عن إسحاقَ بنِ يوسفَ الأزْرقِ ، عن سفيانَ الثوريِّ به[4] . وكذلك رواه الإمامُ أحمدُ ، عن إسحاقَ بنِ يوسفَ الأزرقِ به[5] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ ، يُسْتَغْرَبُ مِن حديثِ الأزرقِ ، عن الثوريِّ .

ثم قال البخاريُّ[6] : حدثنا عليٌّ ، سمِع أبا بكرِ بنَ عَيَّاشٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ رُفَيْعٍ قال : لقِيتُ أنسَ بنَ مالكٍ . وحدثنى إسماعيلُ بنُ أبانٍ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن عبدِ العزيزِ قال : خرَجْتُ إلى مِنًى يومَ التَّرْوِيةِ ، فلقِيت أنسًا ذاهبًا على حمارٍ ، فقلتُ : أين صلى النبيُّ ﷺ هذا اليومَ الظهرَ ؟ فقال : انظُرْ حيث يصلى أُمراؤُك فصلِّ .

وقال أحمدُ[7] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا أبو كُدَيْنَةَ ، عن الأعمشِ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ [8]أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلى خمسَ[8]

---

(١) البخارى (١٦٥٣) .

(٢ - ٢) فى النسخ : « عقلت من » . والمثبت من البخارى .

(٣) فى م ، ص : « يصلى » .

(٤) مسلم (١٣٠٩) ، وأبو داود (١٩١٢) ، والترمذى (٩٦٤) ، والنسائى (٢٩٩٧) .

(٥) المسند ٣/ ١٠٠ .

(٦) البخارى (١٦٥٤) .

(٧) المسند ١/ ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٣. (إسناده صحيح) .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

[1]صلواتٍ بمنًى .

وقال أحمدُ أيضًا[2] : حدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا أبو مُحَيَّاةَ يحيى بنُ يَعْلَى التَّيْميُّ ، عن الأعمشِ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ[1] أن النبيَّ ﷺ صلى الظهرَ يومَ التَّرْويةِ بمنًى ، وصلى الغَداةَ يومَ عرفةَ بها .

وقد رواه أبو داودَ[3] ، عن زهيرِ بنِ حربٍ ، عن أحْوَصَ بنِ[4] جَوَّابٍ ، عن عمارِ بنِ رُزَيْقٍ ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعمشِ به ، ولفظُه : صلى رسولُ اللَّهِ ﷺ الظهرَ يومَ التَّرْويةِ والفجرَ يومَ عرفةَ بمنًى . وأخرجه الترمذيُّ ، عن الأشَجِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الأجْلحِ ، عن الأعمشِ بمعناه[5] ، وقال : ليس هذا مما عدَّه شعبةُ فيما سمِعه الحكمُ عن مِقْسَمٍ .

وقال الترمذيُّ[6] : ثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الأجْلَحِ ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : صلى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بمنًى الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ ، ثم غدا إلى عرفاتٍ . ثم قال : وإسماعيلُ بنُ مسلمٍ قد تُكُلِّم فيه ، وفى البابِ عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ وأنسِ بنِ مالكٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا [8]يزيدُ بنُ عبدِ ربِّهِ ، ثنا الوليدُ أبو مسلمٍ ، عن[8]

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ١/ ٢٩٧. (إسناده صحيح) .

(٣) أبو داود (١٩١١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٨٢) .

(٤) فى م ، ص : «عن» . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٨.

(٥) الترمذى (٨٨٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٩٨) .

(٦) الترمذى (٨٧٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٦٩٧) .

(٧) المسند ٥/ ٢٦٨.

(٨ - ٨) بياض فى : الأصل ، ا ٤. وسقط من : م ، ص . والمثبت من المسند .

(١ عثمانَ بنِ أبى العاتكةِ ، عن علىِّ بنِ يزيدَ ، عن القاسمِ ، عن أبى أُمامة ١) ، عمن رأى [٣/ ٢٩٩و] النبىَّ ﷺ ، أنه راح إلى منًى يومَ التَّرْويةِ ، وإلى جانبِه بلالٌ ، بيدِه عودٌ عليه ثوبٌ يُظَلِّلُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ . يعنى مِن الحرِّ . تفرد به أحمدُ . وقد نص الشافعىُّ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ركِب مِن الأبْطحِ إلى منًى بعدَ الزَّوالِ ، ولكنه إنما صلى الظهرَ بمنًى ، فقد يُسْتَدَلُّ له بهذا الحديثِ . واللَّهُ أعلمُ . وتقدم فى حديثِ جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ قال : فحلَّ الناسُ كلُّهم وقصَّروا إلا النبىَّ ﷺ ومَن كان معه هدْىٌ ، فلما كان يومُ التَّرْويةِ توَجَّهوا إلى منًى فأهَلُّوا بالحجِّ ، وركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ فصلى بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ ، ثم مكَث قليلًا حتى طلَعت الشمسُ ، وأمَر بقُبَّةٍ له مِن شعْرٍ ، فضُرِبتَ له بنَمِرةَ ، فسار رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا تَشُكُّ قريشٌ إلا أنه واقفٌ عندَ المَشْعَرِ الحَرامِ ، كما كانت قريشٌ تصْنَعُ فى الجاهليةِ ، فأجاز رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أتَى عرفةَ ، فوجَد القُبَّةَ قد ضُرِبَت له بنَمِرةَ فنزَل بها ، حتى إذا زاغت الشمسُ أمَر بالقَصْواءِ فرُحِلت له ، فأتَى بطْنَ الوادى ، فخطَب الناسَ وقال : « إن دماءَكم وأموالَكم حَرامٌ عليكم ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، ألَا كلُّ شىءٍ مِن أمْرِ الجاهليةِ تحتَ قدَمَىَّ موضوعٌ ، ودماءُ الجاهليةِ مَوْضوعةٌ ، وإن أولَ دمٍ أضَعُ مِن دمائِنا دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ ، كان مُسْتَرْضِعًا فى بنى سعدٍ فقتَلَتْه هُذَيْلٌ ، وربا الجاهليةِ موضوعٌ ، وأولُ رِبًا أضَعُ رِبانا ؛ ربا العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فإنه موضوعٌ كلُّه ، واتَّقوا اللَّهَ فى النساءِ ، فإنكم أخَذْتُموهن بأمانةِ اللَّهِ ، واستَحْلَلْتُم فُروجَهن بكلمةِ اللَّهِ ، ولكم عليهن ألَّا يُوطِئْن فُرُشَكم أحدًا تَكْرَهونه ، فإن فعَلْن ذلك فاضْرِبوهن ضرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ ، ولهن عليكم رزقُهن وكِسوتُهن

(١ - ١) بياض فى : الأصل ، ا ٤. وسقط من : م ، ص . والمثبت من المسند .

بالمعروفِ ، وقد ترَكْتُ فيكم ما لن تَضِلوا بعده[1] إن اعتَصَمْتُم به ؛ كتابَ اللَّهِ ، وأنتم تُسْأَلون عنى فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشْهَدُ أنك قد بلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونصَحْتَ . فقال بأُصْبُعِه السبابةِ يَرْفَعُها إلى السماءِ ويَنْكُتُها إلى[2] الناسِ : « اللهم اشْهَدْ ، اللهم اشْهَدْ ، اللهم اشْهَدْ » . ثلاثَ مراتٍ .

وقال أبو عبدِ الرحمنِ النسائىُّ[3] : أنبأَنا علىُّ بنُ حُجْرٍ [4]قال : أنبأنا جريرٌ[4] ، عن مغيرةَ ، عن موسى بنِ زيادِ بنِ حِذْيَمٍ بنِ عمرٍو السَّعْدىِّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ عليه [٣/ ٢٩٩ظ] وسلَّم ، يقولُ فى خطبتِه يومَ عرفةَ فى حَجةِ الوَداعِ : « اعْلَموا أن دماءَكم وأموالكم وأعْراضَكم حرامٌ عليكم ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، [5]كحُرْمةِ شهرِكم هذا ، كحُرْمةِ[5] بلدِكم هذا » .

وقال أبو داودَ[6] : بابُ الخُطْبةِ على المنبرِ بعرفةَ ، حدَّثنا هَنَّادٌ ، عن ابنِ أبى زائدةَ ، ثنا سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن رجلٍ مِن بنى ضَمْرةَ ، عن أبيه أو عمِّه قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو على المنبرِ بعرفةَ . وهذا الإسنادُ ضعيفٌ ؛ لأن فيه رجلًا مُبْهَمًا ، ثم تقدم فى حديثِ جابرٍ الطويلِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، خطَب على ناقتِه القَصْواءِ .

ثم قال أبو داودَ[7] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ ، عن سَلَمةَ بنِ نُبَيْطٍ ،

---

(١) فى م ، ص : « بعدى » .
(٢) فى النسخ : « على » . والمثبت من صحيح مسلم (١٢١٨) .
(٣) السنن الكبرى (٤٠٠٢) .
(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من السنن الكبرى . انظر تحفة الأشراف ٣/ ٥٨.
(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى السنن الكبرى : « وكحرمة شهركم هذا ، وكحرمة » بزيادة واو العطف .
(٦) سنن أبى داود ٢/ ١٩٥، حديث (١٩١٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤١٦) .
(٧) أبو داود (١٩١٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٨٦) .

عن رجلٍ مِن الحيِّ ، عن أبيه نُبَيْطٍ ، أنه رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ واقفًا بعرفةَ على بعيرٍ أحمرَ يخْطُبُ . وهذا فيه مُبْهَمٌ أيضًا ، ولكنَّ حديثَ جابرٍ شاهدٌ له .

ثم قال أبو داودَ[1] : حدثنا هَنَّادُ بنُ السَّرِيِّ وعثمانُ بنُ أبى شيبةَ ، قالا : ثنا وكيعٌ ، عن عبدِ المجيدِ[2] أبى عمرٍو قال : حدَّثنى العَدَّاءُ بنُ خالدِ بنِ هَوْذَةَ - وقال هَنَّادٌ : عن عبدِ المجيدِ ، حدَّثنى خالدُ بنُ العَدَّاءِ بنِ هَوْذَةَ - قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ الناسَ يومَ عرفةَ على بعيرٍ قائمًا[3] فى الرِّكابَيْن . قال أبو داودَ : رواه ابنُ العَلاءِ ، عن وكيعٍ ، كما قال هَنَّادٌ ، وحدَّثنا[4] عباسُ بنُ عبدِ العظيمِ ، ثنا عثمانُ بنُ عمرَ ، ثنا عبدُ المجيدِ أبو عمرٍو ، عن العَدَّاءِ بنِ خالدٍ بمعناه .

وفى « الصحيحَيْن »[5] عن ابنِ عباسٍ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ بعرفاتٍ : « مَن لم يَجِدْ نعْلَيْن فلْيَلْبَسِ الخُفَّيْن ، ومَن لم يَجِدْ إزارًا فلْيَلْبَسِ السَّراوِيلَ » . للمُحْرِمِ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[6] : حدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه عَبَّادٍ قال : كان الرجلُ الذى يَصْرُخُ فى الناسِ بقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بعرفةَ ربيعةَ بنَ أميةَ بنِ خلفٍ ؛ قال : [7]يقولُ له[7] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قلْ : أيُّها

---

(١) أبو داود (١٩١٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٨٧) .

(٢) بعده فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٧٦.

(٣) كذا فى النسخ . وفى سنن أبى داود : « قائم » . قال صاحب عون المعبود ٢/ ١٣٣: وفى بعض النسخ : « قائما » حالان مترادفان أو متداخلان ، وقوله : قائما . أى واقفا ، لا أنه قائم على الدابة ، بل معناه أن حال كون الرِّجْلين داخلين فى الركابين .

(٤) أبو داود (١٩١٨) .

(٥) البخارى (١٨٤١، ١٨٤٣، ٥٨٠٤، ٥٨٥٣)، ومسلم (٤/ ١١٧٨) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٥.

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : هل تَدْرون أيُّ شهرٍ هذا ؟ » فيقولون : الشهرُ الحرامُ . فيقولُ : « قلْ لهم : إن اللَّهَ قد حرَّم عليكم دماءَكم وأموالَكم[1] ، كحُرْمةِ شهْرِكم هذا » . ثم يقولُ : « قل : أيُّها الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : هل تَدْرون أيُّ بلدٍ هذا ؟ » وذكَر تمامَ الحديثِ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى ليثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن عمرِو بنِ خارجةَ قال : بعَثنى عَتَّابُ بنُ أَسيدٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو واقفٌ بعرفةَ فى حاجةٍ فبلَغْتُه ، ثم وقَفْتُ تحتَ ناقتِه ، [٣/ ٣٠٠و] وإن لُعابَها[3] لَيَقَعُ على رأسى ، فسمِعْتُه يقولُ : « أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ قد أدَّى إلى كلِّ ذى حقٍّ حقَّه ، وإنه لا تجوزُ وصيةٌ لوارثٍ ، والولدُ للفِراشِ ، وللعاهرِ الحجَرُ ، ومن ادَّعَى إلى غيرِ أبيه ، أو تولَّى غيرَ مَواليه ، فعليه لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه[4] صَرْفًا ولا عَدْلًا » . ورواه الترمذىُّ والنسائىُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ قتادةَ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ غُنْمٍ ، عن عمرِو بنِ خارجةَ به[5] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . قلتُ : وفيه اختلافٌ على قتادةَ . واللَّهُ أعلمُ . وسنذكرُ الخطبةَ التى خطَبها ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ هذه الخطبةِ يومَ النحرِ ، وما فيها مِن الحكمِ والمواعظِ والتفاصيلِ والآدابِ النبويَّةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) سقط من : الأصل . وبعده فى ا ٤ : « وأعراضكم » . وبعده فى السيرة : « إلى أن تلقوا ربكم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٥ .

(٣) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « لُغامها » . واللُّغام : الرغوة التى تخرج على فم البعير . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦٨ .

(٤) فى النسخ : « له » . والمثبت من السيرة .

(٥) الترمذى (٢١٢١) ، والنسائى (٣٦٤٣) ، وابن ماجه (٢٧١٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٢٢) .

قال البخاريُّ[1] : بابُ التلبيةِ والتكبيرِ إذا غَدا مِن منًى إلى عرفةَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، أنبأنا مالكٌ ، عن محمدِ بنِ أبى بكرٍ الثقفىِّ ، أنه سأل أنسَ بنَ مالكٍ وهما غاديان مِن منًى إلى عرفةَ : كيف كنتم تصْنَعون فى هذا اليومِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : كان يُهِلُّ منَّا المُهِلُّ فلا يُنْكِرُ عليه ، ويُكَبِّرُ المُكَبِّرُ منَّا فلا يُنْكِرُ عليه . وأخْرجه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ وموسى بنِ عقبةَ ، كلاهما عن محمدِ بنِ أبى بكرِ بنِ عوفِ بنِ رياحٍ[2] الثقفىِّ الحجازىِّ ، عن أنسٍ به[3] .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلمةَ ، ثنا مالكٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ كتَب إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ أن يَأْتَمَّ بعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ فى الحجِّ ، فلما كان يومُ عرفةَ ، جاء ابنُ عمرَ وأنا معه حينَ زاغت الشمسُ - أو زالت الشمسُ - فصاح عندَ فُسْطاطِه : أين هذا ؟ فخرَج إليه ، فقال ابنُ عمرَ : الرَّوَاحَ . فقال : الآنَ ؟ قال : نعم . فقال : أنْظِرْنى حتى[5] أُفِيضَ علىَّ ماءً . فنزَل ابنُ عمرَ حتى خرَج ، فسار بينى وبينَ أبى ، فقلتُ : إن كنتَ تريدُ أن تُصِيبَ السُّنةَ اليومَ فاقْصُرِ الخُطْبةَ وعجِّلِ الوُقوفَ . فقال ابنُ عمرَ : صدَق . ورواه البخاريُّ أيضًا ، عن [6]عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ[6] عن مالكٍ به . وأخْرَجه النسائىُّ مِن حديثِ أشْهَبَ وابنِ وهبٍ ، عن مالكٍ[7] .

---

(١) البخارى (١٦٥٩) .

(٢) فى الأصل ، م : « رباح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٣٧.

(٣) مسلم (٢٧٤، ٢٧٥/ ١٢٨٥) .

(٤) البخارى (١٦٦٣) .

(٥) زيادة من النسخ ليست فى البخارى .

(٦ - ٦) فى النسخ : « القعنبى » . والمثبت من صحيح البخارى (١٦٦٠) . والقعنبى هو عبد اللَّه بن مسلمة الذى تقدم حديثه (١٦٦٣) . فلعله انتقال نظر من المصنف . انظر تحفة الأشراف ٥/ ٣٨٨.

(٧) النسائى (٣٠٠٥، ٣٠٠٩) .

ثم قال البخاريُّ[1] بعدَ روايتِه هذا الحديثَ : وقال الليثُ : حدَّثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمٍ ، أن الحجاجَ عامَ نزَل بابنِ الزبيرِ سأَل عبدَ اللَّهِ : كيف تصنَعُ فى الموقفِ ؟ فقال سالمٌ[2] : إن كنتَ تريدُ السُّنةَ فهجِّرْ بالصلاةِ يومَ عرفةَ . فقال ابنُ عمرَ : صدَق ، إنهم كانوا يجْمَعون بينَ الظهرِ والعصرِ فى السُّنَّةِ . فقلتُ لسالمٍ : أفَعل ذلك رسولُ اللَّهِ [٣/ ٣٠٠ظ] ﷺ ؟ فقال : هل [3]تبتَغون بذلك[3] إلا سُنَّته .

وقال أبو داودَ[4] : ثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ ، ثنا يعقوبُ ، ثنا أبى[5] ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ غدا مِن منًى حينَ[6] صلى الصبحَ صَبيحةَ يومِ عرفةَ ، فنزَل بنَمِرةَ ، وهى منزلُ الإمامِ الذى ينْزِلُ به بعرفةَ ، حتى إذا كان عندَ صلاةِ الظهرِ راح رسولُ اللَّهِ ﷺ مُهَجِّرًا ، فجمَع بينَ الظهرِ والعصرِ . وهكذا ذكَر جابرٌ فى حديثِه بعدَما أورد الخطبةَ المتقدمةَ ، قال : ثم أَذَّن بلالٌ ، ثم أقام فصلى الظهرَ ، ثم أقام فصلى العصرَ ، ولم يُصَلِّ بينَهما شيئًا . وهذا يقْتَضى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، خطَب أولًا ، ثم أُقيمت الصلاةُ ، ولم يتَعَرَّضْ للخطبةِ الثانيةِ .

وقد قال الشافعىُّ[7] : أنبأنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ وغيرُه ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ،

---

(١) البخارى (١٦٦٢) معلقا .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٣ - ٣) فى البخارى : « تتبعون فى ذلك » . والمثبت موافق لبعض نسخ البخارى ، انظر صحيح البخارى طبعة الشعب ٢/ ١٩٩، وفتح البارى ٣/ ٥١٤.

(٤) أبو داود (١٩١٣) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٦٨٥) .

(٥) بعده فى م : « يعقوب » . انظر تحفة الأشراف ٦/ ٢٢٥ .

(٦) فى السنن : « حيث » .

(٧) ترتيب مسند الشافعى (٩١١) ، كما أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١١٤، من طريق الشافعى به .

عن أبيه ، عن جابرٍ فى حَجةِ الإسلامِ[1] قال : فراح النبىُّ ﷺ إلى المَوْقِفِ بعرفةَ ، فخطَب الناسَ الخطبةَ الأولى ، ثم أذَّن بلالٌ ، ثم أخَذ النبىُّ ﷺ فى الخطبةِ الثانيةِ ، ففرَغ مِن الخطبةِ وبلالٌ مِن الأذانِ ، ثم أقام بلالٌ فصلَّى الظهرَ ، ثم أقام فصلَّى العصرَ . قال البيهقىُّ : تفرد به إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ أبى يحيى .

قال مسلمٌ ، عن جابرٍ : ثم ركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أتَى المَوْقِفَ ، فجعَل بطنَ ناقتِه القَصْواءِ إلى الصَّخَراتِ ، وجعَل جبلَ المُشاةِ بينَ يديه ، واستقبل القبلةَ .

وقال البخارىُّ[2] : ثنا يحيى بنُ سليمانَ ، عن ابنِ وهبٍ ، أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن بُكيرٍ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ميمونةَ ، أن الناسَ شَكُّوا فى صيامِ النبىِّ ﷺ [3]يومَ عرفةَ[3] ، فأرْسَلْتُ إليه بحِلابٍ وهو واقفٌ فى المَوْقِفِ ، فشَرِب منه والناسُ ينْظُرون . وأخرجه مسلمٌ ، عن هارونَ بنِ سعيدٍ الأيْلىِّ ، عن ابنِ وهبٍ به[4] .

وقال البخارىُّ[5] : أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، أنبأنا مالكٌ ، عن أبى[6] النَّضْرِ مولى عمرَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن عُمَيْرٍ مولى ابنِ عباسٍ ، عن أمِّ الفضلِ بنتِ الحارثِ ، أن ناسًا تَمارَوْا عندَها يومَ عرفةَ فى صومِ النبىِّ ﷺ ، فقال بعضُهم : هو صائمٌ . وقال بعضُهم : ليس بصائمٍ . فأرْسَلَت إليه بقَدَحِ لبنٍ وهو واقفٌ على بعيرِه ،

---

(١) فى م : « الوداع » .
(٢) البخارى (١٩٨٩) .
(٣ - ٣) سقط من : النسخ . والمثبت من البخارى .
(٤) مسلم (١١٢/ ١١٢٤) .
(٥) البخارى (١٩٨٨) .
(٦) سقط من : م . وأبو النضر هو سالم بن أبى أمية القرشى . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٢٧، ١٢٨.

فشرِبه . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ أيضًا[1] . وأخرجاه مِن طرقٍ أُخَرَ ، عن أبى النَّضْرِ به[2] .

قلتُ : أمُّ الفضلِ هى أختُ ميمونةَ بنتِ الحارثِ أمِّ المؤمنين وقصتُهما واحدةٌ . واللَّهُ أعلمُ . وصَحَّ إسنادُ [٣/٣٠١و] الإرْسالِ [3]إليهما ؛ لأنه مِن عندِهما ، اللهم إلا أن يكونَ بعدَ ذلك ، أو تَعَدَّدَ الإرْسالُ[3] مِن هذه ومِن هذه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا إسماعيلُ ، ثنا أيوبُ قال : لا أدرى أسمِعْتُه مِن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، أم نُبِّئْتُه[5] عنه ، قال : أتَيْتُ على ابنِ عباسٍ[6] بعرفةَ وهو يأكُلُ رُمَّانًا ، وقال : أفْطَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بعرفةَ ، وبَعَثَتْ إليه أمُّ الفضلِ بلبنٍ فشرِبه .

وقال أحمدُ[7] : ثنا وَكيعٌ ، ثنا ابنُ أبى ذِئْبٍ ، عن صالحٍ مولى التَّوْأمةِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنهم تَمارَوْا فى صومِ النبىِّ ﷺ يومَ عرفةَ ، فأرْسَلتْ أمُّ الفضلِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بلبنٍ فشرِبه .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : ثنا عبدُ الرزاقِ [9]وابنُ بكرٍ[9] قالا : أنبأنا ابنُ جُرَيْجٍ ،

---

(١) مسلم (١١٠/١١٢٣) .

(٢) البخارى (١٦٥٨، ١٦٦١، ٥٦٠٤، ٥٦١٨) ، ومسلم (١١١/١١٢٣) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المسند ١/ ٣٥٩ . (إسناده صحيح) .

(٥) فى الأصل : « نبئه » ، وفى م : « عن بنيه » . وفى المسند : « لم ينسبه » . وانظر أطراف المسند ٣/ ٦١ .

(٦) بعده فى م : « وهو » .

(٧) المسند ١/ ٣٤٤ . (إسناده صحيح) .

(٨) المسند ١/ ٣٦٧ . (إسناده ضعيف) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « ابن بكير » ، وفى ا ٤، م ، ص : « أبو بكر » . والمثبت من المسند . وابن بكر هو محمد بن بكر بن عثمان البُرسانى . انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٣٠ .

قال : قال عطاءٌ : دعا عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ الفضلَ بنَ عباسٍ إلى الطعامِ يومَ عرفةَ ، فقال : إنى صائمٌ . فقال عبدُ اللَّهِ : لا تَصُمْ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قُرِّب إليه حِلابٌ فيه لبنٌ يومَ عرفةَ ، فشرِب منه ، فلا تَصُمْ ، فإن الناسَ مُسْتَنُّون بكم . وقال ابنُ بكرٍ ورَوْحٌ : إن الناسَ يَسْتَنُّون بكم .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بينا رجلٌ واقفٌ مع النبيِّ ﷺ بعرفةَ إذ وقَع عن راحلتِه فوقَصَته - أو قال : فأَوْقَصَتْه - فقال النبيُّ ﷺ : « اغْسِلوه بماءٍ وسِدْرٍ ، وكفِّنوه فى ثوبَيْن ، ولا تُمِسُّوه طِيبًا ، ولا تُخَمِّروا رأسَه ، ولا تُحَنِّطوه ، فإن اللَّهَ يَبْعَثُه يومَ القيامةِ مُلَبِّيًا » . ورواه مسلمٌ ، عن أبى الربيعِ الزَّهْرانىِّ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ[2] .

وقال النسائىُّ[3] : أنبأنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ - هو ابنُ راهَوَيْه - أخبرنا وكيعٌ ، أنبأنا سفيانُ الثورىُّ ، عن بُكَيرِ بنِ عطاءٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَعْمَرَ الدِّيلىِّ قال : شهِدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعرفةَ وأتاه ناسٌ مِن أهلِ نجدٍ ، فسألوه عن الحجِّ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحجُّ عرفةُ ، فمَن أدْرَك ليلةَ عرفةَ قبلَ طلوعِ الفجرِ مِن ليلةِ جَمْعٍ فقد تم حَجُّه » . وقد رواه بقيةُ أصحابِ السننِ مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ - زاد النسائىُّ : وشعبةَ - عن بكيرِ بنِ عطاءٍ به[5] .

---

(١) البخارى (١٨٥٠) .

(٢) مسلم (٩٤/ ١٢٠٦) .

(٣) النسائى فى المجتبى (٣٠١٦) ، وفى الكبرى (٤٠١١) .

(٤) أبو داود (١٩٤٩) ، والترمذى (٨٨٩) ، والنسائى فى الكبرى (٤١٨٠) ، وابن ماجه (٣٠١٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧١٧) .

وقال النسائيُّ[1] : أنبأنا قتيبةُ ، أنبأنا سفيانُ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، أخبرنى عمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ صفوانَ ، أن يزيدَ بنَ شَيْبانَ قال : كنا وُقوفًا بعرفةَ مكانًا بعيدًا مِن الموقفِ ، فأتانا ابنُ مِرْبَعٍ الأنصاريُّ فقال : [٣/ ٣٠١ظ] إنى رسولُ رسولِ اللَّهِ إليكم ، يقولُ لكم : « كونوا على مَشاعِرِكم ، فإنكم على إرْثٍ مِن إرْثِ أبيكم إبراهيمَ » . وقد رواه أبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ به[2] . وقال الترمذيُّ : هذا حديثٌ حسنٌ ، ولا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ ابنِ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، وابنُ مِرْبَعٍ اسمُه يزيدُ[3] بنُ مِرْبَعٍ الأنصاريُّ ، وإنما يُعْرَفُ له هذا الحديثُ الواحدُ . قال : وفى البابِ عن عليٍّ ، وعائشةَ ، وجبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، والشَّريدِ بنِ سُوَيْدٍ .

وقد تقدم مِن روايةِ مسلمٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « وقَفْتُ هـٰهنا ، وعرفةُ كلُّها مَوْقِفٌ » . زاد مالكٌ فى « مُوَطَّئِه » : « وارفَعوا عن بطنِ عُرَنةَ[4] » .

---

(١) النسائى فى الكبرى (٤٠١٠) .

(٢) أبو داود (١٩١٩) ، والترمذى (٨٨٣) ، وابن ماجه (٣٠١١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٨٨) .

(٣) فى م : « زيد » . وهو مما يقال فى اسمه . انظر تهذيب الكمال ١٠/١٠٧ ، ٣٢/٢٣٩ .

(٤) فى م : « عرفة » .

فصلٌ فيما حُفِظ مِن دعائِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وهو واقفٌ بعرفةَ

قد تقدَّم أنَّه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أفْطَر يومَ عرفةَ، فدَلَّ على أنَّ الإفطارَ هناك أفضلُ مِن الصيامِ؛ لِمَا فيه مِن التقْوِيَةِ[1] على الدُّعاءِ؛ لأنَّه المقصودُ الأهمُّ هناك، ولهذا وقَف، عليه الصلاةُ والسلامُ، وهو راكبٌ على الراحلةِ، مِن لَدُنِ الزَّوالِ إلى أن غَرَبَتِ الشمسُ.

وقد روَى أبو داودَ الطَّيالسيُّ فى «مسندِه»[2] عن حَوْشَبِ بنِ عَقِيلٍ، عن مَهْدِيٍّ الهَجَرِيِّ، عن عكرمةَ، عن أبى هريرةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّه نَهَى عن صومِ يومِ عرفةَ بعرفةَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، ثنا حَوْشَبُ بنُ عَقِيلٍ، حدثنى مَهْدِيٌّ المُحارِبِيُّ[4]، حدَّثنى عِكرِمةُ مولى ابنِ عباسٍ قال: دَخَلْتُ على أبى هريرةَ فى بيتِه، فسأَلْتُه عن صومِ يومِ عرفةَ بعرفاتٍ، فقال: نَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن صومِ [5]يومِ عرفةَ[5] بعرفاتٍ. وقال عبدُ الرحمنِ مرةً[6]: عن مَهْدِيٍّ

---

(١) فى م: «التقوى».

(٢) لم نجده فى نسخة مسند أبى داود الطيالسى التى بين أيدينا، وقد أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١١٧، من طريق الطيالسى به.

(٣) المسند ٢/ ٣٠٤. (إسناده صحيح).

(٤) ليس فى المسند. وفى ص: «البخارى». وهو خطأ. قال البخارى فى التاريخ الكبير ٧/ ٤٢٤: مهدى المحاربى. قاله ابن مهدى. وقال سليمان بن حرب: عن حوشب، عن مهدى الهجرى، عن عكرمة، عن أبى هريرة قال: نهى النبى ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة. اهـ. ويعنى بابن مهدى: عبد الرحمن بن مهدى شيخ الإمام أحمد فى سند حديثنا هذا. وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٨٦.

(٥ - ٥) فى الأصل: «يوم». وفى م، ص: «عرفة».

(٦) ليس فى المسند. وفى ا ٤: «بن مرة».

العَبْدىِّ . وكذلك رَواه أحمدُ ، عن وكيعٍ ، عن حَوْشَبٍ ، عن مَهْدىٍّ العَبْدىِّ ، فذكَره[1] . وقد رواه أبو داودَ ، عن سليمانَ بنِ حربٍ ، عن حَوْشبٍ[2] ، والنسائىُّ ، عن سليمانَ بنِ مَعْبَدٍ ، عن سليمانَ بنِ حربٍ به ، وعن الفَلَّاسِ ، عن ابنِ مَهْدىٍّ به[3] ، وابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ وعلىِّ بنِ محمدٍ ، كلاهما عن وكيعٍ ، عن حَوْشَبٍ[4] .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[5] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا أبو أسامةَ الكَلْبىُّ ، ثنا حسنُ بنُ الرَّبيعِ ، ثنا الحارثُ بنُ عُبَيدٍ ، عن حَوْشَبِ بنِ عَقِيلٍ ، عن مَهْدىٍّ الهَجَرىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : نهَى النبىُّ ﷺ عن صومِ يومِ عرفةَ بعرفةَ . قال البيهقىُّ : كذا [٣/٣٠٢و] قال الحارثُ بنُ عُبَيْدٍ ، والمحفوظُ : عن عكرمةَ ، عن أبى هريرةَ .

ورَوى أبو حاتمٍ محمدُ بنُ حِبَّانَ البُسْتِىُّ فى « صحيحِه »[6] عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[7] أنَّه سُئِل عن صومِ يومِ عرفةَ ، فقال : حَجَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فلم يَصُمْه ، ومع أبى بكرٍ فلم يَصُمْه ، ومع عمرَ فلم يَصُمْه ، وأنا فلا أصُومُه ، ولا آمُرُ

---

(١) المسند ٢/ ٤٤٦.

(٢) أبو داود (٢٤٤٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٢٨) .

(٣) النسائى فى الكبرى (٢٨٣٠، ٢٨٣١) .

(٤) ابن ماجه (١٧٣٢) .

(٥) السنن الكبرى ٥/ ١١٧.

(٦) الإحسان (٣٦٠٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٧) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من الإحسان ، وهو الصواب . والحديث عند الدارمى فى سننه ٢/ ٢٣، والترمذى (٧٥١) ، ومصنف عبد الرزاق (٧٨٢٩) ، وغيرهم ، كلهم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضى اللَّه عنه .

به ، ولا أنْهَى عنه .

قال الإمامُ مالكٌ[1] ، عن زيادِ بنِ أبى زيادٍ مولى ابنِ عَيَّاشٍ[2] ، عن طلحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ كَرِيزٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أفضلُ الدعاءِ يومَ عرفةَ ، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنَّبِيُّون مِن قَبْلى : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له » . قال البيهقىُّ[3] : هذا مرسلٌ ، وقد رُوِىَ عن مالكٍ بإسنادٍ آخرَ موصولًا ، وإسنادُه ضعيفٌ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ والترمذىُّ[4] ، مِن حديثِ عمرِو بنِ شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أفضلُ الدعاءِ يومَ عرفةَ[5] ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبِيُّونَ مِن قبلى : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ » . وللإمامِ أحمدَ[6] أيضًا ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ ، عن أبيه عن جدِّه قال : كان أكثرَ دعاءِ النبىِّ ﷺ يومَ عرفةَ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ[7] ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ » .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه[8] : أنبأنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ أيوبَ النَّيْسابورىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ داودَ بنِ جابرٍ الأَخْمَسىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِلِىُّ ، ثنا فَرَجُ بنُ

---

(١) الموطأ ١/ ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) فى النسخ : « عباس » . والمثبت من الموطأ . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٦٥.

(٣) السنن الكبرى ٥/ ١١٧.

(٤) الترمذى (٣٥٨٥) . حسن بشواهده ، منها رواية مالك السابقة عن طلحة بن عبيد اللَّه بن كريز ، ورواية الطبرانى التى تأتى قريبا فى سياق المصنف عن على . انظر السلسلة الصحيحة (١٥٠٣) . والحديث بهذا اللفظ لم نجده فى مسند الإمام أحمد ، وقد أورده المصنف نفسه فى جامع المسانيد ٢٦/ ١٢٥ وعزاه للترمذى فقط . وكذا لم يذكره ابن حجر فى أطراف المسند ٤/٢٦ - ٥٣.

(٥) كذا فى النسخ . وعند الترمذى : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة » .

(٦) المسند ٢/ ٢١٠.

(٧) بعده فى المسند : « بيده الخير » .

(٨) أخرجه العقيلى فى الضعفاء ٣/ ٤٦٢، من طريق أحمد بن إبراهيم الموصلى به .

فَضالَةَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دُعائى ودعاءُ الأنبياءِ قَبْلى عَشِيَّةَ عرفةَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا يزيدُ - يعنى ابنَ عبدِ ربِّه الجِرْجِسىَّ - ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ ، حدَّثنى جبيرُ بنُ عمرٍو القرشىُّ[2] ، عن أبى سعيدٍ[3] الأنصارىِّ ، عن أبى يحيى مولى آلِ الزُّبيرِ بنِ العَوّامِ ، عن الزبيرِ بنِ العوامِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بعرفةَ يَقْرَأُ هذه الآيةَ : « ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] . وأنا على ذلك مِن الشَّاهِدِين ياربِّ » .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ الطبرانىُّ فى « مَناسِكِه » : ثنا الحسنُ بنُ مُثَنَّى بنِ مُعاذٍ العَنْبَرِىُّ ، ثنا عفانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا قيسُ بنُ الرَّبيعِ ، عن الأَغَرِّ بنِ الصَّبَّاحِ ، عن خليفةَ ، عن علىٍّ [٣/٣٠٢ظ] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أفضلُ ما قلتُ أنا والأنبياءُ قبلى ، عَشِيَّةَ عرفةَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ » .

---

(١) المسند ١/ ١٦٦. (إسناده ضعيف) .

(٢) كذا فى المسند والنسخ . قال الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة ص ٦٧: جبير بن عمرو القرشى عن أبى سعيد الأنصارى ، وعن بقية لا يدرى من هو ... أحسب أن هذا غلط نشأ عن تصحيف فى اسمه وتحريف فى اسم أبيه ، وإنما هو حبيب بن عمر الأنصارى . وانظر أيضا المصدر السابق ص ٨٤، والثقات لابن حبان ٦/ ١٨٣.

(٣) كذا فى النسخ . وفى المسند : « سعد » . وقد ذكره الحافظ فى تعجيل المنفعة ص ٤٨٧، ٤٨٩. فقال : أبو سعد الأنصارى ، هو أبو سعيد ...، روى عن أبى يحيى مولى آل الزبير ... والذى فى المسند أبو سعد ، بسكون العين . اهـ .

وقال الترمذيُّ[1] فى الدَّعواتِ : ثنا محمدُ بنُ حاتمٍ المُؤَدِّبُ ، ثنا عليُّ بنُ ثابتٍ ، ثنا قيسُ بنُ الرَّبيعِ ، وكان مِن بنى أسَدٍ ، عن الأغَرِّ بنِ الصَّبَّاحِ ، عن خليفةَ ابنِ حُصَينٍ ، عن عليٍّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : كان أكثرَ ما دعا به رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ عرفةَ فى الموقفِ : « اللَّهُمَّ لك الحمدُ كالذى نقولُ ، وخيرًا مما نقولُ ، اللَّهُمَّ لك صَلاتى ونُسُكى ومَحْياىَ ومماتى[2] ، ولك ربِّ تُرَاثى ، أعوذُ بك مِن عذابِ القبرِ ، ووَسْوَسَةِ الصدرِ ، وشَتاتِ الأمْرِ ، اللَّهُمَّ إنِّى أعُوذُ بك مِن شرِّ ما تَهُبُّ[3] به الريحُ » . ثم قال : غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وليس إسنادُه بالقوىِّ .

وقد رواه الحافظُ البيهقىُّ[4] ، مِن طريقِ موسى بنِ عُبَيدةَ ، عن أخيه عبدِ اللَّهِ ابنِ عُبَيدةَ ، عن عليٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أكْثَرَ دعاءِ مَن كان قَبْلى ودعائى يومَ عرفةَ ، أن أقولَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ فى بَصَرى نورًا ، وفى سَمْعى نورًا ، وفى قلبى نورًا ، اللهم اشْرَحْ لى صدرى ، ويَسِّرْ لى أمرى ، اللَّهُمَّ إنِّى أعوذُ بك مِن وَسْواسِ الصدرِ وشَتاتِ الأمْرِ ، وشرِّ فتنةِ القبرِ ، وشرِّ ما يَلِجُ فى الليلِ ، وشرِّ ما يَلِجُ فى النهارِ ، وشرِّ ما تَهُبُّ به الرياحُ ، وشرِّ بَوائقِ الدهرِ » . ثم قال : تفرَّد به موسى بنُ عُبَيْدةَ ، وهو ضعيفٌ ، وأخوه عبدُ اللَّهِ لم يُدْرِكْ عليًّا .

وقال الطبرانىُّ فى « مَناسِكِه[5] » : حدَّثنا يحيى بنُ عثمانَ المِصْرِىُّ[6] ، ثنا

---

(١) الترمذى (٣٥٢٠) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٠٢) .

(٢) بعده فى الترمذى : « وإليك مآبى » .

(٣) فى الترمذى : « تجىء » .

(٤) السنن الكبرى ٥/ ١١٧.

(٥) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١١/ ١٧٤، ١٧٥ (١١٤٠٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٥٢: رواه الطبرانى فى الكبير والصغير ... وفيه يحيى بن صالح الابلى - بالباء وبغير همزة وهو الأيلى وانظر ما يأتى فى الصفحة القادمة حاشية (١) - قال العقيلى : روى عنه يحيى بن بكير مناكير . وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٦) فى م ، ص : « النصرى » . وهو تحريف . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٦٢.

يحيى بنُ بُكَيرٍ ، ثنا يحيى بنُ صالحٍ الأَيْلِيُّ[1] ، عن إسماعيلَ بنِ أميةَ ، عن عطاءِ ابنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان فيما دعا به رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجَّةِ الوداعِ : « اللَّهُمَّ إنَّك تَسْمَعُ كلامى ، وتَرَى مكانى ، وتَعْلَمُ سِرِّى وعَلانِيَتى ، ولا يَخْفَى عليك شىءٌ مِن أمرى ، أنا البائسُ الفقيرُ ، المُسْتَغِيثُ المُسْتَجِيرُ ، الوَجِلُ المُشْفِقُ ، المُقِرُّ المُعْتَرِفُ بذنبِه ، أسْأَلُك مسألةَ المسكينِ[2] ، وأبْتَهِلُ إليك ابْتِهالَ المُذْنِبِ[3] الذَّليلِ ، وأدْعُوك دعاءَ الخائفِ الضَّريرِ ؛ مَن خَضَعَتْ لك رقبتُه ، وفاضتْ لك عَبْرتُه[4] ، وذَلَّ لك جسدُه ، ورغِم لك أنفُه ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنى بدعائِك ربِّ[5] شَقِيًّا ، وكن بى رءوفًا رحيمًا ، يا خيرَ المسئولين ويا خيرَ المُعْطِين » .

[٣/٣٠٣و] وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا عبدُ الملكِ ، ثنا عطاءٌ قال : قال أسامةُ بنُ زيدٍ : كنتُ رَدِيفَ النبىِّ ﷺ بعرفاتٍ ، فرفَع يديْه يَدْعو ، فمالتْ به ناقتُه فسَقَط خِطامُها . قال : فتَناوَل الخِطامَ بإحدى يديْه وهو رافعٌ يدَه الأخرى . وهكذا رَواه النسائىُّ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن هُشَيْمٍ به[7] .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[8] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المعجم الكبير : « الابلى » ، وهو تصحيف . وانظر الضعفاء ٤/ ٤٠٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٨٦، والإكمال ١/ ١٢٨.

(٢) فى المعجم الكبير : « المستكين » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى المعجم الكبير : « عيناه » .

(٥) زيادة من النسخ ليست فى المعجم الكبير .

(٦) المسند ٥/ ٢٠٩.

(٧) سقط من : ا ٤، م ، ص . والحديث فى النسائى (٣٠١١) . صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائى ٢٨١٧) .

(٨) السنن الكبرى ٥/ ١١٧.

يعقوبَ ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ ، ثنا عبدُ المجيدِ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن حُسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ الهاشميِّ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعو بعرفةَ يداه إلى صدرِه كاسْتِطْعامِ المسكينِ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ فى « مسندِه »[1] : حدَّثنا عبدُ القاهرِ بنُ السَّرِيِّ ، حدثنى ابنٌ لكِنَانةَ[2] بنِ العباسِ بنِ مِرْداسٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عباسِ بنِ مِرْداسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا عَشِيَّةَ عرفةَ لأُمَّتِه بالمغفرةِ والرحمةِ ، فأكْثَر الدعاءَ ، فأوْحَى اللَّهُ إليه : إنِّى قد فَعَلْتُ ، إلَّا ظُلْمَ بعضِهم بعضًا ، وأمَّا ذنوبُهم فيما بينى وبينَهم ، فقد غَفَرْتُها . فقال : « ياربِّ ، إنَّك قادرٌ على أن تُثِيبَ هذا المظلومَ خيرًا مِن مَظْلِمَتِه ، وتَغْفِرَ لهذا الظالمِ » . فلم يُجِبْه تلك العَشِيَّةَ ، فلمَّا كان غَداةُ المُزْدَلِفَةِ أعاد الدعاءَ ، فأجابه اللَّهُ تعالى : إنِّى قد غَفَرْتُ لهم . فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال له بعضُ أصحابِه : يا رسولَ اللَّهِ ، تَبَسَّمْتَ فى ساعةٍ لم تكنْ تَبَسَّمُ فيها . قال : « تَبَسَّمْتُ مِن عدوِّ اللَّهِ إبليسَ ؛ إنَّه لمَّا علِم أنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، قد اسْتَجاب لى فى أُمَّتى ، أهْوَى يَدْعو بالوَيْلِ والثُّبُورِ ، ويَحْثو الترابَ على رأسِه » . ورَواه أبو داودَ السِّجِسْتانيُّ فى « سننِه » عن عيسى بنِ إبراهيمَ البِرَكيِّ وأبى الوليدِ الطَّيالِسيِّ ، كلاهما عن عبدِ القاهرِ بنِ السَّرِيِّ ، عن ابنِ كنانةَ بنِ

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من مسند أبى داود الطيالسى ، المطبوع والمخطوط ، وقد أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/١١٨ ، وفى شعب الإيمان (٣٤٦) ، من طريق الطيالسى به . وقال البيهقى ، رحمه اللَّه : وهذا الحديث له شواهد كثيرة ، وقد ذكرناها فى كتاب « البعث » ، فإن صح بشواهده ففيه الحجة ، وإن لم يصح فقد قال اللَّه ، عز وجل : ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ . شعب الإيمان ١/ ٣٠٥، وانظر البعث والنشور ص ٣٦ - ٥٧.

(٢) فى م : « كنانة » . وابن كنانة هو عبد اللَّه بن كنانة بن العباس بن مرداس . وسيأتى مصرحا باسمه فى رواية ابن ماجه . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٧٨.

عباسِ بنِ مِرْداسٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه مُخْتَصَرًا[1] . ورواه ابنُ ماجه ، عن أيوبَ ابنِ محمدٍ الهاشِمِيِّ ، عن[2] عبدِ القاهرِ بنِ السَّرِيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كِنانةَ بنِ عباسٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه به مطولًا[3] . ورواه ابنُ جريرٍ فى « تفسيرِه »[4] عن إسماعيلَ بنِ سيفٍ العِجْلِيِّ ، عن عبدِ القاهرِ بنِ السَّرِيِّ ، عن ابنِ لكنانةَ[5] [6]ويُكنى أبا كنانةَ[6] ، عن أبيه ، عن جدِّه العباسِ بنِ مِرْداسٍ ، فذكَره .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ الطبرانيُّ[7] : ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الدَّبَرِيُّ ، ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا معمرٌ ، عمن سَمِع قَتادةَ يقولُ : ثنا خلاسُ[8] بنُ عمرٍو ، عن عُبادةَ بنِ الصامتِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ عرفةَ : « أيُّها الناسُ ، [٣/٣٠٣ظ] إنَّ اللَّهَ تَطَوَّل عليكم فى هذا اليومِ ، فغَفَر لكم ، إلَّا التَّبِعاتِ فيما بينَكم ، ووَهَب مُسيئَكم لمُحْسِنِكم ، وأعْطَى مُحْسِنَكم ما سَأَل ، فادْفَعوا بسمِ اللَّهِ » . فلمَّا كان[9] بجَمْعٍ قال : « إنَّ اللَّهَ قد غفَر لصالِحِيكم ، وشفَّع صالِحِيكم[10] فى طالِحِيكم ،

---

(١) أبو داود (٥٢٣٤) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١١٢١) .

(٢) فى م : « بن » . وفى ص : « من » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٨٩.

(٣) ابن ماجه (٣٠١٣) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٦٥١) .

(٤) تفسير الطبرى ٢/ ٢٩٤.

(٥) فى م : « كنانة » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « يقال له : أبو لبابة » . والمثبت من تفسير الطبرى . وانظر تفسير الطبرى بتحقيق أحمد ومحمود شاكر ٤/ ١٩٢، ١٩٣.

(٧) ذكره الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٥٦، ٢٥٧، وعزاه للطبرانى فى الكبير؛ قال : وفيه راوٍ لم يُسمَّ ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

والحديث من مسند عبادة بن الصامت وهو ساقط من المعجم الكبير .

(٨) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م : « جلاس » . وفى ص : « حلاس » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٦٤.

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « كانوا » .

(١٠) فى م : « لصالحيكم » .

تَنْزِلُ الرحمةُ فتَعُمُّهم ، ثُم تُفَرَّقُ الرحمةُ[1] فى الأرضِ ، فتَقَعُ على كلِّ تائبٍ مِمَّن حَفِظ لسانَه ويدَه ، وإبليسُ وجنودُه على جبالِ[2] عرفاتٍ يَنْظُرون ما يَصْنَعُ اللَّهُ بهم ، فإذا نَزَلَتِ الرحمةُ[1] دعا هو وجنودُه بالوَيْلِ والثُّبورِ[3] ، يقولُ[4] : كنتُ أَسْتَفِزُّهم حُقُبًا مِن الدهرِ ، فجاءَتِ[5] المغفرةُ فغَشِيَتْهم . فيَتَفَرَّقون يَدْعون بالوَيْلِ والثُّبورِ » .

ذِكْرُ ما نَزَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الوحيِ المُنِيفِ[6] فى هذا الموقفِ الشريفِ[6]

قال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا جعفرُ بنُ عَوْنٍ ، ثنا أبو العُمَيْسِ ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ قال : جاء رجلٌ مِن اليهودِ إلى عمرَ بنِ الخطابِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّكم تَقْرءُون آيةً فى كتابِكم ، لو علينا معشرَ اليهودِ نَزَلَتْ ؛ لَاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيدًا . قال : وأىُّ آيةٍ هى ؟ قال : قولُه تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . فقال عمرُ : واللَّهِ إنى لأَعْلَمُ اليومَ الذى نزَلت على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والساعةَ التى نزَلت فيها على رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ نَزَلَتْ عشيةَ عرفةَ فى يومِ

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المجمع : « المغفرة » .
(٢) كذا فى النسخ . وفى المجمع : « جبل » .
(٣) زيادة من النسخ ليست فى المجمع .
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٦) سقط من : م .
(٧) المسند ١/ ٢٨ . (إسناده صحيح) .

جُمُعةٍ . ورواه البخاريُّ ، عن الحسنِ بنِ الصَّبَّاحِ ، عن جعفرِ بنِ عَوْنٍ[1] ، وأخرجَه أيضًا ، ومسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ ، مِن طرقٍ ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ به[2] .

---

(١) البخارى (٤٥) .

(٢) البخارى (٤٤٠٧، ٤٦٠٦، ٧٢٦٨)، ومسلم (٣٠١٧)، والترمذى (٣٠٤٣)، والنسائى (٣٠٠٢) .

ذكرُ إفاضتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، مِن عرفاتٍ إلى المَشْعَرِ الحَرامِ

قال جابرٌ فى حديثِه الطويلِ: فلم يَزَلْ واقفًا حتى غَرَبتِ الشمسُ، وذَهَبتِ الصُّفْرةُ قليلًا[1] حين غاب القُرْصُ، فأرْدَف أسامةَ خلفَه، ودَفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد شَنَق[2] للقصواءِ الزِّمامَ حتى إن رأسَها لَيُصيبُ مَوْرِكَ رَحْلِه[3]، ويقولُ بيدِه اليمنى: «أيُّها الناسُ، السَّكِينَةَ السكينةَ». كلما أتى [4]حَبْلًا مِن الحبالِ[4] أرْخَى لها قليلًا حتى تصْعَدَ، حتى أتَى المُزْدَلِفةَ، فصَلَّى بها المغربَ والعشاءَ بأذانٍ واحدٍ[5] وإقامتَيْن، ولم يُسَبِّحْ بينَهما شيئًا. رَواه مسلمٌ.

وقال البخاريُّ[6]: بابُ السَّيْرِ إذا دفَع مِن عرفةَ. حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ، أنبأنا مالكٌ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه قال: سُئِل أسامةُ وأنا جالسٌ: كيف كان النبيُّ ﷺ يسيرُ فى حَجةِ الوداعِ حينَ دفَع؟ قال: كان يَسِيرُ العَنَقَ[7]، فإذا وجَد فَجْوَةً نَصَّ. قال هشامٌ: والنَّصُّ فوقَ العَنَقِ. ورواه الإمامُ أحمدُ [٣/ ٣٠٤و]

---

(١) بعده فى الأصل، م: «قليلًا».

(٢) بعده فى م، ص: «ناقته».

(٣) فى م: «رجله».

(٤ - ٤) فى م، ص: «جبلًا من الجبال». والحبل: المستطيل من الرمل. وقيل: الضخم منه، وجمعه حبال. وقيل: الحبال فى الرمل كالجبال فى غير الرمل. النهاية ١/ ٣٣٣.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٦) فتح البارى ٣/ ٥١٨. حديث (١٦٦٦).

(٧) العنق بفتح المهملة والنون: هو السير الذى بين الإبطاء والإسراع. الفتح ٣/ ٥١٨.

وبقيةُ الجماعةِ إلَّا الترمذىَّ مِن طرقٍ عِدَّةٍ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن أسامةَ بنِ زيدٍ به[1].

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: ثنا يعقوبُ، ثنا أبى، عن ابنِ إسحاقَ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن أسامةَ بنِ زيدٍ قال: كنتُ رَدِيفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عَشِيةَ عرفةَ. قال: فلما وَقَعَتِ الشمسُ دفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ، فلما سَمِع حَطْمةَ الناسِ[3] خلفَه قال: «رُوَيْدًا أيُّها الناسُ، عليكم السَّكِينةَ، إن البِرَّ ليس بالإيضاعِ[4]». قال: فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا الْتَحَم عليه الناسُ أعْنَق، وإذا وجَد فُرْجَةً نَصَّ[5]، حتى أتَى المُزْدَلِفَةَ [6]فنَزَل بها[6] فجمَع بينَ الصلاتَيْن؛ المغربِ والعشاءِ الآخِرةِ. ثُم رَواه الإمامُ أحمدُ مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى إبراهيمُ بنُ عُقْبةَ، عن كُرَيْبٍ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، فذَكَر مثلَه[7].

وقال الإمامُ أحمدُ[8]: ثنا أبو كاملٍ، ثنا حمادٌ، عن قيسِ بنِ سعدٍ، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ قال: أفاض رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عرفةَ وأنا رَديفُه، فجعَل يَكْبَحُ راحلتَه حتى إنَّ ذِفْراها لَتكادُ تُصيبُ قادمةَ الرَّحْلِ[9]،

---

(١) المسند ٥/ ٢٠٥، ٢١٠، ومسلم (٢٨٣، ٢٨٤/ ١٢٨٦)، وأبو داود (١٩٢٣)، والنسائى (٣٠٢٣)، وابن ماجه (٣٠١٧).

(٢) المسند ٥/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) حطمة الناس: أى ازدحامهم وسوقهم الإبل بشدة. بلوغ الأمانى ١٢/ ١٣٥.

(٤) الإيضاع: هو السير السريع، ويقال: هو سير مثل الخبب. المصدر السابق.

(٥) بعده فى المسند: «حتى مر بالشعب الذى يزعم كثير من الناس أنه صلى فيه فنزل به فبال - ما يقول: أهراق الماء. كما يقولون - ثم جئته بالإداوة فتوضأ. ثم قال: قلت: الصلاة يا رسول اللَّه. قال: فقال: «الصلاة أمامك». قال: فركب رسول اللَّه ﷺ، وما صلى».

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من المسند.

(٧) المسند ٥/ ٢٠٢.

(٨) المسند ٥/ ٢٠٧.

(٩) فى ص: «الرجل». وقادمة الرحل: أى الخشبة التى فى مقدمته. جامع الأصول لابن الأثير ٣/ ٢٥٦.

ويقولُ : « يا أيها الناسُ ، عليكم السكينةَ والوَقارَ ، فإن البِرَّ ليس فى إيضاعِ الإبلِ » . وكذا رواه ، عن عفانَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ به ، ورواه النسائىُّ مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ به[1] . ورواه مسلمٌ ، عن زهيرِ بنِ حربٍ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أسامةَ بنحوِه[2] . قال : وقال أسامةُ : فمازال يَسيرُ على هِينتِه[3] حتى أتَى جَمْعًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا أحمدُ[5] بنُ الحجاجِ ، ثنا ابنُ أبى فُدَيْكٍ ، عن ابنِ أبى ذئبٍ ، عن شعبةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، أنه أردَفه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ عرفةَ حتى دخَل الشِّعْبَ ، ثم أَهَراقَ الماءَ[6] وتوضأ ، ثم ركِب ولم يصلِّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا همامٌ ، عن قتادةَ ، عن عَزْرةَ[8] ، عن الشعبىِّ ، عن أسامةَ ، أنه حدثه قال : كنتُ رَديفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أفاض مِن عرفاتٍ ، فلم تَرْفَعْ راحلتُه رجلَها عاديةً حتى بلَغ جَمْعًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : ثنا سفيانُ ، عن إبراهيمَ بنِ عقبةَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن

---

(١) المسند ٥/ ٢٠١، والنسائى (٣٠١٨) .

(٢) مسلم (٢٨٢/ ١٢٨٦) مختصرًا .

(٣) فى الأصل ، م : « هينة » . والمثبت موافق لبعض نسخ مسلم ، وفى معظم نسخ مسلم : « هيئته » ، وكلاهما صحيح المعنى . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٩/ ٣٤. وسار على هينته : أى على عادته فى السكون والرفق . النهاية ٥/ ٢٩٠.

(٤) المسند ٥/ ٢٠٦.

(٥) فى المسند : « أبو أحمد » . وهو خطأ ، فلفظة « أبو » مقحمة ، وانظر تهذيب الكمال ١/ ٢٨٧.

(٦) أهراق الماء : كناية عن البول . أى ؛ بال . انظر بلوغ الأمانى ١٢/ ١٣٦ .

(٧) المسند ٥/ ٢٠٦.

(٨) فى النسخ : « عروة » . والمثبت من المسند ، وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٥١.

(٩) المسند ٥/ ٢٠٠.

ابنِ عباسٍ ، أخبرنى أسامةُ بنُ زيدٍ ، أن النبىَّ ﷺ أرْدَفه مِن عرفةَ ، فلما أتَى الشِّعْبَ نزَل فبال ، ولم يقُلْ : أَهْراقَ الماءَ . فصَبَبْتُ عليه فتوضأ وُضوءًا خفيفًا ، فقلتُ : الصلاةَ . فقال : « الصلاةُ أمامَك » . قال : ثم أتَى المُزْدَلِفَةَ فصلَّى المغربَ ، ثم حلُّوا رِحالَهم ، وأعَنْتُه[1] ثم صلَّى العشاءَ . كذا رواه [٣/ ٣٠٤ظ] الإمامُ أحمدُ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، فذكَره . ورواه النسائىُّ[2] ، عن الحسينِ بنِ حُرَيْثٍ[3] ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن إبراهيمَ بنِ عقبةَ ومحمدِ بنِ أبى حَرْمَلَةَ ، كلاهما عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أسامةَ . قال شيخُنا أبو الحجاجِ المِزِّىُّ فى « أطرافِه »[4] : والصحيحُ كُرَيْبٌ عن أسامةَ .

وقال البخارىُّ[5] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ ، أنبأنا مالكٌ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، أنه سمِعه يقولُ : دفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عرفةَ ، فنزَل الشِّعْبَ فبال ، ثم توضأ فلم يُسْبِغِ الوضوءَ ، فقلتُ له : الصلاةَ . فقال : الصلاةُ أمامَك . فجاء المزدلفةَ فتوضأ فأسْبَغ ، ثم أُقيمت الصلاةُ فصلَّى المغربَ ، ثم أناخ كلُّ إنسانٍ بعيرَه فى منزلِه ، ثم أُقيمت الصلاةُ فصلَّى - العشاءَ - ولم يصلِّ بينهما . وهكذا رواه البخارىُّ أيضًا ، عن القَعْنبىِّ ، ومسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى ، والنسائىُّ عن قتيبةَ ، عن مالكٍ ، عن موسى بنِ عقبةَ به[6] .

---

(١) سقط من : ٤١، م . وفى الأصل : « أحسبه » .

(٢) النسائى (٦٠٨) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٥٩٣) .

(٣) فى الأصل : « حرث » ، وفى ٤١ : « خرنب » ، وفى م : « حرب » ، وفى ص : « حريب » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.

(٤) تحفة الأشراف ١/ ٤٨.

(٥) البخارى (١٦٧٢) .

(٦) البخارى (١٣٩) ، ومسلم (١٢٨٠/٢٧٦) ، والنسائى فى الكبرى (٤٠٢٩) .

وأخْرَجاه مِن حديثِ يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، عن موسى بنِ عقبةَ أيضًا[1].

ورواه مسلمٌ مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ عقبةَ ومحمدِ بنِ عقبةَ، عن كُرَيْبٍ كنحوِ روايةِ أخيهما موسى بنِ عقبةَ عنه[2].

وقال البخاريُّ أيضًا[3]: ثنا قتيبةُ، ثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن محمدِ بنِ أبى حَرْملةَ، عن كُرَيْبٍ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ أنه قال: ردِفْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [4]مِن عرفاتٍ[4]، فلما بلَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ الشِّعْبَ الأيْسَرَ الذى دونَ المزدلفةِ أناخ فبال، ثم جاء فصبَبْتُ عليه الوَضوءَ، فتوضأ وُضوءًا خفيفًا. فقلتُ: الصلاةَ يا رسولَ اللَّهِ. قال: «الصلاةُ أمامَك». فركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ، حتى أتَى المزدلفةَ فصلَّى، ثم ردِف الفضلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ غداةَ جَمْعٍ. قال كُرَيْبٌ[5]: فأخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ، عن الفضلِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَزَلْ يُلَبِّى حتى بلَغ الجَمْرةَ. ورواه مسلمٌ، عن قتيبةَ ويحيى بنِ يحيى ويحيى بنِ أيوبَ وعلىِّ بنِ حُجْرٍ، أربعتُهم عن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ به[6].

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: ثنا وكيعٌ، ثنا عمرُ بنُ ذرٍّ، عن مجاهدٍ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أرْدَفه مِن عرفةَ. قال: فقال الناسُ: سيُخْبِرُنا صاحبُنا ما صنَع. قال: فقال أسامةُ: لمَّا دفَع مِن عرفةَ فوقَف[8]، كفَّ رأسَ راحلتِه، حتى

---

(١) البخارى (١٨١، ١٦٦٧)، ومسلم (٢٧٧/١٢٨٠).

(٢) مسلم (٢٧٩، ٢٨٠/١٢٨٠).

(٣) البخارى (١٦٦٩).

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من البخارى.

(٥) البخارى (١٦٧٠).

(٦) مسلم (١٢٨٠).

(٧) المسند ٥/٢٠٨.

(٨) سقط من: الأصل. وفى المسند: «فوقع».

أصاب رأسُها واسطةَ الرَّحْلِ أو كاد يُصيبُه ، يُشيرُ إلى الناسِ بيدِه : « السكينةَ السكينةَ السكينةَ » . حتى أتَى جَمْعًا ، ثم أرْدَف الفضلَ بنَ عباسٍ ، [٣/ ٣٠٥و] قال : فقال الناسُ : سيُخْبِرُنا صاحبُنا بما صنَع رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال الفضلُ : لم يَزَلْ يَسيرُ سيرًا ليِّنًا كسيرِه بالأمسِ ، حتى أتَى على وادى مُحَسِّرٍ ، فدفَع فيه حتى استوت به الأرضُ .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ سُوَيْدٍ ، حدَّثنى عمرُو بنُ أبى عمرٍو مولى المُطلبِ ، أخبرنى سعيدُ بنُ جبيرٍ مولى والِبةَ الكوفىُّ ، حدثنى ابنُ عباسٍ ، أنه دفَع مع[2] النبىِّ ﷺ يومَ عرفةَ ، فسمِع النبىُّ ﷺ وراءَه زَجْرًا شديدًا ، وضَرْبًا للإبلِ ، فأشار بسَوْطِه إليهم ، وقال : « أيها الناسُ ، عليكم بالسكينةِ ، فإن البِرَّ ليس بالإيضاعِ » . تفرد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ . وقد تقدم روايةُ الإمامِ أحمدَ ومسلمٍ والنسائىِّ هذا مِن طريقِ عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا إسماعيلُ بنُ عمرَ ، ثنا المَسْعودىُّ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لما أفاض رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عرفاتٍ أوْضعَ الناسُ ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ مناديًا ينادى : « أيُّها الناسُ ، ليس البرُّ بإيضاعِ الخيلِ ولا الرِّكابِ » . قال : فما رأيْتُ مِن رافعةٍ يديها عاديةً ، حتى نزَل جمعًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا حسينٌ وأبو نعيمٍ ، قالا : ثنا إسرائيلُ ، عن

---

(١) البخارى (١٦٧١) .

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من البخارى .

(٣) المسند ١/ ٢٥١ . (إسناده صحيح) .

(٤) المسند ١/ ٢٧٣ . (إسناده ضعيف) .

عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ قال : حدَّثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : لم ينْزِلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ بين عرفاتٍ وجمْعٍ إلا ليُهَرِيقَ[1] الماءَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أخبرنا عبدُ الملكِ ، عن أنسِ بنِ سيرينَ قال : كنتُ مع ابنِ عمرَ بعرفاتٍ ، فلما كان حينَ راحَ رُحْتُ معه حتى أتَى[3] الإمامَ ، فصلَّى معه الأولى والعصرَ ، ثم وقَف معه[4] وأنا وأصحابٌ لى ، حتى أفاض الإمامُ فأفَضْنا معه ، حتى انتَهَيْنا إلى المَضيقِ دون المَأْزِمَيْن ، فأناخ وأنَخنا ، ونحن نَحْسَبُ أنه يريدُ أن يصلِّىَ ، فقال غلامُه الذى يُمْسِكُ راحلتَه : إنه ليس يريدُ الصلاةَ ، ولكنه ذكَر أن النبىَّ ﷺ لما انتهى إلى هذا المكانِ قضَى حاجتَه ، فهو يُحِبُّ أن يَقْضِىَ حاجتَه .

وقال البخارىُّ[5] : ثنا موسى ، ثنا جُوَيْرِيَةُ ، عن نافعٍ قال : كان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ يَجْمَعُ بينَ المغربِ والعشاءِ بجَمْعٍ غيرَ أنه يَمُرُّ بالشِّعْبِ الذى أخَذه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيَدْخُلُ فيَنْتَفِضُ ، ويتَوَضَّأُ ولا يصلِّى حتى [6]يجىءَ جَمْعًا[6] . تفرد به البخارىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، مِن هذا الوجهِ .

وقال البخارىُّ[7] : ثنا آدَمُ ، ثنا[8] ابنُ أبى ذئبٍ ، عن الزهرىِّ، عن سالمِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « ليريق » ، وفى ا ٤١ ، م ، ص : « أريق » . والمثبت من المسند .
(٢) المسند ٢/ ١٣١ .
(٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .
(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٥) البخارى (١٦٦٨) .
(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « يصلى بجمع » .
(٧) البخارى (١٦٧٣) .
(٨) سقط من : ا ٤١ ، م ، ص .

عبدِ اللَّهِ، عن [٣/٣٠٥ظ] ابنِ عمرَ قال: جمَع النبيُّ ﷺ المغربَ والعشاءَ بجَمْعٍ، كلُّ واحدةٍ منهما بإقامةٍ، ولم يُسَبِّحْ بينَهما، ولا على إِثْرِ واحدةٍ منهما.

ورواه مسلمٌ[١]، عن يحيى بنِ يحيى، عن مالكٍ، عن الزهريِّ، عن سالمٍ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى المغربَ والعشاءَ بالمزدَلِفةِ جميعًا.

ثم قال مسلمٌ[٢]: حدثنى حَرْمَلَةُ، حدثنى ابنُ وهبٍ، أخبرنى يونُسُ، عن ابنِ شِهابٍ، أن عُبيدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، أخبره أن أباه قال: جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ المغربِ والعشاءِ بجَمْعٍ، ليس بينَهما سَجْدَةٌ، فصلَّى المغربَ ثلاثَ رَكَعاتٍ، وصلَّى العشاءَ ركعتَيْن، فكان عبدُ اللَّهِ يصلِّى بجَمْعٍ كذلك حتى لحِق باللَّهِ.

ثم روى مسلمٌ[٣] مِن حديثِ شعبةَ، عن الحكمِ وسَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ، عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ، أنه صلَّى المغربَ بجَمْعٍ والعشاءَ بإقامةٍ واحدةٍ، ثم حدَّث عن ابنِ عمرَ أنه صلَّى مثلَ ذلك، وحدَّث ابنُ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صنَع مثلَ ذلك. ثم رواه مِن طريقِ الثوريِّ، عن سَلَمةَ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عمرَ[٤] قال: جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ المغربِ والعشاءِ بجَمْعٍ، صلَّى المغربَ ثلاثًا والعشاءَ ركعتَيْن بإقامةٍ واحدةٍ.

ثم قال مسلمٌ[٥]: ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ[٦]، ثنا

---

(١) مسلم (٧٠٣/٢٨٦) باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ...، كتاب الحج.
(٢) مسلم (١٢٨٨/٢٨٧).
(٣) مسلم (٢٨٨، ١٢٨٨/٢٨٩).
(٤) مسلم (١٢٨٨/٢٩٠).
(٥) مسلم (١٢٨٨/٢٩١).
(٦) فى م، ص: «جبير»، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢٢٥.

إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن أبى إسحاقَ قال : قال سعيدُ بنُ جبيرٍ : أفَضْنا مع ابنِ عمرَ حتى أتَيْنا جَمْعًا فصلَّى بنا المغربَ والعشاءَ بإقامةٍ واحدةٍ ، ثم انصرف فقال : هكذا صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى هذا المكانِ .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، ثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنى يحيى ابنُ سعيدٍ ، حدثنى عديُّ بنُ ثابتٍ ، حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ الخَطْمىُّ ، حدثنى أبو أيوبَ[2] الأنصاريُّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جمَع فى حَجةِ الوداعِ المغربَ والعشاءَ بالمزدَلِفةِ . ورواه البخاريُّ أيضًا فى المغازى ، عن القَعْنبىِّ ، عن مالكٍ ، ومسلمٌ مِن حديثِ سليمانَ بنِ بلالٍ والليثِ بنِ سعدٍ ، ثلاثتُهم عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ ، عن عديِّ بنِ ثابتٍ به . ورواه النسائىُّ أيضًا ، عن الفَلَّاسِ ، عن يحيى القَطَّانِ ، عن شعبةَ ، عن عديِّ بنِ ثابتٍ به[3] .

ثم قال البخاريُّ[4] : بابُ مَن أذَّن وأقام لكلِّ واحدةٍ منهما . حدثنا عمرُو بنُ خالدٍ ، ثنا زهيرُ بنُ حربٍ ، ثنا أبو إسحاقَ ، سمِعْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يزيدَ يقولُ : حجَّ عَبدُ اللَّهِ ، فأتَيْنا المزدلفةَ حينَ الأذانِ بالعَتَمةِ أو قريبًا مِن ذلك ، فأمَر رجلًا فأذَّن وأقام ، ثم صلَّى المغربَ وصلَّى بعدَها ركعتَيْن ، ثم دعا بعَشائِه فتَعَشَّى ، [٣/٣٠٦و] ثم أمَر رجلًا فأذَّن وأقام - قال عمرٌو : لا أعلمُ الشَّكَّ إلا مِن زهيرٍ - ثم صلَّى العشاءَ ركعتين ، فلما طلَع الفجرُ قال : إن النبىَّ ﷺ كان لا يصلِّى هذه الساعةَ إلا هذه الصلاةَ فى هذا المكانِ مِن هذا اليومِ . قال عبدُ اللَّهِ : هما صلاتان تُحَوَّلان عن وقتِهما ؛ صلاةُ المغربِ بعدَ ما يأتى الناسُ المزدلفةَ ، والفجرُ حينَ يَبْزُغُ

---

(١) البخارى (١٦٧٤) .

(٢) فى م ، ص : « يزيد » .

(٣) البخارى (٤٤١٤) ، ومسلم (١٢٨٧) ، والنسائى فى الكبرى (٤٠٢٣) .

(٤) فتح البارى ٣/ ٥٢٤، حديث (١٦٧٥) .

الفجرُ . قال : رأيْتُ النبىَّ ﷺ يفعَلُه . وهذا اللفظُ ، وهو قولُه : والفجرُ حينَ يَبْزُغُ الفجرُ . أبْيَنُ وأظهَرُ مِن الحديثِ الآخرِ الذى رواه البخارىُّ[1] ، عن حفصِ ابنِ عمرَ بنِ غِياثٍ ، عن أبيه ، عن الأعمشِ ، عن عُمارةَ ، عن عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : ما رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى صلاةً لغيرِ مِيقاتِها إلا صلاتين ؛ جمَع بينَ المغربِ والعشاءِ ، وصلَّى[2] الفجرَ قبلَ مِيقاتِها . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ أبى معاويةَ وجريرٍ ، عن الأعمشِ به[3] .

وقال جابرٌ فى حديثِه : ثم اضطجع رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى طلَع الفجرُ ، فصلَّى الفجرَ حينَ تَبيَّنَ له الصبحُ بأذانٍ وإقامةٍ . وقد شهِد معه هذه الصلاةَ عروةُ بنُ مُضَرِّسِ بنِ أوسِ بنِ حارثةَ بنِ لامٍ الطائىُّ .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا هُشَيْمٌ ، ثنا ابنُ أبى خالدٍ وزكريا ، عن الشعبىِّ ، أخبرنى عروةُ بنُ مُضَرِّسٍ قال : أتيْتُ النبىَّ ﷺ وهو بجَمْعٍ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جئتُك مِن جَبَلَىْ طَيِّئٍ ، أتْعَبْتُ نفسى وأنْصَبْتُ[5] راحلتى ، واللَّهِ ما ترَكْتُ مِن جبلٍ إلا وقَفْتُ عليه ، فهل لى مِن حَجٍّ ؟ فقال : « مَن شهِد معنا هذه الصلاةَ - يعنى صلاةَ الفجرِ - بجمعٍ ، ووقَف معنا حتى نُفيضَ منه ، وقد أفاض قبلَ ذلك مِن عرفاتٍ ليلًا أو نهارًا ، فقد تم حَجُّه وقضَى تَفَثَه[6] » . وقد رواه الإمامُ أحمدُ أيضًا ، وأهلُ السننِ الأربعةِ مِن طرقٍ ، عن الشعبىِّ ، عن عروةَ بنِ

---

(١) البخارى (١٦٨٢) .

(٢) فى النسخ : « صلاة » . والمثبت من البخارى .

(٣) مسلم (١٢٨٩) .

(٤) المسند ٤/ ١٥ .

(٥) فى النسخ : « أنضيت » . والمثبت من المسند . وهما بمعنى .

(٦) التفث : كل ما يفعله المحرم إذا حل ؛ من الحلق والتقليم والطيب ، ونحو ذلك . جامع الأصول ٣/ ٢٤١ .

مُضَرِّسٍ[1] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

فصلٌ

وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قدَّم طائفةً مِن أهلِه بينَ يديه مِن الليلِ قبلَ حَطْمةِ الناسِ مِن المزدلفةِ إلى منًى .

قال البخارىُّ[2] : بابُ مَن قدَّم ضَعَفَةَ أهلِه بالليلِ فيقِفون بالمزدلفةِ ويدْعون ويُقَدِّمُ إذا غاب القمرُ . حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ ، ثنا الليثُ ، عن يونسَ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : قال سالمٌ : كان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ يقَدِّمُ ضَعَفَةَ أهلِه ، فيقِفون عندَ المَشْعَرِ الحَرامِ بليلٍ ، فيذْكُرون اللَّهَ ما بدا لهم ، ثم يدْفَعون قبلَ أن [٣/٣٠٦ظ] يَقِفَ الإمامُ وقبلَ أن يدْفَعَ ، فمنهم مَن يَقْدَمُ منًى لصلاةِ الفجرِ ، ومنهم مَن يَقْدَمُ بعدَ ذلك ، فإذا قدِموا رمَوُا الجَمْرةَ ، وكان ابنُ عمرَ يقولُ : أرْخَص فى أولئك رسولُ اللَّهِ ﷺ .

حدَّثنا[3] سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن جَمْعٍ بليلٍ .

وقال البخارىُّ[4] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ ، أخبرنى عبيدُ[5] اللَّهِ بنُ

---

(١) المسند ٤/ ١٥، ٢٦١، ٢٦٢، وأبو داود (١٩٥٠)، والترمذى (٨٩١)، والنسائى (٣٠٣٩، ٣٠٤٠)، وابن ماجه (٣٠١٦). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧١٩).

(٢) فتح البارى ٣/ ٥٢٦، حديث (١٦٧٦).

(٣) البخارى (١٦٧٧).

(٤) البخارى (١٦٧٨).

(٥) فى م، ص: «عبد».

أبى يزيدَ ، سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : أنا ممن قدَّم النبىُّ ﷺ [1] ليلةَ المزدلفةِ فى ضَعَفةِ أهلِه .

وروى مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ [2] ، أخبرنى عطاءٌ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بعَث بى رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] مِن جَمْعٍ بسَحَرٍ مع ثَقَلِه [3] .

وقال الإمامُ أحمدُ [4] : [5] ثنا رَوحٌ [5] ، ثنا سفيانُ الثورىُّ ، ثنا سَلَمةُ بنُ كُهَيْلٍ ، عن الحسنِ العُرَنىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قدَّمَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ [6] ؛ أُغَيْلِمةَ بنى عبدِ المطلبِ على حُمُراتِنا [7] فجعَل يَلْطَحُ [8] أفخاذَنا بيدِه ، ويقولُ : « أُبَيْنِىَّ ، لا تَرْموا الجَمْرةَ حتى تطْلُعَ الشمسُ » . [1] قال ابنُ عباسٍ : ما إخالُ أحدًا يَرْمى الجمرةَ حتى تطْلُعَ الشمسُ [1] . وقد رواه أحمدُ أيضًا ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ ، عن سفيانَ الثورىِّ فذكَره [9] . وقد رواه أبو داودَ عن محمدِ بنِ كثيرٍ ، عن الثورىِّ به [10] ، والنسائىُّ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن سفيانَ الثورىِّ به [11] ، وأخرجه ابنُ ماجه عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ وعلىِّ بنِ محمدٍ ، كلاهما عن وكيعٍ ، عن مِسْعَرٍ وسفيانَ الثورىِّ ، كلاهما عن سَلَمةَ بنِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) مسلم (١٢٩٤) .

(٣) الثقل : المتاع ونحوه .

(٤) المسند ١/ ٣١١. (إسناده ضعيف لانقطاعه) .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٤١، م .

(٦) بعده فى المسند : « ليلة المزدلفة » .

(٧) فى ا ٤١ : حمارين . وفى م ، ص : « حراثنا » .

(٨) فى الأصل ، ص : « يلطخ » . واللطح : الضرب بالكف ، وليس بالشديد . النهاية ٤/ ٢٥٠.

(٩) المسند ١/ ٣٤٣. (إسناده ضعيف لانقطاعه) .

(١٠) أبو داود (١٩٤٠). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧١٠) .

(١١) النسائى (٣٠٦٤) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٨٧٠) .

كُهَيْلٍ به[1] .

وقال أحمدُ[2] : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا أبو الأحْوصِ ، عن[3] الأعمشِ ، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبَةَ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : مرَّ بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ النحرِ وعلينا سَوادٌ مِن الليلِ ، فجَعَل يَضْرِبُ أفخاذَنا ويقولُ : « أَبَيْنِيَّ ، أَفِيضوا ولا تَرْموا الجمرةَ حتى تطلُعَ الشمسُ » .

ثم رواه الإمامُ أحمدُ[4] مِن حديثِ المَسْعوديِّ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ضَعَفَةَ أهلِه مِن المزدلفةِ بليلٍ ، فجعَل يُوصيهم ألَّا يَرْمُوا جمرةَ العقبةِ حتى تطلُعَ الشمسُ .

وقال أبو داودَ[5] : ثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ ، ثنا الوليدُ بنُ عقبةَ ، ثنا حمزةُ الزَّيَّاتُ عن[6] حَبيبٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أهلِه بغَلَسٍ ، ويأمُرُهم . يعنى ألَّا يَرْموا الجمرةَ حتى تطلُعَ الشمسُ . وكذا رواه النسائيُّ ، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ ، عن بِشْرِ بنِ السَّرِيِّ ، عن سفيانَ ، عن حَبيبٍ[7] .

قال الطبرانيُّ[8] : وهو ابنُ أبي ثابتٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ . فخرَج حمزةُ الزَّيَّاتُ مِن عُهْدتِه ، وجادَ إسنادُ الحديثِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) ابن ماجه (٣٠٢٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٥١) .
(٢) المسند ١/ ٣٢٦. (إسناده صحيح) .
(٣) فى المسند : « و » . وهو خطأ . انظر أطراف المسند ٣/ ٢٧٣.
(٤) المسند ١/ ٣٢٦، ٣٤٤. (إسناده صحيح) .
(٥) أبو داود (١٩٤١) . صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٧١١) .
(٦) سقط من : ا ٤. وفى م ، ص : « بن » . وهو خطأ .
(٧) النسائى (٣٠٦٥) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٨٧١) .
(٨) المعجم الكبير ١١/١٣٨ (١١٢٨٥) .

[٣٠٧/٣و] وقد قال البخاريُّ[١] : ثنا مُسَدَّدٌ ، عن يحيى ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قال : حدثنى عبدُ اللَّهِ مولى أسماءَ ، عن أسماءَ أنها نزَلت ليلةَ جَمْعٍ عندَ المزدلفةِ ، فقامت تصلِّى ، فصلَّتْ ساعةً ، ثم قالت : يا بُنىَّ ، هل غاب القمرُ ؟ [٢]قلتُ : لا . فصلَّت ساعةً ، ثم قالت : هل غاب القمرُ[٢] ؟ قلتُ : نعم . قالت : فارتَحِلوا . فارْتَحَلْنا فمضَيْنا حتى رمَت الجمرةَ ، ثم رجَعت فصلَّت الصبحَ فى منزلِها ، فقلتُ لها : يا هَنْتَاهُ[٣] ، ما أُرانا إلا قد غَلَّسْنا . فقالت : يا بُنىَّ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أذِن للظُّعُنِ . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ به[٤] . فإن كانت أسماءُ بنتُ الصديقِ رمَت الجِمارَ قبلَ طلوعِ الشمسِ كما ذُكِر هـٰهنا عن توقيفٍ ، فروايتُها مُقَدَّمةٌ على روايةِ ابنِ عباسٍ ؛ لأن إسنادَ حديثِها أصحُّ مِن إسنادِ حديثِه ، اللهم إلا أن يقالَ : إن الغِلْمانَ أخفُّ حالًا مِن النساءِ وأنْشَطُ ، فلهذا أمَر الغِلمانَ بألَّا يَرْموا قبلَ طلوعِ الشمسِ ، وأذِن للظُّعُنِ فى الرَّمْيِ قبلَ طلوعِ الشمسِ ؛ لأنهم أثقلُ حالًا وأبلغُ فى التَّسترِ . واللَّهُ أعلمُ . وإن كانت أسماءُ لم تفعَلْه[٥] عن توقيفٍ ، فحديثُ ابنِ عباسٍ مُقَدَّمٌ على فعلِها ، لكن يُقَوِّى الأولَ قولُ أبى داودَ[٦] : ثنا محمدُ بنُ خَلَّادٍ الباهلىُّ ، ثنا يَحيى ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى عطاءٌ ، أخبرنى مُخْبِرٌ عن أسماءَ أنها رمَت الجمرةَ بليلٍ[٧] . قلتُ : إنا[٨] رمَيْنا الجمرةَ

---

(١) البخارى (١٦٧٩) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) يا هنتاه : أى يا هذه . فتح البارى ٣/ ٥٢٨.

(٤) مسلم (١٢٩١) .

(٥) فى ص : « تفعل » .

(٦) أبو داود (١٩٤٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧١٢) .

(٧) زيادة من النسخ ليست فى سنن أبى داود .

(٨) فى الأصل : « لها » .

بليلٍ ! قالت : إنا كنا نصْنَعُ هذا على عهدِ النبىِّ ﷺ .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أبو نعيمٍ ، ثنا أفْلَحُ بنُ حميدٍ ، عن القاسمِ بنِ[2] محمدٍ ، عن عائشةَ قالت : نزَلْنا المزدلفةَ ، فاستأذَنَتِ النبىَّ ﷺ سَوْدَةُ أن تدْفَعَ قبلَ حَطْمةِ الناسِ ، وكانت امرأةً بطيئةً ، فأذِن لها ، فدفَعت قبلَ حَطْمةِ الناسِ ، وأقمْنا نحن حتى أصْبَحْنا ، ثم دفَعْنا بدَفْعِه ، فلأَن أكونَ استأذَنْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ كما استأذَنَت سَوْدَةُ أحَبُّ إلىَّ مِن مَفْروحٍ به . وأخرجه مسلمٌ ، عن القَعْنَبىِّ ، عن أفْلَحَ بنِ حُمَيْدٍ به[3] . وأخرجاه فى « الصحيحَيْن » مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ به[4] .

وقال أبو داودَ[5] : ثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا ابنُ أبى فُدَيْكٍ ، عن الضَّحَّاكِ - يعنى ابنَ عثمانَ - عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ أنها قالت : أرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بأُمِّ سَلَمةَ ليلةَ النحرِ ، فرمَت الجمرةَ قبلَ الفجرِ ، ثم مضَت فأفاضت ، وكان ذلك اليومَ الذى يكونُ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال أبو داودَ : يعنى عندها . انفرد به أبو داودَ ، وهو إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ ، رجالُه ثِقاتٌ .

---

(١) البخارى (١٦٨١) .

(٢) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ .

(٣) مسلم (٢٩٣/١٢٩٠) .

(٤) البخارى (١٦٨٠) ، ومسلم (٢٩٦/١٢٩٠) .

(٥) أبو داود (١٩٤٢) . انظر الإرواء ٢٧٧/٤ - ٢٧٩ .

ذِكرُ تلبيتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بالمُزْدَلِفةِ

[٣/٣٠٧ظ] قال مسلمٌ[1]: ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ، ثنا أبو الأحْوصِ، عن حُصينٍ، عن كَثيرِ بنِ مُدْرِكٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ قال: قال عبدُ اللَّهِ ونحن بجَمْعٍ: سمِعْتُ الذى أُنْزِلت عليه سورةُ البقرةِ يقولُ فى هذا المَقامِ: «لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ».

---

(١) مسلم (١٢٨٣/٢٦٩).

فصلٌ فى وقوفِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بالمَشْعرِ الحَرامِ، ودَفْعِه مِن المزدلفةِ قبلَ طلوعِ الشمسِ، وإيضاعِه فى وادى مُحَسّرٍ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية. [البقرة: ١٩٨].

وقال جابرٌ فى حديثِه[(١)]: فصلَّى الفجرَ حينَ تبيَّنَ له الصبحُ بأذانٍ وإقامةٍ، ثم ركِب القَصْواءَ حتى أتى المَشْعرَ الحرامَ، فاستقبل القبلةَ، فدعا اللَّهَ، عز وجل، وكبَّره وهلَّله ووحَّده، فلم يَزَلْ واقفًا حتى أسْفَر جدًّا، ودفَع قبلَ أن تطْلُعَ الشمسُ، وأرْدَف الفَضْلَ بنَ عباسٍ وراءَه.

وقال البخاريُّ[(٢)]: ثنا حجاجُ بنُ مِنْهالٍ، ثنا شعبةُ، عن أبى[(٣)] إسحاقَ قال: سمِعْتُ عمرَو بنَ مَيْمونٍ يقولُ: شهِدْتُ عمرَ، رضى اللَّهُ عنه، صلَّى بجَمْعٍ الصبحَ، ثم وقَف فقال: إن المشركين كانوا لا يُفيضون حتى تطْلُعَ الشمسُ، ويقولون: أشْرِقْ ثَبِيرُ. [(٤)]وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفاض قبلَ أن تطْلُعَ الشمسُ[(٤)].

وقال البخاريُّ[(٥)]: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَجاءٍ، ثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن

---

(١) وهو حديث جابر الطويل، وقد تقدَّم تخريجه.

(٢) البخارى (١٦٨٤).

(٣) سقط من: ا ٤. وفى م: «ابن». وهو أبو إسحاق السبيعى، كما ذكر ذلك الحافظ فى الفتح ٣/ ٥٣١.

(٤ - ٤) كذا فى النسخ. وفى البخارى: «وإن النبى ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس».

(٥) البخارى (١٦٨٣).

عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ قال : خرَجْتُ مع عبدِ اللَّهِ ، رضى اللَّهُ عنه ، إلى مكةَ ، ثم قدِمْنا جَمْعًا ، فصلَّى الصلاتين[1] ، كلَّ صلاةٍ وحْدَها بأذانٍ وإقامةٍ ، والعَشَاءُ بينَهما ، ثم صلَّى الفجرَ حينَ طلَع الفجرُ . قائلٌ يقولُ : طلَع الفجرُ . وقائلٌ يقولُ : لم يطْلُعِ الفجرُ . ثم قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن هاتين الصلاتين حُوِّلَتا عن وقتِهما فى هذا المكانِ ؛ المغربَ والعِشَاءَ[2] ، فلا يَقْدَمُ الناسُ جَمْعًا حتى يُعْتِموا[3] ، وصلاةَ الفجرِ هذه الساعةَ » . ثم وقَف حتى أسْفَر ، ثم قال : لو أنَّ أميرَ المؤمنين أفاض الآنَ أصاب السُّنَّةَ . فلا أدرى[4] أقَولُه كان أسرعَ أو دَفْعُ عثمانَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، فلم يزَلْ يلبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ يومَ النحرِ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[5] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ ابنُ يَعْقوبَ الشَّيْبانىُّ ، ثنا يحيى بنُ محمدِ بنِ يحيى ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ المُبارَكِ العَيْشىُّ[6] ، ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن محمدِ بنِ قيسِ بنِ مَخْرَمةَ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، قال : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بعرفةَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : « أما بعدُ ، فإنَّ أهلَ الشركِ والأوثانِ كانوا يَدْفَعون مِن هـٰهنا عندَ غروبِ الشمسِ ، حتى تكونَ الشمسُ على رءوسِ

---

(١) فى النسخ : « صلاتين » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « يقيموا » . ويعتموا : أى يدخلوا فى العتمة وهو وقت العشاء الآخرة . فتح البارى ٣/ ٥٣١.

(٤) فلا أدرى : هو كلام عبد الرحمن بن يزيد الراوى عن عبد اللَّه بن مسعود ، وأخطأ من قال : إنه كلام ابن مسعود . والمراد أن السُّنَّة الدفع من المشعر الحرام عند الإسفار قبل طلوع الشمس ، خلافًا لما كان عليه أهل الجاهلية . والمقصود بأمير المؤمنين : عثمان بن عفان . انظر فتح البارى ٣/ ٥٣١.

(٥) السنن الكبرى ٥/ ١٢٥.

(٦) فى الأصل ، ص غير منقوطة . وفى ا ٤، م : « العبسى » . وفى السنن الكبرى : « العنسى » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٨٢.

الجبالِ مثلَ عَمائمِ الرجالِ على رءوسِها ، [٣/٣٠٨و] هدْيُنا مُخالفٌ هدْيَهم ، وكانوا يدْفَعون مِن المَشْعَرِ الحَرامِ عندَ طلوعِ الشمسِ على رءوسِ الجبالِ مثلَ عمائمِ الرجالِ على رءوسِها ، هَدْيُنا مُخالفٌ لهَدْيِهم » . قال[١] : ورواه عبدُ اللَّهِ ابنُ إدريسَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن محمدِ بنِ قيسِ بنِ مَخْرَمةَ مرسلًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[٢] : ثنا أبو خالدٍ سليمانُ بنُ حَيَّانَ قال[٣] : سمِعْتُ الأعمشَ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفاض مِن المزدلفةِ قبلَ طلوعِ الشمسِ .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا زُهيرُ بنُ حربٍ ، ثنا وهبُ بنُ جَريرٍ ، ثنا أبى ، عن يونُسَ الأَيْلِيِّ ، عن الزهريِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن[٥] ابنِ عباسٍ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، أن أسامةَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، كان رِدْفَ النبيِّ ﷺ مِن عَرَفَةَ إلى المزدلفةِ ، ثم أرْدَف الفضلَ مِن المزدلفةِ إلى مِنًى . قال : فكلاهما قال : لم يَزَلِ النبيُّ ﷺ يلبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ . ورواه ابنُ جُرَيْجٍ[٦] ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ .

ورَوى مسلمٌ[٧] مِن حديثِ الليثِ بنِ سعدٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن أبى مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن الفضلِ بنِ عباسٍ ، وكان رَديفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه قال فى عَشِيَّةِ عرفةَ وغَداةِ جَمْعٍ للناسِ حينَ دفَعوا : « عليكم بالسكينةِ » . وهو كافٌّ

---

(١) أى الحافظ البيهقى . السنن الكبرى ٥/ ١٢٥.

(٢) المسند ١/ ٢٣١. (إسناده صحيح) .

(٣) زيادة من المسند .

(٤) البخارى (١٦٨٦، ١٦٨٧) .

(٥) سقط من : ٤١، م، ص .

(٦) أخرجه البخارى (١٦٨٥) من طريق ابن جريج به .

(٧) مسلم (١٢٨٢/٢٦٨) .

ناقتَه ، حتى دخَل مُحَسِّرًا ، وهو مِن مِنًى قال : « عليكم بحَصَى الخَذْفِ[1] الذى يُرْمَى به الجمرةُ » . قال : ولم يَزَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يلبِّى حتى رمَى الجمرةَ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[2] : بابُ الإيضاعِ فى وادى مُحَسِّرٍ . أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنى أبو عمرٍو المُقْرِئُ وأبو بكرٍ الوَرَّاقُ ، قالا[3] : أنبأنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، ثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ وأبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، قالا : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ فى حجِّ النبىِّ ﷺ ، قال : حتى إذا أتى مُحَسِّرًا حرَّك قليلًا . رواه مسلمٌ فى « الصحيحِ » عن أبى بكرِ بنِ أبى[3] شيبةَ[4] .

ثم روى البيهقىُّ[2] مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : أفاض رسولُ اللَّهِ ﷺ وعليه السكينةُ ، وأمَرهم بالسكينةِ ، وأوْضَع فى وادى مُحَسِّرٍ ، وأمَرهم أن يَرْموا الجِمارَ مثلَ حَصَى الخَذْفِ ، وقال : « خذوا عنى مَناسكَكم ، لعلِّى لا أراكم بعدَ عامى هذا » .

ثم رَوى البيهقىُّ[5] مِن حديثِ الثورىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ، عن زيدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أبى رافعٍ ، عن علىٍّ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفاض مِن جَمْعٍ ، حتى أتَى مُحَسِّرًا ففزَّع[6] ناقتَه ، حتى جاوز

---

(١) حصى الخذف : قال العلماء : هو نحو حبة الباقِلّاء . والخذْف : الرَّمْى . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٩/ ٢٧.

(٢) السنن الكبرى ٥/ ١٢٥.

(٣) سقط من : ا ٤١، م ، ص.

(٤) وهو حديث جابر الطويل عند مسلم ، وقد تقدمت الإشارة إليه مرارًا .

(٥) السنن الكبرى ٥/ ١٢٥، ١٢٦.

(٦) فى ا ٤١ : « فزع » . وفى م ، ص : « فقرع » . وهو لفظ رواية أحمد التى سيسوقها المصنف فيما يأتى .

الوادىَ فوقَف ، ثم أرْدَف الفضلَ ، ثم أتَى الجمرةَ فرماها . هكذا [٣/ ٣٠٨ظ] رواه مختصرًا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : ثنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزبيرىُّ ، ثنا سفيانُ ، عن[(٢)] عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ عَيَّاشِ بنِ أبى رَبيعةَ ، عن زيدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أبى رافعٍ ، عن علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : وقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ بعرفةَ فقال[(٣)] : « هذا المَوْقِفُ ، وعرفةُ كلُّها مَوْقفٌ » . وأفاض حينَ غابتِ الشمسُ ، وأردف أسامةَ ، فجعَل يُعْنِقُ على بعيرِه ، والناسُ يَضْرِبون يمينًا وشِمالًا ، يَلْتَفِتُ[(٤)] إليهم ويقولُ : « السكينةَ أيُّها الناسُ » . ثم أتَى جَمْعًا ، فصلَّى بهم الصلاتَيْن ؛ المغربَ والعشاءَ ، ثم بات حتى أصْبَح ، ثم أتَى قُزَحَ ، فوقَف على قُزَحَ ، فقال : « هذا الموقفُ ، وجمعٌ كلُّها موقفٌ » . ثم سار حتى أتَى مُحَسِّرًا فوقَف عليه ، فقرَع دابتَه[(٥)] ، فخبَّت حتى جاز الوادىَ ثم حبَسها ، ثم أرْدَف الفضلَ ، وسار حتى أتَى الجمرةَ فرماها ، ثم أتَى المَنْحَرَ . فقال : « هذا المَنْحَرُ ، ومِنًى كلُّها مَنْحَرٌ » . قال : واستَفْتَتْه جاريةٌ شابَّةٌ مِن خَثْعَمٍ ،

---

(١) المسند ١/ ٧٥، ٧٦. (إسناده صحيح).

(٢) فى م، ص: « بن ». وهو خطأ.

(٣) بعدها فى الأصل، م: « إن ».

(٤) فى النسخ: « لا يلتفت ». والمثبت من المسند. وما فى النسخ هو لفظ رواية أحمد فى المسند ١/ ١٥٦، ١٥٧ من طريق يحيى بن آدم عن سفيان به، وكذا لفظ رواية أبى داود (١٩٢٢) من طريق أحمد بن حنبل السابقة. قال الشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٦٩١): حسن دون قوله: « لا يلتفت ». والمحفوظ: « يلتفت ».

(٥) كذا فى النسخ. وفى المسند: « ناقته ». وقرع دابته: ضربها بسوطه. انظر النهاية ٤/ ٤٣.

فقالت : إن أبى شيخٌ كبيرٌ قد أفْنَد[1] ، وقد أدْرَكَتْه فريضةُ اللَّهِ فى الحجِّ ، فهل يُجْزِئُ عنه أن أُؤدِّىَ عنه ؟ قال : « نعم ، فأدِّى عن أبيكِ » . قال : ولوَى عنقَ الفضلِ ، فقال له العباسُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لمَ لوَيْتَ عنقَ ابنِ عمِّك ؟ قال : « رأيْتُ شابًّا وشابَّةً فلم آمَنِ الشيطانَ عليهما » . قال : ثم جاءه رجلٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، حلَقْتُ قبلَ أن أنْحَرَ . قال : « انْحَرْ ولا حَرَجَ » . ثم أتاه آخرُ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أفَضْتُ قبلَ أن أحْلِقَ . قال : « احْلِقْ أو قَصِّرْ ولا حَرَجَ » . ثم أتَى البيتَ فطاف ، ثم أتَى زَمْزمَ ، فقال : « يا بنى عبدِ المطلبِ ، سِقايتَكم ، ولولا أن يَغْلِبَكمُ الناسُ عليها لَنَزَعْتُ بها[2] » . وقد رواه أبو داودَ ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، ورواه الترمذيُّ ، عن بُنْدارٍ ، عن أبى أحمدَ الزبيريِّ ، وابنُ ماجه ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، عن يحيى بنِ آدمَ[3] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ ، لا نَعْرِفُه مِن حديثِ علىٍّ إلا مِن هذا الوجهِ . قلتُ : وله شواهدُ مِن وجوهٍ صحيحةٍ مُخَرَّجةٍ فى الصحاحِ وغيرِها ، فمِن ذلك قصةُ الخَثْعَمِيَّةِ ، وهو فى « الصحيحَيْن » مِن طريقِ الفضلِ[4] ، وتقدَّمت فى حديثِ جابرٍ ، وسنذكُرُ مِن ذلك ما تيَسَّر .

وقد حكَى البيهقىُّ[5] بإسنادِه ، عن ابنِ عباسٍ أنه أنكر الإسْراعَ فى وادى

---

(١) أفند : من الفَنَد ، والفند فى الأصل : الكذب . وأفند : تكلَّم بالفند . ثم قالوا للشيخ إذا هَرِم : قد أفند . لأنه يتكلم بالمُحرَّف من الكلام عن سَنَن الصحة . انظر النهاية ٣/ ٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) فى م : « معكم » .

(٣) أبو داود (١٩٢٢، ١٩٣٥) ، والترمذى (٨٨٥) ، وابن ماجه (٣٠١٠) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٧٠٢) .

(٤) البخارى (١٥١٣) ، ومسلم (١٣٣٥) .

(٥) السنن الكبرى ٥/ ١٢٦، ١٢٧.

مُحَسِّرٍ ، وقال : إنما كان ذلك مِن الأعرابِ . قال[1] : والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النافى . قلتُ : وفى ثبوتِه عنه نظرٌ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد صحَّ ذلك عن جماعةٍ مِن الصحابةِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] ، [٣/ ٣٠٩و] وصحَّ مِن صَنيعِ الشيخَيْن أبى بكرٍ وعمرَ ، رضىَ اللَّهُ عنهما ، أنهما كانا يفْعَلان ذلك ؛ فرَوى البيهقىُّ[4] ، عن الحاكمِ ، عن النَّجَّادِ وغيرِه ، عن أبى علىٍّ محمدِ ابنِ معاذِ بنِ المُسْتَهِل ، المعروفِ بدُرَّانَ ، عن القَعْنبىِّ ، عن أبيه ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ أن عمرَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، كان يُوضِعُ ويقولُ :

إليك تَعْدو قَلِقًا وَضِينُها[5] مُخالِفٌ دينَ النصارى دينُها

---

(١) القائل هو الحافظ البيهقى .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) انظر ما أخرجه مسلم فى صحيحه (١٢١٨/١٤٧) عن جابر مرفوعًا ، وابن أبى شيبة فى مصنفه ٤/ ٨١ ، عن أسامة بن زيد مرفوعًا ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٢٥، ١٢٦ عن على ، والعباس مرفوعًا .

(٤) السنن الكبرى ٥/ ١٢٦.

(٥) قلقا وضينها : الوضين بطانٌ منسوجٌ بعضه على بعض يُشدُّ به الرحل على البعير ، كالحزام للسرج . أراد أنها قد هُزِلت ودَقَّتْ ؛ للسير عليها . انظر النهاية ٥/ ١٩٩.

ذكرُ رَمْيِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، جمرةَ العَقَبةِ وحدَها يومَ النحرِ، وكيف رماها، ومتى رماها، ومن أىّ موضعٍ رماها، (١)وبكم رماها(١)، وقَطْعِه التلبيةَ حينَ رماها

قد تقدم(٢) مِن حديثِ أسامةَ والفضلِ وغيرِهما مِن الصحابةِ، رضى اللَّهُ عنهم أجمعين، أنه عليه الصلاةُ والسلامُ، لم يزَلْ يُلَبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ.

وقال البيهقىُّ(٣): أنبأنا الإمامُ أبو عثمانَ، أنبأنا أبو طاهرِ بنُ خزيمةَ، أنبأنا جدى - يعنى إمامَ الأئمةِ محمدَ بنَ إسحاقَ بنِ خزيمةَ - ثنا علىُّ بنُ حُجْرٍ، ثنا شَرِيكٌ، عن عامرِ بنِ شَقِيقٍ، عن أبى وائلٍ، عن عبدِ اللَّهِ قال: رمَقْتُ النبىَّ ﷺ، فلم يَزَلْ يلبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ بأوَّلِ حَصاةٍ.

وبه(٤) عن ابنِ خزيمةَ، ثنا عمرُ بنُ حفصٍ الشَّيْبانىُّ، ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ، ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ، عن أبيه، عن علىِّ بنِ الحسينِ، عن ابنِ عباسٍ، عن الفضلِ قال: أفَضْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن عرفاتٍ، فلم يزَلْ يُلَبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ، ثم قطَع التلبيةَ مع آخرِ حصاةٍ. قال البيهقىُّ(٥):

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تقدم صفحة ٦٠٠، ٦٠١.

(٣) السنن الكبرى ٥/ ١٣٧.

(٤) أى أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/١٣٧ بإسناده السابق إلى محمد بن إسحاق بن خزيمة.

(٥) المصدر السابق ٥/ ١٣٧، ١٣٨.

وهذه زيادةٌ غريبةٌ ليست فى الرواياتِ المشهورةِ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن الفضلِ ، وإن كان ابنُ خزيمةَ قد اختارها .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى أبانُ بنُ صالحٍ ، عن عكرمةَ قال : أفَضْتُ مع الحسينِ بنِ علىٍّ ، فما أزالُ أسْمَعُه يُلَبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ ، فلما قذَفها أمْسَك ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقال : رأيْتُ أبى علىَّ بنَ أبى طالبٍ يُلَبِّى حتى رمَى جمرةَ العقبةِ ، وأخبرنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يفْعَلُ ذلك .

وتقدم[2] مِن حديثِ الليثِ ، عن أبى الزبيرِ ، عن أبى مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أخيه الفضلِ ، أن النبىَّ ﷺ أمَر الناسَ فى وادى مُحَسِّرٍ بحصَى الخَذْفِ الذى يُرْمَى به الجمرةُ . رواه مسلمٌ .

وقال أبو العاليةِ[3] ، عن ابنِ عباسٍ : حدَّثنى الفضلُ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ غَداةَ يومِ النحرِ : « هاتِ فالْقُطْ لى حَصًى » . فلقَطْتُ له حَصَياتٍ مثلَ حصَى الخَذْفِ ، فوضَعهن[4] فى يدِه ، فقال : « بأمثالِ هؤلاء ، بأمثالِ هؤلاء ، وإياكم والغُلُوَّ ، فإنما أهْلَك مَن كان قبلَكم الغُلُوُّ فى الدينِ » . رواه البيهقىُّ .

وقال جابرٌ فى حديثِه : حتى أتَى بطنَ مُحَسِّرٍ فحرَّك قليلًا ، ثم سلَك الطريقَ الوسطى التى تخْرُجُ على الجمرةِ الكبرى ، حتى أتَى الجمرةَ[5] فرماها بسبعِ حَصَياتٍ - يُكَبِّرُ مع كلِّ [٣/ ٣٠٩ظ] حَصاةٍ منها[6] - حصَى الخَذْفِ ، رمَى مِن

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٣٨/٥ من طريق محمد بن إسحاق به .

(٢) تقدم فى صفحة ٦٠١ ، ٦٠٢ .

(٣) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٢٧/٥ ، من طريق أبى العالية به .

(٤) كذا فى النسخ . وفى السنن : « فوضعتهن » .

(٥) بعده فى مسلم : « التى عند الشجرة » .

(٦) بعده فى م : « مثل » . وهو لفظ إحدى نسخ مسلم . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٩١ .

بطنِ الوادى . رواه مسلمٌ .

وقال البخاريُّ[1] : وقال جابرٌ ، رضى اللَّهُ عنه : رمَى النبىُّ ﷺ يومَ النحرِ ضُحًى ، ورمَى بعدَ[2] ذلك بعدَ الزَّوالِ .

وهذا الحديثُ الذى علَّقه البخاريُّ أسْنَده مسلمٌ[3] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزبيرِ سمِع جابرًا قال : رمَى رسولُ اللَّهِ ﷺ الجمرةَ يومَ النحرِ ضُحًى ، وأما بعدُ فإذا زالت الشمسُ .

وفى « الصحيحَيْن »[4] مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ يزيدَ قال : رمَى عبدُ اللَّهِ مِن بطنِ الوادى فقلتُ : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، إن ناسًا يَرْمونها مِن فَوقِها . فقال : والذى لا إلهَ غيرُه هذا مَقامُ الذى أُنْزِلَت عليه سورةُ البقرةِ . لفظُ البخاريِّ . وفى لفظٍ له[5] مِن حديثِ شعبةَ ، عن الحكمِ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، أنه أتَى الجمرةَ الكبرى ، فجعَل البيتَ عن يسارِه ، ومِنًى عن يمينِه ، ورمَى بسبعٍ وقال : هكذا رمَى الذى أُنْزِلت عليه سورةُ البقرةِ .

ثم قال البخاريُّ[6] : بابُ مَن رمَى الجِمارَ بسبعٍ يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ . قاله ابنُ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ . وهذا إنما يُعْرَفُ فى حديثِ جابرٍ ، مِن طريقِ جعفرِ بنِ

---

(١) فتح البارى ٣/٥٧٩ . باب رمى الجمار ، من كتاب الحج .

(٢) فى م : « بعدد » .

(٣) مسلم (١٢٩٩/٣١٤) .

(٤) البخارى (١٧٤٧) ، ومسلم (١٢٩٦/٣٠٥) .

(٥) البخارى (١٧٤٨) .

(٦) فتح البارى ٣/ ٥٨٠، ٥٨١. باب رمى الجمار بسبع حصيات ، وباب يكبر مع كل حصاة ، من كتاب الحج .

محمدٍ، عن أبيه، عن جابرٍ - كما تقدم - أنه أتَى الجمرةَ فرَماها بسبعِ حَصَياتٍ - يُكَبِّرُ مع كلِّ حصاةٍ منها - حصَى الخَذْفِ.

وقد رَوى البخاريُّ[1] فى هذه الترجمةِ مِن حديثِ الأعمشِ، عن إبراهيمَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنه رمَى الجمرةَ مِن بطنِ الوادى بسبعِ حَصَياتٍ يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ، ثم قال: مِن هـٰهنا، والذى لا إلهَ غيرُه، قام الذى أُنْزِلت عليه سورةُ البقرةِ.

ورَوى مسلمٌ[2] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ، أخبرنى أبو الزبيرِ، سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قال: رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ رَمَى الجمرةَ بسبعٍ[3] مثلِ حصَى الخَذْفِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا يحيى بنُ زكريا، ثنا حجاجٌ، عن الحكمِ، عن أبى القاسمِ - يعنى مِقْسَمًا - عن ابنِ عباسٍ، أن النبىَّ ﷺ رمَى الجمرةَ جمرةَ العقبةِ يومَ النحرِ راكبًا. ورواه الترمذىُّ، عن أحمدَ بنِ مَنيعٍ، عن يحيى بنِ زكريا بنِ أبى زائدةَ، وقال: حسنٌ. وأخْرجه ابنُ ماجه، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ، عن أبى خالدٍ الأحمرِ، عن الحجاجِ بنِ أرْطاةَ به[5].

وقد روَى أحمدُ وأبو داودَ وابنُ ماجه والبيهقىُّ[6]، مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى[7] زيادٍ، عن سليمانَ بنِ عمرِو بنِ الأحْوصِ، عن أمِّه أمِّ جُنْدُبٍ الأزْديَّةِ

---

(١) البخارى (١٧٥٠).
(٢) مسلم (١٢٩٩/٣١٣).
(٣) زيادة من النسخ ليست فى صحيح مسلم.
(٤) المسند ١/ ٢٣٢. (إسناده صحيح).
(٥) الترمذى (٨٩٩)، وابن ماجه (٣٠٣٤). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٦٠).
(٦) المسند ٥/ ٣٧٩، وأبو داود (١٩٦٦)، وابن ماجه (٣٠٢٨، ٣٠٣١)، والسنن الكبرى ٥/ ١٢٨. حسن (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٩).
(٧) سقط من: م، ص. وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٣٥.

قالت : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِى الجِمارَ مِن بَطْنِ الوادى وهو راكبٌ [٣/ ٣١٠و] يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ ، ورجلٌ مِن خلفِه يَسْتُرُه ، فسأَلْتُ عن الرجلِ ، فقالوا : الفضلُ بنُ عباسٍ . فازدحم الناسُ ، فقال النبىُّ ﷺ : « يا أيُّها الناسُ ، لا يَقْتُلْ بعضُكم بعضًا ، وإذا رمَيْتُم الجمرةَ فارمُوا[1] بمثلِ حصَى الخَذْفِ » . لفظُ أبى داودَ . وفى روايةٍ له[2] قالت : رأيْتُه عندَ جمرةِ العقبةِ راكبًا ، ورأيْتُ بينَ أصابعِه حَجَرًا ، فرمَى ورمَى الناسُ ، ولم يُقِمْ عندَها .

ولابنِ ماجه[3] : قالت : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ النحرِ عندَ جمرةِ العقبةِ وهو راكبٌ على بغلةٍ . وذكَر الحديثَ ، وذِكْرُ البغلةِ هاهنا غريبٌ جدًّا .

وقد رَوَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[4] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزبيرِ ، سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِى الجمرةَ على راحلتِه يومَ النحرِ ويقولُ : « لِتأْخُذوا مناسِكَكم ، فإنى لا أدْرى لعلِّى لا أحُجُّ بعدَ حَجتى هذه » .

ورَوَى مسلمٌ أيضًا[5] مِن حديثِ زيدِ بنِ أبى أُنَيْسةَ ، عن يحيى بنِ الحُصَينِ ، عن جدَّتِه أمِّ الحُصَينِ ، سمِعْتُها تقولُ : حجَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حَجةَ الوداعِ ، فرأيْتُه حينَ رمَى جمرةَ العقبةِ ، وانصرف وهو على راحلتِه يومَ النحرِ[6]

---

(١) فى الأصل ، م : « فارموها » .

(٢) أبو داود (١٩٦٧، ١٩٦٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٣١) .

(٣) ابن ماجه (٣٠٢٨) .

(٤) مسلم (١٢٩٧) .

(٥) مسلم (١٢٩٨/٣١١) .

(٦) بعده فى مسلم : « ومعه بلال وأسامة » .

[1]وهو يقولُ : «لِتأخُذوا مناسِكَكم ، فإنى لا أدرى لعلِّى لا أحُجُّ بعدَ حَجتى هذه»[1] . وفى روايةٍ[2] قالت : حجَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حَجةَ الوداعِ ، فرأيْتُ أسامةَ وبلالًا ، وأحدُهما آخذٌ بخِطامِ ناقةِ النبىِّ ﷺ ، والآخرُ رافعٌ ثوبَه يسْتُرُه مِن الحرِّ ، حتى رمَى جمرةَ العقبةِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزبيرىُّ ، ثنا أيمنُ بنُ نابلٍ[4] ، ثنا قُدامةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الكِلابىُّ ، أنه رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ رمَى الجمْرةَ[5] جمرةَ العقبةِ مِن بطنِ الوادى يومَ النحرِ على ناقةٍ له صَهْباءَ ، لا ضرْبَ ، ولا طَرْدَ ، ولا إليك إليك[6] . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن وكيعٍ ، ومعتمرِ بنِ سليمانَ ، وأبى قُرَّةَ موسى بنِ طارقٍ الزَّبيدىِّ ، ثلاثتُهم عن أيمنَ بنِ نابلٍ[7] به[8] . ورواه أيضًا ، عن أبى قُرَّةَ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن أيمنَ[9] . وأخرجه النسائىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ وكيعٍ به[10] . ورواه الترمذىُّ عن أحمدَ بنِ مَنيعٍ ، عن مَرْوانَ بنِ معاويةَ ، عن أيمنَ بنِ نابلٍ به[11] . وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

(١ - ١) هذه العبارة عند مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر (١٢٩٧) .

(٢) مسلم (١٢٩٨/٣١٢) .

(٣) المسند ٣/ ٤١٣.

(٤) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، ٤١ : «نايل» . وهو تصحيف . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٤٧.

(٥) سقط من : ٤١، م .

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ٥٤٧ حاشية (٤) .

(٧) فى م : «نائل» .

(٨) المسند ٣/ ٤١٢، ٤١٣.

(٩) المسند ٣/ ٤١٣.

(١٠) النسائى (٣٠٦١) ، وابن ماجه (٣٠٣٥) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٨٦٧) .

(١١) الترمذى (٩٠٣) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا نوحُ بنُ مَيْمونٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ - يعنى العُمَرىَّ - عن نافعٍ قال : كان ابنُ عمرَ يَرْمِى جمرةَ العقبةِ على دابَّتِه يومَ النحرِ ، وكان لا يأتى سائرَها بعدَ ذلك إلا ماشيًا ، [2]ذاهِبًا وراجعًا[2] ، وزعَم أن النبىَّ ﷺ كان لا يأتيها إلَّا ماشيًا ، ذاهبًا وراجعًا . [٣/ ٣١٠ظ] ورواه أبو داودَ ، عن القَعْنبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ العُمَرىِّ به[3] .

فصلٌ

قال جابرٌ[4] : ثم انصرف إلى المَنْحَرِ ، فنحَر ثلاثًا وستين بيدِه ، ثم أعْطَى عليًّا فنحَر ما غبَرَ وأشْرَكه فى هديِه ، ثم أمَر مِن كلِّ بدَنةٍ ببَضْعةٍ ، فجُعِلت فى قِدْرٍ ، فطُبِخت فأكَلا مِن لحمِها ، وشرِبا مِن مَرَقِها . وسنتَكَلَّمُ على هذا الحديثِ .

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[5] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأَنا معمرٌ ، عن حُميدٍ الأعْرجِ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مُعاذٍ ، عن رجلٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ قال : خطَب النبىُّ ﷺ الناسَ[6] بمنًى ، ونزَّلهم منازلَهم ، وقال : « لِيَنْزِلِ المهاجرون هـٰهنا » . وأشار إلى مَيْمنةِ القِبلةِ . « والأنصارُ هـٰهنا » . وأشار إلى مَيْسرةِ القِبلةِ . « ثم لْيَنْزِلِ الناسُ حولَهم » . قال : وعلَّمهم مناسِكَهم ،

---

(١) المسند ٢/ ١٣٨. (إسناده صحيح) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) أبو داود (١٩٦٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٣٢) .

(٤) هو حديث جابر الطويل .

(٥) المسند ٤/ ٦١، ٥/ ٣٧٤.

(٦) سقط من : م ، ص .

ففُتِحَت أسماعُ أهلِ مِنًى، حتى سمِعوه فى مَنازِلِهم. قال: فسمِعْتُه يقولُ: «ارمُوا الجمرةَ بمثلِ حصَى الخَذْفِ». وكذا رواه أبو داودَ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ[1] إلى قولِه: «ثم لْيَنْزِلِ الناسُ حولَهم».

وقد رواه الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ، عن أبيه، وأبو داودَ، عن مُسَدَّدٍ، عن عبدِ الوارثِ، وابنُ ماجه مِن حديثِ ابنِ المباركِ، عن عبدِ الوارثِ، عن حميدِ بنِ قيسٍ الأعْرجِ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمِىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مُعاذٍ التَّيْمىِّ[2] قال: خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن بمنًى، ففُتِحت أسماعُنا حتى كأنَّا[3] نسْمَعُ ما يقولُ. الحديثَ.

ذكَر جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أشْرَك علىَّ بنَ أبى طالبٍ فى الهدىِ، وأن جماعةَ الهدىِ الذى قدِم به علىٌّ مِن اليمنِ، والذى جاء به رسولُ اللَّهِ ﷺ، مائةٌ مِن الإبلِ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ نحَر بيدِه الكريمةِ ثلاثًا وستين بدَنةً.

قال ابنُ حِبَّانَ وغيرُه[4]: وذلك مناسبٌ لعُمْرِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، فإنه كان ثلاثًا وستين سنةً.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5]: ثنا يحيى بنُ آدمَ، ثنا زهيرٌ، ثنا محمدُ بنُ

---

(١) أبو داود (١٩٥١). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧١٩).

(٢) المسند ٤/ ٦١، ٥/ ٣٧٤، والنسائى (٢٩٩٦) - لا ابن ماجه كما ذكر المصنف - من حديث ابن المبارك به، وانظر تحفة الأشراف ٧/ ٢١٧. صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٤).

(٣) كذا فى النسخ. وفى أبى داود والنسائى: «كنا».

(٤) الإحسان ٩/ ٢٥٢. وهو قول ابن القيم أيضًا فى زاد المعاد ٢/ ٢٥٩.

(٥) المسند ١/ ٣١٤. (إسناده حسن).

عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : نحَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الحجِّ مائةَ بدَنةٍ ، نحَر منها بيدِه ستين ، وأمَر ببقيَّتِها فنُحِرَت ، وأخَذ مِن كلِّ بدَنةٍ بَضْعةً فجُمِعت فى قِدْرٍ ، فأكَل منها وحَسَا مِن مَرَقِها . قال : ونحَر يومَ الحديبيةِ سبعين فيها جملُ أبى جهلٍ ، فلما صُدَّت عن البيتِ حنَّتْ كما تَحِنُّ إلى أولادِها . وقد روَى ابنُ ماجه بعضَه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ وعلىِّ بنِ محمدٍ ، عن وكيعٍ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن ابنِ أبى ليلى [٣/ ٣١١و] به[(١)] .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : ثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى رجلٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدِ بنِ جَبْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أَهْدَى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حجةِ الوداعِ مائةَ بدَنةٍ ، نحَر منها ثلاثين بدَنةً بيدِه[(٣)] ، ثم أمَر عليًّا فنحَر ما بقِىَ منها ، وقال : « اقسِمْ لحومَها ، وجلودَها وجِلَالَها بينَ الناسِ ، ولا تُعْطِيَنَّ جَزَّارًا منها شيئًا ، وخذْ لنا مِن كلِّ بعيرٍ حِذْيَةً[(٤)] مِن لحمٍ ، واجْعَلْها فى قِدْرٍ واحدةٍ حتى نأكلَ مِن لحمِها ، ونَحْسُوَ مِن مَرَقِها » . ففعَل .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[(٥)] مِن حديثِ مجاهدٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن علىٍّ

---

(١) ابن ماجه (٣١٠٠) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥١٦) .

(٢) المسند ١/ ٢٦٠. (إسناده ضعيف) .

(٣) نحر منها ثلاثين بدنة بيده : أصح منه ما وقع عند مسلم فى حديث جابر الطويل ؛ أن البدن كانت مائة بدنة ، وأن النبى ﷺ نحر منها ثلاثا وستين ، ونحر علىٌّ الباقى ، والجمع بينه وبين رواية ابن إسحاق : أنه ﷺ نحر ثلاثين ، ثم أمر عليًّا فنحر سبعا وثلاثين ، ثم نحر النبى ﷺ ثلاثا وثلاثين ، فإن ساغ هذا الجمع ، وإلا فما فى الصحيح أصح . انظر فتح البارى ٣/ ٥٥٥، ٥٥٦.

(٤) فى ا ٤، م ، ص : « جدية » . والحِذْية : ما قُطع من اللحم طُولًا . انظر النهاية ١/ ٣٥٧.

(٥) البخارى (١٧٠٧، ١٧١٦، ١٧١٦ مكرر، ١٧١٧، ١٧١٨، ٢٢٩٩)، ومسلم (٣٤٨/ ١٣١٧) . واللفظ لمسلم .

قال : أمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن أَقومَ على بُدْنِه ، وأن أتصَدَّقَ بلحومِها وجلودِها وأَجِلَّتِها[1] ، وأن لا أُعْطِيَ الجزَّارَ منها شيئًا ، وقال : « نحن نُعْطِيه مِن عندِنا » .

وقال أبو داودَ[2] : ثنا محمدُ بنُ حاتمٍ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن حَرْمَلةَ بنِ عِمْرانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ الأَزْدىِّ ، سمِعْتُ غَرَفَةَ[3] بنَ الحارثِ الكِنْدىَّ قال : شهِدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[4] وأُتِىَ بالبُدْنِ ، فقال : « ادْعُوا[5] لى أبا حسنٍ » . فدُعِىَ له علىٌّ . فقال له : « خُذْ بأسفلِ الحربةِ » . وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأعلاها ، ثم [6]طعَن بها فى[6] البُدْنِ ، فلما فرَغ ركِب بغلتَه وأرْدَف عليًّا . تفرد به أبو داودَ ، وفى إسنادِه ومتنِه غَرابةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحجاجِ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ ، أنبأنا الحجاجُ بنُ أرْطاةَ ، عن الحكمِ ، عن أبى القاسمِ - يعنى مِقْسَمًا - عن ابنِ عباسٍ قال : رمَى رسولُ اللَّهِ ﷺ جمرةَ العقبةِ ، ثم ذبَح ، ثم حلَق .

[8]وقد ادَّعَى ابنُ حزمٍ أنه ضَحَّى عن نسائِه بالبقرِ ، و[9] أهْدَى عنهنَّ بقرةً ، وضَحَّى هو يومَئذٍ[9] بكَبْشَيْن أمْلَحَيْنِ[10][8] .

---

(١) أجلتها : الأجِلَّة جمع جُل .

(٢) أبو داود (١٧٦٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٣٨٧) .

(٣) سقط من : ٤١ . وفى الأصل ، م : « عرفة » . انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٩٥ .

(٤) بعده فى سنن أبى داود : « فى حجة الوداع » .

(٥) سقط من : ٤١ . وفى م : « ادع » .

(٦ - ٦) سقط من : ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص : « طعنا بها » . والمثبت من سنن أبى داود .

(٧) المسند ١/ ٢٥٠ . (إسناده صحيح) .

(٨ - ٨) سقط من : ٤١ ، ص .

(٩ - ٩) فى م : « أهدى بمنى بقرة ، وضحى هو » .

(١٠) حجة الوداع ص ٢٧ ، ١٠٣ . وعنده بدل « عنهن » : « عمن اعتمر منهن » . فلا وجه هنا =

صفةُ حلقِه رأسَه الكريمَ، عليه من ربِّهِ أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حلَق فى حَجتِه . ورواه النسائيُّ ، عن إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ - هو ابنُ راهَوَيْهِ - عن عبدِ الرزاقِ به[2] .

وقال البخاريُّ[3] : ثنا أبو اليَمانِ ، ثنا شُعَيبٌ قال : قال نافعٌ : كان عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرَ يقولُ : حلَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجتِه . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ موسى ابنِ عقبةَ ، عن نافعٍ به[4] .

وقال البخاريُّ[5] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أسماءَ ، ثنا جُوَيْرِيَةُ بنُ أسماءَ ، عن [٣/ ٣١١ظ] نافعٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال : حلَق رسولُ اللَّهِ ﷺ وطائفةٌ مِن أصحابِه ، وقصَّر بعضُهم .

= للقول بادعاء ابن حزم لما ذكره ؛ فقد ورد كل ذلك فى أحاديث صحاح ؛ انظر البخارى (٥٥٥٨) ، ومسلم (٣٥٦، ٣٥٧/ ١٣١٩، ١٩٦٦) ، وسنن أبى داود (١٧٥٠، ١٧٥١) ، وسنن ابن ماجه (٣١٣٣، ٣١٣٥) .

(١) المسند ٢/ ٣٣، ٨٩. (إسناده صحيح) .

(٢) النسائى فى الكبرى (٤١١٤) .

(٣) البخارى (١٧٢٦) .

(٤) مسلم (١٣٠٤) .

(٥) البخارى (١٧٢٩) .

ورواه مسلمٌ[1] مِن حديثِ الليثِ ، عن نافعٍ به . وزاد[2] : قال عبدُ اللَّهِ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين » . مرةً أو مرتين . قالوا : والمُقَصِّرِين يا رسولَ اللَّهِ . قال : « والمُقَصِّرِين » .

وقال مسلمٌ[3] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا وكيعٌ وأبو داودَ الطَّيالسىُّ ، [4]عن شعبةَ[4] ، عن يحيى بنِ الحُصينِ ، عن جدتِه ، أنها سمِعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ فى حَجةِ الوداعِ دعا للمُحَلِّقِين ثلاثًا وللمُقَصِّرين مرةً . ولم يقُلْ وكيعٌ : فى حَجةِ الوداعِ . وهكذا روَى هذا الحديثَ مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ و[5]عبيدِ اللَّهِ[5] ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ[6] ، وعُمارةَ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى هريرةَ ، والعَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ[7] .

وقال مسلمٌ[8] : ثنا يحيى بنُ يحيى ، ثنا حفصُ بنُ غِيَاثٍ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أتَى منًى ، فأتَى الجمرةَ فرَماها ، ثم أتَى منزلَه بمنًى ونحَر ، ثم قال للحَلَّاقِ : « خُذْ » . وأشار إلى جانبِه الأيمنِ ، ثم الأيسرِ ، ثم جعَل يُعْطِيه الناسَ . وفى روايةٍ له[9] : أنه حلَق شِقَّه

---

(١) مسلم (١٣٠١/٣١٦) .

(٢) هذه الزيادة جاءت موصولة عند مسلم ، فى (١٣٠١/٣١٧) .

(٣) مسلم (١٣٠٣) .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مسلم .

(٥ - ٥) فى م : « عبد الله » .

(٦) مسلم (٣١٧ - ١٣٠١/٣١٩) . ولكن فى حديث مالك عن نافع أنه ﷺ دعا للمحلقين مرتين وللمقصرين مرة .

(٧) مسلم (١٣٠٢/٣٢٠) ، (١٣٠٢/٠٠٠) .

(٨) مسلم (١٣٠٥/٣٢٣) .

(٩) مسلم (١٣٠٥/٣٢٤) .

الأيمنَ ، فقسَمه بينَ الناسِ مِن شعرةٍ وشعرتَيْن ، وأعْطَى شِقَّه الأيسرَ لأبى طلحةَ . وفى روايةٍ له[1] أنه أعطَى الأيمنَ لأبى طلحةَ ، وأعطاه الأيسرَ وأمَره أن يَقْسِمَه بينَ الناسِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ والحلَّاقُ يَحْلِقُه ، وقد أطاف به أصحابُه ؛ ما يُريدون أن تقَعَ شعرةٌ إلا فى يدِ رجلٍ . [3]انفرد به أحمدُ[3] .

فصلٌ

ثم لبِس عليه الصلاةُ والسلامُ ثيابَه وتطَيَّب بعدَ ما رمَى جمرةَ العقبةِ ونحَر هدْيَه ، وقبلَ أن يطوفَ بالبيتِ طيَّبَتْه عائشةُ أمُّ المؤمنين .

قال البخاريُّ[4] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المَدِينىِّ ، ثنا سفيانُ - هو ابنُ عيينةَ - ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ بنِ محمدٍ ، [5]وكان أفْضَلَ أهلِ زمانِه[5] ، أنه سمِع أباه ، وكان أفضلَ أهلِ زمانِه يقولُ أنه سمِع عائشةَ تقولُ : طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بيدَىَّ هاتين حينَ أحْرَم ، ولحِلِّه حينَ أحَلَّ قبلَ أن يَطوفَ[6] . وبسَطَتْ

---

(١) مسلم (٣٢٦/١٣٠٥) .

(٢) المسند ٣/ ١٣٣.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . والحديث أخرجه مسلم (٢٣٢٥) من طريق سليمان بن المغيرة به . وانظر تحفة الأشراف ١/ ١٣٧.

(٤) البخارى (١٧٥٤) .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وهو لفظ إحدى نسخ البخارى ، انظر البخارى طبعة الشعب ٢/ ٢٢٠.

(٦) قوله : « حين أحرم ... حين أحل » أى حين أراد الإحرام ، ولما وقع الإحلال ؛ وإنما كان كذلك لأن الطيب بعد وقوع الإحرام لا يجوز ، والطيب عند إرادة الحل لا يجوز ؛ لأن المحرم ممنوع من الطيب . والله أعلم . انظر فتح البارى ٣/ ٥٨٥.

يدَيْها .

وقال مسلمٌ[1] : ثنا يعقوبُ الدَّوْرقيُّ وأحمدُ بنُ مَنيعٍ ، قالا : ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا منصورٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كنتُ أُطَيِّبُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قبلَ أن يُحْرِمَ[2] ، ويومَ النحرِ قبلَ أن يَطوفَ بالبيتِ [٣/ ٣١٢و] بطِيبٍ فيه مِسْكٌ .

وروَى النسائيُّ[3] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ لحُرْمِهِ حينَ أحْرم ، ولحِلِّه بعدَما رمَى جمرةَ العقبةِ قبلَ أن يطوفَ بالبيتِ .

وقال الشافعيُّ[4] : أنبأنا سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن سالمٍ قال : قالت عائشةُ : أنا طَيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ لحِلِّه وإحْرامِه . ورواه عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن عائشةَ ، فذكَره[5] .

وفى « الصحيحَيْن »[6] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ : أخبرنى عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عروةَ أنه سمِع عروةَ والقاسمَ يُخْبِران عن عائشةَ ، أنها قالت : طيَّبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بيدىَّ بذَرِيرةٍ فى حَجةِ الوداعِ للحِلِّ والإحْرامِ . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ الضَّحَّاكِ بنِ عثمانَ ، عن أبى الرِّجالِ ، عن أمِّه عَمْرةَ ، عن عائشةَ به[7] .

---

(١) مسلم (١١٩١) .

(٢) بعده فى النسخ : « ويحل » . والمثبت من مسلم .

(٣) النسائى (٢٦٨٦) .

(٤) ترتيب مسند الشافعى (٧٧٨) .

(٥) أخرجه النسائى فى الكبرى (٤١٦٦) ، وابن خزيمة فى صحيحه (٢٩٣٩) ، من طريق عبد الرزاق به نحوه .

(٦) البخارى (٥٩٣٠) ، ومسلم (١١٨٩/٣٥) .

(٧) مسلم (١١٨٩/٣٨) بنحوه .

وقال سفيانُ الثوريُّ[1] ، عن سلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن الحسنِ العُرَنيِّ[2] ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال : إذا رمَيْتُم الجمرةَ ، فقد حلَلْتُم مِن كلِّ شيءٍ كان عليكم حَرامًا إلا النساءَ ، حتى تَطوفوا بالبيتِ . فقال رجلٌ : والطيبُ يا أبا العباسِ ؟ فقال له : إنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَضْمُخُ رأسَه بالمسكِ ، أفطِيبٌ هو أم لا ؟ !

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى أبو عُبَيدةَ بنُ[4] عبدِ اللَّهِ بنِ زَمْعةَ ، عن أبيه وأمِّه زينبَ بنتِ أمِّ سَلَمةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : كانت الليلةُ التى يدورُ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ النَّحْرِ ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ عندى ، فدخَل وهبُ بنُ زَمْعةَ ، ورجلٌ مِن آلِ أبى أميَّةَ مُتَقَمِّصَيْن ، فقال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أفَضْتُما ؟ » قالا : لا . قال : « فانزِعا قَمِيصَيْكما[5] » . فنزَعاهما . فقال له وهبٌ : ولِمَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « هذا يومٌ أُرْخِص لكم فيه ، إذا رمَيْتُم الجمرةَ ونحَرْتُم هديًا ، إن كان لكم ، فقد أحَلَلْتُم مِن كلِّ شيءٍ حُرِمْتُم منه إلا النساءَ حتى تطوفوا بالبيتِ ، فإذا أمسَيْتُم[6] ولم تُفيضوا صِرْتُم حُرُمًا كما كنتم أولَ مرةٍ حتى تطوفوا بالبيتِ » . وهكذا رواه أبو داودَ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، ويحيى بنِ مَعينٍ ، كلاهما عن ابنِ أبى عَدِيٍّ ، عن ابنِ إسحاقَ ، فذكَره[7] .

---

(١) أخرجه النسائى (٣٠٨٤) ، وابن ماجه (٣٠٤١) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/١٣٦ - واللفظ له - من طريق الثورى به . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٨٨٩) .

(٢) فى ا ٤: « البصرى » . وفى م ، ص : « العوفى » . وكلاهما خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ١٩٥.

(٣) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٣٦، ١٣٧، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٤) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٥٨.

(٥) فى م ، ص : « قميصكما » .

(٦) فى م ، ص : « رميتم » .

(٧) أبو داود (١٩٩٩) بنحوه . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٦١) . وأخرجه أحمد فى المسند ٦/٢٩٥ ، من طريق ابن أبى عدى به .

وأخرجه البيهقيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن أبى بكرِ بنِ[2] إسحاقَ ، عن أبى المُثَنَّى العَنْبرىِّ ، عن يحيى بنِ مَعينٍ ، وزاد فى آخرِه : قال أبو عُبَيدةَ : وحدَّثَتْنى أمُّ قيسٍ بنتُ مِحْصَنٍ قالت : خرَج مِن عندى عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ فى نفرٍ مِن بنى أسَدٍ مُتَقَمِّصِين عشيَّةَ يومِ النحرِ ، ثم [٣/٣١٢ظ] رجَعوا إلينا عِشاءً وقُمُصُهم على أيديهم يَحْمِلونها . فسألْتُهم فأخبروها بمثلِ ما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لوهبِ بنِ زَمْعَةَ وصاحبِه . وهذا الحديثُ غريبٌ جدًّا ، لا أعْلَمُ أحدًا مِن العلماءِ قال به . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) السنن الكبرى ٥/ ١٣٧.

(٢) بعده فى م ، ص : «أبى» . وهو خطأ . انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٨٣.

ذكرُ إفاضتِه ﷺ إلى البيتِ العَتيقِ

قال جابرٌ: ثم ركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى البيتِ، فصلَّى بمكةَ الظهرَ، فأتَى بنى عبدِ المطلبِ وهم يَسْقون على زمْزَمَ، فقال: «انزِعوا بنى عبدِ المطلبِ، فلولا أن يغْلِبَكم الناسُ على سِقايتِكم لنزَعْتُ معكم». فناوَلوه دَلْوًا فشرِب منه. رواه مسلمٌ. ففى هذا السِّياقِ ما يدُلُّ على أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ركِب إلى مكةَ قبلَ الزَّوالِ، فطاف بالبيتِ، ثم لمَّا فرَغ صلَّى الظهرَ هناك.

وقال مسلمٌ أيضًا[1]: أخبرَنا محمدُ بنُ رافعٍ، أنبأَنا عبدُ الرزاقِ، أنبأنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أفاض يومَ النحرِ، ثم رجَع فصلَّى الظهرَ بمنًى. وهذا خلافُ حديثِ جابرٍ، وكلاهما عندَ مسلمٍ، فإن عَمِلْنا[2] بهما أمْكَن أن يقالَ أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، صلَّى الظهرَ بمكةَ، ثم رجَع إلى منًى فوجَد الناسَ ينْتَظِرونه، فصلَّى بهم. واللَّهُ أعلمُ. ورجوعُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى منًى فى وقتِ الظهرِ ممكنٌ؛ لأن ذلك الوقتَ كان صيفًا، والنهارَ طويلٌ، وإن كان قد صدَر منه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أفعالٌ كثيرةٌ فى صَدْرِ هذا النهارِ؛ فإنه دفَع فيه مِن المُزْدَلِفةِ بعدَما أسْفَر الفجرُ جدًّا، ولكنَّه قبلَ طلوعِ الشمسِ، ثم قدِم منًى فبدَأ برمْيِ جمرةِ العقبةِ بسبعِ حَصَياتٍ، ثم جاء فنحَر بيدِه ثلاثًا وستين بدَنةً، ونحَر علىٌّ بقيَّةَ المائةِ، ثم أخَذ[3] مِن كلِّ بدَنةٍ

---

(١) مسلم (١٣٠٨).

(٢) فى م، ص: «عللنا».

(٣) فى م: «أخذت».

بَضْعَةً ، ووُضِعتْ فى قِدْرٍ ، وطُبِختْ حتى نضِجَت ، فأكَل مِن ذلك اللحمِ ، وشرِب مِن ذلك المَرَقِ ، وفى غضونِ[1] ذلك حلَق رأسَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وتطَيَّب ، فلما فرَغ مِن هذا كلِّه ركِب إلى البيتِ ، وقد خطَب عليه الصلاةُ والسلامُ فى هذا اليومِ خطبةً عظيمةً ، ولستُ أدرى أكانت قبلَ ذَهابِه إلى البيتِ أو بعدَ رجوعِه منه إلى منًى . فاللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أنه ركِب إلى البيتِ فطاف به سبعةَ أطْوافٍ راكبًا ، ولم يَطُفْ بينَ الصفا والمروةِ ، كما ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ » عن جابرٍ وعائشةَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، ثم شرِب مِن ماءِ زَمْزمَ ، ومن نبيذٍ بتمرٍ[2] مِن ماءِ زَمْزمَ . فهذا كلُّه مما يُقَوِّى قولَ مَن قال أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، صلَّى الظهرَ بمكةَ . كما رواه جابرٌ . ويَحْتَمِلُ أنه رجَع إلى منًى فى آخرِ وقتِ الظهرِ ، فصلَّى بأصحابِه [٣/ ٣١٣و] بمنًى الظهرَ أيضًا ، وهذا هو الذى أشْكَل على ابنِ حزمٍ[3] ، فلم يدرِ ما يقولُ فيه ، وهو معذورٌ لتَعارُضِ الرواياتِ الصحيحةِ فيه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال أبو داودَ[4] : ثنا علىُّ بنُ بَحْرٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، المَعْنَى ، قالا : ثنا أبو خالدٍ الأحْمرُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : أفاض رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن آخرِ يومِه حين صلَّى الظهرَ ، ثم رجَع إلى منًى ، فمكَث بها ليالىَ أيامِ التشريقِ يَرْمِى الجمرةَ إذا زالت الشمسُ ، كلَّ جمرةٍ بسبعِ حَصَياتٍ ، يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ .

---

(١) فى ا ٤، م، ص : « غبون » .

(٢) فى م : « تمر » .

(٣) حجة الوداع ص ٢٨.

(٤) أبو داود (١٩٧٣) . وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٧٣٦) وقال : إلا قوله : « حين صلى الظهر » فهو منكر .

قال ابنُ حزمٍ[1] : فهذا جابرٌ وعائشةُ قد اتَّفَقا على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، صلَّى الظهرَ يومَ النحرِ بمكةَ ، وهما ، واللَّهُ أعلمُ ، أضْبَطُ لذلك مِن ابنِ عمرَ . كذا قال ، وليس بشيءٍ ، فإن روايةَ عائشةَ هذه ليست ناصَّةً أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، صلَّى الظهرَ بمكةَ ، بل مُحْتمِلةٌ ؛ إن كان المحفوظُ فى الروايةِ : حتى صلَّى الظهرَ . وإن كانت الروايةُ : حينَ صلَّى الظهرَ . وهو الأشبهُ ؛ فإن ذلك دليلٌ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، صلَّى الظهرَ بمنًى قبلَ أن يذْهَبَ إلى البيتِ ، وهو مُحْتمِلٌ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ . وعلى هذا فيبْقَى مُخالفًا لحديثِ جابرٍ ، فإن هذا يقْتَضى أنه صلَّى الظهرَ بمنًى قبلَ أن يَرْكَبَ إلى البيتِ ، وحديثُ جابرٍ يقتضى أنه ركِب إلى البيتِ قبلَ أن يصلِّيَ الظهرَ وصلَّاها بمكةَ .

وقد قال البخاريُّ[2] : وقال أبو الزبيرِ ، عن عائشةَ وابنِ عباسٍ : أخَّر النبيُّ ﷺ الزيارةَ[3] - يعنى طوافَ الزيارةِ - إلى الليلِ . وهذا الذى علَّقه البخاريُّ قد رواه الناسُ مِن حديثِ [4]أبى حُذَيفَةَ ، و[4] يحيى بنِ سعيدٍ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ ، ونوحِ[5] بنِ ميمونٍ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن أبى الزبيرِ ، عن عائشةَ وابنِ عباسٍ ، أن النبىَّ ﷺ أخَّر الطوافَ يومَ النحرِ إلى الليلِ . ورواه أهلُ السننِ الأربعةِ مِن حديثِ سفيانَ به[6] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ .

---

(١) حجة الوداع ص ١١٦.

(٢) فتح البارى ٣/ ٥٦٧، باب الزيارة يوم النحر، من كتاب الحج.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من فتح البارى.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) فى الأصل، م، ص: «فرج». وهو خطأ. وانظر جامع المسانيد ٣٢/ ٣٤٩، ٣٥٠، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٦٢.

(٦) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٤٤، من حديث أبى حذيفة، وابن ماجه (٣٠٥٩) من حديث يحيى بن سعيد، والإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٨٨، ٣٠٩، وأبو داود (٢٠٠٠)، والترمذى=

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ ، عن أبى الزبيرِ ، عن عائشةَ وابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ زار ليلًا . فإن حُمِل هذا على أنه أخَّر ذلك إلى ما بعدَ الزَّوالِ ، كأنه يقولُ : إلى العَشِيِّ . صحَّ ذلك . وأما إن حُمِل على ما بعدَ الغروبِ فهو بعيدٌ جدًّا ، ومُخالفٌ لما ثبَت فى الأحاديثِ الصحيحةِ المشهورةِ من أنه عليه الصلاةُ والسلامُ ، طاف يومَ النحرِ نهارًا ، وشرِب مِن سِقايةِ زمزمَ . وأما الطوافُ الذى ذهَب فى الليلِ إلى البيتِ بسببِه فهو طوافُ الوَداعِ - ومِن الرُّواةِ مَن يُعَبِّرُ عنه بطوافِ الزِّيارةِ ، [٣/٣١٣ظ] كما سنذكُرُه إن شاء اللَّهُ - أو طوافُ زيارةٍ مَحْضةٍ قبلَ طوافِ الوداعِ ، وبعدَ طوافِ الصَّدْرِ الذى هو طوافُ الفَرْضِ . وقد ورَد حديثٌ سنذكُرُه فى موضعِه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يزورُ البيتَ كلَّ ليلةٍ مِن ليالى منًى ، وهذا بعيدٌ أيضًا . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ[2] مِن حديثِ عمرَ[3] بنِ قيسٍ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ[4] القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أذِن لأصحابِه ، فزاروا البيتَ يومَ النحرِ ظهيرةً ، وزار رسولُ اللَّهِ ﷺ مع نسائِه ليلًا . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا أيضًا ، وهذا قولُ طاوُسٍ وعروةَ بنِ الزبيرِ[5] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَّر الطوافَ يومَ النحرِ إلى الليلِ . والصحيحُ مِن الرواياتِ ، وعليه الجمهورُ ، أنه ،

= (٩٢٠) ، والنسائى فى الكبرى (٤١٦٩) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٤٤/٥ ، كلهم من حديث عبد الرحمن بن مهدى ، والإمام أحمد فى المسند ٢٨٨/١ ، من حديث نوح بن ميمون .

(١) المسند ٥٠/٢ . (إسناده صحيح) .

(٢) السنن الكبرى ٥/ ١٤٤.

(٣) فى م : «عمرو» .

(٤) فى م ، ص : «عن» . وانظر تهذيب الكمال ٣٤٧/١٧.

(٥) انظر السنن الكبرى ١٤٤/٥ .

عليه الصلاةُ والسلامُ ، طاف يومَ النحرِ بالنهارِ ، والأشبهُ أنه كان قبلَ الزَّوالِ ، ويَحْتمِلُ أن يكونَ بعدَه . واللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أنه عليه الصلاةُ والسلامُ ، لمَّا قدِم مكةَ طاف بالبيتِ سبعًا وهو راكبٌ ، ثم جاء زمزمَ وبنو عبدِ المطلبِ يَسْتَقون منها ، ويَسْقُون الناسَ ، فتناول منها دَلْوًا فشرِب منه ، وأفْرَغ عليه منه .

كما قال مسلمٌ[1] : ثنا محمدُ بنُ مِنْهالٍ الضَّرِيرُ ، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، ثنا حُميدٌ الطَّويلُ ، عن بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَنيِّ ، سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ وهو جالسٌ معه عندَ الكعبةِ : قدِم النبيُّ ﷺ على راحلتِه وخلْفَه أسامةُ ، فأتَيْناه بإناءٍ فيه نَبيذٌ[2] فشرِب ، وسقَى فضْلَه أسامةَ ، وقال : « أحسَنْتُم وأجْمَلْتُم ، هكذا فاصْنَعوا » . قال ابنُ عباسٍ : فنحن لا نُريدُ أن نُغَيِّرَ ما أمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ . وفى روايةٍ عن بكرٍ[3] أن أعرابيًّا قال لابنِ عباسٍ : مالى أرَى بنى عمِّكم يَسْقون اللبنَ والعسلَ ، وأنتم تَسْقون النَّبيذَ ؟ أمِن حاجةٍ بكم ، أم مِن بخلٍ ؟ فذكَر له ابنُ عباسٍ هذا الحديثَ .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا رَوْحٌ ، ثنا حمادٌ ، عن حُميدٍ ، عن بكرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، أن أعرابيًّا قال لابنِ عباسٍ : ما شأنُ آلِ معاويةَ يَسْقون الماءَ والعسلَ ، وآلُ فلانٍ يَسْقون اللبنَ ، وأنتم تَسْقون النبيذَ ؟ أمِن بخلٍ بكم أو حاجةٍ ؟ فقال ابنُ عباسٍ : ما بنا بخلٌ ولا حاجةٌ ، ولكن رسولُ اللَّهِ ﷺ جاءنا ورَديفُه أسامةُ بنُ زيدٍ ، فاسْتَسْقَى فسَقَيْناه مِن هذا - يعنى نَبيذَ السِّقايةِ - فشرِب منه ، وقال :

---

(١) مسلم (١٣١٦) .

(٢) قال النووى فى شرح مسلم ٩/٦٤ : وهذا النبيذ ماء مُحلًّى بزبيب أو غيرِه بحيث يطيب طعمه ، ولا يكون مُسْكِرًا ، فأما إذا طال زمنه وصار مُسْكِرًا فهو حرام .

(٣) هى رواية مسلم السابقة . وأخرجه أيضا أبو داود (٢٠٢١) ، من طريق بكر به نحوه .

(٤) المسند ١/ ٣٧٢.

« أحسَنْتُم ، هكذا فاصْنَعوا » . ورواه أحمدُ ، عن رَوْحٍ ، ومحمدِ بنِ بكرٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن حسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وداودَ [٣/ ٣١٤و] بنِ عليٍّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن ابنِ عباسٍ[(١)] ، فذكَره .

وروَى البخاريُّ[(٢)] عن إسحاقَ بنِ شاهينَ[(٣)] ، عن خالدٍ ، [(٤)]عن خالدٍ الحذاءِ[(٤)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جاء إلى السِّقايةِ فاستسقى[(٥)] ، فقال العباسُ : يا فضلُ ، اذْهَبْ إلى أُمِّك فأْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشرابٍ مِن عندِها . فقال : « اسْقِنى » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنهم يَجْعَلون أيديَهم فيه . قال: « اسْقِنى » . فشرِب منه ، ثم أتَى زمزمَ وهم يَسْقون ، ويعْمَلون فيها ، فقال : « اعْمَلوا فإنكم على عملٍ صالحٍ » . ثم قال : « لولا أن تُغْلَبوا لنزَلْتُ[(٦)] حتى أضَعَ الحبلَ على هذه » . يعنى عاتقَه ، وأشار إلى عاتقِه .

وعندَه[(٧)] مِن حديثِ عاصمٍ ، عن الشعبيِّ ، أن ابنَ عباسٍ قال : سقَيْتُ النبيَّ ﷺ مِن زمزمَ ، فشرِب وهو قائمٌ . قال عاصمٌ : فحلَف عكرمةُ : ما كان يومَئذٍ إلا على بعيرٍ . وفى روايةٍ : ناقتِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٨)] : ثنا هُشَيْمٌ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى زيادٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٣٢٠، ٣٢١ ، من طريق روح . وفى ١/ ٣٣٦، من طريق محمد بن بكر .

(٢) البخارى (١٦٣٥) .

(٣) فى م ، ص : « سليمان » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٣٤.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ١٧٧.

(٥) فى م ، ص : « فاستقى » .

(٦) فى م : « لنزعت » .

(٧) البخارى (١٦٣٧) .

(٨) المسند ١/ ٢١٤، ٢١٥.

عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ طاف بالبيتِ وهو على بعيرٍ ، واستلم الحَجَرَ بمِحْجَنٍ كان معه . قال : وأتَى السِّقايةَ فقال : « اسْقُونى » . فقالوا : إن هذا يَخُوضُه الناسُ ، ولكنا نأتيك به مِن البيتِ . فقال : « لا حاجةَ لى فيه ، اسْقُونى مما يَشْرَبُ منه[1] الناسُ » .

وقد روَى أبو داودَ ، عن مُسَدَّدٍ ، عن خالدٍ الطَّحَّانِ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ[2] قال : قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ [3]ونحن نستقى[3] ، فطاف على راحلتِه . الحديثَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا رَوْحٌ وعَفَّانُ ، قالا : ثنا حمادٌ ، عن قيسٍ - [5]وقال عفانُ فى حديثِه : أنبأنا قيسٌ[5] - عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال : جاء النبىُّ ﷺ إلى زمزمَ ، فنزَعْنا له دَلْوًا فشرِب ، ثم مَجَّ فيها ، ثم أفْرَغْناها فى زمزمَ ، ثم قال : « لولا أن تُغْلَبوا عليها لنزَعْتُ بيدى » . انفرد به أحمدُ ، وإسنادُه على شرطِ مسلمٍ .

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) أبو داود (١٨٨١) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٠٩) .

(٣ - ٣) فى سنن أبى داود وعون المعبود : « وهو يشتكى » . والمثبت أنسب لسياق الروايات قبل الحديث وبعده .

(٤) المسند ١/ ٣٧٢. (إسناده صحيح) .

(٥ - ٥) فى المسند ، وشرح المسند ٥/ ١٧٧، وجامع المسانيد ٣٢/ ٣٠١: « قال عفان : أخبرنا حماد فى حديثه قال : أخبرنا قيس » .

فصلٌ

ثم إنه ﷺ لم يُعِدِ الطوافَ بينَ الصفا والمروةِ مرةً ثانيةً، بل اكتفى بطوافِه الأولِ، كما روَى مسلمٌ فى «صحيحِه»[1] مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ، أخبرنى أبو الزبيرِ: سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ: لم يَطُفِ النبىُّ ﷺ وأصحابُه بينَ الصفا والمروةِ إلا طوافًا واحدًا.

قلتُ: والمرادُ بأصحابِه هـٰهنا الذين ساقوا الهدْىَ، وكانوا قارنين، كما ثبَت فى «صحيحِ مسلمٍ»[2] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعائشةَ، وكانت أدْخَلَتِ الحجَّ على العمرةِ، فصارت قارنةً: «يكفيكِ طوافُكِ بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ لحَجِّكِ وعمرتِكِ». [٣/٣١٤ظ] وعندَ أصحابِ الإمامِ أحمدَ أن قولَ جابرٍ وأصحابِه عامٌّ فى القارنِين والمتمتِّعِين. ولهذا نصَّ الإمامُ أحمدُ على أن المتمتِّعَ يكفيه طوافٌ واحدٌ عن حَجِّه وعُمْرتِه، وإن تحلَّل بينَهما تحلَّل. وهو قولٌ غريبٌ؛ مأخَذُه ظاهرُ عمومِ الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ. وقال أصحابُ أبى حنيفةَ فى المتمتِّعِ، كما قال المالكيَّةُ والشافعيَّةُ؛ أنه يجبُ عليه طَوافانِ وسَعْيانِ، حتى طرَدَت الحنفيَّةُ ذلك فى القارنِ، وهو من أفرادِ مذهبِهم؛ أنه يَطوفُ طوافَيْن ويَسْعى سعْيَيْن، ونقَلوا ذلك عن علىٍّ موقوفًا، ورُوِىَ عنه مرفوعًا إلى النبىِّ ﷺ، وقد قدَّمْنا[3] الكلامَ على ذلك كلِّه عندَ الطوافِ، وبيَّنَّا أن أسانيدَ ذلك ضعيفةٌ مُخالِفةٌ للأحاديثِ الصحيحةِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) مسلم (١٢٧٩/٢٦٥).

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٥١.

(٣) تقدم ص ٥٤٨ - ٥٥٢. فى باب ذكر طوافه بين الصفا والمروة.

فصلٌ

ثم رجَع عليه الصلاةُ والسلامُ إلى مِنًى بعدَما صلَّى الظهرَ بمكةَ ، كما دلَّ عليه حديثُ جابرٍ . وقال ابنُ عمرَ : رجَع فصلَّى الظهرَ بمنًى . رواهما مسلمٌ ، كما تقدَّم قريبًا ، ويمكنُ الجمعُ بينَهما بوقوعِ ذلك بمكةَ وبمنًى . واللَّهُ أعلمُ . وتوَقَّف ابنُ حزمٍ[1] فى هذا المَقامِ ، فلم يَجْزِمْ فيه بشىءٍ ، وهو مَعْذورٌ ؛ لتَعارُضِ النقلَيْن الصحيحَيْن فيه . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : أفاض رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن آخرِ يومِه حينَ صلَّى الظهرَ ، ثم رجَع إلى منًى ، فمكَث بها ليالىَ أيامِ التَّشْريقِ يَرْمِى الجَمَراتِ إذا زالَت الشمسُ ، كلَّ جَمْرةٍ بسبعِ حَصَياتٍ ، يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ . رواه أبو داودَ منفردًا به[2] . وهذا يدُلُّ على أن ذَهابَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إلى مكةَ يومَ النحرِ كان بعدَ الزوالِ . وهذا يُنافِى حديثَ ابنِ عمرَ قَطْعًا ، وفى مُنافاتِه لحديثِ جابرٍ نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

وقد خطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ فى هذا اليومِ الشريفِ خُطْبةً عظيمةً ، تَواتَرَت بها الأحاديثُ ، ونحن نذكُرُ منها ما يَسَّره اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ .

---

(١) حجة الوداع ص ٢٨.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٢٣ . حاشية (٤) .

قال البخاريُّ[1] : بابُ الخطبةِ أيامَ مِنًى . حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا يحيى ابنُ سعيدٍ ، ثنا فُضَيْلُ بنُ غَزْوانَ ، ثنا عكرِمةُ عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب الناسَ يومَ النحرِ ، فقال : « يا أيُّها الناسُ ، أيُّ يومٍ هذا ؟ » قالوا : يومٌ حَرامٌ . قال : « فأيُّ بلدٍ هذا ؟ » قالوا : بلدٌ حَرامٌ . قال : « فأيُّ شهرٍ هذا ؟ » قالوا : شهرٌ حَرامٌ . قال : « فإن دماءَكم وأموالَكم وأعْراضَكم عليكم حرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، فى شهرِكم هذا » . قال : فأعادها مِرارًا ، ثم رفَع رأسَه ، [٣/ ٣١٥و] فقال : « اللهم هل بلَّغْتُ ، اللهم هل[2] بلَّغْتُ » . قال ابنُ عباسٍ : فوالذى نفسى بيدِه ، إنها لَوصيَّتُه إلى أُمَّتِه . « فلْيُبْلِغِ الشاهدُ الغائبَ ، لا تَرْجِعوا بعدى كُفَّارًا يَضْرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ » . ورواه الترمذىُّ[3] عن الفَلَّاسِ ، عن يحيى القَطَّانِ به . وقال : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البخاريُّ أيضًا[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو عامرٍ ، ثنا قُرَّةُ عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، أخبرنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه ، ورجلٌ أفضلُ فى نفسى مِن عبدِ الرحمنِ ؛ حُميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى بَكْرةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : خطَبَنا النبىُّ ﷺ يومَ النحرِ ، فقال : « أتَدْرون أىُّ يومٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فسكَتَ حتى ظنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِه . قال : « أليس يومَ النحرِ ؟ » قلنا : بلى . قال : « أىُّ شهرٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فسكَت حتى ظنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِه . قال : « أليس ذو الحِجَّةِ ؟ » قلنا : بلى . قال : « أىُّ بلدٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فسكَت حتى ظنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ

---

(١) فتح البارى ٣/ ٥٧٣، حديث (١٧٣٩) .

(٢) فى م ، ص : « قد » .

(٣) الترمذى (٢١٩٣) مختصرا .

(٤) البخارى (١٧٤١) .

اسمِه . قال : « أليس بالبلدةِ الحَرامِ ؟ » قلنا : بلى . قال : « فإن دماءَكم وأموالكم عليكم حَرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، إلى يومِ تلْقَوْن ربَّكم ، ألَا هل بلَّغْتُ ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهم اشهَدْ ، فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، فربَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِن سامعٍ ، فلا تَرْجِعوا بعدى كفارًا يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ » . ورواه البخاريُّ ومسلمٌ مِن طرقٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ به[1] .

ورواه مسلمٌ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْنٍ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه ، فذكَره[2] ، وزاد فى آخرِه : ثم انكَفَأ إلى كَبْشَيْن أمْلَحَيْن فذبَحهما ، وإلى جُزَيْعةٍ مِن الغنمِ فقسَمها بينَنا[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا إسماعيلُ ، أنبأنا أيوبُ عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى بَكْرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب فى حَجَّتِه ، فقال : « ألا إن الزمانَ قد استدار كهيئتِه يومَ خلَق اللَّهُ السماواتِ والأرضَ ، السَّنةُ اثنا عشَرَ شهرًا ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ؛ ثلاثةٌ مُتَواليات ؛ ذو القَعْدةِ ، وذو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ، ورجبُ مُضَرَ الذى بينَ جُمادَى وشعبانَ » . ثم قال : « ألَا أىُّ يومٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه

---

(١) البخارى (٦٧، ١٠٥، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم (١٦٧٩) .

(٢) مسلم (١٦٧٩/٣٠) .

(٣) جزيعة : بضم الجيم وفتح الزاى ، ورواه بعضهم بفتح الجيم وكسر الزاى ، وكلاهما صحيح ، والأول هو المشهور فى رواية المحدثين ، وهو الذى ضبطه الجوهرى وغيره من أهل اللغة ، وهى القطعة من الغنم تصغير جِزْعة بكسر الجيم وهى القليل من الشىء ، يقال : جزع له من ماله . أى قطع . وبالثانى ضبطه ابن فارس فى المجمل ، قال : وهى القطعة من الغنم . قال القاضى : قال الدارقطنى : قوله « ثم انكفأ » إلى آخر الحديث ؛ وهْم من ابن عون فيما قيل ، وإنما رواه ابن سيرين عن أنس ، فأدرجه ابن عون هنا فى هذا الحديث . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١١/ ١٧١.

(٤) المسند ٥/ ٣٧.

أعلمُ . فسكَت حتى ظنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِه . قال : « أليس يومَ النحرِ ؟ » قلنا : بلى . ثم قال : « أيُّ شهرٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فسكَت حتى ظنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِه . قال : « أليس ذا الحِجَّةِ ؟ » قلنا : بلى . ثم قال : « أيُّ بلدٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فسكَت حتى ظنَنَّا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِه . قال : « أليست البَلْدةَ ؟ » قلنا : بلى . قال : « فإن دماءَكم [٣/ ٣١٥ظ] وأموالَكم - أحسَبُه[1] قال : وأعراضَكم - عليكم حَرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، وستَلْقَوْن ربَّكم ، فيسألُكم عن أعمالِكم ، ألَا لا تَرْجِعوا بعدى ضُلَّالًا يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ ، ألا هل بلَّغْتُ ؟ ألا لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، فلعلَّ مَن يُبَلَّغُه يكونُ أوْعَى له مِن بعضِ مَن سَمِعَه » . هكذا وقَع فى « مسندِ الإمامِ أحمدَ » عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن أبى بَكْرةَ ، وهكذا رواه أبو داودَ ، عن مُسَدَّدٍ ، والنسائىُّ عن عمرِو بنِ زُرارةَ ، كلاهما عن إسماعيلَ - وهو ابنُ عُلَيَّةَ - عن أيوبَ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن أبى بَكْرةَ به[2] . وهو منقطعٌ ، لكنْ[3] صاحبا الصحيحِ أخْرجاه مِن غيرِ وجهٍ ، عن أيوبَ وغيرِه ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه به[4] .

وقال البخارىُّ أيضًا[5] : ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأنا

---

(١) فى م : « لأحسبه » .

(٢) أبو داود (١٩٤٧) ، والنسائى (٤١٤١) مختصرًا . وفى سنن أبى داود جاء : [عن ابن أبى بكرة] عن أبى بكرة . ويبدو أنه تصرف من الناشر . وانظر سنن أبى داود طبعة الحلبى ١/ ٤٩٠ ، وعون المعبود ٢/ ١٤٠ ، وتحفة الأشراف ٩/ ٥٠ - ٥٣ ، ٥٥ .

(٣) فى ا ٤ ، م ، ص : « لأن » . وهو خطأ بيِّن .

(٤) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة ، حاشية (١) .

(٥) البخارى (١٧٤٢) .

عاصمُ بنُ محمدِ بنِ زيدٍ عن أبيه، عن ابنِ عمرَ، رضِيَ اللَّهُ عنهما، قال: قال النبيُّ ﷺ بمنًى: «أتدرون أيُّ يومٍ هذا؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإن هذا يومٌ حَرامٌ، أفتدرون أيُّ بلدٍ هذا؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «بلدٌ حَرامٌ». قال: «أفتدرون أيُّ شهرٍ هذا؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «شهرٌ حَرامٌ». قال: «فإن اللَّهَ حَرَّم عليكم دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم، كحُرْمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا». وقد أخْرَجه [1] البخاريُّ في أماكنَ متفرقةٍ مِن «صحيحِه» و [1] بقيَّةُ الجماعةِ إلَّا الترمذيَّ، [2] من طرقٍ، عن محمدِ بنِ زيدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن جدِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ [2]، فذكَره [3].

قال البخاريُّ [4]: وقال هشامُ بنُ الغازِ: أخبرني نافعٌ عن ابنِ عمرَ، رضيَ اللَّهُ عنهما: وقَف النبيُّ ﷺ يومَ النحرِ بينَ الجَمَراتِ في الحَجَّةِ التي حجَّ - بهذا [5] - وقال: «هذا يومُ الحجِّ الأكبرِ». فطفِق النبيُّ ﷺ يقولُ: «اللهم اشْهَدْ». وودَّع الناسَ، فقالوا: هذه حَجَّةُ الوَداعِ. وقد أسْنَد هذا الحديثَ أبو داودَ عن مُؤَمَّلِ بنِ الفضلِ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، وأخرجه ابنُ ماجه عن هشامِ ابنِ عمارٍ، عن صَدَقَةَ بنِ خالدٍ، كلاهما [6] عن هشامِ بنِ الغازِ بنِ ربيعةَ الجُرَشيِّ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) البخاري (٤٤٠٣، ٦٠٤٣، ٦١٦٦، ٦٧٨٥، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧)، ومسلم (٦٦)، وأبو داود (٤٦٨٦) وعنده: عن واقد بن عبد اللَّه، عن أبيه، عن ابن عمر. وهو واقد بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر. انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤١١، ٤١٤. والنسائي (٤١٣٦)، وابن ماجه (٣٩٤٣).

(٤) البخاري (١٧٤٢) معلقا. عقب أصل الحديث الذي أورده مسندًا من طريق عاصم بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر، عن أبيه، عن ابن عمر.

(٥) قال الحافظ في الفتح ٣/ ٥٧٦: قوله: بهذا. أي بالحديث الذي تقدم من طريق محمد بن زيد عن جده، وأراد المصنف بذلك أصل الحديث وأصل معناه، لكن السياق مختلف.

(٦) أي الوليد بن مسلم، وصدقة بن خالد. أبو داود (١٩٤٥)، وابن ماجه (٣٠٥٨).

أبى العباسِ الدِّمَشقىِّ به .

وقيامُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بهذه الخطبةِ عندَ الجَمَراتِ يَحْتَمِلُ أنه بعدَ رَمْيِه الجَمْرةَ يومَ النحرِ وقبلَ طَوافِه ، ويَحْتَمِلُ أنه بعدَ طوافِه ورجوعِه إلى منًى ومُرورِه[1] بالجَمَراتِ .

لكن يُقَوِّى الأولَ ما رواه النسائىُّ[2] حيث قال : حدَّثنا عمرُو بنُ هشامٍ الحَرَّانىُّ ، ثنا محمدُ بنُ سَلَمةَ ، عن أبى عبدِ الرحيمِ ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسةَ ، عن يحيى بنِ الحُصينِ الأحْمَسىِّ ، عن جدَّتِه أمِّ حصينٍ قالت : حجَجْتُ فى حَجَّةِ النبىِّ ﷺ ، فرأيْتُ بلالًا [3]آخذًا بخِطامِ راحلتِه[3] ، وأسامةُ بنُ زيدٍ رافعٌ عليه ثوبَه يُظِلُّه مِن الحرِّ وهو مُحْرِمٌ ، حتى رمَى جمرةَ العقبةِ ، ثم خطَب الناسَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، وذكَر قولًا [٣/٣١٦و] كثيرًا .

وقد رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ زيدِ بنِ أبى أُنَيْسَةَ ، عن يحيى بنِ الحُصينِ ، عن جدَّتِه أمِّ الحصينِ قالت : حجَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حَجةَ الوداعِ ، فرأيْتُ أسامةَ وبلالًا ، أحدُهما آخذٌ بخِطامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والآخرُ رافعٌ ثوبَه يستُرُه مِن الحرِّ حتى رمَى جمرةَ العقبةِ . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ قولًا كثيرًا ، ثم سمِعْتُه يقولُ : « إن أُمِّر عليكم عبدٌ مُجَدَّعٌ - حسِبْتُها قالت : أسودُ - يَقُودُكم بكتابِ اللَّهِ تعالى ، فاسْمَعوا له وأطِيعوا » .

---

(١) سقط من : ا ٤١ . وفى م : « ورميه » .

(٢) النسائى فى الكبرى (٤٠٦٦) .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٤١ : « أخذ يقود براحلته » . وفى م ، ص : « آخذًا بقود راحلته » . والمثبت من السنن الكبرى .

(٤) مسلم (١٢٩٨/٣١١) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ[2] ، ثنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ - وهو ذَكْوانُ السَّمَّانُ - عن جابرٍ قال : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ النحرِ ، فقال : « أىُّ يومٍ أعظمُ حُرْمةً ؟ » قالوا : يومُنا هذا . قال : « أىُّ شهرٍ أعْظمُ حُرْمةً ؟ » قالوا : شهرُنا هذا . قال : « أىُّ بلدٍ أعظمُ حُرْمةً ؟ » قالوا : بلَدُنا هذا . قال : « فإن دماءَكم وأموالكم عليكم حَرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، هل بلَّغْتُ ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهم اشْهَدْ » . انفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ ، وهو على شرطِ « الصحيحَيْن » . ورواه أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ عن أبى معاويةَ ، عن الأعمشِ به[3] . وقد تقدم حديثُ جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ فى خطبتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، يومَ عرفةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا علىُّ بنُ بَحْرٍ ، ثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجَّةِ الوَداعِ . فذكَر معناه . وقد رواه ابنُ ماجه ، عن هشامِ بنِ عمارٍ ، عن عيسى بنِ يونُسَ به[5] . وإسنادُه على شرطِ « الصحيحَيْن » . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[6] : حدَّثنا أبو[7] هشامٍ ، ثنا حفصٌ ، عن

---

(١) المسند ٣/ ٣٧١.

(٢) فى م : « عبيد الله » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤.

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٩٠١٢) .

(٤) المسند ٣/ ٨٠.

(٥) ابن ماجه (٣٩٣١) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٧٦) .

(٦) كشف الأستار (٣٣٤٦) . وذكر الهيثمىُّ فى المجمع ٧/٢٩٥ حديثَ أبى هريرة ، وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

(٧) فى الأصل : « ابن » وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٥٣.

الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ وأبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب فقال : « أىُّ يومٍ هذا ؟ » قالوا : يومٌ حَرامٌ . قال : « فإن دماءَكم وأموالكم عليكم حَرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا » . ثم قال البزارُ : رواه أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ أو[1] أبى سعيدٍ ، وجمَعهما لنا أبو هشامٍ ، عن حفصِ بنِ غِياثٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ وأبى سعيدٍ .

قلتُ : وتقدم روايةُ أحمدَ له ، عن محمدِ بنِ عُبَيْدٍ الطَّنافِسىِّ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ . فلعلَّه عندَ أبى صالحٍ عن الثلاثةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال هلالُ بنُ يِسافٍ[2] ، [٣/ ٣١٦ظ] عن سَلَمةَ بنِ قيسٍ الأشْجَعىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فى حَجَّةِ الوَداعِ : « إنما هن أربعٌ ؛ لا تُشْركوا باللَّهِ شيئًا ، ولا تقْتُلوا النفسَ التى حرَّم اللَّهُ إلا بالحقِّ ، ولا تَزْنوا ، ولا تَسْرِقوا » . قال : فما أنا بأشحَّ عليهن منِّى حينَ سمِعْتُهن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقد رواه أحمدُ والنسائىُّ مِن حديثِ منصورٍ ، عن هلالِ بنِ يِسافٍ ، وكذلك رواه سفيانُ بنُ عُيينةَ والثورىُّ ، عن منصورٍ[3] .

---

(١) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل ، م : « و » .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٣٣٩، ٣٤٠، والنسائى فى الكبرى (١١٣٧٣) ، والطبرانى فى الكبير ٧/ ٤٣، ٤٤ (٦٣١٦، ٦٣١٧) ، ثلاثتهم من طريق هلال بن يساف به . وقال الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٧٥٩) : أخرجه أحمد والطبرانى من طريق منصور عن هلال بن يساف ... وهذا إسناد صحيح .

(٣) المسند فى الموضع السابق ، من طريق سفيان بن عيينة عن منصور به . ولم نجده من رواية سفيان الثورى .

وقال ابنُ حزمٍ فى «حَجَّةِ الوداعِ»[1] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عمرَ بنِ أنسٍ العُذرىُّ ، ثنا أبو ذَرٍّ عبدُ[2] بنُ أحمدَ الهَرَوىُّ الأنصارىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عَبْدانَ الحافظُ بالأهْوازِ ، ثنا سهلُ بنُ موسى بشيرازَ[3] ، [4]ثنا عمرُو بنُ عاصمٍ[4] ، ثنا أبو العَوَّامِ ، ثنا محمدُ بنُ جُحَادةَ[5] ، عن زيادِ بنِ عِلاقةَ[6] ، عن أسامةَ بنِ شَريكٍ قال : شهِدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى حَجَّةِ الوَداعِ وهو يَخْطُبُ وهو يقولُ : «أمَّك وأباك ، وأختَك وأخاك ، ثم أدْناك أدْناك» . قال : فجاء قومٌ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قتَلتْنا[7] بنو يَرْبوعٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تَجْنِى نفسٌ على أخرى» . ثم سأَله رجلٌ نسِى أن يَرْمِىَ الجِمارَ . فقال : «ارْمِ ولا حَرَجَ» . ثم أتاه آخرُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، نسِيتُ الطَّوافَ . فقال : «طُفْ ولا حَرَجَ» . ثم أتاه آخرُ ، حلَق قبلَ أن يَذْبَحَ ، فقال : «اذْبَحْ ولا حَرَجَ» . فما سألوه يومَئذٍ عن شىءٍ إلا قال : «لا حرَجَ ، لا حرَجَ» . ثم قال : «قد أذْهَب اللَّهُ الحَرَجَ إلَّا رجلًا اقْتَرض[8] امرأً مسلمًا ، فذلك الذى حرِج وهلَك» . وقال : «ما أنْزَل اللَّهُ داءً إلا أنْزَل له دواءً إلَّا الهَرَمَ» . وقد روَى الإمامُ أحمدُ وأهلُ السننِ بعضَ هذا السِّياقِ مِن هذه

---

(١) حجة الوداع ، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) سقط من : ٤١. وفى م ، ص : «عبد اللَّه» . وفى حجة الوداع : «عبد الرحمن» . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٤، ١٨/ ٥٦٧.

(٣) سقط من : ٤١. وفى م : «بن شيرزاد» . وفى ص : «بن بشيراذ» . وليست فى مصدر التخريج .

(٤ - ٤) سقط من : ٤١. وفى الأصل : «ثنا أبو موسى ثنا عمرو بن عاصم» . وفى م ، ص : «ثنا موسى ابن عمرو بن عاصم» . والمثبت من حجة الوداع . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٨٧، ٣٢٩.

(٥) سقط من : ٤١. وفى حجة الوداع : «حمادة» . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٧٥.

(٦) سقط من : ٤١. وفى حجة الوداع : «علاثة» . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٩٨.

(٧) سقط من : ٤١. وفى م : «قبلنا» .

(٨) اقترض امرأً مسلمًا : أى نال منه وقطعه بالغِيبة ، وهو افتعال من القَرْض ؛ وهو القطع . انظر النهاية ٤/ ٤١.

الطريقِ[1] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا حَجَّاجٌ ، حدثنى شعبةُ ، عن علىِّ بنِ مُدْرِكٍ ، سمِعْتُ أبا زُرْعةَ يُحَدِّثُ عن جريرٍ ، وهو جدُّه ، عن النبىِّ ﷺ قال فى حَجَّةِ الوَداعِ : « يا جريرُ ، استَنْصِتِ الناسَ » . ثم قال فى خطبتِه : « لا تَرْجِعوا بعدى كفارًا يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ » . ثم رواه أحمدُ عن غُنْدَرٍ ، وعن ابنِ مَهْدىٍّ ، كلٌّ منهما عن شعبةَ به[3] . وأَخْرجاه فى « الصحيحَيْن » مِن حديثِ شعبةَ به[4] .

وقال أحمدُ[5] : ثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا إسماعيلُ ، عن قيسٍ قال : بلَغَنا أن جريرًا قال : قال لى[6] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « استَنْصِتِ الناسَ » . ثم قال عندَ ذلك : « لا أعْرِفَنَّ[7] بعدَما أَرَى ترْجِعون بعدى[8] كفارًا يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ » . ورواه النسائىُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ به[9] .

[٣/٣١٧و] وقال النسائىُّ[10] : ثنا هَنَّادُ بنُ السَّرِىِّ ، عن أبى الأَحْوصِ ، عن ابنِ غَرْقَدةَ ، عن سليمانَ بنِ عمرٍو[11] ، عن أبيه قال : شهِدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى

---

(١) المسند ٤/ ٢٧٨، وأبو داود (٣٨٥٥) ، والترمذى (٢٠٣٨) ، والنسائى فى الكبرى (٧٥٥٣) ، وابن ماجه (٣٤٣٦) ، كلهم من طريق زياد بن علاقة به . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٢٦٤) .

(٢) المسند ٤/ ٣٥٨.

(٣) المسند ٤/ ٣٦٣، ٣٦٦.

(٤) البخارى (١٢١، ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠) ، ومسلم (٦٥) .

(٥) المسند ٤٠/ ٣٦٦.

(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٧) فى ا ٤١: « لا أعرف » . وفى المسند : « لأعرفن » .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٩) النسائى فى الكبرى (٣٥٩٧) .

(١٠) النسائى فى الكبرى (٤١٠٠) .

(١١) فى الأصل ، ا ٤١: « عرفة » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٩.

حَجَّةِ الوَداعِ يقولُ : « أيُّها الناسُ » . ثلاثَ مراتٍ « أىُّ يومٍ هذا ؟ » قالوا : [1] يومُ النحرِ [1] ، يومُ الحجِّ الأكبرِ . قال : « فإن دماءَكم وأموالَكم وأعْراضَكم بينَكم حَرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، [2] ألَا لا [2] يَجْنِى جانٍ [3] على ولدِه [4] ولا مولودٌ [3] على والدِه ، ألا إن الشيطانَ قد يَئِس أن يُعْبَدَ فى بلدِكم هذا أبدًا [5] ، ولكن سيكونُ له طاعةٌ فى بعضِ ما تَحْتَقِرون مِن أعمالِكم فيَرْضَى ، ألا وإن كلَّ رِبًا مِن رِبا الجاهليةِ يُوضَعُ [6] ، لكم رءوسُ أموالِكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون » . وذكَر تمامَ الحديثِ .

وقال أبو داودَ [7] : بابُ مَن قال : خطَب يومَ النحرِ . حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثنا عكرمةُ - هو ابنُ عمارٍ - ثنا الهِرْماسُ بنُ زيادٍ الباهليُّ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ الناسَ على ناقتِه العَضْباءِ يومَ الأضْحى بمنًى .

ورواه أحمدُ والنسائىُّ مِن غيرِ وجهٍ ، عن عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن الهِرْماسِ [8] قال : كان أبى مُرْدِفى ، فرأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ الناسَ بمنًى يومَ النحرِ على ناقتِه العَضْباءِ . لفظُ أحمدَ ، وهو مِن ثُلاثيَّاتِ « المسندِ » . وللَّهِ الحمدُ .

ثم قال أبو داودَ [9] : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ الفضلِ الحَرَّانىُّ ، ثنا الوليدُ ، ثنا ابنُ جابرٍ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ص .
(٢ - ٢) فى الأصل ، والنسائى : « ألا » . وفى م ، ص : « ولا » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٤) فى ا ٤ : « ولد » . والمثبت من السنن الكبرى .
(٥) زيادة من السنن الكبرى .
(٦) كذا فى النسخ . وفى السنن الكبرى : « موضوع » .
(٧) أبو داود (١٩٥٤) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٧٢١) .
(٨) المسند ٣/ ٤٨٥، ٥/ ٧، والنسائى فى الكبرى (٤٠٩٥) .
(٩) أبو داود (١٩٥٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٢) .

ثنا سُليمُ بنُ عامرٍ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ يقولُ: سمِعْتُ خُطْبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بمنًى يومَ النحرِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: ثنا عبدُ الرحمنِ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، عن سُليمِ بنِ عامرٍ الكَلاعيِّ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يومَئذٍ على الجَدْعاءِ واضعٌ رجليه فى الغَرْزِ، يَتطاولُ يُسْمِعُ الناسَ، فقال بأعلى صوتِه: «ألا تَسْمَعون؟» فقال رجلٌ مِن طَوائفِ الناسِ: يا رسولَ اللَّهِ، ماذا تَعْهَدُ إلينا؟ فقال: «اعبدوا ربَّكم، وصلُّوا خمسَكم، وصوموا شهرَكم، وأطيعوا [2]ذا أمرِكم[2]، تدْخُلوا جنةَ ربِّكم». فقلتُ: يا أبا أُمامةَ، مِثلُ مَن أنت يومَئذٍ؟ قال: أنا يومَئذٍ ابنُ ثلاثين سنةً أُزاحمُ البعيرَ أُزَحْزِحُه[3] لرسولِ اللَّهِ ﷺ. ورواه أحمدُ أيضًا، عن زيدِ بنِ الحُبابِ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، وأخرجه الترمذيُّ، عن موسى ابنِ عبدِ الرحمنِ الكوفيِّ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ[4]. وقال: حسنٌ صحيحٌ.

قال الإمامُ أحمدُ[5]: ثنا أبو المغيرةِ، ثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ[6]، ثنا شُرَحْبيلُ ابنُ مسلمٍ الخَوْلانيُّ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ الباهليَّ يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى خطبتِه عامَ حَجةِ الوَداعِ: «إن اللَّهَ قد أعْطَى [٣/٣١٧ظ] كلَّ ذى حقٍّ حقَّه، فلا وصيةَ لوارثٍ، والولدُ للفِراشِ وللعاهرِ الحجَرُ، وحسابُهم على اللَّهِ، ومَن ادَّعَى إلى غيرِ أبيه، أو انْتَمَى إلى غيرِ مَواليه، فعليه لعنةُ اللَّهِ التابعةُ إلى يومِ

---

(١) المسند ٥/ ٢٦٢.

(٢ - ٢) فى م: «إذا أمرتم».

(٣) بعده فى النسخ: «قدما». والمثبت من المسند.

(٤) المسند ٥/ ٢٥١، والترمذى (٦١٦). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٥٠٢).

(٥) المسند ٥/ ٢٦٧.

(٦) فى م، ص: «عباس». وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦٣.

القيامةِ ، لا تُنفِقُ المرأةُ شيئًا مِن بيتِها إلا بإذنِ زوجِها » . فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ولا الطعامَ ؟ قال : « ذلك أفضلُ أموالِنا » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « العاريَّةُ مُؤَدَّاةٌ والمنحةُ مَرْدودةٌ ، والدَّيْنُ مَقْضِيٌّ ، والزعيمُ غارمٌ » . ورواه أهلُ السننِ الأربعةِ مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ[1] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ .

ثم قال أبو داودَ[2] ، رحِمه اللَّهُ : بابُ متى يَخْطُبُ يومَ النحرِ . حدثنا عبدُ الوَهَّابِ بنُ عبدِ الرحيمِ الدِّمَشقيُّ ، ثنا مَرْوانُ ، عن هلالِ بنِ عامرٍ المُزَنيِّ ، حدَّثنى رافعُ بنُ عمرٍو المُزَنيُّ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ الناسَ بمِنًى - حينَ ارتفع الضُّحَى - على بغلةٍ شَهْباءَ ، وعليٌّ يُعَبِّرُ عنه ، والناسُ بينَ قائمٍ وقاعدٍ . ورواه النسائيُّ ، عن دُحَيْمٍ ، عن مَرْوانَ الفَزاريِّ به[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا أبو معاويةَ ، ثنا هلالُ بنُ عامرٍ المُزَنيُّ ، عن أبيه قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ الناسَ بمِنًى على بغلةٍ وعليه بُرْدٌ أحمرُ . قال : ورجلٌ مِن أهلِ بدرٍ بينَ يديه يُعَبِّرُ عنه . قال : فجئتُ حتى أدْخَلْتُ يدَىَّ بينَ قدمِه وشِراكِه . قال : فجعَلْتُ أعْجَبُ مِن بَرْدِها .

حدثنا[5] محمدُ بنُ عُبَيْدٍ ، ثنا شيخٌ مِن بنى فَزارةَ ، عن هلالِ بنِ عامرٍ المُزَنيِّ ، عن أبيه قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [6]يَخْطُبُ الناسَ[6] على بغلةٍ شَهْباءَ ، وعليٌّ

---

(١) أبو داود (٢٨٧٠، ٣٥٦٥) مختصرا فى الموضع الأول ، والترمذى (٢١٢٠) ، وابن ماجه (٢٣٩٨، ٢٧١٣) مختصرا . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٤٩٤) . ولم يروه النسائى ؛ انظر تحفة الأشراف ٤/ ١٦٩، ١٧٠، وجامع المسانيد ١٣/ ٩٧، ٩٨.

(٢) سنن أبى داود ٢/ ٢٠٥ (١٩٥٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٣) .

(٣) النسائى فى الكبرى (٤٠٩٤) مطولًا .

(٤) المسند ٣/ ٤٧٧.

(٥) المسند ٣/ ٤٧٧.

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر جامع المسانيد ٧/ ٥١، وتحفة الأشراف ٤/ ٢٣٥، ٢٣٦ .

يُعَبِّرُ عنه . ورواه أبو داودَ مِن حديثِ أبى معاويةَ ، عن هلالِ بنِ عامرٍ[1] .

ثم قال أبو داودَ[2] : بابُ ما يَذْكُرُ الإمامُ فى خطبتِه بمنًى . حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا عبدُ الوارثِ ، عن حُميدٍ الأعْرجِ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مُعاذٍ التَّيْمىِّ قال : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن بمنًى ، ففُتِحَت أسماعُنا حتى كنا نَسْمَعُ ما يقولُ ونحن فى منازلِنا ، فطفِق يُعَلِّمُهم مَناسِكَهم حتى بلَغ الجِمارَ ، فوضَع أُصْبُعَيْه[3] السَّبّاحَتَيْنْ[4] ، ثم قال : « بحَصَى الخَذْفِ » . ثم أمَر المهاجرِين فنزَلوا فى مُقَدَّمِ المسجدِ ، وأمَر الأنصارَ فنزَلوا مِن وراءِ المسجدِ ، ثم نزَل الناسُ بعدَ ذلك . وقد رواه أحمدُ ، عن عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، عن أبيه ، وأخرجه النسائىُّ مِن حديثِ ابنِ المباركِ ، عن عبدِ الوارثِ كذلك[5] . وتقدم[6] روايةُ الإمامِ أحمدَ له ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمرٍ ، [7]عن حُميدٍ الأعرجِ[7] ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، [٣/ ٣١٨و] عن عبدِ الرحمنِ بنِ مُعاذٍ ، عن رجلٍ مِن الصحابةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[8] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عيسى بنِ طَلْحةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بينا هو يَخْطُبُ يومَ النحرِ ، فقام إليه رجلٌ ، فقال : كنتُ أحْسَبُ أن كذا وكذا قبلَ كذا

---

(١) أبو داود (٤٠٧٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٣٤) .
(٢) سنن أبى داود ٢/ ٢٠٥ (١٩٥٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٤) .
(٣) سقط من : ا ٤١، م، ص .
(٤) كذا فى النسخ . وفى سنن أبى داود : « السبابتين » .
(٥) المسند ٤/ ٦١، ٥/ ٣٧٤، والنسائى (٢٩٩٦) .
(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٦١٢ .
(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ٢٧٨ .
(٨) البخارى (١٧٣٧، ٦٦٦٥)، ومسلم (٣٢٩، ١٣٠٦/٣٣٠) .

وكذا . ثم قام آخرُ فقال : كنتُ أحْسَبُ أن كذا وكذا قبلَ كذا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « افْعَلْ ولا حَرَجَ » . وأخْرَجاه مِن حديثِ مالكٍ - زاد مسلمٌ : ويونُسَ - عن الزهريِّ به[1] . وله ألفاظٌ كثيرةٌ ، ليس هذا موضعَ استقصائِها ، ومحَلُّه كتابُ « الأحكامِ » وباللَّهِ المُستعانُ . وفى لفظٍ فى « الصحيحَيْن »[2] : قال : فما سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ذلك اليومِ عن شيءٍ قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال : « افْعَلْ ولا حَرَجَ » .

فصلٌ

ثُم نزَل عليه الصلاةُ والسلامُ بمنًى حيث المسجدُ اليومَ ، فيما يقالُ ، وأَنْزَل المهاجرين يَمْنَتَه والأنصارَ يَسْرتَه ، والناسُ حولَهم مِن بعدِهم .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[3] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ عقبةَ الشَّيْبانيُّ بالكوفةِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الزهريُّ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، أنبأنا إسرائيلُ ، عن إبراهيمَ بنِ مُهاجرٍ ، عن يوسفَ بنِ ماهكٍ ، عن أمِّ مُسَيْكةَ ، عن عائشةَ ، قالت : قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا نَبْنى لك بمنًى بناءً يُظِلُّك ؟ قال : « لا ؛ منًى مُناخُ مَن سبَق » . وهذا إسنادٌ لا بأسَ به ، وليس هو فى « المسندِ » ، ولا فى الكتبِ الستةِ مِن هذا الوجهِ .

وقال أبو داودَ[4] : ثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ خَلَّادٍ الباهليُّ ، ثنا يحيى ، عن ابنِ

---

(١) البخارى (٨٣، ١٧٣٦) . ومسلم (٣٢٧، ١٣٠٦/٣٢٨) .
(٢) البخارى (١٧٣٦) ، ومسلم (١٣٠٦/١٢٧) .
(٣) السنن الكبرى ٥/ ١٣٩.
(٤) أبو داود (١٩٥٨) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٢٥) .

جُرَيْجٍ ، [1] أخبرنى حَريزٌ - أو أبو حَريزٍ [1] ، الشكُّ مِن يحيى - أنه سمِع عبدَ الرحمنِ ابنَ فَرُّوخَ يسألُ ابنَ عمرَ قال : إنا نَتَبايَعُ بأموالِ الناسِ ، فيأتى أحدُنا مكةَ فيَبيتُ على المالِ . فقال : أما رسولُ اللَّهِ ﷺ فبات بمنًى وظَلَّ . انفرد به أبو داودَ .

ثم قال أبو داودَ [2] : ثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا ابنُ نُمَيْرٍ وأبو أسامةَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : استأذن العباسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يَبِيتَ بمكةَ ليالىَ منًى مِن أجلِ سِقايتِه ، فأذِن له . وهكذا رواه البخارىُّ ومسلمٌ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بن نُمَيْرٍ ، زاد البخارىُّ : وأبى ضَمْرةَ أنسِ بنِ عِياضٍ . زاد مسلمٌ : وأبى أسامةَ حمادِ بنِ أُسامةَ [3] . وقد علَّقه البخارىُّ ، عن أبى أسامةَ وعقبةَ بنِ خالدٍ ، كلُّهم عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ به [4] . وقد كان صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يصلِّى بأصحابِه بمنًى ركعتَيْن ، كما ثبَت عنه ذلك فى « الصحيحَيْن » [٣/ ٣١٨ظ] مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ وحارثةَ بنِ وهبٍ [5] ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، ولهذا ذهَب طائفةٌ مِن العلماءِ إلى أن سببَ هذا القَصْرِ النُّسُكُ ، كما هو قولُ طائفةٍ مِن المالكيَّةِ وغيرِهم ؛ قالوا : ومَن قال أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان يقولُ بمنًى لأهلِ مكةَ : « أَتِمُّوا فإنا قومٌ سَفْرٌ » . فقد غلِط ، إنما قال ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ وهو نازلٌ بالأَبْطحِ ، كما تقدم . واللَّهُ أعلمُ . وكان صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يَرْمِى

(١ - ١) فى ٤١: «أخبرنى جريج أو أبو جريج». وفى م، ص: «أو أبو حريز». وانظر: تهذيب الكمال ٥/ ٥٨٣.

(٢) أبو داود (١٩٥٩).

(٣) البخارى (١٦٣٤، ١٧٤٥) من حديث أبى ضمرة وابن نمير، ومسلم (١٣١٥/٣٤٦) من حديث ابن نمير وأبى أسامة معًا.

(٤) البخارى (١٧٤٥) تعليقًا عقب أصل الحديث.

(٥) البخارى (١٠٨٤، ١٦٥٧)، ومسلم (٦٩٥)، من حديث ابن مسعود. والبخارى (١٠٨٣، ١٦٥٦)، ومسلم (٦٩٦)، من حديث حارثة بن وهب.

الجَمَراتِ الثلاثَ فى كلِّ يومٍ مِن أيامِ منًى بعدَ الزَّوالِ - كما قال جابرٌ فيما تقدم - ماشيًا ، كما قال ابنُ عمرَ فيما سلَف ، كلُّ جَمْرةٍ بسبعِ حَصَياتٍ ، يُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ ، ويقِفُ عندَ الأولى وعندَ الثانيةِ يدعو اللَّهَ ، عز وجل ، ولا يقِفُ عندَ الثالثةِ .

قال أبو داودَ[1] : ثنا عليُّ بنُ بَحْرٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، المَعْنَى ، قالا : ثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : أفاض رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن آخرِ يومِه حينَ صلَّى الظهرَ ، ثم رجَع إلى منًى ، فمكَث بها ليالىَ[2] أيامِ التَّشْريقِ يَرْمِى الجمرةَ إذا زالت الشمسُ ، كلُّ جمرةٍ بسبعِ حَصَياتٍ ، ويُكَبِّرُ مع كلِّ حَصاةٍ ، ويقِفُ عندَ الأولى والثانيةِ فيُطيلُ القيامَ[3] ويتَضَرَّعُ ، ويَرْمِى الثالثةَ ولا يَقِفُ عندَها . انفرد به أبو داودَ .

وروَى البخاريُّ مِن غيرِ وجهٍ[4] عن يونُسَ بنِ يزيدَ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه كان يَرْمِى الجمرةَ الدُّنْيا بسبعِ حَصَياتٍ ، يُكَبِّرُ على إثْرِ كلِّ حَصاةٍ ، ثم يتقدمُ حتى يُسْهِلَ[5] ، فيقومُ مُسْتقبِلَ القبلةِ طويلًا ، ويدعو ويرفَعُ يدَيه ، ثم يرمِى الوُسْطَى ، ثم يأخُذُ ذاتَ الشِّمالِ فيُسْهِلُ ، فيقومُ مُسْتقبِلَ القبلةِ [6]فيقومُ طويلًا[6] ، ويدعو ويرْفَعُ يديه ويقومُ طويلًا ، ثم يَرْمى جمرةَ ذاتِ العقبةِ مِن بطنِ الوادى ، ولا يقِفُ عندَها ، ثم ينْصَرِفُ ، فيقولُ : هكذا رأيْتُ

---

(١) أبو داود (١٩٧٣) . وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (١٧٣٦) عدا قوله : « حين صلى الظهر » ؛ قال : فهو منكر .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من سنن أبى داود .

(٣) فى م ، ص : « المقام » .

(٤) البخارى (١٧٥١ ، ١٧٥٢) ، (١٧٥٣ تعليقًا) .

(٥) يسهل : أى يقصد السهل من الأرض . فتح البارى ٣/ ٥٨٣ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

رسولَ اللَّهِ ﷺ يفْعَلُه .

وقال وَبَرَةُ بنُ عبدِ الرحمنِ : قام ابنُ عمرَ عندَ العقبةِ بقَدْرِ قراءةِ سورةِ « البقرةِ » . وقال أبو مِجْلَزٍ : حزَرْتُ قيامَه بقدرِ قراءةِ سورةِ « يوسُفَ » . ذكَرهما البيهقيُّ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن أبيه ، عن أبى البَدَّاحِ[3] ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رخَّص للرِّعاءِ أن [٣/ ٣١٩و] [4]يَرْموا يومًا ، ويَدَعُوا يومًا .

وقال أحمدُ[5] : ثنا محمدُ بنُ[6] بكرٍ ، و[7]أنا رَوْحٌ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرنى محمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبيه ، عن أبى البدَّاحِ بنِ عاصمِ بنِ عَدِيٍّ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أرْخَص للرِّعاءِ أن[4] يَتَعاقَبوا فيَرْموا يومَ النحرِ ، ثم يدَعوا يومًا وليلةً ، ثم يَرْمُوا الغدَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : ثنا عبدُ الرحمنِ ، ثنا مالكٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى[9] بكرٍ ، عن أبيه ، عن أبى البدَّاحِ بنِ عاصمِ بنِ عَدِيٍّ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أخرجهما البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ١٤٩.

(٢) المسند ٥/ ٤٥٠.

(٣) فى ا ٤١: « الفلاح » . وفى م : « القداح » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٦٥.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) المسند ٥/ ٤٥٠.

(٦) بعده فى م ، ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٣٠.

(٧) سقط من : ا ٤١، والمسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ٦٣٠، وتهذيب الكمال ١/ ٤٣٧، ٩/ ٢٣٨.

(٨) المسند ٥/ ٤٥٠.

(٩) سقط من : م ، ص .

رخَّص لرِعاءِ الإبلِ فى البَيْتوتةِ [1]عن منًى[1] ؛ يَرْمون يومَ النحرِ[2] ، ثم يَرْمون الغدَ أو مِن بعدِ الغدِ اليومَيْن ، ثم يَرْمُون يومَ النَّفْرِ . وكذا رواه عن عبدِ الرزاقِ ، عن مالكٍ بنحوِه[3] . وقد رواه أهلُ السننِ الأربعةِ مِن حديثِ مالكٍ ، ومِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ به[4] . قال الترمذىُّ : وروايةُ مالكٍ أصحُّ ، وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

فصلٌ فيما ورَد مِن الأحاديثِ الدالَّةِ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، خطَب الناسَ بمنًى فى اليومِ الثانى مِن أيامِ التَّشْريقِ ، وهو أوسطُها

قال أبو داودَ[5] : بابٌ أىَّ يومٍ يَخْطُبُ بمنًى[6] . حدثنا محمدُ بنُ العَلاءِ ، أنبأنا ابنُ المباركِ ، عن إبراهيمَ بنِ نافعٍ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن أبيه ، عن رجلين

(١ - ١) فى م : « بمنى حتى » . والبيتوتة عن منى : أى يبيتون خارج منى ؛ وإنما رخَّص للرعاء ؛ لأن عليهم رعىَ الإبل وحفظها ؛ لتشاغل الناس بنسكهم عنها ، ولا يمكنهم الجمع بين رعيها ، وبين الرمى والمبيت . انظر بلوغ الأمانى ١٢/ ٢٢٢.

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « ثم يرمون يوم النحر » .

(٣) المسند ٥/ ٤٥٠.

(٤) أبو داود (١٩٧٥) ، والترمذى (٩٥٥) ، والنسائى (٣٠٦٩) ، وابن ماجه (٣٠٣٧) ، من حديث مالك . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٣٨) . وأبو داود (١٩٧٦) ، والترمذى (٩٥٤) ، والنسائى (٣٠٦٨) ، وابن ماجه (٣٠٣٦) ، من حديث سفيان . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٣٩) .

(٥) سنن أبى داود ٢/ ٢٠٤ (١٩٥٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٠) .

(٦) سقط من النسخ . والمثبت من سنن أبى داود .

مِن بنى بكرٍ ، قالا : رأَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ بينَ أوْسطِ أيامِ التَّشْريقِ ونحن عندَ راحلتِه ، وهى خُطْبةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ التى خطَب بمنًى . انفرد به أبو داودَ .

ثم قال أبو داودَ[1] : ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا أبو عاصمٍ ، ثنا ربيعةُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حِصْنٍ[2] ، حدثتنى جدَّتى سَرَّاءُ بنتُ نَبْهانَ - وكانت رَبَّةَ بيتٍ فى الجاهليَّةِ - قالت : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الرءُوسِ[3] ، فقال : « أىُّ يومٍ هذا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « أليس أوْسطَ أيامِ التَّشْريقِ ؟ » انفرد به أبو داودَ . قال أبو داودَ : وكذلك قال عمُّ أبى حُرَّةَ[4] الرَّقَاشىِّ أنه خطَب أوْسَطَ أيامِ التَّشْريقِ .

وهذا الحديثُ قد رواه الإمامُ أحمدُ[5] متصلًا مطولًا ، فقال : ثنا عفَّانُ[6] ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أنبأنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن أبى حُرَّةَ الرَّقَاشىِّ ، عن عمِّه قال : كنتُ آخذًا بزِمامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أوْسَطِ أيامِ التَّشْريقِ أَذودُ عنه الناسَ ، فقال : « يا أيُّها الناسُ ، أتَدْرون فى أىِّ شهرٍ أنتم ؟ وفى أىِّ يومٍ أنتم ؟ وفى أىِّ بلدٍ أنتم ؟ » قالوا : فى يومٍ حَرامٍ ، وشهرٍ حرامٍ ، وبلَدٍ حرامٍ . قال : « فإن دماءَكم وأموالكم وأعْراضَكم عليكم حَرامٌ ، كحُرْمةِ يومِكم هذا ، فى شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، إلى يومِ[7] تَلْقَوْنه » . ثم قال : « اسْمَعوا منِّى تَعِيشوا ، ألا لا تَظْلِموا ،

---

(١) أبو داود (١٩٥٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٢٤) .

(٢) سقط من : ٤١ . وفى م ، ص : « حصين » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٢٢ .

(٣) يوم الرءوس : هو أول أيام التشريق ، وقيل : ثانى أيام التشريق . وسمى بذلك ؛ لأنهم كانوا يأكلون فيه رءوس الأضاحى . انظر عون المعبود ٢/ ١٤٣ ، وما سيأتى من كلام المصنف . فى صفحة ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(٤) هنا وفيما يأتى ، فى ص : « حمزة » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٥٦ .

(٥) المسند ٥/ ٧٢ .

(٦) فى م ، ص : « عثمان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٦٠ .

(٧) فى م : « أن » .

ألا لا تَظْلِموا ، ألا لا تَظْلِموا ، إنه لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ[1] إلَّا بطِيبِ نفسٍ منه ، ألا إن كلَّ دمٍ ومالٍ ومأْثُرةٍ[2] كانت فى الجاهليَّةِ تحتَ قدمى [٣/ ٣١٩ظ] هذه إلى يومِ القيامةِ ، وإن أولَ دمٍ يُوضَعُ دمُ ربيعةَ[3] بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، كان مُسْتَرْضِعًا فى بنى ليْثٍ[4] ، فقتَلَتْه هُذَيْلٌ ، ألَا و[5]إن كلَّ رِبًا كان[5] فى الجاهليَّةِ مَوْضوعٌ ، وإن اللَّهَ ، عز وجل ، قضَى أن أولَ رِبًا يُوضَعُ رِبَا العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، لكم رُءُوسُ أموالِكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون ، ألا وإن الزمانَ قد استدارَ كهيئتِه[6] يومَ خلَق اللَّهُ السماواتِ والأرضَ » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [التوبة : ٣٦] . « ألا لا تَرْجِعوا بعدى كفارًا يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ ، ألا إن الشيطانَ قد يئِس أن يَعْبُدَه المصلُّون ، ولكنه فى التَّحْرِيشِ بينَكم ، فاتقُوا اللَّهَ ، عز وجل ، فى النساءِ ؛ فإنهن عندَكم عَوانٍ[7] لا يَمْلِكْن لأنفسِهن شيئًا ، وإن لهن

---

(١) بعده فى م ، ص : « مسلم » .

(٢) المأثرة : بفتح المثلثة وضمها ؛ كل ما يُؤثَر ويُذكَر من مكارم أهل الجاهلية ومفاخرهم . بلوغ الأمانى ٢١/ ٢٨٠.

(٣) كذا فى النسخ ، والمسند . وفى صحيح مسلم من حديث جابر الطويل : « ابن ربيعة » . قال النووى : قال المحققون والجمهور : اسم هذا الابن : إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ... قال القاضى عياض : ورواه بعض رواة مسلم : دم ربيعة بن الحارث - وهو لفظ حديثنا - قال : وكذا رواه أبو داود . قيل : هو وهم ، والصواب ابن ربيعة ؛ لأن ربيعة عاش بعد النبى ﷺ إلى زمن عمر بن الخطاب . وتأوله أبو عبيد ، فقال : دم ربيعة ؛ لأنه ولى الدم فنَسَبه إليه . قالوا : وكان هذا المقتول طفلا صغيرا يحبو بين البيوت ، فأصابه حجر فى حرب كانت بين بنى سعد وبنى ليث بن بكر . قاله الزبير بن بكار . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٨٢، ١٨٣.

(٤) فى م ، ص : « سعد » . وكذا وقع فى صحيح مسلم من حديث جابر الطويل .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى ا ٤، م : « كهيئة » . وفى ص : « كهيئية » .

(٧) عوان : أسيرات .

عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حقًّا أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحدًا غيرَكم ، ولا يَأْذَنَّ فى بيوتِكم لأحدٍ تَكْرَهونه ، فإن خِفتم نُشوزَهن فعِظوهن ، واهْجُروهن فى المَضاجعِ ، واضْرِبوهن ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ » - [1] قال حميدٌ : قلنا للحسنِ : ما المُبَرِّحُ ؟ قال : المؤثِّرُ [1] - « ولهن رِزْقُهن وكِسْوتُهن بالمعروفِ ، وإنما أخَذْتُموهن بأمانةِ اللَّهِ ، واسْتَحْلَلْتُم فُروجَهن بكلمةِ اللَّهِ ، عز وجل ، ألا [2] ومَن كانت عندَه أمانةٌ فلْيُؤَدِّها إلى مَن ائْتَمَنه عليها » . وبسَط يدَه [3] ، فقال : « ألا هل بلَّغْتُ ؟ [4] ألا هل بَلَّغْتُ ؟ ألا هل بَلَّغْتُ ؟ [4] » ثم قال : « لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ؛ فإنه رُبَّ مُبَلَّغٍ أسْعَدُ مِن سامعٍ » . قال حميدٌ : قال الحسنُ حينَ بلَّغ هذه الكلمةَ : قد واللَّهِ بَلَّغوا أقوامًا كانوا أسعدَ به . وقد روَى أبو داودَ فى كتابِ النكاحِ مِن « سننِه » [5] عن موسى ابنِ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن أبى حُرَّةَ الرَّقَاشىِّ - واسمُه حَنيفةُ - عن عمِّه ببعضِه فى النُّشوزِ .

قال ابنُ حزمٍ [6] : جاء أنه خطَب يومَ الرءُوسِ ، وهو اليومُ الثانى مِن يومِ النحرِ بلا خلافٍ عن أهلِ مكةَ ، وجاء أنه أوْسَطُ أيامِ التَّشْريقِ ؛ فتُحْمَلُ [7] على أن أوْسَطَ بمعنى أَشْرَفَ ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . وهذا المَسْلَكُ الذى سلكه ابنُ حزمٍ بعيدٌ . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٣) كذا فى النسخ . وفى المسند : « يديه » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٤١ . وفى م ، ص : « ألا هل بلغت » . والمثبت من المسند .

(٥) أبو داود (٢١٤٥) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٨٧٨) .

(٦) حجة الوداع ص ١٢٥ بنحوه .

(٧) فى م : « فيحتمل » .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[1] : حدَّثنا الوليدُ بنُ عمرِو بنِ السُّكينِ[2] ، ثنا أبو همامٍ محمدُ بنُ الزِّبْرِقانِ ، ثنا موسى بنُ عُبَيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ وصدَقَةَ بنِ يَسارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : نزلتْ هذه السورةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بمنًى وهو فى أوسطِ أيامِ التَّشْريقِ [3]فى حَجةِ الوَداعِ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[3] فعرَف أنه الوَداعُ ، فأمَر براحلتِه القَصْواءِ ، فرُحِلت له ، ثم ركِب فوقَف للناسِ بالعَقَبةِ [٣/ ٣٢٠و] ، فاجتمع إليه ما شاء اللَّهُ مِن المسلمين ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : « أما بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فإن كلَّ دمٍ كان فى الجاهليةِ فهو هَدَرٌ ، وإن أولَ دمائِكم أَهْدِرُ[4] دمُ ربيعةَ بنِ الحارثِ ، كان مُسْتَرْضِعًا فى بنى ليثٍ فقتَلَتْه هُذَيْلٌ ، وكلُّ رِبًا فى الجاهليةِ فهو مَوْضوعٌ ، وإن أولَ رِباكم أضَعُ رِبا العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، أيُّها الناسُ ، إن الزمانَ قد استدار كهيئتِه[5] يومَ خلَق اللَّهُ السماواتِ والأرضَ ، وإن عدةَ الشهورِ [6]عندَ اللَّهِ[6] اثنا عشَرَ شهرًا ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ؛ رجبُ مُضَرَ الذى بينَ جُمادَى وشعبانَ ، وذو القَعْدةِ ، وذو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية [التوبة : ٣٦] . ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] كانوا يُحِلُّون صَفَرًا عامًا ، ويُحَرِّمون المُحَرَّمَ عامًا ،

---

(١) كشف الأستار (١١٤١) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٦٨: فيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . وقال فى كشف الأستار : فى الصحيح وغيره طرف منه .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « مسكين » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٦٣.

(٣ - ٣) ليس فى كشف الأستار ، ومجمع الزوائد .

(٤) فى كشف الأستار : « أهدم » .

(٥) سقط من : ٤١. وفى م ، ص : « كهيئة » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى كشف الأستار ، ومجمع الزوائد .

ويُحَرِّمون صَفَرًا عامًا ، ويُحِلُّون المُحَرَّمَ عامًا ، فذلك النَّسِيءُ ، يا أيُّها الناسُ ، مَن كانت عندَه وَديعةٌ فلْيُؤَدِّها إلى مَن ائْتَمَنه عليها ، أيُّها الناسُ ، إن الشيطانَ قد يَئِس أن يُعْبَدَ ببلادِكم آخرَ الزمانِ ، وقد يَرْضَى عنكم بمُحَقَّراتِ الأعمالِ ، [1] فاحْذَروا على دينِكم مُحَقَّراتِ [1] الأعمالِ ، أيُّها الناسُ ، إن النساءَ عندَكم عَوانٌ ، أخَذْتُموهن بأمانةِ اللَّهِ ، واسْتَحْلَلْتُم فُروجَهن بكلمةِ اللَّهِ ، لكم عليهن حقٌّ ، ولهن عليكم حقٌّ ، ومِن حقِّكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم غيرَكم [2] ولا يَعْصِينَكم فى معروفٍ ، فإن فعَلْن ذلك فليس لكم عليهن سبيلٌ ، ولهن رِزْقُهن وكِسْوتُهن بالمعروفِ ، فإن ضرَبْتُم فاضرِبوا ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ مِن مالِ أخيه إلا ما طابت به نفسُه ، أيُّها الناسُ ، إنى قد ترَكْتُ فيكم ما إن أخَذْتم [3] به لم تَضِلُّوا ؛ كتابَ اللَّهِ ، فاعْمَلوا به ، أيُّها الناسُ ، أىُّ يومٍ هذا ؟ » قالوا : يومٌ حَرامٌ . قال : « فأىُّ بلدٍ هذا ؟ » قالوا : بلدٌ حرامٌ . قال : « فأىُّ شهرٍ هذا ؟ » قالوا : شهرٌ حَرامٌ . قال : « فإن اللَّهَ حرَّم دماءَكم وأموالكم وأعْراضَكم ، كحُرْمةِ هذا اليومِ ، فى هذا البلدِ ، وهذا الشهرِ ، ألَا لِيُبَلِّغْ شاهدُكم غائبَكم ، لا نبىَّ بعدى ، ولا أمَّةَ بعدَكم » . ثم رفَع يدَيه ، فقال : « اللهم اشْهَدْ » .

(١ - ١) فى النسخ : « فاحذروه على دينكم بمحقرات » . والمثبت من كشف الأستار ، ومجمع الزوائد .

(٢) ليس فى كشف الأستار ، ومجمع الزوائد .

(٣) فى كشف الأستار ، ومجمع الزوائد : « تمسكتم » .

(١) ذِكْرُ إيرادِ حديثٍ فيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يزورُ البيتَ فى كلّ ليلةٍ مِن ليالى مِنًى (١)

قال البخاريُّ (٢) : يُذْكَرُ عن أبى حَسَّانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يزورُ البيتَ فى أيامِ منًى . هكذا ذكَره مُعَلَّقًا بصيغةِ التَّمْريضِ .

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ (٣) : [٣/ ٣٢٠ظ] أخبَرَناه أبو الحسنِ بنُ عَبْدانَ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا العُمَرىُّ ، أنبأنا ابنُ عَرْعَرَةَ قال : دفَع إلينا مُعاذُ بنُ هشامٍ كتابًا ، قال : سمِعْتُه مِن أبى . ولم يقْرَأْه ، قال : فكان فيه عن قتادةَ ، عن أبى حَسانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يزورُ البيتَ كلَّ ليلةٍ ما دام بمنًى . قال : وما رأيْتُ أحدًا واطأه عليه . قال البيهقىُّ : وروَى الثورىُّ فى « الجامعِ » عن (٤) ابنِ طاوُسٍ ، عن (٤) طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُفيضُ كلَّ ليلةٍ . يعنى ليالىَ مِنًى . وهذا مرسلٌ .

فصلٌ

اليومُ السادسُ مِن ذى الحِجةِ ، قال بعضُهم : يقالُ له : يومُ الزِّينةِ . لأنه تُزَيَّنُ فيه البُدْنُ بالجِلالِ وغيرِها ، واليومُ السابعُ يقالُ له : يومُ التَّرْويةِ . لأنهم يتَرَوَّوْن فيه

(١ - ١) فى ا ٤١: « ذكر أن الرسول ﷺ لم يزر البيت فى أيام منى » . وفى م : « حديث الرسول ﷺ يزور البيت كل ليلة من ليالى منى » .

(٢) فتح البارى ٣/ ٥٦٧.

(٣) السنن الكبرى ٥/ ١٤٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣٥٧.

مِن الماءِ، ويَحْمِلون منه ما يحْتاجون إليه حالَ الوقوفِ وما بعدَه، واليومُ الثامنُ يقالُ له: يومُ مِنًى. لأنهم يرْحَلون فيه مِن الأَبْطَحِ إلى منًى، واليومُ التاسعُ يقالُ له: يومُ عرفةَ. لوقوفِهم فيه بها، واليومُ العاشرُ يقالُ له: يومُ النحرِ ويومُ الأضْحَى ويومُ الحجِّ الأكبرِ. واليومُ الذى يليه يقالُ له: يومُ القَرِّ. لأنهم يَقِرُّون فيه، ويقالُ له: يومُ الرُّءوسِ. لأنهم يأْكُلون فيه رءوسَ الأضاحى، وهو أولُ أيامِ التَّشْريقِ، وثانى أيامِ التَّشْريقِ يقالُ له: يومُ النَّفْرِ الأولِ. لجوازِ النَّفْرِ فيه، وقيل: هو اليومُ الذى يقالُ له: يومُ الرءوسِ. واليومُ الثالثُ مِن أيامِ التَّشْريقِ يقالُ له: يومُ النَّفْرِ الآخِرِ. قال اللَّهُ تعالى[1]: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٠٣]. [2]فلما كان يومُ النَّفْرِ الآخِرِ، وهو اليومُ الثالثُ مِن أيامِ التَّشْريقِ[2]، وكان يومَ الثلاثاءِ، ركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون معه، فنفَر بهم مِن منًى فنزَل المُحَصَّبَ، وهو وادٍ بينَ مكةَ ومنًى، فصلَّى به العصرَ.

كما قال البخاريُّ[3]: حدثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، ثنا إسحاقُ بنُ يوسفَ، ثنا سفيانُ الثوريُّ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ قال: سأَلْتُ أنسَ بنَ مالكٍ: أخبِرْنى بشىءٍ[4] عقَلْتَه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ أين صلَّى الظهرَ يومَ التَّرْويةِ؟ قال: بمنًى. قلتُ: فأين صلَّى العصرَ يومَ النَّفْرِ؟ قال: بالأَبْطَحِ، افعَلْ كما يفعَلُ أُمراؤُك. وقد رُوِى أنه ﷺ صلَّى الظهرَ يومَ النَّفْرِ بالأبْطَحِ، وهو المُحَصَّبُ. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) التفسير ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) البخارى (١٧٦٣).

(٤) فى الأصل، م: «عن شىء».

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عبدُ المُتَعالِ بنُ طالبٍ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى عمرُو ابنُ الحارثِ أن قتادةَ حدثه أن أنسَ بنَ مالكٍ حدَّثه عن النبىِّ ﷺ أنه صلَّى الظهرَ [٣/ ٣٢١و] والعصرَ والمغربَ[2] والعِشاءَ ، ورقَد رَقْدةً بالمُحَصَّبِ ، ثم ركِب إلى البيتِ فطاف به . قلتُ : يعنى طوافَ الوَداعِ .

وقال البخاريُّ[3] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، ثنا خالدُ بنُ الحارثِ قال : سُئِل [4]عبيدُ اللَّهِ[4] عن المُحَصَّبِ ، فحدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ عن نافعٍ قال : نزَل بها رسولُ اللَّهِ ﷺ وعمرُ وابنُ عمرَ . وعن نافعٍ أن ابنَ عمرَ كان يصلى بها - يعنى المَحَصَّبَ - الظهرَ والعصرَ - أحْسَبُه قال : والمغربَ . قال خالدٌ : لا أشُكُّ فى العِشاءِ - ثم يَهْجَعُ هَجْعةً ، ويَذْكُرُ ذلك عن النبىِّ ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا نوحُ بنُ مَيْمونٍ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ نَزَلوا المُحَصَّبَ . هكذا رأيْتُه فى « مسندِ الإمامِ أحمدَ » مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ العُمَرىِّ ، عن نافعٍ .

وقد روَى الترمذىُّ هذا الحديثَ عن إسحاقَ بنِ منصورٍ ، وأخرجه ابنُ ماجه عن محمدِ بنِ يحيى ، كلاهما عن عبدِ الرزاقِ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ يَنْزِلون الأَبْطحَ[6] . قال الترمذىُّ : وفى البابِ عن عائشةَ ، وأبى رافعٍ ، وابنِ عباسٍ ،

---

(١) البخارى (١٧٦٤) .
(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٣) البخارى (١٧٦٨) .
(٤ - ٤) فى م : « عبد اللَّه » .
(٥) المسند ٢/ ١٣٨ .
(٦) الترمذى (٩٢١) ، وابن ماجه (٣٠٩٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٧٣٢) .

وحديثُ ابنِ عمرَ حسنٌ غريبٌ، وإنما نَعْرِفُه مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ به.

وقد رواه مسلمٌ[1]، عن محمدِ بنِ مِهْرانَ الرَّازيِّ، عن عبدِ الرزاقِ، عن مَعْمرٍ، عن أيوبَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ كانوا ينْزِلون الأَبْطَحَ. ورواه مسلمٌ[2] أيضًا مِن حديثِ صَخْرِ بنِ جُوَيْرِيَةَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أنه كان [3]يَرَى التحصيبَ سُنَّةً[3]، وكان يصلِّى الظهرَ يومَ النَّفْرِ بالحَصْبةِ. قال نافعٌ: قد حصَّب رسولُ اللَّهِ ﷺ، والخلفاءُ بعدَه.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدثنا يونُسُ، ثنا حمادٌ - يعنى ابنَ سَلَمةَ - عن أيوبَ وحميدٍ، عن بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعِشاءَ بالبَطْحاءِ، ثم هجَع هَجْعةً، ثم دخَل - يعنى مكةَ - فطاف بالبيتِ.

ورواه أحمدُ أيضًا[5]، عن عفَّانَ، عن حمادٍ، عن حميدٍ، عن بكرٍ، عن ابنِ عمرَ، فذكَره وزاد فى آخرِه: وكان ابنُ عمرَ يفْعَلُه. وكذلك رواه أبو داودَ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ[6].

وقال البخاريُّ[7]: ثنا الحُمَيْديُّ، ثنا الوليدُ، ثنا الأَوْزاعيُّ، حدثنى الزهريُّ،

---

(١) مسلم (١٣١٠/٣٣٧).
(٢) مسلم (١٣١٠/٣٣٨).
(٣ - ٣) فى ٤١، م، ص: «ينزل المحصب».
(٤) المسند ٢/ ١٢٤.
(٥) المسند ٢/ ١٠٠.
(٦) أبو داود (٢٠١٣). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٧٣).
(٧) البخارى (١٥٩٠).

عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الغدِ يومَ النحرِ بمنًى : « نحن نازلون غدًا بخَيْفِ بنى كِنانةَ حيث [٣/ ٣٢١ظ] تَقاسموا على الكفرِ » . يعنى بذلك المُحَصَّبَ . الحديثَ . ورواه مسلمٌ ، عن زهيرِ بنِ حربٍ ، عن الوليدِ ابنِ مسلمٍ ، عن الأوزاعىِّ ، فذكَر مثلَه سواءً[١] .

وقال الإمامُ أحمدُ[٢] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا معمرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن علىِّ ابنِ الحسينِ ، عن عمرِو بنِ عثمانَ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أين تنْزِلُ غدًا ؟ فى حَجتِه ، قال : « وهل ترَك لنا عَقِيلٌ منزلًا ؟ » ثم قال : « نحن نازلون غدًا ، إن شاء اللَّهُ ، بخَيْفِ بنى كِنانةَ ، يعنى المُحَصَّبَ ، حيث قاسَمت قريشٌ على الكفرِ » . وذلك أن بنى كِنانةَ حالَفَت قريشًا على بنى هاشمٍ أن لا يُناكِحوهم ولا يُبايِعوهم ولا يُؤْووهم - يعنى حتى يُسْلِموا إليهم رسولَ اللَّهِ ﷺ - ثم قال عندَ ذلك : « لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ ، ولا الكافرُ المسلمَ » . قال الزهرىُّ : والخَيْفُ : الوادى . أخْرجاه مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ[٣] .

وهذان الحديثان فيهما دَلالةٌ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قصَد النزولَ فى المُحَصَّبِ ؛ مُراغَمةً لما كان تَمالأ عليه كفارُ قريشٍ لمَّا كتَبوا الصَّحيفةَ فى مُصارَمةِ بنى هاشمٍ وبنى المطلبِ ، حتى يُسْلِموا إليهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كما قدَّمْنا بيانَ ذلك فى موضعِه[٤] . وكذلك نزَله عامَ الفتحِ ، فعلى هذا يكونُ نُزولُه سُنَّةً مُرَغَّبًا فيها ، وهو أحدُ قولَىِ العلماءِ .

---

(١) مسلم (١٣١٤/٣٤٤) .
(٢) المسند ٥/ ٢٠٢، ٢٠٣.
(٣) البخارى (٣٠٥٨) ، ومسلم (١٣٥١/٤٤٠) .
(٤) تقدم فى ٤/ ٢٠٧.

وقد قال البخاريُّ[1] : ثنا أبو نُعيم ، حدَّثنا سفيانُ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : إنما كان منزلًا يَنْزِلُه النبيُّ ﷺ ليكونَ أسْمَحَ لخروجِه . يعنى الأَبْطحَ . وأخرجه مسلمٌ مِن حديثِ هشامٍ به[2] .

ورواه أبو داودَ[3] ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : إنما نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ المُحَصَّبَ ؛ ليكونَ أسْمَحَ لخروجِه ، وليس بسُنةٍ ، فمَن شاء نزَله ، ومَن شاء لم يَنْزِلْه .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ قال : قال عمرٌو ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : ليس التَّحْصيبُ بشىءٍ ، إنما هو منزلٌ نزَله رسولُ اللَّهِ ﷺ . ورواه مسلمٌ عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ وغيرِه ، عن سفيانَ - وهو ابنُ عيينةَ - به[5] .

وقال أبو داودَ[6] : ثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ وعثمانُ بنُ أبى شيبةَ [7]ومُسَدَّدٌ ، المعْنى[7] ، قالوا : ثنا سفيانُ ، ثنا صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ قال : قال أبو رافعٍ : لم يأمُرْنى - يعنى رسولَ اللَّهِ ﷺ - أن أَنْزِلَه ، ولكن ضرَبْتُ قُبَّتَه[8] فنزَله . قال مُسَدَّدٌ : وكان على ثَقَلِ[9] النبيِّ ﷺ . وقال عثمانُ : يعنى فى

---

(١) البخارى (١٧٦٥) .

(٢) مسلم (١٣١١/٣٣٩) .

(٣) أبو داود (٢٠٠٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٦٨) .

(٤) البخارى (١٧٦٦) .

(٥) مسلم (١٣١٢) .

(٦) أبو داود (٢٠٠٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٦٩) .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وفى سنن أبى داود : « المعنى ، (ح) وثنا مسدد » . وعلى ما فى سنن أبى داود فمسدد لم يروه بالمعنى بل بلفظه ، خلافا لأحمد وابن أبى شيبة . واللَّه أعلم .

(٨) فى م ، ص : « فيه » .

(٩) الثقل : المتاع .

الأبْطَحِ . ورواه مسلمٌ عن قتيبةَ وأبى بكرٍ ، وزهيرِ بنِ حربٍ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ به[1] .

والمقصودُ أن [٣/٣٢٢و] هؤلاء كلَّهم اتفقوا على نزولِ النبىِّ ﷺ فى المُحَصَّبِ لمَّا نفَر مِن منًى ، ولكن اختلفوا ؛ فمنهم مَن قال : لم يَقْصِدْ نزولَه ، وإنما نزَله اتفاقًا ؛ ليكونَ أسْمَحَ لخروجِه . ومنهم مَن أشْعر كلامُه بقصدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، نزولَه ، وهذا هو الأشبهُ ، وذلك أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أمَر الناسَ أن يكونَ آخرُ عهدِهم بالبيتِ ، وكانوا قبلَ ذلك ينْصَرفون مِن كلِّ وجهٍ ، كما قال ابنُ عباسٍ[2] : فأُمِر الناسُ أن يكونَ آخرُ عهدِهم بالبيتِ . يعنى طوافَ الوَداعِ ، فأراد عليه الصلاةُ والسلامُ أن يَطوفَ هو ومَن معه مِن المسلمين بالبيتِ طَوافَ الوَداعِ ، وقد نفَر مِن منًى قُرَيبَ الزَّوالِ ، فلم يكنْ يُمْكِنُه أن يجىءَ البيتَ فى بقيةِ يومِه ويطوفَ به ، ويَرْحَلَ إلى ظاهرِ مكةَ مِن جانبِ المدينةِ ؛ لأن ذلك قد يتَعَذَّرُ على هذا الجَمِّ الغَفيرِ ، فاحتاج أن يَبيتَ قِبَلَ مكةَ ، ولم يكنْ منزلٌ أنسبَ لِمَبيتِه مِن المُحَصَّبِ ، الذى كانت قريشٌ قد عاقدتْ بنى كِنانةَ على بنى هاشمٍ وبنى المطلبِ فيه ، فلم يُبْرِمِ اللَّهُ لقريشٍ أمرًا ، بل كبتهم وردَّهم خائبين ، وأظْهَر اللَّهُ دينَه ، ونصَر نبيَّه ، وأعْلَى كلمتَه ، وأتمَّ له الدينَ القَويمَ ، وأوْضَح به الصراطَ المستقيمَ ، فحجَّ بالناسِ ، وبيَّنَ لهم شَرائعَ اللَّهِ وشَعائرَه ، وقد نفَر بعدَ إكمالِ المَناسِكِ ، فنزَل فى الموضعِ الذى تَقاسَمت قريشٌ فيه على الظلمِ والعُدْوانِ والقَطيعةِ ، فصلَّى به[3] الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعِشاءَ ، وهَجَع هَجْعةً ، وقد

---

(١) مسلم (١٣١٣) .

(٢) البخارى (١٧٥٥) ، ومسلم (١٣٢٨/٣٨٠) .

(٣) سقط من : الأصل .

كان بعَثَ عائشةَ أمَّ المؤمنين مع أخيها عبدِ الرحمنِ؛ ليُعْمِرَها مِن التَّنْعيمِ، فإذا فرَغت أتَتْه، فلما قضَت عمرتَها ورجَعت أذَّن فى المسلمين بالرَّحيلِ إلى البيتِ العَتيقِ.

كما قال أبو داودَ[1]: حدثنا وهبُ بنُ بَقِيَّةَ، ثنا خالدٌ، عن أفْلَحَ، عن القاسمِ، عن عائشةَ قالت: أحْرَمْتُ مِن التنعيمِ بعُمرةٍ، فدخَلْتُ فقضَيْتُ عمرتى، وانْتَظَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالأَبْطحِ حتى فرَغْتُ، وأمَر الناسَ بالرحيلِ. قالت: وأتَى رسولُ اللَّهِ ﷺ البيتَ فطاف به، ثم خرَج. وأخْرَجاه فى «الصحيحَيْن» مِن حديثِ أفْلَحَ بنِ حُمَيْدٍ[2].

ثم قال أبو داودَ[3]: ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، ثنا أبو بكرٍ - يعنى الحَنَفىَّ - ثنا أفْلَحُ، عن القاسمِ، عنها - يعنى عائشةَ - قالت: خرَجْتُ معه - تَعنى رسولَ اللَّهِ ﷺ - النَّفْرَ الآخِرَ ونزَل المُحَصَّبَ - قال أبو داودَ: فذكَر[4] ابنُ بشارٍ قصةَ بعثِها إلى التَّنْعيمِ - قالت: ثم جئتُه بسَحَرٍ، فأذَّن فى أصحابِه بالرحيلِ، فارتحل، فمر بالبيتِ قبلَ صلاةِ الصبحِ، فطاف به حينَ خرَج، ثم انصرف مُتَوَجِّهًا [٣/ ٣٢٢ظ] إلى المدينةِ. ورواه البخارىُّ عن محمدِ بنِ بَشَّارٍ به[5].

قلتُ: والظاهرُ أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، صلَّى الصبحَ يومَئذٍ عندَ الكعبةِ بأصحابِه، وقرَأ فى صلاتِه تلك بسورةِ[6] ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى

---

(١) أبو داود (٢٠٠٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٦٦).
(٢) البخارى (١٧٨٨)، ومسلم (١٢١١/١٢٣).
(٣) أبو داود (٢٠٠٦). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٧٦٧).
(٤) كذا فى النسخ. وفى سنن أبى داود: «ولم يذكر».
(٥) البخارى (١٥٦٠) مطولًا.
(٦) التفسير ٤٠٣/٧ - ٤١٦.

رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ السورة بكمالِها .

وذلك لِما رواه البخاريُّ حيث قال[1] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدثنى مالكٌ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ نوفلٍ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، عن زينبَ بنتِ أبى سَلَمةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالت : شكَوْتُ إلى رسولِ اللَّهِ أنى أشْتَكى ، قال : « طوفى مِن وراءِ الناسِ وأنت راكبةٌ » . فطُفْتُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يصلِّى حينئذٍ إلى جنبِ البيتِ ، وهو يقْرَأُ : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ . وأخرجه بقيةُ الجماعةِ إلا الترمذىَّ مِن حديثِ مالكٍ بإسنادِه نحوَه[2] .

وقد رواه البخاريُّ[3] مِن حديثِ هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن زينبَ ، عن أمِّ سَلَمَةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وهو بمكةَ وأراد الخروجَ ، ولم تكنْ أمُّ سَلَمةَ طافت وأرادت الخروجَ ، فقال لها : « إذا أُقِيمت صلاةُ الصبحِ فطوفى على بعيرِكِ والناسُ يُصَلُّون » . فذكَر الحديثَ .

فأما ما رواه الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا أبو معاويةَ ، ثنا هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، عن زينبَ بنتِ أبى سَلَمةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرها أن تُوافِىَ معه صلاةَ الصبحِ يومَ النحرِ بمكةَ . فهو إسنادٌ كما ترَى على شرطِ « الصحيحَيْن » ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن هذا الوجهِ بهذا اللفظِ ، ولعل قولَه : يومَ النحرِ . غَلَطٌ مِن الراوى أو مِن الناسخِ ، وإنما هو يومُ النَّفْرِ ، ويُؤَيِّدُه ما ذكَرْناه مِن

---

(١) البخارى (١٦١٩) .

(٢) مسلم (١٢٧٦/٢٥٨) ، وأبو داود (١٨٨٢) ، والنسائى (٢٩٢٥) ، وابن ماجه (٢٩٦١) .

(٣) البخارى (١٦٢٦) .

(٤) المسند ٦/ ٢٩١.

روايةِ البخاريِّ . واللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لما فرَغ مِن صلاةِ الصبحِ طاف بالبيتِ سبعًا ، ووقَف فى المُلْتَزَمِ بينَ الركنِ الذى فيه الحجَرُ الأسودُ وبينَ بابِ الكعبةِ ، فدَعا اللَّهَ ، عز وجل ، وألْزَق خَدَّه[1] بجدارِ الكعبةِ .

قال الثوريُّ[2] ، عن المُثَنَّى بنِ الصَّبَّاحِ ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُلْزِقُ وجهَه وصدرَه بالمُلْتَزَمِ . المُثَنَّى ضعيفٌ .

فصلٌ

ثم خرَج عليه الصلاةُ والسلامُ مِن أسفلِ مكةَ ، كما قالت عائشةُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ مِن أعلاها ، وخرَج مِن أسفلِها . أخرجاه[3] .

وقال ابنُ عمرَ : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الثَّنِيَّةِ العُلْيا التى [٣/٣٢٣و] بالبَطْحاءِ ، وخرَج مِن الثَّنِيَّةِ السُّفْلى . رواه البخاريُّ ومسلمٌ[4] . وفى لفظٍ : دخَل مِن كَدَاءٍ ، وخرَج مِن كُدًى[5] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، ثنا أجْلَحُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن مكةَ عندَ غروبِ الشمسِ ،

---

(١) فى م ، ص : « جسده » .
(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٦/ ٢٤١٨، من طريق سفيان الثورى به بلفظ : يلزق وجهه وجسده . وقال البيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٩٣: ورواه سفيان الثورى عن المثنى مختصرًا .
(٣) البخارى (١٥٧٧) ، ومسلم (١٢٥٨/٢٢٤) .
(٤) البخارى (١٥٧٥) ، ومسلم (١٢٥٧/٢٢٣) .
(٥) البخارى (١٥٧٨) ، ومسلم (١٢٥٨/٢٢٥) .
(٦) المسند ٣/ ٣٠٥.

فلم يصلِّ حتى أتى سَرِفًا ، وهى على تسعةِ أميالٍ مِن مكةَ . وهذا غريبٌ جدًّا . وأجْلَحُ فيه نظرٌ ، ولعل هذا فى غيرِ حَجةِ الوَداعِ ، فإنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كما قدَّمْنا ، طاف بالبيتِ بعدَ صلاةِ الصبحِ ، فماذا أخَّره إلى وقتِ الغروبِ ؟! هذا غريبٌ جدًّا ، اللهم إلا أن يكونَ ما ادَّعاه ابنُ حزمٍ صحيحًا ؛ مِن أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، رجَع إلى المُحَصَّبِ مِن مكةَ بعدَ طوافِه بالبيتِ طوافَ الوداعِ ، ولم يذْكُرْ دليلًا على ذلك إلا قولَ عائشةَ حينَ رجَعَت مِن اعتمارِها مِن التَّنْعيمِ ، فلقِيَته مُصْعِدةً[1] ، وهو مُنْهَبِطٌ على أهلِ مكةَ ، أو مُنْهَبِطةً وهو مُصْعِدٌ . قال ابنُ حزمٍ[2] : الذى لا شكَّ فيه أنها كانت مُصْعِدةً مِن مكةَ وهو مُنْهَبِطٌ ؛ لأنها تقَدَّمت إلى العمرةِ ، وانتَظَرها حتى جاءت ، ثم نهَض عليه الصلاةُ والسلامُ إلى طوافِ الوداعِ ، فلَقِيَها مُنْصَرِفةً إلى المُحَصَّبِ مِن مكةَ .

وقال البخاريُّ[3] : بابُ مَن نزَل بذى طُوًى إذا رجَع مِن مكةَ . وقال محمدُ ابنُ عيسى : حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه كان إذا أقْبَل بات بذى طُوًى ، حتى إذا أصْبَح دخَل ، وإذا نفَر مرَّ بذى طُوًى ، وبات بها حتى يُصْبِحَ ، وكان يَذْكُرُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يفْعَلُ ذلك . هكذا ذكَر هذا مُعَلَّقًا بصيغةِ الجَزْمِ ، وقد أسْنَده هو ومسلمٌ مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ به[4] ، لكن ليس فيه ذِكْرُ المَبيتِ بذى طُوًى فى الرَّجْعةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م ، ص : « بصعدة » .

(٢) حجة الوداع ص ١٣٣.

(٣) فتح البارى ٣/٥٩٢ ، حديث (١٧٦٩) معلقا .

(٤) مسلم (١٢٥٩/٢٢٧) . ولم يسنده البخارى فى صحيحه من حديث حماد بن زيد ، كما قال المصنف ، وإنما أسنده من حديث إسماعيل بن علية عن أيوب به (١٥٧٣) . وانظر تحفة الأشراف ٦/ ٦٢، وكلام الحافظ فى الفتح ٣/ ٥٩٣، وتغليق التعليق ٣/ ١١٤، ١١٥.

فائدةٌ عزيزةٌ : فيها أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَصْحَب معه مِن ماءِ زَمْزَمَ شيئًا .

قال الحافظُ أبو عيسى الترمذىُّ[1] : حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، ثنا خَلَّادُ بنُ يَزيدَ الجُعْفِىُّ ، ثنا زهيرُ بنُ معاويةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنها كانت تحْمِلُ مِن ماءِ زمزمَ ، وتُخْبِرُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يحْمِلُه . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ[2] غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن هذا الوجهِ .

وقال البخارىُّ[3] : ثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ ، أخبرنا عبدُ اللَّهِ - هو ابنُ المباركِ - ثنا موسى بنُ عقبةَ ، عن سالمٍ ونافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان [٣/٣٢٣ظ] إذا قفَل مِن الغزوِ أو الحجِّ أو العمرةِ ، يبدأُ فيُكَبِّرُ ثلاثَ مراتٍ ، ثم يقولُ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، آيِبون تائبون عابدون ساجدون ، لربِّنا حامدون ، صدَق اللَّهُ وعْدَه ، ونصَر عبدَه ، وهزَم الأحْزابَ وحدَه » . والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

فصلٌ : فى إيرادِ الحديثِ الدالِّ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، خطَب بمكانٍ بينَ مكةَ والمدينةِ مَرْجِعَه مِن حَجةِ الوداعِ قريبٍ مِن الجُحْفةِ ، يقال له : غَديرُ خُمٍّ . فبيَّن فيها فضلَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وبراءةَ عِرْضِه مما كان تَكَلَّم فيه بعضُ مَن كان معه بأرضِ اليمنِ ، بسببِ ما كان صدَر منه إليهم مِن المَعْدِلَةِ التى ظنَّها بعضُهم جَوْرًا وتَضْييقًا وبخلًا ، والصوابُ كان معه فى ذلك ، ولهذا لمَّا

---

(١) الترمذى (٩٦٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٧٦٩) .

(٢) سقط من : ص .

(٣) البخارى (٤١١٦) .

تفرَّغ عليه الصلاةُ والسلامُ مِن بيانِ المَناسِكِ ورجَع إلى المدينةِ بيَّنَ ذلك فى أثناءِ الطريقِ ، فخطَب خطبةً عظيمةً فى اليومِ الثامنَ عشَرَ مِن ذى الحِجةِ عامَئذٍ ، وكان يومَ الأحدِ بغَديرِ خُمٍّ تحتَ شجرةٍ هناك ، فبيَّنَ فيها أشياءَ ، وذكَر مِن فضلِ علىٍّ وأمانتِه وعَدْلِه وقُرْبِه إليه ، ما أزاح به ما كان فى نفوسِ كثيرٍ مِن الناسِ منه ، ونحن نُورِدُ عُيونَ الأحاديثِ الواردةِ فى ذلك ، ونُبَيِّنُ ما فيها مِن صحيحٍ وضعيفٍ بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه وعونِه ، وقد اعْتَنى بأمرِ هذا الحديثِ أبو جعفرٍ محمدُ ابنُ جريرٍ الطَّبَرىُّ صاحبُ « التفسيرِ » و « التاريخِ » ، فجمَع فيه مُجلَّدَيْن أورد فيهما طُرُقَه وألفاظَه ، وساق الغَثَّ والسَّمِينَ ، والصحيحَ والسقيمَ ، على ما جرَت به عادةُ كثيرٍ مِن المحدِّثِين ؛ يُوردون ما وقَع لهم فى ذلك البابِ مِن غيرِ تمييزٍ بينَ صحيحِه وضعيفِه ، وكذلك الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عَساكرَ أوْرَد أحاديثَ كثيرةً فى هذه الخُطبةِ ، ونحن نُورِد عُيونَ ما رُوِى فى ذلك ، مع إعْلامِنا أنه لا حظَّ للشيعةِ فيه ، ولا مُتَمَسَّكَ لهم ولا دليلَ ، لِما سنُبَيِّنُه ونُنَبِّهُ عليه ، فنقولُ وباللَّهِ المستعانُ :

قال محمدُ بنُ إسحاقَ فى سياقِ حَجةِ الوداعِ[1] : حدثنى يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَمْرةَ ، عن يزيدَ بنِ طَلْحةَ بنِ يزيدَ بنِ رُكانةَ قال : لمَّا أقْبَل علىٌّ مِن اليمنِ ليَلْقَى رسولَ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، تعَجَّل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واستَخْلَف على جُندِه الذين معه رجلًا مِن أصحابِه ، فعمَد ذلك الرجلُ فكسَا كلَّ رجلٍ مِن القومِ حُلَّةً مِن البَزِّ الذى كان [٣/ ٣٢٤و] مع علىٍّ ، فلما دَنا جيشُه خرَج ليَلْقَاهم ، فإذا عليهم الحُلَلُ ، قال : ويْلَك ! ما هذا ؟ قال : كسَوْتُ القومَ ؛ ليتَجَمَّلوا به إذا قدِموا فى الناسِ . قال : ويلَك ! انزِعْ قبلَ أن تَنْتَهِىَ به إلى رسولِ

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٣.

اللَّهِ ﷺ . قال : فانْتَزَع الحُلَلَ مِن الناسِ ، فردَّها فى البَرِّ . قال : وأظْهَر الجيشُ شَكْواه لِما صَنَع بهم .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ معمرِ بنِ حزمٍ ، عن سليمانَ بنِ محمدِ بنِ كعبِ بنِ عُجْرةَ ، عن عمَّتِه زينبَ بنتِ كعبٍ - وكانت عندَ أبى سعيدٍ الخدرىِّ - عن أبى سعيدٍ قال : اشْتَكى الناسُ عليًّا ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا خطيبًا ، فسمِعْتُه يقولُ : « أيُّها الناسُ ، لا تَشْكوا عليًّا ، فواللَّهِ إنه لأَخْشَنُ فى ذاتِ اللَّهِ - أو فى سبيلِ اللَّهِ - [2]مِن أن يُشْكَى[2] » . ورواه الإمامُ أحمدُ[3] ، [4]مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ به ، وقال : « إنه لأَخْشَنُ فى ذاتِ اللَّهِ ، أو فى سبيلِ اللَّهِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4][5] : حدثنا الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ ، ثنا ابنُ أبى غَنِيَّةَ[6] ، عن الحكمِ[7] ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن بُرَيْدَةَ قال : غزَوْتُ مع علىٍّ اليمنَ فرأَيْتُ منه جَفْوةً ، فلما قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ذكَرْتُ عليًّا فتنقَّصْتُه ، فرأيْتُ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ ، فقال : « يا بُرَيْدةُ ، ألستُ أوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسِهم ؟ » قلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . وكذا رواه النسائىُّ عن أبى داودَ الحَرَّانىِّ ، عن أبى نُعَيمٍ الفضلِ بنِ دُكَيْنٍ ، عن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٠٣ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٤١ ، ص .

(٣) المسند ٣/ ٨٦. وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/١٢٩ ، وسكت عليه .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) المسند ٥/ ٣٤٧.

(٦) فى الأصل ، والمسند : « عيينة » . وفى ص : « عينة » . وهو عبد الملك بن حميد بن أبى غنية . انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٠٢، ٣٠٣، وأطراف المسند ١/ ٦٢٨.

(٧) فى المسند : « الحسن » . وانظر أطراف المسند الموضع السابق .

عبدِ الملكِ بنِ أبى غَنِيَّةَ بإسنادِه نحوَه[1] . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ رجالُه كلُّهم ثقاتٌ .

وقد روَى النسائىُّ فى « سننِه »[2] عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن يحيى بنِ حمادٍ ، عن [3]أبى عَوانةَ[3] ، عن الأعْمشِ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ قال : لما رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حَجةِ الوَداعِ ، ونزَل غَديرَ خُمٍّ ، أمَر بدَوْحاتٍ فقُمِمْنَ ، ثم قال : « كأنى قد دُعِيتُ فأجَبْتُ ، إنى قد ترَكْتُ فيكم الثَّقَلَيْن ، [4]أحدُهما أكبرُ من الآخَرِ[4] ، كتابَ اللَّهِ وعِتْرتى أهلَ بيتى ، فانظُروا كيف تخْلُفونى فيهما ، فإنهما لن يَفْتَرِقا[5] حتى يَرِدا علىَّ الحوضَ » . ثم قال : « اللَّهُ مولاىَ ، وأنا وليُّ كلِّ مؤمنٍ » . ثم أخَذ بيدِ علىٍّ ، فقال : « مَن كنتُ مولاه فهذا وليُّه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . فقلتُ لزيدٍ : سمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : ما كان فى الدَّوْحاتِ أحدٌ إلا رآه بعينيه ، وسمِعه بأذنيه . تفرد به النسائىُّ مِن هذا الوجهِ . قال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذهبىُّ : وهذا حديثٌ صحيحٌ[6] .

وقال ابنُ ماجه[7] : حدَّثنا علىُّ بنُ محمدٍ ، أنبأنا أبو الحسينِ ، أنبأنا حمادُ بنُ

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨٤٦٧) .

(٢) النسائى فى الكبرى (٨٤٦٤) .

(٣ - ٣) فى النسخ : « أبى معاوية » . والمثبت من السنن الكبرى وتحفة الأشراف ٣/ ١٩٥. وهو الوضاح ابن عبد اللَّه اليشكرى . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٤١.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من السنن الكبرى .

(٥) فى السنن الكبرى : « يتفرقا » .

(٦) أخرج هذا الحديث الحاكم فى المستدرك ٣/١٠٩ ، من طريق حبيب بن أبى ثابت به ، وقال : هذا حديث صحيح . ووافقه الذهبى .

(٧) ابن ماجه (١١٦) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٩٤) .

سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن عديِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ قال : أقبَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حَجتِه[1] [٣/٣٢٤ظ] التى حجَّ ، فنزَل فى بعضِ[2] الطريقِ ، فأمَر : الصلاةَ جامعةً . فأخَذ بيدِ عليٍّ ، فقال : « ألستُ أولى بالمؤمنين مِن أنفسِهم ؟ » قالوا : بلى . قال : « ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ مِن نفسِه ؟ » قالوا : بلى . قال : « فهذا وليُّ مَن أنا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه[3] ، وعادِ مَن عاداه » . وكذا رواه عبدُ الرزاقِ عن معمرٍ ، عن عليِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن عديٍّ ، عن البراءِ[4] .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى الموصليُّ والحسنُ بنُ سفيانَ[5] : ثنا هُدْبةُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ وأبى هارونَ ، عن عديِّ بنِ ثابتٍ ، عن البراءِ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حَجةِ الوداعِ ، فلمَّا أتَيْنا على غَديرِ خُمٍّ كُسِح[6] لرسولِ اللَّهِ ﷺ تحتَ شجرتين ، ونُودى فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . ودَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليًّا ، وأخَذ بيدِه ، فأقامه عن يمينِه ، فقال : « ألستُ أوْلَى بكلِّ مؤمنٍ[7] مِن نفسِه ؟ » قالوا : بلى . قال : « فهذا [8]مُوالِى مَن أنا مُوالِيه ، و[8] مَوْلى مَن أنا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . فلقِيَه عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال :

---

(١) فى النسخ : « حجة الوداع » . والمثبت من سنن ابن ماجه .
(٢) سقط من النسخ . والمثبت من سنن ابن ماجه .
(٣) بعده فى السنن : « اللهم » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٢٧ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .
(٥) المصدر السابق ١٢/٢٢٧، ٢٢٨ مخطوط ، من طريق أبى يعلى به ، و١٢/٢٢٧ من طريق الحسن ابن سفيان به .
(٦) فى م : « كشح » . وكسح : كُنس .
(٧) فى النسخ : « امرئ » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

هَنيئًا لك ، أصْبَحْتَ وأمْسَيْتَ مَوْلى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ . ورواه ابنُ جريرٍ عن أبى زُرْعةَ ، عن موسى بنِ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ وأبى هارونَ العَبْدىِّ - وكلاهما ضعيفٌ - عن عدىِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ به[1] . وروَى ابنُ جريرٍ[2] هذا الحديثَ مِن حديثِ موسى بنِ عثمانَ الحَضْرمىِّ - وهو ضعيفٌ جدًّا - عن أبى إسحاقَ السَّبِيعىِّ ، عن البَراءِ وزيدِ بنِ أرقمَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا عبدُ الملكِ ، عن أبى عبدِ الرحيمِ الكِندىِّ ، عن زاذانَ أبى عمرَ قال : سمِعْتُ عليًّا بالرَّحْبةِ[4] وهو يَنْشُدُ الناسَ : مَن شهِد رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ وهو يقولُ ما قال ؟ قال : فقام اثنا[5] عشَرَ رجلًا ، فشهِدوا أنهم سمِعوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . تفرد به أحمدُ . وأبو عبدِ الرحيمِ هذا لا يُعْرَفُ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ فى مسند أبيه[6] : حَدَّثنا علىُّ بنُ حكيمٍ الأوْدىُّ ، أخبرنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ وهبٍ ، وعن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ[7] ، قالا : نشَد علىٌّ الناسَ فى الرَّحْبةِ : مَن سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غَديرِ خُمٍّ[8] إلا قام . قال : فقام مِن قِبَلِ سعيدٍ ستةٌ ، ومِن قِبَلِ زيدٍ ستةٌ ، فشهِدوا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٢٨ مخطوط ، من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد وأبى هارون العبدى كلاهما عن عدى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٢٨ مخطوط ، من طريق موسى بن عثمان الحضرمى به ووقع فيه : « الحربى » بدل « الحضرمى » . وانظر ميزان الاعتدال ٤/ ٢١٤.

(٣) المسند ١/ ٨٤. (إسناده ضعيف) .

(٤) سيأتى تعريفها فى صفحة ٦٧٥.

(٥) كذا فى النسخ . وفى المسند : « ثلاثة » .

(٦) المسند ١/١١٨ . (إسناده صحيح) .

(٧) فى م : « يثيغ » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١١٥.

(٨) بعده فى م : « ما قال » .

أنهم سمِعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعليٍّ يومَ غَديرِ خُمٍّ : « أليس اللَّهُ أوْلَى بالمؤمنين[1] ؟ » قالوا : بلى . قال : « اللهم مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم [٣/ ٣٢٥و] والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » .

قال عبدُ اللَّهِ[2] : وحدثنى عليُّ بنُ حكيمٍ ، أنا شريكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرٍو ذى مُرٍّ[3] بمثلِ حديثِ أبى إسحاقَ ، يعنى عن سعيدٍ وزيدٍ ، وزاد فيه : « وانصُرْ مَن نصَره ، واخْذُلْ مَن خذَله » .

قال عبدُ اللَّهِ[2] : وحدَّثنا عليٌّ ، ثنا شَرِيكٌ ، عن الأعْمشِ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه .

وقال النسائىُّ فى كتابِ « خصائصِ عليٍّ »[4] : حدَّثنا الحسينُ بنُ حُرَيثٍ[5] ، ثنا الفضلُ بنُ موسى ، عن الأعْمشِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ وهبٍ قال : قال عليٌّ فى الرَّحْبةِ : أَنشُدُ باللَّهِ رجلًا[6] سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ يقولُ : « إن اللَّهَ [7]وَلِيِّى وأنا[7] وليُّ المؤمنين ، ومَن كنتُ وليَّه فهذا وليُّه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانصُرْ مَن نصَره » . وكذلك رواه شعبةُ عن أبى إسحاقَ[8] . وهذا إسنادٌ جيدٌ .

---

(١) بعده فى م : « من أنفسهم » .
(٢) المسند ١/ ١١٨. (إسناده صحيح) .
(٣) فى م : « أمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٠٢.
(٤) خصائص على (٩٨) ، كما أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٤٨٣) .
(٥) فى النسخ : « حرب » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.
(٦) فى الخصائص ، والسنن الكبرى : « من » .
(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٨) النسائى فى الكبرى (٨٤٧١) .

ورواه النسائىُّ أيضًا[1] مِن حديثِ إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرٍو ذى مُرٍّ[2] قال : نشَد علىٌّ الناسَ بالرَّحْبةِ ، فقام أناسٌ فشهِدوا أنهم سمِعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غديرِ خُمٍّ : « مَن كنتُ مولاه فإن عليًّا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وأحِبَّ مَن أحبَّه ، وأبْغِضْ مَن أبْغَضَه ، وانصُرْ مَن نصَرَه » . ورواه ابنُ جريرٍ[3] عن أحمدَ بنِ منصورٍ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ[4] بنِ وهبٍ ، وعبدِ خيرٍ ، عن علىٍّ . وقد رَواه ابنُ جريرٍ[5] عن أحمدَ بنِ منصورٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ موسى ، وهو شيعىٌّ ثقةٌ ، عن فِطْرِ[6] بنِ خَليفةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ[4] بنِ وهبٍ ، وزيدِ بنِ يُثَيْعٍ[7] ، وعمرٍو ذى مُرٍّ[2] ، أن عليًّا نَشَد الناسَ بالكوفةِ . وذكَر الحديثَ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[8] : حدَّثنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ القَوارِيرىُّ ، ثنا يونسُ ابنُ أرْقَمَ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى زيادٍ عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى : شهِدْتُ عليًّا فى الرَّحْبةِ ينْشُدُ الناسَ ، فقال : أَنْشُدُ اللَّهَ مَن سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . لَمَّا[9] قام فشهِد . قال عبدُ الرحمنِ : فقام

---

(١) خصائص على (٩٩) ، والسنن الكبرى (٨٤٨٤) .

(٢) فى م : « أمر » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٢٢ مخطوط ، من طريق أحمد بن منصور به .

(٤) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٧.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٢١ مخطوط ، من طريق عبيد الله بن موسى به .

(٦) فى الأصل : « قطر » . وفى ا ٤١ ، ص : « قطن » . وانظر الإكمال ٧/ ١٢٦ ، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٢.

(٧) فى ا ٤١ : « منيع » . وفى م : « يثيغ » .

(٨) المسند ١/ ١١٩.

(٩) لما : حرف استثناء بمعنى إلا .

اثنا عشَرَ[1] بدريًّا ، كأنى أنظُرُ إلى أحدِهم ، فقالوا : نشْهَدُ أنَّا سمِعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غَديرِ خُمٍّ : « ألستُ أوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسِهم ، وأزواجى أُمَّهاتُهم ؟ » فقلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فمن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . إسنادٌ ضعيفٌ غريبٌ .

وقال [٣/ ٣٢٥ظ] عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[2] : حدثنا أحمدُ بنُ عمرَ[3] الوَكيعىُّ ، ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، ثنا الوليدُ بنُ عقبةَ [4]بنِ نِزارٍ العَنْسىُّ[4] ، أنبأنا سِماكُ بنُ عُبَيْدٍ ابنِ الوليدِ العَنْسىُّ[5] قال : دخَلْتُ على عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، فحدَّثنى أنه شهِد عليًّا فى الرَّحْبةِ قال : أنشُدُ اللَّهَ رجلًا سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ، وشهِده يومَ غَديرِ خُمٍّ إلا قام ، ولا يقومُ إلا مَن قد رآه . فقام اثنا عشَرَ رجلًا ، فقالوا : قد رأَيْناه وسمِعْناه حيث أخَذ بيدِه يقولُ : « اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانصُرْ مَن نصَره ، واخْذُلْ مَن خذَله » . فقام إلا ثلاثةً لم يقوموا[6] ، فدَعا عليهم فأصابَتْهم دَعوتُه . ورُوِى أيضًا عن عبدِ الأعْلى بنِ عامرٍ الثعْلَبىِّ[7] وغيرِه ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلى به[8] .

---

(١) بعده فى م ، ص : « رجلا » .

(٢) المسند ١/ ١١٩. (إسناده ضعيف) .

(٣) فى م : « عمير » ، وفى ص : « نمير » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤١٢.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤١. وفى الأصل : « عن ضرار القيسى » . وفى م : « بن ضرار القيسى » . وفى ص : « بن مرار القيسى » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٦٢.

(٥) فى المسند : « العبسى » . وانظر التاريخ الكبير ٤/ ١٧٣، ١٧٤، والجرح والتعديل ٤/ ٢٨١، وتعجيل المنفعة ص ١٦٨.

(٦) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٢/ ٢٠١: قوله : « فقام إلا ثلاثة » . يريد : فقاموا ، وأفرد الضمير كأنه يريد : فقام هؤلاء .

(٧) فى الأصل ، م : « التغلبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٥٢.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٠ مخطوط ، من طريق عبد الأعلى بن عامر به .

وقال ابنُ جريرٍ[1] : ثنا أحمدُ بنُ منصورٍ ، ثنا أبو عامرٍ العَقَدىُّ ، (ح) وروَى ابنُ أبى عاصمٍ[2] ، عن سليمانَ الغَيْلانىِّ[3] ، عن أبى عامرٍ العَقَدىِّ ، ثنا كثيرُ بنُ زيدٍ ، حدثنى محمدُ بنُ عمرَ بنِ علىٍّ ، عن أبيه ، عن علىٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حضَر[4] الشجرةَ بخُمٍّ . فذكَر الحديثَ ، وفيه : « مَن كنتُ مولاه فإن عليًّا مولاه » . وقد رواه بعضُهم عن أبى عامرٍ ،عن كثيرٍ ، عن محمدِ بنِ عمرَ بنِ علىٍّ ، عن علىٍّ مُنْقطعًا .

وقال إسماعيلُ بنُ عمرٍو البَجَلىُّ[5] - وهو ضعيفٌ - عن مِسْعَرٍ ، عن طلحةَ ابنِ مُصَرِّفٍ ، عن عُمَيْرَةَ بنِ سعدٍ ، أنه شهِد عليًّا على المنبرِ يُناشِدُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : مَن سمِع رسولَ اللَّهِ يومَ غَديرِ خُمٍّ ؟ فقام اثنا عشَرَ رجلًا ، منهم ؛ أبو هريرةَ ، وأبو سعيدٍ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، فشهِدوا أنهم سمِعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . وقد رواه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى عن هانئِ بنِ أيوبَ - وهو ثقةٌ - عن طلحةَ بنِ مُصَرِّفٍ به[6] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[7] : حدثنى حجاجُ بنُ الشاعرِ ، ثنا شَبابةُ ، ثنا نُعيمُ ابنُ حكيمٍ ، حدثنى أبو مريمَ ورجلٌ مِن جُلساءِ علىٍّ ، عن علىٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ غَديرِ خُمٍّ : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . قال : فزاد الناسُ بعدُ : « والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . روَى أبو داودَ بهذا السندِ حديثَ المُخْدَجِ[8] .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٢٣/١٢ مخطوط ، من طريق أبى عامر به .

(٢) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٣٦١) .

(٣) فى ٤١ ، م ، ص : « الغلابى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٥/١٢ .

(٤) كذا فى النسخ وتاريخ دمشق : « حضر » . وفى السنة : « قام بحفرة » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/١٢ مخطوط ، من طريق إسماعيل بن عمرو به .

(٦) أخرجه النسائى فى الخصائص (٨٥) ، من طريق عبيد اللَّه بن موسى به .

(٧) المسند ١/ ١٥٢.

(٨) فى م : « المخرج » . والمخدج : ناقص الخَلْق . وهو هنا ذو الثُّدَيَّةِ الخارجى . انظر النهاية ٢/ ١٢.=

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ وأبو نعيمٍ ، المَعْنَى ، قالا : ثنا فِطْرٌ[2] ، عن أبى الطُّفَيلِ قال : جَمَع علىٌّ الناسَ فى الرَّحْبةِ - يعنى رَحْبةَ مسجدِ الكوفةِ - فقال : أنشُدُ اللَّهَ كلَّ مَن[3] سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غديرِ خُمٍّ ما سمِع لَمَّا قام . فقام [4]ثلاثون من الناسِ . وقال أبو نُعَيْمٍ : فقام[4] ناسٌ كثيرٌ فشهِدوا حينَ [٣/٣٢٦و] أخَذ بيدِه ، فقال للناسِ : « أتعْلَمون أنى أوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسِهم ؟ » قالوا : نعم يا رسولَ اللَّهِ . قال : « مَن كنتُ مولاه فهذا[5] مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . قال : فخرَجْتُ كأنَّ فى نفسى شيئًا ، فلقِيتُ زيدَ بنَ أرْقَمَ ، فقلتُ له : إنى سمِعْتُ عليًّا يقولُ كذا وكذا . قال : فما تُنْكِرُ ؟ سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ذلك له . هكذا ذكَره الإمامُ أحمدُ فى مسندِ زيدِ بنِ أرقمَ ، رضِى اللَّهُ عنه . ورواه النسائىُّ مِن حديثِ الأعْمشِ عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ به ، وقد تقدم .

وأخرجه الترمذىُّ[6] عن بُنْدارٍ ، عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، سمِعْتُ أبا الطُّفَيلِ يُحَدِّثُ عن أبى سُرَيْحةَ أو زيدِ بنِ أرْقَمَ -شَكَّ شعبةُ- أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . ورواه ابنُ جريرٍ عن أحمدَ ابنِ حازمٍ ، عن أبى نُعَيمٍ ، عن كاملٍ أبى العَلاءِ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن

= والحديث عند أبى داود (٤٧٧٠) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ١٠٢١) .

(١) المسند ٤/ ٣٧٠.

(٢) فى النسخ : « قطن » . والمثبت من المسند .

(٣) كذا فى النسخ . وفى المسند : « امرئ مسلم » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) فى م : « فعلىٌّ » .

(٦) الترمذى (٣٧١٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٣٠) .

يحيى بن جَعْدةَ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عفانُ[3] ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن المغيرةِ ، عن أبى عُبيدٍ ، عن ميمونٍ أبى عبدِ اللَّهِ قال : قال زيدُ بنُ أرْقَمَ وأنا أسْمَعُ : نزَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ منزلًا يقالُ له : وادى خُمٍّ . فأمَر بالصلاةِ فصلَّاها بهَجِيرٍ . قال : فخطَبَنا وظُلِّل[4] لرسولِ اللَّهِ ﷺ بثوبٍ على شجرةِ سَمُرٍ[5] مِن الشمسِ ، فقال : « ألسْتُم تعْلَمون - أو : ألسْتُم تشْهَدون - أنى أوْلَى بكلِّ مؤمنٍ مِن نفسِه ؟ » قالوا : بلى . قال : « فمَن كنتُ مولاه فإن عليًّا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . ثم رواه أحمدُ[6] عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، عن ميمونٍ أبى عبدِ اللَّهِ ، عن زيدِ بنِ أرقمَ ، إلى قولِه : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . قال ميمونٌ : حدثنى بعضُ القومِ عن زيدٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . وهذا إسنادٌ جيدٌ رجالُه ثِقاتٌ على شرطِ السننِ ، وقد صحَّح الترمذىُّ بهذا السندِ حديثًا فى الزيتِ[7] .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا حَنَشُ بنُ الحارثِ بنِ لَقِيطٍ الأشجعىُّ عن رِياحِ[9] بنِ الحارثِ قال : جاء رهْطٌ إلى علىٍّ بالرَّحْبةِ ، فقالوا :

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٤٩٨٦) ٥/ ١٩٢، من طريق أبى نعيم الفضل بن دكين به .

(٢) المسند ٤/ ٣٧٢.

(٣) فى المسند : « سفيان » وهو تحريف . وانظر أطراف المسند ٢/ ٣٧٥.

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « ظل » .

(٥) سقط من : الأصل ، ص . وفى م : « سترة » . وفى المسند : « سمرة » .

(٦) المسند ٤/ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٧) فى م : « الريث » . والحديث فى سنن الترمذى (٢٠٧٨) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأبو عبد الله اسمه ميمون : هو شيخ بصري . والمقصود بالزيت هنا أن النبى ﷺ نعته هو والورس - كما فى الحديث - لمن يشتكى من ذات الجنب .

(٨) المسند ٥/ ٤١٩.

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « رباح » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٥٦.

السلامُ عليك يا مولانا . قال : كيف أكونُ مولاكم وأنتم قومٌ عَرَبٌ ؟! قالوا : سمِعْنا [٣/ ٣٢٦ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فهذا مولاه » . قال رِياحٌ : فلما مضَوْا تبِعْتُهم ، فسألْتُ : مَن هؤلاء ؟ قالوا : نفرٌ مِن الأنصارِ فيهم أبو أيوبَ الأنصاريُّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : [(٢)]ثنا أبو أحمدَ[(٢)] ، ثنا حَنَشٌ عن رِياحِ بنِ الحارثِ قال : رأيْتُ قومًا مِن الأنصارِ قدِموا على عليٍّ في الرَّحْبةِ ، فقال : مَن القومُ ؟ فقالوا : مواليك يا أميرَ المؤمنين . فذكَر معناه . هذا لفظُه ، وهو مِن أفرادِه .

وقال ابنُ جريرٍ[(٣)] : ثنا أحمدُ بنُ عثمانَ أبو الجَوْزاءِ ، ثنا محمدُ بنُ خالدِ بنُ عَثْمةَ ، ثنا موسى بنُ يعقوبَ الزَّمْعيُّ - وهو صدوقٌ - حدثني مُهاجِرُ بنُ مِسْمارٍ عن عائشةَ بنتِ سعدٍ ، سمِعَت أباها يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ الجُحْفةِ ، وأخَذ بيدِ عليٍّ ، فخطَب [(٤)]فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى[(٤)] ، ثم قال : « أيُّها الناسُ ، إني وليُّكم » . قالوا : صدَقْتَ . فرفَع يدَ عليٍّ ، فقال : « هذا وليِّي والمؤدِّي عني ، وإن اللَّهَ مُوالِي مَن والاه ، ومُعادِي مَن عاداه » . قال شيخُنا الذهبيُّ : وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . ثم رواه ابنُ جريرٍ[(٥)] من حديثِ يعقوبَ بنِ جعفرِ بنِ أبي كثيرٍ[(٦)] ، عن مُهاجِرِ بنِ مِسْمارٍ ، فذكَر الحديثَ ، وأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وقَف حتى لحِقه مَن بعدَه ، وأمَر بردِّ مَن كان تقدَّم ، فخطَبهم . الحديث .

---

(١) المسند ٥/ ٤١٩.

(٢ - ٢) سقط من : ٤١، م . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٧٦.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١١٨٩) ، والنسائي في خصائص علي (٩٥) ، كلاهما من طريق أحمد بن عثمان به . وقال الألباني في تخريج السنة : إسناده ضعيف ، لكن الطرف الأخير من الحديث صحيح . فإن له شواهد .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدري التخريج .

(٥) أخرجه النسائي في خصائص علي (٩٦) ، من طريق يعقوب بن جعفر به .

(٦) في م : « كبير » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٨٤.

وقال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ الطبريُّ فى الجزءِ الأولِ مِن كتابِ « غَديرِ خُمٍّ »[1] - قال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذهبيُّ : وجَدْتُه فى نسخةٍ مكتوبةٍ عن ابنِ جريرٍ -: حدثنا محمدُ[2] بنُ عوفٍ الطائيُّ ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسى ، أنبأنا إسماعيلُ بنُ نشيطٍ[3] ، عن جَميلِ بنِ عُمارةَ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ - قال ابنُ جريرٍ : أحْسَبُه قال : عن عمرَ . وليس فى كتابى - : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو آخذٌ بيدِ عليٍّ : « مَن كنتُ مولاه فهذا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، بل منكرٌ ، وإسنادُه ضعيفٌ . قال البخاريُّ فى جَميلِ بنِ عُمارةَ هذا[4] : فيه نظرٌ .

وقال المطلبُ بنُ زيادٍ[5] عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : كنا بالجُحْفةِ بغَديرِ خُمٍّ ، فخرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خِباءٍ أو فُسْطاطٍ ، فأخَذ بيدِ عليٍّ ، فقال : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » . قال شيخُنا الذهبيُّ : هذا حديثٌ حسنٌ . وقد رواه ابنُ لَهِيعةَ عن بكرِ بنِ سَوَادةَ وغيرِه ، عن أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن جابرٍ بنحوِه[6] .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدثنا يحيى بنُ آدمَ وابنُ أبى بُكَيْرٍ ، قالا : ثنا إسرائيلُ عن أبى إسحاقَ ، عن حُبْشىِّ بنِ جُنادةَ - قال يحيى بنُ آدمَ : وكان قد شهِد

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٣٥٧) ، من طريق محمد بن عوف به .
(٢) فى النسخ : « محمود » . والمثبت من السنة . وانظر الثقات لابن حبان ٩/ ١٤٣ ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٣٦ .
(٣) فى م : « كشيط » . وهو تحريف . انظر التاريخ الكبير ١/ ٣٧٥ .
(٤) التاريخ الكبير ٢/ ٢١٦ . وفيه : جميل بن عامر . قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢/ ٥١٨ : ويقال : ابن عمارة .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٩ مخطوط ، من طريق المطلب بن زياد الثقفى به .
(٦) المصدر السابق ١٢/ ٢٣٠ ، ٢٣١ مخطوط ، من طريق ابن لهيعة به .
(٧) المسند ٤/ ١٦٤ .

حَجَّةَ الوَداعِ - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عليٌّ منى وأنا منه ، ولا يُؤَدِّى عنى إلا أنا أو عليٌّ » . وقال ابنُ أبى بُكيْرٍ : « لا يَقْضِى عنى دَيْنى إلا أنا أو عليٌّ » . وكذا رواه أحمدُ أيضًا عن أبى أحمدَ الزبيرىِّ ، عن إسرائيلَ[1] .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : وحدَّثناه الزبيرىُّ ، ثنا شَريكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حُبْشىٍّ [٣/٣٢٧و] بنِ جُنادةَ مثلَه . قال : فقلتُ لأبى إسحاقَ : أين[3] سمِعْتَ منه ؟ قال : وقَف علينا على فرسٍ له[4] فى مَجْلِسِنا فى جَبَّانةِ السَّبِيعِ . وكذا رواه أحمدُ عن أسودَ بنِ عامرٍ ، ويحيى بنِ آدمَ ، عن شَريكٍ[5] . ورواه الترمذىُّ عن إسماعيلَ بنِ موسى ، عن شَرِيكٍ ، وابنُ ماجه عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، وسُوَيْدِ ابنِ سعيدٍ ، وإسماعيلَ بنِ موسى ، ثلاثتُهم عن شَريكٍ به[6] . ورواه النسائىُّ عن أحمدَ بنِ سليمانَ ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن إسرائيلَ به[7] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

ورواه سليمانُ بنُ قَرْمٍ[8] - وهو متروكٌ - عن أبى إسحاقَ ، عن حُبْشىِّ بنِ جُنادةَ ، سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غَديرِ خُمٍّ : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » . وذكَر الحديثَ .

---

(١) المسند ٤/ ١٦٥.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٦٥.

(٣) فى المسند : « أنَّى » .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) المصدر السابق ٤/ ١٦٥.

(٦) الترمذى (٣٧١٩) ، وابن ماجه (١١٩) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٩٣١) .

(٧) النسائى فى الكبرى (٨٤٥٩) .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٣/١٢ مخطوط ، من طريق سليمان بن قرم به .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى الموصليُّ[1] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، أنبأنا شَرِيكٌ عن أبى يَزيدَ الأَوْدىِّ ، عن أبيه قال : دخَل أبو هريرةَ المسجدَ ، فاجْتَمع الناسُ إليه ، فقام إليه شابٌّ ، فقال : أنشُدُك باللَّهِ أسمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه » ؟ قال : نعم . ورواه ابنُ جريرٍ عن أبى كُرَيْبٍ ، عن شاذانَ ، عن شَريكٍ به[2] . تابعه إدْريسُ الأَوْدىُّ عن أخيه أبى يَزيدَ - واسمُه داودُ بنُ يزيدَ - به[3] . ورواه ابنُ جريرٍ أيضًا مِن حديثِ إدريسَ وداودَ ، عن أبيهما ، عن أبى هريرةَ ، فذكَره[4] .

فأما الحديثُ الذى رواه ضَمْرةُ[5] عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن مَطَرٍ الوَرَّاقِ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى هريرةَ قال : لمَّا أخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِ علىٍّ قال : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] . قال أبو هريرةَ : وهو يومُ غَديرِ خُمٍّ ، مَن صام يومَ ثمانَ عشْرةَ مِن ذى الحِجةِ كُتِب له صيامُ ستين شهرًا . فإنه حديثٌ منكرٌ جدًّا ، بل كذبٌ ؛ لمخالفتِه ما ثبَت فى « الصحيحَيْن » عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ أن هذه الآيةَ نزَلت فى يومِ الجمعةِ يومَ عرفةَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ واقفٌ بها ، كما قدَّمْنا[6] . وكذا قولُه أن صيامَ [7]يومِ الثامنَ عشَرَ مِن ذى الحِجةِ ، وهو يومُ[7]

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٢٣٤ مخطوط ، من طريق أبى يعلى به .

(٢) المصدر السابق من طريق شريك به .

(٣) المصدر السابق من طريق إدريس عن أخيه به .

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٢٣٣، ٢٣٤ مخطوط ، عن إدريس وداود عن أبيهما به .

(٥) المصدر السابق ١٢/ ٢٣٤، ٢٣٥ مخطوط ، من طريق ضمرة به .

(٦) تقدم فى صفحة ٥٨١ .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

[1]غَديرِ خُمٍّ يَعْدِلُ صيامَ ستين شهرًا، لا يصحُّ؛ لأنه قد ثبَت ما معناه فى «الصحيحِ»[2] أن صيامَ[1] شهرِ رمضانَ بعشرةِ أشهرٍ، فكيف يكونُ صيامُ يومٍ واحدٍ يَعْدِلُ ستين شهرًا؟! هذا باطلٌ. وقد قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذهبيُّ بعدَ إيرادِه هذا الحديثَ: هذا حديثٌ منكرٌ جدًّا، ورواه حَبْشونُ الخلَّالُ، وأحمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ النِّيرىُّ - وهما صدوقان - عن علىِّ بنِ سعيدٍ الرَّمْلىِّ، عن ضَمْرةَ. قال[3]: ويُرْوَى هذا الحديثُ مِن حديثِ عمرَ بنِ الخطابِ ومالكِ بنِ الحُوَيْرِثِ وأنسِ بنِ مالكٍ وأبى سعيدٍ وغيرِهم بأسانيدَ واهيةٍ. قال: [٣/٣٢٧ظ] وصدرُ الحديثِ متواترٌ، أتيقَّنُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قاله، وأما: «اللهم والِ مَن والاه». فزيادةٌ قويةُ الإسنادِ، وأما هذا الصومُ فليس بصحيحٍ، ولا واللَّهِ ما نزَلت هذه[4] الآيةُ إلَّا يومَ عرفةَ قبلَ غديرِ خُمٍّ بأيامٍ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

[5]وقال الطبرانىُّ[6]: حدَّثنا علىُّ بنُ إسحاقَ الوزيرُ الأصْبهانىُّ، حدثنا محمدُ بنُ عمرَ بنِ علىٍّ المُقَدَّمىُّ، حدثنا علىُّ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ سِنانِ بنِ مالكِ بنِ مِسْمَعٍ، حدثنا سهلُ بنُ يوسفَ[7] بنِ سهلِ بنِ مالكٍ أخى[8] كعبِ بنِ مالكٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: لمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ مِن حَجَّةِ[5]

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) مسلم (١١٦٤). ولفظه: «من صام رمضان، وأتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر».

(٣) أى الحافظ الذهبى.

(٤) سقط من: ا ٤١، ص.

(٥ - ٥) سقط من: ا ٤١، ص.

(٦) المعجم الكبير ٦/١٢٦ (٥٦٤٠). قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢/٦٦٧: حديث منكر موضوع. وانظر كلام الحافظ مطولًا فى الإصابة ٣/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٧) فى م: «حنيف».

(٨) وقع عند الطبرانى: «ابن أخى». وانظر الإصابة ٣/ ٢٠٥.

(١) الوداعِ صعِد المنبرَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : « يا أيُّها الناسُ ، إن أبا بكرٍ لم يَسُؤْنى قطُّ ، فاعْرِفوا ذلك له ، يا أيُّها الناسُ ، إنى عن أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلىٍّ وطلحةَ والزبيرِ وسعدٍ (٢) وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ والمهاجرين الأوَّلِين ، راضٍ ، فاعْرِفوا ذلك لهم ، أيُّها الناسُ ، احْفَظونى فى أصحابى وأصْهارى وأَخْتانى (٣) ، لا يَطْلُبنَّكم اللَّهُ بمَظْلِمةِ أحدٍ منهم ، أيُّها الناسُ ، ارْفَعوا ألسنتَكم (٤) عن المسلمين ، وإذا مات أحدٌ منهم ، فقولوا فيه خيرًا (١) » .

(١ - ١) سقط من : ا ٤١، ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « أحبابى » .

(٤) فى المعجم الكبير : « المستنكر » . ولعله تحريف .

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

سنةُ إحدى عشْرةَ مِن الهجرةِ

استهلَّت هذه السنةُ وقد استقر الرِّكابُ الشريفُ النبويُّ بالمدينةِ النبويةِ المُطَهَّرةِ مَرْجِعَه مِن حَجةِ الوَداعِ ، وقد وقَعت فى هذه السنةِ أمورٌ عِظامٌ ، مِن أعظمِها خَطْبًا وفاةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولكنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، نقَله اللَّهُ ، عز وجل مِن هذه الدارِ الفانيةِ إلى النعيمِ الأبَدىِّ فى مَحَلَّةٍ عاليةٍ رفيعةٍ ، ودرجةٍ فى الجنةِ لا أعْلَى منها ولا أسْنَى ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى : ٤، ٥] . وذلك بعدَ ما أكْمَل أداءَ الرسالةِ التى أمَره اللَّهُ تعالى بإبلاغِها ، ونصَح أمَّتَه ، ودلَّهم على خيرِ ما يعْلَمُه لهم ، وحذَّرهم ونهاهم عما فيه مَضَرَّةٌ عليهم فى دنياهم وأُخْراهم .

وقد قدَّمْنا ما رواه صاحبا « الصحيحِ »[1] مِن حديثِ عمرَ بنِ الخطابِ ، أنه قال : نزَل قولُه تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . يومَ الجُمُعةِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ واقفٌ بعرفةَ .

(*) من هنا تبدأ النسخة السابعة من الجزء السادس من مخطوطة أحمد الثالث ، ويشار إليها بـ (ا ١١) .

(١) تقدم تخريجه فى ٥٨٢/٧ .

ورُوِّينا مِن طريقٍ جيدٍ[1] أن عمرَ بنَ الخطابِ حينَ نزَلت هذه [٣/٣٢٨و] الآيةُ بكَى ، فقيل : ما يُبْكيك ؟ فقال : إنه ليس بعدَ الكمالِ إلا النقصانُ . وكأنه استَشْعَر وفاةَ النبيِّ ﷺ .

وقد أشار ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إلى ذلك فيما رواه مسلمٌ[2] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وقَف عندَ جمرةِ العقبةِ وقال لنا : « خُذوا عنى مناسِكَكم ؛ فلعلِّى لا أحُجُّ بعدَ عامى هذا » .

وقد قدَّمْنا ما رواه الحافظان أبو بكرٍ البزارُ والبيهقىُّ[3] مِن حديثِ موسى بنِ عُبَيدةَ الرَّبَذىِّ ، عن صدَقَةَ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : نزَلت هذه السورةُ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ . فى أوسطِ أيامِ التَّشْريقِ ، فعرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ أنه الوَداعُ ، فأمَر براحلتِه القَصْواءِ فرُحِلَت . ثم ذكَر خطبتَه فى ذلك اليومِ كما تقدم .

وهكذا قال عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنهما ، لعمرَ بنِ الخطابِ ؛ حينَ سأَله عن تفسيرِ هذه السورةِ[4] بمَحْضَرِ كثيرٍ مِن الصحابةِ ؛ ليُرِيَهم فضلَ ابنِ عباسٍ وتَقَدُّمَه وعلمَه ، حينَ لامه بعضُهم على تقديمِه وإجلاسِه له مع مشايخِ بدرٍ ، فقال : إنه مِن حيثُ تَعلَمون . ثم سأَلهم وابنُ عباسٍ حاضرٌ عن تفسيرِ هذه السورةِ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي

---

(١) فى الأصل ، ٤١ : « حُمَيد » . والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٦٢٥٥) ، والطبرى فى تفسيره ٦/ ٨٠.

(٢) مسلم (١٢٩٧) بنحوه .

(٣) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٥٢، من رواية البزار ، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٤٧.

(٤) فى ص : « الآية » .

دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١- ٣]. فقالوا: أُمِرْنا إذا فُتِح لنا أن نَذْكُرَ اللَّهَ ونَحْمَدَه ونَسْتَغْفِرَه. فقال: ما تقولُ يا بنَ عباسٍ؟ فقال: هو أجَلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ نُعِيَ إليه. فقال عمرُ: لا أعْلَمُ منها إلا ما تَعْلَمُ[1]. وقد ذكَرْنا فى تفسيرِ هذه السورةِ ما يدُلُّ على قولِ ابنِ عباسٍ مِن وجوهٍ، وإن كان لا يُنافى ما [2]فسَّرَها به[2] الصحابةُ أيضًا، رضى اللَّهُ عنهم.

وكذلك ما رواه الإمامُ أحمدُ[3]، حدثنا وَكيعٌ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ، عن صالحٍ مولى التَّوْأَمةِ، عن أبى هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا حجَّ بنسائِه قال: «إنما هى هذه الحَجَّةُ، ثم الْزَمْنَ ظُهورَ الحُصُرِ». تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ. وقد رواه أبو داودَ فى «سننِه»[4] مِن وجهٍ آخرَ جيدٍ.

والمقصودُ أن النفوسَ استَشْعَرت بوفاتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، فى هذه السَّنةِ، ونحن نذْكُرُ ذلك ونُورِدُ ما رُوِىَ فيما يتَعَلَّقُ به مِن الأحاديثِ والآثارِ، وباللَّهِ المستعانُ، ولْنُقَدِّمْ على ذلك ما ذكَره الأئمةُ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ، وأبو جعفرِ بنُ جريرٍ، وأبو بكرٍ البيهقىُّ فى هذا الموضعِ [٣/ ٣٢٨ظ] قبلَ الوفاةِ؛ مِن تَعدادِ حِججِه وغَزَواتِه وسَراياه وكُتبِه ورسلِه إلى الملوكِ، فلْنَذْكُرْ ذلك مُلَخَّصًا مختصَرًا، ثم نُتْبِعْه بالوفاةِ.

ففى «الصحيحَيْن»[5] مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبيعىِّ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٦٢٣.

(٢ - ٢) فى الأصل، م، ص: «فسر به». وفى ١١١: «فسرته».

(٣) المسند ٢/ ٤٤٦.

(٤) أبو داود (١٧٢٢). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥١٥).

(٥) البخارى (٤٤٠٤)، ومسلم (١٢٥٤) بنحوه.

أن رسولَ اللَّهِ ﷺ غزا تسعَ عشْرةَ غزوةً ، وحجَّ بعدَ ما هاجر حَجَّةَ الوداعِ ، ولم يَحُجَّ بعدَها . قال أبو إسحاقَ : وواحدةً بمكةَ . كذا قال أبو إسحاقَ السَّبيعيُّ .

وقد قال زيدُ بنُ الحُبابِ[1] ، عن سفيانَ الثوريِّ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حجَّ ثلاثَ حَجَّاتٍ ؛ حجَّتَيْنِ قبلَ أن يُهاجرَ ، وحجَّةً[2] بعدَ ما هاجر ، معها عمرةٌ ، وساق ستًّا وثلاثين بَدَنةً ، وجاء عليٌّ بتمامِها مِن اليمنِ .

وقد قدَّمْنا عن غيرِ واحدٍ مِن الصحابةِ ، منهم أنسُ بنُ مالكٍ فى « الصحيحَيْن » أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، اعتَمَر أربعَ عُمَرٍ ؛ عمرةَ الحديبيةِ ، وعمرةَ القَضاءِ ، وعمرةَ الجِعْرانةِ ، والعمرةَ التى مع حَجةِ الوداعِ .

وأما الغَزَواتُ فروَى البخاريُّ[3] ، عن أبى عاصمٍ النَّبيلِ ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبيدٍ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ قال : غزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَواتٍ ، ومع زيدِ بنِ حارثةَ تسعَ غَزَواتٍ يُؤَمِّرُه علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وفى « الصحيحَيْن »[4] عن قتيبةَ ، عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن يزيدَ[5] ، عن سَلَمَةَ قال : غزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَواتٍ ، وفيما يبْعَثُ مِن البُعوثِ تسعَ غَزَواتٍ ، مرةً علينا أبو بكرٍ ، ومرةً علينا أسامةُ بنُ زيدٍ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٥٤، من طريق زيد بن الحباب به .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « واحدة » .

(٣) البخارى (٤٢٧٢) بنحوه ، وبلفظه أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧/٣٣ (٦٢٨٢) ، من طريق أبى عاصم به .

(٤) البخارى (٤٢٧٠) ، ومسلم (١٨١٥) .

(٥) فى م : « زيد » .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[1] مِن حديثِ إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ قال : غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ خمسَ عشْرةَ غزوةً .

وفى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن [3]زيدِ بنِ أرقمَ[3] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ غزا تسعَ عشْرةَ غزوةً ، شهِد معه منها سبعَ عشْرةَ ، أولُها [4]العُشَيْرُ أو العُسَيْرُ[4] .

وروَى مسلمٌ[5] ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، عن معتمِرٍ ، عن كَهْمَسِ بنِ الحسنِ ، عن ابنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ستَّ عشْرةَ غزوةً . وفى روايةٍ لمسلمٍ[6] مِن طريقِ الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن أبيه ، أنه غزا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ تسعَ عشْرةَ غزوةً ، قاتل منها فى ثمانٍ . وفى روايةٍ عنه بهذا الإسنادِ[7] : وبعَث أربعًا وعشرين سريَّةً ، قاتل يومَ بدرٍ ، وأحدٍ ، والأحزابِ ، والمُرَيْسِيعِ [8]وقُدَيْدٍ[8] ، وخَيْبَرَ ، ومكةَ ، وحنينٍ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[9] مِن حديثِ أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٢٩و] غزا إحدى وعشرين غزوةً ، غزَوْتُ معه منها تسعَ عشْرةَ غزوةً ،

---

(١) البخارى (٤٤٧٢) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٥/ ١٧، ٣٠ من حديث البخارى ، وأخرجه مسلم (١٢٥٤/١٤٣) فى باب عدد غزوات النبى ﷺ ، من كتاب الجهاد والسير .

(٣ - ٣) فى النسخ : « البراء » . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر ما تقدم فى ٥/ ١٧، ٣٠.

(٤ - ٤) فى ١١١: « العشير أو العسيرة » ، وفى ٤١: « العشير أو العشيرة » ، وفى ص : « العشير أو العُشير » .

(٥) تقدم تخريجه فى ٥/ ١٧.

(٦) تقدم تخريجها فى ٥/ ١٨.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٥٩، من طريق الحسين بن واقد به . وتقدم تخريجه فى ٥/ ١٨.

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٩) مسلم (١٨١٣) بنحوه .

ولم أشْهَدْ بدرًا ولا أحدًا ، منَعنى أبى ، فلما قُتِل أبى يومَ أحدٍ لم أتخَلَّفْ عن غَزوةٍ غزاها .

وقال عبدُ الرزاقِ[1] : أنبأنا معمرٌ ، عن الزهرىِّ قال : سمِعْتُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ يقولُ : غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ ثمانىَ عشْرةَ غزوةً . قال : وسمِعْتُه مَرَّةً أخرى[2] يقولُ : أربعًا وعشرين غزوةً . فلا أدرى أكان ذلك وهْمًا أو شيئًا سمِعَه[3] بعدَ ذلك .

وقال قتادةُ[4] : غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ تسعَ عشْرةَ ، قاتل[5] فى ثمانٍ منها ، وبعَث مِن البُعوثِ أربعًا وعشرين ، فجميعُ غَزَواتِه وسراياه ثلاثٌ وأربعون .

وقد ذكَر عروةُ بنُ الزبيرِ ، والزهرىُّ ، وموسى بنُ عقبةَ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ابنِ يَسارٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أئمةِ هذا الشأنِ[6] ، أنه عليه الصلاةُ والسلامُ ، قاتل يومَ بدرٍ فى رمضانَ مِن سنةِ اثنتَيْن ، ثم فى أحدٍ فى شوالٍ سنةَ ثلاثٍ ، ثم فى الخندقِ وبنى قُرَيْظةَ فى شوالٍ أيضًا مِن سنةِ أربعٍ ، وقيل : خمسٍ . ثم فى بنى المُصْطَلِقِ بالمُرَيْسِيعِ فى شعبانَ سنةَ خمسٍ ، ثم فى خيبرَ فى صَفَرٍ سنةَ سبعٍ ، ومنهم مَن يقولُ : سنةَ ستٍّ . والصحيحُ[7] أنه فى أولِ سنةِ سبعٍ وآخرِ سنةِ ستٍّ ، ثم قاتل

---

(١) المصنف (٩٦٥٩) . وتقدم تخريجه فى ٥/ ١٨، من حديث يعقوب بن سفيان عن سلمة بن شبيب عن عبد الرزاق به .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من المصدر ومما تقدم .

(٣) فى ١١١، ٤١، م، ص : « سمعته » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٤٦٢ ، بسنده عن قتادة .

(٥) فى الدلائل : « واقع » .

(٦) انظر دلائل النبوة ٥/ ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٦٩.

(٧) فى الأصل، م، ص : « التحقيق » . وانظر ما تقدم فى ٦/ ٢٤٩.

أهلَ مكةَ فى رمضانَ سنةَ ثمانٍ ، وقاتل هَوازِنَ وحاصَر أهلَ الطائفِ فى شوالٍ وبعضِ [1] ذى القَعْدةِ [1] سنةَ ثمانٍ ، كما تقدم تفصيلُه ، وحجَّ فى سنةِ ثمانٍ بالناسِ عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ نائبُ مكةَ ، ثم فى سنةِ تسعٍ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، ثم حج رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمسلمين سنةَ عشْرٍ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ [2] : وكان جميعُ ما غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ بنفسِه الكريمةِ سبعًا وعشرين غزوةً ؛ [3] غزوةَ وَدَّانَ وهى غزوةُ الأَبْواءِ [3] ، ثم غزوةَ بُواطَ مِن ناحيةِ رَضْوَى ، ثم غزوةَ العُشَيْرةِ مِن بطنِ يَنْبُعَ ، ثم غزوةَ بدرٍ الأولى يطلبُ كُرْزَ بنَ جابرٍ ، ثم غزوةَ بدرٍ العُظْمى [4] التى قتَل اللَّهُ فيها صَناديدَ قريشٍ ، ثم غزوةَ بنى سُلَيْمٍ حتى بلَغ الكُدْرَ ، ثم غزوةَ السَّويقِ يطلبُ أبا سفيانَ بنَ حربٍ ، ثم غزوةَ غَطَفَانَ وهى غزوةُ ذى أَمَرٍ ، ثم غزوةَ نجْرانَ - مَعْدِنٍ بالحجازِ - ثم غزوةَ أحدٍ ، ثم حمراءَ الأَسَدِ ، ثم غزوةَ بنى النَّضيرِ ، ثم غزوةَ ذاتِ الرِّقاعِ مِن نخْلٍ ، ثم غزوةَ بدرٍ الآخِرةَ ، ثم غزوةَ دُومةِ الجَنْدلِ ، ثم غزوةَ الخندقِ ، ثم غزوةَ بنى قُرَيْظةَ ، ثم غزوةَ بنى لِحْيانَ مِن هُذَيْلٍ ، ثم غزوةَ ذى قَرَدٍ ، ثم غزوةَ بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ ، ثم غزوةَ الحديبيةِ لا يريدُ قتالًا فصدَّه المشركون ، ثم غزوةَ خَيْبَرَ ، ثم عمرةَ القَضاءِ ، ثم غزوةَ الفتحِ ، ثم غزوةَ حنينٍ ، [٣/ ٣٢٩ظ] ثم غزوةَ الطائفِ ، ثم غزوةَ تَبوكَ .

قال ابنُ إسحاقَ : قاتل منها فى تسعِ غَزَواتٍ ؛ غزوةِ بدرٍ ، وأحدٍ ، والخندقِ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « ذى الحجة » . وهو خطأ . فقد تقدم فى ٥/ ٢٠ ، و٧/٦٣ أن قتال هوازن وحصار أهل الطائف كان فى شوال ، وتقدم فى ٧/١١٣ أن عمرة الجعرانة كانت فى ذى القعدة بعد مرجعه من حصار أهل الطائف .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى السيرة : « الكبرى » .

وقريظةَ ، والمُصْطَلِقِ ، وخيبرَ ، والفتحِ ، وحنينٍ ، والطائفِ .

قلتُ : وقد تقدم ذلك كلُّه مبسوطًا فى أماكنِه بشواهدِه وأدلتِه . وللَّهِ الحمدُ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانت بُعوثُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وسراياه ثمانيًا وثلاثين ، مِن بينِ بَعْثٍ وسريَّةٍ . ثم شرَع ، رحِمه اللَّهُ ، فى ذكرِ تفصيلِ ذلك[2] .

وقد قدَّمْنا ذلك كلَّه أو أكثرَه مفصَّلًا فى مواضعِه ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . ولْنَذْكُرْ ملخصَ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ ؛ **بَعْثُ** عُبَيدةَ بنِ الحارثِ إلى أسفلِ ثَنِيَّةِ المَرَةِ[3] . ثم **بَعْثُ** حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ إلى الساحلِ مِن ناحيةِ العِيصِ ، ومِن الناسِ مَن يُقَدِّمُ هذا على بعثِ عُبيدةَ ، كما تقدم . فاللَّهُ أعلمُ . **بعْثُ** سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ إلى الخرَّارِ[4] . **بَعْثُ** عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ إلى نَخْلَةَ[5] . **بَعْثُ** زيدِ بنِ حارثةَ إلى القَرَدَةِ . **بَعْثُ** محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ إلى كعبِ بنِ الأشْرفِ . **بَعْثُ** مَرْثَدِ بنِ أبى مَرْثَدٍ إلى الرَّجيعِ . **بَعْثُ** المنذرِ بنِ عمرٍو إلى بئرِ مَعونةَ . **بَعْثُ** أبى عُبَيدةَ إلى ذى القَصَّةِ . **بَعْثُ** عمرَ بنِ الخطابِ إلى تُرْبةَ[6] فى أرضِ بنى عامرٍ . **بَعْثُ** علىٍّ إلى اليمنِ . **بَعْثُ** غالبِ بنِ عبدِ اللَّهِ الكَلْبىِّ إلى الكَدِيدِ فأصاب بنى المُلَوَّحِ ، أغار عليهم فى الليلِ ، فقتَل طائفةً منهم واستاق نَعَمَهم ، فجاء نَفِيرُهم[7] فى طلبِ النَّعَمِ ، فلما اقْتَربوا حال بينَهم وبينَهم وادٍ مِن السَّيْلِ ، وأَسَروا فى مسيرِهم هذا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٩.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/٦٠٩ - ٦٤٣.

(٣) فى السيرة : « المروة » . والصواب ما أثبتناه ، وانظر معجم البلدان ١/ ٩٣٧.

(٤) فى م ، ص : « الجرار » ، وانظر معجم البلدان ٢/ ٤٠٨.

(٥) فى م : « بجيلة » .

(٦) فى م : « برية » .

(٧) فى م ، ص : « نفرهم » .

الحارثَ بنَ مالكِ بنِ البَرْصاءِ. وقد حرر ابنُ إسحاقَ هذا هـٰهنا، وتقدم بيانُه. **بعثُ** عليٌّ بنِ أبى طالبٍ إلى أرضِ فَدَكَ. **بعثُ** [1]أبى العَوْجاءِ[1] السُّلَمىِّ إلى بنى سُليمٍ، أُصيب هو وأصحابُه. **بعثُ** عُكَّاشةَ إلى الغَمْرةِ. **بعثُ** أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسَدِ إلى قَطَنٍ، وهو ماءٌ بنجدٍ لبنى أسَدٍ. **بعثُ** محمدِ بنِ مَسْلمةَ إلى القُرَطاءِ مِن هَوازِنَ. **بعثُ** بَشيرِ بنِ سعدٍ إلى بنى مُرَّةَ بفَدَكَ، **وبعثُه** أيضًا إلى ناحيةِ حنينٍ. **بعثُ** زيدِ بنِ حارثةَ إلى الجَموم مِن أرضِ بنى سُليمٍ. **بعثُ** زيدِ بنِ حارثةَ إلى جُذامٍ مِن أرضِ بنى خُشَيْنٍ. قال ابنُ هشامٍ[2]: وهى مِن أرضِ حِسْمَى. وكان سببُها، فيما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه، أن دِحيةَ بنَ خليفةَ لما رجَع مِن عندِ قيصرَ وقد أبْلَغه كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يدعوه إلى اللَّهِ، فأعطاه مِن عندِه تُحَفًا وهدايا، فلما بلَغ واديًا فى أرضِ بنى جُذامٍ يقالُ له: شَنارٌ. أغار عليه الهُنَيْدُ بنُ عَوْصٍ وابنُه عَوْصُ بنُ الهُنَيدِ [3]الصُّلَيْعِيَّان، والصُّلَيْعُ[3] [٣/ ٣٣٠و] بطنٌ مِن جُذامٍ، فأخذا ما معه، فنفَر حيٌّ منهم قد أسْلَموا، فاسْتَنْقذوا ما كان أُخِذ لدِحْيةَ فردُّوه عليه، فلما رجَع دِحْيةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبره الخبرَ، واستسقاه دمَ الهُنَيدِ وابنِه عَوْصٍ، فبعَث حينئذٍ زيدَ بنَ حارثةَ فى جيشٍ إليهم، فساروا إليهم مِن ناحيةِ الأَوْلَاجِ، فأغار بالماقِصِ مِن ناحيةِ الحَرَّةِ، فجمَعوا ما وجَدوا مِن مالٍ وناسٍ، وقتَلوا الهُنَيْدَ وابنَه ورجلَيْنِ مِن بنى الأحْنَفِ ورجلًا مِن بنى خَصِيبٍ، فلما احتاز زيدٌ أموالَهم وذَراريَّهم اجتمع نفرٌ منهم برفاعةَ بنِ زيدٍ، وكان قد جاءه كتابٌ مِن

(١ - ١) فى ١١١، ٤١: «ابن أبى العوجاء». وقد وقع الاختلاف فى اسمه. انظر أسد الغابة ٦/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦١٢.

(٣ - ٣) فى السيرة «الضلعيان، والضليع»، وانظر معجم ما استعجم ٢/ ٤٤٧.

رسولِ اللَّهِ ﷺ يدْعوهم إلى اللَّهِ ، فقرَأه عليهم رفاعةُ ، فاستجاب له طائفةٌ [1] منهم ، ولم يكنْ زيدُ بنُ حارثةَ يعْلَمُ بذلك ، فركِبوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ فى ثلاثةِ أيامٍ ، فأعْطَوه الكتابَ [1] ، فأمَر بقراءتِه جَهْرةً على الناسِ ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كيف أصنَعُ بالقَتْلى ؟ » ثلاثَ مراتٍ . فقال رجلٌ منهم يقالُ له : أبو زيدِ بنُ عمرٍو : أطْلِقْ لنا يا رسولَ اللَّهِ مَن كان حيًّا ، ومَن قُتِل فهو تحتَ قدمى هذه . فبعَث معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، فقال علىٌّ : إن زيدًا لا يُطِيعُنى . فأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه علامةً ، فسار معهم على جملٍ لهم ، فلقُوا زيدًا وجيشَه ومعهم الأموالُ والذَّرارىُّ بفَيْفاءِ الفَحْلتَيْن ، فسلَّمهم علىٌّ جميعَ ما كان أُخِذ لهم لم يَفْقِدوا منه شيئًا . **بعْثُ** زيدِ بنِ حارثةَ أيضًا إلى بنى فَزارةَ بوادى القُرَى ، فقُتِل طائفةٌ مِن أصحابِه ، وارْتُثَّ [2] هو مِن بينِ القَتْلى ، فلما رجَع آلَى أن لا يَمَسَّ رأسَه غُسْلٌ مِن جنابةٍ حتى يغْزوَهم أيضًا ، فلما استَبَلَّ [3] مِن جِراحِه بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ ثانيًا فى جيشٍ ، فقتَلهم بوادى القُرَى ، وأسَر أمَّ قِرْفَةَ فاطمةَ بنتَ ربيعةَ بنِ بدرٍ ، وكانت عندَ مالكِ بنِ حُذيفةَ بنِ بدرٍ ، ومعها ابنةٌ لها ، فأمَر زيدُ بنُ حارثةَ قيسَ بنَ المُسَحَّرِ اليَعْمَرىَّ ، فقتَل أمَّ قِرْفةَ واستَبْقى ابنتَها ، وكانت مِن بيتِ شَرفٍ ، يُضْرَبُ بأمِّ قِرْفةَ المثلُ فى عِزِّها ، وكانت بنتُها مع سَلَمةَ ابنِ الأكْوعِ ، فاسْتَوْهَبها منه رسولُ اللَّهِ ﷺ فأعْطاه إياها ، فوهَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ لخالِه حَزْنِ بنِ أبى وهبٍ ، فولَدت له ابنَه عبدَ الرحمنِ . **بعْثُ** عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ إلى خيبرَ [٣/ ٣٣٠ظ] مرتَّيْن ؛ إحداهما التى أصاب فيها اليُسَيْرَ بنَ رِزامٍ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح . النهاية ٢/ ١٩٥.

(٣) استبل : برأ وصح . اللسان (ب ل ل) .

وكان يَجْمَعُ غَطَفانَ لغزوِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فى نفرٍ ، منهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ ، فقدِموا عليه ، فلم يزالوا يُرَغِّبونه ؛ ليُقْدِموه على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسار معهم ، فلما كانوا بالقَرْقَرةِ على ستةِ أميالٍ مِن خيبرَ ، ندِم اليُسَيْرُ على مَسيرِه ، ففطِن له عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ وهو يريدُ السيفَ ، فضرَبه بالسيفِ فأطَنَّ قدمَه ، وضرَبه اليُسَيْرُ بمِخْرَشٍ مِن شَوْحَطٍ فى رأسِه فأمَّه[1] ، ومال كلُّ رجلٍ مِن المسلمين على صاحبِه مِن اليهودِ فقتَله ، إلا رجلًا واحدًا أفْلَت على رجليه[2] ، فلما قدِم ابنُ أُنَيْسٍ تفَل فى رأسِه رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يَقِحْ جُرْحُه ولم يُؤْذِه .

قلتُ : وأظُنُّ البَعْثَ الآخرَ إلى خيبرَ لمَّا بعَثه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، خارصًا على نخيلِ خيبرَ . واللَّهُ أعلمُ . **بعْثُ** عبدِ اللَّهِ بنِ عَتيكٍ وأصحابِه إلى خيبرَ ، فقتَلوا أبا رافعٍ اليهوديَّ . **بعْثُ** عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ إلى خالدِ بنِ سفيانَ بنِ نُبَيْحٍ ، فقتَله بعُرَنةَ . وقد روَى ابنُ إسحاقَ قصتَه هـٰهنا مطوَّلةً ، وقد تقدم ذكرُها فى سنةِ خمسٍ . واللَّهُ أعلمُ . [3]**بعْثُ** زيدِ بنِ حارثةَ وجعفرٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ إلى مُؤْتةَ مِن أرضِ الشامِ ، فأُصِيبوا ، كما تقدَّم[3] . **بعْثُ** كعبِ بنِ عميرٍ[4] إلى ذاتِ أطْلاحٍ مِن أرضِ الشامِ ، فأُصِيبوا جميعًا أيضًا . **بعْثُ** عيينةَ بنِ حصنِ بنِ حُذيفةَ بنِ بدرٍ إلى بنى العَنْبرِ مِن تميمٍ ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أُناسًا ، [5]وسَبَى منهم أُناسًا[5] ،

---

(١) المخرش : عود شبهُ المِقرعةِ يُضرب به . والشوحط : ضرب من الشجر تُتَّخذ منه القِسى . وأمّه : جرحه فى رأسه . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧١. واللسان : (شحط) .

(٢) فى الأصل : « راحلته » ، وفى م : « قدميه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ١١١، ٤١: « عمر » ، وفى ص : « عمرو » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٣٢٣، وأسد الغابة ٤/ ٤٨٥، والإصابة ٥/ ٦٠٧.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

ثم ركِب وفْدُهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أَسْراهم ، فأعْتَق بعضًا وفدَى بعضًا .

بعْثُ غالبِ بنِ عبدِ اللَّهِ أيضًا إلى أرضِ بنى مُرَّةَ ، فأُصِيب بها مِرْداسُ بنُ نَهِيكٍ حليفٌ لهم مِن الحُرَقةِ مِن جُهَيْنةَ ، قتَله أسامةُ بنُ زيدٍ ورجلٌ مِن الأنصارِ أدْركاه ، فلما شهَرا السلاحَ قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فلما رجَعا لامَهما رسولُ اللَّهِ ﷺ أشدَّ اللَّوْمِ ، فاعْتَذرا بأنه ما قال ذلك إلا تعَوُّذًا مِن القتلِ ، فقال لأسامةَ : « هلَّا شقَقْتَ عن قلبِه ؟! » وجعَل يقولُ لأسامةَ : « مَن[1] لك بلا إلهَ إلا اللَّهُ يومَ القيامةِ ؟ » قال أسامةُ : فمازال يُكَرِّرُها حتى تَمَنَّيْتُ[2] أن لم أكُنْ أسْلَمْتُ قبلَ ذلك . وقد تقدم الحديثُ بذلك . **بعْثُ** عمرِو بنِ العاصِ إلى ذاتِ السَّلاسِلِ مِن أرضِ بنى عُذْرةَ يسْتَنْفِرُ العربَ إلى أرضِ[3] الشامِ ، وذلك أن أمَّ العاصِ بنِ وائلٍ كانت مِن بَلِيٍّ ، فلذلك بعَث عمرًا يسْتَنْفِرُهم ؛ ليكونَ [4]أنجَعَ فيهم[4] ، فلما [٣/ ٣٣١و] وصَل إلى ماءٍ لهم يقالُ له : السَّلْسَلُ . خافهم ، فبعَث يسْتَمِدُّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فبعَث إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ سريَّةً ؛ فيهم أبو بكرٍ وعمرُ ، وعليها أبو عُبَيدةَ بنُ الجراحِ ، فلما انتَهَوا إليه تأَمَّر عليهم كلُّهم عمرٌو ، وقال : إنما بُعِثْتُم مدَدًا لى . فلم يُمانِعْه أبو عُبيدةَ ؛ لأنه كان رجلًا سَهْلًا ليِّنًا ، هَيِّنًا عليه[5] أمْرُ الدنيا ، فسلَّم له وانقاد معه ، فكان عمرٌو يصلِّى بهم كلِّهم ، ولهذا لما رجَع قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قال : فمِن الرجالِ ؟ قال : « أبوها »[6] . **بعْثُ** عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حَدْرَدٍ إلى بطنِ إضَمٍ ، وذلك قبلَ فتحِ مكةَ ، وفيها قصةُ مُحَلِّمِ بنِ

---

(١) فى ١١١، ٤١: « أنَّى » .

(٢) فى م ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٣: « لوددت » .

(٣) زيادة من: ١١١، ٤١.

(٤ - ٤) فى ١١١: « أجمع فيهم » . وفى ٤١: « أجمع لهم » .

(٥) فى م: « عند » .

(٦) تقدم تخريجه فى ٦/ ٥٠١ .

جَثَّامةَ ، وقد تقدم مطولًا فى سنةِ سبعٍ . **بعثُ** ابنِ أبى حَدْرَدٍ أيضًا إلى الغابةِ . **بعثُ** عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ إلى دُومةِ الجَنْدلِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى مَن لا أتَّهمُ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ قال : سمِعْتُ رجلًا مِن أهلِ البصرةِ يسْأَلُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ بنِ الخطابِ عن إرسالِ العِمامةِ مِن خلْفِ الرجلِ إذا اعتَمَّ . قال : فقال عبدُ اللَّهِ : أُخْبِرُك ، إن شاء اللَّهُ ، عن ذلك بعِلْمٍ[2] ؛ كنتُ عاشرَ عشَرةِ رَهْطٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ فى مسجدِه ؛ أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعلىٌّ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وابنُ مسعودٍ ، ومعاذُ بنُ جبلٍ ، وحذيفةُ بنُ اليَمانِ ، وأبو سعيدٍ الخدرىُّ ، وأنا ، مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ أقْبَل فتًى مِن الأنصارِ فسلَّم على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثم جلَس ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ المؤمنين أفضلُ ؟ قال : « أحسنُهم خُلُقًا » . قال : فأىُّ المؤمنين أكْيَسُ ؟ قال : « أكثرُهم ذكْرًا للموتِ ، وأحسنُهم استعدادًا له قبلَ أن يَنْزِلَ به ، أولئك الأكياسُ » . ثم سكَت الفتى ، وأقْبَل علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا معشرَ المهاجرين ، خمسُ خصالٍ إذا نزَلْنَ بكم ، وأعوذُ باللَّهِ أن تُدْرِكوهن ؛ إنه لم تَظْهَرِ الفاحشةُ فى قومٍ قطُّ حتى [3]يُعْلِنوا بها[3] إلا ظهرَ فيهم الطاعونُ ، والأوْجاعُ التى لم تكُنْ فى أسْلافِهم الذين مضَوا ، ولم يَنْقُصوا المِكْيالَ والميزانَ إلا أُخِذوا بالسِّنينَ وشدَّةِ المُؤْنةِ وجَوْرِ السلطانِ ، ولم يَمْنَعوا الزكاةَ مِن أموالِهم إلا مُنِعوا القَطْرَ مِن السماءِ ، فلولا البَهائمُ ما مُطِروا ، وما نقَضوا عهدَ اللَّهِ وعهدَ رسولِه ﷺ إلا سَلَّط اللَّهُ عليهم [٣/ ٣٣١ظ] عدُوًّا مِن غيرِهم ، فأخَذ بعضَ ما كان فى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٣١.

(٢) سقط من : الأصل . وفى م ، ص : « تعلم أنى » .

(٣ - ٣) فى م : « يغلبوا عليها » .

أيديهم ، وما لم يَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللَّهِ وتَخَيَّروا[1] فيما أنزَل اللَّهُ إلا جعَل اللَّهُ بأْسَهم بينَهم » . قال : ثم أمَر عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ أن يتجَهَّز لسريَّةٍ بعَثه عليها ، فأصْبَح وقد اعتَمَّ بعِمامةٍ مِن كَرابيسَ[2] سوداءَ ، فأدْناه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم نقَضها ، ثم عمَّمه بها ، وأرْسل مِن خلفِه أربعَ أصابعَ أو نحوًا مِن ذلك . ثم قال : « هكذا يا بنَ عوفٍ فاعْتَمَّ ؛ فإنه أحسنُ وأعْرَفُ » . ثم أمَر بلالًا أن يدْفَعَ إليه اللِّواءَ ، فدفَعه إليه ، فحمِد اللَّهَ وصلَّى على نفسِه ثم قال : « خُذْه يا بنَ عوفٍ ، اغْزُوا جميعًا فى سبيلِ اللَّهِ ، فقاتِلوا مَن كفَر باللَّهِ ، لا تَغُلُّوا ولا تغْدِروا ولا تُمَثِّلوا ولا تَقْتُلوا وَليدًا ، فهذا عهدُ اللَّهِ و[3]سيرةُ نبيِّه[3] فيكم » . فأخَذ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ اللِّواءَ . قال ابنُ هشامٍ : فخرَج إلى دُومةِ الجَنْدلِ . **بعْثُ** أبى عبيدةَ بنِ الجَرَّاحِ [4]وأصحابِه[4] ، وكانوا قريبًا مِن ثلاثِمائةٍ راكبٍ إلى سِيفِ البَحْرِ ، وتزويدُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إيَّاهم جِرابًا مِن تمرٍ ، وفيها قصةُ العَنْبرِ ، وهى الحوتُ العظيمُ الذى دسَره البحرُ[5] ، وأكْلُهم كلِّهم منه قريبًا مِن شهرٍ حتى سمِنوا ، وتزَوَّدوا منه وَشائقَ - أى شرائحَ - حتى رجَعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأطْعَموه منه ، فأكَل منه ، كما تقدم بذلك الحديثُ .

قال ابنُ هشامٍ[6] : ومما لم يذْكُرِ ابنُ إسحاقَ من البُعوثِ - يعنى هـٰهنا - بَعْثُ عمرِو بنِ أميَّةَ الضَّمْرىِّ لقتلِ أبى سفيانَ صخْرِ بنِ حربٍ بعد مقْتلِ خُبَيْبٍ

---

(١) فى م ، والسيرة : « تجبروا » . والمثبت موافق لإحدى نسخ السيرة .
(٢) الكرابيس : جمع كرباس ، وهو القطن . النهاية ٤/ ١٦١ .
(٣ - ٣) فى ١١١ ، ٤١ : « سنة نبيه » ، وفى م ، ص : « سيرة نبيكم » .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .
(٥) دسره البحر : أى دفعه وألقاه إلى الشط . النهاية ٢/ ١١٦ .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٣٣ .

ابنِ عدىٍّ وأصحابِه[1] . فكان مِن أمْرِه ما قدَّمْناه ، وكان مع عمرِو بنِ أميَّةَ جَبَّارُ ابنُ صخْرٍ ، ولم يتفقْ لهما قتلُ أبى سفيانَ ، بل قتَلا رجلًا غيرَه ، وأنزَلا خُبَيْبًا عن جِذْعِه . **وبعْثُ** سالمِ بنِ عُميرٍ أحدِ البَكّائين إلى أبى عَفَكٍ[2] أحدِ بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، وكان قد نجَم نفاقُه حينَ قتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ الحارثَ بنَ سُوَيْدِ بنِ الصامتِ ، كما تقدم ، فقال يَرْثِيه [3]ويَذُمُّ ، قبَّحه اللَّهُ ، الدخولَ[3] فى الدِّينِ :

لقد عِشْتُ دهْرًا وما إن أَرَى ... مِن الناسِ دارًا ولا مَجْمَعَا
أبَرَّ عهودًا وأوْفَى لِمَن ... يُعاقِدُ فيهم إذا ما دعا
مِنَ اولادِ قَيْلةَ فى جمعِهم ... يَهُدُّ[4] الجبالَ ولم يَخْضَعا[5]
فصدَّعَهم[6] راكبٌ جاءهم ... حلالٌ حرامٌ لَشَتَّى معَا
[٣/ ٣٣٢و] فلو أنَّ بالعِزِّ صدَّقْتُمُ ... أو المُلكِ تابَعْتُمُ[7] تُبَّعَا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن لى بهذا الخَبيثِ ؟ » فانتَدَب له سالمُ بنُ عُميرٍ هذا ، فقتَله . فقالت أُمامةُ المُرَيْدِيَّةُ[8] فى ذلك :

تُكَذِّبُ دينَ اللَّهِ والمرءَ أحْمدَ ... لعَمْرُ الذى أمْناك بِئْس الذى يُمْنِى

---

(١) ليس كما ذكر ابن هشام ، فقد ذكر ابن إسحاق هذا البعث ، كما فى تاريخ الطبرى ٢/ ٥٤٢ - ٥٤٥، والروض الأنف ٧/ ٥٣١، ٥٣٢. وانظر ما تقدم ٥/ ٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) فى الأصل ، ٤١، ص : « عفل » . وفى ١١١: « غفل » . وانظر القاموس المحيط (ع ف ك) .

(٣ - ٣) فى ١١١، ٤١: « وندم - قبحه اللَّه - على الدخول » .

(٤) فى ١١١، ص : « يميد » .

(٥) يخضعا : أراد يخضعن بالنون الخفيفة ، فلما وقف عليها أبدل منها ألفًا . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٥.

(٦) صدعهم : فرقهم . المصدر السابق ٣/ ١٧٦.

(٧) فى ١١١: « بايعتم » .

(٨) فى الأصل : « الربذية » ، وفى ١١١: « الزبيدية » ، وفى ٤١: « الزبيدى » . وفى السيرة : « المزيرية » . وانظر الإصابة ٧/ ٥٠٥، وأسد الغابة ٧/ ٢٣، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٧٦.

حباك حَنِيفٌ آخِرَ الليلِ طَعْنةً أبا عَفَكٍ خُذْها على كِبَرِ السِّنِّ

وبعَث عميرَ بنَ عدِيٍّ الخَطْمِيَّ لقتلِ العَصْماءِ بنتِ مَرْوانَ مِن بنى أميَّةَ بنِ زيدٍ ، وكانت تَهْجو الإسلامَ وأهلَه ، ولما قُتِل أبو عَفَكٍ المذكورُ أظْهَرت النفاقَ ، وقالت فى ذلك :

بِاسْتِ بنى مالكٍ والنَّبيتِ وعوفٍ وبِاسْتِ بنى الخزرجِ
أطَعْتُم أَتاوِيَّ[1] مِن غيرِكم فلا مِن مرادٍ ولا مَذْحِجِ
تُرَجُّونه بعدَ قتلِ الرءوسِ كما يُرْتَجَى مَرَقُ[2] المُنْضَجِ
ألا أَنِفٌ يَبْتغى غِرَّةً[3] فيَقْطَعَ مِن أمَلِ المُرْتَجِى

قال : فأجابها حسانُ بنُ ثابتٍ فقال :

بنو وائلٍ وبنو واقفٍ وخَطْمةُ دونَ بنى الخزرجِ
متى ما دَعَت سَفَهًا ويْحَها بِعَوْلتِها[4] والمنايا تَجِى
فهَزَّت فتًى ماجدًا عِرْقُه كريمَ المداخِلِ[5] والمَخْرجِ
فضرَّجها مِن نَجيعِ[6] الدما ءِ بعدَ الهُدُوِّ فلم يَحْرَجِ[7]

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ بلَغه ذلَك : « ألا آخِذٌ[8] لى مِن ابنةِ مَرْوانَ » .

---

(١) الأتاوىّ : الغريب . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٦.
(٢) فى النسخ : « ورق » . والمثبت من السيرة ٢/ ٦٣٦.
(٣) فى ص : « عزة » . قال الخشنى : غرة : غفلة . ويروى : عزة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٧.
(٤) بعولتها : يعنى بارتفاع صوتها ، والعولة والعويل : ارتفاع الصوت بالبكاء . المصدر السابق .
(٥) فى م : « المدخل » .
(٦) ضَرَّجها : لطخها . ونجيع : كثير . المصدر السابق .
(٧) فى م : « يخرج » ، ويحرج : يأثم . المصدر السابق .
(٨) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « أحد » .

فسمِع ذلك عُميرُ بنُ عدىٍّ ، فلما أمسى مِن تلك الليلةِ سَرَى عليها فقتَلها ، ثم أصْبَح فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قتَلْتُها . فقال : « نصَرْتَ اللَّهَ ورسولَه يا عُميرُ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل علىَّ شىءٌ[1] مِن شأنِها ؟ قال : « لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزانِ » . فرجَع عُميرٌ إلى قومِه وهم يخْتَلفون فى قتلِها ، وكان لها بنون خمسةٌ ، فقال : أنا قتَلْتُها فكِيدونى جميعًا ثم لا تُنْظِرونِ . فذلك أولُ يومٍ عَزَّ الإسلامُ فى بنى خَطْمةَ ، فأسْلَم منهم بشرٌ كثيرٌ لِما رأَوْا مِن عزِّ الإسلامِ . ثم ذكَر البعثَ الذين أسَروا ثُمامةَ بنَ أُثالٍ الحنَفىَّ ، وما كان مِن أمرِه فى [٣/ ٣٣٢ظ] إسلامِه ، وقد تقدم ذلك فى الأحاديثِ الصِّحاحِ ، وذكَر ابنُ هشامٍ أنه هو الذى قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « المؤمنُ يأْكُلُ فى مِعًى واحدٍ ، والكافرُ يأكلُ فى سبعةِ أمْعاءٍ » . لِما كان مِن قلةِ أكْلِه بعدَ إسلامِه ، وأنه لمَّا انفصل عن المدينةِ دخَل مكةَ معتمرًا وهو يُلبِّى ، فنهاه أهلُ مكةَ عن ذلك فأتَى عليهم ، وتوعَّدهم بقطعِ المِيرةِ عنهم مِن اليَمامةِ ، فلما عاد إلى اليَمامةِ منَعهم المِيرةَ حتى كتَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فأعادها إليهم . وقال بعضُ بنى حَنيفةَ :

ومنا الذى لبَّى بمكةَ مُحْرِمًا[2] برغمِ أبى سفيانَ فى الأشهرِ الحُرُمِ

وبعَث علقمةَ بنَ مُجَزِّزٍ المُدْلِجِىَّ ؛ ليأخذَ بثأرِ أخيه وَقَّاصِ بنِ مُجَزِّزٍ يومَ قُتِل بذى قَرَدٍ ، فاستأذن رسولَ اللَّهِ ﷺ ؛ ليَرْجِعَ فى آثارِ القومِ ، فأذِن له وأمَّره على طائفةٍ مِن الناسِ ، فلما قفَلوا أذِن لطائفةٍ منهم فى التقدُّمِ ، واستعمل عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ ، وكانت فيه دُعابةٌ ، فاستَوْقَد نارًا وأمَرهم أن يَدْخُلوها ، فلما

---

(١) سقط من : م ، ص . وفى ١١١ ، ٤١ : « شأن » .

(٢) فى السيرة : « معلنا » .

عزَم بعضُهم على الدخولِ قال : إنما كنتُ أضْحَكُ . فلما بلَغ ذلك[1] النبىَّ ﷺ قال : « مَن أمَرَكم بمعصيةِ اللَّهِ فلا تُطيعوه » . والحديثُ فى هذا ذكَره ابنُ هشامٍ ، عن الدَّراوَرْدىِّ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ علقمةَ ، عن عمرِو بنِ الحكمِ بنِ ثَوْبانَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ[2] .

وبعَث كُرْزَ بنَ جابرٍ لقتلِ أولئك النفرِ الذين قدِموا المدينةَ ، وكانوا مِن قيسِ كُبَّةَ[3] مِن بَجِيلةَ ، فاسْتَوْخموا المدينةَ واستَوْبَئوها ، فأمَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يخْرُجوا إلى إبلِه فيَشْرَبوا مِن أبوالِها وألبانِها ، فلما صحُّوا قتَلوا راعِيَها ، وهو يَسارٌ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ذبَحوه وغرَزوا الشوكَ فى عينيه ، واستاقوا اللِّقاحَ ، فبَعَث فى آثارِهم كُرْزَ بنَ جابرٍ فى نفرٍ مِن الصحابةِ ، فجاء بأولئك النفرِ مِن بَجيلةَ مَرْجِعَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن غزوةِ ذى قَرَدٍ ، فأمَر فقطَّع أيديَهم وأرجلَهم ، وسُمِلتْ أعينُهم ، وهؤلاء النفرُ إن كانوا هم المذكورين فى حديثِ أنسٍ المتفقِ عليه : أن نفرًا ثمانيةً مِن عُكْلٍ أو عُرَيْنةَ قدِموا المدينةَ . الحديثَ ، والظاهرُ أنهم هم ، فقد تقدم قصتُهم مطوَّلةً ، وإن كانوا غيرَهم فها قد أوْرَدْنا عُيونَ ما ذكَره [٣/ ٣٣٣و] ابنُ هشامٍ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : وغزوةُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ [5][6]إلى اليمنِ[6] ، غزاها مرتين ، قال أبو عمرٍو المَدنىُّ : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عليًّا إلى اليمنِ ، وخالدًا فى جُنْدٍ آخرَ ، وقال : « إن اجتَمَعْتُم فالأميرُ علىُّ بنُ أبى طالبٍ[5] » . قال : وقد ذكَر

---

(١) زيادة من : ١١١، ٤١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٠.

(٣) سقط من : ٤١، م.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤١.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ٤١.

(٦ - ٦) فى م، ص : « التى ».

ابنُ إسحاقَ بعْثَ خالدٍ ، ولم يَذْكُرْه فى عددِ البُعوثِ والسَّرايا ، فينْبَغى أن تكونَ العِدَّةُ فى قولِه تسعةً وثلاثين .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ أسامةَ بنَ زيدِ بنِ حارثةَ إلى الشامِ وأمَره أن يُوطِئَ الخيلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والدَّارُومَ مِن أرضِ فِلَسْطِينَ ، فتجَهَّز الناسُ ، وأوْعَب مع أسامةَ المهاجرون الأوَّلون . قال ابنُ هشامٍ : وهو آخرُ بَعْثٍ بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال البخاريُّ[2] : حدثنا إسماعيلُ ، ثنا مالكٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بعْثًا وأمَّر عليهم أسامةَ بنَ زيدٍ ، فطعَن الناسُ فى إمارتِه ، فقام النبىُّ ﷺ فقال : « إن تَطْعَنوا فى إمارتِه فقد كنتم تَطْعَنون فى إمارةِ أبيه مِن قبلُ ، وايْمُ اللَّهِ إن كان لَخَليقًا للإمارةِ ، وإن كان لَمِن أحبِّ الناسِ إلىَّ ، وإن هذا لَمِن أحبِّ الناسِ إلىَّ بعدَه » . ورواه الترمذىُّ مِن حديثِ مالكٍ[3] . وقال : حديثٌ صحيحٌ حسنٌ . وقد انتُدِب كثيرٌ مِن الكبارِ مِن المهاجرين الأولين والأنصارِ فى جيشِه ، فكان مِن أكبرِهم عمرُ بنُ الخطابِ ، ومَن قال : إن أبا بكرٍ كان فيهم . فقد غلِط ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ اشتد به المرضُ وجيشُ أسامةَ مُخَيِّمٌ بالجُرْفِ ، وقد أمَر النبىُّ ﷺ أبا بكرٍ أن يصلِّىَ بالناسِ ، كما سيأتى ، فكيف يكونُ فى الجيشِ وهو إمامُ المسلمين بإذنِ الرسولِ ﷺ مِن ربِّ العالمين ؟! ولو فُرِض أنه كان قد انتُدِب معهم ، فقد استَثْناه الشارعُ مِن بينِهم بالنصِّ عليه للإمامةِ فى الصلاةِ التى هى أكبرُ أركانِ الإسلامِ ، ثم لمَّا تُوُفِّىَ عليه الصلاةُ والسلامُ استَطْلَقَ الصِّدِّيقُ مِن أسامةَ عمرَ بنَ الخطابِ ، فأذِن له فى المُقامِ عندَ الصديقِ ، ونَفَّذَ الصديقُ جيشَ أسامةَ ، كما سيأتى بيانُه وتفصيلُه فى موضِعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤١، ٦٤٢.

(٢) البخارى (٤٤٦٩) .

(٣) الترمذى (٣٨١٦) .

فصلٌ فى الآياتِ والأحاديثِ المُنْذِرةِ بوفاةِ رسولِ اللّـهِ ﷺ ، وكيف ابْتُدِئ رسولُ اللّـهِ ﷺ بمرضِه الذى مات فيه

قال اللّهُ تعالى[1] : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ [٣/٣٣٣ظ] الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥] . وقال تعالى[3] : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . وقال تعالى[4] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] . وهذه الآيةُ هى التى تلاها الصديقُ يومَ وفاةِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، فلما سمِعها الناسُ كأنهم لم يسْمَعوها قبلَ ذلك . وقال تعالى[5] : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

---

(١) التفسير ٨٧/٧ - ٨٩.

(٢) التفسير ٥/ ٣٣٥.

(٣) التفسير ١٥٤/٢ ، ١٥٥.

(٤) التفسير ١٠٨/٢ - ١١٠.

(٥) التفسير ٥٢٩/٨ - ٥٣٣.

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ . قال عمرُ بنُ الخطاب وابنُ عباسٍ : هو أَجَلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ نُعِيَ إليه[1] .

وقال ابنُ عمرَ[2] : نزَلت أوسطَ أيامِ التَّشْريقِ فى حَجةِ الوداعِ ، فعرَف رسولُ اللَّهِ أنه الوداعُ ، فخطَب الناسَ خطبةً أمَرهم فيها ونهاهم . الخُطبةَ المشهورةَ كما تقدم .

وقال جابرٌ[3] : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ يرمى الجِمارَ ، فوقَف وقال : « لِتأْخُذوا عنى مناسِكَكم ، فلعلِّى لا أحُجُّ بعدَ عامى هذا » .

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ لابنتِه فاطمةَ ، كما سيأتى : « إن جبريلَ كان يُعارِضُنى بالقرآنِ فى كلِّ سنةٍ مرةً ، وإنه عارضنى العامَ مرتين ، وما أَرَى ذلك إلا لاقترابِ أجلِى » .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[4] مِن حديثِ أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن أبى حُصينٍ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ فى كلِّ شهرِ رمضانَ عشَرةَ أيامٍ ، فلما كان مِن العامِ الذى تُوُفِّىَ فيه اعْتَكف عشرين يومًا ، وكان يَعْرِضُ عليه القرآنَ كلَّ رمضانَ مرةً[5] ، فلما كان العامُ الذى تُوُفِّىَ فيه عَرَض عليه القرآنُ مرتين .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[6] : رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حَجةِ الوداعِ فى ذى

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/٦٢٣ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/٦٥٦ .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٦ .

(٤) البخارى (٤٩٩٨) بنحوه ، وفى (٢٠٤٤) مقتصرًا على الاعتكاف دون عرض القرآن .

(٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٢.

الحِجةِ ، فأقام بالمدينةِ بقيتَه والمُحَرَّمَ وصَفَرًا ، وبعَث أسامةَ بنَ زيدٍ ، فبينا الناسُ على ذلك ابْتُدِئَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بشَكوِه[1] الذى قبَضه اللَّهُ فيه إلى ما أراده اللَّهُ مِن رحمتِه وكرامتِه ، فى ليالٍ بقِين مِن صَفَرٍ أو فى أولِ شهرِ ربيعٍ الأولِ ، فكان أولَ ما ابْتُدِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٣٤و] مِن ذلك ، فيما ذُكِر لى ، أنه خرَج إلى بَقيعِ الغَرْقَدِ مِن جوفِ الليلِ ، فاستَغْفَر لهم ، ثم رجَع إلى أهلِه ، فلما أصْبَح ابْتُدِئَ بوَجَعِه مِن يومِه ذلك .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ[3] ، عن عُبيدِ بنِ جُبَيْرٍ[4] مولى الحكمِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، عن أبى مُوَيْهِبةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ مِن جوفِ الليلِ ، فقال : « يا أبا مُوَيْهِبةَ ، إنى قد أُمِرْتُ أن أَسْتَغْفِرَ لأهلِ هذا البَقيعِ ، فانطَلِقْ معى » . فانطَلَقْتُ معه ، فلما وقَف بينَ أظْهُرِهم قال : « السلامُ عليكم يا أهلَ المقابرِ ، لِيَهْنِ لكم ما أصْبَحْتُم فيه مما أصْبَح الناسُ فيه ، أقْبَلَتِ الفتنُ كقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ آخرُها أولَها ، الآخِرةُ شرٌّ مِن الأُولى » . ثم أقبل علىَّ فقال : « يا أبا مُوَيْهِبةَ ، إنى قد أُوتِيتُ مَفاتيحَ خَزائنِ الدنيا والخُلْدَ فيها ثم الجنةَ ، فخُيِّرْتُ بينَ ذلك وبينَ لقاءِ ربى والجنةِ » . قال : قلتُ : بأبى أنت وأمى فخُذْ مَفاتيحَ خَزائنِ الدنيا والخلدَ فيها ثم الجنةَ . قال : « لا واللَّهِ يا أبا مُوَيْهِبةَ ، لقد اخْتَرْتُ لقاءَ ربى والجنةَ » . ثم استَغْفَر لأهلِ البَقيعِ ، ثم انصرف ، فبُدِئَ برسولِ اللَّهِ وَجَعُه الذى قبَضه اللَّهُ فيه . لم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، م : « بشكواه » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٢ ، وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ١٨٨ ، من طريق ابن إسحاق به .

(٣) فى النسخ : « جعفر » . والمثبت من مصدرى التخريج . وهو عبد اللَّه بن عمر بن على العبشمى العبلى . انظر التاريخ الكبير ٥/ ١٤٤ ، والثقات ٧/ ٣٦ .

(٤) فى م : « جبر » .

الكتبِ ، وإنما رواه أحمدُ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ به[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا أبو النَّضْرِ ، ثنا الحكمُ بنُ فُضَيْلٍ ، ثنا يَعْلى بنُ عطاءٍ ، عن عُبيدِ بنِ جُبَيْرٍ[3] ، عن أبى مُوَيْهِبةَ قال : أُمِر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يصلِّىَ على أهلِ البَقيعِ ، فصلَّى عليهم ثلاثَ مراتٍ ، فلما كانت الليلةُ الثالثةُ[4] قال : « يا أبا مُوَيْهِبةَ ، أَسْرِجْ لى دابَّتى » . قال : فركِب ومشَيْتُ ، حتى انتهى إليهم ، فنزَل عن دابَّتِه ، وأمْسَكْتُ الدابَّةَ فوقَف - أو قال : قام - عليهم ، فقال : « لِيَهْنِكم ما أنتم فيه مما فيه الناسُ ، أتَتِ الفتنُ كقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ[5] بعضُها بعضًا ، الآخِرةُ أشدُّ مِن الأُولى ، فلْيَهْنِكم ما أنتم فيه [6]مما فيه الناسُ[6] » . ثم رجَع فقال : « يا أبا مُوَيْهِبةَ ، إنى أُعْطِيتُ - أو قال : خُيِّرْتُ بينَ - مفاتيحِ ما يُفْتَحُ على أمتى مِن بعدى والجنةِ أو لقاءِ ربى » . قال : فقلتُ : بأبى أنت وأمى فاخْتَرْنا[7] . قال : « [8]لأَن تُرَدَّ على عَقِبِها ما شاء اللَّهُ[8] ، فاخْتَرْتُ لقاءَ ربى » . فما لبِث بعدَ ذلك إلا سبعًا أو ثمانيًا حتى قُبِض .

---

(١) المسند ٣/ ٤٨٩.

(٢) المسند ٣/ ٤٨٨.

(٣) فى م : « جبر » .

(٤) فى المسند : « الثانية » .

(٥) فى المسند : « يركب » .

(٦ - ٦) ليس فى المسند .

(٧) كذا فى النسخ . وفى المسند : « يا رسول اللَّه فأخبرنى » .

(٨ - ٨) فى ا ٤١ : « لا أؤمن أن ترد أمتى على عقبها لأجل الدنيا إلا ما شاء اللَّه » . قال فى بلوغ الأمانى ٢١/ ٢٢٣: الظاهر ، واللَّه أعلم ، أنه ﷺ لم يختر خزائن الدنيا والخلد فيها مدة طويلة خشية أن تفتتن أمته بالدنيا وزخارفها ، فترتد على عقبها ؛ أى ترجع إلى حالتها الأولى فى زمن الجاهلية وهو بين أظهرهم ، فاختار لقاء ربه .

وقال عبدُ الرزاقِ[1] ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بالرُّعْبِ[2] ، وأُعْطِيتُ [٣/ ٣٣٤ظ] الخَزائنَ ، وخُيِّرْتُ بينَ أن أبْقَى حتى أَرَى ما يُفْتَحُ على أمتى وبينَ التعجيلِ ، فاخْتَرْتُ التَّعْجيلَ » . قال البيهقىُّ : وهذا مرسلٌ ، وهو شاهدٌ لحديثِ أبى مُوَيْهِبةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى يعقوبُ بنُ عتبةَ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ[4] بنِ مسعودٍ ، عن عائشةَ قالت : رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن البَقيعِ فوجَدنى وأنا أجِدُ صُداعًا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارَأْساهْ . فقال : « بل أنا واللَّهِ يا عائشةُ وارَأْساهْ » . قالت : ثم قال : « وما ضَرَّكِ لو مُتِّ قبلى فقُمْتُ عليك وكفَّنْتُكِ ، وصلَّيْتُ عليكِ ودفَنْتُكِ » . قالت : قلتُ : واللَّهِ لكأنى بك لو قد فعَلْتَ ذلك لقد رجَعْتَ إلى بيتى فأَعْرَسْتَ فيه ببعضِ نسائِك . قالت : فتبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وتتامَّ[5] به وجَعُه وهو يدورُ على نسائِه ، حتى استُعِزَّ به[6] فى بيتِ ميمونةَ ، فدَعا نساءَه ، فاستَأْذَنهن أن يُمَرَّضَ فى بيتى فأذِنَّ له . قالت[7] : فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ[8] بينَ رجلين مِن أهلِه ؛ أحدُهما الفضلُ بنُ عباسٍ ورجلٌ آخرُ ، عاصبًا رأسَه ، تَخُطُّ قدماه ، حتى دخَل بيتى . قال عُبَيدُ اللَّهِ : فحدَّثْتُ به ابنَ عباسٍ ، فقال : أَتَدرى مَن الرجلُ الآخرُ؟ هو علىُّ بنُ أبى طالبٍ . وهذا الحديثُ له شواهدُ ستأتى قريبًا .

---

(١) المصنف (٢٠٠٣٤) ، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١٦٣/٧ ، من طريق عبد الرزاق به .
(٢) بعده فى المصنف : « وأعطيت جوامع الكلم » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٢، ٦٤٣.
(٤) بعده فى م : « عن » . وهو خطأ .
(٥) فى الأصل : « تسام » ، وفى م : « نام » .
(٦) استعز به : أى اشتد به المرض ، وأشرف على الموت . النهاية ٣/ ٢٢٨.
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٩.
(٨) بعده فى السيرة : « يمشى » .

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأنا الحاكمُ ، أنبأنا الأصَمُّ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى يعقوبُ بنُ عتبةَ ، عن الزهريِّ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عائشةَ قالت : دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ وهو يُصْدَعُ ، وأنا أَشْتَكى رأسى ، فقلتُ : وارأْساه . فقال : « بل أنا واللَّهِ يا عائشةُ وارأْساه » . ثم قال : « وما عليكِ لو مُتِّ قبلى فوَلِيتُ أمْرَكِ ، وصلَّيْتُ عليكِ ووارَيْتُك » . فقلتُ : واللَّهِ إنى لَأَحْسَبُ لو كان ذلك لقد خَلَوْتَ ببعضِ نسائِك فى بيتى مِن آخرِ النهارِ[2] . فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم تمادَى به وجَعُه فاستُعِزَّ به وهو يدورُ على نسائِه ، فى بيتِ ميمونةَ ، فاجتمع إليه أهلُه ، فقال العباسُ : إنا لَنَرَى برسولِ اللَّهِ ذاتَ الجَنْبِ ، فهَلُمُّوا فلْنَلُدَّه[3] . فلدُّوه ، فأفاق رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « مَن فعَل هذا ؟ » فقالوا : عمُّك العباسُ تَخَوَّف أن يكونَ بك ذاتُ الجَنْبِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنها مِن الشيطانِ ، وما كان اللَّهُ لِيُسَلِّطَه علىَّ ، لا يَبْقَى فى البيتِ أحدٌ إلا لدَدْتُموه إلا عمِّى العباسَ » . فلُدَّ أهلُ البيتِ كلُّهم حتى ميمونةُ [٣/ ٣٣٥و] وإنها لصائمةٌ ، وذلك بعينِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم استأْذَن أزواجَه أن يُمَرَّضَ فى بيتى ، فأذِنَّ له . فخَرَج وهو بينَ العباسِ ورجلٍ آخرَ لم تُسَمِّه ، تَخُطُّ قدماه بالأرضِ[4] . قال عبيدُ اللَّهِ : قال ابنُ عباسٍ : الرجلُ الآخرُ علىُّ بنُ أبى طالبٍ .

وقال البخاريُّ[5] : حدثنا سعيدُ بنُ عُفَيْرٍ ، ثنا الليثُ ، حدثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) بعده فى الدلائل : « فأعرست بها » .

(٣) لَدَّه : أخذ بلسانه فمدَّه إلى أحد شقى الفم وصب اللَّدود فى الشق الآخر . واللَّدود : ما يُصَب من الأدوية ونحوها فى أحد شقى الفم . انظر الوسيط (ل د د) .

(٤) بعده فى الدلائل : « إلى بيت عائشة » .

(٥) البخارى (٤٤٤٢) .

شِهابٍ ، أخبرنى عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، أن عائشةَ زوجَ النبىِّ ﷺ قالت : لمَّا ثَقُل رسولُ اللَّهِ واشتدَّ به وجَعُه ، استأذن أزواجَه أن يُمَرَّضَ فى بيتى ، فأذِنَّ له ، فخرَج وهو بينَ الرجلين تَخُطُّ رجلاه الأرضَ بينَ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ وبينَ رجلٍ آخرَ . قال عُبَيدُ اللَّهِ : فأخْبَرْتُ عبدَ اللَّهِ - يعنى ابنَ عباسٍ - بالذى قالت عائشةُ ، فقال لى عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ : هل تَدْرى مَن الرجلُ الآخرُ الذى لم تُسَمِّ عائشةُ ؟ قال : قلتُ : لا . قال[1] ابنُ عباسٍ : هو علىٌّ . فكانت عائشةُ زوجُ النبىِّ ﷺ تُحَدِّثُ أن رسولَ اللَّهِ لمَّا دخَل بيتى واشْتَدَّ به وجَعُه ، قال : « هَرِيقوا علىَّ مِن سبعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهن ، لعلِّى أَعْهَدُ إلى الناسِ » . فأجْلَسْناه فى مِخْضَبٍ[2] لحفصةَ زوجِ النبىِّ ﷺ ، ثم طفِقْنا نصُبُّ عليه مِن تلك القِرَبِ ، حتى طفِق يُشيرُ إلينا بيدِه أن قد فعَلْتُنَّ . قالت عائشةُ : ثم خرَج إلى الناسِ فصلَّى لهم وخطَبهم . وقد رواه البخارىُّ أيضًا فى مواضعَ أُخَرَ مِن « صحيحِه » ومسلمٌ مِن طرقٍ ، عن الزهرىِّ به[3] .

وقال البخارىُّ[4] : حدثنا إسماعيلُ ، ثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، قال هشامُ بنُ عروةَ : أخبرنى أبى ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَسْأَلُ فى مرضِه الذى مات فيه : « أين أنا غدًا ؟ أين أنا غدًا ؟ » يُريدُ يومَ عائشةَ ، فأذِن له أزواجُه أن يكونَ حيث شاء ، فكان فى بيتِ عائشةَ حتى مات عندَها . قالت عائشةُ ، رضى اللَّهُ عنها : فمات فى اليومِ الذى كان يدورُ علىَّ فيه فى بيتى ، وقبَضه اللَّهُ وإنَّ

---

(١) سقط من : م .

(٢) المخضب : الإناء تغسل فيه الثياب . الوسيط (خ ض ب) .

(٣) البخارى (١٩٨، ٦٦٥، ٢٥٨٨، ٣٠٩٩، ٥٧١٤) مطولا ومختصرا ، ومسلم (٩١، ٤١٨/٩٢) .

(٤) البخارى (٤٤٥٠) .

رأسَه لَبينَ سَحْرِى[1] ونَحْرِى ، وخالَط رِيقُه رِيقِى . قالت : ودخَل عبدُ الرحمنِ ابنُ أبى بكرٍ ومعه سواكٌ يسْتَنُّ به ، فنظَر إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ له : أَعْطنى هذا السواكَ يا عبدَ الرحمنِ ، فأَعْطانيه فقَضِمْتُه ، ثم مضَغْتُه فأَعْطَيْتُه رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فاسْتَنَّ به وهو مُسْتَنِدٌ[2] إلى صدرى . انفرد به البخارىُّ مِن هذا الوجهِ .

[٣/ ٣٣٥ظ] وقال البخارىُّ[3] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، ثنا الليثُ ، حدثنى ابنُ الهادِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : مات النبىُّ ﷺ وإنه لَبينَ حاقِنَتى وذاقِنتى[4] ، فلا أكْرَهُ شدةَ الموتِ لأحدٍ أبدًا بعدَ النبىِّ ﷺ .

وقال البخارىُّ[5] : حدَّثنا حِبَّانُ[6] ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ ، أنبأنا يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : أخبرنى عروةُ أن عائشةَ أخبَرَته أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا اشْتَكى نفَث على نفسِه بالمُعَوِّذاتِ ، ومسَح عنه بيدِه ، فلما اشْتَكى وجَعَه الذى تُوُفِّىَ فيه طفِقْتُ أَنْفِثُ عليه بالمعوِّذاتِ التى كان يَنْفِثُ ، وأَمْسَحُ بيدِ النبىِّ ﷺ عنه . ورواه مسلمٌ[7] مِن حديثِ ابنِ وهبٍ ، عن يونسَ بنِ يزيدَ الأيْلىِّ ، عن الزهرىِّ به[8] .

---

(١) السَّحْر : الرئة . أى أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذى سحرها منه . النهاية ٢/ ٣٤٦.

(٢) فى الأصل ، م : « مسند » .

(٣) البخارى (٤٤٤٦) .

(٤) الحاقنة : الوَهْدة المنخفضة بين التَّرقوتين من الحلق ، والذاقنة : الذَّقَن . وقيل : طرَف الحلقوم . وقيل : ما يناله الذقن من الصدر . النهاية ١/ ٤١٦، ٢/ ١٦٢.

(٥) البخارى (٤٤٣٩) .

(٦) فى م : « حيان » .

(٧) مسلم (٢١٩٢/٥١) .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « والفلاس ومسلم عن محمد بن حاتم كلهم » . وهو خطأ ، وموضعه بعد رواية الصحيحين الآتية .

(١ وثَبَت فى « الصحيحَيْن »[٢] مِن حديثِ أبى عَوانةَ ، عن فِراسٍ ، عن الشعبىِّ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ قالت : اجتمع نساءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَه لم يُغادِرْ منهن امرأةٌ ، فجاءت فاطمةُ تمشى ، ما تُخْطِئُ مِشْيتُها مِشْيةَ أبيها ، فقال : « مرحبًا بابنتى » . فأقْعَدها عن يمينِه أو شمالِه ، ثم سارَّها بشىءٍ فبكَت ، ثم سارَّها فضحِكت ، فقلتُ لها : خصَّك رسولُ اللَّهِ ﷺ بالسِّرارِ وأنت تَبْكين ؟! فلما أن قام[٣] قلتُ لها : أخبِرِينى ما سارَّك ؟ فقالت : ما كنتُ لأُفْشِيَ سرَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فلما تُوُفِّىَ قلتُ لها : أسألُك بما لى عليك مِن الحقِّ لَمَا أخبَرْتِنى . قالت : أمَّا الآنَ فنعم . قالت : سارَّنى فى الأُولَى ، قال لى : « إن جبريلَ كان يُعارِضُنى[٤] بالقرآنِ فى[٤] كلِّ سنةٍ مرةً وإنّه عارضنى فى هذا العامِ مرتين ، ولا أَرَى ذلك إلا لاقْترابِ أَجَلى ، فاتَّقى اللَّهَ واصْبرى ، فنِعْم السلفُ أنا لك » . فبكَيْتُ ، ثم سارَّنى فقال : « أما تَرْضَيْنَ أن تكونى سيدةَ نساءِ المؤمنين ؟ » أو « سيدةَ نساءِ هذه الأمةِ ؟ » فضحِكتُ . وله طرقٌ عن عائشةَ[٥])[١] .

وقد روَى البخارىُّ عن علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ والفَلَّاسِ ومُسَدَّدٍ[٦] ، ومسلمٌ عن محمدِ بنِ حاتمٍ ، كلُّهم عن يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ ، عن سفيانَ الثورىِّ ، عن موسى بنِ أبى عائشةَ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عائشةَ قالت[٧] : لدَدْنا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) البخارى (٦٢٨٥، ٦٢٨٦) ، ومسلم (٢٤٥٠/٩٨) بنحوه .

(٣) فى ١١١، ٤١، م : « قامت » .

(٤ - ٤) فى م : « فى القرآن » .

(٥) البخارى (٣٦٢٣، ٣٦٢٥، ٣٧١٥، ٤٤٣٣) ، ومسلم (٩٧، ٢٤٥٠/٩٩) .

(٦) سقط من : الأصل ، ٤١، م ، ص .

(٧) البخارى (٤٤٥٨، ٥٧١٢) عن على بن عبد اللَّه به ، و(٦٨٨٦) عن الفلاس - وهو عمرو بن على - به ، و(٦٨٩٧) عن مسدد به . ومسلم (٢٢١٣/٨٥) عن محمد بن حاتم به .

رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مرضِه ، فجعَل يُشيرُ إلينا أن لا تَلُدُّونى . فقلنا : كراهيةُ المريضِ للدواءِ . فلما أفاق قال : « ألم أنْهَكم أن لا تَلُدُّونى ؟! » قلنا : كراهيةُ المريضِ للدواءِ . فقال : « لا يَبْقَى أحدٌ فى البيتِ إلا لُدَّ - وأنا أنْظُرُ - إلا العباسَ ؛ فإنه لم يَشْهَدْكم » . [٣/ ٣٣٦و] قال البخاريُّ[(١)] : ورواه ابنُ أبى الزِّنادِ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، عن النبىِّ ﷺ .

وقال البخاريُّ[(٢)] : وقال يونُسُ ، عن الزهرىِّ ، قال عروةُ : قالت عائشةُ : كان النبىُّ ﷺ يقولُ فى مرضِه الذى مات فيه : « يا عائشةُ ، ما أَزالُ أجِدُ ألمَ الطعامِ الذى أكَلْتُ بخيبرَ ، فهذا أوانُ وجَدْتُ انقطاعَ أَبْهَرِى مِن ذلك السُّمِّ » . هكذا ذكَره البخاريُّ مُعَلَّقًا . وقد أسْنَده الحافظُ البيهقىُّ[(٣)] ، عن الحاكمِ ، عن أبى بكرٍ [(٤)]أحمدَ بنِ محمدِ[(٤)] بنِ يحيى الأشْقَرِ ، عن يوسفَ بنِ موسى ، عن أحمدَ بنِ صالحٍ ، عن عَنْبَسةَ ، عن يونُسَ بنِ يزيدَ الأَيْلىِّ ، عن الزهرىِّ به .

وقال البيهقىُّ[(٥)] : أنبأنا الحاكمُ ، أنبأنا الأصَمُّ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، عن أبى معاويةَ ، عن الأعْمشِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ ، عن أبى الأحْوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : لَأَنْ أحْلِفَ تسعًا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قُتِل قتْلًا أحَبُّ إلىَّ مِن أن أحْلِفَ واحدةً أنه لم يُقْتَلْ ، وذلك أن اللَّهَ اتخذه نبيًّا واتخذه شهيدًا .

---

(١) عقب حديث (٤٤٥٨) .

(٢) البخارى (٤٤٢٨) . وانظر تغليق التعليق ٤/ ١٦٢، ١٦٣.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ١٧٢، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، م، ص: «بن محمد بن أحمد». وفى ١١١، ٤١، والدلائل: «محمد بن أحمد». والمثبت من المستدرك، وانظر تاريخ الإسلام حوادث ووفيات سنة ٣٥١ - ٣٨٠، ص ١٨٩.

(٥) دلائل النبوة ٧/ ١٧٢، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٨، وصححه وقال: على شرط الشيخين. ووافقه الذهبى.

وقال البخاريُّ[1] : ثنا إسحاقُ ، أخبرنا[2] بشْرُ بنُ[3] شعيبِ بنِ أبى حمزةَ ، حدثنى أبى ، عن الزهرىِّ قال : أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ كعبِ بنِ مالكٍ الأنصارىُّ ، وكان كعبُ بنُ مالكٍ أحدَ الثلاثةِ الذين تِيب عليهم ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ أخبره أن علىَّ بنَ أبى طالبٍ خرَج مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى وجَعِه[4] الذى تُوُفِّىَ فيه ، فقال الناسُ : يا أبا الحسنِ ، كيف أصبح رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمدِ اللَّهِ بارئًا . فأخَذ بيدِه عباسُ بنُ عبدِ المطلبِ فقال له : أنت واللَّهِ بعدَ ثلاثٍ عبدُ العَصَا[5] ، وإنى واللَّهِ لَأَرَى رسولَ اللَّهِ ﷺ سوف يُتَوَفَّى مِن وجَعِه هذا ، إنى لَأَعْرِفُ وجوهَ بنى عبدِ المطلبِ عندَ الموتِ ، اذْهَبْ بنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فلْنَسْأَلْه فيمَن هذا الأمرُ ؟ إن كان فينا عَلِمْنا ذلك ، وإن كان فى غيرِنا عَلِمْناه فأوْصَى بنا . فقال علىٌّ : إنا واللَّهِ لئن سأَلْناها رسولَ اللَّهِ ﷺ فمَنَعَناها لا يُعْطِيناها الناسُ بعدَه ، وإنى واللَّهِ لا أسألُها رسولَ اللَّهِ ﷺ . انفرد به البخاريُّ .

وقال البخاريُّ[6] : ثنا قتيبةُ ، ثنا سفيانُ ، عن سليمانَ الأحْولِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : يومُ الخميسِ وما يومُ الخميسِ ؟ [٣/ ٣٣٦ظ] اشتد برسولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُه ، فقال : « ائتونى أكْتُبْ لكم كتابًا [7]لن تضِلُّوا[7] بعدَه

---

(١) البخارى (٤٤٤٧) .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « بن » . وهو خطأ . وإسحاق هو ابن راهويه . انظر فتح البارى ٨/ ١٤٢ .

(٣) فى م : « حدثنا » .

(٤) فى ا ١١١ ، ا ٤١ : « مرضه » .

(٥) قال الحافظ فى الفتح ٨/ ١٤٣ : هو كناية عمن يصير تابعًا لغيره ، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأمورًا عليك ، وهذا من قوة فِراسة العباس ، رضى اللَّه عنه .

(٦) البخارى (٤٤٣١) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « لا تضلوا » . والمثبت من صحيح البخارى .

أبدًا » . فتنازَعوا ، ولا ينْبَغى عندَ نبىٍّ تنازعٌ ، فقالوا : ما شأنُه يَهْجُرُ[1] ؟ استَفْهِموه . فذهَبوا يَرُدُّون عنه ، فقال : « دَعونى ، فالذى أنا فيه خيرٌ مما تَدْعونى إليه » . فأوْصاهم بثلاثٍ ؛ قال : « أخْرِجوا المشركين مِن جزيرةِ العربِ ، وأجِيزوا الوفدَ بنحوِ ما كنتُ أُجِيزُهم » . وسكَت عن الثالثةِ أو قال : فنسِيتُها . ورواه البخاريُّ فى موضعٍ آخرَ ، ومسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ به[2] .

ثم قال البخاريُّ[3] : حدثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لما حُضِر رسولُ اللَّهِ ﷺ وفى البيتِ رجالٌ ، فقال النبىُّ ﷺ : « هَلُمُّوا أكْتُبْ لكم كتابًا لا تضِلُّوا بعدَه[4] » . فقال بعضُهم : إن رسولَ اللَّهِ قد غلَبه الوَجَعُ ، وعندَكم القرآنُ ، حَسْبُنا كتابُ اللَّهِ . فاخْتَلَف أهلُ البيتِ واخْتَصَموا[5] ، فمنهم مَن يقولُ : قَرِّبوا يَكْتُبْ لكم كتابًا لا تضِلُّوا بعدَه . ومنهم مَن يقولُ غيرَ ذلك ، فلما أكْثَروا اللَّغْوَ والاخْتِلافَ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُوموا » . قال عُبَيدُ اللَّهِ : قال ابنُ عباسٍ : إن

---

(١) كذا فى النسخ وهو لفظ رواية مسلم من حديث طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير به . وفى البخارى : « أَهَجَرَ » . قال النووى : وقال القاضى عياض : وقوله : أهجر رسول اللَّه ﷺ . هكذا هو فى صحيح مسلم وغيره « أهجر » على الاستفهام ، وهو أصح من رواية من روى « هجر » و « يهجر » ؛ لأن هذا كله لا يصح منه ﷺ ؛ لأن معنى هجر : هَذَى ، وإنما جاء هذا من قائله استفهاما للإنكار على من قال : لا تكتبوا . أى لا تتركوا أمر رسول اللَّه ﷺ وتجعلوه لأمر مَن هجر فى كلامه ، لأنه ﷺ لا يهجر ، وإن صحت الروايات الأخرى - أى « هجر » و « يهجر » - كانت خطأ من قائلها ، قالها بغير تحقيق ، بل لما أصابه من الحيرة والدهشة لعظيم ما شاهده من النبى ﷺ من هذه الحالة الدالة على وفاته ، وعظيم المصاب به ، وخوف الفتن والضلال بعده ، وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع . صحيح مسلم بشرح النووى ١١/ ٩٢، ٩٣.

(٢) البخارى (٣٠٥٣، ٣١٦٨) ، ومسلم (١٦٣٧/٢٠) .

(٣) البخارى (٤٤٣٢) .

(٤) بعده فى الأصل ، م ، ص : « أبدا » .

(٥) أى من كان فى البيت من الصحابة ، ولم يُرِد أهل بيت النبى ﷺ .

الرَّزِيَّةَ كلَّ الرَّزِيَّةِ ما حال بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ أن يَكْتُبَ لهم ذلك الكتابَ لاختلافِهم ولَغَطِهم . ورواه مسلمٌ عن محمدِ بنِ رافعٍ وعبدِ بنِ حُمَيدٍ ، كلاهما عن عبدِ الرزاقِ بنحوِه[1] . وقد أخْرَجه البخاريُّ فى مواضعَ مِن « صحيحِه » مِن حديثِ معمرٍ ويونسَ ، عن الزهريِّ به[2] . وهذا الحديثُ مما قد تَوَهَّم به بعضُ الأغْبياءِ مِن أهلِ البدَعِ مِن الشيعةِ وغيرِهم ، كلٌّ يَدَّعِى[3] أنه كان يريدُ أن يَكْتُبَ فى ذلك الكتابِ ما يَرْمُزون[4] إليه مِن مَقالاتِهم ، وهذا هو التمسُّكُ بالمُتشابِهِ وتركُ المُحْكَمِ ، وأهلُ السُّنَّةِ يأخُذون بالمُحْكَمِ ويَرُدُّون ما تَشابه إليه ، وهذه طريقةُ الراسخين فى العلمِ ، كما وصَفهم اللَّهُ ، عز وجل ، فى كتابِه ، وهذا الموضعُ مما زلَّ فيه أقدامُ كثيرٍ مِن أهلِ الضَّلالاتِ ، وأما أهلُ السُّنَّةِ فليس لهم مذهبٌ إلا اتباعُ الحقِّ يَدورون معه كيفَما دار ، وهذا الذى كان يُريدُ عليه الصلاةُ والسلامُ أن يَكْتُبَه قد جاء فى الأحاديثِ الصحيحةِ التصريحُ بكَشْفِ المرادِ منه ؛ فإنه قد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا مُؤَمَّلٌ ، ثنا نافعُ [6]بنُ عمرَ[6] ، ثنا ابنُ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ قالت : لما كان وجَعُ رسولِ اللَّهِ [٣/ ٣٣٧و] ﷺ الذى قُبِض فيه قال : « ادْعُوا لى أبا بكرٍ وابنَه فلْيَكتُبْ[7] ؛ لكى لا يَطْمَعَ فى أمرِ أبى بكرٍ طامعٌ ولا يتَمَنَّى مُتَمَنٍّ » . ثم قال : « يأْبَى اللَّهُ ذلك والمؤمنون » . مرتيْن . قالت عائشةُ :

---

(١) مسلم (١٦٣٧/٢٢) .

(٢) البخارى (١١٤، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦) .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « مدع » .

(٤) فى م : « يرمون » .

(٥) المسند ٦/ ١٠٦.

(٦ - ٦) فى م : « عن عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٨٧، وأطراف المسند ٩/ ٧٦.

(٧) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

فأبَى اللَّهُ ذلك والمؤمنون[1] . انفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ[2] : حدثنا أبو معاويةَ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ القرشىُّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ قالت : لما ثَقُل رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لعبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ : « ائتنى بكَتِفٍ أو لَوْحٍ حتى أكْتُبَ لأبى بكرٍ كتابًا لا يُخْتَلَفُ عليه[3] » . فلما ذهَب عبدُ الرحمنِ ليقومَ قال : « أبَى اللَّهُ والمؤمنون أن يُخْتَلَفَ عليك يا أبا بكرٍ » . انفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ أيضًا .

وروَى البخارىُّ[4] ، عن يحيى بنِ يحيى ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن يحيى ابنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد همَمْتُ أن أُرْسِلَ إلى أبى بكرٍ وابنِه فأَعْهَدَ ؛ أن يقولَ القائلون أو يتَمَنَّى مُتَمَنُّون ، فقلتُ[5] : يأْبَى اللَّهُ ويَدْفَعُ المؤمنون » . أو « يَدْفَعُ اللَّهُ ويأْبَى المؤمنون » .

وفى « صحيحِ البخارىِّ » و « مسلمٍ » مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ[6] ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه قال : أتَت امرأةٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَرها أن تَرْجِعَ إليه . فقالت : أرأَيْتَ إن جئتُ ولم أجِدْك ؟ كأنَّها تقولُ : الموتَ . قال : « إن لم تجِدينى فأْتى أبا بكرٍ » . والظاهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنها إنما قالت ذلك له ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى مرضِه الذى مات فيه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامهُ عليه .

---

(١) فى الأصل : « المسلمون » . وفى ١١١ : « المسلمون والمؤمنون » . وبعده فى المسند : إلا أن يكون أبى فكان أبى » .

(٢) المسند ٦/ ٤٧.

(٣) بعده فى م : « أحد » .

(٤) البخارى ، جزء من حديث (٧٢١٧) .

(٥) فى م : « فقال » ، وفى ص : « فقالت » .

(٦) البخارى (٣٦٥٩، ٧٢٢٠، ٧٣٦٠) ، ومسلم (١٠/٢٣٨٦) .

وقد خطَب عليه الصلاةُ والسلامُ فى يومِ الخميسِ قبلَ أن يُقْبَضَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بخمسةِ أيامٍ خطبةً عظيمةً ، بيَّنَ فيها فضلَ الصِّدِّيقِ مِن بينِ[1] سائرِ الصحابةِ ، مع ما كان قد نصَّ عليه أن يَؤُمَّ الصحابةَ أجمعين ، كما سيأتى بيانُه مع حضورِهم كلِّهم ، ولعلَّ خطبتَه هذه كانت عِوَضًا عما أراد أن يَكْتُبَه فى الكتابِ ، وقد اغْتَسل ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بينَ يدَىْ هذه الخطبةِ الكريمةِ ، فصَبُّوا عليه مِن سبعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهن ، وهذا من بابِ الاستشفاءِ بالسبعِ ، كما ورَدت بها الأحاديثُ فى غيرِ هذا الموضعِ ، والمقصودُ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، اغتَسل ثم خرَج فصلَّى بالناسِ ، ثم خطَبهم ، كما تقدم فى حديثِ عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها .

ذكرُ الأحاديثِ الواردةِ فى ذلك

قال البيهقىُّ[2] : أنبأنا الحاكمُ ، أنبأنا الأصَمُّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونُسَ [٣/ ٣٣٧ظ] بنِ بُكيرٍ ، عن [3]محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهرىِّ[3] ، عن أيوبَ ابنِ بَشيرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى مرضِه : « أفِيضوا علىَّ مِن سبعِ قِرَبٍ مِن سبعِ آبارٍ شَتَّى ، حتى أخْرُجَ فأعْهَدَ إلى الناسِ » . ففعَلوا ، فخرَج فجلَس على المنبرِ ، فكان أولَ ما ذكَر بعدَ حمدِ اللَّهِ والثناءِ عليه ذكَر أصحابَ أُحُدٍ ، فاستغْفَر لهم ودَعا لهم ، ثم قال : « يا معشرَ المهاجرين ، إنكم أصْبَحْتم تَزيدون ، والأنصارُ على هيئتِها لا تزيدُ ، وإنهم عَيْبتى التى أوَيْتُ إليها ، فأكْرِموا كريمَهم وتَجاوزوا عن

---

(١) سقط من : م .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ١٧٧، ١٧٨.

(٣ - ٣) فى الدلائل : « أبى إسحاق » . وهو خطأ .

مُسيئِهم » . ثم قال عليه الصلاةُ والسلامُ : « أيُّها الناسُ ، إن عبدًا مِن عبادِ اللَّهِ قد خيَّره اللَّهُ بينَ الدنيا وبينَ ما عندَ اللَّهِ »[1] . ففهِمها أبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، مِن بينِ الناسِ فبكَى ، وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسِنا وأبنائِنا وأموالِنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « على رِسْلِك يا أبا بكرٍ ، انظُروا إلى هذه الأبوابِ[2] الشارعةِ فى المسجدِ فسُدُّوها ، إلا ما كان مِن بيتِ أبى بكرٍ ، فإنى لا أعْلَمُ أحدًا عندى أفضلَ[3] فى الصحبةِ منه » . هذا مرسلٌ له شواهدُ كثيرةٌ .

وقال الواقدىُّ[4] : حدَّثنى فَرْوةُ بنُ زُبَيْدِ بنِ طُوسَى ، عن عائشةَ بنتِ سعدٍ ، عن أمِّ ذَرَّةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالت : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عاصبًا رأسَه بخِرْقةٍ ، فلما اسْتَوى على المِنبرِ تَحَدَّقَ[5] الناسُ بالمنبرِ واسْتَكَفُّوا ، فقال : « والذى نفسى بيدِه إنى لَقائمٌ على الحوضِ الساعةَ » . ثم تشَهَّد فلما قضَى تشَهُّدَه كان أولَ ما تكَلَّم به أن استَغْفَر للشهداءِ الذين قُتِلوا بأحدٍ ، ثم قال : « إن عبدًا مِن عبادِ اللَّهِ خُيِّر بينَ الدنيا وبينَ ما عندَ اللَّهِ ، فاخْتار العبدُ ما عندَ اللَّهِ » . فبكَى أبو بكرٍ فعجِبْنا لبُكائِه ، وقال : بأبى وأمى نَفْديك بآبائِنا وأمهاتِنا وأنفسِنا وأموالِنا . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ هو المخُيَّرَ ، وكان أبو بكرٍ أعْلَمَنا برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ له : « على رِسْلِك » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا أبو عامرٍ ، ثنا فُلَيْحٌ ، عن سالمٍ أبى النَّضْرِ ، عن

---

(١) بعده فى ا ٤، م ، ص : « فاختار ما عند اللَّه » .

(٢) فى الدلائل : « البيوت » .

(٣) بعده فى الدلائل : « يدًا » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ١٧٨، من طريق الواقدى به .

(٥) فى الدلائل : « فأحدق » .

(٦) المسند ٣/ ١٨.

بُسرِ[1] بنِ سعيدٍ ، عن أبى سعيدٍ قال : خطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ فقال : « إن اللَّهَ خيَّر عبدًا بينَ الدنيا وبينَ ما عندَه ، فاخْتار ذلك العبدُ ما عندَ اللَّهِ » . قال : فبكَى أبو بكرٍ . قال : فعجِبْنا لبُكائِه أن يُخْبِرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ[2] ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ هو المُخَيَّرَ ، وكان [٣/ ٣٣٨و] أبو بكرٍ أعْلَمَنا به . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أمَنَّ الناسِ علىَّ فى صحبتِه ومالِه أبو بكرٍ ، لو كنتُ متَّخذًا خليلًا غيرَ ربى لاتخذْتُ أبا بكرٍ[3] ، ولكن خُلَّةُ[4] الإسلامِ و[5]مودتُه ، لا يَبْقَى فى المسجدِ بابٌ إلا سُدَّ ، إلا بابَ أبى بكرٍ » . وهكذا رواه البخاريُّ مِن حديثِ أبى عامرٍ العَقَدىِّ به[6] . ثم رواه الإمامُ أحمدُ ، عن يونُسَ ، عن فُلَيْحٍ ، عن سالمٍ أبى النَّضْرِ ، عن عُبَيدِ بنِ حُنَيْنٍ وبُسْرِ بنِ سعيدٍ ، عن أبى سعيدٍ به[7] . وهكذا رواه البخاريُّ ومسلمٌ ، مِن حديثِ فُلَيْحٍ ومالكِ بنِ أنسٍ ، عن سالمٍ ، عن بُسْرِ بنِ سعيدٍ وعُبَيدِ بنِ حُنَيْنٍ ، كلاهما عن أبى سعيدٍ بنحوِه[8] .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدثنا أبو الوليدِ[10] هشامٌ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن

---

(١) فى ١١١، م : « بشر » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٢.

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٣) بعده فى م : « خليلا » .

(٤) فى المسند : « أخوة » .

(٥) فى المسند : « أو » .

(٦) البخارى (٣٦٥٤) .

(٧) المسند ٣/ ١٨.

(٨) البخارى (٤٦٦، ٣٩٠٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) .

(٩) المسند ٣/ ٤٧٨، ٤/ ٢١١، ٢١٢ .

(١٠) بعده فى النسخ : « ثنا » . وهو خطأ . فأبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسى . انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٢٦، وأطراف المسند ٧/ ٨٥، ٨٦.

عبدِ الملكِ ، عن ابنِ أبى المُعَلَّى ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب يومًا فقال : « إن رجلًا خيَّره ربُّه بينَ أن يَعيشَ فى الدنيا ما شاء أن يعيشَ فيها ، يأكُلُ مِن الدنيا ما شاء أن يأكُلَ منها ، وبينَ لقاءِ ربِّه فاخْتار لقاءَ ربِّه » . فبكَى أبو بكرٍ ، فقال أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ : ألا تَعْجَبون مِن هذا الشيخِ أن ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ رجلًا صالحًا خيَّره ربُّه بينَ[1] الدنيا وبينَ لقاءِ ربِّه ، فاخْتار لقاءَ ربِّه ؟! فكان أبو بكرٍ أعْلَمَهم بما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال أبو بكرٍ : بل نَفْديك بأموالِنا وأبنائِنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما مِن الناسِ أحدٌ أمَنَّ علينا فى صحبتِه وذاتِ يدِه مِن ابنِ أبى قُحافةَ ، ولو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذْتُ ابنَ أبى قُحافةَ ، ولكن وُدٌّ وإخاءٌ وإيمانٌ ، ولكن وُدٌّ وإخاءٌ وإيمانٌ » مرتين « وإن صاحبَكم خليلُ اللَّهِ عز وجل » . تفرد به أحمدُ[2] . قالوا : وصوابُه أبو سعيدِ بنُ المُعَلَّى . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ[3] مِن طريقِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ - هو ابنُ راهَوَيْهِ - ثنا زكريا بنُ عدىٍّ ، ثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو الرَّقِّىُّ ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، حدثنى جُنْدَبٌ ، أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ قبلَ أن يُتَوَفَّى بخمسٍ وهو يقولُ : « قد كان لى منكم إخوةٌ وأصْدقاءُ ، وإنى أبْرَأُ إلى كلِّ خليلٍ [4]مِن خُلَّتِه[4] ، ولو كنتُ متخذًا مِن أمتى خليلًا لاتخذْتُ أبا

---

(١) بعده فى م : « البقاء فى » .

(٢) الحديث لم يتفرد به أحمد ، فقد أخرجه الترمذى (٣٦٥٩) من طريق أبى عوانة به . قال ابن حجر فى أطراف المسند ٧/ ٨٦: وأورده المزى فى ترجمة أبى المعلى بن لوذان وعزا تخريجه للترمذى وهو كذلك . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٢٩٠.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ١٧٦، ١٧٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

بكرٍ خليلًا ، وإن ربى اتخذنى خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا ، وإن قومًا ممن كان قبلَكم يتخذون قبورَ أنبيائِهم وصُلَحائِهم مساجدَ[1] ، فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ ، فإنى أنهاكم عن ذلك » . وقد رواه مسلمٌ فى [٣/٣٣٨ظ] « صحيحِه » عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ بنحوِه[2] . وهذا اليومُ الذى كان قبلَ وفاتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بخمسةِ أيامٍ هو يومُ الخميسِ الذى ذكَره ابنُ عباسٍ فيما تقدم .

وقد رُوِّينا هذه الخطبةَ مِن طريقِ ابنِ عباسٍ ، قال الحافظُ البيهقىُّ[3] : أنبأنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ المُقْرِئُ ، أنبأنا الحسنُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بنُ يعقوبَ[4] قال : ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، ثنا وهبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبى ، سمِعْتُ يَعْلَى بنَ حكيمٍ يُحَدِّثُ عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : خرَج النبىُّ ﷺ فى مرضِه الذى مات فيه عاصبًا رأسَه بخِرْقةٍ ، فصعِد المنبرَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : « إنه ليس مِن الناسِ أحدٌ أمَنَّ علىَّ بنفسِه ومالِه مِن أبى بكرٍ ، ولو كنتُ متخذًا مِن الناسِ خليلًا لاتخذْتُ أبا بكرٍ خليلًا ، ولكن خُلَّةُ الإسلامِ أفضلُ ، سُدُّوا عنى كلَّ خَوْخَةٍ فى المسجدِ غيرَ خَوْخَةِ أبى بكرٍ » . ورواه البخارىُّ ، عن (٥عبدِ اللَّهِ٥) بنِ محمدٍ الجُعْفىِّ ، عن وهبِ بنِ جريرِ بنِ حازمٍ ، عن

---

(١) سقط من : ١١١، ص .

(٢) مسلم (٢٣/٥٣٢) .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ١٧٦.

(٤) بعده فى الأصل ، م ، ص : « ابن عوانة الإسفراييني » . وفى ١١١، ٤١ : « أبو عوانة الإسفراييني » . وليس فى الدلائل . والظاهر أنه خطأ ، واللَّه أعلم ، فإن أبا عوانة اسمه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وهو خال الحسن بن محمد بن إسحاق ولكنه لم يرو عنه . أما يوسف بن يعقوب هذا فهو ابن إسماعيل ابن حماد بن زيد القاضى ، روى عنه محمد بن أبى بكر المقدمى ، وروى عن الحسن بن محمد بن إسحاق . انظر ذلك فى سير أعلام النبلاء فى ترجمة أبى عوانة ١٤/ ٤١٧، وترجمة يوسف بن يعقوب ١٤/ ٨٥، وترجمة الحسن بن محمد ١٥/ ٥٣٥.

(٥ - ٥) فى م ، ص : « عبيد اللَّه » .

أبيه به[1] . وفى قولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ : « سُدُّوا عنى كلَّ خَوْخَةٍ [2] فى المسجدِ[2] - يعنى الأبوابَ الصغارَ النافذةَ[3] إلى المسجدِ - غيرَ خَوْخةِ أبى بكرٍ » . إشارةٌ إلى الخِلافةِ ؛ أى لِيَخْرُجْ منها إلى الصلاةِ بالمسلمين .

وقد رواه البخاريُّ أيضًا[4] ، مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ سليمانَ بنِ حَنْظلةَ ، ابنِ الغَسِيلِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج فى مرضِه الذى مات فيه عاصبًا رأسَه بعِصابةٍ دَسْماءَ[5] ، مُلْتَحِفًا بمِلْحَفةٍ على مَنْكِبَيْه ، فجلَس على المنبرِ ، فذكَر الخُطبةَ ، وذكَر فيها الوَصاةَ بالأنصارِ ، إلى أن قال : فكان آخرَ مجلسٍ جلَس فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى قُبِض . يعنى آخرَ خطبةٍ خطَبها ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ ، عن ابنِ عباسٍ بإسنادٍ غريبٍ ولفظٍ غريبٍ ؛ فقال الحافظُ البيهقىُّ[6] : أنبأنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا ابنُ أبى قُمَاشٍ ، وهو محمدُ بنُ عيسى ، ثنا موسى بنُ إسماعيلَ أبو عِمرانَ الجَبُّلىُّ ، ثنا مَعْنُ بنُ عيسى القَزَّازُ ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إياسٍ الليثىِّ ، عن القاسمِ بنِ يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن أبيه ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، عن الفضلِ بنِ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنه قال: أتانى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يُوعَكُ وَعْكًا شديدًا ، وقد عصَب رأسَه ، فقال : « خُذْ بيدى

---

(١) البخارى (٤٦٧) .
(٢ - ٢) زيادة من : ا ٤ .
(٣) زيادة من : ا ٤ .
(٤) البخارى (٩٧٢، ٣٦٢٨، ٣٨٠٠) .
(٥) دسماء : سوداء . النهاية ٢/ ١١٧ .
(٦) دلائل النبوة ٧/ ١٧٩، ١٨٠ .

يا فضلُ » . قال : فأخَذْتُ بيدِه حتى قعَد على المنبرِ ، ثم قال : « نادِ فى الناسِ يا فضلُ » . فنادَيْتُ : الصلاةَ جامعةً . قال : فاجْتَمَعوا ، فقام رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه [٣/ ٣٣٩و] عليه وسلَّم خطيبًا فقال : « أما بعدُ ، أيُّها الناسُ ، إنه قد دنا منى حقوقٌ[(١)] مِن بينِ أظهرِكم ، ولن ترَوْنى فى هذا المَقامِ فيكم ، وقد كنتُ أرَى أن غيرَه غيرُ مُغْنٍ عنى حتى أقومَه فيكم ، ألا فمَن كنتُ جلَدْتُ له ظهرًا فهذا ظهرى فلْيَسْتَقِدْ ، ومَن كنتُ أخذتُ له مالًا فهذا مالى فلْيَأْخُذْ منه ، ومَن كنتُ شتَمْتُ له عِرضًا فهذا عِرْضى فليستقِدْ ، ولا يقولَنَّ قائلٌ : أخافُ الشَّحْناءَ مِن قِبَلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ألا وإن الشَّحْناءَ ليست مِن شأنى ولا مِن خُلُقى ، وإن أحبَّكم إلىَّ مَن أخَذ حقًّا إن كان له علىَّ ، أو حلَّلنى ، فلقِيتُ اللَّهَ عز وجل وليس لأحدٍ عندى مَظْلِمةٌ » . قال : فقام منهم رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لى عندَك ثلاثةُ دَراهمَ . فقال : « أمَّا أنا فلا أُكَذِّبُ قائلًا ولا مُسْتَحْلِفُه على يمينٍ ، فيمَ كانت لك عندى ؟ » قال : أمَا تذْكُرُ أنه مَرَّ بك سائلٌ فأمَرْتَنى ، فأعطَيْتُه ثلاثةَ دراهمَ . قال : « أعْطِه يا فضلُ » . قال : [(٣)] وأمَر به[(٣)] فجلَس . قال : ثم عاد رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَقالتِه الأولى ، ثم قال : « أيُّها الناسُ ، مَن عندَه مِن الغُلولِ شىءٌ فلْيَرُدَّه » . فقام رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، عندى ثلاثةُ دراهمَ غلَلْتُها فى سبيلِ اللَّهِ » . قال : « فلِمَ غلَلْتَها ؟ » قال : كنتُ إليها محتاجًا . قال : « خُذْها منه يا فضلُ » . ثم عاد رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَقالتِه الأولى ، وقال : « يا أيُّها الناسُ ، مَن أحَسَّ مِن نفسِه شيئًا فلْيَقُمْ أدْعُو اللَّهَ له » . فقام إليه رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى لَمنافقٌ ، وإنى

---

(١) فى الأصل : « خفوق » ، وفى ا ٤١ : « حتوف » ، وفى م : « خلوف » .

(٢ - ٢) فى ا ١١١ ، ا ٤١ : « وأمرته » . وفى الدلائل : « فأمرته » .

لَكَذوبٌ ، وإنى لَنَئُومٌ[1] . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ويحَك أيُّها الرجلُ ! لقد ستَرك اللَّهُ ، لو ستَرْتَ على نفسِك ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْ يا بنَ الخطابِ ! فُضوحُ الدنيا أهونُ مِن فُضوحِ الآخرةِ ، اللهم ارْزُقْه صدقًا وإيمانًا ، وأذْهِبْ عنه النَّومَ[2] إذا شاء » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عمرُ معى وأنا مع عمرَ ، والحقُّ بعدى مع عمرَ » . وفى إسنادِه ومتنِه غرابةٌ شديدةٌ .

ذكرُ أمْرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أبا بكرٍ الصديقَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أن يُصَلّىَ بالصحابةِ أجمعين [3]مع حضورِهم كلّهم وخروجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فصلَّى وراءَه مُقتَديًا به فى بعضِ الصلواتِ على ما سنذْكره ، وإمامًا له ولَمن بعده مِن الصحابةِ[3]

قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ قال : وقال ابنُ شِهابٍ الزهرىُّ : حدَّثنى عبدُ الملكِ بنُ [٣/ ٣٣٩ظ] أبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ[5] الحارثِ بنِ هشامٍ ، [6]عن أبيه[6] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَمْعةَ بنِ الأسْودِ بنِ المطلبِ بنِ

---

(١) فى م : « لشئوم » .

(٢) فى م : « الشؤم » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) المسند ٤/ ٣٢٢.

(٥) فى ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٨٩.

(٦ - ٦) سقط من : ا ٤. وبعده فى م : « عن عبد الله بن هشام عن أبيه » ، وهو مقحم . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١١٢، وأطراف المسند ٣/ ١٦.

أسيدٍ قال : لما استُعِزَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ[1] ، وأنا عندَه فى نفرٍ مِن المسلمين ، دَعا بلالٌ للصلاةِ ، فقال : « مُروا مَن يصلِّى بالناسِ » . قال : فخرَجْتُ فإذا عمرُ فى الناسِ ، وكان أبو بكرٍ غائبًا فقلتُ[2] : قمْ يا عمرُ فصلِّ بالناسِ . قال : فقام ، فلما كبَّر عمرُ سمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَه ، وكان عمرُ رجلًا مُجْهِرًا[3] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فأين أبو بكرٍ؟! يأْبَى اللَّهُ ذلك والمسلمون ، [4]يأْبَى اللَّهُ ذلك والمسلمون[4] » . قال : فبعَث إلى أبى بكرٍ ، فجاء بعدَما صلَّى عمرُ تلك الصلاةَ فصلَّى بالناسِ . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ زَمْعةَ : قال لى عمرُ : ويحَك ماذا صنَعْتَ[5] يا بنَ زَمْعةَ ، واللَّهِ ما ظنَنْتُ حينَ أمَرْتَنى إلا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرك[6] بذلك ، ولولا ذلك ما صلَّيْتُ[7] . قال : قلتُ : واللَّهِ ما أمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولكن حينَ لم أرَ أبا بكرٍ رأيْتُك أحقَّ مَن حضَر بالصلاةِ . وهكذا رواه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى الزهرىُّ[8] . ورواه يونسُ بنُ بكيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى يعقوبُ بنُ عتبةَ ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ زَمْعَةَ ، فذكَره[9] .

---

(١) استعز برسول اللَّه ﷺ : اشتد به المرض وأشرف على الموت . النهاية ٣/ ٢٢٨.

(٢) فى المسند : « فقال » . والمثبت من النسخ وهو لفظ إحدى روايات ابن عساكر كما فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٦٠- ٢٦٤. وهما بمعنى .

(٣) مجهرا : صاحب جهر ورفع لصوته . النهاية ١/ ٣٢١.

(٤ - ٤) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٥) بعده فى المسند : « بى » .

(٦) فى النسخ : « أمرنى » . والمثبت من المسند .

(٧) بعده فى المسند : « بالناس » .

(٨) أبو داود (٤٦٦٠) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٩٥) .

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٦٢، ٢٦٣، من طريق يونس بن بكير به .

وقال أبو داودَ[1] : ثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، ثنا ابنُ أبى فُدَيْكٍ ، حدَّثنى موسى بنُ يعقوبَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ زَمْعَةَ أخْبَره بهذا الخبرِ ، قال : لَمَّا سمِع النبىُّ ﷺ صوتَ عمرَ . قال ابنُ زَمْعةَ : خرَج النبىُّ ﷺ حتى أطْلَع رأسَه مِن حُجْرتِه ، ثم قال : [2]« لا لا لا ، لِيُصلِّ للناسِ ابنُ أبى قُحافةَ »[2] . يقولُ ذلك مُغْضَبًا .

وقال البخارىُّ[3] : ثنا عمرُ بنُ حفصٍ ، ثنا أبى ، ثنا الأعْمشُ ، عن إبراهيمَ ، قال الأَسودُ : كنا عندَ عائشةَ رضى اللَّهُ عنها ، فذكَرْنا المُواظبةَ على الصلاةِ والتَّعظيمَ[4] لها ، قالت : لما مرِض النبىُّ ﷺ مرَضَه الذى مات فيه فحضَرَت الصلاةُ [5]فأذَّن بلالٌ[5] ، فقال : « مُروا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالناسِ[6] » . فقيل له : إن أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ[7] ، إذا قام مَقامَك لم يسْتَطِعْ أن يصلِّىَ بالناسِ . وأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثةَ ، فقال : « إنكن صَواحبُ[8] يوسفَ ، مُروا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ

---

(١) أبو داود (٤٦٦١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٩٦) .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ١٤١ ، م : « لا لا ، لا يصلى للناس إلا ابن أبى قحافة » . وفى ١١١ : « ألا لا يصلى للناس إلا ابن أبى قحافة » . وفى ص : « لا لا ، لا يصلى للناس ابن أبى قحافة » . والمثبت من سنن أبى داود .

(٣) البخارى (٦٦٤) .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، ١٤١ ، م : « المواظبة » . وفى ص : « للمواظبة » . والمثبت من البخارى .

(٥ - ٥) فى البخارى : « فأُذِّن » .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) أسيف : أى سريع البكاء والحُزن . وقيل : هو الرقيق . النهاية ١/ ٤٨ .

(٨) فى ١١١ : « صواحبات » . وفى ١٤١ : « صويحبات » . قال الحافظ ابن حجر : وصواحب جمع صاحبة ، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف فى إظهار خلاف ما فى الباطن . ثم إن هذا الخطاب ، وإن كان بلفظ الجمع ، فالمراد به واحد وهى عائشة فقط ، كما أن « صواحب » صيغة جمع والمراد زليخا فقط ، ووجه المشابهة بينهما فى ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها فى محبته ، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به . فتح البارى ٢/ ١٥٣ .

بالناسِ » . فخرَج أبو بكرٍ فصلَّى[1] ، فوجَد النبيُّ ﷺ فى[2] نفسِه خِفَّةً فخرَج يُهادَى[3] بينَ رَجُلَيْنِ ، كأنِّى أنظُرُ [٣/ ٣٤٠و] [4]إلى رجليه[4] تَخُطَّان الأرضَ[5] مِن الوَجَعِ ، فأراد أبو بكرٍ أن يتأخَّرَ ، فأوْمَأ إليه النبيُّ ﷺ أن مكانَك ، ثم أُتِىَ به حتى جلَس إلى جَنْبِه . قيل للأعْمشِ : فكان النبيُّ ﷺ يصلِّى وأبو بكرٍ يصلِّى بصلاتِه والناسُ يصلُّون بصلاةِ أبى بكرٍ ؟ فقال برأسِه[6] نعم . ثم قال البخاريُّ : رواه أبو داودَ الطيالِسِيُّ[7] ، عن شعبةَ[8] بعضَه ، وزاد أبو معاويةَ ، [9]عن الأعمشِ[9] : جلَس عن يَسارِ أبى بكرٍ ، فكان أبو بكرٍ يصلِّى قائمًا . وقد رواه البخاريُّ فى غيرِ ما موضعٍ مِن كتابِه ، ومسلمٌ والنسائيُّ وابنُ ماجه مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن الأعمشِ به[10] ، منها ما رواه البخاريُّ ، عن قتيبةَ ، ومسلمٌ عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ويحيى ابنِ يحيى ، عن أبى معاويةَ به[6] .

---

(١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص .

(٢) فى صحيح البخارى : « من » .

(٣) يهادى : يعتمد على الرجلين متمايلا فى مشيه من شدة الضعف . فتح البارى ٢/ ١٥٤.

(٤ - ٤) فى صحيح البخارى : « رجليه » . والمثبت من النسخ هو لفظ إحدى نسخ البخارى . كما فى حاشية صحيح البخارى طبعة الشعب ١/ ١٦٩.

(٥) زيادة من : ا ٤١ . وهى موافقة لإحدى نسخ البخارى . وتخطان الأرض : أى لم يقدر على تمكينهما من الأرض . انظر فتح البارى ٢/ ١٥٤.

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) زيادة من : ا ٤١ . وهى صحيحة ، ليست موجودة فى باقى النسخ وصحيح البخارى . انظر فتح البارى الموضع السابق .

(٨) بعده فى صحيح البخارى : « عن الأعمش » .

(٩ - ٩) زيادة من النسخ . وهى زيادة صحيحة ؛ تجبر ما سقط من النسخ فى الحاشية قبل السابقة ، فالحديث رواه حفص بن غياث - مطولا - وشعبة - مختصرا - وأبو معاوية كلهم عن الأعمش به .

(١٠) البخارى (٧١٢، ٧١٣) ، ومسلم (٩٥، ٤١٨/٩٦) ، والنسائى (٨٣٢) ، وابن ماجه (١٢٣٢) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، أنبأنا مالكٌ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، أنها قالت : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى مرضِه[2] : « مُروا أبا بكرٍ يُصلِّى بالناسِ » . [3]قالت عائشةُ : قُلْتُ : إنَّ أبا بَكْرٍ إذا قام مَقامَك ، لم يُسْمِعِ النَّاسَ مِن البُكاءِ ، فمُرْ عمرَ فَلْيُصَلِّ للنّاسِ ، [4]فقلتُ لحفصةَ : قولى له : إنَّ أبا بكرٍ إذا قام فى مقامِك لم يُسمعِ الناسَ من البكاءِ ، فمرْ عمرَ فليصلِّ للناسِ[4] . ففَعَلتْ حَفْصَةُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْ[5] إنّكُنَّ لأنْتُنَّ صواحِبُ يُوسفَ ، مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ للنَّاسِ » . فقالت حَفْصَةُ لعائشةَ : ما كُنْتُ لِأُصيبَ مِنكِ خيرًا . ورواه الترمذىُّ والنّسائىُّ ، مِن حديثِ مالكٍ به[6] . وقال الترمذىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ .

وقال البُخارِىُّ[7] : ثنا زكريّا بنُ يحيى ثنا ابنُ نُمَيْرٍ ثنا هِشامُ بنُ عُرْوَةَ ، [8]عن أبيه[8] ، عن عائشةَ قالت : أمر رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ أن يُصَلِّىَ بالنّاسِ فى مَرَضِه فكان يُصَلِّى بهم . قال عروةُ : فوَجَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [9]مِن نفسِه[9] خِفَّةً ، فخَرَج فإذا أبو بكرٍ يَؤُمُّ النّاسَ ، فلما رآه أبو بكرٍ اسْتَأْخَرَ ، فأشارَ إليه أنْ كما أنتَ . فجَلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ حِذاءَ أبى بكرٍ إلى جَنْبِه ، فكان أبو بكرٍ يُصَلِّى بصَلاةِ[3]

---

(١) البخارى (٦٧٩) .
(٢) بعده فى ١١١، ٤١: « الذى مات فيه » .
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ١١١ .
(٥) سقط من : الأصل .
(٦) الترمذى (٣٦٧٢) ، والنسائى فى الكبرى (١١٢٥٢) .
(٧) البخارى (٦٨٣) .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل .
(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(١) رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والنّاسُ يُصلُّون بصلاةِ أبى بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . ورواه مُسْلِمٌ من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ به(٢) .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »(٣) مِن حديثِ ابْنِ وَهبٍ عن يونُسَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن حَمْزَةَ بنِ(٤) عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن أبيه قال : لَمّا اشْتَدَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ وجَعُه ، (٥) قيل له فى الصلاة(٥) ، فقال : « مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنّاسِ » . فقالت له عائشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّ أبا بكرٍ رَجُلٌ رَقيقٌ ، إذا قامَ مَقامَكَ لم يُسْمِعِ النّاسَ مِن البُكاءِ . فقال : « مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنّاسِ » . فعاوَدَتْه مثلَ مَقالَتِها ، فقال : « أنْتُنَّ [٣/ ٣٤٠ظ] صواحِبُ يُوسُفَ ، مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنّاسِ »(١) . قال ابنُ شِهابٍ(٦) : فأخبرنى عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عائشةَ أنها قالت : لقد عاوَدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذلك ، وما حمَلنى على مُعاودَتِه إلا أنى خَشِيتُ(٧) أن يَتشاءَمَ الناسُ بأبى بكرٍ ، وإلا أنى علِمْتُ أنه لن يقومَ مَقامَه أحدٌ إلا تَشاءم الناسُ به ، فأحْبَبْتُ أن يَعْدِلَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ عن أبى بكرٍ إلى غيرِه .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »(٨) مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ قال : وأخْبرنى حمزةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن عائشةَ قالت : لمَّا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بيتى قال : « مُروا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالناسِ » . قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن

(١ - ١) سقط من : م ، ص .
(٢) مسلم (٤١٨/٩٧) .
(٣) البخارى (٦٨٢) بنحوه .
(٤) فى الأصل : « عن » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ . والمثبت من صحيح البخارى .
(٦) البخارى (٤٤٤٥) ، ومسلم (٤١٨/٩٣) .
(٧) سقط من : الأصل .
(٨) مسلم (٤١٨/٩٤) .

أبا بكرٍ رجلٌ رَقيقٌ ، إذا قرأ القرآنَ لا يَمْلِكُ دَمْعَه ، فلو أمَرْتَ غيرَ أبى بكرٍ[1] . قالت : واللَّهِ ما بى إلا كراهيةُ أن يتَشاءمَ الناسُ بأولِ مَن يقومُ فى مَقامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قالت : فراجَعْتُه مرتين أو ثلاثًا . فقال : « لِيُصَلِّ بالناسِ أبو بكرٍ ، فإنكنَّ صَواحبُ يوسفَ » .

وفى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ ، عن أبى بُرْدَةَ بنِ[3] أبى موسى ، عن أبيه قال : مرِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « مُروا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالناسِ » . فقالت عائشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أبا بكرٍ رجلٌ رَقيقٌ ، متى يَقُمْ مَقامَك لا يسْتَطِعْ يصلِّى بالناسِ . قال : فقال : « مُروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ ، فإنكنَّ صَواحبُ يوسفَ » . قال : فصلَّى أبو بكرٍ حَياةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، ثنا زائدةُ ، عن موسى بنِ أبى عائشةَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : دخَلْتُ على عائشةَ ، فقلتُ : ألا تُحَدِّثينى عن مرضِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثَقُل رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « أصَلَّى الناسُ ؟ » فقلنا : لا ، هم ينْتَظِرونك يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « [5]ضعوا لى[5] ماءً فى المِخْضَبِ[6] » . ففعَلْنا ، قالت : فاغْتَسل ، ثم ذهَب لِيَنوءَ[7] فأُغْمِىَ عليه ، ثم أفاق فقال : « أصَلَّى الناسُ ؟ » قلنا : لا ، هم ينْتَظِرونك يا رسولَ

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) البخارى (٦٧٨، ٣٣٨٥) ، ومسلم (١٠١/٤٢٠) .

(٣) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ .

(٤) المسند ٢/ ٥٢، ٦/ ٢٥١.

(٥ - ٥) فى ١١١، ٤١، م ، ص : « صبوا إلى » .

(٦) المخضب : إناء تُغسل فيه الثياب . الوسيط (خ ض ب) .

(٧) لينوء : لينهض .

اللَّهِ . [1] قال : « ضَعوا لى ماءً فى المِخْضَبِ » . ففعَلْنا فاغْتَسَل ، ثم ذهَب لِينوءَ فأُغْمى عليه ، ثم أفاق ، فقال : « أصَلَّى الناسُ ؟ » قلنا : لا ، هم ينْتَظِرونك يا رسولَ اللَّهِ [1][2] . قالت : والناسُ عُكوفٌ فى المسجدِ ينْتَظِرون رسولَ اللَّهِ ﷺ لصلاةِ العِشاءِ ، فأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى بكرٍ بأن يُصلِّىَ بالناسِ ، وكان أبو بكرٍ رجلًا رَقيقًا ، فقال : يا عمرُ ، صلِّ بالناسِ . فقال : أنت أحقُّ بذلك . فصلَّى بهم تلك الأيامَ ، ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ وجَد خِفَّةً ، فخرَج بينَ [٣/ ٣٤١و] رجلَيْن ، أحدُهما العباسُ لصلاةِ الظهرِ ، فلما رآه أبو بكرٍ ذهَب لِيتأخرَ ، فأوْمَأ إليه أن لا يتأخرَ ، وأمَرهما فأجْلَساه إلى جنبِه ، فجعَل أبو بكرٍ يصلِّى قائمًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يصلِّى قاعدًا . [3] قال عُبَيدُ اللَّهِ [3] : فدخَلْتُ على ابنِ عباسٍ ، فقلتُ : ألا أعْرِضُ عليك ما حدَّثَتْنى عائشةُ عن مرضِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : هاتِ . فحدَّثْتُه فما أنكَر منه شيئًا ، غيرَ أنه قال : سَمَّت لك الرجلَ الذى كان مع العباسِ ؟ قلتُ : لا . قال : هو علىٌّ . وقد رواه البخارىُّ ومسلمٌ جميعًا ، عن أحمدَ بنِ يونُسَ ، عن زائدةَ به [4] . وفى روايةٍ [5] : فجعَل أبو بكرٍ يصلِّى بصلاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو قائمٌ ، والناسُ يصلُّون بصلاةِ أبى بكرٍ ورسولُ اللَّهِ ﷺ قاعدٌ .

قال البيهقىُّ [6] : ففى هذا أن النبىَّ ﷺ تقدَّم فى هذه الصلاةِ ، وعلَّق أبو بكرٍ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١١١، ٤١.

(٢) بعده فى م : « قال : ضعوا لى ماء فى المخضب ، ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله » . وهذه الزيادة لا توافق الرواية فى الموضعين السابقين من المسند .

(٣ - ٣) زيادة من النسخ .

(٤) البخارى (٦٨٧) ، ومسلم (٤١٨/٩٠) .

(٥) لعلها ما فى دلائل النبوة ٧/ ١٩٠، ١٩١، من طريق أحمد بن يونس عن زائدة به ، وانظر ما أخرجه النسائى فى المجتبى (٨٣٣) ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن زائدة به .

(٦) دلائل النبوة ٧/ ١٩١.

صلاتَه بصلاتِه .

قال[1] : وكذلك رواه الأَسودُ وعروةُ عن عائشةَ ، وكذلك رواه الأَرْقَمُ بنُ شُرَحْبيلَ ، عن ابنِ عباسٍ . يعنى بذلك ما رواه الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا يحيى بنُ زكريا بنِ أبى زائدةَ ، حدَّثنى أبى ، عن أبى إسحاقَ ، عن الأَرْقمِ بنِ شُرَحْبيلَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لمَّا مرِض النبىُّ ﷺ أمَر أبا بكرٍ أن يصلِّىَ بالناسِ ، ثم وجَد خِفَّةً فخرَج ، فلمَّا أحسَّ به أبو بكرٍ أراد أن يَنْكِصَ ، فأَوْمَأَ إليه النبىُّ ﷺ ، فجلَس إلى جنبِ أبى بكرٍ عن يَسارِه ، واستَفْتَح مِن الآيةِ التى انتَهَى إليها أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . ثم رواه أيضًا[3] ، عن وكيعٍ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أَرْقَمَ ، عن ابنِ عباسٍ بأَطْولَ مِن هذا . وقال وَكيعٌ مرةً : فكان أبو بكرٍ يأْتَمُّ بالنبىِّ ﷺ والناسُ يأْتَمُّون بأبى بكرٍ . ورواه ابنُ ماجه ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، عن وَكيعٍ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أَرْقَمَ بنِ شُرَحْبيلَ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه[4] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا شَبابةُ بنُ سَوَّارٍ ، ثنا شعبةُ ، عن نُعيمِ بنِ أبى هندٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ قالت : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ خلفَ أبى بكرٍ قاعدًا فى مرضِه الذى مات فيه . وقد رواه الترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ شعبةَ[6] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

---

(١) أى البيهقى . دلائل النبوة ١٩١/٧ .

(٢) المسند ١/ ٢٣١، ٢٣٢. (إسناده صحيح) .

(٣) المسند ١/ ٣٥٦، ٣٥٧. (إسناده صحيح) .

(٤) ابن ماجه (١٢٣٥) . حسن ، دون ذكر علىٍّ (صحيح سنن ابن ماجه ١٠٢٠) .

(٥) المسند ٦/ ١٥٩.

(٦) الترمذى (٣٦٢) ، والنسائى (٧٨٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٧) .

وقال أحمدُ[1] : ثنا بكرُ بنُ عيسى ، سمِعْتُ شعبةَ بنَ الحجَّاجِ ، عن نُعيمِ بنِ أبى هندَ ، عن أبى وائلٍ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ ، أن أبا بكرٍ صلَّى بالناسِ ورسولُ اللَّهِ [٣/ ٣٤١ظ] ﷺ فى الصفِّ .

وقال البيهقىُّ[2] : أخبرنا أبو الحسينِ بنُ الفضلِ القَطَّانُ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، أنبأنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا شعبةُ ، عن سليمانَ الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى خلفَ أبى بكرٍ . وهذا إسنادٌ جيدٌ ولم يُخْرِجوه . قال البيهقىُّ[2] : وكذلك رواه حُمَيْدٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، ويونُسُ ، عن الحسنِ مرسلًا .

ثم أسْنَد ذلك مِن طريقِ هُشَيْمٍ ؛ أخبرنا يونُسُ ، عن الحسنِ ، قال هشيمٌ : وأنبأنا حميدٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج وأبو بكرٍ يُصَلِّى بالناسِ ، فجلَس إلى جنبِه وهو فى بُرْدَةٍ قد خالف بينَ طرَفيها فصلَّى بصلاتِه .

قال البيهقىُّ[2] : وأخبرنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا عُبَيْدُ بنُ شَريكٍ ، أنبأنا ابنُ أبى مريمَ ، أنبأنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، أخبرنى حميدٌ أنه سمِع أنسًا يقولُ : آخرُ صلاةٍ صلَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ مع القومِ فى ثوبٍ واحدٍ مُلْتَحِفًا به ، خلفَ أبى بكرٍ . قلتُ : وهذا إسنادٌ جيدٌ على شرطِ الصحيحِ ، ولم يُخْرِجوه . وهذا التَّقْييدُ جيدٌ بأنها آخرُ صلاةٍ صلَّاها مع الناسِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

---

(١) المسند ٦/ ١٥٩. كما أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (١٦٢٠) ، من طريق بكر بن عيسى به ، وقال الشيخ الألبانى : إسناده صحيح .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ١٩٢.

وقد ذكَر البيهقىُّ[1] مِن طريقِ سليمانَ بنِ بلالٍ ويحيى بنِ أيوبَ، عن حميدٍ، عن أنسٍ، أن النبىَّ ﷺ صلَّى خلفَ أبى بكرٍ فى ثوبٍ واحدٍ بُرْدٍ[2] مخالفًا بينَ طرَفيه، فلما أراد أن يقومَ قال: «ادْعُ لى أسامةَ بنَ زيدٍ». فجاء فأسْنَد ظهْرَه إلى نحْرِه، فكانت آخرَ صلاةٍ صلَّاها.

قال البيهقىُّ[3]: ففى هذا دَلالةٌ أن هذه الصلاةَ كانت صلاةَ الصبحِ مِن يومِ الاثنينِ يومَ الوفاةِ؛ لأنها آخرُ صلاةٍ صلَّاها [4]لِما ثبَت أنه تُوُفِّىَ ضُحَى يومِ الاثنينِ[4]. وهذا الذى قاله البيهقىُّ أخَذه مُسَلِّمًا مِن «مغازى موسى بنِ عقبةَ» فإنه كذلك ذكَر. وكذا روَى أبو الأسودِ، عن عروةَ[5]، وذلك ضعيفٌ، بل هذه آخرُ صلاةٍ صلَّاها مع القومِ، كما تقدم تَقْييدُه فى الروايةِ الأخرى، والحديثُ واحدٌ فيُحْمَلُ مُطْلَقُه على مُقَيَّدِه، ثم لا يجوزُ أن تكونَ هذه صلاةَ الصبحِ[6] مِن يومِ الاثنينِ يومَ الوفاةِ؛ لأن تلك لم يُصَلِّها مع الجماعةِ، بل فى بيتِه لِما به مِن الضعفِ، صلواتُ اللَّهُ وسلامُه عليه.

والدليلُ على ذلك ما قال [٣/٣٤٢و] البخارىُّ، رحِمه اللَّهُ، فى «صحيحِه»[7]: حدَّثنا أبو اليَمانِ، أنبأنا شعيبٌ، عن الزهرىِّ، أخبرنى أنسُ بنُ مالكٍ، وكان تبِعَ النبىَّ ﷺ وخدَمَه وصَحِبَه، أن أبا بكرٍ كان يصلِّى لهم فى

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) سقط من: ص.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧.

(٤ - ٤) لم نجد هذه العبارة من كلام الحافظ البيهقى ولا غيره فى المواضع المشار إليها، ولعلها زيادة من الناسخ أدرجت بآخر كلام البيهقى. فاللَّه أعلم.

(٥) انظر الدلائل ٧/ ١٩٧.

(٦) فى ا ١١: «الضحى».

(٧) البخارى (٦٨٠).

وجَعِ النبيِّ ﷺ الذى تُوُفِّىَ فيه ، حتى إذا كان يومُ الاثنين وهم صفوفٌ فى الصلاةِ فكشَف النبيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرةِ يَنْظُرُ إلينا وهو قائمٌ كأنَّ وجهَه ورَقةُ مُصْحَفٍ[1] ، تبَسَّم يَضْحَكُ ، فهمَمْنا أن نَفْتَتِنَ مِن الفرحِ برؤيةِ النبيِّ ﷺ[2] ، [3]فنكَص أبو بكرٍ على عَقِبيه ليصِلَ الصفَّ ، وظنَّ أن النبيَّ ﷺ خارجٌ[3] إلى الصلاةِ ، فأشار إلينا النبيُّ ﷺ أن أتِمُّوا صلاتَكم ، وأرْخَى السِّتْرَ ، فتُوُفِّىَ مِن يومِه ﷺ . وقد رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ وصالِحِ[5] بنِ كَيْسانَ ومعمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن أنسٍ .

ثم قال البخاريُّ[6] : ثنا أبو معمرٍ ، ثنا عبدُ الوارثِ ، ثنا عبدُ العزيزِ ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ قال : لم يَخْرُجِ النبيُّ ﷺ ثلاثًا ، فأُقيمتِ الصلاةُ ، فذهَب أبو بكرٍ يَتقدَّمُ ، فقال نبيُّ اللَّهِ : « عليكم بالحِجابِ » . فرفَعه فلمَّا وضَح وجهُ النبيِّ ﷺ ما نظَرْنا مَنْظرًا كان أعْجبَ إلينا مِن وجهِ النبيِّ ﷺ حينَ وضَح لنا ، فأوْمَأ النبيُّ ﷺ بيدِه إلى أبى بكرٍ أن يتقدمَ ، وأرْخَى النبيُّ ﷺ الحِجابَ ، فلم يُقْدَرْ عليه حتى مات ﷺ . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، عن أبيه به[7] . فهذا أوْضَحُ دليلٍ على أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم يُصلِّ يومَ الاثنين صلاةَ الصبحِ مع الناسِ ، وأنه كان قد انقطع عنهم ؛ لم يَخْرُجْ إليهم ثلاثًا .

---

(١) قال النووى : عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته . صحيح مسلم بشرح النووى ٤/ ١٤٢.

(٢) أى كادوا أن يخرجوا عن الصلاة فرحًا برؤيته . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٢٤٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل.

(٤) مسلم (٩٨، ٩٩، ٤١٩/٠٠٠).

(٥) فى م : « صبيح » . وفى ص : « صبح » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٧٩.

(٦) البخارى (٦٨١).

(٧) مسلم (٤١٩/١٠٠).

قلنا : فعلى هذا يكونُ آخرُ صلاةٍ صلَّاها معهم الظهرَ ، كما جاء مُصَرَّحًا به فى حديثِ عائشةَ المتقدِّمِ ، ويكونُ ذلك يومَ الخميسِ لا يومَ السبتِ ، ولا يومَ الأحدِ كما حكاه البيهقىُّ عن « مغازى موسى بنِ عقبةَ » ، وهو ضعيفٌ ؛ لِما قدَّمْنا مِن خطبتِه بعدَها ، ولأنه انقطع عنهم يومَ الجمُعةِ ، والسبتِ ، والأحدِ ، وهذه ثلاثةُ أيامٍ كَواملَ .

وقال الواقدىُّ[1] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى سَبْرةَ ، أن أبا بكرٍ صلَّى بهم سبعَ عشْرةَ صلاةً . وقال غيرُه : عشرين صلاةً . فاللَّهُ أعلمُ . ثم بدَا لهم وجهُه الكريمُ صَبيحةَ [٣/ ٣٤٢ظ] يومِ الاثنين فودَّعهم بنظرةٍ كادوا يفْتَتِنون بها ، ثم كان ذلك آخرَ عهدِ جُمْهورِهم به ، ولسانُ حالِهم يقولُ ، كما قال بعضُهم :

وكنتُ أُرَى كالموتِ مِن بَيْنِ ساعةٍ فكيف ببَيْنٍ كان موعدَه الحشرُ

والعجبُ أن الحافظَ البيهقىَّ أوْرَد هذا الحديثَ مِن هاتين الطريقَيْن ، ثم قال ما حاصلُه : فلعله عليه الصلاةُ والسلامُ ، احْتَجَب عنهم فى أولِ ركعةٍ ، ثم خرَج فى الركعةِ الثانيةِ ، فصلَّى خلفَ أبى بكرٍ ، كما قال عروةُ وموسى بنُ عقبةَ ، وخفِىَ ذلك على أنسِ بنِ مالكٍ ، أو أنه ذكَر بعضَ الخبرِ وسكَت عن آخِرِه[2] . وهذا الذى ذكَره أيضًا بعيدٌ جدًّا ؛ لأن أنسًا قال : فلم يُقْدِرْ عليه حتى مات . وفى روايةٍ قال : فكان ذلك آخرَ العهدِ به . وقولُ الصحابىِّ مُقَدَّمٌ على قولِ التابعىِّ . واللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قدَّم أبا بكرٍ الصديقَ إمامًا للصحابةِ كلِّهم فى

---

(١) فى م ، ص : « الزهرى » . والأثر أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٩٧، من طريق الواقدى عن أبى بكر بن أبى سبرة بنحوه . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٠٢.

(٢) دلائل النبوة ٧/ ١٩٧، ١٩٨.

الصلاةِ التى هى أكبرُ أرْكانِ الإسلامِ العَمَليةِ .

قال الشيخُ أبو الحسنِ الأشْعرىُّ[1] : وتقديمُه له أمْرٌ معلومٌ بالضرورةِ مِن دينِ الإسلامِ . قال : وتقديمُه له دليلٌ على أنه أعْلَمُ الصحابةِ وأقْرؤُهم ؛ لِما ثبَت فى الخبرِ المتفَقِ على صحتِه بينَ العلماءِ[2] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَؤُمُّ القومَ أقرؤُهم لكتابِ اللَّهِ ، فإن كانوا فى القراءةِ سواءً فأعْلَمُهم بالسنةِ ، فإن كانوا فى السنةِ سواءً فأكبرُهم سنًّا ، فإن كانوا فى السنِّ سواءً فأقدمُهم سِلمًا[3] » . قلتُ : وهذا مِن كلامِ الأشْعرىِّ ، رحِمه اللَّهُ ، مما يَنْبغى أن يُكْتَبَ بماءِ الذهبِ ، ثم قد اجْتَمَعت هذه الصفاتُ كلُّها فى الصديقِ ، رضِى اللَّهُ عنه وأرْضاه ، وصلاةُ الرسولِ ﷺ خلفَه فى بعضِ الصلواتِ ، كما قدَّمْنا بذلك الرواياتِ الصحيحةَ ، لا يُنافى ما رُوِىَ فى « الصحيحِ » أن أبا بكرٍ ائتم به ، عليه الصلاةُ والسلامُ ؛ لأن ذلك فى صلاةٍ أخرى ، كما نصَّ على ذلك الشافعىُّ وغيرُه مِن الأئمةِ ، رحِمهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ .

فائدةٌ : استدلَّ مالكٌ[4] والشافعىُّ وجماعةٌ مِن العلماءِ ، [5]ومنهم البخارىُّ[5] ، بصلاتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قاعدًا ، وأبو بكرٍ مقتديًا به قائمًا ، والناسُ بأبى بكرٍ ، على نسخِ قولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى الحديثِ

---

(١) انظر الإبانة ٢٨، ٢٥١ - ٢٥٧، ومقالات الإسلاميين ١/ ٣٩.

(٢) مسلم (٢٩٠، ٢٩١/٦٧٣) ، وأبو داود (٥٨٢ - ٥٨٤) ، والترمذى (٢٣٥) ، والنسائى (٧٧٩) ، وابن ماجه (٩٨٠) . بألفاظ مختلفة .

(٣) سقط من : ا ٤١. وفى م ، ص : « مسلما » . والمثبت موافق لما عند مسلم .

(٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

المتفقِ عليه[1] حينَ صلَّى ببعضِ أصحابِه قاعدًا، وقد وقَع عن فرسٍ فجُحِش[2] شِقُّه، فصلَّوا [٣/٣٤٣و] وراءَه قيامًا، فأشار إليهم أن اجْلِسوا، فلما انصرف قال: «كذلك والذى نفسى بيدِه تفْعَلون كفعلِ فارسَ والرومِ؛ يقومون على عُظمائِهم وهم جلوسٌ». وقال: «إنما جُعِل الإمامُ لِيُؤْتَمَّ به، فإذا كبَّر فكبِّروا، وإذا ركَع فارْكَعوا، وإذا رفَع فارْفَعوا، وإذا سجَد فاسْجُدوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جلوسًا أجْمَعون». قالوا: ثم إنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أمَّهم قاعدًا، وهم قيامٌ فى مرضِ الموتِ، فدلَّ على نسخِ ما تقدم[3]. واللَّهُ أعلمُ.

وقد تنَوَّعَت مَسالكُ الناسِ فى الجوابِ عن هذا الاستدلالِ على وجوهٍ كثيرةٍ، موضعُ ذكرِها كتابُ «الأحكامِ الكبيرِ» إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثقةُ وعليه التُّكلانُ.

ومُلَخَّصُ ذلك أن مِن الناسِ مَن زعَم أن الصحابةَ جلَسوا لأمرِه المتقدِّمِ، وإنما استمر أبو بكرٍ قائمًا لأجلِ التَّبْليغِ عنه ﷺ. ومِن الناسِ مَن قال: بل كان أبو بكرٍ هو الإمامَ فى نفسِ الأمْرِ كما صرَّح به بعضُ الرواةِ كما تقدم، وكان أبو بكرٍ لشدةِ أدَبِه مع الرسولِ ﷺ لا يُبادرُه بل يقْتَدى به، فكأنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، صار إمامَ الإمامِ، فلهذا لم يَجْلِسوا لاقتدائِهم بأبى بكرٍ، وهو قائمٌ، ولم يجْلِسِ الصديقُ لأجلِ أنه إمامٌ، ولأنه يُبَلِّغُهم عن النبىِّ ﷺ الحركاتِ والسَّكَناتِ والانتقالاتِ. واللَّهُ أعلمُ. ومِن الناسِ مَن قال: فرْقٌ بينَ أن يَبْتدئَ

---

(١) البخارى (٣٧٨، ٦٨٩، ٧٣٢، ٧٣٣)، ومسلم (٤١١، ٤١٣)، وأبو داود (٦٠٢)، والنسائى (١١٩٩)، وابن ماجه (١٢٤٠) بألفاظ مختلفة.

(٢) الجحش: الخدش أو أشد منه قليلًا. فتح البارى ١/ ٤٨٧.

(٣) انظر فتح البارى ٢/ ١٧٨ حديث (٦٨٩)، ١٠/ ١٢٠ حديث (٥٦٥٨).

الصلاةَ خلفَ الإمامِ فى حالِ القيامِ فيَسْتمرَّ فيها قائمًا وإن طرَأ جلوسُ الإمامِ فى أثنائِها كما فى هذه الحالِ ، وبينَ أن يبتدئَ الصلاةَ خلفَ إمامٍ جالسٍ فيَجِبُ الجلوسُ للحديثِ المتقدِّمِ . واللَّهُ أعلمُ . ومِن الناسِ مَن قال : هذا الصَّنيعُ والحديثُ المتقدِّمُ دليلٌ على جوازِ القيامِ والجلوسِ ، وإنَّ كلًّا مِنهما سائغٌ جائزٌ ؛ الجلوسُ لِما تقدَّم ، والقيامُ للفعلِ المتأخِّرِ . واللَّهُ أعلمُ .

(١) فصلٌ فى كيفيَّةِ (١) احْتضارِه ووفاتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ(٢) : ثنا أبو معاويةَ ، ثنا الأعْمشُ ، عن إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، عن الحارثِ بنِ سُوَيْدٍ ، (٣) عن عبدِ اللَّهِ ، هو ابنُ مسعودٍ (٣) قال : دخَلْتُ على النبىِّ ﷺ وهو يُوعَكُ فمسِسْتُه ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنك لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا ! قال : « أجَلْ ، إنى أُوعَكُ كما يُوعَكُ الرجلان منكم » . قلتُ : إن لك أجْرَيْن ؟ قال : « نعم ، والذى نفسى بيدِه ، ما على الأرضِ مسلمٌ يُصيبُه أذًى مِن مرضٍ فما سواه ، إلا حطَّ اللَّهُ عنه [٣/ ٣٤٣ظ] به خَطاياه ، كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقَها » . وقد أخْرَجه البخارىُّ ومسلمٌ مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعمشِ به(٤) .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى الموصلىُّ فى « مسندِه »(٥) : حدَّثنا إسحاقُ بنُ أبى إسرائيلَ ، ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنبأنا معمرٌ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن رجلٍ ، عن أبى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ١/ ٣٨١.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) البخارى (٥٦٤٧، ٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦١، ٥٦٦٧) ، ومسلم (٢٥٧١) .

(٥) لم نجده بهذا اللفظ وهذا الإسناد فى مسند أبى يعلى ، لكن أخرج أبو يعلى (١٠٤٥) ، وابن ماجه (٤٠٢٤) ، كلاهما من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى نحوه . كما أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٢٠٦٢٦) عن معمر به ، والإمام أحمد فى المسند ٣/ ٩٤، عن عبد الرزاق به .

سعيدٍ الخدرىِّ قال : [1] وضَعتُ يدى [1] على النبىِّ ﷺ فقلتُ [2] : واللَّهِ ما أُطيقُ أن أضَع يدى عليك مِن شدةِ حُمَّاك . فقال النبىُّ ﷺ : « إنا معشرَ الأنبياءِ يُضاعَفُ لنا البلاءُ كما يُضاعَفُ لنا الأجرُ ، إن كان النبىُّ مِن الأنبياءِ لَيُبْتَلَى بالقَمْلِ حتى يقْتُلَه ، وإن كان الرجلُ لَيُبْتَلَى بالعُرْيِ حتى يأخُذَ العَباءةَ فيُجوِّبَها [3] ، وإن كانوا لَيَفْرَحون بالبلاءِ كما تفْرَحون بالرخاءِ » . فيه رجلٌ مُبْهَمٌ ، لا يُعْرَفُ بالكليةِ [4] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى البخارىُّ ومسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ وشعبةَ بنِ الحَجَّاجِ ، زاد مسلمٌ : وجريرٍ ، ثلاثتُهم ، عن الأعْمشِ ، عن أبى وائلٍ شَقيقِ بنِ سَلَمةَ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ [5] قالت : ما رأيْتُ الوَجَعَ على أحدٍ أشدَّ منه على رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وفى « صحيحِ البخارىِّ » [6] مِن حديثِ يزيدَ بنِ الهادِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : مات رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ حاقِنتى وذاقِنتى [7] ، فلا أكْرَهُ شدةَ الموتِ لأحدٍ أبدًا بعدَ النبىِّ ﷺ .

وفى الحديثِ الآخرِ الذى رواه [8] فى « صحيحِه » [9] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

(١ - ١) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « وضع يده » .

(٢) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « فقال » .

(٣) فى الأصل : « فيحوبها » . وفى ٤١ : « فيحويها » . ويجوبها : يقطع وسطها . انظر النهاية ١/ ٣١٠ .

(٤) لعله عطاء بن يسار كما هو مصرح به عند ابن ماجه وأبى يعلى وغيرهما . واللَّه أعلم .

(٥) البخارى (٥٦٤٦) ، ومسلم (٢٥٧٠) .

(٦) البخارى (٤٤٤٦) .

(٧) الحاقنة : ما سفل من الذقن . والذاقنة : ما عَلا منه . أو : الحاقنة : نُقرة الترقوة ، والذاقنة : الذقن . فتح البارى ٨/ ١٣٩ .

(٨) بعده بياض فى النسخ .

(٩) بعده فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « عن » . ثم بياض فيهما .

والحديث تقدم تخريجه فى ١/ ٥٠٨ حاشية (١) . وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٣) .

« أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصالحون ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ ، يُبْتَلَى الرجلُ على حسَبِ دينِه ، فإن كان فى دينِه صلابةٌ شُدِّدَ عليه فى البلاءِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنى سعيدُ بنُ عُبَيدِ بنِ السَّبَّاقِ ، عن محمدِ بنِ أسامةَ بنِ[2] زيدٍ ، عن أبيه أسامةَ بنِ زيدٍ قال : لمَّا ثَقُل رسولُ اللَّهِ ﷺ هبَطْتُ وهبَط الناسُ معىَ إلى المدينةِ ، فدخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد أَصْمَتَ فلا يتَكَلَّمُ[3] ، فجعَل يرْفَعُ يديْه إلى السماءِ ثم يَصُبُّها[4] علىَّ[5] ، أعْرِفُ أنه يدْعو لى . ورواه الترمذىُّ ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن يونُسَ بنِ بكيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ[6] ، وقال : حسنٌ غريبٌ .

وقال الإمامُ مالكٌ فى « مُوَطَّئِه »[7] عن إسماعيلَ بنِ أبى حكيمٍ ، أنه سمِع عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ يقولُ : كان مِن آخرِ ما تكَلَّم به رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قال : « قاتل اللَّهُ اليهودَ والنصارى ؛ اتَّخَذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ ، لا يبْقَيَنَّ دِينان [٣/ ٣٤٤و] بأرضِ العربِ » . هكذا رواه مرسلًا ، عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد روَى البخارىُّ ومسلمٌ مِن حديثِ الزهرىِّ[8] ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) المسند ٥/ ٢٠١.
(٢) فى الأصل : « عن » . وهو خطأ .
(٣) فى ص : « أتكلم » .
(٤) فى م : « يصيبها » . وهو تصحيف .
(٥) بعده فى م : « وجهه » .
(٦) الترمذى (٣٨١٧) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٣٠٠٠) .
(٧) الموطأ ٢/ ٨٩٢. وانظر التمهيد ١/ ١٦٥.
(٨) البخارى (٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٤٥، ٥٨١٥، ٥٨١٦)، ومسلم (٥٣١) .

عبدِ اللَّهِ [1] بنِ عتبةَ [1] ، عن عائشةَ وابنِ عباسٍ ، قالا : لمّا نَزَل برسولِ اللَّهِ ﷺ طفِق يطْرَحُ خَميصةً له على وجهِه ، فإذا اغْتَمَّ كشَفها عن وجهِه ، فقال وهو كذلك : « لعنةُ اللَّهِ على اليهودِ والنصارى ؛ اتَّخَذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ » . يُحَذِّرُ ما صنَعوا .

وقال الحافظُ البيهقيُّ [2] : أنبأنا أبو بكرِ بنُ أبى رجاءٍ الأديبُ [3] ، أنبأنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ قبلَ موتِه بثلاثٍ : « أحسِنوا الظنَّ باللَّهِ » .

وفى بعضِ الأحاديثِ كما رواه مسلمٌ [4] مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن أبى سفيانَ طلحةَ بنِ نافعٍ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَمُوتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ باللَّهِ تعالى » . وفى الحديثِ الآخرِ : يقولُ اللَّهُ تعالى : « أنا عندَ ظنِّ عبدى بى ، فلْيَظُنَّ بى خيرًا [5] » .

وقال البيهقيُّ [6] : أنبأنا الحاكمُ ، حدَّثنا الأصَمُّ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّغانيُّ ، ثنا أبو خَيْثَمةَ زهيرُ بنُ حربٍ ، ثنا جريرٌ ، عن سليمانَ التَّيْميِّ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : كانت عامَّةُ وصيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ حضَره الموتُ : « الصلاةُ وما ملَكتْ أيمانُكم » . حتى جعَل يُغَرْغِرُ بها [7] فى صدْرِه [7] ، وما

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٠٤ .

(٣) عند البيهقى : أبو بكر بن رجاء الأديب .

(٤) مسلم (٢٨٧٧/٨١) بنحوه .

(٥) لم أجده بهذا اللفظ . وانظر الإحسان (٦٣٣ - ٦٣٥، ٦٣٩، ٦٤١) .

(٦) دلائل النبوة ٧/ ٢٠٤، ٢٠٥ .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

يَفيضُ[1] بها لسانُه .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا أسباطُ بنُ محمدٍ ، ثنا التَّيْميُّ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كانت عامَّةُ وصيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ حضره الموتُ : « الصلاةُ وما ملَكتْ أيمانُكم » . حتى جعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بها صدرُه ، وما يكادُ يَفِيضُ بها لسانُه . وقد رواه النسائيُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ سليمانَ بنِ طَرْخانَ ، وهو التَّيْميُّ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ به[3] . وفى روايةٍ للنسائيِّ ، عن قتادةَ ، عن صاحبٍ له ، عن أنسٍ به[4] .

وقال أحمدُ[5] : ثنا بكرُ بنُ عيسى الراسبيُّ ، ثنا عمرُ بنُ الفضلِ ، عن نُعيم بنِ يزيدَ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ قال : أمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن آتيَه بطَبَقٍ[6] يكْتُبُ فيه ما لا تَضِلُّ أمتُه مِن بعدِه . قال : فخشِيتُ أن تفوتَنى نفسُه . قال : قلتُ : إنى أحْفَظُ وأعِى . قال : « أُوصِى بالصلاةِ والزكاةِ وما مَلَكَت أيمانُكم » . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[7] : ثنا أبو النعمانِ محمدُ بنُ الفضلِ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن قتادةَ ، عن سَفينةَ ، [٣/ ٣٤٤ظ] عن أمِّ سَلَمةَ قالت : كانت[8] عامَّةُ وصيةِ

---

(١) فى م : « يفصح » .

(٢) المسند ٣/ ١١٧.

(٣) النسائى فى الكبرى (٧٠٩٥) ، وابن ماجه (٢٦٩٧) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢١٨٣) .

(٤) النسائى فى الكبرى (٧٠٩٦) .

(٥) المسند ١/ ٩٠. (إسناده حسن) .

(٦) الطبق ، بفتحتين : عُظيمٌ رقيق يفصل بين الفقارين . وكانوا يكتبون على العظام ونحوها . شرح المسند ٢/ ٨٤.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٦٠.

(٨) فى م ، ص : « كان » .

رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ موتِه : « الصلاةَ الصلاةَ ، وما ملَكت أيمانُكم » . حتى جعَل يُلَجْلِجُها فى صدرِه ، وما يَفيضُ بها لسانُه . وهكذا رواه النسائىُّ ، عن حُميدِ بنِ مَسْعَدةَ ، عن يزيدَ بنِ زُرَيْعٍ ، عن سعيدِ بن أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ أن سَفينةَ حدَّث[1] عن أمِّ سَلَمةَ به[2] . قال البيهقىُّ[3] : والصحيحُ ما رواه عفانُ ، عن همامٍ ، عن قتادةَ ، عن أبى الخليلِ ، عن سَفينةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ به . وهكذا رواه النسائىُّ أيضًا ، وابنُ ماجه مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ ، عن همامٍ ، عن قتادةَ ، عن صالحٍ أبى الخليلِ ، عن سَفينةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ به[4] .

وقال أحمدُ[5] : ثنا يونُسُ ، ثنا الليثُ ، عن يزيدَ بنِ الهادِ ، عن موسى بنِ سَرْجِسَ ، عن القاسمِ ، عن عائشةَ قالت : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يموتُ ، وعندَه قَدَحٌ فيه ماءٌ ، فيُدْخِلُ يدَه فى القَدَحِ ، ثم يَمْسَحُ وجهَه بالماءِ ، ثم يقولُ : « اللهم أعنِّى على سَكَراتِ الموتِ » . ورواه الترمذىُّ ، والنسائىُّ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ الليثِ به[6] . وقال الترمذىُّ : غريبٌ .

---

(١) سقط من : م . وفى ا ١١، ا ٤١، ص : « حدثه » . والمثبت هو الصواب ؛ قال النسائى عقب الحديث : قتادة لم يسمعه من سفينة . وانظر كلام البيهقى الآتى .

(٢) النسائى فى الكبرى (٧٠٩٨) .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٠٥.

(٤) النسائى فى الكبرى (٧١٠٠) ، وابن ماجه (١٦٢٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٣١٧) .
وبعده فى ا ١١، ا ٤١، م ، ص : « وقد رواه النسائى أيضا عن قتيبة عن أبى عوانة عن قتادة عن سفينة عن النبى ﷺ فذكره . ثم رواه عن محمد بن عبد الله بن المبارك ، عن يونس بن محمد قال : حدثنا عن سفينة ، فذكر نحوه » .

(٥) المسند ٦/ ٦٤.

(٦) الترمذى (٩٧٨) ، والنسائى فى الكبرى (٧١٠١) ، وابن ماجه (١٦٢٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ١٦٤) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا وَكيعٌ ، عن إسماعيلَ ، عن مُصْعَبِ بنِ إسحاقَ ابنِ طلحةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إنَّه لَيُهَوِّنُ عليَّ أنى رأيْتُ بَياضَ كفِّ عائشةَ فى الجنةِ » . تفرد به أحمدُ ، وإسنادُه لا بأسَ به ، وهذا دليلٌ على شدةِ محبَّتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لعائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها . وقد ذكَر الناسُ معانىَ كثيرةً فى كثرةِ المحبةِ ، ولم يبْلُغْ أحدُهم هذا المَبْلَغَ ، وما ذاك إلا لأنهم يُبالِغون كلامًا لا حقيقةَ له ، وهذا كلامٌ حقٌّ لا مَحالةَ ولا شكَّ فيه .

وقال حمادُ بنُ زيدٍ[2] ، عن أيوبَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ قال : قالت عائشةُ : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتى ، وتُوُفِّىَ بينَ سَحْرى ونَحْرى ، وكان جبريلُ يُعَوِّذُه بدعاءٍ إذا مرِض ، فذهَبْتُ [3]أدعو به[3] ، فرفَع بصرَه إلى السماءِ ، وقال : « فى الرفيقِ الأعْلَى ، فى الرفيقِ الأعْلى » . ودخَل عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ وبيدِه جَريدةٌ رَطْبةٌ ، فنظَر إليها ، فظَنَنْتُ أن له بها حاجةً . قالت : فأخَذْتُها فنفَضْتُها[4] فدفَعْتُها إليه ، فاسْتَنَّ بها أحسنَ ما كان مُسْتَنًّا ، ثم ذهَب يتناولُها[5] ، فسقَطَت مِن يدِه . قالت : فجمَع اللَّهُ بينَ ريقى وريقِه فى آخرِ يومٍ مِن الدنيا وأولِ يومٍ مِن الآخرةِ . ورواه البخاريُّ ، عن سليمانَ بنِ حربٍ[6] ، عن حمادِ بنِ زيدٍ به[7] .

وقال البيهقيُّ[8] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنى أبو نصْرٍ أحمدُ بنُ سهلٍ

---

(١) المسند ٦/ ١٣٨.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٠٦، من طريق حماد بن زيد به .

(٣ - ٣) فى ا ٤١: « أعوذه به » . وفى م : « أعوذه » . وهو لفظ رواية البخارى كما سيأتى .

(٤) فى الأصل ، ا ٤١: « فقضمتها » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى .

(٥) فى م : « يناولنيها » . وهو لفظ رواية البخارى .

(٦) فى م : « جرير » . وهو خطأ .

(٧) البخارى (٤٤٥١) .

(٨) دلائل النبوة ٧/ ٢٠٦، ٢٠٧.

الفَقيهُ ببُخارَى ، ثنا صالحُ بنُ محمدٍ [٣/ ٣٤٥و] الحافظُ البَغْداديُّ ، ثنا داودُ بنُ[(١)] عمرِو بنِ زهيرٍ الضَّبِّيُّ ، ثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن عمرَ بنِ سعيدِ بنِ[(٢)] أبى حسينٍ ، أنا ابنُ أبى مُلَيْكةَ أن أبا عمرٍو ذَكْوانَ[(٣)] مولى عائشةَ ، أخبره أن عائشةَ كانت تقولُ : إن مِن نعمةِ اللَّهِ علىَّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ فى يومى ، وفى بيتى ، وبينَ سَحْرى ونَحْرى ، وأن اللَّهَ جَمَع بينَ ريقِى ورِيقِه عندَ الموتِ . قالت : دخَل علىَّ أخى بسواكٍ معه وأنا مُسْنِدةٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ إلى صدرِى فرأيْتُه ينْظُرُ إليه ، وقد عرَفْتُ أنه يُحِبُّ السواكَ ويأْلَفُه ، فقلتُ[(٤)] : آخُذُه لك ؟ فأشار برأسِه ؛ أى نعم . فلَيَّنْتُه له ، فأمَرَّه على فيه . قالت : وبينَ يديه رِكْوةٌ أو عُلْبةٌ فيها ماءٌ ، فجعَل يُدْخِلُ يدَه فى الماءِ ، فيَمْسَحُ بها وجهَه ، ثم يقولُ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ ، إن للموتِ لَسَكَراتٍ » . ثم نصَب أُصبُعَه اليسرى ، وجعَل يقولُ : « فى الرفيقِ الأعْلَى ، فى الرفيقِ الأعْلَى » . حتى قُبِض ، ومالت يدُه [(٥)]فى الماءِ[(٥)] . ورواه البخاريُّ عن محمدٍ ، عن عيسى بنِ يونُسَ[(٦)] .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[(٧)] : ثنا شعبةُ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، سمِعْتُ عروةَ يُحَدِّثُ ، عن عائشةَ قالت : كنا نُحَدِّثُ أن النبىَّ ﷺ لا يموتُ حتى يُخَيَّرَ بينَ الدنيا والآخرةِ . قالت : فلما كان مرضُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى مات فيه عرَضَتْ

---

(١) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٢٥.

(٢) فى الدلائل : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٦٤.

(٣) فى الأصل ، والدلائل : « ذكر أن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٥١٧.

(٤) بعده فى الأصل : « له » .

(٥ - ٥) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٦) البخارى (٤٤٤٩) .

(٧) مسند أبى داود (١٤٥٦) .

له بُحَّةٌ . فسمِعْتُه يقولُ : « ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ » . قالت عائشةُ : فظَنَنَّا[1] أنه كان يُخَيَّرُ . وأخرجاه مِن حديثِ شعبةَ به[2] .

وقال الزهريُّ : أخبرنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ وعروةُ بنُ الزبيرِ فى رجالٍ مِن أهلِ العلمِ ، أن عائشةَ قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ وهو صحيحٌ : « إنه لم يُقْبَضْ نبيٌّ حتى يَرَى مقعدَه مِن الجنةِ ، ثم يُخَيَّرَ » . قالت عائشةُ : فلما نزَل برسولِ اللَّهِ ﷺ ورأسُه على فخِذى غُشِيَ عليه ساعةً ، ثم أفاق ، فأشْخَص بصرَه إلى سقفِ البيتِ ، وقال : « اللهم الرفيقَ الأعْلَى » . فعرَفْتُ أنه الحديثُ الذى كان حدَّثَناه وهو صحيحٌ : « إنه لم يُقْبَضْ نبيٌّ قطُّ حتى يرَى مقعدَه مِن الجنةِ ، ثم يُخَيَّرَ » . قالت عائشةُ : فقلتُ : إذًا لا تَخْتارُنا . قالت عائشةُ : كانت تلك الكلمةُ آخرَ كلمةٍ تكَلَّم بها رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٤٥ظ] : « الرفيقَ الأعْلَى » . أخرجاه مِن غيرِ وجهٍ ، عن الزهريِّ به[3] .

وقال سفيانُ ، هو الثوريُّ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن عائشةَ قالت : أُغْمِيَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى حِجْرى ، فجَعَلْتُ أمْسَحُ وجهَه ، وأدْعو له بالشفاءِ ، فقال : « لا ، بل أسألُ اللَّهَ الرفيقَ الأعْلَى الأسْعدَ مع جبريلَ وميكائيلَ وإسْرافيلَ » . رواه النسائيُّ مِن حديثِ سفيانَ الثوريِّ به[4] .

وقال البيهقيُّ[5] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وغيرُه ، قالوا : ثنا أبو العباسِ

---

(١) فى مسند أبى داود : « فعلمنا » .
(٢) البخارى (٤٤٣٥) ، ومسلم (٢٤٤٤/٨٦) .
(٣) البخارى (٤٤٦٣، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩) ، ومسلم (٢٤٤٤/٨٧) .
(٤) النسائى فى الكبرى (٧١٠٤، ١٠٩٣٦) . وإسناده صحيح . انظر الإحسان (٦٥٩١) .
(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢٠٩.

الأَصَمُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، ثنا أنسُ بنُ عِياضٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، أن عائشةَ أخبرتْه أنها سمِعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأصْغَت إليه قبلَ أن يموتَ وهو مُسْنِدٌ[1] إلى صدرِها يقولُ : « اللهم اغْفِرْ لى وارْحَمْنى ، وألْحِقْنى بالرفيقِ » . أخرجاه مِن حديثِ هشامِ بنِ عروةَ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه عَبَّادٍ قال[4] : سمِعْتُ عائشةَ تقولُ : مات رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ سَحْرى ونَحْرى ، وفى دَوْلَتى[5] ، ولم أظْلِمْ فيه أحدًا ، فمِن سَفَهِى وحَداثةِ سنِّى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قُبِض وهو فى حِجْرِى ، ثم وضَعْتُ رأسَه على وِسادةٍ ، وقمْتُ ألْتَدِمُ[6] مع النساءِ ، وأضْرِبُ وجهِى .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، ثنا كثيرُ بنُ زيدٍ ، عن المطلبِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قالت عائشةُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما مِن نبىٍّ إلا تُقْبَضُ نفسُه ، ثم يرَى الثوابَ ، ثم تُرَدُّ إليه ، فيُخَيَّرُ بينَ أن تُرَدَّ إليه وبينَ أن يَلْحَقَ » . فكنتُ قد حفِظْتُ ذلك منه ، فإنى لَمُسْنِدتُه إلى صدرِى ، فنظَرْتُ إليه حينَ مالت عنقُه ، فقلتُ : قد قضَى ، فعرَفْتُ الذى قال ، فنظَرْتُ[8] إليه

---

(١) فى ا ٤، ص : « مستند » .

(٢) البخارى (٤٤٤٠، ٥٦٧٤) ، ومسلم (٨٥/٢٤٤٤) .

(٣) المسند ٦/ ٢٧٤.

(٤) زيادة من المسند .

(٥) فى دولتى : أى فى بيتى ، وفى حيازتى دون غيرى من نسائه . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٢٤٩.

(٦) فى ا ٤: « أندبه » . وفى م : « ألدم » . والتدام النساء : ضربهن صدورهن ووجوههن فى النياحة . اللسان (ل د م) .

(٧) المسند ٦/ ٧٤.

(٨) فى الأصل، ١١١، ص : « فنظر » .

حينَ[1] ارْتَفع[2] فنظَر. قالت: قلتُ: إذًا واللَّهِ لا يَخْتارُنا. فقال: «مع الرفيقِ الأعْلَى فى الجنةِ ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾». تفرَّد به أحمدُ، ولم يُخْرِجوه.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا عفانُ، حدَّثنا همامٌ، أنبأنا هشامُ بنُ عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ورأسُه بينَ[4] سَحْرى ونَحْرى. قالت: فلما خرَجَت نفسُه لم أجِدْ ريحًا قطُّ أطيبَ منها. وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ الصحيحَيْن، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ. ورواه البيهقىُّ مِن حديثِ حنبلِ بنِ إسحاقَ، عن عفانَ[5].

وقال البيهقىُّ[6]: أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، ثنا أبو العباسِ الأصَمُّ، ثنا أحمدُ ابنُ عبدِ الجبارِ، ثنا يونسُ، عن أبى مَعْشَرٍ، عن محمدِ بنِ قيسِ بنِ[7] أبى عُروةَ، [٣/ ٣٤٦و] عن أمِّ سَلَمةَ قالت: وضَعْتُ يدِى على صدرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ مات، فمَرَّت بى جُمَعٌ آكُلُ وأتوَضَّأُ، وما يذْهَبُ رِيحُ المِسْكِ مِن يدِى.

وقال أحمدُ[8]: حدثنا عفانُ وبَهْزٌ، قالا: ثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ، ثنا حميدُ ابنُ هلالٍ، عن أبى بُرْدَةَ[9] قال: دخَلْتُ على عائشةَ، فأخْرَجَت إلينا إزارًا غليظًا

---

(١) فى المسند: «حتى».
(٢) أى؛ زال عنه ما لحقه من الغيبوبة. بلوغ الأمانى ٢١/ ٢٤٦.
(٣) المسند ٦/ ١٢١، ١٢٢.
(٤) سقط من: الأصل.
(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢١٣.
(٦) المصدر السابق ٧/ ٢١٩.
(٧) فى م، ص: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٢٣.
(٨) المسند ٦/ ١٣١.
(٩) فى المسند: «بريدة». وهو خطأ. انظر أطراف المسند ٩/ ٢٥٦، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٦٦.

مما صُنِع[1] باليمنِ ، وكساءٌ مِن التى يَدْعون المُلَبَّدَةَ ، فقالت : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قُبِض فى هذين الثوبَيْن . وقد رواه الجماعةُ إلا النسائىَّ مِن طرقٍ ، عن حميدِ بنِ هلالٍ به[2] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا بَهْزٌ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أنبأنا أبو عِمرانَ الجَوْنىُّ ، عن يزيدَ بنِ بابَنُوسَ قال : ذهَبْتُ أنا وصاحبٌ لى إلى عائشةَ ، فاستأْذَنَّا عليها ، فأَلْقَتْ لنا وِسادةً ، وجذَبَت إليها الحِجابَ ، فقال صاحبى : يا أمَّ المؤمنين ، ما تقولين فى العِراكِ ؟ قالت : وما العِراكُ ؟ فضرَبْتُ مَنْكِبَ صاحبى ، فقالت : مَهْ ، آذيْتَ أخاك . ثم قالت : ما العِراكُ ! المَحيضُ ، قولوا : ما قال اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ[4] : ﴿ ٱلْمَحِيضِ ﴾ . ثم قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يتَوَسَّحُنى وينالُ مِن رأسى ، وبينى وبينَه ثوبٌ وأنا حائضٌ . ثم قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا مرَّ ببابى مما يُلْقِى الكلمةَ ينْفَعُنى اللَّهُ بها ، فمرَّ ذاتَ يومٍ ، فلم يَقُلْ شيئًا ، [5]ثم مرَّ فلم يَقُلْ شيئًا[5] مرتين أو ثلاثًا ، فقلتُ : يا جاريةُ ، ضعِى لى وِسادةً على البابِ ، وعصَبْتُ رأسى فمرَّ بى ، فقال : « يا عائشةُ ، ما شأْنُكِ ؟ » فقلتُ : أشتكى رأسى . فقال : « أنا ، وارَأْساه ! » . فذهَب فلم يَلْبَثْ إلَّا يسيرًا حتى جىءَ به محمولًا فى كساءٍ ، فدخَل علىَّ ، وبعَث إلى النساءِ ، فقال : « إنى قد اشتَكَيْتُ ،

---

(١) فى ١١١، ٤١، م : « يصنع » .

(٢) البخارى (٣١٠٨، ٥٨١٨)، ومسلم (٣٤، ٣٥/٢٠٨٠)، وأبو داود (٤٠٣٦)، والترمذى (١٧٣٣)، وابن ماجه (٣٥٥١) .

(٣) المسند ٦/ ٢١٩، ٢٢٠. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٢، ٣٣: فى الصحيح وغيره طرف منه . رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه ... ورجال أحمد ثقات .

(٤) بعده فى م : « فى » . ومقصود أم المؤمنين عائشة قوله تعالى : ﴿ ويسئلونك عن المحيض ﴾ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

وإنى لا أستَطِيعُ أن أدورَ بينَكن ، فأْذَنَّ لى فلأَكُنْ عندَ عائشةَ[1] » . فكنتُ أُمَرِّضُه ، ولم أُمَرِّضْ أحدًا قبلَه ، فبينما رأسُه ذاتَ يومٍ على مَنْكِبِى إذ مال رأسُه نحوَ رأسى ، فظَنَنْتُ أنه يُرِيدُ مِن رأسى حاجةً ، فخَرَجَت مِن فيه نقطةٌ[2] باردةٌ ، فوقَعَت على ثَغْرةِ[3] نَحْرى ، فاقْشَعَرَّ لها جِلدى ، فظَنَنْتُ أنه غُشِىَ عليه ، فسَجَّيْتُه ثوبًا ، فجاء عمرُ والمغيرةُ بنُ شعبةَ ، فاستَأْذَنا ، فأذِنْتُ لهما ، وجذَبْتُ إلىَّ الحِجابَ ، فنظَر عمرُ إليه ، فقال : واغَشْياه ! ما أشدَّ غَشْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثم قاما ، فلمَّا دنَوَا مِن البابِ قال المغيرةُ : يا عمرُ ، مات رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال[4] : كذَبْتَ ، بل أنت رجلٌ تَحُوسُك[5] فتنةٌ ؛ إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يموتُ حتى يُفْنِىَ اللَّهُ المنافقين . قالت : ثم جاء أبو بكرٍ فرَفَعْتُ الحِجابَ ، فنظَر إليه ، فقال : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، مات رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثم أتاه مِن قِبَلِ رأسِه [٣/ ٣٤٦ظ] فحدَر فاه ، فقبَّل جبهتَه ، ثم قال : وانبيَّاه ! ثم رفَع رأسَه ثم حدَر فاه ، وقبَّل جبهتَه ، ثم قال : واصَفِيَّاه ! ثم رفَع رأسَه وحدَر فاه وقبَّل جبهتَه ، وقال : واخَلِيلَاه ! مات رسولُ اللَّهِ ﷺ . فخرَج إلى المسجدِ وعمرُ يخْطُبُ الناسَ ، ويتَكَلَّمُ ويقولُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يموتُ حتى يُفْنِىَ اللَّهُ المنافقين . فتكَلَّم أبو بكرٍ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : إن اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] . حتى فرَغ مِن الآيةِ . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . حتى فرَغ مِن الآيةِ ، [6]ثم قال[6] :

---

(١) بعده فى المسند : « أو صفية » .

(٢) فى المسند : « نطفة » .

(٣) فى م : « نقرة » .

(٤) فى م : « فقلت » .

(٥) فى الأصل : « توحشك » . وتحوسك : تخالطك وتحثك على ركوبها . النهاية ١/ ٤٦٠ .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

فمَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فإن اللَّهَ حيٌّ[1] ، ومَن كان يَعْبُدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات . فقال عمرُ : وإنها لفى كتابِ اللَّهِ ؟! ما شَعَرْتُ أنها فى كتابِ اللَّهِ . ثم قال عمرُ : يا أيُّها الناسُ ، هذا أبو بكرٍ ، وهو ذو شيبةِ المسلمين ، فبايِعوه . فبايَعوه . وقد روَاه أبو داودَ ، والترمذىُّ فى « الشمائلِ » مِن حديثِ مَرْحومِ بنِ عبدِ العزيزِ العَطَّارِ ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنىِّ به ببعضِه[2] .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[3] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ مِلْحانَ ، ثنا يحيى بنُ بكيرٍ ، ثنا الليثُ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أخبرنى أبو سَلَمةَ بنُ[4] عبدِ الرحمنِ ، أن عائشةَ أخبرتْه أن أبا بكرٍ أقْبَل على فرسٍ مِن مَسْكنِه[5] بالسُّنْحِ[6] ، حتى نزَل فدخَل المسجدَ ، فلم يُكَلِّمِ الناسَ حتى دخَل على عائشةَ ، فيَمَّمَ[7] رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو مُسَجًّى[8] ببُرْدِ حِبَرةٍ ، فكشَف عن وجهِه ، ثم أكَبَّ عليه فقبَّله ، ثم بكَى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ لا يَجْمَعُ اللَّهُ عليك موتتَيْنِ أبدًا ، أما الموتةُ التى كُتِبَت عليك فقد مُتَّها .

قال الزهرىُّ[9] : وحدَّثنى أبو سَلَمةَ عن ابنِ عباسٍ أن أبا بكرٍ خرَج وعمرُ

---

(١) بعده فى ١١١، ٤١، م : « لا يموت » .

(٢) أبو داود (٢١٣٧) . وشمائل الترمذى (٣٧٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٨٧٠) .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢١٥.

(٤) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧٠.

(٥) فى الأصل ، ص : « مسكة » .

(٦) السنح ، بسكون النون وضمها ، منازل بنى الحارث بن الخزرج بالمدينة ، بينها وبين منزل رسول اللَّه ﷺ ميل . معجم ما استعجم ٣/ ٧٦٠.

(٧) فى الدلائل : « فتيمم » . ويمم : قصد .

(٨) فى الدلائل : « مغشى عليه » .

(٩) دلائل النبوة ٧/ ٢١٥، ٢١٦.

يكلِّمُ الناسَ. فقال: اجْلِسْ يا عمرُ. فأبَى عمرُ أن يَجْلِسَ، فقال: اجْلِسْ يا عمرُ. فأبَى عمرُ أن يَجْلِسَ، فتشهَّد أبو بكرٍ، فأقْبَل الناسُ إليه، فقال: أما بعدُ، فمَن كان منكم يَعْبُدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموتُ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية. قال: فواللَّهِ لكأنَّ الناسَ لم [٣/٣٤٧و] يَعْلَموا أن اللَّهَ أنْزَل هذه الآيةَ، حتى تلاها أبو بكرٍ، فتلقَّاها منه الناسُ كلُّهم، فما سُمِع بشرٌ مِن الناسِ إلا يتْلوها.

قال الزهريُّ[(١)]: وأخبرنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ أن عمرَ قال: واللَّهِ ما هو إلا أن سَمِعْتُ أبا بكرٍ تلاها، فعرَفْتُ أنه الحقُّ، فعَقِرْتُ[(٢)] حتى ما تُقِلُّنى رجلاىَ، وحتى هوَيْتُ إلى الأرضِ، وعرَفْتُ حينَ سمِعْتُه تلاها أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد مات. ورواه البخاريُّ عن يحيى بنِ بُكيرٍ به[(٣)].

وروَى الحافظُ البيهقيُّ[(٤)] مِن طريقِ ابنِ لَهيعةَ، ثنا أبو الأسودِ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ فى ذكرِ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: وقام عمرُ بنُ الخطابِ يخْطُبُ الناسَ، ويتَوَعَّدُ مَن قال: مات. بالقتلِ والقطعِ، ويقولُ: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ فى غَشْيتِه[(٥)] لو قد قام قَتَل وقطَع. وعمرُو بنُ قيسِ بنِ زائدةَ بنِ الأصَمِّ بنِ[(٥)] أمِّ مَكْتومٍ فى مُؤَخَّرِ المسجدِ يَقْرأُ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية.

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢١٦.

(٢) عَقِرْت من العَقَر - بفتحتين - وهو أن تُسلم الرجُلَ قوائمُه من الخوف. وقيل: هو أن يفجأه الروع فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر. النهاية ٣/ ٢٧٣.

(٣) البخارى (٤٤٥٢ - ٤٤٥٤).

(٤) دلائل النبوة ٧/٢١٧ - ٢١٩.

(٥) فى ا ٤١، م: «غشية».

(٦) فى الأصل، ١١١: «وابن». وهو خطأ. وانظر الإصابة ٤/ ٦٠٠.

والناسُ فى المسجدِ يبكونَ ، ويَموجونَ لا يَسْمَعون ، فخرَج عباسُ بنُ عبدِ المطلبِ على الناسِ ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، هل عندَ أحدٍ منكم مِن عهدٍ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى وفاتِه فلْيُحَدِّثْنا ؟ قالوا : لا . قال : هل عندَك يا عمرُ مِن علمٍ ؟ قال : لا . فقال العباسُ : أشْهَدُ[1] أيُّها الناسُ ، أن أحدًا لا يَشْهَدُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بعهدٍ عهِده إليه فى وفاتِه ، واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، لقد ذاق رسولُ اللَّهِ ﷺ الموتَ . قال : وأقبلَ أبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، مِن السُّنْحِ على دابَّتِه حتى نزَل ببابِ المسجدِ ، وأقْبَل مَكْروبًا حزينًا ، فاستَأْذَن فى بيتِ ابنتِه عائشةَ ، فأذِنَت له فدخَل ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قد تُوُفِّىَ على الفراشِ والنِّسوةُ حولَه ، فخمَّرْن وجوهَهن ، واستَتَرْن مِن أبى بكرٍ إلا ما كان مِن عائشةَ ، فكشَف عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فحنَى[2] عليه يُقَبِّلُه ، ويَبْكى ويقولُ : ليس ما يقولُه ابنُ الخطابِ شيئًا ، تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ والذى نفسى بيدِه ، رحمةُ اللَّهِ عليك يا رسولَ اللَّهِ ، ما أطْيَبَك حيًّا وميِّتًا . ثم غشَّاه بالثوبِ ، ثم خرَج سريعًا إلى المسجدِ يتَخَطَّى[3] رِقابَ الناسِ ، حتى أتَى المنبرَ ، وجلَس عمرُ حينَ رأى أبا بكرٍ مُقْبِلًا إليه ، وقام أبو بكرٍ إلى جانبِ المنبرِ ، ونادى الناسَ فجلَسوا وأنْصَتوا ، فتشَهَّد أبو بكرٍ بما علِمه مِن التشهُّدِ ، وقال : إن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، نعَى نبيَّه إلى نفسِه وهو حىٌّ بينَ أظْهُرِكم ، ونعاكم [٣/٣٤٧ظ] إلى أنفسِكم ، وهو الموتُ حتى لا يَبْقَى[4] أحدٌ إلا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية . فقال عمرُ : هذه الآيةُ فى القرآنِ ؟! واللَّهِ ما علِمْتُ أن هذه الآيةَ أُنْزِلت قبلَ اليومِ .

---

(١) فى م : « اشهدوا » .

(٢) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « فجثى » .

(٣) فى الدلائل : « يتوطأ » .

(٤) بعده فى م : « منكم » .

وقد قال اللَّهُ تعالى لمحمدٍ ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ . وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] . وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] . وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . ثم قال : إن اللَّهَ تعالى عمَّر محمدًا ﷺ ، وأبقاه حتى أقام دينَ اللَّهِ ، وأظْهَر أمرَ اللَّهِ ، وبلَّغ رسالةَ اللَّهِ ، وجاهد فى سبيلِ اللَّهِ ، ثم توفَّاه اللَّهُ على ذلك ، وقد ترَككم على الطريقةِ ، فلن يَهْلِكَ هالكٌ إلَّا مِن بعدِ البيِّنةِ (١ والشِّفاءِ ١) ، فمَن كان اللَّهُ ربَّه فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموتُ ، ومَن كان يعْبُدُ محمدًا ويُنَزِّلُه إلهًا فقد هلَك إلهُه ، فاتَّقوا اللَّهَ أيُّها الناسُ ، واعْتَصِموا بدينِكم ، وتوَكَّلوا على ربِّكم ، فإن دينَ اللَّهِ قائمٌ ، وإن كلمةَ اللَّهِ تامَّةٌ ، وإن اللَّهَ ناصرٌ مَن نصَره ، ومُعِزٌّ دينَه ، وإن كتابَ اللَّهِ بينَ أظهُرِنا ، وهو النورُ والشِّفاءُ ، وبه هدَى اللَّهُ محمدًا ﷺ ، وفيه حَلالُ اللَّهِ وحَرامُه ، واللَّهِ لا نُبالى مَن أجْلَب علينا مِن خَلْقِ اللَّهِ ، إن سيوفَ اللَّهِ لَمَسْلولةٌ ما وضَعْناها بعدُ ، ولَنُجاهِدَنَّ مَن خالَفَنا كما جاهَدْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، (٢ فلا يُبْقِيَنَّ ٢) أحدٌ إلَّا على نفسِه . ثم انصرف ، (٣ وانصرف ٣) معه المهاجرون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فذكَر الحديثَ فى غُسْلِه وتَكْفينِه والصلاةِ عليه ودفنِه .

قلتُ : كما سنذكُرُه مفصَّلًا بدلائلِه وشواهدِه . إن شاء اللَّهُ تعالى .

وذكَر الواقدىُّ عن شيوخِه ، قالوا : ولمَّا شُكَّ فى موتِ النبىِّ ﷺ ، فقال

(١ - ١) فى الأصل، ١١١، ص: «والشقاء». وفى ٤١: «فيختار الهدى أو الشقاء».

(٢ - ٢) فى م، ص: «فلا يبغين»، وفى ٤١: «فلا نيقمن».

(٣ - ٣) زيادة من: ٤١.

بعضُهم : مات . وقال بعضُهم : لم يَمُتْ . وضَعَت أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ يدَها بينَ كتِفَيْ رسولِ اللَّهِ ﷺ . (١) فقالت : قد تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ (١) ، وقد رُفِع الخاتَمُ مِن بينِ كتِفَيه . فكان هذا الذى قد عُرِف به موتُه(٢) . هكذا رواه الحافظُ البيهقىُّ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ »(٣) مِن طريقِ الواقدىِّ ، وهو ضعيفٌ ، وشيوخُه لم يُسَمَّوْا ، ثم هو مُنْقَطِعٌ بكلِّ حالٍ ، ومخالفٌ لِما صحَّ ، وفيه غَرابةٌ شديدةٌ ، وهو رفعُ الخاتَمِ . فاللَّهُ أعلمُ بالصوابِ . وقد ذكَر الواقدىُّ وغيرُه فى الوفاةِ أخبارًا كثيرةً فيها نَكاراتٌ وغَرابةٌ شديدةٌ ، [٣/ ٣٤٨و] أضْرَبْنا عن أكثرِها صَفْحًا ؛ لضعفِ أسانيدِها ونَكارةِ مُتونِها ، ولاسيَّما ما يُورِدُه كثيرٌ مِن القُصَّاصِ المتأخِّرين وغيرِهم ، فكثيرٌ منه موضوعٌ لا مَحالةَ ، وفى الأحاديثِ الصحيحةِ والحسنةِ المرويَّةِ فى الكتبِ المشهورةِ غُنْيةٌ عن الأكاذيبِ وما لا يُعْرَفُ سندُه . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « قومه » ، وبعدها بياض .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢١٩، ومن طريق الواقدى أيضًا أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٢٧٢، وقد سمَّى فيه شيوخ الواقدى المبهمين فى إسناد البيهقى ، فلينظر .

فصلٌ
فى ذكرِ أمورٍ مهمةٍ وقَعَت بعدَ وفاتِه وقبلَ دفنِه، عليه الصلاةُ والسلامُ

ومِن أعظِمها وأجلِّها وأيْمِنِها بركةً على الإسلامِ وأهلِه بَيْعةُ أبى بكرٍ الصديقِ، رضىَ اللَّهُ عنه، وذلك لأنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لمَّا مات كان الصديقُ، رضىَ اللَّهُ عنه، قد صلَّى بالمسلمين صلاةَ الصبحِ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسولُ اللَّهِ ﷺ إفاقةً مِن غَمْرةِ ما كان فيه مِن الوَجَعِ، وكشَف سِتْرَ الحُجْرةِ، ونظَر إلى المسلمين وهم صفوفٌ فى الصلاةِ خلفَ أبى بكرٍ، فأعْجَبه ذلك وتبَسَّم، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، حتى هَمَّ المسلمون أن يَتْرُكوا ما هم فيه مِن الصلاةِ؛ لفرحِهم به، وحتى أراد أبو بكرٍ أن يتأخَّرَ؛ ليصِلَ الصفَّ، فأشار إليهم أن يَمْكُثوا كما هم، وأَرْخَى السِّتارةَ، وكان آخرَ العهدِ به، عليه الصلاةُ والسلامُ، فلما انصرف أبو بكرٍ، رضىَ اللَّهُ عنه، مِن الصلاةِ دخَل عليه، وقال لعائشةَ: ما أَرَى رسولَ اللَّهِ ﷺ إلا قد أقْلَع عنه من الوَجَعِ، وهذا يومُ بنتِ خارجةَ. يعنى إحدى زوْجَتَيْه، وكانت ساكنةً بالسُّنْحِ شرقىَّ المدينةِ، فَرَكِب على فرسٍ له وذهَب إلى منزلِه، وتُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ اشتدَّ الضُّحَى مِن ذلك اليومِ. وقيل: عندَ زَوالِ الشمسِ. فاللَّهُ أعلمُ.

فلما مات واخْتَلف الصحابةُ فيما بينَهم، فمِن قائلٍ يقولُ: مات رسولُ اللَّهِ ﷺ. ومِن قائلٍ: لم يَمُتْ. فذهَب سالمُ بنُ عُبَيدٍ وراءَ الصديقِ إلى السُّنْحِ،

فأعْلَمه بموتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاء الصديقُ مِن منزلِه حينَ بلَغه الخبرُ ، فدخَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ منزلَه وكشفَ الغِطاءَ عن وجهِه وقبَّله ، وتحقَّق أنه قد ماتَ ، فخَرَج إلى الناسِ فخطَبهم إلى جانبِ المنبرِ ، وبيَّن لهم وفاةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ كما قدَّمْنا ، وأزاح الجِدَالَ ، وأزال الإشْكالَ ، ورجَع الناسُ كلُّهم إليه ، وبايَعه فى المسجدِ جماعةٌ مِن الصحابةِ ، ووقَعَت شُبْهةٌ لبعضِ الأنصارِ ، وقام فى أذْهانِ بعضِهم جوازُ [٣/٣٤٨ظ] استخلافِ خليفةٍ مِن الأنصارِ ، وتوَسَّط بعضُهم بينَ أن يكونَ أميرٌ مِن المهاجرين وأميرٌ مِن الأنصارِ ، حتى بيَّن لهم الصِّديقُ أن الخِلافةَ لا تكونُ إلَّا فى قريشٍ ، فرجَعوا إليه ، وأجْمَعوا عليه ، كما سنُبَيِّنُه ونُنبِّهُ عليه .

(١) قِصّةُ سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ (١)

قال الإمامُ أحمدُ(٢) : ثنا إسحاقُ بنُ عيسى الطَّبَّاعُ ، ثنا مالكُ بنُ أنسٍ ، حدثنى ابنُ شِهابٍ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ ، أن ابنَ عباسٍ أخبره أن عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ رجَع إلى رَحْلِه - قال ابنُ عباسٍ : وكنتُ أُقْرِئُ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ فوجَدنى وأنا أنتظِرُه - وذلك بمنًى فى آخرِ حَجةٍ حجَّها عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ : إن رجلًا أتَى عمرَ بنَ الخطابِ فقال : إن فلانًا يقولُ : لو قد مات عمرُ بايَعْتُ فلانًا . فقال عمرُ : إنى قائمٌ العَشِيَّةَ ، إن شاء اللَّهُ ، فى الناسِ ، فمُحَذِّرُهم هؤلاء الرَّهْطَ الذين يُريدون أن يَغْصِبوهم أمْرَهم . قال عبدُ الرحمنِ : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، لا تفْعَلْ فإن المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعاعَ الناسِ وغَوْغَاءَهم ، وإنَّهم الذين يَغْلِبون على مَجْلِسِك إذا قمْتَ فى الناسِ ، فأخْشَى أن تقولَ مَقالةً يَطيرُ بها أولئك فلا يَعُوها ، ولا يَضَعوها(٣) مواضعَها ، ولكن حتى تَقْدَمَ المدينةَ ؛ فإنها دارُ الهِجرةِ والسُّنَّةِ ، وتَخْلُصَ بعلماءِ الناسِ وأشرافِهم ، فتقُولَ ما قلتَ مُتَمَكِّنًا ، فيَعُون مَقالتَك ويضَعونها مواضعَها . قال عمرُ : لئن قدِمْتُ المدينةَ سالمًا(٤) صالحًا لأُكَلِّمَنَّ بها الناسَ فى أولِ مُقامٍ أقومُه . فلما قدِمْنا المدينةَ فى عَقِبِ ذى الحِجةِ ، وكان يومُ الجمعةِ عجَّلْتُ الرَّواحَ صَكَّةَ الأعْمى - قلتُ لمالكٍ : وما صَكَّةُ الأعْمَى ؟ قال : إنه لا يُبالى أىَّ ساعةٍ

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٢) المسند ١/ ٥٥، ٥٦. (إسناده صحيح) .

(٣) بعده فى المسند : «على» .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

خرَج ، لا يَعْرِفُ الحَرَّ والبردَ . أو[1] نحوَ هذا - فوجَدْتُ سعيدَ بنَ زيدٍ عند ركنِ المنبرِ الأيمنِ قد سبَقنى ، فجلَسْتُ حِذاءَه تحُكُّ ركبتى ركبتَه ، فلم أنْشَبْ أن طلَع عمرُ ، فلما رأيْتُه قلتُ : ليقولَنَّ العشيَّةَ على هذا المنبرِ مَقالةً ما قالها عليه أحدٌ قبلَه . قال : فأنْكَر سعيدُ بنُ زيدٍ ذلك وقال : ما عسَيْتَ أن يقولَ ما لم يَقُلْ أحدٌ ؟ فجلَس عمرُ على المنبرِ ، فلما سكَت المؤذِّنُ قام فأثْنَى على اللَّهِ بما هو أهلُه ، ثم قال : أما بعدُ أيُّها الناسُ ، فإنى قائلٌ مَقالةً قد قُدِّر لى أن أقولَها ، لا أدْرى لعلها بينَ يَدَىْ أجلِى ، فمَن وعاها وعقَلها فلْيُحَدِّثْ بها حيث انتهت به راحلتُه ، ومن لم يَعِها فلا أُحِلُّ له [٣/ ٣٤٩و] أن يَكْذِبَ علىَّ ، إن اللَّهَ بعَث محمدًا ﷺ بالحقِّ ، وأنزل عليه الكتابَ ، فكان مما[2] أنزَل عليه آيةُ الرَّجْمِ ، فقرَأْناها ووعَيْناها وعقَلْناها[3] ، ورجَم رسولُ اللَّهِ ﷺ ورجَمْنا بعدَه ، فأخْشَى إن طال بالناسِ زمانٌ أن يقولَ قائلٌ : لا نجِدُ آيةَ الرَّجْمِ فى كتابِ اللَّهِ . فيَضِلُّوا بتركِ فريضةٍ قد أنزلها اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فالرجْمُ فى كتابِ اللَّهِ حقٌّ على مَن زَنَى إذا أَحْصَن مِن الرجالِ والنساءِ ؛ إذا قامت البيِّنةُ ، أو كان الحَبَلُ أو الاعْترافُ ، ألا وإنا قد كنا نقْرَأُ : لا تَرْغَبوا عن آبائِكم ، فإنَّ كفرًا بكم أن ترْغَبوا عن آبائِكم . ألا وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تُطْرونى كما أُطْرِى عيسى بنُ مريمَ ، فإنما أنا عبدٌ[4] ، فقولوا : عبدُ اللَّهِ ورسولُه » . وقد بلَغنى أن قائلًا منكم يقولُ : لو قد مات عمرُ بايَعْتُ فلانًا . فلا يَغْتَرَّنَّ امرُؤٌ أن يقولَ : إن بيعةَ أبى بكرٍ كانت فَلْتَةً[5] . ألا وإنها كانت كذلك ، ألا إن اللَّهَ وقَى شرَّها ، وليس فيكم اليومَ مَن تُقْطَعُ إليه الأعناقُ مثلَ أبى بكرٍ ، وإنه

---

(١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص . وفى المسند : « و » .

(٢) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « فيما » .

(٣) ليست فى المسند .

(٤) فى المسند : « عبد اللَّه » .

(٥) بعده فى م : « فتمت » .

كان مِن خَبرِنا[1] حينَ تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أنّ عليًّا والزبيرَ ومَن كان معهما تخَلَّفوا فى بيتِ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [2]وتخَلَّفتْ عنا[2] الأنصارُ بأجْمعِها فى سَقيفةِ بنى ساعدةَ ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكرٍ ، فقلتُ له : يا أبا بكرٍ ، انطلِقْ بنا إلى إخوانِنا مِن الأنصارِ . فانطَلَقْنا نؤُمُّهم حتى لقِيَنا رجلان صالحان ، فذكَرا لنا الذى صنَع القومُ فقالا : أين تُريدون يا معشرَ المهاجرين ؟ فقلتُ : نريدُ إخوانَنا هؤلاء[3] مِن الأنصارِ . فقالا : لا عليكم أن لا تَقْرَبوهم ، واقْضُوا أمْرَكم يا معشرَ المهاجرين . فقلتُ : واللَّهِ لنَأْتِيَنَّهم . فانْطَلَقْنا حتى جئْناهم فى سَقيفةِ بنى ساعدةَ ، فإذا هم مجتمعون ، وإذا بينَ ظهرانَيْهم رجلٌ مُزَمِّلٌ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : سعدُ بنُ عُبادةَ . فقلتُ : ما له ؟ قالوا : وَجِعٌ . فلما جلَسْنا قام خطيبُهم ، فأثْنى على اللَّهِ بما هو أهلُه وقال : أما بعدُ ، فنحن أنصارُ اللَّهِ وكتيبةُ الإسلامِ ، وأنتم يا معشرَ المهاجرين رهطٌ مِنا[4] ، وقد دفَّتْ دافَّةٌ[5] منكم يُريدون أن يَخْتَزِلونا[6] مِن أصلِنا ويَحْضُنونا مِن الأمرِ[7] . فلما سكَت أرَدْتُ أن أتكلَّمَ ، وكنتُ قد زَوَّرْتُ[8] مَقالةً أعْجَبتنى أرَدْتُ أن أقولَها بينَ يدَى أبى بكرٍ ، [٣/ ٣٤٩ظ] وقد كنتُ أُدارِى منه بعضَ الحَدِّ[9] ، وهو كان أحْلمَ منى وأوْقَرَ ،

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « خيرنا » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « وتخلف عنها » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى م : « نبينا » .

(٥) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرًا ليس بالشديد . النهاية ٢/ ١٢٤ .

(٦) فى المسند : « يخزلونا » .

(٧) يحضنونا : يخرجونا . يقال : حضنت الرجل عن الأمر . إذا نحيته عنه وانفردتَ به دونه ، كأنه جعله فى حِضن منه ؛ أى جانب . قال الأزهرى : قال الليث : يقال : أحضننى من هذا الأمر . أى أخرجنى منه . قال : والصواب حضننى . النهاية ١/ ٤٠١ .

(٨) زورت : هيأت وأصلحت . والتزوير : إصلاح الشيء . وكلام مزور : أى محسَّن . النهاية ٢/ ٣١٨ .

(٩) يعنى أنه كانت فى خُلُقه حِدة ، فكان عمر ، رضى الله عنه ، يداريه . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٨ ، ١٧٩ .

(١) فقال أبو بكرٍ : على رِسْلِك . فكرِهتُ أن أُغضِبَه ، وكان أعلمَ منى وأوقرَ (١) ، واللَّهِ ما ترَك مِن كلمةٍ أعجبتنى فى تَزْويرى إلا قالها فى بَديهتِه وأفضلَ حتى سكَت . فقال : أما بعدُ ، فما ذكَرْتم مِن خيرٍ فأنتم أهلُه ، ولم تَعْرِفِ العربُ هذا الأمْرَ إلا لهذا الحىِّ مِن قريشٍ ؛ هم أوْسَطُ العربِ نسبًا ودارًا ، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين أيَّهما شئتم . وأخَذ بيدى ويدِ أبى عبيدةَ بنِ الجراحِ ، فلم أكْرَهْ مما قال غيرَها ، وكان واللَّهِ أن أُقَدَّمَ فتُضْرَبَ عُنُقى لا يُقَرِّبُنى ذلك إلى إثْمٍ أحَبَّ إلىَّ أن أتَأَمَّرَ على قومٍ فيهم أبو بكرٍ ، إلا أنْ تَغَيَّرَ نفسى عندَ الموتِ ، فقال قائلٌ مِن الأنصارِ : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ ، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشرَ قريشٍ - فقلت لمالكٍ : ما يعنى أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ ؟ قال : كأنه يقولُ : أنا داهِيتُها - قال : فكثُر اللَّغَطُ وارتفَعَت الأصْواتُ حتى خشِيتُ الاختلافَ . فقلتُ : ابسُطْ يدَك يا أبا بكرٍ . فبسَط يدَه ، فبايَعْتُه وبايَعه المهاجرون ، ثم بايَعه الأنصارُ ، ونزَوْنا على سعدِ بنِ عُبادةَ ، فقال قائلٌ منهم : قتَلْتُم سعدًا . فقلتُ : قتَل اللَّهُ سعدًا . قال عمرُ : أمَا واللَّهِ ما وجَدْنا فيما حضَرَنا أمرًا هو أوْفَقَ (٢) مِن مُبايعةِ أبى بكرٍ ، خشِينا إن فارَقْنا القومَ ولم تكنْ بيعةٌ أن يُحْدِثوا بعدَنا بيعةً ، فإما أن نبايِعَهم (٣) على ما لا نَرْضَى ، وإما أن نُخالفَهم فيكونَ فيه فسادٌ ، فمَن بايَع أميرًا عن غيرِ مَشورةِ المسلمين فلا بيعةَ له ، ولا بيعةَ للذى بايَعه تَغِرَّةَ أن يُقْتَلَا (٤) . قال مالكٌ : فأخبَرَنى ابنُ شِهابٍ ، عن عروةَ أن الرجلين

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢) فى م : « أرفق » ، وفى المسند : « أقوى » .

(٣) فى الأصل ، ص : « نتابعهم » .

(٤) التغرة : مصدر غَرَرْتَه ، إذا ألقيتَه فى الغرر ، وهى من التغرير ، كالتَّمِلَّة من التعليل . وفى الكلام محذوف تقديره : خوفَ تغرة أن يقتلا . أى خوف وقوعهما فى القتل . النهاية ٣/ ٣٥٦.

اللذين لقِياهما : عُوَيْمُ[1] بنُ ساعدةَ ومَعْنُ[2] بنُ عدىٍّ . قال ابنُ شهابٍ : وأخبرنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ أن الذى قال : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ . هو الحُبابُ بنُ المنذرِ . وقد أخْرَج هذا الحديثَ الجماعةُ فى كتبِهم ، مِن طرقٍ عن مالكٍ وغيرِه ، عن الزهرىِّ به[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا معاويةُ بنُ[5] عمرٍو ، ثنا زائدةُ ، ثنا عاصمٌ ، (ح) وحدَّثنى حسينُ بنُ علىٍّ ، عن زائدةَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن عبدِ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - قال : لما قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ قالت الأنصار : منا أميرٌ ومنكم أميرٌ . فأتاهم عمرُ فقال : يا معشرَ الأنصارِ ، ألستُم تَعْلمون أن [٣/ ٣٥٠و] رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أمَر أبا بكرٍ أن يَؤُمَّ الناسَ ؟ فأيُّكم تَطِيبُ نفسُه أن يتَقَدَّمَ أبا بكرٍ ؟ فقالت الأنصارُ : نَعوذُ باللَّهِ أن نتقَدَّمَ أبا بكرٍ . ورواه النسائىُّ ، عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ وهَنَّادِ بنِ السَّرِىِّ ، عن حسينِ بنِ علىٍّ الجُعْفِىِّ ، عن زائدةَ به[6] . ورواه علىُّ بنُ المدينىِّ ، عن حسينِ بنِ علىٍّ ، وقال : صحيحٌ لا أحْفَظُه إلا مِن حديثِ زائدةَ ، عن عاصمٍ . وقد رواه النسائىُّ أيضًا مِن حديثِ سَلَمةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن نُعيمِ ابنِ أبى هندَ ، عن نُبَيْطِ بنِ شَرِيطٍ ، عن سالمِ بنِ عُبَيدٍ ، عن عمرَ مثلَه[7] . وقد

---

(١) فى ١١١، والمسند : «عويمر» ، وهو تحريف . وانظر الإصابة ٤/ ٧٤٥.

(٢) فى المسند : «معمر» ، وهو تحريف . وانظر الإصابة ٦/ ١٩١.

(٣) البخارى (٢٤٦٢، ٣٤٤٥، ٣٩٢٨، ٤٠٢١، ٦٨٢٩، ٦٨٣٠، ٧٣٢٣) ، ومسلم (١٥/ ١٦٩١) ، وأبو داود (٤٤١٨) ، والترمذى (١٤٣٢) ، والنسائى فى الكبرى (٧١٥٦ - ٧١٦٠) ، وابن ماجه (٢٥٥٣) . مطولًا ومختصرًا .

(٤) المسند ١/ ٢١ من حديث معاوية بن عمرو وحسين بن على ، و١/ ٤٠٥ من حديث معاوية بن عمرو ، و١/ ٣٩٦ من حديث حسين بن على . (إسناده صحيح) .

(٥) فى م ، ص : «عن» . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٠٧.

(٦) النسائى (٧٧٦) . حسن الإسناد (صحيح سنن النسائى ٧٤٩) .

(٧) النسائى فى الكبرى (٨١٠٩، ١١٢١٩) .

رُوِىَ عن عمرَ بنِ الخطابِ نحوُه مِن [1]طُرُقٍ أُخَرَ[1] .

وجاء مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ ، أنه قال : قلتُ : يا معشرَ المسلمين ، إن أَوْلَى الناسِ بأمْرِ نبىِّ اللَّهِ ثانِى اثنَيْنِ إذ هما فى الغارِ ؛ أبو بكرٍ السِّبَّاقُ المُبِينُ[3] . ثم أخَذْتُ بيدِه ، وبدَرنى رجلٌ مِن الأنصارِ فضرَب على يدِه قبلَ أن أَضْرِبَ على يدِه ، ثم ضرَبْتُ على يدِه وتَتابَعَ[4] الناسُ .

وقد روَى محمدُ بنُ سعدٍ[5] ، عن عارمِ بنِ الفضلِ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، فذكَر نحوًا مِن هذه القصةِ ، وسمَّى هذا الرجلَ الذى بايَع الصديقَ قبلَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فقال : هو بَشيرُ بنُ سعدٍ والدُ النعمانِ بنِ بَشيرٍ .

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ص : « طريق آخر » . والحديث أخرجه مطولا الترمذى فى الشمائل (٣٧٩) ، وعبد بن حميد فى المنتخب (٣٦٥) ، والطبرانى فى الكبير (٦٣٦٧) ، من طرق عن سلمة بن نبيط به .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٨٨٨٩) ، من طريق ابن إسحاق به . وعنده : عبد الملك بن أبى بكر . وهو خطأ .

(٣) فى م : « المسن » .

(٤) فى م ، ص : « تبايع » . وانظر فتح البارى ١٢/ ١٥٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ٣/ ١٨٢ .

ذِكْرُ اعترافِ سعدِ بنِ عُبادةَ بصحةِ ما قاله الصديقُ يومَ السَّقيفةِ

(١) قال الإمامُ أحمدُ(٢) : حدثنا عفانُ ، حدثنا أبو عَوانةَ ، عن داودَ بنِ عبدِ اللَّهِ الأَوْدِيِّ ، عن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ قال : تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، فى طائفةٍ مِن المدينةِ . قال : فجاء فكشَف عن وجهِه فقبَّله وقال : فِدًى لك أبى وأمى ، ما أطْيَبَك حيًّا وميِّتًا ، مات محمدٌ وربِّ الكعبةِ . فذكَر الحديثَ . (٣) قال : فانطَلَق أبو بكرٍ وعمرُ يتقاودان(٤) حتى أتَوْهم ، فتكَلَّم أبو بكرٍ ، فلم يترُكْ شيئًا أُنْزِل فى الأنصارِ ولا ذكَره رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن شأنِهم إلا ذكَره(٣) ، وقال : لقد علِمْتُم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لو سلَك الناسُ واديًا ، وسلَكت الأنصارُ واديًا ، سلَكْتُ وادىَ الأنصارِ » . ولقد علِمْتَ يا سعدُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وأنت قاعدٌ : « قريشٌ وُلاةُ هذا الأمرِ ، فبَرُّ الناسِ تَبَعٌ لبَرِّهم ، وفاجرُهم تَبَعٌ لفاجرِهم » . فقال له سعدٌ : صَدَقْتَ ، نحنُ الوزراءُ وأنتم الأمراءُ(١) .

وقال الإمامُ أحمدُ(٥) : حدثنا علىُّ بنُ عَيّاشٍ(٦) ، [٣/ ٣٥٠ظ] ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، أخبرنى يزيدُ بنُ سعيدِ بنِ ذى عَصْوانَ(٧) العَبْسىُّ ، عن عبدِ الملكِ بنِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ١/ ٥. (إسناده ضعيف) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : ا ٤١. وفى م : « يتعادان » ، ويتقاودان : أى يذهبان مسرعين كأن كل واحد منهما يقود الآخر ؛ لسرعته . النهاية ٤/ ١١٩.

(٥) المسند ١/ ٨. (إسناده صحيح) .

(٦) فى الأصل ، ا ٤١، م ، ص : « عباس » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٨١.

(٧) فى م : « عضوان » . وانظر التاريخ الكبير ٩/ ٣٣٨، والثقات ٧/ ٦٢٤.

عُميرِ اللَّخْميِّ ، عن رافعٍ الطائيِّ رفيقِ أبى بكرٍ الصديقِ فى غزوةِ ذاتِ السَّلاسلِ ، قال : وسألْتُه عما قيل فى بَيْعتِهم ، فقال وهو يُحَدِّثُه عما تَقاوَلت به الأنصارُ ، وما كلَّمهم به ، وما كلَّم به عمرُ بنُ الخطابِ الأنصارَ ، وما ذكَّرهم به مِن إمامتى إياهم بأمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى مرضِه ، فبايَعونى لذلك وقبِلْتُها منهم ، وتخَوَّفْتُ أن تكون فتنةٌ بعدَها رِدَّةٌ . وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ . ومعنى هذا أنه ، رضى اللَّهُ عنه ، إنما قَبِل الإمامةَ ؛ تخوُّفًا أن تَقَعَ فتنةٌ أرْبَى مِن تركِه قَبولَها ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه .

قلتُ : كان هذا فى بقيةِ يومِ الاثنين ، فلما كان الغدُ صبيحةَ يومِ الثلاثاءِ ، اجْتَمع الناسُ فى المسجدِ فتُمِّمت البيعةُ مِن المهاجرين والأنصارِ قاطبةً ، وكان[1] ذلك قبلَ تجهيزِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تسليمًا كثيرًا .

قال البخاريُّ[2] : ثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، ثنا هشامٌ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِيِّ ، أخبرنى أنسُ بنُ مالكٍ أنه سمِع خطبةَ عمرَ الأخيرةَ حينَ جلَس على المنبرِ ، وذلك الغدُ مِن يومِ تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ[3] وأبو بكرٍ صامتٌ لا يتَكَلَّمُ ، قال : كنتُ أرْجو أن يَعيشَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى يَدْبُرَنا - يريدُ بذلك أن يكونَ آخرَهم - فإن يَكُ محمدٌ قد مات فإن اللَّهَ تعالى قد جعَل بينَ أظهرِكم نورًا تهْتدون به ، به[4] هَدَى اللَّهُ محمدًا ﷺ ، وإن أبا بكرٍ صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثانى اثنين ، وإنه أَوْلَى الناسِ[5] بأمورِكم ، فقوموا[6] فبايِعوه . وكانت طائفةٌ[7] قد بايَعوه قبلَ ذلك

---

(١) فى ١١١ ، ص : « كل » .

(٢) البخارى (٧٢١٩) .

(٣) بعده فى صحيح البخارى : « فتشهد » .

(٤) سقط من : الأصل ، م . وفى صحيح البخارى : « بما » . وفيه من رواية عقيل عن الزهرى عن أنس (٧٢٦٨) : « به » . انظر فتح البارى ١٣/ ٢٠٩.

(٥) فى الأصل : « المؤمنين » ، وفى م ، ص : « المسلمين » .

(٦) فى النسخ : « فقدموا » . والمثبت من البخارى .

(٧) بعده فى صحيح البخارى : « منهم » .

فى سَقيفةِ بنى ساعِدةَ ، وكانت بيعةُ العامَّةِ على المنبرِ . قال الزهرىُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ : سمِعْتُ عمرَ يقولُ يومَئذٍ لأبى بكرٍ : اصْعَدِ المنبرَ . فلم يزَلْ به حتى صعِد المنبرَ ، فبايَعه الناسُ عامَّةً .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى الزهرىُّ ، حدثنى أنسُ بنُ مالكٍ قال : لمَّا بُويع أبو بكرٍ فى السَّقيفةِ ، وكان الغدُ ، جلَس أبو بكرٍ على المنبرِ ، وقام عمرُ فتكلَّم قبلَ أبى بكرٍ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، إنى قد كنتُ قلتُ لكم بالأمسِ مَقالةً ما كانت مما وجَدْتُها فى كتابِ اللَّهِ ، ولا كانت [٣/ ٣٥١و] عهدًا عهِده إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولكنى كنتُ أرَى أن رسولَ اللَّهِ سيَدْبُرُ أمْرَنا - يقولُ : يكونُ آخرَنا - وإن اللَّهَ قد أبْقَى فيكم كتابَه الذى به هدَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فإن اعتَصَمْتُم به هداكم اللَّهُ لِما كان هداه له ، وإن اللَّهَ قد جمَع أمْرَكم على خيرِكم ؛ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثانِى اثنين إذ هما فى الغارِ ، فقوموا فبايِعوه . فبايَع الناسُ أبا بكرٍ بيعةَ العامَّةِ بعدَ بيعةِ السَّقيفةِ ، ثم تكَلَّم أبو بكرٍ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : أما بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فإنى قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم ، فإن أحْسَنْتُ فأعِينونى ، وإن أسَأْتُ فقَوِّمونى ، الصدقُ أمانةٌ ، والكذِبُ خيانةٌ ، والضعيفُ فيكم قوىٌّ عندى حتى [2]أُريحَ عليه حقَّه[2] ، إن شاء اللَّهُ ، والقوىُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخُذَ الحقَّ منه ، إن شاء اللَّهُ ، لا يدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيلِ اللَّهِ إلا ضرَبهم اللَّهُ بالذُّلِّ ، ولا [3]تَشيعُ الفاحشةُ فى قومٍ قطُّ[3] إلا عمَّهم اللَّهُ بالبلاءِ ، أطِيعونى ما أطَعْتُ اللَّهَ ورسولَه ، فإذا عصَيْتُ اللَّهَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦٠، ٦٦١.

(٢ - ٢) فى م : «أزيح علته» . وأريح عليه حقه : أرده عليه . انظر الوسيط (ر و ح) .

(٣ - ٣) فى م : «يشيع قوم قط الفاحشة» .

ورسولَه ، فلا طاعةَ لى عليكم ، قوموا إلى صلاتِكم يَرْحَمْكم اللَّهُ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ . فقولُه ، رضى اللَّهُ عنه : وَلِيتُكُمْ ولستُ بخيرِكم . من بابِ الهَضْمِ والتَّواضُعِ ، فإنهم مُجْمِعون على أنه أفضلُهم وخيرُهم ، رضى اللَّهُ عنهم .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[(١)] : أخبرنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ [(٢)]بنِ علىٍّ[(٢)] الحافظُ الإسْفَرايِينىُّ ، حدثنا أبو علىٍّ الحسينُ بنُ علىٍّ الحافظُ ، حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ و[(٣)]إبراهيمُ بنُ أبى طالبٍ ، قالا : حدَّثنا [(٤)]بُندارُ ابنُ بَشّارٍ[(٤)] ، حدثنا أبو هشامٍ المخزومىُّ ، حدَّثنا وُهَيْبٌ ، حدثنا داودُ بنُ أبى هندَ ، حدثنا أبو نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واجتمع الناسُ فى دارِ سعدِ بنِ عُبادةَ وفيهم أبو بكرٍ وعمرُ . قال : فقام خطيبُ الأنصارِ فقال : أتَعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان مِن المهاجرين ، وخَليفتُه مِن المهاجرين ، ونحن كنا أنصارَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ونحن أنصارُ خليفتِه كما كنا أنصارَه . قال : فقام عمرُ بنُ الخطابِ فقال : صدَق قائلُكم . أمَا لو قلتُم[(٥)] غيرَ هذا لم نُتابِعْكم[(٦)] . وأخَذ بيدِ أبى بكرٍ وقال : هذا صاحبُكم فبايِعوه . فبايَعه عمرُ ، وبايَعه المهاجرون والأنصارُ . قال : فصعِد أبو بكرٍ المنبرَ ، فنظَر فى وجوهِ [٣/ ٣٥١ظ] القومِ فلم يرَ الزبيرَ . قال : فدَعا بالزبيرِ فجاء ، فقال : قلتَ : ابنُ عمَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحَوارِيُّه ، أرَدْتَ أن تَشُقَّ عَصا المسلمين ؟! فقال : لا تَثْريبَ يا خليفةَ رسولِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٧٧، من طريق البيهقى به .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٠٥.

(٣) فى م : « وابن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٤٧.

(٤ - ٤) فى م : « ميدار بن يسار » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.

(٥) بعده فى م : « علىّ » .

(٦) فى م : « نبايعكم » .

اللَّهِ . فقام فبايَعه . ثم نَظَر فى وجوهِ القومِ فلم يرَ عليًّا ، فدَعا بعلىِّ بنِ أبى طالبٍ فجاء ، فقال : قلتَ : ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وخَتَنُه على ابنتِه ، أرَدْتَ أن تَشُقَّ عَصا المسلمين ؟! قال : لا تَثْريبَ يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ . فبايَعه . هذا أو معناه . قال أبو علىٍّ الحافظُ : سمِعْتُ محمدَ بنَ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ يقولُ : جاءنى مسلمُ بنُ الحجاجِ ، فسأَلنى عن هذا الحديثِ فكتَبْتُه له فى رُقْعةٍ ، وقرأْتُه عليه وقال[1] : هذا حديثٌ يَسْوَى بَدَنَةً ، [2]فقلتُ : يَسْوَى بدنةً ؟![2] بل يَسْوَى بَدْرةً[3] .

وقد رواه البيهقىُّ[4] ، عن الحاكمِ وأبى محمدِ بنِ أبى[5] حامدٍ المُقرئِ ، كلاهما عن أبى العباسِ محمدِ بنِ يعقوبَ الأصَمِّ ، عن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ شاكرٍ ، عن عفانَ بنِ مسلمٍ ، عن وُهَيْبٍ به . ولكن ذكَر أن الصِّدِّيقَ هو القائلُ لخطيبِ الأنصارِ بدلَ عمرَ . وفيه : أن زيدَ بنَ ثابتٍ أخَذ بيدِ أبى بكرٍ فقال : هذا صاحبُكم فبايِعوه ، ثم انطَلِقوا . فلما قعَد أبو بكرٍ على المنبرِ نظَر فى وجوهِ القومِ فلم يرَ عليًّا ، فسأَل عنه ، فقام ناسٌ مِن الأنصارِ فأتَوْا به . فذكَر نحوَ ما تقدم ، ثم ذكَر قصةَ الزبيرِ بعدَ علىٍّ . فاللَّهُ أعلمُ .

[2]وقد رواه الإمامُ أحمدُ[6] ، عن الثِّقَةِ ، عن وُهَيبٍ ، مختصرًا[2] . وقد رواه علىُّ بنُ عاصمٍ[7] ، عن الجُرَيْرىِّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، فذكَر

---

(١) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) البدْرة : كيس فيه مقدار من المال يُتعامل به ، ويُقدم فى العطايا ، ويختلف باختلاف العهود . الوسيط (ب د ر) .

(٤) السنن الكبرى ٨/ ١٤٣.

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من السنن الكبرى . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/٢٧٨ ، من طريق الإمام أحمد عن عفان به .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٧٨، ٢٧٩ ، من طريق على بن عاصم به .

نحوَ ما تقـدم ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ محفوظٌ مِن حديثِ أبى نَضْرةَ المنذرِ بنِ مالكِ بنِ قِطْعةَ ، عن أبى سعيدٍ سعدِ بنِ مالكِ بنِ سِنانٍ الخدرىِّ ، وفيه فائدةٌ جليلةٌ ، وهى مُبايعةُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، إما فى أولِ يومٍ ، أو فى اليومِ الثانى مِن الوفاةِ . وهذا حقٌّ ؛ فإن علىَّ بنَ أبى طالبٍ لم يُفارِقِ الصِّدِّيقَ فى وقتٍ مِن الأوقاتِ ، ولم ينْقَطِعْ فى صلاةٍ مِن الصلواتِ خلفَه ، كما سنذكُرُه ، وخرَج معه إلى ذى القَصَّةِ ، لمَّا خرَج الصِّدِّيقُ شاهرًا سيفَه يُريدُ قِتالَ أهلِ الرِّدَّةِ ، كما سنُبَيِّنُه قريبًا ، ولكن لما حصَل مِن فاطمةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، عَتْبٌ على الصِّدِّيقِ بسببِ ما كانت مُتَوَهِّمةً مِن أنها تستَحِقُّ ميراثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم تعْلَمْ بما أخبرها به الصِّدِّيقُ ، رضى اللَّهُ عنه ، أنه قال[1] : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا فهو صدقةٌ » . [٣/ ٣٥٢و] فحجَبها وغيرَها مِن أزواجِه وعمَّه عن الميراثِ بهذا النصِّ الصريحِ ، كما سنُبَيِّنُ ذلك فى موضعِه ، فسألَتْه أنْ ينْظُرَ علىٌّ زوجُها فى صدقةِ الأرضِ التى بخيبرَ وفَدَكَ ، فلم يُجِبْها إلى ذلك ؛ لأنه رأى أنَّ حقًّا عليه أن يقومَ فى جميعِ ما كان يتولَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو الصادقُ البارُّ الراشدُ التابعُ للحقِّ ، رضى اللَّهُ عنه ، فحصَل لها - وهى امرأةٌ مِن البشرِ ليست بواجبةِ العِصْمةِ - عَتْبٌ وتَغَضُّبٌ ، ولم تُكَلِّمِ الصديقَ حتى ماتت ، رضى اللَّه عنها ، واحتاج علىٌّ أن يُراعِىَ خاطرَها بعضَ الشىءِ ، فلما ماتت بعدَ ستةِ أشهرٍ مِن وفاةِ أبيها ﷺ رأى علىٌّ أن يُجَدِّدَ البَيْعةَ مع أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، كما سنذكرُه مِن « الصحيحَيْن » وغيرِهما فيما بعدُ إن شاء اللَّهُ تعالى ، مع ما تقدم له مِن البَيْعةِ قبلَ دفنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويَزيدُ ذلك صحةً قولُ موسى بنِ عقبةَ فى « مغازيه »[2] ،

---

(١) تقدم تخريجه ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٨/ ١٥٢، ١٥٣، عن موسى بن عقبة به .

عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، حدثنى أبى أن أباه عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ كان مع عمرَ ، وأن محمدَ بنَ مَسْلمةَ كسَر سيفَ الزبيرِ ، ثم خطَب أبو بكرٍ ، واعْتَذر إلى الناسِ ، وقال : واللَّهِ ما كنتُ حريصًا على الإمارةِ يومًا ولا ليلةً ، ولا سألْتُها اللَّهَ فى سرٍّ ولا عَلانيةٍ . فقبِل المهاجرون مَقالتَه ، وقال علىٌّ والزبيرُ : ما غضِبْنا إلا لأنا أُخِّرْنا عن المَشورةِ ، وإنا نَرَى أن أبا بكرٍ أحقُّ الناسِ بها ، إنه لَصاحبُ الغارِ ، وإنا لنعْرِفُ شرَفَه وخيرَه[1] ، ولقد أمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بالصلاةِ[2] بالناسِ وهو حىٌّ . إسنادٌ جيدٌ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) فى م : « خبره » . وفى السنن الكبرى : « كبره » .

(٢) فى ا ٤، م : « أن يصلى » .

فصلٌ

ومَن تأمَّل ما ذكَرْناه ظهَر له إجماعُ الصحابةِ - المهاجرين منهم والأنصارِ - على تقديمِ أبى بكرٍ، وظهَر بُرهانُ قولِه، عليه الصلاةُ والسلامُ: «يأْبَى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكرٍ[1]». وظهَر له أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَنُصَّ على الخِلافةِ عينًا لأحدٍ مِن الناسِ، لا لأبى بكرٍ كما قد زعَمه طائفةٌ مِن أهلِ السنةِ، ولا لعلىٍّ كما يقولُه طائفةُ الرافضةِ، ولكن أشار إشارةً قويَّةً يفْهَمُها كلُّ ذى لُبٍّ وعقلٍ إلى الصِّدِّيقِ، كما قدَّمْنا وكما سنذكُرُه. وللَّهِ الحمدُ.

كما ثبَت فى «الصحيحَيْن»[2] مِن حديثِ هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ، أن عمرَ بنَ الخطابِ لما طُعِن قيل له: ألا تَسْتَخْلِفُ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: إن أسْتَخْلِفْ فقد استَخْلَف مَن هو [٣/ ٣٥٢ظ] خيرٌ منى - يعنى أبا بكرٍ - وإن أتْرُكْ فقد ترَك مَن هو خيرٌ منى. يعنى رسولَ اللَّهِ ﷺ. قال ابنُ عمرَ: فعرَفْتُ حينَ ذكَر رسولَ اللَّهِ ﷺ أنه غيرُ مُسْتَخْلِفٍ.

وقال سفيانُ الثورىُّ[3]، عن الأَسْوَدِ[4] بنِ قيسٍ، عن عمرِو بنِ سفيانَ، قال: لمَّا ظهَر علىٌّ على الناسِ [5]يومَ الجَمَلِ[5] قال: أيُّها الناسُ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٦ حاشية (٥).

(٢) البخارى (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣/١١).

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢٢٣/٧، من طريق سفيان به، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٩٢، من طريق البيهقى به، وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام، جزء السيرة النبوية ص ٥٨٥، ٥٨٦، عن سفيان به، وقال: إسناده حسن.

(٤) فى النسخ: «عمرو». والمثبت من مصادر التخريج.

(٥ - ٥) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.

لم يَعْهَدْ إلينا فى هذه الإمارةِ شيئًا ، حتى رأَيْنا مِن الرأيِ أن نستَخْلِفَ أبا بكرٍ ، فأقام واستقام حتى مضَى لسبيلِه ، (١ثم إن أبا بكرٍ رأى مِن الرأيِ أن يَسْتَخْلِفَ عمرَ ، فأقام واستقام حتى مضَى لسبيلِه١) . أو قال : حتى ضرَب الدينُ بجِرانِه[٢] . إلى آخرِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[٣] : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا شَريكٌ ، عن الأسودِ بنِ قيسٍ ، عن عمرِو بنِ سفيانَ قال: خطَب رجلٌ يومَ البصرةِ حينَ ظهَر عليٌّ ، فقال عليٌّ : هذا الخطيبُ الشَّحْشَحُ[٤] ! سبَق رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وصلَّى أبو بكرٍ ، وثلَّث عمرُ ، ثم خبَطَتْنا فتنةٌ بعدَهم يصْنَعُ اللَّهُ فيها ما يشاءُ .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[٥] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ المُزَكِّى[٦] بمَرْوَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَوْحٍ المَدائنيُّ ، ثنا شَبابةُ بنُ سَوَّارٍ ، ثنا شعيبُ بنُ ميمونٍ ، عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن الشعبيِّ ، عن أبى وائلٍ قال : قيل لعليِّ بنِ أبى طالبٍ : ألا تَسْتَخْلِفُ علينا ؟ فقال : ما اسْتَخْلَف رسولُ اللَّهِ ﷺ فأسْتَخْلِفَ ، ولكن إن يُرِدِ اللَّهُ بالناسِ خيرًا فسيَجْمَعُهم بعدى على خيرِهم ، كما جَمَعهم بعدَ نبيِّهم على خيرِهم . إسنادٌ جيدٌ ولم يُخْرِجوه . وقد

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ .

(٢) الجران : باطن العنق . وضرب الدين بجرانه : أى قر قراره واستقام ، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض . النهاية ١/ ٢٦٣ .

(٣) المسند ١/ ١٤٧ .

(٤) فى النسخ : « السجسج » . والمثبت من المسند . والشحشح : الماهر الماضى فى كلامه . النهاية ٢/ ٤٤٩ .

(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢٢٣ .

(٦) فى الأصل ، م : « الزكى » . والمزكى : نسبة لمن يزكى الشهود ويبحث عن حالهم ويبلغ القاضى بحالهم . انظر الأنساب ٥/ ٢٧٥ .

قدَّمْنا ما ذَكَره البخاريُّ[1] مِن حديثِ الزهريِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، عن ابنِ عباسٍ، أن عباسًا وعليًّا، رضى اللَّهُ عنهما، لمَّا خرَجا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال رجلٌ: كيف أصبح رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقال عليٌّ: أصْبَح بحمدِ اللَّهِ بارئًا. فقال العباسُ: إنك واللَّهِ بعدَ ثلاثٍ عَبْدُ العَصَا، إنى لأعْرِفُ فى وجوهِ بنى هاشمٍ الموتَ، وإنى لَأرَى فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الموتَ، فاذْهَب بنا إليه فنسألَه فيمَن هذا الأمرُ، فإن كان فينا عرَفْناه، وإن كان فى غيرِنا أمَرْناه[2] فوصَّاه بنا. فقال عليٌّ: إنى لا أسألُه ذلك، واللَّهِ إن منَعَناها لا يُعْطِيناها الناسُ بعدَه أبدًا.

وقد رواه محمدُ بنُ إسحاقَ عن الزهريِّ به، فذكَره[3]. وقال فى آخرِه: فتُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ اشْتَدَّ الضُّحَى مِن ذلك اليومِ.

قلتُ: فهذا يكونُ فى [٣/٣٥٣و] يومِ الاثنين يومِ الوفاةِ. فدل على أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، تُوُفِّىَ عن[4] غيرِ وصيةٍ فى الإمارةِ. وفى «الصحيحَيْن»[5] عن ابنِ عباسٍ: إن الرَّزِيَّةَ كلَّ الرَّزِيَّةِ ما حال بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ أن يَكْتُبَ ذلك الكتابَ. وقد قدَّمْنا[6] أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، كان طلَب أن يَكْتُبَ لهم كتابًا لن يَضِلُّوا بعدَه، فلما أكْثَروا اللَّغَطَ والاختلافَ عندَه قال: «قوموا

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٤. وهو أيضا فى (٦٢٦٦).

(٢) قال الحافظ: والمراد سألناه؛ لأن صيغة الطلب كصيغة الأمر، ولعله أراد أنه يؤكد عليه فى السؤال حتى يصير كأنه آمرٌ له بذلك. فتح البارى ١١/ ٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٥٤.

(٤) فى الأصل: «من»، وفى ١١١: «فى»، وفى ٤١: «على».

(٥) البخارى (١١٤، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦)، ومسلم (٢٢/١٦٣٧).

(٦) تقدم فى صفحة ٣٤، ٣٥.

عنى ، فما أنا فيه خيرٌ مما تدْعُونَنى إليه » . وقد قدَّمْنا أنه قال بعدَ ذلك : « يأْبَى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكرٍ » .

وفى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْنٍ ، عن إبراهيمَ النَّخَعِيِّ[2] ، عن الأسْودِ ، قال : قيل لعائشةَ : إنهم يقولون : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أوْصَى إلى علىٍّ . فقالت : بمَ أوْصَى إلى علىٍّ ؟! لقد دَعا بطَسْتٍ ليَبولَ فيها وأنا مُسْنِدتُه إلى صدرى ، فانخنث[3] ، فمات وما شعَرْتُ ؛ فيمَ يقولُ هؤلاء إنه أوْصَى إلى علىٍّ ؟! .

وفى « الصحيحَيْن »[4] مِن حديثِ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، عن طلحةَ بنِ مُصَرِّفٍ قال : سأَلْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ أبى أوْفَى : هل أوْصَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : لا . قلتُ : فلمَ أُمِرْنا بالوصيةِ ؟ قال : أوْصَى بكتابِ اللَّهِ ، عز وجل . قال طلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ : وقال هُزَيْلُ[5] بنُ شُرَحْبِيلَ : أبو بكرٍ يتَأَمَّرُ على وَصِيِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟!

---

(١) البخارى (٢٧٤١، ٤٤٥٩) ، ومسلم (١٦٣٦) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٢٦، من طريق عبد اللَّه بن عون به ، واللفظ له .

(٢) فى النسخ : « التيمى » . وقد تابع المصنفُ الحافظَ البيهقى فى الدلائل فى ذلك ، فقد قال البيهقى بعد إيراده الحديث : وإبراهيم هذا هو ابن يزيد بن شريك التيمى . وهو خطأ ، فإبراهيم هو ابن يزيد بن قيس ابن الأسود النخعى . روى عن الأسود ، وروى عنه عبد اللَّه بن عون . أما إبراهيم التيمى فلم يرو عن الأسود ولم يرو عنه عبد اللَّه بن عون . قال الحافظ فى الفتح ٥/ ٣٦١، و٨/ ١٤٨: وإبراهيم هو ابن يزيد النخعى . وانظر تهذيب الكمال ٢/٢٣٢ - ٢٣٧، وتحفة الأشراف ١١/ ٣٦٤.

(٣) فى م : « فانخنف » . وانخنث : أى انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت . النهاية ٢/ ٨٢.

(٤) البخارى (٢٧٤٠، ٤٤٦٠، ٥٠٢٢) ، ومسلم (١٦، ١٦٣٤/١٧) . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢٢٧/٧ من طريق مالك بن مغول به ، واللفظ له .

(٥) فى النسخ : « هذيل » بالذال . والمثبت من الدلائل . وانظر الإكمال ٧/ ٤٠٧، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٧٢.

وَدَّ أبو بكرٍ أنه وجَد عهْدًا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ [1] فخَزَم أنفَه بخِزامةٍ [1] .

وفى « الصحيحَيْن » [2] أيضًا مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، عن أبيه قال : خطَبَنا علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، فقال : مَن زعَم أن عندَنا شيئًا نقْرَأُه ليس [3] كتابَ اللَّهِ وهذه الصحيفةَ - لصحيفةٍ مُعَلَّقةٍ فى سيفِه فيها أسْنانُ الإبلِ وأشياءُ مِن الجِراحاتِ - فقد كذَب . وفيها قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « المدينةُ حَرَمٌ ما بينَ عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ ، مَن أحْدَث فيها حدَثًا أو آوَى مُحْدِثًا ، فعليه لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلًا ، ومَن ادَّعَى إلى غيرِ أبيه أو انْتَمَى إلى غيرِ مَواليه ، فعليه لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجْمَعين ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلًا ، [4] وذِمَّةُ المسلمين واحدةٌ ، يسْعَى بها أدْناهم ، فمَن أخْفَر مسلمًا فعليه لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلًا » [4] .

وهذا الحديثُ الثابتُ فى « الصحيحَيْن » وغيرِهما [5] ، عن علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يرُدُّ على فِرْقةِ الرافضةِ فى زعمِهم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أوْصَى إليه بالخلافةِ ، ولو كان الأمرُ كما زعَموا لَمَا رَدَّ ذلك أحدٌ مِن الصحابةِ ، [٣/٣٥٣ظ] فإنهم كانوا أطْوَعَ للَّهِ ولرسولِه ﷺ فى حياتِه وبعدَ وفاتِه مِن أن يَفْتاتوا عليه ، فيُقَدِّموا غيرَ مَن

(١ - ١) فى م : « فخرم أنفه بخرامة » . والخزامة : حلقة تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير يُشد بها الزمام . انظر اللسان (خ ز م) . والمعنى : أنه لو كان هناك عهد لانقاد إليه أبو بكر كما ينقاد البعير فى يد من يقوده .

(٢) البخارى (١٨٧٠، ٣١٧٢، ٣١٧٩، ٦٧٥٥، ٧٣٠٠)، ومسلم (١٣٧٠/٤٦٧) . ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٢٧، ٢٢٨ ، من طريق الأعمش به ، واللفظ له .

(٣) بعده فى م ، ص : « فى » . و « ليس » هنا بمعنى إلا .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أبو داود (٢٠٣٤) ، والترمذى (٢١٢٧) .

قدَّمه ، ويُؤَخِّروا مَن قدَّمه بنصِّه ، حاشا وكلّا ولَمّا ، ومَن ظنَّ بالصحابةِ ، رضوانُ اللَّهِ عليهم ، ذلك فقد نسَبهم بأجمعِهم إلى الفُجورِ والتَّواطُئِ على مُعاندةِ الرسولِ ﷺ ومُضادَّتِهم فى حُكمِه ونصِّه ، ومَن وصَل مِن الناسِ إلى هذا المُقامِ فقد خلَع رِبْقةَ الإسلامِ ، وكفَر بإجماعِ الأئمةِ الأعْلامِ ، وكان إراقةُ دمِه أحَلَّ مِن إراقةِ المُدامِ[1] . ثم لو كان مع عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، نصٌّ فلِمَ لا كان يَحْتَجُّ به على الصحابةِ على إثباتِ إمارتِه عليهم وإمامتِه لهم ؟ فإن لم يَقْدِرْ على تنفيذِ ما معه مِن النصِّ فهو عاجزٌ ، والعاجزُ لا يَصْلُحُ للإمارةِ ، وإن كان يَقْدِرُ ولم يفْعَلْه فهو [2]خائنٌ ، والخائنُ[2] الفاسقُ مسلوبٌ معزولٌ عن الإمارةِ ، وإن لم يعْلَمْ بوجودِ النصِّ فهو جاهلٌ ، ثم وقد عرَفه وعلِمه مَن بعدَه فهذا مُحالٌ وافتراءٌ وجهلٌ وضلالٌ ، وإنما يَحْسُنُ هذا فى أذهانِ الجَهَلةِ الطَّغامِ والمغْتَرِّين مِن الأنامِ ، يُزَيِّنُه لهم الشيطانُ بلا دليلٍ ولا برهانٍ ، بل بمجردِ التحكمِ والهَذَيانِ والإفْكِ والبُهْتانِ ، عِياذًا باللَّهِ مما هم فيه مِن التَّخْليطِ والخِذْلانِ والتَّخْبيطِ والكُفْرانِ ، ومَلاذًا باللَّهِ بالتمسكِ بالسنةِ والقرآنِ ، والوفاةِ على الإسلامِ والإيمانِ ، والمُوافاةِ على الثَّباتِ والإيقانِ وتَثْقيلِ الميزانِ ، والنَّجاةِ مِن النيرانِ والفوزِ بالجِنانِ ، إنه كريمٌ منانٌ رحيمٌ رحمـٰنٌ .

وفى هذا الحديثِ الثابتِ فى « الصحيحَيْن » عن عليٍّ الذى قدَّمْناه ردٌّ على مُتَقوِّلةِ كثيرٍ مِن الطُّرُقِيَّةِ والقُصَّاصِ الجَهَلَةِ فى دعْواهم أن النبىَّ ﷺ أوْصَى إلى عليٍّ بأشياءَ كثيرةٍ يسُوقونها مُطَوَّلةً : يا عليُّ افعَلْ كذا ، يا عليُّ لا تفْعَلْ كذا ، يا عليُّ ، مَن فعَل كذا كان كذا وكذا . بألفاظٍ رَكيكةٍ ، ومعانٍ أكثرُها سخيفةٌ ،

---

(١) المدام : الخمر .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « جائر والجائر » .

وكثيرٌ منها ضعيفةٌ لا تُساوى تَسْويدَ الصَّحيفةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد أوْرَد الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن طريقِ حمادِ بنِ عمرٍو النَّصِيبىِّ - وهو أحدُ الكذَّابين الوَضّاعِين[2] - عن السَّرِىِّ بنِ خَلَّادٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يا علىُّ ، أُوصِيك بوصيةٍ فاحْفَظْها ، [٣/ ٣٥٤و] فإنك لا تَزالُ بخيرٍ ما حفِظْتَها ؛ يا علىُّ ، إن للمؤمنِ ثلاثَ علاماتٍ ؛ الصلاةَ والصيامَ والزكاةَ » . قال البيهقىُّ : فذكَر حديثًا طويلًا فى الرَّغائبِ والآدابِ ، وهو حديثٌ موضوعٌ ، وقد شرَطْتُ فى أولِ الكتابِ أنْ لا أُخَرِّجَ فيه حديثًا أعْلَمُه موضوعًا . ثم روَى[3] مِن طريقِ حمادِ بنِ عمرٍو هذا ، عن زيدِ بنِ رُفَيْعٍ ، عن مكحولٍ الشامىِّ قال : هذا ما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ حينَ رجَع مِن غزوةِ حُنَين ، وأُنْزِلت عليه سورةُ النصرِ . قال البيهقىُّ : فذكَر حديثًا طويلًا فى الفتنةِ ، وهو أيضًا حديثٌ منكَرٌ ليس له أصلٌ ، وفى الأحاديثِ الصحيحةِ كفايةٌ . وباللَّهِ التوفيقُ .

ولْنَذْكُرْ هـٰهنا ترجمةَ حمادِ بنِ عمرٍو أبى إسماعيلَ النَّصيبىِّ ؛ روَى عن الأعْمشِ وغيرِه ، وعنه إبراهيمُ بنُ موسى ، ومحمدُ بنُ مِهْرانَ ، وموسى بنُ أيوبَ وغيرُهم . قال يحيى بنُ مَعينٍ[4] : هو ممن يَكْذِبُ ويضَعُ الحديثَ . وقال عمرُو بنُ علىٍّ الفَلَّاسُ وأبو حاتمٍ[5] : منكَرُ الحديثِ ، ضعيفٌ جدًّا . وقال إبراهيمُ بنُ

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٢٩.

(٢) فى م : « الصواغين » .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) انظر الكامل لابن عدى ٢/ ٦٥٧، والجرح والتعديل ٣/ ١٤٤.

(٥) الجرح والتعديل ٣/ ١٤٤.

يعقوبَ الجُوزْجانىُّ[1] : كان يَكْذِبُ . [2]وقال البخارىُّ[3] : منكَرُ الحديثِ[2] . وقال أبو زُرْعةَ[1] : واهى الحديثِ . وقال النسائىُّ[4] : متروكٌ . وقال ابنُ حِبَّانَ[5] : يضَعُ الحديثَ وَضْعًا . وقال ابنُ عدىٍّ[6] : عامَّةُ حديثِه مما لا يُتابِعُه أحدٌ مِن الثِّقاتِ عليه . وقال الدارَقطنىُّ[7] : ضعيفٌ . وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ[8] : يَروِى عن الثقاتِ أحاديثَ موضوعةً ، وهو ساقطٌ بمرَّةٍ .

فأما الحديثُ الذى قال الحافظُ البيهقىُّ[9] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا حمزةُ بنُ العباسِ العَقَبىُّ ببغدادَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَوْحٍ المَدائنىُّ ، ثنا سَلَّامُ بنُ سليمانَ المَدائنىُّ ، ثنا سلَّامُ بنُ سُلَيْمٍ الطَّويلُ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن الحسنِ العُرَنىِّ[10] ، عن الأشْعَثِ بنِ طَليقٍ ، عن مُرَّةَ بنِ شَراحيلَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : لمَّا ثَقُل رسولُ اللَّهِ ﷺ اجْتَمَعْنا فى بيتِ عائشةَ ، فنظَر إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فدَمَعتْ عيناه ، ثم قال لنا : « قد دَنا الفِراقُ » . ونعَى إلينا نفسَه ، ثم قال : « مرحبًا بكم ، حيَّاكم اللَّهُ ، هداكم اللَّهُ ، نصَركم اللَّهُ ، نفَعكم اللَّهُ ، وفَّقكم اللَّهُ ، سدَّدكم اللَّهُ ، وقَاكم اللَّهُ ، أعانكم اللَّهُ ، قبِلكم اللَّهُ ، أُوصيكم بتقوى اللَّهِ ، وأُوصى اللَّهَ بكم ، وأسْتَخْلِفُه عليكم ، إنى لكم منه

---

(١) الجرح والتعديل ٣/١٤٤ .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) التاريخ الكبير ٣/ ٢٨.
(٤) الضعفاء والمتروكين للنسائى ص ١٦٧.
(٥) الضعفاء والمجروحين لابن حبان ١/ ٢٥٢.
(٦) الكامل ٢/ ٦٥٧.
(٧) الضعفاء والمتروكين للدارقطنى ص ٧٧.
(٨) لسان الميزان ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.
(٩) دلائل النبوة ٧/ ٢٣١، ٢٣٢.
(١٠) فى الأصل : « القرنى » . وفى م ، ص : « المقبرى » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ١٩٥.

نذيرٌ مبينٌ ، أن لا تعلُوا على اللَّهِ فى عبادِه وبلادِه ؛ فإن اللَّهَ تعالى قال لى ولكم : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا [٣/ ٣٥٤ظ] يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] . وقال : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ » [الزمر: ٦٠] . قلنا : فمتى أجلُك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « قد دَنا الأجلُ ، والمُنْقَلَبُ إلى اللَّهِ ، والسِّدْرَةُ المُنْتَهَى ، والكأسُ الأوْفَى ، والفُرُشُ الأعْلَى » . قلنا : فمَن يُغَسِّلُك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « رجالُ أهلِ بيتى الأدْنى فالأدْنى ، مع ملائكةٍ كثيرةٍ يرَوْنكم مِن حيث لا ترَوْنهم » . قلنا : ففيمَ نُكَفِّنُك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « فى ثيابى هذه إن شئتُم ، أو فى يَمَنِيَةٍ ، أو فى بَياضِ مِصْرَ » . قلنا : فمَن يصلِّى عليك يا رسولَ اللَّهِ ؟ فبَكَى وبكَيْنا . وقال : « مَهْلًا ، غفَر اللَّهُ لكم ، وجزاكم عن نبيِّكم خيرًا ، إذا غسَّلْتُمونى وحنَّطْتُمونى وكفَّنْتُمونى ، فضَعونى على شَفيرِ قبرِى ، ثم اخْرُجوا عنى ساعةً ، فإن أولَ مَن يصلِّى علىَّ خَليلاىَ وجَليساىَ ؛ جبريلُ وميكائيلُ ، ثم إسرافيلُ ، ثم ملَكُ الموتِ مع جنودٍ مِن الملائكةِ ، عليهم السلامُ ، ولْيَبْدَأْ بالصلاةِ علىَّ رجالُ أهلِ بيتى ، ثم نساؤُهم ، ثم ادْخُلوا علىَّ أفْواجًا وفُرادَى ، ولا تُؤْذونى بباكيةٍ ولا برَنَّةٍ ولا بصَيْحَةٍ[1] ، ومَن كان غائبًا مِن أصحابى فأبْلِغوه عنى السلامَ ، وأُشْهِدُكم بأنى قد سَلَّمْتُ على مَن دخَل فى الإسلامِ ومَن تابَعَنى فى دينى هذا ، منذ اليومِ إلى يومِ القيامةِ » . قلنا : فمَن يُدْخِلُك قبرَك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « رجالُ أهلِ بيتى الأدْنَى فالأدْنَى مع ملائكةٍ كثيرةٍ يرَوْنَكم مِن حيث لا ترَوْنَهم » . ثم قال البيهقىُّ : تابَعه أحمدُ بنُ يونُسَ عن سلَّامٍ الطويلِ ، وتفردَ به سلَّامٌ الطويلُ .

---

(١) فى م : « بضجّة » .

قلتُ : وهو سلَّامُ بنُ سَلْمٍ[1] . ويقالُ : ابنُ سُلَيْمٍ . ويقالُ : ابنُ سليمانَ . والأولُ أصحُّ ، التَّمِيمىُّ السَّعْدىُّ الطويلُ . يَروِى عن جعفرٍ الصادقِ ، وحُميدٍ الطويلِ ، وزيدٍ العَمِّىِّ وجماعةٍ ، وعنه جماعةٌ أيضًا منهم ؛ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يونسَ ، وأَسدُ بنُ موسى ، وخلَفُ بنُ هشامٍ البزَّارُ ، وعلىُّ بنُ الجَعْدِ ، وقَبيصةُ بنُ عقبةَ . وقد ضعَّفه علىُّ بنُ المَدينىِّ ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ ، ويحيى بنُ مَعينٍ ، والبخارىُّ ، وأبو حاتمٍ ، وأبو زُرْعةَ ، والجُوزْجانىُّ ، والنسائىُّ ، وغيرُ واحدٍ ، وَكذَّبه بعضُ الأئمةِ ، وترَكه آخرونَ .

لكن روَى هذا الحديثَ بهذا السياقِ بطولِه الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ مِن غيرِ طريقِ سلَّامٍ هذا ، فقال[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ الأَحْمَسىُّ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المُحاربىُّ ، عن ابنِ الأصْبهانىِّ ، أنه أخبره عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، فذكَر الحديثَ بطولِه . ثم قال البزَّارُ : وقد رُوِىَ هذا عن مُرَّةَ مِن غيرِ وجهٍ بأسانيدَ مُتقاربةٍ ، [٣/ ٣٥٥و] وعبدُالرحمنِ بنُ الأصْبهانىِّ لم يَسْمَعْ هذا مِن مُرَّةَ ، وإنما هو عمَّن أخبره عن مُرَّةَ ، ولا أعلمُ أحدًا رواه عن عبدِ اللَّهِ غيرَ[3] مُرَّةَ .

---

(١) فى م : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧٧/١٢ - ٢٨١ .

(٢) كشف الأستار (٨٤٧) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٥/٩ بعد كلام البزار الآتى : قلت : رجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى وهو ثقة ، ورواه الطبرانى فى الأوسط بنحوه إلا أنه قال : قبل موته بشهر . وذكر فى إسناده ضعفاء ، منهم أشعث بن طابق قال الأزدى : لا يصح حديثه . والله أعلم .

(٣) فى م : « عن » .

فصلٌ فى ذكرِ الوقْتِ الذى تُوُفّىَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ومَبْلَغِ سِنّه حالَ وفاتِه ، وفى كيفيةِ غُسْلِه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، (١)وتكفينِه(١) ، والصلاةِ عليه ، ودفنِه ، وموضعِ قبرِه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه

لا خلافَ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، تُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ . قال ابنُ عباسٍ : وُلِد نبيُّكم ﷺ يومَ الاثنينِ ، ونُبِّئَ يومَ الاثنينِ ، وخَرَجَ مِن مكةَ مُهاجِرًا يومَ الاثنينِ ، ودخَل المدينةَ يومَ الاثنينِ ، وماتَ يومَ الاثنينِ . رواه الإمامُ أحمدُ والبيهقىُّ(٢) .

وقال سفيانُ الثورىُّ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : قال لى أبو بكرٍ : أىَّ يومٍ تُوُفِّىَ رسولُ اللَّه ﷺ ؟ قلتُ : يومَ الاثنينِ . فقال : إنِّى لَأرْجو أن أموتَ فيه . فماتَ فيه . رواه البيهقىُّ مِن حديثِ الثورىِّ به(٣) .

وقال الإمامُ أحمدُ(٤) : حدَّثنا أَسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا هُرَيْمٌ ، حدثنى ابنُ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ١/ ٢٧٧، ودلائل النبوة ٧/ ٢٣٣. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٩٦: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات ، من أهل الصحيح .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٣٣.

(٤) المسند ٤/ ١١٠.

يومَ الاثنينِ ، ودُفِنَ ليلةَ الأربِعاءِ . تفرد به أحمدُ .

وقال عروةُ بنُ الزبيرِ فى « مغازيه » ، وموسى بنُ عقبةَ[1] عن ابنِ شِهابٍ : لمَّا اشتدَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُه أرْسَلَت عائشةُ إلى أبى بكرٍ ، وأرْسَلَت حَفْصةُ إلى عمرَ ، وأرْسَلَت فاطمةُ إلى علىٍّ ، فلم يجْتَمعوا حتى تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو فى صدرِ عائشةَ وفى يومِها يومِ الاثنين ، حينَ زاغت الشمسُ لهلالِ ربيعٍ الأولِ .

وقد قال أبو يَعْلَى[2] : ثنا أبو خَيْثمةَ ، ثنا ابنُ عُيَينةَ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ قال : آخرُ نظرةٍ نظَرْتُها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنينِ ، كشَف السِّتارةَ والناسُ خلفَ أبى بكرٍ ، فنظَرْتُ إلى وجهِه ، كأنه وَرَقةُ مُصْحَفٍ ، فأراد الناسُ أن ينحَرِفوا[3] ، فأشار إليهم أن امكُثوا ، وأَلقَى السِّجْفَ[4] ، وتُوُفِّىَ مِن[5] آخرِ ذلك اليومِ . وهذا الحديثُ فى « الصحيحِ »[6] ، وهو يدُلُّ على أن الوفاةَ وقَعت بعدَ الزَّوالِ . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[7] ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَكَّارٍ ، عن محمدِ بنِ شُعيبٍ ، وعن صفوانَ ، عن عمرَ بنِ عبدِ الواحدِ ، جميعًا عن الأوزاعىِّ أنه قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنينِ قبلَ أن يَنتَصفَ النهارُ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/٢٣٤ ، بإسناده عن عروة وعن موسى بن عقبة عن ابن شهاب به .
(٢) مسند أبى يعلى (٣٥٤٨) .
(٣) فى مسند أبى يعلى : « يتحركوا » .
(٤) السجف بفتح السين وكسرها : أحد السترين المقرونين بينهما فرجة . الوسيط (س ج ف) .
(٥) فى مسند أبى يعلى : « فى » .
(٦) البخارى (٦٨٠) ، ومسلم (٤١٩) .
(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٠٨.

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أحمدُ بنُ كاملٍ[2] ، ثنا الحسنُ بنُ عليٍّ البزَّارُ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن [٣/ ٣٥٥ظ] أبيه - وهو سليمانُ بنُ طَرْخانَ التيميُّ فى كتابِ « المغازى » - قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ مرِض لاثنتين وعشرين ليلةً مِن صَفَرٍ ، وبدَأه وجَعُه عندَ وَليدةٍ له يقالُ لها : رَيْحانةُ . كانت مِن سَبْيِ اليهودِ ، وكان أولَ يومٍ مرِض يومُ السبتِ ، وكانت وفاتُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ[3] ، يومَ الاثنينِ لليلتين خلَتا مِن شهرِ ربيعٍ الأولِ لتمامِ عشرِ سنينَ مِن مَقْدَمِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، المدينةَ .

وقال الواقديُّ[4] : حدَّثنا أبو مَعْشَرٍ عن محمدِ بنِ قيسٍ قال : اشتَكى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأربعاءِ لإحدَى عشْرةَ ليلةً[5] بقِيَت مِن صَفَرٍ سنةَ إحدَى عشْرةَ فى بيتِ زينبَ بنتِ جَحْشٍ ، شَكْوى شديدةً . فاجتَمع عندَه نساؤُه كلُّهن ، فاشتَكى ثلاثةَ عشَرَ يومًا ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ لليلتين خلَتا مِن ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدَى عشْرةَ .

وقال الواقديُّ[6] : وقالوا : بُدِئَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأربعاءِ [7]لليلتين بقِيَتا[7] مِن صَفَرٍ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ لثنتَى عشْرَةَ ليلةً خلَت مِن ربيعٍ الأولِ . وهكذا جزَم به محمدُ بنُ سعدٍ كاتبُه[8] ، وزاد : ودُفِن يومَ الثلاثاءِ .

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٣٤.

(٢) فى م : « حنبل » . وهو خطأ .

(٣) بعده فى الدلائل : « اليوم العاشر » .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٢٧٢، والبيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٣٤، كلاهما من طريق الواقدى به .

(٥) سقط من : الأصل ، ١١١، ص .

(٦) ذكره البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/٥٦٨ ، عن الواقدى .

(٧ - ٧) فى الطبقات : « لليلة بقيت » .

(٨) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣.

قال الواقدىُّ[1] : وحدَّثنى سعيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الأَبيضِ ، عن المَقْبُرِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ ، عن أمِّ سَلَمَةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بُدِئَ فى بيتِ ميمونةَ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] : حدَّثنا أحمدُ بنُ يونسَ ، ثنا أبو مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ قال : اشتَكى رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثةَ عشَرَ يومًا ، فكان إذا وجَد خِفَّةً صلَّى ، وإذا ثَقُل صلَّى أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لاثنتَى عشْرَةَ ليلةً خلَت مِن شهرِ ربيعٍ الأولِ ، فى اليومِ الذى قدِم فيه المدينةَ مُهاجِرًا ، واستَكْمَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى هجرتِه عشْرَ سنينَ كواملَ . قال الواقدىُّ : وهو الثَّبَتُ عندَنا . وجزَم به محمدُ بنُ سعدٍ كاتبُه[4] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] ، عن يحيى بنِ بُكيرٍ ، عن الليثِ أنه قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ يومَ الاثنينِ لليلةٍ خلَت مِن ربيعٍ الأولِ ، وفيه قدِم المدينةَ ، على رأسِ عشْرِ سنينَ مِن مَقْدَمِه .

وقال سعدُ بنُ إبراهيمَ الزهرىُّ : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنينِ لليلتين خلَتا مِن ربيعٍ الأولِ ، لتمامِ عشْرِ سنينَ مِن مَقْدَمِه المدينةَ . رَواه ابنُ عساكرَ ، ورَواه الواقدىُّ عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ مثلَه سواءً . وقاله خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ أيضًا[6] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٣٥، من طريق الواقدى به .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٣٥، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٣٥، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٣١١.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٠٨.

(٦) لم نجده فى تاريخ دمشق، ولا فى مختصره لابن منظور. وأخرجه ابن سعد فى الطبقات =

وقال أبو نُعيمٍ الفضلُ بنُ دُكينٍ : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ يومَ الاثنينِ مُسْتَهَلَّ ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدَى عشْرَةَ مِن مَقْدَمِه المدينةَ[1] . رَواه ابنُ عساكرَ أيضًا[2] . وقد تقدَّم قريبًا عن عروةَ ، وموسى بنِ عُقبةَ ، والزهرىِّ ، مثلُه فيما نقَلناه عن « مغازِيَيْهما » . فاللَّهُ أعلمُ . والمشهورُ قولُ ابنِ إسحاقَ والواقدىِّ .

ورَواه الواقدىُّ[3] عن ابنِ عباسٍ وعائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، فقال : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ يزيدَ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ . وحدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالا : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنينِ لِثِنتى عشْرَةَ ليلةً خلَت مِن ربيعٍ الأولِ .

ورَواه ابنُ إسحاقَ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بنِ حزمٍ ، عن أبيه ، مثلَه ، وزاد : ودُفِن ليلةَ الأربعاءِ .

ورَوَى سيفُ بنُ عمرَ ، عن محمدِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ العَرْزَمىِّ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لمَّا قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حَجةَ الوَداعِ ارتَحل ، فأتَى المدينةَ فأقام بها بقيةَ ذى الحِجةِ والمحرمَ وصَفَرًا ، ومات يومَ الاثنينِ لعشرٍ خلَوْن مِن ربيعٍ الأولِ .

ورُوِىَ أيضًا عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهرىِّ ، عن عُروةَ . وفى حديثِ فاطمةَ ، عن عَمْرةَ ، عن عائشةَ مثلَه ، إلا أن ابنَ عباسٍ قال فى أولِه : لأيامٍ مضَين

= ٢/ ٢٧٢، عن الواقدى به. وانظر قول خليفة بن خياط فى تاريخه ص ٦٨.

(١) من هنا حتى رقم المخطوطة [٣/ ٣٥٦و]. خرم فى الأصل .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٧.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣، عن الواقدى به .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٢١٧ ، من طريق ابن إسحاق به .

منه . وقالت عائشةُ : بعدَما مضَى أيامٌ منه .

فائدةٌ : قال أبو القاسمِ السُّهَيْلِيُّ فى « الروضِ »[1] ما مضمونُه : لا يُتصوَّرُ وقوعُ وفاتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، يومَ الاثنينِ ثانىَ عشَرَ ربيعِ الأولِ مِن سنةِ إحدَى عشْرَةَ ؛ وذلك لأنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وقَف فى حَجةِ الوَداعِ سنةَ عشْرٍ يومَ الجمُعةِ ، فكان أوَّلَ ذى الحِجةِ يومُ الخميسِ ، فعلى تقديرِ أن تُحْسَبَ الشهورُ تامَّةً أو ناقصةً ، أو بعضُها تامٌّ وبعضُها ناقصٌ ، لا يُتصوَّرُ أن يكونَ يومُ الاثنينِ ثانىَ عشَرَ ربيعِ الأولِ .

وقد اشْتَهر هذا الإيرادُ على هذا القولِ ، وقد حاوَل جماعةٌ الجوابَ عنه ولا يمكنُ الجوابُ عنه ، إلا بمَسْلَكٍ واحدٍ ، وهو اختلافُ المَطالعِ ؛ بأن يكونَ أهلُ مكةَ رأَوا هلالَ ذى الحِجةِ ليلةَ الخميسِ ، وأمَّا أهلُ المدينةِ فلم يرَوْه إلا ليلةَ الجمعةِ ، ويؤيِّدُ هذا قولُ عائشةَ وغيرِها[2] : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ - يعنى مِن المدينةِ - إلى حَجةِ الوداعِ . ويتعينَّ - كما[3] ذَكَرْنا - أنه خرَج يومَ السبتِ ، وليس كما زعَم ابنُ حزمٍ أنه خرَج يومَ الخميسِ[4] ؛ لأنه قد بَقِىَ أكثرَ مِن خمسٍ بلا شكٍّ ، ولا جائزٌ أن يكونَ خرَج يومَ الجمعةِ ؛ لأن أنسًا قال[5] : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ الظهرَ بالمدينةِ أربعًا ، والعصرَ بذى الحُلَيفةِ ركعتيْن . فتعينَّ أنه خرَج يومَ السبتِ لخمسٍ بقِين ، فعلى هذا إنما رأَى أهلُ المدينةِ

---

(١) الروض الأنف ٧/ ٥٧٩.

(٢) البخارى (١٧٠٩، ١٧٢٠، ٢٩٥٢) ، ومسلم (١٢١١/٢٥) ، عن عائشة ، والبخارى (١٥٤٥) ، عن ابن عباس .

(٣) فى م : « بما » .

(٤) حجة الوداع ص ١٧.

(٥) البخارى (١٧١٥) ، ومسلم (٦٩٠/١٠) .

هلالَ ذى الحِجةِ ليلةَ الجمعةِ ، وإذا كان أوَّلَ ذى الحِجةِ عندَ أهلِ المدينةِ الجمعةُ ، وحُسِبت الشهورُ بعدَه كواملَ ، يكونُ أوَّلَ ربيعٍ الأوَّلِ يومُ الخميسِ ، فيكونُ ثانىَ عَشرِهِ يومُ الاثنينِ . واللَّهُ أعلمُ .

وثبَت فى « الصحيحيْن »[1] مِن حديثِ مالكٍ ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالطويلِ البائنِ ولا بالقصيرِ ، وليس بالأبيضِ الأمْهَقِ ولا بالآدَمِ ، ولا بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبْطِ ، بَعَثه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، على رأسِ أربعين سنةً ، فأقام بمكةَ عشْرَ سنينَ وبالمدينةِ عشْرَ سنينَ ، وتوفَّاه اللَّهُ على رأسِ ستين سنةً وليس فى رأسِه ولحيتِه عشرون شعرةً بيضاءَ . وهكذا رَواه ابنُ وهبٍ ، عن قُرَّةَ[2] ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ ، وعن قُرَّةَ ، عن[3] ربيعةَ ، عن أنسٍ ، مثلَ ذلك .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ : حديثُ قُرَّةَ عن الزهرىِّ غريبٌ ، وأمَّا مِن روايةِ ربيعةَ عن أنسٍ ، فرَواها عنه جماعةٌ كذلك . ثم أسنَد مِن طريقِ سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ وربيعةَ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين .

وكذلك رَواه ابنُ البَرْبَرىِّ ونافعُ بنُ أبى نُعيمٍ ، عن ربيعةَ ، عن أنسٍ به . قال : والمحفوظُ عن ربيعةَ ، عن أنسٍ : ستون .

ثم أورَده ابنُ عساكرَ مِن طريقِ مالكٍ ، والأوزاعىِّ ، ومِسْعَرٍ ، وإبراهيمَ بنِ

---

(١) البخارى (٣٥٤٨) ، ومسلم (٢٣٤٧/١١٣) .

(٢) فى م ، ص : « عروة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٨١. والحديث ذكره ابن عبد البر فى التمهيد ٣/ ١٢، بهذا الإسناد .

(٣) فى م : « بن » . وهو خطأ .

طَهْمانَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وسليمانَ بنِ بلالٍ[1] ، وأنسِ بنِ عِياضٍ ، والدَّراوَرْدىِّ ، ومحمدِ بنِ قيسٍ المَدنىِّ ، كلُّهم عن ربيعةَ ، عن أنسٍ ، قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ستِّين سنةً .

وقال البيهقىُّ[2] : أنبأَنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ ، ثنا أبو عمرٍو بنُ السَّمَّاكِ ، ثنا حنبلُ بنُ إسحاقَ ، ثنا أبو مَعْمَرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ ، ثنا أبو غالبٍ الباهلىُّ قال : قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : بسِنٍّ[3] أىِّ الرجالِ كان رسولُ اللَّهِ إذ بُعِث ؟ قال : كان ابنَ أربعين سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : كان[4] بمكةَ عشْرَ سنينَ ، وبالمدينةِ عشْرَ سنينَ ، فتمَّت له ستون سنةً يومَ قبَضه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وهو كأشدِّ[5] الرجالِ [6]وأَحسنِه وأجملِه وألْحَمِه[6] . ورَواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، عن أبيه به[7] .

وقد روَى مسلمٌ[8] ، عن أبى غَسَّانَ محمدِ بنِ عمرٍو الرازىِّ المُلَقَّبِ بزُنَيْجٍ[9] ، عن حَكَّامِ بنِ سَلْمٍ[10] ، عن عثمانَ [٣/ ٣٥٦و] بنِ زائدةَ ، عن الزبيرِ بنِ عدىٍّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قُبِض النبىُّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين ، [11]وقُبِض أبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين[11] ، وقُبِض عمرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين . انفرَد به مسلمٌ .

---

(١) بعده فى م : « وأنس بن بلال » .
(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٣٧.
(٣) فى ا ٤١ : « يا ابن » ، وفى م ، ص : « ابن » .
(٤) سقط من : ا ١١١. وفى ا ٤١، ص : « مكث » .
(٥) فى الدلائل : « كأشب » .
(٦ - ٦) فى ١١١ ، ٤١، م : « وأحسنهم وأجملهم وألحمهم » .
(٧) المسند ٣/ ١٥١.
(٨) مسلم (٢٣٤٨) .
(٩) فى م : « برشح » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ١٩٩، ٢٠٠.
(١٠) فى م : « مسلم » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٨٣.
(١١ - ١١) سقط من : م ، ص .

وهذا لا يُنافى ما تقدَّم عن أنسٍ ؛ لأن العربَ كثيرًا ما تَحْذِفُ الكسرَ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ الليثِ بنِ سعدٍ ، عن عُقَيلٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ قالت : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً . قال الزهرىُّ : وأخبَرَنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ مثلَه .

وروَى موسى بنُ عُقبةَ ، وعُقَيلٌ ، ويونسُ بنُ يزيدَ ، وابنُ جُريجٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ قالت : توفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين[2] . قال الزهرىُّ : وأخبَرَنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ مثلَ ذلك .

وقال البخارىُّ[3] : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا شَيْبانُ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن عائشةَ ، وابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مكَث بمكةَ عشْرَ سنينَ يُنْزَلُ[4] عليه القرآنُ ، وبالمدينةِ عشْرًا . لم يُخْرِجْه مسلمٌ .

وقال أبو داودَ الطيالسىُّ فى « مسندِه »[5] : ثنا شُعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ قال : قُبِض النبىُّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين ، وأبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين ، وعمرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين . وهكذا رَواه مسلمٌ[6] مِن حديثِ غُنْدَرٍ ، عن شُعبةَ ، وهو مِن

---

(١) البخارى (٤٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٤٩/١١٥) .

(٢) رواية موسى بن عقبة عند ابن حبان ، كما فى الإحسان (٦٣٨٨) ، ورواية عقيل فهى التى مضت عند البخارى ومسلم ، ورواية يونس بن يزيد عند مسلم (٢٣٤٩/٠٠٠) ، والمسند ٦/ ٩٣، ورواية ابن جريج عند الترمذى (٣٦٥٤) .

(٣) البخارى (٤٤٦٤، ٤٤٦٥) .

(٤) فى م : « يتنزل » .

(٥) مسند أبى داود الطيالسى (ق/ ٧٧ظ) مخطوط النسخة العراقية ، وهو من المسانيد الساقطة من المطبوع . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٣٩، من طريق الطيالسى به .

(٦) مسلم (٢٣٥٢/١٢٠) .

أفرادِه دونَ البخاريِّ. ومنهم مَن يقولُ: عن عامرِ بنِ سعدٍ، عن مُعاويةَ. والصوابُ ما ذكَرْناه، عن عامرِ بنِ سعدٍ، عن جريرٍ، عن مُعاويةَ. ورُوِّينا مِن طريقِ عامرِ بنِ شَراحيلَ[1] الشعبيِّ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَليِّ، عن معاويةَ، فذكَره.

وروَى الحافظُ ابنُ عساكرَ مِن طريقِ القاضي أبي يوسفَ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، عن أنسٍ قال: توفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين، وتُوُفِّي أبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين، وتوفِّيَ عمرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين.

وقال ابنُ لَهيعةَ، عن أبي الأسودِ، عن عُروةَ، عن عائشةَ قالت[2]: تذاكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ميلادَهما عندي، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أكبرَ مِن أبي بكرٍ، فتُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين، وتُوُفِّيَ أبو بكرٍ بعدَه وهو ابنُ ثلاثٍ وستين.

وقال [٣/٣٥٦ظ] الثوريُّ، عن الأعمشِ، عن القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ قال: توفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وهم بنو ثلاثٍ وستين.

وقال حنبلٌ: حدَّثنا الإمامُ أحمدُ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال: أُنزِل على النبيِّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين، فأقام بمكةَ عشرًا، وبالمدينةِ عشرًا. وهذا غريبٌ عنه، وصحيحٌ إليه.

وقال أحمدُ: ثنا هُشَيمٌ، ثنا داودُ بنُ أبي هندَ، عن الشعبيِّ قال: نُبِّئَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ أربعين سنةً، فمكَث ثلاثَ سنينَ، ثم بُعِثَ إليه جبريلُ

---

(١) بعده في الأصل، ١١١، م، ص: «عن». وهو خطأ؛ فعامر بن شراحيل هو الشعبي.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٩.

بالرسالةِ ، ثم مكَث بعدَ ذلك عشْرَ سنينَ ، ثم هاجَر إلى المدينةِ ، فقُبِض وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنةً .

قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ حنبلٍ[1] : الثَّبتُ عندَنا ثلاثٌ وستُّون سنةً[2] .

قلتُ : وهكذا روَى مجاهدٌ ، عن الشعبيِّ ، ورُوِىَ مِن حديثِ إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ عنه .

وفى « الصحيحيْن »[3] مِن حديثِ رَوْحِ بنِ عُبادةَ ، [4]عن زكريا بنِ إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مكَث بمكةَ ثلاثَ عشْرَةَ ، وتُوُفِّىَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[5] مِن حديثِ رَوحِ بنِ عُبادةَ[4] أيضًا ، عن هشامٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ لأربعين سنةً ، فمكَث بمكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ ، ثم أُمِرَ بالهجرةِ ، فهاجر عشْرَ سنين ، ثم مات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين . وكذلك رواه الإمامُ أحمدُ ، عن رَوحِ بنِ عُبادةَ ، ويحيى بنِ سعيدٍ ، ويزيدَ بنِ هارونَ ، كلُّهم عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ به[6] . وقد رَواه أبو يَعْلَى المَوصلىُّ ، عن الحسنِ بنِ عمرَ بنِ شَقيقٍ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَر مثلَه . ثم أورَده مِن طرقٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَ ذلك .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٩.

(٢) سقط من : ا ١١١، م ، ص .

(٣) البخارى (٣٩٠٣) ، ومسلم (٢٣٥١/١١٧) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) البخارى (٣٩٠٢) .

(٦) المسند ٣٧١/١ من طريق روح ، و٢٢٨/١ من طريق يحيى ، و٢٣٦/١ من طريق يزيد .

ورَواه مسلمٌ[1] مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن [2]أبى جَمْرَةَ[2]، عن ابنِ عباسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أقام بمكةَ ثلاثَ عشْرَةَ يُوحَى إليه، وبالمدينةِ عشْرًا، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً.

وقد أسنَد الحافظُ ابنُ عساكرَ مِن حديثِ سَلْمِ[3] بنِ جُنادةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن كُرَيْبٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين. ومِن حديثِ أبى نَضْرةَ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه. وهذا القولُ هو [٣/٣٥٧و] الأشهرُ، وعليه الأكثرُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا إسماعيلُ، عن خالدٍ الحذَّاءِ، حدَّثنى عمَّارٌ مولى بنى هاشمٍ قال: سمِعْتُ ابنَ عباسٍ يقولُ: تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وستِّين سنةً. ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ خالدٍ الحذَّاءِ به[5].

وقال أحمدُ[6]: ثنا حسنُ بنُ موسى، ثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ، عن عَمَّارِ[7] بنِ أبى عمارٍ، عن ابنِ عباسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أقام بمكةَ خمسَ عشْرةَ سنةً؛ ثمانِ سنينَ أو سبعًا يَرَى الضَّوْءَ ويَسْمَعُ الصوتَ[8]، وثمانيًا أو سبعًا يُوحَى إليه، وأقام

---

(١) مسلم (٢٣٥١/١١٨).

(٢ - ٢) فى ١١١، م، ص: «أبى حمزة». وأبو جمرة هو نصر بن عمران الضبعى البصرى. تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) فى ٤١، م، ص: «مسلم». وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢١٨.

(٤) المسند ١/ ٢٢٣، ٣٥٩.

(٥) مسلم (٢٣٥٣/١٢٢).

(٦) المسند ١/ ٢٦٦، ٢٩٤.

(٧) فى م، ص: «عمارة». وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٩٨.

(٨) أى ما كان يسمع من صوت الملك ويراه من نوره وأنوار آيات ربه. النهاية ٣/ ١٠٥.

بالمدينةِ عشْرًا . ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ به[1] .

وقال أحمدُ أيضًا[2] : حدَّثنا عفَّانُ ، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، ثنا يونسُ ، عن عمارٍ مولى بنى هاشمٍ قال : سأَلْتُ ابنَ عباسٍ : كم أتَى لرسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ مات ؟ قال : ما كنتُ أُرَى مثلَك فى قومِه يَخْفَى عليك ذلك ! قال : قلتُ : إنى قد سأَلْتُ فاختُلِف علىَّ ، فأحبَبْتُ أن أعلَمَ قولَك فيه . قال أتحسُبُ ؟ قلتُ : نعم . قال : أمسِكْ ؛ أربعين بُعِث لها ، وخمسَ عشْرةَ أقام بمكةَ يأمَنُ ويَخافُ ، وعشْرًا مُهاجَرَه بالمدينةِ . وهكذا رَواه مسلمٌ مِن حديثِ يزيدَ بنِ زُرَيْعٍ وشعبةَ بنِ الحجاجِ ، كلاهما عن يونسَ بنِ عُبيدٍ ، عن عمارٍ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا العلاءُ بنُ صالحٍ ، ثنا المِنهالُ بنُ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أن رجلًا أتَى ابنَ عباسٍ فقال : أُنزِل على النبىِّ ﷺ عشْرًا بمكةَ ، وعشْرًا بالمدينةِ ؟ فقال : مَن يقولُ ذلك ؟ لقد أُنزِل عليه بمكةَ خمسَ عشْرةَ ، وبالمدينةِ عشْرًا ؛ خمسًا وستين وأكثرَ . وهذا مِن أفْرادِ أحمدَ إسنادًا ومتنًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا هُشَيمٌ ، ثنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قُبِض النبىُّ ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وستين سنةً . تفرَّد به أحمدُ .

وقد روَى الترمذىُّ فى كتابِ « الشمائلِ » ، وأبو يعلَى المَوصلىُّ ، والبيهقىُّ

---

(١) مسلم (٢٣٥٣/١٢٣) .
(٢) المسند ١/ ٢٩٠.
(٣) مسلم (٢٣٥٣/١٢١) .
(٤) المسند ١/ ٢٣٠. (إسناده صحيح) .
(٥) المسند ١/ ٢١٥. (إسناده صحيح) .

مِن حديثِ قتادةَ ، عن الحسنِ البصريِّ ، عن دَغْفَلِ بنِ حنظلةَ الشيبانيِّ النَّسَّابةِ ، أن النبيَّ ﷺ قُبِض وهو ابنُ خمسٍ وستين[1] . ثم قال الترمذيُّ : دَغْفَلٌ لا يُعْرَفُ له سماعٌ مِن[2] النبيِّ ﷺ ، وقد كان فى زمانِه رجلًا . وقال البيهقيُّ : وهذا [٣/ ٣٥٧ظ] يُوافِقُ روايةَ عمارٍ ومَن تابَعه عن ابنِ عباسٍ ، وروايةُ الجماعةِ عن ابنِ عباسٍ : فى ثلاثٍ وستين . أصَحُّ ، فهم أوثقُ وأكثرُ ، وروايتُهم تُوافِقُ الروايةَ الصحيحةَ عن عُروةَ ، عن عائشةَ وإحدى الروايتين عن أنسٍ ، والروايةَ الصحيحةَ عن مُعاويةَ ، وهى قولُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، وعامرٍ الشعبيِّ ، وأبى جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهم . قلتُ : وعبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ[3] ، والقاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، والحسنِ البصريِّ ، وعليِّ بنِ الحسينِ ، وغيرِ واحدٍ .

ومِن الأقوالِ الغريبةِ ما رَواه خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[4] عن معاذِ بنِ هشامٍ : حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ اثنتين وستين سنةً . ورَواه يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] ، عن محمدِ بنِ المثنَّى ، عن معاذِ بنِ هشامٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، مثلَه . ورَواه زيدٌ العَمِّيُّ ، عن يزيدَ ، عن أنسٍ .

ومِن ذلك ما رَواه محمدُ بنُ عائذٍ ، عن القاسمِ[6] بنِ حُميدٍ ، عن النُّعمانِ بنِ

---

(١) الشمائل (٣٦٦) ، ومسند أبى يعلى (١٥٧٥) ، ودلائل النبوة ٧/ ٢٤٠ ، ٢٤١.

(٢) وقوله : وقد كان فى زمانه رجلا . أى لم يكن صغيرًا فى زمان النبى ﷺ .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « عقبة » . وحديث عبد اللَّه بن عتبة فى مصنف ابن أبى شيبة (١٥٧٣٠) .

(٤) تاريخ خليفة ١/ ٧٠.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣١٤.

(٦) كذا فى النسخ . ولعله : « الهيثم » . فلم نجد من اسمه القاسم بن حميد من شيوخ ابن عائذ ، فلعله الهيثم بن حميد ، فهو من شيوخ ابن عائذ ، ويروى عن النعمان بن المنذر . انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٢٧ ترجمة محمد بن عائذ ، ٢٩/ ٤٦٢ ترجمة النعمان بن المنذر ، ٣٠/ ٣٧٠ ترجمة الهيثم بن حميد . والأثر لم نجده فيما بين أيدينا من مصادر .

المنذرِ الغَسَّانيِّ ، عن مكحولٍ قال : تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ اثنتين وستين سنةً وأشهرٍ .

ورَواه يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بكارٍ ، عن محمدِ بنِ شعيبٍ ، عن النُّعمانِ بنِ المنذرِ ، عن مكحولٍ قال : توفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ اثنتين وستين سنةً ونصفٍ .

وأغربُ مِن ذلك كلِّه ما رَواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن رَوْحٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ قال : نزَل القرآنُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانيَ سنينَ بمكةَ ، وعشْرًا بعدَما هاجَر . فإن كان الحسنُ مِمَّن يقولُ بقولِ الجمهورِ وهو أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أُنْزِل عليه القرآنُ وعمرُه أربعون سنةً ، فقد ذهَب إلى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، عاش ثمانيًا وخمسين سنةً . وهذا غريبٌ جدًّا .

لكن رُوِّينا مِن طريقِ مُسَدَّدٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن الحسنِ أنه قال : توفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ستين سنةً[3] .

وقال خليفةُ بنُ خيَّاطٍ[4] : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن أشعثَ ، عن الحسنِ قال : بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وأربعين ، فأقام بمكةَ عشْرًا ، وبالمدينةِ ثمانيًا ، وتُوُفِّيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين . وهذا بهذه الصفةِ غريبٌ جدًّا .

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣١٤.

(٢) أخرجه خليفة بن خياط فى تاريخه ١/ ١١ ، من طريق سعيد به .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط فى تاريخه ١/ ٦٩ ، من طريق هشام به .

(٤) تاريخ خليفة ١/ ١١.

صفةُ غَسْلِه عليه الصلاةُ والسلامُ

قد قدَّمْنا أنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، اشتَغلوا ببَيْعةِ الصِّدِّيقِ بقيَّةَ يومِ الاثنينِ وبعضَ [٣/ ٣٥٨و] يومِ الثلاثاءِ ، فلمَّا تمهَّدت وتوطَّدت وتمَّت ، شرَعوا بعدَ ذلك فى تَجْهيزِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، مُقْتَدِين فى كلِّ ما أشْكَل عليهم بأبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : فلمَّا بُويِع أبو بكرٍ أقبَل الناسُ على جَهازِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الثلاثاءِ . وقد تقدَّم مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ ودُفِن ليلةَ الأربعاءِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[(٢)] : حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، ثنا أبو بُرْدَةَ ، عن عَلقمةَ بنِ مَرْثَدٍ ، عن سليمانَ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : لمَّا أخَذوا فى غَسْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ناداهم منادٍ مِن الداخلِ [(٣)]أن لا تُجَرِّدوا[(٣)] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قميصَه . ورَواه ابنُ ماجه[(٤)] مِن حديثِ أبى مُعاويةَ ، عن أبى بُرْدةَ ، واسمُه عمرُو بنُ يزيدَ التميمىُّ ، كوفىٌّ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ : حدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه : سمِعْتُ عائشةَ تقولُ : لمَّا أرادوا غَسْلَ النبىِّ ﷺ قالوا : ما ندرى أنُجرِّدُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦٢.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢٤٣/٧ ، من طريق ابن أبى شيبة به .

(٣ - ٣) فى الأصل : «أن تخرجوا» ، وفى الدلائل : «لا تخرجوا» .

(٤) ابن ماجه (١٤٦٦) . منكر (ضعيف سنن ابن ماجه ٣١٧) .

رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن ثيابِه كما نُجَرِّدُ موتانا ، أم نُغَسِّلُه وعليه ثيابُه ؟ فلمَّا اختَلفوا أَلْقَى اللَّهُ عليهم النومَ ، حتى ما منهم رجلٌ[1] إلا وذَقَنُه فى صدرِه ، ثم كلَّمهم مكلِّمٌ مِن ناحيةِ البيتِ لا يدرون مَن هو ، أن غسِّلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ وعليه ثيابُه . فقاموا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فغسَّلوه وعليه قميصٌ ، يصُبُّون الماءَ فوقَ القميصِ فيُدَلِّكونه بالقميصِ دونَ أيديهم ، فكانت عائشةُ تقولُ : لو استقبَلْتُ مِن أمرى ما استَدْبَرْتُ ما غسَّل رسولَ اللَّهِ ﷺ إلا نساؤُه . رَواه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : اجتَمع القومُ لغَسْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وليس فى البيتِ إلا أهلُه ؛ عمُّه العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ ، والفضلُ بنُ عباسٍ ، وقُثَمُ بنُ العباسِ ، وأسامةُ بنُ زيدِ بنِ حارثةَ ، وصالحٌ مولاه ، فلمَّا اجتَمعوا لغَسْلِه نادَى مِن وراءِ البابِ[4] أوسُ بنُ خَوْلىٍّ الأنصارىُّ ، أحدُ بنى عوفِ بنِ الخزرجِ ، وكان بدريًّا ، علىَّ بنَ أبى طالبٍ فقال : يا علىُّ ، نَشَدْتُك[5] اللَّهَ وحظَّنا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال له علىٌّ : ادخُلْ . [٣/٣٥٨ظ] فدخَل ، فحضَر غَسْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم يَلِ مِن غَسْلِه شيئًا ، فأسنَده علىٌّ إلى صدرِه وعليه قميصُه ، وكان العباسُ وفضلٌ وقُثَمٌ يُقَلِّبونه مع علىٍّ ، وكان أسامةُ ابنُ زيدٍ وصالحٌ مولاهما يَصُبَّان الماءَ ، وجعَل علىٌّ يَغْسِلُه ، ولم يَرَ مِن رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى م : « أحد » .

(٢) أبو داود (٣١٤١) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٦٩٣) .

(٣) المسند ١/ ٢٦٠. (إسناده ضعيف) .

(٤) فى النسخ : « الناس » . والمثبت من المسند .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « ننشدك » . وفى ا ٤١ : « ناشدتك » .

ﷺ شيئًا ممَّا يَراه[1] مِن الميِّتِ وهو يقولُ : بأبى وأمى ، ما أطيبَك حيًّا وميِّتًا . حتى إذا فرَغوا مِن غَسْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان يُغَسَّلُ بالماءِ والسِّدرِ ، جفَّفوه ، ثم صُنِع به ما يُصنَعُ بالميِّتِ ، ثم أُدْرِج فى ثلاثةِ أثوابٍ ؛ ثوبين أبيضيْن ، وبُرْدِ حِبَرَةٍ . قال : ثم دعا العباسُ رجلين ، فقال: ليذهَبْ أحدُكما إلى أبى عبيدةَ بنِ الجراحِ - وكان أبو عبيدةَ يَضْرَحُ[2] لأهلِ مكةَ - ولْيذهَبِ الآخرُ إلى أبى طلحةَ بنِ سهلٍ الأنصارىِّ . وكان أبو طلحةَ يَلْحَدُ لأهلِ المدينةِ . قال : ثم قال العباسُ حينَ سرَّحَهما : اللهمَّ خِرْ لرسولِك . قال : فذهَبا فلم يجدْ صاحبُ أبى عبيدةَ أبا عبيدةَ ، ووجَد صاحبُ أبى طلحةَ أبا طلحةَ [3]فجاء به[3] ، فلحَد لرسولِ اللَّهِ ﷺ . انفرَد به أحمدُ .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[4] ، عن المنذرِ بنِ ثعلبةَ[5] ، عن العِلْباءِ بنِ أحمرَ قال : كان علىٌّ والفضلُ يُغسِّلان رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فنُودىَ علىٌّ : ارفَعْ طرْفَك إلى السماءِ . وهذا منقطعٌ .

قلتُ : وقد روَى بعضُ أهلِ السننِ[6] عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « يا علىُّ ، لا تُبْدِ فخِذَك ، ولا تَنظُرْ إلى فخِذِ حىٍّ ولا ميِّتٍ » . وهذا فيه إشعارٌ بأمرِه له فى حقِّ نفسِه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[7] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا محمدُ بنُ

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، م : « يرى » .
(٢) أى : يعمل الضريح ، وهو : القبر ، أو الشق وسطه . المحيط (ض ر ح) .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص . وفى ٤١ : « فجاء » . والمثبت من المسند .
(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٤٤، ٢٤٥ ، عن يونس به .
(٥) بعده فى م : « عن الصلت » .
(٦) أبو داود (٣١٤٠، ٤٠١٥) ، وابن ماجه (١٤٦٠) . ضعيف جدا (ضعيف سنن أبى داود ٦٨٧) .
(٧) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٣، ٢٤٤.

يعقوبَ ، ثنا يحيى بنُ محمدِ بنِ يحيى، ثنا مُسَدَّدٌ[1] ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، ثنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن سعيدِ بنِ المسَيَّبِ قال : قال عليٌّ : غسَّلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فذهَبْتُ أَنظُرُ ما يكونُ مِن الميِّتِ فلم أرَ شيئًا ، وكان طيِّبًا حيًّا وميِّتًا صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم . وقد رَواه أبو داودَ فى « المَراسيلِ » وابنُ ماجه مِن حديثِ معمرٍ به[2] . زاد البيهقيُّ فى روايتِه : قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ : وقد ولِيَ دفنَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أربعَةٌ ؛ عليٌّ ، والعباسُ ، والفضلُ ، وصالحٌ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لحَدوا له لَحْدًا ، ونصَبوا عليه اللَّبِنَ نَصْبًا .

وقد رُوِىَ نحوُ هذا عن جماعةٍ مِن التابعين ، منهم ؛ عامرٌ الشعبيُّ ، ومحمدُ ابنُ قيسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ ، وغيرُهم [٣/ ٣٥٩و] بألفاظٍ مختلفةٍ يطولُ بَسْطُها هـٰهنا .

وقال البيهقيُّ[3] : وروَى [4]أبو عَمْرٍو كَيْسانُ[4] ، عن يزيدَ بنِ بلالٍ ، سمِعْتُ عليًّا يقولُ : أوْصَى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن لا يُغَسِّلَه أحدٌ غيرى ؛ « فإنه لا يَرَى أحدٌ عورَتى إلا طُمِست عيناه » . قال عليٌّ : فكان العباسُ وأسامةُ يُناوِلانى الماءَ مِن وراءِ السِّتْرِ . قال عليٌّ : فما تناوَلْتُ عضوًا إلا كأنما[5] يُقَلِّبُه معى ثلاثون رجلًا ، حتى فرَغْتُ مِن غَسْلِه .

وقد أسنَد هذا الحديثَ الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ فى « مسندِه »[6] ، فقال : حدَّثنا

---

(١) فى النسخ : « ضمرة » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٥٢.

(٢) المراسيل ص ٢٠٩، وابن ماجه (١٤٦٧) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١١٩٨) .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٤.

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « أبو عمرو بن كيسان » ، وفى الدلائل : « أبو عمر بن كيسان » . قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٧: كيسان أبو عمر ، وقيل أبو عمرو . القَصَّار . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٤٢.

(٥) فى م : « كأنه » .

(٦) كشف الأستار (٨٤٨) .

محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ ، ثنا عبدُ الصمدِ بنُ النُّعمانِ ، ثنا كَيْسانُ أبو عمرٍو[1] ، عن يزيدَ بنِ بلالٍ قال : قال عليٌّ : أوْصانى النبىُّ ﷺ أن لا يُغَسِّلَه أحدٌ غيرى ؛ « فإنه لا يرَى أحدٌ عورَتى إلا طُمِست عيناه » . قال عليٌّ : فكان العباسُ وأسامةُ يُناوِلانى الماءَ مِن وراءِ السِّترِ . قلتُ : وهذا غريبٌ جدًّا .

وقال البيهقىُّ[2] : أنبأَنا محمدُ بنُ موسى بنِ الفضلِ ، ثنا أبو العباسِ الأصمُّ ، ثنا أَسِيدُ بنُ عاصمٍ ، ثنا الحسينُ بنُ حفصٍ[3] ، عن سفيانَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ جُرَيْجٍ ، سمِعْتُ محمدَ بنَ علىٍّ أبا جعفرٍ قال : غُسِّل النبىُّ ﷺ بالسِّدْرِ ثلاثًا ، وغُسِّل وعليه قميصٌ ، وغُسِّل مِن بئرٍ كان يقالُ لها : الغَرْسُ[4] . بقُباءٍ كانت لسعدِ بنِ خَيْثمةَ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ منها ، ووَلِىَ غَسْلَه علىٌّ ، والفضلُ مُحْتَضِنُه ، والعباسُ يصُبُّ الماءَ ، فجعَل الفضلُ يقولُ : أرِحْنى قطَعْتَ وَتِينى ، إنى لأجدُ شيئًا يتَرَطَّلُ[5] علىَّ .

وقال الواقدىُّ[6] : ثنا عاصمُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَمىُّ ، عن عمرَ بنِ[7] الحكمِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نعْمَ البئرُ بئرُ غَرْسٍ هى مِن عيونِ الجنةِ ، وماؤُها أطيبُ المياهِ » . وكان رسولُ اللَّهِ يُسْتَعْذَبُ له منها ، وغُسِّل مِن بئرِ غَرْسٍ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ ، عن محمدِ بنِ عَوْنٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ

---

(١) فى كشف الأستار : « أبو عمر » . وانظر ما تقدم فى الصفحة السابقة .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٥.

(٣) فى الدلائل : « جعفر » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٩.

(٤) فى الدلائل : « الغرث » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٨٤.

(٥) فى الدلائل : « يتسطل » . ويترطل : يلين ويسترخى . انظر اللسان (ر ط ل) .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٥٠٤، ٥٠٥، عن الواقدى به .

(٧) بعده فى م ، ص : « عبد » . وهو خطأ . وانظر أسد الغابة ٤/ ١٤٥، والإصابة ٤/ ٥٨٧.

قال : لمَّا فُرِغ مِن القبرِ وصلَّى الناسُ الظهرَ ، أخَذ العباسُ فى غَسْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فضرَب عليه كِلَّةً[1] مِن ثيابِ يَمانيَةٍ صِفاقٍ فى جوفِ البيتِ ، فدخَل الكِلَّةَ ، ودعا عليًّا والفضلَ ، فكان إذا ذهَب إلى الماءِ ليُعاطيَهما دعا أبا سفيانَ بنَ الحارثِ فأدخَله ، ورجالٌ مِن بنى هاشمٍ مِن وراءِ الكِلَّةِ ومَن أُدْخِل مِن الأنصارِ حيث[2] ناشَدوا أبى[3] وسألوه ، منهم أوسُ بنُ خَوْلىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

ثم قال سيفٌ ، عن الضَّحَّاكِ بنِ يَرْبوعٍ [٣/٣٥٩ظ] الحَنَفىِّ ، عن ماهانَ الحنفىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَر ضربَ الكِلَّةِ ، وأن العباسَ أدخَل فيها عليًّا والفضلَ وأبا سفيانَ وأسامةَ ، ورجالٌ مِن بنى هاشمٍ مِن وراءِ الكِلَّةِ فى البيتِ ، فذكَر أنهم أُلْقِىَ عليهم النُّعاسُ ، فسمِعوا قائلًا يقولُ : لا تُغَسِّلوا رسولَ اللَّهِ ؛ فإنه كان طاهرًا . فقال العباسُ : ألَا بلى . وقال أهلُ البيتِ : صدَق ، فلا تُغَسِّلوه . فقال العباسُ : لا ندَعُ سُنَّتَه[4] لصوتٍ لا ندرى ما هو . وغشِيَهم النُّعاسُ ثانيةً فناداهم أن غسِّلوه [5]وعليه[5] ثيابُه . فقال أهلُ البيتِ : ألَا لا . وقال العباسُ : ألا نعم . فشرَعوا فى غَسْلِه وعليه قميصٌ ومِجْوَلٌ مفتوحٌ[6] ، فغسَّلوه بالماءِ القَراحِ[7] ، وطيَّبوه بالكافورِ فى مواضعِ سجودِه ومَفاصلِه ، واعتُصِر قميصُه ومِجْوَلُه ، ثم أُدْرِج فى أكفانِه ، وجمَّروه عُودًا ونَدًّا[8] ، ثم احتَملوه حتى وضَعوه على سَريرِه ، وسجَّوه . وهذا السياقُ فيه غرابةٌ جدًّا .

---

(١) الكلة : ستر مربع يضرب على القبور . انظر النهاية ٤/ ١٩٨.

(٢) فى ا ١١١، ا ٤١: « حين » .

(٣) فى ا ١١١: « إلى على » ، وفى ا ٤١: « عليا » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « سنة » .

(٥ - ٥) فى ا ١١١، ا ٤١: « فى » .

(٦) المجول : قميص يجول فيه لابسه فى البيت . الوسيط (ج و ل) .

(٧) القراح : الخالص .

(٨) الند : ضرب من النبات يتبخر بعوده . الوسيط (ن د د) .

فصلٌ فى صفةِ كَفَنِه عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، ثنا الأوزاعىُّ ، حدَّثنى الزهرىُّ ، عن القاسمِ ، عن عائشةَ قالت : أُدْرِج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثوبِ حِبَرةٍ ثم أُخِذ[2] عنه . قال القاسمُ : إن بقايا ذلك الثوبِ لَعندَنا بعدُ . وهذا الإسنادُ على شرطِ الشيخيْن . وإنما رَواه أبو داودَ ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، والنسائىُّ عن محمدِ بنِ مُثَنَّى ، ومجاهدِ بنِ موسى ، فَرَّقهما[3] ، كلُّهم عن الوليدِ بنِ مسلمٍ به[4] .

وقال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ[5] : ثنا مالكٌ ، عن هشامِ ابنِ عُروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثةِ أثوابٍ بِيضٍ سَحُوليَّةٍ[6] ليس فيها قميصٌ ولا عِمامةٌ . وكذا رَواه البخارىُّ[7] ، عن إسماعيلَ بنِ [8]أبى أُوَيْسٍ[8] ، عن مالكٍ به[9] .

وقال الإمامُ أحمدُ[10] : حدَّثنا سفيانُ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ

---

(١) المسند ٦/ ١٦١.

(٢) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « أخر » . وهو لفظ روايتى أبى داود والنسائى كما سيأتى .

(٣) فى ا ٤١ : « ومن فوقهما » . وفى م : « فروهما » .

(٤) أبو داود (٣١٤٩) ، والنسائى فى الكبرى (٧١١٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٠١) .

(٥) ترتيب مسند الشافعى (٥٧٤) .

(٦) سحولية : يُروى بفتح السين وضمها ؛ فالفتح منسوب إلى السَّحُول وهو القَصَّار - أى المُبَيِّض للثياب - لأنه يَسْحَلُها ؛ أى يَغْسِلُها ، أو إلى سَحُول وهى قرية باليمن . وأما بالضم فهو جمع سَحْل ، وهو الثوب الأبيض النقىّ . انظر النهاية ٢/ ٣٤٧، والوسيط (ق ص ر) .

(٧) البخارى (١٢٧٣) .

(٨ - ٨) فى ا ٤١ : « أبى يونس » ، وفى م : « إدريس » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٢٤.

(٩) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(١٠) المسند ٦/ ٤٠.

قالت[1] : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثةِ أثوابٍ سَحُوليَّةٍ بيضٍ . وأخرَجه مسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيينةَ ، وأخرَجه البخاريُّ ، عن أبى نُعيمٍ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، كلاهما عن هشامِ بنِ عروةَ به[2] .

وقال أبو داودَ[3] : ثنا قُتيبةُ ، ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّن فى ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ يَمانيَةٍ مِن كُرْسُفٍ ليس فيها قميصٌ ولا عِمامةٌ . قال : فذُكِر لعائشةَ قولُهم : فى ثوبيْن وبُرْدِ حِبَرةٍ . فقالت : قد أُتِىَ بالبُرْدِ ، ولكنهم ردُّوه ولم يُكَفِّنوه فيه . وهكذا رَواه مسلمٌ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن حفصِ[4] بنِ غِياثٍ به[5] .

وقال البيهقىُّ[6] : [٣/ ٣٦٠و] أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو الفضلِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا أحمدُ بنُ سَلَمةَ[7] ، ثنا هنَّادُ بنُ السَّرِىِّ ، ثنا أبو مُعاويةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثةِ أثوابٍ بِيضٍ سَحُوليَّةٍ مِن كُرْسُفٍ ليس فيها قميصٌ ولا عِمامةٌ ، فأمَّا الحُلَّةُ فإنما شُبِّهَ على الناسِ فيها ، إنما[8] اشتُرِيَتْ له حُلَّةٌ ؛ ليُكَفَّنَ فيها ، فتُرِكتْ ، فأخَذَها عبدُ اللَّهِ ابنُ أبى بكرٍ فقال : لَأَحْبِسَنَّها لنفسى[9] ؛ حتى أُكَفَّنَ فيها . ثم قال : لو رضِيَها

---

(١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص .
(٢) مسلم (٩٤١/٤٦) ، والبخارى (١٢٧١) .
(٣) أبو داود (٣١٥٢) .
(٤) فى ١١١ ، ٤١ : « جعفر » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٥٦ .
(٥) مسلم (٩٤١/٤٦) .
(٦) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٧ .
(٧) فى الأصل ، م : « مسلم » . وهو خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٧٣ .
(٨) فى ٤١ ، والدلائل : « أنها » .
(٩) سقط من : م .

اللَّهُ لنبيِّه ﷺ لكفَّنه فيها . فباعها وتصَدَّق بثمنِها . رواه مسلمٌ فى « الصحيحِ » ، عن يحيى بنِ يحيى ، وغيرِه ، عن أبى معاويةَ[1] .

ثم رَواه البيهقىُّ[2] ، عن الحاكمِ ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن أبى معاويةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بُرْدِ[3] حِبَرَةٍ كانت[4] لعبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، ولُفَّ فيها[5] ، ثم نُزِعَتْ[6] عنه ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ قد أمسَك تلك الحُلَّةَ لنفسِه ؛ حتى يُكَفَّنَ فيها إذا مات ، ثم قال بعدَ أن أمسَكَها : ما كنتُ أُمسِكُ لنفسى شيئًا منَع اللَّهُ رسولَه ﷺ أن يُكَفَّنَ فيه . فتصَدَّق بثمنِها[7] عبدُ اللَّهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدَّثنا معمرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثةِ أثوابٍ سَحُوليَّةٍ بِيضٍ . ورَواه النسائىُّ[9] ، عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ ، عن عبدِ الرزاقِ .

قال الإمامُ أحمدُ[10] : حدَّثنا مِسكينُ بنُ بُكيرٍ[11] ، عن سعيدٍ ، يعنى ابنَ

---

(١) مسلم (٤٥/٩٤١) .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٧، ٢٤٨. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٧٨.

(٣) فى الدلائل : « بردين » . وفى المستدرك : « بردى » .

(٤) فى الدلائل والمستدرك : « كانا » .

(٥) فى الدلائل والمستدرك : « فيهما » .

(٦) فى الدلائل والمستدرك : « نزعا » .

(٧) فى الدلائل والمستدرك : « بها » .

(٨) المسند ٦/ ٢٣١.

(٩) النسائى (١٨٩٦) . صحيح (صحيح سنن النسائى ١٧٨٩) .

(١٠) المسند ٦/ ٢٦٤.

(١١) فى ١١١، ٤١: « مسكين » ، وفى ص : « بكر » . وانظر أطراف المسند ٩/ ١٥٣.

عبدِ العزيزِ قال[1] : قال مكحولٌ : حدَّثنى[2] عروةُ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّن فى ثلاثةِ[3] رِياطٍ يَمانيَةٍ . انفرَد به أحمدُ .

وقال أبو يَعْلَى الموصلىُّ[4] : ثنا سهلُ بنُ حَبيبٍ الأنصارىُّ ، ثنا عاصمُ بنُ هلالٍ إمامُ مسجدِ أيوبَ ، ثنا أيوبُ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثةِ أثوابٍ بِيضٍ سَحوليَّةٍ .

وقال سفيانُ ، عن عاصمِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّن فى ثلاثةِ أثوابٍ . ووقَع فى بعضِ الرواياتِ[5] : ثوبيْن صُحَارِيَّيْنِ[6] وبُرْدِ حِبَرةٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا ابنُ إدريسَ ، ثنا يزيدُ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّن فى ثلاثةِ أثوابٍ ؛ فى قميصِه الذى مات فيه ، وحُلَّةٍ نَجْرانيَّةٍ ، الحُلَّةُ ثوبان .

ورَواه أبو داود [٣/ ٣٦٠ظ] عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وعثمانَ بنِ أبى شيبةَ ، وابنُ ماجه ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، ثلاثتُهم عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدريسَ ، عن يزيدَ بنِ أبى

---

(١) زيادة من : م . وهى موافقة لما فى أطراف المسند .

(٢) بعده فى ١١١، والمسند : «عن» . وهو خطأ ، انظر أطراف المسند .

(٣) بعده فى م : «أثواب» . والرياط : جمع رَيْطَة ، وهى كلُّ مُلاءةٍ ليست بلِفْقَيْنِ - أى شِقَّتَيْن - وقيل : كل ثوب رقيق لين . انظر النهاية ٢/ ٢٨٩، والوسيط (ل ف ق) .

(٤) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٥/ ١٨٧٣، من طريق أبى يعلى به .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٤، ٢٨٥.

(٦) صحاريين : مثنى صحار ، وهى قرية باليمن نُسب الثوب إليها ، وقيل : هو من الصُّحْرة ، وهى حُمرة خفيَّة كالغُبْرة . يقال : ثوب أصْحَر وصحارِىٌّ . النهاية ٣/ ١٢.

(٧) المسند ١/ ٢٢٢.

زيادٍ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ بِنحوِه[1]. وهذا غريبٌ جدًّا.

وقال الإمامُ أحمدُ[2] أيضًا: حدَّثنا عبدُ الرزاقِ، ثنا سفيانُ، عن ابنِ أبى ليلى، عن الحكمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثوبيْن[3] أبيضيْن، وبُرْدٍ أحمرَ[4]. انفرَد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ.

وقال أبو بكرٍ الشافعىُّ: ثنا علىُّ بنُ الحسنِ، ثنا حُميدُ بنُ الرَّبيعِ، ثنا بكرٌ، يعنى ابنَ عبدِ الرحمنِ، ثنا عيسى، يعنى ابنَ المُخْتارِ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، هو ابنُ أبى ليلى، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن الفضلِ بنِ عباسٍ قال: كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثوبيْن أبيضيْن، وبردٍ أحمرَ[4].

وقال أبو يَعْلى[5]: ثنا سليمانُ الشَّاذَكُونىُّ، ثنا يحيى بنُ أبى الهيثمِ، ثنا عثمانُ بنُ عطاءٍ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ، عن الفضلِ قال: كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثوبيْن أبيضيْن سَحُوليَّيْن. زاد فيه محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليْلى: وبُرْدٍ أحمرَ.

---

(١) أبو داود (٣١٥٣)، وابن ماجه (١٤٧١) وعنده: عن يزيد عن الحكم عن مقسم. ويبدو أن المصنف - رحمه اللَّه - تابع الحافظ المزى فى التحفة ٥/٢٥٠، حيث ذكره فى ترجمة يزيد عن مقسم عن ابن عباس، قال محقق التحفة: هذا الإسناد فى جميع النسخ لابن ماجه هكذا:... عن يزيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس، وذكره المزى فى هذه الترجمة تبعًا لابن عساكر، وكان ينبغى له أن يذكره فى ترجمة الحكم عن مقسم عن ابن عباس. يعنى فى التحفة ٥/ ٢٤٥.

(٢) المسند ١/ ٣١٣. إسناده ضعيف، والحديث حسن. انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب (٢٨٦١).

(٣) فى المسند: «بردين».

(٤) فى م: «حمراء».

(٥) مسند أبى يعلى (٦٧٢٠).

وقد رَواه غيرُ واحدٍ ، عن أبى[1] إسماعيلَ المُؤَدِّبِ ، عن يعقوبَ بنِ عطاءٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، عن الفضلِ[2] قال : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثوبيْن أبيضيْن . وفى روايةٍ[3] : سَحُولِيَّيْنِ[4] . فاللَّهُ أعلمُ .

وروَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[5] مِن طريقِ أبى طاهرٍ المُخَلِّصِ ، ثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ[6] البُهْلولِ ، ثنا عَبَّادُ بنُ يعقوبَ ، ثنا شَريكٌ ، عن أبى إسحاقَ قال : وقَعْتُ على مجلسِ بنى عبدِ المطلبِ وهم مُتوافرون ، فقلتُ لهم : فى كمْ كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قالوا : فى ثلاثةِ أثوابٍ ليس فيها قميصٌ ولا قَباءٌ[7] ولا عِمامةٌ . قلتُ : كم أُسِر منكم يومَ بدرٍ ؟ قالوا : العباسُ ونوفلٌ وعَقيلٌ .

وقد روَى البيهقىُّ[8] مِن طريقِ الزهرىِّ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ زَيْنِ العابدِين أنه قال : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثةِ أثوابٍ ؛ أحدُها بُرْدُ[9] حِبَرَةٍ .

وقد ساقه الحافظُ ابنُ عساكرَ مِن طريقٍ فى صحتِها نظرٌ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال : كَفَّنْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ثوبيْن سَحُوليَّيْن وبُرْدِ حِبَرةٍ .

---

(١) سقط من : م ، ص . وأبو إسماعيل المؤدب هو إبراهيم بن سليمان بن رزين البغدادى . انظر تهذيب الكمال ٢/ ٩٩.

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه ، الإحسان (٣٠٣٥) من طريق أبى إسماعيل المؤدب به ، ولفظه : ثوبين سحوليين . والطبرانى فى الكبير ١٨/٢٧٥ (٦٩٦) ، من طريق أبى إسماعيل أيضا به ، ولفظه : ثوبين سحوليين أبيضين .

(٣) الإحسان (٣٠٣٥) .

(٤) فى الأصل ، ٤١ ، م : « سحولية » . وفى ١١١ ، ص : « وسحولية » . والمثبت من الإحسان .

(٥) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٢/ ٢٨٣ ، من طريق شريك به نحوه .

(٦) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م . وفى ص : « عن » ، وهو خطأ . انظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٧.

(٧) القباء : ثوب يُلْبَس فوق الثياب أو القميص ويُتَمَنْطَق عليه .

(٨) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٨.

(٩) بعده فى الأصل ، م : « حمراء » .

وقد قال أبو سعيدِ بنُ الأعْرابيِّ[1] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ الوليدِ ، ثنا محمدُ بنُ كثيرٍ ، ثنا هشامٌ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ [٣/ ٣٦١و] قال : كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رَيْطَتَيْنِ وبُرْدٍ نَجْرانيٍّ . وكذا رَواه أبو داودَ الطيالسيُّ ، عن هشامٍ ، وعمرانَ القطَّانِ ، عن قتادةَ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ به[2] .

وقد رَواه الربيعُ بنُ سليمانَ ، عن أسدِ بنِ موسى ، ثنا نصرُ بنُ طَريفٍ ، عن قتادةَ ، ثنا ابنُ المسيَّبِ ، عن أمِّ سَلَمةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كُفِّن فى ثلاثةِ أثوابٍ ، أحدُها بُرْدٌ نَجْرانيٌّ .

وقال البيهقيُّ[3] : وفيما رُوِّينا عن عائشةَ بيانُ سببِ الاشْتِباهِ على الناسِ ؛ وأن[4] الحِيَرةَ أُخِّرتْ عنه . واللَّهُ أعلمُ .

ثم روَى الحافظُ البيهقيُّ[5] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ ، ثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرقيُّ ، عن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الرُّؤَاسيِّ ، عن حسنِ بنِ صالحٍ ، عن هارونَ [6]بنِ سعدٍ[6] قال : كان عندَ عليٍّ مِسْكٌ ، فأوْصَى أن يُحَنَّطَ به ، وقال: هو مِن فضلِ حَنوطِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورَواه[7] مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ موسى ، عن حُميدٍ ، عن حسنٍ ، عن هارونَ ، عن أبى وائلٍ ، عن عليٍّ ، فذكَره .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٢/ ٢٨٤، من طرقٍ عن قتادة - منها : هشام عن قتادة - عن سعيد بن المسيب به مرسلًا . وانظر ما يأتى فى الحاشية القادمة .

(٢) أخرجه البزار : كما فى كشف الأستار (٨١٢) ، من طريق أبى داود به . وقال البزار عقبه : لا نعلم رواه هكذا موصولًا إلا أبو داود ، ورواه يزيد بن زريع وغيره عن هشام عن قتادة عن سعيد مرسلا .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٩.

(٤) فى النسخ ، والدلائل : « وأن » . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٣/ ٤٠٠، ٤٠١ باب بيان عائشة رضى اللَّه عنها بسبب الاشتباه على غيرها .

(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٩.

(٦ - ٦) سقط من : ١١١، ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « بن سعيد » . وهو خطأ . والمثبت من الدلائل . انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٨٩.

(٧) أى البيهقى . دلائل النبوة ٧/ ٢٤٩.

فصلٌ فى كيفيَّةِ الصلاةِ عليه ﷺ

وقد تقدَّم[1] الحديثُ الذى رَواه البيهقىُّ مِن حديثِ الأشعثِ بنِ طَليقٍ، والبزَّارُ مِن حديثِ ابنِ[2] الأصْبهانىِّ، كلاهما عن مُرَّةَ، عن ابنِ مسعودٍ فى وصيَّةِ النبىِّ ﷺ أن يُغسِّلَه رجالُ أهلِ بيتِه، وأنه قال: «كفِّنونى فى ثيابى هذه، أو فى يَمَنِيَّةٍ[3] أو بَياضِ مِصْرَ». وأنه إذا كفَّنوه يضَعونه على شَفيرِ قبرِه، ثم يَخْرُجون عنه حتى تُصلِّىَ عليه الملائكةُ، ثم يدْخُلُ عليه رجالُ أهلِ بيتِه فيصلُّون عليه، ثم الناسُ بعدَهم فُرادَى. الحديثَ بتمامِه، وفى صحتِه نظرٌ كما قدَّمْنا. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: حدَّثنى الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا مات رسولُ اللَّهِ ﷺ أُدْخِل الرجالُ، فصلَّوا عليه بغيرِ إمامٍ أرْسالًا[5] حتى فرَغوا، ثم أُدْخِل[6] النساءُ فصلَّيْنَ عليه، ثم أُدْخِل الصبيانُ فصلَّوا عليه، ثم أُدْخِل العبيدُ فصلَّوا عليه أرْسالًا، لم يَؤُمَّهم على رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدٌ.

وقال الواقدىُّ[7]: حدَّثنى أُبَىُّ بنُ عبَّاسِ[8] بنِ سهلِ بنِ سعدٍ، عن أبيه، عن

---

(١) تقدم حديث البيهقى فى صفحة ١٠١ حاشية (٩)، وحديث البزار فى صفحة ١٠٣ حاشية (٢).

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى م: «يمانية».

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٠، من طريق محمد بن إسحاق به.

(٥) أرسالا: جماعة بعد جماعة.

(٦) فى الدلائل: «أدخلوا».

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٠، ٢٥١، من طريق الواقدى به.

(٨) فى م، ص: «عياش». وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٥٩.

جدِّه قال : لمَّا أُدْرِج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أكْفانِه وُضِع على سَريرِه ، ثم وُضِع على شَفيرِ حُفرتِه ، ثم كان الناسُ يدخُلون عليه رُفقاءَ رفقاءَ لا يَؤُمُّهم[1] أحدٌ .

قال الواقدىُّ[2] : حدَّثنى موسى بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ قال : وجَدْتُ كتابًا[3] [٣/ ٣٦١ظ] بخطِّ أبى فيه أنه لمَّا كُفِّن رسولُ اللَّهِ ﷺ ووُضِع على سَريرِه ، دخَل أبو بكرٍ وعمرُ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، ومعهما نفرٌ مِن المهاجرين والأنصارِ بقدرِ ما يسَعُ البيتُ ، فقالا : السلامُ عليك أيُّها النبىُّ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . وسلَّم المهاجرون والأنصارُ كما سلَّم أبو بكرٍ [4]وعمرُ[4] ، ثم صُفُّوا صفوفًا لا يَؤُمُّهم أحدٌ ، فقال أبو بكرٍ وعمرُ وهما فى الصفِّ الأولِ حِيالَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : اللهمَّ إنا نشهَدُ أنه قد بلَّغ ما أُنزِل إليه ، ونصَح لأمَّتِه ، وجاهَد فى سبيلِ اللَّهِ حتى أعزَّ اللَّهُ تعالى دينَه وتمَّت كلمتُه ، وأُومِنَ به وحدَه لا شريكَ له ، فاجعَلْنا إلهَنا مِمَّن يتَّبِعُ القولَ الذى أُنْزِل معه ، واجمعْ بينَنا وبينَه حتى تُعَرِّفَه بنا وتُعَرِّفَنا به ، فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا ، لا نبتغى بالإيمانِ[5] بدلًا ولا نشترى به ثمنًا أبدًا . فيقولُ الناسُ : آمينَ آمينَ . ويخرُجون ويدخُلُ آخرون حتى صلَّى الرجالُ ، ثم النساءُ ، ثم الصبيانُ .

وقد قيل : إنهم صلَّوا عليه مِن بعدِ الزَّوالِ يومَ الاثنينِ إلى مثلِه مِن يومِ الثلاثاءِ . وقيل : إنهم مكَثوا ثلاثةَ أيامٍ يصلُّون عليه . كما سيأتى بيانُ ذلك قريبًا . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « عليه » .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٠، ٢٥١، من طريق الواقدى به .

(٣) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « صحيفة » . وفى الدلائل : « صحيفة كتابا » .

(٤ - ٤) ليس فى الدلائل .

(٥) بعده فى الأصل ، م ، ص : « به » .

وهذا الصنيعُ ، وهو صلاتُهم عليه فُرادَى لم يَؤُمَّهم أحدٌ عليه ، أمرٌ مُجْمَعٌ عليه لا خلافَ فيه ، وقد اختُلف فى تعليلِه ؛ فلو صحَّ الحديثُ الذى أورَدْناه عن ابنِ مسعودٍ لكان نصًّا فى ذلك ، ويكونُ مِن بابِ التعبُّدِ الذى يعسُرُ تعقُّلُ معناه ، وليس لأحدٍ أن يقولَ : (١إنهم إنما صلَّوا عليه كذلك١) ؛ لأنه لم يكُنْ لهم إمامٌ . لأنا قد قدَّمْنا أنهم إنما شرَعوا فى تجهيزِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ تمامِ بَيْعَةِ أبى بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه وأرضاه ، وقد قال بعضُ العلماءِ : إنما لم يَؤُمَّهم أحدٌ ؛ ليُباشرَ كلُّ واحدٍ مِن الناسِ الصَّلاةَ عليه منه إليه ، ولِتُكَرَّرَ صلاةُ المسلمين عليه مرةً بعدَ مرةٍ ، مِن كلِّ فردٍ فردٍ مِن آحادِ الصحابةِ ، رجالُهم ونساؤُهم وصبيانُهم حتى العبيدُ والإماءُ .

وأما السهيلىُّ فقال ما حاصلُه[٢] : إن اللَّهَ قد أخبرَ أنه وملائكتَه يصلُّون عليه ، وأمَر كلَّ واحدٍ مِن المؤمنين (٣أن يُصَلِّىَ عليه ؛ فوَجَبَ على كلِّ أحَدٍ٣) أن يُباشرَ الصلاةَ عليه منه إليه ، والصلاةُ عليه بعدَ موتِه مِن هذا القَبيلِ . قال[٤] : وأيضًا فإن الملائكةَ لنا فى ذلك أئمةٌ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد اختلف المتأخِّرون مِن أصحابِ الشافعىِّ فى مشروعيَّةِ الصلاةِ على قبرِه لغيرِ الصحابةِ[٥] ؛ فقيل : نعم ؛ لأن جسدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، [٣/ ٣٦٢و] طَرِىٌّ فى قبرِه ، لأن اللَّهَ قد حَرَّم على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ ، كما ورَد

(١ - ١) زيادة من : ٤١.

(٢) الروض الأنف ٧/ ٥٨٩.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر المجموع للنووى ٥/ ٢٠٩.

بذلك الحديثُ فى السننِ وغيرِها[1] فهو كالميِّتِ اليومَ . وقال آخرون : لا يَفْعَلُ ؛ لأن السلفَ ممَّن بعدَ الصحابةِ لم يفْعَلوه ، ولو كان مشروعًا لبادَروا إليه ولثابروا عليه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١) ، والنسائى (١٣٧٣) ، وابن ماجه (١٠٨٥) ، وابن حبان : الإحسان (٩١٠) ، وأحمد فى المسند ٤/٨ وغيرهم ، كلهم من حديث أوس بن أوس مرفوعًا . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٢٥) .

فصلٌ فى صفةِ دفنِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وأين دُفِن، [1]وذكرِ الخلافِ فى دفنِه ليلًا كان أم نهارًا[1]

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ الرزاقِ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ، أخبرنى أبى - [3]وهو عبدُ العزيزِ بنُ جُرَيْجٍ[3] - أن أصحابَ النبىِّ ﷺ، لم يَدْروا أين يَقْبُرون النبىَّ ﷺ حتى قال أبو بكرٍ: سمِعْتُ النبىَّ ﷺ يقولُ: «لم[4] يُقْبَرْ نبىٌّ إلَّا حيث يموتُ». فأخَّروا فِراشَه، وحفَروا له تحتَ فِراشِه ﷺ. وهذا فيه انقطاعٌ بينَ عبدِ العزيزِ بنِ جُرَيْجٍ وبينَ الصِّدِّيقِ، فإنه لم يُدْرِكْه.

لكن رواه الحافظُ أبو يَعْلَى مِن حديثِ ابنِ عباسٍ[5] وعائشةَ، عن أبى بكرٍ الصديقِ، رضى اللَّهُ عنهم، فقال[6] : حدَّثنا أبو موسى الهَرَوىُّ، ثنا أبو معاويةَ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ، عن عائشةَ قالت: اخْتَلفوا فى دفنِ النبىِّ ﷺ حينَ قُبِض، فقال أبو بكرٍ: سمِعْتُ النبىَّ ﷺ يقولُ: «لا يُقْبَضُ النبىُّ إلا فى أحبِّ الأمْكنةِ إليه». فقال: ادْفِنوه حيث قُبِض.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) المسند ١/ ٧.

(٣ - ٣) زيادة من النسخ.

(٤) فى المسند: «لن».

(٥) سيسوق المصنف - إن شاء اللَّه - حديث ابن عباس من رواية أبى يعلى، عقب فراغه من ذِكْر أحاديث عائشة.

(٦) مسند أبى يعلى (٤٥).

وهكذا رواه الترمذىُّ[1] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى معاويةَ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ أبى بكرٍ المُلَيْكىِّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عائشةَ قالت : لمَّا قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ اختَلَفوا فى دفنِه ، فقال أبو بكرٍ : سمِعْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا ما نَسِيتُه . قال : « ما قبَض اللَّهُ نبيًّا إلَّا فى الموضعِ الذى يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيه » . ادْفِنوه فى موضعِ فِراشِه . ثم إن الترمذىَّ ضعَّف المُلَيْكىَّ ، ثم قال : وقد رُوِىَ هذا الحديثُ مِن غيرِ هذا الوجهِ ، رواه ابنُ عباسٍ ، عن أبى بكرٍ الصديقِ ، عن النبىِّ ﷺ .

وقال الأمويُّ ، عن أبيه ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن رجلٍ حدَّثه ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن أبا بكرٍ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنه لم يُدْفَنْ نبىٌّ قطُّ إلَّا حيث قُبِض » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنى محمدُ بنُ سهلٍ التميمىُّ ، ثنا هشامُ ابنُ عبدِ الملكِ الطَّيالسىُّ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كان بالمدينةِ حَفَّاران ، فلما مات النبىُّ ﷺ قالوا : أين نَدْفِنُه ؟ فقال أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه : فى المكانِ الذى مات [٣/ ٣٦٢ظ] فيه . وكان أحدُهما يَلْحَدُ والآخرُ يَشُقُّ ، فجاء الذى يَلْحَدُ فلحَد للنبىِّ ﷺ . وقد رواه مالكُ ابنُ أنسٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه منقطعًا[3] .

وقال أبو يَعْلَى[4] : حدثنا جعفرُ بنُ مِهْرانَ ، ثنا عبدُ الأعْلَى ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدثنى حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لما أرادوا

---

(١) الترمذى (١٠١٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٨١٢) .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٤/ ٤٨، من طريق ابن أبى الدنيا به مختصرا ، وابن سعد فى الطبقات ٢/ ٢٩٢، عن هشام بن عبد الملك الطيالسى به مختصرا .

(٣) الموطأ ١/ ٢٣١.

(٤) مسند أبى يعلى (٢٢) بنحوه .

أن يَحْفِروا للنبىِّ ﷺ ، وكان أبو عُبَيدةَ بنُ[1] الجراحِ يَضْرَحُ [2]كحفْرِ أهلِ[2] مكةَ ، وكان أبو طلحةَ زيدُ بنُ سهلٍ هو الذى كان يَحْفِرُ لأهلِ المدينةِ ، وكان يَلْحَدُ ، فدَعا العباسُ رجلين ، فقال لأحدِهما : اذْهَبْ إلى أبى عُبَيدةَ . وللآخرِ : اذْهَبْ إلى أبى طلحةَ . اللهم خِرْ[3] لرسولِك . قال : فوجَد صاحبُ أبى طلحةَ أبا طلحةَ ، فجاء به ، فلحَد لرسولِ اللَّهِ ﷺ . فلما فُرِغ مِن جَهازِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الثلاثاءِ وُضِع على سَريرِه [4]فى بيتِه[4] ، وقد كان المسلمون اخْتَلفوا فى دفنِه ؛ فقال قائلٌ : نَدْفِنُه فى مسجدِه . وقال قائلٌ : ندْفِنُه مع أصحابِه . فقال أبو بكرٍ : إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما قُبِض نبىٌّ إلا دُفِن حيث قُبِض » . فرُفِع فِراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى تُوُفِّىَ فيه فحَفَروا[5] له تحتَه ، ثم أُدْخِل[6] الناسُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ يصلُّون عليه أرْسالًا ؛ الرجالُ ، حتى إذا فُرِغ منهم أُدخِل النساءُ ، حتى إذا فرَغ النساءُ أُدْخِل الصبيانُ ، ولم يَؤُمَّ الناسَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدٌ ، فدُفِن رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أوسطِ الليلِ ليلةَ الأربعاءِ .

وهكذا رواه ابنُ ماجه[7] ، عن نصْرِ بنِ علىٍّ الجَهْضمىِّ ، عن وهبِ بنِ جَريرٍ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، فذكَر بإسنادِه مثلَه . وزاد فى آخرِه : ونزَل فى حُفْرتِه علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، والفضلُ وقُثَمُ ابنا العباسِ ، وشُقْرانُ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال أوسُ بنُ خَوْلىٍّ ، وهو أبو ليلى ، لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ :

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى مسند أبى يعلى : « يحفر لأهل » .

(٣) فى م : « خره » .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى مسند أبى يعلى .

(٥) فى مسند أبى يعلى : « فحفر » .

(٦) فى مسند أبى يعلى : « دعى » .

(٧) ابن ماجه (١٦٢٨) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٥٩) .

أَنشُدُك اللَّهَ وحظَّنا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال له عليٌّ : انْزِلْ . وكان شُقْرانُ مولاه أخَذ قَطيفةً كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُها فدفَنها فى القبرِ ، وقال : واللَّهِ لا يَلْبَسُها أحدٌ بعدَك[1] . فدُفِنت مع رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقد رواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن حسينِ بنِ محمدٍ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، مختصرًا . وكذلك رواه يونسُ بنُ بُكيرٍ وغيرُه عن ابنِ إسحاقَ به[3] .

وروَى الواقدىُّ[4] ، عن ابنِ أبى حَبيبةَ ، عن داودَ بنِ الحصينِ ، عن [٣/ ٣٦٣و] عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أبى بكرٍ الصديقِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : « ما قبَض اللَّهُ نبيًّا إلا دُفِن حيث قُبِض » .

وروَى البيهقىُّ[5] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الحُصينِ[6] أو محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ قال : لمَّا مات رسولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلفوا فى دفنِه ، فقالوا : كيف ندْفِنُه ؛ مع الناسِ أو فى بيوتِه ؟ فقال أبو بكرٍ : إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما قبَض اللَّهُ نبيًّا إلا دُفِن حيث قُبِض » . فدُفِن حيث كان فراشُه ، رُفِع الفراشُ وحُفِر تحتَه .

---

(١) بعده فى سنن ابن ماجه : « أبدًا » .

(٢) المسند ١/ ٢٩٢. (إسناده ضعيف) .

(٣) سقط من : ١١١، ٤١، ص . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٠، ٢٦١، من طريق يونس به . وانظر الحديث أيضًا من رواية زياد البكائى عن ابن إسحاق ، فى سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦٣.

(٤) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣، والبيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦١، كلاهما من طريق الواقدى به .

(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٠، ٢٦١. كما أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٤٩، من طريق محمد بن إسحاق به ، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٤.

(٦) فى الدلائل : « الحسين » . وانظر التاريخ الكبير ١/ ١٥٦، والثقات ٧/ ٤١٣.

وقال الواقدىُّ[1] : حدثنا عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ ، عن عثمانَ بنِ محمدٍ الأخْنَسىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ ، يعنى ابنَ يَرْبوعٍ ، قال : لمَّا تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ اخْتَلفوا فى موضعِ قبرِه ؛ فقال قائلٌ : فى البَقيعِ ، فقد كان يُكْثِرُ الاستغفارَ لهم . وقال قائلٌ : عندَ منبرِه . وقال قائلٌ : فى مُصَلَّاه . فجاء أبو بكرٍ فقال : إن عندى مِن هذا خبرًا وعلمًا ؛ سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما قُبِض نبىٌّ إلا دُفِن حيث تُوُفِّىَ » . قال الحافظُ البيهقىُّ[2] : وهو فى حديثِ يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، وفى حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبيه ، كلاهما عن أبى بكرٍ الصديقِ ، عن النبىِّ ﷺ مرسلًا .

وقال البيهقىُّ[3] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بكيرٍ ، عن سَلَمةَ بنِ نُبَيْطِ بنِ شَريطٍ ، عن أبيه ، عن سالمِ بنِ عُبَيدٍ ، وكان مِن أصحابِ الصُّفَّةِ ، قال : دخَل أبو بكرٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ مات ، ثم خرَج ، فقيل له : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم . فعلِموا أنه كما قال ، وقيل له : أنُصلِّى عليه ؟ وكيف نُصلِّى عليه ؟ قال : تجيئون عُصَبًا عُصَبًا فتصلُّون . فعلِموا أنه كما قال ، قالوا : هل يُدْفَنُ ؟ وأين ؟ قال : حيث قبَض اللَّهُ رُوحَه ، فإنه لم يَقْبِضْ رُوحَه إلَّا فى مكانٍ طيِّبٍ . فعلِموا أنه كما قال .

وروَى البيهقىُّ[4] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : عرَضتْ عائشةُ على أبيها رُؤْيا ، وكان

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦١، من طريق الواقدى به .
(٢) المصدر السابق ٧/ ٢٦١.
(٣) المصدر السابق ٧/ ٢٥٩.
(٤) المصدر السابق ٧/ ٢٦١، ٢٦٢.

مِن أعْبرِ الناسِ، قالت: رأيْتُ ثلاثةَ أقْمارٍ وقَعْن فى حِجْرى. فقال لها: إن صدَقَت رُؤْياك دُفِن فى بيتِك[1] خيرُ أهلِ الأرضِ ثلاثةٌ. فلما قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ قال: يا عائشةُ، هذا خيرُ أقْمارِك. ورواه مالكٌ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن عائشةَ منقطعًا[2].

وفى [٣/٣٦٣ظ] «الصحيحَيْن»[3] عنها أنها قالت: تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ فى بيتى وفى يومى، وبينَ سَحْرِى ونَحْرِى، وجَمَع اللَّهُ بينَ ريقى ورِيقِه فى آخرِ ساعةٍ مِن الدنيا وأولِ ساعةٍ مِن الآخرةِ.

وفى «صحيحِ البخارىِّ»[4] مِن حديثِ أبى عَوانةَ، عن هلالِ الوَزَّانِ[5]، عن عروةَ، عن عائشةَ قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مرضِه الذى مات فيه يقولُ: «لعَن اللَّهُ اليهودَ والنصارَى؛ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ». قالت عائشةُ: ولولا ذلك لأُبْرِزَ قبرُه، غيرَ أنه خَشِىَ أن يُتَّخَذَ مسجدًا.

وقال ابنُ ماجه[6]: حدثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ، ثَنا هاشمُ بنُ القاسمِ، ثنا مباركُ بنُ فَضالةَ، حدثنى حُميدٌ الطويلُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: لمَّا تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، كان بالمدينةِ رجلٌ يَلْحَدُ وآخَرُ[7] يَضْرَحُ، فقالوا: نَسْتخيرُ ربَّنا، ونبْعَثُ إليهما، فأيُّهما سُبِق ترَكْناه. فأُرْسِل إليهما فسَبَق صاحبُ اللَّحْدِ،

---

(١) بعده فى الأصل، ١١١، ٤١، م: «من».
(٢) الموطأ ١/٢٣٢.
(٣) البخارى (٣١٠٠، ٤٤٤٩ - ٤٤٥١، ٥٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٣، ٢٤٤٤)، واللفظ للبخارى، وعنده: «آخر يوم... وأول يوم ...».
(٤) البخارى (١٣٩٠).
(٥) سقط من: ٤١. وفى الأصل، ١١١، م، ص: «الوراق». والمثبت من البخارى ط. الشعب ٢/ ١٢٨. وانظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٢٨، ٣٢٩.
(٦) ابن ماجه (١٥٥٧). حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٦٤).
(٧) فى النسخ: «الآخر». والمثبت من سنن ابن ماجه.

فلحَدوا للنبيِّ ﷺ . تفرد به ابنُ ماجه . وقد رواه الإمامُ أحمدُ عن أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ به[1] .

وقال ابنُ ماجه أيضًا[2] : حدثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ بنِ[3] عَبِيدةَ بنِ زَيْدٍ[4] ، ثنا عُبَيدُ ابنُ طُفَيْلٍ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى مُلَيْكةَ ، حدثنى ابنُ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ قالت : لمَّا مات رسولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلفوا فى اللَّحْدِ والشَّقِّ ، حتى تكلَّموا فى ذلك ، وارتفعت أصواتُهم ، فقال عمرُ : لا تَصْخَبوا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حيًّا ولا ميِّتًا . أو كلمةً نحوَها ، فأرْسَلوا إلى الشَّقَّاقِ واللاحدِ جميعًا ، فجاء اللاحدُ ، فلحَد لرسولِ اللَّهِ ﷺ ثم دُفِن صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم . تفرد به ابنُ ماجه .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا وَكيعٌ ، ثنا العُمَرىُّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، وعن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أُلْحِد له لَحْدٌ . تفرد به أحمدُ مِن هذين الوجهين .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا يحيى عن[7] شعبةَ ، وابنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، حدثنى أبو جَمْرةَ[8] عن ابنِ عباسٍ قال : جُعِل فى قبرِ النبيِّ ﷺ قَطيفةٌ حمراءُ .

---

(١) المسند ٣/ ١٣٩.

(٢) ابن ماجه (١٥٥٨) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٦٥) .

(٣) فى الأصل ، م : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٨٦.

(٤) فى م : « يزيد » .

(٥) المسند ٢/ ٢٤، ٦/ ١٣٦. قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٦/ ٣٤٢: إسناداه صحيحان، بل هو فى الحقيقة حديثان بلفظ واحد؛ عن ابن عمر، وعن عائشة .

(٦) المسند ١/ ٢٢٨.

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « بن » . وهو خطأ . ويحيى هو يحيى بن سعيد القطان . وانظر أطراف المسند ٣/ ٢٨١، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩.

(٨) فى ١١١، م : « حمزة » ، وفى ٤١: « حمرة » . وكلاهما خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٦٢، ٣٦٣.

وقد رواه مسلمٌ والترمذىُّ والنسائىُّ مِن طرقٍ، عن شعبةَ به[1]. وقد رواه وكيعٌ عن شعبةَ[2]. وقال وكيعٌ[3]: كان هذا خاصًّا برسولِ اللَّهِ ﷺ. رواه ابنُ عَساكرَ.

وقال ابنُ سعدٍ[4]: أنبأنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ، ثنا أشعثُ بنُ عبدِ الملكِ الحُمْرانىُّ عن الحسنِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بُسِط تحتَه سَمَلُ[5] قَطيفةٍ حمراءَ كان يَلْبَسُها. قال: و[6]كانت أرضًا نَدِيَّةً.

وقال هُشَيْمٌ[7]، عن[8] منصورٍ، عن الحسنِ قال: جُعِل فى قبرِ النبىِّ ﷺ قَطيفةٌ حمراءُ، كان أصابها يومَ خيبرَ[9]. قال الحسنُ: جعَلها؛ لأن المدينةَ أرضٌ سَبِخةٌ. [10]قال: ففُرِشَتْ تحْتَه[10].

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[11]: ثنا حمادُ بنُ خالدٍ الخَيَّاطُ، عن عُقبةَ بنِ أبى الصَّهْباءِ، سمِعْتُ الحسنَ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «افْرِشوا لى قَطيفتى[12]

---

(١) مسلم (٩٦٧)، والترمذى (١٠٤٨)، والنسائى (٢٠١١).

(٢) أخرج رواية وكيع عن شعبة مسلم (٩٦٧)، وابنُ سعد فى الطبقات ٢/ ٢٩٩.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٢٩٩، عن وكيع.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٩.

(٥) سقط من: م. وفى الأصل: «سماك»، وفى ا ٤: «شمل»، وفى ص: «سهل». والسمل: الخلق البالى من الثياب. انظر النهاية ٢/ ٤٠٣.

(٦) من هنا حتى رقم المخطوطة [٣/ ٣٦٤و] خرم فى الأصل.

(٧) أخرجه البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/ ٥٧٥، من طريق هشيم به.

(٨) فى م، ص: «بن». وهو خطأ. وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٢٣، ٣٠/ ٢٧٢.

(٩) فى ا ١١١، م، ص: «حنين».

(١٠ - ١٠) سقط من: ا ١١١، ا ٤١، م، ص. والمثبت من أنساب الأشراف.

(١١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٩.

(١٢) فى ا ١١١، ا ٤١، م، ص: «قطيفة». والمثبت من الطبقات.

فى لَحْدِى ؛ فإن الأرضَ لم تُسَلَّطْ على أجسادِ الأنبياءِ » .

وروَى الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن حديثِ مُسَدَّدٍ ، ثنا عبدُ الواحدِ ، ثنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : قال علىٌّ : غسَّلْتُ النبىَّ ﷺ ، فذهَبْتُ أنْظُرُ إلى ما يكونُ مِن الميِّتِ ، فلم أرَ شيئًا ، وكان طيِّبًا حيًّا وميِّتًا ﷺ . قال : ووَلِىَ دفنَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وإجْنانَه[2] دونَ الناسِ أربعةٌ ؛ علىٌّ ، والعباسُ ، والفضلُ ، وصالحٌ مولى النبىِّ ﷺ ، ولُحِد للنبىِّ ﷺ لحدٌ ، ونُصِب عليه اللَّبِنُ نَصْبًا .

وذكَر البيهقىُّ[3] عن بعضِهم ، أنه نُصِب على لَحْدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، تسعُ لَبِناتٍ .

وروَى الواقدىُّ[4] ، عن ابنِ أبى سَبْرَةَ ، عن (٥عباسِ بنِ٥) عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ موضوعًا على سَريرِه مِن حينَ زاغت الشمسُ مِن يومِ الاثنينِ إلى أن زاغت الشمسُ يومَ الثلاثاءِ ، يصلِّى الناسُ عليه وسَريرُه على شَفيرِ قبرِه ، فلما أرادوا أن يَقْبُروه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، نحَّوُا السريرَ قِبَلَ رِجْلَيْه ، فأُدْخِل مِن هناك ، ودخَل فى حفرتِه العباسُ وعلىٌّ وقُثَمُ والفضلُ وشُقْرانُ .

وروَى البيهقىُّ[6] مِن حديثِ إسماعيلَ السُّدِّىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) إجنانه : دفنه وستره . النهاية ١/ ٣٠٧.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٥٢.

(٤) رواه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٣، ٢٥٤، من طريق الواقدى به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢١٩.

(٦) دلائل النبوة ٧/ ٢٥٤.

قال : دخَل قبرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ العباسُ وعليٌّ والفضلُ ، وسوَّى لحْدَه رجلٌ مِن الأنصارِ ، وهو الذى سوَّى لحودَ قبورِ الشهداءِ يومَ بدرٍ . قال ابنُ عَساكرَ : صوابُه يومَ أُحدٍ . وقد تقدم[1] روايةُ ابنِ إسحاقَ ، عن حسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان الذين نزَلوا فى قبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : عليٌّ والفضلُ وقُثَمُ وشُقْرانُ . وذكَر الخامسَ ، وهو أوسُ بنُ خَوْليٍّ ، وذكَر قصةَ القَطيفةِ التى وضَعها فى القبرِ شُقْرانُ .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[2] : أخْبَرَنا أبو [3]طاهرٍ الفقيهُ ، أنا أبو[3] طاهرٍ المُحَمَّدَاباذِيُّ[4] ، ثنا أبو قِلابةَ ، ثنا أبو عاصمٍ ، ثنا سفيانُ بنُ سعيدٍ - هو الثوريُّ - عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبيِّ قال : حدثنى أبو مَرْحَبٍ قال : كأنى أنْظُرُ إليهم فى قبرِ النبيِّ ﷺ أربعةً ؛ أحدُهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ . وهكذا رواه أبو داودَ ، عن محمدِ بنِ الصَّبَّاحِ ، عن سفيانَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[5] . ثم رواه عن[6] أحمدَ بنِ يونُسَ ، عن زهيرٍ ، عن إسماعيلَ ، عن الشعبيِّ ، حدَّثنى مَرْحَبٌ [7]أو أبو[7] مَرْحَبٍ ، أنهم أَدْخَلوا معهم عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ ، فلما فرَغ

---

(١) تقدم فى صفحة ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٥٥.

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر الأنساب ٥/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) فى ١١١: «الحميدابادى»، وفى م: «المحمد آبادى»، وفى ص: «الحداباذى»، وفى الدلائل: «المحمدأبادى». والمثبت من الأنساب ٥/ ٢١٦.

(٥) أبو داود (٣٢١٠). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٤٩).

(٦) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٧٥، ١١/ ٣٥٥، ٣٥٦. والحديث رواه أبو داود (٣٢٠٩). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٤٨).

(٧ - ٧) فى ٤١: «وأبو»، وفى ص: «وابن عمى». وكلاهما خطأ. وإنما هو: مرحب، أو: أبو مرحب، أو: ابن أبى مرحب. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٦٤.

عليٌّ قال : إنما يَلِى الرجلَ أهلُه . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، وإسنادُه جيدٌ قوىٌّ ، ولا نعْرِفُه إلا مِن هذا الوجهِ .

وقد قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ فى « استيعابِه »[1] : أبو مَرْحَبٍ اسمُه سُوَيْدُ بنُ قيسٍ . وذكَر أبا مَرْحَبٍ آخَرَ[2] ، وقال : لا أعْرِفُ خبرَه . قال ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[3] : فيَحْتَمِلُ أن يكونَ راوِى هذا الحديثِ أحدَهما أو ثالثًا غيرَهما . وللَّهِ الحمدُ .

[4]ذِكرُ مَن كان[4] آخرَ الناسِ به عهدًا عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا يعقوبُ ، ثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن مِقْسَمٍ أبى القاسمِ مولى عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ ، عن مولاه عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ قال : اعتمرْتُ مع عليٍّ فى زمانِ عمرَ أو زمانِ عثمانَ ، فنزَل على أختِه أمِّ هانىءٍ بنتِ أبى طالبٍ ، فلما فرَغ مِن عمرتِه رجَع ، [6]فسُكِبَ له غُسْلٌ[6] فاغتَسل ، فلما فرَغ مِن غُسْلِه دخَل عليه نفرٌ مِن أهلِ العراقِ فقالوا : يا

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٧٥٥.

(٢) لم نجد ترجمة لأبى مرحب آخر فى الاستيعاب ، فلعله سقط من الطبعة ، فقد ذكره محققه فى فهرس تراجم الكتاب وعزاه إلى نفس الصفحة . وقد ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٢٨٣ وترجمه : أبو مرحب آخر . وعزا هذه الترجمة والكلام عليها لابن عبد البر .

(٣) أسد الغابة ٦/ ٢٨٣.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) المسند ١/ ١٠٠، ١٠١. (إسناده صحيح) .

(٦ - ٦) فى ١١١، ٤١: «فسكب له غسلا»، وفى م، ص: «فسكبت له غسلا». والمثبت من المسند .

أبا حسنٍ ، جئْناك نسألُك عن أمرٍ نُحِبُّ أن تُخْبِرَنا عنه . قال : أظُنُّ المغيرةَ بنَ شُعبةَ يُحَدِّثُكم أنه كان أحْدَثَ الناسِ عهدًا برسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قالوا : أجل ، عن ذلك جئْنا نسألُك . قال : أحْدثُ الناسِ عهدًا برسولِ اللَّهِ ﷺ قُثَمُ بنُ عباسٍ . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . وقد رواه يونُسُ بنُ بكيرٍ عن محمدِ بنِ إسحاقَ به مثلَه سواءً[1] ؛ إلَّا أنه قال قبلَه : عن ابنِ إسحاقَ قال : كان المغيرةُ بنُ شعبةَ يقولُ : أخَذْتُ خاتَمى فألْقَيْتُه فى قبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقلتُ حينَ خرَج القومُ : إن خاتَمى قد سقَط فى القبرِ ، وإنما طرَحْتُه عمْدًا ؛ لأمَسَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأكونَ آخرَ الناسِ عهدًا به .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدثنى والدى إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن مِقْسَمٍ ، عن مولاه[3] عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ قال : اعتمرت مع علىٍّ . فذكَر ما تقدم ، وهذا الذى ذُكِر عن المغيرةِ بنِ شعبةَ ، لا يَقْتَضى أنه حصَل له ما أمَّله ، فإنه قد يكونُ علىٌّ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، لم يُمَكِّنْه مِن النزولِ فى القبرِ ، بل أمَر غيرَه فناوَله إيَّاه ، [٣/ ٣٦٤و] وعلى ما تقدم يكونُ الذى أمَره بمُناولتِه له قُثَمَ بنَ عباسٍ .

وقد قال الواقدىُّ[4] : حدثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ قال : ألْقَى المغيرةُ بنُ شعبةَ خاتَمَه فى قبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [5]فقال علىٌّ : إنما ألْقَيْتَه لتقولَ : نزَلْتُ فى قبرِ النبىِّ ﷺ[5] . فنزَل فأعْطاه ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٧، من طريق يونس بن بكير به .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٧/٢٥٧ ، من طريق ابن إسحاق به . وهو نفس الحديث السابق وإنما جزأ المصنف سياقه .

(٣) فى ا ٤١: « مولى » . وبعده فى م : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٨، من طريق الواقدى به .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

أو أمَر رجلًا فأعْطاه .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا بَهْزٌ وأبو كاملٍ ، قالا : ثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنىِّ ، عن أبى عَسِيبٍ[2] أو أبى عَسِيم[3] ، قال بَهْزٌ : إنه شهِد الصلاةَ على النبىِّ ﷺ . قالوا : كيف نصلِّى عليه[4]؟ قال : ادْخُلوا أرْسالًا أرْسالًا . فكانوا يدْخُلون مِن هذا البابِ ، فيُصلُّون عليه ، ثم يخْرُجون مِن البابِ الآخرِ ، قال : فلما وُضِع فى لَحْدِه ﷺ قال المغيرةُ : قد بَقِىَ مِن رجليه شىءٌ لم يُصْلِحوه . قالوا : فادْخُلْ فأصْلِحْه . فدخَل وأدْخَل يدَه فمَسَّ قدَمَيْه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فقال: أهِيلوا علىَّ الترابَ . فأهالوا عليه حتى بلَغ أنْصافَ ساقَيْه ، ثم خرَج ، فكان يقولُ : أنا أحْدَثُكم عهدًا برسولِ اللَّهِ ﷺ .

متى وقَع دفنُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال يونُسُ عن ابنِ إسحاقَ[5] : حدَّثَتْنى فاطمةُ بنتُ محمدٍ امرأةُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ - وأدْخَلَنى عليها ، [6]قال : حتى تسمعَه منها[6] - عن عَمْرةَ ، عن

---

(١) المسند ٥/ ٨١ .

(٢) فى الأصل : « غيب » . وهو خطأ . وانظر أطراف المسند ٧/ ٣٤.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « غنم » ، وفى ١١١ : « عم » ، وفى ٤١ : « غانم » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٧/ ٣٤.

(٤) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٦، من طريق يونس بن بكير به .

(٦ - ٦) فى الأصل : « حتى تسمعه منا » ، وفى ٤١ ، م : « قال : حتى سمعته منها » . والقائل هو عبد اللَّه بن أبى بكر .

عائشةَ ، أنها قالت : ما عَلِمْنا بدفنِ النبيِّ ﷺ حتى سمِعْنا صوتَ المَساحِي[1] في جوفِ ليلةِ الأربعاءِ .

وقال الواقديُّ[2] : حدثنا ابنُ أبي سَبْرةَ ، عن الحُـلَيْسِ[3] بنِ هاشمٍ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : بينا[5] نحن مجتمعون نبكي لم نَنَمْ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ في بُيُوتِنا ، ونحن نتَسَلَّى برؤيتِه على السريرِ ، إذ سمِعْنا صوتَ الكرَازِينِ[6] في السَّحَرِ . قالت أمُّ سَلَمةَ : فصِحْنا وصاح أهلُ المسجدِ ، فارْتَجَّت المدينةُ صَيْحةً واحدةً ، وأذَّن بلالٌ بالفجرِ ، فلما ذكَر النبيَّ ﷺ بكَى فانْتَحب ، فزادنا حُزْنًا ، وعالج الناسُ الدخولَ إلى قبرِه ، فغُلِق دونَهم ، فيالها مِن مصيبةٍ ! ما أُصِبْنا بعدَها بمُصيبةٍ إلا هانت إذا ذكَرْنا مُصيبتَنا به ﷺ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[7] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ يومَ الاثنين ، ودُفِنَ ليلةَ الأربعاءِ . وقد تقدم مثلُه في غيرِما حديثٍ ، وهو الذى نصَّ عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ سلَفًا وخَلَفًا ، منهم ؛ سليمانُ بنُ طَرْخانَ التَّيْميُّ ، وجعفرُ بنُ محمدٍ

---

(١) في الدلائل : « المسامى » . وهو تصحيف . والمساحى : جمع مِسْحاة ؛ وهى المجرفة من الحديد . النهاية ٤/ ٣٢٨.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٧، من طريق الواقدى به بنحوه .

(٣) فى ا ٤١ : « الحسن » . وفى الدلائل : « الحلبس » . وكلاهما خطأ . وانظر الجرح والتعديل ٣/ ٣١٠، والإكمال ٢/ ٤٩٧، والمغنى للذهبى ١/ ٢٧٧، وميزان الاعتدال ١/ ٥٨٨، ولسان الميزان ٢/ ٣٤٥.

(٤) فى النسخ : « هشام » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) سقط من : الأصل ، ١١١، ٤١، وليس فى الدلائل .

(٦) فى الأصل ، م : « الكرارين » ، وفى ١١١، ص : « الكزارين » . والكرازين : الفئوس . انظر النهاية ٤/ ١٦٢، ١٦٣.

(٧) المسند ٦/ ١١٠.

الصادقُ ، [٣/ ٣٦٤ظ] وابنُ إسحاقَ ، وموسى بنُ عقبةَ ، وغيرُهم .

وقد روَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[١] ، عن عبدِ الحميدِ بنِ[٢] بَكَّارٍ ، عن محمدِ بنِ شعيبٍ ، عن الأَوْزاعيِّ ، أنه قال : تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين[٣] قبلَ أن ينتصفَ النهارُ ، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ .

وهكذا روَى الإمامُ أحمدُ[٤] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قال : أُخْبِرْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مات فى الضُّحَى يومَ الاثنين ، ودُفِن[٥] الغدَ فى الضُّحَى .

وقال سعيدُ بنُ منصورٍ[٦] ، عن الدَّراوَرْدِيِّ ، عن [٧]شَريكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَمِرٍ[٧] ، عن [٨]أبى سَلَمةَ[٨] قال : تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين ، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٦، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٢) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٠٨.

(٣) بعده فى الدلائل : « فى شهر ربيع الأول » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٦، من طريق أحمد بن حنبل به . وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء السيرة النبوية ص ٥٨٢، عن ابن جريج ، وقال : هذا قول شاذ ، وإسناده صحيح .

(٥) بعده فى م : « من » .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٠٥، من طريق شريك به .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « يزيد بن عبد اللَّه بن أبى يمن » . وهو خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٧.

(٨ - ٨) فى م ، ص : « أم سلمة » . وهو خطأ . وأبو سلمة هذا ؛ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . وانظر مصدر التخريج ، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧٠.

وقال ابنُ خُزيمةَ : حدَّثنا سَلْمُ[1] بنُ جُنادةَ[2] ، عن أبيه ، عن عبيدِ[3] اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين ، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ .

وقال الواقدىُّ : حدثنى أُبَىُّ بنُ العباسِ[4] بنِ سهلِ بنِ سعدٍ[5] ، عن أبيه قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين ، ودُفِن ليلةَ الثلاثاءِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا عن محمدِ بنِ سعدٍ[6] : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ يومَ الاثنين لِثِنْتَىْ عشْرةَ ليلةً خلَت مِن ربيعٍ الأولِ ، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أبى الدُّنْيا : ثنا الحسنُ بنُ إسرائيلَ أبو محمدٍ النَّهْرُتِيرىُّ ، ثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ ابنَ أبى أوْفَى يقولُ : مات رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين ، فلم يُدْفَنْ إلَّا يومَ[7] الثلاثاءِ . وهكذا قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وأبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، وأبو جعفرٍ الباقرُ[8] .

---

(١) فى الأصل : « سلمة » ، وفى ١١١، ٤١، م ، ص : « مسلم » . والصحيح ما أثبتناه إن شاء اللّه . وسَلْم ابن جنادة قد روى عنه ابن خزيمة كما فى صحيحه . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) فى م ، ص : « حماد » .

(٣) فى ٤١، م ، ص : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٢٤.

(٤) سقط من : ١١١، ٤١. وفى م : « عياش » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٥٩.

(٥) سقط من : ١١١، ٤١. وفى الأصل : « ربيعة » . وفى م : « سعيد » . وانظر المصدر السابق .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/٢٧٣ من طرق .

(٧) فى الأصل : « ليلة » .

(٨) ذكر ابن سعد فى الطبقات ٢/٢٠٥ قولى سعيد وأبى سلمة ، وذكر البيهقى فى دلائل النبوة ٧/٢٥٦ قول أبى جعفر .

وقال [1] يعقوبُ بنُ سفيانَ : ثنا [1] سعيدُ بنُ منصورٍ ، ثنا سفيانُ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، وعن [2] ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبى جعفرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ يومَ الاثنين ، فلبِث ذلك اليومَ وتلك الليلةَ ويومَ الثلاثاءِ إلى آخرِ النهارِ . فهو قولٌ غريبٌ [3] ، والمشهورُ عن الجُمهورِ ما أسْلَفْناه مِن أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، تُوُفِّىَ يومَ الاثنين ، ودُفِن ليلةَ الأربعاءِ .

ومِن الأقوالِ الغريبةِ فى هذا أيضًا ما رواه يعقوبُ بنُ سفيانَ [4] ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَكَّارٍ ، عن محمدِ بنِ شعيبٍ ، عن النعمانِ [5] ، عن مكحولٍ قال : وُلِدِ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين ، وأُوحِىَ إليه يومَ الاثنين ، وهاجر يومَ الاثنين ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنين لِثِنْتَين وستين سنةً ونصفٍ ، ومكَث ثلاثةَ أيامٍ لا يُدْفَنُ ، يَدْخُلُ عليه الناسُ أرْسالًا أَرْسالًا [6] ، يُصَلُّون لا يُصَفُّون ، ولا يَؤُمُّهم عليه أحدٌ . فقولُه : إنه مكَث ثلاثةَ [٣/ ٣٦٥و] أيامٍ لا يُدْفَنُ . غريبٌ ، والصحيحُ أنه مكَث بقيَّةَ يومِ الاثنين ويومَ الثلاثاءِ بكمالِه ، ودُفِن [7] ليلةَ الأربعاءِ ، كما قدَّمْنا . واللَّهُ أعلمُ .

وضدُّه ما رواه سَيْفٌ ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ

(١ - ١) سقط من : ١١١ ، ٤١ . وفى م : « يعقوب حدثنا سفيان ثنا » ، وفى ص : « يعقوب عن سفيان ثنا » . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٦، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٢) زيادة من : م . حيث توضح الطريق الثانية للحديث عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن محمد بن على أبى جعفر . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٧٤، ١٨/ ٣٣٨، ٢٦/ ١٣٦.

(٣) قال ابن عبد البر : وأما الاختلاف فى وقت دفن رسول الله ﷺ فأكثر الآثار على أنه دُفن يوم الثلاثاء ، وهو قول أكثر أهل الأخبار . واللَّهُ أعلم . الاستذكار ٨/ ٢٩١.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٥٥، من طريق يعقوب بن سفيان به مطولًا .

(٥) فى النسخ : « أبى النعمان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٦١.

(٦) زيادة من : م .

(٧) سقط من : الأصل .

الاثنين ، [1] وغُسِّل يومَ الاثنين [1] ، ودُفِن ليلةَ الثلاثاءِ . قال سيفٌ : وحدثنا يحيى ابنُ سعيدٍ مرةً بجميعِه ، [2] عن عَمْرةَ [2] ، عن عائشةَ مثلَه . وهذا غريبٌ جدًّا .

وقال الواقديُّ [3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن ابنِ [4] أبى عَوْنٍ ، عن أبى عَتيقٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : رُشَّ على قبرِ النبىِّ ﷺ الماءُ رَشًّا ، وكان الذى رشَّه بلالُ بنُ رباحٍ بقِرْبةٍ ، بدَأ مِن قِبَلِ رأسِه مِن شِقِّه الأيمنِ حتى انتهى إلى رجلَيْه ، ثم ضرَب بالماءِ إلى الجدارِ ؛ لم يَقْدِرْ على أن يدورَ مِن الجدارِ .

فصلٌ فى صفةِ قبرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قد عُلِم بالتواترِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، دُفِن فى حُجرةِ عائشةَ التى كانت تخْتَصُّ بها شرقِىَّ مسجدِه فى الزاويةِ الغَرْبيَّةِ القِبْليَّةِ مِن الحُجرةِ ، ثم دُفِن بعدَه فيها أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، رضِىَ اللَّهُ عنهما .

وقد قال البخاريُّ [5] : ثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ ، [6] ثنا عبدُ اللَّهِ [6] ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن سفيانَ التَّمَّارِ ، أنه حدثه أنه رأى قبرَ النبىِّ ﷺ مُسَنَّمًا [7] . تفرد به البخاريُّ .

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٣٤٦/٣١ - ٣٤٩.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٤، من طريق الواقدى به ، وابن سعد فى الطبقات ٣٠٦/٢ به مختصرًا .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) البخارى عقب حديث (١٣٩٠) .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) مسنما : مرتفعا . فتح البارى ٣/ ٢٥٧.

وقال أبو داودَ[1] : ثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، ثنا ابنُ أبى فُدَيْكٍ ، أخبرنى عمرُو بنُ عثمانَ بنِ هانئٍ ، عن القاسمِ قال : دخَلْتُ على عائشةَ ، وقلتُ لها : يا أُمَّهْ ، اكْشِفى لى عن قبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبَيْه ، رضىَ اللَّهُ عنهما . فكشَفَت لى عن ثلاثةِ قبورٍ لا مُشْرِفةٍ ولا لاطِئةٍ[2] ، مَبْطوحةً ببَطْحاءِ العَرْصةِ الحَمْراءِ .

النبىُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم

أبو بكرٍ رضِى اللَّهُ عنه

عمرُ رضِى اللَّهُ عنه

[3]تفرد به أبو داودَ[3] .

وقد رواه الحاكمُ والبيهقىُّ مِن حديثِ ابْنِ أبى فُدَيْكٍ ، عن عمرِو بنِ عثمانَ ، عن القاسمِ[4] قال : فرأَيْتُ النبىَّ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مُقَدَّمًا ، وأبا بكرٍ رأسُه بينَ كَتِفَىِ النبىِّ ﷺ ، وعمرَ رأسُه عندَ رجلِ النبىِّ ﷺ . قال البيهقىُّ : وهذه الروايةُ تدُلُّ على أن قبورَهم مُسَطَّحَةٌ ؛ لأن الحَصْباءَ [٣/ ٣٦٥ظ] لا تثْبُتُ إلا على المُسَطَّحِ . وهذا عجيبٌ مِن البيهقىِّ ، رحِمه اللَّهُ ؛ فإنه ليس فى الروايةِ ذكرُ الحَصْباءِ بالكليَّةِ ، وبتقديرِ ذلك فيُمْكِنُ أن يكونَ مُسَنَّمًا ، وعليه الحَصْباءُ مَغْروزةً بالطينِ ونحوِه .

---

(١) أبو داود (٣٢٢٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٧٠٥) .

(٢) لاطئة : يقال : لَطِئ بالأرض ولَطَأ بها ، إذا لزق . النهاية ٤/ ٢٤٩.

(٣ - ٣) سقط من : ص . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٢٨٣.

(٤) المستدرك (١/٣٦٩) ، ودلائل النبوة ٧/ ٢٦٣. قال الحاكم : صحيح . ووافقه الذهبى .

(١ وقد روَى الواقدىُّ ، عن الدَّراوَرْدىِّ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه قال : جُعِلَ قبرُ النبىِّ ﷺ مُسَطَّحًا ١) .

وقال البخارىُّ[٢] : ثنا فَرْوةُ بنُ أبى المَغْراءِ ، ثنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن هشامِ ابنِ[٣] عروةَ ، عن أبيه قال : لما سقَط عليهم الحائطُ فى زمانِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ أخَذوا فى بنائِه ، فبدَت لهم قدمٌ ففزِعوا ، فظنُّوا أنها قدَمُ النبىِّ ﷺ ، فما وُجِد واحدٌ يعْلَمُ ذلك ، حتى قال لهم عروةُ : لا واللَّهِ ما هى قدمُ النبىِّ ﷺ ، ما هى إلا قدمُ عمرَ .

وعن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ[٤] ، أنها أوْصَت عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ : لا تدْفِنِّى معهم ، وادْفِنِّى مع صَواحِبى بالبَقيعِ ، لا أُزَكَّى به أبدًا .

قلتُ : كان الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ حينَ وَلِىَ الإمارةَ فى سنةِ ستٍّ وثمانين ، قد شرَع فى بناءِ جامعِ دمَشقَ ، وكتَب إلى نائبِه بالمدينةِ ، ابنِ عمِّه عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أن يُوسِّعَ مسجدَ المدينةِ ، فوسَّعه حتى مِن ناحيةِ الشرقِ ، فدخَلتِ الحجرةُ النبويَّةُ فيه .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِه[٥] ، عن زاذانَ مولى الفُرافِصةِ ، وهو الذى بنَى المسجدَ النبوىَّ أيامَ ولايةِ[٦] عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ على المدينةِ ، فذكَر عن

(١ - ١) سقط من : الأصل . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٤، من طريق الواقدى به . وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء السيرة النبوية ص ٥٨٣ بهذا الإسناد ، وقال : هذا ضعيف .

(٢) البخارى عقب حديث (١٣٩٠) .

(٣) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ .

(٤) البخارى (١٣٩١) .

(٥) لم نجده فيما بين أيدينا من تاريخ دمشق المطبوع والمخطوط .

(٦) زيادة من : م .

سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ نحوَ ما ذكَره البخاريُّ، وحكَى صفةَ القبورِ، كما رواه أبو داودَ.

ذكرُ[1] ما أصاب المسلمين مِن المُصيبةِ العظيمةِ[1] بوفاتِه ﷺ

قال البخاريُّ[2]: ثنا سليمانُ بنُ حربٍ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ، ثنا ثابتٌ، عن أنسٍ قال: لما ثَقُل النبيُّ ﷺ جعَل يتَغَشَّاه الكَرْبُ، فقالت فاطمةُ: واكَرْبَ أبتاهُ[3]. فقال لها: «ليس على أبيك كَرْبٌ بعدَ اليومِ». فلما مات قالت: [4]يا أبَتاهْ[4] أجاب ربًّا دعاهْ، يا أبَتاهْ، مَن جنةُ الفِرْدَوْسِ مَأْواهْ، يا أبَتاهْ، إلى جبريلَ ننعاهْ[5]. فلما دُفِن قالت فاطمةُ: يا أنسُ، أطابت أنفسُكم أن تَحْثُوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ الترابَ؟! تفرد به البخاريُّ، رحِمه اللَّهُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدثنا يزيدُ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ، ثنا ثابتٌ البُنانيُّ، قال أنسٌ: فلما دَفَنّا النبيَّ ﷺ[7] قالت فاطمةُ: يا أنسُ، أطابتْ أنفسُكم أن دَفَنْتُم

---

(١) سقط من: م.

(٢) البخارى (٤٤٦٢).

(٣) فى البخارى: «أباه».

(٤ - ٤) فى النسخ: «وا أبتاه»، والمثبت من البخارى.

(٥) فى ص: «فنعاه». قال الحافظ ابن حجر: قيل: الصواب: إلى جبريل نعاه. جزم بذلك سبط بن الجوزى فى «المرآة»، والأول موجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن. فتح البارى ٨/ ١٤٩.

(٦) المسند ٣/ ٢٠٤.

(٧) بعده فى المسند: «ورجعنا».

رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الترابِ ورجَعْتُم ؟! وهكذا رواه ابنُ ماجه مختصرًا مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ [٣/ ٣٦٦و] به[(١)] . وعندَه : قال حمادٌ : فكان ثابتٌ إذا حدَّث بهذا الحديثِ بكَى حتى تختَلِفَ أضْلاعُه . وهذا لا يُعَدُّ نِياحةً بل هو مِن بابِ ذِكْرِ فَضائِلِه الحقِّ ، عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، وإنما قلنا هذا ؛ لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن النِّياحةِ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ والنَّسائىُّ[(٢)] مِن حديثِ شعبةَ ، سمِعْتُ قَتادةَ ، سمِعْتُ مُطَرِّفًا يُحَدِّثُ ، عن حكيمِ بنِ قيسِ بنِ عاصمٍ ، عن أبيه - فيما أَوْصَى به إلى بَنِيه - أنه قال : ولا تَنوحوا علىَّ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُنَحْ عليه . وقد رواه إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضى فى « النَّوادرِ »[(٣)] ، عن عمرِو بنِ مرزوقٍ[(٤)] ، عن شعبةَ به . ثم رواه عن علىِّ بنِ المَدينىِّ ، عن المغيرةِ بنِ سَلَمةَ ، عن الصَّعْقِ بنِ حَزْنٍ ، عن القاسمِ بنِ مُطَيَّبٍ ، عن الحسنِ البصرىِّ ، عن قيسِ بنِ عاصمٍ به قال : لا تَنوحوا علىَّ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُنَحْ عليه ، وقد سمِعْتُه ينْهَى عن النِّياحةِ . ثم رواه عن علىٍّ ، عن محمدِ بنِ الفضلِ ، عن الصَّعْقِ ، عن القاسمِ ، عن يونسَ ابنِ عُبيدٍ ، عن الحسنِ ، عن عاصمٍ به[(٥)] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[(٦)] : ثنا عقبةُ بنُ سِنانٍ ، ثنا عثمانُ بنُ عثمانَ ، ثنا

---

(١) ابن ماجه (١٦٣٠) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٢١) .

(٢) المسند ٥/ ٦١، والنسائى (١٨٥٠) ، واللفظ له . صحيح (صحيح سنن النسائى ١٧٤٧) .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٣٦١) ، من طريق عمرو بن مرزوق ، عن شعبة به مطولًا . حسن الإسناد (صحيح الأدب المفرد ٢٧٧) .

(٤) فى الأصل : « مرون » ، وفى م ، ص : « ميمون » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٤.

(٥) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٩٥٣) ، عن على بن المدينى به مطولًا . حسن لغيره (صحيح الأدب المفرد ٧٣٠) .

(٦) كشف الأستار (٧٩٦) . وقال البزار : « لم نسمعه إلا من عقبة » . وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٤: فيه محمد بن عمرو ، وفيه كلام ، وحديثه حسن .

محمدُ بنُ عمرٍو، عن أبي سَلَمةَ، عن أبي هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُنَحْ عليه.

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: ثنا عفانُ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ، ثنا ثابتٌ، عن أنسٍ قال: لما كان اليومُ الذى قَدِم فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ[2]، أضاء منها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كان اليومُ الذى مات فيه أظْلَم منها كلُّ شيءٍ. قال: وما نفَضْنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الأيْدِيَ حتى أنْكَرْنا قلوبَنا. وهكذا رواه الترمذيُّ وابنُ ماجه جميعًا، عن بشرِ بنِ هلالٍ الصَّوَّافِ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ الضُّبَعيِّ به[3]. وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.

قلتُ: وإسنادُه على شرطِ «الصحيحَيْن»، ومحفوظٌ مِن حديثِ جعفرِ بنِ سليمانَ، وقد أخْرَج له الجماعةُ[4]، رواه الناسُ عنه كذلك.

وقد أغْرَب الكُدَيْميُّ، وهو محمدُ بنُ يونُسَ، رحِمه اللَّهُ، فى روايتِه له حيث قال[5]: ثنا أبو الوليدِ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ الطَّيالسيُّ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ الضُّبَعيُّ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: لما قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ أظْلَمتِ المدينةُ حتى لم يَنْظُرْ بعضُنا إلى بعضٍ، وكان أحدُنا يبْسُطُ يدَه فلا يراها أو لَا يُبْصِرُها، وما فرَغْنا مِن دفنِه حتى [٣/ ٣٦٦ظ] أنْكَرْنا قلوبَنا. رواه البيهقيُّ مِن طريقِه كذلك، وقد رواه مِن طريقِ غيرِه مِن الحفَّاظِ، عن أبى الوليدِ الطَّيالسيِّ، كما قدَّمْنا[6]،

---

(١) المسند ٣/ ٢٦٨.

(٢) زيادة من النسخ، وهو لفظ رواية الترمذى وابن ماجه كما سيأتى تخريجه.

(٣) الترمذى (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦١).

(٤) قال الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٥/ ٥٠: روى له البخارى فى «الأدب»، والباقون.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٥، عن الكديمى به.

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٥، من طريق محمد بن أيوب، عن أبى الوليد الطيالسى به.

وهو المحفوظُ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ[1] مِن طريقِ أبى حفصِ بنِ شاهينَ ، ثنا حسينُ بنُ أحمدَ بنِ بِسْطامَ بالأُبُلَّةِ ، ثنا محمدُ بنُ يزيدَ الرُّوَاسىُّ ، ثنا مسْلَمةُ[2] بنُ عَلْقمةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : لما دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ أضاء منها كلُّ شىءٍ ، فلمَّا كان اليومُ الذى مات فيه أظلم منها كلُّ شىءٍ .

وقال ابنُ ماجه[3] : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، ثنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عطاءٍ العِجْلىُّ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، عن الحسنِ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وإنما وجْهُنا واحدٌ ، فلما قُبِض نظَرْنا هكذا وهكذا .

وقال أيضًا[4] : ثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحِزامىُّ ، ثنا خالى[5] محمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ المطلبِ بنِ السائبِ بنِ أبى وَداعةَ السَّهْمىُّ ، حدثنى موسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أميَّةَ المخزومىُّ ، حدثنى مُصْعبُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أمِّ سَلَمةَ بنتِ أبى أميَّةَ زوجِ النبىِّ ﷺ أنها قالت : كان الناسُ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا قام المصلِّى يصلِّى لم يَعْدُ

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من تاريخ دمشق المطبوع والمخطوط .

(٢) فى م : « سلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٥.

(٣) ابن ماجه (١٦٣٣) قال البوصيرى : هذا إسناد على شرط مسلم إلا أنه منقطع بين الحسن وأبى بن كعب ، يدخل بينهما عُتَىُّ بن ضمرة . مصباح الزجاجة ١/ ٥٤٣، ٥٤٤. قال الألبانى فى « صحيح سنن ابن ماجه ١٣٢٤» : صحيح ، إن كان الحسن سمع من أُبى . قلت : والحسن لم يدرك أُبيًّا ، انظر تهذيب الكمال ٦/ ٩٧، وتحفة الأشراف ١/ ١٢.

(٤) ابن ماجه (١٦٣٤) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٦١) .

(٥) كذا فى النسخ ، وهو الصواب ، ووقع فى سنن ابن ماجه : « خالد بن » وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٣٤.

بصرُ أحدِهم موضعَ قدميْه ، فتُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ[1] ، فكان الناسُ إذا قام أحدُهم يصلِّى لم يَعْدُ بصرُ أحدِهم موضعَ جَبِينِه ، فتُوُفِّىَ أبو بكرٍ ، وكان عمرُ ، فكان الناسُ إذا قام أحدُهم يصلِّى لم يَعْدُ بصرُ أحدِهم موضعَ القِبلةِ ، فتُوُفِّىَ عمرُ وكان عثمانُ ، وكانت الفتنةُ ، فتلَفَّت الناسُ يمينًا وشِمالًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا حمادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن أمَّ أيمنَ بكَت لما قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقيل لها : ما يُبْكيكِ على النبىِّ ﷺ ؟ فقالت : إنى قد علِمْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سيموتُ ، ولكنى إنما أبْكِى على الوحيِ الذى رُفِع عنا . هكذا رواه مختصرًا .

وقد قال البيهقىُّ[3] : أخبرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ نُعيمٍ ومحمدُ بنُ النَّضْرِ الجارودىُّ قالا : ثنا الحسنُ بنُ علىٍّ الحُلْوانىُّ[4] ، ثنا عمرُو بنُ عاصمٍ الكِلابىُّ ، ثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : ذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أمِّ أيمنَ زائرًا ، وذهَبتُ معه ، فقرَّبتْ إليه شَرابًا ، [٣/ ٣٦٧و] فإما كان صائمًا وإما كان لا يريدُه ، فردَّه ، فأقْبَلَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ تُضاحِكُه[5] . فقال أبو بكرٍ بعدَ وفاةِ النبىِّ ﷺ لعمرَ : انطلقْ بنا إلى أمِّ أيمنَ نَزورُها . فلما انْتَهَيْنا إليها بكَت ، فقالا لها : ما يُبْكيكِ ؟ ما عندَ اللَّهِ خيرٌ لرسولِه ﷺ . قالت : واللَّهِ ما أبْكى أن لا أكونَ أعْلَمُ أنَّ ما عندَ اللَّهِ خيرٌ لرسولِه ﷺ ، ولكن أبْكى أنَّ الوحىَ انقطع مِن السماءِ . فهيَّجَتْهما على البُكاءِ فجعلا

---

(١) بعده فى ا ٤، م : « وكان أبو بكر » .

(٢) المسند ٣/ ٢١٢.

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٦.

(٤) فى م : « الخولانى » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٢٦٠.

(٥) فى الدلائل : « تصاحبه » .

يَبْكيانِ . ورواه مسلمٌ مُنفَرِدًا به ، عن زهيرِ بنِ حربٍ ، عن عمرِو بنِ عاصمٍ به[1] .

وقال موسى بنُ عقبةَ فى قصةِ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخُطبةِ أبى بكرٍ فيها ، قال[2] : ورجَع الناسُ حينَ فرَغ أبو بكرٍ مِن الخطبةِ ، وأمُّ أيمنَ قاعدةٌ تَبْكى ، فقيل لها : ما يُبْكيكِ ؟ قد أكْرَم اللَّهُ نبيَّه ﷺ وأدْخَله جَنَّتَه ، وأراحه مِن نَصَبِ الدنيا . فقالت : إنما أبْكى على خبرِ السماءِ ، كان يأتينا غَضًّا جديدًا ، كلَّ يومٍ وليلةٍ ، فقد انقطع ورُفِع ، فعليه أبْكى . فعجِب الناسُ مِن قولِها .

وقد قال مسلمُ بنُ الحجاجِ فى « صحيحِه »[3] : وحُدِّثْتُ عن أبى أسامةَ ، وممن روَى ذلك عنه إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهرىُّ ، ثنا أبو أسامةَ ، حدثنى بُرَيدُ[4] بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إن اللَّهَ إذا أراد رحمةَ أُمَّةٍ مِن عبادِه قبَض نبيَّها قبلَها ، فجعَله لها فَرَطًا[5] وسَلَفًا [6]يَشْهَدُ لها[6] ، وإذا أراد هَلَكةَ أُمَّةٍ عذَّبها ونبيُّها حىٌّ ، فأهْلَكها وهو ينْظُرُ إليها ، فأقَرَّ عينَه بهَلَكَتِها حينَ كذَّبوه وعصَوْا أمْرَه » . تفرد به مسلمٌ إسنادًا ومتنًا .

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[7] : حدَّثنا يوسفُ بنُ موسى ، ثنا [8]عبدُ المجيدِ[8] بنُ عبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ ، عن سفيانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ ، عن

---

(١) مسلم (٢٤٥٤) .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٦، ٢٦٧، عن موسى بن عقبة به .

(٣) مسلم (٢٢٨٨) .

(٤) فى الأصل ، ١١١، م ، ص : « يزيد » .

(٥) الفَرَط : المتقدِّم إلى الشفاعة . انظر النهاية ٣/ ٤٣٤.

(٦ - ٦) فى صحيح مسلم : « بين يديها » .

(٧) كشف الأستار (٨٤٥) . ضعيف (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٧٥) دون قوله فى أوله : « إن لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام » . كما يظهر ذلك من قول المصنف عقب الحديث .

(٨ - ٨) فى م : « عبد الحميد » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٧١.

زاذانَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، هو ابنُ مسعودٍ ، عن النبيِّ ﷺ [1] قال : « إن للَّهِ ملائكةً سَيَّاحِين ، يُبَلِّغونى عن أمتى السلامَ » . قال : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] : « حياتى خيرٌ لكم تُحَدِّثون ويُحَدَّثُ لكم ، [2] ووفاتى خيرٌ لكم [2] تُعْرَضُ علىَّ أعمالُكم ، فما رأيْتُ مِن خيرٍ حمِدْتُ اللَّهَ عليه ، وما رأيْتُ مِن شرٍّ استغْفَرْتُ اللَّهَ لكم » . ثم قال البزارُ : [3] لا نَعْرِفُ آخرَه يُرْوَى عن عبدِ اللَّهِ ، إلا مِن هذا الوجهِ [3] . قلتُ : وأمَّا أولُه ، وهو قولُه عليه الصلاةُ والسلامُ : « إن للَّهِ ملائكةً سَيَّاحين يُبَلِّغونى عن أمتى السلامَ » . فقد رواه النسائىُّ مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن سفيانَ الثورىِّ [4] ، وعن الأعمشِ [5] ، [٣/٣٦٧ظ] كلاهما عن عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ [6] ، به .

وقد قال الإمامُ أحمدُ [7] : حدثنا حسينُ بنُ علىٍّ الجُعْفىُّ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن أبى الأشعثِ [8] الصَّنْعانىِّ ، عن [9] أوسِ بنِ أوسٍ [9] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِن أفضلِ أيامِكم يومُ الجُمُعةِ ، فيه خُلِق آدمُ ، وفيه قُبِض ، وفيه النَّفْخةُ ، وفيه الصَّعْقةُ ، فأكْثِروا علىَّ مِن الصلاةِ فيه ، فإن صلاتَكم مَعْروضةٌ علىَّ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف تُعْرَضُ صلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ يعنى قد

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى كشف الأستار : « لا نعلمه يروى عن عبد اللَّه إلا بهذا الإسناد » .

(٤) النسائى فى المجتبى (١٢٨١) ، وفى الكبرى (١٢٠٥ ، ٨٩٩٤) . صحيح (صحيح سنن النسائى ١٢١٥) .

(٥) النسائى فى الكبرى كما فى التحفة ٧/ ٢١ ، وعزاه إلى كتاب الملائكة ، من السنن الكبرى ، ولم يذكره أبو القاسم ابن عساكر .

(٦) بعده فى م ، ص : « عن أبيه » ، وهو خطأ ، وانظر المصدر السابق .

(٧) المسند ٤/ ٨ .

(٨) فى م : « الأسود » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٠٨ .

(٩ - ٩) كذا فى النسخ . وفى المسند : « أوس بن أبى أوس » . وقد اختلف بين ترجمة أوس بن أوس الثقفى وأوس ابن حذيفة (أبى أوس) هل هما واحد أم اثنان ؟ انظر تفصيل ذلك فى تهذيب التهذيب ١/ ٣٨١ ، ٣٨٢ .

بَلِيتَ . قال : « إن اللَّهَ قد حرَّم على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ عليهم السلامُ » . وهكذا رواه أبو داودَ ، عن هارونَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وعن الحسنِ بنِ عليٍّ ، والنسائيُّ عن إسحاقَ بنِ منصورٍ ، ثلاثتُهم عن حسينِ بنِ عليٍّ به[1] . ورواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن حسينِ بنِ عليٍّ ، عن ابنِ[2] جابرٍ ، عن أبى الأشْعثِ ، عن شَدَّادِ بنِ أوْسٍ ، فذكَره[3] . قال شيخُنا أبو الحَجَّاجِ المِزِّيُّ[4] : وذلك وهمٌ مِن ابنِ ماجه ، والصحيحُ أوسُ بنُ أوسٍ ، وهو الثقفيُّ ، رضِى اللَّهُ عنه .

[5]قلتُ : وهو عندى فى نسخةٍ جيدةٍ مشهورةٍ على الصوابِ كما رواه أحمدُ وأبو داودَ والنسائيُّ : عن أوسِ بنِ أوسٍ[6][5] .

ثم قال ابنُ ماجه[7] : حدَّثنا عمرُو بنُ سَوَّادٍ المصريُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن زيدِ بنِ أيمنَ ، عن عُبادةَ بنِ نُسَيٍّ ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْثِروا الصلاةَ علىَّ يومَ

---

(١) أبو داود (١٠٤٧) ، عن هارون بن عبد اللَّه ، و(١٥٣١) ، عن الحسن بن على ، والنسائى (١٣٧٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٢٥) .

(٢) سقط من : م .

(٣) ابن ماجه (١٠٨٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٨٨٩) .

(٤) تحفة الأشراف ٢/ ٤ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) والشاهد من كلام المصنف - رحمه اللَّه - أن إسناد الحديث عند ابن ماجه فى كتاب الصلاة (١٠٨٥) جاء فيه على الصواب : أوس بن أوس فى نسخة المصنف المشار إليها فى كلامه ، وهى الرواية التى استدركها الحافظ المزى على ابن عساكر فى تحفة الأشراف ، وأما الرواية المذكورة ، عند ابن ماجه فى كتاب الجنائز (١٦٣٦) ، كما فى التحفة ، فهى على الصواب فى نسختى الحافظ المزى والمصنف رحمهما اللَّه . ففى سندها : عن أوس بن أوس . وانظر مصباح الزجاجة ١/ ٣٦١ .

(٧) ابن ماجه (١٦٣٧) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٦٢) .

الجُمُعةِ ، فإنه مَشْهودٌ تَشْهَدُه الملائكةُ ، وإن أحدًا [1]لن يُصَلِّيَ[1] عليَّ إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاتُه حتى يَفْرُغَ منها » . قال : قلتُ : وبعدَ الموتِ ؟ قال : « إن اللَّهَ حرَّم على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ ، عليهم السلامُ ، فنبيُّ اللَّهِ حيٌّ يُرْزَقُ » . وهذا مِن أفرادِ ابنِ ماجه ، رحِمه اللَّهُ .

وقد عقَد الحافظُ ابنُ عساكرَ[2] هـاهنا بابًا فى إيرادِ الأحاديثِ المرويَّةِ فى زيارةِ قبرِه الشريفِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ ، [3]وموضعُ استقصاءِ ذلك فى كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ تعالى[3] .

ذكرُ[4] ما ورَد مِن التعزيةِ به ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال ابنُ ماجه[5] : حدَّثنا الوليدُ بنُ عمرِو بنِ السَّكَيْنِ ، ثنا أبو همامٍ ، وهو محمدُ بنُ الزِّبْرِقانِ الأهْوازيُّ ، ثنا موسى بنُ عُبيدةَ ، ثنا مُصْعَبُ بنُ محمدٍ ، عن أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عائشةَ قالت : فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ بابًا بينَه وبينَ الناسِ ، أو كشَف سِتْرًا ، فإذا الناسُ يصلُّون وراءَ أبى بكرٍ ، فحمِد اللَّهَ على ما رأى مِن حُسْنِ حالِهم ؛ رجاءَ أن يَخْلُفَه اللَّهُ[6] فيهم بالذى رآهم ، فقال : « يا أيُّها

(١ - ١) فى م : « ليصل » .

(٢) سقط من تاريخ دمشق المخطوط والمطبوع ، وهو فى المختصر لابن منظور ٢/٤٠٦ - ٤٠٨ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : م .

(٥) ابن ماجه (١٥٩٩) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٠٠) .

(٦) سقط لفظ الجلالة من النسخ . والمثبت من سنن ابن ماجه . قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى تعليقه على سنن ابن ماجه ٢/ ٥١٠: يخلفه اللَّه : من باب نصر ، إذا كان خليفةً له فيمن بقى بعده ، أى رجاء أن يكون اللَّه خليفة له فى إصلاح حال الأمة ، بالوجه الذى رآهم عليه من الاجتماع على الخير .

الناسُ ، أيما أحدٍ مِن الناسِ أو مِن المؤمنين [٣/ ٣٦٨و] أُصِيب بمُصيبةٍ فلْيَتَعَزَّ بمُصيبتِه بى عن المُصيبةِ التى تُصِيبُه بغيرى ، فإنَّ أحدًا مِن أمتى لن يُصابَ بمُصيبةٍ بعدى أشدَّ عليه مِن مُصِيبتِى » . تفرد به ابنُ ماجه .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[1] : أخبرنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدٍ الفَقيهُ ، ثنا شافعُ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو جعفرِ بنُ سَلَامةَ الطَّحاوىُّ ، ثنا المُزَنىُّ ، ثنا الشافعىُّ ، عن القاسمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، أن رجالًا مِن قريشٍ دخَلوا على أبيه علىِّ بنِ الحسينِ ، فقال : ألا أُحَدِّثُكم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قالوا : بلى . فحدَّثنا عن أبى القاسمِ ، قال : لما مرِض رسولُ اللَّهِ ﷺ أتاه جبريلُ ، فقال : يا محمدُ ، إن اللَّهَ أرْسَلنى إليك ؛ تكريمًا لك وتَشْرِيفًا لك ، وخاصَّةً لك ، أسألُك عما هو أعلمُ به منك ، يقولُ : كيف تجِدُك ؟ قال : « أجِدُنى يا جبريلُ مَغْمومًا ، وأجِدُنى يا جبريلُ مَكْروبًا » . ثم جاءه اليومَ الثانىَ ، فقال له ذلك ، فردَّ عليه النبىُّ ﷺ كما ردَّ أولَ يومٍ ، ثم جاءه اليومَ الثالثَ ، فقال له كما قال أولَ يومٍ ، ورَدَّ عليه [2]كما ردَّ[2] ، وجاء معه ملَكٌ يقالُ له : إسماعيلُ . على مائةِ ألفِ ملَكٍ ، كلُّ ملَكٍ على مائةِ ألفِ ملَكٍ ، فاستَأْذَن عليه ، فسأل عنه ، ثم قال جبريلُ : هذا مَلَكُ الموتِ يسْتَأْذِنُ عليك ، ما استأذن على آدمىٍّ قبلَك ، ولا يستأْذِنُ على آدمىٍّ بعدَك . فقال عليه الصلاةُ والسلامُ : « ائْذَنْ له » . فأذِن له ، فدخَل فسلَّم عليه ، ثم قال : يا محمدُ ، إن اللَّهَ أرْسَلنى إليك ، فإن أمَرْتَنى أن أَقْبِضَ رُوحَك قبَضْتُه ، وإن أمَرْتَنى أن أَتْرُكَه ترَكْتُه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَ تَفْعَلُ يا ملَكَ الموتِ ؟ » قال : نعم . وبذلك أُمِرْتُ ، وأُمِرْتُ أن أُطيعَك . قال :

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢ - ٢) فى ص : « فما يرد » .

فنظَر النبىُّ ﷺ إلى جبريلَ ، فقال له جبريلُ : يا محمدُ ، إن اللَّهَ قد اشتاق إلى لقائِك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لملَكِ الموتِ : « امْضِ لما أُمِرْتَ به » . فقبَض رُوحَه ، فلما تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ وجاءت التعزيةُ سمِعوا صوتًا مِن ناحيةِ البيتِ : السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، إن فى اللَّهِ عزاءً مِن كلِّ مُصيبةٍ ، وخَلَفًا مِن كلِّ هالكٍ ، ودَرَكًا مِن كلِّ فائتٍ ، فباللَّهِ فثِقُوا ، وإياه فارْجُوا ، فإنما المُصابُ مَن حُرِم الثوابَ . فقال علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه : أتدْرُون مَن هذا ؟ هذا الخَضِرُ ، عليه الصلاةُ والسلامُ . وهذا الحديثُ مُرْسَلٌ ، وفى إسنادِه ضعفٌ [٣/ ٣٦٨ظ] بحالِ القاسمِ العُمَرىِّ هذا ، فإنه قد ضعَّفه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، وترَكه بالكليةِ آخرونَ[(١)] . وقد رواه الربيعُ ، عن الشافعىِّ ، عن القاسمِ ، عن جعفرٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، فذكَر منه قصةَ التعزيةِ فقطْ ، موصولًا[(٢)] ، وفى الإسنادِ العُمَرىُّ المذكورُ ، قد نبَّهْنا على أمرِه لئلا يُغْتَرَّ به .

على أنه قد رواه الحافظُ البيهقىُّ[(٣)] ، عن الحاكمِ ، عن أبى جعفرٍ البغدادىِّ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ أو عبدُ الرحمنِ بنُ المُرْتعدِ الصَّنْعانىُّ[(٤)] ، ثنا أبو الوليدِ المخزومىُّ ، ثنا أنسُ بنُ عِياضٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، [(٥)]عن أبيه[(٥)] ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : لما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [(٦)]عزَّتْهم الملائكةُ[(٦)] ، يسمعون الحِسَّ ولا يرَوْن الشخصَ ، فقال : السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، إنَّ فى اللَّهِ

---

(١) انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٧٥ - ٣٧٩.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٦٨، ٢٦٩، من طريق الربيع به .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٩.

(٤) فى م : « الصغانى » .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٤٧ فيمن روى عن جابر .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل .

عَزاءً مِن كلِّ مصيبةٍ ، وخَلَفًا مِن كلِّ فائتٍ ، [1]ودَرَكًا مِن كلِّ هالكٍ[1] ، فباللَّهِ فثِقوا ، وإياه فارْجُوا ، فإنما المحرومُ مَن حُرِم الثوابَ ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . ثم قال البيهقيُّ : هذان الإسْنادان وإن كانا ضعيفَيْن ، فأحدُهما يتأَكَّدُ بالآخرِ ، ويدُلُّ على أنَّ له أصلًا مِن حديثِ جعفرٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقيُّ[2] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ بَالَوَيْهِ ، ثنا محمدُ بنُ بشرِ بنِ مَطَرٍ ، ثنا كاملُ بنُ طلحةَ ، ثنا عَبَّادُ بنُ عبدِ الصمدِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : لما قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ أحْدَق به أصحابُه فبَكَوا حولَه واجتمعوا ، فدخَل رجلٌ أشْهَبُ[3] اللحيةِ جَسيمٌ صَبيحٌ ، فتَخَطَّى رقابَهم فبكَى ، ثم التفت إلى أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : إنَّ فى اللَّهِ عَزاءً مِن كلِّ مُصيبةٍ ، وعِوَضًا مِن كلِّ فائتٍ ، وخَلَفًا مِن كلِّ هالكٍ ، فإلى اللَّهِ فأنِيبوا ، وإليه فارْغَبوا ، ونظَرُه إليكم فى البَلايا فانْظُروا ، فإن المُصابَ مَن لم يَجْبُرْه . فانصرف ، فقال بعضُهم لبعضٍ : تعْرِفون الرجلَ ؟ فقال أبو بكرٍ وعليٌّ : نعم ، هذا أخو رسولِ اللَّهِ ﷺ الخَضِرُ . ثم قال البيهقيُّ : عَبَّادُ بنُ عبدِ الصمدِ ضعيفٌ ، وهذا منكرٌ بمَرَّةٍ .

وقد روَى الحارثُ بنُ أبى أسامةَ ، عن محمدِ بنِ سعدٍ[4] ، أنبأنا هاشمُ[5] بنُ القاسمِ ، ثنا صالحٌ المُرِّىُّ ، عن أبى حازمٍ المَدَنىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ قبَضه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، دخَل المهاجرون فَوْجًا فَوْجًا يُصلُّون عليه ويخرُجون ، ثم دخَلتِ

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٦٩ .

(٣) الشُّهَب : بياض يخلطه سواد . انظر القاموس المحيط (ش هـ ب) .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٢٨٩، عن هاشم بن القاسم به .

(٥) فى م : « هشام » .

الأنصارُ على مثلِ ذلك ، ثم دخَل أهلُ المدينةِ ، حتى إذا [٣/ ٣٦٩و] فرَغتِ الرجالُ دخَلتِ النساءُ ، فكان مِنهنَّ صوتٌ وجَزَعٌ كبعضِ ما يكونُ مِنهنَّ ، فسمِعْن هَدَّةً فى البيتِ ففَرِقْن[1] فسكَتْن ، فإذا قائلٌ يقولُ : إن فى اللَّهِ عزاءً مِن كلِّ هالكٍ ، وعِوَضًا مِن كلِّ مُصيبةٍ ، وخَلَفًا مِن كلِّ فائتٍ ، والمجْبورُ مَن جبَرَه الثوابُ ، والمصابُ مَن لم يَجْبُرْه الثوابُ[2] .

---

(١) فى الأصل ، ص : « فعرفن » ، وفى ا ١١١ : « يعرفن » ، وفى ا ٤١ : « ففزعن » ، وفى م : « يعرفنا » . والمثبت من الطبقات .

(٢) بعده فى ا ٤١ : « فهذه الروايات ليست فيها إلا التعزية فقط وذكر الخضر فيها غريب ، وأغرب منه ذكر الوفاة المتقدم » .

فصلٌ
فيما رُوِىَ مِن معرفةِ أهلِ الكتابِ بيومِ وفاتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[1] : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى[2] خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلىِّ قال : كنتُ باليمنِ ، فلَقِيتُ رجلَين مِن أهلِ اليمنِ ؛ ذا كَلاعٍ وذا عمرٍو ، فجعَلْتُ أُحَدِّثُهما عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقالا لى : إن كان ما تقولُ حقًّا فقد مضَى صاحبُك على أجلِه منذُ ثلاثٍ . قال : فأَقْبَلْتُ وأَقْبَلا معى[3] حتى إذا كنا فى بعضِ الطريقِ رُفِع لنا رَكْبٌ مِن قِبَلِ[4] المدينةِ ، فسأَلْناهم فقالوا : قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واستُخْلِف أبو بكرٍ ، والناسُ صالحون . قال : فقالا لى : أَخْبِرْ صاحبَك أَنَّا قد جئْنا ، ولعلَّنا سنعودُ ، إن شاء اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ . قال : ورجَعا إلى اليمنِ ، فلما أَتَيْتُ أَخْبَرْتُ أبا بكرٍ بحديثِهم ، قال : أفلا جئْتَ بهم . فلما كان بعدُ قال لى ذو عمرٍو : يا جريرُ ، إن بك[5] علىَّ كَرامةً ، وإنى مُخْبِرُك خبرًا ، إنكم ، معشرَ العربِ ، لن تَزالوا بخيرٍ ما كنتُم إذا هلَك أميرٌ تأَمَّرْتُم[6] فى آخرَ ، وإذا كانت

---

(١) المصنف (١٨٨٦٩) .

(٢) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من المصنف .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى م : « لك » . وفى ص : « ذلك » .

(٦) تأمرتم : قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٧٧: بمدّ الهمزة وتخفيف الميم ؛ أى تشاورتم ، أو بالقصر وتشديد الميم ؛ أى أقمتم أميرًا منكم ، عن رضًا منكم أو عهدٍ من الأوّل .

بالسيفِ كنتم ملوكًا تغْضَبون غضَبَ الملوكِ ، وترْضَون رِضا الملوكِ . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ والبخاريُّ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ[1] . وهكذا رواه البيهقيُّ[2] ، عن الحاكمِ ، [3]عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، عن يعقوبَ[3] بنِ سفيانَ عنه .

وقال البيهقيُّ[4] : أنبأنا الحاكمُ ، أنبأنا عليُّ بنُ المؤمِّلِ[5] ، ثنا محمدُ بنُ يونُسَ ، ثنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ الحَضْرميُّ ، ثنا زائدةُ ، عن زيادِ بنِ عِلاقةَ ، عن جريرٍ قال : لَقِيَنى حَبْرٌ باليمنِ ، وقال لى : إن كان صاحبُكم نبيًّا فقد مات يومَ الاثنينِ . هكذا رواه البيهقيُّ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا أبو سعيدٍ ، ثنا زائدةُ ، ثنا زيادُ بنُ عِلاقةَ ، عن جريرٍ قال : قال لى حَبْرٌ باليمنِ : إن كان صاحبُكم نبيًّا فقد مات اليومَ . قال جريرٌ : فمات يومَ الاثنينِ ﷺ .

---

(١) المسند ٤/ ٣٦٣، والبخارى (٤٣٥٩) .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٠.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ ، ولعله الصواب . وفى الدلائل : « أخبرنا أبو عمرو بن أبى جعفر ، قال : أخبرنا الحسن » . فقد ذكر الحافظ المزى فى ترجمة يعقوب فى تهذيب الكمال ٣٢/٣٢٤ رواية عبد اللَّه بن جعفر بن درستويه عنه ، وقد روى يعقوب عن أبى بكر بن أبى شيبة كما فى المعرفة والتاريخ ٣/ ١٣٦، ١٤٢، ١٤٥. وغير موضع ، وقد روى الحاكم عن عبد اللَّه بن جعفر بن درستويه كما ذكر الحافظ الذهبى فى ترجمة الحاكم فى السير ١٧/ ١٦٢، نعم حدَّث الحاكم عن أبى عمرو بن أبى جعفر كما فى ترجمة أبى عمرو فى السير ١٦/ ٣٥٦، وأبو عمرو أيضًا راوى مسند الحسن بن سفيان .

فالظاهر أن الصواب فى هذا الإسناد - كما جاء بالنسخ - : عبد اللَّه بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان . فيعقوب هو المشهور بالرواية فى السيرة ، وعبد اللَّه بن جعفر هو راويته كما صرح بذلك الحافظ الذهبى فى ترجمة عبد اللَّه فى السير ١٥/ ٥٣١. واللَّه تعالى أعلم .

(٤) دلائل النبوة ٧/ ٢٧١.

(٥) فى م : « المتوكل » .

(٦) المسند ٤/ ٣٦٤.

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ المُعَدَّلُ[2] ببغدادَ ، أنبأنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عمرٍو ، ثنا محمدُ بنُ الهيثمِ ، ثنا سعيدُ بنُ كثيرِ[3] بنِ عُفَيْرٍ ، حدثنى عبدُ الحميدِ بنُ كعبِ بنِ عَلْقمةَ بنِ كعبِ بنِ عدىٍّ التَّنوخىُّ[4] ، [٣/ ٣٦٩ظ] عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن ناعمِ بنِ أُجْيَلَ ، عن كعْبِ بنِ عدىٍّ قال : أقْبَلْتُ فى وفدٍ مِن أهلِ الحيرةِ إلى النبىِّ ﷺ ، فعرَض علينا الإسلامَ ، فأسْلَمْنا ، ثم انصرفْنا إلى الحيرةِ ، فلم نلْبَثْ أن جاءتْنا وفاةُ النبىِّ ﷺ ، فارتاب أصحابى ، وقالوا : لو كان نبيًّا لم يَمُتْ . فقلتُ : قد مات الأنبياءُ قبلَه . وثبَتُّ على إسلامى ، ثم خرَجْتُ أُريدُ المدينةَ ، فمرَرْتُ براهبٍ كنا لا نَقْطَعُ أمرًا دونَه ، فقلتُ له : أخبِرْنى عن أمرٍ أرَدْتُه لَقِحَ[5] فى صدرى منه شىءٌ . فقال : ائْتِ [6]باسمٍ مِن الأسماءِ[6] . فأتَيْتُه بكعبٍ ، فقال : ألْقِه فى هذا [7]السِّفْرِ . لسِفْرٍ[7] أخْرَجه ، فألْقَيْتُ الكَعْبَ فيه ، فصفَح فيه[8] ، فإذا بصفةِ النبىِّ ﷺ كما رأيتُه ، وإذا هو يموتُ فى الحينِ الذى مات فيه ، قال : فاشتدَّت بَصيرتى فى إيمانى ، وقدِمْتُ على أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، فأعلمتُه وأقمتُ عنده ، فوجَّهَنى إلى المُقَوْقِسِ فرجَعتُ ، ووجَّهنى أيضا عمرُ ابنُ الخطابِ فقدِمْتُ عليه بكتابِه ، فأتَيْتُه[9] وقعةَ اليَرْموكِ ، ولم أعْلَمْ بها ، فقال

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٧١، ٢٧٢. وقد ذكر الحديث الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٥/ ٦٠١، ٦٠٢، وعزاه للبغوى وابن قانع من طريق محمد بن الهيثم به .

(٢) فى الأصل، ١١١، ص، الدلائل : « العدل » . وهو خطأ، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١١.

(٣) فى م : « أبى كبير » . وهو خطأ، انظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٦.

(٤) بعده فى الدلائل : « عن عمر بن الحارث بن علقمة بن كعب بن عدى التنوخى » .

(٥) فى الأصل، ١١١، ص : « نفح » . وفى ا ٤١ : « نقح » . وفى م : « نفخ » . والمثبت من الدلائل والإصابة . ولقح : هاج . الوسيط (ل ق ح) .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى الدلائل والإصابة : « باسمك من الأشياء » .

(٧ - ٧) فى الدلائل، والإصابة : « الشعر لشعر » . والسفر : الكتاب أو الكتاب الكبير .

(٨) تصفَّح الأمر وصفحه : نظر فيه . اللسان (ص ف ح) .

(٩) بعده فى ا ٤١، م : « وكانت » .

لى : أَعَلِمْتَ أن الرومَ قتَلَت العربَ[1] وهزَمَتْهم ؟ فقلتُ : كلّا . قال : ولِمَ ؟ قلتُ : إن اللَّهَ وعَد نبيَّه ﷺ أن يُظْهِرَه على الدينِ كلِّه ، وليس بمُخْلِفِ الميعادَ . قال : فإن نبيَّكم قد صدَقكم ؛ قُتِلت الرومُ واللَّهِ قَتْلَ عادٍ . قال : ثم سأَلنى عن وجوهِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرْتُه ، فأَهْدَى إلى عمرَ وإليهم . وكان ممن أَهْدَى إليه علىٌّ وعبدُ الرحمنِ والزبيرُ . وأحْسَبُه ذكَر العباسَ ، قال كعبٌ : وكنتُ شَريكًا لعمرَ فى البَزِّ فى الجاهليةِ ، فلما أن فَرَض الدِّيوانَ فَرَض لى فى بنى عدىِّ ابنِ كعبٍ . وهذا أثرٌ غريبٌ ، وفيه نبأٌ عَجيبٌ ، وهو صحيحٌ .

فصلٌ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : ولما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [3]عَظُمَتْ به مصيبةُ المسلمين ، فكانت عائشةُ ، فيما بلغنى ، تقولُ : لما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ[3] ارتدَّتِ العربُ ، واشرَأَبَّت اليهوديَّةُ والنصرانيَّةُ ، ونجَم النِّفاقُ ، وصار المسلمون كالغنمِ المَطِيرةِ فى الليلةِ الشاتيةِ ؛ لفقدِ نبيِّهم ﷺ ، حتى جَمَعهم اللَّهُ على أبى بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . قال ابنُ هشامٍ : وحدثنى أبو عُبَيدةَ وغيرُه مِن أهلِ العلمِ ، أن أكثرَ أهلِ مكةَ لما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ همُّوا بالرجوعِ عن الإسلامِ وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، فتَوارَى ، فقام سُهَيلُ بنُ عمرٍو ، رضِى اللَّهُ عنه ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم ذكَر وفاةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقال : إن ذلك [٣/ ٣٧٠و] لم يَزِدِ الإسلامَ إلا قوةً ، فمَن رابَنا ضرَبْنا عنقَه . فتراجَع الناسُ وكفُّوا

---

(١) فى الدلائل : « العدو » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦٥.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

عما همُّوا به ، فظهَر عَتَّابُ بنُ أَسيدٍ . فهذا المَقامُ الذى أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قولِه لعمرَ بنِ الخطابِ - يعنى حينَ أشار بقَلْعِ ثَنِيَّتَيْه[1] حينَ وقَع فى الأُسارَى يومَ بدرٍ - : « إنه عسَى أن يقومَ مَقامًا لا تَذُمُّه » .

قلتُ : وسيأتى عما قريبٍ إن شاء اللَّهُ ذكرُ ما وقَع بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الرِّدَّةِ فى أحْياءٍ كثيرةٍ مِن العربِ ، وما كان مِن أمرِ مُسَيْلِمةَ بنِ حَبيبٍ المُتَنَبِّئِ باليَمامةِ ، والأسْودِ العَنْسىِّ باليمنِ ، وما كان مِن أمرِ الناسِ ، حتى فاءُوا ورجَعوا إلى اللَّهِ تائبين نازعين عما كانوا عليه فى حالِ رِدَّتِهم مِن السَّفاهةِ والجهلِ العظيمِ الذى اسْتَفَزَّهم الشيطانُ به ، حتى نصَرهم اللَّهُ وثَبَّتَهم ، وردَّهم إلى دينِه الحقِّ على يدَيِ الخليفةِ الصديقِ أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه ، كما سيأتى مبْسوطًا مُبَيَّنًا مشْروحًا ، إن شاء اللَّهُ .

فصلٌ

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ وغيرُه قصائدَ لحسانَ بنِ ثابتٍ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، فى وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومِن أجَلِّ ذلك وأفْصَحِه وأعْظَمِه ، ما رواه عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ[2] ، رحِمه اللَّهُ ، عن أبى زيدٍ الأنْصارىِّ أن حسانَ بنَ ثابتٍ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، قال يَبْكِى رسولَ اللَّهِ ﷺ :

بطَيْبَةَ رَسْمٌ للرسولِ ومَعْهَدُ منيرٌ وقد تَعْفُو الرُّسومُ وتَهْمُدُ[3]

---

(١) فى ا ٤ : « ثنيتى سهيل » . وفى م : « ثنيته » . والثنية : إحدى الأسنان الأربع التى فى مقدَّم الفم ؛ ثنتان من فوق وثنتان من تحت .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٦٦٦ - ٦٦٩ . وانظر ديوان حسان ص ٣٧٧ - ٣٨٠ .

(٣) فى م ، ص : « تمهد » . وتهمد : تبلى . شرح غريب السيرة ٣/ ١٨٠ .

ولا تَمْتَحِى[1] الآياتُ مِن دارِ حُرْمَةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادى الذى كان يَصْعَدُ

وواضحُ آياتٍ[2] وباقى مَعالِمٍ ... ورَبْعٌ[3] له فيه مُصَلًّى ومَسجِدُ

بها حُجُراتٌ كان يَنْزِلُ وَسْطَها ... مِن اللَّهِ نورٌ يُسْتَضاءُ ويُوقَدُ

مَعارِفُ لم تُطْمَسْ على العهدِ آيُها ... أتاها البِلَى فالآىُ منها تَجَدَّدُ[4]

عرَفْتُ بها رسْمَ الرسولِ وعهدَه ... وقبرًا بها واراه فى التُّرْبِ مُلْحِدُ

ظَلِلْتُ بها أَبْكِى الرسولَ فأَسْعَدَتْ ... عيونٌ ومِثْلاها مِن الجَفْنِ[5] تُسْعِدُ

يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرسولِ ولا أَرَى ... لها مُحْصِيًا نفسى فنفسى تَبَلَّدُ[6]

مُفَجَّعَةٌ قد شَفَّها[7] فَقْدُ أحمدٍ ... فظلَّت لِآلاءِ الرسولِ تُعَدِّدُ

وما بلَغَتْ مِن كلِّ أمرٍ عَشيرَه ... ولكنْ لنفسى بَعدُ ما قد تَوَجَّدُ[8]

[٣/ ٣٧٠ظ] أطالتْ وقوفًا تَذْرِفُ العينُ جُهْدَها ... على طَلَلِ[9] القبرِ الذى فيه أحمدُ

فبُورِكْتَ يا قبرَ الرسولِ وبُورِكَتْ ... بِلادٌ ثَوَى فيها الرَّشيدُ المُسَدَّدُ

---

(١) تمتحى : تَمَّحى ، أى يذهب أثرها . انظر اللسان (م ح و) .

(٢) فى السيرة والديوان : «آثار» .

(٣) الربع : الدار . وما حوله . والمنزل . والحى . انظر الوسيط (ر ب ع) .

(٤) تُطمس : تُغيَّر . وآيها : علاماتها . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٨١ . وتجدد : تَتَجَدَّد .

(٥) فى النسخ : «الجن» . والمثبت من السيرة والديوان . وتسعد : تعين . يقال : أسعدت النائحةُ الثَّكلى . أعانتها على البكاء والنَّوْح . انظر الوسيط (س ع د) .

(٦) تبلد : تتحيَّر . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٨١ .

(٧) شفها : أضعفها وبالغ فيها . المصدر السابق .

(٨) العشير : العُشْر . وتوجَّد : من الوجد ، وهو الحزن . انظر المصدر السابق .

(٩) الطلل : ما شخص من الآثار . شرح غريب السيرة ٣/ ١٨١ ، ١٨٢ .

(١ وبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا ... عليه بناءٌ مِن صَفيحٍ مُنَضَّدُ ١)

تُهيلُ عليه التُّرْبَ أيدٍ وأعْيُنٌ ... عليه وقد غارت بذلك أَسْعُدُ

لقد غيَّبوا حِلْمًا وعِلْمًا ورحمةً ... عَشِيَّةَ عَلَّوْه الثَّرَى لا يُوَسَّدُ

وراحوا بحُزنٍ ليس فيهم نبيُّهمْ ... وقد وهَنَتْ منهم ظهورٌ وأعْضُدُ

يُبَكُّون مَن تَبْكِى السماواتُ يومَه ... ومَن قد بَكَتْه الأرضُ فالناسُ أكْمَدُ(٢)

وهل عدَلَتْ يومًا رَزِيَّةُ هالكٍ ... رَزِيَّةَ يومٍ مات فيه مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فيه مُنْزَلُ الوَحْيِ عنهمُ ... وقد كان ذا نورٍ يَغُورُ ويُنْجِدُ(٣)

يدُلُّ على الرحمنِ مَن يَقْتدى به ... ويُنْقِذُ مِن هَوْلِ الخَزايا ويُرْشِدُ

إمامٌ لهم يَهْديهمُ الحقَّ جاهدًا ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ إن يُطِيعوه يَسْعَدوا

عَفُوٌّ عن الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهمْ ... وإن يُحْسِنوا فاللَّهُ بالخيرِ أجْوَدُ

وإن ناب أمْرٌ لم يقوموا بحملِه ... فمِن عندِه تَيْسيرُ ما يَتَشَدَّدُ

فبينا همُ فى نعمةِ اللَّهِ بَيْنَهم(٤) ... دليلٌ به نهْجُ الطَّريقةِ يُقْصَدُ

عزيزٌ عليه أن يَجُوروا عن الهُدَى ... حريصٌ على أن يَسْتَقيموا ويَهْتدوا

عطوفٌ عليهم لا يُثَنِّى جَناحَه ... إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم ويَمْهَدُ(٥)

(١ - ١) سقط من: م، ص. والصفيح: الحجارة العريضة. ومنضد: جُعل بعضُه فوق بعض. شرح غريب السيرة ٣/ ١٨٢.

(٢) أكمد: أحْزَنُ. من الكَمَد؛ وهو الحزن. المصدر السابق.

(٣) يغور: يبلغ الغور، وهو المنخفض من الأرض. وينجد: يبلغ النَّجْد، وهو المرتفع من الأرض. المصدر السابق.

(٤) فى الأصل، ١١١، م، ص: «وسطهم». وهو لفظ إحدى روايات السيرة كما أشار إلى ذلك محققوها.

(٥) الكنف: الناحية. ويمهد: يقال: مَهَدتُ لنفسى ومَهَّدتُ. أى جعلت لها مكانًا وطِيئًا سهلًا. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٨٢، واللسان (م هـ د).

فبينا همُ فى ذلك النورِ إذ غَدا ... إلى نورِهم سهمٌ مِن الموتِ مُقْصِدُ[1]

فأصبح محمودًا إلى اللَّهِ راجعًا ... يُبَكِّيه حَقٌّ[2] المُرْسَلاتِ ويَحْمَدُ

وأمْسَت بلادُ الحُرْمِ[3] وَحْشًا بِقاعُها ... لغَيْبَةِ ما كانت مِن الوحْيِ تَعْهَدُ

قِفارًا سوى معمورةِ اللَّحْدِ ضافها ... فقِيدٌ يُبَكِّيه بَلاطٌ وغَرْقَدُ[4]

ومسجدُه فالمُوحِشاتُ لفقدِه ... خَلاءٌ له فيه[5] مَقامٌ ومَقْعَدُ

وبالجَمرةِ الكُبرى له ثَمَّ أوْحَشَتْ ... دِيارٌ وعَرْصاتٌ[6] ورَبْعٌ ومَوْلِدُ

فبَكِّى رسولَ اللَّهِ يا عينُ عَبْرةً ... ولا أعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُك يَجْمُدُ

[٣/ ٣٧١و] ومالَكِ لا تَبْكين ذا النِّعْمةِ التى ... على الناسِ منها سابغٌ يَتَغَمَّدُ[7]

فجُودى عليه بالدُّموعِ وأعْوِلِى ... لفَقْدِ الذى لا مثلُه الدَّهْرَ يُوجَدُ

وما فقَد الماضون مثلَ محمدٍ ... ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفْقَدُ

أعَفَّ وأوْفَى ذِمَّةً بعدَ ذِمَّةٍ ... وأقربَ منه نائلًا لا يُنَكَّدُ

وأبْذَلَ منه للطَّريفِ وتالِدٍ ... إذا ضنَّ مِعْطاءٌ بما كان يُتْلَدُ[8]

وأَكْرَمَ صِيتًا[9] فى البيوتِ إذا انْتَمى ... وأكْرمَ جَدًّا أبْطَحِيًّا[10] يُسَوَّدُ

---

(١) مقصد: مصيب. شرح غريب السيرة ٣/١٨٢ .

(٢) فى م: «جفن». والمرسلات هنا: الملائكة. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٨٢.

(٣) بلاد الحُرم: مكة وما اتصل بها من الحرم. المصدر السابق.

(٤) ضافها: نزل بها. وبلاط: مُشتَوٍ من الأرض. والغرقد: شجر. المصدر السابق.

(٥) فى الأصل، م، ص: «فيها».

(٦) العرصات: جمع عرصة، وهى ساحة الدار. والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها. انظر الوسيط (ع ر ص).

(٧) سابغ: كثير تام. ويتغمد: يستر. شرح غريب السيرة ٣/ ١٨٢.

(٨) يتلد: يُكْتَسَب قديمًا. المصدر السابق.

(٩) فى م: «حيًا». والصيت: الذكر الحسن فى الناس. شرح غريب السيرة ٣/ ١٨٢.

(١٠) أبطحيًا: منسوب إلى الأبطح بمكة؛ وهو موضع سهل متسع. المصدر السابق.

وأمْنعَ ذِرْواتٍ وأثْبَتَ فى العُلَا ... دعائمَ عِزٍّ شاهقاتٍ تُشَيَّدُ[1]

وأثْبَتَ فَرْعًا فى الفروعِ ومَنْبِتًا ... وعُودًا غذاه المُزْنُ فالعُودُ أغْيَدُ[2]

رَبَاه وَليدًا فاسْتَتَمَّ تَمامُه ... على أكرمِ الخَيْراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ

تناهَتْ وَصاةُ المسلمين بكَفِّه ... فلا العِلمُ مَحْبوسٌ ولا الرأْىُ يُفْنَدُ[3]

أقولُ [4]ولا يُلْفَى لما قلتُ[4] عائِبٌ ... مِن الناسِ إلا عازبُ العقلِ[5] مُبْعَدُ

وليس هوايَ[6] نازعًا عن ثَنائِه ... لعلِّى به فى جَنةِ الخُلْدِ أخْلُدُ

مع المُصْطَفَى أرْجو بذاك جِوارَه ... وفى نَيْلِ ذاك اليومِ أسْعَى وأجْهَدُ

وقال الحافظُ أبو القاسمِ السُّهَيلىُّ فى آخرِ كتابِه «الرَّوْضِ»[7] : وقال أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ يَبْكِى رسولَ اللَّهِ ﷺ :

أرِقْتُ فبات ليلىَ لا يَزولُ ... وليلُ أخى المُصيبةِ فيه طُولُ

وأسْعَدَنى البُكاءُ وذاك فيما ... أُصِيب المسلمون به قليلُ

لقد عَظُمَتْ مُصِيبتُنا وجَلَّت ... عَشِيَّةَ قيل قد قُبِض الرسولُ

وأضْحَتْ أرضُنا ممَّا عَرَاها ... تكادُ بنا جوانبُها تَمِيلُ

فقَدْنا الوَحْىَ والتنزيلَ فينا ... يَرُوحُ به ويغْدُو جِبْرَئِيلُ

---

(١) الذروات : الأعالى . وشاهقات : مرتفعات بعيدات . شرح غريب السيرة ١٨٢/٣ .

(٢) المزن : السحاب . وأغيد : ناعمٌ مُتَثَنٍّ . المصدر السابق .

(٣) يفند : يعاب . المصدر السابق .

(٤ - ٤) فى الأصل : «وما يلقى لما قلت» . وفى ا ٤ : «ولا تلفى لما قلت» . وفى السيرة : «ولا يلقى لقولى» . والمثبت موافق لإحدى روايات السيرة كما أشار إلى ذلك محققوها .

(٥) فى ا ١١، م : «القول» . وعازب العقل : بعيد العقل . المصدر السابق .

(٦) فى م : «هوائى» .

(٧) الروض الأنف ٧/ ٥٩٣، ٥٩٤.

وذاك أحقُّ ما سالتْ عليه نفوسُ الناسِ أو كَرَبَتْ[1] تَسِيلُ
نبيٌّ كان يَجْلُو الشكَّ عنا بما يُوحَى إليه وما يقولُ
ويَهدينا فلا نَخْشَى ضلالًا علينا والرسولُ لنا دَليلُ
[٣/ ٣٧١ظ] أفاطمُ إن جَزِعْتِ فذاك عذرٌ وإن لم تَجْزَعى ذاكَ السبيلُ
فقبرُ أبيكِ سيِّدُ كلِّ قبرٍ وفيه سيِّدُ الناسِ الرسولُ

(١) فى الأصل، ١١١، ٤١، ص: «كادت».

بابُ

بيانِ أن النبيَّ ﷺ لم يترُكْ دينارًا ولا درهمًا ، ولا عبدًا ولا أَمَةً ، ولا شاةً ولا بعيرًا ، ولا شيئًا يُورَثُ عنه ، بل أرضًا جعَلها كلَّها صدقةً للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فإن الدنيا بحَذافيرِها كانت أحْقَرَ عندَه - كما هى عندَ اللَّهِ - مِن أن يَسْعَى لها أو أن يترُكَها بعدَه ميراثًا ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، وعلى إخوانِه مِن النبيين والمرسَلين ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يومِ الدينِ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا قتيبةُ ، ثنا أبو الأحْوَصِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ قال : ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دينارًا ولا درهمًا ، ولا عبدًا ولا أَمَةً ، إلا بغلتَه البيضاءَ التى كان يرْكَبُها ، وسلاحَه ، وأرضًا جعَلَها لابنِ السبيلِ صدقةً . انفرد به البخاريُّ دون مسلمٍ ، فرواه فى أماكنَ مِن « صحيحِه » مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن أبى الأحْوصِ ، وسفيانَ الثوريِّ ، وزهيرِ بنِ معاويةَ ، ورواه الترمذيُّ مِن حديثِ إسرائيلَ ، والنسائيُّ أيضًا مِن حديثِ يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، كلُّهم عن أبى إسحاقَ عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ السَّبيعيِّ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ بنِ المُصْطَلِقِ ابنِ أبى ضِرارٍ - أخى جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارثِ أمِّ المؤمنين ، رضى اللَّهُ عنهما - به[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا أبو معاويةَ ، ثنا الأعمشُ - وابنُ نُمَيْرٍ ، عن

---

(١) البخارى (٤٤٦١) .

(٢) حديث أبى الأحوص عند البخارى فى الموضع السابق ، وحديث سفيان الثورى فى (٢٨٧٣ ، ٣٠٩٨) ، وحديث زهير فى (٢٧٣٩) . وأخرجه الترمذى فى الشمائل (٣٨٢) ، والنسائى (٣٥٩٨) .

(٣) المسند ٦/ ٤٤ .

الأعْمشِ - عن شَقيقٍ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ قالت : ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دينارًا ولا درهمًا ، ولا شاةً ولا بعيرًا ، ولا أوْصَى بشيءٍ . وهكذا رواه مسلمٌ منفردًا به عن البخاريِّ ، وأبو داودَ ، والنسائيُّ ، وابنُ ماجه ، مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعمشِ ، عن شَقيقِ بنِ سَلَمةَ أبى وائلٍ ، عن مسروقِ بنِ الأجْدَعِ ، عن أمِّ المؤمنين عائشةَ[1] الصِّديقةِ بنتِ الصديقِ ، حَبيبةِ حَبيبِ اللَّهِ ، المُبَرَّأةِ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ ، رضِى اللَّهُ عنها وأرضاها .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا إسحاقُ بنُ يوسُفَ ، عن سفيانَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن عائشةَ قالت : ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دينارًا ولا درهمًا ، ولا أمةً ولا عبدًا ، ولا شاةً ولا بعيرًا .

وحدثنا[3] عبدُ الرحمنِ ، عن سفيانَ ، عن عاصِمٍ ، عن زِرٍّ ، عن عائشةَ : ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٧٢و] دينارًا ولا درهمًا ، ولا شاةً ولا بعيرًا . قال سفيانُ : [4]وأكبرُ[5] علمى[4] وأشُكُّ فى العبدِ والأمةِ . وهكذا رواه الترمذيُّ فى « الشَّمائلِ » ، عن بُنْدارٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ به[6] .

قال الإمامُ أحمدُ[7] : وحدثنا وكيعٌ ، ثنا مِسْعَرٌ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجودِ ، عن زِرٍّ ، عن عائشةَ قالت : ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دينارًا ولا درهمًا ، ولا عبدًا

---

(١) مسلم (١٦٣٥) ، وأبو داود (٢٨٦٣) ، والنسائى (٣٦٢٣، ٣٦٢٤) ، وابن ماجه (٢٦٩٥) .
(٢) المسند ٦/ ١٨٥.
(٣) المسند ٦/ ١٨٧.
(٤ - ٤) فى المسند : « علمن » .
(٥) فى الأصل ، م : « أكثر » .
(٦) الشمائل (٣٨٨) . صحيح (مختصر الشمائل ٣٤٢) .
(٧) المسند ٦/ ١٣٦، ١٣٧.

ولا أمةً ، ولا شاةً ولا بعيرًا . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ مِن غيرِ شكٍّ .

وقد رواه البيهقيُّ[1] عن أبى زكريا بنِ أبى إسحاقَ المُزَكِّى ، عن أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ ، أنبأنا جعفرُ بنُ عَوْنٍ ، أنبأنا مِسْعَرٌ ، عن عاصمٍ ، عن زرٍّ قال : قالت عائشةُ : تسألونى عن ميراثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟! ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دينارًا ولا درهمًا ، ولا عبدًا ولا وَليدةً . قال مِسْعَرٌ : أُراه قال : ولا شاةً ولا بعيرًا .

قال[2] : وأنبأنا مِسْعَرٌ ، عن عدىِّ بنِ ثابتٍ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ قال : ما ترَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دينارًا ولا درهمًا ، ولا عبدًا ولا وَليدةً .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسْودِ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اشترى طعامًا مِن يهودىٍّ إلى أجَلٍ ، ورهَنه دِرْعًا مِن حديدٍ .

وفى لفظٍ للبخارىِّ[4] رواه عن قَبيصةَ ، عن الثورىِّ ، عن الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسْودِ ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، قالت : تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ ودرعُه مَرْهونةٌ عندَ يهودىٍّ بثلاثين .

ورواه البيهقىُّ[5] مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ ، عن الثورىِّ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسْودِ ، عنها قالت : تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ ودرعُه مَرْهونةٌ بثلاثين

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٤.

(٢) القائل هو جعفر بن عون . والحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل ٧/٢٧٤ ، من طريق جعفر به .

(٣) البخارى (٢٢٠٠، ٢٥١٣، ٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣) .

(٤) البخارى (٤٤٦٧) .

(٥) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٤.

صاعًا مِن شعيرٍ . ثم قال[1] : رواه البخاريُّ ، عن محمدِ بنِ كثيرٍ ، عن سفيانَ .

ثم قال البيهقيُّ[2] : أنبأنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنبأنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمويهِ[3] العَسْكريُّ ، ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ القَلانِسيُّ ، ثنا آدمُ ، ثنا شَيْبانُ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : لقد [٣/ ٣٧٢ظ] دُعِيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على خُبْزِ شعيرٍ وإهالةٍ سَنِخةٍ . قال أنسٌ : ولقد سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، ما أصْبَح عندَ آلِ محمدٍ صاعُ بُرٍّ ولا صاعُ تمرٍ » . وإن له يومَئذٍ تسعَ نسوةٍ ، ولقد رهَن درعًا له عندَ يهوديٍّ بالمدينةِ ، وأخَذ منه طعامًا ، فما وجَد ما يَفْتَكُّها[4] به حتى مات صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم . وقد روَى ابنُ ماجه بعضَه مِن حديثِ شَيْبانَ ابنِ عبدِ الرحمنِ النَّحْوىِّ ، عن قتادةَ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا ثابتٌ ، ثنا هلالٌ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النبىَّ ﷺ نظَر إلى أُحُدٍ ، فقال : « والذى نفسى[7] بيدِه ما يَسُرُّنى أنَّ[8] أُحُدًا لآلِ محمدٍ ذهبًا أُنْفِقُه فى سبيلِ اللَّهِ ، أموتُ يومَ أموتُ وعندى منه ديناران إلا أن أُرْصِدَهما[9] لِدَيْنٍ » . قال : فمات فما ترَك دينارًا ولا

---

(١) أى البيهقى . دلائل النبوة ٧/ ٢٧٥. ورواية البخارى التى ذكرها ؛ فى الصحيح (٢٩١٦) .
(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٥.
(٣) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « حمويه » .
(٤) فى ٤١ : « يفكها » .
(٥) أخرجه ابن ماجه من حديث هشام الدستوائى عن قتادة به (٢٤٣٧) ، وليس كما ذكر المصنف - رحمه اللَّه - من حديث شيبان ، وانظر تحفة الأشراف ١/٣٣٦ - ٣٣٩، ٣٤٩. وأما من حديث شيبان عن قتادة ، فقد أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٢٣٨، وأبو يعلى فى مسنده (٣٠٦١) ، وابن حبان كما فى الإحسان (٥٩٣٧) . وقال الشيخ شعيب : إسناده صحيح .
(٦) المسند ١/٣٠١ (إسناده صحيح) .
(٧) فى المسند : « نفس محمد » .
(٨) سقط من : م .
(٩) فى المسند : « أعدهما » .

درهمًا ، ولا عبدًا ولا وَليدةً ، وترَك درعَه رَهْنًا عندَ يهوديٍّ بثلاثين صاعًا مِن شعيرٍ . وقد روَى آخرَه ابنُ ماجه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ معاويةَ الجُمَحيِّ ، عن ثابتِ بنِ يزيدَ ، عن هلالِ بنِ خَبَّابٍ العَبْديِّ الكوفيِّ به[1] . ولأولِه شاهدٌ فى « الصحيحِ » مِن حديثِ أبى ذَرٍّ[2] ، رضى اللَّهُ عنه .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا عبدُ الصمدِ وأبو سعيدٍ وعفانُ ، قالوا : حدثنا ثابتٌ ، هو ابنُ يزيدَ ، ثنا هلالٌ ، هو ابنُ خَبَّابٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النبيَّ ﷺ ، دخَل عليه عمرُ وهو على حَصيرٍ قد أثَّر فى جَنْبِه ، فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، لو اتَّخَذْتَ فِراشًا أوْثَرَ مِن هذا . فقال : « مالى وللدنيا ، ما مَثَلى ومَثَلُ الدنيا إلا كراكبٍ سار فى يومٍ صائفٍ ، فاستَظَلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً مِن نهارٍ ، ثم راح وترَكها » . تفرد به أحمدُ ، وإسنادُه جيدٌ ، وله شاهدٌ مِن حديثِ ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ[4] ، فى المرأتَيْنِ اللتين تَظاهَرتا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقصةِ الإيلاءِ . وسيأتى الحديثُ مع غيرِه مما شاكَله فى بيانِ زُهدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وتركِه الدنيا ، وإعراضِه عنها ، واطِّراحِه لها ، وهو مما يدُلُّ على ما قلْناه مِن أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لم تَكُنِ الدنيا عندَه ببالٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا سفيانُ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ رُفَيْعٍ قال : دخَلْتُ أنا وشَدَّادُ بنُ مَعْقِلٍ على ابنِ عباسٍ ، فقال ابنُ عباسٍ : ما ترَك [٣/ ٣٧٣و] رسولُ اللَّهِ

---

(١) ابن ماجه (٢٤٣٩) . حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٧٨) .

(٢) حديث أبى ذر رواه أحمد فى مسنده ٥/ ١٤٨، ١٤٩. ولم نجده فى البخارى أو مسلم . وانظر المسند الجامع ١٦/ ١٩٥.

(٣) المسند ١/ ٣٠١. (إسناده صحيح) .

(٤) البخارى (٢٤٦٨، ٤٩١٣ - ٤٩١٥، ٥١٩١، ٥٨٤٣)، ومسلم (١٤٧٩) .

(٥) المسند ١/ ٢٢٠ . (إسناده صحيح) .

ﷺ إلَّا ما بينَ هذين اللَّوْحَيْن[1] . قال : ودخَلْنا على محمدِ بنِ عليٍّ فقال مثلَ ذلك . وهكذا رواه البخاريُّ ، عن قتيبةَ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ به[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدثنا أبو نُعيم ، ثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، عن طلحةَ قال : سأَلْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ أبى أوْفَى : أَأَوْصَى النبىُّ ﷺ ؟ فقال : لا . فقلتُ : كيف كُتِب على الناسِ الوصيَّةُ ، أو أُمِروا بها ؟ قال : أوْصَى بكتابِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . وقد رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ ، وأهلُ السننِ إلا أبا داودَ مِن طرقٍ ، عن مالكِ ابنِ مِغْوَلٍ به[4] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ .

تنبيهٌ : قد ورَدتْ أحاديثُ كثيرةٌ سنُورِدُها قريبًا بعدَ هذا الفصلِ فى ذكرِ أشياءَ كان يخْتَصُّ بها ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، فى حياتِه ؛ مِن دُورٍ ومَساكنِ نسائِه ، وإماءٍ وعبيدٍ ، وخُيولٍ ، وإبلٍ ، وغنمٍ ، وسلاحٍ ، وبَغْلةٍ ، وحمارٍ ، وثيابٍ ، وأثاثٍ ، وخاتَمٍ ، وغيرِ ذلك مما سنُوَضِّحُه بطرقِه ودَلائلِه ، فلعلَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، تصَدَّق بكثيرٍ منها فى حياتِه مُنْجِزًا ، وأَعْتَق مَن أعْتَق مِن إمائِه وعبيدِه ، وأرْصَد ما أَرْصَده مِن أمتعتِه ، مع ما خصَّه اللَّهُ به مِن الأَرَضِينَ مِن بنى النضيرِ وخيبرَ وفَدَكَ ، فى مصالحِ المسلمين على ما سنبيِّنُه ، إن شاء اللَّهُ ، إلا أنه لم يُخَلِّفْ مِن ذلك شيئًا يُورَثُ عنه قطعًا ؛ لِما سنذكرُه قريبًا ، وباللَّهِ المُسْتعانُ .

---

(١) أى ما فى المصحف . انظر فتح البارى ٩/ ٦٥.

(٢) البخارى (٥٠١٩) .

(٣) البخارى (٤٤٦٠) .

(٤) البخارى (٢٧٤٠، ٥٠٢٢) ، ومسلم (١٦٣٤) ، والترمذى (٢١١٩) ، والنسائى (٣٦٢٢) ، وابن ماجه (٢٦٩٦) .

بابُ[1]

بيانِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ قال : « لا نُورَثُ »

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ يَبْلُغُ به ، وقال مرةً : قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَقْتَسِمُ ورثتى دِينارًا ولا دِرْهمًا ، ما ترَكْتُ بعدَ نَفَقةِ نسائى ومُؤْنةِ عامِلِى فهو صدقةٌ » . وقد رواه البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داودَ مِن طرقٍ[3] ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، عن أبى الزِّنادِ عبدِ اللَّهِ بنِ ذَكْوانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يَقْتَسِمُ ورثتى دينارًا ، ما تركتُ بعدَ نفقةِ نسائى ومُؤنةِ عاملى فهو صدقةٌ » . لفظُ البخاريِّ .

ثم قال البخاريُّ[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ ، عن مالكٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن أزواجَ النبىِّ ﷺ [٣/٣٧٣ظ] حين تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أرَدْنَ أن يبعَثْنَ عثمانَ إلى أبى بكرٍ يسألْنَه مِيراثَهنَّ ، فقالت عائشةُ : أليسَ قد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ ؟ » وهكذا رواه مسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى ، وأبو داودَ عن القَعْنَبِىِّ ، والنسائىُّ عن قتيبةَ ،

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) المسند ٢/ ٢٤٢ .

(٣) البخارى (٢٧٧٦، ٣٠٩٦، ٦٧٢٩) ، ومسلم (٥٥/١٧٦٠) ، وأبو داود (٢٩٧٤) .

(٤) البخارى (٦٧٣٠) .

كلُّهم عن مالكٍ به[1] . فهذه إحدى النساءِ الوارثاتِ - إن لو قُدِّرَ ميراثٌ - قد اعترفتْ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جعَل ما ترَكه صدقةً لا ميراثًا ، والظاهرُ أن بقيَّةَ أمهاتِ المؤمنينَ وافقْنَها على ما روَتْ ، وتذَكَّرْن ما قالتْ لهنَّ مِن ذلك ، فإن عبارتَها تُؤْذِنُ بأن هذا أمْرٌ مقرَّرٌ عندَهن . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[2] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن يونسَ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن النبيَّ ﷺ قال : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ » .

وقال البخاريُّ[3] : بابُ قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ » . حدثنا[4] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا هشامٌ ، أنبأنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن فاطمةَ والعباسَ أتيا أبا بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، يلْتَمِسانِ ميراثَهما مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وهما حينَئذٍ يَطْلُبانِ أرضَه[5] مِن فَدَكَ ، وسهمَه مِن خيبرَ . فقال لهما أبو بكرٍ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ ، إنما يأكُلُ آلُ محمدٍ مِن هذا المالِ » . قال أبو بكرٍ : واللَّهِ لا أدَعُ أمرًا رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يصنَعُه فيه إلَّا صنَعْتُه . قال : فهجَرَتْه فاطمةُ ، فلم تكلِّمْه حتى ماتتْ . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ[6] .

---

(١) مسلم (١٧٥٨/٥١) ، وأبو داود (٢٩٧٦) ، والنسائى فى الكبرى (٦٣١١) .

(٢) البخارى (٦٧٢٧) .

(٣) فتح البارى ١٢/ ٥.

(٤) البخارى (٦٧٢٥، ٦٧٢٦) .

(٥) فى البخارى : « أرضيهما » .

(٦) المسند ١/ ٤.

ثم رواه أحمدُ[1] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن فاطمةَ سألتْ أبا بكرٍ بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[2] ميراثَها مما ترَك مما أفاءَ اللَّهُ عليه ، فقال لها أبو بكرٍ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ » . فغضِبتْ فاطمةُ ، وهجَرتْ أبا بكرٍ ، فلم تزَلْ مُهاجِرتَه حتى تُوُفِّيتْ . قال : وعاشتْ فاطمةُ بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ستةَ أشهرٍ . وذكَر تمامَ الحديثِ . هكذا قال الإمامُ أحمدُ .

وقد روَى البخاريُّ هذا الحديثَ فى كتابِ المغازِى من « صحيحِه »[3] عن [4]يحيى بنِ بُكيرٍ[4] ، عن الليثِ ، عن عُقيلٍ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ كما تقدم ، وزاد : فلما تُوُفِّيتْ دفَنها عليٌّ ليلًا ولم يُؤْذِنْ بها[5] أبا بكرٍ ، وصلَّى عليها ، وكان لعليٍّ مِن الناسِ وجهٌ حياةَ فاطمةَ ، فلما تُوُفِّيتْ استنكر عليٌّ وجوهَ الناسِ ، فالتمسَ مُصالحةَ أبى بكرٍ ومُبايعتَه ، [٣/ ٣٧٤و] ولم يَكُنْ بايعَ[6] تلك الأشهرَ ، فأرسَل إلى أبى بكرٍ : ائْتِنا ولا يَأْتِنا معك أحدٌ . [7]وكَرِه أن يأتيَه عمرُ لِمَا عَلِم مِن شدةِ عمرَ[7] ، فقال عمرُ : واللَّهِ لا تَدْخُلُ عليهم وحدَك . قال أبو بكرٍ : وما عسى أن يَصْنَعوا بى ؟ واللَّهِ لآتيَنَّهم . فانطلَق أبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، [8]فتَشَهَّد عليٌّ[8] وقال : إنا قد عرَفْنا فضلَك وما أعطاك اللَّهُ ، ولم نَنْفَسْ عليك

---

(١) المسند ١/ ٦. (إسناده صحيح) .

(٢) بعده فى المسند : « أن يقسم لها » .

(٣) البخارى (٤٢٤٠، ٤٢٤١) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « ابن أبى بكير » ، وفى ١١١، ٤١: « يحيى بن أبى بكير » . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٠١.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى البخارى : « يبايع » .

(٧ - ٧) فى البخارى : « كراهية لمحضر عمر » .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

خيرًا ساقَه اللَّهُ إليك ، ولكنكم استبْدَدْتُم بالأمرِ ، وكنا نرى لقَرابتِنا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّ لنا فى هذا الأمرِ نصيبًا . فلم يزَلْ علىٌّ يذْكُرُ حتى بكَى أبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، وقال : والذى نفسى بيدِه لَقَرابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحبُّ إلىَّ أن أصِلَ مِن قَرابتى ، وأما الذى شجَر [1] بينى و [1] بينَكم فى هذه الأموالِ فإنى لم آلُ فيها عن الخيرِ ، ولم أترُكْ أمرًا صنَعَه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلا صنَعْتُه . [2] فقال علىٌّ : « موعدُك للبيعةِ عشيَّةً [2] . فلما صلَّى أبو بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، الظهرَ رَقِىَ على المنبرِ فتشهَّدَ ، وذكَر شأنَ علىٍّ وتخلُّفَه عن البيعةِ ، وعُذْرَه بالذى اعتذَر به ، وتشهَّدَ علىٌّ ، رضى اللَّهُ عنه ، فعظَّم حقَّ أبى بكرٍ ، وذكَر فضيلتَه وسابقتَه ، وحدَّث أنه لم يَحْمِلْه على الذى صنَع نَفاسةٌ على أبى بكرٍ ، ثم قام إلى أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنهما ، فبايعَه ، فأقبلَ الناسُ على علىٍّ فقالوا : أحسَنْتَ . وكان الناسُ إلى علىٍّ قريبًا حين راجَع الأمْرَ المعروفَ . وقد رواه البخارىُّ أيضًا ومسلمٌ وأبو داودَ والنسائىُّ ، مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ بنحوِه [3] .

فهذه البَيعةُ التى وقَعتْ مِن علىٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، لأبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، بعدَ وفاةِ فاطمةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، بيعةٌ مُؤَكِّدةٌ للصلحِ الذى وقَع بينَهما ، وهى ثانيةٌ للبيعةِ التى ذكَرْناها أولًا يومَ السَّقِيفةِ ، كما رواه ابنُ خزيمةَ وصحَّحَه مسلمُ بنُ الحجاجِ [4] ، ولم يكنْ علىٌّ مُجانبًا لأبى بكرٍ هذه الستةَ الأشهرِ ، بل

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) البخارى (٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٧١١، ٣٧١٢، ٤٠٣٥، ٤٠٣٦، ٦٧٢٧) ، ومسلم (٥١/ ١٧٥٨، و ٥٢، ٥٣، ١٧٥٩/٥٤) ، وأبو داود (٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٦، ٢٩٧٧) ، والنسائى (٤١٥٢) ، وفى الكبرى (٦٣١١) .

(٤) تقدم ما رواه البيهقى من طريق ابن خزيمة صفحة ٩٠ .

كان يصلِّى وراءَه ويَحْضُرُ عندَه للمَشورةِ ، وركِب معه إلى ذى القَصَّةِ ، كما سيأتى .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[1] أن أبا بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، صلَّى العصرَ بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بليالٍ ، ثم خرَج مِن المسجدِ فوجَد الحسنَ بنَ علىٍّ يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ ، فاحتملَه على كاهلِه ، وجعَل يقولُ[2] : بأبى شَبيهُ[3] النبىِّ ، ليس شبيهًا بعلىٍّ . وعلىٌّ يَضْحَكُ . ولكن لمَّا وقعتْ هذه البيعةُ الثانيةُ اعتقَد بعضُ الرواةِ أن عليًّا لم يُبايِعْ قبلَها ، فنفَى ذلك ، والمُثْبِتُ مقدَّمٌ على النافى ، كما تقدم وكما تقرر . واللَّهُ أعلمُ . وأما تَغَضُّبُ فاطمةَ ، رضى اللَّهُ عنها وأرضاها ، على أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه ، فما أدرى ما وجهُه ، فإن كان لمنعِه إياها ما سألتْه مِن الميراثِ ، فقد اعتذَر إليها بعذرٍ [٣/ ٣٧٤ظ] يجبُ قَبولُه ، وهو ما رواه عن أبيها رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ » . وهى ممن تَنْقادُ لنصِّ الشارعِ الذى خَفِىَ عليها قبلَ سؤالِها الميراثَ ، كما خَفِىَ على أزواجِ النبىِّ ﷺ حتى أخبرتْهن عائشةُ بذلك ، ووافقْنَها عليه ، وليس يُظَنُّ بفاطمةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، أنها اتَّهَمتِ الصديقَ ، رضى اللَّهُ عنه ، فيما أخبرَها به ، حاشاها وحاشاه مِن ذلك ، كيف وقد وافَقه على روايةِ هذا الحديثِ عمرُ بنُ الخطابِ ، وعثمانُ بنُ عفانَ ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ ، والعباسُ بنُ عبدِ المطلبِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وطلحةُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ ، والزبيرُ بنُ العوامِ ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، وأبو هريرةَ ، وعائشةُ ؟! رضى اللَّهُ عنهم أجمعين ، كما سنبيِّنُه قريبًا ، ولو تفرد بروايتِه

---

(١) البخارى (٣٥٤٢، ٣٧٥٠) .

(٢) بعده فى م ، ص : « يا » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « شبه » .

الصديقُ ، رضى اللَّهُ عنه ، لوجَب على جميعِ أهلِ الأرضِ قَبولُ روايتِه ، والانقيادُ له فى ذلك ، وإن كان غضَبُها لأجلِ ما سألَتِ الصديقَ - إذ كانت هذه الأراضى صدقةً لا ميراثًا - أن يكونَ زوجُها ينْظُرُ فيها ، فقد اعتذر بما حاصلُه أنه لمَّا كان خليفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فهو يرَى أن فرضًا عليه أن يَعْمَلَ بما كان يعمَلُه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ويَلِىَ ما كان يلِيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولهذا قال : وإنى واللَّهِ لا أدَعُ أمرًا كان يصْنَعُه فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلَّا صنَعْتُه . قال : فهجَرَتْه فاطمةُ ، فلم تُكَلِّمْه حتى ماتتْ . وهذا الهِجْرانُ والحالةُ هذه فتَح على فرقةِ الرافضةِ شرًّا عَريضًا ، وجهلًا طويلًا ، وأدْخَلوا أنفسَهم بسببِه فيما لا يَعْنيهم ، ولو تفهَّموا[1] الأمورَ على ما هى عليه لعرَفوا للصديقِ فضلَه ، وقَبِلُوا منه عُذْرَه الذى يجِبُ على كلِّ أحدٍ قَبولُه ، ولكنهم طائفةٌ مَخْذولةٌ ، وفرقةٌ مَرْذولةٌ ، يتمسَّكون بالمُتشابِهِ ، ويتْرُكون الأمورَ المُحْكَمةَ المُقَرَّرةَ[2] عند أئمةِ الإسلامِ ، مِن الصحابةِ والتابعين ، فمَن بعدَهم مِن العلماءِ المُعْتَبَرين فى سائرِ الأعْصارِ والأمْصارِ ، رضى اللَّهُ عنهم وأرْضاهم أجمعين .

---

(١) فى الأصل : « فهموا » .

(٢) فى م : « المقدرة » .

بيانُ روايةِ الجماعةِ لِما رواه الصديقُ وموافقتِهم على ذلك

قال البخاريُّ[1] : حدثنا يحيى بنُ بُكيرٍ، ثنا الليثُ، عن عُقيلٍ، عن ابنِ شهابٍ، قال: أخبرنى مالكُ بنُ أوسِ بنِ الحَدَثانِ، وكان محمدُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ذكَر لى ذِكْرًا مِن حديثِه ذلك، فانطلَقْتُ حتى دخلْتُ عليه، فسألْتُه، فقال: انطَلَقْتُ حتى أَدْخُلَ على عمرَ فأتاه حاجبُه يَرْفا[2] ، فقال: هل لك فى عثمانَ وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، والزبيرِ، وسعدٍ؟ قال: نعم. فأذِنَ لهم، ثم قال: هل لك فى علىٍّ وعباسٍ؟ قال: نعم. قال عباسٌ: يا أميرَ المؤمنين، [٣/ ٣٧٥و] اقضِ بينى وبينَ هذا. قال: أَنشُدُكم باللَّهِ الذى بإذْنِه تقومُ السماءُ والأرضُ، هل تعْلَمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا نُورَثُ، ما ترَكْنا صدقةٌ». يريدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ نفسَه؟ قال الرهطُ: قد قال ذلك. فأقبل على علىٍّ وعباسٍ، فقال: هل تعْلَمانِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك. قال عمرُ بنُ الخطابِ: فإنى أُحَدِّثُكم عن هذا الأمرِ؛ إن اللَّهَ كان قد خصَّ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فى هذا الفَىءِ بشىءٍ لم يُعْطِه أحدًا غيرَه؛ قال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ إلى قولِه: ﴿قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]. فكانت خالصةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ، واللَّهِ ما

---

(١) البخارى (٦٧٢٨).

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٣٠٥: بفتح التحتانية وسكون الراء، بعدها فاء مشبعة بغير همز وقد تهمز. ويرفا هذا كان من موالى عمر، أدرك الجاهلية ولا تعرف له صحبة، وقد حج مع عمر فى خلافة أبى بكر.

احتازَها[1] دونَكم، ولا [2]استأثَر بها[2] عليكم، لقد أعطاكموها وبثَّها فيكم، حتى بَقِيَ منها هذا المالُ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُنفِقُ على أهلِه مِن هذا المالِ نفقةَ سَنَتِه، ثم يأخُذُ ما بَقِيَ فيجعَلُه مَجْعَلَ مالِ اللَّهِ، فعمِل بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ حياتَه، أَنْشُدُكم باللَّهِ هل تَعْلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم قال لعليٍّ وعباسٍ: أَنشُدُكما باللَّهِ هل تَعْلَمانِ ذلك؟ قالا: نعم. فتَوَفَّى اللَّهُ نبيَّه ﷺ، فقال أبو بكرٍ، رضى اللَّهُ عنه: أنا وَلِيُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فقبَضها، فعمِل بما عمِل به رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثم تَوَفَّى اللَّهُ أبا بكرٍ، فقلتُ: أنا وَلِيُّ وَلِيِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فقبَضْتُها سنتين، أَعْمَلُ فيها بما عمِل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ، ثم جئتُمانى وكَلِمَتُكما واحدةٌ وأمْرُكما جميعٌ[3]، جئتَنى تسألُنى نصيبَك مِن ابنِ أخيك، وجاءنى[4] هذا ليسألَنى نصيبَ امرأتِه مِن أبيها، فقلتُ: إن شئتُما دفعتُها إليكما بذلك، فتَلْتَمِسانِ منى قَضاءً غيرَ ذلك؟! فواللَّهِ الذى بإذْنِه تقومُ السماءُ والأرضُ لا أقْضِى فيها قضاءً غيرَ ذلك حتى تقومَ الساعةُ، فإن عجَزْتُما فادفعاها إلىَّ فأنا أَكْفِيكُماها. وقد رواه البخاريُّ فى أماكنَ متفرقةٍ مِن «صحيحِه»، ومسلمٌ وأهلُ السننِ مِن طرقٍ، عن الزهريِّ به[5].

وفى روايةٍ فى «الصحيحين»[6]: فقال عمرُ: فوَلِيَها أبو بكرٍ، فعمِل فيها بما

---

(١) فى الأصل، ١١١، ٤١: «اختارها».

(٢ - ٢) فى الأصل، ١١١، م: «استأثرها».

(٣) بعده فى م: «حتى».

(٤) فى البخارى: «أتانى».

(٥) البخارى (٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٥٣٥٨، ٧٣٠٥)، ومسلم (٤٨، ٤٩، ١٧٥٧/٥٠)، وأبو داود (٢٩٦٣)، والترمذى (١٦١٠)، والنسائى فى الكبرى (٦٣٠٧ - ٦٣١٠). ولم يخرجه ابن ماجه. وانظر تحفة الأشراف ٨/ ١٠٣، ١٠٤.

(٦) البخارى (٧٣٠٥)، ومسلم (١٧٥٧/٤٩) بنحوه.

عمِل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهُ يعلمُ أنه صادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحقِّ ، ثم وَلِيتُها فعمِلْت فيها بما عمِل رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٧٥ظ] وأبو بكرٍ ، واللَّهُ يعلمُ أنى صادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحقِّ ، ثم جئتُمانى فدفَعْتُها إليكما لتعْمَلا فيها بما عمِل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، وعمِلْتُ فيها أنا ، أَنشُدُكم باللَّهِ أدفَعْتُها إليهما بذلك ؟ قالوا : نعم . ثم قال لهما : أَنشُدُكما باللَّهِ هل دفعتُها إليكما بذلك ؟ قالا : نعم . قال : أفتَلْتَمِسانِ منِّى قضاءً غيرَ ذلك ؟! لا والذى بإذنِه تقومُ السماءُ والأرضُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، عن الزهرىِّ ، عن مالكِ ابنِ أوسٍ قال : سمِعْتُ عمرَ يقولُ لعبدِ الرحمنِ وطلحةَ والزبيرِ وسعدٍ : نشَدْتُكم باللَّهِ الذى تقومُ السماءُ والأرضُ بأمرِه[2] ، أعلِمْتُم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ » ؟ قالوا : نعم . على شرطِ « الصحيحَيْن » .

قلتُ : وكان الذى سألاه بعدَ تَفْويضِ النظرِ إليهما ، واللَّهُ أعلمُ ، هو أن يَقْسِمَ بينَهما النظرَ ، فيجْعَلَ لكلِّ واحدٍ منهما نظرَ ما كان يستحقُّه بالإرثِ[3] لو قُدِّرَ أنه كان وارثًا ، وكأنهما قدَّما بينَ أيديهما جماعةً مِن الصحابةِ منهم ؛ عثمانُ وابنُ عوفٍ وطلحةُ والزبيرُ وسعدٌ ، وكان قد وقَع بينَهما خُصومةٌ شديدةٌ بسببِ إشاعةِ النظرِ بينَهما ، فقالت الصحابةُ الذين قدَّماهم بينَ أيديهما : يا أميرَ المؤمنينَ ، اقضِ بينَهما وأرِحْ أحدَهما مِن الآخرِ . فكأنَّ عمرَ ، رضى اللَّهُ عنه ، تحرَّجَ مِن قِسْمةِ النَّظَرِ بينَهما بما يُشْبِهُ قِسْمةَ الميراثِ ولو فى الصورةِ الظاهرةِ ؛ مُحافَظةً على امتثالِ قولِه ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا صدقةٌ » . فامتنع عليهم كلِّهم وأبَى مِن

---

(١) المسند ١/ ٢٥، ١٦٢، ١٦٤، ١٩١. (إسناده صحيح).

(٢) فى المسند : « به » .

(٣) فى الأصل : « من الإرث » ، وفى م ، ص : « بالأرض » .

ذلك أشدَّ الإباءِ ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه ، ثم إن عليًّا والعباسَ استمرَّا على ما كانا عليه ، ينْظُران فيها جميعًا إلى زمانِ عثمانَ بنِ عفانَ ، فغلَبه عليها عليٌّ ، وترَكها له العباسُ بإشارةِ ابنِه عبدِ اللَّهِ ، رضى اللَّهُ عنهما ، بين يدَىْ عثمانَ ، كما رواه أحمدُ فى « مسندِه »[1] . فاستمرت فى أيدى العَلَوِيِّين . وقد تقَصَّيْتُ طرقَ[2] هذا الحديثِ وألفاظَه فى مسندَىِ الشيخين أبى بكرٍ وعمرَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، فإنى ، وللَّهِ الحمدُ ، جَمَعْتُ لكلٍّ واحدٍ منهما مُجَلَّدًا ضخمًا مما رواه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورآه من الفقهِ النافعِ الصحيحِ ، ورتَّبْتُه على أبوابِ الفقهِ المصطلَحِ عليها اليومَ . وقد رُوِّينا أن فاطمةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، احتجَّتْ أولًا [٣/ ٣٧٦و] بالقياسِ وبالعُمومِ فى الآيةِ الكريمةِ ، فأجابَها الصدِّيقُ بالنصِّ على الخُصوصِ بالمَنْعِ فى حقِّ النبىِّ ﷺ ، وأنها سلَّمَتْ له ما قال . وهذا هو المظنونُ بها ، رَضِىَ اللَّهُ عنها .

فقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا عَفَّانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، أن فاطمةَ قالتْ لأبى بكرٍ : مَن يرثُكَ إذا مِتَّ ؟ قال : وَلَدِى وأهلِى . قالت : فما لنا لا نَرِثُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟! فقال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ النبىَّ لا يُورَثُ » . ولكنىِّ أَعُولُ مَن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]يَعولُ ، وأُنفِقُ على مَن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] يُنْفِقُ . وقد رواه الترمذىُّ فى « جامعِه »[5] ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن أبى الوليدِ الطَّيالسىِّ ، [6]حدثنا حمادُ بنُ سلَمةَ[6] ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، فذكَره ، فوَصَل

---

(١) المسند ١/ ١٣. (إسناده صحيح) .

(٢) فى ص : « رواة » .

(٣) المسند ١/ ١٠.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) الترمذى (١٦٠٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٣١٠) .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى .

الحديثَ . وقال الترمذىُّ : حسنٌ[1] غريبٌ .

فأما الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أبى شَيبةَ ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيلٍ ، عن الوليدِ بنِ جُمَيْعٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ قال : لمّا قُبِضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أرسلَتْ فاطمةُ إلى أبى بكرٍ : أأنتَ وَرِثْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ أم أهلُه ؟ فقال : لا ، بل أهلُه . قالت : فأين سَهْمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال أبو بكرٍ : إنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ إذا أَطْعَمَ نبيًّا طُعْمَةً ثُم قَبَضَه جَعَلَه للذى يَقُومُ مِن بعدِه » . فرأيتُ أن أردَّه على المسلمين . قالت : فأنتَ وما سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] . وهكذا رواه أبو داودَ ، عن عثمانَ بنِ أبى شيبةَ ، عن محمدِ ابنِ فُضَيْلٍ به[4] . ففى لفظِ هذا الحديثِ غَرابةٌ ونَكارةٌ ، ولعلَّه رُوِىَ بمعنَى ما فَهِمه بعضُ الرواةِ ، ومنهم[5] مَن فيه تَشَيُّعٌ ، فَلْيُعْلَمْ ذلك . وأحسنُ ما فيه قولُها : أنت وما سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وهذا هو المظنونُ بها ، واللائِقُ بأَمْرِها وسِيادتِها وعِلْمِها ودِينِها ، رضِى اللَّهُ عنها ، وكأنَّها سألتْه بعدَ هذا أن يَجعَلَ زوجَها ناظِرًا على هذه الصدقةِ فلم يُجِبْها إلى ذلك ؛ لِما قدَّمْناه ، فتَعَتَّبَتْ عليه بسببِ ذلك وهى امرأةٌ مِن بَنِى[6] آدمَ ، تَأْسَفُ كما يَأْسَفون ، وليست بواجبةِ العِصْمةِ مع وجودِ نصِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومخالفةِ أبى بكرٍ الصديقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأَرْضاه ، وقد رُوِّينا عن أبى بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، [٣/ ٣٧٦ظ] أنه تَرَضَّى فاطمةَ وتَلايَنَها

---

(١) بعده فى م : « صحيح » .

(٢) المسند ١/ ٤ . (إسناده صحيح) .

(٣) بعده فى المسند : « أعلم » .

(٤) أبو داود (٢٩٧٣) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٥٧٥) .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « فيهم » .

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « بنات » .

قبلَ موتِها ، فرَضِيَتْ ، رَضِيَ اللَّهُ عنها .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[1] : [2]أخبرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ[2] ، أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ ، ثنا عَبْدانُ بنُ عثمانَ العَتَكيُّ بنَيْسابورَ ، أنبأنا أبو حمزةَ[3] ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبيِّ قال : لمّا مَرِضَتْ فاطمةُ أتاها أبو بكرٍ الصديقُ فاستأْذَنَ عليها ، فقال عليٌّ : يا فاطمةُ ، هذا أبو بكرٍ يَسْتَأْذِنُ عليكِ . فقالتْ : أتُحِبُّ أن آذَنَ له ؟ قال : نعم . فأَذِنَتْ له ، فدَخَل عليها يَتَرَضّاها فقال : واللَّهِ ما تركْتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلا ابتغاءَ مَرْضاةِ اللَّهِ ، ومَرْضاةِ رسولِه ، ومَرْضاتِكم أهلَ البيتِ . ثم تَرَضّاها حتى رَضِيَتْ . وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويٌّ . والظاهرُ أن عامرًا الشعبيَّ سَمِعَه مِن عليٍّ ، أو مِمَّنْ سَمِعَه مِن عليٍّ .

وقد اعْترفَ علماءُ أهلِ البيتِ بصِحَّةِ ما حَكَم به أبو بكرٍ فى ذلك ؛ قال الحافظُ البيهقيُّ[4] : أنبأَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدثنا أبو عبدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضِى ، ثنا نَصْرُ بنُ عليٍّ ، ثنا ابنُ داودَ ، عن فُضَيلِ بنِ مَرْزوقٍ قال : قال زيدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ : أمّا أنا فلو كنتُ مكانَ أبى بكرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، لحَكَمْتُ بما حَكَم به أبو بكرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، فى فَدَكَ .

---

(١) السنن الكبرى ٦/ ٣٠١.

(٢ - ٢) سقط من : ١١١، ٤١، م .

(٣) فى السنن الكبرى : « ضمرة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤٤.

(٤) السنن الكبرى ٦/ ٣٠٢.

فصـــلٌ

وقد تَكَلَّمَتِ الرَّافِضَةُ فى هذا المَقامِ بجهلٍ، وتَكَلَّفُوا ما لا عِلْمَ لهم به، وكذَّبُوا بما لم يُحِيطُوا بعِلْمِه ولَمَّا يَأْتِهم تأويلُه، وأَدْخَلُوا أنفسَهم فيما لا يَعْنيهم، وحاوَلَ بعضُهم أن يَرُدَّ خبرَ أبى بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فيما ذكرْناه بأنه مُخالِفٌ للقرآنِ حيثُ يقولُ اللَّهُ تعالى[1]: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ الآية [النمل: ١٦]. وحيث قال تعالى إخبارًا عن زكريا أنه قال[2]: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦]. واستدلالُهم هذا باطلٌ مِن وجوهٍ؛ أحدُها، أن قولَه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾. إنّما يَعْنى بذلك فى المُلْكِ والنُّبُوَّةِ؛ أىْ جَعَلْناه قائمًا بعدَه فيما كان يَلِيه مِن المُلْكِ وتدبيرِ الرَّعايا، والحكمِ بينَ بنى إسرائيلَ، وجَعَلْناه نبيًّا كريمًا كأبيه، فكما جُمِع لأبيه الملكُ والنبوةُ، كذلك جُعِل ولدُه بعدَه، وليس المرادُ بهذا وراثةَ المالِ؛ لأن داودَ كما ذَكَرَه كثيرٌ مِن المفسِّرين كان له أولادٌ كثيرون يقالُ: مائةُ ولدٍ[3]. فلِمَ اقْتَصَرَ على ذِكْرِ سليمانَ مِن بينِهم لو كان المرادُ وِراثةَ المالِ؟ إنما المرادُ وِراثةُ القيامِ بعدَه فى النبوةِ والملكِ، ولهذا قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [٣/٣٧٧و] ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾. وما بعدَها مِن الآياتِ. وقد أَشْبَعْنَا الكلامَ على هذا فى كتابِنا «التفسيرِ» بما فيه

---

(١) التفسير ٦/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) التفسير ٥/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) سقط من: م، ص.

كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ كثيرًا .

وأما قصةُ زكريّا فإنّه ، عليه السلامُ ، مِن الأنبياءِ الكِرامِ ، والدنيا كانتْ عندَه أحقرَ مِن أن يَسْأَلَ اللَّهَ ولدًا ليَرِثَه فى مالِه ، كيف وإنما كان نجّارًا يأكُلُ مِن كَسْبِ يدِه ؟! كما رواه البخاريُّ[1] ، ولم يَكُنْ لِيَدَّخِرَ منها فوقَ قُوتِه حتى يسألَ ولدًا يَرِثُ عنه مالَه - إن لو كان له مالٌ - وإنّما سَأَلَ ولَدًا صالحًا يَرِثُه فى النبوةِ والقيامِ بمصالحِ بنى إسرائيلَ ، وحَمْلِهم على السَّدادِ ، ولهذا قال تعالى[2] : ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : ١-٦] القصةَ بتمامِها . فقال : ﴿ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ ﴾ . يَعْنِى النبوةَ ، كما قَرَّرْنا ذلك فى « التفسيرِ » وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وقد تقدَّم فى روايةِ أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن أبى بكرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « النبىُّ لا يُورَثُ » . وهذا اسمُ جنْسٍ يَعُمُّ كلَّ الأنبياءِ . وقد حَسَّنَه الترمذىُّ . وفى الحديثِ الآخَرِ : « نحن مَعْشَرَ الأنبياء لا نُورَثُ »[3] .

الوجهُ الثانى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قد خُصَّ مِن بينِ الأنبياءِ بأحكامٍ لا يُشارِكونه فيها ، كما سنَعْقِدُ له بابًا مُفْرَدًا فى آخرِ السيرةِ ، إن شاءَ اللَّهُ ، فلو قُدِّرَ أنَّ غيرَه مِن الأنبياءِ يُورَثُون - وليس الأمرُ كذلك - لكان ما رواه مَن ذكَرْناه مِن

---

(١) الحديث تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٩٩، ولم نجده عند البخارى . وانظر تحفة الأشراف ١٠/٣٨٦ على ما تقدم .

(٢) التفسير ٥/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

الصحابةِ الذين منهم الأئمةُ الأربعةُ ؛ أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ ، مبيِّنًا لتَخْصِيصِه بهذا الحكمِ دونَ ما سواه .

الوجهُ الثالثُ ، أنه يجِبُ العملُ بهذا الحديثِ والحكمُ بمقتضاه ، كما حَكَم به الخلفاءُ ، واعْتَرَفَ بصِحَّتِه العلماءُ ، سواءٌ كان مِن خصائصِه أم لا ، فإنه قال : « لا نورَثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقةٌ » . إذ يَحْتَمِلُ مِن حيث اللفظُ أن يكونَ قولُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ : « ما تَرَكْنا صدقةٌ » . أن يكونَ خَبَرًا عن حُكْمِه أو حُكْمِ سائرِ الأنبياء معه ، على ما تقدَّم ، وهو الظاهرُ ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ إنشاءَ وَصِيَّةٍ[1] ، كأنّه يقولُ : لا نورثُ ؛ لأنَّ جَميعَ[٣/٣٧٧ظ] ما تَرَكْناه جَعَلْناه[2] صدقةً . ويكونُ تخصيصُه مِن حيثُ جوازُ جعلِه مالَه كلَّه صدقةً ، والاحتمالُ الأولُ أظهرُ ، وهو الذى سَلَكَه الجمهورُ . وقد يَقْوَى المعنَى الثانى بما تقدَّم مِن حديثِ مالكٍ وغيرِه ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِى دينارًا ، ما تَرَكْتُ بعدَ نفقةِ نِسائِى ومُؤْنَةِ عامِلِى فهو صدقةٌ » . وهذا اللفظُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحَيْن » ، وهو يَرُدُّ تحريفَ مَن قال مِن الجَهَلَةِ مِن طائفةِ الشِّيعةِ فى روايةِ هذا الحديثِ : ما تَرَكْنا صدقةً . بالنَّصْبِ ؛ جَعَل « ما » نافيةً ، فكيف يَصْنَعُ بأوَّلِ الحديثِ وهو قولُه : « لا نُورَثُ » ؟! وبهذه الروايةِ : « ما تَرَكْتُ بعدَ نفقةِ نسائِى ومُؤْنَةِ عامِلِى فهو صَدَقَةٌ » ؟! وما شأنُ هذا إلا كما حُكِىَ عن بعضِ المُعْتَزِلَةِ أنه قَرَأ على شيخٍ مِن أهلِ السُّنَّةِ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ بنَصْبِ الجَلَالةِ ، فقال له الشيخُ : ويحَك ! كيف تصنعُ بقولِه تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ ؟! [الأعراف : ١٤٣] .

---

(١) فى م : « وصيته » .

(٢) سقط من : م ، ص .

والمقصودُ أنه يجِبُ العملُ بقولِه ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ » . على كلِّ تقديرٍ احْتَمَلَه اللفظُ والمعنَى ، فإنه مُخَصِّصٌ لعمومِ آيةِ الميراثِ ، ومُخْرِجٌ له ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، منها ، إمّا وحدَه أو مع غيرِه مِن إخوانِه الأنبياءِ ، عليه وعليهمُ الصلاةُ والسلامُ .

بابُ ذكرِ زوجاتِه صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه، ورَضِيَ عنهنَّ، وأولادِه عليهم السلام

قال اللّهُ تعالى[1] : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢- ٣٤] . لا خلافَ أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، تُوُفِّيَ عن تسعٍ وهُنَّ؛ عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ التَّيْمِيَّةُ، وحَفْصَةُ بنتُ عمرَ بنِ الخطابِ العَدَوِيَّةُ، وأمُّ حَبيبةَ رَمْلَةُ بنتُ أبي سفيانَ صخرِ بنِ حربِ ابنِ أميَّةَ الأُمَوِيَّةُ، وزينبُ بنتُ جَحْشٍ الأَسَديَّةُ، وأمُّ سَلَمَةَ هندُ بنتُ أبي أميَّةَ المخزوميَّةُ، وميمونةُ بنتُ الحارثِ الهِلَاليَّةُ، وسَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ العامريَّةُ، وجُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ [٣/٣٧٨و] بنِ أبي ضِرارٍ المُصْطَلِقِيَّةُ، وصَفِيَّةُ بنتُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ النَّضَرِيَّةُ الإسرائيليَّةُ الهارُونيَّةُ، رَضِيَ اللّهُ عنهنَّ وأَرْضَاهُنَّ. وكانتْ له سُرِّيَّتان؛ وهما مارِيَةُ بنتُ شَمْعُونَ القِبْطِيَّةُ المصريَّةُ مِن كُورَةِ أَنْصِنَا[2] ، وهي أمُّ ولدِه

---

(١) التفسير ٦/٤٠٤ - ٤١٢.

(٢) قال ياقوت: أنصنا: مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل. وقال صاحب القاموس الجغرافي: وقد اختفى اسم أنصنا من عداد النواحي المصرية، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة في حوض مدينة النصلة (المحرفة عن أنصنا) بأراضي ناحية الشيخ عبادة الواقعة شرقي النيل بمركز ملوى بمدينة =

إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، ورَيْحانةُ بنتُ شَمْعُونَ[1] القُرَظِيَّةُ ، أسلمتْ ثم أَعْتَقَها ، فلَحِقَتْ بأهلِها ، ومِن الناسِ مَن يَزْعُمُ أنَّها حُجِبَتْ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وأمّا الكلامُ على ذلك مفصَّلًا ومرتَّبًا مِن حيث ما وقَع أولًا فأولًا مجموعًا مِن كلامِ الأئمةِ ، رَحِمَهم اللَّهُ ، فنقولُ وباللَّهِ المستعانُ : رَوَى الحافظُ الكبيرُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[3] مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ قال : تَزَوَّجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بخَمْسَ عَشْرةَ امرأةً ، دَخَل منهن بثلاثَ عَشْرَةَ ، واجْتَمَع عندَه إحدَى عَشْرَةَ ، ومات عن تسعٍ . ثم ذكَر هؤلاءِ التسعَ اللاتى ذَكَرْناهن ، رَضِىَ اللَّهُ عنهن . [4]ورواه بَحْرُ بنُ كَنِيزٍ عن قتادةَ ، عن أَنسٍ . والأولُ أصحُّ[4] . ورواه سَيْفُ بنُ عمرَ التَّمِيمِيُّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، وابنِ عباسٍ مثلَه[5] . ورَوَى سَيْفٌ[6] عن سعيدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ مثلَه ؛ قالت : فالمرأتان اللتان لم يَدْخُلْ بهما فهما ؛ عَمْرةُ بنتُ يزيدَ الغِفاريَّةُ ، والشَّنْباءُ ؛ فأمّا عَمْرةُ فإنه خَلا بها وجَرَّدَها فرَأَى بها وَضَحًا[7] ، فرَدَّها وأَوْجَبَ لها الصَّداقَ ،

= أسيوط . انظر معجم البلدان ١/ ٣٨١، والقاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ القسم الأول ، البلاد المندرسة ص ١٣٢، ١٣٣.

(١) فى ١١١: «زيد» ، وفى ٤١: «قريظة» ، وسيأتى أن اسمها ريحانة بنت شمعون بن زيد . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٤٧، وأسد الغابة ٧/ ١٢٠، ١٢١، والإصابة ٧/٦٥٨ - ٦٦٠.

(٢) فى الأصل، م: «احتجبت عندهم» . وحجبت : أى ضرب عليها رسول اللَّه ﷺ الحجاب ؛ أى اتخذها زوجة .

(٣) دلائل النبوة ٧/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٤ - ٤) سقط من: ١١١، ٤١، م . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٦٣، وعنده «يحيى بن كثير» بدل بحر بن كنيز . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٤/ ١٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٦٢، من طريق سيف بن عمر به .

(٦) سقط من: م . والحديث عند ابن عساكر ٣/ ١٦٣، من طريق سيف به .

(٧) الوضح : البَرَص .

وحُرِّمَتْ على غيرِه، وأما الشَّنْباءُ فَلمَّا أُدْخِلَتْ عليه لم تَكُنْ يَسِيرةً[1]، فتَرَكَها يَنْتَظِرُ بها اليسرَ، فلما مات ابنُه إبراهيمُ على تَفِئَةٍ[2] ذلك، قالت: لو كان نبيًّا لم يَمُتِ ابنُه. فطَلَّقَها وأَوْجَبَ لها الصَّداقَ، وحُرِّمَتْ على غيرِه. قالت: فاللاتى اجْتَمَعْنَ عندَه؛ عائشةُ، وسَوْدَةُ، وحَفْصَةُ، وأمُّ سَلَمةَ، وأمُّ حَبِيبةَ، وزينبُ بنتُ جَحْشٍ، وزينبُ بنتُ خُزَيْمَةَ، وجُوَيْرِيَةُ، وصَفِيَّةُ، ومَيْمونةُ، وأمُّ شَرِيكٍ.

قلتُ: وفى «صحيحِ البخارىِّ»[3] عن أنسٍ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان يَطوفُ على نسائِه وهنَّ إحدَى عَشْرَةَ امرأةً.[4] والمشهورُ أنَّ أمَّ شَرِيكٍ لم يَدْخُلْ بها، كما سَيَأْتِى بيانُه، ولكنَّ المرادَ بالإحدَى عَشْرَةَ اللاتى كان يطوفُ عليهنَّ التسعُ المذكوراتُ والجاريتان ماريَةُ ورَيْحانةُ[4].

ورَوى يعقوبُ بنُ سفيانَ الفَسَوىُّ[5]، عن الحَجَّاجِ بنِ أبى مَنِيعٍ، عن جدِّه عُبَيدِ اللَّهِ [٣/٣٧٨ظ] بنِ أبى زيادٍ الرُّصافىِّ، عن الزهرىِّ - وقد علَّقه[6] البخارىُّ

---

(١) كذا فى النسخ، وفى تاريخ دمشق: «مسيرة». ولم نعثر على معنى لها فى المعاجم، ولعلها بمعنى طهرت ففى تاريخ الطبرى ٣/ ١٦٦: «فعركت حين دخلت عليه، ومات إبراهيم قبل أن تطهر ...». وعركت؛ أى حاضت.

(٢) سقط من: ا ٤١. وفى ا ١١١: «سنة»، وفى م: «بغتة»، وفى تاريخ دمشق: «فتنة». وتفئة ذلك، أى أثر ذلك. انظر النهاية ١/ ١٩٢.

(٣) البخارى (٢٦٨، ٢٨٤، ٥٠٦٨، ٥٢١٥).

(٤ - ٤) سقط من: ا ١١١، ا ٤١، ص.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/٢٨٢ - ٢٨٦، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٦) كذا فى النسخ. والصواب: «علق»، فلم يعلق البخارى عن الحجاج إلا عقب الحديث (٥٢٥٤) من كتاب الطلاق وهو عن جده عن الزهرى عن عروة أنه سأل عائشة عن أى أزواج النبى ﷺ استعاذت منه. وسيأتى قريبا فى صفحة ٢١٤. قال الحافظ فى تهذيب التهذيب ٢/ ٢٠٨: علق له البخارى فى الطلاق.

فى « صحيحِه » عن الحجاجِ هذا ، وأورَد له الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] طُرُقًا عنه - أن أوَّلَ امرأةٍ تزوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ خديجةُ بنتُ خويلدِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابنِ قُصَيٍّ ، زوَّجه إياها أبوها قبلَ البِعثةِ - وفى روايةٍ قال الزهريُّ[2] : وكان عمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ تزوَّجَ خديجةَ إحدَى وعشرين سنةً ، وقيل : خمسًا وعشرين سنةً . زمانَ بُنِيَت الكعبةُ . وقاله الواقديُّ ، وزاد : ولها خمسٌ وأربعون سنةً[3] . وقال آخرون مِن أهلِ العلمِ[4] : كان عمرُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، يومَئذٍ ثلاثين سنةً . وعن حَكيمِ بنِ حِزامٍ[5] قال : كان عمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ تزوَّج خديجةَ خمسًا وعشرين سنةً ، وعمرُها أربعون سنةً . وعن ابنِ عباسٍ[6] : كان عمرُها ثمانيًا وعشرين سنةً . رواهما ابنُ عساكرَ . وقال ابنُ جُرَيْجٍ[7] : كان عليه الصلاةُ والسلامُ ، ابنَ سبعٍ وثلاثين سنةً - فولَدت له القاسمَ ، وبه كان يُكَنَّى ، والطيِّبَ والطاهرَ ، وزينبَ ، ورُقَيَّةَ ، وأمَّ كُلْثومٍ ، وفاطمةَ .

قلتُ : وهى أمُّ أولادِه كلِّهم سوى إبراهيمَ فمِن ماريةَ ، كما سيأتى بيانُه . ثم تكلَّم[8] على كلِّ بنتٍ مِن بناتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ومَن تزوَّجها ، وحاصلُه : أن زينبَ تزوَّجها أبو[9] العاصِ بنُ الرَّبيعِ[10] بنِ عبدِ العُزَّى بنِ عبدِ شمسِ بنِ[10]

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ١٧٧.

(٢) المصدر السابق ٣/١٨٤ عن الزهرى .

(٣) المصدر السابق ٣/١٩٠ ، من طريق الواقدى به .

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٩١.

(٥) المصدر السابق ٣/ ١٩٤.

(٦) المصدر السابق ٣/ ١٩٣.

(٧) المصدر السابق ٣/ ١٨٤.

(٨) أى الزهرى فى رواية يعقوب بن سفيان التى فى دلائل البيهقى .

(٩) سقط من : م . وانظر الإصابة ٧/ ٢٤٨.

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

(١ عبدِ منافٍ ، وهو ابنُ أختِ خديجةَ ، أمُّه هالةُ بنتُ خويلدٍ ١) ، فولَدت (٢ له ابنًا اسمُه عليٌّ ، وبنتًا اسمُها ٢) أُمامةُ بنتُ زينبَ ، وقد تزوَّجها عليُّ بنُ أبى طالبٍ بعدَ وفاةِ فاطمةَ ، ومات وهى عندَه ، ثم تزوَّجتْ بعدَه بالمغيرةِ بنِ نوفلِ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ . وأما رُقَيَّةُ فتزوَّجها عثمانُ بنُ عفّانَ ، فولدت له ابنَه عبدَ اللَّهِ وبه كان يكنَّى أولًا ، ثم اكتَنى بابنِه عمرٍو ، وماتَت رقيَّةُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ ببدرٍ ، ولمَّا قدِم زيدُ بنُ حارثةَ بالبِشارةِ وجَدهم قد ساوَوُا الترابَ عليها ، وكان عثمانُ قد أقام عندَها يُمَرِّضُها ، فضرَب له رسولُ اللَّهِ ﷺ بسهمِه وأجْرِه ، ثم زوَّجه بأختِها أمِّ كُلْثومٍ ، ولهذا كان يقالُ له : ذو النُّورَيْن . فتُوُفِّيَت عندَه أيضًا فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [٣/٣٧٩و] . وأمَّا فاطمةُ فتزوَّجها ابنُ عمِّه عليُّ بنُ أبى طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فدخَل بها بعدَ وقعةِ بدرٍ ، كما قدَّمْنا ، فولَدت له حسنًا ، وبه كان يكنَّى ، وحسينًا ، وهو المقتولُ شهيدًا بأرضِ العراقِ . قلتُ : ويقالُ : ومُحَسِّنًا . قال : وزينبَ وأمَّ كُلْثومٍ ، وقد تزوَّج زينبَ هذه ابنُ عمِّها عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، فولَدت له عليًّا وعَوْنًا ، وماتَت عندَه ، وأمَّا أمُّ كُلْثومٍ فتزوَّجها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ ، فولَدت له زيدًا ومات عنها ، فتزوَّجتْ بعدَه ببَنِى عمِّها جعفرٍ واحدًا بعدَ واحدٍ ؛ تزوَّجت بعَوْنِ بنِ جعفرٍ فمات عنها ، فخلَف عليها أخوه محمدٌ فمات عنها ، فخلَف عليها أخوهما عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، فماتَت عندَه . قال الزهرىُّ : وقد كانت خديجةُ بنتُ خويلدٍ تزوَّجتْ قبلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ برجليْن ؛ الأولُ منهما عَتِيقُ بنُ عائِذِ (٣) بنِ مَخْزومٍ ، فولَدت منه جاريةً وهى أمُّ محمدِ بنِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ .

(٣) فى ١١١ ، ٤١ : « عائذة » ، وفى م ، : « عابد » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٤٢ .

صَيْفِيٌّ ، والثانى أبو هالةَ التميمىُّ فولَدت له هندَ بنَ هندٍ ، وقد سمَّاه ابنُ إسحاقَ[1] ، فقال : ثم خلَف عليها بعدَ هلاكِ [2]عتيقِ بنِ[2] عائِذٍ أبو هالَةَ النَّبَّاشُ ابنُ زُرارةَ ، أحدُ بنى عمرِو بنِ تميمٍ ، حليفُ بنى عبدِ الدَّارِ ، فولَدت له رجلًا وامرأةً ، ثم هَلك عنها ، فخلَف عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فولَدت له بناتِه الأربعَ ، ثم بعدَهن القاسمَ والطيِّبَ والطاهرَ ، فذهَبَ الغِلْمةُ جميعًا وهم يُرضَعون .

قلتُ : ولم يتزوَّجْ عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ مدةَ حياتِها امرأةً ، كذلك رَواه عبدُ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، أنها قالت ذلك[3] . وقد قدَّمْنا تزويجَها فى موضعِه وذكَرْنا شيئًا مِن فضائلِها بدَلائلِها[4] .

قال الزهرىُّ[5] : ثم تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ خديجةَ بعائشةَ بنتِ أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قُحافةَ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ ابنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النضرِ بنِ كِنانةَ ، ولم يتزوَّجْ بِكْرًا غيرَها .

قلتُ : ولم يُولَدْ له منها ولدٌ ، وقيل : بل أسقَطت منه ولدًا سمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ ، ولهذا كانت تُكنَّى بأمِّ عبدِ اللَّهِ . وقيل : إنما كانت تُكنَّى بعبدِ اللَّهِ ابنِ أختِها أسماءَ مِن الزُّبيرِ بنِ العوّامِ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

[٣/٣٧٩ظ] قلتُ : وقد قيل : إنه ﷺ تزوَّج سَوْدةَ قبلَ عائشةَ . قاله ابنُ إسحاقَ وغيرُه كما قدَّمْنا ذكرَ الخلافِ فى ذلك . فاللَّهُ أعلمُ . وقد قدَّمْنا صفةَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٣، ٦٤٤.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٣٦/٧٧) ، عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق به .

(٤) تقدم فى ٣/ ٤٦٢ - ٤٦٩، وتقدم ذكر فضائلها فى ٤/ ٣١٥ - ٣٢٤.

(٥) تقدم قبل قليل من حديث يعقوب بن سفيان فى دلائل البيهقى .

تزويجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بهما قبل الهجرةِ ، وتأخُّرَ دخولِه بعائشةَ إلى ما بعدَ الهجرةِ .

قال : وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ، حفصةَ بنتَ عمرَ بنِ الخطابِ ، وكانت قبلَه تحتَ خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ بنِ قيسِ بنِ عدىِّ بنِ حُذافةَ بنِ سهمِ بنِ عمرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىٍّ ، مات عنها مؤمنًا .

قال : وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم أمَّ سَلَمةَ هندَ بنتَ أبى أُميَّةَ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ ، (١) وكانت قبلَه تحتَ ابنِ عمِّها أبى سَلَمةَ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الأسَدِ بنِ هلالِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ (١) .

قال : وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم سَوْدَةَ بنتَ زَمْعةَ بنِ قيسِ بنِ عبدِ شمسِ ابنِ عبدِ وُدٍّ بنِ نصرِ بنِ مالكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، وكانت قبلَه تحتَ السَّكْرانِ بنِ عمرٍو أخى سُهيلِ بنِ عمرِو بنِ عبدِ شمسٍ ، مات عنها مسلمًا بعدَ رجوعِه وإياها مِن أرضِ الحبشةِ إلى مكةَ ، رضِى اللَّهُ عنهما .

قال : وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم أمَّ حَبِيبةَ رَمْلةَ بنتَ أبى سفيانَ بنِ حربِ ابنِ أميَّةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ ، وكانت قبلَه تحتَ (٢) عُبيدِ اللَّهِ (٢) ابنِ جَحْشِ بنِ رِئابٍ ، مِن بنى أسَدِ بنِ خُزيمةَ ، مات بأرضِ الحبشةِ نصرانيًّا ، بعَث إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ أميَّةَ الضَّمْرىَّ إلى أرضِ الحبشةِ فخطَبها عليه ، فزوَّجها منه عثمانُ بنُ عفَّانَ . كذا قال ، والصوابُ (٣) خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ (٣) ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « عبد الله » . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٥، والإصابة ٧/ ٦٥١.

(٣ - ٣) فى النسخ : « عثمان بن أبى العاص » . والمثبت مما تقدم فى ٦/ ١٤٤ - ١٤٩ فى تزويج النبى ﷺ برملة بنت أبى سفيان . وانظر ذلك فى ترجمتها فى الاستيعاب ٤/ ١٨٤٤، وأسد الغابة ٧/ ١١٥، والإصابة ٧/ ٦٥٢.

وأصْدَقها عنه النجاشيُّ أربعَمائةِ دينارٍ، وبعَث بها مَع شُرَحْبيلَ بنِ حَسَنةَ، وقد قدَّمْنا ذلك كلَّه مطولًا. وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

قال: وتزوَّج صلَّى اللَّه عليه وسلَّم زينبَ بنتَ جَحْشِ بنِ رئابِ بنِ أسَدِ بنِ خُزيمةَ، وأمُّها أُمَيْمةُ بنتُ عبدِ المطلبِ عمَّةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت قبلَه تحتَ زيدِ بنِ حارثةَ مولَاه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وهى أوَّلُ نسائِه لحُوقًا به، (١) وأوَّلُ مَن عُمِل عليها النَّعْشُ، صنَعتْه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ عليها كما رأَت ذلك بأرضِ الحبشةِ (١).

قال: وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم زينبَ بنتَ خُزيمةَ، وهى مِن بنى عبدِ مَنافِ بنِ هلالِ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعةَ، (١) ويقالُ لها: أمُّ المَساكينِ. وكانت قبلَه تحتَ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشِ بنِ رئابٍ، قُتِل يومَ أحدٍ (١)، فلم تَلْبَثْ عندَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلا يسيرًا حتى تُوُفِّيَت، رضِى اللَّهُ عنها.

وقال يونسُ عن محمدِ بنِ إسحاقَ (٢): كانت قبلَه عندَ الحُصينِ بنِ الحارثِ ابنِ عبدِ المطلبِ بنِ عبدِ منافٍ، أو عندَ أخيه الطُّفَيْلِ بنِ الحارثِ.

قال الزهريُّ: وتزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمونةَ بنتَ الحارثِ [٣/٣٨٠و] بنِ حَزْنِ بنِ بُجَيْرِ بنِ الهُزَمِ (٣) بنِ رُوَيْبةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هلالِ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعةَ، قال: وهى التى وهَبَت نفسَها.

قلتُ: الصحيحُ أنه ﷺ خطبَها، وكان السَّفيرَ بينَهما أبو رافعٍ مولَاه، كما بسَطْنا ذلك فى عمرةِ القَضاءِ. قال الزهريُّ: وقد تزوَّجَت قبلَه رجلَيْن، أوَّلُهما

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٤١.

(٣) فى النسخ، والدلائل: «الهرم». والمثبت من الإكمال ٧/ ٤١٢، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٧٤.

ابنُ عبدِ ياليلَ - وقال سَيْفُ بنُ عمرَ فى روايتِه[1] : كانت تحتَ عُميرِ بنِ عمرٍو أحدِ بنى عُقْدةَ مِن ثَقيفِ بنِ عمرٍو الثقفىِّ ، مات عنها - ثم خلَفَ عليها أبو رُهْمٍ ابنُ عبدِ العُزَّى بنِ أبى قيسِ بنِ عبدِ وُدٍّ بنِ نصرِ بنِ مالكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامرِ بنِ لُؤَىٍّ .

قال[2] : وسبَى رسولُ اللَّهِ ﷺ جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارثِ بنِ أبى ضِرارِ بنِ الحارثِ ابنِ عائذِ[3] بنِ مالكِ بنِ المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ ، يومَ المُرَيْسِيعِ ، فأعْتَقها وتزوَّجها . ويقالُ[4] : بل قدِم أبوها الحارثُ ، وكان ملِكَ خُزاعةَ فأسْلَم ، ثم تزوَّجها منه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم . وكانت قبلَه عندَ ابنِ عمِّها صفوانَ بنِ أبى الشُّفْرِ[5] . قاله قتادةُ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، والشعبىُّ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُهم[6] ، قالوا : وكان هذا البطنُ مِن خُزاعةَ حلفاءَ لأبى سفيانَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ولهذا يقولُ حسانُ :

وحلفُ الحارثِ بنِ أبى ضِرارٍ ... وحلفُ قريظةٍ فيكمْ سواءُ

وقال سيفُ بنُ عمرَ فى روايتِه[7] ، عن سعيدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ قالت : وكانت جُوَيْرِيَةُ تحتَ ابنِ عمِّها مالكِ بنِ صفوانَ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/١٦٦ ، من حديث سيف بن عمر .

(٢) أى الزهرى .

(٣) فى ١١١، ٤١، م، ص : «عامر» . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٠٤، وأسد الغابة ٧/ ٥٦، والإصابة ١/ ٥٧٩.

(٤) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٥١ ، عن موسى بن عقبة .

(٥) فى ٤١، م : «السفر» . وفى تاريخ دمشق : «الصفر» . قال صاحب القاموس : وذو الشفر بالضم ابن أبى سرح ، خزاعى . القاموس المحيط (ش ف ر) .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/١٧٣ ، بطرق عنهم .

(٧) المصدر السابق ٣/ ١٦٥.

تَوْلَبٍ[1] ذى الشُّفْرِ بنِ أبى السَّرْحِ بنِ مالكِ بنِ المُصْطَلِقِ .

قال[2] : وسَبَى صفيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ بنِ أخْطَبَ مِن بنى النضيرِ يومَ خيبرَ ، وهى عروسٌ بكنانةَ بنِ أبى الحُقَيْقِ . وقد زعَم سيفُ بنُ عمرَ فى روايتِه[3] أنها كانت قبلَ كنانةَ عندَ سَلَّامِ بنِ مِشْكَمٍ ، فاللَّهُ أعلمُ . قال : فهذه إحدَى عشْرَةَ امرأةً دخَل بهن . قال : وقد قسَم عمرُ بنُ الخطابِ فى خلافتِه لكلِّ امرأةٍ مِن أزواجِ النبىِّ ﷺ اثنَىْ عشَرَ ألفًا ، وأعطَى جُوَيْرِيَةَ وصفيَّةَ ستَّةَ آلافٍ ، ستَّةَ آلافٍ ، بسببِ أنهما سُبِيَتا . قال الزهرىُّ : وقد حجَبهما رسولُ اللَّهِ ﷺ وقسَم لهما .

قلتُ : وقد بسَطْنا الكلامَ فيما تقدَّم فى تزويجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كلَّ واحدةٍ مِن هذه النِّسوةِ ، رضِى اللَّهُ عنهن ، فى موضعِه .

قال الزهرىُّ : [٣/٣٨٠ظ] وتزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ العاليةَ بنتَ ظَبْيانَ بنِ عمرٍو مِن بنى أبى[4] بكرِ بنِ كلابٍ ، ودخَل بها ، وطلَّقها صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم . قال البيهقىُّ : كذا فى كتابى . وفى روايةِ غيرِه : ولم يدخُلْ بها فطلَّقها .

وقد قال محمدُ بنُ سعدٍ[5] ، عن هشامِ بنِ محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبىِّ ، حدَّثنى رجلٌ مِن بنى أبى بكرِ بنِ كِلابٍ ، [6]أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج العاليةَ بنتَ ظَبْيانَ بنِ عمرِو بنِ عوفِ بن كعبِ بنِ عبدِ بنِ أبى بكرِ بنِ كِلابٍ[6] ، فمكَثَت عندَه دَهْرًا ثم طلَّقها .

---

(١) كذا فى النسخ . وليست فى تاريخ دمشق .

(٢) أى الزهرى .

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ١٦٦ .

(٤) سقط من : الأصل ، ٤١ ، م . وانظر الإصابة ٨/ ١٦ .

(٥) الطبقات الكبرى ٨/ ١٤٣ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

وقد روَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] ، عن حجاجِ بنِ أبى مَنِيعٍ ، عن جدِّه ، عن الزهرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، أن الضَّحاكَ بنَ سفيانَ الكِلابىَّ هو الذى دلَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عليها ، وأنا أسمَعُ مِن وراءِ الحِجابِ ، قال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل لك فى أختِ أمِّ شَبيبٍ ؟ وأمُّ شَبيبٍ امرأةُ الضَّحاكِ . وبه[2] قال الزهرىُّ : وتزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ امرأةً مِن بنى عمرِو بنِ كِلابٍ ، فأُنبئ أن بها بَياضًا ، فطلَّقها ولم يدخُلْ بها . قلتُ : الظاهرُ أن هذه هى التى قبلَها . واللَّهُ أعلمُ .

قال[3] : وتزوَّج أختَ بنى الجَوْنِ الكِنْدىِّ ، وهم حلفاءُ بنى فَزارةَ ، فاستَعاذت منه ، فقال : « لقد عُذْتِ بعظيمٍ ، الْحَقِى بأهلِك » . فطلَّقها ولم يدخُلْ بها . قال : وكانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَّةٌ يقالُ لها : ماريَةُ . فولَدَت له غلامًا اسمُه إبراهيمُ ، فتُوُفِّىَ وقد مَلأَ المَهْدَ . وكانت له وَليدةٌ يقالُ لها : رَيْحانةُ بنتُ شَمْعونَ ، مِن أهلِ الكتابِ مِن خنافةَ ، وهم بطنٌ مِن بنى قُريظةَ ، أَعتَقها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ويزعُمون أنها قد احتَجبت .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِه[4] ، عن علىِّ بنِ مُجاهدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج خَوْلةَ بنتَ الهُذَيْلِ بنِ هُبَيرةَ التَّغْلِبىِّ ، وأمُّها خِرْنِقُ بنتُ خليفةَ ، أختُ دِحيةَ بنِ خليفةَ ، فحُمِلت إليه مِن الشامِ ، فماتت فى الطريقِ ، فتزوَّج خالتَها شَرافَ بنتَ فَضالةَ بنِ خليفةَ ، فحُمِلت إليه مِن الشامِ ، فماتت فى الطريقِ أيضًا .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن محمدِ بن إسحاقَ[5] : وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٣.

(٢) أى بالإسناد السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٣.

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٢٤٨. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٨٧، عن يونس بن بكير به .

تزوَّج أسماءَ بنتَ كعبٍ الجَوْنيَّةَ ، فلم يدخُلْ بها حتى طلَّقها ، وتزوَّج عَمرةَ بنتَ يَزيدَ[1] إحدَى نساءِ بنى كلابٍ ، ثم مِن بنى الوَحيدِ ، وكانت قبلَه عندَ الفضلِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فطلَّقها ولم يدخُلْ بها . قال البيهقىُّ : فهاتان هما اللتان ذكَرهما الزهرىُّ ولم يسمِّهما ، إلا أن ابنَ إسحاقَ [٣/٣٨١و] لم يذكُرِ العاليةَ .

وقال البيهقىُّ[2] : أنبأَنا الحاكمُ ، أنبأَنا الأصمُّ ، أنبأَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بكيرٍ ، عن زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن الشعبىِّ قال : وهَبْن لرسولِ اللَّهِ ﷺ نساءٌ أنفسَهن ، فدخَل ببعضِهن ، وأَرْجَى بعضَهن فلم يَقْرَبْهن حتى تُوُفِّىَ ، ولم يُنْكَحْن بعدَه ، منهنَّ أمُّ شَريكٍ ، فذلك قولُه تعالى[3] : ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٥١] . قال البيهقىُّ : وقد رُوِّينا عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه قال : كانت خَوْلَةُ - يعنى بنتَ حكيمٍ - مِمَّن وهَبْن أنفسَهن لرسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال البيهقىُّ : ورُوِّينا فى حديثِ أبى أُسَيْدٍ الساعدىِّ فى قصةِ الجَوْنيَّةِ التى استَعاذت فألحَقَها بأهلِها ، أن اسمَها أُمَيْمةُ بنتُ النُّعمانِ بنِ شَرَاحيلَ . كذا قال .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبيرىُّ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ الغَسِيلِ ، عن حمزةَ بنِ أبى أُسَيدٍ عن أبيه ، وعباسِ بنِ سهلٍ عن أبيه ،

---

(١) فى النسخ والدلائل : « زيد » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٨٧، وأسد الغابة ٧/ ٢٠٥، والإصابة ٨/ ٣٤، ٣٥.

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٨٧.

(٣) التفسير ٦/ ٤٣٧.

(٤) المسند ٣/ ٤٩٨، ٥/ ٣٣٩.

قالا : مرَّ بنا النبيُّ ﷺ وأصحابٌ له ، فخرَجْنا معه حتى انطَلَقْنا إلى حائطٍ يقالُ له : الشَّوْطُ . حتى انتَهينا إلى حائطينْ فجلَسنا بينَهما ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اجلِسوا » . ودخَل هو وقد أُتِىَ بالجَوْنيَّةِ ، فعُزِلَتْ فى بيتِ أُمَيْمةَ بنتِ النُّعمانِ بنِ شَراحيلَ ، ومعها دايَةٌ[1] لها ، فلمَّا دخَل عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « هَبى لى نفسَكِ » . قالت : وهل تهَبُ المِلكةُ نفسَها للسُّوقةِ ؟! وقالت : إنى أعوذُ باللَّهِ منك . قال : « لقد عُذْتِ بمَعاذٍ » . ثم خرَج علينا فقال : « ياأبا أُسَيْدٍ ، اكْسُها رازِقِيَّتين[2] وأَلْحِقْها بأهلِها » . وقال غيرُ أبى أحمدَ[3] : امرأةٌ مِن بنى الجَوْنِ يقالُ لها : أُمَينةُ .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا أبو نُعيم ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ الغَسِيلِ ، عن حمزةَ ابنِ أبى أُسَيْدٍ ، عن أبى أُسَيْدٍ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى انطَلَقْنا إلى حائطٍ يقالُ له : الشَّوْطُ . حتى انتَهينا إلى حائطينْ جلَسْنا بينَهما ، فقال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم : « اجلِسوا هـٰهنا » . فدخَل وقد أُتِىَ بالجَوْنيَّةِ ، فأُنْزِلت فى [5]بيتٍ فى نخلٍ[5] فى بيتِ أُمَيْمةَ بنتِ النُّعمانِ بنِ شَراحيلَ ، ومعها دايَتُها حاضنةٌ لها ، فلمَّا دخَل عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « هَبى نفسكِ لى » . قالت : وهل تهَبُ المِلكةُ نفسَها للسُّوقةِ ؟! قال : فأهوَى بيدِه يضَعُ يدَه عليها لتَسْكُنَ ، فقالت : أعوذُ باللَّهِ منك . فقال : « قد عُذْتِ [٣/٣٨١ظ] بمَعاذٍ » . ثم خرَج علينا فقال : « ياأبا أُسَيْدٍ ،

---

(١) الداية : الظِّئر . والظئر : العاطفةُ على غير ولدها ، المرضعة له من الناس والإبل ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . اللسان (د و ا ، ظ أ ر) .

(٢) فى م : « دراعتين » . والرازقية : ثياب كَتَّانٍ بيض . النهاية ٢/ ٢١٩ .

(٣) القائل هو عبد اللَّه بن الإمام أحمد عقب الحديث فى ٣/ ٤٩٨ .

(٤) البخارى (٥٢٥٥) .

(٥ - ٥) فى م : « محل » .

اكسُها رازقِيَّتَيْنِ وألْحِقْها بأهلِها » .

قال البخاريُّ[1] : وقال الحسينُ بنُ الوليدِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الغَسيلِ ، عن عباسِ بن سهلِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه وأبى أُسَيْدٍ ، قالا : تزوَّج النبىُّ ﷺ أُمَيْمةَ بنتَ شَراحيلَ ، فلمَّا أُدْخِلت عليه بسَط يدَه إليها ، فكأنَّها كرِهت ذلك ، فأمَر أبا أُسَيْدٍ أن يُجَهِّزَها ويَكْسُوَها ثوبين رازِقِيَّين . ثم قال البخاريُّ : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ أبى[2] الوَزيرِ ، ثنا عبدُ الرحمنِ ، عن[3] حمزةَ ، عن أبيه ، وعن عباسِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه بهذا . انفرَد البخاريُّ بهذه الرواياتِ مِن بينِ أصحابِ الكتبِ .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا الحمَيْدىُّ ، ثنا الوليدُ ، ثنا الأوزاعىُّ ، سألْتُ الزهرىَّ : أىُّ أزواجِ النبىِّ ﷺ استَعاذت منه ؟ فقال : أخبرنى عروةُ ، عن عائشةَ ، أن ابنةَ الجَوْنِ لمَّا أُدْخِلت على رسولِ اللَّهِ ﷺ[5] قالت : أعوذُ باللَّهِ منك . فقال : « لقد عُذتِ بعظيمٍ ، الْحَقِى بأهلِكِ » . وقال : ورَواه حجَّاجُ بنُ أبى مَنيعٍ ، عن جدِّه ، عن الزهرىِّ ، أن عروةَ أخبَره أن عائشةَ قالت ... انفرَد به دونَ مسلمٍ .

قال البيهقىُّ[6] : ورأَيتُ فى كتابِ « المعرفةِ » لابنِ مَنْده ، أن اسمَ التى استَعاذت منه أمَيْمةُ بنتُ النُّعمانِ بنِ شَراحيلَ ، ويقالُ : فاطمةُ بنتُ الضَّحاكِ[7] .

---

(١) البخارى (٥٢٥٦، ٥٢٥٧) معلقا .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٥٧.

(٣) فى م ، ص : « بن ».

(٤) البخارى (٥٢٥٤) .

(٥) بعده فى البخارى : « ودنا منها » .

(٦) دلائل النبوة ٧/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٧) بعده فى الدلائل : « ويقال : إنها مليكة الليثية . قلت » .

والصحيحُ أنها أُمَيْمةُ ، واللَّهُ أعلمُ ، وزعَموا أن الكِلابيَّةَ اسمُها عَمْرةُ ، وهى التى وصَفها أبوها بأنها لم تَمْرَضْ قَطُّ ، فرغِب عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى محمدُ بنُ سعدٍ[1] ، عن محمدِ بن عبدِ اللَّهِ ، عن الزهرىِّ قال : هى فاطمةُ بنتُ الضَّحاكِ بنِ سفيانَ ، استَعاذت منه فطلَّقها ، فكانت تَلْقُطُ البَعْرَ وتقولُ : أنا الشَّقِيَّةُ . قال : وتزوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ذى القَعْدةِ سنةَ ثمانٍ ، وماتَت سنةَ ستين .

وذكَر يونسُ[2] ، عن ابنِ إسحاق فيمَن تزوَّجها ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ولم يدخُلْ بها ، أسماءَ بنتَ كعبٍ الجَوْنيَّةَ ، وعمرةَ بنتَ يزيدَ الكِلابيَّةَ . وقال ابنُ عباسٍ وقتادةُ[3] : أسماءُ بنتُ النُّعمانِ بنِ أبى الجَوْنِ . فاللَّهُ أعلمُ . قال ابنُ عباسٍ[4] : لمَّا استَعاذت منه خرَج مِن عندِها مُغْضَبًا ، فقال له الأشْعثُ : لايَسُؤْك ذلك يا رسولَ اللَّهِ فعندى أجملُ منها . فزوَّجه أختَه قُتَيْلةَ . وقال غيرُه[5] : كان ذلك فى ربيعٍ سنةَ تسعٍ .

وقال سعيدُ بنُ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ[6] : تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ خمسَ عشْرَةَ امرأةً . فذكَر [٣/٣٨٢و] منهنَّ أمَّ شَريكٍ الأنصاريَّةَ النَّجَّاريَّةَ ، قال : وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى لأُحِبُّ أن أتزوَّجَ مِن الأنصارِ ، ولكنِّى أكرَهُ غَيْرتَهنَّ » . ولم يدخُلْ بها . قال : وتزوَّج أسماءَ بنتَ الصَّلْتِ مِن بنى حَرامٍ ، ثم مِن بنى

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١٤١.

(٢) تقدم قريبا فى صفحة ٢١١.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٢٢٩ عن قتادة ، وفى ٣/ ٢٢٩، ٢٣٠ عن ابن عباس .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ١٤٧، عن ابن عباس بنحوه .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/١٤٥ ، عن ابن أبى عون .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/٢٨٨ من طريق سعيد به .

سُليمٍ ، ولم يدخُلْ بها ، وخطَب جَمْرةَ بنتَ الحارثِ المُزَنيَّةَ .

وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابوريُّ[1] : وقال أبو عُبَيدةَ مَعْمرُ بنُ المُثَنَّى : تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ ثمانىَ عشْرَةَ امرأةً . فذكَر منهنَّ قُتَيْلةَ بنتَ قيسٍ أختَ الأشعثِ بنِ قيسٍ ، فزعَم بعضُهم أنه تزوَّجها قبلَ وفاتِه بشهريْن ، وزعَم آخرون أنه تزوَّجها فى مرضِه . قال : ولم تكُنْ قدِمت عليه ولا رآها ولا دخل بها . قال : وزعَم آخرون أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أوْصَى أن تُخَيَّرَ قُتَيْلةُ ، فإن شاءت يَضْرِبُ عليها الحِجابَ وتُحَرَّمُ على المؤمنين ، وإن شاءت فلْتَنْكِحْ مَن شاءت ، فاختارتِ النكاحَ ، فتزوَّجها عِكْرِمةُ بنُ أبى جهلٍ بحَضْرَ موتَ ، فبلَغ ذلك أبا بكرٍ فقال : لقد هممْتُ أن أُحَرِّقَ عليهما . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ما هى مِن أمهاتِ المؤمنين ، ولا دخَل بها ولا ضرَب عليها الحِجابَ . قال أبو عُبَيدةَ : وزعَم بعضُهم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُوصِ فيها بشىءٍ ، وأنها ارتَدَّت بعدَه ، فاحتَجَّ عمرُ على أبى بكرٍ بارتدادِها ؛ أنها ليست مِن أمهاتِ المؤمنين . وذكر ابنُ مَندَه أنَّ التى ارتَدَّت هى البَرْصاءُ[2] مِن بنى عوفِ بنِ سعدِ بنِ ذُبْيانَ .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] مِن طرقٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج قُتَيْلةَ أختَ الأشعثِ بنِ قيسٍ ، فمات قبلَ أن يُخَيِّرَها ، فبرَّأها اللَّهُ منه .

وروَى حمادُ بنُ سَلَمةَ[4] ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، أن عِكرمةَ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٨٨، عن الحاكم به .

(٢) فى الأصل : « الرمياء » ، وفى م : « البرحاء » . وانظر الإصابة ٧/ ٥٣٠.

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٢٧، من طريق حماد به .

ابنَ أبى جهلٍ لمَّا تزوَّج قُتَيْلةَ أراد أبو بكرٍ أن يَضْرِبَ عنقَه ، فراجَعه عمرُ بنُ الخطابِ فقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَدْخُلْ بها ، وإنها ارْتَدَّتْ مع أخِيها ، فبَرِئتْ مِن اللَّهِ ورسولِه ﷺ . فلم يزلْ به حتى كَفَّ عنه .

قال الحاكمُ[1] : وزاد أبو عُبَيدةَ فى العَدَدِ فاطمةَ بنتَ شُريحٍ ، وسَنا[2] بنتَ أسماءَ بنِ الصَّلْتِ السُّلَميَّةَ . هكذا روَى ذلك ابنُ عساكرَ مِن طريقِ ابنِ مَنْده بسندِه ، عن قتادةَ ، فذكَره[3] . وقال محمدُ بنُ سعدٍ ، عن ابنِ الكلبىِّ مثلَ ذلك . قال ابنُ سعدٍ : وهى سبا[4] .

[٣/ ٣٨٢ظ] قال ابنُ عساكرَ[5] : ويقالُ سنا[6] بنتُ الصَّلْتِ بنِ حَبيبِ بنِ حارثةَ بنِ هلالِ بنِ حَرامِ بنِ سِماكِ بنِ عوفٍ السُّلَمىِّ .

قال ابنُ سعدٍ[7] : أخبَرَنا هشامُ بنُ محمدِ بنِ السَّائبِ الكلبىُّ ، حدَّثنى العَرْزمىُّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان فى نساءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ سنا بنتُ سفيانَ بنِ عوفِ بنِ كعبِ بنِ أبى بكرِ بنِ كِلابٍ .

وقال ابنُ عمرَ[7] : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث أبا أُسَيْدٍ يخطُبُ عليه امرأةً مِن بنى عامرٍ يقالُ لها : عَمْرةُ بنتُ يزيدَ بنِ عُبيدِ بنِ كِلابٍ ، فتزوَّجها فبلَغه أنَّ بها بَياضًا فطلَّقها .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٨٨، عن الحاكم بسنده السابق .
(٢) فى ٤١، م، ص : « سبأ » .
(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٠ .
(٤) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ١٤٩، وتاريخ دمشق ٣/ ٢٣٠، ٢٣١.
(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٢٣١.
(٦) فى م، ص : « سبأ » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣١، من طريق محمد بن سعد به .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] ، عن الواقدىِّ ، حدَّثنى أبو مَعْشَرٍ قال : تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ مُلَيكةَ بنتَ كعبٍ ، وكانت تُذْكَرُ بجمالٍ بارعٍ . فدخَلَت عليها عائشةُ فقالت : ألا تستَحين أن تَنكِحى قاتلَ أبيكِ ؟ فاستَعاذت منه فطلَّقها ، فجاء قومُها فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنها صغيرةٌ ولا رأىَ لها ، وإنها خُدِعَتْ ، فارْتجِعْها . فأَبَى ، فاستأْذَنوه أن يزوِّجوها بقريبٍ لها من بنى عُذْرةَ ، فأذِنَ لهم . قال : وكان أبوها قد قتَله خالدُ بنُ الوليدِ يومَ الفتحِ .

قال الواقدىُّ[2] : وحدَّثنى عبدُ العزيزِ الجُنْدَعىُّ ، عن أبيه ، عن عطاءِ بنِ يزيدَ قال : دخَل بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رمضانَ سنةَ ثمانٍ ، وماتَت عندَه . قال الواقدىُّ : وأصحابُنا يُنْكِرون ذلك .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[3] : أنبأَنا أبو الفتحِ يوسفُ بنُ عبدِ الواحدِ الماهانىُّ ، أنبأَنا شُجَاعُ بنُ علىِّ بنِ شُجاعٍ ، أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه ، أنبأَنا الحسنُ بنُ محمدِ بنِ حَليمٍ[4] المَرْوَزىُّ ، ثنا أبو المُوَجِّهِ محمدُ بنُ عمرِو بنِ المُوَجِّهِ الفَزَارىُّ ، أنبأَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، أنبأَنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، أنبأَنا يونسُ ابنُ يزيدَ ، عن ابنِ شِهابٍ الزهرىِّ قال : تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ خديجةَ بنتَ خويلدِ بنِ أسَدٍ بمكةَ ، وكانت قبلَه تحتَ عَتيقِ بنِ عائذٍ[5] المخزومىِّ ، ثم تزوَّج بمكةَ عائشةَ بنتَ أبى بكرٍ ، ثم تزوَّج بالمدينةِ حفصةَ بنتَ عمرَ ، وكانت قبلَه تحتَ خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ السهمىِّ ، ثم تزوَّج سَوْدةَ بنتَ زَمْعةَ ، وكانت قبلَه تحتَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ٨/ ١٤٨، ١٤٩.

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ١٧٤، ١٧٥.

(٤) فى النسخ : « حكيم » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٤٧.

(٥) سقط من : ا ٤١، وفى تاريخ دمشق : « عابد » .

السَّكْرانِ بنِ عمرٍو ، أخى بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، ثم تزوَّج أمَّ حَبيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، وكانت قبلَه تحتَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ الأسَدىِّ ، أحدِ بنى خُزَيْمةَ ، ثم تزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم أمَّ سَلَمةَ بنتَ أبى أُميَّةَ ، وكان اسمُها هندَ ، وكانت قبلَه تحتَ أبى سَلَمةَ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الأسدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، [٣/ ٣٨٣و] ثم تزوَّجَ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم زينبَ بنتَ خُزيمةَ الهلاليَّةَ ، وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم العاليةَ بنتَ ظَبْيانَ ، مِن بنى بكرِ ابنِ عمرِو بنِ كلابٍ ، وتزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم امرأةً مِن بنى الجَوْنِ مِن كِنْدَةَ ، وسَبَى جُوَيْرِيَةَ - فى الغزوةِ التى هدَم فيها مَناةَ غزوةِ المُرَيْسِيعِ - ابنةَ الحارثِ بنِ أبى ضِرارٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ ، وسَبَى صفيَّةَ بنتَ حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ مِن بنى النَّضيرِ ، وكانتا مِمَّا أفاء اللَّهُ عليه [(١) فقسَم لهما (١)] ، واسْتَسَرَّ ماريةَ جاريتَه[(٢)] القِبْطِيَّةَ ، فوَلَدت له إبراهيمَ ، واستَسَرَّ رَيْحانةَ مِن بنى قُرَيْظَةَ ، ثم أعتَقها فلَحِقتْ بأهلِها ، واحتَجبت وهى عندَ أهلِها ، وطلَّق رسولُ اللَّهِ ﷺ العاليةَ بنتَ ظَبْيانَ ، وفارَق أختَ بنى عمرِو بنِ كلابٍ ، وفارَق أختَ بنى الجَوْنِ الكِنْدِيَّةَ مِن أجلِ بَياضٍ كان بها ، وتُوُفِّيَتْ زَيْنبُ بنتُ خُزَيمةَ الهلاليَّةُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ حىٌّ ، وبلَغنا أن العاليةَ بنتَ ظَبْيانَ التى طُلِّقت تزوَّجت قبلَ أن يُحَرِّمَ اللَّهُ النساءَ ، فنكَحت ابنَ عمٍّ لها مِن قومِها وولَدت فيهم . سُقْناه بالسَّنَدِ لغرابةِ ما فيه مِن ذِكْرِه تَزْويجَ سَوْدةَ بالمدينةِ ، والصحيحُ أنه كان بمكةَ قبلَ الهجرةِ ، كما قدَّمناه[(٣)] . واللَّهُ أعلمُ .

قال يونسُ بنُ بُكيرٍ[(٤)] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال : فماتَت خديجةُ بنتُ

(١ - ١) سقط من : ا ٤ . وفى بقية النسخ : « فقسمهما لهما » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وهو موافق لما عند البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٨٦.

(٢) سقط من : م .

(٣) انظر ما تقدم فى ٣/ ٣٢٩ - ٣٣٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٨٥، من طريق يونس بن بكير به .

خويلدٍ قبلَ أن يُهاجِرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بثلاثِ سنينَ ، لم يتزوَّجْ عليها امرأةً حتى ماتَت هى وأبو طالبٍ فى سنةٍ ، فتزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ خديجةَ سَودةَ بنتَ زَمْعةَ ، ثم تَزوَّج بعدَ سَوْدةَ عائشةَ بنتَ أبى بكرٍ ، لم يتزوَّجْ بِكْرًا غيرَها ، ولم يُصِبْ منها ولدًا حتى مات ، ثم تزوَّج بعدَ عائشةَ حفصةَ بنتَ عمرَ ، ثم تزوَّج بعدَ حَفْصةَ زينبَ بنتَ خُزَيْمةَ الهِلاليَّةَ أمَّ المساكينِ ، ثم تزوَّج بعدَها أمَّ حَبيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، ثم تزوَّج بعدَها أمَّ سَلَمةَ هندَ بنتَ أبى أُميَّةَ ، ثم تزوَّج بعدَها زينبَ بنتَ جَحْشٍ ، ثم تزوَّج بعدَها جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارثِ بنِ أبى ضِرارٍ . قال : ثم تزوَّج بعدَ جُوَيْرِيَةَ صفيةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطبَ ، ثم تزوَّج بعدَها ميمونةَ بنتَ الحارثِ الهِلاليَّةَ . فهذا الترتيبُ أحسنُ وأقربُ ممَّا رتَّبه الزهريُّ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[(١)] ، عن أبى يحيى ، عن جَميلِ[(٢)] بنِ زيدٍ الطائىِّ ، عن سهلِ[(٣)] بنِ زيدٍ الأنصارىِّ قال : تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٨٣ظ] امرأةً مِن بنى غِفارٍ ، فدخَل بها فأمَرها فنزَعت ثوبَها ، فرأَى بها بَياضًا مِن بَرَصٍ عندَ ثَديَيْها ، فانْمازَ[(٤)] رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « خُذى ثوبَكِ » . وأصبَح فقال لها : « الحَقى بأهلِكِ » . فأكمَل لها صَداقَها .

[(٥)]وقد رَواه أبو نُعيمٍ[(٦)] ، مِن حديثِ جميلِ بنِ زيدٍ ، عن سهلِ بنِ زيدٍ[(٥)]

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ٢٥٦، من طريق يونس بن بكير به .

(٢) فى النسخ : « حميل » . والمثبت من السنن الكبرى ، وهو الصواب ، وانظر التاريخ الكبير ٢/ ٢١٥، ولسان الميزان ٢/ ١٣٦.

(٣) كذا فى النسخ . وفى السنن الكبرى : « سعد » ، واختلف فى اسمه ، والراجح أن اسمه : « زيد بن كعب » ، انظر الإصابة ٢/ ٦١٨، والسنن الكبرى ٧/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٤) انماز : تنحى . انظر الوسيط (م ى ز) .

(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٦) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٢/ ٢٩٨، وعزاه لأبى نعيم .

[1] الأنصاريّ ، وكان مِمَّن رأَى النبيَّ ﷺ قال : تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ امرأةً مِن غِفارٍ ، فذكَر مثلَه .

قلتُ : ومِمَّن تزوَّجهـا صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ولم يدخُلْ بها أمُّ شَريكٍ الأزْديَّةُ . [2] قال الواقديُّ[3] : والمثبتُ أنها دَوْسيَّةٌ[2] . وقيل : الأنصاريَّةُ . ويقالُ : عامريَّةٌ ، وأنها خَوْلةُ بنتُ حكيمٍ السُّلَميّ . وقال الواقديُّ[4] : اسمُها غَزِيَّةُ بنتُ جابرِ بنِ حكيمٍ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن حكيمِ بنِ حكيمٍ ، عن محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيه قال : كان جميعُ ما تزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ خمسَ عشْرَةَ امرأةً ، منهن أمُّ شَريكٍ الأنصاريَّةُ [2] وَهَبَت نفسَها للنبيِّ ﷺ .

وقال سعيدُ بنُ أبي عَروبةَ ، عن قتادةَ[5] : وتزوَّج أمَّ شَريكٍ الأنصاريَّةَ[2] مِن بني النَّجَّارِ ، وقال : « إني أُحِبُّ أن أتزوَّجَ مِن الأنصارِ ، لكنِّي أكرَهُ غَيْرتَهنَّ » . ولم يدخُلْ بها .

وقال ابنُ إسحاقَ ، عن حكيمٍ ، عن محمدِ بنِ عليٍّ ، عن أبيه قال : تزوَّج صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ليلَى بنتَ الخَطيمِ الأنصاريَّةَ ، وكانت غَيورًا فخافَت نفسَها عليه ، فاستَقالتْه فأقَالها[1] .

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ١٥٤، عن الواقدى .

(٤) المصدر السابق ٨/ ١٥٤، ١٥٥.

(٥) تقدم تخريجه ص ٢١٥ .

فصلٌ فيمَن خطَبها عليه الصلاةُ والسلامُ ولم يَعْقِدْ عليها

قال إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ[1] ، عن الشعبىِّ ، عن أمِّ هانئٍ فاختةَ بنتِ أبى طالبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَبها ، فذكَرتْ أن لها صِبْيةً صغارًا فترَكها ، وقال : « خيرُ نساءٍ رَكِبْن الإبلَ صالحُ نساءِ قريشٍ ؛ أحْنَاهُ على[2] طفلٍ فى صِغَرِه ، وأرْعَاهُ على زوجٍ فى ذاتِ يدِه » .

[3]وقال عبدُ الرزاقِ[4] ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب أمَّ هانئٍ بنتَ أبى طالبٍ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى قد كبِرْتُ ولى عِيالٌ .

وقال الترمذىُّ[5] : حدَّثنا عبدُ بنُ حُمَيدٍ ، حدَّثنا [6]عبيدُ اللَّهِ[6] بنُ موسى ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن أمِّ هانئٍ بنتِ أبى طالبٍ قالت : خطَبنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فاعتذَرْتُ إليه فعذَرنى . ثم أنزَل اللَّهُ[7] : ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ١٥٢، من طريق إسماعيل بن أبى خالد به .

(٢) فى م ، ص : « ولد طفل » . وفى الطبقات : « ولد » . والمثبت موافق للفظ إحدى روايات مسلم .

(٣ - ٣) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٢٧/٢٠١) ، من طريق عبد الرزاق به .

(٥) الترمذى (٣٢١٤) . ضعيف الإسناد جدًّا (ضعيف سنن الترمذى ٦٣٠) .

(٦ - ٦) فى م : « عبد اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

(٧) التفسير ٦/ ٤٣٣، ٤٣٦.

عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي [٣/ ٣٨٤و] هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية. قالت: فلم أكُنْ أَحِلُّ له؛ لأنى لم أُهاجِرْ، كنتُ مِن الطُّلَقاءِ. ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ، لا نعرِفُه إلا مِن حديثِ السُّدِّىِّ. فهذا يقتَضى أن مَن لم تكُنْ مِن المهاجراتِ لا تَحِلُّ له ﷺ. وقد نقَل هذا المذهبَ مطلقًا القاضى الماوَرْدِىُّ فى «تفسيرِه» عن بعضِ العلماءِ. وقيل: المرادُ بقولِه: ﴿ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾. (١أى؛ مِن القَراباتِ المذْكوراتِ. وقال قتادةُ(٢): ﴿ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾١)؛ أى أسْلَمْن معك. فعلى هذا لا يَحْرُمُ عليه إلا نساءُ(٣) الكفارِ وتَحِلُّ له جميعُ المسلماتِ، فلا يُنافى تزويجَه مِن نساءِ الأنصارِ إن ثبَت ذلك، ولكن لم يدخُلْ بواحدةٍ منهنَّ أصلًا. وأمَّا حكايةُ الماوَرْدىِّ، عن الشعبىِّ، أن زينبَ بنتَ خُزيمةَ أمَّ المساكينِ أنصاريةٌ، فليس بجيِّدٍ؛ فإنها هلاليَّةٌ بلا خلافٍ(٤)، كما تقدَّم بيانُه. واللَّهُ أعلمُ.

وروَى محمدُ بنُ سعدٍ(٥)، عن هشامِ بنِ الكلبىِّ، عن أبيه، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: أقبَلتْ ليلى بنتُ الخَطيمِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُوَلٍّ ظهرَه إلى الشمسِ، فضرَبتْ مَنْكِبَه فقال: «مَن هذا؟ أكَلَه الأسودُ(٦)». (٧وكان كثيرًا ما يقولُها٧) فقالت: أنا بنتُ مُطْعِمِ الطيرِ، ومُبارِى الريحِ، أنا ليلى بنتُ الخَطيمِ،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) انظر التفسير ٦/ ٤٣٤.

(٣) سقط من: م.

(٤) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٧٤، والاستيعاب ٤/ ١٨٥٣، وأسد الغابة ٧/ ١٢٩، والإصابة ٧/ ٦٧٢.

(٥) الطبقات الكبرى ٨/ ١٥٠.

(٦) فى الطبقات: «الأسد».

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من الطبقات.

جئتُك لأَعرِضَ عليك نفسى ، تَزَوَّجْنى . قال : « قد فعَلْتُ » . فرجَعَتْ إلى قومِها فقالت : قد تزوَّجْتُ النبىَّ ﷺ ، فقالوا : بئس ما صنَعتِ ، أنت امرأةٌ غَيْرَى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ صاحبُ نساءٍ ، تَغارِين عليه ، فيدعو اللَّهَ عليكِ ، فاستَقِيلِيه . فرجَعتْ فقالت : أَقِلْنى يا رسولَ اللَّهِ . فأقالها ، فتزوَّجها مسعودُ بنُ أوسِ بنِ سَوَادِ ابنِ ظَفَرٍ فولَدتْ له ، فبينَما هى يومًا تغتَسلُ فى بعضِ حِيطانِ المدينةِ ، إذ وثَب عليها ذئبٌ أسودُ[1] فأكَل بعضَها[2] ، فماتت .

وبه عن ابنِ عباسٍ[3] ، أن ضُباعةَ بنتَ عامرِ بنِ قُرْطٍ ، كانت تحتَ عبدِ اللَّهِ ابنِ جُدْعانَ فطلَّقها ، فتزوَّجها بعدَه هشامُ بنُ المغيرةِ فولَدتْ له سَلَمةَ ، وكانت امرأةً ضخمةً جميلةً لها شعرٌ غَزيرٌ يُجَلِّلُ جسمَها ، فخطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن ابنِها سَلَمةَ ، فقال : حتى أستأمِرَها . [4]وقيل للنبىِّ ﷺ : إنها قد كَبِرَتْ . فأتاها ابنُها[4] فاستأذَنها فقالت : يا بُنىَّ ، أفى رسولِ اللَّهِ ﷺ تستأذِنُ ؟ فرجَع ابنُها فسكَت ولم يردَّ جوابًا [5]على رسولِ اللَّهِ ﷺ[5] ، وكأنه رأَى أنها قد طَعَنَتْ فى السِّنِّ ، وسكَت النبىُّ ﷺ عنها .

وبه عن ابنِ عباسٍ قال[6] : خطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ صفيَّةَ [٣/ ٣٨٤ظ] بنتَ بَشَامةَ بنِ نَضْلةَ العَنْبرىِّ ، وكان أصابها سِباءٌ[7] فخيَّرها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال :

---

(١) زيادة من النسخ ليست فى الطبقات . وبعده فى الطبقات : « لقول النبى ﷺ » .

(٢) بعده فى الطبقات : « فأُدركت » .

(٣) أى بالإسناد السابق ، بنحوه . الطبقات ٨/ ١٥٣، ١٥٤.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الطبقات .

(٥ - ٥) زيادة من : ا ١١١، ا ٤١.

(٦) المصدر السابق ٨/ ١٥٤.

(٧) فى ا ١١١: « شيئًا » ، وفى م : « سبى » .

« إن شِئتِ أنا ، وإن شئتِ زوجُكِ » . فقالت : بل زوْجى . فأرسَلها ، فلعَنتْها بنو تميمٍ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أنبأَنا الواقدىُّ ، ثنا موسى بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىُّ ، عن أبيه قال : كانت أمُّ شَريكٍ امرأةً مِن بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، فوَهَبَتْ[2] نفسَها لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلم يقبَلْها ، فلم تتزوَّجْ حتى ماتَت .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : وأنبأنا وكيعٌ ، عن شَريكٍ ، عن جابرٍ ، عن الحكمِ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج أمَّ شَريكٍ الدَّوْسِيَّةَ . قال الواقدىُّ[4] : الثَّبَتُ عندَنا أنها مِن دَوْسٍ مِن الأَزْدِ . قال محمدُ بنُ سعدٍ[5] : واسمُها غَزِيَّةُ بنتُ جابرِ بنِ حكيمٍ .

وقال الليثُ بنُ سعدٍ[6] ، عن هشامِ بنِ عُروةَ[7] ، عن أبيه قال : كُنّا[8] نتحدَّثُ[9] أنَّ أمَّ شَريكٍ كانت وهَبت نفسَها للنبىِّ ﷺ ، وكانت امرأةً صالحةً .

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١٥٤.

(٢) فى ا ١١١، ا ٤١، م، ص: « قد وهبت ».

(٣) المصدر السابق ٨/١٥٥ .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/١٥٦ ، عن الواقدى.

(٥) المصدر السابق ٨/ ١٥٤.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٤٦، من طريق الليث به.

(٧) فى النسخ: « محمد ». وهو خطأ. والمثبت من تاريخ الإسلام، جزء السيرة النبوية ص ٥٩٨. وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٤.

(٨) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٩) فى م: « متحدث ».

(١ وممَّن خطَبها[٢] ولم يعقِدْ عليها جمرةُ[٣] بنتُ الحارثِ بنِ عوفِ[٤] بنِ أبى حارثةَ المُزَنىِّ[٥] ، فقال أبوها : إن بها سوءًا . ولم يكُنْ بها ، فرجَع إليها وقد تبرَّصتْ ، وهى أمُّ شَبيبِ بنِ البَرْصاءِ الشاعرِ . هكذا ذكَره سعيدُ بنُ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ .

قال[٦] : وخطَب أمَّ[٧] حَبيبةَ[٨] بنتَ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فوجَد أباها أخاه مِن الرَضاعةِ أرضَعتْهما ثُوَيْبَةُ مولاةُ أبى لهبٍ[١] .

فهؤلاء نساؤُه ، وهن ثلاثةُ أصنافٍ ؛ صِنفٌ دخَل بهن ومات عنهن ، وهن التِّسْعُ المُبدَأُ بذكرِهن[٩] ، وهن حَرامٌ على الناسِ بعدَ موتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بالإجماعِ المحقَّقِ المعلومِ مِن الدينِ ضَرورةً ، وعِدَّتُهن بانقضاءِ أعمارِهن . قال اللَّهُ تعالى[١٠] : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . وصِنفٌ دخَل بهن ﷺ ، وطلَّقهن فى حياتِه ، فهل يَحِلُّ لأحدٍ أن يتزوَّجَهن بعدَ انقضاءِ عِدَّتِهن منه عليه الصلاةُ والسلامُ ؟ فيه قولانِ للعلماءِ ؛ أحدُهما ، لا ؛ لعمومِ الآيةِ

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢٨٨/٧ ، من طريق سعيد بن أبى عروبة به ، وذكر الخطبة فقط . وانظر تاريخ الطبرى ١٦٩/٣ ، حوادث السنة العاشرة .

(٣) فى الأصل ، م : « حمزة » . والمثبت من الدلائل ، وانظر الإصابة ٧/ ٥٥٤.

(٤) فى م : « عون » . وهو تحريف ، انظر المصدر السابق .

(٥) فى م : « المرى » . وفى الدلائل : « المزنية » . والنسبة فيه تعود على المرأة ، والنسبة هنا - كما أثبتناها من الأصل - تعود على أبيها .

(٦) كذا فى : الأصل ، م . وليس هو عن قتادة ، وإنما هو كلام الطبرى فى تاريخه ٣/ ١٦٩.

(٧) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر أسد الغابة ٧/ ٣١٣، والإصابة ٨/ ١٨٦.

(٨) فى الأصل : « حبيب » . وهو مما يقال فى اسمها . انظر المصدرين السابقين .

(٩) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٠١ .

(١٠) التفسير ٦/ ٤٤٥، ٤٤٦.

التى ذكَرْناها . والثانى ، نعم ؛ بدليلِ آيةِ التَّخييرِ وهى قولُه[1] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ [٣/ ٣٨٥و] لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨، ٢٩] . قالوا : فلولا أنها تَحِلُّ لغيرِه أن يتزوَّجها بعدَ فِراقِه إياها لم يكُنْ فى تخييرِها بينَ الدُّنيا والآخرةِ فائدةٌ ، إذ لو كان فِراقُه لها لا يُبيحُها لغيرِه لم يكُنْ فيه فائدةٌ لها ، وهذا قوىٌّ . واللَّهُ تعالى أعلمُ . وأمَّا الصِّنفُ الثالثُ وهى مَن تزوَّجها وطلَّقها قبلَ أن يدخُلَ بها ، فهذه يحِلُّ لغيرِه أن يتزوَّجَها . ولا أعلَمُ فى هذا القسمِ نِزاعًا . وأمَّا مَن خطَبها ولم يَعْقِدْ عقدَه عليها ، فأولَى لها أن تتزوَّجَ ، وأولَى . وسيجِىءُ فصلٌ فى كتابِ الخصائصِ يتعلَّقُ بهذا المَقامِ . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ فى ذِكْرِ سَرارِيِّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ

كانت له ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، سُرِّيَّتان ؛ إحداهما ، ماريَةُ بنتُ شَمْعونَ القِبْطيَّةُ ، أهدَاها له صاحبُ إسْكَنْدَرِيَّةَ ، واسمُه جُرَيْجُ بنُ مِينا ، وأهْدَى معها أختَها سيرينَ[2] - [3]وذكَر أبو نُعيم[4] أنه أهدَاها فى أربعِ جَوارٍ . واللَّهُ أعلمُ[3] -

---

(١) التفسير ٦/٤٠١ - ٤٠٤.

(٢) فى ا ٤١، م، ص : « شيرين » . وهو ما قيل فى اسمها ، انظر ما سيأتى صفحة ٢٩٣، وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢١، والاستيعاب ٤/ ١٨٦٨، وأسد الغابة ٧/ ١٦٠، والإصابة ٧/ ٧٢٢، ٨/ ١١١.

(٣ - ٣) سقط من : ١١١، ا ٤١، ص .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٦٤٥. والضمير فى قوله : « أهداها » يقصد به مارية .

وغلامًا خَصِيًّا اسمُه مأْبورٌ ، وبغلةً يقالُ لها : الدُّلْدُلُ . فقبِل هديَّتَه واختار لنفسِه ماريةَ ، وكانت مِن قريةٍ ببلادِ مصرَ يقالُ لها : حَفْنٌ . مِن كُورةِ أَنْصِنا ، وقد وضَع عن أهلِ هذه البلدةِ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ فى أيامِ إمارتِه الخَراجَ ؛ إكرامًا لها مِن أجلِ أنها حَمَلَتْ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بولدٍ ذكرٍ ، وهو إبراهيمُ ، عليه السلامُ . قالوا : وكانت ماريةُ جميلةً بيضاءَ أُعْجِب بها رسولُ اللَّهِ ﷺ وأَحَبَّها وحَظِيَت[1] عندَه ، ولاسيَّما بعدَ ما وضَعت إبراهيمَ ولدَه . وأمَّا أختُها سيرينُ فوهَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ ، فولَدت له ابنَه عبدَ الرحمنِ بنَ حسَّانَ ، وأمَّا الغلامُ الخَصِيُّ ، وهو مأْبورٌ ، فقد كان يدخُلُ على ماريةَ وسيرينَ بلا إذنٍ كما جرَت به عادتُه بمصرَ ، فتكلَّم بعضُ الناسِ فيها بسببِ ذلك ، ولم يَشْعُروا أنه خَصِيٌّ حتى انكشَف الحالُ ، على ما سنبيِّنُه قريبًا ، إن شاء اللَّهُ تعالى . وأمَّا البغلةُ ، فكان عليه الصلاةُ والسلامُ ، يركَبُها ، والظَّاهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنها التى كان راكِبَها يومَ حنينٍ . وقد تأخَّرتْ هذه البغلةُ ، وطالَت مُدَّتُها حتى كانت عندَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ فى أيامِ إمارتِه ، ومات ، فصارت إلى عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، وكبِرت حتى كان يَجُشُّ[2] [٣/ ٣٨٥ظ] لها الشعيرَ لتأكُلَه .

قال أبو بكرِ بنُ خُزيمةَ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ زيادِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، أنبأَنا سفيانُ ابنُ عُيَينةَ ، عن بَشيرِ بنِ المُهاجرِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيدةَ بنِ الحُصَيْبِ ، عن أبيه قال : أهدَى أميرُ القِبْطِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ جاريتين أختيْن ، وبغلةً ، فكان يركَبُ

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « حضيت » . وفى ٤١ : « حصيت » . وإنما المعروف فى هذا الفعل بالظاء ، وهو ما أثبتناه .

(٢) يجش الشعير : يدُقُّه من غير أن يُنْعِم دَقَّه .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، من طريق ابن خزيمة به .

البغلةَ بالمدينةِ، واتَّخَذَ إحدَى الجاريتيْن، فولَدت له إبراهيمَ ابنَه، ووهَب[1] الأخرَى.

وقال الواقدىُّ[2]: حدَّثنا يعقوبُ بنُ محمدِ بنِ أبى صَعْصعةَ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى صَعْصعةَ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْجَبُ بمارية القِبْطِيَّةِ، وكانت بيضاءَ جَعْدةً جميلةً، فأنزَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ وأختَها على أمِّ سُلَيم بنتِ مِلْحانَ، فدخَل عليهما رسولُ اللَّهِ ﷺ، فعرَض عليهما الإسلامَ، فأسْلَمتا هناك، فوَطِئ ماريةَ بالمِلْكِ، وحوَّلها إلى مالٍ له بالعاليةِ كان مِن أموالِ بنى النَّضيرِ، فكانت فيه فى الصَّيْفِ، وفى خُرافةِ[3] النخلِ، فكان يأتِيها هناك، وكانت حَسَنةَ الدينِ، ووهَب أختَها سيرينَ لحسانَ بنِ ثابتٍ فوَلَدَتْ له عبدَ الرحمنِ، وولدتْ ماريةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ غلامًا سمَّاه إبراهيمَ، وعقَّ عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ بشاةٍ يومَ سابعِه، وحلَق رأسَه، وتصدَّق بزِنَةِ شَعْرِه فِضَّةً على المساكينِ، وأمَر بشعْرِه فدُفِن فى الأرضِ، وسمَّاه إبراهيمَ، وكانت قابِلَتُها سَلْمَى مولاةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فخرَجتْ إلى زوجِها أبى رافعٍ فأخبَرتْه بأنها قد ولَدت غلامًا، فجاء أبو رافعٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فبشَّره، فوهَب له عَبْدًا[4]، وغار نساءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ واشتَدَّ عليهن حينَ رُزِق منها الولدَ.

وروَى الحافظُ أبو الحسنِ الدارَقطنىُّ[5]، عن أبى عُبيدٍ القاسمِ بنِ إسماعيلَ،

---

(١) فى تاريخ دمشق: «ذهبت».

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٢١٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٦. كلاهما من طريق الواقدى به، واللفظ لابن عساكر.

(٣) فى تاريخ دمشق: «طرفة». والخرافة: ما خُرِف - أى صُرِم واجتُنِى - من النخل. انظر اللسان (خ ر ف).

(٤) فى م: «عقدًا».

(٥) سنن الدارقطنى ٤/ ١٣١، ١٣٢.

عن زيادِ بنِ أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ زكريا المَدائنيِّ ، عن ابنِ أبى سارةَ ، [1]عن ابنِ أبى الحسينِ[1] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لمَّا ولَدت ماريةُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أعتَقَها ولدُها » . ثم قال الدارَقطنيُّ : تفرَّد به زيادُ بنُ أيوبَ وهو ثقةٌ . وقد رَواه ابنُ ماجه[2] ، مِن حديثِ حسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ بمثلِه . ورُوِّيناه مِن وجهٍ آخرَ . وقد أفرَدْنا لهذه المسألةِ ، وهى بيعُ [٣/ ٣٨٦و] أمَّهاتِ الأولادِ ، مصنَّفًا مفردًا على حدَتِه ، وحكَيْنا فيه أقوالَ العلماءِ بما حاصلُه يرجِعُ إلى ثمانيةِ أقوالٍ ، وذكَرْنا مستندَ كلِّ قولٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[3] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عليِّ بنِ أبى طالبٍ قال : أكْثَروا على ماريةَ أمِّ إبراهيمَ فى قِبْطيٍّ ابنِ عمٍّ لها يزورُها ويختَلِفُ إليها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خُذْ هذا السيفَ فانطلِقْ ، فإن وجَدْتَه عندَها فاقتُلْه » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أكونُ فى أمْرِك إذا أرسَلْتَنى كالشَّكَّةِ[4] المُحَمَّاةِ لا يَثْنِينى شىءٌ حتى أمضِىَ لِما أمَرْتَنى به ، أم الشاهدُ يَرى ما لا يَرَى الغائبُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل الشاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائبُ » . فأقبَلْتُ مُتَوَشِّحًا السيفَ ، فوجَدْتُه

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، م . وفى ص : « عن سارة » . والمثبت من سنن الدارقطنى . وهو عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبى حسين بن الحارث النوفلى المكى ، انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) ابن ماجه (٢٥١٦) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٥٤٨) .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٥٢ ، كما أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/ ١٧٧ ، ١٧٨ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ . كلاهما من طريق يونس به . وقال الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة : إسناد متصل جيد .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « كالسكة » . وهو لفظ الحلية وتاريخ دمشق . والشكة : السلاح . انظر النهاية ٢/ ٤٩٥ . وانظر ما يأتى فى الصفحة القادمة حاشية (٤) .

عندَها ، فاجتَرَطْتُ السيفَ فلمَّا رآنى عَرَف أنى أريدُه ، فأتَى نخلةً فرَقِىَ فيها ، ثم رمَى بنفسِه على قَفاه ، ثم شال[1] رجليْه ، فإذا به أجَبُّ أمْسَحُ ما له ممَّا للرجالِ قليلٌ ولا كثيرٌ[2] ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبَرْته فقال : « الحمدُ للَّهِ الذى صرَف عنَّا ، أهلَ البيتِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، ثنا سفيانُ ، حدَّثنى محمدُ بنُ عمرَ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن علىٍّ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إذا بَعَثْتَنى أكونُ كالسِّكَّةِ[4] المُحَمَّاةِ ، أم الشاهدُ يَرَى ما لا يرَى الغائبُ ؟ قال : « الشاهدُ يَرَى ما لا يرَى الغائبُ » . هكذا رَواه مختصرًا . وهو أصلُ الحديثِ الذى أورَدْناه ، وإسنادُه رجالٌ ثِقاتٌ .

(٥ وقال الطبرانىُّ[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ عمرِو بنِ خالدٍ الحرَّانىُّ ، حدَّثنا أبى ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، وعُقَيْلٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ قال : لمَّا ولَدت ماريةُ إبراهيمَ ، كاد أن يقَعَ فى النبىِّ ﷺ منه شىءٌ حتى نزَل جبريلُ ، عليه السلامُ ، فقال : السلامُ عليك يا أبا إبراهيمَ .

وقال أبو نُعيمٍ : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ يحيى الباهلىُّ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ محمدٍ ، عن رجلٍ سمَّاه ،٥)

---

(١) فى الحلية : « شغر » . وشال وشغر بمعنى رفع .

(٢) بعده فى سيرة ابن إسحاق : « فغمدت السيف » .

(٣) المسند ١/ ٨٣. قال الشيخ شعيب (٦٢٨) : حسن لغيره .

(٤) السكة : حديدة قد كُتب عليها ، يُضرَب عليها الدراهم ، وهى المنقوشة ، وهى لا تتصرف فى النقش ، بل هى دائمًا تنقش النقشَ الذى فيها ، والمراد : هل يكون مثلها فى عدم التجاوز عن ما أُمر به وإن رأى المصلحة فى خلافه ؟ أم أن له النظر والرأى فيما يظهر له بسبب الحضور ؟ ، فأجاز له النظر ، لأنه قد يخفى على الغائب ما يظهر للشاهد .

(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/٣ ، من طريق ابن لهيعة به .

(١) عن الليثِ بنِ سعدٍ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : أهدَى مَلِكٌ مِن بَطارقةِ الرومِ يقالُ له : المُقَوْقِسُ . جاريةً قِبْطيَّةً مِن بناتِ الملوكِ يقالُ لها : ماريةُ . (٢) إلى النبيِّ ﷺ (٢) ، وأهْدَى معها ابنَ عمٍّ لها شابًّا ، فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٣٨٦ظ] منها ذاتَ يومٍ (٣) مدخلَ خَلْوَةٍ (٣) ، فأصَابها فحمَلت (٤) بإبراهيمَ . قالت عائشةُ : فلمَّا استَبان حملُها جَزِعتُ مِن ذلك ، فسكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم يكُنْ لها لبنٌ ، فاشتَرى (٥) لها ضأنَةً (٥) لَبونًا تُغَذِّى (٦) منها الصبيَّ ، فصلُح عليه (٧) جسمُه وحسُن لونُه ، وصفا لونُه ، (٨) فجاء به (٨) ذاتَ يومٍ (٩) يَحْمِلُه على عُنُقِه (٩) فقال : « يا عائشةُ ، كيف تَرَيْنَ الشَّبَهَ ؟ » فقلتُ (١٠) وأنا (١٠) غَيْرَى : ما أرَى شَبَهًا . فقال : « ولا اللحمُ ؟ » فقلتُ : لَعَمْرى ، مَن تغَذَّى بألبانِ الضَّأْنِ لَيَحْسُنُ (١١) لحمُه (١) .

قال الواقديُّ (١٢) : ماتت ماريةُ فى المُحَرَّمِ سنةَ ستَّ (١٣) عشْرةَ ، فصلَّى عليها

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٢ - ٢) زيادة ليستقيم السياق .

(٣ - ٣) فى م : « يدخل خلوته » .

(٤) فى الأصل ، م : « حملت » . والمثبت يستقيم به السياق .

(٥ - ٥) فى الأصل : « له ضانية » .

(٦) فى الأصل : « فغدى » .

(٧) فى م : « إليه » .

(٨ - ٨) فى م : « فجاءته » .

(٩ - ٩) فى م : « تحمله على عاتقها » .

(١٠ - ١٠) فى م : « أنا و » .

(١١) فى الأصل : « ليحسنن » .

(١٢) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٨/ ٢١٦ عن الواقدى ، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٨ من طريق ابن سعد به .

(١٣) فى النسخ : « خمس » . وهو سهو ، وسيأتى فيما ذكره المصنف عن الواقدى أنها ماتت فى سنة ست عشرة ، فى حوادث سنة ست عشرة من الكتاب . والمثبت من الطبقات وتاريخ دمشق . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٣٨، والاستيعاب ٤/ ١٩١٢، وأسد الغابة ٧/ ٢٦١، والإصابة ٨/ ١١٢.

عمرُ، ودفَنها فى البَقيعِ. وكذا قال [1] المُفَضَّلُ بنُ غَسَّانَ الغَلَّابِىُّ [1]. وقال خليفةُ وأبو عُبَيْدٍ [2] ويعقوبُ بنُ سفيانَ: ماتت سنةَ ستٍّ عشْرةَ [3]، رحِمها اللَّهُ.

ومنهنَّ رَيْحانةُ بنتُ زيدٍ، من بنى النضيرِ، ويقالُ: من بنى قُرَيْظةَ [4]. قال الواقدىُّ [5]: كانت رَيْحانةُ بنتُ زيدٍ مِن بنى النَّضِيرِ، وكانت مُزَوَّجةً [6] فى بنى قُرَيظَةَ [6]، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أخَذها لنفسِه صَفِيًّا، وكانت جميلةً فعرَض عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تُسْلِمَ، فأبَتْ إلا اليهوديَّةَ، فعزَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ووجَد فى نفسِه، فأرْسَل إلى ابنِ سَعْيَةَ [7]، فذكَر له ذلك، فقال ابنُ سعيةَ: فداك أبى وأمى، هى تُسْلِمُ. فخرَج حتى جاءها فجعَل يقولُ لها: لا تَتَّبعى قومَكِ، فقد رأيْتِ ما أدْخَل عليهم حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ، فأسْلمى يَصْطَفيكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ لنفسِه. فبينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه إذ سمِع وَقْعَ نعلَيْن، فقال: «إنَّ هاتين لَنَعْلا ابنِ سعيةَ يُبَشِّرُنى بإسلامِ رَيْحانةَ». فجاءه فقال: يارسولَ اللَّهِ، قد أسْلَمَتْ

(١ - ١) فى الأصل: «الفضل بن عسان العلآلى»، وفى ١١١: «الفضل بن عتبان العلإلى»، وفى ٤١، ص: «الفضل بن غسان الغلابى». وانظر الأنساب ١/ ٢٤١. وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٧، ٢٣٨ عن المفضل. وقول المفضل هناك: خمس عشرة. وقد أثبتنا صحة قول الواقدى على أنه: ست عشرة. ولما كان المصنف، رحمه الله، لم يذكر كلام المفضل تحديدًا، وإنما أحاله على القول الأول - والذى صوبناه - لذا تعين التنبيه على قول المفضل فى تاريخ دمشق.

(٢) فى م: «عبيدة».

(٣) تاريخ خليفة ص ١٢٥، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٣٨٥، كما أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩ هذه الأقوال عن ثلاثتهم.

(٤) بعده فى م، ص: «قال الواقدى: كانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير. ويقال: من بنى قريظة».

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٥٢٠، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٢٣٩، عن الواقدى.

(٦ - ٦) فى النسخ: «فيهم». والمثبت من المغازى وتاريخ دمشق.

(٧) فى ٤١: «سنعة»، وفى م: «شعبة». وانظر أسد الغابة ٧/ ١٢٠، ١٢١، والإصابة ٧/ ٦٥٨.

رَيْحانةُ . فسُرَّ بذلك .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : لما فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْظةَ اصْطَفى لنفسِه رَيْحانةَ بنتَ عمرِو بنِ خُنافةَ ، فكانت عندَه حتى تُوُفِّيَ عنها وهى فى مِلْكِه ، وكان عرَض عليها الإسلامَ ويتزوَّجُها ، فأبَتْ إلا اليهوديَّةَ . ثم ذكَر مِن إسلامِها ما تقدم .

قال الواقدىُّ[2] : فحدثنى عبدُ الملكِ بنُ سليمانَ ، عن أيوبَ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ أبى صَعْصَعةَ ، عن أيوبَ بنِ بَشيرٍ المُعاوىِّ قال : فأرْسَل بها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بيتِ سَلْمَى بنتِ قيسٍ أمِّ المُنْذِرِ ، فكانت عندَها حتى حاضت حَيْضةً ، ثم طَهُرتْ مِن حيضِها ، فجاءت أمُّ المُنذرِ ، فأخبرتْ [٣/٣٨٧و] رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فجاءها فى منزلِ أمِّ المُنذرِ ، فقال لها : « إن أحْبَبْتِ أن أُعْتِقَكِ وأتزَوَّجَكِ فعَلْتُ ، وإن أحْبَبْتِ أن تكونى فى مِلْكى أطؤُكِ بالمِلْكِ فعَلْتُ » . فقالت : يارسولَ اللَّهِ ، إنه أخفُّ عليك وعلىَّ أن أكونَ فى مِلْكِك . فكانت فى مِلْكِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَطَؤُها حتى ماتت .

قال الواقدى[3] : وحدثنى ابنُ أبى ذئبٍ قال : سأَلْتُ الزهرىَّ عن رَيْحانةَ فقال : كانت أَمَةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأعْتَقَها وتزَوَّجَها ، فكانت تحْتَجِبُ فى أهلِها وتقولُ : لا يرانى أحدٌ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال الواقدُى[3] : وهذا أثْبَتُ الحديثَيْنِ عندَنا ، وكان زوجُها قبلَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، الحكمَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٥. بنحوه .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٢١.

وقال الواقدىُّ[1] : ثنا عاصمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحكَمِ ، عن عمرَ بنِ الحكمِ قال : أعْتَق رسولُ اللَّهِ ﷺ رَيْحانةَ بنتَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ خُنافةَ ، وكانت عندَ زوجٍ لها ، وكان مُحِبًّا لها مُكْرِمًا ، فقالت : لا أسْتَخْلِفُ بعدَه أحدًا أبدًا . وكانت ذاتَ جمالٍ ، فلما سُبِيَت بنو قُرَيظةَ عُرِض السَّبْىُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . قالت : فكنتُ فيمَن عُرِض عليه ، فأمَر بى فعُزِلْتُ ، وكان يكونُ له صَفِيٌّ فى كلِّ غَنيمةٍ ، فلما عُزِلْتُ خار اللَّهُ لى ، فأرْسَل بى إلى منزلِ أُمِّ المُنذرِ بنتِ قيسٍ أيامًا حتى قتَل الأسْرى وفرَّق السَّبْىَ ، فدخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فتَحَيَّيْتُ[2] منه حياءً ، فدعانى فأجْلَسنى بينَ يديه ، فقال : « إن اخْتَرْتِ اللَّهَ ورسولَه ، اختارَكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ لنفسِه » . فقلتُ : إنى أخْتارُ اللَّهَ ورسولَه . فلما أسْلَمْتُ أعْتَقَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وتزَوَّجَنى وأصْدَقَنى اثنتَىْ عشْرَةَ أوقيَّةً ونَشًّا ، كما كان يُصْدِقُ نساءَه ، وأعْرَس بى فى بيتِ أُمِّ المُنذرِ ، وكان يَقْسِمُ لى كما كان يَقسِمُ لنسائِه ، وضرَب علىَّ الحِجابَ . قال : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مُعْجَبًا بها ، وكانت لا تَسْأَلُه شيئًا إلَّا أعْطاها ، فقيل لها : لو كنتِ سألْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ بنى قُرَيْظةَ لأعْتَقَهم . وكانت تقولُ : لم يَخْلُ بى حتى فرَّق السَّبْىَ . ولقد كان يَخْلو بها ويَسْتَكْثِرُ منها ، فلم تزَلْ عندَه حتى ماتت مَرْجِعَه مِن حَجةِ الوَداعِ ، فدفَنها بالبَقيعِ ، وكان تزويجُه إياها فى المحرَّمِ سنةَ ستٍّ مِن الهجرةِ .

[٣/٣٨٧ظ] وقال ابنُ وهبٍ[3] ، عن يونسَ بنِ يزيدَ ، عن الزهرىِّ قال : واستَسَرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ رَيْحانةَ مِن بنى قُرَيْظةَ ، ثم أعْتَقَها فلَحِقَتْ بأهلِها .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ١٢٩، ١٣٠ ، من طريق الواقدى به .

(٢) فى الأصل : غير منقوطة . فى ١١١، ٤١، م : « فتجنبت » . وتحييت : انقبضت وانزويت .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٤١، من طريق ابن وهب به .

وقال أبو عُبَيدةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[1] : كانت رَيْحانةُ بنتُ زيدِ بنِ شَمْعونَ مِن بنى النَّضِيرِ ، وقال بعضُهم : مِن بنى قُرَيْظةَ . وكانت تكونُ فى نخلٍ مِن[2] نخلِ الصدقةِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقيلُ عندَها أحيانًا ، وكان سباها فى شوالٍ سنةَ أربعٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[3] : ثنا أحمدُ بنُ المِقْدامِ ، ثنا زُهَيرٌ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قال : كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ وَليدتان ؛ ماريةُ القِبْطيَّةُ ، ورُبَيْحَةُ أو رَيْحانةُ بنتُ شَمْعونَ بنِ زيدِ بنِ خُنافَةَ ، مِن بنى [4]عمرِو بنِ[4] قُرَيظةَ ، كانت عندَ ابنِ عمٍّ لها يقالُ له : عبدُ الحكمِ . فيما بَلغنى ، وماتت قبلَ وفاةِ النبىِّ ﷺ .

وقال أبو عُبَيدةَ مَعْمرُ بنُ المُثَنَّى[5] : كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ أربعُ وَلائدَ ؛ ماريةُ القِبْطيَّةُ ، ورَيْحانةُ القُرَظِيَّةُ ، وكانت له جاريةٌ أخرى جَميلةٌ فكادها نساؤُه وخِفْنَ أن تَغْلِبَهنَّ عليه ، وكانت له جاريةٌ نَفيسةٌ وَهَبَتْها له زينبُ بنتُ جحشٍ ، وكان هَجَرَها فى شأنِ صفيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ ذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وصَفَرًا ، فلما كان شهرُ ربيعٍ الأولِ الذى قُبِض فيه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، رَضِىَ عن زينبَ ودخَل عليها ، فقالت : ما أدرى ما أَجْزيك[6] ؟ فوهَبتْها له ﷺ .

وقد روَى سيفُ بنُ عمرَ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كان يَقْسِمُ لماريةَ ورَيْحانةَ مرةً ، ويَتْرُكُهما مرةً[7] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٤١، ٢٤٢، عن أبى عبيدة .

(٢) فى تاريخ دمشق : « تحت » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٢٤٢ ، من طريق أبى بكر به .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى تاريخ دمشق .

(٥) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٤٢.

(٦) فى تاريخ دمشق : « أحزنك » .

(٧) بعده فى الأصل : « وقال أبو نعيم : قال محمد بن عمر الواقدى : توفيت ريحانة سنة ست عشرة =

فصـلٌ فى ذكرِ أولادِه، عليه وعليهم الصلاةُ والسلامُ

لا خلافَ أن جميعَ أولادِه ﷺ مِن خديجةَ بنتِ خويلدٍ، رضِى اللَّهُ عنها، سوى إبراهيمَ فمِن ماريةَ بنتِ شَمْعونَ القِبْطيَّةِ، قال محمدُ بنُ سعدٍ[1]: أنبأنا هشامُ بنُ الكَلْبىِّ، أخبرنى أبى، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما، قال: كان أكبرُ ولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ القاسمَ، ثم زينبَ، ثم عبدَ اللَّهِ، ثم أمَّ كُلْثومٍ، ثم فاطمةَ، ثم رُقَيَّةَ، رضوانُ اللَّهِ عليهم أَجْمَعِينَ، فمات القاسمُ - وهو أولُ ميتٍ مِن ولدِه - بمكةَ، ثم مات عبدُ اللَّهِ، فقال [٣/٣٨٨و] العاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمىُّ: قد انقطع نَسْلُه فهو أبْتَرُ. فأنزل اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر]. قال: ثم ولَدت له ماريةُ بالمدينةِ إبراهيمَ فى ذى الحِجَّةِ، سنةَ ثمانٍ

= وصلى عليها عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع». وبعده فى م: «وقال أبو نعيم: قال أبو محمد بن عمر الواقدى: توفيت ريحانة سنة عشرة وصلى عليها عمر بن الخطاب ودفنها بالبقيع ولله الحمد». وهذه الزيادة من النسختين لا يستقيم ما فيهما مع ما ذكر مما تقدم من هذا الفصل - ومع ما سنحيل إليه فى نهاية هذه الحاشية - فالتى توفيت سنة ست عشرة هى مارية وهى التى صلى عليها عمر ودفنها بالبقيع، والتى توفيت مرجع النبى ﷺ من حجة الوداع - أى سنة عشر - هى ريحانة، ولكن لم يصل عليها، ويدفنها بالبقيع عمر، فقد كانت وفاة ريحانة فى حياة النبى ﷺ. وأما محمد بن عمر الواقدى فكنيته أبو عبد الله. انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٤٧، ١٩١٢، وأسد الغابة ٧/ ١٢٠، ٢٦١، والإصابة ٨/ ١١٢، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١٨٠.

(١) طبقات ابن سعد ١/ ١٣٣. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٢٦، من طريق ابن سعد به.

مِن الهجرةِ ، فمات ابنَ ثمانيةَ عشَرَ شهرًا .

وقال أبو الفرجِ المُعَافَى بنُ زكريا الجَريرِيُّ[1] : ثنا عبدُ الباقى بنُ قانعٍ[2] ، ثنا محمدُ بنُ زكريا ، ثنا[3] العباسُ بنُ بَكَّارٍ ، حدثنى محمدُ بنُ زيادٍ والفُراتُ بنُ السائبِ ، عن ميمونِ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما قال : ولَدتْ خديجةُ مِن النبىِّ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ ، ثم أبْطأ عليه الولدُ مِن بعدِه ، فبيْنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ رجلًا والعاصُ[4] بنُ وائلٍ ينْظُرُ إليه ، إذ قال له رجلٌ : مَن هذا ؟ [5]قال له : هذا[5] الأبْتَرُ . وكانت قريشٌ إذا وُلِد للرجلِ وَلَدٌ[6] ، ثم أبْطَأ عليه الولدُ مِن بعدِه قالوا : هذا الأبْترُ . [5]فأنزلَ اللَّهُ ، تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ . أى ؛ مُبْغِضَك هو الأبْتَرُ مِن كلِّ خيرٍ . قال : ثم ولَدتْ له زينبَ[5] ، ثم ولَدتْ له رُقَيَّةَ ، ثم ولَدتْ له القاسمَ ، ثم ولَدتِ الطاهرَ ، ثم ولَدتِ المُطَهَّرَ ، ثم ولَدتِ الطَّيِّبَ ، ثم ولَدتِ المُطَيَّبَ ، ثم ولَدتْ أمَّ كُلْثومٍ ، ثم ولَدتْ فاطمةَ ، وكانت أصغرَهم ، وكانت خديجةُ إذا ولَدتْ ولدًا دفَعَته إلى مَن تُرْضِعُه ، فلمَّا ولَدتْ فاطمةَ لم يُرْضِعْها أحدٌ[7] غيرُها .

وقال الهيثمُ بنُ عَدىٍّ[8] : حدثنا هشامُ بنُ عُروةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٢٨، من طريق أبى الفرج الجريرى به .

(٢) فى الأصل ، ١١١، م ، ص : « نافع » . وفى ا ٤ : « رافع » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢٦.

(٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) سقط من : م ، ص .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٢٩، من طريق الهيثم بن عدى به .

أبيه قال: كان للنبيِّ ﷺ ابنان؛ طاهرٌ والطَّيِّبُ. [1]وكان يسمَّى أحدَهما عبدَ شَمْسٍ والآخرَ عبدَ العُزَّى. وهذا فيه نَكارَةٌ. واللَّهُ أعلمُ[1].

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[2]: أخبرنى الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، أن خديجةَ ولَدت القاسمَ والطَّيِّبَ والطاهرَ ومُطَهَّرًا وزينبَ ورُقَيَّةَ وفاطمةَ وأمَّ كُلْثومٍ.

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[3]: أخبرنى [4]عمِّى مصعبُ[4] بنُ عبدِ اللَّهِ قال: ولَدتْ خديجةُ [5]القاسمَ والطاهرَ[5] - وكان يقالُ له: الطَّيِّبُ. ووُلِد الطاهرُ بعدَ النبوةِ، ومات صغيرًا، واسمُه عبدُ اللَّهِ - وفاطمةَ وزينبَ ورُقَيَّةَ وأمَّ كُلْثومٍ، رضوانُ اللَّهِ عليهم أَجْمَعِينَ.

قال الزُّبيرُ[6]، وحدثنى إبراهيمُ بنُ المنذرِ، عن ابنِ وهبٍ، عن ابنِ لَهيعةَ، عن أبى الأسْودِ، أن خديجةَ ولَدت القاسمَ والطاهرَ والطيِّبَ وعبدَ اللَّهِ وزينبَ ورُقَيَّةَ [7]وفاطمةَ[7] وأمَّ كُلْثومٍ.

وحدثنى[8] محمدُ بنُ فَضالةَ عن بعضِ مَن أدْرَكَ مِن المَشْيَخةِ قال: ولَدتْ خديجةُ القاسمَ وعبدَ اللَّهِ، فأما القاسمُ فعاش حتى مشَى، وأما عبدُ اللَّهِ فمات

(١ - ١) سقط من: ١١١، ٤١.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٠، من طريق محمد بن عائذ به.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٠، من طريق الزبير بن بكار به.

(٤ - ٤) سقط من: ٤١. وفى الأصل، ١١١: «عن مصعب».

(٥ - ٥) كذا فى النسخ وهو موافق لما فى نسخة تاريخ دمشق طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق. وفى مطبوعة تاريخ دمشق: «الطاهر والقاسم».

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٠، ١٣١، من طريق الزبير به.

(٧ - ٧) سقط من: ١١١، ٤١.

(٨) القائل هو الزبير بن بكار، والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣١، من طريق الزبير به.

وهو صغيرٌ.

وقال الزبيرُ[1] : كانت خديجةُ [٣/٣٨٨ظ] تُدْعَى فى الجاهليَّةِ الطاهرةَ بنتَ خويلدٍ ، وقد ولَدت لرسولِ اللَّهِ ﷺ القاسمَ ، وهو أكبرُ ولدِه وبه كان يُكَنَّى ، ثم زينبَ ، ثم عبدَ اللَّهِ ، وكان يقالُ له : الطَّيِّبُ . ويقالُ له : الطاهرُ . وُلِد بعدَ النبوةِ ومات صغيرًا ، ثم أمَّ كُلْثومٍ ، ثم فاطمةَ ، ثم رُقَيَّةَ . هم هكذا الأولَ فالأولَ ، ثم مات القاسمُ بمكةَ - وهو أولُ ميتٍ مِن ولدِه - ثم مات عبدُ اللَّهِ ، ثم ولَدتْ له ماريةُ بنتُ شَمْعونَ إبراهيمَ ، وهى القِبْطيَّةُ التى أهْداها له[2] المُقَوْقِسُ صاحبُ إسْكَنْدَرِيَّةَ ، وأهْدَى معها أختَها سيرينَ[3] ، [4]وخَصِيًّا يقالُ له : مَأْبورٌ . فوهَب سيرينَ[5][4] لحسانَ بنِ ثابتٍ ، فولَدتْ له ابنَه عبدَ الرحمنِ ، وقد انقَرض نَسْلُ حسانَ بنِ ثابتٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ البَرْقىِّ[6] : يقالُ : إن الطاهرَ هو الطَّيِّبُ وهو عبدُ اللَّهِ . ويقالُ : إن الطَّيِّبَ والمُطَيَّبَ وُلدا فى بطنٍ ، والطاهرَ والمُطَهَّرَ وُلِدا فى بطنٍ .

وقال المُفَضَّلُ بنُ غَسَّانَ[7] ، [8]أنا أبى[8] ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، حدثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ قال : مكَث القاسمُ بنُ النبىِّ ﷺ سبعَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣١، عن الزبير ، وفيه تقديم وتأخير .
(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٣) فى ا ١١١، ا ٤١، م ، ص : « شيرين » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) فى ا ١١١ ، ا ٤١ ، م : « شيرين » .
(٦) فى النسخ : « الرقى » . وهو خطأ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٧ . والخبر أخرجه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/١٣٢ ، بسنده عن أبى بكر البرقى .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٢، من طريق المفضل بن غسان به .
(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

ليالٍ ، ثم مات . قال المُفَضَّلُ : وهذا خطأٌ ؛ والصوابُ أنه عاش سبعةَ عشَرَ شهرًا .

وقال الحافظُ أبو نُعيمٍ[1] : قال مجاهدٌ : مات القاسمُ وله سبعةُ أيامٍ . وقال الزهريُّ[1] : وهو ابنُ سنتين .

وقال قتادةُ[1] : عاش حتى[2] مشَى .

وقال هشامُ [3]بنُ عروةَ[3] : وضَع أهلُ العراقِ ذِكْرَ الطيِّبِ والطاهرِ . فأما مَشايخُنا فقالوا : [4]عبدُ العُزَّى وعبدُ مَنافٍ[4] [5]والقاسمُ[5] ، ومِن النساءِ رُقيَّةُ وأمُّ كُلْثومٍ وفاطمةُ . هكذا رواه ابنُ عساكرَ ، [6]وهو مُنْكَرٌ ، والذى أنْكَره هو المَعْروفُ[6] . وسقَط ذكرُ زينبَ ولابدَّ[2] منها . واللَّهُ أعلمُ .

فأما زينبُ فقال عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ[7] : قال لى غيرُ واحدٍ : كانت زينبُ أكبرَ بناتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكانت فاطمةُ أصغرَهن [8]وأحَبَّهن إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ[8] .

وتزوج زينبَ أبو العاصِ بنُ الربيعِ ، فولَدت منه عليًّا وأُمامةَ ، وهى التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يحْمِلُها فى الصلاةِ ، فإذا سجَد وضَعها ، وإذا قام حمَلها . ولعلَّ ذلك كان بعدَ موتِ أمِّها سنةَ ثمانٍ مِن الهجرةِ على ما ذكَره الواقدىُّ وقتادةُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٢، من طريق أبى نعيم به .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) سقط من : ١١١، ٤١. وفى ص : «عن عروة» . والخبر فى تاريخ دمشق ١٧٢/٣ بنحوه .
(٤ - ٤) فى ١١١، ٤١: «عبد اللّه والطيب» .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦ - ٦) سقط من : ١١١، ٤١.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٩، من طريق عبد الرزاق به .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ حَزْمٍ وغيرُهم[1] ، وكأنها كانت طفلةً صغيرةً . فاللَّهُ أعلمُ . وقد تزوَّجها علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، بعدَ موتِ فاطمةَ ، على ما سيأتى ، إن شاء اللَّهُ ، وكانت وفاةُ زينبَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، فى سنةِ ثمانٍ . قاله قتادةُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بن حزمٍ ، وخليفةُ [٣/٣٨٩و] بنُ خَيَّاطٍ ، وأبو بكرِ بنُ أبى خَيْثمةَ ، وغيرُ واحدٍ[1] . وقال قتادةُ ، عن ابنِ[2] حزمٍ[1] : فى أولِ سنةِ ثمانٍ .

وذكَر حمادُ بنُ سَلَمةَ[3] ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، أنَّها لمَّا هاجرتْ دفَعها رجلٌ فوقَعت على صخرةٍ فأسْقَطت حَمْلَها ، ثم لم تَزَلْ وَجِعةً حتى ماتتْ ، فكانوا يرَوْنها ماتت شهيدةً .

وأما رُقَيَّةُ فكان قد تزَوَّجها أولًا ابنُ عمِّها عتبةُ بنُ أبى لهبٍ ، كما تزوَّجَ أختَها أمَّ كُلْثومٍ أخوه عُتَيْبةُ[4] بنُ أبى لهبٍ ، ثم طلَّقاهما قبلَ الدخولِ بهما ؛ بِغْضةً فى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ أنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد] . فتزوَّج عثمانُ بنُ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، رُقَيَّةَ ، وهاجرت معه إلى أرضِ الحبشةِ ، ويقالُ : إنه أولُ مَن هاجَر إليها . ثم رجَعا إلى مكةَ ، كما قدَّمْنا ، وهاجرا إلى المدينةِ ، وولَدت له ابنَه عبدَ اللَّهِ ، فبلَغ ستَّ سنين ، فنقَره ديكٌ فى عينيْه فمات ،

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤، وتاريخ خليفة ١/ ٦٣. وتاريخ دمشق ٣/ ١٤٩.

(٢) فى ص : «أبى» .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٨، ١٤٩، من طريق حماد بن سلمة به . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٢٦١ - ٢٦٧.

(٤) سقط من : الأصل .

وبه كان يُكَنَّى أولًا ، ثم اكْتَنَى بابنِه عمرٍو ، وتُوُفِّيَتْ ، وقد انتصر رسولُ اللَّهِ ﷺ ببدرٍ يومَ الفُرْقانِ يومَ الْتَقَى الجَمْعانِ ، ولمَّا أن جاء البَشيرُ بالنصرِ إلى المدينةِ - وهو زيدُ بنُ حارثةَ - وجَدهم قد ساوَوْا على قبرِها الترابَ ، وكان عثمانُ قد أقام عليها يُمَرِّضُها بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وضرَب له بسهمِه وأجْرِه ، ولما رجَع صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم زوَّجه بأختِها أمِّ كُلْثومٍ أيضًا ، ولهذا كان يقالُ له : ذو النُّورَيْن . ثم ماتت عندَه فى شعبانَ سنةَ تسعٍ ، ولم تَلِدْ له شيئًا ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو كانت عندى ثالثةٌ لزوَّجْتُها عثمانَ »[1] . وفى روايةٍ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو كُنَّ عشْرًا لزوَّجْتُهن عثمانَ »[2] .

وأما فاطمةُ فتزوَّجها ابنُ عمِّها علىُّ بنُ أبى طالبٍ فى صَفَرٍ سنةَ اثنتين ، فولَدت له الحسنَ والحسينَ ، ويقالُ : ومُحَسِّنًا . وولَدت له أمَّ كُلْثومٍ وزينبَ ، رضوانُ اللَّهِ عليهم أَجْمَعِينَ ، وقد تزَوَّج عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى أيامِ ولايتِه بأمِّ كُلْثومٍ بنتِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، مِن فاطمةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، وأكْرَمها إكْرامًا زائدًا ؛ أصْدَقها أربعين ألفَ درهمٍ لأجلِ نسبِها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فولَدتْ له زيدَ بنَ عمرَ بنِ الخطابِ ، ولما قُتِل عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، تزوجها بعدَه ابنُ عمِّها عَوْنُ بنُ جعفرٍ ، فمات عنها ، فخلَف عليها أخوه محمدٌ ، فمات عنها ، فتزوَّجها أخوهما عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، فماتت

---

(١) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ١٥٩، ١٦٠، والطبرانى فى الكبير ١٨٤/١٧ (٤٩٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٨٣: رواه الطبرانى ؛ وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف .

(٢) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٢٩١) من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج عن أبى هريرة وفيه قصة . وذكره ابن سعد فى الطبقات ٣٨/٨ .

عندَه ، وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ تزوج بأختِها زينبَ بنتِ عليٍّ مِن فاطمةَ ، وماتت [٣/٣٨٩ظ] عندَه أيضًا ، وقد تُوُفِّيَتْ فاطمةُ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بستةِ أشهرٍ على أَشْهَرِ الأَقْوالِ ، وهو الثابتُ عن عائشةَ فى « الصحيحِ »[(١)] ، وقاله الزهرىُّ أيضًا وأبو جعفرٍ الباقرُ[(٢)] . وعن الزهرىِّ[(٣)] : بثلاثةِ أشهرٍ . وقال أبو الزبيرِ[(٤)] : بشهرين . وقال ابنُ[(٥)] بُرَيْدةَ[(٦)] : عاشت بعدَه سبعين مِن بينِ يومٍ وليلةٍ . وقال عمرُو بنُ دينارٍ[(٧)] : مكَثَتْ بعدَه ثمانيةَ أشهرٍ . وكذا قال عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ[(٧)] . وفى روايةٍ ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ[(٨)] : بثلاثةِ[(٩)] أشهرٍ .

وأما إبراهيمُ فمِن ماريةَ القِبْطيَّةِ ، كما قدمنا ، وكان مِيلادُه فى ذى الحِجةِ سنةَ ثمانٍ .

وقد رُوِىَ عن ابنِ لَهِيعةَ وغيرِه[(١٠)] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ قال : لما حُبِل بإبراهيمَ أتَى جبريلُ ، عليه السلامُ ، فقال : السلامُ عليك يا أبا إبراهيمَ ، إن اللَّهَ قد وهَب لك غلامًا مِن أمِّ ولدِك ماريةَ ، وأمَرك أن تُسَمِّيَه إبراهيمَ ، فبارَك اللَّهُ لك فيه ، وجعَله قُرَّةَ عينٍ لك فى الدنيا والآخرةِ .

---

(١) البخارى (٤٢٤٠، ٤٢٤١) .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٢٨، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٥٩، وانظر طبقات خليفة ١/ ٧٠.
(٣) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨، وتاريخ خليفة ١/ ٧٠، وتاريخ دمشق ٣/ ١٥٩، ١٦٠.
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٥٨.
(٥) فى ١١١، ٤١، م، ص: « أبو » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٨.
(٦) أخرجه خليفة بن خياط فى تاريخه ١/ ٧٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٥٩.
(٧) أخرجه خليفة بن خياط فى تاريخه ١/ ٧٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٥٩، ١٦٠.
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تارخ دمشق ٣/ ١٦٠.
(٩) فى م، ص: « بأربعة » .
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٣، ١٣٤، من طريق ابن لهيعة ورشدين بن سعد به .

وروَى الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[1] ، عن محمدِ بنِ مِسْكينٍ[2] ، عن عثمانَ بنِ صالحٍ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن عُقَيْلٍ ويزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ ، رضِى اللَّهُ عنه قال : لما وُلِد للنبىِّ ﷺ ابنُه إبراهيمُ وقَع فى نفسِه منه شىءٌ ، فأتاه جبريلُ ، عليه السلامُ ، فقال : السلامُ عليك يا أبا إبراهيمَ .

وقال أسْباطٌ ، عن السُّدِّىِّ[3] ، وهو إسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : سأَلْتُ أنسَ بنَ مالكٍ ؛ قلتُ : كم بلَغ إبراهيمُ ابنُ النبىِّ ﷺ مِن العمْرِ ؟ قال : قد كان مَلأَ مَهْدَه ، ولو بَقِىَ لكان نبيًّا ، ولكن لم يكُنْ لِيَبْقَى ؛ لأن نبيَّكم ﷺ آخرُ الأنبياءِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، ثنا سفيانُ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : لو عاش إبراهيمُ ابنُ النبىِّ ﷺ لكان صِدِّيقًا نبيًّا .

وقال أبو [5]عبدِ اللَّهِ[5] بنُ مَنْدَه[6] : ثنا محمدُ بنُ سعدٍ ومحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا محمدُ بنُ عثمانَ العَبْسىُّ[7] ، ثنا مِنْجابٌ ، ثنا أبو عامرٍ الأسَدىُّ ، ثنا سفيانُ[8] ، عن السُّدِّىِّ ، عن أنسٍ قال : تُوُفِّىَ إبراهيمُ ابنُ النبىِّ ﷺ وهو ابنُ ستةَ عشَرَ شهرًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْفِنوه فى البَقيعِ ، فإن له مُرْضِعًا تُتِمُّ رَضاعَه فى الجنةِ » .

---

(١) كشف الأستار (١٤٩٢) . قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٣٢٩: رواه البزار وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) فى ١١١، ١٤١: « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٩٩.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٤، ١٣٥، من طريق أسباط عن السُّدِّىّ به . وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١٤٠.

(٤) المسند ٣/ ١٣٣.

(٥ - ٥) فى م: « عبيد الله » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٥، من طريق ابن منده به .

(٧) فى تاريخ دمشق: « القاسم » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢١.

(٨) فى تاريخ دمشق: « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٣٣.

وقال أبو يَعْلَى[1] : ثنا أبو خَيْثمةَ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، عن أيوبَ ، عن عمرِو بنِ سعيدٍ ، عن أنسٍ قال : ما رأيْتُ أحدًا أرْحَمَ بالعِيالِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ كان إبراهيمُ مُسْتَرْضِعًا فى عَوالِى المدينةِ ، فكان يَنْطَلِقُ ونحن معه ، فيدْخُلُ إلى البيتِ وإنه لَيَدْخُنُ[2] ؛ وكان ظِئْرُه قَيْنًا[3] ، فيأخُذُه فيُقَبِّلُه ، ثم يَرْجِعُ . قال عمرٌو[4] : فلمَّا تُوُفِّىَ إبراهيمُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/٣٩٠و] « إن إبراهيمَ ابنى ، وإنه مات فى الثَّدْيِ ، وإن له لَظِئْرَيْن تُكْمِلان رَضاعَه فى الجنةِ » .

وقد روَى جَريرٌ وأبو عَوانةَ ، عن الأعْمشِ ، عن مسلمِ بنِ صُبَيْحٍ أبى الضُّحَى ، عن البَراءِ[5] قال : تُوُفِّىَ إبراهيمُ ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ سِتَّةَ عشَرَ شهرًا ، فقال : « ادْفِنوه فى البَقيعِ ، فإن له مُرْضِعًا فى الجنةِ » . ورواه أحمدُ مِن حديثِ جابرٍ ، عن عامرٍ ، عن البراءِ[6] . وهكذا رواه سفيانُ الثَّورىُّ ، عن فِراسٍ ، عن الشعبىِّ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ بمثلِه[7] . وكذا رواه الثورىُّ أيضًا ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ[8] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٦، من طريق أبى يعلى به .

(٢) يدخن : أى يَكْثُرُ الدخان فى البيت من أثر الحِدادة ؛ إذ كان زوج المرضعة حدادًا .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فينا » ، وهو تصحيف . والظِّئر : زوج المرضعة . والقين : الحدَّاد : انظر النهاية ٣/ ١٥٤، ٤/ ١٣٥.

(٤) هو عمرو بن سعيد أحد رجال الإسناد .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٧، من طريق جرير وأبى عوانة كلاهما عن الأعمش به . إلا أنه فى لفظ حديث أبى عوانة : « ستة أشهر » . وليس : « ستة عشر شهرًا » . قال الحافظ ابن عساكر بعده : والصواب ستة عشر شهرًا .

وقع فى إسناد حديث جرير فى تاريخ دمشق : « أبى الصخر » بدلا من « أبى الضحى » . وهو تحريف . وأبو الضحى هو مسلم بن صبيح . انظر أطراف المسند ١/ ٥٩٩.

(٦) المسند ٤/ ٢٨٣.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٨، من طريق سفيان الثورى به .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٨، من طريق الثورى به .

وأوْرَد[1] ابنُ عَساكرَ مِن طريقِ عَتَّابِ بنِ محمدِ بنِ شَوْذَبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفى[2] قال : تُوُفِّىَ إبراهيمُ [3]ابنُ النبىِّ[3] ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْضَعُ بقيَّةَ رَضاعِه فى الجنةِ » .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصلىُّ[4] : ثنا زكريا بنُ يحيى الواسطىُّ ، ثنا هُشَيْمٌ ، عن إسماعيلَ قال : سأَلْتُ ابنَ أبى أوْفَى - أو سمِعْتُه يُسْأَلُ - عن إبراهيمَ ابنِ النبىِّ ﷺ فقال : مات وهو صغيرٌ ، ولو قُضِىَ أن يكونَ بعدَ النبىِّ ﷺ نبىٌّ لَعاش .

وروَى ابنُ عَساكرَ[5] مِن حديثِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سعيدٍ الحافظِ ، ثنا عُبَيدُ ابنُ إبراهيمَ الجُعْفىُّ[6] ، ثنا الحسنُ بنُ أبى عبدِ اللَّهِ الفَرَّاءُ ، ثنا مصعبُ بنُ سلَّامٍ ، عن أبى حمزةَ الثُّمالىِّ[7] ، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو عاش إبراهيمُ لكان نبيًّا » .

وروَى ابنُ عساكرَ[8] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ سَمُرةَ ، عن محمدِ

---

(١) بعده فى م ، ص : « له » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٣، من طريق عتاب بن محمد بن شوذب ، أنبأنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد اللّه بن أبى أوفى ، فذكره .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٥، من طريق أبى يعلى به .

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ١٣٨.

(٦) كذا فى النسخ . وفى مطبوعة تاريخ دمشق ٣/ ١٣٨: « النخعى » . وكذا فى مطبوعة مجمع اللغة العربية بدمشق جزء السيرة النبوية : ص ١١٥؛ إلا أن فى الحاشية أنه فى إحدى النسخ : « الجعفى » . ولم أجد له ترجمة فيما بين أيدينا من كتب الرجال .

(٧) فى الأصل : « اليمانى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٥٧.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣٩، من طريق محمد بن إسماعيل به .

ابنِ الحسنِ الأسَديِّ ، عن أبى شَيْبةَ ، عن أنسٍ قال : لما مات إبراهيمُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تُدْرِجوه فى أكْفانِه حتى أنظُرَ إليه » . فجاء فانْكَبَّ عليه وبكَى حتى اضطرب [1] لَحْياه وجَنْباه [1] ﷺ .

قلتُ : أبو شيبةَ هذا لا يُتعامَلُ بروايتِه . ثم روَى [2] مِن حديثِ [3] مسلمِ بنِ خالدٍ الزَّنْجيِّ ، عن ابنِ خُثيمٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ [3] ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ بنِ السَّكَنِ قالت : لما تُوُفِّىَ إبراهيمُ بكَى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال أبو بكرٍ وعمرُ : أنت أحقُّ مَن علِم للَّهِ حقَّه . فقال [4] رسولُ اللَّهِ [4] ﷺ : « تَدْمَعُ العينُ ويَحْزَنُ القلبُ ، ولا نقولُ ما يُسْخِطُ الربَّ ، ولولا أنه وعدٌ صادقٌ ، وموعودٌ جامعٌ ، وأن [5] الآخِرَ منا يَتْبَعُ الأولَ ، لَوَجَدْنا عليك يا إبراهيمُ وَجْدًا أشَدَّ مما وجَدْنا ، وإنا بك يا إبراهيمُ لمحْزونون » .

وقال الإمامُ أحمدُ [6] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا إسرائيلُ ، عن جابرٍ ، عن الشَّعْبيِّ ، عن البراءِ قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ابنِه إبراهيمَ ، ومات وهو ابنُ سِتَّةَ عشَرَ شهرًا ، وقال : « إن له فى الجنةِ مَن يُتِمُّ رَضاعَه ، [٣/٣٩٠ظ] وهو

(١ - ١) زيادة من النسخ . ليست فى تاريخ دمشق .

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ١٣٩.

(٣ - ٣) مكانها بياض فى مخطوطة ابن عساكر ١/ ٤٢٦. وقد أغرب محقق مطبوعة ابن عساكر بقوله فى ٣/١٣٩ حاشية (٦) بعد إشارته لهذا البياض : لكن لا يبدو أن فى الكلام سقطًا فالمعنى تام ولم يشر إلى ذلك أصلًا محقق المطبوعة الأخرى لمجمع اللغة العربية بدمشق جزء السيرة النبوية ، القسم الأول ص ١١٥، ١١٦ ! .

(٤ - ٤) زيادة من : ١١١، ٤١.

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) تقدم تخريجه فى حاشية (٦) صفحة ٢٤٦ .

صِدِّيقٌ » . وقد رُوِىَ مِن حديثِ الحكمِ بنِ عُتَيْبَةَ[1] ، عن الشعبىِّ ، عن البراءِ[2] .

وقال أبو يَعْلَى[3] : [4]ثنا القَوارِيرىُّ[4] ، [5]أنبأنا عبيدُ بنُ القاسمِ[5] ، ثنا إسماعيلُ ابنُ أبى خالدٍ ، [6]عن ابنِ أبى أوْفَى[6] قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ابنِه ، وصلَّيْتُ خلفَه وكبَّر عليه أربعًا .

وقد روَى يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدثنى محمدُ بنُ طَلْحةَ ابنِ يزيدَ بنِ رُكانةَ[7] قال : مات إبراهيمُ ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو ابنُ ثمانيةَ عشَرَ شهرًا ، فلم يُصَلِّ عليه .

وروَى ابنُ عَساكرَ[8] مِن حديثِ إسحاقَ بنِ محمدٍ الفَرْوىِّ ، عن عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، [9]عن جدِّه[9] ، [10]عن أبى جدِّه[10] ، عن علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه قال : لما تُوفِّىَ إبراهيمُ ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعَث [11]رسولُ اللَّهِ ﷺ[11] علىَّ بنَ أبى طالبٍ إلى أمِّه ماريةَ القِبْطيَّةِ ،

---

(١) فى النسخ : « عيينة » . وهو تصحيف . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١١٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٣، من طريق الحكم بن عتيبة به .

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٣٩، ١٤٠، من طريق أبى يعلى بنحوه .

(٤ - ٤) مكانها بياض فى مخطوطة تاريخ دمشق ١/ ٤٢٦. وأشار إليه محققا مطبوعتى تاريخ دمشق دون أن يثبتا شيئًا . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٣٠ - ١٣٢.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٩.

(٦ - ٦) سقط من مخطوطة تاريخ دمشق ، وكذلك من مطبوعتيه . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩.

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٢٥١، من طريق يونس . ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٥، به .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٤، ١٤٥، من طريق إسحاق بن محمد الفروى به .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠ - ١٠) سقط من : ا ١١١، ا ٤١.

(١١ - ١١) زيادة من : ا ٤١.

وهى فى مَشْرَبةٍ[1] ، فحمَله علىٌّ فى سَفَطٍ[2] ، وجعَله بينَ يدَيه على الفرسِ ، ثم جاء به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فغسَّله وكفَّنه وخرَج به ، وخرَج الناسُ معه ، فدفَنه فى الزُّقاقِ الذى يلى دارَ محمدِ بنِ زيدٍ ، فدخَل علىٌّ فى قبرِه حتى سوَّى عليه الترابَ ودفَنه ، ثم خرَج ورشَّ على قبرِه ، وأدْخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه فى قبرِه ، فقال : « أما واللَّهِ إنه لنَبىٌّ ابنُ نبىٍّ » . وبكَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبكَى المسلمون حولَه حتى ارتفع الصوتُ ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَدْمَعُ العينُ ، ويَحْزَنُ القلبُ ، ولا نقولُ ما يُغْضِبُ الربَّ ، وإنا عليك ياإبراهيمُ لمحْزونون » .

وقال الواقدىُّ[3] : مات إبراهيمُ ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يومَ الثلاثاءِ لعَشْرِ ليالٍ[4] خَلَوْن مِن شهرِ[5] ربيعِ الأولِ سنةَ عشْرٍ ، وهو ابنُ ثمانيةَ عشَرَ شهرًا ، فى بنى مازنِ بنِ النَّجَّارِ فى دارِ أمِّ بُرْدَةَ[6] بنتِ المنذرِ ، ودُفِن بالبَقيعِ .

قلتُ : وقد قدَّمْنا أن الشمسَ كَسَفَتْ يومَ موتِه ، فقال الناسُ : كسَفتْ لموتِ إبراهيمَ . فخطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال فى خطبتِه : « إن الشمسَ والقمرَ آيتان مِن آياتِ اللَّهِ ، عزَّ وجل ، لا يَنْكَسِفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه » .

---

(١) المشربة بضم الراء وفتحها : الغرفة . انظر النهاية ٢/ ٤٥٥.

(٢) السفط : وعاء من قضبان الشجر ونحوها تُوضع فيه الأشياء . انظر الوسيط (س ف ط) .

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٤٣، ١٤٤، عن الواقدى مختصرًا ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٥، ١٤٦ من طريق ابن سعد مع تقديم وتأخير .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) زيادة من مصدرى التخريج .

(٦) فى الأصل ، م ، ص ، وتاريخ دمشق : « برزة » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٩٢٦، والإصابة ٨/ ١٧٥، وأسد الغابة ٧/ ٣٠٥.

قال[1] الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عَساكرَ[2] :

بابُ ذِكْرِ عَبيدِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وإمائِه، وذكرِ[3] خَدَمِه وكُتَّابِه وأُمَنائِه

[4]مع مراعاةِ الحروفِ فى أسمائِهم، وذكرِ بعضِ ما ذُكِر مِن أنبائِهم[4]

ولْنَذْكُرْ ما أوْرَده مع الزيادةِ والنقصانِ، وباللَّهِ المستعانُ.

فمنهم أسامةُ بنُ زيدِ بنِ حارثةَ أبو زيدٍ الكَلْبيُّ. ويقالُ: [٣/٣٩١و] أبو يزيدَ. ويقالُ: أبو محمدٍ[5]. مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ وابنُ مولاه، وحِبُّه وابنُ حِبِّه، وأمُّه أمُّ أيمنَ، واسمُها بَرَكةُ، كانت حاضنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى صِغَرِه، وممن آمَن به قديمًا بعدَ بِعثتِه، وقد أمَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ فى آخرِ أيامِ حياتِه، وكان عمرُه إذ ذاك ثمانىَ عشْرةَ أو تسعَ عشْرةَ سنةً[6]، وتُوُفِّىَ ﷺ وهو أميرٌ على جيشٍ كثيفٍ، منهم عمرُ بنُ الخطابِ، ويقالُ: وأبو بكرٍ الصديقُ. وهو قولٌ[7] ضعيفٌ؛ لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ نصَبه للإمامةِ، فلما تُوُفِّىَ عليه الصلاةُ والسلامُ

---

(١) فى م: «قاله».
(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٢٥١.
(٣) سقط من: م.
(٤ - ٤) سقط من: م.
(٥) انظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٨/٤٦ - ٨٣.
(٦) سقط من: ١١١، م، ص.
(٧) زيادة من: ٤١.

وجيشُ أسامةَ مُخَيِّمٌ بالجُرْفِ ، كما قدَّمْناه ، استَطْلَق أبو بكرٍ مِن أسامةَ عمرَ بنَ الخطابِ فى الإقامةِ عندَه ؛ ليستَضِىءَ برأيِه ، فأطلَقه له ، وأنْفَذ أبو بكرٍ جيشَ أسامةَ بعدَ مُراجعةٍ كثيرةٍ مِن الصحابةِ له فى ذلك ، وكلُّ ذلك يأبَى عليهم ويقولُ : واللَّهِ لا أَحُلُّ رايةً عقَدها رسولُ اللَّهِ ﷺ . فساروا حتى بلَغوا تُخومَ البَلْقاءِ مِن أرضِ الشامِ ، حيث قُتِل أبوه زيدٌ ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، رضى اللَّهُ عنهم ، فأغار على تلك البلادِ ، وغنِم وسبَى ، وكرَّ راجعًا سالمًا مُؤَيَّدًا ، كما سيأتى . فلهذا كان عمرُ بنُ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، لا يَلْقَى أسامةَ إلا قال له : السلامُ عليك أيُّها الأميرُ . ولما عقَد له رسولُ اللَّهِ ﷺ رايةَ الإمْرةِ ، طعَن بعضُ الناسِ فى إمارتِه ، فخطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال فيها : « إن تَطْعَنوا فى إمارتِه فقد طعَنْتُم فى إمارةِ أبيه مِن قبلُ ، وايْمُ اللَّهِ إن كان لَخَليقًا للإمارةِ ، وإن كان [1] لمِن أحبِّ الخلْقِ إلىَّ ، وإنَّ هذا [1] لمن أحبِّ الخلْقِ إلىَّ بعدَه » . وهو فى « الصحيحِ » مِن حديثِ موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه [2] .

وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ » [3] عن أسامةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يأخُذُنى والحسنَ ، فيقولُ : « اللهم إنى أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » .

ورُوِىَ عن الشعبىِّ ، عن عائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أحَبَّ اللَّهَ ورسولَه فلْيُحِبَّ أسامةَ بنَ زيدٍ » [4] . ولهذا لمَّا فرَض عمرُ ابنُ الخطابِ للناسِ فى الدِّيوانِ فرَض لأسامةَ فى خمسةِ آلافٍ ، وأَعْطَى ابنَه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٥٠.

(٣) البخارى (٣٧٣٥) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ١٥٦، ١٥٧، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨/ ٥٥، كلاهما من طريق الشعبى به . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٨٦: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ فى أربعةِ آلافٍ ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنه كان أحَبَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ منكَ ، وأبوه كان [٣/٣٩١ظ] أحَبَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أبيك .

وقد روَى عبدُ الرزاقِ[1] ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن أسامةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أرْدَفه خلْفَه على حِمارٍ عليه قَطيفةٌ ، حينَ ذهَب يعودُ سعدَ بنَ عُبادةَ ، قبلَ وقعةِ بدرٍ .

قلتُ : وهكذا أرْدَفه وراءَه على ناقتِه حينَ دفَع مِن عرفاتٍ إلى المزدَلِفةِ ، كما قدَّمْنا فى حَجةِ الوداعِ . وقد ذكَر غيرُ واحدٍ[2] أنه ، رضِى اللَّهُ عنه ، لم يَشْهَدْ مع علىٍّ شيئًا مِن مَشاهدِه ، واعتذر إليه بما قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قَتَل ذلك الرجلَ ، وقد قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، فقال : « مَن لك بلا إلهَ إلا اللَّهُ يومَ القيامةِ ؟! أقتَلْتَه بعدَ ما قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟! مَن لك بلا إلهَ إلا اللَّهُ يومَ القيامةِ ؟! » . الحديثَ[3] . وذِكْرُ فَضائِلِه كثيرةٌ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقد كان أسودَ كالليلِ ، أفْطَسَ حُلْوًا حَسَنًا كبيرًا فَصيحًا عالمًا ربانيًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقد كان أبوه كذلك إلا أنه كان أبيضَ شديدَ البَياضِ ، ولهذا طعَن بعضُ مَن لا يَعْلَمُ فى نسبِه منه ، ولما مَرَّ مُجَزِّزٌ المُدْلِجِىُّ عليهما وهما نائمان فى قَطيفةٍ ، وقد بدَت أقدامُهما ؛ أسامةُ بسوادِه ، وأبوه زيدٌ ببَياضِه قال : سبحانَ اللَّهِ ، إن بعضَ هذه الأقدامِ لمِن بعضٍ . أُعْجِب بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ودخَل على عائشةَ مسرورًا تَبْرُقُ أَساريرُ وجهِه ، فقال : « ألم تَرَىْ أن مُجَزِّزًا نظَر آنفًا إلى زيدِ بنِ حارثةَ ، وأسامةَ بنِ زيدٍ ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٨) ، من طريق عبد الرزاق به ، مطولًا .

(٢) انظر أسد الغابة ١/ ٨٠.

(٣) مسلم (٩٧) .

فقال: إن بعضَ هذه الأقدامِ لمِن بعضٍ»[1]. ولهذا أخَذ فقهاءُ الحديثِ كالشافعيِّ وأحمدَ مِن هذا الحديثِ، مِن حيث التقريرُ عليه والاستبشارُ به، العملَ بقولِ القَافةِ فى اختلاطِ الأنْسابِ واشتباهِها، كما هو مقرَّرٌ فى موضعِه.

والمقصودُ أنه، رضى اللَّهُ عنه، تُوُفِّىَ سنةَ أربعٍ وخمسين فيما[2] صحَّحه أبو عمرَ[3]. وقال غيرُه[4]: سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين. وقيل: مات بعدَ مقتلِ عثمانَ[4]. فاللَّهُ أعلمُ. وروَى له الجماعةُ فى كتبِهم الستةِ.

ومنهم أسْلَمُ. وقيل: إبراهيمُ. وقيل: ثابتٌ. وقيل: هُرْمُزُ. أبو رافعٍ القِبْطىُّ. أسْلَم قبلَ بدرٍ، ولم يَشْهَدْها؛ لأنه كان بمكةَ مع سادتِه آلِ العباسِ، وكان يَنْحِتُ القِداحَ، وقصتُه مع الخبيثِ أبى لهبٍ حينَ جاء خبرُ وقعةِ بدرٍ تقدمت، وللَّهِ الحمدُ. ثم هاجَر وشهِد أُحُدًا وما بعدَها، وكان كاتبًا، وقد كتَب بينَ يدَىْ علىِّ بنِ أبى طالبٍ بالكوفةِ. قاله المُفَضَّلُ بنُ غَسَّانَ الغَلَّابىُّ[5]. [٣/ ٣٩٢و] وشهِد فتحَ مصرَ فى أيامِ عمرَ، وقد كان أولًا للعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، فوهَبه للنبىِّ ﷺ وأعتقه[6] وزوَّجه مَولاتَه سَلْمَى، فولَدت له أولادًا، وكان يكونُ على ثَقَلِ النبىِّ ﷺ.

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ وبَهْزٌ، قالا: ثنا شعبةُ، عن

---

(١) مسلم (١٤٥٩).
(٢) فى م، ص: «مما».
(٣) الاستيعاب ١/ ٧٧.
(٤) انظر أسد الغابة ١/ ٨١.
(٥) إنما هو من قول مصعب، رواه عنه المفضل. انظر تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٢.
(٦) فى الأصل، م، ص: «عتقه».
(٧) المسند ٦/ ١٠.

الحكمِ ، عن ابنِ أبى رافعٍ ، عن أبى رافعٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث رجلًا مِن بنى مَخْزومٍ على الصدقةِ ، فقال لأبى رافعٍ : اصْحَبْنى كيما تُصيبَ منها . فقال : لا ، حتى آتِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسألَه . فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فسألَه فقال : « الصدقةُ لا تَحِلُّ لنا ، وإن مولى القومِ منهم » . وقد رواه الثورىُّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ أبى ليلى ، عن الحكمِ به[1] .

وروَى أبو يَعْلَى[2] فى « مُسْنَدِه » عنه ، أنه أصابهم بردٌ شديدٌ وهم بخيبرَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن كان له لِحافٌ فلْيُلْحِفْ مَن لا لِحافَ له » . قال أبو رافعٍ : فلم أجِدْ مِنَ يُلْحِفُنى معه ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فألْقَى علىَّ مِن[3] لِحافِهِ ، فنِمْنا حتى أصْبَحْنا ، فوجَد رسولُ اللَّهِ ﷺ عندَ رجليه حيَّةً فقال : « يا أبا رافعٍ ، اقْتُلْها اقْتُلْها » . وروَى له الجماعةُ فى كتبِهم ، ومات فى أيامِ علىٍّ ، رضى اللَّهُ عنه .

ومنهم أَنَسَةُ [4]بنُ بادةَ[4] أبو[5] مِسْرَحٍ[6] . ويقالُ : أبو مسروحٍ[7] . مِن مُوَلَّدِى السَّراةِ ، مُهاجرىٌّ ، شهِد بدرًا فيما ذكَره عروةُ والزهرىُّ وموسى بنُ عقبةَ

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٦/٨ ، من طريق الثورى به نحوه . وسمَّى الرجل هناك الأرقم الزهرى أو ابن أبى الأرقم .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٥٣ ، من طريق أبى يعلى بإسناده إلى أبى رافع بنحوه .

(٣) سقط من: الأصل، م، ص.

(٤ - ٤) كذا فى الأصل، ١١١، ٤١، ص، وفى م: «بن زيادة». ولم نجد من ينسبه، وانظر الاستيعاب ١/١٣٧، وأسد الغابة ١/١٥٦، والإصابة ١/١٣٥.

(٥) فى الأصل، م: «بن».

(٦) فى م، ص: «مشرح». و«أبو مشرح» قيلت فى كنيته. انظر تاريخ دمشق ٤/٢٥٥ - ٢٥٧.

(٧) فى م، ص: «مسرح». وانظر المصادر السابقة.

ومحمدُ بنُ إسحاقَ والبخاريُّ وغيرُ واحدٍ[1] . قالوا : وكان ممن يأْذَنُ على النبيِّ ﷺ إذا جلَس .

وذكَر خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ فى كتابِه[2] ، قال : قال عليُّ بنُ محمدٍ ، عن[3] عبدِ العزيزِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن داودَ بنِ الحُصينِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنهما ، قال : اسْتُشْهِد يومَ بدرٍ أَنَسةُ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال الواقديُّ : وليس هذا بِثبَتٍ عندَنا ، ورأيْتُ أهلَ العلِم يُثْبِتون أنه شهِد أُحُدًا أيضًا وبقِىَ زمانًا[4] . وأنه تُوُفِّىَ فى حياةِ أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، أيامَ خلافتِه . [5]لا روايةَ له[5] .

ومنهم أيمنُ بنُ عُبيدِ بنِ زيدٍ الحَبَشيُّ . ونسَبه ابنُ مَنْدَه[6] إلى عوفِ بنِ الخزرجِ ، وفيه نظرٌ . وهو ابنُ أمِّ أيمنَ بَرَكةَ ، أخو أسامةَ لأمِّه .

قال ابنُ إسحاقَ : وكان على مَطْهَرةِ النبيِّ ﷺ ، وكان ممن ثبَت يومَ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٧٨، وتاريخ دمشق ٤/ ٢٥٥، ولم يذكره البخارى فيمن سمى ممن شهد بدرا فى الصحيح، ولعله فى كتاب الصحابة له. وانظر ما تقدم فى ٥/ ٢١٥، ٢١٦ حاشية (٢).

(٢) تاريخ خليفة ١/ ٢٠، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٥٦ ، من طريق خليفة به، وأخرجه ابن سعد فى طبقاته ٣/ ٤٨، من طريق داود به. وفى تاريخ خليفة : «أبو أنسة». وهو مما يقال فى اسمه، وقال ابن عبد البر: والمحفوظ : أنسة. انظر الاستيعاب ١/ ١٣٧، والإصابة ١/ ١٣٥.

(٣) فى ص، وتاريخ خليفة : «بن». وهو خطأ. وعلى بن محمد هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد اللَّه بن أبى سيف المدائنى الأخبارى. انظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠.

(٤) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٣/٤٨ ، عن الواقدى، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٦، والعبارة الأخيرة التى أثبتها المصنف بعد ذلك من قوله : «وأنه توفى ... خلافته» إنما هى من كلام محمد بن يوسف؛ حدّث بها الواقدى عن ابن أبى الزناد عن محمدٍ هذا. وانظر طبقات ابن سعد وتاريخ دمشق الموضعين المذكورين أول الحاشية.

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٥٧ ، بإسناده إلى ابن منده.

حُنَيْنٍ[1] . ويقالُ[2] : إن فيه وفى أصحابِه نزَل قولُه تعالى[3] : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] . قال الشافعىُّ[4] : قُتِل [٣/٣٩٢ظ] أيمنُ مع النبىِّ ﷺ يومَ حنينٍ . قال : فروايةُ مجاهدٍ عنه منقطعةٌ .

يعنى بذلك ما رواه الثورىُّ[5] ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن عطاءٍ ، عن أيْمَنَ الحَبَشىِّ قال : لم يقْطَعِ النبىُّ ﷺ السارقَ إلا فى المِجَنِّ[6] ، وكان ثمنُ المِجَنِّ يومَئذٍ دينارًا . وقد رواه أبو القاسمِ البَغَوىُّ فى مُعْجمِ الصحابةِ ، عن هارونَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أسودَ بنِ عامرٍ ، عن الحسنِ بنِ صالحٍ ، عن منصورٍ ، عن الحكمِ ، عن مجاهدٍ وعطاءٍ ، عن أيْمَنَ ، عن النبىِّ ﷺ ، نحوَه . وهذا يقتضى تأَخُّرَ موتِه عن النبىِّ ﷺ إن لم يكنِ الحديثُ مُدَلَّسًا عنه ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ أُريدَ غيرُه ، والجمهورُ كابنِ إسحاقَ وغيرِه ذكَروه فيمَن قُتِل مِن الصحابةِ يومَ حنينٍ . فاللَّهُ أعلمُ . ولابنِه الحجاجِ بنِ أيمنَ مع عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قصةٌ .

ومنهم باذامُ . وسيأتى ذكرُه فى ترجمةِ طَهْمانَ .

ومنهم ثَوْبانُ بنُ بُجْدُدٍ[7] . ويقالُ : ابنُ جَحْدرٍ . أبو عبدِ اللَّهِ . ويقالُ : أبو

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٣، وأسد الغابة ١/ ١٨٩.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) التفسير ٥/ ٢٠٠ - ٢٠٤.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٩ ، بإسناده إلى الشافعى .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٨ ، من طريق الثورى به .

(٦) المجن: التُّرس؛ لأنه يُوارى حامله، أى يستره. انظر النهاية ١/ ٣٠٨.

(٧) فى الأصل، ١١١، ص: غير منقوطة. وفى م: «بحدد». انظر الاستيعاب ١/ ٢١٨، وأسد الغابة ١/ ٢٩٦. وانظر ترجمة ثوبان فى تاريخ دمشق /١٦٦ - ١٧٦.

عبدِ الكريمِ . ويقالُ : أبو عبدِ الرحمنِ . أصلُه مِن أهلِ السَّراةِ ، مكانٌ بينَ مكةَ واليمنِ ، وقيل : مِن حِمْيَرَ مِن أهلِ اليمنِ . وقيل : مِن ألهانَ . وقيل : مِن الحكمِ ابنِ سعدِ العشيرةِ مِن مَذْحِجٍ ، أصابه سِبَاءٌ فى الجاهليَّةِ ، فاشتراه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأعْتَقَه وخَيَّره إن شاء أن يَرْجِعَ إلى قومِه ، وإن شاء أن يثْبُتَ ، فإنه منهم أهلَ البيتِ ، فأقام على وَلاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم يُفارِقْه حَضَرًا ولا سَفَرًا حتى تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وشهِد فتحَ مصرَ أيامَ عمرَ ، ونزلَ حِمْصَ بعدَ ذلك ، وابْتَنى بها دارًا ، وأقام بها إلى أن مات سنةَ أربعٍ وخمسين ، وقيل : سنةَ أربعٍ وأربعين . وهو خطأٌ . وقيل : إنه مات بمصرَ . والصحيحُ بحمصَ ، كما قدَّمْنا . واللَّهُ أعلمُ . روَى له البخاريُّ فى كتابِ « الأدبِ » ، ومسلمٌ فى « صحيحِه » ، وأهلُ السننِ الأربعةِ .

ومنهم حُنَيْنٌ مولى النبىِّ ﷺ . وهو جدُّ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حُنَيْنٍ ، ورُوِّينا أنه كان يخْدُمُ النبىَّ ﷺ ويُوَضِّئُه ، فإذا فرَغ النبىُّ ﷺ خرَج بفَضْلةِ الوَضوءِ إلى أصحابِه ، فمنهم مَن يَشْرَبُ منه ، ومنهم مَن يتَمَسَّحُ به ، فاحْتَبَسه حنينٌ فخبَّأه عندَه فى جَرَّةٍ حتى شكَوْه إلى النبىِّ ﷺ ، فقال له : « ما تصْنَعُ به ؟ » فقال : أدَّخِرُه عندى أشْرَبُه [٣/٣٩٣و] يا رسولَ اللَّهِ . فقال عليه الصلاةُ والسلامُ : « هل رأيتُم غلامًا أحْصَى ما أحْصَى هذا ؟ » ثم إن النبىَّ ﷺ وهَبه لعمِّه العباسِ ، فأعْتَقَه ، رضى اللَّهُ عنهما .

ومنهم ذَكْوانُ . يأتى ذكرُه فى ترجمةِ طَهْمانَ .

ومنهم رافعٌ أو أبو رافعٍ . ويقالُ له : أبو البَهِىِّ . قال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[1] : كان لأبى أُحَيْحةَ سعيدِ بنِ العاصِ الأكبرِ ، فوَرِثَه بنوه ، وأَعْتَق ثلاثةٌ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٦٢ ، بإسناده إلى ابن أبى خيثمة .

منهم أنْصِباءَهم ، وشهِد معهم يومَ بدرٍ ، فقُتِلوا ثلاثتُهم ، ثم اشْتَرى أبو رافعٍ بقيَّةَ أنْصِباءِ بنى سعيدٍ مولاه ، إلا نصيبَ خالدِ بنِ سعيدٍ ، فوهَب خالدٌ نصيبَه لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقبِله وأعْتَقَه ، فكان يقولُ : أنا مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكذلك كان بنوه يقولون مِن بعدِه .

ومنهم رَباحٌ الأسْودُ . وكان يأْذَنُ على النبىِّ ﷺ ، وهو الذى أخَذ الإذْنَ لعمرَ بنِ الخطابِ حتى دخَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى تلك المَشْرَبةِ يومَ آلَى مِن نسائِه ، واعْتَزَلهنَّ فى تلك المَشْرَبةِ وحدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ . هكذا جاء مُصَرَّحًا باسمِه فى حديثِ عكرمةَ بنِ عَمَّارٍ ، عن [1]أبى زُمَيْلٍ[1] سِماكِ بنِ الوليدِ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا وكيعٌ ، ثنا عكرمةُ بنُ عمارٍ ، عن إياسِ بنِ سَلَمةَ ابنِ الأكْوعِ ، عن أبيه قال : كان للنبىِّ ﷺ غلامٌ يُسَمَّى رَباحًا .

ومنهم رُوَيفعٌ مولاه ، عليه الصلاةُ والسلامُ . هكذا عدَّه فى المَوالى مُصْعبُ ابنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبيرىُّ وأبو بكرِ بنُ أبى خَيْثمةَ ، قالا : وقد وفَد ابنُه على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتِه ففرَض له . قالا : ولا عَقِبَ له[4] .

قلتُ : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، رحِمه اللَّهُ ، شديدَ الاعْتناءِ بموالى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يُحِبُّ أن يَعْرِفَهم ويُحْسِنَ إليهم . وقد كتَب فى أيامِ خلافتِه إلى أبى

(١ - ١) سقط من : م ، ص . وهو سماك بن الوليد الحنفى ، أبو زميل اليمامى . تهذيب الكمال ١٢/ ١٢٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٣، ٢٦٤ ، من طريق عكرمة به مطولًا .

(٣) المسند ٤/ ٤٦. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٦٣ ، من طريق أحمد به .

(٤) كذا جمع المصنف - رحمه اللَّه - قول مصعب وقول ابن أبى خيثمة فى سياقٍ واحدٍ معًا ، وإنما أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٦٤ ، قول مصعب وحده ، وقول ابن أبى خيثمة وحده . وذِكْر وفادة ابن رويفع على عمر ، من كلام ابن أبى خيثمة فقط .

بكرِ بنِ حزمٍ عالمِ أهلِ المدينةِ فى زمانِه ، أن يَفْحَصَ له عن مَوالى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ الرجالِ والنساءِ وخُدَّامِه . رواه الواقدىُّ[1] . وقد ذكَره أبو عمرَ مختصرًا وقال : لا أعْلَمُ له روايةً . حكاه ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[2] .

ومنهم زيدُ بنُ حارثةَ الكَلْبىُّ . وقد قدَّمْنا طَرَفًا مِن ذكرِه عندَ ذكرِ مقتلِه بغزوةِ مُؤْتةَ ، رضى اللَّهُ عنه ، وذلك فى جُمادَى مِن سنةِ ثمانٍ قبلَ الفتحِ بأشهرٍ ، وقد كان هو الأميرَ المُقَدَّمَ ، ثم بعدَه جعفرٌ ،ثم بعدَهما عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، رضى اللَّهُ عنهم .

وعن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها أنها قالت : ما بَعث رسولُ اللَّهِ [٣/٣٩٣ظ] ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ فى سريَّةٍ إلا أمَّره عليهم ، ولو بِقِىَ بعدَه لاستَخْلَفه . رواه أحمدُ[3] .

ومنهم زيدٌ أبو يَسارٍ . قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[4] فى « مُعْجَمِ الصحابةِ » : سكَن المدينةَ ، روَى حديثًا واحدًا لا أعْلَمُ له غيرَه ؛ حدثنا محمدُ بنُ علىٍّ الجُوزْجانىُّ ، ثنا أبو سَلَمةَ - هو التَّبُوذَكىُّ - ثنا حفصُ بنُ عمرَ الطائىُّ ، ثنا أبى[5] عمرُ[6] بنُ مُرَّةَ : سمِعْتُ بلالَ بنَ يَسارِ بنِ زيدٍ مولى النبىِّ ﷺ ، سمِعْتُ أبى ، حدثنى عن جدِّى ، أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن قال : أسْتَغْفِرُ اللَّهَ الذى

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/٤٩٧ ، عن الواقدى عن عتبة بن جبيرة بنحوه .

(٢) انظر الاستيعاب ٢/ ٥٠٤، وأسد الغابة ٢/ ٢٤٠.

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٤٩.

(٤) أخرج هذا القولَ عن البغوى، والحديثَ من طريقه به؛ الحافظُ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٥.

(٥) فى م، ص: «أبو». وهو خطأ. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٠٨.

(٦) فى الأصل، وتاريخ دمشق: «عمرو». وانظر المصدر السابق .

لا إلهَ إلَّا هو، الحيَّ القيومَ، وأتوبُ إليه. غُفِر له، وإن كان فرَّ مِن الزَّحْفِ». وهكذا رواه أبو داودَ عن أبى سَلَمَةَ، وأخرجه الترمذىُّ، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ البخارىِّ، عن أبى سَلَمةَ موسى بنِ إسماعيلَ به[1]. وقال الترمذىُّ: غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن هذا الوجهِ.

ومنهم سَفِينةُ أبو عبدِ الرحمنِ. ويقالُ: أبو البَخْتَرىِّ. كان اسمُه مِهْرانَ، وقيل: عَبْسٌ. وقيل: أحْمَرُ. وقيل: رُومانُ. فلقَّبه رسولُ اللَّهِ ﷺ سفينةَ[2] لسببٍ سنذكُرُه، فغَلَب عليه، وكان مولًى لأمِّ سَلَمةَ، فأعْتَقَتْه واشْتَرَطَتْ عليه أن يَخْدُمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ حتى يموتَ، فقبِل ذلك، وقال: لو لم تشترطى علىَّ ما فارقْتُه. وهذا الحديثُ فى «السننِ»[3]. وهو من مُوَلَّدِى العربِ، وأصلُه مِن أبناءِ فارسَ، وهو سَفينةُ بنُ مارفَنَّةَ[4].

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: ثنا أبو النَّضْرِ، ثنا حَشْرَجُ بنُ نُباتةَ العَبْسىُّ كوفىٌّ، حدثنا سعيدُ بنُ جُمْهانَ، حدثنى سَفينةُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الخِلافةُ فى أمتى ثلاثون سنةً، ثم مُلْكًا بعدَ ذلك». ثم قال لى سَفينةُ: أَمْسِكْ خلافةَ أبى بكرٍ، وخِلافةَ عمرَ، وخِلافةَ عثمانَ، وأَمْسِكْ خِلافةَ علىٍّ. ثم قال: فوجَدْناها ثلاثين سنةً، ثم نظَرْتُ بعدَ ذلك فى الخلفاءِ فلم أجِدْه يَتَّفِقُ لهم ثلاثون. قلت

---

(١) أبو داود (١٥١٧)، والترمذى (٣٥٧٧). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٣٤٣).

(٢) سقط من: م.

(٣) أبو داود (٣٩٣٢)، والنسائى فى الكبرى (٤٩٩٥، ٤٩٩٦)، وابن ماجه (٢٥٢٦). حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٣٢٨).

(٤) فى الأصل: «ماقنه». وفى ١١١: غير منقوطة. وفى ٤١: «ماقيه». وفى م: «مافنة». وفى ص: «مافتة». والمثبت من تهذيب الكمال ١١/ ٢٠٥. وقد جاء هذا الاسم هكذا: «مارقيه» فى تاريخ الطبرى ٣/ ١٧١. وجاء فى جامع المسانيد للمصنف ٥/ ٣٣٠: «فاقه».

(٥) المسند ٥/ ٢٢١.

لسعيدٍ : أين لقِيتَ سفينةَ ؟ قال : ببطنِ نَخْلةَ فى زمنِ الحَجَّاجِ ، فأقَمْتُ عندَه ثلاثَ[1] ليالٍ أسألُه عن أحاديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلتُ له : ما اسمُك ؟ قال : ما أنا بمُخْبِرِك ، سمَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ سفينةَ . قلتُ : ولِمَ سَمَّاك سَفينةَ ؟ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ومعه أصحابُه ، فثَقُل عليهم متاعُهم فقال لى : « ابْسُطْ كِساءَك » . فبسَطْتُه ، فجعَلوا فيه متاعَهم ، ثم حمَلوه علىَّ ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « احمِلْ ، فإنما أنت سَفينةٌ » . فلو [٣/٣٩٤و] حمَلْتُ يومَئذٍ وِقْرَ بعيرٍ أو بعيرين أو ثلاثةٍ أو أربعةٍ أو خمسةٍ أو ستةٍ أو سبعةٍ ، ما ثَقُل علىَّ ، إلا أن يَجْفُوا[2] . وهذا الحديثُ عندَ[3] أبى داودَ والترمذىِّ والنسائىِّ[4] . ولفظُه عندَهم : « خِلافةُ النبوةِ ثلاثون سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا بَهْزٌ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، عن سَفينةَ قال : كنا فى سفرٍ ، فكان كُلَّما أعْيا رجلٌ ألْقَى علىَّ ثيابَه ؛ تُرْسًا أو سيفًا ، حتى حمَلْتُ مِن ذلك شيئًا كثيرًا ، فقال النبىُّ ﷺ : « أنت سَفينةٌ » . هذا هو المشهورُ فى تسميتِه سَفينةَ .

وقد قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[6] : ثنا أبو الرَّبيعِ سليمانُ بنُ داودَ الزَّهْرانىُّ ومحمدُ بنُ جعفرٍ الوَرْكانىُّ ، قالا : ثنا شَرِيكُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّخَعِىُّ ، عن عمرانَ

---

(١) فى المسند : « ثمان » .

(٢) فى الأصل : غير منقوطة . وفى ١١١، ٤١ : « يخفوا » . وفى ص : « يحفو » . قال فى بلوغ الأمانى ٢٢/ ٢٥٨: لعلَّ المراد من قوله : « إلا أن يجفوا » . إلا أن يبعدوا عنى ، وذلك بالإسراع فى السير ، فحينئذٍ يثقل علىَّ ما أحمله .

(٣) فى ١١١، م : « عن » .

(٤) أبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) ، والترمذى (٢٢٢٦) ، والنسائى فى الكبرى (٨١٥٥) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٨٢) .

(٥) المسند ٥/ ٢٢٢.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٧، من طريق البغوى به .

البَجَلىِّ ، عن مولًى لأمِّ[1] سَلَمةَ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فمرَرْنا بوادٍ أو نهرٍ ، فكنتُ أُعَبِّرُ[2] الناسَ ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما كنتَ منذُ اليومِ إلا سَفينةَ » . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، عن أسودَ بنِ عامرٍ ، عن شَريكٍ[3] .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه[4] : ثنا الحسنُ بنُ مُكْرَمٍ ، ثنا عثمانُ بنُ عمرَ ، ثنا أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن سَفينةَ قال : ركِبْتُ البحرَ فى سفينةٍ فكُسِرتْ بنا ، فركِبْتُ لوحًا منها فطرَحنى فى جزيرةٍ فيها أسَدٌ ، فلم يَرُعْنى [5]إلا به[5] ، فقلتُ : يا أبا الحارثِ ، أنا مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فجعَل يَغْمِزُنِى بمَنْكِبِه حتى أقامنى على الطريقِ ، ثم هَمْهَم فظَنَنْتُ أنه السلامُ . وقد رواه أبو القاسمِ البَغَوىُّ[6] ، عن إبراهيمَ بنِ هانئٍ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن رجلٍ ، عن محمدِ ابنِ المُنْكَدِرِ عنه . ورواه أيضًا[6] ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ المَخْرَمىِّ ، عن حسينِ بنِ محمدٍ قال : قال عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَلَمةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن سَفينةَ . فذكَره .

ورواه أيضًا[7] : حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، حدثنى أبو رَيْحانةَ ، عن سَفينةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : لقِيَنى الأسدُ ، فقلتُ : أنا سَفينةُ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فضرَب بذَنَبِه الأرضَ وقعَد . وروَى له مسلمٌ وأهلُ

---

(١) فى تاريخ دمشق : « أم » .

(٢) فى تاريخ دمشق : « أعين » . والمثبت كما فى المسند .

(٣) المسند ٥/ ٢٢١. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٦٦: رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما ثقات .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٩، ٢٧٠، من طريق ابن منده به .

(٥ - ٥) فى تاريخ دمشق : « الأسد » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٠، من طريق البغوى به .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٦٩ من طريق البغوى به .

السننِ. وقد تقدم فى الحديثِ الذى رواه الإمامُ أحمدُ أنه كان يَسْكُنُ بطنَ نَخْلةَ، وأنه تأخَّر إلى أيامِ الحَجَّاجِ.

ومنهم سلمانُ الفارسىُّ أبو عبدِ اللَّهِ مولى الإسلامِ. أصلُه مِن فارسَ وتنقَّلَتْ به الأحْوالُ إلى أن صار لرجلٍ مِن يهودِ المدينةِ، فلما هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ أسْلَم سلمانُ، وأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ، [٣/٣٩٤ظ] فكاتَب سيِّدَه اليهوديَّ، وأعانه رسولُ اللَّهِ ﷺ على أداءِ ما عليه فنُسِب إليه، وقال: «سلمانُ منا أهلَ البيتِ»[(١)]. وقد قدَّمْنا صفةَ هجرتِه مِن بلدِه، وصُحْبتِه لأولئك الرُّهْبانِ واحدًا بعدَ واحدٍ، حتى آل به الحالُ إلى المدينةِ النبويَّةِ، وذِكْرَ صفةِ إسلامِه، رضى اللَّهُ عنه، فى أوائلِ الهجرةِ النبويَّةِ إلى المدينةِ، وكانت وفاتُه فى سنةِ خمسٍ وثلاثين فى آخرِ أيامِ عثمانَ، أو فى أولِ سنةِ ستٍّ وثلاثين. وقيل: إنه تُوُفِّىَ فى أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ. والأولُ أكثرُ.

قال العباسُ بنُ يزيدَ البَحْرانىُّ: وكان أهلُ العلمِ لا يشُكُّون أنه عاش مائتين وخمسين سنةً، واخْتَلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثِمائةٍ وخمسين[(٢)]. وقد ادَّعَى بعضُ الحُفَّاظِ المتأخرين أنه لم يُجاوِزِ المائةَ. فاللَّهُ أعلمُ بالصوابِ.

ومنهم شُقْرانُ الحَبَشىُّ. واسمُه صالحُ بنُ عَدِىٍّ، ورِثه عليه الصلاةُ والسلامُ مِن أبيه. وقال مصعبٌ الزبيرىُّ ومحمدُ بنُ سعدٍ[(٣)]: كان لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، فوهَبه للنبىِّ ﷺ. وقد روَى أحمدُ بنُ حنبلٍ[(٤)]، عن إسحاقَ بنِ عيسى،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٣/ ١٦٨.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١/ ١٦٤، بإسناده إلى العباس، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٤٥٩، من طريق الخطيب به.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩، ٥٠، وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢/ ٧٠٩، عن مصعب.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧١، من طريق أحمد به.

عن أبى مَعْشَرٍ ، أنه ذكَره فيمَن شهِد بدرًا ، قال : ولم يَقْسِمْ له رسولُ اللَّهِ ﷺ . وهكذا ذكَره محمدُ بنُ سعدٍ فيمَن شهِد بدرًا وهو مملوكٌ ، فلهذا لم يُسْهِمْ له ، بل استَعْمَله على الأَسْرى ، فَجَزَاه[1] كلُّ رجلٍ له أسيرٌ شيئًا ، فحصَل له أكثرُ مِن نصيبِ كاملٍ . قال[2] : وقد كان ببدرٍ ثلاثةُ غِلْمانٍ غيرُه ؛ غلامٌ لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، وغلامٌ لحاطبِ بنِ أبى بَلْتَعةَ ، وغلامٌ لسعدِ بنِ مُعاذٍ ، فرضَخ لهم ولم يَقْسِمْ . قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[3] : وليس له ذكرٌ فيمَن شهِد بدرًا فى كتابِ الزهرىِّ ، ولا فى كتابِ ابنِ إسحاقَ .

وذكَر الواقدىُّ[4] ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جَهْمٍ قال : استعمل رسولُ اللَّهِ ﷺ شُقْرانَ مولاه على جميعِ ما وُجِد فى رحالِ أهلِ المُرَيْسِيعِ مِن رِثَّةِ المتاعِ[5] والسلاحِ والنَّعَمِ والشاءِ ، وجَمْعِ الذُّرِيَّةِ ناحيةً .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن عمرِو بنِ يحيى المازنىِّ ، عن أبيه ، عن شُقْرانَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : رأيتُه - يعنى النبىَّ ﷺ - مُتَوَجِّهًا إلى خيبرَ على حمارٍ يصلِّى عليه ، يُومِئُ إيماءً . وفى هذه الأحاديثِ شواهدُ أنه ، رضى اللَّهُ عنه ، شهِد هذه المشاهدَ .

---

(١) فى م ، ص : « حذاه » ، وكلاهما بمعنى .

(٢) أى محمد بن سعد .

(٣) ذكره عنه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧١.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٥٠، عن الواقدى به .

(٥) رثة الشىء : رديئه . انظر الوسيط (ر ث ث) .

(٦) المسند ٣/ ٤٩٥.

وروَى الترمذىُّ[1] ، عن زيدِ بنِ أخْزَمَ ، عن عثمانَ بنِ فَرْقَدٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، أخبرنى ابنُ أبى رافعٍ قال : سمِعْتُ شُقْرانَ يقولُ : أنا واللَّهِ طرَحْتُ القَطيفةَ تحتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى القبرِ . وعن جعفرِ بنِ محمدٍ ، [٣/٣٩٥و] عن أبيه قال : الذى ألْحَد[2] قبرَ النبىِّ ﷺ أبو طلحةَ ، والذى ألْقَى القَطيفةَ تحتَه[3] شُقْرانُ . ثم قال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ . وقد تقدم أنه شهِد غُسْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ونزَل فى قبرِه ، وأنه وضَع تحتَه القطيفةَ التى كان [4]رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] يصلِّى عليها وقال : واللَّهِ لا يَلْبَسُها أحدٌ بعدَك . وذكَر الحافظُ أبو الحسنِ بنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[5] أنه انقرض نَسْلُه ، فكان آخرُهم موتًا بالمدينةِ فى أيامِ الرَّشِيدِ .

ومنهم ضُمَيْرةُ بنُ أبى ضُمَيْرةَ الحِمْيرىُّ . أصابه سِباءٌ[6] فى الجاهليةِ ، فاشتراه النبىُّ ﷺ فأعْتَقه . ذكَره مصعبٌ الزبيرىُّ قال : وكانت له دارٌ بالبَقيعِ ، ووَلَدٌ .

قال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[7] ، عن ابنِ أبى ذئبٍ ، عن حسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ ضُمَيْرةَ ، عن أبيه ، عن جدِّه ضُمَيْرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ بأمِّ ضُمَيْرةَ وهى تَبْكى ، فقال لها : « ما يُبْكيكِ ؟ أجائعةٌ أنتِ ؟ أعاريَةٌ أنتِ ؟ » قالت : يا رسولَ

---

(١) الترمذى (١٠٤٧) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٨٣٧) .

(٢) فى ١١١، م، ص : « اتخذ » ، وفى ٤١ : « لحد » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) زيادة من : ١١١، ٤١ .

(٥) أسد الغابة ٢/ ٥٢٧ .

(٦) فى م : « سبى » . وكلاهما بمعنى .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٣، من طريق ابن وهب به . والحديث فى سنن البيهقى ٩/ ١٢٦، من نفس الطريق .

اللَّهِ، فُرِّق بينى وبينَ ابنى. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يُفَرَّقُ بينَ الوالدةِ وولدِها». ثم أرْسَل إلى الذى عندَه ضُمَيرةُ، فدعاه فابتاعه منه ببَكْرٍ[1]. قال ابنُ أبى ذئبٍ: ثم أقْرَأنى كتابًا عندَه: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، هذا كتابٌ مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ لأبى ضُمَيْرةَ وأهلِ بيتِه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أَعْتَقهم، وأنهم أهلُ بيتٍ مِن العربِ، إن أحَبُّوا أقاموا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وإن أحَبُّوا رجَعوا إلى قومِهم، فلا يُعْرَضُ لهم إلا بحقٍّ، ومَن لقِيَهم مِن المسلمين فلْيَسْتَوْصِ بهم خيرًا». وكتَب أُبَىُّ بنُ كعبٍ.

ومنهم طَهْمانُ. ويقالُ: ذَكْوانُ. ويقالُ: مِهْرانُ. ويقالُ: مَيْمونٌ. وقيل: كَيْسانُ. وقيل: باذامُ. روَى عن النبىِّ ﷺ قال: «إن الصدقةَ لا تحِلُّ لى ولا لأهلِ بيتى، وإن مولى القومِ مِن أنفسِهم». رواه البَغَوىُّ، عن مِنْجابِ بنِ الحارثِ وغيرِه، عن شَريكٍ، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن إحدى بناتِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، وهى أمُّ كُلْثومٍ بنتُ علىٍّ قالت: حدَّثنى مولًى للنبىِّ ﷺ يقالُ له: طَهْمانُ أو ذَكْوانُ. قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ. فذكَره[2].

ومنهم عُبَيْدٌ مولى النبىِّ ﷺ. قال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[3]، عن شعبةَ، عن سليمانَ التَّيْمىِّ، عن شيخٍ، عن عُبيدٍ مولَى النبىِّ ﷺ قال: قلتُ: هل كان النبىُّ ﷺ يأْمُرُ بصلاةٍ سوى المكتوبةِ؟ قال: صلاةٍ بينَ المغربِ والعشاءِ. قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[4]: لا أعْلَمُ روَى غيرَه. قال ابنُ عساكرَ: وليس كما قال. ثم

---

(١) البكر: الفتىُّ من الإبل.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٣، من طريق عبد اللَّه بن محمد البغوى به.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٤، من طريق أبى داود الطيالسى به.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٤، من طريق البغوى به.

ساق مِن طريقِ أبى يَعْلَى المَوصلىِّ[1] ، حدثنا عبدُ الأعْلَى بنُ حمادٍ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن سليمانَ التَّيْمِىِّ ، عن عُبَيْدٍ مولى رسولِ اللَّهِ [٣/٣٩٥ظ] ﷺ ، أن امرأتين كانتا صائمتين ، وكانتا تغْتابان الناسَ ، فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بقَدَحٍ ، فقال لهما : « قِيئا » . فقاءتا قَيْحًا ودمًا ولحمًا عَبيطًا[2] ، ثم قال : « إن هاتين صامتا عن الحلالِ ، وأفْطَرتا على الحرامِ » . وقد رواه الإمامُ أحمدُ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ وابنِ أبى عدىٍّ ، عن سليمانَ التَّيْمىِّ ، عن رجلٍ حدَّثهم فى مجلسِ أبى عثمانَ ، عن عُبَيْدٍ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَره[3] . ورواه أحمدُ أيضًا[4] ، عن غُنْدَرٍ ، عن عثمانَ بنِ غِياثٍ[5] قال : كنتُ مع أبى عثمانَ ، فقال رجلٌ : حدَّثنى سعيدٌ أو عُبَيدٌ - عثمانُ يَشُكُّ - مولى النبىِّ ﷺ . فذكَره .

ومنهم فَضالةُ مولى النبىِّ ﷺ . قال محمدُ بنُ سعْدٍ[6] : أنبأنا الواقدىُّ ، حدثنى [7]عتبةُ بنُ جَبيرةَ[7] الأشْهلىُّ قال : كتَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى أبى بكرٍ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ أنِ افْحَصْ لى عن أسماءِ[8] خَدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الرجالِ والنساءِ ومواليه ، فكتَب إليه قال : وكان فَضالةُ مولًى له يمانيًا نزَل الشامَ بعدُ ، وكان أبو مُوَيْهِبةَ مُوَلَّدًا مِن مُوَلَّدِى مُزَيْنةَ فأَعْتَقه . قال ابنُ عساكرَ : لم أجِدْ لفَضالةَ ذِكْرًا فى الموالى إلا مِن هذا الوجهِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٤، ٢٧٥، من طريق أبى يعلى الموصلى به .
(٢) اللحم العبيط : الطرى غير النضيج . النهاية ٣/ ١٧٢.
(٣) المسند ٥/ ٤٣١. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢٧٥ ، من طريق أحمد به .
(٤) المسند ٥/ ٤٣١.
(٥) فى الأصل، ١١١، ٤١، ص : « عتاب » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٧٣.
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٧، من طريق ابن سعد به .
(٧ - ٧) فى م : « عتبة بن خيرة » ، وفى تاريخ دمشق : « عيينة بن جبير » . وانظر الثقات لابن حبان ٧/ ٢٧٠.
(٨) سقط من : م ، ص .

ومنهم قَفِيزٌ . أوَّلُه قافٌ وآخرُه زاىٌ . قال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه[1] : أنبأنا سهلُ ابنُ السَّرِىِّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، ثنا محمدُ بنُ يحيى ، عن محمدِ ابنِ سليمانَ الحَرَّانىِّ ، عن زهيرِ بنِ محمدٍ ، عن أبى بكرِ بنِ [2]عبيدِ اللَّهِ بنِ أَنَسٍ[2] ، [3]عن أَنسٍ[3] قال : كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ غلامٌ يقالُ له : قَفِيزٌ . تفرد به محمدُ بنُ سليمانَ .

ومنهم كِرْكِرةُ . كان على ثَقَلِ[4] النبىِّ ﷺ فى بعضِ غَزَواتِه ، وقد ذكَره أبو بكرِ بنُ حزمٍ[5] فيما كتَب به إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : كان على ثَقَلِ النبىِّ ﷺ رجلٌ يقالُ له : كِرْكِرَةُ . فمات ، فقال : « هو فى النارِ » . فنظَروا ، فإذا عليه عَباءةٌ[7] قد غلَّها ، أو كِساءٌ قد غلَّه . رواه البخارىُّ[8] ، عن علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، عن سفيانَ[7] . قلتُ : وقصتُه شَبيهةٌ بقصةِ مِدْعَمٍ الذى أهْداه رفاعةُ مِن بنى الضُّبَيبِ[9] ، كما سيأتى .

ومنهم كَيْسانُ . قال البغوىُّ[10] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[11] ، ثنا ابنُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٢٧٧، من طريق ابن منده به .
(٢ - ٢) فى م : « عبد الله بن أنيس » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١١٨.
(٣ - ٣) سقط من : ٤١، م .
(٤) الثقل بالتحريك . المتاع والحشم . اللسان (ث ق ل) .
(٥) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٤٩٧، ٤٩٨.
(٦) المسند ٢/ ١٦٠. (إسناده صحيح) .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .
(٨) البخارى (٣٠٧٤) .
(٩) فى م ، ص : « النصيب » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٢٨، والمشتبه ٢/ ٤١٣.
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٠، من طريق البغوى به .
(١١) فى تاريخ دمشق : « صدقة » .

فُضَيْلٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ قال : أتَيْتُ أمَّ كُلْثومٍ بنتَ عليٍّ ، فقالت : حدَّثنى مولًى للنبىِّ ﷺ يقالُ له : كَيْسانُ . قال له النبىُّ ﷺ فى شىءٍ مِن أمرِ الصدقةِ : « إنا أهلُ بيتٍ نُهِينا أن نأكُلَ الصدقةَ ، وإن مولانا مِن أنفسِنا ، فلا يَأْكُلِ[1] الصدقةَ » .

ومنهم مَأبورٌ القِبْطىُّ الخَصِىُّ . أهْداه له صاحبُ إسْكَنْدَرِيَّةَ مع ماريَةَ [٣/ ٣٩٦و] وسِيرينَ والبَغْلةِ . وقد قدَّمْنا مِن خبرِه فى ترجمةِ ماريَةَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، ما فيه كفايةٌ .

ومنهم مِدْعَمٌ . وكان أسودَ مِن مُوَلَّدِى حِسْمَى[2] ، أهْداه رفاعةُ بنُ زيدٍ الجُذامىُّ ، قُتِل فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، وذلك مَرْجِعَهم مِن خيبرَ ، فلما وصَلوا إلى وادى القُرَى ، فبينما مِدْعَمٌ يَحُطُّ عن ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ رحْلَها ، إذ جاءه سهْمٌ عائرٌ فقتَله ، فقال الناسُ : هَنيئًا له الشهادةُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلا والذى نفسى بيدِه ، إن الشَّمْلةَ التى أخَذها يومَ خيبرَ لم تُصِبْها المَقاسمُ لتَشْتَعِلُ[3] عليه نارًا » . فلما سمِعوا ذلك جاء رجلٌ بشِراكٍ أو شِراكَيْن ، فقال النبىُّ ﷺ : « شِراكٌ مِن نارٍ ، أو شِراكان مِن نارٍ » . أخرجاه مِن حديثِ مالكٍ ، عن ثورِ بنِ زيدٍ[4] ، عن أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ[5] .

ومنهم مِهْرانُ . ويقالُ : طَهْمانُ . وهو الذى روَت عنه أمُّ كُلْثومٍ بنتُ علىٍّ فى تحريمِ الصَّدَقةِ على بنى هاشمٍ ومَواليهم ، كما تقدم .

---

(١) فى م ، ص ، وتاريخ دمشق : « نأكل » .

(٢) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان . معجم البلدان ٢/ ٢٦٧.

(٣) فى ١١١، ص : « لتشتعل » .

(٤) فى م ، ص : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤١٦.

(٥) البخارى (٤٢٣٤) ، ومسلم (١١٥/١٨٣) .

ومنهم ميمونٌ. وهو الذى قبلَه.

ومنهم نافعٌ مولاه. قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1]: أنبأنا أبو الفتحِ الماهانىُّ، أنبأنا شُجاعٌ الصوفىُّ، أنبأنا محمدُ بنُ إسحاقَ، أنبأنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ زيادٍ، حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ، أنبأنا أبو مالكٍ الأشْجعىُّ، عن يوسُفَ بنِ مَيْمونٍ، عن نافعٍ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ شيخٌ زانٍ، ولا مسكينٌ مُسْتَكْبِرٌ[2]، ولا مَنَّانٌ بعملِه على اللَّهِ، عزَّ وجلَّ».

ومنهم نُفَيْعٌ. ويقال: مَسْروحٌ. ويقالُ: نافعُ بنُ مَسْروحٍ. والصحيحُ نافعُ ابنُ الحارثِ بنِ كَلَدةَ بنِ عمرِو بنِ عِلاجِ بنِ [3]أبى سَلِمةَ[3] عبدِ العُزَّى[4] بنِ غِيَرةَ ابنِ عوفِ بنِ قَسىٍّ[5]، وهو ثقيفٌ، أبو بَكْرةَ الثقفىُّ، وأمُّه سُمَيَّةُ أمُّ زيادٍ، تَدَلَّى هو وجماعةٌ مِن العَبيدِ مِن سورِ الطائفِ، فأعْتَقهم رسولُ اللَّهِ ﷺ، وكان نزولُه فى بَكْرةٍ، فسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بَكْرةَ. قال أبو نُعيمٍ[6]: كان رجلًا صالحًا، آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ أبى بَرْزةَ الأسْلَمىِّ.

قلتُ: وهو الذى صلَّى عليه بوصيَّتِه إليه، ولم يَشْهَدْ أبو بَكْرةَ وقعةَ الجَمَلِ، ولا أيامَ صِفِّينَ، وكانت وفاتُه فى سنةِ إحدى وخمسين، وقيلَ: سنةِ اثنتين

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٥.

(٢) فى م: «متكبر».

(٣ - ٣) فى م، ص: «سلمة بن». وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٥، وقال فيه عن أبى سلمة هذا: واسمه عبد العزى، ويقال: ابن عبد العزى.

(٤) فى الأصل، ١١١، ٤١، ص: «عبد العزيز».

(٥) فى م: «قيس».

(٦) ذكره الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٣٠/ ٦ عن أبى نعيم الأصبهانى.

وخمسين .

ومنهم واقدٌ ، أو أبو واقدٍ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال الحافظُ أبو نعيمٍ الأصْبهانيُّ[1] : حدثنا [2]أبو عمرٍو [٣/٣٩٦ظ] بنُ حَمدانَ[2] ، ثنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، ثنا محمدُ بنُ يحيى بنِ عبدِ الكريمِ ، ثنا الحسينُ بنُ محمدٍ ، ثنا الهيثمُ بنُ حمادٍ ، عن الحارثِ بنِ غَسَّانَ ، عن رجلٍ مِن قريشٍ مِن أهلِ المدينةِ ، عن زاذانَ ، عن واقدٍ مَوْلى النبيِّ ﷺ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أطاع اللَّهَ فقد ذكَر اللَّهَ وإن قلَّتْ صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه القرآنَ ، ومَن عصَى اللَّهَ فلم يذْكُرْه وإن كثُرَت صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه القرآنَ » .

ومنهم هُرْمُزُ أبو كَيْسانَ . ويقالُ : هُرْمُزُ ، أو كَيْسانُ . وهو الذى يقالُ فيه : طَهْمانُ . كما تقدم . وقد قال ابنُ وهبٍ[3] : ثنا عليُّ بنُ عابسٍ[4] ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن فاطمةَ بنتِ عليٍّ أو أمِّ كُلْثومٍ بنتِ عليٍّ قالت : سمِعْتُ مولًى لنا يقالُ له : هُرْمُزُ . يُكَنَّى أبا كَيْسانَ ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنا أهلُ بيتٍ لا تَحِلُّ لنا الصدقةُ ، وإن مَوالِيَنا مِن أنفسِنا ، فلا تأكُلوا الصدقةَ » . وقد رواه الرَّبيعُ بنُ سليمانَ[5] ، عن أسدِ بنِ موسى ، عن وَرْقاءَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ قال : دخَلْتُ على أمِّ كُلْثومٍ ، فقالت : إن هُرْمُزَ أو كَيْسانَ حدَّثنا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنا لا نأكُلُ الصدقةَ » .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٥، ٢٨٦، من طريق أبى نعيم به .

(٢ - ٢) فى تاريخ دمشق : « ابن عمر ، وابن حمدان » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٥٦.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٧، من طريق ابن وهب به .

(٤) فى م ، وتاريخ دمشق : « عباس » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٥٠٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٦، من طريق الربيع بن سليمان به .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[1] : ثنا منصورُ بنُ أبى مُزاحِمٍ ، ثنا أبو حفصٍ الأبَّارُ ، عن ابنِ أبى زيادٍ ، عن معاويةَ قال : شهِد بدرًا عشرون مملوكًا ، منهم مملوكٌ للنبىِّ ﷺ يقالُ له : هُرْمُزُ . فأعْتَقه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « إن اللَّهَ قد أعْتَقك ، وإن مَوْلى القومِ مِن أنفسِهم ، وإنا أهلُ بيتٍ [2]لا نأكُلُ[2] الصدقةَ فلا تأْكُلْها » .

ومنهم هشامٌ مَوْلى النبىِّ ﷺ . قال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : أنبأنا سليمانُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ الرَّقِّىُّ ، أنبأنا محمدُ بنُ أيوبَ الرَّقِّىُّ ، عن سفيانَ ، عن عبدِ الكريمِ ، عن أبى الزبيرِ ، عن هشامٍ مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : جاء رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن امرأتى لا تَدْفَعُ يدَ لامسٍ . قال : « طَلِّقْها » . قال : إنها تُعْجِبُنى . قال : « فتمَتَّعْ بها » . قال ابنُ مَنْدَه[4] : وقد رواه جماعةٌ ، عن سفيانَ الثورىِّ [5]عن عبدِ الكريمِ[5] ، عن أبى الزبيرِ ، [6]عن مولى بنى هاشمٍ ، عن النبىِّ ﷺ - ولم يُسَمِّه - ورواه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ الكريمِ ، عن أبى الزبيرِ[6] ، عن جابرٍ .

ومنهم يَسارٌ . ويقالُ : إنه الذى قتَله العُرَنِيُّون ومَثَّلوا به . وقد ذكَر الواقدىُّ بسندِه[7] عن يعقوبَ بنِ عتبةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذه يومَ قَرْقَرَةِ الكُدْرِ مع نَعَمِ بنى غَطَفانَ وسُلَيمٍ ، فوهَبه الناسُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقبِله منهم ؛ لأنه رآه يُحْسِنُ الصلاةَ فأعْتَقه ، ثم [٣/ ٣٩٧و] قسَم فى الناسِ النَّعَمَ ، فأصاب كلُّ إنسانٍ منهم

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٧، من طريق البغوى به .

(٢ - ٢) فى تاريخ دمشق : « نبتلى بأكل » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، من طريق ابن سعد به .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٨٨.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) مغازى الواقدى ١/ ١٨٢، ١٨٣، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٨، ٢٨٩، من طريق الواقدى به .

سبعةَ أَبْعِرَةٍ ، وكانوا مائتين .

ومنهم أبو الحَمْراءِ مولى النبيِّ ﷺ وخادمُه . وهو الذى يقالُ : إن اسمَه هلالُ بنُ الحارثِ . وقيل : ابنُ ظَفَرٍ[1] . وقيل : هلالُ بنُ الحارثِ بنِ ظَفَرٍ[2] السُّلَمىُّ . أصابه سِباءٌ[3] فى الجاهليةِ .

وقال أبو جعفرٍ محمدُ بنُ علىِّ بنِ دُحَيْمٍ[4] : ثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، أنبأنا عُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ موسى والفضلُ بنُ دُكَيْنٍ ، عن يونسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن أبى داودَ القاصِّ ، عن أبى الحمراءِ قال : رابَطْتُ المدينةَ سبعةَ أشهرٍ كيومٍ ، فكان النبيُّ ﷺ يأتى بابَ علىٍّ وفاطمةَ كلَّ غداةٍ فيقولُ : « الصلاةَ الصلاةَ ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ » [الأحزاب : ٣٣] .

قال أحمدُ بنُ حازمٍ[6] : وأنبأنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى والفضلُ بنُ دُكَيْنٍ واللفظُ له ، عن يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن أبى داودَ ، عن أبى الحمراءِ قال : مَرَّ النبيُّ ﷺ برجلٍ عندَه طعامٌ فى وِعاءٍ ، فأدْخَله يدَه فقال : « غشَشْتَه ، مَن غشَّنا فليس منا » . وقد رواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن أبى نُعيمٍ به[7] . وليس عندَه سواه . وأبو داودَ هذا هو نُفَيْعُ بنُ الحارثِ الأعْمَى ، أحدُ المتْروكين الضُّعفاءِ . قال عباسٌ الدُّورىُّ[8] عن ابنِ مَعينٍ : أبو الحمراءِ صاحبُ رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى النسخ : « مظفر » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٦٣٣، ونهاية الأرب ١٨/ ٢٣٤.
(٢) فى الأصل ، ١١١، ٤١: « مظفر » .
(٣) فى م : « سبى » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٠، من طريق أبى جعفر به .
(٥) فى م ، ص ، وتاريخ دمشق : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٠، من طريق أحمد بن حازم به .
(٧) ابن ماجه (٢٢٢٥) . ضعيف جدًّا (ضعيف سنن ابن ماجه ٤٨١) .
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٠، من طريق عباس الدورى ، عن يحيى بن معين به . وانظر تاريخ يحيى بن معين ٢/ ٧٠٢.

ﷺ اسمُه هلالُ بنُ الحارثِ، كان يكونُ بحِمْصَ، وقد رأيْتُ بها غلامًا مِن ولدِه. وقال غيرُه[1]: كان منزلُه خارجَ بابِ حِمْصَ. وقال أبو الوازعِ عن سَمُرَةَ[2]: كان أبو الحمراءِ مِن[3] الموالى.

ومنهم أبو سُلْمَى راعى النبىِّ ﷺ. ويقالُ: أبو سَلّامٍ. واسمُه حُرَيْثٌ.

قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[4]: ثنا كاملُ بنُ طَلْحةَ، ثنا عَبَّادُ بنُ عبدِ الصمدِ، حدثنى [5]أبو سُلْمَى[5] راعى النبىِّ ﷺ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَن لَقِىَ اللَّهَ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ، وآمَن بالبعثِ والحسابِ، دخَل الجنةَ». قلنا: أنت سمِعْتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فأدْخَل أُصْبُعَيه فى أُذُنيه، ثم قال: أنا سمِعْتُ هذا منه غيرَ مرةٍ، ولا مرتين، ولا ثلاثٍ، ولا أربعٍ. لم يُورِدْ له ابنُ عَساكرَ سوى هذا الحديثِ. وقد روَى له النسائىُّ فى اليومِ والليلةِ آخَرَ، وأخْرَج له ابنُ ماجه ثالثًا[6].

ومنهم أبو صَفِيةَ مولى النبىِّ ﷺ. قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[7]: ثنا أحمدُ بنُ المِقْدامِ، ثنا معتمرٌ، ثنا أبو كعبٍ، عن جدِّه بَقِيَّةَ، عن أبى صفيةَ مولى النبىِّ ﷺ، أنه كان يُوضَعُ له نِطْعٌ ويُجاءُ بزَبِيلٍ[8] فيه حَصًى، فيُسَبِّحُ به إلى نصفِ

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩١.

(٣) فى م، ص: «فى».

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩١، من طريق البغوى به.

(٥ - ٥) فى النسخ: «أبو سلمة». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) النسائى فى الكبرى (٩٩٩٥)، وابن ماجه (٣٨٧٠).

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٢، ٢٩٣، من طريق البغوى به.

(٨ - ٨) فى ا ٤١، وتاريخ دمشق: «بزنبيل». والزبيل والزنبيل: الجراب، وقيل: الوعاء يحمل فيه... وقيل: الزنبيل خطأ. اللسان (ز ب ل).

النهارِ، ثم يُرْفَعُ، فإذا صلَّى الأولى سبَّح حتى يُمْسِيَ.

[٣/٣٩٧ظ] **ومنهم أبو ضُمَيْرةَ مولى النبيِّ ﷺ**، والدُ ضُمَيْرةَ المتقدِّمِ، وزوْجُ أمِّ ضُمَيْرةَ. وقد تقدم فى ترجمةِ ابنهِ طَرَفٌ مِن ذكرِهم وخبرِهم فى كتابِهم.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ فى «الطَّبَقاتِ»[1]: أنبأنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أُوَيْسٍ المَدَنىُّ، حدثنى حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ضُمَيْرةَ، أن الكتابَ الذى كتَبه رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبى ضُمَيرةَ: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، كتابٌ مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ لأبى ضُمَيْرةَ وأهلِ بيتِه، إنهم كانوا أهلَ بيتٍ مِن العربِ، وكانوا مما[2] أفاء اللَّهُ على رسولِه فأعْتَقهم، ثم خيَّر أبا ضُمَيْرةَ؛ إن أحَبَّ أن يَلْحَقَ بقومِه فقد أَذِن له، وإن أحَبَّ أن يَمْكُثَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فيكونوا مِن أهلِ بيتِه، فاختار اللَّهَ ورسولَه ودخَل فى الإسلامِ، فلا يَعْرِضْ لهم أحدٌ إلا بخيرٍ، ومَن لقِيَهم مِن المسلمين فلْيَسْتَوْصِ بهم خيرًا». وكتَب أُبَىُّ بنُ كعبٍ. قال إسماعيلُ بنُ أبى أُوَيْسٍ: فهو مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو أحدُ حِمْيَرَ، وخرَج قومٌ منهم فى سفرٍ ومعهم هذا الكتابُ، فعرَض لهم اللصوصُ، فأخَذوا ما معهم، فأخْرَجوا هذا الكتابَ إليهم وأعْلَموهم بما فيه، فقرَءُوه فردُّوا عليهم ما أخَذوا منهم، ولم يَعْرِضوا لهم.

قال: ووفَد حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ضُمَيْرةَ إلى المهدىِّ أميرِ المؤمنين، وجاء معه بكتابِهم هذا، فأخَذه المهدىُّ، فوضَعه على بصرِه، وأعْطَى حسينًا ثلاثَمائةِ دينارٍ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٣، من طريق ابن سعد به.

(٢) فى م: «ممن».

ومنهم أبو عُبَيدٍ مولاه ، عليه الصلاةُ والسلامُ . قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا أبانٌ العَطَّارُ ، ثنا قَتادةُ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى عُبَيدٍ ، أنه طبَخ لرسولِ اللَّهِ ﷺ قِدْرًا فيها لحمٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ناوِلْنى ذراعَها » . فناوَلْتُه ، فقال : « ناوِلْنى ذراعَها » . فناوَلْتُه ، فقال : « ناوِلْنى ذِراعَها » . فقال[2] : يا نبيَّ اللَّهِ ، كم للشاةِ مِن ذراعٍ ؟ قال : « والذى نفسى بيدِه لو سكَتَّ [3]لأعْطَيْتَنى ذِراعَها[3] ما دعوتُ به » . ورواه الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ » عن بُنْدارٍ ، عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبانِ بنِ يزيدَ العَطَّارِ به[4] .

ومنهم أبو عَسِيبٍ[5] ، ومنهم مَن يقولُ : أبو عَسِيمٍ[6] . والصحيحُ الأولُ ، ومِن الناسِ مَن فرَّق بينَهما[7] ، وقد تقدم أنه شهِد الصلاةَ على النبىِّ ﷺ ، وحضَر دفنَه ، وروَى قصةَ المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ .

وقال الحارثُ بنُ أبى أُسامةَ[8] : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا مسلمُ بنُ عُبَيدٍ أبو نُصَيْرةَ قال : سمِعْتُ أبا عَسِيبٍ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : إن النبىَّ ﷺ قال : « أتانى جبريلُ بالحُمَّى والطاعونِ ، فأمْسَكْتُ الحُمَّى بالمدينةِ ، وأرْسَلْتُ الطَّاعونَ إلى الشامِ ، فالطاعونُ [٣/٣٩٨و] شهادةٌ لأمتى ، ورحمةٌ لهم ، ورِجْسٌ على الكافرِ » . وكذا رواه الإمامُ أحمدُ عن يزيدَ بنِ هارونَ[9] .

---

(١) المسند ٣/ ٤٨٤، ٤٨٥.

(٢) فى ١١١ ، ٤١ ، م : « فقلت » .

(٣ - ٣) فى المسند : « لأعطتك ذراعا » .

(٤) الشمائل (١٦٢) . صحيح (مختصر الشمائل ١٤٣) .

(٥) فى م : « عشيب » .

(٦) فى م : « عسيب » .

(٧) انظر أسد الغابة ٦/ ١٥، والإصابة ٧/ ٢٧٥.

(٨) بغية الباحث (٢٥١) ، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٥، من طريق الحارث بن أبى أسامة به .

(٩) المسند ٥/ ٨١. صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٦١) .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه[1] : أنبأنا محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّاغانيُّ ، ثنا يونُسُ بنُ محمدٍ ، ثنا حَشْرَجُ بنُ نُباتةَ ، حدثنى أبو نُصَيْرةَ البصريُّ ، عن أبى عَسِيبٍ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلًا ، فمرَّ بى فدعانى [2]فخرجْتُ إليه[2] ، ثم مرَّ بأبى بكرٍ فدعاه فخرَج إليه ، ثم مرَّ بعمرَ فدعاه فخرَج إليه ، ثم انطلق يمشى حتى دخَل حائطًا لبعضِ الأنصارِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لصاحبِ الحائطِ : « أطْعِمْنا بُسْرًا » . فجاء به فوضَعه ، فأكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأكَلوا جميعًا ، ثم دعا بماءٍ فشرِب منه ، ثم قال : « إن هذا النعيمُ ، لَتُسْأَلُنَّ يومَ القيامةِ عن هذا » . فأخَذ عمرُ العِذْقَ ، فضرَب به الأرْضَ حتى تَناثَر البُسْرُ ، ثم قال : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنا لَمَسئولون عن هذا يومَ القيامةِ ؟ قال : « نعم ، إلا مِن ثلاثةٍ ؛ خِرْقَةٍ يَسْتُرُ بها الرجلُ عورتَه ، أو كِسْرةٍ يَسُدُّ بها جَوْعتَه ، أو جُحْرٍ يدخُلُ فيه » . يعنى مِن الحَرِّ والقَرِّ . ورواه الإمامُ أحمدُ ، عن سُرَيْجٍ[3] ، عن حَشْرَجٍ[4] .

وروَى محمدُ بنُ سعدٍ فى « الطَّبَقاتِ »[5] عن موسى بنِ إسماعيلَ ، حدثتْنا مسلمةُ[6] بنتُ أبانٍ[7] القُرَيْعِيَّةُ[8] قالت : سمِعْتُ ميمونةَ بنتَ أبى عَسِيبٍ قالت : كان أبو عَسِيبٍ يُواصِلُ بينَ ثلاثٍ فى الصيامِ ، وكان يصلِّى الضُّحَى قائمًا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٥، ٢٩٦، من طريق ابن منده به .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق . وفى المسند كما سيأتى : « فخرجت » .

(٣) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٧/ ٣٤.

(٤) المسند ٥/ ٨١.

(٥) الطبقات الكبرى ٧/ ٦١، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٦.

(٦) فى م : « سلمة » . ولم نجد لها ترجمة فيما بين أيدينا من مراجع .

(٧) فى الطبقات : « زبان » ، وفى تاريخ دمشق : « رئاب » .

(٨) فى م ، ص ، وتاريخ دمشق : « الفريعية » .

فعجَز[1] ، وكان يصومُ البِيضَ . قالت : وكان فى سَريرِه جُلْجُلٌ[2] ، فيَعْجِزُ صوتُه حتى[3] يُناديَها به ، فإذا حرَّكه جاءت .

ومنهم أبو كَبْشةَ الأنْمارىُّ . مِن أنمارِ مَذْحِجٍ على المشهورِ ، مولى النبىِّ ﷺ ، فى اسمِه أقوالٌ ، أشهرُها أن اسمَه سُلَيْمٌ ، وقيل : عمرُو بنُ سعدٍ . وقيل عكسُه . وأصلُه مِن مُوَلَّدى أرضِ دَوْسٍ ، وكان ممن شهِد بدرًا . قاله موسى بنُ عقبةَ عن الزهرىِّ[4] . وذكَره ابنُ إسحاقَ والبخارىُّ والواقدىُّ ومصعبٌ الزُّبيرىُّ وأبو بكرِ ابنُ أبى خَيْثمةَ[5] . زاد الواقدىُّ : وشهِد أُحدًا وما بعدَها مِن المشاهدِ ، وتُوُفِّىَ يومَ استُخْلِف عمرُ بنُ الخطابِ ، وذلك فى يومِ الثلاثاءِ لثمانٍ بقِين مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ مِن الهجرةِ . وقال خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[6] : وفى سنةِ ثلاثٍ وعشرين تُوُفِّىَ أبو كَبْشةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقد تقدم[7] عن أبى كَبْشةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما مرَّ[8] فى ذَهابِه إلى تَبوكَ بالحِجْرِ جعَل الناسُ يَدْخُلون بيوتَهم ، فنُودِىَ أن الصلاةَ [٣/ ٣٩٨ظ] جامعةٌ ، فاجْتَمع الناسُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما يُدْخِلُكم على هؤلاءِ القومِ الذين غضِب اللَّهُ عليهم ؟ » فقال رجلٌ : نَعْجَبُ منهم يا رسولَ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا أُنَبِّئُكم بأعْجبَ مِن ذلك ؟ رجلٌ مِن أنفسِكم يُنَبِّئُكم بما كان قبلَكم ، وما يكونُ[9] بعدَكم » الحديثَ .

---

(١) بعده فى مصدرى التخريج : « فكان يصلى قاعدًا » .
(٢) الجلجل : الجرس الصغير .
(٣) فى م : « حين » .
(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٧.
(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٩٧، ٢٩٨، وذكره البخارى فى التاريخ الكبير ٦/ ١٣٨ فيمن اسمه عمر .
(٦) تاريخ خليفة ١/ ١٥٩، وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٨.
(٧) تقدم فى ٧/ ١٦٥.
(٨) فى الأصل، ١١١: « نزل » .
(٩) فى م، ص : « هو كائن » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن أزْهَرَ بنِ سعيدٍ الحَرازىِّ[2] ، سمِعْتُ أبا كَبْشةَ الأنْمارىَّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسًا فى أصحابِه ، فدخَل ، ثم خرَج وقد اغتسل ، فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد كان شىءٌ ؟ قال : « أجَلْ ، مرَّت بى فلانةُ فوقَع فى نفسى شهوةُ النساءِ ، فأتَيْتُ بعضَ أزواجى فأصَبْتُها ، فكذلك فافْعَلوا ، فإنه مِن أماثلِ أعْمالِكم إتيانُ الحلالِ » .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا وَكيعٌ ، ثنا الأعْمشُ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن أبى كَبْشةَ الأنْمارىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَثَلُ هذه الأُمَّةِ مَثَلُ أربعةِ نفرٍ ؛ رجلٌ آتاه اللَّهُ مالًا وعلمًا ، فهو يَعْمَلُ به فى مالِه ، ويُنْفِقُه فى حقِّه ، ورجلٌ آتاه اللَّهُ علمًا ولم يُؤْتِه مالًا ، فهو يقولُ : لو كان لى مِثْلُ مالِ هذا عمِلْتُ فيه مثلَ الذى يَعْمَلُ » . [4]قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فهما فى الأجرِ سواءٌ[4] ، ورجلٌ آتاه اللَّهُ مالًا ولم يُؤْتِه علمًا ، فهو يَخْبِطُ فيه يُنْفِقُه فى غيرِ حقِّه ، ورجلٌ لم يُؤْتِه اللَّهُ مالًا ولا علمًا ، فهو يقولُ : لو كان لى مثلُ مالِ هذا عمِلْتُ فيه مثلَ الذى يَعْمَلُ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فهما فى الوِزْرِ سواءٌ » . وهكذا رواه ابنُ ماجه ، [5]عن أبى بكرِ ابنِ أبى شيبةَ وعلىِّ بنِ محمدٍ ، كلاهما عن وكيعٍ[6] . ورواه ابنُ ماجه[5] أيضًا[7] مِن وجهٍ آخرَ مِن حديثِ منصورٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن ابنِ أبى كَبْشةَ ،

---

(١) المسند ٤/ ٦٢. صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٤٢) .
(٢) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « الحوارى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٣٢٥.
(٣) المسند ٤/ ٢٣٠.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ١١١.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١.
(٦) ابن ماجه (٤٢٢٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٠٦) .
(٧) ذكره عقب الحديث السابق .

عن أبيه . وسمَّاه بعضُهم عبدَ اللَّهِ بنَ أبى كَبْشةَ .

وقال أحمدُ[1] : حدثنا يزيدُ بنُ عبدِ رَبِّه ، ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، ثنا الزُّبَيْدىُّ ، عن راشدِ بنِ سعدٍ ، عن أبى عامرٍ الهَوْزَنِىِّ[2] ، عن أبى كَبْشةَ الأنمارىِّ ، أنه أتاه فقال : أطْرِقْنى مِن فرسِك[3] ، فإنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أطْرَق مسلمًا فعقَب له الفرسُ كان له[4] كأجرِ سبعين فرسًا[5] حُمِل عليه فى سبيلِ اللَّهِ ، عز وجل » .

وقد روَى الترمذىُّ[6] ، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبى نُعَيْمٍ ، عن عُبادةَ ابنِ مُسْلِمٍ ، عن يونُسَ بنِ خَبَّابٍ ، عن سعيدٍ أبى البَخْتَرىِّ الطائىِّ ، حدثنى أبو كَبْشةَ أنه [7]سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول[7] : « ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهن ، وأُحَدِّثُكم حديثًا فاحْفَظوه ؛ ما نقَص مالُ عبدٍ من[8] صدقةٍ ، وما ظُلِمَ عبدٌ بمَظْلِمةٍ فصبَر عليها إلا زاده اللَّهُ بها عزًّا ، ولا يَفْتَحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتَح اللَّهُ عليه بابَ فقرٍ » . الحديثَ . [٣/ ٣٩٩و] وقال : حسنٌ صحيحٌ . وقد رواه أحمدُ ، [9]عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، عن الأعْمشِ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ عنه[9] .

---

(١) المسند ٤/ ٢٣١.

(٢) فى الأصل : « الهورى » ، وفى ١١١، ص : « الهوزى » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٨٥.

(٣) أطرقنى من فرسك : أعرنى فرسك ليُلْقِح فرسى . انظر الوسيط (ط ر ق) .

(٤) سقط من : ١١١، ٤١، م، ص .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٦) الترمذى (٢٣٢٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٩٤) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « قال » . والمثبت من سنن الترمذى .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى .

(٩ - ٩) كذا فى النسخ ، ولعله انتقال نظر من المصنف رحمه اللَّه ، فقد روى الإمام أحمد بهذا الإسناد الحديث الذى تقدم فى الصفحة السابقة : « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر ...» فى ٤/ ٢٣٠. وأما =

وروَى أبو داودَ وابنُ ماجه[1] مِن حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن ابنِ ثَوْبانَ ، عن أبيه ، عن أبى كَبْشةَ الأَنْمارىِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَحْتَجِمُ على هامتِه وبينَ كَتِفيه .

وروَى الترمذىُّ[2] حدَّثنا حُميدُ بنُ مَسْعَدةَ ، ثنا محمدُ بنُ حُمْرانَ ، عن أبى سعيدٍ ، وهو عبدُ اللَّهِ بنُ بُسْرٍ قال : سمِعْتُ أبا كَبْشةَ الأَنْمارىَّ يقولُ : كانت كِمامُ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بُطْحًا[3] .

ومنهم أبو مُوَيْهِبةَ مولاه ، عليه الصلاةُ والسلامُ . كان مِن مُوَلَّدى مُزَيْنةَ ، اشْتراه رسولُ اللَّهِ ﷺ فأعْتَقه ، ولا يُعْرَفُ اسمُه ، رضى اللَّهُ عنه . وقال مُصْعبٌ[4] الزبيرىُّ : شهِد أبو مُوَيْهِبةَ المُرَيْسِيعَ ، وهو الذى كان يقودُ لعائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، بعيرَها . وقد تقدم[5] ما رواه الإمامُ أحمدُ بسندِه عنه فى ذَهابِه مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الليلِ إلى البَقيعِ ، فوقَف عليه الصلاةُ والسلامُ ، فدَعا لهم ، واستَغْفَر لهم ، ثم قال : « لِيَهْنِكم ما أنتم فيه مما فيه[6] الناسُ ، أتَت الفتنُ كقِطَعِ الليلِ المظلمِ[7] يَرْكَبُ بعضُها بعضًا ، الآخِرةُ أشدُّ مِن الأولى ، فَلْيَهْنِكم ما[8] أنتم فيه » . ثم رجَع فقال : « يا أبا مُوَيْهِبةَ ، إنى خُيِّرْتُ مفاتيحَ ما يُفْتَحُ على أمَّتى مِن

= الحديث الذى نحن بصدده : « ثلاث أقسم عليهن ...» . فقد رواه الإمام أحمد فى ٤/ ٢٣١، عن عبد اللَّه بن نمير عن عبادة بن مسلم به . وانظر أطراف المسند ٧/ ٦٢، ٦٣.

(١) أبو داود (٣٨٥٩) ، وابن ماجه (٣٤٨٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٢٦٨) .

(٢) الترمذى (١٧٨٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٩٩) .

(٣) بطحا : أى لازقة بالرأس غير ذاهبة فى الهواء . والكمام : جمع كُمَّة ، وهى القَلَنْسُوة . النهاية ١/ ١٣٥.

(٤) فى م ، ص : « أبو مصعب » . وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٠١، هذا الأثر بإسناده عن مصعب .

(٥) تقدم فى صفحة ٢٧.

(٦) بعده فى م ، ص : « بعض » .

(٧) زيادة من م ، ص .

(٨) سقط من : م . وفى ص : « مما » .

بعدِى والجنةَ أو لقاءَ ربِّى ، فاختَرْتُ لقاءَ ربِّى » . قال : فما لبِث بعدَ ذلك إلا سبعًا أو ثمانيًا حتى قُبِض صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم .

فهؤلاء عَبيدُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

وأمَّا إماؤُه عليه الصلاةُ والسلامُ

فمِنهن أَمَةُ اللَّهِ بنتُ رَزِينةَ . الصحيحُ أن الصُّحبةَ لأمِّها رَزِينةَ ، كما سيأتى ، ولكن وقَع فى روايةِ ابنِ أبى عاصمٍ[1] : حدَّثنا عقبةُ بنُ مُكْرَمٍ ، ثنا محمدُ بنُ موسى ، حدَّثتْنا عُلَيْلةُ بنتُ الكُمَيتِ العَتَكيَّةُ قالت [2]حدَّثتْنى أمِّى[2] ، عن أَمَةِ اللَّهِ خادمِ النبىِّ ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سَبَى صفيَّةَ يومَ قُرَيْظةَ والنضيرِ ، فأعتَقها وأمْهَرها رَزِينةَ أمَّ أَمَةِ اللَّهِ . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

ومِنهن أُمَيْمةُ . قال ابنُ الأثيرِ[3] : وهى مَوْلاةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، روَى حديثَها أهلُ الشامِ . روَى عنها جُبيرُ بنُ نُفيرٍ أنها كانت توضِّئُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأتاه رجلٌ يومًا فقال له : أوصِنى . فقال : « لا تُشْرِكْ باللَّهِ شيئًا وإن قُطِّعْتَ أو حُرِّقْتَ بالنارِ ، ولا تدَعْ صلاةً [٣/ ٣٩٩ظ] متعمِّدًا ، فمَن ترَكها[4] فقد بَرِئَتْ منه ذمةُ اللَّهِ وذمةُ رسولِه ، ولا تَشرَبَنَّ مُسْكِرًا[5] ؛ فإنه رأسُ كلِّ خطيئةٍ ، ولا تَعصِيَنَّ والِدَيْك

---

(١) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٧/ ٢٣، عن ابن أبى عاصم به .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « حدثنى أبى » .

(٣) المصدر السابق ٧/ ٢٦، ٢٧.

(٤) بعده فى ا ٤، م ، ص : « متعمدًا » .

(٥) فى أسد الغابة : « خمرًا » .

وإن أمَراك أن تَخْتلِيَ[1] مِن أهلِك ودنيَاك » .

ومِنهن بَرَكةُ أمُّ أيمنَ ، وأمُّ أسامةَ بنِ زيدِ بنِ حارثةَ . وهى بَرَكةُ بنتُ ثعلبةَ ابنِ عمرِو بنِ حصينِ[2] بنِ مالكِ بنِ سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ النُّعمانِ الحَبَشيَّةُ ، غلَب عليها كُنْيتُها أمُّ أيمنَ ، وهو ابنُها مِن زوجِها الأوَّلِ عُبَيدِ بنِ زيدٍ الحَبَشىِّ ، ثم تزوَّجها بعدَه زيدُ بنُ حارثةَ ، فولَدت له أسامةَ بنَ زيدٍ ، وتُعْرَفُ أيضًا بأمِّ الظِّباءِ ، وقد هاجَرتِ الهجرتيْن ، رضِى اللَّهُ عنها ، وهى حاضِنةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مع أمِّه آمنةَ بنتِ وهبٍ . وقد كانت مِمَّن وَرِثها رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أبيه ، قاله الواقدىُّ[3] . وقال غيرُه[4] : بل وَرِثها مِن أمِّه . وقيل[5] : بل كانت لأُختِ خديجةَ فوهَبتْها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وآمَنت قديمًا وهاجَرت ، وتأَخَّرت بعدَ النبىِّ ﷺ . وتقدَّم[6] ما ذكَرْناه مِن زيارةِ أبى بكرٍ وعمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، إياها بعدَ وفاةِ النبىِّ ﷺ ، وأنها بكَت ، فقالا لها : أما تَعْلَمِين أن ما عندَ اللَّهِ خيرٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالت : بلى ، ولكن أبكِى لأن الوحىَ قد انقطَع مِن السماءِ . فجعَلا يبكِيان معها .

وقال البخارىُّ فى « التاريخِ »[7] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، عن ابنِ وهبٍ ، عن يونسَ بنِ يزيدَ ، عن الزهرىِّ قال : كانت أمُّ أيمنَ تَحْضُنُ النبىَّ ﷺ حتى كَبِر ، فأعْتَقها ، ثم زوَّجها زيدَ بنَ حارثةَ ، وتُوُفِّيَت بعدَ النبىِّ ﷺ بخمسةِ أشهرٍ[8] ،

---

(١) فى ا ٤: « سحلى » . وفى أسد الغابة : « تجلى » .

(٢) فى الاستيعاب ٤/ ١٧٩٣، وأسد الغابة ٧/ ٣٦، والإصابة ٨/ ١٦٩: « حصن » . وذكر محقق الاستيعاب أنه فى إحدى نسخه : « حصين » .

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٢٢٣، عن الواقدى .

(٤) انظر الاستيعاب ٤/ ١٧٩٤.

(٥) انظر أسد الغابة ٧/ ٣٠٣.

(٦) تقدم فى صفحة ١٦٠ ، ١٦١ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٤، من طريق البخارى به .

(٨) بعده فى م : « وقيل : ستة أشهر » .

وقيل : إنها بقِيَت بعدَ قتلِ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه . وقد رَواه مسلمٌ[1] ، عن أبى الطاهرِ ، وحَرْملةَ ، كلاهما عن ابنِ وهبٍ ، عن يونسَ ، عن الزهرىِّ قال : كانت أمُّ أيمنَ الحبشيَّةُ . فذكَره .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] عن الواقدىِّ : تُوُفِّيَت أمُّ أيمنَ فى أولِ خلافةِ عثمانَ ابنِ عفَّانَ ، رضى اللَّهُ عنه .

قال الواقدىُّ[3] : وأنبأَنا يحيى بنُ سعيدِ بنِ دينارٍ ، عن شيخٍ مِن بنى سعدِ بنِ بكرٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ لأمِّ أيمنَ : « يا أُمَّهْ » . وكان إذا نظَر إليها قال : « هذه بقيَّةُ أهلِ بيتى » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمَةَ[4] : أخبَرَنى سليمانُ بنُ أبى شيخٍ قال : كان النبىُّ ﷺ يقولُ : « أمُّ أيمنَ أمِّى بعدَ أمِّى » .

وقال الواقدىُّ[5] [٣/ ٤٠٠و] عن أصحابِه المَدَنِيِّين قالوا : نظَرَتْ أمُّ أيمنَ إلى النبىِّ ﷺ وهو يشرَبُ ، فقالت : اسقِنى . فقالت عائشةُ : [6]يا أمَّ أيمنَ[6] ، أتقولين هذا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ؟! فقالت : ما خَدَمْتُه أطولُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صدَقَتْ » . فجاء بالماءِ فسقَاها .

---

(١) مسلم (١٧٧١/٧٠) .

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٦.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢٢٣/٨ ، مختصرا من طريق الواقدى به .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠٤/٤ ، من طريق ابن أبى خيثمة به ، مختصرا ، وذكره الحافظ ابن حجر بسنده ومتنه تامًّا فى الإصابة ٨/ ١٦٩، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣١٨.

(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣١٧، ٣١٨.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

وقال المُفَضَّلُ بنُ غسَّانَ[1] : حدَّثنا وهبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبى قال : سمِعْتُ عثمانَ بنَ القاسمِ قال : لمَّا هاجَرَتْ أمُّ أيمنَ أمسَتْ بالمُنْصَرَفِ دونَ الرَّوْحاءِ وهى صائمةٌ ، فأصَابها عطشٌ شديدٌ حتى جهَدها . قال : فدُلِّىَ عليها دَلْوٌ مِن السماءِ برِشاءٍ أبيضَ فيه ماءٌ . قالت : فشرِبْتُ فما أصَابنى عطشٌ بعدُ ، وقد تعرَّضْتُ للعطشِ بالصومِ وفى الهَواجرِ ، فما عطِشْتُ بعدُ .

وقال الحافظُ أبو يَعْلى[2] : ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمىُّ ، ثنا سَلْمُ[3] بنُ قُتَيبةَ ، عن الحسينِ بنِ حُرَيثٍ[4] ، عن يَعْلى بنِ عطاءٍ ، عن الوليدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أمِّ أيمنَ قالت : كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ فَخَّارةٌ يَبولُ فيها ، فكان إذا أصبَح يقولُ : « يا أمَّ أيمنَ ، صُبِّى ما فى الفَخَّارةِ » . فقُمْت ليلةً وأنا عَطْشَى فغلِطتُ[5] فشرِبْتُ ما فيها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أمَّ أيمنَ ، صُبِّى ما فى الفَخَّارةِ » . فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ﷺ قمتُ وأنا عَطْشَى ، فشرِبْتُ ما فيها . فقال : « إنكِ لن تَشْتَكِى بطنَكِ بعدَ يومِكِ هذا أبدًا » .

قال ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[6] : وروَى حجَّاجُ بنُ محمدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن حَكيمةَ بنتِ أُمَيْمةَ ، عن أمِّها أُمَيْمةَ بنتِ رُقَيْقَةَ[7] قالت : كان للنبىِّ ﷺ قَدَحٌ مِن عَيْدانٍ يبولُ فيه ، يضَعُه تحتَ السريرِ ، فجاءَت امرأةٌ اسمُها بَرَكةُ فشرِبَتْه ،

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٢٢٤ ، بإسناده عن عثمان . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣١٨.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٣، من طريق أبى يعلى به .

(٣) فى الأصل، ١١١، ٤١، م: « مسلم » . وفى ص: « سالم » . والمثبت من تاريخ دمشق، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٣٢.

(٤) فى م: « حرب » . انظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.

(٥) سقط من: م، ص.

(٦) أسد الغابة ٧/ ٢٧، ٢٨.

(٧) فى م: « رقية » .

فطلَبه فلم يجِدْه ، فقيل : شرِبَتْه بَرَكةُ . فقال : « لقد احتَظَرَت مِن النارِ بحِظارٍ » . قال الحافظُ أبو الحسنِ بنُ الأثيرِ[1] : وقيل : إن التى شرِبت بولَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إنما هى بَرَكةُ الحبشيَّةُ التى قدِمت مع أمِّ حَبيبةَ مِن الحبشةِ . وفرَّق بينَهما . فاللَّهُ أعلمُ .

قلت : فأمَّا **بَرِيرةُ** فإنها كانت لآلِ أبى أحمدَ بنِ جَحْشٍ ، فكاتَبوها فاشتَرَتْها عائشةُ ، رضى اللَّهُ عنها ، منهم فأعتَقَتْها فثبَت ولاؤُها لها ، كما ورَد الحديثُ بذلك فى « الصحيحيْن »[2] ، ولم يذكُرْها ابنُ عساكرَ .

ومِنهن خضرةُ . ذكَرها ابنُ مَنْدَه فقال[3] : روَى معاويةُ بنُ[4] هشامٍ ، عن سفيانَ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه قال : كان للنبىِّ ﷺ خادمٌ يقالُ لها : خضرةُ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5] عن الواقدىِّ ، ثنا فائدٌ مَوْلى [6]عبيدِ اللَّهِ ، عن عبيدِ اللَّهِ[6] بنِ علىِّ بنِ[7] أبى رافعٍ ، عن جدَّتِه سَلْمى قالت : كان خَدَمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنا وخضرةُ ورَضْوَى وميمونةُ [٣/ ٤٠٠ظ] بنتُ سعدٍ ، أعتَقهنَّ رسولُ اللَّهِ

---

(١) أسد الغابة ٧/ ٣٠٣.

(٢) المقصود حديث بريرة ، وهو مشهور وله روايات كثيرة ؛ البخارى (٢٧٢٩) ، ومسلم (١٥٠٤) .

(٣) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٧/ ٨٦، من طريق معاوية بن هشام به ، وعزاه لابن منده وأبى نعيم ، وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٤.

(٤) سقط من : ص . وفى الأصل : « عن ابن » . وفى ١١١، ٤١، وتاريخ دمشق : « عن » . ومعاوية هو ابن هشام القَصَّار . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٨.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٤ ، من طريق محمد بن سعد به .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « عبد اللَّه بن عبد اللَّه » وهو خطأ . وعبيد اللَّه هو ابن على بن أبى رافع المدنى . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٢٠.

(٧) فى تاريخ دمشق : « عن » وهو خطأ . انظر المصدر السابق .

ﷺ كلَّهنَّ ، رضِى اللَّهُ عنهنَّ .

ومِنهنَّ خُلَيْسةُ مَوْلاةُ حفصةَ بنتِ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنهما . قال ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[1] : رَوَتْ حديثَها عُلَيْلةُ[2] بنتُ الكُمَيْتِ ، عن جدَّتِها ، عن خُلَيْسةَ مولاةِ حفصةَ ، فى قصةِ حفصةَ وعائشةَ مع سودةَ بنتِ زمعةَ ومزحِهما معها بأن الدَّجالَ قد خرَج ، فاخْتَبَأَتْ فى بيتٍ كانوا يُوقِدون فيه ، واستَضحَكَتا ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « ما شأنُكما ؟ » . فأخبرَتاه بما كان مِن أمرِ سودةَ ، فذهَب إليها ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أَخرَج الدَّجالُ ؟ فقال : « لا » . وكان قد خرَج فخرَجتْ ، وجعَلتْ تَنْفُضُ عنها بَيْضَ العَنْكَبوتِ . وذكَر ابنُ الأثيرِ خُلَيْسةَ مولاةَ سلمانَ الفارسىِّ ، وقال[1] : لها ذكرٌ فى إسلامِ سلمانَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، وإعتاقِها إياه ، وتعويضِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لها بأن غرَس لها ثلاثَمائةِ فَسِيلةٍ . ذكَرْتُها تَمْييزًا .

ومِنهنَّ خَوْلةُ خادمُ النبىِّ ﷺ . كذا قال ابنُ الأثيرِ[3] ، وقد روَى حديثَها الحافظُ أبو نُعيمٍ[4] مِن طريقِ حفصِ بنِ سعيدٍ القرشىِّ ، عن أمِّه ، عن أمِّها خَوْلةَ ، وكانت خادمَ النبىِّ ﷺ ، فذكَر حديثًا فى تأخُّرِ الوحيِ بسببِ جَرْوِ كلبٍ مات تحتَ سريرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ولم يشعُروا به ، فلمَّا أخرَجه جاء الوحىُ ، فنزَل قولُه تعالى[5] : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ . وهذا غريبٌ ،

---

(١) أسد الغابة ٨٧/٧ بنحوه .

(٢) فى أسد الغابة : « علية » . وفى ص : « عليكة » . والمثبت من بقية النسخ موافق لما فى الإصابة ٧/ ٦٤٤. وفى الإصابة ٧/ ٦١٠: « عليكة » . فلعله مختلف فى اسمها .

(٣) أسد الغابة ٧/ ٩٤، ٩٥.

(٤) أخرجه ابن الأثير فى الأسد ٧/ ٩٤، ٩٥ ، من طريق أبى نعيم - وهو الفضل بن دكين - به مطولًا .

(٥) التفسير ٤٤٥/٨ - ٤٥٠.

والمشهورُ فى سببِ نزولِها غيرُ ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

ومِنهنَّ رَزِينةُ . قال ابنُ عساكرَ[1] : والصحيحُ أنها كانت لصفيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ . وكانت تَخْدُمُ النبىَّ ﷺ .

قلت : وقد تقدَّم فى ترجمةِ ابنتِها أَمَةِ اللَّهِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أمْهَر صفيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ أُمَّها رَزينةَ ، فعلى هذا يكونُ أصلُها له ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[2] : ثنا أبو سعيدٍ الجُشَمىُّ ، حدَّثَتْنا عُلَيْلةُ بنتُ الكُمَيْتِ قالت : سمِعْتُ أمِّى أُمَيْنةَ قالت : حدَّثَتْنى أَمَةُ اللَّهِ بنتُ رَزينةَ ، [3]عن أمِّها رزينةَ[3] مولاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سَبى صفيَّةَ يومَ قُريظةَ والنضيرِ حينَ فتَح اللَّهُ عليه ، فجاء بها يَقودُها سَبِيَّةً ، فلمَّا رأَت النساءَ[4] قالت : أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنك رسولُ اللَّهِ . فأرسَلها وكان ذراعُها فى يدِه ، فأعتَقها ، ثم خطَبها وتزوَّجها ، وأمهَرها رَزينةَ . هكذا وقَع فى هذا السياقِ ، وهو أجودُ مِمَّا سبَق مِن روايةِ ابنِ أبى عاصمٍ[5] ، [٣/٤٠١و] ولكنَّ الحقَّ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، اصْطَفى صفيَّةَ مِن غَنائمِ خيبرَ ، وأنه أعتَقَها وجعَل عِتْقَها صداقَها . وما وقَع فى هذه الروايةِ يومَ قُريظةَ والنضيرِ تَخْبيطٌ ؛ فإنهما يومان ، بينَهما سنتان . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[6] : أخبَرَنا ابنُ عَبْدانَ ، أنبأَنا

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٣٠٥ ، من طريق أبى يعلى به نحوه.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) فى تاريخ دمشق: « النبى ﷺ » ، والمثبت من النسخ موافق لما فى مختصر تاريخ دمشق ٢/٣١٩ وهو أنسب للسياق.

(٥) يعنى ابن كثير الرواية التى أوردها فى ترجمة أمة اللّه بنت رزينة صفحة ٢٨٣.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٢٢٦.

أحمدُ بنُ عُبيدٍ الصَّفَّارُ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ السُّكَّرِيُّ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ القَواريرِيُّ، حدَّثَتْنا عُلَيْلةُ[1] بنتُ الكُمَيْتِ العَتَكِيَّةُ، عن أمِّها أُمَيْنَةَ[2] قالت: قلتُ لأَمةِ اللَّهِ بنتِ رَزينةَ مولاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: يا أمةَ اللَّهِ، أسمِعْتِ أمَّك تذكُرُ أنها سمِعَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذكُرُ صومَ عاشوراءَ؟ قالت: نعم، كان يعظِّمُه ويدعُو برُضَعائِه ورُضَعاءِ ابنتِه فاطمةَ، فيَتْفُلُ فى أفواهِهم، ويقولُ لأمهاتِهم: «لا تُرْضِعيهم إلى الليلِ». له شاهدٌ فى الصحيحِ.

ومِنهنَّ رَضْوَى. قال ابنُ الأثيرِ[3]: روَى سعيدُ بنُ بَشيرٍ، عن قتادةَ، عن رَضْوَى بنتِ كعبٍ، أنها سألَت رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الحائضِ تَخْتَضِبُ، فقال: «ما بذلك بأسٌ». رَواه أبو موسى المَدِينىُّ.

ومِنهنَّ رَيْحانةُ بنتُ شَمْعونَ القُرَظِيَّةُ. وقيل: النَّضَرِيَّةُ. وقد تقدَّم ذكرُها[4] بعدَ أزواجِه ﷺ، ورضِى اللَّهُ عنهن.

ومِنهنَّ زَرينةُ. [5]بتقديم الزاى[5]. والصحيحُ رَزينةُ كما تقدَّم.

ومِنهنَّ سائبةُ مولاةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. روَتْ عنه حديثًا فى اللُّقَطةِ، وعنها طارقُ بنُ عبدِ الرحمنِ، روَى حديثَها أبو موسى المَدينىُّ. هكذا ذكَر ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ»[6].

---

(١) فى ص: «عليكة». وفى الدلائل: «علية». وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٨٨ حاشية (٢).

(٢) فى الدلائل: «أميمة». والمثبت من النسخ يوافق رواية أبى يعلى المتقدمة.

(٣) أسد الغابة ٧/ ١١٠. إلا أن ابن الأثير أورد ترجمة رضوى بنت كعب هذه، عقب ترجمته لرضوى مولاة النبى ﷺ. فجعلهما ابن الأثير ترجمتين، واعتبرهما المصنف هنا ترجمة واحدة.

(٤) تقدم فى صفحة ٢٣٣.

(٥ - ٥) زيادة من: ا ٤١.

(٦) أسد الغابة ٧/ ١٣٧.

ومنهنَّ سَدِيسةُ الأنصاريَّةُ . وقيل : مولاةُ حفصةَ بنتِ عمرَ ، روَت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إن الشيطانَ لم يَلْقَ عمرَ منذُ أسلَم إلا خرَّ لوجهِه » . قال ابنُ الأثيرِ[1] : رَواه عبدُ الرحمنِ بنُ الفضلِ بنِ المُوَفَّقِ ، عن أبيه ، عن إسرائيلَ ، عن الأوزاعيِّ ، عن سالمٍ ، عن سَدِيسةَ ، ورَواه إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن الفضلِ ، فقال : عن سَدِيسةَ ، عن حفصةَ ، عن النبيِّ ﷺ . فذكَره . رَواه أبو نُعيمٍ وابنُ مَنْدَه .

ومنهنَّ سَلَامةُ حاضنةُ إبراهيمَ ابنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . روَت عنه حديثًا[2] فى فضلِ الحَمْلِ والطَّلْقِ والرَّضاعِ والسَّهَرِ ، فيه غرابةٌ ونَكارةٌ مِن جهةِ إسنادِه ومتنِه ، رَواه أبو نُعيمٍ ، وابنُ مَنْدَه[3] مِن حديثِ هشامِ[4] بنِ عمارِ بنِ نُصَيْرٍ خطيبِ دمَشقَ ، عن أبيه ، عن[5] عمرِو بنِ سعيدٍ الخَوْلانيِّ ، عن أنسٍ ، عنها . ذكَرها [٣/ ٤٠١ظ] ابنُ الأثيرِ .

ومِنهنَّ سَلْمَى . وهى أمُّ رافعٍ امرأةُ أبى رافعٍ ، كما رَواه الواقديُّ[6] عنها ، أنها قالت : كنتُ أخدُمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنا وخضرةُ ورَضْوَى وميمونةُ بنتُ سعدٍ ، فأعتَقَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ كلَّنا .

قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا أبو عامرٍ ، وأبو سعيدٍ مَوْلى بنى هاشمٍ ، ثنا عبدُ

---

(١) أسد الغابة ٧/ ١٣٩.

(٢) انظر المصدر السابق ٧/ ١٤٤.

(٣) كذا فى النسخ . وفى أسد الغابة : « أبو موسى » .

(٤) فى أسد الغابة : « هاشم » . وهو خطأ ، انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٤٢.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٨٧ حاشية (٥) .

(٧) المسند ٦/ ٤٦٢. وقد ذكر المصنف هنا إسنادين فى إسناد واحد ؛ الإسناد الأول : عن أبى سعيد ... إلى آخر الإسناد المذكور هنا . والإسناد الثانى : عن أبى عامر عن عبد الرحمن بن أبى الموالى عن أيوب بن حسن بن على بن أبى رافع عن جدته سلمى . وانظر أطراف المسند ٨/ ٤٢٥.

الرحمنِ بنُ أبى الموالى ، عن فائدٍ مَوْلى [1]ابنِ أبى[1] رافعٍ ، [2]عن علىِّ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ابنِ أبى رافعٍ[2] ، عن جدَّتِه[3] سَلْمى خادمِ النبىِّ ﷺ قالت : ما سمِعْتُ أحدًا قطُّ يشكُو إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا فى رأسِه إلا قال : « احتَجِمْ » . [4]ولا وَجَعًا[4] فى رجليْه إلا قال : « اخْضِبْهما بالحِنَّاءِ » . وهكذا رَواه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ أبى الموالى ، والترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ زيدِ بنِ الحُبابِ ، كلاهما عن فائدٍ ، عن مولَاه عُبيدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ أبى رافعٍ ، عن جدَّتِه سَلْمَى به[5] . وقال الترمذىُّ : غريبٌ ، إنما نعرِفُه مِن حديثِ فائدٍ . وقد رَوَتْ عِدَّةَ أحاديثَ عن النبىِّ ﷺ يطولُ ذكرُها واستقصاؤُها . قال مصعبٌ الزُّبَيْرىُّ[6] : وقد شهِدَت سَلْمَى وقعةَ خيبرَ[7] .

قلت : وقد ورَد أنها كانت تطبُخُ للنبىِّ ﷺ الحَرِيرةَ[8] فتُعْجِبُه[9] . وقد تأخَّرت إلى بعدِ موتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وشهِدت وفاةَ فاطمةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، وقد كانت أولًا لصفيَّةَ بنتِ عبدِ المطلبِ عمَّتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ثم

(١ - ١) فى الأصل ، وأطراف المسند : « أبى » ، وفى ص : « ابن » . وفى المسند : « بنى » . والمثبت موافق لما فى ترجمة ابن أبى رافع ؛ وهو عبيد اللَّه بن على بن أبى رافع المدنى ، ويقال : على بن عبيد اللَّه . قال الترمذى : وعبيد اللَّه بن على أصح . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٢٠.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ ، والمسند . والمثبت من أطراف المسند .

(٣) فى المسند : « عمته » . وكذا يقال ؛ عن جدته ، أو عمته . كما فى ترجمة على بن عبيد اللَّه - أو عبيد اللَّه بن على - فى تهذيب الكمال الموضع السابق .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « ولا » ، وفى م : « و » . والمثبت من المسند .

(٥) أبو داود (٣٨٥٨) ، والترمذى (٢٠٥٤) ، وابن ماجه (٣٥٠٢) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٢٦٧) .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٧ ، بإسناده عن مصعب .

(٧) فى النسخ : « حنين » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٦٢، وأسد الغابة ٧/ ١٤٧.

(٨) الحريرة : الحَسَاء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء . انظر النهاية ١/ ٣٦٥.

(٩) أخرجه الترمذى فى الشمائل (١٧١) بنحوه . ضعيف (مختصر الشمائل ١٥١) .

صارَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكانت قابلةَ أولادِ فاطمةَ ، وهى التى قَبِلَتْ إبراهيمَ بنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد شَهِدَتْ غُسْلَ فاطمةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، وغسَّلَتْها مع زوجِها علىِّ بنِ أبى طالبٍ وأسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ امرأةِ الصدِّيقِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو النضرِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن محمدِ ابنِ إسحاقَ ، عن عُبيدِ[2] اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ أبى رافعٍ ، عن أبيه ، عن[3] سَلْمَى قالت : اشتَكَتْ فاطمةُ ، عليها السلامُ ، شكوَاها التى قُبِضتْ فيها ، فكنتُ أُمَرِّضُها ، فأصبَحتْ يومًا [4]كأمْثَلِ ما رأيتُها[4] فى شكواها تلك[5] . قالت : وخرَجَ علىٌّ لبعضِ حاجتِه ، فقالت : يا أُمَّهْ ، اسكُبى لى غُسْلًا . فسكَبْتُ لها غُسْلًا ، فاغتَسَلتْ كأحسنِ ما رأَيْتُها تغتَسلُ ، ثم قالت : يا أُمَّهْ ، أعطِنى ثيابى الجُدَدَ . فأعْطَيْتُها[6] فلبِسَتْها ، ثم قالت : يا أُمَّهْ ، قدِّمى لى فراشى وَسْطَ البيتِ . ففعَلْتُ ، واضطجَعَتْ ، فاستَقْبَلَتِ القِبلةَ وجعَلتْ يدَها تحتَ خدِّها ، ثم قالت : يا أُمَّهْ ، إنى مَقْبوضةٌ الآنَ ، وقد تطهَّرْتُ فلا يَكْشِفْنى أحدٌ . فقُبِضتْ مكانَها . قالت : فجاء علىٌّ فأخبَرْتُه . وهو غريبٌ جدًّا .

[٣/ ٤٠٢و] **ومنهنَّ سيرينُ – ويقال : شِيرينُ – أختُ ماريةَ القبطيَّةِ ، خالةُ إبراهيمَ ، عليه السلامُ** . وقد قدَّمْنا[7] أن المُقَوْقِسَ صاحبَ إسْكَنْدَرِيَّةَ ، واسمُه

---

(١) المسند ٦/ ٤٦١.

(٢) فى المسند : «عبد» . وهو خطأ ، وتقدم الكلام عليه فى الحديث السابق الذى أورده المصنف من المسند .

(٣) بعده فى المسند : «أم» . وهو خطأ ، انظر أطراف المسند ٩/ ٣٥٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : «كمثل ما رأيتها» . وفى ١١١، ٤١، م، ص : «كمثل ما يأتيها» . والمثبت من المسند .

(٥) فى النسخ : «ذلك» . والمثبت من المسند .

(٦) زيادة من المسند .

(٧) تقدم فى صفحة ٢٢٧ .

جُرَيْجُ بنُ مِينا، أهدَاهما مع غلامٍ اسمُه مَأْبورٌ، وبغلةٍ يقالُ لها: الدُّلْدُلُ. فوهَبها[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ لحسانَ بنِ ثابتٍ، فولَدتْ له ابنَه عبدَ الرحمنِ بنَ حسانَ.

ومنهنَّ عُنْقودةُ أمُّ صَبِيحٍ[2] الحَبَشيَّةُ جاريةُ عائشةَ. كان اسمُها عِنَبَةَ، فسمَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ عُنْقودةَ. رَواه أبو نُعيمٍ[3]. ويقالُ: اسمُها غُفَيْرةُ[4].

فَرْوةُ ظِئْرُ النبيِّ ﷺ - يعنى مُرْضِعَه - قالت: قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا أوَيْتِ إلى فراشِك فاقرَئى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فإنها براءةٌ مِن الشركِ». ذكَرها أبو أحمدَ العسكرىُّ. قاله ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ»[5].

فأمَّا فِضَّةُ النُّوبيَّةُ. فقد ذكَر ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ»[6] أنها كانت مولاةً لفاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثم أورَد بإسنادٍ مُظْلِمٍ، عن محبوبِ بنِ حُميدٍ البصرىِّ، عن القاسمِ بنِ بَهْرامٍ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه تعالى[7]: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨]. ثم

---

(١) أى وهب سيرين، رضى الله عنها.

(٢) فى م، ص: «مليح». وصبيح ابنها هذا هو ابن سعيد النجاشى، الذى روى عنها، كما أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٧/ ٢٠٩. وانظر الإكمال ٦/ ١١٧.

(٣) ذكر ذلك ابن الأثير فى أسد الغابة ٧/ ٢٠٩. وقد ترجم ابن الأثير لعنقودة التى كان اسمها عنبة، ولعنقودة التى يقال: إن اسمها غفيرة. ترجمتين منفصلتين. والحديث الذى ذكره المصنف هنا وعزاه لأبى نعيم - نقلًا من الأُسد - أخرجه أيضًا أبو موسى كما ذكر ذلك ابن الأثير، ولكن يبدو أن المصنف هنا لم يذكر رواية أبى موسى لهذا الحديث؛ لأن أبا موسى - وتبعه فى ذلك ابن الأثير - فرق بين عنقودة التى كان اسمها عنبة، وعنقودة التى يقال: إن اسمها غفيرة. والله أعلم. وراجع أسد الغابة ٧/ ٢٠٩ - ٢١١ (التراجم ٧١٤٦، ٧١٤٧، ٧١٥٢).

(٤) روى ذلك أبو موسى، وذكر ذلك ابن الأثير فى الأسد ٧/ ٢١٠.

(٥) أسد الغابة ٧/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٦) المصدر السابق ٧/ ٢٣٦.

(٧) التفسير ٨/ ٣١٣، ٣١٤.

ذكَر ما مضمونُه ، أن الحسنَ والحسينَ مرِضا فعادهما رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وعادَهما عامَّةُ العربِ ، فقالوا لعليٍّ : لو نَذَرْتَ ؟ فقال عليٌّ : إنْ بَرِئَا مِمَّا بهما صُمْتُ للَّهِ ثلاثةَ أيامٍ . وقالت فاطمةُ كذلك ، وقالت فِضةُ كذلك . فألبَسهما اللَّهُ تعالى العافيةَ فصامُوا . وذهَب عليٌّ فاسْتَقْرَضَ مِن شمعونَ الخيبريِّ ثلاثةَ آصُعٍ مِن شعيرٍ ، فهيَّئوا منه تلك الليلةَ صاعًا ، فلمَّا وضَعوه بينَ أيديهم للعَشاءِ ، وقَف على البابِ سائلٌ فقال : أطْعِموا المسكينَ ، أطعَمَكم اللَّهُ على موائدِ الجنةِ . فأمَرهم عليٌّ فأعطَوه ذلك الطعامَ وطَوَوا ، فلمَّا كانت الليلةُ الثانيةُ صنَعوا لهم الصاعَ الآخرَ ، فلمَّا وضَعوه بينَ أيديهم وقَف سائلٌ فقال : أطعِموا اليتيمَ . فأعطَوه ذلك وطوَوا . فلمَّا كانت الليلةُ الثالثةُ قال : أطعِموا الأسيرَ . فأعطَوه وطوَوا ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ . فأنزَل اللَّهُ فى حقِّهم[1] ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ [الإنسان : ١] إلى قولِه : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] . وهذا الحديثُ منكَرٌ ، ومِن [٣/ ٤٠٢ظ] الأئمّةِ مَن يجعَلُه موضوعًا ويسْنِدُ ذلك إلى رِكَّةِ ألفاظِه ، وأن هذه السورةَ مكِّيَّةٌ ، والحسنُ والحسينُ إنما وُلِدا بالمدينةِ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

ليلى مولاةُ عائشةَ . قالت[3] : يا رسولَ اللَّهِ ، إنك تخرُجُ مِن الخلاءِ فأَدخُلُ فى أثرِك فلا أرَى شيئًا ، إلّا أنى أجِدُ ريحَ المسكِ . فقال : « إنا معشرَ الأنبياءِ تنبُتُ[4] أجسادُنا على أرواحِ أهلِ الجنةِ ، فما خرَج منَّا مِن نتْنٍ ابتَلَعَتْه الأرضُ » .

---

(١) التفسير ٨/ ٣١٠ - ٣١٤.

(٢) قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٨/ ٧٥: قال الذهبى : كأنه موضوع . ثم عقّب ابن حجر قائلًا : وليس ما قاله ببعيد .

(٣) انظر ترجمة ليلى هذه فى أسد الغابة ٧/ ٢٥٨. فقد ذكر هذا الحديث هناك ، وعقّب بأن ترجمتها عند الثلاثة ؛ أبى نعيم الأصفهانى ، وابن منده ، وابن عبد البر . وانظر مقدمة الأسد ١/ ١١.

(٤) فى ا ٤، ص: « نبتت » . وفى الأسد : « بنيت » . والمثبت يوافق ما ذكره ابن حجر فى لفظ هذا الحديث ، فى الإصابة ٨/ ١٠٨.

رَواه أبو نُعيمٍ مِن حديثِ أبى عبدِ اللَّهِ المدنىِّ - وهو أحدُ المجاهيلِ[1] - عنها .

ماريَةُ القبطيَّةُ أمُّ إبراهيمَ ، عليه السلامُ . تقدَّم[2] ذكرُها مع أمهاتِ المؤمنين . وقد فرَّق ابنُ الأثيرِ[3] بينَها وبينَ ماريةَ أمِّ الرَّبابِ ، قال : وهى جاريةٌ للنبىِّ ﷺ أيضًا . حديثُها عندَ أهلِ البصرةِ رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ حَبيبٍ ، عن أمِّ سليمانَ[4] ، عن أمِّها ، عن جدَّتِها ماريةَ قالت : تطَأْطَأْتُ للنبىِّ ﷺ حتى صَعِدَ حائطًا ليلةَ فرَّ مِن المشركين . ثم قال[5] : ومارِيةُ خادمُ النبىِّ ﷺ . روَى أبو بكرِ[6] بنُ عيَّاشٍ[6] ، عن المثنَّى بنِ صالحٍ ، عن جدَّتِه ماريةَ - وكانت خادمَ النبىِّ ﷺ - أنها قالت : ما مسَسْتُ بيدِى شيئًا قطُّ ألينَ مِن كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ فى « الاستيعابِ »[7] : لا أدرِى أهى التى قَبْلَها أم لا ؟

ومِنهنَّ ميمونةُ بنتُ سعدٍ . قال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا علىُّ بنُ بحرٍ[9] ، ثنا عيسى ، هو ابنُ يونسَ ، ثنا ثورٌ ، هو ابنُ يزيدَ ، عن زيادِ بنِ أبى سَوْدَةَ ، عن أخيه ، أن ميمونةَ مولاةَ النبىِّ ﷺ قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أَفْتِنا فى بيتِ المقدسِ . قال : « أرضُ المنشرِ والمحشرِ ، ائتُوه فصلُّوا فيه ، فإن صلاةً فيه كألفِ صلاةٍ [10]فيما سواه[10] » . قالت : أرأَيت مَن لم يُطِقْ أن يتحمَّلَ إليه أو يأتِيَه ؟ قال :

---

(١) انظر لسان الميزان ٧/ ٧٢.

(٢) تقدم فى صفحة ٢٢٧ .

(٣) أسد الغابة ٧/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٤) فى م، ص: « سلمى ».

(٥) أى ابن الأثير.

(٦ - ٦) فى م، ص: « عن ابن عباس ».

(٧) الاستيعاب ٤/ ١٩١١.

(٨) المسند ٦/ ٤٦٣.

(٩) فى م: « محمد بن محرز ». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٢٥.

(١٠ - ١٠) زيادة من المسند.

« فلْيُهْدِ إليه زيتًا يُسرَجُ فيه ، فإنه مَن أهدَى له كان كمَن صلَّى فيه » . وهكذا رَواه ابنُ ماجه ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ الرَّقِّيِّ ، عن عيسى بنِ يونسَ ، عن ثورٍ ، عن زيادٍ ، عن أخيه عثمانَ بنِ أبى سَوْدةَ ، عن ميمونةَ مولاةِ النبىِّ ﷺ[(١)] . وقد رَواه أبو داودَ ، عن [(٢)]النُّفيلىِّ ، عن[(٢)] مسكينِ بنِ بُكيرٍ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ[(٣)] ، [(٤)]عن زيادٍ[(٤)] ، عن ميمونةَ ، لم يذكُرْ أخاه[(٥)] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال أحمدُ[(٦)] : حدَّثنا حسينٌ وأبو نُعيمٍ ، قالا : ثنا إسرائيلُ ، عن زيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن أبى يزيدَ الضَّبِّىِّ ، عن ميمونةَ بنتِ سعدٍ مولاةِ النبىِّ ﷺ قالت : سُئل النبىُّ ﷺ عن ولدِ الزِّنا ، قال : « لا خيرَ فيه ، نعلان أجاهِدُ بهما فى سبيلِ اللَّهِ ، أحبُّ إلىَّ مِن أن أُعتِقَ ولدَ الزِّنا[(٧)] » . [٣/ ٤٠٣و] وهكذا رَواه النسائىُّ عن عباسٍ الدُّورىِّ ، وابنُ ماجه مِن حديثِ أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، كلاهما عن أبى نُعيمٍ الفضلِ بنِ دُكَيْنٍ به[(٨)] . وقال الحافظُ أبو يَعْلى الموصلىُّ[(٩)] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، ثنا المحاربىُّ ، ثنا موسى بنُ عُبَيدةَ ، عن أيوبَ بنِ خالدٍ ، عن ميمونةَ - وكانت تخدُمُ النبىَّ ﷺ - قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الرافلةُ[(١٠)] فى الزينةِ

---

(١) ابن ماجه (١٤٠٧) . منكر (ضعيف سنن ابن ماجه ٢٩٨) .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « الفضل بن » . وهو خطأ ، انظر ترجمة عبد اللَّه بن محمد النفيلى ، ومسكين بن بكير ، فى تهذيب الكمال ١٦/ ٨٨، ٢٧/ ٤٨٣.

(٣) بعده فى م : « عن ثور » . وهو خطأ ، انظر تحفة الأشراف ١٢/ ١٩٩، وتهذيب الكمال ٩/ ٤٨٠، ١٠/ ٥٣٩.

(٤ - ٤) فى ص : « بن أبى زياد » .

(٥) أبو داود (٤٥٧) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٥) .

(٦) المسند ٦/ ٤٦٣.

(٧) فى المسند : « زنا » . والمثبت من النسخ لفظ سنن ابن ماجه .

(٨) النسائى فى الكبرى (٤٩١٣) ، وابن ماجه (٢٥٣١) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٥٥١) .

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٠، من طريق أبى يعلى به .

(١٠) الرافلة : هى التى ترفل فى ثوبها ؛ أى تتبختر . والرَّفْل : الذيل . ورَفَل إزاره : إذا أسْبَلَه وتبختَرَ فيه . النهاية ٢/ ٢٤٧.

فى غيرِ أهلِها ، كالظُّلْمةِ يومَ القيامةِ لا نورَ لها » . ورَواه الترمذىُّ مِن حديثِ موسى بنِ عُبَيدةَ[1] . وقال : لا نعرِفُه إلا مِن حديثِه ، وهو يُضَعَّفُ[2] فى الحديثِ ، وقد رَواه بعضُهم عنه فلم يرفَعْه .

ومِنهنَّ ميمونةُ[3] بنتُ أبى عَنْبَسةَ[4] [5]أو بنتُ[6] عنبسةَ . قاله أبو عمرَ وابنُ مَنْده . قال أبو نُعيمٍ : وهو تصحيفٌ ، والصوابُ ميمونةُ بنتُ أبى عَسيبٍ[5] ، كذلك روَى حديثَها المنتجعُ[7] بنُ مصعبٍ أبو عبدِ اللَّهِ العبدىُّ ، عن ربيعةَ بنتِ يزيدَ ، وكانت تنزِلُ فى بنى قُرَيعٍ ، عن مُنَبِّهٍ ، عن ميمونةَ بنتِ أبى عَسيبٍ - وقيل : بنتُ أبى عنبسةَ - مولاةِ النبىِّ ﷺ ، أن امرأةً مِن جُرَشٍ أتَت النبىَّ ﷺ فقالت : يا عائشةُ ، أغيثِينى بدعوةٍ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ تسكِّنِينى بها ، وتطمِّنِينى بها . وأنه قال لها : « ضَعى يدَك اليُمْنى على فؤادِك فامسَحيه ، وقولى : بسمِ اللَّهِ ، اللهمَّ داوِنى بدوائِك ، واشفِنى بشفائِك ، وأَغنِنى بفضلِك عمَّن سوَاك » . قالت ربيعةُ : فدعَوتُ به فوجَدتُه جيِّدًا[8] .

---

(١) الترمذى (١١٦٧) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٠٣) .

(٢) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « ضعيف » ، وفى م ، ص : « يضعفه » . والمثبت من سنن الترمذى .

(٣) انظر أسد الغابة ٧/ ٢٧٦ ، فقد ساق المصنف هذه الترجمة من هناك ، بنحوها .

(٤) فى الأصل ، ص : « عنيسة » ، وفى ١١١ : « عسسه » غير منقوطة ، وفى ٤١ : « عسسة » ، وفى م : « عسيبة » . والمثبت من أسد الغابة .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) زيادة من أسد الغابة ليستقيم السياق .

(٧) فى الأصل : « السجع » ، وفى ١١١ : « النحع » ، وفى ٤١ : « السنح » ، وفى م : « المشجع » ، وفى ص : « المنجع » . والمثبت من أسد الغابة - وهو ما جعله المحققون فى الحاشية وأثبتوا بدلًا منه ما فى الجرح والتعديل - والمعجم الكبير للطبرانى ٢٥/٣٩(٧٢) . وفى الإصابة ٨/ ١٣٢ : « مشجع » . والظاهر أن الاسم فيه اختلاف .

(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٥/ ٣٩ ، من طريق المنتجع به . قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٨٠ : وفيه من لم أعرفهم .

ومِنهنَّ أمُّ ضُمَيرةَ زوجُ أبى ضُمَيرةَ . قد تقدَّم الكلامُ عليهم ، رضِى اللَّهُ عنهم .

ومِنهنَّ أمُّ عيَّاشٍ ، رضى اللَّهُ عنها . بعَثها رسولُ اللَّهِ ﷺ مع ابنتِه تخدُمُها حينَ زوَّجها بعثمانَ بنِ عفَّانَ ، رضى اللَّهُ عنهما . قال أبو القاسمِ البغوىُّ[1] : حدَّثنا هُدْبَةُ[2] ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ صفوانَ ، حدَّثنى أبى صفوانُ ، عن أبيه[3] ، عن جدَّتِه أمِّ عيَّاشٍ - وكانت خادِمَ النبىِّ ﷺ - بعَث بها مع ابنتِه إلى عثمانَ ، رضى اللَّهُ عنهم ، قالت : كنتُ أَمغَثُ[4] لعثمانَ التمرَ غُدوةً فيشرَبُه عشيَّةً ، وأَنبِذُه عشيَّةً فيشرَبُه غُدوةً ، فسأَلنى ذاتَ يومٍ ، فقال : تخلِطين فيه شيئًا ؟ فقلتُ : أجلْ . قال : فلا تعودى .

فهؤلاء إماؤُه ، رضِى اللَّهُ عنهن .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا وكيعٌ ، ثنا القاسمُ بنُ الفضلِ ، حدَّثنى ثمامةُ بنُ حَزْنٍ قال : سأَلتُ عائشةَ عن النبيذِ ، فقالت : هذه خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فسَلْها . لجاريةٍ حبشيَّةٍ ، فقالت : كنت أَنبِذُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فى سقاءٍ عِشاءً فأُوكِيه ، فإذا [٣/٤٠٣ظ] أصبَح شرِب منه . ورَواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفضلِ به[6] . هكذا ذكَره أصحابُ الأطرافِ فى مسندِ عائشةَ ،

---

(١) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٣٤٧/٧ ، من طريق هدبة به . وذكره المزى فى تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٧٧، ٣٧٨ ، عن هدبة به ، كما ذكره ابن حجر فى الإصابة ٨/ ٢٧١.

(٢) فى الأسد : «أمه» . والمثبت من النسخ موافق لما فى تهذيب الكمال .

(٣) فى م ، ص : «عكرمة» . وانظر مصدرى التخريج .

(٤) المغث : المَرْس والدلك بالأصابع . انظر النهاية ٤/ ٣٤٥.

(٥) المسند ٦/ ١٣٧.

(٦) مسلم (٢٠٠٥/٨٤) ، والنسائى فى الكبرى (٦٨٤٨) .

والأليقُ ذكْرُه فى مسندِ جاريةٍ حبشيَّةٍ كانت تخدُمُ النبىَّ ﷺ ، وهى إمَّا أن تكونَ واحدةً مِمَّن قدَّمْنا ذكرَهن ، أو زائدةً عليهن . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

فصلٌ

وأمَّا خُدَّامُه ﷺ، ورضِى اللَّـهُ عنهم الذين خدَمُوه مِن أصحابِه غيرِ مواليه

فمنهم أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ ضَمْضَمِ بنِ زيدِ بنِ حرامِ بنِ جُندُبِ بنِ عاصمِ بنِ غَنْمِ بنِ عدىِّ بنِ النجارِ الأنصارىُّ النجَّارىُّ أبو حمزةَ المدنىُّ، نزيلُ البَصْرةِ. خدَمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مدَّةَ مُقامِه بالمدينةِ عشْرَ سنينَ، فما عاتَبه على شىءٍ أبدًا، ولا قال لشىءٍ فعَله: لِمَ فعَلْتَه. ولا لشىءٍ لَمْ يفعَلْه: ألَا فعَلْتَه؟ وأمُّه أمُّ سُليمٍ بنتُ مِلْحانَ بنِ خالدِ بنِ زيدِ بنِ حرامٍ، هى التى أعطتْه رسولَ اللَّهِ ﷺ فقبِله، وسأَلَتْه أن يدعُوَ له، فقال: «اللهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه، وأطِلْ عمْرَه، وأَدخِلْه الجنةَ»[1]. قال أنسٌ: فقد رأَيتُ اثنتينْ وأنا أنتَظرُ الثالثةَ، واللَّهِ إن مالى لكثيرٌ، وإن ولدى وولدَ ولدى ليَتَعادُّون على نحوٍ مِن مائةٍ. وفى روايةٍ[2]: وإنّ كَرْمِى ليَحمِلُ فى السنةِ مرتيْن، وإن ولدى لِصُلْبى مائةٌ وستةُ أولادٍ. وقد اخْتِلف فى شهودِه بدرًا، وقد روَى الأنصارىُّ[3]، عن أبيه، عن ثُمَامةَ قال: قيل لأنسٍ: أشهِدْت بدرًا؟ فقال: وأين أغيبُ عن بدرٍ لا أمَّ لك؟! والمشهورُ أنه لم يشهَدْ بدرًا لصغرِه، ولم يشهَدْ أُحدًا أيضًا لذلك. وشهِد الحديبيةَ، وخيبرَ، وعُمرةَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨١)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٤٥ - ٣٥٤، من طرق عن أنس.

(٢) تاريخ دمشق ٩/٣٤٩ بنحوه.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، من طريق محمد بن عبد اللّه الأنصارى عن أبيه بنحوه.

القضاءِ، والفتحَ، وحنينًا، والطائفَ، وما بعدَ ذلك. قال أبو هريرةَ[1]: ما رأَيتُ أحدًا أشبهَ صلاةً برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن ابنِ أمِّ سُليمٍ. يعنى أنسَ بنَ مالكٍ. وقال ابنُ سيرينَ[2]: كان أحسنَ الناسِ صلاةً فى سفرِه وحَضَرِه. وكانت وفاتُه بالبصرةِ، وهو آخرُ مَن كان قد بقِى فيها مِن الصحابةِ فيما قاله علىُّ بنُ المدينىِّ[3]، وذلك فى سنةِ تسعِين، وقيل: إحدَى. وقيل: اثنتيْن. وقيل: ثلاثًا وتسعِين. وهو الأشهرُ، وعليه الأكثرُ[4]. وأمَّا عمْرُه يومَ مات فقد روَى الإمامُ أحمدُ فى «مسندِه»[5]: حدَّثنا معتمِرُ بنُ سليمانَ، عن حُمَيدٍ، أن أنسًا عُمِّر مائةَ سنةٍ غيرَ سنةٍ. [٣/ ٤٠٤و] وأقلُّ ما قيل ستٌّ وتسعون. وأكثرُ ما قيل مائةٌ وسبعُ سنينَ. وقيل: ستٌّ. وقيل: مائةٌ وثلاثُ سنينَ. فاللَّهُ أعلمُ.

ومِنهم، رضِى اللَّهُ عنهم، الأسلعُ بنُ شَريكِ بنِ عوفٍ الأعرجىُّ. قال محمدُ بنُ سعدٍ[6]: كان اسمُه ميمونَ بنَ سِنْباذَ[7]، قال الربيعُ بنُ بدرٍ الأعرجىُّ[8]، عن أبيه، عن جدِّه، عن الأسلعِ قال: كنت أخدُمُ النبىَّ ﷺ وأَرحَلُ له[9]، فقال ذاتَ ليلةٍ: «يا أسلَعُ، قُمْ فارحَلْ». قال: أصابَتنى جنابةٌ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ٢٠، ٢١، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٢ بإسناديهما عن أبى هريرة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٤٢٩، من طريق أنس بن سيرين به.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٨، بإسناده عن ابن المدينى.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٩/٣٧٩ - ٣٨٥.

(٥) المسند ٣/ ١٢٤.

(٦) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٣١٣، عن محمد بن سعد به.

(٧) فى الأصل: «سنبا». وفى ١١١، ٤١: «سينا». وانظر الإكمال ٤/ ٤١٥، ٤١٦.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٢، من طريق الربيع بن بدر الأعرجى به.

(٩) فى م: «معه». وأرحل له: أجعل على بعيره الرَّحْل. انظر الوسيط (ر ح ل).

يا رسولَ اللَّهِ. قال: فسكَتَ ساعةً، وأتاه جبريلُ بآيةِ الصَّعيدِ. قال: فتمسَّحْتُ[1] وصلَّيتُ، فلمَّا انتَهيتُ إلى الماءِ قال: «يا أسلَعُ، قُمْ فاغتَسلْ»[2]. فضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيه إلى الأرضِ ثم نفَضهما، ثم مسَح بهما وجهَه، ثم ضرَب يدَيْه الأرضَ، ثم نفَضهما فمسَح بهما ذراعَيْه؛ باليُمنى على اليُسْرى، وباليسرى على اليُمنى، ظاهرِهما وباطنِهما. قال الربيعُ[3]: وأرَانى أبى كما أرَاه أبوه كما أرَاه الأسلعُ كما أرَاه رسولُ اللَّهِ ﷺ. قال الربيعُ: فحدَّثتُ بهذا الحديثِ عوفَ بنَ أبى جميلةَ فقال: هكذا واللَّهِ رأَيتُ الحسنَ يصنَعُ. رَواه ابنُ مَنْده والبغويُّ فى كتابَيْهما «معجمِ الصحابةِ»[4] مِن حديثِ الربيعِ بنِ بدرٍ هذا، قال البغويُّ: ولا أعلَمُه روَى غيرَه. قال ابنُ عساكرَ[5]: وقد روَى - يعنى هذا الحديثَ - الهيثمُ بنُ رُزَيقٍ[6] المالكيُّ المُدْلِجيُّ، عن أبيه، عن الأسلعِ بنِ شريكٍ.

ومِنهم، رضِى اللَّهُ عنهم، أسماءُ بنُ حارثةَ بنِ سعيدِ[7] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ غِيَاثِ[8] بنِ سعدِ بنِ عمرِو بنِ عامرِ بنِ ثعلبةَ بنِ مالكِ بنِ أَفْصَى الأسلميُّ. وكان مِن أهلِ الصُّفَّةِ، قاله محمدُ بنُ سعدٍ[9]. وهو أخو هندِ بنِ حارثةَ، وكانا

---

(١) فى ا ٤، م: «فتيممت».

(٢) بعده فى م: «قال فأرانى التيمم».

(٣) فى م: «الجميع».

(٤) حديث ابن منده هو الحديث المتقدم فى الصفحة السابقة، وحديث البغوى أخرجه ابن عساكر فى ٤/ ٣١٣، ٣١٤.

(٥) تاريخ دمشق ٤/ ٣١٣.

(٦) فى الأصل: «رزين». وفى تاريخ دمشق: «زريق». وانظر الإكمال ٤/ ٥١، والمشتبه ١/ ٣١٣.

(٧) فى م، ص: «سعد». وانظر الإصابة ١/ ٦٤.

(٨) فى النسخ، وتاريخ دمشق ٤/ ٣١٥: «عباد». والمثبت من طبقات ابن سعد ٤/ ٣٢٢. وانظر الإكمال ٦/ ١٣٥.

(٩) ذكر ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٥، أنه رآه فى كتاب ابن سعد، وقد ذكره ابن سعد فى الطبقات ٤/ ٣٢٢، عن الواقدى.

يخدُمان النبىَّ ﷺ .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عفَّانُ ، ثنا وُهَيبٌ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ حرملةَ ، عن يحيى بنِ هندِ بنِ حارثةَ ، وكان هندٌ مِن أصحابِ الحديبيَةِ ، وكان أخوه الذى بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ يأمُرُ قومَه بالصيامِ يومَ عاشوراءَ ، وهو أسماءُ بنُ حارثةَ . فحدَّثنى يحيى بنُ هندٍ ، عن أسماءَ بنِ حارثةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعثه فقال : « مُرْ قومَك بصيامِ هذا اليومِ » . قال : أرأيتَ إن وجدتُهم قد طَعِمُوا ؟ قال : « فلْيُتِمُّوا آخرَ يومِهم » . وقد رواه أحمدُ بنُ خالدٍ الوَهْبىُّ[2] عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى [3]عبدُ اللَّهِ[3] بنُ أبى بكرٍ ، عن حبيبِ بنِ هندِ بنِ أسماءَ الأسلمىِّ ، عن أبيه هندٍ قال : بعثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٤٠٤ظ] إلى قومٍ مِن أَسْلَمَ فقال : « مُرْ قومَك فلْيَصُوموا هذا اليومَ ، ومَن وجدتَ مِنهم أكَل فى أوَّلِ يومِه فلْيَصُمْ آخِرَه » .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] ، عن الواقدىِّ : أنبأنا محمدُ بنُ نُعيمِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُجْمِرُ ، عن أبيه قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : ما كنتُ أظنُّ أن هندًا وأسماءَ ابنَىْ حارثةَ إلَّا مَمْلوكَيْن لرسولِ اللَّهِ ﷺ . قال الواقدىُّ : كانا يَخدُمانِه لا يَبْرَحان بابَه هما وأنسُ بنُ مالكٍ . قال محمدُ بنُ سعدٍ : وقد تُوُفِّىَ أسماءُ بنُ حارثةَ فى سنةِ ستٍّ وستين بالبصرةِ عن ثمانين سنةً .

ومِنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، بلالُ بنُ رباحٍ الحبشىُّ . وُلِد بمكةَ ، وكان مولًى

---

(١) المسند ٣/ ٤٨٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٤، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ١١١، ٤١: « محمد » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٥، من طريق محمد بن سعد به .

لأُميةَ بنِ خلفٍ ، فاشتراه أبو بكرٍ بمالٍ جزيلٍ ؛ لأنَّه كان أميَّةُ يُعذبُه عذابًا شديدًا ليرتدَّ عن الإسلامِ ، فيأْبَى إلَّا الإسلامَ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، فلمَّا اشتراه أبو بكرٍ أعتقه ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ ، وهاجَر حينَ هاجرَ الناسُ ، وشهِد بدرًا وأحدًا وما بعدَهما من المشاهدِ ، رضىَ اللَّهُ عنه . وكان يُعرَفُ ببلالِ بنِ حَمَامةَ ، وهى أمُّه ، وكان مِن أفصحِ الناسِ لا كما يعتقدُه بعضُ الناسِ أن سِينَه كانت شِينًا ، حتى إن بعضَ الناسِ يَروِى حديثًا فى ذلك لا أصلَ له عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : إن سينَ بلالٍ (١ عندَ اللَّهِ ١) شينًا . وهو أحدُ المؤذِّنين الأربعةِ كما سيأتى ، وهو أولُ مَن أذَّن كما قدَّمْنا[٢] . وكان يَلِى أمرَ النفقةِ على العيالِ ، ومعه حاصلُ ما يكونُ مِن المالِ . ولما تُوفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كان فيمن خرج إلى الشامِ للغزوِ ، ويقالُ : إنه أقام يُؤذِّنُ لأبى بكرٍ أيامَ خلافتِه . والأولُ[٣] أشهرُ . قال الواقدىُّ[٤] : مات بدمشقَ سنةَ عشرين وله بضعٌ وستون سنةً . وقال الفلَّاسُ[٥] : قبرُه بدمشقَ ، ويقال : بدَارَيَّا . وقِيل[٦] : إنه مات بحلبَ . والصحيحُ أن الذى مات بحلبَ أخوه خالدٌ . قال مَكحولٌ[٧] : حدَّثنى مَن رأى بلالًا قال : كان شديدَ الأُدْمَةِ نحيفًا أَجْنأَ[٨] ، له شعْرٌ كثيرٌ ، وكان لا يُغيِّرُ شَيْبَه ، رضىَ اللَّهُ عنه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم فى ٤/٥٧٣ - ٥٧٧.

(٣) بعده فى م ، ص : «أصح و» .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٦، ٤٧٧ ، من طرق عن الواقدى به .

(٥) هذا القول ليس للفلاس وإنما لأبى زرعة الدمشقى كما فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٩، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٩٠. أما الفلاس فقد قال أنه مات بدمشق وهو ابن بضع وستين سنة ، سنة عشرين . انظر تاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٨.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٤٨٠ ، وبإسناده عن على بن عبد الرحمن .

(٧) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٢٣٨، من طريق مكحول بنحوه .

(٨) أجنأ : فى كاهله انحناء على صدره . الوسيط (ج ن أ) .

ومِنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، بُكَيرُ بنُ الشَّدَّاخِ الليثىُّ . ذكر ابنُ مَنْده[1] مِن طريقِ أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عبدِ الملكِ بنِ يَعْلى الليثىِّ ، أن بُكَيرَ بنَ شَدَّاخٍ الليثىَّ كان يخدُمُ النبىَّ ﷺ ، فاحتَلَم[2] ، فأَعْلَمَ بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ وقال : إنى كنتُ أدخلُ على أهلِك ، وقد [٣/ ٤٠٥و] احتلمتُ الآنَ يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « اللهم صَدِّقْ قولَه ، ولَقِّهِ الظَّفَرَ » . فلما كان فى زَمانِ عمرَ قُتِل رجلٌ مِن اليهودِ ، فقام عمرُ خَطِيبًا فقال : أَنشُدُ اللَّهَ رجلًا عندَه مِن ذلك علمٌ ؟ فقام بُكَيرٌ فقال : أنا قتلتُه يا أميرَ المؤمنين . فقال عمرُ : بُؤْتَ بدمِه ، فأين المخرجُ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن رجلًا مِن الغُزاةِ استخلفَنى على أهلِه ، فجئتُ فإذا هذا اليهودىُّ عندَ امرأتِه وهو يقولُ :

وأَشْعَثَ غَرَّه الإسلامُ مِنِّى ... خَلَوتُ بعِرْسِه ليلَ التَّمامِ
أَبِيتُ على ترائبِها ويُمسِى ... على قَوْدِ[3] الأعِنَّةِ والحِزامِ
كأنَّ مَجامعَ الرَّبَلاتِ[4] مِنها ... فِئامٌ يَنْهَضون إلى فِئامِ

قال : فصدَّق عمرُ قولَه ، وأبطَل دمَ اليهودىِّ بدُعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لبُكيرٍ ، بما تقدَّم .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، حَبَّةُ وسواءٌ ابنا خالدٍ ، رضىَ اللَّهُ عنهما . قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو معاويةَ . قال : وثنا وكيعٌ ، ثنا الأعمشُ ، عن سلَّامِ بنِ شُرَحْبِيلَ ، عن حبةَ وسواءٍ ابنَىْ خالدٍ قالا : دخلْنا على النبىِّ ﷺ وهو يُصلحُ شيئًا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٢٦، وعزاه ابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٢٤٠ إلى ابن منده .
(٢) فاحتلم : أى بلغ الحلُم .
(٣) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « فرد » . وفى م : « جرد » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق وأسد الغابة .
(٤) الربلات : أصول الأفخاذ . مفردها الرَّبْلة والرَّبَلة . اللسان (ر ب ل) .
(٥) المسند ٣/ ٤٦٩ .

فأَعنَّاه ، فقال : « لا تَيئَسا[1] مِن الرزقِ ما تَهَزْهَزَت رءُوسُكما ، فإن الإنسانَ تلِدُه أمُّه أحمرَ ليس عليه قِشرةٌ ، ثم يرزقُه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ » .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، ذو مِخْمَرٍ . ويقال : ذو مِخْبَرٍ . وهو ابنُ أخى النجاشىِّ مَلِكِ الحبشةِ ، ويقالُ : ابنُ أختِه . والصحيحُ الأوَّلُ . كان بعَثَه ليخدُمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ نيابةً عنه . قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو النضرِ ، ثنا حَريزٌ[3] ، عن يَزيدَ بنِ صُلَيْحٍ ، عن ذى مِخْمَرٍ ، وكان رجلًا مِن الحبشةِ يَخدُمُ النبىَّ ﷺ ، قال : كنا معه فى سفرٍ فأسرع السيرَ حتى[4] انصرف ، وكان يفعلُ ذلك لقلَّةِ الزادِ ، فقال له قائلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد انقطع الناسُ . قال : فحَبَس[5] وحَبَس الناسَ معه حتى تكاملوا إليه ، فقال لهم : « هل لكم أن نَهْجَعَ هَجْعةً ؟ » أو قال له قائلٌ ، فنزل ونزلوا ، فقال : « مَن يَكلؤُنا الليلةَ ؟ » فقلتُ : أنا ، جعلنى اللَّهُ فداءَكَ . فأَعْطَانى خِطامَ ناقتِه ، فقال : « هاكَ ، لا تكونَنَّ لُكَعًا[6] » . قال : فأخذتُ بخِطامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وخطامِ ناقتِى ، فتنحَّيتُ غيرَ بَعيدٍ فخلَّيْتُ سبيلَهما تَرْعَيان ، فإنِّى [7]فى ذلك[7] أنظرُ إليهما حتى[8] أخَذنى [٣/ ٤٠٥ظ] النومُ ، فلم أشعرْ بشىءٍ

---

(١) فى م : « ينسا » . وفى المسند : « تأيسا » .

(٢) المسند ٤/ ٩٠، ٩١. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ٣٢٠: رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، ورجال أحمد ثقات .

(٣) فى النسخ والمسند : « جرير » . والمثبت من أطراف المسند ٢/ ٣٢٤. وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٩٢، ٥٦٨.

(٤) كذا فى النسخ . وفى المسند : « حين » .

(٥) فى م : « فجلس » .

(٦) معنى اللكع فى اللغة : العبد . ثم استعمل فى الحمق والذم . والمعنى لا تكونن كالصغير فى الجهل بالوقت وغلبة النوم إياه . انظر بلوغ الأمانى ٢/ ٣٠٨.

(٧ - ٧) فى م ، ص : « كذلك » . وفى المسند : « كذاك » .

(٨) فى ا ٤١، م ، ص : « إذ » .

حتى وجدتُ حرَّ الشمسِ على وجهى ، فاستيقَظتُ فنظَرتُ يمينًا وشِمالًا ، فإذا أنا بالراحلتين مِنى غيرَ بعيدٍ ، فأخذتُ بخِطامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبخطامِ ناقتِى ، فأتيتُ أَدنَى القومِ فأيقظتُه ، فقلتُ : أصلَّيتَ ؟[1] قال : لا . فأيقظ الناسُ بعضُهم بعضًا حتى استيقظ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا بلالُ ، [2]هل فى المِيضأةِ ماءٌ[2] ؟ » يعنى الإداوَةَ ، فقال : نعم ، جعلنى اللَّهُ فِداءَك . فأتاه بوَضوءٍ ، [3]فتوضَّأ وُضُوءًا[3] لم يُلَتَّ مِنه الترابُ[4] ، فأمر بلالًا فأذَّن ، ثم قام النبىُّ ﷺ فصلَّى الركعتين قبلَ الصبحِ وهو غيرُ عَجِلٍ ، ثم أمره فأقام الصلاةَ ، فصلَّى وهو غيرُ عَجِلٍ ، فقال له قائلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، أفرَّطنا[5] ؟ قال : « لا ، قبَض اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، أرواحَنا وردَّها إلينا ، وقد صلَّيْنا » .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، ربيعةُ بنُ كعبٍ الأَسْلمىُّ ، أبو فِراسٍ . قال الأوزاعِىُّ[6] : حدَّثنى يحيى بنُ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سلمةَ ، عن ربيعةَ بنِ كعبٍ قال : كنتُ أبيتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فآتِيه بوَضُوئِه وحاجتِه ، فكان يقومُ مِن الليلِ فيقولُ : « سُبحانَ ربِّى وبحمدِه ، سبحانَ ربِّى وبحمدِه ، سبحانَ ربِّ العالمين ، سبحانَ ربِّ العالمين » الهَوِىَّ[7] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل لك حاجةٌ ؟ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، مرافَقَتُك فى الجنةِ . قال : « فأعِنِّى على نفسِك

---

(١) فى المسند : « له : أصليتم » .

(٢ - ٢) فى المسند : « هل لى فى الميضأة » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص . وفى المسند : « فتوضأ » .

(٤) لم يلت منه التراب : أى لم يتساقط من ماء وضوئه شىء يختلط به التراب أى لم يخلط بعضه ببعض ، من لتَّ السويق إذا خلطه بشىء . وهو كناية عن تخفيف وضوئه ﷺ . بلوغ الأمانى ٢/ ٣٠٨ .

(٥) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « أقبضنا » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٨ ، ٣١٩ ، من طريق الأوزاعى به .

(٧) الهوى : الحين الطويل من الزمان . وهو مختص بالليل . اللسان (هـ و ى) .

بكثرةِ السجودِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا أبى ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن نُعَيمِ بنِ مُجْمِرٍ[2] ، عن ربيعةَ بنِ كعبٍ قال : كنت أخدُمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [3] وأَقُومُ له فى حوائِجِه[3] نهارى أجمعَ ، حتى يصلِّىَ العِشاءَ الآخرةَ ، فأجلِسُ ببابِه إذا دخَل بيتَه أقولُ : لعلَّها أن تَحدُثَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ حاجةٌ ، فما أزالُ أسمَعُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سبحانَ اللَّهِ سبحانَ اللَّهِ وبحمدِه » . حتى أملَّ فأرجِعَ ، أو تغلِبَنى عَيْناىَ[4] فأرقُدَ . قال : فقال لى يومًا لِما يرَى مِن [5]خِفَّتى له[5] وخدمَتى إياه : « يا ربيعةَ بنَ كعبٍ ، سَلْنِى أُعطِك » . قال : فقلت : أنظُرُ فى أمرى يا رسولَ اللَّهِ ، ثم أُعلِمُك ذلك . قال : ففكَّرْتُ فى نفسى ، فعرَفتُ أن الدنيا منقطعةٌ وزائلةٌ ، وأن لى فيها رزقًا سيَكفِينى ويأتِينى . قال : فقلت : أسأَلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ لآخرَتى ؛ فإنه مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ بالمَنْزِلِ الذى هو به . قال : فجئْتُه ، فقال : « ما فعَلتَ يا ربيعةُ ؟ » . قال : فقلت : نعم يا رسولَ اللَّهِ ، أسأَلُك أن تَشفَعَ لى إلى ربِّك فيُعْتِقَنى مِن النارِ . قال : فقال : « مَن أمَرك بهذا يا ربيعةُ ؟ » . قال : فقلت : لا واللَّهِ الذى بعَثك [٣/٤٠٦و] بالحقِّ ، ما أمَرنى به أحدٌ ، ولكنك لمَّا قلتَ : « سلْنى أُعطِك » . وكنتَ مِن اللَّهِ بالمَنْزِلِ الذى أنت به ، نظَرْتُ فى أمرى فعرَفتُ أن الدنيا منقطعةٌ وزائلةٌ ، وأن لى

---

(١) المسند ٤/ ٥٩. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣١٩، من طريق الإمام أحمد به .

(٢) فى الأصل، ١١١، ٤١، م، وتاريخ دمشق : « محمد » . وهو خطأ . وهو نعيم بن عبد اللَّه المجمر، ويقال لأبيه أيضا : المجمر . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٨٧.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند وتاريخ دمشق .

(٤) سقط من : الأصل، ١١١. وفى المسند، وتاريخ دمشق : « عينى » .

(٥ - ٥) فى الأصل، ١١١، ٤١: « حقى » . وفى م، ص : « حقى له » . والمثبت من المسند وتاريخ دمشق .

فيها رزقًا سيأتِينى ، فقلتُ : أسأَلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ لآخرتى . قال : فصَمَت رسولُ اللَّهِ ﷺ طويلًا ، ثم قال لى : « إنى فاعلٌ ، فأعنِّى على نفسِك بكثرةِ السجودِ » .

وقال الحافظُ أبو يَعْلى[1] : حدَّثنا أبو خَيْثَمةَ ، أنبأَنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا مباركُ ابنُ فَضالةَ ، ثنا أبو عِمرانَ الجَوْنىُّ ، عن ربيعةَ الأسلمىِّ ، وكان يخدُمُ النبىَّ ﷺ قال : فقال لى ذاتَ يومٍ : « يا ربيعةُ ، ألَا تَزَوَّجُ ؟ » قال : قلت : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أُحِبُّ أن يَشغَلَنى عن خِدمتِك شىءٌ . [2]قال : فسَكَتَ ، فلمَّا كان بعدُ قال لى : « يا ربيعةُ ، ألا تَزَوَّجُ ؟ » قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أُحِبُّ أن يَشغَلَنى عن خدمتِك شىءٌ[2] ، وما عندى ما أُعْطِى المرأةَ . قال : فقلتُ بعدَ ذلك : رسولُ اللَّهِ ﷺ أعلَمُ بما عندى حتى[3] يدعُوَنى إلى التَّزويجِ ، لئن دعانى هذه المرةَ لأُجِيبَنَّه . قال : فقال لى : « يا ربيعةُ ، ألا تزوَّجُ ؟ » . فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، ومَن يُزوِّجُنى ؟ ما عندى ما أُعطِى المرأةَ . قال : فقال لى : انطلِقْ إلى بنى فلانٍ فقل لهم : إن رسولَ اللَّهِ يأمُرُكم أن تزوِّجونى فتاتَكم فلانةَ . قال : فأتَيتُهم فقلت : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أرسَلنى إليكم لتزوِّجُونى فتاتَكم فلانةَ . [4]قالوا : فلانةُ ؟! قال : نعم[4] . قالوا : مرحبًا برسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومرحبًا برسولِه . فزوَّجونى ، فأتَيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أتَيتُك مِن خيرِ أهلِ بيتٍ ، صدَّقونى وزوَّجونى ، فمِن أين لى ما أُعطِى صَداقى ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لبُرَيدةَ الأسْلَمىِّ : « اجْمَعوا لربيعةَ فى صداقِه فى وزنِ نواةٍ مِن ذهبٍ » . قال : فجمَعوها فأعطَونى ، فأتَيتُهم فقبِلوها ، فأتَيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد قبِلوا ، فمِن أين لى ما أُولِمُ ؟

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٠، من طريق أبى يعلى به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى النسخ : « منى » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ .

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لبُرَيدةَ : « اجْمَعوا لربيعةَ فى[1] ثمنِ كبشٍ » . قال : فجمَعوا ، وقال لى : « انطلِقْ إلى عائشةَ ، فقُلْ لها فلْتدفَعْ إليك ما عندَها مِن الشعيرِ » . قال : فأتَيتُها فدفَعَتْ إلىَّ ، فانطلَقتُ بالكبشِ والشعيرِ ، فقالوا : أمَّا الشعيرُ فنحن نَكْفِيك ، وأمَّا الكبشُ فمُرْ أصحابَك فليذبَحُوه . وعمِلوا الشعيرَ ، فأصبَح واللَّهِ عندنا خبزٌ ولحمٌ ، ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أقطَع أبا بكرٍ أرضًا له ، فاختَلَفْنا فى عِذْقٍ ، فقلتُ : هو فى أرضى . وقال أبو بكرٍ : هو فى أرضى . فتنازَعْنا ، فقال لى أبو بكرٍ كلمةً كرِهتُها ، [٣/٤٠٦ظ] فندِم فأَخْبَرنى[2] فقال لى : قلْ لى كما قلتُ لك . قال : فقلت : لا واللَّهِ لا أقولُ لك كما قلتَ لى . قال : إذًا آتِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وتبِعتُه ، فجاءنى قومى يَتْبَعوننى ، فقالوا : هو الذى قال لك وهو يأتى رسولَ اللَّهِ ﷺ فيشكُو ؟! قال : فالتَفَتُّ إليهم فقلت : تدرون مَن هذا ؟! هذا الصِّدِّيقُ وذو شَيبةِ المسلمين ، ارجِعوا لا يلتَفِتُ فيرَاكم فيظنَّ أنكم إنما جئتم لتُعِينونى عليه فيغضَبَ ، فيأتىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فيخبِرَه فيهلِكَ ربيعةُ . قال : فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : إنى قلتُ لربيعةَ كلمةً كرِهها[3] ، فقلت له يقولُ لى مثلَ ما قلتُ له فأبَى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا ربيعةُ ، وما لك وللصِّدِّيقِ ؟ » قال : فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، لا[4] واللَّهِ لا أقولُ له كما قال لى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تقُلْ له كما قال لك ، ولكن قُلْ : غفَر اللَّهُ لك يا أبا بكرٍ » .

ومِنهم رضِىَ اللَّهُ عنهم سعدٌ مولى أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ .

(٢) فى م ، ص : « فأحضرنى » .

(٣) فى م ، ص : « كرهتها » .

(٤) سقط من : م ، ص .

ويقالُ : مولى النبيِّ ﷺ . قال أبو داودَ الطيالسيُّ[1] : ثنا أبو عامرٍ ، عن الحسنِ ، عن سعدٍ مَوْلى أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأبى بكرٍ - وكان سعدٌ مملوكًا لأبى بكرٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ تعجِبُه خدمتُه - : « أَعتِقْ سعدًا » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لنا خادمٌ هـٰهنا غيرُه . فقال : « أَعتِقْ سعدًا أتَتك الرجالُ أتَتك الرجالُ » . وهكذا رَواه أحمدُ[2] عن أبى داودَ الطيالسيِّ .

وقال أبو داودَ الطيالسيُّ[3] : حدَّثنا أبو عامرٍ ، عن الحسنِ ، عن سعدٍ قال : قرَّبتُ[4] بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ تمرًا ، فجعَلوا يَقْرِنون ، [5]فنهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن القِرانِ[5] . ورَواه ابنُ ماجه عن بُندارٍ ، عن أبى داودَ به[6] .

ومِنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ . دخَل يومَ عمرةِ القضاءِ مكةَ وهو يقودُ بناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ ... اليومَ نَضْرِبُكم على تأويلِهِ
كما ضرَبْناكم على تنزيلِهِ ... ضربًا يُزِيلُ الهامَ عن مَقيلِهِ
* ويُشغِلُ[7] الخليلَ عن خَليلِهِ *

كما قدَّمنا ذلك بطولِه[8] . وقد قتِل عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ بعدَ هذا بأشهرٍ فى يومِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٢١، ٣٢٢ ، من طريق أبى داود الطيالسى به .
(٢) المسند ١/ ١٩٩. (إسناده صحيح) . وقال أبو داود عقب الحديث عن قوله ﷺ : « أتتك الرجال » : يعنى السبى .
(٣) أخرجه الإمام أحمد ١/١٩٩ عن الطيالسى به . (إسناده صحيح) .
(٤) فى المسند : « قدمت » .
(٥ - ٥) فى المسند : « فقال رسول الله ﷺ : « لا تقرنوا » .
(٦) ابن ماجه (٣٣٣٢) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٩٢) .
(٧) فى ا ٤، ص : « يذهل » .
(٨) تقدم فى ٦/٣٧٣ - ٣٧٩.

مؤتةَ ، كما تقدَّم أيضًا .

ومِنهم ، رضِىَ اللَّهُ عنهم ، عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودِ بنِ غافلِ بنِ حَبِيبِ بنِ شَمْخٍ أبو عبدِ الرحمنِ [٣/٤٠٧و] **الهُذَلىُّ** . أحدُ أئمةِ الصحابةِ ، رضوانُ اللَّهِ عليهم أجمعين ، هاجر الهجرتيْن وشهِد بدرًا وما بعدَها ، كان يَلِى حَمْلَ نعلَيِ النبىِّ ﷺ ، ويَلِى طَهورَه ، ويُرَحِّلُ دابَّتَه إذا أراد الركوبَ ، وكانت له اليدُ الطُّولَى فى تفسيرِ كلامِ اللَّهِ تعالى ، وله العِلْمُ الجَمُّ والفضلُ والحلمُ ، وفى الحديثِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأصحابِه ، وقد جَعَلوا يَعْجَبون مِن دِقَّةِ ساقَيْه ، فقال : « والذى نفسى بيدِه لهما فى الميزانِ أثقلُ مِن أحدٍ »[(١)] . وقال عمرُ بنُ الخطابِ فى ابنِ مسعودٍ : هو كُنَيْفٌ مُلِئَ علمًا[(٢)] . وذكَروا أنه نحِيفُ الخَلْقِ حسنُ الخُلُقِ ، يقالُ : إنه كان إذا مشَى يُسامِتُ الجالِسَ[(٣)] وكان يُشَبَّهُ بالنبىِّ ﷺ فى هَدْيِه ودَلِّه وسَمْتِه ، يعنى أنه يُشَبَّهُ بالنبىِّ ﷺ فى حَرَكاتِه وسَكَناتِه وكَلامِه ، ويتَشَبَّهُ بما استطاع مِن عبادتِه . تُوُفِّىَ ، رضى اللَّهُ عنه ، فى أيامِ عثمانَ بنِ عفانَ ، رضى اللَّهُ عنه ، سنةَ ثنتين أو ثلاثٍ وثلاثين بالمدينةِ عن ثلاثٍ وستين سنةً ، وقيل : إنه تُوُفِّىَ بالكوفةِ . والأولُ أصحُّ .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، عقبةُ بنُ عامرٍ الجُهَنىُّ . قال الإمامُ أحمدُ[(٤)] : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، ثنا ابنُ جابرٍ ، عن القاسمِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٤٢٠، ٤٢١، وفى فضائل الصحابة (١٥٥٢) ، وابن سعد فى الطبقات ٣/ ١٥٥، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٣١٧، والطبرانى فى الكبير ٩/٩٧ (٨٥١٦) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٥٥٠) ، وابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٤٤، والطبرانى فى الكبير ٩/٨٥ (٨٤٧٧) . والكُنَيْف : هو تصغير تعظيم للكنْف ، وهو الوعاء . انظر النهاية ٤/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) فى الأصل ، ١١١: « الخلق » ، وفى م ، ص : « الجلوس » .

(٤) المسند ٤/ ١٤٤.

قال : بينما أنا[1] أقودُ برسولِ اللَّهِ ﷺ فى نَقْبٍ مِن تلك النِّقابِ ، إذ قال لى : « يا عقبةُ ، ألا تَرْكَبُ ؟ » [2] قال : فأجللتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن أَركَبَ مركَبَه ، ثم قال : « يا عُقيبُ ، ألا تركبُ ؟ » [2] . قال : فأشْفَقْتُ أن تكونَ معصيةٌ . قال : فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وركِبْتُ هُنَيهةً ، ثم ركِب ، ثم قال : « يا عقبةُ[3] ، ألا أعَلِّمُك سورتين مِن خيرِ سورتين قرَأ بهما الناسُ ؟ » قلت : بلى يا رسولَ اللَّهِ . فأقْرَأَنى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ، ثم أُقِيمت الصلاةُ ، فتقدم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقرَأ بهما ، ثم مَرَّ بى فقال : « [4] كيف رأيتَ يا عُقَيبُ [4] ؟ اقْرَأْ بهما كلما نِمْتَ وكلما قُمْتَ » . وهكذا رواه النسائىُّ مِن حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ ، عن ابنِ جابرٍ[5] . ورواه أبو داودَ والنسائىُّ أيضًا مِن حديثِ ابنِ وهبٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن العَلاءِ بنِ الحارثِ ، عن القاسمِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن عقبةَ به[6] .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ الأنصارىُّ الخزرجىُّ .

روَى البخارىُّ[7] عن أنسٍ قال : كان قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ مِن النبىِّ ﷺ بمنزلةِ صاحبِ الشُّرَطِ مِن الأميرِ . وقد كان قيسٌ [٣/٤٠٧ظ] هذا ، رضى اللَّهُ عنه ، مِن أطولِ الرجالِ ، وكان كَوْسَجًا[8] ، ويقالُ : إن سَراويلَه كان يضَعُه على أنفِه مَن

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « عقب » ، وفى المسند : « عقيب » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) النسائى (٥٤٥٢) من حديث الوليد ، وفى الكبرى (٧٨٤٤، ١٠٧٢٥) مختصرا ، من حديث عبد اللَّه بن المبارك . حسن الإسناد (صحيح سنن النسائى ٥٠٢٥) .

(٦) أبو داود (١٤٦٢) ، والنسائى (٥٤٥١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٢٩٨) .

(٧) البخارى (٧١٥٥) .

(٨) الكوسج : الذى لا شعر على عارضيه .

يكونُ مِن أطولِ الرجالِ ، فتصِلُ رجلاه الأرضَ ، وقد بعَث معاويةُ بنُ أبى سفيانَ سَراويلَه إلى ملكِ الرومِ يقولُ له : هل عندَكم رجلٌ تجيءُ سراويلُه[1] على طولِه ؟ [2]فعجِب ملِكُ[2] الرومِ مِن ذلك[3] . وذكَروا أنه كان كريمًا مُمَدَّحًا ذا رأيٍ ودَهاءٍ ، وكان مع عليِّ بنِ أبى طالبٍ أيامَ صِفِّينَ . وقال مِسْعَرٌ[4] ، عن مَعْبَدِ بنِ خالدٍ : كان قيسُ بنُ سعدٍ لا يزالُ رافعًا أُصبُعَه المُسَبِّحةَ يدعو ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه . وقال الواقدىُّ وخليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وغيرُهما[5] : تُوُفِّىَ بالمدينةِ فى آخرِ أيامِ مُعاويةَ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[6] : ثنا عمرُ بنُ الخطابِ السِّجِسْتانىُّ ، ثنا علىُّ بنُ يزيدَ الحَنَفىُّ ، ثنا سعدُ[7] بنُ الصَّلْتِ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن أنسٍ قال : كان عشرون شابًّا مِن الأنصارِ يَلْزَمون رسولَ اللَّهِ ﷺ لحَوائجِه[8] ، فإذا أراد أمرًا بعَثهم فيه .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، المغيرةُ بنُ شعبةَ الثَّقَفىُّ ، رضى اللَّهُ عنه . كان بمنزلةِ السِّلَحْدارِ[9] بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما كان رافعًا السيفَ فى يدِه

---

(١) فى م ، ص : « هذه السراويل » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « فتعجب صاحب » .

(٣) ذكر هذا الخبر ابن عساكر بأسانيده من طرق فى تاريخ دمشق ١٤/ ٤٦٣، ٤٦٤ مخطوط . قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٩٣: خبره - أى قيس بن سعد - فى السراويل عند معاوية كذب وزور مختلق ... .

(٤) انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/٥٣ عن الواقدى ، وتاريخ خليفة ١/ ٢٧٣. وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٦.

(٦) كشف الأستار (٢٤٤٥) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٢: رواه البزار ، وفيه من لم أعرفهم .

(٧) فى م ، ص : « سعيد » . وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٧.

(٨) فى ا ١١، ا ٤١: « بحوائجه » .

(٩) السلحدار : حامل سلاح الملك ، مركب من : سلاح . بالعربية ، ومن : دار . أى حامل . الألفاظ الفارسية المعربة ص ٩٢.

وهو واقفٌ على رأسِ النبيِّ ﷺ فى الخَيْمةِ يومَ الحُدَيْبيةِ ، فجعَل كلما أَهْوَى عمُّه عروةُ بنُ مسعودٍ الثقفىُّ حينَ قدِم فى الرَّسِيلةِ إلى لحيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - على ما جرَت به عادةُ العربِ فى مُخاطباتِها - يَقرَعُ يدَه بقائمةِ السيفِ ، ويقولُ : أَخِّرْ يدَك عن لحيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ أن لا تَصِلَ إليك . الحديثَ كما قدَّمْناه .

قال محمدُ بنُ سعدٍ وغيرُه[1] : شهِد المَشاهدَ كلَّها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وولَّاه مع أبى سفيانَ الإمْرَةَ[2] حينَ ذهَبا فخرَّبا طاغوتَ أهلِ الطائفِ ، وهى المدعوَّةُ بالربَّةِ ، وهى اللاتُ ، وكان داهيةً مِن دُهاةِ العربِ . قال الشعبىُّ[3] : سمِعْتُه يقولُ : ما غلَبنى أحدٌ قطُّ . وقال الشعبىُّ[4] : سمِعْتُ قَبيصةَ بنَ جابرٍ يقولُ : صحِبْتُ المغيرةَ بنَ شُعْبةَ ، فلو أن مدينةً لها ثمانيةُ أبوابٍ لا يُخْرَجُ مِن بابٍ منها إلا بمكرٍ لخرَج مِن أبوابِها . وقال الشعبىُّ[5] : القُضاةُ أربعةٌ ؛ علىٌّ[6] وعمرُ وابنُ مسعودٍ وأبو موسى ، والدُّهاةُ أربعةٌ ؛ معاويةُ وعمرُو بنُ العاصِ والمغيرةُ وزيادٌ . وقال الزهرىُّ[7] : الدُّهاةُ خمسةٌ ؛ معاويةُ وعَمرٌو والمغيرةُ [٣/٤٠٨و] واثنان مع علىٍّ ، وهما قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ .

وقال الإمامُ مالكٌ[8] : كان المغيرةُ بنُ شعبةَ رجلًا نَكَّاحًا للنساءِ ، وكان يقولُ : صاحبُ الواحدةِ إن حاضت حاض معها ، وإن مرِضت مرِض معها ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٦/١٧ مخطوط ، بإسناده عن ابن سعد به .
(٢) فى ص : « الأمر » .
(٣) تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٧٣.
(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٥٨، وتاريخ دمشق ٨٥/١٧ مخطوط .
(٥) تاريخ دمشق ٨٤/١٧ مخطوط . ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٧٤. وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٧٢.
(٦) فى النسخ : « أبو بكر » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٧) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٣١٦/٧ ، بإسناده عن الزهرى بنحوه .
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٧/١٧ مخطوط ، بإسناده عن الإمام مالك . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٧٣.

وصاحبُ الثنتَين بينَ نارَيْن تَشْتَعلان . قال : فكان يَنْكِحُ أربعًا جميعًا[1] ويُطَلِّقُهن جميعًا . وقال غيرُه : تزوَّج ثمانين امرأةً . وقيل : ثلاثَمائةِ امرأةٍ . وقيل : أَحْصَن ألفَ امرأةٍ[2] . وقد اخْتُلِف فى وفاتِه على أقوالٍ أشهرُها وأصحُّها ، وهو الذى حكَى عليه الخطيبُ البَغْدادىُّ الإجماعَ ، أنه تُوُفِّىَ سنةَ خمسين[3] .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، المِقْدادُ بنُ الأسودِ أبو مَعْبَدٍ الكِنْدىُّ ، حليفُ بنى زُهْرةَ . قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن المِقْدادِ بنِ الأسْودِ قال : قدِمْتُ المدينةَ أنا وصاحبان[5] لى[6] فتعَرَّضْنا للناسِ فلم يُضِفْنا أحدٌ ، فأتَيْنا[7] النبىَّ ﷺ فذكَرْنا له ، فذهَب بنا إلى منزلِه ، وعندَه أربعُ أعْنُزٍ ، فقال : « احْلُبْهن يا مِقْدادُ ، وجَزِّئْهن أربعةَ أجزاءٍ ، وأَعْطِ كلَّ إنسانٍ جزءًا » . فكنتُ أفْعَلُ ذلك ، فرفَعتُ للنبىِّ ﷺ جزأَه[8] ذاتَ ليلةٍ ، فاحتبس واضْطَجَعْتُ على فراشى ، فقالت لى نفسى : إن النبىَّ ﷺ قد أتَى أهلَ بيتٍ مِن الأنصارِ ، فلو قمتَ فشرِبْتَ هذه الشَّرْبةَ . فلم تزَلْ بى حتى قُمْتُ فشرِبْتُ جُزْأَه ، فلما دخَل فى بطنى وتقارَّ[9] أخَذنى ما قدُم وما حدَثَ ، فقلت : يجىءُ الآنَ النبىُّ ﷺ جائعًا ظمآنَ ، فلا يرَى فى القَدَحِ شيئًا ، فسَجَّيْتُ ثوبًا على وجهى ، وجاء النبىُّ ﷺ فسلَّم تَسْليمًا يُسْمِعُ اليَقْظانَ ولا

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) انظر الاستيعاب ٤/ ١٤٤٦ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣٧٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١/ ١٩١ .

(٤) المسند ٦/ ٤ ، ٥ .

(٥) فى المسند : « صاحب » .

(٦) سقط من : م .

(٧) بعده فى م ، ص : « إلى » .

(٨) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص .

(٩) فى م : « معائى » .

يُوقِظُ النائمَ ، فكشَف عنه فلم يرَ شيئًا ، فرفَع رأسَه إلى السماءِ فقال : « اللهم اسْقِ مَن سقانى ، وأطْعِمْ مَن أطْعَمنى » . فاغْتَنَمْتُ دعوتَه ، وقُمْتُ فأخَذْتُ الشَّفْرةَ ، فدَنَوْتُ إلى الأعْنُزِ فجعَلْتُ أجسُّهن أيَّتُهن أسمنُ لأذبحَها ، فوقَعتْ يدى على ضَرعِ إحداهن ، فإذا هى حافلٌ ، ونظَرْتُ إلى الأخرى فإذا هى حافلٌ ، فنظَرْتُ فإذا هن كلُّهن حُفَّلٌ ، فحلَبْتُ فى الإناءِ فأتَيْتُه به فقلتُ : اشْرَبْ . فقال : « ما الخبرُ يا مِقْدادُ ؟ » فقلتُ : اشْرَبْ ثم الخبرَ . فقال : « بعضُ سوآتِك يا مِقْدادُ » . فشرِب ثم قال : « اشْرَبْ » . فقلتُ : اشْرَبْ يا نبىَّ اللَّهِ . فشرِب حتى تضَلَّعَ ، ثم أخَذْتُه فشرِبْتُه ، ثم أخْبَرْتُه الخبرَ ، فقال النبىُّ ﷺ : [٣/٤٠٨ظ] « هِيهِ » . فقلتُ : كان كذا وكذا . فقال النبىُّ ﷺ : « هذه بَرَكةٌ مُنَزَّلةٌ[1] مِن السماءِ ، أفلا أخبَرْتَنى حتى أَسْقىَ صاحبَيك » فقلتُ : إذا شَرِبْتُ البركةَ أنا وأنت فلا أُبالى مَن أخطأَتْ . وقد رواه الإمامُ أحمدُ أيضًا[2] ، عن أبى النَّضْرِ ، عن سليمانَ بنِ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن المِقْدادِ . فذكَر ما تقدم ، وفيه أنه حلَب فى الإناءِ الذى كانوا لا يَطمَعون[3] أن يَحْلُبوا فيه ، فحلَب حتى علَتْه الرَّغْوةُ ، ولما جاء به قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا شرِبْتُم شَرابَكم الليلةَ يا مِقْدادُ ؟ » فقلتُ : اشْرَبْ يا رسولَ اللَّهِ . فشرِب ثم ناوَلنى ، فقلتُ : اشْرَبْ يا رسولَ اللَّهِ . فشرِب ثم ناوَلنى ، فأخَذْتُ ما بَقِىَ ثم شَرِبْتُ ، فلما عرَفْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد رَوِىَ فأصابَتْنى دعوتُه ، ضحِكْتُ حتى أُلْقِيتُ إلى[4] الأرضِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إحدى سوآتِك يا مِقْدادُ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كان

---

(١) فى المسند : « نزلت » .

(٢) المسند ٦/ ٣.

(٣) فى م : « يطيقون » .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « على » .

مِن أمرى كذا، صنَعْتُ كذا. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما كانت هذه إلا رحمةَ[1] اللَّهِ، ألا كنتَ آذنْتَنى نُوقِظُ صاحبَيْك هذين فيُصيبان منها» قال: قلتُ: والذى بعَثك بالحقِّ ما أُبالى إذا أصبتَها وأصبتُها معك مَن أصابها مِن الناسِ. وقد رواه مسلمٌ والترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ سليمانَ بنِ المغيرةِ به[2].

ومنهم، رضىَ اللَّهُ عنهم، مهاجرٌ مولى أمِّ سَلَمةَ. قال الطبرانىُّ[3]: حدثنا أبو الزِّنْباعِ رَوْحُ بنُ الفرجِ، ثنا يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكيرٍ، حدثنى إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ، سمِعْتُ بُكيرًا يقولُ: سمِعْتُ مُهاجرًا مولى أمِّ سَلَمةَ يقولُ: خدَمْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ سنين، فلم يَقُلْ لى لشىءٍ صنَعْتُه: لِمَ صنَعْتَه؟ ولا لشىءٍ ترَكْتُه: لِمَ ترَكْتَه؟ وفى روايةٍ[4]: خدَمْتُه عشْرَ سنينَ أو خمْسَ سنينَ.

ومنهم، رضىَ اللَّهُ عنهم، أبو السَّمْحِ. قال أبو العباسِ محمدُ بنُ إسحاقَ الثقفىُّ[5]: ثنا مُجاهدُ بنُ موسى، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ، ثنا يحيى بنُ الوليدِ، حدثنى مُحِلُّ بنُ خَليفةَ، حدثنى أبو السَّمْحِ قال: كنتُ أخْدُمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ. قال: كان إذا أراد أن يَغْتَسِلَ قال: «ناوِلْنى إداوَتى». قال: فأُناوِلُه وأَسْتُرُه[6]، فأُتِىَ بحسنٍ أو حُسينٍ فبال على صدرِه، فجئتُ لأغْسِلَه فقال: «يُغْسَلُ مِن بولِ الجاريةِ، ويُرَشُّ مِن بولِ الغلامِ». وهكذا رواه أبو داودَ والنسائىُّ وابنُ ماجه عن مجاهدِ بنِ موسى[7].

---

(١) بعده فى المسند: «من».

(٢) مسلم (٢٠٥٥/١٧٤)، والترمذى (٢٧١٩)، والنسائى فى الكبرى (١٠١٥٥).

(٣) الطبرانى فى الكبير ٢٠/٣٣٠ (٧٨٣)، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٣٢٣.

(٤) ذكرها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٣٢٣، عن ابن بكير.

(٥) المصدر السابق ٤/٣٢٣، من طريق أبى العباس به.

(٦) فى م: «أستتره».

(٧) أبو داود (٣٧٦)، والنسائى (٢٢٤)، وابن ماجه (٥٢٦، ٦١٣). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٢).

ومنهم، رضىَ اللَّهُ عنهم، أفضلُ الصحابةِ على الإطلاقِ أبو بكرٍ الصدِّيقُ، رضىَ اللَّهُ عنه. تولَّى خدمتَه بنفسِه [٣/٤٠٩و] فى سَفْرةِ الهجرةِ، لاسيَّما فى الغارِ وبعدَ خروجِهم منه، حتى وصَلوا إلى المدينةِ كما تقدَّم ذلك مَبْسوطًا، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

فصلٌ

أما كُتَّابُ الوَحْيِ وغيرِه بينَ يدَيْه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، ورضِى عنهم أجْمَعِينَ

فمنهم الخلفاءُ الأربعةُ؛ أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنهم، وسيأتى ترجمةُ كلِّ واحدٍ منهم فى أيامِ خلافتِه، إن شاء اللَّهُ تعالى وبه الثقةُ.

ومنهم، رضِى اللَّهُ عنهم، أبانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أميَّةَ بنِ عبدِ شمسِ (١)**ابنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ الأُمويُّ**. أسْلَم بعدَ أخويْه خالدٍ وعمرٍو، وكان إسلامُه بعدَ الحُدَيْبِيَةِ؛ لأنه (١) هو الذى أجار (٢) عثمانَ حينَ بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ مكةَ يومَ الحديبيةِ، وقيل: (٣)أسلَم قبلَ ذلك زمَنَ (٣) خَيْبرَ؛ لأن له ذِكْرًا فى «الصحيحِ» (٤) مِن حديثِ أبى هريرةَ فى قِسْمةِ غَنائمِ خيبرَ، وكان سببَ إسلامِه أنه اجتمع براهبٍ وهو فى تجارةٍ بالشامِ، فذكَر له أمْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال له الراهبُ: ما اسمُه؟ قال: محمدٌ. قال: فأنا أنْعَتُه لك. فوصَفه بصفتِه سواءً، وقال: إذا رجَعْتَ إلى أهلِك فأقْرِئْه السلامَ. فأسْلَم بعدَ مَرْجِعِه، وهو أخو (٥)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى ص: «أجاز».

(٣ - ٣) زيادة من: ٤١ ليستقيم بها المعنى.

(٤) البخارى (٤٢٣٨).

(٥) كذا فى م. وفى الأصل، ١١١، ٤١، ص: «والد»، وكلاهما خطأ؛ فأبان بن سعيد الصحابى هذا ليس أخًا لعمرو بن سعيد الأشدق، بل هو أخو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الصحابى، وأما =

عمرِو بنِ سعيدٍ الأشْدقِ الذى قتَله عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ .

قال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ : كان أولَ مَن كتَب الوحْىَ بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ أُبَىُّ بنُ كعبٍ ، فإذا لم يَحْضُرْ كتَب زيدُ بنُ ثابتٍ ، وكتَب له عثمانُ وخالدُ ابنُ سعيدٍ وأبانُ بنُ سعيدٍ . هكذا قال ، وكأنه[1] يعنى بالمدينةِ ، وإلَّا فالسُّوَرُ المكيَّةُ لم يكنْ[2] أُبَىُّ بنُ كعبٍ حالَ نزولِها ، وقد كتَبها الصحابةُ بمكةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم . وقد اخْتُلِف فى وفاةِ أبانِ بنِ سعيدٍ هذا ، فقال موسى بنُ عقبةَ ومصعبُ ابنُ الزبيرِ والزبيرُ بنُ بكارٍ وأكثرُ أهلِ النَّسبِ[3] : قُتِل يومَ أجْنادِينَ . يعنى فى جُمادَى الأولى سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ[4] . وقال آخرون[5] : قُتِل يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ سنةَ أربعَ عشْرةَ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[6] : قُتِل هو وأخوه عمرٌو يومَ اليَرْموكِ لخمسٍ مَضَيْن

= عمرو بن سعيد الأشدق فهو عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، تابعى . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٠ - ٨٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥، ٣٦، وفوات الوفيات ٢/ ٣٣٢، والإصابة ٤/ ٦٣٧، ٥/ ٢٩٤.

(١) زيادة من : الأصل ، ١١١.

(٢) يعنى بمكة .

(٣) التاريخ الكبير للبخارى ١/ ٤٥٠، ونسب قريش لمصعب ص ١٧٤، والاستيعاب ١/ ٦٤، وجمهرة أنساب العرب ص ٨٠ - ٨٢، وانظر تاريخ دمشق ٦/ ١٣٣، ١٤٠.

(٤) كذا فى النسخ ، ولم أر من أرَّخ لهذه الوقعة بهذه السنة سوى ما ذكره ابن الأثير فى الأسد فى ترجمة أبان ١/ ٤٧، ولعل المصنف أخذها من هناك ، ولكن أورد ابن الأثير نفسه هذه الوقعة فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة فى تاريخه «الكامل» ٢/ ٤١٧، وكذا الطبرى فى تاريخه وغيره . انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤١٨، حوادث سنة ثلاث عشرة ، وتاريخ الإسلام جزء الخلفاء الراشدين ص ٨٢.

(٥) انظر الاستيعاب ١/ ٦٤.

(٦) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ٦٣، ٦٤، وقال : ولم يتابع عليه . وانظر تاريخ دمشق ٦/ ١٤١.

مِن رجبٍ سنةَ خمسَ عشْرةَ . وقيلَ أنَّه تأخَّر إلى أيامِ عثمانَ ، [1] وأنه أمَره عثمانُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أن يُمِلَّ المصحفَ [1] على زيدِ بنِ ثابتٍ ، ثم تُوُفِّىَ سنةَ تسعٍ وعشرين [2] . فاللَّهُ أعلمُ .

ومنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، أُبَىُّ بنُ كعبِ بنِ قيسِ بنِ عُبَيدٍ الخزْرجىُّ الأنصارىُّ أبو المنذرِ ، ويقالُ : أبو الطُّفَيْلِ . سيِّدُ القُرَّاءِ ، شهِد العقبةَ الثانيةَ وبدرًا وما [٣/ ٤٠٩ظ] بعدَها . وكان رَبعةً نحيفًا ، أبيضَ الرأسِ واللحيةِ ، لا يُغَيِّرُ شَيْبَه . قال أنسٌ [3] : جمَع القرآنَ أربعةٌ - يعنى مِن الأنصارِ - أُبَىُّ بنُ كعبٍ ، ومعاذُ بنُ جبلٍ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، ورجلٌ مِن الأنصارِ يقالُ له : أبو زيدٍ [4] . أخرجاه .

وفى « الصحيحَيْن » [5] عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأُبَىٍّ : « إن اللَّهَ أمَرنى أن أقرأَ عليك القرآنَ » . قال : وسمَّانى لك يا رسولَ اللَّهِ ؟! قال : « نعم » . قال : فذرَفت عيناه . ومعنى « أن أقْرأَ عليك » ؛ قراءةُ إبلاغٍ وإسماعٍ لا قراءةُ تعلُّمٍ منه ، هذا لا يَفْهَمُه أحدٌ مِن أهلِ العلمِ ، وإنما نبَّهْنا على هذا لئلَّا يُعْتَقَدَ خلافُه . وقد ذكَرْنا فى موضعٍ آخرَ سببَ هذه القراءةِ عليه ، وأنه ﷺ قرَأ عليه سورةَ [6] : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ . وذلك أن أُبَىَّ بنَ

(١ - ١) فى م : « وكان يملى المصحف الإمام » .

(٢) انظر لذلك الاستيعاب ١/ ٤٧، ٦٤، والإصابة ١/ ١٨. وقال ابن حجر :... بل الرواية التى أشار إليها ابن عبد البر - آنفة الذكر - رواية شاذة ... والمعروف أن المأمور بذلك سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، وهو ابن أخى أبان بن سعيد . والله أعلم .

(٣) البخارى (٥٠٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

(٤) فى م ، ص : « يزيد » . وهو أحد عمومة أنس بن مالك كما فى إحدى روايات هذا الحديث عند مسلم .

(٥) البخارى (٤٩٥٩ - ٤٩٦١) ، ومسلم (٧٩٩/١٢١) كتاب فضائل الصحابة بألفاظ متقاربة .

(٦) التفسير ٨/ ٤٧٤ - ٤٧٨.

كعبٍ كان قد أنْكَر على رجلٍ قراءةَ سورةٍ على خلافِ ما كان يَقْرَأُ أُبَيٌّ ، فرفَعه أُبَيٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال[1] : « اقْرَأْ يا أُبَيُّ » . فقرَأ ، فقال : « هكذا أُنْزِلَت » . ثم قال لذلك الرجلِ : « اقْرَأْ » . فقرَأ فقال : « هكذا أُنْزِلَت » . قال أُبَيٌّ : فأخَذنى مِن الشكِّ ولا إذ كنتُ فى الجاهليَّةِ[2] . قال : فضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ فى صدرِى ففِضْتُ[3] عرقًا ، وكأنما أنظُرُ إلى اللَّهِ فرَقًا . فبعدَ ذلك تلا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، هذه السورةَ كالتَّثْبيتِ له والبَيانِ له أنَّ هذا القرآنَ حقٌّ وصِدقٌ ، وأنَّه أُنْزِل على أحرفٍ كثيرةٍ ؛ رحمةً ولطفًا بالعبادِ .

وقال ابنُ أبى خَيْثمةَ[4] : هو أولُ مَن كتَب الوحْىَ بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [5]يعنى بالمدينةِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[6] : كان يكتُبُ الوحىَ بين يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ[5] . وقد اخْتُلِف فى وفاتِه ، فقيل[7] : فى سنةِ تسعَ عشْرةَ . وقيلَ : سنةِ عشرين . وقيل : ثلاثٍ وعشرين . وقيل : قبلَ مَقْتلِ عثمانَ بجُمُعةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، أرْقَمُ بنُ أبى الأرقمِ ، واسمُه عبدُ مَنافِ بنُ أسدِ ابنِ جُنْدَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ المخزومىُّ . أسْلَم قديمًا ، وهو الذى

---

(١) مسلم (٨٢٠) .

(٢) أى ؛ وسوس لى الشيطان تكذيبًا للنبوة أشد مما كنت عليه فى الجاهلية . صحيح مسلم بشرح النووى ٦/ ١٠٢.

(٣) فى ١١١، م، ص : « ففضضت » .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٣١ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩٨، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٤، من طريق محمد ابن سعد بنحوه .

(٧) انظر لهذه الأقوال كلها ، الاستيعاب ١/ ٦٩، وتاريخ دمشق ٧/ ٣٤٥ - ٣٤٨.

[٣/ ٤١٠و] كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا فى دارِه عندَ الصفا ، وتُعْرَفُ تلك الدارُ بعدَ ذلك بالخَيْزُرانِ ، وهاجَر وشهِد بدرًا وما بعدَها ، وقد آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ ، وهو الذى كتَب أقطاعَ عُظَيْمِ بنِ الحارثِ المحاربىِّ بأمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بفَخٍّ[(١)] وغيرِه ؛ وذلك فيما رواه الحافظُ ابنُ عساكرَ[(٢)] مِن طريقِ عَتيقِ بنِ يعقوبَ الزُّبَيْرىِّ[(٣)] ، حدثنى عبدُ الملكِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن[(٤)] عمرِو بنِ حزمٍ . وقد تُوُفِّىَ فى سنةِ ثلاثٍ - وقيل : خمسٍ - وخمسين . وله خمسٌ وثمانون[(٥)] سنةً .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ له حديثَيْن ؛ الأولُ : قال أحمدُ والحسنُ بنُ عرفةَ ، واللفظُ لأحمدَ[(٦)] : حدثنا عَبَّادُ بنُ عَبَّادٍ المُهَلَّبىُّ ، عن هشامِ بنِ زيادٍ ، [(٧)]عن عمارِ ابنِ سعدٍ[(٧)] ، عن عثمانَ بنِ أرْقَمَ بنِ أبى الأرْقمِ ، عن أبيه - وكان مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن الذى يتَخَطَّى رِقابَ الناسِ يومَ الجُمُعةِ ، ويُفَرِّقُ بينَ الاثنين بعدَ خروجِ الإمامِ كالجارِّ قُصْبَه فى النارِ » . والثانى : قال أحمدُ[(٨)] : حدثنا عصامُ بنُ خالدٍ ، ثنا العَطَّافُ بنُ خالدٍ ، ثنا يحيى بنُ

---

(١) فى ١١١: « بفج » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٨٥٥.

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٥.

(٣) فى تاريخ دمشق : « التبريزى » . وهو خطأ . والمثبت من النسخ موافق لما فى تاريخ دمشق طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق (جزء السيرة النبوية - القسم الأول) . وانظر الجرح والتعديل ٧/ ٤٦، ولسان الميزان ٤/ ١٢٩.

(٤) سقط من : ١١، م .

(٥) فى الأصل : « ثلاثون » . وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٦.

(٦) الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٤١٧، ومن طريقه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٠٤، قال الذهبى : هشام واه . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٦، من طريق الحسن بن عرفة به .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ وتاريخ دمشق ، ومستدرك الحاكم ، وليست فى المسند . وانظر تعجيل المنفعة ص ٢٨٢.

(٨) هذا الحديث سقط من مطبوعة المسند ، وقد ذكره المصنف فى جامع المسانيد ١/ ١٩٦، وابن حجر فى أطراف المسند ١/ ٢٣٢، من طريقين عن العطاف بن خالد به ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٥، وعزاه لأحمد والطبرانى فى الكبير وقال :... ورجال أحمد فيهم يحيى بن عمران ، جهَّله أبو حاتم .

عِمْرانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ الأرْقمِ ، عن جدِّه الأرقمِ ، أنه جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « أين تريدُ ؟ » قال : أرَدْتُ يا رسولَ اللَّهِ هـٰهنا . وأوْمَأ بيدِه إلى حَيِّزِ بيتِ المقدسِ ، قال : « ما يُخْرِجُك إليه ؟ أتِجَارةٌ ؟ » قال : لا ، ولكن أرَدْتُ الصلاةَ فيه . قال : « الصلاةُ هـٰهنا - وأوْمَأ بيدِه إلى مكةَ - خيرٌ مِن ألفِ صلاةٍ » وأوْمَأ بيدِه إلى الشامِ . تفرَّد بهما أحمدُ .

ومنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ الأنصاريُّ الخزْرجيُّ أبو عبدِ الرحمنِ ، ويقالُ : أبو محمدٍ . المَدَنيُّ خطيبُ الأنْصارِ ، ويقالُ له : خطيبُ النبيِّ ﷺ . قال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أنبأنا عليُّ بنُ محمدٍ المَدائنيُّ بأسانيدِه عن شيوخِه فى وفودِ العربِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قالوا : قدِم عبدُ اللَّهِ ابنُ [2]عَلَسٍ الثُّماليُّ ، ومُسْلِيَةُ بنُ هِرَّانَ[2] الحُذَّانيُّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [3]فى رَهْطٍ مِن قومِهما[3] بعدَ فتحِ مكةَ ، فأسْلَموا وبايَعوا على قومِهم ، وكتَب لهم كتابًا بما فُرِض عليهم مِن الصدقةِ فى أموالِهم ؛ كتَبه ثابتُ بنُ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ ، وشهِد فيه سعدُ بنُ معاذٍ ومحمدُ بنُ مَسْلَمةَ ، رضِى اللَّهُ عنهم . وهذا الرجلُ ممن ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ » [٣/ ٤١٠ظ] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بشَّره بالجنةِ[4] .

وروَى الترمذيُّ فى « جامِعِه »[5] بإسنادٍ على شرطِ مسلمٍ ، عن أبى هريرةَ ،

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٣٥٣.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « عبس الثمالى ومسيلمة بن ضرار » ، وفى م : « عبس اليمانى ومسلمة ابن هاران » . وانظر الإصابة ٦/ ١١٨ ، وتاريخ دمشق طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق (جزء السيرة النبوية - القسم الثانى) ص ٣٣٠.

(٣ - ٣) سقط من : ١١١.

(٤) مسلم (١١٩) .

(٥) الترمذى (٣٧٩٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٨٤) .

أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « نِعْم الرجلُ أبو بكرٍ ، نِعْم الرجلُ عمرُ ، نِعْم الرجلُ أبو عُبَيدةَ بنُ الجراحِ ، نِعْم الرجلُ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ ، نِعْم الرجلُ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، [1] نِعْم الرجلُ معاذُ بنُ جبلٍ [1] ، نِعْم الرجلُ معاذُ بنُ عمرِو بنِ الجَمُوحِ » .

وقد قُتِل ، رضِى اللَّهُ عنه ، شهيدًا يومَ اليَمامةِ سنةَ اثنتَيْ عشْرةَ فى أيامِ أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وله قِصَّةٌ سنُورِدُها ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، إذا انْتَهَيْنا إلى ذلك ، بحولِ اللَّهِ وقوتِه وعونِه ومَعونتِه .

ومنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، حَنْظَلَةُ بنُ الرَّبيعِ بنِ صَيْفِىِّ بنِ رَباحِ بنِ الحارثِ ابنِ مُخاشِنِ بنِ معاويةَ بنِ شُرَيْفِ بنِ جِرْوةَ بنِ أُسَيِّدِ بنِ عمرِو بنِ تميمٍ التميمىُّ الأُسَيِّدِىُّ الكاتبُ . وأخوه رَباحٌ صحابىٌّ أيضًا ، وعمُّه أَكْثَمُ بنُ صَيْفِىٍّ كان حكيمَ العربِ [2] .

قال الواقدىُّ [3] : كتَب للنبىِّ ﷺ كتابًا . وقال غيرُه [4] : بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ الطَّائفِ فى الصُّلْحِ . وشهِد مع خالدٍ حُروبَه بالعراقِ وغيرِها ، وقد أدْرَكَ أيامَ عَلِىٍّ ، وتخَلَّف عن القتالِ معه فى الجَمَلِ وغيرِه ، ثم انتقل عن الكوفةِ لمَّا شُتِمَ بها عثمانُ ، ومات بعدَ أيامِ عَلِىٍّ ، وقد ذكَر ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ » [5] ، أن امرأتَه لما مات جَزِعت عليه فلامها جاراتُها فى ذلك فقالت :

تَعَجَّبَتْ دَعْدٌ لِمَحْزونةٍ ... تَبْكِى على ذى شَيْبةٍ شاحبِ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى .

(٢) انظر لذلك أسد الغابة ١/ ١٣٤، ٢/ ٦٥، ٢٠٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٥.

(٤) أخرج ذلك ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ٣٢٨، عن محمد بن إسحاق .

(٥) أسد الغابة ٢/ ٦٥.

إنْ تَسألِينى اليومَ ما شَفَّنى[1] أُخْبِرْكِ قَوْلًا ليس بالكاذبِ
إنَّ سوادَ العينِ أوْدَى به حُزنٌ على حَنْظلةَ الكاتبِ

قال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ البَرْقِيِّ[2] : كان مُعْتزِلًا للفتنةِ حتى مات بعدَ عَلِيٍّ ، جاء عنه حديثان . قلتُ : بل ثلاثةٌ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا عبدُ الصمدِ وعفانُ ، قالا : ثنا همامٌ ، ثنا قتادةُ ، عن حَنْظلةَ الكاتبِ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن حافظ على الصلواتِ الخمسِ ؛ ركوعِهن وسُجودِهن ووُضوئِهن ومَواقيتِهن ، وعَلِم أنهن حقٌّ مِن عندِ اللَّهِ ، دخَل الجنةَ » . أو قال : « وجَبت له الجنةُ[4] » . تفرد به أحمدُ وهو مُنْقطِعٌ بينَ قتادةَ وحَنْظلةَ . واللَّهُ أعلمُ . والحديثُ الثانى رواه أحمدُ ومسلمٌ والترمذىُّ [٣/ ٤١١و] وابنُ ماجه مِن حديثِ سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن حَنْظلةَ[5] : « لو تَدُومون كما تكونون عندى لصافَحتْكم الملائكةُ فى مجالسِكم ، وفى طُرُقِكم ، وعلى فُرُشِكم ، ولكن ساعةً وساعةً » . وقد رواه أحمدُ والترمذىُّ أيضًا مِن حديثِ عِمرانَ بنِ داودَ القَطَّانِ[6] ، [7]عن قتادةَ[7] ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن حَنْظلةَ . والثالثُ رواه أحمدُ والنسائىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، عن أبى

---

(١) شفه الحزن : أظهر ما عنده من الجزع ، وشفه الهم : هزله وأضمره حتى رق . اللسان (ش ف ف) .
(٢) فى النسخ : « الرقى » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٥/ ٣٢٥، فقد أخرجه ابن عساكر بإسناده عنه ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٧.
(٣) المسند ٤/ ٢٦٧. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ٢٨٩: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .
(٤) سقط من : م .
(٥) المسند ٤/ ٣٤٦، ومسلم (٢٧٥٠) ، والترمذى (٢٥١٤) ، وابن ماجه (٤٢٣٩) .
(٦) فى الأصل ، ١١١: « العطار » .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ١١١.

الزِّنادِ ، عن المُرَقَّعِ بنِ صَيْفيِّ بنِ حَنْظلةَ[1] ، عن جدِّه[2] ، فى النهيِ عن قتلِ النساءِ فى الحربِ . لكن رواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قال : أُخْبِرْتُ عن أبى الزِّنادِ ، عن مُرَقَّعِ بنِ صَيْفيِّ بنِ رَباحِ بنِ رَبيعٍ ، عن جدِّه رَباحِ بنِ ربيعٍ أخى حَنْظلةَ الكاتبِ . فذكَره[3] . وكذلك رواه أحمدُ أيضًا عن حسينِ بنِ محمدٍ وإبراهيمَ بنِ أبى العباسِ ، كلاهما [4]عن ابنِ أبى الزنادِ[4] ، عن أبيه ، وعن سعيدِ بنِ منصورٍ وأبى عامرٍ العَقَدىِّ ، كلاهما عن المغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن مُرَقَّعٍ ، عن جدِّه رباحٍ[5] ، ومِن طريقِ المغيرةِ رواه النسائىُّ وابنُ ماجه كذلك[6] . وروَى أبو داودَ والنسائىُّ مِن حديثِ عمرَ بنِ مُرَقَّعٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه رباحٍ ، فذكَره[7] . فالحديثُ عن رباحٍ لا عن حَنْظلةَ ، ولذا قال أبو بكرِ ابنُ أبى شَيْبةَ[8] : كان سفيانُ الثورىُّ يُخْطئُ فى هذا الحديثِ .

قلتُ : وصحَّ قولُ ابنِ البَرْقىِّ أنه لم يَرْوِ سوى حديثَيْن . واللَّهُ أعلمُ .

ومنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أميَّةَ بنِ عبدِ شمسِ ابنِ عبدِ مَنافٍ ، أبو سعيدٍ الأُمَوىُّ . أَسْلَم قديمًا ، يقالُ : بعدَ الصدِّيقِ بثلاثةٍ[9] أو

---

(١) كذا فى النسخ ، وليس ابن حنظلة ؛ بل هو ابن رباح أخى حنظلة . انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٧٨.

(٢) المسند ٤/ ١٧٨، والنسائى فى الكبرى (٨٦٢٧)، وابن ماجه (٢٨٤٢).

(٣) المسند ٣/ ٤٨٨، ٤/ ٣٤٦.

(٤ - ٤) فى م، ص: «عن المغيرة بن عبد الرحمن».

(٥) المسند ٣/ ٤٨٨، ٤/ ٣٤٦.

(٦) النسائى فى الكبرى (٨٦٢٦)، وابن ماجه عقب حديث حنظلة (٢٨٤٢). حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٩٤).

(٧) أبو داود (٢٦٦٩)، والنسائى فى الكبرى (٨٦٢٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٩٥).

(٨) ذكره ابن ماجه عقب حديث (٢٨٤٢)، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٨٦.

(٩) بعده فى ا ١١١: «أيام». وهو خطأ؛ فليس المقصود عدد الأيام بل المقصود عدد الأشخاص الذين أسلموا قبله وبعد أبى بكر، رضى الله عنهم أجمعين، وانظر أسد الغابة ٢/ ٩٧.

أربعةٍ . وأكثرُ ما قيل خمسةٌ . وذكَروا أن سببَ إسلامِه أنه رأَى فى النومِ كأنَّه واقفٌ على شَفيرِ جَهنَّمَ ، فذكَر مِن سَعَتِها ما اللَّهُ به عليمٌ . قال : وكأنَّ أباه يدْفَعُه فيها ، وكأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ آخِذٌ بيدِه ؛ ليمنعَه مِن الوقوعِ فيها[1] . فقصَّ هذه الرؤيا على أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال له : لقد أُرِيد بك خيرٌ ، هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فاتَّبِعْه تَنْجُ مما خِفْتَه . فجاء رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْلَم ، فلما بلَغ أباه إسلامُه غضِب عليه ، وضرَبه بعصًا فى يدِه حتى كسَرها على رأسِه ، وأخْرَجه مِن منزلِه ، ومَنَعه القُوتَ ، ونهَى بقيَّةَ إخوتِه أن يُكَلِّموه ، فلزِم خالدٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلًا ونهارًا ، ثم أسْلَم أخوه عمرٌو ، فلما هاجر الناسُ إلى أرضِ الحبشةِ هاجرا معهم ، [٣/ ٤١١ظ] ثم كان هو الذى وَلِىَ العقدَ فى تزويجِ أمِّ حَبيبةَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما قدَّمنا ، ثم هاجَرا مِن أرضِ الحبشةِ صُحبةَ جعفرٍ ، فقدِما على رسولِ اللَّهِ ﷺ بخيبرَ وقد افتتحها ، فأسْهَم لهما عن مَشورةِ المسلمين ، وجاء أخوهما أبانُ بنُ سعيدٍ ، فشهِد فتحَ خيبرَ كما قدَّمْنا ، ثم كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يولِّيهم الأعمالَ ، فلما كانت خلافةُ الصديقِ خرَجوا إلى الشامِ للغزوِ ، فقُتِل خالدٌ بأجْنادِينَ ، ويقالُ : بمَرْجِ الصُّفَّرِ . واللَّهُ أعلمُ .

قال عَتيقُ بنُ يعقوبَ[2] : حدثنى عبدُ الملكِ بنُ أبى بكرٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عمرِو بنِ حزمٍ ، يعنى أن خالدَ بنَ سعيدٍ كتَب عن رسولِ اللَّهِ ﷺ كتابًا : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أعْطَى محمدٌ رسولُ اللَّهِ راشدَ بنَ عبدِ ربِّ السُّلَمىَّ[3] أعْطاه غَلْوتين بسهمٍ[4] وغَلْوةً بحَجَرٍ برُهاطٍ[5] ، فمن حاقَّه فلا

---

(١) زيادة من : الأصل ، ١١١ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٩، من طريق عتيق بن يعقوب به .

(٣) فى الأصل ، ٤١، وتاريخ دمشق : « السلامى » . وانظر الإصابة ٢/ ٤٣٤.

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق . والغلوة : مقدار رمية . انظر اللسان والمحيط (غ ل و) .

(٥) رهاط ، بضم أوله وآخره طاء مهملة : موضع على ثلاث ليال من مكة . معجم البلدان ٢/ ٨٧٨.

حقٌّ له ، وحقُّه حقٌّ » . وكتَب خالدُ بنُ سعيدٍ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ عن الواقديِّ[1] : حدثنى جعفرُ بنُ محمدِ بنِ خالدٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفانَ قال : أقام خالدُ بنُ سعيدٍ بعدَ أن قدِم مِن أرضِ الحبشةِ بالمدينةِ ، وكان يكْتُبُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو الذى كتَب كتابَ أهلِ الطائفِ لوفدِ ثَقيفٍ ، وسعَى فى الصلحِ بينَهم وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، خالدُ بنُ الوليدِ [2]بنِ المُغيرةِ[2] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو[3] بنِ مخزومٍ أبو سليمانَ المخزوميُّ . وهو أميرُ الجيوشِ المنصورةِ الإسلاميَّةِ ، والعساكرِ المحمديَّةِ ، والمواقفِ المشهودةِ ، والأيامِ المحمودةِ ، ذو الرأيِ السَّديدِ ، والبأسِ الشديدِ ، والطريقِ الحميدِ ، أبو سليمانَ خالدُ بنُ الوليدِ ، رضى اللَّهُ عنه . ويقالُ : إنه لم يكنْ فى جيشٍ فكُسِر ، لا فى جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ . قال الزبيرُ بنُ بكارٍ[4] : كانت إليه فى قريشٍ القُبَّةُ وأَعِنَّةُ الخيلِ . أسْلَم هو وعمرُو بنُ العاصِ وعثمانُ بنُ طلحةَ بنِ أبى طلحةَ بعدَ الحُدَيبيةِ ، وقيل : خيبرَ . ولم يزَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْعَثُه فيما يَبْعَثُه أميرًا ، ثم كان المُقَدَّمَ على العساكرِ كلِّها فى أيامِ الصدِّيقِ ، رضى اللَّهُ عنه ، فلما وَلِىَ عمرُ بنُ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، عزَله ووَلَّى أبا عُبَيدةَ أمينَ الأمةِ ، على أن لا يَخْرُجَ عن رأيِ أبى سليمانَ ، ثم مات خالدٌ فى أيامِ عمرَ ، وذلك فى سنةِ إحدى وعشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين .

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٦.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الاستيعاب ٢/ ٤٢٧. وانظر أسد الغابة ٢/ ١٠٩، والإصابة ٢/ ٢٥١.

(٣) فى م ، ص : « عمر » ، والمثبت موافق لما فى الإصابة .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٢٥٤ بإسناده عن الزبير بن بكار .

والأولُ أصحُّ ، بقريةٍ على ميلٍ مِن حِمْصَ .

قال الواقديُّ[1] : سألْتُ عنها ، فقيل لى : [٣/٤١٢و] دَثَرَتْ . وقال دُحَيْمٌ[2] : مات بالمدينةِ . والأولُ أصحُّ . وقد روَى أحاديثَ كثيرةً يطولُ ذكرُها .

قال عَتيقُ بنُ يعقوبَ[3] : حدَّثنى عبدُ الملكِ بنُ أبى بكرٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عمرِو بنِ حزمٍ ، أن هذه قَطايعُ أقْطَعها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسم اللَّهِ الرحمنِ الرحيم ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى المؤمنين أنَّ [4]عِضَاهَ وَجٍّ لا يُعْضَدُ ، وصَيْدَه لا يُقْتَلُ[4] ، فمَن وُجِد يَفْعَلُ مِن ذلك شيئًا فإنه يُجْلَدُ وتُنْزَعُ ثيابُه ، وإن تعَدَّى ذلك أحدٌ فإنه يُؤْخَذُ فيُبْلَغُ به النبىَّ ﷺ ، وإن هذا مِن محمدٍ النبىِّ » . وكتَب خالدُ بنُ الوليدِ بأمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلا يتعدَّاه أحدٌ فيَظْلِمَ نفسَه فيما أمَره به محمدٌ ﷺ .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، الزبيرُ بنُ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابنِ قُصَىٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأسَدىُّ . أحدُ العشَرةِ ، وأحدُ الستةِ أصحابِ الشُّورَى الذين تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وحوارىُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وابنُ عمَّتِه صفيَّةَ بنتِ عبدِ المطلبِ ، وزوجُ أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ الصديقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ٣٩٧، عن الواقدى .

(٢) انظر تاريخ أبى زرعة الدمشقى ١/ ٥٩٤.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٠، ٣٣١، من طريق عتيق به .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « صيد وح وصيده لا يعضد صيده ولا يقتل » . وفى ١١١، ص : « صيد وج وصيده لا يعضد صيده ولا يقتل » . وفى ٤١: « صيد وج لا يقتل ولا يعضد شجره » . وفى تاريخ دمشق : « عضاه مرج وصيده لا يعضد صيده لا يقتل » . والمثبت من تاريخ دمشق طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق (السيرة النبوية - القسم الثانى) ص ٣٣٤. ويؤيده ما فى حديث الزبير فى المسند ١/ ١٦٥. ووج : هو الطائف . وقيل : وادٍ بالطائف . والعضاه : كل شجر عظيم له شوك . انظر شرح المسند للشيخ أحمد شاكر ٣/ ١١.

روَى عَتيقُ بنُ يعقوبَ بسندِه المتَقدِّمِ[1] ، أن الزبيرَ بنَ العوامِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، هو الذى كتَب لبنى معاويةَ بنِ جَرْوَلٍ الكتابَ الذى أمَره به رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَكْتُبَه لهم . روَاه ابنُ عَساكرَ بإسنادِه ، عن عَتيقٍ به .

أسْلَم الزبيرُ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، قديمًا وهو ابنُ ستَّ عشْرةَ سنةً ، ويقالُ : ابنُ ثمانِ سنين . وهاجَر الهجرتين ، وشهِد المشاهدَ كلَّها ، وهو أولُ مَن سلَّ سيفًا فى سبيلِ اللَّهِ ، وقد جمَع له رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الخندقِ أبويه[2] ، وقال : « إن لكلِّ نبىٍّ حواريًّا ، وحوارىَّ الزبيرُ »[3] . وقد شهِد اليَرْموكَ ، وكان أفضلَ مَن شهِدها ، واخْتَرق يومَئذٍ صفوفَ الرومِ مِن أولِهم إلى آخرِهم مرتين ، ويَخرُجُ مِن الجانبِ الآخرِ سالمًا ، لكن جُرِح فى قفاه بضربتين ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، وله فضائلُ ومَناقبُ كثيرةٌ ، وكانت وفاتُه يومَ الجَمَلِ ؛ وذلك أنه كرَّ راجعًا عن القتالِ ، فلحِقه عمرُو ابنُ جُرمُوزٍ وفَضالةُ بنُ حابسٍ ورجلٌ ثالثٌ يقالُ له : نُفَيْعٌ[4] . التَّميميُّون ، بمكانٍ يقالُ له : وادى السِّباعِ . فبدَر إليه عمرُو بنُ جُرْمُوزٍ وهو نائمٌ فقتَله ، وذلك فى يومِ الخميسِ لعشْرٍ خَلَون مِن جُمادَى الأولى سنةَ ستٍّ وثلاثين ، وله مِن العمرِ يومَئذٍ سبعٌ وستون سنةً ، وقد خَلَّف ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بعدَه تَرِكةً عظيمةً ، فأَوْصَى مِن ذلك بالثلثِ بعدَ إخراجِ ألْفَى ألفٍ ومائتَىْ ألفِ دَيْنًا [5]كانت عليه[5] ، فلما قُضِىَ دَيْنُه وأُخْرِج ثُلُثُ مالِه ، [٣/ ٤١٢ظ] قُسِم الباقى على ورثتِه ، فنال كلَّ امرأةٍ مِن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣١ ، من طريق عتيق به .

(٢) أى قال له النبىُّ ﷺ : « فداك أبى وأمى » .

(٣) البخارى (٢٨٤٦) ، ومسلم (٢٤١٥) .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « النعر » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥١٦ ، وأسد الغابة ٢/ ٢٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦٠ ، ٦١ ، والإصابة ٢/ ٥٥٧ .

(٥ - ٥) زيادة من : ١١١ ، ٤١ .

نسائِه - وكن أربعًا - ألفُ ألفٍ ومائتا ألفٍ ، فمجموعُ ما ذكَرْناه مما ترَكه ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، تسعةٌ وخمسون ألفَ ألفٍ وثمانُ مائةِ ألفٍ ، وهذا كلُّه مِن وجوهِ حِلٍّ نالها فى حياتِه مما كان يُصيبُه مِن الفَيْءِ والمَغانمِ ، ووجوهِ متاجرِ الحَلالِ ، وذلك كلُّه بعدَ إخراجِ الزكواتِ فى أوقاتِها ، والصِّلاتِ البارعةِ الكثيرةِ لأربابِها فى أوقاتِ حاجاتِها ، رَضِيَ اللَّهُ عنه وأرضاه وجعَل جناتِ الفِرْدوسِ مثواه ، وقد فعَل ؛ فإنه قد شهِد له سيِّدُ الأوَّلين والآخرين ، ورسولُ ربِّ العالمين ، بالجنةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وذكَر ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[1] أنه كان له ألفُ مملوكٍ يُؤَدُّون إليه الخَراجَ ، وأنه كان يتَصَدَّقُ بذلك كلِّه ، وقال فيه حسانُ بنُ ثابتٍ يَمْدَحُه ويُفَضِّلُه بذلك[2] :

أقام على عهدِ النبىِّ وهَدْيِهِ ... حَوَارِيُّه والقولُ بالفعلِ[3] يُعْدَلُ
أقام على مِنْهاجِه وطريقِهِ ... يُوالى ولِىَّ الحقِّ والحقُّ أَعْدَلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذى ... يَصولُ إذا ما كان يومٌ مُحجَّلُ[4]
وإنَّ امرأً كانت صفيَّةُ أمَّهُ ... ومِن أسَدٍ فى بيتِهِ لمُرَفَّلُ[5]
له مِن رسولِ اللَّهِ قُرْبَى قريبةٌ ... ومِن نُصْرةِ الإسلامِ مجدٌ مؤثَّلُ[6]
فكم كربةٍ ذَبَّ الزبيرُ بسيفِهِ ... عن المُصْطَفَى واللَّهُ يُعْطِى ويُجْزِلُ

---

(١) أسد الغابة ٢/ ٢٥١.
(٢) ديوان حسان ص ٢٩٤.
(٣) فى م : « بالفضل » .
(٤) محجل : مشهور .
(٥) فى ا ٤ : « لمحفل » ، وفى م : « لمرسل » . والمرفَّل : المعظَّم .
(٦) فى ا ١١ : « مؤمل » . والمؤثل : المؤصَّل .

إذا كشَفَتْ عن ساقِها الحربُ حشَّها[1] بأبيضَ سبَّاقٍ[2] إلى الموتِ يُرقِلُ[3]

فما مِثلُه فيهم ولا كان قبلَهُ وليس يكونُ الدهرَ ما دامَ يَذْبُلُ[4]

وقد تقدَّم أنه قتَله عمرُو بنُ جُرْمُوزٍ التميميُّ بوادى السِّباعِ وهو نائمٌ، ويقالُ: بل قام مِن آثارِ النومِ وهو دَهِشٌ، فركِب وبارزه ابنُ جُرْمُوزٍ، فلما صمَّم عليه الزبيرُ أنْجَده صاحباه فَضالةُ ونُفيعٌ[5] فقتَلوه، وأخَذ عمرُو بنُ جُرْمُوزٍ رأسَه وسيفَه، فلما دخَل بهما على عليٍّ قال عليٌّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، لَمَّا رأَى سيفَ الزبيرِ: إن هذا السيفَ طالما فرَّج الكُرَبَ عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقال عليٌّ فيما قال: بشِّرْ قاتلَ ابنِ صفيَّةَ بالنارِ. فيقالُ: إن عمرَو بنَ جُرْمُوزٍ لما سمِع ذلك قتَل نفسَه. والصحيحُ أنه [٣/ ٤١٣و] عُمِّر بعدَ عليٍّ حتى كانت أيامُ ابنِ الزبيرِ، فاستناب أخاه مُصْعَبًا على العراقِ، فاختفى عمرُو بنُ جُرْمُوزٍ خوفًا مِن سَطْوتِه أن يقْتُلَه بأبيه، فقال مُصعبٌ: أتبلغوه أنه آمِنٌ، أيَحْسَبُ أنى أقتُلُه بأبى عبدِ اللَّهِ؟ كلا واللَّهِ، ليسا سواءً. وهذا مِن حِلْمِ مُصعبٍ وعلمِه[6] ورياستِه.

وقد روَى الزبيرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ كثيرةً يَطولُ ذكرُها، ولما قُتِل الزبيرُ بنُ العَوَّامِ بوادى السِّباعِ، كما تقدَّم، قالتِ امرأتُه عاتِكَةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرِو ابنِ نُفَيْلٍ تَرْثِيه[7]، رضىَ اللَّهُ عنها وعنه:

---

(١) حش الحرب: أضرم نارَها.

(٢) سقط من: ص. وفى م: «سياف».

(٣) فى النسخ: «يرفل». والمثبت من أسد الغابة والديوان. ويرقل: يسرع.

(٤) يذبل: جبل مشهور الذكر بنجدٍ، فى طريقها. معجم البلدان ٤/ ١٠١٤.

(٥) فى النسخ: «النَّمِر». وانظر صفحة ٣٣٣، حاشية (٥).

(٦) فى م: «عقله»، وفى ص: «عمله».

(٧) انظر هذه الأبيات فى طبقات ابن سعد ٣/ ١١٢، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦٧، وذُكر منها ثلاثة فقط فى تاريخ دمشق ١٨/ ٤٢٦.

غدَر ابنُ جُرْموزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ ... يومَ اللقاءِ وكان غيرَ مُعَرَّدِ[1]

يا عمرُو لو نبَّهْتَه لوجدتَه ... لا طائِشًا رَعِشَ الجَنَانِ ولا اليدِ

كم غَمْرَةٍ[2] قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك[3] يا بنَ فَقْعِ القَرْدَدِ[4]

ثَكِلَتْك أمُّك إن ظَفِرْتَ بمثلِه ... فيمن مضى مِمَّن[5] يروحُ ويغتدِى

واللَّهِ ربِّك إن قتلتَ لَمُسلِمًا ... حَلَّت عليكَ عقوبةُ المُتَعَمِّدِ

ومنهم ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، زيدُ بنُ ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ بنِ زيدِ بنِ لَوْذانَ بنِ عمرِو بنِ عَبْدِ[6] بنِ عوفِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجَّارِ الأنصارىُّ النَّجَّارىُّ ، أبو سعيدٍ . ويقالُ : أبو خارجةَ . ويقالُ : أبو عبدِ الرحمنِ . المدنىُّ ، قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهو ابنُ إحْدَى عشْرةَ سنةً ؛ فلهذا لم يَشْهَدْ بدرًا لصغرِه ، قيل : ولا أُحُدًا . وأولُ مَشاهِدِه الخندقُ ، ثم شَهِد ما بعدَها ، وكان حافظًا لبيبًا عالمًا عاقلًا ، ثبَت عنه فى « صحيحِ البخارىِّ »[7] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَره أن يتعلَّمَ كتابَ يَهودَ ليقرأَه على النبىِّ ﷺ إذا كتَبوا إليه ، فتعَلَّمه فى خمسةَ عشَرَ يومًا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[8] : حدثنا سليمانُ بنُ داودَ ، ثنا عبدُ الرحمنِ ، عن أبى

---

(١) البُهمة : الشجاع ، ويقال للجيش : بهمة . ومنه قولهم : فلانٌ فارسُ بهمةٍ . ومعرّد : هارب مُنهزِم . انظر اللسان (ب هـ م) ، (ع ر د) .

(٢) غمرة : شدَّة .

(٣) فى م : « طِراد » ، وفى ا ٤ : « قتالك » .

(٤) الفقع : ضرب من أردأ الكَمْأَة ، والكمأة : جمع كَمْءٍ وهو نبات يُنقِّص الأرض فيخرج كما يخرج الفُطْر . والقردد : أرض مرتفعة إلى جنب وهدة . انظر النهاية ٣/ ٤٦٥ ، واللسان (ك م أ) .

(٥) فى م : « فيمن » ، وفى ص : « فمن » .

(٦) فى النسخ : « عبيد » . والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٨ . وانظر أسد الغابة ٢/ ٢٧٨ .

(٧) البخارى (٧١٩٥) تعليقًا ، ووصله فى التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٠ ، ٣٨١ مطولًا ، وقوله : فتعلمه فى خمسة عشر يومًا . زيادة من التاريخ عما فى الصحيح .

(٨) المسند ٥/ ١٨٦ .

الزِّنادِ[1] ، عن خارجةَ بنِ زيدٍ ، أن أباه زيدًا أخْبَره أنه لما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ قال زيدٌ : ذُهِب بى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأُعْجِب بى ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا غلامٌ مِن بنى النَّجَّارِ ، معه مما أنزَل اللَّهُ عليك بضْعَ عشْرةَ سورةً . فأَعْجَب ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وقال : « يا زيدُ ، تَعَلَّمْ لى كتابَ يهودَ ؛ فإنى واللَّهِ ما آمَنُ [٣/ ٤١٣ظ] يهودَ على كتابى » . قال زيدٌ : فتعَلَّمْتُ له[2] كتابَهم ، ما مرَّت بى خمسَ عشْرةَ ليلةً حتى حَذَقْتُه ، وكنتُ أقْرَأُ له كتبَهم إذا كتَبوا إليه ، وأُجيبُ عنه إذا كتَب . ثم رواه أحمدُ عن سُرَيْجِ[3] بنِ النعمانِ ، عن ابنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن خارجةَ ، عن أبيه ، فذكَر نحوَه[4] . وقد علَّقه البخاريُّ فى الأحكامِ ، عن خارجةَ بنِ زيدِ بنِ ثابتٍ بصيغةِ الجزمِ ، فقال : وقال : خارجةُ بنُ زيدٍ . فذكَره[5] . ورواه أبو داودَ عن أحمدَ بنِ يونسَ ، والترمذيُّ عن علىِّ بنِ حُجْرٍ ، كلاهما عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزنادِ ، عن أبيه ، عن خارجةَ ، عن أبيه به نحوَه[6] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ . وهذا ذكاءٌ مُفْرِطٌ جدًّا ، وقد كان ممن جمَع القرآنَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن القُرَّاءِ ، كما ثبَت فى « الصحيحين » عن أنسٍ[7] . وروَى أحمدُ والنسائيُّ[8] مِن حديثِ أبى قِلابةَ ، عن أنسٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « أرْحَمُ أمتى بأمتى أبو بكرٍ ، وأشدُّها فى دينِ اللَّهِ عمرُ ،

---

(١) بعده فى المسند : « عن الأعرج » . وهو خطأ . وانظر أطراف المسند ٢/ ٣٨٧.

(٢) ليس فى المسند . وفى م ، ص : « لهم » .

(٣) فى الأصل ، ١١١ ، م : « شريح » . وهو خطأ . وانظر أطراف المسند ٢/ ٣٨٧.

(٤) المسند ٣/ ١٨٦، ١٩١.

(٥) تقدم تخريجه . صفحة ٣٣٦ حاشية ٧ .

(٦) أبو داود (٣٦٤٥) ، والترمذى (٢٧١٥) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٠٩٨) .

(٧) البخارى (٣٨١٠، ٥٠٠٣، ٥٠٠٤) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

(٨) المسند ٣/ ٢٨١، والنسائى فى الكبرى (٨٢٤٢) .

وأصدقُها حياءً عثمانُ ، [1] وأقضاهم عليُّ بنُ أبى طالبٍ [1] ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ ، وأعلمُهم بالفَرائضِ زيدُ بنُ ثابتٍ ، ولكلِ أمةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عُبَيدةَ بنُ الجراحِ » . ومن الحُفَّاظِ مَن يَجْعَلُه مُرْسَلًا إلا ما يتعَلَّقُ بأبى عبيدةَ ففى [2] « صحيحِ البخاريِّ » مِن هذا الوجهِ .

وقد كتَب الوحىَ بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غيرِ ما موطنٍ ، ومِن أوْضَحِ ذلك ما ثبَت فى « الصحيحِ » عنه [3] أنه قال : لما نزَل قولُه تعالى [4] : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [النساء : ٩٥] . دعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « اكْتُبْ : لا يَسْتَوى القاعِدُونَ مِن المؤمنين والمُجاهِدُون فى سبيلِ اللَّهِ » . فجاء ابنُ أمِّ مَكْتومٍ فجعَل يَشْكو ضَرارتَه ، فنزَل الوحىُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فثَقُلَت فخِذُه على فخِذى حتى كادت تَرُضُّها [5] ، فنزَل : ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ . فأمَرنى فألْحَقْتُها ، فقال زيدٌ : فإنى لأَعْرِفُ موضعَ مُلْحَقِها عندَ صَدْعٍ فى ذلك اللوحِ . يعنى مِن عظامٍ . الحديثَ .

وقد شهِد زيدٌ اليَمامةَ وأصابه سهمٌ فلم يضُرَّه ، وهو الذى أمَره الصدِّيقُ بعدَ هذا بأن يَتَتَبَّعَ القرآنَ فيَجْمَعَه ، وقال له : إنك شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهِمُك ، وقد كنتَ تَكْتُبُ الوحىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتتَبَّعِ القرآنَ فاجْمَعْه . ففعَل ما أمَره به الصدِّيقُ ، فكان فى ذلك خيرٌ كثيرٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . [٣/ ٤١٤و] وقد استَنابه عمرُ مرَّتين

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى مصدرى التخريج .

(٢) أى ما يتعلق بأبى عبيدة فقط فى حديث أحمد والنسائى ، أخرج له البخارى موصولًا من حديث أبى قلابة ، البخارى (٣٧٤٤، ٤٣٨٢، ٧٢٥٥) .

(٣) سقط من : الأصل . والحديث عند البخارى (٢٨٣٢، ٤٥٩٢) بنحوه .

(٤) التفسير ٢/٣٣٩ - ٣٤٢.

(٥) ترضها : تكسرها .

فى حَجَّتين على المدينةِ، واستنابه لما خرَج إلى الشامِ، وكذلك كان عثمانُ يَسْتَنِيبُه على المدينةِ أيضًا، وكان عليٌّ يُحِبُّه، وكان يُعَظِّمُ عليًّا ويَعْرِفُ له قَدْرَه، ولم يَشْهَدْ معه شيئًا مِن حُروبِه، وتأخَّر بعدَه حتى تُوُفِّىَ سنةَ خمسٍ وأربعين، وقيل: سنةَ إحدى - وقيل: خمسٍ - وخمسين. وهو ممن كان يَكْتُبُ المَصاحفَ الأئمةَ التى نفَذ بها عثمانُ بنُ عفانَ إلى سائرِ الآفاقِ، اللائى وقَع على التلاوةِ طِبقَ رَسمِهن الإجماعُ والاتفاقُ، كما قرَّرْنا ذلك فى كتابِ فضائلِ القرآنِ الذى كتَبْناه مقدمةً فى أولِ كتابِنا «التفسيرِ». وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

ومنهم، رضىَ اللَّهُ عنهم، السِّجِلُّ. كما ورَد به الحديثُ المرويُّ فى ذلك، عن ابنِ عباسٍ - إن صحَّ - وفيه نظرٌ. قال أبو داودَ[1]: حدَّثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، ثنا نوحُ بنُ قيسٍ، عن يزيدَ بنِ كعبٍ، عن عمرِو بنِ مالكٍ، عن أبى الجَوْزاءِ، عن ابنِ عباسٍ، رضىَ اللَّهُ عنه، قال: السِّجِلُّ كاتبٌ للنبىِّ ﷺ. وهكذا رواه النسائىُّ عن قتيبةَ به[2]. و[3] عن ابنِ عباسٍ[4] أنه كان يقولُ فى هذه الآيةِ[4] (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ[5]) [الأنبياء: ١٠٤]، قال: السِّجِلُّ: الرَّجلُ. هذا لفظُه. وكذا رواه أبو جعفرِ بنُ جريرٍ فى «تفسيرِه»[6] عندَ قولِه تعالى: (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ). عن نَصْرِ بنِ علىٍّ، عن

---

(١) أبو داود (٢٩٣٥). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٣٠).

(٢) السنن الكبرى (١١٣٣٥).

(٣) زيادة لازمة سقطت من النسخ. والحديث فى سنن النسائى الكبرى (١١٣٣٦).

(٤) التفسير ٥/٣٧٧ - ٣٧٩.

(٥) قرأ حمزة والكسائى وحفص «للكتب»، وقرأ الباقون «للكتاب». انظر حجة القراءات ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٦) تفسير الطبرى ١٧/ ١٠٠.

نوحِ بنِ قيسٍ ، وهو ثقةٌ مِن رجالِ مسلمٍ ، وقد ضعَّفَه ابنُ مَعينٍ فى روايةٍ عنه[1] .
وأما شيخُه يزيدُ بنُ كعبٍ العَوْذِىُّ[2] البصرىُّ فلم يَرْوِ عنه سوى نوحِ بنِ قيسٍ ، وقد ذكَره مع ذلك ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ[3] » . وقد عرَضْتُ هذا الحديثَ على شيخِنا الحافظِ الكبيرِ أبى الحجاجِ المِزِّىِّ فأنْكَره جدًّا ، وأخْبَرْتُه أن شيخَنا العلامةَ أبا العباسِ ابنَ تَيْميَّةَ كان يقولُ : هو حديثٌ مَوْضوعٌ ، وإن كان فى « سننِ أبى داودَ » . فقال شيخُنا المِزِّىُّ : وأنا أقولُه .

قلتُ : وقد رَواه الحافظُ ابنُ عَدِىٍّ فى « كاملِه »[4] مِن حديثِ محمدِ بنِ سليمانَ الملقَّبِ بيُومةَ ، عن يحيى بنِ عمرِو بنِ[5] مالكٍ النُّكْرىِّ ، عن أبيه ، عن أبى الجَوْزاءِ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضىَ اللَّهُ عنهما ، قال : كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ كاتبٌ يقالُ له : السِّجِلُّ . وهو قولُه تعالى : (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ) . قال : كما يَطوِى السِّجِلُّ الكتابَ كذلك نَطْوِى[6] السماءَ . وهكذا رواه البيهقىُّ ، عن أبى نصرِ بنِ قتادةَ ، عن أبى علىٍّ الرَّفَّاءِ ، [٣/ ٤١٤ظ] عن علىِّ ابنِ عبدِ العزيزِ ، عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، عن يحيى بنِ عمرِو بنِ مالكٍ به[7] .
ويحيى هذا ضعيفٌ جدًّا فلا يَصْلُحُ للمُتابعةِ[8] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٥٥.
(٢) فى م : « العوفى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٣٠.
(٣) الثقات ٩/ ٢٧١.
(٤) الكامل ٧/ ٢٦٦٢.
(٥) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٧٧.
(٦) فى م ، ص : « تطوى » .
(٧) السنن الكبرى ١٠/ ١٢٦.
(٨) انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٣١/ ٤٧٧.

وأغْرَبُ مِن ذلك أيضًا ما رواه الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ[1] وابنُ مَنْدَه[2] مِن حديثِ أحمدَ بنِ سعيدٍ البغداديِّ المعروفِ بحمدانَ، عن [3]ابنِ نُمَيْرٍ[3]، عن عُبَيدِ اللَّهِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: كان للنبيِّ ﷺ كاتبٌ يقالُ له: سِجِلٌّ. فأنْزَل اللَّهُ: (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ). قال ابنُ مَنْدَه: غريبٌ، [4]تفرد به حمدانُ[4]. وقال البُرْقانيُّ: قال أبو الفَتْحِ الأزديُّ: تفرد به ابنُ نُمَيْرٍ، إن صحَّ[5].

قلتُ: وهذا أيضًا منكَرٌ عن ابنِ عمرَ كما هو مُنْكَرٌ عن ابنِ عباسٍ، وقد ورَد عن ابنِ عباسٍ وابنِ عمرَ خلافُ ذلك، فقد روَى الوالبيُّ والعَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، أنه قال فى هذه الآيةِ[6]: قال: كطيِّ الصحيفةِ على الكتابِ. وكذلك قال مجاهدٌ[6]. وقال ابنُ جريرٍ[7]: هذا هو المعروفُ فى اللغةِ أن السِّجِلَّ هو الصحيفةُ. قال: ولا يُعْرَفُ فى الصحابةِ أحدٌ اسمُه السِّجِلُّ. وأنْكَرَ أن يكونَ السِّجِلُّ اسمَ ملَكٍ مِن الملائكةِ، كما رواه[8] عن أبى كُرَيْبٍ، عن ابنِ يَمانٍ، ثنا أبو الوفاءِ الأشْجَعيُّ، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ فى قولِه: (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ). قال: السِّجِلُّ ملَكٌ، فإذا صعِد بالاستغفارِ قال اللَّهُ:

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٧٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٢، من طريق ابن منده به.

(٣ - ٣) سقط من: ا ٤١. وفى الأصل، م: «بهز»، وفى ا ١١١، ص: «ابن بهز». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر ترجمة عبد اللَّه بن نمير هذا، فى تهذيب الكمال ١٦/ ٢٢٥.

(٤ - ٤) سقط من: تاريخ دمشق. وقد أثبته محققو تاريخ دمشق طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق (السيرة النبوية - القسم الثانى) ص ٣٢٦.

(٥) انظر قول البرقانى فى تاريخ بغداد ٨/ ١٧٥، فهو فى الإسناد الذى حدث عنه الخطيب هناك.

(٦) أخرجه الطبرى فى التفسير ١٧/ ١٠٠.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق ١٧/ ٩٩.

اكْتُبْها نورًا . وحدَّثنا بُندارٌ[1] ، عن مُؤَمَّلٍ ، عن سفيانَ : سمِعْتُ السُّدِّيَّ يقولُ . فذكَر مثلَه .

وهكذا قال أبو جعفرٍ الباقرُ فيما رواه أبو كُرَيْبٍ[2] ، عن ابنِ[3] المباركِ ، عن معروفِ بنِ خرَّبوذَ ، عمَّن سمِع أبا جعفرٍ يقولُ : السِّجِلُّ الملَكُ . وهذا الذى أنْكَره ابنُ جريرٍ مِن كونِ السِّجِلِّ اسمَ صحابيٍّ أو ملَكٍ ، قويٌّ جدًّا ، والحديثُ فى ذلك منكرٌ جدًّا . ومَن ذكَره فى أسماءِ الصحابةِ كابنِ مَنْدَه وأبى نُعيمٍ الأصْبهانيِّ وابنِ الأثيرِ فى « الغابةِ »[4] ، إنما ذكَره إحسانًا للظنِّ بهذا الحديثِ ، أو تعليقًا على صحَّتِه . واللَّهُ أعلمُ .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، سعدُ بنُ أبى سَرْحٍ . فيما قاله خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[5] ، وقد وَهِم ، إنما هو ابنُه عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ ، كما سيأتى قريبًا إن شاء اللَّهُ .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، عامرُ بنُ فُهَيْرةَ ، مولى أبى بكرٍ الصديقِ . قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ قال : قال الزُّهْرىُّ : أخبرنى عبدُ الرحمنِ[7] بنُ مالكٍ المُدْلِجِىُّ - وهو ابنُ أخى سُراقةَ بنِ مالكٍ - أن أباه أخْبَره أنه سمِع سُراقةَ يقولُ ، فذكَر خبرَ هجرةِ النبىِّ ﷺ . [٣/ ٤١٥و] وقال فيه : فقلتُ

---

(١) أخرجه الطبرى فى التفسير ١٧/ ١٠٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٣، من طريق أبى كريب به .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٥، ٢٦/ ٢٤٣.

(٤) أسد الغابة ٢/ ٣٢٦.

(٥) تاريخ خليفة ١/ ٧٧. وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٣.

(٦) المسند ٤/ ١٧٥، ١٧٦.

(٧) فى النسخ : « عبد الملك » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ٤٢٩.

له : إن قومَك جعَلوا فيك الدِّيَةَ . وأخْبَرْتُهم مِن أخبارِ سفرِهم وما يريدُ الناسُ بهم ، وعرَضْتُ عليهم الزادَ والمتاعَ ، فلم يَرْزَءُونى منه شيئًا ، ولم يَسألونى إلا أن أَخْفِ عنا ، فسألْتُه أن يَكْتُبَ لى كتابَ مُوادعةٍ آمَنُ به ، فأمَر عامرَ بنَ فُهَيْرةَ ، فكتَب فى رُقْعةٍ مِن أَدِيمٍ[1] ، ثم مضَى .

قلتُ : وقد تقدم الحديثُ بتمامِه فى الهجرةِ . وقد رُوِىَ أن أبا بكرٍ هو الذى كتَب لسُراقةَ هذا الكتابَ[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد كان عامرُ بنُ فُهَيْرةَ - ويُكَنَّى أبا عمرٍو - مِن مُوَلَّدى الأزدِ ، أسودَ اللونِ ، وكان أولًا مولًى للطُّفَيْلِ بنِ الحارثِ أخى عائشةَ لأمِّها أمِّ رُومانَ ، فأسْلَم قديمًا قبلَ أن يدْخُلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دارَ الأرقمِ بنِ أبى الأرْقمِ - التى عندَ الصَّفا - مستخفيًا ، فكان عامرٌ يُعَذَّبُ مع جملةِ المستضعفين بمكةَ ليرْجِعَ عن دينِه فيأبَى[3] ، فاشتراه أبو بكرٍ الصديقُ فأعْتَقه ، فكان يَرْعَى له غنمًا بظاهرِ مكةَ ، ولما هاجر رسولُ اللَّهِ ﷺ ومعه أبو بكرٍ ، كان معهما رَديفًا لأبى بكرٍ ، ومعهم الدليلُ الدُّئِلِىُّ فقط ، كما تقدم مَبْسوطًا ، ولما ورَدوا المدينةَ نزَل عامرُ بنُ فُهَيْرةَ على سعدِ ابنِ خَيْثمةَ ، وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ أوسِ بنِ مُعاذٍ ، وشهِد بدرًا وأحدًا ، وقُتِل يومَ بئرِ مَعونةَ ، كما تقدم ، وذلك سنةَ أربعٍ مِن الهجرةِ ، وكان عمرُه إذ ذاك أربعين سنةً . فاللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَر عروةُ وابنُ إسحاقَ والواقدىُّ وغيرُ واحدٍ[4] ، أن عامرًا قتَله يومَ بئرِ مَعونةَ رجلٌ يقالُ له : جَبَّارُ بنُ سُلْمَى مِن بنى كِلابٍ . فلما

---

(١) فى ١١١، ٤١، م، ص : «أدم» .

(٢) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٢.

(٣) سقط من : ص .

(٤) تقدم تخريج ذلك فى ٥/٥٢٧ - ٥٢٩.

طعَنَه بالرُّمحِ قال : فزتُ وربِّ الكعبةِ . ورُفِع عامرٌ حتى غاب عن الأبصارِ حتى قال عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ : لقد رُفِع حتى رأيْتُ السماءَ دونَه . وسأل[1] عمرَو بنَ أميةَ عنه فقال : كان مِن أفضلِنا ومِن أولِ [2]أهلِ بيتِ[2] نبيِّنا ﷺ . قال جبارٌ : فسأَلْتُ الضحاكَ بنَ سفيانَ عما قال ، ما يعنى به ؟ فقال : يعنى الجنةَ . ودعانى الضحاكُ إلى الإسلامِ فأسْلَمْتُ ؛ لِما رأيْتُ مِن قتلِ عامرِ بنِ فُهَيْرةَ ، فكتَب الضحاكُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُه بإسلامى وما كان مِن أمرِ عامرٍ ، فقال : « وارثُه الملائكةُ وأُنْزِل عِلِّيِّينَ » . وفى « الصحيحَيْن »[3] عن أنسٍ [٣/ ٤١٥ظ] أنه قال : قرَأْنا فيهم قرآنًا أن : (بلِّغوا عنا قومَنا ، أنا لقِينا ربَّنا ، فرضِىَ عنا وأرضانا) . وقد تقدم ذلك بتمامِه[4] فى موضعِه عندَ غزوةِ بئرِ مَعونةَ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : حدثنى هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، أن عامرَ بنَ الطُّفَيْلِ كان يقولُ : مَن رجلٌ منكم لما قُتِل رأيْتُه رُفِع بينَ السماءِ والأرضِ حتى رأيْتُ السماءَ دونَه ؟ قالوا : عامرُ بنُ فُهَيْرةَ .

وقال الواقدىُّ[6] : حدثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن الزُّهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالتْ : رُفِع عامرُ بنُ فُهَيْرةَ إلى السماءِ فلم توجدْ جُثَّتُه ، يرَوْن أن الملائكةَ وارثُه .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، عبدُ اللَّهِ بنُ أرْقَمَ بنِ أبى الأرْقَمِ المخزومىُّ . أسْلَم

---

(١) فى م : « سئل » .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى مغازى الواقدى وتاريخ دمشق : « أصحاب » .

(٣) البخارى (٤٠٩٠) ، ومسلم (٦٧٧/٢٩٧) .

(٤) فى م ، ص : « وبيانه » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٦ .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٢٣١ عن الواقدى به .

عامَ الفتحِ ، وكتَب للنبيِّ ﷺ . قال الإمامُ مالكٌ[1] : وكان يُنْفِذُ ما يَفْعَلُه ويشْكُرُه ويستجيدُه . وقال سَلَمةُ[2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسارٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استَكْتَب عبدَ اللَّهِ بنَ الأرقمِ بنِ عبدِ يَغوثَ ، وكان يُجيبُ عنه الملوكَ ، وبلَغ مِن أمانتِه أنه كان يأمُرُه أن يَكْتُبَ إلى بعضِ الملوكِ فيَكْتُبَ ، ويَخْتِمُ على ما يقْرَؤُه ؛ لأمانتِه عندَه ، وكتَب لأبى بكرٍ ، وجعَل إليه بيتَ المالِ ، وأقَرَّه عليهما عمرُ بنُ الخطابِ ، فلما كان عثمانُ عزَله عنهما . قلتُ : وذلك بعدَ ما استعفاه عبدُ اللَّهِ بنُ أرْقَمَ ، ويقالُ[3] : إن عثمانَ عرَض عليه ثلاثَمائةِ ألفِ درهمٍ عن أجرةِ عِمالتِه ، فأبَى أن يَقْبَلَها وقال : إنما عمِلْتُ للَّهِ ، فأَجْرِى على اللَّهِ ، عز وجل .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكتَب لرسولِ اللَّهِ ﷺ زيدُ بنُ ثابتٍ ، فإذا لم يَحْضُرِ ابنُ الأرْقمِ وزيدُ بنُ ثابتٍ كتَب مَن حضَر مِن الناسِ ، وقد كتَب عمرُ وعلىٌّ وزيدٌ والمغيرةُ بنُ شعبةَ ومعاويةُ وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وغيرُهم ممن سُمِّىَ مِن العربِ . وقال الأعمشُ[5] : قلتُ لشَقيقِ بنِ سَلَمَةَ : مَن كان كاتبَ النبيِّ ﷺ ؟ قال : عبدُ اللَّهِ بنُ الأرْقمِ ، وقد جاءنا كتابُ عمرَ بالقادسيةِ وفى أسفلِه : وكتَب عبدُ اللَّهِ بنُ الأرقمِ .

وقال البيهقىُّ[6] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا محمدُ بنُ صالحِ بنِ هانئٍ ،

---

(١) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ٨٦٥، ٨٦٦ ، عن الإمام مالك مثله .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٦، من طريق سلمة به .
(٣) انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٠٢.
(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٦.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٧، من طريق الأعمش به .
(٦) السنن الكبرى ١٠/ ١٢٦.

حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ البيهقيُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى سَلَمةَ الماجشونَ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أبى عَوْنٍ ، عن القاسمِ [٣/٤١٦و] بنِ محمدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : أتَى النبىَّ ﷺ كتابُ رجلٍ ، فقال لعبدِ اللَّهِ ابنِ الأرْقمِ : « أجِبْ عنِّى » . فكتَب جوابَه ، ثم قرَأه عليه ، فقال : « أصَبْتَ وأحْسَنْتَ ، اللهم وَفِّقْه » . قال : فلما وَلِى عمرُ كان يُشاوِرُه . وقد رُوِى عن عمرَ ابنِ الخطَّابِ أنه قال[1] : ما رأيْتُ أخْشَى للَّهِ منه . يعنى فى العُمّالِ . أُضِرَّ رضى اللَّهُ عنه قبلَ وفاتِه .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ رَبِّه الأنصاريُّ الخزرجيُّ . صاحبُ الأذانِ ، أسْلَم قديمًا ، فشهِد عَقَبةَ السبعين ، وحضَر بدرًا وما بعدَها ، ومِن أكبرِ مَناقبِه رؤيتُه الأذانَ والإقامةَ فى النومِ ، وعَرْضُه ذلك على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتقريرُه عليه ، وقولُه له : « إنها لَرؤيا حقٌّ فألْقِه على بلالٍ ؛ فإنه أنْدَى صوتًا منك » . وقد قدَّمْنا الحديثَ بذلك فى موضعِه . وقد روَى الواقدىُّ[2] بأسانيدِه ، عن ابنِ عباسٍ أنه كتَب كتابًا لمن أسْلَم مِن جُرَشَ[3] ، فيه الأمرُ لهم بإقامةِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وإعطاءِ خُمُسِ المغنمِ . وقد تُوُفِّىَ رضى اللَّهُ عنه ، سنةَ اثنتين وثلاثين ، عن أربعٍ وستين سنةً ، وصلَّى عليه عثمانُ بنُ عفانَ ، رضى اللَّهُ عنه .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ القرشىُّ

---

(١) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/٨٦٦ ، عن مالك به ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٨٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٨، ٣٣٩، من طريق الواقدى بنحوه .

(٣) فى تاريخ دمشق : « حرش » . والمثبت موافق لإحدى نسخ تاريخ دمشق . وجرش : من مخاليف - أقاليم - اليمن من جهة مكة . معجم البلدان ٢/ ٥٩.

العامريُّ . أخو عثمانَ [1] بنِ عفانَ [1] مِن الرَّضاعةِ ؛ [2] أَرْضَعَت أُمُّه [2] عثمانَ ، وكتَب الوحيَ ، ثم ارْتَدَّ عن الإسلامِ ولحِق بالمشركين بمكةَ ، فلما فتَحها رسولُ اللَّهِ ﷺ - وكان قد أَهْدَر دمَه فيمَن أَهْدَر مِن الدماءِ - فجاء إلى عثمانَ بنِ عفانَ ، فاسْتَأْمن له ، فأمَّنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما قدَّمْنا فى غزوةِ الفتحِ ، ثم حسُن إسلامُ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدٍ جدًّا بعدَ ذلك .

قال أبو داودَ [3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدٍ المَرْوَزِيُّ ، ثنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن أبيه ، عن يزيدَ النَّحْوِيِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ يَكْتُبُ للنبيِّ ﷺ ، فأزلَّه الشيطانُ فلحِق بالكفارِ ، فأمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُقْتَلَ ، فاستجار له عثمانُ بنُ عفانَ ، فأجاره رسولُ اللَّهِ ﷺ . ورواه النسائيُّ مِن حديثِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ واقدٍ به [4] .

قلتُ : وكان على مَيْمنةِ عمرِو بنِ العاصِ حينَ افْتَتَح عمرٌو مصرَ سنةَ عشرين فى الدولةِ العُمَرِيَّةِ ، فاستناب عمرُ بنُ الخطابِ عَمْرًا عليها ، فلما صارت الخلافةُ [٣/ ٤١٦ظ] إلى عثمانَ عزَل عنها عمرَو بنَ العاصِ وولَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ سعدٍ سنةَ خمسٍ وعشرين ، وأمَره بغزوِ بلادِ إفْرِيقِيَّةَ فغزاها ، ففتَحها وحصَل للجيشِ منها مالٌ عظيمٌ ، كان قَسْمُ الغَنيمةِ لكلِّ فارسٍ مِن الجيشِ ثلاثةَ آلافِ مِثْقالٍ مِن ذهبٍ ، وللراجلِ ألفَ مِثْقالٍ ، وكان معه فى جيشِه هذا ثلاثةٌ مِن العَبادلةِ ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، ثم غزا عبدُ اللَّهِ بنُ سعدٍ بعدَ إفْرِيقِيَّةَ الأساوِدَ مِن أرضِ النوبةِ ، فهادَنهم ، فهى إلى اليومِ ،

(١ - ١) فى م ، ص : « لأمه » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « أرضعته أم » . وهو خطأ . وانظر الاستيعاب ٣/ ٩١٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٥٩.

(٣) أبو داود (٤٣٥٨) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦٦٣) .

(٤) النسائى (٤٠٨٠) . صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائى ٣٧٩٣) .

وذلك سنةَ إحدى وثلاثين، ثم غزا غزوةَ الصَّوارِى فى البحرِ إلى الرومِ، وهى غزوةٌ عظيمةٌ، كما سيأتى بيانُها فى موضعِها، إن شاء اللَّهُ تعالى، فلما اختَلَف الناسُ على عثمانَ خرَج مِن مصرَ، واستناب عليها لِيَذْهَبَ إلى عثمانَ لِيَنْصُرَه، فلما قُتِل عثمانُ أقام بعَسْقلانَ، وقيل: بالرَّمْلةِ. ودَعا اللَّهَ أن يَقْبِضَه فى الصلاةِ، فصلَّى يومًا الفجرَ، وقرَأ فى الأولى منها «بفاتحةِ الكتابِ» و«العادياتِ»، وفى الثانيةِ «بفاتحةِ الكتابِ» وسورةٍ، ولما فرَغ مِن التشهُّدِ سلَّم التسليمةَ الأولى، ثم أراد أن يُسَلِّمَ الثانيةَ فمات بينَهما، رضى اللَّهُ عنه، وذلك فى سنةِ ستٍّ وثلاثين. وقيل: سنةَ سبعٍ. وقيل: إنه تأخَّر إلى سنةِ تسعٍ وخمسين. والصحيحُ الأولُ. قلتُ: ولم يقَعْ له روايةٌ فى الكتبِ الستةِ ولا فى «المسندِ» للإمامِ أحمدَ.

ومنهم، رضى اللَّهُ عنهم، عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ، أبو بكرٍ الصديقُ. وقد تقدم الوعدُ بأن ترجمتَه ستأتى فى أيامِ خلافتِه إن شاء اللَّهُ، عز وجل، وبه الثقةُ، وقد جَمَعْتُ مجلدًا فى سيرتِه، وما رواه مِن الأحاديثِ، وما رُوِى عنه مِن الآثارِ.

والدليلُ على كتابتِه ما ذكَره موسى بنُ عقبةَ[1]، عن الزهرىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، عن أبيه، عن سُراقةَ بنِ مالكٍ فى حديثِه حينَ اتَّبَع رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ خرَج هو وأبو بكرٍ مِن الغارِ فمرُّوا على أرضِهم، فلما غشِيَهم - وكان مِن أمرِ فرسِه ما كان - سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يكْتُبَ له كتابَ أمانٍ، فأمَر أبا بكرٍ فكتَب له كتابًا، ثم ألقاه إليه.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ مِن طريقِ الزهرىِّ بهذا السندِ[2]، أن عامرَ بنَ فُهَيْرةَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٤، ٣٣٥، من طريق موسى بن عقبة بنحوه مطولا.
(٢) المسند ٤/ ١٧٥، مطولا.

كتَبه . فيحْتَمِلُ أن أبا بكرٍ كتَب بعضَه ، ثم أمَر [٣/٤١٧و] مولاه عامرًا فكتَب باقيَه . واللَّهُ أعلمُ .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، عثمانُ بنُ عفانَ أميرُ المؤمنين . وستأتى ترجمتُه فى أيامِ خلافتِه . وكتابتُه بينَ يديه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مشهورةٌ .

وقد روَى الواقدىُّ بأسانيدِه[1] أن نَهْشَلَ بنَ مالكٍ الوائلىَّ لما قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ فكتَب له كتابًا فيه شرائعُ الإسلامِ .

ومنهم ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، علىُّ بنُ أبى طالبٍ أميرُ المؤمنين . وستأتى ترجمتُه فى خلافتِه ، وقد تقدَّم[2] أنه كتَب الصلحَ بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ قريشٍ يومَ الحدَيبيَةِ ؛ أن يَأْمَنَ الناسُ ، وأنه لا إسلالَ[3] ولا إغلالَ ، وعلى وضعِ الحربِ عشْرَ سنين ، وقد كتَب غيرَ ذلك مِن الكتبِ بينَ يديه ﷺ ، وأما ما يدَّعيه طائفةٌ مِن يهودِ خيبرَ أن بأيديهم كتابًا مِن النبىِّ ﷺ بوَضْعِ الجزيةِ عنهم ، وفى آخرِه : وكتَب علىُّ بنُ أبى طالبٍ . وفيه شَهادةُ جماعةٍ مِن الصحابةِ ، منهم سعدُ ابنُ مُعاذٍ ومُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ ، فهو كذِبٌ مفتَعَلٌ[4] ، وبُهْتانٌ مُخْتَلَقٌ موضوعٌ مَصْنوعٌ ، وقد بيَّن جماعةٌ مِن العلماءِ بُطْلانَه ، واغْتَرَّ به بعضُ الفقهاءِ المتقدِّمين فقالوا بوضعِ الجزيةِ عنهم ، وهذا ضعيفٌ جدًّا ، وقد جَمَعْتُ فى ذلك جزءًا مُفْرَدًا بيَّنْتُ فيه بُطْلانَه ، وأنه موضوعٌ ، اخْتَلَقوه ووضَعوه[5] ، وهم أهلٌ لذلك ، وبيَّنْتُه

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١/٣٠٧.

(٢) تقدم فى ٦/٢١٦ - ٢١٩.

(٣) الإسلال : السرقة . انظر الوسيط (س ل ل) .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى ١١١ : « واضعوه » ، وفى م : « صنعوه » ، وفى ص : « صنفوه » .

وجمَعْتُ مُتفرِّقَ[1] كلامِ الأئمةِ فيه ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ[2] .

ومنهم ، رضِى اللَّهُ عنهم ، عمرُ بنُ الخطابِ أميرُ المؤمنين ، وستأتى ترجمتُه فى موضعِها ، وقد أفْرَدْتُ له مجلدًا على حدةٍ ، ومجلدًا ضخمًا فى الأحاديثِ التى رواها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والآثارِ والأحكامِ المرويَّةِ عنه ، رضى اللَّهُ عنه ، وقد تقدم بيانُ كتابتِه فى ترجمةِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأرقمِ .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، العَلاءُ بنُ الحَضرمىِّ . واسمُ الحَضْرمىِّ عَبَّادٌ ، ويقالُ : عبدُ اللَّهِ بنُ عَبَّادِ بنِ أكبرَ بنِ رَبيعةَ بنِ عُوَيْفِ[3] بنِ مالكِ بنِ الخزرجِ بنِ إيادِ بنِ الصَّدِفِ[4] بنِ زيدِ بنِ مقنعِ بنِ حَضْرَموتَ بنِ قحطانَ . وقيل غيرُ ذلك فى نسبِه ، وهو مِن حُلَفاءِ بنى أميةَ . وقد تقدَّم بيانُ كتابتِه فى ترجمةِ أَبَانِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ[5] ، وكـان له مِن الإخْوةِ عشَرةٌ غيرُه ، فمنهم عمرُو بنُ الحَضْرمىِّ [٣/٤١٧ظ] أولُ قَتيلٍ مِن المشركين قتَله المسلمون فى سريَّةِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ ، وهى أولُ سريَّةٍ ، كما تقدم ، ومنهم عامرُ بنُ الحَضْرمىِّ الذى أمَره أبو جهلٍ ، لعَنه اللَّهُ ، فكشَف[6] عن عورتِه وناداه : واعَمْراه . حين اصْطَفَّ المسلمون والمشركون يومَ بدرٍ فهاجت الحربُ ، وقامت على ساقٍ ، وكان ما كان مما قدَّمْناه مبسوطًا فى موضعِه ، ومنهم شُرَيْحُ بنُ الحَضْرمىِّ ، وكان مِن خيارِ الصحابةِ . قال فيه

---

(١) سقط من : ا ٤١ . وفى م ، ص : « مفرق » .

(٢) وانظر ما تقدم فى ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٣) فى م : « عريقة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٨٣.

(٤) فى ا ١١١، م : « الصدق » .

(٥) تقدمت ترجمة أبان فى ٣٢١ - ٣٢٣ ، ولم يذكر المصنف فيها العلاء بن الحضرمى ولا كتابته .

(٦) فى الأصل : « فتكشف » ، وفى ص : « فيكشف » .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذاك رجلٌ لا يَتَوَسَّدُ القرآنَ »[1] . يعنى لا يَنامُ ويَتْرُكُه ، بل يقومُ به آناءَ الليلِ والنهارِ ، ولهم كلِّهم أختٌ واحدةٌ ، وهى الصَّعْبةُ بنتُ الحَضْرميِّ أمُّ طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، وقد بعَث النبىُّ ﷺ العَلاءَ بنَ الحَضْرميِّ إلى المنذرِ بنِ ساوَى ملكِ البحرين ، ثم وَلَّاه عليها أميرًا حينَ افتَتَحها ، وأقَرَّه [2]عليها الصدِّيقُ ، ثم عمرُ بنُ الخطابِ ، ولم يَزَلْ بها حتى عزَله عنها عمرُ بنُ الخطابِ وولَّاه[2] البصرةَ ، فلما كان فى أثناءِ الطريقِ تُوُفِّىَ ، وذلك فى سنةِ إحدى وعشرين . وقد روَى البيهقىُّ وغيرُه عنه كراماتٍ كثيرةً منها ؛ أنه سار بجيشِه على وجهِ البحرِ ما يصِلُ إلى رُكَبِ خيولِهم ، وقيل : إنه ما بَلَّ أسافلَ نعالِ خيولِهم . وأمَرهم كلَّهم ، فجعَلوا يقولون : يا حليمُ يا عظيمُ . وأنه كان فى جيشِه ، فاحْتاجوا إلى ماءٍ ، فدَعا اللَّهَ فأمْطَرهم قدرَ كفايتِهم . وأنه لما دُفِن لم يُرَ له أثرٌ بالكليَّةِ ، وكان قد سأَل اللَّهَ ذلك ، وسيأتى هذا فى كتابِ دلائلِ النبوةِ ، قريبًا ، إن شاء اللَّهُ ، عز وجل .

له عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثلاثةُ أحاديثَ ؛ الأولُ : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، حدثنى عبدُ الرحمنِ بنُ حُمَيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، عن السائبِ بنِ يزيدَ ، عن العلاءِ بنِ الحَضْرميِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَمْكُثُ المهاجرُ بعدَ قَضاءِ نُسُكِه ثلاثًا » . وقد أخْرَجه الجماعةُ مِن حديثِه[4] .

والثانى : قال أحمدُ[5] : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، ثنا منصورٌ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن ابنِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٤٤٩، والنسائى (١٧٨٢) . صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائى ١٦٨٣) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المسند ٤/ ٣٣٩.

(٤) البخارى (٣٩٣٣)، ومسلم (١٣٥٢)، وأبو داود (٢٠٢٢)، والترمذى (٩٤٩)، والنسائى (١٤٥٣، ١٤٥٤)، وابن ماجه (١٠٧٣) .

(٥) المسند ٤/ ٣٣٩.

العلاءِ بنِ الحَضْرميِّ ، أن أباه كتَب إلى النبيِّ ﷺ فبدَأ بنفسِه . وكذا رواه أبو داودَ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ[1] .

والحديثُ الثالثُ رواه أحمدُ وابنُ ماجه[2] مِن طريقِ محمدِ بنِ زيدٍ ، عن حِبَّانَ الأعْرجِ عنه ، أنه كتَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [٣/٤١٨و] مِن البحرين فى الحائطِ - يعنى البُسْتانَ - يكونُ بينَ الإخوةِ فيُسْلِمُ أحدُهم ، فأمَره أن يأخُذَ العُشْرَ ممن أسْلَم ، والخَراجَ . يعنى ممن لم يُسْلِمْ .

ومنهم العَلاءُ بنُ عقبةَ . قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] : كان كاتبًا للنبيِّ ﷺ ، ولم أجِدْ أحدًا ذكَره إلا فيما أخْبَرَنا ... ثم ذكَر إسنادَه إلى عَتيقِ بنِ يَعْقوبَ ، حدثنى عبدُ الملكِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عمرِو بنِ حزمٍ : إنّ هذه قَطائعُ أقْطَعها رسولُ اللَّهِ ﷺ هؤلاء القومَ . فذكَرها ، وذكَر فيها : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أعْطَى النبيُّ محمدٌ عباسَ بنَ مِرْداسٍ السُّلَمِيَّ ، أعْطاه مدفورًا[4] ، فمن حاقَّه[5] فيها فلا حقَّ له ، وحقُّه حقٌّ » . وكتَب العلاءُ بنُ عقبةَ وشهِد ، ثم قال : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أعْطَى محمدٌ رسولُ اللَّهِ عَوْسَجةَ بنَ حَرْملةَ الجُهَنيَّ ، مِن ذى المَرْوةِ وما بينَ بَلْكَثَةَ[6] إلى

---

(١) أبو داود (٥١٣٤) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ١٠٩٨) .

(٢) المسند ٥/ ٥٢، وابن ماجه (١٨٣١) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٤٠٣) .

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٧.

(٤) فى م : « مدمورا » . وفى تاريخ دمشق : « مدقورا » . وفى طبقات ابن سعد ١/ ٢٧٣: « مدفوّا » . ولعلها : « مدفار » كما فى معجم البلدان ٤/ ٤٤٩ أنها موضع من بلاد بنى سُليم أو هذيل . والله أعلم .

(٥) فى الأصل، ١١١، م، ص، وتاريخ دمشق : « خافه » .

(٦) فى الأصل، ١١١، ٤١: « مليكته » ، وفى ص : « بلنكثة » . وبلكثة وبلاكث : أرض بالشام . انظر معجم ما استعجم ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

الظَّبْيةِ[1] إلى الجَعَلاتِ[2] إلى جبلِ القَبَلِيَّةِ[3] ، فمَن حاقَّه[4] فلا حقَّ له ، وحقُّه حقٌّ » . وكتَبه العَلاءُ بنُ عقبةَ . وروَى الواقدىُّ بأسانيدِه[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أقْطَع لبنى شَنْخٍ[6] مِن جُهَينةَ ، وكتَب كتابَهم بذلك العلاءُ بنُ عقبةَ ، وشهِد . وقد ذكَر ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[7] هذا الرجلَ مختصرًا فقال : العلاءُ بنُ عقبةَ كتَب للنبىِّ ﷺ ، ذِكْرُه فى حديثِ عمرِو بنِ حزمٍ ، ذكَره جعفرٌ . أخرجه أبو موسى . يعنى المَدينىَّ ، فى كتابِه .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، محمدُ بنُ مَسْلمةَ بنِ [8]سلمةَ بنِ[8] حَرِيشِ بنِ خالدِ بنِ عدىِّ بنِ مَجْدَعةَ بنِ حارثةَ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ الأنصارىُّ الحارثىُّ الخَزْرَجِىُّ[9] أبو عبدِ اللَّهِ ، ويقالُ : أبو عبدِ الرحمنِ . ويقالُ : أبو سعيدٍ . المَدَنىُّ ، حَليفُ بنى عبدِ الأشْهلِ . أسْلَم على يدَى مُصْعبِ بنِ عميرٍ ، وقيل : سعدِ بنِ مُعاذٍ وأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ . وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قدِم المدينةَ بينَه وبينَ أبى عُبَيدةَ بنِ الجَرَّاحِ ، وشهِد بدرًا والمشاهدَ بعدَها ، واستَخْلَفه رسولُ اللَّهِ ﷺ على المدينةِ عامَ تَبوكَ .

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، ص : « الطيبة » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٥٧٣ . وقال فيه : ظبية : موضع فى ديار جهينة . ثم ذكر الحديث .

(٢) فى الأصل ، ص : « الجعلاب » ، وفى ٤١ : « الجعلان » . وانظر المصدر السابق .

(٣) فى الأصل ، ص : « القبله » ، وفى ١١١ ، ٤١ : « العلة » . والقبلية : من نواحى الفُرْع بالمدينة . المصدر السابق ٤/ ٣٢ .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص ، وتاريخ دمشق : « خافه » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٤٥ ، والمصدر السابق ٣/ ٥٧٣ .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٧١ ، عن الواقدى ، وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٨ .

(٦) فى النسخ : « سيح » . والمثبت من الطبقات ، وتاريخ دمشق ، ومختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٤٥ .

(٧) أسد الغابة ٤/ ٧٧ .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص . وانظر الإصابة ٦/ ٣٣ ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤٥٦ .

(٩) سقط من : م .

قال ابنُ عبدِ البَرِّ فى « الاستيعابِ »[1] : كان شديدَ السُّمْرةِ طويلًا أصْلَعَ ذا جُثَّةٍ ، وكان مِن فُضلاءِ الصحابةِ ، وكان ممن اعتزل الفتنةَ ، واتخَذ سيفًا مِن خشبٍ . ومات [٣/٤١٨ظ] بالمدينةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعين على المشهورِ عندَ الجمهورِ ، وصلى عليه مَرْوانُ بنُ الحكمِ ، وقد روَى حديثًا كثيرًا عن النبىِّ ﷺ . وذكَر محمدُ بنُ سعدٍ[2] عن علىِّ بنِ محمدٍ المَدَاينىِّ بأسانيدِه ، أن محمدَ بنَ مَسْلمةَ هو الذى كتَب لوفدِ مَهْرَةَ[3] كتابًا عن أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، معاويةُ بنُ أبى سفيانَ صخرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ الأُمَوىُّ ، وستأتى ترجمتُه فى أيامِ إمارتِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى . وقد ذكَرَه مسلمُ بنُ الحجاجِ فى كُتَّابِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ[4] . وقد روَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[5] مِن حديثِ عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن أبى زُمَيْلٍ سِماكِ بنِ الوليدِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن أبا سفيانَ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ثلاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ . قال : « نعم » . قال : تُؤَمِّرُنى حتى أُقاتلَ الكُفارَ كما كنتُ أُقاتلُ المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاويةُ تَجْعَلُه كاتبًا بينَ يدَيك . قال : « نعم » . الحديثَ . وقد أفْرَدْتُ لهذا الحديثِ جزءًا على حدةٍ بسببِ ما وقَع فيه مِن ذكرِ طلبِه تزويجَ أمِّ حَبيبةَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولكن فيه مِن المحفوظِ تأميرُ أبى سُفيانَ وتوليتُه معاويةَ مَنصبَ الكِتابةِ بينَ يدَيه ، صلواتُ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٧.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٣٥٥، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٨.

(٣) فى النسخ : « مُرَّة » . والمثبت من مصدرى التخريج . وقد تقدم ذكر المصنف لوفد بنى مرة فى ٧/ ٣٥٤، عن الواقدى ، وأنهم كانوا مستتين ، فسألوا النبى ﷺ أن يدعو لهم . وتقدم ذكر مهرة فى ٧/ ٣٦٨ إجمالا دون تفصيل .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٩، بسنده عن مسلم .

(٥) مسلم (٢٥٠١/١٦٨) ، وفيه تقديم وتأخير .

اللَّهِ وسلامُه عليه ، وهذا قدْرٌ متفقٌ عليه بينَ الناسِ قاطبةً .

فأما الحديثُ الذى[1] قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى « تاريخِه »[2] فى ترجمةِ مُعاويةَ هـٰهنا : أخْبَرَنا أبو غالبِ بنُ البَنَّا ، أنبأنا أبو محمدٍ الجَوْهرىُّ ، أنبأنا أبو علىٍّ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ العَطَشىُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدٍ البُورانىُّ ، ثنا السَّرِىُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا الحسنُ بنُ زيادٍ ، عن القاسمِ بنِ بَهرامٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استشار جبريلَ فى استكتابِ مُعاويةَ ، فقال : استَكْتِبْه فإنه أمينٌ . فإنه حديثٌ غريبٌ بل منكرٌ ، والسَّرِىُّ بنُ عاصمٍ هذا هو أبو عاصمٍ الهمَذانىُّ ، وكان يُؤَدِّبُ المعتزَّ باللَّهِ ، كذَّبه فى الحديثِ ابنُ خِرَاشٍ . وقال ابنُ حِبّانَ وابنُ عَدِىٍّ : كان يَسْرِقُ الحديثَ . زاد ابنُ حبانَ : ويرْفَعُ الموقوفاتِ ، لا يَحِلُّ الاحتجاجُ به . وقال الدارَقطنىُّ : كان ضعيفَ الحديثِ[3] . وشيخُه الحسنُ بنُ زيادٍ ؛ إن كان اللؤلؤىَّ فقد ترَكه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، وصرَّح كثيرٌ منهم بكذبِه ، وإن كان غيرَه فهو مجهولُ العينِ والحالِ[4] . وأما القاسمُ بنُ بَهْرامٍ فاثنان ؛ أحدُهما يقالُ له : القاسمُ بنُ بَهْرامٍ الأَسَدىُّ الواسطىُّ [٣/ ٤١٩و] الأعرجُ . أصلُه مِن أصْبهانَ ، روَى له النسائىُّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ حديثَ الفُتونِ[5] بطولِه ، وقد وثَّقه ابنُ مَعينٍ وأبو حاتمٍ وأبو داودَ وابنُ حِبانَ[6] . والثانى القاسمُ بنُ بَهرامٍ أبو هَمْدانَ[7] ، قاضى هِيتَ . قال ابنُ مَعينٍ :

---

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٩.

(٣) المجروحين لابن حبان ١/ ٣٥٥، والكامل لابن عدى ٣/ ١٢٩٨، والضعفاء والمتروكين للدارقطنى ص ٩٧، وانظر ميزان الاعتدال ٢/ ١١٧، ولسان الميزان ٣/ ١٢.

(٤) انظر لسان الميزان ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) فى م ، ص : « القنوت » . وتقدم تخريج حديث الفتون فى ٢/ ١٨١.

(٦) انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٣٦.

(٧) فى ١١١، ٤١، م : « حمدان » . وانظر لسان الميزان ٤/ ٤٥٩.

كان كذَّابًا[1] . وبالجملةِ فهذا الحديثُ مِن هذا الوجهِ ليس بثابتٍ ولا يُغْتَرُّ به ، والعجبُ مِن الحافظِ ابنِ عَساكرَ مع جلالةِ قدْرِه واطِّلاعِه على صناعةِ الحديثِ أكثرَ مِن غيرِه مِن أبناءِ عصرِه - بل ومَن تقدَّمَه بدهرٍ - كيفَ يُورِدُ فى « تاريخِه » هذا وأحاديثَ كثيرةً مِن هذا النمطِ ، ثم لا يُبَيِّنُ حالَها ، ولا يُشيرُ إلى شيءٍ مِن ذلك إشارةً لا ظاهرةً ولا خفيَّةً ؟! ومثلُ هذا الصنيعِ فيه نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

ومنهم ، رضى اللَّهُ عنهم ، المغيرةُ بنُ شعبةَ الثقفىُّ ، وقد تقَدَّمتْ ترجمتُه فيمَن كان يَخْدُمُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن أصحابِه مِن غيرِ مَواليه ، وأنه كان سَيَّافًا على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى ابنُ عساكرَ بسندِه[2] عن عَتيقِ بنِ يَعْقوبَ بإسنادِه المتقدِّمِ غيرَ مرةٍ ، أن المغيرةَ بنَ شعبةَ هو الذى كتَب أقْطاعَ حُصينِ بنِ نَضْلةَ الأسدىِّ الذى أقْطَعه إياه رسولُ اللَّهِ ﷺ بأمْرِه .

فهؤلاء كُتَّابُه الذين كانوا يكْتُبون بأمْرِه بينَ يديه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

---

(١) لسان الميزان ٤/ ٤٥٨.

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٩، ٣٥٠.

فصلٌ

وقد ذَكَر ابنُ عساكرَ[1] مِن أُمَنائِه أبا عبيدةَ عامرَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الجَرَّاحِ القرشيَّ الفِهْرِيَّ أحدَ العشَرةِ، رضى اللَّهُ عنه، وعبدَ الرحمنِ بنَ عَوفٍ الزُّهريَّ.

قلتُ: أما أبو عُبَيدةَ فقد روَى البخاريُّ[2] مِن حديثِ أبى قِلابةَ، عن أنسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لكلِّ أمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عُبَيدةَ بنُ الجرَّاحِ». وفى لفظٍ[3]، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لوفدِ[4] نَجْرانَ: «لأَبْعَثَنَّ معكم[5] أمينًا حقَّ أمينٍ». فبعَث معهم أبا عُبيدةَ.

قال[6]: ومنهم مُعَيْقِيبُ بنُ أبى فاطمةَ الدَّوْسيُّ مولى بنى عبدِ شمسٍ، كان على خاتَمِه، ويقال: كان خازِنَه[7]. وقال غيرُه[8]: أسْلَم قديمًا، وهاجَر إلى الحبشةِ فى الثانيةِ[9]، ثم إلى المدينةِ، وشهِد بدرًا وما بعدَها، وكان على الخاتَمِ، واستعْمَله الشيخان على بيتِ المالِ. قالوا: وكان قد أصابه الجُذامُ، فأمَر عمرُ بنُ الخطابِ، فدُووِىَ بالحَنْظلِ فتوَقَّف المرضُ، وكانت وفاتُه فى خلافةِ عثمانَ،

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٣٥١.

(٢) البخارى (٤٣٨٢، ٧٢٥٥).

(٣) البخارى (٧٢٥٤).

(٤) بعده فى م، ص: «عبد القيس».

(٥) فى البخارى: «إليكم».

(٦) أى ابن عساكر. تاريخ دمشق ٤/ ٣٥١.

(٧) فى م: «خادمه».

(٨) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٥/ ٢٤٠، ٢٤١، عن موسى بن عقبة.

(٩) فى م، ص: «الناس». والثانية: أى فى الهجرة الثانية للحبشة.

وقيل : سنةَ أربعين . فاللَّهُ أعلمُ .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا يحيى [٣/ ٤١٩ظ] بنُ أبى بُكيرٍ ، ثنا شَيْبانُ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ[2] ، عن أبى سَلَمةَ ، حدثنى مُعَيْقِيبٌ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى الرجلِ يُسوِّى الترابَ حيث يَسْجُدُ ، قال : « إن كنتَ لابدَّ فاعلًا فواحدةً » . وأخرجاه فى « الصحيحَين » مِن حديثِ شَيْبانَ النَّحْوىِّ ، زاد مسلمٌ : وهشامٍ الدَّسْتَوائىِّ . زاد الترمذىُّ والنسائىُّ وابنُ ماجه : والأوْزاعىِّ . ثلاثتُهم عن يحيى ابنِ أبى كَثيرٍ به[3] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا خَلَفُ بنُ الوليدِ ، ثنا أيوبُ بنُ[5] عُتْبةَ ، عن يحيى ابنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن مُعَيْقيبٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ويلٌ للأعْقابِ مِن النارِ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ .

وقد روَى أبو داودَ والنسائىُّ[6] مِن حديثِ أبى عَتَّابٍ سهلِ بنِ حَمَّادٍ الدَّلَّالِ ، عن أبى مَكينٍ نوحِ بنِ ربيعةَ ، عن إياسِ بنِ الحارثِ بنِ المُعَيْقِيبِ ، عن جَدِّه - وكان على خاتمِ النبىِّ ﷺ - قال : كان خاتمُ النبىِّ ﷺ مِن حديدٍ ملوىٌّ عليه فضةٌ . قال : فربما كان فى يدى .

---

(١) المسند ٣/ ٤٢٦.

(٢) فى م ، ص : « بكير » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٤.

(٣) البخارى (١٢٠٧) ، ومسلم (٥٤٦/٤٩) من حديث شيبان ، و(٤٧، ٥٤٦/٤٨) من حديث هشام الدستوائى ، والترمذى (٣٨٠) ، والنسائى (١١٩١) ، وابن ماجه (١٠٢٦) .

(٤) المسند ٣/ ٤٢٦، ٥/ ٤٢٥.

(٥) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٨٤.

(٦) أبو داود (٤٢٢٤) ، والنسائى (٥٢٢٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٠٧) .

قلتُ : أما خاتمُ النبيِّ ﷺ ، فالصحيحُ أنه كان مِن فضةٍ ، فصُّه منه ، كما سيأتى فى « الصحيحين » ، وكان قد اتخَذ قبلَه خاتمَ ذهبٍ ، فلبِسه حينًا ، ثم رمَى به ، وقال : « واللَّهِ لا ألْبَسُه » . ثم اتخذ هذا الخاتَمَ مِن فضةٍ ، فصُّه منه ، ونقْشُه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ . « محمدٌ » سطرٌ ، و « رسولُ » سطرٌ ، و « اللَّهِ » سطرٌ ، فكان فى يدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ثم كان فى يدِ أبى بكرٍ مِن بعدِه ، ثم فى يدِ عمرَ ، ثم كان فى يدِ عثمانَ ، فلبِث فى يدِه ستَّ سنين ، ثم سقَط منه فى بئرِ أَرِيسَ ، فاجْتَهد فى تحصيلِه فلم يَقْدِرْ عليه . وقد صَنّف أبو داودَ ، رحمةُ اللَّهِ عليه ، كتابًا مستقلًّا فى « سننِه » فى الخاتمِ وحدَه[1] ، وسنُورِدُ منه إن شاء اللَّهُ قريبًا ما نَحْتاجُ إليه . وباللَّهِ المستعانُ . وأما لُبْسُ مُعَيْقيبٍ لهذا الخاتمِ فيَدُلُّ على ضعفِ ما نُقِل أنه أصابه الجُذامُ ، كما ذكَره ابنُ عبدِ البرِّ وغيرُه[2] ، لكنه مشهورٌ ، فلعلَّه أصابه ذلك بعدَ النبيِّ ﷺ ، أو كان به وكان مما لا يُعدَى منه ، أو كان ذلك مِن خصائصِ النبيِّ ﷺ ؛ لقوةِ توكُّلِه ، كما قال لذلك المجذومِ - ووضَع يدَه فى القَصْعةِ - « كُلْ ثقةً باللَّهِ ، وتوكُّلًا عليه » . رواه أبو داودَ[3] . وقد ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فِرَّ مِن المجذومِ فرارَك مِن الأَسدِ » . واللَّهُ أعلمُ .

[٣/ ٤٢٠و] وأما أمراؤُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فقد ذكَرْناهم عندَ بعثِ

---

(١) سنن أبى داود ٤/ ٨٥ - ٨٦. (٤٢١٤ - ٤٢٢٩).

(٢) الاستيعاب ٤/ ١٤٧٩. وانظر أسد الغابة ٥/ ٢٤١.

(٣) أبو داود (٣٩٢٥). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٤٧).

(٤) هذا الحديث فى صحيح البخارى (٥٧٠٧) ولفظه : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد »، وليس فى مسلم (٢٢٢٠، ٢٢٢٢) إلا جزؤه الأول.

السرايا منصوصًا على أسمائِهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وأما جملةُ الصحابةِ ، فقد اختلف الناسُ فى عِدَّتِهم ، فنُقِل عن أبى زُرْعةَ أنه قال : يبلُغون مائةَ ألفٍ وعشرين ألفًا[1] . وعن الشافعىِّ ، رحمه اللَّهُ ، أنه قال : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون ممن سمِع منه ورآه زُهاءُ ستين ألفًا . وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ : يُرْوَى الحديثُ عن قريبٍ مِن خمسةِ آلافِ صحابىٍّ .

قلتُ : والذى روَى عنهم الإمامُ أحمدُ ، مع كثرةِ روايتِه واطِّلاعِه واتِّساعِ رحلتِه وإمامتِه ، مِن الصحابةِ تسعُمائةٍ وسبعةٌ وثمانون نفسًا ، [2]ووقَع[3] فى الكتبِ الستةِ مِن الزياداتِ على ذلك قريبٌ مِن ثلاثِمائةِ صحابىٍّ أيضًا[2] ، وقد اعْتَنى جماعةٌ مِن الحفَّاظِ ، رحِمهم اللَّهُ ، بضبطِ أسمائِهم ، وذِكرِ أيامِهم ووَفَياتِهم ، مِن أجَلِّهم الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ النمَرىُّ فى كتابِه « الاستيعابِ » ، وأبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ مَنْدَه ، وأبو موسى المَدِينىُّ ، ثم نظَم جميعَ ذلك الحافظُ عزُّ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ الجَزَرىُّ المعروفُ بابنِ الأثيرِ[4] ، صنَّف كتابَه « الغابةَ » فى ذلك ، فأجاد وأفاد ، وجَمَع وحصَّل ، ونال ما رام وأمَّل ، فرحِمه اللَّهُ وأثابه ، وجَمعه والصحابةَ آمينَ ياربَّ العالمين .

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر فى مقدمة الإصابة ١/ ٢.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى م : « وضع » .

(٤) فى ا ١١، ص : « الصحابة » ، وفى م : « الصحابية » . وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٣.

بـابُ (١ما يُذكَرُ مِن١) آثارِ النبىِّ ﷺ التى كان يَخْتَصُّ بها فى حياتِه مِن ثيابٍ وسلاحٍ ومَراكبَ، (١وغيرِ ذلك مما يَجْرِى فى مجراه، ويَنْتَظِمُ فى معناه١)

ذكرُ الخاتَمِ الذى كان يَلْبَسُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، (١ومِن أى شىءٍ كان مِن الأجسامِ١)

وقد أفْرَد له أبو داودَ فى كتابِه «السُّننِ» كِتابًا على حِدَةٍ، ولْنذْكُرْ عيونَ ما ذكَره فى ذلك مع ما نُضيفُه إليه، والمُعَوَّلُ فى أصلِ ما نذْكُرُه عليه.

قال أبو داودَ[٢]: حدَّثنا عبدُ الرحيمِ بنُ مُطَرِّفٍ الرُّؤاسىُّ، حدَّثنا عيسى، عن سعيدٍ، عن قتادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَكْتُبَ إلى بعضِ الأعاجمِ، فقيل له: إنهم لا يقْرءُون كتابًا إلا بخاتَمٍ. فاتَّخَذَ خاتَمًا مِن فِضةٍ، ونقَش فيه: محمدٌ رسولُ اللَّهِ. وهكذا رواه البخارىُّ، عن عبدِ الأعْلى بنِ حمادٍ، عن يزيدَ بنِ زُرَيْعٍ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ، عن قَتادةَ به[٣].

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أبو داود (٤٢١٤). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٤٩).

(٣) البخارى (٥٨٧٢).

[٣/ ٤٢٠ظ] ثم قال أبو داودَ[(١)] : حدَّثنا وهبُ بنُ بَقِيَّةَ ، عن خالدٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، [(٢)]عن أنسٍ[(٢)] ، بمعنى حديثِ عيسى بنِ يونسَ ، زاد : فكان فى يدِه حتى قُبِض ، وفى يدِ أبى بكرٍ حتى قُبِض ، وفى يدِ عمرَ حتى قُبِض ، وفى يدِ عثمانَ ، فبَيْنما هو عندَ بئرٍ إذ سقَط فى البئرِ ، فأمَر بها فنُزِحَتْ ، فلم يَقْدِرْ عليه . تفرد به أبو داودَ مِن هذا الوجهِ .

ثم قال أبو داودَ ، رحِمه اللَّهُ[(٣)] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ وأحمدُ بنُ صالحٍ ، قالا : أنا ابنُ وهبٍ ، أخبرنى يونُسُ عن ابنِ شِهابٍ قال : حدَّثنى أنسٌ قال : كان خاتَمُ النبىِّ ﷺ مِن وَرِقٍ ، فصُّه حَبَشىٌّ . وقد روَى هذا الحديثَ البخارىُّ مِن حديثِ الليثِ ، ومسلمٌ مِن حديثِ ابنِ وهبٍ ، وطلحةَ بنِ[(٤)] يحيى الأنصارىِّ ، وسليمانَ بنِ بلالٍ ، زاد النسائىُّ وابنُ ماجه : وعثمانَ بنِ[(٤)] عمرَ ، خَمْسَتُهم عن يونسَ بنِ يزيدَ الأَيْلِىِّ به[(٥)] . وقال الترمذىُّ[(٦)] : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

ثم قال أبو داودَ[(٧)] : حدَّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا حميدٌ الطويلُ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان خاتَمُ النبىِّ ﷺ مِن فضةٍ كلُّه ، فصُّه منه . وقد رواه

---

(١) أبو داود (٤٢١٥) . صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٣٥٥٠) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص .

(٣) أبو داود (٤٢١٦) .

(٤) فى م ، ص : « عن » . وانظر ترجمة طلحة بن يحيى فى تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤٤ ، وترجمة عثمان ابن عمر فى ١٩/ ٤٦١ .

(٥) البخارى (٥٨٦٨) ، ومسلم (٦١ ، ٢٠٩٤/٦٢) ، والنسائى (٥٢٩٢) ، وابن ماجه (٣٦٤١) .

(٦) الترمذى عقب حديث (١٧٣٩) .

(٧) أبو داود (٤٢١٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٥٢) .

الترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ زهيرِ بنِ معاويةَ الجُعْفىِّ أبى خَيْثمةَ الكوفىِّ به[1] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال البخارىُّ[2] : ثنا أبو مَعْمرٍ ، ثنا عبدُ الوارثِ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : اصطنع[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ خاتَمًا ، فقال : « إنا اتخذْنا خاتَمًا ، ونقَشْنا [4]فيه نَقْشًا[4] ، فلا يَنْقُشْ عليه أحدٌ » . قال : فإنى أرَى بَريقَه فى خِنْصَرِه .

ثم قال أبو داودَ[5] : حدَّثنا نُصَيْرُ بنُ الفَرَجِ ، ثنا أبو أسامةَ ، عن عُبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ : اتَّخَذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ خاتَمًا مِن ذهبٍ ، وجعَل فصَّه مما يلى بطنَ كفِّه ، ونقَش فيه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ ، فاتَّخذ الناسُ خَواتمَ الذَّهَبِ ، فلمَّا رآهم قد اتخذوها رمَى به ، وقال : « لا ألْبَسُه أبدًا » . ثم اتَّخذ خاتَمًا مِن فِضَّةٍ نقَش فيه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ ، ثم لبِس الخاتَمَ بعدَه أبو بكرٍ ، ثم لبِسه بعدَ أبى بكرٍ عمرُ ، ثم لبِسه بعدَه عثمانُ حتى وقَع فى بئرِ أَرِيسَ . وقد رواه البخارىُّ ، عن يوسفَ بنِ موسى ، عن أبى أسامةَ حمادِ بنِ أسامةَ به[6] .

ثم قال أبو داودَ[7] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن أيوبَ بنِ موسى ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فى هذا الخبرِ ، عن النبىِّ ﷺ ، فنقَش

---

(١) الترمذى (١٧٤٠) ، والنسائى (٥٢١٥) .
(٢) البخارى (٥٨٧٤) .
(٣) فى البخارى : « صنع » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) أبو داود (٤٢١٨) .
(٦) البخارى (٥٨٦٦) .
(٧) أبو داود (٤٢١٩) .

فيه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ . [٣/ ٤٢١و] وقال : « لا يَنْقُشْ أحدٌ على خاتَمى هذا » . وساق الحديثَ ، وقد رواه مسلمٌ وأهلُ السننِ الأربعةِ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ به نحوَه[١] .

ثم قال أبو داودَ[٢] : حدَّثنا محمدُ بنُ يحيى بنِ فارسٍ ، ثنا أبو عاصمٍ ، عن[٣] المغيرةِ بنِ زيادٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فى هذا الخبرِ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : فالْتَمَسوه فلم يَجِدوه ، فاتَّخَذ عثمانُ خاتَمًا ، ونقَش فيه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ . قال : فكان يَخْتِمُ به أو يتَخَتَّمُ به[٤] . ورواه النسائىُّ ، عن محمدِ بنِ مَعْمَرٍ ، عن أبى عاصمٍ الضحاكِ بنِ مَخْلَدٍ النَّبيلِ به[٥] .

ثم قال أبو داودَ[٦] : بابٌ فى تركِ الخاتَمِ . حدثنا محمدُ بنُ سليمانَ لُوَيْنٌ ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنه رأَى فى يدِ النبىِّ ﷺ خاتَمًا مِن وَرِقٍ يومًا واحدًا ، فصنَع الناسُ فلبِسوا ، وطرَح النبىُّ ﷺ فطرَح الناسُ . ثم قال : رواه عن الزهرىِّ زيادُ بنُ سعدٍ وشُعَيْبٌ وابنُ مُسافِرٍ ، كلُّهم قال : مِن وَرِقٍ .

قلتُ : وقد رواه البخارىُّ[٧] : حدَّثنا يحيى بنُ بُكيرٍ ، ثنا الليثُ ، عن يونسَ ،

---

(١) مسلم (٢٠٩١) ، والترمذى فى الشمائل (٩٧) ، والنسائى (٥٢٣١) ، وابن ماجه (٣٦٣٩) .
(٢) أبو داود (٤٢٢٠) . ضعيف الإسناد ، منكر المتن (ضعيف سنن أبى داود ٩٠٤) .
(٣) فى الأصل ، ١١١ : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٨١.
(٤) هذا شك من الراوى ، والحديث فيه المغيرة بن زياد ، قال الإمام أحمد : مضطرب الحديث ، منكر الحديث ، أحاديثه مناكير . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٦٠.
(٥) النسائى (٥٢٣٢) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن النسائى ٤٠١) .
(٦) سنن أبى داود ٤/ ٨٧، حديث (٤٢٢١) .
(٧) البخارى (٥٨٦٨) .

عن ابنِ شِهابٍ قال : حدثنى أنسُ بنُ مالكٍ أنه رأَى فى يدِ النبىِّ ﷺ خاتَمًا مِن وَرِقٍ يومًا واحدًا ، ثم إن الناسَ اصْطَنعوا الخَواتِيمَ مِن وَرِقٍ ولبِسوها ، فطرَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خاتَمَه ، فطرَح الناسُ خواتِيمَهم . ثم علَّقه البخاريُّ ، عن إبراهيمَ ابنِ سعدٍ الزهريِّ المَدَنىِّ ، وشُعَيْبِ بنِ أبى حَمْزةَ ، وزيادِ بنِ سعدٍ الخُراسانىِّ . وأخرجه مسلمٌ مِن حديثِه[1] ، وانفرد أبو داودَ بعبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ مُسافِرٍ ، كلُّهم عن الزهريِّ ، كما قال أبو داودَ : خاتَمًا مِن وَرِقٍ .

والصحيحُ أن الذى لبِسه يومًا واحدًا ، ثم رمَى به ، إنما هو خاتَمُ الذهبِ لا خاتَمُ الوَرِقِ ؛ لِما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[2] عن مالكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يلْبَسُ خاتَمًا مِن ذهبٍ ، فنبَذه وقال : « لا ألْبَسُه أبدًا » . فنبَذ الناسُ خَواتِيمَهم . وقد كان خاتَمُ الفضةِ يلْبَسُه كثيرًا ، ولم يزَلْ فى يدِه حتى تُوُفِّىَ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، وكان فصُّه منه ، يعنى ليس فيه فصٌّ ينْفَصِلُ عنه ، ومَن روَى أنه كان فيه صورةُ شخصٍ فقد أبْعَد وأخْطأ ، بل كان فِضةً كلُّه ، وفصُّه منه ، ونقْشُه : [٣/ ٤٢١ظ] محمدٌ رسولُ اللَّهِ ثلاثةُ أسطرٍ ؛ « محمدٌ » سطرٌ ، « رسولُ » سطرٌ ، « اللَّهِ » سطرٌ . وكأنه ، واللَّهُ أعلمُ ، كان مَنْقوشًا ، وكتابتُه مَقْلوبةٌ ليُطْبَعَ على الاستقامةِ ، كما جرَت العادةُ بهذا ، وقد قيل : إن كتابتَه كانت مُسْتَقِيمةً . وتُطْبَعُ كذلك . وفى صحةِ هذا نظرٌ ، ولستُ أعرِفُ لذلك إسنادًا لا صحيحًا ولا ضعيفًا .

---

(١) مسلم (٢٠٩٣) .

(٢) كذا فى النسخ ، وهو فى صحيح البخارى فقط (٥٨٦٧) ، وانظر تحفة الأشراف ٥/ ٤٦٣، وجامع المسانيد والسنن للمصنف ٢٨/ ٣٥٠.

وهذه الأحاديثُ التى أوْرَدْناها أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان له خاتَمٌ مِن فِضةٍ ، تَرُدُّ الأحاديثَ التى قدَّمْناها فى سننَىْ أبى داودَ والنسائىِّ[1] مِن طريقِ أبى عَتَّابٍ سهلِ بنِ حمادٍ الدَّلَّالِ ، عن أبى مَكينٍ نوحِ بنِ ربيعةَ ، عن إياسِ بنِ الحارثِ ابنِ مُعَيْقِيبِ بنِ أبى فاطمةَ ، عن جدِّه قال : كان خاتَمُ النبىِّ ﷺ مِن حديدٍ مَلْوِىٌّ ، عليه فِضَّةٌ . ومما يَزيدُه ضَعْفًا الحديثُ الذى رواه أحمدُ وأبو داودَ والترمذىُّ والنسائىُّ[2] مِن حديثِ أبى طَيْبةَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ السُّلَمىِّ المَرْوَزىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن أبيه ، أن رجلًا جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وعليه خاتَمٌ مِن شَبَهٍ[3] ، فقال : « ما لى أجدُ منك ريحَ الأصنامِ ؟ » فطرَحه ، ثم جاء وعليه خاتَمٌ مِن حديدٍ ، فقال : « ما لى أرَى عليك حِلْيةَ أهلِ النارِ ؟ » فطرَحه ، ثم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، مِن أىِّ شىءٍ أتَّخِذُه ؟ قال : « اتَّخِذْه مِن وَرِقٍ ، ولا تُتِمَّه مِثْقالًا » . وقد كان عليه الصلاةُ والسلامُ يَلْبَسُه فى يدِه اليمنى . كما رواه أبو داودَ ، والترمذىُّ فى « الشمائلِ » ، والنسائىُّ[4] مِن حديثِ شَريكٍ[5] القاضى[6] ، عن [7]إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حُنَيْنٍ[7] ، عن أبيه ، عن عَلِىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال شَرِيكٌ : وأخبرنى أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ أن رسولَ اللَّهِ

---

(١) أبو داود (٤٢٢٤) ، والنسائى (٥٢٢٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٠٧) .

(٢) المسند ٥/ ٣٥٩، وأبو داود (٤٢٢٣) ، والترمذى (١٧٨٥) ، والنسائى (٥٢١٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٠٦) .

(٣) الشبه : النحاس الأصفر . الوسيط (ش ب هـ) .

(٤) أبو داود (٤٢٢٦) ، والترمذى فى الشمائل (٩٢) ، والنسائى (٥٢١٨) . صحيح (صحيح أبى داود ٣٥٥٧) .

(٥) بعده فى م ، ص : « وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن » .

(٦) كذا فى النسخ ، وليس كذلك بل هو ابن أبى نمر .

(٧ - ٧) فى الأصل : « عبد اللَّه بن حنين » ، وفى ا ٤ : « إبراهيم بن عبد اللَّه بن حسن » ، وفى م ، ص : « إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن حسن » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٢٤ .

ﷺ كان يَتَخَتَّمُ فى يمينِه . ورُوِىَ : فى اليُسْرى ؛ رواه أبو داودَ[1] مِن حديثِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يتَخَتَّمُ فى يَسارِه ، وكان فصُّه فى باطنِ كفِّه . قال أبو داودَ : رواه أبو إسحاقَ وأسامةُ بنُ زيدٍ عن نافعٍ : فى يمينِه .

وحدَّثنا هَنَّادٌ[2] ، عن عَبْدةَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، أن ابنَ عمرَ كان يَلْبَسُ خاتَمَه فى يدِه اليُسْرى .

ثم قال أبو داودَ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال : رأيْتُ على الصَّلْتِ [٣/ ٤٢٢و] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نوفلِ بنِ عبدِ المطلبِ خاتَمًا فى خِنْصَرِه اليمنى ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقال : رأيْتُ ابنَ عباسٍ يَلْبَسُ خاتَمَه هكذا ، وجعل فصَّه على ظهرِها . قال : ولا يُخالُ ابنُ عباسٍ إلا قد كان يذْكُرُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَلْبَسُ خاتَمَه كذلك . وهكذا رواه الترمذىُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ به[4] ، ثم قال : قال محمدُ بنُ إسماعيلَ ، يعنى البخارىَّ : حديثُ ابنِ إسحاقَ عن الصَّلْتِ حديثٌ حسنٌ .

وقد روَى الترمذىُّ فى « الشمائلِ »[5] ، عن أنسٍ ، وعن جابرٍ ، وعن عبدِ اللَّهِ ابنِ جعفرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يتَخَتَّمُ فى اليمينِ .

---

(١) أبو داود (٤٢٢٧) . شاذ ، والمحفوظ فى يمينه (ضعيف سنن أبى داود ٩٠٨) .

(٢) أبو داود (٤٢٢٨) . صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٣٥٥٨) .

(٣) أبو داود (٣٢٢٩) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٥٩) .

(٤) الترمذى (١٧٤٢) .

(٥) الشمائل (٩٣، ٩٤) عن عبد اللّه بن جعفر ، و(٩٥) عن جابر بن عبد اللّه ، و(٩٩) عن أنس بن مالك . صحيح (مختصر الشمائل ٧٨، ٧٩، ٨٣) .

وقال البخاريُّ[1] : حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، ثنا أبى ، عن ثُمامةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن أبا بكرٍ لما استُخْلِف كتَب له ، وكان نقشُ الخاتَمِ ثلاثةَ أسطرٍ ؛ « محمدٌ » سطرٌ ، و « رسولُ » سطرٌ ، و « اللَّهِ » سطرٌ .

قال أبو عبدِ اللَّهِ[2] : [3]وزادنى[3] أحمدُ : ثنا الأنصاريُّ ، حدثنى أبى ، ثنا ثُمامةُ ، عن أنسٍ قال : كان خاتَمُ النبىِّ ﷺ فى يدِه ، وفى يدِ أبى بكرٍ بعدَه[4] ، وفى يدِ عمرَ بعدَ أبى بكرٍ . قال : فلما كان عثمانُ جلَس على بئرِ أَرِيسَ ، فأخْرَج الخاتَمَ ، فجعَل يَعْبَثُ به فسقَط . قال : فاختَلَفْنا ثلاثةَ أيامٍ مع عثمانَ ، فنزَح البئرَ فلم نَجِدْه .

فأما الحديثُ الذى رواه الترمذىُّ فى « الشمائلِ »[5] ؛ حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا أبو عَوانةَ ، عن أبى بِشْرٍ[6] ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، اتَّخَذَ خاتَمًا مِن فِضَّةٍ ، فكان يَخْتِمُ به ولا يَلْبَسُه . فإنه حديثٌ غريبٌ جدًّا . وفى « السننِ » مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا دخَل الخَلاءَ نزَع خاتَمَه[7] .

---

(١) البخارى (٥٨٧٨) .

(٢) البخارى (٥٨٧٩) .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « وزاد أبو » .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) الشمائل (٨٥) . صحيح دون قوله : « ولا يلبسه » . فهو شاذ (مختصر الشمائل ٧٢) .

(٦) فى ١١١ ، ٤١ ، م ، ص : « يسر » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥ .

(٧) أبو داود (١٩) ، والترمذى (١٧٤٦) ، والنسائى (٥٢٢٨) ، وابن ماجه (٣٠٣) . منكر (ضعيف سنن أبى داود ٥) .

ذكرُ سيفِه عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا سُرَيْجٌ ، ثنا ابنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن الأعْمى عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ بنِ مسعودٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : تنَفَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه ذا الفَقَارِ يومَ بدرٍ ، وهو الذى رأى فيه الرُّؤْيا يومَ أحدٍ ، قال : « رأيْتُ فى سيفى ذى الفَقارِ فَلًّا ، فأوَّلْتُه فَلًّا يكونُ فيكم ، ورأيْتُ أنى مُرْدِفٌ كبشًا ، فأوَّلْتُه كبشَ الكَتيبةِ ، ورأيْتُ أنى فى دِرْعٍ حَصينةٍ ، فأوَّلْتُها المدينةَ ، ورأيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ ، فبَقْرٌ ، واللَّهُ خيرٌ ، فبَقْرٌ ، واللَّهُ [٣/٤٢٢ظ] خيرٌ[2] » . فكان الذى قال رسولُ اللَّهِ ﷺ . وقد رواه الترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه به[3] .

وقد ذكَر أهلُ السُّننِ أنه سُمِع قائلٌ يقولُ[4] : لا سيفَ إلا ذو الفَقارِ ، ولا فتَى إلا علىٌّ[4] .

وروَى الترمذىُّ[5] مِن حديثِ هُودِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدٍ[6] ، عن جدِّه مَزِيدةَ ابنِ جابرٍ العَبْدىِّ العَصَرىِّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ[7] ، وعلى سيفِه ذهبٌ وفضَّةٌ . الحديثَ ، ثم قال : هذا حديثٌ غريبٌ .

---

(١) المسند ١/ ٢٧١.

(٢) انظر ما تقدم فى ٥/ ٣٤٤.

(٣) تقدم تخريجه فى الموضع السابق.

(٤) ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٦٤، وعزاه لابن عدى، والهندىُّ فى كنز العمال (١٤٢٤٢) فى حديث طويل، وعزاه لابن عساكر. وانظر كشف الخفا (٣٠٦٩).

(٥) الترمذى (١٦٩٠). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٨٤).

(٦) فى م: «سعيد». وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٢٠.

(٧) بعده فى سنن الترمذى: «يوم الفتح».

وقال الترمذيُّ فى «الشمائلِ»[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، ثنا معاذُ بنُ هشامٍ، ثنا أبى، عن قتادةَ، عن سعيدِ بنِ أبى الحسنِ قال: كانت قَبيعةُ[2] سيفِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن فضةٍ.

وروَى أيضًا[3] مِن حديثِ عثمانَ بنِ سعدٍ، عن ابنِ سيرينَ قال: صنَعْتُ سيفى على سيفِ سَمُرةَ، وزعَم سَمُرةُ أنه صنَع سيفَه على سيفِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان حَنَفيًّا[4].

وقد صار إلى آلِ علىٍّ سيفٌ مِن سيوفِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلما قُتِل الحسينُ ابنُ علىٍّ، رضِى اللَّهُ عنهما، بكَرْبَلاءَ عندَ الطَّفِّ كان معه، فأخَذه علىُّ بنُ الحسينِ[5] زَيْنُ العابِدِينَ، فقدِم معه دمشقَ حينَ دخَل على يزيدَ بنِ معاويةَ، ثم رجَع معه إلى المدينةِ، فثبَت فى «الصحيحَيْن»[6] عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ، أنه تلَقَّاه إلى الطريقِ، فقال له: هل لك إلىَّ مِن حاجةٍ تأْمُرُنى بها؟ قال: فقال: لا. فقال: هل أنت مُعْطِىَّ سيفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فإنى أخْشَى أن يَغْلِبَك عليه القومُ، وايْمُ اللَّهِ إن أعْطَيْتَنِيهِ لا يَخْلُصُ إليه أحدٌ حتى يَبْلُغَ نَفْسِى.

وقد ذُكِر للنبىِّ ﷺ غيرُ ذلك مِن السلاحِ، مِن ذلك الدُّروعُ، كما روَى غيرُ واحدٍ، منهم؛ السائبُ بنُ يزيدَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ظاهَر

---

(١) الشمائل (١٠٢). مرسل صحيح (مختصر الشمائل ٨٦).

(٢) قبيعة السيف: ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد. انظر الوسيط (ق ب ع).

(٣) أى الترمذى. الشمائل (١٠٤). ضعيف (مختصر الشمائل ٨٨).

(٤) الحنيفية: ضرب من السيوف، منسوبة إلى الأحنف بن قيس؛ لأنه أول من أمر باتخاذها. اللسان (ح ن ف).

(٥) بعده فى م: «بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٦) البخارى (٣١١٠)، ومسلم (٢٤٤٩/٩٥).

يومَ أحدٍ بينَ دِرعَيْنِ[1] .

وفى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل يومَ الفتحِ وعلى رأسِه المِغْفَرُ ، فلما نَزَعَه قيل له : هذا ابنُ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ . فقال : « اقْتُلوه » .

وعند مسلمٍ[3] مِن حديثِ أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل يومَ الفتحِ ، وعليه عِمامةٌ سوداءُ .

[٣/٤٢٣و] وقال وكيعٌ[4] ، عن مُساوِرٍ الوَرَّاقِ ، عن جعفرِ بنِ عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، عن أبيه قال : خطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ وعليه عِمامةٌ سَوْداءُ[5] .

[6]وقال وكيعٌ[7] ، عن عبد الرحمنِ ابنِ الغَسِيلِ أبى سليمانَ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب الناسَ وعليه عِمامةٌ دسماءُ[6] . ذكَرهما الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[8] .

وله مِن حديثِ الدَّراوَرْدىِّ[9] ، عن عُبَيْدِ[10] اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا اعْتَمَّ سدَلها بينَ كَتِفَيْه .

---

(١) انظر ما تقدم فى ٥/ ٣٥٢.

(٢) البخارى (١٨٤٦، ٣٠٤٤، ٤٢٨٦، ٥٨٠٨)، ومسلم (١٣٥٧/٤٥٠).

(٣) مسلم (١٣٥٨/٤٥١).

(٤) مسلم (١٣٥٨/٤٥٢).

(٥) فى م: «دسماء». وهما بمعنًى. انظر النهاية ٢/ ١١٧.

(٦ - ٦) سقط من الأصل، ٤١، م، ص.

(٧) أخرجه البخارى (٩٢٧، ٣٦٢٨، ٣٨٠٠)، من طريق ابن الغسيل به نحوه.

(٨) الشمائل (١١١) من طريق وكيع عن مساور، و(١١٣) من طريق وكيع عن ابن الغسيل.

(٩) الترمذى (١٧٣٦). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٤١٩).

(١٠) فى الأصل، م، ص: «عبد».

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ فى « مسندِه »[1] : حدثنا أبو شَيْبَةَ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، ثنا مُخَوَّلُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا إسرائيلُ ، عن عاصمٍ ، عن محمدِ ابنِ سِيرينَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنه كانت عندَه عُصَيَّةٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فمات فدُفِنت معه بينَ جنبِه وبينَ قميصِه . ثم قال البزارُ : لا نعْلَمُ رواه إلا مُخَوَّلُ بنُ راشدٍ ، وهو صدوقٌ فيه شِيعيَّةٌ ، واحْتُمِل على ذلك . وقال الحافظُ البيهقىُّ بعدَ روايتِه هذا الحديثَ مِن طريقِ مُخَوَّلٍ هذا ، قال[2] : وهو مِن الشِّيعةِ يأتى بأفْرادٍ عن إسرائيلَ لا يأتى بها غيرُه ، والضعفُ على رواياتِه بيِّنٌ ظاهرٌ .

ذكرُ نعلِه التى كان يمشِى فيها ، عليه الصلاةُ والسلامُ

ثبَت فى « الصحيحِ »[3] عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَلْبَسُ النِّعالَ السِّبْتِيَّةَ ، وهى التى لا شعْرَ عليها .

وقد قال البخارىُّ فى « صحيحِه »[4] : حدَّثنا محمدٌ ، هو ابنُ مُقاتلٍ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ ، يعنى ابنَ المُبارَكِ ، أنا عيسى بنُ طَهْمانَ قال : أخرَج إلينا أنسُ بنُ مالكٍ نعلَين لهما قِبالانِ . فقال ثابتٌ البُنانىُّ : هذه نعلُ النبىِّ ﷺ .

---

(١) كشف الأستار (٨٤٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٤٥: رواه البزار ورجاله موثقون . وعنده : « عصبة » و « جيبه » بدلا من « عصية » و « جنبه » .

(٢) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٩.

(٣) البخارى (١٦٦، ٥٨٥١) .

(٤) البخارى (٥٨٥٨) .

وقد رواه فى كتابِ الخُمُسِ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، عن أبى أحمدَ الزُّبَيْرِىِّ ، عن عيسى بنِ طَهْمانَ ، عن أنسٍ قال : أخْرَج إلينا أنسٌ نعْلَين جَرْداوَيْن[2] لهما قِبالان ، فحدَّثنى ثابتٌ البُنانىُّ بعدُ عن أنسٍ أنهما نَعْلا النبىِّ ﷺ . وقد رواه الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[3] عن أحمدَ بنِ مَنيعٍ ، عن أبى أحمدَ الزبيرىِّ به .

وقال الترمذىُّ فى « الشمائلِ »[4] : حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان لنعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قِبالانِ مُثَنًّى شِراكُهما .

وقال أيضًا[5] : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، أنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمرٍ ، عن ابنِ أبى ذئبٍ ، عن صالحٍ مولى التَّوْأَمةِ ، عن أبى هريرةَ قال : كان لنعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قِبالانِ .

وقال الترمذىُّ[6] : ثنا محمدُ بنُ مَرْزوقٍ أبو عبدِ اللَّهِ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ قيسٍ أبو معاويةَ ، ثنا هشامٌ ، عن محمدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كان لنعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قِبالانِ [٣/٤٢٣ظ] وأبى بكرٍ وعمرَ ، وأوَّلُ مَن عقَد عَقْدًا واحدًا عثمانُ . [7] حدَّثنا[8] أحمدُ بنُ منيعٍ ، ثنا أبو أحمدَ ، ثنا سفيانُ ، عن السُّدِّىِّ ،[7]

---

(١) فتح البارى ٦/ ٢١٢. حديث (٣١٠٧) .
(٢) جرداوين : مثنى جرداء ، أى لا شعر عليهما . انظر النهاية ١/ ٢٥٦، وفتح البارى ٦/ ٢١٤.
(٣) الشمائل (٧٥) .
(٤) الشمائل (٧٤) .
(٥) الشمائل (٧٧) .
(٦) الشمائل (٨٣) .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م ، ص . والحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل (٧٨) .

(١) حدثنى مَن سمِع عمرَو بنَ حُريثٍ يقولُ : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يصلِّى فى نعلينِ مَخْصوفينِ (١) . قال الجَوْهَرىُّ (٢) : قِبالُ النعلِ بالكسرِ : الزِّمامُ الذى يكونُ بينَ الأُصبُعِ الوُسْطى والتى تليها .

قلتُ : واشتُهر فى حدودِ سنةِ ستِّمائةٍ وما بعدَها عندَ رجلٍ مِن التُّجارِ يقالُ له : ابنُ أبى الحَدْرَدِ . نعلٌ مُفْرَدةٌ ذكَر أنها نعلُ النبىِّ ﷺ ، فسامها المَلِكُ الأشْرَفُ موسى بنُ المَلِكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ منه بمالٍ جزيلٍ فأبَى أن يَبيعَها ، فاتَّفق موتُه بعدَ حينٍ ، فصارت إلى الملكِ الأشْرفِ المذكورِ ، فأخَذها إليه (٣) وعظَّمها ، ثم لما بنَى دارَ الحديثِ الأشرفيَّةَ إلى جانبِ القلعةِ ، جعَلها فى خِزانةٍ منها ، وجعَل لها خادِمًا ، وقرَّر له مِن المعلومِ كلَّ شهرٍ أربعون درهمًا ، وهى موجودةٌ إلى الآنَ فى الدارِ المذكورةِ .

وقال الترمذىُّ فى « الشمائلِ » (٤) : ثنا محمدُ بنُ رافعٍ وغيرُ واحدٍ قالوا : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، ثنا شَيْبانُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المختارِ ، عن موسى بنِ أنسٍ ، عن أبيه قال : كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ سُكَّةٌ (٥) يتَطَيَّبُ منها .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) الصحاح (ق ب ل) .

(٣) سقط من : الأصل ، ٤١ .

(٤) الشمائل (٢٠٩) .

(٥) فى النسخ : « سلة » . والمثبت من الشمائل . والسُّكُّ : طيب معروف يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل . النهاية ٢/ ٣٨٤ . ولعل السكة وعاء هذا الطيب .

صفةُ قَدَحِ النبىِّ ﷺ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا شَريكٌ ، عن عاصمٍ قال : رأيْتُ عندَ أنسٍ قَدَحَ النبىِّ ﷺ فيه ضَبَّةٌ مِن فضةٍ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[2] : أخبرنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أخبرنى أحمدُ بنُ محمدٍ النَّسَوىُّ ، ثنا حمادُ بنُ شاكرٍ ، ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ - هو البخارىُّ - ثنا الحسنُ بنُ مُدْرِكٍ ، حدثنى يحيى بنُ حمادٍ ، أنا أبو عَوانةَ ، عن عاصمٍ الأحْولِ قال : رأيْتُ قَدَحَ النبىِّ ﷺ عندَ أنسِ بنِ مالكٍ ، وكان قد انصَدَع فسَلْسَله بفضَّةٍ . قال : وهو قَدَحٌ جيِّدٌ عَريضٌ ، مِن نُضارٍ[3] . قال أنسٌ : لقد سقَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى هذا القَدَحِ أكثرَ مِن كذا وكذا . قال : وقال ابنُ سِيرينَ : إنه كان فيه حَلْقةٌ مِن حديدٍ ، فأراد أنسٌ أن يَجْعَلَ مكانَها حَلْقةً مِن ذهبٍ أو فضَّةٍ ، فقال له أبو طلحةَ : لا تُغَيِّرَنَّ شيئًا [٣/ ٤٢٤و] صنَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ . فتركَه .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، ثنا حَجَّاجُ بنُ حَسَّانَ قال : كنا عندَ أنسٍ فدعا بإناءٍ فيه ثلاثُ ضَبَّاتِ حديدٍ وحَلْقَةٌ مِن حديدٍ ، فأُخْرِج مِن غِلافٍ أسودَ ، وهو دونَ الرُّبُعِ[5] وفوقَ نصفِ الرُّبُعِ ، وأمَر أنسُ بنُ مالكٍ فجُعِل

---

(١) المسند ٣/ ١٣٩.

(٢) السنن الكبرى ١/ ٣٠.

(٣) النضار : هو أجود أنواع الخشب للآنية . اللسان (ن ض ر) .

(٤) المسند ٣/ ١٨٧.

(٥) الربع : جزء من أربعة أجزاء ، ويطلق عُرْفًا على مكيال يسع أربعة أقداح . الوسيط (ر ب ع) .

لنا فيه ماءٌ فأُتِينا به ، فشرِبْنا وصبَبْنا على رءوسِنا ووجوهِنا ، وصلَّيْنا على النبىِّ ﷺ . انفَرَد به أحمدُ .

(١ ذكرُ ما ورَد فى ١) المُكْحُلةِ التى كان عليه الصلاةُ والسلامُ يَكْتَحِلُ منها

قال الإمامُ أحمدُ[٢] : ثنا يزيدُ ، أنا عبادُ[٣] بنُ منصورٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ مُكْحُلَةٌ يكْتَحِلُ منها عندَ النومِ ثلاثًا فى كلِّ عينٍ . وقد رواه الترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ[٤] . قال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[٥] : سمِعْتُ يحيى بنَ سعيدٍ يقولُ : قلتُ لعَبَّادِ بنِ منصورٍ : سمِعْتَ هذا الحديثَ مِن عكرمةَ ؟ فقال : أخبرَنيه ابنُ أبى يحيى عن داودَ بنِ الحُصينِ عنه .

قلتُ : وقد بلَغنى أن بالديارِ المصريةِ مَزارًا فيه أشياءُ كثيرةٌ مِن آثارِ النبىِّ ﷺ ، اعْتَنى بجمعِها بعضُ الوزراءِ المتأخرين ، فمِن ذلك مُكْحُلةٌ ، ومِيلٌ[٦] ، ومُشْطٌ وغيرُ ذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ١/ ٣٥٤.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « عبد اللَّه » . وانظر أطراف المسند ٣/ ٢١١، ٢١٢.

(٤) الترمذى (٢٠٤٨) ، وابن ماجه (٣٤٩٩) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٥٢) .

(٥) ذكره العقيلى فى الضعفاء الكبير ٣/ ١٣٦، ١٣٧ ، بإسناده عن على بن المدينى .

(٦) فى م ، ص : « قيل » . والميل : ما يُجعَل به الكحل فى العين . المعجم الوسيط (م ى ل) .

البُرْدَةُ

قال الحافظُ البيهقىُّ[1] : وأما البُرْدُ الذى عندَ الخلفاءِ فقد رُوِّينا عن محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسارٍ فى قصةِ تبوكَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطَى أهلَ أيْلَةَ بُرْدَه مع كتابِه الذى كتَب لهم أمانًا لهم ، فاشتراه أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ بثلاثِمائةِ دينارٍ . يعنى بذلك أولَ خلفاءِ بنى العباسِ وهو السَّفَّاحُ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد توارَث بنو العباسِ هذه البُرْدَةَ خَلَفًا عن سلفٍ ، كان الخَليفةُ يَلْبَسُها يومَ العيدِ على كَتِفَيه ، ويأْخُذُ القَضيبَ المنسوبَ إليه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، فى إحدى يدَيه ، فيخْرُجُ وعليه مِن السَّكينةِ والوَقارِ ما يَصْدَعُ [٣/ ٤٢٤ظ] به القلوبَ ، ويَبْهَرُ به الأبصارَ ، ويَلْبَسون السَّوادَ فى أيامِ الجُمَعِ والأعيادِ ، وذلك اقتداءً منهم بسيِّدِ أهلِ البَدْوِ والحَضَرِ ، ممن سَكنَ[2] الوَبَرَ والمَدَرَ ؛ لِما أخرجه البخارىُّ ومسلمٌ[3] إمامَا أهلِ الأَثَرِ مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعلى رأسِه المِغْفَرُ . وفى روايةٍ[4] : وعليه عِمامةٌ سوداءُ ، وفى روايةٍ[5] : قد أرْخَى طرَفَها بينَ كتفَيه . صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

وقد قال البخارىُّ[6] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا إسماعيلُ ، ثنا أيوبُ ، عن حُميدٍ[7] ، عن أبى بُرْدَةَ قال : أخْرَجَت إلينا عائشةُ كساءً وإزارًا غليظًا ، فقالت : قُبِض رُوحُ

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٨.

(٢) سقط من : ا ٤١. وفى م ، ص : « يسكن » .

(٣) البخارى (١٨٤٦، ٣٠٤٤، ٤٢٨٦، ٥٨٠٨) ، ومسلم (٤٥٠/١٣٥٧) مطولا .

(٤) مسلم (٤٥١/١٣٥٨) .

(٥) مسلم (٤٥٣/١٣٥٩) .

(٦) البخارى (٥٨١٨) .

(٧) فى م ، ص : « محمد » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٠٣.

النبىِّ ﷺ فى هذين .

وللبخارىِّ مِن حديثِ الزهرىِّ[1] ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عائشةَ وابنِ عباسٍ ، قالا : لما نزَل برسولِ اللَّهِ ﷺ طفِق يَطْرَحُ خَمِيصةً له على وجهِه ، فإذا اغْتَمَّ كشَفها عن وجهِه ، فقال وهو كذلك : « لعنةُ اللَّهِ على اليهودِ والنصارى ؛ اتخَذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ » . يُحَذِّرُ ما صنَعوا[2] . قلتُ : وهذه الأثوابُ[3] الثلاثةُ لا يُدْرَى ما كان مِن أمرِها بعدَ هذا ، وقد تقَدَّم[4] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، طُرِحت تحتَه فى قبرِه الكريمِ قَطيفةٌ حَمْراءُ كان يصلِّى عليها ، ولو تقَصَّيْنا ما كان يَلْبَسُه فى أيامِ حياتِه لطال الفصلُ ، وموضعُه كتابُ اللِّباسِ مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ وعليه التُّكلانُ .

ذِكْرُ[5] أفراسِه ومَراكيبِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال ابنُ إسحاقَ[6] : عن يزيدَ بنِ أبى[7] حَبيبٍ ، عن مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنىِّ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زُرَيرٍ[9] ، عن علىٍّ قال : كان للنبىِّ ﷺ فرسٌ يقالُ له :

---

(١) البخارى (٥٨١٥، ٥٨١٦) .

(٢) فى الأصل ، ١١١، ٤١، ص : « فعلوا » .

(٣) فى م : « الأبواب » .

(٤) تقدم فى صفحة ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣.

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٧٨، من طريق ابن إسحاق به .

(٧) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٨) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « المزنى » ، وفى الدلائل : « البرتى » . وكلاهما خطأ . وانظر الأنساب ٥/ ٦٩١، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧.

(٩) فى الأصل ، ٤١، م : « رزين » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥١٧.

المُرْتَجِزُ. وحمارٌ يقالُ له: عُفَيْرٌ. وبغلةٌ يقالُ لها: دُلْدُلُ. وسيفُه ذو الفَقارِ، ودِرْعُه ذو الفُضُولِ. ورواه البيهقيُّ مِن حديثِ الحكمِ، عن يحيى بنِ الجَزَّارِ، عن عليٍّ نحوَه[1]. قال البيهقيُّ[2]: ورَوَينا فى كتابِ «السننِ» أسماءَ أفراسِه التى كانت عندَ الساعدِيِّين؛ لِزَازًا واللُّحَيفَ، وقيل: اللُّخَيفُ. والظَّرِبَ. والذى ركِبه لأبى طلحةَ يقالُ له: المندوبُ. وناقتُه القَصْواءُ والعَضْباءُ والجَدْعاءُ، وبغلتُه الشَّهْباءُ والبَيْضاءُ. قال البيهقيُّ: وليس فى شىءٍ مِن الرواياتِ أنه مات عنهن [٣/ ٤٢٥و] إلا ما رَوَينا فى بغلتِه البيضاءِ، وسلاحِه، وأرضٍ جعَلها صدقةً، ومِن ثيابِه، ونَعْلَيه[3]، وخاتَمِه، وما رَوَينا فى هذا البابِ.

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[4]: ثنا زَمْعةُ بنُ صالحٍ، عن أبى حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ قال: تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وله جُبَّةُ صوفٍ فى الحياكةِ. وهذا إسنادٌ جيِّدٌ.

وقد روَى الحافظُ أبو يَعْلَى فى «مسندِه»: حدَّثنا مجاهدُ بنُ[5] موسى، ثنا علىُّ بنُ ثابتٍ، ثنا غالبٌ الجَزَرِىُّ، عن أنسٍ قال: لقد قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ وإنه لَيُنْسَجُ له كساءٌ مِن صوفٍ. وهذا شاهدٌ لِمَا قبلَه.

وقال أبو سعيدِ بنُ الأعرابىِّ[6]: حدثنا سَعْدانُ بنُ نَصْرٍ[7]، ثنا سفيانُ بنُ

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٢٧٨.

(٣) فى م، ص: «بغلته». وفى الدلائل: «نعله».

(٤) مسند الطيالسى (ل ٧٦) من المخطوطة العراقية. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٠٠، من طريق الطيالسى به مطولا.

(٥) فى م، ص: «عن». وهو خطأ. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٣٦.

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧/ ٢٧٩، من طريق ابن نصر به.

(٧) فى م، ص: «نصير». وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٥٧.

عُيَينةَ ، عن الوليدِ بنِ كَثيرٍ ، عن [1] حسنِ بنِ [1] حسينٍ ، عن فاطمةَ بنتِ الحسينِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قُبِض وله بُرْدان فى الجُفِّ [2] يُعْمَلان . وهذا مرسلٌ .

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرانىُّ [3] : ثنا الحسينُ [4] بنُ إسحاقَ التُّسْتَرِىُّ ، ثنا أبو أُميَّةَ عمرُو بنُ هشامٍ الحَرَّانىُّ ، ثنا عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن [5] علىِّ بنِ عروةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن عطاءٍ وعمرِو بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ سيفٌ قائمتُه مِن فضَّةٍ ، وقَبِيعتُه [6] من فضَّةٍ [6] ، وكان يُسمَّى [7] ذا الفَقارِ ، وكان له قوسٌ تُسَمَّى السَّدادَ ، وكانت له كِنانةٌ تُسَمَّى الجُمَعَ ، وكانت له دِرعٌ مُوَشَّحَةٌ بالنُّحاسِ تُسَمَّى ذاتَ الفُضُولِ ، وكانت له حَرْبةٌ تُسَمَّى النبعاءَ [8] ، وكان له مِجَنٌّ يُسَمَّى الذَّقنَ ، وكان له تُرسٌ أبْيَضُ يُسَمَّى الموجزَ ، وكان له فرسٌ أدْهَمُ يُسَمَّى السَّكْبَ ، وكان له سَرجٌ يُسَمَّى الدَّاجَ ، وكان له بغلةٌ شَهْباءُ يقالُ لها : دُلْدُلُ . وكانت له ناقةٌ تُسَمَّى القصواءَ ، وكان له حمارٌ يقالُ له : يَعْفورٌ . وكان له بِساطٌ يُسَمَّى [7] الكرَّ ، وكانت له عَنَزةٌ [9] تُسَمَّى النمرَ ، وكانت له رَكْوةٌ تُسَمَّى الصادرَ ، وكانت له مرآةٌ تُسَمَّى المرآةَ ، وكان له مِقْراضٌ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ا ٤ : « الجرف » ، وفى الدلائل : « الحق » . والجُفُّ : وعاء من جلد لا يوكأ : أى لا يشد . وقيل غير ذلك . انظر النهاية ١/ ٢٧٩.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ١١١ (١١٢٠٨) ، وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٢٩٣، من طريق عثمان بن عبد الرحمن بنحوه .

(٤) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٧.

(٥) فى م ، ص : « بن » .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من المعجم الكبير .

(٧) فى م : « يسميه » .

(٨) فى الأصل : « الينعاء » ، وفى م ، ص : « السغاء » ، وفى ا ٤ : « الشفاء » .

(٩) فى م ، ص : « نمرة » .

يُسَمَّى الجامعَ[1] ، وكان له قضيبُ شَوْحَطٍ يُسَمَّى الممشوقَ . [2]وهذا غريبٌ جدًّا[2] .

قلتُ : قد تقدم عن غيرِ واحدٍ مِن الصحابةِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يترُكْ دينارًا ، ولا درهمًا ، ولا عبدًا ، ولا أَمَةً ، سوى بغلةٍ ، وأرضٍ جعَلها صدقةً ، وهذا يقتضى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، نجَز [٣/ ٤٢٥ظ] العِتقَ فى جميعِ ما ذكَرْناه مِن العبيدِ والإماءِ ، والصدقةَ فى جميعِ ما ذُكِر مِن السلاحِ والحيواناتِ والأثاثِ والمَتاعِ مما أوْرَدْناه وما لم نُورِدْه ، فأما بغلتُه فهى الشهْباءُ ، وهى البيضاءُ أيضًا . واللَّهُ أعلمُ . وهى التى أهداها له المُقَوْقِسُ صاحبُ الإسْكَنْدَرِيَّةِ - واسمُه جُرَيْجُ ابنُ مِينا - فيما أهْدَى مِن التُّحَفِ ، وهى التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ راكبَها يومَ حُنَيْنٍ وهو فى نُحورِ العدوِّ يُنَوِّهُ باسِمه الكريمِ شجاعةً وتَوَكُّلًا على اللَّهِ ، عز وجل ، فقد قيل : إنها عُمِّرتْ بعدَه حتى كانت عندَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ فى أيامِ خلافتِه ، وتأخرتْ أيامُها حتى كانت بعدَ علىٍّ عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، فكان يَجُشُّ لها الشعيرَ حتى تأْكُلَه مِن ضعفِها بعدَ ذلك . وأما حمارُه يَعْفورٌ ، ويُصغَّرُ فيقالُ : عُفَيْرٌ . فقد كان عليه الصلاةُ والسلامُ يَرْكَبُه فى بعضِ الأحايينِ .

وقد روَى أحمدُ[3] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن مَرْثدِ[4] بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنىِّ[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زُرَيْرٍ[6] ، عن علىٍّ قال : كان

---

(١) فى ١١١، م، ص : « الجاح »، وفى ٤١ : « الخناح » .

(٢ - ٢) سقط من : م، ص .

(٣) المسند ١/ ١١١. (إسناده صحيح) .

(٤) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ٤٣٥.

(٥) فى الأصل، م، ص : « العوفى » .

(٦) فى الأصل، م، ص : « رزين »، وفى ١١١، ٤١ : « زر » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ٤٣٥.

رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ حمارًا يقالُ له : عُفَيْرٌ . ورواه أبو يَعْلَى مِن حديثِ عَوْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ مسعودٍ[1] . وقد ورَد فى أحاديثَ عدةٍ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ركِب الحمارَ .

وفى « الصحيحَيْن »[2] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مرَّ وهو راكبٌ حمارًا بمجلسٍ فيه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ ابنُ سَلُولَ ، وأخلاطٌ مِن المسلمين ، والمشركين عَبَدَةِ الأوثانِ ، واليهودِ ، فنزَل ودعاهم إلى اللَّهِ ، عز وجل ، وذلك قبلَ وقعةِ بدرٍ ، وكان قد عزَم على عيادةِ سعدِ بنِ عُبادةَ ، فقال له عبدُ اللَّهِ : لا أُحْسِنُ مما تقولُ أيها المَرْءُ ، فإن كان حقًّا فلا تَغْشَنا به فى مجالسِنا . وذلك قبلَ أن يَظْهَرَ الإسلامُ ، ويقالُ : إنه خمَّر أنفَه لما غشِيَتهم عَجاجةُ الدابَّةِ ، وقال : لا تُؤْذِنا بنتْنِ حمارِك . فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ : واللَّهِ لرِيحُ حمارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أطيبُ مِن ريحِك . وقال عبدُ اللَّهِ : بل يا رسولَ اللَّهِ ، اغْشَنا به فى مجالسِنا ، فإنا نُحِبُّ ذلك . فتثاور الحيَّان ، وهَمُّوا أن يقْتَتلوا ، فسكَّنهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم ذهَب إلى سعدِ بنِ عُبادةَ [٣/ ٤٢٦و] فشكَى إليه عبدَ اللَّهِ بنَ أُبَىٍّ ، فقال : ارْفُقْ به يا رسولَ اللَّهِ ، فوالذى أكْرَمَك بالحقِّ لقد بعَثك اللَّهُ بالحقِّ وإنا لَنَنْظِمُ له [3]الخرَزَ ؛ لنُتَوِّجَه[3] علينا ، فلما جاء اللَّهُ بالحقِّ [4]الذى بعَثَك به[4] شرَق بِرِيقِه .

وقد قدَّمْنا أنه ركِب الحمارَ فى بعضِ أيامِ خيبرَ ، وجاء أنه أرْدَف معاذًا على حمارٍ ، ولو أوْرَدْناها بألفاظِها وأسانيدِها لطال الفصلُ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) مسند أبى يعلى (٥٠٢٦) ، وقد رواه بسنده عن أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله ابن مسعود ، وليس عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كما ذكر المصنف .

(٢) البخارى (٢٦٩١) ، ومسلم (١٧٩٨/١١٦) ، كلاهما بنحوه .

(٣ - ٣) فى م : « الخدر نملكه » ، وفى ص : « الخرز لنملكه » .

(٤ - ٤) سقط من : م . وفى ١١١ : « بعثك به » ، وفى ص : « بعثك » .

فأما ما ذكَره القاضى عِياضُ بنُ موسى السَّبْتىُّ فى كتابِه « الشِّفا »[1] ، وذكَره قبلُ إمامُ الحرمَيْنِ فى كتابِه الكبيرِ فى أصولِ الدينِ وغيرُهما ، أنه كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ حمارٌ يُسَمَّى زيادَ بنَ شِهابٍ ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَبْعَثُه ؛ ليَطْلُبَ له بعضَ أصحابِه فيجىءَ إلى بابِ أحدِهم فيُقَعْقِعَه ، فيَعْلَمُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ يطْلُبُه ، وأنه ذكَر للنبىِّ ﷺ أنه سُلالةُ سبعين حمارًا ، كلٌّ منها ركِبه نبىٌّ ، وأنه لما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ذهَب فتردَّى فى بئرٍ فمات . فهو حديثٌ لا يُعْرَفُ له إسنادٌ بالكليةِ ، وقد أنْكَره غيرُ واحدٍ مِن الحفَّاظِ ، منهم عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ وأبوه ، رحِمهما اللَّهُ ، وقد سمِعْتُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجاجِ المزىَّ ، رحِمه اللَّهُ ، يُنْكِرُه غيرَ مرةٍ إنكارًا شديدًا .

وقال الحافظُ أبو نُعيمٍ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ »[2] : ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ موسى العَنْبَرىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ سُوَيْدٍ الجُذُوعىُّ ، حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أُذَيْنةَ[3] الطائىُّ ، عن ثورِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ قال : أتَى النبىَّ ﷺ وهو بخيبرَ حمارٌ أسودُ ، فوقَف بينَ يدَيه ، فقال : « مَن أنت ؟ » قال : أنا عمرُو بنُ فلانٍ ، كنا سبعةَ إخوةٍ ، كلُّنا ركِبَنا الأنبياءُ وأنا أصغرُهم ، وكنتُ لك ، فملَكنى رجلٌ مِن اليهودِ ، فكنتُ إذا ذكَرْتُك كبَوْتُ به فيُوجِعُنى ضربًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فأنت يَعْفورٌ » . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

---

(١) الشفا ١/ ٤٤٣. وانظر الموضوعات لابن الجوزى ١/ ٢٩٣، ٢٩٤، وفيهما - أى الشفا والموضوعات - أن اسمه يزيد .

(٢) دلائل النبوة (٢٨٨) .

(٣) فى ١١١، م، ص : « أذين » . وانظر المجروحين لابن حبان ٢/ ١٨، ١٩.

فصلٌ

وهذا أوانُ إيرادِ ما بَقِيَ علينا مِن مُتَعَلَّقاتِ السيرةِ الشريفةِ، وذلك أربعةُ كتبٍ؛ الأولُ فى الشمائلِ، والثانى فى الدلائلِ، والثالثُ فى الفضائلِ، والرابعُ فى الخصائصِ، وباللَّهِ المستعانُ، وعليه التُّكْلانُ، ولا حولَ [٣/٤٢٦ظ] ولا قوَّةَ إلا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ.

كتابُ الشَّمائلِ

شَمائلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبيانُ خَلْقِه [1]الظَّاهرِ وخُلُقِه[1] الطَّاهرِ

قد صنَّف الناسُ فى هذا، قديمًا وحديثًا، كتبًا كثيرةً مُفْرَدةً وغيرَ مُفْرَدةٍ، ومِن أحسنِ مَن جمَع فى ذلك فأجاد وأفاد الإمامُ أبو عيسى محمدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرَةَ الترمذىُّ، رحِمه اللَّهُ، أفْرَد فى هذا المعنى كتابَه المشهورَ «بالشَّمائلِ»، ولنا به سَماعٌ متصلٌ إليه، ونحن نُورِدُ عُيونَ ما أوْرَده فيه، ونَزيدُ عليه أشياءَ مهمةً لا يَسْتَغْنِى عنها المُحَدِّثُ والفقيهُ، ولْنَذْكُرْ أولًا بيانَ حُسْنِه الباهرِ، [2]عليه الصلاةُ والسلامُ، وجمالِه[2] الجميلِ، ثم نَشْرَعْ بعدَ ذلك فى إيرادِ الجُمَلِ والتفاصيلِ، فنقولُ، واللَّهُ المستعانُ وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلُ:

بابُ ما ورَد فى حُسْنِه الباهرِ [3]بعدَما تقدم مِن حَسَبِه الطَّاهرِ[3]

قال البخارىُّ[4]: ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ أبو عبدِ اللَّهِ، ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ، ثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ، عن أبيه، عن أبى إسحاقَ قال: سمِعْتُ البَراءَ بنَ عازبٍ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) سقط من: ٤١، م. وتقدم ذلك فى ٣/٣٥٣ - ٣٧٢.

(٤) البخارى (٣٥٤٩).

يقولُ : كان النبىُّ ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا ، وأحسنَه[1] خَلْقًا ، ليس بالطويلِ البائنِ ، ولا بالقصيرِ . وهكذا رواه مسلمٌ ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن إسحاقَ بنِ منصورٍ به[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا حَفْصُ[4] بنُ عمرَ ، ثنا شعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ قال : كان النبىُّ ﷺ مَرْبوعًا ، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، له شعرٌ يَبْلُغُ شَحْمةَ أُذُنَيه ، رأيْتُه فى حُلَّةٍ حمراءَ ، لم أرَ شيئًا قطُّ أحسنَ منه . قال يوسفُ ابنُ أبى إسحاقَ ، عن أبيه : إلى مَنْكِبيه .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا وكيعٌ ، ثنا سُفْيانُ[6] ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ قال : ما رأيْتُ مِن ذى لِمَّةٍ[7] أحسنَ فى حُلَّةٍ حمراءَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، له شعرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيه ، بعيدُ ما بينَ المَنْكِبين ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ . وقد رواه مسلمٌ وأبو داودَ والترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ وكيعٍ به[8] .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا إسرائيلُ ، أنا أبو إسحاقَ ، (ح) وحدثنا يحيى بنُ أبى بُكيرٍ ، حدثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ قال : سمِعْتُ البرَاءَ

---

(١) فى ١١١، ٤١، م : «أحسنهم» .
(٢) مسلم (٢٣٣٧/٩٣) .
(٣) البخارى (٣٥٥١) .
(٤) فى م : «جعفر» . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٦.
(٥) المسند ٤/ ٢٩٠، ٣٠٠.
(٦) فى النسخ : «إسرائيل» . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ١/ ٥٩٧.
(٧) فى الأصل : «حلة» . واللمة من شعر الرأس : دون الجُمَّة ، سميت بذلك ؛ لأنها ألَمَّت بالمنكبين ، فإذا زادت فهى الجمة . النهاية ٤/ ٢٧٣.
(٨) مسلم (٢٣٣٧/٩١) ، وأبو داود (٤١٨٣) ، والترمذى (١٧٢٤، ٣٦٣٥) ، والنسائى (٥٢٤٨) .
(٩) المسند ٤/ ٢٩٥.

يقولُ : ما رأيْتُ أحدًا مِن خَلْقِ اللَّهِ أحسنَ فى حُلَّةٍ حمراءَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإن جُمَّتَه لَتَضْرِبُ إلى مَنْكِبَيه . قال ابنُ أبى بُكيرٍ : لَتَضْرِبُ قريبًا مِن مَنْكِبيه . قال - يعنى أبا إسحاقَ - : وقد [٣/ ٤٢٧و] سمِعْتُه يُحَدِّثُ به مرارًا ، ما حدَّث به قطُّ إلا ضحِك . وقد رواه البخاريُّ فى اللِّباسِ ، والترمذىُّ فى « الشمائلِ » ، والنسائىُّ فى الزِّينةِ مِن حديثِ إسرائيلَ به[(١)] .

وقال البخاريُّ[(٢)] : حدثنا أبو نُعيم ، ثنا زُهَيرٌ ، عن أبى إسحاقَ قال : سُئِل البَرَاءُ بنُ عازبٍ : أكان وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلَ السيفِ ؟ قال : لا ، بل مثلَ القمرِ[(٣)] . ورواه الترمذىُّ مِن حديثِ زُهَيرِ بنِ معاويةَ الجُعْفىِّ الكوفىِّ ، عن أبى إسحاقَ السَّبيعىِّ ، واسمُه عمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ الكوفىُّ ، عن البرَاءِ بنِ عازبٍ به[(٤)] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[(٥)] : أخبرنا أبو الحُسينِ[(٦)] بنُ الفَضْلِ القَطَّانُ ببغدادَ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ دَرَسْتَوَيْهِ ، ثنا أبو يوسفَ يعقوبُ ابنُ سفيانَ ، ثنا أبو نُعيمٍ وعبيدُ اللَّهِ[(٧)] ، عن إسرائيلَ ، عن سِماكٍ ، أنه سمِع جابرَ ابنَ سَمُرةَ قال له رجلٌ : أكان رسولُ اللَّهِ ﷺ وجهُه مثلُ السيفِ ؟ قال جابرٌ :

---

(١) البخارى (٥٩٠١) ، والترمذى فى الشمائل (٦٢) ، والنسائى (٥٠٧٥) .

(٢) البخارى (٣٥٥٢) .

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٥٧٣: كأن السائل أراد أنه مثل السيف فى الطول ، فرد عليه البراء فقال : بل مثل القمر . أى فى التدوير ، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللمعان والصقال ، فقال : بل فوق ذلك . وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان .

(٤) الترمذى (٣٦٣٦) .

(٥) دلائل النبوة ١/ ١٩٥.

(٦) سقط من : ٤١. وفى ١١١، م، ص : « الحسن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٣١.

(٧) فى ١١١، ٤١، م، ص : « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

لا ، بل مثلَ الشمسِ والقمرِ مُسْتديرًا . وهكذا رواه مسلمٌ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ موسى به[1] .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ مُطوَّلًا ، فقال[2] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا إسرائيلُ ، عن سِماكٍ ، أنه سمِع جابرَ بنَ سَمُرةَ يقولُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد شمِط مُقَدَّمُ رأسِه ولحيتِه[3] ، فإذا ادَّهَن ومشَطهن لم يَتَبيَّنْ ، وإذا شعِث رأسُه تبيَّنَ ، وكان كثيرَ الشعرِ واللحيةِ ، فقال رجلٌ : وجهُه مثلُ السيفِ ؟ قال : لا ، بل مثلَ الشمسِ والقمرِ مُسْتديرًا . قال : ورأيْتُ خاتَمَه عندَ كتفِه مثلَ بَيْضةِ الحَمامةِ يُشْبِهُ جسدَه .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[4] : أنا أبو طاهرٍ الفقيهُ ، أنا أبو حامدِ بنُ بلالٍ ، ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ الأحْمَسىُّ ، ثنا المُحاربىُّ ، عن أشعثَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ليلةٍ إضْحِيانٍ[5] وعليه حُلَّةٌ حمراءُ ، فجعَلْتُ أنْظُرُ إليه وإلى القمرِ ، فلَهُوَ[6] كان فى عَيْنِى[6] أحسنَ مِن القمرِ . وهكذا رواه الترمذىُّ والنسائىُّ جميعًا ، عن هَنَّادِ بنِ السَّرِىِّ ، عن عَبْثَرِ[7] بنِ القاسمِ ، عن أشْعَثَ بنِ سَوَّارٍ[8] . قال النسائىُّ : وهو ضعيفٌ ، وقد أخْطَأ ، والصوابُ : أبو إسحاقَ ، عن البرَاءِ . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ أشعثَ بنِ سَوَّارٍ ، وسألْتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ - يعنى البخارىَّ - قلتُ : حديثُ أبى إسحاقَ عن البرَاءِ أصحُّ أم حديثُه عن جابرٍ ؟

---

(١) مسلم (٢٣٤٤/١٠٩) .

(٢) المسند ٥/ ١٠٤.

(٣) الشَّمَط فى الشعر : اختلافه بلونين من سواد وبياض . اللسان (ش م ط) .

(٤) دلائل النبوة ١/ ١٩٦.

(٥) إضحيان : مضيئة مقمرة . النهاية ٣/ ٧٨.

(٦ - ٦) فى م : « عندى » .

(٧) فى م : « عيثر » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٦٩.

(٨) الترمذى (٢٨١١) ، والنسائى فى الكبرى (٩٦٤٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢/ ٣٦٧) .

[٣/٤٢٧ظ] فرأى كلا الحديثَيْن صحيحًا .

وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[١] عن كعبِ بنِ مالكٍ ، فى حديثِ التوبةِ قال : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه حتى كأنَّه قطعةُ قمرٍ . وقد تقدَّم الحديثُ بتمامِه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[٢] : حدثنا سعيدٌ ، ثنا يونُسُ بنُ أبى يَعْفُورٍ العَبْدىُّ ، عن أبى إسحاقَ الهَمْدانىِّ ، عن امرأةٍ مِن هَمْدانَ سمَّاها ، قالت : حجَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فرأيْتُه على بعيرٍ له يَطوفُ بالكعبةِ ، بيدِه مِحْجَنٌ ، عليه بُرْدان أحْمران يكادُ يَمَسُّ مَنْكِبَه ، إذا مرَّ بالحَجَرِ استلمه بالمِحْجَنِ ، ثم يَرْفَعُه إليه فيُقَبِّلُه . قال أبو إسحاقَ : فقلتُ لها : شَبِّهِيه[٣] . قالت : كالقمرِ ليلةَ البدرِ ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[٤] : حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ موسى التَّيْمىُّ ، ثنا أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن أبى عُبَيدةَ بنِ محمدِ بنِ عَمَّارِ بنِ ياسرٍ قال : قلتُ للرُّبَيِّعِ بنتِ مُعَوِّذٍ : صِفِى لى رسولَ اللَّهِ ﷺ . قالت : يا بُنىَّ ، لو رأيْتَه رأيْتَ الشمسَ طالعةً . ورواه البيهقىُّ مِن حديثِ يعقوبَ بنِ محمدٍ الزهرىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ موسى التَّيْمىِّ بسندِه[٥] ، فقالت : لو رأيْتَه لقلتَ : الشمسُ طالعةٌ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[٦] مِن حديثِ الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٩١.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/١٩٩ ، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٣) فى م ، ص : « شبهته » .

(٤) المصدر السابق ١/٢٠٠ ، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٥) المصدر السابق .

(٦) البخارى (٦٧٧١) ، ومسلم (١٤٥٩/٣٨) .

قالت : دخَل عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ مسرورًا تَبْرُقُ أَساريرُ وجهِه . الحديثَ .

(١) وقال أبو زُرْعَةَ الرازيُّ فى « دلائلِ النبوةِ »(٢) : بابُ مَن كان يَتَبَرَّكُ بوجهِ النبيِّ ﷺ ونسبِه المبارَكِ ، حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ أبى الحَجّاجِ ، ثنا عبدُ الوارثِ ، ثنا عُتْبَةُ بنُ عبدِ الملكِ السَّهْمِيُّ ، حدثنى كُرَيْمُ بنُ الحارثِ بنِ عَمْرٍو السَّهْمِيُّ ، أنَّ الحارثَ بنَ عَمْرٍو حدثه قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بمِنًى أو بعرفاتٍ وقد أَطاف به الناسُ . قال : وتَجِيءُ الأعرابُ ، فإذا رَأَوْا وجهَه قالوا : هذا وجهٌ مبارك(١) .

صفةُ لونِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

قال البخاريُّ(٣) : ثنا يحيى بنُ بُكيرٍ ، ثنا الليثُ ، عن خالدٍ ، هو ابنُ يزيدَ ، عن سعيدٍ ، يعنى ابنَ أبى(٤) هلالٍ ، عن رَبيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ قال : سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ يصِفُ النبيَّ ﷺ قال : كان رَبْعةً مِن القومِ ؛ ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، أزهرَ اللونِ ؛ ليس بأبيضَ أمْهَقَ ولا بآدَمَ ، ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ ولا سَبْطٍ رَجِلٍ ، أُنْزِل عليه وهو ابنُ أربعين ، [٣/٤٢٨و] فلبِث بمكةَ عشْرَ سنين يُنْزَلُ عليه ، وبالمدينةِ عشْرَ سنين ، وتُوُفِّيَ(٥) وليس فى رأسِه ولحيتِه عشرون شعرةً بيضاءَ . قال ربيعةُ : فرأيت شَعْرًا مِن شَعْرِه ، فإذا هو أحمرُ . فسألْتُ ، فقيل : احْمَرَّ مِن الطِّيبِ .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٤٢) من طريق أبى معمر به . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥٣٢) .

(٣) البخارى (٣٥٤٧) .

(٤) سقط من : ١١١، ٤١، م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٤.

(٥) سقط من : م . وفى البخارى : « قبض » .

ثم قال البخاريُّ[1] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، أخبرنا مالكُ بنُ أنسٍ ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، أنه سمِعه يقولُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالطويلِ البائنِ ولا بالقصيرِ ، وليس بالأبيضِ الأمْهَقِ ولا بالآدَمِ ، وليس بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبْطِ ، بعَثه اللَّهُ على رأسِ أربعين سنةً ، فأقام بمكةَ عشْرَ سنين ، وبالمدينةِ عشْرَ سنين ، فتوفاه اللَّهُ[2] وليس فى رأسِه ولحيتِه عشرون شعرةً بيضاءَ . وكذا رواه مسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى ، عن مالكٍ ، ورواه أيضًا عن قتيبةَ ويحيى بنِ أيوبَ وعلىِّ بنِ حُجْرٍ ؛ ثلاثتُهم عن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ وعن القاسمِ بنِ زكريا ، عن خالدِ بنِ مَخْلَدٍ ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، ثلاثتُهم عن ربيعةَ به[3] . ورواه الترمذىُّ والنسائىُّ جميعًا ، عن قتيبةَ ، عن مالكٍ به[4] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

قال الحافظُ البيهقىُّ[5] : ورواه ثابتٌ عن أنسٍ فقال : كان أزهرَ اللونِ . قال : ورواه حُمَيدٌ كما أَخْبَرَنا . ثم ساق بإسنادِه عن يعقوبَ بنِ سفيانَ ، حدثنى عمرُو ابنُ عَوْنٍ وسعيدُ بنُ منصورٍ ، قالا : حدثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن حُمَيدٍ الطويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أسمرَ اللونِ .

وهكذا روَى هذا الحديثَ الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[6] ، عن [7]الحسنِ بنِ[7] علىٍّ ،

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١١٠.

(٢) بعده فى الأصل، ١١١، ص: «على رأس ستين سنة». وهذا لفظ رواية مسلم.

(٣) مسلم (١١٣، ٢٣٤٧/٠٠٠).

(٤) الترمذى (٣٦٢٣)، والنسائى فى الكبرى (٩٣١٠).

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢٠٣.

(٦) كشف الأستار (٢٣٨٨).

(٧ - ٧) سقط من: م، ص. وانظر تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥.

عن خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن حُمَيدٍ ، عن أنسٍ . قال[1] : وحدثناه محمدُ بنُ المُثَنَّى قال : حدثنا عبدُ الوَهَّابِ قال : حدَّثنا حُمَيدٌ ، عن أنسٍ قال : لم يكنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، وكان إذا مشَى تكَفَّأ ، وكان أسمرَ اللونِ . ثم قال البزارُ : لا نَعْلَمُ رواه عن حُمَيدٍ إلا خالدٌ وعبدُ الوَهَّابِ .

ثم قال البيهقيُّ ، رحِمه اللَّهُ[2] : وأخبرنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ ، أنا أبو جعفرٍ الرَّزَّازُ[3] ، ثنا يحيى بنُ جعفرٍ ، ثنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا حُمَيدٌ ، سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ ... فذكَر الحديثَ فى صفةِ النبىِّ ﷺ ، قال : كان أبيضَ ، بَياضُه إلى السُّمْرةِ . قلتُ : وهذا السِّياقُ أصحُّ[4] مِن الذى قبلَه ، وهو [٣/ ٤٢٨ظ] يقْتَضى أن السُّمْرةَ التى كانت تعلو وجهَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن كثرةِ أسْفارِه وبُروزِه للشمسِ . واللَّهُ أعلمُ .

فقد قال يعقوبُ بنُ سفيانَ الفَسَوىُّ أيضًا[5] : حدثنى عمرُو بنُ عونٍ وسعيدُ ابنُ منصورٍ ، قالا : ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[6] الجُرَيْرىِّ ، عن أبى الطُّفَيْلِ قال : رأيْتُ[7] النبىَّ ﷺ ولم يبْقَ أحدٌ رآه غيرى . فقلنا له : صِفْ لنا رسولَ اللَّهِ ﷺ . فقال : كان أبيضَ مَليحَ الوجهِ . ورواه مسلمٌ عن سعيدِ بنِ منصورٍ به[8] . ورواه

---

(١) أى البزار . كشف الأستار (٢٣٨٩) . حسن إسنادهما الحافظ فى الفتح ٦/ ٥٦٩.

(٢) دلائل النبوة ١/ ٢٠٤.

(٣) سقط من : ٤١ . وفى الأصل : « الرازى » ، وفى ١١١ ، م ، ص : « البزار » . والمثبت من دلائل النبوة . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٨٥.

(٤) فى م : « أحسن » .

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٢.

(٦) فى م ، ص : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٩٩.

(٧) بعده فى المعرفة والتاريخ : « وجه » .

(٨) مسلم (٢٣٤٠/٩٨) .

أيضًا وأبو داودَ[1] مِن حديثِ سعيدِ بنِ إياسٍ الجُرَيْرِيِّ ، عن أبى الطُّفَيْلِ عامرِ بنِ واثلةَ الليثيِّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أبيضَ مَليحًا ، إذا مشَى كأنما ينْحَطُّ[2] فى صَبُوبٍ . لفظُ أبى داودَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا يزيدُ[4] بنُ هارونَ ، أنبأنا الجُرَيْرِيُّ قال : كنتُ أطوفُ مع أبى الطُّفيلِ فقال : ما بَقِىَ أحدٌ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرى . قلتُ : ورأيْتَه ؟ قال : نعم . قال : قلتُ : كيف كانت صفتُه ؟ قال : كان أبيضَ مَليحًا مُقَصَّدًا[5] . وقد رواه الترمذىُّ عن بُنْدارٍ وسفيانَ بنِ وَكيعٍ ، كلاهما عن يزيدَ بنِ هارونَ به[6] .

وقال البيهقىُّ[7] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ أو أبو الفضْلِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا أحمدُ بنُ سَلَمةَ ، ثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعْلَى الأسَدىُّ ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى جُحَيْفَةَ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أبيضَ قد شاب ، وكان الحسنُ بنُ علىٍّ يُشْبِهُه . ثم قال : رواه مسلمٌ عن واصلِ بنِ عبدِ الأعْلَى . ورواه البخارىُّ ، عن عمرِو بنِ علىٍّ ، عن محمدِ بنِ فُضَيْلٍ . وأصلُ الحديثِ كما ذَكَر فى « الصحيحَيْن » ، ولكن بلفظٍ آخرَ كما سيأتى .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[8] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مالكِ بنِ

---

(١) مسلم (٢٣٤٠/٩٩) ، وأبو داود (٤٨٦٤) .
(٢) فى سنن أبى داود : « يهوى » .
(٣) المسند ٥/ ٤٥٤.
(٤) فى ١١١، م، ص: « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦١.
(٥) المقصد: هو الذى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم. النهاية ٤/ ٦٧.
(٦) الترمذى فى الشمائل (١٣) .
(٧) دلائل النبوة ١/ ٢٠٥؛ من طريق محمد بن إبراهيم، وليس عبد اللَّه بن جعفر.
(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٠٧، من طريق محمد بن إسحاق به.

جُعْشُمٍ ، عن أبيه ، أن سُراقةَ بنَ مالكٍ قال : أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، [1] فلما دنَوْتُ منه [1] وهو على ناقتِه ، جعَلْتُ أنظُرُ إلى ساقِه كأنها جُمَّارةٌ . وفى روايةِ يونسَ عن ابنِ إسحاقَ : واللَّهِ لكأنى أنظُرُ إلى ساقِه فى غَرْزِه كأنها جُمَّارةٌ . قلتُ : يعنى مِن شدةِ بَياضِها كأنها جُمَّارةُ طَلْعِ النخلِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أميَّةَ ، عن مولًى لهم مُزاحمِ بنِ أبى مُزاحمٍ ، [٣/ ٤٢٩و] عن عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسِيدٍ ، عن رجلٍ مِن خُزاعةَ يقالُ له : مُحَرِّشٌ أو مُخَرِّشٌ . لم يكنْ سُفيانُ يقِفُ على اسمِه ، وربما قال : مُحَرِّشٌ . ولم أسْمَعْه أنا ، أن النبىَّ ﷺ خرَج مِن الجِعْرانةِ ليلًا ، فاعْتَمر ، ثم رجَع فأصْبَح بها كبائتٍ ، فنظَرْتُ إلى ظهرِه كأنه سَبيكةُ فضةٍ . تفرد به أحمدُ[3] . وهكذا رواه يعقوبُ بنُ سفيانَ ، عن الحُميدىِّ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ[4] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ العَلاءِ ، حدَّثنى عمرُو بنُ الحارثِ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ سالمٍ ، عن الزُّبَيْدىِّ ، أخبرنى محمدُ بنُ مسلمٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أنه سمِع أبا هريرةَ يصِفُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : كان شديدَ البَياضِ . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ[6] ، ولم يُخْرِجوه .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) المسند ٣/ ٤٢٦، ٤/ ٦٩، ٥/ ٣٨٠.

(٣) قلت : لم يتفرد به أحمد ، فقد أخرجه النسائى (٢٨٦٤) ، من طريق سفيان . صحيح (صحيح سنن النسائى ٢٦٨٢) . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٥٤، والمسند الجامع ١٥/ ٧٦، ٧٧.

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٣٤٢.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « حسن » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا حسنٌ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ لَهيعةَ ، ثنا أبو يونسَ سُلَيمُ ابنُ جُبَيْرٍ مولى أبى هريرةَ ، أنه سمِع أبا هريرةَ ، رضى اللَّهُ عنه ، يقولُ : ما رأيْتُ شيئًا أحسنَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كان كأنَّ الشمسَ تَجْرِى فى جبهتِه[2] ، وما رأيْتُ أحدًا أسْرَعَ فى مِشْيتِه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كأنما الأرضُ تُطْوَى له ، إنا لَنَجهَدُ أنفسَنا وإنه لغيرُ مُكْتَرِثٍ . ورواه الترمذىُّ ، عن قتيبةَ ، عن ابنِ لَهيعةَ به ، وقال : كأن الشمسَ تَجْرى فى وجهِه ﷺ[3] . وقال : غريبٌ . ورواه البيهقىُّ[4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ ، عن رِشْدِينِ بنِ سعدٍ المصرىِّ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن أبى يونُسَ ، عن أبى هريرةَ . وقال : كأنَّ الشمسَ تَجْرِى فى وجهِه . وكذلك رواه ابنُ عَساكرَ[5] مِن حديثِ حَرْملةَ ، عن ابنِ وهبٍ ،عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن أبى يونسَ ، عن أبى هريرةَ ، فذكَره ، وقال : كأنما الشمسُ تجرى فى وجهِه .

وقال البيهقىُّ[6] : أنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبيدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا حجاجٌ ، ثنا حمادٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ [7]محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن[7] محمدِ بنِ علىٍّ ، يعنى ابنَ الحَنَفيَّةِ ، عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أزْهَرَ اللونِ .

---

(١) المسند ٢/ ٣٥٠.

(٢) فى ١١١، ا٤: «جبينه».

(٣) الترمذى (٣٦٤٨). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٥٠).

قلت : قد رواه الإمام أحمد عن قتيبة بلفظه ٢/ ٣٨٠.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٢٦٧.

(٦) دلائل النبوة ١/ ٢٠٦.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل.

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : حدثنا المسعوديُّ ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هُرْمُزَ ، عن نافعِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مُشْرَبًا وجهُه حُمْرةً .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] : ثنا ابنُ الأصْبهانيِّ ، ثنا شَريكٌ ، عن عبدِ الملكِ ابنِ عُمَيْرٍ ، عن نافعِ بنِ جُبَيرٍ قال : [٣/ ٤٢٩ظ] وصَف لنا عليٌّ النبيَّ ﷺ فقال : كان أبيضَ مُشْرَبَ الحُمرةِ . وقد رواه الترمذيُّ بنحوِه مِن حديثِ المسعوديِّ ، عن عثمانَ بنِ مسلمِ بنِ[3] هُرْمُزَ[4] ، وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ .

قال البيهقيُّ[5] : وقد رُوِيَ هكذا عن عليٍّ مِن وجهٍ آخرَ . قلتُ : رواه ابنُ جُرَيجٍ ، عن صالحِ بنِ سُعَيدٍ ، عن نافعِ بنِ جُبَيرٍ ، عن عليٍّ[6] . قال البيهقيُّ : ويقالُ : إن المُشْرَبَ منه حُمرةٌ [7]ما ضَحا للشمسِ والرياحِ[7] ، وما تحتَ الثيابِ فهو الأبيضُ الأزْهرُ .

---

(١) مسند أبي داود (١٧١) مطولًا ، كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٢٠٦، من طريق الطيالسي به ، واللفظ له .

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٢، ٣٤٣.

(٣) في النسخ : « عن » ، والمثبت من سنن الترمذي . وعثمان بن مسلم هذا يقال له أيضا : عثمان بن عبد اللَّه . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٩٢.

(٤) الترمذي (٣٦٣٧) . صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٨٧٧) .

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢٠٦.

(٦) زوائد عبد اللَّه على المسند ١/ ١١٦. (إسناده صحيح) .

(٧ - ٧) سقط من الدلائل . وضحا : برز وبدا .

صفةُ وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وذكرُ محاسنِه مِن فَرْقِه وجبينِه وحاجبَيه وعينَيه ، وأنفِه (١) وفمِه وثناياه ، وما جرَى مَجْرى ذلك مِن محاسنِ طلعتِه ومُحَيَّاه (١)

قد تقدم قولُ أبى الطُّفَيلِ : كان أبيضَ مَليحَ الوجهِ . وقولُ أنسٍ : كان أزْهَرَ اللونِ . وقولُ البراءِ وقد قيل له : أكان وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلَ السيفِ ؟ يعنى فى صِقالِه ، فقال : لا ، بل مثلَ القمرِ . وقولُ جابرِ بنِ سَمُرةَ وقد قيل له مثلُ ذلك ، فقال : لا ، بل مثلَ الشمسِ والقمرِ مستديرًا . وقولُ الرُّبَيِّعِ بنتِ مُعَوِّذٍ : لو رأيْتَه لقلتَ : الشمسُ طالعةٌ . وفى روايةٍ : لرأيْتَ الشمسَ طالعةً .

وقال أبو إسحاقَ السَّبيعىُّ عن امرأةٍ مِن هَمْدانَ حجَّت مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسألَها عنه ، فقالت : كان كالقمرِ ليلةَ البدرِ ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه . وقال أبو هريرةَ : كأنَّ الشمسَ تجْرى فى وجهِه . وفى روايةٍ : فى جبهتِه .

وقال الإمامُ أحمدُ (٢) : حدثنا عفانُ وحسنُ بنُ موسى ، قالا : ثنا حمادٌ ، وهو ابنُ سَلَمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ضخمَ الرأسِ ، عظيمَ العينَين ، أهْدَبَ الأشْفارِ (٣) ، مُشْرَبَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ١/ ١٠١ . (إسناده صحيح) .

(٣) أهدب الأشفار : أى طويل شعر الأجفان . النهاية ٥/ ٢٤٩ .

العينَين بحُمرةٍ ، كثُّ اللحيةِ ، أزهرَ اللونِ ، شَثْنَ الكفَّين والقدمين[1] ، إذا مشَى كأنما يمشى فى صُعُدٍ ، وإذا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جميعًا . تفرد به أحمدُ .

وقال أبو يَعْلى[2] : حدثنا زكريا بنُ يحيى الواسطىُّ ، ثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، ثنا الحجاجُ ، عن سالمٍ المكىِّ ، عن ابنِ الحَنَفيَّةِ ، عن علىٍّ ، أنه سُئِل عن صفةِ النبىِّ ﷺ فقال : كان لا قصيرًا ولا طويلًا ، حسنَ الشعرِ رَجِلَه ، مُشْرَبًا وجهُه حمرةً ، [٣/ ٤٣٠و] ضخمَ الكَراديسِ ، شَثْنَ الكفَّين[3] والقدمين ، عظيمَ الرأسِ ، طويلَ المَسْرُبةِ[4] ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ، إذا مشَى تكَفَّأَ كأنما يَنْزِلُ مِن صَبَبٍ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ : عن الواقدىِّ[5] ، حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عمرَ ابنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىٍّ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ ، فإنى لأَخْطُبُ يومًا على الناسِ ، وحبرٌ مِن أحبارِ يهودَ واقفٌ فى يدِه سِفْرٌ ينظُرُ فيه ، فلما رآنى قال : صِفْ لنا أبا القاسمِ . فقال علىٌّ : رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالقصيرِ ولا بالطويلِ البائنِ ، وليس بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبْطِ ، هو رَجِلُ الشعرِ أسودُه ، ضخمُ الرأسِ ، مُشْرَبٌ لونُه حمرةً ، عظيمُ الكَراديسِ ، شَثْنُ الكفين والقدمين ، طويلُ المَسْرُبةِ ، وهو الشعرُ الذى يكونُ مِن النَّحْرِ إلى السُّرَّةِ ، أهدبُ الأشفارِ ، مَقْرونُ الحاجبين ، صَلْتُ الجبينِ[6] ، بعيدُ ما بينَ المَنْكِبين ، إذا

---

(١) شثن الكفين : أى أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر . وقيل : هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر . ويحمد ذلك فى الرجال ؛ لأنه أشد لقبضهم ، ويذم فى النساء . النهاية ٢/ ٤٤٤ .

(٢) مسند أبى يعلى (٣٧٠) ، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٤٨، ٢٤٩، واللفظ له .

(٣) فى م : « الكعبين » .

(٤) المسربة : ما دق من شعر الصدر سائلًا إلى الجوف . النهاية ٢/ ٣٥٦.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٤١٢، ٤١٣، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٤٩، ٢٥٠. واللفظ له .

(٦) صلت الجبين : واسعه . وقيل : الصلت : الأملس . وقيل : البارز . النهاية ٣/ ٤٥.

مشَى تكَفَّأ كأنما يَنْزِلُ مِن صَبَبٍ ، لم أرَ قبلَه مثلَه ولا بعدَه مثلَه . قال عليٌّ : ثم سكَتُّ ، فقال لىَ الحبرُ : وماذا ؟ قال عليٌّ : هذا ما يَحْضُرُنى . قال الحبرُ : فى عينيه حمرةٌ ، حسنُ اللحيةِ ، حسنُ الفمِ ، تامُّ الأذنين ، يُقْبِلُ جميعًا ويُدْبِرُ جميعًا . فقال عليٌّ : هذه واللَّهِ صفتُه . قال الحبرُ : (١وشىءٌ آخرُ١) . قال عليٌّ : وما هو ؟ قال الحبرُ : وفيه جَنَأٌ . قال عليٌّ : هو الذى قلتُ لك : كأنما ينْزِلُ مِن صَبَبٍ . قال الحبرُ : فإنى أجِدُ هذه الصفةَ فى سِفْرِ آبائى[٢] ، ونجِدُه يُبْعَثُ فى حَرَمِ اللَّهِ وأمْنِه وموضعِ بيتِه ، ثم يُهاجرُ إلى حَرَمٍ يُحَرِّمُه هو ، ويكونُ له حُرْمةٌ كحُرْمةِ الحرمِ الذى حرَّم اللَّهُ ، ونجِدُ أنصارَه الذين هاجَر إليهم ، قومًا مِن ولدِ عمرِو بنِ عامرٍ أهلَ نَخْلٍ ، وأهلَ الأرضِ قِبَلَهم يهودَ . قال عليٌّ : هو هو ، وهو رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال الحبرُ : فإنى أشْهَدُ أنه نبىٌّ ، وأنه رسولُ اللَّهِ إلى الناسِ كافةً ، فعلى ذلك أحيا وعليه أموتُ وعليه أُبْعَثُ إن شاء اللَّهُ . قال : فكان يأتى عليًّا فيُعَلِّمُه القرآنَ ويُخْبِرُه بشرائعِ الإسلامِ ، ثم خرَج عليٌّ والحبرُ هنالك حتى مات فى خلافةِ أبى بكرٍ وهو مؤمنٌ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، مُصَدِّقٌ به . وهذه الصفةُ قد ورَدت عن أميرِ [٣/ ٤٣٠ظ] المؤمنين عليِّ بنِ أبى طالبٍ مِن طرقٍ متعددةٍ سيأتى ذكرُها .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[٣] : حدثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، حدثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : سُئل أو قيل لعلىٍّ : انعَتْ لنا رسولَ اللَّهِ ﷺ . فقال : كان أبيضَ مُشْرَبًا بياضُه حمرةً ، وكان أسودَ الحَدَقةِ ، أهْدبَ الأشْفارِ .

(١ - ١) سقط من : ص . وفى م : « وماذا » .

(٢) فى م ، ص : « إياى » .

(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٣.

قال يعقوبُ[1] : وحدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ[2] وسعيدُ بنُ منصورٍ ، قالا : ثنا عيسى بنُ يونسَ ، ثنا عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ مولى غُفْرَةَ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ مِن[3] ولدِ عليٍّ ، قال : كان عليٌّ إذا نعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : كان فى الوجهِ تَدْويرٌ ، أبيضَ ، أدْعَجَ العينَين ، أهْدَبَ الأشْفارِ . قال الجَوْهَرىُّ[4] : الدَّعَجُ شدَّةُ سوادِ العينِ مع سَعَتِها .

[5]حديثٌ آخرُ : روىَ الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى فى كتابِه « مسانيدِ الشِّعْرِ » ، مِن طريقِ البخارىِّ فى « التاريخِ » أنه قال[6] : ثنا عمرُو بنُ محمدٍ الرَّبِيعىُّ ، ثنا أبو عبيدةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى ، حدثنى هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كنتُ قاعدةً أَغْزِلُ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نعلَه . قالت : فنظرتُ إليه ، فجعَل جبينُه يَعْرَقُ ، وجعَل عرقُه يتولدُ نورًا . قالت : فبُهِتُّ . قالت : فنظَر إلىَّ فقال : « ما لكِ يا عائشةُ ؟ » قالت : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، نظرتُ إليك فجعَل جبينُك يَعرَقُ ، وجعَل عَرَقُك يتولَّدُ نورًا ، ولو رآك أبو كبيرٍ[7] الهُذَلِىُّ لعلِم أنك أحقُّ بشِعرِه . قال : « وما يقولُ أبو كبيرٍ[7] ؟ » فقلت : يقولُ :

ومُبَرَّأً مِن كلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وفسادِ مُرْضِعةٍ وداءِ مُغْيِلِ[8][5]

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/٣٤٣ .

(٢) فى النسخ : « سلمة » . والمثبت من المعرفة والتاريخ . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦.

(٣) فى م ، ص ، والمعرفة والتاريخ : « عن » . وهو إبراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب ، المعروف أبوه بابن الحنفية . انظر تهذيب الكمال ٢/ ١٨٣.

(٤) الصحاح للجوهرى (د ع ج) .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، ٢٥٣، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٣٠٨ - ٣١٠، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٨/ ٣١٩، ٣٢٠، كلهم من طرق عن البخارى به بنحوه .

(٧) فى الأصل ، ١١١، ٤١: « كثير » . والمثبت من مصادر التخريج . وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٦٧١.

(٨) الغبر : البقية . والحيضة : المرة من الحيض . وقيل : الحيض غذاء الصبى . وفساد مرضعة : لم تحمل عليه فتسقيه الغيل . انظر شرح ديوان الهذليين ٢/ ٩٣.

(١) وإذا نظرتَ إلى أَسِرَّةِ وجهِهِ بَرَقَتْ كبرقِ العارضِ المتهلِّلِ (٢)

قالت : فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ ما كان بيدِه ، وقام إلىَّ وقبَّل بينَ (٣) عينىَّ ، وقال : « يا عائشةُ ، ما سُررتِ منى كسرورى منكِ » .

أبو عبيدةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى مولاهم البصرىُّ أحدُ أئمةِ اللغةِ والأدبِ وأيامِ الناسِ . قال الجاحظُ : كان عارفًا بجميعِ العلومِ . وقال يعقوبُ بنُ شيبةَ : سمِعتُ علىَّ [٣/ ٤٣١و] بنَ المَدِينىِّ يُثْنِى عليه ويُصَحِّحُ روايتَه . وقال الدارقطنىُّ : لا بأسَ به ، ولكنه كان متهمًا برأيِ الخوارجِ وبالإحداثِ (٤) . وتُوُفِّى سنةَ عَشْرٍ ومائتين وقد قارَب المائةَ أو أكمَلَها . واللَّهُ تعالى أعلمُ . وشيخُ البخارىِّ لا يُعْرَفُ ، وإسنادُ الغرابةِ إليه أَوْلَى من إسنادِها إلى أبى عُبيدةَ (١) .

(٥) وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ (٦) : ثنا شعبةُ ، أخبرنى سِماكٌ ، سمِعْتُ جابرَ بنَ سَمُرةَ يقولُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أَشْهَلَ العينين ، مَنْهوسَ العَقِبِ (٧) ، ضَليعَ الفمِ . هكذا وقَع فى روايةِ أبى داودَ عن شعبةَ : أَشْهَلَ العينين . قال أبو عبيدٍ (٨) : والشُّهْلةُ حمرةٌ فى سوادِ العينِ ، والشُّكْلةُ حمرةٌ فى بَياضِ العينِ . قلتُ : وقد روَى هذا الحديثَ مسلمٌ فى « صحيحِه » ، عن أبى موسى وبُنْدارٍ ، كلاهما (٥)

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أسرته : طرائقه . والعارض : هو الذى يجىء معارضا فى السماء . والمتهلل : الممطر . شرح ديوان الهذليين ٢/ ٩٤.

(٣) سقط من : الأصل ، ١١١، ٤١. والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) انظر هذه الأقوال فى ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٥.

(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ٤١.

(٦) مسند أبى داود (٧٦٥) .

(٧) منهوس العقب : قليل لحم العقب . كما فى رواية مسلم الآتية .

(٨) غريب الحديث لأبى عبيد الهروى ٣/ ٢٧، ٢٨.

(١ عن (٢ غندرٍ، عن شعبةَ به (٣) . وقال: أشكلَ العينين (٤) . وهذا هو الصوابُ، ورواه الترمذيُّ، عن (٢ أحمدَ بنِ مَنيعٍ، عن أبى قَطَنٍ، عن شعبةَ به (٥) ، وقال: أشْكَلَ العينين. وقال: حسنٌ صحيحٌ. ووقَع فى «صحيحِ مسلمٍ» تفسيرُ الشُّكْلةِ بطولِ أشْفارِ العينين، وهو مِن بعضِ الرُّواةِ. وقولُ أبى عبيدٍ أنها حمرةٌ فى بَياضِ العينِ أشهرُ وأصحُّ، وذلك يدُلُّ على القوةِ والشجاعةِ ١) . واللَّهُ تعالى أعلمُ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ (٦) : ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، حدثنى عمرُو بنُ الحارثِ، حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ سالمٍ، عن الزُّبَيدىِّ، حدثنى الزهرىُّ، عن سعيدِ ابنِ المسيَّبِ، أنه سمِع أبا هريرةَ يصِفُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: كان مُفاضَ الجبينِ، أهْدَبَ الأشْفارِ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ (٧) : ثنا أبو غَسَّانَ، ثنا جُمَيْعُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العِجْلىُّ، حدثنى رجلٌ بمكةَ، عن ابنٍ لأبى هالةَ التميمىِّ، عن الحسنِ بنِ علىٍّ، عن خالِه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ واسعَ الجبينِ، أزجَّ الحَواجبِ سَوابغَ فى غيرِ قَرَنٍ، بينَهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضبُ (٨) ، أقْنَى العِرْنِينِ، له نورٌ يَعْلُوه، يَحْسَبُه مَن لم يتأمَّلْه أشَمَّ، سهلَ الخدَّين، ضَليعَ الفمِ، أشْنَبَ (٩) ، مُفَلَّجَ الأسْنانِ.

(١ - ١) سقط من: ١١١، ٤١.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) مسلم (٢٣٣٩).

(٤) فى مسلم: «العين».

(٥) الترمذى (٣٦٤٦).

(٦) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٥.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/٣٥٦ مطولا. كما أخرجه الترمذى فى الشمائل (٧) من طريق جميع بن عمر به. وإسناده ضعيف جدًّا (مختصر الشمائل ٦).

(٨) يدره الغضب: أى يمتلئ دما إذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنًا إذا درّ. النهاية ٢/ ١١٢.

(٩) الشَّنَب: البياض والبريق والتحديد فى الأسنان. النهاية ٢/ ٥٠٣.

وقال يعقوبُ[1] : ثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى ثابتٍ الزهرىُّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ عقبةَ ، عن عمِّه موسى بنِ عقبةَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٤٣١ظ] أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْن ، وكان إذا تكلَّم رُئِىَ كالنورِ بينَ ثَناياه . ورواه الترمذىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن إبراهيمَ بنِ المنذرِ به[2] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا عَبَّادُ بنُ حَجَّاجٍ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ[4] سَمُرةَ قال : كنتُ إذا نظَرْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قلتُ : أكحلُ العينين . وليس بأكحلَ ، وكان فى ساقَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ حُمُوشةٌ[5] ، وكان لا يَضْحَكُ إلا تبَسُّمًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا وَكيعٌ ، حدثنى مُجَمِّعُ بنُ يحيى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عِمْرانَ الأنصارىِّ ، عن علىٍّ ، والمسعودىُّ ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ[7] هُرْمُزَ ، عن نافعِ بنِ جبيرٍ ، عن علىٍّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالقصيرِ ولا بالطويلِ ، ضخمَ الرأسِ واللحيةِ ، شَثْنَ الكفين والقدمين والكَراديسِ ، مُشْرَبًا وجهُه حمرةً ، طويلَ المَشْرُبةِ ، إذا مشَى تكَفَّأَ تَكَفِّيًا[8] ، كأنما يتقلَّعُ مِن

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٦٠.

(٢) الشمائل (١٤) . ضعيف جدًّا (مختصر الشمائل ١٣) .

(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٦٠.

(٤) فى م ، ص : « عن » .

(٥) يقال رجل حَمْش الساقين ، وأحمش الساقين : أى دقيقهما . النهاية ١/ ٤٤٠.

(٦) المسند ١/١٢٧ بإسنادين عن على ، وإسنادُ وكيع عن المسعودى صحيح . انظر شرح المسند للشيخ أحمد شاكر ٢٠/ ٢٣٢.

(٧) فى م ، ص : « عن » ، وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٩٢.

(٨) سقط من : ١١١، ٤١، م ، ص .

صَخْرٍ[1] ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

قال ابنُ عساكرَ[2] : وقد رواه عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ الخُرَيْبِيُّ عن مُجَمِّعٍ ، فأدْخَل بينَ ابنِ عِمْرانَ وبينَ عليٍّ رجلًا غيرَ مُسَمًّى . ثم أسْنَد[3] مِن طريقِ عمرِو بنِ عليٍّ الفَلَّاسِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ داودَ ، ثنا مُجَمِّعُ بنُ يحيى الأنصاريُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عِمْرانَ ، عن رجلٍ مِن الأنصارِ قال : سألْتُ عليَّ بنَ أبى طالبٍ وهو مُحْتَبٍ بحِمالةِ سيفِه فى مسجدِ الكوفةِ ، عن نعتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : كان أبيضَ اللونِ مُشْرَبًا حمرةً ، أدْعجَ العينَين ، سَبْطَ الشعرِ ، دقيقَ المَسْرُبةِ ، سهلَ الخدِّ ، كثَّ اللحيةِ ، ذا وَفْرةٍ ، كأن عُنُقَه إبْريقُ فضةٍ ، له شعرٌ يَجرِى[4] مِن لَبَّتِه إلى سُرَّتِه كالقَضيبِ ، ليس فى بطنِه ولا صدرِه شعرٌ غيرُه ، شَثْنَ الكفين والقدمين[5] ، إذا مشَى كأنما ينْحَدِرُ مِن صَبَبٍ ، وإذا مشَى كأنما يتقَلَّعُ مِن صخرٍ ، وإذا الْتَفت التفت جميعًا ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، ولا [6]العاجزِ ولا اللَّأْمِ[6] ، كأنَّ عَرَقَه فى وجهِه اللؤلؤُ ، ولَريحُ عَرَقِه أطيبُ مِن المسكِ الأذْفَرِ ، لم أرَ مثلَه قبلَه ولا بعدَه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[7] : ثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، ثنا نوحُ بنُ قيسٍ الحُدَّانيُّ[8] ، ثنا خالدُ بنُ خالدٍ التميميُّ ، عن يوسفَ بنِ مازنٍ المازنيِّ[9] ، أن رجلًا

---

(١) أراد قوة مشيه ، كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعًا قويًّا ، لا كمن يمشى اختيالًا ويقارب خطاه ؛ فإن ذلك من مشى النساء ويوصفن به . النهاية ٤/ ١٠١.

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) أى ابن عساكر .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى النسخ : « القدم » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦ - ٦) فى تاريخ دمشق : « ولا الفاجر ولا اللئيم » . واللأم : الشديد من كل شىء . اللسان (ل أ م) .

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٣.

(٨) فى الأصل ، م : « الحرانى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٥٣.

(٩) كذا فى النسخ . وفى المعرفة والتاريخ : « الراسبى » . انظر التاريخ الكبير ٨/ ٣٧٤، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٢٦، ٣٢٧. وفيهما : الراسبى .

قال لعليٍّ : يا أميرَ المؤمنين ، انْعَتْ لنا رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : كان أبيضَ مُشْرَبًا حمرةً ، ضخمَ الهامةِ ، أغَرَّ ، أبْلَجَ ، [٣/ ٤٣٢و] أهْدَبَ الأشْفارِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا شَريكٌ ، عن ابنِ عميرٍ ، قال شَريكٌ : قلتُ له : عمَّن يا أبا عميرٍ ، عمَّن حدَّثه ؟ قال : عن نافعِ بنِ جبيرٍ ، عن أبيه ، عن عليٍّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ضخمَ الهامةِ ، مُشْرَبًا حمرةً ، شَثْنَ الكفين والقدمين ، ضخمَ اللحيةِ ، طويلَ المَسْرُبةِ ، ضخمَ الكَراديسِ ، يمشى فى صَبَبٍ ، يتَكَفَّأُ فى المِشْيةِ ، لا قصيرٌ ولا طويلٌ ، لم أرَ قبلَه مثلَه ولا بعدَه . وقد رُوِىَ لهذا شواهدُ كثيرةٌ عن عليٍّ ، ورُوِىَ عن عمرَ نحوُه[(٢)] .

وقال الواقدىُّ[(٣)] : ثنا بُكيرُ بنُ مِسْمارٍ ، عن زيادٍ مولى[(٤)] سعدٍ قال : سألْتُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ : هل خضَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : لا ، ولا همَّ به ، كان شَيْبُه فى عَنْفَقتِه وناصيتِه ، لو أشاءُ أن أعُدَّها لعدَدْتُها . قلتُ : فما صفتُه ؟ قال : كان رجلًا ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، ولا بالأبيضِ الأمْهَقِ ولا بالآدَمِ ، ولا بالسَّبْطِ ولا بالقَطَطِ ، وكانت لحيتُه حسنةً ، وجبينُه صَلْتًا ، مُشْرَبًا بحمرةٍ ، شَثْنَ الأصابعِ ، شديدَ سوادِ الرأسِ واللحيةِ .

وقال الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصْبهانىُّ[(٥)] : ثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ فارسٍ ، ثنا يحيى بنُ حاتمٍ العَسْكرىُّ ، ثنا بشرُ[(٦)] بنُ مِهْرانَ ، ثنا

---

(١) المسند ١/ ١٣٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٦٤.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٤١٨، من طريق الواقدى به . وانظر تاريخ دمشق ٣/ ٢٦٤، ٢٦٥.

(٤) فى م ، ص : « بن » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٦٥، من طريق أبى نعيم به .

(٦) فى م ، ص : « بسر » ، وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٧، ٣٧٩.

شَريكٌ ، عن عثمانَ بنِ المغيرةِ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : إن أولَ شيءٍ علِمْتُه مِن أمْرِ[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ قدِمْتُ مكةَ فى عُمومةٍ لى ، فأرْشَدونا إلى العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، فانتَهَيْنا إليه وهو جالسٌ إلى زمزمَ ، فجلَسْنا إليه ، فبينا نحن عندَه إذ أقْبَل رجلٌ مِن بابِ الصفا أبيضُ ، تعْلُوه حمرةٌ ، له وَفْرةٌ جَعْدةٌ إلى أنْصافِ أُذنيه ، أقْنَى الأنفِ ، بَرَّاقُ الثَّنايا ، أدْعَجُ العينَين ، كَثُّ اللحيةِ ، دقيقُ المَسْرُبةِ ، شَثْنُ الكفين والقدمين ، عليه ثوبان أبيضان ، كأنه القمرُ ليلةَ البدرِ . وذكَر تمامَ الحديثِ وطوافَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بالبيتِ وصلاتَه عندَه هو وخديجةُ وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وأنهم سألوا العباسَ عنه ، فقال : هذا هو ابنُ أخى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وهو يزْعُمُ أن اللَّهَ أرْسَله إلى الناسِ .

[2]وقد ثَبَت فى « الصحيحين »[3] عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى أراكم مِن وراءِ ظَهْرى » . فقال بعضُ العلماءِ : يعنى بعَيْنَىْ قَلْبِهِ . حتى فسَّر بعضُهم قولَه تعالى[4] : [٣/ ٤٣٢ظ] ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] بذلك ، وهذا التفسيرُ ضعيفٌ . وقال آخرون : بل كان هذا مِن خصائصِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أنه كان ينظرُ مِن ورائِه كما ينظرُ أمامَه . وقد نصَّ على ذلك الحافظُ أبو زُرْعةَ الرازىُّ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » ، فبوَّب عليه وأورَد الأحاديثَ الواردةَ فى ذلك مِن طريقِ ثابتٍ وحُمَيْدٍ وعبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ وقتادةَ ، كلُّهم عن أنسٍ ، فذكره[5][2] .

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) البخارى (٤١٩، ٧٤٢، ٦٦٤٤) ، ومسلم (١١٠، ١١١/٤٢٥) .

(٤) انظر تفسير الطبرى ١٢٣/١٩ - ١٢٥ . والتفسير للمصنف ٦/ ١٨٢ .

(٥) المسند ٣/ ١٦١ ، ومصنف عبد الرزاق (٢٤٢٧، ٢٤٦٣) من طريق ثابت . والبخارى (٧١٩،=

(١) قال[٢] : وحدَّثنا عليُّ بنُ الجعدِ ، ثنا ابنُ أبى ذئبٍ ، عن عَجْلانَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « إنى لأنظُرُ إلى ما ورائى كما أنظُرُ إلى ما بين يَدَىَّ ، فأقيموا صفوفَكم ، وأحسِنوا ركوعَكم وسجودَكم » .

وحدَّثنا[٣] سعيدُ بنُ سليمانَ ، ثنا أبو أسامةَ ، ثنا الوليدُ بنُ كَثيرٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ . فذكَر حديثًا فيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنى واللَّهِ لأُبْصِرُ مِن ورائى كما أُبْصِرُ مِن بينِ يَدَىَّ » . ورواه مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن سعيدٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، بمثلِه[٤] . وهو فى « الصحيحين »[٥] مِن طريقِ مالكٍ ، عن أبى الزنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « هل تَرَوْنَ قِبْلَتى هـٰهنا ؟ فواللَّهِ ما يَخْفَى علىَّ خشوعُكم ولا ركوعُكم ولا سجودُكم ؛ إنى أراكم مِن وراءِ ظَهْرى » .

ثم رَوَى عن الحُمَيدىِّ[٦] ، عن سفيانَ ، عن داودَ بنِ سابورَ وحُمَيدٍ الأعرجِ وابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى مِن خَلْفِه فى الصلاةِ كما يَرَى مِن بينِ يَدَيْه[١] .

= ٧٢٥) ، من طريق حميد . والبخارى (٧١٨) ، ومسلم (٤٣٤) ، من طريق عبد العزيز بن صهيب . والبخارى (٧٤٢، ٦٦٤٤) ، ومسلم (٤٢٥) ، من طريق قتادة ، كلهم عن أنس به .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أى أبو زرعة . والحديث أخرجه البغوى فى الجعديات (٢٨١٥) عن على بن الجعد به . وأخرجه ابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان (٦٣٣٨) ، من طريق على بن الجعد به . وقال الشيخ شعيب : إسناده حسن .

(٣) أخرجه مسلم (٤٢٣) ، والنسائى (٨٧١) ، وأبو عوانة فى مسنده ٢/ ١٠٥؛ كلهم عن أبى أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة به . وليس من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة مباشرة كما ذكر المصنف .

(٤) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (٤٧٤) ، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٥) البخارى (٤١٨، ٧٤١) ، ومسلم (٤٢٤) .

(٦) مسند الحميدى (٩٦٢) .

(١ ثم رَوَى عن عمرِو بنِ عثمانَ الحِمْصىِّ وغيرِه ، عن بقيَّةَ ، حدَّثنى حبيبُ ابنُ أبى موسى - وهو ابنُ صالحٍ - قال : كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ عينان فى قفاه يُبْصِرُ بهما مِن ورائِه . وهذا غريبٌ جدًّا ١) .

وقال الإمامُ أحمدُ(٢) : ثنا (٣ محمدُ بنُ ٣) جعفرٍ ، ثنا عوفُ بنُ أبى جَميلةَ ، عن يزيدَ الفارسىِّ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ فى زمنِ ابنِ عباسٍ . قال : وكان يزيدُ يكْتُبُ المصاحفَ . قال : فقلتُ لابنِ عباسٍ : إنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ . قال ابنُ عباسٍ : فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « إن الشيطانَ [٣/ ٤٣٣و] لا يَسْتطيعُ أن يَتَشَبَّهَ بى ، فمن رآنى (٤ فى النومِ ٤) فقد رآنى » . فهل تَسْتطيعُ أن تَنْعَتَ لنا هذا الرجلَ الذى رأيتَ ؟ قال : قلتُ : نعم ، رأيْتُ رجلًا بينَ الرجلين ، جسمُه ولحمُه أسمرُ إلى البَياضِ ، حسنَ المَضْحَكِ(٥) ، أكحلَ العينين ، جميلَ دوائرِ الوجهِ ، قد ملأَتْ لحيتُه مِن هذه إلى هذه ، حتى كادت تملأُ نحْرَه . قال عوفٌ : لا أدرى ما كان مع هذا مِن النَّعْتِ . قال : فقال ابنُ عباسٍ : لو رأيْتَه فى اليقظةِ ما استَطَعْتَ أن تنْعَتَه فوقَ هذا .

(٦ وقال أبو زُرْعةَ الرازىُّ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ » : بابُ مَن ذكَر أن النبىَّ ﷺ كان إذا تكلَّم رُئِىَ النورُ مِن بينِ ثَنِيَّتَيه . حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ٦)

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) المسند ١/ ٣٦١، ٣٦٢. (إسناده ضعيف) .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص . وانظر أطراف المسند ٣/ ٢٩٠.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « الضحك » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

[1] الحِزاميُّ[2] ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى ثابتٍ ، عن إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ابنِ أخى موسى بنِ عقبةَ ، عن موسى بنِ عقبةَ ، عن كُرَيبٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا تكلَّم رُئِىَ النورُ مِن ثَنِيَّتَيه . إسنادٌ جيدٌ[1] .

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلىُّ[3] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا معمرٌ ، عن الزهرىِّ قال : سُئِل أبو هريرةَ عن صفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : أحسنُ الصفةِ وأجملُها ؛ كان رَبْعةً إلى الطولِ أقربَ[4] ما هو ، بعيدَ ما بينَ المنكِبين ، أَسِيلَ الخدَّين ، شديدَ سَوادِ الشعرِ ، أكْحَلَ العينِ ، أهْدَبَ الأشْفارِ ، إذا وطِئ بقدمِه وطِئ بكُلِّها ، ليس لها أَخْمَصٌ ، إذا وضَع رداءَه على مَنْكِبَيه فكأنه سَبيكةُ فضةٍ ، وإذا ضحِك كاد يتلألأُ فى الجُدُرِ ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه . وقد رواه محمدُ بنُ يحيى مِن وجهٍ آخرَ متصلٍ ، فقال : ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، يعنى الزُّبَيْدىَّ ، حدثنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سالمٍ ، عن الزُّبَيْدىِّ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ . فذكَر نحوَ ما تقدم[5] .

ورواه الذُّهْلىُّ[6] ، عن إسحاقَ بنِ راهوَيْهِ ، عن النَّضْرِ بنِ شُمَيْلٍ ، عن صالحِ ابنِ[7] أبى الأخْضرِ ، عن الزهرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ كأنما صِيغ مِن فضةٍ ، رَجِلَ الشعرِ ، مُفاضَ البطنِ ، عظيمَ مُشاشِ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧٧١) ، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢١٥ كلاهما من طريق إبراهيم ابن المنذر به نحوه . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٧٩: فيه عبد العزيز بن أبى ثابت وهو ضعيف .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٧٠، من طريق الذهلى به .

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٢٦٩، عن محمد بن يحيى الذهلى به نحوه .

(٦) المصدر السابق ٣/ ٢٧١.

(٧) فى م ، ص : « عن » .

المَنكِبين[1] ، يَطأُ بقدمِه جميعًا ، إذا أقْبَل أقْبَل جميعًا ، وإذا أدْبَر أدْبَر جميعًا .

ورواه الواقدىُّ[2] : حدثنى عبدُ الملكِ ، عن سعيدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ السَّبَّاقِ ، عن أبى هريرةَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٤٣٣ظ] شَثْنَ القدمين والكفين ، ضخمَ الساقين ، عظيمَ الساعِدَيْن ، ضخمَ العَضُدَين والمَنْكِبين ، بعيدَ ما بينَهما ، رَحْبَ الصدرِ ، رَجِلَ الرأسِ ، أهْدَبَ العينين ، حسنَ الفمِ ، حسنَ اللحيةِ ، تامَّ الأُذنين ، رَبْعةً مِن القومِ ، لا طويلًا ولا قصيرًا ، أحسنَ الناسِ لونًا ، يُقْبِلُ معًا ويُدْبِرُ معًا ، لم أرَ مثلَه ولم أسْمَعْ بمثلِه .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[3] : أنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمىُّ ، ثنا أبو الحسنِ المَحْمودىُّ المَرْوَزىُّ ، ثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ علىٍّ الحافظُ ، ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا عثمانُ بنُ عمرَ ، ثنا حربُ بنُ سريجٍ صاحبُ الخَلْقانِ[4] ، حدثنى رجلٌ مِن بَلْعَدَوِيَّةٍ ، حدَّثنى جَدِّى قال : انطَلَقْتُ إلى المدينةِ ... فذكَر الحديثَ فى رؤيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : فإذا رجلٌ حسنُ الجسمِ ، عظيمُ الجُمَّةِ ، دقيقُ الأنفِ ، دقيقُ الحاجبين ، وإذا مِن لَدُنْ نَحْرِه إلى سُرَّتِه كالخيطِ الممدودِ شعرُه ، [5]ورأَيْتُه بينَ[5] طِمْرَيْن ، فدَنا منى وقال : « السلامُ عليك » .

---

(١) مشاش المنكبين : رءوس عظامهما . انظر النهاية ٤/ ٣٣٣.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٤١٥ ، عن الواقدى به . وانظر تاريخ دمشق ٣/ ٢٧٠.

(٣) دلائل النبوة ١/ ٢٤٨.

(٤) فى ١١١، م، ص : « الحلوانى » .

(٥ - ٥) فى م، ص : « ورأسه من » . والطمر : الثوب الخلق . النهاية ٣/ ١٣٨.

ذكرُ شَعْرِه عليه الصلاةُ والسلامُ

قد ثبَت فى «الصحيحَيْن»[1] مِن حديثِ الزهرىِّ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوافقةَ أهلِ الكتابِ فيما لم يُؤْمَرْ فيه بشىءٍ، وكان أهلُ الكتابِ يَسْدِلون أشْعارَهم، وكان المشركون يَفْرُقون رءوسَهم، فسدَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثم فرَق بعدُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: ثنا حمادُ بنُ خالدٍ، ثنا مالكٌ، ثنا زيادُ بنُ سعدٍ، عن الزهرىِّ، عن أنسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سدَل ناصيتَه ما شاء أن يَسْدِلَ، ثم فرَق بعدُ. تفرد به مِن هذا الوجهِ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3]، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن عروةَ، عن عائشةَ قالت: أنا فرَقْتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ رأسَه؛ صدَعْتُ فَرْقَه عن يافوخِه، وأرْسَلْتُ ناصيتَه بينَ عينَيه.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وقد قال لى[5] محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ، وكان فقيهًا مسلمًا: ما هى إلا سِيما مِن سِيما الأنبياءِ[6]، تَمَسَّكَتْ بها النصارى مِن بينِ[7] الناسِ.

---

(١) البخارى (٣٥٥٨، ٣٩٤٤، ٥٩١٧)، ومسلم (٢٣٣٦).

(٢) المسند ٣/ ٢١٥.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه (٤١٨٩)، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٢٦، كلاهما من طريق ابن إسحاق به، واللفظ للبيهقى. حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٥٢٩).

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٢٦، بإسناده إلى ابن إسحاق.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٦) فى النسخ: «النصارى». والمثبت من الدلائل.

(٧) سقط من: م، ص.

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] عن البَراءِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَضْرِبُ شعرُه إلى مَنْكِبَيْه . وجاء فى الصحيحِ[2] عنه وعن غيرِه : إلى أنصافِ أُذنيه . ولا مُنافاةَ بينَ الحالين ، فإن الشعرَ تارةً يُطَوَّلُ ، وتارةً [٣/ ٤٣٤و] يُقَصَّرُ منه ، فكلٌّ حكَى بحسَبِ ما رأى .

وقال أبو داودَ[3] : ثنا ابنُ نُفَيْلٍ ، ثنا ابنُ [4]أبى الزِّنادِ[4] ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : كان شَعْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فوقَ الوَفْرةِ ودونَ الجُمَّةِ[5] . وقد ثبَت أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، حلَق جميعَ رأسِه فى حَجةِ الوَداعِ[6] . وقد مات بعدَ ذلك بأحدٍ وثمانين يومًا ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[7] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ[8] ويحيى بنُ عبدِ الحميدِ ، قالا : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ قال : قالت أمُّ هانئٍ : قدِم النبىُّ ﷺ مكةَ قَدْمَةً وله أربعُ غَدائرَ . تعنى ضَفائرَ . ورواه الترمذىُّ[9] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ .

---

(١) البخارى (٥٩٠١) ، ومسلم (٢٣٣٧/٩٢) .

(٢) البخارى (٣٥٥١) ، ومسلم (٢٣٣٧/٩١) من حديث البراء ، ومن حديث أنس عند مسلم (٩٦/ ٢٣٣٨) .

(٣) أبو داود (٤١٨٧) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٢٧) .

(٤ - ٤) فى م : « الرواد » ، وفى ص : « أبى الزاد » . وكلاهما خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٩٥.

(٥) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما جاوز شحمة الأذن . والجمة : ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين .

(٦) البخارى (١٧٢٦، ٤٤١٠، ٤٤١١) .

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٢٤، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٨) فى النسخ : « مسلم » . وهو خطأ . والمثبت من دلائل النبوة ، انظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦.

(٩) الترمذى (١٧٨١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٤٥٦) .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ ربيعةَ ، عن أنسٍ قال بعدَ ذكرِه شَعْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : إنه ليس بالسَّبْطِ ولا بالقَطَطِ . قال : وتوفَّاه اللَّهُ وليس فى رأسِه ولحيتِه عشرون شعرةً بيضاءَ .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[2] مِن حديثِ أيوبَ ، عن ابنِ سِيرينَ ، أنه قال : قلتُ لأنسٍ : أَخَضَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : إنه لم يرَ مِن الشَّيْبِ إلا قليلًا . وكذا روَى هو ومسلمٌ مِن طريقِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ[3] .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ عن ثابتٍ : قيل لأنسٍ : هل كان شابَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : ما شانَه اللَّهُ بالشَّيْبِ ، ما كان فى رأسِه إلا سبعَ عشْرةَ أو ثمانىَ عشْرةَ شَعْرةً[4] .

وعندَ مسلمٍ[5] مِن طريقِ المُثَنَّى بنِ سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَخْتَضِبْ ، إنما كان شَمَطٌ عندَ العَنْفَقَةِ يَسيرًا ، وفى الصُّدْغَيْنِ يَسيرًا ، وفى الرأسِ يسيرًا .

وقال البخارىُّ[6] : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا همامٌ ، عن قتادةَ قال : سأَلْتُ أنسًا : هل خضَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : لا ، إنما كان شىءٌ فى صُدْغَيْه .

---

(١) البخارى (٣٥٤٧، ٣٥٤٨، ٥٩٠٠) ، ومسلم (٢٣٤٧) .

(٢) البخارى (٥٨٩٤) . وهذا لفظ مسلم (٢٣٤١/١٠٢) .

(٣) البخارى (٥٨٩٥) ، ومسلم (٢٣٤١/١٠٣) .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٢٥٤، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٣١، ٢٣٢، كلاهما من طريق حماد بن سلمة به .

(٥) مسلم (٢٣٤١/١٠٤) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٣٢، من طريق المثنى به ، واللفظ للبيهقى .

(٦) البخارى (٣٥٥٠) .

وروَى البخاريُّ[1] ، عن عصامِ بنِ خالدٍ ، عن حَرِيزٍ[2] بنِ عثمانَ قال : قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ السُّلَمىِّ : رأيْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أكان شَيْخًا ؟ قال : كان فى عَنْفَقَتِه شَعَراتٌ بِيضٌ . وتقدم عن جابرِ بنِ سَمُرةَ مثلُه .

وفى « الصحيحَيْن »[3] مِن حديثِ أبى إسحاقَ ، عن أبى جُحَيْفةَ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ هذه منه بيضاءُ . يعنى عَنْفَقَتَه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[4] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، عن أبى حمزةَ [٣/ ٤٣٤ظ] السُّكَّرىِّ ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ القرشىِّ قال : دخَلْنا على أمِّ سَلَمةَ ، فأخْرَجَت إلينا مِن شَعْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإذا هو أحمرُ مَصْبوغٌ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ[5] . رواه البخاريُّ[6] ، عن [7]موسى بنِ إسماعيلَ[7] ، عن سلَّامِ بنِ أبى مُطيعٍ ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ ، عن أمِّ سَلَمةَ به .

وقال البيهقىُّ[8] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّغانىُّ ، ثنا يحيى بنُ أبى[9] بُكيرٍ ، ثنا إسرائيلُ ، عن عثمانَ بنِ مَوْهَبٍ قال : كان عندَ أمِّ سَلَمةَ جُلْجُلٌ[10] مِن فضةٍ ضخمٌ ، فيه مِن شَعْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكان إذا أصاب إنسانًا الحُمَّى بعَث إليها

---

(١) البخارى (٣٥٤٦) .
(٢) وفى ١١١، م، ص: « جرير » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨.
(٣) البخارى (٣٥٤٥)، ومسلم (١٠٦/ ٢٣٤٢)، واللفظ لمسلم .
(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٣٥، ٢٣٦، من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٥) الكتم : نبتٌ يُخلط بالحِنّاء ويُخضب به الشعر فيبقى لونُه وأصلُه . المحيط (ك ت م) .
(٦) البخارى (٥٨٩٧) .
(٧ - ٧) فى النسخ : « إسماعيل بن موسى » . والمثبت من البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢١.
(٨) دلائل النبوة ١/ ٢٣٦.
(٩) سقط من : ١١١، ٤١، م، ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦، ٣٩٧، ٣١/ ٢٤٥، ٢٤٦.
(١٠) الجلجل : هو شبه الجرس ، وقد تُنزع منه الحصاة التى تتحرك ، فيوضع فيه ما يُحتاج إلى صيانته . فتح البارى ١٠/ ٣٥٣.

فخضْخَضَتْه[1] فيه ، ثم ينْضَحُه الرجلُ على وجهِه . قال : فبعَثنى أهلى إليها فأخْرَجَته ، فإذا هو هكذا - وأشار إسرائيلُ بثلاثِ أصابعَ - وكان فيه خمسُ شَعَراتٍ حُمْرٍ . رواه البخاريُّ ، عن مالكِ بنِ إسماعيلَ ، عن إسرائيلَ [2]عن عثمانَ به[2] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ إيادٍ ، حدثنى إيادٌ ، عن أبى رِمْثَةَ قال : انطَلَقْتُ مع أبى نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما رأيْتُه قال : هل تدرى مَن هذا ؟ قلتُ : لا . قال : إنَّ هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ . فاقْشَعْرَرْتُ حينَ قال ذلك ، وكنتُ أظُنُّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ شىءٌ لا يُشْبِهُ الناسَ ، فإذا هو بَشَرٌ ذو وَفْرةٍ بها رَدْعٌ مِن حِنَّاءٍ[4] ، وعليه بُرْدان أخْضَران . ورواه أبو داودَ والترمذىُّ والنسائىُّ[5] مِن حديثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ إيادِ بنِ لَقِيطٍ ، عن أبيه ، عن أبى رِمْثَةَ ، واسمُه حَبيبُ بنُ حَيَّانَ ، ويقالُ : رِفاعةُ بنُ يَثْرِبىٌّ . وقال الترمذىُّ : غريبٌ لا نعْرِفُه إلا مِن حديثِ ابنِ[6] إيادٍ . كذا قال .

وقد رواه النسائىُّ أيضًا مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ وعبدِ الملكِ بنِ عميرٍ ، كلاهما عن [7]إيادِ بنِ لَقيطٍ به ببعضِه[8] . ورواه يعقوبُ بنُ سفيانَ[7]

---

(١) خضخضته : حركته ورجَّته . انظر الوسيط (خضخض) ، والمخضخَض هو الشعر .

(٢ - ٢) زيادة من : ٤١ . والحديث فى صحيح البخارى (٥٨٩٦) بنحوه .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٣٧، من طريق يعقوب به .

(٤) ردع من حناء : أثر من حناء . انظر الوسيط (ر د ع) .

(٥) أبو داود (٤٠٦٥، ٤٢٠٦) ، والترمذى (٢٨١٢) ، والنسائى (١٥٧١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٣٠) .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) سقط من : ١١١، ٤١ .

(٨) النسائى (٤٨٤٧، ٥٠٩٩) ، كما أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢/ ٢٢٦، وأبو داود (٤٢٠٨) ،=

[1] أيضًا[2] ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ المَخْرَمِيِّ ، عن أبى سفيانَ الحِمْيَرِيِّ ، عن الضحاكِ بنِ حمزةَ ، عن[3] غَيْلانَ بنِ جامعٍ ، عن[1] إيادِ بنِ لَقيطٍ عن[4] أبى رِمْثةَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْضِبُ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ ، وكان شَعْرُه يبْلُغُ كَتِفَيْه أو مَنْكِبَيْه .

وقال أبو داودَ[5] : ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ مُطَرِّفٍ أبو[6] سفيانَ ، ثنا عمرُو بنُ محمدٍ ، أنا ابنُ أبى رَوَّادٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَلْبَسُ النِّعالَ [٣/ ٤٣٥و] السِّبْتِيَّةَ . ويُصَفِّرُ لحيتَه بالوَرْسِ والزَّعْفرانِ ، وكان ابنُ عمرَ يَفْعَلُ ذلك . ورواه النسائىُّ ، عن عَبْدةَ بنِ عبدِ الرحيمِ المَرْوَزِىِّ ، عن عمرِو بنِ محمدٍ العَنْقَزِىِّ[7] به[8] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[9] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو الفضلِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا الحسينُ[10] بنُ محمدِ بنِ زيادٍ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا

= كلهم من حديث الثورى به . ومن طريق عبد الملك بن عمير أخرجه النسائى (٥٣٣٤) ، وأحمد ٤/ ١٦٣ وغيرهما . وهو صحيح (صحيح سنن النسائى ٤٤٩٢، ٤٩١٢) .

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٣٨، من طريق يعقوب به .

(٣) فى م ، ص : « بن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ١٢٨.

(٤) فى م ، ص : « بن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٩٨.

(٥) أبو داود (٤٢١٠) ، ومن طريقه أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٣٨. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٤٧) .

(٦) فى ٤١: « وأبو » ، وفى م ، ص : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤١.

(٧) فى ٤١: « العبقرى » ، وفى م : « المنقرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٠.

(٨) النسائى (٥٢٥٩) . صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائى ٤٨٣٩) .

(٩) دلائل النبوة ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(١٠) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٧٦.

يحيى بنُ آدمَ ، (ح) وأخبرنا أبو الحسينِ بنُ الفضلِ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، أنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، حدثنى أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عمرَ بنِ الوليدِ الكِنْدىُّ الكوفىُّ ، ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا شَريكٌ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان شَيْبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ نحوًا مِن عشرين شعرةً . وفى روايةِ إسحاقَ : رأيْتُ شَيْبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ نحوًا مِن عشرين شعرةً بيضاءَ فى مُقَدَّمِه .

قال البيهقىُّ[1] : وحدثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أحمدُ بنُ سلمانَ الفقيهُ ، ثنا هلالُ بنُ العَلاءِ الرَّقِّىُّ ، ثنا حسينُ بنُ عَيَّاشٍ[2] الرَّقِّىُّ ، ثنا جعفرُ بنُ بُرْقانَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عَقيلٍ قال : قدِم أنسُ بنُ مالكٍ المدينةَ وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ والٍ عليها ، فبعَث إليه عمرُ ، وقال للرسولِ : سَلْه هل خضَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فإنى رأيْتُ شعرًا مِن شعرِه قد لُوِّن ؟ فقال أنسٌ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قد مُتِّعَ[3] بالسَّوادِ ، ولو عدَدْتُ ما أقْبَل علىَّ مِن شَيْبَةٍ فى رأسِه ولحيتِه ما كنتُ أَزيدُهنَّ[4] على إحدى عشْرةَ شَيْبةً ، وإنما هذا الذى لُوِّن مِن الطِّيبِ الذى كان يُطَيَّبُ به شعرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ هو الذى غيَّر لونَه .

قلتُ : ونَفْىُ أنسٍ للخِضابِ مُعارَضٌ بما تقدَّم عن غيرِه مِن إثباتِه ، والقاعدةُ المقرَّرةُ أن الإثباتَ مُقَدَّمٌ على النفيِ ؛ لأن المُثْبِتَ معه زيادةُ علمٍ ليست عندَ النافى . وهكذا إثباتُ غيرِه لأزيدَ[5] مما[6] ذَكَر مِن الشَّيبِ[7] مُقَدَّمٌ ، لاسيَّما عن

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٣٩.

(٢) فى النسخ : « عباس » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٥٩.

(٣) فى ا ٤١ : « بقع » ، وفى م ، ص : « منع » .

(٤) فى م ، ص : « أزيد » .

(٥) فى م : « لزيادة » .

(٦) فى النسخ : « ما » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٧) فى ا ١١١ ، م : « السبب » .

ابنِ عمرَ الذى المظنونُ أنه تلَقَّى ذلك عن أختِه أمِّ المؤمنين حفصةَ ، فإن اطِّلاعَها أتمُّ مِن اطِّلاعِ أنسٍ ؛ لأنها ربما أنها فَلَتْ رأسَه الكريمَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

ذِكْرُ[1] ما ورَد فى مَنْكِبَيْه وساعِدَيْه وإِبِطَيْه وقَدَمَيْه وكَعْبَيه ﷺ

قد تقدم ما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ [٣/ ٤٣٥ظ] ﷺ مَرْبوعًا ، بعيدَ ما بينَ المَنكِبين . [2]وقال الزُّبَيْدِىُّ[3] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْنِ[2] .

وروَى البخاريُّ[4] ، عن أبى النعمانِ ، عن جريرٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : كان النبىُّ ﷺ ضخمَ الرأسِ[5] والقدمين ، سَبْطَ[6] الكفَّين . وتقدم مِن غيرِ وجهٍ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان شَثْنَ الكفَّين والقدمين . وفى روايةٍ : ضخمَ الكفَّين والقدمين .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٤٠، ٢٤١، من طريق الزبيدى به .

(٤) البخارى (٥٩٠٧) .

(٥) فى البخارى : « اليدين » . والمثبت من النسخ هو إحدى روايات البخارى . انظر البخارى طبعة الشعب ٧/ ٢٠٨ .

(٦) فى الأصل ، ص : « بسيط » . وفى البخارى : « بسط » . والمثبت موافق لإحدى روايات البخارى . انظر المصدر السابق .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا آدمُ وعاصمُ بنُ عليٍّ ، قالا : ثنا ابنُ أبى ذئبٍ ، ثنا صالحٌ مولى التَّوْأَمةِ قال : كان أبو هريرةَ يَنْعَتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : كان شَبْحَ الذِّراعين[2] ، بعيدَ ما بين المَنكِبين ، أَهْدَبَ أَشْفارِ العينين . وفى حديثِ نافعِ ابنِ جبيرٍ ، عن عليٍّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ شَثْنَ الكفَّين والقدمين ، ضخمَ الكَرَاديسِ ، طويلَ المَشْرُبَةِ[3] . وتقدم فى حديثِ حجاجٍ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ ابنِ سَمُرةَ قال : كان فى ساقَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ حُمُوشةٌ . أى لم يكونا ضخْمَيْن . وقال سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ[4] : فنظَرْتُ إلى ساقَيه - وفى روايةٍ[5] : قدميه فى الغَرْزِ . يعنى الرِّكابَ - كأنهما جُمَّارةٌ . أى جُمَّارةُ النَّخْلِ ؛ مِن بَياضِهما .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[6] عن جابرِ بنِ سَمُرةَ : كان ضَليعَ الفمِ - وفسَّره بأنه عظيمُ الفمِ - أَشْكَلَ العينين - وفسَّره بأنه طويلُ شَقِّ العينَين - مَنْهُوسَ العَقِبِ . وفسَّره بأنه قليلُ لحمِ العَقِبِ . وهذا أنسبُ وأحسنُ فى حقِّ الرجالِ .

وقال الحارثُ بنُ أبى أسامةَ[7] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بكرٍ ، ثنا حُميدٌ ، عن أنسٍ قال : أَخَذَتْ أمُّ سُلَيْمٍ بيدى مَقْدَمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا أنسٌ غلامٌ كاتبٌ يَخْدُمُك . قال : فخَدَمْتُه تسعَ سنين ، فما قال لشىءٍ صنَعْتُ : أَسَأْتَ . ولا : بِئْسَ ما صنَعْتَ . ولا مسِسْتُ شيئًا قطُّ خَزًّا ولا حَريرًا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٤٤، من طريق يعقوب به .

(٢) شبح الذراعين : عريضهما . انظر اللسان (ش ب ح) .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٤٤، من طريق نافع به .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٠٧، بإسناده إلى سراقة .

(٥) هى رواية يونس عن ابن إسحاق . دلائل النبوة ١/ ٢٠٧.

(٦) مسلم (٢٣٣٩) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/٢٤٥ ، من حديث جابر بنحوه .

(٧) لم نجده من هذا الطريق ، والحديث قد أخرج الشطر الأول منه - حتى قوله : ما صنعت - من حديث حميد ؛ الإمام أحمدُ فى المسند ٣/ ١٢٤، ٢٠٠، ٢٥٦. وأخرج شطره الثانى من حديث حميد ؛ الإمام أحمدُ فى المسند ٣/ ٢٠٠، وأبو يعلى فى مسنده (٣٨٦٦) .

أليـنَ مِن كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا شمِمْتُ رائحةً قطُّ مِسْكًا ولا عَنْبرًا أطْيَبَ مِن رائحةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وهكذا رواه مُعْتمِرُ بنُ سليمانَ وعلىُّ بنُ عاصمٍ ومَرْوانُ ابنُ معاويةَ الفَزاريُّ وإبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، كلُّهم عن حُميدٍ ، عن أنسٍ ، فى لِينِ كفِّه ، [٣/ ٤٣٦و] عليه الصلاةُ والسلامُ ، وطِيبِ رائحتِه[١] ، صلاةُ اللَّهِ وسلامُه عليه . وفى حديثِ الزُّبَيْدىِّ[٢] ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَطَأُ بقدمِه كلِّها ، ليس لها أَخْمَصٌ . وقد جاء خلافُ هذا ، كما سيأتى .

وقال يزيدُ بنُ هارونَ[٣] : حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ بنِ مِقْسَمٍ قال : حدثتْنى عمَّتى سارةُ بنتُ مِقْسَمٍ ، عن مَيْمونةَ بنتِ كَرْدَمٍ قالت : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بمكةَ وهو على ناقةٍ له[٤] ، وأنا مع أبى ، وبيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ دِرَّةٌ كدِرَّةِ الكُتَّابِ ، فدَنا منه أبى ، فأخَذ بقدمِه ، فأقَرَّ له رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالت : فما نسِيتُ طولَ أُصبُعِ قدمِه السَّبَّابةِ على سائرِ أصابعِه . ورواه الإمامُ أحمدُ عن يزيدَ بنِ هارونَ مُطَوَّلًا[٥] . ورواه أبو داودَ مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ ببعضِه[٦] ، وعن أحمدَ بنِ صالحٍ ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن إبراهيمَ بنِ مَيْسَرةَ ، عن خالتِه ، عنها ، بنحوه[٧] . ورواه ابنُ ماجه مِن وجهٍ آخرَ عنها[٨] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) لم نقف على شىء من هذه الطرق ، والحديث أخرجه البخارى (١٩٧٣) ، من حديث حميد بنحوه .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٤٥ ، من طريق الزبيدى به .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، من طريق يزيد به .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) المسند ٦/ ٣٦٦ .

(٦) أبو داود (٢١٠٣ ، ٣٣١٤) .

(٧) سقط من : م ، ص . وفى الأصل : « بنحوها » . والحديث عند أبى داود (٢١٠٤) . وعنده : عن خالته عن امرأة .

(٨) ابن ماجه (٢١٣١) ، من رواية يزيد بن مقسم عن ميمونة عن النبى ﷺ .

وقال البيهقيُّ[1] : أنا عليُّ بنُ محمدِ[2] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ بِشْرانَ ، أنا إسماعيلُ ابنُ محمدِ الصَّفَّارُ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ أبو بكرٍ ، ثنا سَلَمَةُ[3] بنُ حفصٍ السَّعْدىُّ ، ثنا يحيى بنُ اليَمانِ ، ثنا إسرائيلُ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : كانت أُصْبُعُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ خِنْصَرُه مِن رِجْلَيْه[4] مُتظاهرةً . وهذا حديثٌ غريبٌ .

صِفَةُ[5] قَوامِه عليه الصلاةُ والسلامُ ، وطِيبِ رائحتِه

فى « صحيحِ البخارىِّ »[6] مِن حديثِ ربيعةَ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ رَبْعةً مِن القومِ ؛ ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ .

وقال أبو إسحاقَ عن البراءِ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا وأحسنَهم خَلْقًا ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ . أخرجاه فى « الصحيحَيْن »[7] .

وقال نافعُ بنُ جبيرٍ[8] عن عليٍّ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالطويلِ ولا

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٤٨.
(٢) فى النسخ : « أحمد » . والمثبت من الدلائل . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١١.
(٣) فى الدلائل : « مسلمة » . وهو خطأ . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ١٣٤، ١٣٥.
(٤) فى النسخ : « رجله » . والمثبت من الدلائل .
(٥) سقط من : م .
(٦) البخارى (٣٥٤٧) .
(٧) البخارى (٣٥٤٩) ، ومسلم (٢٣٣٧/٩٣) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٥٠ ، من حديث أبى إسحاق بنحوه .
(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٥١، من طريق نافع بن جبير به .

بالقصيرِ ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

وقال سعيدُ بنُ منصورٍ[1] ، عن خالدِ بنِ عبد اللَّهِ ، [2]عن عُبَيدِ اللَّهِ[2] بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عليٍّ قال : [٣/ ٤٣٦ظ] كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، وهو إلى الطولِ أقربُ ، وكان عَرَقُه كاللؤلؤِ . الحديثَ .

وقال سعيدٌ[3] ، [4]عن نوحِ[4] بنِ قيسٍ ، عن خالدِ بنِ خالدٍ التَّميميِّ ، عن يوسفَ بنِ مازنٍ الراسبيِّ ، عن عليٍّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بالذاهبِ طولًا ، وفوقَ الرَّبْعةِ ، إذا جاء مع القومِ غَمَرهم ، وكان عَرَقُه فى وجهِه كاللؤلؤِ . الحديثَ .

وقال الزُّبَيْدىُّ[5] ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ رَبْعةً ، وهو إلى الطولِ أقربُ ، وكان يُقْبِلُ جميعًا ، ويُدْبِرُ جميعًا ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

وثبَت فى « البخارىِّ »[6] مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : ما مَسِسْتُ بيدى دِيباجًا ولا حَريرًا ولا شيئًا ألينَ مِن كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا شمِمْتُ رائحةً أطْيَبَ مِن ريحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورواه مسلمٌ مِن

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٥٢، من طريق سعيد بن منصور بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٥٣.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٥٢، من طريق سعيد به نحوه .

(٤ - ٤) فى ١١١: « بن نوح » ، وفى م : « عن روح » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٥٣.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٥٢، ٢٥٣ ، من طريق الزبيدى به .

(٦) البخارى (٣٥٦١) .

حديثِ سليمانَ بنِ المغيرةِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ به[1].

ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ[2]، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أزْهَرَ اللونِ، كأنَّ عرَقَه اللؤلؤُ، إذا مشَى تَكَفَّأَ، وما مسِسْتُ حَريرًا ولا دِيباجًا ألْينَ مِن كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا شمِمْتُ مِسْكًا ولا عَنْبَرًا أطْيبَ مِن رائحةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

وقال أحمدُ[3]: ثنا ابنُ أبى عَدِيٍّ، ثنا حُميدٌ، عن أنسٍ قال: ما مسَسْتُ شيئًا قطُّ خَزًّا ولا حَريرًا ألْينَ مِن كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا شمَمْتُ رائحةً أطْيبَ مِن ريحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. [4]وهذا إسنادٌ[4] ثلاثيٌّ على شرطِ «الصحيحَيْن»، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ مِن هذا الوجهِ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5]: أنا عمرُو بنُ حمادِ بنِ طلحةَ القَنَّادُ - وأخْرَجه البيهقىُّ[6] مِن حديثِ أحمدَ بنِ حازمِ [7]بنِ أبى غَرَزَةَ[7] عنه - قال: ثنا أسْباطُ بنُ نصرٍ، عن سِماكٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: صلَّيتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الأُولى، ثم خرَج إلى أهلِه، وخرَجْتُ معه، [٣/٤٣٧و] فاستقبله وِلْدانٌ، فجعَل يَمْسَحُ خَدَّىْ أحدِهم واحدًا واحدًا. قال: وأما أنا فمسَح خدِّى، فوجَدْتُ ليدِه

---

(١) مسلم (٨١/٢٣٣٠).

(٢) بعده فى النسخ: «وسليمان بن المغيرة». وقد سبق للمصنف ذكر رواية سليمان. ورواية حماد عند مسلم (٨٢/٢٣٣٠).

(٣) المسند ٣/١٠٧.

(٤ - ٤) فى م، ص: «والإسناد».

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/٢٥٦، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٦) المصدر السابق.

(٧ - ٧) فى م: «بن أبى عروة»، وفى الدلائل: «عن أبى غرزة». وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٩١، ٥٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣٩.

بَرْدًا وريحًا ، كأنما أخْرَجها مِن جُؤْنَةِ عَطَّارٍ[1] . ورواه مسلمٌ عن عمرِو بنِ حمادٍ به نحوَه[2] .

[3]وقال أبو زُرْعةَ الرازىُّ[4] : ثنا سعيدُ بنُ محمدٍ الجَرْمىُّ ، ثنا أبو ثُمَيْلَةَ ، عن أبى حمزةَ ، عن جابرٍ ، عن عبدِ الجبارِ بنِ وائلٍ ، عن أبيه قال : كنتُ أصافحُ النبىَّ ﷺ أو يَمَسُّ جلدِى جلدَه ، فأتَعَرَّفُه[5] فى يدِى [6]بعدَما نالَتْه[6] أطيبَ رائحةً مِن المِسْكِ[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، وحَجَّاجٌ ، أخبرنى شعبةُ ، عن الحكمِ ، سمِعْتُ أبا جُحَيْفةَ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ بالهاجرةِ إلى البَطْحاءِ ، فتوضَّأ وصلَّى الظهرَ ركعتين[8] وبينَ يديه عَنَزةٌ . زاد فيه عونٌ[9] عن أبيه : يَمُرُّ مِن ورائها الحمارُ والمرأةُ .

قال حجاجٌ فى الحديثِ : ثم قام الناسُ فجعَلوا يأخذون يدَه فيَمْسَحون بها وجوهَهم . قال : فأخَذْتُ يدَه فوضَعْتُها على وجهى ، فإذا هى أبْرَدُ مِن الثلجِ ، وأطيبُ ريحًا مِن المسكِ . وهكذا رواه البخارىُّ ، عن الحسنِ بنِ منصورٍ ، عن حجاجِ بنِ محمدٍ الأعورِ ، عن شعبةَ ، فذكَر مثلَه سواءً[10] . وأصلُ الحديثِ فى

---

(١) جؤنة العطار : التى يُعَدُّ فيها الطيب ويُحْرَزُ .

(٢) مسلم (٢٣٢٩) .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٤٧ من طريق أبى حمزة به نحوه .

(٥) فى الأصل : « فأتعرقه » ، وفى ا ١١١ : « ما نعره » .

(٦ - ٦) فى ا ١١١ : « نعرفا له » ، وفى ا ٤١ : « تعرفا لهو » ، وفى تاريخ دمشق : « بعد ثالثة » .

(٧) المسند ٤/٣٠٩ .

(٨) بعده فى المسند : « والعصر ركعتين » . والمثبت موافق لما فى أطراف المسند ٦/ ١٢٠ .

(٩) عون هو ابن أبى جحيفة . والزيادة هذه من الطريق الثانية التى أخرجها أحمد فى المسند ٤/ ٣٠٧، ٣٠٨ عن وهب بن جرير عن شعبة عن عون عن أبيه . وقد ذكرها الإمام أحمد أيضًا فى حديثنا هنا .

(١٠) البخارى (٣٥٥٣) . واقتصر عنده على ذكر المرأة ؛ قال : كان يمر من ورائها المرأة .

« الصحيحَيْن » أيضًا[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنا هشامُ بنُ حسَّانَ وشعبةُ وشَريكٌ ، عن يَعْلى بنِ عطاءٍ ، عن جابرِ بنِ يَزيدَ ، عن أبيه - يعنى يزيدَ بنَ الأسْودِ - قال : صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ الفجرَ[3] بمنًى ، فانحَرف فرأى رجلين مِن وراءِ الناسِ ، فدَعا بهما [4]فجِيءَ بهما[4] تُرْعَدُ فَرائصُهما ، فقال : « ما منَعكما أن تصلِّيا مع الناسِ ؟ » قالا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنا كنا قد صلَّينا فى الرِّحالِ . قال : « فلا تَفْعَلا ، إذا صلَّى أحدُكم فى رَحْلِه ، ثم أدرك الصلاةَ مع الإمامِ فلْيُصَلِّها معه ، فإنها له نافلةٌ » . قال : فقال أحدُهما : اسْتَغْفِرْ لى يا رسولَ اللَّهِ . فاستَغْفَر له ، قال : ونهَض الناسُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ونهَضْتُ معهم ، وأنا يومَئذٍ أشَبُّ الرجالِ وأجْلَدُه . قال : فما زِلْت أَزْحَمُ الناسَ حتى وصلْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخَذْتُ بيدِه ، فوضَعْتُها إما على وجهى أو صدرى ، قال : فما وجَدْتُ شيئًا أطْيَبَ ولا أبردَ مِن يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : وهو يومَئذٍ فى مسجدِ [٣/٤٣٧ظ] الخَيْفِ .

ثُم رواه أيضًا[5] ، عن أسودَ بنِ عامرٍ وأبى النَّضْرِ ، عن شعبةَ ، عن يَعْلَى بنِ عَطاءٍ ، سمِعْتُ جابرَ بنَ يزيدَ بنِ الأسْودِ ، عن أبيه ، أنه صلَّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) البخارى (١٨٧، ٣٧٦، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠١، ٦٣٣، ٦٣٤، ٣٥٦٦، ٥٧٨٦، ٥٨٥٩)، ومسلم (٥٠٣) .

(٢) المسند ٤/ ١٦١.

(٣) سقط من : ا ٤١، م .

(٤ - ٤) فى م، ص : « فجيئا » .

(٥) المسند ٤/ ١٦١.

الصبحَ ، فذكَر الحديثَ ، قال : ثم ثار الناسُ يأخُذون بيدِه يَمْسَحون بها وجوهَهم . قال : فأخَذْتُ بيدِه فمسَحْتُ بها وجهى ، فوجَدْتُها أبْرَدَ مِن الثلجِ ، وأطْيبَ ريحًا مِن المسكِ . وقد رواه أبو داودَ مِن حديثِ شعبةَ ، والترمذىُّ والنسائىُّ مِن حديثِ هُشَيْمٍ ، عن يَعْلَى به[1] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا مِسْعَرٌ ، عن عبدِ الجبارِ بنِ وائلِ بنِ حُجْرٍ قال : حدَّثنى أهلى عن أبى قال : أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بدَلْوٍ مِن ماءٍ ، فشرِب منه ، ثم مَجَّ فى الدَّلْوِ ، ثم صَبَّ فى البئرِ ، أو شرِب مِن الدَّلْوِ ، ثم مجَّ فى البئرِ ، ففاح منها مثلُ[3] ريحِ المسكِ . وهكذا رواه البيهقىُّ مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن أبى نُعيمٍ ، وهو الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ ، به[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا هاشمٌ ، ثنا سليمانُ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا صلَّى الغَداةَ جاءَ خَدَمُ أهلِ[6] المدينةِ بآنيتِهم فيها الماءُ ، فما يُؤْتَى بإناءٍ إلا غمَس يدَه فيها ، فربما جاءوه فى الغَداةِ الباردةِ ، فغمَس[7] يدَه فيها . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ به[8] .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدثنا حُجَيْنُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا عبدُ العزيزِ ، يعنى ابنَ أبى

---

(١) أبو داود (٥٧٥، ٥٧٦) ، والترمذى (٢١٩) ، والنسائى (٨٥٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٥٣٨) .
(٢) المسند ٤/ ٣١٥.
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤) سقط من : م ، ص . والحديث فى دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٢٥٧. وعنده : عن أبى نعيم عن معمر - لا مسعر - وهو خطأ ، انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٩٣، ٢٣/ ١٩٧، ٢٧/ ٤٦١.
(٥) المسند ٣/ ١٣٧.
(٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .
(٧) فى الأصل ، ٤١، ص : «فيغمس» . وهو لفظ صحيح مسلم . وفى م : «فمس» .
(٨) مسلم (٢٣٢٤/٧٤) .
(٩) المسند ٣/ ٢٢١.

سَلَمةَ الماجِشُونَ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يدْخُلُ بيتَ أمِّ سُليمٍ فينامُ على فِراشِها وليست فيه . قال : فجاء ذاتَ يومٍ ، فنام على فِراشِها ، فأُتِيَتْ[1] فقيل لها : هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ نائمٌ فى بيتِك على فِراشِك . قال : فجاءت وقد عرِق واستَنْقَع عَرَقُه على قطعةِ أَديمٍ على الفِراشِ ، ففتَحَت عَتِيدَتَها[2] ، فجعَلت تُنَشِّفُ ذلك العرقَ فتعصِرُه[3] فى قَوارِيرِها ، ففزِع[4] النبىُّ ﷺ فقال : « ما تَصْنعين يا أمَّ سُليمٍ ؟ » فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، نرجو بركتَه لصِبْيانِنا . قال : « أصَبْتِ » . ورواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن حُجَيْنٍ به[5] .

وقال أحمدُ[6] : ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا سليمانُ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : دخَل علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال عندَنا فعَرِق ، وجاءت أمِّى بقارورةٍ ، فجَعَلَتْ تَسْلُتُ العرقَ[7] فيها ، فاستيقظ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا أمَّ سُليمٍ ، ما هذا الذى [٣/٤٣٨و] تصْنَعين ؟ » قالت : هذا[8] عرقُك نجْعَلُه فى طِيبِنا ، وهو مِن أطْيَبِ الطِّيبِ . ورواه مسلمٌ ، عن زهيرِ بنِ حربٍ ، عن أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ به[9] .

---

(١) فى ا ٤١، م : « فأتت » .

(٢) فى النسخ : « عبيرتها » . وفى المسند : « عتيدها » . والمثبت من صحيح مسلم . قال الأزهرى : والعتيدة طبلُ العرائس أُعتِدَتْ لما تحتاج إليه العروسُ من طيب وأداة وبَخور ومشط وغيره ، أُدخل فيها الهاء على مذهب الأسماء . اللسان (ع ت د) .

(٣) فى م ، ص : « فتصره » .

(٤) ففزع : أى استيقظ من نومه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ٨٧.

(٥) مسلم (٢٣٣١/٨٤) .

(٦) المسند ٣/ ١٣٦.

(٧) تسلت العرق : أى تمسحه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ٨٦.

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩) مسلم (٢٣٣١/٨٣) .

وقال أحمدُ[1] : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، يعنى السَّلُولىَّ ، ثنا عُمارةُ ، يعنى ابنَ زاذانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقيلُ عندَ أمِّ سُليمٍ ، وكانَ مِن أكثرِ الناسِ عَرَقًا ، فاتخَذَت له نِطْعًا ، وكان يَقِيلُ عليه ، وخطَّت بينَ رجليه خَطًّا[2] ، وكانت تُنَشِّفُ العرقَ فتأخُذُه ، فقال : « ما هذا يا أمَّ سُليمٍ ؟ » قالت : عرَقُك يا رسولَ اللَّهِ ، أَجْعَلُه فى طِيبى . قال : فدعا لها بدُعاءٍ حسنٍ . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ[3] : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا حُميدٌ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]يأتى بيتَ أمِّ سُلَيْمٍ فينامُ على فراشِها ، وليست أمُّ سُلَيْمٍ فى بيتِها ، فتأتى فتجدُه نائمًا ، وكان ﷺ[4] إذا نام [5]ذَفَّ عَرَقًا[5] ، فتأخذُ عرقَه بقُطْنةٍ فى قارُورةٍ ، فتجعلُه فى مِسكِها . وهذا إسنادٌ ثلاثىٌّ على شرطِ الشيخين ، ولم يُخْرِجاه ولا أحدٌ منهما .

وقال البيهقىُّ[6] : أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنى أبو عمرٍو المقرئُ[7] ، أنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ - وقال مسلمٌ[8] : ثنا

---

(١) المسند ٣/ ٢٣١.

(٢) قال صاحب بلوغ الأمانى ٢٢/ ٤٢٦: المراد أعدَّتْ جلدًا مدبوغًا وضعته فوق الفراش؛ ليتجمع العرق فيه، وضغطتْ عليه من جهة الرِّجْلَيْنِ حتى كان فيه ما يشبه القناة.

(٣) المسند ٣/ ٢٣٠.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) فى الأصل، ١١١، ٤١: «عرق»، وفى م، ص: «ذا عرق». والمثبت من المسند. وذفَّ: أى تصبب عرقا. انظر بلوغ الأمانى ٢٢/ ٤٢٦.

(٦) دلائل النبوة ١/ ٢٥٨.

(٧) فى م، ص: «المغربى».

(٨) مسلم (٢٣٣٢/٨٥).

أبو بكرِ بنُ أبى[1] شيبةَ - ثنا عفانُ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا أيوبُ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أنسٍ ، عن أمِّ سُليمٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يأْتيها ، فيَقيلُ عندَها فتَبْسُطُ له نِطْعًا ، فيَقيلُ عليه ، وكان كثيرَ العرقِ ، فكانت تجْمَعُ عرقَه ، فتجعلُه فى الطِّيبِ والقَواريرِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أمَّ سُليمٍ ، ما هذا ؟ » فقالت : عرقُك أَدُوفُ[2] به طِيبى . لفظُ مسلمٍ .

وقال أبو يَعْلَى الموصلىُّ فى « مسندِه »[3] : ثنا بِشرٌ[4] ، ثنا حَلْبَسُ[5] بنُ غالبٍ ، ثنا سفيانُ الثورىُّ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى زوَّجْتُ ابنتى ، وأنا أُحِبُّ أن تُعِينَنى بشىءٍ . قال : « ما عندى شىءٌ ، ولكن إذا كان غدٌ ، فأْتِنى بقارورةٍ واسعةِ الرأسِ وعُودِ شجرةٍ[6] ، [7]وآيةُ بينى وبينِك أن تَدُقَّ ناحيةَ البابِ » . قال : فأتاه بقارورةٍ واسعةِ الرأسِ ، وعُودِ شجرةٍ[7] . قال : فجعَل يَسْلُتُ العرقَ مِن ذراعَيه حتى امتلأتِ القارورةُ . قال : « فخُذْها ، ومُرِ ابنتَك أن تغْمِسَ هذا العودَ فى القارورةِ ، وتَطَّيَّبَ به » . قال : فكانت إذا تطَيَّبت به شَمَّ أهلُ المدينةِ رائحةَ ذلك[8] الطيبِ فسُمُّوا بيوتَ المُطَيَّبين . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

---

(١) سقط من : م .

(٢) أدوف : أى أخلط . النهاية ٢/ ١٤٠ .

(٣) مسند أبى يعلى (٦٢٩٥) . كما أخرجه ابن عدى فى الكامل ٢/ ٨٦٢، ٨٦٣، من طريق أبى يعلى به . قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٢٥٥: رواه أبو يعلى وفيه حلبس بن غالب وهو متروك .

(٤) فى م ، ص : « بسر » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « حليس » ، وفى ١١١، ٤١: « حابس » . والمثبت من مسند أبى يعلى . وانظر ترجمة حلبس فى الكامل لابن عدى ٢/ ٨٦٢.

(٦) بعده فى مسند أبى يعلى : « وذكر الحديث فى الفوائد » .

(٧ - ٧) زيادة من النسخ ليست فى الكامل .

(٨) زيادة من الكامل .

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[1] : [٣/ ٤٣٨ظ] ثنا محمدُ بنُ هاشمٍ[2] ، ثنا موسى بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا عمرُ بنُ سعيدٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا مرَّ فى طريقٍ مِن طرقِ المدينةِ وجَدوا منه رائحةَ الطِّيبِ ، وقالوا : مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى هذا الطريقِ . [3]وقد رواه أبو زُرْعةَ الرازىُّ فى « دلائلِ النبوةِ » مِن حديثِ عمرَ بنِ سعيدٍ الأبَحِّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا مرَّ فى طريقٍ مِن طرقِ المدينةِ وُجِدَ مِن ذلك الطريقِ رائحةُ المسكِ ، فيقولون : مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ اليومَ فى هذا الطريقِ[3] . ثم قال[4] : وهذا الحديثُ رواه أيضًا مُعاذُ بنُ هشامٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُعْرَفُ بريحِ الطِّيبِ . قلتُ[5] : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ طَيِّبًا ، وريحُه طَيِّبٌ ، وكان مع ذلك يُحِبُّ الطِّيبَ أيضًا .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا أبو عُبَيدةَ ، عن سلَّامٍ أبى المنذرِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « حُبِّب إلىَّ النساءُ والطِّيبُ ، وجُعِل قُرَّةُ عينى فى الصلاةِ » .

ثنا[7] أبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ ، ثنا سَلَّامٌ أبو المنذرِ القارئُ ، عن ثابتٍ ، عن

---

(١) كشف الأستار (٢٤٧٨) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٨٨: رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط ... ورجال أبى يعلى وثقوا .

(٢) فى م : « هشام » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) بعده فى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « البيهقى » . وإنما هو من كلام البزار عقب حديثه الذى ساقه المصنف هنا .

(٥) سقط من : م . وبياض فى ص .

(٦) المسند ٣/ ١٩٩ .

(٧) المسند ٣/ ١٢٨ .

أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنما[1] حُبِّب إلىَّ مِن الدنيا النساءُ والطِّيبُ ، وجُعِل قُرَّةُ عينى فى الصلاةِ » . وهكذا رواه النسائىُّ بهذا اللفظِ ، عن الحسينِ بنِ عيسى القُومَسِىِّ[2] ، عن عفانَ بنِ مسلمٍ ، عن سلَّامِ بنِ سليمانَ أبى المنذرِ القارئِ البصرىِّ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، فذكَره[3] .

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ بلفظِ : « حُبِّب إلىَّ مِن دُنياكم ثلاثٌ ؛ الطِّيبُ والنساءُ ، وجُعِل قرةُ عينى فى الصلاةِ » . وليس بمحفوظٍ بهذا ، فإن الصلاةَ ليست مِن أُمورِ الدنيا ، وإنما هى مِن أهمِّ شئونِ الآخرةِ . واللَّهُ أعلمُ .

صفةُ خاتَمِ النُّبُوَّةِ[4] الذى بينَ كَتِفَيه صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه

قال البخارىُّ[5] : ثنا محمدُ بنُ عُبَيدِ[6] اللَّهِ ، ثنا حاتمٌ ، عن الجُعَيْدِ[7] قال : سمِعْتُ السائبَ بنَ يزيدَ يقولُ : ذهَبَتْ بى خالتى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن ابنَ أختى وَقِعٌ[8] ، فمسَح رأسى ، ودَعا لى بالبرَكةِ ، وتوضَّأ

---

(١) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٢) فى الأصل ، ا ٤١ ، م ، ص : « القرشى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٦٠ .

(٣) النسائى (٣٩٤٩) . حسن صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٦٨٠) .

(٤) فى ا ١١١ ، ا ٤١ : « النبى » .

(٥) البخارى (٣٥٤١) .

(٦) فى ا ١١١ ، ا ٤١ : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٦ .

(٧) فى الأصل ، م : « الجعد » . وهو ما قيل فى اسمه أيضا . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٦١ ، وفتح البارى ١/ ٢٩٦ .

(٨) فى الأصل : « وثع » ، وفى ا ١١١ ، ا ٤١ ، م : « وجع » ، وهو لفظ رواية مسلم وإحدى روايات البخارى . والوقِع : الوجِع ، والمراد أنه كان يشتكى رجله . انظر فتح البارى ٦/ ٥٦٢ .

فشرِبْتُ مِن وَضوئِه ، ثم قمتُ خلفَ ظهرِه ، فنظَرْتُ إلى خاتَمِ النبوةِ[1] بينَ كَتِفَيْه [2]مثلَ زِرِّ[3] الحَجَلةِ[2] . وهكذا رواه [٣/ ٤٣٩و] مسلمٌ ، عن قُتَيبةَ ومحمدِ ابنِ عَبَّادٍ ، كلاهما عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ به[4] .

ثم قال البخاريُّ[5] : [6]قال ابنُ عبيدِ اللَّهِ[6] : الحُجْلَةُ مِن حُجَلِ[7] الفرسِ الذى بينَ عَيْنَيْه . وقال إبراهيمُ بنُ حمزةَ : مثلَ[8] زِرِّ الحَجَلةِ . قال أبو [9]عبدِ اللَّهِ[9] : الرِزُّ ، الراءُ قبلَ الزاي .

وقال مسلمٌ[10] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن سِماكٍ ، أنه سمِع جابرَ بنَ سَمُرةَ يقولُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد شَمِط مُقَدَّمُ رأسِه ولحيتِه ، وكان إذا ادَّهَن لم يَتَبَيَّنْ ، وإذا شعِث رأسُه تبيَّن ، وكان كثيرَ شعرِ اللحيةِ . فقال رجلٌ : وجهُه مثلُ السيفِ ؟ قال : لا ، بل كان مثلَ الشمسِ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى . وهو لفظ رواية عبد الرحمن بن يونس عن حاتم بن إسماعيل به عند البخارى (١٩٠) .

(٢ - ٢) زيادة من النسخ . وهى لفظ البخارى (١٩٠) . قال الحافظ : زر الحجلة بكسر الزاى وتشديد الراء ، والحجلة بفتح المهملة والجيم واحدة الحجال وهى بيوت تزين بالثياب والأسرة والستور لها عرى وأزرار ، وقيل : المراد بالحجلة الطير وهو اليعقوب يقال للأنثى منه حجلة ، وعلى هذا فالمراد بزرُّها بيضتها ، ويؤيده أن فى حديث آخر : « مثل بيضة الحمامة » . فتح البارى ١/ ٢٩٦، ٦/ ٥٦٢.

(٣) فى ا ١١١: « رز » ، وهى لفظ إحدى روايات البخارى ومسلم . انظر فتح البارى ٦/ ٥٦٢.

(٤) مسلم (٢٣٤٥/١١١) .

(٥) فتح البارى ٦/٥٦١ عقب الحديث (٣٥٤١) .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « حجلة » .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٩ - ٩) فى الأصل : « عبيد » .

(١٠) مسلم (٢٣٤٤/١٠٩) .

والقمرِ، وكان مُسْتديرًا، ورأيْتُ الخاتَمَ عندَ كَتِفِه مثلَ بَيْضةِ الحمامةِ يُشْبِهُ جسدَه.

حدثنا[1] محمدُ بنُ المُثَنَّى، ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ[2]، ثنا شعبةُ، عن سِماكٍ، سمِعْتُ جابرَ بنَ سَمُرةَ قال: رأيْتُ خاتَمًا فى ظهرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كأنه بَيْضةُ حَمامٍ.

وحدَّثنا[3] ابنُ نُمَيْرٍ، ثنا عُبَيدُ[4] اللَّهِ بنُ موسى، ثنا حسنُ بنُ صالحٍ، عن سِماكٍ، بهذا الإسنادِ مثلَه.

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: ثنا عبدُ الرزاقِ، أنا مَعْمَرٌ، عن عاصمِ بنِ سليمانَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ قال: ترَون هذا الشيخَ؟ يعنى نفسَه، كلَّمْتُ نبيَّ اللَّهِ ﷺ، وأكَلْتُ معه، ورأيْتُ العلامةَ التى بينَ كَتِفَيه، وهى فى طرَفِ[6] نُغْضِ كتفِه اليسرى، كأنَّه جُمْعٌ - يعنى الكفَّ المجتمعَ، وقال بيدِه فقبَضها - عليه خِيلانٌ كهيئةِ الثآليلِ[7].

وقال أحمدُ[8]: حدثنا هاشمُ بنُ القاسمِ وأسودُ بنُ عامرٍ، قالا: ثنا شَريكٌ،

---

(١) مسلم (٢٣٤٤/١١٠).

(٢) فى النسخ: «حزم». والمثبت من صحيح مسلم. وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥، وتحفة الأشراف ٢/ ١٥٩.

(٣) مسلم (٢٣٤٤/٠٠٠).

(٤) فى ١١١: «عبد». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

(٥) المسند ٥/ ٨٢.

(٦) فى ١١١: «طرق». ونغض الكتف: أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذى على طرفه. صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ٩٨.

(٧) خيلان كهيئة الثآليل: خيلان، جمع خال: وهو الشامة فى الجسد. والثآليل: جمع ثؤلول، وهو هذه الحبَّة التى تظهر فى الجلد كالحِمِّصة فما دونها. النهاية ١/ ٢٠٥، ٢/ ٩٤.

(٨) المسند ٥/ ٨٢.

عن عاصم، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ قال: رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وسلَّمْتُ[1] عليه، وأكَلْتُ [2]مِن طعامِه[2]، وشرِبْتُ مِن شرابِه، ورأيْتُ خاتَمَ النبوةِ. قال هاشمٌ: فى نُغْضِ كتِفِه اليسرى، كأنَّه جُمْعٌ فيه خِيلانٌ سُودٌ، كأنَّها الثَّآلِيلُ. ورواه[3] عن غُنْدَرٍ، عن شعبةَ، عن عاصمٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ، فذكَر الحديثَ، وشكَّ شعبةُ فى أنَّه هل هو فى نُغْضِ الكتفِ اليمنى أو اليسرى.

وقد رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ وعلىِّ بنِ مُسْهِرٍ وعبدِ الواحدِ بنِ زيادٍ، ثلاثتُهم عن عاصمٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ قال: أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وأكَلْتُ معه خبزًا ولحمًا. أو قال: ثَرِيدًا. [5]فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، غفَر اللَّهُ لك. قال: «ولك»[5]. فقلتُ له: أَسْتَغْفَرَ لك رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: نعم، ولكم. ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]. قال: ثم دُرْتُ خلفَه فنظَرْتُ إلى خاتَمِ النبوَّةِ بينَ كَتِفَيْه عندَ [٣/ ٤٣٩ظ] نُغْضِ كتفِه اليسرى جُمْعًا، عليه خِيلانٌ كأمثالِ الثَّآلِيلِ.

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[6]: ثنا قُرَّةُ بنُ خالدٍ، ثنا معاويةُ بنُ قُرَّةَ، عن أبيه قال: أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أرِنى الخاتَمَ. فقال: «أدْخِلْ يدَك». فأدْخَلْتُ يدى فى جُرُبَّانِه[7]، فجعَلْتُ أَلْمِسُ أنظُرُ إلى الخاتَمِ، فإذا هو على

---

(١) فى المسند: «ودخلت».

(٢ - ٢) فى م: «معه».

(٣) أى الإمام أحمد. المسند ٥/ ٨٢ مطولا.

(٤) مسلم (٢٣٤٦/١١٢).

(٥ - ٥) زيادة من النسخ ليست فى صحيح مسلم.

(٦) مسند أبى داود (١٠٧١).

(٧) فى ا ٤: «جرمانه». والجربان: جيب القميص، والألف والنون زائدتان. النهاية ١/ ٢٥٣.

نُغْضِ كتفِه مثلُ البَيْضةِ ، فما منَعه ذاك أن جعَل يدْعو لى وإنَّ يدى لفى جُرُبَّانِه . ورواه النسائىُّ ، عن أحمدَ بنِ سعيدٍ ، عن وهبِ بنِ جريرٍ ، عن قُرَّةَ بنِ خالدٍ به[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا وَكيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن إيادِ بنِ لَقِيطٍ السَّدوسىِّ ، عن أبى رِمْثَةَ التَّيْمىِّ[3] قال : خرَجْتُ مع أبى حتى أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فرأيْتُ برأسِه رَدْعَ حِنَّاءٍ ، ورأيْتُ على كتفِه مثلَ التفاحةِ ، فقال أبى : إنى طَبِيبٌ ألا أَبُطُّها[4] لك ؟ قال : « طَبيبُها الذى خلَقها » . قال : وقال لأبى : « هذا ابنُك ؟ » قال : نعم . قال : « أمَا إنه لا يَجْنِى عليك ولا تَجْنِى عليه » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ إيادٍ[6] ، حدَّثنى أبى ، عن أبى رَبيعةَ أو رِمْثةَ قال : انطَلَقْتُ مع أبى نحوَ النبىِّ ﷺ ، فنظَر إلى مثلِ السِّلْعةِ[7] بينَ كَتِفَيْه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى كأطَبِّ الرجالِ أفأُعالِجُها لك ؟ قال : « لا ، طَبيبُها الذى خلَقها » .

قال البيهقىُّ[8] : وقال الثورىُّ ، عن إيادِ بنِ لَقيطٍ فى هذا الحديثِ : فإذا خلْفَ كَتِفِه[9] مثلُ التفاحةِ .

وقال عاصمُ بنُ بَهْدَلةَ عن أبى رِمْثَةَ[10] : فإذا فى نُغْضِ كتفِه مثلُ بَعْرةِ البعيرِ

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨٣٠٧) .
(٢) المسند ٤/ ١٦٣، ٢/ ٢٢٦ مختصرا . (إسناده صحيح) .
(٣) فى المسند : « التميمى » . وهو خطأ . وانظر الإصابة ٧/ ١٤١ .
(٤) فى م : « أطبها » . والبط : شق الدمل والخُرَّاج ونحوهما . بلوغ الأمانى ٢٢/ ١٣ .
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٦٥، من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٦) فى م ، ص : « زياد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١١ .
(٧) السلعة : هى غُدَّة تظهر بين الجلد واللحم ، إذ غُمزت باليد تحركت . النهاية ٢/ ٣٨٩ .
(٨) دلائل النبوة ١/ ٢٦٥ .
(٩) فى م ، ص : « كتفيه » .
(١٠) المصدر السابق .

أو بَيْضةِ الحمامةِ[1] .

ثُم روَى البيهقىُّ[2] مِن حديثِ سِماكِ بنِ حربٍ ، عن سَلَامةَ العِجْلىِّ ، عن سلمانَ الفارسىِّ قال : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فألْقَى رداءَه وقال : « يا سلمانُ ، انظُرْ إلى ما أُمِرْتَ به » . قال : فرأيْتُ الخاتَمَ بينَ كَتِفَيْه مثلَ بَيْضةِ الحمامةِ .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] ، عن الحُمَيْدىِّ ، عن يحيى بنِ سُلَيْمٍ ، عن [4]ابنِ خُثَيْمٍ[4] ، عن سعيدِ بنِ أبى راشدٍ ، عن التَّنُوخىِّ ، الذى بعَثه هِرَقْلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بتبوكَ ، فذكَر الحديثَ كما قدمناه[5] فى غزوةِ تبوكَ إلى أن قال : فحلَّ حَبْوَتَه عن ظهرِه ، ثم قال : « هـٰهنا امْضِ لِما أُمِرْتَ به » : فجُلْتُ[6] فى ظهرِه ، فإذا أنا بخاتَمٍ [7]فى موضعِ[7] غُضْروفِ الكَتِفِ مثلَ [8]المِحْجَمةِ الضخمةِ[8] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[9] : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَيْسرةَ ، ثنا عَتَّابٌ[10] ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ يقولُ : الخاتَمُ الذى بينَ كتِفَى النبىِّ ﷺ لَحْمةٌ ناتِئةٌ[11] .

---

(١) فى الدلائل : « الحمام » .

(٢) دلائل النبوة ١/ ٢٦٦.

(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤١. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٦٦، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٤ - ٤) فى الأصل، م، ص : « أبى خيثم » . وفى ا ١١١: « ابن خيثم » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٩.

(٥) تقدم فى ٧/ ١٧٤ - ١٧٧.

(٦) فى ا ١١١، ا ٤١: « قال فجعلت أنظر » .

(٧ - ٧) فى ا ١١١، ا ٤١: « بين » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « الحجمة الضخمة » . وهو لفظ الرواية المتقدمة الذكر .

(٩) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٢.

(١٠) فى الأصل : « غياث » ، وفى ا ٤١ : « ابن غياث » . وانظر التاريخ الكبير ٧/ ٥٥.

(١١) فى ا ٤١، م، ص : « نابتة » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا سُرَيْجٌ[2] ، ثنا أبو ليلى عبدُ اللَّهِ بنُ مَيْسرةَ الخُراسانيُّ ، عن غِياثٍ [٣/ ٤٤٠و] البَكْرِيِّ قال: كنا نُجالسُ أبا سعيدٍ الخدريَّ بالمدينةِ ، فسألْتُه عن خاتَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى كان بينَ كتِفَيه ، فقال بأُصبُعِه السَّبَّابةِ هكذا : لحمٌ ناشزٌ بينَ كتِفَيه ﷺ . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . [3]حديثٌ غريبٌ جدًّا رواه أبو حاتم محمدُ بنُ حاتمِ بنِ حِبَّانَ البُسْتِيُّ فى « صحيحِه »[4] قائلًا : أخبرنا نصرُ[5] بنُ الفتحِ بنِ سالمٍ المُرَبَّعِيُّ[6] العابدُ بسَمَرْقَنْدَ ، ثنا رجاءُ[7] بنُ مُرَجًّى الحافظُ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ قاضى سَمَرْقَنْدَ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كان خاتَمُ النبوةِ فى ظهرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلَ البُنْدُقَةِ مِن لحمٍ ، عليه مكتوبٌ : محمدٌ رسولُ اللَّهِ . وهذا حديثٌ سَكَت عليه ابنُ حِبّانَ ، وقد دخَل على راويه عن ابنِ جريجٍ الوَهْمُ ، فإن المكتوبَ عليه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ ، هو خاتَمُه الذى كان يَلْبَسُه فى خِنْصَرِه مِن الفضةِ ، فأمّا خاتَمُ النبوةِ الذى بينَ كَتِفَيْه فلم يَرِدْ فيه شىءٌ من الأحاديثِ[8] . وبمثلِ هذا التفرُّدِ لا يُقبَلُ مِن روايةِ ذلك حتى يَرْوِيَه الثقاتُ ؛ إذ نَقْلُ هذا مما تتوفَّرُ الدَّواعِى على نقلِ مِثْلِه فلا يُقبَلُ فيه تفرُّدُ الرّاوى . واللَّهُ أعلمُ[3] .

---

(١) المسند ٣/ ٦٩.

(٢) فى الأصل ، م : « شريح » . وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٥٢، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢١٨.

(٣ - ٣) سقط من : ١١١، ٤١، م ، ص .

(٤) الإحسان (٦٣٠٢) . وقال الشيخ شعيب : ضعيف .

(٥) فى الأصل : « نضر » . والمثبت من الإحسان . وانظر الأنساب ٥/ ٢٥٢.

(٦) فى الأصل : « المريعى » . والمثبت من الإحسان . وانظر الأنساب ٥/ ٢٥٢.

(٧) فى الأصل : « جابر » . والمثبت من الإحسان . وانظر الأنساب ٥/ ٢٥٢.

(٨) قال الحافظ فى « الفتح » ٦/ ٥٦٣: وأما ما ورد من أنها - أى البندقة - كانت كأثر محجم ، أو كالشامة السوداء أو الخضراء ، أو مكتوب عليها « محمد رسول الله » أو « سر فأنت المنصور » أو نحو ذلك ، فلم يثبت منها شىء ... ولا تغتر بما وقع فى صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك ، =

وقد ذكَر الحافظُ أبو الخطابِ بنُ دِحْيةَ المِصرىُّ فى كتابِه « التَّنْويرِ فى مَوْلِدِ البَشيرِ النذيرِ » عن أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ بشرٍ المعروفِ بالحكيمِ الترمذىِّ ، أنه قال : كان الخاتَمُ الذى بينَ كتِفَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ كأنَّه بَيْضةُ حمامةٍ مكتوبٌ فى باطنِها : اللَّهُ وحدَه . وفى ظاهرِها : توَجَّهْ حيث شئتَ فإنَّك منصورٌ . ثم قال : وهذا غريبٌ . واستَنْكَره ، قال : وقيل : كان مِن نورٍ . ذكَره الإمامُ أبو زكريا يحيى بنُ مالكِ بنِ عائذٍ فى كتابِه « تَنَقُّل الأنْوارِ » وحكَى أقوالًا غريبةً غيرَ ذلك ، ومِن أحسنِ ما ذكَره ابنُ دِحْيةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وغيرُه مِن العلماءِ قبلَه فى الحكمةِ فى كونِ الخاتَمِ كان بينَ كتِفَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ إشارةً إلى أنه لا نبىَّ بعدَك يأتى مِن ورائك . قال : وقيل : كان على نُغْضِ كتفِه . لأنه يقالُ : هو الموضِعُ الذى يدْخُلُ الشيطانُ منه إلى باطنِ[1] الإنسانِ . فكان هذا عِصْمةً له ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مِن الشيطانِ .

قلتُ : وقد ذكَرْنا الأحاديثَ الدالَّةَ على أنه لا نبىَّ بعدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ولا رسولَ ، عندَ تفسيرِ قولِه تعالى[2] : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [٣/ ٤٤٠ظ] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

= واللَّه أعلم . وقال الحافظ الهيثمى فى الموارد عقب حديث (٢٠٩٧) : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة الذى كان يختم به الكتب . وفى الهامش الأصل من الموارد بخط الحافظ العسقلانى : البعض هو إسحاق ، فهو ضعيف .

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) انظر التفسير ٦/٤٢٢ - ٤٢٦.

بابُ (١) جامعٌ لأحاديثَ (١) متفرِّقةٍ وَرَدت فى صفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

قد تقَدَّم فى روايةِ نافعِ بنِ جُبيرٍ عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، أنه قال : لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ(٢) : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ(٣) القَعْنَبىُّ وسعيدُ بنُ منصورٍ ، ثنا عمرُ بنُ يونسَ ، ثنا عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ مولى غُفْرةَ(٤) ، حدثنى إبراهيمُ ابنُ محمدِ مِن ولدِ علىٍّ ، قال : كان علىٌّ إذا نعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : لم يكنْ بالطويلِ المُمَّغِطِ(٥) ولا القصيرِ المُتَرَدِّدِ(٦) ، وكان رَبْعةً مِن القومِ ، ولم يكنْ بالجَعْدِ القَطَطِ ، ولا بالسَّبْطِ ، كان جَعْدًا رَجِلًا ، ولم يكنْ بالمُطَهَّمِ ولا المُكَلْثَمِ ، وكان فى الوجهِ تَدْويرٌ ، أبيضَ مُشْرَبًا ، أدْعَجَ العينين ، أهْدَبَ الأشْفارِ ، جَليلَ المُشاشِ والكَتَدِ ، أجْرَدَ ذا مَسْرُبةٍ ، شَثْنَ الكفَّيْنِ والقدَمَين(٧) ، إذا مشَى تقَلَّع كأنما يمشى

(١ - ١) فى م : « أحاديث » .

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٥٥. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٢٦٨، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٣) فى النسخ : « مسلم » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦.

(٤) فى ا ١١١، ا ٤١، م : « عفرة » . وانظر المصدر السابق ٢١/ ٤٢٠.

(٥) الممغط : هو بتشديد الميم الثانية ، المتناهى الطول . وامَّغَط النهار ، إذا امْتَدّ . وأصله مُمْتَغِط ، والنون للمطاوعة ، فقلبت ميما وأدغمت فى الميم . انظر النهاية ٤/ ٣٤٥.

(٦) المتردد : المتناهى فى القِصر ، كأنه تردد بعض خلقه على بعض ، وتداخلت أجزاؤه . المصدر السابق ٢/ ٢١٣.

(٧) فى ا ١١١، ا ٤١: « الكعبين » .

فى صَبَبٍ ، وإذا التفَت التفَت معًا ، بينَ كتفَيه خاتَمُ النبوةِ ، أجْودَ الناسِ كَفًّا ، [1]وأرْحَبَ[2] الناسِ صدرًا[1] ، وأصْدَقَ الناسِ لَهْجةً ، وأوْفَى الناسِ ذِمَّةً[3] ، وألْيَنَهم عَرِيكةً ، وألْزَمَهم[4] عِشْرةً ، مَن رآه بَديهةً هابه ، ومَن خالَطه مَعْرفةً[5] أحبَّه ، يقولُ ناعتُه : لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه . وقد روَى[6] هذا الحديثَ الإمامُ أبو عُبَيدٍ[6] القاسمُ بنُ سَلَّامٍ فى كتابِ « الغريبِ »[7] ، ثم روَى عنَ[6] الكسائىِّ والأصْمَعىِّ وأبى عمرٍو تفسيرَ غريبِه[8] ، وحاصلُ ما ذكَره مما فيه غرابةٌ أن المُطَهَّمَ هو المُمْتَلِئُ الجسمِ ، والمُكَلْثَمَ شديدُ تَدْويرِ الوجهِ ، يعنى لم يكنْ بالسمينِ الناهضِ ، ولم يكنْ ضعيفًا ، بل كان بينَ ذلك ، ولم يكنْ وجهُه فى غايةِ التَّدْويرِ بل فيه سُهولةٌ ، وهى أحْلَى عندَ العربِ ومَن يَعْرِفُ ، وكان أبيضَ مُشْرَبًا حُمْرةً ، وهى أحسنُ اللونِ ، ولهذا لم يَكُنْ أمْهَقَ اللونِ ، والأدْعَجَ هو شديدُ سَوادِ الحَدَقَةِ ، وجَليلَ المُشاشِ هو عظيمُ رُءوسِ العِظامِ مثلِ الرُّكْبتَيْنِ والمِرْفقَيْنِ والمَنْكِبين[6] ، والكَتَدَ الكاهلُ وما يليه مِن الجسدِ . وقولُه : شَثْنَ الكفَّيْن . أى : غَليظَهما[9] . وتقَلَّع فى مِشْيتِه ، أى شديدَ المِشْيةِ ، وتقدَّم[10] الكلامُ على الشُّكْلةِ والشُّهْلةِ والفرقِ

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١.

(٢) فى الأصل : « وأجرأ » . وهو لفظ رواية البيهقى فى الدلائل .

(٣) فى الأصل ، ١١١، ص : « بذمة » . وهو لفظ رواية البيهقى .

(٤) فى الأصل ، ١١١، ٤١: « وأكرمهم » . وهو لفظ رواية البيهقى .

(٥) فى المعرفة والتاريخ : « لمعرفة » . والمثبت من النسخ كما فى الدلائل .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) غريب الحديث ٢/ ٣٠٩.

(٨) المصدر السابق ٢/٣١٢ وما بعدها . وانظر دلائل النبوة ١/٢٧٠ - ٢٧٣.

(٩) فى الأصل ، ٤١: « عظيمهما » .

(١٠) تقدم فى صفحة ٤٠١ ، ٤٠٢ .

بينَهما ، والأهْدبَ طويلُ أشْفارِ العينِ ، وجاء فى حديثٍ[1] أنه كان شَبْحَ الذراعين ، [٣/ ٤٤١و] يعنى غَليظَهما .واللَّهُ تعالى أعلمُ .

حديثُ أمّ مَعْبَدٍ فى ذلك

قد تقدَّم[2] الحديثُ بتمامِه فى الهجرةِ مِن مكةَ إلى المدينةِ حينَ ورَد عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ومعه أبو بكرٍ ومولاه عامرُ بنُ فُهَيْرةَ ودليلُهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ الدِّيلىُّ ، فسألوها هل عندَها لبنٌ أو لحمٌ يشْترونه منها ، فلم يجِدوا عندَها شيئًا ، وقالت : لو كان عندَنا شىءٌ ما أَعْوَزَكم القِرَى . وكانوا مُمْحِلين ، فنظَر إلى شاةٍ فى كِسْرِ خَيمتِها[3] ، فقال : « ما هذه الشاةُ يا أمَّ مَعْبَدٍ ؟ » فقالت : خلَّفها الجَهْدُ . فقال : « أتأْذَنِين أن أَحْلُبَها ؟ » فقالت : إن كان بها[4] حَلَبٌ فاحْلُبْها . فدَعا بالشاةِ فمسَحها ، وذكَر اسمَ اللَّهِ[5] . فذكَر الحديثَ فى حَلْبِه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلَبها وترَك عندَها إناءَها مَلْأَى[6] ، وكان يُرْبِضُ الرَّهْطَ ، فلما جاء بَعْلُها استنكر اللبنَ وقال : مَن أين لك هذا يا أمَّ مَعْبَدٍ ولا حَلُوبةَ فى البيتِ ، والشاءُ عازبٌ ؟! فقالت : لا واللَّهِ ، إلَّا[7] أنه مرَّ بنا رجلٌ مُبارَكٌ كان مِن حديثِه كَيْتَ وكَيْتَ . فقال : صِفيه لى ، فواللَّهِ إنى لأُراه صاحبَ قريشٍ الذى تطْلُبُ . فقالت :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢/ ٣٢٨، ٤٤٨، وابن سعد فى الطبقات ١/ ٤١٤، وغيرهما . وإسناده حسن . انظر السلسلة الصحيحة (٢٠٩٥) ، وصحيح الجامع (٤٦٩٢) .

(٢) تقدم فى ٤/٤٧٢ - ٤٨١.

(٣) فى ١١١: « البيت » . وكسر الخيمة : جانبها . وانظر ما تقدم فى ٤/٤٧٦ ، حاشية (٥) .

(٤) فى الأصل ، ١١١: « فيها » .

(٥) بعده فى الأصل : « عليها » .

(٦) سقط من : الأصل . وفى ١١١: « ممتلئًا » .

(٧) سقط من : م .

رأيْتُ رجلًا ظاهرَ الوَضاءةِ ، حسنَ الخَلْقِ ، مَليحَ الوجهِ ، لم تَعِبْه ثُجْلَةٌ ، ولم تُزْرِ به صَعْلَةٌ ، قَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فى عينَيه دَعَجٌ ، وفى أشْفارِه وَطَفٌ ، وفى صوتِه صَحَلٌ ، أحْوَرُ ، أكْحَلُ ، أزَجُّ ، أقْرَنُ ، فى عنقِه سَطَعٌ ، وفى لحيتِه كَثافةٌ[1] ، إذا صمَتَ فعليه الوَقارُ ، وإذا تكَلَّم سَما ، وعلاه البَهاءُ ، [2]حُلْوُ المَنْطِقِ فَصْلٌ ، لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ ، كأنَّ مَنْطِقَه خَرَزاتُ نَظْمٍ يَتَحَدِرْنَ[2] ، أبْهَى الناسِ وأجْملُه[3] مِن بعيدٍ ، [4]وأحلاه وأحْسنُه[4] مِن قريبٍ ، رَبْعةٌ ؛ لا تَشْنَؤُه عينٌ مِن طولٍ ، ولا تقْتَحِمُه عينٌ مِن قِصَرٍ ، غُصْنٌ بينَ غُصْنَيْنِ فهو أنْضَرُ الثلاثةِ مَنْظَرًا ، وأحسنُهم قَدًّا ، له رُفقاءُ يَحُفُّون به ، إن قال استمَعوا لقولِه ، وإن أمَر تَبادروا إلى أمْرِه ، مَحْفودٌ مَحْشودٌ ، لا عابسٌ ولا مُفَنَّدٌ . فقال بَعْلُها : هذا واللَّهِ صاحبُ قريشٍ الذى تطْلُبُ ، ولو صادفْتُه لالتَمَسْتُ أن أَصْحَبَه ، ولأَجْهَدَنَّ إن وجَدْتُ إلى ذلك سبيلًا . قال : وأصبح صوتٌ بمكةَ عالٍ بينَ السماءِ والأرضِ يسْمَعونه ، [5]ولا يرَوْن[5] مَن يقولُه وهو يقولُ :

جزَى اللَّهُ ربُّ الناسِ خيرَ جَزائِه ... رفيقَيْنِ حلَّا خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ

[٣/ ٤٤١ظ] هما نزَلا بالبِرِّ وارْتَحلا به ... فأفْلَح مَن أمْسَى رفيقَ محمدِ

فيالَ قُصَىٍّ ما زَوَى اللَّهُ عنكمُ ... به مِن فِعالٍ لا تُجارَى[6] وسُؤْدُدِ

---

(١) فى م : « كثاثة » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ١١١، ٤١ : « أجملهم » .

(٤ - ٤) فى ١١١، ٤١ : « وأحلاهم وأحسنهم » .

(٥ - ٥) فى ص : « ولا يدرون » .

(٦) فى الأصل، ٤١، م : « تجازى » . وفى ص : « يجازى » .

سَلُوا أُخْتَكم عن شاتِها وإنائِها فإنَّكمُ إن تسألُوا الشاةَ تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحَلَّبَتْ له بصَريحٍ ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ
فغادَرَه رَهْنًا لدَيْها لحالِبٍ[1] يَدُرُّ لها فى مَصْدَرٍ ثُم مَوْرِدِ

وقد قدَّمْنا جوابَ حسانَ بنِ ثابتٍ لهذا الشعرِ المُبارَكِ بمثلِه فى الحُسْنِ.

والمقصودُ أن الحافظَ البيهقىَّ روَى هذا الحديثَ مِن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ وهبٍ المَذْحِجىِّ قال: ثنا [2]الحُرُّ بنُ الصَّيَّاحِ[2]، عن أبى مَعْبَدٍ الخُزاعىِّ. فذكَر الحديثَ بطولِه كما قدَّمْناه بألفاظِه. وقد رواه الحافظُ يعقوبُ بنُ سفيانَ الفَسَوىُّ[3]، والحافظُ أبو نُعيمٍ فى كتابِه «دلائلِ النبوةِ»[4]، قال عبدُ الملكِ: فبلَغنى أن أبا مَعْبَدٍ أسْلَم بعدَ ذلك، وأن أمَّ مَعْبَدٍ هاجَرَت وأسْلَمَت. ثم إن الحافظَ البيهقىَّ أَتْبَع هذا الحديثَ بذكرِ غريبِه[5]، وقد ذكَرْناه فى الحَواشى فيما سبَق، ونحن نذكُرُ هـٰهنا نُكَتًا مِن ذلك؛ فقولُها: ظاهرَ الوَضاءةِ. أى ظاهرَ الجمالِ. أبْلَجَ الوجهِ: أى مُشْرِقَ الوجهِ مُضِيئَه. لم تَعِبْه ثُجْلةٌ: قال أبو عُبَيدٍ[6]: هو كِبَرُ البطنِ. وقال غيرُه: كِبَرُ الرأسِ. وردَّ أبو عُبَيدٍ[7] روايةَ مَن روَى: لم تَعِبْه نُحْلَةٌ. يعنى مِن النُّحولِ، وهو الضعفُ. قلتُ: وهذا هو[8] الذى فسَّر به البيهقىُّ

---

(١) فى الأصل، ١١١، ٤١: «بحالب».
(٢ - ٢) فى النسخ: «الحسن بن الصباح». وانظر ما تقدم فى ٤/٤٧٦، حاشية (١ - ١).
(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٣٦، ٣٣٧.
(٤) تقدم تخريجه فى ٤/ ٤٨٠، حاشية (٥).
(٥) دلائل النبوة ١/٢٨٢ - ٢٨٤.
(٦) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ص ٣٤١ عقب حديث (٢٣٨)، بسنده عن أبى عبيد.
(٧) فى ١١١، م، ص: «عبيدة».
(٨) سقط من: الأصل، ١١١.

الحديثَ ، والصحيحُ قولُ أبى عُبَيدٍ ، ولو قيل : إنه كِبَرُ الرأسِ . لكان قويًّا ؛ وذلك لقولِها بعدَه : ولم تُزْرِ به صَعْلَةٌ . وهو صِغَرُ الرأسِ بلا خلافٍ ، ومنه يقالُ لولدِ النَّعامةِ : صَعْلٌ . لصِغَرِ رأسِه ، ويقال له : الظَّليمُ . وأما البيهقىُّ فرواه : لم تَعِبْه نُحْلةٌ . يعنى مِن الضعفِ كما فسَّره ، ولم تُزْرِ به صُقْلَةٌ[1] : قال[2] : وهو الخاصرةُ ، يريدُ أنه ضَرْبٌ مِن الرجالِ ليس بمنتفخٍ ولا ناحلٍ . قال : ويُرْوَى : لم تَعِبْه ثُجْلةٌ . وهو كِبَرُ البطنِ . ولم تُزْرِ به صَعْلةٌ . وهو صِغَرُ الرأسِ . وأما الوَسيمُ فهو حَسَنُ الخَلْقِ ، وكذلك القَسيمُ أيضًا . والدَّعَجُ : شدةُ سَوادِ الحَدَقةِ . والوَطَفُ : طولُ أشْفارِ العينين . ورواه القُتَيْبىُّ[3] : فى أشْفارِه عَطَفٌ . [٣/ ٤٤٢و] وتبِعه البيهقىُّ فى ذلك . قال ابنُ قُتَيبةَ : ولا أعْرِفُ ما هذا . [4]وهو مَعْذورٌ[4] ؛ لأنه وقَع فى روايتِه غَلَطٌ ، فحار فى تفسيرِه ، والصوابُ ما ذكَرْناه . واللَّهُ أعلمُ . وفى صوتِه صَحَلٌ : وهو بُحَّةٌ يَسيرةٌ ، وهى أحلى فى الصوتِ مِن أن يكونَ حادًّا . قال أبو عبيدٍ : وبالصَّحَلِ تُوصَفُ الظِّباءُ . قال : ومَن روَى : فى صوتِه صَهَلٌ . فقد غلِط ؛ فإنَّ ذلك لا يكونُ إلا فى الخيلِ ، ولا يكونُ فى الإنسانِ . قلتُ : وهو الذى أوْرَده البيهقىُّ ؛ قال : ويُرْوَى : صَحَلٌ . والصوابُ قولُ أبى عُبَيْدٍ . واللَّهُ أعلمُ . وأما قولُها : أحْوَرُ . فمُسْتَغْرَبٌ فى صفةِ النبىِّ ﷺ ، وهو قَبَلٌ يَسيرٌ فى العينين[5] يَزينُها ولا يَشينُها كالحَوَلِ . وقولُها : أكْحَلُ . قد تقدم له شاهدٌ . وقولُها : أزَجُّ . قال أبو عُبَيد : هو المُتَقَوِّسُ الحاجبين . قال : وأما قولُها : أقْرَنُ . فهو التقاءُ الحاجبين بينَ العينين . قال : ولا يُعْرَفُ هذا فى صفةِ النبىِّ ﷺ إلا فى هذا

---

(١) فى الأصل ، ٤١ ، م ، ص : « صعلة » .

(٢) سقط من : م ، ص . والقائل البيهقى .

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٧١ ، ٤٧٢ . وانظر دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٢٨٣ .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) القَبَلُ فى العينين : إقبال السواد على الأنف ، وقيل : هو ميل كالحول . النهاية ٤/ ٩ .

الحديثِ . قال : والمعروفُ فى صفتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أنه أبْلَجُ الحاجبين . فى عُنُقِه سَطَعٌ : قال أبو عُبَيدٍ : أى طولٌ . وقال غيرُه : نورٌ . قلتُ : والجمعُ ممكنٌ بل مُتَعَيِّنٌ . وقولُها : إذا صمَت فعليه الوَقارُ . أى الهَيْبةُ عليه فى حالِ صمتِه وسُكوتِه . وإذا تكلَّم سمَا : أى علَا على الناسِ . وعلَاه البَهاءُ : أى فى حالِ كلامِه . حُلْوُ المَنْطِقِ فَصْلٌ : أى فصيحٌ بَليغٌ يَفْصِلُ الكلامَ ويُبَيِّنُه . لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ : أى لا قليلٌ ولا كثيرٌ . كأنَّ مَنْطِقَه خَرَزاتُ نَظْمٍ : يعنى الدُّرَّ[1] مِن حُسنِه وبَلاغتِه وفَصاحتِه وبَيانِه وحَلاوةِ لسانِه . أبْهَى الناسِ وأجْملُه [2]مِن بعيدٍ ، وأحْلاه وأحْسَنُه مِن قريبٍ : أى هو مَليحٌ[2] مِن بعيدٍ ومِن قريبٍ . وذكَرَتْ أنه لا طويلٌ ولا قصيرٌ ، بل هو أحسنُ مِن هذا ومِن هذا . وذكَرَت أن أصحابَه يُعَظِّمونه ويُكْرِمونه[3] ويَخْدُمونه ويُبادرون إلى طاعتِه ، وما ذاك إلا لجَلالتِه عندَهم وعظمتِه فى نفوسِهم ومَحَبتِهم له ، وأنه ليس بعابسٍ : أى ليس يَعْبِسُ . ولا يُفَنِّدُ أحدًا : أى يُهَجِّنُه ويَسْتَقِلُّ عقلَه ؛ بل جميلُ المُعاشرةِ ، حَسَنُ الصُّحْبةِ ، صاحبُه كريمٌ عليه ، وهو حَبيبٌ إليه ﷺ .

[4]قال أبو زُرْعَةَ فى « الدلائلِ »[5] : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا يوسفُ - يعنى ابنَ صُهيبٍ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُريدةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ [٣/٤٤٢ظ] عليه وسلَّم ، كان أحسنَ البَشَرِ قَدَمًا . وهذا مُرسلٌ[4] .

---

(١) فى م : « الذى » .

(٢ - ٢) سقط من : ١١١، ٤١.

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٤١٩، من طريق أبى نعيم الفضل بن دكين به .

(١ وقال أبو زُرْعَةَ أيضًا[٢] : ثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ الأزديُّ الورَّاقُ ، ثنا عَنْبَسَةُ[٣] ابنُ عبدِ الرحمنِ ، عن محمدِ بنِ زاذانَ ، عن أمِّ سعدٍ ، عن عائشةَ ، رضىَ اللَّهُ عنها ، قالت : قلت : يا رسولَ اللَّهِ ، تأتى[٤] الخلاءَ فلا نَرَى مِنك شيئًا مِن الأذى ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَ ما عَلِمْتِ يا عائشةُ أن الأرضَ تبتلعُ ما يَخرُجُ مِن الأنبياءِ فلا يُرَى مِنه شيءٌ ؟ » هذا الحديثُ يُعَدُّ مِن المنكراتِ . واللَّهُ أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٣٦٤) ، من طريق إسماعيل بن أبان به .

(٣) فى دلائل النبوة : « عيينة » . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤١٦ .

(٤) فى ١١١، ٤١: « نأتى » .

حديثُ هندِ بنِ أبى هالةَ فى ذلك

وهندٌ هذا هو رَبيبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أمُّه خَديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وأبوه أبو هالةَ ، كما قدَّمنا بيانَه ، واللَّهُ أعلمُ .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ الفَسَوىُّ الحافظُ ، رَحِمه اللَّهُ[1] : حدثنا سعيدُ بنُ حمادٍ الأنصاريُّ المصريُّ وأبو غَسَّانَ مالكُ بنُ إسماعيلَ النَّهْدىُّ[2] ، قالا : ثنا جُمَيْعُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العِجْلىُّ قال : حدَّثنى رجلٌ بمكةَ ، عن ابنٍ لأبى هالةَ التَّميمىِّ ، [3]عن الحسنِ بنِ علىٍّ قال : سألْتُ خالى هندَ بنَ أبى هالةَ[3] - وكان وَصَّافًا - عن حِلْيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنا أَشْتَهِى أن يَصِفَ لى منها شيئًا أتعَلَّقُ به ، فقال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فخمًا مُفَخَّمًا ، يَتلألأُ وجهُه تَلَأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البدرِ ، أطولَ مِن المَرْبوعِ وأقْصَرَ مِن المُشَذَّبِ[4] ، عظيمَ الهامةِ ، رَجِلَ الشعرِ ، إذا تفرَّقَت عَقِيصتُه فرَق ، وإلا فلا يُجاوِزُ شعرُه شَحْمةَ أُذنيْه [5]إذا هو وَفَّرَه[5] ، أزْهَرَ اللونِ ، واسعَ الجَبينِ ، أزَجَّ الحَواجبِ سوابغَ فى غيرِ قَرَنٍ ، بينَهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضَبُ ، أقْنَى العِرْنِينِ ، له نورٌ يعْلُوه يَحْسَبُه مَن لم يتَأَمَّلْه أشَمَّ ، كَثَّ اللِّحيةِ ، أدْعَجَ[6] ، سهلَ الخدين ، ضَليعَ الفمِ ، أشْنَبَ ، مُفَلَّجَ الأسْنانِ ، دقيقَ المَسْرُبةِ ،

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/٣٥٦ - ٣٥٩.

(٢) فى م : « الهندى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/٨٦.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) المشذب : هو الطويل البائن الطول مع نقص فى لحمه . النهاية ٢/٤٥٣.

(٥ - ٥) فى م ، والمعرفة والتاريخ : « ذا وفرة » . والمثبت موافق لرواية الترمذى فى الشمائل ، ورواية البيهقى فى الدلائل ، ورواية الطبرانى فى الكبير ، كما سيأتى .

(٦) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١.

كأن عُنُقَه جِيدُ دُمْيَةٍ فى (١ صَفاءِ الفضةِ ١) ، مُعْتدلَ الخَلْقِ[٢] - بادنٌ[٣] مُتماسِكٌ ، سواءُ البطنِ والصدرِ ، عريضُ الصدرِ ، بعيدُ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، ضخمُ الكَراديسِ ، أنورُ المُتَجَرَّدِ[٤] ، موصولُ ما بينَ اللَّبَّةِ والسُّرَّةِ بشعرٍ يجْرى كالخَطِّ ، عارى الثَّدْيَيْن والبطنِ مما سوى ذلك ، أَشْعرُ الذِّراعَيْن والمَنْكِبين وأعالى الصدرِ ، طويلُ الزَّنْدَيْن ، رَحْبُ الرَّاحةِ ، سَبْطُ القَصَبِ[٥] ، شَثْنُ الكفين والقدمين ، سابلُ الأَطْرافِ ، خُمْصانُ الأَخْمَصَيْن[٦] ، مَسيحُ القدمين ينْبُو عنهما الماءُ ، إذا زال زال قَلْعًا[٧] ، يخْطُو تكَفِّيًا ، ويمشى هَوْنًا ، ذَريعُ المِشْيةِ ؛ إذا مشَى كأنما ينْحَطُّ مِن صَبَبٍ ، وإذا التفت [٣/٤٣٣و] التفت جميعًا ، خافضُ الطَّرْفِ ، نظَرُه إلى الأرضِ أطولُ مِن نظرِه إلى السماءِ ، جُلُّ نظرِه الملاحظةُ ، يَسوقُ أصحابَه ، يَبْدَأُ مَن لقِيَه بالسلامِ . قلتُ : صِفْ لى مَنْطِقَه . قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مُتواصِلَ الأحْزانِ ، دائمَ الفِكْرةِ ، ليست له راحةٌ ، لا يتكَلَّمُ فى غيرِ حاجةٍ ، طويلَ السكوتِ ، يفْتَتِحُ الكلامَ ويَخْتِمُه بأَشْداقِه ، ويتَكَلَّمُ بجَوامعِ الكَلِمِ ، فَصْلٌ لا فُضولٌ ولا تَقْصيرٌ ، دَمِثٌ ليس بالجافى ولا المُهينِ ، يُعَظِّمُ النِّعْمةَ وإن دقَّت ، لا يذُمُّ منها شيئًا[٨] ولا يَمْدَحُه ، ولا يقومُ لغضبِه إذا تعَرَّض للحقِّ شىءٌ حتى ينْتَصِرَ له - وفى روايةٍ[٩] : لا تُغْضِبُه الدنيا وما كان لها ، فإذا تَعَرَّض للحقِّ لم يعْرِفْه أحدٌ ، ولم يقُمْ لغضبِه شىءٌ

(١ - ١) فى النسخ : « صفاء يعنى الفضة » . والمثبت من المعرفة والتاريخ .

(٢) فى ١١١، ٤١: « القامة » .

(٣) سقط من : الأصل . والبادن : الضخم .

(٤) المتجرّد : أى ما جُرّد عنه الثياب من جسده وكُشِف ، والمعنى أنه كان مشرق الجسد . النهاية ١/ ٢٥٦.

(٥) فى م : « الغضب » ، وفى ١١١، ٤١: « العصب » . والقصب : الساعدين والساقين .

(٦) الخمصان : المبالغ من الأخمص . أى أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافى عن الأرض . انظر النهاية ٢/ ٨٠.

(٧) أى يزول قالعا لرِجْله من الأرض . النهاية ٤/ ١٠١.

(٨) بعده فى الأصل ، ١١١، ٤١: « لا يذم ذواقًا » .

(٩) هذا من كلام يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ .

حتى ينتَصِرَ له - لا يَغْضَبُ لنفسِه ولا ينْتَصِرُ لها ، إذا أشار أشار بكفِّه كلِّها ، وإذا تعَجَّب قلَّبها ، وإذا تحَدَّث يصِلُ بها يضْرِبُ براحتِه اليُمْنى باطنَ إبْهامِه اليُسْرى ، وإذا غضِب أعْرَض وأشاح ، وإذا فرِح غضَّ طَرْفَه ، جُلُّ ضحِكِه التبَسُّمُ ، ويَفْتَرُّ عن مثلِ حَبِّ الغَمامِ . قال الحسنُ : فكتَمْتُها الحسينَ[1] بنَ عليٍّ زمانًا ، ثم حدَّثْتُه فوجَدْتُه قد سبَقنى إليه ، فسأَله عمَّا سأَلْتُه عنه ، ووجَدْتُه قد سأَل أباه عن مَدْخَلِه ومَخْرَجِه ومَجْلِسِه وشَكْلِه ، فلم يَدَعْ منه شيئًا . قال الحسينُ[1] : سأَلْتُ أبى عن دخولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : كان دخولُه لنفسِه ، مأذونٌ له فى ذلك ، وكان إذا أوَى إلى منزلِه جزَّأ دخولَه ثلاثةَ أجزاءٍ ؛ جزءًا للَّهِ ، وجزءًا لأهلِه ، وجزءًا لنفسِه ، ثم جزَّأ جُزْأَه [2] بينَه و[2] بينَ الناسِ ، فردَّ ذلك على العامَّةِ والخاصَّةِ لا يدَّخِرُ عنهم شيئًا ، وكان مِن سيرتِه فى جزءِ الأُمَّةِ إيثارُ أهلِ الفضلِ بأدبِه وقَسْمِه على قدْرِ فضلِهم فى الدينِ ، فمنهم ذو الحاجةِ ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحَوائجِ ، فيتَشاغَلُ بهم ويُشْغِلُهم فيما أصْلَحهم والأُمَّةَ مِن مَسْألتِه عنهم وإخبارِهم بالذى يَنْبَغِى ، ويقول : « لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ ، وأبْلِغونى حاجةَ مَن لا يَسْتطيعُ إبلاغى حاجتَه ؛ فإنه مَن بلَّغ سُلْطانًا حاجةَ مَن لا يستطيعُ إبلاغَها إياه ثبَّت اللَّهُ قدمَيه يومَ القيامةِ » . لا يُذْكَرُ عندَه إلا ذلك ، ولا يَقْبَلُ مِن أحدٍ غيرَه ، يدْخُلون عليه زُوَّارًا - [3] ويُرْوَى : رُوّادًا . أى طالِبين ما عندَه[3] - ولا [٣/٤٤٣ظ] يَفْتَرِقون إلا عن ذَوَاقٍ[4] - وفى روايةٍ : ولا يَتَفَرَّقون إلا عن ذَوْقٍ - ويخْرُجون أَدِلَّةً ، يعنى فُقهاءَ ، قال : وسأَلْتُه عن مَخْرَجِه كيف كان يصْنَعُ فيه ، فقال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى م ، ص : « الحسن » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) الذواق : المأكول والمشروب . النهاية ٢/ ١٧٢.

يَخْزُنُ لسانَه إلا بما يَعْنيهم ، ويُؤَلِّفُهم ولا يُنَفِّرُهم ، ويُكْرِمُ كريمَ كلِّ قومٍ ويُوَلِّيه عليهم ، ويَحْذَرُ الناسَ ، ويَحْتَرِسُ منهم مِن غيرِ أن يَطْوِىَ عن أحدٍ منهم بِشْرَه ولا خُلُقَه ، يتَفَقَّدُ أصحابَه ، ويسْأَلُ النَّاسَ عمَّا فى النَّاسِ ، ويُحَسِّنُ الحسَنَ ويُقَوِّيه ، ويُقَبِّحُ القَبيحَ ويُوَهِّيه ، معتدلَ الأمْرِ غيرَ مُخْتلِفٍ ، لا يَغْفُلُ مخافةَ أن يغْفُلوا أو يَميلوا ، لكلِّ حالٍ عندَه عَتَادٌ[1] ، لا يَقْصُرُ عن الحقِّ ولا يَجوزُه ، الذين يَلونه مِن الناسِ خِيارُهم ، أفضلُهم عندَه أعمُّهم نصيحةً ، وأعظمُهم عندَه مَنْزلةً أحسنُهم مُواساةً ومُؤَازرةً . قال : فسأَلْتُه عن مجلسِه كيف كان ، فقال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ ولا يقومُ إلا على ذِكْرٍ ، ولا يُوطِنُ الأماكنَ[2] ، وينْهَى عن إيطانِها ، وإذا انْتَهى إلى قومٍ جلَس حيث يَنْتَهى به المجلسُ ، ويأمُرُ بذلك ، يُعْطِى كلَّ جُلَسائِه نَصيبَه ، لا يَحْسَبُ جَليسُه أن أحدًا أكرَمُ عليه منه ، مَن جالَسه أو قاوَمه فى حاجةٍ صابَره حتى يكونَ هو المُنْصَرِفَ ، ومن سأَله حاجةً لم يَرُدَّه إلا بها أو بمَيْسورٍ مِن القولِ ، قد وسِع الناسَ منه بَسْطُه وخُلُقُه ، فصار لهم أبًا ، وصاروا عندَه فى الحقِّ سواءً ، مَجْلِسُه مَجْلِسُ حِكَمٍ[3] وحَياءٍ وصبرٍ وأمانةٍ ، لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ ، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَمُ[4] ، ولا تُنْثَى فَلَتاتُه[5] ، مُتَعادلين يتَفاضلون فيه بالتقْوى ، مُتواضِعين يُوَقِّرون فيه الكبيرَ ويَرْحَمون الصغيرَ ، يُؤْثِرون ذا الحاجةِ ، ويحْفَظون الغريبَ . قال : فسأَلْتُه عن سِيرتِه فى جُلَسائِه ، فقال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ دائمَ البِشْرِ ، سهلَ الخُلُقِ ، لَيِّنَ الجانبِ ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخَّابٍ

---

(١) عتاد : أى ما يصلح لكل ما يقع من الأمور . النهاية ٣/ ١٧٧.

(٢) لا يوطن الأماكن : أى لا يتخذ لنفسه مجلسًا يعرف به . النهاية ٥/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) فى الأصل ، ١١١، ٤١ : « حلم » .

(٤) لا تؤبن فيه الحرم : أى لا يُذْكَرْنَ بقبيح ، كان يصان مجلسه عن رفث القول . النهاية ١/ ١٧.

(٥) لا تنثى فلتاته : أى لا تشاع ولا تذاع ... أراد أنه لم يكن لمجلسه فلتات فتنثى . انظر النهاية ٥/ ١٦.

ولا فَحَّاشٍ ولا عَيَّابٍ ولا مَزَّاحٍ[1] ، يَتغافَلُ عما لا يَشْتَهِى ، ولا يُؤْيِسُ منه راجيه[2] ، ولا يُخَيِّبُ فيه ، قد ترَكَ نفسَه مِن ثلاثٍ ؛ المِراءِ ، والإكثارِ ، وما لا يَعْنيه ، وترَكَ الناسَ مِن ثلاثٍ ؛ كان لا يذُمُّ أحدًا ولا يُعَيِّرُه ، ولا يَطْلُبُ عَورتَه ، ولا يتكَلَّمُ إلا فيما يرْجو ثوابَه ، إذا تكَلَّم أطْرَق جُلَساؤُه كأنما على رءوسِهم الطيرُ ، فإذا سَكَتَ تكَلَّموا ، ولا [٣/٤٤٤و] يتَنازَعون عندَه ، يضْحَكُ مما يضْحَكون منه ، ويتعَجَّبُ مما يتعَجَّبون منه ، ويَصْبِرُ للغريبِ على الجَفْوةِ فى مَنْطِقِه ومَسْألتِه ، حتى إن كان أصحابُه يسْتَحْلِبونه فى المَنْطِقِ ، ويقولُ : « إذا رأيتُم طالبَ حاجةٍ فارْفِدوه » . ولا يقْبَلُ الثَّناءَ إلا مِن مُكافئٍ ، ولا يقْطَعُ على أحدٍ حديثَه حتى يَجوزَ فيَقْطَعَه بانتهاءٍ أو قيامٍ . قال : فسأَلْتُه كيف كان سكوتُه ، قال : كان سكوتُه على أربعٍ ؛ الحِلمِ والحَذَرِ والتقديرِ والتفَكُّرِ . فأما تقديرُه ففى تَسْويتِه النظرَ والاسْتماعَ بينَ الناسِ ، وأما تذَكُّرُه - أو قال : تفَكُّرُه - ففيما يَبْقَى ويَفْنَى ، وجُمِع له ﷺ الحِلْمُ والصبرُ فكان لا يُغْضِبُه شىءٌ ولا يسْتَفِزُّه ، وجُمِع له الحَذَرُ فى أربعٍ ؛ أخْذِه بالحُسْنَى ، والقيامِ لهم فيما جُمِع لهم [3]مِن أمرِ[3] الدنيا والآخرةِ ﷺ . وقد روَى هذا الحديثَ بطولِه الحافظُ أبو عيسى الترمذىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِ « شمائلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[4] » ، عن سفيانَ بنِ وَكيعِ بنِ الجَرَّاحِ ، عن جُمَيْعِ ابنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العِجْلىِّ ، حدثنى رجلٌ مِن ولدِ أبى هالةَ زوجِ خديجةَ ، يُكَنَّى أبا عبدِ اللَّهِ ، سمَّاه غيرُه يزيدَ بنَ عمرَ ، عن ابنِ لأبى هالةَ ، عن الحسنِ بن علىٍّ قال : سألْتُ خالى . فذكَره ، وفيه حديثُه عن أخيه الحسينِ ، عن أبيه علىِّ بنِ

---

(١) فى ١١١، ٤١، ص : « مدّاح » .

(٢) سقط من : الأصل، ١١١، ٤١، ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل، م، ص . وفى المعرفة والتاريخ : « فى » .

(٤) الشمائل (٧، ٢١٧، ٣٢١) . إسناده ضعيف جدًا (مختصر الشمائل ٦) .

أبى طالبٍ . وقد رواه الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[1] عن أبى عبدِ اللَّهِ الحاكمِ النَّيْسابورىِّ ، لفظًا وقراءةً عليه ، أنا أبو محمدٍ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ يحيى بن الحسنِ بنِ جعفرِ بنِ عبيدِ[2] اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ [3] بنِ الحسينِ بن علىٍّ[3] بنِ أبى طالبٍ العقيقىُّ[4] صاحبُ كتابِ « النَّسبِ » ببغدادَ ، حدثنا إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بن الحسينِ بنِ علىِّ بن أبى طالبٍ ، أبو محمدٍ بالمدينةِ سنةَ ثلاثٍ[5] وستين ومائتين ، حدثنى علىُّ بنُ جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أخيه موسى بنِ جعفرٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ[6] علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه محمدِ بنِ علىٍّ ، [7]عن علىٍّ[7] بنِ الحسينِ قال : قال الحسنُ : سألْتُ خالى هندَ بنَ أبى هالةَ . فذكَره . [8]ورواه الطبرانىُّ ، عن علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن أبى غسَّانَ مالكِ بنِ إسماعيلَ ، فذكره بإسنادِه مطولًا ، ثم أورَد غريبَه[8] . قال شيخُنا الحافظُ أبو الحجاجِ المِزِّىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه « الأطْرافِ »[9] بعدَ ذكرِهِ ما تقدم مِن هاتين الطريقين : وروَى إسماعيلُ بنُ مَسْلَمَةَ[10] بنِ قَعْنَبٍ القَعْنبىُّ ، عن إسحاقَ بنِ صالحٍ [٣/٤٤٤ظ] المخزومىِّ ، عن يعقوبَ التَّيْمىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، أنه قال لهندِ بنِ أبى هالةَ ، وكان وصَّافًا

---

(١) دلائل النبوة ١/٢٨٥ - ٢٩٢.

(٢) فى م : « عبد » .

(٣ - ٣) سقط من : ١١١، ٤١، م ، ص . وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٤٢١، وميزان الاعتدال ١/ ٥٢١.

(٤) فى م ، ص : « القعنبى » .

(٥) فى م ، ص : « ست » .

(٦) فى ١١١، ٤١، م ، ص : « عن » .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٨ - ٨) سقط من : ١١١، ٤١، م ، ص . والحديث فى المعجم الكبير ٢٢/١٥٥ - ١٦٣ (٤١٤) .

(٩) تحفة الأشراف ٩/ ٧٤.

(١٠) فى م ، ص : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٠٨.

لرسولِ اللَّهِ ﷺ : صِفْ لنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فذكَر بعضَ هذا الحديثِ . وقد روَى الحافظُ البيهقيُّ[1] مِن طريقِ صَبِيحِ بنِ عبدِ اللَّهِ الفَرْغانيِّ ، وهو ضعيفٌ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ الصمدِ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، وعن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، حديثًا مطولًا فى صفةِ النبىِّ ﷺ قريبًا مِن حديثِ هندِ بنِ أبى هالةَ ، وسرَده البيهقيُّ بتمامِه ، وفى أثنائِه تفسيرُ ما فيه مِن الغريبِ ، وفيما ذكَرْناه غُنْيَةٌ عنه . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

[2]وروَى البخاريُّ[3] ، عن أبى عاصمٍ الضَّحَّاكِ ، عن عمرَ بنِ سعيدِ بنِ أبى[4] حسينٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عُقبةَ بنِ الحارثِ قال : صلَّى أبو بكرٍ العصرَ بعدَ موتِ النبىِّ ﷺ بليالٍ ، فخرَج هو وعلىٌّ يَمْشيان ، فإذا الحسنُ بنُ علىٍّ يلْعَبُ مع الغِلمانِ . قال : فاحْتَمله أبو بكرٍ على كاهلِه وجعَل يقولُ : بأبى شِبْهُ النبىِّ ، ليس شَبِيهًا بعلىٍّ . وعلىٌّ يَضْحَكُ منهما ، رَضى اللَّهُ عنهما .

وقال البخاريُّ[5] : ثنا أحمدُ بنُ يونسَ ، ثنا زُهَيرٌ ، ثنا إسماعيلُ ، عن أبى جُحَيْفةَ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وكان الحسنُ بنُ علىٍّ يُشْبِهُه .

وروَى البيهقيُّ[6] ، عن أبى علىٍّ الرُّوذَبارىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ شَوْذَبٍ الواسطىِّ ، عن شعيبِ بنِ أيوبَ الصَّرِيفِينىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى ،[2]

---

(١) دلائل النبوة ١/٢٩٨ - ٣٠٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ١١١، ٤١.

(٣) البخارى (٣٥٤٢).

(٤) فى م، ص: «أحمد بن». والمثبت من البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٦٤.

(٥) البخارى (٣٥٤٣).

(٦) دلائل النبوة ١/ ٣٠٧، وأخرجه الترمذى (٣٧٧٩)، من طريق عبيد الله بن موسى. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٨٩).

(١ عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن هانئٍ ، عن عليٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، قال : الحسنُ أشْبَهُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ما بينَ الصدرِ إلى الرأسِ ، والحسينُ أشْبَهُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ما كان أسفلَ مِن ذلك ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ .

بابُ ذكرِ أخْلاقِه وشَمائلِه الطاهرةِ ﷺ

قد قدَّمْنا طِيبَ أصلِه ومَحْتِدِه ، وطهارةَ نسبِه ومولدِه ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ[1] ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وقال البخاريُّ[2] : حدثنا قُتَيبةُ ، ثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن عمرٍو ، عن سعيدٍ المَقْبُرِيِّ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بُعِثْتُ مِن خيرِ قرونِ بنى آدمَ قَرْنًا فقَرْنًا[3] ، حتى كنتُ مِن القَرْنِ الذى كنتُ فيه » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] عن واثلةَ بنِ الأسْقعِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ اصْطَفى قريشًا مِن بنى إسماعيلَ ، واصْطَفى بنى هاشمٍ مِن قريشٍ ، واصْطَفانى مِن بنى هاشمٍ » .

وقال اللَّهُ تعالى[5] : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ١ - ٤] . [6]قال العَوْفىُّ[7] ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . أى ؛ وإنك لعلى دينٍ عظيمٍ[6] ، وهو الإسلامُ . وهكذا قال مجاهدٌ [8]وأبو مالكٍ[8] والسُّدِّىُّ والضَّحَّاكُ وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسْلَمَ . وقال عطيَّةُ :

---

(١) فى م : « رسالته » . وانظر ما تقدم فى ٣/٣٤٩ .

(٢) البخارى (٣٥٥٧) .

(٣) فى م ، ص : « بعد قرن » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٣/ ٢٢٥. واللفظ بنحو ما تقدم .

(٥) التفسير ٨/ ٢١٠ - ٢١٦.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) تفسير الطبرى ٢٩/ ١٨.

(٨ - ٨) فى م ، ص : « ابن مالك » .

لَعلَى أدبٍ عظيمٍ . وقد ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[1] مِن حديثِ قتادةَ ، عن زُرارةَ ابنِ أوْفَى ، عن سعدِ بنِ هشامٍ قال : سألْتُ عائشةَ أمَّ المؤمنين ، رضِىَ اللَّهُ عنها ، فقلتُ : أخْبِرينى عن خُلُقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقالت : أما تقْرَأُ القرآنَ ؟ قلتُ : بلى . فقالت : كان خُلُقُه القرآنَ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[2] ، عن إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ ، عن يونسَ بنِ عُبيَدٍ ، عن الحسنِ البصرىِّ قال : سُئِلَت عائشةُ عن خُلُقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : كان خُلُقُه القرآنَ .

وروَى الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدىٍّ ، والنسائىُّ مِن حديثِه ، وابنُ جريرٍ مِن حديثِ ابنِ وهبٍ[3] ، كلاهما عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن أبى [٣/ ٤٤٥و] الزَّاهريَّةِ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ قال : حجَجْتُ فدخَلْتُ على عائشةَ ، فسألْتُها عن خُلُقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : كان خُلُقُه القرآنَ . ومعنى هذا أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مهما أمَره به القرآنُ امتثَله ، ومهما نهاه عنه ترَكه ، هذا مع[4] ما جبَله اللَّهُ عليه مِن الأخلاقِ الجِبِلِّيَّةِ الأصليةِ العظيمةِ التى لم يكنْ أحدٌ مِن البشرِ ولا يكونُ على أكملَ[5] منها ، وشرَع له الدينَ العظيمَ الذى لم يَشْرَعْه لأحدٍ قبلَه ، وهو مع ذلك خاتَمُ النبيين ، فلا رسولَ بعدَه ولا نبىَّ ، فكان فيه مِن الحَياءِ والكرمِ والشجاعةِ والحِلْمِ والصَّفْحِ والرحمةِ وسائرِ الأخلاقِ الكاملةِ ما لا يُحَدُّ ولا يمكنُ وصفُه .

---

(١) مسلم (٧٤٦/١٣٩) مطولا بنحوه .

(٢) المسند ٦/ ٢١٦.

(٣) المسند ٦/ ١٨٨، والنسائى فى الكبرى (١١١٣٨) ، والطبرى فى تفسيره ٢٩/ ١٩.

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م ، ص : « أجمل » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا سليمانُ بنُ[2] عبدِ الرحمنِ ، ثنا الحسنُ بنُ يحيى ، ثنا زيدُ بنُ واقدٍ ، عن بُسْرِ[3] بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، عن أبى إدريسَ الخَوْلانىِّ ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : سألْتُ عائشةَ عن خُلُقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : كان خُلُقُه القرآنَ ؛ يَرْضَى لِرضاه ويسْخَطُ لسُخْطِه .

وقال البيهقىُّ[4] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أحمدُ بنُ سهلٍ الفقيهُ ببُخارَى ، أنا قيسُ بنُ أُنَيْفٍ ، ثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن أبى عِمرانَ ، عن يزيدَ[5] بنِ بابَنُوسَ قال : قلنا لعائشةَ : يا أمَّ المؤمنين ، كيف كان خُلُقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قالت : كان خُلُقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ القرآنَ[6] . ثم قالت : أتَقْرأُ سورةَ « المؤمنين » ؟ اقرأ[7] : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى العَشْرِ[8] . قالت : هكذا كان خُلُقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وهكذا رواه النسائىُّ عن قتيبةَ[9] .

وروَى البخارىُّ[10] مِن حديثِ هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ فى قولِه تعالى[11] : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] . قال : أُمِر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يأخُذَ العفوَ مِن أخلاقِ الناسِ .

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٦١.
(٢) فى م ، ص : « ثنا » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٦، ٣٢/ ٣٢٤.
(٣) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من المعرفة والتاريخ . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥.
(٤) دلائل النبوة ١/ ٣٠٩.
(٥) فى ١١١، ٤١، م ، ص : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٩٢.
(٦) سقط من : م ، ص .
(٧) التفسير ٥/ ٤٥٤ - ٤٥٩.
(٨) بعده فى الدلائل : « حتى بلغ العشر » .
(٩) النسائى فى الكبرى (١١٣٥٠) .
(١٠) البخارى (٤٦٤٣، ٤٦٤٤) .
(١١) التفسير ٣/ ٥٣٤ - ٥٣٨.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن القَعْقاعِ بنِ حكيمٍ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاقِ » . تفرَّد به أحمدُ . ورواه الحافظُ أبو بكرٍ الخَرائطىُّ فى كتابِه[2] ، [٣/٤٤٥ظ] فقال : « إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارمَ الأخْلاقِ » .

وتقدَّم ما رواه البخارىُّ مِن حديثِ أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحسنَ الناسِ وجْهًا ، [3]وأحسنَ الناسِ[3] خُلُقًا .

وقال مالكٌ[4] ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، أنها قالت : ما خُيِّر رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أمْرَين إلا أخَذ أيْسرَهما ما لم يكنْ إثْمًا ، فإن كان إثْمًا كان أبعدَ الناسِ منه ، وما انتقَم لنفسِه إلَّا أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فينْتَقِمَ للَّهِ بها . ورواه البخارىُّ ومسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ[5] .

وروَى مسلمٌ[6] عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى أسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، رضى اللَّه عنها ، قالت : ما ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه شيئًا قطُّ لا عبدًا ولا امرأةً ولا خادمًا ، إلا أن يُجاهِدَ فى سبيلِ اللَّهِ ، ولا نِيل منه شىءٌ قطُّ فيَنْتَقِمَ مِن صاحبِه ، إلا أن يُنْتَهَكَ شىءٌ مِن مَحارمِ اللَّهِ فيَنْتَقِمَ للَّهِ عز وجل .

---

(١) المسند ٢/ ٣٨١.

(٢) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ص ٢٦ بلفظ : « صالح الأخلاق » . أما بلفظ : « مكارم الأخلاق » فأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ١٩٢، من طريق سعيد بن منصور به .

(٣ - ٣) فى البخارى : « وأحسنه » . وهما بمعنًى .

(٤) الموطأ ٢/ ٩٠٢.

(٥) البخارى (٣٥٦٠، ٦١٢٦) ، ومسلم (٢٣٢٧/٧٧) .

(٦) مسلم (٢٣٢٨/٧٩) . بنحوه .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا مَعْمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : ما ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه خادمًا له قطُّ ولا امرأةً ، ولا ضرَب بيدِه شيئًا[2] إلا أن يُجاهِدَ فى سبيلِ اللَّهِ ، ولا خُيِّر بينَ أمرين[3] قطُّ إلا كان أحبَّهما إليه أيْسرُهما ، حتى يكونَ إثْمًا ، فإذا كان إثْمًا كان أبعدَ الناسِ مِن الإثْمِ ، ولا انْتقم لنفسِه مِن شيءٍ يُؤْتَى إليه حتى تُنْتَهَكَ حُرُماتُ اللَّهِ ، فيكونُ هو ينْتَقِمُ للَّهِ عز وجل .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[4] : ثنا شعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، سمِعْتُ أبا عبدِ اللَّهِ الجَدَلىَّ يقولُ : سمِعْتُ عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، وسألتُها عن خُلُقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : لم يكُنْ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا ، ولا سَخَّابًا فى الأسْواقِ ، ولا يَجْزى بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يَعْفو ويَصْفَحُ . أو قالت[5] : يَعْفو ويَغْفِرُ . شكَّ أبو داودَ . ورواه الترمذىُّ مِن حديثِ شعبةَ ، وقال : حسنٌ صحيحٌ[6] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[7] : ثنا آدمُ وعاصمُ بنُ علىٍّ ، قالا : ثنا ابنُ أبى ذئبٍ ، ثنا صالحٌ مولى التَّوْأَمةِ قال : كان أبو هريرةَ ، رضى اللَّهُ عنه ، ينْعَتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : كان يُقْبِلُ جميعًا ويُدْبِرُ جميعًا ، بأبى وأمى لم يكنْ فاحشًا ، ولا مُتَفَحِّشًا ، ولا سَخَّابًا فى الأسْواقِ . زاد آدَمُ : ولم أرَ مثلَه قبلَه ، [8]ولن أرَى[8] بعدَه .

---

(١) المسند ٦/ ٢٣٢.

(٢) بعده فى المسند : « قط » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « شيئين » .

(٤) مسند أبى داود (١٥٢٠) .

(٥) فى النسخ : « قال » . والمثبت من مسند أبى داود .

(٦) الترمذى (٢٠١٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٦٤٠) .

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٦٢.

(٨ - ٨) فى الأصل : « ولم أر » ، وفى ١١١، ٤١: « ولا » ، وفى م ، ص : « ولم أر مثله » . والمثبت من المعرفة والتاريخ .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا عَبْدانُ ، عن أبى حمزةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ ، عن مَسْروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : لم يكنِ النبىُّ ﷺ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا ، وكان يقولُ : « إن مِن خِيارِكم [٣/٤٤٦و] أحْسَنَكم أخْلاقًا » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ الأعْمشِ به[2] .

وقد روَى البخاريُّ[3] مِن حديثِ فُلَيْحِ بنِ سليمانَ ، عن هلالِ بنِ علىٍّ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أنه قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ مَوْصوفٌ فى التوراةِ بما هو مَوْصوفٌ فى القرآنِ : يا أيها النبىُّ ، إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ، وحِرْزًا للأُمِّيِّينَ ، أنت عبدى ورسولى ، سمَّيْتُك المتوكِّلَ ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخَّابٍ فى الأسْواقِ ، ولا يَجْزى[4] بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يَعْفو ويَصْفَحُ ، ولن يَقْبِضَه اللَّهُ حتى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجاءَ بأن يقولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . ويفْتَحُ بها[5] أعْيُنًا عُمْيًا ، وآذانًا صُمًّا ، وقلوبًا غُلْفًا . وقد رُوِىَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ وكعبِ الأحْبارِ[6] .

وقال البخاريُّ[7] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا يحيى ، عن شعبةَ ، عن قتادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى عتبةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : كان النبىُّ ﷺ أشَدَّ حَياءً مِن العَذْراءِ فى خِدْرِها . حدثنا ابنُ بَشَّارٍ[8] ، ثنا يحيى وعبدُ الرحمنِ ، قالا : ثنا شعبةُ مثلَه ، وإذا

---

(١) البخارى (٣٥٥٩) .
(٢) مسلم (٢٣٢١/٦٨) .
(٣) البخارى (٢١٢٥) .
(٤) فى البخارى : « يدفع » .
(٥) سقط من : م ، ص . وفى الأصل ، ١١١ ، ٤١ : « به » . والمثبت من صحيح البخارى . ويفتح بها : أى بكلمة التوحيد . فتح البارى ٨/ ٥٨٦ .
(٦) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٣/٣٣٨ بإسناده عنهما .
(٧) البخارى (٣٥٦٢) .
(٨) البخارى عقب الحديث (٣٥٦٢) .

كرِه شيئًا عُرِف ذلك فى وجهِه . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[1]

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا أبو عامرٍ ، ثنا فُلَيْحٌ ، عن هلالِ بنِ علىٍّ ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ قال : لم يكنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ سَبَّابًا ولا لَعَّانًا ولا فاحشًا[3] ، كان يقولُ لأحدِنا عندَ المُعاتبةِ : « ما لَه تربَت جَبينُه ؟ » ورواه البخاريُّ عن محمدِ بن سِنانٍ ، عن فُلَيْحٍ[4] .

وفى « الصحيحَيْن »[5] - واللفظُ لمسلمٍ - مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحسنَ الناسِ ، وكان أجْودَ الناسِ ، وكان أشْجعَ الناسِ ، ولقد فزِع أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ ، فانطَلَق ناسٌ قِبَلَ الصوتِ ، فتلَقَّاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ راجعًا وقد سبَقهم إلى الصوتِ ، وهو على فرسٍ لأبى طلحةَ عُرْيٍ ، فى عنقِه السيفُ ، وهو يقولُ : « لم تُراعُوا ، لم تُراعُوا » . قال : « وجَدْناه بَحْرًا » . أو : « إنه لَبَحْرٌ » . قال : وكان فرسًا يُبَطَّأُ .

ثم قال مسلمٌ[6] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا وَكيعٌ ، عن شعبةَ[7] ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : كان فَزَعٌ بالمدينةِ ، فاستعار رسولُ اللَّهِ ﷺ فرسًا لأبى طلحةَ يقالُ له : مَنْدوبٌ . فركِبه فقال : « ما رأيْنا مِن فَزَعٍ ، وإنْ وجَدْناه لَبَحْرًا » . وقال [8]علىٌّ رضِى اللَّهُ عنه[8] : كنا إذا اشْتَدَّ البأسُ اتَّقَيْنا برسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) مسلم (٢٣٢٠/٦٧) .
(٢) المسند ٣/ ١٢٦.
(٣) فى المسند : « فحاشا » .
(٤) البخارى (٦٠٤٦) .
(٥) البخارى (٢٨٢٠، ٢٩٠٨، ٦٠٣٣) ، ومسلم (٢٣٠٧/٤٨) .
(٦) مسلم (٢٣٠٧/٤٩) .
(٧) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من صحيح مسلم .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ١١١، م ، ص . والأثر أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٦٣٩) ، والإمام أحمد فى المسند ١/ ١٥٦، وغيرهما من حديث على رضى الله عنه . (إسناده صحيح) .

وقال أبو إسحاقَ السَّبِيعىُّ ، عن حارثةَ بنِ مُضَرِّبٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال : لما كان يومُ بدرٍ اتَّقَيْنا المشركين برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان أشدَّ [٣/٤٤٦ظ] الناسِ بأسًا . رواه أحمدُ والبيهقىُّ[(١)] . وتقدَّم[(٢)] فى غزوةِ هَوازِنَ ، أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لما فَرَّ جمهورُ أصحابِه يومَئذٍ ثبَت وهو راكبٌ بغلتَه ، وهو يُنَوِّهُ باسمِه الشريفِ يقولُ :

«أنا النبىُّ لا كَذِبْ ... أنا ابنُ عبدِ المطلبْ»

وهو مع ذلك يَرْكُضُها إلى نحورِ الأعْداءِ ، وهذا فى غايةِ ما يكونُ مِن الشجاعةِ العظيمةِ والتوَكُّلِ التامِّ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[(٣)] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ ، عن عبدِ العزيزِ ، عن أنسٍ قال : لما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ أخَذ أبو طلحةَ بيدِى ، فانطلق بى[(٤)] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أنسًا غلامٌ كَيِّسٌ فلْيَخْدُمْك . قال : فخدَمْتُه فى السفرِ والحَضَرِ ، واللَّهِ ما قال لى لشىءٍ صنَعْتُه : لِمَ صنَعْتَ هذا هكذا ؟ ولا لشىءٍ لم أصْنَعْه : لِمَ لم تصْنَعْ هذا هكذا ؟

وله[(٥)] مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى بُرْدَةَ ، عن أنسٍ قال : خدَمْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ تسعَ سنين ، فما أعْلَمُه قال لى قطُّ : لِمَ فعَلْتَ كذا وكذا ؟ ولا عاب علىَّ شيئًا قطُّ .

---

(١) المسند ١/ ٨٦، ١٢٦، ١٥٦، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٦٩.

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٢٠.

(٣) مسلم (٢٣٠٩/٥٢).

(٤) فى م، ص: «بنا».

(٥) مسلم (٢٣٠٩/٥٣).

وله[1] مِن حديثِ عكرمةَ بنِ عمارٍ، عن إسحاقَ، قال أنسٌ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أحسنِ الناسِ خُلُقًا، فأرْسَلني يومًا لحاجةٍ، فقلتُ: واللَّهِ لا أَذْهَبُ. وفي نفسي أن أَذْهَبَ لِما أمَرني به رسولُ اللَّهِ ﷺ، فخرَجْتُ حتى أمُرَّ على صِبيانٍ وهم يلْعَبون في السوقِ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قد قبَض بقَفاىَ مِن ورائي. قال: فنظَرْتُ إليه وهو يَضْحَكُ، فقال: «يا أُنَيْسُ، ذهَبْتَ حيث أمَرْتُك؟» فقلتُ: نعم، أنا أذْهَبُ يا رسولَ اللَّهِ. قال أنسٌ: واللَّهِ لقد خدَمْتُه تسعَ سنين، ما علِمْتُه قال لشيءٍ صنَعْتُه: لمَ صنَعْتَ كذا وكذا؟ أو لشيءٍ ترَكْتُه: هلَّا فعَلْتَ كذا وكذا.

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: ثنا كَثيرُ بنُ[3] هشامٍ، ثنا جعفرٌ، ثنا عِمرانُ القَصيرُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: خدَمْتُ النبيَّ ﷺ عشرَ سنين، فما أمَرني بأمرٍ فتوانَيْتُ عنه أو ضيَّعْتُه فلامَني، وإن لامَني أحدٌ مِن أهلِه إلا قال: «دعُوه فلو قُدِّر - أو قال: قُضِي - أن يكونَ كان». ثم رواه أحمدُ، عن عليِّ بنِ ثابتٍ، عن جعفرٍ، هو ابنُ بُرْقانَ، عن عِمرانَ البَصْريِّ، وهو القَصيرُ، عن أنسٍ، فذكَره، تفرد به الإمامُ أحمدُ[4].

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: ثنا عبدُ الصمدِ، ثنا أبي، ثنا أبو التَّيَّاحِ، ثنا أنسٌ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقًا، وكان لي أخٌ يقالُ له: أبو عُميرٍ. قال: أحْسَبُه قال: [٣/٤٤٧و] فَطِيمًا. قال: فكان إذا جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فرآه قال:

---

(١) مسلم (٥٤/٢٣١٠).
(٢) المسند ٣/ ٢٣١.
(٣) في م، ص: «ثنا». وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١٦٣.
(٤) المسند ٣/ ٢٣١.
(٥) المسند ٣/ ٢١٢.

« أبا عُميرٍ ، ما فعَل النُّغَيْرُ[1] ؟ » قال : نُغَرٌ كان يلْعَبُ به . قال فربما تحْضُرُ[2] الصلاةُ وهو فى بيتِنا ، فيَأْمُرُ بالبِساطِ الذى تحتَه فيُكْنَسُ ، ثم يُنْضَحُ[3] ، ثم يقومُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ونقومُ خلفَه يصلِّى بنا . قال : وكان بِساطُهم مِن جَريدِ النخلِ . وقد رواه الجماعةُ إلا أبا داودَ ، مِن طرقٍ ، عن أبى التَّيَّاحِ يزيدَ بنِ حُميدٍ ، عن أنسٍ بنحوِه[4] .

وثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[5] مِن حديثِ الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أجْودَ الناسِ ، وكان أجودَ ما يكونُ فى رمضانَ حينَ يَلْقاه جبريلُ فيُدارِسُه القرآنَ ، فلَرسولُ اللَّهِ ﷺ أجْودُ بالخيرِ مِن الريحِ المُرْسَلةِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا أبو كاملٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، ثنا سَلْمٌ العَلَوىُّ ، سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ ، أن النبىَّ ﷺ رأى على رَجُلٍ صُفْرةً - [7]أو قال : أثرَ صُفْرةٍ[7] - فكَرِهها . قال : فلما قام قال : « لو أمَرْتُم هذا أن يَغْسِلَ عنه هذه الصُّفْرةَ » . قال : وكان لا يكادُ يُواجِهُ أحدًا [7]فى وجهِهِ[7] بشىءٍ يَكْرَهُه . وقد رواه أبو داودَ ، والترمذىُّ فى « الشَّمائلِ » ، والنسائىُّ فى « اليومِ والليلةِ » مِن

---

(١) النُّغَير : تصغير النُّغَر ، وهو طائر يشبه العصفور ، أحمر المنقار ، ويجمع على نِغْران . النهاية ٥/ ٨٦.

(٢) فى المسند : « تحضره » .

(٣) بعده فى المسند : « بالماء » .

(٤) البخارى (٦١٢٩، ٦٢٠٣)، ومسلم (٢٦٧/ ٦٥٩، ٣٠/ ٢١٥٠، ٥٥/ ٢٣١٠)، والترمذى (٣٣٣، ١٩٨٩)، والنسائى فى الكبرى (١٠١٦٥ - ١٠١٦٨)، وابن ماجه (٣٧٢٠، ٣٧٤٠).

(٥) البخارى (٦، ١٩٠٢، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤، ٤٩٩٧)، ومسلم (٥٠/ ٢٣٠٨).

(٦) المسند ٣/ ١٣٣، ١٦٠.

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ، عن سَلْمِ بنِ قيسٍ العَلَوىِّ البَصرىِّ[1]. قال أبو داودَ[2]: وليس مِن ولدِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، وكان يُبْصِرُ فى النجومِ، وقد شَهِد عندَ عدىِّ ابنِ أرْطاةَ على رؤيةِ الهلالِ، فلم يُجِزْ شهادتَه.

وقال أبو داودَ[3]: ثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ، ثنا[4] عبدُ الحميدِ الحِمَّانىُّ، ثنا الأعمشُ، عن مسلمٍ، عن مَسْروقٍ، عن عائشةَ قالت: كان النبىُّ ﷺ إذا بلَغه عن رجلٍ شىءٌ لم يقُلْ: ما بالُ فلانٍ يقولُ. ولكن يقولُ: «ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا».

وثبَت فى الصحيحِ[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يُبَلِّغُنى أحدٌ عن أحدٍ شيئًا؛ إنى أُحِبُّ أن أخرُجَ إليكم وأنا سليمُ الصدرِ».

وقال مالكٌ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كنتُ أَمشى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانىٌّ[6] غليظُ الحاشيةِ، فأدْرَكه أعرابىٌّ فجبَذ بردائِه جَبْذًا شديدًا، حتى نظَرْتُ إلى صَفْحةِ عاتقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فإذا قد أثَّرَت بها حاشيةُ البُرْدِ مِن شدةِ جَبْذَتِه، ثم قال: يا محمدُ، مُرْ لى مِن مالِ اللَّهِ [٣/٤٤٧ظ] الذى عندَك. قال: فالتفَتَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فضحِك، ثم أمَر

---

(١) أبو داود (٤١٨٢، ٤٧٨٩)، والترمذى فى الشمائل (٣٣١)، والنسائى فى الكبرى (١٠٠٦٥). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٩٨، ١٠٢٦).

(٢) سنن أبى داود عقب حديث (٤٧٨٩).

(٣) أبو داود (٤٧٨٨). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٠٠٥).

(٤) بعده فى النسخ: «يحيى بن». وهو خطأ. والمثبت من سنن أبى داود، وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٣٢٢، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٥٢.

(٥) سنن أبى داود (٤٨٦٠)، وسنن الترمذى (٣٨٩٦). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠٣٥).

(٦) سقط من: الأصل، م، ص.

له بعطاءٍ. أخرجاه مِن حديثِ مالكٍ[1].

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ، أخبرنى محمدُ بنُ هلالٍ القرشىُّ، عن أبيه، أنه سمِع أبا هريرةَ يقولُ: كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ، فلما قام قُمْنا معه، فجاءه أعرابىٌّ فقال: أعْطِنى يا محمدُ. فقال: «لا، وأستَغْفِرُ اللَّهَ». فجذَبه بحُجْزَتِه[3] فخدَشه. قال: فهَمُّوا به. فقال: «دعُوه». قال: ثم أعطاه. قال: وكانت يمينُه[4]: «لا، وأستَغْفِرُ اللَّهَ». وقد روَى أصلَ هذا الحديثِ أبو داودَ والنسائىُّ وابنُ ماجه مِن طرقٍ، عن محمدِ بنِ هلالِ بنِ أبى هلالٍ المدنىِّ[5] مولى بنى كعبٍ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ بنحوِه[6].

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[7]: ثنا [8]عُبَيدُ اللَّهِ[8] بنُ موسى، عن شَيْبانَ، عن الأعمشِ، عن ثُمامةَ بنِ عُقْبةَ[9]، عن زيدِ بنِ أرقمَ قال: كان رجلٌ مِن الأنصارِ يدْخُلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ويأْتَمِنُه، وأنه عقَد له عُقَدًا فألقاه فى بئرٍ، فصرَع ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ، فأتاه مَلَكان يَعودانِه، فأخبراه أن فلانًا عقَد له عُقَدًا، وهى فى بئرِ بنى[10] فلانٍ، ولقد اصفَرَّ الماءُ مِن شدةِ عُقَدِه، فأرْسَل النبىُّ ﷺ فاستَخْرَج

---

(١) البخارى (٣١٤٩، ٥٨٠٩، ٦٠٨٨)، ومسلم (١٢٨/١٠٥٧).

(٢) المسند ٢/ ٢٨٨.

(٣) ليس فى المسند.

(٤) بعده فى المسند: «أن يقول».

(٥) سقط من: م، ص.

(٦) أبو داود (٣٢٦٥، ٤٧٧٥)، والنسائى (٤٧٩٠)، وابن ماجه (٢٠٩٣). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٧١٠، ١٠٢٢).

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٦٣، ٣٦٤، ومن طريقه أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣١٩.

(٨ - ٨) فى م، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

(٩) فى م، ص: «عتبة». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٠٨.

(١٠) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج.

العُقَدَ ، فوجَد الماءَ قد اصْفَرَّ ، فحَلَّ العُقَدَ ، ونام النبيُّ ﷺ ، فلقد رأيْتُ الرجلَ بعدَ ذلك يدْخُلُ على النبيِّ ﷺ ، فما رأيْتُه فى وجهِ النبيِّ ﷺ حتى مات .

(١) ورواه الطبرانيُّ(٢) من طريقِ عليِّ بنِ المدينيِّ ، عن جريرٍ ، عن الأعمشِ به ، وقال : فلم يُعاتِبْه(١) . قلتُ : والمشهورُ فى الصحيح(٣) أن لَبيدَ بنَ الأعْصمِ اليهوديَّ هو الذى سحَر النبيَّ ﷺ فى مُشْطٍ ومُشاطَةٍ(٤) فى جُفِّ(٥) طَلْعةِ ذَكَرٍ تحتَ رَعُوفةِ(٦) بئرِ ذى أَرْوَانَ(٧) ، وأن الحالَ استَمَرَّ نحوًا من ستةِ أشهرٍ حتى أنْزَل اللَّهُ سورتَي المُعَوِّذَتَيْن ، ويقالُ : إن آياتِهما إحدى عشْرةَ آيةً ، وإن عُقَدَ ذلك الذى سُحِر فيه كان إحدى عشْرَةَ عُقْدةً . وقد بَسَطْنا ذلك فى كتابِنا « التفسيرِ »(٨) بما فيه كفايةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ(٩) : ثنا أبو نُعيمٍ ، ثنا عمرانُ بنُ زيدٍ أبو يحيى المُلائيُّ ، ثنا زيدٌ العَمِّيُّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجلُ لا يَنْزِعُ يدَه مِن يدِه حتى يكونَ الرجلُ ينْزِعُ يدَه ، وإن استقبله بوجهِه(١٠) لا يَصْرِفُه عنه حتى يكونَ الرجلُ [٣/٤٤٨و] ينْصَرِفُ عنه ، ولم يُرَ

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، م، ص .

(٢) المعجم الكبير ٥/٢٠١ (٥٠١١) .

(٣) البخارى (٣١٧٥، ٥٧٦٣، ٥٧٦٥، ٥٧٦٦) ، ومسلم (٢١٨٩) .

(٤) فى م : « مشاقة » . والمشاطة : هى الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط . والمشاقة هى ما ينقطع من الإبريسم والكتان عند تخليصه وتسريحه . النهاية ٤/ ٣٣٤.

(٥) الجف : وعاء الطلع ، وهو الغشاء الذى يكون فوقه . النهاية ١/ ٢٧٨.

(٦) سقط من : م ، ص . وفى ١١١ : « راعوفة » ، وهى رواية الكشميهنى وأكثر الرواة ، وهى حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقى وقد يكون فى أسفل البئر . انظر فتح البارى ١٠/ ٢٣٤.

(٧) فى م : « ذروان » . ووردت الروايات بكليهما . انظر فتح البارى ١٠/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٨) التفسير ٨/ ٥٥٥.

(٩) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٦٢.

(١٠) فى م : « بوجه » .

مُقَدِّمًا ركبتيه بينَ يدىْ جَليسٍ له. ورواه الترمذىُّ وابنُ ماجه، مِن حديثِ عمرانَ بنِ زيدٍ التَّغْلِبىِّ[1] أبى يحيى الطويلِ الكوفىِّ، عن زيدِ بنِ الحَوارِىِّ العَمِّىِّ، عن أنسٍ به[2].

وقال أبو داودَ[3]: ثنا أحمدُ بنُ مَنيعٍ، ثنا أبو قَطَنٍ، ثنا مبارَكُ بنُ فَضالةَ، عن ثابتٍ البُنانىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: ما رأيْتُ رجلًا قطُّ الْتقَم أُذُنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيُنَحِّىَ رأسَه حتى يكونَ الرجلُ هو الذى يُنَحِّى رأسَه، وما رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ بيدِه رجلٌ فترَك يدَه حتى يكونَ الرجلُ هو الذى يدَعُ يدَه. تفرد به أبو داودَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ وحجاجٌ، قالا: ثنا شعبةُ - قال ابنُ جعفرٍ فى حديثِه: قال - سمِعْتُ علىَّ بنَ زيدٍ[5] قال: قال أنسُ بنُ مالكٍ: إن كانت الوَليدةُ مِن وَلائدِ أهلِ المدينةِ لَتَجىءُ فتأخُذُ بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فما يَنْزِعُ يدَه مِن يدِها حتى تَذْهَبَ به حيث شاءت. ورواه ابنُ ماجه مِن حديثِ شعبةَ[6].

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: ثنا هُشَيمٌ، ثنا حُميدٌ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: إن كانت الأَمَةُ مِن أهل المدينةِ لَتأخُذُ بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فتنْطَلِقُ به فى حاجتِها.

---

(١) فى النسخ: «الثعلبى». والمثبت من سنن الترمذى. وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٣١.
(٢) الترمذى (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٣٧١٦). ضعيف إلا جملة المصافحة فهى ثابتة، انظر (ضعيف سنن الترمذى ٤٤٤).
(٣) أبو داود (٤٧٩٤) بنحوه. حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٠٠٩).
(٤) المسند ٣/ ١٧٤.
(٥) فى م: «يزيد».
(٦) ابن ماجه (٤١٧٧). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٦٧).
(٧) المسند ٣/ ٩٨.

وقد رواه البخاريُّ فى كتابِ الأدبِ مِن «صحيحِه»[1] مُعَلَّقًا، فقال: وقال محمدُ بنُ عيسى - هو ابنُ الطَّبَّاعِ -: ثنا هُشَيْمٌ. فذكَره.

وقال الطَّبرانيُّ[2]: ثنا أبو شُعيبٍ الحَرَّانيُّ، ثنا يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ البابْلُتِّيُّ، ثنا أيوبُ بنُ نَهِيكٍ، سمِعْتُ عطاءَ بنَ أبى رَباحٍ، سمِعْتُ ابنَ عمرَ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأتى[3] صاحبَ بَزٍّ، فاشْتَرى منه قميصًا بأربعةِ دَراهمَ، فخرَج وهو عليه، فإذا رجلٌ مِن الأنصارِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، اكْسُنى قميصًا، كساكَ اللَّهُ مِن ثيابِ الجنةِ. فنزَع القميصَ فكساه إياه، ثم رجَع إلى صاحبِ الحانوتِ، فاشترى منه قميصًا بأربعةِ دَراهمَ، وبَقِىَ معه دِرهمان، فإذا هو بجاريةٍ فى الطريقِ تَبْكِى، فقال: «ما يُبْكيكِ؟» فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، دفَع إلىَّ أهلى درهمين أَشْتَرِى بهما دقيقًا فهلَكا. فدفَع إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ الدرهمين الباقيَيْن، ثم انقَلَبت[4] وهى تَبْكى، فدعاها فقال: «ما يُبْكيكِ وقد أخَذْتِ الدرهمين؟» فقالت: أخافُ أن يَضْرِبونى. فمشَى معها إلى أهلِها، فسلَّم، فعرَفوا صوتَه، ثم عاد فسلَّم، ثم عاد فسلَّم، ثم عاد فثلَّث فردُّوا، فقال: «أسَمِعْتُم أوَّلَ السلامِ؟» قالوا: نعم، ولكن أحْبَبْنا أن تَزيدَنا مِن السلامِ، فما أشْخَصَك بأبينا وأمِّنا؟ فقال: «أشْفَقَت [٣/٤٤٨ظ] هذه الجاريةُ أن تَضْرِبوها». فقال صاحبُها: فهى حُرَّةٌ لوجهِ اللَّهِ؛ لَمَشْاكَ معها. فبشَّرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالخيرِ والجنةِ، ثم قال: «لقد بارَك اللَّهُ فى العَشَرةِ؛ كسا اللَّهُ نبيَّه قميصًا، ورجلًا مِن الأنصارِ قميصًا،

---

(١) البخارى (٦٠٧٢).

(٢) المعجم الكبير ١٢/٤٤١ (١٣٦٠٧). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٤: فيه يحيى بن عبد الله البابلتى، وهو ضعيف.

(٣) فى م: «رأى».

(٤) فى م، ص: «انقلب»، وفى الطبرانى: «ولت».

وأَعْتَق اللَّهُ منها رقبةً ، وأَحْمَدُ اللَّهَ هو الذى رزَقَنا هذا بقُدْرتِه » . هكذا رواه الطبرانىُّ ، وفى إسنادِه أيوبُ بنُ نَهِيكٍ الحلَبىُّ ، وقد ضعَّفه أبو حاتمٍ ، وقال أبو زُرْعةَ : مُنْكرُ الحديثِ . وقال الأزْدىُّ : متروكٌ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا عفانُ ، ثنا حمادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن امرأةً كان فى عقْلِها شىءٌ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن لى حاجةً . فقال : « يا أُمَّ فلانٍ ، انظُرى [3]أىَّ الطُّرُقِ[3] شئتِ ؟ » فقام معها يُناجيها حتى قضَت حاجتَها . وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمَة[4] .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[5] مِن حديثِ الأعمشِ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : ما عاب رسولُ اللَّهِ ﷺ طعامًا قطُّ ، إن اشتهاه أكَله ، وإلا ترَكه . وقال الثورىُّ[6] ، عن الأسودِ بنِ قيسٍ ، عن [7]نُبَيْحٍ العَنَزِىِّ[7] ، عن جابرٍ قال : أتانا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى منزلِنا فذبَحْنا له شاةً ، فقال : « كأنهم علِموا أنَّا نُحِبُّ اللحمَ » . وذكَر الحديثَ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[8] ، عن يعقوبَ بنِ عتبةَ ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا جلَس

---

(١) انظر الجرح والتعديل ٢/ ٢٥٩، ولسان الميزان ١/ ٤٩٠.
(٢) المسند ٣/ ٢٨٥.
(٣ - ٣) فى المسند : « إلى أى الطريق » .
(٤) مسلم (٢٣٢٦/٧٦) .
(٥) البخارى (٣٥٦٣، ٥٤٠٩) ، ومسلم (١٨٧، ٢٠٦٤/١٨٨) .
(٦) أخرجه الترمذى فى الشمائل (١٧٢) ، من طريق سفيان الثورى به .
(٧ - ٧) فى م : « شيخ العوفى » ، وفى ص : « نبيح العوفى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣١٤.
(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٢١، من طريق ابن إسحاق به .

يتَحَدَّثُ ، كثيرًا ما يَرْفَعُ طَرْفَه إلى السماءِ . وهكذا رواه أبو داودَ فى كتابِ الأدبِ مِن « سننِه » مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ به[1] .

وقال أبو داودَ[2] : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ شَبيبٍ[3] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إبراهيمَ ، ثنا إسحاقُ بنُ محمدٍ الأنصاريُّ ، عن رُبَيْحِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن جدِّه أبى سعيدٍ الخدريِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا جلَس احتَبَى بيدِه . ورواه البَزَّارُ فى « مسندِه »[4] ، ولفظُه : كان إذا جلَس نصَب ركبتَيه واحْتَبى بيدَيه .

ثُم قال أبو داودَ[5] : ثنا حفصُ بنُ عمرَ وموسى بنُ إسماعيلَ قالا : ثنا [6]عَبدُ اللَّهِ[6] بنُ حسَّانَ العَنْبَرِيُّ ، حدَّثَتْنى جَدَّتاىَ صفيةُ ودُحَيْبةُ ابنتا عُلَيْبةَ - قال موسى : ابنةُ حَرْملةَ . وكانتا رَبيبتَىْ قَيْلَةَ بنتِ مَخْرمةَ ، وكانت جدةَ أبيهما - أنها أخْبَرَتهما أنها رأَت رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو قاعدٌ القُرْفُصاءَ . قالت : فلما رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ المُتَخَشِّعَ فى الجِلْسةِ أُرْعِدْتُ مِن الفَرَقِ . ورواه الترمذيُّ فى « الشَّمائلِ » وفى « الجامعِ » ، عن عبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن عفَّانَ بنِ مسلمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حسَّانَ به[7] . وهو [٣/٤٤٩و] قطعةٌ مِن حديثٍ طويلٍ قد ساقه الطبرانيُّ بتمامِه فى « مُعْجَمِه الكبيرِ »[8] .

---

(١) أبو داود (٤٨٣٧) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠٣٠) .

(٢) أبو داود (٤٨٤٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٠٥٦) .

(٣) فى م ، ص : « شعيب » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٨٤.

(٤) كشف الأستار (٢٠٢١) .

(٥) أبو داود (٤٨٤٧) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٠٥٧) .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « عبد الرحمن » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤١٤.

(٧) الشمائل (١٢٢) ، والسنن (٢٨١٤) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٢٥٦) .

(٨) المعجم الكبير ٢٥/٧ - ١٠ (١) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا الحسنُ بنُ الصَّبَّاحِ البَزَّارُ ، ثنا سفيانُ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُحَدِّثُ حديثًا لو عدَّه العادُّ لأَحْصاه .

قال البخاريُّ[2] : وقال الليثُ : حدثنى يونُسُ ، عن ابن شِهابٍ ، أخبرنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، عن عائشةَ ، أنها قالت : ألا أُعْجَبك[3] أبو فلانٍ ، جاء فجلَس إلى جانبِ حُجرتى يُحَدِّثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ [4]يُسْمِعُنى ذلك ، وكنتُ أُسَبِّحُ[5] ، فقام قبلَ أن أَقْضِيَ سُبْحَتى ، ولو أدْرَكْتُه لردَدْتُ عليه ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ[4] لم يكنْ يَسْرُدُ الحديثَ كسَرْدِكم . وقد رواه أحمدُ عن عليِّ بن إسحاقَ ، ومسلمٌ عن حَرْملةَ ، وأبو داودَ عن سليمانَ بنِ داودَ ، كلُّهم عن ابنِ وهبٍ ، عن يونسَ بنِ يزيدَ به[6] ، وفى روايتِهم : ألا [7]أَعْجَبك مِن أبى هريرةَ[7] . فذكَر[8] نحوَه .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدثنا وَكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن أسامةَ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : كان كلامُ النبيِّ ﷺ فَصْلًا يَفْهَمُه[10] كلُّ أحدٍ ،

---

(١) البخارى (٣٥٦٧) .

(٢) البخارى (٣٥٦٨) .

(٣) فى البخارى : « يعجبك » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أسبح : قال ابن حجر : أى أصلى نافلة ، أو على ظاهره أى أذكر اللَّه ، والأول أَوْجه . الفتح ٦/ ٥٧٨.

(٦) المسند ٦/ ١١٨، ومسلم (٢٤٩٣/١٦٠) ، وأبو داود (٣٦٥٥) .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وفى مصادر التخريج : « يعجبك أبو هريرة » .

(٨) فى ا ١١١: « فذكرا » ، وفى م ، ص : « فذكرت » .

(٩) المسند ٦/ ١٣٨.

(١٠) فى المسند : « يفقهه » .

لم يكنْ يَسْرُدُه سَرْدًا . وقد رواه أبو داودَ ، عن ابنِ أبى شيبةَ ، عن وَكيعٍ[1] .

وقال أبو يَعْلَى[2] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أسْماءَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مِسْعَرٍ ، حدثنى شيخٌ أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ - أو ابنَ عمرَ - يقولُ : كان فى كلامِ النبىِّ ﷺ تَرْتيلٌ أو تَرْسِيلٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا عبدُ الصمدِ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى ، عن ثُمامةَ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا تكَلَّم بكلمةٍ ردَّدها ثلاثًا ، وإذا أتَى قومًا فسلَّم عليهم سَلَّم ثلاثًا . ورواه البخارىُّ مِن حديثِ عبدِ الصمدِ[4] .

وقال أحمدُ[5] : ثنا أبو سعيدٍ [6]مولى بنى هاشمٍ[6] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى ، سمِعْتُ ثُمامةَ بنَ أنسٍ يَذْكُرُ أن أنسًا كان إذا تكَلَّم تكَلَّم ثلاثًا ، ويَذْكُرُ أن النبىَّ ﷺ كان إذا تكَلَّم تكَلَّم ثلاثًا ، وكان يستَأْذِنُ ثلاثًا .

وجاء فى الحديثِ الذى رواه الترمذىُّ[7] عن [8]محمدِ بنِ يحيى[9] ، حدَّثنا أبو قُتَيْبَةَ سَلْمُ بنُ قتيبةَ ، عن[8] عبدِ اللَّهِ بنِ المُثَنَّى ، عن ثُمامَة ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان[10] يُعيدُ الكلمةَ ثلاثًا ؛ لِتُعْقَلَ عنه . ثم قال الترمذىُّ : حسنٌ

---

(١) أبو داود (٤٨٣٩) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٠٥١) .

(٢) لم نجده فى مسند أبى يعلى ، وقد رواه أبو داود (٤٨٣٨) ، من طريق الشيخ المبهم الذى فى السند عن جابر به . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٠٥٠) .

(٣) المسند ٣/ ٢١٣.

(٤) البخارى (٩٤، ٦٢٤٤) .

(٥) المسند ٣/ ٢٢١.

(٦ - ٦) فى م، ص: «بن أبى مريم» . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢١٧.

(٧) سنن الترمذى (٣٦٤٠) . والشمائل (٢١٦) .

(٨ - ٨) سقط من: ٤١، م، ص.

(٩) فى الأصل، ١١١: «عمر» . والمثبت من سنن الترمذى .

(١٠) بعده فى م، ص: «إذا تكلم» .

صحيحٌ غريبٌ .

وفى الصحيحِ[1] أنه قال : « أُوتيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ واخْتُصِرَت لىَ الحِكَمُ اختصارًا » .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا حجاجٌ ، حدثنا ليثٌ ، حدثنى عُقَيْلُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أن أبا هريرةَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « بُعِثْتُ بجَوامعِ الكَلِمِ ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وبينا أنا نائمٌ أُوتِيتُ بمَفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ [٣/٤٤٩ظ] فوُضِعتْ فى يدِى » . وهكذا رواه البخاريُّ مِن حديثِ الليثِ[3] .

وقال أحمدُ[4] : حدثنا إسحاقُ بنُ عيسى ، ثنا ابن لَهيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وأُوتِيتُ جَوامعَ[5] الكَلامِ[6] ، وبينا أنا نائمٌ أُوتيتُ بمَفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ فوُضِعتْ فى يدِى » . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ[7] : حدثنا يزيدُ ، ثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بالرعبِ ، وأُوتِيتُ جَوامعَ الكَلِمِ ، وجُعِلت لىَ الأرضُ مسجدًا وطَهورًا ، وبينا أنا نائمٌ أُوتيتُ بمَفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ

---

(١) مسلم (٧، ٥٢٣/٨) الشطر الأول منه . والحديث عزاه الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ٦/١ إلى أبى يعلى .

(٢) المسند ٢/ ٤٥٥.

(٣) البخارى (٢٩٧٧) .

(٤) المسند ٢/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) فى المسند : « خواتيم » .

(٦) فى الأصل ، ٤١، م ، ص : « الكلم » .

(٧) المسند ٢/ ٥٠١، ٥٠٢.

فتُلَّتْ فى يدِى[1] » . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ ، وهو على شرطِ مسلمٍ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ ابنِ وهبٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، حدثنى أبو النَّضْرِ ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها قالت : ما رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضاحكًا حتى أرَى منه لَهَواتِه ، إنما كان يتَبَسَّمُ .

وقال الترمذىُّ[3] : ثنا قتيبةُ ، ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن [4]عُبيدِ اللَّهِ[4] بنِ المغيرةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزْءٍ قال : ما رأيْتُ أحدًا أكثرَ تَبَسُّمًا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثم رواه[5] مِن حديثِ الليثِ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ابنِ جَزْءٍ قال : ما كان ضَحِكُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا تبَسُّمًا . ثم قال : صحيحٌ[6] .

وقال مسلمٌ[7] : ثنا يحيى بنُ يحيى ، ثنا أبو خَيْثمةَ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، قلتُ لجابرِ بنِ سَمُرةَ : أكنتَ تُجالِسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، كثيرًا ، كان لا يقومُ مِن مُصلَّاه الذى يصلِّى فيه الصبحَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ ، [8]فإذا طلعَتْ[8] قام ، وكانوا يتحَدَّثون فيأخُذون فى أمرِ الجاهليةِ فيَضْحَكون ويتَبَسَّمُ رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[9] : ثنا شَريكٌ وقيسُ بنُ الرَّبيعِ[10] ، عن سِماكِ بنِ

---

(١) تلت فى يدى : أى أُلْقِيَت . وقيل : التَّل : الصَّبّ . النهاية ١/ ١٩٥.

(٢) البخارى (٤٨٢٨، ٦٠٩٢) ، ومسلم (٨٩٩/١٦) .

(٣) الترمذى (٣٦٤١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٨٠) .

(٤ - ٤) فى م ، ص ، وسنن الترمذى : « عبد الله » . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٣٠٧، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٦١.

(٥) الترمذى (٣٦٤٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٨١) .

(٦) فى سنن الترمذى : صحيح غريب ، لا نعرفه من حديث ليث بن سعد إلا من هذا الوجه .

(٧) مسلم (٢٨٦/ ٦٧٠، ٢٣٢٢/٦٩) .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

(٩) مسند الطيالسى (٧٧١) .

(١٠) فى الأصل ، م ، ص : « سعد » ، وفى ١١١، ٤١ : « قيس » . والمثبت من مصادر ترجمته وانظر =

حربٍ قال : قلتُ لجابرِ بنِ سَمُرةَ : أكنتَ تُجالِسُ النبيَّ ﷺ ؟ قال : نعم ، كان كثيرَ[1] الصَّمْتِ ، قليلَ الضَّحِكِ ، فكان أصحابُه ربما [2]يتناشدون الشعرَ عندَه ، وربما قالوا الشيءَ[2] مِن أمورِهم فيَضْحَكون ، وربما تبَسَّم[3] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[4] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، قالا : ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، أنا أبو عبدِ الرحمنِ المُقْرِئُ ، ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، عن الوليدِ بنِ أبى الوليدِ ، أن سليمانَ بنَ خارجةَ أخبره عن خارجةَ بنِ زيدٍ ، يعنى ابنَ ثابتٍ ، أنَّ نفرًا دخَلوا على أبيه ، فقالوا : حدِّثْنا عن بعضِ أخلاقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال : كنتُ جارَه ، [٣/٤٥٠و] فكان إذا نزَل الوحْىُ بعَث إلىَّ فآتيه فأكْتُبُ الوحْىَ ، وكنا إذا ذكَرْنا الدنيا ذكَرها معنا ، وإذا ذكَرْنا الآخرةَ ذكَرها معنا ، وإذا ذكَرْنا الطعامَ ذكَره معنا ، فكلُّ هذا نُحَدِّثُكم عنه . ورواه الترمذىُّ فى « الشمائلِ »[5] عن عباسٍ الدُّورىِّ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ[6] عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ المُقْرِئِ به نحوَه .

= تهذيب الكمال ١١/ ٤٠١، كما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢/ ٢٧٠ (٢٠١٧)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٢٤٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٨، كلهم من طريق قيس بن الربيع عن سماك به .

(١) فى م، ص: « قليل »، وفى مسند الطيالسى: « طويل ».

(٢ - ٢) فى مسند الطيالسى: « يذكرون الشعر عنده وأشياء ».

(٣) فى م، ص: « يتبسم ».

(٤) دلائل النبوة ١/ ٣٢٤.

(٥) الشمائل (٣٢٨).

(٦) بعده فى م، ص: « عن ». انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٢٠.

ذكرُ كَرَمِه ﷺ

تقَدَّم ما أخرجاه فى « الصحيحَيْن »[1] مِن طريقِ الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أجْودَ الناسِ ، وكان أجْودَ ما يكونُ فى شهرِ رمضانَ ، حينَ يَلْقاه جبريلُ بالوحْيِ فيُدارِسُه القرآنَ ، فلَرسولُ اللَّهِ ﷺ أجْودُ بالخيرِ مِن الريحِ المُرْسَلةِ . وهذا التَّشْبيهُ فى غايةِ ما يكونُ مِن البَلاغةِ فى تَشْبيهِه الكَرَمَ بالريحِ المُرْسَلةِ فى عمومِها وتَواتُرِها وعدمِ انقطاعِها .

وفى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ سفيانَ بنِ سعيدٍ الثورىِّ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : ما سُئل رسولُ اللَّهِ ﷺ شيئًا قطُّ فقال : لا .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا ابنُ أبى عدىٍّ ، عن حُمَيدٍ ، عن موسى بنِ أنسٍ[4] ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُسْأَلْ شيئًا على الإسلامِ إلَّا أعْطاه . قال : فأتاه رجلٌ فسأَله[5] فأمَر له بشاءٍ كثيرٍ بينَ جبَلَيْن مِن شاءِ الصدقةِ . قال : فرجَع إلى قومِه فقال : يا قومِ ، أسْلِموا ، فإنَّ محمدًا يُعْطِى عطاءً ، ما يخْشَى الفاقَةَ . ورواه مسلمٌ ، عن عاصمِ بنِ النَّضْرِ ، عن خالدِ بنِ الحارثِ ، عن حُميدٍ به[6] .

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٦٤ حاشية ٥ .

(٢) البخارى (٦٠٣٤) ، ومسلم (٢٣١١) واللفظ له .

(٣) المسند ٣/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) فى م ، ص : « أنيس » . وهو خطأ ، انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٠.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) مسلم (٢٣١٢/٥٧) .

وقال أحمدُ[1] : ثنا عفانُ ، ثنا حمادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رجلًا سأَل النبيَّ ﷺ ، فأعْطاه غَنَمًا بينَ جبَلَيْن ، فأتَى قومَه فقال : أَيْ[2] قومِ ، أسْلِموا ؛ [3]فواللَّهِ إنَّ[3] محمدًا يُعْطِى عطاءَ [4]مَن لا[4] يخافُ الفاقَةَ . فإن كان الرجلُ لَيجيءُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ما يريدُ إلا الدنيا ، فما يُمْسِى حتى يكونَ دينُه أحبَّ إليه أو أعزَّ عليه مِن الدنيا وما فيها . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ به[5] . وهذا العَطاءُ ؛ لِيُؤَلِّفَ به قلوبَ ضَعيفى القلوبِ فى الإسلامِ ، ويتَأَلَّفَ آخرين ليَدْخُلوا فى الإسلامِ ، كما فعَل يومَ حُنَيْنٍ حينَ قسَم تلك الأموالَ الجزيلةَ مِن الإبلِ والشاءِ والذهبِ والفضةِ فى المُؤَلَّفةِ قلوبُهم[6] ، ومع هذا لم يُعْطِ الأنصارَ وجمهورَ المُهاجرين شيئًا ، بل أنْفَقَ فيمَن كان يُحِبُّ أن يَتَأَلَّفَه على الإسلامِ ، وترَك أولئك لِمَا جعَل اللَّهُ فى قلوبهم مِن الغِنَى والخيرِ ، وقال مُسَلِّيًا لمن سأَل عن وجهِ الحِكْمةِ فى هذه القِسْمةِ ؛ لمن عتَب مِن جماعةِ الأنصارِ : « أما تَرْضَوْن أن يَذْهَبَ الناسُ بالشاءِ والبَعيرِ ، وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ [٣/٤٥٠ظ] تحُوزونه إلى رِحالِكم ؟ » قالوا : رَضِينا يا رسولَ اللَّهِ . وهكذا أعْطَى عمَّه العباسَ بعدَما أسْلَم ، حينَ جاءه ذلك المالُ مِن البَحْرَيْنِ ، فوُضِع بينَ يدَيه فى المسجدِ ، وجاء العباسُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطِنى ، فقد فادَيْتُ نفسى يومَ بدرٍ وفادَيْتُ عَقيلًا . فقال : « خُذْ » . فنزَع ثوبَه عنه ، وجعَل يضَعُ فيه مِن ذلك المالِ ، ثم قام لِيُقِلَّه ، فلم يَقْدِرْ ، فقال لرسولِ اللَّهِ

---

(١) فى المسند ٣/٢٨٤ .

(٢) فى م : « يا » . وهو لفظ صحيح مسلم .

(٣ - ٣) فى النسخ : « فإن » . والمثبت من المسند .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « ما » ، وفى ١١١ ، ٤١ : « لا » . والمثبت من المسند .

(٥) مسلم (٥٨/٢٣١٢) .

(٦) زيادة من : ١١١ ، ٤١ .

ﷺ : ارْفَعْه عليَّ . قال : « لا أفعلُ » . فقال : مُرْ بعضَهم ليَرْفَعَه عليَّ . فقال : « لا » . فوضَع منه شيئًا ، ثم عاد ، فلم يَقْدِرْ ، فسأَله أن يَرْفَعَه أو أن يَأْمُرَ بعضَهم يرْفَعُه ، فلم يَفْعَلْ ، فوضَع منه ، ثم احْتَمَل الباقىَ ، وخرَج به مِن المسجدِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُتْبِعُه بصرَه عَجَبًا مِن حرصِه . قلتُ : وقد كان العباسُ ، رضى اللَّهُ عنه ، رجلًا شديدًا طويلًا نبيلًا ، فأقلُّ ما احْتَمل شىءٌ يُقاربُ أربعين ألفًا . واللَّه أعلمُ . وقد ذكَره البخارىُّ فى « صحيحِه »[1] فى مواضعَ مُعَلَّقًا بصِيغةِ الجَزْمِ ، وهذا يُورَدُ فى مَناقبِ العباسِ لقولِه تعالى[2] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ[3] إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . [الأنفال : ٧٠] . وقد تقدم[4] عن أنسِ بنِ مالكٍ خادمِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أنه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أجودَ الناسِ ، وأشْجعَ الناسِ . الحديثَ . وكيف لا يكونُ كذلك ، وهو رسولُ اللَّهِ ﷺ المَجْبولُ على أكْملِ الصِّفاتِ ، الواثقُ بما فى يدَىِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، الذى أنْزَل اللَّهُ تعالى عليه فى مُحْكَمِ كتابِه العزيزِ[5] : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . الآية؟! [الحديد : ١٠] . وقال تعالى[6] : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

وهو ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، القائلُ لمؤَذِّنِه بلالٍ ، وهو الصادقُ المصدوقُ فى

---

(١) تقدم تخريجه فى ٥/١٧٠ .

(٢) التفسير ٤/٣٥ - ٣٨.

(٣) فى م : « الأسرى » . والمثبت من سائر النسخ وهى قراءة أبى عمرو الدانى . وقراءة الباقين بغير الألف . انظر حجة القراءات ص ٣١٤.

(٤) تقدم فى صفحة ٤٦١ حاشية (٥) .

(٥) التفسير ٨/٣٧ - ٤٠.

(٦) التفسير ٦/ ٥١٠، ٥١١.

الوَعْدِ والمَقالِ : « أَنْفِقْ يا بلالُ ، ولا تَخْشَ مِن ذى العرشِ إقْلالًا[1] » .

وهو القائلُ عليه الصلاةُ والسلامُ : « ما مِن يومٍ يُصْبِحُ العبادُ فيه إلَّا ومَلَكان يقولُ أحدُهما : اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا . ويقولُ الآخرُ : اللهم أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا[2] » . وفى الحديثِ الآخرِ[3] أنه قال لعائشةَ : « لا تُوعِى فيُوعِىَ[4] اللَّهُ عليكِ ، ولا تُوكِى فيُوكِىَ[5] اللَّهُ عليكِ » . وفى « الصحيحِ »[6] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قال : « يقولُ اللَّهُ تعالى : ابنَ آدمَ ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك » . فكيف لا يكونُ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم أكرمَ الناسِ وأشْجَعَ الناسِ ، وهو المتوكِّلُ الذى لا أعْظَمَ منه فى توكُّلِه ، الواثقُ برزقِ اللَّهِ ونصرِه ، المستعينُ بربِّه فى جميعِ أمْرِه ؟! ثم قد كان قبلَ بِعْثتِه [٣/٤٥١و] وبعدَها وقبلَ هجرتِه ، مَلْجَأَ الفقراءِ والأراملِ ، والأيْتامِ والضُّعفاءِ والمَساكينِ ، كما قال عمُّه أبو طالبٍ فيما قدَّمْناه مِن القصيدةِ المشهورةِ[7] :

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١/٣٢٣ - ٣٢٥ (١٠٢٠، ١٠٢٤ - ١٠٢٦)، ١٠/١٩١ (١٠٣٠٠)، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٢٨٠، ٦/ ٢٧٤، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٤٧، وفى شعب الإيمان (١٣٤٥، ١٣٤٦)، ثلاثتهم من طرق، عن أبى هريرة وابن مسعود. صحيح لطرقه (مشكاة المصابيح ١٨٨٥).

(٢) أخرجه البخارى (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠/٥٧)، كلاهما من حديث أبى هريرة.

(٣) لم نجده بهذا السياق كما أورده المصنف؛ فقد أخرجه أبو داود (١٧٠٠)، والنسائى فى الكبرى (٢٣٣٠)، وأحمد فى المسند ٦/ ١٠٨، ١٣٩، ١٦٠، بلفظ: «لا تحصى فيحصى اللَّه عليك» ونحوه، وبلفظ: «لا توعى فيوعى اللَّه عليك» ونحوه.

وقد أخرجه أيضا البخارى (١٤٣٣، ١٤٣٤، ٢٥٩٠، ٢٥٩١)، ومسلم (١٠٢٩)، وغيرهما، كلهم من حديث أسماء رضى اللَّه عنها، وليس عندهم «توعى» و «توكى» فى سياق واحد كما ساقه المصنف.

(٤) أى: لا تجمعى وتَشِحِّى بالنفقة فيُشَحَّ عليكِ، وتُجازَىْ بتضييق رزقك. النهاية ٥/ ٢٠٨.

(٥) أى: لا تَدَّخِرى وتَشُدِّى ما عندكِ، وتمنعى ما فى يديكِ، فتنقطعَ مادة الرزق عنك. النهاية ٥/ ٢٢٣.

(٦) البخارى (٤٦٨٤، ٥٣٥٢، ٧٤٩٦)، ومسلم (٩٩٣).

(٧) تقدم فى ٤/ ١٣٨.

وما تَرْكُ قومٍ - لا أبالكَ - سيِّدًا يَحُوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ
وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ثِمالُ اليَتامى عِصْمةٌ للأراملِ
يَلُوذُ به الهُلَّاكُ مِن آلِ هاشمٍ فهمْ عندَه فى نعمةٍ وفَواضِلِ

ومِن تَواضُعِه ﷺ

ما روَى الإمامُ أحمدُ مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن ثابتٍ - زاد النسائيُّ: وحميدٍ - عن أنسٍ[1] أن رجلًا قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ: يا سيدَنا وابنَ سيدِنا، [2]وخيرَنا وابنَ خيرِنا[2]. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أيُّها الناسُ، قولوا بقولِكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ [3]عبدُ اللهِ[3] ورسولُه، واللَّهِ ما أُحِبُّ أن ترْفَعونى فوقَ ما رفَعنى اللَّهُ».

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[4] عن عمرَ بنِ الخطابِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُطْرُونى كما أطْرَتِ النصارى عيسى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللَّهِ ورسولُه».

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدثنا يحيى عن شعبةَ، حدثنى الحكمُ، عن إبراهيمَ، عن الأَسودِ قال: قلتُ لعائشةَ: ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ فى أهلِه؟ قالت:

---

(١) المسند ٣/ ١٥٣، ٢٤٩، والنسائى فى الكبرى (١٠٠٧٧)، بنحوه عندهما. إسناده صحيح على شرط مسلم (السلسلة الصحيحة ١٠٩٧، ١٥٧٢).
(٢ - ٢) سقط من: م، ص.
(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج.
(٤) كذا فى النسخ. وإنما هو فى البخارى (٦٨٣٠) مطولًا.
(٥) المسند ٦/ ٤٩.

كان فى مِهْنةِ أهلِه ، فإذا حضَرَتِ الصلاةُ خرَج إلى الصلاةِ .

وحدثنا[1] وَكيعٌ ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، قالا : حدثنا شعبةُ ، عن الحكمِ ، عن إبراهيمَ ، عن الأَسودِ قال : قلتُ لعائشةَ : ما كان النبىُّ ﷺ يصْنَعُ إذا دخَل بيتَه ؟ قالت : كان يكونُ فى مِهْنةِ أهلِه ، فإذا حضَرَتِ الصلاةُ خرَج فصلَّى . ورواه البخاريُّ ، عن آدمَ ، عن شعبةَ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عَبْدةُ ، ثنا هشامُ بنُ عروةَ ، عن رجلٍ قال : سَألتُ[4] عائشةَ : ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ فى بيتِه ؟ قالت : كان يُرَقِّعُ الثوبَ ، ويَخْصِفُ النعْلَ . أو نحوَ هذا . وهذا مُنْقطِعٌ مِن هذا الوجهِ . وقد قال عبدُ الرزاقِ[5] : أنا معمرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن عروةَ ، وهشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه قال : سأَل رجلٌ عائشةَ : هل كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فى بيتِه ؟ قالت : نعم ، كان [6]رسولُ اللَّهِ ﷺ[6] يَخْصِفُ نعلَه ، ويَخِيطُ ثوبَه ، [7]ويعْمَلُ فى بيتِهِ[7] كما يَعْمَلُ أحدُكم فى بيتِه . رواه البيهقىُّ[8] فاتَّصَل الإسنادُ .

وقال البيهقىُّ[9] : أنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ ، أنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عمرِو بنِ البَخْتَرىِّ إملاءً ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ السُّلَمىُّ ، [٣/٤٥١ظ] حدثنا

---

(١) المسند ٦/ ٢٠٦.

(٢) البخارى (٦٧٦) .

(٣) المسند ٦/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٤) فى الأصل ، ١١١، م ، ص : « سئلت » .

(٥) المصنف (٢٠٤٩٢) .

(٦ - ٦) زيادة من المصنف .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٢٨، ٣٢٩، من طريق عبد الرزاق به .

(٩) المصدر السابق ١/ ٣٢٨.

أبو[1] صالحٍ ، حدثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن عَمْرةَ قالت : قلتُ لعائشةَ : ما كان يَعْمَلُ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتِه ؟ قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرًا مِن البَشَرِ ، يُفَلِّى ثوبَه ، ويَحْلُبُ شاتَه ، ويَخْدُمُ نفسَه . ورواه الترمذىُّ فى « الشمائلِ »[2] عن محمدِ بنِ إسماعيلَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن عَمْرةَ قالت : قيل لعائشةَ : ما كان يَعْمَلُ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتِه ؟ الحديثَ .

وروَى ابنُ عَساكرَ[3] مِن طريقِ أبى[4] أسامةَ ، عن حارثةَ بنِ محمدٍ الأنصارىِّ ، عن عَمْرةَ قالت : قلتُ لعائشةَ : كيف كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أهلِه ؟ قالت : كان أَلْيَنَ الناسِ ، وأَكْرمَ الناسِ ، وكان ضَحَّاكًا بَسَّامًا .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[5] : ثنا شعبةُ ، حدثنى مسلمٌ أبو عبدِ اللَّهِ الأعورُ ، سمِع أنسًا يقولُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [6]يُكْثِرُ الذِّكْرَ ويُقِلُّ اللَّغْوَ ، و[6]يَرْكَبُ الحمارَ ، ويَلْبَسُ الصوفَ ، ويُجيبُ دعوةَ المملوكِ ، ولقد رأيْتُه يومَ خيبرَ على حمارٍ خِطامُه مِن لِيفٍ . وفى الترمذىِّ وابنِ ماجه مِن حديثِ مسلمِ بنِ كَيْسانَ المُلَائىِّ عن أنسٍ ، بعضُ ذلك[7] .

---

(١) فى م ، ص : « ابن » . وهو عبد الله بن صالح بن محمد الجهنى مولاهم ، أبو صالح المصرى . انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٩٨.

(٢) الشمائل (٣٢٧) . صحيح (مختصر الشمائل ٢٩٣) . وقد سقط من إسناد الشمائل ذكر محمد بن إسماعيل ، انظر تحفة الأشراف ١٢/ ٤٢٧.

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٤) سقط من تاريخ دمشق . وهو أبو أسامة حماد بن أسامة القرشى . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٣١٤، ٧/ ٢١٧.

(٥) مسند أبى داود (٢١٤٨) .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٧) الترمذى (١٠١٧) ، وابن ماجه (٢٢٩٦، ٤١٧٨) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ١٧١) .

وقال البيهقيُّ[1] أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إملاءً، ثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرٍ الأَدَميُّ القارئُ ببغدادَ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الدَّوْرَقيُّ[2]، ثنا أحمدُ ابنُ نصرِ بنِ مالكٍ الخُزاعيُّ، ثنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ واقدٍ، عن أبيه قال: سمِعْتُ يحيى بنَ عُقَيْلٍ يقولُ: سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ أبى أوْفَى يقولُ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، ويُقِلُّ اللَّغْوَ، ويُطيلُ الصلاةَ، ويُقَصِّرُ الخُطْبَةَ، ولا يَسْتَنْكِفُ أن يمشىَ مع العبدِ، ولا مع الأَرْملةِ، حتى يَفْرُغَ لهم مِن حاجاتِهم. ورواه النسائيُّ، عن محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ [3]بنِ أبى رِزْمَةَ[3]، عن الفضلِ بنِ موسى، عن الحسينِ ابنِ واقدٍ، عن يحيى بنِ عُقَيْلٍ الخُزاعيِّ البَصْرىِّ، عن ابنِ أبى أوْفَى بنحوِه[4].

وقال البيهقيُّ[5]: أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، ثنا أبو بكرٍ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ الفقيهُ بالرَّىِّ، ثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الفرجِ الأزْرقُ، ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ، ثنا شَيْبانُ أبو معاويةَ، عن أَشْعثَ بنِ أبى الشَّعْثاءِ، عن أبى بُرْدةَ، [6]عن أبى موسى[6] قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ الحمارَ، ويَلْبَسُ الصوفَ، ويَعْتَقِلُ الشاةَ، ويأتى مُراعاةَ الضيفِ. وهذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ، ولم يُخْرِجوه، وإسنادُه جيِّدٌ.

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٣٢٩.

(٢) فى الأصل، ١١١، ٤١: «الدورى»، وفى م، ص: «الدرورى». وكله خطأ، والمثبت من الدلائل، انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥٣.

(٣ - ٣) فى الأصل: «بن أبى زرعة»، وفى م: «عن أبى زرعة»، وفى ص: «عن أبى زرمة». وكله خطأ، انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٨.

(٤) النسائى (١٤١٣). صحيح (صحيح سنن النسائى ١٣٤١).

(٥) دلائل النبوة ١/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل، لكن عزاه الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٠، إلى الطبرانى والبزار من حديث أبى موسى، وقال: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار باختصار.

وروَى محمدُ بنُ سعدٍ[1] ، عن [2]محمدِ بنِ[2] إسماعيلَ بنِ أبى فُدَيْكٍ ، عن موسى بنِ يعقوبَ الزَّمْعىِّ[3] ، عن سهلٍ مولى غُنَيْمَةَ[4] ، أنه كان نصرانيًّا مِن أهلِ مَرِيسٍ ، وأنه كان[5] [٣/٤٥٢و] فى حِجْرِ [6]عمِّه ، أو أُمِّه[6] قال : قرَأْتُ يومًا فى مصحفِ[7] لعمِّى ، فإذا فيه ورَقةٌ [8]بغيرِ الخَطِّ[8] ، وإذا فيها نعْتُ محمدٍ ﷺ ؛ لا قصيرٌ ولا طويلٌ ، أبيضُ ذو ضَفيرتَيْن ، بينَ كَتِفَيْه خاتَمٌ ، يُكْثِرُ الاحْتِباءَ ، ولا يَقْبَلُ الصدقةَ ، ويرْكَبُ الحمارَ والبعيرَ ، ويحْتَلِبُ الشاةَ ، ويَلْبَسُ قميصًا مَرْقوعًا ، ومَن فعَل ذلك فقد بَرِئَ مِن الكِبْرِ ، وهو مِن ذريَّةِ إسماعيلَ ، اسمُه أحمدُ . قال : فلمَّا جاء عمِّى ورآنى قد قرأتُها ضرَبنى ، وقال : ما لك وفتحَ هذه ؟ فقلتُ : إن فيها نعتَ أحمدَ . فقال : إنه لم يأتِ بعدُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : ثنا إسماعيلُ ، ثنا أيوبُ ، عن عمرِو بنِ[10] سعيدٍ ، عن

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٣٦٣، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٣٨٩ ، من طريق ابن سعد به ، بنحوه عندهما .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الطبقات . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٨٥.

(٣) فى م ، ص : « الربعى » . وهو خطأ ، انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٧١.

(٤) فى م : « عتبة » ، وفى ص : « عنمة » ، وفى طبقات ابن سعد : « عتيبة » . والمثبت من الأصل ، ١١١، ٤١ موافق لما فى تاريخ دمشق .

(٥) بعده فى الطبقات ، وتاريخ دمشق : « يتيمًا » .

(٦ - ٦) فى ١١١، ٤١، م ، ص : « وأنه » . وفى الطبقات : « أمه وعمه ، وأنه كان يقرأ الإنجيل » . وفى تاريخ دمشق : « أمه وعمه ، وأنه كان يقرأ التوراة والإنجيل ، وأنه كان يقرأ الإنجيل » .

(٧) المقصود هنا الإنجيل ، كما فى الطبقات وتاريخ دمشق .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ ، وقد ذكرنا فى التخريج - سابقا - أن المصنف ساقه هنا بنحوه ، ومعنى ما فى الطبقات والتاريخ فى هذا الموضع : أن سهلًا أنكر كتابة هذه الورقة ومَسَّها بيده ، فإذا أصول الورقة مُلْصَقة بغراء ففتقها .

(٩) المسند ٣/ ١١٢. ووقع فى أول إسناده : « ثنا سفيان ثنا إسماعيل » . وهو خطأ ، انظر أطراف المسند ١/ ٤٥١، ٤٥٢.

(١٠) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٠، وأطراف المسند . الموضع السابق .

أنسٍ قال: ما رأيْتُ أحدًا كان أرحمَ بالعِيالِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ. وذكَر الحديثَ. ورواه مسلمٌ، عن زهيرِ بنِ حربٍ، عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ به[1].

وقال الترمذىُّ فى «الشمائلِ»[2]: ثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ، ثنا أبو داودَ، عن شعبةَ، عن الأشعثِ بنِ سُليمٍ قال: سمِعْتُ عمَّتى تُحَدِّثُ عن عمِّها قال: بينا أنا أمشى بالمدينةِ إذا إنسانٌ خَلْفى يقولُ: «ارْفَعْ إزارَك، فإنه أتْقَى وأبْقَى». فإذا هو رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنما هى بُرْدَةٌ مَلْحاءُ[3]. قال: «أما لك فىَّ أُسْوةٌ؟» فنَظَرْتُ، فإذا إزارُه إلى نصفِ ساقَيْهِ.

ثم قال[4]: ثنا سُوَيْدُ بنُ نصرٍ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ، عن موسى بنِ عُبَيدةَ، عن إياسِ بنِ سَلَمةَ، عن أبيه قال: كان عثمانُ بنُ عفانَ يَأْتَزِرُ إلى أنصافِ ساقَيْه، قال: و[5]قال: هكذا كانت إزْرَةُ صاحبى ﷺ.

وقال أيضًا[6]: ثنا يوسفُ بنُ عيسى، ثنا وكيعٌ، ثنا الرَّبيعُ بنُ صَبِيحٍ، ثنا يَزيدُ بنُ أبانٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ القِناعَ[7]، كأنَّ ثوبَه ثوبُ زَيَّاتٍ. وهذا فيه غرابةٌ ونَكارةٌ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) مسلم (٢٣١٦).

(٢) الشمائل (١١٥). صحيح (مختصر الشمائل ٩٧).

(٣) بردة ملحاء: أى بردة فيها خطوط سود وبيض. انظر النهاية ٤/ ٣٥٤.

(٤) الشمائل (١١٦). قال الشيخ الألبانى فى مختصر الشمائل (٩٨): حديث صحيح، وفى إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، لكن المرفوع منه له شواهد كثيرة بعضها فى المشكاة (٤٣٣١). اهـ. ويعنى الشيخ الألبانى بالمرفوع وَصْفَ عثمان لإزرة النبى ﷺ.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من الشمائل. والقائل هنا هو عثمان.

(٦) الشمائل (٣٢)، بأطول من هذا. ضعيف (مختصر الشمائل ٢٦).

(٧) قال فى الفتوحات الربانية لشرح الشمائل المحمدية ١/ ٨٣: أى لبس القناع، وهو خرقة تُلقَى على الرأس تحت العمامة بعد استعمال الدهن - أى الذى تُدهَن به الرأس - وِقايةً للعمامة من أثر الدهن.

وروَى البخاريُّ[1] ، عن عليِّ بنِ الجَعْدِ ، عن شعبةَ ، عن سَيَّارٍ[2] أبى الحكَمِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ على صِبْيانٍ يَلْعَبون فسلَّم عليهم . ورواه مسلمٌ مِن وجهٍ آخرَ ، عن شعبةَ[3] .

---

(١) البخارى (٦٢٤٧) .

(٢) فى م ، ص : « يسار » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٣.

(٣) مسلم (١٥/٢١٦٨) .

ذِكْرُ[1] مِزاحِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال ابنُ لَهِيعةَ[2] : حدَّثنى عُمارةُ بنُ غَزِيَّةَ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أفْكَهِ الناسِ مع صَبِيٍّ . وقد تقدَّم[3] حديثُه فى مُلاعبتِه أخاه أبا عُميرٍ ، وقولُه : « أبا عُميرٍ ، ما فعَل النُّغَيْرُ ؟ » يُذَكِّرُه بموتِ نُغَرٍ كان يَلْعَبُ به ؛ ليُخْرِجَه بذلك[4] ، كما جَرَتْ به عادةُ الناسِ مِن المُداعبةِ مع الأطفالِ الصِّغارِ .

[٣/٤٥٢ظ] وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا خلَفُ بنُ الوليدِ ، ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن حُميدٍ الطويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رجلًا أتَى النبىَّ ﷺ فاستَحْمَلَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّا حامِلُوك على ولدِ ناقةٍ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أصْنَعُ بولدِ ناقةٍ ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ : « وهل تلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ ! » . ورواه أبو داودَ عن وهبِ بنِ بَقِيَّةَ ، والترمذىُّ عن قُتيبةَ ، كلاهما عن خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الواسطىِّ الطَّحَّانِ به[6] . وقال الترمذىُّ : صحيحٌ[7] غريبٌ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٣١، من طريق ابن لهيعة به .

(٣) تقدم فى صفحة ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٤) ليخرجه بذلك : أى ليُسَلِّيه عن فقد طائره الذى مات . انظر تحفة الأحوذى ٣/ ١٤٢.

(٥) المسند ٣/ ٢٦٧.

(٦) أبو داود (٤٩٩٨) ، والترمذى (١٩٩١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤١٨٠) .

(٧) فى الترمذى : « حسن صحيح » .

وقال أبو داودَ فى هذا البابِ[1] : ثنا يحيى بنُ مَعينٍ ، ثنا حجاجُ بنُ محمدٍ ، ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن العَيْزارِ بنِ حُرَيْثٍ[2] ، عن النعمانِ بنِ بَشيرٍ قال : استأذن أبو بكرٍ على النبىِّ ﷺ ، فسمِع صوتَ عائشةَ عاليًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما دخَل تَناوَلَها ليَلْطِمَها ، وقال : ألا أَراكِ ترْفَعين صوتَكِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . فجعَل النبىُّ ﷺ يَحْجِزهُ ، وخرَج أبو بكرٍ مُغْضَبًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ خرَج أبو بكرٍ : « كيف رَأَيْتِنى أنقَذْتُكِ مِن الرجلِ ؟ » فمكَث أبو بكرٍ أيامًا ، ثم استأذن على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فوجَدهما قد اصْطَلَحا ، فقال لهما : أدْخِلانى فى سِلْمِكما كما أدْخَلْتُمانى فى حربِكما . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد فعَلْنا ، قد فعَلْنا » .

ثم قال أبو داودَ[3] : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ الفضلِ ، ثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ العَلاءِ ، عن [4]بُسْرِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ[4] ، عن أبى إدريسَ الخَوْلانىِّ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجَعىِّ قال : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ تَبوكَ وهو فى قُبَّةٍ مِن أَدَمٍ ، فسلَّمْتُ فردَّ وقال : « ادْخُلْ » . فقلتُ : أكُلِّى يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « كلُّك » . فدخَلْتُ .

---

(١) أبو داود (٤٩٩٩) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ١٠٦٣) .

(٢) فى الأصل ، م : « حرب » ، وفى ص : « جرب » . وكلاهما خطأ ، انظر تحفة الأشراف ٩/ ٢٨ .

(٣) أبو داود (٥٠٠٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤١٨١) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « بشر بن عبيد الله » ، وفى ١١١ ، ٤١ : « بشر بن عبد الله » . وكلاهما خطأ ، والمثبت من سنن أبى داود ، وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٢١٥ ، ٢١٦ .

وحدثنا[1] صفوانُ بنُ صالحٍ ، ثنا الوليدُ ، ثنا[2] عثمانُ بنُ أبى العاتِكةِ[3] ، إنما قال : أدْخُلُ كلِّى ؟ مِن صِغَرِ القُبَّةِ .

ثم قال أبو داودَ[4] : ثنا إبراهيمُ بنُ مَهْدىٍّ ، ثنا شَريكٌ ، عن عاصمٍ ، عن أنسٍ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا ذا الأُذُنَيْن » .

قلتُ : ومِن هذا القَبيلِ ما رواه الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا معمرٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن رجلًا مِن أهلِ الباديةِ كان اسمُه زاهرًا ، وكان يُهْدِى للنبىِّ ﷺ الهديَّةَ مِن الباديةِ ، فيُجَهِّزُه النبىُّ ﷺ إذا أراد أن يَخْرُجَ ، فقال [٣/ ٤٥٣و] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن زاهرًا بادِيَتُنا ، ونحن حاضِرُوه » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّه ، وكان رجلًا دَميمًا ، فأتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا[6] وهو يَبيعُ مَتاعَه ، فاحتَضَنَه مِن خلفِه وهو لا يُبْصِرُه ، فقال الرجل : أرْسِلْنى ، مَن هذا ؟ فالتفتَ فعرَف النبىَّ ﷺ ، فجَعَل لا يألو ما ألْصَق ظهرَه بصدرِ النبىِّ ﷺ حينَ عرَفه ، وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن يشترى العبدَ ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إذنْ واللَّهِ تجِدُنى كاسدًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لكن عندَ اللَّهِ لستَ بكاسدٍ » . أو قال : « لكن عندَ اللَّهِ أنت غالٍ » . وهذا إسنادٌ رجالُه كلُّهم ثِقاتٌ على شرطِ « الصحيحَيْن » ، ولم يَرْوِه إلا الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[7] عن إسحاقَ بنِ

---

(١) أبو داود (٥٠٠١) . ضعيف الإسناد مقطوع (ضعيف سنن أبى داود ١٠٦٤) .
(٢) فى الأصل ، م : « بن » . وهو خطأ ، وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٢١٥، ٢١٦.
(٣) فى م : « العاملة » .
(٤) أبو داود (٥٠٠٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤١٨٢) .
(٥) المسند ٣/ ١٦١.
(٦) سقط من : ١١١، م ، ص .
(٧) الشمائل (٢٣١) . صحيح (مختصر الشمائل ٢٠٤) .

منصورٍ، عن عبدِ الرزاقِ. ورواه ابنُ حِبَّانَ فى «صحيحِه»[1].

ومِن هذا القَبيلِ ما رواه البخاريُّ فى «صحيحِه»[2] أن رجلًا كان يقالُ له: عبدُ اللَّهِ. وكان[3] يُلقَّبُ حِمارًا، وكان يُضْحِكُ النبيَّ ﷺ، وكان يُؤْتَى به فى الشَّرابِ، فجِيءَ به يومًا، فقال رجلٌ: لعَنه اللَّهُ، ما أكثرَ ما يُؤْتَى به. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تلْعَنْه؛ فإنه يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه».

ومِن هذا ما قال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا حَجَّاجٌ، حدثنى شعبةُ، عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أن النبيَّ ﷺ كان فى مَسيرٍ، وكان حادٍ يَحْدو بنسائِه أو سائقٌ. قال: فكان نساؤُه يتَقَدَّمْن بينَ يدَيه، فقال: «يا أَنْجَشَةُ، وَيْحَك، ارْفُقْ بالقَوارِيرِ».

وهذا الحديثُ فى «الصحيحَيْن»[5] عن أنسٍ قال: كان للنبيِّ ﷺ حادٍ يَحْدو بنسائِه يُقالُ له: أَنْجَشَةُ. فحدَا، فأعْنَقَت الإبلُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ويحَك يا أَنْجَشَةُ، ارْفُقْ بالقَوارِيرِ». ومعنى القَوارِيرِ: النساءُ، وهى كلمةُ دُعابةٍ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ.

ومِن مكارمِ أخلاقِه ودُعابتِه وحُسْنِ خُلُقِه، استماعُه، عليه الصلاةُ والسلامُ،

---

(١) بعده فى م: «عن». وفى ص: «عن» وبعدها كلام مطموس. والحديث أخرجه ابن حبان كما فى الإحسان (٥٧٩٠)، من طريق عبد الرزاق به.

(٢) البخارى (٦٧٨٠) من حديث عمر، نحوه.

(٣) سقط من: الأصل، م، ص.

(٤) المسند ٣/ ١٨٧.

(٥) البخارى (٦١٤٩، ٦١٦١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٩ - ٦٢١١)، ومسلم (٢٣٢٣). وليس عندهما ذكر الإعناق - وهو الإسراع - وإنما هذه اللفظة فى مسند أحمد ٣/ ٢٥٤.

حديثَ أمِّ زَرْعٍ مِن عائشةَ بطولِه[1] ، ووقَع فى بعضِ الرواياتِ[2] أنه ﷺ هو الذى قصَّه على عائشةَ .

ومِن هذا ما رواه الإمامُ أحمدُ[3] ، ثنا أبو النَّضْرِ ، ثنا أبو عَقِيلٍ - يعنى عبدَ اللَّهِ ابنَ عَقيلٍ الثَّقَفىَّ . ثِقَةٌ[4] - حدثنا [5]مُجالِدُ بنُ سعيدٍ[5] ، عن عامرٍ ، عن مَسْروقٍ ، عن عائشةَ قالت : حدَّث رسولُ اللَّهِ ﷺ نساءَه ذاتَ ليلةٍ حديثًا ، فقالت امرأةٌ منهن : يا رسولَ اللَّهِ ، [٣/٤٥٣ظ] كان الحديثُ حديثَ خُرافةَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَدْرِين[6] ما خُرافةُ ؟ إن خُرافةَ كان رجلًا مِن عُذْرةَ[7] أسَرَتْه الجِنُّ فى الجاهليَّةِ ، فمكَث فيهم دهْرًا طويلًا ، ثم ردُّوه إلى الإنسِ ، فكان يُحَدِّثُ الناسَ بما رأَى فيهم مِن الأعاجيبِ ، فقال الناسُ : حديثُ خُرافةَ » . وقد رواه الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[8] عن الحسنِ بنِ الصَّبَّاحِ البَزَّارِ ، عن أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ به . قلتُ : وهو مِن غَرائبِ الأحاديثِ ، وفيه نَكارةٌ ، ومُجالدُ بنُ سعيدٍ يَتكَلَّمون فيه . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الترمذىُّ فى بابِ مِزاحِ[9] النبىِّ ﷺ مِن كتابِه « الشَّمائلِ »[10] : ثنا

---

(١) البخارى (٥١٨٩) ، ومسلم (٢٤٤٨/٩٢) .

(٢) النسائى فى الكبرى (٧/٩١٣٧، ٨/٩١٣٨) .

(٣) المسند ١٥٧/٦ .

(٤) فى م ، ص : « به » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « مخالد بن سعيد » ، وفى ا ٤ : « محالد بن سعيد » . وفى المسند : « مجالد ابن سعد » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢١٩، وأطراف المسند ٩/ ٢٣٩.

(٦) فى المسند : « أتدرون » .

(٧) عذرة : قبيلة فى اليمن .

(٨) الشمائل (٢٤٢) . ضعيف (مختصر الشمائل ٢١٤) .

(٩) فى م ، ص : « خراج » .

(١٠) الشمائل (٢٣٢) . حسن (مختصر الشمائل ٢٠٥) .

عبدُ بنُ حُمَيْدٍ ، ثنا مُصْعَبُ بنُ المِقْدامِ ، ثنا المُبارَكُ بنُ فَضالةَ ، عن الحسنِ قال : أتَت عَجوزٌ النبيَّ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ لى أن يُدْخِلَنى الجنةَ . فقال : « يا أمَّ فلانٍ ، إن الجنةَ لا تَدْخُلُها عَجوزٌ » . قال : فولَّت العجوزُ تَبْكى ، فقال : « أخْبِروها أنها لا تَدْخُلُها وهى عجوز ؛ إن اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ » [الواقعة : ٣٥- ٣٧] . وهذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال الترمذىُّ[(١)] : ثنا عباسُ بنُ محمدٍ الدُّورىُّ ، ثنا علىُّ بنُ الحسنِ بنِ شَقِيقٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ قال : قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنك تُداعِبُنا . قال : « إنى لا أقولُ إلا حقًّا » . تُداعِبُنا يعنى تُمازِحُنا . وهكذا رواه الترمذىُّ فى « جامعِه »[(٢)] فى بابِ البِرِّ ، بهذا الإسنادِ ، ثم قال : وهذا حديثٌ [(٣)]حسنٌ صحيحٌ[(٣)] .

---

(١) الشمائل (٢٢٩) . صحيح (مختصر الشمائل ٢٠٢) .

(٢) الترمذى (١٩٩٠) .

(٣ - ٣) فى الأصل، ١١١، ٤١: «حسن». وفى م، ص: «مرسل حسن». والمثبت من سنن الترمذى .

بابُ زُهْدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وإعراضِه عن هذه الدارِ ، [1]وإقبالِه واجتهادِه وعملِه لدارِ القرارِ[1]

قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] . وقال تعالى[4] : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] . وقال تعالى[5] : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨] . والآياتُ فى هذا كثيرةٌ .

[٣/٤٥٤و] وأما الأحاديثُ ؛ فقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] : حدثنى أبو العباسِ حَيْوةُ بنُ شُرَيْحٍ ، أنا بَقِيَّةُ ، عن الزُّبَيْدىِّ ، عن الزهرىِّ ، عن محمدِ بنِ [7]عبدِ اللَّهِ[7]

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٥/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) التفسير ٥/ ١٤٨، ١٤٩.

(٤) التفسير ٧/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٥) التفسير ٤/ ٤٦٤ - ٤٦٦.

(٦) المعرفة والتاريخ ١/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٧ - ٧) فى ص: «عبيد اللَّه»، وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩٠.

بنِ عباسٍ قال : كان ابنُ عباسٍ يُحَدِّثُ أن اللَّهَ أرْسَل إلى نبيِّه ﷺ مَلَكًا مِن الملائكةِ معه جبريلُ ، فقال المَلَكُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إن اللَّهَ يُخَيِّرُك بينَ أن تكونَ عبدًا نبيًّا ، وبينَ أن تكونَ مَلِكًا نبيًّا . فالتفتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جبريلَ كالمُسْتَشِيرِ له ، فأشار جبريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أن تَواضَعْ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل أكونُ عبدًا نبيًّا » . قال : فما أكَل بعدَ تلك الكلمةِ طعامًا مُتَّكِئًا حتى لَقِيَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ . وهكذا رواه البخاريُّ فى « التاريخِ » عن حَيْوةَ بنِ شُرَيْحٍ ، وأخرجه النسائيُّ عن عمرِو بنِ عثمانَ ، كلاهما عن بَقِيَّةَ بنِ الوليدِ به[1] ، وأصلُ هذا الحديثِ فى « الصحيحِ » بنحوٍ مِن هذا اللفظِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن عُمارةَ ، عن أبى زُرْعةَ ، ولا أعلَمُه إلا عن أبى هريرةَ قال : جلَس جبريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فنظَر إلى السماءِ ، فإذا مَلَكٌ يَنْزِلُ ، فقال جبريلُ : إن هذا المَلَكَ ما نزَل منذُ يومِ خُلِق ، قبلَ الساعةِ . فلما نزَل قال : يا محمدُ ، أرْسَلَنى إليك ربُّك ؛ أفمَلِكًا نبيًّا يجْعَلُك أو عبدًا رسولًا . هكذا وجَدْتُه بالنسخةِ التى عندى « بالمسندِ » مُقْتَصِرًا[3] ، وهو مِن أفْرادِه مِن هذا الوجهِ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[4] مِن حديثِ ابنِ عباسٍ ، عن عمرَ بنِ الخطابِ فى حديثِ إيلاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أزواجِه أن لا يدْخُلَ عليهنَّ شهرًا ، واعْتَزَل عنهن فى عُلِّيَّةٍ ، فلما دخَل عليه عمرُ فى تلك العُلِّيَّةِ ، فإذا ليس فيها سوى صُبْرةٍ مِن

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ١٢٤، والنسائى فى الكبرى (٦٧٤٣) .

(٢) المسند ١/ ٢٣١ (إسناده صحيح) .

(٣) وجاء الحديث تامًّا فى نسخة المسند التى بين أيدينا فى الموضع السابق .

(٤) البخارى (٤٩١٣، ٥١٩١، ٥٨٤٣، ٧٢٥٦، ٧٢٦٣)، ومسلم (١٤٧٩/٣٤) .

قَرَظٍ ، وآهِبَةٍ[1] مُعَلَّقةٍ ، وصُبْرةٍ مِن شَعيرٍ ، وإذا هو مضطجِعٌ على رُمالِ حَصيرٍ قد أثَّر فى جَنْبِه ، فهمَلَت عينا عمرَ ، فقال : « ما لك ؟ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنت صِفْوةُ اللَّهِ مِن خَلْقِه ، وكِسْرى وقَيْصَرُ فيما هما فيه ! فجلَس مُحْمَرًّا وجهُه ، فقال : « أو فى شكٍّ أنت يابنَ الخطابِ ؟ » ثم قال : « أولئك قومٌ عُجِّلَت لهم طَيِّباتُهم فى حياتِهم الدنيا » . وفى روايةٍ لمسلمٍ[2] : « أمَا تَرْضَى أن تكونَ لهم الدنيا ، ولنا الآخرةُ ؟ » فقلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فاحْمَدِ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ » . ثم لمَّا انقَضَى الشهرُ أمَره اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، أن يُخَيِّرَ أزْواجَه ، وأنْزَل عليه قولَه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ [٣/٤٥٤ظ] تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] . وقد ذكَرْنا هذا مَبْسوطًا فى كتابِنا « التفسيرِ »[3] وأنه بدَأ بعائشةَ ، فقال لها : « إنى ذاكرٌ لكِ أمرًا ، فلا عليك أن لا تَعْجَلى حتى تَسْتأمرى أبويْك » . وتلا عليها هذه الآيةَ . قالت : فقلتُ : أفى هذا أسْتَأْمِرُ أبوىَّ ؟! فإنى أخْتارُ اللَّهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ . وكذلك قال سائرُ أزواجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ورضِى اللَّهُ عنهن .

وقال مُبارَكُ بنُ فَضالةَ ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ قال : دخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو على سريرٍ مَرْمولٍ بالشَّريطِ[4] ، وتحتَ رأسِه وسادةٌ مِن أَدَمٍ ، حَشْوُها

---

(١) الآهبة : جمع إهاب وهو الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ . انظر اللسان (أ هـ ب) .
(٢) مسلم (١٤٧٩/٣١) بنحوه .
(٣) التفسير ٦/٤٠١ - ٤٠٤ .
(٤) مرمول : يقال : رَمَل الحصيرَ وأرمله . أى نَسَجه ، فهو مَرْمُول ومُرْمَل . والشريط : سَيْر من نسيج ونحوه ممدود ضيق العرض . انظر النهاية ٢/ ٢٦٥ . والوسيط (ش ر ط) .

لِيفٌ ، ودخَل عليه عمرُ وناسٌ مِن الصحابةِ ، فانحرف رسولُ اللَّهِ ﷺ انحرافةً ، فرأى عمرُ أثَرَ الشَّريطِ فى جَنْبِه فبكَى ، فقال له : « ما يُبْكيك يا عمرُ ؟ » قال : وما لى لا أبكى ، وكِسْرَى وقَيْصَرُ يعِيشان فيما يعِيشان فيه مِن الدنيا ، وأنت على الحالِ الذى أرَى ؟ ! فقال : « يا عمرُ ، أما تَرْضَى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرةُ ؟ » قال : بلى . قال : « هو كذلك » . هكذا رواه البيهقىُّ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : [3]حدَّثنا أبو النَّضْرِ[3] ، ثنا مُبارَكٌ ، عن الحسنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : دخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو على سريرٍ مُضْطجِعٌ ، مُرمَلٍ بشَريطٍ ، وتحتَ رأسِه وِسادةٌ مِن أَدَمٍ ، حَشْوُها لِيفٌ ، فدخَل عليه نفَرٌ مِن أصحابِه ، ودخَل عمرُ فانحرف رسولُ اللَّهِ ﷺ انحرافةً ، فلم ير عمرُ بينَ جَنْبِه وبينَ الشَّريطِ ثوبًا ، وقد أثَّر الشَّريطُ بجَنْبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبكَى عمرُ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما يُبْكيك يا عمرُ ؟ » قال : واللَّهِ ما أبْكِى إلا أكونُ أعْلَمُ أنك أكرمُ على اللَّهِ مِن كسرى وقيصرَ ، وهما يعِيشان فى الدنيا فيما يعِيشان فيه ، وأنت يا رسولَ اللَّهِ فى المكانِ الذى أرَى ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أما تَرْضَى أن تكونَ لهم الدنيا ، ولنا الآخرةُ ؟ » قال : بلى . قال : « فإنه كذلك » .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[4] : ثنا المَسْعودىُّ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقمةَ ، عن[5] ابنِ مسعودٍ قال : اضْطَجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ على حَصيرٍ ، فأثَّر الحَصيرُ بجِلْدِه ، فجعَلْتُ أمْسَحُه ، وأقولُ : بأبى أنت وأمى [6]يا رسولَ اللَّهِ[6] ، ألا

---

(١) دلائل النبوة ١/٣٣٧ .

(٢) المسند ٣/ ١٣٩، ١٤٠.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) مسند أبى داود (٢٧٧). كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٣٧، من طريق أبى داود به .

(٥) سقط من: الأصل، م، ص.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من مسند أبى داود، ودلائل النبوة.

آذَنْتَنا فنَبْسُطَ لك شيئًا يَقِيك منه تنامُ عليه ؟ فقال : « ما لى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ [٣/٤٥٥و] تحتَ شجرةٍ ، ثم راح وترَكها » . ورواه ابنُ ماجه ، عن يحيى بنِ حَكيمٍ ، عن أبى داودَ الطَّيالسىِّ[(١)] ، وأخرجه الترمذىُّ ، عن موسى بنِ عبدِ الرحمنِ الكِنْدىِّ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، كلاهما عن المَسْعودىِّ به[(٢)] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ مِن حديثِ ابنِ عباسٍ ، فقال[(٣)] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ وأبو سعيدٍ وعفانُ ، قالوا : ثنا ثابتٌ ، ثنا هلالٌ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل عليه عمرُ وهو على حَصيرٍ قد أثَّر فى جنبِه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لو اتخذْتَ فراشًا أوْثَرَ[(٤)] مِن هذا . فقال : « ما لى وللدنيا ، ما مَثَلى ومَثَلُ الدنيا إلا كراكبٍ سار فى يومٍ صائفٍ ، فاستظلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً مِن نهارٍ ، ثم راح وترَكها » . تفرد به أحمدُ .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[(٥)] مِن حديثِ الزهرىِّ ، عن [(٦)]عبيدِ اللَّهِ[(٦)] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لو أنَّ لى مِثْلَ أُحُدٍ ذهبًا ما سرَّنى أن تأتىَ علىَّ ثلاثُ ليالٍ وعندى منه شىءٌ إلا شىءٌ أرْصُدُه لِدَينٍ » .

وفى « الصحيحَيْن »[(٧)] مِن حديثِ عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن

---

(١) بعده فى الأصل ، م ، ص : « به » .

(٢) ابن ماجه (٤١٠٩) ، والترمذى (٢٣٧٧) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٣٦) .

(٣) المسند ١/ ٣٠١ . (إسناده صحيح) .

(٤) أوثر : أَوْطَأُ وأَلْيَنَ . الوسيط (و ث ر) .

(٥) البخارى (٦٤٤٥) .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « عبد اللَّه » ، وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٧٣ .

(٧) البخارى (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٢٦/١٠٥٥) من كتاب الزكاة ، (١٨، ١٩/١٠٥٥) من كتاب الزهد والرقائق ، واللفظ لمسلم .

أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهم اجْعَلْ رزقَ آلِ محمدٍ قُوتًا » .

فأما الحديثُ الذى رواه ابنُ ماجه[1] مِن حديثِ يزيدَ بنِ سِنانٍ ، عن أبى[2] المُبارَكِ ، عن عطاءٍ ، عن أبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهم أحْيِنى مسكينًا ، وأمِتْنى مسكينًا ، واحْشُرْنى فى زُمْرةِ المساكينِ » . فإنه حديثٌ ضعيفٌ لا يَثْبُتُ مِن جهةِ إسنادِه ؛ لأن فيه يزيدَ بنَ سِنانٍ أبا فَرْوةَ الرُّهاوىَّ ، وهو ضعيفٌ جدًّا[3] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رواه الترمذىُّ مِن وجهٍ آخرَ فقال[4] : حدَّثنا عبدُ الأعْلَى بنُ واصلٍ الكوفىُّ ، ثنا ثابتُ بنُ محمدٍ العابدُ الكوفىُّ ، حدَّثنا الحارثُ بنُ النعمانِ الليثىُّ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهم أحْيِنى مسكينًا ، وأمِتْنى مسكينًا ، واحْشُرْنى فى زُمْرةِ المَساكينِ يومَ القيامةِ » . فقالت عائشةُ : لمَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « إنهم يدْخُلون الجنةَ قبلَ أغْنيائِهم بأربعين خَريفًا ، يا عائشةُ ، لا تَرُدِّى المسكينَ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، يا عائشةُ ، حِبِّى المساكينَ وقرِّبيهم ؛ فإن اللَّهَ يُقَرِّبُك يومَ القيامةِ » . ثم قال : هذا حديثٌ غريبٌ . قلتُ : وفى إسنادِه ضعفٌ ، وفى متنِه نَكارةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا عبدُ الصمدِ قال : حدَّثنا[6] عبدُ الرحمنِ ، يعنى ابنَ عبدِ اللَّهِ[6] بنِ دِينارٍ ، عن أبى [٣/٤٥٥ظ] حازمٍ ، عن

---

(١) ابن ماجه (٤١٢٦) . إسناده ضعيف (مصباح الزجاجة ٣/ ٢٧٥) . وانظر إرواء الغليل ٣/٣٥٨ - ٣٦٣.

(٢) فى ١١١، ٤١، م، ص: «ابن»، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٥٠.

(٣) انظر ترجمته فى التهذيب ٣٢/ ١٥٥، وكذا فيه أبو المبارك وهو مجهول، وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال الموضع السابق.

(٤) الترمذى (٢٣٥٢).

(٥) المسند ٥/ ٣٣٢.

(٦ - ٦) فى م: «أبو عبد الرحمن يعنى عبد الله»، وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٠٨.

سهلِ[1] بنِ سعدٍ، أنه قيل له: هل رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ[2] بعينِه، يعنى الحُوَّارَى[3]؟ فقال له: ما رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ بعينِه حتى لقِيَ اللَّهَ، عز وجل. فقيل له: هل كانت لكم مَناخِلُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقال: ما كانت لنا مَناخِلُ. فقيل له: فكيف كنتم تَصْنَعون بالشَّعيرِ؟ قال: نَنْفُخُه فيَطيرُ منه ما طار. وهكذا رواه الترمذىُّ مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ به[4]. وزاد: ثم نُثَرِّيه[5] ونَعْجِنُه. ثم قال: حسنٌ صحيحٌ، وقد رواه مالكٌ عن أبى حازمٍ. قلتُ: وقد رواه البخارىُّ[6]، عن سعيدِ بنِ أبى مَرْيَمَ، عن محمدِ بن مُطَرِّفٍ أبى[7] غَسَّانَ المَدَنىِّ، عن أبى حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ به. ورواه البخارىُّ أيضًا والنسائىُّ، عن قتيبةَ[8]، عن يعقوبَ بنِ عبدِ الرحمنِ القارىِّ، عن أبى حازمٍ، عن سهلٍ به[9].

وقال الترمذىُّ[10]: حدَّثنا عباسُ بنُ محمدٍ الدُّورىُّ، ثنا يحيى بنُ أبى بُكيرٍ، ثنا جَريرُ بنُ عثمانَ، عن سُليمِ بنِ عامرٍ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ يقولُ: ما كان يَفْضُلُ عن أهلِ بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ خبزُ الشَّعيرِ. ثم قال: حسنٌ صحيحٌ

---

(١) فى م: «سعيد، وفى ص: «سعد»، وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٨٨.

(٢) سقط من: م.

(٣) الحوارى: الدقيق الذى نُخِل مرة بعد مرة. النهاية ١/ ٤٥٨.

(٤) الترمذى (٢٣٦٤).

(٥) فى م: «نذريه»، وفى ص: «نذيه»، ونثريه: أى نَبُلُّه بالماء. وانظر النهاية ١/ ٢١٠.

(٦) البخارى (٥٤١٠).

(٧) فى م: «ابن»، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٧٠.

(٨) فى م، ص: «شيبة»، وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٢٣.

(٩) البخارى (٥٤١٣)، وعزاه المزى فى تحفة الأشراف ٤/ ١٢٧ - استدراكا على ابن عساكر - إلى النسائى فى الكبرى كتاب الرقائق.

(١٠) الترمذى (٢٣٥٩). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٢٢).

غريبٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن يزيدَ بنِ كَيْسانَ ، حدثنى أبو حازمٍ قال : رأيْتُ أبا هريرةَ يُشيرُ بأصبُعِه مِرارًا : والذى نفسُ أبى هريرةَ بيدِه ما شبع نبىُّ اللَّهِ ﷺ وأهلُه ثلاثةَ أيامٍ تِباعًا[2] مِن خبزِ حِنْطةٍ حتى فارق الدنيا . ورواه مسلمٌ والترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ يزيدَ بنِ كَيْسانَ[3] .

وفى « الصحيحَيْن »[4] مِن حديثِ جَريرِ بنِ عبدِ الحميدِ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : ما شَبِع آلُ محمدٍ ﷺ منذُ قدِموا المدينةَ ثلاثةَ أيامٍ تِباعًا مِن خبزِ بُرٍّ حتى مضَى لسبيلِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا هاشمٌ ، ثنا محمدُ بنُ طلحةَ ، عن [6]أبى حمزةَ ، عن[6] إبراهيمَ ، عن الأَسودِ ، عن عائشةَ قالت : ما شَبِعَ آلُ محمدٍ ثلاثًا مِن خبزِ بُرٍّ حتى قُبِض ، وما رُفِع مِن مائدتِه كِسْرةٌ قطُّ حتى قُبِض .

وقال أحمدُ[7] : ثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ ، ثنا مُطيعٌ الغَزَّالُ ، عن كُرْدُوسٍ ، عن عائشةَ قالت : قد مضَى[8] رسولُ اللَّهِ ﷺ لسبيلِه ، وما شَبِع أهلُه ثلاثةَ أيامٍ مِن طعامِ بُرٍّ .

---

(١) المسند ٢/ ٤٣٤.

(٢) زيادة من النسخ ، ليست فى المسند . وهى لفظ رواية مسلم والترمذى وابن ماجه الآتى تخريجها .

(٣) مسلم (٣٢، ٢٩٧٦/٣٣) ، والترمذى (٢٣٥٨) ، وابن ماجه (٣٣٤٣) .

(٤) البخارى (٦٤٥٤) ، ومسلم (٢٠/٢٩٧٠) . بلفظ مقارب .

(٥) المسند ٦/ ١٥٦.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) المسند ٦/ ٢٥٥.

(٨) فى ص : « قبض » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا [2]حسينٌ ، ثنا دويدٌ[2] ، عن أبى سهلٍ ، عن سليمانَ ابنِ رُومانَ مولى عُروةَ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أنها قالت : والذى [٣/٤٥٦و] بعَث محمدًا بالحقِّ ما رأى مُنْخُلًا ، ولا أكَل خبزًا مَنْخولًا منذُ بعَثه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، إلى أن قُبِض . قلتُ : كيف كنتم تأْكُلون الشعيرَ ؟ قالت : كنا نقولُ : أُفّ[3] . تفرد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وروَى البخاريُّ[4] ، عن محمدِ بنِ كَثيرٍ ، عن الثوريِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عابسِ بنِ ربيعةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : إن كنا لَنُخْرِجُ الكُراعَ[5] بعدَ خمسةَ عشَرَ يومًا فنأكُلُه . قلتُ : ولِمَ تفْعَلون ذلك ؟ فضحِكت وقالت : ما شبِع آلُ محمدٍ ﷺ مِن خبزِ بُرٍّ[6] مَأْدومٍ [7]ثلاثةَ أيامٍ[7] حتى لحِق باللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال أحمدُ[8] : ثنا يحيى ، ثنا هشامٌ ، أخبرنى أبى ، عن عائشةَ قالت : كان يأتى على آلِ محمدٍ ﷺ الشهرُ ما يُوقِدون فيه نارًا ، ليس إلا التمرُ والماءُ إلا أن نُؤْتَى باللحمِ .

---

(١) المسند ٦/ ٧١. قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣١٢: رواه أحمد وفيه سليمان بن رومان ولم أعرفه وبقية رجاله وُثِّقوا .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حسين ثنا دريد » ، وفى ا ٤١ : « حسن ثنا دويد » ، وفى م : « حسن ثنا زويد » ، وفى ص : « حسين ثنا رويد » . وانظر أطراف المسند ٩/ ١٠٨.

(٣) أف : معناه كنا نطحنه بالرَّحا وننفخه فيطير قشره . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٧٣.

(٤) البخارى (٥٤٢٣) .

(٥) الكراع من البقر والغنم : مستدق الساق العارى من اللحم . الوسيط (ك ر ع) .

(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٨) المسند ٦/ ٥٠.

وفى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ هشام بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنها قالت : إنْ كنا آلَ محمدٍ لَيَمُرُّ بنا الهلالُ[2] ما نُوقِدُ نارًا ، إنما هو الأَسْوَدانِ ؛ التمرُ والماءُ ، إلا أنه كان حولَنا أهلُ دُورٍ مِن الأنصارِ يَبْعَثون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بلبنِ مَنائحِهم فيَشْرَبُ ويَسْقِينا مِن ذلك اللبنِ . ورواه أحمدُ ، عن يزيدَ[3] ،عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عنها بنحوِه[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا [6]علىُّ بنُ عيَّاشٍ وحسينُ بنُ محمدٍ ، قالا : ثنا محمدُ بنُ مُطرِّفٍ قال : ثنا أبو حازمٍ[6] ، قال حسينٌ : عن عروةَ بنِ الزبيرِ عن عائشةَ قالت : كان يَمُرُّ [7]برسولِ اللَّهِ ﷺ[7] هلالٌ وهلالٌ ما يُوقَدُ فى بيتٍ مِن بيوتِه نارٌ . قال : قلتُ : يا خالةُ ، على أىِّ شىءٍ كنتم تعِيشون ؟ قالت : على الأَسودَيْنِ ؛ التمرِ والماءِ . تفرد به أحمدُ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[8] ، عن شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ يزيدَ ، عن الأسودِ ، عن عائشةَ قالت : ما شبِع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خبزِ شعيرٍ يومين مُتَتابِعين حتى قُبِض . وقد رواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[9] .

---

(١) البخارى (٦٤٥٨) ، ومسلم (٢٩٧٢/٢٦) ، من طريق هشام عن عروة مختصرًا ، (٦٤٥٩) ، (٢٩٧٢/٢٨) ، من طريق يزيد بن رومان عن عروة بنحوه .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « ثم الهلال ثم الهلال » . وهو لفظ رواية يزيد بن رومان .

(٣) فى م ، ص : « بريدة » .

(٤) المسند ٦/ ١٨٢ ، ٢٣٧ .

(٥) المسند ٦/ ٧١ ، ٨٦ .

(٦ - ٦) فى م : « عبد اللَّه حدثنى أبى ثنا حسين ثنا محمد بن مطرف عن أبى حازم » .

(٧ - ٧) فى م : « بنا » .

(٨) مسند أبى داود (١٣٨٩) .

(٩) مسلم (٢٩٧٠/٢٢) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : [2]ثنا إسماعيلُ ، حدَّثنى سليمانُ بنُ المغيرةِ ، عن حُميدِ ابنِ هلالٍ قال : قالت عائشةُ : بعَث إلينا آلُ أبى بكرٍ بقائمةِ شاةٍ ليلًا ، فأَمْسَك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقطَعتُ ، أو أَمْسَكتُ وقطَع . فقال الذى تحدِّثُه : أعَلَى غيرِ مِصباحٍ ؟ فقالت : لو كان عندَنا مصباحٌ لأْتدَمْنا به ، إن كان لَيأتى على آلِ محمدٍ ﷺ الشهرُ ما يَخْتَبِزون خبزًا ولا يَطْبُخون قِدْرًا[2] . وقد رواه أيضًا ، عن بَهْزِ بنِ أَسدٍ ، عن سليمانَ بنِ المغيرةِ ، وفى روايةٍ[3] : [٣/٤٥٦ظ] شهرين . تفرد به أحمدُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : [5]ثنا خلَفٌ ، ثنا أبو مَعْشَرٍ ، عن سعيدٍ ، هو ابنُ أبى سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال[5] : كان يَمُرُّ بآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ هلالٌ ثم هلالٌ لا يُوقِدون فى بيوتِهم النارَ لا لخبزٍ ولا لطَبيخٍ . قالوا : بأىِّ شىءٍ كانوا يعِيشون يا أبا هريرةَ ؟ قال : الأَسْوَدان ؛ التمرُ والماءُ ، وكان لهم جِيرانٌ مِن الأنصارِ ، جزاهم اللَّهُ خيرًا ، لهم مَنائحُ يُرسِلون إليهم شيئًا مِن لَبَنٍ . تفرد به أحمدُ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[6] مِن حديثِ منصورِ بنِ عبدِ الرحمنِ الحَجَبىِّ ، عن أمِّه ، عن عائشةَ قالت : تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد شَبِع الناسُ مِن الأسودَيْن ؛ التمرِ والماءِ .

---

(١) المسند ٦/ ٢١٧.

(٢ - ٢) التزمت المطبوعة (م) لفظ رواية بهز الآتى تخريجها بعد .

(٣) المسند ٦/ ٩٤.

(٤) المسند ٢/ ٤٠٥.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) مسلم (٢٩٧٥/٣٠) .

وقال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا بطعامٍ سُخْنٍ[2] فأكَل ، فلمَّا فرَغ قال : « الحمدُ للَّهِ ، ما دخَل بَطْنى طعامٌ سُخْنٌ[2] منذُ كذا وكذا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا عَمَّارٌ أبو هاشمٍ صاحبُ الزَّعْفرانىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن فاطمةَ ناوَلت رسولَ اللَّهِ ﷺ كِسْرةً مِن خبزِ شعيرٍ ، فقال : « هذا أولُ طعامٍ أكَله أبوكِ مِن ثلاثةِ أيامٍ » . تفرد به أحمدُ . وروَى الإمامُ أحمدُ عن عفانَ ، والترمذىُّ وابنُ ماجه جميعًا عن عبدِ اللَّهِ بنِ معاويةَ ، كلاهما[4] عن ثابتِ بنِ يزيدَ ، عن هلالِ بنِ خَبَّابٍ العَبْدىِّ الكوفىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَبِيتُ الليالىَ المُتتابعةَ طاويًا ، وأهلُه لا يجِدون عَشاءً ، وكان عامَّةَ خبزِهم خبزُ الشعيرِ . وهذا لفظُ أحمدَ .

وقال الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[5] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارمىُّ ، ثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غِياثٍ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ أبى يحيى الأسْلَمىِّ ، عن يزيدَ بنِ أبى أميَّةَ الأعْورِ ، عن يوسفَ[6] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ كِسْرةً مِن خبزِ الشَّعيرِ ، فوضَع عليها تمرةً ، وقال : « هذه إدامُ هذه » . وأكَل .

---

(١) ابن ماجه (٤١٥٠) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٠٦) .

(٢) فى الأصل : « سخين » .

(٣) المسند ٣/ ٢١٣. وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣١٢: رواه أحمد والطبرانى ... ورجالهما ثقات .

(٤) المسند ١/ ٢٥٥ . وقع فى مطبوعة المسند : « ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت » بزيادة « حماد » بين عفان وثابت ، وهو خطأ . انظر مسند أحمد تحقيق الشيخ شعيب ٤/ ١٥٠، وأطراف المسند ٣/ ٢٣٠، والترمذى (٢٣٦٠) ، وابن ماجه (٣٣٤٧) . (إسناد أحمد صحيح) .

(٥) الشمائل (١٧٦) . ضعيف (مختصر الشمائل ١٥٦) .

(٦) فى م ، ص : « أبى يوسف » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٥٠٩.

وفى الصحيحِ[1] مِن حديثِ الزهرىِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ قالت: كان أحَبَّ الشَّرابِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الحُلْوُ البارِدُ.

[2]وقال أبو عصامٍ[3] عن أنسٍ قال[4]: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فى الشرابِ ثلاثًا ويقولُ: «هو أرْوَى [5]وأبْرَأُ[5] وأمْرَى»[2].

وروَى البخارىُّ[6] مِن حديثِ قتادةَ، عن أنسٍ قال: ما أعْلَمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٤٥٧و] رأَى رغيفًا مُرَقَّقًا حتى لحِق باللَّهِ، ولا شاةً سَمِيطًا بعينِه قطُّ. وفى روايةٍ له عنه أيضًا[7]: ما أكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على خِوانٍ، ولا فى سُكُرُّجَةٍ[8]، ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ. فقلتُ لأنسٍ: فعلى ما كانوا يأكُلون؟ قال: على السُّفَرِ.

وله مِن حديثِ قتادةَ أيضًا[9]، عن أنسٍ، أنه مشَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بخُبْزِ شَعيرٍ وإهالةٍ سَنِخةٍ[10]، ولقد رهَن دِرعَه عندَ[11] يهودىٍّ، فأخَذ لأهلِه شَعيرًا،

---

(١) فى م، ص: «الصحيحين». والحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ٣٨، ٤٠، والترمذى فى سننه (١٨٩٥)، وفى الشمائل (١٩٧)، وغيرُهما. انظر المسند الجامع ٢٠/ ٧١. صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٥٤٥).

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى ١١١، ٤١: «عفان»، وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٨٧.

(٤) مسلم (٢٠٢٨/١٢٣).

(٥ - ٥) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح مسلم.

(٦) البخارى (٦٤٥٧).

(٧) البخارى (٥٤١٥).

(٨) الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. والسكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأُدْم، وهى فارسية. وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ - هى ما يؤتدم به - ونحوها. انظر النهاية ٢/ ٨٩، ٣٨٤.

(٩) البخارى (٢٠٦٩)، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٤٣، ٣٤٤، من طريق قتادة، واللفظ له.

(١٠) إهالة سنخة: كل شىء من الأدهان مما يؤتدم به إهالة. وقيل: هو ما أذيب من الأَلْية والشحم. وقيل: الدسم الجامد. والسنخة: المتغيرة الريح. النهاية ١/ ٨٤.

(١١) فى النسخ: «من». والمثبت من مصدرى التخريج.

ولقد سمِعْتُه ذاتَ يومٍ يقولُ : « ما أَمْسَى عندَ آلِ محمدٍ صاعُ تمرٍ ولا صاعُ حَبٍّ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عفانُ ، ثنا أبانُ بنُ يزيدَ ، ثنا قتادةُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يجْتَمِعْ له غَداءٌ ولا عَشاءٌ مِن خبزٍ ولحمٍ إلا على ضَفَفٍ[2] . ورواه الترمذيُّ فى « الشَّمائلِ »[3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الدارميِّ ، عن عفانَ ، وهذا الإسنادُ على شرطِ الشيخين .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[4] : حدثنا شعبةُ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، سمِعْتُ النعمانَ بنَ بَشيرٍ يقولُ : سمِعْتُ عمرَ بنَ الخطابِ يخْطُبُ ، فذكَر ما فتَح اللَّهُ على الناسِ ، فقال : لقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يلْتوِى مِن الجوعِ ، ما يجِدُ مِن الدَّقَلِ[5] ما يَمْلَأُ بطنَه . وأخرجه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[6] .

وفى « الصحيحِ »[7] أن أبا طلحةَ قال : يا أمَّ سُليمٍ ، لقد سمِعْتُ صوتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَعْرِفُ فيه الجُوعَ . وسيأتى الحديثُ فى « دلائلِ النبوةِ » .

وفى قصةِ أبى الهَيْثمِ بنِ التَّيِّهانِ[8] ، أن أبا بكرٍ وعمرَ خرَجا مِن الجُوعِ ،

---

(١) المسند ٣/ ٢٧٠.

(٢) الضفف : الضيق والشدة ؛ أى لم يشبع منهما إلا عن ضيق وقلة . وقيل : إن الضفف : اجتماع الناس يقال : ضف القوم على الماء يَضُفُّون ضَفًّا وضففًا . أى لم يأكل خبزًا ولحمًا وحده ؛ ولكن يأكل مع الناس . وقيل الضفف : أن تكون الأَكَلَة أكثر من مقدار الطعام ، والحَفَفَ أن تكون بمقداره . النهاية ٣/ ٩٥.

(٣) الشمائل (٣٦٠) . صحيح (مختصر الشمائل ١١٧) .

(٤) مسند أبى داود (٥٨) .

(٥) الدقل : ردىء التمر ويابسه . النهاية ٢/ ١٢٧.

(٦) مسلم (٢٩٧٨/٣٦) .

(٧) البخارى (٣٥٧٨، ٥٣٨١، ٦٦٨٨) ، وسيأتى مطولًا .

(٨) أخرجها البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٥٩- ٣٦٢، من عدة طرق ، بألفاظ مختلفة ، وكذا الترمذى (٢٣٦٩، ٢٣٧٠) ، وأبو يعلى (٧٨) ، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٢٥١- ٢٥٦ (٥٦٧، ٥٦٨) ، وابن حبان ، كما فى الإحسان (٥٢١٦) . كما أخرج مسلم (٢٠٣٨) ، نحو هذه القصة ولم يسمّ فيها صاحبها .

فبينما هما كذلك إذ خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « ما أخْرَجكما ؟ » فقالا : الجُوعُ . فقال : « والذى نفسى بيدِه لقد أخْرَجنىَ الذى أخْرَجكما » . فذهَبوا إلى حديقةِ أبى[1] الهَيْثمِ بنِ التَّيِّهانِ ، فأطْعَمهم رُطَبًا ، وذبَح لهم شاةً ، فأكَلوا وشرِبوا الماءَ البارِدَ ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا مِن النَّعيمِ الذى تُسْأَلون عنه » .

وقال الترمذىُّ[2] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى زيادٍ ، ثنا سَيَّارٌ ، ثنا سَهْلُ[3] بنُ أَسْلمَ ، عن يزيدَ بنِ أبى منصورٍ ، عن أنسٍ ، عن أبى طلحةَ قال : شكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الجُوعَ ، ورفَعْنا عن بطونِنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ ، فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] عن حجرَيْن . ثم قال : غريبٌ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[5] مِن حديثِ هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنها سُئلت [٣/٤٥٧ظ] عن فِراشِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : كان مِن أَدَمٍ حَشْوُه لِيفٌ .

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[6] : ثنا عَبَّادُ بنُ عَبَّادٍ المُهَلَّبىُّ ، عن مُجالدِ بنِ سعيدٍ ، عن الشعبىِّ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ قالت : دخَلَت علىَّ امرأةٌ مِن الأنصارِ فرأَت فِراشَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عَباءةً مَثْنِيَّةً ، فانطَلَقَتْ فبعَثتْ إلىَّ بفِراشٍ حَشْوُه الصوفُ ، فدخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « ما هذا يا عائشةُ ؟ » قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فلانةُ الأنصاريَّةُ دخَلَت علىَّ فرأَت فِراشَك فذهَبت فبعَثت

---

(١) سقط من : م .

(٢) الترمذى (٢٣٧١) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤١٣) .

(٣) فى م ، ص : « يزيد » ، وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٦٨.

(٤) بعده فى م : « عن بطنه » .

(٥) البخارى (٦٤٥٦) ، ومسلم (٢٠٨٢/٣٨) .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٤٥، من طريق الحسن بن عرفة به .

إليَّ بهذا . فقال : « رُدِّيه » . قالت : فلم أرُدَّه وأعْجَبنى أن يكونَ فى بيتى ، حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ . قالت : فقال : « رُدِّيه يا عائشةُ ، فواللَّهِ لو شئْتُ لأَجْرَى اللَّهُ معى جبالَ الذهبِ والفضةِ » .

وقال الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[1] : حدثنا أبو الخطابِ زيادُ بنُ يحيى البَصْرىُّ[2] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ ميمونٍ[3] ، ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه قال : سُئلت عائشةُ : ما كان فِراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بيتِك ؟ قالت : مِن أَدَمٍ حشوُه لِيفٌ . وسُئلت حفصةُ : ما كان فِراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قالت : مِسْحًا نَثْنِيه ثِنْيَتَيْنِ فينامُ عليه ، فلما كان ذاتَ ليلةٍ قلتُ : لو ثَنَيْتُه بأربعِ ثِنْياتٍ كان أوْطأَ له . فثنَيْناه له بأربعِ ثِنْياتٍ ، [4]فلما أصْبَح قال : « ما فَرَشْتُمونىَ الليلةَ ؟ » قالت : قلْنا : هو فِراشُك ، إلا أنا ثنَيْناه بأربعِ ثِنْياتٍ[4] . قلنا : هو أوطأُ لك . قال : « رُدُّوه لحالتِه الأولى ؛ فإنه منَعَتْنى وَطْأَتُه صلاتىَ الليلةَ » .

[5]وقال الطبرانىُّ[6] : حدثنا محمدُ بنُ أبانٍ الأصْبهانىُّ ، حدثنا محمدُ بنُ عُبادةَ الواسطىُّ ، حدثنا يعقوبُ بنُ محمدٍ الزهرىُّ ، حدثنا محمدُ بنُ إبراهيمَ ، حدثنا ابنُ لَهيعةَ ، عن أبى الأَسودِ ، عن عروةَ ، عن حَكيمِ بنِ حِزامٍ قال :[5]

---

(١) الشمائل (٣١٤) . ضعيف جدًّا (مختصر الشمائل ٢٨٣) .

(٢) فى ١١١، ص : « النضرى » ، وهو تصحيف ، انظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٢٣.

(٣) فى م : « مهدى » ، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٩٨.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ٤١، ص .

(٦) المعجم الكبير ٣/ ٢١٦ (٣٠٩٤) . وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٧٨: فيه يعقوب بن محمد الزهرى وضعفه الجمهور وقد وثق .

خرَجْتُ إلى اليمنِ فابْتَعْتُ حُلَّةَ ذى يَزَنَ ، فأَهْدَيْتُها إلى النبىِّ ﷺ [٢] فى المُدَّةِ التى كانت بينَه وبينَ قريشٍ فقال : « لا أَقْبلُ هديَّةَ مشركٍ » [٢] فردَّها ، فبِعْتُها فاشْتراها ، فلبِسها ثم خرَج على أصحابِه وهى عليه ، فما رأيْتُ شيئًا [٢] فى شىءٍ [٢] أحسنَ منه فيها ، فما مَلَكْتُ أن قلتُ :

ما يَنْظُرُ الحُكَّامُ بالفَضْلِ بعدَما ... بَدَا واضحٌ مِن غُرَّةٍ وحُجولِ
إذا قايسوه المجدَ أرْبَى عليهمُ ... كمُسْتَفْرِغٍ [٣] ماءَ الذِّنابِ [٤] سَجِيلِ [٥]

فسمِعها النبىُّ ﷺ فالتفَت إلىَّ يتَبَسَّمُ ، ثم دخَل فكَساها أسامةَ بنَ زيدٍ [١] .

وقال [٣/٤٥٨و] الإمامُ أحمدُ [٦] : حدثنى [٧] حسينُ بنُ [٧] علىٍّ ، عن زائدةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ قال : حدثنى رِبْعىُّ بنُ حِراشٍ ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو ساهمُ الوجهِ . قالت : فحسِبْتُ ذلك مِن وَجَعٍ . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أراك ساهمَ الوجهِ ، أفمِن وَجَعٍ ؟ فقال : « لا ، ولكنَّ الدنانيرَ السبعةَ التى أُتِينا بها [٧] أمسِ ، أمْسَيْنا [٧] ولم نُنْفِقْها ، نُسِّيتُها فى خُصْمِ [٨] الفِراشِ » . تفرد به أحمدُ .

(١ - ١) سقط من : ١١١، ٤١، ص .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) فى النسخ ، والمعجم الكبير : « بمستفرغ » . والمثبت من المجمع .
(٤) فى الأصل : « الرباب » . والذناب : جمع ذنوب : وهى الدلو فيها ماءٌ .
(٥) سجيل : سجَل الماءَ : صبَّه فهو مسجول أى مصبوب . انظر الوسيط (س ج ل) .
(٦) المسند ٦/ ٣١٤. قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٣٨: رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالهما رجال الصحيح .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ١١١، ٤١، ص .
(٨) فى ١١١: « خضم » وهما بمعنى . وخُصْم كل شىء : طرفه وجانبه ، وجمعه خصوم وأخصام . النهاية ٢/ ٣٨، ٤٤.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا أبو سَلَمةَ قال : أنا بكرُ بنُ مُضَرَ ، ثنا موسى بنُ جُبيرٍ ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلٍ قال : دخَلْتُ أنا وعروةُ بنُ الزبيرِ يومًا على عائشةَ ، فقالت : لو رأيْتُما نبيَّ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ فى مرضٍ مَرِضَه[2] . قالت : وكان له عندى سِتَّةُ دَنانيرَ . قال موسى : أو سبعةٌ . قالت : فأمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن أُفَرِّقَها . قالت : فشغَلنى وجَعُ نبيِّ اللَّهِ ﷺ حتى عافاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ . قالت : ثم سأَلنى عنها فقال : « ما فعَلَتِ الستةُ ؟ » قال : أو « السبعةُ ؟ » . قلتُ : لا واللَّهِ لقد كان شغَلنى عنها وَجَعُك . قالت : فدَعا بها ثم صفَّها فى كَفِّه ، فقال : « ما ظنُّ نبيِّ اللَّهِ لو لَقِىَ اللَّهَ وهذه عندَه ؟ » تفرد به أحمدُ .

وقال قُتَيْبةُ : ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَدَّخِرُ شيئًا لغدٍ . وهذا الحديثُ فى « الصحيحِ »[3] .

والمرادُ أنه كان لا يَدَّخِرُ شيئًا لغدٍ مما يُسْرِعُ إليه الفسادُ كالأطعمةِ ونحوِها ؛ لِما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[4] عن عمرَ ، أنه قال : كانت أموالُ بنى النَّضيرِ مما أفاء اللَّهُ على رسولِه ﷺ ، مما لم يُوجِفِ المسلمون عليها بخيلٍ ولا رِكابٍ[5] ، فكان يَعْزِلُ نفقةَ أهلِه سنةً ، ثم يَجْعَلُ ما بَقِىَ فى الكُراعِ والسلاحِ عُدَّةً فى سبيلِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

---

(١) المسند ٦/ ١٠٤. صحيح . انظر السلسلة الصحيحة ١٠١٤.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م : « الصحيحين » ، وهو ليس فى أى منهما ، والحديث أخرجه الترمذى (٢٣٦٢) عن قتيبة به . ومن طريق قتيبة أخرجه ابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان (٦٣٥٦، ٦٣٧٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٢٥) ، وانظر تحفة الأشراف ١/ ١٠٦، ١٠٧.

(٤) البخارى (٢٩٠٤) ، ومسلم (١٧٥٧/٤٨) .

(٥) بعده فى مصدرى التخريج : « فكانت لرسول اللَّه ﷺ خاصة » .

ومما يؤيِّدُ ما ذكَرْناه ما رواه الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ قال : أخبرنى هلالُ بنُ سُوَيْدٍ أبو مُعَلَّى قال : سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ وهو يقولُ : أُهْدِيَتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثةُ طَوائرَ ، فأَطْعَم خادمَه طائرًا ، فلما كان مِن الغدِ أتَتْه به ، فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألم أنْهَكِ أن ترْفَعى شيئًا لغدٍ ؛ فإن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، يأتى برزقِ كلِّ غدٍ » .

حديثُ بلالٍ فى ذلك : قال البيهقىُّ[2] : ثنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ ، أنا أبو محمدٍ[3] جعفرُ بنُ نُصَيْرٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَصْرىُّ ، ثنا بَكَّارُ بنُ محمدٍ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ عَونٍ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل على بلالٍ ، فوجَد عندَه صُبَرًا مِن تمرٍ ، فقال : « ما هذا يا بلالُ ؟ » قال: تمرٌ أدَّخِرُه . قال : « ويحَك يا بلالُ ! أَوَ ما تَخافُ أن يكونَ له بُخارٌ فى النارِ ؟ [٣/ ٤٥٨ظ] أَنْفِقْ بلالُ ، ولا تَخْشَ مِن ذى العَرْشِ إقْلالًا » .

قال البيهقىُّ[4] بسندِه عن أبى داودَ السِّجِسْتانىِّ وأبى حاتمٍ الرازىِّ ، كلاهما عن أبى تَوْبةَ الربيعِ بنِ نافعٍ ، حدثنى معاويةُ بنُ سَلَّامٍ ، عن زيدِ بنِ سَلَّامٍ ، حدثنى عبدُ اللَّهِ الهَوْزَنىُّ[5] قال : لقِيتُ بلالًا مُؤذِّنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بحَلَبَ ، فقلتُ : يا بلالُ ، حدِّثْنى كيف كانت نَفَقَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : ما كان له شىءٌ [6]مِن ذلك[6] إلا أنا الذى كنتُ أَلِى ذلك منه منذُ بعَثه اللَّهُ إلى أن تُوُفِّىَ ، فكان إذا أتاه

---

(١) المسند ٣/ ١٩٨. ضعيف (ضعيف الجامع الصغير ١٢١٩).

(٢) دلائل النبوة ١/ ٣٤٧.

(٣) بعده فى م ، ص : « بن » . وهو خطأ . انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٣٤٨. كما أخرجه أبو داود فى سننه (٣٠٥٥) . وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام جزء السيرة النبوية ص ٤٧١- ٤٧٣. صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٦٢٨).

(٥) فى ١١١: « الهوزلى » ، وفى م ، ص : « الهورينى » ، وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٨٥.

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

الإنسانُ المُسلِمُ[1] فرآه عاريًا[2] ، يأمُرُنى فأَنْطلقُ فأسْتَقْرِضُ فأشْترى البُرْدَةَ والشىءَ فأَكْسوه وأُطْعِمُه ، حتى اعترَضَنى رجلٌ مِن المشركين ، فقال : يا بلالُ ، إن عندى سَعَةً فلا تَسْتَقْرِضْ مِن أحدٍ إلا منى . ففعَلْتُ ، فلما كان ذاتَ يومٍ توضَّأْتُ ، ثم قمتُ لأُؤذِّنَ بالصلاةِ ، فإذا المشركُ فى عِصابةٍ مِن التُّجَّارِ ، فلما رآنى قال : يا حبَشىُّ . قال : قلتُ : يا لبَّيْه . فتجَهَّمَنى ، وقال قولًا عظيمًا أو غليظًا ، وقال : أَتدْرِى كم بينَك وبينَ الشهرِ ؟ قلتُ : قريبٌ . قال إنما بينَك وبينَه أربعُ ليالٍ فآخُذُك بالذى لى عليك ، فإنى لم أُعْطِك الذى أَعْطَيْتُك مِن كَرامتِك ، ولا مِن كَرامةِ صاحبِك ، وإنما أَعْطَيْتُك لتجِبَ[3] لى عبدًا فأذَرَك تَرْعَى الغنمَ ، كما كنتَ قبلَ ذلك . قال : فأخَذ[4] فى نفسى ما يأخُذُ فى أنفسِ الناسِ ، فانْطَلَقْتُ ثم أذَّنْتُ بالصلاةِ ، حتى إذا صليْتُ العَتَمةَ ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِه ، فاستأْذَنْتُ عليه ، فأذِن لى ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت وأمى ، إن المشركَ الذى ذكَرْتُ لك أنى كنتُ أتَدَيَّنُ منه قد قال كذا وكذا ، وليس عندَك ما يَقْضى عنى ، ولا عندى ، وهو فاضحى ، فأْذَنْ لى أن آتىَ بعضَ هؤلاء الأحْياءِ الذين قد أسْلَموا حتى يَرْزُقَ اللَّهُ رسولَه ﷺ ما يَقْضى عنى . فخرَجْتُ حتى أتيْتُ منزلى فجعَلْتُ سيفى وجِرابى ورُمْحى ونَعْلى عندَ رأسى ، فاسْتَقْبَلْتُ بوجهى الأُفُقَ ، فكلما نِمْتُ انتبَهْتُ ، فإذا رأيْتُ علىَّ ليلًا نِمْتُ حتى انشق عمودُ الصبحِ الأوَّلِ فأرَدْتُ أن أنطلقَ ، فإذا إنسانٌ يسعى[5] يدعو : يا بلالُ ، أجِبْ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فانْطَلَقْتُ

---

(١) فى سنن أبى داود : « مسلما » .

(٢) فى ا ٤ : « عريانا » ، وفى م ، ص : « عائلا » .

(٣) فى م : « لتصير » وهو لفظ رواية تاريخ الإسلام . وفى ص : بياض .

(٤) فى ا ٤ ، م ، ص : « فأخذنى » وهو لفظ رواية تاريخ الإسلام .

(٥) سقط من : م .

حتى أتيتُه[1] ، فإذا أربعُ رَكائبَ عليهن أحْمالُهن ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فاستأذَنْتُ ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أبْشِرْ فقد جاءك اللَّهُ [2]بقَضاءِ دَيْنِك[2] » . فحمِدْتُ اللَّهَ وقال : « ألم تمُرَّ على الرَّكائبِ المُناخاتِ الأرْبعِ ؟ » قال : قلتُ : بلى . قال : « فإن لك رِقابَهن وما عليهن » . فإذا [٣/ ٤٥٩و] عليهن كِسوةٌ وطَعامٌ أهْداهن له عظيمُ فَدَكَ . « فاقْبِضْهن إليك ، ثم اقْضِ دَيْنَك » . قال : ففعَلْتُ فحطَطْتُ عنهن أحْمالَهن ، ثم عَقَلْتُهنَّ[3] ، ثم عمَدْتُ إلى تأذينِ صلاةِ الصبحِ حتى إذا صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ خرَجْتُ إلى البَقيعِ ، فجعَلْتُ أُصبُعى فى أُذنى ، فناديتُ[4] فقلتُ : مَن كان يَطْلُبُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ دَيْنًا فلْيَحْضُرْ . فمازِلْتُ أبيعُ وأقضى ، وأَعْرِضُ [5]وأَقْضِى[5] حتى لم يَبْقَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ دَيْنٌ فى الأرضِ حتى فضَل عندى أُوقِيَّتان أو أوقيَّةٌ ونصفٌ ، ثم انطَلَقْتُ إلى المسجدِ وقد ذهَب عامَّةُ النَّهارِ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قاعدٌ فى المسجدِ وحدَه ، فسلَّمْتُ عليه ، فقال لى : « ما فعَل ما قِبَلَك ؟ » قلتُ : قد قضَى اللَّهُ كلَّ شىءٍ كان على رسولِ اللَّهِ ﷺ فلم يَبْقَ شىءٌ . قال : « فضَل شىءٌ ؟ » قلتُ : نعم ، ديناران . قال : « انْظُرْ أن تُريحَنى منهما ، فلسْتُ بداخلٍ على أحدٍ مِن أهلى حتى تُريحَنى منهما » . قال[6] : فلم يَأْتِنا أحدٌ ، فبات فى المسجدِ حتى أصْبَح ، وظلَّ فى المسجدِ اليومَ الثانىَ حتى إذا[7] كان فى آخرِ النهارِ جاء راكبان فانطلَقْتُ بهما

---

(١) فى ١١١، م، ص: «آتيه».

(٢ - ٢) فى مصادر التخريج: «بقضائك».

(٣) فى ١١١: «علقتهن»، وفى م، ص: «علفتهن».

(٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) سقط من: ٤١، م، ص.

(٦) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

(٧) سقط من: الأصل، ١١١، وليس فى الدلائل.

فكَسَوْتُهما وأطْعَمْتُهما ، حتى إذا صلَّى العَتَمةَ دعانى فقال : « ما فعَل الذى قِبَلَك ؟ » قلتُ : قد أراحك اللَّهُ منه . فكبَّر وحمِد اللَّهَ شَفَقًا مِن أن يُدْرِكَه الموتُ وعندَه ذلك ، ثم اتَّبَعْتُه حتى جاء أزواجَه ، فسلَّم على امرأةٍ امرأةٍ حتى أتَى مَبِيتَه ، فهذا الذى سألْتَنى عنه .

وقال الترمذىُّ فى « الشَّمائلِ »[1] : حدثنا هارونُ بنُ موسى بنِ أبى عَلْقمةَ المَدِينىُّ ، حدثنى أبى ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه ، عن عمرَ ابنِ الخطابِ ، أن رجلًا جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فسأَله أن يُعْطِيَه ، فقال : « ما عندى ما أُعْطِيك ، ولكن ابْتَعْ علىَّ[2] ، فإذا جاءنى شىءٌ قضَيْتُه » . فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد أعْطَيْتَه ، فما كلَّفك اللَّهُ ما لا تَقْدِرُ عليه . فكرِه النبىُّ ﷺ قولَ عمرَ ، فقال رجلٌ مِن الأنصارِ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَنْفِقْ ولا تَخَفْ مِن ذى العرشِ إقلالًا . فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وعُرِف [3]التبسُّمُ فى وجهِه[3] ؛ لقولِ الأنصارىِّ ، وقال : « بهذا أُمِرْتُ » . وفى الحديثِ[4] : « ألا إنهم لَيَسْأَلونى ويأْبَى اللَّهُ لىَ[5] البخلَ » . وقال يومَ حُنَيْنٍ حينَ سأَلوه قَسْمَ الغَنائمِ : « واللَّهِ لو أن عندى عددَ هذه العِضاهِ نَعَمًا لقسَمْتُها فيكم ، ثم لا تجِدونى بَخِيلًا ولا جَبانًا[6] ولا كَذَّابًا » صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم[7] .

---

(١) الشمائل (٣٤٠) .

(٢) بعده فى م : « شيئا » .

(٣ - ٣) فى الشمائل : « فى وجهه البشر » .

(٤) المسند ١٦/٣ بنحوه .

(٥) فى م ، ص : « على » .

(٦) فى م : « ضانا » .

(٧) البخارى (٢٨٢١، ٣١٤٨) .

وقال الترمذيُّ[1] : ثنا عليُّ بنُ حُجْرٍ ، ثنا شَريكٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ ، عن الرُّبَيِّعِ بنتِ [٣/ ٤٥٩ظ] مُعَوِّذِ ابنِ عَفْراءَ[2] قالت : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بِقِناعٍ[3] مِن رُطَبٍ ، وأجْرٍ زُغْبٍ[4] ، فأعْطانى مِلْءَ كفِّه حُلِيًّا أو ذهبًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا سفيانُ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عَطيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « كيف أنْعَمُ وقد الْتَقَم صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وحَنَى جَبْهتَه وأصْغَى سمعَه ينْتَظِرُ متى يُؤْمَرُ » . قال المسلمون : يا رسولَ اللَّهِ ، فما نقولُ ؟ قال : « قولوا : حسبنُا اللَّهُ ونعم الوكيلُ ، على اللَّهِ توكَّلْنا » . ورواه الترمذيُّ[6] ، عن ابنِ أبى عمرَ ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن مُطَرِّفٍ ، ومِن حديثِ خالدِ بنِ طَهْمانَ ، كلاهما عن عطيَّةَ ، [7]وهو ابنُ سعدٍ العَوْفىُّ الجَدَلِىُّ[7] أبو الحسنِ الكوفىُّ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ . قلتُ : وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ عنه مِن حديثِ ابنِ عباسٍ ، كما سيأتى فى موضعِه .

ومِن تَواضُعِه[8] ، عليه الصلاةُ والسلامُ . قال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ ماجه[9] : حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانُ ، ثنا عمرُو بنُ محمدٍ العَنْقَزِىُّ[10] ،

---

(١) الشمائل (٣٤١) .

(٢) فى م : « عمر » ، وهو خطأ .

(٣) القِناع : الطبق الذى يؤكل عليه . النهاية ٤/ ١١٥.

(٤) فى م : « زعنب » . وأجرٍ : جمع جَرْو وهو القثاء ، وزغب : صغار . انظر الوسيط (ج ر و) والنهاية ٢/ ٣٠٤.

(٥) المسند ٣/ ٧.

(٦) الترمذى (٢٤٣١، ٣٢٤٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٨٥) .

(٧ - ٧) فى الأصل : « أبى سعيد المقرى البجلى » ، وفى ١١١، ٤١ : « وهو أبو سعيد العوفى البجلى » ، وفى م ، ص : « أبى سعيد العوفى البجلى » ، والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٤٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٧٩.

(٨) تقدم فصل مفرد فى تواضعه ﷺ صفحة ٤٨١ .

(٩) ابن ماجه (٤١٢٧) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٢٩) .

(١٠) سقط من : م . وفى ٤١ : « العنبرى » .

ثنا أَسْباطُ بنُ نصْرٍ، عن السُّدِّىِّ، عن أبى سعدٍ[1] الأزْدىِّ - وكان قارئَ الأزْدِ - عن أبى الكَنُودِ، عن خَبَّابٍ فى قولِه تعالى[2]: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قولِه: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]. قال: جاء الأقْرَعُ بنُ حابسٍ التَّميمىُّ، وعُيَينةُ بنُ حِصْنٍ الفَزارىُّ، فوجدُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مع صُهَيبٍ وبلالٍ وعمارٍ وخَبَّابٍ قاعدًا فى ناسٍ مِن الضُّعفاءِ مِن المؤمنين، فلما رأَوْهم حولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حَقَروهم، فأتَوْا فَخَلَوْا به وقالوا: إنَّا نريدُ أن تَجْعَلَ لنا منك مَجْلِسًا تَعْرِفُ لنا به العربُ فضْلَنا، فإن وفودَ العربِ تأْتيك فنَسْتحى أن تَرانا العربُ مع هذه الأَعْبُدِ، فإذا نحن جِئْناك فأَقِمْهم عنك، فإذا نحن فرَغْنا فاقْعُدْ معهم إن شئتَ. قال: «نعم». قالوا: فاكْتُبْ لنا عليك كتابًا. قال: فدَعا بصَحيفةٍ، ودَعا عليًّا ليَكْتُبَ، ونحن قُعودٌ فى ناحيةٍ، فنزَل جبريلُ، عليه السلامُ، فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. ثم ذكَر الأقرعَ بنَ حابسٍ وعُيَيْنةَ بنَ حِصْنٍ فقال[3]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣]. ثم قال[4]: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]. قال: فدَنَوْنا منه حتى [٣/ ٤٦٠و] وضَعْنا رُكَبَنا على رُكْبتِه، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ معنا، فإذا أراد أن يقومَ قام وترَكَنا، فأنْزَل اللَّهُ عز

---

(١) فى الأصل، ١١١، ٤١: «سعيد». وهو مما قيل فى اسمه. انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٤٤.

(٢) التفسير ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) التفسير ٣/ ٢٥٥- ٢٥٧.

(٤) التفسير ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨.

وجل[1] : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [2]ولا تُجالِسِ الأشْرافَ[2] ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ .يعنى عُيَيْنةَ والأقرعَ ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] . قال : هَلَاكًا . قال : أمْرُ عُيينةَ والأقرعِ . ثم ضرَب لهم مَثَلَ الرجلين ومَثَلَ الحياةِ الدنيا . قال خَبَّابٌ : فكنا نَقْعُدُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فإذا بلَغْنا الساعةَ التى يقومُ قُمْنا وترَكْناه حتى يقومَ .

ثم قال ابنُ ماجه[3] : حدثنا يحيى بنُ حَكيم ، ثنا أبو داودَ ، ثنا قيسُ بنُ الرَّبيعِ ، عن المِقْدامِ بنِ شُرَيحٍ ، عن أبيه ، عن سعدٍ[4] قال : نزَلت هذه الآيةُ فينا ستةٍ ؛ فيَّ وفى ابنِ مسعودٍ وصُهَيْبٍ وعمَّارٍ والمِقْدادِ وبلالٍ . قال : قالت قريشٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنا لا نَرْضَى أن نكونَ أتْباعًا لهم ، فاطْرُدْهم عنك . قال : فدخَل قلبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن ذلك ما شاء اللَّهُ أن يَدْخُلَ ، فأنْزَلَ اللَّهُ عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ الآية .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[5] : أنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأصْفَهانىُّ[6] ، أنا أبو سعيدِ بنُ الأعْرابىِّ ، ثنا أبو الحسينِ[7] خلَفُ بنُ محمدٍ الواسطىُّ كُرْدُوسٌ[8] ،

---

(١) التفسير ٥/ ١٤٨، ١٤٩.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) ابن ماجه (٤١٢٨). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٣٠).

(٤) سعد هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه. وانظر صحيح مسلم (٢٤١٣/٤٦).

(٥) دلائل النبوة ١/ ٣٥١.

(٦) كذا فى النسخ. وفى الدلائل، ومصادر ترجمته: «الأصبهانى»، وأصل هذه الكلمة: «أسبهان» وهى فارسية تعرب بالباء والفاء، وانظر الأنساب ١/١٧٥ حاشية (٢).

(٧) فى م، ص: «الحسن»، وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٩٤.

(٨) فى م: «الدوس». وانظر تهذيب الكمال الموضع السابق.

ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ الضُّبَعيُّ ، ثنا المُعَلَّى بنُ زيادٍ ، يعنى عن العَلاءِ بنِ بَشيرٍ المازنيِّ ، ثنا أبو الصِّدِّيقِ النَّاجِيُّ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ قال : كنتُ فى عِصابةٍ مِن المهاجرين جالسًا معهم ، وإنَّ بعضَهم لَيَسْتَتِرُ ببعضٍ مِن العُرْيِ ، وقارئٌ لنا يقرأُ علينا ، فكنا نسْمَعُ إلى كتابِ اللَّهِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحمدُ للَّهِ الذى جعَل مِن أمتى مَن أُمِرْتُ أن أَصْبِرَ معهم نفسى » . [1] قال : ثم جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ وسْطَنا ليَعدِلَ بيننا نفسَه فينا ، ثم قال بيدِه هكذا [1] . قال : فاستدارت الحَلْقةُ وبرَزت وجوهُهم . قال : فما عرفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أحدًا منهم غيرى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْشِروا مَعاشرَ صَعاليكِ المهاجرين بالنورِ التامِّ [2] يومَ القيامةِ ، تدْخُلون الجنةَ [3] قبلَ الأغنياءِ بنصفِ يومٍ ، وذلك خمسُمائةِ عامٍ » .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والترمذيُّ ، مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن حُميدٍ ، عن أنسٍ [4] قال : لم يكُنْ شخصٌ أحبَّ إليهم مِن رسولِ اللَّهِ [٣/ ٤٦٠ظ] ﷺ . قال : وكانوا إذا رأَوْه لم يقوموا ؛ لما يعْلَمون مِن كَراهيتِه لذلك .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) سقط من : م .

(٤) المسند ٣/ ١٣٢، ١٥١، والترمذى (٢٧٥٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٢١١) . ولم نجده عند أبى داود ، انظر تحفة الأشراف ١/ ١٨٢، وجامع المسانيد للمصنف ٢/ ٣٦٩.

فصلٌ فى[1] عبادتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، واجتهادِه فى ذلك

قالت عائشةُ[2]، رضىَ اللَّهُ عنها: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يصومُ حتى نقولَ: لا يُفْطِرُ. ويُفْطِرُ حتى نقولَ: لا يصومُ. وكان[3] لا تشاءُ تراه مِن الليلِ قائمًا إلَّا رأيتَه، ولا تَشاءُ تراه نائمًا إلا رأيتَه. قالت[4]: وما زاد رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رمضانَ ولا[5] فى غيرِه على إحْدى عشْرةَ ركعةً، يصلِّى أربعًا، فلا تسألْ عن حُسْنِهن وطُولِهن، ثم يصلِّى أربعًا، فلا تَسأَلْ عن حُسْنِهن وطُولِهن، ثم يُوتِرُ بثلاثٍ. قالت[6]: وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقرأُ السورةَ فيُرَتِّلُها حتى تكونَ أطْولَ مِن أطولَ منها. قالت[7]: ولقد كان يقومُ حتى أَرْثِىَ له؛ مِن شدةِ قيامِه.

وذكَر ابنُ مسعودٍ[8] أنه صلَّى معه ليلةً فقرَأ فى الركعةِ الأولى بالبقرةِ والنساءِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) أخرجه البخارى (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦/١٧٥)، والنسائى (٢١٧٦)، وابن خزيمة فى صحيحه (١١٦٣). من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخارى (١١٤١، ١٩٧٢، ١٩٧٣)، وابن حبان (الإحسان ٢٦١٧). من حديث أنس.

(٤) أخرجه البخارى (١١٤٧، ٢٠١٣، ٣٥٦٩)، ومسلم (٧٣٨/١٢٥)، وأبو داود (١٣٤١)، والترمذى (٤٣٩)، والنسائى (١٦٩٦)، وابن خزيمة (١١٦٦)، وابن حبان (الإحسان ٢٤٣٠). كلهم من حديث عائشة.

(٥) سقط من: م، ص.

(٦) أخرجه مسلم (٧٣٣)، والترمذى (٣٧٣)، والنسائى (١٦٥٧)، وابن حبان (الإحسان ٢٥٨٠). من حديث حفصة.

(٧) لم نجد هذا الأثر فيما بين أيدينا من مصادر.

(٨) كذا فى النسخ، وإنما هو من حديث حذيفة عند مسلم (٧٧٢)، والنسائى (١٠٠٨، ١١٣٢، ١٦٦٣).

وآلِ عمرانَ ، ثم ركَع قريبًا مِن ذلك ، ورفَع نحوَه وسجَد نحوَه

وعن أبى ذَرٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام ليلةً حتى أصْبَح يَقْرَأُ هذه الآيةَ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] . رواه أحمدُ[(١)] .

وكلُّ هذا فى « الصحيحَيْن » وغيرِهما مِن الصِّحاحِ ، وموضعُ بَسْطِ هذه الأشياءِ فى كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْن »[(٢)] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن زيادِ بنِ عِلاقةَ ، عن المغيرةِ بنِ شعبةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام حتى تفَطَّرَتْ قدَماه ، فقيل له : أليس قد غفَر اللَّهُ لك ما تقدم مِن ذنبِك وما تأخر ؟! قال : « أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا » .

وتقدم[(٣)] فى حديثِ سَلَّامِ بنِ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « حُبِّب إلىَّ الطِّيبُ والنساءُ ، وجُعِلت قُرَّةُ عينى فى الصلاةِ » . رواه أحمدُ والنسائىُّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٤)] : ثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أخبرنى علىُّ بنُ زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن جبريلَ قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إنه[(٥)] قد حُبِّب إليك الصلاةُ ، فخُذْ منها ما شئتَ .

---

(١) المسند ٥/ ١٤٩، ١٥٦، ١٧٠، من حديث أبى ذر مطولًا .

(٢) البخارى (٤٨٣٦) ، ومسلم (٢٨١٩/٨٠) .

(٣) تقدم فى صفحة ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٤) المسند ١/ ٢٥٥. (إسناده صحيح) .

(٥) زيادة من المسند .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] عن أبى الدَّرْداءِ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى شهرِ رمضانَ فى حرٍّ شديدٍ ، وما فينا صائمٌ إلا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ .

وفى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقمةَ قال : سأَلْتُ عائشةَ ، رضىَ اللَّهُ عنها : هل كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٤٦١و] يَخُصُّ شيئًا مِن الأيامِ ؟ قالت : لا ، كان عملُه دِيمةً ، وأيُّكم يَسْتطيعُ ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يستطيعُ ؟!

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] مِن حديثِ أنسٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وأبى هريرةَ وعائشةَ ، رضىَ اللَّهُ عنهم ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُواصِلُ ، ونهَى أصحابَه عن الوِصالِ وقال : « إنى لسْتُ كأحدِكم ، إنى أَبِيتُ عندَ رَبِّى يُطْعِمُنى ويَسْقِينى » .

والصحيحُ أن هذا الإطعامَ والسُّقْيا معنويَّان ، كما ورَد فى الحديثِ الذى رواه [4]ابنُ ماجه[4] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تُكْرِهوا مَرْضاكم على الطعامِ والشرابِ ؛ فإن اللَّهَ يُطْعِمُهم ويَسْقِيهم » . وما أحسنَ ما قال بعضُهم :

لها أحاديثُ مِن ذِكْراكَ تَشْغَلُها ... عن الشرابِ وتُلْهِيها عن الزادِ

وقال النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ[5] ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى

---

(١) البخارى (١٩٤٥) ، ومسلم (١١٢٢) .

(٢) البخارى (١٩٨٧، ٦٤٦٦) ، ومسلم (٧٨٣/٢١٧) .

(٣) البخارى (١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٤- ١٩٦٦، ٦٨٥١، ٧٢٤١، ٧٢٤٢، ٧٢٩٩) ، ومسلم (١١٠٢، ٥٨/ ١١٠٣، ١١٠٥) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « ابن عاصم عن » . وبعده فيهما بياض بقدر كلمة . والحديث عند ابن ماجه (٣٤٤٤) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢٧٧٧) .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٥٦، من طريق النضر بن شميل به .

هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه فى اليومِ[1] مائةَ مرَّةٍ » .

وروَى البخاريُّ[2] ، عن الفِرْيابيِّ ، عن الثوريِّ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن عَبِيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : قال لى[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اقْرَأْ علىَّ » . فقلت : آقْرأُ عليك وعليك أُنْزِل ؟ فقال : « [4]إنى أُحِبُّ أن أسْمَعَه مِن غيرى[4] » . قال : فقرَأْتُ سورةَ النساءِ حتى إذا بلَغْتُ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] . قال : « حَسْبُك » . فالتفَتُّ فإذا عيناه تَذْرِفان .

وثبَت فى الصحيحِ[5] أنه عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان يجِدُ التمرةَ على فِراشِه فيقولُ : « لولا أنى أخْشَى أن تكونَ مِن الصدقةِ لأكَلْتُها » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا وَكيعٌ ، ثنا أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن عمرِو بنِ شُعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وجَد تحتَ جنبِه تمرةً مِن الليلِ ، فأكَلها ، فلم ينَمْ تلك الليلةَ ، فقال بعضُ نسائِه : يا رسولَ اللَّهِ ، أرِقْتَ الليلةَ[7] . قال : « إنى وجَدْتُ تحتَ جنبى تمرةً فأكَلْتُها ، وكان عندَنا تمرٌ مِن تمرِ الصدقةِ ، فخشِيتُ أن تكونَ منه » . تفرد به أحمدُ . وأسامةُ بنُ زيدٍ هذا هو الليثيُّ ؛ مِن

---

(١) فى الدلائل : « كل يوم » .
(٢) البخارى (٥٠٥٠) .
(٣) سقط من : الأصل ، ١١١ ، م ، ص .
(٤ - ٤) فى البخارى : « نعم » . والمثبت من النسخ لفظ رواية مسلم (٨٠٠) .
(٥) البخارى (٢٤٣٢) .
(٦) المسند ٢/ ١٩٣ . (إسناده صحيح) .
(٧) فى المسند : « البارحة » .

رجالِ مسلمٍ[1] . والذى نعْتَقِدُ : أن هذه التمرةَ لم تكُنْ مِن تمرِ الصدقةِ ؛ لعِصْمتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ولكن مِن كمالِ وَرَعِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أَرِق تلك الليلةَ .

وقد ثبَت عنه فى الصحيحِ[2] أنه قال : « واللَّهِ إنى لَأتْقاكم للَّهِ وأعلمُكم بما أَتَّقِى » . وفى الحديثِ الآخرِ أنه قال[3] : « دَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك » .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[4][5] ، عن ثابتٍ ، عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن أبيه قال : أتيْتُ [٣/ ٤٦١ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يصلِّى ، ولجوفِه أَزِيزٌ كأَزيزِ المِرْجَلِ . وفى روايةٍ[6] : وفى صدرِه أَزِيزٌ كأَزِيزِ الرَّحَى مِن البُكاءِ .

وروَى البيهقىُّ[7] مِن طريقِ أبى كُرَيْبٍ محمدِ بنِ العَلاءِ الهَمْدانىِّ ، ثنا معاويةُ بنُ هشامٍ ، عن شَيْبانَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، أراك شِبْتَ . فقال : « شيَّبَتْنى هودٌ والواقعةُ والمُرْسَلاتُ ، وعمَّ يَتَساءلون ، وإذا الشمسُ كُوِّرَتْ » .

---

(١) انظر ترجمة أسامة هذا فى تهذيب الكمال ٢/ ٣٤٧.

(٢) البخارى (٢٠) ، ومسلم (١١١٠) ، من حديث عائشة بنحوه .

(٣) سقط من : ص . والحديث أخرجه الترمذى (٢٥١٨) ، والنسائى (٥٧٢٧) ، وأحمد فى المسند ١/ ٢٠٠. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٤٥) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٢٥، والنسائى (١٢١٣) ، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٥٧، كلهم من طريق حماد بن سلمة به . صحيح (صحيح سنن النسائى ١١٥٦) .

(٥) بعده فى النسائى : « عن سلمة » . وأشار محققو النسائى فى الحاشية إلى أنها سقطت من نسخة النظامية . وإنما جاء الحديث هكذا - بدون زيادة النسائى : « عن سلمة » - فى سائر مصادر التخريج الماضية والآتية بعد . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٣٥٩.

(٦) أبو داود (٩٠٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ٣٥٧. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٧٩٩) .

(٧) دلائل النبوة ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.

وفى روايةٍ له[1] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن معاويةَ بنِ[2] هشامٍ ، عن شَيْبانَ ، عن فِراسٍ ، عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ، أسْرَع إليك الشَّيْبُ . فقال : « شيَّبَتْنى هودٌ وأخواتُها ؛ الواقعةُ ، وعمَّ يتساءلون ، وإذا الشمسُ كُوِّرت » .

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٣٥٨.

(٢) فى م ، ص : « عن » .

فصلٌ فى شجاعتِه ﷺ[1]

ذكَرْنا فى «التفسيرِ»[2] عن بعضِ السلفِ أنه استَنْبط مِن قولِه تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]. أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان مأمورًا أن لا يَفِرَّ مِن المشركين إذا واجهوه ولو كان وحدَه، مِن قولِه: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾. وقد كان صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مِن أشجعِ الناسِ وأَصْبَرِ الناسِ وأجْلَدِهم، ما فرَّ قطُّ مِن مَصافٍّ ولو تولَّى عنه أصحابُه. قال بعضُ الصحابةِ: كُنّا إذا اشتدَّت الحربُ وحَمِيَ البأسُ[3] نَتَّقِى برسولِ اللَّهِ ﷺ. ففى يومِ بدرٍ رمَى ألفَ مُشْرِكٍ بقُبضةٍ مِن حصباءَ[4]، فنالتْهم أجْمعين حينَ قال: «شاهتِ الوجوهُ». وكذلك يومَ حنينٍ كما تقدَّم، وفرَّ أكثرُ أصحابِه فى ثانى الحالِ يومَ أحدٍ، وهو ثابتٌ فى مُقامِه لم يَبْرَحْ منه، ولم يَبْقَ معه إلا اثنا عشَرَ، قُتِل منهم سبعةٌ، وبَقِيَ الخمسةُ، وفى هذا الوقتِ قَتَل أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ، لعَنه اللَّهُ، فعجَّله اللَّهُ إلى النارِ، ويومَ حنينٍ ولَّى الناسُ كلُّهم، وكانوا يومَئذٍ اثنَيْ عشَرَ ألفًا، وثبَت هو فى نحوٍ مِن مائةٍ مِن أصحابِه وهو راكبٌ يومَئذٍ بغلتَه، وهو يَرْكُضُ بها إلى نحوِ العدُوِّ، وهو يُنَوِّهُ باسمِه الكريمِ[5] ويُعْلِنُ بذلك

---

(١) سقط هذا الفصل من: ص.

(٢) التفسير ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) فى م: «الناس».

(٤) فى م: «حصا».

(٥) زيادة من: ١١١.

قائلًا : « أنا النبيُّ لا كَذِبْ ، أنا ابنُ عبدِ المطلبْ » . حتى جعَل العباسُ وعليٌّ و أبو سفيانَ (١ بنُ الحارثِ ١) يتعلَّقون فى تلك البغلةِ ليُبَطِّئوا سيرَها ؛ خوفًا عليه مِن أن يَصِلَ أحدٌ مِن الأعداءِ إليه ، ومازال كذلك حتى نصَره اللَّهُ وأيَّده فى مُقامِه ذلك ، وما تراجَع الناسُ إلا (٢ والأُسارى مُكَبَّلَةٌ ٢) [٣/ ٤٦٢و] بينَ يديه ﷺ .

وقال أبو زُرْعةَ(٣) : حدَّثنا العباسُ بنُ الوليدِ بنِ صُبْحٍ الدمشقيُّ ، حدثنا مَرْوانُ ، يعنى ابنَ محمدٍ ، حدثنا سعيدُ بنُ بَشيرٍ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فُضِّلْتُ على الناسِ بِشِدَّةِ البَطْشِ » .

(١ - ١) سقط من : م . وفى ا ١١١ : « بن حرب » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ا ١١١ : « والأسارى مجدلة » . وفى م : « والأشلاء مجندلة » .

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٨/ ٦٩، ٧٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢٢، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢٦٨) ، ثلاثتهم من طريق العباس بن الوليد به ، بلفظ : « فضلت على الناس بأربع ...» . فذكر شدة البطش منهن . وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٦٩: رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده رجاله موثقون .

فصلٌ فيما يُذْكَرُ مِن صفاتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، فى الكتبِ المأثورةِ عن الأنبياءِ الأقْدَمِين

قد أسْلَفْنا طَرَفًا صالحًا مِن ذلك فى البِشاراتِ به قبلَ مَولِدِه، ونحن نذْكُرُ هـٰهنا غُرَرًا مِن ذلك.

فقد روَى البخاريُّ والبيهقيُّ[1]، واللفظُ له، مِن حديثِ فُلَيْحِ بنِ سليمانَ، عن هلالِ بنِ عليٍّ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ قال: لقِيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو فقلتُ: أخْبِرْنى عن صفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى التَّوْراةِ. فقال: أجَلْ، واللَّهِ إنه لَموصوفٌ فى التَّوْراةِ ببعضِ صفتِه فى القُرْآنِ[2]: يا أيُّها النبيُّ، إنّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا، وحِرْزًا للأُمِّيِّين، أنت عبدى ورسولى، سمَّيْتُك المتوكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا صَخِبٍ[3] بالأسواقِ، ولا يَدْفَعُ السيئةَ بالسيئةِ، ولكن يَعْفو ويَغْفِرُ، ولن أَقْبِضَه حتى أُقيمَ به المِلَّةَ العَوْجاءَ؛ أن يقولوا: لا إلهَ إلا اللَّهُ. وأفْتَحُ به أعْيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا. قال عطاءُ بنُ يَسارٍ: ثم لقِيتُ [4]كعبًا الحبرَ[4]، فسألْتُه، فما اخْتَلَفا فى حرفٍ إلا أنَّ كعبًا قال: أعْيُنًا [5]عُمُومَى[6] وقلوبًا غُلُوفَى وآذانًا صُمُومَى[5].

---

(١) البخارى (٢١٢٥)، ودلائل النبوة ١/ ٣٧٤.

(٢) سقط من: ا ٤١. وفى الأصل، م، ص: «الفرقان».

(٣) سقط من: ا ٤١. وفى الأصل: «سخاب»، وفى ا ١١١، م: «صخاب». والمثبت موافق لبعض نسخ الدلائل كما أشار لذلك محققه.

(٤ - ٤) فى الدلائل: «كعب الأحبار». والمثبت موافق لبعض نسخ الدلائل.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) فى الدلائل: «عمويا».

ورواه البخاريُّ أيضًا عن عبدِ اللَّهِ غيرَ منسوبٍ - قيل: هو ابنُ رَجاءٍ. وقيل: عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ. وهو الأرْجَحُ[1] - عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى سَلَمةَ الماجِشُونَ، عن [2]هلالِ بنِ علىٍّ[2] به[3]. قال البخاريُّ[4]: وقال سعيدٌ، عن هلالٍ، عن عطاءٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ. كذا علَّقه البخاريُّ.

وقد روَى البيهقيُّ[5] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ: حدثنا أبو صالحٍ، هو عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ كاتبُ الليثِ، [6]حدثنى الليثُ[6]، حدَّثنى خالدُ بنُ يزيدَ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ، [7]عن هلالِ بنِ أسامةَ[7]، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن ابنِ سَلَامٍ أنه كان يقولُ: إنا لَنَجِدُ صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ: إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا [8]ونذيرًا، وحِرْزًا للأُمِّيِّين[8]، أنت عبدى ورسولى، سمَّيْتُه المتوكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ، ولا سَخَّابٍ فى الأسواقِ، ولا يَجْزِى بالسيئةِ مثلَها، ولكن يَعْفو[9] ويتَجاوزُ، ولن[10] أَقْبِضَه حتى يُقِيمَ المِلَّةَ العَوْجاءَ، بأن يُشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، نَفْتَحُ به أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا. قال عطاءُ بنُ يَسارٍ: وأخبرنى الليثيُّ،

---

(١) رجح الحافظ فى الفتح ٨/ ٥٨٥، ٥٨٦ أنه عبد اللَّه بن يوسف. راجع فتح البارى.

(٢ - ٢) فى البخارى: «هلال بن أبى هلال». وهو مما يقال فى اسمه. انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٤٣.

(٣) البخارى (٤٨٣٨).

(٤) البخارى (٢١٢٥)؛ عقيب الحديث.

(٥) دلائل النبوة ١/ ٣٧٦.

(٦ - ٦) سقط من: ا ٤١، م، ص. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥.

(٧ - ٧) فى م: «عن أسامة»، وفى ص: «بن أسامة». وكلاهما خطأ؛ وهو هلال بن على بن أسامة، وقد يُنسب إلى جده - كما هو هنا فى إسناد البيهقى - وتقدم فى إسناد البخارى السابق بأحد الأسماء التى قيلت فيه؛ هلال بن أبى هلال.

(٨ - ٨) سقط من: م.

(٩) بعده فى الدلائل: «ويغفر». وأشار محققه أنها ليست فى بعض نسخ الدلائل.

(١٠) فى النسخ: «ليس». والمثبت من الدلائل.

أنه سمِع كعبَ [٣/ ٤٦٢ظ] الأحْبارِ يقولُ مثلَ ما قال ابنُ سَلَامٍ .

وقد رُوِىَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ مِن وجهٍ آخرَ ، فقال الترمذىُّ[١] : حدثنا زيدُ ابنُ أَخْزَمَ[٢] الطائىُّ البصرىُّ ، ثنا أبو قُتَيبةَ سَلْمُ[٣] بنُ قُتَيبةَ ، حدثنى أبو مَوْدودٍ المَدَنىُّ ، ثنا عثمانُ بنُ[٤] الضَّحَّاكِ ، عن محمدِ بنِ يوسفَ بنِ[٥] عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : مكتوبٌ فى التوراةِ : صفةُ[٦] محمدٍ ، و[٧] عيسى ابنُ مريمَ يُدْفَنُ معه . فقال أبو مَوْدُودٍ : وقد بَقِىَ فى البيتِ موضعُ قَبْرٍ . ثم قال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ[٨] . هكذا قال : [٩]عثمانُ بنُ[٩] الضحاكِ . والمعروفُ الضَّحَّاكُ بنُ عثمانَ المَدَنىُّ ، وهكذا حكَى شيخُنا الحافظُ المِزِّىُّ فى كتابِه « الأطْرافِ »[١٠] عن ابنِ عَساكرَ ، أنه قال مثلَ قولِ الترمذىِّ ، ثم قال : وهو شيخٌ آخرُ أَقْدَمُ مِن الضَّحَّاكِ بنِ عثمانَ ، ذكَره ابنُ أبى حاتمٍ[١١] عن أبيه فيمَن اسمُه عثمانُ . فقد رُوِىَ هذا عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، وهو مِن أئمةِ أهلِ الكتابِ ممن آمَن ، وعن[١٢] عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، وقد كان له اطِّلاعٌ على ذلك مِن

---

(١) الترمذى (٣٦١٧) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٣) .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « أخرم » ، وفى ١١١ ، ٤١ : « أحرم » . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من سنن الترمذى . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٣٥٦.

(٣) فى الأصل ، ٤١ ، م ، ص : « مسلم » . وهو تحريف .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) بعده فى الترمذى : « صفة » .

(٨) بعده فى الترمذى : « غريب » .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) تحفة الأشراف ٤/ ٣٥٦.

(١١) وقع فى التحفة : « حزم » . وهو خطأ واضح ، والأرجح أنه خطأ طباعى ، وانظر الجرح والتعديل ٦/ ١٥٥.

(١٢) سقط من : م ، ص .

جهةِ زامِلَتَين كان أصابهما يومَ اليَرْموكِ ، فكان يُحَدِّثُ منهما عن أهلِ الكتابِ ، وعن كعبِ [1] بنِ ماتعٍ الحَبْرِ [1] وكان بَصيرًا بأقوالِ المُتَقَدِّمين على ما فيها مِن خَلْطٍ وغَلَطٍ ، وتَحريفٍ وتَبديلٍ ، فكان يقولُها بما فيها مِن غيرِ نَقْدٍ ، وربما أَحْسن بعضُ السلفِ بها الظنَّ فنقَلها عنه مُسَلَّمةً ، وفى ذلك مِن المُخالفةِ لبعضِ ما بأيدينا مِن الحقِّ جملةٌ كثيرةٌ ، لكن لا يتَفَطَّنُ لها كثيرٌ مِن الناسِ ، ثم لْيُعْلَمْ أن كثيرًا مِن السلفِ يُطْلِقون التوراةَ على كتبِ أهلِ الكتابِ ، [2] سواءٌ كانت هذا الكتابَ المتلوَّ [2] عندَهم ، أو أعمَّ مِن ذلك ، كما أن لفظَ القرآنِ يُطْلَقُ على كتابِنا خصوصًا ، [3] وقد يُستعملُ [3] ويُرادُ به غيرُه ، كما فى الصحيحِ [4] : « خُفِّفَ على داودَ القرآنُ ، فكان يأْمُرُ بدوابِّه [5] فتُسْرَجُ [6] ، فيَقْرَأُ القرآنَ مِقْدارَ ما يَفْرُغُ » . وقد بُسِط هذا فى غيرِ هذا الموضعِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقىُّ [7] ، عن الحاكمِ ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدثنى محمدُ بنُ ثابتِ بنِ شُرَحْبيلَ ، عن أمِّ الدَّرْداءِ قالت : قلتُ لكعبِ الحَبْرِ : كيف تجِدون صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى التوراةِ ؟ قال : نَجِدُه : محمدٌ رسولُ اللَّهِ ، اسمُه المتوكِّلُ ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ، ولا سَخَّابٍ بالأسواقِ ، وأُعْطِىَ المَفاتيحَ ليُبَصِّرَ اللَّهُ به [8] أَعْيُنًا عُورًا [8] ، ويُسْمِعَ به

(١ - ١) فى الأصل ، ١١١ : « بن نافع الحبر » ، وفى م ، ص : « الأحبار » . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٤/ ١٨٩.

(٢ - ٢) سقط من : ٤١ ، وفى م : « المتلوة » ، وفى ص : « المتلو » .

(٣ - ٣) سقط من : ٤١ ، م .

(٤) البخارى (٤٧١٣) .

(٥) فى البخارى : « بدابته » . والمثبت لفظ حديثه (٣٤١٧) .

(٦) سقط من : ٤١ . وفى م ، ص : « فتسرح » .

(٧) دلائل النبوة ١/ ٣٧٦، ٣٧٧.

(٨ - ٨) فى الأصل : « عميا عورا » . وفى م : « أعينا عميا » .

آذانًا وُقْرًا ، ويُقيمَ به ألْسُنًا مُعْوَجَّةً ، حتى يُشْهَدَ[1] أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، يُعينُ المَظْلومَ ويَمْنَعُه .

وبه[2] عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن يونسَ بنِ عمرٍو ، عن العَيْزارِ بنِ حُرَيْثٍ[3] ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مكتوبٌ [٣/٤٦٣و] فى الإنجيلِ : لا فَظٌّ ، ولا غليظٌ ولا سَخَّابٌ فى الأسواقِ ، ولا يَجْزى بالسيئةِ مثلَها ، بل يعفو ويَصْفَحُ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[4] : ثنا فَيْضٌ[5] البَجَلىُّ ، حدثنا سَلَّامُ بنُ مِسْكينٍ ، عن مُقاتلِ بنِ حَيَّانَ قال : أوْحَى اللَّهُ ، عز وجل ، إلى عيسى ابنِ مريمَ : جِدَّ فى أمرى ولا تَهْزُلْ ، واسْمَعْ وأطِعْ يا بنَ الطاهرِ البِكْرِ البَتولِ ، إنى خلَقْتُك مِن غيرِ فَحْلٍ ، فجعَلْتُك آيةً للعالَمين ، فإيايَ فاعْبُدْ ، وعلىَّ فتوكَّلْ ، فبيِّنْ لأهلِ سُورانَ [6]بالسُّرْيانيَّةِ ، بلِّغْ مَن بينَ يديك[6] أنى أنا الحقُّ القائمُ الذى لا أَزولُ ، صَدِّقوا بالنبىِّ الأُمِّىِّ[7] العربىِّ ، صاحبِ الجَمَلِ والمِدْرَعةِ[8] والعِمامةِ والنَّعْلين والهِراوةِ[9] ،

---

(١) فى ا ١١، ا ٤: « يشهدوا » . وفى م ، ص : « تشهد » .

(٢) دلائل النبوة ١/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) فى م : « خريب » . وهو تصحيف ، انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٧٨.

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٣٩، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، من طريق يعقوب به نحوه ، واللفظ للبيهقى .

(٥) فى م : « قيس » . وهو خطأ ، انظر الأنساب ١/ ٢٨٥.

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٧) سقط من : م ، ص .

(٨) المدرعة : ثوب من صوف . الوسيط (د ر ع) .

(٩) بعده فى مصدرى التخريج : « وهى القضيب » . ووصف بهذا ﷺ ؛ لأنه كان يمسك القضيب بيده كثيرًا ، وكان يُمْشَى بالعصا بين يديه ، وتُغْرز له فيصلى إليها . انظر النهاية ٥/ ٢٦١.

الجَعْدِ الرأسِ ، الصَّلْتِ الجبينِ ، المَقْرونِ الحاجبين ، [1]الأَنْجَلِ العينينِ ، الأَهْدَبِ الأَشْفارِ[1] الأَدْعَجِ العينين ، الأَقْنَى الأنفِ ، الواضحِ الجَبِينِ[2] الكَثِّ اللِّحيةِ ، عَرَقُه فى وجهِه كاللؤلؤ ، ريحُه المسكُ يَنْفَحُ منه ، كأنَّ عُنقَه إبْرِيقُ فضةٍ ، وكأن الذهبَ يَجْرى فى تَراقِيه ، له شَعَراتٌ مِن لَبَّتِه إلى سُرَّتِه تَجْرى كالقَضيبِ ، ليس على صدرِه ولا بطنِه شعْرٌ غيرُه ، شَثْنُ الكفِّ[3] والقدمِ ، إذا جاء مع الناسِ غمَرهم ، وإذا مشَى كأنما يَتَقَلَّعُ مِن الصخرِ وينْحَدِرُ فى صَبَبٍ ، ذو [4]النَّسْلِ القليلِ[4] .

وروَى الحافظُ البيهقىُّ بسندِه[5] عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ اليَمانىِّ[6] قال : إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ لما قرَّب موسى نجيًّا ، قال : ربِّ ، إنى أجِدُ فى التوراةِ أُمةً خيرَ أُمةٍ أُخْرِجت للناسِ ، يأمُرون بالمعروفِ وينْهَوْن عن المنكرِ ، ويؤمنون باللَّهِ ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك أمةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنى أجِدُ فى التوراةِ أُمةً هم[7] الآخِرون مِن الأممِ ، السابقون يومَ القيامةِ ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك أمةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنى أجِدُ فى التوراةِ أُمةً أناجيلُهم فى صدورِهم يقرءُونها ، وكان مَن قبلَهم يَقْرَءُون كتبَهم نظَرًا ولا يحْفَظونها ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك أمةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنى أجِدُ فى التوراةِ أمةً يؤمنون بالكتابِ الأولِ والآخِرِ ، ويُقاتِلون رُءوسَ الضَّلالةِ حتى يُقاتِلوا الأعْورَ الكَذَّابَ ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك أمةُ أحمدَ . قال : ربِّ ،

(١ - ١) سقط من : م . وأنجل العينين : واسعهما . انظر النهاية ٥/ ٢٣.

(٢) فى النسخ : « الخدين » . والمثبت من مصدرى التخريج . قال فى اللسان (و ض ح) : وإنه لواضح الجبين إذا ابيضّ وحسُن ولم يكن غليظا كثير اللحم .

(٣) فى م ، ص : « الكفين » .

(٤ - ٤) بعده فى مصدرى التخريج : « وكأنه أراد الذكور من صلبه » .

(٥) دلائل النبوة ١/ ٣٧٩.

(٦) سقط من : ٤١. وفى م ، ص : « اليمامى » . وهو تحريف ، انظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٠.

(٧) بعده فى م ، ص : « خير الأمم » .

إنى أجِدُ فى التوراةِ أمَّةً يأكُلون صدَقاتِهم فى بطونِهم ، وكان مَن قبلَهم إذا أخْرَج صدقتَه بعَث اللَّهُ عليها نارًا فأكَلَتْها ، فإن لم تُقْبَلْ لم تقْرَبْها النارُ ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك أُمةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنى أجِدُ فى التوراةِ أُمةً إذا همَّ أحدُهم بسيئةٍ لم تُكْتَبْ عليه ، فإن عمِلها كُتِبت عليه سيئةٌ واحدةٌ ، وإذا همَّ أحدُهم بحسنةٍ ولم يَعْمَلْها كُتِبت له حسنةٌ ، فإن عمِلها كُتِبَت له عشْرُ [1]أمثالِها إلى سبعِمائةِ[1] ضِعفٍ ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك [٣/ ٤٦٣ظ] أُمةُ أحمدَ . قال : ربِّ ، إنى أجِدُ فى التوراةِ أُمةً هم المستجيبون والمُسْتَجابُ لهم ، فاجْعَلْهم أمتى . قال : تلك أمةُ أحمدَ .

قال[2] : وذكَر وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ فى قصةِ داودَ ، عليه السلامُ ، وما أُوحِىَ إليه فى الزَّبورِ : يا داودُ ، إنه سيأتى مِن بعدِك نبىٌّ اسمُه أحمدُ ومحمدٌ ، صادقًا سيِّدًا ، لا أغْضَبُ عليه أبدًا ، ولا يُغْضِبُنى أبدًا ، وقد غفَرْتُ له قبلَ أن يَعْصِيَنى ما تقَدَّم مِن ذنبِه وما تأخر ، أُمتُه مَرْحومةٌ ، أعْطَيْتُهم[3] مِن النوافلِ مثلَ ما أَعْطَيْتُ الأنبياءَ ، وافْتَرَضْتُ عليهم الفَرائضَ التى افتَرَضْتُ على الأنبياءِ والرسلِ ، حتى يأتونى يومَ القيامةِ ونورُهم مثلُ نورِ الأنبياءِ ، وذلك أنى افْتَرَضْتُ عليهم أن يتَطَهَّروا [4]لى لكلِّ[4] صلاةٍ كما افتَرَضْتُ على الأنبياءِ قبلَهم ، وأمَرْتُهم بالغُسْلِ مِن الجَنابةِ كما أمَرْتُ الأنبياءَ قبلَهم ، وأمَرْتُهم بالحجِّ كما أمَرْتُ الأنبياءَ قبلَهم ، وأمَرْتُهم بالجهادِ كما أمَرْتُ الرسلَ قبلَهم ، يا داودُ ، إنى فضَّلْتُ محمدًا وأُمتَه على الأممِ كلِّها ،

(١ - ١) فى الدلائل : « حسنات إلى مائة » .

(٢) أى البيهقى . دلائل النبوة ١/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « أعطيهم » .

(٤ - ٤) فى ١١١، ٤١: « فى كل » . وم ، ص : « إلى كل » .

أعْطَيْتُهم ستَّ خِصالٍ لم أُعْطِها غيرَهم مِن الأمم ؛ لا أؤاخِذُهم[1] بالخطأ والنسيانِ ، وكلُّ ذنبٍ ركِبوه على غيرِ عَمْدٍ إن استغفرونى منه غفَرْتُه لهم ، [2]وما قدَّموا لآخِرتِهم مِن شيءٍ طيِّبةً به أنفسُهم عجَّلْتُه[3] لهم أضْعافًا مُضاعفةً[2] ، ولهم فى المَذْخورِ[4] عندى أضعافٌ مُضاعفةٌ وأفضلُ مِن ذلك ، وأعْطَيْتُهم على المَصائبِ فى البَلايا إذا صبَروا وقالوا : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . الصلاةَ والرحمةَ والهُدَى إلى جناتِ النعيمِ ، فإن دعَونى استَجَبْتُ لهم ، فإما أن يَرَوْه عاجلًا ، وإما أن أَصْرِفَ عنهم سوءًا ، وإما أن أدَّخِرَه لهم فى الآخرةِ ، يا داودُ ، مَن لقِيَنى مِن أمةِ محمدٍ يشْهَدُ أن لا إلهَ إلا [5]أنا وحدى لا شريكَ لى[5] صادقًا بها ، فهو معى فى جنتى وكرامتى ، ومَن لقِيَنى وقد كذَّب محمدًا و[6]كذَّب بما جاء به واسْتَهْزَأ بكتابى ، صبَبْتُ عليه فى قبرِه العذابَ صَبًّا ، وضرَبَت الملائكةُ وجهَه ودُبُرَه عندَ مَنْشَرِه مِن قبرِه ، ثم أُدْخِلُه فى الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النارِ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[7] : أخبرنا الشريفُ[8] أبو الفتحِ العُمَرىُّ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى شُرَيْحٍ الهَرَوىُّ ، ثنا يحيى بنُ محمدِ بنِ صاعدٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شَبيبٍ أبو سعيدٍ الرَّبَعِىُّ[9] ، حدثنى محمدُ بنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ[10] يعنى ابنَ

---

(١) فى م : « آخذهم » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى ا ٤١ : « عجلته فى هذه الحياة الدنيا » ، وفى م : « جعلته » .

(٤) فى ا ١١١ : « المذخور » ، وفى م : « المدخر » ، وفى ص : « المدخول » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ٤١ ، وفى م ، ص : « الله وحده لا شريك له » . والمثبت من الدلائل .

(٦) فى م : « أو » .

(٧) دلائل النبوة ١/ ٣٨٤، ٣٨٥.

(٨) فى الدلائل : « الشيخ » .

(٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) فى النسخ والدلائل : « سعيد » . وهو خطأ ، والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر التاريخ الكبير ١/ ١٧٩، وانظر الجرح والتعديل ٨/ ١٩.

محمدِ بنِ جبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، قال : حدثتْنى أمُّ عثمانَ بنتُ سعيدِ بنِ محمدِ بنِ جبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيها ، عن أبيه قال : سمِعْتُ أبى جبيرَ بنَ مُطْعِمٍ يقولُ : لما بعَث اللَّهُ نبيَّه ﷺ وظهَر أمْرُه بمكةَ ، خرَجْتُ إلى الشامِ ، فلما كنتُ ببُصْرَى أتَتْنى جماعةٌ مِن النَّصارى فقالوا لى : أمِن الحَرَمِ أنت ؟ قلتُ : نعم . قالوا : فتَعْرِفُ هذا الذى تنبَّأ [٣/ ٤٦٤و] فيكم ؟ قلتُ : نعم . قال : فأخَذوا بيدى ، فأدْخلونى دَيْرًا لهم فيه تماثيلُ وصورٌ ، فقالوا لى : انْظُرْ ، هل ترَى صورةَ هذا النبىِّ الذى بُعِث فيكم ؟ فنظَرْتُ فلم أرَ صورتَه ، قلتُ : لا أرَى صورتَه . فأدْخَلونى دَيْرًا أكبرَ مِن ذلك الدَّيْرِ ، فإذا فيه تماثيلُ وصورٌ أكثرُ مما فى ذلك الدَّيْرِ ، فقالوا لى : انظُرْ ، هل ترَى صورتَه ؟ فنظَرْتُ فإذا أنا بصفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصورتِه ، وإذا أنا بصفةِ أبى بكرٍ وصورتِه وهو آخذٌ بعَقِبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا لى : هل ترَى صفتَه ؟ قلتُ : نعم . قالوا : أهو هذا ؟ وأشاروا إلى صفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلتُ : اللهم نعم ، أشْهَدُ أنه هو . قالوا : أتَعْرِفُ هذا الذى هو آخِذٌ بعَقِبِه ؟ قلتُ : نعم . قالوا : نَشْهَدُ أن هذا صاحبُكم ، وأن هذا الخليفةُ مِن بعدِه .

ورواه البخاريُّ فى « التاريخِ »[(١)] عن محمدٍ غيرَ منسوبٍ ، عن محمدِ بنِ عمرَ هذا بإسنادِه ، فذكَره مُخْتصرًا ، وعندَه : فقالوا : إنه لم يَكُنْ نبىٌّ إلا بعدَه نبىٌّ إلا هذا النبىُّ . وقد ذكَرْنا فى كتابِنا « التفسيرِ »[(٢)] عندَ قولِه تعالى فى سورةِ الأعْرافِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٧] . ذكَرْنا ما أوْرَده البيهقىُّ وغيرُه مِن طريقِ أبى أُمامةَ الباهلىِّ ،

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ١٧٩.

(٢) انظر التفسير ٣/ ٤٨١- ٤٨٥، ودلائل النبوة ١/ ٣٨٥- ٣٩٠.

عن هشامِ بنِ العاصِ الأُمويِّ قال : بُعِثْتُ أنا ورجلٌ مِن قريشٍ إلى هِرَقْلَ صاحبِ الرومِ نَدْعوه إلى الإسلامِ . فذكَر اجتماعَهم به وأن غُرْفَتَه تنَفَّضَت[1] حينَ ذكَروا اللَّهَ عزوجل ، فأنْزَلهم فى دارِ ضِيافتِه ، ثم اسْتَدْعاهم بعدَ ثلاثٍ فدَعا بشىءٍ نحوِ الرَّبْعةِ العظيمةِ ، فيها بيوتٌ صِغارٌ ، عليها أبوابٌ ، وإذا فيها صُوَرُ الأنبياءِ مُمَثَّلَةٌ فى قطعٍ مِن حريرٍ ، مِن آدمَ إلى محمدٍ ، صلواتُ اللَّهِ عليهم أجمعين ، فجعَل يُخْرِجُ لهم واحدًا واحدًا ، ويُخْبِرُهم عنه ، وأخْرَج لهم صورةَ آدَمَ ثم نوحٍ ثم إبراهيمَ ، ثم تعَجَّل إخراجَ صورةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : ثم فتَح بابًا آخرَ ، فإذا فيها صورةٌ بَيْضاءُ ، وإذا واللَّهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قال : أتَعْرِفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمدٌ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : وبكَيْنا . قال : واللَّهُ يَعْلَمُ أنه قام قائمًا ، ثم جلَس ، وقال : واللَّهِ إنه لَهو ؟ قلنا : نعم ، إنه لَهو كما تَنْظرُ إليه . فأمْسَك ساعةً ينْظُرُ إليها ، ثم قال : أما إنه كان آخرَ البيوتِ ، ولكنى عجَّلْتُه لكم لأنظُرَ ما عندَكم . ثم ذكَر تمامَ الحديثِ فى إخراجِه صُوَرَ بَقيَّةِ الأنبياءِ وتَعْريفِه إياهما بهم . وقال فى آخرِه : قلنا له : مِن أين لك هذه الصورُ ؟ لِأَنَّا نعْلَمُ أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياءُ ، عليهم الصلاةُ والسلامُ ؛ لأنَّا رأيْنا صورةَ نبيِّنا ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مثلَه . فقال : [٣/ ٤٦٤ظ] إن آدمَ ، عليه السلامُ ، سأَل ربَّه أن يُرِيَه الأنبياءَ مِن وَلَدِه ، فأنْزَل عليه صورَهم ، فكان فى خِزانةِ آدمَ ، عليه السلامُ ، عندَ مَغْرِبِ الشمسِ ، فاستَخْرَجها ذو القَرْنَيْنِ مِن مَغْرِبِ الشمسِ ، فدفَعها إلى دَانيالَ . ثم قال : أما واللَّهِ إن نفسى طابت بالخروجِ مِن مُلْكى ، وأنى كنتُ عبدًا لِأشرَّكم مَلَكةً حتى أموتَ . قال : ثم أجازنا فأحْسَن جائزَتَنا وسرَّحَنا ، فلما أتَيْنا أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ ، رضى اللَّهُ عنه ، حدَّثْناه بما رأَيْنا وما قال لنا وما أجازنا . قال : فبكَى أبو بكرٍ ، قال : مسكينٌ ، لو

---

(١) فى م : « تنغصت » . وتنفَّضت : تحرَّكت . انظر النهاية ٥/ ٩٧.

أراد اللَّهُ به خيرًا لَفَعَل. ثم قال: أخبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنهم واليهودَ يجِدون نعْتَ محمدٍ ﷺ عندَهم.

(١) وقال الواقدىُّ(٢): حدَّثنى علىُّ بنُ عيسى الحكَمىُّ(٣)، عن أبيه، عن عامرِ ابنِ ربيعةَ قال: سمِعْتُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ يقولُ: أنا أنْتَظِرُ نبيًّا مِن ولدِ إسماعيلَ، ثم مِن بنى عبدِ المطلبِ، ولا أُرانى أُدْرِكُه، وأنا أُومِنُ به وأُصَدِّقُه وأشْهَدُ (٤أنه نبىٌّ٤)، فإن طالت بك مدةٌ فرأيْتَه فأقْرِئْه مِنِّىَ السلامَ، وسأُخْبِرُك ما نعْتُه حتى لا يخْفَى عليك. قلتُ: هَلُمَّ. قال: هو رجلٌ ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، ولا بكثيرِ الشعْرِ ولا بقليلِه، وليسَتْ تُفارِقُ عينَيه حمرةٌ، وخاتَمُ النبوةِ بينَ كَتِفَيه، واسمُه أحمدُ، وهذا البلدُ مَوْلِدُه ومَبْعَثُه، ثم (٥يُخْرِجُه قومُه٥) منها، ويَكْرَهون ما جاء به حتى يُهاجِرَ إلى يَثْرِبَ فيَظْهَرَ أمْرُه، فإياك أن تُخْدَعَ عنه، فإنى طُفْتُ البلادَ كلَّها أطْلُبُ دينَ إبراهيمَ، فكلُّ مَن أسأَلُ(٦) مِن اليهودِ والنَّصارى والمجوسِ يقولون: هذا الدينُ وراءَك(٧). ويَنْعَتونه مثلَ ما نعَتُّه لك، ويقولون: لم يَبْقَ نبىٌّ غيرُه. قال عامرُ بنُ ربيعةَ: فلما أسْلَمْتُ أخْبَرْتُ النبىَّ ﷺ قولَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ وأَقْرَأْتُه(٨) منه السلامَ، فردَّ عليه السلامَ، وترَحَّم عليه، وقال: «قد رأيْتُه فى الجنةِ يَسْحَبُ ذُيولًا(٩)»(١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٦١، ١٦٢، من طريق الواقدى به.

(٣) فى م: «الحكيمى».

(٤ - ٤) فى م: «برسالته».

(٥ - ٥) فى ا ١١: «يخرجوه قومه»، وفى م: «يخرجه قوم».

(٦) فى ا ٤١: «سألت»، وفى م: «سأل».

(٧) فى م: «وذاك».

(٨) فى م: «وإقرائه».

(٩) ذيولا، جمع ذيل: وهو أسفل الثوب. وهو كناية عن طول ثوبه فى الجنة، رضى اللَّه عنه وأرضاه. انظر الوسيط (ذ ى ل).

كتابُ دَلائلِ النبوةِ

وهى معنويَّةٌ وحِسِّيَّةٌ ؛ فمِن المعنويةِ إنزالُ القرآنِ العظيمِ[1] عليه ، وهو أعظمُ المُعْجزاتِ ، وأبْهَرُ الآياتِ ، وأبْيَنُ الحُجَجِ الواضحاتِ ؛ لِما اشْتَمل عليه مِن التركيبِ المُعْجِزِ الذى تحَدَّى به الإنسَ والجنَّ أن يَأْتوا بمثلِه فعجَزوا عن ذلك ، مع توافرِ دَواعى أعدائِه على مُعارضتِه وفَصاحتِهم وبَلاغتِهم . ثم تحَدَّاهم بعشْرِ سُوَرٍ مثلِه[2] فعجَزوا ، ثم تَنازل إلى التحدِّى بسورةٍ مِن مثلِه ، فعجَزوا عنه ، وهم يَعْلَمون عَجْزَهم وتَقْصيرَهم عن ذلك ، وأن هذا ما لا سبيلَ لأحدٍ إليه [٣/ ٤٦٥و] أبدًا ، قال اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] . وهذه الآيةُ مَكِّيَّةٌ ، وقال فى سورةِ « الطُّورِ »[4] وهى مكِّيَّةٌ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤] . [5]أى ؛ إن كنتُم صادقين[5] فى أنه قاله مِن عندِه فهو بشرٌ مثلُكم ، فأْتوا بمثلِ ما جاء به فإنكم بشرٌ[6] مثلُه . وقال تعالى فى سورةِ « البقرةِ »[7] ، وهى مَدَنِيَّةٌ مُعِيدًا للتحدِّى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « منه » .
(٣) التفسير ١١٤/٥ .
(٤) التفسير ٤١١/٧ .
(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ٤١.
(٦) سقط من : م .
(٧) التفسير ٨٨/١ .

فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى[1]: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣، ١٤]. وقال تعالى[2]: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٧- ٣٩]. فبيَّنَ تعالى أن الخَلْقَ عاجزون عن مُعارضةِ هذا القرآنِ، بل عن عشْرِ سُوَرٍ [3]مثلِه، بل عن سورةٍ[3] منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا، كما قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾. أى؛ فإن لم تفْعَلوا فى الماضى ولن تستطيعوا ذلك فى المستقبلِ، وهذا تَحَدٍّ ثانٍ، وهو أنه لا يُمْكِنُ [4]معارضتُه لهم[4] لا فى الحالِ ولا فى المآلِ، ومثلُ هذا التحدِّى إنما يَصْدُرُ عن واثقٍ بأن ما جاء به لا يُمْكِنُ البشرَ مُعارضتُه ولا الإتيانُ بمثلِه، ولو كان مِن مُتَقَوِّلٍ مِن عندِ نفسِه لَخاف أن يُعارَضَ، فيفْتَضِحَ ويعودَ عليه نَقيضُ ما قصَده مِن مُتابعةِ الناسِ له، ومعلومٌ لكلِّ ذى لُبٍّ أن محمدًا ﷺ مِن أعْقلِ خَلْقِ اللَّهِ، بل أعْقَلُهم وأكْملُهم على الإطلاقِ فى نفسِ الأمْرِ، فما كان لِيُقْدِمَ على هذا إلا وهو عالمٌ بأنه لا يُمْكِنُ مُعارضتُه، وهكذا وقَع، فإنَّ مِن لَدُنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإلى زمانِنا هذا لم يستَطِعْ أحدٌ أن يأتىَ بنَظيرِه ولا نَظيرِ سورةٍ منه، وهذا لا سبيلَ إليه أبدًا، فإنه كلامُ ربِّ العالمين الذى لا يُشْبِهُه شىءٌ مِن

---

(١) التفسير ٤/٢٤٣.

(٢) التفسير ٤/٢٠٥.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤ - ٤) فى م: «معارضتهم له».

خَلْقِه ؛ لا فى ذاتِه ، [٣/ ٤٦٥ظ] ولا فى صفاتِه ، ولا فى أفعالِه ، فأنَّى يُشْبِهُ كلامُ المخلوقين كلامَ الخالقِ ؟! وقولُ كفارِ قريشٍ الذى حكاه تعالى عنهم فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١] . كذبٌ منهم ودَعْوَى باطلةٌ بلا دليلٍ ولا برهانٍ ولا حجةٍ ولا بيانٍ ، ولو كانوا صادقين لأتَوْا بما يُعارِضُه ، بل هم يعْلَمون كذبَ أنفسِهم ، كما يعْلَمون كَذِبَ أنفسِهم فى قولِهم : ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦] . أى ؛ أنْزَله عالِمُ الخَفِيَّاتِ ، وربُّ الأرضِ والسماواتِ ، الذى يعْلَمُ ما كان وما يكونُ وما لم يَكُنْ لو كان كيف كان[1] يكونُ ، فإنه تعالى أوْحَى إلى عبدِه ورسولِه النبىِّ الأمِّىِّ الذى كان لا يُحْسِنُ الكِتابةَ ولا يَدْرِيها بالكُلِّيَّةِ ، ولا يعْلَمُ شيئًا مِن علمِ الأوائلِ وأخبارِ الماضِين ، فقصَّ اللَّهُ عليه خبرَ ما كان وما هو كائنٌ على الوجهِ الواقعِ سواءً بسواءٍ ، وهو فى ذلك يَفْصِلُ بينَ الحقِّ والباطلِ الذى اختَلَفت فى إيرادِه جملةُ الكتبِ المتقدمةِ ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] . وقال تعالى[2] : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ [طه : ٩٩- ١٠١] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) التفسير ٣٠٨/٥ .

(٣) التفسير ١١٨/٣ .

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ الآية [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى[(١)]: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ[(٢)] مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨- ٥٢]. فبيَّنَ تعالى أن نفسَ إنزالِ هذا الكتابِ المشتملِ على علمِ ما كان وما يكونُ، وحُكْمِ ما هو كائنٌ بينَ الناسِ على مثلِ هذا النبيِّ[(٣)] الأمِّيِّ وحدَه [(٤)]كافٍ في[(٤)] الدَّلالةِ [(٥)]على صدقِه[(٥)]، وقال تعالى[(٦)]: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ [٣/٤٦٦و] أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٥- ١٧]. يقولُ لهم: إنى لا أُطيقُ تَبْديلَ هذا مِن تِلْقاءِ نفسى، وإنما

---

(١) التفسير ٦/٢٩٤ - ٢٩٧.

(٢) كذا فى الأصل، ١١١، م. وهى قراءة نافع وابن عامر وأبى عمرو وحفص. وفى ص: «آية»، وهى قراءة الباقين. انظر حجة القراءات ص ٥٥٢.

(٣) سقط من: الأصل، ١١١.

(٤ - ٤) فى ١١١، م، ص: «كان من».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ١١١.

(٦) التفسير ٤/١٩٠ - ١٩٣.

اللَّهُ ، عز وجل ، هو الذى يَمْحُو ما يشاءُ ويُثْبِتُ ، وأنا مُبَلِّغٌ عنه ، وأنتم تعْلَمون صِدْقِى فيما جئتُكم به ؛ لأنى نشَأْتُ بين أظْهُرِكم ، وأنتم تعْلَمون نَسَبِى وصِدْقِى وأمانتى ، وأنى لم أَكْذِبْ على أحدٍ منكم يومًا مِن الدَّهْرِ ، فكيف يَسَعُنى أن أَكْذِبَ على اللَّهِ ، عز وجل ، مالكِ الضَّرِّ والنَّفعِ ، الذى هو على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، وبكلِّ شىءٍ عليمٌ ؟! وأىُّ ذنبٍ عندَه أعظمُ مِن الكذبِ عليه ، ونسبةِ ما ليس منه إليه ؟ كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤- ٤٧] . أى لو كذَب علينا لانتقَمْنا منه أشدَّ الانتقام ، وما استطاع أحدٌ مِن أهلِ الأرضِ أن يَحْجِزَنا عنه ولا يَمْنَعَنا منه . وقال تعالى[1] : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] . وهذا الكلامُ فيه الإخبارُ بأن اللَّهَ شهيدٌ على كلِّ شىءٍ ، وأنه تعالى أعظمُ الشهداءِ ، وهو مُطَّلِعٌ علىَّ وعليكم فيما جئتُكم به عنه ، وتَتضمَّنُ قوةُ الكلامِ قَسَمًا به أنه قد أرْسَلنى إلى الخلقِ لأُنْذِرَهم بهذا القرآنِ ، فمَن بلَغه منهم فهو نذيرٌ له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود : ١٧] . ففى هذا القرآنِ مِن الأخبارِ الصادقةِ عن اللَّهِ وملائكتِه وعرشِه ومخلوقاتِه العُلْويةِ والسُّفْليةِ ، كالسماوات والأرَضِين وما بينَهما وما فيهن ، أمورٌ عظيمةٌ كثيرةٌ مُبَرْهَنةٌ بالأدلةِ

---

(١) التفسير ٣/٢٤٠ .

القطعيةِ المُرْشِدةِ إلى العلمِ بذلك مِن جهةِ العقلِ الصحيحِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩] . وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] . [٣/٤٦٦ظ] وقال تعالى[1] : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨] . وفى القرآنِ العظيمِ الإخبارُ عما مضَى على الوجهِ الحقِّ ، وبُرْهانُه ما فى كتبِ أهلِ الكتابِ مِن ذلك شاهدًا له ، مع كونِه نزَل على رجلٍ أُمِّىٍّ لا يَعْرِفُ الكتابةَ ولم يُعانِ يومًا مِن الدهرِ شيئًا مِن علومِ الأوائلِ ، ولا أخبارِ الماضِين ، فلم يُفْجَأِ الناسُ إلا بوَحْيٍ إليه عما كان مِن الأخبارِ النافعةِ ، التى ينْبَغى أن تُذْكَرَ للاعتبارِ بها مِن أخبارِ الأممِ مع الأنبياءِ ، وما كان مِن أمورِهم معهم ، وكيف نجَّى اللَّهُ المؤمنين وأهْلَك الكافرين ، بعبارةٍ لا يَسْتطيعُ بشرٌ أن يأتىَ بمثلِها أبدَ الآبدِين ، ودَهْرَ الداهرِين ، ففى مكانٍ تُقَصُّ القصةُ مُوجَزةً فى غايةِ البَيانِ والفَصاحةِ ، وتارةً تُبْسَطُ ، فلا أحْلَى ولا أجْلَى ولا أعْلَى مِن ذلك السِّياقِ ، حتى كأنَّ التالىَ والسامعَ مشاهِدٌ لِما كان ، حاضرٌ له ، مُعايِنٌ للخبرِ بنفسِه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤] . وقال تعالى فى سورةِ يوسفَ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا

---

(١) التفسير ٨٦/٧ ، ٨٧ .

تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٢- ١٠٤]. إلى أن قال فى آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ١٣٣]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣]. وعَدَ تعالى أنه سيُظْهِرُ آياتِ القرآنِ وصدقَه وصدقَ مَن[1] جاء به بما يخْلُقُه فى الآفاقِ مِن الآياتِ الدالةِ على صدقِ هذا الكتابِ، وفى نفسِ المُنْكِرين له المُكَذِّبين ما فيه حجةٌ عليهم وبرهانٌ قاطعٌ لشُبَهِهم، حتى يستَيْقِنوا أنه مُنَزَّلٌ مِن عندِ اللَّهِ على لسانِ الصادقِ، ثم أَرْشَد إلى دليلٍ مُسْتقِلٍّ بقولِه: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾. أى؛ فى العلمِ بأن اللَّهَ مطَّلِعٌ[2] على هذا الأمرِ كفايةٌ فى صدقِ هذا المُخْبِرِ عنه، إذ لو كان [٣/ ٤٦٧و] مُفْتَرِيًا عليه لعاجَله بالعقوبةِ البَليغةِ، كما تقدم بيانُ ذلك.

وفى هذا القرآنِ إخْبارٌ عما وقَع فى المستقبلِ طِبْقَ ما وقَع سواءً بسواءٍ، وكذلك فى الأحاديثِ حسَبَ ما قرَّرْناه فى كتابِنا «التفسيرِ»، وما سنذكُره مِن المَلاحمِ والفِتَنِ، كقولِه تعالى[3]: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ

---

(١) فى الأصل: «ما».

(٢) فى م، ص: «يطلع».

(٣) التفسير ٢٨٥/٨.

فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وهذه السورةُ[1] مِن أوائلِ ما نزَل بمكةَ. وكذلك قولُه تعالى فى سورةِ «اقتربت»[2] وهى مكيَّةٌ بلا خلافٍ: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦]. وقَع مِصْداقُ هذه الهزيمةِ يومَ بدرٍ بعدَ ذلك، إلى أمثالِ هذا مِن الأمورِ البيِّنةِ الواضحةِ، وسيأتى فَصْلٌ فيما أَخْبَر به مِن الأمورِ التى وقَعت بعدَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، طِبْقَ ما أَخْبَر به.

وفى القرآنِ الأحكامُ العادلةُ أمْرًا ونهيًا، المشتملةُ على الحِكَمِ البالغةِ التى إذا تأمَّلها ذو الفَهْمِ والعقلِ الصحيحِ قطَع بأن هذه الأحكامَ إنما أنْزَلها العالِمُ بالخَفِيَّاتِ، الرحيمُ بعبادِه، الذى يُعامِلُهم بلُطْفِه ورحمتِه وإحسانِه، قال تعالى[3]: (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[4] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) [الأنعام: ١١٥]. أى؛ صدقًا فى الأخبارِ وعدْلًا فى الأوامرِ والنَّواهى. وقال تعالى[5]: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]. أى؛ أُحْكِمت ألفاظُه وفُصِّلت مَعانيه. وقال تعالى[6]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣]. أى العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ. وهكذا رُوِىَ عن علىِّ ابنِ أبى طالبٍ، رضى اللَّهُ عنه، أنه قال لكُمَيْلِ بنِ زيادٍ[7]: هو كتابُ اللَّهِ، فيه

---

(١) فى الأصل: «الآية»، وفى ا ٤: «الآية والسورة».

(٢) التفسير ٧/٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) التفسير ٣/٣١٥.

(٤) فى م: «كلمة». وانظر ما تقدم فى ٦/ ٣١.

(٥) التفسير ٤/٢٣٦.

(٦) التفسير ٤/٧٨.

(٧) هذا لفظ وصية على، رضى الله عنه، للحارث الأعور وليس لكميل، وقد أخرجه الترمذى (٢٩٠٦)، والدارمى ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦ وغيرهما مرفوعًا، وقال الترمذى عقبه: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفى الحارث مقال». ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٥٥٤).

خبرُ ما قبلكم ، وحكمُ ما بينَكم ، ونبأُ ما بعدَكم . وقد بسَطْنا هذا كلَّه فى كتابِنا « التفسيرِ » بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

فالقرآنُ العظيمُ مُعْجِزٌ مِن وجوهٍ كثيرةٍ ؛ مِن فَصاحتِه ، وبَلاغتِه ، ونَظْمِه ، وتَراكيبِه ، وأَساليبِه ، وما تضَمَّنه مِن الإخبارِ بالغيوبِ[1] الماضيةِ والمُسْتقبَلَةِ ، وما اشتمل عليه مِن الأحكامِ المُحْكَمةِ الجلِيَّةِ ، فالتَّحَدِّى ببَلاغةِ ألفاظِه يَخُصُّ فُصحاءَ العربِ ، والتحدِّى بما اشْتَمل عليه مِن المعانى الصحيحةِ الكاملةِ - وهى أعظمُ فى التَّحَدِّى عندَ كثيرٍ مِن العلماءِ - يَعُمُّ جميعَ أهلِ الأرضِ مِن المِلَّتَيْن ؛ أهلِ الكتابين[2] وغيرِهم مِن عُقلاءِ اليُونانِ والهندِ والفرسِ والقِبْطِ وغيرِهم مِن أصْنافِ بنى آدمَ فى سائرِ الأقطارِ والأعْصارِ[3] ، وأما مَن زعَم مِن المُتَكلِّمين أن الإعْجازَ إنما هو مِن صَرْفِ [٣/ ٤٦٧ظ] دَواعى الكَفَرةِ عن مُعارضتِه مع إمكانِ[4] ذلك ، أو هو سَلْبُ قُدَرِهم[5] على ذلك ، فقولٌ باطلٌ وهو مُفَرَّعٌ على اعتقادِهم أن القرآنَ مَخْلوقٌ ، خلَقه اللَّهُ فى بعضِ الأجْرامِ ، ولا فرقَ عندَهم بينَ مخلوقٍ ومخلوقٍ ، وقولُهم هذا كفرٌ وباطلٌ ، وليس بمُطابِقٍ لِما فى نفسِ الأمرِ ، بل القرآنُ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ ، تكَلَّم به كما شاء تعالى وتقَدَّس وتنَزَّه عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا ، فالخَلْقُ كلُّهم عاجزون حقيقةً فى نفسِ الأمرِ عن الإتْيانِ بمثلِه ولو تَعاضَدوا وتظاهروا[6] على ذلك ، بل لا تَقْدِرُ الرسلُ الذين هم أفْصحُ الخَلْقِ وأعلمُ[7] الخَلْقِ وأكْملُهم أن يتَكَلَّموا بمثلِ كلامِ اللَّهِ ، وهذا القرآنُ الذى يُبَلِّغُه الرسولُ ﷺ عن

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى ٤١ ، م : « الكتاب » .
(٣) فى م ، ص : « الأمصار » .
(٤) فى م ، ص : « إنكار » .
(٥) فى م : « قدرتهم » .
(٦) فى م : « تناصروا » .
(٧) فى م ، ص : « أعظم » .

اللَّهِ [1]كلامٌ له أسلوبٌ[1] لا يُشْبِهُ أساليبَ كلامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأساليبُ كلامِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، المحفوظةُ عنه بالسندِ الصحيحِ إليه لا يَقْدِرُ أحدٌ مِن الصحابةِ ولا مَن بعدَهم أن يتَكَلَّمَ بمثلِ أَساليبِه فى فَصاحتِه وبَلاغتِه فيما يَرُومُه[2] مِن المعانى بألفاظِه الشريفةِ، بل وكلامُ الصحابةِ أسلوبٌ أعْلَى مِن أساليبِ كلامِ التابِعِين، وهَلُمَّ جرًّا إلى زمانِنا، وعلماءُ السلفِ أفصحُ وأعلمُ وأقلُّ تكَلُّفًا [3]فى أداءِ ما يُريدونه[3] مِن المعانى بألفاظِهم، مِن علماءِ الخَلَفِ، وهذا يَشْهَدُه[4] مَن له ذَوْقٌ بكلامِ الناسِ، كما يُدْرَكُ تَفاوتُ ما بينَ أشعارِ العربِ فى زمنِ الجاهليةِ وبينَ أشعارِ المُوَلَّدِين الذين كانوا بعدَ ذلك.

ولهذا جاء الحديثُ الثابتُ فى هذا المعنى، وهو فيما رواه الإمامُ أحمدُ[5] قائلًا: حدَّثنا حجاجٌ، ثنا ليثٌ، حدثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ما مِن الأنبياءِ نبىٌّ إلا قد أُعْطِىَ مِن الآياتِ ما مِثْلُه آمَنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذى أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاه اللَّهُ إلىَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ». وقد أخْرَجه البخارىُّ ومسلمٌ مِن حديثِ الليثِ ابنِ سعدٍ به[6]. ومعنى هذا أن الأنبياءَ، عليهم الصلاةُ والسلامُ، كلٌّ منهم قد أُوتِىَ مِن الحُجَجِ والدَّلائلِ على صدقِه وصحةِ ما جاء به عن ربِّه ما فيه كفايةٌ وحُجَّةٌ لقومِه الذين بُعِث إليهم، سواءٌ آمنوا به ففازوا بثوابِ إيمانِهم، أو جحَدوا

(١ - ١) فى الأصل، ص: «كلامه أسلوب»، وفى ١١١: «كلام أسلوب»، وفى م: «أسلوب كلامه».

(٢) سقط من: ٤١. فى الأصل، ١١١، م: «يرويه».

(٣ - ٣) فى ١١١: «إذ ما يردونه»، وفى م: «فيما يرونه».

(٤) فى ١١١، ٤١: «يجده».

(٥) المسند ٢/ ٣٤١، ٤٥١.

(٦) البخارى (٤٩٨١، ٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

فاستَحَقُّوا العقوبةَ ، وقولُه : « وإنما كان الذى أُوتِيتُ » . أى جُلُّه وأعْظمُه الوَحْىُ الذى أوْحاه إليه ، وهو القرآنُ ، الحُجَّةُ المستمرَّةُ الدائمةُ القائمةُ فى زمانِه وبعدَه ، فإن البَراهينَ التى كانت للأنبياءِ انقَرَض زمانُها فى حياتِهم ، ولم يبْقَ منها إلا الخبرُ عنها ، وأما القرآنُ [٣/٤٦٨و] فهو حُجَّةٌ قائمةٌ ، كأنما يَسْمَعُه السامعُ مِن فَلْقِ[(١)] فِى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فحجةُ اللَّهِ قائمةٌ به فى حياتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وبعدَ وفاتِه ، ولهذا قال : « فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ » . أى لاستمرارِ ما آتانى اللَّهُ مِن الحجةِ البالغةِ والبَراهينِ الدامغةِ ، [(٢)]فلهذا يكونُ يومَ القيامةِ[(٢)] أكثرَ الأنبياءِ تَبَعًا .

فصلٌ : ومِن الدلائلِ المعنويةِ أخلاقُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، الطاهرةُ ، وخَلْقُه الكاملُ ، وشجاعتُه ، وحِلْمُه ، وكرمُه ، وزُهْدُه ، وقَناعتُه ، وإيثارُه ، وجَميلُ صُحْبتِه ، وصدقُه ، وأمانتُه ، وتَقْواه ، وعبادتُه ، وكريمُ أصلِه ، وطِيبُ مولدِه ومَنْشَئِه ومُرَبَّاه ، كما قدَّمْناه مَبْسوطًا فى مَواضعِه ، وما أحسنَ ما ذكَره شيخُنا العلَّامةُ أبو العباسِ بنُ تَيْميَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه الذى ردَّ فيه على فِرَقِ النصارى واليهودِ ومن أشْبَهَهم مِن أهلِ الكتابِ وغيرِهم ، فإنه ذكَر فى آخرِه دلائلَ النبوةِ ، وسلَك فيها مسَالكَ حسنةً صحيحةً مُنْتَخَبةً[(٣)] ، بكلامٍ بليغٍ يَخْضَعُ له كلُّ مَن تأمَّله وفهِمه . قال فى أواخرِ هذا الكتابِ المذكورِ[(٤)] :

فصلٌ : وسيرةُ الرسولِ ﷺ ، وأخلاقُه وأقوالُه وأفعالُه مِن آياتِه - أى مِن

---

(١) سقط من : م . وفَلْق الفى وفِلْقه : شَقه وشِقه . انظر اللسان (ف ل ق) .

(٢ - ٢) فى ا ١١١، ا ٤١: « وهكذا وقع فهو » ، وفى ص : « وهكذا يعد هو » .

(٣) فى ا ١١١، م ، ص : « منتجة » ، وفى ا ٤١: « بهجه » .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٨٠- ٨٧.

دَلائلِ نبوتِه - قال : وشَريعتُه مِن آياتِه ، وأُمَّتُه مِن آياتِه ، وعِلمُ أُمَّتِه مِن آياتِه ، ودينُهم مِن آياتِه ، وكَراماتُ صالحِي أمتِه مِن آياتِه ، وذلك يَظْهَرُ بتدَبُّرِ سيرتِه مِن حينَ وُلِد إلى أن بُعِث ، ومِن حينَ بُعِث إلى أن مات ، وتدَبُّرِ نسَبِه وبلدِه وأصلِه وفَصْلِه ، فإنه كان مِن أشرفِ أهلِ الأرضِ نسَبًا ؛ مِن صَميمِ سُلالةِ إبراهيمَ الذى جعَل اللَّهُ فى ذريَّتِه النبوَّةَ والكتابَ ، فلم يأتِ بعدَ إبراهيمَ نبيٌّ إلا مِن ذُرِّيَّتِه ، وجعَل اللَّهُ له ابنَيْن ؛ إسماعيلَ وإسحاقَ ، وذكَر فى التوراةِ هذا وهذا ، وبشَّر فى التوراةِ بما يكونُ مِن ولدِ إسماعيلَ ، ولم يكنْ فى[1] ولدِ إسماعيلَ مَن ظهَر فيه ما بشَّرت به النُّبواتُ غيرُه ، ودَعا إبراهيمُ لذريَّةِ إسماعيلَ بأن يَبْعَثَ فيهم رسولًا منهم ، ثم [2]الرسولُ ﷺ[2] من قريشٍ صِفوةِ إبراهيمَ ، ثم من بنى هاشمٍ صِفوةِ قريشٍ ، ومن مكةَ أُمِّ القرى وبلدِ البيتِ الذى بناه إبراهيمُ ودَعا الناسَ إلى حجِّه ، ولم يزَلْ مَحْجوجًا مِن عهدِ إبراهيمَ ، مذْكورًا فى كتبِ الأنبياءِ بأحسنِ وصفٍ .

وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أكْملِ الناسِ تربيةً ونَشْأةً ، لم يزَلْ مَعْروفًا بالصدقِ ، والبِرِّ ، ومَكارمِ الأخْلاقِ ، والعدلِ ، وتركِ الفَواحشِ والظلمِ وكلِّ وَصْفٍ مَذْمومٍ ، مَشْهودًا له بذلك عندَ جميعِ مَن يَعْرِفُه [٣/ ٤٦٨ظ] قبلَ النبوةِ ، ومَن آمَن به ومَن كفَر بعدَ النبوةِ ، ولا يُعْرَفُ له شيءٌ يُعابُ به ؛ لا فى أقوالِه ، ولا فى أفعالِه ، ولا فى أخلاقِه ، ولا جَرَتْ[3] عليه كَذْبةٌ قَطُّ ، ولا ظلمٌ ، ولا فاحشةٌ .

وكان صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ، خَلْقُه وصورتُه مِن أحسنِ[4] الصوَرِ وأتمِّها وأجْمعِها للمَحاسنِ الدالَّةِ على كَمالِه ، وكان أُمِّيًّا مِن قومٍ أُمِّيِّين لا يَعْرِفُ لا هو

---

(١) فى م : « من » .

(٢ - ٢) ليس فى الجواب الصحيح .

(٣) فى ١١١ غير منقوطة . وفى ا ٤ : « جربت » ، وفى م ، ص : « جرب » .

(٤) فى الجواب الصحيح : « أكمل » .

ولا هم ما يَعْرِفُه أهلُ الكتابِ ؛ التوراةِ والإنْجيلِ ، ولم يقْرَأْ شيئًا مِن علومِ الناسِ ، ولا جالَس أهلَها ، ولم يدَّعِ نبوةً إلى أن أكْمَل اللَّهُ له أربعين سنةً ، فأتَى بأمرٍ هو أعجبُ الأمورِ وأعظمُها ، وبكلامٍ لم يسْمَعِ الأولون والآخِرون بنظيرِه ، وأخْبَر بأمرٍ لم يكنْ فى بلدِه وقومِه مَن يعْرِفُ مثلَه[1] .

ثم اتبعه أتباعُ الأنبياءِ وهم ضُعفاءُ الناسِ ، وكذَّبه أهلُ الرِّياسةِ وعادَوْه ، وسَعَوا فى هَلاكِه وهلاكِ مَن اتبعه بكلِّ طريقٍ ، كما كان الكفارُ يفْعَلون بالأنبياءِ وأتْباعِهم ، والذين اتَّبعوه لم يتَّبِعوه لرغبةٍ ولا لرَهْبةٍ ؛ فإنه لم يكنْ عندَه مالٌ يُعْطِيهم ولا جِهاتٌ يُوَلِّيهم إياها ، ولا كان له سيفٌ ، بل كان السيفُ والمالُ والجاهُ مع أعدائِه ، وقد آذَوْا أتْباعَه بأنواعِ الأذى وهم صابرون مُحْتَسِبون لا يرْتَدُّون عن دينِهم ؛ لِما خالَط قلوبَهم مِن حَلاوةِ الإيمانِ والمعرفةِ .

وكانت مكةُ يَحُجُّها العربُ مِن عهدِ إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، فيجْتَمِعُ فى المَوْسِمِ قبائلُ العربِ فيَخْرُجُ إليهم يُبَلِّغُهم الرِّسالةَ ، ويدْعُوهم إلى اللَّهِ صابرًا على ما يَلْقاه مِن تَكْذيبِ المُكَذِّبِ ، وجَفاءِ الجافى ، وإعْراضِ المُعْرِضِ ، إلى أن اجْتَمَع بأهلِ يَثْرِبَ ، وكانوا جِيرانَ اليهودِ ، وقد سمِعوا أخْبارَه منهم وعرَفوه ، فلما دَعاهم علِموا أنه النبىُّ المُنْتَظَرُ الذى يُخْبِرُهم به اليهودُ ، وكانوا قد سمِعوا مِن أخْبارِه أيضًا ما عرَفوا به مكانتَه ، فإنَّ أمْرَه كان قد انتَشَر وظهَر فى بضْعَ عشْرةَ سنةً ، فآمَنوا به وبايَعوه[2] على هجرتِه وهجرةِ أصحابِه إلى بلدِهم ، وعلى الجهادِ معه ، فهاجَر هو ومَن اتَّبَعه

---

(١) بعده فى الجواب الصحيح : « ولم يعرف قبله ولا بعده ، لا فى مصر من الأمصار ، ولا فى عصر من الأعصار ، من أتى بمثل ما أتى به ، ولا من ظهر كظهوره ، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة ، وباليد والقوة كظهوره ﷺ » .

(٢) فى ا ١١، والجواب الصحيح : « تابعوه » .

إلى المدينةِ ، وبها المهاجرون والأنصارُ ، ليس فيهم مَن آمَن برغبةٍ دُنيويةٍ ولا برَهْبةٍ إلا قليلًا مِن الأنصارِ أسْلَموا فى الظاهرِ ثم حَسُن إسلامُ بعضِهم .

ثم أُذِن له فى الجهادِ ، ثم أُمِر به ، ولم يزَلْ قائمًا بأمْرِ اللَّهِ على أكْملِ طريقةٍ وأتمِّها مِن الصدقِ والعدلِ والوَفاءِ ، لا يُحْفَظُ له كَذْبةٌ واحدةٌ ، ولا ظلمٌ لأحدٍ ، ولا غَدْرٌ بأحدٍ ، بل كان أصدقَ الناسِ وأعدَلَهم وأوْفاهم بالعهدِ مع اختلافِ الأحْوالِ عليه[1] ؛ مِن حربٍ وسِلْمٍ ، وأمْنٍ وخوفٍ ، وغِنًى وفقرٍ ، [2]وقُدْرةٍ وعَجْزٍ[2] ، وتمكُّنٍ وضعفٍ ، وقلةٍ وكثرةٍ ، وظهورٍ على العدوِّ تارةً وظهورِ [٣/ ٤٦٩و] العدوِّ تارةً .

وهو على ذلك كلِّه لازمٌ لأكملِ الطرقِ وأتمِّها ، حتى ظهَرتِ الدعوةُ فى جميعِ أرضِ العربِ التى كانت مَمْلوءةً مِن عبادةِ الأوْثانِ ، ومِن أخبارِ الكُهَّانِ ، وطاعةِ المخلوقِ فى الكفرِ بالخالقِ ، وسَفْكِ الدماءِ المحُرَّمةِ ، وقَطيعةِ الأرْحامِ ، لا يَعْرِفون آخِرةً ولا مَعادًا ، فصاروا أعْلَمَ أهلِ الأرضِ وأدْينَهم وأعْدلَهم وأفضلَهم ، حتى إن النصارى لما رَأَوْهم حينَ قدِموا الشامَ قالوا : ما كان الذين صحِبوا المسيحَ بأفضلَ مِن هؤلاء . وهذه آثارُ علْمِهم وعمَلِهم فى الأرضِ وآثارُ غيرِهم ، يَعْرِفُ العُقلاءُ فَرْقَ ما بينَ الأمرين .

وهو ﷺ مع ظهورِ أمرِه ، وطاعةِ الخلْقِ له ، وتَقْديمِهم له على الأنْفسِ والأمْوالِ ، مات ولم يَخْلُفْ درهمًا ولا دينارًا ، ولا شاةً ولا بعيرًا ، إلا بغلتَه وسلاحَه ، ودِرْعَه مَرْهونةً عندَ يهوديٍّ على ثلاثين وَسْقًا مِن شعيرٍ ابتاعها لأهلِه ، وكان بيدِه عَقارٌ يُنْفِقُ منه على أهلِه ، والباقى يَصْرِفُه فى مَصالحِ المسلمين ، فحَكَمَ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) ليس فى الجواب الصحيح .

بأنه لا يُورَثُ ، ولا يأخُذُ ورثتُه شيئًا مِن ذلك .

وهو فى كلِّ وقتٍ يُظْهِرُ[1] مِن عَجائبِ الآياتِ وفُنونِ الكَراماتِ ما يطولُ وصفُه ، ويُخْبِرُهم بما كان وما يكونُ ، ويأمُرُهم بالمعروفِ ويَنْهاهم عن المنكرِ ، ويُحِلُّ لهم الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخَبائثَ ، ويَشْرَعُ الشريعةَ شيئًا بعدَ شيءٍ ، حتى أكْمَل اللَّهُ دينَه الذى بعَثه به ، وجاءت شريعتُه أكملَ شريعةٍ ، لم يَبْقَ معروفٌ تَعْرِفُ العُقولُ أنه مَعْروفٌ إلا أمَر به ، ولا منكرٌ تَعْرِفُ العُقولُ أنه مُنْكَرٌ إلا نهَى عنه ، ولم يأمُرْ بشيءٍ فقيل : ليتَه لم يأْمُرْ به . ولا نهَى عن شيءٍ فقيل : ليتَه لم ينْهَ عنه . وأحَلَّ لهم الطَّيِّباتِ لم يُحَرِّمْ شيئًا منها كما حُرِّم فى شَرْعِ غيرِه ، وحرَّم الخبائثَ لم يُحِلَّ منها شيئًا كما استَحَلَّه غيرُه ، وجَمَع مَحاسنَ ما عليه الأممُ ، فلا يُذْكَرُ فى التوراةِ والإنْجيلِ والزَّبورِ نوعٌ مِن الخبرِ عن اللَّهِ وعن الملائكةِ وعن اليومِ الآخِرِ إلا وقد جاء به على أكملِ وجهٍ ، وأخْبَر بأشياءَ ليستْ فى الكتبِ ، فليس فى الكتبِ إيجابٌ لعَدْلٍ ، وقضاءٌ بفَضْلٍ ، وندْبٌ إلى الفَضائلِ ، وتَرْغيبٌ فى الحسناتِ إلا وقد جاء به وبما هو أحسنُ منه ، وإذا نظَر اللَّبيبُ فى العباداتِ التى شرَعها وعباداتِ غيرِه مِن الأممِ ظهَر فضلُها ورُجْحانُها ، وكذلك فى الحدودِ والأحكامِ وسائرِ الشَّرائعِ .

وأُمَّتُه أكملُ الأممِ فى كلِّ فَضيلةٍ ، وإذا قِيس علمُهم بعلمِ سائرِ الأممِ ظهَر فضْلُ علمِهم ، وإن قِيس دينُهم وعبادتُهم وطاعتُهم للَّهِ بغيرِهم ظهَر أنهم أديَنُ مِن غيرِهم ، وإذا قِيس شجاعتُهم وجهادُهم [٣/ ٤٦٩ظ] فى سبيلِ اللَّهِ وصبرُهم على المكارهِ فى ذاتِ اللَّهِ ظهَر أنهم أعظمُ جهادًا وأشجعُ قلوبًا ، وإذا قِيس

---

(١) بعده فى الجواب الصحيح : « على يديه » .

سَخاؤُهم وبَذْلُهم[1] وسَماحةُ أنفسِهم بغيرِهم ظهَر أنهم أسْخَى وأكرمُ مِن غيرِهم. وهذه الفَضائلُ به نالوها، ومنه تعَلَّموها، وهو الذى أمَرهم بها، لم يكونوا قبلَه مُتَّبِعين لكتابٍ جاء هو بتَكْميلِه كما جاء المسيحُ، عليه السلامُ، بتَكْميلِ شَريعةِ التَّوْراةِ، فكانت فَضائلُ أتْباعِ المسيحِ وعُلومُهم بعضُها مِن التوراةِ، وبعضُها مِن الزَّبورِ، وبعضُها مِن النُّبوَّاتِ، وبعضُها مِن المسيحِ، وبعضُها ممن بعدَه [2]كالحواريِّين ومَن بعدَ[2] الحَواريِّين، وقد استعانوا بكلامِ الفَلاسفةِ وغيرِهم حتى أدْخَلوا - لمَّا غيَّروا دينَ المسيحِ - فى دينِ المسيحِ أمورًا مِن أمورِ الكفارِ المُناقضةِ لدينِ المسيحِ.

وأما أمةُ محمدٍ ﷺ فلم يكونوا قبلَه يَقْرَءُون كتابًا، بل عامَّتُهم ما آمَنوا بموسى وعيسى وداودَ والتوراةِ والإنْجيلِ والزَّبورِ إلا مِن جهتِه، وهو الذى أمَرهم أن يُؤْمنوا بجميعِ الأنبياءِ، ويُقِرُّوا بجميعِ الكتبِ المُنَزَّلةِ مِن عندِ اللَّهِ، ونهاهم أن يُفَرِّقوا بينَ أحدٍ مِن الرسلِ، فقال تعالى فى الكتابِ الذى جاء به: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

---

(١) فى الأصل، ١١١، ٤١: «كرمهم»، وفى م: «برهم».

(٢ - ٢) فى م: «من الحواريين ومن بعض».

وأُمَّتُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لا يَسْتَحِلُّون أن يَأْخُذوا[1] شيئًا مِن الدينِ غيرَ ما جاء به ، ولا يَبْتَدِعون بِدْعةً ما أنْزَل اللَّهُ بها مِن سُلطانٍ ، ولا يَشْرَعون مِن الدينِ ما لم يَأْذَنْ به اللَّهُ ، لكن ما قصَّه عليهم مِن أخبارِ الأنبياءِ وأممِهم اعْتَبَروا به ، وما حدَّثهم به أهلُ الكتابِ مُوافقًا لِما عندَهم صدَّقوه ، وما لم يَعْلَمُوا صدقَه ولا كَذِبَه أمْسَكوا عنه ، وما عرَفوا أنه باطلٌ كذَّبوه ، ومَن أدْخَل فى الدينِ ما ليس منه مِن أقوالِ مُتَفَلْسِفةِ الهندِ أو الفرسِ أو اليُونانِ أو غيرِهم ، كان عندَهم مِن أهلِ الإلْحادِ والابْتداعِ ، وهذا هو الدينُ الذى كان عليه أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ والتابعون ، وهو الذى عليه أئمةُ الدينِ[2] الذين لهم فى الأُمَّةِ لسانُ صِدْقٍ ، وعليه جماعةُ المسلمين وعامَّتُهم ، ومَن [٣/ ٤٧٠و] خرَج عن ذلك كان مَذْمومًا مَدْحورًا عندَ الجماعةِ ، وهو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ، وهم الظاهرُون إلى قيامِ الساعةِ ، الذين قال فيهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَزالُ طائفةٌ مِن أمتى ظاهرين على الحقِّ ، لا يضُرُّهم مَن خالفَهم ولا مَن خذَلهم حتى تقومَ الساعةُ[3] » .

وقد يتَنازَعُ بعضُ المسلمين مع اتفاقِهم على هذا الأصلِ الذى هو دينُ الرسلِ عمومًا ، ودينُ محمدٍ ﷺ خُصوصًا ، ومَن خالف فى هذا الأصلِ كان عندَهم مُلْحِدًا مَذْمومًا ، ليسوا كالنصارى الذين ابْتَدعوا دينًا قام به أكابرُ علمائِهم وعُبَّادِهم ، وقاتَل عليه ملوكُهم ، ودان به جمهورُهم ، وهو دينٌ مُبْتَدَعٌ ليس هو دينَ المسيحِ ولا دينَ غيرِه مِن الأنبياءِ ، واللَّهُ سبحانَه أرْسَل رسلَه بالعلمِ النافعِ ، والعملِ الصالحِ ، فمن اتَّبَع الرسلَ حصَل له سعادةُ الدنيا والآخرةِ ، وإنما دخَل فى

---

(١) فى ا ٤١ : « يحدثوا » ، وفى م : « يوجدوا » ، وفى ص : « وجدوا » .

(٢) فى الجواب الصحيح : « المسلمين » .

(٣) رواه البخارى (٣٦٤٠، ٣٦٤١، ٧٣١١، ٧٣١٢، ٧٤٥٩، ٧٤٦٠) ، ومسلم (١٧٤، ١٧٥/ ١٠٣٧) من كتاب الإمارة ، و (١٩٢٠، ١٩٢١) .

البدعِ مَن قصَّر فى اتِّباعِ الأنبياءِ عِلْمًا وعَمَلًا ، ولمَّا بعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ بالهُدَى ودينِ الحقِّ ، تلَقَّى ذلك عنه المسلمون أمتُه ، فكلُّ علمٍ نافعٍ وعملٍ صالحٍ عليه أُمةُ محمدٍ ﷺ أخَذوه عن نبيِّهم ، (١ مع ما يَظْهَرُ ١) لكلِّ عاقلٍ أن أُمتَه أكملُ الأممِ فى جميعِ الفَضائلِ العلْميَّةِ والعمَليَّةِ ، ومعلومٌ أن كلَّ كمالٍ فى الفرعِ المتعلِّمِ هو فى الأصلِ المُعَلِّمِ ، وهذا يَقْتَضى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كان أكملَ الناسِ علمًا ودينًا ، وهذه الأمورُ تُوجِبُ العلمَ الضرورىَّ بأنه كان صادقًا فى قولِه : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . لم يكنْ كاذبًا مُفْتَرِيًا ، فإن هذا القولَ لا يقولُه إلا مَن هو مِن خِيارِ الناسِ وأكْملِهم إن كان صادقًا ، أو مَن هو مِن أشرِّ الناسِ وأخْبثِهم إن كان كاذبًا ، وما ذُكِر مِن كمالِ علمِه ودينِه يُناقِضُ الشرَّ والخُبْثَ والجهلَ ، فتعَيَّنَ أنه مُتَّصِفٌ بغايةِ الكَمالِ فى العلمِ والدينِ ، وهذا يسْتَلْزِمُ أنه كان صادقًا فى قولِه : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ . لأن الذى لم يكنْ صادقًا إما أن يكونَ مُتَعَمِّدًا للكذبِ أو مُخْطِئًا ، والأولُ يُوجِبُ أنه كان ظالمًا غاويًا ، والثانى يَقْتَضى أنه كان جاهلًا ضالًّا ، ومحمدٌ ﷺ كمالُ علمِه يُنافى جهلَه ، وكمالُ دينِه يُنافى تَعَمُّدَ الكذبِ ، فالعلمُ بصفاتِه يسْتَلْزِمُ العلمَ بأنه لم يكنْ مُتَعَمِّدًا للكذبِ ، ولم يكن جاهلًا يَكْذِبُ بلا علمٍ ، وإذا انْتَفَى هذا وذاك تعَيَّنَ أنه كان صادقًا عالمًا بأنه صادقٌ ؛ ولهذا نزَّهه اللَّهُ عن هذين الأمرَيْن بقولِه تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ١- ٤] . وقال تعالى عن المَلَكِ الذى جاء به : [٣/ ٤٧٠ظ] ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ . ثم قال عنه : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣

(١ - ١) فى م : « كما ظهر » .

وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ . (أى ؛ بمُتَّهَمٍ أو بخيلٍ كالذى لا يُعَلِّمُ إلا بجُعْلٍ ، أو لِمَن يُكْرِمُه[1] : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ١٩- ٢٧] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ٢٢٣] . بيَّن سبحانَه أن الشيطانَ إنما يَنْزِلُ على مَن يُناسِبُه ، ليُحَصِّلَ به غرضَه ، فإن الشيطانَ يقْصِدُ الشرَّ ، وهو الكذبُ والفُجورُ ، ولا يقْصِدُ الصدقَ والعدلَ ، فلا يقْتَرِنُ إلا بمَن فيه كذبٌ - إما عمدًا وإما خطأً - وفجورٌ أيضًا ، فإن الخطأَ فى الدينِ هو مِن الشيطانِ أيضًا ، كما قال ابنُ مسعودٍ لما سُئِل عن مسألةٍ[2] : أقولُ فيها برأيي ، فإن يكنْ صوابًا فمِن اللَّهِ ، وإن يكنْ خطأً فمنى ومِن الشيطانِ ، واللَّهُ ورسولُه بَرِيئانِ منه . فالرسولُ بَرِىءٌ مِن تَنَزُّلِ الشيطانِ عليه فى العَمْدِ والخطأِ ، بخلافِ غيرِ الرسولِ فإنه قد يُخْطِئُ ، ويكونُ خطؤُه مِن الشيطانِ وإن كان خطؤُه مَغْفورًا له ، فإذا لم يُعْرَفْ له خبرٌ أخْبَرَ به كان فيه مُخْطِئًا ، ولا أمرٌ أمَر به كان فيه فاجرًا ، عُلِم أن الشيطانَ لم يَنْزِلْ عليه وإنما يَنْزِلُ عليه مَلَكٌ كريمٌ ، ولهذا قال فى الآيةِ الأخرى عن النبىِّ ﷺ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤٣] . انتهى ما ذكره ، رحمه اللَّهُ ، وهذا عَيْنُ ما أوْرَده بحروفِه .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أخرجه أبو داود (٢١١٦) واللفظ له ، والنسائى (٣٣٥٤ - ٣٣٥٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٨٥٨) .

(١) بابُ أما دلائلُ النبوةِ الحِسّيّةُ - أعنى المشاهَدةَ بالأبصارِ - فسماويَّةٌ وأرضيَّةٌ (١)

ومِن أعظمِ ذلك كلِّه انْشقاقُ القمرِ المُنيرِ فِرْقتَيْن، قال اللَّهُ تعالى (٢): ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ١- ٥]. وقد اتفق العلماءُ مع بقيَّةِ الأئمةِ على أن انشقاقَ القمرِ كان فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد ورَدتِ الأحاديثُ بذلك مِن طرقٍ تُفيدُ القَطْعَ عندَ الأُمَّةِ.

روايةُ أنسِ بنِ مالكٍ: قال الإمامُ أحمدُ (٣): حدَّثنا عبدُ الرزاقِ، ثنا مَعْمَرٌ، عن قتادةَ، عن أنسٍ قال: سأَل أهلُ مكةَ النبىَّ ﷺ آيةً، فانْشَقَّ القمرُ بمكةَ مَرَّتَيْن (٤)، فقال: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ [٣/ ٤٧١و] ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾. ورواه مسلمٌ، عن محمدِ بنِ رافعٍ، عن عبدِ الرزاقِ (٣).

وقال البخارىُّ (٥): حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوهَّابِ، ثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ، ثنا

(١ - ١) فى م: «باب دلائل النبوة الحسية».

(٢) التفسير ٧/٤٤٥ - ٤٥١.

(٣) تقدم تخريجه فى ٤/ ٢٩٤.

(٤) فى م: «فرقتين».

(٥) البخارى (٣٨٦٨).

سعيدُ بنُ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن أهلَ مكةَ سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُرِيَهم آيةً ، فأراهم القمرَ شِقَّتَيْن ، حتى رأَوْا حِراءَ بينَهما . وأخْرَجاه فى « الصحيحَيْن » مِن حديثِ شَيْبانَ ، عن قتادةَ[1] ، ومسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ ، عن قتادةَ[1] .

روايةُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ : قال أحمدُ[1] : حدثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ ، ثنا سليمانُ بنُ كَثيرٍ[2] ، عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه قال : انشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فصار فِرْقتَيْن ؛ فِرْقةٌ على هذا الجبلِ ، وفِرْقةٌ على هذا الجبلِ ، فقالوا : سحَرَنا محمدٌ . فقالوا : إن كان سحَرَنا فإنه لا يستَطيعُ أن يَسْحَرَ الناسَ كلَّهم[3] . تفرَّد به أحمدُ[4] . ورواه ابنُ جريرٍ والبيهقىُّ مِن طرقٍ ، عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ به[5] .

روايةُ حذيفةَ بنِ اليَمانِ : قال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ[6] : حدَّثنى يعقوبُ ، حدثنى ابنُ عُلَيَّةَ ، أنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ قال : نزَلْنا المَدائنَ فكنا منها على فَرْسَخٍ ، فجاءت الجُمُعةُ ، فحضَر أبى ، وحضَرْتُ معه ، فخطَبَنا حذيفةُ ، فقال : إن اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ . ألا وإن الساعةَ قد اقْتَرَبَتْ ، ألا وإن القمرَ قد انْشَقَّ ، ألا وإن الدنيا قد آذَنَتْ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٤/ ٢٩٤.

(٢) فى الأصل ، م : « بكير » ، وفى ص : « كبير » . وهو خطأ ؛ انظر أطراف المسند ٢/ ١٨٥.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) انظر ما تقدم فى ٤/ ٢٩٥.

(٥) تقدم تخريجه فى ٤/ ٢٩٥.

(٦) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦.

بفِراقٍ ، ألا وإن اليومَ المِضْمارُ ، وغدًا السِّباقُ . فقلتُ لأبى : أتستَبِقُ الناسُ غدًا ؟ فقال : يا بُنىَّ ، إنك لَجَاهلٌ ، إنما هو السِّباقُ بالأعمالِ . ثم جاءت الجُمُعةُ الأخرى ، فحضَرْنا فخطَب حذيفةُ ، فقال : ألا إن اللَّهَ يقولُ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [1] ألا وإن الساعةَ قد اقتربتْ ، ألا وإن القمرَ قد انشقَّ [1] ألا وإن الدنيا قد آذَنَت بفِراقٍ ، ألا وإن اليومَ المِضْمارُ ، وغدًا السِّباقُ ، ألا وإن الغايةَ النارُ ، والسابقَ مَن سبَق إلى الجنةِ .

ورَواه أبو زُرْعةَ الرازىُّ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ » مِن غيرِ وجهٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ ، عن حذيفةَ ، فذكَر نحوَه ، وقال : ألا وإن القمرَ قد انْشَقَّ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : قال البخارىُّ [2] : ثنا يحْيَى بنُ بُكيرٍ ، ثنا بكرٌ ، عن جعفرٍ ، عن عِراكِ بنِ مالكٍ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : انشَقَّ القمرُ فى زمانِ النبىِّ ﷺ . ورواه البخارىُّ أيضًا ومسلمٌ [2] مِن حديثِ بكرِ بنِ مُضَرَ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ به .

طريقٌ أخرى عنه : قال ابنُ جريرٍ [2] : ثنا ابنُ مُثَنَّى ، ثنا عبدُ الأعْلَى ، ثنا داودُ ابنُ أبى هندٍ ، عن علىِّ بنِ أبى [٣/ ٤٧١ظ] طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ . قال : قد مضَى ذلك ، كان قبلَ الهجرةِ ، انشَقَّ القمرُ حتى رأَوْا شِقَّيه . ورَوَى العَوْفىُّ ، عن ابنِ عباسٍ نحوًا مِن هذا [2] .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من تفسير الطبرى .

(٢) تقدم تخريجه فى ٤/ ٢٩٦.

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ عن ابنِ عباسٍ، فقال أبو القاسمِ الطبرانىُّ[1]: ثنا أحمدُ بنُ عمرٍو البزَّارُ، ثنا محمدُ بنُ يحيى القُطَعىُّ، ثنا محمدُ بنُ بكرٍ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: كسَف القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا: سحَر القمرَ. فنزَلت: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾. وهذا سياقٌ غريبٌ. وقد يكونُ حصَل للقمرِ مع انشقاقِه كُسوفٌ فيدُلُّ على أن انشقاقَه إنما كان فى ليالى إبْدارِه. واللَّهُ أعلمُ.

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ: قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[2]: أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى، قالا: ثنا أبو العباسِ الأصَمُّ، ثنا العباسُ بنُ محمدٍ الدُّورىُّ، ثنا وهبُ بنُ جريرٍ، عن شعبةَ، عن الأعمشِ، عن مجاهدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ فى قولِه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾. قال: وقد كان ذلك على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ انشَقَّ فِلْقَتَيْن؛ فِلْقةً مِن دونِ الجبلِ، وفِلْقةً مِن خلفِ الجبلِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللهم اشْهَدْ». وهكذا رواه مسلمٌ والترمذىُّ مِن طرقٍ، عن شعبةَ، عن الأعمشِ، عن مُجاهدٍ[2]. قال مسلمٌ كروايةِ مجاهدٍ، عن أبى مَعْمرٍ، عن ابنِ مسعودٍ[2]. [3]وقال الترمذىُّ: حسنٌ صحيحٌ.

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ: قال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا سفيانُ، عن ابنِ[5][3]

---

(١) قال المصنف عند إيراده لهذا الوجه من الحديث فيما تقدم فى ٤/ ٢٩٩: وهذا إسناد جيد.
(٢) تقدم تخريجه فى ٤/ ٢٩٩.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣٠٠.
(٥) سقط من: م. انظر أطراف المسند ٤/ ١٦٣.

(١أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن أبى مَعْمرٍ ، عن ابنِ مسعودٍ١) قال : انشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْن حتى نظَروا إليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْهَدوا » . ورواه البخاريُّ ومسلمٌ ، مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ[٢] ، وأخْرجاه مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن أبى مَعْمرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ سَخْبَرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ به[٢] . قال البخاريُّ[٢] : وقال أبو الضُّحَى ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ : بمكةَ .

وهذا الذى علَّقه البخاريُّ قد أسْنَده أبو داودَ الطَّيالسيُّ فى « مُسْنَدِه » فقال[٢] : حدَّثنا أبو عَوانةَ ، عن المغيرةِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : انشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت قريشٌ : هذا سِحْرُ ابنِ أبى كَبْشةَ . قال : فقالوا : انظُروا ما يأْتِيكم به السُّفَّارُ ، فإن محمدًا لا يَسْتطيعُ أن يَسْحَرَ الناسَ كلَّهم . قال : فجاء السُّفَّارُ فقالوا ذلك .

وروَى البيهقيُّ[٣] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّوريِّ ، عن سعيدِ ابنِ سليمانَ ، عن هُشَيْمٍ[٤] ، عن مغيرةَ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : انشَقَّ القمرُ بمكةَ حتى صار [٣/ ٤٧٢و] فِرْقَتَيْن ، فقال كفارُ قريشٍ أهلُ مكةَ : هذا سِحْرٌ سحَركم به ابنُ أبى كَبْشةَ ، انظروا السُّفَّارَ ، فإن كانوا رأَوْا ما رأيْتُم فقد صدَق ، وإن كانوا لم يرَوْا ما رأيْتُم فهو سحرٌ سحَركم به . قال : فسُئِل السُّفَّارُ - وقدِموا مِن كلِّ وجهٍ - فقالوا : رأَيْنا .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣٠٠.

(٣) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣٠١.

(٤) فى النسخ : « هشام » . والمثبت مما تقدم ، وكما فى دلائل النبوة . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

ورواه ابنُ جَريرٍ[1] مِن حديثِ المغيرةِ وزاد : فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا مُؤَمَّلٌ ، عن إسرائيلَ ، عن سِماكٍ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : انشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى رأيْتُ الجبلَ بينَ فُرْجَتَيِ[2] القمرِ .

وروَى ابنُ جَريرٍ[3] ، عن يعقوبَ الدُّورىِّ ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ قال : نُبِّئْتُ أن ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : لقد انشَقَّ القمرُ .

ففى « صحيحِ البخارىِّ »[4] [5]مِن حديثِ الأعمشِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ[5] ، عن ابنِ مسعودٍ ، أنه كان يقولُ : خمسٌ قد مضَيْن ؛ الرُّومُ ، واللِّزامُ[6] ، والبَطْشةُ ، والدُّخانُ ، والقمرُ . فى حديثٍ طويلٍ عنه مَذْكورٍ فى تفسيرِ سورةِ « الدُّخَانِ » .

[7]وقال أبو زُرْعةَ فى « الدلائلِ » : حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ الدِّمَشقىُّ ، حدثَّنا الوليدُ ، عن الأوْزاعىِّ ، عن [8]ابنِ أبى كثيرٍ[8] قال : انشَقَّ القمرُ بمكةَ ،[7]

---

(١) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣٠١.

(٢) فى م : « فرقتى » .

(٣) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦.

(٤) البخارى (٤٨٢٤) . واللفظ المثبت فى (٤٨٢٠، ٤٨٢٥) .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) اللزام : هزيمة الكفار يوم بدر . انظر التفسير ٦/ ١٤٣.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨ - ٨) فى م : « ابن بكير » . وهو يحيى بن أبى كثير الطائى ، أبو نصر اليمامى . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٤.

(١ والنبيُّ ﷺ بها(٢) قبلَ الهجرةِ، فخَرَّ(٣) شِقَّتَيْن، فقال المشركون: سحَره ابنُ أبى كَبْشةَ. وهذا مرسَلٌ مِن هذا الوجه ١).

فهذه طرقٌ عن هؤلاء الجماعةِ مِن الصحابةِ، وشُهْرةُ هذا الأمْرِ تُغْنى عن إسنادِه مع وُرودِه فى الكتابِ العزيزِ، وما يذْكُره بعضُ القُصَّاصِ مِن أن القمرَ دخَل فى جَيْبِ النبىِّ ﷺ وخرَج مِن كُمِّه، ونحوِ هذا الكلامِ، فليس له أصلٌ يُعْتَمَدُ عليه، والقمرُ فى حالِ انشقاقِه لم يُزايِلِ السماءَ، بل انفَرق باثنَتَيْن، وسارت إحداهما حتى صارت وراءَ جبلِ حِراءَ، والأخرى مِن الناحيةِ الأخرى، وصار الجبلُ بينَهما، وكلتا الفِرْقتَيْن فى السماءِ، وأهلُ مكةَ ينْظُرون إلى ذلك، وظنَّ كثيرٌ مِن جَهَلَتِهم أن هذا شىءٌ سُحِرتْ به أبصارُهم، فسألوا مَن قَدِم عليهم مِن المسافِرين، فأخْبروهم بنظيرِ ما شاهدوه، فعلِموا صحةَ ذلك وتيقَّنوه. فإن قيل: فلِمَ لم يُعْرَفْ هذا فى جميعِ أقْطارِ الأرضِ؟ فالجوابُ؛ ومَن ينْفِى ذلك؟ ولكن تَطاولَ العهدُ والكَفَرةُ يجْحَدون بآياتِ اللَّهِ، ولعلهم لمَّا أُخْبِروا أن هذا كان آيةً لهذا النبىِّ المَبْعوثِ، تَداعَتْ آراؤُهم الفاسدةُ على كِتْمانِه وتَناسيه، على أنه قد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن المسافِرين أنهم شاهَدوا هَيْكلًا بالهندِ مَكْتوبًا عليه: إنه بُنِىَ فى الليلةِ التى انشَقَّ القمرُ فيها. ثم لما كان انشِقاقُ القمرِ ليلًا قد يَخْفَى [٣/ ٤٧٢ظ] أمْرُه على كثيرٍ مِن الناسِ؛ لأمورٍ مانعةٍ مِن مُشاهدتِه فى تلك الساعةِ، مِن غُيومٍ مُتَراكمةٍ كانت تلك الليلةَ فى بُلْدانِهم، ولنومِ كثيرٍ منهم، أو لَعَلَّه كان فى أثناءِ الليلِ حيث ينامُ كثيرٌ مِن الناسِ، وغيرِ ذلك مِن الأمورِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد حرَّرْنا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «فجرا»، وفى ١١١: «بحرا»، وفى ٤١: «بجزا».

هذا فيما تقدَّم فى كتابنا «التفسيرِ».

فأما حديثُ ردِّ الشمسِ بعدَ مَغيبِها، فقد أنبأنى شيخُنا المُسْنِدُ الرَّحْلةُ بَهاءُ الدينِ القاسمُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ تاجِ الأُمَناءِ بنِ عَساكرَ إذْنًا، قال: أخْبَرَنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عساكرَ، المشهورُ بالنَّسَّابةِ كتابةً[1] قال: [2]أنا الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ علىُّ بنُ الحسينِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عساكرَ فى كتابِه قال[2]: أخْبَرنا أبو المُظَفَّرِ بنُ القُشَيْرىِّ وأبو القاسمِ المُسْتَمْلِى، قالا: ثنا أبو عثمانَ الحيرىُّ[3] أنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ الدَّانْدانْقانىُّ[4] بها، أنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ مَحْبوبٍ. وفى حديثِ ابنِ القُشَيرىِّ: ثنا أبو العباسِ المَحْبوبىُّ، ثنا سعيدُ بنُ مسعودٍ (ح) قال الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ: وأنا أبو الفتحِ الماهانىُّ، أنا شُجاعُ بنُ علىٍّ، أنا أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه، أنا عثمانُ بنُ أحمدَ التِّنِّيسىُّ[5]، أنا أبو أميَّةَ محمدُ بنُ إبراهيمَ قال: حدثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى، ثنا فُضَيْلُ بنُ مرزوقٍ، عن إبراهيمَ بنِ الحسنِ - زاد أبو أميَّةَ: بنِ الحسنِ[6] - عن فاطمةَ بنتِ الحسينِ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُوحَى إليه ورأسُه فى حِجْرِ علىٍّ، فلم يُصَلِّ العصرَ حتى غرَبت الشمسُ، فقال رسولُ

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص. والحديث أخرجه الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٧٩، ٢٨٠. مخطوط.

(٣) فى الأصل: «البحترى»، وفى ١١١: «البحترى»، وفى ٤١: «البختري»، وفى م: «المحبر»، وفى ص، وتاريخ دمشق: «البحيرى». وانظر الأنساب ٢/ ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢.

(٤) فى الأصل: «الدبدانعانى»، وفى ١١١: «الندافعانى»، وفى ٤١، ص: «الدندافعانى»، وفى م: «الدنانعانى»، وفى تاريخ دمشق: «الدهابقانى». وانظر الأنساب ٢/ ٤٩٧.

(٥) فى م: «التنسى»، وفى ص: «السيسى»، وفى تاريخ دمشق: «البستى». وانظر الأنساب ١/ ٤٨٧.

(٦) فى تاريخ دمشق: «الحسين». وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٥٤، ٢٥٥.

اللَّهِ ﷺ : « صَلَّيْتَ العصرَ ؟ » - وقال أبو أميَّةَ : « صلَّيْتَ يا عليُّ ؟ » - قال : لا . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ - وقال أبو أمية : فقال النبيُّ ﷺ - : « اللهم إنه كان فى طاعتِك وطاعةِ نبيِّك - وقال أبو أميَّةَ : « رسولِك » - فارْدُدْ عليه الشمسَ » . قالت أسماءُ : فرأيْتُها غَرَبَتْ ثم رأيْتُها طَلَعَتْ بعدَما غرَبت . وقد رَواه الشيخُ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزىِّ فى « المَوْضوعاتِ » مِن طريقِ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ مَنْدَه ، كما تقدم ، ومِن طريقِ أبى جعفرٍ العُقَيْلىِّ ، ثنا أحمدُ بنُ داودَ ، ثنا عَمارُ بنُ مَطَرٍ ، ثنا فُضَيْلُ بنُ مَرْزوقٍ ، فذكَره[1] ، ثم قال[2] : وهذا حديثٌ مَوْضوعٌ ، وقد اضْطَرب الرُّواةُ فيه ، فرواه سعيدُ بنُ مسعودٍ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن فُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن علىِّ بنِ الحسنِ ، عن فاطمةَ بنتِ علىٍّ ، عن أسماءَ ، وهذا تَخْليطٌ فى الروايةِ . قال[2] : وأحمدُ بنُ داودَ ليس بشىءٍ ؛ قال الدارَقُطْنىُّ : مَتْروكٌ كَذَّابٌ . وقال ابنُ حِبَّانَ : كان يضَعُ الحديثَ . وعَمارُ بنُ مَطَرٍ قال فيه العُقَيْلىُّ : كان يُحَدِّثُ عن الثِّقاتِ بالمَناكِيرِ . وقال ابنُ عَدِىٍّ : مَتْروكُ [٣/٤٧٣و] الحديثِ[3] . قال[2] : وفُضَيْلُ بنُ مَرْزوقٍ قد ضعَّفه يحْيَى ، وقال ابنُ حِبَّانَ : يَرْوِى المَوْضوعاتِ ويُخْطِئُ على الثِّقاتِ[4] .

[5]وبه قال إلى الحافظِ أبى القاسمِ بنِ عساكرَ[5] ، قال : وأخبرنا أبو محمدٍ

---

(١) الموضوعات ١/ ٣٥٥. من كلتا الطريقين . وقد أخرجه العقيلىّ فى الضعفاء الكبير ٣/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) الموضوعات ١/ ٣٥٦.

(٣) وانظر الأقوال التى أوردها ابن الجوزى أيضا فى : الضعفاء والمتروكين للدارقطنى ص ٥٢، والضعفاء والمجروحين لابن حبان ١/ ١٤٦، والضعفاء الكبير ٣/ ٣٢٧، والكامل لابن عدى ٥/ ١٧٢٧.

(٤) انظر أيضا كلام يحيى بن معين وابن حبان فى : الضعفاء والمجروحين ٢/ ٢٠٩، والكامل ٦/ ٢٠٤٥.

(٥ - ٥) فى ١١١ : « وبه إلى الحافظ أبى القاسم بن عساكر » ، وفى ا ٤١: « وبه إلى ابن عساكر » ، وفى م : « وبه قال الحافظ ابن عساكر » . يعنى المصنف ، رحمه الله : وبإسناد شيخه بهاء الدين القاسم بن المظفر إلى الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق . قال ؛ أى قال صاحب تاريخ دمشق . والحديث عنده فى ١٢/ ٢٨٠. مخطوط .

ابنُ[1] طاوُسٍ ، أنا عاصمُ بنُ الحسنِ ، أنا أبو عمرَ[2] بنُ مَهْدىٍّ ، أنا أبو العباسِ بنُ عُقْدةَ ، ثنا أحمدُ بنُ يحيى الصُّوفىُّ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شَريكٍ ، حدَّثنى أبى ، عن عروةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُشَيْرٍ قال : دخَلْتُ على فاطمةَ بنتِ علىٍّ ، فرأيْتُ فى عنقِها خَرَزةً ، ورأيْتُ فى يدَيها مَسَكَتَيْنِ[3] غَليظتَيْن ، وهى عجوزٌ كبيرةٌ ، فقلتُ لها : ما هذا ؟ فقالت : إنه يُكْرَهُ للمرأةِ أن تتَشَبَّهَ بالرجالِ . ثم حدَّثَتْنى أن أسماءَ بنتَ عُمَيْسٍ حدثَتْها أن علىَّ بنَ أبى طالبٍ دفَع إلى النبىِّ ﷺ وقد أُوحِىَ إليه ، فجلَّله بثوبِه ، فلم يزَلْ كذلك حتى أدْبَرَتِ الشمسُ . تقولُ[4] : غابت أو كادت أن تَغيبَ . ثم إن نبىَّ اللَّهِ ﷺ سُرِّىَ عنه فقال : « أصَلَّيْتَ يا علىُّ ؟ » قال : لا . فقال النبىُّ ﷺ : « اللهم رُدَّ على علىٍّ الشمسَ » . فرجَعَت الشمسُ[5] حتى بَلَغَتْ نصفَ المسجدِ . قال عبدُ الرحمنِ : وقال أبى : حدثنى موسى الجُهَنىُّ نحوَه . ثم قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ : هذا حديثٌ منكرٌ ، وفيه غيرُ واحدٍ مِن المَجاهيلِ .

وقال الشيخُ أبو الفرَجِ بنُ الجَوْزىِّ فى « المَوْضوعاتِ »[6] : وقد روَى ابنُ شاهِينَ هذا الحديثَ عن ابنِ عُقْدَةَ . فذكَره ، ثم قال : وهذا باطلٌ ، والمُتَّهَمُ به ابنُ عُقْدةَ ، فإنه كان رافضِيًّا يُحَدِّثُ بمَثالبِ الصحابةِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « عن » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٩٨.

(٢) فى م : « عمرو » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٩٨، ٥٩٩.

(٣) المسَكَة بالتحريك : السِّوار من الذَّبْل ، وهى قرون الأوعال . وقيل : جلود دابة بحرية . والجمع : مَسَك . انظر النهاية ٤/ ٣٣١.

(٤) فى الأصل ، ٤١ غير منقوطة ، وفى ١١١ : « يقول » ، وفى م ، ص : « يقول » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) سقط من : م .

(٦) الموضوعات ١/ ٣٥٦.

قال الخطيبُ[1] : ثنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ نصْرٍ ، سمِعْتُ حمزةَ بنَ يوسُفَ يقولُ : كان ابنُ عُقْدةَ بجامعِ بَرَاثَا يُمْلِى مَثالبَ الصحابةِ - أو قال : الشيخَيْن - فترَكْتُه . وقال الدارَقُطْنىُّ[2] : كان ابنُ عُقْدةَ رجلَ سُوءٍ .

وقال ابنُ عَدِىٍّ[3] : سمِعْتُ أبا بكرِ بنَ أبى غالبٍ يقولُ : ابنُ عُقْدةَ لا يتَدَيَّنُ بالحديثِ ؛ لأنه كان يَحْمِلُ شيوخًا بالكوفةِ على الكذبِ ، فيُسَوِّى لهم نُسَخًا ويأمُرُهم أن يَرْوُوها ، وقد [4]تَبَيَّنَّا ذلك مِنه فى غيرِ شيخٍ بالكوفةِ[4] .

وقال الحافظُ أبو بشرٍ الدُّولابىُّ فى كتابِه « الذُّرِّيَّةِ الطاهرةِ »[5] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ يونسَ ، ثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، ثنا المطلبُ بنُ زيادٍ ، عن إبراهيمَ بنِ حيانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حسينٍ ، عن فاطمةَ بنتِ الحسينِ ، عن الحسينِ قال : كان رأسُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حِجْرِ علىٍّ وهو يُوحَى إليه . فذكَر الحديثَ بنحوِ ما تقدم . إبراهيمُ بنُ حيانَ هذا ترَكه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه[6] . وقال محمدُ بنُ ناصرٍ البَغْدادىُّ الحافظُ : هذا الحديثُ موضوعٌ . قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ : وصدَق ابنُ ناصرٍ . وقال ابنُ الجَوْزىِّ[7] : وقد رَواه ابنُ مَرْدَوَيْهِ مِن[8]

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٢٢، كما أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٣٥٦، ٣٥٧، من طريق الخطيب به .

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٥/ ٢٢، ٢٣، بإسناده عن الدارقطنى ، كما أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٣٥٦، ٣٥٧ ، من طريق الخطيب به .

(٣) الكامل ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤ - ٤) سقط من : ١١١، ٤١. وفى الأصل : « تبينا ذلك منه عند شيخ بالكوفة » ، وفى م ، ص : « بينا كذبه من عند شيخ بالكوفة » . والمثبت من الكامل .

(٥) ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٣٧، ٣٣٨، وعزاه للدولابى فى كتاب الذرية ، بنفس هذا الإسناد .

(٦) انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ١/ ٣١.

(٧) الموضوعات ١/ ٣٥٧.

(٨) بعده فى م ، ص : « طريق » .

حديثِ [٣/ ٤٧٣ظ] داودَ بنِ فراهيجَ[(١)] ، عن أبى هريرةَ قال : نام رسولُ اللَّهِ ﷺ ورأسُه فى حِجْرِ علىٍّ ، ولم يَكُنْ صلَّى العصرَ حتى غرَبتِ الشمسُ ، فلما قام رسولُ اللَّهِ ﷺ دَعا له ، فرُدَّت عليه الشمسُ حتى صلَّى ، ثم غابتْ ثانيةً . ثم قال : وداودُ ضعَّفه شعبةُ ، ثم قال ابنُ الجَوْزىِّ : ومِن تَغْفيلِ واضعِ هذا الحديثِ أنه نظَر إلى صورةِ فَضِيلَةٍ ، ولم يتَلَمَّحْ عدمَ الفائدةِ ، فإن صلاةَ العصرِ بغَيْبوبةِ الشمسِ صارت قَضاءً ، فرُجوعُ الشمسِ لا يُعيدُها أداءً ، وفى الصحيحِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : أن الشمسَ لم تُحْبَسْ على أحدٍ إلا ليُوشَعَ[(٢)] .

قلتُ : هذا الحديثُ ضعيفٌ ومُنْكَرٌ مِن جميعِ طرقِه ، فلا تخْلو واحدةٌ منها عن شِيعىٍّ ومجهولِ الحالِ ، وشِيعىٍّ ومتروكٍ ، ومثلُ هذا الحديثِ لا يُقْبَلُ فيه خبرُ واحدٍ إذا اتصل سندُه ؛ لأنه من بابِ ما تتَوَفَّرُ الدَّواعى على نقلِه ، فلابد مِن نقلِه بالتَّواتُرِ والاسْتفاضةِ ، لا أقلَّ مِن ذلك ، ونحن لا نُنْكِرُ هذا فى قدرةِ اللَّهِ تعالى ، وبالنسبةِ إلى جَنابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقد ثبَت فى « الصحيحِ »[(٣)] أنها رُدَّت ليُوشَعَ بنِ نُونٍ ، وذلك يومَ حاصَر بيتَ المقدسِ ، واتفق ذلك فى آخرِ يومِ الجُمُعةِ ، وكانوا لا يُقاتِلون يومَ السبتِ ، فنظَر إلى الشمسِ وقد تَضَيَّفَتْ[(٤)] للغُروبِ ، فقال : إنك مَأْمورةٌ ، وأنا مَأْمورٌ ، اللهم احْبِسْها علىَّ . فحبَسها اللَّهُ عليه حتى فتَحوها . ورسولُ اللَّهِ ﷺ أعظمُ جاهًا ، وأجَلُّ مَنْصِبًا ، وأعْلَى قَدْرًا مِن يُوشَعَ بنِ نُونٍ ، بل مِن سائرِ الأنبياءِ على الإطْلاقِ ، ولكن لا نقولُ إلا ما صحَّ عندَنا عنه ،

---

(١) فى م : « واهج » ، وفى ص : « واهيج » . انظر الجرح والتعديل ٣/ ٤٢٢ ، والمغنى فى الضعفاء للذهبى ١/ ٣٢١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٢٣٦.

(٣) البخارى (٣١٢٤) ، ومسلم (١٧٤٧) ، من غير تعيين اسم النبى .

(٤) فى الأصل ، ١١١م : « تنصفت » . وتضيفت : مالت . انظر النهاية ٣/ ١٠٨.

ولا نُسْنِدُ إليه ما ليس بصحيحٍ ، ولو صحَّ لكنا مِن أولِ القائلين به ، والمُعْتَقِدِين له . وباللَّهِ المُسْتعانُ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ حاتمِ بنِ زَنْجَوَيْهِ البخاريُّ فى كتابِه « إثباتِ إمامةِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ » : فإن قال قائلٌ مِن الرَّوافضِ : إن أفضلَ فَضيلةٍ لأبى الحسنِ وأدَلَّ دليلٍ على إمامتِه ما رُوِىَ عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُوحَى إليه ورأسُه فى حِجْرِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فلم يصلِّ العصرَ حتى غرَبتِ الشمسُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ : « صلَّيْتَ ؟ » قال : لا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم إنه كان فى طاعتِك وطاعةِ رسولِك فارْدُدْ عليه الشمسَ » . قالت أسماءُ : فرأَيْتُها غرَبت ، ثم رأيْتُها طلَعت بعدَما غرَبت . قيل له : كيف [1] لنا بصحَّةِ هذا الحديثِ لنَحْتَجَّ [1] [٣/ ٤٧٤و] على مُخالِفِينا مِن اليهودِ والنَّصارى ؟! ولكنَّ الحديثَ ضعيفٌ جدًّا ، لا أصلَ له ، وهذا مما كسَبت أيْدى الرَّوافضِ ، ولو رُدَّت الشمسُ بعدَما غرَبت لرآها المؤمنُ والكافرُ ، ونقَلوا إلينا أن فى يومِ كذا مِن شهرِ كذا فى سنةِ كذا رُدَّت الشمسُ بعدَما غرَبت ، ثم يقالُ للرَّوافِضِ : أيجوزُ أن تُرَدَّ الشمسُ لأبى الحسنِ حينَ فاتَتْه صلاةُ العصرِ ، ولا تُرَدَّ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولجميعِ المهاجرين والأنصارِ - وعلىٌّ فيهم - حينَ فاتَتْهم صلاةُ الظهرِ والعصرِ والمغربِ يومَ الخندقِ ؟! قال [2] : وأيضًا مرَّةً أخرى عرَّس رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمهاجرين والأنصارِ حينَ قفَل مِن غزوةِ خيبرَ . فذكَر نومَهم عن صلاةِ الصبحِ وصلاتَهم لها بعدَ طلوعِ الشمسِ . قال : فلم يُرَدَّ الليلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعلى

(١ - ١) فى الأصل : « لو صح هذا الحديث فنحتج » ، وفى ا ١١١ : « لنا نوضح هذا الحديث فنحتج » ، وفى م ، ص : « لنا لو صح هذا الحديث فنحتج » .

(٢) القول هنا وفيما بعد ، قائله هو الحافظ ابن زنجويه .

أصحابِه. قال: ولو كان هذا فَضْلًا، أُعْطِيَه[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ، وما كان اللَّهُ لِيمنعَ رسولَه شرَفًا وفضْلًا. يعنى أُعْطِيَه علىُّ بنُ أبى طالبٍ.

ثم قال: وقال إبراهيمُ بنُ يعقوبَ الجُوزْجانىُّ: قلتُ لمحمدِ بنِ عُبَيدٍ الطَّنافِسِىِّ: ما تقولُ فيمَن يقولُ: رَجَعَتِ الشمسُ على علىِّ بنِ أبى طالبٍ حتى صلَّى العصرَ؟ فقال: مَن قال هذا فقد كذَب.

وقال إبراهيمُ بنُ يعقوبَ: سألْتُ يَعْلَى بنَ عُبَيدٍ الطَّنافسىَّ قلتُ: إن ناسًا عندَنا يقولون: إن عليًّا وَصِىُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورجَعتْ عليه الشمسُ. فقال: كذبٌ هذا كلُّه.

فصلٌ فى[2] إيرادِ طرقِ[2] هذا الحديثِ مِن أماكنَ[3] متفرّقةٍ

[4]وقد جَمع فيه[4] أبو القاسمِ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ الحَسْكانىُّ [5]جزءًا وسماه «مسألةٌ فى[5] تصحيحِ رَدِّ الشمسِ وتَرْغيمِ النَّواصبِ الشُّمْسِ»[6]،

---

(١) يعنى: لو كان رد الشمس على علىٍّ فضلًا، لكان أولى بأن يُعطى هذا الفضل النبى محمدٌ ﷺ.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «طرق».

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) فى م: «يصنف فيه».

(٦) الشُّمْس والشُّمُس: جمع شَموس، يقال: رجل شَموس. عَسِرٌ فى عداوته شديد الخلاف على من عانده. انظر اللسان (ش م س).

والنواصب: اسم لفرقة الخوارج، وسموا بذلك لأنهم يتدينون ببغض على، رضى اللَّه عنه، فهم قد نصبوا له أى عادَوْه. انظر القاموس المحيط (ن ص ب)، ومقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧.

وقال : قد رُوِىَ ذلك مِن طريقِ أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ ، وعلىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، وأبى هريرةَ ، وأبى سعيدٍ الخدرىِّ . ثم رَواه مِن طريقِ أحمدَ بنِ صالحٍ المصرىِّ وأحمدَ ابنِ الوليدِ الأنْطاكىِّ والحسنِ بنِ داودَ[1] ، ثلاثتُهم عن محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ أبى فُدَيْكٍ ، وهو ثقةٌ ، أخْبَرنى محمدُ بنُ موسى الفِطْرىُّ المَدَنىُّ ، وهو ثقةٌ أيضًا ، عن عونِ بنِ محمدٍ . قال : وهو ابنُ محمدِ بنِ الحَنَفيةِ . عن أمِّه أمِّ جعفرٍ بنتِ محمدِ ابنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، عن جدَّتِها أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى الظهرَ بالصَّهْباءِ مِن أرضِ خيبرَ ، ثم أرْسَل عليًّا فى حاجةٍ ، فجاء وقد صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ العصرَ ، فوضَع رأسَه فى حِجْرِ علىٍّ ، فلم يُحَرِّكْه حتى غابت[2] الشمسُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم إن عبدَك عليًّا احْتَبَس نفسَه على نبيِّه ، فرُدَّ عليه شرقَها » . قالت أسماءُ : فطلَعت الشمسُ حتى رُفِعت[3] على الجبالِ ، فقام علىٌّ فتوضأ وصلَّى [٣/ ٤٧٤ظ] العصرَ ، ثم غابت الشمسُ . وهذا الإسنادُ فيه مَن يُجْهَلُ حالُه ، فإن عَوْنًا هذا وأمَّه لا يُعْرَفُ أمْرُهما[4] بعدالةٍ وضَبْطٍ يُقْبَلُ بسببِهما خبرُهما فيما هو دونَ هذا المَقامِ ، فكيف يَثْبُتُ بخبرِهما هذا الأمْرُ العظيمُ الذى لم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ الصِّحاحِ ولا السُّننِ ولا المَسانيدِ المَشْهورةِ ؟! فاللَّهُ أعلمُ . ولا نَدْرِى أسمِعَت أُمُّ هذا مِن جَدَّتِها أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ أم لا .

---

(١) أخرجه الطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٩، والطبرانى فى الكبير ٢/ ١٤٤، ١٤٥ (٣٨٢)، كلاهما من طريق أحمد بن صالح به . وأخرجه أبو الحسن بن شاذان - فى جزء له - كما ذكر ذلك السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٣٨، من طريق أحمد بن الوليد الأنطاكى به . وأما من طريق الحسن بن داود فلم نجده . موضوع (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٧١) .

(٢) فى م : « غربت » .

(٣) فى ص ، ومشكل الآثار : « وقعت » .

(٤) فى ١١١، ٤١ : « حالهما » .

ثم أوْرده هذا المصنِّفُ مِن طريقِ حسينِ بنِ الحسنِ [1]الأشْقرِ[2]، وهو شِيعيٌّ جَلْدٌ، وضعَّفه غيرُ واحدٍ[3]، عن الفُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ، عن إبراهيمَ بنِ الحسنِ[4] ابنِ الحسنِ[1]، عن فاطمةَ بنتِ الحسينِ الشهيدِ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ، فذكَر الحديثَ. قال: وقد رواه عن فُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ جماعةٌ، منهم عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى[5]، ثم أوْرَده مِن طريقِ أبى جعفرٍ الطَّحاوىِّ، مِن طريقِ [6]عُبيدِ اللَّهِ[6]، وقد قدَّمْنا روايتَنا له مِن حديثِ سعيدِ بنِ مسعودٍ وأبى أميَّةَ الطَّرْسوسىِّ، عن عُبَيدِ اللَّهِ ابنِ موسى العَبْسىِّ، وهو مِن الشيعةِ.

ثم أوْرَده هذا المصنفُ مِن طريقِ أبى جعفرٍ العُقَيْلىِّ[7]، عن أحمدَ بنِ داودَ، عن عَمَّارِ بنِ مَطَرٍ، عن فُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ الأغَرِّ الرَّقاشىِّ - ويقالُ: الرُّؤَاسىُّ، أبو عبدِ الرحمنِ الكوفىُّ مولى بنى عَنزةَ - وثَّقه الثورىُّ وابنُ عُيَينةَ، وقال أحمدُ: لا أعْلَمُ إلا خيرًا. وقال ابنُ مَعينٍ: ثقةٌ. وقال مرَّةً: صالحٌ ولكنه شديدُ التَّشَيُّعِ. وقال مرَّةً: لا بأسَ به. وقال أبو حاتمٍ: صدوقٌ صالحُ الحديثِ، يَهِمُ كثيرًا، يُكْتَبُ حديثُه ولا يُحْتَجُّ به. وقال عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارمىُّ: يقالُ: إنه ضعيفٌ. وقال النسائىُّ: ضعيفٌ. وقال ابنُ عَدِىٍّ: أرجو أنه لا بأسَ به. وقال ابنُ حِبَّانَ: مُنْكَرُ الحديثِ جدًّا، كان يُخْطِئُ على الثِّقاتِ، ويَرْوِى عن عَطِيَّةَ المَوْضوعاتِ[8].

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) لم نجد روايته.

(٣) انظر ترجمته فى الكامل لابن عدى ٢/ ٧٧١، وميزان الاعتدال ١/ ٥٣١، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٣٥.

(٤) فى م: «الحسين». وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٥٤، والمصادر الآتية.

(٥) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٤/ ١٤٧ (٣٩٠)، والجورقانى فى الأباطيل (١٥٤).

(٦ - ٦) فى ٤١، م: «عبد الله». وهذا الطريق فى مشكل الآثار ٢/ ٨، ٩.

(٧) الضعفاء الكبير ٣/ ٣٢٧.

(٨) انظر ترجمته والكلام عليه فى تاريخ الدارمى ص ١٩١، والكامل لابن عدى ٦/ ٢٠٤٥، والجرح والتعديل ٧/ ٧٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٦٢، ٣٦٣، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٠٥، ٣٠٨.

وقد روَى له مسلمٌ وأهلُ السننِ الأربعةِ، فمَن هذه ترجمتُه لا يُتَّهَمُ بتعَمُّدِ الكذبِ، ولكنه قد يَتَساهَلُ، ولاسيَّما فيما يُوافِقُ مذْهبَه، فيَرْوِى عمَّن لا يَعْرِفُه أو يُحْسِنُ به الظنَّ، فيُدَلِّسُ حديثَه، ويُسْقِطُه ويذْكُرُ شيخَه، ولهذا قال فى هذا الحديثِ الذى يجِبُ الاحْترازُ فيه وتوَقِّى الكذبِ فيه: عن. بصيغةِ التَّدْليسِ، ولم يأتِ بصِيغةِ التَّحْديثِ، فلعلَّ بينَهما مَن يُجْهَلُ أمْرُه، على أن شيخَه هذا إبراهيمَ ابنَ الحسنِ (١) بنِ الحسنِ (١) بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ليس بذاك المشهورِ فى حالِه، ولم يَرْوِ له أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ المُعْتَمَدةِ، ولا روَى عنه غيرُ الفُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ هذا ويحيى بنِ المُتَوَكِّلِ. قاله أبو حاتمٍ وأبو زُرْعةَ الرازيَّان، ولم يتَعَرَّضا لجَرحٍ ولا تَعْديلٍ (٢). وأما أُمُّه (٣) فاطمةُ بنتُ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ [٣/ ٤٧٥و]، وهى أختُ زَيْنِ العابدِين، فحديثُها مَشْهورٌ، روَى لها أهلُ السننِ الأربعةِ، وكانت فيمَن قُدِم بها مع أهلِ البيتِ بعدَ مَقْتلِ أبيها إلى دِمشقَ، وهى مِن الثِّقاتِ، ولكن لا يُدْرَى أسمِعَت هذا الحديثَ مِن أسماءَ أم لا. فاللَّهُ أعلمُ.

ثم قد رواه هذا المُصَنِّفُ مِن حديثِ أبى حفصٍ الكَتّانىِّ (٤)، ثنا محمدُ بنُ عمرَ القاضى هو الجِعَابىُّ، حدثنى محمدُ بنُ القاسمِ بنِ جعفرٍ العَسْكرىُّ مِن أصلِ كتابِه، ثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يزيدَ بنِ سُلَيمٍ (٥)، ثنا خلَفُ بنُ سالمٍ، ثنا

(١ - ١) سقط من: ٤١، م.

(٢) الجرح والتعديل ٢/ ٩٢.

(٣) زيادة من ١١١، ٤١. وهى أم إبراهيم بن الحسن بن الحسن. انظر ترجمتها فى تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٥٤.

(٤) فى ٤١، م: «الكنانى». ولعله أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير البغدادى. انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٨٢، ٤٨٣.

(٥) فى ١١١، ٤١: «سليمان». ولعل الصواب: «مسلم». انظر المصدر السابق ١٣/ ٢٤٠.

عبدُ الرزاقِ ، ثنا سفيانُ الثَّوْرىُّ ، [1]عن أشْعَثَ بنِ[2] أبى الشَّعْثاءِ ، عن أمِّه ، عن فاطمةَ ، يعنى بنتَ الحسينِ[1] ، عن أسماءَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا لعلىٍّ حتى رُدَّت عليه الشمسُ . وهذا إسنادٌ غريبٌ جدًّا ، وحديثُ عبدِ الرزاقِ وشيخِه الثورىِّ محفوظٌ عندَ الأئمةِ ، لا يَكادُ يُتْرَكُ منه شىءٌ مِن المُهِمَّاتِ ، فكيف لم يَرْوِ عن عبدِ الرزاقِ مثلَ هذا الحديثِ العظيمِ إلا خلفُ بنُ سالمٍ بما قبلَه مِن الرجالِ الذين لا يُعْرَفُ حالُهم فى الضَّبْطِ والعَدالةِ كغيرِهم ؟! ثم إن أمَّ أشْعَثَ مَجهولةٌ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثم ساقه هذا المصنفُ مِن طريقِ محمدِ بنِ مَرزوقٍ ، ثنا حسينٌ الأشْقرُ ، وهو شِيعىٌّ وضعيفٌ كما تقدم ، عن علىِّ بنِ هاشمِ بنِ البَريدِ[3] - وقد قال فيه ابنُ حِبَّانَ[4] : كان غاليًا فى التَّشَيُّعِ يَرْوِى المَناكيرَ عن المَشاهيرِ - عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ بنِ الحسنِ ، عن فاطمةَ بنتِ علىٍّ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ ، فذكَره ، وهذا إسنادٌ لا يَثْبُتُ .

ثم أسْنَده مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ شَريكٍ ، عن أبيه ، عن عروةَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن فاطمةَ بنتِ علىٍّ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ ، فذكَر الحديثَ كما قدَّمْنا إيرادَه مِن طريقِ ابنِ عُقْدةَ ، عن أحمدَ بنِ يَحْيى الصوفىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ شَريكِ بنِ[5] عبدِ اللَّهِ النَّخَعىِّ . وقد روَى عنه البخارىُّ فى كتابِ « الأدبِ »[6] ، وحدَّث عنه جماعةٌ مِن الأئمةِ ، وقال فيه أبو حاتمٍ الرازىُّ[7] : كان واهىَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ١١١ : « اليزيد » ، وفى م : « الثريد » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٦٣ .

(٤) المجروحين ٢/ ١١٠ .

(٥) فى ٤١ ، م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ١٧٠ .

(٦) الأدب المفرد (٧٩٧) باب قول الرجل : يا هنتاه .

(٧) الجرح والتعديل ٥/ ٢٤٤ .

الحديثِ . وذكَره ابنُ حِبَّانَ فى كتابِ « الثِّقاتِ »[1] ، وقال : ربما أخْطَأَ . وأرَّخ ابنُ عُقْدَةَ وفاتَه سنةَ سبعٍ وعشرين ومائتين[2] ، وقد قدَّمْنا أن الشيخَ أبا الفرجِ بنَ الجَوْزِىِّ قال : إنما أتَّهِمُ بوضعِه أبا العباسِ بنَ عُقْدةَ . ثم أوْرَد كلامَ الأئمةِ فيه بالطعنِ والجَرْحِ وأنه كان يُسَوِّى النُّسَخَ للمَشايخِ فيُرَوِّيهم إياها . فاللَّهُ أعلمُ . قلتُ : فى سِياقِ هذا [٣/ ٤٧٥ظ] الإسنادِ عن أسماءَ أن الشمسَ رجَعت حتى بلَغت نصفَ المسجدِ . وهذا يُناقِضُ ما تقَدم مِن أن ذلك كان بالصَّهْباءِ مِن أرضِ خَيْبَرَ ، ومثلُ هذا يُوجِبُ تَوْهِينَ الحديثِ وضعْفَه والقَدْحَ فيه .

ثم سرَده مِن حديثِ محمدِ بنِ عمرَ القاضى الجِعابىِّ ، ثنا علىُّ بنُ العباسِ بنِ الوليدِ ، ثنا عَبَّادُ[3] بنُ يَعقوبَ الرَّواجِنىُّ[4] ، ثنا علىُّ بنُ هاشمٍ ، عن صَبَّاحٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ أبى جعفرٍ ، عن حسينٍ المَقْتولِ ، عن فاطمةَ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت : لما كان يومُ شُغِل علىٌّ لمكانِه مِن قَسْمِ المَغْنَمِ حتى غرَبت الشمسُ أو كادت ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا صلَّيْتَ ؟ » قال : لا . فدَعا اللَّهَ فارتفعت[5] حتى توَسَّطت السماءَ ، فصلَّى علىٌّ ، فلما غابت[6] الشمسُ سمِعْتُ لها صَريرًا كصَريرِ المِنْشارِ فى الحديدِ . وهذا أيضًا سِياقٌ مُخالفٌ لما تقَدَّم مِن وجوهٍ كثيرةٍ ، مع أن إسنادَه مُظْلِمٌ جدًّا ، فإن صَبَّاحًا هذا لا يُعْرَفُ ، وكيف يَرْوِى الحسينُ بنُ علىٍّ المقتولُ شهيدًا عن واحدٍ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ ؟! هذا

---

(١) الثقات ٨/ ٣٧٥.

(٢) انظر تهذيب الكمال ١٧/ ١٧٠.

(٣) فى م : « عبادة » .

(٤) فى الأصل : « الرواجبى » ، وفى م : « الرواجى » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٧٥.

(٥) بعده فى ٤١، م : « الشمس » .

(٦) فى م ، ص : « غربت » .

تَخْبيطٌ[1] فاحشٌ[2] إسنادًا ومتنًا ، ففى هذا أن عليًّا شُغِل بمجرَّدِ قَسْمِ الغَنيمةِ ، وهذا لم يقُلْه أحدٌ ، ولا ذهَب إلى جوازِ تركِ الصلاةِ لذلك ذاهبٌ ، وإن كان قد جوَّز بعضُ العلماءِ تأخيرَ الصلاةِ عن وقتِها لعذرِ القتالِ ، كما حكاه البخاريُّ[3] عن مَكْحولٍ والأوزاعيِّ ، وأنسِ بنِ مالكٍ فى جماعةِ أصحابِه بتُسْتَرَ[4] ، واحتجَّ لهم البخاريُّ بقصةِ تأخيرِ الصلاةِ يومَ الخندقِ[5] وأمْرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أصحابَه أن لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ منهم العصرَ إلا فى بنى قُرَيظةَ[6] ، وذهَب جماعةٌ مِن العلماءِ إلى أن هذا نُسِخ بصلاةِ الخوفِ ، والمقصودُ أنه لم يقُلْ أحدٌ مِن العلماءِ أنه يجوزُ تأخيرُ الصلاةِ بعذرِ قَسْمِ الغَنيمةِ حتى يُسْنَدَ هذا إلى صنيعِ عليٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، وهو الراوى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن الوُسْطَى هى العصرُ ، فإن كان هذا ثابتًا على ما رواه هؤلاء الجَهَلةُ[7] ، وكان عليٌّ مُتَعَمِّدًا لتأخيرِ الصلاةِ لعذرِ قَسْمِ الغَنيمةِ وأقَرَّه عليه الشارعُ ، صار هذا وحدَه دليلًا على جَوازِ ذلك ، ويكونُ أقطَعَ فى الحُجَّةِ مما ذكَره البخاريُّ ؛ لأن هذا بعدَ مَشْروعيةِ صلاةِ الخوفِ قَطْعًا ؛ لأنه كان بخيبرَ سنةَ سبعٍ ، وصلاةُ الخوفِ شُرِعت قبلَ ذلك ، وإن كان عليٌّ ناسيًا حتى ترَك الصلاةَ إلى الغروبِ ، [8]فهو مَعْذورٌ فلا يحتاجُ إلى ردِّ الشمسِ ، بل وقتُها بعدَ الغروبِ[8] ، والحالةُ هذه إذَنْ [٣/٤٧٦و] كما ورَد به الحديثُ . واللَّهُ أعلمُ . وهذا

---

(١) فى ١١١: «تخليط» ، وفى ٤١: «تخليط وتخبيط» .

(٢) سقط من: م .

(٣) فتح البارى ٢/ ٤٣٤، باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو .

(٤) سقط من: م .

(٥) البخارى (٩٤٥) .

(٦) البخارى (٩٤٦) .

(٧) فى م ، ص: «الجماعة» .

(٨ - ٨) سقط من: الأصل .

كلُّه مما يدُلُّ على ضعفِ هذا الحديثِ ، ثم إن جعَلْناه قضيةً أخرى وواقعةً غيرَ ما تقَدَّم ، فقد تعَدّد ردُّ الشمسِ غيرَ مرةٍ ، ومع هذا لم ينْقُلْه أحدٌ مِن أئمةِ العلماءِ ، ولا رَواه أهلُ الكتبِ المشهورةِ ، وتفرَّد بهذه الفائدةِ هؤلاء الرُّواةُ الذين لا يخْلو إسنادٌ منها عن مجهولٍ ومتروكٍ ومتَّهَمٍ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم أوْرَده هذا المصنِّفُ مِن طريقِ أبى العباسِ بنِ عُقْدةَ ، حدَّثنا يحيى بنُ زكريا ، ثنا يعقوبُ بنُ مَعْبَدٍ[1] ، ثنا عمرُو بنُ ثابتٍ قال : سأَلْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ حسنِ ابنِ حسنٍ[2] بنِ علىٍّ عن حديثِ ردِّ الشمسِ على علىِّ بنِ أبى طالبٍ : هل ثَبَت عندَكم ؟ فقال لى : ما أنْزَل اللَّهُ فى كتابِه أعظمُ مِن ردِّ الشمسِ . قلتُ : صدَقْتَ ، جعَلَنى اللَّهُ فداك ، ولكنى أُحِبُّ أن أسمعَه منك . فقال : حدَّثنى أبى الحسنُ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ أنها قالت : أقْبَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ ذاتَ يومٍ وهو يريدُ أن يصلِّىَ العصرَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فوافَق رسولَ اللَّهِ ﷺ قد انصَرف ونزَل عليه الوحىُ ، فأسْنَده إلى صدرِه ، [3]فلم يزَلْ مُسْنِدَه إلى صدرِه[3] حتى أفاق رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « أصلَّيْتَ العصرَ يا علىُّ ؟ » قال : جئتُ والوحْىُ ينْزِلُ عليك ، فلم أزَلْ مُسْنِدَك إلى صدرى حتى الساعةِ . فاستقبل رسولُ اللَّهِ ﷺ القِبلةَ وقد غرَبت الشمسُ ، فقال : « اللهم إن عليًّا كان فى طاعتِك فارْدُدْها عليه » . قالت أسماءُ : فأقْبَلَت الشمسُ ولها صَريرٌ كصَريرِ الرَّحَى حتى كانت فى موضعِها وقتَ العصرِ ، فقام علىٌّ مُتَمَكِّنًا فصلَّى ، فلما فرَغ رجَعَت الشمسُ ولها

---

(١) فى ١١١، ٤١: « سعد » ، وفى م ، ص : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٥٥، ومنهاج السنة النبوية ٨/ ١٨٨.

(٢) فى م : « حسين » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

صَريرٌ كصَريرِ الرَّحَى ، فلما غابت الشمسُ[1] اخْتَلَط الظلامُ وبدَت النجومُ . وهذا مُنْكَرٌ أيضًا إسنادًا ومتنًا ، وهو مُناقِضٌ لما قَبلَه مِن السِّياقاتِ ، وعمرُو بنُ ثابتٍ هذا هو المُتَّهَمُ بوَضْعِ هذا الحديثِ أو سَرِقَتِه مِن غيرِه ، وهو عمرُو بنُ ثابتِ ابنِ هُرْمُزَ البَكْرِيُّ الكوفيُّ مولى بكرِ بنِ وائلٍ ، ويُعْرَفُ بعمرِو بنِ أبى[2] المِقْدامِ الحَدَّادِ ، روَى عن غيرِ واحدٍ مِن التابعين ، وحدَّث عنه جماعةٌ ، منهم ؛ سعيدُ بنُ منصورٍ وأبو داودَ وأبو الوليدِ الطَّيالِسيَّان[3] ، ترَكه عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، وقال[4] : لا تُحَدِّثوا عنه ؛ فإنه كان يَسُبُّ السَّلَفَ . ولما مَرَّت به جِنازتُه تَوارَى عنها . وكذلك ترَكه عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، وقال ابنُ مَعينٍ والنَّسائىُّ : ليس بثقةٍ [٣/ ٤٧٦ظ] ولا مَأْمونٍ ، ولا يُكْتَبُ حديثُه . وقال مرةً أخرى هو وأبو زُرْعةَ وأبو حاتمٍ : كان ضعيفًا . زاد أبو حاتمٍ : وكان رَدئَ الرأيِ ، شديدَ التَّشَيُّعِ ، لا يُكْتَبُ حديثُه . وقال البخاريُّ : ليس بالقوىِّ عندَهم . وقال أبو داودَ : كان مِن شِرارِ الناسِ ؛ كان رافضيًّا خبيثًا ، رجلَ سُوءٍ . قال هَنَّادٌ : ولما مات لم أُصلِّ عليه ؛ لأنه قال : لما مات رسولُ اللَّهِ ﷺ كفَر الناسُ إلا خمسةً . وجعَل أبو داودَ يذُمُّه . وقال ابنُ حِبَّانَ : يَرْوِى المَوْضوعاتِ عن الأثباتِ . وقال ابنُ عَدِىٍّ : والضَّعْفُ على حديثِه بيِّنٌ[5] . وأرَّخوا وفاتَه فى سنةِ سبعٍ وعشرين ومائةٍ ، ولهذا قال شيخُنا أبو العباسِ ابنُ تَيْميَّةَ[6] : وكان عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ وأبوه أجلَّ قَدْرًا مِن أن يُحَدِّثا بهذا

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٥٣.

(٣) بعده فى الأصل ، ١١١ ، م ، ص : « قال » .

(٤) ذكره العقيلى فى الضعفاء الكبير ٣/ ٢٦١ ، ٢٦٢ بإسناده عنه .

(٥) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل ٦/ ٢٢٣ ، والتاريخ الكبير ٦/ ٣١٩ ، والضعفاء الصغير ص ٨٧ ، والمجروحين ٢/ ٧٦ ، والكامل لابن عدى ٢/ ١٧٧٢ ، ١٧٧٣ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٤٩ ، وتهذيب الكمال ٢١/ ٥٥٥ - ٥٥٨.

(٦) منهاج السنة النبوية ٨/ ١٨٩.

الكذبِ[1] .

قال هذا المُصَنِّفُ لا[2] المُنْصِفُ : وأما حديثُ أبى هريرةَ[3] فأخْبَرَنا عقيلُ بنُ الحسنِ العَسْكرىُّ ، ثنا أبو محمدٍ صالحُ بنُ الفَتْحِ الشاشىُّ[4] ، ثنا أحمدُ بنُ عُميرِ ابنِ جَوْصاءَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهرىُّ ، ثنا يحيى بنُ يَزيدَ بنِ عبدِ الملكِ النَّوْفلىُّ ، عن أبيه ، ثنا داودُ بنُ فراهيجَ [5]وعن عُمارةَ بنِ بردٍ[6] ، عن أبى هريرةَ . فذكَره ، وقال : اختَصَرْتُه مِن حديثٍ طويلٍ . وهذا إسنادٌ مُظْلِمٌ ، ويحيى بنُ يزيدَ وأبوه وشيخُه داودُ بنُ فراهيجَ[5] كلُّهم مُضَعَّفون ، وهذا هو الذى أشار ابنُ الجَوْزىِّ[7] إلى أن ابنَ مَرْدَوَيْهِ رَواه مِن طريقِ داودَ بنِ فراهيجَ ، عن أبى هريرةَ ، وضعَّف داودَ هذا شعبةُ والنسائىُّ وغيرُهما[8] . والذى يظْهَرُ أن هذا مُفْتَعَلٌ[9] مِن بعضِ الرُّواةِ ، أو قد أُدْخِل على أحدِهم وهو لا يشْعُرُ . واللَّهُ أعلمُ .

قال : وأما حديثُ أبى سعيدٍ[10] ، فأخْبَرَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ الجُرْجانىُّ كِتابةً[11] ، أن أبا طاهرٍ محمدَ بنَ علىٍّ الواعظَ أخْبَرهم ، أنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ

---

(١) فى م ، ص : « الحديث » ، وفى ٤١ : « الحديث الكذب » .

(٢) سقط من : م .

(٣) نقله السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٣٨، عن الحسن بن شاذان عن أحمد بن عمير به .

(٤) فى النسخ : « النسائى » . والمثبت من ترجمته فى تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٦٠، ومنهاج السنة ٨/ ٩٠ حاشية (٤) .

(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ٤١.

(٦) فى الأصل : « برور » . وفى اللآلئ : « فيروز » ، ولعله هو الصواب .

(٧) الموضوعات ١/ ٣٥٧.

(٨) الضعفاء والمتروكين للنسائى ص ١٧٥. وانظر ميزان الاعتدال ٢/ ١٩، والكامل لابن عدى ٣/ ٩٤٩.

(٩) فى الأصل : « يتنقل » .

(١٠) انظر منهاج السنة ٨/ ١٩١، ١٩٢.

(١١) فى الأصل ، ٤١ : « فى كتابه » .

مُتَيَّم[1] ، أنا القاسمُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، [2]حدَّثني أبي ، عن أبيه محمدٍ ، عن أبيه عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه [3]محمدٍ ، عن أبيه[3] عمرَ قال[2] : قال الحسينُ[4] بنُ عليٍّ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ الخدريَّ يقولُ : دخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فإذا رأسُه في حِجرِ عليٍّ وقد غابت الشمسُ ، فانْتَبَه النبيُّ ﷺ ، وقال : « يا عليُّ ، صلَّيْتَ العصرَ ؟ » قال : لا يا رسولَ اللَّهِ ما صلَّيْتُ ، كرِهْتُ أن أضَعَ رأسَك مِن حِجْري وأنت وَجِعٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[5] : « ادْعُ يا عليُّ أن تُرَدَّ عليك الشمسُ » . فقال عليٌّ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ أنت وأُؤَمِّنُ [٣/ ٤٧٧و] أنا . فقال : « يا ربِّ ، إن عليًّا في طاعتِك وطاعةِ نبيِّك ، فارْدُدْ عليه الشمسَ » . قال أبو سعيدٍ : فواللَّهِ لقد سمِعْتُ للشمسِ صَرِيرًا كصَرِيرِ البَكْرةِ حتى رجَعت بَيْضاءَ نقيةً . وهذا إسنادٌ مُظْلِمٌ أيضًا ، ومبتكَرٌ[6] مُنْكَرٌ ، ومُخالِفٌ لما تقدَّمَه مِن السِّياقاتِ ، وكلُّ هذا يدُلُّ على أنه مَوْضوعٌ مَصْنوعٌ مُفْتَعَلٌ ، يسْرِقُه[7] بعضُ[8] هؤلاء الرافِضةِ[9] مِن بعضٍ ، ولو كان له أصلٌ مِن رِوايةِ أبي سعيدٍ لتلَقَّاه عنه كبارُ أصحابِه ، كما أخْرجا في « الصحيحَيْن »[10]

---

(١) في منهاج السنة : « منعم » . وانظر الإكمال ٧/ ٢٠٥.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) في الأصل : « الحسن » .

(٥) بعده في م : « يا علي » .

(٦) في ا ٤، م : « متنه » .

(٧) في الأصل : « يسوقه » .

(٨) سقط من : م .

(٩) بعده في م، ص : « بعضهم » .

(١٠) البخاري (٣٣٤٤، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢) ، ومسلم (١٠٦٤، ١٠٦٥) . وأما قصة المخدج فهي عند مسلم (١٠٦٦/١٥٥) من حديث علي رضي الله عنه .

مِن طريقِه حديثَ قِتالِ الخَوارجِ ، وقصةَ المُخْدَجِ وغيرَ ذلك مِن فضائلِ عليٍّ .

قال : وأما حديثُ أميرِ المؤمنين عليٍّ[1] فأخْبَرَنا أبو العباسِ الفَرْغانيُّ ، أنا أبو الفضلِ الشَّيْبانيُّ ، ثنا رَجاءُ بنُ يحيى السَّامانيُّ ، ثنا هارونُ بنُ [2]مسلمِ بنِ سَعْدانَ بسامَرَّا سنةَ أربعين ومائتين ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ الأشْعثِ ، عن داودَ ابنِ الكُمَيْتِ ، عن عمِّه المُسْتَهِلِّ بنِ زيدٍ ، عن أبيه زيدِ بنِ سَلْهَبٍ ، عن [3]جُوَيْرِيَةَ بنتِ شَهْرٍ[3] قالت : خرَجْتُ مع عليِّ بنِ أبى طالبٍ فقال : يا جُوَيْرِيةُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُوحَى إليه ورأسُه فى حِجْرى . فذكَر الحديثَ . وهذا الإسنادُ مُظْلِمٌ ، وأكثرُ رجالِه لا يُعْرَفون ، والذى يَظْهَرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنه مُرَكَّبٌ مَصْنوعٌ مما عمِلتْه أيدى الرَّوافضِ ، قبَّحهم اللَّهُ ، ولعَن مَن كذَب على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعجَّل له ما توَعَّده عليه[4] الشارعُ مِن العذابِ والنَّكالِ حيث قال ، وهو الصادقُ فى المَقالِ : « مَن كذَب علىَّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مقْعدَه مِن النارِ »[5] . وكيف يدْخُلُ فى عقلِ أحدٍ مِن أهلِ العلمِ أن يكونَ هذا الحديثُ يَرْويه أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبى طالبٍ ، وفيه مَنْقَبةٌ عظيمةٌ له ودَلالةٌ مُعْجِزةٍ باهرةٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم لا يُرْوَى عنه إلا بهذا الإسنادِ المظلمِ المُرَكَّبِ على رجالٍ لا يُعْرَفون ؟! وهل لهم وجودٌ فى الخارجِ أم لا ؟ الظاهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، لا . ثم هو عن امرأةٍ مجهولةِ العَيْنِ والحالِ ، فأين أصحابُ عليٍّ الثِّقاتُ كعَبِيدةَ السَّلْمانيِّ وشُرَيْحٍ القاضى وعامرٍ الشَّعْبيِّ وأضْرابِهم ، ثم فى تَرْكِ الأئمةِ كمالكٍ ، وأصحابِ الكتبِ الستةِ ، وأصحابِ

---

(١) انظر منهاج السنة ٨/١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى المنهاج : « جويرية بنت مسهر » . والصواب : « جويرية بن مسهر » فهو رجل وليس امرأة ، ويقال له : ابن بشر بن مسهر . انظر لسان الميزان ٢/ ١٤٤ .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) أخرجه البخارى (١١٠، ١٢٩١، ٣٤٦١، ٦١٩٧) ، ومسلم (٣، ٤) .

المَسانيدِ والسننِ والصِّحاحِ والحِسانِ روايةَ هذا الحديثِ وإيداعَه فى كتبِهم ، أكبرُ دليلٍ على أنه لا أصلَ له عندَهم ، أو هو مُفْتَعَلٌ مَأْفوكٌ بعدَهم ، وهذا أبو عبدِ الرحمنِ النسائىُّ قد جَمَع كتابًا فى خصائصِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ولم يذْكُرْه ، وكذلك لم [٣/٤٧٧ظ] يَرْوِه الحاكمُ فى « مُسْتدركِه » ، وكلاهما يُنْسَبُ إلى شىءٍ مِن التَّشَيُّعِ ، ولا رواه مَن رواه مِن الناسِ المُعْتَبَرين إلا على سبيلِ الاسْتِغْرابِ والتعجُّبِ ، وكيف يقَعُ مثلُ هذا نَهارًا جَهْرةً ، وهو مما تتَوَفَّرُ الدَّواعى على نقلِه ، ثم لا يُرْوَى إلا مِن طرقٍ ضعيفةٍ مُنْكَرةٍ ، وأكثرُها مُرَكَّبةٌ مَوْضوعةٌ ، وأجْودُ ما فيها ما قدَّمْناه مِن طريقِ أحمدَ بنِ صالحٍ المصرىِّ ، عن ابنِ أبى فُدَيْكٍ ، عن محمدِ بنِ موسى الفِطْرىِّ ، عن عَوْنِ بنِ محمدٍ ، عن أمِّه أمِّ جعفرٍ ، عن أسماءَ ، على ما فيها مِن التعليلِ الذى أشَرْنا إليه فيما سلَف . وقد اغْتَرَّ بذلك أحمدُ بنُ صالحٍ ، رحِمه اللَّهُ ، ومال إلى صحتِه ، ورجَّح ثبوتَه .

قال الطَّحاوىُّ فى كتابِه « مُشْكِلِ الحديثِ »[1] : عن علىِّ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أحمدَ بنِ صالحٍ المصرىِّ ، أنه كان يقولُ : لا ينْبَغى لمن كان سبيلَه العلمُ التخلفُ عن حفظِ حديثِ أسماءَ فى ردِّ الشمسِ ؛ لأنه مِن علاماتِ النبوةِ . وهكذا مال إليه أبو جعفرٍ الطَّحاوىُّ أيضًا ، فيما قيل[2] . ونقَل أبو القاسمِ الحَسْكانىُّ هذا عن أبى عبدِ اللَّهِ البصرىِّ المتكلِّمِ المُعْتَزِلىِّ أنه قال : عَوْدُ الشمسِ بعدَ مَغيبِها آكَدُ حالًا فيما يقْتَضِى نقلُه ؛ لأنه وإن كان فضيلةً لأميرِ المؤمنين ، فإنه مِن أعْلامِ النبوةِ ، وهو مُفارق[3] لغيرِه فى فَضائلِه فى كثيرٍ مِن أعلامِ النبوةِ .

---

(١) مشكل الآثار ٢/ ١١.

(٢) أقرّ الطحاوى كلام أحمد بن صالح فقال بعده : وهذا كما قال . ونقل القاضى عياض فى كتابه الشفا ١/ ٤٠١ ، عن الطحاوى أنه قال : وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات .

(٣) فى النسخ : « مقارن » . والمثبت من منهاج السنة ٨/ ١٩٦ .

وحاصلُ هذا الكلامِ يقْتَضى أنه كان ينْبَغى أن يُنْقَلَ هذا نَقْلًا مُتواتِرًا ، وهذا حقٌّ لو كان الحديثُ صحيحًا ، ولكنه لم يُنْقَلْ كذلك ، فدَلَّ على أنه ليس بصحيحٍ فى نفسِ الأمْرِ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : والأئمةُ فى كلِّ عصرٍ يُنْكِرون صحةَ هذا الحديثِ ويَرُدُّونه ، ويُبالِغون فى التَّشْنيعِ على رُواتِه[1] كما قدَّمْنا عن غيرِ واحدٍ مِن الحُفَّاظِ ؛ كمحمدٍ ويَعْلَى ابنىْ[2] عُبَيْدٍ الطَّنافِسيَّيْن ، وكإبراهيمَ بنِ يعقوبَ الجُوزْجانىِّ خطيبِ دِمشقَ ، وكأبى بكرٍ محمدِ بنِ حاتمٍ البخارىِّ المعروفِ بابنِ زَنْجَوَيْهِ ، وكالحافظِ أبى القاسمِ ابنِ عَساكرَ ، والشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجَوْزِىِّ ، وغيرِهم مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين ، وممن صرَّح بأنه مَوْضوعٌ شيخُنا الحافظُ أبو الحَجَّاجِ المِزِّىُّ والعَلَّامةُ أبو العباسِ بنُ تَيْميَّةَ[3] .

وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابورىُّ[4] : قرأتُ على قاضى القُضاةِ أبى الحسنِ محمدِ بنِ صالحٍ الهاشمىِّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ موسى ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ المَدينىِّ قال : سمِعْتُ أبى يقولُ : خمسةُ أحاديثَ يرْوُونها ولا أصلَ لها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ حديثُ : لو صدَق السائلُ ما أفْلَح مَن ردَّه . وحديثُ : [٣/ ٤٧٨و] لا وجَعَ إلا وجَعُ العينِ ، ولا غَمَّ إلا غَمُّ الدَّيْنِ . وحديثُ أن الشمسَ رُدَّت على علىِّ بنِ أبى طالبٍ . وحديثُ : أنا أكرمُ على اللَّهِ مِن أن يدَعَنى تحتَ الأرضِ مائتَىْ عامٍ . وحديثُ : أفْطَر الحاجمُ والمحجومُ ، إنهما كانا يَغْتابان .

---

(١) فى الأصل : « روايته » .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « بن » . والمثبت هو الصواب ، فهما أخوان ، انظر الأنساب ٤/ ٧٣.

(٣) منهاج السنة النبوية ٨/ ١٦٥.

(٤) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء ١/ ١٤٤ . وعزاه لعلى بن المدينى عن أبيه .

والطَّحاوىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، إن كان قد اشْتَبه عليه أمْرُه ، فقد رُوِىَ عن أبى حَنيفةَ ، رحِمه اللَّهُ ، إنكارُه والتَّهَكُّمُ بمَن رواه . قال أبو العباسِ بنُ عُقْدةَ[1] : ثنا جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ[2] ، ثنا سليمانُ بنُ عَبَّادٍ ، سمعتُ بَشَّارَ بنَ دراعٍ قال : لقِىَ أبو حَنيفةَ محمدَ بنَ النعمانِ ، فقال : عمَّن رَوَيتَ حديثَ ردِّ الشمسِ ؟ فقال : عن غيرِ الذى رَوَيتَ عنه : يا ساريةُ ، الجبلَ . فهذا أبو حنيفةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وهو مِن الأئمةِ المُعْتَبَرِين ، وهو كوفىٌّ لا يُتَّهَمُ على حبِّ علىِّ بنِ أبى طالبٍ وتفضيلِه بما فضَّله اللَّهُ به ورسولُه ، وهو مع هذا يُنْكِرُ هذا[3] على راويه ، وقولُ محمدِ بنِ النُّعمانِ له ليس بجوابٍ ، بل مجردُ معارضةٍ[4] لا تُجْدِى ، أى أنا رَوَيتُ فى فضلِ علىٍّ هذا الحديثَ ، وهو وإن كان مُسْتَغْرَبًا فهو فى الغَرابةِ نظيرُ ما رَوَيتَه أنت فى فضلِ عمرَ بنِ الخطابِ فى قولِه : يا ساريةُ ، الجبلَ . وهذا ليس بصحيحٍ مِن محمدِ بنِ النعمانِ ، فإن هذا ليس كهذا ، لا[5] إسنادًا ولا متنًا ، وأين مُكاشَفَةُ إمامٍ قد شهِد الشارعُ له بأنه مُحَدَّثٌ بأمرٍ جُزْءٍ[6] مِن ردِّ الشمسِ طالعةً بعدَ مَغيبِها الذى هو أكبرُ عَلاماتِ الساعةِ ؟! والذى وقَع ليُوشَعَ بنِ نونٍ ليس ردًّا للشمسِ عليه ، بل حُبِست ساعةً قبلَ غُروبِها ؛ بمعنى أنها[7] تَباطَأت فى سيرِها حتى أمْكَنهم الفتحُ . واللَّهُ أعلمُ . وتقدم ما أوْرَده هذا المصنِّفُ مِن طرقِ هذا الحديثِ

---

(١) انظر منهاج السنة ٨/ ١٩٧.

(٢) فى م ، ص : « عمير » . وفى نسخة من المنهاج : « عمر » . والمثبت فيه : « عمرو » . ولم نجد له ترجمة . فاللَّه أعلم .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) بعده فى ا ١١١ : « ما » ، وفى م ، ص : « بما » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « خير » .

(٧) زيادة من : ا ٤١ .

عن عليٍّ وأبى هريرةَ وأبى سعيدٍ وأسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ. وقد وقَع فى كتابِ أبى بشرٍ الدُّولابىِّ فى «الذُّريةِ الطاهرةِ» مِن حديثِ الحسينِ بنِ علىٍّ، والظاهرُ أنه عنه، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ كما تقدم. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قال شيخُ الرافضةِ جمالُ الدينِ يوسفُ بنُ الحسنِ، المُلَقَّبُ بابنِ المُطَهَّرِ الحِلِّىُّ فى كتابِه فى الإمامةِ الذى ردَّ عليه فيه شيخُنا العلامةُ أبو العباسِ بنُ تَيْميَّةَ[1]، قال ابنُ المُطَهَّرِ: التاسعُ: رجوعُ الشمسِ له[2] مرتين؛ إحداهما فى زمنِ النبىِّ ﷺ، والثانيةُ بعدَه، أما الأولى فروَى جابرٌ وأبو سعيدٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نزَل عليه جبريلُ يومًا يُناجيه مِن عندِ اللَّهِ، فلما تَغَشَّاه الوحىُ توَسَّد فخِذَ أميرِ المؤمنين، فلم يرفَعْ رأسَه حتى غابت الشمسُ، فصلَّى علىٌّ العصرَ بالإيماءِ، فلما استيقظ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٤٧٨ظ] قال له: «سَلِ اللَّهَ أن يَرُدَّ عليك الشمسَ فتصلِّىَ قائمًا». فدَعا، فرُدَّت الشمسُ، فصلى العصرَ قائمًا. وأما الثانيةُ فلما أراد أن يَعْبُرَ الفُراتَ ببابلَ اشْتَغَل[3] كثيرٌ مِن الصحابةِ بتعبيرِ[4] دَوابِّهم[5]، وصلَّى لنفسِه فى طائفةٍ مِن أصحابِه العصرَ، وفات كثيرًا منهم، فتكَلَّموا فى ذلك، فسأل اللَّهَ ردَّ الشمسِ، فرُدَّت. قال: وقد نظَمه الحِمْيَرىُّ فقال:

رُدَّت عليه الشمسُ لمَّا فاته ... وقتُ الصلاةِ وقد دنَت للمَغْرِبِ
حتى تَبَلَّجَ نورُها فى وقتِها ... للعصرِ ثم هوَتْ هُوِىَّ الكَوْكَبِ

---

(١) منهاج السنة ٨/ ١٦٤.
(٢) سقط من: م.
(٣) فى الأصل: «أشغل».
(٤) سقط من: الأصل، ٤١، م، وبياض فى ١١١، ص. والمثبت من المنهاج.
(٥) فى ٤١، م: «بدوابهم».

وعليه قد رُدَّت ببابلَ مرةً أخرى وما رُدَّت لخلقٍ مُعْرِبِ[1]

قال شيخُنا أبو العباسِ، رحِمه اللَّهُ[2]: فضلُ عليٍّ ووِلايتُه للَّهِ[3] وعُلُوُّ منزلتِه عندَ اللَّهِ معلومٌ، وللَّهِ الحمدُ، بطرقٍ ثابتةٍ أفادتْنا العلمَ اليَقينيَّ، لا يُحْتاجُ معها إلى ما لا يُعْلَمُ صدقُه أو يُعْلَمُ أنه كذِبٌ، وحديثُ رَدِّ الشمسِ قد ذكَره طائفةٌ؛ كأبي جعفرٍ الطَّحاويِّ والقاضي عِياضٍ وغيرِهما، وعدُّوا ذلك مِن مُعْجزاتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، لكنِ المحقِّقون مِن أهلِ العلمِ والمعرفةِ بالحديثِ يعْلَمون أن هذا الحديثَ كذبٌ موضوعٌ. ثم أوْرَد طُرُقَه واحدةً واحدةً كما قدَّمْنا، وناقش أبا القاسمِ الحَسْكانيَّ فيما تقدم، وقد أوْرَدْنا كلَّ ذلك وزِدْنا عليه ونقَصْنا منه، واللَّهُ المُوَفِّقُ. واعْتَذَر عن أحمدَ بنِ صالحٍ المصريِّ في تصحيحِه هذا الحديثَ بأنه اغْتَرَّ بسندِه، وعن الطحاويِّ بأنه لم يَكُنْ عندَه نقدٌ[4] جيدٌ للأسانيدِ كجَهابذةِ الحُفَّاظِ، وقال في غضونِ كلامِه: والذي يُقْطَعُ به أنه كذبٌ مُفْتَعَلٌ. قلتُ: وإيرادُ ابنِ المُطَهَّرِ لهذا الحديثِ مِن طريقِ جابرٍ غريبٌ، ولكن لم يُسْنِدْه، وفي سِياقِه ما يَقتَضي أن عليًّا هو الذي دَعا بردِّ الشمسِ في الأولى والثانيةِ، وأما إيرادُه لقصةِ بابلَ فليس لها إسنادٌ، وأظُنُّه، واللَّهُ أعلمُ، مِن وَضْعِ الزَّنادقةِ مِن الشِّيعةِ ونحوِهم، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه يومَ الخندقِ قد غرَبت عليهم الشمسُ ولم يكونوا صلَّوُا العصرَ، بل قاموا إلى بُطْحانَ، وهو وادٍ هناك، فتوَضَّئوا وصلَّوُا العصرَ بعدَما غرَبتِ الشمسُ، وكان عليٌّ أيضًا فيهم، ولم تُرَدَّ لهم، وكذلك كثيرٌ مِن الصحابةِ الذين ساروا إلى بني قُرَيْظةَ فاتتهم العصرُ يومَئذٍ حتى غرَبت الشمسُ ولم تُرَدَّ لهم، وكذلك [٣/ ٤٧٩و] لمَّا نام رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه عن صلاةِ الصبحِ

---

(١) في الأصل: «المغرب»، وفي ص: «مغرب»، وفي م: «مقرب».

(٢) منهاج السنة ٨/ ١٦٥.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) في م: «نقل».

حتى طلَعت الشمسُ صلَّوْها بعدَ ارتفاعِ النهارِ ، ولم يُرَدَّ لهم الليلُ ، فما كان اللَّهُ ، عز وجل ، يُعْطى عليًا وأصحابَه شيئًا مِن الفَضائلِ لم يُعْطِها رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه ، وأما نَظْمُ الحِمْيَرِىِّ فليس فيه حجةٌ ، بل هو كهَذَيانِ ابنِ المُطَهَّرِ هذا لا يَعْلَمُ ما يقولُ مِن النَّثْرِ ، وهذا لا يَدْرِى صحةَ ما يَنْظِمُ ، بل كلاهما كما قال الشاعرُ[1] :

إن كنتُ أدْرِى فعلىَّ بَدَنَهْ ... مِن كثرةِ التَّخْليطِ أنِّى مَن أنَهْ

والمشهورُ عن علىٍّ فى أرضِ بابلَ ما رواه أبو داودَ ، رحِمه اللَّهُ ، فى « سننِه »[2] عن علىٍّ أنه مرَّ بأرضِ بابلَ وقد حانت صلاةُ العصرِ ، فلم يُصَلِّ حتى جاوَزها ، وقال : نهانى خليلى ﷺ أن أصلِّىَ بأرضِ بابلَ ، فإنها مَلْعونةٌ . وقد قال أبو محمدِ بنُ حزمٍ فى كتابِه « المِلَلِ والنِّحَلِ »[3] مُبْطِلًا لردِّ الشمسِ على علىٍّ بعدَ كلامٍ ذكَره رادًّا على مَن ادَّعى باطلًا مِن الأمْرِ ، فقال : ولا فرقَ بينَ مَن ادَّعى شيئًا مما ذكَرْنا لفاضلٍ وبينَ دَعْوَى الرافضةِ ردَّ الشمسِ على علىِّ بنِ أبى طالبٍ مرتَيْن ، حتى ادَّعَى بعضُهم أن حَبيبَ بنَ أوسٍ قال :

فرُدَّت علينا الشمسُ والليلُ راغمُ ... بشمسٍ لهم مِن جانبِ الخِدْرِ تطْلُعُ
نضا ضوءُها صَبْغَ الدُّجُنَّةِ وانْطَوى ... لِهَجَّتِها نورُ السماءِ المُرَجَّعُ
فواللَّهِ ما أدْرى علىٌّ بَدا لنا ... فرُدَّت له أم كان فى القومِ يُوشَعُ

هكذا أوْرَده ابنُ حزمٍ فى كتابِه ، وهذا الشعرُ تظْهَرُ عليه الرَّكَّةُ والتَّرْكيبُ ، وأنه مَصْنوعٌ . واللَّهُ أعلمُ[*] .

---

(١) هذا البيت ذكره ابن يعيش فى شرح المفصل ٣/ ٩٤، وصاحب خزانة الأدب ٥/ ٢٤١، ٢٤٢، والبيت من الشواهد التى لم يعرف قائلها ، قال صاحب خزانة الأدب : وهذا البيت لم أقف له على أثر .

(٢) أبو داود (٤٩٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٣) .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥/ ٣، ٤.

(*) إلى هنا ينتهى الجزء الرابع من نسخة أحمد الثالث ، والمشار إليها بـ (٤١) .

ومما يتَعلَّقُ بالآياتِ السَّماويةِ فى بابِ دلائلِ النبوةِ،

اسْتِسْقاؤُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ربَّه، عزَّ وجلَّ، لأُمَّتِه حينَ تأخَّر المطرُ، فأجابه إلى سؤالِه سريعًا، بحيثُ لم ينْزِلْ عن مِنْبرِه إلَّا والمطرُ يتَحادَرُ على لِحيتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وكذلك اسْتِصحاؤُه[1]

قال البخاريُّ[2]: ثنا عمرُو بنُ عليٍّ، ثنا أبو قُتَيبةَ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ، عن أبيه قال: سمِعْتُ ابنَ عمرَ يتَمَثَّلُ بشعرِ أبى طالبٍ:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِه ... ثِمالُ اليَتامَى عِصْمةٌ للأَرامِلِ

قال البخاريُّ[3]: وقال [4]أبو عَقِيلٍ الثَّقَفِيُّ، عن[4] عمرَ بنِ حمزةَ، ثنا سالمٌ، عن أبيه: ربما ذكَرْتُ [٣/ ٤٧٩ظ] قولَ الشاعرِ وأنا أنظرُ إلى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَسْقِى، فما ينزِلُ حتى يَجِيشَ كلُّ مِيزابٍ:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجْهِه ... ثِمالُ اليَتامَى عِصْمةٌ للأَرامِلِ

وهو قولُ أبى طالبٍ. تفرَّد به البخاريُّ. وهذا الذى علَّقه قد أسْنَده ابنُ ماجه فى «سننِه»[5] فرواه عن أحمدَ بنِ الأزْهرِ، عن أبى النَّضْرِ، عن أبى عَقِيلٍ، عن عمرَ بنِ حمزةَ، عن سالمٍ، عن أبيه.

---

(١) أى دعاؤه ﷺ ربَّه أن يكف المطر ويكون الجو صحوا.

(٢) البخارى (١٠٠٨).

(٣) البخارى (١٠٠٩) تعليقًا. انظر تغليق التعليق ٢/ ٣٨٩.

(٤ - ٤) كذا فى النسخ، وليس فى صحيح البخارى، فقد علقه البخارى عن عمر بن حمزة وليس عن أبى عقيل. وانظر فتح البارى ٢/ ٤٩٧، وتغليق التعليق ٢/ ٣٨٩.

(٥) ابن ماجه (١٢٧٢). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٠٥٠).

وقال البخاريُّ[1] : ثنا محمدٌ - هو ابنُ سَلَامٍ - ثنا أبو ضَمْرةَ ، ثنا شَريكُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَمِرٍ ، أنه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ يذْكُرُ أن رجلًا دخَل المسجدَ يومَ جُمُعةٍ مِن بابٍ كان وُجاهَ المنبرِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يَخْطُبُ ، فاستقبل رسولَ اللَّهِ ﷺ قائمًا ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الأموالُ ، وتقَطَّعت السُّبُلُ ، فادْعُ اللَّهَ لنا يُغِيثُنا . قال : فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيه ، فقال : « اللهم اسْقِنا ، اللهم اسقِنا ، اللهم اسْقِنا » . قال أنسٌ : ولا واللَّهِ ما نرَى فى السماءِ مِن سَحابٍ ولا قَزَعةٍ ولا شيئًا ، ولا بينَنا وبينَ سَلْعٍ مِن بيتٍ ولا دارٍ . قال : فطلَعتْ مِن ورائِه سَحابةٌ مثلُ التُّرْسِ ، فلما توَسَّطت السماءَ انتَشَرت ثم أمْطَرت . قال[2] : فواللَّهِ ما رأيْنا الشمسَ سَبْتًا[3] ، ثم دخَل رجلٌ مِن ذلك البابِ فى الجُمُعةِ المُقْبِلةِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يَخْطُبُ ، فاستَقْبَله قائمًا ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَكَتِ الأموالُ وانقَطَعَتِ السُّبُلُ ، ادْعُ اللَّهَ أن يُمْسِكَها . قال : فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيه ، ثم قال : « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا ، اللهم على الآكامِ والجبالِ والظِّرابِ والأوديةِ[4] ومَنابتِ الشجرِ » . قال : فانقَطَعت[5] وخرَجْنا نمشى فى الشمسِ . قال شَريكٌ : فسأَلْتُ أنسًا : أهو الرجلُ الأوَّلُ[6] ؟ قال : لا أدْرى . وهكذا رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ ، عن شَريكٍ به[7] .

---

(١) البخارى (١٠١٣) .

(٢) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص .

(٣) فى م : « ستا » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « فأقلعت » .

(٦) فى م ، ص : « الذى سأل أولًا » .

(٧) البخارى (١٠١٤) ، ومسلم (٨٩٧/٨) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ قال : بينما رسولُ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ يومَ جُمُعةٍ إذ جاء رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قحَط المطرُ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَسْقِيَنا . فدَعا فمُطِرْنا فما كِدْنا أن نصِلَ إلى منازلِنا ، فما زِلْنا نُمْطَرُ إلى الجُمُعةِ المُقْبِلةِ . قال : فقام ذلك الرجلُ أو غيرُه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يَصْرِفَه عنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/ ٤٨٠و] « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا » . قال : فلقد رأيْتُ السَّحابَ يتقَطَّعُ يَمينًا وشِمالًا ، [2]يُمْطَرون ولا يُمْطَرُ أهلُ المدينةِ[2] . تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

وقال البخاريُّ[3] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلمةَ[4] ، عن مالكٍ ، عن شَريكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَمِرٍ ، عن أنسٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : هلَكَتِ المَواشى ، وتقَطَّعتِ السُّبُلُ ، فادْعُ اللَّهَ . فدَعا فمُطِرْنا مِن الجُمُعةِ إلى الجُمُعةِ ، ثم جاء فقال : تهَدَّمتِ البيوتُ ، وتقَطَّعتِ السُّبُلُ ، وهَلَكَتِ المَواشى ، [5]فادعُ اللَّهَ يُمسِكْها . فقام ﷺ[5] فقال : « اللهم ، على الآكامِ والظِّرابِ والأوْديةِ ومَنابتِ الشجرِ » . فانجابتْ عن المدينةِ انجِيابَ الثوبِ .

وقال البخاريُّ[6] : ثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ ، ثنا الأوْزاعىُّ ، ثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ الأنصاريُّ ، حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ قال : أصابَتِ الناسَ سَنَةٌ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ على

---

(١) البخارى (١٠١٥) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لا يمطرون ولا تمطر المدينة » . وفى ص : « يمطرون ولا تمطر المدينة » .

(٣) البخارى (١٠١٦) .

(٤) فى الأصل : « مسلم » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص . وسقط أيضا من بعض نسخ البخارى ، كما فى صحيح البخارى طبعة الشعب ٢/ ٣٦. وفى م : « فادع الله أن يمسكها » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٦) البخارى (١٠٣٣) .

المنبرِ يومَ الجُمُعةِ ، قام أعرابيٌّ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَكَ المالُ ، وجاع العِيالُ ، فادْعُ اللَّهَ لنا[1] أن يَسْقِيَنا . قال : فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيه ، وما[2] فى السماءِ قَزَعةٌ ، فثار[3] سَحابٌ أمثالَ الجبالِ ، ثم لم يَنْزِلْ عن منبرِه حتى رأيْتُ المطرَ يتَحادَرُ على لِحيتِه . قال : فمُطِرْنا يومَنا ذلك ، ومِن الغدِ ومِن بعدِ الغدِ والذى يليه إلى الجُمُعةِ الأخرى ، فقام ذلك الأعرابيُّ أو رجلٌ[4] غيرُه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تهَدَّم البناءُ ، وغرِق المالُ ، فادْعُ اللَّهَ لنا . فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيه فقال : « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا » . قال : فما جعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يُشيرُ بيدِه إلى ناحيةٍ مِن السماءِ إلا تفرَّجت[5] ، حتى صارتِ المدينةُ فى مثلِ الجَوْبةِ[6] ، حتى[7] سال الوادى ، وادى قناةَ ، شهرًا ، قال : فلم يَجِئْ أحدٌ مِن ناحيةٍ إلا حدَّث بالجَوْدِ[8] . ورواه البخاريُّ أيضًا فى الجُمُعةِ ، ومسلمٌ مِن حديثِ الوليدِ ، عن الأوزاعيِّ[9] .

وقال البخاريُّ[10] : وقال أيوبُ بنُ سليمانَ : حدثنى أبو بكرِ بنُ أبى أُوَيْسٍ ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ قال : قال يحيى بنُ سعيدٍ : سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ قال : أتَى

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) بعده فى م : « رأينا » .

(٣) فى م : « فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار » .

(٤) فى م : « قال » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « انفرجت » .

(٦) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة ... أى حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة . النهاية ١/ ٣١٠.

(٧) فى م : « و » .

(٨) الجَوْد : المطر الواسع الغزير . النهاية ١/ ٣١٢.

(٩) البخارى (٩٣٣) ، ومسلم (٨٩٧/٩) .

(١٠) البخارى (١٠٢٩) تعليقًا . انظر تغليق التعليق ٢/ ٣٩٢، ٣٩٣.

رجلٌ[1] أعرابيٌّ مِن أهلِ البَدْوِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الجُمُعةِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هلَكَتِ الماشيةُ، هلَكَ العِيالُ، هلَكَ الناسُ. فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَيه يدْعُو، ورفَع الناسُ أيديَهم مع رسولِ اللَّهِ [٣/ ٤٨٠ظ] ﷺ يدْعُون. قال: فما خرَجْنا مِن المسجدِ حتى مُطِرْنا، فما زِلْنا نُمْطَرُ حتى كانت الجُمُعةُ الأخرى، فأتَى الرجلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، بَشِقَ[2] المسافرُ ومُنِع الطريقُ.

قال البخاريُّ[3]: وقال الأُوَيْسيُّ، يعنى [4]عبدَ العزيزِ بنَ[4] عبدِ اللَّهِ: حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ، هو ابنُ أبى[5] كثيرٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ وشَريكٍ، سمِعا أنسًا، عن النبيِّ ﷺ رفَع يدَيه حتى رأيْتُ بَياضَ إبطَيه. هكذا علَّق هذين الحديثَيْن، ولم يُسْنِدْهما أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ بالكليةِ.

وقال البخاريُّ[6]: ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ، حدَّثنا معتمِرٌ، عن عُبَيدِ اللَّهِ، عن ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يخْطُبُ يومَ الجُمُعةِ، فقام الناسُ

---

(١) سقط من: الأصل، ١١١، ص.

(٢) فى ١١١، ص: «لثق». قال ابن الأثير فى بشق: قال البخارى: أى انسد. وقال ابن دريد: بشق: أسرع، مثل بَشَك. وقيل: معناه تأخر. وقيل: مَلَّ. وقيل: ضعُف. وقال الخطابى: بشق ليس بشىء، وإنما هو لَثِق من اللَّثَق: الوحل... قال - أى الخطابى -: ويحتمل أن يكون مشق، أى صارَ مَزِلَّة وزَلَقًا، والميم والباء يتقاربان. وقال غيره: إنما هو بالباء، من بَشَقْتُ الثوب وبَشَكْتُه إذا قطعته فى خفة، أى قُطِع بالمسافر. وجائز أن يكون بالنون، من قولهم: نشق الظبى فى الحبالة. إذا عَلِق فيها. ورجل بَشِقٌ إذا كان ممن يدخل فى أمور لا يكاد يخلص منها. النهاية ١/ ١٣٠.

(٣) البخارى (١٠٣٠) تعليقًا. انظر تغليق التعليق ٢/ ٣٩٣، ٣٩٤، ٥/ ١٤٦.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص. وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٦٠، ١٦١.

(٥) سقط من: م، ص. وانظر المصدر السابق ٢٤/ ٥٨٣.

(٦) البخارى (١٠٢١).

فصاحوا ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قحَط المطرُ ، [1]واحْمرَّتِ الشَّجَرُ[1] ، وهلَكَتِ البَهائمُ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَسْقِيَنا . فقال : « اللهم اسْقِنا » . مرتين ، وايْمُ اللَّهِ ما نرَى فى السماءِ قَزَعةً مِن سَحابٍ ، فأَنْشَأَتْ سَحابةٌ فأمْطَرت ، ونزَل عن المنبرِ فصلى ، ثم انصَرف ولم تزلْ تُمْطِرُ إلى الجمعةِ التى تَلِيها ، فلما قام النبىُّ ﷺ يخْطُبُ صاحوا إليه : تهَدَّمتِ البيوتُ وانقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فادْعُ اللَّهَ يَحْبِسُها عنا . قال : فتبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا » . فكَشَطتِ[2] المدينةُ ، فجعَلَت تُمْطِرُ[3] حولَها وما تُمْطِرُ بالمدينةِ قَطْرةً ، فنظَرْتُ إلى المدينةِ وإنها لفى مثلِ الإكْليلِ . وقد رواه مسلمٌ مِن حديثِ معتمرِ بنِ سليمانَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ ، وهو ابنُ عمرَ العُمَرىُّ ، به[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن حُميدٍ قال : سُئِل أنسٌ : هل كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يرْفَعُ يدَيه ؟ فقال : قيل له يومَ جُمُعةٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، قحَط المطرُ ، وأجْدَبَتِ الأرْضُ ، وهلَكَ المالُ . قال : فرفَع يديه حتى رأيْتُ بَياضَ إبِطَيه فاسْتَسْقَى ، ولقد رفَع يديه[6] وما نرَى فى السماءِ سَحابةً ، فما قضَيْنا الصلاةَ حتى إنَّ قريبَ الدارِ الشابَّ[7] لَيَهُمُّه الرجوعُ إلى أهلِه . قال : فلما كانت الجُمُعةُ التى تَليها قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، تهَدَّمتِ البيوتُ واحْتُبِس الرُّكْبانُ . فتبَسَّم

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل ، ص : « فتكشفت » . وفى ١١١ : « فكشفت » . وفى م : « فتكشطت » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٣) بعده فى الأصل ، ١١١ ، ص : « ما » .

(٤) مسلم (٨٩٧/١٠) .

(٥) المسند ٣/ ١٠٤ .

(٦) بعده فى م ، والمسند : « فاستسقى ، ولقد رفع يديه » .

(٧) سقط من : م .

رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن سُرعةِ مَلالةِ ابنِ آدمَ ، وقال : « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا » . قال : فتَكَشَّطت عن المدينةِ . وهذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرطِ الشيخَيْنِ ولم يُخْرِجوه .

وقال البخاريُّ وأبو [٣/ ٤٨١و] داودَ واللفظُ له[1] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيبٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، ويونس بنُ عُبَيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، قال : أصاب أهلَ المدينةِ قَحْطٌ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبينما هو يخْطُبُ يومَ جُمُعةٍ إذ قام رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلَكَتِ الكُراعُ ، هَلَكَتِ الشاءُ ، فادْعُ اللَّهَ أن[2] يَسْقِيَنا . فمدَّ يدَيه[3] ودَعا . قال أنسٌ : وإن السماءَ لَمثلُ الزُّجاجةِ ، فهاجتْ [4]ريحٌ ، ثم[4] أنشأَتْ سَحابةٌ[5] ، ثم اجْتَمعت[6] ، ثم أرْسَلتِ السماءُ عَزَالِيَها[7] ، فخرَجْنا نخُوضُ الماءَ حتى أتَيْنا[8] منازلَنا ، فلم نَزَلْ نُمْطَرُ إلى الجمعةِ الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجلُ أو غيرُه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تهَدَّمتِ البيوتُ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَحْبِسَه . فتبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم قال : « حَوالَيْنا ولا علينا » . فنظَرْتُ إلى السماءِ والسَّحابُ يَتَصَدَّعُ حولَ المدينةِ كأنه إكْلِيلٌ . فهذه طرقٌ مُتَواتِرةٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، وإنها تفيدُ القَطْعَ عندَ أئمةِ هذا الشأنِ .

---

(١) البخارى (٣٥٨٢) ، وأبو داود (١١٧٤) .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « يده » .

(٤ - ٤) فى م : « الريح » .

(٥) فى النسخ : « سحابًا » . والمثبت من سنن أبى داود .

(٦) فى م : « اجتمع » .

(٧) العزالى : جمع العَزْلاء ، وهو فم المزادة الأسفل ، فشَبّه اتساع المطر واندفاقه بالذى يخرج من فم المزادة . النهاية ٣/ ٢٣١ .

(٨) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « انتهينا إلى » .

وقال البيهقيُّ[1] بإسنادِه مِن غيرِ وجهٍ إلى أبى مَعْمرٍ سعيدِ بنِ خُثيمٍ[2] الهِلاليِّ، عن مسلمٍ المُلائيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: جاء أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، واللَّهِ لقد أتيْناك وما لنا بعيرٌ يَئِطُّ[3]، ولا صبيٌّ يَصِيحُ[4]. وأنْشَدَ:

أتَيْناك والعذْراءُ يَدْمَى لَبانُها ... وقد شُغِلت أمُّ الصبيِّ عن الطفلِ
وألْقَى بكفَّيْه (5)الفتَى لاسْتِكانةٍ(5) ... مِن الجوعِ ضعفًا(6) ما يُمِرُّ ولا يُحْلِى(6)
ولا شيءَ مما يأْكُلُ الناسُ عندَنا ... سوى الحَنْظَلِ العامِيِّ والعِلْهِزِ الفَسْلِ[7]
وليس لنا إلَّا إليك فِرارُنا ... وأين فِرارُ الناسِ إلا إلى الرُّسْلِ

قال: فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يجُرُّ رِداءَه حتى صعِد المنبرَ، فحمِد اللَّهَ، وأثْنَى عليه ثم رفَع يدَيْه نحوَ السماءِ وقال: «اللهم اسْقِنا غَيْثًا مُغيثًا، مَرِيئًا، مَرِيعًا سَريعًا، غَدَقًا طَبَقًا، عاجلًا غيرَ رائثٍ، نافعًا غيرَ ضارٍّ، تَمْلأُ به الضَّرْعَ، وتُنْبِتُ به الزَّرْعَ، وتُحْيِى به الأرضَ بعدَ موتِها، وكذلك تُخْرَجون». قال: فواللَّهِ ما ردَّ يدَيه[8]

---

(1) دلائل النبوة ٦/١٤٠ - ١٤٢.

(2) فى ١١١، ص: «خيثم»، وفى م: «أبى خيثم». انظر تهذيب الكمال ١٠/٤١٣.

(3) فى م، ص: «يبسط». ويئط: يئنّ من تعب أو ثقل حمل أو حنين. الوسيط (أ ط ط).

(4) فى ١١١، م، ص: «يصطبح».

(5 - 5) فى الدلائل: «الصبى استكانة».

(6 - 6) فى الأصل: «قائم وهو لا يحل»، وفى ١١١: «قائم وهو لا يحلى»، وفى م: «قائما وهو لا يخلى»، وفى ص: «قائمًا وهو لا يحلى». والمثبت من دلائل النبوة. وما يمر ولا يحلى: أى ما يتكلم بمُرّ من الكلام ولا حلو، من الجوع والضعف. منال الطالب ص ١١٣.

(7) العامى: منسوب إلى العام، لأنه يتخذ فى عام الجدب. والعلهز: هو شىء يتخذونه فى سِنِى المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه. والفسل: هو الردىء الرَّذْل من كل شىء. النهاية ٣/٣٢٣، ٣٩٣، ٤٤٦.

(8) فى م، ص: «يده».

إلى نَحْرِه حتى ألْقَت السماءُ بأرْواقِها[1] ، وجاء أهلُ البِطانةِ يَضِجُّون[2] : يا رسولَ اللَّهِ ، الغرقَ الغرقَ . فرفَع يديه إلى السماءِ وقال : « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا » . فانجاب السَّحابُ عن المدينةِ حتى أحْدَق بها كالإكْليلِ ، فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى بدَت نَواجذُه ، ثم قال : للَّهِ درُّ أبى طالبٍ ، لو كان حيًّا [٣/ ٤٨١ظ] قرَّتا[3] عَيْناه ، مَن يُنْشِدُ قولَه ؟ فقام عليُّ بنُ أبى طالبٍ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، كأنك أرَدْتَ قولَه[4] :

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِه ... ثِمالُ اليَتامى عِصْمةٌ للأراملِ
يلوذُ به الهُلَّاكُ مِن آلِ هاشمٍ ... فهم عندَه فى نعمةٍ وفَواضلِ
كَذبْتُم وبيتِ اللَّهِ نُبْزَى محمدًا ... ولمَّا نُقاتِلْ دونَه ونُناضِلِ
ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحَلائِلِ

قال : وقام رجلٌ مِن[5] كِنانةَ فقال :

لك الحمدُ والحمدُ مِمَّن شكَرْ ... سُقِينا بوجهِ النبىِّ المَطَرْ
دَعا اللَّهَ خالقَه دَعْوةً ... إليه وأشْخَصَ مِنه البَصَرْ
فلم يكُ إلَّا كلَفِّ الرِّداءِ ... [6]وأَسْرَعَ[6] حتى رأَيْنا الدِّرَرْ[7]

---

(١) فى الدلائل : « بأبراقها » . والأرواق : الأثقال ، أى ألقت بجميع ما فيها من الماء . انظر النهاية ٢/ ٢٧٨.
(٢) فى م ، ص : « يصيحون » . وفى الدلائل : « يعنجون » .
(٣) فى ١١١ : « قر » . وفى م : « قرت » . وفى ص : « قررنا » .
(٤) تقدم البيتان الأول والثانى فى ٤/ ١٣٨، والثالث والرابع فى ٤/ ١٣٧، ضمن قصيدة أبى طالب اللامية الطويلة .
(٥) بعده فى م ، ص : « بنى » .
(٦ - ٦) فى الدلائل : « أو اسرع » .
(٧) فى ١١١ : « المطر » .

(١ دُفاقَ العَزالِىَ عمَّ البِقاعَ ١) أغاثَ به اللَّهُ عُلْيَا(٢) مُضَرْ
وكان كما قاله عمُّه أبو طالبٍ أبيضٌ ذو غُرَرْ
به اللَّهُ يَسقِىَ صَوْبَ(٣) الغمامِ وهذا العِيانُ لذاك(٤) الخَبَرْ
فمَن يَشْكُرِ اللَّهَ يَلْقَ المزيدَ ومَن يَكْفُرِ اللَّهَ يَلْقَ الغِيَرْ(٥)

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن يكُ شاعرٌ يُحْسِنُ فقد أحْسَنْتَ » . وهذا السِّياقُ فيه غَرابةٌ ، ولا يُشْبِهُ ما قدَّمْنا مِن الرِّواياتِ الصَّحيحةِ المُتَواترةِ عن أنسٍ ؛ فإن كان هذا هكذا محفوظًا ، فهو قصةٌ(٦) أخرى غيرَ ما تقدَّم واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ(٧) : أنا أبو بكرِ بنُ الحارثِ الأصْبَهانىُّ ، ثنا أبو محمدِ ابنُ حَيَّانَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُصْعبٍ ، ثنا عبدُ الجبارِ ، ثنا مَرْوانُ بنُ مُعاويةَ ، ثنا محمدُ بنُ أبى ذِئْبٍ المَدَنىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ حاطبٍ الجُمَحىِّ ، عن أبى وَجْزةَ يزيدَ بنِ عُبَيدٍ السَّعْدِىِّ(٨) قال : لما قفَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن غزوةِ تَبوكَ أتاه وفدُ بنى فَزارةَ(٩) بِضْعةَ عشَرَ رجلًا ، فيهم خارجةُ بنُ

(١ - ١) فى م : « رقاق العوالى عم البقاع » ، وفى الدلائل : « رقاق العوالى جم البعاق » .
(٢) فى الأصل ، ص : « علينا » ، وفى ١١١ : « علما » ، وفى م ، والدلائل : « عينا » . والمثبت من منال الطالب ص ١٠٦ . وعليا : تأنيث الأعلى .
(٣) سقط من : الدلائل ، وفى م : « بصوب » . والصوب : نزول المطر . منال الطالب ص ١١٩ .
(٤) فى الأصل ، ١١١ ، م : « كذاك » .
(٥) فى ١١١ : « العبر » .
(٦) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « قضية » .
(٧) دلائل النبوة ٦/ ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٨) فى النسخ والدلائل : « السلمى » . وتقدم سياق هذه القصة فى ٣٥٣/٧ عن الواقدى . وفيه : السعدى . وانظر الجرح والتعديل ٩/ ٢٧٩ ، والثقات ٥/ ٥٣٤ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٣٤ ، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٠١ .
(٩) بعده فى م ، ص : « فيهم » .

حِصْنٍ[1] ، والحُرُّ بنُ قَيْسٍ ، وهو أصْغَرُهم ، ابنُ أخى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ ، فنزَلوا فى دارِ رَمْلَةَ بنتِ الحارثِ مِن الأنصارِ ، وقدِموا على إبلٍ ضِعافٍ عِجافٍ وهم مُسْنِتون ، فأتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ مُقِرِّين بالإسلامِ ، فسَأَلهم رسولُ اللَّهِ ﷺ عن بلادِهم ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أسْنَتَتْ بلادُنا ، [2]وأجْدَب جَنابُنا[2] ، وعَرِيَت [٣/٤٨٢و] عِيالُنا ، وهلَكت مَواشِينا ، فادْعُ ربَّك أن يُغِيثَنا ، وتَشْفَعُ لنا إلى ربِّك ، ويَشْفَعُ ربُّك إليك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سبحانَ اللَّهِ ! ويلَك هذا ، أنا[3] شفَعْتُ إلى ربى ، فمن ذا الذى يَشْفَعُ ربُّنا إليه ؟! لا إلهَ إلا اللَّهُ وَسِع كرسيُّه السماواتِ والأرضَ ، وهو يَئِطُّ مِن عظمتِه وجَلالِه كما يَئِطُّ [4]الرَّحْلُ الجديدُ »[4] . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ يَضْحَكُ مِن [5]شفَقَتِكم وأَزْلِكم[5] وقُرْبِ غِياثِكم » . فقال الأعرابىُّ : وَيَضْحَكُ ربُّنا يا رسولَ اللَّهِ ؟! قال : « نعم » . فقال الأعرابىُّ : لن نَعْدَمَ يا رسولَ اللَّهِ مِن ربٍّ يَضْحَكُ خيرًا . فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن قولِه ، [6]فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ[6] فصعِد المنبرَ ، وتكَلَّم بكلامٍ ورفَع يديه ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَرْفَعُ يدَيه فى شىءٍ مِن الدعاءِ إلا فى الاسْتِسْقاءِ ، رفَع يديه حتى رُئِىَ بَياضُ إبطَيه ، وكان مما حُفِظ مِن دُعائِه : « اللهم اسْقِ بلدَك

---

(١) فى النسخ : « الحصين » . وهو خطأ ، فخارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن . انظر أسد الغابة ٢/ ٨٤، والإصابة ٢/ ٢٢٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « وأجدبت حياتنا » ، وفى م : « أجدبت أحياؤنا » .

(٣) فى م : « ما » . وفى ص : « أما » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ١١١ : « الرجل الحديد » . وفى م ، ص ، والدلائل : « الرجل الجديد » . والصواب ما أثبتناه . وانظر ما تقدم فى ١/ ١٨.

(٥ - ٥) فى الدلائل : « شعثكم وأذاكم » . والأزل : الشدة والضيق . النهاية ١/ ٤٦.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

وبَهائمَك ، وانْشُرْ رحمتَك ، وأَحْيِ بلدَك الميِّتَ ، اللهم اسْقِنا غَيْثًا مُغيثًا[1] مَرِيئًا مَرِيعًا ، طَبَقًا واسعًا ، عاجلًا غيرَ آجلٍ ، نافعًا غيرَ ضارٍّ ، اللهم سُقْيَا رحمةٍ لا سُقْيَا عذابٍ ولا هَدْمٍ ولا غَرَقٍ ولا مَحْقٍ ، اللهم اسْقِنا الغيثَ ، وانْصُرْنا على الأعداءِ » . فقام أبو لُبابةَ بنُ عبدِ المنذرِ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن التمرَ فى المَرابدِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اسْقِنا » . [2]فقال أبو لُبابةَ : التمرُ فى المَرابدِ . ثلاثَ مراتٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اسْقِنا[2] حتى يقومَ أبو لُبابةَ عُرْيانًا فيَسُدَّ ثَعْلَبَ مِرْبدِه بإزارِه[3] » . قال : فلا واللَّهِ ما فى السماءِ مِن قَزَعةٍ ولا سَحابٍ ، وما بينَ المسجدِ وسَلْعٍ مِن بناءٍ ولا دارٍ ، فطلَعَت مِن وراءِ سَلْعٍ سَحابةٌ مثلُ التُّرْسِ ، فلما توَسَّطت السماءَ انتَشَرت ، وهم ينْظُرون ، ثم أمْطَرت ، فواللَّهِ ما رأَوُا الشمسَ سَبْتًا[4] ، وقام أبو لُبابةَ عُرْيانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبدِه بإزارِه لئلا يَخْرُجَ التمرُ منه ، فقال الرجلُ[5] : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَكتِ الأموالُ وانقَطَعت السُّبُلُ . فصعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ المنبرَ ، فدَعا ورفَع يديه[6] حتى رُئِىَ بَياضُ إبطَيه ، ثم قال : « اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا ، على الآكامِ والظِّرابِ وبُطونِ الأوديةِ ، ومَنابتِ الشجرِ » . فانجابت السَّحابةُ عن المدينةِ كانجِيابِ الثوبِ . وهذا السِّياقُ يُشْبِهُ سِياقَ مسلمِ المُلائىِّ ، عن أنسٍ ، ولبعضِه شاهدٌ فى « سننِ أبى داودَ »[7] ، وفى

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ثعلب المربد : ثقبه الذى يسيل منه ماء المطر . النهاية ١/ ٢١٣ .

(٤) فى م ، والدلائل : « ستا » .

(٥) فى م ، ص : « رجل » .

(٦) بعده فى الدلائل : « مدا » .

(٧) أبو داود (١١٦٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٠٣٦) .

حديثِ[1] أبى رَزينٍ العُقَيْلىِّ شاهدٌ لبعضِه أيضًا[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[3] : أنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ[4] بنِ علىِّ بنِ المُؤَمَّلِ ، أنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ محمدٍ الحافظُ ، أنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ ، ثنا محمدُ بنُ حمادٍ الطِّهْرَانىُّ[5] ، أنا سهلُ [٣/٤٨٢ظ] بنُ عبدِ الرحمنِ المعروفُ بالسِّنْدِىِّ[6] بنِ عَبْدَوَيْهِ[7] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ[8] أبى أُوَيْسٍ المَدَنىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَرْمَلَةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى لُبابةَ[9] بنِ عبدِ المنذرِ الأنصارىِّ قال : اسْتَسْقَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ جمعةٍ ، فقال : « اللهم اسْقِنا ، اللهم اسْقِنا » . فقام أبو لُبابةَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن التمرَ فى المَرابدِ ، وما فى السماءِ مِن سَحابٍ نراه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اسْقِنا » . فقام أبو لُبابةَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن التمرَ فى المَرابدِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اسْقِنا ، حتى يقومَ أبو لُبابةَ يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِه بإزارِه » . فاستَهَلَّت[10] السماءُ ومطَرت ، وصلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [11]ثم أَطاف الأنصارُ بأبى لُبابةَ يَقُولون له[11] : يا أبا لُبابةَ ، إن السماءَ واللَّهِ لن تُقْلِعَ حتى تقومَ عُرْيانًا فتَسُدَّ ثَعْلَبَ

---

(١) فى الأصل : « سنن » .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ١١، ١٢، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبى رزين العقيلى لقيط ابن عامر . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٣١) .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٤٤، ١٤٥.

(٤) فى الدلائل : « الحسين » .

(٥) فى الأصل : « الطبرانى » . وفى م : « الظهرانى » . وانظر الأنساب ٤/ ٨٥، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٨٩.

(٦) فى م ، ص : « بالسدى » . وانظر الأنساب ٣/ ٣٢١.

(٧) فى الأصل ، ١١١، والدلائل : « عبد ربه » . وانظر المصدر السابق ، والجرح والتعديل ٤/ ٢٠١.

(٨) بعده فى م ، والدلائل : « بن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ١٦٦.

(٩) فى الدلائل : « أمامة » .

(١٠) فى الدلائل : « فأسبلت » .

(١١ - ١١) فى الأصل : « فأتى الناس أبا لبابة يقولون » ، وفى ١١١: « بأبى لبابة يقولون له » ، وفى م :=

مِرْبدِك بإزارِك كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : فقام أبو لُبابةَ عُرْيانًا يَسُدُّ ثَعْلبَ مِرْبدِه بإزارِه ، فأقْلَعَت السماءُ . وهذا إسنادٌ حسنٌ ، ولم يَرْوِه أحمدُ ولا أهلُ الكتبِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد وقَع مثلُ هذا الاسْتِسْقاءِ فى غزوةِ تَبوكَ فى أثناءِ الطريقِ ، كما قال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[1] : أخْبَرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن عتبةَ ابنِ أبى عتبةَ ، عن نافعِ بنِ جبيرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، أنه قيل لعمرَ بنِ الخطابِ : حدِّثْنا عن شأنِ ساعةِ العُسْرةِ . فقال عمرُ : خَرَجْنا إلى تَبوكَ فى قَيْظٍ شَديدٍ ، فنَزَلْنا مَنزِلًا وأصابنا فيه عطَشٌ ، حتى ظَنَنَّا أن رِقابَنا ستَنْقَطِعُ ، حتى إن [2]كان أحدُنا لَيَذْهَبُ فيَلْتَمِسُ الرَّحْلَ[3] فلا يَرْجِعُ[4] حتى يظُنَّ أن رقبتَه ستنْقَطِعُ ، حتى إنَّ[2] الرجلَ لَيَنْحَرُ بعيرَه فيَعْتَصِرُ[5] فَرْثَه فيَشْرَبُه ، ثم يجْعَلُ ما بَقِىَ على كبِدِه . فقال أبو بكرٍ الصديقُ ، رضى اللَّه عنه : يا رسولَ اللَّهِ ، إن اللَّهَ قد عوَّدك فى الدعاءِ خيرًا ، فادْعُ اللَّهَ لنا . فقال : « أو تُحِبُّ ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفَع يدَيه [6]نحوَ السماءِ[6] ، فلم يُرْجِعْهما حتى قالت السماءُ فأظَلَّت[7] ثم سَكَبت ، فمَلَئُوا ما معهم ، ثم ذهَبْنا ننْظُرُ فلم نجِدْها جاوزتِ العسكرَ . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ ، ولم يُخْرِجوه .

= « فأتى القوم أبا لبابة يقولون له » ، وفى ص : « فأتى أبا لبابة يقولون له » . والمثبت من الدلائل .

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٦٠ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ا ١١١ ، والدلائل : « الرجل » .

(٤) فى النسخ : « يجده » . والمثبت من الدلائل . وانظر ما تقدم .

(٥) فى م : « فيعصر » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٧) فى ا ١١١ ، م ، ص : « فأطلت » .

وقد قال الواقدىُّ[1] : قد كان مع المسلمين فى هذه الغزوةِ اثنا عشرَ ألفَ بعيرٍ ومثلُها مِن الخيلِ ، وكانوا ثلاثين ألفًا مِن المُقاتِلةِ . قال : ونزَل مِن المطرِ ماءٌ أغْدَق الأرضَ ، حتى صارت الغُدْرانُ تَسْكُبُ بعضُها فى بعضٍ ، وذلك فى حَمارَّةِ[2] القَيْظِ . أى شدةِ الحرِّ البَليغِ ، فصلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

[٣/٤٨٣و] وكم له عليه الصلاةُ والسلامُ مِن مثلِ هذا فى غيرِ ما حديثٍ صحيحٍ ، وللَّهِ الحمدُ . وقد تقدم[3] أنه لما دَعا على قريشٍ حينَ اسْتَعْصَت ، أن يُسَلِّطَ اللَّهُ عليها سبعًا كسبعِ يوسفَ ، فأصابتهم سَنَةٌ حصَّت كلَّ شىءٍ حتى أكَلوا العِظامَ والكلابَ والعِلْهِزَ ، ثم أتَى أبو سفيانَ يشْفَعُ عندَه فى أن يدْعُوَ اللَّهَ لهم ، فدَعا لهم فرفَع ذلك عنهم .

وقد قال البخارىُّ[4] : ثنا الحسنُ بنُ محمدٍ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ ، ثنا أبى عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى ، عن ثُمامةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنسٍ ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ ، رضى اللَّه عنه ، كان إذا قَحَطوا اسْتَسْقى بالعباسِ ، وقال : اللهم إنا كنا نتَوَسَّلُ إليك بنبيِّنا[5] فتسْقِينا ، وإنا نتَوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا . قال فيُسْقَون . تفرد به البخارىُّ .

---

(١) مغازى الواقدى ٣/ ١٠٠٢، وفيها أن عدد الخيل كان عشرة آلاف ، وليس فيها ذكر عدد البعير .
(٢) فى م ، ص : « حمأة » .
(٣) تقدم فى ٤/٢٦٥ - ٢٦٧.
(٤) البخارى (١٠١٠) .
(٥) فى ١١١: « بنبيك » .

فصلٌ : وأما المُعْجِزاتُ الأرضيَّةُ

فمنها ما هو مُتَعَلِّقٌ بالجَماداتِ ، ومنها ما هو متعلِّقٌ بالحيواناتِ ، فمِن المتعلِّقِ بالجَماداتِ تَكْثيرُه الماءَ فى غيرِ ما مَوْطنٍ على صفاتٍ متنوعةٍ سنُورِدُها بأسانيدِها ، إن شاء اللَّهُ ، وبدَأْنا بذلك ؛ لأنه أنسبُ بإتْباعِ ما أسْلَفْنا ذكرَه مِن اسْتِسْقائِه وإجابةِ اللَّهِ له .

قال البخاريُّ[1] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلمةَ ، عن مالكٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى طَلْحةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وحانت صلاةُ العصرِ والْتَمَسَ الناسُ الوَضوءَ فلم يَجِدوه ، فَأُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بوَضوءٍ فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه فى ذلك الإناءِ ، فأمَر الناسَ أن يتَوَضَّئوا منه ، فرأيْتُ الماءَ ينْبُعُ مِن تحتِ أصابعِه ، فتَوضَّأ الناسُ حتى توَضَّئوا مِن عندِ آخرِهم . وقد رواه مسلمٌ والترمذىُّ والنسائىُّ مِن طرقٍ ، عن مالكٍ به[2] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

طريقٌ أخْرى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدثنا يونسُ بنُ محمدٍ ، ثنا حَزْمٌ ، سمِعْتُ الحسنَ يقولُ : حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج ذاتَ يومٍ لبعضِ مَخارجِه معه ناسٌ مِن أصحابِه ، فانطَلَقوا يَسِيرونَ ، فحضَرَتِ الصلاةُ ، فلم يجِدِ القومُ ماءً[4] يتَوَضَّئُون به ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، [5]واللَّهِ[5] ما نَجِدُ ما

---

(١) البخارى (٣٥٧٣) .

(٢) مسلم (٥/٢٢٧٩) ، والترمذى (٣٦٣١) ، والنسائى (٧٦) .

(٣) المسند ٣/ ٢١٦.

(٤) فى م : « ما » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

نتَوَضَّأُ به . ورأَى فى وجوهِ أصحابِه كَراهيةَ ذلك ، فانْطَلق رجلٌ مِن القومِ فجاء بقَدَحٍ مِن ماءٍ يسيرٍ ، فأَخَذ نبيُّ اللَّهِ ﷺ ، فتوَضَّأ منه ، ثم مَدَّ أصابعَه الأَرْبَعَةَ على القَدَحِ ، ثم قال : « هَلُمُّوا فتَوَضَّئوا » . فتوَضَّأ القومُ حتى بلَغوا[1] فيما يُريدون[2] . قال الحسنُ : سُئِل أنسٌ : كم بلَغوا ؟ قال : [٤٨٣/٣ظ] سبعين أو [3]نحوَ ذلك[3] . وهكذا رواه البخاريُّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ المباركِ العَيْشىِّ[4] ، عن حزمِ بنِ مِهْرانَ القُطَعىِّ[5] به[6] .

طريقٌ أخْرى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن حُمَيدٍ ويزيدَ - قال : أنا حُمَيدٌ المَعْنَى - عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : نُودِىَ بالصلاةِ ، فقام كلُّ قريبِ الدَّارِ مِن المسجدِ[8] ، وبَقِىَ مَن كان أهلُه نائىَ الدَّارِ ، فأُتِى رسولُ اللَّهِ ﷺ بِمِخْضَبٍ مِن حجارةٍ ، فصَغُر أن يَبْسُطَ كفَّه فيه . قال : فضَمَّ أصابعَه . قال : فتوَضَّأ بقيَّتُهم . قال حُمَيدٌ : وسُئِل أنسٌ : كم كانوا ؟ قال : ثمانينَ أو زيادةً .

وقد روَاه البخاريُّ[9] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُنيرٍ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن حُمَيدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : حضَرَتِ الصلاةُ ، فقام مَن كان قريبَ الدارِ مِن المسجدِ يتَوَضَّأُ ، وبَقِىَ قومٌ فأُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِمِخْضَبٍ مِن حجارةٍ فيه ماءٌ ،

---

(١) فى المسند : « أبلغوا » . والمثبت لفظ رواية البخارى .

(٢) بعده فى م : « من الوضوء » . وهو لفظ رواية البخارى .

(٣ - ٣) فى النسخ : « ثمانين » . والمثبت من المسند .

(٤) فى الأصل : « العبسى » ، وفى ١١١ ، م : « العنسى » ، وفى ص : « العيسى » ، والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر الجرح والتعديل ٥/ ٢٩٢ ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٨٢ .

(٥) فى م : « القطيعى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٨٨ .

(٦) البخارى (٣٥٧٤) .

(٧) المسند ٣/ ١٠٦ .

(٨) أى قام ليتوضأ ، كما توضحه رواية البخارى القادمة .

(٩) البخارى (٣٥٧٥) .

فوضَع كفَّه فصَغُر المِخْضَبُ أن يبْسُطَ فيه كفَّه ، فضَمَّ أصابعَه فوضَعَها فى المِخْضَبِ ، فتوضَّأ القومُ كلُّهم جميعًا ، قلتُ : كم كانوا ؟ قال : كانوا ثمانينَ رجلًا .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا سعيدٌ إملاءً[2] ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان بالزَّوْراءِ فأُتِىَ بإناءٍ فيه ماءٌ ، لا يَغْمُرُ أصابعَه ، فأمَر أصحابَه أن يتَوَضَّئُوا ، فوضَع كفَّه فى الماءِ ، فجعَل الماءُ ينْبُعُ مِن بينِ أصابعِه وأطرافِ أصابعِه حتى توَضَّأَ القومُ . قال : فقلْتُ لأنسٍ : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثَمائةٍ .

وهكذا رَواه البخارىُّ عن بُنْدارٍ ، عن[3] ابنِ أبى عَدِىٍّ ، ومسلمٌ ، عن أبى موسى ، عن غُنْدَرٍ ، كلاهما عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ[4] - وبعضُهم يقولُ[5] : عن شعبةَ . والصحيحُ : سعيدٍ - عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بإناءٍ وهو فى الزَّوْراءِ ، فوضَع يدَه فى الإناءِ ، فجعَل الماءُ ينْبُعُ مِن بينِ أصابعِه فتَوَضَّأَ القومُ . قال قتادةُ : فقلتُ لأنسٍ : كم كنتم ؟ قال : ثلاثَمائةٍ أو زُهاءَ ثلاثِمائةٍ . لفظُ البخارىِّ .

حديثُ البَرَاءِ بنِ عازبٍ فى ذلك : قال البخارىُّ[6] : ثنا مالكُ بنُ

---

(١) المسند ٣/ ١٧٠.

(٢) زيادة من النسخ ليست فى المسند . ولم يذكر ابن حجر فى أطراف المسند ١/ ٤٧١ ، الحديثَ بهذا الإسناد ، بل ذكره عن محمد بن بكر - وليس « محمد بن جعفر » - عن سعيد . وأضافه المحقق فى الحاشية - أى طريق محمد بن جعفر - بغير ذكر الإملاء .

(٣) سقط من : م .

(٤) البخارى (٣٥٧٢) ، ومسلم (٧/ ٢٢٧٩) .

(٥) ذكر هذا القول الحافظ المزى فى تحفة الأشراف ١/ ٣١١.

(٦) البخارى (٣٥٧٧) .

إسماعيلَ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ قال : كنا يومَ الحديبيةِ أربعَ عشْرةَ مائةً ، والحُدَيْبيةُ بئرٌ ، فَنَزَحْناها حتى لم نترُكْ فيها قطرةً ، فجلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ على شَفيرِ البئرِ ، فدَعا بماءٍ فمضْمَض ، ومجَّ فى البئرِ ، فمكَثْنا غيرَ بعيدٍ ، ثم اسْتَقَيْنا حتى رَوِينا ورَوَت أو صدَرَت رِكابُنا . تفرد به البخاريُّ إسنادًا ومتنًا .

حديثٌ آخرُ عن البراءِ بنِ عازبٍ : [٣/٤٨٤و] (١) قال الإمامُ أحمدُ(٢) : حدَّثنا عفانُ وهاشمٌ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، حدَّثنا حميدُ بنُ هلالٍ ، حدَّثنا يونسُ - هو ابنُ عُبَيدةَ ، مولى محمدِ بنِ القاسمِ - عن البراءِ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفَرٍ ، فأتَيْنا على رَكِيٍّ ذَمَّةٍ - يعنى قليلةَ الماءِ - قال : فنزَل فيها ستةُ أناسٍ أنا سادسُهم ماحَةً(٣) ، فأُدْلِيَت إلينا دَلْوٌ . قال : ورسولُ اللَّهِ ﷺ على شَفَةِ الرَّكِيِّ فجعلْنا فيها نصفَها ، أو قُرابَ ثُلُثَيْها ، فرُفِعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال البراءُ : فكِدْتُ(٤) بإنائى هل أجِدُ شيئًا أجْعَلُه فى حَلْقى ؟ فما وجَدْتُ فرفَعْتُ الدَّلْوَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فغمَس يَده فيها ، فقال ما شاء اللَّهُ أن يقولَ ، وأُعِيدَت إلينا الدَّلْوُ بما فيها . قال : فلقد رأيْتُ أحدَنا أُخْرِج بثوبٍ خشيةَ الغَرَقِ . قال : ثم ساحتْ ؛ يعنى جَرَت نهرًا . تفرد به الإمامُ أحمدُ ، وإسنادُه جيدٌ قوىٌّ ، والظاهرُ أنها قصةٌ أخرى غيرَ يومِ الحديبيةِ . واللَّهُ أعلمُ (١) .

(١ - ١) سقط من : ١١١، ص .

(٢) المسند ٤/ ٢٩٢، ٢٩٧. واللفظ لهاشم ؛ فى ٤/ ٢٩٢. وقال فى المجمع ٨/ ٣٠٠: رواه أحمد والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح .

(٣) ماحة : هى جمع مائح ، وهو الذى ينزل فى الرَّكِيَّة - وهى البئر - فيملأ الدلو بيده . النهاية ٤/ ٣٧٩.

(٤) الكيد هنا : الاحتيال والاجتهاد ؛ أى فاحتلت واجتهدت لعلى أجد شيئا . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٦٢.

حديثٌ آخرُ عن جابرٍ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا سَيَّارُ[2] بنُ حاتمٍ ، ثنا جعفرٌ ، يعنى ابنَ سليمانَ ، ثنا الجَعْدُ أبو عثمانَ ، ثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، عن جابرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ الأنصاريِّ قال : اشْتَكى أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليه العطشَ . قال : فدَعا بعُسٍّ[3] ، فصُبَّ فيه شيءٌ مِن الماءِ ، ووضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه يدَه ، وقال « اسْقُوا[4] » . فاسْتَقَى الناسُ ، قال : فكنتُ أرَى العيونَ تنْبُعُ مِن بينِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وفى أفرادِ مسلمٍ[5] مِن حديثِ حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبى حَزْرَةَ يعقوبَ بنِ مجاهدٍ ، عن عُبادةَ بنِ الوليدِ بنِ عُبادةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ فى حديثٍ طويلٍ قال فيه : سِرْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى نزَلْنا واديًا أفْيَحَ[6] ، فذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِى حاجتَه فاتَّبَعْتُه بإداوةٍ مِن ماءٍ ، فنظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يرَ شيئًا يَسْتَتِرُ به ، وإذا بشجرتين بشاطئِ الوادى ، فانطَلَق رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى إحداهما ، فأخَذ بغُصْنٍ مِن أغصانِها فقال : « انقادى علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . فانقادت معه كالبعيرِ المَخْشوشِ الذى يُصانِعُ قائدَه ، حتى أتَى الأخرى فأخَذ بغصنٍ مِن أغصانِها فقال : « انقادى علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمَنْصَفِ[7] مما بينَهما لأَم بينَهما - يعنى جمَعهما - فقال : « الْتَئِما علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . فالْتَأَمَتا .

---

(١) المسند ٣/ ٣٤٣.

(٢) فى الأصل ، م : « سنان » ، وفى ص : « سنار » . وانظر أطراف المسند ٢/ ٧، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٠٧.

(٣) العس : القَدَح الكبير .

(٤) فى الأصل ، م : « استقوا » .

(٥) مسلم (٣٠١٢ - ٣٠١٤) .

(٦) أفيح : أى واسعًا . انظر النهاية ٣/ ٤٨٤.

(٧) المنصف : نصف المسافة . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٣.

قال جابرٌ: فخرَجْتُ أُحْضِرُ[1] مَخافةَ أن يُحِسَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بقُرْبِى فيبْتَعِدَ، فجلَسْتُ أُحَدِّثُ نفسى، فحانت منى لَفْتةٌ، [٣/٤٨٤ظ] فإذا أنا برسولِ اللَّهِ ﷺ مقْبِلًا[2]، وإذا بالشجرتين قد افْتَرَقتا، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ، فرأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وقَف وَقْفةً، فقال برأسِه هكذا، يمينًا وشمالًا، ثم أقْبَل، فلما انتهى إلىَّ قال: «يا جابرُ، هل رأيْتَ مَقامى؟» قلتُ: نعم يا رسولَ اللَّهِ. قال: «فانْطَلِقْ إلى الشجرتين فاقْطَعْ مِن كل واحدةٍ منهما غُصْنًا، فأقْبِلْ بهما، حتى إذا قُمْتَ مَقامى فأرْسِلْ غُصْنًا عن يمينِك وغصْنًا عن يسارِك»[3]. قال جابرٌ: فقُمْتُ فأخَذْتُ حَجَرًا فكَسَرْتُه وحَسَرْتُه[4] فانْذلَق لى، فأتَيْتُ الشجرتَيْن، فقطَعْتُ مِن كلِّ واحدةٍ منهما غصنًا، ثم أقْبَلْتُ أجُرُّهما[5]، حتى قمتُ مَقامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أرْسَلْتُ غُصْنًا عن يمينى وغُصْنًا عن يسارى، ثم لحِقْتُ فقلتُ: قد فعَلْتُ يا رسولَ اللَّهِ. قال: فقلتُ: فلمَ ذاك؟ قال: «إنى مرَرْتُ بقبرَيْن يُعَذَّبان، فأحْبَبْتُ بشفاعتى أن يُرفَّهَ[6] عنهما مادام الغُصْنان رَطِبَيْن». قال: فأتَيْنا العَسْكَرَ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا جابرُ، نادِ بوَضوءٍ». فقلتُ: ألا وَضوءَ؟ ألا وَضوءَ؟ ألا وَضوءَ؟ قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ما وجَدْتُ فى الرَّكْبِ مِن قَطْرةٍ. وكان رجلٌ مِن الأنصارِ يُبَرِّدُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ الماءَ[7]

---

(١) أحضر: أعدو وأسعى سعيًا شديدًا. انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٣.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى م: «شمالك».

(٤) فى ١١١ بياض. وفى م: «حددته». وحسرته: أحْدَدْتُه ونَحَّيْت عنه ما يمنع حدَّته بحيث صار مما يمكن قطعى الأغصانَ به، وهو معنى قوله: فانذلق. أى صار حادًّا. انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٤.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح مسلم.

(٦) سقط من: ١١١. وفى م: «يرفع ذلك». ويرفه: يُخَفَّف. صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٥.

(٧) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح مسلم.

فى أشْجابٍ[1] له على حِمارةٍ مِن جريدٍ[2] . قال : فقال لى : « انطَلِقْ إلى فلانٍ الأنصارىِّ ، فانظُرْ هل[3] فى أشْجابِه مِن شىءٍ ؟ » قال : فانْطَلَقْتُ إليه ، فنظَرْتُ فيها ، فلم أجِدْ فيها إلا قطرةً فى عزلاءِ[4] شَجْبٍ منها ، لو أنى أُفْرِغُه لَشَرِبَه يابسُه[5] ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : يارسولَ اللَّهِ ، إنى لم أجِدْ فيها إلا قطرةً فى عزلاءِ شَجْبٍ منها ، لو أنى أفْرِغُه لشرِبه يابسُه . قال : « اذْهَبْ فأْتِنى به » . فأتَيْتُه به ، فأخذه بيدِه ، فجعَل يتكَلَّمُ بشىءٍ لا أدْرى ما هو ، [6]ويَغْمِزُه بيدَيْه[6] ، ثم أَعْطانيه ، فقال : « يا جـابرُ ، نادِ بجَفْنةِ » . فقلتُ : ياجَفْنةَ الرَّكْـبِ[7] . فأُتِيتُ بها تُحْمَلُ ، فوضَعْتُها بيـنَ يديه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه فى الجَفْنةِ هكذا ، فبسَطها وفرَّق بيـنَ أصابعِه ، ثم وضَعها فى قَعْرِ الجَفْنةِ ، وقال : « خُذْ ياجابرُ فصُبَّ علىَّ ، وقلْ : بسمِ اللَّهِ » . فصبَبْتُ عليه ، وقلتُ : بسمِ اللَّهِ . فرأيْتُ الماءَ يَفورُ مِن بينِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم فارت الجَفْنةُ ودارت حتى امْتَلأت ، فقال : « يا جابرُ ، نادِ مَن كان له حاجةٌ بماءٍ » . قال : فأتَى الناسُ فاسْتَقَوْا حتى رَوُوا . قال : فقلتُ : هل بَقِىَ أحدٌ له حاجةٌ ؟ فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه مِن الجَفْنةِ وهى مَلْأَى . قال : وشكَا الناسُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الجوعَ فقال : « عسى اللَّهُ أن

---

(١) أشجاب : جمع شَجْب ،و هو السقاء الذى قد أخلق وبلى وصار شَنًّا . يقال : شاجب . أى : يابس . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٥.

(٢) حمارة من جريد : هى أعواد تُعلَّق عليها أسقية الماء. المصدر السابق .

(٣) بعده فى ١١١، م : « ترى » .

(٤) فى م ، ص : « غرلا » . والعزلاء : فم القربة . المصدر السابق ١٨/ ١٤٦.

(٥) شربه يابسه : معناه أنه قليل جدًّا فلقِلَّته مع شدَّة يبس باقى الشجب لو أفرغته لاشتفَّه اليابس ولم ينزل منه شىء . المصدر السابق .

(٦ - ٦) فى الأصل : « ويغمز يده » ، وفى ١١١: « ويغمذ بيديه » ، وفى م ، ص : « وغمرنى بيده » ، والمثبت من صحيح مسلم . ويغمزه : يعصره . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٦.

(٧) يا جفنة الركب : أى : يا صاحب جفنة الركب . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٦.

يُطْعِمَكم » . فأتَيْنا سِيفَ البحرِ ، (١ فزخَر زَخْرةً ١) ، فأَلْقَى دابَّةً ، فأوْرَيْنا على شِقِّها النارَ ، فاطَّبَخْنا(٢) واشْتَوَيْنا ، [٣/٤٨٥و] وأكَلْنا حتى شبِعْنا . قال جابرٌ : فدخَلْتُ أنا وفلانٌ وفلانٌ(٣) - حتى عدَّ خمسةً - فى حِجاجِ(٤) عينِها ما يَرانا أحدٌ ، حتى خرَجْنا ، وأخَذْنا ضِلَعًا مِن أضْلاعِه فقوَّسْناه ثم دَعَوْنا بأعظمِ رجلٍ فى الرَّكْبِ ، وأعظمِ جملٍ فى الرَّكْبِ ، وأعْظمِ كِفْلٍ(٥) فى الرَّكْبِ ، فدخَل تحتَه ما يُطأْطِئُ رأسَه .

وقال البخاريُّ(٦) : ثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ مسلمٍ ، ثنا حصينٌ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : عطِش الناسُ يومَ الحُديبيةِ والنبىُّ ﷺ بين يديه رَكْوةٌ يتَوَضَّأُ ، فجهَش الناسُ(٧) نحوَه ،قال : « مالكم ؟ » قالوا : ليس عندَنا ماءٌ نتوضأُ ولا نَشرَبُ إلا ما بينَ يديك . فوضَع يدَه فى الرَّكْوةِ ، فجعَل الماءُ يَفورُ(٨) بين أصابعِه كأمثالِ العُيونِ ، فشَرِبْنا وتوَضَّأْنا . قلتُ : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا ، كنا خمسَ عشْرةَ مائةً . وهكذا

(١ - ١) فى النسخ : « فزجر زجرة » . والمثبت من صحيح مسلم . وزخر : أى علا موج سِيف البحر ، وهو ساحله . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٦، ١٤٧.

(٢) فى الأصل : « فأنضجنا » ، وفى م : « فطبخنا » .

(٣) بعده فى م ، ص : « وفلان » .

(٤) فى النسخ : « محاجر » . والمثبت من صحيح مسلم . والحجاج بكسر الحاء وفتحها : العَظْم المستدير حول العين . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٧.

(٥) المراد بالكفل هنا : الكساء الذى يُحَوِّيه راكب البعير على سنامه ، فيحفظ الكفلُ الراكب . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٤٧.

(٦) البخارى (٣٥٧٦) .

(٧) فجهش الناس : أى أسرعوا لأخذ الماء . انظر فتح البارى ٦/ ٥٨٦.

(٨) فى البخارى : « يثور » ، وبعده فى ا ١١، م : « من » . والمثبت موافق لإحدى روايات البخارى ، كما فى طبعة الشعب ٤/ ٣٤.

رواه مسلمٌ مِن حديثِ حصينٍ[1] ، وأخْرَجاه مِن حديثِ الأعمشِ ، زاد مسلمٌ : وشعبةَ ، ثلاثتُهم عن [2]سالمٍ ، عن[2] جابرٍ[3] ، وفى روايةِ الأعْمشِ : كنا أربعَ عشْرةَ مائةً .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يحيى بنُ حمادٍ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن الأسودِ بنِ قيسٍ ، عن نُبَيْحٍ[5] العَنَزِىِّ[6] ، أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قال : غزَوْنا - أو سافَرْنا - مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ونحن يومَئذٍ بضعَ عشَرَ ومائتان ، فحضَرَت الصلاةُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل فى القومِ من ماءٍ ؟ . فجاءه رجلٌ يسعَى بإداوةٍ فيها شىءٌ من ماءٍ ، قال : فصبَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قَدَحٍ . قال : فتوضأ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأحْسَن الوُضوءَ ، ثم انصَرَف وترَك القَدَحَ ، فرِكب الناسُ القَدَحَ : [7]تَمَسَّحُوا تَمَسَّحُوا[7] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « على رِسْلِكم » . حينَ سَمِعهم يقولون ذلك . قال : فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ كفَّه فى الماءِ [8]والقَدَحِ[8] ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسمِ اللَّهِ » . ثم قال : « أَسْبِغوا الوُضوءَ » . قال جابرٌ : فوالذى[9] ابْتلانى ببصَرِى لقد رأيْتُ العُيونَ عُيونَ الماءِ يومَئذٍ تخْرُجُ مِن بينِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [10]فما رفَعها[10] حتى توَضَّئوا أجْمعون . وهذا إسنادٌ جيِّدٌ ، تفرد به أحمدُ ، وظاهرُه كأنه

---

(١) مسلم (١٨٥٦/٧٣) مقتصرا على ذكر العدد .

(٢ - ٢) فى م : « جابر بن سالم بن » .

(٣) البخارى (٥٦٣٩) بطوله ، ومسلم (٧٤، ١٨٥٦/٧٥) بذكر العدد فقط .

(٤) المسند ٣/ ٢٩٢.

(٥) فى م : « شقيق » . وهو خطأ . ونظر أطراف المسند ٢/ ١٦٣، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٣١٤.

(٦) فى م ، والمسند : « العبدى » . وهو خطأ . وانظر المصدرين السابقين ، والتاريخ الكبير ٨/ ١٣٢.

(٧ - ٧) فى م : « تمسحوا وتمسحوا » ، وفى المسند : « يمسحوا ويمسحوا » . والمثبت موافق لرواية أحمد فى المسند ٣/ ٣٥٧، ٣٥٨، من طريق الأسود بن قيس به .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٩) بعده فى م : « هو » .

(١٠ - ١٠) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

قصةٌ أخرى غيرُ ما تقدَّم .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[1] عن سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ قال : قدِمْنا الحديبيةَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ونحنُ أربعَ عشْرةَ مائةً - أو أكثرُ من ذلك - وعليها خمسون رأسًا لا تُرويها ، فقعَد رسولُ اللَّهِ ﷺ على جَبا[2] الرَّكِيَّةِ ، فإمَّا دَعا وإمَّا بصَق فيها . قال : فجاشتْ ، فسَقَيْنا واسْتَقَيْنا .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[3] مِن حديثِ الزهرىِّ ، [٣/ ٤٨٥ظ] عن عروةَ ، عن المِسْوَرِ ومَرْوانَ بنِ الحكمِ فى حديثِ صُلحِ الحديبيةِ الطويلِ : فعدَل عنهم رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل بأقْصَى الحديبيةِ على ثَمَدٍ قليلِ الماءِ يتَبَرَّضُه الناسُ[4] تبَرُّضًا ، فلم يُلَبِّثْه الناسُ حتى نزَحوه ، وشُكِىَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ العطشُ ، فانتزَع سهمًا مِن كِنانتِه ، ثم أمَرهم أن يَجْعَلوه فيه ، فواللَّهِ مازال يَجِيشُ لهم بالرِّىِّ حتى صدَروا عنه . وقد تقدَّم الحديثُ بتمامِه فى صلحِ الحديبيةِ ، فأغْنَى عن إعادتِه . وروَى ابنُ إسحاقَ عن بعضِهم أن الذى نزَل بالسهمِ ناجيةُ بنُ جُنْدَبٍ سائقُ البُدْنِ . قال : وقيل : البراءُ بنُ عازبٍ . ثم رجَّح ابنُ إسحاقَ الأوَّلَ[5] .

حديثٌ عن ابنِ عباسٍ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا حسينٌ الأشْقرُ ، ثنا أبو كُدَيْنةَ ، عن عطاءٍ ، عن أبى الضُّحَى ، عن ابنِ عباسٍ قال : أصْبَح رسولُ

---

(١) مسلم (١٨٠٧) ، مطولًا .

(٢) فى م : « شفا » . والجبا بالفتح والقصر : ما حول البئر . وبالكسر : ما جَمَعْتَ فيه - أى فى البئر - من الماء . النهاية ١/ ٢٣٧.

(٣) تقدم فى ٦/ ٢٣٠.

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) انظر ما تقدم فى ٦/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٦) المسند ١/ ٢٥١، ٣٢٤. (إسناده ضعيف) .

اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ وليس فى العَسْكرِ ماءٌ ، فأتاه رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ليس فى العَسْكرِ ماءٌ . قال : « هل عندَك شىءٌ ؟ » قال : نعم . قال : « فأْتنى به » . قال : فأتاه بإناءٍ فيه شىءٌ من ماءٍ قليلٍ . قال : فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ أصابَعه فى فمِ الإناءِ وفتَح أصابِعَه . قال : فانفَجَرَت مِن بينِ أصابعِه عُيونٌ ، وأمَر بلالًا ، فقال : « نادِ فى الناسِ : الوَضُوءَ المُبارَكَ » . تفرَّد به أحمدُ ، ورواه الطبرانىُّ مِن حديثِ عامرٍ الشَّعْبىِّ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه[1] .

حديثٌ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فى ذلك : قال البخارىُّ[2] : ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، ثنا إسرائيلُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : كنا نَعُدُّ الآياتِ بركةً ، وأنتم تعُدُّونها تخْويفًا ، كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفَرٍ ، فقلَّ الماءُ فقال : « اطْلبُوا فَضْلةً مِن ماءٍ » . فجاءوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ ، فأدْخَل يدَه فى الإناءِ ، ثم قال : « حَىَّ على الطَّهورِ المُبارَكِ ، والبَركةُ مِن اللَّهِ ، عز وجل » . قال : فلقد رأيْتُ الماءَ يَنْبُعُ مِن بينِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولقد كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ . ورواه الترمذىُّ ، عن بُنْدارٍ ، عن أبى[3] أحمدَ[4] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

حديثٌ ، عن عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ فى ذلك : قال البخارىُّ[5] : ثنا أبو الوليدِ ،

---

(١) المعجم الكبير ١٢/٨٧ (١٢٥٦٠) .

(٢) البخارى (٣٥٧٩) .

(٣) فى م ، ص : « ابن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٧٦ .

(٤) الترمذى (٣٦٣٣) .

(٥) البخارى (٣٥٧١) .

ثنا (١ سَلْمُ بنُ زَرِيرٍ ١) ، سمِعْتُ أبا رَجاءٍ قال : حدَّثنا عمرانُ بنُ حُصينٍ ، أنهم كانوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى مَسيرٍ ، فأدْلَجوا ليلتَهم ، حتى إذا كان وجهُ الصُّبحِ عرَّسوا ، فغلَبتْهم أعينُهم حتى ارتفعَت الشمسُ ، فكان أولَ مَن استيقظ مِن مَنامِه أبو بكرٍ ، وكان لا يُوقَظُ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٤٨٦و]مِن مَنامِه حتى يَستيقظَ ، فاستيقظ عمرُ ، فقعَد أبو بكرٍ عندَ رأسِه ، فجعَل يُكَبِّرُ ويرْفَعُ صوتَه حتى استيقظ النبىُّ ﷺ ، فنزَل وصلَّى بنا الغَداةَ ، فاعتزل رجلٌ مِن القومِ لم يصلِّ معنا ، فلما انصَرف قال : « يا فلانُ ، ما يَمنَعُك أن تصلِّىَ معنا ؟ » قال : أصابتْنى جَنابةٌ . فأمَره أن يتَيمَّمَ بالصَّعيدِ ، ثم صلَّى ، وجعَلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رَكوبٍ بينَ يدَيه ، وقد عطِشْنا عَطَشًا شديدًا ، فبينما نحن نَسيرُ (٢ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ٢) ، إذا نحن بامرأةٍ سادلةٍ رجلَيْها بينَ مَزَادَتَيْن ، فقلْنا لها : أين الماءُ؟ فقالت : إنه لا ماءَ . فقلنا : كم بينَ أهلِكِ وبينَ الماءِ؟ قالت : يومٌ وليلةٌ . فقلنا : انطَلقى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قالت : وما رسولُ اللَّهِ؟ فلم نُمَلِّكْها مِن أمْرِها حتى استقبَلْنا بها النبىَّ ﷺ ، فحدَّثْته بمثلِ الذى حدَّثَتْنا ، غيرَ أنها حدَّثَتْه أنها مُؤْتِمةٌ (٣) ، فأمَر بمَزادتَيْها ، فمسَح فى العَزْلاوَيْن ، فشَرِبْنا عِطاشًا أربعين رجلًا حتى رَوِينا ، وملأْنا كلَّ قِرْبةٍ معنا وإداوةٍ ، غيرَ أنه لم نَسْقِ بعيرًا ، وهى تكادُ تَنِضُّ (٤) مِن المِلْءِ ، ثم قال : « هاتوا

(١ - ١) فى الأصل ، ١١١ : « مسلم بن زرير » ، وفى م : « مسلم بن زيد » ، وفى ص : « مسلم بن زير » . وهو خطأ . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٢٢.

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى صحيح البخارى .

(٣) مؤتمة : أى ذات أيتام . فتح البارى ٦/ ٥٨٤.

(٤) فى الأصل : « تتضرح » ، وفى ١١١ : « يصرج » ، وفى ص : « نصرح » . وما فى الأصل قريب مما فى رواية مسلم الآتى تخريجها وهى : تنضرج أو تتضرج . أى تنشق . وفى م : « تفضى » . والمثبت من صحيح البخارى . وتنض : أى تنشقُّ ويخرج منها الماء . يقال : نضَّ الماء من العين . إذا نبَع . النهاية ٥/٧٢ .

ما عندَكم » . فجمَع لها مِن الكِسَرِ والتمرِ حتى أتَتْ أهلَها ، فقالت : لقيتُ[1] أسْحَرَ الناسِ ، أو هو نبيٌّ كما زعَمُوا . فهدَى اللَّهُ ذاك الصِّرْمَ[2] بتلك المرأةِ ، فأسْلَمَت وأسْلَموا . وكذلك رواه مسلمٌ[3] مِن حديثِ [4]سَلْمِ بنِ زَريرٍ[4] ، وأخْرَجاه مِن حديثِ عَوْفٍ الأعْرابيِّ ، كلاهما عن أبى[5] رَجاءٍ العُطارديِّ - واسمُه عمرانُ بنُ تَيْمٍ - عن عمرانَ بنِ حُصينٍ به[6] . وفى روايةٍ لهما[7] : فقال لها : « اذْهَبى بهذا معك لعِيالِك ، واعْلَمى أنَّا لم نَرْزَأْكِ مِن مائِك شيئًا ، غيرَ أن اللَّهَ سقانا » . وفيه أنه لما فتَح العَزْلاوَيْن سمَّى اللَّهَ ، عز وجل[8] .

حديثٌ عن أبى قتادةَ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[9] : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى قتادةَ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفَرٍ ، فقال : « إنكم إن لا تُدْرِكوا الماءَ غدًا تَعْطَشوا » . وانطَلَق سَرَعانُ[10] الناسِ يُريدون الماءَ ، ولزِمْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فمالت برسولِ اللَّهِ ﷺ راحلتُه ، فنعَس رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فدعَمْتُه فادَّعَم[11] ، ثم مالَ فدَعَمْتُه

---

(١) فى م : « أتيت » .

(٢) الصِّرم : أى أبياتًا مجتمعة من الناس . الفتح ١/ ٤٥٣ .

(٣) مسلم (٦٨٢/٣١٢) .

(٤ - ٤) فى الأصل : « مسلم بن زرير » ، وفى ١١١ ، م : « سلم بن رزين » ، وفى ص : « سلم بن دزير » . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر الصفحة السابقة حاشية (١ - ١) .

(٥) سقط من : ١١١ ، م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥٦ .

(٦) البخارى (٣٤٤ ، ٣٤٨) ، ومسلم (٦٨٢/٣١٢) .

(٧) البخارى (٣٤٤) ، ومسلم (٦٨٢/٣١٢) .

(٨) لم نجده بهذه الزيادة .

(٩) المسند ٥/ ٢٩٨ .

(١٠) السَّرعان ، بفتح السين والراء ويجوز تسكين الراء : أوائل الناس الذين يتسارعون إلى الشىء ويقبلون عليه بسرعة . انظر النهاية ٢/ ٣٦١ .

(١١) دعمته فادَّعم : أى أسندته فاستند واعتدل . بلوغ الأمانى ٢٢/ ٣٩٧ .

فادَّعَم ، ثم مال حتى كاد أن ينْجَفِلَ عن راحلتِه ، فدعَمْتُه فانتَبَه ، فقال : « مَن الرجلُ ؟ » فقلتُ : أبو قتادةَ . قال : « منذُ كم كان مَسيرُك ؟ » قلتُ : منذُ الليلةِ . قال : « حَفِظك اللَّهُ كما [٣/٤٨٦ظ] حفِظْتَ رسولَه . ثم قال : « لو عرَّسْنا » . فمال إلى شجرةٍ فنزلَ فقال : « انظُرْ هل ترَى أحدًا ؟ » قلتُ : هذا راكبٌ ، هذان راكبان . حتى بلَغ سبعةً . فقال : « احْفَظوا علينا صلاتَنا » . فنِمْنا فما أيقَظَنا إلا حَرُّ الشمسِ ، فانتَبهْنا فركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ فسار وسِرْنا هُنَيْهَةً ، ثم نزَل فقال : « أمعكم ماءٌ ؟ » قال : قلتُ : نعم ، معى مِيضَأَةٌ فيها شيءٌ مِن ماءٍ . قال : « ائْتِ بها » . قال : فأتَيْتُهُ بها ، فقال : « مَسُّوا منها ، مَسُّوا منها » . فتوضَّأ القومُ وبقِيَت جُرْعةٌ ، فقال : « ازْدَهِرْ بها[1] يا أبا قتادةَ ؛ فإنه سيكونُ لها نبأٌ » . ثم أذَّن بلالٌ ، وصلَّوُا الركعتَيْنِ قبلَ الفجرِ ، ثم صلَّوُا الفجرَ ، ثم ركِب وركِبْنا ، فقال بعضُهم لبعضٍ : فرَّطْنا فى صلاتِنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما تقولون ؟ إن كان أمْرَ دُنْياكم فشأنُكم ، وإن كان أمْرَ دِينِكم فإلىَّ » . قلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، فرَّطْنا فى صلاتِنا . فقال : « لا تَفْريطَ فى النومِ ، إنما التَّفْريطُ فى اليَقَظةِ ، فإذا كان ذلك فصلُّوها ، ومِن الغدِ وقتَها[2] » . ثم قال : « ظُنُّوا بالقومِ » . قالوا : إنك قلتَ بالأمسِ : « إن لا تُدْرِكوا الماءَ غدًا تعْطَشوا » ؛ فالناسُ بالماءِ . [3]فقال[4] : « أصْبَح الناسُ ، وقد فقَدوا نبيَّهم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بالماءِ[3] . وفى

---

(١) فى الأصل : « أنهر » ، وفى ١١١ : « أزهر » . وازدهرْ بها : احتفِظْ بها واجعلْها فى بالك . انظر النهاية ٢/ ٣٢٢.

(٢) ليس معناه أنه يقضى الفائتة مرتين ؛ مرة فى الحال ومرة فى الغد ، وإنما معناه أنه إذا فاتته صلاة فقضاها ، لا يتغير وقتها ويتحول فى المستقبل ، بل يبقى كما كان ، فإذا كان الغد صلى صلاة الغد فى وقتها المعتاد . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ١٨٧.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ١١١ ، م ، ص : « قال : فلما » . والمثبت من المسند .

القومِ أبو بكرٍ وعمرُ ، فقالا : أيُّها الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يكُنْ لِيَسْبِقَكم إلى الماءِ ويخْلُفَكم . وإن يُطِعِ الناسُ أبا بكرٍ وعمرَ يَرْشُدوا » . قالها ثلاثًا . فلما اشْتَدَّت الظَّهيرةُ رفَع لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَكْنا عَطَشًا ، تقَطَّعت الأعْناقُ . فقال : « لا هُلْكَ عليكم » . ثم قال : « يا أبا قتادةَ ، ائْتِ بالميضَأَةِ » . فأتَيْتُه بها ، فقال : « احْلُلْ لى غُمَرى » . يعنى قَدَحه . فحلَلْتُه فأتَيْتُه به ، فجعَل يَصُبُّ فيه ، ويَسْقِى الناسَ ، فازْدَحم الناسُ عليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أيها الناسُ ، أحْسِنوا الملأَ[1] ، فكُلُّكم سيَصْدُرُ عن رِىٍّ » . فشرِب القومُ حتى لم يَبْقَ غيرى وغيرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فصَبَّ لى ، فقال : « اشْرَبْ يا أبا قتادةَ » . قال : قلتُ : اشْرَبْ أنت يا رسولَ اللَّهِ . قال : « إن ساقِىَ القومِ آخرُهم » . فشرِبْتُ وشرِب بعدى ، وبَقِىَ فى المِيضَأَةِ نحوٌ مما كان فيها ، وهم يومَئذٍ ثلاثُمائةٍ . قال عبدُ اللَّهِ : فسمِعَنى عمرانُ بنُ حُصينٍ وأنا أُحَدِّثُ هذا الحديثَ فى المسجدِ الجامعِ ، فقال : مَن الرجلُ ؟ قلتُ : أنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَباحٍ الأنصارىُّ . قال : القومُ أعلمُ بحديثِهم ، انظُرْ كيف تُحَدِّثُ ، فإنى أحدُ السبعةِ تلك الليلةَ . فلما فرَغْتُ قال : ما كنتُ أحسَبُ أحدًا يَحْفَظُ هذا الحديثَ غيرى .

قال حمادُ بنُ سَلَمةَ[2] : وحدَّثنا [٤٨٧/٣و] حُميدٌ الطويلُ ، عن بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَنىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى قتادةَ[3] ، عن النبىِّ ﷺ بمثلِه ، وزاد : قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا عرَّس وعليه ليلٌ ، توَسَّد يمينَه ، وإذا عرَّس

---

(١) الملأ : الخُلق والعشرة ، يقال : ما أحسن ملأَ فلان . أى ؛ ما أحسن خُلقَه وعشرتَه . انظر بلوغ الأمانى ٣٩٩/٢٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢٩٨/٥ ، من طريق حماد به .

(٣) بعده فى م : « الموصلى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ١٩٤.

الصبحَ وضَع رأسَه على كفِّه اليمنى وأقام ساعدَه . وقد رواه مسلمٌ عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن سليمانَ بنِ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى قتادةَ الحارثِ بنِ رِبْعىٍّ الأنصارىِّ بطولِه[1] ، وأخْرَجه مِن حديثِ حمادِ بنِ سلمةَ بسندِه الأخيرِ أيضًا[2] .

حديثٌ آخرُ عن أنسٍ يُشْبِهُ هذا : روَى البيهقىُّ[3] مِن حديثِ الحافظِ أبى يَعْلى الموصلىِّ ، ثنا شَيْبانُ ، ثنا[4] سعيدُ بنُ سليمانَ الضُّبَعىُّ ، ثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جهَّز جيشًا إلى المشركين ، فيهم أبو بكرٍ [5]وعمرُ[5] ، فقال لهم : « أجِدُّوا[6] السَّيرَ ؛ فإن بينَكم وبينَ المشركين ماءً ، إن يَسْبِقِ[7] المشركون إلى ذلك الماءِ شَقَّ على الناسِ ، وعطِشْتُم عَطَشًا شديدًا أنتم ودَوابُّكم » . قال : وتخَلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثمانيةٍ أنا تاسعُهم ، وقال لأصحابِه : « هل لكم أن نُعَرِّسَ قليلًا ، ثم نَلْحَقَ بالناسِ ؟ » قالوا : نعم يا رسولَ اللَّهِ . فعرَّسوا فما أيْقظَهم إلا حَرُّ الشمسِ ، فاسْتَيْقظ رسولُ اللَّهِ ﷺ واستيقظ أصحابُه ، فقال لهم : « تقدَّموا واقْضوا حاجاتِكم » . ففعلوا ثم رجَعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لهم : « هل مع أحدٍ منكم ماءٌ ؟ » قال رجلٌ منهم : يا رسولَ اللَّهِ ، معى مِيضَأَةٌ فيها شىءٌ مِن ماءٍ . قال : « فجِئْ بها » . فجاء بها ، فأخَذها رسولُ اللَّهِ ﷺ فمسَحها بكفَّيه[8] ،

---

(١) مسلم (٦٨١) .

(٢) مسلم (٦٨٣) مختصرًا .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٣٤، ١٣٥.

(٤) فى الدلائل : « بن » . وهو خطأ . وانظر ميزان الاعتدال ٢/ ١٤٢.

(٥ - ٥) زيادة من : ١١١. وانظر الكامل لابن عدى ٣/ ١٢٣٨.

(٦) فى النسخ : « جدوا » . والمثبت من الدلائل . وأجدوا : أسرعوا .

(٧) فى ص : « تسبق » . وفى الدلائل : « سبق » .

(٨) فى الدلائل : « بكفه » .

ودَعا بالبركةِ فيها ، وقال لأصحابِه : « تعالَوْا فتوضَّئُوا » . فجاءوا وجعَل يَصُبُّ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى توضَّئوا كلُّهم[1] ، فأذَّن رجلٌ منهم وأقام ، فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ بهم[2] ، وقال لصاحبِ الميضَأةِ : « ازْدَهِرْ بميضَأتِك ؛ فسيكونُ لها نبأٌ[3] » . وركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ قبلَ الناسِ ، وقال لأصحابِه : « ما ترَوْن الناسَ فعَلوا ؟ » فقالوا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فقال لهم : « فيهم أبو بكرٍ وعمرُ ، وسيَرْشُدُ الناسُ » . [4]فقدِم الناسُ[4] وقد سبَق المشركون إلى ذلك الماءِ ، فشَقَّ ذلك على الناسِ ، وعطِشوا عطَشًا شديدًا ؛ رِكابُهم ودَوابُّهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أين صاحبُ الميضَأةِ ؟ » قالوا[5] : هو ذا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « جِئْنى بميضَأتِك » . فجاء بها وفيها شيءٌ مِن ماءٍ . فقال لهم : « تعالَوْا فاشْرَبوا » . فجعَل يَصُبُّ لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى شرِب الناسُ كلُّهم ، وسَقَوا دَوابَّهم ورِكابَهم ومَلَئُوا ما كان معهم [٣/٤٨٧ظ] مِن إداوةٍ وقِرْبةٍ ومَزادةٍ ، ثم نهَض رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه إلى المشركين ، فبعَث اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، رِيحًا فضرَب وجوهَ المشركين ، وأنزل اللَّهُ نصرَه ، وأمْكَن مِن أدبارِهم[6] ، فقتَلوا منهم[7] مَقْتلةً عَظيمةً ، وأسَروا أُسارَى كثيرةً ، واسْتاقوا غَنائمَ كثيرةً ، ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ والناسُ وافرين صالحين . وقد تقدَّم قريبًا عن جابرٍ ما يُشْبِهُ هذا ، وهو فى « صحيحِ مسلمٍ » .

---

(١) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٢) فى م ، ص : « لهم » .

(٣) فى م : « شأن » .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٥) فى الدلائل : « قال » .

(٦) فى م : « ديارهم » .

(٧) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

وقدَّمْنا فى غزوةِ تَبوكَ[1] ما رواه مسلمٌ مِن طريقِ مالكٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ ، فذكَر حديثَ جمعِ الصلاةِ فى غزوةِ تَبوكَ إلى أن قال : وقال - يعنى رسولَ اللَّهِ ﷺ - : « إنكم ستَأْتون غدًا ، إن شاء اللَّهُ ، عينَ تَبوكَ ، وإنكم لن تأْتُوها حتى يُضْحِيَ ضُحَى النهارِ ، فمن جاءها فلا يَمَسَّ من مائِها شيئًا حتى آتِيَ » . قال : فجئْناها وقد سبَق إليها رجلان ، والعينُ مثلُ الشِّراكِ تَبِضُّ بشىءٍ [2]مِن ماءٍ[2] ، فسأَلهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل مسِستُما مِن مائِها شيئًا ؟ » قالا : نعم . فسبَّهما و قال لهما ما شاء اللَّهُ أن يقولَ ، ثم غرَفوا مِن العينِ قليلًا قليلًا حتى اجتمع فى شىءٍ ، ثم غسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وجهَه ويدَيه ، ثم أعاده فيها ، فجرَت العينُ بماءٍ كثيرٍ ، فاسْتَقَى الناسُ ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا مُعاذُ ، يُوشِكُ إن طالت بك حياةٌ أن ترَى ما هـٰهنا قد مُلِئَ جِنانًا » .

[3]وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا حسنٌ ، ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، ثنا بكرُ بنُ سَوادةَ ، عن زيادِ بنِ نُعيمٍ ، عن حِبّانَ[5] بنِ بُحٍّ الصُّدائىِّ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : إن قومى كفَروا ، فأُخبِرتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جهَّز إليهم جيشًا ، فأتيتُه فقلتُ : إن قومى على الإسلامِ . فقال : « أكذلك ؟ » فقلت : نعم . قال : فاتبعتُه ليلتى إلى الصباحِ ، فأذَّنْت بالصَّلاةِ لمَّا أَصبحْت ، وأعطانى إناءً توضَّأْت مِنه ، فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ أصابعَه فى الإناءِ فانفجَر عُيونًا ، فقال : « مَن أراد مِنكم أن يتوضَّأَ[3]

---

(١) تقدم فى ٧/ ١٦٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ١١١، م، ص .

(٤) المسند ٤/ ١٦٨، ١٦٩.

(٥) فى الأصل : « حيانى » . وانظر الإصابة ٢/ ١٢.

(١ فلْيتوضَّأْ » . فتوضَّأت وصلَّيت ، وأمَّرنى عليهم ، وأعطانى صَدَقَتَهم ، فقام (٢) رجلٌ (٣ إلى النبىِّ ﷺ ٣) فقال : (٤ يا رسولَ اللَّهِ ٤) ، فلانٌ ظَلَمَنى . فقال (٤ النبىُّ ﷺ ٤) : « لا خيرَ فى الإمْرَةِ لمسلمٍ » . ثم جاء (٥ آخرُ فسأل ٥) صدقةً ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الصدقةَ صُدَاعٌ فى الرأسِ ، وحَرِيقٌ فى البطنِ ، أو (٦ داءٌ » . قال : فأعطيتُه صحيفتى ، أو قال : صحيفةَ إمْرَتى وصَدَقَتى . فقال : « ما شأْنُكَ ؟ » فقلت : كيف أقبلُها وقد سَمِعتُ مِنك ما سَمِعتُ ؟! فقال : « هو ما سَمِعتَ » ١) .

وذكَرْنا فى بابِ الوُفودِ مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيادِ بنِ أنْعُمٍ ، عن زيادِ (٧ ابنِ نُعيمٍ الحضرمىِّ ، عن زيادِ ٧) بنِ الحارثِ الصُّدائىِّ فى قصةِ وِفادتِه ، فذكَر حديثًا طويلًا فيه : ثم قلنا : [٣/٤٨٨و] يا رسولَ اللَّهِ ، إن لنا بئرًا إذا كان الشتاءُ وسِعَنا ماؤُها واجتمعْنا عليها ، وإذا كان الصيفُ قلَّ ماؤُها فتَفَرقْنا على مياهِ حولَنا ، وقد أسلَمْنا ، وكلُّ مَن حولَنا عدوٌّ ، فادعُ اللَّهَ لنا فى بئرِنا فيسعَنا ماؤُها فنجتمعَ عليه ولا نتفرقَ . فدعا بسبعِ حَصَياتٍ فعَرَكَهن (٨) بيدِه ، ودعا فيهنَّ ثم قال : « اذهبوا بهذه الحَصَياتِ ، فإذا أتيتمُ البئرَ فألْقُوا واحدةً واحدةً ، واذْكُروا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ . قال الصُّدائىُّ : ففعَلْنا ما قال لنا ، فما استطعْنا بعدَ ذلك أن نَنْظُرَ

(١ - ١) سقط من : ١١١، م، ص .
(٢) فى الأصل : « فقال » . والمثبت من المسند .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل والمثبت من المسند .
(٤ - ٤) زيادة من الأصل ليست فى المسند .
(٥ - ٥) فى المسند : « رجل يسأل » .
(٦) فى الأصل : « و » . والمثبت من المسند .
(٧ - ٧) سقط من : م .
(٨) فى الأصل ، م : « ففركهن » .

إلى قعرِها . يعنى البئرَ . وأصلُ هذا الحديثِ فى « المسندِ »[1] و « سننِ أبى داودَ » و « الترمذىِّ » و « ابنِ ماجه » ، وأمَّا الحديثُ بطولِه ففى « دلائلِ النبوةِ » للبيهقىِّ ، رحِمه اللَّهُ .

وقال البَيْهَقِىُّ[2] : بابُ ما ظَهَر فى البِئرِ التى كانت بقُباءٍ مِن بَرَكتِه . أخْبَرَنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحُسينِ[3] العَلَوىُّ ، ثنا أبو حامدِ بنُ[4] الشَّرْقىِّ ، أنا أحمدُ بنُ حفصِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، ثنا أبى ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، أنَّه حَدَّثَه أن أنسَ بنَ مالكٍ أتاهم بقُباءٍ فسَأَلَه عن بئرٍ هناك . قال : فدَلَلْتُه عليها ، فقال : لقد كانت هذه وإن الرجلَ لَيَنْضَحُ على حمارِه ، فيَنْزَحُ [5]فنَسْتَخْرِجُها له[5] ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ وأمَر بذَنُوبٍ فسُقِىَ ، فإمَّا أن يكونَ تَوَضَّأ منه ، وإمّا أن يكون تفَل فيه ، ثُم أمَر به فأُعِيد فى البئرِ . قال : فما نُزِحَتْ بعدُ . قال[6] : فرأيتُه بال ، ثُم جاء فتَوَضَّأ ، ومسَح على خُفَّيْه[7] ، ثُم صلَّى .

وقال أبو بكرٍ البزارُ : ثنا الوليدُ بنُ عمرِو بنِ السُّكَيْنِ[8] ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُثَنَّى ، عن أبيه ، عن ثُمامَةَ ، عن أنسٍ قال : أَتَى رسولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلَنا[9] ، فسَقَيْناه مِن بئرٍ لنا فى دارِنا كانت تُسَمَّى النَّزُورَ ، فى الجاهليَّةِ ، فتَفَل

---

(١) المسند ٤/١٦٩ مختصرًا . وقد تقدم هذا الحديث بتخريجه فى المصادر التى ذكرها المصنف ، فى ٧/٣٣٩ - ٣٤٢.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ١٣٦.

(٣) فى الدلائل : « الحسن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٩٨.

(٤) سقط من مطبوعة الدلائل . وانظر المصدر السابق ١٥/ ٣٧.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٦) بعده فى الدلائل : « فما برحته » .

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « جنبه » .

(٨) فى النسخ : « مسكين » . والمثبت من الثقات لابن حبان ٩/ ٢٢٨، وتهذيب الكمال ٣١/ ٦٣.

(٩) فى م ، ص : « فنزلنا » .

فيها ، فكانت لا تُنْزَحُ بعدُ . ثُم قال : لا نعلمُ هذا يُروَى إلَّا مِن هذا الوجهِ .

بابُ تَكْثِيرِه عليه الصلاةُ والسلامُ الأطْعِمةَ (١) للحاجةِ إليها فى غيرِ ما مَوْطِنٍ ، كما سنُورِدُه مبسوطًا (١)

تَكْثيرُه اللبنَ فى مواطِنَ أيضًا ؛ قال الإمامُ أحمدُ (٢) : ثنا رَوْحٌ ، ثنا عمرُ بنُ ذَرٍّ ، عن مجاهدٍ ، أنَّ أبا هُريرةَ كان يقولُ : واللَّهِ إن كنتُ لأَعْتَمِدُ بكَبِدى على الأرضِ مِن الجوعِ ، وإن كنتُ لأشُدُّ الحَجَرَ على بطنى مِن الجوعِ ، ولقد قَعَدْتُ يومًا على طريقِهم الذى يَخْرُجون منه ، فمَرَّ أبو بكرٍ ، فسَأَلْتُه عن آيةٍ مِن كتابِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ما سألتُه إلَّا ليَسْتَتْبِعَنى ، فلم يَفْعَلْ ، فمرَّ عمرُ ، فسألتُه عن آيةٍ مِن كتابِ اللَّهِ ، ما سألتُه إلَّا ليَسْتَتْبِعَنى ، [٣/ ٤٨٨ظ] فلم يفعلْ ، فمرَّ أبو القاسمِ ﷺ فعَرَفَ (٣) ما فى وجهى (٣) وما فى نفسى ، فقال : « أبا هُريرةَ » . فقلتُ له : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « الْحَقْ » . واستأذنتُ فأَذِنَ لى ، فوجدتُ لبنًا فى قَدَحٍ فقال : « مِن أينَ لكم هذا اللبنُ ؟ » فقالوا : أهداه لنا فلانٌ - أو آلُ فلانٍ - قال : « أبا هِرٍّ » . قلتُ : لَبَّيْك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « انْطَلِقْ إلى أهلِ الصُّفَّةِ فادْعُهم لى » . قال : وأهلُ الصُّفَّةِ أضْيافُ الإسلامِ ، (٤) لا يَأْوُون (٤) إلى أهلٍ ولا مالٍ ، إذا جاءتْ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ٢/ ٥١٥ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص .

(٤ - ٤) فى م ، والمسند : « لم يأووا » .

رسولَ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةٌ ، أصاب منها وبَعَث إليهم منها ، [1]وإذا جاءَتْه الصَّدَقةُ ، أرْسَل بها إليهم ولم يُصِبْ منها[1] . قال : وأحْزَنَنى ذلك ، وكنتُ أرجو أن أُصِيبَ مِن اللبنِ شَرْبَةً أتَقَوَّى بها بقيَّةَ يومى وليلتى ، وقلتُ : أنا الرسولُ ، فإذا جاء القومُ كنتُ أنا الذى أُعْطِيهم . وقلتُ : ما يَبْقَى لى مِن هذا اللبنِ ؟ ولم يَكُنْ مِن طاعةِ اللَّهِ وطاعةِ رسولِه بُدٌّ ، فانْطَلَقْتُ فدَعَوْتُهم ، فأقْبَلوا فاسْتَأْذَنوا فأَذِنَ لهم ، فأخَذوا مجالِسَهم مِن البيتِ ، ثُم قال : « أبا هِرٍّ ، خُذْ فأعْطِهم » . فأخَذْتُ القَدَحَ فجعلتُ أُعْطيهم ، فيَأْخُذُ الرجلُ القدَحَ ، فيَشْرَبُ حتى يَرْوَى ، ثُم يَرُدُّ القدحَ [2]وأُعْطِيه الآخرَ ، فيشربُ حتى يَرْوَى ، ثم يَرُدُّ القدَحَ[2] ، حتى أتيتُ على آخِرِهم ، ودَفَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخَذ القدحَ فوَضَعَه فى[3] يدِه ، وبَقِىَ فيه فَضْلَةٌ ، ثُم رَفَع رأسَه ونَظَر إلىَّ وتَبَسَّم وقال : « أبا هِرٍّ » . فقلتُ : لَبَّيْكَ رسولَ اللَّهِ . قال : « بَقِيتُ أنا وأنت » . فقلتُ : صَدَقْتَ يا رسولَ اللَّهِ . قال : « اقْعُدْ فاشرَبْ » . قال : فقَعَدتُ فشَرِبتُ ، ثُم قال لى : « اشْرَبْ » . فشرِبتُ ، فما زال يقول لى : « اشربْ » . فأشْرَبُ ، حتى قلتُ : لا والذى بَعَثَك بالحقِّ ، ما أجِدُ له فىَّ مَسْلَكًا . قال : « ناوِلْنى القَدَحَ » . فرَدَدْتُ إليه القدحَ فشَرِب من الفَضْلَةِ . ورَواه البخارىُّ عن أبى نُعيمٍ ، وعن محمدِ بنِ مُقاتِلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ ، وأخْرَجَه التِّرْمِذِىُّ عن [4]هَنَّادٍ ، عن[4] يونسَ بنِ بُكيرٍ ، ثلاثتُهم عن عمرَ بنِ ذرٍّ[5] . وقال الترمذىُّ : صحيحٌ .

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « على » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « عباد بن » . انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٣١٥ .

(٥) البخارى (٦٢٤٦) مختصرًا ، (٦٤٥٢) ، والترمذى (٢٤٧٧) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، حدَّثنى عاصمٌ[2] ، عن زِرٍّ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : كنتُ أرْعَى غنمًا لعُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ ، فمرَّ بى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، فقال : « يا غلامُ ، هل مِن لبنٍ ؟ » قال : قلتُ : نعم ، ولكنِّى مُؤْتَمَنٌ . قال : « فهل مِن شاةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ ؟ » فأتَيْتُه بشاةٍ ، فمَسَح ضَرعَها فنَزَل لبنٌ ، فحَلَبَه فى إناءٍ فشَرِب وسَقَى أبا بكرٍ ، ثُم قال للضَّرْعِ : « اقْلِصْ » . فقَلَص . قال : ثُم أتيتُه بعدَ هذا فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنى مِن هذا القولِ . قال : فمَسَح رأسى وقال[3] : « يَرْحَمُك اللَّهُ ، فإنَّك غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ » .

ورَواه البيهقىُّ[4] مِن حديثِ أبى عَوانَةَ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن زِرٍّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وقال [٣/ ٤٨٩و] فيه : فأتيتُه بعَناقٍ جَذَعَةٍ ، فاعْتَقَلَها ثُم جَعَل يَمْسَحُ ضَرْعَها ويَدْعو ، فأتاه أبو بكرٍ بحَجَفةٍ[5] ، فحَلَب فيها وسَقَى أبا بكرٍ ثُم شَرِب ، ثم قال للضَّرعِ : « اقْلِصْ » . فقَلَص ، فقلتُ : يارسولَ اللَّه ، عَلِّمْنى مِن هذا القولِ . فمَسَح رأسى وقال : « إنَّك غُلامٌ مُعَلَّمٌ » . فأخذتُ عنه سبعين سورةً ما نازَعَنِيها[6] بَشَرٌ . وتقدَّم فى الهجرةِ حديثُ أُمِّ مَعْبَدٍ ، وحَلْبُه عليه الصلاةُ والسلامُ شاتَها ، وكانت عَجْفاءَ لا لبنَ لها ، فشَرِب هو وأصحابُه ، وغادَر عندها إناءً كبيرًا مِن لبنٍ ، حتى جاءَ زوجُها . وتقدَّم فى ذِكْرِ مَن كان يَخْدُمُه مِن غيرِ مَوالِيه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، المِقْدادُ بنُ الأسْوَدِ ، حينَ شَرِب اللبنَ الذى كان

---

(١) المسند ١/ ٣٧٩. (إسناده صحيح).

(٢) سقط من: م. وانظر أطراف المسند ٤/ ١٣٦.

(٣) بعده فى م: « يا غلام ».

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٨٤.

(٥) فى م: « بجفنة »، وفى الدلائل: « بصحيفة ». والحجفة: ترس من جلد. انظر اللسان (ح ج ف).

(٦) فى م: « نازعتها ».

قد جاءَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قام من الليلِ ليَذْبَحَ له شاةً ، فوَجَد لبنًا كثيرًا ، فحَلَب ما ملأَ منه إناءً كبيرًا جِدًّا . الحديث .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ[1] : ثنا زُهَيْرٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن ابنةِ خَبَّابٍ ، أنَّها أتتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشاةٍ فاعْتَقَلَها وحَلَبَها ، فقال : « ائْتِنى بأعْظَمِ إناءٍ لكم » . فأتَيْناه بجَفْنَةِ العَجِينِ ، فحلَب فيها حتى مَلأَها ، ثُم قال : « اشْرَبوا أنتم وجِيرانُكم » .

وقال البيهقىُّ[2] : أنا أبو الحُسينِ بنُ بِشْرَانَ ببغدادَ ، أنا إسماعيلُ بنُ محمدٍ الصَّفّارُ ، أنا محمدُ بنُ الفَرَجِ الأزرقُ ، ثنا عِصْمَةُ بنُ سُليمانَ الخَزَّازُ[3] ، ثنا خَلَفُ ابنُ خَليفةَ ، عن أبى هاشمٍ الرُّمّانىِّ ، عن نافعٍ ، وكانت له صُحْبَةٌ ، قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفَرٍ ، وكنا زُهاءَ أربعِمائةٍ ، فنَزَلْنا فى مَوْضِعٍ ليس فيه ماءٌ ، فشَقَّ ذلك على أصحابِه وقالوا : رسولُ اللَّهِ ﷺ أعلمُ . قال : فجاءت شُوَيْهَةٌ لها قَرْنان ، فقامتْ بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فحَلَبَها فشَرِب حتى رَوِىَ ، وسَقَى أصحابَه حتى رَوُوا ، ثُم قال : « يا نافعُ ، امْلِكْها الليلةَ ، وما أُراك تَمْلِكُها » . قال : فأخَذْتُها فوَتَدْتُ لها وَتَدًا ، [4]ثُم رَبَطْتُها بحبلٍ[4] ، ثُم قمتُ فى بعضِ الليلِ فلم أرَ الشاةَ ، ورأيتُ الحبلَ مَطْروحًا ، فجِئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأخبرتُه مِن قَبلِ أن يَسْأَلَنى ، فقال : « يا نافِعُ ، ذَهَب بها الذى جاء بها » . قال البيهقىُّ : ورَواه محمدُ بنُ سعدٍ[5] ، عن خلفِ بنِ الوليدِ أبى الوليدِ الأزْدِىِّ ، عن خلفِ بنِ

---

(١) مسند أبى داود (ل ١٥٣) من المخطوطة العراقية . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ١٣٨، من طريق أبى داود الطيالسى به .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ١٣٧. بنحوه .

(٣) فى الأصل : « الجزار » ، وفى ا ١١١، ص : « الحرار » ، وفى م : « الخراز » . والمثبت من الدلائل ، وانظر الجرح والتعديل ٧/ ٢٠، ولسان الميزان ٤/ ١٦٩.

(٤ - ٤) سقط من مطبوعة الدلائل . والمثبت من النسخ موافق لما فى الإصابة ٦/٤١٦ كما سيأتى .

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٦/ ٤١٥، ٤١٦، بنحوه فى ترجمة نافع ، وعزاه لابن سعد .

خَليفةَ ، عن [٣/ ٤٨٩ظ] أبانِ [١] بنِ بشيرٍ ، عن شيخٍ مِن أهل البصرةِ ، عن نافعٍ ، فذَكَره [١] . وهذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا إسنادًا ومتنًا .

ثم قال البيهقيُّ [٢] : أنا أبو سعيدٍ المالِينيُّ ، أنا أبو أحمدَ بنُ عَدِيٍّ ، أنا [٣] العباسُ بنُ محمدِ بنِ العباسِ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ أبى مريمَ ، ثنا أبو حفصٍ الرِّياحيُّ ، ثنا عامرُ بنُ أبى عامرٍ الخزَّازُ ، عن أبيه ، عن الحسنِ بنِ سعدٍ - يعنى مولى أبى بكرٍ - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « احْلُبْ لى تلك [٤] العَنْزَ » . قال : وعهدى بذلك الموضعِ لا عنزَ فيه . قال : فأتيتُ فإذا بعنزٍ [٥] حافِلٍ . قال : فاحْتَلَبْتُها ، واحتفظتُ بالعنزِ وأُوصِيتُ بها . قال : فاشْتَغَلْنا بالرِّحلةِ ففَقَدْتُ العنزَ [٦] ، فقلت : يارسولَ اللَّهِ ، قد فقدتُ العنزَ . فقال : « إنَّ لها رَبًّا » . وهذا أيضًا حديثٌ غريبٌ جدًّا إسنادًا ومتنًا ، وفى إسنادِه مَن لا يُعرَفُ حالُه . وسيأتى حديثُ الغزالةِ فى قسمِ ما يَتَعَلَّقُ مِن المعجزاتِ بالحيواناتِ .

تَكْثِيرُه عليه الصلاةُ والسلامُ السَّمْنَ لأُمِّ سُلَيْمٍ

قال الحافظُ أبو يَعْلَى [٧] : حدَّثنا شَيْبانُ ، ثنا محمدُ بنُ زِيادٍ [٨] البُرْجُمِيُّ ، عن

(١ - ١) زيادة من دلائل النبوة ، والإصابة .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ١٣٨ بنحوه .

(٣) بعده فى م ، ص : « ابن » .

(٤) سقط من : م ، ومطبوعة الدلائل .

(٥) فى م ، ص : « العنز » .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) مسند أبى يعلى (٤٢١٣) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣٠٩: رواه أبو يعلى والطبرانى ... وفى إسنادهما محمد بن زياد البرجمى ، وهو اليشكرى ، وهو كذاب .

(٨) فى م : « زيادة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٢٢.

أبى الظِّلالِ[1] ، عن أنسٍ عن أُمِّه ، قال : كانتْ لها شاةٌ فجَمَعَتْ مِن سَمْنِها فى عُكَّةٍ ، فملأَتِ العُكَّةَ ثُم بَعَثَتْ بها مع رَبِيبَةَ فقالتْ : يا ربيبةُ ، أبْلِغى هذه العُكَّةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَأْتَدِمُ بها . فانْطَلَقَتْ بها ربيبةُ حتى أتتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذه عُكَّةُ سمنٍ بَعثتْ بها إليك أُمُّ سُليمٍ . قال : « فَرِّغوا لها عُكَّتَها » . ففُرِّغَتِ العُكَّةُ فدُفِعَتْ إليها ، فانطلقتْ بها ، [2]وجاءتْ وأُمُّ سُليمٍ ليست فى البيتِ ، فعَلَّقَتِ العُكَّةَ على وَتَدٍ[2] ، فجاءتْ أمُّ سُليمٍ فرأتِ العُكَّةَ ممتلئةً تَقْطُرُ ، فقالت أمُّ سُليمٍ : يا ربيبةُ ، أليس أمَرْتُكِ أن تَنْطَلِقى بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالت : قد فعلتُ ، فإن لم تُصَدِّقِينى فانطلقى فسلى رسولَ اللَّهِ ﷺ . فانطلقتْ [3]أمُّ سُليمٍ[3] ومعها ربيبةُ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى بَعثتُ معها إليك بعُكَّةٍ فيها سمنٌ . قال : « قد فعلتْ ، قد جاءتْ بها[4] » . قالت : والذى بَعَثَك بالحقِّ ودينِ الحقِّ ، إنَّها لممتلئةٌ تَقْطُرُ سمنًا ! قال : فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أُمَّ سُلَيمٍ ، أتَعْجَبِين أن كان اللَّهُ أطْعَمَكِ كما أطْعَمْتِ نبيَّه ؟ كُلى وأطْعِمى » . قالتْ : فجِئتُ إلى البيتِ فقَسَمْتُ فى قَعْبٍ لنا وكذا وكذا ، وتركتُ فيها ما ائْتَدَمْنا [٣/ ٤٩٠و] به شهرًا أو شهريْن .

حديثٌ آخرُ فى ذلك : قال البيهقىُّ[5] : أناالحاكمُ ، أنا الأَصَمُّ ، ثنا عباسٌ الدُّورىُّ ، ثنا علىُّ بنُ بَحْرٍ[6] القَطَّانُ ، ثنا خلَفُ بنُ خَليفةَ ، عن أبى هاشمٍ

---

(١) فى النسخ : « طلال » . والمثبت من مسند أبى يعلى . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٥٠ .

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى مسند أبى يعلى ومجمع الزوائد .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ١١٥ .

(٦) فى الدلائل : « نجيح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٢٥ .

الرُّمَّانىِّ ، عن يوسفَ بنِ خالدٍ ، عن أَوْسِ بنِ خالدٍ ، عن أمِّ أوسٍ البَهْزِيَّةِ قالتْ : سَلَيْتُ سمنًا لى[1] ، فجَعَلْتُه فى عُكَّةٍ ، فأهْدَيْتُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبِله ، وتَرَك فى العُكَّةِ قليلًا ، ونفَخ فيه[2] ودَعا بالبركةِ ، ثم قال : « رُدُّوا عليها عُكَّتَها » . فرَدُّوها عليها وهى مملوءةٌ سَمْنًا . قالت : فظَنَنْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَقْبَلْها ، فجاءتْ ولها صُراخٌ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّما سَلَيْتُه لك لتَأْكُلَه . فعَلِم أنَّه قد اسْتُجِيب له ، فقال : « اذْهَبوا فقولوا لها فلْتَأْكُلْ سمْنَها وتَدْعو بالبركةِ » . فأكَلَتْ بقيةَ عُمْرِ النبىِّ ﷺ وولايةَ أبى بكرٍ ، وولايةَ عمرَ ، وولايةَ عثمانَ ، حتى كان مِن أمرِ علىٍّ ومعاويةَ ما كان .

حديثٌ آخرُ : روَى البيهقىُّ[3] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن عبدِ الأعْلَى [4]بنِ أبى المُساوِرِ[4] القُرَشىِّ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كانت امرأةٌ مِن دَوْسٍ يقالُ لها : أمُّ شَريكٍ . أسْلَمَتْ فى رمضانَ . فذكَر الحديثَ فى هجرتِها وصُحبةِ ذلك اليهودىِّ لها ، وأنها عَطِشتْ ، فأبَى أن يَسْقِيَها حتى تَهَوَّدَ[5] ، فنامتْ [6]فرَأَتْ فى النومِ مَن يَسْقِيها[6] ، فاستَيْقَظَتْ وهى رَيَّانةٌ ، فلمَّا جاءتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ قصَّت عليه القصةَ ، فخَطَبها إلى نفسِها ، فرَأَتْ نفسَها أقلَّ مِن ذلك ، وقالت : بل زَوِّجْنى مَن شِئتَ . فزَوَّجها زيدًا وأمَر لها بثلاثين صاعًا ، وقال : « كلوا ولا

---

(١) سَلَى السمن : أذابَه بالتسخين . انظر الوسيط (س ل أ) .

(٢) فى م : « فيها » .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٢٣، ١٢٤.

(٤ - ٤) فى م : « بن المسور » ، وفى الدلائل : « عن أبى المساور » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٦٦.

(٥) أى تتهود .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . والذى فى الدلائل أن ذلك كان يقظة ، ولفظ البيهقى : « قالت : فما أيقظنى إلا برد دلو قد وقع على جبينى » .

تَكِيلوا » . وكانت معها عُكَّةُ سَمْنٍ هديةٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمَرَتْ جاريتَها أن تحْمِلَها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ففُرِّغتْ ، وأمَرها رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا رَدَّتْها أن تُعَلِّقَها ولا تُوكِئَها ، فدَخَلَتْ أمُّ شَريكٍ ، فوجَدَتها مَلْأَى ، فقالت للجاريةِ : ألم آمُرْكِ أن تذْهَبى بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالت : قد فَعَلْتُ . فذكَروا ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمَرهم أن لا يُوكِئوها ، فلم تزَلْ حتى أوْكَتْها أمُّ شَريكٍ ، ثم كالوا الشعيرَ فوجَدوه ثلاثين صاعًا لم يَنْقُصْ منه شيءٌ .

(١) **حديثٌ آخرُ** : قال الطَّبَرَانىُّ[٢] : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ [٣/ ٤٩٠ظ] الحَضْرَمىُّ ، ثنا يزيدُ بنُ يحيى بنِ يزيدَ الخُزاعىُّ أبو خالدٍ ، ثنا أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ حمزةَ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى تَبُوكَ ، وكنتُ على خِدْمَتِه ذلك السَّفَرَ ، فنظرتُ إلى نِحْيِ[٣] السَّمنِ وقد قلَّ ما فيه ، وهيَّأْتُ للنبىِّ ﷺ طعامًا ، ووضعتُ النِّحْىَ فى الشمسِ ونمتُ ، فانتبهتُ بخَرِيرِ النِّحيِ ، فقمتُ فأخذتُ برأسِه بيدى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو تَرَكْتَه لَسال واديًا سمنًا »(١) .

حديثٌ آخرُ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[٤] : ثنا موسى[٥] ، ثنا ابنُ لَهيعةَ ، ثنا أبو الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن البَهْزِيَّةَ أُمَّ مالكٍ كانت تُهْدِى فى عُكَّةٍ لها سَمْنًا للنبىِّ ﷺ ، فبينما بنُوها يَسْأَلونها الإدامَ وليس عندَها شيءٌ ، فعَمَدَتْ إلى نِحْيِها[٦] التى

(١ - ١) سقط من : ١١١، م، ص .

(٢) المعجم الكبير ٣/١٧٦ (٢٩٩٢) . قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٩١: رواه الطبرانى من طريقين إحداهما فى علامات النبوة ورجالها وثقوا .

(٣) النحى : زِقُّ السمن . الوسيط (ن ح و) .

(٤) المسند ٣/ ٣٤٧.

(٥) فى م : « حسن » . والحديث من طريق حسن بن موسى عن ابن لهيعة به نحوه فى المسند ٣/ ٣٤٠.

(٦) فى م : « عكتها » .

كانت تُهْدِى فيه[1] إلى النبىِّ ﷺ [2]فوجدتْ فيه سمنًا، فما زال يُقيمُ لها إدامَ بيتِها حتى عَصَرَتْه، وأتَتِ النبىَّ ﷺ[2] فقال: «أعَصَرْتِيه؟» فقالتْ[3]: نعم. قال: «لو تَرَكْتِيه ما زال ذلك مُقيمًا».

ثم روَى الإمامُ أحمدُ بهذا الإسنادِ[4]، عن جابرٍ، عن النبىِّ ﷺ أنه أتاه رجلٌ يَسْتَطْعِمُه، فأطْعَمه شَطْرَ وَسْقِ شعيرٍ، فما زال الرجلُ يأكُلُ منه هو وامرأتُه [5]وضيفٌ[5] لهم حتى كالوه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لو لم تَكِيلوه لأكَلْتُم منه[6] ولقام لكم». وقد روَى هذيْن الحديثَيْنِ مسلمٌ مِن وجهٍ آخرَ، عن أبى الزبيرِ، عن جابرٍ[7].

ذكرُ ضِيافةِ أبى طلحةَ الأنصارىِّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [8]وما ظَهَر فى ذلك اليومِ مِن دلائلِ النُّبوةِ فى تكثيرِه الطعامَ النَّزْرَ، حتى عمَّ مَن هنالك مِن الضّيفانِ وأهلِ المنزلِ والجيرانِ[8]

قال البخارىُّ[9]: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ، أخبرنا مالكٌ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ

---

(١) فى م: «فيها». وبعده فى المسند: «السمن».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م، ص.
(٣) فى م، ص: «فقلت».
(٤) المسند ٣/ ٣٤٧.
(٥ - ٥) فى ١١١، ص: «وصيف». وفى المسند: «ووصيف». والوصيف: العبد والخادم.
(٦) فى م: «فيه».
(٧) الحديث الأول فى مسلم (٢٢٨٠)، والثانى (٢٨٨١).
(٨ - ٨) سقط من: م.
(٩) البخارى (٣٥٧٨).

ابنِ أبى طلحةَ ، أنَّه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : قال أبو طلحةَ لأمِّ سُلَيمٍ : لقد سَمِعْتُ صوتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ضَعيفًا أعْرِفُ فيه الجوعَ ، فهل عندَكِ مِن شىءٍ ؟ قالت : نعم . فأخْرَجَتْ أقْراصًا مِن شعيرٍ ، ثُم أخْرَجَت خِمارًا لها ، فلَفَّتِ الخبزَ ببعضِه ، ثم دسَّتْه تحتَ يدى ولاثَتْنى ببعضِه[1] ، ثم أرْسَلَتْنى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فذَهَبْتُ به ، فوَجَدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ ومعه الناسُ ، فقُمْتُ عليهم ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آرْسَلَك أبو طَلْحةَ ؟ » فقلتُ : نعم . قال : « بطعامٍ ؟ » فقلتُ : نعم . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لمَن معه : « قوموا » . فانْطَلَق [٣/ ٤٩١و] وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه ، فقال أبو طلحةَ : يا أمَّ سُليمٍ ، قد جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ والناسُ ، وليس عندَنا ما نُطْعِمُهُم[2] . فقالت : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فانطَلَق أبو طَلْحةَ حتى لَقِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو طَلْحةَ معه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلُمِّى يا أمَّ سُلَيمٍ ، ما عندَكِ ؟ » فأتَتْ بذلك الخبزِ ، فأمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ ففُتَّ ، وعَصَرَتْ أمُّ سُليمٍ عُكَّةً فأدَمَتْه ، ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه ما شاء اللَّهُ أن يقولَ ، ثم قال : « ائْذَنْ لعشَرةٍ » . فأذِن لهم ، فأكَلوا حتى شبِعوا ثم خرَجوا ، ثُم قال : « ائْذَنْ لعشَرةٍ » . فأذِن لهم ، فأكَلوا حتى شبِعوا ثُم خرَجوا ، [3]ثم قال : « ائْذَنْ لعشَرةٍ » . فأذِن لهم ، فأكَلوا حتى شبِعوا ثم خرَجوا[3] ، ثم قال : « ائْذَنْ لعشَرةٍ » . فأكَل القومُ كلُّهم ، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلًا . وقد رواه البخارىُّ فى مَواضعَ أُخَرَ مِن « صحيحِه » ، ومسلمٌ مِن غيرِ وجهٍ عن مالكٍ به[4] .

---

(١) ولاثتنى ببعضه : أى لفَّتْنى به . يقال : لاث العمامة على رأسه . أى عَصَبها . والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه . انظر فتح البارى ٦/ ٥٨٩.

(٢) فى الأصل ، ١١١، ص : « نطعمه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١١١، ص .

(٤) البخارى (٤٢٢، ٣٥٨١، ٦٦٨٨) ، ومسلم (١٤٢/٢٠٤٠) .

طريقٌ أُخرى عن أنسِ بنِ مالكٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه : قال أبو يَعْلَى[1] : ثنا هُدْبةُ ابنُ خالدٍ ، ثنا مُبارَكُ بنُ فَضالةَ ، ثنا بكرٌ[2] وثابتٌ البُنانيُّ ، عن أنسٍ ، أن أبا طَلْحةَ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ طاويًا ، فجاء إلى أمِّ سُلَيْمٍ ، فقال : إني رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ طاويًا ، فهل عندَكِ مِن شيءٍ ؟ قالت : ما عندَنا إلَّا نَحْوٌ مِن مُدٍّ دقيقِ شعيرٍ . قال : فاعْجِنيه وأصْلِحِيه ، عسى أن نَدْعُوَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فيأكُلَ عندَنا . قال : فعَجَنَتْه وخبَزَتْه ، فجاء قُرْصًا ، فقال لى : يا أنسُ ، ادْعُ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فأتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ومعه ناسٌ . قال مُبارَكٌ : أحْسَبُه قال : بضعةٌ وثمانون . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أبو طلحةَ يَدْعوك . فقال لأصحابِه : « أجِيبوا أبا طلحةَ » . فجئتُ جَزِعًا[3] حتى أخْبَرْتُه أنه قد جاء بأصحابِه . قال بكرٌ : [4]فقَفَدَنى قَفْدَةً[4] . وقال ثابتٌ : قال أبو طلحةَ : رسولُ اللَّهِ أعْلَمُ بما فى بيتى منى . وقالا جميعًا عن أنسٍ : فاستَقْبله أبو طلحةَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما عندَنا شيءٌ إلا قُرْصٌ ، رأيْتُك طاويًا فأمَرْتُ أمَّ سُليمٍ فجَعَلَتْ لك قُرْصًا . قال : فدَعا بالقُرْصِ ، ودَعا بجَفْنةٍ فوَضَعَه فيها وقال : « هل مِن سَمْنٍ ؟ » قال أبو طلحةَ : قد كان فى العُكَّةِ شيءٌ . قال : فجاء بها . قال : فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو طلحةَ يَعْصِرانها حتى خرَج شيءٌ مسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ به سَبَّابَتَه ، ثُم مَسَح القُرْصَ فانْتَفَخَ ، فقال : « بسمِ اللَّهِ » . فانْتَفَخ القُرْصُ ، فلم يزَلْ يَصْنَعُ كذلك والقُرْصُ يَنْتَفِخُ ، حتى رأيْتُ القُرْصَ فى

---

(١) مسند أبى يعلى (٤١٥١) . قال محققه : إسناده حسن .

(٢) فى م ، ص : « بكير » . وهو بكر بن عبد اللَّه المزنى . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٢١٦.

(٣) كذا فى النسخ . وفى المسند : « مسرعا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وفى ١١١، م ، ص : « فعدى قدمه » . والمثبت من مسند أبى يعلى . والقَفْد : صَفْع الرأس ببسْط الكفِّ من قِبَل القفا . انظر النهاية ٤/ ٨٩.

[٣/ ٤٩١ظ] الجَفْنةِ يَتَصَيَّعُ[(١)] ، فقال : « ادْعُ عشَرةً مِن أصحابى » . فدَعَوْتُ له عشَرةً ، قال : فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه وَسَطَ القُرْصِ ، وقال : « كُلوا بسمِ اللَّهِ » . فأكَلوا مِن حَوالَي القُرْصِ حتى شَبِعوا ، ثم قال : « ادْعُ لى عشَرةً آخَرِين » . فدَعَوْتُ له عشَرةً أخرى ، فقال : « كُلوا بسمِ اللَّهِ » . فأكَلوا مِن حَوالَي القُرْصِ حتى شَبِعوا ، فلم يَـزَلْ يَدْعو عشَرةً عشَرةً يأكُلون مِن ذلك القُرْصِ ، حتى [(٢)]أكَل منه بِضْعَةٌ وثمانون مِن حَوالَي القُرْصِ حتى[(٢)] شَبِعوا ، وإنَّ وَسَطَ القُرْصِ حيثُ وَضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه كما هو . وهذا إسنادٌ حسنٌ على شرطِ أصحابِ السننِ ، ولم يُخْرِجوه . فاللَّهُ أعلمُ .

طريقٌ أُخرى ، عن أنسِ بنِ مالكٍ : قال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ ، ثنا [(٤)]سعدٌ - يعنى ابنَ سعيدِ[(٤)] بنِ قيسٍ - أخبرنى أنسُ بنُ مالكٍ قال : بعَثنى أبو طَلْحةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لأدْعُوَه ، وقد جعَل له طعامًا . قال : فأقبَلْتُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ مع الناسِ . قال : فنظَر إلىَّ فاستحْيَيْتُ ، فقلتُ : أجِبْ أبا طلحةَ . فقال للناسِ : « قوموا » . فقال أبو طَلْحةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما صنَعْتُ شيئًا لك ! قال : فمسَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ودَعا فيها بالبركةِ ، ثم قال : « أَدْخِلْ نفرًا مِن أصحابى عشَرةً » . فقال : « كُلوا » . فأكَلوا حتى شبِعوا وخرَجوا ، وقال :

---

(١) فى الأصل : « يتميع » ، وفى ا ١١١ : « يتمنع » ، وفى م ، ص : « يميع » . والمثبت من مسند أبى يعلى . ويتصيع : يهيج ويتفرق . انظر اللسان (ص ى ع) .

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى مسند أبى يعلى .

(٣) المسند ٣/ ٢١٨.

(٤ - ٤) فى ا ١١١ : « سعيد يعنى ابن سعيد » . وفى المسند : « سعيد يعنى ابن سعد » . وكلاهما خطأ ، وإنما هو سعد بن سعيد بن قيس الأنصارى . انظر أطراف المسند ١/ ٣٩٧.

« أدْخِلْ عشَرةً » . [1] فقال : « كُلُوا » [1] . فأكَلوا حتى شبِعوا ، فما زال يُدخِلُ عشَرةً ويُخْرِجُ عشَرةً حتى لم يبْقَ منهم أحدٌ إلا دخَل فأكَل حتى شبع ، ثم هيَّأَها فإذا هى مثلُها حينَ أكَلوا منها . وقد رَواه مسلمٌ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ومحمدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، كلاهما عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، وعن سعيدِ بنِ يحيى الأُمَوىِّ عن أبيه ، كلاهما عن سعدِ بنِ سعيدِ بنِ قيسٍ الأنصارىِّ [2] .

طريقٌ أُخرى : رواه مسلمٌ فى الأطعمةِ [3] ، عن عبدِ بنِ حُميدٍ ، عن خالدِ بنِ مَخْلَدٍ ، عن محمدِ بنِ موسى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، عن أنسٍ ، فذكَر نحوَ ما تقدَّم . وقد رَواه أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ [4] ، عن محمدِ بنِ عَبَّادٍ المكِّىِّ ، عن حاتمٍ ، عن معاويةَ بنِ أبى مُزَرِّدٍ [5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن أبيه ، عن أبى طلحةَ ، فذكَره . واللَّهُ أعلمُ .

طريقٌ أُخرى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ [6] : ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا حُصينُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيلَى ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : أتَى أبو طلحةَ بمُدَّيْن مِن شَعيرٍ ، فأمَر به فصُنِع طعامًا ، ثم قال لى : يا أنسُ ، انْطَلِقِ ائْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فادْعُه ، وقد تَعْلَمُ ما عندَنا . قال : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٤٩٢و] وأصحابُه عندَه ، فقلتُ : إن أبا طلحةَ يدْعُوك إلى طعامٍ [7] . فقام

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ١١١ ، ص .

(٢) مسلم (١٤٣/٢٠٤٠) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مسند أبى يعلى (١٤٢٦) .

(٥) فى م ، ص : « مردد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٧ .

(٦) المسند ٣/ ٢٣٢ .

(٧) فى م ، والمسند : « طعامه » .

وقال للناسِ : « قوموا » . فقاموا[1] ، فجئتُ أمْشى بينَ يديه حتى دخَلْتُ على أبى طلحةَ فأخْبَرْتُه ، قال : فَضَحْتَنا ! قلتُ : إنى لم أسْتَطِعْ أن أرُدَّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ أمْرَه . فلمَّا انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ [2]إلى البابِ[2] قال لهم : « اقعُدُوا » . ودخَل عاشرَ عشَرةٍ ، فلمَّا دخَل أُتِىَ بالطعامِ ، تَناوَلَ فأكَل وأكَل معه القومُ حتى شَبِعوا ، ثم قال لهم : « قوموا ، ولْيَدْخُلْ عشَرةٌ مكانَكم » . حتى دخَل القومُ كلُّهم وأكَلوا . قال : قلتُ : كم كانوا ؟ قال : كانوا ثَيِّفًا وثمانين . قال : وفَضَل[3] لأهلِ البيتِ ما أشْبَعَهم . وقد رَواه مسلمٌ[4] فى الأطعمةِ ، عن عمرٍو الناقِدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ الرَّقِّىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن أنسٍ قال : أمَر أبو طلحةَ أُمَّ سُلَيمٍ ؛ قال : اصْنَعى للنبىِّ ﷺ لنفسِه خاصَّةً طعامًا يأْكُلُ منه . فذكَر نحوَ ما تقدَّم .

طريقٌ أخْرى عن أنسٍ : قال أبو يَعْلَى[5] : ثنا شُجاعُ بنُ مَخْلَدٍ ، ثنا وهبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبى ، سمِعْتُ جريرَ بنَ زيدٍ[6] يُحَدِّثُ عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : رأى أبو طلحةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ مُضطَجِعًا يَتقَلَّبُ ظَهْرًا لبطنٍ ، فأتَى أمَّ سُليم فقال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مضطجعًا فى المسجدِ يتقَلَّبُ ظَهْرًا لبطنٍ ، [7]ولا أُراه إلَّا جائعًا[7] . فخَبَرَتْ أمُّ سُليمٍ قُرْصًا ، ثم قال لى أبو طلحةَ : اذْهَبْ فادْعُ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فأتيْتُه وعندَه

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « قال » .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .
(٣) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « أفضل » .
(٤) مسلم (٢٠٤٠/٠٠٠) .
(٥) لم نجده فى مسند أبى يعلى الذى بين أيدينا .
(٦) فى الأصل ، م ، ص : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٢٤، ٥٢٥.
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

أصحابُه ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، يَدْعوك أبو طلحةَ . فقام وقال : « قوموا » . قال : فجئتُ أسْعَى إلى أبى طلحةَ ، فأخبَرْتُه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد [1] جاء ومعه [1] أصحابُه ، فتَلَقَّاه أبو طلحةَ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما هو قُرْصٌ . فقال : « إن اللَّهَ سيُبارِكُ فيه » . فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وجِيءَ بالقُرْصِ فى قَصْعةٍ فقال : « هل مِن سَمْنٍ ؟ » فجِيءَ بشىءٍ مِن سمنٍ ، فغَوَّر القُرْصَ بأُصْبُعِه هكذا ، ورَفَعَها ثُم صَبَّ وقال : « كُلوا مِن بينِ أصابِعى » . فأكَل القومُ حتى شَبِعوا ، ثم قال : « أدْخِلْ علىَّ عشَرةً » . فأكَلوا حتى شبِعوا ، حتى أكَل القومُ فشبِعوا ، وأكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو طلحةَ وأمُّ سُليمٍ وأنا حتى شَبِعْنا ، وفَضَلَتْ فَضْلةٌ أهْدَيْنا [2] لجيرانٍ لنا . ورَواه مسلمٌ فى الأطعمةِ مِن « صحيحِه » عن حسنٍ الحلْوانىِّ [3] ، عن وهبِ بنِ جَريرِ بنِ حازمٍ ، [4] عن أبيه [4] ، عن عمِّه جريرِ بنِ زَيْدٍ [5] ، عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ [6] ، فذكَر نحوَ ما تقدم .

طريقٌ أُخرى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ [7] : ثنا يونسُ بنُ محمدٍ ، ثنا حمادٌ ، يعنى ابنَ زيدٍ ، عن هشامٍ ، عن محمدٍ ، يعنى ابنَ سِيرينَ ، عن أنسٍ - [8] قال حمادٌ : والجَعْدُ قد ذكَره [8] - قال : عَمَدَتْ أمُّ سُليمٍ إلى [٣/ ٤٩٢ظ] نصفِ مُدِّ شَعِيرٍ فطَحَنَتْه ، ثُم عمَدَتْ إلى عُكَّةٍ كان فيها شىءٌ مِن سمنٍ ، فاتَّخَذَتْ منه

(١ - ١) فى ا ١١١: « جاء وتبعه » . وفى م ، ص : « كان تبعه » .

(٢) فى م : « أهديت » .

(٣) بعده فى النسخ : « و » . وهو خطأ . انظر تحفة الأشراف ١/ ٢٩٣.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر المصدر السابق .

(٥) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٦) مسلم (٠٠٠/ ٢٠٤٠) .

(٧) المسند ٣/ ١٤٧.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ١١١، ص .

خَطِيفةً[1] . قال : ثُم أرْسَلَتْنى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فأتَيْتُه وهو فى أصحابِه فقلتُ : إن أُمَّ سُليمٍ أرْسَلتْنى إليك تدْعُوك . فقال : « أنا ومَن معى » . قال : [2]فجاء هو[2] ومَن معه . قال : فدخَلتُ فقلتُ لأبى طلحةَ : قد جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ومَن معه . قال : فخَرَج أبو طلحةَ فمشَى إلى جَنْبِ النبىِّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما هى خَطيفةٌ اتَّخَذَتْها أُمُّ سُليمٍ مِن نصفِ مُدٍّ شَعيرٍ ! قال : فدَخَل فأُتِىَ به . قال : فوضَع يدَه فيها ، ثم قال : « أَدْخِلْ عشَرةً » . قال : فدخَل عشَرةٌ ، فأكَلوا حتى شَبِعوا ، ثم دخَل عشَرةٌ فأكَلوا[3] ، ثم عشَرةٌ فأكَلوا[4] ، حتى أكَل منها أربعون ، كلُّهم أكَلوا حتى شَبِعوا . قال : وبَقِيَت كما هى . قال : فأكَلْنا .

وقد رواه البخارىُّ فى الأطعمةِ[5] ، عن الصَّلْتِ بنِ محمدٍ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن الجَعْدِ أبى عثمانَ ، عن أنسٍ ، وعن هشامِ بنِ محمدٍ ، عن أنسٍ ، وعن سِنانٍ[6] أبى ربيعةَ ، عن أنسٍ ، أن أمَّ سُليمٍ عمَدت إلى مُدٍّ[7] مِن شَعيرٍ جَشَّتْه ، وجَعَلَتْ منه خَطيفةً ، [8]وعَمَدَتْ إلى عُكَّةٍ فيها شىءٌ مِن سمنٍ فعَصَرَتْه[8] ، ثُم بَعَثَتْنى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى أصحابِه . الحديثَ بطولِه .

ورَواه أبو يَعْلَى المَوْصلىُّ[9] ، ثنا عمرُو بنُ[10] الضَّحَّاكِ ، ثنا أبى ، سَمِعْتُ

---

(١) الخطيفة : لبن يُطبخ بدقيق ، ويُختَطَف بالملاعق بسرعة . انظر النهاية ٢/ ٤٩.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « فجاءهم » .

(٣) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص .

(٤) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص . وبعده فى المسند : « ثم عشرة فأكلوا » .

(٥) البخارى (٥٤٥٠) .

(٦) بعده فى م : « بن ربيعة عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٤٧.

(٧) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « مدين » .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « وعصرت عُكة عندها » .

(٩) مسند أبى يعلى (٢٨٣٠) . وقال محققه : إسناده صحيح .

(١٠) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٧٧.

أشْعَثَ الحُمْرانيَّ[1] قال : قال محمدُ بنُ سِيرينَ : حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ ، أن أبا طلحةَ بَلَغَه أنه ليس عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ طعامٌ ، فذَهَب فآجَر نفسَه بصاعٍ مِن شعيرٍ ، فعمِل يومَه ذلك ، فجاء به وأمَر أمَّ سُليمٍ أن تَعْمَلَه خَطيفةً . وذكَر الحديثَ .

طريقٌ أُخْرى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا يونسُ بنُ محمدٍ ، ثنا حربُ بنُ ميمونٍ ، عن النضرِ بنِ أنسٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قالت أمُّ سُليمٍ : اذْهَبْ إلى نبيِّ اللَّهِ ﷺ ، فقل : إن رأيْتَ أن تَغَدَّى[3] عندَنا فافْعَلْ . فجِئْتُه فبَلَّغْتُه ، فقال : « ومَن عندى ؟ » قلتُ : نعم . قال : « انْهَضوا » . قال : فجِئتُ[4] فدَخَلْتُ على أمِّ سُلَيمٍ وأنا لَدَهِشٌ[5] ؛ لمَن أقْبَل مع رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقالت أمُّ سُليمٍ : ما صنَعْتَ يا أنسُ ؟! فدَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على إثْرِ ذلك ، فقال : « هل عندَكِ سمنٌ ؟ » قالت : نعم ، قد كان منه عندى عُكَّةٌ ، وفيها شىءٌ مِن سمنٍ . قال : « فأْتِينِّها[6] » . قالتْ : فجئتُ[7] بها ، ففتَح رِباطَها ثُم قال : « بسمِ اللَّهِ ، اللهم أَعْظِمْ فيها البركةَ » . قال : فقال : « اقْلِبيها » . فقَلَبَتْها فعصَرَها نبيُّ اللَّهِ ﷺ [8]وهو يُسَمِّى . قال : فأخَذَتْ [9]تَقَعُ فِدَرًا[9] ، فأكَل منها بضعٌ وثمانون[8]

---

(١) فى م ، ص : « الحرانى » . وانظر الأنساب ٢/ ٢٦١، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٧٧.

(٢) المسند ٣/ ٢٤٢.

(٣) فى ١١١، ص : « تتغدى » . وكلاهما بمعنى .

(٤) فى م ، ص : « فجئته » .

(٥) فى الأصل ، ١١١، ص : « مدهش » .

(٦) فى م ، والمسند : « فأت بها » ، وفى ص : « فأتيتها » .

(٧) فى المسند : « فجئته » .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩ - ٩) فى ١١١: « قدرا » ، وفى م ، والمسند : « نقع قدر » . والفِدَر : جمع فِدْرَة وهى القطعة من كل شىء . انظر النهاية ٣/ ٤٢٠.

[٣/٤٩٣و] رجلًا ، وفَضَل فَضْلَةٌ ، فدفَعها إلى أمِّ سُليمٍ ، فقال : « كُلى وأطْعِمى جِيرانَكِ » . وقد رواه مسلمٌ فى الأطعمةِ ، عن حَجَّاجِ بنِ الشاعرِ ، عن يونسَ بنِ محمدٍ المؤدِّبِ به[(١)(٢)] .

طريقٌ أخرى : قال أبو القاسمِ البغوىُّ : ثنا علىُّ بنُ المَدِينىِّ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ الدَّراوَرْدىُّ ، عن عمرِو بنِ يحيى بنِ عُمارةَ المازنىِّ ، عن أبيه ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن أمَّه أمَّ سُليمٍ صَنَعَتْ خَزِيرًا[(٣)] ، فقال أبو طلحةَ : اذْهَبْ يا بُنىَّ ، فادْعُ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : فجئتُه وهو بينَ ظَهْرانَيِ الناسِ ، فقلتُ : إن أبى يدْعوك . قال : فقام [(٤)]رسولُ اللَّهِ ﷺ[(٤)] وقال للناسِ : « انطَلِقوا » . قال : فلما رأيْتُه قام بالناسِ تَقَدَّمتُ بينَ أيديهم ، فجئتُ أبا طلحةَ فقلتُ : يا أبَهْ ، قد جاءَك رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ . قال : فقام أبو طلحةَ على البابِ وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما كان شيئًا يسيرًا . فقال : « هَلُمَّهُ ، فإن اللَّهَ سيَجْعَلُ فيه البركةَ » . فجاء به فجَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه فيه ، ودَعا اللَّهَ بما شاء اللَّهُ[(٥)] أن يَدْعُوَ ، ثُم قال : « أَدْخِلْ عشَرةً عشَرةً » . فجاءه منهم ثمانون ، [(٦)]فأكَلوا وشَبِعوا[(٦)] . ورَواه مسلمٌ فى الأطعمةِ ، عن عَبْدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن القَعْنَبىِّ ، عن الدَّراوَرْدىِّ ، عن [(٧)]عمرِو بنِ[(٧)] يحيى بنِ عُمارةَ ابنِ أبى حسنٍ الأنصارىِّ المازِنىِّ ، عن أبيه ، عن أنسِ بنِ مالكٍ[(٨)] ، بنحوِ ما تقدَّم .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) مسلم (٢٠٤٠/٠٠٠) .

(٣) الخزير لحم يُقطَّع صِغارًا ويُصَبُّ عليه ماء كثير فإذا نَضِج ذُرَّ عليه الدقيق وقيل : هو حساء من دقيق ودسم . انظر النهاية ٢/ ٢٨، والوسيط (خ ز ر) .

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥) زيادة من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : ١١١. وفى الأصل ، ص : « فتملوا » .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر تحفة الأشراف ١/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٨) مسلم (٢٠٤٠/٠٠٠) .

طريقٌ أُخرى : ورواه مسلمٌ فى الأطعمةِ أيضًا ، عن حَرْمَلَةَ ، عن ابنِ وهبٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ الليثىِّ ، عن يعقوبَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن أنسٍ[1] ، كنحوِ ما تقدَّم . قال البيهقىُّ[2] : وفى بعضِ حديثِ هؤلاء : ثُم أكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأكَل أهلُ البيتِ ، وأفْضَلُوا ما بَلَغَ جِيرانَهم .

فهذه طرقٌ مُتواترةٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه شاهَد ذلك - على ما فيه مِن اخْتلافٍ عنه فى بعضِ حُروفِه - ولكنْ أصلُ القصةِ مُتواترٌ لا مَحالةَ كما ترَى ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، فقد رَواه عن أنسِ بنِ مالكٍ إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، وبكرُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنىُّ ، وثابتُ بنُ أسْلَمَ البُنانىُّ ، والجَعْدُ ابنُ عثمانَ ، وسعدُ بنُ سعيدٍ - أخو يحيى بنِ سعيدٍ - الأنصارىُّ ، وسِنانُ بنُ ربيعةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى ، وعمرُو ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، ومحمدُ بنُ سِيرينَ ، والنَّضْرُ بنُ أنسٍ ، ويحيى بنُ عُمارةَ بنِ أبى حسنٍ ، ويعقوبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ . وقد تقدَّم[3] فى غزوةِ الخندقِ حديثُ جابرٍ فى إضافتِه ﷺ على صاعٍ [٣/٤٩٣ظ] مِن شعيرٍ وعَناقٍ ، فعزَم ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، على أهلِ الخندقِ بكمالِهم ، فكانوا ألفًا أو قريبًا مِن ألفٍ ، فأكَلوا كلُّهم مِن تلك العَناقِ وذلك الصاعِ ، حتى شَبِعوا وتَرَكوه كما كان ، وقد أسْلَفْناه بسندِه ومتنِه وطرقِه ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ومن العجيبِ الغريبِ ما ذَكَره الحافظُ أبو [4]عبدِ الرحمنِ محمدُ[4] بنُ المنذرِ

---

(١) مسلم (٠٠٠/٢٠٤٠) .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٩١. بنحوه .

(٣) تقدم فى ٦/٢٠ - ٢٤.

(٤ - ٤) فى ١١١: «محمد عبد الرحمن» ، وفى م ، ص : «عبد الرحمن بن محمد» . انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤٨، ٧٤٩، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٥٠، ٥١.

الهَرَوِىُّ ، المعروفُ بـ « شَكَّرَ » ، فى كتابِ « العجائبِ الغريبةِ » فى هذا الحديثِ ، فإنه أسْنَده وساقَه بطولِه ، وذكَر فى آخرِه شيئًا غريبًا فقال : ثنا محمدُ بنُ علىِّ بنِ طَرْخانَ ، ثنا محمدُ بنُ مَسْرورٍ ، أنا هاشمُ بنُ هاشمٍ ، ويُكَنَّى بأبى بَرْزَةَ - بمكةَ فى المسجدِ الحرامِ - ثنا أبو كعبٍ البَدَّاحُ بنُ سهلٍ الأنصارىُّ - مِن أهلِ المدينةِ ، مِن الناقلةِ الذين نقَلهم هارونُ إلى بغدادَ - سمِعْتُ منه بالمِصِّيصَةِ ، عن أبيه سهلِ ابنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه عبدِ الرحمنِ بنِ كعبٍ ، عن أبيه كعبِ بنِ مالكٍ قال : أتَى جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فعَرَفَ فى وجهِه الجوعَ . فذَكَر أنه رَجَع إلى منزلِه ، فذبَح داجِنًا كانت عندَهم وطَبَخَها ، وثَرَدَ تَحتَها فى جَفْنةٍ ، وحمَلها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمَره أن يَدْعُوَ له الأنصارَ ، فأدْخَلهم عليه أرْسالًا ، فأكَلوا كلُّهم وبَقِىَ مِثْلُ ما كان ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يأمُرُهم أن يَأْكُلوا ولا يَكْسِروا عَظْمًا ، ثُم إنَّه جَمَعَ العِظامَ فى وَسَطِ الجَفْنةِ ، فوضَع عليها يدَه ، ثُم تَكَلَّم بكلامٍ لا أسْمَعُه ، إلَّا أنى أرَى شَفَتَيْه تَتَحَرَّكُ ، فإذا الشاةُ قد قامت تَنْفُضُ أُذُنَيْها[1] ، فقال : « خُذْ شاتَك يا جابرُ ، بارَك اللَّهُ لك فيها » . قال : فأخَذْتُها ومَضَيْتُ ، وإنها لَتُنازِعُنى أُذُنَها ، حتى أتيتُ بها البيتَ ، فقالت لىَ المرأةُ : ما هذا يا جابرُ ؟ فقلتُ : هذه واللَّهِ شاتُنا التى ذَبَحناها لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، دَعا اللَّهَ فأحْياها لنا . فقالت[2] : أشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ ، أشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ ، أشْهَدُ أنه رسولُ اللَّهِ .

حديثٌ آخرُ عن أنسٍ فى معنى ما تقدَّم : قال أبو يَعْلَى المَوْصِلِىُّ[3] والباغندىُّ : ثنا شَيْبانُ ، ثنا محمدُ بنُ عيسى - بَصْرىٌّ ، وهو صاحبُ الطعامِ -

---

(١) فى الأصل : « ذنبها » .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « أنا » .

(٣) مسند أبى يعلى (٣٤٤٩) . وقال محققه : إسناده ضعيف .

ثنا ثابتٌ البُنانيُّ ، قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : يا أنسُ ، أخْبِرْنى بأعجبِ شىءٍ رأيْتَه . قال : نعم يا ثابتُ ، خدَمْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عشْرَ سنين ، فلم يُغَيِّرْ[1] علىَّ شيئًا أسَأْتُ فيه ، وإنَّ نبىَّ اللَّهِ ﷺ لمَّا تَزَوَّج زينبَ بنتَ جَحْشٍ قالت لى [٣/٤٩٤و] أمى : يا أنسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أصْبَح عَروسًا ، ولا أَدْرِى[2] أصْبَح له غَداءٌ ، فهَلُمَّ تلك العُكَّةَ . فأتَيْتُها بالعُكَّةِ وبتمرٍ ، فجَعَلَتْ له حَيْسًا ، فقالت : يا أنسُ ، اذْهَبْ بهذا إلى نبىِّ اللَّهِ ﷺ وامرأتِه . فلمَّا أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بتَوْرٍ[3] مِن حِجارةٍ فيه ذلك الحَيْسُ ، قال : « ضَعْه[4] فى[5] ناحيةِ البيتِ ، وادْعُ لى أبا بكرٍ وعمرَ وعليًّا وعثمانَ » - ونفرًا مِن أصحابِه - « ثم ادْعُ لى أهلَ المسجدِ ، ومَن رأيْتَ فى الطريقِ » . قال : فجعَلْتُ أتَعَجَّبُ مِن قِلَّةِ الطعامِ ، ومِن كثرةِ ما يأمُرُنى أن أدْعُوَ الناسَ ، وكرِهْتُ أن أعْصِيَه ، حتى امْتَلأَ البيتُ والحجرةُ ، فقال : « يا أنسُ ، هل ترَى مِن أحدٍ ؟ » فقلتُ : لا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « هاتِ ذلك التَّوْرَ » . فجئتُ بذلك التَّوْرِ ، فوَضَعْتُه قُدَّامَه ، فغَمَسَ ثلاثَ أصابعَ فى التَّوْرِ ، فجعَل التمرُ[6] يَرْبو ، فجعَلوا يَتَغَدَّوْن ويَخْرُجون ، حتى إذا فرَغوا أجْمَعون وبقِىَ فى التَّوْرِ نحوُ ما جِئتُ به ، قال : « ضَعْه قُدَّامَ زينبَ » . فخرَجْتُ وأسْفقْتُ[7] عليهم بابًا مِن جريدٍ . قال ثابتٌ : قلنا : يا أبا حمزةَ ، كم ترَى كان الذين أكَلوا مِن ذلك

---

(١) فى ١١١ : « يعز » . وفى م : « يعب » .

(٢) فى الأصل ، ١١١ : « أرى » .

(٣) التور : إناء صغير .

(٤) فى م : « دعه » .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من مسند أبى يعلى .

(٦) فى مسند أبى يعلى : « التور » .

(٧) فى الأصل ، م : « أسقفت » . وأسفق الباب : رَدَّه . وهى لغة فى « صفق » بكل مشتقاتها . انظر الوسيط (س ف ق) ، (ص ف ق) .

التَّوْرِ ؟ فقال : أحْسَبُ واحدًا وسبعين أو اثنين وسبعين . وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، ولم يُخْرِجوه .

حديثٌ آخرُ عن أبى هريرةَ فى ذلك : قال جعفرُ بنُ محمدٍ الفِرْيابىُّ[1] : ثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن أُنَيْسِ بنِ أبى يحيى ، عن إسحاقَ ابنِ سالمٍ ، عن أبى هُريرةَ قال : خرَج علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] فقال : « ادْعُ لى أصحابَكَ[3] مِن أصحابِ الصُّفَّةِ » . فجعَلْتُ أتْبَعُهم[4] رجلًا رجلًا ، فجمَعْتُهم فجئْنا بابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فاسْتَأْذَنَّا فأَذِن لنا . قال أبو هريرةَ : فوُضِعَتْ بينَ أيدينا صَحْفةٌ ، أظُنُّ أنَّ فيها قَدْرَ مُدٍّ مِن شَعيرٍ . قال : فوَضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ عليها يدَه ، وقال : « خُذُوا[5] بسمِ اللَّهِ » . قال : فأكَلْنا ما شِئْنا ثُم رَفَعْنا أيدِيَنا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ وُضِعَتِ الصَّحْفةُ : « والذى نفسى بيدِه ، ما أمْسَى فى آلِ محمدٍ طعامٌ ليس تَرَوْنَه » . قيل لأبى هريرةَ : قَدْرُ كم كانت حينَ فَرَغْتُم منها ؟ قال : مثلَها حينَ وُضِعَتْ ، إلَّا أن فيها أثَرَ الأصابعِ . وهذه قصةٌ غيرُ قصةِ أهلِ الصُّفَّةِ المتقدِّمةِ فى شُرْبِهم اللبنَ ، كما قدَّمْنا .

حديثٌ آخرُ عن أبى أيوبَ فى ذلك : قال جعفرٌ الفِرْيابىُّ[6] : ثنا أبو سَلَمةَ يحيى بنُ خلفٍ ، ثنا عبدُ الأعْلَى ، عن سعيدٍ الجُرَيرىِّ ، عن أبى الوَرْدِ ، عن أبى محمدٍ الحَضْرَمىِّ ، عن أبى أيوبَ الأنصارىِّ قال : صنَعتُ لرسولِ اللَّهِ [٣/ ٤٩٤ظ]

---

(١) دلائل النبوة للفريابى (١٣) .
(٢) بعده فى الدلائل : « يوما » .
(٣) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .
(٤) فى الأصل ، ص : « أتتبعهم » ، وفى م : « أنبههم » .
(٥) فى م ، ص : « كلوا » .
(٦) دلائل النبوة للفريابى (١٢) .

ﷺ ولأبى بكرٍ طعامًا قَدْرَ ما يَكْفِيهما ، فأَتَيْتُهما به ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اذْهَبْ فادْعُ لى ثلاثين مِن أشرافِ الأنصارِ » . قال : فشَقَّ ذلك علىَّ ، ما عندى شىءٌ أَزِيدُه . قال : فكأنِّى تَثاقَلْتُ . فقال : « اذْهَبْ فادْعُ لى ثلاثين مِن أشرافِ الأنْصارِ » . فدَعَوْتُهم فجاءوا فقال : « اطْعَمُوا » . فأكَلوا حتى صَدَروا ، ثُم شَهِدوا أنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُم بايَعوه قبلَ أن يَخْرُجوا ، ثُم قال : « اذْهَبْ فادْعُ لى ستين مِن أشرافِ الأنْصارِ » . قال أبو أيوبَ : فواللَّهِ لأَنا بالستين أجْوَدُ منِّى بالثلاثين . قال : فدعَوْتُهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرَبَّعوا » . فأكَلوا حتى صدَروا ، ثُم شهِدوا أنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبايَعوه قبلَ أن يَخْرُجوا . قال : « فاذْهَبْ فادْعُ لى تسعين مِن الأنصارِ » . قال : فَلَأَنا أجودُ بالتسعين والستين منِّى بالثلاثين . قال : فدَعَوْتُهم فأكلوا حتى صَدَروا ، ثُم شَهِدوا أنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبايَعوه قبلَ أن يَخْرُجوا . قال : فأكَل مِن طَعامى ذلك مائةٌ وثمانون رجلًا ، كلُّهم مِن الأنصارِ . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا إسنادًا ومَتْنًا . وقد رَواه البيهقىُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ المُقَدَّمىِّ ، عن عبدِ الأعْلَى به[1] .

قصةٌ أُخرى فى تكثيرِ الطعامِ فى بيتِ فاطمةَ : قال الحافظُ أبو يَعْلَى : ثنا سهلُ بنُ زَنْجَلَةَ[2] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى ابنُ لَهِيعَةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أقام أيامًا لم يَطْعَمْ طعامًا حتى شَقَّ ذلك عليه ، فطاف فى منازلِ أزْواجِه ، فلم يُصِبْ عندَ واحدةٍ مِنْهُنَّ شيئًا ، فأتى فاطمةَ فقال : « يا بُنَيَّةُ ، هل عندَك شىءٌ آكُلُه ، فإنى جائعٌ ؟ » فقالتْ : لا واللَّهِ ، بأبى

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٩٤.

(٢) فى م : « الحنظلية » . وهو خطأ . فسهل ابن الحنظلية من صحابة النبى ﷺ . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٨١، ١٨٦.

أنت وأُمِّى . فلمَّا خَرَج مِن عندِها رسولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَتْ إليها جارةٌ لها برَغِيفَيْن وقطعةِ لحمٍ ، فأخَذَتْه منها فوَضَعَتْه فى جَفْنَةٍ لها ، وغطَّت عليها وقالت : واللَّهِ لأُوثِرَنَّ بهذا رسولَ اللَّهِ ﷺ على نفسى ومَن عندى . وكانوا جميعًا مُحتاجين إلى شُبْعَةِ طعامٍ[1] ، فَبَعَثَتْ حسنًا أو حسينًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فرجَع إليها فقالت له : بأبى أنت وأمى ، قد أتَى اللَّهُ بشىءٍ فخَبَّأْتُه لك . قال : « هَلُمِّى يا بُنَيَّةُ » . فكشَفت عن الجَفْنةِ ، فإذا هى مملوءةٌ خبزًا ولحمًا ، فلمَّا نَظَرَتْ إليها بُهِتَتْ ، وعَرَفَتْ أنها برَكةٌ مِن اللَّهِ ، فحَمِدَتِ اللَّهَ وصَلَّتْ على نبيِّه ﷺ ، [٣/ ٤٩٥و] وقَدَّمَتْه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما رآه حَمِد اللَّهَ وقال : « مِن أين لكِ هذا يا بنيَّةُ ؟ » قالت : يا أبهْ ، هو مِن عندِ اللَّهِ ، إن اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يشاءُ بغيرِ حسابٍ . فحَمِد اللَّهَ وقال : « الحمدُ للَّهِ الذى جعَلكِ يا بُنَيَّةُ شَبِيهَةَ سيدةِ نساءِ بنى إسرائيلَ ، فإنها كانت إذا رَزَقَها اللَّهُ شيئًا فسُئِلت عنه ، قالت : هو مِن عندِ اللَّهِ ، إن اللَّهَ يرْزُقُ مَن يشاءُ بغيرِ حسابٍ » . فبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى علىٍّ ، ثُم أكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلىٌّ وفاطمةُ وحسنٌ وحسينٌ ، وجميعُ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأهلُ بيتِه جميعًا حتى شبِعوا . قالت : وبَقِيَتِ الجَفْنةُ كما هى ، فأوْسَعَتْ بقيَّتَها على جميعِ جِيرانِها ، وجَعَلَ اللَّهُ فيها بركةً وخيرًا كثيرًا . وهذا حديثٌ غريبٌ أيضًا إسنادًا ومَتْنًا . وقد قدَّمْنا[2] فى أولِ البعثةِ حينَ نزَل قولُه تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . حديثَ ربيعةَ بنِ ناجِذٍ[3] ، عن علىٍّ ، فى دعوتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بنى هاشمٍ ، وكانوا نحوًا مِن أربعين ، فقدَّم إليهم

---

(١) الشُّبعة من الطعام : قَدْر ما يُشبع مرَّةً . انظر الوسيط (ش ب ع) .

(٢) تقدم فى ٤/ ١٠٣ .

(٣) فى ١١١ ، م : « ماجد » . وانظر ما تقدم فى ٤/ ١٠٣ حاشية (٣) .

طعامًا مِن مُدٍّ فأكَلوا حتى شبِعوا ، وتَرَكوه كما هو ، وسقاهم من عُسٍّ شرابًا حتى رَوُوا ، وترَكوه كما هو ثلاثةَ أيامٍ مُتَتابِعَةٍ ، ثُم دَعاهم إلى اللَّهِ تعالى ، كما تقدَّم .

قصةٌ أُخرى في بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا سليمانُ التَّيْمىُّ ، عن أبى العلاءِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ قال : بينما نحنُ عندَ النبىِّ ﷺ إذ أُتِىَ بقَصْعةٍ فيها ثَريدٌ . قال : فأكَل وأكَل القومُ ، فلم يَزالوا يَتَداوَلُونها إلى قريبٍ مِن الظُّهرِ ، يأكُلُ قومٌ ، ثُم يَقُومون ، ويَجِىءُ قومٌ فيَتَعاقَبونه . قال : فقال له رجلٌ : هل كانت تُمَدُّ بطعامٍ ؟ قال : أمّا مِن الأرضِ فلا ، إلَّا أن تكونَ كانت تُمَدُّ مِن السماءِ .

ثم رَواه أحمدُ[2] ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن سليمانَ ، عن أبى العلاءِ ، عن سَمُرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِىَ بقَصْعَةٍ فيها ثَريدٌ ، فتَعاقَبوها إلى الظُّهرِ مِن غَدْوَةٍ ، يقومُ ناسٌ ويقْعُدُ آخرون ، قال له رجلٌ : هل كانت تُمَدُّ ؟ فقال له : فمِن [3]أىِّ شىءٍ[3] تَعْجَبُ ؟ ما كانت تُمَدُّ إلَّا مِن هـٰهنا . وأشار إلى السماءِ . وقد رواه الترمذىُّ والنسائىُّ [4]عن بُنْدارٍ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ[5] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . ورَواه النسائىُّ[4] أيضًا مِن حديثِ مُعْتمِرِ بنِ سُليمانَ ، عن أبيه ، عن أبى العَلاءِ ، واسمُه يَزيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ به[6] .

---

(١) المسند ٥/ ١٢.

(٢) المسند ٥/ ١٨.

(٣ - ٣) فى النسخ : «أين» . والمثبت من المسند .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) الترمذى (٣٦٢٥) ، والنسائى فى الكبرى (٦٧٤٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٦) .

(٦) عزاه المزى فى تحفة الأشراف ٤/ ٨٥، ٨٦ إلى النسائى فى كتاب الوليمة . ولم نجده فى السنن الكبرى ولا المجتبى .

قصةُ قَصْعةِ [٣/ ٤٩٥ظ] بيتِ الصِّدّيقِ

ولعلَّها هى القَصْعةُ[1] المذكورةُ فى حديثِ سَمُرةَ ، واللَّهُ أعلمُ .

قال البخاريُّ[2] : ثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا مُعْتَمِرٌ ، عن أبيه ، ثنا أبو عثمانَ ، أنه حدَّثه عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، أن أصحابَ الصُّفَّةِ كانوا أُناسًا فُقراءَ ، وأن النبىَّ ﷺ قال مَرَّةً : « مَن كان عندَه طعامُ اثنين فلْيَذْهَبْ بثالثٍ ، ومَن كان عندَه طعامُ أربعةٍ فلْيَذْهَبْ بخامسٍ أو سادسٍ » . أو كما قال . وأنَّ أبا بكرٍ جاء بثلاثةٍ ، وانْطَلَقَ النبىُّ ﷺ بعشَرةٍ ، وأبو بكرٍ بثلاثةٍ . قال : فهو أنا وأبى وأمى . ولا أَدْرِى هل قال : امرأتى وخادمٌ بينَ[3] بيتِنا وبيتِ أبى بكرٍ . وأن أبا بكرٍ تَعَشَّى عندَ النبىِّ ﷺ ثُم لَبِث حتى صلَّى العشاءَ ، ثُم رَجَع فلَبِث حتى تعَشَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجاء بعدَما مضَى مِن الليلِ ما شاء اللَّهُ ، قالت له امرأتُه : ما حَبَسك عن أضْيافِك ، أو ضيفِك ؟ قال : أوَ ما عَشَّيْتِيهم ؟ قالت : أبَوْا حتى تجىءَ ، قد عرَضوا عليهم فغَلَبوهم . فذَهَبْتُ فاخْتَبَأْتُ ، فقال : يا غُنْثَرُ[4] . فجَدَّع وسَبَّ . وقال : كُلوا - فى روايةٍ أخرى[5] : لا هَنيئًا - . وقال : لا أطْعَمُه أبدًا . واللَّهِ ما كُنّا نَأْخُذُ مِن لُقْمةٍ إلَّا رَبَا مِن أسفلِها أكثرُ منها ،

---

(١) فى م : « القصة » .

(٢) البخارى (٣٥٨١) .

(٣) فى م ، ص : « من » . وقوله : بين بيتنا . أى خدمتها مشتركة بين بيتنا وبيت أبى بكر . انظر فتح البارى ٦/ ٥٩٦ .

(٤) الغنثر : الثقيل الوخم ، وقيل : الجاهل . وقيل السفيه . وقيل : اللئيم . وهو مأخوذ من الغثر ونونه زائدة ، وقيل : هو ذباب أزرق ، شبّهه به لتحقيره . انظر فتح البارى ٦/ ٥٩٧، ٥٩٨ .

(٥) البخارى (٦٠٢) .

حتى شَبِعوا ، وصارت أكْثَرَ مِمَّا كانت قبلُ . فنظَر أبو بكرٍ ، فإذا هى[1] أكثرُ ، فقال لامرأتِه[2] : يا أختَ بنى فِراسٍ ؟! قالت : لا وقُرَّةِ عينى ، لَهِى الآنَ أكثرُ مما قبلُ بثلاثِ مرارٍ . فأكَل منها أبو بكرٍ ، وقال : إنما كان الشيطانُ . يعنى يمينَه[3] . ثُم أكَل منها لُقْمةً ، ثم حمَلها إلى النبىِّ ﷺ ، فأصْبَحَتْ عندَه ، وكان بينَنا وبينَ قومٍ عهدٌ ، فمضَى الأجلُ فتَفَرَّقْنا[4] اثْنَىْ عشَر رجلًا ، مع كلِّ رجلٍ منهم أناسٌ ، اللَّهُ أعلمُ كم مع كلِّ رجلٍ ، غيرَ أنه بعَث معهم . قال : فأكَلوا منها أجمعون . أو كما قال [5]وغيرُه يقولُ : فعَرَفْنا . مِن العِرافةِ[5] . هذا لفظُه ، وقد رَواه فى مَواضعَ أُخرَ مِن « صحيحِه » ، ومسلمٌ مِن غيرِ وجهٍ ، عن أبى عثمانَ عبدِ الرحمنِ بنِ مَلٍّ النَّهْدِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ[6] .

حديثٌ آخرُ عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ فى هذا المعنى : قال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا عارِمٌ[8] ، ثنا مُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، عن أبى عثمانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ ، أنَّه قال : كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثين ومائةً ، فقال النبىُّ

---

(١) فى م : « هى شىء أو » . وفى البخارى : « شىء أو » .

(٢) بعده فى م ، ص : « فى رواية أخرى : ما هذا » . وهى رواية البخارى (٦٠٢) .

(٣) يعنى يمينه : كذا هنا ، وفيه حذف تقديره : وإنما كان الشيطانُ الحاملَ على ذلك ؛ يعنى الحامل على يمين أبى بكرٍ التى حلفها فى قوله : واللَّه لا أطعمه . انظر فتح البارى ٦/ ٥٩٩. وذكرت اليمين فى البخارى فى (٦٠٢، ٦١٤٠، ٦١٤١) .

(٤) فى م: « فعرفنا » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١١١، ص . وفى م : « وغيرهم يقول : تفرقنا » . والمثبت من البخارى .

(٦) البخارى (٦٠٢، ٦١٤٠، ٦١٤١) ، ومسلم (٢٠٥٧) .

(٧) المسند ١/ ١٩٧.

(٨) فى م : « حازم » . انظر أطراف المسند ٤/ ٢٥٥. وهو محمد بن الفضل السدوسى أبو النعمان البصرى المعروف بعارم . انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٨٧، ٢٨٨.

ﷺ : « هل مع أحدٍ منكم طعامٌ ؟ » فإذا مع رجلٍ صاعٌ مِن طعامٍ [٣/ ٤٩٦و] أو نحوُه ، فعُجِن ، ثُم جاء رجلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ[(١)] طويلٌ بغنمٍ يَسُوقُها ، فقال النبيُّ ﷺ : « أبَيْعًا أم عَطِيَّةً ؟ » أو قال : « أم هَدِيَّةً ؟ » قال : لا ، بل بيعٌ . فاشْتَرَى منه شاةً فصُنِعَتْ ، وأمَر النبيُّ ﷺ بسَوادِ البطنِ[(٢)] أن يُشْوَى . قال : وايْمُ اللَّهِ ما مِن الثلاثين والمائةِ إلَّا قد حَزَّ له رسولُ اللَّهِ ﷺ حُزَّةً مِن سَوادِ بَطنِها ؛ إن كان شاهدًا أعطاه إياه ، وإن كان غائبًا خَبَأَ له . قال : وجَعَل منها قَصْعَتَيْن . قال : فأكَلْنا[(٣)] أجْمَعون وشَبِعْنا ، وفَضَل فى القَصْعَتَيْن ، فجَعَلْناه على البعيرِ . أو كما قال . وقد أخْرَجَه البخاريُّ ومسلمٌ ، مِن حديثِ مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ[(٤)] .

حديثٌ آخرُ فى تكثيرِ الطعامِ فى السَّفَرِ : قال الإمامُ أحمدُ[(٥)] : حدثنا فَزارةُ ابنُ عَمرٍو[(٦)] ، أنا فُلَيْحٌ ، عن سُهَيلِ بنِ أبى صالحٍ ، [(٧)]عن أبيه[(٧)] ، عن أبى هُريرةَ قال : خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ غزاها ، فأرْمَل فيها المسلمون واحْتاجوا إلى الطعامِ ، فاسْتَأْذنوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى نَحْرِ الإبلِ ، فأذِن لهم ، فبَلَغ ذلك عمرَ بنَ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . قال : فجاء فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إبلُهم تحْمِلُهم وتُبَلِّغُهم عدوَّهم ، يَنْحَرونها ؟! بل[(٨)] ادْعُ يا رسولَ اللَّهِ بغُبَّرَاتِ[(٩)] الزادِ ، فادْعُ

---

(١) المشعان : هو المنتفشُ الشعرِ الثائر الرأس . النهاية ٢/ ٤٨٢.

(٢) سواد البطن : الكبد . المصدر السابق ٢/ ٤١٩.

(٣) بعده فى م : « منهما » . وهو لفظ صحيح مسلم .

(٤) البخارى (٥٣٨٢) ، ومسلم (٢٠٥٦) .

(٥) المسند ٢/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « عمر » . وفى ١١١ : « أحمد » . وكلاهما خطأ . والمثبت من المسند ، وانظر أطراف المسند ٧/ ١٨٨.

(٧ - ٧) سقط من المسند . وانظر المصدر السابق .

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩) الغبرات: البقايا . الوسيط (غ ب ر) .

اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فيها بالبركةِ . قال : « أجَلْ » . فدَعا بغُبَّراتِ الزادِ ، فجاء الناسُ بما بَقِيَ معهم ، فجَمَعَه ، ثُم دَعا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فيه بالبركةِ ، ودَعاهم بأوْعِيَتِهم ، فمَلأَها وفَضَل فَضْلٌ كثيرٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ عندَ ذلك : « أشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأشْهَدُ أنِّى عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، ومَن لَقِيَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، بهما غيرَ شاكٍّ ، دَخَل الجنةَ » . وكذلك رَواه جعفرٌ الفِرْيابيُّ ، عن أبى مُصْعَبٍ الزهرىِّ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى حازمٍ ، عن[1] سُهَيْلٍ به[2] . ورَواه مسلمٌ والنسائىُّ جميعًا ، عن أبى بكرِ بنِ أبى النَّضْرِ ، عن أبيه ، عن عُبَيدِ اللَّهِ الأشْجَعىِّ ، عن مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، عن طلحةَ بنِ مُصَرِّفٍ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ به[3] .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصلىُّ[4] : ثنا زُهَيْرٌ ، ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ [5]عن أبى[5] سعيدٍ ، أو عن أبى هريرةَ - شكَّ الأعمشُ - قال : لمَّا كانت غزوةُ تَبوكَ أصاب الناسَ مَجاعةٌ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، لو أذِنْتَ لنا فنَحَرْنا نَواضِحَنا ، فأكَلْنا وادَّهَنَّا . فقال : « افعَلوا » . فجاء عمرُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّهم[6] إن فعَلوا قلَّ الظَّهْرُ ، ولكن ادْعُهم بفَضْلِ أزْوادِهم ، [7]ثُم ادْعُ لهم عليها بالبركةِ ، لعلَّ اللَّهَ أن يجْعَلَ فى ذلك البركةَ . فدعا[8] رسولُ اللَّهِ ﷺ بنِطْعٍ فبُسِط ، ثُم دَعا بفَضْلِ أزْوادِهم[7] . قال : فجعَل الرجلُ يجىءُ

---

(١) بعده فى م : « أبيه » .
(٢) دلائل النبوة للفريابى (٢) .
(٣) مسلم (٢٧/٤٤) ، والنسائى فى الكبرى (٨٧٩٤) .
(٤) مسند أبى يعلى (١١٩٩) .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦) سقط من : م ، ص .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .
(٨) فى م ، ص : « فأمر » .

(١ بكَفِّ الذُّرَةِ ، والآخَرُ ١) بكَفِّ التمرِ ، والآخرُ بالكِسْرةِ ، حتى اجْتَمَعَ على [٣/ ٤٩٦ظ] النِّطْعِ شيءٌ مِن ذلك يَسيرٌ ، فدعا عليه[٢] بالبركةِ ، ثُم قال : « خُذوا فى أوْعيتِكم » . فأخَذوا فى أوعيتِهم ، حتى ما ترَكوا فى العَسْكَرِ وِعاءً إلَّا مَلَئُوه[٣] ، وأكَلوا حتى شبِعوا وفَضَلَتْ[٤] فَضْلةٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنِّى رسولُ اللَّهِ ، لا يَلْقَى اللَّهَ بها عبدٌ غيرَ شاكٍّ (٥ فيُحْجَبَ عن ٥) الجنةِ » . وهكذا رَواه مسلمٌ أيضًا ، عن سهلِ بنِ عثمانَ وأبى كُرَيْبٍ ، كلاهما عن أبى معاويةَ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ أو أبى هُريرةَ[٦] ، فذكَر مثلَه .

حديثٌ آخرُ فى هذه القصةِ : قال الإمامُ أحمدُ[٧] : ثنا علىُّ بنُ إسحاقَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ - هو ابنُ المُبارَكِ - أنا الأوْزاعِىُّ ، أنا المُطَّلِبُ بنُ حَنْطَبٍ المَخْزومىُّ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى عَمْرَةَ الأنصارىُّ ، حدَّثنى أبى قال : كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غَزاةٍ ، فأصاب الناسَ مَخْمَصَةٌ ، فاسْتَأْذَنَ الناسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى نَحْرِ بعضِ ظُهورِهم وقالوا : يُبَلِّغُنا اللَّهُ به . فلمَّا رأَى عمرُ بنُ الخطابِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد همَّ أن يَأْذَنَ لهم فى نحرِ بعضِ ظُهورِهم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف بنا إذا نحنُ لَقِينا العدُوَّ[٨] غدًا جِياعًا رِجالًا ؟ ولكنْ إن رَأَيْتَ يا رسولَ اللَّهِ أن

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى ١١١ : « رسول الله ﷺ فى ذلك » ، وفى م ، ص : « عليهم » .

(٣) فى م : « ملأه » .

(٤) بعده فى مسند أبى يعلى : « منهم » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فحجب عنه » ، وفى م : « فتحتجب عنه » ، وفى ص : « فيحتجب عن » .

(٦) مسلم (٤٥/٢٧) .

(٧) المسند ٣/ ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٨) فى المسند : « القوم » .

تَدْعُوَ لنا ببَقايا أزْوادِهم وتَجْمَعَها ، ثُم تدعوَ اللَّهَ فيها بالبركةِ ، فإن اللَّهَ سيُبَلِّغُنا بدَعْوتِك . أو قال : سيُبارِكُ لنا فى دَعْوتِك . فدَعا النبىُّ ﷺ ببَقايا أزْوادِهم ، فجعَل الناسُ يَجيئون بالحَثْيَةِ[1] مِن الطعامِ وفوقَ ذلك ، فكان أعْلاهم مَن جاء بصاعٍ مِن تمرٍ ، فجَمَعَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُم قام فدَعا ما شاءَ اللَّهُ أن يدْعُوَ ، ثُم دَعا الجيشَ بأوْعِيَتِهم ، وأمَرهم أن يَحْثُوا ، فما بَقِىَ فى الجيشِ وِعاءٌ إلَّا مَلَئُوه ، وبَقِىَ مِثْلُه ، فضَحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى بَدَتْ نَواجِذُه وقال : « أشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأشْهَدُ أنِّى رسولُ اللَّهِ ، لا يَلْقَى اللَّهَ عبدٌ مُؤْمِنٌ[2] بهما إلَّا حُجِبَتْ عنه النارُ يومَ القيامةِ » . وقد رَواه النسائىُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ بإسنادِه[3] نحوَ ما تقَدَّم .

حديثٌ آخرُ فى هذه القصةِ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[4] : ثنا أحمدُ بنُ المُعَلَّى الأَدَمِىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَجاءٍ ، ثنا سعيدُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنى أبو بكرٍ ، أظُنُّه مِن ولدِ عمرَ بنِ الخطابِ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى رَبيعةَ ، أنه سمِع [٣/ ٤٩٧و] أبا خُنَيْسٍ الغِفارىَّ ، أنه كان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غَزوةِ تِهامةَ ، حتى إذا كنا بعُسْفانَ جاءه أصحابُه ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، جَهَدَنا الجوعُ فَأْذَنْ لنا فى الظَّهْرِ أن نأكُلَه . قال : « نعم » . فأُخْبِر بذلك عمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فجاء رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، ما صنَعْتَ ؟ أمَرْتَ الناسَ أن ينْحَروا الظهرَ ! فعلى ما يَرْكَبون ؟! قال : « فما ترى يا بنَ الخطابِ ؟ » قال : أرَى أن

---

(١) فى الأصل : « بالجشة » ، وفى ١١١ ، م ، ص : « بالحبة » . والمثبت من المسند .
(٢) فى م ، ص : « يؤمن » . وهو لفظ رواية النسائى .
(٣) النسائى فى الكبرى (٨٧٩٣) .
(٤) كشف الأستار (٢٤١٩) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣٠٤ : رجاله ثقات .

تَأْمُرَهم أن يَأْتوا بفَضْلِ أزْوادِهم، فتَجْمَعَه فى ثَوْبٍ[1]، ثُم تَدْعُوَ لهم. فأمَرَهم فجَعَلوا[2] فَضْلَ أزْوادِهم فى ثَوْبٍ[1]، ثُم دَعا لهم، ثم قال: «ائْتوا بأوعيتِكم». فملأ كلُّ إنسانٍ وِعاءَه، ثُم أَذِن بالرَّحيلِ، فلمَّا جاوَز[3] مُطِروا، فنَزَل ونزَلوا معه وشَرِبوا مِن ماءِ السماءِ، فجاء ثلاثةُ نَفَرٍ، فجَلَس اثنان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، وذَهَب الآخرُ مُعْرِضًا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ألا أُخْبِرُكم عن النفرِ الثلاثةِ؟ أمّا واحدٌ فاسْتَحْيا مِن اللَّهِ فاسْتَحْيا اللَّهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأقْبَل تائبًا فتاب اللَّهُ عليه، وأما الآخرُ فأعْرَض فأعْرَض اللَّهُ عنـه». ثُم قال البزارُ: لا نعْلَمُ رَوَى أبو خُنَيْسٍ إلَّا [4]هذا الحديثَ[4] بهذا الإسنادِ. وقد رواه البيهقيُّ[5]، عن أبى[6] الحسينِ بنِ بِشْرانَ، عن أبى بكرٍ الشافعيِّ، ثنا إسحاقُ بنُ الحسنِ الحَرْبيُّ[7]، أنا [8]ابنُ رَجاءٍ[8]، ثنا سعيدُ بنُ سَلَمةَ، حدَّثنى أبو بكرِ بنُ عَمْرِو بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبيعةَ، أنه سمِع أبا خُنَيسٍ الغِفاريَّ. فذَكَره.

حديثٌ آخرُ عن عمرَ بنِ الخطابِ فى هذه القصةِ: قال الحافظُ أبو يَعْلَى[9]:

---

(١) فى كشف الأستار: «تور».

(٢) فى الأصل: «فجعل». وفى م، ص: «فجمعوا».

(٣) فى كشف الأستار: «جاوزوا».

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى كشف الأستار.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ١٢٢.

(٦) سقط من: م، ص. وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١١.

(٧) فى الأصل: «الحريرى». وفى ١١١، ص: «الحيرى». وفى م: «الخرزى». والمثبت من دلائل النبوة، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٠.

(٨ - ٨) فى النسخ: «أبو رجاء». والمثبت من الدلائل. وهو عبد اللَّه بن رجاء بن عمر، ويقال: ابن المثنى، الغُدانى، أبو عمر، ويقال: أبو عمرو البصرى. انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٩٥.

(٩) مسند أبى يعلى (٢٣٠). قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣٠٤: رواه أبو يعلى فى الصغير والكبير، وفيه عاصم بن عبيد اللَّه العمرى، وثقه العجلى وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

ثنا أبو[1] هشامٍ محمدُ بنُ يزيدَ الرِّفاعيُّ ، ثنا ابنُ فُضَيْلٍ[2] ، ثنا يزيدُ ، وهو ابنُ أبى زيادٍ ، عن عاصمِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عاصمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عمرَ قال : كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غَزاةٍ فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن العدوَّ قد حضَر وهم شِباعٌ والناسُ جِياعٌ . فقالت الأنصارُ : ألَا نَنْحَرُ نَواضِحَنا فنُطْعِمَها الناسَ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن كان معه فَضْلُ طعامٍ فلْيَجِئْ به » . فجعَل الرجلُ[3] يَجِيءُ بالمُدِّ والصَّاعِ وأقلَّ وأكثرَ ، فكان جميعُ ما فى الجيشِ بِضعًا وعشرين صاعًا ، فجَلَس النبيُّ صلَّى اللَّهُ [٣/٤٩٧ظ] عليه وسلَّم إلى جَنْبِه ، فدَعا بالبركةِ ، فقال النبيُّ ﷺ : « خُذُوا ولا تَنْتَهِبوا » . فجَعَل الرجلُ يأخُذُ فى جِرابِه ، وفى غِرارَتِه ، وأخَذوا فى أوعيتِهم ، حتى إن الرجلَ لَيَرْبِطُ كُمَّ قميصِه فيَمْلَؤُه ، ففَرَغوا والطعامُ كما هو ، ثُم قال النبيُّ ﷺ : « أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنِّى رسولُ اللَّهِ ، لا يأتى بهما[4] عبدٌ مُحِقٌّ إلَّا وقاه اللَّهُ حَرَّ النارِ » . ورواه أبو يَعْلَى أيضًا ، عن إسحاقَ بنِ إسماعيلَ الطَّالْقانيِّ ، عن جريرٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، فذكَره . وما قبلَه شاهدٌ له بالصحةِ كما أنه مُتابِعٌ لما قبلَه . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ عن سَلَمةَ بنِ الأَكْوعِ فى ذلك : قال الحافظُ أبو يَعْلَى[5] : ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ الحَضْرميُّ القارِئُ ، ثنا عِكْرِمَةُ بنُ عَمَّارٍ ، عن إياسِ بنِ سَلَمةَ ، عن أبيه قال : كُنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ خيبرَ ، فأمَرَنا

---

(١) فى م ، ص : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٤.

(٢) فى م ، ص : « فضل » . وهو محمد بن فضيل بن غزوان بن جرير الضَّبِّىّ ، مولاهم ، أبو عبد الرحمن الكوفى . انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٩٣.

(٣) ليست فى مسند أبى يعلى .

(٤) فى م : « بها » .

(٥) لم نجده فى مسند أبى يعلى .

أن نجْمَعَ ما فى أزْوادِنا - يعنى مِن التمرِ - فَبَسَط نِطْعًا نَثَرْنا[1] عليه أزْوادَنا . قال : فتَمَطَّيْتُ فتَطاوَلْتُ فنَظَرْتُ ، فحَزَرْتُه كرَبْضَةِ شاةٍ[2] ، ونحن أربعَ عشْرةَ مائةً . قال : فأكَلْنا ثُم تطاوَلْتُ فنظرتُ ، فحزَرْتُه كرَبْضَةِ شاةٍ ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل مِن وَضُوءٍ ؟ » قال : فجاء رجلٌ [3]بنُطْفَةٍ فى إداوةٍ[3] . قال : فقَبَضَها فجَعَلَها فى قَدَحٍ . قال : فتَوَضَّأْنا كلُّنا ، نُدَغْفِقُها دَغْفَقَةً ، ونحنُ أربعَ عشْرةَ مائةً ، [4]أى نُشبِغُ ولا نُبْقِى مِن الماءِ[4] . قال : فجاء أُناسٌ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ألَا وَضوءَ ؟ فقال : « قد فرَغ الوَضوءُ » . وقد رَواه مسلمٌ[5] ، عن أحمدَ بنِ يوسفَ السُّلَمىِّ ، عن النَّضْرِ بنِ محمدٍ ، عن عِكْرِمةَ بنِ عَمّارٍ ، عن إياسٍ ، عن أبيه سَلَمةَ ، وقال : فأكَلْنا حتى شَبِعْنا ، ثُم حَشَوْنا جُرُبَنا[6] .

وتقَدَّم[7] ما ذكَره ابنُ إسحاقَ فى حفرِ الخَنْدَقِ ، حيث قال : حدَّثنى سعيدُ ابنُ مِيناءَ ، أنه قد حُدِّث أن ابنةً لبَشِيرِ بنِ سعدٍ أُخْتَ النُّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ قالتْ : دَعَتْنى أُمِّى عَمْرَةُ بنتُ رَواحَةَ ، فأعْطَتْنى حَفْنَةً[8] مِن تمرٍ فى ثوبى ثُم قالت : أى بُنَيَّةُ ، اذْهَبى إلى أبيكِ وخالِكِ عبدِ اللَّهِ بغَدائِهِما . قالت : فأخَذْتُها فانطَلَقْتُ بها ، فمرَرْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنا أَلْتَمِسُ أبى وخالى ، فقال : « تَعالَىْ يا بُنَيَّةُ ، ما هذا معكِ ؟ » قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا تمرٌ بَعَثَتْنى به أُمِّى إلى أبى بشيرِ بنِ سعدٍ وخالى عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ [٣/ ٤٩٨و] يَتَغَدَّيانِه . فقال : « هاتِيهِ » . قالت :

---

(١) فى م ، ص : « نشرنا » .

(٢) كربضة شاة : أى كمَبْرَكها ؛ أى كقدرها وهى رابضة . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ٣٤.

(٣ - ٣) فى م : « بنقطة فى إداوته » . والنطفة : القليل من الماء . انظر المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) مسلم (١٧٢٩) .

(٦) جربنا : الجُرُب : جمع جِراب . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ٣٤.

(٧) تقدم فى ٦/ ٢٤، ٢٥.

(٨) فى م : « جفنة » .

فصَبَبْتُه فى كَفَّىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ فما مَلأَتْهما ، ثُم أمَر بثوبٍ فبُسِط له ، ثُم دحا[1] بالتمرِ ، فتَبَدَّدَ[2] فوقَ الثوبِ ، ثم قال لإنسانٍ عندَه : « اصْرُخْ فى أهلِ الخندقِ أنْ هَلُمَّ إلى الغداءِ » . فاجْتَمَعَ أهلُ الخندقِ عليه ، فجَعَلوا يَأْكُلون منه ، وجَعَل يَزيدُ ، حتى صَدَر أهلُ الخندقِ عنه ، وإنه لَيَسْقُطُ مِن أطرافِ الثوبِ .

قصةُ جابرٍ ودَيْنِ أبيه ، وتَكْثيرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، التمرَ : قال البخاريُّ فى دلائلِ النبوةِ[3] : حدَّثنا أبو نُعيم ، ثنا زكريا ، حدَّثنى عامرٌ ، حدَّثنى جابرٌ ، أن أباه تُوُفِّىَ وعليه دَيْنٌ ، فأتَيْتُ النبىَّ ﷺ فقلتُ : إن أبى ترَك عليه دَيْنًا ، وليس عندى إلا ما يُخْرِجُ نَخْلُه ، ولا يَبْلُغُ ما يُخْرِجُ سِنِينَ ما عليه ، فانْطَلِقْ معى لكيلا يُفْحِشَ علىَّ الغُرَماءُ . فمَشَى حولَ بَيْدَرٍ[4] مِن بَيادِرِ التمرِ ، فدَعا ثُمَّ آخَرَ[5] ، ثُمَّ جَلَس عليه فقال : « انْزِعُوه » . فأوْفاهم الذى لهم ، وبَقِىَ مِثْلُ ما أعطاهم . هكذا رواه هنا مُخْتصرًا . وقد أسْنَده مِن طرقٍ ، عن عامرِ بنِ شَراحِيلَ الشعبىِّ ، عن جابرٍ به[6] . وهذا الحديثُ قد رُوِىَ مِن طُرُقٍ متعدِّدةٍ ، عن جابرٍ بألفاظٍ كثيرةٍ ، وحاصِلُها أنه ببرَكةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ودُعائِه له ، ومَشْيِه فى حائطِه وجُلوسِه على تمرِه ، وَفَّى اللَّهُ دَيْنَ أبيه ، وكان قد قُتِل بأُحدٍ ، وجابرٌ كان لا يرجو وَفاءَه فى ذلك العامِ ولا ما بعدَه ، ومع هذا فَضَل له من التمرِ أكثرُه[7] ، فوقَ ما كان يُؤَمِّلُه ويَرجوه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) فى النسخ : « دعا » . وانظر ما تقدم .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « فنبذ » .

(٣) البخارى ، باب علامات النبوة فى الإسلام (٣٥٨٠) .

(٤) البيدر للتمر كالجُرْن للحَبّ . انظر فتح البارى ٦/ ٥٩٣ .

(٥) فدعا ثم آخر : أى فدعا فى تمره بالبركة ، ثم مشى حول بيدر آخر فدعا . انظر المصدر السابق .

(٦) البخارى (٢١٢٧ ، ٢٤٠٥ ، ٢٧٨١ ، ٤٠٥٣) .

(٧) فى م : « أكثر » .

[1] قصةُ سَلْمانَ فى تَكْثيرِه ﷺ تلك القِطْعةَ مِن الذهبِ لوَفاءِ دَيْنِه فى مُكاتَبَتِه

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا يعقوبُ ، حدثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ ، حدَّثنى[3] رجلٌ مِن عبدِ القَيْسِ ، عن سَلْمانَ قال : لمَّا قلتُ : وأين تقَعُ هذه مِن الذى علىَّ يا رسولَ اللَّهِ ؟ أخَذها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقَلَبَها على لسانِه ، ثم قال : « خُذْها فأوْفِهم منها » . فأخَذْتُها فأوْفَيْتُهم منها حقَّهم أربعين أُوقِيَّةً[1] .

ذِكرُ مِزْوَدِ أبى هريرةَ وتمرِه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا يونسُ ، حدثنا حمادٌ ، يعنى ابنَ زيدٍ ، عن المُهاجرِ ، عن أبى العاليةِ ، عن أبى هريرةَ قال : أتيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومًا بتَمَراتٍ فقلت[5] : ادْعُ اللَّهَ لى فيهنَّ بالبركةِ . قال : فصَفَّهُنَّ بينَ يديه ، ثُم دعا فقال لى : « اجْعَلْهن فى مِزْوَدٍ ، وأَدْخِلْ يدَك ولا تَنْثُرْه » . قال : فحمَلْتُ منه كذا وكذا وَسْقًا فى سبيلِ اللَّهِ ونأْكُلُ ونُطْعِمُ ، وكان لا يُفارِقُ حِقْوِى ، فلما قُتِل عثمانُ ، رضى اللَّهُ عنه ، انقَطَع عن حِقْوِى فسقَط . ورَواه [٣/٤٩٨ظ] الترمذىُّ ، عن عمرانَ بنِ موسى القَزَّازِ البصرىِّ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ،

(١ - ١) سقط من : ١١١، ص . وتقدمت قصة إسلام سلمان فى ٣/٥٠٨ - ٥٢١.

(٢) المسند ٥/ ٤٤٤.

(٣) سقط من : م . وانظر أطراف المسند ٢/ ٤٨٠.

(٤) المسند ٢/ ٣٥٢.

(٥) فى م ، ص : « فقال » .

عن المُهاجرِ [1]أبى مَخْلَدٍ[1] ، عن رُفَيْعٍ أبى العاليةِ عنه[2] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخرى عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[3] : أخبرنا أبو الفتحِ هلالُ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ الحفَّارُ ، أنا الحسينُ بنُ يحيى بنِ عَيَّاشٍ[4] القَطَّانُ ، ثنا حفصُ بنُ عَمرٍو[5] ، ثنا سهلُ بنُ زيادٍ أبو زيادٍ ، ثنا أيوبُ السَّخْتِيانىُّ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى غَزاةٍ ، فأصابهم عَوَزٌ مِن الطعامِ ، فقال : « يا أبا هريرةَ ، عندك شىءٌ ؟ » قال : قلتُ : شىءٌ مِن تمرٍ فى مِزْوَدٍ لى . قال : « جِئْ به » . قال : فجئتُ بالمِزْودِ . قال : « هاتِ نِطْعًا » . فجئتُ بالنِّطْعِ فبسَطْتُه ، فأَدْخَل يدَه فقبَض على التمرِ ، فإذا هو واحدٌ وعشرون [6]تمرةً ، ثم قال : « بسم اللَّه »[6] . فجعَل يضَعُ كلَّ تمرةٍ ويُسَمِّى حتى أتَى على التمرِ ، فقال به هكذا فجمَعه ، فقال : « ادْعُ فلانًا وأصحابَه » . فأكَلوا حتى شبِعوا وخرَجوا ، ثم قال : « ادْعُ فلانًا وأصحابَه » . فأكَلوا و[7]شبِعوا وخرَجوا ، ثم قال : « ادْعُ فلانًا وأصحابَه » . فأكَلوا وشبِعوا وخرَجوا[8] ، وفضَل ، ثم قال لى : « اقْعُدْ » . فقعَدْتُ فأكَل وأكَلْتُ . قال : وفضَل تمرٌ فأدْخَلْتُه[9] فى المِزْودِ ، فقال لى : « يا أبا

(١ - ١) فى الأصل ، م : « عن ابن مخلد » ، وفى ١١١ : « ابن مجلز » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٧٩.

(٢) الترمذى (٣٨٣٩) .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٠٩، ١١٠.

(٤) فى م ، والدلائل : « عباس » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣١٩.

(٥) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٥٢.

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل .

(٧) فى م ، ص : « حتى » .

(٨) بعده فى م ، ص : « ثم قال : ادع فلانا وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا » .

(٩) فى الدلائل : « فأخذه فأدخله » .

هريرةَ ، إذا أرَدْتَ شيئًا فأدْخِلْ يدَك وخُذْه ، ولا تُكْفِئْ فيُكْفَأَ عليك » . قال : فما كنتُ أُريدُ تمرًا إلا أدْخَلْتُ يدِى فأخَذْتُ منه خمسين وَسْقًا فى سبيلِ اللَّهِ . قال : وكان مُعَلَّقًا خلفَ رَحْلى ، فوقَع فى زمنِ عثمانَ فذهَب .

طريقٌ أخرى عن أبى هريرةَ فى ذلك : روَى البيهقىُّ مِن طريقَيْن[1] ، عن سهلِ بنِ أسْلَمَ العَدَوىِّ ، عن يزيدَ بنِ أبى مَنْصورٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : أُصِبْتُ بثلاثِ مُصيباتٍ فى الإسلامِ لم أُصَبْ بمثلِهن ؛ موتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وكنتُ صُوَيْحِبَه ، وقَتْلِ عثمانَ ، والمِزْودِ . قالوا : وما المِزْودُ يا أبا هريرةَ ؟ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ ، فقال : « يا أبا هريرةَ ، أمعك شىءٌ ؟ » قال : قلتُ : تمرٌ فى مِزْودٍ . قال : « جِئْ به » . فأخْرَجْتُ تمرًا ، فأتيتُه به . قال : فمسَّه ودَعا فيه ، ثم قال : « ادْعُ عشَرةً » . فدعَوْتُ عشَرةً ، فأكَلوا حتى شبِعوا ، ثم كذلك حتى أكَل الجيشُ كلُّه ، وبَقِىَ مِن تمرٍ [2]معى فى[2] المِزْودِ ، فقال : « يا أبا هريرةَ ، إذا أرَدْتَ أن تأخُذَ منه شيئًا فأدْخِلْ يدَك فيه ولا تَكُبَّه[3] » . قال : فأكَلْتُ منه حياةَ النبىِّ ﷺ ، وأكَلْتُ منه حياةَ أبى بكرٍ كلَّها ، وأكَلْتُ منه حياةَ عمرَ كلَّها ، وأكَلْتُ منه حياةَ عثمانَ كلَّها ، فلما قُتِل عثمانُ انْتُهِب ما فى يدى[4] وانْتُهِب المِزْودُ ، ألا أُخْبِرُكم كم أكَلْتُ [٣/ ٤٩٩و] منه ؟ أكَلْتُ منه أكثرَ مِن مائتَىْ وَسْقٍ .

طريقٌ أخرى : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا أبو عامرٍ ، ثنا إسماعيلُ ، يعنى ابنَ مسلمٍ ، عن أبى المُتَوَكِّلِ ، عن أبى هريرةَ قال : أعْطانى رسولُ اللَّهِ ﷺ شيئًا مِن

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١١٠.

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى الدلائل . وفى ١١١، ص : « يعنى » .

(٣) فى م : « تكفه » .

(٤) فى الدلائل : « بيتى » .

(٥) المسند ٢/ ٣٢٤.

تمرٍ ، فجعَلْتُه فى مِكْتَلٍ[1] ، فعلَّقْناه فى سَقْفِ البيتِ ، فلم نزَلْ نأكُلُ منه حتى كان آخرُه أصابه أهلُ الشامِ حيث أغاروا [2]على المدينةِ[2] . تفرد به أحمدُ .

[3]**حديثٌ عن العِرْباضِ بنِ ساريةَ فى ذلك** : رواه الحافظُ ابنُ عَساكرَ[4] فى ترجمتِه مِن طريقِ محمدِ بنِ عمرَ الواقدىِّ ، حدثنى ابنُ أبى سَبْرةَ ، عن موسى بنِ سعدٍ ، عن العِرْباضِ بنِ ساريةَ قال : كنتُ ألْزَمُ بابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الحَضَرِ والسفَرِ ، فرأَيْنا ليلةً ونحن بتَبوكَ ، وذهَبْنا لحاجةٍ فرجَعْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد تعَشَّى ومَن عندَه ، فقال : « أين كنتَ منذ الليلةِ ؟ » فأخْبَرْتُه ، وطلَع جُعَالُ بنُ سُراقةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ مُغَفَّلٍ المُزَنىُّ ، فكنا ثلاثةً كلُّنا جائعٌ ، فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بيتَ أمِّ سَلَمةَ فطلَب شيئًا نأكُله فلم يجِدْه ، فنادَى بلالًا : « هل مِن شىءٍ ؟ » فأخَذ الجِرْبَ يَنْفُضُها[5] ، فاجْتَمع سبعُ تَمَراتٍ ، فوضَعها فى صَحْفةٍ ووضَع عليهن يدَه ، وسمَّى اللَّهَ ، وقال : « كُلوا بسمِ اللَّهِ » . فأكَلْنا ، فأحْصَيْتُ أربعًا وخمسين تَمْرةً أكلتُها[6] ، أعُدُّها ونواها فى يدى الأخرى ، وصاحباىَ يصْنعان ما أصْنَعُ ، فأكَل كلٌّ منهما خمسين تمرةً ، ورفَعْنا أيديَنا ، فإذا التَّمَراتُ السبعُ كما هن ، فقال : « يا بلالُ ، ارْفَعْهن فى جِرابِك » . فلما كان الغدُ وضَعَهن فى الصَّحْفةِ وقال : « كُلوا بسمِ اللَّهِ » . فأكَلْنا حتى شبِعْنا ، وإنا لَعشَرةٌ ، ثم رفَعْنا أيديَنا[3]

---

(١) بعده فى المسند : « لنا » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « بالمدينة » . والمثبت من المسند .

(٣ - ٣) سقط من : ١١١، ص .

(٤) تاريخ دمشق ١١/٥٣٤ مخطوط . وانظر مغازى الواقدى ٣/ ١٠٣٦، ١٠٣٧.

(٥) فى م : « ينقفها » .

(٦) فى م : « كلها » .

(١) وإنهن كما هن سبعٌ ، فقال : « لولا أنى أستَحى مِن ربى عز وجل لأكَلْنا[٢] مِن هذه التَّمراتِ حتى نَرِدَ[٣] المدينةَ عن آخرِنا » . فلما رجَع إلى المدينةِ طلَع غُلَيِّمٌ مِن أهلِ المدينةِ ، فدفَعهن إلى ذلك الغلامِ فانطلق يأكلُهن[٤](١) .

حديثٌ آخرُ : روَى البخاريُّ ومسلمٌ[٥] مِن حديثِ أبى أسامةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت له : لقد تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وما فى بيتى مِن[٦] شىءٍ يأكُلُه ذو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شعيرٍ فى رَفٍّ لى ، فأكَلْتُ منه حتى طال علىَّ ، فكِلْتُه ففَنِىَ .

حديثٌ آخرُ : روَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[٧] عن سَلَمةَ بنِ شَبيبٍ ، عن الحسنِ بنِ أعْيَنَ ، عن مَعْقِلٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رجلًا أتَى النبىَّ ﷺ يسْتَطْعِمُه فأطْعَمه شَطْرَ وَسْقِ[٨] شعيرٍ ، [٣/ ٤٩٩ظ] فما زال الرجلُ يأكُلُ منه وامرأتُه وضيفُهما حتى كاله ، فأتَى النبىَّ ﷺ فقال : « لو لم تَكِلْه لأكَلْتُم منه ، ولقام لكم » .

وبهذا الإسنادِ عن جابرٍ[٩] ، أن أمَّ مالكٍ كانت تُهْدِى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى عُكَّتِها[١٠] سَمْنًا ، فيأْتيها بنُوها فيَسْألون الأُدْمَ وليس عندها شىءٌ ، فتَعْمِدُ إلى الذى[١١]

(١ - ١) سقط من : ١١١، ص .
(٢) فى م : « لأكلت » .
(٣) بعده فى الأصل ، م : « إلى » .
(٤) فى الأصل : « يأكلهن » .
(٥) البخارى (٣٠٩٧، ٦٤٥١) ، ومسلم (٢٩٧٣) .
(٦) سقط من النسخ ، والمثبت من الصحيحين .
(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٣٢ .
(٨) بعده فى الأصل ، ص ، ١١١ : « من » .
(٩) مسلم (٢٢٨٠) .
(١٠) فى مسلم : « عكة لها » .
(١١) فى ١١١ ، م ، ص : « التى » .

كانت تُهْدِى فيه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فتجِدُ فيه سمنًا ، فما زال يُقيمُ لها أُدْمَ بيتِها حتى عَصَرَتْها[1] ، فأتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : « أعَصَرْتِيها ؟ » قالت : نعم . فقال : « لو تَرَكْتِيها ما [2]زال قائمًا[2] » . وقد رواهما الإمامُ أحمدُ عن موسى ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ[3] .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[4] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أبو جعفرٍ البغدادىُّ ، ثنا يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ ، ثنا[5] حسانُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا ابنُ لَهيعةَ ، ثنا يونسُ بنُ يزيدَ ، ثنا أبو[6] إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ الحارثِ[7] ، عن جدِّه نوفلِ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، أنه استعان رسولَ اللَّهِ ﷺ فى التَّزْويجِ ، فأنْكَحَه امرأةً ، فالْتَمَسَ شيئًا فلم يَجِدْه ، فبَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا رافعٍ وأبا أيوبَ بدِرْعِه ، فرَهَناه عندَ رجلٍ مِن اليهودِ بثلاثين صاعًا مِن شَعيرٍ ، فدفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إليه . قال : فطَعِمْنا منه نصفَ سنةٍ ، ثُم كِلْناه فوَجَدْناه كما أدْخَلْناه . قال نوفلٌ : فذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « لو لم تَكِلْه لأكَلْتَ منه ما عِشْتَ » .

---

(١) فى مسلم : « عصرته » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « زالت قائمة » .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٣٢ .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ١١٤.

(٥) فى الدلائل : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣١، ٣١/ ٤٦٢.

(٦) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من الدلائل . وهو أبو إسحاق السبيعى .

(٧) بعده فى ا ١١، م ، ص ، والدلائل : « بن عكرمة » . وبعده فى الأصل : « عن عكرمة » . وكلاهما مقحم ، فالحديث أخرجه الحاكم فى مستدركه ٣/ ٢٤٦، وليس عنده « بن عكرمة » أو « عن عكرمة » ، وذكر الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٦/ ٤٨٠ أن الحاكم أخرجه فى المستدرك من طريق أبى إسحاق السبيعى عن سعيد بن الحارث عن جده نوفل . فالمثبت هنا ما عند الحاكم ، ويعضده ما ذكره الحافظ فى الإصابة .

حديثٌ آخرُ: قال الحافظُ البيهقيُّ فى «الدلائلِ»[1]: أنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأصْفهانيُّ، أنا أبو سعيدِ بنُ الأعْرابيِّ، ثنا عباسُ بنُ محمدٍ الدُّوريُّ، أنا أحمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يونسَ، أنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ، عن هشامٍ، يعنى ابنَ حسانَ، عن ابنِ سِيرينَ، عن أبى هريرةَ قال: أتَى رجلٌ أهلَه، فرأَى ما بهم مِن الحاجةِ، فخرَج إلى البَرِّيَّةِ، فقالت امرأتُه: اللهم ارْزُقْنا ما نَعْتَجِنُ ونَخْتَبِزُ. قال: فإذا الجَفْنةُ مَلْأَى خَميرًا، والرَّحَا تَطْحَنُ، والتَّنُّورُ مَلْأَى خبزًا وشِواءً. قال: فجاء زوجُها فقال: عندَكم شىءٌ؟ قالت: نعم، رِزْقُ اللَّهِ. فرَفَع الرَّحَا فكنَس ما حولَه، فذُكِرَ ذلك للنبىِّ ﷺ فقال: «لو تَرَكَها[2] لَدارتْ إلى يومِ القيامةِ».

وأخْبَرَنا[3] علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ، ثنا أبو إسماعيلَ الترمذىُّ، ثنا أبو صالحٍ عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، حدَّثنى الليثُ بنُ سعدٍ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرىِّ، عن أبى هريرةَ، أن رجلًا مِن الأنصارِ كان ذا حاجةٍ، فخرَج وليس عندَ أهلِه شىءٌ، فقالت [٣/ ٥٠٠و] امرأتُه: لو أنِّى حَرَّكْتُ رَحاىَ وجَعَلْتُ فى تَنُّورى سَعَفاتٍ. فسَمِعَ جِيرانى صوتَ الرَّحا ورَأَوُا الدُّخانَ، فظَنُّوا أن عندَنا طعامًا وليس بنا خَصاصةٌ. فقامت إلى تَنُّورِها، فأوْقَدَتْه وقَعَدَتْ تُحَرِّكُ الرَّحَا. قال: فأقْبَل زوجُها وسَمِع الرَّحَا، فقامت إليه لتَفْتَحَ له البابَ، فقال: ماذا كنتِ تَطْحَنين؟ فأخْبَرَتْه، فدخَلا[4] وإن رَحاهما لَتَدُورُ وتَصُبُّ دقيقًا، فلم يَبْقَ فى البيتِ وِعاءٌ إلَّا مُلِىَ، ثُم خرَجتْ إلى تَنُّورِها، فوجَدَتْه مملوءًا

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١٠٥.

(٢) فى الدلائل: «تركتها».

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٠٥، ١٠٦.

(٤) فى الدلائل: «فدخل».

خبزًا ، فأقْبَل زوجُها فذكَر ذلك للنبيِّ ﷺ ، قال : « فما فَعَلَتِ الرَّحا ؟ » قال : رَفَعْتُها ونَفَضْتُها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو تَرَكْتُموها ما زالت[1] لكم [2]حياتى » . أو قال[2] : « حياتَكم » . وهذا الحديثُ غريبٌ سندًا ومَتْنًا .

حديثٌ آخرُ : وقال مالكٌ[3] ، عن سُهيلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ضافه ضَيْفٌ كافرٌ ، فأمَر له بشاةٍ فحُلِبَتْ فشَرِب حِلابَها ، ثُم أُخرى فشَرِب حِلابَها ، ثم أخرى فشرِب حِلابَها ، حتى شَرِب حِلابَ سَبْعِ شِياهٍ ، ثُم إنه أصْبَح فأسْلَم ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأمَر له بشاةٍ فحُلِبَتْ فشَرِب حِلابَها ، ثُم أمَر له بأُخرى فلم يَسْتَتِمَّها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن المسلمَ يشْرَبُ فى مِعًى واحدٍ ، والكافرُ يشْرَبُ فى سَبْعةِ أمْعاءٍ » . ورواه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ[4] .

حديثٌ آخرُ : قال الحافظُ البيهقىُّ[5] : أخبرنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، ثنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنى محمدُ بنُ الفضلِ بنِ جابرٍ[6] ، ثنا الحسينُ بنُ عبدِ الأَوَّلِ ، ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، ثنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : ضاف النبىَّ ﷺ أعرابىٌّ . قال : فطلَب له شيئًا ، فلم يجِدْ إلَّا كِسْرةً فى كُوَّةٍ . قال : فجَزَّأَها رسولُ اللَّهِ ﷺ أجْزاءً ودَعا عليها ، وقال : « كُلْ » . قال : فأكَل وأفْضَلَ . قال : فقال : يا محمدُ ، إنك لَرجلٌ صالحٌ . فقال له النبىُّ ﷺ :

---

(١) بعده فى الدلائل : « كما هى » .

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٣) الموطأ ٢/ ٩٢٤. بنحوه .

(٤) مسلم (٢٠٦٣) .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ١١٧.

(٦) فى النسخ : « حاتم » . والمثبت من الدلائل . وانظر تاريخ بغداد ٣/ ١٥٣.

« أسْلِمْ » . فقال : إنك لَرجلٌ صالحٌ . ثم رَواه البيهقيُّ مِن حديثِ سهلِ بنِ عثمانَ ، عن حفصِ بنِ غِياثٍ بإسنادِه نحوَه[1] .

حديثٌ آخرُ : قال الحافظُ البيهقيُّ[2] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عليٍّ الحافظُ قال : وفيما ذكَر عَبْدانُ الأهْوازيُّ ، ثنا محمدُ بنُ زيادٍ البُرْجُمِيُّ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن مِسْعَرٍ ، عن زُبَيْدٍ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ مسعودٍ قال : أضاف النبيَّ ﷺ ضيفًا ، فأرْسَل إلى أزواجِه يَبْتغى عندَهن طعامًا ، فلم يجِدْ عندَ واحدةٍ منهن شيئًا ، فقال : « اللهم إنى أسألُك مِن فضلِك ورحمتِك ، فإنه [٣/ ٥٠٠ظ] لا يَمْلِكُها إلَّا أنت » . قال : فأُهْدِيَتْ له شاةٌ مَصْلِيَّةٌ ، فقال : « هذا مِن فضلِ اللَّهِ ، ونحن نَنْتَظِرُ الرحمةَ » . قال أبو عليٍّ : حدَّثَنِيهِ محمدُ بنُ عَبْدانَ الأهْوازيُّ عنه . قال[3] : والصحيحُ عن زُبَيْدٍ مُرْسَلًا ، حدَّثَناه محمدُ بنُ عَبْدانَ ، حدثنا أبى ، ثنا الحسنُ بنُ الحارثِ الأهْوازيُّ ، أنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن مِسْعَرٍ ، عن زُبَيْدٍ ، فذكَره مرسلًا .

حديثٌ آخرُ : قال الحافظُ البَيْهَقيُّ[4] : أنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمىُّ ، ثنا أبو عمرٍو[5] بنُ حَمْدانَ ، أنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، ثنا سليمانُ ابنُ عبدِ الرحمنِ ، ثنا عمرُو بنُ بِشْرِ بنِ السَّرْحِ ، ثنا الوليدُ بنُ سليمانَ بنِ أبى السائبِ ، ثنا واثِلَةُ بنُ الخطابِ ، عن أبيه ، عن جدِّه واثلةَ بنِ الأسْقَعِ قال : حضَر رمضانُ ونحن فى أهلِ الصُّفَّةِ فصُمْنا ، فكُنّا إذا أفْطَرْنا أتَى كلَّ رجلٍ منا رجلٌ مِن

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١١٧، ١١٨.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ١٢٨.

(٣) أى الحافظ البيهقى . دلائل النبوة ٦/ ١٢٨، ١٢٩.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ١٢٩. بنحوه .

(٥) فى م ، ص : « عمر » . وهو خطأ . انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٥٦.

أهلِ البَيْعَةِ ، فانْطَلق به فعشَّاه ، فأتَتْ علينا ليلةٌ لم يَأْتِنا أحدٌ ، وأصْبَحْنا صِيامًا[1] ، وأتَتْ علينا القابِلَةُ[2] فلم يَأْتِنا أحدٌ ، فانطَلَقْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرْناه بالذى كان مِن أمْرِنا ، فأرْسَل إلى كلِّ امرأةٍ مِن نسائِه يَسْأَلُها ؛ هل عندَها[3] شىءٌ ؟ فما بَقِيَتْ منهنَّ امرأةٌ إلَّا أرْسَلَتْ تُقْسِمُ ؛ ما أمْسَى فى بيتِها ما يَأْكُلُ ذو كَبِدٍ . فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فاجْتَمَعوا فدعا وقال : « اللَّهُمَّ إنِّى أسألُك مِن فضلِكَ ورحمتِك ؛ فإنَّهما[4] بيدِكَ لا يَمْلِكُهما[5] أحدٌ غيرُك » . فلم يَكُنْ إلَّا ومُسْتَأْذِنٌ يَسْتَأْذِنُ ، فإذا بشاةٍ مَصْلِيَّةٍ ورُغُفٍ ، فأمَر بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فوُضِعَتْ بينَ أيْدِينا فأَكَلْنا حتى شَبِعْنا ، فقال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّا سَأَلْنا اللَّهَ مِن فضلِه ورحمتِه ، فهذا فضلُه ، وقد ذَخَرَ لنا عندَه رحمتَه » .

حديثُ الذِّراعِ: قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا إسماعيلُ ، ثنا يحيى بنُ أبى[7] إسحاقَ ، حدَّثنى رجلٌ مِن بنى غفارٍ فى مجلسِ سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنى فلانٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِىَ بطعامٍ مِن خبزٍ ولحمٍ فقال : « ناوِلْنى الذِّراعَ » . فنُوِولَ ذراعًا - قال يحيى : لا أعْلَمُه إلا هكذا - ثم قال : « ناوِلْنى الذراعَ » . فنُوِولَ ذراعًا ، فأكَلَها ، ثم قال : « ناوِلْنى الذِّراعَ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، [8]إنما هما[8] ذراعانِ ، فقال : « وأبيك لو سكتَّ مازلتُ أُناوَلُ منها ذِراعًا ما دعوتُ

---

(١) فى م : « صباحا » .

(٢) فى الأصل : « القابله » . وفى الدلائل : « القائلة » . والقابلة : الليلة التالية .

(٣) فى الدلائل : « عندنا » .

(٤) فى النسخ : « فإنها » . والمثبت من الدلائل .

(٥) فى النسخ : « يملكها » . والمثبت من الدلائل .

(٦) المسند ٢/ ٤٨. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣١٢: رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم .

(٧) سقط من : م ، ص . ووقع فى المسند : « يحيى بن أبى كثير عن أبى إسحاق » . وهو خطأ ؛ انظر أطراف المسند ٣/ ٣٩٤.

(٨ - ٨) فى الأصل : « إنما هى » . وفى ١١١: « إنهما » .

به » . فقال سالمٌ : أمَّا هذه فلا ، سمعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ [٣/ ٥٠١و] يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ ينهاكم أنْ تَحْلِفوا بآبائِكم » . هكذا وقعَ إسنادُ هذا الحديثِ وهو عن مُبْهَمٍ عن مِثْلِه ، وقد رُوِىَ مِن طرقٍ أُخرى .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا خلفُ بنُ الوليدِ ، حدَّثنا أبو جعفرٍ - يعنى الرازِىَّ - عن شُرَحْبِيلَ ، عن أبى رافعٍ مولى النبىِّ ﷺ ، قال : أُهْدِيَتْ له شاةٌ فجعلَها فى القِدْرِ فدخلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « ما هذا يا أبا رافعٍ ؟ » . قال : شاةٌ أُهْدِيَتْ لنا يا رسولَ اللَّهِ ، فطبختُها فى القِدرِ . فقال : « ناوِلْنى الذراعَ يا أبا رافع » . فناولته الذراعَ ، ثم قال : « ناوِلْنى الذراعَ الآخرَ » . فناولتُه الذراعَ الآخرَ ، ثم قال : « ناوِلْنى الذراعَ الآخرَ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّما للشاةِ ذراعان ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أما إنَّك لو سكتَّ لناولْتَنى ذراعًا فذراعًا ما سكتَّ » . ثم دعا بماءٍ فمضمضَ فاه ، وغسلَ أطرافَ أصابعِه ، ثم قام فصلَّى ثم عادَ إليهم فوجدَ عندهم لحمًا باردًا ، فأكلَ ثُمَّ دخلَ المسجدَ فصلَّى ولم يمسَّ ماءً .

طريقٌ أخرى عن أبى رافعٍ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا مُؤَمَّلٌ ، ثنا حمادٌ ، حدَّثنى عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبى رافعٍ عن عمَّتِه ، عن أبى رافعٍ قال : صُنِعَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ مَصْلِيَّةٌ فأُتِىَ بها فقال لى : « يا أبا رافعٍ ، ناوِلْنى الذِّراعَ » . فناولتُه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناوِلْنى الذِّراعَ » . فناولتُه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناوِلْنى الذِّراعَ » . فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، وهل للشاةِ إلا ذراعان ؟! فقال : « لو سكتَّ

---

(١) المسند ٦/ ٣٩٢. قال الشيخ الألبانى فى المشكاة (٣٢٧) : فى المسند بسند ضعيف ، لكن له عنده طريق أخرى دون قوله : « ثم دعا ... » وسنده ضعيف أيضا ، إلا أنه يتقوى بالذى قبله وبالشاهد الذى بعده . اهـ كلام الشيخ الألبانى . ويعنى بالذى قبله وبعده ؛ الحديثين الذين فى المشكاة .

(٢) المسند ٦/ ٨.

لناولتَنى منها ما دعوتُ به » . قال : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يعجبُه الذِّراعُ . قلتُ : ولهذا لما عَلِمَتِ اليهودُ ، عليهم لعائنُ اللَّهِ ، بخيبرَ سمُّوه فى الذراعِ فى تلك الشاةِ التى أحضرتْها زينبُ اليهوديةُ ، فأخبره الذراعُ بما فيه من السُّمِّ ، لمَّا نَهَس منه نَهْسَةً[1] ، كما قدَّمْنا ذلك فى غزوةِ خيبرَ مبسوطًا .

طريقٌ أخرى : قال الحافظُ أبو يَعْلَى : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، حدثنى فائدٌ[2] مولى عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى رافعٍ ، [3]عن أبى رافعٍ[3] قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الخندقِ بشاةٍ فى مِكْتَلٍ ، فقال : « يا أبا رافعٍ ، ناولْنى الذِّراعَ » . فناولْتُه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناولْنى الذراعَ » . فناولْتُه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناولْنى الذراعَ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أللشاةِ إلا ذراعان ؟ فقال : [٣/ ٥٠١ظ] « لو سكتَّ ساعةً ؛ ناولْتَنيه ما سألْتُك » . فيه انقطاعٌ مِن هذا الوجهِ .

وقد قال أبو يَعْلَى أيضًا : ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمِىُّ ، ثنا فُضيلُ بنُ سليمانَ ، ثنا فائدٌ مولى عُبيدِ اللَّهِ ، حدثنى عبيدُ اللَّهِ أنَّ جَدَّتَه سَلْمى أخبرتْه أنَّ النبىَّ ﷺ بعثَ إلى أبى رافعٍ بشاةٍ ، وذلك يومَ الخندقِ فيما أعلمُ ، فصلَّاها[4] أبو رافعٍ ليسَ معها خبزٌ ثُمَّ انطلقَ بها ، فلَقِيها النبىُّ ﷺ راجعًا مِن الخندقِ فقال : « يا أبا رافعٍ ، ضَعِ الذى معك » . فوضَعه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناولْنى الذراعَ » . فناولتُه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناولْنى الذراعَ » . فناولتُه ، ثم قال : « يا أبا رافعٍ ، ناوِلْنى الذراعَ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل للشاةِ غيرُ ذراعين ؟ فقال : « لو

---

(١) نهس اللحمَ : أخذه بمقدَّم أسنانه ونتفه للأكل . الوسيط (ن هـ س) .

(٢) فى م : « قائد » . وهو تصحيف ؛ انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ١٤٢ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) بعده فى الأصل : « أى شواها » .

سكتَّ لناولْتَنى ما سألتُك » .

وقد رُوِىَ من طريقِ أبى هريرةَ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا الضَّحَّاكُ ، ثنا ابنُ عَجلانَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ شاةً طُبِخَتْ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أعْطِنِى الذِّراعَ » . فناولتُه إياه ، فقال : « أعْطِنى الذراعَ » . فناولتُه إياه ، ثم قال : « أَعْطِنى الذراعَ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما للشاةِ ذراعان . قال : « أما إنَّك لو التمسْتَها لوجدتَها » .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا وكيعٌ ، [3]عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ ، عن[3] دُكَيْنِ بنِ سعيدٍ الخَثْعَمِىِّ قال : أتينا رسولَ اللَّهِ ﷺ ونحن أربعون وأربعُمائةٍ نسألُه الطعامَ ، فقال النبىُّ ﷺ لعمرَ : « قم فأَعْطِهم » ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما عندى إلا ما يُقَيِّظُنى[4] والصِّبْيَةَ . قال وكيعٌ : القيظُ فى كلامِ العربِ أربعةُ أشهرٍ . قال : « قُمْ فأَعْطِهم » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، سمعًا وطاعةً . قال : فقام عمرُ وقُمْنا معه ، فصعِد بنا إلى غرفةٍ له ، فأخرجَ المِفتاحَ من حُجْزَتِه ففتَح البابَ . قال دُكَيْنٌ : فإذا فى الغرفةِ مِن التمرِ شبيهٌ بالفصيلِ الرابضِ[5] . قال : شأنُكم . قال : فأخذ كلُّ رجلٍ منا حاجتَه ما شاءَ ، ثم التفت وإنى لمِن آخرِهم فكأنَّا لم نَرْزَأْ منه تمرةً . ثم رواه أحمدُ ، عن محمدٍ ويَعْلَى ابْنَىْ[6] عُبيدٍ ، عن

---

(١) المسند ٢/ ٥١٧.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٧٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وفى م ، ص : « عن » . وانظر أطراف المسند ٢/ ٣١٧.

(٤) أى ما يكفينى للقيظ ؛ يعنى زمان شدَّة الحر . انظر النهاية ٤/ ١٣٢.

(٥) الفصيل الرابض : الفصيل من أولاد الإبل والبقر ، وهو ما فُصِل عن الرضاع . والرابض : الجالس المقيم . انظر بلوغ الأمانى ٢٢/ ٥٨.

(٦) فى الأصل : « عن أبى » ، وفى م : « أبى » . انظر أطراف المسند ٢/ ٣١٧.

إسماعيلَ ، وهو ابنُ أبى خالدٍ ، عن قيسٍ ، وهو ابنُ أبى حازمٍ ، عن ذُكينٍ به[1] .
ورواه أبو دَاودَ ، عن عبدِ الرحيمِ بنِ مُطَرِّفٍ الرُّوَاسىِّ ، عن عيسى بنِ يونسَ ، عن إسماعيلَ به[2] .

حديثٌ آخرُ : قال علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا حَشْرَجُ [٣/ ٥٠٢و] ابنُ نُباتةَ ، ثنا أبو نَضرةَ ، حدثنى أبو رجاءٍ[3] قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل حائطًا لبعضِ الأنصارِ فإذا هو [4]يَسْنُو فيه[4] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما تَجعَلُ لى إنْ أَرويتُ حائطَك هذا ؟ » قال : إنى أَجهَدُ أن أُرويَه فما أطيقُ ذلك . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَجعَلُ لى مائةَ تمرةٍ أختارُها مِن تمرِك ؟ » قال : نعم . فأخذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الغَرْبَ[5] ، فما لبِث أن أرواه حتى قالَ الرجلُ : غَرِقَتْ حائطى . فاختار رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن تمرِه مائةَ تمرةٍ . قال : فأكلَ هو وأصحابُه حتى شَبِعوا ، ثم ردَّ عليه مائةَ تمرةٍ ، كما أخذَها . هذا حديثٌ غريبٌ أورده الحافظُ ابنُ عساكرَ فى دلائلِ النبوةِ من أولِ تاريخِه ، بسندِه عن علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ البغوىِّ ، كما أوردناه . وقد تقدم فى ذكرِ إسلامِ سلمانَ الفارسىِّ[6] ما كان مِن أمرِ النخيلِ التى غَرَسَها رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه الكريمةِ لسلمانَ ، فلم يَهلِكْ منهن واحدةٌ ، بل أنجبَ الجميعُ ، وكنَّ ثلاثَمائةٍ ، وما كان مِن تكثيرِه الذهبَ حين قَلَّبه على لسانِه

---

(١) المسند ٤/ ١٧٤.
(٢) أبو داود (٥٢٣٨) . صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٤٣٦٣) .
(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢/ ١٥٣، ١٥٤؛ حيث ذكر هذا الخبر عن أبى رجاء .
(٤ - ٤) فى النسخ : « برسول الله ﷺ » . والمثبت من مصدر التخريج . ويسنو : يَشتقى . انظر النهاية ٢/ ٤١٥.
(٥) الغرب : الدلو العظيمة التى تُتَّخَذ من جلد ثور . انظر النهاية ٣/ ٣٤٩.
(٦) تقدم فى ٣/ ٥١٤.

الشريفِ ، حتى قَضَى منه سلمانُ ما كان عليه من نُجومِ الكِتابَةِ[1] وعَتَق ، رضِى اللَّهُ عنه وأرضاه .

بابُ انقيادِ الشجرِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ

قد تقدم[2] الحديثُ الذى رواه مسلمٌ مِن حديثِ حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبى حَرْزةَ يعقوبَ بنِ مجاهدٍ ، عن عُبادةَ بنِ الوليدِ بنِ عُبادةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : سِرْنا مع النبىِّ ﷺ حتى نزَلْنا واديًا أَفْيحَ ، فذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِى حاجتَه فاتَّبَعْتُه بإداوةٍ مِن ماءٍ فنظَر فلم يرَ شيئًا يَسْتَتِرُ به ، وإذا شجرتانِ بشاطىءِ الوادى ، فانطلق إلى إحداهما فأخَذ بغُصْنٍ مِن أغصانِها ، وقال : « انْقادِى علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . فانقادتْ معه كالبعيرِ المَخْشُوشِ الذى يُصَانِعُ قائدَه ، حتى أتى الشجرةَ الأخرى فأخذَ بغُصْنٍ مِن أغصانِها وقال : « انْقَادِى علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . فانقادت معه كالبعيرِ المخشوشِ الذى يصانعُ قائدَه ، حتى إذا كان بالمنتصفِ فيما بينَهما لَأَمَ بينَهما - يعنى جمَعهما - وقال : « الْتَئِما علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . فالْتأَمَتا . قال [٣/ ٥٠٢ظ] جابرٌ : فخرجْت أُحْضِرُ مخافةَ أن يُحِسَّ بقُرْبى فيَبْتَعِدَ ، فجلستُ أُحدِّثُ نفسى ، فحانتْ منى لفتةٌ ، فإذا أنا برسولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا ، وإذا الشجرتان قد افْتَرَقَتا ، وقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ ، فرأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وقف وقفةً وقال برأسه هكذا يَمينًا وشِمالًا . وذكَر تمامَ الحديثِ فى قصةِ الماءِ وقصةِ

---

(١) فى الأصل : « المكاتبة » ، وفى م : « كتابته » . وتنجيم الدَّيْن : هو أن يُقرَّر عطاؤه فى أوقات معلومة متتابعة ، ومنه : نجوم الكتابة ؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها ، فتقول : إذا طلع النجم حلَّ عليك مالى . انظر النهاية ٥/ ٢٤، ٢٥.

(٢) تقدم فى صفحة ٦٠٨ .

الحوتِ الذى دَسَره البحرُ، كما تقدَم . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو معاويةَ، ثنا الأعمشُ، عن أبى سفيانَ - وهو طلحةُ بنُ نافعٍ - عن أنسٍ قال: جاءَ جبريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ وهو جالسٌ حزينٌ قد خَضَب بالدماءِ[2] ؛ ضرَبه بعضُ أهلِ مكةَ . قال: فقال له: مالَك؟ فقال: «فعَل بى هؤلاء وفعَلوا» . قال: فقال له جبريلُ: أتحبُّ أن أُرِيَك آيةً؟ قال: فقال: «نعم» . قال: فنظَر إلى شجرةٍ من وراءِ الوادى فقال: ادْعُ تلك الشجرةَ . فدعاها . قال: فجاءت تَمْشى حتى قامتْ بين يَدَيْه، فقال: مُرْها فلْتَرْجِعْ . فأَمَرها فرجعتْ إلى مكانِها، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبى» . وهذا إسنادٌ على شرطِ مسلمٍ[3] ، ولم يَرْوِه إلا ابنُ ماجه، عن محمدِ ابنِ طَرِيفٍ، عن أبى معاويةَ[4] .

حديثٌ آخرُ: روَى البيهقىُّ[5] مِن حديثِ حمادِ بنِ سلَمةَ، عن علىِّ بنِ زيدٍ، عن أبى رافعٍ، عن عمرَ بنِ الخطابِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان على الحَجونِ كئيبًا لَمَّا آذاه المشركون، فقال: «اللهم أرنى اليومَ آيةً لا أبالى مَن كذَّبنى بعدَها» . قال: فأُمِر فنادَى شجرةً مِن قِبَلِ عَقَبةِ أهلِ[6] المدينةِ، فأقبلتْ تَخُدُّ الأرضَ[7] حتى انتهت إليه . قال: ثم أمَرَها فرجَعَت إلى موضعِها، قال: فقال:

---

(١) المسند ٣/ ١١٣.

(٢) بعده فى الأصل: «قد»، وبعده فى م: «من».

(٣) فى ذلك نظر؛ فمسلم لم يروِ لطلحة بن نافع عن أنس، انظر تحفة الأشراف ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، وتهذيب الكمال ١٢/ ٧٦ - ٩١، ١٣/ ٤٣٨ - ٤٤١.

(٤) ابن ماجه (٤٠٢٨). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٥٤).

(٥) دلائل النبوة ٦/ ١٣.

(٦) سقط من: م.

(٧) خَدَّ الأرضَ: شقَّها . انظر اللسان (خ د د).

« ما أُبالى مَن كَذَّبنى بعدَها مِن قومى » .

ثُمَّ قالَ البيهقىُّ[1] : أنا الحاكمُ وأبو سعيدِ بنُ أبى[2] عمرٍو ، قالا : ثنا الأصمُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن مبارَكِ بنِ فَضالةَ ، عن الحسنِ قال : خرجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بعضِ شِعابِ مكةَ وقد دَخَله من الغمِّ ما شاء اللَّهُ مِن تكذيبِ قومِه إياه ، فقال : « ياربِّ ، أرِنى ما أَطْمَئِنُّ إليه ويُذهِبُ عنى هذا الغمَّ » . فأَوحَى اللَّهُ إليه : ادْعُ إليك[3] أىَّ أغصانِ هذه الشجرةِ شئتَ . قال : فدعا غصنًا ، فانتزعَ من مكانِه ثم خدَّ فى الأرضِ حتى جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارجِعْ إلى مكانِك » . فرجَع [4]الغصنُ فخَدَّ فى الأرضِ حتى استوَى كما كان[4] ، فحمِد رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [٣/٥٠٣و] وطابتْ نفسُه [4]ورجع[4] ، وكان قد قال المشركون : أفضَلْتَ[5] أباك وأجدادَك يا محمدُ ؟ فأنزل اللَّهُ[5] : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ الآيات [الزمر : ٦٤ - ٦٦] . قال البيهقىُّ : وهذا المُرْسَلُ يَشْهدُ له ما قبلَه .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا أبو معاويةَ ، ثنا الأعمشُ ، عن أبى ظَبْيانَ - وهو حُصينُ بنُ جُنْدُبٍ - عن ابنِ عبَّاسٍ قال : أَتَى النبىَّ ﷺ رجلٌ مِن بنى عامرٍ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أرنى الخاتَمَ الذى بينَ كَتِفَيْك ؛ فإنِّى من أطبِّ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١٤.

(٢) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٠.

(٣) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) سقط من : ١١١. وفى الأصل ، ص : « أفضلك » .

(٦) التفسير ٧/ ١٠٣.

(٧) المسند ١/ ٢٢٣ (إسناده صحيح) .

الناسِ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا أُرِيك آيةً ؟ » قال : بلى . قال : فنظرَ إلى نخلةٍ فقال : « ادْعُ ذلك العِذقَ » . فدعاه فجاء يَنْقُزُ [1] حتى قام [1] بينَ يديه ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْجِعْ » . فرجَع إلى مكانِه ، فقال العامريُّ : يا آلَ بنى عامرٍ ، ما رأيتُ كاليومِ رجلًا أسحرَ . [2] يعنى مِن هذا [2] . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ . وقد أسندَه البيهقيُّ [3] مِن طريقِ محمدِ بنِ أبى عُبيدةَ ، عن أبيه ، عن الأعمشِ ، عن أبى ظَبْيانَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : جاءَ رجلٌ من بنى عامرٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : إن عندى طِبًّا وعلمًا ، فما تشتكى ؟ هل يُرِيئك من نفسِك شىءٌ ؟ إلامَ تَدْعو ؟ قال : « أدعو إلى اللَّهِ والإسلامِ » . قال : فإنَّك لتقولُ قولًا ، فهل لك من آيةٍ ؟ قال : « نعم ، إن شئتَ أريتُك آيةً » . وبينَ يديه شجرةٌ ، فقال لغصنٍ منها : « تعالَ يا غصنُ » . فانقطعَ الغُصنُ من الشجرةِ ، ثم أقبلَ يَنْقُزُ حتى قامَ بينَ يديه ، فقال : « ارْجِعْ إلى مكانِك » . فرجَع ، فقال العامريُّ : يا آلَ عامرِ ابنِ صَعْصَعَةَ ، لا ألومُك على شىءٍ قلتَه أبدًا . [4] وهذا السياقُ [5] يَقْتَضِى أنه سَلَّم الأمرَ ، ولم يُجِبْ من كلِّ وجهٍ [4] .

وقد قال البيهقيُّ [6] : أنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبيدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا ابنُ أبى قُماشٍ ، ثنا ابنُ عائشةَ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ زيادٍ ، عن الأعمشِ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وينقز : يقفز ويثب . انظر النهاية ٥/ ١٠٥.

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ١١١ ، ص . ليست فى المسند . وفى م : « من هذا » .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٦.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) زيادة من : ١١١.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ١٦، ١٧.

ﷺ فقال : ما هذا الذى يقولُ أصحابُك ؟ قال : وحولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أعْذاقٌ وشجرٌ[1] . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل لك أن أُرِيَك آيةً ؟ » قال : نعم . قال : فدَعا عِذْقًا منها ، فأقْبَل يَخُدُّ الأرضَ[2] ويسْجُدُ ويَرْفَعُ رأسَه ، حتى وقَف بينَ يديه ، ثم أمَره فرجَع . قال : فخَرَج[3] العامرىُّ وهو يقولُ : يا آلَ عامرِ بنِ صَعْصَعةَ ، واللَّهِ لا أُكَذِّبُه بشىءٍ يقولُه أبدًا .

طريقٌ أخْرى فيها أن العامرىَّ [٣/٥٠٣ظ] **أسْلَم** : قال البيهقىُّ[4] : أخْبَرنا أبو نصرِ بنُ قَتادةَ ، أنا أبو علىٍّ حامدُ بنُ محمدٍ الرَّفَّاءُ[5] ، أنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثنا محمدُ بنُ سعيدٍ ، ابنُ الأصْبَهانىِّ ، أنا شَريكٌ ، عن سِماكٍ ، عن أبى ظَبْيانَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء أعرابىٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : بِمَا أعْرِفُ أنك رسولُ اللَّهِ ؟ قال : « أرأيْتَ إن دَعَوْتُ هذا العِذْقَ مِن هذه النخلةِ أتشهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » قال : نعم . قال : فدَعا العِذْقَ ، فجعَل العِذْقُ يَنْزِلُ مِن النخلةِ حتى سقَط فى الأرضِ ، فجعَل يَنْقُزُ حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ . ثم قال له : « ارْجِعْ » . فرجَع حتى عاد إلى مكانِه ، فقال : أشْهَدُ أنك رسولُ اللَّهِ . وآمَن . قال البيهقىُّ[4] : رَواه البخارىُّ فى « التاريخِ »[6] عن محمدِ بنِ سعيدٍ ، ابنِ[7] الأصْبهانىِّ . قلتُ :

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « حتى وقف بين يديه يخد الأرض » ، وفى ١١١ : « حتى وقف بين يدى رسول الله ﷺ » . والمثبت موافق لما فى الدلائل .

(٣) سقط من : م . وفى الأصل ، ١١١ ، ص : « فرجع » . والمثبت من الدلائل .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ١٥ .

(٥) فى م ، ص : « بن الوفا » . وهو خطأ ؛ انظر الأنساب ٣/ ٧٨ .

(٦) التاريخ الكبير ٣/٣ .

(٧) سقط من : م ، ص . وهو محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الله الكوفى ، أبو جعفر ابن الأصبهانى ، ولقبه حمدان . تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٧٢ .

[1] وقد رَواه الترْمِذِىُّ فى « جامعِه »[2] عن محمدِ بنِ إسماعيلَ - وهو البخارىُّ إن شاء اللَّهُ - عن محمدِ بنِ سعيدٍ به . وقال : حسنٌ صحيحٌ[1] . ولعله قال أولًا أنَّه سُحِر . ثم تبَصَّر لنفسِه فأسْلَم وآمَن لمَّا هداه اللَّهُ ، عز وجل . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ عن ابنِ[3] عمرَ فى ذلك : قال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابورىُّ[4] : أنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الوَرَّاقُ ، أنا الحسنُ[5] بنُ سفيانَ ، أنا أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ أبانٍ الجُعْفىُّ ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن أبى حَيَّانَ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ ، فأقْبَل أعرابىٌّ ، فلمَّا دَنا منه قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أين تريدُ ؟ » قال : إلى أهلى . قال : « هل لك إلى خيرٍ ؟ » قال : ما هو ؟ قال : « تشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وحدَه لا شَريكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه » . قال : هل مِن شاهدٍ على ما تقولُ ؟ قال : « هذه الشجرةُ » . فدَعاها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهى على شاطئِ الوادى ، فأقْبَلَتْ تخُدُّ الأرضَ خَدًّا ، فقامتْ بينَ يديْه ، فاسْتَشْهَدَها ثلاثًا ، فشَهِدَتْ أنه كما قال ، ثُم إنها رَجَعَتْ إلى مَنْبَتِها ، ورَجَع الأعرابىُّ إلى قومِه ، فقال : إن يَتَّبِعونى أتَيْتُكَ بهم ، وإلَّا رجَعْتُ إليك وكنتُ معك . وهذا إسنادٌ جيدٌ ولم يُخْرِجوه ، ولا رواه الإمامُ أحمدُ . واللَّهُ أعلمُ . [6] وقد وردَ عن رُكانةَ بنِ عبدِ يزيدَ قصةٌ شبيهةٌ بهذا[7] . فاللَّه أعلمُ[6] .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) الترمذى (٣٦٢٨) ، وعنده : حسن صحيح غريب . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٨) .

(٣) سقط من : الأصل . وفى م : « أبى » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ١٤، ١٥ ، عن الحاكم به .

(٥) فى م ، ص : « الحسين » . وهو خطأ ؛ انظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٧.

(٦ - ٦) سقط من : ١١١، م ، ص .

(٧) انظر ما تقدم فى ٤/ ٢٥٥.

بابُ حَنينِ الجِذْعِ شَوْقًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وشَفَقًا[1] مِن فِراقِه

وقد وَرَد مِن حديثِ جماعةٍ مِن الصحابةِ بطرقٍ متعددةٍ تُفيدُ القَطْعَ عندَ أئمةِ هذا الشأنِ وفُرْسانِ هذا المَيْدانِ؛ [2]قال القاضى عياضٌ فى كتابِه «الشِّفا[3]»: وهو حديثٌ [٣/ ٥٠٤و] مشهورٌ منتشرٌ متواترٌ، خرَّجَه أهلُ الصحيحِ، ورَواه مِن الصحابةِ بضعةَ عشَرَ، منهم: أُبَيٌّ وجابرٌ وأنسٌ وابنُ عمرَ وابنُ عباسٍ وسهلُ بنُ سعدٍ وأبو سعيدٍ وبُرَيدةُ وأُمُّ سَلَمَةَ والمطلبُ بنُ أبى وَداعَةَ[4]، رَضِىَ اللَّهُ عنهم[2].

الحديثُ الأولُ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ: قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ[5]، رحِمه اللَّهُ: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ قال: أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عَقِيلٍ، عن الطُّفَيْلِ بنِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ، عن أبيه قال: كان النبىُّ ﷺ يصلِّى إلى جِذْعٍ[6] إذ كان المسجدُ عَرِيشًا، وكان يخْطُبُ إلى ذلك الجِذْعِ، فقال رجلٌ مِن أصحابِه: يا رسولَ اللَّهِ، هل لك أن نجْعَلَ لك مِنْبرًا تقومُ عليه يومَ

---

(١) فى م: «شغفا».

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) الشفا ١/ ٤٢٧.

(٤) ذكر المصنف هنا هذه الروايات ما عدا روايتى بريدة والمطلب؛ فأما رواية بريدة فقد ذكرها القاضى عياض فى «الشفا» ١/ ٤٢٨ ولم يَعْزُها لأحد، وقد أخرجها الدارمى فى سننه ١/ ١٦، وأما رواية المطلب فقد ذكرها القاضى أيضا فى كتابه ١/ ٤٢٨، ٤٢٩ بغير عزوٍ كذلك، وعزاها السيوطى فى الخصائص ٢/ ٧٦ للزبير بن بكار فى «أخبار المدينة».

(٥) ترتيب مسند الشافعى (٤١٧)، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٦٧ من طريق الشافعى به، واللفظ للبيهقى.

(٦) بعده فى م: «نخلة».

الجُمُعةِ وتُسْمِعُ الناسَ [1]يومَ الجمعةِ[1] خطبتَك ؟ قال : « نعم » . فصنَع له ثلاثَ دَرَجاتٍ هى[2] اللاتى على المنبرِ ، فلما صُنِع المنبرُ وُضِع مَوْضِعَه الذى وضَعه فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بَدا للنبىِّ ﷺ أن يقومَ على ذلك المنبرِ فيَخْطُبَ عليه ، فمرَّ إليه ، فلما جاوز ذلك الجِذْعَ الذى كان يَخْطُبُ إليه خار حتى تصَدَّع وانشَقَّ ، فنزَل النبىُّ ﷺ لمَّا سمِع صوتَ الجِذْعِ فمسَحه بيدِه ، ثم رجَع إلى المنبرِ ، فلما هُدِم المسجدُ أخَذ ذلك الجِذْعَ أبىُّ بنُ كعبٍ ، فكان عندَه [3]فى بيتِه[3] حتى بَلِىَ وأكَلَتْه الأرَضَةُ وعاد رُفاتًا . وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ ، عن زكريا بنِ عَدِىٍّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو الرَّقِّىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ ، عن الطُّفَيلِ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ[4] ، فذكَره ، وعندَه : فمسَحه بيدِه حتى سكَن ، ثم رجَع إلى المنبرِ ، وكان إذا صلَّى صلَّى إليه . والباقى مثلُه ، وقد رَواه ابنُ ماجه ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ الرَّقِّىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو الرَّقِّىِّ به[5] .

الحديثُ الثانى عن أنسِ بنِ مالكٍ : قال الحافظُ أبو يَعْلى المَوْصِلِىُّ : ثنا أبو خَيْثمةَ ، ثنا عمرُ بنُ يونسَ الحَنَفِىُّ ، ثنا عكرمةُ بنُ عَمَّارٍ ، ثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى طلحةَ ، حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يومَ الجُمُعةِ يُسْنِدُ ظهْرَه إلى جِذْعٍ منصوبٍ فى المسجدِ فيخْطُبُ الناسَ ، فجاءه رُومىٌّ فقال : ألا أصْنَعُ لك شيئًا تقْعُدُ عليه كأنك قائمٌ ؟ فصنَع له منبرًا له[6] دَرَجتان ويقْعُدُ على

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « هن » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند والدلائل .

(٤) المسند ٥/ ١٣٧ .

(٥) ابن ماجه (١٤١٤) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١١٦١) .

(٦) سقط من : م ، ص .

الثالثةِ ، فلما قعَد نبيُّ اللَّهِ ﷺ على المنبرِ ، خار الجذعُ[1] كخُوارِ الثَّوْرِ ارْتَجَّ لخُوارِه ؛ حُزْنًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزَل إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٥٠٤ظ] مِن المنبرِ فالتزمه وهو يَخُورُ ، فلما التزمه سكَت ، ثم قال : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لو لم أَلْتَزِمْه لَما زال هكذا حتى يومِ القيامةِ ؛ حُزْنًا على رسولِ اللَّهِ » . فأمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ فدُفِن . وقد رواه الترمذىُّ ، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ ، عن عمرَ بنِ يونسَ به[2] ، وقال : صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخرى عن أنسٍ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ فى « مسندِه » : ثنا هُدْبةُ ، ثنا حمادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ . [3]وعمارِ بنِ أبى عمارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ[3] . [4]وحَبيبِ بنِ الشهيدِ ، عن الحسنِ ، عن النبىِّ ﷺ[4] ، أنه كان يخْطُبُ إلى جِذْعِ نخلةٍ ، فلما اتخَذ المنبرَ تحَوَّل إليه ، فحنَّ فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى احْتَضَنَه فسكَن ، وقال : « لو لم أحْتَضِنْه لحَنَّ إلى يومِ القيامةِ » . وهكذا رَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ خَلَّادٍ ، عن بَهْزِ بنِ أسدٍ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، وعن حمادٍ ، عن عمارِ بنِ أبى عمارٍ ، عن ابنِ عباسٍ به[5] . وهذا إسنادٌ على شرطِ مسلمٍ[6] .

---

(١) زيادة من : ١١١.

(٢) الترمذى (٣٦٢٧) . وقال : حديث حسن صحيح . وأما اللفظ الذى ذكره المصنف هنا من قول الترمذى فهو عن شيخه كما فى تحفة الأشراف ١/ ٨٦. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٧) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م ، ص . وعمار بن أبى عمار هذا يروى عنه حماد - وهو ابن سلمة - المذكور فى الإسناد الأول ؛ انظر ترجمة حماد فى تهذيب الكمال ٢٥٣/٧ - ٢٦٩، وترجمة عمار فيه أيضا ١٩٨/٢ - ٢٠٠.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . وحبيب هذا يروى عنه حماد أيضا ؛ انظر ترجمة حبيب فى تهذيب الكمال ٣٧٨/٥ - ٣٨١.

(٥) ابن ماجه (١٤١٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١١٦٢) .

(٦) يعنى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ؛ قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤٦، ٤٤٧: ومسلم روى له - يعنى : روى لحماد - فى الأصول عن ثابت ، وحميد لكونه خبيرا بهما ... قال أبو عبد اللَّه الحاكم : ولم يخرج له مسلم فى الأصول إلا من حديثه عن ثابت . اهـ من السير بتصرف .

طريقٌ أخرى عن أنسٍ: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا هاشمٌ، ثنا المباركُ، عن الحسنِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا خطَب يومَ الجمُعةِ يُسْنِدُ ظهرَه إلى خشبةٍ، فلما كثُر الناسُ قال: «ابْنُوا لى مِنْبرًا». أراد أن يُسْمِعَهم، فبنَوْا له عَتَبَتَيْن، فتحوَّل مِن الخشبةِ إلى المِنْبرِ. قال: فأَخْبَرَ أنسُ بنُ مالكٍ أنه سمِع الخشبةَ تحِنُّ حَنينَ الوالهِ[2]. قال: فما زالت تحِنُّ حتى نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن المِنْبرِ، فمشَى إليها فاحْتَضَنَها فسكَنت. تفرد به أحمدُ. وقد رَواه أبو القاسمِ البَغَوىُّ[3]، عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ، عن مُباركِ بنِ فَضالةَ، عن الحسنِ، عن أنسٍ، فذكَره، وزاد: فكان الحسنُ إذا حدَّث بهذا الحديثِ بكَى، ثم قال: يا عبادَ اللَّهِ، الخشبةُ تَحِنُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إليه لمكانِه مِن اللَّهِ، فأنتم أحقُّ أن تَشْتاقوا إلى لقائِه. وقد رواه الحافظُ أبو نُعيمٍ مِن حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ الخَيَّاطِ، عن [4]الحسنِ، عن[4] أنسِ بنِ مالكٍ، فذكَره.

طريقٌ أخرى عن أنسٍ: قال أبو نُعيمٍ: ثنا أبو بكرِ بنُ خَلَّادٍ، ثنا الحارثُ بنُ محمدِ بنِ أبى أسامةَ، ثنا يَعْلَى بنُ عَبَّادٍ، ثنا عبدُ[5] الحكمِ، عن أنسٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يخْطُبُ إلى جِذْعٍ، فحنَّ الجِذْعُ، فاحْتَضَنه وقال: «لو لم أحْتَضِنْه لحنَّ إلى يومِ القيامةِ».

الحديثُ الثالثُ عن جابرِ [٣/٥٠٥و] **بنِ عبدِ اللَّهِ**: قال الإمامُ أحمدُ[6]:

---

(١) المسند ٣/ ٢٢٦.

(٢) فى المسند: «الوالد».

(٣) الجعديات للبغوى (٣٢٥٥)، كما أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٩، ٥٧٠، من طريق البغوى به، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) سقط من: ١١١، م، ص. وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٠٢.

(٦) المسند ٣/ ٣٠٠.

حدَّثنا وَكيعٌ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ أيْمنَ ، عن أبيه ، عن جابرٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إلى جِذْعِ نخلةٍ . قال : فقالت امرأةٌ مِن الأنصارِ ، كان لها غلامٌ نجَّارٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن لى غلامًا نجَّارًا ، أفآمُرُه أن يتَّخِذَ لك مِنبرًا تخْطُبُ عليه ؟ قال : « بلى » . قال : فاتخَذ له منبرًا . قال : فلما كان يومُ الجُمُعةِ خطَب على المِنْبرِ . قال : فأنَّ الجِذْعُ الذى كان يقومُ عليه كما يَئِنُّ الصبىُّ ، فقال النبىُّ ﷺ : « إن هذا بكَى ؛ لِمَا فقَد مِن الذِّكْرِ » . هكذا رواه أحمدُ .

وقد قال البخارىُّ[1] : [2]ثنا أبو نُعَيْمٍ[2] ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ أيمنَ قال : سمِعْتُ أبى ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقومُ يومَ الجُمُعةِ إلى شجرةٍ أو نخلةٍ ، فقالت امرأةٌ مِن الأنصارِ ، أو رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا نجْعَلُ لك مِنْبرًا ؟ قال : « إن شئتم » . فجعَلوا له مِنْبرًا ، فلما كان يومُ الجُمُعةِ دُفِع إلى المنبرِ ، فصاحت النخلةُ صِياحَ الصبىِّ ، ثم نزَل النبىُّ ﷺ فضمَّها[3] إليه تَئِنُّ أَنينَ الصبىِّ الذى يُسَكَّنُ . قال : كانت تَبْكى على ما كانت تسْمَعُ مِن الذِّكْرِ عندَها . وقد ذكَره البخارىُّ فى غيرِ ما موضعٍ مِن « صحيحِه » مِن حديثِ عبدِ الواحدِ بنِ أيمنَ ، عن أبيه ، وهو أيْمنُ الحَبَشىُّ المكِّىُّ مولى ابنِ أبى عَمْرةَ المخزومىِّ ، عن جابرٍ به[4] .

طريقٌ أخرى عن جابرٍ : قال البخارىُّ[5] : ثنا إسماعيلُ ، حدَّثنى أخى ، عن

---

(١) البخارى (٣٥٨٤) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « فضمه » . والمثبت من بقية النسخ موافق لبعض روايات البخارى ؛ انظر صحيح البخارى طبعة الشعب ٤/ ٢٣٧.

(٤) البخارى (٤٤٩) مختصرا ، (٢٠٩٥) مطولا .

(٥) البخارى (٣٥٨٥) .

سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، حدَّثنى حفصُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ ، أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنصاريَّ يقولُ : كان المسجدُ مَسْقوفًا على جُذوعٍ مِن نخلٍ ، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطَب يقومُ إلى جِذْعٍ منها ، فلما صُنِع له المنبرُ ، فكان عليه فسمِعْنا لذلك الجذعِ صوتًا كصوتِ العِشَارِ ، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضَع يدَه عليها فسكَنت . تفرد به البخاريُّ .

طريقٌ أخرى عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ ، ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا أبو المُساوِرِ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، وهو ذَكْوانُ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وعن أبى[1] إسحاقَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن جابرٍ قال : كانت خشبةٌ فى المسجدِ يخْطُبُ إليها النبيُّ ﷺ ، فقالوا : لو اتخَذْنا لك مثلَ الكرسيِّ تقومُ عليه ؟ ففعَل ، فحنَّت الخشبةُ كما تحِنُّ الناقةُ الحَلُوجُ[2] ، فأتاها فاحْتَضَنها فوضَع يدَه عليها فسكَنت . قال أبو بكرٍ البزارُ : وأحْسَبُ أنَّا كلٌّ[3] قد حُدِّثْناه عن أبى عَوانةَ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن جابرٍ ، وعن أبى إسحاقَ ، [4]عن كُرَيْبٍ[4] ، عن جابرٍ ، بهذه القصةِ التى رواها أبو المُساوِرِ عن أبى عَوانةَ ، وحدَّثَناه محمدُ بنُ عثمانَ بنِ كَرامةَ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسرائيلَ ، [٣/ ٥٠٥ظ] عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ أبى كُرَيْبٍ ، عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه . والصوابُ إنما هو سعيدُ بنُ أبى كُريبٍ[5] ، وكُرَيْبٌ خطأٌ ، ولا يُعْلَمُ يَرْوِى عن

---

(١) سقط من : م .

(٢) الحلوج : كصبور ، من الحَلْج وهو الاضطراب والحركة . انظر تاج العروس (ح ل ج) .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) كذا فى النسخ ، وهو خطأ . والصواب « سعيد بن أبى كَرِب » . كما فى مصادر ترجمة ، وقد تركناه كذا لتستقيم عبارة البزار ؛ انظر التاريخ الكبير ٣/ ٥١٠ ، والجرح والتعديل ٤/ ٥٧ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٤٢ .

سعيدِ بنِ أبى كُرَيْبٍ[1] إلا أبو إسحاقَ . قلتُ : ولم يُخْرِجوه مِن هذا الوجهِ وهو جيدٌ .

طريقٌ أخرى عن جابرٍ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ أبى كَرِبٍ[3] ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : كان النبىُّ ﷺ يخْطُبُ إلى خشبةٍ ، فلما جُعِل[4] مِنْبرٌ حنَّت حَنينَ الناقةِ ، فأتاها فوَضَع يدَه عليها فسَكَنَتْ . تفرد به أحمدُ .

طريقٌ أخْرى عن جابرٍ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ : ثنا محمدُ بنُ مَعْمرٍ ، ثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ ، ثنا سليمانُ بنُ كَثيرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : كان النبىُّ ﷺ يقومُ إلى جِذْعٍ قبلَ أن يُجْعَلَ له المنبرُ ، فلما جُعِل له[5] المنبرُ حَنَّ الجذعُ حتى سمِعْنا حَنينَه ، فمسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه عليه فسكَن . قال البزارُ : لا نَعْلَمُ رَواه عن الزهرىِّ إلا سليمانُ بنُ كَثيرٍ . قلتُ : وهذا إسنادٌ جيدٌ رجالُه على شرطِ الصحيحِ ، ولم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ . وقال الحافظُ أبو نُعيمٍ فى « الدلائلِ »[6] : ورَواه عبدُ الرزاقِ[7] ، عن مَعْمرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن رجلٍ سمَّاه ، عن جابرٍ . ثم أوْرَده[6] مِن طريقِ[8] عاصمِ بنِ

---

(١) كذا فى النسخ . انظر حاشية (٥) الصفحة السابقة .

(٢) المسند ٣/ ٢٩٣.

(٣) فى الأصل ، ١١١ ، م : « كريب » .

(٤) بعده فى م ، ص : « له » . وجُعل : صُنع .

(٥) سقط من : م .

(٦) لم نجده فى مختصر الدلائل الذى بين أيدينا .

(٧) مصنف عبد الرزاق (٥٢٥٣) .

(٨) بعده فى الأصل : « بن » ، وبعده فى م : « أبى » . وهو خطأ ، وهو عاصم بن على بن عاصم بن صهيب الواسطى أبو الحسين ، ويقال : أبو الحسن القرشى التيمى . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٥٠٨ ، وانظر أيضا ١٢/ ٥٦ ، ٥٧.

عليٌّ ، عن سليمانَ بنِ كَثيرٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن جابرٍ مثلَه . ثم قال[1] : ثنا أبو بكرِ بنُ خَلَّادٍ ، ثنا أحمدُ بنُ عليٍّ الخَزَّازُ ، حدثنا عيسى بنُ المُساوِرِ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن الأوزاعيِّ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يخطُبُ إلى جِذْعٍ ، فلما بُنِىَ المنبرُ حنَّ الجذعُ ، فاحتَضَنَه [2]رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] فسكَنَ[3] ، وقال : « لو لم أَحْتَضِنْه لحَنَّ إلى يومِ القيامةِ » . ثم رواه مِن حديثِ أبى عَوانةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن جابرٍ ،وعن أبى إسحاقَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن جابرٍ مثلَه[4] .

طريقٌ أخرى عن جابرٍ : قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا ابنُ جُرَيْجٍ . ورَوْحٌ قال : حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ . أخبرنى أبو الزبيرِ ، أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : كان النبىُّ ﷺ إذا خطَب يَسْتَنِدُ إلى جذعِ نخلةٍ مِن سَوارى المسجدِ ، فلما صُنِع له مِنْبرُه اسْتَوى عليه ، اضْطربت تلك السَّاريةُ كحَنينِ الناقةِ حتى سمِعها أهلُ المسجدِ ، حتى نزَل إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ فاعْتَنَقَها فسكَنَت . وقال رَوْحٌ : فسكَتَت . وهذا إسنادٌ على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجوه[6] .

طريقٌ أخرى عن جابرٍ : قال أحمدُ[7] : ثنا ابنُ [٣/٥٠٦و] أبى عَدِىٍّ ، عن سليمانَ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن جابرٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقومُ فى أصلِ

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم (٣٠٢) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) بعده فى الدلائل : « قال جابر : وأنا شاهد حين حن » .

(٤) دلائل النبوة (٣٠٤) .

(٥) المسند ٣/ ٢٩٥.

(٦) كذا قال المصنف ، ولكن قد أخرجه النسائى (١٣٩٥) من رواية ابن وهب عن ابن جريج به ، وانظر تحفة الأشراف ٢/ ٣٣١.

(٧) المسند ٣/ ٣٠٦.

شجرةٍ - أو قال : إلى جذعٍ - ثم اتخَذ منبرًا . قال : فحنَّ الجذعُ . قال جابرٌ : حتى سمِعه أهلُ المسجدِ حتى أتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فمَسَحَه فسكَن ، فقال بعضُهم : لو لم يأْتِه لَحَنَّ[1] إلى يومِ القيامةِ . وهذا على شرطِ مسلمٍ ، ولم يَرْوِه إلا ابنُ ماجه ، عن بكرِ[2] بنِ خَلَفٍ ، عن ابنِ أبى عَدِيٍّ ، عن سليمانَ التَّيْمىِّ ، عن أبى نَضْرةَ المنذرِ بنِ مالكِ بنِ قِطْعَةَ[3] العَبْدىِّ البصرىِّ[4] ، عن جابرٍ به[5] .

الحديثُ الرابعُ عن سهلِ بنِ سعدٍ : قال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[6] : ثنا سفيانُ ابنُ عُيينةَ ، عن أبى حازمٍ قال : أتَوْا سهلَ بنَ سعدٍ فقالوا : مِن أىِّ شىءٍ منبرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ[7]؟ فقال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَنِدُ إلى جذعٍ فى المسجدِ يصلِّى إليه إذا خطَب ، فلما اتخَذ المنبرَ فصعِد[8] عليه[9] حنَّ الجذعُ حتى أتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فوَطَدَه[10] [11] حتى سكَن[11] . وأصلُ هذا الحديثِ فى « الصحيحَيْن »[12] ،

---

(١) بعده فى المسند : « أبدا » .

(٢) فى الأصل ، م : « بكير » . وهو خطأ ؛ انظر تحفة الأشراف ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) فى م : « قطفة » . وهو تصحيف ، انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٠٨.

(٤) فى م : « النضرى » . وهو تصحيف ، انظر المصدر السابق .

(٥) ابن ماجه (١٤١٧) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١١٦٤) .

(٦) المصنف (١١٧٩٦) بنحوه .

(٧) بعده فى المصنف : « قال : ما بقى أحد من الناس أعلم به منى . قال : هو من أثل الغابة ، وعمله فلان مولى فلانة لرسول اللَّه ﷺ » .

(٨) سقط من : الأصل . وفى المصنف : « فقعد » .

(٩) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(١٠) فى الأصل : « فرطره » ، وفى ١١١ : « فوطئه » ، وفى م ، ص : « فوطنه » . والمثبت من المصنف . ووطده : ثبّته وسكّنه .

(١١ - ١١) زيادة من النسخ ليست فى المصنف . وقال فى المصنف عقب الحديث : وليس فى حديث أبى حازم : حتى سكنه .

(١٢) البخارى (٣٧٧، ٤٤٨، ٩١٧، ٢٠٩٤، ٢٥٦٩) ، ومسلم (٥٤٤) .

وإسنادُه على شرطِهما ، وقد رواه إسحاقُ بنُ راهَوَيْهِ[1] وابنُ أبى فُدَيْكٍ ، عن عبدِ المُهَيْمِنِ بنِ عباسِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه . ورواه عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ وابنُ وهبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن[2] عباسِ بنِ سهلٍ ، عن أبيه ، فذكَره . ورواه ابنُ لَهيعةَ ، عن عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ[3] ، عن[2] عباسِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، بنحوِه .

الحديثُ الخامسُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمادٌ ، عن عَمَّارِ بنِ أبى عمارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنهما ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يخْطُبُ إلى جذْعٍ قبلَ أن يَتَّخِذَ المِنْبَرَ ، فلما اتخذ المنبرَ وتحَوَّل إليه حنَّ عليه ، فأتاه فاحتَضَنه ، فسكَن ، قال : « ولو لم أَحْتَضِنْه لحَنَّ إلى يومِ القيامةِ » . وهذا الإسنادُ على شرطِ مسلمٍ[5] ، ولم يَرْوِه إلا ابنُ ماجه مِن حديثِ حمادِ بنِ سلمةَ[6] .

الحديثُ السادسُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ : قال البخاريُّ[7] : ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا يحيى بنُ كَثيرٍ أبو غَسَّانَ ، ثنا أبو حفصٍ ، واسمُه عمرُ بنُ العَلاءِ أخو أبى عمرِو بنِ العَلاءِ قال : سمِعْتُ نافعًا ، عن ابنِ عمرَ ، رضى اللَّهُ عنهما ، قال : كان النبىُّ ﷺ يخْطُبُ إلى جذْعٍ ، فلما اتخذ المنبرَ تحَوَّل إليه ، فحنَّ الجذعُ

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٦/١٥٥ (٥٧٢٦) ، من حديث إسحاق بن راهويه .
(٢) بعده فى م : « بن » . وهو خطأ ؛ انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢١٢.
(٣) فى م : « عرفة » . وهو خطأ ؛ انظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٥٨.
(٤) المسند ١/ ٢٤٩.
(٥) انظر صفحة ٦٨١ حاشية (٦) .
(٦) ابن ماجه (١٤١٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١١٦٣) .
(٧) البخارى (٣٥٨٣) .

فأتاه فمسَح يدَه عليه . وقال عبدُ الحميدِ : أنا عثمانُ بنُ عمرَ ، أنا مُعاذُ بنُ العَلاءِ ، عن نافعٍ ، بهذا . ورواه أبو عاصمٍ ، عن ابنِ أبى رَوَّادٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبىِّ [٣/٥٠٦ظ] ﷺ . هكذا ذكَره البخارىُّ . وقد رَواه الترمذىُّ ، عن عمرِو بنِ علىٍّ الفَلَّاسِ ، عن عثمانَ بنِ عُمرَ[١] ويحيى بنِ كَثيرٍ[٢] أبى غَسَّانَ العَنْبرىِّ ، كلاهما عن مُعاذِ بنِ العَلاءِ به[٣] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

قال شيخُنا الحافظُ أبو الحجَّاجِ المِزِّىُّ فى « أطْرافِه »[٤] : ورواه علىُّ بنُ نصرِ بنِ علىٍّ الجَهْضمىُّ وأحمدُ بنُ خالدٍ الخَلَّالُ وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارمىُّ ، فى آخَرِين ، عن عثمانَ بنِ عمرَ ، عن مُعاذِ بنِ العَلاءِ . قال[٥] : وعبدُ الحميدِ هذا - يعنى الذى ذكَره البخارىُّ - يقالُ : إنه عبدُ بنُ حُمَيدٍ . واللَّهُ أعلمُ .

قال شيخُنا[٥] : وقد قيل : إن قولَ البخارىِّ : عن أبى حفصٍ واسمُه عُمرُ[٦] ابنُ العَلاءِ . وَهْمٌ ، والصوابُ مُعاذُ بنُ العَلاءِ كما وقَع فى روايةِ الترمذىِّ . قلتُ : وليس هذا ثابتًا فى جميعِ النسخِ ، ولم أرَ فى النسخةِ[٧] التى كَتَبْتُ منها تسميتَه بالكليةِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد روَى هذا الحديثَ الحافظُ أبو نُعيمٍ ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَجاءٍ ، عن [٨]عُبَيدِ اللَّهِ[٨] بنِ عمرَ ، ومِن حديثِ أبى عاصمٍ ، عن ابنِ أبى

---

(١) فى م : « عمرو » . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٦١.

(٢) بعده فى م ، ص : « عن » . وهو خطأ ؛ انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٩٩.

(٣) الترمذى (٥٠٥) .

(٤) تحفة الأشراف ٦/ ٢٣٣.

(٥) أى المزى . المصدر السابق .

(٦) فى النسخ : « عمرو » . وهو خطأ بيِّن . والمثبت من التحفة ، وقد سبق فى سياق البخارى أنه « عمر » .

(٧) فى م : « النسخ » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « عبد الله » . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥٠٠، ١٥/ ٣٢٧، ١٩/ ١٢٤.

رَوَّادٍ ، كلاهما عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال تَميمٌ الداريُّ : ألا نتَّخِذُ لك منبرًا ؟ فذكَر الحديثَ .

طريقٌ أخرى عن ابنِ عمرَ : قال الإمامُ أحمدُ بنُ حَنبلٍ[1] : ثنا حسينٌ ، ثنا خلَفٌ ، عن أبى جَنابٍ[2] ، وهو يحيى بنُ أبى حَيَّةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : كان جذْعُ نخلةٍ فى المسجدِ يُسْنِدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ظهرَه إليه إذا كان يومُ جمعةٍ ، أو حدَث أمرٌ يُريدُ أن يُكَلِّمَ الناسَ . فقالوا : ألا نَجْعَلُ لك يا رسولَ اللَّهِ شيئًا كقَدْرِ قيامِك ؟ قال : « لا عليكم أن تفْعَلوا » . فصنَعوا له منبرًا ثلاثَ مَراقٍ . قال : فجلَس عليه . قال : فخار الجِذْعُ كما تَخُورُ البقرةُ ؛ جَزَعًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فالتزمه ومسَحه حتى سكَن . تفرد به أحمدُ .

الحديثُ السابعُ عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ : قال عبدُ بنُ حُميدٍ الكَشِّىُّ[3] : ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، عن الجُرَيْرىِّ ، عن أبى نَضْرةَ العَبْدىِّ ، حدثنى أبو سعيدٍ الخدرىُّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يومَ الجُمُعةِ إلى جذْعِ نخلةٍ ، فقال له الناسُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنه قد كثُر الناسُ - يعنى المسلمين - وإنهم لَيُحِبُّون أن يَرَوْك ، فلو اتخذت مِنْبرًا تقومُ عليه ليَراك الناسُ ؟ قال : « نعم ، مَن يَجْعَلُ لنا هذا المنبرَ ؟ » فقام إليه رجلٌ ، فقال[4] : « تَجْعَلُه ؟ » قال : نعم . ولم يقُلْ : إن شاء اللَّهُ . قال :

---

(١) المسند ٢/ ١٠٩.

(٢) فى الأصل : « حباب » ، وفى ا ١١١ : غير منقوطة . وفى م ، ص : « خباب » . والمثبت من المسند . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٨٤.

(٣) فى م : « الليثى » ، وفى ص : « الكسى » . وهو يقال بالسين والشين ، كما فى ترجمته فى تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢٤.

والحديث ذكره البوصيرى فى مختصر السادة المهرة ٢/٥٠٦ (١٧٤٧) ، وابن حجر فى المطالب العالية ١/١٦٩ (٦١٧) . وعزياه إلى عبد بن حميد . وانظر المسند الجامع ٦/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) بعده فى م : « أنا فقال » .

« ما اسمُك ؟ » قال : فلانٌ . قال : « اقْعُدْ » . فقعَد . ثم عاد فقال : « مَن يَجْعَلُ لنا هذا المنبرَ ؟ » فقام إليه رجلٌ فقال : أنا . قال : « تَجْعَلُه ؟ » قال : نعم . ولم يقُلْ : إن شاء اللَّهُ . قال : « ما اسمُك ؟ » قال : فلانٌ . قال : « اقْعُدْ » . فقعَد . ثم عاد فقال : « مَن يَجْعَلُ لنا هذا المنبرَ ؟ » فقام إليه رجلٌ فقال : أنا . قال : « تَجْعَلُه ؟ » قال : نعم . ولم يقُلْ : إن شاء اللَّهُ . قال : « ما اسمُك ؟ » قال : فلانٌ . قال : « اقْعُدْ » . فقْعَد . ثم عاد فقال : « مَن يَجْعَلُ لنا هذا المنبرَ ؟ » [٣/٥٠٧و] فقام إليه رجلٌ ، فقال : أنا . قال : « تَجْعَلُه ؟ » قال : نعم إن شاء اللَّهُ . قال : ما اسمُك ؟ قال : إبراهيمُ . قال : « اجْعَلْه » . فلما كان يومُ الجمُعةِ اجْتَمع الناسُ للنبيِّ ﷺ فى آخرِ المسجدِ ، فلما صعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ المنبرَ فاسْتَوى عليه (١ اسْتَقْبَل الناسَ ١) وحنَّت النخلةُ حتى أسْمَعَتْنى وأنا فى آخرِ المسجدِ . قال : فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن المنبرِ فاعْتَنَقها ، فلم يزَلْ حتى سكَنت ، ثم عاد إلى المنبرِ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : « إن هذه النخلةَ إنما حنَّت شَوْقًا إلى رسولِ اللَّهِ ، لَمَّا فارقها ، فواللَّهِ لو لم أَنْزِلْ إليها فأعْتَنِقْها لَما سكَنت إلى يومِ القيامةِ » . وهذا إسنادٌ جيدٌ(٢) على شرطِ مسلمٍ ، ولكن فى السِّياقِ غَرابةٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

طريقٌ أخرى عن أبى سعيدٍ : قال الحافظُ أبو يَعْلَى(٣) : ثنا مَسْروقُ بنُ المَرْزُبانِ ، ثنا (٤ يحيى بنُ ٤) زكريا ، عن مُجالدٍ ، عن أبى الوَدَّاكِ - وهو جَبْرُ بنُ نَوْفٍ - عن أبى سعيدٍ قال : كان النبيُّ ﷺ يقومُ إلى خشَبةٍ يتَوَكَّأُ عليها يخطُبُ

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) مسند أبى يعلى (١٠٦٧) . قال فى المجمع ٢/ ١٨١ : رواه أبو يعلى وفيه مجالد بن سعيد وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من مسند أبى يعلى . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٣٠٥ .

كلَّ جمُعةٍ ، حتى أتاه رجلٌ مِن الرومِ[1] فقال : إن شئتَ جعَلْتُ لك شيئًا ، إذا قعَدْتَ عليه كنتَ كأنك قائمٌ . قال : « نعم » . قال : فجعَل له المِنْبرَ ، فلما جلَس عليه حنَّت الخشبةُ حَنينَ الناقةِ على ولدِها ، حتى نزَل النبيُّ ﷺ ، فوضَع يدَه عليها ، فلما كان الغدُ رأيْتُها قد حُوِّلت ، فقلْنا : ما هذا ؟ قالوا : جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ البارحةَ فحوَّلوها . وهذا غريبٌ أيضًا .

الحديثُ الثامنُ عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها : رواه الحافظُ البيهقيُّ[2] مِن حديثِ عليِّ بنِ أحمدَ الجَوَارِبيِّ[3] ، عن قَبيصةَ ، عن حِبَّانَ[4] بنِ عليٍّ ، عن صالحِ بنِ حَيَّانَ[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن عائشةَ ، فذكَر الحديثَ بطولِه ، وفيه أنه خيَّره بينَ الدنيا والآخرةِ ، فاختار الجِذْعُ الآخرةَ ، وغار حتى ذهَب فلم يُعْرَفْ . هذا حديثٌ غريبٌ إسنادًا ومتنًا .

الحديثُ التاسعُ عن أمِّ سَلَمةَ ، رضى اللَّهُ عنها : روَى أبو نُعيمٍ[6] مِن طريقِ شَريكٍ القاضى وعمرِو بنِ أبى قَيسٍ ومُعَلَّى بنِ هلالٍ ، ثلاثتُهم عن عَمَّارٍ الدُّهْنيِّ[7] ، عن أبى سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ خشبةٌ يَسْتَنِدُ إليها إذا خطَب ، فصُنِع له كرسيٌّ أو منبرٌ ، فلما فقَدَتْه خارت

---

(١) فى مسند أبى يعلى : « القوم » .

(٢) سقط من : م ، ص . ولم نجده عند البيهقى ، ولعله سبق قلم من المصنف ، فقد ذكره فى ٩/ ٣٥١. وعزاه إلى أبى نعيم ، وقد وقفنا عليه عند أبى نعيم فى الدلائل (٣١٠) ، من حديث على بن أحمد الجواربى . وللَّه الحمد والمنة .

(٣) فى م : « الحوار » ، وفى الدلائل : « الجوربى » . وهو خطأ ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ انظر تاريخ بغداد ١١/ ٣١٤، والأنساب ٢/ ١٠٢.

(٤) فى الدلائل : « حيان » . وهو تصحيف ؛ انظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٩.

(٥) فى ١١١، م ، ص : « حبان » . وهو تصحيف ؛ انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣٣.

(٦) لم نجده عند أبى نعيم ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦٣، من طريق شريك به .

(٧) فى م : « الذهبى » . وهو تصحيف ؛ وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٠٨.

كما يَخورُ الثَّوْرُ ، حتى سَمِعَها[1] أهلُ المسجدِ ، فأتاها رسولُ اللَّهِ ﷺ فسكَنت . هذا لفظُ شَريكٍ . وفى روايةِ مُعَلَّى بنِ هلالٍ ، أنها كانت مِن دَرِمٍ[2] . وهذا إسنادٌ جيدٌ ولم يُخْرِجوه ، وقد روَى الإمامُ أحمدُ والنسائىُّ[3] مِن [٣/٥٠٧ظ] حديثِ عمارٍ الدُّهْنىِّ[4] ، عن أبى سلمةَ ، عن أمِّ سلمةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَوائمُ منبرى رواتبُ[5] فى الجنةِ » . وروَى النسائىُّ[6] أيضًا بهذا الإسنادِ : « ما بينَ بيتى ومِنْبرى رَوْضةٌ مِن رِياضِ الجنةِ » . فهذه الطرقُ مِن هذه الوجوهِ تُفيدُ القطعَ بوقوعِ ذلك عندَ أئمةِ هذا الفنِّ ، وكذا مَن تأمَّلها ، وأَمْعن فيها النظرَ والتأمُّلَ مع معرفتِه بأحوالِ الرجالِ ، وباللَّهِ المستعانُ .

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[7] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخْبَرنى أبو أحمدَ بنُ أبى الحسنِ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ إدريسَ الرازىُّ قال : قال أبى - يعنى أبا حاتمٍ الرازىَّ - قال عمرُو بنُ سَوَّادٍ : قال لى الشافعىُّ : ما أعْطَى اللَّهُ نبيًّا ما أعْطَى محمدًا ﷺ . [8]فقلتُ[9] : أعْطَى عيسى إحياءَ الموتى . فقال : أعطى محمدًا ﷺ[8] الجذعَ الذى كان يخطُبُ إلى جنبِه حتى هُيِّئ له المنبرُ ، [8]فلما هُيِّئ له المنبرُ[8] حنَّ الجذعُ حتى سُمِع صوتُه . فهذا أكبرُ مِن ذلك .

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « سمع » .

(٢) فى م ، ص : « دوم » . والدرم : شجر تتخذ منه حبال ليست بالقوية . اللسان (د ر م) .

(٣) المسند ٦/ ٢٨٩، ٢٩٢، ٣١٨، والنسائى (٦٩٥) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٦٧٢) .

(٤) فى م : « الذهبى » .

(٥) فى م : « فى زاوية » . قال الإمام السندى فى شرحه على النسائى : رواتب : جمع راتبة ؛ من رتب . إذا انتصب قائمًا ، أى أن الأرض التى هو فيها من الجنة ، فصارت القوائم مقرها الجنة أو أنه سيُنقل إلى الجنة . والله تعالى أعلم .

(٦) النسائى فى الكبرى (٤٢٩٠) .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٦٨. قال المصنف : وهذا إسناد صحيح إلى الشافعى . انظر ما سيأتى ٩/ ٣٥٢.

(٨ - ٨) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٩) بعده فى م ، ص : « له » .

بابُ تَسْبيحِ الحَصَى فى كفّه، عليه الصلاةُ والسلامُ

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[1] : أنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا الكُدَيْمىُّ ، ثنا قريشُ بنُ أنسٍ ، ثنا صالحُ بنُ أبى الأَخْضرِ ، عن الزهرىِّ ، عن رجلٍ يقالُ له : سُوَيْدُ بنُ يزيدَ السُّلَمىُّ . قال : سمِعْتُ أبا ذَرٍّ يقولُ : لا أَذْكُرُ عثمانَ إلا بخيرٍ بعدَ شىءٍ رأيْتُه ؛ كنتُ رجلًا أَتَتَبَّعُ خَلَواتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فرأيْتُه يومًا جالسًا وحدَه ، فاغتَنَمْتُ خَلْوتَه فجئتُ حتى جلَسْتُ إليه ، فجاء أبو بكرٍ فسلَّم[2] ، ثم جلَس عن يمينِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم جاء عمرُ فسلَّم وجلَس عن يمينِ أبى بكرٍ ، ثم جاء عثمانُ فسلَّم ، ثم جلَس عن يمينِ عمرَ ، وبينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعُ حَصَياتٍ . أو قال : تسعُ حَصَياتٍ . فأخَذهن فى كفِّه فسَبَّحْن حتى سمِعْتُ لهن حَنينًا كحَنينِ النحلِ ، ثم وضَعهن ، فخَرِسْنَ ، ثم أخَذهن فوضَعَهن فى يدِ[3] أبى بكرٍ فسبَّحْن حتى سمِعْتُ لهن حَنينًا كحنينِ النحلِ ، ثم وضَعهن فخَرِسْن ، ثم تَناوَلهن فوضَعَهن فى يدِ عمرَ فسبَّحْن حتى سمِعْتُ لهن حَنينًا كحَنينِ النحلِ ، ثم وضَعهن فخَرِسْن ، ثم تَناولَهن فوضَعَهن فى يدِ عثمانَ فسبَّحْنَ حتى سمِعْتُ لهن حَنينًا كحَنينِ النحلِ ، ثم وضَعهن فخرِسْن ، فقال النبىُّ ﷺ : « هذه خِلافةُ النبوةِ » . قال البيهقىُّ :

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٦٤، ٦٥.

(٢) بعده فى م ، ص : « عليه » .

(٣) فى م ، ص : « كف » .

وكذلك رواه محمدُ بنُ بَشَّارٍ[1] ، عن قُرَيشِ بنِ أنسٍ ، عن صالحِ بنِ أبى الأخضرِ ، وصالحٌ لم يكنْ حافظًا ، والمحفوظُ [2]روايةُ شعيبِ بنِ[2] أبى حمزةَ ، عن الزهرىِّ ، قال : ذكَر الوليدُ بنُ سُوَيْدٍ ، [3]أن رجلًا مِن بنى سُلَيْمٍ كبيرَ السنِّ [٣/ ٥٠٨و] كان ممن أَدْرَكَ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ ، ذكرَ له[3] هذا الحديثَ عن أبى ذَرٍّ هكذا .

قال البيهقىُّ[4] : وقد قال محمدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْلىُّ فى « الزُّهْرِيَّاتِ » التى جَمَع فيها أحاديثَ الزُّهْرىِّ : حدَّثنا أبو اليَمانِ ، ثنا شعيبٌ ، [5]عن الزُّهرىِّ[5] قال : ذكَر الوليدُ بنُ سُوَيْدٍ أن رجلًا مِن بنى سُلَيْمٍ كبيرَ السنِّ كان ممن أدْرَكَ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ ، ذكَر أنه بينما هو قاعدٌ يومًا فى ذلك المجلسِ ، وأبو ذَرٍّ فى المجلسِ إذ ذُكِر عثمانُ بنُ عفانَ . يقولُ السُّلَمىُّ : فأنا أظُنُّ أن فى نفسِ أبى ذَرٍّ على عثمانَ مَعْتَبَةً ؛ لإنزالِه إياه بالرَّبَذَةِ . فلما ذُكِر له عثمانُ عرَّض له[6] أهلُ العلمِ بذلك ، وهو يَظُنُّ أن فى نفسِه عليه مَعْتبةً ، فلما ذكَره قال : لا تقُلْ فى عثمانَ إلا خيرًا ، فإنى أَشْهَدُ لقد رأيْتُ منه مَنْظرًا ، وشهِدْتُ منه مَشْهَدًا لا أنْساه حتى أموتَ ؛ كنتُ رجلًا ألْتمسُ خَلَواتِ النبىِّ ﷺ ؛ لأَسْمَعَ منه أو لآخُذَ عنه ، فهجَّرْتُ يومًا مِن الأيامِ ، فإذا النبىُّ ﷺ قد خرَج مِن بيتِه فسأَلْتُ عنه الخادِمَ ، فأخْبَرنى أنه فى بيتٍ ، فأتيْتُه وهو جالسٌ ليس عندَه أحدٌ مِن الناسِ ، وكأنى حينَئذٍ أرَى أنه فى وَحْيٍ ، فسلَّمْتُ عليه فردَّ السلامَ ، ثم قال : « ما جاء بك ؟ » فقلتُ : جاء بىَ اللَّهُ ورسولُه . فأمَرنى

---

(١) فى النسخ : « يسار » . وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ، انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.
(٢ - ٢) فى م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٦.
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧ مخطوط ، من طريق محمد بن يحيى به .
(٥ - ٥) سقط من : ١١١، م ، ص .
(٦) بعده فى الأصل : « بعض » .

أن أَجلسَ ، فجلَسْتُ إلى جَنْبِه ، لا أسألُه عن شيءٍ ولا يذكُرُه لى ، فمكَثْتُ[1] غيرَ كثيرٍ ، فجاء أبو بكرٍ يمشى مُسْرِعًا فسلَّم عليه ، فردَّ السلامَ ، ثم قال : « ما جاء بك ؟ » قال : جاء بىَ اللَّهُ ورسولُه . فأشار بيدِه أنِ اجْلِسْ ، فجلَس إلى رَبْوةٍ مُقابلَ النبىِّ ﷺ ، بينَه وبينَها الطريقُ ، حتى إذا اسْتَوى أبو بكرٍ جالسًا ، فأشار بيدِه فجلَس إلى جنبى عن يمينى ، ثم جاء عمرُ ففعَل مثلَ ذلك ، وقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَ ذلك ، وجلَس إلى جنبِ أبى بكرٍ على تلك الرَّبْوةِ ، ثم جاء عثمانُ فسلَّم ، فردَّ السلامَ ، وقال : « ما جاء بك ؟ » قال : جاء بىَ اللَّهُ ورسولُه . فأشار إليه بيدِه فقعَد إلى الرَّبْوةِ ، ثم أشار بيدِه ، فقعَد إلى جنبِ عمرَ ، فتكَلَّم النبىُّ ﷺ بكلمةٍ لم أفْقَهْ أولَها غيرَ أنه قال : « قليلٌ ما يَبْقَيْن »[2] . ثم قبَض على حَصَياتٍ سبعٍ أو تسعٍ أو قريبٍ مِن ذلك ، فسبَّحْن فى يدِه حتى سُمِع لهن حَنينٌ كحَنينِ النحلِ ، فى كفِّ النبىِّ ﷺ ، ثم ناوَلهن أبا بكرٍ وجاوَزنى فسبَّحْن فى كفِّ أبى بكرٍ كما سبَّحْن فى كفِّ النبىِّ ﷺ ، ثم أخَذهن منه فوضَعهن فى الأرضِ فخرِسْنَ فصِرْن حَصًا ، ثم ناوَلهن عمرَ فسبَّحْن [٣/٥٠٨ظ] فى كفِّه كما سبَّحْن فى كفِّ أبى بكرٍ ، ثم أخَذهن[3] فوضَعهن فى الأرضِ فخرِسْن ، ثم ناوَلهن عثمانَ فسبَّحْن فى كفِّه نحوَ ما سبَّحْن فى كفِّ أبى بكرٍ وعمرَ ، ثم أخَذَهن فوَضَعَهن فى الأرضِ فخرِسْنَ . قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[4] : رواه صالحُ بنُ أبى الأخْضرِ ، عن الزهرىِّ ، فقال : عن رجلٍ يقالُ له : سُوَيْدُ بنُ يزيدَ السُّلَمىُّ . وقولُ شُعيبٍ أصحُّ .

---

(١) فى الأصل : « فمكث » .

(٢) فى ١١١ : « معه » .

(٣) بعده فى ١١١ ، ص : « منه » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٠٦/١١ مخطوط ، بنحوه .

(١) وقال أبو نُعيمٍ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ »(٢) : وقد روَى داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن الوليدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الجُرَشِىِّ(٣) ، عن جُبيرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن أبى ذَرٍّ مثلَه . ورَواه شهرُ بنُ حَوْشَبٍ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ ، عن أبى سعيدٍ . قال : وفيه عن أبى هريرةَ(١) .

وقد تقدم ما رَواه البخارىُّ عن ابنِ مسعودٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، أنه قال : ولقد كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ .

حديثٌ آخرُ فى ذلك : روَى الحافظُ البيهقىُّ(٤) مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ إسحاقَ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ قال : حدَّثنى أبو أُمِّى مالكُ بنُ حمزةَ ابنِ أبى أُسَيْدٍ الساعدىُّ ، عن أبيه ، عن جدِّه أبى أُسَيْدٍ الساعدىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ : « يا أبا الفضلِ ، لا تَرِمْ(٥) منزلَك غدًا أنت وبنُوك حتى آتيَكم ؛ فإن لى فيكم حاجةً » . فانتَظَروه حتى جاء بعدَما أضْحَى ، فدخَل عليهم فقال : « السلامُ عليكم » . قالوا : وعليك السلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . قال : « كيف أصْبَحْتُم ؟ » قالوا : أصْبَحْنا بخيرٍ نَحْمَدُ اللَّهَ ، فكيف أصْبَحْتَ بأبينا وأمِّنا أنت يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أصبَحْتُ بخيرٍ أَحْمَدُ اللَّهَ » . فقال لهم : « تَقارَبوا ، تَقارَبوا(٦) ، يَزْحَفُ بعضُكم إلى بعضٍ » . حتى إذا أمْكَنوه اشْتَمل عليهم بُملاءتِه ، وقال : « ياربِّ ، هذا عمى وصِنْوُ أبى ، وهؤلاء أهلُ بيتى

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) دلائل النبوة (٣٣٨) . وليس فيه : ورواه شهر ... إلخ .

(٣) فى ١١١ : « الحريشى » ، وفى م : « الحرشى » . وهو تصحيف ؛ انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٢ .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٧١، ٧٢ .

(٥) لا تَرِمْ : لا تَبْرَحْ .

(٦) بعده فى الدلائل : « تقاربوا » .

فاسْتُرْهم مِن النارِ كسَتْرى إياهم بمُلَاءتى هذه » . قال : فأمَّنَت أُسْكُفَّةُ البابِ وحَوائطُ البيتِ فقالت : آمينَ آمينَ آمينَ . وقد رواه أبو عبدِ اللَّهِ بنُ ماجه فى « سننِه »[1] مختصرًا ، عن أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ[2] حاتمٍ الهَرَوىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ إسحاقَ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ الوَقَّاصىِّ الزهرىِّ ، روَى عنه جماعةٌ . وقد قال ابنُ مَعينٍ[3] : لا أعْرِفُه . وقال أبو حاتمٍ[4] : يَرْوِى أحاديثَ مُشَبَّهةً .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا يحيى بنُ أبى بُكَيْرٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، حدَّثنى سِماكُ بنُ حربٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى لَأعْرِفُ حَجَرًا بمكةَ كان يُسَلِّمُ علىَّ قبلَ أن [٣/ ٥٠٩و] أُبْعَثَ ، إنى لَأعْرِفُه الآنَ » . ورواه مسلمٌ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن يحيى بنِ أبى بُكيرٍ به[6] . ورَواه أبو داودَ الطَّيالسىُّ ، عن سليمانَ بنِ مُعاذٍ ، عن سِماكٍ به[7] .

حديثٌ آخرُ : قال الترمذىُّ[8] : ثنا عَبَّادُ بنُ يَعقوبَ الكوفىُّ ، ثنا الوليدُ بنُ أبى ثَوْرٍ ، عن السُّدِّىِّ ، عن عَبَّادِ بنِ أبى يزيدَ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال : كنتُ مع النبىِّ ﷺ بمكةَ ، فخرَجْنا فى بعضِ نَواحيها ، فما اسْتَقْبَله جبلٌ ولا شجرٌ إلا

---

(١) ابن ماجه (٣٧١١) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨١٢) .
(٢) بعده فى سنن ابن ماجه : « أبى » . انظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٤٢، وتهذيب الكمال ٢/ ١١٩.
(٣) تاريخ الدارمى ص ١٧٠، والجرح والتعديل ٥/ ١١٢.
(٤) الجرح والتعديل . الموضع السابق .
(٥) المسند ٥/ ٨١، ٩٥.
(٦) مسلم (٢٢٧٧) .
(٧) مسند أبى داود (ل ٥٣) من النسخة العراقية .
(٨) الترمذى (٣٦٢٦) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٧) .

قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . ثم قال : وهذا حديثٌ حسنٌ[1] غريبٌ ، وقد رَواه غيرُ واحدٍ عن الوليدِ بنِ أبى ثَوْرٍ ، وقالوا : عن عَبَّادِ بنِ أبى يَزيدَ . منهم فَرْوةُ ابنُ أبى المَغْراءِ[2] .

ورواه الحافظُ أبو نُعيمٍ مِن حديثِ زيادِ بنِ خَيْثَمةَ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى عُمارةَ الخَيْوانىِّ ، عن علىٍّ قال : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فجعَل لا يمُرُّ على حَجَرٍ ولا شجرٍ إلا سلَّم عليه .

وقدَّمْنا فى المَبْعَثِ أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لما رجَع وقد أُوحِى إليه ، جعَل لا يَمُرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ ولا شىءٍ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . وذكَرْنا فى وَقْعةِ بدرٍ ووَقْعةِ حُنَينٍ رَمْيَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بتلك القُبْضةِ مِن الترابِ ، وأمْرَه أصحابَه أن يُتْبِعوها بالحَمْلةِ الصادقةِ ، فيكونَ النصْرُ والظَّفَرُ والتَّأْييدُ عقِبَ ذلك سريعًا ، أما فى وَقْعةِ بدرٍ فقد قال اللَّهُ تعالى فى سِياقِها فى سورةِ الأنفالِ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ الآية [الأنفال : ١٧] . وأما فى غزوةِ حُنَينٍ فقد ذكَرْناه فى الحديثِ[3] بأسانيدِه وألفاظِه بما أغْنَى عن إعادتِه هـٰهنا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

حديثٌ آخرُ : وذكَرْنا فى غزوةِ الفتحِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما دخَل المسجدَ الحرامَ ، فوجَد الأصنامَ حولَ الكعبةِ ، فجعَل يَطْعَنُها بشىءٍ فى يدِه ، ويقولُ : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ ، إن الباطلَ كان زَهوقًا ، قل جاء الحقُّ وما يُبْدِئُ الباطلُ

---

(١) زيادة من النسخ ليست فى الترمذى . وانظر ما سيأتى فى ٩/ ٣٤٨.
(٢) فى م ، ص : « الفرا » . انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ١٧٨.
(٣) فى م : « الأحاديث » .

وما يُعيدُ » . وفى روايةٍ : أنه جعَل لا يُشيرُ إلى صنمٍ منها إلا خَرَّ لقَفاه . وفى روايةٍ : إلا سقَط .

وقال البيهقىُّ[1] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى ، قالا : ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا بحرُ بنُ نصرٍ وأحمدُ بنُ عيسى اللَّخْمىُّ ، قالا : ثنا بِشرُ بنُ بكرٍ[2] ، أنا الأوزاعىُّ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أنه قال : أخْبَرنى القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصديقِ ، عن عائشةَ قالت : دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا مُسْتَتِرةٌ بقِرامٍ[3] [4]فيه صورةٌ[4] فهتَكه ، ثم قال : « إن أشدَّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ الذين يُشَبِّهون بخلْقِ اللَّهِ » . قال الأوزاعىُّ : وقالت عائشةُ : أتانى[5] رسولُ اللَّهِ ﷺ بتُرْسٍ[6] فيه تمثالُ عُقابٍ ، فوضَع عليه يدَه ، فأذْهَبه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ .

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٨١.

(٢) فى الأصل ، م : « بكير » . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٩٥.

(٣) القرام : الستر الرقيق . النهاية ٤/ ٤٩.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) فى ١١١، م : « أتى » .

(٦) فى الدلائل : « ببرنس » .

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ ما يتعَلَّقُ بالحيواناتِ مِن دلائلِ النبوةِ
قصةُ البعيرِ النادّ[1] وسُجودِه له وشَكْواه
إليه صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه

قال الإمامُ أحمدُ[2] : [3]حدَّثنا حسينٌ[3] ، ثنا خَلَفُ بنُ خَليفةَ ، عن حفصٍ ، هو ابنُ عمرَ ، عن عمِّه أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان أهلُ بيتٍ مِن الأنصارِ [4]لهم جملٌ يَسْنُون عليه[5] ، وأنه اسْتَصْعَب عليهم فمنعَهم ظهْرَه ، وأن الأنصارَ[4] جاءوا إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جملٌ نَسْنِى عليه ، وإنه اسْتَصْعَب علينا ، ومنَعَنا ظهرَه ، وقد عطِش الزرعُ والنخلُ . فقال رسولُ اللّهِ ﷺ لأصحابِه : « قوموا » . فقاموا فدخَل الحائطَ والجملُ فى ناحيةٍ ، فمشَى النبىُّ ﷺ نحوَه ، فقالت الأنصارُ : يا رسولَ اللّهِ ، إنه قد صار مثلَ الكلْبِ الكَلِبِ ، وإنا نَخافُ

---

(١) النادّ : الشارد .

(٢) المسند ٣/ ١٥٨، ١٥٩.

(٣ - ٣) سقط من المسند . وانظر أطراف المسند ١/ ٣٥٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٧١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) يسنون عليه : يستقون عليه . انظر النهاية ٢/ ٤١٥.

عليك صَوْلَته . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس عليَّ منه بأسٌ » . فلما نظَر الجملُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أقْبَل نحوَه حتى خرَّ ساجدًا بينَ يديه ، فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بناصيتِه أذَلَّ ما كانت قطُّ ، حتى أدْخَله فى العملِ ، فقال له أصحابُه : يا رسولَ اللَّهِ ، هذه بَهيمةٌ لا تَعْقِلُ تسْجُدُ لك[1] ! فنحن أحقُّ أن نَسْجُدَ لك . فقال : « لا يصْلُحُ لبشرٍ أن يسْجُدَ لبشرٍ ، ولو صلَح[2] لبشرٍ أن يسْجُدَ لبشرٍ لأمَرْتُ المرأةَ أن تسْجُدَ لزوجِها ؛ مِن عِظَمِ حقِّه عليها ، والذى نفسى بيدِه لو كان مِن قدمِه إلى مَفْرِقِ رأسِه قَرْحةٌ تَنْبَجِسُ[3] بالقَيْحِ والصَّديدِ ، ثم استَقْبَلَتْه فَلَحَسَتْه ما أدَّت حقَّه » . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، وقد روَى النسائىُّ بعضَه مِن حديثِ خَلَفِ بنِ خَليفةَ به[4] .

روايةُ جابرٍ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا مُصعَبُ بنُ سَلَّامٍ[6] ، ثنا الأجْلَحُ ، عن الذَّيَّالِ بنِ حَرْملةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : أقْبلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن سفرٍ ، حتى إذا دَفَعْنا إلى حائطٍ مِن حِيطانِ بنى النَّجّارِ ، إذا فيه جملٌ لا يدْخُلُ الحائطَ أحدٌ إلا شَدَّ عليه . قال : فذكَروا ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاء حتى أتَى الحائطَ ، فدَعا البعيرَ ، فجاء واضعًا مِشْفَرَه إلى[7] الأرضِ ، حتى برَك بينَ يديه ﷺ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هاتوا خِطامًا » . فخطَمه ودفَعه

---

(١) بعده فى المسند : « ونحن نعقل » .

(٢) فى الأصل : « صح » .

(٣) فى م : « تتفجر » .

(٤) النسائى فى الكبرى (٩١٤٧) .

(٥) المسند ٣/ ٣١٠. إسناده حسن (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧١٨) .

(٦) بعده فى م ، والمسند : « سمعته من أبى مرتين » . والقائل هو عبد اللَّه بن الإمام أحمد ، رحمهما اللَّه .

(٧) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « فى » . والمشفر للبعير : كالشَّفَة للإنسان . النهاية ٥/ ٣٣٤.

إلى صاحبِه . قال : ثم التَفَت إلى الناسِ فقال : [٣/ ٥١٠و] « إنه ليس شيءٌ بينَ السماءِ والأرضِ إلا يَعْلَمُ أنى رسولُ اللَّهِ ، إلا عاصىَ الجنِّ والإنْسِ » . تفرد به الإمامُ أحمدُ ، وسيأتى عن جابرٍ مِن وجهٍ آخرَ بسِياقٍ آخرَ ، إن شاء اللَّهُ وبه الثقةُ .

روايةُ ابنِ عباسٍ فى ذلك : قال الحافظُ أبو القاسمِ الطبَرانىُّ[(١)] : ثنا بِشرُ بنُ موسى ، ثنا يزيدُ بنُ مِهْرانَ [(٢)]أبو خالدٍ الخبَّازُ[(٢)] ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن الأجْلَحِ ، عن الذَّيَّالِ بنِ حَرْملةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء قومٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن لنا بعيرًا قد نَدَّ فى حائطٍ . فجاء إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « تَعالَ » . فجاء مُطَأْطِئًا رأسَه حتى خطَمه وأعْطاه أصحابَه ، فقال له أبو بكرٍ الصديقُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كأنه علِم أنك نبىٌّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما بينَ لَابَتَيْها أحدٌ إلا يعْلَمُ أنى نبىُّ اللَّهِ ، إلا كفَرةُ الجنِّ والإنْسِ » . وهذا مِن هذا الوجهِ ، عن ابنِ عباسٍ غريبٌ جدًّا ، والأشْبَهُ روايةُ الإمامِ أحمدَ عن جابرٍ ، اللهم إلا أن يكونَ الأجْلَحُ قد رَواه عن الذَّيَّالِ عن جابرٍ وعن ابنِ عباسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

طريقٌ أخرى عن ابنِ عباسٍ : قال الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرانىُّ[(٣)] : ثنا العباسُ ابنُ الفضلِ الأَسْفاطىُّ ، ثنا أبو عَوْنٍ الزِّيادىُّ ، ثنا أبو عَزَّةَ الدَّبَّاغُ ، عن أبى يزيدَ المَدِينىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رجلًا مِن الأنصارِ كان له فَحْلان فاغْتَلَما[(٤)] ، فأدْخَلهما [٣/ ٥١٠ظ] حائطًا ، فسَدَّ عليهما البابَ ، ثم جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأراد أن يدْعُوَ له ، والنبىُّ قاعدٌ ومعه نفَرٌ مِن الأنصارِ ، فقال : يا

---

(١) المعجم الكبير ١٢/١٥٥ (١٢٧٤٤) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٤: رجاله ثقات وفى بعضهم ضعف .
(٢ - ٢) فى الأصل : «أخو خالد الخباز» . وفى ١١١: «أبو خالد الجهار» . وفى م : «أخو خالد الجيار» . وفى ص : «أبو خالد الجيار» . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٥٢ .
(٣) المعجم الكبير ١١/ ٣٥٦، ٣٥٧ (١٢٠٠٣) .
(٤) اغتلما : هاجا . اللسان (غ ل م) .

نبيَّ اللَّهِ ، إنى جئتُ فى حاجةٍ ، فإن فَحْلَين لىَ اغْتَلما ، وإنى أدخَلْتُهما حائطًا ، وسدَدْتُ عليهما البابَ ، فأُحِبُّ أن تدْعُوَ لى أن يُسَخِّرَهما اللَّهُ لى . فقال لأصحابِه : « قوموا معنا » . فذهَب حتى أتَى البابَ ، فقال : « افْتَحْ » . [1] فأشْفَق الرجلُ على النبىِّ ﷺ ، فقال : « افْتَحْ » [1] . ففتَح البابَ ، فإذا أحدُ الفَحْلين قريبٌ مِن البابِ ، فلما رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ سجَد له ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْتِنى بشىءٍ أشُدُّ رأسَه وأُمْكِنْك منه » . فجاء بخِطامٍ ، فشدَّ رأسَه وأمْكَنه منه ، [2] ثم مشَى إلى أقْصَى الحائطِ إلى الفَحْلِ الآخرِ ، فلما رآه وقَع له ساجدًا ، فقال للرجلِ : « ائْتِنى بشىءٍ أشُدُّ رأسَه » . فشدَّ رأسَه وأمْكَنه منه [2] ، فقال : « اذْهَبْ فإنهما لا يَعْصِيانك » . فلمَّا رأَى أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ذلك قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذان فَحْلان [3] لا يَعْقلان [3] سجدا لك ! أفلا نسْجُدُ لك ؟ قال : « لا آمُرُ أحدًا أن يسْجُدَ لأحدٍ ، ولو أمَرْتُ أحدًا أن يسْجُدَ لأحدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أن تسْجُدَ لزوجِها » . وهذا إسنادٌ غريبٌ ومتنٌ غريبٌ . [4] ورواه الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » عن أحمدَ بنِ حَمْدانَ السَّجْزىِّ ، عن عمرَ بنِ محمدِ بنِ بُجَيْرٍ البُجَيْرىِّ [5] ، عن بشرِ بنِ آدمَ ، عن محمدِ بنِ عَوْنٍ أبى عَوْنٍ الزِّيادىِّ به . وقد رَواه أيضًا مِن طريقِ مَكِّىِّ بنِ إبراهيمَ ، عن فائدٍ أبى الوَرْقاءِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوْفَى ، عن النبىِّ [6] ﷺ ، بنحوِ ما تقدم عن ابنِ عباسٍ . [4]

(١ - ١) ليس فى المعجم الكبير . والمثبت من النسخ موافق لما فى مجمع الزوائد ٩/ ٤ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى م : « البحترى » . وانظر الإكمال ١/ ٤٦٤ ، وتبصير المنتبه ١/ ١٢٤ .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٢٨٦) ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٩ ، كلاهما من طريق مكى ابن إبراهيم به نحوه .

[1] **روايةُ أبى هريرةَ فى ذلك**: قال أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ الفَقيهُ: أخْبَرَنا أحمدُ بنُ حَمْدانَ، أنا عمرُ بنُ محمدِ بنِ بُجَيْرٍ، حدَّثنا يوسفُ بنُ موسى، حدَّثنا جريرٌ، عن يحيى بنِ عُبَيدِ اللَّهِ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ قال: انطَلَقْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى قُباءٍ[2]، فأشْرَفْنا على حائطٍ، فإذا نحن بناضحٍ، فلما أقْبَل الناضِحُ رفَع رأسَه، فبصُر برسولِ اللَّهِ ﷺ، فوضَع جِرانَه[3] على الأرضِ، فقال أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ: فنحن أحقُّ أن نسْجُدَ لك مِن هذه البَهيمةِ. فقال: «سبحانَ اللَّهِ! أدونَ اللَّهِ؟! ما ينْبَغى لأحدٍ أن يسْجُدَ لأحدٍ[4] دونَ اللَّهِ، ولو أمَرْتُ[5] أحدًا أن يسْجُدَ لشىءٍ مِن دونِ اللَّهِ لأمَرْتُ المرأةَ أن تسْجُدَ لزوجِها»[1].

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ فى ذلك: قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا يزيدُ، ثنا مَهْدىُّ بنُ مَيْمونٍ، عن محمدِ بنِ أبى يعقوبَ، عن الحسنِ بنِ سعدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، [7](ح) وثنا بَهْزٌ وعفانُ، قالا: ثنا مَهْدىٌّ، ثنا محمدُ بنُ أبى يعقوبَ، عن الحسنِ بنِ سعدٍ مولى الحسنِ بنِ علىٍّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ[7] قال: أرْدَفَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ خلفَه، فأسَرَّ إلىَّ حديثًا لا أُخْبِرُ به أحدًا أبدًا، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أحَبُّ ما اسْتَتَر به فى حاجتِه هدفٌ أو حائشُ نخلٍ[8]، فدخَل يومًا حائطًا مِن حِيطانِ الأنصارِ، فإذا جملٌ قد أتاه فجَرْجَر

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى م: «ناحية».

(٣) الجران: باطن العنق. النهاية ١/٢٦٣.

(٤) فى الأصل: «لشىء». وفى ا ١١١: «لى».

(٥) فى الأصل: «أمر». وفى ا ١١١: «كنت آمرًا».

(٦) المسند ١/ ٢٠٤. (إسناده صحيح).

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) الهدف: ما ارتفع من الأرض. وحائش النخل: حائط النخل، وهو البستان. صحيح مسلم بشرح النووى ٤/ ٣٥.

وذرَفَت عَيْناه - وقال بَهْزٌ وعفانُ : فلمَّا رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ حنَّ وذرَفَت عَيْناه - فمسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ سَراتَه وذِفْرَاه[1] ، فسكَن ، فقال : « مَن صاحبُ الجملِ ؟ » فجاء فتًى مِن الأنصارِ قال : هو لى يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « أما تتَّقى اللَّهَ فى هذه البَهيمةِ التى ملَّكَكها اللَّهُ[2] ؟ إنه شَكا إلىَّ أنك تُجيعُه وتُدْئِبُه » . وقد رواه مسلمٌ مِن حديثِ مَهْدىِّ بنِ مَيْمونٍ به[3] .

روايةُ عائشةَ أمِّ المؤمنين فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا عبدُ الصمدِ وعفانُ ، قالا : ثنا حمادٌ ، هو ابنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدٍ ، هو ابنُ المسيَّبِ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٥١١و] كان فى نفَرٍ مِن المهاجرين والأنصارِ ، فجاء بعيرٌ فسجَد له ، فقال أصحابُه : يا رسولَ اللَّهِ ، تسْجُدُ لك البَهائمُ والشجرُ ! فنحن أحقُّ أن نسْجُدَ لك . فقال : « اعْبُدوا ربَّكم وأَكْرِموا أخاكم ، ولو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسْجُدَ لأحدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أن تسْجُدَ لزوجِها ، ولو أمَرها أن تَنْقُلَ مِن جبلٍ أصفرَ إلى جبلٍ أسودَ ، ومِن جبلٍ أسودَ إلى جبلٍ أبيضَ كان ينْبغى لها أن تفْعَلَه » . وهذا الإسنادُ على شرطِ السننِ ، وإنما روَى ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن عفانَ ، عن حمادٍ به : « لو أمَرْتُ أحدًا أن يسجُدَ لأحدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أن تسْجُدَ لزوجِها » . إلى آخرِه[5] .

روايةُ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ الثقفىِّ فى ذلك ، أو هى قصةٌ أخرى : قال الإمامُ

---

(١) سراة كل شىء : ظهره وأعلاه . وذفرَى البعير : أصل أذنه ، وهما ذفريان . انظر النهاية ٢/ ١٦١، ٣٦٤.

(٢) بعده فى م : « لك » .

(٣) مسلم (٧٩/ ٣٤٢، ٦٨/ ٢٤٢٩) . وليس فيه قصة الجمل .

(٤) المسند ٦/ ٧٦.

(٥) هذا الشطر من سنن ابن ماجه (١٨٥٢) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٢) . أما الشطر الآخر ، وهو قوله : « ولو أمرها أن تنقل ...» فهو ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٤٠٦) .

أحمدُ[1] : ثنا أبو سَلَمـةَ الخُزاعيُّ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدلةَ ، عن [2]حبيبِ بنِ[2] أبي جَبِيرةَ ، عن يَعْلَى ابنِ سِيَابةَ[3] قال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ في مَسيرٍ له ، فأراد أن يقْضيَ حاجتَه ، فأمَر وَدِيَّتَيْن[4] ، فانضَمَّت إحداهما إلى الأخرى ، ثم أمَرهما فرجَعَتا إلى مَنابِتِهما ، وجاء بعيرٌ فضرَب بجِرانِه إلى الأرضِ ، ثم جَرْجَر حتى ابْتَلَّ ما حولَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَدْرون ما يقولُ البعيرُ ؟ إنه يزْعُمُ أن صاحبَه يريدُ نحْرَه » . فبعَث إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ [5]فقال : « أوَاهِبُه أنت لي ؟[5] » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لي مالٌ أحبُّ إليَّ منه . فقال : « اسْتَوْصِ به مَعْروفًا » . فقال : لا جَرَمَ ، لا أُكْرِمُ مالًا لي كَرامتَه يا رسولَ اللَّهِ . قال : وأتَى على قبرٍ يُعَذَّبُ صاحبُه ، فقال : « إنه يُعَذَّبُ في غيرِ كبيرٍ » . فأمَر بجَريدةٍ فوُضِعت على قبرِه ، وقال : « عسى أن يُخَفَّفَ عنه ما دامت رَطْبةً » .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا مَعْمَرٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حفصٍ[7] ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ الثقفيِّ قال : ثلاثةُ أشياءَ رأيْتُهن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ بينا نحن نَسيرُ معه إذ مَرَرْنا ببعيرٍ يُسْنَى عليه ، فلما رآه البعيرُ جَرْجَر ووضَع جِرانَه ، فوقَف عليه النبيُّ ﷺ فقال : « أين

---

(١) المسند ٤/ ١٧٢.

(٢ - ٢) في الأصل ، ١١١ ، ص : « حسين » ، وفي م : « حسين عن » . والمثبت من المسند ، وانظر التاريخ الكبير ٢/ ٣١٤ ، والثقات لابن حبان ٤/ ١٤٠ ، ٦/ ١٧٨ ، وأطراف المسند ٥/ ٤٦٦.

(٣) في الأصل ، ١١١ ، ص : « شبابة » . ويعلى بن سيابة هو يعلى بن مرة ، وسيابة أمه . وانظر الإصابة ٦/ ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٩٨.

(٤) الودية : صغار النخل . النهاية ٥/ ١٧٠.

(٥ - ٥) في الأصل ، ١١١ ، ص : « أن هبه لي » .

(٦) المسند ٤/ ١٧٣.

(٧) في ١١١ : « أبي حفص » ، وفي م ، ص : « جعفر » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٢٦ ، وأطراف المسند ٥/ ٤٦٨.

صاحبُ هذا البعيرِ ؟ » فجاء ، فقال : « بِعْنيه » . فقال : لا ، بل أَهَبُه لك . فقال : « لا ، بل بِعْنِيه » . قال : لا ، بل نهَبُه لك ، [(١) وهو (١)] لأهلِ بيتٍ ما لهم مَعيشةٌ غيرُه . قال : « أمَا إذ ذكَرْتَ هذا مِن أمْرِه فإنه شكَى كثرةَ العملِ وقلةَ العَلَفِ ، فأحْسِنوا إليه » . قال : ثم سِرْنا فنزَلْنا مَنْزِلًا ، فنام رسولُ اللَّهِ [٣/ ١١٥ظ] ﷺ ، فجاءت شجرةٌ تشُقُّ الأرضَ حتى غشِيَتْه ، ثم رجَعتْ إلى مكانِها ، فلما استيقظ ذُكِرَتْ له ، فقال : « هى شجرةٌ استأذنت ربَّها عز وجل فى أن تُسَلِّمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فأذِن لها » . قال : ثم سِرْنا فمرَرْنا بماءٍ ، فأتَتْه امرأةٌ بابنٍ لها به جِنَّةٌ ، فأخَذ النبىُّ ﷺ بمَنْخَرِه ، فقال : « اخْرُجْ ، إنى محمدٌ رسولُ اللَّهِ » . قال : ثم سِرْنا ، فلما رجَعْنا مِن سفرِنا مرَرْنا بذلك الماءِ ، فأتَتْه المرأةُ بجَزَرٍ (٢) ولبنٍ ، فأمَرها أن تَرُدَّ الجزَرَ ، وأمَر أصحابَه فشرِبوا مِن اللبنِ ، فسأَلها عن الصبىِّ فقالت : والذى بعَثك بالحقِّ ما رأيْنا منه رَيْبًا بعدَك .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ (٣) : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ ، عن عثمانَ بنِ حَكيمٍ ، أخبرنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ قال : لقد رأيْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثًا ما رآها أحدٌ قبلى ، ولا يراها أحدٌ بعدى ؛ لقد خرَجْتُ معه فى سفرٍ ، حتى إذا كنا ببعضِ الطريقِ مرَرْنا بامرأةٍ جالسةٍ معها صبىٌّ لها ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا (٤) أصابه بَلاءٌ وأصابنا منه بَلاءٌ ، يُؤْخَذُ فى اليومِ ما أدرى كم مرةً . قال : « ناوِلِينِيه » . فرفَعَتْه إليه فجعَلَه بينَه وبينَ واسطةِ الرَّحْلِ ، ثم فغَر فاه فنفَث فيه ثلاثًا ، وقال : « بسمِ اللَّهِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ، اخْسَأْ عدوَّ اللَّهِ » . ثم

(١ - ١) فى م ، والمسند : « إنه » .

(٢) جزر : جمع جَزْرة ، وهى شاة صالحة لأن تجزر ؛ أى تذبح للأكل . انظر النهاية ١/ ٢٦٧.

(٣) المسند ٤/ ١٧٠، ١٧١.

(٤) بعده فى م ، والمسند : « صبى » . وانظر أطراف المسند ٥/ ٤٦٧.

ناوَلها إياه ، فقال : « الْقَيْنا فى الرَّجْعةِ فى هذا المكانِ فأخْبِرينا ما فعَل » . قال : فذَهَبْنا ورجَعْنا ، فوجَدْناها فى ذلك المكانِ معها شِياهٌ ثلاثٌ ، فقال : « ما فعَل صبيُّكِ ؟ » فقالت : والذى بعَثك بالحقِّ ما حَسِسْنا[1] منه شيئًا حتى الساعةِ ، فاجْتَزِرْ[2] هذه الغنمَ . قال : « انْزِلْ فخُذْ منها واحدةً وردَّ البقيةَ » . قال : وخرَجْنا[3] ذاتَ يومٍ إلى الجَبَّانةِ حتى إذا برَزْنا قال : « ويحَكَ ، انظُرْ هل ترَى مِن شىءٍ يُوارِينى ؟ » قلتُ : ما أرَى شيئًا يُوارِيك إلا شجرةً ما أُراها تُوارِيك . قال : « فما بقُرْبِها[4] ؟ » قلتُ : شجرةٌ مثلُها أو قريبٌ منها . قال : « فاذْهَبْ إليهما فقلْ لهما : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يأمُرُكما أن تجْتَمِعا بإذنِ اللَّهِ » . قال : فاجتَمَعَتا ، فبرَز لحاجتِه ثم رجَع فقال : « اذْهَبْ إليهما فقلْ لهما : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يأمُرُكما أن ترْجِعَ كلُّ واحدةٍ منكما إلى مكانِها » . فرجَعَت . قال : وكنتُ معه جالسًا ذاتَ يومٍ إذ جاءه جملٌ (٥ يَخُبُّ ، حتى ضرَب ٥) بجِرَانِه بينَ يديه ، ثم [٣/ ٥١٢و] ذرَفت عَيْناه ، فقال : « ويحَكَ انظُرْ لمَن هذا الجملُ ، إنَّ له لَشأنًا » . قال : فخرَجْتُ ألتَمِسُ صاحبَه ، فوجَدْتُه لرجلٍ مِن الأنصارِ ، فدَعَوْتُه إليه ، فقال : « ما شأنُ جملِك هذا ؟ » فقال : وما شأنُه ؟ قال : لا أدْرى واللَّهِ ما شأنُه ، عمِلْنا عليه ، ونضَحْنا عليه ، حتى عجَز عن السِّقايةِ ، فائْتَمَرْنا البارحةَ أن ننْحَرَه ونَقْسِمَ لحمَه . قال : « فلا تفْعَلْ ، هَبْه لى أو بِعْنيه » . فقال : بل هو لك يا رسولَ اللَّهِ . فوسَمه بسِمَةِ الصدقةِ ، ثم بعَث به .

---

(١) فى ص : « خشينا » .

(٢) فى الأصل : « فاحترز » ، وفى م ، والمسند : « فاجترر » . وانظر الفتح الربانى ٢٢/ ٤٤ .

(٣) فى م ، والمسند : « خرجت » .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « قربها » .

(٥ - ٥) فى م : « نجيب حتى صوى » .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا وَكيعٌ ، ثنا الأعمشُ ، عن المِنْهالِ ابنِ عمرٍو ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ [2]الثَّقَفِيِّ ، عن أبيه - ولم يَقُلْ وكيعٌ مَرَّةً : عن أبيه - أنَّ امرأةً جاءت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، معها صبيٌّ لها به[2] لَمَمٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْرُجْ عدوَّ اللَّهِ ، أنا رسولُ اللَّهِ » . قال : فبَرَأ . قال : فأهْدَت إليه كَبْشَيْنِ وشيئًا مِن أَقِطٍ وشيئًا مِن سمنٍ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خذِ الأَقِطَ والسمنَ وأحدَ الكبْشَيْنِ ورُدَّ عليها الآخرَ » . ثم ذكَر قصةَ الشجرتَيْنِ كما تقدم .

وقال أحمدُ[3] : ثنا أسودُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن حَبيبِ بنِ أبى عَمْرةَ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن يَعْلى قال : ما أظُنُّ أن أحدًا مِن الناسِ رأى مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا دونَ ما رأيْتُ . فذكَر أمْرَ الصبيِّ والنخْلَتَيْنِ وأمْرَ البعيرِ ، إلا أنه قال : « ما لِبعيرِكَ يشْكوك ؟ زعَم أنك [4]أَفْنَيْتَ شبابَه[4] ، حتى إذا كَبِر تريدُ أن تنْحَرَه » . قال : صدَقْتَ ، والذى بعَثك بالحقِّ[5] قد أرَدْتُ ذلك ، والذى بعَثَك بالحقِّ لا أفْعَلُ .

طريقٌ أخرى عنه : روَى البيهقيُّ[6] ، [7]عن الحاكمِ[7] وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، ثنا عباسُ بنُ محمدٍ الدُّوريُّ ، ثنا حَمْدانُ بنُ الأصْبَهانيِّ ، ثنا شَريكٌ[8] ، عن عمرَ[9]

---

(١) المسند ٤/١٧١ .

(٢ - ٢) فى م : « عن النبى ﷺ أنه أتته امرأة بابن لها قد أصابه » . وهذا السياق موافق لما فى المسند ٤/ ١٧٢.

(٣) المسند ٤/ ١٧٣.

(٤ - ٤) فى م ، والمسند : « سانيه » .

(٥) بعده فى المسند : « نبيا » .

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٢٢، ٢٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « يزيد » .

(٩) فى م : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤١٧، ٤١٨.

ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : رأيْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثةَ أشياءَ ما رآها أحدٌ قبلى ؛ كنتُ معه فى طريقِ مكةَ ، فمرَّ بامرأةٍ معها ابنٌ لها به لَمَمٌ ، ما رأيْتُ لَمَمًا أشدَّ منه ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ابنى هذا كما ترَى . فقال : « إن شئتِ دعَوْتُ له » . فدَعا له ، ثم مضَى فمرَّ على بعيرٍ مادٍّ جِرانَه ، يرْغُو ، فقال : « علىَّ بصاحبِ هذا البعيرِ » . فجىء به ، فقال : « هذا يقولُ : نُتِجْتُ عندَهم فاستَعْملونى [٣/٥١٢ظ] ، حتى إذا كبِرْتُ عندَهم أرادوا أن ينْحَرونى » . قال : ثم مضَى فرأى شجَرتَيْنِ مُتَفرِّقتَيْن ، فقال لى : « اذْهَبْ فمُرْهما فلْيَجْتَمِعا لى » . قال : فاجْتَمَعتا فقضَى حاجتَه . قال : ثم مضَى ، فلما انصرف مرَّ على الصبىِّ وهو يلْعَبُ مع الغِلْمانِ وقد ذهَب ما به ، وهيَّأَتْ أمُّه أكبُشًا ، فأهْدَت له كبْشَيْن ، وقالت : ما عاد إليه شىءٌ مِن اللَّمَمِ . فقال النبىُّ ﷺ : « ما مِن شىءٍ إلا ويعْلَمُ أنى رسولُ اللَّهِ ، إلا كفَرةُ - أو : فَسَقَةُ - الجنِّ والإنْسِ » .

فهذه طرقٌ جيدةٌ متعددةٌ تفيدُ غَلَبةَ الظنِّ أو القَطْعَ عندَ المُتَبَحِّرِ[1] أنَّ يعْلَى بنَ مُرَّةَ حدَّث بهذه القصةِ فى الجملةِ ، وقد تفرَّد بهذا كلِّه الإمامُ أحمدُ دونَ أصحابِ الكتبِ الستةِ ، ولم يَرْوِ أحدٌ منهم شيئًا منه[2] سوى ابنِ ماجه[3] ، فإنه روَى عن يعقوبَ بنِ حُميدِ بنِ كاسبٍ ، عن يحيى بنِ سُلَيْمٍ ، عن ابنِ[4] خَيْثَمٍ ، عن يونُسَ بنِ خَبَّابٍ ، عن يعْلَى بنِ مُرَّةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا ذهَب إلى الغائطِ أبْعَد .

---

(١) فى م : « المتبحرين » .

(٢) سقط من : م ، ص . وفى ا ١١١ : « فيه » .

(٣) ابن ماجه (٣٣٣) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٦) .

(٤) سقط من : م .

وقد اعْتَنى الحافظُ أبو نُعَيْم بحديثِ البعيرِ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » وطرقِه مِن وجوهٍ كثيرةٍ[1] ، ثم أوْرَد حديثَ عبدِ اللَّهِ بنِ قُرْطٍ الثُّماليِّ قال[2] : جِىء رسولُ اللَّهِ ﷺ بستِّ ذَوْدٍ فجعَلْن يَزْدَلِفْن إليه بأيَّتِهن يبْدَأُ . وقد قدَّمْتُ الحديثَ فى حَجةِ الوَداعِ .

قلتُ : قد أسْلَفْنا عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ نحوَ قصةِ الشجرتين[3] ، وذكَرْنا آنِفًا عن غيرِ واحدٍ مِن الصحابةِ نحوًا مِن حديثِ الجملِ ، لكن بسِياقٍ يُشْبِهُ أن يكونَ غيرَ هذا . فاللَّهُ أعلمُ . وسيأتى حديثُ الصبىِّ الذى كان يُصْرَعُ ودعاؤُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، له وبُرْؤُه فى الحالِ ، مِن طرقٍ أخرى .

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ[4] ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الحاكمِ وغيرِه ، عن أبى العباسِ الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونُسَ بنِ بُكيرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الملكِ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ قال : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أراد البَرازَ تَباعَد حتى لا يراه أحدٌ ، فنزَلْنا منزلًا بفَلاةٍ مِن الأرضِ ليس فيها عَلَمٌ ولا شجَرٌ ، فقال لى : « يا جابرُ ، خُذِ الإداوةَ وانطَلِقْ [٣/ ٥١٣و] بنا » . فمَلأْتُ الإداوةَ ماءً ، وانطَلَقْنا فمشَيْنا حتى لا نكادُ نُرَى ، فإذا شجَرتان بينهما أذْرُعٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا جابرُ ، انطلِقْ فقلْ لهذه الشجرةِ : يقولُ لكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ : الْحَقِى بصاحبتِك حتى أجْلِسَ خلفَكما » . ففعَلْتُ ، فرجَعَتْ فلحِقَت بصاحبتِها ، فجلَس خلفَهما حتى قضَى حاجتَه ، ثم رجَعْنا فركِبْنا رَواحِلَنا ، فسِرْنا كأنما على رُءوسِنا الطيرُ تُظِلُّنا ، وإذا نحن بامرأةٍ قد

---

(١) دلائل النبوة ٣٨٠ - ٣٨٦ .

(٢) لم نجده عند أبى نعيم فى مختصر الدلائل ، والحديث عند أبى داود (١٧٦٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٥٥٢) .

(٣) تقدم فى ٦٠٨/٨ ، ٦٧٣ .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ١٨، ١٩.

عرَضتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن ابنى هذا يأخُذُه الشيطانُ كلَّ يومٍ ثلاثَ مراتٍ لا يدَعُه . فوقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ فتناوَله ، فجعَله بينَه وبينَ مُقَدِّمةِ الرَّحْلِ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْسَأْ عدوَّ اللَّهِ ، أنا رسولُ اللَّهِ » . وأعاد ذلك ثلاثَ مراتٍ ، ثم ناوَلها إياه ، فلما رجَعْنا فكنا بذلك الماءِ ، عرَضَت لنا تلك المرأةُ ومعها كَبْشان تَقودُهما والصبيُّ تحْمِلُه ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، اقْبَلْ منى هَدِيَّتِى ، فوالذى بعَثك بالحقِّ إنْ عاد إليه بعدُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خُذوا أحدَهما ورُدُّوا الآخرَ » . قال : ثم سِرْنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَنا ، فجاء جملٌ نادٌّ ، فلما كان بينَ السِّماطَين[1] خرَّ ساجدًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « [2]أيُّها الناسُ ، مَن صاحبُ هذا الجملِ ؟ » فقال فِتْيةٌ مِن الأنصارِ : هو لنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فما شأنُه ؟ » قالوا : سَنَونا عليه منذُ عشرين سنةً ، فلما كَبِرت سِنُّه وكانت عليه شُحَيْمةٌ أرَدْنا نَحْرَه لنَقْسِمَه بينَ غِلْمتِنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] : « تَبِيعُونيه ؟ » قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هو لك . قال : « فأَحْسِنوا إليه حتى يأتيَه أجلُه » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، نحن أحقُّ أن نسْجُدَ لك مِن البَهائمِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا ينْبَغى لبشرٍ أن يسْجُدَ لبشرٍ ، ولو كان ذلك كان النساءُ لأزواجِهن » . وهذا إسنادٌ جيدٌ رجالُه ثِقاتٌ .

وقد روَى أبو داودَ وابنُ ماجه[3] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى الصَّفْراءِ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا ذهَب المَذْهَبَ أبْعدَ .

ثم قال البيهقىُّ[4] : وحدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أنا

---

(١) السماط ، وزان كِتَاب : الجانب . قال الجوهرى : السماطان من الناس والنخل الجانبان . ويقال : مشى بين السماطين والسمط . المصباح المنير (س م ط) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) أبو داود (٢) ، وابن ماجه (٣٣٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢) .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٢٠.

الحسينُ بنُ عليِّ بنِ زيادٍ ، ثنا أبو حُمَةَ[1] ، ثنا أبو قُرَّةَ ، [2]عن زَمْعَةَ[2] ، عن زيادٍ ، هو ابنُ سعدٍ ، عن أبى الزبيرِ ، أنه سمِع يونُسَ بنَ خَبَّابٍ الكوفىَّ يُحَدِّثُ أنه سمِع أبا عُبَيدةَ يُحَدِّثُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنه كان فى سفرٍ إلى مكةَ ، فذهَب إلى الغائطِ ، وكان يُبْعِدُ حتى لا يراه أحدٌ . [٣/ ٥١٣ظ] قال : فلم يَجِدْ شيئًا يتوارَى به ، فبصُر بشجرتين . فذكَر قصةَ الشجرتين ، وقصةَ الجملِ بنحوٍ مِن حديثِ جابرٍ . قال البيهقىُّ : وحديثُ جابرٍ أصحُّ . قال : وهذه الروايةُ ينْفَرِدُ بها زَمْعةُ بنُ صالحٍ ، عن زيادٍ ، أظُنُّه ابنَ سعدٍ ، عن أبى الزبيرِ . قلتُ : وقد تكونُ هذه أيضًا محفوظةً ، ولا يُنافى حديثَ جابرٍ ويَعْلَى بنِ مُرَّةَ ، بل يشْهَدُ لهما ويكونُ هذا الحديثُ عندَ أبى الزبيرِ محمدِ بنِ مسلمِ بنِ تَدْرُسَ المكىِّ ، عن جابرٍ ، وعن يونسَ بنِ خَبَّابٍ ، عن أبى عُبَيدةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيه . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى البيهقىُّ[3] مِن حديثِ معاويةَ بنِ يحيى الصَّدَفىِّ[4] ، وهو ضعيفٌ ، عن الزهرىِّ ، عن خارجةَ بنِ زيدٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ حديثًا طويلًا نحوَ سياقِ حديثِ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وفيه قصةُ الصبىِّ الذى كان يُصْرَعُ ومجىءُ أمِّه بشاةٍ مَشْوِيَّةٍ ، فقال : « ناوِلْنى الذراعَ » . فناوَلْتُه ، ثم قال : « ناوِلْنى الذراعَ » . فناوَلْتُه ، ثم قال : « ناوِلْنى الذِّراعَ » . فقلتُ : كم للشاةِ مِن ذراعٍ ؟ فقال : « والذى نفسى بيدِه لو سَكَتَّ لناولْتَنى ما دَعَوْتُ » . ثم ذكَر قصةَ النَّخَلاتِ واجتماعِهم وانتقالِ الحجارةِ معهم ، حتى صارت الحجارةُ رَجْمًا خلفَ النَّخَلاتِ ، وليس فى

---

(١) فى ١١١، ص : « جمة » ، و فى م : « حمنة » . وأبو حمة هو محمد بن يوسف بن محمد اللُّخجِى الزَّبيدى . انظر الإكمال ٢/ ٥٤٥، والأنساب ٥/ ١٣١.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٨٦.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٢٤ - ٢٦.

(٤) فى م : « الصيرفى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٢١.

سِياقِه قصةُ البعيرِ ، فلهذا لم نُورِدْه[1] بلفظِه وإسنادِه ، واللَّهُ المُستعانُ .

[2]وقد روَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى ترجمةِ غَيْلانَ بنِ سَلَمةَ الثقفىِّ[3] ، بسندِه إلى مُعَلَّى[4] بنِ مَنْصورٍ الرازىِّ ، عن شَبِيبِ بنِ شيبةَ[5] ، عن بشرِ بنِ عاصمٍ ، عن غَيْلانَ بنِ سَلَمةَ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فرأَيْنا عَجَبًا ، فذكَر قصةَ الأَشاءَتين[6] واستِتارَه بهما عندَ الخَلاءِ ، وقصةَ الصبىِّ الذى كان يُصْرَعُ ، وقولَه : « بسمِ اللَّهِ ، أنا رسولُ اللَّهِ ، اخْرُجْ عدوَّ اللَّهِ » . فعُوفِىَ . ثم ذكَر قصةَ البعيرَيْن النادَّيْن ، وأنهما سجَدا له ، بنحوِ ما تقَدَّم فى البعيرِ الواحدِ ، فلعلَّ هذه قصةٌ أخرى . واللَّهُ أعلمُ[2] .

وقد ذكَرْنا فيما سلَف حديثَ جابرٍ وقصةَ جملِه الذى كان قد أعْيا ، وذلك مَرْجِعَهم مِن تَبوكَ[7] ، وتأخُّرَه فى أُخْرَياتِ القومِ ، فلحِقه النبىُّ ﷺ ، فدَعا له وضرَبه ، فسار سَيْرًا لم يَسِرْ مثلَه حتى جعَل يتقَدَّمُ أمامَ الناسِ ، وذكَرْنا شِراءَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، منه ، وفى ثمنِه اختلافٌ كثيرٌ وقَع مِن الرُّواةِ لا يضُرُّ أصلَ القصةِ كما بيَّنّاه . وتقَدَّم حديثُ أنسٍ فى رُكوبِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، على فرسِ أبى طلحةَ حينَ سمِع الناسُ صوتًا بالمدينةِ فركِب ذلك [٣/ ٥١٤و] الفرسَ ، وكان يُبْطِئُ ، وركِب الفُرْسانُ نحوَ ذلك الصوتِ ، فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ قد

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « يورده » .
(٢ - ٢) سقط من : ١١١ ، ص .
(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ١٥٧ ، ١٥٨ . مخطوط .
(٤) فى الأصل ، م : « يعلى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٩١ .
(٥) فى تاريخ دمشق : « شبة » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٦٢ .
(٦) فى م : « الشجرتين » . والأشاء : صغار النخل ، الواحدة : أشاءة . النهاية ١/ ٥١ .
(٧) تقدمت قصة جمل جابر فى ٥/ ٥٦٩ مرجعهم من غزوة ذات الرقاع ، وأشار المصنف إلى أنه هناك خلاف فى تقييد هذه القصة بهذه الغزوة أو غيرها فى ٥/ ٥٧٢ .

رجَع بعدَ ما كشَف ذلك الأمرَ فلم يجِدْ له حقيقةً، وكان قد ركِبه عُرْيًا؛ لا شيءَ [1]على الفرسِ[1] وهو مُتقَلِّدٌ سيفًا، فرجَع وهو يقولُ: «لن تُراعُوا، لن تُراعُوا، ما وجَدْنا مِن شيءٍ، وإن وجَدْناه لَبَحْرًا». أى لسابقًا، وكان ذلك الفرسُ يُبْطِئُ قبلَ تلك الليلةِ، فكان بعدَ ذلك لا يُجارَى ولا يُكْشَفُ له غُبارٌ، وذلك كلُّه ببركتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ.

حديثٌ[2] آخرُ غريبٌ فى قصةِ البعيرِ: قال الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ الفَقيهُ فى كتابِه «دلائلِ النبوةِ»، وهو مجلدٌ كبيرٌ، حافلٌ، كثيرُ الفَوائدِ: أخْبَرنى أبو علىٍّ الفارسىُّ، حدَّثنا أبو سعيدٍ[3] عبدُ العزيزِ بنُ شَهْلانَ القَوَّاسُ، حدَّثنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ محمدِ بنِ خالدٍ الراسبىُّ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ علىٍّ البصرىُّ، حدَّثنا سَلَامةُ بنُ سعيدِ بنِ زيادِ بنِ [4]فائدِ بنِ زِيادِ بنِ[4] أبى هندٍ الدَّارىُّ[5]، حدَّثنى أبى، عن أبيه، عن جدِّه، حدَّثنا تميمُ[6] بنُ أوسٍ، يعنى الدارىَّ، قال: كنا جُلوسًا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، إذ أقْبَل بعيرٌ يعْدُو حتى وقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ فَزِعًا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أيُّها البَعيرُ، اسْكُنْ، فإن تكُ صادقًا فلك صدقُك، وإن تكُ كاذبًا فعليك كذِبُك، مع أن اللَّهَ تعالى قد أمَّن عائذَنا، ولا يَخافُ لائِذُنا». قلنا: يا رسولَ اللَّهِ، ما يقولُ هذا البَعيرُ؟ قال:

(١ - ١) فى م: «عليه».

(٢) من هنا حتى قصة الذئب وشهادته بالرسالة سقط من ص.

(٣) بعده فى م: «عن».

(٤ - ٤) سقط من: م. وانظر لسان الميزان ٣/ ٣٠.

(٥) فى الأصل، م: «الرازى»، وفى ا ١١: «الدارمى». وانظر المصدر السابق، والأنساب ٢/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٦) فى م: «غنيم». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٢٦.

« هذا بعيرٌ هَمَّ أهلُه بنحْرِه ، فهرَب منهم فاستغاث[1] بنبيِّكم » . فبينا نحن كذلك إذ أقْبَل أصحابُه يتعادَوْن ، فلما نظَر إليهم البعيرُ عاد إلى هامةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا بعَيرُنا هرَب منا منذُ ثلاثةِ أيامٍ ، فلم نَلْقَهُ إلا بيـنَ يدَيْك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يشْكُو مُرَّ الشِّكايةِ » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما يقولُ ؟ قال : « يقولُ : إنه رُبِّيَ فى إبلِكم حُوارًا[2] ، وكنتم تحْمِلون عليه فى الصيفِ إلى موضعِ الكلأِ ، فإذا كان الشتاءُ رحَلْتُم إلى موضعِ الدَّفَأِ » . فقالوا : قد كان ذلك يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « ما جزاءُ العبدِ الصالحِ مِن مَواليه ؟ » قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، فإنا لا نَبيعُه ولا ننْحَرُه . قال : « فقد استغاث فلمْ تُغِيثوه ، وأنا أوْلَى بالرحمةِ منكم ؛ لأن اللَّهَ نزَع الرحمةَ مِن قلوبِ المنافقين ، وأسْكَنها فى قلوبِ [٣/ ٥١٤ظ] المؤمنين » . فاشْتَراه النبىُّ ﷺ بمائةِ درهمٍ ، ثم قال : « أيُّها البَعيرُ ، انطَلِقْ فأنت حُرٌّ لوجهِ اللَّهِ » . فرَغا على هامَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آميـنَ » . ثم رَغا الثانيةَ ، فقال : « آميـنَ » . ثم رَغا الثالثةَ ، فقال : « آميـنَ » . ثم رَغا الرابعةَ ، فبكَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما يقولُ هذا البعيرُ ؟ قال : « يقولُ : جزاك اللَّهُ أيُّها النبىُّ عن الإسلامِ والقرآنِ خيرًا . قلتُ : آميـنَ . قال : سكَّن اللَّهُ رُعْبَ أمَّتِك يومَ القيامةِ كما سكَّنْتَ رُعْبى[3] . قلتُ : آميـنَ . قال : حقَن اللَّهُ دماءَ أُمَّتِك مِن أعدائِها كما حقَنْتَ دمى . قلتُ : آميـنَ . قال : لا جعَل اللَّهُ بأْسَها بينَها . فبكَيْتُ وقلتُ : هذه خِصالٌ ثلاثٌ[4] سأَلْتُ ربِّى فأعْطانيها ومنَعنى

---

(١) فى الأصل : « فاستعاذ » .

(٢) فى م : « جوارا » . والحُوار بضم الحاء وكسرها : ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل . والجمع أَحْورة وحِيران . اللسان (ح و ر) .

(٣) فى الأصل ، ١١١ : « رعبتى » .

(٤) زيادة من : م .

واحدةً ، وأخْبَرنى جبريلُ عن اللَّهِ أن فَناءَ أُمَّتِك بالسيفِ ، فجرَى القلمُ بما هو كائنٌ » . قلتُ : هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، لم أرَ أحدًا مِن هؤلاء المُصَنِّفِين فى الدلائلِ أوْرَده سوى هذا المصنِّفِ ، وفيه غَرابةٌ ونَكارةٌ فى إسنادِه ومتنِه أيضًا . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ فى سجودِ الغَنَمِ له ﷺ

قال أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ أيضًا : قال [1] يحيى بنُ محمدِ بنِ صاعدٍ [1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عوفٍ الحِمْصىُّ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ العَلاءِ الزُّبَيْدىُّ ، حدَّثنا عَبَّادُ ابنُ يوسفَ الكِندىُّ أبو عثمانَ ، حدَّثنا أبو جعفرٍ الرازىُّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : دخَل النبىُّ ﷺ حائطًا للأنصارِ ومعه أبو بكرٍ وعمرُ ورجلٌ مِن الأنصارِ ، وفى الحائطِ غنمٌ فسجَدَت له ، فقال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، كنا نحن أحقَّ بالسجودِ لك مِن هذه الغنمِ . فقال : « إنه لا ينْبَغى أن يَسْجُدَ أحدٌ لأحدٍ ، ولو كان ينْبَغى لأحدٍ أن يسْجُدَ لأحدٍ لأمَرْتُ المرأةَ أن تسْجُدَ لزوجِها » . غريبٌ ، وفى إسنادِه مَن لا يُعْرَفُ . واللَّهُ أعلمُ .

قصةُ الذئبِ وشهادتُه بالرسالةِ

قال الإمامُ أحمدُ [2] : حدَّثنا يَزيدُ ، ثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ الحُدَّانىُّ ، عن أبى

(١ - ١) فى ا ١١١: « محمد بن يحيى بن صاعد » ، وفى م : « يحيى بن صاعد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٠١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٦٨.

نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : عَدا الذئبُ على شاةٍ فأخَذها ، فطلَبه الراعى ، فانْتَزَعها منه ، فأقْعَى الذئبُ على ذَنَبِه فقال : ألا تتَّقى اللَّهَ ؟ تَنْزِعُ منِّى رِزْقًا ساقه اللَّهُ إلىَّ ؟! فقال : يا عجَبًا ! ذئبٌ [1] مُقعٍ على ذَنَبِه [1] [٣/ ٥١٥و] يُكَلِّمُنى كلامَ الإنسِ ؟! فقال الذئبُ : ألا أُخْبِرُك بأعْجبَ مِن ذلك ؟ محمدٌ ﷺ بيَثْرِبَ يُخبِرُ الناسَ بأنباءِ ما قد سبَق . قال : فأقْبَل الراعى يَسُوقُ غنمَه حتى دخَل المدينةَ ، فزواها إلى زاويةٍ مِن زَواياها ، ثم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرَه ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فنُودِىَ : الصلاةَ جامعةً . ثم خرَج فقال للراعى [2] : « أخْبِرْهم » . فأخْبَرَهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صدَق ، والذى [3] نفسُ محمدٍ [3] بيدِه ، لا تقومُ الساعةُ حتى يُكَلِّمَ السِّباعُ الإنسَ ، ويُكَلِّمَ الرجلَ عَذَبةُ سَوْطِه ، وشِراكُ نَعْلِه ، ويُخْبِرَه فخِذُه بما أحْدَث [4] أهلُه بعدَه » . وهذا إسنادٌ على شرطِ الصحيحِ . وقد صحَّحه البيهقىُّ [5] ، ولم يَرْوِه إلا الترمذىُّ مِن قولِه : « والذى نفسى بيدِه لا تقومُ الساعةُ حتى يُكَلِّمَ السِّباعُ الإنسَ » . إلى آخرِه ، عن سفيانَ بنِ وَكيعٍ ، عن أبيه ، عن القاسمِ بنِ الفضلِ [6] . ثم قال : وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ القاسمِ ، وهو ثقةٌ مَأْمونٌ عندَ أهلِ الحديثِ ، وثَّقه يحْيى وابنُ مَهْدىٍّ .

طريقٌ أخْرى عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ [7] : حدَّثنا أبو اليَمانِ ، أنا شعيبٌ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى حسينٍ ، حدَّثنى شَهْرٌ ، أن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « للأعرابى » .

(٣ - ٣) فى المسند : « نفسى » .

(٤) فى المسند : « حدث » .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٢ .

(٦) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٦٩ .

(٧) المسند ٣/ ٨٨ ، ٨٩ .

أبا سعيدٍ الخدريَّ حدَّثه ، عن النبيِّ ﷺ قال : بينا أعرابيٌّ فى بعضِ نَواحى المدينةِ فى غنمٍ له عَدا عليه[1] الذئبُ ، فأخَذ شاةً مِن غنمِه ، فأدْرَكه الأعرابيُّ ، فاسْتَنْقَذها منه وهَجْهَجَهُ[2] ، فعانَده الذئبُ يمشى ، ثم أقْعَى مُسْتَذْفِرًا[3] بذَنَبِه يُخاطِبُه ، فقال : أخَذْتَ رِزْقًا رزَقَنِيه اللَّهُ ! قال : واعَجبًا مِن ذئبٍ مُقعٍ[4] مُسْتَذْفِرٍ[5] بذَنَبِه يُخاطِبُنى ! فقال : واللَّهِ إنك لَتَتْرُكُ أعْجبَ مِن هذا . قال : وما أعْجَبُ مِن هذا ؟ قال : رسولُ اللَّهِ ﷺ فى النخَلاتِ[6] بينَ الحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ الناسَ عن نَبَأِ ما قد سبَق وما يكونُ بعدَ ذلك . قال : فنعَق الأعرابيُّ بغنمِه[7] حتى ألْجأها إلى بعضِ المدينةِ ، ثم مشَى إلى النبيِّ ﷺ حتى ضرَب عليه بابَه ، فلما صلَّى النبيُّ ﷺ قال : « أين الأعْرابيُّ صاحبُ الغنمِ ؟ » فقام الأعرابيُّ ، فقال له النبيُّ ﷺ : « حَدِّثِ [٣/٥١٥ظ] الناسَ بما سمِعْتَ وبما رأيْتَ » . فحدَّث الأعرابيُّ الناسَ بما رأَى مِن الذئبِ وما سمِع منه ، فقال النبيُّ ﷺ عندَ ذلك : « صدَق ، آياتٌ تكونُ قبلَ الساعةِ ، والذى نفسى بيدِه لا تقومُ الساعةُ حتى يخْرُجَ أحدُكم مِن أهلِه فيُخْبِرَه نعْلُه أو سَوْطُه أو عَصاه بما أحْدَث أهلُه بعدَه » . وهذا على شرطِ أهلِ السننِ ولم يُخْرِجوه . وقد رَواه البيهقىُّ[8] مِن حديثِ النُّفَيْلىِّ

---

(١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص .

(٢) هجهجه : زجره ليكفَّ . الوسيط (هجهج) .

(٣) فى الأصل : « مستوفزًا » . وفى ١١١ : « مستديرًا » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « مستوفز » .

(٦) فى م ، والمسند : « النخلتين » .

(٧) نعق الراعى بغنمه : صاح بها . النهاية ٥/٨٢ .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤٢ ، ٤٣ .

قال : قرأْتُ على مَعْقِلِ بنِ [1]عبيدِ اللَّهِ[1] ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى سعيدٍ ، فذكَره . [2]ثم رَواه عن الحاكمِ وأبى سعيدِ بنِ أبى عمرٍو[2] ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرامٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى سعيدٍ ، فذكَره . ورَواه الحافظُ أبو نُعيمٍ ، مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ تَميمٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى سعيدٍ ، فذكَره .

حديثُ أبى هريرةَ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا مَعْمَرٌ ، عن أشْعَثَ بنِ [4]عبدِ اللَّهِ[4] ، عن شهرِ بنِ حَوْشبٍ ، عن أبى هريرةَ قال : جاء ذئبٌ إلى راعى غنمٍ ، فأخَذ منها شاةً ، فطلَبه الراعى حتى انتَزَعها منه . قال : فصعِد الذئبُ على تَلٍّ ، فأقْعَى واسْتَذْفَر[5] ، وقال : عمَدْتَ إلى رزقٍ رزَقَنيه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، انتَزَعْتَه مِنِّى ! فقال الرجلُ : باللَّهِ إنْ رأيْتُ كاليومِ ذئبًا يَتَكَلَّمُ ! فقال الذئبُ : أعْجَبُ مِن هذا رجلٌ فى النَّخَلاتِ بينَ الحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكم بما مضَى ، وبما هو كائنٌ بعدَكم . وكان الرجلُ يهوديًّا ، فجاء إلى النبىِّ ﷺ فأسْلَمَ ، وخبَّره فصدَّقه النبىُّ ﷺ ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنها أمارةٌ مِن أماراتٍ بينَ يدىِ الساعةِ ، قد أوْشَك الرجلُ أن يخْرُجَ فلا يَرْجِعُ حتى تُحَدِّثَه نَعْلاه وسَوْطُه ما أحْدَث أهلُه بعدَه » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو على شرطِ السُّننِ ولم يُخْرِجوه ، ولعل شهرَ بنَ حوشبٍ قد سمِعه مِن أبى سعيدٍ وأبى هريرةَ أيضًا . واللَّهُ أعلمُ .

حديثُ أنسٍ فى ذلك : قال أبو نُعيمٍ فى « دلائلِ النبوةِ » : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ

(١ - ١) فى م ، ص ، الدلائل : « عبد الله » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٧٤.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « ثم رواه الحاكم وأبو سعيد بن عمرو » . والحديث فى الدلائل ٦/ ٤٣.

(٣) المسند ٢/ ٣٠٦.

(٤ - ٤) فى النسخ : « عبد الملك » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٧/ ٣١٢، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٧٢.

(٥) فى الأصل ، ١١١، ص : « استنفر » .

محمدِ بنِ جعفرٍ ، ثنا محمدُ بنُ يحيى بنِ مَنْدَه ، ثنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ سالمٍ ، ثنا الحسينُ الرَّفَّاءُ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن أنسٍ ، (ح) وحدَّثنا سليمانُ ، هو الطَّبَرانيُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ [٣/٥١٦و] بنِ ناجيةَ ، ثنا هشامُ بنُ يونسَ اللُّؤلؤيُّ ، ثنا حسينُ بنُ سليمانَ الرَّفَّاءُ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ في غزوةِ تَبوكَ فشَدَدتُ[1] على غنَمي ، فجاء الذئبُ فأخَذ منها شاةً ، فاشْتَد الرِّعاءُ خلفَه ، فقال : طُعْمةٌ أطْعَمَنيها اللَّهُ تَنْزِعونها مِنِّي ! قال : فبُهِت القومُ ، فقال : ما تعْجَبون مِن كلامِ الذئبِ وقد نزَل الوحيُ على محمدٍ ، فمِن مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ . ثم قال أبو نُعيمٍ : تفرد به حسينُ بنُ سليمانَ ، عن عبدِ الملكِ . قلتُ : الحسينُ بنُ سليمانَ الرَّفَّاءُ هذا يقالُ له : الطَّلْحيُّ[2] . كوفيٌّ أوْرَد له ابنُ عَدِيٍّ[3] عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ أحاديثَ ، ثم قال : لا يُتابَعُ عليها .

حديثُ ابنِ عمرَ في ذلك : قال البيهقيُّ[4] : أخْبَرَنا أبو سعدٍ المالِينيُّ ، أنا أبو أحمدَ بنُ عَدِيٍّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي داودَ السِّجِسْتانيُّ ، ثنا يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ أبي عيسى ، ثنا جعفرُ بنُ جَسْرٍ[5] ، أخْبَرَني أبي جَسْرٌ[5] ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ حَرْملةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : قال ابنُ عمرَ : كان راعٍ على عهدِ رسولِ اللَّهِ

---

(١) في م : « فشردت » .

(٢) في م : « الطلخي » . وانظر الأنساب ٤/ ٧٠.

(٣) الكامل ٢/ ٧٧٣.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٤، وفيه ذكر الإسناد حتى عبد اللَّه بن أبي داود ، ثم لم يذكر بقية الإسناد ولا متن الحديث ، والظن عندنا أن هناك سقطًا في هذا الموضع من « دلائل النبوة » الذي بين أيدينا . والحديث ذكره السيوطي في الخصائص ٢/ ٦٢، وعزاه للبيهقي وابن عدي بنحو هذا السياق . فاللَّه أعلم .

وقد أخرجه ابنُ عدي في الكامل ٢/ ٥٧٣، في ترجمة جعفر بن جسر .

(٥) في النسخ : « حسن » . والمثبت من الكامل . وانظر لسان الميزان ٢/ ١١١.

ﷺ [1] فى غنمٍ له [1] ، إذ جاء الذئبُ فأخَذ شاةً ، ووثَب الراعى حتى انتزَعها مِن فيه ، فقال له الذئبُ : أما تَتَّقى اللَّهَ أن تمْنَعَنى طُعْمةً أطْعَمَنيها اللَّهُ تَنْزِعُها مِنِّى ! فقال له الراعى : العجَبُ مِن ذئبٍ يتكَلَّمُ ! فقال له [2] الذئبُ : أفلا أدُلُّك على ما هو أعْجَبُ مِن كلامى ؟ ذلك الرجلُ فى النَّخْلِ يُخْبِرُ الناسَ بحديثِ الأوَّلِين والآخِرين ، أعْجَبُ مِن كلامى . فانطَلَق الراعى حتى جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرَه وأسْلَم ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حدِّثْ به الناسَ » . قال الحافظُ ابنُ عَدِىٍّ : قال لنا أبو بكرِ بنُ أبى داودَ : ولَدُ هذا الراعى يقالُ لهم : بنُو مُكَلِّمِ الذئبِ . ولهم أموالٌ ونَعَمٌ ، وهم مِن خُزاعةَ ، واسمُ مُكَلِّمِ الذئبِ أُهْبانُ . قال : ومحمدُ بنُ أشْعَثَ الخُزاعىُّ مِن وَلَدِه . قال البيهقىُّ [3] : فدَلَّ على اشتهارِ ذلك ، وهذا مما يُقَوِّى الحديثَ .

وقد رُوِى مِن حديثِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخارىِّ فى « التاريخِ » [4] ، حدَّثنى أبو طلحةَ ، حدَّثنى سفيانُ بنُ حمزةَ الأسْلَمىُّ ، سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ الأسْلَمىَّ ، عن رَبيعةَ بنِ أوسٍ ، عن أُنَيْسِ [5] بنِ عمرٍو ، عن أُهْبانَ بنِ أوسٍ قال : كنتُ فى غنمٍ لى . فكَلَّمه [٣/ ١٦٥ظ] الذئبُ ، [6] فأتى النبىَّ ﷺ [6] فأسْلَم . قال البخارىُّ : إسنادُه ليس بالقوىِّ .

ثم روَى البيهقىُّ [7] عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ ، سمِعْتُ الحسينَ بنَ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من الكامل .
(٢) زيادة من : ١١١ .
(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤٤.
(٤) التاريخ الكبير ٢/ ٤٥.
(٥) فى النسخ : « أنس » . والمثبت من التاريخ الكبير . وانظر أسد الغابة ١/ ١٦١، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٨٥.
(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من التاريخ الكبير .
(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٤.

أحمدَ الرازيَّ ، سمِعْتُ أبا سليمانَ المُقْرِئَ يقولُ : خرَجْتُ فى بعضِ البُلْدانِ على حمارٍ ، فجعَل الحمارُ [1]يَحيدُ بى[1] عن الطريقِ ، فضرَبْتُ رأسَه ضَرَباتٍ ، فرفَع رأسَه إلىَّ وقال[2] : اضْرِبْ يا أبا سليمانَ ، فإنما على دِماغِك هو ذا تَضْرِبُ . قال : قلتُ له : كلَّمك كلامًا يُفْهَمُ ؟! قال : كما تُكَلِّمُنى وأُكَلِّمُك .

حديثٌ آخرُ عن أبى هريرةَ فى الذئبِ [3]على وجهٍ آخرَ[3] : وقد قال سعيدُ ابنُ منصورٍ[4] : ثنا حِبَّانُ بنُ علىٍّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ ، عن أبى الأوبرِ[5] الحارثىِّ ، عن أبى هريرةَ قال : جاء الذئبُ فأقْعَى بينَ يدىِ النبىِّ ﷺ وجعَل يُصْبِصُ بذَنَبِه[6] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا وافدُ الذِّئابِ ، جاء يَسْألُكم أن تجْعَلوا له مِن أموالِكم شيئًا » . قالوا : واللَّهِ لا نفْعَلُ . وأخذ رجلٌ مِن القومِ حجَرًا فرماه ، فأدْبَر الذئبُ وله عُواءٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الذئبُ ، وما الذئبُ ؟ » . وقد رواه البيهقىُّ[7] ، عن الحاكمِ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الأصْبهانىِّ ، عن محمدِ بنِ مَسْلمةَ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن شُعبةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ[8] به . ورواه الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعبةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن رجلٍ ، عن مكحولٍ ، عن أبى هريرةَ ، فذكَره .

(١ - ١) فى ا ١١١، والدلائل : « يجذبنى » .

(٢) بعده فى ا ١١١، م ، ص : « لى » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « مسعود » . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٠، من طريق سعيد بن منصور به .

(٥) يصبص بذنبه : يضرب به ويحرّكه . انظر التاج (بصبص) .

(٦) فى م : « الأوس » . وفى الدلائل : « الأدبر » . وانظر الثقات ٤/ ٢٥٧، والمغنى فى الضعفاء ١/ ٣٥٧.

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٣٩.

(٨) بعده فى م : « عن رجل » .

وعن يوسفَ بنِ موسى[1]، عن جريرِ بنِ عبدِ الحميدِ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ، عن أبى الأَوْبرِ، عن أبى هريرةَ قال: صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا صلاةَ الغَداةِ، ثم قال: «هذا الذئبُ، وما الذئبُ؟ جاءكم يسألُكم أن تُعْطوه أو تُشْرِكوه فى أموالِكم». فرماه رجلٌ بحجرٍ، فمرَّ - أو ولَّى - وله عُواءٌ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]، عن الزهرىِّ، عن حمزةَ بنِ أبى أُسَيْدٍ قال: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى جِنازةِ رجلٍ مِن الأنصارِ بالبَقيعِ، فإذا الذئبُ مُفْتَرِشًا ذراعيه على الطريقِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا جاء يسْتَفْرِضُ[3] فافْرِضوا له». قالوا: [4]نرَى رأيَك[4] يا رسولَ اللَّهِ. قال: «مِن كلِّ سائمةٍ شاةٌ فى كلِّ عامٍ». قالوا: كثيرٌ. قال: فأشار إلى الذئبِ أن خالِسْهم. فانْطَلَق الذئبُ. رواه البيهقىُّ.

وروَى الواقدىُّ[5] عن رجلٍ سمّاه، عن المطلبِ بنِ [٣/٥١٧و] عبدِ اللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ قال: بينما رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المدينةِ إذ أقْبَل ذئبٌ، فوقَف بينَ يديه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا وافدُ السِّباعِ إليكم، فإن أحْبَبْتُم أن تَفْرِضوا له شيئًا لا يعْدُوه إلى غيرِه، وإن أحْبَبْتم ترَكْتُموه واحْتَرَزْتُم منه، فما أخَذ فهو رزقُه». فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ما تَطيبُ أنفسُنا له بشىءٍ. فأوْمَأ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ بأصابعِه الثلاثِ أن خالِسْهم. قال: فولَّى وله عَسَلانٌ[6].

---

(١) أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٢٤٣٢)، عن يوسف بن موسى به.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٠، من طريق محمد بن إسحاق به.

(٣) فى الأصل، ١١١: «يستقرض».

(٤ - ٤) فى م: «ترى رأيك»، وفى ص: «يرى برأيك».

(٥) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٦٨.

(٦) فى م: «عواء».

وقال أبو نُعيم[1] : ثنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، ثنا مُعاذُ بنُ المثنَّى ، ثنا محمدُ بنُ كثيرٍ ، ثنا سفيانُ ، ثنا الأعمشُ ، عن شِمْرِ بنِ عطيةَ ، عن رجلٍ مِن مُزَيْنةَ أو جُهَيْنةَ قال : أتَتْ وفودُ الذِّئابِ قريبٌ مِن مائةِ ذئبٍ حينَ صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ فأقْعَيْن ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذه وفودُ الذِّئابِ ، جئْنَكم يسألْنَكم لتَفْرِضوا لهن[2] مِن قُوتِ طَعامِكم وتأْمَنوا على ما سواه » . فشكَوْا إليه الحاجةَ ، قال : « فأدْبِروهم » . قال : فخرَجْن ولهنَّ عُواءٌ .

[3]وقد تكَلَّم القاضى عِياضٌ على حديثِ الذئبِ[4] ، فذكَره عن أبى هريرةَ وأبى سعيدٍ ، وعن أُهْبانَ بنِ أوسٍ وأنه كان يقالُ له : مُكَلِّمُ الذئبِ . قال : وقد روَى ابنُ وَهبٍ أنه جرَى مثلُ هذا لأبى سفيانَ بنِ حربٍ وصفوانَ بنِ أميةَ مع ذئبٍ وجَداه أخَذ ظَبْيًا[5] ، فدخَل الظَّبيُ[6] الحَرَمَ ، فانصَرف الذئبُ ، فعجِبا مِن ذلك ، فقال الذئبُ : أعْجَبُ مِن ذلك محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بالمدينةِ يدْعوكم إلى الجنةِ ، وتدْعونه إلى النارِ . فقال أبو سفيانَ : واللاتِ والعُزَّى لئن ذكَرْتَ هذا بمكةَ [7]لتَتْرُكَنَّها خُلُوفًا[7][3] .

---

(١) ذكره السيوطى فى الخصائص ٢/ ٦٣، وعزاه إلى أبى نعيم .

(٢) فى الأصل ، ١١١، ص : « لهم » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) الشفا ١/ ٤٣٦ - ٤٣٨.

(٥) فى م : « صبيا » .

(٦) فى م : « الصبى » .

(٧ - ٧) فى م : « ليتركنها أهلوها » . ولتتركنها خلوفًا - والخطاب لصفوان بن أمية - : أى لتتركنها سُدًى لا راعى لها ولا حامىَ . يقال : حىٌّ خلوف : إذا غاب الرجال وأقام النساء . انظر النهاية ٢/ ٦٨.

قِصَّةُ الوَحْشِ الذى كان فى بيتِ النبىّ ﷺ، وكان يَحْتَرِمُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ويُوَقِّرُه ويُجِلُّه

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو نُعيمٍ، ثنا يونسُ، عن مجاهدٍ قال : قالت عائشةُ، رضِى اللَّهُ عنها : كان لآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ، فإذا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لعِب واشتدَّ، وأقْبَل وأدْبَر، فإذا أحسَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ قد دخَل، ربَض فلم يتَرَمْرَمْ[2] مادام رسولُ اللَّهِ ﷺ فى البيتِ؛ كَراهيةَ أن يُؤْذِيَه. ورواه أحمدُ أيضًا عن وَكيعٍ، وعن أبى[3] قَطَنٍ، كلاهما عن يونُسَ[4]، وهو ابنُ أبى إسحاقَ السَّبيعىِّ. وهذا الإسنادُ على شرطِ الصحيحِ، ولم يُخْرِجوه وهو حديثٌ مشهورٌ. واللَّهُ أعلمُ.

قِصَّةُ الأَسَدِ

وقد ذكَرْنا فى ترجمةِ سَفينةَ مولَى رسولِ اللَّهِ ﷺ[5] حديثَه حينَ [٣/ ٥١٧ظ] انكَسَرت بهم السَّفِينَةُ، فركِب لوحًا منها حتى دخَل جَزِيرةً فى البحرِ، فوجَد فيها الأسدَ، فقال له سَفِينَةُ[6] : يا أبا الحَارِثِ، إنِّى سَفينةُ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال : فضرَب مَنْكِبى وجعَل يُحاذِينى حتى أقامنى على الطريقِ، ثم هَمْهَمَ

---

(١) المسند ٦/ ١١٢، ١١٣.

(٢) لم يترمرم : أى سكن ولم يتحرك. النهاية ٢/ ٢٦٣.

(٣) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٨٠.

(٤) المسند ٦/ ١٥٠ من حديث أبى قطن، و ٦/ ٢٠٩ من حديث وكيع.

(٥) تقدم فى ٨/ ٢٦٣.

(٦) زيادة من : الأصل.

ساعةً ، فرأيْتُ أنه يُوَدِّعُنى .

وقال عبدُ الرزاقِ[1] : ثنا مَعْمَرٌ ، عن الجَحْشِيِّ[2] ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، أن سَفينةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ أخْطَأ الجيشَ بأرضِ الرومِ ، أو أُسِر فى أرضِ الرومِ ، فانطَلَقَ هاربًا يلْتَمِسُ الجيشَ ، فإذا هو بالأسدِ ، فقال : يا أبا الحارثِ ، إنِّى مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كان مِن أمرى كَيْتَ وكَيْتَ . فأقْبَل الأسدُ يُبَصْبِصُه حتى قام إلى جنبِه ، كلَّما[3] سمِع صوتًا[4] أهْوَى إليه ، ثم أقْبَل يمْشى إلى جَنْبِه ، فلم يَزَلْ كذلك حتى أبْلَغه الجيشَ ، ثم رجَع الأسدُ عنه . رَواه البيهقىُّ[5] .

حَدِيثُ الغَزَالةِ

قال الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصْبهَانِىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ »[6] : حدَّثنا سُليمانُ بنُ أحمدَ إملاءً ، ثنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبةَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ[7] بنِ مَيْمونٍ ، ثنا عبدُ الكَريمِ بنُ هلالٍ الجُعْفىُّ ، عن صالحٍ المُرِّىِّ ، عن ثابتٍ البُنانىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على قومٍ قد اصْطادوا ظَبْيةً ، فشدُّوها على عمودِ فُسْطاطٍ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى أُخِذْتُ ولى

---

(١) المصنف (٢٠٥٤٤) .

(٢) فى النسخ والدلائل : « الحجبى » . والمثبت من مصنف عبد الرزاق . والجَحْشى هو سعيد بن عبد الرحمن بن جَحْش . انظر الأنساب ٢/ ٢٦، وتهذيب الكمال ١٠/ ٥٢٥.

(٣) فى ١١١ ، ص : « فلما » .

(٤) فى م : « صوته » .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٦، واللفظ له .

(٦) دلائل النبوة (٢٧٤) . كما أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٥٥٤٣) ، من طريق محمد بن عثمان به . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٩٤، ٢٩٥:... وفيه صالح المرى وهو ضعيف .

(٧) فى الدلائل : « محمود » . وانظر لسان الميزان ١/ ١٠٧، والثقات لابن حبان ٨/ ٧٤.

خَشْفانِ[1] ، فاسْتَأْذِنْ لى أُرْضِعُهما وأعودُ إليهم . فقال : « أين صاحبُ هذه ؟ » فقال القومُ : نحن يا رسولَ اللَّهِ . فقال [2]رسولُ اللَّهِ[2] ﷺ : « خلُّوا عنها حتى تأتىَ خَشْفَيْها تُرْضعُهما وترْجِعُ إليكم » . فقالوا : مَن لنا بذلك[3]؟ قال : « أنا » . فأطْلَقوها فذهَبت فأرْضَعَت ، ثم رجَعت إليهم فأوْثَقوها ، فمرَّ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « أين صاحبُ[4] هذه ؟ » فقالوا : هو ذا نحن[5] يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « تَبِيعونِيها ؟ » فقالوا : هى لك يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « خلُّوا عنها » . فأطْلَقوها فذهَبت .

وقال أبو نُعَيمٍ[6] : حدَّثنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ أحمدَ الغِطْرِيفىُّ مِن أصلِه ، ثنا أحمدُ بنُ موسى بنِ أنسِ بنِ نصرِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ سِيرينَ بالبَصْرةِ ، ثنا زكريا بنُ يحيى بنِ خَلَّادٍ ، ثنا حَبَّانُ[7] بنُ أغْلَبَ بنِ تَميمٍ ، ثنا أبى ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ[8] ، عن الحسنِ ، عن ضَبَّةَ بنِ مِحْصَنٍ ، عن أُمِّ سَلَمةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالت : بينما رسولُ اللَّهِ ﷺ فى صحراءَ[9] مِن الأرضِ إذا هاتفٌ يَهْتِفُ : يا رسولَ اللَّهِ ، يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فالتفَتُّ فلم أرَ أحدًا » . قال : « فمشَيْتُ

---

(١) الخشف ، بالخاء المثلثة : ولد الظبية أول ما يولد . انظر الوسيط (خ ش ف) .

(٢ - ٢) زيادة من : ١١١ .

(٣) بعده فى الدلائل : « يا رسول الله » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « أصحاب » . وهو لفظ رواية الطبرانى .

(٥) ليس فى الدلائل .

(٦) لم نجده فى الدلائل ، والحديث أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٣٣١/٢٣ (٧٦٣) ، من طريق زكريا بن يحيى به . وذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى ٢/ ٦٠ ، وعزاه إلى الطبرانى وأبى نعيم ، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٩٥ : ... وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف .

(٧) فى الأصل ، ١١١ : « حسان » ، وفى ص : « حماد » . وانظر لسان الميزان ٢/ ١٦٥ .

(٨) فى م : « حبان » .

(٩) فى م : « حجر » .

[٣/ ٥١٨و] غيرَ بعيدٍ فإذا الهاتفُ : يا رسولَ اللَّهِ ، يا رسولَ اللَّهِ[(١)] . فالتفتُّ فلم أرَ أحدًا ، وإذا الهاتفُ يَهْتِفُ بى ، فاتَّبَعْتُ الصوتَ وهجَمْتُ على ظَبْيةٍ مَشْدودةٍ فى وَثاقٍ ، وإذا أعرابىٌّ مُنْجَدِلٌ فى شَمْلةٍ ، نائمٌ فى الشمسِ ، فقالت الظَّبْيةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هذا الأعرابىَّ صادنى قُبَيْلُ ، ولى خَشْفانِ فى هذا الجبلِ ، فإن رأيْتَ أن تُطْلِقَنى حتى أُرْضِعَهما ، ثم أعودَ إلى وَثاقى ؟ » قال : « وتفْعَلين ؟ قالت : عذَّبنى اللَّهُ عذابَ العَشَّارِ[(٢)] إن لم أفعَلْ » . فأطْلَقها رسولُ اللَّهِ ﷺ . فمضَت فأرْضَعَت الخَشْفَيْنِ وجاءت . قال : فبينما رسولُ اللَّهِ ﷺ يُوثِقُها إذ انْتَبه الأعرابىُّ ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أصبتُها قُبَيْلًا ، فلك فيها مِن حاجةٍ ؟ قال[(٣)] : قلتُ : « نعم » . قال : هى لك . فأطْلَقها فخرَجَت تَعْدُو فى الصحراءِ فرَحًا ، وهى تَضْرِبُ برجليها فى الأرضِ وتقولُ : أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنك رسولُ اللَّهِ . قال أبو نُعيمٍ : وقد رَواه آدمُ بنُ أبى إياسٍ فقال : حدَّثنى خَتَنى[(٤)] الصَّدوقُ نوحُ بنُ الهَيْثم ، عن حَبانَ بنِ أغْلَبَ ، عن أبيه ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ[(٥)] ، ولم يُجاوِزْه به . [(٦)] وقد رواه أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ الفقيهُ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ مَهْدىٍّ ، عن حَبانَ[(٧)] بنِ أغْلَبَ بنِ تَميمٍ ، عن[(٦)]

---

(١) بعده فى م ، ص : « قال » .

(٢) المقصود بالعشّار هنا : من يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهلُ الجاهليّة . وأما من يعشّر - يأخذ العشر - على ما فرض اللّه فحسن جميل ، وقد عشر بعض الصحابة للنبى وللخلفاء بعده . انظر النهاية ٣/ ٢٣٩.

(٣) سقط من : الأصل ، ١١١.

(٤) فى ١١١ ، م : « حبى » . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٤٨٥. والختَن : أبو الزوجة ، وهو أيضا زوج البنت . النهاية ٢/ ١٠ .

(٥) فى الأصل ، م : « حبان » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) سقط من : الأصل ، م ، وفى ١١١ : « حسان » . وهو تحريف . والمثبت هو الصواب كما تقدم .

(١أبيه ، عن هشامِ بنِ حَسانَ(٢) ، عن الحسنِ عن(٣) ضَبَّةَ عن(٣) أمِّ(٤) سَلَمةَ به١) .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ(٥) : أنبأنى أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إجازةً ، أنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عليِّ بنِ دُحَيْمٍ الشَّيْبانيُّ ، ثنا أحمدُ بنُ حازمِ بنِ أبى غَرَزَةَ(٦) الغِفاريُّ ، ثنا عليُّ بنُ قادمٍ ، ثنا أبو العَلاءِ خالدُ بنُ طَهْمانَ ، عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بظَبْيةٍ مَرْبوطةٍ إلى خِباءٍ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، حُلَّنى(٧) حتى أذْهَبَ فأُرْضِعَ خَشْفَيَّ ثم أَرْجِعَ فتَرْبِطَنى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صيدُ قومٍ ورَبيطةُ قومٍ » . قال : فأَخَذ عليها فحلَفت له . قال : فحلَّها ، فما مكَثت إلا قليلًا حتى جاءت وقد نفَضت ما فى ضَرْعِها ، فربَطها رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم أتَى خِباءَ أصحابِها ، فاسْتَوْهَبها منهم فوهَبوها له فحلَّها ، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو تعْلمُ(٨) البَهائمُ مِن الموتِ ما تعْلَمون ، ما أكَلْتُم منها سَمينًا أبدًا » .

قال البيهقيُّ(٩) : ورُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ ضعيفٍ ، أخْبَرنا أبو بكرٍ أحمدُ(١٠) بنُ الحسنِ القاضى ، أنا أبو عليٍّ حامدُ بنُ محمدٍ الهَرَوىُّ(١١) ، ثنا بشرُ بنُ موسى ، ثنا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « حبان » . وهو تحريف أيضا ، والمثبت هو الصواب كما تقدم .

(٣) فى الأصل ، م : « بن » . وهو خطأ واضح . انظر تهذيب الكمال ٦/ ٩٥، ١٣/ ٢٥٤.

(٤) فى الأصل ، م : « أبى » . وهو خطأ واضح .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٣٤ .

(٦) فى م : « عروة » . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٤٨.

(٧) فى م ، ص : « خلنى » .

(٨) فى الدلائل : « علمت » .

(٩) دلائل النبوة ٦/ ٣٥.

(١٠) فى الدلائل : « محمد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٦.

(١١) فى الدلائل : « الهورى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦.

أبو حفصٍ عمرُو[1] بنُ عليٍّ ، ثنا يعْلَى [٣/ ٥١٨ظ] بنُ إبراهيمَ الغَزَّالُ[2] ، ثنا الهيثمُ ابنُ جَمَّازٍ[3] ، عن أبى كثيرٍ ، عن زيدِ[4] بنِ أرقمَ قال : كنتُ مع النبىِّ ﷺ فى بعضِ سِكَكِ المدينةِ . قال : فمرَرْنا بخِباءِ أعرابىٍّ ، فإذا ظَبْيةٌ مَشْدودةٌ إلى الخِباءِ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هذا الأعرابىَّ اصْطادنى ، وإن لى خَشْفَيْنِ فى البَرِّيَّةِ ، وقد تعقَّد اللبنُ فى أخْلافِى ، فلا هو يَذْبَحُنى فأسْتريحَ ، ولا هو يدَعُنى فأرْجِعَ إلى خَشْفَىَّ فى البَرِّيَّةِ . فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن ترَكْتُكِ ترْجِعين ؟ » قالت : نعم وإلا عذَّبنىَ اللَّهُ عذابَ العَشَّارِ . قال : فأطْلَقها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم تلْبَثْ أن جاءت تُلْمِظُ[5] ، فشدَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الخِباءِ ، وأقْبل الأعرابىُّ ومعه قِرْبةٌ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَبِيعُنيها ؟ » قال : هى لك يا رسولَ اللَّهِ . فأطْلَقها رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال زيدُ بنُ أرْقمَ : فأنا واللَّهِ رأيْتُها تَسيحُ[6] فى البَرِّيَّةِ ، وهى تقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ . ورواه أبو نُعيمٍ[7] : ثنا أبو علىٍّ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ [8]من لفظِه[8] ، ثنا بشرُ بنُ موسى ، فذكَره . قلتُ : وفى بعضِه نَكارةٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَرْنا فى بابِ تَكْثيرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، اللبنَ حديثَ تلك الشاةِ التى جاءت وهى فى البَرِّيَّةِ ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الحسنَ بنَ

---

(١) فى م : « عمر » .

(٢) فى الأصل ، م : « الغزالى » . وانظر الإكمال ٧/ ٢٣، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٥٦.

(٣) فى ١١١، م: « حماد »، وهو ما قيل فى اسمه . انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢١، ولسان الميزان ٦/ ٢٠٤.

(٤) فى م : « يزيد » .

(٥) فى النسخ : « تلمض » بالضاد . والمثبت من الدلائل . وتلمظ : أى تضرب بذنبها وتحركه . انظر لسان العرب (ل م ظ) .

(٦) فى م : « تسبح » .

(٧) دلائل النبوة (٢٧٣) .

(٨ - ٨) فى م : « بن مطر » .

سَعْدٍ[1] مولى أبى بكرٍ أن يَحْلُبَها فحلَبها ، وأمَره أن يَحْفَظَها ، فذهَبت وهو لا يشْعُرُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذهَب بها الذى جاء بها » . وهو مَرْوِىٌّ مِن طريقَيْن عن صحابيَّين ، كما تقدم[2] . واللَّهُ أعلمُ .

حديثُ الضَّبِّ على ما فيه من النَّكارةِ والغَرابةِ

قال البيهقىُّ[3] : أنا أبو منصورٍ أحمدُ بنُ علىٍّ الدَّامَغانىُّ مِن ساكِنى قريةِ نامِينَ مِن ناحيةِ بَيْهَقَ - قراءةً عليه مِن أصلِ كِتابِه - ثنا أبو أحمدَ عبدُ اللَّهِ بنُ عَدِىٍّ الحافظُ فى شعبانَ سنةَ اثنتين وثلاثِمائةٍ[4] ، ثنا محمدُ بنُ [5]علىِّ بنِ[5] الوليدِ السُّلَمىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، ثنا مُعْتَمِرُ[6] بنُ سليمانَ ، ثنا كَهْمَسٌ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عامرٍ ، عن[7] ابنِ عمرَ ، عن عمرَ بنِ الخطابِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان فى مَحْفِلٍ مِن أصحابِه ، إذ جاء أعرابىٌّ مِن بنى سُليمٍ قد صاد ضَبًّا وجعَله فى كُمِّه ؛ ليذْهَبَ به إلى رَحْلِه فيَشْويَه ويأكُلَه ، فلما رأى الجماعةَ قال : ما هذا ؟ قالوا : هذا الذى يذْكُرُ أنه نبىٌّ . فجاء فشقَّ الناسَ ، فقال : واللاتِ والعُزَّى ما اشْتَمَلَتِ النِّساءُ[8] على ذى لَهْجةٍ [٣/ ٥١٩و] أبغضَ إلىَّ منك ، ولا أمْقَتَ

---

(١) فى م : « سعيد » .

(٢) تقدم فى ٨/ ٦٢٧، ٦٢٨.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٦.

(٤) بعده فى الدلائل : « بجرجان » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م ، والدلائل : « معمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٥٠.

(٧) سقط من : م .

(٨) فى م : « السماء » .

منك[1] ، ولولا أن يُسَمِّيَنى قومى عَجولًا لعجِلْتُ عليك فقتَلْتُك فسرَرْتُ بقتلِك الأسودَ والأحمرَ والأبيضَ وغيرَهم . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ، دعْنى فأقومَ فأقتلَه . قال : « يا عمرُ ، أما علِمْتَ أن الحَليمَ كاد أن يكونَ نبيًّا ؟ » ثم أقْبَل على الأعرابىِّ وقال : « ما حمَلك على أن قلتَ ما قلتَ وقلتَ غيرَ الحقِّ ، ولم تُكرِمْنى فى مَجْلِسى ؟ » فقال : وتُكَلِّمُنى أيضًا ! - استِخْفافًا برسولِ اللَّهِ ﷺ - واللاتِ والعُزَّى لا آمنْتُ بك أو يُؤْمِنَ بك هذا الضَّبُّ . وأخْرَج الضَّبَّ مِن كُمِّه وطرَحه بينَ يدى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا ضَبُّ » ، فأجابه الضَّبُّ بلسانٍ عربىٍّ مُبينٍ يَسْمَعُه القومُ جميعًا : لَبَّيْك وسَعْدَيْك يا زَيْنَ مَن وافى القيامةَ . قال : « مَن تعْبُدُ يا ضبُّ ؟ » قال : الذى فى السماءِ عرشُه ، وفى الأرضِ سُلْطانُه ، وفى البحرِ سبيلُه ، وفى الجنةِ رحمتُه ، وفى النارِ عقابُه . قال : « فمَن أنا يا ضَبُّ ؟ » فقال : رسولُ ربِّ العالمين وخاتَمُ النبيين ، وقد أفْلَح مَن صدَّقك ، وقد خاب مَن كذَّبك . فقال الأعرابىُّ : واللَّهِ لا أتَّبِعُ أثَرًا بعدَ عينٍ ، واللَّهِ لقد جئتُك وما على ظهرِ الأرضِ[2] أبغضُ إلىَّ منك ، وإنك اليومَ أحبُّ إلىَّ مِن ولدى ومِن عينى ومنى ، وإنى لأُحبُّك بداخلى وخارجى ، وسِرِّى وعَلانيَتى ، وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنك رسولُ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحمدُ للَّهِ الذى هداك بى ، إن هذا الدينَ يَعْلو ولا يُعْلَى ولا يُقْبَلُ إلا بصلاةٍ ، ولا تُقْبَلُ الصلاةُ إلا بقرآنٍ » . قال : فعلِّمْنى . فعلَّمه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . قال : زِدْنى فما سمِعْتُ فى البَسيطِ ولا فى الوجيز[3] أحسنَ مِن هذا . قال : « يا أعرابىُّ ، إن هذا كلامُ اللَّهِ ،

---

(١) زيادة من النسخ .

(٢) بعده فى الأصل ، ١١١ ، ص : « أحد » .

(٣) فى ص ، ودلائل النبوة : « الرجز » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق ٣٨٤/٤ .

ليس بشعرٍ، إنك إن قرأتَ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مَرَّةً كان لك كأجرِ مَن قرَأ ثُلُثَ القرآنِ، وإن قرأتَ مرتين كان لك كأجرِ مَن قرَأ ثُلُثَي القرآنِ، وإذا قرأْتَها ثلاثَ مراتٍ كان لك كأجرِ مَن قرَأ القرآنَ كلَّه». قال الأعْرابيُّ: نِعْمَ الإلهُ إلهُنا، يَقْبَلُ اليَسيرَ ويُعْطى الجَزيلَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ألك مالٌ؟» فقال: ما فى بنى سُلَيمٍ قاطبةً رجلٌ هو أفقرُ منى. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه: «أعْطُوه». فأعْطَوْه حتى أبْطَروه. قال: فقام عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إن له [٣/ ٥١٩ظ] عندى ناقةً عُشَراءَ، دون البُخْتِيَّةِ[1] وفوقَ الأغْرَى[2]، تَلْحَقُ ولا تُلْحَقُ، أُهْدِيَت إلىَّ يومَ تَبوكَ، أتقَرَّبُ بها إلى اللَّهِ، عز وجل، فأدْفَعُها إلى الأعرابىِّ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قد وصَفْتَ ناقتَك، فأَصِفُ ما لك عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ؟» قال: نعم. قال: «لك ناقةٌ مِن دُرَّةٍ جَوْفاءَ، قوائمُها مِن زَبَرْجَدٍ أخضرَ، وعنقُها مِن زَبَرْجَدٍ أصفرَ، عليها هَوْدَجٌ، وعلى الهَوْدَجِ السُّنْدُسُ والإسْتَبْرَقُ، وتَمُرُّ بك على الصِّراطِ كالبَرْقِ الخاطفِ، يَغْبِطُكَ بها كلُّ مَن رآك يومَ القيامةِ». فقال عبدُ الرحمنِ: قد رضِيتُ. فخرَج الأعرابىُّ، فلقِيَه ألفُ أعرابىٍّ مِن بنى سُليمٍ على ألفِ دابَّةٍ، معهم ألفُ سيفٍ وألفُ رُمْحٍ، فقال لهم: أين تُريدون؟ قالوا: نذْهَبُ إلى هذا الذى سَفَّه آلهتَنا فنقْتُلُه. قال: لا تَفْعَلوا، أنا أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ. وحدَّثهم الحديثَ، فقالوا بأجمعِهم[3]: لا إلهَ إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ. ثم دخَلوا، فقيل لرسولِ اللَّهِ،

---

(١) فى الأصل: «النجيبة». والبختية: الأنثى من الجِمال، وهى طويلة الأعناق، واللفظة معربة. انظر النهاية ١/ ١٠١.

(٢) فى الأصل، ١١١: «الأعرابى»، وفى ص: «الأعلى». والمثبت من م موافق لما فى دلائل البيهقى، ولعله صحف من «الأغرى». والأغراء مفرده الغراء - ويقصر - وهو ولد البقرة، وكل مولود غرًا حتى يشتد لحمه.

(٣) بعده فى م: «نشهد أن».

فتلقَّاهم بلا رِدَاءٍ، فنزَلوا عن رُكُبِهم[1] يُقْبِلون [2]حتى دَنَوْا مِنه[2] وهم يقولون: لا إلهَ إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ. ثم قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، مُرْنا بأمْرِك. قال: «كونوا تحتَ رايةِ خالدِ بنِ الوليدِ». فلم يُؤْمِنْ مِن العربِ ولا مِن غيرِهم ألفٌ غيرُهم. قال البيهقيُّ[3]: قد أخْرَجه شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ فى المُعْجِزاتِ بالإجازةِ، عن أبى أحمدَ بنِ عديٍّ الحافظِ. قلتُ: ورواه الحافظُ أبو نُعيمٍ فى «الدلائلِ»[4] عن أبى القاسمِ سليمانَ[5] بنِ أحمدَ الطَّبرانيِّ[6]، إملاءً وقراءةً، حدَّثنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ الوليدِ السُّلَمىُّ البصرىُّ [7]قال: ثنا أبو بكرٍ مِن كتابِه[7]. فذكَر مثلَه. [8]ورواه أبو بكرٍ الإسماعيلىُّ، عن محمدِ بنِ عليِّ بنِ الوليدِ السُّلَمىِّ به[5][8]. قال البيهقىُّ[9]: ورُوِىَ فى ذلك عن عائشةَ وأبى هريرةَ، وما ذكَرْناه هو أمثلُ الأسانيدِ فيه. وهو أيضًا ضعيفٌ، والحملُ فيه على هذا السُّلَمىِّ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى الدلائل: «ركابهم».

(٢ - ٢) فى م، ص: «حيث ولوا عنه».

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٨.

(٤) دلائل النبوة (٢٧٥).

(٥) سقط من: م.

(٦) المعجم الأوسط (٥٩٩٣)، والصغير ٢/ ٦٤. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٩٤: رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن على بن الوليد البصرى. قال البيهقى: والحمل فى هذا الحديث عليه. قلت - أى الهيثمى -: وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٧ - ٧) فى النسخ: «أبو بكر بن كنانة». والمثبت من دلائل أبى نعيم، وبعده فى ا ١١١: «به».

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) دلائل النبوة ٦/ ٣٨، بنحوه.

حديثُ[1] الحِمارِ

وقد أنْكَره غيرُ واحدٍ مِن أئمةِ الحُفَّاظِ الكِبارِ ، فقال أبو محمدٍ[2] عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ[3] : أخبرنا أبو الحسينِ[4] أحمدُ بنُ حَمْدانَ السَّجْزىُّ[5] ، حدَّثنا عمرُ بنُ محمدِ بنِ بُجَيْرٍ ، حدثنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ مَزْيَدٍ[6] إملاءً ، أنا [7]أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عقبةَ بنِ أبى الصَّهْباءِ[7] ، حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَبيبٍ الهُذَلىِّ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلمىِّ ، عن أبى مَنْظورٍ قال : لما فتَح اللَّهُ على نبيِّه ﷺ خيبرَ أصابه مِن سهمِه أربعةُ أزْواجِ نِعالٍ[8] وأربعةُ أزواجِ خِفافٍ ، وعشْرُ [٣/ ٥٢٠و] أواقِ ذهبٍ وفضةٍ ، وحمارٌ أسودُ ، [9]ومِكْتَلٌ[9] . قال : فكَلَّم النبىُّ ﷺ الحمارَ ، فكلَّمه الحمارُ ، فقال له : « ما اسمُك ؟ » قال : يزيدُ بنُ شِهابٍ ، أخْرَج اللَّهُ

---

(١) فى الأصل ، ١١١ : « خبر » . وهذا الحديث سقط من : ص .

(٢) بعده فى م : « بن » .

(٣) ذكره ابن حبان فى المجروحين ٢/ ٣٠٨، ٣٠٩، فى ترجمة محمد بن مَزْيَد أبى جعفر ، ثم قال بعده : وهذا حديث لا أصل له ، وإسناده ليس بشىء ، ولا يجوز الاحتجاج بهذا الشيخ . وابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٢٩٣، ٢٩٤، وقال : هذا حديث موضوع . فلعن اللَّه واضعه ، فإنه لم يقصد إلا القدح فى الإسلام ، والاستهزاء به . والذهبى فى ميزان الاعتدال ٤/ ٣٤، ووصفه بأنه خبر باطل . وانظر أيضًا اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٧٦.

(٤) فى م : « الحسن » .

(٥) فى م : « السحركى » .

(٦) فى النسخ : « يزيد » . وانظر المجروحين لابن حبان ٢/ ٣٠٨.

(٧ - ٧) كذا فى : م ، وفى الأصل : « عبد اللَّه بن محمد بن عقبة بن أبى الصهباء » ، وفى ١١١ : « عبد اللَّه بن محمد بن أبى عنبسة بن أبى الصهباء » . وهذا الراوى غير موجود فى إسناد الحديث بين محمد بن مزيد وأبى حذيفة ، بالمصادر التى عزونا الحديث إليها ، واللَّه أعلم .

(٨) فى م : « بغال » .

(٩ - ٩) زيادة من النسخ .

مِن نَسْلِ جَدِّى ستين حمارًا ، كلُّهم لم يَرْكَبْهم إلا نبىٌّ ، ولم يَبْقَ مِن نَسْلِ جدِّى غيرى ، ولا مِن الأنبياءِ غيرُك ، وقد كنتُ أتوَقَّعُك أن ترْكَبَنى ، قد كنتُ قبلَك لرجلٍ يهودىٍّ ، وكنتُ أُغْيِرُ به عَمْدًا ، وكان يُجِيعُ بطنى ويَضْرِبُ ظهرى ، فقال له النبىُّ ﷺ : « قد سمَّيْتُك يَعْفورًا ، يا يَعْفورُ » . قال : لبيك . قال : « أتَشْتَهِى الإناثَ ؟ » قال : لا . فكان النبىُّ ﷺ يرْكَبُه لحاجتِه ، فإذا نزَل عنه بعَث به إلى بابِ الرجـلِ ، فيأتى البابَ فيقْرَعُه برأسِه ، فإذا خرَج إليه صاحبُ الدارِ أوْمَأ إليه أن أجِبْ رســولَ اللَّهِ ﷺ ، فلما قُبِض النبىُّ ﷺ جاء إلى بئرٍ كانت لأبى الهَيْثم بنِ التيِّهانِ[1] ، فتردَّى فيها فصارت قبرَه ؛ جَزَعًا منه على رسولِ اللَّهِ ﷺ[2] .

حديثُ الحُمَّرَةِ[3] ، وهى طائرٌ مشهورٌ

قال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[4] : ثنا المَسْعودىُّ ، عن الحسنِ بنِ سعدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، [5]عن عبدِ اللَّهِ[5] قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ ، فدخَل رجلٌ غَيْضَةً[6] ، فأخْرَج[7] بَيْضةَ حُمَّرَةٍ ، فجاءت الحُمَّرَةُ ترِفُّ على رأسِ[8] رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، فقال : « أيُّكم فجَع هذه ؟ » فقال

---

(١) فى م : « النبهان » . وهو تصحيف .

(٢) قال الحافظ فى الإصابة ٣٨٩/٧ فى ترجمة أبى منظور : قال أبو موسى بعد تخريجه : هذا حديث منكر جدًّا إسنادًا ومتنًا ، لا أحل لأحد أن يرويه عنى إلا مع كلامى عليه .

(٣) الحمرة ، بضم الحاء وتشديد الميم وقد تخفف : طائر صغير كالعصفور . النهاية ١/ ٤٣٩ .

(٤) مسند أبى داود (٣٣٦) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٢ ، من طريق أبى داود به .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى ا ١١ ، م ، ص : « غيطة » . والغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف . الوسيط (غ ى ض) .

(٧) بعده فى المسند : « منها » .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من مسند أبى داود ، والدلائل .

رجلٌ مِن القومِ : أنا أخَذْتُ بَيْضتَها[1] . فقال : « [2]رُدَّها رُدَّها[2] ؛ رحمةً لها » .

وروَى البيهقيُّ[3] ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، ثنا أبو معاويةَ ، عن أبى إسحاقَ الشَّيْبانىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ مسعودٍ ، عن أبيه قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ ، فمرَرْنا بشجرةٍ فيها فَرْخَا حُمَّرَةٍ ، فأخَذْناهما . قال : فجاءت الحُمَّرةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهى تَعَرَّضُ[4] ، فقال : « مَن فجَع هذه بفَرْخَيْها ؟ » قال : فقلنا : نحن . قال : « رُدُّوهما » . فردَدْناهما إلى موضعِهما ، [5]فلم تَرْجِعْ[5] .

حديثٌ آخرُ فى ذلك ، وفيه غَرابةٌ : قال البيهقيُّ[6] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ومحمدُ بنُ الحسينِ بنِ داودَ العَلَوىُّ ، قالا : ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يَعْقوبَ الأُمويُّ ، ثنا محمدُ بنُ عُبَيدِ بنِ عتبةَ الكِنْدىُّ ، ثنا محمدُ بنُ الصَّلْتِ ، ثنا حِبانُ ، ثنا أبو سَعْدٍ[7] البَقَّالُ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أراد الحاجةَ أبْعَد . قال : فذهَب [٣/ ٥٢٠ظ] يومًا فقعَد تحتَ

---

(١) فى الأصل ، ص : « بيضها » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « رده رده » . وهو لفظ رواية البيهقى ، والمثبت من المسند .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٢، ٣٣. كما أخرجه أبو داود فى سننه (٢٦٧٥) ، من طريق أبى إسحاق الشيبانى به . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥) .

(٤) فى م ، ص : « تفرش » . وهو لفظ رواية أبى داود . قال البيهقى عقب الحديث : كذا فى كتابى (تعرض) ، وقال غيره : تُفَرِّشُ : يعنى تَقَرَّبُ للأرضِ وتُرفرف بجناحيها .

(٥ - ٥) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٦) ذكره السيوطى فى الخصائص ٢/ ٦٥، وعزاه للبيهقى بنحوه . وانظر دلائل النبوة لأبى نعيم (١٥٠) .

(٧) فى الأصل ، م : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٥٢.

سَمُرةٍ[1] ، ونزَع خُفَّيْه . قال : ولبِس أحدَهما ، فجاء طَيْرٌ ، فأخَذ الخُفَّ الآخرَ فحلَّق به فى السماءِ ، فانسَلَّت منه أَسودُ سالخٌ[2] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذه كَرامةٌ أكْرمَنِىَ اللَّهُ بها ، اللهـم إنى أعوذُ بك مِن شرِّ مَن يمشِـى على رجليه ، ومِن [3]شرِّ مَن[3] يمشى على بطنِه » .

حديثٌ آخرُ : قال البخارىُّ[4] : ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا مُعاذٌ ، حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ قال : حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ أن رجلَيْنِ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ [5]خرَجا مِن عندِ النبىِّ ﷺ[5] [6]فى ليلةٍ مُظْلِمةٍ[6] ومعهما مثلُ المِصْباحَـين يُضِيئان[7] بيـنَ أيدِيهما ، فلما افْتَرَقا صار مع كلِّ واحدٍ منهما واحدٌ حتى أتَى أهلَه .

وقال عبدُ الرزاقِ[8] : أنا مَعمرٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن أُسَيدَ بنَ حُضَيرٍ الأنصارىَّ ورجلًا آخَرَ مِن الأنصارِ تحَدَّثا عندَالنبىِّ ﷺ فى حاجةٍ لهما حتى ذهَب مِن الليلِ ساعةٌ ، وهى ليلةٌ شديدةُ الظُّلْمةِ ، حتى خرَجا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَنْقَلِبان ، وبيدِ كلِّ واحدٍ منهما عُصَيَّةٌ ، فأضاءت عصَا أحدِهما لهما حتى

---

(١) فى الأصل : « شجرة » .
(٢) فى ١١١، م : « سالح » . وأسود سالخ ؛ الأسود : العظيم من الحيات وفيه سواد . وأخبثها وأنكاها . ويقال له : أسود سالخ ؛ لأنه يسلَخ جلده كل عام . الوسيط (س و د) .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) البخارى (٤٦٥، ٣٦٣٩) .
(٥ - ٥) سقط من : ١١١، ص .
(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح البخارى .
(٧) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح البخارى .
(٨) المصنف (٢٠٥٤١) .

مشَيا فى ضوئِها ، حتى إذا افترَقت بهما الطريقُ أضاءت للآخرِ عَصاه ، فصار[1] كلُّ واحدٍ منهما فى ضوءِ عصاه ، حتى بلَغ أهلَه . وقد علَّقه البخاريُّ[2] فقال : وقال معمرٌ . فذكَره .

وعلَّقه البخاريُّ أيضًا[2] ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أن عَبَّادَ بنَ بِشْرٍ وأُسَيْدَ بنَ حُضَيرٍ خرَجا مِن عندِ النبىِّ ﷺ ، فذكَر مثلَه . وقد رَواه النسائىُّ[3] ، عن أبى بكرِ بنِ نافعٍ ، عن [4]بهزِ بنِ أسدٍ[4] ، وأسْنَده البيهقىُّ[5] مِن طريقِ يزيدَ بنِ هارونَ ، كلاهما عن حمادِ بنِ سَلَمةَ به[6] .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[7] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ ابنُ [8]عبدِ اللَّهِ[8] الأصْبهانىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ مِهْرانَ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، أنا كاملُ بنُ العَلاءِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كنا نُصلِّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ العِشاءَ ، وكان يُصلِّى فإذا سجَد وثَب الحسنُ والحسينُ على ظهرِه ، فإذا رفَع رأسَه أخَذهما فوضَعهما وَضْعًا رَفيقًا ، فإذا عاد عادا ، فلما صلَّى جعَل واحدًا هـٰهنا وواحدًا هـٰهنا ، فجئتُه فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا أذْهَبُ بهما إلى أمِّهما ؟

---

(١) فى م : « حتى مشى فى ضوئها حتى أتى » ، وكذا فى بقية النسخ ؛ إلا أنه فى الأصل : « أوى » وفى ١١١ : « مشى » وفى ص : « أوتى » بدلًا من : « أتى » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) البخارى عقب حديث (٣٨٠٥) . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٧٨، ٧٩.

(٣) النسائى فى الكبرى (٨٢٤٥) .

(٤ - ٤) فى م : « بشر بن أسيد » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٥٧.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٧٨.

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٧٦.

(٨ - ٨) فى الدلائل : « عبد الوهاب » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٧، ٤٣٨.

(١ قال : « لا » ١) . فبرَقَت بَرْقةٌ ، فقال : « الْحَقا بأُمِّكما » . فما زالا يَمْشِيَان فى ضوئِها حتى دخَلا .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ [٣/ ٥٢١و] فى « التاريخِ »(٢) : حدَّثنى(٣) أحمدُ ابنُ الحجاجِ ، ثنا سفيانُ بنُ حمزةَ ، عن كثيرِ بنِ زيدٍ(٤) ، عن محمدِ بنِ حمزةَ بنِ عمرٍو الأسْلَمىِّ ، عن أبيه قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ (٥ فى سَفَرٍ ٥) فتفرَّقْنا فى ليلةٍ ظَلْماءَ دُحْمُسَةٍ(٦) ، فأضاءت أصابعى حتى جَمَعوا عليها ظهْرَهم وما هلَك منهم ، وإن أصابعى لَتُنيرُ . ورواه البيهقىُّ مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ المنذرِ الحِزامىِّ ، (٧ عن سفيانَ بنِ حمزةَ به ٧)(٨) . (٩ ورَواه الطَّبرانىُّ مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ حمزةَ الزُّبَيرىِّ(١٠) ، عن سفيانَ بنِ حمزةَ به ٩) .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) التاريخ الكبير ٣/ ٤٦ .

(٣) فى التاريخ : « قال » .

(٤) فى م : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١١٣ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من التاريخ الكبير .

(٦) فى الأصل : « دخحسة » ، وفى م ، ص : « دحسة » . ودُحمُسة : مظلمة شديدة الظلمة . النهاية ٢/ ١٠٦ .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٧٩ .

(٩ - ٩) زيادة من : م . والحديث فى المعجم الكبير ٣/ ١٧٥ (٢٩٩٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٤١١ : رواه الطبرانى ورجاله ثقات وفى كثير بن زيد خلاف .

(١٠) فى م : « الزهرى » . وهو خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٦٠ ، ٦١ .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقيُّ[1] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو محمدٍ[2] أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنيُّ[3] ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَضْرميُّ ، ثنا أبو كُرَيْبٍ ، ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، ثنا عبدُ الحميدِ بنُ أبى عَبْسٍ الأنصاريُّ مِن بنى حارثةَ ، أخْبَرنى مَيْمونُ بنُ زيدِ بنِ أبى عَبْسٍ ، أخْبَرنى أبى ، أن أبا عبسٍ كان يُصَلِّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ الصلواتِ ، ثم يَرْجِعُ إلى بنى حارثةَ ، فخرَج فى ليلةٍ مُظْلمةٍ مَطِيرةٍ ، فنُوِّر له فى عَصاه حتى دخَل دارَ بنى حارثةَ . قال البيهقيُّ : أبو عَبْسٍ مِمَّن شهِد بدرًا .

قلتُ : ورُوِّينا عن يزيدَ بنِ الأسودِ ، وهو مِن التابعين ، أنه كان يَشْهَدُ الصلاةَ بجامعِ دِمشْقَ مِن جِسْرِينَ[4] ، فربما أضاءت له إبهامُ قدمِه فى الليلةِ المظلمةِ[5] . وقد قدَّمْنا فى قصةِ إسلامِ الطُّفَيلِ بنِ عمرٍو الدَّوْسىِّ بمكةَ قبلَ الهجرةِ أنه سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ آيةً يدْعو قومَه بها ، فلما ذهَب إليهم وانهَبَطَ مِن الثَّنِيَّةِ أضاء له نورٌ بينَ عَيْنَيْه ، فقال : اللهم لا[6] يقولوا : هو مُثْلَةٌ . فحوَّله اللَّهُ إلى طَرَفِ سَوْطِه حتى جعَلوا يرَوْنه مثلَ القِنْديلِ .

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٧٨، ٧٩.

(٢) بعده فى م : « بن » ، وبعده فى ص : « عبد الله » . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٨١، ١٨٢.

(٣) فى ا ١١١ : « المرلى » ، وفى م : « المدنى » . وانظر الأنساب ٥/ ٢٧٨، والمصدر السابق .

(٤) جسرين : من قرى غُوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٨٢.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٣٩ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٧.

(٦) سقط من : الأصل ، ا ١١١، ص .

حديثٌ آخرُ فيه كَرامةٌ لتَميمِ الدَّاريّ

روَى الحافظُ البيهقيُّ[1] مِن حديثِ عفانَ بنِ مسلمٍ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن الجُرَيْرِيِّ، عن [2]أبي العلاءِ، عن[2] معاويةَ بنِ حَرْمَلٍ قال: خرَجَت نارٌ بالحَرَّةِ، فجاء عمرُ إلى تَميمٍ الدَّاريِّ فقال: قُمْ إلى هذه النارِ. قال: يا أميرَ المؤمنين، ومَن أنا؟ وما أنا؟ قال: فلم يزَلْ به حتى قام معه. قال: وتبِعْتُهما، فانطَلَقا إلى النار، فجَعَل تَميمٌ يَحوشُها بيديه حتى دخَلَت الشِّعْبَ، ودخَل تَميمٌ خلفَها. قال: فجعَل عمرُ يقولُ: ليس مَن رأَى كمَن لم يَرَ. قالها ثلاثًا.

حديثٌ آخرُ فيه كَرامةٌ لوليٍّ مِن هذه الأُمةِ

وهي معدودةٌ مِن المُعْجزاتِ؛ لأن كلَّ ما ثبت لوليٍّ فهو مُعْجِزةٌ لنبيِّه.

قال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[3]: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن أبي سَبْرةَ النَّخَعيِّ قال: أقْبَل رجلٌ مِن اليمنِ، فلما كان ببعضِ الطريقِ، نفَق[4] حِمارُه، فقام فتوَضأ، [٣/ ٥٢١ظ] ثم صلَّى ركعتين، ثم قال: اللهم إني جئتُ مِن الدَّثِينةِ[5] مجاهدًا في سبيلِك وابتغاءَ مَرْضاتِك، وأنا أشْهَدُ أنك تُحْيِي

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٨٠، مطولًا.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل، وكذا في الإصابة ٦/ ٣٠٢، من طريق البغوي. وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٧٥.

(٣) في م: «عروة»، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٢٠١. والخبر في دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٨، من طريق الحسن بن عرفة به.

(٤) نفق: مات. الوسيط (ن ف ق).

(٥) في م: «الدفينة». والدثينة: ناحية بين الجَنَد وعدن... ويقال: كانت تسمى في الجاهلية الدفينة، فتطيروا منها فسموها الدثينة. معجم البلدان ٢/ ٥٥٠.

الموتَى وتَبْعَثُ مَن فى القبورِ، لا تجْعَلْ لأحدٍ علىَّ اليومَ مِنَّةً، أطلُبُ إليك اليومَ أن تبْعَثَ حمارى. فقام الحِمارُ ينْفُضُ أُذُنيه. قال البيهقىُّ: هذا إسنادٌ صحيحٌ. ومثلُ هذا يكونُ كَرامةً لصاحبِ الشريعةِ. قال البيهقىُّ: وكذلك رواه محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلىُّ وغيرُه عن محمدِ بنِ عُبيدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن الشعبىِّ، وكأنه عندَ إسماعيلَ عنهما. واللَّهُ أعلمُ.

طريقٌ أخرى: قال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا فى كتابِ «مَن عاش بعدَ الموتِ»[1]: حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ وأحمدُ بنُ بُجَيْرٍ وغيرُهما قالوا: ثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن الشعبىِّ، أن قومًا أقْبَلوا مِن اليمنِ مُتَطَوِّعِين فى سبيلِ اللَّهِ، فنفَق حمارُ رجلٍ منهم، فأرادوه أن ينْطَلِقَ معهم فأبَى، فقام فتوَضَّأ وصلَّى، ثم قال: اللهم إنى جئتُ مِن الدَّثِينةِ مجاهدًا فى سبيلِك وابتغاءَ مَرْضاتِك، وإنى أشْهَدُ أنك تُحْيى الموتَى وتبْعَثُ مَن فى القبورِ، فلا تجْعَلْ[2] لأحدٍ علىَّ مِنَّةً، فإنى أطلُبُ إليك أن تبْعَثَ لى حمارى، [3]ثم قام إلى الحمارِ[3] فضَربه[4]، فقام الحمارُ ينْفُضُ أُذُنَيْه فأسْرَجه وألْجَمه، ثم ركِبه وأجْراه فلحِق بأصحابِه، فقالوا له: ما شأنُك؟ قال: شأنى أن اللَّهَ بعَث حمارى. قال الشعبىُّ: فأنا رأيْتُ الحمارَ يبِع أو يُباعُ فى الكُنَاسَةِ. يعنى بالكوفةِ.

قال ابنُ أبى الدُّنْيا[5]: وأخْبَرنى العباسُ بنُ هشامٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن

---

(١) من عاش بعد الموت (٢٩).

(٢) فى الأصل: «تطلب»، وفى ا ١١: «تبعث».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٥) من عاش بعد الموت (٣٠). ومن طريق ابن أبى الدنيا أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٩.

مسلمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ شَريكٍ النَّخَعيِّ ، أن صاحبَ الحمارِ رجلٌ مِن النَّخَعِ ، يقالُ له : نُباتَةُ بنُ يزيدَ . خرَج فى زمنِ عمرَ غازيًا ، حتى إذا كان بشَنٍّ[1] عَميرَةَ نفَق حِمارُه . فذكَر القصةَ ، غيرَ أنه قال : فباعه بعدُ بالكُناسةِ ، فقيل له : تَبيعُ حمارَك وقد أحْياه اللَّهُ لك ؟! قال : فكيف أصْنَعُ ؟ وقد قال رجلٌ مِن رَهْطِه ثلاثةَ أبياتٍ فحفِظْتُ هذا البيتَ :

ومنا الذى أحْيا الإلهُ حمارَه وقد مات منه كلُّ عُضوٍ ومَفْصِلِ

وقد ذكَرْنا فى بابِ رَضاعِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ما كان مِن حمارةِ حَليمةَ السَّعْديَّةِ ، وكيف كانت تسْبِقُ الرَّكْبَ فى رُجوعِها لمّا ركِب معها عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو رَضيعٌ ، وقد كانت أَذَمَّتْ[2] بالرَّكْبِ فى مَسيرِهم إلى مكةَ ، وكذلك [٣/٥٢٢و] ظهَرت برَكتُه عليهم فى شارِفِهم - وهى الناقةُ التى كانوا يحْلُبونها - وشِياهِهم وسِمَنِها[3] وكثرةِ ألبانِها ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

قِصَّةٌ أخرى مع قِصَّةِ العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ : قال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[4] : حدَّثنى خالدُ بنُ خِداشِ بنِ عَجْلانَ المُهَلَّبيُّ وإسماعيلُ بنُ [5]إبراهيمَ بنِ بسَّامٍ[5] ، قالا : ثنا صالحٌ المُرِّيُّ[6] ، عن ثابتٍ البُنانيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : عُدْنا شابًّا

---

(١) فى الأصل : « بشقّ » ، وفى ١١١ : « بسرّ » وهو لفظ رواية البيهقى ، وفى م : « يلقى » . والشن ، والشق ، والسر أماكن مختلفة .

(٢) فى م ، ص : « أدمت » . وأذمت بالركب : حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها . الوسيط (ذ م م) . وتقدم الأثر فى ٣/ ٤٠٩ .

(٣) فى م : « سمنهم » .

(٤) من عاش بعد الموت (١) .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ١١١ : « إبراهيم بن نسار » ، وفى م ، ص : « بشار » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٣ .

(٦) فى م ، ص : « المزى » . وهو تصحيف ، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٦ .

مِن الأنصارِ ، فما كان بأسرعَ مِن أن مات فأغْمَضْناه ، ومدَدْنا عليه الثوبَ ، وقال بعضُنا لأمِّه : احْتَسِبيه . قالت : وقد مات ؟! قلْنا : نعم . [1]قالت : أحقٌّ ما تقولون ؟ قلنا : نعم[1] . فمدَّت يدَيها إلى السماءِ ، وقالت : اللهمَّ إنى آمنْتُ بك ، وهاجَرْتُ إلى رسولِك ﷺ ، فإذا نزَلَت بى شِدةٌ دعَوْتُك ففرَّجْتَها ، فأسْأَلُك اللهم ألا تحْمِلَ علىَّ هذه المُصيبةَ[2] . قال : فكشَف الثوبَ عن وجهِه فما برِحْنا حتى أكَلْنا وأكَل معنا . وقد رَواه البيهقىُّ[3] ، عن أبى سعدٍ المالِينىِّ ، عن ابنِ عَدِىٍّ ، عن محمدِ بنِ طاهرِ بنِ أبى الدُّمَيْكِ[4] ، عن [5]عُبيدِ اللَّهِ[5] بنِ عائشةَ ، عن صالحِ ابنِ بَشيرٍ المُرِّىِّ[6] ، أحدِ زُهَّادِ البصرةِ وعُبَّادِها مع لِينٍ فى حديثِه ، [7]عن ثابتٍ[7] ، عن أنسٍ ، فذكَر القصةَ ، وفيه أن أمَّ السائبِ كانت عجوزًا عَمْياءَ .

قال البيهقىُّ[8] : وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ مُرْسَلٍ . يعنى فيه انقطاعٌ بين ابنِ عونٍ[9] وأنسِ بنِ مالكٍ ، ثم ساقه مِن طريقِ عيسى بنِ يونسَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْنٍ ، عن أنسٍ قال : أدْرَكْتُ فى هذه الأُمَّةِ ثلاثًا لو كانت فى بنى إسرائيلَ لَما تقاسَمها الأُمَمُ[10] . قلْنا : ما هى يا أبا حمزةَ ؟ قال : كنا فى الصُّفَّةِ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأتَتْه امرأةٌ مُهاجرةٌ ومعها ابنٌ لها قد بلَغ ، فأضاف المرأةَ إلى النساءِ وأضاف

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٥١.

(٢) بعده فى مصدر التخريج : « اليوم » .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٥٠.

(٤) فى الأصل ، م : « الدميل » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٢٧.

(٥ - ٥) فى النسخ : « عبد الله » . وفى الدلائل : « عبيد » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٤٧.

(٦) فى م : « المزنى » ، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٦.

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من دلائل النبوة .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٥١ - ٥٣.

(٩) فى الأصل ، م : « عدى » ، وفى الدلائل : « عوف » ، وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤.

(١٠) بعده فى الدلائل : « لكان عجبًا » .

ابنَها إلينا ، فلم يَلْبَثْ أن أصابه وَباءُ المدينةِ فمَرِض أيامًا ثم قُبِض ، فغمَّضه النبيُّ ﷺ وأمَر بجِهازِه ، فلما أرَدْنا أن نُغَسِّلَه قال : « يا أنسُ ، ائْتِ أُمَّه فأعْلِمْها » . فأعْلَمْتُها . قال : فجاءت حتى جلَست عندَ قدميه فأخَذَت بهما ، ثم قالت : (١) اللهم إنى أسْلَمْتُ لك طَوْعًا ، وخَلَعْتُ(٢) الأوْثانَ زُهْدًا ، وهاجَرْتُ لك رَغْبةً(١) ، اللهم لا تُشْمِتْ بى عَبَدةَ الأوثانِ ، ولا تُحمِّلْنى مِن هذه المُصِيبةِ ما لا طاقةَ لى بحَمْلِها . قال : فواللَّهِ ما انقَضَى كلامُها حتى حرَّك قدمَيْه ، وأَلْقَى الثوبَ عن وجهِه ، وعاش حتى قبَض اللَّهُ رسولَه ﷺ ، وحتى هلكت أُمُّه . قال : [٣/ ٥٢٢ظ] ثم جهَّز عمرُ بنُ الخطابِ جيشًا واسْتَعْمل عليهم العَلاءَ بنَ الحَضْرمىِّ . قال أنسٌ : وكنتُ فى غَزاتِه ، فأتَيْنا مَغازيَنا ، فوجَدْنا القومَ قد (٣)نذِروا بنا(٣) فعفَّوا آثارَ الماءِ ، والحَرُّ شديدٌ ، فجهَدَنا العطَشُ ودَوابَّنا ، وذلك يومُ الجُمُعةِ ، فلما مالت الشمسُ لغَرْبِها صلَّى بنا ركعتَيْن ، ثم مدَّ يدَه إلى السماءِ ، وما نرَى فى السماءِ شيئًا . قال : فواللَّهِ ما حطَّ يدَه حتى بعَث اللَّهُ رِيحًا وأنشَأَ سَحابًا وأفْرَغتْ حتى مَلأَت الغُدُرَ والشِّعابَ ، فشَرِبْنا وسَقَيْنا رِكابَنا واسْتَقَيْنا ، ثم أتَيْنا عدوَّنا وقد جاوزوا خَليجًا فى البحرِ إلى جزيرةٍ ، فوقَف على الخليجِ وقال : يا عليُّ ، يا عظيمُ ، يا حَليمُ ، يا كَريمُ . ثم قال : أجِيزوا بسمِ اللَّهِ . قال : فأجَزْنا ، ما يَبُلُّ الماءُ حَوافرَ دوابِّنا ، (٤)فلم نَلْبَثْ إلا يَسيرًا(٤) ، فأصَبْنا العدوَّ غِيْلَةً(٥) فقتَلْنا وأسَرْنا وسبَيْنا ، ثم أتَيْنا الخَليجَ ، فقال مثلَ مَقالتِه ، فأجَزْنا ، ما يَبُلُّ الماءُ حَوافرَ دوابِّنا . قال : فلم

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « خالفت » .

(٣ - ٣) فى م : « بدروا بنا » . ونذر بالعدو نذرًا : علمه فحذره . تاج العروس (ن ذ ر) .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٥) فى النسخ : « عليه » . والمثبت من مصدر التخريج .

نَلْبَثْ إلا يَسيرًا حتى [1]رُمِىَ فى جِنازتِه[1] . قال : فحفَرْنا له وغسَّلْناه ودفَنَّاه ، فأتى رجلٌ بعدَ فراغِنا مِن دفنِه فقال : مَن هذا ؟ فقلْنا : هذا خيرُ البشرِ ، هذا ابنُ الحَضْرمىِّ . فقال : إن هذه الأرضَ تَلْفِظُ الموتَى ، فلو نقَلْتُموه إلى مِيلٍ أو مِيلَيْن ، إلى أرضٍ تَقْبَلُ الموتَى . فقلْنا : ما جَزاءُ صاحبِنا أن نُعَرِّضَه للسِّباعِ تأكُلُه ؟ قال : فاجْتمعْنا على نَبْشِه ، فلما وصَلْنا إلى اللَّحْدِ إذا صاحبُنا ليس فيه ، وإذا اللَّحْدُ مَدَّ البصرِ نورٌ يَتلألأُ . قال : فأعَدْنا التُّرابَ إلى اللَّحْدِ ثم ارْتَحَلْنا . قال البيهقىُّ ، رحِمه اللَّهُ : وقد رُوِىَ عن أبى هريرةَ فى قصةِ العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ فى اسْتِسْقائِه ومشْيِهم على الماءِ دونَ قصةِ الموتِ بنحوٍ مِن هذا . وذكَر البخارىُّ فى « التاريخِ » لهذه القصةِ إسنادًا آخرَ[2] .

وقد أسْنَده ابنُ أبى الدنيا[3] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن محمدِ بنِ فُضَيْلٍ ، عن الصَّلْتِ بنِ مَطَرٍ العِجْلىِّ[4] ، عن عبدِ الملكِ بنِ أختِ[5] سهمٍ ، عن سهمِ بنِ مِنْجابٍ قال : غزَوْنا مع العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ . فذكَره . وقال فى الدعاءِ : يا عَليمُ ، يا حَليمُ ، يا علىُّ ، يا عظيمُ ، إنا عَبيدُك ، وفى سبيلِك نُقاتِلُ عدوَّك ، اسْقِنا غَيْثًا نَشْرَبُ منه ونتوضَّأُ ، فإذا ترَكْناه فلا تجْعَلْ لأحدٍ فيه نَصيبًا غيرَنا . وقال فى البحرِ : اجْعَلْ لنا سبيلًا إلى عدوِّك . وقال فى الموتِ : أخْفِ جُثَّتِى ولا تُطْلِعْ على عَوْرتى أحدًا . فلم يُقْدَرْ عليه . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى الدلائل : « رئى فى دفنه » . ورمى فى جنازته : مات . انظر الغريبين للهروى ١/ ٤١٠.

(٢) ذكر البخارى فى التاريخ الكبير ٦/٥٠٦ ترجمة العلاء بن الحضرمى ، ولم يذكر هذه القصة . ولعل المصنف تابع البيهقى فى الدلائل ٦/٥٣ حيث قال : وهو فى الثانى من كتاب التاريخ . ولعله التاريخ الأوسط للبخارى .

(٣) مجابو الدعوة (٤٠) .

(٤) كذا فى النسخ . وفى مصدر التخريج : « الخلّدى » .

(٥) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢١٥.

قصةٌ أخرى: قال البيهقيُّ[1]: أنا أبو[2] الحسينِ بنُ بِشْرانَ، أنا إسماعيلُ [٣/ ٥٢٣و] الصَّفَّارُ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ عفانَ[3]، ثنا ابنُ نُمَيْرٍ، عن الأعمشِ، عن بعضِ أصحابِه قال: انتَهَيْنا إلى دِجْلةَ وهى مادَّةٌ، والأعاجمُ خلفَها، فقال رجلٌ مِن المسلمين: بسمِ اللَّهِ. ثم اقْتَحَم بفرسِه، فارْتَفَع على الماءِ. فقال الناسُ: بسمِ اللَّهِ[4]. ثم اقْتَحموا فارْتَفَعوا على الماءِ، فنظَر إليهم الأعاجمُ، وقالوا: دِيوانُ دِيوانٌ[5]. ثم ذهَبوا على وجوهِهم. قال: فما فقَد الناسُ إلا قَدَحًا كان مُعَلَّقًا بعَذَبةِ سَرْجٍ، فلما خرَجوا أصابوا الغَنائمَ، فاقْتَسَموها فجعَل الرجلُ يقولُ: مَن يُبادِلُ صفراءَ ببيضاءَ؟

قصةٌ أخرى: قال البيهقيُّ[6]: أنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ، أنا أبو محمدٍ[7] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ السِّمْذِيُّ[8]، ثنا أبو العباسِ السَّرَّاجُ، ثنا الفضلُ بنُ سهلٍ[9] وهارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ قالا: ثنا أبو النَّضْرِ، ثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ، أن أبا مسلمٍ الخَوْلانيَّ جاء إلى الدِّجْلةِ وهى تَرْمى الخشبَ مِن مدِّها، فمشَى على الماءِ، والتَفَتَ إلى أصحابِه وقال: هل تَفْقِدون مِن متاعِكم شيئًا فندْعُوَ اللَّهَ، عز وجل؟ قال البيهقيُّ: هذا إسنادٌ صحيحٌ. قلتُ: وستأتى قصةُ أبى[10] مسلمٍ الخَوْلانيِّ -

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥٣، ٥٤.

(٢) سقط من: الأصل، م، ص.

(٣) فى م: «عثمان»، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٢٥٧.

(٤) بعده فى الأصل، ١١١: «بسم الله».

(٥) أى مجانينُ مجانينُ. كما فسرها المصنف فيما يأتى صفحة ٣١٥.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٥٤.

(٧) سقط من: ١١١، م، ص.

(٨) فى الدلائل، م: «السمرى». وانظر الأنساب ٣/ ٢٩٥.

(٩) فى الدلائل: «سهيل»، وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٢٣.

(١٠) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٩٠.

واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ ثُوَبٍ - مع الأسْودِ العَنْسىِّ حينَ أَلْقاه فى النارِ ، فكانت عليه بَرْدًا وسَلامًا ، كما كانتْ على الخليلِ إبراهيمَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

قصةُ زيدِ بنِ خارجةَ ، وكلامُه بعدَ الموتِ ، وشهادتُه بالرسالةِ لمحمدٍ ﷺ ، وبالخِلافةِ لأبى بكرٍ الصديقِ ثم لعمرَ ثم لعثمانَ ، رضى اللَّهُ عنهم .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[1] : أنا أبو صالحِ بنُ أبى طاهرٍ العَنْبرىُّ ، أنا جدِّى يحيى بنُ منصورٍ القاضى ، ثنا أبو علىٍّ [2]محمدُ بنُ عمرٍو كَشْمُرْدُ[2] ، أنا القَعْنَبىُّ ، أنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أن زيدَ بنَ خارجةَ الأنصارىَّ ثم مِن بنى الحارثِ بنِ الخزرجِ ، تُوُفِّىَ زمنَ عثمانَ بنِ عفانَ فسُجِّىَ بثوبِه ، ثم إنهم سمِعوا جَلْجَلةً فى صدرِه ، ثم تكَلَّم ، ثم قال : أحمدُ أحمدُ فى الكتابِ الأولِ ، صدَق صدَق أبو بكرٍ الصديقُ ، الضعيفُ فى نفسِه ، القوىُّ فى أمْرِ اللَّهِ ، فى الكتابِ الأولِ ، صدَق صدَق عمرُ بنُ الخطابِ [٣/٥٢٣ظ] القوىُّ الأمينُ ، فى الكتابِ الأولِ ، صدَق صدَق عثمانُ بنُ عفانَ ، على مِنْهاجِهم ، مضَتْ أربعٌ وبقِيت ثِنْتان ، أتَتِ الفِتَنُ ، وأكل الشديدُ الضعيفَ ، وقامت الساعةُ ، وسيَأْتيكم عن جيشِكم خبرُ بئرِ أَرِيسَ ، وما بئرُ أَرِيسَ ؟ قال يحيى : قال سعيدٌ : ثم هلَك رجلٌ مِن بنى خَطْمةَ فسُجِّىَ بثوبِه ، فسُمِع جلجلةٌ فى صدرِه ، ثم تكَلَّم فقال : إنَّ أخا بنى الحارثِ بنِ الخزرجِ صدَق صدَق . ثم

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥٥.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « بن محمد بن عمرو بن كشمرد » . وانظر نزهة الألباب ٢/ ٩١، ٩٢.

رَواه البيهقىُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن أبى بكرِ بنِ إسحاقَ ، عن موسى[2] بنِ الحسنِ ، عن القَعْنَبىِّ ، فذكَره ، وقال : هذا إسنادٌ صحيحٌ وله شَواهدُ . ثم ساقه مِن طريقِ أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الدُّنْيا فى كتابِ « مَن عاش بعدَ الموتِ »[3] : حدَّثنا أبو مسلمٍ عبدُ الرحمنِ بنُ يونسَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ قال : جاء يزيدُ بنُ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ إلى حَلْقةِ القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ بكتابِ أبيه النعمانِ بنِ بَشيرٍ - يعنى إلى أمِّه - : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن النعمانِ بنِ بَشيرٍ إلى أمِّ عبدِ اللَّهِ بنتِ أبى هاشمٍ ، سلامٌ عليكِ ، فإنى أحْمَدُ إليكِ اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، فإنكِ كتبْتِ إلىَّ لأكتُبَ إليكِ بشأنِ زيدِ بنِ خارجةَ ، وإنه كان مِن شأنِه أنه أخَذه وجَعٌ فى حَلْقِه - وهو يومَئذٍ مِن أصحِّ الناسِ أو أهلِ المدينةِ - فتُوُفِّىَ بينَ صلاةِ الأولى وصلاةِ العصرِ فأضْجَعْناه لظهرِه ، وغشَّيْناه ببُرْدَيْن وكِساءٍ ، فأتانى آتٍ فى مَقامى وأنا أُسَبِّحُ بعدَ المغربِ فقال : إن زيدًا قد تكَلَّم بعدَ وفاتِه ، فانصَرَفْتُ إليه مُسْرِعًا ، وقد حضَره قومٌ مِن الأنصارِ ، وهو يقولُ أو يقالُ على لسانِه : الأوْسَطُ أجْلَدُ الثلاثةِ[4] ، الذى كان لا يُبالى فى اللَّهِ لَوْمةَ لائمٍ ، كان لا يأْمُرُ الناسَ أن يأْكُلَ قويُّهم ضعيفَهم ، عبدُ اللَّهِ أميرُ المؤمنين ، صدَق صدَق ، كان ذلك فى الكتابِ الأولِ . ثم قال : عثمانُ أميرُ المؤمنين ، وهو يُعافِى الناسَ مِن ذنوبٍ كثيرةٍ ، خلَت اثنتان[5] وبَقِىَ أربعٌ ، ثم اخْتَلف الناسُ وأكَل بعضُهم بعضًا ، فلا نظامَ [6]وأُبيحَت الأحماءُ[6] ، ثم ارْعَوَى المؤمنون وقالوا :

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥٥، ٥٦.

(٢) فى الدلائل : « قريش » ، وانظر المجروحين لابن حبان ١/ ١٦٢.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٥٦، ٥٧، وانظر من عاش بعد الموت (٣) .

(٤) فى مصدرى التخريج : « القوم » .

(٥) فى مصدرى التخريج : « ليلتان » .

(٦ - ٦) فى م : « وأنتجت الأكما » .

كتابُ اللَّهِ وقدَرُه . أيُّها الناسُ ، أقْبِلوا على أميرِكم واسْمَعوا وأطِيعوا ، فمَن تولَّى فلا يَعْهَدَنَّ دمًا ، [٣/ ٥٢٤و] وكان أمْرُ اللَّهِ قدَرًا مَقْدورًا ، اللَّهُ أكبرُ ، هذه الجنةُ وهذه النارُ ، ويقولُ النبيون والصِّدِّيقون : سلامٌ عليكم . يا عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ ، هل أحْسَسْتَ لى خارجةَ - لأبيه - وسعدًا[1] اللذين قُتِلا يومَ أُحُدٍ ؟ ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج: ١٥-١٨] . ثم خفَتَ صوتُه ، فسألْتُ الرَّهْطَ عما سبَقنى مِن كلامِه ، فقالوا : سمِعْناه يقولُ : أَنْصِتوا أَنْصِتوا . فنظَر بعضُنا إلى بعضٍ ، فإذا الصوتُ مِن تحتِ الثيابِ . قال : فكَشَفْنا عن وجهِه فقال : هذا أحمدُ رسولُ اللَّهِ ، سلامٌ عليك يا رسولَ اللَّهِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . ثم قال : أبو بكرٍ الصديقُ الأمينُ ، خليفةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كان ضعيفًا فى جسمِه ، قويًّا فى أمْرِ اللَّهِ ، صدَق صدَق ، وكان فى الكتابِ الأولِ . ثم رَواه الحافظُ البيهقىُّ[2] ، عن أبى نصرِ بنِ قتادةَ ، عن أبى عمرِو بنِ نُجَيْدٍ[3] ، عن علىِّ بنِ الحسينِ بنِ الجُنَيْدِ ، عن المُعافَى بنِ سليمانَ ، عن زُهَيرِ بنِ معاويةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، فذكَره وقال : هذا إسنادٌ صحيحٌ[4] . قال البيهقىُّ : ورُوِىَ ذلك عن حَبيبِ بنِ سالمٍ ، عن النعمانِ بنِ بَشيرٍ ، وذكر بئرَ أَرِيسَ ، كما ذكَرْنا فى روايةِ ابنِ المسيَّبِ . قال البيهقىُّ : والأمرُ فيها أن النبىَّ ﷺ اتخَذ خاتَمًا فكان فى يدِه ، ثم كان فى يدِ أبى بكرٍ مِن بعدِه ، ثم كان فى يدِ عمرَ ، ثم كان فى يدِ عثمانَ حتى وقَع منه فى بئرِ أرِيسَ بعدَ ما مضَى مِن خلافتِه

---

(١) يعنى أخاه .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٥٧.

(٣) فى م : « بجير » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦.

(٤) بعده فى ا ١١١، م : « وقد روى هشام بن عمار فى كتاب المبعث عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنى عمير بن هانئ ، حدثنى النعمان بن بشير قال : توفى رجل منا يقال له : خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوبا . فذكر نحو ما تقدم » .

ستٌّ سنين، فعندَ ذلك تغيَّرت عُمّالُه، وظهَرت أسبابُ الفتنِ، كما قيل على لسانِ زيدِ بنِ خارجةَ. قلتُ: وهى المُرادةُ مِن قولِه: مضَت اثنتان وبَقِىَ أربعٌ. أو: مضَت أربعٌ وبَقِىَ اثنتان. على اختلافِ الروايةِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قال البخارىُّ فى «التاريخِ»[1]: زيدُ بنُ خارجةَ الخَزْرجىُّ الأنصارىُّ شهِد بدرًا، تُوُفِّىَ زمنَ عثمانَ، وهو الذى تكَلَّم بعدَ الموتِ. قال البيهقىُّ[2]: وقد رُوِىَ فى التكلُّمِ بعدَ الموتِ عن جماعةٍ بأسانيدَ صحيحةٍ. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ أبى الدُّنْيا[3]: [٣/ ٥٢٤ظ] ثنا خلفُ بنُ هشامٍ البزّارُ، ثنا خالدٌ الطَّحّانُ، عن حصينٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدٍ[4] الأنصارىِّ، أن رجلًا مِن [5]قَتْلَى مُسَيْلِمَةَ[5] تكَلَّم فقال: محمدٌ رسولُ اللَّهِ ﷺ، أبو بكرٍ الصديقُ، عثمانُ الليِّنُ الرحيمُ. قال: ولا أدرى أَيْش قال فى عمرَ. كذا رواه ابنُ أبى الدنيا فى كتابِه.

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ[6]: أنا أبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو، ثنا أبو العباسِ محمدُ ابنُ يعقوبَ، ثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ، أنا علىُّ بنُ عاصمٍ، أنا حُصينُ بنُ عبدِ الرحمنِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدٍ الأنصارىِّ قال: بينما هم يُثَوِّرُون[7] القَتْلى يومَ صِفِّينَ أو يومَ الجملِ، إذ تكَلَّم رجلٌ مِن الأنصارِ مِن القَتْلَى، فقال: محمدٌ

---

(١) التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٣.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٥٨.

(٣) من عاش بعد الموت (٨).

(٤) فى مصدر التخريج: «عبيد اللَّه»، وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٦١.

(٥ - ٥) فى النسخ: «بنى سلمة». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٥٨.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٥٨.

(٧) كذا فى النسخ، وفى الدلائل: «يصورون». ويثورون: يُقَلِّبون. اللسان (ث و ر).

رسولُ اللَّهِ ﷺ، أبو بكرٍ الصديقُ، عمرُ الشَّهيدُ، عثمانُ الرحيمُ. ثم سكَت.

[1]وقال هشامُ بنُ عمارٍ فى كتابِ «المبعثِ»[2]: بابٌ فى كلامِ الأمْواتِ وعَجائبِهم. حدَّثنا الحكمُ بنُ هشامٍ الثقفىُّ، حدَّثنا [3]عبدُ الملكِ[3] بنُ عميرٍ، عن رِبْعىِّ بنِ حِراشٍ[4] العبسىِّ قال: مرِض أخى الربيعُ بنُ حِراشٍ فمرَّضْناه[5]، ثم مات فذَهبْنا نُجَهِّزُه، فلما جئْنا رفَع الثوبَ عن وجهِه ثم قال: السلامُ عليكم. قلْنا: وعليك السلامُ، ألستَ[6] قد مِتَّ؟! قال: بلى، ولكن لقِيتُ بعدَكم ربى ولقِيَنى برَوْحٍ ورَيْحانٍ وربٍّ غيرِ غَضْبانَ، ثم كسانى ثيابًا مِن سُنْدُسٍ خُضْرًا[7]، وإنى سألْتُه أن يأْذَنَ لى فأُبَشِّرَكم[8] فأذِن لى، وإنَّ[9] الأمرَ [10]أَيْسَرُ مما تَذهبون إليه[10]، فسَدِّدوا وقارِبوا، [11]فأَبْشِرُوا ولا تَغْتَرُّوا[11]. فلما قالها[12] كانت كحَصاةٍ[12] وقَعت فى ماءٍ. ثم أوْرَد أشياءَ[13] كثيرةً فى هذا البابِ، وهى آخرُ كتابِه[1].

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٤، ٤٥٥، وأبو نعيم فى الحلية ٤/ ٣٦٧، ٣٦٨، كلاهما من طريق عبد الملك بن عمير به نحوه.

(٣ - ٣) فى م: «عبد الحكم». وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠.

(٤) فى ا ١١١، م: «خراش». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٤.

(٥) فى م: «فمرضته».

(٦) سقط من: م.

(٧) فى م: «أخضر»، وبعده فى ا ١١١: «أو خضر من سندس».

(٨) فى م: «أن أبشركم».

(٩) سقط من: ا ١١١.

(١٠ - ١٠) فى م: «كما ترون».

(١١ - ١١) فى م: «فبشروا ولا تنفروا».

(١٢ - ١٢) فى ا ١١١: «سلفا كأنها كانت حصاة».

(١٣) فى م: «بأسانيد».

حديثٌ غريبٌ جدًّا: قال البيهقيُّ[1]: أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، ثنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ، ثنا محمدُ بنُ يونسَ الكُدَيْميُّ، ثنا شاصونةُ بنُ عُبَيدٍ أبو محمدٍ اليَمامىُّ[2] - وانصَرَفْنا مِن عَدَنَ بقريةٍ يقالُ لها: الحَرْدَةُ - حدَّثنى مُعْرِضُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُعْرِضِ بنِ مُعَيْقِيبٍ اليَمانىُّ، عن أبيه، عن جدِّه قال: حجَجْتُ حَجَّةَ الوَداعِ، فدخَلْتُ دارًا بمكةَ فرأيْتُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ، ووجهُه مثلُ دارةِ القمرِ، وسمِعْتُ منه عجَبًا، جاءه رجلٌ بغلامٍ يومَ وُلِدَ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن أنا؟» قال: أنت رسولُ اللَّهِ. قال: «صدَقْتَ، بارَكَ اللَّهُ [٣/ ٥٢٥و] فيك». قال: ثم إن الغلامَ لم يتكَلَّمْ بعدَ ذلك حتى شبَّ. قال أبى: فكنا نُسَمِّيه مُبارَكَ اليَمامةِ، قال شاصونةُ: وقد كنتُ أمُرُّ على مَعْمرٍ فلا أسْمَعُ منه. قلتُ: هذا الحديثُ مما تكَلَّم الناسُ فى محمدِ بنِ يونُسَ الكُدَيْميِّ بسببِه، وأنْكَروه عليه واسْتَغْربوا شيخَه هذا، وليس هذا مما يُنْكَرُ عقْلًا بل[3] ولا شرعًا، فقد ثبَت فى «الصحيحِ»[4] فى قصةِ جُرَيْجٍ العابدِ، أنه استَنْطَق ابنَ تلك البَغِيِّ فقال له: يا بابوسُ، ابنُ مَن أنت؟ قال: ابنُ الراعى. فعلِم بنو إسرائيلَ بَراءةَ عِرْضِ جُرَيْجٍ مما كان نُسِب إليه. وقد تقدَّم ذلك.

على أنه قد رُوِىَ هذا الحديثُ مِن غيرِ طريقِ الكُدَيْميِّ، إلا أنه بإسنادٍ غريبٍ أيضًا، فقال البيهقىُّ[5]: أنا أبو سعيدٍ[6] عبدُ المَلِكِ بنُ أبى عثمانَ الزاهدُ، أنا

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥٩.

(٢) فى النسخ: «اليمانى». والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٦٧ ترجمة محمد بن يونس.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٣، ٣/ ٣٨.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٥٩، ٦٠.

(٦) فى م، ص، والدلائل: «سعد». وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٥٦.

أبو الحسينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ جُمَيْعٍ الغَسَّانيُّ بثَغْرِ صَيْدَا ، ثنا العباسُ بنُ مَحْبوبِ ابنِ عثمانَ بنِ عُبَيدٍ أبو الفضلِ ، ثنا أبى ، ثنا جدِّى شاصونةُ بنُ عُبَيدٍ ، حدَّثنى مُعْرِضُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُعَيْقِيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : حجَجْتُ حَجَّةَ الوَداعِ ، فدخَلْتُ دارًا بمكةَ فرأيْتُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ ووجهُه كدارةِ القمرِ ، فسمِعْتُ منه عجَبًا ؛ أتاه رجلٌ مِن أهلِ اليَمامةِ بغلامٍ يومَ وُلِدَ ، وقد لفَّه فى خِرْقةٍ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا غلامُ ، مَن أنا ؟ » قال : أنت رسولُ اللَّهِ . فقال له : « بارَكَ اللَّهُ فيك » . ثم إن الغلامَ لم يتَكَلَّمْ بعدَها . قال البيهقىُّ[1] : وقد ذكَره شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، عن أبى الحسنِ علىِّ بنِ العَبَّاسِ الوَرَّاقِ ، عن أبى الفضلِ أحمدَ بنِ خلفِ بنِ محمدٍ المُقْرِئِ القَزْوِينىِّ ، عن أبى الفضلِ العباسِ بنِ محمدِ بنِ شاصونةَ به . قال الحاكمُ : وقد أخْبَرنى الثقةُ مِن أصحابِنا ، عن أبى عمرَ الزاهدِ قال : لما دخَلْتُ اليمنَ دخَلْتُ حَرْدَةَ ، فسألْتُ عن هذا الحديثِ ، فوجَدْتُ فيها لشاصونةَ عَقِبًا ، وحُمِلْتُ إلى قبرِه فزُرْتُه .

قال البيهقىُّ[2] : ولهذا الحديثِ أصلٌ مِن حديثِ الكوفيِّين بإسنادٍ مُرْسَلٍ يُخالفُه فى وقتِ الكلامِ . ثم أوْرَد مِن حديثِ وَكيعٍ ، عن الأعمشِ ، عن شِمْرِ بنِ عطيةَ ، عن بعضِ أشْياخِه أن النبىَّ ﷺ أُتِىَ بصبىٍّ قد شبَّ لم يتَكَلَّمْ قطُّ ، قال : « مَن أنا ؟ » قال : أنت رسولُ اللَّهِ . ثم روَى عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ ابنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن الأعمشِ ، عن شِمْرِ [٣/ ٥٢٥ظ] ابنِ عطيةَ ، عن بعضِ أشياخِه قال : جاءت امرأةٌ بابنٍ لها قد تحرَّك فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن ابنى هذا لم يتَكَلَّمْ منذ وُلِد . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَدْنِيه منى » .

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٦٠.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٦٠، ٦١.

فأدْنَتْه منه . فقال : « مَن أنا ؟ » فقال : أنت رسولُ اللَّهِ .

قصةُ الصبىّ الذى كان يُصْرَعُ ، فدَعا له عليه الصلاةُ والسلامُ ، فبَرَأ

قد تقدَّم ذلك[1] مِن روايةِ أسامةَ بنِ زيدٍ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ويَعْلَى بنِ مُرَّةَ الثقَّفىِّ مع قصةِ الجملِ ، الحديثَ بطولِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يَزيدُ ، ثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن فَرْقَدٍ السَّبَخِىِّ[3] ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن امرأةً جاءت بولدِها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن به لَمَمًا ، وإنه يأخُذُه عندَ طعامِنا فيُفْسِدُ علينا طعامَنا . قال : فمسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ صدرَه ودَعا له ، فثَعَّ ثَعَّةً[4] ، فخرَج منه مثلُ الجَرْوِ الأسودِ يسْعَى[5] . تفرَّد به أحمدُ . وفَرْقَدٌ السَّبَخِىُّ[3] رجلٌ صالحٌ ولكنه سَيِّئُ الحفظِ ، وقد روَى عنه شعبةُ وغيرُ واحدٍ ، واحْتُمِل حديثُه ، ولِما رواه هـٰهنا شاهدٌ مما قَدَّمْناه . واللَّهُ أعلمُ . وقد تكونُ هذه القصةُ هى ما[6] سبَق إيرادُها ، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ أخرى غيرَها . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ فى ذلك : قال أبو بكرٍ البَزَّارُ[7] : ثنا محمدُ بنُ مَرْزوقٍ ، ثنا

---

(١) تقدم فى صفحة ١٢ وما بعدها .

(٢) المسند ١/٢٣٩ (إسناده ضعيف) .

(٣) فى م : « السنجى » . وانظر الأنساب ٣/ ٢١٢، وتهذيب الكمال ٢٣/ ١٦٤.

(٤) الثع : القىء .

(٥) فى المسند : « فشفى » .

(٦) فى م : « كما » .

(٧) كشف الأستار (٧٧٣) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨: وفيه فرقد السبخى وهو ضعيف .

مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا صَدَقةُ ، يعنى ابنَ موسى ، ثنا فَرْقَدٌ وهو السَّبَخِىُّ[1] ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان النبىُّ ﷺ بمكةَ فجاءت امرأةٌ مِن الأنصارِ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هذا الخَبيثَ قد غلَبنى . فقال لها : « إن تَصْبِرى على ما أنت عليه تَجِيئى يومَ القِيامةِ ليس عليك ذُنوبٌ ولا حِسابٌ » . قالت : والذى بعَثك بالحقِّ لأَصْبِرَنَّ حتى ألْقَى اللَّهَ . قالت : إنى أخافُ الخَبيثَ أن يُجَرِّدَنى . فدَعا لها ، فكانت إذا خَشِيَتْ أن يأتيَها تأتى أسْتارَ الكعبةِ فتعَلَّقُ بها وتقولُ له : اخْسَأْ . فيَذْهَبُ عنها . قال البَزَّارُ : لا نعْلَمُه يُرْوَى بهذا اللفظِ إلا مِن هذا الوجهِ ، وصَدَقَةُ ليس به بأسٌ ، وفَرْقَدٌ حدَّث عنه جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ ، منهم شعبةُ وغيرُه ، واحْتُمِل حديثُه على سوءِ حِفْظِه .

طريقٌ أخرى عن ابنِ عباسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يحيى ، عن[3] عمرانَ أبى بكرٍ ، ثنا عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ قال : قال لى ابنُ عباسٍ : ألا أُرِيك امرأةً مِن أهلِ الجنةِ ؟ قلتُ : بلى . قال : هذه السوداءُ أتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالت : إنى أُصْرَعُ وأتَكَشَّفُ فادْعُ اللَّهَ [٣/ ٥٢٦و] لى . قال : « إن شئتِ صبَرْتِ ولك الجنةُ ، وإن شئتِ دعَوْتُ اللَّهَ لك أن يُعافِيَك » . قالت : لا ، بل أصْبِرُ ، فادْعُ اللَّهَ أنْ لا أتَكَشَّفَ . أو[4] : لا يَنْكَشِفَ عنى . قال : فدَعا لها . وهكذا رَواه البخارىُّ عن مُسَدَّدٍ ، عن يحيى ، وهو ابنُ سعيدٍ القَطَّانُ ، وأخْرَجه مسلمٌ عن القَوارِيرىِّ ، عن يحيى القَطَّانِ وبشرِ بنِ المفَضَّلِ[5] ، كلاهما عن عِمْرانَ بنِ مُسْلِمٍ أبى بكرٍ

---

(١) فى م : « السنجى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ١٦٤.

(٢) المسند ١/ ٣٤٦، ٣٤٧ (إسناده صحيح) .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « بن » . وانظر أطراف المسند ٣/ ١٧٦.

(٤) فى الأصل ، ١١١، م : « و » .

(٥) فى م ، ص : « الفضل » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٤٧.

القَصِيرِ[1] البصرىِّ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَر مثلَه[2] .

ثم قال البخارىُّ[3] : حدَّثنا محمدٌ ، ثنا مَخْلَدٌ عن ابنِ جُرَيْجٍ قال : أخْبَرنى عطاءٌ أنه رأَى أمَّ زُفَرَ تلك ، امرأةٌ طويلةٌ سوداءُ ، على سِتْرِ الكعبةِ . وقد ذكَر الحافظُ ابنُ الأَثِيرِ فى « الغابةِ »[4] أن أمَّ زُفَرَ هذه كانت مَشَّاطةَ خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ قديمًا ، وأنها عُمِّرَتْ حتى أدْركها عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[5] : أنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ ، ثنا محمدُ بنُ يونُسَ ، ثنا قُرَّةُ بنُ حَبيبٍ القَنَوِىُّ[6] ، ثنا إياسُ بنُ أبى تَميمةَ ، عن عطاءٍ ، عن أبى هريرةَ قال : جاءت الحُمَّى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ابعَثْنى إلى أحَبِّ قومِك إليك - أو أحبِّ أصحابِك إليك . شَكَّ قُرَّةُ - فقال : « اذْهَبى إلى الأنصارِ » . فذهَبَت إليهم[7] فصرَعَتْهم ، فجاءُوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد أتَت الحُمَّى عَلينا ، فادْعُ اللَّهَ لنا بالشِّفاءِ . فدَعا لهم ، فكُشِفت عنهم . قال : فاتَّبَعَتْه امرأةٌ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ لى ، فإنى لمن الأنصارِ[8] ، فادْعُ اللَّهَ لى كما دعَوْتَ لهم . فقال : « أيُّهما[9] أحَبُّ إليكِ ؛ أن أدْعُوَ لك فيُكْشَفَ عنك ، أو تَصْبِرين وتَجِبُ لكِ

---

(١) فى م : « الفقيه » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥١.

(٢) البخارى (٥٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٧٦/٥٤) .

(٣) البخارى عقب الحديث السابق .

(٤) أسد الغابة ٧/ ٣٣٣.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ١٦٠.

(٦) فى م : « الضوى » ، وفى الدلائل : « الغنوى » . وانظر الأنساب ٤/ ٥٥٥، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٥٧٤.

(٧) بعده فى الدلائل : « فصبت عليهم » .

(٨) بعده فى م : « وإن أبى لمن الأنصار » .

(٩) فى الأصل : « إنما » غير منقوطة ، وفى ص ، والدلائل : « أيما » .

الجنةُ ؟ » فقالت : لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، بل أصْبِرُ - ثلاثًا - ولا أجْعَلُ واللَّهِ لجنتِه خَطَرًا[1] . محمدُ بنُ يونسَ الكُدَيْميُّ ضعيفٌ .

وقد قال البيهقيُّ[2] : أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، ثنا أبى ، ثنا هشامُ بنُ لاحقٍ سنةَ خمسٍ وثمانين ومائةٍ ، ثنا عاصمٌ الأحْولُ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن سَلْمانَ الفارسىِّ قال : استأذَنَت الحُمَّى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « مَن أنت ؟ » قالت : أنا الحُمَّى ، أَبْرِى اللحمَ ، وأَمُصُّ الدمَ . قال : « اذْهَبى إلى أهلِ قُباءٍ » . فأتَتْهم ، فجاءوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد اصْفَرَّت وجوهُهم ، فشكَوا إليه الحُمَّى ، فقال لهم : « ما شئتُم ؛ إن شئتُم دعَوْتُ اللَّهَ فكَشَفها[3] عنكم ، وإن شئتُم ترَكْتُموها فأسْقَطَت ذُنوبَكم » . قالوا : بل ندَعُها يا رسولَ اللَّهِ . [٣/٥٢٦ظ] وهذا الحديثُ ليس فى « مسندِ الإمامِ أحمدَ » ولم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ ، وقد ذكَرْنا فى أولِ الهجرةِ دعاءَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لأهلِ المدينةِ أن يَذْهَبَ حُمَّاها إلى الجُحْفةِ ، فاسْتَجاب اللَّهُ له ذلك ، فإن المدينةَ كانت مِن أوْبَأِ أرضِ اللَّهِ ، فصحَّحها اللَّهُ ببركةِ حُلولِه بها ، ودُعائِه لأهلِها ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه[4] .

حديثٌ آخرُ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا رَوْحٌ ، ثنا شُعبةُ ، عن أبى جعفرٍ المَدِينىِّ ، سمِعْتُ عُمارةَ بنَ خُزَيْمةَ بنِ ثابتٍ يُحَدِّثُ عن عثمانَ بنِ حُنَيفٍ ، أن رجلًا ضَريرًا أتَى النبىَّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يُعافِيَنى . فقال :

---

(١) بعده فى الدلائل : « أبدا » . ولا أجعل لجنته خطرا : أى لا أجعل لها عوضا ولا مِثلا . انظر النهاية ٢/ ٤٦.
(٢) دلائل النبوة ٦/ ١٥٩.
(٣) فى م : « فيكشف » .
(٤) انظر ما تقدم فى ٤/٥٤٧ - ٥٥٣.
(٥) المسند ٤/ ١٣٨.

« إن شئتَ أخَّرْتُ ذلك فهو أفضلُ لآخرتِك ، وإن شئتَ دعَوْتُ لك » . قال : لا ، بل ادْعُ اللَّهَ لى . قال : فأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يتَوَضَّأَ وأن[1] يُصلِّىَ ركعتَيْن ، وأن يدْعُوَ بهذا الدعاءِ : اللهمَّ إنى أسألُك وأتَوَجَّهُ إليك بنبيِّك محمدٍ ، نبيِّ الرحمةِ ، يا محمدُ ، إنى أتَوَجَّهُ بك [2]إلى ربِّى[2] فى حاجتى هذه فتُقْضَى وتُشَفِّعُنى فيه وتُشَفِّعُه فىَّ . قال : فكان يقولُ هذا مِرارًا . ثم قال بعدُ : أحْسَبُ أن فيها : أن تُشَفِّعَنى فيه . قال : ففعَل الرجلُ فبَرَأَ . وقد رواه أحمدُ أيضًا[3] ، عن عثمانَ بنِ عمرَ[4] ، عن شعبةَ به . وقال : اللهم شفِّعْه فىَّ . ولم يقُلِ الأُخرى ، وكأنها غلَطٌ مِن الراوى . واللَّهُ أعلمُ . وهكذا رواه الترمذىُّ والنسائىُّ عن محمودِ ابنِ غَيْلانَ ، وابنُ ماجه عن أحمدَ بنِ منصورِ بنِ سَيَّارٍ ، كلاهما عن عثمانَ بنِ عُمَرَ[5] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ أبِى[6] جعفرٍ الخَطْمىِّ . ثم رواه أحمدُ أيضًا[7] ، عن مُؤَمَّلٍ ، عن[6] حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن أبى جعفرٍ الخَطْمىِّ ، عن عُمارةَ بنِ خُزَيمةَ ، عن عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ ، فذكَر الحديثَ . وهكذا رَواه النسائىُّ عن محمدِ بنِ مَعْمَرٍ ، عن حِبَّانَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ به[8] . ثم رَواه النسائىُّ عن زكريا بنِ يحيى ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن مُعاذِ بنِ هشامٍ ، عن أبيه ، عن أبى جعفرٍ ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيْفٍ ، عن

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) المسند ٤/ ١٣٨.

(٤) فى م : « عمرو » . وانظر أطراف المسند ٤/ ٢٩٢.

(٥) الترمذى (٣٥٧٨) ، والنسائى فى الكبرى (١٠٤٩٥) ، وابن ماجه (١٣٨٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٣٢) .

(٦) فى م ، ص : « ابن » . وهو خطأ .

(٧) المسند ٤/ ١٣٨.

(٨) النسائى فى الكبرى (١٠٤٩٤) .

عمِّه عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ به[1] . وهذه الرِّوايةُ تُخالِفُ ما تقدَّم ، ولعله عندَ أبى جعفرٍ الخَطْمىِّ مِن الوجهين . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى البيهقىُّ والحاكمُ[2] مِن حديثِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن أحمدَ بنِ شَبِيبِ بنِ سعيدٍ الحَبَطِىِّ[3] ، عن أبيه ، عن رَوْحِ بنِ القاسمِ ، عن أبى جعفرٍ المَدِينىِّ ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيْفٍ ، عن عمِّه عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٥٢٧و] وجاءه رجلٌ ضَريرٌ ، فشكَا إليه ذَهابَ بصرِه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ليس لى قائدٌ ، وقد شَقَّ علىَّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْتِ المِيضَأَةَ فتوَضَّأْ ، ثم صلِّ ركْعَتَيْن ، ثم قل : اللهم إنى أسْأَلُك وأتوَجَّهُ إليك بنبيِّك محمدٍ نبىِّ الرحمةِ ، يا محمدُ ، إنى أتوَجَّهُ بك إلى ربى فتُجَلِّى بَصَرى ، اللهم فشَفِّعْه فىَّ وشفِّعْنى فى نفسى » . قال عثمانُ : فواللَّهِ ما تفرَّقْنا ولا طال الحديثُ بنا حتى دخَل الرجلُ وكأنه لم يكُنْ به ضُرٌّ قطُّ . قال البيهقىُّ : ورَواه أيضًا هشامٌ الدَّستُوائىُّ ، عن أبى جعفرٍ ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلٍ ، عن عمِّه عثمانَ بنِ حُنَيفٍ .

حديثٌ آخرُ : قال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[4] : ثنا محمدُ بنُ بِشرٍ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ ، حدَّثنى رجلٌ مِن بنى سلامانَ بنِ[5] سعـدٍ ، عن أُمِّه[6]

---

(١) النسائى فى الكبرى (١٠٤٩٦) .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ١٦٨، والمستدرك ١/ ٥٢٦. لكن لم يروه الحاكم من حديث يعقوب بن سفيان بل رواه من طريق العباس بن محمد الدورى وأبى عبد الله محمد بن على كلاهما عن أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطى به .

(٣) فى الأصل : « الحنطى » ، وفى ١١١ : « الخطمى » ، وفى م : « الحنطبى » . وانظر الأنساب ٢/ ١٦٩.

(٤) المصنف (٣٦١٤) مختصرًا ، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ١٧٣، وابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٤٤٧، كلاهما من طريق ابن أبى شيبة به نحوه . وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٧١، وابن حجر فى الإصابة ٢/ ٢٣، وعزاه كلاهما لابن أبى شيبة وغيره .

(٥) فى م : « وبنى » .

(٦) فى م : « أبيه عن خاله أو » . وبعده فى الأصل ، ١١١ ، ص : « عن خاله أو » . والمثبت كما فى مصادر التخريج .

أنَّ[1] خالَها حبيبَ بنَ فُوَيْكٍ[2] حدَّثها أن أباه خرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وعيناه مُبْيَضَّتان لا يُبْصِرُ بهما شيئًا أصلًا[3] ، فسأَله : « ما أصابك ؟ » فقال : كنتُ أمْرِى[4] جملًا[5] لى ، فوقَعَت رجلى على بَيْضِ حَيَّةٍ فأُصِيبَ بصرى . قال : فنفَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينَيه فأبْصَر ، فرأَيْتُه وإنه لَيُدْخِلُ الخَيْطَ فى الإبْرةِ ، وإنه لَابنُ ثمانينَ سنةً ، وإن عينَيه لمُبْيَضَّتان . قال البيهقىُّ[6] : كذا فى كتابِه ، وغيرُه يقولُ : حَبيبُ بنُ مُدْرِكٍ . قال[7] : وقد مضَى فى هذا المعنى حديثُ قتادةَ بنِ النُّعْمانِ أنه أُصِيبَت عينُه ، فسالت حَدَقَتُه على وَجْنَتِه ، فرَدَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى موضعِها ، فكان لا يَدْرِى أيُّهما أُصِيبت . قلتُ : وقد تقَدَّم ذلك فى غزوةِ أُحُدٍ[8] ، وقد ذكَرْنا فى مَقْتلِ أبى رافعٍ مسْحَه بيدِه الكريمةِ على رِجْلِ[9] عبدِ اللَّهِ[9] ابنِ عَتيكٍ وقد انكَسَر ساقُه ، فبَرَأَ مِن ساعتِه . وذكَر البيهقىُّ بإسنادِه[10] أنه ﷺ مسَح يدَ محمدِ بنِ حاطبٍ وقد احْتَرَقَت يدُه بالنارِ ، فبَرَأَ مِن ساعتِه ، وأنه ، عليه

---

(١) بعده فى الأصل ، م ، ص : « خاله أو » .

(٢) فى الأصل ، ص : « قريط » ، وفى ١١١ : « قرط » ، وفى م : « مريط » ، والمثبت من المصنف والدلائل ، والاستيعاب والإصابة .

(٣) زيادة من النسخ ليست فى مصادر التخريج .

(٤) كذا فى الأصل ، ١١١ ، ص . وفى م : « أرعى » ، وفى الدلائل : « أمرىء » ، وفى الاستيعاب : « أمرن » ، وفى أسد الغابة : « أرم » ، وفى الإصابة : « أروض » . ومَرَى الناقة : مَسَح ضرعَها . المحيط (م ر ى) .

(٥) فى الأصل ، ١١١ ، ص ، وأسد الغابة : « حملا » .

(٦) لم نجده فى الدلائل .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ١٧٣ .

(٨) تقدم فى ٥/ ٤٠٧ ، وتقدم ذلك أيضا فى غزوة بدر ٥/ ١٤٧ .

(٩ - ٩) فى ١١١ ، م ، ص : « جابر » . وانظر ما تقدم فى ٦/١٢٧ - ١٣٥ .

(١٠) دلائل النبوة ٦/ ١٧٤ .

الصلاةُ والسلامُ ، نفَث فى كفِّ شُرَحْبِيلَ الجُعْفىِّ فذهَبَت مِن كفِّه سَلْعةٌ كانت به[1] .

قلتُ : وتقَدَّم في غزوةِ خيبرَ تَفْلُه فى عيْنَىْ علىٍّ وهو أرْمَدُ فبَرَأَ[2] .

وروَى الترمذىُّ[3] عن علىٍّ حديثَه فى تَعْليمِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ذلك الدعاءَ لحفظِ القُرْآنِ ، فحفِظه .

وفى « الصحيحِ »[4] أنه قال لأبى هريرةَ وجماعةٍ : « مَن يَبْسُطْ رِداءَه اليومَ فإنه لا يَنْسى شيئًا مِن مَقالتى » . قال : فبسَطْتُه فلم أنْسَ شيئًا مِن مَقالتِه تلك[5] . فقيل : كان ذلك حِفْظًا مِن أبى هريرةَ لكلِّ ما سمِعه منه فى ذلك اليومِ . [٣/ ٥٢٧ظ] قيل : وفى غيرِه . فاللَّهُ أعلمُ . ودَعا لسعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ فبَرَأَ[6] .

وروَى البيهقىُّ[7] أنه دَعا لعمِّه أبى طالبٍ فى مَرْضَةٍ مرِضَها ، وطلَب مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يَدْعُوَ له ربَّه ، فدَعا له فبَرَأَ مِن ساعتِه . والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا يَطولُ اسْتِقْصاؤُها . وقد أوْرَد البيهقىُّ مِن هذا النوعِ كثيرًا طيِّبًا أشَرْنا إلى أطْرافٍ منه ، وترَكْنا أحاديثَ ضعيفةَ الإسْنادِ ، واكْتَفَيْنا بما أوْرَدْنا عما ترَكْنا ، وباللَّهِ المُسْتعانُ .

حديثٌ آخرُ : ثَبَت فى « الصحيحَيْن »[8] مِن حديثِ زكريا بنِ أبى زائدةَ ،

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١٧٦.
(٢) تقدم فى ٦/ ٢٦١.
(٣) الترمذى (٣٥٧٠). موضوع (ضعيف سنن الترمذى ٧١٩).
(٤) البخارى (٢٠٤٧، ٢٣٥٠، ٣٦٤٨، ٧٣٥٤)، ومسلم (١٥٩/٢٤٩٢) بنحوه.
(٥) سقط من: ا ١١١، ص.
(٦) أخرجه البخارى (٢٧٤٤، ٥٦٥٩).
(٧) دلائل النبوة ٦/ ١٨٤.
(٨) البخارى (٢٧١٨)، ومسلم فى المساقاة (١٠٩، ١١٠/٧١٥)، ولم يتفرد مسلم بحديث المغيرة، فقد رواه البخارى (٢٣٨٥، ٢٩٦٧) من حديث المغيرة به.

زاد مسلمٌ : والمغيرةِ . كلاهما عن [1]عامرِ بنِ[1] شَراحيلَ الشعبيِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنه كان يَسيرُ على جملٍ له قد أَعْيَا ، فأراد أن يُسَيِّبَه . قال : فلحِقنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فضرَبه ودَعا لى ، فسار سَيْرًا لم يَسِرْ مثلَه - وفى روايةٍ[2] : فما زال بينَ يدَيِ الإبلِ قُدَّامَها حتى كنتُ أَحْبِسُ خِطامَه فلا أَقْدِرُ عليه - فقال : « كيف ترَى جملَك ؟ » فقلتُ : قد أصابَتْه برَكَتُك يا رسولَ اللَّهِ . ثم ذكَر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اشْتراه منه ، واخْتَلف الرُّواةُ فى مِقْدارِ ثمنِه على رواياتٍ كثيرةٍ ، وأنه اسْتَثْنى حُمْلانَه إلى المدينةِ ، ثم لما قدِم المدينةَ جاءه بالجملِ ، فنقَده ثمنَه وزاده ، ثم أَطْلَق له الجملَ أيضًا . الحديثَ بطولِه .

حديثٌ آخرُ : روَى البيهقىُّ[3] واللفظُ له ، وهو فى « صحيحِ البخارىِّ »[4] ، مِن حديثِ حُسينِ[5] بنِ محمدٍ المَرْوَزىِّ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : فزِع الناسُ ، فركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ فرسًا لأبى طَلْحةَ بطيئًا ، ثم خرَج يَرْكُضُ وحدَه ، فركِب الناسُ يَرْكُضون خلفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « لن تُراعُوا ، إنه لَبَحْرٌ » . قال : فواللَّهِ ما سُبِق بعدَ ذلك اليومِ .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[6] : أنا أبو بكرٍ القاضى ، أنا حامدُ بنُ محمدٍ الهَرَوىُّ ، ثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىُّ ، ثنا رافعُ بنُ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) مسلم (٧١٥/١١٣) ، من حديث أبى الزبير عن جابر .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ١٥٢، ١٥٣.

(٤) البخارى (٢٩٦٩) .

(٥) فى م ، ص : « حسن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٧١.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ١٥٣.

سَلَمةَ بنِ زيادٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الجَعْدِ ، عن جُعَيْلٍ[1] الأشْجعىِّ قال : غزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بعضِ غَزواتِه وأنا على فرسٍ لى عَجْفاءَ ضعيفةٍ . قال : فكنتُ فى أُخْرَياتِ الناسِ ، فلحِقنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقال : « سِرْ يا صاحبَ الفرسِ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، عَجْفاءُ ضعيفةٌ . قال : فرفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِخْفَقَةً معه فضرَبها بها ، وقال : « اللهم بارِكْ له فيها[2] » . قال : فلقد رأَيْتُنى [3]وأنا أُمْسِكُ[3] برأسِها أن تَقْدُمَ الناسَ ، ولقد بِعْتُ مِن [٣/ ٥٢٨و] بطنِها باثْنَىْ عشَرَ ألفًا . ورواه النسائىُّ[4] ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىِّ ، فذكَره . وهكذا رواه أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثمةَ[5] ، عن عُبَيدِ بنِ يَعيشَ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، عن رافعِ بنِ سَلَمةَ الأشْجَعىِّ ، فذكَره . وقال البخارىُّ فى « التاريخِ »[6] : وقال رافعُ بنُ زيادِ بنِ الجَعْدِ بنِ أبى الجَعْدِ : حدَّثنى أبى عن[7] عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الجَعْدِ أخى سالمٍ ، عن جُعَيْلٍ ، فذكَره .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[8] : أنا أبو الحسينِ بنُ الفَضْلِ القَطَّانُ ببَغْدادَ ، أنا أبو سهلِ بنُ زيادٍ القَطَّانُ ، ثنا محمدُ بنُ شاذانَ الجَوْهرىُّ ، حدَّثنا زكريا بنُ عَدِىٍّ ، ثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن يزيدَ بنِ كَيْسانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ

---

(١) فى الأصل : « جعد » . وهو كذلك فى رواية النسائى التى ستأتى ، وهو تحريف وانظر الإكمال ٢/ ١٠٦، وتهذيب الكمال ٥/ ١١٧. وتحفة الأشراف ٢/٤٣٧ .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٣ - ٣) فى ١١١: « لأمسك » ، وفى م : « أمسك » ، وفى ص : « لا أمسك » ، وفى الدلائل : « ما أمسك » .

(٤) النسائى فى الكبرى (٨٨١٨) .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ١٥٤، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٦) التاريخ الكبير ٢/ ٢٤٩.

(٧) سقط من النسخ . والمثبت من التاريخ الكبير .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ١٥٤.

قال : جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال : إنى تزَوَّجْتُ امرأةً . فقال : « هل[1] نظَرْتَ إليها ؟ فإنَّ فى أعْيُنِ الأنصارِ شيئًا » قال : قد نظَرْتُ إليها . قال : « على كم تزَوَّجْتَها ؟ » فذكَر شيئًا . قال : « كأنهم يَنْحِتون الذهبَ والفضةَ مِن عُرضِ هذه الجبالِ ! ما عندَنا اليومَ شيءٌ نُعْطِيكه ، ولكن سأبْعَثُك فى وجهٍ تُصيبُ فيه » . فبعَث بَعْثًا إلى بنى عَبْسٍ ، وبعَث الرجلَ فيهم ، فأتاه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْيَتْنى ناقتى أن تَنْبَعِثَ . قال : فناولَه رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه كالمعتمِدِ عليه للقيامِ ، فأتاها فضرَبها برِجْلِه . قال أبو هريرةَ : والذى نفسى بيدِه لقد رأيْتُها تَسْبِقُ به[2] القائدَ . رواه مسلمٌ فى « الصحيحِ »[3] عن يحيى بنِ مَعِينٍ ، عن مَرْوانَ .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[4] : أنا أبو زكريا بنُ أبى إسحاقَ المُزَكِّى[5] ، أنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، أنا [6]جعفرُ ابنُ عَوْنٍ[6] ، أنا الأعمشُ ، عن مُجاهدٍ ، أن رجلًا اشْتَرى بَعيرًا ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : إنى اشترَيْتُ بعيرًا ، فادْعُ اللَّهَ أن يُبارِكَ لى فيه . فقال : « اللهم بارِكْ له فيه » . فلم يلْبَثْ إلا يَسيرًا أن نفَق ، ثم اشْتَرى بَعيرًا آخَرَ ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : [7]يا رسولَ اللَّهِ[7] ، إنى اشتَرَيْتُ بَعيرًا ، فادْعُ اللَّهَ أن يُبارِكَ لى فيه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم بارِكْ له فيه » . فلم يَلْبَثْ حتى نفَق ، ثم اشْتَرى بعيرًا

---

(١) فى م : « هلا » .

(٢) ليس فى الدلائل ، وفى الأصل ، ص : « له » ، وفى ١١١ : « لها » .

(٣) مسلم (١٤٢٤/٧٥) .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ١٥٤، ١٥٥.

(٥) فى م : « المزنى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٩٥.

(٦ - ٦) فى الأصل ، والدلائل : « جعفر بن عوف » ، وفى م : « أبو جعفر بن عون » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٧٠.

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

آخَرَ ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد اشْتَرَيْتُ بَعيرَيْن ، فدَعَوْتَ اللَّهَ أن يُبارِكَ لى فيهما ، فادْعُ اللَّهَ أن يَحْمِلَنى عليه . فقال : « اللهم احْمِلْه عليه » . فمكَث عندَه عشرين سنةً . قال البيهقىُّ : وهذا مُرْسَلٌ ، ودعاؤُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، صار إلى أمرِ الآخرةِ فى [٣/ ٥٢٨ظ] المرتين الأُولَيَيْن .

حديثٌ آخرُ : قال الحافظُ البيهقىُّ[(١)] : أنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمىُّ ، أنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ الـمِيكالىُّ ، ثنا علىُّ بنُ سعيدٍ[(٢)] العَسْكرىُّ ، ثنا أبو أُميةَ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ خَلَّادٍ الواسطىُّ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنا [(٣)]المُسْتَلِمُ بنُ سعيدٍ[(٣)] ، ثنا خُبيبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ خُبيبِ بنِ إسافٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه خُبيبِ بنِ إسافٍ قال : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنا ورجلٌ مِن قومى فى بعضِ مَغازيه فقلْنا : إنا نشْتَهى أن نَشْهَدَ معك مَشْهَدًا . قال : « أسْلَمْتُم ؟ » قلْنا : لا . قال : « فإنا لا نَسْتَعينُ بالمشركين على المشركين » . قال : فأسْلَمْنا[(٤)] ، وشهِدْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأصابَتْنى ضَرْبةٌ على عاتقى فجافَتْنِى[(٥)] ، فتعَلَّقَت يدى ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فتفَل فيها وألْزَقها ، فالْتَأَمت وبَرَأَتْ ، وقتَلْتُ الذى ضرَبنى ، ثم تزَوَّجْتُ ابنةَ الذى [(٦)]قتَلْتُه وضرَبنى[(٦)] ، فكانت تقولُ : لا عدِمْتُ رجلًا وشَّحك هذا الوِشاحَ . فأقولُ : لا عدِمْتِ رجلًا أعْجَل أباكِ إلى النارِ . وقد روَى الإمامُ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١٧٨.

(٢) فى م : « سعد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٣.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « المسلم بن سعيد » ، وفى الدلائل : « المستلم أبو سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٢٩.

(٤) فى الدلائل : « فأسلمت » .

(٥) فى الأصل : « فخافتنى » ، وفى الدلائل : « فخانتنى » . وجافتنى أى وصلت إلى جَوْفى . والمعنى أن شقه مال من أثر الضربة فتفل عليه رسول الله ﷺ ورده . انظر أسد الغابة ٢/ ١١٨، والنهاية ١/ ٣١٧.

(٦ - ٦) فى الدلائل : « ضربته وقتلته » .

أحمدُ هذا الحديثَ[1] عن يزيدَ بنِ هارونَ بإسنادِه، مثلَه، ولم يذْكُرْ: فتفَل فيها فبَرَأتْ.

حديثٌ آخرُ: ثبَت فى «الصحيحَيْن»[2] مِن حديثِ أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ، عن وَرْقاءَ بنِ عمرَ اليَشْكُرىِّ[3]، عن [4]عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى يزيدَ[4]، عن ابنِ عباسٍ قال: أتَى رسولُ اللَّهِ ﷺ الخَلاءَ، فوضَعْتُ له وَضوءًا، فلما خرَج قال: «مَن وضَع[5] هذا؟» قالوا: ابنُ عباسٍ. قال: «اللهم فَقِّهْه فى الدِّينِ».

وروَى البيهقىُّ[6]، عن الحاكمِ وغيرِه، عن الأصَمِّ، عن عباسٍ الدُّورىِّ[7]، عن الحسنِ بنِ موسى الأشيَبِ، عن زهيرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيمٍ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وضَع يدَه على كَتِفِى - أو قال: مَنْكِبى - شَكَّ سعيدٌ - ثم قال: «اللهم فَقِّهْه فى الدِّينِ، وعلِّمْه التَّأْويلَ». وقد اسْتَجاب اللَّهُ لرسولِه ﷺ هذه الدَّعْوةَ فى ابنِ عمِّه، فكان إمامًا يُهْتَدى بهُداه، ويُقْتَدى بسَناه فى علومِ الشَّريعةِ، ولاسيَّما فى علومِ التَّأْويلِ، وهو التَّفْسيرُ، فإنه انْتَهت إليه علومُ الصَّحابةِ قبلَه، وما كان عَقَلَهُ مِن كلامِ ابنِ عمِّه رسولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) المسند ٣/ ٤٥٤.

(٢) البخارى (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٣) فى م، ص: «السكرى». وانظر تهذيب الكمال ٣/٤٣٣.

(٤ - ٤) فى الأصل: «عبد اللَّه بن أبى يزيد»، وفى م، ص: «عبد اللَّه بن يزيد». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٨.

(٥) فى الأصل، م، ص: «صنع».

(٦) دلائل النبوة ٦/ ١٩٢، ١٩٣.

(٧) فى م: «الدورقى».

وقد قال الأعمشُ[1] ، عن أبى الضُّحَى ، عن مَسْروقٍ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : لو أن ابنَ عباسٍ أدْرَكَ أسْنانَنا ما عاشَره أحدٌ منا . وكان يقولُ[2] : نِعم تُرْجُمانُ القرآنِ ابنُ عباسٍ . هذا وقد تأَخَّرت وفاةُ ابنِ عباسٍ عن وَفاةِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ ببضعٍ وثلاثين سنةً ، فما ظَنُّك بما حصَّله بعدَه [٣/ ٥٢٩و] فى هذه المدةِ ؟ وقد رُوِّينا عن بعضِ أصحابِه أنه قال : خطَب الناسَ ابنُ عباسٍ فى عَشِيَّةِ عَرَفةَ ، ففسَّر[3] لهم سورةَ « البقرةِ » . أو قال : سورةً . ففسَّرها تفسيرًا لو سمِعتْه[4] الرومُ والتُّرْكُ والدَّيْلَمُ لَأَسْلَموا[5] . رضىَ اللَّهُ عنه وأرضاه .

حديثٌ آخرُ : ثبَت فى « الصحيحِ »[6] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، دَعا لأنسِ ابنِ مالكٍ بكثرةِ المالِ والوَلَدِ ، فكان كذلك ، حتى روَى الترمذىُّ[7] عن محمودِ ابنِ غَيْلانَ ، عن أبى داودَ الطَّيالسىِّ ، عن أبى خَلْدةَ قال : قلتُ لأبى العاليةِ : سمِع أنسٌ مِن النبىِّ ﷺ ؟ قال : خدَمه عشْرَ سنين ودَعا له ، وكان له بُستانٌ يَحْمِلُ فى السنةِ الفاكهةَ مرَّتين ، [8]وكان فيه رَيْحانٌ يَجِىءُ منه رِيحُ المِسْكِ[8] .

وقد رُوِّينا فى « الصَّحيحِ »[9] أنه وُلِد له لصُلْبِه قريبٌ مِن مائةٍ أو ما يُنَيِّفُ عليها . وفى روايةٍ : أنه ﷺ قال : « اللهم أطِلْ عُمْرَه » . فعُمِّر مائةً .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/١٩٣ ، من طريق الأعمش به .

(٢) بعده فى م ، ص : « لهم » .

(٣) فى ص ، ١١١ : « يفسر » .

(٤) فى م ، ص : « سمعه » .

(٥) ذكر نحوه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ٩٣٦.

(٦) البخارى (٦٣٤٤) .

(٧) الترمذى (٣٨٣٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠١٠) .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) البخارى (١٩٨٢) ، ومسلم (٢٤٨١/١٤٣) .

وقد دَعا صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم لأمِّ سُلَيْم ولأبى طَلْحةَ فى غابرِ ليلتِهما ، فولَدت له غلامًا سَمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ ، فجاء مِن صُلْبِه تسعةٌ كلُّهم قد حفِظ القرآنَ . ثبَت ذلك فى « الصحيحِ »[1] .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[2] مِن حديثِ عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن أبى كَثيرٍ العَنْبرىِّ ، عن أبى هريرةَ ، أنه سأَل مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يَدْعُوَ لأمِّه فيَهْدِيَها اللَّهُ ، فدَعا لها ، فذهَب أبو هريرةَ فوجَد أمَّه تغْتَسِلُ خَلْفَ البابِ ، فلما فرَغَت قالت : أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ . فجعَل أبو هريرةَ يَبْكى مِن الفَرَحِ ، ثم ذهَب فأَعْلَم بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وسأل مِنه أن يَدْعُوَ لهما أن يُحَبِّبَهما اللَّهُ إلى عبادِه المؤمنين ، فدَعا لهما فحصَل ذلك . قال أبو هريرةَ : فليس مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ إلا وهو يُحِبُّنا . وقد صدَق أبو هريرةَ فى ذلك ، رضىَ اللَّهُ عنه وأرضاه ، ومِن تَمامِ هذه الدعوةِ أن اللَّهَ شهَر ذِكْرَه فى أيامِ الجُمَعِ ، حيث يَذْكُرُه الناسُ بينَ يدى خطبةِ الجمعةِ ، وهذا مِن التَّقْييضِ القَدَرىِّ والتَّقْديرِ المَعْنوىِّ .

وثبَت فى « الصحيحِ »[3] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، دَعا لسعدِ بنِ أبى وقاصٍ وهو مَريضٌ فعُوفىَ . ودَعا له أن يكونَ مُجابَ الدعوةِ ، فقال[4] : « اللهم أَجِبْ دعْوتَه ، وسَدِّدْ رَمْيَتَه » . فكان كذلك ، فنِعْم أميرُ السَّرايا والجيوشِ كان ، وقد دَعا على أبى سَعْدةَ أسامةَ بنِ قتادةَ - حينَ شهِد فيه بالزُّورِ - بطولِ العُمرِ

---

(١) البخارى (١٣٠١، ٥٤٧٠) .

(٢) مسلم (٢٤٩١) .

(٣) البخارى (٥٦٥٩) ، ومسلم (٨ ، ١٦٢٨/٩) .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٠٠، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٩٢، ٩٣.

وكثْرةِ الفقرِ والتَعَرُّضِ للفتنِ، فكان ذلك، فكان إذا سُئِل ذلك الرجلُ يقولُ: شيخٌ كبيرٌ مَفْتونٌ، أصابَتْنى دَعْوةُ سعدٍ[1].

وثبَت فى «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِه[2] أنه ﷺ دَعا للسائبِ بنِ يَزيدَ، ومسَح بيدِه على رأسِه، فطال [٣/٥٢٩ظ] عمرُه، حتى بلَغ أربعًا وتسعين سنةً وهو تامُّ القامةِ مُعْتدلٌ، ولم يَشِبْ منه موضعُ أصابت يدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومُتِّع بحَواسِّه وقُواه.

وقال أحمدُ[3]: ثنا [4]حَرَميُّ بنُ عُمارةَ[4]، ثنا عَزْرةُ[5] بنُ ثابتٍ، ثنا [6]عِلْباءُ ابنُ أحمرَ[6]، حدَّثنى أبو زيدٍ الأنصاريُّ قال: قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْنُ مِنِّى». فمسَح بيدِه على رأسى، ثم قال: «اللهم جمِّلْه وأدِمْ جَمالَه». قال: فبلَغ بضعًا ومائةً - يعنى سنةً - وما فى لحيتِه بياضٌ إلَّا نُبَذٌ[7] يَسيرةٌ، ولقد كان مُنْبَسِطَ الوجهِ، ولم ينْقَبِضْ وجهُه حتى مات. قال البيهقيُّ[8]: إسنادٌ صحيحٌ مَوْصولٌ. ولقد أوْرَد البيهقيُّ لهذا نَظائرَ كثيرةً، [9]وأسند رواياتٍ كثيرةً[9] فى هذا المَعْنَى، تَشْفِى القلوبَ، وتُحَصِّلُ المطلوبَ[10].

---

(١) أخرجه البخارى (٧٥٥).

(٢) البخارى (٣٥٤٠)، والطبرانى فى الكبير ٧/١٩٠ (٦٦٩٣)، وفى الأوسط (٤٨٣٨).

(٣) المسند ٥/٧٧، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢١١، من طريق الإمام أحمد به، واللفظ له.

(٤ - ٤) فى م: «جرير بن عمير»، وفى ص: «جرير بن عمارة». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٥٦.

(٥) فى ا ١١١، م، ص: «عروة». وانظر المصدر السابق ٢٠/ ٤٩.

(٦ - ٦) فى الأصل: «عليان بن أحمر»، وفى ا ١١١: «على بن أحمر»، وفى م: «على بن أحمد»، وفى ص: «علياء بن أحمر». والمثبت من المسند. وانظر المصدر السابق ٢٠/ ٢٩٣.

(٧) فى م: «نبذة».

(٨) فى م: «السهيلى».

(٩ - ٩) سقط من: ا ١١١، م.

(١٠) انظر دلائل النبوة ٦/٢١١ - ٢١٦.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عارمٌ ، ثنا معتمِرٌ ، وقال يحيى بنُ مَعِينٍ [2]وابنُ[2] عبدِ الأعْلَى : ثنا معتمِرٌ ، هو ابنُ سليمانَ قال : سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ ، عن أبى العَلاءِ قال : كنتُ عندَ قتادةَ بنِ مِلْحانَ فى مَرَضِه[3] الذى مات فيه . قال : فمرَّ رجلٌ فى مُؤَخَّرِ الدارِ . قال : فرأيْتُه فى وجهِ قتادةَ . قال : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد مسَح وجهَه . قال : وكنتُ قلَّ[4] ما رأيْتُه إلا ورأيْتُ كأنَّ على وجهِه الدِّهانَ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[5] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، دَعا لعبدِ الرحمنِ ابنِ عوفٍ بالبركةِ حينَ رأَى عليه ذلك الرَّدْعَ[6] مِن الزَّعْفرانِ لأجلِ العُرْسِ ، فاسْتَجاب اللَّهُ لرسولِه ﷺ ، ففتَح له فى المَتْجَرِ والمَغانِمِ حتى حصَل له مالٌ جَزيلٌ ، بحيث إنه لما مات صُولِحَت امرأةٌ مِن نسائِه الأربعِ عن رُبُعِ الثُّمُنِ ، على ثمانين ألفًا .

وثبَت فى الحديثِ[7] مِن طريقِ شَبيبِ بنِ غَرْقَدةَ[8] أنه سمِع الحيَّ يُخْبِرون عن عروةَ بنِ أبى الجَعْدِ البارقىِّ[9] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطاه دينارًا ؛ ليَشْترىَ له به شاةً ، فاشْتَرى به شاتين ، وباع إحداهما بدينارٍ ، وأتاه بشاةٍ ودينارٍ ، فدَعا له

---

(١) المسند ٥/ ٢٧، ٢٨، ٨١. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢١٧، من طريق الإمام أحمد به ، واللفظ له .

(٢ - ٢) فى النسخ : « ثنا » . وهو خطأ . وانظر أطراف المسند ٥/ ١٩٩.

(٣) فى م : « موضعه » .

(٤) فى م : « قبل » .

(٥) البخارى (٥١٥٥) ، ومسلم (١٤٢٧/٧٩) .

(٦) فى م : « الدرع » .

(٧) أخرجه البخارى (٣٦٤٢) ، والإمام أحمد فى المسند ٤/ ٣٧٥، وأبو داود (٣٣٨٤) .

(٨) فى النسخ : « غرقد » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٧٠.

(٩) فى م : « المازنى » .

بالبركةِ فى البيعِ، فكان لو اشْتَرى الترابَ لربح فيه. وفى روايةٍ[1]: فقال له: «بارَكَ اللَّهُ لك فى صَفْقةِ يمينِك».

وقال البخاريُّ[2]: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ، ثنا ابنُ وهبٍ، ثنا سعيدُ بنُ أبى أيوبَ، عن أبى عُقَيْلٍ، أنه كان يَخْرُجُ به جَدُّه عبدُ اللَّهِ بنُ هشامٍ إلى السوقِ فيشْتَرى الطعامَ، فيَلْقاه ابنُ الزبيرِ وابنُ عمرَ فيقولان: أشْرِكْنا [3]فى بيعِك[3]؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد دَعا لك بالبركةِ. فيُشْرِكُهم، فربما أصاب الراحلةَ كما هى فيَبْعَثُ بها إلى المنزلِ.

وقال البيهقىُّ[4]: [٣/٥٣٠و] أنا أبو سعدٍ المالينىُّ، أنا ابنُ عَدِىٍّ، ثنا علىُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ الحَلَبىُّ[5]، ثنا محمدُ بنُ يزيدَ المُسْتَمْلِى، ثنا شَبَابةُ بنُ عبدِ اللَّهِ، ثنا أيوبُ بنُ سَيَّارٍ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، عن جابرٍ، عن أبى بكرٍ، عن بلالٍ قال: أذَّنْتُ فى غَداةٍ باردةٍ، فخرَج النبىُّ ﷺ فلم يرَ فى المسجدِ أحدًا، فقال: «أين الناسُ [6]يا بلالُ[6]؟» فقلتُ: منَعَهم البَرْدُ. فقال: «اللهم أذْهِبْ عنهم البرْدَ». فرأيْتُهم يتَرَوَّحون. ثم قال البيهقىُّ: تفرَّد به أيوبُ بنُ سَيَّارٍ، ونَظيرُه قد مضَى فى الحديثِ المشهورِ عن حُذيفةَ فى قصةِ الخَنْدقِ.

---

(١) أخرجها الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٣٧٥، ٣٧٦، والترمذى (١٢٥٨)، وابن ماجه (٢٤٠٢). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٠١٠).

(٢) البخارى (٦٣٥٣).

(٣ - ٣) ليس فى البخارى.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٢٢٤.

(٥) فى م: «الحليمى». ونظر ميزان الاعتدال ١/ ٢٨٩.

(٦ - ٦) سقط من: م.

حديثٌ آخرُ : قال البيهقيُّ[1] : أخبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا [2]أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ[2] الأصْبَهانيُّ إمْلاءً ، أنا أبو إسماعيلَ الترمذيُّ[3] محمدُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ الأُوَيْسيُّ ، ثنا عليُّ بنُ أبى عليٍّ اللَّهَبيُّ[4] ، عن ابنِ[5] أبى ذئبٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج وعمرُ بنُ الخطابِ معه ، فعرَضَت امرأةٌ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى امرأةٌ مُسْلِمةٌ مُحْرِمةٌ ، ومعى زَوْجٌ لى فى بيتى مثلُ المرأةِ . فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْعِى لى زوْجَكِ » . فدعَتْه وكان خَرَّازًا[6] ، فقال له : « ما تقولُ فى امرأتِك يا عبدَ اللَّهِ ؟ » فقال الرجلُ : والذى أكْرَمَك ما جَفَّ رأسى منها . فقالت امرأتُه : ما[7] مرةٌ واحدةٌ فى الشهرِ ؟! فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتُبْغِضِيه ؟ » قالت : نعم . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أدْنِيا رُءُوسَكما » . فوضَع جبهتَها على جبهةِ زوجِها ثم قال : « اللهم ألِّفْ بينَهما ، وحَبِّبْ أحدَهما إلى صاحبِه » . ثم مَرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بسوقِ النَّمَطِ[8] ومعه عمرُ بنُ الخطابِ ، فطلَعت المرأةُ تَحْمِلُ أَدَمًا على رأسِها ، فلما رأَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ طرَحَتْه وأقْبَلَت ، فقبَّلَت رجليه ، فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كيف أنتِ وزوجُكِ ؟ » فقالت : والذى أكْرَمك ما طارِفٌ ولا تالِدٌ [9]ولا والدٌ[9]

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢ - ٢) فى م : « عبد العزيز بن عبد اللَّه عن محمد بن عبد اللَّه » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٧.

(٣) بعده فى م : « عن » .

(٤) فى الأصل ، ١١١ : « المهلبى » . وانظر الأنساب ٥/ ١٤٩.

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل ، ١١١ : « جزازًا » .

(٧) فى النسخ : « جاء » . والمثبت من الدلائل .

(٨) فى ١١١ : « النبيط » . والنمط : ضرب من البُسُط له خمل رقيق . النهاية ٥/ ١١٩.

(٩ - ٩) سقط من : م .

أحَبَّ إلىَّ منه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ » . فقال عمرُ : وأنا أَشْهَدُ أنك رسولُ اللَّهِ . قال أبو عبدِ اللَّهِ : تفرَّد به علىُّ بنُ أبى علىٍّ اللَّهبىُّ ، وهو كثيرُ الرِّوايةِ للمَناكِيرِ . قال البيهقىُّ[1] : وقد روَى يوسفُ بنُ محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ معنى[2] هذه القصةِ ؛ إلا أنه لم يذْكُرْ عمرَ بنَ الخطابِ .

حديثٌ آخرُ : قال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[3] : ثنا كاملُ بنُ طَلْحةَ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، ثنا علىُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، أن رجلًا وُلِد له غلامٌ ، فأَتى به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فدَعا له بالبركةِ ، وأخَذ بجبهتِه ، [٣/٥٣٠ظ] فنبَتت شَعْرةٌ فى جبهتِه كأنها هَلْبَةُ[4] فرسٍ ، فشَبَّ الغلامُ ، فلما كان زمنُ الخَوارجِ أجابهم ، فسقَطت الشَّعْرةُ عن جبهتِه ، فأخَذه أبوه فقَيَّده وحبَسه ؛ مَخافةَ أن يَلْحَقَ بهم . قال : فدخَلْنا عليه فوعَظْناه وقلْنا له : ألم ترَ إلى بركةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقَعت ؟ فلم نَزَلْ به حتى رجَع عن رأيِهم . قال : فردَّ اللَّهُ تلك الشعرةَ إلى جبهتِه إذ تاب .

وقد رواه الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[5] ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، عن أبى أسامةَ الكَلْبىِّ ، عن شُرَيْحِ بنِ مَسْلَمةَ[6] ، عن أبى يحيى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، حدَّثنى سيفُ بنُ وهبٍ عن أبى الطُّفَيْلِ ، أن رجلًا مِن بنى ليثٍ يقالُ له :

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٢٩.

(٢) فى م : « يعنى » .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٣١، من طريق البغوى به .

(٤) قال ابن الأثير : هلبات الفرس ، أى شعرات ، أو خصلات من الشعر ، واحدتها هَلْبة . النهاية ٥/ ٢٦٩.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٦) فى النسخ : « مسلم » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤٨.

فِراسُ بنُ عمرٍو. أصابه صُداعٌ شديدٌ، فذهَبِ به أبوه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ[1] فأجْلَسه بينَ يديه، وأخَذ بجِلْدةِ بينِ عَيْنيه فجذَبها حتى تَنَقَّضت[2]، فنبتَت فى موضعِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] شَعْرةٌ، وذهَب عنه الصُّداعُ فلم يُصَدَّعْ. وذكَر بقيةَ القصةِ فى الشَّعْرةِ كنحوِ ما تقَدَّم.

حديثٌ آخرُ: قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[4]: حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ الحَرَّانىُّ، ثنا يَعْلَى بنُ الأشْدَقِ، سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ جَرَادٍ[5] العُقَيلىَّ، حدَّثنى النابغةُ، يَعْنى الجَعْدىَّ، قال: أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأنْشَدْتُه مِن قولى:

[6]عَلَوْنا العِبَادَ[6] عِفَّةً وتَكَرُّمَا وإنا لَنرجو فوقَ ذلك مَظْهَرَا

قال: «أين المظهرُ يا أبا ليلى؟» قال: قلتُ: إلى[7] الجنةِ. قال: «أجَلْ إن شاء اللَّهُ». [8]ثم قال: «أنْشِدْنى». فأنْشَدْتُه مِن قولى[8]:

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكنْ له بَوادرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ فى جَهْلٍ إذا لم يكنْ له حَليمٌ إذا ما أوْرَد الأمْرَ أصْدَرَا

قال: «أحْسَنْتَ، لا يَفْضُضِ اللَّهُ فاك». هكذا رَواه البزارُ إسنادًا ومَتْنًا.

---

(١) بعده فى الدلائل: «فشكا إليه الصداع الذى به، فدعا رسول الله ﷺ فراسًا».

(٢) فى م: «تبعصت». وتنقضت: تشققت. النهاية ٥/١٠٧.

(٣) بعده فى الدلائل: «من جبينه».

(٤) عزاه الحافظ فى الإصابة ٦/٣٩٤ إلى البزار بنحوه.

(٥) فى م، ص: «حراد». قال الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/٤٠٠: عبد الله بن جَرَاد مجهول، لا يصحُّ خبره؛ لأنه مِن رواية يعلى بن الأشدق الكذاب عنه. قال أبو حاتم: لا يُعرف، ولا يصح خبره. اهـ.

(٦ - ٦) فى م: «بلغنا السماء».

(٧) فى م: «أى».

(٨ - ٨) فى الأصل: «ثم أنشدته من قولى».

وقد رَواه الحافظُ البيهقىُّ مِن طريقٍ أخرى فقال[1] : أخْبَرنا أبو عثمانَ سعيدُ ابنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عَبْدانَ ، أنا أبو بكرٍ[2] محمدُ بنُ المُؤَمَّلِ ، ثنا جعفرُ بنُ محمدِ بنِ سَوَّارٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدٍ السُّكَّرىُّ الرَّقِّىُّ ، حدَّثنى يَعْلى ابنُ الأَشْدَقِ قال : سمِعْتُ النابغةَ نابغةَ بنى جَعْدةَ يقولُ : أنْشَدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ هذا الشعرَ فأعْجَبه :

بلَغْنا السَّماءَ مجْدُنا وثراؤُنا[3] وإنا لَنَرْجُو فوقَ ذلك مَظْهَرَا

فقال[4] : « أين المَظْهَرُ يا أبا ليلى ؟ » قلتُ : إلى[5] الجنةِ . قال : « كذلك إن شاء اللَّهُ » .

[٣/٥٣١و] ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم يكنْ له بَوادِرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكنْ له حَليمٌ إذا ما أوْرَد الأمْرَ أصْدَرَا

فقال النبىُّ ﷺ : « أجَدْتَ ، [6]لا يُفْضَضُ فُوكَ[6] » . قال يَعْلَى : فلقد رأيْتُه ولقد أتَى عليه نَيِّفٌ ومائةُ سنةٍ وما ذهَب له سِنٌّ . قال البيهَقِىُّ : ورُوِىَ ذلك عن مجاهدِ بنِ سُلَيمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَرَادٍ ، سمِعْتُ نابغةَ يقولُ : سمِعَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا أُنشِدُ مِن قولى :

بلَغْنا السَّماءَ عِفَّةً وتَكَرُّمَا وإنا لَنرْجو بعْدَ[7] ذلك مَظْهَرَا

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣، ٢٤.

(٣) فى م : « تراثنا » .

(٤) بعده فى الدلائل : « لى إلى » .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى ا ١١، م : « لا يفضض الله فاك » .

(٧) فى م ، ص : « فوق » .

ثم ذكَر الباقىَ بمَعْناه . قال : فلقد رأيْتُ سِنَّه كأنها البَرَدُ المُنْهَلُّ ، ما سقَط له سِنٌّ ولا انفَلَت .

حديثٌ آخرُ : قال الحافظُ البيهقىُّ[1] : أنا أبو بكرٍ القاضى وأبو سعيدِ بنُ[2] أبى عمرٍو ، قالا : ثنا الأصَمُّ ، ثنا عباسٌ الدُّورىُّ ، ثنا علىُّ بنُ بَحْرٍ القَطَّانُ ، ثنا هشامُ[3] بنُ يوسفَ ، ثنا مَعْمرٌ ، ثنا ثابتٌ وسليمانُ التَّيْمىُّ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نظَر قِبَلَ العراقِ والشامِ واليمنِ - لا أدْرى بِأَيِّتِهِنَّ بدَأ - ثم قال : « اللهم أَقْبِلْ بقلوبِهـــم إلى طاعتِك وحُطْ مِن ورائِهم[4] » . ثم رواه[5] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّاغانىِّ[6] ، عن علىِّ بنِ بَحْرِ بنِ بَرِّىٍّ[7] ، فذكَره بمعناه .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[8] : ثنا عِمرانُ القَطَّانُ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن زيدِ بنِ ثابتٍ قال : نظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ اليمنِ فقال : « اللهم أَقْبِلْ بقلوبِهم » . ثم نظَر قِبَلَ الشامِ فقال : « اللهم أَقْبِلْ بقلوبِهم » . ثم نظَر قِبَلَ العراقِ فقال : « اللهم أَقْبِلْ بقلوبِهم ، وبارِكْ لنا فى صاعِنا ومُدِّنا » . وهكذا وقَع الأمرُ ؛ أسْلَم أهلُ اليمنِ قبلَ أهلِ الشامِ ، ثم كان الخيرُ والبركةُ قِبَلَ العراقِ ، ووعَد أهلَ الشامِ بالدَّوامِ على الهِدايةِ والقيامِ بنُصْرةِ الدِّينِ إلى آخرِ الأمرِ . وروَى أحمدُ فى

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٣٦.

(٢) بعده فى م : « يوسف » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٥٠ .

(٣) فى م : « هاشم » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٦٥.

(٤) فى م : « أوزارهم » .

(٥) أى البيهقى فى الدلائل ٦/ ٢٣٦.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « الصنعانى » .

(٧) فى م : « سرى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٦٦.

(٨) مسند أبى داود (ل ٣٤) من المخطوطة العراقية .

« مسندِه »[1] : لا تقومُ الساعةُ حتى يتَحَوَّلَ خِيارُ أهلِ العراقِ إلى الشامِ ، ويتَحَوَّلَ شِرارُ أهلِ الشامِ إلى العراقِ .

فصلٌ

وروَى مسلمٌ[2] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، عن عكرمةَ بنِ عَمَّارٍ ، حدثنى إياسُ بنُ سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ ، أن أباه حدَّثه أن رجلًا أكَل عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بشمالِه ، فقال له : « كُلْ بيمينِك » . قال : لا أسْتَطيعُ . قال : « لا اسْتَطَعْتَ ، [3]ما منَعه إلا الكِبْرُ » . قال : فما رفَعها إلى فِيه . وقد رواه أبو الوليدِ[4] الطَّيالسىُّ ، عن عكرمةَ ، عن إياسٍ ، عن أبيه قال : أبْصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بُسْرَ[5] بنَ راعى العَيْرِ وهو يأكُلُ بشمالِه ، فقال : « كُلْ بيمينِك » . قال : لا أسْتَطيعُ . قال : « لا اسْتَطَعْتَ »[3] . قال : فما وصَلَت يدُه إلى فِيه بعدُ .

وثبَت فى « صَحيحِ مسلمٍ »[6] مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى حمزةَ ، عن ابنِ عباسٍ [٣/٥٣١ظ] قال : كنتُ ألْعَبُ مع الغِلْمانِ ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فاخْتَبأْتُ منه ، فجاءنى فحطَأنى حَطْأةً [7]أو حَطْأتَيْنِ[7] ، وأرْسَلنى إلى مُعاويةَ فى حاجةٍ ،

---

(١) المسند ٥/٢٤٩ موقوفا على أبى أمامة .

(٢) مسلم (٢٠٢١) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م : « داود » . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٣٨، من طريق أبى الوليد الطيالسى به .

(٥) فى ١١١ ، م ، ص ، والدلائل : « بشر » . والمثبت من مصار ترجمته ، وانظر الإكمال ١/ ٢٦٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٣/ ١٩٢.

(٦) مسلم (٢٦٠٤/٩٧) ، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٤٢، ٢٤٣، من طريق شعبة به . واللفظ له .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وليست فى مصدرى التخريج . والحطء : الدفع بالكف . وقيل : لا يكون الحطء إلا ضربة بالكف بين الكتفين . وانظر النهاية ١/ ٤٠٤.

فأتَيْتُه وهو يأكُلُ ، فقلتُ : أتيتُه وهو يأكُلُ، فأرْسَلنى الثانيةَ ، فأتَيْتُه وهو يأكُلُ ، فقلتُ : أتَيْتُه وهو يأكُلُ . فقال : « لا أشْبَع اللَّهُ بطْنَه » .

وقد روَى البيهقىُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن علىِّ بنِ حَمْشاذَ[2] ، عن هشامِ بنِ علىٍّ ، عن موسى بنِ إسماعيلَ ، حدَّثنى أبو عَوانةَ ، عن أبى حَمْزةَ ، سمِعْتُ ابنَ عباس قال : كنتُ ألْعَبُ مع الغِلمانِ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قد جاء ، فقلتُ : ما جاء إلا إلىَّ . فذهبْتُ فاخْتَبأْتُ على بابٍ ، فجاء فحطَأنى حَطْأةً وقال : « اذْهَبْ فادْعُ لى مُعاويةَ » . وكان يَكْتُبُ الوَحْىَ . قال : فذهَبْتُ فدعَوْتُه له ، فقيل : إنه يأكُلُ . فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : إنه يأكُلُ . فقال : « اذْهَبْ فادْعُه لى » . فأتَيْتُه الثانيةَ ، فقيل : إنه يأكُلُ . فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرْتُه ، فقال فى الثالثةِ[3] : « لا أشْبَعَ اللَّهُ بطنَه » . قال : فما شبِـع بعدَها[4] .

قلتُ : وقد كان مُعاويةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، لا يَشْبَعُ بعدَها ، ووافَقَتْه هذه الدَّعْوةُ فى أيامِ إمارتِه ، فيُقالُ : إنه كان يأكُلُ فى اليومِ سبعَ مراتٍ طعامًا بلحمٍ ، وكان يقولُ : واللَّهِ لا أَشْبَعُ وإنما أَعْيَى .

وقدَّمْنا[5] فى غزوةِ تَبوكَ أنه مَرَّ بيـنَ أيديهم وهم يُصَلُّون غلامٌ فدَعا عليه ، فأُقْعِدَ فلم يَقُمْ بعدَها . وجاء مِن طرقٍ أوْرَدها البيهقىُّ[6] أن رجلًا حاكَى النبىَّ ﷺ فى كلامٍ واخْتَلج بوجهِه[7] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كنْ كذلك » . فلم

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٤٣.

(٢) فى م ، ص : « حماد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٨.

(٣) فى م : « الثانية » .

(٤) فى الدلائل : « بطنه » .

(٥) تقدم فى ٧/ ١٧١، ١٧٢.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٧) اختلج بوجهه : أى كان يحرك شفتيه وذقنه ؛ استهزاء وحكاية لفعل النبى ﷺ . النهاية ٢/ ٦٠.

يزَلْ يَخْتَلِجُ ويرْتَعِشُ مدةَ عمْرِه حتى مات . وقد ورَد فى بعضِ الرِّواياتِ[1] أنه الحكَمُ بنُ أبى العاصِ أبو مَرْوانَ بنِ الحكَمِ . فاللَّه أعلمُ .

وقال مالكٌ[2] ، عن زيدِ بنِ أسْلمَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ بنى أنْمارٍ . فذكَر الحديثَ فى الرجلِ الذى عليه ثوبان قد خَلِقا ، وله ثوبان فى العَيْبَةِ[3] ، فأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ فلَبِسهما ثم ولَّى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما له ضرَب اللَّهُ عنقَه ؟! » . فقال الرجلُ : فى سبيلِ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فى سبيلِ اللَّهِ » . فقُتِل الرجلُ فى سبيلِ اللَّهِ . وقد ورَد مِن هذا النوعِ كثيرٌ . وقد ثبَت فى الأحاديثِ الصحيحةِ بطرقٍ متعددةٍ عن جماعةٍ مِن الصحابةِ تُفيدُ القَطْعَ ، كما سنُورِدُها قريبًا فى بابِ فَضائِله ﷺ ، أنه قال[4] [٣/ ٥٣٢و] : « اللهم مَن سبَبْتُه أو جلَدْتُه أو لعَنْتُه وليس لذلك أهلًا فاجْعَلْ ذلك قُرْبةً له تُقَرِّبُه بها عندَك يومَ القيامةِ » .

وقد قدَّمْنا[5] فى أوَّلِ البِعثةِ حديثَ ابنِ مسعودٍ فى دعائِه ﷺ على أولئك النفَرِ السبعةِ الذين أحدُهم أبو جهلِ بنُ هشامٍ وأصحابُه ، حينَ طرَحوا على ظهرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، سَلَا الجَزورِ ، وألْقَتْه عنه ابنتُه فاطمةُ ، فلما انصَرف قال : « اللهم عليك بقريشٍ ، اللهم عليك بأبى جهلِ بنِ هشامٍ ، وشيبةَ بنِ ربيعةَ ، وعتبةَ بنِ ربيعةَ ، والوليدِ بنِ عتبةَ » . ثم سمَّى بقيةَ السبعةِ . قال ابنُ مَسْعودٍ : فوالذى بعَثه بالحقِّ لقد رأيْتُهم صَرْعَى فى القَليبِ قَليبِ بدرٍ . الحديثَ . وهو مُتَّفقٌ عليه .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٢٤٠.

(٢) الموطأ ٢/ ٩١٠، ٩١١.

(٣) فى م : « القنية » . والعيبة : مستودَع الثياب .

(٤) البخارى (٦٣٦١) ، ومسلم (٢٦٠٠ - ٢٦٠٢) .

(٥) تقدم فى ٤/ ١١٣، ١١٤.

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا هاشمٌ[2] ، ثنا سليمانُ ، يعنى ابنَ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان منا رجلٌ مِن بنى النجارِ قد قرَأ « البقرةَ » و« آلَ عِمْرانَ » ، وكان يَكْتُبُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فانطَلَق هاربًا حتى لحِق بأهلِ الكتابِ . قال : فرفَعوه وقالوا : هذا كان يَكْتُبُ لمحمدٍ . وأُعْجِبوا به ، فما لَبِثَ أن قصَم اللَّهُ عُنُقَه فيهم ، فحفَروا له فوارَوْه ، فأصْبَحَت الأرضُ قد نبَذَتْه على وجهِها ، ثم عادوا فحفَروا له ووارَوْه ، فأصْبَحَت الأرضُ قد نبَذَتْه على وجهِها ، [3]ثم عادوا فحفَروا له ووارَوْه ، فأصْبَحَت الأرضُ قد نبَذَتْه على وجهِها[3] ، فترَكوه مَنْبوذًا . ورواه مسلمٌ عن محمدِ بنِ رافعٍ[4] ، عن أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ به[5] .

طريقٌ أخْرى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا حُميدٌ عن أنسٍ ، أن رجلًا كان يَكْتُبُ للنبىِّ ﷺ ، وقد كان قرَأ « البقرةَ » و« آلَ عِمْرانَ » ، وكان الرجلُ إذا قرَأ « البقرةَ » و« آلَ عِمْرانَ » عَزَّ[7] فينا ، يعنى عَظُم ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُمْلِى[8] عليه : غَفُورًا رَّحِيمًا . فيَكْتُبُ : عَليمًا حكيمًا ، فيقولُ له النبىُّ ﷺ : « اكْتُبْ كذا وكذا ، اكْتُبْ كيف شئتَ » . ويُمْلى عليه : عَلِيمًا حَكِيمًا . [9]فيقولُ : أكْتُبُ[9] : سَميعًا بصيرًا ؟

---

(١) المسند ٣/ ٢٢٢.

(٢) فى م : « هشام » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٣١.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) فى م : « راضى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٩٢.

(٥) مسلم (٢٧٨١) .

(٦) المسند ٣/ ١٢٠، ١٢١.

(٧) فى المسند : « جد » .

(٨) فى ص : « يلقى » .

(٩ - ٩) فى م ، ص : « فيكتب » .

فيقولُ[1] : « اكْتُبْ كيف شئتَ » . قال : فارْتَدَّ ذلك الرجلُ عن الإسلامِ ، فلحِق بالمشركين ، وقال : أنا أعْلَمُكم بمحمدٍ ، [2]وإن كنتُ لأكْتُبُ[2] ما شئتُ . فمات ذلك الرجلُ ، فقال النبيُّ ﷺ : « إنَّ الأرضَ لا[3] تَقْبَلُه » . قال أنسٌ : فحدَّثنى أبو طلحةَ أنه أتَى الأرضَ التى مات فيها ذلك الرجلُ ، فوجَده مَنْبوذًا ، فقال أبو طلحةَ : ما شأنُ هذا الرجلِ ؟ قالوا : قد دَفَنَّاه مِرارًا فلم تَقْبَلْه الأرضُ . وهذا على شرطِ الشيخَيْن ، ولم يُخْرِجوه .

طريقٌ أخرى عن أنسٍ : قال البخاريُّ[4] : ثنا أبو مَعْمرٍ ، ثنا [٣/ ٥٣٢ظ] [5]عبدُ الوارثِ[5] ، ثنا عبدُ العزيزِ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كان رجلٌ نصرانيٌّ فأسْلَم ، وقرأ « البقرةَ » و « آلَ عمرانَ » ، وكان يَكْتُبُ للنبيِّ ﷺ ، فعاد نَصْرانيًّا ، وكان يقولُ : ما يَدْرِى محمدٌ إلا ما كتَبْتُ له . فأماته اللَّهُ فدفَنوه ، فأصْبَح وقد لفِظَتْه الأرضُ ، فقالوا : هذا فعلُ محمدٍ وأصحابِه لَمَّا هرَب منهم ؛ نبَشوا عن صاحبِنا فألْقَوْه . [6]فحفَروا له وأعْمَقوا ، فأصْبَح وقد لَفَظَتْه الأرضُ ، فقالوا : هذا فِعْلُ محمدٍ وأصحابِه ؛ نبَشوا عن صاحبِنا فألْقَوْه[6] . فحفَروا له وأعْمَقوا له فى الأرضِ ما استطاعوا ، فأصْبَح وقد لفِظَتْه الأرضُ ، فعلِموا أنه ليس مِن الناسِ فألْقَوه .

---

(١) بعده فى المسند : « اكتب » . قال فى بلوغ الأمانى ١٨/ ٣١: إنما قال له النبى ﷺ : « اكتب كيف شئت » . ولم يزجره عن فعله لكونه علم إما بطريق الوحى أو بطريق الإلهام أن هذا الرجل خبيث النية ، وأن اللَّه عز وجل سيعاقبه عقابا صارما وينكل به .

(٢ - ٢) فى الأصل : « وإنى كنت لأكتب » . وفى م : « وإنى كنت لا أكتب إلا » .

(٣) فى المسند : « لم » .

(٤) البخارى (٣٦١٧) .

(٥ - ٥) فى م : « عبد الرزاق » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٧٨.

(٦ - ٦) سقط من : م .

بابُ المسائلِ التى سُئِل عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ فأجاب فيها بما يُطابِقُ الحَقَّ المُوافقَ [1] لِما تَشْهَدُ به الكتبُ المتقدّمةُ [1] الموروثةُ عن الأنبياءِ قبلَه [2]

قد ذكَرْنا فى أولِ البِعْثةِ [3] ما تعَنَّتَت به قريشٌ، وبعَثَت إلى يهودِ المدينةِ يَسْألونهم عن أشياءَ يسْألون عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: سَلُوه عن الرُّوحِ، وعن أقوامٍ ذهَبوا فى الدَّهْرِ فلا يُدْرَى ما صنَعوا، وعن رجلٍ طَوَّافٍ فى الأرضِ بلَغ المَشارِقَ والمَغارِبَ. فلما رجَعوا سألوا عن ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ، فأنْزَل اللَّهُ، عز وجل، قولَه تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]. [4] وقرأ الأعمشُ [5]: (وَمَآ أُوتُواْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [4]. وأنزَل سورةَ «الكَهْفِ» يَشْرَحُ فيها خبرَ الفِتْيةِ الذين فارقوا دينَ قومِهم وآمَنوا باللَّهِ العزيزِ الحميدِ، وأفْرَدوه بالعِبادةِ، واعْتَزلوا قومَهم، ونزَلوا غارًا وهو الكهفُ، فناموا فيه، ثم أيْقَظهم اللَّهُ بعدَ ثَلاثِمائةِ سنةٍ وتسعِ سنين، وكان مِن أمْرِهم ما قَصَّ اللَّهُ علينا فى كتابِه العزيزِ، ثم قَصَّ خبرَ الرجلَيْنِ المؤمنِ والكافرِ، وما كان مِن أمْرِهما، ثم ذكَر خبرَ موسى والخَضِرِ وما جرَى لهما مِن الحِكَمِ والمَواعِظِ، ثم قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ

(١ - ١) فى م: «لها فى الكتب».

(٢) سقط من: ا ١١١، م.

(٣) تقدم فى ٤/ ١٣٢، ١٣٣.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) انظر البحر المحيط ٦/ ٧٦.

ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]. ثم شرَح[1] خبرَه وما وصَل إليه مِن المَشارِقِ والمَغارِبِ، وما عمِل مِن المَصالحِ فى العالَمِ، وهذا الإخبارُ هو الواقعُ[2]، وإنما يُوافِقُه مِن الكتبِ التى بأيْدى أهلِ الكتابِ ما كان منها حقًّا، وأما ما كان منها مُحَرَّفًا مُبَدَّلًا فذاك مَرْدودٌ، فإن اللَّهَ تعالى بعَث محمدًا ﷺ بالحقِّ، وأنْزَل عليه الكتابَ؛ ليُبَيِّنَ للناسِ ما اخْتَلفوا [٣/ ٥٣٣و] فيه مِن الأخبارِ والأحْكامِ. قال اللَّهُ تعالى بعدَ ذكرِه التَّوْراةَ والإنْجيلَ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وذكَرْنا فى أولِ الهجرةِ قصةَ إسلامِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ[3]، وأنه قال: لمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ انْجَفل الناسُ إليه، فكنتُ فيمَن انْجَفل، فلما رأيْتُ وجهَه علِمتُ[4] أن وجهَه ليس بوجهِ رجلٍ[5] كَذَّابٍ، فكان أولَ ما سمِعْتُه يقولُ: «أيُّها الناسُ، أفْشُوا السلامَ، وصِلوا الأرْحامَ، وأَطْعِموا الطعامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نِيامٌ، تَدْخلوا الجنةَ بسَلامٍ».

وثبَت فى «صحيحِ البخارىِّ» وغيرِه مِن حديثِ إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ[6] وغيرِه، عن حُميدٍ، عن أنسٍ، قصةُ سؤالِه رسولَ اللَّهِ ﷺ عن[7] ثلاثٍ لا

---

(١) بعده فى م: «ثم ذكر».

(٢) بعده فى م، ص: «فى الواقع».

(٣) تقدم فى ٤/ ٥٢٠.

(٤) فى م، ص: «قلت».

(٥) سقط من: م.

(٦) فى م: «عطية». ولم يخرج البخارى رواية ابن علية عن حميد، وإنما أخرجها الإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٨٩، والبيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٦٠، ٢٦١، وأما عن غير إسماعيل ابن علية عن حميد فقد أخرجها البخارى (٣٣٢٩، ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠)، وأحمد فى المسند ٣/ ١٨٩، والنسائى فى الكبرى (٩٠٧٤). وانظر تحفة الأشراف ١/ ١٧٣، ١٧٤، والمسند الجامع ٢/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٧) سقط من: م.

يَعْلَمُهن إلا نبيٌّ ؛ ما أولُ أشْراطِ الساعةِ ؟ وما أولُ طعامٍ يأْكُله أهلُ الجنةِ ؟ وما يَنْزِعُ الولدُ إلى أبيه وإلى أمِّه ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أخْبَرنى بهن جبريلُ آنِفًا » . ثم قال : « أمَّا أولُ أشْراطِ الساعةِ فنارٌ تَحْشُرُ الناسَ مِن المَشْرِقِ إلى المغربِ ، وأما أولُ طعامٍ يأكُله أهلُ الجنةِ فزيادةُ كبدِ حوتٍ ، وأما الولدُ فإذا سبَق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزَع الولدُ إلى أبيه ، وإذا سبَق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نزَع الولدُ إلى أمِّه » . وقد رَواه البيهقىُّ[1] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونسَ بنِ بُكيرٍ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، فذكَر مُساءلةَ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، إلَّا أنه قال : فسأَله عن السَّوادِ الذى فى القمرِ . بدلَ أشْراطِ الساعةِ . فذكَر الحديثَ إلى أن قال : وأما السَّوادُ الذى فى القمرِ ، فإنهما كانا شَمْسَيْنِ فقال اللَّهُ ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [الإسراء : ١٢] . فالسَّوادُ الذى رأيْتَ هو المحْوُ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ : أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ .

حديثٌ آخرُ فى مَعْناه : قال الحافظُ البيهقىُّ[2] : أنا أبو زكريا يحيى بنُ إبراهيمَ المُزَكِّى ، أنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدوسٍ[3] ، ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، أنا الربيعُ بنُ نافعٍ أبو تَوْبةَ ، ثنا مُعاويةُ بنُ سَلَّامٍ ، عن زيدِ بنِ سَلَّامٍ ، أنه سمِع أبا سلَّامٍ ، يقولُ[4] : أخْبَرَنى أبو أسماءَ الرَّحَبىُّ أن ثَوْبانَ حدَّثه قال : كنتُ قائمًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فجاءه حَبْرٌ مِن أحْبارِ اليَهودِ ، فقال : السلامُ عليك يا

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) فى م : « عيدروس » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩.

(٤) زيادة من : م .

محمدُ . فدفَعْتُه دَفْعةً كاد يُصْرَعُ منها . قال : لِمَ تدْفَعُنى ؟ قال : قلتُ : ألا تقولُ : يا [٣/٥٣٣ظ] رسولَ اللَّهِ ؟! قال : إنما سمَّيْتُه باسِمه الذى سمَّاه به أهلُه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اسْمى الذى سمَّانى به أهلى محمدٌ » . فقال اليهودىُّ : جئتُ أسألُك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ينْفَعُك شىءٌ إن حدَّثْتُك ؟ » قال : أسْمَعُ بأُذُنىَّ . فنكَت بعُودٍ معه ، فقال له : « سَلْ » . فقال له اليهودىُّ : أين الناسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غيرَ الأرضِ والسَّماواتُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فى الظُّلْمةِ دونَ الجِسْرِ » . قال : فمَن أولُ الناسِ إجازةً ؟ قال : « فقراءُ المهاجرين » . قال اليهودىُّ : فما تُحْفَتُهم حينَ يَدْخُلون الجنةَ ؟ قال : « زِيادةُ كبدِ نونٍ[1] » . قال : وما غذاؤُهم على إثْرِه ؟ قال : « يُنْحَرُ لهم ثَوْرُ الجنةِ الذى كان يَأْكُلُ مِن أطْرافِها » . قال : فما شَرابُهم عليه ؟ قال : « مِن عَينٍ فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا » . قال : صدَقْتَ . قال : وجئتُ أسألُك عن شىءٍ لا يَعْلَمُه أحدٌ مِن أهلِ[2] الأرضِ إلا نبىٌّ أو رجلٌ أو رجلان . قال : « ينْفَعُك إن حدَّثْتُك ؟ » قال : أسْمَعُ بأُذُنىَّ . قال : جئتُ أسألُك عن الولدِ . قال : « ماءُ الرجلِ أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ ، فإذا اجْتَمعا فعَلَا مَنِىُّ الرجلِ مَنِىَّ المرأةِ أذْكَرا بإذنِ اللَّهِ ، وإذا علا مَنِىُّ المرأةِ مَنِىَّ الرجلِ أنَّثا بإذنِ اللَّهِ » . فقال اليهودىُّ : صدَقْتَ وإنك لنبىٌّ . ثم انصَرف ، فقال النبىُّ ﷺ : « إنه سألَنى [3]هذا الذى سألنى[3] عنه وما أعْلَمُ شيئًا منه حتى أتانِى اللَّهُ به » . وهكذا رواه مسلمٌ ، عن الحسنِ بنِ علىٍّ الحُلْوانىِّ ، عن أبى تَوْبةَ الربيعِ ابنِ نافعٍ به[4] . وهذا الرجلُ يَحْتَمِلُ أن يكونَ هو عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ ، ويَحْتَمِلُ أن

---

(١) فى م : « الحوت » . والنون : الحوت .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) مسلم (٣١٥/٣٤) .

يكونَ غيرَه . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ : قال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَهْرامٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، حدَّثنى ابنُ عباسٍ قال : حضَرَت عِصابةٌ مِن اليهودِ يومًا[2] النبيَّ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، حدِّثْنا عِن خِلالٍ نَسألُك عنها لا يَعْلَمُها إلا نبيٌّ . قال : « سَلُونى عما شئتُم ، ولكن اجْعَلوا لى ذِمَّةَ اللَّهِ وما أخَذ يعقوبُ على بَنيه إن أنا حدَّثْتُكم بشىءٍ تعْرِفونه صِدْقًا لتُبايِعُنِّى[3] على الإسلامِ » . قالوا : لك ذلك . قال : « سَلُوا عما شئتُم » . قالوا : أخْبِرْنا عن أربعِ خِلالٍ[4] نَسألُك عنها[5] ؛ أخْبِرْنا عن الطعامِ الذى حَرَّم إسرائيلُ على نفسِه مِن قبلِ أن تُنَزَّلَ التَّوْراةُ ، وأخْبِرْنا عن [٣/ ٥٣٤و] ماءِ الرجلِ كيف يكونُ الذَّكَرُ منه حتى يكونَ ذكرًا ، وكيف تكونُ الأُنْثى حتى تكونَ أُنْثَى ، وأخْبِرْنا كيف[6] هذا النبيُّ فى النومِ ، ومَن وَلِيُّك مِن المَلائكةِ . قال : « فعليكم عهدُ اللَّهِ لئن أنا حدَّثْتُكم لتُبايِعُنِّى[3] » . فأعْطَوه ما شاء مِن عهدٍ ومِيثاقٍ . قال : « أنْشُدُكم باللَّهِ الذى أنْزَل التَّوْراةَ على موسى ، هل تعْلَمون أن إسرائيلَ - يعقوبَ - مرِض مَرَضًا شديدًا وطال سَقَمُه فيه ، فنذَر للَّهِ نَذْرًا لئن شفاه اللَّهُ مِن سَقَمِه ليُحَرِّمَنَّ أحَبَّ الشرابِ إليه وأحَبَّ الطَّعامِ إليه ، وكان أحَبُّ الشرابِ إليه ألْبانَ الإبلِ ، وأحَبُّ الطعامِ إليه لُحْمانَ الإبلِ ؟ » قالوا : اللهم نعم . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اشْهَدْ عليهم » . قال :

---

(١) مسند أبى داود (٢٧٣١) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٦٦، ٢٦٧، من طريق أبى داود به ، واللفظ له .

(٢) بعده فى م : « عند » .

(٣) فى الأصل ، ١١١، م : « لتتابعنى » .

(٤) بعده فى م : « ثم » .

(٥) سقط من : الأصل ، ١١١، م ، والدلائل .

(٦) فى النسخ : « عن » . والمثبت من مصدرى التخريج . والمعنى : أخبرنا كيف حالك فى النوم .

« فأنْشُدُكم باللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، الذى أنْزَل التَّوْراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أن ماءَ الرجلِ غَلِيظٌ[1] أبْيضُ ، وأن ماءَ المرأةِ رَقِيقٌ أصْفَرُ ، فأيُّهما عَلَا كان له الولدُ والشَّبَهُ بإذنِ اللَّهِ ، وإن عَلَا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ كان ذكرًا بإذنِ اللَّهِ ، وإن عَلَا ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ كان أُنْثَى بإذنِ اللَّهِ ؟ » قالوا : اللهم نعم . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اشْهَدْ عليهم » . قال : وأنْشُدُكم باللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، الذى أنْزَل التَّوْراةَ على موسى ، هل تعْلَمون أن هذا النبىَّ تَنامُ عَيْناه ولا يَنامُ قَلْبُه ؟ » قالوا : اللهم نعم . قال : « اللهم اشْهَدْ عليهم » . قالوا : أنت الآنَ حَدِّثْنا مَن[2] وَلِيُّك مِن المَلائكةِ ؟ فعندَها نُجامِعُك أو نُفارِقُك . قال : « وَلِيِّى جبريلُ ، عليه السلامُ ، ولم يَبْعَثِ اللَّهُ نبيًّا قطُّ إلا وهو وَلِيُّه » . قالوا : فعندَها نُفارِقُك ، لو كان وَلِيُّك غيرَه مِن الملائكةِ لتابَعْناك[3] وصدَّقْناك . قال : « فما يَمْنَعُكم أن تُصَدِّقوه ؟ » قالوا : إنه عدوُّنا مِن المَلائكةِ . فأنْزَل اللَّهُ عز وجل : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة : ٩٧] . ونزل : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ الآية [البقرة : ٩٠] .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا يَزيدُ ، ثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَمةَ يُحَدِّثُ عن صَفْوانَ بنِ عَسَّالٍ المُرادىِّ قال : قال يَهودىٌّ لصاحبِه : اذْهَبْ بنا إلى هذا النبىِّ حتى نسألَه عن هذه الآيةِ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] . فقال : لا تَقُلْ له : نبىٌّ[5] . فإنه

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « عن » .

(٣) فى م : « لبايعناك » .

(٤) المسند ٤/ ٢٣٩.

(٥) فى الأصل ، ١١١ : « شىء » ، وفى م : « شيئًا » .

لو سمِعك لصارتْ له أربعُ أعْيُنٍ . فسألاه ، فقال النبىُّ ﷺ : « لا تُشْرِكوا باللَّهِ شيئًا ، ولا تَسْرِقوا ، ولا تَزْنوا ، ولا تَقْتُلوا النَّفسَ التى حَرَّم اللَّهُ إلا بالحقِّ ، ولا تَسْحَروا ، ولا تَأْكلوا الرِّبا ، ولا تَمْشوا ببرِىءٍ إلى ذى سُلْطانٍ ليقْتُلَه ، ولا تَقْذِفوا [٣/ ٥٣٤ظ] مُحْصَنةً - أو قال : لا تَفِرُّوا مِن الزَّحْفِ . شعبةُ الشَّاكُّ - وأنتم يا معشرَ يهودَ عليكم خاصةً أن لا تَعْدُوا فى السَّبْتِ » . قال : فقبَّلا [(١) يدَيه ورجلَيه (١)] وقالا : نشْهَدُ أنك نبىٌّ . قال : « فما يَمْنَعُكما أن تتْبَعانى ؟ » قالا : إن داودَ ، عليه السلامُ ، دَعا أن لا يَزالُ مِن ذُرِّيَّتِه نبىٌّ ، وإنا نخْشَى إن أسْلَمْنا أن تَقْتُلَنا يهودُ . وقد رَواه الترمذىُّ والنسائىُّ وابنُ ماجه وابنُ جريرٍ والحاكمُ والبيهقىُّ مِن طرقٍ ، عن شعبةَ به[(٢)] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . قلتُ : وفى رجالِه مَن تُكُلِّم فيه ، وكأنه اشْتَبه على الراوى التسعُ الآياتِ بالعشرِ الكَلِماتِ ، وذلك أن الوَصايا التى أوْحاها[(٣)] اللَّهُ إلى موسى وكلَّمه بها ليلةَ الطُّورِ[(٤)] بعدَما خرَجوا مِن ديارِ مصرَ وشعبُ بنى إسرائيلَ حولَ الطُّورِ حُضُورٌ ، وهارونُ ومَن معه [(٥) مِن العلماءِ (٥)] وُقوفٌ على الطُّورِ أيضًا ، وحينَئذٍ كلَّم اللَّهُ موسى[(٦)] آمِرًا له بهذه العَشْرِ كَلماتٍ ، وقد فُسِّرت فى هذا الحديثِ ، وأما التسعُ الآياتِ فتلك دلائلُ ، وخَوارقُ عاداتٍ أُيِّد بها موسى ، عليه السلامُ ، وأظْهَرَها اللَّهُ على يدَيه بديارِ مصرَ ، وهى العَصا واليدُ والطُّوفانُ والجَرادُ والقُمَّلُ والضَّفادعُ والدمُ والجَدْبُ ونقصُ الثَّمراتِ ، وقد

(١ - ١) فى المسند : « يده ورجله » .

(٢) الترمذى (٢٧٣٣، ٣١٤٤) ، والنسائى (٤٠٨٩) ، وابن ماجه (٣٧٠٥) ، وتفسير الطبرى ١٥/ ١٧٢، والمستدرك ١/ ٩، ودلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٢٦٨. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٥١٧) .

(٣) فى م : « أوصاها » .

(٤) فى م : « القدر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م : « تكليما » .

بسَطْنا القولَ على ذلك فى «التفسيرِ»[1] بما فيه كفايةٌ. واللَّهُ أعلمُ.

فصلٌ

وقد ذكَرْنا فى «التفسيرِ» عندَ قولِه تعالى فى سورةِ «البقرةِ»[2]: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥]. ومثلُها فى سورةِ «الجمعةِ»[3]، وهى قولُه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦، ٧]. وذكَرْنا أقوالَ المُفَسِّرين فى ذلك، وأن الصوابَ أنه دَعاهم إلى المُباهَلةِ؛ أن يدْعُوا بالموتِ على المُبْطِلِ منهم أو المسلمين، فنكَلوا عن ذلك لعلمِهم بظلمِ أنفسِهم، وأن الدعوةَ تَنْقَلِبُ عليهم، ويَعودُ وَبالُها إليهم[4]، وهكذا دَعا النَّصارى مِن أهلِ نَجْرانَ [٣/ ٥٣٥و] حينَ حاجُّوه فى عيسى ابنِ مَرْيَمَ، فأمَره اللَّهُ أن يَدْعوَهم إلى المُباهَلةِ فى قولِه[5]: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وهكذا دَعا على

---

(١) التفسير ٥/ ١٢٢.

(٢) التفسير ١/ ١٨٢، ١٨٣.

(٣) التفسير ٨/ ١٤٤.

(٤) فى الأصل: «عليهم».

(٥) التفسير ٢/ ٤٠ - ٤٥.

المشركين على وجهِ المُباهَلةِ فى قولِه[1] : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٥] . وقد بسَطْنا القولَ فى ذلك عندَ هذه الآياتِ فى كتابِنا « التفسيرِ » بما فيه كِفايةٌ . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

حديثٌ آخرُ يتَضمَّنُ اعترافَ اليهودِ بأنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ويتَضمَّنُ تَحاكمَهم [2]إليه ورجوعَهم إلى ما يَحْكُمُ به[2] ، ولكن بقَصْدٍ منهم مَذْمومٍ

وذلك أنهم ائْتَمروا بينَهم أنه إن حكَم بما يُوافِقُ هواهم فاتَّبِعوه ، وإلا فاحْذَروا ذلك ، وقد ذَمَّهم اللَّهُ فى كتابِه العزيزِ على هذا القَصْدِ . قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[3] : ثنا مَعْمرٌ عن الزُّهْرىِّ قال : كنتُ جالسًا عندَ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، وعندَ سعيدٍ رجلٌ وهو يُوَقِّرُه ، وإذا هو رجلٌ مِن مُزَيْنةَ ، كان أبوه شهِد الحُديبيةَ ، وكان مِن أصحابِ أبى هريرةَ ، قال : قال أبو هريرةَ : كنتُ جالسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ جاء نفَرٌ مِن اليهودِ ، وقد زَنَى رجلٌ منهم وامرأةٌ ، فقال بعضُهم لبعضٍ : اذْهَبوا بنا إلى هذا النبىِّ فإنه نبىٌّ بُعِث بالتَّخْفيفِ ، فإن أفْتانا حدًّا دونَ الرَّجْمِ فعَلْناه ، واحْتَجَجْنا عندَ اللَّهِ حينَ نلْقاه بتَصْديقِ نبىٍّ مِن أنبيائِه - قال مَرَّةً عن الزُّهْرىِّ : وإن أمَرَنا بالرَّجْمِ عَصَيْناه ، فقد عصَيْنا اللَّهَ فيما كتَب علينا مِن الرَّجْمِ فى التَّوْراةِ - فأتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو جالسٌ فى المسجدِ فى أصحابِه ، فقالوا :

---

(١) التفسير ٥/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٦٩، ٢٧٠، من طريق ابن المبارك عن معمر به.

يا أبا القاسمِ ، ما ترَى فى رجلٍ منا زَنَى بعدَ ما أُحْصِن ؟ فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ ولم يَرْجِعْ إليهم شيئًا ، وقام معه رجالٌ[1] مِن المسلمين ، حتى أتَوْا بيتَ مِدْراسِ اليهودِ ، فوجَدوهم يتَدارسون التَّوْراةَ ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا معشرَ اليهودِ ، أَنْشُدُكم باللَّهِ الذى أنْزَل التَّوْراةَ [٣/ ٥٣٥ظ] على موسى ، ما تجِدون فى التَّوْراةِ مِن العُقوبةِ على مَن زَنَى إذا أُحْصِن ؟ » قالوا : نُجَبِّيه - والتَّجْبِيَةُ أن يَحْمِلوا اثنَيْنِ على حمارٍ فيُوَلُّوا ظهرَ أحدِهما ظهرَ الآخرِ - قال : وسكَت حَبْرُهم ، وهو فتًى شابٌّ ، فلما رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ صامتًا [2]ألَظَّ به النِّشْدةَ[2] ، فقال حَبْرُهم : أمَا إذ نشَدْتَهم فإنا نجِدُ فى التَّوْراةِ الرَّجْمَ على مَن أُحْصِن . قال النبىُّ ﷺ : « فما أولُ ما ترَخَّصْتُم أمْرَ اللَّهِ ، عز وجل ؟ » فقال : زَنَى رجلٌ منا ذو قَرابةٍ بمَلِكٍ مِن مُلوكِنا ، فأخَّر عنه الرَّجْمَ ، فزَنَى بعدَه آخَرُ فى أُسْرةٍ مِن الناسِ ، فأراد ذلك الملكُ أن يَرْجُمَه ، فقام قومُه دونَه فقالوا : لا واللَّهِ لا نَرْجُمُه حتى يَرْجُمَ فلانًا ابنَ عمِّه . فاصْطَلَحوا بينَهم على هذه العقوبةِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فإنى أحْكُمُ بما[3] فى التَّوْراةِ » . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بهما فرُجِما . قال الزهرىُّ : وبلَغَنا أن هذه الآيةَ نزَلت فيهم[4] : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المائدة : ٤٤] . وله شاهدٌ فى « الصَّحيحَيْن »[5] عن ابنِ عمرَ . قلتُ : وقد ذكَرْنا ما ورَد فى هذا السِّياقِ مِن الأحاديثِ عندَ قولِه تعالى[6] :

---

(١) فى الدلائل : « رجلان » .

(٢ - ٢) فى الدلائل : « ألاظ النشدة » . وألظ به النشدة : أى ألحَّ فى سؤاله وألزمه إياه . النهاية ٤/ ٢٥٢.

(٣) بعده فى م : « حكم » .

(٤) التفسير ٣/ ١٠٩.

(٥) فى م ، ص : « الصحيح » ، والحديث فى البخارى (٦٨٤١) ، ومسلم (١٦٩٩) .

(٦) التفسير ٣/١٠٥ - ١٠٩.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ [المائدة: ٤١- ٤٣]. يعنى الجَلْدَ والتَّحْميمَ الذى اصْطَلحوا عليه، وابْتَدعوه مِن عندِ أنفسِهم، يعنى إن حَكم لكم محمدٌ بهذا فخذوه ﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ ﴾. يعنى وإن لم يَحْكُمْ لكم بذلك فاحْذَروا قَبولَه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ [٣/٥٣٦و] ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فذمَّهم اللَّهُ تعالى على سُوءِ قَصْدِهم بالنسبةِ إلى اعتقادِهم فى كتابِهم، وأن فيه حُكْمَ اللَّهِ بالرَّجْمِ، وهم مع ذلك يعْلَمون صحتَه، ثم يَعْدِلون عنه إلى ما ابْتَدعوه مِن (١) الجَلْدِ و (١) التَّحْمِيمِ والتَّجْبِيَةِ.

وقد روَى هذا الحديثَ محمدُ بنُ إسحاقَ عن الزهرىِّ قال (٢): سمِعْتُ رجلًا مِن مُزَيْنةَ يُحَدِّثُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ أن أبا هريرةَ حدَّثهم. فذكَره. وعندَه: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لابنِ صُورِيَا: «أنْشُدُك باللَّهِ وأُذَكِّرُك أيَّامه عندَ بنى إسرائيلَ، هل تَعْلَمُ أن اللَّهَ حكمَ فيمَن زَنَى بعدَ إحصانِه بالرَّجْمِ فى التَّوْراةِ؟» فقال: اللهم نعم، أمَا واللَّهِ يا أبا القاسمِ إنهم يَعْرِفون أنك نبىٌّ مُرْسَلٌ، ولكنهم يَحْسُدونك. فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فأمَر بهما، فرُجِما عندَ بابِ مَسْجِدِه فى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٧٠، ٢٧١، من طريق محمد بن إسحاق به.

بنى [1]غَنْمِ بنِ[1] مالكِ بنِ النَّجارِ. قال: ثم كفَر بعدَ ذلك ابنُ صُورِيَا، فأنْزَل اللَّهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ الآيات. وقد ورَد ذِكْرُ عبدِ اللَّهِ بنِ صُورِيَا الأعْورِ فى حديثِ ابنِ عمرَ وغيرِه[2] برواياتٍ صحيحةٍ قد بيَّنّاها فى «التفسيرِ»[3].

حديثٌ آخرُ: قال حمادُ بنُ سَلَمةَ[4]: ثنا ثابتٌ عن أنسٍ أن غلامًا يهوديًّا كان يَخْدُمُ النبىَّ ﷺ [5]فمَرِض، فأتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعودُه، فوجَد أباه عندَ رأسِه يَقْرأُ التَّوْراةَ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ[5]: «يا يهودىُّ، أَنْشُدُك باللَّهِ الذى أنْزَل التوراةَ على موسى، هل تجِدون فى التوراةِ نعتِى وصِفتِى ومَخْرجِى؟» فقال: لا. فقال الفَتَى: بلى واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ، إنا نجدُك فى التَّوْراةِ؛ نعْتَك وصِفتَك ومَخْرجَك، وإنى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنك رسولُ اللَّهِ. فقال النبىُّ ﷺ لأصحابِه: «أقِيموا هذا مِن عندِ رأسِه، ولُوا[6] أخاكم». رواه البيهقىُّ مِن هذا الوجهِ بهذا اللفظِ.

حديثٌ آخرُ: قال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[7]، ثنا عفانُ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن أبى عُبيدةَ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن أبيه قال: إن اللَّهَ

(١ - ١) فى م: «تميم عند».

(٢) فى م: «عمير».

(٣) التفسير ٣/١٠٦.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٧٢، من طريق حماد بن سلمة به.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) لُوا: فعل أمر من وَلِىَ.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٧٢، ٢٧٣، من طريق ابن أبى شيبة به، والإمام أحمد فى المسند ١/ ٤١٦، من طريق عفان به. (إسناده ضعيف).

ابْتَعث[1] نبيَّه ﷺ لإدْخالِ رجلٍ[2] الجنةَ؛ فدخَل [٣/٥٣٦ظ] النبيُّ ﷺ كَنيسةً، [3]فإذا هو بيهودَ[3]، وإذا يهوديٌّ يقْرَأُ التَّوْراةَ، فلما أتَى على صِفَتِه أمْسَك. قال: وفى ناحيتِها رجلٌ مريضٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «ما لكم أمْسَكْتُم؟» فقال المريضُ: إنهم أتَوْا على صفةِ نبيٍّ فأمْسَكوا. ثم جاء المريضُ يحْبُو حتى أخَذ التوراةَ وقال: ارْفَعْ يدَك. فقرَأ حتى أتَى على صفتِه، فقال: هذه صفتُك وصفةُ أُمَّتِك، أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنك[4] رسولُ اللَّهِ. ثم مات، فقال النبيُّ ﷺ: «لُوا أخاكم».

حديثٌ آخرُ: أن النبيَّ ﷺ وقَف على مِدْراسِ اليهودِ فقال: «يا معشرَ يهودَ، أَسْلِموا، فوالذى لا إلهَ إلا هو إنكم لتَعْلَمون أنى رسولُ اللَّهِ إليكم. فقالوا: قد بلَّغْتَ يا أبا القاسمِ. فقال: «ذلك أُريدُ»[5].

فصلٌ

فالذى يُقْطَعُ به مِن كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه ﷺ، ومِن حيثُ المَعْنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد بَشَّرَت به الأنبياءُ قبلَه، وأتباعُ الأنبياءِ يَعْلَمون ذلك، ولكنَّ أكْثَرَهم يكْتُمون ذلك ويُخْفُونه. قال اللَّهُ تعالى[6]: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

---

(١) ابتعث هنا بمعنى أن اللَّه بعثه من بيته ليحصل بذلك إدخال رجل الجنة. انظر بلوغ الأمانى ١/ ٩٩.

(٢) فى الدلائل: «رجال».

(٣ - ٣) سقط من: م. وفى الأصل، ١١١، ص، والمسند: «فإذا هو بيهودى». والمثبت من الدلائل وشرح المسند للشيخ أحمد شاكر ٦/ ٢٤.

(٤) فى م: «وأشهد أن محمدًا».

(٥) أخرجه البخارى (٧٣٤٨)، ومسلم (١٧٦٥/٦١)، من حديث أبى هريرة.

(٦) التفسير ٣/ ٤٨١ - ٤٩٠.

ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨].

وقال تعالى[1]: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقال تعالى[2]: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]. وقال تعالى[3]: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [آل عمران: ٢٠]. وقال تعالى[4]: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. وقال تعالى[5]: [٣/٥٣٧و] ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال تعالى[6]: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [هود: ١٧]. وقال تعالى[7]: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا

---

(١) التفسير ٣/ ٣١٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٠.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٤٤١.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٢٤٠.

(٦) المصدر السابق ٤/ ٢٤٦.

(٧) المصدر السابق ٦/ ٥٧٨.

وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠]. فذكَر تعالى عمومَ[1] بِعْثتِه إلى الأُمِّيِّين وأهلِ الكتابِ وسائرِ الخَلْقِ مِن عربِهم وعجَمِهم، فكلُّ مَن بلَغه القرآنُ فهو نذيرٌ له. قال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم: «والذى نفسى بيدِه لا يَسْمَعُ بى أحدٌ مِن هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا يُؤْمِنُ بى إلا دخَل النارَ». رواه مسلمٌ[2].

وفى «الصحيحَيْن»[3]: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهن أحدٌ مِن الأنبياءِ قبلى؛ نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شهرٍ، وأُحِلَّت لىَ الغَنائمُ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلى، وجُعِلت لىَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُعْطِيتُ الشفاعةَ[4]، وكان النبىُّ يُبْعَثُ إلى قومِه وبُعِثْتُ إلى الناسِ عَامَّةً». وفيهما[5]: «بُعِثْتُ إلى الأَسْودِ والأحمرِ». قيل: إلى العربِ والعجَمِ. وقيل: إلى الإنسِ والجنِّ. والصحيحُ أعمُّ مِن ذلك.

والمقصودُ أن البِشاراتِ به ﷺ مَوْجودةٌ فى الكتبِ المتقدِّمةِ[6] المَوْروثةِ عن الأنْبياءِ قبلَه، حتى تَناهت النبوةُ إلى آخرِ أنبياءِ بنى إسرائيلَ، وهو عيسى ابنُ مَرْيَمَ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، وقد قام بهذه البِشارةِ فى بنى إسرائيلَ، وقصَّ اللَّهُ خبرَه فى ذلك، فقال تعالى[7]: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦]. فإخبارُ محمدٍ، صلواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه، بأنَّ

---

(١) سقط من: م.

(٢) مسلم (١٥٣)، من حديث أبى هريرة، بنحوه.

(٣) البخارى (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١/٠٠٠)، مع تقديم وتأخير.

(٤) فى م: «السماحة».

(٥) أخرجه مسلم (٥٢١/٣) دون البخارى، وقد صرح الحافظ فى الفتح أن هذا اللفظ من رواية مسلم دون البخارى. انظر فتح البارى ١/ ٤٣٩، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١/ ٥١٣.

(٦) زيادة من: ١١١.

(٧) التفسير ٨/ ١٣٥ - ١٣٧.

ذِكْرُه مَوجودٌ فى الكتبِ المُتَقدِّمةِ ، فيما جاء به مِن القرآنِ ، وفيما ورَد عنه مِن الأحاديثِ الصَّحيحةِ ، كما تقدَّم ، وهو مع ذلك مِن أعْقَلِ الخلقِ باتفاقِ المُوافِقِ والمُفارِقِ ، يدُلُّ على صدقِه فى ذلك قطْعًا ، وذلك لأنه لو لم يكُنْ واثقًا بما أخْبَر به مِن ذلك ، لكان ذلك مِن أشدِّ المُنَفِّراتِ عنه ، ولا يُقْدِمُ على ذلك عاقلٌ ، والغرَضُ أنه مِن أعْقلِ الخلقِ حتى عندَ مَن يُخالِفُه ، بل هو أعْقلُهم فى نفسِ الأمرِ ، ثم إنه قد انْتَشَرتْ دعوتُه فى المَشارقِ والمَغاربِ ، وعمَّت دولةُ أُمَّتِه فى أقْطارِ الآفاقِ عمومًا لم يَحْصُلْ لأُمَّةٍ مِن الأُمَمِ قبْلَها ، فلو لم يكنْ محمدٌ ﷺ نبيًّا ، لكان ضررُه أعْظَمَ مِن كلِّ أحدٍ ، ولو كان كذلك [٣/٥٣٧ظ] لحذَّر عنه الأنبياءُ أشدَّ التَّحْذيرِ ، ولنفَّروا أُمَمَهم منه أشدَّ التَّنْفيرِ ، فإنهم جميعَهم قد حذَّروا مِن دُعاةِ الضَّلالةِ فى كتبِهم ، ونهَوْا أمَمَهم عن اتِّباعِهم والاقْتداءِ بهم ، ونصُّوا على المسيحِ الدَّجَّالِ الأعْورِ الكَذَّابِ ، حتى قد أنْذَر نوحٌ ﷺ - وهو أولُ الرُّسُلِ - قومَه ، ومعلومٌ أنه لم يَنُصَّ نبيٌّ مِن الأنبياءِ على التَّحْذيرِ مِن محمدٍ ﷺ ، ولا التَّنْفيرِ عنه ، ولا الإخبارِ عنه بشىءٍ خلافَ مدْحِه ، والثناءِ عليه ، والبِشارةِ بوُجودِه ، والأمْرِ باتِّباعِه ، والنهْيِ عن مُخالفتِه والخُروجِ مِن طاعتِه . قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١، ٨٢] . قال ابنُ عباسٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما : ما بعَث اللَّهُ نبيًّا إلا أخَذ عليه الميثاقَ ؛ لئن بُعِث محمدٌ وهو حىٌّ ليُؤْمِنَنَّ به

---

(١) التفسير ٢/٥٥ - ٥٧.

ولَيَنْصُرَنَّه ، وأمَره أن يأخُذَ على أُمتِه الميثاقَ ؛ لئن بُعِث محمدٌ وهم أحياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَتَّبِعُنَّه . رواه البخاريُّ[1] . وقد وُجِدت البِشاراتُ به ﷺ فى الكتبِ المتقدِّمةِ ، وهى أشْهَرُ مِن أن تُذْكَرَ ، وأكثرُ مِن أن تُحْصَرَ ، وقد قدَّمْنا[2] قبلَ مولدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، طرَفًا صالحًا مِن ذلك ، وقرَّرْنا فى كتابِ « التفسيرِ » عندَ الآياتِ المُقْتَضيةِ لِذلك آثارًا كثيرةً ، ونحن نُورِدُ هـٰهنا شيئًا مما وُجِد فى كتبِهم التى يَعْتَرفون بصِحَّتِها ، ويَتَدَيَّنون بتِلاوتِها ، مما جمَعَه العلماءُ قديمًا وحديثًا ممَّن آمَن منهم ، واطَّلع على ذلك مِن كتبِهم التى بأيديهم ؛ ففى السِّفْرِ الأولِ مِن التَّوْراةِ التى بأيديهم فى قصةِ إبراهيمَ الخَليلِ ، عليه السلامُ ، ما مَضْمونُه وتَعْريبُه[3] : أن اللَّهَ تعالى أوْحَى إلى إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، بعدَ ما سلَّمه مِن نارِ النُّمْرودِ ، أنْ قُمْ فاسْلُكِ الأرضَ مَشارِقَها ومَغاربَها لولدِك ، فلما قصَّ ذلك على سارةَ طمِعتْ أن يكونَ ذلك لولدِها منه ، وحرَصتْ على إبعادِ هاجرَ وولدِها ، حتى ذهَب بهما الخليلُ إلى بَرِّيَّةِ الحِجازِ وجبالِ فارانَ ، وظَنَّ إبراهيمُ ، عليه السلامُ ، أن هذه البِشارةَ تكونُ لولدِه إسحاقَ ، حتى [٣/٥٣٨و] أَوْحَى اللَّهُ إليه ما مَضْمونُه : أما ولَدُك إسحاقُ فإنه يُرْزَقُ ذُرِّيَّةً عظيمةً ، وأما ولَدُك إسماعيلُ فإنى بارَكْتُه وعظَّمْتُه ، وكثَّرْتُ ذرِّيَّتَه ، وجعَلْتُ مِن ذرِّيَّتِه ماذ ماذَ - يعنى محمدًا ﷺ - وجعَلْتُ فى ذرِّيَّتِه اثنىْ عشَرَ إمامًا ، وتكونُ له أُمَّةٌ عظيمةٌ ، وكذلك بُشِّرَتْ هاجرُ حينَ وضَعها الخليلُ عندَ البيتِ ، فعطِشَت وحزِنَت على ولدِها ، وجاء المَلَكُ فأنْبَع لها زمْزَمَ ، وأمَرها بالاحتفاظِ بهذا الولدِ ، فإنه سيُولَدُ له منه عظيمٌ ، له ذُرِّيَّةٌ عددُ نجومِ السماءِ . ومعلومٌ أنه لم يُولَدْ مِن ذرِّيَّةِ إسماعيلَ ، بل مِن ذرِّيَّةِ آدمَ ،

---

(١) انظر ما تقدم فى ٣/ ٤٩٦.

(٢) تقدم فى ٣/ ٤٩٥.

(٣) انظر سفر التكوين، الأصحاح ١٧/١٨ - ٢١، والأصحاح ٢١/٩ - ١٣.

أعْظَمُ قَدْرًا ولا أوْسَعُ جاهًا ، ولا أعْلَى مَنْزلةً ، ولا أجَلُّ مَنْصِبًا مِن محمدٍ ﷺ ، وهو الذى اسْتَوْلَت دَوْلةُ أمتِه على المَشارِقِ والمَغارِبِ ، وحكَموا على سائرِ الأممِ .

وهكذا فى قصةِ إسماعيلَ مِن السِّفْرِ الأولِ[1] : أن ولدَ إسماعيلَ تكونُ يدُه على كلِّ الأممِ ، وكلُّ الأممِ تحتَ يدِه وبجميعِ مَساكنِ إخوتِه يَسْكُنُ ، وهذا لم يكنْ لأحدٍ يصْدُقُ على الطائفةِ[2] إلا لمحمدٍ ﷺ .

وأيضًا فى السِّفْرِ الرابعِ فى قصةِ موسى[3] ، أن اللَّهَ أوْحَى إلى موسى ، عليه السلامُ ، أن قُلْ لبنى إسرائيلَ : سأُقيمُ لهم نبيًّا مِن أقاربِهم مثلَك يا موسى ، وأجْعَلُ وحْيىَ بفِيه وإياه يسْمَعون[4] .

وفى السِّفْرِ الخامسِ ، وهو سِفْرُ المِيعادِ ، أن موسى ، عليه السلامُ ، خطَب بنى إسرائيلَ فى آخرِ عمْرِه ، وذلك فى السنةِ التاسعةِ والثلاثين مِن سِنى التِّيهِ ، وذكَّرهم بأيَّامِ اللَّهِ وأيادِيه عليهم ، وإحسانِه إليهم ، وقال لهم فيما قال : واعْلَموا أن اللَّهَ سيَبْعَثُ لكم نبيًّا مِن أقاربِكم مثلَ ما أرْسَلنى إليكم ، يأمُرُكم بالمعروفِ ، ويَنْهاكم عن المنكرِ ، ويُحِلُّ لكم الطَّيِّباتِ ، ويُحَرِّمُ عليكم الخَبائثَ ، فمَن عَصاه فله الخِزْىُ فى الدنيا ، والعذابُ فى الآخرةِ .

وأيضًا فى آخرِ السِّفْرِ الخامسِ[5] ، وهو آخرُ التَّوْراةِ التى بأيديهم : جاء اللَّهُ مِن طُورِ سَيْناءَ ، وأشْرَق مِن ساعيرَ ، واستَعْلن مِن جبالِ فارانَ ، وظهَر مِن رَبَواتِ

---

(١) انظر سفر التكوين ، الأصحاح ٩/١٦ - ١٣.
(٢) فى الأصل : « المطابقة » .
(٣) انظر سفر التثنية ، الأصحاح ١٥/١٨ - ٢٣.
(٤) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « تتبعون » .
(٥) انظر سفر التثنية ، الأصحاح ١/٣٣ - ٣.

قُدْسِه ، عن يمينِه نورٌ ، وعن شِمالِه نارٌ ، عليه [1] تَجْتَمِعُ الأُمَمُ ، وعليه [1] تَجْتَمِعُ الشُّعوبُ . أى جاء أمْرُ اللَّهِ وشرعُه [٣/٥٣٨ظ] مِن طُورِ سَيْناءَ ، وهو الجبلُ الذى كلَّم اللَّهُ موسى ، عليه السلامُ ، عندَه ، وأشْرَق مِن ساعيرَ ، وهى جبالُ بيتِ المقدسِ ، المحِلَّةُ التى كان بها عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ ، واسْتَعْلَن أى ظهَر وعَلَا أمْرُه مِن جبالِ فارانَ ، وهى جبالُ الحجازِ بلا خلافٍ ، ولم يكنْ ذلك إلا على لسانِ محمدٍ ﷺ ؛ فذكَر تعالى هذه الأماكنَ الثلاثةَ على الترتيبِ الوقوعىِّ ؛ ذكَر مَحِلَّةَ موسى ، ثم عيسى ، ثم بلدَ محمدٍ ﷺ ، ولمَّا أقْسَم تعالى بهذه الأماكنِ الثلاثةِ ذكَر الفاضلَ أولًا ، ثم الأفضلَ منه ، ثم الأفضلَ منه ، على قاعدةِ القَسَمِ ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ [التين : ١] والمرادُ بها مَحِلَّةُ بيتِ المقدسِ حيث كان عيسى ، عليه السلامُ . ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [التين : ٢] وهو الجبلُ الذى كلَّم اللَّهُ عليه موسى . ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين : ٣] وهو البلدُ الذى ابْتَعث اللَّهُ منه محمدًا ﷺ . قاله غيرُ واحدٍ مِن المُفَسِّرين فى تفسيرِ هذه الآياتِ الكَريماتِ [2] . وفى زَبُورِ داودَ [3] ، عليه السلامُ ، صفةُ هذه الأمةِ بالجهادِ والعِبادةِ ، وفيه مَثَلٌ ضَرَبه لمحمدٍ ﷺ بأنه ختامُ القُبَّةِ المَبْنِيَّةِ ، كما ورَد به الحديثُ فى « الصحيحَيْن » [4] : « مَثَلى ومَثَلُ الأنبياءِ قبلى كمثلِ رجلٍ بَنَى دارًا فأكْمَلَها إلا موْضِعَ لَبِنةٍ ، فجعَل الناسُ يُطيفون بها ويقولون : هلَّا وُضِعت هذه اللَّبِنةُ » . ومِصْداقُ ذلك أيضًا فى قولِه تعالى [5] : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٤٠، والتفسير ٨/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) انظر المزمور ٦/١٤٩ - ٨.

(٤) البخارى (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧).

(٥) التفسير ٦/ ٤٢٣، ٤٢٥.

[الأحزاب : ٤٠] . وفى الزَّبورِ صفةُ محمدٍ ﷺ بأنه ستَنْبَسِطُ نُبُوَّتُه ودعوتُه وتنْفُذُ كلمتُه مِن البحرِ إلى البحرِ ، وتأْتيه الملوكُ مِن سائرِ الأقْطارِ طائعين بالقَرابينِ والهدايا ، وأنه يُخَلِّصُ المُضْطرَّ ، ويَكْشِفُ الضُّرَّ عن الأممِ ، ويُنْقِذُ الضَّعيفَ الذى لا ناصرَ له ، ويُصَلَّى عليه فى كلِّ وقتٍ ، ويُبارِكُ اللَّهُ عليه فى كلِّ يومٍ ، ويَدومُ ذكرُه إلى الأبدِ . وهذا إنما ينْطَبِقُ على محمدٍ ﷺ .

وفى صُحُفِ شَعْيَا فى كلامٍ طويلٍ فيه مُعاتبةٌ لبنى إسرائيلَ ، وفيه : فإنى أَبْعَثُ إليكم وإلى الأممِ نبيًّا أُمِّيًّا ، ليس بفَظٍّ ، ولا غَليظِ القلبِ ، ولا سَخَّابٍ فى الأسْواقِ ، [٣/ ٥٣٩و] أُسَدِّدُه لكلِّ جميلٍ ، وأهَبُ له كلَّ خُلُقٍ كريمٍ ، ثم أَجْعَلُ السَّكينةَ لباسَه ، والبِرَّ شِعارَه ، والتَّقْوى فى ضميرِه ، والحكمةَ مَعْقولَه ، والوفاءَ طبيعتَه ، والعدلَ سِيرتَه ، والحقَّ شَريعتَه ، والهُدَى مِلَّتَه ، والإسلامَ دينَه ، والقرآنَ كتابَه ، أحمدُ اسمُه ، أَهْدِى به مِن الضَّلالةِ ، وأرْفَعُ به بعدَ الخَمالةِ[1] ، وأَجْمَعُ به بعدَ الفُرْقةِ ، وأُؤَلِّفُ به بينَ القلوبِ المختلفةِ ، وأَجْعَلُ أُمتَه خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجت للناسِ ، قَرابينَهم دماءَهم ، أناجِيلَهم فى صدورِهم ، رُهْبانًا بالليلِ ، لُيوثًا بالنهارِ . ذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه من يشاءُ ، واللَّهُ ذو الفضلِ العظيمِ .

وفى الفصلِ العاشرِ[2] مِن كلامِ شَعْيَا : يدوسُ الأممَ كَدَوْسِ البيادرِ ، ويُنْزِلُ البَلاءَ بمشركى العربِ ، ويَنْهَزِمون قُدَّامَه .

وفى الفصلِ السادسِ والعشرين منه : لِيُفْرِحَ أرْضَ الباديةِ العَطْشَى ، ويُعْطَى أحمدُ مَحاسِنَ لُبنانَ ، ويرَوْن جلالَ اللَّهِ بمهجتِه .

---

(١) فى ١١١ : « الجهالة » .

(٢) فى م : « الخامس » . وانظر سفر إشعياء ، الأصحاح ٢١/١٣ - ١٧ .

وفى صُحُفِ إلياسَ ، عليه السلامُ ، أنه خرَج مع جماعةٍ مِن أصحابِه سائحًا ، فلما رأَى العربَ بأرضِ الحِجازِ قال لمن معه : انْظُروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يَمْلِكون حُصونَكم العظيمةَ . فقالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، فما الذى يكونُ مَعْبودَهم ؟ فقال : يُعَظِّمون ربَّ العِزَّةِ فوقَ كلِّ رابيةٍ عاليةٍ .

ومِن صُحُفِ حِزْقِيلَ : إن عبدى خِيرتى أُنْزِلُ عليه وحْيِى ، يُظْهِرُ فى الأممِ عدلى ، اخْتَرْتُه واصطَفَيْتُه لنفسى ، وأرْسَلْتُه إلى الأممِ بأحكامٍ صادقةٍ .

ومِن كتابِ النُّبوَّاتِ أن نبيًّا مِن الأنبياءِ مرَّ بالمدينةِ فأضافه بنو قُرَيْظةَ والنَّضِيرِ ، فلما رآهم بَكَى ، فقالوا له : ما الذى يُبْكيك يا نبيَّ اللَّهِ ؟ فقال : نبيٌّ يَبْعَثُه اللَّهُ مِن الحَرَّةِ ، يُخَرِّبُ دِيارَكم ويَسْبِى حَريمَكم . قال : فأراد اليهودُ قتلَه فهَرَبَ منهم .

ومِن كلامِ حِزْقِيلَ ، عليه السلامُ : يقولُ اللَّهُ : مِن قبلِ أن صَوَّرْتُك فى الأحْشاءِ قدَّسْتُكَ وجَعَلْتُكَ نبيًّا ، وأرْسَلْتُكَ إلى سائرِ الأممِ .

وفى صُحُفِ شَعْيا أيضًا[1] مَثَلٌ مَضْروبٌ لـمَكَّةَ شرَّفها اللَّهُ : افْرَحِى يا عاقرُ بهذا الولدِ الذى يَهَبُه لكِ ربُّكِ ؛ فإن ببركتِه تَتَّسِعُ لكِ الأماكنُ ، وتَثْبُتُ أوْتادُكِ فى الأرضِ وتعْلو أبوابُ مَساكِنِكِ ، ويأتيكِ ملوكُ الأرضِ عن [٣/ ٥٣٩ظ] يمينِكِ وشِمالِكِ بالهدايا والتَّقادِمِ ، وولدُكِ هذا يَرِثُ جميعَ الأممِ ، ويَمْلِكُ سائرَ المدنِ والأقاليمِ ، ولا تخافى ولا تحْزنى ، فما بَقِىَ يلْحَقُكِ ضَيْمٌ مِن عدوٍّ أبدًا ، وجميعُ أيامِ تَرَمُّلِكِ تَنْسِيها . وهذا كلُّه إنما حصَل على يدَىْ محمدٍ ﷺ ، وإنما المرادُ بهذه العاقرِ مكةُ ، ثم صارتْ كما ذكَر فى هذا الكلامِ لا مَحالةَ . ومَن أراد مِن أهلِ الكتابِ أن يَصْرِفَ هذا ويتَأَوَّلَه على بيتِ المقدسِ فهذا لا يُناسِبُه مِن كلِّ وجهٍ .

---

(١) انظر سفر إشعياء ، الأصحاح ١/٥٤ - ٥.

واللَّهُ أعلمُ .

وفى صُحُفِ أرْميَا : كوكبٌ ظهَر مِن الجنوبِ ، أشِعَّتُه صَواعقُ ، سِهامُه خَوارقُ ، دُكَّت له الجِبالُ . وهذا المرادُ به محمدٌ ﷺ .

وفى الإنجيلِ يقولُ عيسى ، عليه السلامُ : إنى مُرْتَقٍ إلى جَنَّاتِ العُلَى ، ومُرْسِلٌ إليكم الفَارَقْلِيطَ[1] رُوحَ الحَقِّ يُعَلِّمُكم كلَّ شىءٍ ، ولم يقُلْ شيئًا مِن تِلْقاءِ نفسِه . والمرادُ بالفَارَقْلِيطِ محمدٌ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، وهذا كما تقدَّم عن عيسى أنه قال : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] . وهذا بابٌ مُتَّسِعٌ ، ولو تقَصَّيْنا جميعَ ما ذكَره الناسُ لَطال هذا الفصلُ جدًّا ، وقد أشَرْنا إلى نُبَذٍ مِن ذلك ، يَهْتَدى بها مَن نَوَّر اللَّهُ بَصيرتَه وهداه إلى صِراطِه المستقيمِ ، وأكثرُ هذه النصوصِ يَعْلَمُها كثيرٌ مِن عُلمائِهم وأحْبارِهم ، وهم مع ذلك يَتَكاتَمونها ويُخْفُونها .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهقىُّ[2] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ومحمدُ بنُ موسى ابنِ الفَضْلِ[3] ، قالا : ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ أبى داودَ المُنادِى ، ثنا يونسُ بنُ محمدٍ المُؤَدِّبُ ، ثنا صالحُ بنُ عمرَ ، ثنا عاصمُ بنُ كُلَيْبٍ ، عن أبيه ، عن الفَلَتانِ[4] بنِ عاصمٍ قال : كنا جُلوسًا عندَ النبىِّ ﷺ ، إذ شخَص بصرُه إلى رجلٍ ، فدعاه ، فأقْبَل رجلٌ مِن اليهودِ مُجْتَمِعٌ ، عليه قميصٌ وسَراويلُ [5]ونَعْلان ، فجعَل يقولُ : يا رسولَ اللَّهِ[5] . فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « البارقليط » . ومعناه : أنه يفرق بين الحق والباطل . النهاية ٣/٤٣٩ .
(٢) دلائل النبوة ٦/ ٢٧٣.
(٣) فى م : « الطفيل » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٠.
(٤) فى ١١١ : « العلبان » ، وفى م : « الغليان » ، وفى ص : « الغلبان » . وانظر الإصابة ٥/ ٣٧٧.
(٥ - ٥) ليس فى الدلائل .

يقولُ : « أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » فجعَل لا يقولُ شيئًا إلا قال : يا رسولَ اللَّهِ . فيقولُ : « أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » فيأْبَى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَقْرَأُ التوراةَ ؟ » قال : نعم . قال : « والإنجيلَ ؟ » قال : نعم ، والفُرْقانُ وربِّ محمدٍ لو شئتَ لقرَأْتُه . قال : « فأنشُدُك بالذى أنْزَل التوراةَ والإنجيلَ - (١) وأشياءَ خَلَّقَه (١) [٣/ ٥٤٠و] بها - تجِدُنى فيهما ؟ » قال : نجِدُ مثلَ نعتِك يَخْرُجُ مِن مَخْرَجِك ، كنا نَرْجو أن يكونَ فينا ، فلما خرَجْتَ رأَيْنا أنك هو ، فلما نظَرْنا إذا أنت لستَ به . قال : « مِن أين ؟ » قال : نجِدُ مِن أُمَّتِك سبعين ألفًا يدْخُلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ، وإنما أنتم قليلٌ . قال : فهلَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ وكبَّر ، وهلَّل وكبَّر ، ثم قال : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه إننى لَأنا هو ، وإن أُمتى لَأَكثرُ مِن سبعين ألفًا وسبعين وسبعين » .

حديثٌ فى جَوابِه ﷺ لمن سأَل عما سأَل قبلَ أن يسأَله عن شىءٍ منه

قال الإمامُ أحمدُ(٢) : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أنا الزبيرُ أبو(٣) عبدِ السلامِ ، عن أيوبَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مِكْرَزٍ ، ولم يَسْمَعْه منه ، قال : حدَّثنى

(١ - ١) فى م : « وأنشأ خلقه » .

(٢) المسند ٤/ ٢٢٨. كما أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١٥٨٦، ١٥٨٧) ، من طريق حماد به . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٧٥: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه أيوب بن عبد اللَّه بن مكرز ، قال ابن عدى : لا يتابع على حديثه ، ووثقه ابن حبان .

(٣) فى النسخ : « بن » ، والمثبت من المسند . وانظر تعجيل المنفعة ص ١٣٥.

جُلساؤُه ، وقد رأيْتُه عن وابصةَ الأسَدىِّ ، وقال عفانُ : ثنا . غيرَ مَرَّةٍ ، ولم يقُلْ : حدَّثنى جُلساؤُه . قال : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأنا أُريدُ أن لا أدَعَ شيئًا مِن البِرِّ والإثْمِ إلا سألْتُه عنه ، وحولَه عِصابةٌ مِن المسلمين يسْتَفْتُونه ، فجعَلْتُ أتخَطَّاهم ، فقالوا : إليك يا وابصةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقلتُ : دَعُونى فأدْنُوَ منه ، فإنه أحَبُّ الناسِ إلىَّ أن أدْنُوَ منه . قال : « دَعُوا وابصةَ ، ادْنُ يا وابصةُ » . مرتين أو ثلاثًا . قال : فدَنَوْتُ منه حتى قعَدْتُ بينَ يدَيه ، فقال : « يا وابصةُ ، أُخْبِرُك أم تَسْألُنى ؟ » فقلتُ : لا ، بل أَخْبِرْنى . فقال : « جئتَ تسْأَلُ عن البِرِّ والإثْمِ » . فقلتُ : نعم . فجمَع أناملَه ، فجعَل ينْكُتُ بهنَّ فى صدرى ويقولُ : « يا وابصةُ ، اسْتَفْتِ قلبَك واسْتَفْتِ نفسَك - ثلاثَ مراتٍ - البِرُّ ما اطْمَأنَّتْ إليه النفسُ ، والإثْمُ ما حاك فى النفسِ وتردَّد فى الصدرِ ، وإن أفْتاك الناسُ وأفْتَوْك » .

بابُ ما أَخْبَرَ به صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مِن الكائناتِ المُسْتَقْبَلةِ فى حياتِه وبعدَه، (١) فوقعت طِبْقَ ما أَخْبر به سواءً بسواءٍ (١)

وهذا بابٌ عظيمٌ لا يُمْكِنُ اسْتِقْصَاءُ جميعِ ما فيه لكثرتِها، ولكن نحن نُشيرُ إلى طرفٍ مِنه، وباللَّهِ المُستعانُ، وعليه التُّكْلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ، وذلك مُنْتَزَعٌ مِن القرآنِ ومِن الأحاديثِ.

أما القرآنُ فقال تعالى فى سورةِ «المُزَّمِّلِ» وهى مِن أوائلِ ما نزَل بمكةَ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. ومعلومٌ [٣/ ٥٤٠ظ] أن الجِهادَ لم يُشْرَعْ إلا بالمدينةِ بعدَ الهجرةِ.

وقال تعالى فى سورةِ «اقتربت»، وهى مَكيةٌ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٤، ٤٥]. ووقَع هذا يومَ بدرٍ، وقد تلاها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو خارجٌ مِن العَريشِ، ورَماهم بقُبْضةٍ مِن الحَصْباءِ، فكان النصرُ والظَّفَرُ، وهذا مِصْداقُ ذاك.

وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي

(١ - ١) سقط من: م.

جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد]. فأخْبَر أن عمَّه عبدَ العُزَّى بنَ عبدِ المطلبِ المُلَقَّبَ بأبى لَهَبٍ سيَدْخُلُ النارَ هو وامرأتُه، فقدَّر اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، أنهما ماتا على شِرْكِهما لم يُسْلِما، حتى ولا ظاهرًا، وهذا مِن دلائلِ النبوةِ الباهرةِ.

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. وقال تعالى فى سورةِ البقرةِ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ الآية [البقرة: ٢٣، ٢٤]. فأخْبَر أن جميعَ الخَلِيقةِ لو اجْتَمعوا وتَعاضَدوا وتَناصَروا وتَعاونوا على أن يَأْتوا بمثلِ هذا القرآنِ فى فَصاحتِه، وبَلاغتِه، وحَلاوتِه، وإحكامِ أحكامِه، وبيانِ حَلالِه وحَرامِه، وغيرِ ذلك مِن وُجوهِ إعْجازِه، لَما استطاعوا ذلك، ولَما قدَروا عليه، ولا على عَشْرِ سُوَرٍ منه، بل ولا سُورةٍ، وأخْبَر أنهم لن يَفْعلوا ذلك أبدًا، و «لن» لنَفْيِ التَّأْبيدِ فى المستقبلِ، ومِثْلُ هذا التَّحدِّى، وهذا القطعِ، وهذا الإخْبارِ الجازمِ، لا يَصْدُرُ إلا عن واثقٍ بما يُخْبِرُ به، عالمٍ بما يقولُه، قاطعٍ بأنَّ[1] أحدًا لا يُمْكِنُه أن يُعارِضَه، ولا يأتىَ بمثلِ ما جاء به عن ربِّه، عزَّ وجلَّ.

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ الآية [النور: ٥٥]. وهكذا وقَع سواءً بسواءٍ؛ مكَّن اللَّهُ هذا الدينَ وأظْهَره، وأعْلاه ونشَره فى سائرِ الآفاقِ، وأنْفَذه

---

(١) فى م، ص: «أن».

وأمْضاه ، وقد فسَّر كثيرٌ مِن السلفِ هذه الآيةَ بخلافةِ الصِّدِّيقِ ، ولا شكَّ فى دُخولِه [٣/ ٥٤١و] فيها ، ولكن لا تَخْتَصُّ به ، بل تَعُمُّه كما تَعُمُّ غيرَه ، كما ثبَت فى « الصحيحِ »[(١)] : « إذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، وإذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه ، [(٢)] والذى نفسى بيدِه[(٢)] لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » . وقد كان ذلك فى زمانِ الخلفاءِ الثلاثةِ ؛ أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنهم وأرْضاهم .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] . وهكذا وقَع ، وعَمَّ هذا الدينُ ، وغلَب وعَلَا على سائرِ الأدْيانِ ، فى مَشارقِ الأرضِ ومَغاربِها ، وعلَت كلمتُه فى زمنِ الصَّحابةِ ومَن بعدَهم ، وذَلَّت لهم سائرُ البلادِ ، ودان لهم جميعُ أهلِها ، على اختلافِ أصْنافِهم ، وصار الناسُ إما مؤمنًا داخلًا فى الدِّينِ ، وإما مُهادِنًا باذلًا الطاعةَ والمالَ ، وإما مُحارِبًا خائفًا وَجِلًا مِن سَطْوةِ الإسلامِ وأهلِه .

وقد ثبَت فى الحديثِ[(٣)] : « إن اللَّهَ زوَى لىَ الأرضَ مشارقَها ومَغاربَها ، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتى ما زُوِىَ لى مِنها » .

وقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ الآية [الفتح : ١٦] . وسواءٌ كان هؤلاء القومُ هم هَوازنَ ، أو أصحابَ مُسَيْلِمةَ ، أو الرومَ ، فقد وقَع ذلك .

---

(١) البخارى (٣١٢٠، ٣١٢١، ٣٦١٨، ٣٦١٩، ٦٦٢٩، ٦٦٣٠) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) . من حديث ثوبان رضى اللَّه عنه .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الفتح: ٢٠، ٢١]. وسواءٌ كانت هذه الأخرى خيبرَ أو مكةَ، فقد فُتِحت وأُخِذت كما وقَع به الوعدُ سَواءً بسواءٍ.

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧]. فكان هذا الوعدُ فى سنةِ الحُدَيْبِيةِ عامَ ستٍّ، ووقَع إنجازُه فى سنةِ سبعٍ، عامَ عُمْرةِ القَضاءِ كما تقدم[(١)]. وذكَرْنا هناك الحديثَ بطولِه، وفيه أن عمرَ قال: يا رسولَ اللَّهِ، ألم تكُنْ تُخْبِرُنا أنا سنأتى البيتَ ونَطوفُ به؟ قال: «بلى، أفأَخْبَرْتُك أنك تأْتيه عامَك هذا؟» قال: لا. قال: «فإنك آتيه ومُطَّوِّفٌ به».

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]. وهذا الوعدُ كان فى وقعةِ بدرٍ لَمَّا خرَج [(٢)] رسولُ اللَّهِ [(٢)] ﷺ مِن المدينةِ [٣/ ٥٤١ظ] ليأخذَ عِيرَ قريشٍ، فبلَغ قريشًا خروجُه إلى عِيرِهم، فنفَروا فى قريبٍ مِن ألفِ مُقاتِلٍ، فلما تحقَّق رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه قُدومَهم وعَده اللَّهُ إحدى الطائفتين أن سيُظْفِرُه بها[(٣)]، إما العِيرُ وإما النَّفيرُ، فوَدَّ كثيرٌ مِن الصحابةِ ممن كان معه أن يكونَ الوعدُ للعِيرِ؛ لِما فيه مِن

---

(١) انظر ما تقدم فى ٦/ ٣٧٣.

(٢ - ٢) زيادة من: م.

(٣) فى الأصل، ١١١: «بهم»، وفى ص: «به».

الأموالِ وقلةِ الرجالِ ، وكرِهوا لقاءَ النَّفيرِ ؛ لِما فيه مِن العَدَدِ والعُدَدِ ، فخار اللَّهُ لهم وأنْجَز لهم وعْدَه فى النَّفيرِ ، فأوْقَع بهم بأْسَه الذى لا يُرَدُّ ، فقُتِل مِن سَراتِهم سبعون ، وأُسِر سبعون ، وفادَوا أنفسَهم بأموالٍ جَزيلةٍ ، فجمَع لهم بينَ خَيْرَيِ الدنيا والآخرةِ ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٧] . وقد تقدم بيانُ هذا فى غزوةِ بدرٍ .

وقال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ[1] إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأنفال : ٧٠] . وهكذا وقَع ؛ فإن اللَّهَ عوَّض مَن أسْلَم منهم بخيرِ الدنيا والآخرةِ . ومِن ذلك ما ذكَره البخاريُّ[2] ، أن العباسَ جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطِنى ، فإنى فادَيْتُ نفسى ، وفادَيْتُ عَقيلًا . فقال له : « خُذْ » . فأخَذ فى ثوبٍ مِقْدارًا لم يُمْكِنْه أن يُقِلَّه[3] ، ثم وضَع منه مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ حتى أمْكَنه أن يَحْتَمِلَه[4] على كاهلِه ، وانْطَلق به ، كما ذكَرْناه فى موضعِه مَبْسوطًا . وهذا مِن تصديقِ هذه الآيةِ الكريمةِ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ الآية [التوبة : ٢٨] . وهكذا وقَع ؛ عَوَّضهم اللَّهُ تعالى (٥عما كان يَفِدُ[6]٥) إليهم مع حُجَّاجِ المشركين ، بما شرَعه لهم ؛ مِن قتالِ أهلِ الكتابِ ، وضَرْبِ الجزيةِ

---

(١) فى ص : « الأسرى » . وانظر ما تقدم فى ٨/ ٤٧٩. وسبق هناك أنها قراءة أبى عمرو الدانى ، وهو خطأ ، والمراد : أبو عمرو بن العلاء ، وهو أحد السبعة .

(٢) تقدم تخريجه فى ٥/ ١٧٠.

(٣) فى ص : « يقبله » .

(٤) فى م ، ص : « يحمله » .

(٥ - ٥) فى ا ١١١: « كما تقدم » .

(٦) فى م : « يغدو » .

عليهم ، وسَلْبِ أمْوالِ مَن قُتِل منهم على كفرِه ، كما وقَع بكفارِ أهلِ الشامِ مِن الرومِ ومَجوسِ الفرسِ بالعراقِ وغيرِها مِن البُلْدانِ التى انْتَشر الإسلامُ على أرجائِها ، وحكَم على مدائنِها وفَيْفائِها . قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ الآية [التوبة : ٩٥] . وهكذا وقَع ؛ لَـمَّا رجَع صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مِن غزوةِ تَبوكَ كان قد تخَلَّف عنه طائفةٌ [٣/ ٥٤٢و] مِن المنافقين ، فجعَلوا يَحْلِفون باللَّهِ لقد كانوا مَعْذورين فى تخَلُّفِهم ، وهم فى ذلك كاذبون ، فأمَر اللَّهُ رسولَه ﷺ أن يُجْرِىَ أحوالَهم على ظاهرِها ، ولا يَفْضَحهم عندَ الناسِ ، وقد أطْلَعه اللَّهُ على أعْيانِ جماعةٍ منهم أربعةَ عشَرَ رجلًا ، كما قدَّمْنا ذلك فى غزوةِ تَبوكَ ، فكان حذيفةُ بنُ اليَمانِ ممن يَعْرِفُهم بتَعْريفِه ﷺ إيَّاه .

وقال تعالى : (وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ[1] إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء : ٧٦] . وهكذا وقَع ؛ لما اشْتَوَرُوا عليه ليُثْبِتوه أو يَقْتُلوه أو يُخْرِجوه مِن بينِ أظْهُرِهم ، ثم وقَع الرأىُ على القتلِ ، فعندَ ذلك أمَر اللَّهُ رسولَه ﷺ بالخروجِ مِن بينِ أظْهُرِهم ، فخرَج هو وصديقُه أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فكَمِنا [2]فى غارِ[2] ثَوْرٍ ثلاثًا ، ثم ارْتَحلا بعدَها ، كما قدَّمْنا ، وهذا هو المرادُ بقولِه : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) كذا فى ص . وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وأبى بكر ؛ أى : بعدك . وفى الأصل ، ١١١ ، م : « خلافك » . وهى قراءة الباقين ؛ أى : مخالفتك . انظر حجة القراءات ص ٤٠٨ .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « بغار » .

ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]. وهو المرادُ مِن قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ولهذا قال: (وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ[1] إِلَّا قَلِيلًا). وقد وقَع كما أخْبَر؛ فإن الملأَ الذين اشْتَوَروا على ذلك لم يَلْبثوا بمكةَ بعدَ هجرتِه ﷺ إلا رَيْثَما[2] استقر ركابُه الشريفُ بالمدينةِ وتابعه[3] المُهاجرون والأنصارُ، ثم كانت وقعةُ بدرٍ فقُتِلت تلكَ النفوسُ، وكُسِرت تلك الرءوسُ[4]، وقد كان صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يعْلَمُ ذلك قبلَ كونِه؛ مِن إخبارِ اللَّهِ له بذلك، ولهذا قال سعدُ بنُ معاذٍ لأُميَّةَ بنِ خلفٍ: أمَا إنى سمِعْتُ محمدًا ﷺ يذْكُرُ أنه قاتِلُكَ. فقال: أنت سمِعْتَه؟ قال: نعم. قال: فإنه واللَّهِ لا يَكْذِبُ. وسيأتى الحديثُ فى بابِه.

وقد قدَّمْنا أنه عليه الصلاةُ والسلامُ جعَل يُشيرُ لأصحابِه قبلَ الوَقْعةِ إلى مَصارعِ القَتْلى، فما تعَدَّى[5] أحدٌ منهم مَوْضعَه الذى أشار إليه صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه.

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى [٣/٥٤٢ظ] ٱلْأَرْضِ وَهُم

---

(١) انظر الصفحة السابقة حاشية (١).

(٢) فى الأصل: «ربما».

(٣) فى ص: «بايعه».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى الأصل: «تعترى».

مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم: ١- ٦]. وهذا الوَعْدُ وقَع كما أخْبَر به؛ وذلك أنه لما غَلَبَتْ فارسُ الرومَ فرِح المشركون، واغْتَمَّ بذلك المؤمنون؛ لأن النَّصارَى أقْربُ إلى الإسلامِ مِن المجوسِ، فأخْبَر اللَّهُ رسولَه ﷺ بأن الرومَ ستَغْلِبُ الفرسَ بعدَ هذه المدةِ ببضعِ[1] سنينَ، وكان مِن أمْرِ مُراهنةِ الصِّدِّيقِ رءوسَ المشركين على أن ذلك سيقَعُ فى هذه المدةِ، ما هو مشهورٌ كما قرَّرْناه فى كتابِنا «التفسيرِ»[2]، فوقَع الأمْرُ كما أخْبَر به القرآنُ؛ غلَبَت الرومُ فارسَ بعدَ غَلَبِهم غَلَبًا عظيمًا جدًّا، وقصتُهم فى ذلك مِمَّا يَطولُ بَسْطُها، وقد شرَحْناها فى «التفسيرِ» بما فيه كفايةٌ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]. وكذلك وقَع؛ أظْهَر اللَّهُ مِن آياتِه ودلائلِه فى أنْفُسِ البشرِ وفى الآفاقِ؛ بما أوْقَعه مِن الناسِ بأعداءِ[3] النبوةِ ومُخالِفى الشَّرْعِ؛ ممَّن كذَّب به مِن أهلِ الكِتابَيْنِ والمجوسِ والمشركين ما دَلَّ ذَوِى البصائرِ والنُّهَى على أن محمدًا رسولُ اللَّهِ حقًّا، وأن ما جاء به مِن الوَحْيِ عن اللَّهِ صِدْقٌ، وقد أوْقَع اللَّهُ له فى صدورِ أعدائِه وقلوبِهم رُعْبًا ومَهابةً وخوفًا، كما ثبَت عنه فى «الصحيحَيْن»[4] أنه قال:

---

(١) فى م، ص: «بسبع».

(٢) التفسير ٣٠٣/٦ - ٣١١.

(٣) فى الأصل: «ما عدا». و «من الناس» جاءت مهملة فى الأصل، فيمكن أن تكون: «من البأس».

(٤) البخارى (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٢٥١).

« نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شهرٍ » . وهذا مِن التأييدِ والنصرِ الذى آتاه اللَّهُ ، عز وجلَّ ؛ كان عدوُّه يَخافُه وبينَه وبينَه مَسيرةُ شهرٍ ، وقيل : كان إذا عزَم على غزوِ قومٍ أُرْعِبوا قبلَ مَجيئِه إليهم ووُرودِه عليهم بشهرٍ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ .

فصلٌ

وأما الأحاديثُ الدالّةُ على إخبارِه بما وقَع كما أخْبَر ؛ فمِن ذلك ما أسْلَفْناه فى قصةِ الصَّحيفةِ التى تعاقَدت فيها بُطونُ قريشٍ ، وتَمالَئُوا على بنى هاشمٍ وبنى المطلبِ أن لا يُؤْووهم ، ولا يُناكِحوهم ، ولا يُبايِعوهم ، حتى يُسْلِموا إليهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فدخَلت بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ ؛ مسلمُهم وكافرُهم شِعْبَ أبى طالبٍ أَنِفِين لذلك ، مُمْتَنِعين منه أبدًا ما بَقُوا ، ودائمًا ما تَناسَلوا وتَعاقَبوا ، وفى ذلك عَمِل أبو طالبٍ قَصيدتَه اللاميَّةَ التى يقولُ فيها[1] :

[٣/٥٤٣و] كَذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نُبْزَى محمدًا ... ولمَّا نُقاتِلْ دُونَه ونُناضِلِ
ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه ... ونَذْهَلَ عن أبْنائِنا والحلائِلِ
وما تَرْكُ قومٍ لا أَبَا لَكَ سيِّدًا ... يَحُوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ
وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِه ... ثِمَالَ اليتامى عِصْمةً للأراملِ
يَلُوذُ به الهُلَّاكُ من آلِ هاشمٍ ... فهُمْ عندَه فى نَعْمةٍ وفَواضِلِ

وكانت قريشٌ قد علَّقت صحيفةَ التعاقدِ[2] فى سَقْفِ الكعبةِ ، فسلَّط اللَّهُ عليها الأَرَضةَ فأكَلَت ما فيها مِن أسماءِ اللَّهِ ، لئَلا يجْتَمِعَ بما فيها مِن الظلمِ

---

(١) تقدمت فى ٤/ ١٣٧.

(٢) فى م : « الزعامة » .

والفُجورِ، وقيل: إنها أكَلَت ما فيها إلا أسماءَ اللَّهِ، عز وجل، فأخْبَر بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ عمَّه أبا طالبٍ، فجاء أبو طالبٍ إلى قريشٍ، فقال: إن ابنَ أخى قد أخْبَرنى بخبرٍ عن صَحيفتِكم؛ بأن اللَّهَ قد سلَّط عليها الأرَضَةَ فأكَلَتْها إلا ما فيها مِن أسماءِ اللَّهِ - أو كما قال - فأحْضِروها، فإن كان كما قال وإلا أسْلَمْتُه إليكم. فأنْزَلوها ففتَحوها، فإذا الأمْرُ كما أخْبَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ، فعندَ ذلك نقَضوا حُكْمَها، ودخَلت بنو هاشم وبنو المطلبِ مكةَ، ورجَعوا إلى ما كانوا عليه قبلَ ذلك، كما أسْلَفْنا ذكرَه، وللَّه الحمدُ.

ومِن ذلك حديثُ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ[1]. حينَ جاء هو وأمثالُه مِن المُسْتَضْعَفِين يسْتَنْصِرون النبىَّ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ رِداءَه فى ظلِّ الكعبةِ[2] فيَدْعُو لهم؛ لِما هم فيه مِن العذابِ والإهانةِ، فجلَس مُحْمَرًّا وجهُه، وقال: «إنَّ مَن كان قبلَكم كان أحدُهم يُشَقُّ باثنَتَيْنِ ما يَصْرِفُه ذلك عن دينِه، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمرَ، ولكنكم تسْتَعْجِلون».

ومِن ذلك الحديثُ الذى رواه البخارىُّ[3]، ثنا محمدُ بنُ العَلاءِ، ثنا حمادُ ابنُ أسامةَ، عن بُرَيْدِ[4] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ[5]، عن جَدِّه أبى بُرْدَةَ، عن أبى موسى، أُراه عن النبىِّ ﷺ قال: «رأيْتُ فى المَنامِ أنى أُهاجِرُ مِن مكةَ إلى أرضٍ فيها نَخْلٌ، فذهَب وَهْلى إلى أنها اليَمامةُ أو هَجَرُ، فإذا هى المَدينةُ يَثْرِبُ، ورأيْتُ فى رُؤْياىَ هذه أنى هزَزْتُ سيفًا فانقَطَع صدرُه، فإذا هو ما أُصِيب مِن المؤمنين

---

(١) تقدم فى ٤/١٤٩ - ١٥١.

(٢) سقط من: ١١١، ص.

(٣) تقدم تخريجه فى ٤/ ٤٢٠.

(٤) فى ١١١، م، ص: «يزيد» وهو خطأ. وانظر التعليق على ذلك فى ٤/٤٢٠ حاشية (١١).

(٥) بعده فى م: «عن أبيه».

يومَ أُحدٍ ، ثم هزَزْتُه أخرى فعاد أحسنَ ما كان ، فإذا هو ما جاء به مِن الفتحِ واجْتماعِ المؤمنين ، ورأيْتُ فيها بقَرًا ، واللَّهُ خيرٌ ، فإذا هم المؤمنون يومَ أُحدٍ ، وإذا الخيرُ ما جاء اللَّهُ به مِن الخيرِ [٣/٥٤٣ظ] وثوابِ الصِّدقِ الذى آتانا بعدُ يومَ بدرٍ[(١)] » .

ومِن ذلك قصةُ سعدِ بنِ مُعاذٍ مع أميَّةَ بنِ خَلَفٍ حينَ قدِم عليه مكةَ . قال البخاريُّ[(٢)] : ثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ قال : انطَلَق سعدُ بنُ مُعاذٍ مُعْتمِرًا ، فنزَل على أميَّةَ بنِ خَلَفٍ أبى صَفْوانَ ، وكان أميَّةُ إذا انْطَلق إلى الشامِ فمرَّ بالمدينةِ نزَل على سعدٍ ، فقال أميَّةُ لسعدٍ : انْتَظِرْ حتى إذا انتَصَف النَّهارُ وغفَل الناسُ انطَلَقْتَ فطُفْتَ . فبينا سعدٌ يَطوفُ إذا أبو جهلٍ ، فقال : مَن هذا الذى يَطوفُ بالكعبةِ ؟ فقال سعدٌ : أنا سعدٌ . فقال أبو جهلٍ : تَطوفُ بالكعبةِ آمِنًا ، وقد آوَيْتُم محمدًا وأصحابَه ؟! فقال : نعم . فتَلاحَيا بينَهما[(٣)] ، فقال أميَّةُ لسعدٍ : لا ترْفَعْ صوتَك على أبى الحكمِ ، فإنه سيِّدُ أهلِ الوادى . ثم قال سعدٌ : واللَّهِ لئن منَعْتَنى أن أَطوفَ بالبيتِ لأَقْطَعَنَّ[(٤)] مَتْجرَك بالشامِ . قال : فجعَل أميَّةُ يقولُ لسعدٍ : لا ترْفَعْ صوتَك . وجعَل يُمْسِكُه ، فغضِب سعدٌ فقال : دَعْنا عنك ، فإنى سمِعْتُ محمدًا ﷺ يزْعُمُ أنه قَاتِلُك . قال : إيَّاىَ ؟! قال : نعم . قال : واللَّهِ

---

(١) قال القاضى عياض : بضم دال « بعد » ونصب « يوم » - قال : وروى بنصب الدال - قالوا : ومعناه : ما جاء اللَّه به بعد بدر الثانية ؛ من تثبيت قلوب المؤمنين ؛ لأن الناس جمعوا لهم وخوفوهم فزادهم ذلك إيمانا وقالوا : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من اللَّه وفضل لم يمسسهم سوء ، وتفرق العدو عنهم هيبة لهم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ٣٢.

(٢) تقدم تخريجه فى ٥/ ٦١، ٦٢.

(٣) هكذا جاء « بينهما » فى النسخ ، وصحيح البخارى . وقد سقطت من رواية أحمد فى المسند ١/ ٤٠٠ .

(٤) فى الأصل ، ١١١، ص : « لأمنعن » . وهو لفظ رواية البخارى المتقدمة فى ٥/ ٦٠.

ما يَكْذِبُ محمدٌ إذا حدَّث . فرجَع إلى امرأتِه فقال : أما تعْلَمِين ما قال لى أخى اليَثْربىُّ ؟ قالت : وما قال[1] ؟ قال : زعَم أنه سمِع محمدًا يزْعُمُ أنه قاتلى . قالت : فواللَّهِ ما يَكْذِبُ محمدٌ . قال : فلما خرَجوا إلى بدرٍ وجاء الصَّرِيخُ ، قالت له امرأتُه : ما ذكَرْتَ ما قال لك أخوك اليَثْربىُّ ؟ قال : فأراد أن لا يَخْرُجَ ، فقال له أبو جهلٍ : إنك مِن أشْرافِ الوادى ، فسِرْ يومًا أو يومين ، فسار معهم فقتَله اللَّهُ . وهذا الحديثُ مِن أفْرادِ البخارىِّ ، وقد تقدم بأبْسَطَ مِن هذا السِّياقِ[2] .

ومِن ذلك قصةُ أُبَىِّ بنِ خَلَفٍ[3] الذى كان يَعْلِفُ حِصانًا له ، فإذا مرَّ برسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُ : إنى سأقْتُلُك عليه . فيقولُ له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل أنا أقْتُلُك إن شاء اللَّهُ » . فقتَله يومَ أحدٍ [٣/ ٥٤٤و] ، كما قدَّمْنا بَسْطَه .

ومِن ذلك إخبارُه عن مَصارِعِ القَتْلى يومَ بدرٍ ، كما تقَدَّم الحديثُ فى الصَّحيحِ[4] أنه جعَل يُشِيرُ قبلَ الوَقْعةِ إلى مَحَلِّها ويقولُ : « هذا مَصْرعُ فلانٍ غدًا إن شاء اللَّهُ ، وهذا مَصْرَعُ فلانٍ[5] » . قال : فوالذى بعَثه بالحقِّ ما رام[6] أحدٌ منهم عن مكانِه الذى أشار إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ .

ومِن ذلك قولُه لذلك الرجلِ الذى كان لا يتْرُكُ للمشركين شاذَّةً ولا فاذَّةً إلا اتَّبَعها ففراها[7] بسيفِه ، وذلك يومَ أحدٍ ، وقيل : خيبرَ . وهو الصحيحُ . وقيل :

---

(١) بعده فى م ، ص : « لك » . وهو لفظ الرواية المتقدمة .
(٢) السياق المتقدم من وجه آخر عند البخارى (٣٩٥٠) .
(٣) تقدمت فى ٥/ ٤١٢.
(٤) تقدم فى ٥/ ٧٢.
(٥) بعده فى الأصل : « وهذا مصرع فلان » .
(٦) فى ١١١، م : « حاد » .
(٧) الفَرْى : المبالغة فى النكاية والقتل . انظر النهاية ٣/ ٤٤٢.

حنينٍ . فقال الناسُ : ما أغْنَى أحدٌ اليومَ ما أغْنَى فلانٌ . يقالُ : إنه قُزْمانُ . فقال : « إنه مِن أهلِ النارِ » . فقال بعضُ الناسِ : أنا صاحبُه . فاتَّبَعَه فجُرِح[1] فاسْتَعْجَل الموتَ ، فوضَع ذُبابَ سيفِه فى صدرِه ، ثم تَحامَل عليه حتى أنْفَذَه ، فرجَع ذلك الرجلُ ، فقال : أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنك رسولُ اللَّهِ . فقال : « وما ذاك ؟ » فقال : إن الرجلَ الذى ذكَرْتَ آنفًا كان مِن أمرِه كَيْتَ وكَيْتَ . وذكَر الحديثَ كما تقَدَّم[2] .

ومن ذلك إخبارُه عن فتحِ مَدائنِ كِسْرى وقُصورِ الشامِ وغيرِها مِن البلادِ يومَ حَفْرِ الخندقِ ، لـمَّا ضرَب بيدِه الكريمةِ تلك الصخرةَ فبرَقَت مِن ضَرْبِه ، ثم أخرى ، ثم أخرى كما قدَّمْنا[3] .

ومِن ذلك إخْبارُه ﷺ عن ذلك الذِّراعِ أنه مَسْمومٌ ، فكان كما أخْبَر به ، اعْتَرف اليهودُ بذلك ، ومات مِن أكْلِه معه بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ[4] .

ومِن ذلك ما ذكَره عبدُ الرزاقِ[5] عن معمرٍ ، أنه بلَغه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال ذاتَ يومٍ : « اللهم أنْجِ أصحابَ السفينةِ » . ثم مكَث ساعةً ، ثم قال : « قد اسْتَمَرَّت » . والحديثُ بتمامِه فى « دلائلِ النبوةِ » للبَيهقىِّ[6] ، وكانت تلك السفينةُ قد أشْرَفَت على الغرَقِ ، وفيها الأشْعَرِيُّون الذين قدِموا عليه وهو بخيبرَ .

ومن ذلك إخْبارُه عن قبرِ أبى رِغالٍ حينَ مَرَّ عليه وهو ذاهبٌ إلى الطائفِ ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « فخرج » .
(٢) تقدم فى ٦/ ٢٧٤، ٢٧٥.
(٣) تقدم فى ٦/٢٥ - ٢٨.
(٤) انظر ما تقدم فى ٦/٣٢٤ - ٣٣٣.
(٥) المصنف (١٩٨٩١).
(٦) دلائل النبوة ٦/ ٢٩٨.

وأن معه غُصْنًا مِن ذهبٍ ، فحفَروه فوجَدوه كما أخْبَر ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه . رواه أبو داودَ[1] مِن حديثِ ابنِ[2] إسحاقَ ، عن إسماعيلَ بنِ أميَّةَ ، عن بُجَيْرِ[3] بنِ أبى بُجَيْرٍ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو به .

ومِن ذلك قولُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، للأنصارِ ، لمَّا خطَبهم تلك الخطبةَ مُسَلِّيًا لهم عما كان وقَع فى نفوسِ بعضِهم ؛ مِن الإيثارِ عليهم فى القِسْمةِ لمَّا تألَّف قلوبَ مَن تألَّف مِن ساداتِ العربِ ، ورُءوسِ قريشٍ وغيرِهم ، فقال : « أما تَرْضَوْن أن يذْهَبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ ، وتذْهَبون برسولِ اللَّهِ ، تحُوزُونه إلى رِحالِكم ؟ »[5] . وقال : « إنكم ستَجِدون بعدى أَثَرةً فاصْبِروا حتى تلْقَوْنى على الحوضِ »[6] . وقال : « إن الناسَ يَكْثُرون وتقِلُّ الأنصارُ »[7] . وقال لهم [٣/ ٥٤٤ظ] فى الخطبةِ قبلَ هذه على الصَّفَا : « بل المَحْيَا مَحْياكم ، والمَماتُ مَماتُكم »[8] . وقد وقَع جميعُ ذلك كما أخْبَر به سواءً بسواءٍ .

وقال البخاريُّ[9] : ثنا يحيى بنُ بُكيرٍ ، ثنا الليثُ ، عن يونُسَ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : وأخْبَرنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه ، وإذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٣١٨، ٧/ ٦٧، ٦٨.

(٢) فى الأصل ، م : « أبى » ، وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٥.

(٣) فى الأصل : « يحيى » ، وفى م ، ص : « بحر » ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٩، وما تقدم فى ١/ ٣١٨، ٧/ ٦٧، ٦٨.

(٤) فى م ، ص : « بحر » .

(٥) البخارى (٤٣٣٣، ٤٣٣٧) وفى مواضع أخر .

(٦) البخارى (٣١٤٧، ٣٧٩٢ - ٣٧٩٤، ٤٣٣١) .

(٧) البخارى (٣٦٢٨) .

(٨) مسلم (٨٦/١٧٨٠) .

(٩) البخارى (٣٦١٨) .

والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » . ورواه مسلمٌ عن حَرْملةَ ، عن ابنِ[1] وَهْبٍ ، عن يونسَ به[2] .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا قَبيصةُ ، ثنا سفيانُ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ رفَعه : « إذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه ، وإذا هلَك قيصرُ فلا قيصَرَ بعدَه » . وقال : « لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » . وقد رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ مِن حديثِ جريرٍ[4] ، زاد البخاريُّ[5] : وأبى[6] عَوانةَ ، ثلاثتُهم[7] عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ به ، وقد وقَع مِصْداقُ ذلك بعدَه فى أيامِ الخُلفاءِ الثلاثةِ ؛ أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، اسْتَوْثَقَت هذه المَمالِكُ فَتْحًا على أيدى المسلمين ، وأُنْفِقَت أموالُ [8]كُنوزِ قَيْصَرَ[8] مَلِكِ الرومِ ، وكِسْرَى مَلِكِ الفرسِ فى سبيلِ اللَّهِ ، على ما سنذكُرُه بعدُ إن شاء اللَّهُ . وفى هذا الحديثِ بِشارةٌ عظيمةٌ للمسلمين ، وهو أنَّ مُلْكَ فارسَ قد انقَطَع فلا عَوْدةَ له ، ومُلْكَ الرومِ للشامِ قد زال عنها ، فلا يَمْلِكونه[9] بعدَ ذلك ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ . وفيه دَلالةٌ على صحةِ خِلافةِ أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، والشهادةُ لهم بالعَدْلِ ، حيث أُنْفِقَت الأموالُ المَغْنومةُ فى زمانِهم فى سبيلِ اللَّهِ ، على الوجهِ المرضِىِّ الممدوحِ .

---

(١) فى م : « أبى » ، وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢٧٧.
(٢) تقدم تخريجه من هذا الوجه فى ٦/ ٤٩٠ .
(٣) البخارى (٣٦١٩) .
(٤) البخارى (٣١٢١) ، ومسلم (٢٩١٩/٧٧) .
(٥) البخارى (٦٦٢٩) .
(٦) فى الأصل ، م : « ابن » .
(٧) أى سفيان وجرير وأبو عوانة .
(٨ - ٨) فى ١١١ : « كنوزهم » ، وفى م : « قيصر » .
(٩) فى م : « يملكوها » .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا محمدُ بنُ الحكمِ ، ثنا النَّضْرُ ، ثنا إسرائيلُ ، ثنا سعدٌ الطائيُّ ، أنا مُحِلُّ بنُ خَليفةَ ، عن عديِّ بنِ حاتمٍ قال : بينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذ أتاه رجلٌ فشكَا إليه الفاقةَ ، ثم أتاه آخرُ فشكَا إليه قَطْعَ السَّبيلِ ، فقال : « يا عَدِيُّ ، هل رأيْتَ الحيرةَ ؟ » قلتُ : لم أرَها ، وقد أُنْبِئْتُ عنها . قال : « فإن طالت بك حياةٌ لترَيَنَّ الظَّعينةَ ترْتَحلُ مِن الحيرةِ حتى تَطوفَ بالكعبةِ ما[2] تَخافُ أحدًا إلا اللَّهَ عز وجل - قلتُ فيما بيني وبينَ نفسي : فأين دُعَّارُ طَيِّئٍ الذين قد سعَّروا البلادَ ؟ - ولئن طالت بك حياةٌ لَتُفْتَحَنَّ كنوزُ كِسْرى » . قلتُ : كسرى بنِ هُرْمُزَ ؟ قال : [٣/ ٥٤٥و] « كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ ، ولئن طالت بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الرجلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كفِّه مِن ذهبٍ أو فضةٍ يطْلُبُ مَن يقْبَلُه منه ، فلا يَجِدُ أحدًا يقْبَلُه منه ، ولَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحدُكم يومَ يلْقاه وليس بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ يُتَرْجِمُ له[3] فلَيقولَنَّ[4] له : ألم أَبْعَثْ إليك رسولًا فيُبَلِّغَك ؟ فيقولُ : بلى . فيقولُ : ألم أُعْطِك مالًا [5] وولَدًا[5] وأُفْضِلْ[6] عليك ؟ فيقولُ : بلى . فيَنْظُرُ عن يمينِه فلا يرَى إلا جَهَنَّمَ ، وينْظُرُ عن يَسارِه فلا يرَى إلا جَهَنَّمَ » . قال عَدِيٌّ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، فإن لم تجِدْ فبكلمةٍ طيبةٍ » . قال عديٌّ : فرأيْتُ الظَّعينةَ ترْتَحِلُ مِن الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تَخافُ إلا اللَّهَ عز وجل ، وكنتُ فيمَن افْتَتَح كنوزَ كسرى بنِ هُرْمُزَ ، ولئن طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسمِ

---

(١) البخارى (٣٥٩٥) .
(٢) فى البخارى : « لا » .
(٣) فى الأصل ، ١١١ ، ص : « عنه » .
(٤) فى م : « فيقولن » .
(٥ - ٥) زيادة من النسخ .
(٦) فى م : « أفضلت » .

ﷺ : « يُخْرِجُ مِلْءَ كفِّه » .

ثم رواه البخاريُّ[1] ، عن [2]عبدِ اللَّهِ[2] بنِ محمدٍ ، هو أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ ، عن أبى عاصمٍ النَّبيلِ ، عن سعدانَ[3] بنِ بشرٍ ، عن أبى مُجاهدٍ سعدٍ الطائىِّ ، عن مُحِلٍّ ، عنه به . وقد تفرَّد به البخاريُّ مِن هذين الوَجْهَيْن ، ورَواه النسائىُّ مِن حديثِ شعبةَ ، عن مُحِلٍّ عنه : « اتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ »[4] . وقد رَواه البخاريُّ مِن حديثِ شعبةَ ، ومسلمٌ مِن حديثِ زهيرٍ ، كلاهما عن أبى إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَعقِلٍ[5] ، عن عدىٍّ مرفوعًا[6] : « اتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ » . وكذلك أخْرَجاه فى « الصحيحَيْن »[7] مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن خَيْثمةَ بنِ[8] عبدِ الرحمنِ ، عن عَدِىٍّ ، وفيهما[9] مِن حديثِ شعبةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن خَيْثمةَ ، عن عَدِىٍّ به . وهذه كلُّها شَواهدُ لأصلِ هذا الحديثِ الذى أوْرَدْناه ، وقد تقَدَّم فى غزوةِ الخندقِ الإخْبارُ بفتحِ مَدائنِ كِسْرى وقُصورِه وقصورِ الشامِ وغيرِ ذلك مِن البلادِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[10] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ ، ثنا إسماعيلُ ، عن قيسٍ ،

---

(١) البخارى (١٤١٣) ، وعقب حديث (٣٥٩٥) .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « عبيد الله » ، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٤.

(٣) فى م ، ص : « سعد » ، وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٢١.

(٤) النسائى (٢٥٥١) .

(٥) فى ١١١ ، م : « مغفل » ، وهو تصحيف . انظر تحفة الأشراف ٧/ ٢٨١.

(٦) البخارى (١٤١٧) ، ومسلم (١٠١٦/٦٦) . واللفظ للبخارى .

(٧) البخارى (٦٥٣٩) ، ومسلم (٦٧، ١٠١٦/٦٨) .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٧٠.

(٩) البخارى (٦٠٢٣، ٦٥٦٣) ، ومسلم (١٠١٦/٠٠٠) .

(١٠) المسند ٥/ ١٠٩.

عن خَبَّابٍ قال : أتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو فى ظِلِّ الكعبةِ مُتَوَسِّدًا بُرْدَةً له ، فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ لنا واسْتَنْصِرْه . قال : فاحْمَرَّ لونُه أو تغيَّر ، فقال : « لقد كان مَن[1] قبلكم يُحْفَرُ له الحُفْرةُ[2] [٣/ ٥٤٥ظ] ويُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ على رأسِه فيُشَقُّ ، ما يَصْرِفُه عن دينِه ، ويُمْشَطُ بأمْشاطِ الحديدِ ما دونَ عظمٍ أو لحمٍ أو عَصَبٍ ، ما يَصْرِفُه عن دينِه ، ولَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمْرَ حتى يَسيرَ الراكبُ ما بينَ صَنعاءَ إلى حَضْرَموتَ ما[3] يخْشَى إلا اللَّهَ والذئبَ على غنمِه ، ولكنَّكم تَعْجَلون » . وهكذا رَواه البخاريُّ ، عن مُسَدَّدٍ ، ومحمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[4] .

ثم قال البخاريُّ فى كتابِ علاماتِ النبوةِ[5] : حدَّثنا سعيدُ بنُ شُرَحْبِيلَ ، ثنا ليثٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن أبى الخَيْرِ[6] ، عن عُقْبَةَ[7] ، عن النبىِّ ﷺ أنه خرَج يومًا فصلَّى على أهلِ أُحُدٍ صلاتَه على الميتِ ، ثم انصَرَف إلى المنبرِ فقال : « أنا[8] فَرَطُكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، إنى واللَّهِ لَأَنْظُرُ إلى حوضى الآنَ ، وإنى قد أُعْطِيتُ مَفاتيحَ خزائنِ الأرضِ ، وإنى واللَّهِ ما أخافُ بعدى أن تُشْرِكوا ، ولكنى أَخافُ أن تَنافسوا فيها » . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا مِن حديثِ حَيْوةَ بنِ شُرَيْحٍ ، ومسلمٌ مِن حديثِ يحيى بنِ أيوبَ ، كلاهما عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ[9] كروايةِ

---

(١) بعده فى المسند : « كان » .

(٢) فى م : « الحفيرة » .

(٣) فى المسند : « لا » .

(٤) البخارى (٦٩٤٣) عن مسدد ، و(٣٦١٢) عن محمد بن المثنى .

(٥) البخارى (٣٥٩٦) .

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « الحسين » ، وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٩٠ .

(٧) فى م : « عتبة » .

(٨) فى البخارى : « إنى » .

(٩) البخارى (٤٠٤٢) ، ومسلم (٢٢٩٦/٣١) .

الليثِ عنه . ففى هذا الحديثِ مما نحن بصددِه أشياءُ ، منها : أنه أخْبَرَ الحاضرين أنه فَرَطُهم ، أى المُتقدِّمُ عليهم فى الموتِ ، وهكذا وقَع ، فإنَّ هذا كان فى مرضِ موتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ثم أخْبَرَ أنه شَهيدٌ عليهم وإنْ تَقَدَّمَ وفاتُه عليهم ، وأخْبَرَ أنه أُعْطِىَ مَفاتيحَ خَزائنِ الأرضِ ، أى فُتِحت له البلادُ ، كما جاء فى حديثِ أبى هريرةَ المتقدِّمِ . قال أبو هريرةَ : فذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأنتم تفْتَحونها كَفْرًا كَفْرًا . أى بَلَدًا بَلَدًا ، وأخْبَرَ أن أصحابَه لا يُشْركون بعدَه . وهكذا وقَع وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، ولكن خاف عليهم أن يُنافِسوا فى الدنيا . وقد وقَع هذا فى زمانِ علىٍّ ومعاويةَ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، ثُم مَن بعدَهما ، وهَلُمَّ جرًّا إلى زمانِنا هذا .

ثم قال البخارىُّ[1] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أنا أزْهَرُ بنُ سعدٍ ، أنا ابنُ عونٍ ، أنبأنى موسى بنُ أنسِ بنِ مالكٍ ، عن أنسٍ ، أن النبىَّ ﷺ [٣/ ٥٤٦و] افْتَقَد ثابتَ ابنَ قيسٍ ، فقال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ[2] ، أعْلَمُ لك عِلْمَه . فأتاه فوجَده جالسًا فى بيتِه مُنَكِّسًا رأسَه ، فقال : ما شأنُك ؟ فقال : شرٌّ . كان يَرْفَعُ صوتَه[3] فوقَ صوتِ النبىِّ ﷺ ، فقد حبِط عملُه وهو مِن أهلِ النارِ . فأتى الرجلُ فأخْبَره أنه قال كذا وكذا . قال موسى : فرجَع المرَّةَ الآخِرةَ ببِشارةٍ عظيمةٍ ، فقال : « اذْهَبْ إليه فقلْ له : إنك لستَ مِن أهلِ النارِ ، ولكن مِن أهلِ الجنةِ » . تفرَّد به البخارىُّ ، وقد قُتِل ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ شهيدًا يومَ اليَمامةِ ، كما سيأتى تفصيلُه . وهكذا ثبَت

---

(١) البخارى (٣٦١٣، ٤٨٤٦) .

(٢) بعده فى البخارى : « أنا » .

(٣) قال الحافظ : كذا ذكره بلفظ الغيبة وهو التفات ، وكان السياق يقتضى أن يقول : كنت أرفع صوتى . فتح البارى ٦/ ٦٢١.

فى الحديثِ الصحيحِ[1] البِشارةُ لعبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ أنه يموتُ على الإسلامِ، ويكونُ مِن أهلِ الجنةِ، وقد مات، رضى اللَّهُ عنه، على أكملِ أحْوالِه وأجْملِها، وكان الناسُ يَشْهَدون له بالجنةِ فى حياتِه؛ لإخبارِ الصادقِ عنه بأنه يَموتُ على الإسلامِ. وكذلك وقَع.

وقد ثبَت فى الصحيحِ الإخْبارُ عن العَشَرةِ بأنهم مِن أهلِ الجنةِ[2]، بل ثبَت أيضًا الإخْبارُ عنه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، بأنه لا يدْخُلُ النارَ أحدٌ بايَع تحتَ الشجرةِ[3]، وكانوا ألفًا وأربعَمائةٍ. وقيل: وخمسَمائةٍ. ولم يُنْقَلْ أن أحدًا مِن هؤلاء، رضِى اللَّهُ عنه، عاش إلا حميدًا، ولا مات إلا على السَّدادِ والاستقامةِ والتوفيقِ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ. وهذا مِن أعْلامِ النُّبوَّاتِ، ودَلالاتِ[4] الرسالةِ.

فصلٌ فى الإخبارِ بغُيوبٍ ماضيةٍ ومستقبَلةٍ

روَى البيهقىُّ[5] مِن حديثِ إسرائيلَ، عن سِماكٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: جاء رجلٌ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إن فلانًا مات. فقال: «لم يَمُتْ». فعاد الثانيةَ

---

(١) البخارى (٣٨١٣، ٧٠١٠، ٧٠١٤)، ومسلم (١٤٧/ ٢٤٨٣، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠/ ٢٤٨٤).

(٢) انظر ما سيأتى فى ١٥٦ - ١٥٨، وما أخرجه البخارى (٣٧٠٢، ٣٧١٩، ٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤٠٥، ٢٤١٥، ٢٤١٧، ٢٤١٩)، وكل هذه الروايات بعضها صريحة فى بعض العشرة، وبعضها غير صريحة فى البعض الآخر، ولعل مراد المصنف رحمه اللَّه الحديث الذى رواه أبو داود فى سننه (٤٦٤٩، ٤٦٥٠). والترمذى (٣٧٤٧)، والنسائى فى فضائل الصحابة (٩٢، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١١٥)، وابن ماجه (١٣٣)، وغيرهم. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٨٦، ٣٨٨٧).

(٣) مسلم (١٦٣/ ٢٤٩٦).

(٤) فى الأصل: «دلائل».

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٣٠٢.

فقال : إن فلانًا مات . فقال : « لم يَمُتْ » . فعاد الثالثةَ فقال : إن فلانًا[1] نحَر نفسَه بمِشْقَصٍ عندَه . فلم يُصَلِّ عليه . ثم قال البيهقيُّ : تابعه زُهَيرٌ عن سِماكٍ . ومِن ذلك الوجهِ رَواه مسلمٌ مختصرًا فى الصلاةِ[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا هُرَيمُ بنُ سفيانَ ، عن بَيانِ[4] بنِ بِشرٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن[5] أبى شَهْمٍ قال : مَرَّت بى جاريةٌ بالمدينةِ فأخَذتُ بكَشْحِها . قال : وأصْبَح الرسولُ ﷺ يُبايعُ الناسَ . قال : فأتَيْتُه فلم يُبايِعْنى ، فقال : « صاحبُ الجُبَيْذةِ[6] ؟ » قال : قلتُ : واللَّهِ لا أعودُ . قال : فبايَعَنى . ورواه النسائىُّ ، عن محمدِ بنِ [7]عبدِ اللَّهِ المَخْرَمِىِّ[7] ، عن أسودَ بنِ عامرٍ به[8] . ثم رَواه أحمدُ[9] ، عن سُرَيْجٍ ، عن يزيدَ بنِ [٣/ ٥٤٦ظ] عطاءٍ ، عن بَيانِ بنِ بِشرٍ ، عن قيسٍ ، عن أبى شَهْمٍ[10] ، فذكَره .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[11] ، عن أبى نُعيمٍ ، عن سفيانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : كنا نَتَّقِى الكلامَ والانْبساطَ إلى نسائِنا فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ خشيةَ[12] أن يَنْزِلَ فينا شىءٌ ، فلما تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ تكلَّمْنا

---

(١) بعده فى الدلائل : « مات » .
(٢) مسلم (٩٧٨/١٠٧) .
(٣) المسند ٥/ ٢٩٤.
(٤) فى م : « سنان » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٣.
(٥) بعده فى م ، ص : « قيس بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٤٠٧.
(٦) بعده فى المسند : « الآن » .
(٧ - ٧) فى م : « عبد الرحمن الحربى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٣٤.
(٨) السنن الكبرى (٧٣٢٩) به نحوه .
(٩) المسند ٥/ ٢٩٤.
(١٠) فى م : « هاشم » .
(١١) البخارى (٥١٨٧) .
(١٢) فى البخارى : « هيبة » .

وانْبَسَطْنا .

وقال ابنُ وهبٍ[1] : أخْبَرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن أبى حازمٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ أنه قال : واللَّهِ لقد كان أحدُنا يَكُفُّ عن الشىءِ مع امرأتِه ، وهو وإياها فى ثوبٍ واحدٍ ؛ تخَوُّفًا أن يَنْزِلَ فيه شىءٌ مِن القرآنِ .

وقال أبو داودَ[2] : ثنا محمدُ بنُ العَلاءِ ، ثنا ابنُ إدريسَ ، ثنا عاصمُ بنُ كُلَيْبٍ ، عن أبيه ، عن رجلٍ مِن الأنصارِ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى جِنازةٍ ، فرأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو على القبرِ يُوصِى الحافرَ : « أَوْسِعْ مِن قِبَلِ رِجلَيه ، أَوْسِعْ مِن قِبَلِ رأسِه » . فلما رجَع اسْتَقْبَله داعى امرأةٍ فجاء ، وجِىءَ بالطعامِ ، فوضَع يدَه ثم وضَع القومُ أيديَهم فأكَلوا ، فنظَر آباؤُنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يَلُوكُ لُقْمةً فى فيه ، ثم قال : « أجِدُ لحمَ شاةٍ أُخِذَت بغيرِ إذنِ أهلِها » . قال : فأرْسَلَت المرأةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أرْسَلْتُ إلى البَقيعِ يُشْتَرَى لى شاةٌ فلم تُوجَدْ ، فأرْسَلْتُ إلى جارٍ لى قد اشْتَرى شاةً أن أَرْسِلْ بها إلىَّ بثمنِها ، فلم يُوجَدْ ، فأرْسَلْتُ إلى امرأتِه ، فأرْسَلَت إلىَّ بها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطْعِميه الأُسارَى » .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٠٧، من طريق ابن وهب به .

(٢) أبو داود (٣٣٣٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٨٥٠) .

فصلٌ فى ترتيبِ الإخْبارِ بالغيوبِ المُسْتَقْبَلةِ بعدَه ﷺ

ثبَت فى صحيحِ البخاريِّ ومسلمٍ[1] مِن حديثِ الأعْمشِ، عن أبى وائلٍ، عن حُذيفةَ بنِ اليَمانِ قال: قام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا مَقامًا ما ترَك فيه شيئًا إلى قيامِ الساعةِ إلا ذكَره، علِمه مَن علِمه وجهِله مَن جهِله، وقد كنتُ أرَى الشىءَ قد كنتُ نُسِّيتُه فأعْرِفُه كما يَعْرِفُ الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرَفه.

وقال البخاريُّ[2]: ثنا يحيى بنُ موسى، حدَّثنا الوليدُ، حدَّثنى ابنُ جابرٍ، حدَّثنى بُسْرُ[3] بنُ عُبيدِ اللَّهِ الحَضْرميُّ، حدَّثنى أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ أنه سمِع حذيفةَ بنَ اليَمانِ يقولُ: كان الناسُ يسْألون رسولَ [٣/٥٤٧و] اللَّهِ ﷺ عن الخيرِ وكنتُ أسْألُه عن الشرِّ؛ مَخافةَ أن يُدْرِكَنى، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنا كنا فى جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللَّهُ بهذا الخيرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ مِن شرٍّ؟ قال: «نعم». قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ مِن خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهْدون بغيرِ هَدْيى، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ». قلتُ: فهل بعدَ ذلك الخيرِ مِن شرٍّ؟ قال: «نعم، دُعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَن أجابهم إليها قذَفوه فيها». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، صِفْهم لنا. قال: «هم مِن جِلْدتِنا، ويتَكَلَّمون[4] بألسنتِنا». قلتُ: فما تأْمُرُنى إن أدْرَكَنى ذلك؟ قال: «تَلْزَمُ

---

(١) البخارى (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١/٢٣).

(٢) البخارى (٣٦٠٦).

(٣) فى م: «بشر»، وهو تصحيف. انظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥.

(٤) فى الأصل، ص: «يتحدثون».

جَماعةَ المسلمين وإمامَهم » . قلتُ : فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ قال : « فاعْتَزِلْ تلك الفِرَقَ كلَّها ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدْرِكَك الموتُ وأنت على ذلك » . وقد رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن الوليدِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ[1] جابرٍ به[2] .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ ، عن حذيفةَ قال : تعَلَّم أصحابى الخيرَ ، وتعَلَّمْتُ[4] الشرَّ . تفرَّد به البخاريُّ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[5] مِن حديثِ شعبةَ ، عن عدىِّ بنِ ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ ، عن حذيفةَ قال : لقد حدَّثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بما يكونُ حتى تقومَ الساعةُ ، غيرَ أنى لم أسْأَلْه : ما يُخْرِجُ أهلَ المدينةِ منها ؟ . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[6] مِن حديثِ عِلباءَ[7] بنِ أحمرَ ، عن أبى زيدٍ عمرِو بنِ أخْطَبَ قال : أخْبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بما كان وبما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ ، فأعْلَمُنا أحْفَظُنا . وفى الحديثِ الآخرِ[8] : حتى دخَل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ . وقد تقَدَّم[9] حديثُ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ : « واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمرَ ، ولكنكم تستَعْجلون » .

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « عن » .
(٢) البخارى (٧٠٨٤) ، ومسلم (١٨٤٧/٥١) .
(٣) البخارى (٣٦٠٧) .
(٤) فى الأصل ، ص : « تعلم أصحابى » .
(٥) مسلم (٢٨٩١/٢٤) ، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣١٢ ، من طريق شعبة به ، واللفظ له .
(٦) مسلم (٢٨٩٢/٢٥) مطولًا .
(٧) فى الأصل ، م : « على » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٩٣ .
(٨) البخارى (٣١٩٢) بنحوه .
(٩) تقدم فى ٤/ ١٤٩ ، ١٥٠ .

وكذا حديثُ عدىِّ بنِ حاتمٍ فى ذلك[1] ، وقال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة : ٣٣] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [النور : ٥٥] .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الدنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ ، وإن اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكم فيها فناظرٌ كيف تعْمَلون ، فاتَّقوا الدنيا واتقوا النساءَ ؛ فإن أولَ فتنةِ بنى إسرائيلَ كانت فى النساءِ » . وفى حديثٍ آخرَ[5] : « ما ترَكْتُ بعدى فتنةً هى أضَرُّ على الرجالِ مِن النساءِ » . وفى « الصحيحَيْن »[6] [٣/٥٤٧ظ] مِن حديثِ الزهرىِّ ، عن [7]عروةَ ، عن المِسْوَرِ[7] ، عن عمرِو بنِ عوفٍ ، فذكَر قصةَ بعثِ أبى عُبَيْدةَ إلى البحْرَينِ[8] ، وفيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أبْشِروا وأمِّلوا ما يَسُرُّكم ، فواللَّهِ ما الفقرَ أخْشَى عليكم ، ولكنى أخْشَى عليكم[9] أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَت على مَن كان قبلَكم فتَنافسوها كما تَنافسوها ، فتُهْلِكَكم كما أهْلَكَتْهم » .

وفى « الصحيحَيْن »[10] مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ،

---

(١) هو الحديث المتقدم قريبا فى صفحة ١٢٩ .

(٢) التفسير ٤/ ٧٨، ٧٩.

(٣) التفسير ٦/٨٣ - ٨٧.

(٤) مسلم (٢٧٤٢).

(٥) مسلم (٢٧٤٠، ٢٧٤١)، والبخارى (٥٠٩٦).

(٦) البخارى (٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥)، ومسلم (٦/٢٩٦١).

(٧ - ٧) فى الأصل: «عمرو عن المسور»، وفى ا ١١١: «المسور عن عروة»، وفى م: «عروة بن المسور».

(٨) بعده فى الأصل، ص: «ونفقه مما فى ذمته»، وفى ا ١١١: «وبعثه بمال». والصواب: قدومه بمال.

(٩) سقط من النسخ. والمثبت من الصحيحين.

(١٠) البخارى (٣٦٣١، ٥١٦١)، ومسلم (٢٠٨٣)، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣١٩، من طريق ابن المنكدر به، واللفظ له.

عن جابرٍ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل لكم مِن أنماطٍ ؟ » قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، وأنَّى يكونُ لنا أنماطٌ ؟ فقال : « أما إنها ستكونُ لكم أنماطٌ » . قال : فأنا أقولُ لامرأتى : نحِّى عنى أنماطَكِ . فتقولُ : ألم يقُلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنها ستكونُ لكم أنماطٌ » ؟ فأتْرُكُها .

وفى « الصحيحَيْن » و « المسانيدِ » و « السننِ » وغيرِها[1] ، مِن حديثِ هشامِ ابنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن سفيانَ بنِ أبى زُهَيْرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تُفْتَحُ اليمنُ ، فيأتى قومٌ يَبِسُّون[2] ، فيتَحَمَّلونَ بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعْلَمون ، [3]وتُفْتَحُ الشامُ فيأتى قومٌ يَبِسُّون ، فيتَحَمَّلون بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمون ، وتُفْتَحُ العراقُ فيأتى قومٌ يَبِسُّون ، فيتَحَمَّلون بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمون »[3] . كذلك رواه عن هشامِ بنِ عروةَ جماعةٌ كثيرون ، وقد أسْنَده الحافظُ ابنُ عَساكرَ[4] مِن حديثِ مالكٍ ، وسفيانَ بنِ عُيَينةَ ، وابنِ جريجٍ ، وأبى معاويةَ ، ومالكِ بنِ [5]سُعَيْرِ بنِ الخِمْسِ[5] ، وأبى ضَمْرةَ أنسِ بنِ عِياضٍ ، وعبدِ العزيزِ بنِ أبى حازمٍ ، وسلمةَ بنِ دينارٍ ، وجريرِ بنِ عبدِ الحميدِ . ورَواه أحمدُ ، عن يونسَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن هشامِ بنِ عروةَ[6] . وعبدِ الرزاقِ ، عن ابنِ

---

(١) البخارى (١٨٧٥) ، ومسلم (١٢٨٨) ، والنسائى فى الكبرى (٤٢٦٣، ٤٢٦٤) ، والحميدى فى مسنده (٨٦٥) .

(٢) فى م : « يبثون » . ويقال : بَسَسْت الناقةَ وأبسستها إذا سقتها وزجرتها وقلت لها : بسْ بسْ بكسر الباء وفتحها . النهاية ١/ ١٢٧.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ دمشق ١/ ٣٨٠ - ٣٨٤.

(٥ - ٥) فى م : « سعد بن الحسن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١٤٥.

(٦) المسند ٥/ ٢٢٠.

جريجٍ، عن هشامٍ[1]. ومِن حديثِ مالكٍ، عن هشامٍ به بنحوِه[2].

ثم روَى أحمدُ[3] عن سليمانَ بنِ داودَ الهاشميِّ، عن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ، أخْبَرنى يزيدُ بنُ خُصَيْفَةَ أن بُسْرَ[4] بنَ سعيدٍ أخْبَره أنه سمِع فى مجلسِ اللَّيْثِيِّين[5] يذْكُرون أن سفيانَ أخْبَرهم، فذكَر قصةً، وفيها أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له: «ويُوشِكُ الشامُ أن يُفْتَتَحَ فيأتيَه رجالٌ مِن هذا البلدِ - يعنى المدينةَ - فيُعْجِبَهم ريفُه[6] ورخاؤُه، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعْلَمون، [7]ثم يُفْتَحُ العراقُ فيأتى [٣/٥٤٨و] قومٌ يَسُبُّون فَيَتَحَمَّلون بأهليهم ومَن أطاعهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمون»[7]. وأخْرجه ابنُ خُزَيْمَةَ مِن طريقِ إسماعيلَ[8]. ورواه الحافظُ ابنُ عَساكرَ مِن حديثِ أبى ذَرٍّ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه[9]، وكذا حديثَ ابنِ حَوَالَةَ[10]. ويشْهَدُ لذلك: «مَنَعَت الشامُ مُدْيَها[11] ودينارَها، ومَنَعَت العراقُ درهمَها وقَفِيزَها، ومَنَعَت مصرُ إرْدَبَّها ودينارَها، وعُدْتم مِن حيث بدأْتم». وهو فى

---

(١) المسند ٥/ ٢٢٠، ومصنف عبد الرزاق (١٧١٥٩).

(٢) الموطأ ٢/ ٨٨٧، ٨٨٨.

(٣) المسند ٥/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٤) فى الأصل، ١١١، ص: «أنس»، وفى م: «بشر». والمثبت من المسند. وانظر أطراف المسند ٢/ ٤٧٦ من مسند سفيان بن أبى زهير.

(٥) فى م: «المكيين».

(٦) فى الأصل، ١١١: «ريفهم»، وفى م، ص: «ربعهم». والمثبت من المسند.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١/ ٣٨٧، من طريق محمد بن الفضل بن خزيمة عن جده محمد بن إسحاق بن خزيمة به.

(٩) تاريخ دمشق ١/ ٣٨٨.

(١٠) المصدر السابق ١/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(١١) فى النسخ: «مدها». والمثبت من صحيح مسلم. والمدى: مكيال ضخم لأهل الشام وأهل مصر، وهو غير المد، يسع خمسة وأربعين رطلا. والمد: ربع صاع، وهو قدر مد النبى ﷺ، والصاع خمسة أرطال. انظر اللسان (م د ى، م د د).

« الصحيحِ »[1] ، وكذا حديثُ المَواقيتِ لأهلِ الشامِ واليمنِ ، وهو فى « الصحيحَيْن »[2] ، وعندَ مسلمٍ[3] مِيقاتُ أهلِ العراقِ . ويشْهَدُ لذلك أيضًا حديثُ : « إذا هلَكَ كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هلَكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، والذى نفسى بيدِه لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ عز وجل »[4] .

وفى « صَحيحِ البخاريِّ »[5] مِن حديثِ أبى إدريسَ الخَوْلانيِّ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، أنه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ تبوكَ : « اعدُدْ ستًّا بينَ يدَى الساعةِ » . فذكَر موتَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ثم فَتْحَ بيتِ المقدسِ ، ثم مُوتانًا - وهو الوباءُ - ثم كثرةَ المالِ ، ثم فتنةً ، ثم هُدْنةً بينَ المسلمين والرومِ . وسيأتى الحديثُ فيما بعدُ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[6] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ شُماسَةَ ، عن أبى ذرٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنكم ستَفْتَحون أرضًا يُذْكَرُ فيها القِيراطُ فاسْتَوْصُوا بأهلِها خيرًا ؛ فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا ، فإذا رأيتَ رجلين يخْتَصِمانِ فى موضعِ لَبِنةٍ فاخْرُجْ منها » . قال : فمَرَّ بربيعةَ وعبدِ الرحمنِ ابنىْ[7] شُرَحْبيلَ ابنِ حَسَنةَ يَخْتَصمان فى موضعِ لَبِنةٍ ، فخرَج منها . يعنى ديارَ مصرَ على يَدَى عمرِو بنِ العاصِ فى سنةِ عشرين ، كما سيأتى .

وقد روَى ابنُ وهبٍ[8] ، عن مالكٍ والليثِ ، عن الزهرىِّ عن [9]ابنِ لكعبٍ[9]

---

(١) مسلم (٢٨٩٦) . بتقديم العراق على الشام . وسيأتى شرحه فى صفحة ١٤٨ .
(٢) البخارى (١٥٢٦ - ١٥٣١) ، ومسلم (١١٨١ ، ١١٨٢) .
(٣) مسلم (١١٨٣/١٨) .
(٤) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٣ ، وفى صفحة ١٢٧ ، ١٢٨ ، من هذا الجزء .
(٥) البخارى (٣١٧٦) .
(٦) مسلم (٢٥٤٣/٢٢٦) .
(٧) فى م ، ص : « ابن » .
(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٢٢ ، من طريق ابن وهب به .
(٩ - ٩) فى الدلائل : « أبى بن كعب » .

ابنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا افْتَتَحْتُم مصرَ فاسْتَوْصُوا بالقِبْطِ خيرًا ؛ فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا » . ورَواه البيهقيُّ[1] مِن حديثِ إسحاقَ بنِ راشدٍ[2] ، عن الزهريِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه . وحكَى أحمدُ بنُ حنبلٍ[3] ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، أنه سُئِل عن قولِه : « ذِمَّةً ورَحِمًا » . فقال : مِن الناسِ مَن قال : إن أمَّ إسماعيلَ هاجرَ كانت قِبْطِيَّةً . ومِن الناسِ مَن قال : أمُّ إبراهيمَ[4] . قلتُ : الصحيحُ الذى لا شكَّ فيه أنهما قِبْطِيَّتان ، كما قدَّمْنا ذِكْرَ ذلك ، [٣/ ٥٤٨ظ] ومعنى قولِه : « ذِمَّةً » . يعنى بذلك هديةَ المُقَوْقِسِ إليه وقَبولَه ذلك منه ، وذلك نوعُ ذِمامٍ ومُهادنةٍ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وتقدم[5] ما رواه البخاريُّ مِن حديثِ مُحِلِّ بنِ خليفةَ ، عن عديِّ بنِ حاتمٍ فى فَتْحِ كنوزِ كسرى وانتشارِ الأمْنِ[6] وفَيَضانِ المالِ حتى لا يتقَبَّلَه أحدٌ . وفى الحديثِ أن عديًّا شهِد الفتحَ ، ورأَى الظَّعينةَ ترْتَحِلُ مِن الحيرةِ إلى مكةَ [7]لا تَخافُ إلا اللَّهَ ، قال : ولئن طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال أبو القاسمِ ﷺ مِن كثرةِ المالِ[7] حتى لا يقْبَلَه أحدٌ . قال البيهقيُّ[8] : قد كان ذلك فى زمنِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . قلتُ : ويحْتَمِلُ أن يكونَ ذلك متأخِّرًا إلى زمنِ المهدىِّ ، كما جاء فى صفتِه ، أو إلى زمنِ نزولِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ ، بعدَ قتلِه الدجَّالَ ، فإنه

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٣٢٢.

(٢) فى الدلائل : « أسد » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤١٩.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٢٢، من طريق أحمد بن حنبل به .

(٤) أى إبراهيم ابن النبى ﷺ .

(٥) تقدم قريبًا فى صفحة ١٢٩.

(٦) فى الأصل ، ١١١: « الأمر » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٣٢٣.

قد ورَد فى « الصحيحِ »[1] أنه يَقْتُلُ الخِنزيرَ ، ويَكْسِرُ الصَّليبَ ، ويَفيضُ المالُ حتى لا يَقْبَلَه أحدٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] مِن حديثِ ابنِ أبى ذئبٍ ، عن مُهاجرِ بنِ مِسْمارٍ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يزالُ هذا الدينُ قائمًا ما كان اثنا عشَرَ خليفةً كلُّهم مِن قريشٍ ، ثم يخْرُجُ كذَّابون بينَ يدَيِ الساعةِ ، ولَيَفْتَحَنَّ عِصابةٌ مِن المسلمين كَنزَ القصرِ الأبيضِ قصرَ كسرى ، وأنا فَرَطُكم على الحوضِ » . الحديثَ بمعناه .

وتقَدَّم حديثُ عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا : « إذا هلَكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، وإذا هلَكَ كسرى فلا كسرى بعدَه ، والذى نفسى بيدِه لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ عز وجل » . أخْرَجاه . قال البيهقىُّ[3] : المرادُ زوالُ مُلْكِ قيصرَ عن الشامِ ، ولا يَبْقى كبقاءِ[4] مُلْكِه على الرومِ ؛ لقولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لما عظَّم كِتابَه : « ثبِّت ملكَه » . وأما مُلكُ فارسَ فباد بالكُلِّيةِ لقولِه له : « مزَّق اللَّهُ مُلْكَه » .

وقد روَى أبو داودَ[5] ، عن محمدِ بنِ عُبيدٍ ، عن حمادٍ ، عن يونسَ ، عن الحسنِ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ - ورُوِّينا[6] مِن طريقٍ أخرى ، عن عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه - لما جِىءَ بفروةِ كسرى وسيفِه ومِنْطَقَتِه وتاجِه

---

(١) البخارى (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨، ٣٤٤٩) ، ومسلم (١٥٥) .

(٢) مسلم (١٨٢٢/٠٠٠) .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٢٥، بنحوه .

(٤) فى م : « فيها » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٢٥، من طريق أبى داود به نحوه .

(٦) أورده ابن الأثير فى الأسد ٢/ ٣٣٢، من طريق ابن عيينة ، عن أبى موسى ، عن الحسن بنحوه .

وسِوارَيْه ، أَلْبَس ذلك كلَّه لسُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ وقال : قلِ : الحمدُ للَّهِ الذى أَلْبَس ثيابَ كسرى لرجلٍ أعْرابىٍّ مِن الباديةِ . قال الشافعىُّ[1] : إنما أَلْبَسه ذلك ؛ لأن النبىَّ ﷺ قال لسُراقةَ ونظَر إلى ذراعَيه : « كأنِّى بك قد لبِسْتَ سِوارَىْ كسرى » . واللَّهُ أعلمُ .

وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ[2] ، عن إسماعيلَ [٣/ ٥٤٩و] بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ ابنِ أبى حازمٍ ، عن عدىِّ بنِ حاتمٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مُثِّلَت لى الحيرةُ كأنيابِ الكِلابِ ، وإنكم ستَفْتَحونها » . فقام رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هَبْ لى [3]ابنةَ بُقَيْلَةَ[3] . قال : « هى لك » . فأعْطَوه إياها . فجاء أبوها فقال : أتَبِيعُها ؟ قال : نعم . قال : فبكم ؟ احْكُمْ ما شئتَ . قال : ألفِ درهمٍ . قال : قد أخَذْتُها . فقالوا له : لو قلتَ ثلاثين ألفًا لأخَذها . فقال : وهل عددٌ أكثرُ مِن ألفٍ ؟!

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، ثنا معاويةُ ، عن ضَمْرةَ بنِ حَبيبٍ ، أن ابنَ زُغْبٍ الإيادىَّ حدَّثه قال : نزَل علىَّ عبدُ اللَّهِ بنُ حَوَالَةَ الأزدىُّ فقال لى : بعَثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ حولَ المدينةِ على أقْدامِنا لنَغنَمَ ، فرجَعْنا ولم نغْنَمْ شيئًا ، وعرَف الجَهْدَ فى وجوهِنا ، فقام فينا فقال : « اللهم لا تَكِلْهم إلىَّ فأَضْعُفَ ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسِهم فيَعْجِزوا عنها ، ولا تَكِلْهم إلى الناسِ فيستَأْثِروا عليهم » . ثم قال : « لَتُفْتَحَنَّ لكم الشامُ والرومُ وفارسُ - أو : الرومُ وفارسُ - حتى يكونَ لأحدِكم مِن الإبلِ كذا وكذا ، ومِن البقرِ كذا وكذا ، ومِن الغنمِ كذا

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٢٦، من طريق سفيان به .

(٣ - ٣) فى ١١١: « ابنه نفيلة » ، وفى م: « ابنته نفيلة » . وتقدم الحديث بنحوه فى ٧/ ٢٠٢.

(٤) المسند ٥/ ٢٨٨.

وكذا ، وحتى يُعْطَى أحدُكم[1] مائةَ دينارٍ فيَسخَطَها » . ثم وضَع يدَه على رأسى أو على هامتى فقال : « يا بنَ حَوَالةَ ، إذا رأيْتَ الخِلافةَ قد نزَلت الأرضَ المقدسةَ فقد دنَت الزلازلُ والبلابلُ والأمورُ العِظامُ ، والساعةُ يومَئذٍ أقربُ إلى الناسِ مِن يدِى هذه مِن رأْسِك » . ورواه أبو داودَ مِن حديثِ معاويةَ بنِ صالحٍ[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا حَيْوةُ بنُ شُرَيْحٍ ويزيدُ بنُ عبدِ ربِّه ، قالا : ثنا بَقِيَّةُ ، حدَّثنى بَحِيرُ[4] بنُ سَعْدٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن أبى قُتَيْلةَ[5] ، عن ابنِ حَوَالةَ ، أنه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سيَصيرُ الأمرُ إلى أن تكونَ جنودٌ مُجَنَّدةٌ ؛ جندٌ بالشامِ ، وجندٌ باليمنِ ، وجندٌ بالعراقِ » . فقال ابنُ حَوَالةَ : خِرْ لى يا رسولَ اللَّهِ إن أدْرَكْتُ ذلك . فقال : « عليك بالشامِ ؛ فإنه خِيرَةُ اللَّهِ مِن أرضِه يَجْتَبِى[6] إليه خِيرَتَه مِن عبادِه ، فإن أبيْتُم فعليكم بيَمَنِكم واسْقُوا[7] مِن غُدُرِه[8] ؛ فإن اللَّهَ تكَفَّل لى بالشامِ وأهلِه » . وهكذا رَواه أبو داودَ ، عن حَيْوةَ بنِ شُرَيْحٍ به[9] . وقد رَواه أحمدُ أيضًا[10] عن عصامِ بنِ خالدٍ وعلىِّ بنِ عَيَّاشٍ[11] ، كلاهما عن حَريزٍ[12]

---

(١) فى المسند : « أحدهم » .
(٢) أبو داود (٢٥٣٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٢١٠) .
(٣) المسند ٤/ ١١٠.
(٤) فى النسخ : « بجير » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ٧٠٧.
(٥) فى الأصل : « قبيلة » ، وفى م ، ص : « قيلة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٩، ٣٦٠.
(٦) فى الأصل ، ص : « يجبى » ، وفى م : « يجىء » .
(٧) فى م ، ص : « اسعوا » .
(٨) فى المسند : « غدركم » .
(٩) أبو داود (٢٤٨٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٦٩) .
(١٠) المسند ٥/ ٢٨٨.
(١١) فى النسخ : « عباس » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ٧٠٦.
(١٢) فى النسخ : « جرير » . والمثبت من المسند . وانظر المصدر السابق .

ابنِ عثمانَ ، عن سليمانَ بنِ شُمَيْرٍ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوَالةَ ، [٣/ ٥٤٩ظ] فذكَر نحوَه . ورواه الوليدُ بنُ مسلمٍ الدِّمشقيُّ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن مَكْحولٍ وربيعةَ بنِ يزيدَ ، عن أبى إدريسَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوَالةَ به[2] .

وقال البيهقيُّ[3] : أنا أبو الحسينِ بنُ الفضلِ القَطَّانُ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، ثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، ثنا يحيى بنُ حمزةَ ، حدَّثنى أبو عَلْقمةَ نصرُ بنُ عَلْقمةَ ، يَرُدُّ[4] الحديثَ إلى جُبيرِ بنِ نُفَيرٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ حَوالةَ : كنا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فشكَوْنا إليه العُرْىَ والفقرَ وقلةَ الشىءِ ، فقال : « أبْشِروا ، فواللَّهِ لَأَنا بكثرةِ الشىءِ أخْوَفُنى عليكم مِن قِلَّتِه ، واللَّهِ لا يزالُ هذا الأمرُ فيكم حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليكم أرضَ الشامِ - أو قال : أرضَ فارسَ - وأرضَ الرومِ وأرضَ حِمْيَرٍ ، وحتى تكونوا أجْنادًا ثلاثةً ؛ جندًا بالشامِ ، وجندًا بالعراقِ ، وجندًا باليمنِ ، وحتى يُعْطَى الرجلُ المائةَ فيَسْخَطَها » . قال ابنُ حَوَالةَ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ومَن يَسْتطيعُ الشامَ وبه الرومُ ذواتُ القرونِ[5] ؟! قال : « واللَّهِ لَيَفْتَحَنَّها اللَّهُ عليكم ، ولَيَسْتَخْلِفَنَّكم فيها ، حتى تَظَلَّ العِصابةُ البِيضُ مِنهم قُمُصُهم ، [6]المُلْحِمَةُ أقْفاؤُهم[6] ، قِيامًا على الرُّويجلِ الأسودِ مِنكم المَخْلُوقِ[7] ، ما أمَرهم مِن شىءٍ فعَلوه » . وذكَر الحديثَ ، قال أبو عَلْقمةَ : فسَمِعْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ جُبيرٍ[8]

---

(١) فى الأصل ، ص : « سمر » ، وفى ١١١ ، م : « سمير » . والمثبت من المسند . وانظر الإكمال ٤/ ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، وأطراف المسند ٢/ ٧٠٦ .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، من طريق الوليد بن مسلم به .

(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٤) فى الأصل ، ١١١ ، م : « يروى » .

(٥) المراد بالقرون هنا : الشعور ، وكل ضفيرة من ضفائر الشعر قرن . النهاية ٤/ ٥١ .

(٦ - ٦) فى م : « الملحمية أقباؤهم » .

(٧) فى ١١١ ، ص : « المخلوق » .

(٨) فى م ، ص : « مهدى » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦ .

يقولُ : فعرَف أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ نعتَ هذا الحديثِ فى جَزْءِ بنِ سُهَيْلٍ السُّلَمىِّ ، وكان على الأعاجمِ فى ذلك الزمانِ ، فكانوا إذا راحوا[1] إلى المسجدِ نظَروا إليه وإليهم قِيامًا حولَه ، فيَتَعَجَّبون لِنعتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيه وفيهم .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا حجاجٌ ، ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ[3] ، عن ربيعةَ بنِ لَقيطٍ التُّجِيبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوَالةَ الأزدىِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن نَجا مِن ثلاثٍ فقد نَجا[4] » . قالوا : ماذا يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « مَوْتِى[5] ، ومِن قَتْلِ خليفةٍ مصطبرٍ بالحقِّ يُعْطِيه[6] ، والدَّجَّالِ » .

وقال أحمدُ[7] : ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا الجُرَيْرِىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوَالةَ قال : أتَيْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو جالسٌ فى ظِلِّ دَوْمةٍ ، و[8]عندَه كاتبٌ له يُمْلِى عليه ، فقال : « ألا نَكتبُك[9] يا بنَ حَوَالةَ؟ » قلتُ : لا أدرى ما خار اللَّهُ لى ورسولُه . فأعْرَض عنى [٣/ ٥٥٠و] - [10]وقال إسماعيلُ مَرَّةً فى الأُولى[10] : « نَكْتُبُك يا بنَ حَوَالةَ ؟ » قلتُ : فيمَ يا رسولَ اللَّهِ ؟

---

(١) فى ١١١، م : « رجعوا » .

(٢) المسند ٥/ ٢٨٨.

(٣) فى المسند : « حكيم » ، وهو خطأ . انظر أطراف المسند ٢/ ٧٠٦.

(٤) بعده فى المسند : « قاله ثلاث مرات » .

(٥) أى موت النبى ﷺ ، فقد افتتن قوم بعد وفاته ، وارتدوا عن الإسلام . بلوغ الأمانى ١٩/ ١٨٨.

(٦) فى الأصل : « يعصيه » ، وبعده فى ص : « فيه » .

(٧) المسند ٤/ ١٠٩، ١١٠.

(٨) ليس فى المسند .

(٩) فى المسند : « أكتبك » .

(١٠ - ١٠) ليس فى النسخ . والمثبت من المسند .

فأَعْرَضَ عنى - وأَكَبَّ على كاتبِه يُمْلِى عليه ، ثم قال : « ألا نكتبُك يا بنَ حَوَالةَ ؟ » قلتُ : لا أدرى ما خار اللَّهُ لى ورسولُه . فأعْرَض عنى وأَكَبَّ على كاتبِه يُمْلِى عليه . قال : فنظَرْتُ فإذا فى الكتابِ عمرُ ، فقلتُ : إن[1] عمرَ لا يُكْتَبُ إلَّا فى خيرٍ . ثم قال : « أنكتبُك[2] يا بنَ حَوَالةَ ؟ » قلتُ : نعم . فقال : « يا ابنَ حَوَالةَ ، كيف تفْعَلُ فى فتنةٍ تخْرُجُ فى أطْرافِ الأرضِ كأنها صَيَاصِى بَقَرٍ[3] ؟ » قلتُ : لا أدرى ما خار اللَّهُ لى ورسولُه . قال : « فكيف تفْعَلُ فى أخرى تخْرُجُ بعدَها كأن الأولى منها انتفاجةُ أرْنبٍ[4] ؟ » قلتُ : لا أدرى ما خار اللَّهُ لى ورسولُه . قال : « اتَّبِعُوا[5] هذا » . قال : ورجلٌ مُقَفٍّ حينئذٍ . قال : فانْطَلَقْتُ فسعَيْتُ وأخَذْتُ بمَنكِبِه ، فأقْبَلْتُ بوجهِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : هذا ؟ قال : « نعم » . قال : فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ ، رضىَ اللَّهُ عنه .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[6] مِن حديثِ يحيى بنِ آدمَ ، عن زُهيرِ بنِ معاويةَ ، عن سُهيلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنَعَتِ العراقُ دِرْهمَها وقَفِيزَها ، ومَنَعتِ الشامُ مُدْيَها[7] ودينارَها ، ومَنَعت مِصرُ إرْدَبَّها ودينارَها ، وعُدْتُم مِن حيثُ بَدَأْتُم ، [8]وعُدْتُم مِن حيثُ بدأْتُم ، وعُدْتُم مِن حديثُ بَدَأْتُم »[8] . شهِد على ذلك لحمُ أبى هريرةَ ودمُه . قال يحيى بنُ آدمَ وغيرُه مِن أهلِ

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل : « أتكتب » .
(٣) فى م ، ص : « نفر » . وصياصى بقر : قرونها ، واحدتها صِيصِيَة ، بالتخفيف . النهاية ٣/ ٦٧.
(٤) كأن الأولى منها انتفاجة أرنب : أى كوثبة أرنب من مَجْثَمه . يريد تقليل مدتها . النهاية ٥/ ٨٨.
(٥) فى م ، ص : « ابتغوا » .
(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤١ حاشية (١) .
(٧) فى النسخ : « مدها » . والمثبت من صحيح مسلم .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

العلمِ[1] : هذا مِن دلائلِ النبوةِ ؛ حيث أخْبَر عما ضرَبه عمرُ على أرضِ العراقِ مِن الدراهمِ والقُفْزانِ ، وعما ضرَب مِن الخَراجِ بالشامِ ومصرَ ، قبلَ وجودِ ذلك ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه . وقد اخْتَلف الناسُ فى معنى قولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ : « مَنَعَتِ العراقُ » . إلى آخرِه ، فقيل : معناه أنهم يُسْلِمون فيسْقُطُ عنهم الخَراجُ . ورجَّحه البيهقىُّ[2] . وقيل : معناه أنهم يَرْجِعون عن الطاعةِ ولا يُؤَدُّون الخَراجَ المضروبَ عليهم ، ولهذا قال : « وعُدتُم مِن حيث بدأتُم » . أى ورجَعْتُم إلى ما كنتم عليه قبلَ ذلك ، كما ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[3] : « إن الإسلامَ بدَأ غريبًا وسيعودُ غريبًا ، فطوبَى للغُرباءِ » .

ويؤيِّدُ هذا القولَ ما رواه الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا إسماعيلُ عن الجُرَيْرىِّ ، عن أبى نَضْرةَ قال : كنا عندَ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ فقال : يُوشِكُ أهلُ العراقِ أن لا يَجىءَ إليهم قَفيزٌ ولا دِرهمٌ . قلنا : مِن أين ذاك ؟ قال : مِن قِبَلِ العجمِ ، يَمْنَعون ذاك . ثم قال : يُوشِكُ أهلُ الشامِ أن لا يَجِىءَ إليهم دينارٌ ولا مُدْىٌ[5] . قلنا : مِن أين ذاك ؟ قال : مِن قِبَلِ الرومِ ، يَمْنَعون ذاك . قال : ثم سكَت[6] هُنَيهةً . ثم قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يكونُ فى آخرِ أمتى خليفةٌ يَحثِى المالَ حَثْيًا ، لا يَعُدُّه عدًّا » . قال الجُرَيْرىُّ : فقلتُ لأبى نَضْرةَ وأبى العَلاءِ : أتَرَيانِه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ؟ فقالا : لا . وقد رواه مسلمٌ[7] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ابنِ عُلَيَّةَ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٣٢٩، ٣٣٠ بنحوه.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٣٠.

(٣) مسلم (١٤٥، ١٤٦).

(٤) المسند ٣/ ٣١٧.

(٥) فى م، والمسند: «مد». وانظر ما تقدم فى صفحة ١٤٠ .

(٦) فى المسند: «أمسك».

(٧) مسلم (٢٩١٣).

وعبدِ الوهَّابِ الثقفيِّ ، كلاهما عن سعيدِ بنِ [٣/ ٥٥٠ظ] إياسٍ الجُرَيْرِيِّ ، عن أبى نَضْرةَ المنذرِ بنِ مالكِ بنِ قِطْعةَ[1] العبديِّ ، عن جابرٍ ، كما تقدم . والعجبُ أن الحافظَ أبا بكرٍ البيهقيَّ احْتَجَّ به على ما رجَّحه مِن أحدِ القولين المتقدِّمَين[2] . وفيما سلكه نظَرٌ ، والظاهرُ خلافُه .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] مِن غيرِ وجهٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وقَّت لأهلِ المدينةِ ذا الحُلَيفةِ ، ولأهلِ الشامِ الجُحْفةَ ، ولأهلِ اليمنِ يَلَمْلَمَ . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[3] عن جابرٍ : ولأهلِ العراقِ ذاتَ عِرْقٍ . فهذا مِن دلائلِ النبوةِ ، حيث أخْبَر عما وقَع مِن حجِّ أهلِ الشامِ واليمنِ والعراقِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

وفى « الصحيحَيْن »[4] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرٍ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيَأْتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ يغْزو فيه فِئَامٌ مِن الناسِ ، فيقالُ لهم : هل فيكم مَن صحِب رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فيقالُ : نعم . فيُفْتَحُ لهم ، ثم يأتى على الناسِ زمانٌ (٥ يغزو فيه ٥) فِئَامٌ مِن الناسِ ، فيقالُ لهم : هل فيكم مَن صحِب أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فيقالُ : نعم . فيُفْتَحُ لهم ، ثم يأتى على الناسِ زمانٌ يغزو فيه فِئَامٌ مِن الناسِ ، فيقالُ : هل فيكم مَن صحِب مَن صاحَبهم ؟ فيقالُ : نعم . فيُفْتَحُ لهم » .

---

(١) فى م : « قطفة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٠٨.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤١ .

(٤) البخارى (٢٨٩٧، ٣٥٩٤، ٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢) .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « فيغزوا » .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ ثَوْرِ بنِ زيدٍ ، عن أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ قال : كنا جُلوسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأُنْزِلت عليه سورةُ « الجُمُعةِ » : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ [الجمعة : ٣] . فقال رجلٌ : مَن هؤلاء يا رسولَ اللَّهِ ؟ فوضَع يدَه على سلمانَ الفارسىِّ وقال : « لو كان الإيمانُ عندَ الثُّرَيَّا لَناله رجالٌ مِن هؤلاء » . وهكذا وقَع كما أخْبَر به ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

وروَى الحافظُ البيهقىُّ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عِرْقٍ[3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « والذى نفسى بيدِه لَتُفْتَحَنَّ عليكم فارسُ والرومُ حتى يَكْثُرَ الطعامُ فلا يُذْكَرُ عليه اسمُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ » .

وروَى الإمامُ أحمدُ والبيهقىُّ وابنُ عدىٍّ وغيرُ واحدٍ[4] ، مِن حديثِ أوسِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أخيه سهلٍ ، عن أبيه عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيدةَ (٥عن أبيه بُرَيْدةَ٥) ابنِ الحُصَيْبِ مرفوعًا : « ستُبْعَثُ بُعوثٌ فكنْ فى بَعْثِ خُراسانَ ، ثم اسْكُنْ مدينةَ مَرْوٍ ؛ فإنه بناها ذو القَرْنين ، ودَعا لها بالبركةِ ، وقال : لا يُصيبُ أهلَها سُوءٌ » . وهذا الحديثُ يُعَدُّ مِن غرائبِ « المسندِ » ، ومنهم مَن يجْعَلُه موضوعًا[6] . فاللَّهُ أعلمُ . وقد تقَدَّم حديثُ أبى هريرةَ[7] [٣/ ٥٥١و] مِن جميعِ طُرُقِه فى قتالِ التُّرْكِ ، وقد وقَع ذلك كما أخْبَر به سواءً بسواءٍ ، وسيقَعُ أيضًا .

---

(١) البخارى (٤٨٩٧، ٤٨٩٨) ، ومسلم (٢٥٤٦/٢٣١) .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٣٣٤.

(٣) فى النسخ : « عوف » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٦١٦.

(٤) المسند (٥/٣٥٧) ، ودلائل النبوة ٦/ ٣٣٢، ٣٣٣، والكامل ١/ ٤٠١، ٤٠٢، والطبرانى فى الكبير ٢/٣(١١٥١) ، والأوسط (٨٢١١) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) انظر أطراف المسند ١/ ٦٢١، ٦٢٢، والعلل المتناهية ١/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٧) كذا قال المصنف ، ولم يتقدم حديث أبى هريرة فى قتال الترك ، بل سيأتى بطرقه فى صفحات ٢١٩ - ٢٢٢ . وانظر حاشية (٤ - ٤) فى صفحة ٢١٩.

وفى «صحيحِ البخارىِّ»[1] مِن حديثِ شعبةَ، عن فُراتٍ القزازِ، عن أبى حازمٍ، عن أبى هريرةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ، كلما هلَك نبىٌّ خلَفه نبىٌّ، وإنه لا نبىَّ بعدى، وإنه سيكونُ خلفاءُ فيَكْثُرون». قالوا: فما تأمُرُنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «فُوا ببَيْعةِ الأولِ فالأولِ، وأعْطُوهم حقَّهم، فإن اللَّهَ سائلُهم عما اسْتَرْعاهم».

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[2] مِن حديثِ أبى رافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما كان نبىٌّ إلا كان له حَواريُّون يَهْدون بهَدْيِه، ويسْتَنُّون بِسُنتِه، ثم يكونُ مِن بعدِهم خُلوفٌ يقولون ما لا يَفْعَلون، ويعْمَلون ما يُنْكِرون[3]».

وروَى الحافظُ البيهقىُّ[4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ محمدِ بنِ حاطبٍ الجُمَحِىِّ، عن سُهَيلِ[5] بنِ أبى صالحٍ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يكونُ بعدَ الأنبياءِ خُلَفاءُ يعْمَلون بكتابِ اللَّهِ، ويَعْدِلون فى عبادِ[6] اللَّهِ، ثم يكونُ مِن بعدِ الخُلَفاءِ ملوكٌ يأخُذون بالثأرِ، ويقْتُلون الرجالَ، ويصْطَفون الأموالَ، فمُغَيِّرٌ بيدِه، ومُغَيِّرٌ بلسانِه، [7]ومُغَيِّرٌ بقلبِه[7]، وليس وراءَ ذلك مِن الإيمانِ شىءٌ».

---

(١) البخارى (٣٤٥٥).

(٢) مسلم (٥٠)، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٣٩، واللفظ له.

(٣) فى الدلائل: «تنكرون».

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥) فى م: «إسماعيل». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٢٣، ١٤/ ٣٩٦.

(٦) فى م: «عبادة».

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : ثنا جَريرُ بنُ حازمٍ عن ليثٍ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ سابطٍ ، عن أبى ثَعْلبةَ الخُشَنىِّ ، عن أبى عُبيدةَ بنِ الجَرَّاحِ ومُعاذِ بنِ جبلٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إن اللَّهَ بدَأ هذا الأمرَ نُبُوَّةً ورحمةً ، وكائنًا خِلافةً ورحمةً ، وكائنًا مُلْكًا عَضُوضًا ، وكائنًا عِزَّةً[2] وجبريَّةً وفسادًا فى الأُمَّةِ ، يَسْتَحِلُّون الفُروجَ والخمورَ والحريرَ ، ويُنْصَرون على ذلك ، ويُرْزَقون أبدًا حتى يَلْقَوُا اللَّهَ عزَّ وجلَّ » . وهذا كلُّه واقعٌ .

وفى الحديثِ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والترمذىُّ وحسَّنه ، والنسائىُّ[3] مِن حديثِ سعيدِ بنِ جُمْهانَ[4] ، عن سَفينةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الخلافةُ بعدى ثلاثون سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا » . وفى روايةٍ : « ثم يُؤْتِى اللَّهُ ملكَه مَن يشاءُ » . وهكذا وقَع سواءً ؛ فإن أبا بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، كانت خلافتُه سنتين وأربعةَ أشهرٍ إلَّا عشْرَ ليالٍ ، وكانت خلافةُ عمرَ عشْرَ سنين وستةَ أشْهرٍ [٣/ ٥٥١ظ] وأربعةَ أيامٍ ، وخلافةُ عثمانَ اثنتَىْ عشْرةَ سنةً إلا اثنَىْ عشَرَ يومًا ، وكانت خلافةُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ خمسَ سنين إلا شهرين . قلتُ : وتكميلُ الثلاثين بخلافةِ الحسنِ بنِ علىٍّ نحوًا مِن ستةِ أشهرٍ ، حتى نزَل عنها لمعاويةَ عامَ أربعين مِن الهجرةِ ، كما سيأتى بيانُه وتفصيلُه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : حدَّثنى محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، ثنا مُؤَمَّلٌ ، ثنا حمادُ

---

(١) مسند أبى داود (٢٢٨) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٤٠، من طريق أبى داود به ، واللفظ له .

(٢) العزة هنا بمعنى القهر والبطش .

(٣) المسند ٥/ ٢٢٠، ٢٢١، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذى (٢٢٢٦)، والنسائى فى الكبرى (٨١٥٥) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٨٢) .

(٤) فى م : « جهمان » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٤٢، من طريق يعقوب بن سفيان به .

ابنُ سَلَمةَ عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بَكْرةَ، [1]عن أبيه[1] قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «خِلافةُ نُبُوَّةٍ ثلاثون عامًا ثم يُؤْتِى اللَّهُ المُلْكَ[2] مَن يَشاءُ». فقال معاويةُ: رضِينا بالمُلْكِ. وهذا الحديثُ فيه ردٌّ صَريحٌ على الرَّوافِضِ المُنْكِرين لخلافةِ الثلاثةِ، وعلى النَّواصبِ مِن بنى أُمَيَّةَ ومَن تبِعهم مِن أهلِ الشامِ فى إنكارِ خِلافةِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ، فإن قيل: فما وجهُ[3] الجمعِ بينَ حديثِ سَفينةَ هذا وبينَ حديثِ جابرِ بنِ سَمُرةَ المتقدِّمِ[4] فى «صحيحِ مسلمٍ»: «لا يَزالُ هذا الدينُ قائمًا ما كان فى الناسِ اثنا عشَرَ خليفةً كلُّهم مِن قريشٍ»؟ فالجوابُ: إن مِن الناسِ مَن قال: إن الدِّينَ لم يزَلْ قائمًا حتى ولِىَ اثنا عشَرَ خليفةً، ثم وقَع تَخْبيطٌ بعدَهم فى زمانِ بنى أميَّةَ. وقال آخرون: بل هذا الحديثُ فيه بِشارةٌ بوجودِ اثْنَىْ عشَرَ خليفةً عادلًا مِن قريشٍ، وإن لم يُوجَدوا على الوِلاءِ[5]، وإنما اتَّفق وقوعُ [6]الخلافةِ المتتابعةِ[6] بعدَ النبوةِ فى ثلاثين سنةً، ثم قد كان بعدَ ذلك خلفاءُ راشدون، فمِنهم[7] عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ الأُمَوىُّ، رضِىَ اللَّهُ عنه، وقد نصَّ على خلافتِه وعدلِه وكونِه مِن الخلفاءِ الراشدين غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ، حتى قال أحمدُ بنُ حنبلٍ، رضِىَ اللَّهُ عنه: ليس قولُ أحدٍ مِن التابعين حُجَّةً إلا قولُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ. ومنهم مَن ذكَر مِن هؤلاء المُهْتَدِىَ[8] بأمْرِ اللَّهِ العباسىَّ، والمَهْدىَّ المُبَشَّرَ بوجودِه فى آخرِ الزمانِ منهم أيضًا، بالنصِّ

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٥.

(٢) فى م، ص: «ملكه».

(٣) سقط من: الأصل، ١١١.

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٣.

(٥) الوِلاء: المتابعة. قال صاحب اللسان: ووالَى بين الأمر مُوالاةً ووِلاءً: تابع. اللسان (و ل ى).

(٦ - ٦) فى الأصل: «المبايعة».

(٧) فى م، ص: «فيهم».

(٨) فى م: «المهدى».

على كونِه مِن أهلِ البيتِ ، واسمُه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وليس بالمُنْتَظَرِ فى سِرْدابِ سَامَرَّاءَ ؛ فإنَّ ذاك ليس بموجودٍ بالكليةِ ، وإنما ينْتَظِرُه الجَهَلةُ مِن الرَّوافضِ . وقد تقَدَّم فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ الزُّهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لقد هممْتُ أن أدْعُوَ أباكِ وأخاكِ وأكْتُبَ كتابًا ؛ لئلا يقولَ قائلٌ أو يتَمَنَّى مُتَمَنٍّ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يأْبَى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا [٣/ ٥٥٢و] بكرٍ » . وهكذا وقَع ، فإن اللَّهَ ولَّاه ، وبايَعه[2] المؤمنون قاطبةً ، كما تقَدَّم .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[3] أن امرأةً قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أرأيْتَ إن جئتُ فلم أجِدْكَ ؟- كأنها تُعَرِّضُ بالموتِ - فقال : « إن لم تجِدينى فأْتى أبا بكرٍ » .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[4] مِن حديثِ ابنِ عمرَ وأبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بينا أنا نائمٌ رأيْتُنى على قَليبٍ ، فنزَعْتُ منها ما شاء اللَّهُ ، ثم أخَذها ابنُ أبى قُحافةَ فنزَع منها ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْن ، وفى نَزْعِه ضعفٌ واللَّهُ يَغْفِرُ له ، ثم أخَذها ابنُ الخطابِ فاسْتَحالت غَرْبًا ، فلم أرَ عَبْقَرِيًّا مِن الناسِ يَفْرِى فَرِيَّه ، حتى ضرَب الناسُ بعَطَنٍ » . قال الشافعىُّ[5] ، رحِمه اللَّهُ : رؤيا الأنبياءِ وَحْىٌ ، وقولُه : « وفى نَزْعِه ضعفٌ » . قِصَرُ مُدَّتِه ، وعَجلةُ موتِه ، واشْتغالُه بحربِ أهلِ الرِّدَّةِ عن الفتحِ الذى ناله عمرُ بنُ الخطابِ فى طولِ مُدَّتِه . قلتُ : وهذا فيه البِشارةُ

---

(١) لم يتقدم هذا الحديث من هذا الوجه ، بل الذى تقدم هو حديث ابن أبى مليكة والقاسم بن محمد عن عائشة ، وقد تقدم فى ٨/ ٣٧. أما حديث الزهرى عن عروة عن عائشة فهو فى صحيح مسلم فقط (٢٣٨٧) . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٥١.

(٢) فى الأصل ، ١١١: « تابعه » .

(٣) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٧.

(٤) البخارى (٣٦٣٣، ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠) ، ومسلم (٢٣٩٣) ، من حديث ابن عمر ، والبخارى (٣٦٣٣ معلقًا ، ٧٠٢١، ٧٠٢٢) ، ومسلم (٢٣٩٢) ، من حديث أبى هريرة .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٤٥ بإسناده عن الشافعى .

بولايتِهما على الناسِ ، فوقَع كما أخْبَر سواءً ، ولهذا جاء فى الحديثِ الآخَرِ الذى رواه أحمدُ والترمذىُّ وابنُ ماجه وابنُ حِبَّانَ ، مِن حديثِ رِبْعىِّ بنِ حِراشٍ[1] ، عن حذيفةَ بنِ اليَمانِ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنه قال : « اقْتَدوا باللَّذَين مِن بعدى ؛ أبى بكرٍ وعمرَ » . رضىَ اللَّهُ عنهما ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ . وأخْرَجه الترمذىُّ[2] مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ . وتقَدَّم[3] مِن طريقِ الزهرىِّ ، عن رجلٍ ، عن أبى ذَرٍّ حديثُ تَسْبيحِ الحَصَا فى يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم يدِ أبى بكرٍ ، ثم يد عمرَ ، ثم عثمانَ . وقولُه عليه الصلاةُ والسلامُ : « هذه خلافةُ النبوةِ » .

وفى الصحيح[4] عن أبى موسى قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ حائطًا فدلَّى رِجلَيْه فى القُفِّ[5] ، فقلتُ : لأكونَنَّ اليومَ بَوَّابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجلَسْتُ خلفَ البابِ ، فجاء رجلٌ فقال : افْتَحْ . فقلتُ : مَن أنت ؟ قال : أبو بكرٍ . فأخْبَرْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « افْتَحْ له وبَشِّرْه بالجنةِ » . ثم جاء عمرُ فقال كذلك ، ثم جاء عثمانُ فقال : « ائْذَنْ له وبَشِّرْه بالجنةِ على بَلْوَى تُصيبُه » . فدخَل وهو يقولُ : اللَّهُ المستعانُ .

وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[6] مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : صعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ،

---

(١) المسند ٥/ ٣٩٩، والترمذى (٣٦٦٢، ٣٦٦٣) ، وابن ماجه (٩٧) ، والإحسان (٦٩٠٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٩٥، ٢٨٩٦) .

(٢) سقط من : م ، ص . والحديث عند الترمذى (٣٨٠٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٩٢) .

(٣) تقدم فى ٨/٦٩٤ - ٦٩٦.

(٤) البخارى (٣٦٩٣) ، ومسلم (٢٤٠٣) .

(٥) القُف : قُف البئر : هو الدَّكَّة التى تُجعل حولها . وأصل القُف : ما غلظ من الأرض وارتفع ، أو هو من القَّف : اليابس ؛ لأن ما ارتفع حول البئر يكون يابسا فى الغالب . النهاية ٤/ ٩١.

(٦) البخارى (٣٦٧٥، ٣٦٨٦، ٣٦٩٧) .

فرجَف بهم الجبلُ، فضرَبه رسولُ اللَّهِ ﷺ برجلِه وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ[1]، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان».

[٣/٥٥٢ظ] وقال عبدُ الرزاقِ[2]: أنا مَعْمَرٌ، عن أبى حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ، أن حِراءَ ارْتَجَّ وعليه النبىُّ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فقال النبىُّ ﷺ: «اثْبُتْ، ما عليك إلا نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهيدان». قال مَعْمرٌ: قد سمِعْتُ قَتادةَ يُحَدِّثُ[3] عن النبىِّ ﷺ مثلَه.

وقد روَى مسلمٌ[4] عن قُتَيبةَ، عن الدَّراوَرْدىِّ، عن سُهَيلٍ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان على حِرَاءَ هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ وطَلْحةُ والزبيرُ، فتحَرَّكَتِ الصخرةُ، فقال النبىُّ ﷺ: «اهْدَأْ، فما عليك إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيدٌ». وهذا مِن دلائلِ النبوةِ؛ فإن هؤلاء كلَّهم أصابوا الشهادةَ، واخْتُصَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأعْلى مَراتبِ الرسالةِ [5]والنُّبُوَّةِ[5]، واخْتُص أبو بكرٍ بأعْلَى مَقاماتِ الصِّدِّيقيَّةِ. وقد ثبَت فى الصَّحيحِ الشهادةُ للعشَرةِ بالجنةِ بل لجميعِ مَن شهِد بيعةَ الرِّضوانِ عامَ الحدَيبيةِ، وكانوا ألفًا وأربعَمائةٍ، وقيل: وثلاثَمائةٍ. وقيل: وخمسَمائةٍ. فكلُّهم اسْتَمر على السدادِ والاستقامةِ حتى مات، رضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين. وثبَت فى «صحيحِ البخارىِّ»[6] البشارةُ

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح البخارى.

(٢) المصنف (٢٠٤٠١). كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٥١، من طريق عبد الرزاق به، واللفظ له.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من المصنف والدلائل.

(٤) مسلم (٢٤١٧/٥٠).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) البخارى (٦٥٤١).

لعُكَّاشةَ[1] بأنه مِن أهلِ الجنةِ ، فقُتِل شهيدًا يومَ اليَمامةِ .

وفى « الصحيحَيْن »[2] مِن حديثِ يونسَ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَدْخُلُ الجنةَ مِن أمتى سبعون ألفًا بغيرِ حسابٍ ، تُضِىءُ وجوهُهم إضاءةَ القمرِ ليلةَ البدرِ » . فقام عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ الأسَدىُّ يَجُرُّ[3] نَمِرَةً عليه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يجْعَلَنى مِنهم . فقال النبىُّ ﷺ : « اللهم اجْعَلْه مِنهم » . ثم قام رجلٌ مِن الأنصارِ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يجْعَلَنى مِنهم . فقال : « سبَقَك بها عُكَّاشةُ » . وهذا الحديثُ قد رُوِىَ مِن طرقٍ متعددةٍ تُفيدُ القَطْعَ ، وسنُورِدُه فى بابِ صفةِ الجنةِ ، وسنذْكُرُ فى قتالِ أهلِ الرِّدَّةِ أن طُلَيْحةَ[4] الأسَدىَّ قتَل عُكَّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ شهيدًا ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، ثم رجَع طُلَيْحةُ[4] الأسَدىُّ عما كان يَدَّعيه مِن النبوةِ وتاب إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وقدِم على أبى بكرٍ الصديقِ ، رضىَ اللَّهُ عنه ، واعْتَمَر وحسُن إسلامُه .

وقد ثَبَت فى « الصحيحَيْن »[5] مِن حديثِ أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بينا أنا نائمٌ رأيْتُ كأنه وُضِع فى يدَىَّ سِوَارَان ففَظِعْتُهما[6] ، فأُوحِىَ إلىَّ فى المَنامِ أن انْفُخْهما ، فنفَخْتُهما فطارا ، فأوَّلْتُهما كذَّابيْن [٣/ ٥٥٣و] يَخْرُجان ؛ صاحبُ صَنْعاءَ ، وصاحبُ اليَمامةِ » . وقد تقَدَّم فى الوُفودِ[7] أنه ، عليه الصلاةُ

---

(١) سقط من : الأصل ، ١١١ ، ص . ولم يقتل عكاشة يوم اليمامة ، بل قتل شهيدا يوم بزاخة ، وهو ما سيذكره المصنف فى بقية السياق وفيما سيأتى صفحة ٥٠٠ ، ٥٠١ ، وانظر تاريخ خليفة ١/ ٨١ ، ٨٢ ، وأسد الغابة ٤/ ٦٨ ، ومعجم البلدان ١/ ٦٠١ .

(٢) البخارى (٦٥٤٢) ، ومسلم (٣٦٩/٢١٦) .

(٣) فى الصحيحين : « يرفع » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « طلحة » .

(٥) البخارى (٣٦٢١ ، ٤٣٧٤ ، ٤٣٧٥ ، ٧٠٣٧) ، ومسلم (٢٢٧٤) .

(٦) فى ١١١ ، م ، ص : « فقطعتهما » . وانظر ما تقدم فى ٧/ ٢٥٦ .

(٧) تقدم فى ٧/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

والسلامُ ، قال لمُسَيْلِمةَ حينَ قدِم مع قومِه وجعَل يقولُ : إن جعَل لى محمدٌ الأمْرَ مِن بعدِه اتَّبَعْتُه . فوقَف عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال له : « واللَّهِ لو سألْتَنى هذا العَسيبَ ما أعْطَيْتُكه ، ولئِن أدْبَرْتَ ليَعْقِرَنَّك اللَّهُ ، وإنى لَأُراك الذى أُرِيتُ[1] فيه ما أُرِيتُ » . وهكذا وقَع ؛ عقَره اللَّهُ وأهانه وكسَره وغلَبه[2] يومَ اليَمامةِ ، كما قَتَل الأسْودَ العَنْسِىَّ بصَنْعاءَ ، على ما سنُورِدُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

ورَوَى البيهقىُّ[3] مِن حديثِ مُباركِ بنِ فَضالةَ ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ قال : لَقِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُسَيْلِمةَ ، فقال له مُسَيْلِمةُ : أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ فقال النبىُّ ﷺ : « آمَنْتُ باللَّهِ ورُسُلِه[4] » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن هذا رجلٌ أُخِّر لهلَكةِ قومِه » .

وقد ثبَت فى الحديثِ الآخرِ[5] أن مُسَيْلِمةَ كتَب بعدَ ذلك إلى النبىِّ ﷺ : [6]بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ[6] ؛ مِن مُسَيْلِمةَ رسولِ اللَّهِ إلى محمدٍ رسولِ اللَّهِ ، سلامٌ عليك ؛ أما بعدُ ، فإنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمْرِ معك[7] ؛ [8]فلك المَدَرُ ولىَ الوَبَرُ[8] ، ولكنَّ قريشًا قومٌ يَعْتدون . فكتَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ؛ مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ ، سلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى ؛ أما بعدُ ، فإن الأرضَ للَّهِ يُورِثُها مَن يَشاءُ مِن عبادِه ، والعاقبةُ للمُتَّقِين » .

---

(١) فى الأصل : « رأيت » .
(٢) فى الأصل ، ١١١ : « غلب » .
(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٥٩.
(٤) فى الأصل : « رسوله » ، وفى م ، ص : « برسله » .
(٥) تقدم تخريجه فى ٧/ ٢٥٩. وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ١٤٦.
(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى تاريخ الطبرى ولا فيما تقدم .
(٧) فى م ، ص : « بعدك » .
(٨ - ٨) فى تاريخ الطبرى : « وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض » .

وقد جعَل اللَّهُ العاقبةَ لمحمدٍ ﷺ وأصحابِه ، رضىَ اللَّهُ عنهم ؛ لأنهم هم المتقون ، وهم العادلون المؤمنون ، لا مَن عَدَاهم . وقد ورَدت الأحاديثُ المرويَّةُ مِن طرقٍ عنه ﷺ فى الإخبارِ عن الرِّدَّةِ التى وقَعت فى زمنِ الصِّدِّيقِ ، فقاتلهم الصِّدِّيقُ بالجنودِ المحمديةِ حتى رجَعوا إلى دينِ اللَّهِ أفْواجًا ، وعَذُب ماءُ الإيمانِ كما كان ، بعدَما صار أُجاجًا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ الآية [المائدة : ٥٤] . قال المفسرون[(١)] : هم أبو بكرٍ وأصحابُه ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[(٢)] مِن حديثِ عامرٍ الشعبىِّ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ فى قصةِ مُسارَّةِ النبىِّ ﷺ ابنتَه فاطمةَ وإخبارِه إيَّاها بأن جبريلَ كان يُعارِضُه بالقرآنِ فى كلِّ عامٍ مرةً ، « وأنه عارَضنى العامَ مرتَيْن ، وما أرَى ذلك إلا لاقترابِ أجَلى » . فبكَت ، ثم سارَّها فأخْبَرها بأنها سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ ، وأنها [٣/٥٥٣ظ] أولُ أهلِه لُحوقًا به ، فكان كما أخبر . قال البيهقىُّ[(٣)] : واخْتَلفوا فى مُكْثِ فاطمةَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقيل : شهران . وقيل : ثلاثةٌ . وقيل : ستةٌ . وقيل : ثمانيةٌ . قال : وأصحُّ الرواياتِ روايةُ الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : مكَثت فاطمةُ بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ستةَ أشهرٍ . أخرجاه فى « الصحيحَيْن »[(٤)](*) .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٦/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) البخارى (٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم (٩٨، ٩٩/٢٤٥٠).

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٦٥.

(٤) البخارى (٣٠٩٣، ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩).

(*) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث والرابع من المخطوطة الأحمدية (الأصل)، وكذلك تنتهى النسخة السابعة من الجزء السادس من مخطوطة أحمد الثالث المشار إليها بـ (١١).

[٥/١ظ] (*) ومِن كتابِ دَلائلِ النبوةِ فى بابِ إخبارِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، عن الغُيوبِ المستقبَلةِ

فمِن ذلك ما ثبَت فى «الصحيحَيْن»[(١)] مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن أبيه، عن أبى سَلَمةَ، عن عائشةَ قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنه قد كان فى الأممِ مُحَدَّثون[(٢)]، فإن يكُنْ فى أمتى أحدٌ فعمرُ بنُ الخطابِ».

وقد قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[(٣)]: ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى، أنا أبو إسرائيلَ، كوفىٌّ، عن الوليدِ بنِ العَيْزارِ، عن عمرِو[(٤)] بنِ مَيْمونٍ، عن علىٍّ، رضِى اللَّهُ عنه، قال: ما كنا نُنْكِرُ ونحن مُتَوافرون - أصحابَ محمدٍ ﷺ - أن السَّكينةَ تَنْطِقُ على لسانِ عمرَ. قال البيهقىُّ: تابعه زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ والشعبىُّ عن علىٍّ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[(٥)]: ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، ثنا شعبةُ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ قال: كنا نُحَدِّثُ[(٦)] أن عمرَ بنَ الخطابِ يَنْطِقُ على لسانِ مَلَكٍ. وقد ذكَرْنا فى «سيرةِ عمرَ بنِ الخطابِ»، رضى اللَّهُ عنه، أشياءَ كثيرةً، مِن مُكاشَفاتِه وما كان يُخْبِرُ به عن[(٧)] المُغَيَّباتِ، كقصةِ ساريةَ بنِ زُنَيْمٍ،

(*) من هنا بداية الجزء الخامس من النسخة الأحمدية (الأصل).

(١) البخارى (٣٤٦٩، ٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨).

(٢) محدَّثون بتشديد الدال مفتوحة، وهم الملهمون، كأنهم حُدِّثوا بشىء فقالوه. النهاية ١/٣٥٠.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٦٩، ٣٧٠، من طريق يعقوب به.

(٤) فى م: «عمر». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٨.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٧٠، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٦) فى م، ص: «نتحدث».

(٧) فى م: «من».

وما شاكَلها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ومِن ذلك ما رواه البخاريُّ[1] مِن حديثِ فِراسٍ ، عن الشعبيِّ ، عن مَسْروقٍ ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، أن نساءَ النبيِّ ﷺ اجْتَمَعْن عندَه فقلْن يومًا : يا رسولَ اللَّهِ ، أيُّنا أسْرَعُ بك لُحوقًا ؟ فقال : « أطْوَلُكن يدًا » . وكانت سَوْدةُ أطْوَلَنا ذِراعًا ، فكانت أسْرَعَنا به لُحوقًا . هكذا وقَع فى « الصحيحِ » عندَ البخاريِّ أنها سَوْدةُ ، وقد رَواه يونسُ بنُ بُكيرٍ[2] ، عن زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن الشعبيِّ ، فذكَر الحديثَ مُرْسَلًا ، وقال : فلما تُوُفِّيَت زينبُ علِمْنَ أنها كانت أطْوَلَهن يدًا فى الخيرِ والصدقةِ . والذى رَواه مسلمٌ[3] ، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ ، عن الفضلِ بنِ موسى ، عن طلحةَ بنِ يحيى بنِ طلحةَ ، عن عائشةَ بنتِ طلحةَ ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ، رضى اللَّهُ عنها ، فذكَرت الحديثَ ، وفيه : فكانت زينبُ أطْوَلَنا يدًا ؛ لأنها كانت تَعْمَلُ بيدِها وتصَدَّقُ . وهذا هو المشهورُ عن علماءِ التاريخِ أن زينبَ بنتَ جَحْشٍ كانت أولَ أزواجِ النبيِّ ﷺ وفاةً . قال الواقدىُّ[4] : تُوُفِّيت سنةَ عشرين ، وصلَّى عليها عمرُ بنُ الخطابِ . قلتُ : وأما سَوْدةُ فإنها تُوُفِّيت فى آخرِ إمارةِ عمرَ بنِ الخطابِ أيضًا . قاله ابنُ أبى خَيْثَمةَ[5] .

ومِن ذلك ما رواه مسلمٌ مِن حديثِ أُسَيْرِ[6] بنِ جابرٍ ، عن عمرَ بنِ الخطابِ فى قصةِ أُوَيْسٍ القَرَنىِّ ، وإخبارِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، عنه بأنه خيرُ التابعين

---

(١) البخارى (١٤٢٠) بنحوه .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٧٤، من طريق يونس بن بكير به .

(٣) مسلم (٢٤٥٢) .

(٤) طبقات ابن سعد ١١٣/٨ .

(٥) انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٠١، والإصابة ٧/ ٧٢١.

(٦) فى م : « أسيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٠٢. والحديث فى مسلم (٢٥٤٢) .

وأنه كان به برَصٌ ، فدَعا اللَّهَ فأذْهَبه عنه ، إلا موضعًا قَدْرَ الدرهمِ مِن جسدِه ، وأنه بارٌّ بأمِّه ، وأمْرِه لعمرَ بنِ الخطابِ أن يستَغْفِرَ له ، وقد وُجِد هذا الرجلُ فى زمانِ عمرَ بنِ الخطابِ على الصفةِ والنعتِ الذى ذكَره فى الحديثِ سواءً . وقد ذكَرْتُ طرقَ هذا الحديثِ وألفاظَه والكلامَ عليه مُطَوَّلًا [٥/ ٢و] فى الذى جمَعْتُه مِن « مسندِ عمرَ بنِ الخطابِ » ، رضى اللَّهُ عنه ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ومِن ذلك ما رواه أبو داودَ[(١)] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شيبةَ ، ثنا وَكيعٌ ، ثنا الوليدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جُمَيْعٍ ، [(٢)]حدثتنى جَدَّتى[(٢)] وعبدُ الرحمنِ بنُ خَلَّادٍ الأنصاريُّ ، عن أمِّ ورقةَ بنتِ نوفلٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما غزا بدرًا قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لى فى الغزوِ معك أُمَرِّضُ مَرْضاكم ، لعل اللَّهَ يَرْزُقُنى الشهادةَ . فقال لها : « قِرِّى فى بيتِك فإن اللَّهَ يرزُقُك الشهادةَ » . فكانت تُسَمى الشهيدةَ ، وكانت قد قرَأت القرآنَ ، فاسْتَأْذَنت النبىَّ ﷺ أن تَتَّخِذَ فى بيتِها[(٣)] مؤذِّنًا ، فأَذِن[(٤)] لها ، وكانت دَبَّرت غلامًا لها وجاريةً[(٥)] ، فقاما إليها بالليلِ ، فغمَّاها [(٦)]فى قَطيفةٍ[(٦)] لها حتى ماتت وذهَبا ، فأصْبَح عمرُ ، فقام فى الناسِ ، وقال : مَن عندَه مِن هذين علمٌ أو مَن رآهما فلْيَجِئْ بهما - يعنى فجِىء بهما -

---

(١) أبو داود (٥٩١) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٨٢، من طريق أبى داود به ، واللفظ له . حسن (صحيح سنن أبى داود ٥٥٢) .

(٢ - ٢) فى النسخ : « حدثنى جرير بن عبد اللَّه » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تحفة الأشراف ١٣/ ١١٠.

(٣) فى مصدرى التخريج : « دارها » .

(٤) فى النسخ : « يؤذن » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) دبرت : أى علَّقت عتقهما على موتها ؛ من التدبير وهو أن يقول السيد لعبده : أنت حر بعد موتى . أو : إذا مت فأنت حر . عون المعبود ١/ ٢٣٠.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « بقطيفة » .

فأمَر بهما فصُلِبا ، وكانا أولَ مصْلوبَيْنِ بالمدينةِ . وقد رَواه البيهقىُّ[1] مِن حديثِ أبى نُعيمٍ ، ثنا الوليدُ بنُ جُمَيْعٍ ، حدَّثتْنى جدَّتى ، عن أمِّ وَرَقةَ بنتِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يزورُها ويُسَمِّيها الشهيدةَ . فذكَر الحديثَ وفى آخرِه : فقال عمرُ : صدَق رسولُ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « انطَلِقوا بنا نزورُ الشَّهيدةَ » .

ومِن ذلك ما رواه البخارىُّ[2] مِن حديثِ أبى إدريسَ الخَوْلانىِّ ، عن عوفِ ابنِ مالكٍ فى حديثِه عنه فى الآياتِ السِّتِّ بعدَ موتِه ، وفيه : « ثم مُوتانٌ يأْخُذُكم[3] كقُعاصِ[4] الغنمِ » . وهذا قد وقَع فى أيامِ عمرَ ، وهو طاعونُ عَمَواسَ[5] سنةَ ثمانىَ عشْرةَ ، ومات بسببِه جماعاتٌ مِن ساداتِ الصَّحابةِ ، منهم ؛ مُعاذ بنُ جبلٍ ، وأبو عُبَيدةَ ، ويَزيدُ بنُ أبى سفيانَ ، وشُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ ، وأبو جَنْدلِ [6]بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو[6] ، وأبوه ، والفضلُ بنُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجْمعين .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا وَكيعٌ ، ثنا النَّهَّاسُ بنُ قَهْمٍ ، ثنا شدادٌ أبو

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٣٨١.

(٢) البخارى (٣١٧٦) .

(٣) فى م : « بأحدكم » . وفى البخارى : « يأخذ فيكم » .

(٤) فى الأصل : « كقعاع » ، وفى م : « كقصاص » ، وفى ص : « كعقاص » . والمثبت من البخارى . والقعاص : داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت . النهاية ٤/ ٨٨.

(٥) قال أبو عبيد : عمواس : بفتح أوله وثانيه . وقال صاحب التاج : وهو بسكون الميم ، وقال ياقوت : رواه الزمخشرى بكسر أوله وسكون الثانى ... وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس . انظر معجم ما استعجم ٣/ ٩٧١، ومعجم البلدان ٣/ ٧٢٩، وتاج العروس (عموس) .

(٦ - ٦) فى م : « سهل بن عمر » ، وفى ص : « سهل بن عمرو » . وانظر الإصابة ٣/ ٢١٢.

(٧) المسند ٥/ ٢٢٨.

عمارٍ عن معاذِ بنِ جبلٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ستٌّ مِن أشراطِ الساعةِ ؛ مَوْتِى ، وفتْحُ بيتِ المقدسِ ، وموتٌ يأخُذُ فى الناسِ كقُعَاصِ[1] الغنمِ ، وفتنةٌ يَدْخُلُ حَرْبُها[2] بيتَ كلِّ مسلمٍ ، وأن يُعْطَى الرجلُ ألفَ دينارٍ فيَسْخَطَها ، وأن يغدُرَ[3] الرومُ فيَسِيرون [4]إليكم بثمانين[4] بَنْدًا[5] ، تحتَ كلِّ بَنْدٍ اثنا عشَرَ ألفًا » .

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ[6] : أنا أبو زكريا بنُ أبى إسحاقَ ، ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا بحرُ بنُ نصرٍ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، أخْبَرنى ابنُ لَهيعةَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَيَّانَ ، أنه سمِع سليمانَ بنَ موسى يذْكُرُ أن الطاعونَ وقَع بالناسِ يومَ جسرِ عموسةَ ، فقام عمرُو بنُ العاصِ فقال : يا أيُّها الناسُ ، إنما هذا الوجَعُ رِجْسٌ فتنَحَّوا عنه . فقام شُرَحْبِيلُ ابنُ حَسَنةَ فقال : يا أيُّها الناسُ ، إنى قد سمِعْتُ قولَ صاحبِكم ، وإنى واللَّهِ لقد أسْلَمْتُ وصلَّيْتُ وإن عَمْرًا لَأَضَلُّ مِن بعيرِ أهلِه ، وإنما هو بَلاءٌ أنْزَله اللَّهُ ، عز وجل ، [٥/ ٢ظ] فاصْبِروا . فقام مُعاذُ بنُ جبلٍ فقال : يا أيُّها الناسُ ، إنى قد سمِعْتُ قولَ صاحبَيْكم هذين ، وإن هذا الطاعونَ رحمةٌ بكم ، ودَعوةُ نبيِّكم ﷺ ، وإنى قد سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنكم ستَقْدَمون الشامَ فتنْزِلون أرضًا يقالُ لها : أرضُ[7] عموسةَ . فيخْرُجُ بكم فيها خُرْجانٌ له ذُبابٌ كذبابِ الدُّمَّلِ ، يسْتَشْهِدُ اللَّهُ به أنفسَكم وذَرارِيَّكم ، ويُزَكِّى به

---

(١) فى م : « كقصاص » ، وفى ص : « كمقاص » .

(٢) فى النسخ : « حريمها » . والمثبت من المسند .

(٣) فى م : « يغزو » .

(٤ - ٤) فى م : « إليه بثمانين » . وفى المسند : « فى ثمانين » .

(٥) البند : العَلَم الكبير وجمعه بنود . النهاية ١/ ١٥٧ .

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٣٨٥ .

(٧) فى الدلائل : « جسر » .

أموالكم » . اللهم إن كنتَ تعْلَمُ أنى قد سمِعْتُ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فارْزُقْ معاذًا وآلَ معاذٍ منه الحظَّ الأوْفَى ، ولا تُعافِه منه . قال : فطُعِن فى السَّبَّابةِ فجعَل ينْظُرُ إليها ويقولُ : اللهم بارِكْ فيها ، فإنك إذا بارَكْتَ فى الصَّغيرِ كان كبيرًا . ثم طُعِن ابنُه فدخَل عليه فقال : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤] . فقال : ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[(١)] مِن حديثِ الأعْمشِ وجامعِ بنِ أبى راشدٍ ، عن شَقيقِ بنِ سَلَمةَ ، عن حذيفةَ قال : كنا جُلوسًا عندَ عمرَ فقال : أيُّكم يحْفَظُ حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الفتنةِ ؟ قلتُ : أنا . قال : هاتِ إنك لجَرِىءٌ . فقلتُ[(٢)] : فتنةُ الرجلِ فى أهلِه ومالِه وولدِه وجارِه ، يُكَفِّرُها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عن المنكرِ . فقال : ليس هذا أعنى ، إنما أعنى التى تَموجُ مَوْجَ البحرِ . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إن بينَك وبينَها بابًا مُغْلَقًا . قال : وَيْحَك ، [(٣)]أيُفْتَحُ البابُ[(٣)] أم يُكْسَرُ ؟ قلتُ : بل يُكْسَرُ . قال : إذًا لا يُغْلَقَ أبدًا . قلتُ : أجَلْ . فقلنا لحذيفةَ : فكان عمرُ يَعْلَمُ مَن البابُ ؟ قال : نعم ، إنى حدَّثْتُه حديثًا ليس بالأغاليطِ . قال : فهِبْنا أن نسألَ حذيفةَ مَن البابُ ، فقلنا لمسروقٍ فسأله ، فقال[(٤)] : عمرُ . وهكذا وقَع مِن بعدِ مقتلِ عمرَ وقَعت الفتنُ فى الناسِ ، وتأكَّد ظهورُها بمقتلِ عثمانَ بنِ عفانَ ، رضى اللَّهُ عنهما .

وقد قال يَعْلَى بنُ عُبيدٍ[(٥)] عن الأعْمشِ ، عن [(٦)]شَقيقٍ ، عن عَزْرَةَ[(٦)] بنِ قيسٍ

---

(١) البخارى (٧٠٩٦) ، ومسلم (٢٦، ٢٧ ، ٠٠٠/١٤٤) فى باب فى الفتنة التى تموج كموج البحر . من كتاب الفتن . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٨٦، من حديث الأعمش به . واللفظ له .

(٢) بعده فى النسخ : « ذكر » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣ - ٣) فى م : « يفتح اللَّه » .

(٤) بعده فى م : « من بالباب ؟ قال » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٨٧، من طريق يعلى بن عبيد به بنحوه .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « سفيان عن عروة » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٨، ٥٤٩.

قال : خطَبَنا خالدُ بنُ الوليدِ فقال : إن أميرَ المؤمنين عمرَ بعَثنى إلى الشامِ ، فحينَ أَلْقى بَوانِيَهُ بَثْنِيَّةً[1] وعَسَلًا أراد أن يُؤْثِرَ بها غيرى ويبْعَثَنى إلى الهندِ . فقال رجلٌ مِن تحتِه : اصْبِرْ أيُّها الأميرُ ، فإن الفتنَ قد ظهَرت . فقال خالدٌ : أمَّا وابنُ الخطابِ حيٌّ فلا ، وإنما ذاك بعدَه .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه قال : أبْصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ على عمرَ ثوبًا[3] فقال : « أجديدٌ ثوبُك أم غَسِيلٌ ؟ » [4]قال : بل غَسيلٌ[4] . قال : « الْبَسْ جديدًا ، وعِشْ حَميدًا ، ومُتْ شَهيدًا » . وأظُنُّه قال : « ويَرْزُقُك اللَّهُ قُرَّةَ عينٍ فى الدنيا والآخرةِ » . وهكذا رواه النسائىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ به[5] ، ثم قال النسائىُّ : هذا حديثٌ مُنْكَرٌ ، أنْكَره يحيى القَطَّانُ على عبدِ الرزاقِ ، وقد رُوِىَ عن الزهريِّ مِن وجهٍ آخرَ مُرْسَلًا . قال حمزةُ بنُ محمدٍ الكِنانىُّ الحافظُ[6] : لا أعْلَمُ أحدًا رواه عن الزهريِّ [٥/٣و] غيرُ مَعْمرٍ ، وما أحْسَبُه بالصحيحِ ، واللَّهُ أعلمُ . قلتُ : رجالُ إسنادِه واتصالُه على شرطِ « الصحيحَيْن » ، وقد قَبِل الشَّيْخان تَفَرُّدَ معْمَرٍ عن الزهريِّ فى غيرِ ما حديثٍ ، ثم قد روَى البزارُ هذا الحديثَ مِن طريقِ جابرٍ الجُعْفىِّ ، وهو ضعيفٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ،

---

(١) بوانيه أى : خيره وما فيه من السعة والنعمة . والبثنية : حنطة منسوبة إلى البَثْنَة ، وهى ناحية من رستاق دمشق ، وقيل غير ذلك . انظر النهاية ١/ ٩٥، ١٦٤.

(٢) المسند ٢/ ٨٨، ٨٩. (إسناده صحيح) .

(٣) بعده فى المسند : « أبيض » .

(٤ - ٤) فى المسند : « فقال لا أدرى ما رد عليه » . والمثبت لفظ رواية النسائى وابن ماجه ، كما سيأتى تخريجه .

(٥) النسائى فى الكبرى (١٠١٤٣) ، وابن ماجه (٣٥٥٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٦٣) .

(٦) ذكر قولَه المزىُّ فى تحفة الأشراف ٥/ ٣٩٧.

مَرْفوعًا مثلَه سواءً[1] ، وقد وقَع ما أخْبَر به فى هذا الحديث ؛ فإنه ، رضِى اللَّهُ عنه ، قُتِل شهيدًا وهو قائمٌ يصلِّى الفجرَ فى مِحْرابِه مِن المسجدِ النبوىِّ ، على صاحبِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ . وقد تقدَّم حديثُ أبى ذرٍّ فى تَسْبيحِ الحصَا فى يدِ أبى بكرٍ ، ثم عمرَ ، ثم عثمانَ ، وقولُه عليه الصلاةُ والسلامُ : « هذه خِلافةُ النبوةِ » .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ[2] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، أنا حَشْرَجُ بنُ نُباتةَ ، عن سعيدِ ابنِ جُمْهانَ[3] ، عن سَفينةَ قال : لما بنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ مسجدَ المدينةِ جاء أبو بكرٍ بحَجَرٍ فوضَعه ، ثم جاء عمرُ بحَجَرٍ فوضَعه ، ثم جاء عثمانُ بحجرٍ فوضَعه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هؤلاء يكونون الخُلفاءَ بعدى » . وقد تقَدَّم فى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَوالةَ[4] قولُه ﷺ : « ثلاثٌ مَن نجَا منهن فقد نَجَا ؛ مَوْتِى ، وقَتْلُ خليفةٍ مصطبِرٍ[5] ، والدَّجَّالُ » . وفى حديثِه الآخَرِ الأمْرُ باتِّباعِ عثمانَ عندَ وقوعِ الفتنةِ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[6] مِن حديثِ سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن شَريكِ بنِ أبى نَمِرٍ[7] ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى موسى قال : توضَّأْتُ فى بيتى ، ثم خرَجْتُ فقلتُ : لأكونَنَّ اليومَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجئتُ المسجدَ فسألْتُ عنه فقالوا : خرَج وتوَجَّه هـٰهنا . فخرَجْتُ فى أَثَرِه حتى جئتُ بئرَ أَرِيسَ ،

---

(١) كشف الأستار (٢٥٠٣) .

(٢) الفتن (٢٥٨) .

(٣) فى م ، ص : « جهمان » ، وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦.

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٧ .

(٥) فى النسخ : « مضطهد » . والمثبت مما تقدم .

(٦) البخارى (٣٦٧٤) ، ومسلم (٢٤٠٣/٢٩) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٨٨، من حديث سليمان بن بلال به . واللفظ له .

(٧) فى م ، ص : « نمير » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٥.

وبابُها[1] مِن جَريدٍ ، فمكَثْتُ عندَ بابِها حتى ظننتُ[2] أن النبيَّ ﷺ قد قضَى حاجتَه وجلَس ، فجئتُه فسلَّمْتُ عليه ، وإذا هو قد جلَس على قُفِّ بئرِ أَرِيسَ فتوَسَّطه ، ثم دَلَّى رجلَيه فى البئرِ وكشَف عن ساقَيه ، فرجَعْتُ إلى البابِ وقلتُ : لَأكونَنَّ بَوَّابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فلم أنْشَبْ أن دَقَّ البابُ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : أبو بكرٍ . قلتُ : على رِسْلِك . وذهَبْتُ إلى النبيِّ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا أبو بكرٍ يستَأْذِنُ . فقال : « ائْذَنْ له وبَشِّرْه بالجنةِ » . قال : فخرَجْتُ مُسْرِعًا حتى قلتُ لأبى بكرٍ : ادْخُلْ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُك بالجنةِ . قال : فدخَل حتى جلَس إلى جنبِ النبيِّ ﷺ فى القُفِّ على يمينِه ، ودَلَّى رجلَيه وكشَف عن ساقَيه كما صنَع النبيُّ ﷺ . قال : ثم رجَعْتُ ، وقد كنتُ ترَكْتُ أخى يتَوَضَّأُ ، وقد كان قال لى : أنا على إثْرِك . فقلتُ : إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيرًا يأْتِ به . قال : فسمِعْتُ تَحْريكَ البابِ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : عمرُ . قلتُ : على رِسْلِك . قال : وجئتُ النبيَّ صلَّى [٥/٣ظ] اللَّهُ عليه وسلَّم ، فسلَّمْتُ عليه وأخْبَرْتُه ، فقال : « ائْذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ » . قال : فجئتُ وأذِنْتُ له ، وقلتُ له : رسولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُك بالجنةِ . قال : فدخَل حتى جلَس مع رسولِ اللَّهِ ﷺ [3]على يَسارِه ، وكشَف عن ساقَيه ودَلَّى رجلَيه فى البئرِ كما صنَع النبيُّ ﷺ[3] وأبو بكرٍ . قال : ثم رجَعْتُ فقلتُ : إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيرًا يأْتِ به - يريدُ أخاه - فإذا تَحْريكُ البابِ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : عثمانُ بنُ عَفَّانَ . قلتُ : على رِسْلِك . وذهَبْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : هذا عثمانُ يستَأْذِنُ . فقال : « ائْذَنْ

---

(١) فى م : « وما بها » .

(٢) فى م : « علمت » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

له وبشِّرْه بالجنةِ [1]مع بَلْوَى أو بلاءٍ[1] يُصيبُه » . قال : فجئتُ فقلتُ : رسولُ اللَّهِ ﷺ يأْذَنُ لك ويُبَشِّرُك بالجنةِ مع[2] بلْوَى أو بَلاءٍ يُصيبُك . فدخَل وهو يقولُ : اللَّهُ المستعانُ . فلم يجِدْ فى القُفِّ مجلسًا فجلَس وُجاهَهم مِن شِقِّ البئرِ ، وكشَف عن ساقَيه ودَلَّاهما فى البئرِ كما صنَع رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ ، رضى اللَّهُ عنهما . قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ : فأوَّلْتُها قبورَهم اجْتَمَعتْ وانْفَرد عثمانُ .

وقد روَى البيهقىُّ[3] مِن حديثِ عبدِ الأعْلَى بنِ أبى المُساوِرِ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ حاطبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مُحَيْرِيزٍ[4] ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « انْطَلِقْ حتى تأتىَ أبا بكرٍ فتجِدُه فى دارِه جالسًا مُحْتَبِيًا فقُلْ : إن رسولَ اللَّهِ يقْرَأُ عليك السلامَ ويقولُ : أبْشِرْ بالجنةِ . ثم انْطَلِقْ حتى تأتىَ الثَّنِيَّةَ ، فتلْقَى عمرَ راكبًا على حمارٍ تلوحُ صَلْعتُه ، فقل : إن رسولَ اللَّهِ يقرأُ عليكَ السلامَ ويقولُ : أبْشِرْ بالجنةِ . ثم انْصَرِفْ حتى تأتىَ عثمانَ فتجدُه فى السوقِ يَبيعُ ويَبْتاعُ ، فقلْ : إن رسولَ اللَّهِ يقْرَأُ عليك السلامَ ويقولُ : أبْشِرْ بالجنةِ بعدَ بَلاءٍ شديدٍ » . فذكَر الحديثَ فى ذَهابِه إليهم ، فوجَد كلًّا منهم كما ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكلًّا منهم يقولُ : أين رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فيقولُ : فى مكانِ كذا وكذا . فيذْهَبُ إليه ، وأن عثمانَ لما رجَع قال : يا رسولَ اللَّهِ ، وأىُّ بلاءٍ يُصيبُنى ؟ والذى

(١ - ١) فى النسخ : « على بلوى » . والمثبت من الدلائل ليستقيم السياق .

(٢) فى م : « على » .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٨٩، ٣٩٠. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ص ١٤٣، ١٤٤. ترجمة عثمان بن عفان . طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، من طريق البيهقى به . وأخرجه أيضا من طرق أخرى فى ص ١٤١، ١٤٢.

(٤) فى الأصل : « حبر » ، وفى م ، ص ، والدلائل : « بجير » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٩٦.

بعثك بالحقِّ ما تَغَيَّبْتُ ولا تمنَّيْتُ ولا مسِسْتُ ذَكَرى بيَمينى منذ بايَعْتُك ، فأىُّ بلاءٍ يُصيبُنى ؟ فقال : « هو ذاك » . ثم قال البيهقىُّ : عبدُ الأعْلَى ضعيفٌ ، فإن كان حفِظ هذا الحديثَ فيَحْتَمِلُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث إليهم زيدَ بنَ أرْقَمَ ، فجاءوا وأبو موسى جالسٌ على البابِ كما تقدم . وهذا البَلاءُ الذى أصابه هو ما اتَّفَق وقوعُه له[1] على يدَىْ مَن أنْكَر عليه مِن رَعاعِ أهلِ الأمْصارِ بلا علمٍ ، فوقَع ما سنذكُرُه فى دولتِه ، إن شاء اللَّهُ ، مِن حَصْرِهم إياه فى دارِه حتى آلَ الحالُ بعدَ ذلك كلِّه إلى اضْطهادِه وقتلِه وإلْقائِه على الطريقِ أيامًا لا يُصَلَّى عليه ولا يُلْتَفَتُ إليه ، حتى غُسِّل بعدَ ذلك وصُلِّىَ عليه ودُفِن بحَشِّ كوكبٍ - بستانٍ فى طرَفِ[2] البَقيعِ - رضى اللَّهُ عنه وأرضاه ، وجعَل جناتِ الفِرْدَوْسِ مُتَقَلَّبَه ومَثْواه .

كما قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يحيى ، عن إسماعيلَ ، عن[4] قيسٍ ، عن أبى سَهْلةَ مولى عثمانَ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْعُوا لى بعضَ أصحابى » . قلتُ : أبو بكرٍ ؟ قال : « لا » . قلتُ : عمرُ ؟ قال : « لا » . قلتُ : ابنُ عمِّك علىٌّ ؟ قال : « لا » . قلتُ : عثمانُ ؟ قال : « نعم » . فلما جاء عثمانُ قال : « تنَحَّىْ » . فجعَل يُسارُّه [٥/ ٤و] ولونُ عثمانَ يتَغَيَّرُ . قال أبو سَهْلةَ : فلما كان يومُ الدارِ وحُصِرَ فيها ، قلْنا : يا أميرَ المؤمنين ، ألا تُقاتِلُ ؟ قال : لا ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ عهِد إلىَّ عهدًا ، وإنى صابرٌ نفسى عليه . تفرَّد به أحمدُ ، ثم قد رَواه أحمدُ[5] عن وَكيعٍ ، عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ ، عن عائشةَ ، فذكَر مثلَه ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ص : « طريق » .

(٣) المسند ٦/ ٥١، ٥٢.

(٤) فى م : « بن » . وانظر أطراف المسند ٩/ ٢٨٣.

(٥) المسند ٦/ ٢١٤.

وأخْرَجه ابنُ ماجه مِن حديثِ وَكيعٍ[1] .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ فى كتابِه « الفِتَنِ والمَلاحِم »[2] : حدَّثنا عَتَّابُ بنُ بَشيرٍ ، عن خُصَيْفٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن عائشةَ ، رضى اللَّهُ عنها ، قالت : دخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعثمانُ بينَ يديه يُناجيه ، فلم أُدْرِكْ مِن مَقالتِه شيئًا إلا قولَ عثمانَ : أظُلْمًا وعُدْوانًا[3] يا رسولَ اللَّهِ ؟! فما دَرَيتُ ما هو حتى قُتِل عثمانُ ، فعلِمْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ إنما عنَى قتلَه . قالت عائشةُ : وما أحْبَبْتُ أن يصِلَ إلى عثمانَ شىءٌ إلا وصَل إلىَّ مثلُه ، غيرَ أنَّ[4] اللَّهَ علِم أنى لم أُحِبَّ قتلَه ، ولو أحْبَبْتُ قتلَه لَقُتِلْتُ . وذلك لمَّا رُمِىَ هَوْدَجُها مِن النَّبْلِ حتى صار مثلَ القُنْفُذِ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[5] : ثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ ، عن عمرِو بنِ أبى عمرٍو مولى المُطَّلِبِ ، [6]عن المطَّلِبِ[6] ، عن حُذيفةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تَقْتُلوا إمامَكم ، وتجْتَلدوا بأسيافِكم ، ويرِثَ دُنْياكم شِرارُكم » .

وقال البيهقىُّ[7] : أنا أبو الحسينِ بنُ بِشْرانَ ، أنا علىُّ بنُ محمدٍ المصرىُّ ، ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ السُّلَمىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى الليثُ ، حدَّثنى خالدُ بنُ يَزيدَ عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن ربيعةَ بنِ سيفٍ ، أنه حدَّثه أنه جلَس

---

(١) ابن ماجه (١١٣) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٩١) .

(٢) الفتن (٢٠٢) .

(٣) بعده فى الفتن : « أظلما وعدوانا » .

(٤) بعده فى م : « شاء » .

(٥) مسند أبى داود (٤٣٩) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٩١، من طريق أبى داود به .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٣٩٢، ٣٩٣. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ص ١٧٣. جزء ترجمة عثمان بن عفان . طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

يومًا مع شُفَيٍّ الأَصْبحيِّ ، فقال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو[1] يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سيكونُ فيكم اثنا عشَرَ خَليفةً ؛ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، لا يَلْبَثُ خلْفى إلا قليلًا ، وصاحبُ دارةٍ[2] رَحَى العربِ يَعيشُ حميدًا ويَموتُ شهيدًا » . فقال رجلٌ : ومَن هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « عمرُ بنُ الخطابِ » . ثم الْتَفَت إلى عثمانَ فقال : « وأنت يسْأَلُك الناسُ أن تخْلَعَ قميصًا كساكَه اللَّهُ ، والذى بعَثنى بالحقِّ لئن خلَعْتَه لا تدْخُلِ الجنةَ حتى يلِجَ[3] الجملُ فى سَمِّ الخياطِ » .

ثم روَى البيهقىُّ[4] مِن حديثِ موسى بنِ عقبةَ : حدَّثنى جدِّى أبو أُمِّى أبو حَبيبةَ أنه دخَل الدارَ وعثمانُ مَحصورٌ فيها ، وأنه سمِع أبا هريرةَ يسْتَأْذِنُ عثمانَ فى الكلامِ فأذِن له ، فقام فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنكم ستَلْقَوْن بعدى فتنةً واخْتِلافًا » . فقال له قائلٌ مِن الناسِ : فمَن لنا يا رسولَ اللَّهِ ؟ أو : ما تأمُرُنا ؟ فقال : « عليكم بالأمينِ وأصحابِه » . وهو يُشيرُ إلى عثمانَ بذلك . وقد رَواه الإمامُ أحمدُ عن عفانَ ، عن وُهَيْبٍ ، عن موسى بنِ عُقْبةَ به[5] . وقد تقَدَّم فى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَوالةَ شاهدان له بالصحةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن سُفيانَ ، عن منصورٍ ، عن

---

(١) فى م ، ص : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/٥٤٣ ترجمة شفى .
(٢) سقط من النسخ . وفى الدلائل : « دار » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٣) فى الدلائل ، وتاريخ دمشق : « يدخل » .
(٤) دلائل النبوة ٦/ ٣٩٣.
(٥) المسند ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥.
(٦) المسند ١/٣٩٣ . (إسناده صحيح) .

رِبْعيٌّ ، عن البَراءِ بنِ ناجيةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، هو ابنُ مسعودٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « تَدورُ رَحَى الإسلامِ لخمسٍ وثلاثين ، أو سِتٍّ وثلاثين ، أو سبعٍ وثلاثين ، [٥/ ٤ظ] فإن يَهْلِكوا فسَبِيلُ مَن قد هلَك ، وإن يَقُمْ لهم دينُهم يقُمْ لهم سبعين عامًا » . قال : قلتُ : أيمَّا مضَى أم مما بَقِيَ ؟ (١) قال : « مما بَقِيَ » (١) . ورَواه أبو داودَ عن محمدِ بنِ سليمانَ الأنْباريِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِيٍّ به (٢) ، ثم رَواه أحمدُ (٣) عن إسحاقَ وحجَّاجٍ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن رِبْعيٍّ ، عن البَرَاءِ ابنِ ناجيةَ الكاهليِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ رَحَى الإسلامِ ستَزولُ بخمسٍ وثلاثين ، (١) أو سَتٍّ وثلاثين (١) أو سبعٍ وثلاثين ، فإن تَهْلِكْ فسبيلُ ما (٤) هلَك ، وإن يَقُمْ لهم دينُهم يَقُمْ لهم سبعين عامًا » . قال : قال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أبما مضَى أو بما بَقِيَ ؟ قال : « بل بما بَقِيَ » . وهكذا رواه يعقوبُ بنُ سفيانَ (٥) عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن إسرائيلَ ، عن منصورٍ به . فقال له عمرُ ، فذكَره . قال البيهقيُّ : وقد تابع إسرائيلَ الأعْمشُ وسفيانُ الثوريُّ ، عن منصورٍ . قال : وبلَغنى أن فى هذا إشارةً إلى الفتنةِ التى كان فيها (٦) قَتْلُ عثمانَ سنةَ خمسٍ وثلاثين ، ثم إلى الفتنِ التى كانت فى أيامِ عليٍّ ، وأراد بالسبعين مُلْكَ بنى أميَّةَ ، فإنه بَقِيَ ما (٧) بينَ أن (٨) اسْتقرَّ لهم المُلْكُ (٩) إلى أن ظهَرت الدُّعاةُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أبو داود (٤٢٥٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٧٨) .

(٣) المسند ١/٣٩٣ من حديث إسحاق ، و١/٣٩٥ من حديث حجاج . (إسناده صحيح) .

(٤) فى الأصل ، م : « من » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٣٩٣، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٦) فى م ، ص : « منها » .

(٧) سقط من : م .

(٨) فى م : « ما » .

(٩) كذا فى النسخ ، ولعل الأولى إسقاطها .

بخُراسانَ وضعُف أمْرُ بنى أميَّةَ ودخَل الوَهَنُ فيه ، نحْوًا مِن سبعين سنةً[1] .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى ، حدَّثنى يحيى ابنُ سُلَيمٍ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ ، عن مُجاهدٍ ، عن إبراهيمَ بنِ الأَشْتَرِ ، عن أبيه ، عن أمِّ ذَرٍّ قالت : لما حضَرت أبا ذَرٍّ الوفاةُ بكَيْتُ ، فقال : ما يُبْكيك ؟ فقلتُ : وما لىَ لا أَبْكى وأنت تموتُ بفَلاةٍ مِن الأرضِ ولا يدَ لى بدَفْنِك ، وليس عندى ثوبٌ يَسَعُك فأُكَفِّنَك فيه . قال : فلا تَبْكى وأَبْشِرى ، فإنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيَمُوتَنَّ رجلٌ منكم بفَلاةٍ مِن الأرضِ يشْهَدُه عِصابةٌ مِن المؤمنين » . وليس مِن أولئك النفرِ أحدٌ إلا وقد مات فى قريةٍ أو جماعةٍ ، وإنى أنا الذى أموتُ بالفَلاةِ ، واللَّهِ ما كَذَبْتُ[3] ولا كُذِبْتُ . تفرد به أحمدُ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد رَواه البيهقىُّ مِن حديثِ علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، عن يَحْيى بنِ سُلَيمٍ الطائفىِّ به مُطَوَّلًا[4] ، والحديثُ مشهورٌ فى موتِه ، رضى اللَّهُ عنه ، بالرَّبَذَةِ سنةَ ثِنتَين وثلاثين ، فى خِلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ ، وكان فى النفرِ الذين قدِموا عليه وهو فى السِّياقِ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، وهو الذى صلَّى عليه ، ثم قدِم المدينةَ ، فأقام بها عشْرَ ليالٍ ، ومات رضِى اللَّهُ عنه .

حديثٌ آخرُ : قال البيهقىُّ[5] : أنا الحاكمُ ، أنا الأصَمُّ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّغَانىُّ[6] ، ثنا عمرُ بنُ سعيدٍ الدِّمشقىُّ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن إسماعيلَ

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « قلتُ : ثم انْطَوت هذه الحروبُ أيامَ صِفِّينَ ، وقاتَل علىٌّ الخوارجَ فى أثناءِ ذلك ، كما تقدَّم الحديثُ المُتَّفَقُ على صحتِه فى الإخبارِ بذلك ، وفى صفتِهم وصفةِ الرجلِ المُخْدَجِ فيهم » .

(٢) المسند ٥/ ١٥٥.

(٣) فى الأصل ، م : « كذب » .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٠٣.

(٦) فى م ، ص : « الصنعانى » .

ابنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الأشْعرىِّ ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بلَغنى أنك تقولُ : « لَيَرْتَدَّنَّ أقوامٌ بعدَ إيمانِهم » . قال : « أجَلْ ، ولسْتَ منهم » . قال : فتُوُفِّىَ أبو الدَّرْداءِ قبلَ أن يُقْتَلَ عثمانُ .

[٥/٥و] وقال يَعقوبُ بنُ سفيانَ[١] : ثنا صَفْوانُ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ أو عبدُ الغَفَّارِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبيدِ اللَّهِ[٢] ، عن أبيه ، أنه حدَّثه عن شيخٍ مِن السَّلَفِ قال : سمِعْتُ أبا الدَّرْداءِ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى فَرَطُكم على الحوضِ ، أنْتَظِرُ مَن يَرِدُ علىَّ منكم ، فلا أُلْفَيَنَّ أُنازَعُ أحدَكم فأقولُ : إنه مِن أمتى . فيقالُ : هل تَدْرِى ما أحْدَثوا بعدَك ؟ » قال أبو الدَّرْداءِ : فتخَوَّفْتُ أن أكونَ منهم ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكَرْتُ ذلك له . فقال : « إنك لسْتَ منهم » . قال : فتُوُفِّىَ أبو الدَّرْداءِ قبلَ أن يُقْتَلَ عثمانُ ، وقبلَ أن تقَعَ الفِتَنُ . قال البيهقىُّ : تابعه يزيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ عن أبى عُبَيدِ اللَّهِ مسلمِ بنِ مِشْكَمٍ[٣] ، عن أبى الدَّرْداءِ إلى قولِه : « لسْتَ منهم » . قلتُ : قال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ[٤] : تُوُفِّىَ أبو الدَّرْداءِ لسنتَين بَقِيَتا مِن خلافةِ عثمانَ . وقال الواقدىُّ وأبو عُبيدٍ وغيرُ واحدٍ[٥] : تُوُفِّىَ سنةَ ثِنتَين وثلاثين . رضى اللَّهُ عنه .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٠٣، ٤٠٤، من طريق يعقوب به .

(٢) فى م ، ص : « عبد الله » . وانظر الجرح والتعديل ٦/ ٥٤.

(٣) فى م ، ص : « يشكر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٤٣.

(٤) تاريخ أبى زرعة الدمشقى ص ٢٢٠.

(٥) انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٧٥.

ذِكْرُ إخْبارِه ﷺ عن الفتنِ الواقعةِ فى آخرِ أيامِ عثمانَ بنِ عفانَ، وفى خِلافةِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنهما

ثبَت فى «الصحيحَيْن»[1] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ، عن الزهرىِّ، عن عروةَ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أشْرَف على أُطُمٍ مِن آطامِ المدينةِ، فقال: «هل ترَوْن ما أرَى؟ إنى لأرَى مَواقعَ الفتنِ خلالَ بُيوتِكم كمَواقعِ القَطْرِ»[2].

ورَوَى الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ[3]، مِن حديثِ الزهرىِّ، عن أبى إدْريسَ الخَوْلانىِّ: سمِعْتُ حُذيفةَ بنَ اليَمانِ يقولُ: واللَّهِ إنى لأعْلَمُ الناسِ بكلِّ فتنةٍ هى كائنةٌ فيما بينى وبينَ الساعةِ، وما ذاك أن يكونَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حدَّثنى مِن ذلك شيئًا أَسَرَّه إلىَّ لم يكنْ حدَّث به غيرى، ولكن رسولُ اللَّهِ ﷺ قال، وهو يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أنا فيه، سُئِل[4] عن الفتنِ، وهو يَعُدُّ الفتنَ: «فيهنَّ ثلاثٌ لا يَذَرْن[5] شيئًا؛ منهن كرياحِ الصيفِ، منها صِغارٌ ومنها كِبارٌ». قال حذيفةُ: فذهَب أولئك الرَّهْطُ كلُّهم غيرى. وهذا لفظُ أحمدَ. قال البيهقىُّ[6]: مات حذيفةُ بعدَ

---

(١) البخارى (١٨٧٨، ٢٤٦٧، ٣٥٩٧، ٧٠٦٠)، ومسلم (٢٨٨٥).

(٢) قال النووى: والتشبيه بمواقع القطر فى الكثرة والعموم أى أنها كثيرة وتعم الناس لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرة ومقتل عثمان ومقتل الحسين رضى اللَّه عنهما، وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له ﷺ. صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧، ٨.

(٣) المسند ٥/ ٣٨٨، ٤٠٧، ومسلم (٢٨٩١).

(٤) هذه إحدى روايتى المسند، والرواية الثانية ورواية مسلم. بإسقاط «سئل».

(٥) فى م: «تذوق»، وفى ص: «نذوق».

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٠٦.

الفتنةِ الأولى بقتلِ عثمانَ ، وقبل الفِتْنَتَيْنِ الآخرتَيْنِ فى أيامِ عليٍّ . قلتُ : قال العِجْليُّ وغيرُ واحدٍ مِن علماءِ التاريخِ[1] : كانت وفاةُ حذيفةَ بعدَ مَقْتلِ عثمانَ بأربعين يومًا . وهو الذى قال : لو كان قتلُ عثمانَ هُدًى لَاحْتَلَبَت به الأُمَّةُ لبنًا ، ولكنه كان ضَلالةً ، فاحْتَلَبَتْ به الأُمَّةُ دمًا[2] . وقال : لو أنَّ أحدًا ارْتَقَص لِما صنَعْتُم بعثمانَ لَكان جديرًا أن يَرْقُصَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن زينبَ بنتِ أبى سَلَمةَ ، عن حَبيبةَ بنتِ أمِّ حَبيبةَ بنتِ أبى سُفيانَ ، عن أمِّها أمِّ حَبيبةَ ، عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ زوجِ النبىِّ ﷺ - قال سفيانُ : أربعُ نِسْوةٍ - قالت : اسْتَيْقَظ النبىُّ ﷺ مِن نومِه وهو مُحْمَرُّ الوجهِ ، وهو يقولُ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ ، ويلٌ للعربِ مِن شَرٍّ قد اقْتَرب ، فُتِح اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مثلُ هذه » . وحلَّق [4]بأُصْبُعِه[5] الإبْهامِ [٥/ ٥ظ] والتى تليها[4] . قلتُ : يارسولَ اللَّهِ ، أنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟! قال : « نعم ، إذا كَثُر الخَبَثُ » . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ به . [6]وكذلك رَواه مسلمٌ[7] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ [8]وسعيدِ بنِ عمرٍو الأشْعَثىِّ[8] وزهيرِ بنِ حربٍ وابنِ أبى عمرَ ، كلُّهم عن[6]

---

(١) تاريخ الثقات ص ١١١، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥١٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ص ٤٨٧، بنحوه . جزء ترجمة عثمان بن عفان ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق . كما أخرجه ص ٤٨٩ من نفس الجزء بهذا اللفظ من حديث أبى موسى الأشعرى .

(٣) المسند ٦/ ٤٢٨.

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى المسند . وهى عند مسلم كما سيأتى تخريجه .

(٥) فى الأصل : « بأصبعيه » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) مسلم (٢٨٨٠/٠٠٠) .

(٨ - ٨) فى م : « سعد بن عمرو والأشعثى » ، وفى ص : « سعد بن عمرو الأشعثى » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢١.

[1] سفيانَ بنِ عُيَينةَ به سواءً. ورَواه الترمذيُّ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ المَخْزوميِّ وغيرِ واحدٍ، كلُّهم عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ[2][1]. وقال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ. وقال الترمذيُّ: قال الحُمَيْديُّ، عن سفيانَ: حفِظْتُ مِن الزهريِّ فى هذا الإسنادِ أربعَ نِسوةٍ.

قلتُ: وقد أخْرَجه البخاريُّ، عن مالكِ بنِ إسماعيلَ، ومسلمٌ عن عمرٍو الناقدِ[3]، [4]عن سفيانَ بنِ عيينةَ[4]، عن الزهريِّ، عن عروةَ، عن زينبَ، عن أمِّ حَبيبةَ، عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ، فلم يذكُرا حَبيبةَ فى الإسنادِ، وكذلك رَواه عن الزهريِّ شعيبٌ، وصالحُ بنُ كَيْسانَ، وعَقيلٌ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ومحمدُ بنُ أبى عَتيقٍ، ويونسُ بنُ يزيدَ[5]، فلم يذْكُروا عنه فى الإسنادِ حَبيبةَ. واللَّهُ أعلمُ. فعلى ما رَواه أحمدُ ومَن تابَعَه، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ، يكونُ قد اجْتَمع فى هذا الإسنادِ تابعيَّان، وهما الزهريُّ وعروةُ بنُ الزبيرِ، وأربعُ صَحابيَّاتٍ؛ رَبيبتان[6] وزَوْجتان، وهذا عَزيزٌ جدًّا.

ثم قال البخاريُّ بعدَ رِوايتِه الحديثَ المتقدِّمَ، عن أبى اليَمانِ، عن شعيبٍ، عن الزهريِّ، فذكَره إلى آخرِه، ثم قال[7]: وعن الزهريِّ، حدَّثَتْنى هندُ بنتُ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الترمذى (٢١٨٧).

(٣) البخارى (٧٠٥٩)، مسلم (١/٢٨٨٠).

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) البخارى (٣٥٩٨، ٧١٣٥)، من حديث شعيب. ومسلم (٢/٢٨٨٠)، من حديث صالح. والبخارى (٣٣٤٦)، ومسلم (٢/٢٨٨٠)، من حديث عقيل. والإمام أحمد فى المسند ٦/ ٤٢٨، ٤٢٩، من حديث ابن إسحاق. والبخارى (٧١٣٥) من حديث ابن أبى عتيق. ومسلم (٢/٢٨٨٠)، من حديث يونس.

(٦) فى م: «وبنتان».

(٧) البخارى (٣٥٩٩). معلقًا.

الحارثِ أن أمَّ سَلَمةَ قالت : اسْتَيْقظ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « سبحانَ اللَّهِ ، ماذا أُنْزِل مِن الخَزائنِ[1] ؟! وماذا أُنْزِل مِن الفتنِ ؟! » وقد أسْنَده البخاريُّ فى مَواضعَ أُخَرَ مِن طرقٍ ، عن الزهريِّ به[2] . ورَواه الترمذيُّ مِن حديثِ مَعْمرٍ ، عن الزهريِّ[3] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[4] : ثنا الصَّلْتُ بنُ دينارٍ ، ثنا عقبةُ بنُ صَهْبانَ وأبو رَجاءٍ العُطارديُّ ، قالا : سمِعْنا الزبيرَ وهو يَتْلو هذه الآيةَ[5] : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] . قال : لقد تلَوْتُ هذه الآيةَ زمانًا وما أُرانى مِن أهلِها ، فأصْبَحْنا مِن أهلِها . وهذا الإسنادُ ضَعيفٌ ، ولكن رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ ، فقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا جَريرٌ قال : سمِعْتُ الحسنَ[7] قال : قال الزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ ، نزَلَت هذه الآيةُ ونحن مُتَوافرون مع النبيِّ ﷺ : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ فجعَلْنا نقولُ : ما هذه الفتنةُ ؟ وما نشْعُرُ أنها تقَعُ حيث وقَعتْ . ورَواه النسائيُّ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، عن ابنِ[8] مَهْديٍّ ، عن جَريرِ بنِ حازمٍ به[9] ، وقد قُتِل

---

(١) فى ص : « القرائن » .

(٢) البخارى (١١٥، ١١٢٦، ٥٨٤٤، ٦٢١٨، ٧٠٦٩) .

(٣) الترمذى (٢١٩٦) .

(٤) مسند أبى داود (١٩٢) .

(٥) التفسير ٣/٥٧٧ - ٥٨٠.

(٦) المسند ١/١٦٧. (إسناده صحيح) .

(٧) فى م ، ص : « أنشا » ، وانظر أطراف المسند ٢/ ٣٥٧، وتحفة الأشراف ٣/ ١٧٧.

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩) السنن الكبرى (١١٢٠٦) .

الزُّبيرُ بوادى السِّباعِ مَرْجِعَه مِن قتالِ يومِ الجَمَلِ ، على ما سنُورِدُه فى موضعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال أبو داودَ السِّجِسْتانىُّ فى « سننِه »[1] : ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا أبو الأحْوصِ سَلَّامُ ابنُ سُلَيمٍ ، عن منصورٍ ، عن هلالِ بنِ يِسافٍ ، عن سعيدِ بنِ زيدٍ قال : كنا عندَ النبىِّ ﷺ فذكَر فتنةً فعظَّم أمرَها ، فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، لئن أدْرَكَتْنا هذه لَتُهْلِكَنَّا . فقال : « كلَّا إنَّ بحَسْبِكمُ القتلَ » . قال سعيدٌ : فرأيْتُ إخوانى قُتِلوا . تفرَّد به أبو داودَ .

وقال أبو داودَ السِّجِسْتانىُّ[2] : حدَّثنا الحسنُ بنُ علىٍّ ، ثنا يزيدُ ، أنا هشامٌ ، عن محمدٍ قال : قال حُذَيفةُ : ما أحدٌ مِن الناسِ تُدْرِكُه الفتنةُ إلا أنا أخافُها عليه إلا محمدُ بنُ مَسْلمةَ ، فإنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ [٥/٦و] ﷺ يقولُ : « لا تضُرُّك الفتنةُ » . وهذا مُنْقَطِعٌ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[3] : ثنا شعبةُ ، عن أشْعَثَ بنِ أبى الشَّعْثاءِ[4] ، سمِعْتُ أبا بُرْدَةَ يُحَدِّثُ [5]عن ثَعْلبةَ بنِ ضُبَيْعَةَ[5] ، سمِعْتُ حذيفةَ يقولُ : إنى لَأعْرِفُ رجلًا لا تضُرُّه الفتنةُ . فأتَيْنا المدينةَ ، فإذا فُسْطاطٌ مَضْروبٌ ، وإذا محمدُ بنُ مَسْلمةَ الأنصارىُّ ، فسَأَلْتُه فقال : لا أسْتَقِرُّ بمِصْرٍ مِن أمْصارِهم حتى تنْجَلىَ هذه

---

(١) أبو داود (٤٢٧٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٩٦) .

(٢) أبو داود (٤٦٦٣) .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٣٣، والبيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٠٧، ٤٠٨، من طريق أبى داود .

(٤) فى م : « أشعث » ، وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٧١.

(٥ - ٥) فى النسخ : « ثعلبة بن أبى ضبيعة » . والمثبت من المستدرك والدلائل ، وقيل : اسمه ضبيعة بن حصين . كما سيأتى . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٥٧.

الفتنةُ عن جماعةِ المسلمين. قال البيهقيُّ[1]: ورواه أبو داودَ، يعنى السِّجِسْتانيَّ، عن عمرِو بنِ مَرْزوقٍ، [2]عن شعبةَ به[3].

وقال أبو داودَ[4]: ثنا مُسَدَّدٌ، ثنا أبو عَوانةَ، عن أَشْعَثَ بنِ سُلَيمٍ، عن أبى بُرْدةَ، عن ضُبَيْعَةَ[2] بنِ حُصَينٍ التَّغْلِبيِّ[5]، عن حُذيفةَ بمعناه. قال البخاريُّ فى «التاريخِ»: هذا عندى أَولى[6].

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثنا يزيدُ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن علىِّ بنِ زَيدٍ، عن أبى بُرْدةَ قال: مرَرْتُ بالرَّبَذةِ، فإذا فُسْطاطٌ، فقلتُ: لمن هذا؟ فقيل: لمحمدِ ابنِ مَسْلمةَ. فاسْتَأْذَنْتُ عليه فدخَلْتُ عليه فقلتُ: رحِمك اللَّهُ، إنك مِن هذا الأمرِ بمكانٍ، فلو خرَجْتَ إلى الناسِ فأمَرْتَ ونهَيْتَ. فقال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ستكونُ فِتْنةٌ وفُرْقةٌ واخْتِلافٌ، فإذا كان ذلك فأْتِ بسيفِك أُحُدًا فاضْرِبْ به عُرْضَه، وكسِّرْ نَبْلَك، واقْطَعْ وَتَرَك، واجْلِسْ فى بيتِك حتى تأْتِيَك يدٌ خاطئةٌ أو يُعافيَك اللَّهُ». فقد كان ما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ، وفعَلْتُ ما أمَرنى به. ثم اسْتَنْزَل سيفًا كان مُعَلَّقًا بعمودِ الفُسْطاطِ واخْتَرطه، فإذا سيفٌ مِن خشبٍ، فقال: قد فعَلْتُ ما أمَرنى به، واتَّخَذْتُ هذا أُرْهِبُ به الناسَ. تفرَّد به أحمدُ[8].

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٠٨.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) أبو داود (٤٦٦٤). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٩٩).

(٤) أبو داود (٤٦٦٥).

(٥) فى م، ص: «الثعلبى». وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٣٤٣، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٥٧.

(٦) انظر التاريخ الكبير ٤/ ٣٤٣، ٣٤٤، وحكاه عن البخارى البيهقى فى الدلائل ٦/ ٤٠٨.

(٧) المسند ٣/ ٤٩٣.

(٨) كذا قال المصنف، والحديث لم يتفرد به أحمد بل أخرجه ابن ماجه (٣٩٦٢) من حديث يزيد به.=

وقال البيهقيُّ[1] : أنا الحاكمُ ، ثنا عليُّ بنُ عيسى الحيرىُّ[2] ، أنا أحمدُ بنُ نَجْدَةَ[3] القُرَشىُّ ، ثنا يحيى بنُ عبدِ الحميدِ ، أنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، ثنا سالمُ بنُ صالحِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، عن أبيه ، عن محمودِ بنِ لَبيدٍ ، عن محمدِ بنِ مَسْلمةَ أنه قال : [4]يا رسولَ اللَّهِ ، كيف أَصْنَعُ إذا اخْتَلف المُصلُّون ؟ قال[4] : « اخْرُجْ بسيفِك إلى الحَرَّةِ فتَضْرِبُها به ، ثم تَدْخُلُ بيتَك حتى تَأْتيَك مَنِيَّةٌ قاضيةٌ أو يدٌ خاطئةٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا زيادُ بنُ مسلمٍ أبو عمرَ ، ثنا أبو الأَشْعَثِ الصَّنْعانىُّ قال : بعَثَنا يزيدُ بنُ معاويةَ إلى ابنِ الزبيرِ ، فلمَّا قدِمْتُ المدينةَ دخَلْتُ على فلانٍ - نَسِىَ[6] زيادٌ اسمَه - فقال : إن الناسَ قد صنَعوا ما صنَعوا فما ترَى ؟ قال : أوْصانى خليلى أبو القاسمِ ﷺ : « إن أدْرَكْتَ شيئًا مِن هذه الفتنِ فاعْمِدْ إلى أُحُدٍ فاكْسِرْ به حدَّ سيفِك ، ثم اقْعُدْ فى بيتِك ، فإن دخَل عليك أَحدٌ البيتَ ، فقُمْ إلى المِخْدَعِ[7] ، فإن دخَل عليك المِخْدَعَ ، فاجْثُ على رُكْبتَيْك

= صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٠١) . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٦٢، وجامع المسانيد والسنن للمصنف ١١/ ١٦٥، وأطراف المسند ٥/ ٢٦٢.

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ٩٦٩، مخطوط ، من طريق البيهقى به . وهو فى مختصره ٢٣/ ٢٢٤.

(٢) فى الأصل : « المرى » ، وفى م : « المدنى » .

(٣) فى م : « بحرة » .

(٤ - ٤) سقط من مخطوط تاريخ دمشق .

(٥) المسند ٤/ ٢٢٦.

(٦) فى المسند : « سمى » . وانظر أطراف المسند ٥/ ٢٦٢. قال الحافظ ابن حجر فى الأطراف ٥/ ٢٦٣: سماه جرير بن حازم فى روايته عن زياد بن مسلم : محمدَ بن مسلمة ، أخرجه إسحاق فى مسنده عن وهب عن أبيه . قلت : وجعله المصنف من مسند محمد بن مسلمة فى جامع المسانيد والسنن ١١/ ١٦٤. فاللَّه تعالى أعلم .

(٧) المخدع ، تضم ميمه وتفتح : البيت الصغير الذى يكون داخل البيت الكبير . النهاية ٢/ ١٤.

وقلْ : بُؤْ بإثْمى وإثْمِك فتكونَ مِن أصحابِ النارِ ، وذلك جزاءُ الظالمين » . فقد كسَرْتُ سيفى وقعَدْتُ فى بيتى . هكذا وقَع إيرادُ هذا الحديثِ فى مسندِ محمدِ ابنِ مَسْلمةَ عندَ الإمامِ أحمدَ ، ولكن وقَع إبهامُ اسمِه ، وليس هو لمحمدِ بنِ مَسْلمةَ بل صحابىٌّ آخرَ ، فإن محمدَ بنَ مَسْلمةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، لا خِلافَ عندَ أهلِ التاريخِ أنه تُوُفِّىَ فيما بينَ الأربعين إلى الخمسين ، فقيل : سنةَ ثنتين . وقيل : ثلاثٍ . وقيل : سبعٍ وأربعين . ولم يُدْرِكْ أيامَ يزيدَ بنِ مُعاويةَ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بلا خِلافٍ[1] ، فتعَيَّنَ أنه صحابىٌّ آخرُ ، خبرُه كخبرِ محمدِ بنِ مَسْلمةَ .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ فى « الفتنِ والمَلاحِمِ »[2] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، ثنا أبو عمرٍو [٥/ ٦ظ] القَسْمَلِىُّ[3] عن بنتِ أُهْبانَ الغِفارىِّ ، أن عليًّا أتى أُهبانَ فقال : ما يمْنَعُك أن تَتَّبِعَنا ؟ فقال : أوْصانى خليلى وابنُ عمِّك ﷺ أن : « سَتكونُ فُرْقةٌ وفِتْنةٌ واختلافٌ ، فإذا كان ذلك فاكْسِرْ سيْفَك ، واقْعُدْ فى بيتِك ، واتَّخِذْ سيفًا مِن خَشَبٍ » . وقد رواه أحمدُ عن عفانَ وأسودَ بنِ عامرٍ ومُؤَمَّلٍ ، ثلاثتُهم عن حمادِ بنِ سَلَمةَ به[4] . وزاد مُؤَمَّلٌ فى روايتِه بعدَ قولِه : « واتَّخِذْ سيفًا مِن خشبٍ » . « واقْعُدْ فى بيتِك حتى تأْتيَك يدٌ خاطئةٌ أو مَنِيَّةٌ قاضيةٌ » . ورَواه الإمامُ أحمدُ أيضًا والترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٥٧، ٤٥٨، والإصابة ٦/ ٣٣ - ٣٥.

(٢) الفتن (٢١١).

(٣) فى النسخ : « السلمى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٤٠، وأطراف المسند ١/ ٥٦٩.

(٤) المسند ٥/ ٦٩ من حديث عفان ، ٦/ ٣٩٣ من حديث مؤمل والأسود .

وقع فى المسند فى رواية أسود بن عامر : عن أبى عمرو القسملى عن أبيه أهبان . والصواب : عن أبى عمرو القسملى عن ابنة أهبان . واسمها عُديسة . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٨٥، ٣٥/ ٢٤٠. وأطراف المسند ١/ ٥٦٩.

عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدٍ الدِّيلىِّ ، عن عُدَيْسَةَ بنتِ أُهْبانَ بنِ صَيْفىٍّ ، عن أبيها به[1] ، [2]وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدٍ . كذا[2] قال ، وقد تقدَّم مِن غيرِ طريقِه .

وقال البخارىُّ[3] : ثنا عبدُ العزيزِ الأُوَيْسىُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن صالحِ ابنِ كَيْسانَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ وأبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أن أبا هريرةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ستكونُ فتنٌ ، القاعدُ فيها خيرٌ مِن القائمِ ، والقائمُ فيها خيرٌ مِن الماشى ، والماشى فيها خيرٌ مِن الساعى ، مَن تَشَرَّف لها تَسْتَشْرِفُه ، ومَن وجَد مَلْجأً أو مَعاذًا فلْيَعُذْ به » . وعن ابنِ شِهابٍ[4] : حدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مُطيعِ بنِ الأسْودِ ، عن نَوفلِ بنِ مُعاويةَ ، مثلَ حديثِ أبى هريرةَ هذا ، وقد روَى مسلمٌ حديثَ أبى هريرةَ مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ[5] ، كما رواه البخارىُّ ، وكذلك حديثَ نَوْفلِ بنِ مُعاويةَ بإسنادِ البخارىِّ ولفظِه[6] ، ثم قال البخارىُّ[7] : ثنا محمدُ بنُ كثيرٍ ، أخْبَرنى سفيانُ عن الأعْمَشِ ، عن زيدِ بنِ وَهْبٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « ستكونُ أَثَرةٌ وأُمورٌ تُنْكِرونها » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، فما تأمُرُنا ؟ قال : « تُؤَدُّون الحقَّ الذى عليكم ، وتسْأَلون

---

(١) المسند : ٦/ ٣٩٣، والترمذى (٣٢٠٣) ، وابن ماجه (٣٩٦٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٩٤) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) البخارى (٣٦٠١) .

(٤) البخارى (٣٦٠٢) .

(٥) مسلم (٢٨٨٦/١٠) .

(٦) مسلم (٢٨٨٦/١١) .

(٧) البخارى (٣٦٠٣) .

اللَّهَ الذى لكم » . ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ الأعْمشِ به[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا رَوْحٌ ، ثنا عثمانُ الشَّحَّامُ ، ثنا مُسْلمُ[3] بنُ أبى بَكْرةَ ، عن أبى بَكْرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه قال : « إنها ستكونُ فتنٌ ثم تكونُ فتنٌ ، ألا فالماشى فيها خيرٌ مِن الساعى إليها ، والقاعدُ فيها خيرٌ مِن القائمِ فيها ، ألا والمضطجعُ فيها خيرٌ مِن القاعدِ ، ألا فإذا نزَلت فمَن كان له غنمٌ فلْيَلْحَقْ بغنمِه ، ألا ومَن كانت له أرضٌ فلْيَلْحَقْ بأرضِه ، ألا ومَن كانت له إبلٌ فلْيَلْحَقْ بإبلِه » . فقال رجلٌ مِن القومِ : يا نبىَّ اللَّهِ ، جعَلنى اللَّهُ فداك ، أرأيْتَ مَن ليسَت له غَنَمٌ ولا أرضٌ ولا إبلٌ كيف يصْنَعُ ؟ قال : « لِيأْخُذْ سيفَه ، ثم لْيَعْمِدْ به إلى صخرةٍ ، ثم لْيَدُقَّ على حدِّه بحجرٍ ، ثم لْيَنْجُ إن استطاع النَّجَاءَ ، اللهم هل بلَّغْتُ[4] » . فقال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، جعَلنى اللَّهُ فداك ، أرأيْتَ إن أُخِذ بيدِى مُكْرَهًا حتى يُنطَلَقَ بى إلى أحدِ الصَّفَّيْنِ أو إحدى الفِئَتَيْن - شك عثمانُ - فيَحْذِفَنى رجلٌ بسيفِه فيَقْتُلَنى ، ماذا يكونُ مِن شأنى ؟ قال : « يَبوءُ بإثْمِك وإثْمِه ويكونُ مِن أصحابِ النارِ » . وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ عثمانَ الشَّحَّامِ بنحوِه[5] ، وهذا إخبارٌ عن إقبالِ الفتنِ ، وقد ورَدت أحاديثُ كثيرةٌ فى معنى هذا .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يحيى عن[7] إسماعيلَ ، ثنا قَيْسٌ قال : لمَّا أقْبَلَت

---

(١) مسلم (١٨٤٣) .

(٢) المسند ٥/ ٤٨.

(٣) فى الأصل : « مسلمة » ، وفى م : « سلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٩٢.

(٤) بعده فى المسند : « اللهم هل بلغت » .

(٥) مسلم (٢٨٨٧) .

(٦) المسند ٦/ ٥٢.

(٧) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩.

عائشةُ - يعنى فى مسيرِها إلى وقعةِ الجَمَلِ - وبلَغت مياهَ بنى عامرٍ ليلًا ، نبَحتِ الكلابُ فقالت : أىُّ ماءٍ هذا ؟ قالوا : [٥/ ٧و] ماءُ الحَوْأَبِ[(١)] . فقالت : ما أَظُنُّنى إلا راجعةً . فقال بعضُ مَن كان معها : بل تقْدَمين فيَراكِ المسلمون فيُصْلِحُ اللَّهُ ذاتَ بَيْنِهم . قالت : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لنا ذاتَ يومٍ : « كيف بإحْداكن تَنْبَحُ عليها كلابُ الحَوْأَبِ ؟ » . ورواه نُعيمُ[(٢)] بنُ حمادٍ فى « المَلاحِمِ »[(٣)] ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن [(٤)]أبى خالدٍ[(٤)] ، عن قَيْسِ بنِ أبى حازمٍ به .

ثم رَواه أحمدُ[(٥)] ، عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، أن عائشةَ لمّا أتَتْ على الحَوْأَبِ فسمِعَت نُباحَ الكِلابِ ، فقالت : ما أَظُنُّنى إلا راجعةً ؛ إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لنا : « أيَّتُكن يَنْبَحُ عليها كلابُ الحَوْأَبِ ؟ » . فقال لها الزبيرُ[(٦)] : ترْجِعين ؟! عسى[(٦)] اللَّهُ أن يُصْلِحَ بكِ بينَ الناسِ . وهذا إسنادٌ على شرطِ « الصَّحِيحَيْن » ولم يُخْرِجوه .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[(٧)] : ثنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ كَرامةَ ، ثنا [(٨)]عُبَيدُ اللَّهِ[(٨)] بنُ موسى ، عن عصامِ بنِ قُدامةَ البَجَلىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليتَ شِعْرى أيَّتُكنَّ صاحبةُ الجملِ الأدْبَبِ[(٩)] ، تَسيرُ حتى

---

(١) فى الأصل : « الجواب » . والحوأب : منزل بين مكة والبصرة . النهاية ١/ ٤٥٦.
(٢) فى م ، ص : « أبو نعيم » . وهو خطأ واضح ، انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٦٦.
(٣) الفتن (١٨٨) بنحوه .
(٤ - ٤) كذا فى النسخ ومصدر التخريج . ولعل الصواب : ابن أبى خالد . وهو إسماعيل بن أبى خالد . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩.
(٥) المسند ٦/ ٩٧.
(٦) سقط من : الأصل .
(٧) كشف الأستار (٣٢٧٤) . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٣٤: رواه البزار ورجاله ثقات .
(٨ - ٨) فى كشف الأستار : « عبد اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤، ١٦٧.
(٩) الأدبب : أراد الأدبّ فأظهر الإدغام لأجل الحوأب ، والأدبّ : الكثير وبر الوجه . النهاية ٢/ ٩٦.

تنْبَحها كلابُ الحَوْأَبِ ، يُقْتَلُ عن يمينِها وعن يسارِها قَتْلَى[1] كثيرٌ » . ثم قال : لا نعْلَمُه يُرْوَى عن ابنِ عباسٍ إلا بهذا الإسْنادِ .

وقال الطبرانىُّ[2] : ثنا إبراهيمُ بنُ نائلةَ الأَصْبهانىُّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ[3] عمرٍو البَجَلىُّ ، ثنا نوحُ بنُ دَرَّاجٍ ، عن الأَجْلَحِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن زيدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه علىٍّ[4] بنِ الحسينِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لما بلَغ أصحابَ علىٍّ ، حينَ ساروا إلى البصرةِ ، أن أهلَ البَصْرةِ قد اجْتَمعوا لطلحةَ والزبيرِ ، شَقَّ عليهم ، ووقَع فى قلوبهم ، فقال علىٌّ : والذى لا إلهَ غيرُه لَيُظْهَرَنَّ[5] على أهلِ البصرةِ ، ولَيُقْتَلَنَّ طلحةُ والزبيرُ ، ولَيَخْرُجَنَّ إليكم مِن الكوفةِ ستةُ آلافٍ وخمسُمائةٍ وخمسون رجلًا ، [6]أو خمسةُ آلافٍ وخمسُمائةٍ وخمسون رجلًا[6] - شك الأَجْلَحُ - قال ابنُ عباسٍ : فوقَع ذلك فى نفسى ، فلما أتَى الكوفةَ خرَجْتُ فقلتُ : لأَنْظُرَنَّ ، فإن كان كما يقولُ فهو أمْرٌ سمِعه ، وإلا فهو خَديعةُ الحربِ ، فلقِيتُ رجلًا مِن الجيشِ فسألْتُه ، فواللَّهِ ما عتَّم[7] أن قال ما قال علىٌّ . قال ابنُ عباسٍ : وهو مما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُه .

وقال البيهقىُّ[8] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ

---

(١) فى م : « خلق » .

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٣٧٠، ٣٧١ (١٠٧٣٨) ، وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٣٦: رواه الطبرانى وفيه إسماعيل بن عمرو البجلى وهو ضعيف .

(٣) فى ص : « عن » ، وانظر لسان الميزان ١/ ٤٢٥.

(٤) فى النسخ : « عن » ، وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٩٥.

(٥) فى النسخ : « ليظهرنه » . والمثبت من المعجم الكبير والمجمع .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) عتم : أبطأ وتأخر . وانظر النهاية ٣/ ١٨١.

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤١١: وهو فى المستدرك ٣/ ١١٩.

الحَفيدُ[1] ، ثنا أحمدُ بنُ نصرٍ ، ثنا أبو نُعَيْمٍ الفضلُ ، ثنا عبدُ الجبَّارِ بنُ الوَرْدِ ، عن عَمَّارٍ الدُّهْنيِّ[2] ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : ذكَر النبيُّ ﷺ خروجَ بعضِ أُمَّهاتِ المؤمنين ، فضحِكت عائشةُ ، فقال لها : « انظُرى يا حُمَيْراءُ أن لا تكونى أنتِ » . ثم التفَتَ إلى عليٍّ ، وقال : « يا عليُّ ، إن وُلِّيت مِن أمْرِها شيئًا فارْفُقْ بها » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

وأغْربُ منه ما رَواه البيهقيُّ[3] أيضًا ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن محمدِ ابنِ إسحاقَ الصَّغانيِّ ، عن أبى نُعيمٍ ، عن عبدِ الجبارِ بنِ العباسِ الشِّبامىِّ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن عمرَ بنِ الهَجَنَّعِ[4] ، عن أبى بَكْرةَ قال : قيل له : ما يَمْنَعُك أن لا تكونَ قاتَلْتَ على بصيرتِك[5] يومَ الجملِ ؟ فقال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَخْرُجُ قومٌ هَلْكَى لا يُفْلِحون ، قائدُهم امرأةٌ ، قائدُهم فى الجنةِ » . وهذا مُنْكَرٌ جدًّا .

والمحفوظُ ما رواه البخاريُّ[6] مِن حديثِ الحسنِ البَصْرىِّ ، عن أبى بَكْرةَ قال : نفَعنى اللَّهُ بكلمةٍ سمِعْتُها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ [٥/٧ظ] وبلَغه أن فارسَ ملَّكوا عليهم امرأةَ كِسْرى ؛ فقال : « لن يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوا أمْرَهم امرأةً » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن الحكمِ ،

---

(١) فى الدلائل : « الجنيد » ، وانظر المستدرك ٣/ ١١٩.

(٢) فى الأصل : « الدهبى » ، وفى م : « الذهبى » ، وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٠٨.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤١٢، ٤١٣.

(٤) فى الأصل ، م : « الهجيع » ، وقال العقيلى فى الضعفاء الكبير ٣/ ١٩٦: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به ، وعبد الجبار بن العباس من الشيعة . وانظر الميزان ٣/ ٢٣٢.

(٥) فى الأصل ، م : « نصرتك » .

(٦) البخارى (٤٤٢٥، ٧٠٩٩) .

(٧) المسند ٤/ ٢٦٥.

سمِعْتُ أبا وائلٍ قال : لمَّا بعَث عليٌّ عمارًا والحسنَ إلى الكوفةِ يَسْتَنْفِرُهم ، خطَب عمارٌ فقال : إنى لَأَعْلَمُ أنها زوجتُه فى الدنيا والآخرةِ ، لكنَّ اللَّهَ ابْتَلاكم لتتَّبِعوه أو إياها . ورواه البخاريُّ ، عن بُندارٍ ، عن غُنْدَرٍ[1] ، وهذا كلُّه وقَع فى أيامِ الجملِ ، وقد ندِمت عائشةُ ، رضِى اللَّهُ عنها ، على ما كان مِن خروجِها ، على ما سنُورِدُه فى موضعِه ، وكذلك الزبيرُ بنُ العوامِ أيضًا تذَكَّر وهو واقفٌ فى المعركةِ أن قِتالَه فى هذا الموطنِ ليس بصوابٍ ، فرجَع عن ذلك .

قال عبدُ الرزاقِ[2] : أنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ قال : لما ولَّى الزبيرُ يومَ الجملِ بلَغ عليًّا ، فقال : لو كان ابنُ صَفِيَّةَ يعْلَمُ أنه على حقٍّ ما ولَّى ، وذلك أن النبىَّ ﷺ لقِيَهما فى سَقيفةِ بنى ساعدةَ ، فقال : « أتُحِبُّه يا زبيرُ ؟ » فقال : وما يَمْنَعُنى ؟ قال : « فكيف بك إذا قاتَلْتَه وأنت ظالمٌ له ؟ » قال : فيرَوْن أنه إنما ولَّى لذلك . وهذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ . وقد أسْنَده الحافظُ البيهقىُّ مِن وجهٍ آخرَ فقال[3] : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى ، ثنا أبو عمرٍو بنُ مَطَرٍ ، أنا أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سَوَّارٍ الهاشمىُّ الكوفىُّ ، ثنا مِنْجابُ بنُ الحارثِ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الأجْلَحِ ، ثنا أبى ، عن يزيدَ الفقيرِ ، عن أبيه قال : وسمِعْتُ فَضْلَ بنَ فَضالةَ يُحَدِّثُ أبى ، عن أبى حربِ بنِ أبى الأسْودِ الدِّيلىِّ[4] ، عن أبيه ، دخَل حديثُ أحدِهما فى حديثِ صاحبِه ، قال : لما دَنا علىٌّ وأصحابُه مِن طلحةَ والزبيرِ ، ودَنت الصفوفُ بعضُها مِن بعضٍ ، خرَج علىٌّ وهو على بَغْلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ،

---

(١) البخارى (٣٧٧٢) .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤١٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/ ٤١٠، كلاهما من طريق عبد الرزاق به .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤١٤، ٤١٥.

(٤) فى م : « الدقلى » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧.

فنادَى : ادْعوا لِيَ الزبيرَ بنَ العوامِ ، فإنى علىٌّ . فدُعِيَ له الزبيرُ فأقْبَل حتى اخْتَلفت أعْناقُ دوابِّهما ، فقال علىٌّ : يا زبيرُ ، ناشَدْتُك باللَّهِ أتذْكُرُ يومَ مرَّ بك رسولُ اللَّهِ ﷺ مكانَ كذا وكذا فقال : « يا زبيرُ ، تُحِبُّ عليًّا ؟ » فقلتَ : ألا أُحِبُّ ابنَ خالى وابنَ عمى وعلى دينى ؟ فقال : « يا علىُّ ، أتُحِبُّه ؟ » فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا أُحِبُّ ابنَ عمتى وعلى دينى ؟ فقال : « يا زبيرُ ، أما واللَّهِ لتُقاتِلَنَّه وأنت ظالمٌ له » . فقال الزبيرُ : بلى ، واللَّهِ لقد نُسِّيتُه منذُ سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ثم ذكَرْتُه الآنَ ، واللَّهِ لا أُقاتِلُك . فرجَع الزبيرُ على دابتِه يَشُقُّ الصفوفَ ، فعرَض له ابنُه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ فقال : ما لك ؟ فقال : ذكَّرنى علىٌّ حديثًا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، سمِعْتُه وهو يقولُ : « لَتُقاتِلَنَّه وأنت ظالمٌ له » . فلا أُقاتِلُه . فقال : وللقتالِ جئتَ ؟! إنما جئتَ تُصْلِحُ بينَ الناسِ ، ويُصْلِحُ اللَّهُ هذا الأمرَ . قال : قد حلَفْتُ أن لا أُقاتلَه . قال : فأَعْتِقْ غُلامَك جِرْجِسَ[1] ، وقِفْ حتى تُصْلِحَ بينَ الناسِ . فأعْتَق غُلامَه ووقَف ، فلما اخْتَلف أمرُ الناسِ ذهَب على فرسِه .

قال البيهقىُّ[2] : وأخْبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا الإمامُ أبو الوليدِ ، ثنا الحسنُ ابنُ سفيانَ ، ثنا قَطَنُ بنُ نُسَيْرٍ[3] ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الرَّقاشىُّ ، ثنا جدِّى وهو عبدُ الملكِ [4]بنُ مسلمٍ ، عن أبى جَرْوَةَ[5][4] المازنىِّ قال : سمِعْتُ عليًّا والزبيرَ وعلىٌّ يقولُ له : ناشَدْتُك اللَّهَ يا زبيرُ ، أما سمِعْتَ [٥/٨و]

---

(١) فى م : « خير » .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤١٥.

(٣) فى النسخ ، والدلائل : « بشير » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر الإكمال ١/ ٣٠٢، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٦١٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى م ، ص : « وجرة » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٨٧.

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ إنك تُقاتِلُنى وأنت لى ظالمٌ ؟ قال : بلى ولكنى نُسِّيتُ . وهذا غريبٌ كالسِّياقِ الذى قبلَه[1] .

وقد روَى البيهقىُّ[2] مِن طريقِ الهُذَيْلِ بنِ بلالٍ ، وفيه ضعفٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مسعودٍ العَبْدىِّ ، عن علىٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى رجلٍ يَسْبِقُه بعضُ أعضائِه إلى الجنةِ فلْيَنْظُرْ إلى زيدِ بنِ صُوحَانَ » . قلتُ : قُتِل زيدٌ هذا فى وقْعةِ الجملِ مِن ناحيةِ علىٍّ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] مِن حديثِ هَمّامِ بنِ مُنبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَقومُ الساعةُ حتى تَقْتَتِلَ فئتان عظيمتان ، دَعْواهما واحدةٌ » . ورواه البخارىُّ أيضًا ، عن أبى اليَمانِ ، عن شعيبٍ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هُريرةَ مثلَه[4] . [5]ورواه البخارىُّ أيضًا ، عن أبى اليَمانِ ، عن شعيبٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ[6][5] . وهاتان الفئتان هما أصحابُ الجملِ ، وأصحابُ صِفِّينَ ، فإنهما جميعًا يدْعون إلى الإسلامِ ، وإنما يتَنازعون فى شىءٍ مِن أمورِ المُلْكِ ، ومُراعاةِ المصالحِ العائدِ نَفْعُها على الأُمَّةِ والرَّعايا ، وكان تركُ القتالِ أوْلَى مِن فعلِه ، كما هو مذهبُ جمهورِ الصَّحابةِ ، كما سنذْكُرُه .

---

(١) قال العقيلى فى الضعفاء الكبير ٢/ ٣٠٠: والأسانيد فى هذا ليِّنةٌ .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤١٦. ومن طريق الهذيل بن بلال أيضا أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٥١١)، وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٩٨: رواه أبو يعلى وفيه من لم أعرفهم .

(٣) البخارى (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧/١٧) فى باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، من كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(٤) البخارى (٧١٢١) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) البخارى (٣٦٠٨) .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا أبو اليَمانِ ، ثنا صَفْوانُ بنُ عمرٍو قال : كان أهلُ الشامِ سِتِّينَ ألفًا ، فقُتِل منهم عِشْرون ألفًا ، وكان أهلُ العراقِ مائةً وعِشْرين ألفًا ، فقُتِل منهم أَرْبَعونَ ألفًا .

ولكن كان عليٌّ وأصحابُه أدْنَى الطائفتين إلى الحقِّ مِن أصحابِ معاويةَ ، وأصحابُ معاويةَ كانوا باغِين عليهم ، كما ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[2] مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى مَسْلَمةَ[3] ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : حدَّثنى مَن هو خَيْرٌ مِنى - يعنى أبا قَتادةَ - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمارٍ : « تقْتُلُكَ الفئةُ الباغيةُ » . ورواه أيضًا مِن حديثِ ابنِ عُلَيَّةَ[4] ، عن ابنِ عَوْنٍ ، عن الحسنِ ، عن أمِّه ، عن أمِّ سَلَمةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَقْتُلُ عمارًا الفئةُ الباغيةُ » . وفى روايةٍ[5] : « وقاتلُه فى النارِ » . وقد تقَدَّم الحديثُ بطُرُقِه عندَ بناءِ المسجدِ النبوىِّ فى أولِ الهجرةِ النبويَّةِ ، وما يَزيدُه بعضُ الرافضةِ فى هذا الحديثِ مِن قولِهم بعدَ ذلك : لا أنالَها اللَّهُ شَفاعتى يومَ القيامةِ . فليس له أصلٌ يُعْتَمَدُ عليه ، بل هو مِن اخْتِلاقِ الرَّوافضِ ، قبَّحهم اللَّهُ .

وقد روَى البيهقىُّ[6] مِن حديثِ أبى عبيدةَ بنِ محمدِ بنِ عمارِ بنِ ياسرٍ ، عن مَوْلاةٍ لعمارٍ قالت : اشْتَكى عمارٌ شَكْوَى أَرِق منها ، فغُشِىَ عليه فأفاق ونحن نَبْكِى حولَه ، فقال : ما تَبْكون ؟ أتخْشَوْن[7] أن أموتَ على فراشى ؟ أخْبَرنى

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤١٩، من طريق يعقوب بن سفيان به . وانظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٤.
(٢) مسلم (٧٠، ٧١/٢٩١٥) .
(٣) فى النسخ : « سلمة » . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ١١٤.
(٤) مسلم (٧٣/٢٩١٦) .
(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٤٢٠، من طريق عثمان بن الهيثم، عن ابن عون به .
(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٢١.
(٧) فى الأصل : « أتحبون » .

حَبيبى ﷺ أنه تَقْتُلُنى الفئةُ الباغيةُ ، وأنَّ آخِرَ زادى مِن الدنيا مَذْقَةٌ مِن لبنٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنى وَكيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبى البَخْترِىِّ قال : قال عمارٌ يومَ صِفِّينَ : ائتونى بشَرْبةِ لبنٍ ، [2]فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « آخرُ شَرْبةٍ تشْرَبُها مِن الدنيا شَرْبةُ لبنٍ[2] » . فشرِبها ، ثم تقَدَّم فقُتِل .

وحدَّثنا[3] عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن سفيانَ ، عن حَبيبٍ ، عن أبى البَخْترىِّ ، أن عمارَ بنَ ياسرٍ أُتِىَ بشَرْبةِ لبنٍ فضحِك وقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لى آخرُ شرابٍ أشْرَبُه لبنٌ حينَ أموتُ .

وروَى البيهقىُّ[4] مِن حديثِ عمارٍ الدُّهْنىِّ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن [٥/٨ظ] ابنِ مسعودٍ ، سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذا اخْتَلَف الناسُ كان ابنُ سُمَيَّةَ مع الحقِّ » . ومَعْلُومٌ أن عمارًا كان فى جيشِ علىٍّ يومَ صِفِّينَ ، وقتَله أصحابُ معاويةَ مِن أهلِ الشامِ ، وكان الذى تولَّى قتْلَه رجلٌ يقالُ له : أبو الغاديةِ[5] . رجلٌ مِن أفْنادِ[6] الناسِ ، وقيل : إنه صحابىٌّ . وقد ذكَره أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ وغيرُه فى أسماءِ الصَّحابةِ[7] ، وهو أبو الغاديةِ مسلمٌ ، وقيل : يَسارُ بنُ

---

(١) المسند ٤/ ٣١٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المسند ٤/ ٣١٩.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٢٢.

(٥) فى م : « الفادية » . وانظر تعجيل المنفعة ص ٥٠٩.

(٦) أى من أفراد الناس وعوامهم .

(٧) انظر الاستيعاب ٤/ ١٧٢٥، وأسد الغابة ٦/ ٢٣٧، والإصابة ٧/ ٣١١، وكذا المصدر السابق .

أُزَيْهِرِ الجُهَنىُّ مِن قُضاعةَ . وقيل : مُزَنىٌّ . وقيل : هما اثنان . سكَن الشامَ ، ثم صار إلى وَاسِطٍ ، روَى له أحمدُ حديثًا[1] ، وله عندَ غيرِه آخرُ ، قالوا : وهو قاتلُ عمارِ بنِ ياسرٍ . وكان يذْكُرُ صفةَ قتلِه لعمارٍ لا يتَحاشَى مِن ذلك ، وسنذْكُرُ ترجمتَه عندَ قتلِه لعمارٍ أيامَ معاويةَ فى وَقْعةِ صِفِّينَ ، وأخْطَأَ مَن قال : كان بدْرِيًّا .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا العوامُ ، حدَّثنى ابنُ مسعودٍ ، عن حَنْظلةَ بنِ خُوَيْلِدٍ العَنَزىِّ[3] قال : بينا أنا عندَ معاويةَ إذ جاءه رجلان يخْتَصمان فى رأسِ عمارٍ ، يقولُ كلُّ واحدٍ منهما : أنا قتَلْتُه . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : لِيَطِبْ به أحدُكما نفسًا لصاحبِه ، فإنى سمِعْتُ النبىَّ ﷺ يقولُ : « تقْتُلُه الفئةُ الباغيةُ » . فقال معاويةُ : ألا تُغْنى[4] عنا مجنونَك يا عمرُو ! فما بالُك معنا[5] ؟ قال : إن أبى شَكانى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « أطِعْ أباك مادام حيًّا ولا تَعْصِهِ » فأنا معكم ولستُ أقاتلُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا أبو معاويةَ ، ثنا الأعمشُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ قال : إنى لَأسيرُ مع معاويةَ مُنْصَرَفَه مِن صِفِّينَ بينَه وبينَ عمرِو بنِ العاصِ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : يا أبتِ ، أما سمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعمارٍ : « وَيْحَك يا بنَ سُميَّةَ تقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ » . قال :

---

(١) كذا قال المصنف ، وله فى المسند ثلاثة أحاديث ؛ أحدها من زيادات عبد اللَّه على المسند ٤/ ٧٦، والآخران من مسند أبيه ٥/ ٦٨، ٤/ ٧٦. وانظر أطراف المسند ٧/ ٤٠، ٤١.

(٢) المسند ٢/ ١٦٤، ١٦٥، ٢٠٦، ٢٠٧. وأخرجه النسائى فى خصائص على ص ١٧٢، من طريق يزيد به إلى قول النبى ﷺ .

(٣) فى المسند : « العنبرى » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٣٦.

(٤) فى م : « نح » .

(٥) قوله : « فما بالك معنا » . من كلام معاوية لعبد اللَّه بن عمرو ، كما فى المسند ٢/ ١٦٤.

(٦) المسند ٢/ ١٦١، ٢٠٦.

فقال عمرٌو لمعاويةَ : ألا تَسْمَعُ ما يقولُ هذا ؟ فقال معاويةُ : لا يزالُ يَأْتِينا بهَنَةٍ[1] ، أوَ نحن قتَلْناه ؟! إنما قتَله الذين جاءوا به . ثم رواه أحمدُ عن أبى نُعيمٍ ، عن الثورىِّ ، عن الأعمشِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى زيادٍ ، فذكَر مثلَه[2] . فقولُ معاويةَ : إنما قتَله مَن قدَّمه إلى سيوفِنا . تأويلٌ بعيدٌ جدًّا ، إذ لو كان كذلك لكان أميرُ الجيشِ هو القاتلَ للذين يُقْتَلون فى سبيلِ اللَّهِ ، حيثُ قدَّمهم إلى سيوفِ الأعداءِ .

وقال عبدُ الرزاقِ[3] : أنا ابنُ عُيَينةَ ، أخْبَرنى عمرُو بنُ دينارٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ قال : قال عمرُ[4] لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : أما علِمْتَ أنّا كنّا نَقْرأُ : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨] . فى آخرِ الزمانِ ، كما جاهَدْتُم فى أولِه . فقال عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ[5] : ومتى ذلك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : إذا كان بنو أميَّةَ الأمراءَ ، وبنو المغيرةِ الوزراءَ . ذكَره البيهقىُّ هـٰهنا ، وكأنه يستَشْهِدُ به على ما عقَد له البابَ بعدَه مِن ذكرِ الحكَمَين وما كان مِن أمرِهما ، فقال[6] : [7]بابُ ما جاء فى[7] إخبارِه ﷺ عن الحكَمَيْنِ اللذين بُعِثا فى زمنِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه .

أخْبَرنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ

---

(١) غير واضحة فى الأصل . وفى م : « نهيه » . وفى ص بياض . والمثبت من مصدر التخريج . والهنة : الخصلة من خصال الشر . انظر النهاية ٥/ ٢٧٩.

(٢) المسند ٢/ ١٦١، ٢٠٦.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٢٢، من طريق عبد الرزاق به .

(٤) فى م : « عمرو » .

(٥) فى الأصل : « مهدى » .

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٢٣.

(٧ - ٧) سقط من : م .

الفضلِ، ثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ، عن جريرٍ، عن [٥/٩و] زكريا بنِ يحيى، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ وحَبيبِ بنِ يَسارٍ[1]، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ قال: إنى لأَمْشى مع علىٍّ بشطِّ الفُراتِ فقال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن بنى إسرائيلَ اخْتَلفوا فلم يزَلِ اختلافُهم بينَهم حتى بعَثوا حَكَمَيْنِ فضَلَّا وأضَلَّا[2]، [3]وإن هذه الأمةَ ستخْتَلِفُ فلا يزالُ اختلافُهم بينَهم حتى يبْعَثوا حكَمَين ضَلَّا وأضَلَّا[4] مَن اتَّبعهما[3]». هكذا أوْرَده، ولم يُبَيِّنْ شيئًا مِن أمْرِه، وهو حديثٌ مُنْكَرٌ جدًّا، وآفتُه مِن زكريا بنِ يحيى هذا، وهو الكِندىُّ الحِمْيرىُّ الأعْمَى. قال يحيى بنُ مَعينٍ[5]: ليس بشىءٍ. والحكَمان كانا مِن خِيارِ الصحابةِ، وهما عمرُو بنُ العاصِ السَّهْمىُّ، مِن جهةِ أهلِ الشامِ، والثانى أبو موسى عبدُ اللَّهِ بنُ قيسٍ الأشعرىُّ، مِن جهةِ أهلِ العراقِ، وإنما نُصِبا ليُصْلِحا بينَ الناسِ ويتَّفِقا على أمْرٍ فيه رِفْقٌ بالمسلمين، وحَقْنٌ لدمائِهم، وكذلك وقَع، ولم يَضِلَّ بسببِهما إلا فِرْقةُ الخوارجِ حيث أنْكَروا على الأميرَيْن التَّحْكيمَ، وخرَجوا عليهما وكفَّروهما، حتى قاتَلهم علىُّ بنُ أبى طالبٍ، وناظَرهم ابنُ عباسٍ، فرجَع منهم شِرْذِمةٌ إلى الحقِّ، واسْتَمَرَّ بقيَّتُهم حتى قُتِل أكثرُهم بالنَّهْروانِ وغيرِه مِن المواقفِ المَرْذولةِ عليهم، كما سنذكُرُه.

---

(١) فى م: «بشار». وهو تصحيف، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٠٥.

(٢) بعده فى الأصل، م: «من اتبعهما».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الدلائل: «ضل».

(٥) الجرح والتعديل ٣/ ٦٠١.

[1]ذِكْرُ إخبارِه ﷺ عن خروجِ الخوارجِ وقتالِهم وعلاماتِهم بالرجلِ المُخْدَجِ[2] ذى الثُّدَيَّةِ، فَوُجِد ذلك فى خِلافةِ على بنِ أبى طالبٍ[1]

قال البخاريُّ[3]: ثنا أبو اليَمانِ، ثنا شعيبٌ، عن الزهريِّ قال: أخْبَرنى أبو سَلَمةَ ابنُ عبدِ الرحمنِ أن أبا سعيدٍ الخدريَّ قال: بينما نحن عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا، أتاه ذو الخُوَيْصِرةِ وهو رجلٌ مِن بنى تميمٍ، فقال: [4]يا رسولَ اللَّهِ، اعْدِلْ. فقال: «ويلَك، ومَن يَعْدِلُ [5]إذا لم أعْدِلْ، قد خِبْتُ وخَسِرْتُ إن لم أكنْ أعْدِلُ[5]». فقال عمرُ[4]: يا رسولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لى فيه فأضْرِبَ عنقَه. فقال: «دَعْه فإن له أصحابًا يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يَقْرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقيَهم، يَمْرُقون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّميَّةِ، ينْظُرُ إلى نَصْلِه فلا يُوجدُ فيه شىءٌ ثم ينْظُرُ إلى رِصافِه[6] فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ، ثم ينْظُرُ إلى نَضِيِّه[7]، وهو قِدْحُه[8]، فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ، ثم ينْظُرُ إلى قُذَذِه[9] فلا[10]

(١ - ١) فى م: «إخباره ﷺ عن الخوارج وقتالهم».

(٢) المخدج: ناقص الخَلْق. انظر النهاية ٢/ ١٣.

(٣) البخارى (٣٦١٠).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) فى م: «قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». وفى ص: «إذا لم أكن أعدل». والمثبت من صحيح البخارى.

(٦) الرصاف: عصب السهم الذى يكون فوق مدخل النصل. انظر فتح البارى ٦/ ٦١٨.

(٧) فى الأصل: «لصبه»، وفى م: «نضبه»، وفى ص: «نصيبه». والمثبت من البخارى.

(٨) القدح: عود السهم قبل أن يُراش ويُنصل. انظر فتح البارى ٦/ ٦١٨.

(٩) القذذ: جمع قُذَّة، وهى ريش السهم. المصدر السابق ٦/ ٦١٩.

(١٠) فى م، ص: «فلم».

يُوجَدُ فيه شيءٌ ، قد سبَق الفَرْثَ والدَّمَ[1] ، آيتُهم رجلٌ أَسودُ ، إحدى عَضُدَيه مثلُ ثَدْيِ المرأةِ أو مثلُ البَضْعةِ تَدَرْدَرُ[2] ، ويَخْرُجون على حينِ فُرْقةٍ مِن الناسِ » . قال أبو سعيدٍ : فأشْهَدُ أنى سمِعْتُ هذا الحديثَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأشْهَدُ أن عليَّ بنَ أبى طالبٍ قاتَلهم وأنا معه ، فأمَر بذلك الرجلِ فالْتُمِس فأُتِىَ به ، حتى نظَرْتُ إليه على نعتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى نعَتَه . وهكذا رَواه مسلمٌ مِن حديثِ أبى سعيدٍ[3] . ورواه البخارىُّ أيضًا مِن حديثِ الأوْزاعىِّ ، عن[4] الزهرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ والضَّحَّاكِ المِشْرَقِىِّ[5] ، عن أبى سعيدٍ[6] . وأخرجه البخارىُّ أيضًا مِن حديثِ سفيانَ بنِ سعيدٍ الثورىِّ ، عن أبيه ، ومسلمٌ عن هَنَّادٍ ، عن أبى الأحْوصِ سَلَّامِ بنِ سُلَيْمٍ ، عن سعيدِ بنِ مَسْروقٍ ، عن عبدِ الرحمنِ[7] بنِ أبى نُعْمٍ[7] ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ به[8] .

وقد روَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[9] مِن حديثِ داودَ بنِ أبى هندٍ والقاسمِ بنِ الفضلِ وقتادةَ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَمْرُقُ

---

(١) قال الحافظ فى الفتح : شبّه مروقهم من الدين بالسهم الذى يصيب الصيد ، فيَدْخُل فيه ويَخرُج منه ، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامى لا يَعْلَقُ من جسد الصيد شيء . فتح البارى ٦/ ٦١٨.

(٢) فى الأصل : « تدرد » . وتدردر : تضطرب . والبضعة : القطعة من اللحم . انظر فتح البارى ٦/ ٦١٩.

(٣) مسلم (١٤٨/١٠٦٤) .

(٤) من هنا حتى قوله فى بداية الترجمة الآتية : « يزيد بن محمد بن خثيم المحاربى » فى صفحة ٢٠٤: سقط من الأصل .

(٥) زيادة من : ص . وهو الضحاك بن شراحيل - ويقال : ابن شرحبيل - الهمدانى المشرقى ، أبو سعيد الكوفى . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٦٣.

(٦) البخارى (٦١٦٣) .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « بن يعمر » . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤٥٦.

(٨) البخارى (٣٣٤٤) ، ومسلم (١٤٣/١٦٠٤) .

(٩) مسلم (١٥٠ - ١٥٢/١٠٦٥) .

مارقةٌ عندَ فُرْقةٍ مِن[1] المسلمين يقْتُلُها أَوْلَى الطائفتين بالحقِّ. ورَواه أيضًا[2] مِن حديثِ أبى إسحاقَ الثورىِّ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ، عن الضَّحَّاكِ المِشْرَقىِّ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا.

وروَى مسلمٌ[3] عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ، عن ابنِ مُسْهِرٍ، عن الشَّيْبانىِّ، عن يُسَيْرِ[4] بنِ عمرٍو قال: سألْتُ سهلَ بنَ حُنيفٍ: هل سمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذْكُرُ هؤلاءِ[5] الخَوارجَ؟ فقال: سمِعْتُه. وأشار بيدِه نحوَ المشرقِ، وفى روايةٍ: نحوَ العراقِ[6] «يخْرُجُ قومٌ يَقْرءُون القرآنَ بألسنتِهم لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهم، يَمْرُقون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ، [7]مُحَلَّقةٌ رءوسُهم[7]». وروَى مسلمٌ[8] مِن حديثِ حُميدِ بنِ هلالٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ، عن أبى ذَرٍّ نحوَه، وقال[9]: «شَرُّ الخَلْقِ والخَليقةِ». وكذلك رواه محمدُ بنُ كثيرٍ المِصِّيصىُّ، عن الأوْزاعىِّ، عن قَتادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ مرفوعًا[8]، وقال: «سِيماهم التَّحْليقُ، شَرُّ الخَلْقِ والخَليقةِ».

---

(١) سقط من: م، ص. والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) مسلم (١٠٦٥/١٥٣).

(٣) مسلم (١٠٦٨/١٥٩).

(٤) فى م: «بشير»، وفى ص: «سر». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٠٢.

(٥) زيادة من: م، ص ليست فى صحيح مسلم.

(٦) مسلم (١٠٦٨/٠٠٠). كما ذكرها البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٢٨، وعزاها لمسلم.

(٧ - ٧) زيادة من: م، ص. وهى لفظ رواية مسلم (١٠٦٨/١٦٠).

(٨) مسلم (١٠٦٧/١٥٨) مطولًا.

(٩) بعده فى م، ص: «سيماهم التحليق». والمثبت كما فى صحيح مسلم. والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٣٠، بنحوه.

وفى «الصحيحَيْن»[1] مِن حديثِ الأعْمشِ، عن خَيْثمةَ، عن سويدِ بنِ غَفَلةَ، عن عليٍّ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يخْرُجُ قومٌ فى آخرِ الزمانِ حُدَثاءُ الأسْنانِ، سُفهاءُ الأحْلامِ، يقولون مِن [2]خيرِ قولِ[2] البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهم حَناجرَهم، فأينما لَقِيتُموهم فاقْتُلوهم، فإنَّ فى قتلِهم أجرًا لمَن قتَلهم[3] يومَ القيامةِ». وقد روَى مسلمٌ[4] عن قُتَيْبةَ، عن حمادٍ، عن أيوبَ، عن محمدٍ، عن[5] عَبِيدةَ، عن عليٍّ فى خبرِ [6]مُودَنِ اليدِ[6]، وهو ذو الثُّدَيَّةِ. وأسْنَده مِن وجهٍ آخرَ، عن ابنِ عونٍ، عن ابنِ سِيرينَ، عن عَبِيدةَ، عن عليٍّ[7]، وفيه أنه حلَّف عليًّا على ذلك، فحلَف له أنه سمِع ذلك مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ. ورَواه مسلمٌ عن عبدِ بنِ حُمَيدٍ، عن عبدِ الرزاقِ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ، [8]عن سَلَمَةَ[8]، عن زيدِ بنِ وهبٍ، عن عليٍّ بالقصةِ مُطَوَّلةً[9]، وفيه قصةُ ذى الثُّدَيَّةِ. ورَواه مِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى رافعٍ، عن عليٍّ[10]. ورَواه أبو داودَ الطَّيالسىُّ[11] عن حمادِ بنِ زيدٍ، عن جَمِيلِ[12]

---

(١) البخارى (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦/١٥٤). واللفظ للبخارى.

(٢ - ٢) فى م: «قول خير». قال الإمام النووى: معناه فى ظاهر الأمر كقولهم: لا حكم إلا لله. ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى. صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ١٦٩.

(٣) بعده فى م، ص: «إلى». والمثبت كما فى مصدرى التخريج.

(٤) صحيح مسلم (١٠٦٦/١٥٥).

(٥) فى م، ص: «بن». وهو خطأ. والمثبت من صحيح مسلم، ومحمد هو محمد بن سيرين، انظر تحفة الأشراف ٧/ ٤٣٠.

(٦ - ٦) فى م: «مؤذن الليل»، وفى ص: «مودون اليد». والمثبت من صحيح مسلم. ومودن اليد: ناقص اليد. صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ١٧١.

(٧) مسلم (١٠٦٦/٠٠٠).

(٨ - ٨) سقط من: م، ص. والمثبت من صحيح مسلم، وسلمة هو ابن كُهيل، انظر تحفة الأشراف ٧/ ٣٧٥.

(٩) مسلم (١٠٦٦/١٥٦).

(١٠) مسلم (١٠٦٦/١٥٧).

(١١) مسند أبى داود (١٦٩).

(١٢) فى م: «حميد». وهو خطأ، انظر تهذيب الكمال ٥/ ١٣٠.

ابنِ مُرَّةَ ، عن أبى الوَضِىءِ[1] السَّحْتَنِىِّ[2] ، عن علىٍّ ، فى قصةِ ذى الثُّدَيَّةِ . ورَواه الثورىُّ عن محمدِ بنِ قيسٍ ، عن أبى موسى رجلٍ مِن قومِه ، عن علىٍّ بالقصةِ[3] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[4] : ثنا الحميدىُّ ، ثنا سفيانُ ، حدَّثنى العَلاءُ بنُ أبى العباسِ[5] ، أنه سمِع أبا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ عن بكرِ بنِ قِرْواشٍ[6] ، عن سعدِ[7] بنِ أبى وَقَّاصٍ قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ذا الثُّدَيَّةِ فقال : « شيطانُ الرَّدْهَةِ[8] كراعى الخيلِ ، يَحْتَدِرُه[9] رجلٌ مِن بَجِيلةَ يقال له : الأَشْهَبُ . أو ابنُ الأَشْهَبِ . علامةٌ[10] فى قومٍ ظَلَمةٍ » . قال سفيانُ : فأخْبَرنى عمارٌ الدُّهْنىُّ[11] أنه جاء به رجلٌ منهم يقالُ له : الأَشْهَبُ . أو ابنُ الأشهبِ .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[12] : وحدَّثنا [13]عُبيدُ اللَّهِ[13] بنُ مُعاذٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) فى م : « العرضى » . وهو خطأ . وهو عَبّاد بن نُسيب القيسى ، انظر الإكمال ٧/ ٣٩٤، وتهذيب الكمال ١٤/ ١٦٩، والمشتبه ٢/ ٦٦٢.

(٢) فى م ، ص : « والسحيمى » . وفى مسند أبى داود : « السحيمى » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر الجرح والتعديل ٦/ ٨٧.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٣٣ ، من طريق سفيان الثورى به .

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٣٣، ٤٣٤ ، من طريق يعقوب به .

(٥) فى المعرفة والتاريخ : « عياش » . وانظر لسان الميزان ٤/ ١٨٤.

(٦) فى م : « قرقاش » . وانظر لسان الميزان ٢/ ٥٦.

(٧) فى م ، ص : « سعيد » . والمثبت من مصدرى التخريج ، وانظر المصدر السابق .

(٨) الردهة : النُّقْرة فى الجبل يَسْتَنْقِع فيها الماء . النهاية ٢/ ٢١٦.

(٩) فى م : « يحذره » .

(١٠) فى المعرفة والتاريخ : « علابة » .

(١١) فى م : « الذهبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٠٨.

(١٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٣٤ ، من طريق عبيد اللَّه به . وانظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٧.

(١٣ - ١٣) فى ص : « عبد اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٥٨.

شُعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حامدٍ الهَمْدانىِّ ، سمِعْتُ سعدَ بنَ مالكٍ يقولُ : قتَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ شيطانَ الرَّدْهَةِ . يعنى المُخْدَجَ . يريدُ ، واللَّهُ أعْلمُ ، قَتَله أصحابُ علىٍّ .

وقال علىُّ بنُ عَيَّاشٍ[1] ، عن حَبيبٍ ، عن سَلَمةَ قال : [2]قال علىٌّ[2] : لقد عَلِمَتْ عائشةُ أن جيشَ المَرْوةِ وأهلَ النَّهْرَوانِ[3] مَلْعونون على لسانِ محمدٍ ﷺ . قال ابنُ عَيَّاشٍ[4] : جيشُ المروةِ قَتَلةُ عثمانَ . رَواه البيهقىُّ .

ثم قال البيهقىُّ[5] : أنا الحاكمُ ، أنا الأصَمُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعْمشِ ، عن إسماعيلَ بنِ رَجاءٍ ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن منكم مَن يُقاتِلُ على تأْويلِ القرآنِ كما قاتَلْتُ على تنزيلِه » . فقال أبو بكرٍ : أنا هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لا » . فقال عمرُ : أنا هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لا ، ولكن خاصفُ النعلِ » . يعنى عليًّا .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ ، عن أبيه ، عن عِمْرانَ بنِ حُدَيْرٍ[7] ، عن لاحقٍ قال : كان الذين خرَجوا على علىٍّ بالنَّهْروانِ أربعةَ آلافٍ فى

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٣٤، من طريق على بن عياش به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الدلائل : « النهر » .

(٤) فى م ، ص : « عباس » . وقد سبق فيهما صحيحًا ، والمثبت من الدلائل .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٦، بنحوه .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٢٥، والخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٨٢، كلاهما من طريق يعقوب به .

(٧) فى م : « جرير » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣١٤.

الحديدِ ، فركِبهم المسلمون فقتَلوهم ، ولم يَقْتُلوا[1] مِن المسلمين إلا تسعةَ رَهْطٍ ، وإن شئتَ فاذْهَبْ إلى أبى بَرْزةَ فإنه [2]قد شَهِد ذلك[2] .

قلتُ : الأخبارُ بقتالِ الخَوارجِ متواترةٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لأن ذلك مِن طرقٍ تُفيدُ القَطْعَ عندَ أئمةِ هذا الشأنِ ، ووقوعُ ذلك فى زمانِ علىٍّ معلومٌ ضرورةً لأهلِ العلمِ قاطبةً ، وأمّا كيفيةُ خروجِهم وسببُه ومُناظرةُ ابنِ عباسٍ لهم فى ذلك ورُجوعُ كثيرٍ منهم إليه ، فسيأتى بيانُ ذلك فى موضعِه إن شاء اللَّهُ تعالى .

إخبارُه ﷺ بمَقْتلِ علىّ بنِ أبى طالبٍ ، فكان كما أخْبَر [3]سواءً بسواءٍ[3]

قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا علىُّ بنُ بَحْرٍ ، ثنا عيسى بنُ يونسَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنى [5]يزيدُ بنُ محمدِ بنِ خُثَيْمٍ[5] المُحارِبىُّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، [6]عن محمدِ[6] بنِ خُثَيْمٍ[7] ، عن عمارِ بنِ ياسرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى مصدرى التخريج : « يُقتَل » .

(٢ - ٢) فى م : « يشهد بذلك » ، وفى ص : « يشهد ذلك » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) المسند ٤/ ٢٦٣، بنحوه .

(٥ - ٥) فى الأصل : « زيد بن محمد بن خثيم » ، وفى م ، ص : « زيد بن محمد بن خيثم » . والمثبت من المسند ، انظر أطراف المسند ٥/ ١٢.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى م ، ص : « خيثم » .

لعليٍّ حينَ ولِيَ غزوةَ العُشَيْرةِ : « يا أبا تُرابٍ - لما يرَى عليه مِن الترابِ - ألا أُحَدِّثُك[1] بأشْقَى الناسِ رجلين ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أُحَيْمِرُ ثمودَ الذى عقَر الناقةَ ، والذى يَضْرِبُك يا عليُّ على هذه - يعنى قَرْنَه - حتى يَبُلَّ هذه » . يعنى لحيتَه .

وروَى البيهقيُّ[2] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن الحسنِ بنِ مُكْرَمٍ ، عن أبى النَّضْرِ ، عن محمدِ بنِ راشدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ ، عن فَضالةَ بنِ أبى فَضالةَ الأنصاريِّ - وكان أبوه مِن أهلِ بدرٍ - [٥/ ٩ظ] قال : خرَجْتُ مع أبى عائدًا لعليِّ بنِ أبى طالبٍ فى مرضٍ أصابَه ، ثَقُل[3] منه . قال : فقال له[4] أبى : ما يُقيمُك بمنزِلك هذا ؟ فلو أصابك أجَلُك لم يَلِكَ[5] إلا أعرابُ جُهَيْنةَ ، تَحَمَّلْ[6] إلى المدينةِ ، فإن أصابك أجَلُك وَلِيَك أصحابُك وصَلَّوا عليك . فقال عليٌّ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ عَهِد إلىَّ أن لا أموتَ حتى [7]أُؤَمَّرَ ثُم[7] تُخْضَبَ هذه - يعنى لحيتَه - مِن دمِ هذه . يعنى هامتَه . فقُتِل وقُتِل أبو فَضالةَ مع عليٍّ يومَ صِفِّينَ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[8] : ثنا شَريكٌ ، عن عثمانَ بنِ المغيرةِ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ قال : جاء رأسُ الخَوارجِ إلى عليٍّ فقال له : اتَّقِ اللَّهَ فإنك ميِّتٌ . فقال : لا والذى فلَق الحبَّةَ وبرَأ النَّسَمةَ ، ولكن مَقْتولٌ مِن ضَرْبةٍ على هذه ، تَخضِبُ هذه -

---

(١) فى المسند : « أحدثكما » .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٨ .

(٣) فى م ، ص : « فقتل » .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) فى الأصل ، م : « يكن » .

(٦) فى م : « تحملك » ، وفى ص : « يحمل » . وتحمَّل : ارْتَحِل .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٨) مسند أبى داود (١٥٧) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٣٨، ٤٣٩، من طريق أبى داود به .

وأشار بيدِه إلى لحيتِه - عَهْدٌ مَعْهودٌ ، وقَضاءٌ مَقْضِيٌّ ، وقد خاب مَن افْتَرى . وقد روَى البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ[1] ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبى سِنانٍ الدُّؤَلِيِّ[2] ، عن عليٍّ فى إخْبارِ النبىِّ ﷺ بقتلِه .

وروَى[3] مِن حديثِ هُشَيْمٍ[4] ، عن إسماعيلَ بنِ سالمٍ ، عن أبى إدريسَ الأزْدىِّ ، عن عليٍّ قال : إن مما عهِد إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الأُمَّةَ ستَغْدُرُ بك بعدى » .

ثم ساقه[5] مِن طريقِ فِطْرِ[6] بنِ خَليفةَ وعبدِ العزيزِ بنِ سِياه ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن ثَعْلبةَ بنِ يزيدَ الحِمَّانىِّ[7] قال : سمِعْتُ عليًّا يقولُ : إنه لَعهدُ النبىِّ الأُمِّىِّ ﷺ إلىَّ : « إن الأُمَّةَ ستغدُرُ بك بعدى » . قال البخارىُّ[8] : ثَعْلبةُ هذا فيه نظَرٌ ، ولا يُتابَعُ على حديثِه هذا .

وروَى البيهقىُّ[9] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّغانىِّ[10] ، عن أبى [11]الجَوَّابِ الأحْوصِ بنِ جَوَّابٍ[11] ، عن عَمَّارِ بنِ

---

(١) ذكر البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٣٩، ٤٤٠، أنه أخرجه فى كتاب السنن بإسناد صحيح . وهو فى السنن الكبرى ٨/ ٥٨، ٥٩.

(٢) فى الأصل : « المدرى » ، وفى م : « المدركى » ، وفى ص : « المررى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٨٦.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٠.

(٤) فى م ، ص : « هيثم » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٠.

(٦) فى النسخ : « قطر » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٢.

(٧) فى الأصل : « الحمالى » ، وفى م : « الحمامى » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٩٩.

(٨) التاريخ الكبير ٢/ ١٧٤.

(٩) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٩.

(١٠) فى م : « الصنعانى » . وانظر الأنساب ٣/ ٥٠٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.

(١١ - ١١) فى الأصل : « الجواب الأخوص بن جواب » ، وفى م : « الأجوب الأحوص بن خباب » ، =

رُزَيْقٍ[1] ، عن الأعْمشِ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن ثعلبةَ بنِ يزيدَ قال : قال عليٌّ : والذى فلَق الحبَّةَ وبرأ النَّسَمةَ لتُخْضَبَنَّ هذه مِن هذه - للحيتِه مِن رأسِه - فما يَحْبِسُ أشْقاها ؟ فقال عبدُ اللَّهِ بنُ سَبُعٍ[2] : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لو أن رجلًا فعَل ذلك لأبَرْنا عَشيرتَه[3] . فقال : [4]أنْشُدُك باللَّهِ أن لا تَقْتُلَ[4] بى غيرَ قاتلى . قالوا : يا أميرَ المؤمنين ، ألا تَسْتَخْلِفُ ؟ قال : [5]لا ، ولكنِّى[5] أتْرُكُكم كما ترَككم رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالوا : فما تقولُ لربِّك إذا [6]لَقِيتَه وقد[6] ترَكْتَنا هَمَلًا ؟ قال : أقولُ : اللهم اسْتَخْلَفْتَنى فيهم ما بدَا لك ، ثم قبَضْتَنى وترَكْتُك فيهم ، فإن شئتَ أصْلَحْتَهم ، وإن شئتَ أفْسَدْتَهم . وهكذا روَى البيهقىُّ هذا ، وهو مَوْقوفٌ ، وفيه غَرابةٌ مِن حيث اللفظُ ومِن حيث المعنى ، ثم المشهورُ عن علىٍّ أنه لمَّا طعَنه عبدُ الرحمنِ بنُ مُلْجَمٍ الخارجىُّ وهو خارجٌ لصلاةِ الصبحِ عندَ السُّدَّةِ[7] ، فبَقِىَ علىٌّ يومين مِن طَعْنتِه ، وحُبِس ابنُ مُلْجَمٍ ، وأوْصَى علىٌّ إلى ابنِه الحسنِ بنِ علىٍّ ، كما سيأتى بيانُه ، وأمَره أن يَرْكَبَ فى الجنودِ ، وقال له : لا [8]تَحَرَّ علىٌّ كما تَحَرَّ[8]

= وفى ص : « الأحوب الأحوص بن حواب » . والمثبت من الدلائل ، وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٨.

(١) فى الأصل ، م : « زريق » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٨٩.

(٢) فى م : « سبيع » . وهو مما قيل فى اسمه ، انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٥.

(٣) فى الدلائل : « عترته » . وأبرنا عشيرته : أهلكناه . انظر النهاية ١/ ١٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : « أنشد باللَّه أن نصل بى غير قاتلى » ، وفى ص : « أنشدك باللَّه أن تقتل » ، وفى الدلائل : « أنشد أن لا يقتل » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « ولكن » .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٧) السدة : كالظلة على الباب ؛ لتقى الباب من المطر . وقيل : هى الباب نفسه . وسدة المسجد : الظلال التى حوله . انظر النهاية ٢/ ٣٥٣.

(٨ - ٨) فى م : « تجر على كما تجر » ، وفى ص : « نحس على كما نحس » . وحَرَّتْ كبد الرجل : يبست من عطشٍ أو حُزن . انظر الوسيط (ح ر ر) .

الجاريةُ . فلما مات قُتِل عبدُ الرحمنِ بنُ مُلْجَمٍ قَوَدًا . وقيل : حَدًّا . واللَّهُ أعلمُ ، ثم ركِب الحسنُ بنُ عليٍّ فى الجنودِ ، وسار إلى معاويةَ كما سيأتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

ذكرُ[1] إخبارِه ﷺ بذلك ، وسيادةِ ولدِه الحسنِ بنِ عليٍّ فى تَرْكِه الأمْرَ مِن بعدِه ، وإعطائِه [2]ذلك الأمرَ معاويةَ ، وتقليدِه إياه ما كان يَتَوَلَّاه ويقومُ بأعبائِه[2]

قال البخاريُّ فى دلائلِ النبوةِ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا حسينٌ الجُعْفىُّ ، عن أبى [٥/ ١٠و] موسى ، عن الحسنِ ، عن أبى بَكْرةَ قال : أخْرَج النبىُّ ﷺ ذاتَ يومٍ الحسنَ بنَ عليٍّ ، فصعِد به على المِنْبرِ فقال : « إن ابنى هذا سَيِّدٌ ، ولعلَّ اللَّهَ أن يُصْلِحَ به بينَ فئتَيْنِ مِن المسلمين » .

وقال فى كتابِ الصُّلْحِ[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا سفيانُ ، عن أبى موسى قال : سمِعْتُ الحسنَ يقولُ : اسْتَقْبلَ واللَّهِ الحسنُ بنُ عليٍّ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ بكَتائِبَ أمثالِ الجبالِ ، فقال عمرُو بنُ العاصِ : إنى لأَرَى كتائبَ لا تُوَلِّى حتى تَقْتُلَ أقْرانَها . فقال له معاويةُ - وكان واللَّهِ خيرَ الرجلين - أى عمرُو ، إن

---

(١) سقط من : م .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) البخارى (٣٦٢٩) .
(٤) البخارى (٢٧٠٤) .

قَتَلَ هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، مَن لِى بأمورِ الناسِ ؟ مَن لى بنسائِهم ؟ مَن لى بضَيْعتِهم ؟ فبعَث إليه رجلين مِن قريشٍ مِن بنى عبدِ شمسٍ ؛ عبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرةَ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ عامرِ بنِ كُرَيزٍ ، فقال : اذْهَبا إلى هذا الرجلِ فاعْرِضا عليه ، وقولا له واطْلُبا إليه . فأتَياه فدخَلا عليه فتكَلَّما وقالا له ، وطلَبا إليه ، فقال لهما الحسنُ بنُ علىٍّ : إنا بنو عبدِ المطلبِ قد أصَبْنا مِن هذا المالِ ، وإن هذه الأُمَّةَ قد عاثت فى دمائِها . قالا : فإنه يَعْرِضُ عليك كذا وكذا ، ويطْلُبُ إليك ويسأَلُك . قال : فمَن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به . فما سأَلهما شيئًا إلا قالا : نحن لك به . فصالَحه ، فقال الحسنُ[1] : ولقد سمِعْتُ أبا بَكْرةَ يقولُ : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على المِنْبرِ والحسنُ بنُ علىٍّ إلى جنبِه ، وهو يُقْبِلُ على الناسِ مرَّةً وعليه أخرى ، ويقولُ : « إن ابنى هذا سيِّدٌ ، ولعل اللَّهَ أن يُصْلِحَ به بينَ فئتَيْن عظيمتَين مِن المسلمين » . وقال البخارىُّ : قال لى علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ : إنما ثبَت لنا سَماعُ الحسنِ من[2] أبى بَكْرةَ بهذا الحديثِ .

وقد رواه البخارىُّ أيضًا فى فضلِ الحسنِ وفى كتابِ الفتنِ[3] ، عن علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن أبى موسى ، وهو إسرائيلُ بنُ موسى[4] . ورواه أبو داودَ والترمذىُّ مِن حديثِ أشْعثَ ، وأبو داودَ أيضًا والنسائىُّ مِن حديثِ علىٍّ

---

(١) الحسن هنا هو الحسن البصرى ، كما يبين مما بعده فى السياق ، وانظر فتح البارى ٥/ ٣٠٧.

(٢) فى النسخ : « بن » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٣) البخارى (٣٧٤٦، ٧١٠٩) . ولكنه فى الحديث الأول - فى فضل الحسن (٣٧٤٦) - جاء عن صَدَقة بن الفضل عن سفيان ، لا عن على بن المدينى عن سفيان . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٣٨.

(٤) فى الأصل ، ص : « يونس بن أبى إسحاق » ، وفى م : « موسى بن أبى إسحاق » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر تهذيب الكمال ٢/ ٥١٤، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٨.

ابنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، كلُّهم عن الحسنِ البصريِّ ، عن أبى بَكْرةَ به[1] ، وقال الترمذىُّ : صحيحٌ[2] . وله طرقٌ عن الحسنِ مُرْسلًا[3] ، وعن الحسنِ عن أمِّ سَلَمةَ به[4] . وهكذا وقَع الأمرُ كما أخْبَر به النبىُّ ﷺ سواءً ؛ فإن الحسنَ بنَ علىٍّ لما صار إليه الأمرُ بعدَ أبيه وركِب فى جيوشِ أهلِ العراقِ ، وسار إليه معاويةُ ، فتَصافَّا بصِفِّينَ على ما ذكَره الحسنُ البصريُّ ، فمال الحسنُ بنُ علىٍّ إلى الصلحِ ، وخطَب الناسَ ، وخلَع نفسَه مِن الأمرِ ، وسلَّمه إلى معاويةَ ، وذلك سنةَ أربعين ، فبايَعه الأمراءُ مِن الجيشَيْن ، واستَقَلَّ بأعباءِ الأُمةِ ، فسُمِّىَ ذلك العامُ عامَ الجماعةِ ؛ لاجتماعِ الكلمةِ فيه على رجلٍ واحدٍ ، وسنُورِدُ ذلك مُفَصَّلًا فى موضعِه إن شاء اللَّهُ تعالى . وقد شهِد الصادقُ المَصْدوقُ ﷺ للفِرقتَين بالإسلامِ ، فمَن كفَّرهم أو واحدًا منهم لمجردِ ما وقَع ، فقد أخْطَأ وخالَف النَّصَّ النبوىَّ المحمدىَّ الذى لا يَنْطِقُ عن الهَوَى ، إن هو إلا وَحْىٌ يُوحَى ، وقد تكَمَّل بهذه السنةِ المدةُ التى أشار إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ أنها مدةُ الخِلافةِ المُتابِعةِ بعدَه ، كما تقدَّم[5] فى حديثِ سَفينةَ مولاه أنه قال : « الخلافةُ بعدى ثلاثون سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا » . وفى روايةٍ[5] : « عَضُوضًا » . وفى روايةٍ عن معاويةَ أنه قال : رضِينا بها مُلْكًا[6] .

وقد قال نُعيمُ بنُ حمادٍ فى كتابِه « الفتنِ والمَلاحمِ »[7] : سمِعْتُ محمدَ بنَ

---

(١) أبو داود (٤٦٦٢) من حديث الأشعث وعلى بن زيد كليهما ، والترمذى (٣٧٧٣) ، والنسائى فى الكبرى (١٠٠٨٠) .

(٢) فى الترمذى : « حسن صحيح » .

(٣) النسائى فى الكبرى (١٠٠٨٣ - ١٠٠٨٥) .

(٤) انظر تحفة الأشراف ٩/ ٣٩ .

(٥) تقدم تخريجها فى ٩/ ١٥٣.

(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٣. وجاء اللفظ فى ص ١٥٤، ونصه هناك : « رضينا بالملك » .

(٧) الفتن (٤٢٢) بنحوه .

فُضَيْلٍ، عن السَّرِيِّ بنِ إسماعيلَ، عن عامرٍ الشعبيِّ، عن سفيانَ [٥/ ١٠ظ] بنِ الليلِ[١] قال: سمِعْتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ: سمِعْتُ عليًّا يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لا تَذْهَبُ الأيامُ والليالى حتى يجْتَمِعَ أمرُ هذه الأُمةِ على رجلٍ واسعِ السُّرْمِ[٢]، ضَخْمِ البُلْعُمِ[٣]، يأْكُلُ ولا يشْبَعُ وهو معاويةُ[٤]». هكذا وقَع فى هذه الروايةِ. وفى روايةٍ بهذا الإسنادِ[٥]: «لا تذْهَبُ الأيامُ والليالى حتى تجْتَمِعَ هذه الأمةُ على مُعاويةَ».

وروَى البيهقىُّ[٦] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ مُهاجِرٍ، وهو ضعيفٌ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ[٧] قال: قال مُعاويةُ: واللَّهِ ما حمَلنى على الخِلافةِ إلا قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لى: «يا معاويةُ، إن مَلَكْتَ فأَحْسِنْ».

ثم قال البيهقىُّ[٨]: وله شَواهدُ؛ مِن ذلك حديثُ عمرِو بنِ يحيى بنِ[٩] سعيدِ بنِ العاصِ، عن جدِّه سعيدٍ، أن معاويةَ أخَذ الإداوةَ فتبع رسولَ اللَّهِ ﷺ، فنظَر إليه فقال: «يا معاويةُ، إن وُلِّيتَ أمْرًا فاتَّقِ اللَّهَ واعْدِلْ». قال معاويةُ: فما زِلْتُ أظُنُّ أنى مُبْتَلًى بعملٍ، لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) فى م: «عيينة». وهو خطأ، انظر الجرح والتعديل ٤/ ٢١٩.

(٢) فى الأصل، م: «القدم»، وفى الفتن: «الشرم». والسُّرْم: الدبر. النهاية ٢/ ٣٦٢.

(٣) فى م، ص: «البلغم». والبلعوم: الحلق. والبلعم بمعناه. يريد أنه رجل عظيم شديد. انظر النهاية ٢/ ٣٦٢.

(٤) فى م: «عرى».

(٥) أخرجها العقيلى فى الضعفاء الكبير ٢/ ١٧٥، ١٧٦، من طريق نعيم بن حماد بالإسناد السابق، ولكن بلفظ: «لا تذهب الأيام والليالى حتى يملك رجل وهو معاوية».

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٦.

(٧) فى م: «عمار». وهو خطأ، انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠.

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٦، ٤٤٧.

(٩) فى م: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٩٤.

ومنها حديثُ الثوريِّ، عن ثورِ بنِ يَزيدَ، عن راشدِ بنِ سعدٍ الداريِّ، عن معاويةَ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنك إن اتَّبَعْتَ عَوْراتِ الناسِ أفسَدْتَهم، أو كِدْتَ أن تُفْسِدَهم». ثم يقولُ أبو الدَّرْداءِ: كلمةٌ سمِعها معاويةُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فنفَعه اللَّهُ بها. رواه أبو داودَ[1].

وروَى البيهقيُّ[2] مِن طريقِ هُشَيْمٍ، عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ، عن سليمانَ بنِ أبي سليمانَ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الخلافةُ بالمدينةِ، والمُلْكُ بالشامِ».

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى، ثنا يحيى بنُ حمزةَ، عن زيدِ بنِ واقدٍ، حدَّثني بُسْرُ[4] بنُ عُبَيدِ اللَّهِ، حدَّثني أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ، عن أبي الدرداءِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بينا أنا نائمٌ إذ رأيْتُ عمودَ الكتابِ[5] احْتُمِل مِن تحتِ رأسي، فظنَنْتُ أنه مَذْهوبٌ به، فأتْبَعْتُه بَصَري، فعُمِد به إلى الشامِ، ألا وإن الإيمانَ، حينَ تقَعُ الفِتَنُ، بالشامِ».

وهـٰهنا رواه البيهقيُّ مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ، عن يحيى بنِ حمزةَ البَتْلَهِيِّ[6] به[7]. قال البيهقيُّ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ، ورُوِيَ

---

(١) أبو داود (٤٨٨٨). صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٠٨٨).

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٧.

(٣) المسند ٥/ ١٩٨، ١٩٩. قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٥٧، ٥٨: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) في م: «بشر». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥.

(٥) بعده في النسخ: «رفع». والمثبت كما في المسند.

(٦) في الأصل، م: «السلمي». وهو خطأ، انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٧٨.

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٧.

مِن وجهٍ آخرَ.

ثم ساقه[1] مِن طريقِ عقبةَ بنِ عَلْقمةَ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ الدِّمشقيِّ، عن عطيةَ بنِ قيسٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنى رأيْتُ أن عمودَ الكتابِ انْتُزِع مِن تحتِ وِسادتى، فنظَرْتُ فإذا هو[2] نُورٌ ساطعٌ عُمِدَ به إلى الشامِ، ألا إن الإيمانَ، إذا وقَعَت الفِتَنُ، بالشامِ».

ثُم أوْرَده البيهقيُّ[1] مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، عن يونسَ بنِ مَيْسرةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال: قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ. فذكَر نحوَه، إلا أنه قال: «فأتْبَعْتُه بَصَرى حتى ظننْتُ أنه مَذْهوبٌ به». قال: «وإنى أوَّلْتُ أن الفِتَنَ إذا وقَعَت، أن الإيمانَ بالشامِ». قال الوليدُ: وحدَّثنى عُفَيْرُ[3] بنُ مَعْدانَ، أنه سمِع سُلَيمَ[4] بنَ عامرٍ يُحَدِّثُ عن أبى أُمامةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلَ ذلك.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5]: حدَّثنى نصرُ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ الحِمْصيُّ، ثنا أبى أبو ضَمْرةَ محمدُ بنُ سليمانَ [٥/ ١١و] السُّلَمِيُّ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى قيسٍ، سمِعْتُ عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رأيْتُ عمودًا مِن نورٍ خرَج مِن تحتِ رأسى ساطعًا حتى اسْتَقَرَّ بالشامِ».

وقال عبدُ الرزاقِ[6]: أنا مَعْمرٌ، عن الزهريِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ صَفْوانَ قال:

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٨.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى م، ص: «عنبر». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٧٦.

(٤) فى النسخ: «سليمان». وهو خطأ. والمثبت من الدلائل، انظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٤٤.

(٥) المعرفة والتاريخ ٢/ ٣١١. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٤٨، ٤٤٩.

(٦) المصنف (٢٠٤٥٥).

قال رجلٌ يومَ صِفِّينَ : اللهم الْعَنْ أهلَ الشامِ . فقال له عليٌّ : لا تَسُبَّ أهلَ الشامِ جمًّا غفيرًا ؛ فإن بها الأبْدالَ ، فإن بها الأبْدالَ ، فإن بها الأبْدالَ .

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ ، عن عليٍّ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا أبو المغيرةِ ، ثنا صَفْوانُ ، حدَّثنى شُرَيْحٌ ، يعنى ابنَ عُبَيدٍ الحَضْرمىَّ ، قال : ذُكِر أهلُ الشامِ عندَ عليِّ بنِ أبى طالبٍ وهو بالعراقِ ، فقالوا : الْعَنْهم يا أميرَ المؤمنين . قال : لا ، إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الأبْدالُ يكونون بالشامِ ، وهم أربعون رجلًا ، كلما مات رجلٌ أبْدَل اللَّهُ مكانَه رجلًا ، يُسْقَى[2] بهم الغَيْثُ ، ويُنْتَصَرُ بهم على الأعداءِ ، ويُصْرَفُ عن أهلِ الشامِ بهم العذابُ » . تفرَّد به أحمدُ ، وفيه انْقطاعٌ ، فقد نَصَّ أبو حاتمٍ الرازىُّ[3] على أن شُرَيْحَ بنَ عُبَيدٍ هذا لم يَسْمَعْ مِن أبى أُمامةَ ولا مِن أبى مالكٍ الأشْعرىِّ ، وأن روايتَه عنهما مُرْسَلةٌ . فما ظَنُّك[4] بروايتِه عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، وهو أقْدَمُ وَفاةً منهما ؟!

---

(١) المسند ١/ ١١٢.

(٢) فى م : « يستسقى » .

(٣) المراسيل لأبى حاتم الرازى ص ٦٠، ٦١.

(٤) هذه العبارة حتى نهايتها تعقيب من المصنف ، رحمه اللَّه .

إخبارُه ﷺ عن غَزاةِ البحرِ إلى قُبْرُصَ [1] التى كانت فى أيامِ أميرِ المؤمنين مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ، رضِى اللَّهُ عنه [1]

قال مالكٌ [2] عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يدْخُلُ على أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلْحانَ فتُطْعِمُه، وكانت تحتَ عُبادةَ بنِ الصامتِ، فدخَل عليها يومًا فأطْعَمَتْه، ثم جلَسَت تَفْلِى رأسَه، فنام رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثم اسْتَيْقَظ وهو يَضْحَكُ. قالت: فقلتُ: ما يُضْحِكُك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «ناسٌ مِن أمتى عُرِضوا علىَّ غُزاةً فى سبيلِ اللَّهِ يَرْكَبون ثَبَجَ هذا البحرِ [3]، مُلوكًا على الأَسِرَّةِ» - أو «مثلَ المُلوكِ على الأَسِرَّةِ». شكَّ إسحاقُ - فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أن يجْعَلَنى منهم. فدَعا لها، ثم وضَع رأسَه فنام، ثم اسْتَيْقَظ وهو يَضْحَكُ. قالت: قلتُ: ما يُضْحِكُك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «ناسٌ مِن أمتى عُرِضوا علىَّ غُزاةً فى سبيلِ اللَّهِ». كما قال فى الأُولى. قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنى منهم. فقال: «أنتِ مِن الأَوَّلِين». قال: فركِبَت أمُّ حَرامٍ بنتُ مِلْحانَ البحرَ فى زمانِ مُعاويةَ، فصُرِعت عن دابَّتِها حينَ خرَجت مِن البحرِ فهلَكَت. رَواه البخاريُّ عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ، ومسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى، كلاهما عن مالكٍ به [4]. وأخْرَجاه فى «الصحيحَيْن» مِن حديثِ الليثِ وحمادِ بنِ زيدٍ [5]، كلاهما عن يحيى بنِ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) الموطأ ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥.

(٣) الثبج: وسط الشىء. انظر الوسيط (ث ب ج).

(٤) البخارى (٢٧٧٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢/٦٠).

(٥) البخارى (٢٨٩٤، ٢٨٩٥)، ومسلم (١٩١٢/١٦١) من حديث حماد، والبخارى (٢٧٩٩، ٢٨٠٠)، ومسلم (١٩١٢/١٦٢) من حديث الليث.

سعيدٍ ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ حَبَّانَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن خالتِه أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلْحانَ ، فذكَر الحديثَ ، إلى أن قال : فخرَجَت مع زوجِها عُبادةَ بنِ الصامتِ غازيَةً أولَ ما ركِبوا مع معاويةَ ، أو أولَ ما ركِب المسلمون البحرَ مع مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، فلما انصَرَفوا مِن غَزاتِهم قافلِين فنزَلوا الشامَ ، قُرِّبت إليها دابَّةٌ ؛ لتَرْكَبَها ، فصرَعَتْها فماتت . ورواه البخاريُّ مِن حديثِ أبى إسحاقَ الفَزَاريِّ ، [1] عن زائدةَ [1] ، عن أبى طُوالةَ [2] عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أنسٍ به [3] . وأخْرَجه أبو داودَ مِن حديثِ مَعْمرٍ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أختِ [٥/ ١١ظ] أمِّ سُليمٍ [4] الرُّمَيْصاءِ ، وهى أمُّ حَرامٍ ، فذكَر نحوَ ما تقدَّمَ [4] .

وقال البخاريُّ [5] : بابُ ما قيل فى قِتالِ الرومِ . حدَّثنا إسحاقُ بنُ يزيدَ الدِّمَشْقِيُّ ، ثنا يحيى بنُ حمزةَ ، حدَّثنى ثَوْرُ بنُ يَزيدَ عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، أن عُميرَ ابنَ الأسودِ العَنْسِيَّ حدَّثه أنه أتَى عُبادةَ بنَ الصامتِ وهو نازلٌ فى [6] ساحةِ [7] حِمْصَ ، وهو فى بِناءٍ [8] له ومعه أمُّ حَرامٍ . قال عميرٌ : فحدَّثَتْنا أمُّ حَرامٍ أنها

(١ - ١) كذا فى النسخ وليس فى البخارى . قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٧٧: وزعم أبو مسعود فى الأطراف أنه سقط بينهما زائدة بن قدامة ، وأقره المزى على ذلك فى تحفة الأشراف ، وقواه بأن المسيب بن واضح رواه عن أبى إسحاق الفزارى عن زائدة عن أبى طوالة ، وقد قال أبو على الجيانى : تأملته فى السير لأبى إسحاق الفزارى فلم أجد فيها زائدة ... قال الحافظ : ورواية المسيب بن واضح خطأ ، وهو ضعيف لا يُقضَى بزيادته على خطأ ما وقع فى الصحيح ... فوضَحَتْ صحة ما وقع فى الصحيح ، وانظر تحفة الأشراف ومعها النكت الظراف ١٣/ ٧٢، ٧٣ .

(٢) فى م ، ص : « حواله » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢١٧.

(٣) البخارى (٢٨٧٧، ٢٨٧٨) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، ص . والحديث فى سنن أبى داود (٢٤٩٢) .

(٥) البخارى (٢٩٢٤) .

(٦) فى م : « إلى » .

(٧) فى النسخ : « ساحل » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٨) فى الأصل : « فناء » .

سمِعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أولُ جيشٍ مِن أمتى يَغْزون البحرَ قد أَوْجَبوا[1] » . قالت أمُّ حَرامٍ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا فيهم ؟ قال : « أنتِ فيهم » . قالت : ثم قال النبىُّ ﷺ : « أولُ جيشٍ مِن أمتى يغْزون مدينةَ قَيْصَرَ مغفورٌ لهم » . قلتُ : أنا فيهم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لا » . تفرد به البخارىُّ دونَ أصحابِ الكتبِ الستةِ . وقد رَواه البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[2] عن الحاكمِ ، عن أبى عَمْرِو بنِ أبى جَعْفرٍ ، عن الحسنِ بنِ سفيانَ ، عن هشامِ بنِ عَمَّارٍ الخطيبِ ، عن يحيى بنِ حَمْزةَ القاضى به . وهو يُشْبِهُ معنى الحديثِ الأولِ ، وفيه مِن دلائلِ النُّبوةِ ثلاثٌ ؛ إحداها الإخْبارُ عن الغزوةِ الأولى فى البحرِ ، وقد كانت فى سنةِ سبعٍ وعشرين مع معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، حينَ غَزا قُبْرُصَ وهو نائبُ الشامِ عن عثمانَ بنِ عفانَ ، وكانت معهم أمُّ حَرامٍ بنتُ مِلْحانَ هذه ، صُحْبةَ زوجِها عُبادةَ بنِ الصامتِ ، أحدِ النُّقباءِ ليلةَ العَقَبةِ ، فتُوُفِّيت مَرْجِعَهم مِن الغزوِ ؛ قِيل : بالشامِ . كما تَقَدَّم فى الروايةِ عندَ البخارىِّ . وقال ابنُ زَبْرٍ[3] : تُوُفِّيَت بقُبْرُصَ سنةَ سبعٍ وعشرين . والغزوةُ الثانيةُ غزوةُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ مع أولِ جيشٍ غزاها ، وكان أميرُها يزيدَ بنَ مُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، وذلك سنةَ ثِنْتَين وخمسين ، وكان معهم أبو أيوبَ خالدُ بنُ زيدٍ الأنصارىُّ ، فمات هنالك ، رضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه ، ولم تكُنْ هذه المرأةُ معهم ؛ لأنها كانت قد تُوُفِّيَت قبلَ ذلك فى الغزوةِ الأَوَّلَةِ . فهذا الحديثُ فيه ثلاثُ آياتٍ مِن دلائلِ النبوةِ ؛ الإخْبارُ عن الغزْوَتَيْن ، والإخبارُ عن المرأةِ بأنها مِن الأَوَّلِين ولَيْسَت مِن الآخِرين ، وكذلك وقَع [4]كما أَخْبر[4] صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

---

(١) يقال : أوجب الرجل : إذا فعل فعلا وجبت له به الجنة أو النار . النهاية ٥/١٥٣ .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٥٢.

(٣) فى م ، ص : « زيد » . وهو محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة أبو سليمان الربعى . انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٠. وانظر قوله هذا فى تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٤٠.

(٤ - ٤) سقط من : ١٥١، م، ص.

الإخْبارُ عن غزوةِ الهِنْدِ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا هُشَيْمٌ عن سَيَّارٍ ، [2]عن جَبْرٍ[2] بنِ عَبِيدةَ ، عن أبى هريرةَ قال : وعَدَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ غزوةَ الهِنْدِ ، فإن اسْتُشْهِدْتُ كنتُ مِن خيرِ الشُّهداءِ ، وإن رجَعْتُ فأنا أبو هريرةَ المُحَرَّرُ[3] . ورَواه النسائىُّ[4] مِن حديثِ هُشَيْمٍ وزيدِ بنِ أبى[5] أُنَيْسةَ ، عن سَيَّارٍ[6] ، عن جَبْرٍ - ويقالُ : جُبَيْرٌ - عن أبى هريرةَ قال : وعَدَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ غزوةَ الهندِ . وذكَره .

وقال أحمدُ[7] : حدَّثنا يحيى بنُ إسحاقَ ، ثنا البَرَاءُ عن الحسنِ ، عن أبى هريرةَ قال : حدَّثنى خليلى الصادقُ[8] رسولُ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « يكونُ فى هذه الأُمةِ بَعْثٌ إلى السِّنْدِ والهندِ » . فإن أنا أدْرَكْتُه فاسْتُشْهِدْتُ فذاك ، وإن أنا - فذكَر كلمةً - رجَعْتُ فأنا أبو هريرةَ المُحَرَّرُ ؛ قد أعْتَقَنى مِن النارِ . تفرد به أحمدُ ، وقد غَزا المسلمون الهندَ فى أيامِ مُعاويةَ سنةَ أربعٍ وأربعين ، وكانت هنالك أمورٌ سيأتى بَسْطُها فى موضعِها ، وقد غزا الملكُ الكبيرُ الجَليلُ محمودُ بنُ

---

(١) المسند ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩. (إسناده صحيح) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « عن حسين » ، وفى م : « بن حسين » ، وفى ص : « بن جابر » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٩٤.

(٣) فى المسند : « المحررة » . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ١٢/ ٩٨: وقوله : « المحررة » . كذا هو بالهاء فى آخره ... وما من بأس فى زيادة الهاء ، تكون للمبالغة كما فى « عَلَّامة » ونحوها . والمحرر : المعتق . النهاية ١/ ٣٦٣ .

(٤) النسائى (٣١٧٣) . ضعيف (ضعيف سنن النسائى ٢٠٢) .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى م ، ص : « يسار » .

(٧) المسند ٢/ ٣٦٩.

(٨) بعده فى الأصل ، م : « المصدوق » .

سُبُكْتِكِينَ صاحبُ غَزْنَةَ فى حدودِ سنةِ أربعِمائةٍ بلادَ الهندِ، فوَغَل[1] فيها [٥/ ١٢و] وقتَل وأسَر وسبَى وغنِم حتى دخَل السُّومَناتَ، وكسَر البُدَّ[2] الأعْظمَ الذى يعْبُدونه، واسْتَلَب شُنُوفَه[3] وقَلائدَه، ثم رجَع سالمًا مُؤَيَّدًا مَنْصورًا، [4]كما سيأتى[4].

فصلٌ[5] فى الإخبارِ عن قِتالِ التُّـرْكِ كما وقَع[6]، سنُبَيِّنُه إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثِّقَةُ

قال البخارىُّ[7]: ثنا أبو اليَمانِ، أنا شعيبٌ، ثنا أبو الزِّنادِ عن الأعْرجِ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتِلوا قومًا نِعالُهم الشَّعْرُ، وحتى تُقاتِلوا[8] التُّرْكَ صِغارَ الأعْيُنِ، حُمْرَ الوُجوهِ، ذُلْفَ الأُنوفِ[9]، كأنَّ

---

(١) فى م: «فدخل».

(٢) فى م: «الند». والبد: الصنم، فارسى معرب. والجمع: البِدَدة. المعرب ص ١٣١.

(٣) فى الأصل، م، ص: «سيوفه». والشنوف: جمع الشُّنْف، وهو الذى يُلبس فى أعلى الأذن ... والذى فى أسفلها القُرط. وقيل: الشنف والقرط سواء. اللسان (ش ن ف).

(٤ - ٤) سقط من: م، ص. وبعده فى الأصل: «وأما قتال الترك»، وبعده فى ١٥١: «وأما قتال الترك فقد تقدم فليحول إلى هنا».

(٥) سقط هذا الفصل من الأصل.

(٦) سقط من: م.

(٧) البخارى (٣٥٨٧ - ٣٥٨٩).

(٨) فى م: «تقاتل».

(٩) الذُّلْف: جمع أَذْلَف. والذَّلَف: قِصرُ الأنف وانبطاحُه، وقيل: ارتفاع طرفه مع صِغر أرنبته. انظر النهاية ٢/ ١٦٥.

وُجوهَهم المجَانُّ المُطْرَقَةُ[1] ، وتجِدون مِن خيرِ الناسِ أشدَّهم[2] كراهيةً لهذا الأمرِ حتى يقَعَ فيه ، والناسُ مَعادنُ ؛ خِيارُهم فى الجاهليَّةِ خِيارُهم فى الإسلامِ ، ولَيَأْتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ لَأن يَرانى أحبُّ إليه مِن أن يكونَ له مثلُ أهلِه ومالِه » . تفرد به مِن هذا الوجهِ .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا يحيى ، ثنا عبدُ الرزاقِ عن مَعْمرٍ ، عن همامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتِلوا خُوزًا وكِرْمانَ مِن الأعاجمِ ، حُمْرَ الوُجوهِ ، فُطْسَ الأُنوفِ ، صِغارَ الأعْيُنِ ، كأن وجوهَهم المجَانُّ المُطْرَقةُ ، نِعالُهم الشعْرُ » . تابعه غيرُه عن عبدِ الرزاقِ . وقد ذُكِر عن الإمامِ أحمدَ أنه قال : أخْطَأ عبدُ الرزاقِ فى قولِه : خُوزًا . بالخاءِ ، وإنما هو بالجيمِ[4] . قلت[5] : خُوزٌ وكِرْمانُ بَلَدان مَعْروفان بالشرقِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا سفيانُ عن الزهرىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ يَبلُغُ به النبىَّ ﷺ : « لا تَقومُ الساعةُ حتى تُقاتِلوا قومًا كأن وُجوهَهم المجَانُّ المُطْرَقةُ ، نِعالُهم الشَّعْرُ » . وقد رَواه الجماعةُ إلا النسائىَّ ، مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيينةَ به[7] .

---

(١) المجان : جمع مِجَنّ وهو الترس . والمطرقة : التى أُلبست الأطرقة من الجلود وهى الأغشية . انظر فتح البارى ٦/ ١٠٤ .

(٢) بعده فى ١٥١، ص : « له » .

(٣) البخارى (٣٥٩٠) .

(٤) قال الحافظ فى الفتح : وقال أحمد : وَهِم عبد الرزاق فقاله بالجيم بدل الخاء المعجمة . فتح البارى ٦/ ٦٠٧ . وقد وقعت لفظة « خوز » فى صحيفة همام (١٢٦) من رواية عبد الرزاق بالجيم ، فالصواب ما ذكره الحافظ ابن حجر ، ومال إليه المصنف من قوله التالى . والله أعلم .

(٥) سقط من : م . وبياض فى ص .

(٦) المسند ٢/ ٢٣٩ . (إسناده صحيح) .

(٧) البخارى (٢٩٢٩) ، ومسلم (٢٩١٢/٦٢) ، وأبو داود (٤٣٠٤) ، والترمذى (٢٢١٥) ، وابن ماجه (٤٠٩٦) .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ قال : قال إسماعيلُ : أخبَرنى قيسٌ قال : أتَيْنا أبا هريرةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال : صحِبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ سنينَ لم أكُنْ فى سِنِىَّ أحْرَصَ على أن أَعِىَ الحديثَ منى فيهن ، سمِعْتُه يقولُ ؛ وقال هكذا بيدِه[2] : « بينَ يَدَيِ الساعةِ تُقاتِلون قومًا نِعالُهم الشَّعْرُ » . وهو هذا البارَزُ ، وقال سفيانُ مرةً : وهم أهلُ البازَرِ[3] .

وقد رَواه مسلمٌ[4] عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى أسامةَ ووَكيعٍ ، كلاهما عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « (٥لا تقومُ الساعةُ[6] حتى تُقاتِلوا٥) قومًا نِعالُهم الشَّعْرُ ، كأن وُجوهَهم المَجانُّ المُطْرَقَةُ ، حُمْرُ الوُجوهِ ، صِغارُ الأعْيُنِ » . قلتُ : وأما قولُ سفيانَ بنِ عُيَينةَ : هم أهلُ البازَرِ[7] . فالمشهورُ فى الروايةِ تَقْدِيمُ الراءِ على الزايِ ، ولعله تَصْحيفٌ اشتَبَه على القائلِ ، مِن[8] البازَرِ ؛ وهو السوقُ بلُغتِهم . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ[9] أحمدُ[10] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا جريرُ بنُ حازمٍ ، سمِعْتُ الحسنَ

---

(١) البخارى (٣٥٩١) .

(٢) فى ١٥١، ص : « بيديه » .

(٣) فى ١٥١، م ، ص : « البارز » . والمثبت من البخارى . قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٦٠٨، ٦٠٩: قال القابسى : معناه البارزين لقتال أهل الإسلام ، أى الظاهرين فى بَراز من الأرض كما جاء فى وصفٍ على أنه بارز وظاهر ، ويقال : معناه أنه القوم الذين يقاتلون . تقول العرب : هذا البارز . إذا أشارت إلى شىء ضارّ .

(٤) مسلم (٢٩١٢/٦٦) بنحوه .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى صحيح مسلم : « تقاتلون بين يدى الساعة » .

(٦) فى م : « القيامة » .

(٧) فى النسخ : « البارز » . والمثبت ليستقيم السياق .

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩) من هنا حتى ذكر إخباره بما وقع من الفتن بعد معاوية ، خرم فى ١٥١ .

(١٠) المسند ٥/ ٧٠.

قال : ثنا عمرُو بنُ تَغْلِبَ[1] قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن مِن أشراطِ الساعةِ أن تُقاتِلوا قومًا نِعالُهم الشَّعْرُ - أو : يَنْتَعلون الشَّعْرَ - وإن مِن أشْراطِ الساعةِ أن تُقاتِلوا قومًا عِراضَ الوُجوهِ ، كأنَّ وُجوهَهم المَجانُّ المُطْرَقَةُ » . ورَواه البخاريُّ عن سليمانَ بنِ حربٍ وأبى النُّعمانِ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ به[2] . والمقصودُ أن قِتالَ التُّرْكِ وقَع فى آخرِ أيامِ الصَّحابةِ ، قاتَلوا الْقانَ الأعْظمَ ، فكسَروه كَسْرةً عظيمةً ، على ما سنُورِدُه فى موضعِه إذا انْتَهَيْنا إليه ، بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه وحُسْنِ تَوْفيقِه .

خبرُ[3] عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ يوسفَ الأزْرقُ ، ثنا ابنُ عونٍ عن محمدٍ ، هو ابنُ سِيرينَ ، عن قَيسِ[5] بنِ عُبَادٍ قال : كنتُ فى المسجدِ ، فجاء رجلٌ فى وجْهِه أَثَرُ خُشوعٍ ، فدخَل فصلَّى ركعتَيْنِ فأوْجَز فيهما ، فقال القومُ : هذا رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ . فلما خرَج اتَّبَعْتُه حتى دخَل منزلَه ، فدخَلْتُ معه فحدَّثْتُه ، فلما اسْتَأْنَس قلتُ له : إن القومَ لما دخَلْتَ قبلُ[6] المسجدَ قالوا كذا وكذا . قال : سُبحانَ اللَّهِ ، واللَّهِ ما ينْبَغى لأحدٍ أن يقولَ ما لا يَعْلَمُ ، وسأُحَدِّثُك

---

(١) فى م : « ثعلب » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٥٢.

(٢) البخارى (٢٩٢٧، ٣٥٩٢) .

(٣) بعده فى م ، ص : « آخر عن » .

(٤) المسند ٥/ ٤٥٢.

(٥) فى الأصل : « سر » ، وفى م ، ص : « بشر » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٦٤.

(٦) سقط من : م .

أنى رأيْتُ رُؤْيا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقصَصْتُها عليه ؛ رأيْتُ كأنى فى رَوْضةٍ خَضْراءَ - قال ابنُ عونٍ : فذكَر مِن خُضْرتِها وسَعَتِها - وَسَطُها عمودُ حديدٍ أسفلُه فى الأرضِ وأعْلاه فى السماءِ ، فى أعْلاه عُرْوةٌ . فقيل لى : اصْعَدْ عليه . فقلتُ : لا أستطيعُ . فجاءَ[1] مِنْصَفٌ[2] - قال ابنُ عونٍ : وهو الوَصِيفُ - فرفَع ثيابى مِن خلفى فقال : اصْعَدْ عليه . فصعِدْتُ حتى أخَذْتُ بالعُرْوةِ ، فقال : اسْتَمْسِكْ بالعُرْوةِ . فاستَيْقَظْتُ وإنها لفى يدى . قال : فأتَيْتُ النبىَّ ﷺ فقصَصْتُها عليه ، فقال : « أمَّا الرَّوْضةُ فرَوْضةُ الإسلامِ ، وأمَّا العمودُ فعمودُ الإسلامِ ، وأمَّا العُرْوَةُ فهى العُرْوَةُ الوُثْقَى ، أنت على الإسلامِ حتى[3] تموتَ » . قال : وهو عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ . ورواه البخارىُّ مِن حديثِ ابنِ عونٍ[4] .

ثم قد رَواه الإمامُ أحمدُ[5] مِن حديثِ حمادِ بنِ سلمةَ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلةَ ، عن المُسَيِّبِ بنِ رافعٍ ، عن خَرَشةَ بنِ الحُرِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، فذكَره مُطَوَّلًا ، وفيه قال : حتى انتَهَيْتُ إلى جبلٍ زَلِقٍ ، فأخَذ بيدِى فَدَحانى[6] ، فإذا أنا على ذِرْوتِه ، فلم أتقارَّ[7] ولم أتَماسَكْ ، وإذا عمودُ حديدٍ فى ذِرْوتِه حلْقةُ ذهبٍ ، فأخَذ بيدِى فَدَحانى[6] حتى أخَذْتُ بالعُرْوةِ . وذكَر تَمامَ الحديثِ . وأخْرَجه مسلمٌ فى « صحيحِه »[8] مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن سُليمانَ بنِ مُسْهِرٍ ، عن خَرَشَةَ بنِ الحُرِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، فذكَره وقال : حتى أتَى بى جبلًا ، فقال لى :

---

(١) فى المسند : « فجاءنى » .

(٢) فى م : « بنصيف » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) البخارى (٣٨١٣، ٧٠١٤) .

(٥) المسند ٥/ ٤٥٢، ٤٥٣.

(٦) فى المسند : « فزجل بى » . وكلاهما بمعنى : رمانى ودفع بى . انظر النهاية ٢/ ٢٩٧، واللسان (د ح و) .

(٧) أتقارَّ : أستقر . انظر النهاية ٤/ ٣٨ ، والوسيط (ق ر ر) .

(٨) مسلم (١٥٠/ ٢٤٨٤) .

اصْعَدْ . فجعَلْتُ إذا أرَدْتُ أن أصْعَدَ خرَرْتُ على استِى[1] ، حتى فعَلْتُ ذلك مِرارًا . وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له حينَ ذكَر رُؤْياه : « وأمّا الجبلُ فهو مَنْزِلُ الشُّهداءِ ، ولن تنالَه » . قال البيهقىُّ[2] : وهذه مُعْجزةٌ ثانيةٌ ، حيث أخْبَر أنه لا يَنالُ الشهادةَ . وهكذا وقَع ؛ فإنه مات سنةَ ثلاثٍ وأربعين ، فيما ذكَره أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ وغيرُه[3] .

الإخبارُ عن موتِ[4] مَيْمونةَ بنتِ الحارثِ بسَرِفَ

قال البخارىُّ فى « التاريخِ »[5] : قال موسى بنُ إسماعيلَ : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الأصَمِّ ، ثنا يزيدُ بنُ الأصَمِّ قال : ثَقُلَت ميمونةُ بمكةَ وليس عندَها مِن بنى أخِيها[6] أحدٌ ، فقالت : أخْرِجونى مِن مكةَ فإنى لا أموتُ بها ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أخْبَرنى أنى لا أموتُ بمكةَ . فحمَلوها حتى أتَوْا بها سَرِفَ ، إلى الشجرةِ[7] التى بنَى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ تحتَها فى موضعِ القُبَّةِ ، فماتت ، رضِىَ اللَّهُ عنها . [8]قلتُ : [٥/١٢ظ] وكان موتُها[8] سنةَ إحدى وخمسين على الصحيحِ .

---

(١) فى م : « رأسى » .
(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٢.
(٣) أخرج ذلك الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ١٣٥، ١٣٦ بسنده عن أبى عُبيدٍ وغيره .
(٤) فى م ، ص : « بيت » .
(٥) التاريخ الكبير ٥/ ١٢٧، ١٢٨.
(٦) فى م ، ص : « أختها » .
(٧) فى الأصل : « الصخرة » .
(٨ - ٨) سقط من : ص .

ما رُوِىَ فى إخْبارِه ﷺ عن مَقْتَلِ حُجْرِ بنِ عَدِىٍّ وأصحابِه

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا ابنُ بُكيرٍ ، ثنا ابنُ لَهيعةَ ، حدَّثنى الحارثُ بنُ[2] يَزيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ [3]زُرَيْرٍ الغافِقىِّ[3] قال : سمِعْتُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ يقولُ : يا أهلَ العراقِ ، سيُقْتَلُ مِنكم سبعةُ نفَرٍ بعَذْراءَ[4] ، مَثَلُهم كمثلِ أصحابِ الأُخْدودِ . فقُتِل حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ وأصحابُه . وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ : قال أبو نُعيمٍ : ذكَر زيادُ ابنُ سُمَيَّةَ علىَّ بنَ أبى طالبٍ على المِنْبرِ[5] ، فقبَض حُجْرٌ على الحَصْباءِ ثم أرْسَلها ، وحصَب مَن[6] حولَه زيادًا ، فكتَب إلى مُعاويةَ يقولُ : إن حُجْرًا حصَبنى وأنا على المِنْبرِ . فكتَب إليه مُعاويةُ أن يَحْمِلَ إليه[7] حُجْرًا ، فلما قَرُب مِن دِمشقَ بعَث مَن يتَلَقَّاهم ، فالْتَقى معهم بعَذْراءَ فقتَلهم . قال البيهقىُّ : لا يقولُ علىٌّ مثلَ هذا إلا أن يكونَ سمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[8] : حدَّثنا حَرْملةُ ، ثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرنى ابنُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٦، من طريق يعقوب به .

(٢) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٠٦.

(٣ - ٣) فى الأصل : « رتر العمافعى » ، وفى م : « رزين الغافقى » ، وفى ص : « در بن الغافقى » . والمثبت من دلائل النبوة . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٠٧.

(٤) عَذْراء : قرية بغُوطة دمشق . معجم البلدان ٣/ ٦٢٥.

(٥) أى ذكره بسوءٍ على المنبر .

(٦) فى الأصل ، ص : « ومن » .

(٧) سقط من : الأصل ، م ، ص . والمثبت من الدلائل .

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٧، من طريق يعقوب به .

لَهيعةَ ، عن أبى الأسودِ قال : دخَل معاويةُ على عائشةَ فقالت : ما حمَلك على قتلِ أهْلِ عَذْراءَ حُجْرٍ وأصحابِه ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين ، إنى رأيْتُ قتْلَهم صلاحًا للأُمةِ ، وأن بقاءَهم فسادٌ . فقالت : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سيُقْتَلُ بعَذْراءَ ناسٌ يَغْضَبُ اللَّهُ لهم وأهلُ السماءِ » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا عمرُو بنُ عاصمٍ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن مَرْوانَ بنِ الحكَمِ قال : دخَلْتُ مع معاويةَ على أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنها ، فقالت : يا معاويةُ ، قتَلْتَ حُجْرًا وأصحابَه ، وفعَلْتَ الذى فعَلْتَ ، أما خَشِيتَ أن[2] أُخَبِّئَ لك رجلًا فيَقْتُلَك ؟ قال : لا ، إنى فى بيتِ أمانٍ ؛ سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الإيمانُ قَيَّدَ الفَتْكَ[3] ، لا يَفْتِكُ مؤمنٌ » . يا أمَّ المؤمنين ، كيف أنا فيما سوى ذلك مِن حاجاتِكِ ؟ قالت : صالحٌ . قال : فدَعِينى وحُجْرًا حتى نَلْتقِىَ[4] عندَ ربِّنا ، عزَّ وجلَّ .

حديثٌ آخرُ : قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : ثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ مُعاذٍ ، ثنا أبى ، ثنا شعبةُ عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى هُريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعشَرةٍ مِن أصحابِه : « آخرُكم موتًا فى النارِ » . فيهم سَمُرةُ بنُ جُنْدُبٍ . قال أبو نَضْرةَ : فكان سَمُرةُ آخرَهم موتًا . قال البيهقىُّ : رواتُه ثِقاتٌ ؛ إلا أن أبا نَضْرةَ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٧، من طريق يعقوب به .

(٢) فى الأصل : « أنى » .

(٣) بعده فى م : « لا يفتك » .

(٤) فى الأصل : « نلقى » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٨، من طريق يعقوب به .

العَبْدىَّ لم يَثْبُتْ له مِن أبى هريرةَ سَماعٌ ، فاللَّهُ أعلمُ .

ثم روَى[1] مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ حَكيمٍ ، عن يونُسَ بنِ عُبَيدٍ ، عن الحسنِ ، عن أنسِ بنِ حَكيمٍ قال : كنتُ أَمُرُّ بالمدينةِ فأَلْقَى أبا هريرةَ ، فلا يَبْدأُ بشىءٍ حتى يسألَنى عن سَمُرةَ ، فلو أَخْبَرْتُه بحياتِه وصحتِه فرِح وقال : إنا كنا عشَرةً فى بيتٍ ، وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام علينا ، فنظَر فى وجوهِنا وأخَذ بعِضادَتَيِ البابِ وقال : « آخرُكم موتًا فى النارِ » . فقد مات منا ثمانيةٌ ، ولم يَبْقَ غيرى وغيرُه ، فليس شىءٌ أحبَّ إلى مِن أن أكونَ قد ذُقْتُ الموتَ . وله شاهدٌ مِن وجهٍ آخرَ ؛ قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] : ثنا حَجَّاجُ بنُ مِنْهالٍ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أوسِ بنِ خالدٍ قال : كنتُ إذا قدِمْتُ على أبى مَحْذورةَ سألَنى عن سَمُرةَ ، [٥/ ١٣و] وإذا قدِمْتُ على سَمُرةَ سألَنى [3]عن أبى مَحْذورةَ ، فقلتُ لأبى مَحْذورةَ : مالَك إذا قدِمْتُ عليك تسألُنى عن سَمُرةَ ، وإذا قدِمْتُ على سَمُرةَ سألَنى[3] عنك ؟ فقال : إنى كنتُ أنا وسَمُرةُ وأبو هريرةَ فى بيتٍ ، فجاء النبىُّ ﷺ فقال : « آخرُكم موتًا فى النارِ » . قال : فمات أبو هريرةَ ، ثم مات أبو مَحْذورةَ ، ثم مات سَمُرةُ .

وقال عبدُ الرزاقِ[4] : أنا مَعْمرٌ ، سمِعْتُ ابنَ طاوُسٍ وغيرَه يقولون : قال النبىُّ ﷺ لأبى هريرةَ ولسَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ ولرجلٍ آخرَ : « آخرُكم موتًا فى النارِ » .

---

(١) أى البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٩، من طريق يعقوب به .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٩، من طريق عبد الرزاق به .

فمات الرجلُ قبلَهما ، وبَقِيَ أبو هريرةَ [1]وسَمُرةُ[1] ، فكان الرجلُ إذا أراد أن يَغِيظَ أبا هريرةَ يقولُ : مات سَمُرةُ . فإذا سمِعه غُشِيَ عليه وصُعِق ، ثم مات أبو هريرةَ قبلَ سَمُرةَ ، فقتَل سَمُرةُ بشرًا كثيرًا . وقد ضعَّف البيهقيُّ عامَّةَ هذه الرواياتِ ؛ لانقطاعِ بعضِها وإرسالِه ، ثم قال[2] : وقد قال بعضُ أهلِ العلمِ : إن سَمُرةَ مات في الحَريقِ . ثم قال : ويَحْتَمِلُ أن يُورَدَ النارَ بذُنوبِه ، ثم يَنْجوَ منها بإيمانِه ، فيَخْرُجَ منها بشَفاعةِ الشافعين ، واللَّهُ أعلمُ .

ثم أوْرَد[3] مِن طريقِ هلالِ بنِ العَلاءِ الرَّقِّيِّ أن عبدَ اللَّهِ بنَ مُعاويةَ حدَّثهم عن رجلٍ قد سمَّاه ، أن سَمُرةَ اسْتَجْمَر ، فغفَل [4]عن نفسِه وغفَل أهلُه عنه[4] حتى أخَذَتْه النارُ . قلتُ : وذكَر غيرُه[5] أن سَمُرةَ بنَ جُنْدُبٍ ، رضِي اللَّهُ عنه ، أصابه كُزازٌ[6] شديدٌ ، فكان يُوقَدُ له على قِدْرٍ مملوءةٍ ماءً حارًّا ، فيَجْلِسُ فوقَها ؛ ليتَدَفَّأَ ببُخارِها ، فسقَط يومًا فيها ، فمات رضِيَ اللَّهُ عنه ، وكان موتُه سنةَ تسعٍ وخمسين بعدَ أبي هريرةَ بسنةٍ ، وقد كان يَنوبُ عن زيادِ ابنِ سُمَيَّةَ في البصرةِ إذا سار إلى الكوفةِ ، وفي الكوفةِ إذا سار إلى البصرةِ ، فكان يُقيمُ في كلٍّ منهما ستةَ أشهرٍ مِن السنةِ ، وكان شديدًا على الخَوارجِ ، يُكْثِرُ القتلَ فيهم ، ويقولُ : هم شَرُّ قَتْلَى تحتَ أَدِيمِ السماءِ . وقد كان الحسنُ البصريُّ ومحمدُ بنُ سِيرينَ وغيرُهما مِن

(١ - ١) في الدلائل : « بالمدينة » .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٠ .

(٣) أي البيهقي . المصدر السابق .

(٤ - ٤) في الدلائل : « عنه أهله » .

(٥) انظر الاستيعاب ٢/ ٦٥٤، وأسد الغابة ٢/ ٤٥٥ .

(٦) في الأصل : « كراز » ، وفي م ، ص : « كرار » . والمثبت من الاستيعاب وأسد الغابة . والكزاز : داء يتولد من شدة البرد ، وقيل : هو نفس البرد . النهاية ٤/ ١٧٠ .

عُلماءِ البَصْرةِ يُثْنون عليه ، رضِىَ اللَّهُ عنه .

خبرُ رافعِ بنِ خَديجٍ

روَى البيهقىُّ[1] مِن حديثِ مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، عن عمرِو بنِ مَرْزوقٍ الواشِحِىِّ[2] ، ثنا يحيى بنُ عبدِ الحميدِ بنِ رافعٍ ، عن جَدَّتِه أن رافعَ بنَ خَديجٍ رُمِىَ - قال عمرٌو[3] : لا أدْرى أيَّهما قال ؛ يومَ أُحُدٍ أو يومَ حُنَيْنٍ - بسهمٍ فى ثَنْدُوَتِه[4] ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، انْزِعْ لىَ السهمَ . فقال له : « يا رافعُ ، إن شئتَ نزَعْتُ السهمَ والقُطْبةَ[5] جميعًا ، وإن شئتَ نزَعْتُ السهمَ وترَكْتُ القُطْبةَ ، وشهِدْتُ لك يومَ القيامةِ أنك شهيدٌ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، انْزِعِ السهمَ واتْرُكِ القُطبةَ ، واشْهَدْ لى يومَ القيامةِ أنى شَهيدٌ . قال : فعاش حتى [6]إذا كان[6] خِلافةُ مُعاويةَ انْتَقَض الجُرْحُ فمات بعدَ العصرِ . هكذا وقَع فى هذه الروايةِ أنه مات فى إمارةِ مُعاويةَ ، والذى ذكَره الواقدىُّ وغيرُ واحدٍ[7] أنه مات فى سنةِ ثلاثٍ - وقيل : أربعٍ - وسبعين . ومعاويةُ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، كانت وفاتُه فى سنةِ ستين بلا خِلافٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٣.

(٢) فى م : « الواضحى » . وانظر الأنساب ٥/ ٥٦٣، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٣٠.

(٣) فى م : « عمر » ، وفى الدلائل : « عمرة » . وكلاهما خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٣٠.

(٤) الثَّنْدُوَتان للرجل كالثديين للمرأة . النهاية ١/ ٢٢٣.

(٥) هنا وما يأتى فى الأصل ، ص : « القبطة » ، وفى م : « القبضة » . والمثبت من الدلائل . والقُطبة والقُطب : نَصْلُ السهم . النهاية ٤/ ٧٩.

(٦ - ٦) فى الأصل ، ص : « كان » ، وفى م : « كانت » . والمثبت من الدلائل .

(٧) انظر الاستيعاب ٢/ ٤٨٠، وتهذيب الكمال ٩/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٢، ١٨٣. قال الحافظ فى الإصابة ٢/ ٤٣٦: وأما البخارى فقال : مات فى زمن معاوية . وهو المعتمد ، وما عداه واهٍ .

ذِكرُ[1] إخبارِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بما وقَع مِن الفتنِ بعد معاويةَ[2] من أُغيلمةِ بنى هاشمٍ وغيرِ ذلك

قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ، أخْبرنى سفيانُ، عن الأعْمشِ، عن زيدِ بنِ وهبٍ، عن ابنِ مسعودٍ، عن النبىِّ ﷺ قال : « ستكونُ أَثَرةٌ وأمورٌ تُنْكِرونها » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ، فما تأْمُرُنا ؟ قال : « تُؤَدُّون [٥/١٣ظ] الحقَّ الذى عليكم، وتسْأَلون اللَّهَ الذى لكم » .

وقال البخاريُّ[4] : ثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ، ثنا أبو مَعْمرٍ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، ثنا أبو أسامةَ، ثنا شعبةُ، عن أبى التَّيَّاحِ، عن أبى زُرْعةَ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُهْلِكُ الناسَ هذا الحىُّ مِن قريشٍ » . قالوا : فما تأْمُرُنا يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لو أنَّ الناسَ اعْتَزلوهم » . ورَواه مسلمٌ عن أبى بَكرِ ابنِ أبى شَيْبةَ، عن أبى أُسامةَ[5] .

وقال البخاريُّ[6] : وقال محمودٌ : ثنا أبو داودَ، أخْبَرنا شعبةُ، عن أبى التَّيَّاحِ قال : سمِعْتُ أبا زُرْعةَ، وحدَّثنا[7] أحمدُ بنُ محمدٍ المَكِّىُّ، ثنا عمرُو بنُ يحيى

---

(١) سقط من : م.
(٢) فى م، ص : « موته » .
(٣) البخارى (٣٦٠٣) .
(٤) البخارى (٣٦٠٤) .
(٥) مسلم (٢٩١٧/٧٤) .
(٦) البخارى عقب حديث (٣٦٠٤) .
(٧) البخارى (٣٦٠٥) .

ابنِ سعيدٍ الأُمويُّ ، عن جدِّه قال : كنتُ مع مَرْوانَ وأبى هريرةَ فسمِعْتُ أبا هُريرةَ يقولُ : سمِعْتُ الصادقَ المَصْدوقَ يقولُ : « هَلاكُ أمتى على يدَىْ غِلْمةٍ مِن قريشٍ » . فقال مَرْوانُ : غِلْمةٌ ؟! قال أبو هريرةَ : إن شِئتَ أن أُسَمِّيَهم بنى[1] فلانٍ وبنى فلانٍ . تفرد به البخاريُّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا رَوْحٌ ، ثنا أبو أميَّةَ عمرُو بنُ يحيى بنِ[3] سعيدِ بنِ عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، أخْبَرنى جدِّى سعيدُ بنُ عمرِو بنِ سعيدٍ ، عن أبى هُريرةَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « هَلَكَةُ أمتى على يدَىْ غِلْمَةٍ » . قال مَرْوانُ وهو[4] معنا فى الحلْقةِ قبلَ أن يَلِىَ شيئًا : فلَعْنةُ اللَّهِ عليهم غِلْمةً . قال : أمَا واللَّهِ لو أشاءُ أن أقولَ بنى فلانٍ وبنى فلانٍ لفعَلْتُ . قال : فكنتُ[5] أخْرُجُ مع أبى وجدِّى إلى [6]بنى مَرْوانَ[6] بعدَ ما ملَكوا ، فإذا هم يُبايِعون الصِّبْيانَ ، ومنهم مَن يُبايَعُ له وهو فى خِرْقةٍ . قال لنا : هل[7] عسى أصحابُكم هؤلاء أن يكونوا[8] الذى سمِعْتُ أبا هريرةَ يذكُرُ ؟ إن هذه الملوكَ يُشْبِهُ بعضُها بعضًا .

وقال أحمدُ[9] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن سُفيانَ ، عن سِماكٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ ظالمٍ قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ قال : سمِعْتُ حِبِّى أبا القاسمِ ﷺ

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) المسند ٢/ ٣٢٤.
(٣) فى المسند : « عن » . وانظر أطراف المسند ٧/ ٢٥٦.
(٤) فى م : « هم » .
(٥) فى المسند : « فقمت » .
(٦ - ٦) فى الأصل : « بنى فلان » ، وفى المسند : « مروان » .
(٧) سقط من : الأصل ، م ، وفى ص : « أما هل » .
(٨) فى ص : « يكذبوا » .
(٩) المسند ٢/ ٣٠٤ ، ٤٨٥ .

يقولُ : « إن فسادَ أمتى على يدَىْ غِلْمةٍ سُفهاءَ مِن قريشٍ » . ثم رواه أحمدُ[1] ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، عن سفيانَ ، وهو الثوريُّ ، عن سِماكٍ ، عن مالكِ بنِ ظالمٍ ، عن أبى هريرةَ ، فذكَره . ثم روَى[2] عن غُنْدَرٍ ورَوْحِ بنِ عُبادةَ ، عن شُعبةَ[3] ، عن سماكِ بنِ حربٍ ، عن مالكِ بنِ ظالمٍ قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ - زاد رَوْحٌ : يُحَدِّثُ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ - قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ الصادقَ المصدوقَ يقولُ : « هَلاكُ أمتى على رءُوسِ[4] غِلْمةٍ أُمراءَ سُفَهاءَ مِن قريشٍ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ ، حدَّثنا حَيْوةُ ، حدَّثنى بَشيرُ[6] ابنُ أبى عمرٍو الخَوْلانىُّ ، أن الوليدَ بنَ قيسٍ التُّجِيبىَّ حدَّثه أنه سمِع أبا سعيدٍ الخُدْرىَّ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يكونُ خَلْفٌ مِن بعدِ الستين سنةً أضاعوا الصلاةَ ، واتَّبَعوا الشَّهواتِ ، فسوف يَلْقَون غَيًّا ، ثم يكونُ خَلْفٌ يَقْرءُون القرآنَ لا يَعْدو تراقِيَهم ، ويقْرَأُ القرآنَ ثلاثةٌ ؛ مؤمنٌ ، ومنافقٌ ، وفاجرٌ » . قال بَشيرٌ : فقلتُ للوليدِ : ما هؤلاء الثلاثةُ ؟ قال : المنافقُ كافرٌ به ، والفاجرُ يتأَكَّلُ به ، والمؤمنُ يُؤْمِنُ به . تفرد به أحمدُ ، وإسنادُه جيدٌ قوىٌّ على شرطِ السننِ .

وقد روَى البيهقىُّ[7] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، [٥/ ١٤و] عن الحسنِ بنِ علىِّ بنِ عفانَ ، عن أبى أسامةَ ، عن مُجالدٍ ، عن الشعبىِّ قال : لما رجَع علىٌّ مِن

---

(١) المسند ٢/ ٢٨٨.
(٢) أى الإمام أحمد . المسند ٢/ ٢٩٩، ٣٢٨.
(٣) فى م ، ص : « سفيان » . وانظر أطراف المسند ٧/ ٣٢٩.
(٤) سقط من : الأصل . وفى م : « يد » .
(٥) المسند ٣/ ٣٨، ٣٩.
(٦) فى م : « بشر » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٧١.
(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٦.

صِفِّينَ قال : يا أيُّها الناسُ ، لا تَكْرَهوا إمارةَ مُعاويةَ ؛ فإنه لو فقَدْتُموه لقد رأيْتُم الرءوسَ تَنْزُو مِن كَواهِلِها كالحَنْظَلِ . ثم روَى[1] عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، عن العباسِ بنِ الوليدِ بنِ مَزْيَدٍ[2] ، عن أبيه ، عن ابنِ[3] جابرٍ ، عن عُميرِ بنِ هانئٍ أنه حدَّثه أنه قال : كان أبو هريرةَ يمشى[4] فى سوقِ المدينةِ وهو يقولُ : اللهم لا تُدْرِكْنى سَنةُ الستين ، وَيْحَكم تمَسَّكوا بصُدْغَىْ معاويةَ ، اللهم لا تُدْرِكْنى إمارةُ الصِّبيانِ . قال البيهقىُّ : وعلىٌّ وأبو هريرةَ إنما يقولان هذا لشىءٍ سمِعاه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : أنا عبدُ الرحمنِ بنُ عمرٍو الحِزامىُّ ، ثنا محمدُ بنُ سليمانَ ، عن [6]ابنِ غُنيمٍ[6] البَعْلَبَكِّىِّ ، عن هشامِ بنِ الغازِ[7] ، عن مَكْحولٍ[8] ، عن أبى ثَعْلبةَ الخُشَنىِّ ، عن أبى عُبَيدةَ بنِ الجَرَّاحِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يزالُ هذا الأمرُ مُعْتَدِلًا قائمًا بالقِسْطِ حتى يَثْلَمَه رجلٌ مِن بنى أميَّةَ » .

وروَى البيهقىُّ[9] ، مِن طريقِ عَوْفٍ الأعْرابىِّ ، عن أبى خَلْدةَ ، عن أبى العاليةِ ، عن أبى ذَرٍّ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن أولَ مَن يُبَدِّلُ سُنَّتى

---

(١) دلائل النبوة ٦/٤٦٦ .

(٢) فى م : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٥٥.

(٣) سقط من : م ، وفى ص : « أبى » . وهو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥.

(٤) فى الدلائل : « عشى » .

(٥) المعرفة والتاريخ ١/ ٢٩٤، ٢٩٥. كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٦٧، من طريق يعقوب ابن سفيان به .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ١٥١ : « أبى غنم » ، وفى م ، ص : « أبى تميم » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٧) فى م : « الغار » . وانظر تبصير المنتبه ٣/ ١٠٥٠، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٥٨.

(٨) فى م : « ابن مكحول » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٤.

(٩) دلائل النبوة ٦/٤٦٦، ٤٦٧.

رجلٌ مِن بنى أميَّةَ » . وهذا مُنْقطعٌ بينَ أبى العاليةِ وأبى ذَرٍّ ، وقد رجَّحه البيهقىُّ بحديثِ أبى عُبَيدةَ المُتقدِّمِ . قال : ويُشْبِهُ أن يكونَ هذا الرجلُ هو يزيدَ بنَ مُعاويةَ ابنِ أبى سُفيانَ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : الناسُ فى يزيدَ بنِ مُعاويةَ أقسامٌ ؛ فمنهم مَن يُحِبُّه ويتَوَلَّاه ، وهم طائفةٌ مِن أهلِ الشامِ مِن النَّواصِبِ ، وأما الرَّوافِضُ (١ فيَشْغَبون عليه ، ويُشَنِّعون ١) ويفْتَرون عليه أشْياءَ كثيرةً ليست فيه ، ويتَّهِمُه كثيرٌ منهم (٢أو أكثرُهم٢) بالزَّنْدَقةِ ، ولم يكنْ كذلك ، وطائفةٌ أخرى لا يُحِبُّونه ولا يَسُبُّونه ؛ لِما يعْلَمون مِن أنه لم يَكُنْ زِنْدِيقًا كما تقولُه الرافضةُ ، ولِما وقَع فى زمانِه مِن الحوادثِ الفَظِيعةِ ، والأمورِ المُسْتَنْكَرةِ البَشِيعةِ الشَّنيعةِ ، فمِن أنْكَرِها قتلُ الحسينِ بنِ علىٍّ بكَرْبَلاءَ ، ولكن لم يكنْ ذلك عن علمٍ منه ، ولعله لم يَرْضَ به ولم يَسُؤْه ، وكذلك مِن الأمورِ المُنْكَرةِ جدًّا وَقْعةُ الحَرَّةِ وما كان مِن الأمورِ القَبيحةِ بالمدينةِ النبويةِ ، على ما سنُورِدُه إذا انتَهَيْنا إليه فى التاريخِ إن شاء اللَّهُ تعالى .

الإخْبارُ بمَقْتَلِ الحسينِ بنِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهما

وقد ورَد(٣) الحديثُ بمَقْتَلِ الحسينِ ، فقال الإمامُ أحمدُ(٤) : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ابنُ حَسَّانَ ، ثنا عُمارةُ ، يعنى ابنَ زاذانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : اسْتَأْذن مَلَكُ

(١ - ١) فى م : « فيشنعون عليه » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « فى » .

(٤) المسند ٣/ ٢٦٥.

المطرِ[1] أن يأتىَ النبىَّ ﷺ ، فأذِن له ، فقال لأمِّ سَلَمةَ : « احْفَظِى علينا البابَ لا يدْخُلْ[2] أحدٌ » . فجاء الحسينُ بنُ علىٍّ ، فوثَب حتى دخَل ، فجعَل يَصْعَدُ على مَنْكِبِ النبىِّ ﷺ ، فقال له المَلَكُ : أتُحِبُّه ؟ فقال النبىُّ ﷺ : « نعم » . قال : فإن أُمَّتَك تَقْتُلُه ، وإن شئتَ أَرَيْتُك المكانَ الذى يُقْتَلُ فيه . قال : فضرَب بيدِه فأراه تُرابًا أحمرَ ، فأخَذَت أمُّ سَلَمةَ ذلك الترابَ فصَرَّتْه فى طَرَفِ ثوبِها . قال : فكنا نَسْمَعُ : يُقْتَلُ بكَرْبَلاءَ . ورَواه البيهقىُّ[3] مِن حديثِ بشْرِ بنِ موسى ، عن عبد الصمدِ ، عن عُمارةَ ، فذكَره . ثم قال : وكذلك رَواه شَيْبانُ[4] بنُ فَرُّوخَ عن عُمارةَ . وعُمارةُ بنُ زاذانَ هذا هو [٥/ ١٤ظ] الصَّيْدلانىُّ أبو سَلَمةَ البَصْرىُّ ، اخْتَلفوا فيه ، وقد قال فيه أبو حاتمٍ : يُكْتَبُ حديثُه ولا يُحْتَجُّ به ، ليس بالمَتِينِ . وضعَّفه أحمدُ مرةً ووثَّقه أخرى[5] . وحديثُه هذا قد رُوِىَ عن غيرِه مِن وجهٍ آخرَ ؛ فرواه الحافظُ البيهقىُّ[6] مِن طريقِ عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ[7] ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن عائشةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، نحوَ هذا .

وقد قال البيهقىُّ[8] : أنا الحاكمُ فى آخَرين ، قالوا : أنا الأَصَمُّ ، أنا عباسٌ الدُّورىُّ ، ثنا[9] خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، ثنا موسى بنُ يعقوبَ ، عن هاشمِ بنِ هاشمِ بنِ[10]

---

(١) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « القطر » .
(٢) بعده فى ١٥١ ، م : « علينا » .
(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٩ .
(٤) فى م ، ص : « سفيان » .
(٥) الجرح والتعديل ٦/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٧٠ .
(٧) فى م : « عرفة » .
(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٨ .
(٩) بعده فى م ، ص : « محمد بن » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ١٦٣ .
(١٠) فى الأصل ، م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٣٧ .

عتبةَ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وهبِ بنِ زَمْعةَ ، أخْبَرَتْنى أمُّ سَلَمةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اضْطَجع ذاتَ يومٍ ، فاستَيْقَظ وهو خائِرٌ[1] ، ثم اضْطَجع فرقَد ، ثم استيقظ وهو خائرٌ دونَ ما رأيْتُ منه فى المرةِ الأولى ، ثم اضْطَجع واسْتَيْقظ وفى يدِه تُرْبةٌ حَمْراءُ وهو يُقَلِّبُها ، فقلتُ : ما هذه التُّرْبةُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أخْبَرنى جبريلُ أن هذا يُقْتَلُ[2] بأرضِ العراقِ - للحسينِ - قلتُ له : يا جبريلُ ، أرِنى تُرْبةَ الأرضِ التى يُقْتَلُ بها . فهذه تُرْبتُها » . ثم قال البيهقىُّ : تابَعه موسى الجُهَنىُّ عن صالحِ بنِ أَرْبَدَ[3] النَّخَعىِّ ، عن أمِّ سَلَمةَ ، وأبانٌ عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أمِّ سَلَمةَ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مُسْنَدِه »[4] : ثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ الصَّيْرَفىُّ ، ثنا الحسينُ بنُ عيسى ، ثنا الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان الحسينُ جالسًا فى حِجْرِ النبىِّ ﷺ ، فقال جبريلُ : أتُحِبُّه ؟ فقال : « وكيف لا أُحِبُّه وهو ثَمرةُ فُؤادى ؟ » فقال : أما إن أُمَّتَك ستَقْتُلُه ، ألا أُرِيك مِن موضعِ قبرِه ؟ فقبَض قَبْضةً ، فإذا تُرْبةٌ حَمْراءُ . ثم قال البزارُ : لا نَعْلَمُه يُرْوَى[5] إلا بهذا الإسنادِ ، [6]والحسينُ بنُ عيسى قد حدَّث عن الحكمِ بنِ أبانٍ بأحاديثَ لا نَعْلَمُها عندَ غيرِه[6] . قلتُ : هو الحسينُ بنُ عيسى بنِ مسلمٍ الحَنَفىُّ

---

(١) فى م ، والدلائل : « حائر » . وخائر : أى ثقيل النفس غير نشيط . انظر النهاية ٢/ ١١.

(٢) فى م : « مقتل » .

(٣) فى النسخ : « يزيد » ، وفى الدلائل : « زيد » . وفى الثقات ٤/ ٣٧٣: « أبى زيد » . والمثبت من التاريخ الكبير ٤/ ٢٧٣، والجرح والتعديل ٤/ ٣٩٤.

(٤) كشف الأستار (٢٦٤٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٩١، ١٩٢: رواه البزار ورجاله ثقات وفى بعضهم خلاف .

(٥) بعده فى كشف الأستار : « بهذا اللفظ » .

(٦ - ٦) فى كشف الأستار : « والحكم حدث بما لا نعلم عن غيره » .

أبو عبدِ الرحمنِ الكوفيُّ أخو سُليمٍ القارِئُ . قال فيه[1] البخاريُّ : مجهولٌ . يعنى مَجْهولَ الحالِ ، وإلا فقد رَوَى عنه تسعةُ[2] نَفَرٍ . وقال أبو زُرْعةَ : مُنْكَرُ الحديثِ . وقال أبو حاتمٍ : ليس بالقويِّ ، روَى عن الحكمِ بنِ أبانٍ أحاديثَ مُنْكَرةً . وذكَره ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ » . وقال ابنُ عديٍّ : قليلُ الحديثِ ، وعامَّةُ حديثِه غرائبُ ، وفى بعضِ أحاديثِه المُنْكَراتُ[3] .

وروَى البيهقيُّ[4] عن الحاكمِ وغيرِه ، عن أبى الأحْوصِ[5] محمدِ بنِ الهيثمِ القاضى ، ثنا محمدُ بنُ مُصْعبٍ ، ثنا الأوْزاعيُّ ، عن أبى عَمَّارٍ شدَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أمِّ الفَضْلِ بنتِ الحارثِ ، أنها دخَلَت على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى رأيْتُ حُلْمًا مُنْكَرًا الليلةَ . قال : « وما هو ؟ »[6] قالت : إنَّه شديدٌ . قال : « وما هو ؟ »[6] قالت : رأيْتُ كأنَّ قطعةً مِن جسدِك قُطِعت ووُضِعت فى حِجْرى . فقال : « رأيْتِ خيرًا ؛ تلدُ[7] فاطمةُ إن شاء اللَّهُ[8] غُلامًا ، فيكونُ فى حِجْرِكِ » . فولَدت فاطمةُ الحسينَ ، فكان فى حِجْرى كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [9]فدخلتُ يومًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ[9] فوضَعْتُه فى حجرِه ، ثم حانت منى التِفاتةٌ ، فإذا عينا رسولِ اللَّهِ ﷺ تُهَرِيقان الدموعَ . قالت : قلتُ : يا نبيَّ اللَّهِ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، م : « سبعة » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٦٣.

(٣) انظر هذه الأقوال فى المصدر السابق ، والجرح والتعديل ٣/ ٦٠، والكامل لابن عدى ٢/ ٧٦٦، والثقات ٨/ ١٨٥.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٦٨، ٤٦٩.

(٥) بعده فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٧١.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٧) فى م ، ص : « تلك » .

(٨) بعده فى م ، ص : « تلد » .

(٩ - ٩) سقط من : م .

بأبى أنت وأمى ، ما لك ؟ قال : « أتانى جبريلُ عليه السلامُ فأخْبَرنى أن أمتى ستَقْتُلُ ابنِى هذا » . فقلتُ : هذا ؟ قال : « نعم ، وأتانى بتُرْبةٍ مِن تُرْبتِه حَمْراءَ » .

وقد روَى [٥/ ١٥و] الإمامُ أحمدُ[(١)] عن عفانَ ، عن وُهَيْبٍ[(٢)] ، عن أيوبَ ، عن صالحٍ أبى الخَليلِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن أمِّ الفضلِ قالت : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : إنى رأيْتُ فى مَنامى أن فى بيتى أو حِجْرى[(٣)] عُضْوًا مِن أعضائِك . قال : « تلِدُ فاطمةُ إن شاء اللَّهُ غلامًا فتَكْفُلِينَه . فولَدت له[(٤)] فاطمةُ حسينًا[(٥)] ، فدفَعَتْه إليها فأرْضَعَتْه بلبنِ قُثَمَ ، فأتَيْتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ يومًا أَزورُه ، فأخَذه فوضَعه على صدرِه ، فبال فأصاب البولُ إزارَه ، فزخَخْتُ بيدِى على كَتِفَيْه ، فقال : « أوْجَعْتِ ابنِى أصْلَحَكِ اللَّهُ » . أو قال : « رحِمكِ اللَّهُ » . فقلتُ : أعْطنى إزارَك أغْسِلْه . فقال : « إنما يُغْسَلُ بولُ الجاريةِ ، ويُصَبُّ على بولِ الغلامِ » . ورَواه أحمدُ أيضًا[(٦)] عن يحيى بنِ أبى[(٧)] بُكيرٍ ، عن إسرائيلَ ، عن سِماكٍ ، عن قابوسِ بنِ مُخارقٍ ، عن أمِّ الفضلِ ، فذكَر مثلَه سواءً ، وليس فيه الإخْبارُ بقتلِه . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٨)] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمادٌ ، أنا عمارُ بنُ أبى عَمَّارٍ[(٩)] ،

---

(١) المسند ٦/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) فى الأصل، ١٥١، ص: « وهب ». وانظر أطراف المسند ٩/ ٤٦١.

(٣) فى المسند: « حجرتى ».

(٤) من هنا حتى قوله فى صفحة ٢٤٥: « علماء السلف أنه اقتص فى غبون ذلك ألف بكر » خرم فى ١٥١.

(٥) فى المسند: « حسنا ».

(٦) المسند ٦/ ٣٣٩.

(٧) سقط من: م، المسند. وانظر أطراف المسند ٩/ ٤٦٢.

(٨) المسند ١/ ٢٨٣. (إسناده صحيح).

(٩) فى م، ص: « عمارة ». وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٩٨.

عن ابنِ عباسٍ قال : رأيْتُ النبيَّ ﷺ فيما يرَى النائمُ بنصفِ النهارِ وهو قائلٌ[1] ، أشْعَثَ أغْبَرَ ، بيدِه قارورةٌ فيها دمٌ ، فقلتُ : بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللَّهِ ، ما هذا ؟ قال : « هذا[2] دمُ الحسينِ وأصحابِه ، لم أزَلْ ألْتَقِطُه منذ اليومِ » . قال[3] : فأحْصَيْنا ذلك اليومَ فوجَدوه قُتِل فى ذلك اليومِ ، رضِى اللَّهُ عنه . قال قتادةُ[4] : قُتِل الحسينُ يومَ الجمعةِ ، يومَ عاشُوراءَ سنةَ إحدى وستين ، وله أربعٌ وخمسون سنةً وستةُ أشهرٍ ونصفُ شهرٍ . وهكذا قال الليثُ وأبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ والواقدىُّ وخَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وأبو مَعْشَرٍ وغيرُ واحدٍ[5] ، أنه قُتِل يومَ عاشوراءَ عامَ واحدٍ وستين ، وزعَم بعضُهم أنه قُتِل يومَ السبتِ ، والأولُ أصَحُّ . وقد ذكَروا فى مَقْتَلِه أشياءَ كثيرةً أنها وقَعت ؛ مِن كُسوفِ الشمسِ يومَئذٍ - وهو ضعيفٌ - وتَغْييرِ آفاقِ السماءِ ، ولم يَنْقَلِبْ حَجَرٌ إلا وُجِد تحتَه دمٌ ، ومنهم مَن خَصَّص ذلك بحِجارةِ بيتِ المقدسِ ، وأن الوَرْسَ اسْتَحال رَمادًا ، وأن اللحمَ صار مثلَ العَلْقَمِ وكان فيه النارُ ، إلى غيرِ ذلك مما فى بعضِها نَكارةٌ ، وفى بعضِها احتمالٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد مات رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو سيدُ ولدِ آدمَ فى الدنيا والآخرةِ ، ولم يقَعْ شىءٌ مِن هذه الأشياءِ ، وكذلك الصِّدِّيقُ بعدَه مات ولم يكنْ شىءٌ مِن هذا ، وكذا عمرُ بنُ الخطابِ قُتِل شَهيدًا وهو قائمٌ يُصَلِّى فى المِحْرابِ صلاةَ الفجرِ ، وحُصِر عثمانُ فى دارِه ، وقُتِل بعدَ ذلك شهيدًا ، وقُتِل علىُّ بنُ أبى طالبٍ شَهيدًا [6]يومَ الجمعةِ[6]

---

(١) فى المسند : « قائم » . و « قائل » من القيلولة ، وهى الاستراحة نصف النهار . النهاية ٤/١٣٣ .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) أى عمار بن أبى عمار . وجاء مصرَّحا باسمه فى المسند ١/٢٤٢ من حديث عبد الرحمن بن مهدى عن حماد .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٥٠، بسنده عن قتادة به . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٤٥.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٤/٢٥٠ - ٢٥٧، وتاريخ خليفة ١/ ٢٨٤، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٤٦.

(٦ - ٦) سقط من : م .

قبلَ[1] صلاةِ الفجرِ، ولم يكنْ شيءٌ مِن هذه الأشياءِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد روَى حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن عَمَّارِ بنِ أبى عَمَّارٍ، عن أمِّ سَلَمةَ أنها سمِعَت الجِنَّ تَنوحُ على الحسينِ بنِ علىٍّ[2]. وهذا صحيحٌ.

وقال شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ[3]: كنا عندَ أمِّ سَلَمةَ فجاءها الخبرُ بقتلِ الحسينِ، فخرَّت مَغْشِيًّا عليها. وكان سببَ قتلِ الحسينِ أنه كتَب إليه أهلُ العراقِ يطْلُبون منه أن يَقْدَمَ عليهم ليُبايعوه بالخِلافةِ، وكثُر تواتُرُ الكُتُبِ عليه مِن العامَّةِ ومِن ابنِ عمِّه مسلمِ بنِ عَقيلٍ، فلما ظهَر على ذلك عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ نائبُ العراقِ ليزيدَ بنِ معاويةَ، بعَث إلى مسلمِ بنِ عَقيلٍ فضَرَبَ عنقَه، [٥/ ١٥ظ] ورماه مِن القصرِ إلى العامَّةِ، فتفرَّق مَلَؤُهم وتبَدَّدت كلمتُهم، هذا وقد تجَهَّز الحسينُ مِن الحجازِ إلى العراقِ، ولم يشْعُرْ بما وقَع، فتحَمَّل بأهلِه ومَن أطاعه وكانوا قريبًا مِن ثلاثِمائةٍ، وقد نهاه عن ذلك جماعةٌ مِن الصحابةِ، منهم؛ أبو سعيدٍ، وجابرٌ، وابنُ عباسٍ، وابنُ عمرَ، فلم يُطِعْهم.

وما أحْسَنَ ما نهاه ابنُ عمرَ عن ذلك، واستدل له على أنه لا يقَعُ ما يُريدُه فلم يَقْبَلْ؛ فروَى الحافظُ البيهقىُّ[4] مِن حديثِ يحيى بنِ سالمٍ الأسَدىِّ، ورواه أبو داودَ الطَّيالسىُّ فى «مسندِه»[5] عنه قال: سمِعْتُ الشعبىَّ يقولُ: كان ابنُ

---

(١) فى م: «بعد».

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/ ١٣١ (٢٨٦٧)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٩، ٢٤٠، كلاهما من طريق حماد به.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٨، بسنده عن شهرٍ به. وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٣٩.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٧٠.

(٥) لم نجده فى مسند الطيالسى، ولا عند أحد من طريقه.

عمرَ قدِم المدينةَ ، فأُخْبِر أن الحسينَ بنَ عليٍّ قد توَجَّه إلى العراقِ ، فلحِقه على مَسيرةِ ليلتَين أو ثلاثٍ مِن المدينةِ . فقال : أين تريدُ ؟ قال : العراقَ . ومعه طَوامِيرُ[1] وكُتبٌ ، فقال : لا تأْتِهم . فقال : هذه كُتُبُهم وبَيْعتُهم . فقال : إن اللَّهَ خيَّر نبيَّه ﷺ بينَ الدنيا والآخرةِ ، فاخْتار الآخرةَ ولم يُرِدِ الدنيا ، وإنكم بَضْعةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهِ لا يَليها أحدٌ منكم أبدًا ، وما صرَفها عنكم [2]إلا لِلَّذى[2] هو خيرٌ لكم[3] ، فارْجِعوا . فأبَى وقال : هذه كتُبُهم وبَيْعتُهم . قال : فاعْتَنَقه ابنُ عمرَ وقال : أسْتَودعُك اللَّهَ مِن قَتيلٍ . وقد وقَع ما فهِمه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ مِن ذلك سواءً ، مِن أنه لم يَلِ أحدٌ مِن أهلِ البيتِ الخِلافةَ على سبيلِ الاسْتقلالِ ويَتِمَّ له الأمرُ ، وقد قال ذلك عثمانُ بنُ عفانَ ، وعليُّ بنُ أبى طالبٍ أنه لا يَلِى أحدٌ مِن أهلِ البيتِ أبدًا . رَواه عنهما أبو صالحٍ السليلُ[4] بنُ أحمدَ بنِ عيسى بنِ الشيخِ فى كتابِه « الفتنِ والمَلاحِمِ » . قلتُ : وأما الخلفاءُ الفاطِميُّون الذين كانوا بالدِّيارِ المصريةِ ، فإن أكثرَ العلماءِ على أنهم أدْعِياءُ ، وعليُّ بنُ أبى طالبٍ[5] مِن أهلِ البيتِ ، ومع هذا لم يَتِمَّ له الأمرُ كما كان للخُلفاءِ الثلاثةِ قبلَه ، ولا اتَّسعَت يدُه فى البلادِ كلِّها ، ثم تنَكَّدَت عليه الأمورُ ، وأما ابنُه الحسنُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فإنه لما جاء فى جيوشِه وتَصافَى هو وأهلُ الشامِ ، ورأى أن المصلحةَ فى تركِ الخِلافةِ ، ترَكها للَّهِ ، عز وجل ، وصِيانةً لدِماءِ المسلمين ، أثابه اللَّهُ ورضِى عنه ، وأما الحسينُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فإن ابنَ عمرَ لما أشار عليه بترْكِ الذَّهابِ إلى العِراقِ

---

(١) الطوامير : الصحف ، ومفردها الطامور . الوسيط (ط م ر) .

(٢ - ٢) فى م : « إلى الذى » .

(٣) فى م : « منكم » .

(٤) فى م : « الخليل » .

(٥) بعده فى النسخ : « ليس » .

وخالَفه ، اعْتَنقه مُوَدِّعًا له[1] وقال : أَسْتَوْدِعُك اللَّهَ مِن قَتيلٍ . وقد وقَع ما تفرَّسَه ابنُ عمرَ ، فإنه لما اسْتَقَلَّ ذاهبًا بعَث إليه عُبيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ بكَتيبةٍ فيها أربعةُ آلافٍ ، يَقْدُمُهم عمرُ[2] بنُ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، وذلك بعدما اسْتَعْفاه فلم يُعْفِه ، فالْتَقَوْا بمكانٍ يقالُ له : كَرْبَلاءُ . بالطَّفِّ ، فالْتَجأ الحسينُ بنُ علىٍّ وأصحابُه إلى مَقْصَبةٍ هنالك[3] ، وجعَلوها منهم بظَهْرٍ ، وواجَهوا أولئك ، وطلَب منهم الحسينُ إحدى ثلاثٍ ؛ إما أن يَدَعوه يَرْجِعُ مِن حيث جاء ، وإما أن يَذْهَبَ إلى ثَغْرٍ مِن الثُّغورِ فيُقاتِلَ فيه ، أو يتْرُكوه حتى يذْهَبَ إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ فيضَعَ يدَه فى يدِه ، فيحْكُمَ فيه بما شاء ، فأبَوْا عليه واحدةً منهن ، وقالوا : لابدَّ مِن قُدومِك على عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فيرَى فيك رأْيَه ، فأبَى أن يَقْدَمَ عليه أبدًا ، وقاتَلَهم دونَ ذلك ، فقتَلوه ، رحِمه اللَّهُ ، وذهَبوا برأسِه إلى عُبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فوضَعوه بينَ يديه ، فجعل يَنْكُتُ بقَضيبٍ فى يدِه على ثَناياه وعندَه أنسُ [٥/١٦و] بنُ مالكٍ جالسٌ ، فقال له : يا هذا ، ارْفَعْ قَضيبَك ، قد طال ما رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ هذه الثنايا . ثم أمَر عُبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ أن يُسارَ بأهلِه ومَن كان معه إلى الشامِ إلى يزيدَ ابنِ مُعاويةَ ، ويقالُ : إنه بعَث معهم بالرأسِ حتى وُضِع بينَ يدَىْ يزيدَ ، فأنْشَد حينَئذٍ قولَ بعضِهم[4] :

نُفَلِّقُ هامًا مِن رجالٍ أَعِزةٍ ... علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظْلَمَا

ثم أمَر بتَجْهيزِهم إلى المدينةِ النبويةِ ، فلما دخَلوها تلَقَّتْهم امرأةٌ مِن بناتِ عبدِ المطلبِ ناشرةً شعرَها ، واضعةً كفَّها[5] على رأسِها تَبْكى وهى تقولُ :

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥٦.

(٣) المقصبة : منبت القَصَب . الوسيط (ق ص ب) .

(٤) قائله : الحصين بن الحمام المُرّى . شرح الحماسة للمرزوقى ١/ ٣٩١ .

(٥) فى الأصل : « ترابا » .

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم ... ماذا فعَلْتُم وأنتم آخرُ الأممِ
بعِتْرَتى وبأهْلِى بعدَ مُفْتَقَدى ... منهم أُسارَى وقَتْلَى ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائى إذ نصَحْتُ لكم ... أن تَخْلُفونى بِشرٍّ فى ذَوِى رَحِمى

وسنُورِدُ هذا مُفَصَّلًا فى موضعِه إذا انْتَهَيْنا إليه إن شاء اللَّهُ ، وبه الثِّقةُ وعليه التُّكْلانُ ، وقد رثاه الناسُ بمَراثٍ كثيرةٍ ، مِن أحسنِ ذلك ما أوْرَده الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابوريُّ ، وكان فيه تَشَيُّعٌ[1] :

جاءوا برأسِك يا بنَ بنتِ محمدٍ ... مُتَزَمِّلًا بدمائِه تَزْمِيلَا
فكأنما بك يا بنَ بنتِ محمدٍ ... قتَلوا جِهارًا عامدين رسولَا
قتَلوك عَطْشانًا ولم يتَرَقَّبوا ... فى قتلِك التَّنْزيلَ والتَّأْويلَا
ويُكَبِّرون بأن قُتِلْتَ وإنما ... قتَلوا بك التَّكْبيرَ والتَّهْليلَا

ذكرُ الإخْبارِ عن وَقْعةِ الحَرَّةِ التى كانت فى زمنِ يزيدَ أيضًا

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ المُنْذرِ ، حدَّثنى ابنُ فُلَيْحٍ ، عن أبيه ، عن أيوبَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أيوبَ بنِ بَشيرٍ المُعاوِىِّ[3] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج فى سفرٍ مِن أسْفارِه ، فلما مرَّ بحَرَّةِ زُهَرَةَ وقَف فاسْتَرْجَع ، فساء ذلك مَن معه ، وظَنُّوا أن ذلك مِن أمْرِ سفرِهم ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ،

---

(١) ذكره عنه الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٦/ ٤٤٨.
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٧٣، من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٣) فى م، والدلائل : « المعافرى » . وانظر الأنساب ٥/ ٣٣٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٤٥٣.

ما الذى رأيْتَ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أما إن ذلك ليس مِن سفرِكم هذا » . قالوا : فما هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « يُقْتَلُ بهذه الحَرَّةِ خِيارُ أمتى بعدَ أصْحابى » . هذا مُرْسَلٌ .

وقد قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : قال وهبُ بنُ جريرٍ : قالت جُوَيْرِيَةُ : حدَّثنى ثَورُ بنُ زيدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء تَأْويلُ هذه الآيةِ على رأسِ ستين سنةً : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ﴾ [الأحزاب : ١٤] . قال : لأَعْطَوْها . يعنى إدْخالَ بنى حارثةَ أهلَ الشامِ على أهلِ المدينةِ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ عباسٍ ، وتفسيرُ الصحابىِّ فى حكمِ المرفوعِ عندَ كثيرٍ مِن العلماءِ .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ فى كتابِ « الفتنِ والمَلاحِمِ »[2] : حدَّثنا أبو عبدِ الصَّمدِ العَمِّىُّ[3] ، ثنا أبو عِمْرانَ الجَوْنىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ ، عن أبى ذَرٍّ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أبا ذَرٍّ ، أرأيْتَ إنِ الناسُ قُتِلوا حتى تَغْرَقَ حِجارةُ الزيتِ مِن الدماءِ ، كيف أنت صانعٌ ؟ » قال : قلتُ : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « تدْخُلُ بيتَك » . قال : قلتُ : فإن أتَى عَلَىَّ ؟ قال : « تأتى مَن أنت منه » . قال : قلتُ : وأحْمِلُ السِّلاحَ ؟ قال : « إذًا [٥/١٦ظ] تُشْرَكَ معهم » . قال : قلتُ : فكيف أصنعُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « إن خِفْتَ أن يَبْهَرَكَ[4] شُعاعُ السيفِ فألْقِ طائفةً مِن رِدائِك على وجهِك يَبوءُ بإثْمِك وإثْمِه » . ورواه الإمامُ أحمدُ فى

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٧٣، ٤٧٤، من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٢) الفتن (٤٣٥) .
(٣) فى الأصل : « القمى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٦٥ .
(٤) فى الأصل : « ينهرك » .

« مسندِه » عن مَرْحومٍ ، هو ابنُ عبدِ العزيزِ ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنىِّ ، فذكَره مُطَوَّلًا[1] .

قلتُ : وكان سببَ وَقْعةِ الحَرَّةِ أن وَفْدًا مِن أهلِ المدينةِ قدِموا على يزيدَ بنِ مُعاويةَ بدِمشقَ ، فأكْرَمهم وأحْسَن جائزتَهم ، وأطْلقَ لأميرِهم ، وهو عبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظلةَ بنِ أبى عامرٍ ، قريبًا مِن مائةِ ألفٍ ، فلما رجَعوا ذكَروا لأهْلِيهم عن يزيدَ ما كان يقَعُ منه مِن القَبائحِ فى شُرْبِه الخمرَ ، وما يَتْبَعُ ذلك مِن الفَواحشِ التى مِن أكْبرِها تَرْكُ الصلاةِ عن وقتِها بسببِ السُّكْرِ ، فاجْتَمعوا على خَلْعِه ، فخلَعوه عندَ المِنْبرِ النَّبوىِّ ، فلما بلَغه ذلك بعَث إليهم سَرِيَّةً يَقْدُمُها رجلٌ يقالُ له : مسلمُ بنُ عقبةَ . وإنما يُسَمِّيه السَّلَفُ مُسْرِفَ بنَ عقبةَ ، فلما ورَد المدينةَ اسْتَباحها ثلاثةَ أيامٍ ، فقتَل فى غُبونِ[2] هذه الأيامِ بشرًا كثيرًا حتى كاد لا يَفْلِتُ أحدٌ مِن أهلِها ، وزعَم بعضُ علماءِ السلفِ أنه افتَضَّ[3] فى غُبونِ[2] ذلك ألفَ بِكْرٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[4] عن الإمامِ مالكٍ : قُتِل يومَ الحَرَّةِ سبعُمائةِ رجلٍ مِن حَمَلةِ القُرآنِ . حسِبْتُ أنه قال : وكان فيهم ثلاثةٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وذلك فى خِلافةِ يزيدَ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : سمِعْتُ سعيدَ بنَ كثيرِ بنِ عُفَيْرٍ الأنْصارىَّ يقولُ : قُتِل يومَ الحَرَّةِ عبدُ اللَّهِ بنُ زيدٍ[6] المازنىُّ ، ومَعْقِلُ بنُ سِنانٍ[7] الأشْجَعىُّ ،

---

(١) المسند ٥/ ١٤٩. إسناده صحيح (الإحسان ٥٩٦٠، ٦٦٨٥).

(٢) فى م : « غضون » . و « فى غبون » أى فى أثناء . من الغَبْن ، وهو ثَنْى الشىء . انظر اللسان (غ ب ن) .

(٣) فى م : « قتل » . وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٤٧٥.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٧٤، من طريق ابن وهب به .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٧٤، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٦) فى م : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥٣٨.

(٧) فى م : « سليمان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٧٣.

ومُعاذُ بنُ الحارثِ القارِئُ ، وقُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظلةَ بنِ أبى عامرٍ .

قال يعقوبُ[1] : وحدَّثنا يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكيرٍ ، عن الليثِ قال : كانت وَقْعةُ الحرَّةِ يومَ الأربعاءِ لثلاثٍ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وستين .

ثم انْبَعث مُسْرِفُ بنُ عقبةَ إلى مكةَ قاصدًا عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ ليَقْتُلَه بها ؛ لأنه فَرَّ مِن بَيْعةِ يزيدَ ، فمات يزيدُ بنُ مُعاويةَ فى غُبونِ ذلك ، واسْتَفْحل أمرُ عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ فى الخِلافةِ بالحِجازِ ، ثم أخَذ العراقَ ومصرَ ، وبُويع بعدَ يزيدَ لابنِه مُعاويةَ بنِ يَزيدَ ، وكان رجلًا صالحًا ، فلم تَطُلْ مُدَّتُه ؛ مكَث أربعين يومًا ، وقيل : عشرين يومًا . ثم مات ، رحِمه اللَّهُ ، فتَوَثَّب مَرْوانُ بنُ الحكَمِ على الشامِ فأخَذها ، فبَقِىَ تسعةَ أشهرٍ ثم مات ، وقام بعدَه ابنُه عبدُ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، فنازَعه فيها عمرُو بنُ سعيدٍ[2] الأشْدقُ ، وكان نائبًا على المدينةِ مِن زمنِ مُعاويةَ وأيامِ يزيدَ ومَرْوانَ ، فلما هلَك مَرْوانُ زعَم أنه أوْصَى له بالأمرِ مِن بعدِ ابنِه عبدِ الملكِ ، فضاق به ذَرْعًا ، فلم يَزَلْ به حتى أخَذه بعدَ ما اسْتَفْحل أمرُه بدِمشقَ ، فقتَلَه فى سنةِ تسعٍ وستين ، ويقالُ : فى سنةِ سبعين . واستَمَرَّت أيامُ عبدِ الملكِ حتى ظفِر بابنِ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعين ، قتَله الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفىُّ عن أمْرِه بمكةَ ، بعدَ مُحاصرةٍ طويلةٍ اقْتَضَت أن نصَب المَنْجَنِيقَ على الكعبةِ ؛ مِن أجلِ أن ابنَ الزبيرِ لجأ إلى الحَرَمِ ، فلم يَزَلْ به حتى قتَله ، ثم عهِد فى الأمْرِ إلى بَنِيه الأربعةِ مِن بعدِه ؛ الوليدِ ، ثم سليمانَ ، ثم يزيدَ ، ثم هشامِ بنِ عبدِ الملكِ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا أسودُ ويحيى بنُ أبى بُكَيرٍ ، ثنا كاملٌ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٧٥، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٢) بعده فى الأصل، م: «بن» . وانظر نزهة الألباب ١/ ٧٥.

(٣) المسند ٦/ ٣٢٦. قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٢٠: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال =

[٥/١٧و] أبو العَلاءِ، سمِعْتُ أبا صالحٍ - وهو مولى ضُباعةَ - المُؤَذِّنَ، واسمُه مِيناءُ، قال: سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تعَوَّذوا باللَّهِ مِن رأسِ السبعين، وإمارةِ الصِّبْيانِ». وقال: «لا تَذْهَبُ الدنيا حتى (١تَصِيرَ لِلُكَعِ١) ابنِ لُكَعٍ». وقال الأسودُ: يعنى (٢اللَّئيمَ ابنَ اللئيمِ٢). وقد روَى الترمذىُّ(٣) مِن حديثِ كاملٍ، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عمرُ أمتى مِن ستين سنةً إلى سبعين سنةً». ثم قال: حسنٌ غريبٌ.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ(٤) عن عفانَ وعبدِ الصمدِ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن علىِّ بنِ زيدٍ(٥)، حدَّثنى مَن سمِع أبا هريرةَ يقولُ: (٦سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ٦): «لَيَرْتَقِيَنَّ(٧) - وقال عبدُ الصَّمدِ فى روايتِه: لَيَرْعُفَنَّ(٨) - جَبَّارٌ مِن جَبابرةِ بنى أميةَ على مِنْبرى هذا». زاد عبدُ الصمدِ(٩): «يَسيلُ رُعافُه». قال: فحدَّثنى مَن رأَى عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ رعف(١٠) على مِنْبرِ النبىِّ ﷺ حتى سال رُعافُه. قلتُ: علىُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ فى روايتِه غَرابةٌ ونَكارةٌ، وفيه تَشَيُّعٌ، وعمرُو بنُ سعيدٍ هذا يقالُ له: الأَشْدَقُ. كان مِن ساداتِ المسلمين

= الصحيح غير - أبى العلاء - كامل بن العلاء وهو ثقة.

(١ - ١) فى م: «يظهر اللكع».

(٢ - ٢) فى المسند: «المتهم بن المتهم».

(٣) الترمذى (٢٣٣١). حسن صحيح بلفظ: أعمار أمتى ما بين... (صحيح سنن الترمذى ١٩٠٠).

(٤) المسند ٢/ ٣٨٥، من حديث عفان، و٢/٥٢٢ من حديث عبد الصمد.

(٥) فى م: «يزيد». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٣٤.

(٦ - ٦) سقط من: ١٥١.

(٧) فى النسخ: «لينعقن». والمثبت من المسند.

(٨) فى م، ص: «ليزعقن».

(٩) بعده فى الأصل، م، ص: «حتى».

(١٠) فى م، ص: «يرعف».

وأشْرافِهم[1] ، [2]رأَى النبيَّ ﷺ[2] ، وروَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، منهم فى « صحيحِ مسلمٍ » عن عثمانَ فى فَضْلِ الطُّهورِ[3] ، وكان نائبًا على المدينةِ لمعاويةَ ولابنِه يزيدَ من بعدِه ، ثم اسْتَفْحَل أمْرُه حتى كاد[4] يُصاوِلُ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ ، ثم خدَعه عبدُ الملكِ حتى ظفِر به ، فقتَله فى سنةِ تسعٍ وستين ، أو سنةِ سبعين . فاللَّهُ أعلمُ . وقد رُوِىَ عنه مِن المكارمِ أشياءُ كثيرةٌ ، مِن أحْسنِها أنه لما حضَرَتْ أباه[5] الوفاةُ قال لبنيه ، وكانوا ثلاثةً ؛ عمرٌو هذا ، وأميَّةُ ، وموسى ، فقال لهم : مَن يتَحَمَّلُ ما علىَّ ؟ فبدَر ابنُه عمرٌو هذا وقال : أنا يا أَبَه ، وما عليك ؟ قال : ثلاثون ألفَ دينارٍ . قال : نعم . قال : وأخَواتُك لا تُزَوِّجْهن إلا بالأكْفاءِ ولو أكَلْنَ خبزَ الشَّعيرِ . قال : نعم . قال : وأصْحابى مِن بعدى ، إن فقَدوا وجهى فلا يَفْقِدوا مَعْروفى . قال : نعم . قال : أمَا لئِنْ قلتَ ذلك فلقد كنتُ أعْرِفُه مِن حَماليقِ وجهِك وأنت فى مَهْدِك .

وقد ذكَر البيهقىُّ[6] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ كاتبِ الليثِ ، عن حَرْمَلَةَ ابنِ عِمْرانَ[7] ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، أنه سمِعه يُحَدِّثُ عن محمدِ بنِ يَزيدَ بنِ

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « فى الدنيا لا فى الدين » .

(٢ - ٢) سقط من : م . قال ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٥١ مخطوط : يقال إنه رأى النبى ﷺ . وتابعه المزى فى تحفة الأشراف ٨/ ١٥١ ، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦ . قال الحافظ فى الإصابة ٥/ ٢٩٤ : وهو من المحال المقطوع ببطلانه ؛ فإن أباه سعيدًا كان له عند موت النبى ﷺ ثمان سنين أو نحوها .

(٣) مسلم (٢٢٨) .

(٤) فى م : « كان » .

(٥) سقط من : م ، ص . وانظر لهذه القصة تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٣ ، ٤٥٤ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٧ .

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٧٦ ، ٤٧٧ . وقد أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٨٧ ، من طريق حرملة عن يزيد به ، وانظر أسد الغابة ٤/ ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٧) بعده فى النسخ : « عن أبيه » . والمثبت من الدلائل . وانظر المصدرين السابقين وتهذيب الكمال ٥/ ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

أبى زيادٍ الثَّقفىِّ قال: اصْطَحب قيسُ بنُ خَرَشَةَ وكعبٌ حتى إذا بلَغا صِفِّينَ وقَف كعبُ الأحبارِ. فذكَر كلامَه فيما يقَعُ هناك مِن سَفْكِ دماءِ المسلمين، وأنه يجِدُ ذلك فى التَّوْراةِ، وذكَر عن قيسِ بنِ خَرَشَةَ أنه بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ على أن يقولَ بالحقِّ. وقال: «يا قيسُ، عسى أن يَمُدَّ بك الدهرُ حتى يَلِيَكَ[1] بعدى مَن لا تَسْتطيعُ أن تقولَ بالحقِّ معهم». فقال: واللَّهِ لا أُبايِعُك على شىءٍ إلا وَفَّيْتُ لك به. فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذًا لا يَضُرُّك بشرٌ». فبلَغ قيسٌ إلى أيامِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادِ بنِ أبى سفيانَ، فنقَم عليه عُبَيدُ اللَّهِ فى شىءٍ، فأحْضَره فقال: أنت الذى تَزْعُمُ[2] أنه لا يَضُرُّك بشرٌ[3]؟ قال: نعم. قال: لَتَعْلَمَنَّ اليومَ أنك قد كَذَبْتَ، ائْتُونى بصاحبِ العذابِ. قال: فمالَ قيسٌ عندَ ذلك فمات.

مُعْجزةٌ أخْرَى

روَى البيهقىُّ[4] مِن طريقِ الدَّراوَرْدِىِّ، عن ثَورِ بنِ زيدٍ[5]، عن موسى بنِ مَيْسَرةَ، أن بعضَ بنى عبدِ اللَّهِ سايَره فى بعضِ طريقِ مكةَ. قال: حدَّثنى العباسُ ابنُ عبدِ المطلبِ أنه بعَث ابنَه عبدَ اللَّهِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حاجةٍ، فوجَد عندَه رجلًا، فرجَع ولم يُكَلِّمْه؛ مِن أجلِ مكانِ الرجلِ[6]، فلقِىَ العباسُ [٥/١٧ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبَره بذلك، فقال: «ورآه؟» قال: نعم. قال: «أتَدْرى مَن ذلك الرجلُ؟ ذاك جِبريلُ، ولن يموتَ حتى يَذْهَبَ بصرُه ويُؤْتَى عِلمًا». وقد

---

(١) فى م: «يكبك».
(٢) فى م: «زعم».
(٣) فى الأصل: «شىء».
(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٧٨.
(٥) فى م: «يزيد». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤١٦.
(٦) بعده فى الدلائل: «معه».

مات ابنُ عباسٍ سنةَ ثمانٍ وستين بعدما عَمِى ، رضِى اللَّهُ عنه .

وروَى البيهقىُّ[1] مِن حديثِ المعتمِرِ بنِ سليمانَ ، حدَّثَتْنا نُباتةُ[2] بنتُ بُرَيْرٍ[3] ، عن حمادةَ[4] ، عن أُنَيْسةَ بنتِ زيدِ بنِ أرْقَمَ ، عن أبيها ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل على زيدٍ يَعودُه فى مرضٍ كان به ، قال : « ليس عليك مِن مَرضِك بأسٌ ، ولكن كيف بك إذا عُمِّرْتَ بعدى فعَمِيتَ ؟ » قال : إذًا أحْتَسِبَ وأصْبِرَ . قال : « إذًا تَدْخُلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ » . قال : فعَمِىَ بعدَما مات رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم ردَّ اللَّهُ عليه بصَرَه ، ثم مات .

فصلٌ

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْن »[5] عن أبى هريرةَ ، وعندَ مسلمٍ[6] عن جابرِ بنِ سَمُرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « إن بينَ يَدَيِ الساعةِ ثلاثين كذَّابًا دَجَّالًا ، كلُّهم يَزْعُمُ أنه نبىٌّ » .

وقال البيهقىُّ[7] ، عن المالِينىِّ ، عن ابنِ[8] عَدِىٍّ ، عن أبى يَعْلَى المَوْصِلىِّ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا محمدُ بنُ الحسنِ الأسَدىُّ ، ثنا شَريكٌ ، عن أبى

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٧٩. كما أخرجه الطبرانى فى الكبير ٥/ ٢٤٠، ٢٤١ (٥١٢٦)، من طريق معتمر به.
(٢) فى الأصل: «سابة»، وفى م: «سيابة». وانظر الإكمال ١/ ٣٦١.
(٣) فى النسخ: «يزيد». وفى الدلائل: «بريد». والمثبت من الطبرانى. وانظر الإكمال، الموضع السابق.
(٤) فى م: «خمارة». ولم نجد لها ترجمة.
(٥) البخارى (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧/٨٤)، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٦) مسلم (٢٩٢٣/٨٣).
(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٨٠، ٤٨١. وقد أخرجه ابن عدى فى الكامل ٦/ ٢١٨٢.
(٨) فى م، ص: «أبى».

إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَخْرُجَ ثلاثون كذَّابًا ، منهم ؛ مُسَيْلِمةُ ، والعَنْسيُّ ، والمُخْتارُ ، وشَرُّ قَبائلِ العربِ بنو أميةَ وبنو حَنيفةَ وثَقِيفٌ » . قال ابنُ عَدِيٍّ : محمدُ بنُ الحسنِ له إفراداتٌ ، وقد حدَّث عنه الثِّقاتُ ، ولم أرَ بحديثِه بأسًا .

وقال البيهقيُّ : لحديثِه فى المُخْتارِ شواهدُ صحيحةٌ . ثم أوْرَد مِن طريقِ أبى داودَ الطَّيالسيِّ[1] ، حدَّثنا الأسودُ بنُ شَيْبانَ ، عن أبى نوفلِ بنِ[2] أبى عَقْرَبٍ ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، أنها قالت للحَجَّاجِ بنِ يوسفَ : أمَا إن رسولَ اللَّهِ ﷺ حدَّثَنا أن فى ثَقِيفٍ كذَّابًا ومُبِيرًا[3] ، فأما الكذَّابُ فقد رأَيْناه ، وأمَّا المُبيرُ فلا إخالُك إلا إياه . قال : ورواه مسلمٌ مِن حديثِ الأسودِ بنِ شَيْبانَ[4] . وله طرقٌ عن أسماءَ وألفاظٌ سيأتى إيرادُها فى موضعِه .

وقال البيهقيُّ[5] : أنا الحاكمُ وأبو سعيدٍ ، عن الأصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّوريِّ[6] ، عن [7]عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ الحُمَيديِّ[7] ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن أبى المُحَيَّاةِ[8] ، عن [9]أبيه قال[9] : لما قتَل الحجَّاجُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ دخَل الحَجَّاجُ على أسماءَ بنتِ أبى

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٨١، ومسند أبى داود (١٦٤١) .

(٢) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٥٧.

(٣) مبير : أى مهلك يسرف فى إهلاك الناس . النهاية ١/ ١٦١.

(٤) مسلم (٢٥٤٥) .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٨١، ٤٨٢. وأيضا الحديث فى مسند الحميدى (٣٢٦) .

(٦) فى م : « الدراوردى » .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « عبيد اللَّه بن الزبير الحميدى » ، وفى الدلائل : « عبيد اللَّه بن الزبير الحميرى » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥١٢.

(٨) فى م ، والدلائل : « المحيا » . وأبو المحياة هو يحيى بن يعلى . وانظر التاريخ الكبير ٨/ ٤١٦، والثقات ٥/ ٥٥٦.

(٩ - ٩) فى ١٥١، م ، ص : « أمه قالت » . وانظر المصدرين السابقين .

بكرٍ فقال : يا أُمَّهْ ، إن أميرَ المؤمنين أوْصانى بكِ ، فهل لكِ مِن حاجةٍ ؟ [1] فقالت : لسْتُ لك بأُمٍّ ، ولكنى أمُّ المَصْلوبِ على رأسِ الثَّنِيَّةِ ، وما لى مِن حاجةٍ [1] ، ولكن انْتَظِرْ حتى أُحَدِّثَك بما سمِعْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يقولُ : « يخْرُجُ مِن ثَقيفٍ كذَّابٌ ومُبِيرٌ » . فأما الكذَّابُ فقد رأَيْناه ، وأما المُبيرُ فأنت . فقال الحَجَّاجُ : مُبيرُ المنافِقِين .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ [2] : حدَّثنا شَريكٌ ، عن أبى عَلْوانَ عبدِ اللَّهِ بنِ عِصْمةَ ، عن ابنِ عمرَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن فى ثَقيفٍ كذَّابًا ومُبِيرًا » . وقد تواتَر خبرُ المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ الكذَّابِ الذى كان نائبًا على العراقِ وكان يزْعُمُ أنه نبىٌّ ، وأن جَبريلَ [3] يأتيه بالوحْيِ ، وقد قيل لابنِ عمرَ ، وكان زوجَ أختِ المُخْتارِ صَفِيَّةَ [4] : إن المُخْتارَ يزْعُمُ أن الوَحْىَ يأْتيه . فقال : صدَق ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ [5] : ثنا قُرَّةُ بنُ خالدٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن رِفاعةَ بنِ شَدَّادٍ قال : كنتُ أبْطَنَ [6] شىءٍ بالمُخْتارِ الكذَّابِ . قال : فدخَلْتُ عليه ذاتَ يومٍ فقال : دخَلْتَ وقد قام جبريلُ قبلُ مِن هذا الكُرْسىِّ . قال : فأهْوَيْتُ إلى قائمِ السيفِ - يعنى لأضْرِبَه - حتى ذكَرْتُ حديثًا حدَّثَنيه عمرُو بنُ الحَمِقِ الخُزاعىُّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا أمَّن الرجلُ الرجلَ على دمِه ثم قتَله ، رُفِع

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) مسند أبى داود (١٩٢٥) .

(٣) بعده فى ١٥١، م، ص : « كان » .

(٤) فى م : « وصفيه » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٤.

(٥) مسند أبى داود (١٢٨٦) ، ومن طريقه أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٢، واللفظ له .

(٦) فى م : « ألصق » . وهما بمعنًى .

له لواءُ الغَدْرِ يومَ القيامةِ » . فكَفَفْتُ عنه . وقد رَواه أسْباطُ بنُ نصرٍ [٥/ ١٨و] وزائدةُ والثوريُّ ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ ، عن رِفاعةَ بنِ شَدَّادٍ الفِتْيانيِّ[1] ، فذكَر نحوَه[2] .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : ثنا أبو بكرٍ الحُمَيْديُّ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبيِّ قال : فاخَرْتُ أهلَ البَصْرةِ فغلَبْتُهم بأهلِ الكوفةِ ، والأحْنَفُ ساكتٌ لا يتَكَلَّمُ ، فلما رآنى غلَبْتُهم أرْسَل غلامًا له فجاء بكتابٍ فقال : هاكَ اقْرَأْ . فقرأْتُه فإذا فيه مِن المُخْتارِ إليه[4] ، يذْكُرُ أنه نبيٌّ . قال[5] : يقولُ الأحْنَفُ : أنَّى فينا مثلُ هذا ؟! .

وأمَّا الحَجاجُ بنُ يوسفَ فقد تقَدَّم الحديثُ أنه الغلامُ المُبِيرُ الثَّقفيُّ ، وسنذْكُرُ ترجمتَه إذا انتَهَيْنا إلى أيامِه ، فإنه كان نائبًا على العراقِ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، ثم لابنِه الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكان مِن جَبابرةِ الملوكِ ، على ما كان فيه مِن الكَرَمِ والفَصاحةِ ، على ما سنذكُرُه .

وقد قال البيهقيُّ[6] : ثنا الحاكمُ عن أبى النضرِ[7] الفَقيهِ ، ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ [8]قال عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ المصريُّ[8] ، أن معاويةَ بنَ صالحٍ حدَّثه ، عن

---

(١) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « القبانى » ، وفى ص ، والدلائل : « القتبانى » . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر الأنساب ٤/ ٣٤٦ ، والثقات ٤/ ٢٤٠ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٤٨٣ . وكما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٧ ، ١٦٨ ، من طريق البيهقى به .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٣ ، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « لله » .

(٥) سقط من : م .

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

(٧) فى م ، ص : « نصر » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢١ ، ترجمة عثمان بن سعيد الدارمى .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . وانظر المصدر السابق .

شُرَيْحِ بنِ عُبيدٍ ، [1]عن أبى عَذَبةَ[1] قال : جاء رجلٌ إلى عمرَ بنِ الخطابِ فأخْبَره أن أهلَ العراقِ قد حصَبوا أميرَهم ، فخرَج غضبانَ ، فصلَّى لنا الصلاةَ فسَها فيها حتى جعَل الناسُ يقولون : سبحانَ اللَّهِ ، سبحانَ اللَّهِ . فلما سلَّم أقْبَل على الناسِ فقال : مَن هـٰهنا مِن أهلِ الشامِ ؟ فقام رجلٌ ، ثم قام آخرُ ، ثم قمتُ أنا ثالثًا أو رابعًا ، فقال : يا أهلَ الشامِ ، اسْتَعِدُّوا لأهلِ العراقِ ، فإن الشيطانَ قد باض فيهم وفرَّخ ، اللهم إنهم قد لبَّسوا علىَّ فألْبِسْ عليهم ، [2]وعَجِّلْ عليهم[2] بالغلامِ الثَّقفىِّ يَحْكُمُ فيهم بحكمِ أهلِ الجاهليةِ ، لا يَقْبَلُ مِن مُحْسنِهم ، ولا يَتجاوَزُ عن مُسيئِهم . قال عبدُ اللَّهِ : وحدَّثنى ابنُ لَهيعةَ بمثلِه . قال : وما[3] وُلِد الحَجَّاجُ يومَئذٍ . ورواه الدارمىُّ أيضًا عن أبى اليَمانِ ، عن جَريرِ بنِ عثمانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَيْسرةَ ، عن أبى عَذَبةَ الحِمْصِىِّ ، عن عمرَ ، فذكَر مثلَه[4] . قال أبو اليَمَانِ : عَلِم عمرُ أن الحَجَّاجَ خارجٌ لا مَحالةَ ، فلما أغْضَبوه اسْتَعْجَل لهم العُقوبةَ . قلتُ : فإن كان هذا نقَله عمرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فقد تقَدَّم له شاهدٌ عن غيرِه ، وإن كان عن تَحْدِيثٍ فكَرامةُ الوَلىِّ مُعْجزةٌ لنبيِّه .

وقال عبدُ الرزاقِ[5] : أنا جعفرٌ ، يعنى ابنَ سليمانَ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ ، عن الحسنِ قال : قال علىٌّ لأهلِ الكوفةِ : اللهم كما ائْتَمَنْتُهم فخانونى ، ونصَحْتُ لهم فغَشُّونى ، فسَلِّطْ عليهم فَتَى ثقيفٍ الذَّيَّالَ[6] المَيَّالَ ، يأكُلُ خَضِرتَها ، ويَلْبَسُ

(١ - ١) سقط من : الأصل . وفى ١٥١ : « عن أبى عدية » . وانظر الإكمال ٦/ ١٦٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٧، من طريق الدارمى به .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٨، من طريق عبد الرزاق به .

(٦) فى الدلائل : « الذبال » . والذيال من الخيل : المتبختر فى مشيه ... وذال الرجل يَذِيل ذَيْلا : تبختر فجرَّ ذيله . اللسان (ذ ى ل) .

فَرْوتَها ، ويحْكُمُ فيهم بحكمِ الجاهليةِ . قال : يقولُ[1] الحسنُ : وما خُلِق الحَجَّاجُ يومَئذٍ . وهذا مُنْقَطِعٌ .

وقد رَواه البيهقيُّ أيضًا[2] ، مِن حديثِ معتمِرِ بنِ سليمانَ ، عن أبيه ، عن أيوبَ ، عن مالكِ بنِ أوسِ بنِ الحَدَثانِ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ أنه قال : الشابُّ الذَّيَّالُ أميرُ المِصْرَيْن ، يَلْبَسُ فَرْوَتَها ، ويأكُلُ خَضِرتَها ، ويَقْتُلُ أشْرافَ أهلِها ، يَشْتَدُّ منه الفَرَقُ[3] ، ويَكْثُرُ منه الأرَقُ ، ويُسَلِّطُه اللَّهُ على شِيعتِه .

وله[4] مِن حديثِ يزيدَ بنِ هارونَ ، أنا العَوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ ، حدَّثنى حَبيبُ بنُ أبى ثابتٍ قال : قال عليٌّ لرجلٍ[5] : لا مِتَّ حتى تُدْرِكَ فتَى ثَقيفٍ . فقيل : يا أميرَ المؤمنين ، وما فتَى ثَقيفٍ ؟ فقال : لَيُقالَنَّ له يومَ القيامةِ : اكْفِنا زاويةً مِن زَوايا جهنمَ . رجلٌ يَمْلِكُ عشرين سنةً [6]أو بِضْعًا وعشرين سنةً[6] ، لا يدَعُ للَّهِ مَعْصيةً إلا ارْتَكَبها ، حتى لو لم يَبْقَ إلا معصيةٌ واحدةٌ وكان بينَه وبينَها بابٌ مُغْلَقٌ لَكَسَرَه حتى يرْتَكِبَها ، يَقْتُلُ[7] بمَن أطاعه مَن عَصاه . وهذا مُعْضَلٌ ، وفى صحتِه عن عليٍّ نظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م ، والدلائل : « فتوفى » . وهو خطأ ظاهر ؛ فإن الحجاج ولد - كما فى تاريخ دمشق ١٢/١١٥ - فى سنة تسع وثلاثين ، وقيل : أربعين ، وقيل : إحدى وأربعين . والحسن البصرى توفى سنة عشر ومائة كما فى سير أعلام النبلاء ٤/٥٨٧، وتهذيب الكمال ٦/١٢٦.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٨٨.

(٣) فى م : « الغرق » . والفرق : الخوف .

(٤) المصدر السابق ٦/ ٤٨٩.

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى م : « يفتن » .

وقال البيهقيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الحسينِ بنِ الحسنِ بنِ أيوبَ ، عن أبى حاتمٍ الرازىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ التِّنِّيسىِّ[2] ، ثنا هشامُ بنُ يحيى الغَسَّانىُّ قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لو جاءت كلُّ أُمةٍ بخَبيثِها ، وجِئْناهم بالحَجَّاجِ لغلَبْناهم . وقال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[3] ، عن عاصمِ بنِ[4] أبى النَّجُودِ : ما بقِيَت للَّهِ حُرْمةٌ إلا وقد ارْتَكَبها الحَجَّاجُ . وقال عبدُ الرزاقِ[5] ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، [٥/ ١٨ظ] أن أباه لما تحقَّق موتَ الحَجَّاجِ تَلا قولَه تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] . قلتُ : وقد تُوُفِّىَ الحَجَّاجُ فى سنةِ خمسٍ وتسعين .

ذِكْرُ[6] الإشارةِ النبويَّةِ إلى دولةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ تاجِ بنى أُميَّةَ

قد تقَدَّم[7] حديثُ أبى إدريسَ الخَوْلانىِّ عن حُذيفةَ قال : سأَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ هل بعَد هذا الخيرِ مِن شَرٍّ ؟ قال : « نعم » . قلتُ : وهل بعدَ ذلك الشَّرِّ مِن

---

(١) دلائل النبوة ٦/٤٨٩ .
(٢) فى م : « الثنينى » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٣٣.
(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٩، من طريق أبى بكر بن عياش به .
(٤) فى م : « عن أبى عن » .
(٥) المصدر السابق ٦/ ٤٩١، من طريق عبد الرزاق ، به .
(٦) سقط من : م .
(٧) تقدم فى صفحة ١٣٦.

خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَسْتَنُّون بغيرِ سُنَّتى، ويَهْدون بغيرِ هَدْيى، تَعْرِفُ[1] منهم وتُنْكِرُ[2]». الحديثَ، فحمَل البيهقىُّ وغيرُه[3] هذا الخيرَ الثانىَ على أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ.

وروَى[4] عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، عن العباسِ بنِ الوليدِ بنِ مَزْيَدٍ[5]، عن أبيه قال: سُئِل الأوْزاعىُّ عن تفسيرِ حديثِ حذيفةَ حينَ سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الشرِّ الذى يكونُ بعدَ ذلك الخيرِ، فقال الأوْزاعىُّ: هى الرِّدَّةُ التى كانت بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

[6]قال الأَوْزاعىُّ[6]: وفى مسألةِ حُذيفةَ: فهل بعدَ ذلك الشرِّ مِن خيرٍ؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قال الأوْزاعىُّ: فالخيرُ الجماعةُ، وفى وُلاتِهم مَن تُعْرَفُ سِيرتُه، وفيهم مَن تُنْكَرُ سِيرتُه. قال[7]: فلم يَأْذَنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قِتالِهم ما صلَّوُا الصلاةَ.

وروَى أبو داودَ الطَّيالسىُّ[8]، عن داودَ الواسِطىِّ، وكان ثِقةً، عن حَبيبِ بنِ سالمٍ، عن النعمانِ بنِ [9]بَشِيرِ بنِ سعدٍ[9]، عن حذيفةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) فى الأصل، م، ص: «يعرف».
(٢) فى الأصل، م، ص: «ينكر».
(٣) انظر دلائل النبوة ٦/٤٩٠ - ٤٩٥.
(٤) أى البيهقى. دلائل النبوة ٦/ ٤٩١.
(٥) فى م: «مرثد». وهو تصحيف. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٨١.
(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.
(٧) أى الأوزاعى.
(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٩١، من طريق أبى داود به.
(٩ - ٩) فى النسخ: «سالم». والمثبت من الدلائل. انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤١١.

« إنّكم فى النُّبوَّةِ ما شاء اللَّهُ أن تكونَ ، ثم يَرْفَعُها[1] إذا شاء[2] ، ثم تكونُ خِلافةٌ على مِنْهاجِ النبوةِ[3] [4]ما شاء اللَّهُ أن تكونَ ، ثم يَرْفَعُها إذا شاء ، ثم تكونُ جَبْرِيَّةٌ[3] ما شاء اللَّهُ أن تكونَ ، ثم يَرْفَعُها إذا شاء أن يَرْفَعَها ، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النُّبوَّةِ »[4] . قال : فقدِم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ومعه يزيدُ بنُ النعمانِ ، فكتَبْتُ إليه أُذَكِّرُه الحديثَ وكتَبْتُ إليه أقولُ : إنى أرْجو أن تَكونَ أميرَ المؤمنين بعدَ الجَبْرِيَّةِ[5] . قال : فأخَذ يزيدُ الكتابَ فأدْخَله على عمرَ ، فسُرَّ به وأعْجَبه .

وقال نُعيمُ بنُ حَمَّادٍ[6] : حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [7]فى النومِ[7] ، وعندَه [8]أبو بكرٍ[8] وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ ، فقال لى : « ادْنُهْ » . فدَنَوْتُ حتى قُمْتُ بينَ يدَيْه ، فرفَع بصرَه إلىَّ وقال : « أمَا إنك ستَلِى أمْرَ هذه الأُمةِ ، وستَعْدِلُ عليهم » . وسيأتى فى الحديثِ الآخرِ ، إن شاء اللَّهُ ؛ أن اللَّهَ يبْعَثُ لهذه الأمةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يُجَدِّدُ لها دينَها . وقد قال كثيرٌ مِن الأئمةِ : إنه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ فإنه تُوُفِّىَ[9] سنةَ إحدى ومائةٍ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « يرفعها اللَّه » ، وفى م : « يرفعها لكم » .
(٢) بعده فى م : « أن يرفعها » .
(٣) بعده فى الدلائل : « تكون » .
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) فى الأصل ، م : « الخيرية » .
(٦) الفتن (٢٩١) .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م .
(٨ - ٨) سقط من : م .
(٩) فى م : « تولى » .

وقال البيهقيُّ[1] : أنا الحاكمُ ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ بنُ عليٍّ المُقْرِئُ ، ثنا أبو عيسى ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عفانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عثمانُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ لاحقٍ ، عن جُوَيْرِيَةَ ابنِ أسْماءَ ، عن نافعٍ[2] قال : بلَغنا أن عمرَ بنَ الخطابِ قال : إن مِن وَلَدِى رجلًا بوجْهِه شَيْنٌ ، يلِى فيمْلَأُ الأرضَ عَدْلًا . قال نافعٌ مِن قِبَلِه : ولا أَحْسَبُه إلا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ . وقد رَواه نعيمُ بنُ حمادٍ عن عثمانَ بنِ عبدِ الحميدِ[3] . ولهذا طرقٌ عن ابنِ عمرَ أنه كان يقولُ[4] : ليت شِعْرى مَن هذا الذى مِن وَلَدِ عمرَ بنِ الخطابِ فى وجْهِه عَلامةٌ ، يمْلَأُ الأرضَ عَدْلًا ؟ وقد رُوِىَ ذلك عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَرْمَلَةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ نحوًا مِن هذا[5] ، وقد كان هذا الأمرُ مَشْهورًا قبلَ وِلايتِه ومِيلادِه بالكُلِّيَّةِ ؛ أنه يَلِى رجلٌ مِن بنى أُمَيَّةَ يقالُ له : أَشَجُّ بنى مَرْوانَ .

وكانت أمُّه أَرْوَى بنتَ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وكان أبوه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ نائبًا لأخيه عبدِ الملكِ على مِصْرَ ، وكان يُكْرِمُ [٥/١٩و] عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ ، ويَبْعَثُ إليه بالتُّحَفِ والهَدايا والجَوائزِ فيَقْبَلُها ، وبعَث إليه مرَّةً بألفِ دينارٍ فأخَذها . وقد دخَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا إلى إصْطَبْلِ أبيه وهو صغيرٌ ،

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٩٢.

(٢) بعده فى النسخ : «عن ابن عمر» . والمثبت من الدلائل .

(٣) بعده فى م ، ص : «به» . والأثر فى الفتن (٢٩٠) عن عثمان عن بشر بن المفضل عن جويرية به .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٩٢ ، بسنده عن ابن عمر .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٩٣ ، من طريق محمد بن أصبغ عن أبيه عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك عن سعيد بن المسيب أنه وجد نَشْطَة فقال لرجلٍ ... فذكر الحديث . وذكر محمد بن أصبغ عن أبيه أن الرجل هو عبد الرحمن بن حرملة . كما ذكر البيهقى أيضا فى ٦/٤٩٣ أنه رُوى ذلك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد .

فرمَحه[1] فرسٌ فشَجَّه فى جَبينِه ، فجعَل أبوه يَسْلُتُ عنه الدمَ ويقولُ : أما لئن كنتَ أشَجَّ بنى مَرْوانَ ، إنك إذًا لَسعيدٌ . وكان الناسُ يقولون : الأشَجُّ والناقصُ أعْدَلُ[2] بنى مَرْوانَ ؛ فالأشَجُّ هو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، والناقصُ هو يزيدُ بنُ الوليدِ ابنِ عبدِ الملكِ ، الذى يقولُ فيه الشاعرُ[3] :

رأيْتُ اليزيدَ بنَ الوليدِ مُبارَكًا شديدًا بأعْباءِ[4] الخِلافةِ كاهِلُهْ

قلتُ : وقد وَلِىَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الخلافةَ[5] بعدَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ سنتين ونصفًا ، فمَلأ الأرضَ عدْلًا ، وفاض المالُ حتى كان الرجلُ يَهُمُّه لِمَنْ يُعْطِى صَدَقَتَه . وقد حمَل البيهقىُّ[6] الحديثَ المتقدمَ عن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ[7] ، على أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وعندى فى ذلك نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى البيهقىُّ[8] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى أُوَيْسٍ ، حدَّثنى أبو مَعْنٍ

---

(١) رمحه : رفسه .

(٢) فى النسخ : « أعدلا » . وهو خطأ لغةً ، والمثبت هو الصواب . انظر شرح ابن عقيل ٢/ ١٧٨.

(٣) البيت من شعر ابن ميادة . وقد ذكره ابن خالويه فى كتابه « ليس فى كلام العرب » ص ٧١ غير منسوب . وابن منظور فى اللسان (ز ى د) منسوبا لابن ميادة ، وكذا صاحبُ خزانة الأدب ٢/ ٢٢٦، ٧/ ٢٤٧، ٩/ ٤٤٢. وانظر مصادر أخرى له فى معجم شواهد النحو ص ٥٣٩، ٥٤٠.

(٤) فى ١٥١، ص : « بأحناء » . والأحناء : جمع حِنْو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السَّرْج والقَتَب ؛ كنى به عن أمور الخلافة الشاقة . انظر خزانة الأدب ٢/ ٢٢٧.

(٥) سقط من : م .

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٩٣.

(٧) يعنى قوله ﷺ لعدى : « ولئن طالت بك حياة لترى الرجل يُخرج ملء كفه ذهبًا أو فضة ، يلتمس من يقبله فلا يجد أحدًا يقبله » . كما ذكره البيهقى بهذا اللفظ فى دلائل النبوة ٦/ ٤٩٣. وتقدم الحديث عندنا فى ٧/ ٢٩٧.

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤٩٣، ٤٩٤.

الأنصاريُّ [1] ما أَسْنَده [1] ، قال : بينما عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يَمْشِى إلى مكةَ بفَلاةٍ مِن الأرضِ إذْ رأى حَيَّةً مَيِّتةً فقال : علىَّ بمِحْفارٍ . فقالوا : نَكْفِيك ، أصْلَحَك اللَّهُ . قال : لا . ثم أخَذه [2] فحَفَر له [2] ثم لفَّه فى خِرْقةٍ ودفَنه ، فإذا هاتِفٌ يَهْتِفُ [3] لا يَرَوْنَه [3] : رحمةُ اللَّهِ عليك يا سُرَّقُ . فقال له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : مَن أنت ؟ يرْحَمُك اللَّهُ . قال : أنا رجلٌ مِن الجِنِّ ، وهذا سُرَّقٌ ، ولم يبْقَ ممن بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرى وغيرُه ، وأشْهَدُ لَسَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « تموتُ يا سُرَّقُ بفَلاةٍ مِن الأرضِ ، ويَدْفِنُك خيرُ أمتى » . وقد رَوَى [4] هذا مِن وجهٍ آخرَ ، وفيه أنهم كانوا تسعةً [5] بايَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وفيه أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ حلَّفه ، فلما حلَف بكَى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ . وقد رجَّحه البيهقىُّ وحسَّنه . فاللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ [6] - [7] فى صحتِه نظرٌ - فى ذِكْرِ [7] وهبِ ابنِ مُنبِّهٍ بالمَدْحِ، وذِكْرِ غَيْلانَ بالذَّمِّ

روَى البيهقىُّ [8] مِن حديثِ هشامِ بنِ عَمَّارٍ وغيرِه ، عن الوليدِ بنِ مُسْلمٍ [9] ،

(١ - ١) فى م : « ثنا أسيد » ، وفى ص : « ثنا أسيده » ، وفى الدلائل : « أسنده » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أى البيهقى . دلائل النبوة ٦/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٥) جاء فى الدلائل أنهم تسعة أو سبعة . وأن الشك من أحد رجال الإسناد .

(٦) زيادة من : الأصل ، م ، ص .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤٩٦.

(٩) فى م : « أسلم » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٨٦.

عن مَرْوانَ بنِ سالمٍ القَرْقَسانيِّ[1]، عن الأحْوصِ بنِ حَكيمٍ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ، عن عُبادةَ بنِ الصامتِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يكونُ فى أمتى رجلٌ يقالُ له: وَهْبٌ. يَهَبُ اللَّهُ له الحكمةَ، ورجلٌ يقالُ له: غَيْلانُ. هو أضَرُّ على أمتى من إبْلِيسَ». وهذا لا يَصِحُّ؛ لأن مَرْوانَ بنَ سالمٍ هذا مَتْروكٌ.

وبه[2] إلى الوليدِ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ، عن موسى بنِ وَرْدانَ، عن أبى هريرةَ قال: قال النبىُّ ﷺ: «يَنْعِقُ الشيطانُ بالشامِ نَعْقةً يُكَذِّبُ ثُلُثاهم بالقَدَرِ». قال البيهقىُّ: وفى هذا [3]إن صحَّ[3] إشارةٌ إلى غَيْلانَ، وما ظهَر بالشامِ بسببِه مِن التَّكْذيبِ بالقَدَرِ حتى قُتِل.

الإشارةُ إلى محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ وعِلْمِه بتفسيرِ القرآنِ وحفظِه

قال حَرْمَلةُ[4] عن ابنِ وهبٍ، أخْبَرَنى أبو صَخْرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ [5]مُغِيثِ ابنِ[5] أبى بُرْدَةَ الظَّفَرىِّ، عن أبيه، عن جَدِّه [٥/ ١٩ظ] قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يخْرُجُ فى أحدِ الكاهِنَيْنِ رجلٌ يَدْرُسُ القرآنَ دِراسةً لا يَدْرُسُها أحدٌ يكونُ مِن بعدِه».

---

(١) فى م، ص: «اليرقانى»، وفى ص: «الرقانى». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٩٢.

(٢) أى بالإسناد السابق عند البيهقى. دلائل النبوة ٦/ ٤٩٦، ٤٩٧.

(٣ - ٣) فى النسخ: «وأمثاله». والمثبت من الدلائل.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٩٨، من طريق حرملة به.

(٥ - ٥) فى الأصل، ١٥١، ص: «معتب بن»، وفى م: «مغيث عن». والمثبت من الدلائل. وانظر الجرح والتعديل ٥/ ١٧٤.

وروَى البيهقيُّ[1] عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، عن إسماعيلَ القاضى، ثنا أبو ثابتٍ، ثنا ابنُ وهبٍ، حدَّثنى عبدُ الجبَّارِ بنُ عمرَ، عن رَبيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يكونُ فى أحدِ الكاهِنَيْنِ رجلٌ يَدْرُسُ القرآنَ دِراسةً لا يَدْرُسُها أحدٌ غيرُه». قال: فكانوا يَرَوْن أنه محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظىُّ. قال أبو ثابتٍ: الكاهِنان قُرَيْظةُ والنَّضيرُ.

وقد رَوَى[2] مِن وجهٍ آخرَ مُرْسَلٍ: «يَخْرُجُ مِن الكاهِنَيْنِ رجلٌ أعْلَمُ الناسِ بكتابِ اللَّهِ». وقد قال عَوْنُ بنُ عبدِ اللَّهِ[3]: ما رأيْتُ أحدًا أعْلَمَ بتأويلِ القرآنِ مِن محمدِ بنِ كعبٍ.

ذِكْرُ الإخْبارِ بانْخِرامِ قَرْنِه ﷺ بعدَ مائةِ سنةٍ مِن ليلةِ إخْبارِه [4]فكان كما أخبَر[4]

ثبَت فى «الصحيحَيْن»[5] مِن حديثِ الزهرىِّ، عن سالمٍ وأبى بكرِ بنِ سليمانَ بنِ أبى حَثْمَةَ[6]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال: صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ العِشاءِ ليلةً فى آخرِ عمْرِه، فلما سلَّم قام فقال: «أرأَيْتَكم ليلَتَكم هذه؟ فإنَّ رأسَ مائةِ سنةٍ منها لا يَبْقَى ممن هو اليومَ على ظهرِ الأرضِ أحدٌ». قال

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٩٨.

(٢) أى البيهقى. دلائل النبوة ٦/ ٤٩٨، ٤٩٩.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٩٩، بسنده عن عون.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) البخارى (١١٦، ٥٦٤، ٦٠١)، ومسلم (٢٥٣٧/٢١٧).

(٦) فى الأصل، م، ص: «خيثمة». وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٩٣.

ابنُ[1] عمرُ : فوهَل[2] الناسُ فى[3] مَقالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إلى ما يَتَحَدَّثون[4] مِن هذه الأحاديثِ عن[5] مائةِ سنةٍ ، وإنما يريدُ بذلك أنها تَخْرِمُ ذلك القرنَ . وفى روايةٍ : إنما أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ انخِرامَ قرْنِه .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[6] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخْبَرَنى أبو الزبيرِ أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ قبلَ موتِه بشهرٍ : « تَسْأَلون عن الساعةِ ، وإنما عِلْمُها عندَ اللَّهِ ، فأُقْسِمُ باللَّهِ ما على ظَهْرِ الأرضِ مِن نَفْسٍ مَنْفوسةٍ اليومَ تأْتى عليها مائةُ سنةٍ » . وهذا الحديثُ وأمثالُه مما يَحْتَجُّ به مَن ذهَب مِن الأئمةِ إلى أن الخَضِرَ ليس بموجودٍ الآنَ ، كما قدَّمْنا ذلك فى ترجمتِه مِن قَصَصِ الأنبياءِ ، عليهم السلامُ ، وهو نَصٌّ على أنَّ جميعَ الأحْياءِ فى الأرضِ يموتون إلى تمامِ مائةِ سنةٍ مِن إخبارِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وهكذا وَقَع سواءً ؛ [7]فإنَّه لم يَتَأَخَّرْ[7] أحَدٌ مِن أصحابِه إلى ما يُجاوِزُ هذه المدةَ ، وكذلك جميعُ الناسِ ، ثم قد طرَد بعضُ العلماءِ هذا الحكمَ فى كلِّ مائةِ سنةٍ ، وليس فى الحديثِ تعَرُّضٌ لهذا . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ : قال محمدُ بنُ عمرَ الواقدىُّ[8] : حدَّثنى شُرَيْحُ بنُ يزيدَ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ الألْهانىِّ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ قال : وضَع

---

(١) سقط من : م .

(٢) وهل الناس : أى ذهب وهمهم . ويقال : وهل بمعنى سها وغلط . النهاية ٥/٢٣٣ .

(٣) فى الأصل ، م : « من » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى . انظر البخارى ، طبعة الشعب ١/١٥٦ .

(٤) فى النسخ : « يحدثون » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) فى م : « من » .

(٦) مسلم (٢٥٣٨/٢١٨) . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٥٠١ ، من حديث ابن جريج به ، واللفظ له .

(٧ - ٧) فى م : « فما نعلم تأخر » .

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٥٠٣ ، من طريق الواقدى به .

رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه على رأسى ، وقال : « هذا الغلامُ يَعيشُ قَرْنًا » . قال : فعاش مائةَ سنةٍ . وقد رواه البخاريُّ فى « التاريخِ »[1] عن أبى حَيْوةَ شُرَيْحِ بنِ يزيدَ به ، فذكَره . قال[2] : وزاد غيرُه : وكان فى وجهِه ثُؤْلُولٌ . فقال : « ولا يموتُ حتى يذهَبَ الثُّؤْلولُ مِن وجهِه » . فلم يَمُتْ حتى ذهَب الثُّؤْلُولُ مِن وجهِه . وهذا إسنادٌ على شرطِ السُّننِ ، ولم يُخْرِجوه .

ورَواه البيهقىُّ[3] عن الحاكمِ ، عن محمدِ بنِ المُؤَمَّلِ بنِ الحسنِ بنِ عيسى ، عن الفَضْلِ بنِ محمَّدٍ[4] الشَّعْرانىِّ ، ثنا حَيْوةُ بنُ شُرَيْحٍ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ زيادٍ الأَلْهانىِّ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « يَعيشُ هذا الغُلامُ قَرْنًا » . فعاش مِائةَ سنةٍ . قال الواقدىُّ وغيرُ واحدٍ[5] : تُوُفِّىَ عبدُ اللَّهِ بنُ بُسْرٍ بحِمْصَ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ ، عن أربعٍ وتسعين سَنَةً[6] ، وهو آخرُ مَن بَقِىَ مِن الصحابةِ بالشامِ .

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ٣٢٣. ومن طريق البخارى وغيره ، أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٠٣.

(٢) القائل هو البيهقى . دلائل النبوة ٦/ ٥٠٣. والثؤلول : الحبة التى تظهر فى الجلد كالحِمَّصَة فما دونها . انظر النهاية ١/ ٢٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧/ ١٥٥، من طريق البيهقى به .

(٤) فى م : « محرز » . وهو خطأ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٧.

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ٤١٣، عن الواقدى .

(٦) زيادة من : ١٥١.

ذِكْرُ[1] الإخبارِ عن الوليدِ بما فيه له مِن الوَعيدِ الشديدِ، وإن صَحَّ فهو الوليدُ بنُ يزيدَ لا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ [2]بانِـى الجامعِ السَّعيدِ[2]

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : حدَّثنى محمدُ بنُ خالدِ بنِ العباسِ السَّكْسَكِيُّ ، حدَّثنى الوليدُ بنُ مسلمٍ ، [٥/٢٠و] حدَّثنى أبو عَمْرٍو[4] الأَوْزاعيُّ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : وُلِد لأخى أمِّ سَلَمةَ غلامٌ ، فسَمَّوْه الوليدَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد جعَلْتُم تُسَمُّون بأسماءِ فَراعِنتِكم ، إنه سيكونُ [5]فى هذه الأُمَّةِ[5] رجلٌ يقالُ له : الوليدُ . هو أضَرُّ على أُمَّتى مِن فِرْعونَ على قومِه » . قال أبو عَمْرٍو الأَوْزاعيُّ : فكان الناسُ يرَوْن أنه الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم رأَيْنا أنه الوليدُ بنُ يزيدَ ؛ لفتنةِ الناسِ به ، حين[6] خرَجوا عليه فقتَلوه ، وانفَتَحت الفِتْنةُ على الأُمَّةِ والهَرْجُ . وقد رَواه البيهقىُّ عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأَصَمِّ ، عن سعيدِ بنِ عثمانَ التَّنوخىِّ ، عن بشرِ بنِ بكرٍ ، عن الأَوْزاعىِّ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدٍ[7] ، فذكَره ولم يذْكُرْ قولَ الأَوْزاعىِّ ، ثم قال : وهذا مُرْسَلٌ حسنٌ . وقد رَواه نُعَيْمُ

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م . والمقصود بالجامع السعيد : الجامع الأموى بدمشق .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٠٥، ٥٠٦، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٤) هنا وفيما يأتى ، فى م : « عمر » . وهو عبدُ الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو . انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥ - ٥) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٦) فى الأصل ، ١٥١، م : « حتى » .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٥٠٥.

ابنُ حمادٍ[1] ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ به ، وعندَه : قال الزهريُّ : إن اسْتُخْلِف الوليدُ ابنُ يزيدَ فهو هو ، وإلا فهو الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ[2] : ثنا هُشَيْمٌ ، عن أبي حُرَّةَ[3] ، عن الحسنِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سيكونُ رجلٌ اسمُه الوليدُ ، يُسَدُّ به ركنٌ مِن أركانِ جهنمَ أو[4] زاويةٌ مِن زَواياها » . وهذا مُرْسَلٌ أيضًا .

حديثٌ آخرُ : قال سليمانُ بنُ بلالٍ[5] ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا بلَغ بنو أبي العاصِ أربعين رجلًا ، اتَّخَذوا دينَ اللَّهِ دَغَلًا[6] ، وعبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، ومالَ اللَّهِ دُوَلًا[7] » . رَواه البيهقيُّ مِن حديثِه .

وقال نعيمُ بنُ حمادٍ[8] : ثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ وعبدُ القُدُّوسِ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي مَرْيَمَ ، عن راشدِ بنِ سعدٍ ، عن أبي ذَرٍّ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذا بلَغَت بنو أميَّةَ أربعينَ ، اتخَذوا عبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، ومالَ اللَّهِ نُحْلًا[9] ، وكتابَ

---

(١) الفتن (٣٢٨) .

(٢) الفتن (٣٢٢) .

(٣) في م ، ص : « حمزة » . وهو أبو حرة البصريُّ واصل بن عبد الرحمن . انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٠٦ .

(٤) في م : « و » .

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٥٠٧ ، من طريق سليمان بن بلال به .

(٦) اتخذوا دين الله دغلا : أي يخدعون به الناس . وأصل الدَّغَل : الشجر المُلْتَفُّ الذي يَكْمُن أهل الفساد فيه . وقيل : هو من قولهم : أدْغَلْتُ في هذا الأمر . إذا أدخلتَ فيه ما يخالفه ويفسده . النهاية ٢/ ١٢٣ .

(٧) دولًا : جمع دُولَة بالضم ، وهو ما يُتداوَلُ من المال ، فيكون لقومٍ دون قومٍ . انظر النهاية ٢/ ١٤٠ .

(٨) الفتن (٣١٤) .

(٩) نُحْلا : النحل : العطية والهبة ابتداءً من غير عِوَضٍ ولا استحقاق . أراد : يصير الفيءُ عطاءً من غير استحقاق ، على الإيثار والتخصيص . انظر النهاية ٥/ ٢٩ .

اللَّهِ دَغَلًا » . وهذا مُنْقطعٌ بينَ راشدِ بنِ سعدٍ وبينَ أبى ذَرٍّ .

وقال إسحاقُ بنُ راهَوَيْهِ[1] : أنا جريرٌ ، عن الأعْمشِ ، عن عطيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا بلَغ بنو أبى العاصِ ثلاثين رجلًا اتَّخَذوا دينَ اللَّهِ دَغَلًا ، ومالَ اللَّهِ دُوَلًا ، وعبادَ اللَّهِ خَوَلًا » . ورَواه أحمدُ عن عثمانَ بنِ أبى شيبةَ ، عن جَريرٍ به[2] .

وقال البيهقىُّ[3] : أنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ ، ثنا تَمْتامٌ[4] وهو محمدُ بنُ غالبٍ ، ثنا كاملُ بنُ طلحةَ ، ثنا ابنُ لَهيعةَ ، عن أبى قَبِيلٍ ، أنَّ ابنَ مَوْهَبٍ[5] أخْبَره أنَّه كان عندَ مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، فدخَل عليه مَرْوانُ فكلَّمه فى حاجتِه ، فقال : اقْضِ حاجتى يا أميرَ المؤمنين ، فواللَّهِ إن مُؤْنَتى لَعظيمةٌ ، وإنِّى لأبو عشَرةٍ ، وعمُّ عشَرةٍ ، وأخو عشَرةٍ . فلمَّا أدْبَر مَرْوانُ ، وابنُ عباسٍ جالِسٌ مع مُعاويةَ على السَّريرِ ، قال معاويةُ : أنْشُدُكَ باللَّهِ يا بنَ عبّاسٍ ، أمَا تعْلَمُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا بلَغ بنو الحكَمِ ثلاثين رَجُلًا ، اتخَذوا مالَ اللَّهِ بينَهم دُوَلًا ، وعبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، وكتابَ اللَّهِ دَغَلًا ، فإذا بلَغوا سبعةً[6] وتسعين وأربعَمائةٍ ، كان هَلاكُهم أسْرَعَ مِن لَوْكِ تَمرةٍ[7] » ؟ فقال ابنُ عباسٍ : اللهم نعم .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٠٧، من طريق إسحاق به .

(٢) المسند ٣/ ٨٠.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٥٠٧، ٥٠٨.

(٤) فى الأصل، ١٥١: « تمام »، وفى م : « بسام »، وفى ص : « تتام » . والمثبت من الدلائل . وانظر الثقات ٩/ ١٥١، وتاريخ بغداد ٣/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٠.

(٥) فى الأصل، م : « وهب » . وهو عبد اللَّه بن موهب الهمدانى - ويقال : الخولانى - أبو خالد . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٩١.

(٦) فى الدلائل : « تسعة » .

(٧) فى الأصل، م : « ثمرة » .

قال : وذكَر مَرْوانُ حاجةً له ، فردَّ مَرْوانُ عبدَ الملكِ إلى مُعاويةَ ، فكَلَّمه فيها ، فلما أدْبَر عبدُ الملكِ قال مُعاويةُ : أنْشُدُك باللَّهِ يا بنَ عباسٍ ، أما تعْلَمُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر هذا فقال : « أبو الجَبابرةِ الأربعةِ » ؟ فقال ابنُ عباسٍ : اللهم نعم . وهذا الحديثُ فيه غَرابةٌ ونَكارةٌ شديدةٌ ، وابنُ لَهيعةَ ضعيفٌ .

وقد قال أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارميُّ[1] : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا سعيدُ[2] بنُ زيدٍ ، أخو حمادِ بنِ زيدٍ ، عن عليِّ بنِ الحكمِ البُنانيِّ ، عن أبى الحسنِ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، وكانت له صُحْبةٌ ، قال : جاء الحكَمُ بنُ أبى العاصِ يسْتَأْذِنُ على[3] النبيِّ ﷺ ، [٥/ ٢٠ظ] فعرَف كلامَه فقال : « ائْذَنوا له ، حيَّةٌ ، أو وَلَدُ حَيَّةٍ ، عليه لَعْنةُ اللَّهِ وعلى مَن يَخْرُجُ مِن صُلْبِه إلا المؤمنين ، وقليلٌ ما هم ، يُشَرَّفُون[4] فى الدنيا ويُوضَعون فى الآخرةِ ، ذَوُو مكرٍ وخَديعةٍ ، يُعْطَون[5] فى الدنيا وما لهم فى الآخرةِ مِن خَلاقٍ » . قال الدارميُّ : أبو الحسنِ هذا حمْصيٌّ .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ فى « الفتنِ والمَلاحمِ »[6] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَرْوانَ المَرْوانيُّ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، عن راشدِ بنِ سعدٍ ، أنَّ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ لما وُلِد دُفِع إلى النبيِّ ﷺ ليدْعُوَ له ، فأبَى أن يَفْعَلَ ثم قال : « ابنُ الزَّرْقاءِ ، هَلاكُ[7]

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٢، من طريق الدارمى به .

(٢) فى م ، ص : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٤١.

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، م : « ليترفون » .

(٥) فى دلائل النبوة : « يعظمون » .

(٦) الفتن (٣١٠) .

(٧) بعده فى الفتن : « عامة » .

أمتى على يديه ويدَىْ ذُرِّيَّتِه». وهذا حديثٌ مُرْسَلٌ.

ذِكْرُ الإخْبارِ عن خُلفاءِ بنى أميَّةَ جملةً مِن جُمْلةٍ، [1]والإشارةِ إلى مُدَّةِ دولتِهم[1]

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2]: ثنا أحمدُ بنُ محمدٍ أبو محمدٍ الأَزْرَقىُّ[3]، ثنا الزَّنْجىُّ - يعنى مسلمَ بنَ خالدٍ - عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «رأيْتُ فى النومِ بنى الحكَمِ - أو بنى أبى العاصِ - يَنْزون على مِنْبرى كما تَنْزُو القِرَدةُ». قال: فما رُئِىَ[4] رسولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضاحِكًا حتى تُوُفِّىَ.

وقال الثورىُّ[5]، عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال: رأى رسولُ اللَّهِ ﷺ بنى أُميَّةَ على مِنبَرِه[6]، فساءه ذلك، فأُوحِىَ إليه: إنما هى دنيا أُعْطَوْها. فقرَّتْ عينُه. وهى قولُه[7]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. يعنى بَلاءً للناسِ. علىُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١١، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٣) فى النسخ، والدلائل: «الزرقى». والمثبت من مصادر ترجمته. انظر الأنساب ١/ ١٢٢، وتهذيب الكمال ١/ ٤٨٠.

(٤) فى الأصل، م: «رآنى».

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٠٩، من طريق سفيان الثورى به.

(٦) فى النسخ: «منابرهم». والمثبت من الدلائل.

(٧) التفسير ٥/ ٨٩، ٩٠.

ضَعيفٌ ، والحديثُ مُرْسَلٌ أيضًا .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : ثنا القاسمُ بنُ الفضلِ - هو الحُدَّانيُّ[2] - ثنا يوسفُ بنُ مازنٍ الراسبيُّ قال : قام رجلٌ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ بعدَما بايَع مُعاويةَ ، فقال : يا مُسَوِّدَ وُجوهِ المؤمنين . فقال الحسنُ : لا تُؤَنِّبْني ، رحِمك اللَّهُ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ رأَى بني أُميَّةَ يَخْطُبون على مِنْبرِه رجلًا فرجلًا ، فساءه ذلك فنزَلت[3] : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] . يعني نهرًا في الجنةِ . ونزَلت[4] : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ١- ٣] . تَمْلِكُه[5] بنو أميَّةَ . قال القاسمُ : فحسَبْنا ذلك فإذا هو ألفُ شهرٍ لا يَزيدُ يومًا[6] ولا يَنْقُصُ[7] . وقد رَواه الترمذيُّ ، وابنُ جَريرٍ الطَّبَريُّ ، والحاكمُ في « مُسْتَدْرَكِه » ، والبيهقيُّ في « دلائلِ النبوةِ »[8] ، كلُّهم مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفَضْلِ الحُدَّانيِّ[9] - وقد وثَّقه يحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ ، وابنُ مَهْديٍّ[10] - عن يوسفَ بنِ سعدٍ ، ويقالُ : يوسفُ بنُ مازنٍ

---

(١) لم نجده في مسند أبي داود الطيالسي . وانظر المسند الجامع ٥/ ١٩١، ١٩٢. ومن طريق أبي داود أخرجه الترمذي والحاكم والبيهقي ، ومن طريق القاسم بن الفضل أخرجه الطبري ، كما سيأتي من كلام المصنف .

(٢) في الأصل : « الحراني » ، وفي م : « الحدائي » . وانظر الأنساب ٢/ ١٨٤.

(٣) التفسير ٨/٥١٩ - ٥٢٣.

(٤) التفسير ٨/٤٦٢ - ٤٦٥.

(٥) يعني : المنبر .

(٦) سقط من : ص . وهذا اللفظ في رواية الترمذي ، ويقتضيه ما سيأتي من سياق المصنف في التعقيب على معنى الحديث .

(٧) بعده في ١٥١، م : « يومًا » .

(٨) الترمذي (٣٣٥٠) ، وتفسير الطبري (٣٠/٢٦٠) ، والمستدرك ٣/ ١٧٠، ١٧١، ودلائل النبوة ٦/ ٥٠٩، ٥١٠. إسناده ضعيف مضطرب ، ومتنه منكر (انظر ضعيف سنن الترمذي ٦٦٣) .

(٩) في م : « الحذاء » .

(١٠) هذه العبارة المعترضة من كلام الترمذي عقب الحديث (٣٣٥٠) . وانظر أيضا تهذيب الكمال ٢٣/ ٤١٢.

الراسبيُّ ، وفى روايةِ ابنِ جَريرٍ : عيسى بنُ مازنٍ ، قال الترمذىُّ : وهو رجلٌ مجهولٌ ، وهذا الحديثُ غريبٌ[1] ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ . فقولُه : إن يوسفَ هذا مجهولٌ . مُشْكِلٌ ؛ والظاهرُ أنه أراد أنه مَجْهولُ الحالِ ، فإنه قد روَى عنه جماعةٌ ، منهم : حمادُ بنُ سَلَمةَ ، وخالدٌ الحَذَّاءُ ، ويونسُ بنُ عُبيدٍ . وقال يحيى بنُ مَعينٍ : هو مَشْهورٌ . وفى روايةٍ عنه قال : هو ثِقةٌ[2] . فارتفعت الجَهالةُ عنه مُطْلقًا .

قلتُ : ولكن فى شهودِه قضيَّةَ[3] الحسنِ ومُعاويةَ نَظَرٌ ، وقد يكونُ أرْسَلها عمن لا يُعْتَمَدُ عليه . واللَّهُ أعلمُ . وقد سألْتُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجاجِ المِزِّىَّ ، رحِمه اللَّهُ ، عن هذا الحديثِ فقال : هو حديثٌ مُنْكَرٌ .

وأما قولُ القاسمِ بنِ الفضلِ ، رحِمه اللَّهُ : إنه حسَب دولةَ بنى أميَّةَ ، فوجَدها ألفَ شهرٍ ، لا تَزيدُ يومًا ولا تَنْقُصُه . فهو غريبٌ جدًّا ، وفيه نظَرٌ ؛ وذلك لأنه لا يُمْكِنُ إدْخالُ دولةِ عثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وكانت ثنتى عشْرةَ سنةً ، فى هذه المدةِ ، لا مِن حيث الصورةُ ، [٥/ ٢١و] ولا مِن حيث المعنى ؛ وذلك أنها مَمْدوحةٌ ؛ لأنه أحدُ الخُلفاءِ الراشدين والأئمةِ المَهْدِيين ، الذين قضَوْا بالحقِّ ، وبه كانوا يعْدِلون ، وهذا الحديثُ إنما سِيق لذَمِّ دولتِهم ، وفى دَلالةِ الحديثِ على الذَّمِّ نظرٌ ، وذلك أنه دلَّ على أن ليلةَ القَدْرِ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ التى هى دولتُهم ، وليلةُ القدرِ ليلةٌ خَيِّرَةٌ ، عظيمةُ المِقْدارِ والبركةِ ، كما وصَفها اللَّهُ تعالى به ، فما يلْزَمُ مِن تَفْضيلِها على دولتِهم ذَمُّ دولتِهم ، فلْيَتَأَمَّلْ هذا ؛ فإنه دقيقٌ يدُلُّ على أن الحديثَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) انظر تهذيب الكمال ٣٢/٤٢٧ .

(٣) فى م : « قصة » .

فى صحتِه نظرٌ ؛ لأنه إنما سِيق لذمِّ أيامِهم . واللَّهُ تعالى أعلمُ . وأما إذا أراد أن ابتداءَ دولتِهم منذ ولِىَ مُعاويةُ حينَ تسَلَّمها مِن الحسنِ بنِ علىٍّ ، فقد كان ذلك سنةَ أربعين ، أو إحدى وأربعين ، وكان يقالُ له : عامُ الجماعةِ . لأن الناسَ كلَّهم اجْتَمعوا على إمامٍ واحدٍ . وقد تقَدَّم الحديثُ فى « صحيحِ البخارىِّ »[1] ، عن أبى بَكْرةَ أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ للحسنِ بنِ علىٍّ : « إن ابنى هذا سيِّدٌ ، ولعل اللَّهَ أن يُصْلِحَ به بينَ فِئَتَيْنِ عظيمتَيْنِ مِن المسلمين » . فكان هذا فى هذا العامِ ، وللَّه الحمدُ والمنةُ ، واستمر الأمْرُ فى أيدى بنى أميَّةَ مِن هذه السنةِ إلى سنةِ ثنتين وثلاثين ومائةٍ ، حتى انتقل إلى بنى العباسِ ، كما سنذكُره ، ومجموعُ ذلك ثنتان وتسعون سنةً ، وهذا لا يُطابِقُ ألفَ شهرٍ ؛ لأن مُعَدَّلَ ألفِ شهرٍ ثلاثٌ وثمانون سنةً وأربعةُ أشهرٍ ، فإن قال : أنا أُخْرِجُ منها وِلايةَ ابنِ الزبيرِ . وكانت تسعَ سنين ، فحينَئذٍ يبقى ثلاثٌ وثمانون سنةً .

فالجوابُ أنه وإن خرَجت وِلايةُ ابنِ الزبيرِ ، فإنه لا يكونُ ما بَقِىَ مُطابقًا لألفِ شهرٍ تحديدًا ، بحيث لا ينْقُصُ يومًا ولا يَزيدُه ، كما قاله ، بل يكونُ ذلك تقريبًا ، هذا وجهٌ . الثانى : أن وِلايةَ ابنِ الزبيرِ كانت بالحجازِ والأهْوازِ والعراقِ فى بعضِ أيامِه ، وفى مصرَ فى قولٍ ، ولم تنْسَلِبْ يدُ بنى أميَّةَ عن الشامِ أصْلًا ، ولا زالت دولتُهم بالكليَّةِ فى ذلك الحينِ . الثالثُ : أن هذا يقْتَضى دخولَ دولةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فى حسابِ بنى أميَّةَ ، ومُقْتَضى ما ذكَره أن تكونَ دولتُه مَذْمومةً ، وهذا لا يقولُه أحدٌ مِن أئمةِ الإسلامِ ، وإنهم مُصَرِّحون بأنه أحدُ الخُلفاءِ الراشدين ، حتى قرَنوا أيامَه تابعةً لأيامِ الأربعةِ ، وحتى اخْتَلفوا فى أيِّهما أفضلُ ؛ هو أم مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ أحدُ الصحابةِ ؟ وقد قال أحمدُ بنُ حنبلٍ : لا أرَى قولَ أحدٍ مِن

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٠٨ .

التابعين حُجَّةً إلا قولَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ. فإذا عُلِم هذا، فإن أخْرَج أيامَه مِن حِسابِه انخَرم حسابُه، وإن أدْخَلها فيه مَذْمومةً خالَف الأئمةَ، وهذا ما لا مَحِيدَ عنه، وكلُّ هذا مما يدُلُّ على نَكارةِ هذا الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ[1]: حدَّثنا سفيانُ، عن العَلاءِ بنِ أبى العباسِ، سمِع أبا الطُّفَيْلِ، سمِع عليًّا يقولُ: لا يَزالُ هذا الأمْرُ فى بنى أميَّةَ ما لم يخْتَلِفوا بينَهم.

حدَّثنا[2] ابنُ وهبٍ، عن حَرْملةَ بنِ عِمْرانَ، عن سعيدِ[3] بنِ سالمٍ، [4]عن أبى سالمٍ[4] الجَيْشانىِّ، سمِع عليًّا يقولُ: الأمْرُ لهم حتى يقْتُلوا قَتيلَهم، ويَتَنافَسوا بينَهم، فإذا كان ذلك بعَث اللَّهُ عليهم أقوامًا مِن المشرقِ، فقَتَلُوهم[5] بَدَدًا وأحْصَوْهم[6] عَدَدًا، واللَّهِ لا يَمْلِكون سنةً إلا مَلَكْنا سنتين، ولا يَمْلِكون سنتين إلا ملَكْنا أربعًا.

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ[7]: حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن حُصَيْنِ بنِ الوليدِ، عن الأزهرِ[8] بنِ الوليدِ: سمِعْتُ أمَّ الدَّرْداءِ تقولُ[9]: سمِعْتُ أبا الدَّرْداءِ يقولُ: إذا قُتِل الخَليفةُ الشابُّ مِن بنى أميَّةَ بينَ الشامِ والعراقِ مَظْلومًا[10]، لم تزَلْ طاعةٌ

---

(١) الفتن (٥٢٠).

(٢) الفتن (٥٢١).

(٣) فى م: «سعد». وهو سعيد بن سالم الجيشانى. انظر الأنساب ٢/ ١٤٤.

(٤ - ٤) سقط من الفتن. وانظر المصدر السابق.

(٥) فى النسخ: «يقتلوهم». وفى الفتن: «فيقتلوهم». والمثبت ما يستقيم به السياق.

(٦) فى م: «يحصروهم».

(٧) الفتن (٥٣٠).

(٨) فى م: «الزهرى». وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٥٢.

(٩) زيادة من مصدر التخريج.

(١٠) بعده فى م، ص: «ما».

يُسْتَخَفُّ بها ، ودمٌ مَسْفوكٌ[1] بغيرِ حقٍّ . يعنى [٥/ ٢١ظ] الوليدَ بنَ يزيدَ . ومثلُ هذه الأشياءِ إنما تُقالُ عن تَوْقيفٍ .

ذِكرُ[2] الإخبارِ عن دولةِ بنى العباسِ ، وكان ظهورُهم مِن خُراسانَ[3] بالراياتِ السُّودِ[3] فى سنةِ ثنتين وثلاثين ومائةٍ

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[4] : حدَّثنى محمدُ بنُ خالدِ بنِ العباسِ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنى أبو عبدِ اللَّهِ ، عن الوليدِ بنِ هشامٍ المُعَيطِىِّ ، عن أبانِ بنِ الوليدِ بنِ عقبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ قال : قدِم عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ على مُعاويةَ وأنا حاضرٌ ، فأجازه فأحْسَن جائزتَه ، ثم قال : يا أبا العباسِ ، هل لكم دَوْلةٌ ؟ فقال : أَعْفِنى يا أميرَ المؤمنين . فقال : لَتُخْبِرَنِّى . قال : نعم . فأخْبَره ، قال : فمَن أنصارُكم ؟ قال : أهلُ خُراسانَ ، ولبنى أميَّةَ مِن بنى هاشمٍ بطَحاتٌ . رَواه البيهقىُّ . وقال ابنُ عَدِىٍّ[5] : أنا محمدُ بنُ عَبْدةَ بنِ حربٍ ، ثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، أنا حَجَّاجُ بنُ تَميمٍ ، عن

---

(١) بعده فى الفتن : « على وجه الأرض » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٥، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٣، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٥) بعده فى النسخ : « سمعت ابن حماد » . والحديث فى الكامل ٢/ ٦٤٧، كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٨، من طريق ابن عدى به .

ميمونِ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : مرَرْتُ بالنبىِّ ﷺ وإذا معه جبريلُ ، وأنا أظُنُّه دِحْيةَ الكَلْبىَّ ، فقال جبريلُ للنبىِّ ﷺ : إنه لَوَسِخُ الثيابِ ، وسيَلْبَسُ ولدُه مِن بعدِه السَّوادَ . وذكَر تمامَ الحديثِ فى ذَهابِ بصرِه ، ثم عَوْدِه إليه قبلَ موتِه . قال البيهقىُّ : تفرَّد به حَجَّاجُ بنُ تميمٍ ، وليس بالقوىِّ .

وقال البيهقىُّ[1] : أنا الحاكمُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ وأبو بكرِ بنُ [2]محمدِ ابنِ أحمدَ بنِ بالَوَيْهِ[2] فى آخَرين قالوا : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، ثنا يحيى بنُ مَعينٍ ، ثنا عُبَيدُ[3] بنُ أبى قُرَّةَ ، ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، عن أبى قَبِيلٍ[4] ، عن أبى مَيْسرةَ مولى العباسِ قال : سمِعْتُ العباسَ قال : كنتُ عندَ النبىِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقال : « انْظُرْ هل ترَى فى السماءِ مِن شىءٍ ؟ » قلتُ : نعم . قال : « ما ترَى ؟ » قلتُ : الثُّرَيَّا . قال : « أمَا إنه سيَمْلِكُ هذه الأمةَ بعددِها مِن صُلْبِك » . قال البخارىُّ[5] : عُبيدُ بنُ أبى قُرَّةَ بَغْدادىٌّ سمِع الليثَ ، لا يُتابَعُ على حديثِه فى قصةِ العباسِ .

وروَى البيهقىُّ[6] مِن حديثِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ العامرىِّ - وهو ضَعِيفٌ - عن سُهيلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال للعباسِ : « فيكم النُّبوةُ وفيكم المُلْكُ » .

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥١٨.

(٢ - ٢) فى م : « بالونة » .

(٣) فى م ، ص : « عبيد اللَّه » . وانظر لسان الميزان ٤/ ١٢٢.

(٤) فى م : « فضيل » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٥٩٠.

(٥) التاريخ الكبير ٦/ ٢.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٥١٧، بنحوه .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى[1] خَيْثمةَ : ثنا يحيى بنُ مَعينٍ ، ثنا سفيانُ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن أبى مَعْبَدٍ قال : قال ابنُ عباسٍ : كما فتَح اللَّهُ بأوَّلِنا فأرْجو أن يَخْتِمَه بنا . هذا إسنادٌ جيدٌ ، وهو موقوفٌ على ابنِ عباسٍ مِن كلامِه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ أيوبَ ، ثنا الوليدُ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ حُميدِ بنِ[3] [4]أبى غَنِيَّةَ[4] ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قال : سمِعْتُ ابنَ عباسٍ ونحن نقولُ : اثْنَىْ عشَرَ أميرًا [5]ثم لا أميرَ[5] ، واثْنَىْ عشَرَ أميرًا ، ثم هى الساعةُ . فقال ابنُ عباسٍ : ما أحْمقَكم ! إن مِنَّا أهلَ البيتِ بعدَ ذلك ، المنصورَ ، والسَّفَّاحَ ، والمَهْدىَّ ؛ يدْفَعُها[6] إلى عيسى ابنِ مريمَ . وهذا أيضًا موقوفٌ ، وقد رَواه البيهقىُّ[7] مِن طريقِ الأعْمشِ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا : « منا السَّفَّاحُ ، والمنصورُ ، والمهْدىُّ » . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ ، والضَّحَّاكُ لم يَسْمَعْ مِن ابنِ عباسٍ شيئًا على الصحيحِ[8] ، فهو مُنْقَطِعٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال عبدُ الرزاقِ[9] ، عن الثورىِّ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن أبى قِلابةَ ،

---

(١) سقط من : م . والأثر أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٧، من طريق ابن أبى خيثمة به .

(٢) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٥.

(٣) فى م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٠٢ .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « أبى عتبة » . وهو تصحيف . انظر المصدر السابق .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من المعرفة والتاريخ ، ودلائل النبوة كما سيأتى تخريجه .

(٦) فى م : « يرفعها » .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٥١٤.

(٨) انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٩٣ ، ٢٩٤.

(٩) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٥، من طرق عن عبد الرزاق به ، كما سيأتى . واللفظ ملفق من هذه الطرق .

عن[1] أبي أسماءَ، عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقْتَلُ عندَ كَنزِكم[2] هذه ثلاثةٌ، كلُّهم ولَدُ خَليفةٍ، لا يَصيرُ إلى واحدٍ منهم، ثم تُقْبِلُ الراياتُ السُّودُ مِن خُراسانَ فيَقْتُلونَكم مَقْتَلَةً لم تَرَوْا مثلَها، ثم يجيءُ خَليفةُ اللَّهِ المَهْدِيُّ، فإذا سمِعْتُم فأْتُوه فبايِعوه ولو حَبْوًا على الثلْجِ، فإنه خليفةُ اللَّهِ [٥/ ٢٢و] المَهْدِيُّ».

أخْرَجه ابنُ ماجه عن أحمدَ بنِ يوسفَ السُّلَمِيِّ، ومحمدِ بنِ يحيى الذُّهْلِيِّ، كلاهما عن عبدِ الرزاقِ به[3]. [4]ورَواه البيهقيُّ مِن طرقٍ، عن عبدِ الرزاقِ، ثم قال: تفرَّد به عبدُ الرزاقِ[4]. قال البيهقيُّ[5]: ورواه عبدُ الوهَّابِ بنُ عطاءٍ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ، عن أبي قِلابةَ، عن أبي[6] أسماءَ، [7]عن ثوبانَ[7] موقوفًا.

ثم قال البيهقيُّ[8]: أنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ، ثنا محمدُ بنُ غالبٍ، ثنا كَثيرُ بنُ يحيى، ثنا شَريكٌ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن أبي قِلابةَ، عن أبي أسماءَ، عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا أقْبَلتِ الراياتُ السُّودُ مِن عَقِبِ خُراسانَ فأْتُوها ولو حَبْوًا على الثَّلْجِ، فإن فيها خليفةَ اللَّهِ المَهْدِيَّ».

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ: حدَّثنا الفضلُ بنُ سهلٍ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ داهرٍ

---

(١) في م: «بن». وهو خطأ، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٤.

(٢) في م: «كيركم».

(٣) ابن ماجه (٤٠٨٤). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٧). وانظر السلسلة الضعيفة (٨٥).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل. وانظر دلائل النبوة ٦/ ٥١٥.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٥١٦.

(٦) سقط من: م، ص.

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٤.

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٥١٦، بنحوه.

الرازيُّ ، [1] ثنا أبي [1] ، عن ابنِ [2] أبي ليلى ، عن الحكمِ ، عن إبراهيمَ ، [3] عن علقمةَ [3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر فِتْيةً مِن بني هاشمٍ ، فاغْرَوْرَقَت عَيْناه ، وذكَر الراياتِ ، قال : « فمَن أدْرَكها فلْيَأْتِها ولو حَبْوًا على الثَّلْجِ » . ثم قال : وهذا الحديثُ لا نَعْلَمُ رواه عن الحكمِ إلا ابنُ أبي لَيْلى ، ولا نَعْلَمُ يُرْوَى إلا مِن حديثِ داهرِ بنِ يحيى ، وهو مِن أهلِ الرأيِ ، صالحُ الحديثِ ، وإنما يُعْرَفُ مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبي زيادٍ ، عن إبراهيمَ .

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلَى [4] : ثنا أبو هشامٍ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ رِفاعةَ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، ثنا يزيدُ بنُ أبي زيادٍ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، هو ابنُ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَجِيءُ راياتٌ سُودٌ مِن قِبَلِ المَشْرِقِ ، تَخوضُ الخيلُ الدمَ إلى ثُنُّتِها [5] ، يُظْهِرون العَدْلَ ، ويَطْلُبون العدلَ فلا يُعْطَوْنه ، فيَظْهَرون فيُطْلَبُ منهم العَدْلُ فلا يُعْطُونه » . وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ [6] : حدَّثنا يحيى بنُ غَيْلانَ [7] وقُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، قالا : ثنا رِشْدِينُ [8] بنُ سعدٍ . قال يحيى بنُ غَيْلانَ [7] في حديثِه ، قال : حدَّثني يونسُ بنُ يزيدَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن قَبيصةَ ، هو ابنُ ذُؤَيْبٍ الخُزاعيُّ ، عن أبي هريرةَ ، عن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) مسند أبي يعلى (٥٠٨٤) ، بنحوه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣١٦: وفيه يزيد بن أبي زياد وهو لين ، وبقية رجاله ثقات .

(٥) سقط من : م . والثنة : شعرات تخرج في مؤخَّر رُسْغ الدابة تكاد تبلغ الأرض . انظر المحيط والوسيط (ث ن ن) .

(٦) المسند ٢/ ٣٦٥. (إسناده ضعيف) .

(٧ - ٧) سقط من : ا ١٥١.

(٨) في م : « رشد » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٩١.

رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه قال : « يَخْرُجُ مِن خُراسانَ راياتٌ سُودٌ ، لا يَرُدُّها شيءٌ حتى تُنْصَبَ بإيلِيَاءَ » . وقد رَواه الترمذيُّ عن قتيبةَ به ، وقال : غريبٌ[1] . ورَواه البيهقيُّ والحاكمُ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ[2] ، عن رِشْدِينَ بنِ سعدٍ[3] . وقال البيهقيُّ : تفرَّد به رِشْدينُ بنُ سعدٍ ، وقد رُوِىَ قريبٌ مِن هذا ، عن كعبِ الأحْبارِ ، ولعلَّه أشْبَهُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم روَى[4] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، حدَّثنا مُحَدِّثٌ[5] عن أبى المُغِيرةِ عبدِ القُدُّوسِ ، عن إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ ، عمَّن حدَّثه عن كعبِ الأحْبارِ قال : تَظْهَرُ راياتٌ سُودٌ لبنى العباسِ حتى يَنْزِلوا بالشامِ ، ويَقْتُلُ اللَّهُ على أيديهم كلَّ [6]جَبَّارٍ وكلَّ[6] عدُوٍّ لهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، ثنا جَريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن عطيَّةَ العَوْفيِّ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ عندَ انقطاعٍ مِن الزمانِ وظُهورٍ مِن الفِتَنِ ، رجلٌ يقالُ له : السَّفَّاحُ . فيكونُ إعطاؤُه المالَ حَثْيًا » . ورَواه البيهقيُّ[8] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ [9]عبدِ الجَبَّارِ[9] ،

---

(١) الترمذى (٢٢٦٩) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٣٩٥) .

(٢) فى الأصل ، م : « مسعود » .

(٣) البيهقى عن الحاكم فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٦.

(٤) أى البيهقى . دلائل النبوة ٦/ ٥١٧. والأثر أيضا فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٤.

(٥) فى م : « محمد » . وهو خطأ .

(٦ - ٧) سقط من : الأصل .

(٧) المسند ٣/ ٨٠.

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٥١٤، بنحوه .

(٩ - ٩) فى م ، ص : « عبد الصمد » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٧٨.

عن [1]أبى معاويةَ[1] ، عن الأعْمشِ به . وقال فيه : « يخْرُجُ رجلٌ مِن أهلِ بيتى يقالُ له : السَّفَّاحُ » . فذكَره ، وهذا الإسنادُ على شرطِ أهلِ السننِ ، ولم يُخْرِجوه .

فهذه الأخْبارُ فى خروجِ الراياتِ السُّودِ مِن خُراسانَ وفى وِلايةِ السَّفَّاحِ ، وهو أبو العباسِ[2] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، وقد وقَعت وِلايتُه فى حدودِ سنةِ ثلاثين ومائةٍ ، ثم ظهَر بأعْوانِه ومعهم الراياتُ السُّودُ ، وشِعارُهم السَّوادُ ، كما دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ [٥/ ٢٢ظ] وعلى رأسِه المِغْفَرُ وفوقَه عِمامةٌ سَوْداءُ[3] ، ثم بعَث عمَّه عبدَ اللَّهِ لقتالِ بنى أميَّةَ ، فكسَرهم فى سنةِ اثنتين وثلاثين ومائةٍ ، وهرَب مِن المعركةِ آخرُ خلفائِهم ، وهو مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ ، ويُلَقَّبُ بمَرْوانَ الحِمارِ[4] ، ويقالُ له : مَرْوانُ الجَعْدىُّ . لاشتغالِه على الجَعْدِ بنِ دِرْهمٍ ، فيما قيل ، ودخَل عمُّه دمشقَ واسْتَحْوَذ على ما كان لبنى أميَّةَ مِن المُلْكِ والأمْلاكِ والأمْوالِ ، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ سنُورِدُها مُفَصَّلةً فى موضعِها ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقد ورَد عن جماعةٍ مِن السلفِ فى ذكرِ الراياتِ السُّودِ التى تخْرُجُ مِن خُراسانَ بما يطولُ ذِكرُه ، وقد استَقْصَى ذلك نُعيمُ بنُ حمادٍ فى كتابِه[5] ، وفى بعضِ الرواياتِ ما يدُلُّ على أنه لم يقَعْ أمرُها بعدُ ، وأن ذلك يكونُ فى آخرِ الزمانِ ، كما سنُورِدُه فى موضعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ .

(١ - ١) فى النسخ : « أبى عوانة » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٢٣، ١٢٤، ٣٠/ ٤٤١.

(٢) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٦/ ٧٧.

(٣) انظر ما تقدم فى ٦/ ٥٤٥، ٥٤٦.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٧٤.

(٥) انظر الفتن ١/ ٣١٠ - ٣٢٢.

وقد روَى عبدُ الرزاقِ[1] ، عن مَعْمرٍ ، عن الزهرىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تكونَ الدنيا للُكَعِ بنِ لُكَعٍ » . قال أبو مَعْمرٍ : هو أبو مُسْلمٍ الخُراسانىُّ . يعنى الذى أقام دولةَ بنى العباسِ .

والمقصودُ أنه تحوَّلت الدولةُ مِن بنى أميَّةَ إلى بنى العباسِ فى هذه السنةِ ، وكان أولَ قائمٍ مِنهم أبو العباسِ السَّفَّاحُ ، ثم أخوه أبو جعفرٍ عبدُ اللَّهِ المَنْصورُ بانى مدينةِ [2]السلامِ بغدادَ[2] ، ثم[3] ابنُه المَهْدىُّ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثم مِن بعدِه ابنُه الهادى ، ثم ابنُه الآخرُ هارونُ الرَّشيدُ ، ثم انتَشَرت الخلافةُ فى ذُرِّيَّتِه ، على ما سنُفَصِّلُه إذا وصَلْنا إلى تلك الأيامِ ، وقد نطَقَت هذه الأحاديثُ التى أوْرَدْناها آنفًا بالسَّفَّاحِ والمنصورِ والمَهْدىِّ ، ولاشكَّ أن المهدىَّ الذى هو ابنُ المنصورِ ثالثُ خُلفاءِ بنى العباسِ ، ليس هو المهدىَّ الذى ورَدت الأحاديثُ المُسْتَفِيضَةُ بذكرِه وأنه يكونُ فى آخرِ الزمانِ ، يَمْلَأُ الأرضَ عدلًا وقِسْطًا كما مُلِئَت جَوْرًا وظُلْمًا ، وقد أفْرَدْنا للأحاديثِ الواردةِ فيه جزءًا على حِدَةٍ ، كما أفْرَد له أبو داودَ كتابًا فى « سننِه »[4] ، وقد تقَدَّم فى بعضِ هذه الأحاديثِ آنفًا أنه يُسَلِّمُ الخِلافةَ إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ إذا نزَل إلى الأرضِ . واللَّهُ أعلمُ . وأما السَّفَّاحُ فقد تقَدَّم أنه يكونُ فى آخرِ الزمانِ ، فيَبْعُدُ أن يكونَ هو الذى بُويِـعَ أولَ خُلفاءِ بنى العباسِ[5] ، فقد يكونُ خليفةً آخرَ ، وهذا هو الظاهرُ ، فإنه قد روَى نُعيمُ بنُ حمادٍ[6] ، عن ابنِ وهبٍ ،

---

(١) ذكره الحافظ فى المطالب العالية ٤/ ٣٤٧، وعزاه لإسحاق بن راهويه .

(٢ - ٢) فى م : « السلام » ، وفى ص : « الإسلام بغداد » .

(٣) بعده فى م : « من بعده » .

(٤) أبو داود (٤٢٧٩ - ٤٢٩٠) .

(٥) فى الأصل ، ١٥١ : « أمية » . وهو خطأ واضح .

(٦) الفتن (٢٧٢) .

عن ابنِ لَهيعةَ ، عن يزيدَ بنِ عمرٍو المَعافرىِّ [1] عن تَدُومَ الحِمْيَرىِّ [1] ، سمِع تُبَيْعَ [2] ابنَ عامرٍ يقولُ : يعيشُ السَّفَّاحُ أربعين سنةً ، اسمُه فى التوراةِ طائرُ السَّماءِ .

قلتُ : وقد تكونُ صفةً للمهدىِّ الذى يَظْهَرُ فى آخرِ الزمانِ ؛ لكثرةِ ما يَسْفَحُ - أى يُرِيقُ - مِن الدماءِ لإقامةِ العَدْلِ ، ونَشْرِ القِسْطِ ، وتكونُ الراياتُ السُّودُ المذْكورةُ فى هذه الأحاديثِ ، إن صحَّت ، هى التى تكونُ مع المهدىِّ ، ويكونُ أولُ ظهورِ بَيْعتِه بمكةَ ، ثم تكونُ أنصارُه مِن خُراسانَ ، كما وقَع قديمًا للسَّفَّاحِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ . هذا كلُّه تَفْريعٌ على صحةِ هذه الأحاديثِ ، وإلا فلا يَخْلو سندٌ منها عن كلامٍ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ بالصوابِ .

ذِكرُ الإخْبارِ عن الأئمةِ الاثْنَىْ عشَرَ الذين كلُّهم مِن قريشٍ

وليسوا بالاثنَىْ عشَرَ الذين يدَّعون إمامتَهم الرافضةُ ؛ فإن هؤلاء الذين يزْعُمون لم يلِ أمورَ الناسِ منهم إلا علىُّ بنُ أبى طالبٍ وابنُه الحسنُ ، وآخرُهم ، فى زعمِهم ، المهدىُّ المُنْتَظَرُ ، فى زعمِهم ، بسِرْدابِ سامَرَّاءَ ، وليس له وجودٌ ، ولا عينٌ ، ولا أثرٌ ، بل هؤلاء مِن الأئمةِ الاثنَىْ عشَرَ المُخْبَرِ عنهم فى الحديثِ ، الأئمةُ الأربعةُ ؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، ومنهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بلا خلافٍ بينَ الأئمةِ على كِلا القولَيْنِ لأهلِ السنةِ فى تفسيرِ الاثْنَىْ

(١ - ١) فى الأصل : « عن قدوم الحميرى » ، وفى م : « من قدوم الحميرى » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣١٣، ٣٢/ ٢١٤.

(٢) فى م : « نفيع » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣١٢.

عشَرَ ، كما سنذكُرُه بعدَ [٥/٢٣و] إيرادِ الحديثِ .

ثبَت فى « صحيحِ البخاريِّ » مِن حديثِ شعبةَ ، و « مسلمٍ » مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، كلاهما عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال[(١)] : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يكونُ اثنا عشَرَ خَليفةً » . ثم قال كلمةً لم أسْمَعْها ، فقلتُ لأبى : ما قال ؟ قال : قال : « كلُّهم مِن قريشٍ » .

وقال نعيمُ بنُ حمادٍ فى كتابِ « الفتنِ والمَلاحمِ »[(٢)] : حدَّثنا عيسى بنُ يونسَ ، حدَّثنا مُجالدٌ ، عن الشعبىِّ ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يكونُ بعدى مِن الخلفاءِ عِدَّةُ أصحابِ موسى » . وقد رُوِىَ مثلُ هذا عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وحُذَيفةَ وابنِ عباسٍ وكعبِ الأحبارِ مِن قولِهم[(٣)] .

وقال أبو داودَ[(٤)] : حدَّثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يزالُ هذا الدِّينُ[(٥)] قائمًا حتى يكونَ عليهم اثنا عشَرَ خليفةً - [(٦)]أو : أميرًا[(٦)] - كلُّهم تجْتَمِعُ عليهم الأُمَّةُ » . وسمِعْتُ كلامًا مِن النبىِّ ﷺ لم أفْهَمْه ، فقلتُ لأبى : ما يقولُ ؟ قال : يقولُ : « كلُّهم مِن قريشٍ » .

---

(١) البخارى (٧٢٢٢، ٧٢٢٣) ، ومسلم (١٨٢١/٦) .

(٢) الفتن (٢٢٤) .

(٣) الفتن (٢٢٧ - ٢٢٩، ٢٣١) .

(٤) أبو داود (٤٢٧٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٩٨) .

(٥) فى الأصل ، م : « الأمر » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى سنن أبى داود .

وقال أبو داودَ أيضًا[1] : حدَّثنا ابنُ نُفَيْلٍ ، حدَّثنا زهيرُ بنُ مُعاويةَ ، حدَّثنا زيادُ ابنُ خَيْثمةَ ، حدَّثنا الأسودُ بنُ سعيدٍ الهَمْدانيُّ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَزالُ هذه الأُمَّةُ مُستقيمًا أمْرُها ، ظاهرةً على عَدُوِّها ، حتى يَمْضِيَ منهم[2] اثنا عشَرَ خليفةً ، كلُّهم مِن قريشٍ » . قال : فلما رجَع إلى منزلِه أتَتْه قريشٌ فقالوا : ثم يكونُ ماذا ؟ قال : « ثم يكونُ الهَرْجُ » . قال البيهقيُّ : ففى الروايةِ الأولى بيانُ العَدَدِ ، وفى الثانيةِ بيانُ المرادِ بالعددِ ، وفى الثالثةِ بيانُ وُقوعِ الهَرْجِ وهو القتلُ بعدَهم ، وقد وُجِد هذا العددُ بالصفةِ المذكورةِ إلى وقتِ الوليدِ ابنِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم وقَع الهَرْجُ والفتنةُ العظيمةُ ، كما أخْبَر فى هذه الروايةِ ، ثم ظهَر مُلكُ العَبَّاسيَّةِ ، كما أشار إليه فى البابِ قبلَه[3] ، وإنما يَزيدون على العددِ المذكورِ فى الخبرِ إذا تُرِكَت الصفةُ المذكورةُ فيه ، أو عُدَّ معهم مَن كان بعدَ الهَرْجِ المذكورِ فيه ، وقد قال النبيُّ ﷺ : « لا يَزالُ هذا الأمرُ فى قريشٍ ما بَقِيَ مِن الناسِ اثنان » . ثم ساقه[4] مِن حديثِ عاصمِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبيِّ ﷺ ، فذكَره[5] .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[6] مِن طريقِ الزهريِّ ، عن محمدِ بنِ جُبَيرِ بنِ

---

(١) أبو داود (٤٢٨١) ، ومن طريق زهير بن معاوية أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٢٠، واللفظ له . قال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : فلما رجع ... (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٠) .

(٢) سقط من : م .

(٣) أى كما أشار إليه النبى ﷺ فى الباب الذى عقده البيهقى قبل الباب الذى نقل منه المصنف الروايات المذكورة .

(٤) أى البيهقى .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٥٢١، ومن طريق عاصم بن محمد أخرجه البخارى (٣٥٠١، ٧١٤٠) ، ومسلم (١٨٢٠) .

(٦) البخارى (٧١٣٩) ، مطولا . كما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٢١، من طريق الزهرى به .

مُطْعِمٍ ، عن معاويةَ بنِ أبى سفيانَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن هذا الأمْرَ فى قريشٍ ، لا يُعادِيهم أحدٌ إلا كَبَّه اللَّهُ على وجهِه ما أقاموا الدِّينَ » . قال البيهقىُّ[1] : أى أقاموا مَعالِمَه ، وإن قصَّروا هم فى أعمالِ أنفسِهم . ثم ساق أحاديثَ تَقْتَضِى[2] ما ذكَره فى هذا[3] . واللَّهُ أعلمُ . فهذا الذى سلَكه البيهقىُّ وقد وافقه عليه جماعةٌ مِن أن المرادَ بالخُلفاءِ الاثنَىْ عشَرَ المذكورين فى هذا الحديثِ هم المُتتابعون إلى زمنِ الوليدِ بنِ يَزيدَ بنِ عبدِ الملكِ الفاسقِ ، الذى قدَّمْنا الحديثَ الوارِدَ[4] فيه بالذمِّ والوَعيدِ ، فإنه مَسْلَكٌ فيه نظَرٌ ؛ وبيانُ ذلك أن الخُلفاءَ إلى زمنِ الوليدِ بنِ يَزيدَ هذا أكثرُ مِن اثنَىْ عشَرَ على كلِّ تقديرٍ نَفْرِضُه[4] ، وبُرْهانُه أن الخُلفاءَ الأربعةَ ؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ ، خلافتُهم مُحَقَّقةٌ بنَصِّ حديثِ سَفينةَ[5] : « الخِلافةُ بعدى ثلاثون سنةً » . ثم بعدَهم الحسنُ بنُ علىٍّ ، كما وقَع ، لأن عليًّا أوْصَى إليه ، وبايَعَه أهلُ العراقِ ، وركِب وركِبوا معه لقِتالِ أهلِ الشامِ حتى اصْطَلح هو ومُعاويةُ [6]وسَلَّمَها إليه[6] ، كما دَلَّ عليه حديثُ أبى بَكْرةَ فى « صحيحِ البخارىِّ »[7] ، ثم معاويةُ ، ثم ابنُه يزيدُ بنُ مُعاويةَ ، ثم ابنُه مُعاويةُ بنُ يزيدَ ، ثم مَرْوانُ بنُ الحكَمِ ، [٥/٢٣ظ] ثم ابنُه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، ثم ابنُه الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثم يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، فهؤلاء خمسةَ عشَرَ ، ثم الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥٢١. بمعناه .

(٢) فى م : « بقية » .

(٣) دلائل النبوة ٦/٥٢١ - ٥٢٣.

(٤) سقط من : م .

(٥) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٦١.

(٦ - ٦) زيادة من : ا ١، ص .

(٧) البخارى (٢٧٠٤) .

عبدِ الملكِ ، فإن اعتبَرْنا وِلايةَ ابنِ[1] الزبيرِ قبلَ عبدِ الملكِ صاروا ستةَ عشَرَ ، وعلى كلِّ تقديرٍ فَهُم اثنا عشَرَ قبلَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فهذا الذى سلكه على هذا التقديرِ يُدْخِلُ فى الاثنَىْ عشَرَ يزيدَ بنَ معاويةَ ، ويُخْرِجُ منهم عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، الذى أطْبَق الأئمةُ على شُكْرِه وعلى مدحِه ، وعَدُّوه مِن الخُلفاءِ الراشدين ، وأجْمَع الناسُ قاطبةً على عَدْلِه ، وأن أيامَه كانت مِن أعْدلِ الأيامِ ، حتى إنَّ الرافضةَ يعْتَرِفون بذلك ، فإن قال : أنا لا أعْتَبِرُ [2]فى هذا[2] إلا مَن اجْتَمَعَت الأُمَّةُ عليه . لزِمه على هذا القولِ أن لا يَعُدَّ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ولا ابنَه ؛ لأن الناسَ لم يجْتَمعوا عليهما ؛ وذلك أن أهلَ الشامِ بكمالِهم لم يُبايِعوهما ، وعَدَّ حِينَئِذٍ[3] مُعاويةَ وابنَه يزيدَ وابنَ ابنِه مُعاويةَ بنَ يزيدَ ، ولم يَعْتَدَّ بأيامِ مَرْوانَ ولا ابنِ الزبيرِ ؛ لأنَّ[4] الأُمَّةَ لم تجْتَمِعْ على واحدٍ منهما ، فعلى هذا نقولُ[5] فى مَسْلَكِه هذا عادًّا للخلفاءِ ؛ أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم معاويةُ [6]ثم يزيدُ ثم[7] مُعاويةُ[6] ثم عبدُ الملكِ ثم الوليدُ ثُم[8] سليمانُ ثم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ثم يزيدُ ، ثم هشامٌ ، فهؤلاء [9]اثْنا عَشَر[9] ، ثم مِن بعدِهم الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ الفاسقُ ، ولكن هذا لا يُمْكِنُ أن يُسْلَكَ ؛ لأنه يَلْزَمُ منه إخْراجُ عليٍّ وابنِه الحسنِ مِن هؤلاء الاثنَىْ عشَرَ ، وهو خلافُ ما نصَّ عليه أئمةُ السُّنَّةِ بل والشيعةِ ، ثم هو خلافُ ما دلَّ عليه نصًّا

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « حبيب و » ، وفى م : « حبيب » . ولعله تحريف .

(٤) فى ا ١٥١ ، م : « كأن » .

(٥) كذا فى النسخ .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) فى النسخ : « بن » . والمثبت ما يقتضيه السياق ليوافق العدد المعدود ، فإن يزيد هو ابن معاوية ، ومعاوية هو ابن يزيد . كما ذكر آنفا .

(٨) فى ا ١٥١ ، م : « بن » .

(٩ - ٩) فى م : « عشرة » .

حديثُ سَفينةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « الخِلافةُ بعدى ثلاثون سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا عَضوضًا » . وقد ذكَر سَفينةُ تَفْصيلَ هذه الثلاثين سنةً ، فجمَعها مِن خلافةِ الأربعةِ، وقد بيَّنَّا دُخولَ خِلافةِ الحسنِ - وكانت نحوًا مِن ستةِ أشهرٍ - فيها أيضًا ، ثم صار المُلْكُ إلى معاويةَ لمّا سَلَّم الأمْرَ إليه الحسنُ بنُ عليٍّ ، وهذا الحديثُ فيه المنعُ مِن تَسْميةِ مُعاويةَ خليفةً ، وبيانُ أن الخِلافةَ قد انقَطَعت بعدَ الثلاثين سنةً ، لا مطلقًا ، بل انقَطَع تَتابُعُها ، ولا يَنْفِي وجودَ خُلفاءَ راشِدِين بعدَ ذلك ، كما دَلَّ عليه حديثُ جابرِ بنِ سَمُرةَ .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ[1] : حدَّثنا رِشْدِينُ[2] بنُ سعدٍ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن خالدِ ابنِ أبى عِمْرانَ ، عن حذيفةَ بنِ اليَمانِ قال : يكونُ بعدَ عثمانَ اثنا عشَرَ مَلِكًا مِن بنى أميَّةَ . قيل له : خلفاءُ؟ قال : لا ، بل مُلوكٌ .

وقد روَى البيهقىُّ[3] مِن حديثِ حاتمِ بنِ [4]أبى صَغيرَةَ[4] ، عن أبى بَحْرٍ قال : كان أبو الجَلْدِ جارًا لى ، فسمِعْتُه يقولُ ، يَحْلِفُ عليه : إن هذه الأُمةَ لن تَهْلِكَ حتى يكونَ فيها اثنا عشَرَ خليفةً ، كلُّهم يَعْمَلُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ ، منهم رجلان مِن أهلِ البيتِ ؛ أحدُهما يَعيشُ أربعين سنةً ، والآخرُ ثلاثين سنةً . ثم شرَع البيهقىُّ فى ردِّ ما قاله أبو الجَلْدِ بما لا يَحْصُلُ به الردُّ ، وهذا عجيبٌ منه ، وقد وافق أبا الجَلْدِ طائفةٌ مِن العلماءِ ، ولعلَّ قولَه أرْجَحُ ؛ لِما ذكَرْنا ، وقد كان يَنْظُرُ فى شىءٍ من الكتبِ المتقدِّمةِ .

---

(١) الفتن (٢٢٩) .

(٢) فى الأصل ، م : « راشد » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٩١ .

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٥٢٣ .

(٤ - ٤) فى م : « صفرة » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٩٤ .

وفى التَّوْراةِ التى بأيدى أهلِ الكتابِ ما معناه : أَنَّ اللَّهَ تعالى بشَّر إبراهيمَ بإسماعيلَ ، وأنه يُنَمِّيه ويُكَثِّرُه ويجْعَلُ مِن ذُرِّيَّتِه اثنَىْ عشَرَ عظيمًا . قال شيخُنا العَلَّامةُ أبو العباسِ ابنُ تَيْميَّةَ : وهؤلاء هم المُبَشَّرُ بهم فى حديثِ جابرِ بنِ سَمُرةَ . وقرَّر أنهم يكونون مُفَرَّقين فى الأُمةِ ، ولا تقومُ الساعةُ حتى يُوجَدوا . قال[1] : وغلِط كثيرٌ ممن تشرَّف بالإسلامِ مِن اليهودِ فظَنُّوا أنهم الذين تدْعُو إليهم فرقةُ الرافضةِ ، فاتَّبَعوهم .

[٥/ ٢٤و] وقد قال نُعيمُ بنُ حمادٍ[2] : حدَّثنا ضَمْرةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن أبى المِنْهالِ ، عن أبى زيادٍ ، عن كعبٍ قال : إن اللَّهَ وهَب لإسماعيلَ مِن صُلْبِه اثنىْ عشَرَ قَيِّمًا ، أفضلُهم [3]وخيرُهم[3] أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ .

وقال نُعيمٌ[4] : حدَّثنا ضَمْرةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن يحيى بنِ أبى[5] عمرٍو السَّيْبانىِّ[6] قال : ليس مِن الخُلفاءِ مَن لم يَمْلِكِ المَسْجِدَين ؛ المسجدَ الحَرامَ [7]ومسجدَ بيتِ المقدسِ[7] .

---

(١) سقط من : م .
(٢) الفتن (٢٣١) .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) الفتن (٢٥٠) .
(٥) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٨٠.
(٦) فى النسخ : « الشيبانى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ١٣٢.
(٧ - ٧) فى م : « والمسجد الأقصى » .

ذكرُ[1] الإخْبارِ عن أمورٍ وقَعَتْ فى دولةِ بنى العباسِ [2]إلى زمانِنا هذا[2]

فمِن ذلك [3]بناءُ أبى [3] جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ[4] محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ - الخليفةِ بعدَ أخيه الخليفةِ السَّفَّاحِ، وهو المنصورُ[5] - لمدينةِ بَغْدادَ، فى سنةِ خمسٍ وأربعين ومائةٍ.

قال نُعيمُ بنُ حمادٍ فى كتابِه[6]، عن أبى المُغيرةِ، عن أرْطاةَ بنِ المنذرِ، عمَّن حدَّثه عن ابنِ عباسٍ أنه أتاه رجلٌ وعندَه حُذيفةُ فقال: يا بنَ عباسٍ، قولُه تعالى[7]: ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ [الشورى: ١، ٢]. فأطْرَق ساعةً وأعْرَض عنه، ثم كَرَّرها فلم يُجِبْه بشىءٍ، فقال له حذيفةُ: أنا أُنَبِّئُك، قد عرَفْتُ لمَ كَرِهَها[8]، إنما نزَلت فى رجلٍ مِن أهلِ بيتِه يقالُ له: عبدُ الإلهِ. أو[9] عبدُ اللَّهِ. يَنْزِلُ على نهرٍ مِن أنهارِ المَشْرِقِ، يَبْنِى عليه مدينتَيْنِ يَشُقُّ النهرُ بينَهما شَقًّا، [10]يجْتَمِعُ فيهما[10] كلُّ جبارٍ عنيدٍ.

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «حدثنا أبو».

(٤) فى م، ص: «و». وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣.

(٥) بعده فى الأصل، م، ص: «البانى».

(٦) الفتن (٥٦٨).

(٧) التفسير ٧/ ١٧٧، ١٧٨.

(٨) فى الأصل، م: «كررها».

(٩) فى مصدر التخريج: «و».

(١٠ - ١٠) فى الأصل: «يجمع فيها»، وفى ١٥١: «يجمع فيهما»، وفى مصدر التخريج: «جمع فيها».

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرانيُّ[1] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ نَجْدَةَ[2] الحَوْطيُّ ، حدَّثنا أبو المغيرةِ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ السِّمْطِ ، حدَّثنا صالحُ بنُ عليٍّ الهاشميُّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لَأَنْ يُرَبِّيَ أحدُكم بعدَ أربعٍ وخمسين ومائةِ جَرْوَ كلبٍ ، خيرٌ له[3] من أن يُرَبِّيَ ولدًا لصُلْبِه » . قال شيخُنا الذَّهَبيُّ[4] : هذا الحديثُ مَوْضوعٌ . واتَّهَم به عبدَ اللَّهِ بنَ السِّمْطِ هذا .

وقال نُعيمُ بنُ حمادٍ الخُزاعيُّ شيخُ البخاريِّ في كتابِه « الفتنِ والمَلاحمِ »[5] : حدَّثنا أبو عُمَرَ[6] البَصْريُّ ، عن أبي بَيانٍ المَعافريِّ ، عن تُبَيْعٍ[7] ، عن كعبٍ قال : إذا كان سنةُ ستين ومائةٍ [8]انتَقَص فيها حِلْمُ[8] ذَوِي الأحْلامِ ، ورَأْيُ ذَوِي الرَّأْيِ .

حديثٌ آخرُ فيه إشارةٌ إلى مالكِ بنِ أنسٍ الإمامِ ، رحِمه اللَّهُ :

روَى الترمذيُّ[9] مِن حديثِ ابنِ عُيَينةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ رِوايةً : « يُوشِكُ أن يَضْرِبَ الناسُ أكْبادَ الإبلِ يطْلُبون العلمَ ، فلا يجِدون أحدًا أعْلَمَ مِن عالمِ المدينةِ » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ ، وهو حديثُ ابنِ عُيَينةَ ، وقد رُوِيَ عنه أنه قال : هو مالكُ بنُ أنسٍ . وكذا قال عبدُ الرزاقِ .

---

(١) المعجم الكبير ١٠/٣٤٩ (١٠٦٨٥) .
(٢) في م : « نجد » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٩٦.
(٣) سقط من : م .
(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٦.
(٥) الفتن (١٣١) .
(٦) في الأصل ، م : « عمرو » ، وفي ص : « بكر » . وانظر ميزان الاعتدال ٤/ ٥٥٥.
(٧) في م : « بديع » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣١٢.
(٨ - ٨) في الأصل ، ١٥١ : « انتقض فيها حكم » .
(٩) الترمذي (٢٦٨٠) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذي ٥٠٢) .

قلتُ : وقد تُوُفِّيَ مالكٌ ، رحِمه اللَّهُ ، سنةَ تسعٍ وسبعين ومائةٍ .

حديثٌ آخرُ فيه إشارةٌ إلى محمدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ :

قال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن النَّضْرِ بنِ حُمَيْدٍ[2] الكِنْديِّ أو العَبْديِّ[3] ، عن أبي[4] الجارودِ ، عن أبي الأحْوَصِ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَسُبُّوا قريشًا ؛ فإن عالِمَها يَمْلأُ[5] الأرضَ علمًا ، اللهم إنك أذَقْتَ أوَّلَها[6] وَبالًا ، فأذِقْ آخرَها نَوالًا » . وقد رَواه الحاكمُ مِن طريقِ أبي هريرةَ[7] . وقال الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصْبَهانيُّ[8] : هو الشافعيُّ .

قلتُ : وقد تُوُفِّيَ الشافعيُّ ، رحِمه اللَّهُ ، في سنةِ أربعٍ ومائتين ، وقد أفْرَدْنا ترجمتَه في مجلَّدٍ ، وذكَرْنا معه تَراجِمَ أصحابِه مِن بعدِه .

حديثٌ آخرُ : روَى رَوَّادُ بنُ الجَرَّاحِ[9] ، عن سفيانَ الثَّوْريِّ ، عن منصورٍ ،

---

(١) مسند أبي داود (٣٠٩) . ضعيف جدًّا (السلسلة الضعيفة ٣٩٨) .

(٢) في النسخ ، والمسند : « معبد » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر الضعفاء للعقيلي ٤/ ٢٨٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٦.

(٣) في م ، ص : « العبدلي » .

(٤) سقط من النسخ والمسند . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٥) بعده في مسند أبي داود : « طباق » .

(٦) بعده في مسند أبي داود : « عذابًا أو » .

(٧) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي ١/ ٢٧، عن الحاكم .

(٨) المصدر السابق ١/ ٢٩.

(٩) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٣٧، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ١٤٦، كلاهما من طريق رواد به نحوه . كما ذكره المصنف في جامع المسانيد ٣/ ٣٢٦، والبوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة ٥/ ٧٩، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٤/ ٢٧٤، وعزاه ثلاثتهم إلى أبي يعلى في مسنده . وجاء في بعض هذه المصادر بلفظ : « في المائتين ... الذي لا أهل له ولا ولد » . وفي بعضها الآخر : « في رأس المائتين ... من لا أهل له ولا مال » . موضوع (ضعيف الجامع الصغير ٢٩١٩) .

عن رِبْعيٍّ ، عن حذيفةَ مرفوعًا : « خيرُكم بعدَ المائتَين خَفيفُ الحاذِ » . قالوا : وما خفيفُ الحاذِ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « مَن لا أهلَ له ولا مالَ ولا ولدَ » .

حديثٌ آخرُ : قال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا الحسنُ بنُ عليٍّ الخلَّالُ ، حدَّثنا عَوْنُ ابنُ عُمارةَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى بنِ[2] ثُمامةَ[3] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عن[4] أنسِ بنِ مالكٍ ، عن أبى قَتادةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الآياتُ بعدَ المائتين » .

وحدَّثنا[5] نصرُ بنُ عليٍّ الجَهْضَميُّ ، حدَّثنا نوحُ بنُ قيسٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَعْقِلٍ[6] ، عن يزيدَ [٥/ ٢٤ظ] الرَّقاشيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « أُمَّتى على خمسِ طَبَقاتٍ ؛ فأربعون سنةً أهلُ بِرٍّ وتَقْوَى ، ثم الذين يَلُونهم إلى عشرين ومائةِ سنةٍ أهلُ تَراحُمٍ وتَواصُلٍ ، ثم الذين يَلونهم إلى ستين ومائةٍ[7] أهلُ تَدابُرٍ وتَقاطُعٍ ، ثم الهَرْجُ الهَرْجُ ، النَّجا النَّجا[8] » . وحدَّثنا نصرُ بنُ عليٍّ ، حدَّثنا حازمٌ[9] أبو محمدٍ العَنَزيُّ ، حدَّثنا المِسْوَرُ بنُ الحسنِ ، عن أبى مَعْنٍ ، عن

---

(١) ابن ماجه (٤٠٥٧) . موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٧٩) .

(٢) فى م ، ص : « ثنا » . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٢٤١.

(٣) قال المزى فى التحفة : وذِكر ثمامة هنا زيادةٌ لا حاجة إليها ؛ فإن ثمامة أخو المثنى لا أبوه ، والله أعلم .

(٤) سقط من : م ، وفى ص : « أن » . قال المزى فى التحفة : وسقط من نسخة السماع « عن أنس بن مالك » . وثبت فى بعض الأصول القديمة ، وهو الصواب ، إن شاء الله تعالى .

(٥) ابن ماجه (٤٠٥٨) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٠) .

(٦) فى سنن ابن ماجه : « مغفل » . وانظر تحفة الأشراف ١/ ٤٣٥.

(٧) بعده فى سنن ابن ماجه : « سنة » .

(٨) النجا النجا : بالمد والقصر ؛ أى انجوا بأنفسكم ، وهو مصدر منصوب بفعل مضمر ؛ أى انجوا النجاء ، وتكراره للتأكيد . انظر النهاية ٥/ ٢٥.

(٩) كذا فى النسخ ، وفى سنن ابن ماجه : « خازم » بخاء معجمة . وكذا جاء بالمعجمة فى الجرح =

أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُمَّتى على خمسِ طَبَقاتٍ ، كلُّ طَبَقةٍ أربعون عامًا ، فأما طَبَقتى وطَبَقةُ أصْحابى فأهلُ علمٍ وإيمانٍ ، وأما الطَّبَقةُ الثانيةُ ما بينَ الأربعين إلى الثمانين ، فأهلُ بِرٍّ وتَقْوَى » . ثم ذكَر نحوَه . هذا لفظُه ، وهو حديثٌ غريبٌ مِن هذين الوجهَيْن ، ولا يخْلو عن نَكارةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا وكيعٌ ، ثنا[2] الأعمشُ ، حدَّثنا هلالُ بنُ يِسافٍ[3] ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ الناسِ قَرْنى ، ثم الذين يَلونهم ، ثم الذين يَلونهم ، ثم يَجِىءُ قومٌ يتَسَمَّنون ، يُحِبُّون السِّمَنَ ، يُعْطُون الشَّهادةَ قبلَ أن يُسْأَلوها » . ورَواه الترمذىُّ مِن طريقِ الأعْمشِ[4] .

وقد رَواه البخارىُّ ومسلمٌ[5] مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى جَمْرةَ[6] ، عن زَهْدَمِ ابنِ مُضَرِّبٍ ، سمِعْتُ عِمْرانَ بنَ حُصَينٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ أُمَّتى قَرْنى ، ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يَلُونهم - قال عِمرانُ : فلا أدْرِى أذكَر بعدَ قَرْنِه

= والتعديل ٣/ ٣٩٣، والإكمال ٢/ ٢٨٤، وغيرهما . قال محقق تهذيب الكمال فى حاشيته على ترجمة خازم هذا ٨/ ٢٦: قال المؤلف - يعنى الحافظ المزى - فى حاشية نسخته وهو يتعقَّب صاحب الكمال : ذكره فى باب الحاء ، وذلك وهمٌ منه . ثم عقَّب المحقق قائلًا : قيَّده ابن ماكولا بالمعجمة مثل ما هنا ، ولكن قال الذهبى فى « المشتبه » وهو يذكر مَن اسمه خازم - بالمعجمة - : وأبو محمد خازم بن مروان عن عطاء بن السائب ، وفيه خُلْف ؛ فإن ابن الفلكى قيَّده بحاءٍ مهملة . فتبين وجود الخُلف . انتهى كلام المحقق . وانظر المشتبه ١/ ٢٠١، وتبصير المنتبه ١/ ٣٨٦.

(١) المسند ٤/ ٤٢٦.

(٢) فى م : « بن » . وانظر أطراف المسند ٥/ ١١٣.

(٣) فى الأصل : « يسار » ، وفى م : « بيان » . انظر المصدر السابق ، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٣٥٣.

(٤) الترمذى (٢٢٢١، ٢٣٠٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٠٩) .

(٥) البخارى (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ، ومسلم (٢٥٣٥/٢١٤) .

(٦) فى ا ١٥١، م : « حمزة » . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ١٨١، ١٨٢.

قرْنَيْنِ أو ثلاثةً - ثم إن بعدَكم قومًا يَشْهَدون ولا يُسْتَشْهَدون ، ويَخونون ولا يُؤْتَمنون ، ويَنْذِرون ولا يُوفُون ، ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ » . لفظُ البخاريِّ .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ ، أنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَبِيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خيرُ الناسِ[2] قَرْنى ، ثم الذين يَلُونهم ، ثم الذين يَلُونهم[3] ، ثم يَجِيءُ قومٌ تَسْبِقُ شَهادةُ أحدِهم يَمينَه ويمينُه شَهادتَه » . قال إبراهيمُ : وكانوا يَضْرِبوننا على الشَّهادةِ والعَهْدِ ونحن صِغارٌ . وقد رواه بقيَّةُ الجماعةِ إلا أبا داودَ مِن طرقٍ مُتَعددةٍ ، عن منصورٍ به[4] .

حديثٌ آخرُ : قال نُعيمُ بنُ حمادٍ[5] : حدَّثنا [6]أبو عُمَرَ[6] البَصْرىُّ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ حسينٍ ، عن محمدِ بنِ ثابتٍ البُنانىِّ ، [7]عن أبيه[7] ، عن الحارثِ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « السابعُ مِن ولدِ العباسِ يدْعُو الناسَ إلى الكُفْرِ فلا يُجِيبونه ، فيقولُ له أهلُ بيتِه : تريدُ أن تُخْرِجَنا مِن مَعايِشِنا ؟! فيقولُ : إنى أَسيرُ فيكم بسيرةِ أبى بكرٍ وعمرَ . فيَأْبَوْن عليه فيقْتُلُه عدُوٌّ له مِن أهلِ بيتِه مِن بنى هاشمٍ ، فإذا وثَب عليه اخْتَلفوا فيما بينَهم » . فذكَر

---

(١) البخارى (٢٦٥٢، ٣٦٥١) .

(٢) فى م : « القرون » .

(٣) بعده فى الأصل : « ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ، وبعده فى ١٥١، م ، ص : « « ثم الذين يلونهم » . والمثبت كما فى صحيح البخارى .

(٤) مسلم (٢١٠، ٢١١، ٢٥٣٣/٠٠٠) ، والنسائى فى الكبرى (٦٠٣١) ، وابن ماجه (٢٣٦٢) . أمّا الترمذى فإنما رواه من طريق الأعمش ، عن إبراهيم به (٣٥٨٩) . وانظر تحفة الأشراف ٧/ ٩١، ٩٢.

(٥) الفتن (٥٩٤) .

(٦ - ٦) فى النسخ ، والفتن : « أبو عمرو » . وانظر ميزان الاعتدال ٤/٥٥٥ .

(٧ - ٧) سقط من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٤٧.

اخْتِلافًا طويلًا إلى خروجِ السُّفْيانيِّ . وهذا الحديثُ يَنْطَبِقُ على عبدِ اللَّهِ المأمونِ الذى دَعا الناسَ إلى القولِ بخَلْقِ القرآنِ ، ووقَى اللَّهُ شرَّها ، كما سنُورِدُ ذلك فى مَوْضعِه ، والسُّفْيانيُّ رجلٌ يكونُ فى آخرِ الزمانِ مَنْسوبٌ إلى أبى سُفيانَ يكونُ مِن سُلالتِه ، وسيأتى فى آخرِ كتابِ الملاحمِ .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا هاشمٌ ، ثنا ليثٌ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبيرٍ ، عن أبيه ، سمِعْتُ أبا ثَعْلبةَ الخُشَنيَّ صاحبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه سمِعه يقولُ وهو بالفُسْطاطِ فى خلافةِ مُعاويةَ ، وكان مُعاويةُ أغْزَى الناسَ القُسْطَنْطِينيَّةَ فقال : واللَّهِ لا تَعْجِزُ هذه الأمةُ مِن نصفِ يومٍ ، إذا رأيْتَ الشامَ مائدةَ رجلٍ واحدٍ وأهلِ بيتِه ، فعندَ ذلك فَتْحُ القُسْطَنْطِينيَّةِ . هكذا رَواه أحمدُ موقوفًا [٥/٢٥و] على أبى ثَعْلبةَ .

وقد أخْرَجه أبو داودَ فى « سننِه »[2] مِن حديثِ ابنِ وهبٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبيرٍ ، عن أبيه ، عن أبى ثَعْلبةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لن يُعْجِزَ اللَّهُ هذه الأُمَّةَ مِن نصفِ يومٍ » . تفرَّد به أبو داودَ .

ثم قال أبو داودَ[3] : ثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، ثنا أبو المغيرةِ ، حدَّثنى صَفْوانُ ، عن شُرَيْحِ[4] بنِ عُبَيدٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « إنى لَأرْجُو أن لا تَعْجِزَ[5] أُمَّتى عندَ ربِّها أن يُؤَخِّرَهم نصفَ يومٍ » . قيل لسعدٍ : وكم

---

(١) المسند ٤/١٩٣.

(٢) أبو داود (٤٣٤٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٥٥) .

(٣) أبو داود (٤٣٥٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٥٦) .

(٤) فى م : « سريج » ، وفى ص : « شريج » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/٤٤٦ .

(٥) فى م ، ص : « يعجز » .

نصفُ يومٍ؟ قال: خمسُمائةِ سنةٍ. تفرَّد به أبو داودَ، وإسنادُه جيدٌ. وهذا مِن دلائلِ النبوةِ، فإن هذا يقْتَضِى وُقوعَ تأخيرِ الأُمةِ نصفَ يومٍ، وهو خمسُمائةِ سنةٍ كما فسَّره الصحابيُّ، وهو مَأْخوذٌ مِن قولِه تعالى[1]: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]. ثم هذا الإخْبارُ بوقوعِ هذه المدةِ لا يَنْفِى وقوعَ ما زاد عليها، فأما ما يذْكُرُه كثيرٌ مِن الناسِ مِن أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لا يُؤَلِّفُ فى قبرِه، بمعنى لا يمْضِى عليه ألفُ سنةٍ مِن يومَ مات إلى حينِ قِيَامِ الساعةِ، فإنه حديثٌ لا أصلَ له فى شىءٍ مِن كتبِ الإسلامِ. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخرُ فيه الإخْبارُ عن ظهورِ النارِ التى كانت بأرضِ الحجازِ، حتى أضاءت لها أعْناقُ الإبلِ ببُصْرَى، وقد وقَع هذا فى سنةِ أربعٍ وخمسين وسِتِّمائةٍ.

قال البخاريُّ فى «صحيحِه»[2]: ثنا أبو اليَمَانِ، ثنا شعيبٌ، عن الزهريِّ قال: قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ: أخبرنى أبو هُريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ تُضِىءُ[3] أعْناقَ الإبلِ ببُصْرَى». تفرَّد به البخاريُّ.

وقد ذكَر أهلُ التاريخِ وغيرُهم مِن الناسِ وتَواتَر، وقوعَ هذا فى سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ؛ قال الشيخُ الإمامُ الحافظُ شيخُ الحديثِ وإمامُ المؤَرِّخِين فى زمانِه شِهابُ الدِّينِ عبدُ الرحمنِ بنُ إسماعيلَ المُلَقَّبُ بأبى شامةَ، فى «تاريخِه»[4]: إنها ظَهَرت يومَ الجُمُعةِ فى خامسِ جُمادَى الآخِرةِ سنةَ أربعٍ

---

(١) التفسير ٥/ ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) البخارى (٧١١٨).

(٣) بعده فى م: «لها».

(٤) انظر الذيل على الروضتين ص ١٩٠ - ١٩٢.

وخمسين وستِّمائةٍ ، وإنها استَمَرَّت شهرًا وأزْيدَ منه . وذكَر كُتُبًا مُتَواتِرةً عن أهلِ المدينةِ فى كيفيَّةِ ظهورِها شرقىَّ المدينةِ مِن ناحيةِ وادى شَظَا ، تِلقاءَ أُحُدٍ ، وأنها ملأَت تلك الأوديةَ ، وأنه يَخْرُجُ منها شَرَرٌ يأْكُلُ الحِجارةَ[1] ، وذكَر أن المدينةَ زُلْزِلت بسببِها ، وأنهم سمِعوا أصواتًا مُزْعِجةً قبلَ ظهورِها بخمسةِ أيامٍ ، أولُ ذلك مُسْتَهَلُّ الشهرِ يومَ الاثنين ، فلم تَزَلْ ليلًا ونهارًا حتى ظهَرت يومَ الجُمُعةِ خامسَه[2] فانْبَجَسَت تلك الأرضُ عندَ وادى شَظَا[3] عن نارٍ عظيمةٍ جدًّا ، صارت مثلَ الوادى ، طولُه أربعةُ فَراسِخَ فى عَرْضِ أربعةِ أمْيالٍ ، وعمقُه قامةٌ ونصفٌ ، يَسيلُ الصخرُ حتى يَبْقى مثلَ الآنُكِ[4] ، ثم يَصيرُ كالفحمِ الأسودِ ، وذكَر أن ضوءَها يَمْتدُّ إلى تَيْماءَ[5] بحيث كتَب الناسُ على ضوئِها فى الليلِ ، وكأن فى بيتِ كلٍّ منهم مِصْباحًا ، ورأَى الناسُ سَناها مِن مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ .

قلتُ : وأمَّا بُصْرَى فأَخْبَرنى قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدِّينِ علىُّ بنُ أبى قاسمٍ التَّميمىُّ[6] الحَنَفىُّ قال : أخْبَرنى والدى ، وهو الشيـــخُ صَفىُّ الدِّين ، مُدَرِّسُ[7] بُصْرَى ، أنه أخْبَره غيرُ واحدٍ مِن الأعْرابِ صَبيحةَ تلك الليلةِ مَن كان

---

(١) فى م : « الحجاز » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل : « سطا » .

(٤) الآنُك : الرَّصاص الأسود .

(٥) تيماء : بُلَيد فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى على طريق حاجِّ الشام ودمشق . انظر معجم البلدان ١/ ٩٠٧.

(٦) فى م ، ص : « التيمى » . ولم نجد كلتا النسبتين - التميمى والتيمى - فى مصادر ترجمته ، انظر ذيول العبر ص ١٥٣، ١٥٤، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٢/ ٥٨٦، ٦٢٩، والدرر الكامنة ٣/ ١٧٠، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٦٢١، وشذرات الذهب ٦/ ٧٨.

(٧) فى الأصل : « وهو مدرس » ، وفى م : « أحد مدرسى » . وهو أبو القاسم محمد بن عثمان بن =

بحاضرةِ بلدِ بُصْرَى ، أنهم رَأَوْا صَفَحاتِ أعْناقِ إبلِهم فى ضَوْءِ هذه النارِ التى ظهَرت مِن أرضِ الحجازِ .

وقد ذكَر الشيخُ شِهابُ [٥/٢٥ظ] الدِّينِ[١] أن أهلَ المدينةِ لجئوا فى هذه الأيامِ إلى المسجدِ النبوىِّ ، وتابوا إلى اللَّهِ مِن ذنوبٍ كانوا عليها ، واسْتَغْفروا عندَ قبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، مما سلَف منهم ، وأعْتَقوا الغِلْمانَ ، وتصَدَّقوا على فُقرائِهم ومَحاويجِهم[٢] ، وقد قال قائلُهم فى ذلك :

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جَرائمِنا ... لقد[٣] أحاطت بنا ياربُّ بَأْساءُ
نشْكُو إليك خُطوبًا لا نُطيقُ لها ... حَمْلًا ونحن بها حقًّا أَحِقَّاءُ
زَلازِلًا تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلادُ[٤] لها ... وكيف يَقْوَى على الزِّلْزالِ شمَّاءُ[٥]
أقام سبعًا يَرُجُّ الأرضَ فانْصَدَعَت ... عن مَنْظَرٍ منه عينُ الشمسِ عَشْواءُ
بَحْرٌ مِن النارِ تَجْرى فوقَه سُفُنٌ ... مِن الهِضابِ لها فى الأرضِ إرْساءُ
يُرَى لها شَرَرٌ كالقَصْرِ طائشةً ... كأنَّها دِيمةٌ[٦] تَنْصَبُّ هَطْلاءُ
تَنْشَقُّ منها قُلوبُ الصَّخْرِ أَنْ زَفَرتْ ... رُعْبًا وتَرْعُدُ مثلَ الشُّهْبِ[٧] أضواءُ

= محمد الصدر . انظر الجواهر المضية ٤/١١٣ . وقال محققه فى الحاشية : زاد ابن كثير فى نسبه « التميمى » ، ولقَّبه « صفىَّ الدين » . انتهى كلام المحقق ، وهو يعنى النسبة التى ذكرها المصنف هنا فى سياق اسم ابنه صدر الدين على . وانظر الحاشية السابقة .

(١) ذيل الروضتين ص ١٩٠ - ١٩٣ .

(٢) فى م : « مجاريحهم » .

(٣) فى م ، ص : « فقد » .

(٤) فى ذيل الروضتين : « الصلاب » .

(٥) فى م : « صماء » ، وفى ص : « سماء » .

(٦) الديمة : المطر يطول زمانه فى سكون .

(٧) فى ذيل الروضتين : « السيف » .

منها تَكاثَفَ فى الجَوِّ الدُّخانُ إلى ... أن عادت الشمسُ منه وهْى دَهْماءُ
قد أثَّرَتْ سُفْعةٌ[1] فى البَدْرِ لَفْحَتُها ... فلَيْلةُ التِّمِّ[2] بعدَ النورِ لَيْلاءُ
فيالها آيةً مِن مُعْجِزاتِ رسو ... لِ اللَّهِ يَعْقِلُها القومُ الأَلِبَّاءُ
[3]إلى آخِرِها[3] .

ومما قيل فى هذه النارِ مع غرَقِ بَغْدادَ فى هذه السنةِ :

سبحانَ مَن أصْبَحتْ مَشيئتُه ... جاريةً فى الوَرَى بِمِقْدارِ
أَغْرَق بغدادَ بالمياهِ كما ... أَحْرَق أرضَ الحِجَازِ بالنارِ

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو عامرٍ ، ثنا أَفْلَحُ بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ ، شيخٌ مِن أهلِ قُبَاءٍ مِن الأنصارِ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ رافعٍ مولى أمِّ سَلَمةَ قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن طالت بك[5] مدةٌ ، أَوْشَك أن ترَى[6] قومًا يَغْدُون فى سَخَطِ اللَّهِ ويَرُوحون فى لَعْنتِه ، فى أيديهم مثلُ أذْنابِ البقرِ » . ورَواه مسلمٌ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، عن زيدِ ابنِ الحُبابِ[7] ، عن أفْلَحَ بنِ سعيدٍ به[8] . ورَوَى مسلمٌ أيضًا[9] ، عن زُهيرِ بنِ

---

(١) فى م ، ص : « سعفة » . والسفعة : نوع من السواد ليس بالكثير ، وقيل : هو سواد مع لون آخر . انظر النهاية ٢/ ٣٧٤.
(٢) ليلة التم : ليلة التمام .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) المسند ٢/ ٣٠٨.
(٥) فى النسخ : « بكم » . والمثبت من المسند .
(٦) فى م : « تروا » .
(٧) فى م : « الخباب » . وانظر تحفة الأشراف ١٠/ ١٣٣.
(٨) مسلم (٢٨٥٧/٥٣) .
(٩) مسلم (٢١٢٨) .

حربٍ ، عن جَريرٍ ، عن سُهَيلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال [1] رسولُ اللَّهِ [1] ﷺ : « صِنْفان مِن أهلِ النارِ لم أرَهما بعدُ [2] ؛ قومٌ معهم سِياطٌ كأذْنابِ البقرِ يَضْرِبون بها الناسَ ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مُميلاتٌ ، رءُوسُهن كأَسْنِمةِ البُخْتِ المائلةِ ، لا يَدْخُلْن الجنةَ ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها ، وإنَّ رِيحَها لَيُوجدُ مِن مَسِيرةِ كذا وكذا » . وهذان الصِّنْفان ، وهما الجلَّادُون [3] الذين يُسَمَّوْن بالرَّجَّالةِ والجَانْدارِيَّةِ [4] كَثيرون فى زمانِنا هذا ، ومِن قبلِه وقبلِ قبلِه بدَهْرٍ ، والنساءُ الكاسِياتُ العارياتُ ؛ أى عليهن لُبُسٌ لا تُوارِى سَوْآتِهن ، بل هو زيادةٌ فى العَوْرةِ ، وإبْداءٌ للزِّينةِ ، مائلاتٌ فى مَشْيِهن ، مُميلاتٌ غيرَهن إليهن ، وقد عَمَّ البَلاءُ بهن فى زمانِنا هذا ، ومِن قبلِه [٥/ ٢٦و] أيضًا ، وهذا مِن أكبرِ دَلالاتِ النبوةِ ؛ إذ وقَع الأمْرُ فى الخارجِ طِبْقَ ما أخْبَر به ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وقد تقَدَّم [5] حديثُ جابرٍ : « أمَا إنها ستكونُ لكم أنْماطٌ » . وذُكِر تَمامُ الحديثِ فى وقوعِ ذلك واحتجاجِ امرأتِه عليه بهذا .

حديثٌ آخرُ : روَى الإمامُ أحمدُ [6] ، عن عبدِ الصَّمَدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، [7] حدثنى أبى [7] ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، وأخْرَجه البيهقىُّ مِن حديثِه [8] ، عن أبى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) زيادة من النسخ ليست فى صحيح مسلم .

(٣) فى ١٥١ ، ص : « الجلاوزة » . والجلاوزة : جمع جِلَّوْز وهو الشرطى . انظر الوسيط (ج ل ز) .

(٤) الجاندارية : مشتق من الجاندار ، والجاندار والجَنْدار : حارس ذات الملك ؛ مركب من « جان » أى : روح ونفس ، ومن « دار » أى : حافظ . انظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٦ .

(٥) تقدم فى صفحة ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٦) المسند ٣/ ٤٨٧ .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٩٩ ، ٤٧٨ ، وأطراف المسند ٢/ ٦٢٢ .

(٨) أى من حديث داود بن أبى هند . دلائل النبوة ٦/ ٥٢٤ .

حربِ بنِ أبى الأَسْودِ الدُّئِلىِّ ، عن طلحةَ بنِ عمرٍو البَصْرىِّ ، أنه قدِم المدينةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبينما هو يُصَلِّى إذ أتاه رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أحْرَق بُطونَنا التمرُ ، وتخرَّقتْ[1] عنا الخُنُفُ[2] . قال : فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ثم قال : « لقد رأيْتُنى وصاحِبى [3]مَكَثْنا بضعَ عشْرةَ ليلةً[3] وما لنا طعامٌ غيرُ البَرِيرِ[4] ، حتى أتَيْنا إخْوانَنا مِن الأنصارِ ، فآسَوْنا مِن طعامِهم ، وكان جُلَّ[5] طعامِهم التمرُ ، والذى لا إلهَ إلا هو لو قدَرْتُ لكم على الخُبزِ واللَّحْمِ[6] لأَطْعَمْتُكُموه ، وسيأتى عليكم زمانٌ أو مَن أدْرَكه منكم يَلْبَسون مثلَ أسْتارِ الكعبةِ ، ويُغْدَى ويُراحُ عليكم بالجِفانِ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أنحن يومَئذٍ خيرٌ أم اليومَ ؟ قال : « بل أنتم اليومَ خيرٌ ، أنتم اليومَ إخْوانٌ ، وأنتم يومَئذٍ يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ » .

وقد روَى سفيانُ الثورىُّ[7] ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن أبى موسى يُحَنَّسَ[8] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا مشَت أُمَّتى المُطَيْطاءَ[9] وخَدَمَتْهم فارسُ والرومُ ، سَلَّط اللَّهُ بعضَهم على بعضٍ » . وقد أسْنَده البيهقىُّ[10] مِن طريقِ موسى بنِ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « تحرقت » .

(٢) فى الأصل ، ص : « الجيف » ، وفى م : « الحيف » . والخنف : جمْعُ خَنِيف ، وهو نوع غليظ من أردأ الكَتَّان ، أراد ثيابًا تُعمل منه كانوا يلبسونها . النهاية ٢/ ٨٤.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . وذُكر العدد فى رواية المسند : « ثمانية عشر يومًا وليلة » .

(٤) البرير : ثَمَر الأراك إذا اسودَّ وبلغ ، وقيل : هو اسم له فى كل حال . انظر النهاية ١/ ١١٧.

(٥) سقط من : م . وفى الأصل : « أجل » .

(٦) فى النسخ : « التمر » . والمثبت من الدلائل . وجاء لفظه فى المسند : « لو وجدت خبزًا أو لحمًا » .

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٢٥، من طريق الثورى به .

(٨) سقط من : ١٥١، وفى الأصل ، م : « بحلس » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٨٤.

(٩) المُطَيْطاء ، هى بالمد والقصر : مِشْية فيها تبختر ومدُّ اليدين . النهاية ٤/ ٣٤٠.

(١٠) دلائل النبوة ٦/ ٥٢٥.

عُبَيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبيِّ ﷺ .

حديثٌ آخرُ : قال أبو داودَ[1] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْرِيُّ ، ثنا ابنُ وَهْبٍ ، ثنا سعيدُ بنُ أبي أيوبَ ، عن شَراحِيلَ بنِ يَزيدَ[2] المَعافِرِيِّ ، عن أبي عَلْقمةَ ، عن أبي هريرةَ ، فيما أعْلَمُ[3] ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال[4] : « إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لهذه الأُمةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يُجَدِّدُ لها أمْرَ دينِها » . قال أبو داودَ : رَواه[5] عبدُ الرحمنِ بنُ شُرَيْحٍ الإسْكَنْدَرانيُّ لم [6]يَجُزْ به[6] شَراحيلَ . تفرَّد به أبو داودَ . وقد ذكَر كلُّ طائفةٍ مِن العلماءِ في رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ ، عالمًا مِن عُلمائِهم يُنَزِّلون هذا الحديثَ عليه ، وقال طائفةٌ مِن العلماءِ : بل[7] الصحيحُ أن الحديثَ يَشْمَلُ كلَّ فردٍ فردٍ مِن آحادِ العُلماءِ في هذه الأعْصارِ ممن يقومُ بفَرْضِ الكِفايةِ في أداءِ العلمِ عمَّن أدْرَك مِن السَّلَفِ إلى مَن يُدْرِكُه مِن الخَلَفِ ، كما جاء في الحديثِ مِن طرقٍ مُرْسَلةٍ وغيرِ مُرْسَلةٍ[8] : « يَحْمِلُ هذا العلمَ مِن كلِّ خَلَفٍ

---

(١) أبو داود (٤٢٩١) .

(٢) في م ، ص : « زيد » . وانظر تحفة الأشراف ١١/ ٨٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤١١.

(٣) قال في عون المعبود ٤/ ١٧٨: الظاهر أن قائله أبو علقمة ، يقول : في علمي أن أبا هريرة حدثني هذا الحديث مرفوعا لا موقوفا عليه .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من سنن أبي داود وتحفة الأشراف .

(٦ - ٦) في الأصل : « يخبر به » ، وفي م : « يحدثه » .

والمعنى أن عبد الرحمن بن شريح لم يجاوز بهذا الحديث على شراحيل ، فعبد الرحمن قد أعضل هذا الحديث وأسقط أبا علقمة وأبا هريرة ، والحاصل أن الحديث مروى من وجهين ؛ من وجه متصل ومن وجه معضل . انظر عون المعبود ٤/ ١٨٢.

(٧) في م ، ص : « هل » .

(٨) أخرجه موصولًا العقيلي في الضعفاء ١/ ٩، ١٠، وابن عدى في الكامل ١/ ١٥٢، ١٥٣، من حديث أبي أمامة وأبي هريرة وابن عمر وابن عمرو ، رضى الله عنهم . وأخرجه مرسلًا أيضا العقيلي في الضعفاء ٤/ ٢٥٦، وابن عدى في الكامل ١/ ١٥٣، كلاهما بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى ، يرسله ، عن النبي ﷺ .

عُدولُه، يَنْفُون عنه تَحْريفَ الغالِين، وانْتِحالَ المُبْطِلِين». وهذا موجودٌ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، إلى زمانِنا هذا، ونحن فى القَرْنِ الثامنِ، واللَّهُ المسئولُ أن يَخْتِمَ لنا بخيرٍ، وأن يَجْعَلَنا مِن عبادِه الصالحين، ومن وَرَثَةِ جنةِ النعيمِ، آمينَ آمينَ يا ربَّ العالمين.

وسيأتى الحديثُ المُخَرَّجُ فى «الصحيحِ»: «لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتى ظاهِرِين على الحقِّ لا يضُرُّهم مَن خذَلهم ولا مَن خالَفهم، حتى يأتىَ أمْرُ اللَّهِ وهم كذلك». وفى «صحيحِ البخارىِّ»[1]: «وهم بالشامِ». وقد قال كثيرٌ مِن علماءِ السَّلَفِ: إنهم أهلُ الحديثِ. وهذا أيضًا مِن دلائلِ النبوةِ، فإن أهلَ الحديثِ بالشامِ اليومَ[2] أكثرُ مِن سائرِ أقاليمِ الإسلامِ، وللَّهِ الحمدُ، ولاسيما بمدينةِ دِمشقَ، حماها اللَّهُ وصانها، كما ورَد فى الحديثِ الذى سنذكُرُه أنها تكونُ مَعْقِلَ المسلمين عندَ وُقوعِ الفتنِ.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[3] عن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخْبَر عن عيسى ابنِ مَرْيَمَ أنه يَنْزِلُ مِن السماءِ [٥/٢٦ظ] على المَنارةِ البَيْضاءِ شَرْقِىَّ دِمَشقَ. ولعلَّ أصلَ لفظِ الحديثِ: على المَنارةِ البيضاءِ الشَّرقيَّةِ بدِمشقَ. وقد بلَغنى أنَّه كذلك فى بعضِ الأجْزاءِ، ولم أَقِفْ عليه إلى الآنَ، واللَّهُ المُيَسِّرُ، وقد جُدِّدَت هذه المَنارةُ البيضاءُ الشَّرْقيةُ بجامعِ دِمَشقَ - بعدَما أحْرَقها النَّصارَى - فى أيامِنا هذه بعدَ سنةِ أربعين وسبعِمائةٍ[4]، مِن أمْوالِ النَّصارَى؛ مُقاصَّةً على ما

---

(١) البخارى (٣٦٤١).

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) مسلم (٢٩٣٧).

(٤) بعده فى م: «فأقاموها».

فعَلوا مِن العُدْوانِ ، وفى هذا حِكْمةٌ عظيمةٌ ، وهو أن يَنْزِلَ على هذه المَبْنيَّةِ مِن أموالِهم[1] عيسى ابنُ مريمَ نبيُّ اللَّهِ ، فيُكَذِّبَهم فيما افْتَرَوْه عليه مِن الكَذِبِ عليه وعلى اللَّهِ ، ويَكْسِرَ الصَّليبَ ، ويَقْتُلَ الخِنْزيرَ ، ويضَعَ الجِزْيةَ - أى يَتْرُكَها - ولا يَقْبَلَ مِن أحدٍ منهم ولا مِن غيرِهم إلا الإسلامَ ، يعنى أو يَقْتُلُه ، وقد أخْبَر بهذا عنه رسولُ اللَّهِ[2] ﷺ ، وقرَّره عليه وسوَّغه له ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدِّينِ ، وعلى آلِه وصحبِه أجْمَعين والتابعين لهم بإحسانٍ .

بـابٌ[3]

التَّنبيهُ[4] على ذِكْرِ مُعْجزاتٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، مُماثِلةٍ لمُعْجِزاتِ جماعةٍ مِن الأنبياءِ قبلَه ، أو[5] أعْلَى منها ، خارجًا[6] عمَّا اخْتُصَّ به مِن المُعْجزاتِ العظيمةِ التى لم تكُنْ[7] لأحدٍ قبلَه منهم ، عليهم السَّلامُ .

فمن ذلك القرآنُ العظيمُ الذى لا يأتيه الباطِلُ مِن بينِ يديه ولا مِن خلفِه تنزيلٌ مِن حكـيم حميدٍ ، فإنَّه مُعْجزةٌ مُستَمِرَّةٌ على الآبادِ ، لا يَخْفَى بُرْهانُها ، ولا [8]يَنْخَفِضُ شَأْنُها[8] ، وقد تحدَّى به الثَّقَلَين مِن الجنِّ والإنْسِ على أن يأْتوا بمثلِه

---

(١) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « أموالكم » .

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٢٢ ، ٢٤٧٦ ، ٣٤٤٨) ، ومسلم (١٥٥) ، كلاهما من حديث أبى هريرة . وسيأتى مستوفًى بطرقه فى الفتن والملاحم ، إن شاء الله تعالى .

(٣) من هنا حتى صفحة ٤١٢ خرم فى ص .

(٤) فى م : « البينة » .

(٥) فى م : « و » .

(٦) فى م : « خارجة » .

(٧) فى الأصل : « تمكن » ، وفى م : « يكن » .

(٨ - ٨) فى م : « يتفحص مثلها » .

أو بعَشْرِ سُوَرٍ أو بسُورةٍ مِن مِثلِه ، فعجَزوا عن ذلك ، كما تقدم تَقْريرُ ذلك فى أولِ كتابِ المُعْجزاتِ ، وقد سبَق الحديثُ المُتَّفَقُ على إخراجِه فى « الصحيحَيْن »[1] مِن طَريقِ الليثِ بنِ سعدٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « ما مِن نبىٍّ إلا وقد أُوتِىَ مِن الآياتِ ما آمَن على مثلِه البشرُ ، وإنما كان الذى أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاه اللَّهُ إلىَّ ، فأرْجُو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ » . والمعنى أن كلَّ نبىٍّ قد أُوتىَ مِن خَوارقِ العاداتِ[2] ما يقْتَضى إيمانَ مَن رأَى ذلك مِن أُولِى البَصائرِ والنُّهَى ، لا مِن أهلِ العِنادِ والشَّقاءِ ، « وإنما كان الذى أُوتِيتُه » ؛ أى جُلُّه وأعْظَمُه[3] وأبْهَرُه ، القرآنُ الذى أوْحاه اللَّهُ إليه[4] ، فإنَّه لا يَبِيدُ ولا يَذْهَبُ كما ذهَبَت مُعْجِزاتُ الأنْبياءِ وانقَضَت بانقضاءِ أيامِهم فلا تُشاهَدُ ، بل يُخْبَرُ عنها بالتَّواتُرِ أو[5] الآحادِ ، بخِلافِ القرآنِ العظيمِ[6] ، فإنَّه معجزةٌ مُتواتِرةٌ عنه ، مُسْتَمِرَّةٌ دائمةُ البَقاءِ بعدَه ، مَسْموعةٌ لكلِّ مَن أَلْقَى السَّمْعَ وهو شَهيدٌ .

وقد تقَدَّم فى الخَصائصِ ذِكْرُ ما اخْتُصَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ عن بَقِيَّةِ إخْوانِه مِن الأنبياءِ ، عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[7] عن جابرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهن أحَدٌ قَبْلى ؛

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/ ٥٤٨.

(٢) فى م : « المعجزات » .

(٣) فى الأصل : « عظمه » .

(٤) فى م : « إلى » .

(٥) فى م : « و » .

(٦) بعده فى م : « الذى أوحاه الله إليه » .

(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ١٠٤ .

نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شهرٍ، وجُعِلَت لىَ الأرضُ مَسْجدًا وطَهورًا، فأيُّما[1] رَجُلٍ مِن أُمَّتى أدْرَكَتْه الصَّلاةُ فلْيُصَلِّ، وأُحِلَّت لىَ الغَنائمُ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلِى، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وكان النبىُّ يُبْعَثُ إلى قَومِه، وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّةً». وقد تكَلَّمْنا على ذلك وما شاكَله فيما سلَف بما أغْنَى عن إعادتِه، وللَّهِ الحمدُ.

وقد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ أنَّ كلَّ مُعْجِزةٍ لنبىٍّ مِن الأنبياءِ فهى [2]فى الحَقِيقَةِ[2] مُعْجزةٌ لخاتَمِهم محمدٍ ﷺ؛ وذلك أنَّ كلًّا منهم بَشَّر بمَبْعَثِه، وأُمِرَ بمُتابعَتِه، كما قال اللَّهُ تعالى[3]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا [٥/ ٢٧و] قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

وقد ذكَر البُخارىُّ وغيرُه[4] عن ابنِ عباسٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، أنه قال: ما بعَث اللَّهُ نبيًّا مِن الأنبياءِ إلا أخَذ عليه العَهْدَ والميثاقَ لئن بُعِث محمدٌ وهو حَىٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَتَّبِعَنَّه، [5]وأمرَه أن يَأْخُذَ العهدَ على أمَّتِه لَئن بُعِثَ محمدٌ وهم أحياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به[5] ولَيَنْصُرُنَّه.

وذكَر غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ أنَّ كَراماتِ الأوْلياءِ مُعْجِزاتٌ للأنْبياءِ؛ لأنَّ الوَلِىَّ إنَّما نال ذلك ببرَكَةِ مُتابعَتِه لنبيِّه، وثوابِ إيمانِه به[6].

---

(١) فى م: «فأينما».

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) التفسير ٢/ ٥٦.

(٤) لم نجده فى صحيح البخارى كما ذكر المصنف. والأثر أخرجه الطبرى فى تفسيره ٣/ ٣٣٢، عن على وابن عباس. وانظر التفسير ٢/ ٥٦.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) سقط من: م.

والمقصودُ أنَّه كان الباعثَ لى على عقدِ هذا البابِ أنِّى وقَفْتُ على مُوَلَّدٍ اخْتَصَره مِن « سيرةِ » الإمامِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسارٍ وغيرِها شيخُنا الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ كمالُ الدِّينِ أبو المَعالى محمدُ بنُ علىٍّ الأنْصارىُّ السِّمَاكىُّ - نِسْبةً إلى أبى دُجانةَ سِماكِ[1] بنِ خَرَشَةَ الأوْسىِّ ، رَضِى اللَّهُ عنه - شيخُ الشافعيَّةِ فى زمانِه بلا مُدافَعةٍ ، المعروفُ بابنِ الزَّمْلكانِىِّ ، رَحِمهُ اللَّهُ [2]وبَلَّ بالرَّحْمَةِ ثَراه[2] ، وقد ذكَر فى أواخرِه شيئًا مِن فَضائلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعقَد فصلًا فى هذا البابِ فأوْرَد فيه أشياءَ حَسَنةً ، ونبَّه على فَوائدَ جَمَّةٍ ، وفرائدَ[3] مُهِمَّةٍ ، وترَك أشياءَ أُخَرَ حَسَنةً ، ذكَرها غيرُه مِن الأئمةِ المُتَقَدِّمِين ، ولم أرَه اسْتَوْعَب الكلامَ إلى آخرِه ، فإمَّا أنه قد سقَط مِن خَطِّه ، أو أنَّه لم يُكْمِلْ تَصْنِيفَه ، فسأَلنى بعضُ أهلِه مِن أصحابِنا ممن تَتَأَكَّدُ إجابتُه ، وتكَرَّر ذلك منه ، فى تَكْميلِه وتَذْيِيلِه[4] وتَرْتِيبِه ، وتَهْذِيبِه ، والزيادةِ عليه والإضافةِ إليه ، فاسْتَخَرْتُ اللَّهَ حِينًا مِن الدَّهْرِ ، ثم نَشِطْتُ لذلك ابتغاءَ الثوابِ والأجْرِ ، وقد كنتُ سمِعْتُ مِن شيخِنا الإمامِ العَلَّامةِ الحافظِ الجَهْبَذِ أبى الحَجَّاجِ المِزِّىِّ ، تغَمَّده اللَّهُ تعالى برحمتِه ، أنَّ أوَّلَ مَن تكَلَّم فى هذا المَقامِ الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدْريسَ الشافعىُّ .

وقد روَى الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه « دَلائلِ النُّبُوَّةِ »[5] عن شيخِه الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ ، أخْبَرنى أبو أحمدَ بنُ أبى الحسنِ ، أنا عبدُ الرحمنِ

---

(١) بعده فى م : « بن حرب » وهو خطأ . والمثبت هو الصواب . فسِمَاك بن حرب أبو المغيرة الكوفى تابعى ، وهو غير سماك بن خرشة الصحابى . انظر أسد الغابة ٢/ ٤٥١، وما سيأتى فى ترجمة أبى المعالى ضمن حوادث سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « فوائد » .

(٤) فى م : « تبويبه » .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٦٨.

ابنُ أبى حاتمٍ الرازىُّ ، عن أبيه قال [1]عمرُو بنُ سَوَّادٍ[1] : قال الشافعىُّ : ما أعْطَى اللَّهُ نبيًّا ما أعْطَى محمدًا ﷺ . فقلتُ : أعْطَى عيسى إحْياءَ المَوْتَى . فقال : أعْطَى محمدًا ﷺ الجِذْعَ الذى كان يَخْطُبُ إلى جنبِه ؛ حينَ هُيِّئَ[2] له المِنْبرُ حَنَّ الجِذْعُ حتى سُمِع صوتُه ، فهذا أكبرُ مِن ذاك . هذا لفظُه ، رضِى اللَّهُ عنه . والمرادُ مِن إيرادِ ما نذكُرُه فى هذا البابِ التنبيهُ[3] على شَرَفِ[4] ما أعْطَى اللَّهُ أنبياءَه ، عليهم السلامُ ، مِن الآياتِ البَيِّناتِ ، والخَوارقِ القاطِعاتِ ، والحُجَجِ الواضحاتِ ، وأنَّ اللَّهَ تعالى جمَع لعبدِه ورسولِه سيدِ الأنْبياءِ وخاتَمِهم مِن جميعِ أنواعِ المَحاسِنِ والآياتِ ، مع ما اخْتَصَّه به مما لم يُؤْتِ أحدًا قبلَه ، كما ذكَرْنا مِن خَصائصِه وشَمائلِه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أجمعينَ . ووقَفْتُ على فَصْلٍ مَلِيحٍ فى هذا المعنى فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ » للحافظِ أبى نُعَيْمٍ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ الأصْبَهانىِّ[5] ، وهو كتابٌ حافلٌ فى ثلاثةِ مُجَلَّداتٍ ، عقَد فيه فَصْلًا فى هذا المعنى ، وكذا ذكَر ذلك الفَقيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » ، وهو كتابٌ كبيرٌ جَليلٌ حافلٌ ، مُشْتَمِلٌ على فَوائدَ نَفيسةٍ ، وكذلك الصَّرْصَرىُّ الشاعرُ يُورِدُ فى بعضِ قَصائدِه أشياءَ مِن ذلك أيضًا ، كما سيأتى ، وها أنا أذْكُرُ لك بعَوْنِ اللَّهِ تعالى مَجامعَ ما ذُكِر[6] مِن هذه الأماكنِ المُتَفَرِّقةِ[7]

(١ - ١) فى الأصل : « عمر بن سواد » ، وفى م : « عمر بن سوار » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٧.

(٢) فى الأصل ، م : « بنى » .

(٣) فى م : « البينة » .

(٤) سقط من : م .

(٥) دلائل النبوة ١/ ٣٧٣ - ٣٨٧.

(٦) فى الأصل ، م : « ذكرنا » .

(٧) سقط من : ا ١٥١.

بأوْجَزِ عِبارةٍ، وأقْصَدِ[1] إشارةٍ، وباللَّهِ المُسْتعانُ، وعليه التُّكْلانُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ، العليِّ العظيمِ.

[٥/٢٧ظ] القولُ فيما أُوتىَ نوحٌ، عليه السلامُ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٠- ١٥]. وقد ذكَرْتُ القصةَ مَبْسوطةً فى أولِ هذا الكتابِ[2]، وكيف دَعا على قومِه فنجَّاه اللَّهُ ومَن اتَّبعه مِن المؤمنين، فلم يَهْلِكْ منهم أحدٌ، وأغْرَق مَن خالَفه مِن الكافرِين، فلم يَسْلَمْ منهم أحدٌ حتى ولا ولدُه يامٌ.

قال شيخُنا العَلَّامةُ أبو المَعالى محمدُ بنُ عليٍّ الأنْصاريُّ ابنُ الزَّمْلكانيِّ، ومِن خَطِّه نَقَلْتُ: وبيانُ أن كلَّ مُعْجزةٍ لنبيٍّ فلِنبيِّنا ﷺ مثلُها[3] [4]أو أتَمُّ[4]، يسْتَدْعِى كلامًا طويلًا وتفصيلًا لا يَسَعُه مُجَلَّداتٌ عَديدةٌ، ولكن نُنَبِّهُ بالبعضِ على البعضِ، فلْنَذْكُرْ جَلائلَ مُعْجزاتِ الأنبياءِ، عليهم السلامُ.

فمنها نَجاةُ نوحٍ فى السَّفينةِ بالمؤمنين، ولا شكَّ أن حَمْلَ الماءِ للناسِ مِن غيرِ سَفينةٍ أعْظَمُ مِن السُّلوكِ عليه فى السفينةِ، وقد مشَى كثيرٌ مِن الأوْلياءِ على مَتْنِ الماءِ.

---

(١) فى م: «أقصر».
(٢) تقدم فى ١/٢٣٧ - ٢٨١.
(٣) فى م: «أمثالها».
(٤ - ٤) فى الأصل، م: «إذا تم».

وفى قصةِ العلاءِ بنِ الحَضْرَمىِّ[1] صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما يدُلُّ على ذلك، روَى [2]سهمُ بنُ[2] مِنْجابٍ قال: غزَوْنا مع العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ دَارِينَ[3]، فدَعا بثلاثِ دَعَواتٍ، فاسْتُجِيبَت له؛ نزَلْنا مَنْزِلًا فطلَب الماءَ فلم يَجِدْه، فقام فصَلَّى ركْعتَيْن وقال: اللهم إنا عَبيدُك، وفى سبيلِك، نُقاتِلُ عدوَّك، اللهم اسْقِنا غَيْثًا نتوضَّأُ به ونشْرَبُ، ولا يكونُ لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرَنا. فسِرْنا قليلًا فإذا نحن بماءٍ حينَ أقْلَعَت السماءُ عنه، فتوَضَّأْنا منه وتزَوَّدْنا، ومَلَأْتُ إداوتى وترَكْتُها مكانَها حتى أنْظُرَ هل اسْتُجِيب له أم لا، فسِرْنا قليلًا ثم قلتُ لأصْحابى: نسِيتُ إداوتى، فرجَعْتُ إلى ذلك المكانِ فكأنه لم يُصِبْه ماءٌ قطُّ، ثم سِرْنا حتى أتَيْنا دَارِينَ والبحرُ بينَنا وبينَهم، فقال: [4]يا عليمُ يا حليمُ، يا عليُّ يا عظيمُ[4]، إنا عَبيدُك، وفى سبيلِك، نُقاتِلُ عدوَّك، اللهم فاجْعَلْ لنا إليهم سبيلًا. فدخَلْنا البحرَ فلم يَبْلُغِ الماءُ لُبودَنا[5]، ومشَيْنا على مَتْنِ الماءِ ولم يَبْتَلَّ لنا شىءٌ. وذكَر بقيةَ القصةِ، قال[6]: فهذا أبْلَغُ مِن ركوبِ السفينةِ، فإنَّ حَمْلَ الماءِ للسفينةِ مُعْتادٌ، وأبْلَغُ مِن فَلْقِ البَحْرِ لموسى، فإن هناك انحَسَر الماءُ حتى مشَوْا على الأرضِ، فالمُعْجِزُ انْحِسارُ الماءِ، وهـهنا صار الماءُ جسَدًا يمْشُون عليه كالأرضِ، وإنما هذا مَنْسوبٌ إلى النبىِّ ﷺ وبرَكتِه. انتهى ما ذكَره بحروفِه فيما يَتَعَلَّقُ

---

(١) فى النسخ: «زياد». والمثبت هو الصواب؛ فإن العلاء بن زياد تابعى ليس له صحبة. انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٩٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م. وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢١٥، ٢٢/ ٤٨٥.

(٣) دارين: فُرضة بالبحرين - والفرضة: محطُّ السفن - يُجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها دارىٌّ. معجم البلدان ٢/ ٥٣٧، والوسيط (ف ر ض).

(٤ - ٤) فى الأصل: «يا على يا حكيم يا عظيم». وفى م: «يا على يا حكيم».

(٥) اللبود: جمع لِبْد، وهو ما يوضع تحت السَّرْج. الوسيط (ل ب د).

(٦) سقط من: م.

بنوحٍ ، عليه السلامُ .

وهذه القصةُ التى ساقها شيخُنا ذكَرها الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى كتابِه « الدلائلِ »[1] مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى الدنيا ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن محمدِ بنِ فُضَيْلٍ ، عن الصَّلْتِ بنِ مَطَرٍ العِجْلِىِّ ، عن عبدِ الملكِ ابنِ أختِ سَهْمٍ ، عن سهمِ ابنِ مِنْجابٍ قال : غزَوْنا مع العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ . فذكَره . وقد ذكَرها البخارىُّ فى « التاريخِ الكبيرِ »[2] مِن وجهٍ آخرَ . ورَواه البيهقىُّ[1] مِن طريقِ أبى هريرةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أنه كان مع العَلاءِ وشاهَد ذلك . وساقها البيهقىُّ[3] مِن طريقِ عيسى [4]بنِ يونُسَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ[5] عَوْنٍ ، عن أنسِ[4] بنِ مالكٍ قال : أدْرَكْتُ فى هذه الأمَّةِ ثلاثًا لو كانت فى بنى إسرائيلَ لَمَا تقاسمتْها الأُمَمُ . قلنا : ما هن يا أبا حمزةَ ؟ قال : كنا فى الصُّفَّةِ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأتَتْه امرأةٌ مُهاجرةٌ ، ومعها ابنٌ لها قد بلَغ ، فأضاف المرأةَ إلى النساءِ ، وأضاف ابنَها إلينا ، فلم يَلْبَثْ أن أصابه وَباءُ المدينةِ فمَرِض أيامًا ثم قُبِض ، فغمَّضَه النبىُّ صلَّى اللَّهُ [٥/ ٢٨و] عليه وسلَّم ، وأمَر بجِهازِه ، فلمَّا أرَدْنا أن نُغَسِّلَه قال : « يا أنسُ ، ائْتِ أمَّه فأَعْلِمْها » . فأعْلَمْتُها قال : فجاءت حتى جلَسَت عندَ قدميه ، فأخَذَت بهما ثم قالت : اللهم إنى أسْلَمْتُ لك طَوْعًا ، [6]وخلَعْتُ الأوْثانَ [7]زُهدًا[6] وهاجرتُ إليك رغبةً ، اللهم لا[7]

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥٣.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٥٣.

(٣) تقدم فى صفحة ٥١ - ٥٣.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

(٥) فى ١٥١، م : « عن ». والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٠٢، ٢٣/ ٦٤.

(٦ - ٦) فى ١٥١: « وجعلت الأوثان هدا ».

(٧ - ٧) سقط من : الأصل، م.

(١تُشْمِتْ بى عبدةَ الأوثانِ١) ولا تُحَمِّلْنى مِن هذه المُصيبةِ ما لا طاقةَ لى بحَمْلِها[٢] . قال : فواللَّهِ ما انْقَضَى كلامُها حتى حرَّك قدَميه وألْقَى الثوبَ عن وجهِه ، وعاش حتى قبَض اللَّهُ رسولَه ﷺ ، وحتى هلَكَت أمُّه . قال أنسٌ : ثم جَهَّز عمرُ بنُ الخطابِ جيشًا واسْتَعْمل عليهم العَلاءَ بنَ الحَضْرمىِّ . قال أنسٌ : وكنتُ فى غَزاتِه ، فأتَيْنا مَغازِيَنا فوجَدْنا القومَ قد نَذِروا بنا فعَفَّوْا آثارَ الماءِ والحَرُّ شَديدٌ ، فجَهَدَنا العطشُ ودوابَّنا ، وذلك يومُ الجمعةِ ، فلما مالت الشمسُ لغَرْبِها[٣] صلَّى بنا ركعتَيْن ، ثم مدَّ يدَه [٤إلى السماءِ٤] ، وما نرَى فى السماءِ شيئًا . قال : فواللَّهِ ما حطَّ يدَه حتى بعَث اللَّهُ ريحًا ، وأنْشَأ سَحابًا ، وأفْرَغَت حتى مَلأَت الغُدُرَ والشِّعابَ ، فشَرِبْنا وسقَيْنا رِكابَنا[٥] واسْتَقَيْنا . قال : ثم أتَيْنا عدوَّنا وقد جاوَز خليجًا فى البحرِ إلى جزيرةٍ ، فوقَف على الخليجِ وقال : يا علىُّ يا عظيمُ ، يا حليمُ يا كريمُ . ثم قال : أجِيزوا بسمِ اللَّهِ . قال : فأجَزْنا ما يَبُلُّ الماءُ حَوافرَ دوابِّنا ، فلم [٤نَلْبَثْ إلا يَسيرًا٤] فأصَبْنا العدوَّ غِيلةً[٦] ، فقتَلْنا وأسَرْنا وسبَيْنا ، ثم أتَيْنا الخليجَ ، فقال مثلَ مَقالتِه ، فأجَزْنا ما يَبُلُّ الماءُ حَوافرَ دوابِّنا ، [٧فلم نلبثْ إلا يسيرًا٧] . ثم ذكَر موتَ العَلاءِ ، ودفْنَهم إياه فى أرضٍ لا تَقْبَلُ الموتى ، ثم إنهم حفَروا عنه ليَنْقُلوه منها إلى غيرِها فلم يجِدوه ثَمَّ ، وإذا اللَّحْدُ يَتلألأُ نُورًا ، فأعادوا الترابَ عليه ثم ارْتَحلوا . فهذا السِّياقُ أتَمُّ ، وفيه قصةُ المرأةِ التى أحْيا اللَّهُ لها ولدَها

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى م : « بحمله » .

(٣) فى الأصل : « بمغربها » ، وفى م : « لغروبها » .

(٤ - ٤) ليس فى الدلائل .

(٥) ليس فى الدلائل .

(٦) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « عليه » . والمثبت من الدلائل .

(٧ - ٧) سقط من : ١٥١ ، م .

بدُعائِها ، وسنُنَبِّهُ على ذلك فيما يتَعَلَّقُ بمُعْجِزاتِ المَسيحِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، مع ما يُشابِهُها ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، كما سنُشِيرُ إلى قصةِ العَلاءِ هذه مع ما سنُورِدُه معها هـٰهنا فيما يتَعَلَّقُ بمُعْجزاتِ موسى ، عليه السلامُ ، فى قصةِ فَلْقِ البَحْرِ لبنى إسرائيلَ ، وقد أرْشَد إلى ذلك شيخُنا فى عُيونِ كلامِه .

قصةٌ أخْرى تُشْبِهُ قصةَ العَلاءِ بنِ الحَضْرمىّ

روَى البيهقىُّ فى « الدلائلِ » - وقد تقَدَّم ذلك أيضًا[1] - مِن طريقِ سُليمانَ ابنِ مِهْرانَ الأعْمشِ ، عن بعضِ أصحابِه قال : انْتَهَيْنا إلى دِجْلةَ وهى مادَّةٌ والأعاجمُ خلفَها ، فقال رجلٌ مِن المسلمين : بسمِ اللَّهِ . ثم اقْتَحم بفرسِه فارْتَفع على الماءِ . فقال الناسُ : بسمِ اللَّهِ . ثم اقْتَحموا فارْتَفعوا على الماءِ ، فنظَر إليهم الأعاجمُ وقالوا : ديوانٌ ، ديوانٌ . أى مَجانينُ ، ثم ذهَبوا على وُجوهِهم . قال : فما فقَد الناسُ إلا قَدَحًا كان مُعَلَّقًا بعَذَبةِ سَرْجٍ ، فلما خرَجوا أصابوا الغَنائمَ واقْتَسَموا ، فجعَل الرجلُ يقولُ : مَن يُبادِلُ صَفْراءَ ببَيْضاءَ ؟ وقد ذكَرْنا فى « السِّيرةِ العُمَريةِ » وأيامِها ، وفى « التفسيرِ »[2] أيضًا أن أولَ مَن اقْتَحَم دِجْلةَ يومَئذٍ [3]أبو عُبيدٍ الثَّقفىُّ[3] أميرُ الجيوشِ فى أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وأنه نظَر إلى دِجْلةَ فتلا قولَه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران : ١٤٥] . ثم سمَّى اللَّهَ تعالى واقْتَحم بفرسِه الماءَ ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٥٤.

(٢) التفسير ٢/ ١١٠.

(٣ - ٣) فى م : « أبو عبيدة النفيعى » . وفى التفسير : « عدى بن حجر » . وانظر أسد الغابة ٦/ ٢٠٥، والإصابة ٧/ ٢٦٨.

واقْتَحم الجيشُ وراءَه ، ولما نظَر إليهم الأعاجمُ يفْعَلون ذلك جعَلوا يقولون : ديوانُ ديوانُ . أى مجانينُ مجانينُ . ثم ولَّوْا مُدْبِرين ، فقتَلهم المسلمون وغَنِمُوا [٥/ ٢٨ظ] منهم مَغانمَ كثيرةً .

قصةٌ أخْرى شَبيهةٌ بذلك

روَى البيهقىُّ[(١)] مِن طريقِ أبى النَّضْرِ ، عن سليمانَ بنِ المُغيرةِ أن أبا مسلمٍ الخَوْلانىَّ جاء إلى دِجْلةَ وهى تَرْمِى الخشَبَ مِن مَدِّها ، فمشَى على الماءِ ، والتفَت إلى أصحابِه وقال : هل تفْقِدون مِن متاعِكم شيئًا فندْعُوَ اللَّهَ تعالى ؟ ثم قال : هذا إسنادٌ صحيحٌ .

قلتُ : وقد ذكَر الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عَساكرَ[(٢)] فى تَرْجمةِ أبى مُسلِمٍ[(٣)] عبدِ اللَّهِ بنِ ثُوَبٍ[(٤)] الخَوْلانىِّ هذه القصةَ بأبْسَطَ مِن هذا ، مِن طريقِ بَقِيَّةَ ابنِ الوَليدِ ، حدَّثنى محمدُ بنُ زِيادٍ ، عن أبى مسلمٍ الخَوْلانىِّ ، أنَّه كان إذا غَزا أرضَ الرُّومِ فمَرُّوا بنهْرٍ قال : أَجِيزوا بسمِ اللَّهِ . قال : ويَمُرُّ[(٥)] بينَ أيديهم . قال[(٦)] : [(٧)]فيَمُرُّون بالنَّهرِ الغَمْرِ فرُبَّما لم[(٧)] يَبْلُغْ مِن الدَّوابِّ إلَّا إلى الرُّكَبِ ، أو[(٨)]

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٥٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٠.

(٣) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٩٠.

(٤) فى م : « أيوب » .

(٥) فى ا ١٥ : « نهر » .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧ - ٧) فى الأصل : « فيمروا وراءه بما لم » ، وفى م : « فيمرون على الماء فما » .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « فى » .

بعضِ ذلك ، أو قريبًا مِن ذلك . قال : فإذا جازوا قال للناسِ : هل ذهَب لكم شيءٌ ؟ مَن ذهَب له شيءٌ فأنا له[1] ضامنٌ . قال : فألْقَى بعضُهم[2] مِخْلاةً عَمْدًا ، فلما جازُوا قال الرجلُ : مِخْلاتى وقَعَت فى النهرِ . قال له : اتَّبِعْنى . فإذا المِخْلاةُ قد تعَلَّقت ببعضِ أعْوادِ النهرِ ، فقال : خُذْها . وقد رَواه أبو داودَ[3] - مِن طريقِ ابنِ[2] الأعرابىِّ عنه - عن عمرِو بنِ عثمانَ ، عن بقيَّةَ به .

ثم قال أبو داودَ[4] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ ، عن حُمَيدٍ ، أنَّ أبا مسلمٍ الخَوْلانىَّ أتَى على دِجْلةَ وهى ترْمِى بالخشَبِ مِن مَدِّها ، فوقَف عليها ، ثم حمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، وذكَر مَسيرَ بنى إسرائيلَ فى البحرِ ، ثم لَهَز دابتَه فخاضَت الماءَ ، وتَبِعه الناسُ حتى قطَعوا ، ثم قال : هل فقَدْتُم شيئًا مِن مَتاعِكم فأدْعُوَ اللَّهَ أن يَرُدَّه علىَّ ؟

وقد رَواه ابنُ عَساكرَ[5] مِن طريقٍ أخرى ، عن عبدِ الكريمِ بنِ رَشيدٍ ، عن حُميدِ بنِ هلالٍ العَدَوىِّ ، حدَّثنى ابنُ عمِّى أخى أبى قال : خرَجْتُ مع أبى مسلمٍ فى جيشٍ ، فأتَيْنا على نهرِ عَجاجٍ مُنْكَرٍ ، فقُلْنا لأهلِ القريةِ : أين المَخاضَةُ ؟ فقالوا : ما كانت هـٰهنا مَخاضةٌ قطُّ[2] ولكنَّ المَخاضةَ أسفلَ منكم على ليلتَيْن . فقال أبو مسلمٍ : اللهم أجَزْتَ ببنى إسرائيلَ البحرَ ، وإنّا عِبادُك وفى سبيلِك ، فأجِزْنا هذا النهرَ اليومَ . ثم قال : اعْبُروا بسمِ اللَّهِ . قال ابنُ عمِّى : فأنا على فرسٍ فقلتُ :

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٠، من طريق أبى داود به .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٠، ٢١١، من طريق أبى داود به .

(٥) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١١.

لأَقْذِفَنَّه[1] أولَ الناسِ خلفَ فَرسِه ، [2]وكنتُ أولَ الناسِ قذَف فرسَه خلْفَ أبى مسلمٍ[2] ، فواللَّهِ ما بلَغ الماءُ بطونَ الخيلِ حتى عبرَ الناسُ كلُّهم ، ثم وقَف فقال : يا معشرَ المسلمين ، هل ذهَب لأحدٍ منكم شىءٌ فأدْعُوَ اللَّهَ تعالى أن يَرُدَّه ؟

فهذه الكَراماتُ لهؤلاء[3] الأوْلياءِ هى مِن مُعْجِزاتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما تقَدَّم تقريرُه ؛ لأنَّهم إنَّما نالوا ذلك ببرَكَةِ مُتابعَتِه ، ويُمْنِ سِفارتِه ، إذ فيها حُجَّةٌ فى الدِّينِ [4]وحاجَةٌ[4] أَكِيدةٌ للمسلمين ، وهى مُشابِهَةٌ لمُعْجِزةِ[5] نُوحٍ ، عليه السَّلامُ ، فى مَسيرِه فوقَ الماءِ بالسَّفينةِ التى أمَره اللَّهُ تعالى بعَملِها ، ومُعْجِزةِ موسى ، عليه السلامُ ، فى فَلْقِ البَحْرِ ، وهذه فيها ما هو أعْجَبُ مِن ذلك ، مِن جهةِ مَسيرِهم على مَتْنِ الماءِ مِن غيرِ حائلٍ حامِلٍ[5] ، ومِن جهةِ أنَّه ماءٌ جارٍ والسَّيْرُ عليه أعْجَبُ مِن السَّيْرِ على الماءِ القارِّ الذى يُجازُ ، وإن كان ماءُ الطُّوفانِ أطَمَّ وأعْظَمَ ، فهذه خارقٌ ، والخارقُ لا فرقَ بينَ قليلِه وكثيرِه ، فإن مَن سلَك على وجهِ الماءِ الخِضَمِّ الجارى العَجاجِ ، فلم يَبْتَلَّ منه نِعالُ خُيولِهم ، أو لم يَصِلْ إلى بطونِها ، فلا فرْقَ فى الخارقِ بينَ أن يكونَ قامةً أو ألفَ قامةٍ ، أو أن يكونَ نهرًا أو بحرًا ، بل كونُه نهرًا عَجاجًا كالبَرْقِ الخاطِفِ والسَّيْلِ الجارفِ أعظمُ وأغربُ ، وكذلك بالنسبةِ[6] إلى فَرْقِ البحرِ ، [٥/٢٩و] وهو جانبُ بحرِ القُلْزُمِ ، حتى صار كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيمِ ، أى الجبلِ الكبيرِ ، فانحاز الماءُ يمينًا وشمالًا حتى بدَت أرضُ البحرِ ،

---

(١) فى م : « لأدفعنه » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ١٥١ . وفى م : « قال » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) فى الأصل ، ١٥١ : « لهذه » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « بالتشبيه » .

وأرْسَل اللَّهُ عليها الريحَ حتى أيْبَسَتْها ، ومشَت الخيولُ عليها بلا انزِعاجٍ ، حتى جاوَزوا عن آخِرِهم ، وأقْبَل فِرْعونُ بجنودِه ، فغشِيَهم من اليمِّ ما غشيَهم ، وأضلَّ فرعونُ قومَه وما هدى ، وذلك أنَّهم لما توَسَّطوه (١ وهَمَّ أوَّلُهم ١) بالخروجِ منه أمَر اللَّهُ البحرَ فارْتَطَم عليهم فغرِقوا عن آخِرِهم ، فلم يَفْلِتْ منهم أحدٌ ، كما لم يُفْقَدْ مِن بنى إسرائيلَ واحدٌ ، ففى ذلك آيةٌ عظيمةٌ بل آياتٌ مُتَعَدِّداتٌ ، كما بسَطْنا ذلك فى « التفسيرِ » وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

والمقصودُ أنَّ ما ذكَرْناه مِن قصةِ العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ وأبى عُبَيْدٍ[٢] الثَّقفيِّ ، وأبى مسلمٍ الخَوْلانيِّ ، مِن مَسيرِهم على تيَّارِ الماءِ الجارى ، فلم يُفْقَدْ منهم أحدٌ ، ولم يَفْقِدوا شيئًا مِن أمْتعتِهم ، هذا وهم أوْلياءُ ، منهم صحابيٌّ وتابعيَّان[٣] ، فما الظنُّ (٤أن لو احْتِيج٤) إلى ذلك بحَضْرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟! سيدِ الأنبياءِ وخاتَمِهم ، وأعْلاهم منزلةً ليلةَ الإسْراءِ ، وإمامِهم ليلتَئذٍ ببيتِ المقدسِ الذى هو مَحَلُّ وِلايتِهم ، ودارُ بِدايتِهم[٥] ، وخَطيبِهم يومَ القيامةِ ، وأعلاهم منزِلةً فى الجنةِ ، وأولِ شافعٍ فى المَحْشَرِ[٦] ، وفى الخروجِ مِن النارِ ، وفى دُخولِ الجَنَّةِ ، وفى رَفْعِ الدَّرَجاتِ بها ، كما بسَطْنا أقْسامَ الشَّفاعةِ وأنواعَها فى آخرِ الكتابِ فى أهْوالِ[٧] يومِ القيامةِ ، وباللَّهِ المُسْتعانُ . وسنذْكُرُ فى المُعْجِزاتِ المُوسَوِيَّةِ ما ورَد مِن

(١ - ١) فى م : « وهموا » .

(٢) فى م : « عبد اللَّه » .

(٣) الظاهر من قول المصنف : منهم صحابى وتابعيان . أنه يريد بالصحابى العلاء بن الحضرمى ، وبالتابعيين أبا عبيد وأبا مسلم . ولكن أبو مسلم نص الأكثر على أنه صحابى ، فاللَّه أعلم . وكذا قال المصنف فى صفحة ٦٤٣ ، أن أبا عبيد أسلم فى حياة النبى ﷺ .

(٤ - ٤) فى م : « لو كان الاحتياج » .

(٥) فى ا ١٥١ : « إقامتهم » .

(٦) فى م : « الحشر » .

(٧) فى الأصل : « أحوال » .

المعجزاتِ المُحَمَّديةِ ما[1] هو أظْهرُ وأبْهَرُ منها ، ونحن الآنَ فيما يتَعَلَّقُ بمعجزاتِ نوحٍ ، عليه السَّلامُ ، ولم يَذْكُرْ شيخُنا سوى ما تقَدَّم .

وأما الحافظُ أبو نُعيمٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأصْبَهانيُّ فإنه قال فى آخرِ كتابِه فى « دلائلِ النبوةِ »[2] وهو فى مُجَلَّداتٍ ثلاثٍ : الفصلُ الثالثُ والثلاثون فى ذِكْرِ مُوازاةِ الأنْبياءِ فى فَضائلِهم بفَضائلِ نبيِّنا ، ومُقابَلةِ ما أُوتوا مِن الآياتِ بما أُوتِى . إذ أُوتِىَ ما أُوتوا وشِبْهَه ونَظيرَه ، فكان أولَ الرُّسلِ نوحٌ ، عليه السلامُ ، وآيتُه التى أُوتِىَ شِفاءُ غَيْظِه ، وإجابةُ دعوتِه فى تَعْجيلِ نِقْمةِ اللَّهِ لمُكَذِّبيه ، حتى هلَك مَن على بَسيطِ الأرضِ مِن صامتٍ وناطِقٍ ، إلا مَن آمَن به ودخَل معه سَفينتَه ، ولَعَمْرى إنَّها آيةٌ جَليلةٌ وافَقت سابقَ قَدَرِ اللَّهِ ، وما قد علِمه فى[3] إهْلاكِهم ، وكذلك نبيُّنا ﷺ لمَّا كذَّبه قومُه وبالَغوا فى أذِيَّتِه ، والاسْتهانةِ بمنزلَتِه مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، حتى ألْقَى الشَّقِيُّ[4] عُقْبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ سَلَا الجَزورِ على ظهرِه وهو ساجدٌ ، فقال : « اللهم عليك بالملأِ مِن قريشٍ » . ثم ساق الحديثَ عن ابنِ مسعودٍ ، كما تقدم ذِكرُنا له فى « صحيحِ البخاريِّ » وغيرِه[5] فى وضْعِ الملأِ مِن قريشٍ على ظهرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو ساجدٌ عندَ الكعبةِ سَلَا تلك الجَزورِ ، واسْتِضْحاكِهم مِن ذلك ، حتى جعَل[6] بعضُهم يَميلُ على بعضٍ مِن شدَّةِ الضَّحِكِ ، ولم يَزَلْ على ظهرِه حتى جاءت فاطمةُ ابنتُه ﷺ فطرَحَته عن ظهرِه ،

---

(١) فى م : « مما » .
(٢) دلائل النبوة ٢/٥٨٧ - ٦٢٥، ولم يذكر فيه نوحًا ، عليه السلام .
(٣) فى الأصل : « من » .
(٤) فى الأصل ، م : « السفيه » .
(٥) تقدم تخريجه فى ٤/١١٣، ١١٤.
(٦) سقط من : الأصل . وفى م : « إن » .

ثم أقْبَلت عليهم فسبَّتْهم[1] ، فلما سلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن صلاتِه رفَع يديه فقال : « اللهم عليك بالملأ مِن قريشٍ » . ثم سمَّى فقال : « اللهم عليك بأبى جهلِ ابنِ هشامٍ ، وعتبةَ ، وشيبةَ ، والوليدِ بنِ عُتْبةَ ، وأُميةَ بنِ خَلَفٍ ، وعُقْبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ ، وعُمارةَ بنِ الوليدِ » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْعودٍ : فوالذى بعَثه بالحقِّ لقد رأيْتُهم صَرْعَى يومَ بدرٍ ، ثم سُحِبوا إلى القَليبِ قَليبِ بدرٍ .

وكذلك لما أقْبَلت قُريشٌ [٥/ ٢٩ظ] يومَ بدرٍ فى [2]حَدِّها وحَدِيدِها[2] ، فحينَ عايَنهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال رافعًا يديه : « اللهمّ هذه قريشٌ جاءَتْك بفَخْرِها وخُيَلائِها ، تُحادُّك[3] وتُكَذِّبُ رسولَك ، اللهم أَحِنْهم[4] الغَداةَ »[5] . فقُتِل مِن سَراتِهم سبعون ، وأُسِر مِن أشْرافِهم سبعون ، ولو شاء اللَّهُ لاسْتَأْصَلَهم عن آخِرِهم ، ولكن مِن حِلْمِه[6] وشَرَفِ نبيِّه أبْقَى منهم مَن سبَق فى قَدَرِه أن سيُؤْمِنُ به وبرسولِه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، وقد دَعا على عتبةَ بنِ أبى لَهبٍ أن يُسَلِّطَ عليه كلبَه بالشامِ ، فقتَله الأسَدُ عند وادى الزَّرْقاءِ قِبَلَ مدينةِ بُصْرَى . وكم له مِن مِثْلِها ونَظيرِها [7]ما سلَف ذِكرُنا له وما لم نذكُرْه ، وكذلك دعا على قريشٍ بسَبْعٍ[7] كسَبْعِ يوسفَ فقُحِطوا حتى أكَلوا العِلْهِزَ[8] ، وهو الدَّمُ بالوبَرِ ، وأكَلوا العِظامَ وكلَّ شىءٍ ، ثم توَسَّلوا إلى مَراحِمِه وشَفَقَتِه ورأفَتِه ، فدَعا لهم ، ففرَّج اللَّهُ

---

(١) فى الأصل ، م : « تسبهم » .

(٢ - ٢) فى م : « عددها وعديدها » .

(٣) فى م : « تجادل » .

(٤) فى م : « أصبهم » .

(٥) تقدم تخريجه فى ٥/ ٨٣.

(٦) فى م : « حلم » .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) فى م : « العكبر » .

عنهم وسُقُوا الغَيْثَ ببرَكةِ دُعائِه[1] .

وقال الإمامُ الفَقيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ فى كتابِه « دلائلِ النُّبوةِ » ، وهو كتابٌ حافلٌ : ذِكْرُ ما أُوتِىَ نوحٌ ، عليه السَّلامُ ، مِن الفَضائلِ ، وبيانُ ما أُوتِىَ محمدٌ ﷺ مما يُضاهِى فَضائِلَه ويَزيدُ عليها . قالوا[2] : إنَّ قومَ نوحٍ لما بلَغوا مِن أَذِيَّتِه والاسْتِخفافِ به ، وتَرْكِ الإيمانِ بما جاءهم به مِن عندِ اللَّهِ دَعا عليهم فقال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . فاسْتَجاب اللَّهُ دَعْوتَه ، وغَرَّق قومَه ، حتى لم يَسْلَمْ شىءٌ مِن الحيواناتِ والدَّوابِّ إلا مَن رَكِب السفينةَ ، فكان ذلك فَضيلةً أُوتِيَها ، إذ أُجِيبَت دَعْوتُه ، وشُفِىَ صدرُه بإهْلاكِ قومِه . قلْنا : وقد أُوتِىَ محمدٌ ﷺ مثلَه حينَ ناله مِن قريشٍ ما ناله مِن التَّكْذيبِ والاسْتِخفافِ ، فأنْزَل اللَّهُ إليه[3] مَلَكَ الجِبالِ وأمَره بطاعتِه فيما يأْمُرُه به مِن إهْلاكِ قومِه ، فاخْتارَ الصَّبْرَ على أَذِيَّتِهم ، والابْتِهالَ فى الدُّعاءِ لهم بالهِدايةِ . قلتُ : وهذا حسنٌ ، وقد تقَدَّم الحديثُ بذلك[4] عن عائشةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قِصةِ ذَهابِه إلى الطَّائفِ ، فدَعاهم فآذَوه ، فرجَع وهو مَهْمومٌ ، فلما كان عندَ قَرْنِ الثَّعالبِ ناداه مَلَكُ الجِبالِ فقال : يا محمدُ ، إنَّ ربَّك قد سمِع قولَ قومِك وما رَدُّوا عليك ، وقد أرْسَلَنى إليك لأفْعَلَ ما تأمُرُنى به ، فإن شِئْتَ أطْبَقْتُ عليهم الأخْشَبَيْن . يعنى جَبَلَىْ مكةَ اللذَين يَكْتَنِفانِها جنوبًا وشَامًا ، وهما أبو قُبَيْسٍ وزُرْزُرٌ[5] ، فقال : « بل أسْتَأْنِى بهم لعلَّ اللَّهَ أن يُخْرِجَ مِن أصلابِهم مَن لا يُشْرِكُ

---

(١) تقدم فى ٤/٢٦٥ - ٢٦٧.

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : الأصل ، ١٥١.

(٤) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣٤١.

(٥) فى الأصل : « زررور » ، وفى م : « زر » . وانظر أخبار مكة المشرفة للأزرقى ١/ ٤٧٥، ٤٩٨.

باللَّهِ شيئًا » . وقد ذكَر الحافظُ أبو نُعيم[1] فى مُقابلةِ قولِه تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٠- ١٢] . أحاديثَ الاسْتِسقاءِ ، عن أنسٍ وغيرِه ، كما تقدَّم ذِكْرُنا لذلك فى دلائلِ النبوةِ[2] قريبًا أنَّه ﷺ سأَله ذلك الأعرابىُّ أن يدْعُوَ اللَّهَ لهم ؛ لِما بهم مِن الجَدْبِ والجُوعِ ، فرفَع يدَيه فقال : « اللهم اسْقِنا ، اللهم اسْقِنا » . فما نزَل عن المنبرِ حتى رئِىَ المطرُ يَتحادرُ على[3] لحيتِه الكريمةِ ، صلواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه ، فاسْتَحْضَر مَن اسْتَحْضَر مِن الصَّحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، قولَ عمِّه أبى طالبٍ فيه :

وأبْيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ... ثِمالَ اليَتامَى عِصْمةً للأَراملِ

يَلوذُ به الهُلَّاكُ مِن آلِ هاشمٍ ... فهُمْ عندَه فى نعمةٍ وفَواضِلِ

وكذلك اسْتَسْقَى فى غيرِ ما موضعٍ للجَدْبِ والعَطَشِ ، فيُجابُ كما يُريدُ على قَدْرِ الحاجةِ المائيةِ ، لا أزْيدَ ولا أنْقصَ ، [٥/ ٣٠و] وهذا[4] أبْلَغُ فى المعجزةِ ، (٥ وأيضًا ٥) فإنَّ هذا ماءُ رحمةٍ ونعمةٍ ، وماءُ الطُّوفانِ ماءُ غضبٍ ونِقْمةٍ ، وأيضًا فإنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كان يَسْتَسْقِى بالعبّاسِ عمِّ النبىِّ ﷺ فيُسْقَوْن[6] ، وكذلك ما زال المسلمون فى غالبِ الأزْمانِ والبُلْدانِ يسْتَسْقون فيُجابون فيُسْقَوْن ، (٧ ولا يَخِيبُون غالبًا ولا يَشْقَون ٧) ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) دلائل النبوة ٢/٤٤٨ - ٤٥٠.

(٢) تقدم فى ٨/٥٨٩ - ٦٠٣.

(٣) فى الأصل، ١٥١: «عن».

(٤) فى م: «هكذا وقع».

(٥ - ٥) سقط من: ١٥١.

(٦) تقدم تخريجه فى ٨/ ٦٠٣.

(٧ - ٧) فى م: «وغيرهم لا يجابون غالبا ولا يسقون».

قال أبو نُعيم : ولبِث نوحٌ فى قومِه ألفَ سنةٍ إلا خمسين عامًا ، فبلَغ جميعُ مَن آمَن به[1] رجالًا ونساءً ، الذين ركِبوا معه سَفينتَه ، دونَ مائةِ نفسٍ ، وآمَن بنبيِّنا ﷺ فى مدةِ عشرين سَنةً الناسُ[2] شرقًا وغَرْبًا ، ودانت له جَبابرةُ الأرضِ ومُلوكُها ، وخافت زوالَ مُلْكِهم ، ككِسْرَى وقَيْصَرَ ، وأسْلَم النَّجاشِىُّ والأقْيالُ ؛ رَغْبةً فى دينِ اللَّهِ ، والْتَزَم مَن لم يُؤْمِنْ به مِن عُظماءِ الأرضِ الجِزْيةَ والإتاوَةَ[3] عن صَغارٍ ؛ أهلُ نَجْرانَ ، وهَجَرُ ، وأيْلَةُ ، وأُكَيْدِرُ[4] دُومةَ ، فذَلُّوا له مُنْقادِين ؛ لِما أيَّده اللَّهُ به مِن الرُّعْبِ الذى يَسيرُ بينَ يديْه شهرًا ، وفتَح الفُتوحَ ، ودخَل النّاسُ فى دينِ اللَّهِ أفْواجًا ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر : ١، ٢] .

قلتُ : مات رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد فتَح اللَّهُ له المدينةَ وخيبرَ ومكةَ وأكثرَ اليمنِ وحَضْرَموتَ ، وتُوُفِّىَ عن مائةِ ألفِ صحابىٍّ أو يَزِيدُون ، وقد كتَب فى آخرِ حياتِه الكريمةِ إلى سائرِ مُلوكِ الأرضِ يَدْعوهم إلى اللَّهِ تعالى ، فمنهم مَن أجاب ، [5]ومنهم مَن توقَّف[5] ، ومنهم مَن صانَع ودارَى عن نَفْسِه ، ومنهم مَن تَكَبَّر فخاب وخسِر ، كما فعَل كِسْرَى بنُ هُرْمُزَ حينَ عتَا وبغَى وتَكَبَّر ، فمُزِّقَ مُلْكُه ، وتفرَّق جُنْدُه شَذَرَ مَذَرَ ، ثم فتَح خلفاؤُه مِن بعدِه - أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ[6] التالى على الأَثَرِ - مَشارقَ الأرْضِ ومَغاربَها ، مِن البحرِ الغربىِّ إلى البحرِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ا ١٥١ : « من الناس » .

(٣) فى م : « الإيادة » . والإتاوة : الخراج . انظر اللسان (أ ت و) .

(٤) فى م : « أنذر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م : « ثم على » .

الشرقيِّ ، كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « (١ إنَّ اللَّهَ زوَى ١) لىَ الأرضَ فرأيْتُ مَشارقَها ومَغارِبَها ، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتى ما زُوِىَ لى منها »[٢] . وقال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم : « إذا هلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، وإذا هلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه ، والذى نفسى بيدِه لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ »[٣] . وكذلك وقَع سواءً بسواءٍ ، فقد اسْتَوْسَقتْ[٤] المَمالكُ الإسْلاميةُ على مُلْكِ قَيْصَرَ وحَواصلِه إلا القُسْطَنْطِينيَّةَ ، وجميعِ مَمالكِ كِسْرَى وبلادِ المَشْرِقِ ، (٥ وإلى أقْصَى بلادِ المَغْرِبِ ٥) ، إلى أن قُتِل عثمانُ فى سنةِ ستٍّ وثلاثين ، رضِى اللَّهُ عنه ، (٦ وقبَّح قاتلِيه ٦) ، فكما عمَّت جميعَ أهلِ الأرضِ النِّقْمَةُ بدَعْوةِ نوحٍ ، عليه السلامُ ، لَمَّا رأى ما هم عليه مِن التَّمادِى فى الضَّلالِ والكُفْرِ والفُجورِ ، فدَعا عليهم ؛ غَضَبًا للَّهِ ولدينِه ورسالتِه ، فاسْتَجاب اللَّهُ له ، وغضِب لغضبِه ، وانْتَقَم منهم بسببِه ، كذلك عمَّت جميعَ أهلِ الأرْضِ النِّعْمةُ[٧] ببركةِ رسالةِ محمدٍ ﷺ ودَعْوتِه ، فآمَن مَن آمَن مِن النَّاسِ ، وقامَت الحُجَّةُ على مَن كفَر منهم ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . وكما قال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم : « إنما أنا رحمةٌ مُهْداةٌ »[٨] .

(١ - ١) فى م : « زويت » .

(٢) تقدم تخريجه فى ١/ ٣٥٣، ٦/ ٣٣.

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٣.

(٤) فى م : « استولت » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : م .

(٨) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٩٢، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/ ١٥٧، ١٥٨، وغيرهما . صحيح (السلسلة الصحيحة ٤٩٠) .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ فى كتابِ «المَبْعَثِ»[1] : حدَّثنى عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ النُّعْمانىُّ ، حدَّثنا المَسْعودىُّ عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ . قال : مَن آمَن باللَّهِ ورسلِه [2] تمَّت له الرحمةُ فى الدُّنيا والآخِرَةِ ، ومَن لم يُؤْمِنْ باللَّهِ ورُسُلِه [2] [3] عُوفِىَ مِن [3] تَعْجيلِ ما كان يُصيبُ الأُمَمَ قبلَ ذلك مِن العذابِ والفِتَنِ والقَذْفِ والخَسْفِ . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . قال ابنُ عباسٍ : النعمةُ محمدٌ ، والذين بدَّلوا نعمةَ اللَّهِ كفرًا هم كفارُ قريشٍ . يعنى : وكذلك كلُّ مَن كذَّب به مِن سائرِ الناسِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ [٥/ ٣٠ظ] مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود : ١٧] .

قال أبو نُعيمٍ : فإن قيل : فقد سمَّى اللَّهُ نوحًا ، عليه السلامُ ، باسمٍ مِن أسمائِه الحُسْنَى فقال : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] . قلنا : وقد سمَّى اللَّهُ محمَّدًا ﷺ باسْمَين مِن أسمائِه فقال : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . قال : وقد خاطَب اللَّهُ الأنبياءَ بأسمائِهم ، يا نوحُ ، يا إبراهيمُ ، يا موسى ، يا داودُ ، يا يحيى ، يا عيسى ابنَ مريمَ . وقال مُخاطِبًا لمحمدٍ ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ . وذلك قائمٌ مَقامَ الكُنْيةِ بصفةِ الشَّرَفِ . ولمَّا نسَب المشركون أنبياءَهم إلى السَّفَهِ والجُنونِ ، كلٌّ أجاب عن نفسِه ؛ قال نوحٌ : ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى

---

(١) فى م : «البعث» . والأثر أخرجه الطبرى فى تفسيرة ١٠٦/١٧ ، من طريق المسعودى به .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) فى م : «عد فيمن يستحق» .

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦١]. وكذا قال هودٌ، عليه السلامُ، ولما قال فرعونُ: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١]. قال موسى: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. (١إلى أمثالِ ذلك١). وأمّا محمدٌ ﷺ فإنَّ اللَّهَ تعالى هو الذى يتَوَلَّى (٢جوابَهم عنه٢) بنفْسِه الكريمةِ، كما قال: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٦- ٨]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٥، ٦]. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٣٠، ٣١]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤١- ٤٣]. ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢]. وقال تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١- ٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى ١٥١: «جوابه».

القولُ فيما أُوتىَ هودٌ، عليه السلامُ

قال أبو نُعيمٍ ما مَعْناه: إن اللَّهَ تعالى أهْلَكَ قومَه بالريحِ العَقيمِ، وقد كانت ريحَ غَضَبٍ، ونصَر اللَّهُ تعالى محمدًا ﷺ بالصَّبَا يومَ الأحْزابِ، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

ثم قال: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيْمةَ (ح) وحدَّثنا عثمانُ بنُ محمدٍ العُثْمانيُّ، أنا زكريا بنُ يحيى الساجيُّ، قالا: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشَجُّ، حدَّثنا حفصُ بنُ غِياثٍ[1]، عن داودَ بنِ أبى هندٍ، عن عِكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: لمّا كان يومُ الأحْزابِ انطَلَقَت الجنوبُ إلى الشَّمالِ فقالت: انطلقِى بنا ننْصُرْ محمدًا رسولَ اللَّهِ ﷺ. فقالت الشَّمالُ للجنوبِ: إن الحُرَّةَ لا تَسْرِى بالليلِ. فأرْسَل اللَّهُ عليهم الصَّبَا، فذلك قولُه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾. ويَشْهَدُ له الحديثُ المتقدِّمُ[2] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبورِ». وسيأْتِى التنبيهُ على ذلك فى معجزةِ سليمانَ بتسخيرِ الريحِ له.

القولُ فيما أُوتِىَ صالحٌ، عليه السلامُ

[٥/ ٣١و] قال أبو نُعيمٍ[3]: فإن قيل: فقد أخْرَجَ اللَّهُ لصالحٍ ناقةً مِن الصخرةِ

---

(١) فى الأصل، م: «عتاب». وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٥٦.

(٢) تقدم فى ١/ ٢٩٩.

(٣) دلائل النبوة ص ٥٩٢.

جعَلها اللَّهُ له آيةً وحُجَّةً على قومِه، وجعَل لها شِرْبَ يومٍ، ولهم شِرْبَ يومٍ معلومٍ. قلنا: وقد أعْطَى اللَّهُ محمدًا ﷺ مثلَ ذلك، بل أبْلَغَ؛ لأن ناقةَ صالحٍ لم تُكَلِّمْه ولم تَشْهَدْ له بالنبوةِ والرسالةِ، ومحمدٌ ﷺ شهِد له البعيرُ النَّادُّ بالرسالةِ، وشكَى إليه ما يَلْقَى مِن أهلِه، مِن أنهم يُجِيعونه ويُدْئِبونه[1]، ثم ساق الحديثَ بذلك، كما قدَّمْنا[2] فى دلائلِ النبوةِ بطرقِه وألفاظِه وعَزْوِه بما أغْنَى عن إعادتِه هـٰهنا، وهو فى الصِّحاحِ والحِسانِ والمَسانيدِ، وقد ذكَرْنا مع ذلك حديثَ الغَزالةِ، وحديثَ الضَّبِّ، وشهادتَهما له ﷺ بالرسالةِ[3]، كما تقَدَّم التنبيهُ على ذلك والكلامُ فيه، وثبَت الحديثُ[4] فى الصحيحِ بتسليمِ الحَجرِ عليه قبلَ أن يُبْعَثَ، وكذلك سلامُ الأشجارِ والأحجارِ والمَدَرِ عليه حينَ بُعِث صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدِّينِ.

القولُ فيما أُوتىَ إبراهيمُ الخليلُ، عليه السلامُ

قال شيخُنا العَلَّامةُ أبو المَعالى بنُ الزَّمْلَكانىِّ، رحِمه اللَّهُ وبلَّ بالرحمةِ ثراه: وأما خُمودُ النارِ لإبراهيمَ، عليه الصلاةُ والسلامُ، فقد خمَدت لنبيِّنا ﷺ نارُ فارسَ (ولم تَخْمُدْ قبلَ ذلك بألفِ عامٍ، وكان خمودُ نارِ فارسَ) لمولدِه ﷺ، وبينَه وبينَ بِعثتِه أربعون سنةً، وخمَدت نارُ إبراهيمَ لمُباشرتِه لها، وخمَدت نارُ فارسَ لنبيِّنا ﷺ وبينَه وبينَها مسافةُ أشهرٍ. كذا، وهذا الذى أشار إليه مِن

---

(١) فى م: «يريدون ذبحه».
(٢) تقدم فى صفحة ٥ - ٢٢.
(٣) تقدم فى صفحة ٣٢ - ٤٠.
(٤) تقدم فى ٨/ ٦٩٨.
(٥ - ٥) سقط من: م.

خُمودِ نارِ فارسَ ليلةَ مولدِه الكريمِ قد ذكَرْناه بأسانيدِه وطرقِه فى أولِ السيرةِ عندَ ذكْرِ المَوْلِدِ المُطَهَّرِ (١المُشَرَّفِ المُكَرَّمِ١) ، بما فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ[٢] .

ثم قال شيخُنا : مع أنه قد أُلْقِىَ بعضُ هذه الأُمَّةِ فى النارِ فلم تُؤَثِّرْ فيه ببركةِ نبيِّنا ﷺ ، منهم أبو مُسْلمٍ الخَوْلانىُّ . قال : تَنَبَّأَ[٣] الأسودُ بنُ قيسٍ العَنْسىُّ باليمنِ ، فأرْسَل إلى أبى مُسْلمٍ الخَوْلانىِّ فقال له : أَتَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ؟ قال : نعم . قال : أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ قال : ما أَسْمَعُ . فأعاد عليه ، فقال : ما أَسْمَعُ . فأمَر بنارٍ عظيمةٍ فأُجِّجَت ، وطُرِح فيها أبو مُسْلمٍ فلم تَضُرَّه . فقيل له : لئن تَرَكْتَ هذا فى بلادِك أفْسَدها عليك . فأمَره بالرَّحيلِ ، فقدِم المدينةَ وقد قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ واستُخْلِف أبو بكرٍ ، فقام إلى ساريةٍ مِن سَوارِى المسجدِ يُصَلِّى ، فبَصُر به عمرُ فقال : مِن أين الرجلُ ؟ قال : مِن اليمنِ . قال : ما فعَل عَدُوُّ[٤] اللَّهِ بصاحبِنا الذى حرَقه بالنارِ فلم تَضُرَّه ؟ قال : ذاك عبدُ اللَّهِ بنُ ثُوَبٍ[٥] . قال : نَشَدْتُك باللَّهِ أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : (٦فاعتَنَقَه ثم بكَى ، ثم ذهَب٦) به حتى أَجْلَسَه بينَه وبينَ أبى بكرٍ الصديقِ ، وقال : الحمدُ للَّهِ الذى لم يُمِتْنى حتى أرَانى فى أُمَّةِ محمدٍ ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ خليلِ الرحمنِ ، عليه السلامُ .

وهذا السِّياقُ الذى أَوْرَده شيخُنا بهذه الصفةِ قد رَواه الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عَساكرَ ، رحِمه اللَّهُ ، فى ترجمةِ أبى مسلمٍ عبدِ اللَّهِ بنِ ثُوَبٍ فى « تاريخِه »

(١ - ١) فى م : « الكريم » .

(٢) تقدم فى ٣/ ٣٩٥.

(٣) فى م : « بينما » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « ثور » ، وفى م : « أيوب » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « فقبل ما بين عينيه ثم جاء » .

مِن غيرِ وجهٍ[1] ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ نَجْدةَ[2] ، عن إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ الحِمْصىِّ[3] ، حدَّثنى شُرَحْبِيلُ[4] بنُ مُسْلمٍ الخَوْلانىُّ ، أن الأسودَ بنَ قيسِ بنِ ذى الخِمارِ[5] [٥/ ٣١ظ] العَنْسىَّ تَنَبَّأ باليمنِ ، فأرْسَل إلى أبى مُسْلمٍ الخَوْلانىِّ فأُتِىَ به ، فلما جاءه قال : أَتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ قال : ما أَسْمَعُ . قال : أَتَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ؟ قال : نعم . قال : أَتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ قال : ما أَسْمَعُ . قال : أَتَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ؟ قال : نعم . قال : فردَّد ذلك عليه مِرارًا ، ثم أمَر بنارٍ عظيمةٍ فأُجِّجَت فأَلْقى [6]أبا مُسْلِمٍ[6] فيها فلم تَضُرَّه ، فقيل للأسودِ : انْفِه عنك وإلا أفْسَد عليك مَن اتَّبعك . فأمَره ، فارتَحَل أبو مسلمٍ ، فأتَى المدينةَ وقد قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ واسْتُخْلِف أبو بكرٍ ، فأناخ أبو مُسلمٍ راحلتَه ببابِ المسجدِ ، ثم دخَل المسجدَ وقام يُصَلِّى إلى ساريةٍ ، وبصُر به عمرُ بنُ الخطابِ فأتاه فقال : ممَّن الرجلُ ؟ فقال : مِن أهلِ اليمنِ . قال : ما فعَل الرجلُ الذى حرَقه الكَذَّابُ بالنارِ ؟ قال : ذاك عبدُ اللَّهِ بنُ ثُوَبٍ . قال : فأنْشُدُك باللَّهِ أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : فاعْتَنَقه [7]وبكى[7] ، ثم ذهَب به حتى أجْلَسه بينَه وبينَ أبى بكرٍ الصديقِ ، فقال : الحمدُ اللَّهِ الذى لم يُمِتْنى حتى أَرانى فى[8] أُمَّةِ محمدٍ ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ خَليلِ الرحمنِ . قال

---

(١) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) فى الأصل ، م : « محمد » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥١٩.

(٣) فى م : « الحطيمى » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦٣.

(٤) فى م : « شراحيل » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٣٠.

(٥) فى الأصل ، م : « الحمار » . قال البلاذرى فى فتوح البلدان ١/ ١٢٥: كان له حمار معلَّم يقول له : اسجد لربك . فيسجد ، ويقول له : ابرك . فيبرك ، فسمى ذا الحمار . وقال بعضهم : هو ذو الخِمار . لأنه كان متخَمِّرا مُعْتَمًّا أبدا .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) فى م : « من » .

إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ : فأنا أدْرَكْتُ رِجالًا مِن الأمدادِ[1] الذين يُمَدُّون إلينا مِن اليمنِ؛ مِن خَوْلانَ ، ربما تمازَحوا فيقولُ الخَوْلانيُّون للعَنْسِيِّين : صاحبُكم الكَذَّابُ حرَق صاحبَنا بالنارِ فلم تَضُرَّه .

وروَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ أيضًا[2] مِن غيرِ وجهٍ ، عن إبراهيمَ بنِ دُحَيْمٍ : حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، حدَّثنا الوليدُ ، أخْبَرنى سعيدُ بنُ بَشيرٍ ، عن أبى بشرٍ جعفرِ ابنِ أبى وَحْشِيَّةَ ، أن رجلًا [3]مِن خَوْلانَ[3] أسْلَم ، فأراده قومُه على الكفرِ ، فألْقَوْه فى نارٍ فلم يَحْتَرِقْ منه إلا أُنْمُلَةٌ[4] لم يَكُنْ فيما مضَى يُصيبُها الوَضوءُ ، فقدِم على أبى بكرٍ فقال : اسْتَغْفِرْ لى . قال : أنت أحقُّ . قال أبو بكرٍ : إنك أُلْقِيتَ فى النارِ فلم تَحْتَرِقْ . فاسْتَغْفَر له ، ثم خرَج إلى الشامِ ، فكانوا يُشَبِّهونه[5] بإبراهيمَ ، عليه السلامُ .

وهذا الرجلُ هو أبو مُسلمٍ الخَوْلانىُّ ، وهذه الروايةُ بهذه الزيادةِ تُحَقِّقُ أنه إنما نال ذلك ببركةِ مُتابعتِه الشريعةَ المحمديَّةَ المُطَهَّرةَ المُقَدَّسةَ ، كما جاء فى حديثِ الشفاعةِ : « وحرَّم اللَّهُ على النارِ أن تأْكُلَ مَواضعَ السجودِ »[6] . وقد نزَل أبو مُسلمٍ بدارَيَّا مِن غَرْبىِّ دِمشقَ ، وكان لا يَسْبِقُه أحدٌ إلى المسجدِ الجامعِ بدِمشقَ وقتَ الصبحِ ، وكان يُغازِى فى بلادِ الرومِ ، وله أحوالٌ وكَراماتٌ كثيرةٌ جدًّا ، وقبرُه مشهورٌ بدارَيَّا ، والظاهرُ أنه مُقامُه الذى كان يكونُ فيه ، فإن الحافظَ ابنَ عَساكرَ رجَّح أنه مات ببلادِ الرومِ ، فى خِلافةِ مُعاويةَ[7] ، وقيل : فى أيامِ ابنِه

---

(١) الأمداد : جمع مَدَد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يَمُدُّون المسلمين فى الجهاد . النهاية ٤/٣٠٨ .
(٢) تاريخ دمشق ٢٧/ ١٩٩.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى ا ١٥١: « أنملته » ، وفى تاريخ دمشق : « أمكنة » .
(٥) فى م : « يسمونه » .
(٦) أخرجه البخارى (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧) .
(٧) تاريخ دمشق ٢٧/٢٣٠ - ٢٣٢.

يزيدَ ، بعدَ الستين . واللَّهُ أعلمُ . وقد وقَع لأحمدَ بنِ أبى الحَوَارىِّ [1] مع شيخِه أبى سليمانَ الدَّارانىِّ قصةٌ تُشْبِهُ هذا ، كما رواه الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ فى « تاريخِه » [2] ، فى ترجمةِ أحمدَ بنِ أبى الحوارىِّ [1] مِن غيرِ وجهٍ : أنه جاء إلى أُستاذِه أبى سليمانَ يُعْلِمُه أن التَّنُّورَ قد سَجَروه ، وأهلُه ينْتَظِرون ما يأمُرُهم به ، فوجَده يُكَلِّمُ الناسَ وهم حولَه ، فأَعْلَمه [3] بذلك ، فاشْتَغل عنه بالناسِ ، [4] ثم أَعْلَمَه فلم يَلْتَفِتْ إليه [4] ، ثم أعْلَمه مع أولئك الذين حولَه ، [5] فقال له وهو مُغْضَبٌ : اذْهَبْ فاجْلِس فيه . ثم تشاغل بالحديثِ مع أولئك الذين حولَه [5] ، وذهَب أحمدُ بنُ أبى الحَوَارىِّ إلى التَّنُّورِ ، فجلَس فيه وهو يَتَضَرَّمُ نارًا ، فكان عليه بَرْدًا وسَلامًا ، وما زال فيه حتى اسْتَيْقظ أبو سليمانَ مِن كلامِه ، فقال لِمَن حولَه : قوموا بنا إلى أحمدَ بنِ أبى الحَوارىِّ ، فإنى أَظُنُّه قد ذهَب إلى التَّنُّورِ فجلَس فيه امْتِثالًا لِمَا أمَرْتُه به ، فذهَبوا فوجَدوه جالسًا فيه ، فأخَذ بيدِه الشيخُ أبو سليمانَ وأخْرَجه منه ، رحمةُ اللَّهِ عليهما ، ورضِى اللَّهُ عنهما .

وقال شيخُنا أبو المَعالى : وأمَّا إلقاؤُه - يعنى إبراهيمَ عليه السلامُ - مِن المَنْجَنِيقِ ، فقد وقَع فى حديثِ [٥/ ٣٢و] البَراءِ بنِ مالكٍ فى وَقْعةِ مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ ، وأن أصحابَ مُسَيْلِمةَ انْتَهَوْا إلى حائطٍ حَفيرٍ [6] فتحَصَّنوا به وأغْلَقوا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقطت ترجمة أحمد بن أبى الحوارى ضمن مجموعة تراجم سقطت من تاريخ دمشق . والقصة بنحوها فى مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٣. كما أوردها الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٣، وقال عنها أنها حكاية منكرة .

(٣) فى الأصل : « فأمره » ، وفى م : « فأخبره » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وفى م : « فقال : اذهب فاجلس فيه » .

(٦) فى ا ١٥١: « حصن » .

البابَ ، فقال البَراءُ بنُ مالكٍ : ضَعونى على تُرْسٍ[1] ، واحْمِلونى على رءوسِ الرِّماحِ ، ثم ألْقُونى مِن أعْلاها داخلَ البابِ . ففعَلوا ذلك وألْقَوْه عليهم ، فوقَع وقام وقاتَل المشركين [2]حتى قتَل عشَرةً أو أكثرَ ، وفتَح البابَ للمسلمين ، فكان سببَ هلاكِ المشركين[2] وقَتْلِ مُسَيْلِمةَ .

قلتُ : وقد ذكَرتُ ذلك مُسْتَقْصًى فى أيامِ الصِّدِّيقِ حينَ بعَث خالدَ بنَ الوليدِ لقِتالِ مُسَيْلِمةَ وبنى حَنيفةَ ، وكانوا فى قريبٍ مِن مائةِ ألفٍ أو يَزيدون ، وكان المسلمون بِضْعةَ عشَرَ ألفًا ، فلما الْتَقَوْا جعَل كثيرٌ مِن الأعْرابِ يَفِرُّون ، فقال المهاجرون والأنصارُ : أَخْلِصْنا يا خالدُ . فميَّزهم عنهم ، فكان المهاجرون والأنصارُ قريبًا مِن ألفين وخمسِمائةٍ ، فصمَّموا الحَمْلةَ وجعَلوا يَتَذَامَرون[3] ويقولون : يا أصحابَ سورةِ « البقرةِ » ، بطَل السِّحْرُ اليومَ . فهزَموهم بإذنِ اللَّهِ وألْجَئوهم إلى حَديقةٍ هنالك - وتُسَمَّى حَديقةَ الموتِ - فتحَصَّنوا بها ، فحصَروهم فيها ، ففعَل البَراءُ بنُ مالكٍ ، أخو أنسِ بنِ مالكٍ ، وكان الأكْبرَ ، ما ذُكِر مِن رَفْعِه على تُرْسِه[4] فوقَ الرِّماحِ حتى تمكَّن مِن أعْلى سُورِها ، ثم ألْقَى نفسَه عليهم ونهَض سريعًا إليهم ، ولم يزَلْ يُقاتِلُهم وحدَه ويُقاتِلونه حتى تمكَّن مِن فتحِ بابِ الحَديقةِ ، ودخَل المسلمون يُكَبِّرون وانْتَهَوا إلى قصرِ مُسَيْلِمَةَ وهو واقفٌ خارجَه عندَ ثُلْمَةِ جِدارٍ ، كأنه جملٌ أَوْرَقُ[5] ، أى مِن سُمْرتِه ، فابْتَدره وَحْشِيُّ بنُ حربٍ الأسْودُ قاتلُ حمزةَ بحربتِه ، وأبو دُجانةَ سِماكُ ابنُ خَرَشةَ

---

(١) فى م : « برش » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : ١٥١ . وفى م : « يتدابرون » . ويتذامرون : يتجمعون ويتحاضُّون على القتال .

(٤) فى م : « الأسنة » .

(٥) فى م : « أزرق » .

الأنْصاريُّ - وهو الذى يَنْتَسِبُ إليه شيخُنا هذا أبو المعالى بنُ الزَّمْلكانيِّ - فسبَقه وَحْشِيٌّ فأرْسَل الحَرْبةَ عليه مِن بُعْدٍ فأنْفَذها منه ، وجاء إليه أبو دُجانةَ فعلاه بسيفِه فقتَله ، لكن صرَخت جاريةٌ مِن فوقِ القصرِ [1] تَنْدُبُ مُسَيْلِمةَ ، فقالت : واأميرَ المؤمنيناه [1] ، قتَله العبدُ الأسودُ . ويقالُ : إن عُمْرَ مُسَيْلِمةَ ، لعَنه اللَّهُ ، يومَ قُتِل مائةٌ وأربعون سنةً . فهو ممن طال عمرُه وساء عملُه ، قبَّحه اللَّهُ . هذا ما ذكَره شيخُنا فيما يتَعَلَّقُ بإبراهيمَ الخليلِ ، عليه السلامُ .

وأما الحافظُ أبو نُعيمٍ فإنه قال [2] : فإن قيل : فإن إبراهيمَ خُصَّ بالخُلَّةِ مع النبوةِ . قيل : فقد اتَّخَذ اللَّهُ محمدًا خليلًا وحَبيبًا ، والحَبيبُ أَلْطَفُ مِن الخليلِ .

ثم ساق مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحْوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلًا ، ولكن صاحبُكم خليلُ اللَّهِ » .

وقد رواه مسلمٌ [3] مِن طريقِ شعبةَ والثَّوْرىِّ ، عن أبى إسحاقَ ، ومِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى الهُذَيْلِ ، كلُّهم عن أبى الأحْوصِ عوفِ بنِ مالكٍ الجُشَميِّ [4] قال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ يُحَدِّثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « لو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلًا ، ولكنه أخى وصاحبى ، وقد اتخَذ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، صاحبَكم خليلًا » . هذا لفظُ مسلمٍ . ورَواه مسلمٌ أيضًا مُنْفرِدًا به ، عن جُنْدُبِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلىِّ ، كما سأذكُره . وأصلُ الحديثِ

(١ - ١) فى الأصل : « فقالت : وا أمير المؤمنيناه » ، وفى م : « وا أميراه » .

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٨٧.

(٣) مسلم (٣، ٤، ٥/٢٣٨٣) .

(٤) سقط من : الأصل ، ١٥١، وفى م : « الجشيمى » . وانظر الأنساب ٢/ ٦١، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤٥.

فى « الصحيحَيْن »[1] عن أبى سعيدٍ ، وفى أفْرادِ البخارىِّ[2] ، عن ابنِ عباسٍ وابنِ الزبيرِ ، كما سُقْتُ ذلك فى فَضائلِ الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقد أوْرَدْناه هنالك مِن روايةِ أنسٍ ، والبَراءِ ، وجابرٍ ، وكعبِ بنِ مالكٍ ، [3]وأبى سعيدِ بنِ المُعَلَّى[3] ، وأبى هريرةَ ، وأبى واقدٍ اللَّيْثىِّ ، وعائشةَ أمِّ المؤمنين ، رضى اللَّهُ عنهم أجْمعين . ثم إنما رَواه أبو نُعيمٍ[4] مِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ ، عن علىِّ بنِ يَزيدَ ، عن القاسمِ ، عن أبى أُمامةَ ، عن كعبِ بنِ مالكٍ أنه قال : عهدى بنبيِّكم ﷺ [5]قبل وفاتِه [٥/ ٣٢ظ] بخمسةِ أيامٍ[5] ، فسمِعْتُه يقولُ : « لم يَكُنْ نبىٌّ إلَّا له خليلٌ مِن أمتِه ، وإن خليلى أبو بكرٍ ، وإن اللَّهَ اتَّخَذ صاحبَكم خليلًا » . وهذا الإسنادُ ضعيفٌ .

ومِن حديثِ محمدِ بنِ عَجْلانَ[6] ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لكل نبىٍّ خليلٌ ، وخليلى أبو بكرِ بنُ أبى قُحافةَ ، وخليلُ صاحِبِكم الرحمنُ » . وهو غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

ومِن حديثِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الضَّحَّاكِ[7] ، عن إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن كَثيرِ بنِ مُرَّةَ ، عن

---

(١) البخارى (٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤) ، ومسلم (٢/٢٣٨٢) .

(٢) البخارى (٤٦٧، ٣٦٥٨) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « وأبى بن المعلى » . وفى م : « وأبى الحسين بن العلى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٤٨.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٩/ ٤١ (٨٩) ، من طريق عبيد اللَّه بن زَحْرٍ به .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) أورده صاحب كنز العمال (٣٢٥٩٨) ، وعزاه إلى أبى نعيم .

(٧) أخرجه العقيلى فى الضعفاء ٣/ ٧٨، من طريق عبد الوهاب به . وابن الجوزى فى الموضوعات ٢/ ٣٢.

عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ اتخذنى خليلًا كما اتَّخذ إبراهيمَ خليلًا ، ومنزلى ومنزِلُ إبراهيمَ فى الجنةِ تُجاهَيْن ، والعباسُ بينَنا مؤمنٌ بينَ خَليلَيْن » . غريبٌ وفى إسنادِه نظَرٌ . انتهى ما أوْرَده أبو نُعيمٍ ، رحِمه اللَّهُ .

وقال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ فى « صحيحِه »[1] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : حدَّثنا زكريا بنُ عَدِىٍّ ، حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا زيدُ بنُ أبى أُنَيْسةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، حدَّثنى جُنْدُبُ بنُ عبدِ اللَّهِ قال : سمِعْتُ النبىَّ ﷺ قبلَ أن يموتَ بخمسٍ وهو يقولُ : « إنى أَبْرَأُ إلى اللَّهِ ، عز وجل ، أن يكونَ لى منكم[2] خليلٌ ؛ فإن اللَّهَ قد اتَّخذنى خليلًا ، كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا مِن أمتى خليلًا لاتخذْتُ أبا بكرٍ خليلًا ، ألا وإن مَن كان قبلكم كانوا يتَّخِذون قُبورَ أنبيائِهم وصالِحيهم مساجدَ ، ألا فلا تتَّخِذوا القبورَ مَساجدَ ، إنى أنهاكم عن ذلك » . وأما اتِّخاذُه حبيبًا[3] فلم يتعَرَّضْ لإسنادِه أبو نُعيمٍ .

وقد قال هشامُ بنُ عمَّارٍ فى كتابِه « المَبْعَثِ » : حدَّثنا يحيى بنُ حمزةَ الحَضْرمىُّ وعثمانُ بنُ عَلَّاقٍ[4] القرشىُّ ، قالا : حَدَّثنا عروةُ بنُ رُوَيْمٍ اللَّخْمىُّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن اللَّهَ أدْرَك بى الأجلَ المَرْقومَ ، وأخَذنى المقْرُبةَ ، واحْتَضَرنى احْتِضارًا ، فنحن الآخِرون ، ونحن السابقون يومَ القيامةِ ، وأنا قائلٌ قولًا غيرَ فَخْرٍ : إبراهيمُ خليلُ اللَّهِ ، وموسى صَفِىُّ اللَّهِ ، وأنا حَبيبُ اللَّهِ ، وأنا سيِّدُ

---

(١) مسلم (٥٣٢/٢٣) .

(٢) فى م : « بينكم » .

(٣) فى م : « حسينا خليلا » .

(٤) فى الأصل ، م : « علان » . وهو مما قيل فى اسمه . انظر الإكمال ٧/ ٣١، وتهذيب التهذيب ٧/ ١١٠، والتقريب ٢/ ٧.

ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ، وإن معى[1] لِواءَ الحمدِ ، [2]تحتَه كلُّ نبىٍّ وصِدِّيقٍ وشهيدٍ يومَ القيامةِ ، وأنا أولُ من تُفْتَحُ له أبوابُ الجنةِ[2] ، وأجارنى اللَّهُ عليكم مِن ثلاثٍ ؛ أن لا يُهْلِكَكم بسَنَةٍ ، وأن لا يَسْتَبِيحَكم عدُوٌّ ، وأن لا تَجْتَمِعوا على ضَلالةٍ » .

وأما الفَقيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حامدٍ فتكَلَّم على مَقامِ الخُلَّةِ بكلامٍ طويلٍ إلى أن قال : ويقالُ : الخليلُ الذى يَعْبُدُ ربَّه على الرَّغْبةِ والرَّهْبةِ ، مِن قولِه : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] . مِن كثرةِ ما يقولُ : أَوْهِ . والحَبيبُ الذى يَعْبُدُ ربَّه على الرُّؤْيةِ والمحبةِ . ويقالُ : الخليلُ الذى يكونُ معه انْتِظارُ العَطاءِ ، والحَبيبُ الذى يكونُ معه انتظارُ اللِّقاءِ . ويقالُ : الخليلُ الذى يَصِلُ بالواسطةِ . مِن قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] . والحَبيبُ الذى يَصِلُ به إليه[3] . مِن قولِه : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٩] . وقال الخليلُ : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢] . وقال اللَّهُ للحَبيبِ محمدٍ ﷺ : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] . وقال الخليلُ : ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء : ٨٧] . وقال اللَّهُ للنبىِّ ﷺ : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [التحريم : ٨] . وقال الخليلُ حينَ أُلْقى فى النارِ[4] : حسبى اللَّهُ ونعم الوكيلُ . وقال اللَّهُ لمحمدٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] . وقال الخليلُ : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] . وقال اللَّهُ لمحمدٍ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى : ٧] . وقال

---

(١) فى م : « بيدى » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) فى م : « من غير واسطة » .
(٤) أخرجه البخارى (٤٥٦) .

الخليلُ : ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٤] . وقال اللَّهُ لمحمدٍ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] . وقال الخليلُ : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] . وقال اللَّهُ للحَبيبِ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ [٥/ ٣٣و] عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . وقال الخليلُ : ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الشعراء : ٨٥] . وقال اللَّهُ لمحمدٍ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] . وذكَر أشياءَ أُخَرَ ، وسيأتى الحديثُ فى « صحيحِ مسلمٍ » عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنى سأقومُ مَقامًا يومَ القيامةِ يَرْغَبُ إلىَّ الخَلْقُ كلُّهم حتى [(١)] إبراهيمُ الخَليلُ » . فدَلَّ على أنه [(٢)] أفْضَلُ منه ، إذْ هو مُحْتاجٌ [(٢)] إليه فى ذلك المَقامِ ، ودَلَّ على أن إبراهيمَ أفْضَلُ الخَلْقِ بعدَه ، ولو كان أحدٌ أفْضلَ مِن إبراهيمَ بعدَه لذكَره .

ثم قال أبو نُعيمٍ [(٣)] : فإن قيل : إن إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، حُجِب عن نُمْرودَ بحُجُبٍ ثلاثةٍ . قيل : فقد كان كذلك ، وحُجِب محمدٌ ﷺ عمن [(٤)] أرادوا قتلَه [(٤)] بخمسةِ حُجُبٍ ، قال اللَّهُ تعالى فى أمْرِه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٩] . فهذه ثلاثٌ . ثم قال : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] . ثم قال : ﴿ فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ [يس : ٨] . فهذه خمسةُ حُجُبٍ . وقد ذكَر مثلَه سواءً الفَقيهُ أبو محمدِ بنُ حامدٍ ،

---

(١) بعده فى م : « أبوهم » .

(٢ - ٢) فى م : « أفضل إذ هو يحتاج » .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٥٨٧ .

(٤ - ٤) فى م : « أرادوه » .

(١) وما أدْرِى أيُّهما أخَذ مِن الآخَرِ (١)؟ واللَّهُ أعلمُ. وهذا الذى قاله غريبٌ، (٢) والحُجُبُ التى ذكَرها لإبراهيمَ، عليه السلامُ، لا أدرى ما هى، كيف وقد ألْقاه فى النارِ التى نجَّاه اللَّهُ منها؟! وأما ما ذكَره مِن الحُجُبِ المستدَلِّ عليها بهذه الآياتِ، فقد قيل: إنها جميعَها مَعْنويةٌ لا حِسِّيةٌ، بمعنى أنهم مُصْرَفون عن الحقِّ، لا يَصِلُ إليهم، ولا يَخْلُصُ إلى قلوبِهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]. وقد حرَّرْنا ذلك فى «التفسيرِ»، وقد ذكَرْنا فى السيرةِ وفى «التفسيرِ» (٣) أن أمَّ جَميلٍ امرأةَ أبى لَهبٍ لمّا نزَلت السورةُ فى ذمِّها وذمِّ زوجِها، ودخولِهما النارَ، وخَسارِهما، جاءت بفِهْرٍ، وهو الحجرُ الكبيرُ المستطيلُ (٤)؛ لتَرْجُمَ النبىَّ ﷺ، فانْتَهَت إلى أبى بكرٍ وهو جالسٌ عندَ النبىِّ ﷺ، فلم ترَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وقالت لأبى بكرٍ: أين صاحبُك؟ فقال: وما له؟ فقالت: إنه هَجانى. فقال: وما هَجاكِ؟ فقالت: واللَّهِ لئن رأيْتُه لأضْرِبَنَّه بهذا الفِهْرِ. ثم رجَعَت وهى تقولُ: مُذَمَّمًا أبَيْنا ودينَه قَلَيْنا. وكذلك حُجِب ومُنِع مِن أبى جهلٍ حين هَمَّ أن يَطَأَ برِجْلِه على رأسِ النبىِّ ﷺ وهو ساجدٌ، فرأَى خَنْدَقًا (٥) مِن نارٍ وهَوْلًا عظيمًا، وأجْنِحةَ الملائكةِ دونَه، فرجَع القَهْقَرَى وهو يَتَّقى بيديه، فقالت له قريشٌ: ما لك؟ ويحَك! فأخْبَرهم بما رأَى، وقال النبىُّ ﷺ: «لو أقْدَم لاخْتَطَفَته الملائكةُ عُضْوًا عُضْوًا» (٦). وكذلك لمّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ

(١ - ١) سقط من: ١٥١.

(٢) من هنا حتى قوله: «وكل واحد يكذبه بعقله». فى صفحة ٣٤٢ خرم فى «١٥١».

(٣) التفسير ٨/٥٣٤ - ٥٣٧.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «جدثا».

(٦) تقدم تخريجه فى ٤/١١٢.

الهجرةِ وقد أرْصَدوا على مَدْرَجَتِه وطريقِه وحوالَىْ[1] بيتِه رجالًا يَحْرُسونه ؛ لئلا يَخْرُجَ ، ومتى عايَنوه قتَلوه ، فأمَر عليًّا فنام على فراشِه ، ثم خرَج عليهم وهم جلوسٌ ، فجعَل يَرشُّ[2] على رأسِ كلِّ إنسانٍ منهم تُرابًا ويقولُ : « شاهَت الوجوهُ » . [3]ثم خرَج ولم[3] يَرَوْه حتى صار هو وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ إلى غارِ ثَوْرٍ ، كما بسَطْنا ذلك فى السيرةِ ، وكذلك ذكَرْنا أن العَنْكَبُوتَ سَدَّ على بابِ الغارِ ؛ ليُعَمِّىَ اللَّهُ عليهم مَكانَه .

وفى « الصحيحِ »[4] أن أبا بكرٍ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، لو نظَر أحدُهم إلى مَوْضِعِ قدميه لأبْصَرَنا . فقال : « يا أبا بكرٍ ، ما ظَنُّك باثنَين اللَّهُ ثالثُهما ؟ » . وقد قال بعضُ الشُّعراءِ فى ذلك :

نسْجُ داودَ ما حمَى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفَخارُ للعَنْكَبوتِ

وكذلك حُجِب ومُنِع مِن سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُم حينَ اتَّبعهم ، بسُقوطِ قَوائمِ فرسِه فى الأرْضِ ، حتى أخَذ منه أمانًا ، كما تقَدَّم[5] [٥/٣٣ظ] بَسْطُه فى الهجرةِ .

وذكَر ابنُ حامدٍ فى كتابِه فى مُقابلةِ إضْجاعِ إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، ولَدَه للذَّبحِ مُسْتَسْلِمًا لأمْرِ اللَّهِ تعالى ، بَذْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ نفسَه[6] للقتلِ يومَ أحدٍ وغيرَه حتى نال منه العدُوُّ ما نالوا ؛ مِن هَشْمِ رأسِه ، وكَسْرِ ثَنِيَّتِه اليُمْنَى السُّفْلَى ،

---

(١) فى م : « أرسلوا إلى » .
(٢) فى م : « يذر » .
(٣ - ٣) فى م : « فلم » .
(٤) تقدم تخريجه فى ٤/ ٤٥٥.
(٥) تقدم فى ٤/ ٤٦٦.
(٦) سقط من : الأصل .

كما تقدَّم[1] بَسْطُ ذلك فى السيرةِ .

ثم قال : قالوا : كان إبراهيمُ ، عليه السلامُ ، أُلْقاه قومُه فى النارِ فجعَلها اللَّهُ بَرْدًا وسلامًا . قلنا : وقد أُوتىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَه ، وذلك أنه لمّا نزَل بخَيْبرَ سمَّتْه الخَيْبريَّةُ ، فصُيِّرَ ذلك السُّمُّ فى جَوْفِه بَرْدًا وسَلامًا[2] إلى مُنْتَهى أجلِه ، والسُّمُّ يَحرِقُ - إذ لا يَسْتَقِرُّ فى الجَوْفِ - كما تَحْرِقُ النارُ . قلتُ : وقد تقدَّم[3] الحديثُ بذلك فى فتحِ خَيْبرَ ، ويُؤَيِّدُ ما قاله أن بِشْرَ بنَ البَرَاءِ بنِ مَعْرورٍ مات سَريعًا مِن تلك الشاةِ المَسْمومةِ ، وأخْبَر ذِراعُها رسولَ اللَّهِ ﷺ بما أُودِع فيه مِن السُّمِّ ، وكان قد نهَش منه نَهْشةً ، وكان السُّمُّ فيه أكثرَ ؛ لأنَّهم كانوا يَفْهَمون أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، يُحِبُّ الذِّراعَ ، فلم يَضُرَّه السُّمُّ الذى حصَل فى باطنِه بإذنِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، حتى انْقَضى أجلُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فذكَر أنه وجَد حينَئذٍ مِن ألمِ ذلك السُّمِّ الذى كان فى تلكِ الأُكْلةِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه . وقد ذكَرْنا فى ترجمةِ خالدِ بنِ الوَليدِ المَخْزوميِّ فاتحِ بلادِ الشامِ أنه أُتِىَ بسُمٍّ فتحسَّاه بحَضْرةِ الأعْداءِ ؛ ليُرْهِبَهم بذلك ، فلم يَرَ بأسًا ، رضِى اللَّهُ عنه .

ثم قال أبو نُعيمٍ : فإن قيل : فإن إبراهيمَ خَصَم نُمْرودَ ببُرهانِ نبوتِه فبهَتَه ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] . قيل : محمدٌ ﷺ أتاه المُكَذِّبُ بالبَعْثِ أُبَىُّ بنُ خَلَفٍ بعَظْمِ بالٍ ففرَكه وقال : ﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨] . فأنزَل اللَّهُ تعالى البرهانَ الساطعَ : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٩] . فانْصَرف مَبْهوتًا ببُرهانِ

---

(١) تقدم فى ٥/ ٣٩٤.

(٢) بعده فى الأصل : « كما ترك » .

(٣) تقدم فى ٦/٣٢٤ - ٣٣٣.

نبوتِه . قلتُ : وهذا أقْطَعُ للحُجةِ ، وهو استدلالُه على المَعادِ بالبَداءةِ ، فالذى خلَق الخَلْقَ بعدَ أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا قادرٌ على إعادتِهم ، كما قال : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ [1] بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس : ٨١] . أى يُعيدُهم كما بدَأهم كما قال فى الآيةِ الأُخْرى[1] : ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] . وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [الروم : ٢٧] . هذا وأمْرُ المَعادِ نظَرِىٌّ لا فِطْرِىٌّ ، ضَرورِىٌّ فى قولِ الأكْثرِين ، فأمَّا الذى حاجَّ إبراهيمَ فى ربِّه فإنه مُعانِدٌ مُكابِرٌ ، فإن وجودَ الصانعِ مَذْكورٌ فى الفِطَرِ ، وكلُّ واحدٍ مَفْطورٌ على ذلك ، إلا مَن تغيَّرت فِطْرتُه ، فيَصيرُ نظريًّا عندَه ، وبعضُ المتكلِّمين يَجْعَلُ وجودَ الصانعِ مِن بابِ النَّظَرِ لا الضَّرُورِيَّاتِ ، وعلى كلِّ تقديرٍ فدَعْواه أنه هو الذى يُحْيى [2] ويميتُ[2] لا يَقْبَلُه عَقْلٌ ولا سَمْعٌ ، وكلُّ واحدٍ يُكَذِّبُه بعقْلِه فى ذلك ، ولهذا ألْزَمه إبراهيمُ بالإتْيانِ بالشمسِ مِن المغربِ إن كان كما ادَّعَى : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] . وكان ينْبَغى أن يَذْكُرَ مع هذا أن اللَّهَ تعالى سلَّط نَبِيَّه محمدًا ﷺ على هذا المُعاندِ لمَّا بارَز النبىَّ ﷺ يومَ أُحدٍ ، فقتَله بيدِه الكريمةِ ؛ طعَنه بحربةٍ فأصاب تَرْقُوَتَه فتدأْدَأ[3] عن فرسِه مِرارًا ، فقالوا له : ويحَك ما لك ؟! فقال : واللَّهِ إنَّ بى لَما لو كان بأهلِ ذى [٥/ ٣٤و] المَجازِ لَماتوا أجمعين ، ألم يقلْ : « بل أنا أَقْتُلُه ؟ » واللَّهِ لو بصَق علىَّ لقتَلنى . وكان أُبَىٌّ هذا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى م : « الموتى » .

(٣) فى م : « فتردى » . وتدأدأ : أى تدحرج . النهاية ٢/ ٩٥ .

لعَنه اللَّهُ ، قد أعَدَّ فَرَسًا وحَرْبةً ليَقْتُلَ بها عليها[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « بل أنا أقْتُلُه إن شاء اللَّهُ » . فكان كذلك يومَ أُحدٍ .

ثم قال أبو نُعيمٍ[2] : فإن قيل : فإن إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، كسَر أصنامَ قومِه غَضَبًا للَّهِ . قيل : فإن محمدًا ﷺ كسَرَ ثلاثَمائةٍ وستين صَنمًا ، [3]نُصِبت حولَ الكعبةِ فأشار إليهن فتَساقَطْن . ثم روَى من طريقِ عبدِ اللَّهِ العُمَرِىِّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : وقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ وحولَ البيتِ ثلاثُمائةٍ وستون صنمًا[3] قد ألزَقها[4] الشيطانُ بالرَّصاصِ والنُّحاسِ ، فكان كلما دَنا منها بِمِخْصَرتِه تَهْوِى مِن غيرِ أن يَمَسَّها ، ويقولُ : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ ، إن الباطلَ كان زهوقًا » . فتَساقَطُ لوُجوهِها ، ثم أمَر بهن فأُخْرِجْن إلى المَسِيلِ ، وهذا أظْهَرُ وأجْلَى مِن الذى قبلَه ، وقد ذكَرْنا هذا فى أولِ دُخولِ النبىِّ ﷺ مكةَ عامَ الفتحِ بأسانيدِه وطرقِه مِن الصِّحاحِ وغيرِها ، بما فيه كفايةٌ[5] . وقد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن عُلماءِ السِّيَرِ أن الأصْنامَ تَساقَطَت أيضًا ليلةَ مَولدِه الكريمِ ، وهذا أبْلَغُ وأقْوَى فى المُعْجِزِ مِن مُباشرةِ كَسْرِها ، وقد تقدَّم[6] أن نارَ فارسَ التى كانوا يَعْبُدونها خمَدت أيضًا ليلتَئذٍ ، ولم تَخْمُدْ قبلَ ذلك بألفِ عامٍ ، وأنه سقَط مِن شُرُفاتِ قصْرِ كِسْرَى أربعَ عشْرةَ شُرْفةً ، مُؤْذِنةً بزَوالِ [7]دَوْلتِهم الكافرةِ[7] بعدَ هَلاكِ أرْبعةَ عشَرَ مِن

---

(١) سقط من : م .
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٨٨.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى م : « ألزمها » .
(٥) انظر ما تقدم فى ٦/٥٦٩ - ٥٧٢.
(٦) تقدم فى ٣/ ٣٩٥.
(٧ - ٧) فى ا ١٥١ : « ملوكهم الكافرة » ، وفى م : « دولتهم » .

مُلوكِهم فى أقْصَرِ مُدَّةٍ ، وكان لهم فى المُلْكِ قريبٌ مِن ثلاثةِ آلافِ سنةٍ .

وأما إحْياءُ الطُّيورِ الأرْبعةِ لإبراهيمَ ، عليه السلامُ ، فلم يَذْكُرْه أبو نُعيمٍ ولا ابنُ حامدٍ ، وسيأتى فى إحْياءِ الموتَى على يدِ عيسى ، عليه السلامُ ، ما وقَع مِن المُعْجِزاتِ المُحَمديةِ مِن هذا النَّمَطِ ما هو مثلُ ذلك [1] وأعلى من ذلك [1] ، كما سيأتى التَّنْبيهُ عليه إذا انتَهَيْنا إليه ؛ مِن إحْياءِ أمْواتٍ بدَعَواتٍ من أُمَّتِه ، وحَنينِ الجِذْعِ ، وتَسْليمِ الحَجَرِ والشَجَرِ والمَدَرِ عليه ، وتَكْليمِ الذِّراعِ له ، وغيرِ ذلك .

وأما قولُه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] . والآياتُ بعدَها ، فقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] . وقد ذكَر ذلك ابنُ حامدٍ فيما وقَفْتُ عليه بعدُ ، وقد ذكَرْنا فى أحاديثِ الإسْراءِ مِن كتابِنا هذا ، ومِن « التفسيرِ » [2] ما شاهَده رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ أُسْرِىَ به مِن الآياتِ فيما بينَ مكةَ إلى بيتِ المقدسِ ، وفيما بينَ ذلك إلى سماءِ الدنيا ، ثم ما عايَن مِن الآياتِ فى السَّماواتِ السبعِ وما فوقَ ذلك ، وسِدْرةِ المُنْتَهَى ، وجَنةِ المأْوَى ، والنارِ التى هى بئسَ المَصيرُ والمَثْوَى . وقال عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ فى حديثِ المَنامِ - وقد رَواه أحمدُ والترمذىُّ وصحَّحه ، وغيرُهما - : « فتَجَلَّى لى كلُّ شىءٍ وعرَفْتُ » [3] .

وذكَر ابنُ حامدٍ فى مُقابلةِ ابْتلاءِ اللَّهِ يعقوبَ ، عليه السلامُ ، بفقدِ ولدِه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التفسير ٥/٣ - ٤٢ .

(٣) المسند ٥/٢٤٣ ، والترمذى (٣٢٣٣ ، ٣٢٣٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٨٠ ، ٢٥٨١) .

يوسفَ ، عليه السلامُ ، وصبرِه واسْتعانتِه ربَّه ، عز وجل ، موتَ إبراهيمَ بنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وصَبْرَه عليه ، وقولَه[1] : « تَدْمَعُ العينُ ويَحْزَنُ القلبُ ، ولا نقولُ إلا ما يُرْضِى ربَّنا ، وإنا بك يا إبراهيمُ لَمَحْزونون » . قلتُ : وقد ماتتْ بناتُه الثلاثةُ ؛ رُقيَّةُ ، وأمُّ كُلْثُومٍ ، وزينبُ ، [٥/ ٣٤ظ] وقُتِل عمُّه حمزةُ أسدُ اللَّهِ وأسدُ رسولِه يومَ أحدٍ ، فصبَر واحْتَسب .

وذكَر فى مُقابلةِ حُسْنِ يوسُفَ ، عليه السلامُ ، ما ذكَر مِن جمالِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ومَهابتِه وحَلاوتِه شَكْلًا ونُطْقًا[2] وهَدْيًا ، ودَلًّا ، وسَمْتًا[3] ، كما تقَدَّم فى ذكرِ شَمائلِه مِن الأحاديثِ الدالةِ على ذلك ، كما قالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ[4] : لو رأيْتَه لَرأيْتَ الشمسَ طالعةً .

وذكَر فى مُقابلةِ ما ابْتُلِىَ به يوسُفُ ، عليه السلامُ ، مِن الفُرْقةِ والغُرْبةِ ، هجرةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكةَ إلى المدينةِ ، ومُفارقتَه وطَنَه وأهلَه وأصحابَه الذين كانوا بها .

القولُ فيما أُوتِىَ موسى ، عليه السلامُ ، مِن الآياتِ البَيِّناتِ[5]

وأعْظَمُهن تسعُ آياتٍ ، كما قال تعالى[6] : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٤٨ .

(٢) فى م : « نفعا » .

(٣) فى م : « يمنا » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٨٩.

(٥) زيادة من : ا ١٥١.

(٦) التفسير ٥/ ١٢٢ - ١٢٤.

بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. وقد شرَحْناها فى «التفسيرِ» وحكَيْنا قولَ السَّلَفِ فيها، واخْتلافَهم فيها، وأن الجمهورَ على أنها هى العَصا فى انْقلابِها حَيَّةً تَسْعَى، واليدُ؛ إذا أَدْخَل يدَه فى جَيْبِ دِرْعِه ثم أخْرَجها تُضِىءُ[1] كقطعةِ قمرٍ يتَلأْلأُ إضاءةً، ودعاؤُه على قومِ فِرْعونَ حينَ كذَّبوه فأرْسَل عليهم الطُّوفانَ والجَرادَ والقُمَّلَ والضَّفَادِعَ والدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ، كما بسَطْنا ذلك فى «التفسيرِ»[2]، وكذلك أخَذَهم اللَّهُ بالسِّنينَ؛ وهى نقصُ الحُبوبِ، وبالجَدْبِ؛ وهو نقصُ الثِّمارِ، وبالموتِ الذَّريعِ؛ وهو نقصُ الأنْفسِ، وهو الطُّوفانُ فى قولٍ، ومنها فَلْقُ البحرِ لإنجاءِ بنى إسرائيلَ وإغْراقِ آلِ فرعونَ، ومنها تَظْليلُ[3] بنى إسرائيلَ فى التِّيه بالغمامِ[4]، وإنْزالُ المَنِّ والسَّلْوَى عليهم، واسْتِسْقاؤُه لهم فجعَل اللَّهُ ماءَهم يَخْرُجُ مِن حَجَرٍ يُحْمَلُ معهم على دابَّةٍ، له أربعةُ وُجوهٍ، إذا ضرَبه موسى بعَصاه يَخْرُجُ مِن كلِّ وجهٍ ثلاثةُ أعْيُنٍ، لكلِّ سِبْطٍ عينٌ، ثم يَضْرِبُه فيُقْلِعُ، وقتَل[5] كلَّ مَن عبدَ العِجْلَ منهم[6]، ثم أحْياهم اللَّهُ تعالى، وقصةُ البقرةِ، إلى غيرِ ذلك مِن الآياتِ الباهراتِ، كما بسَطْنا ذلك فى «التفسيرِ»[7]، وفى قصةِ موسى، عليه السلامُ، مِن كتابِنا هذا فى قَصصِ الأنبياءِ منه[8]، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

---

(١) فى ا ١٥١: «تصير».
(٢) التفسير ٣/٤٥٨ - ٤٦٣.
(٣) فى م: «تضليل».
(٤) سقط من: م.
(٥) فى م: «قيل».
(٦) سقط من: ا ١٥١. وفى م: «أماتهم».
(٧) التفسير ١/١٤٣، ٣/٧٣، ٧٤.
(٨) تقدم فى ٢/٣١ - ٢٠٩.

أما العَصا فقال شيخُنا العَلَّامةُ ابنُ الزَّمْلَكانيِّ : وأمَّا حَياةُ عَصا موسى ، فقد سبَّح الحَصا فى كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو جَمادٌ ، والحديثُ فى ذلك صحيحٌ ، وهذا الحديثُ مشهورٌ ، عن الزهرىِّ ، عن رجلٍ ، عن أبى ذَرٍّ ، وقد قدَّمْنا ذلك مَبْسوطًا فى دَلائلِ النبوةِ بما أغْنَى عن إعادتِه[1] ، وفيه[2] : أنهن سَبَّحْن فى كفِّ أبى بكرٍ ، ثم عمرَ ، [3]ثم عثمانَ[3] ، كما سبَّحْن فى كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « هذه خِلافَةُ النُّبوَّةِ » .

وقد روَى الحافظُ [4]ابنُ عساكرَ[4] بسندِه إلى بكرِ بنِ خُنَيسٍ[5] ، عن رجلٍ سمَّاه قال : كان بيدِ أبى مُسلمٍ الخَوْلانىِّ سُبْحةٌ يُسَبِّحُ بها . قال : فنام والسُّبْحةُ فى يدِه . قال : فاسْتَدارت السُّبْحةُ فالْتَفَّت على ذِراعِه ، [6]وجَعَلتْ تُسَبِّحُ ، فالتَفَتَ أبو مسلمٍ والسُّبْحةُ تدورُ فى ذراعِه[6] وهى تقولُ : سُبحانَك يا مُنْبِتَ النَّباتِ ، ويا دائمَ الثَّباتِ . فقال : هَلُمِّى يا أمَّ مُسلمٍ ، وانظُرى إلى أعْجبِ الأعاجيبِ . قال : فجاءت أمُّ مُسلمٍ والسُّبْحةُ تَدورُ وتُسَبِّحُ ، فلما جلَسَت سكَتَت .

وأصَحُّ مِن هذا كلِّه وأصْرَحُ حديثُ البخارىِّ[7] عن ابنِ مسعودٍ قال : كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ .

---

(١) تقدم فى ٨/ ٦٩٤.

(٢) فى الأصل ، م : « قيل » .

(٣ - ٣) سقط من : ١٥١.

(٤ - ٤) سقط من : م . والأثر فى تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٧.

(٥) فى الأصل ، م : « حبيش » ، وفى ١٥١ : « حنيش » . وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٠٨.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) تقدم فى ٨/ ٦٩٧.

قال شيخُنا : وكذلك قد سلَّمَت عليه الأحْجارُ . قلتُ : وهذا قد رَواه مسلمٌ[1] عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى لَأعْرِفُ حَجرًا كان يُسَلِّمُ علىَّ بمكةَ قبلَ أن أُبْعَثَ ، إنى لَأعْرِفُه الآنَ » . قال بعضُهم : هو الحجرُ الأسودُ .

وقال الترمذىُّ[2] : حدَّثنا عَبَّادُ بنُ يَعقوبَ الكوفىُّ ، حدثنا الوليدُ بنُ أبى ثَوْرٍ عن السُّدِّىِّ ، عن عَبَّادِ بنِ [٥/ ٣٥و] أبى[3] يَزيدَ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : كنتُ مع النبىِّ ﷺ بمكةَ فى بعضِ نَواحيها ، فما اسْتَقْبَله جبلٌ ولا شجَرٌ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . ثم قال : غريبٌ[4] . ورَواه أبو نُعيمٍ فى « الدَّلائلِ »[5] مِن حديثِ السُّدِّىِّ ، عن أبى عُمارةَ الخَيْوانىِّ[6] ، عن علىٍّ قال : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فجعَل لا يَمُرُّ [7]على حجرٍ ولا شجرٍ إلا سلَّم عليه . وقدَّمْنا فى أولِ المَبعثِ أنه لما أَوْحَى إليه جبريلُ أولَ ما أَوْحَى إليه ، فرجَع لا يَمُرُّ[7] بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ ولا شىءٍ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . قال : وأقْبَلَت الشجرةُ إليه بدُعائِه . وذكَر اجْتماعَ تَيْنِك الشجرتَيْنِ لقَضاءِ حاجتِه مِن وَرائِهما ثم رُجوعَهما إلى مَنابتِهما ، وكلا الحديثين فى « الصحيحِ »[8] ،

---

(١) تقدم ٥/ ١١ ، ٨/ ٦٩٨ .

(٢) تقدم فى ٨/ ٦٩٨ .

(٣) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٧٥.

(٤) فى ا ١٥١: « حسن غريب » .

(٥) دلائل النبوة (٢٨٩) ولكن من حديث السدى عن عباد بن أبى يزيد به ، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٣٦١، من طريق السدى به .

(٦) فى النسخ : « الحيوانى » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٦٩، والأنساب ٢/ ٤٣٣.

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) تقدم فى ٨/ ٦٧٣ .

ولكن لا يَلْزَمُ مِن ذلك حُلولُ حَياةٍ فيهما ، إذ قد تكونان ساقهما سائقٌ ، ولكن فى قولِه : « انْقادا علىَّ بإذنِ اللَّهِ » . ما يدُلُّ على حُصولِ شُعورٍ منهما لمُخاطبتِه ، ولا سيَّما مع امتثالِهما ما أمَرَهما به . قال : وأمَر عِذْقًا مِن نَخْلةٍ أن يَنْزِلَ فنزَل إليه يَنْقُزُ[1] فى الأرضِ حتى وقَف بينَ يديه فقال : « أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » فشهِد بذلك ثلاثًا ، ثم عاد إلى مَكانِه . وهذا أَلْيَقُ وأظْهَرُ فى المُطابقةِ مِن الذى قبلَه ، ولكن هذا السِّياقُ فيه غَرابةٌ .

والذى رَواه الإمامُ أحمدُ وصحَّحه الترمذىُّ ، ورَواه البيهقىُّ والبخارىُّ فى « التاريخِ »[2] مِن روايةِ أبى ظَبْيانَ حُصَيْنِ بنِ جُنْدَبٍ[3] ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء أعرابىٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : بمَ أعْرِفُ أنك رسولُ اللَّهِ ؟ قال : « أرأيْتَ إن دعَوْتُ هذا العِذْقَ مِن هذه النخلةِ أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » قال : نعم . قال : فدَعا العِذْقَ ، فجعَل العِذْقُ يَنْزِلُ مِن النخلةِ حتى سقَط فى الأرضِ ، فجعَل يَنْقُزُ حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ثم قال له : « ارْجِعْ » . فرجَع [4]حتى عاد[4] إلى مكانِه ، فقال : أشْهَدُ أنك رسولُ اللَّهِ . وآمَن به . هذا لفظُ البيهقىِّ ، وهو ظاهرٌ فى أن الذى شهِد بالرسالةِ هو الأعرابىُّ ، وكان رجلًا مِن بنى عامرٍ .

ولكن فى روايةِ البيهقىِّ[5] مِن طريقِ الأعْمشِ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : ما هذا الذى يقولُ

---

(١) فى م : « يقر » . وينقز : يثب .

(٢) تقدم تخريج رواية أحمد والبيهقى فى ٨/ ٦٧٥، ٦٧٦، وأخرجه الترمذى فى السنن (٣٦٢٨) ، والبخارى فى التاريخ الكبير ٣/ ٣. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٨) .

(٣) فى النسخ : « المنذر » . والمثبت من مصادر التخريج ، انظر تهذيب الكمال ٦/ ٥١٤.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) تقدم تخريجها فى ٨/ ٦٧٦.

أصحابُك ؟ قال : وحولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أعْذاقٌ وشَجَرٌ . فقال : « هل لك أن أُرِيَك آيةً ؟ » قال : نعم . فدَعا غُصْنًا منها فأقْبَل يَخُدُّ الأرضَ حتى وقَف بينَ يديه وجعَل يَسْجُدُ ويَرْفَعُ رأسَه ، ثم أمَره فرجَع . قال : فرجَع العامريُّ وهو يقولُ : (١) يا آلَ (١) عامرِ بنِ صَعْصَعةَ ، واللَّهِ لا أُكَذِّبُه بشيءٍ يقولُه أبدًا .

وتقَدَّم فيما رَواه الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه (٢) » مُتَفَرِّدًا به ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا رجلًا إلى الإسْلامِ فقال : هل مِن شاهدٍ على ما تقولُ ؟ قال : « هذه الشجرةُ » . فدعاها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهى على شاطئِ الوادى ، فأقْبَلَت تَخُدُّ الأرضَ خَدًّا ، فقامت بينَ يَدَيْه ، فاسْتَشْهَدها ثلاثًا ، فشهِدت أنه كما قال ، ثم إنها رجَعت إلى مَنْبتِها ، ورجَع الأعْرابيُّ إلى قومِه وقال : إن يَتَّبِعونى أتَيْتُك بهم وإلا رجَعْتُ إليك وكنتُ معك .

قال (٣) : وأمّا حَنينُ الجِذْعِ الذى كان يَخْطُبُ إليه النبىُّ ﷺ ، فعُمِل له المِنْبرُ ، فلما رَقِىَ عليه وخطَب ، حَنَّ الجِذْعُ إليه حَنينَ العِشارِ والناسُ يَسْمَعون صوتَه (٤) بمَشْهَدِ الخَلْقِ يومَ الجُمُعةِ ، ولم يزَلْ يَئِنُّ ويَحِنُّ حتى نزَل إليه النبىُّ ﷺ فاعْتَنَقه [٥/ ٣٥ظ] وسكَّنه وخيَّره بينَ أن يَرْجِعَ غُصْنًا طَرِيًّا أو يُغْرَسَ فى الجنةِ يَأْكُلُ منه أوْلياءُ اللَّهِ ، فاخْتار (٥) الغَرْسَ فى الجنةِ ، وسكَن عندَ ذلك ؛ فهو حديثٌ مشهورٌ مَعْروفٌ ، قد رَواه مِن الصحابةِ عددٌ كثيرٌ مُتواتِرٌ ، وكان بحُضورِ الخَلائقِ . وهذا الذى ذكَره مِن تَواتُرِ حَديثِ (٦) الجِذْعِ هو كما قال ، فإنه قد روَى

(١ - ١) فى م : « قال » .

(٢) تقدم تخريجه فى ٨/ ٦٧٨.

(٣) أى ابن الزملكانى شيخ المصنف .

(٤) زيادة من : الأصل .

(٥) من هنا حتى قوله : « المشهور بإمام الأئمة ، واختار » فى صفحة ٣٥٤ خرم فى ١٥١.

(٦) فى م : « حنين » .

هذا الحديثَ جَماعةٌ مِن الصحابةِ ، وعنهم أعْدادٌ مِن التابعين ، ثم مِن بعدِهم آخرون عنهم ، لا يُمْكِنُ تَواطؤُهم على الكذبِ ، فهو مَقْطوعٌ به فى الجملةِ ، وأما تَخْييرُ الجِذْعِ كما ذكَره شيخُنا فليس بمُتواترٍ ، بل ولا يَصِحُّ إسنادُه ، وقد أوْرَدْتُه فى الدَّلائلِ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، وذُكِر فى « مُسندِ أحمدَ » ، و « سننِ ابنِ ماجه » ، وعن أنسٍ مِن خمسِ طرقٍ إليه ، صحَّح الترمذىُّ إحداها ، وروَى ابنُ ماجه أخْرى ، وأحمدُ ثالثةً ، والبزارُ رابعةً ، وأبو نُعيمٍ خامسةً ، وعن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ فى « صحيحِ البخارىِّ » مِن طريقَيْنِ عنه ، والبزارُ مِن ثالثةٍ ورابعةٍ ، وأحمدُ مِن خامسةٍ وسادسةٍ ، وهذه على شرطِ مسلمٍ ، وعن سهلِ بنِ سعدٍ فى « مُصَنَّفِ ابنِ أبى شَيْبةَ » على شرطِ « الصحيحَيْن » ، وعن ابنِ عباسٍ فى « مُسندِ أحمدَ » و « سننِ ابنِ ماجه » بإسنادٍ على شرطِ مسلمٍ ، وعن ابنِ عمرَ فى « صحيحِ البخارىِّ » ، ورَواه أحمدُ مِن وجهٍ آخرَ عن ابنِ عمرَ ، وعن أبى سعيدٍ فى « مسندِ عبدِ بنِ حُمَيْدٍ » بإسنادٍ على شرطِ مسلمٍ ، وقد رَواه أبو[1] يَعْلَى المَوْصلىُّ مِن وجهٍ آخرَ عنه ، وعن عائشةَ رَواه الحافظُ أبو نُعيمٍ مِن طريقِ علىِّ بنِ أحمدَ الجَوارِيِّ[2] ، عن[3] قَبيصةَ ، عن حِبَّانَ بنِ علىٍّ ، عن صالحِ بنِ حَيَّانَ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن عائشةَ ، فذكَر الحديثَ بطولِه ، وفيه أنه خيَّره بينَ الدنيا والآخرةِ ، فاخْتار الجِذْعُ الآخرةَ ، وغار حتى ذهَب ، فلم يُعْرَفْ . وهذا غريبٌ إسنادًا ومَتْنًا .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « الخوارزمى » . وانظر الأنساب ٢/ ١٠٢.

(٣) فى الأصل ، م : « بن » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٩.

(٤) فى م : « حبان » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣٣.

وعن أمِّ سَلَمةَ رَواه أبو نُعيمٍ بإسنادٍ جَيِّدٍ ، وقدَّمْتُ الأحاديثَ بِبَسْطِ أسانيدِها وتَحْريرِ ألفاظِها وعَزْوِها[1] بما فيه كفايةٌ عن إعادتِه هـٰهنا[2] ، ومَن تَدَبَّرَها حصَل له القَطْعُ بذلك ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

قال القاضى عِياضُ بنُ موسى السَّبْتىُّ المالكىُّ فى كتابِه « الشِّفا »[3] : وهو حديثٌ مشهورٌ مُنْتَشِرٌ مُتَواتِرٌ خرَّجه أهلُ الصَّحيحِ . ورواه مِن الصحابةِ بِضْعةَ عشَرَ ؛ منهم أُبَىٌّ ، [4]وجابرٌ[4] ، وأنسٌ ، وبُرَيْدةُ ، وسَهْلُ بنُ سعدٍ ، وابنُ عباسٍ ، وابنُ عمرَ ، والمُطَّلِبُ بنُ أبى وَداعةَ ، وأبو سعيدٍ ، وأمُّ سَلَمةَ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجْمَعين .

قال شيخُنا : فهذه جَماداتٌ ونباتاتٌ ، وقد حَنَّت وتكَلَّمَت ، وفى ذلك ما يُقابِلُ انْقِلابَ العَصا حَيَّةً .

قلتُ : وسنُشِيرُ إلى هذا عندَ ذكْرِ مُعْجزاتِ عيسى ، عليه السلامُ ، فى إحْيائِه المَوْتَى بإذنِ اللَّهِ تعالى فى ذلك ، كما رواه البيهقىُّ[5] عن الحاكمِ ، عن أبى أحمدَ ابنِ أبى الحسنِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى حاتمٍ ، عن أبيه ، عن عمرِو بنِ سَوَّادٍ[6] قال : قال لى الشافعىُّ : ما أعْطَى اللَّهُ نبيًّا ما أعْطَى محمدًا ﷺ . فقلتُ : أعْطَى عيسى إحْياءَ الموتَى . فقال : أَعْطَى محمدًا الجِذْعَ الذى كان يَخْطُبُ إلى جَنْبِه

---

(١) فى م : « غررها » .

(٢) تقدم فى ٨/٦٧٩ - ٦٩٣.

(٣) الشفا ١/ ٤٢٧.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) تقدم فى ٨/ ٦٩٣.

(٦) فى م : « سوار » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٧.

حتى هُيِّئَ له المِنْبرُ ، فلما هُيِّئَ له حَنَّ الجِذْعُ حتى سُمِع صوتُه ، فهذا أكبرُ مِن ذلك . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الشافعيِّ ، رحِمه اللَّهُ ، وهو مما كنتُ أَسْمَعُ شيخَنا الحافظَ أبا الحَجَّاجِ المِزِّيَّ ، رحِمه اللَّهُ ، يذكُرُه عن الشافعيِّ ، رحِمه اللَّهُ وأَكْرَم مَثْواه ، وإنما قال : فهذا أكبرُ مِن ذلك . لأن الجِذْعَ ليس مَحَلًّا للحياةِ ، ومع هذا حصَل له شُعورٌ ووَجْدٌ لمَّا تحوَّل عنه إلى المِنْبرِ فأنَّ وحَنَّ [٥/ ٣٦و] حَنينَ العِشارِ حتى نزَل إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فاحْتَضَنه وسكَّنه حتى سكَن . قال الحسنُ البَصْريُّ[1] : فهذا الجِذْعُ حَنَّ إليه ، فإنهم أحَقُّ أن يَحِنُّوا إليه . وأما عَوْدُ الحياةِ إلى جسدٍ كانت فيه بإذنِ اللَّهِ تعالى فعظيمٌ ، وهذا أعْجبُ وأعْظمُ مِنه[2] إيجادُ حياةٍ وشعورٍ فى مَحَلٍّ ليس مَأْلوفًا لذلك ، لم تكنْ فيه قبلُ بالكليَّةِ ، فسبحانَ اللَّهِ ربِّ العالمين .

تنبيهٌ : وقد كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ لِواءٌ يُحْمَلُ معه فى الحربِ يَخْفِقُ فى قلوبِ أعْدائِه مَسيرةَ شهرٍ بينَ يديه ، وكانت له عَنَزَةٌ تُحْمَلُ بينَ يديه ، فإذا أراد الصلاةَ إلى غيرِ جدارٍ ولا حائلٍ رُكِزتْ بينَ يديه ، وكان له قَضيبٌ يتَوَكَّأُ عليه إذا مشَى ، وهو الذى عَبَّر عنه سَطِيحٌ فى قولِه لابنِ أخيه عبدِ المسيحِ بنِ بُقَيْلةَ[3] : يا عبدَ المسيحِ ، إذا كَثُرَت التِّلاوةْ ، وظهَر صاحبُ الهِراوَةْ ، وغاضت بُحَيْرةُ ساوَةْ ، فليست الشامُ لسَطيحٍ شامًا . ولهذا كان ذِكْرُ هذه الأشْياءِ عندَ إحْياءِ عصا موسى وجَعْلِها حَيَّةً أَلْيَقَ ؛ إذ هى مُساويةٌ لذلك ، وهذه مُتَعدِّدةٌ كثيرةٌ[4] فى مَحالَّ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٥٩.

(٢) فى النسخ : « من » . والمثبت ليستقيم السياق .

(٣) فى م : « نفيلة » . وانظر ما تقدم فى ٣/ ٣٩٦، ٤٠٣.

(٤) زيادة من : الأصل .

مُتَفَرِّقةٍ ، بخلافِ عصا موسى ، فإنها وإن تعدَّد جَعْلُها حَيَّةً ، فهى ذاتٌ واحدةٌ . واللَّهُ أعلمُ . ثم نُنَبِّهُ على ذلك عندَ ذكْرِ إحْياءِ الموتى على يدِ عيسى ؛ لأن هذه أعْجَبُ وأكْبرُ وأظْهرُ . واللَّهُ أعْلمُ .

قال شيخُنا : وأمَّا أن اللَّهَ كلَّم موسى تكْليمًا ، فقد تقَدَّم حُصولُ الكلامِ للنبىِّ ﷺ ليلةَ الإسْراءِ[1] ، فيَشْهَدُ له : « فنُودِيتُ : [2]أن يا محمدُ ، قد كمَّلْتُ فريضتى[2] وخفَّفْتُ عن عبادى » . وسِياقُ بقيَّةِ القصةِ يُرْشِدُ إلى ذلك ، وقد حكَى بعضُ العلماءِ الإجْماعَ على ذلك ، لكن رأيْتُ فى كلامِ القاضى عِياضٍ نقلَ خِلافٍ فيه[3] . واللَّهُ أعلمُ .

وأما الرؤيةُ ففيها خِلافٌ مَشْهورٌ بينَ الخَلَفِ والسَّلَفِ ، ونصَرها مِن الأئمةِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ المشهورُ بإمامِ الأئمةِ ، واخْتار ذلك القاضى عِياضٌ والشيخُ محيى الدينِ النَّوويُّ ، وجاء عن ابنِ عباسٍ تَصْديقُ الرؤيةِ ، وجاء عنه تَقْييدُها بالفؤادِ ، وكلاهما فى « صحيحِ مسلمٍ » . وفى « الصحيحَيْن » عن عائشةَ إنكارُ ذلك ، وقد ذكَرْنا فى الإسْراءِ عن ابنِ مسعودٍ وأبى هريرةَ وأبى ذَرٍّ وعائشةَ[4] ، رضِى اللَّهُ عنهم ، أن المَرْئىَّ فى المرَّتَيْن المذكورتَيْن فى أولِ سورةِ « النَّجْمِ » ، إنما هو جبريلُ ، عليه السلامُ . وفى « صحيحِ مسلمٍ » عن أبى ذَرٍّ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل رأيْتَ ربَّك ؟ فقال : « نورٌ أنَّى[5] أراه ؟ » . وفى روايةٍ : « رأيْتُ نورًا » . وقد تقدم[6] بَسْطُ

---

(١) بعده فى م : « مع الرؤية وهو أبلغ هذا أورده فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام ليلة الإسراء » .

(٢ - ٢) فى م : « يا محمد قد كلفت فريضتين » ، وانظر ما تقدم فى ٤/ ٢٨٩، بنحوه .

(٣) انظر الشفا ١/٢٦٧ - ٢٦٩.

(٤) فى ا ١٥١: « جماعة » .

(٥) فى م : « لى » .

(٦) تقدم فى ٤/٢٦٩ - ٢٩٤.

ذلك فى الإسْراءِ فى السيرةِ وفى « التفسيرِ » فى أولِ سورةِ « بنى إسرائيلَ »[1] ، وهذا الذى ذكَره شيخُنا فيما يتعَلَّقُ بالمُعْجزاتِ المُوسَوِيَّةِ ، عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ . وأيضًا فإن اللَّهَ تعالى كلَّم موسى وهو بطُورِ سَيْناءَ ، وسأَل الرؤيةَ فمُنِعَها ، وكلَّم محمدًا ﷺ ليلةَ الإسْراءِ وهو بالملأِ الأعْلَى حينَ رُفِع لمُسْتوًى يَسْمَعُ فيه صَريفَ الأقْلامِ ، وحصَلت له الرُّؤيةُ فى قولِ طائفةٍ كثيرةٍ مِن عُلماءِ السَّلَفِ والخَلَفِ . واللَّهُ أعلمُ . ثم رأيْتُ ابنَ حامدٍ قد طرَق هذا فى كتابِه فأجاد وأفاد .

وقال ابنُ حامدٍ : قال اللَّهُ تعالى لموسى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه : ٣٩] . وقال لمحمدٍ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وأما اليدُ التى جعَلها اللَّهُ بُرْهانًا وحُجَّةً لموسى على فرعونَ وقومِه ، كما قال تعالى بعدَ [٥/ ٣٦ظ] ذكرِ صَيْرورةِ العصا حَيَّةً : ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ [القصص : ٣٢] . وقال فى سورةِ « طه » : ﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٢، ٢٣] . فقد أعْطَى اللَّهُ محمدًا انشقاقَ القمرِ بإشارتِه إليه فِرْقَتَيْن ؛ فِرْقةً مِن وراءِ جبلِ حِراءَ ، وأخرى أمامَه ، كما تقدَّم[2] بيانُ ذلك بالأحاديثِ المُتواتِرةِ مع قولِه تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١، ٢] .

---

(١) التفسير ٥/٣ - ٤٢.

(٢) تقدم فى ٤/٢٩٣ - ٣٠٤.

ولا شكَّ أن هذا أجَلُّ وأعْظمُ وأبْهرُ فى المعجزاتِ ، (١) وأشهرُ وأعظمُ (١) وأعَمُّ وأظهرُ وأبْلغُ مِن ذلك ، وقد قال كعبُ بنُ مالكٍ فى حديثِه الطويلِ فى قصةِ توبتِه : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا سُرَّ اسْتَنار وجهُه كأنَّه فِلْقَةُ قمرٍ . وذلك فى « صحيحِ البخارىِّ »(٢) .

وقال ابنُ حامدٍ(٣) : قالوا : فإنَّ موسى أُعْطِىَ اليدَ البَيْضاءَ . قلنا لهم : فقد أُعْطِىَ محمدٌ ﷺ ما هو أفْضلُ مِن ذلك ، نورًا كان يُضِىءُ عن يمينِه حيثما جلَس ، وعن يسارِه حيثما جلَس وقام ، يَراه الناسُ كلُّهم ، وقد بَقِىَ ذلك النورُ إلى قيامِ الساعةِ ، ألا تَرى أنه يُرَى النورُ الساطعُ مِن قبرِه ﷺ مِن مَسيرةِ يومٍ وليلةٍ ؟ هذا لفظُه ، وهذا الذى ذكَره مِن هذا النورِ غريبٌ جدًّا ، وقد ذكَرْنا فى السيرةِ عندَ إسلامِ الطُّفَيلِ بنِ عمرٍو الدَّوْسىِّ(٤) ، أنه طلَب مِن النبىِّ ﷺ آيةً تكونُ له عَوْنًا على إسلامِ قومِه ، (٥) فدعَا له ، وذهَب إلى قومِه ، فلما أشْرَف على قومِه(٥) مِن ثَنيَّةٍ(٦) هناك ، فسطَع نورٌ بينَ عينيه كالمِصْباحِ ، فقال : اللهم فى غيرِ هذا الموضعِ ؛ فإنهم يَظُنُّونه مُثْلةً . فتحَوَّل النورُ إلى طَرَفِ سَوْطِه فجعَلوا يَنْظُرون إليه كالمِصْباحِ ، فهداهم اللَّهُ على يدَيه ببركةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبدُعائِه لهم فى قولِه : « اللهم اهْدِ دَوْسًا ، وأْتِ بهم » . وكان يقالُ للطُّفَيلِ : ذو النورِ ، لذلك . وذكَرْنا(٧) أيضًا حديثَ أُسَيْدِ بنِ حُضَيرٍ وعَبَّادِ بنِ بِشرٍ ، فى خُروجِهما مِن عندِ النبىِّ ﷺ فى ليلةٍ مُظْلِمةٍ ، فأضاء لهما طَرَفُ عصا أحدِهما ، فلما افْتَرَقا أضاء

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٩١.

(٣) كذا فى النسخ ، وسيأتى نظيره فى صفحة ٣٦٠ ، وله وجه ، والمعتاد فى مثل هذا : فإن قالوا ... قلنا .

(٤) تقدم فى ٤/ ٢٤٤.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « بيته » .

(٧) تقدم فى صفحة ٤٥.

لكلٍّ واحدٍ منهما طَرَفُ عصاه، وذلك فى «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِه.

وقال أبو زُرْعةَ الرازيُّ فى كتابِ «دلائلِ النبوةِ»[1]: حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ عن ثابتٍ، عن[2] أنسِ بنِ مالكٍ، أن عَبَّادَ بنَ بِشرٍ وأُسَيْدَ بنَ حُضَيْرٍ خرَجا مِن عندِ النبيِّ ﷺ فى ليلةٍ ظَلْماءَ حِنْدِسٍ[3]، فأضاءت عَصا أحدِهما مثلَ السِّراجِ وجعَلا يَمْشيان بضَوْئِها، فلما تفرَّقا إلى منازلِهما أضاءت عَصا ذا وعصا ذا.

ثم روَى[4] عن إبراهيمَ بنِ حمزةَ بنِ محمدِ بنِ حمزةَ بنِ مُصعبِ بنِ الزبيرِ بنِ العَوَّامِ، وعن يعقوبَ بنِ حُميدٍ المَدَنيِّ، كلاهما عن سفيانَ بنِ حمزةَ بنِ يزيدَ الأسْلمىِّ، عن كَثيرِ بنِ زيدٍ، عن محمدِ بنِ حمزةَ بنِ عمرٍو الأسْلَمىِّ، عن أبيه قال: سِرْنا[5] فى سفرٍ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ليلةٍ ظَلْماءَ دُحْمُسَةٍ، فأضاءت أصابعى حتى جمَعوا عليها ظهرَهم وما هلَك منهم، وإن أصابعى لتُنيرُ[6].

وروَى هشامُ بنُ عَمَّارٍ فى «المَبْعَثِ»[7]: حدَّثنا عبدُ الأعْلَى بنُ محمدٍ البَكْرىُّ، حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ البَصرىُّ، حدَّثنا أبو التَّيَّاحِ الضُّبَعىُّ قال: كان مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللَّهِ يَبْدُو[8]، فيَدْخُلُ كلَّ جُمُعةٍ، فربما نُوِّر له فى سَوْطِه، فأَدْلَج

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٥ معلقا عند البخارى عن حماد بن سلمة به.

(٢) فى م: «بن». وهو خطأ.

(٣) حندس: شديدة الظلمة. النهاية ١/ ٤٥٠.

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٦، من طريق إبراهيم بن حمزة به.

(٥) فى ١٥١: «انفربنا». وهو لفظ رواية الطبرانى.

(٦) فى الأصل، م: «لتستنير».

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى الزهد ص ٢٤٦، من طريق جعفر عن أبى التياح به نحوه. والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٣، وقال: إسنادها صحيح.

(٨) فى م: «يدر». ويبدو: يخرج إلى البادية. النهاية ١/ ١٠٨.

[٥/٣٧و] ذاتَ ليلةٍ وهو على فرسِه حتى إذا كان عندَ المَقابرِ هُوِّم[(١)] به . قال : فرأيْتُ صاحبَ كلِّ قبرٍ جالسًا على قبرِه ، قالوا[(٢)] : هذا مُطَرِّفٌ يأتى الجُمُعةَ . فقلتُ لهم : وتعْلَمون عندَكم يومَ الجُمُعةِ ؟ قالوا : نعم ، ونَعْلَمُ ما يقولُ فيه الطَّيْرُ . قلتُ : وما يقولُ فيه الطَّيْرُ ؟ قالوا : يقولُ : [(٣)]سلامٌ سلامٌ مِن يومِ صالحٍ[(٣)] .

وأما دعاؤُه[(٤)] ، عليه السلامُ ، عليهم[(٥)] بالطُّوفانِ ؛ وهو الموتُ الذَّريعُ فى قولٍ ، وما بعدَه مِن الآياتِ والقَحْطِ والجَدْبِ ، فإنما كان ذلك لعلَّهم يَرْجِعون إلى مُتابعتِه ويُقْلِعون عن مُخالفتِه ، فما زادهم إلا طُغيانًا كبيرًا . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٨، ٤٩] . ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٢- ١٣٦] . وقد دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ على قريشٍ حينَ تَمادَوْا فى مُخالفتِه بسبعٍ كسبعِ يوسفَ ، فقُحِطوا حتى أكَلوا كلَّ

---

(١) فى م : « هدم » . والتهويم : أول النوم ، وهو دون النوم الشديد . النهاية ٥/ ٢٨٣.

(٢) فى م : « فقال » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « رب سلم سلم قوم صالح » ، وفى ا ١٥١: « رب سلم سلم يوم صالح » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤) يعنى موسى عليه السلام .

(٥) سقط من : م .

شيءٍ، وكان أحدُهم يرَى بينَه وبينَ السماءِ مثلَ الدُّخَانِ مِن الجوعِ. وقد فسَّر ابنُ مسعودٍ قولَه تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠]. بذلك، كما رَواه البخاريُّ عنه فى غيرِ ما مَوْضعٍ مِن «صحيحِه»، ثم توَسَّلوا إليه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، بقَرابتِهم منه مع أنه بُعِث بالرحمةِ والرَّأْفةِ، فدَعا لهم فأقْلَع عنهم ورُفِع عنهم[1]، وأُحْيُوا بعدَما كانوا أَشْرَفوا على الهَلَكةِ[2].

وأما فَلْقُ البحرِ لموسى، عليه السلامُ، حينَ أمَره اللَّهُ تعالى - حينَ تَراءَى الجَمْعانِ - أن يَضْرِبَ البحرَ بعَصاه فانْفَلق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيمِ، فإنه معجزةٌ عظيمةٌ باهرةٌ، وحُجَّةٌ قاطعةٌ قاهرةٌ. وقد بسَطْنا ذلك فى «التفسيرِ» وفى قَصصِ الأنْبياءِ مِن كتابِنا هذا، وفى إشارتِه ﷺ بيدِه الكريمةِ إلى قمرِ السماءِ، فانْشَقَّ[3] فِلْقتَيْنِ وَفْقَ ما سألَتْه قريشٌ وهم معه جُلوسٌ، فى ليلةِ البَدْرِ، أعْظمُ آيةٍ، وأيْمنُ دَلالةٍ، وأوْضحُ حُجَّةٍ، وأبْهرُ بُرْهانٍ على نُبوَّتِه ووَجاهتِه[4] عندَ اللَّهِ تعالى، ولم يُنْقَلْ مُعجزةٌ عن نبيٍّ مِن الأنبياءِ مِن الآياتِ الحِسِّيَّاتِ أعْظَمُ مِن هذا، كما قَرَّرْنا ذلك بأدلتِه مِن الكتابِ والسُّنةِ، فى «التفسيرِ» و[5]فى أولِ البِعْثةِ، وهذا أعْظَمُ مِن حَبْسِ الشمسِ قليلًا ليُوشَعَ بنِ نُونٍ حتى تمكَّن مِن الفتحِ ليلةَ السبتِ، كما سيأتى فى تقريرِ ذلك، مع ما يُناسِبُ ذِكْرَه عندَه، وقد تقدَّم مِن مَسِيرِ[6]

---

(١) بعده فى م: «العذاب».

(٢) انظر ما تقدم فى ٢٦٥/٤ - ٢٦٧.

(٣) بعده فى م: «القمر».

(٤) فى م: «جاهه».

(٥) سقط من: م.

(٦) فى م: «سيرة». وتقدم ذلك فى ٢٥٩/٦ - ٢٦٢.

العَلاءِ بنِ الحَضْرميِّ ، وأبى عُبيدٍ الثَّقفيِّ ، وأبى مُسلمٍ الخَوْلانيِّ ، وسائرِ[1] الجيوشِ التى كانت معهم على تيَّارِ الماءِ ، ومنها دِجْلةُ وهى جاريةٌ عَجاجةٌ تَقْذِفُ بالخَشَبِ مِن شدةِ جَرْيِها ، وتقدَّم تقريرُ أن هذا أعْجَبُ مِن فَلْقِ البحـرِ لموسى [٥/٣٧ظ] مِن [2]هذه الوجوهِ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ حامدٍ : قالوا[3] : فإن موسى ، عليه السلامُ ، ضرَب بعَصاه البحرَ ، فانْفَلَق فكان ذلك آيةً لموسى عليه السلامُ . قلنا : فقد أُوتىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَها . قال عليٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه : لمَّا خرَجْنا إلى خَيْبرَ ، فإذا نحن بوادٍ يَشْخَبُ[4] ، وقدَّرْناه فإذا هو أربعَ عشْرةَ قامةً ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، العدوُّ مِن ورائِنا والوادى مِن أمامِنا . كما قال أصحابُ موسى : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] . فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [5]ثم قال : « اللهم إنك جعَلْت لكلِّ مُرْسَلٍ دَلالةً ؛ فأرنى قُدْرَتَك » . فركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ[5] فعبَرَت الخيلُ لا تُبْدِى[6] حَوافرَها ، والإبلُ لا تُبْدِى أخْفافَها ، فكان ذلك فَتْحًا . وهذا الذى ذكَره بلا إسنادٍ لا أعْرِفُه فى شىءٍ مِن الكتبِ المُعْتَمَدةِ بإسنادٍ صحيحٍ ولا حسنٍ ، بل ولا ضعيفٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وأما تَظْليلهُ بالغَمامِ فى التِّيهِ ، فقد تقَدَّم[7] ذِكْرُ حديثِ الغَمامةِ التى رآها بَحِيرَى تُظِلُّه مِن بينِ أصحابِه ، وهو ابنُ اثنتَىْ عشْرَةَ سنةً ، صُحْبةَ عمِّه أبى طالبٍ ، وهو قاصِدٌ[8] الشامَ فى تجارةٍ ، وهذا أبْهَرُ ؛ مِن جهةِ أنه كان وهو قبلَ أن

---

(١) فى م : « سير » .
(٢ - ٢) فى م : « عدة وجوه » .
(٣) انظر ما سبق فى حواشى صفحة ٣٥٦ .
(٤) يشخب : يسيل .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) فى هامش ا ١٥١ : « لعلها تبل » .
(٧) تقدم فى ٣/ ٤٤٣ .
(٨) فى الأصل : « قادم » ، وفى م : « قادم إلى » .

يُوحَى إليه ، وكانت الغَمامةُ تُظِلُّه وَحْدَه مِن بينِ أصْحابِه ، فهذا أشَدُّ فى الاعْتناءِ ، وأظْهَرُ مِن غَمامٍ يُظِلُّ[1] بنى إسرائيلَ وغيرَهم . وأيضًا فإن المقصودَ مِن تَظْليلِ الغَمامِ إنما كان لاحْتياجِهم إليه مِن شدةِ الحَرِّ ، وقد ذكَرْنا فى الدلائلِ[2] حينَ سُئِل النبىُّ ﷺ أن يَدْعوَ لهم ليُسْقَوْا لِما هم فيه مِن الجوعِ والجَهْدِ والقَحْطِ ، فرفَع يديه وقال : « اللهم اسْقِنا ، اللهم اسْقِنا ، اللهم اسْقِنا » . قال أنسٌ : ولا واللَّهِ ما نرَى فى السماءِ مِن سَحابٍ ولا قَزَعةٍ ، وما بينَنا وبينَ سَلْعٍ مِن بيتٍ ولا دارٍ ، فأُنْشِئَت مِن ورائِه سَحابةٌ مثلُ التُّرْسِ ، فلما توَسَّطَت السماءَ انْتَشَرَت ثم أمْطَرت . قال أنسٌ : فلا واللَّهِ ما رأَيْنا الشمسَ سَبْتًا ، ولمّا سألوه أن يَسْتَصْحِيَ لهم رفَع يدَه وقال : « اللهم حَوالَيْنا ولا علينا » . فما جعَل يُشيرُ بيدِه إلى ناحيةٍ إلا انجاب[3] السَّحابُ[4] ، حتى صارت المدينةُ مثلَ الإكْليلِ ، يُمْطَرُ ما حولَها ولا تُمْطَرُ . فهذا تَظْليلُ غمامٍ[5] مُحتاجٍ إليه آكَدُ مِن الحاجةِ إلى ذلك ، وهو أنْفَعُ منه ، والتَّصَرُّفُ فيه وهو يُشيرُ أبْلَغُ فى المُعْجِزِ وأظْهَرُ فى الاعْتناءِ . واللَّهُ أعلمُ .

وأما إنْزالُ المَنِّ والسَّلْوَى عليهم فقد كثَّر رسولُ اللَّهِ ﷺ الطعامَ والشَّرابَ فى غيرِ ما موطنٍ ، كما تقَدَّم بيانُه فى دلائلِ النبوةِ مِن إطْعامِه الجَمَّ الغَفيرَ مِن الشىءِ اليَسيرِ ، كما أطْعَم يومَ الخَنْدقِ مِن شُوَيْهةِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ وصاعِه الشعيرِ أزْيدَ مِن ألفِ نفْسٍ جائعةٍ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ ، وأطْعَم

---

(١) سقط من : م . وفى الأصل : « يعم » .

(٢) تقدم فى ٨/٥٩٠ .

(٣) فى الأصل ، م : « انجاز » .

(٤) بعده فى م : « إليها » .

(٥) فى م : « عام » .

مِن [(١) جَفْنةٍ فِئامًا (١)] مِن الناسِ، وكانت تُمَدُّ مِن السماءِ، إلى غيرِ ذلك مِن هذا القَبيلِ مما يَطولُ ذِكْرُه. وقد ذكر أبو نُعيمٍ وابنُ حامدٍ أيضًا هـٰهنا أن المرادَ بالمَنِّ والسَّلْوَى إنما هو رزقٌ رُزِقوه مِن غيرِ كَدٍّ منهم ولا تعبٍ، ثم أوْرَد فى مُقابلتِه حديثَ تَحْليلِ [(٢) المَغانِمِ ولم تَحِلَّ (٢)] لأحدٍ قبلَنا، وحديثَ جابرٍ فى [(٣) سريَّةِ أبى (٣)] عُبيدةَ وجُوعِهم حتى أكَلوا الخَبَطَ، فحسَر البحرُ لهم عن دابةٍ تُسَمَّى العَنْبَرَ، فأكَلوا منها ثلاثين مِن بينِ يومٍ وليلةٍ حتى سَمِنوا وتكَسَّرَت عُكَنُ بُطونِهم. والحديثُ فى «الصحيحِ» كما تقدم.

وسيأتى عندَ ذكرِ المائدةِ فى مُعْجزاتِ المسيحِ [٥/٣٨و] ابنِ مَرْيَمَ قصةُ أبى مسلمٍ (٤) الخَوْلانىِّ، أنه خرَج هو وجماعةٌ كثيرةٌ مِن أصحابِه إلى الحجِّ وأمَرهم أن لا يَحْمِلوا زادًا ولا مَزادًا، فكانوا إذا نزَلوا مَنْزِلًا (٥) صلَّى ركعتَيْن، فيُؤْتَوْن بطعامٍ وشرابٍ وعَلَفٍ يَكْفِيهم ويَكْفى دوابَّهم غَداءً وعَشاءً، مدةَ ذَهابِهم وإيابِهم.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ٦٠]. فقد ذكَرْنا بَسْطَ ذلك فى قصةِ موسى، عليه السلامُ، وفى «التفسيرِ» (٦). وقد ذكَرْنا الأحاديثَ الواردةَ فى وَضْعِ النبىِّ ﷺ يدَه فى ذلك الإناءِ الصغيرِ الذى لم يَتَّسِعْ لبسطِها فيه، فجعَل الماءُ يَنْبُعُ مِن بينِ أصابعِه أمثالَ

(١ - ١) فى م: «حفنة قوما». وانظر ما تقدم فى ٨/٦٤٨.

(٢ - ٢) فى م: «المغنم ولا يحل».

(٣ - ٣) فى م: «سيره إلى».

(٤) فى م: «موسى».

(٥) زيادة من: م.

(٦) التفسير ١/١٤٣، ١٤٤. وتقدم ذلك فى ٢/١٣٦، ١٣٧.

العيونِ ، وكذلك كثَّر الماءَ فى غيرِ ما موطنٍ ، كمَزادتَىْ تلك المرأةِ ، ويومِ الحديبيةِ ، وغيرِ ذلك ، وقد اسْتَسْقَى اللَّهَ لأصحابِه فى المدينةِ وغيرِها ، فأُجِيب طِبْقَ السؤالِ ووَفْقَ الحاجةِ لا أزْيَدَ ولا أنْقَصَ ، وهذا أبْلَغُ فى المُعْجِزِ . ونَبْعُ الماءِ مِن بينِ أصابعِه مِن نفسِ يدِه - على قولِ طائفةٍ كثيرةٍ مِن العلماءِ - أعْظَمُ مِن نَبْعِ الماءِ مِن الحَجَرِ ، فإنه مَحَلٌّ لذلك .

قال أبو نُعيمٍ الحافظُ[1] : فإن قيل : إن موسى كان يَضْرِبُ بعصاه الحجرَ[2] فيَنْفَجِرُ منه اثنتا عشْرَةَ عينًا فى التِّيهِ ، قد علِم كلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهم . قيل : كان لمحمدٍ ﷺ مثلُه وأعْجَبُ ، فإنَّ نَبْعَ الماءِ مِن الحجَرِ مشهورٌ فى العُلومِ والمَعارفِ ، وأعْجَبُ مِن ذلك نَبْعُ الماءِ مِن بينِ اللحمِ والعَظْمِ والدمِ ، فكان يُفَرِّجُ بينَ أصابعِه فى مِخْضَبٍ ، فيَنْبُعُ مِن بينِ أصابعِه الماءُ ، فيَشْرَبون ويُسْقَوْن ماءً جاريًا عَذْبًا ، يَرْوِى العددَ الكثيرَ مِن الناسِ والخيلِ والإبلِ .

ثم روَى مِن طريقِ المُطَّلبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حَنْطَبٍ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ ابنُ أبى عَمْرةَ الأنصارىُّ ، حدَّثنى أبى قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غَزْوةِ غزاها ، [3]فأصاب الناسَ[3] مَخْمَصةٌ فدَعا بِرِكْوةٍ فوُضِعت بينَ يديه ، ثم دَعا بماءٍ فصبَّه فيها ، ثم مَجَّ فيها [4]وتكَلَّم[4] بما شاء اللَّهُ أن يتَكَلَّمَ ، ثم أدْخَل أُصْبُعَه فيها ، فأُقْسِمُ باللَّهِ لقد رأيْتُ أصابعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ تتَفَجَّرُ منها[5] يَنابِيعُ الماءِ ، ثم أمَر

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٥٨٨.

(٢) فى الأصل : « البحر » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « فبات الناس » ، وفى م : « فبات الناس فى » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ١٥١.

(٥) زيادة من : م .

الناسَ فسَقَوْا وشرِبوا ومَلَئُوا قِرَبَهم وإداواتِهم .

وأما قصةُ إحْياءِ الذين قُتِلوا بسببِ عِبادةِ العِجْلِ وقصةُ البقرةِ ، فسيأتى ما يُشابِهُهما مِن إحْياءِ حَيواناتٍ وأُناسٍ ، عندَ ذِكْرِ إحْياءِ الموتى على يدِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَر أبو نُعيمٍ هـٰهنا أشْياءَ أُخَرَ ترَكْناها اخْتِصارًا واقْتِصادًا .

وقال هشامُ بنُ عمارٍ فى كتابِه « المبعثِ » : بابٌ فيما أُعْطِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وما أُعْطِىَ الأنْبياءُ قبلَه . حدَّثنا محمدُ بنُ شُعيبٍ القرشىُّ ، حدَّثنا رَوْحُ بنُ مُدْرِكٍ ، أخْبَرنى عمرُ بنُ حَسَّانَ التَّمِيمىُّ ، أن موسى ، عليه السلامُ ، أُعْطِىَ آيةً مِن كُنوزِ العَرْشِ ؛ ربِّ لا تُولِجِ الشَّيطانَ فى قلبى ، وأعِذْنى منه ومِن كلِّ سُوءٍ ، فإن لك الأيْدَ[1] والسُّلطانَ والمُلْكَ والمَلَكوتَ ، دَهْرَ الداهرِين ، وأَبَدَ الآبدِين ، آمينَ آمينَ . قال : وأُعْطِىَ محمدٌ ﷺ آيتَيْنِ مِن كُنوزِ العَرْشِ ؛ آخرَ سورةِ « البقرةِ » : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى آخرِها [البقرة : ٢٨٥، ٢٨٦] .

[٥/ ٣٨ظ] **قصةُ حَبْسِ الشمسِ على يُوشَعَ بنِ نُونِ بنِ أفراييمَ بنِ يوسُفَ ابنِ يَعْقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خَليلِ الرحمنِ ، عليهم السلامُ .**

وقد كان نبىٌّ بنى إسرائيلَ بعدَ موسى ، عليه السلامُ ، وهو الذى خرَج ببنى إسرائيلَ مِن التِّيهِ ، ودخَل بهم بيتَ المَقْدِسِ بعدَ حِصارٍ ومُقاتلةٍ ، وكان الفتحُ قد يُنْجَزُ بعدَ العصرِ يومَ الجُمُعةِ ، وكادت الشمسُ تَغْرُبُ ويَدْخُلُ عليهم السبتُ فلا يتَمَكَّنون معه مِن القتالِ ، فنظَر إلى الشمسِ فقال : إنكِ مَأْمورةٌ وأنا مَأْمورٌ . ثم قال : اللهم احْبِسْها علىَّ . فحبَسها اللَّهُ تعالى عليه حتى فتَح البلدَ ثم غرَبت .

---

(١) فى م : « اليد » . والأيد : القوة . النهاية ١/ ٨٤.

وقد قدَّمْنا[1] فى قصةٍ مِن قَصَصِ الأنبياءِ الحديثَ الواردَ فى « صحيحِ مسلمٍ » مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمرٍ ، عنِ همامٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « غزا نبىٌّ مِن الأنبياءِ ، فدَنا مِن القريةِ حينَ صلَّى العصرَ أو قريبًا مِن ذلك ، فقال للشمسِ : أنتِ مَأْمورةٌ وأنا مَأْمورٌ ، اللهم احْبِسْها[2] علىَّ شيئًا » . فحُبِست عليه حتى فتَح اللَّهُ عليه . الحديثَ بطُولِه .

وهذا النبىُّ هو يُوشَعُ بنُ نونٍ ؛ بدليلِ ما رَواه الإمامُ أحمدُ[3] ، حدَّثنا أسْودُ بنُ عامرٍ ، حدَّثنا أبو بكرٍ ، عن[4] هشامٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الشمسَ لم تُحْبَسْ لبشرٍ إلا ليُوشَعَ ، عليه السلامُ ، ليالىَ سار إلى بيتِ المقدسِ » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه على شرطِ البخارىِّ . إذا عُلِم هذا فانْشِقاقُ القمرِ فِلْقَتَيْن ، حتى صارت فِرقةٌ مِن وراءِ الجبلِ - أعْنى حِراءَ - وأخرى مِن دونِه ، أعْظَمُ فى المُعْجِزِ مِن حَبْسِ الشمسِ قليلًا . وقد قدَّمْنا فى الدلائلِ حديثَ رَدِّ الشمسِ بعدَ غروبِها ، وذكَرْنا ما قيل فيه مِن المَقالاتِ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال شيخُنا العَلَّامةُ أبو المَعالى بنُ الزَّمْلَكانىِّ : وأما حَبْسُ الشمسِ ليُوشَعَ فى قتالِ الجبَّارِين ، فقد انْشَقَّ القمرُ لنبيِّنا ﷺ ، وانْشِقاقُ القمرِ فِرْقَتَيْنِ أبْلَغُ مِن حَبْسِ الشمسِ عن مَسيرِها ، وصَحَّت الأحاديثُ وتواتَرَت بانشِقاقِ القمرِ ، وأنه كان فِرْقةٌ خَلْفَ الجبلِ وفِرْقَةٌ أمامَه ، [5]وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اشهَدوا »[5] ، وأن

---

(١) تقدم فى ٢/ ٢٣٧.

(٢) فى الأصل ، م : « أمسكها » .

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٢٣٦.

(٤) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٨١.

(٥ - ٥) سقط من : م .

قريشًا قالوا : هذا سَحَر أبْصارَنا ، فورَدَت المسافرون وأخْبَروا أنهم رأَوْه مُفْتَرِقًا . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ . قال : وقد حُبِسَت الشمسُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ مرَّتَيْن ؛ إحداهما ما رَواه الطَّحاويُّ وقال : رُواتُه ثِقاتٌ . وسمَّاهم وعدَّلَهم[1] واحدًا واحدًا ، وهو أن النبيَّ ﷺ كان يُوحَى إليه ورأسُه فى حِجْرِ عليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فلم يَرْفَعْ رأسَه حتى غرَبَت الشمسُ ، ولم يكنْ عليٌّ صلَّى العصرَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم إنه كان فى طاعتِك وطاعةِ نَبيِّك ، فارْدُدْ عليه الشمسَ » . فردَّ اللَّهُ عليه الشمسَ حتى رُئِيَتْ ، فقام عليٌّ فصلَّى العصرَ ، ثم غرَبت ، والثانيةُ صَبيحةَ الإسْراءِ ، فإنه ﷺ أخْبَر قريشًا عن مَسْراه مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ ، فسأَلوه عن أشياءَ مِن بيتِ المقدسِ ، فجَلَّاه اللَّهُ له حتى نظَر إليه ووصَفه لهم ، وسأَلوه عن عِيرٍ كانت لهم فى الطريقِ فقال : « إنها تَصِلُ إليكم مع شروقِ الشمسِ » . فتَأَخَّرت ، فحبَس اللَّهُ الشمسَ عن الطُّلوعِ حتى [2]جاءَت العِيرُ[2] . روَى ذلك يونُسُ بنُ بُكَيرٍ فى زياداتِه على « السيرةِ »[3] . [٥/ ٣٩و] أمَّا حديثُ ردِّ الشمسِ [4]بسببِ عليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه[4] فقد تقدَّم ذِكْرُنا له[5] مِن طريقِ أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ ، وهو أشهرُها ، وأبى سعيدٍ وأبى هريرةَ وعليٍّ نفسِه ، وهو مُسْتَنْكَرٌ مِن جميعِ الوجوهِ ، وقد مال إلى القولِ بتَقْويتِه أحمدُ بنُ صالحٍ المِصْرىُّ الحافظُ ، وأبو جَعْفَرٍ الطَّحاويُّ ، والقاضى عِياضٌ ، وكذا صحَّحه جماعةٌ مِن العُلماءِ

---

(١) فى م : « عدهم » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « كانت العصر » .
(٣) فى م : « السنن » . وتقدم ذلك فى ٤/ ٢٧٤.
(٤ - ٤) سقط من : ١٥١.
(٥) تقدم فى ٨/٥٦٥ - ٥٨٩.

الرَّافضةِ كابنِ المُطَهَّرِ وذَوِيه ، ورَدَّه وحكَم بضعفِه آخرون مِن كِبارِ حُفَّاظِ الحَديثِ ونُقَّادِهم ، كعليِّ بنِ المَدِينيِّ ، وإبراهيمَ بنِ يَعْقوبَ الجُوزْجانيِّ ، وحكاه عن شيخِه محمدٍ ويَعْلَى ابنَىْ عُبَيدٍ الطَّنافِسيَّين ، وكأبى بكرٍ محمدِ بنِ حاتمٍ البخاريِّ المَعْروفِ بابنِ زَنْجَوَيْهِ أحدِ الحُفَّاظِ ، والحافظِ الكبيرِ أبى القاسمِ بنِ عَساكرَ ، وذكَره الشيخُ جمالُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزيِّ فى كتابِ « المَوْضوعاتِ » ، وكذلك صرَّح بوَضْعِه شَيْخاىَ الحافظان الكَبيرانَ أبو الحَجَّاجِ المِزِّيُّ ، وأبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبيُّ . وأمَّا ما ذكَره يونُسُ بنُ بُكَيرٍ فى زياداتِه على « السِّيرةِ » مِن تأخُّرِ طُلوعِ الشمسِ عن إبَّانِ طُلوعِها ، فلم يُرَ لغيرِه مِن علماءِ السيَرِ ، على أن هذا ليس مِن الأُمورِ المُشاهَدةِ ، وأكثرُ ما فى البابِ أن الراوىَ رأَى[1] تأخيرَ طُلوعِها ولم يُشاهِدْ حبْسَها عن وقتِه .

وأغْرَبُ مِن هذا ما ذكَره ابنُ المُطَهَّرِ فى كتابِه « المِنْهاجِ »[2] أنها رُدَّت لعليٍّ مرَّتين ، فذكَر الحديثَ المتقدِّمَ كما ذُكِر ، ثم قال : وأما الثانيةُ فلمَّا أراد أن يَعْبُرَ الفُراتَ ببابلَ ، اشْتَغل كثيرٌ مِن أصحابِه بسببِ دوابِّهم ، وصلَّى لنفسِه فى طائفةٍ مِن أصحابِه العصرَ ، وفات كثيرًا منهم فتَكَلَّموا فى ذلك ، فسأَل اللَّهَ ردَّ الشمسِ فرُدَّت . قال : [3]ونظَمه الحِمْيَرِيُّ فقال :

رُدَّت عليه الشمسُ لمَّا فاته ... وقتُ الصلاةِ وقد دنَت للمَغْرِبِ
حتى تَبَلَّجَ نورُها فى وقتِها ... للعصرِ ثم هوَتْ هُوِيَّ الكوكبِ
وعليه قد رُدَّت ببابلَ مرةً ... أُخرَى وما رُدَّت لخَلْقٍ مُغْرِبِ[3]

---

(١) فى م : « روى » .
(٢) انظر ما تقدم فى ٨/ ٥٨٦.
(٣ - ٣) سقط من : م .

وذكَر أبو نُعيمٍ بعدَ موسى إدريسَ ، عليه السلامُ ، وهو عندَ كثيرٍ مِن المُفَسِّرين مِن أنبياءِ بنى إسرائيلَ ، وعندَ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسارٍ وآخرِين مِن عُلماءِ النَّسَبِ قبلَ نوحٍ ، عليه السلامُ ، (١) فى عمودِ نسبِه إلى آدمَ ، عليه السلامُ (١) ، كما تقَدَّم التَّنْبيهُ على ذلك ، فقال :

القولُ فيما أُعْطِىَ إدريسُ ، عليه السَّلامُ مِن الرِّفْعةِ التى نَوَّه اللَّهُ بذكرِها (٢) فقال : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

قال : والقولُ فيه أنَّ نبيَّنا محمدًا ﷺ أُعْطِىَ أفضلَ وأكْملَ مِن ذلك ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى رفَع ذِكْرَه فى الدنيا والآخرةِ فقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] . فليس خطيبٌ ولا مُتَشَفِّعٌ (٣) ولا صاحبُ صلاةٍ إلا يُنادِى بها : أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ . فقرَن اللَّهُ اسمَه باسمِه فى مَشارقِ الأرضِ ومَغاربِها ، وذلك مِفْتاحًا للصلاةِ (٤) المفروضَةِ ، ثم أوْرَد حديثَ ابنِ لَهيعةَ ، عن دَرَّاجٍ ، عن أبى الهَيْثَمِ (٥) ، عن أبى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قولِه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ . قال : « قال جبريلُ : قال اللَّهُ : إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ » . ورَواه ابنُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل ، ١٥١ : « بذكره » .

(٣) فى الأصل : « مشفع » ، وفى م : « شفيع » . ولعلها « متشهد » . كما فى تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٣٥ ، والتفسير ٨/ ٢٥٤ من قول قتادة .

(٤) فى الأصل : « للصلوات » .

(٥) فى م : « الهشيم » . وأبو الهيثم هو سليمان بن عمرو بن عبدٍ - ويقال : ابن عبيد - الليثى العُتْوارى . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٠ .

جَريرٍ وابنُ أبى حاتمٍ[1] ، [٥/ ٣٩ظ] مِن طريقِ دَرَّاجٍ .

ثم قال[2] : حدَّثنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ أحمدَ الغِطْريفىُّ ، حدَّثنا موسى بنُ سهلٍ الجَوْنىُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ القاسمِ بنِ بَهْرامٍ الهِيتىُّ ، حدَّثنا نصرُ بنُ حمادٍ ، عن عثمانَ بنِ عطاءٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لما فرَغْتُ مما أمَرنى اللَّهُ تعالى به مِن أمْرِ السماواتِ والأرضِ قلتُ : ياربِّ إنه لم يكنْ نبىٌّ قَبْلى إلا قد كرَّمْتَه ؛ جعَلْتَ إبراهيمَ خليلًا ، وموسى كَليمًا ، وسخَّرْتَ لداودَ الجِبالَ ، ولسليمانَ الرِّيحَ والشياطينَ ، وأحْيَيْتَ لعيسى الموتى ، فما جعَلْتَ لى ؟ قال : أو ليس قد أعْطَيْتُك أفضلَ مِن ذلك كلِّه ، أن لا أُذْكَرَ إلا[3] ذُكِرْتَ معى ، وجَعَلْتُ صُدورَ أُمَّتِك أناجِيلَ يقْرءون القرآنَ ظاهرًا ، ولم أُعْطِها أُمَّةً ، وأنْزَلْتُ عليك كلمةً مِن كُنوزِ عرشى[4] : لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ » . وهذا إسنادٌ فيه غَرابةٌ ، ولكن أوْردَ له شاهدًا مِن طريقِ أبى القاسمِ ابنِ بنتِ مَنيعٍ البَغَوىِّ ، عن سليمانَ بنِ داودَ الزَّهْرانِىِّ[5] ، عن حمّادِ بنِ زيدٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ مرفوعًا بنحوِه .

وقد رَواه أبو زُرْعةَ الرازىُّ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ » بسِياقٍ آخرَ ، وفيه انقطاعٌ ، فقال : حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ الدِّمشقىُّ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنا

---

(١) فى الأصل ، م : « عاصم » . والحديث أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٣٠/ ٢٣٥، وعزاه المصنف لابن أبى حاتم فى التفسير ٨/ ٤٥٢.

(٢) أى أبو نعيم . ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٦٤ ، وعزاه إلى أبى نعيم .

(٣) فى الأصل : « حتى » .

(٤) فى الأصل ، ١٥١: « العرش » .

(٥) فى الأصل ، م : « المهرانى » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٢٣.

شُعيبُ بنُ رُزَيْقٍ[1] ، أنه سمِع عطاءَ الخُراسانيَّ يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ وأنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ عن حديثِ ليلةِ أُسْرِىَ به ، قال : « فأرانِى اللَّهُ مِن آياتِه فوجَدْنا[2] رِيحًا طيبةً فقلتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قال : هذه الجنةُ تقولُ : ياربِّ ائْتِنى بأهلى . قال اللَّهُ تعالى : [3]أنا اللَّهُ لا إلهَ إلا أنا[3] ، لكِ ما وعدْتُكِ ، كلُّ مؤمنٍ و[4]مؤمنةٍ لم يتَّخِذْ مِن دُونى أندادًا ، ومَن أقْرَضنى جَزَيْتُه[5] ، ومَن توكَّل علىَّ كَفَيْتُه ، ومَن سألَنى أَعْطَيْتُه ولا يَنْقُصُ نَفَقَتِى[6] ، ولا يَنْقُصُ ما يتَمَنَّى ، لكِ ما وعَدْتُكِ[7] ، فنِعْم دارُ المتقين أنتِ . قالت[8] : رَضِيتُ . فلما انتَهَيْنا إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى خرَرْتُ ساجدًا فرفَعْتُ رأسى فقلتُ : ياربِّ اتخَذْتَ إبراهيمَ خليلًا ، وكلَّمْتَ موسى تكْليمًا ، وآتيْتَ داودَ زَبورًا ، وآتيْتَ سليمانَ مُلْكًا عظيمًا . قال : فإنِّى قد رفَعْتُ لك ذِكْرَك [3]تُذكرُ معى إذا ذُكِرْتُ[3] ، ولا تَجوزُ لأمَّتك خُطْبةٌ حتى يشْهَدوا أنك رسولى ، وجعَلْتُ قلوبَ أُمَّتِك أناجيلَ ، وآتيْتُك خَواتيمَ سورةِ البقرةِ مِن تحتِ عرشى » .

ثم روَى[9] مِن طريقِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ ، عن أبى هريرةَ حديثَ

---

(١) فى ١٥١: « رزين » ، وفى م : « زريق » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٢٤.

(٢) فى م : « فوجدت » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى ١٥١: « أو » .

(٥) فى الأصل ، م : « قربته » .

(٦) فى م : « نفقته » .

(٧) فى الأصل : « وعدك » .

(٨) فى م : « قلت » .

(٩) أى أبو نعيم . وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٣٩٧، من طريق الربيع بن أنس به .

الإسراءِ بطولِه ، كما سُقْناه مِن طريقِ ابنِ جريرٍ فى « التفسيرِ »[1] . وقال أبو زُرْعةَ فى سياقِه : ثم لقِىَ أرْواحَ الأنبياءِ ، عليهم السلامُ ، فأثْنَوا على ربِّهم ، عز وجل ، فقال إبراهيمُ : الحمدُ للَّهِ الذى [2]اتَّخَذنى خليلًا ، وأعْطانى مُلْكًا عظيمًا ، وجعَلنى أُمَّةً قانتًا للَّهِ [3]يُؤْتَمُّ بى[3] ، وأنْقَذنى مِن النارِ ، وجعَلها علىَّ بَرْدًا وسَلامًا . ثم إنَّ موسى أثْنَى على ربِّه فقال : الحمدُ للَّهِ الذى[2] كلَّمنى تكْليمًا ، واصْطفانى برسالتِه وبكلامِه ، وقرَّبنى نَجِيًّا ، وأنزل علىَّ التَّوراةَ ، وجعَل هَلاكَ فرعونَ على يَدَىَّ ، [4]ونَجاةَ بنى إسرائيلَ على يَدَىَّ[4] . ثم إنَّ داودَ أثْنَى على ربِّه فقال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَلنى مَلِكًا وأنزل علىَّ الزَّبورَ ، وألان لىَ الحديدَ ، وسخَّر لىَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ معىَ[5] والطيرَ ، وآتانىَ الحكمةَ وفَصْلَ الخِطابِ . ثم إنَّ سليمانَ أثْنَى على ربِّه فقال : الحمدُ للَّهِ الذى سخَّر لىَ الرياحَ والجنَّ والإنسَ ، وسخَّر لىَ الشياطينَ يعْمَلون لى ما شئتُ مِن مَحاريبَ وتَماثيلَ وجِفانٍ كالجَوابِ وقُدورٍ راسِياتٍ ، وعلَّمنى مَنْطِقَ الطَّيرِ ، وأسال لى عَينَ القِطْرِ ، وأعْطانى مُلْكًا لا ينْبغى لأحدٍ مِن بعدى . ثم إن عيسى ، عليه السلامُ ، أثْنَى على ربِّه ، عز وجل ، فقال : الحمدُ للَّهِ الذى علَّمنى التوراةَ والإنْجيلَ ، [٥/ ٤٠و] وجعَلنى أُبْرِئُ الأكْمهَ والأبْرصَ وأُحْيى الموتَى بإذنِ اللَّهِ ، ورفَعنى وطهَّرنى مِن الذين كفَروا ، وأعاذنى مِن الشيطانِ الرجيمِ ، فلم يكُنْ للشيطانِ علينا سبيلٌ . ثم إنَّ محمدًا ﷺ أثْنَى على ربِّه فقال : « كلُّكم أثْنَى على ربِّه ، وأنا مُثْنٍ على ربِّى ؛ الحمدُ للَّهِ الذى أرْسَلنى رحمةً

---

(١) التفسير ٥/٣١ - ٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣ - ٣) فى م : « محياى ومماتى ».

(٤ - ٤) سقط من : م.

(٥) فى م : « معه ».

للعالمين، وكافَّةً للناسِ بَشيرًا ونَذيرًا، وأنزل عليَّ الفُرْقانَ فيه بِيانُ كلِّ شيءٍ، وجعَل أمَّتى خيرَ أمةٍ أُخْرِجت للناسِ، وجعَل أمتى أُمَّةً[1] وَسَطًا، وجعَل أمَّتى هم الأَوَّلِين وهم الآخِرِين، وشرَح لى صَدْرِى، ووضَع عنى وِزْرِى، ورفَع لى ذِكْرِى، وجعَلنى فاتحًا وخاتمًا». فقال إبراهيمُ: بهذا فضَلكم محمدٌ ﷺ.

ثم أوْرَد [2]أبو نُعيم[2] الحديثَ المتقدمَ فيما رَواه الحاكمُ والبيهقىُّ[3] مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ[4] بنِ أسلمَ، عن أبيه، [5]عن جَدِّه[5]، عن عمرَ بنِ الخطابِ مرفوعًا فى قولِ آدمَ: «يارَبِّ أسألُك بحقِّ محمدٍ لمَّا[6] غفَرْتَ لى. فقال اللَّهُ: وما أدْراك ولم أخْلُقْه بعدُ؟ فقال: لأنى رأيْتُ مكتوبًا [7]مع اسمِك[7] على ساقِ العرشِ: لا إلهَ إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ. فعرَفْتُ أنك لم [8]تكنْ تضيفُ[8] إلى اسمِك إلا أحبَّ الخلقِ إليك. فقال اللَّهُ: صدَقْتَ يا آدمُ، ولولا محمدٌ ما خلَقْتُك». وقال بعضُ الأئمةِ: رفَع اللَّهُ ذِكْرَه، ونَوَّهَ[9] باسْمِه فى الأوَّلِين والآخِرين، وكذلك يَرْفَعُ قَدْرَه ويُقيمُه مُقامًا محمودًا يومَ القيامةِ، يَغْبِطُه به الأوَّلون والآخِرون، ويَرْغَبُ إليه الخَلْقُ كلُّهم حتى إبراهيمُ الخَليلُ، كما ورَد فى «صحيحِ مسلمٍ» فيما سلَف، وسيأتى أيضًا.

---

(١) سقط من: م.
(٢ - ٢) فى الأصل، م: «إبراهيم».
(٣) تقدم تخريجه فى ١/ ١٩٠.
(٤) فى م: «يزيد».
(٥ - ٥) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٥٢٩.
(٦) فى الأصل: «إلا ما»، وفى م: «إلا».
(٧ - ٧) سقط من: ا ١٥١.
(٨ - ٨) فى م: «تضفى».
(٩) فى الأصل، م: «قرنه».

فأمَّا التَّنْويهُ بذِكْرِه فى الأُمَمِ الخاليةِ، والقرونِ السالفة، ففى «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِه[1] عن ابنِ عباسٍ قال: ما بعَث اللَّهُ نبيًّا إلا أخَذ عليه الميثاقَ لئن بُعِث محمدٌ [2]وهو حيٌّ[2] لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَتَّبِعَنَّه [3][4]ولَيَنْصُرَنَّه[4]، وأمَره أن يأخُذَ على أُمَّتِه العهدَ والميثاقَ؛ لئن بُعِث محمدٌ وهم أحْياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَتَّبِعُنَّه[3]. وقد بَشَّرَت بوجودِه الأنْبياءُ حتى كان آخِرَ مَن بشَّر به عيسى ابنُ مريمَ خاتَمُ أنْبياءِ بنى إسرائيلَ، وكذلك بَشَّرَت به الأحْبارُ والرُّهْبانُ والكُهَّانُ، كما قدَّمْنا ذلك مَبْسوطًا، ولمّا كانت ليلةُ الإسْراءِ رُفِع مِن سماءٍ إلى سماءٍ حتى سلَّم على إدْريسَ، عليه السلامُ، وهو فى السماءِ الرابعةِ، ثم جاوَزه إلى الخامسةِ، ثم إلى السادسةِ، فسلَّم على موسى بها، ثم جاوَزه إلى السابعةِ فسلَّم على إبراهيمَ الخليلِ بها عندَ البيتِ المعمورِ، ثم جاوَز ذلك المَقامَ، فرُفِع لمُسْتَوًى يَسْمعُ فيه صَريفَ الأقْلامِ، وجاء سِدْرَةَ المُنْتَهَى، ورأَى الجنَّةَ والنارَ وغيرَ ذلك مِن الآياتِ الكُبْرَى، وصلَّى بالأنبياءِ، وشَيَّعه مِن كلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها، وسلَّم عليه رِضْوانُ خازِنُ الجِنانِ، [4]ومالكٌ خازنُ النارِ[4]، فهذا هو الشَّرفُ، وهذه هى الرِّفْعةُ، وهذا هو التَّكْريمُ والتَّنْويهُ والإشْهارُ والتقديمُ والعُلُوُّ والعَظَمةُ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعلى سائرِ أنْبياءِ اللَّهِ أجْمَعين.

وأما رَفْعُ ذِكْرِه فى الآخِرين، فإن دِينَه باقٍ ناسخٌ لكلِّ دِينٍ، ولا يُنْسَخُ هو أَبَدَ الآبدِين ودهْرَ الداهرِين إلى يومِ الدِّينِ، ولا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِه ظاهرِين على

---

(١) ليس فى صحيح البخارى، وانظر ما تقدم فى ٤/ ٣٨٥.

(٢ - ٢) فى الأصل: «وهم أحياء».

(٣ - ٣) سقط من: ا ١٥١.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

الحقِّ، لا يضُرُّهم مَن خذَلهم ولا مَن خالَفهم حتى تقومَ الساعةُ، والنِّداءُ بالأَذانِ[1] فى كلِّ يومٍ خمْسَ مراتٍ على كلِّ مكانٍ مُرْتفعٍ مِن[2] الأرضِ: أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ. [٥/ ٤٠ظ] وهكذا كلُّ خطيبٍ يَخْطُبُ[3] لابدَّ من أن يَذْكُرَه فى خُطْبتِه، وما أحْسنَ قولَ حَسَّانَ[4]:

أغَرُّ عليه للنبوةِ خاتَمٌ ... مِن اللَّهِ مَشْهودٌ[5] يَلوحُ ويَشْهَدُ
وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبىِّ إلى اسمِه ... إذا قال فى الخمسِ المُؤَذِّنُ أشْهدُ
وشَقَّ له مِنَ اسمِه ليُجِلَّه ... فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ[6]

وقال الصَّرْصَرىُّ، [7]وهو حَسّانُ وقتِه:

لا يَصِحُّ الأذانُ فى الفرضِ إلّا ... باسمِه العَذْبِ فى الفمِ المَرْضِىِّ

وقال أيضًا[7]:

ألم تَرَ أنَّا لا يَصِحُّ أذانُنا ... ولا فَرْضُنا إن لم نُكَرِّرْه فيهما

القولُ فيما أُوتِىَ داودُ، عليه السلامُ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ

---

(١) سقط من: م.
(٢) فى الأصل: «على».
(٣) فى الأصل، ١٥١: «يخبر».
(٤) ديوان حسان ص ٣٣٨.
(٥) فى الأصل: «نور»، وفى ١٥١: «من نور».
(٦) فى ١٥١: «أحمد».
(٧ - ٧) سقط من: م.

مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧- ١٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١]. وقد ذكَرْنا فى[(١)] قصتِه، عليه السَّلامُ، وفى «التفسيرِ»[(٢)]، طِيبَ[(٣)] صوتِه، عليه السلامُ، وأنَّ اللَّهَ تعالى كان قد سَخَّر له الطيرَ تُسَبِّحُ معه، وكانت الجبالُ أيضًا تُجِيبُه وتُسَبِّحُ معه، وكان سريعَ القراءةِ؛ كان[(٤)] يأمُرُ بدوابِّه فتُسْرَجُ[(٥)] فيَقْرَأُ الزَّبورَ مِقْدارَ ما يُفْرَغُ مِن شأنِها ثم يَرْكَبُ، وكان لا يَأْكُلُ إلا مِن كَسْبِ يدِه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، وقد كان نبيُّنا ﷺ حَسَنَ الصوتِ طَيِّبَه؛ بتِلاوةِ القرآنِ. قال جُبيرُ بنُ مُطْعِمٍ: قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المغربِ بالتِّينِ والزَّيْتونِ، فما سمِعْتُ صوتًا أطْيَبَ مِن صوتِه ﷺ[(٦)]. وكان يَقْرَأُ تَرْتيلًا كما أمَره اللَّهُ عز وجل بذلك. وأما تَسْبِيحُ الطَّيرِ مع داودَ، فتَسْبيحُ الجِبالِ الصُّمِّ الجَمادِ[(٧)] أعْجبُ مِن ذلك، وقد تقدَّم فى الحديثِ أنَّ الحَصا سبَّح فى كَفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ. [(٨)]قال ابنُ حامدٍ: وهذا حديثٌ مَعْروفٌ مَشْهورٌ. وكانت الأحْجارُ والأشْجارُ والمَدَرُ تُسَلِّمُ عليه ﷺ[(٨)].

---

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٦/ ٤٨٥. وتقدمت قصته فى ٢/ ٣٠٤.

(٣) فى م: «وطيب».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى النسخ: «فتسرح». وانظر ما تقدم فى ٢/ ٣٠٦.

(٦) لم يرو هذا الحديث جبير بن مطعم، وإنما رواه البراء بن عازب. وأخرجه عنه البخارى (٧٦٧، ٧٦٩، ٤٩٥٢، ٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤)، وغيرهما، وفيه صلاة العشاء بدل صلاة المغرب. أما جبير ابن مطعم فقد روى أن النبى ﷺ قرأ الطور فى صلاة المغرب، فى البخارى (٧٦٥، ٣٠٥٠، ٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣) وغيرهما.

(٧) سقط من: م.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل.

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[1] ، عن ابنِ مسعودٍ قال : لقد كنا نَسْمَعُ تَسْبيحَ الطَّعامِ وهو يُؤْكَلُ . يعنى بينَ يدي النبيِّ ﷺ . وكلَّمه ذِراعُ الشاةِ المَسْمومةِ ، وأعْلَمه بما فيه مِن السُّمِّ ، وشَهِدت بنبوتِه الحَيواناتُ الإنْسيةُ والوَحْشِيةُ ، والجَماداتُ أيضًا ، كما تقَدَّم بَسْطُ ذلك كلِّه ، ولا شكَّ أنَّ صُدورَ التَّسْبيحِ مِن الحَصا الصِّغارِ الصُّمِّ التى لا تَجاوِيفَ فيها أعْجبُ مِن صُدورِ ذلك مِن الجِبالِ ، لِما فيها مِن التَّجاويفِ والكُهوفِ ، فإنها وما شاكَلها تُرَدِّدُ[2] صَدَى الأصْواتِ العاليةِ غالبًا ، كما كان[3] عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ[4] إذا خطَب - وهو أميرُ المُؤمنينَ[5] - بالحَرَمِ الشَّريفِ ، تُجاوِبُه الجِبالُ ؛ أبو قُبَيْسٍ وزُرْزُرٌ[6] ، ولكن مِن غيرِ تَسْبيحٍ ، فإنَّ ذلك مِن مُعْجِزاتِ داودَ ، عليه السلامُ ، ومع هذا فتَسبيحُ الحَصا فى كَفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ أَعْجبُ .

[7]وقال أبو نُعيمٍ[8] : فإنْ قيل : سُخِّرَت له الطيرُ . فقد سُخِّرت لرسولِ اللَّهِ ﷺ مع الطيرِ البهائمُ العظيمةُ ؛ الإبلُ فما دُونَها ، وما هو أعسرُ وأصعبُ من الطيرِ ؛ السِّباعُ العادِيةُ الضاريةُ ، تَتَهيَّبه وتَنْقادُ إلى طاعَتِه ؛ كالبعيرِ الشَّاردِ الذى سجَد له ، والذئبِ الذى نطَق بنُبوَّتِه والتصديقِ بدعوتِه ورسالتِه . وقد تقدمَت أسانيدُ ذلك كلِّه[7] .

---

(١) البخارى (٣٥٧٩) .

(٢) فى الأصل : « ترى » ، وفى ا ١٥١ : « ترد » .

(٣) فى م : « قال » .

(٤) بعده فى م : « كان » . وانظر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠.

(٥) فى م : « المدينة » .

(٦) فى م : « زرود » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م .

(٨) دلائل النبوة ٢/٥٩٣ .

وأمَّا أكْلُ داودَ مِن كَسْبِ يدِه ، فقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ مِن كَسْبِه أيضًا ، كما كان يَرْعَى غنمًا لأهلِ مكةَ على قَرارِيطَ ، وقال : « ما مِن نبيٍّ إلا وقد رعَى الغنمَ »[1] . وخرَج إلى الشامِ فى تجارةٍ لخديجةَ [٥/ ٤١و] مُضارَبةً ، وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧- ٢٠] . أى للتَّكَسُّبِ والتِّجارةِ طَلَبًا للربحِ الحلالِ . ثم لمَّا شرَع اللَّهُ له[2] الجِهادَ بالمدينةِ ، كان يأكُلُ مما أباح له مِن المَغانِمِ التى لم تُبَحْ لنبيٍّ قبلَه ، ومما أفاء اللَّهُ عليه مِن أمْوالِ الكُفّارِ التى أُبِيحت له دونَ غيرِه ، كما جاء فى « المسندِ » و « الترمذىِّ »[3] عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بُعِثْتُ بالسيفِ بينَ يدَيِ الساعةِ حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، وجُعِل رِزْقى تحتَ ظِلِّ رُمْحى ، وجُعِل[4] الذِّلَّةُ والصَّغارُ على مَن خالَف أمْرى ، ومَن تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم » .

وأمَّا إلانةُ الحَديدِ [5]لداودَ ، عليه السَّلامُ ، فقد كان مِن المُعْجِزاتِ الباهِراتِ ؛ كان الحديدُ يَلِينُ فى[6] يَدَيْه[5] مِن غيرِ نارٍ ، كما يَلِينُ العَجينُ فى يدِه ، فكان

---

(١) تقدم تخريجه فى ٣/ ٤٦٦.

(٢) سقط من : م .

(٣) تقدم تخريجه فى ٣/ ٧٣٣.

(٤) فى الأصل ، ١٥١ : « جعلت » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « بين » .

يَصْنَعُ منه هذه الدُّروعَ الدَّاوُدِيَّةَ ، وهى الزَّرَدِيّاتُ السَّابِغاتُ ، وأمَره اللَّهُ تعالى (١) بكَيفِيَّةِ عَملِها (١) ، ﴿ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ: ١١] ، أى ألّا تُدِقَّ المِسْمارَ فيَقْلَقَ ، ولا تُغَلِّظْه فيَفْصِمَ (٢) ، كما جاء فى البخارىِّ (٣) . وقال تعالى : (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ (٤) مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ) [الأنبياء: ٨٠] . وقد قال بعضُ الشعراءِ فى مُعْجزاتِ النُّبوَّةِ :

نَسْجُ داودَ ما حمَى صاحبَ الغا رِ وكان الفَخارُ للعنكبوتِ

والمقصودُ المُعْجِزُ فى إلانةِ الحديدِ ، وقد تقدَّم فى السيرةِ (٥) عندَ ذكرِ حفْرِ الخندقِ عامَ الأحْزابِ فى سنةِ أربعٍ - وقيل : خمسٍ - أنهم عرَضَت لهم كُدْيَةٌ ، وهى الصخرةُ فى الأرضِ ، فلم يقْدِروا على كَسْرِها ولا شىءٍ منها ، فقام إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد ربَط حجرًا على بطنِه مِن شدةِ الجوعِ ، فضرَبها ثلاثَ ضَرَباتٍ ، لمَعت الأولى حتى أضاءت له منها قصورُ الشامِ ، وبالثانيةِ قصورُ فارسَ ، و(٦) بالثالثةِ قصورُ صَنْعاءَ (٦)(٧) ، ثم انثالتِ (٨) الصَّخرةُ كأنَّها كَثيبٌ أَهْيَلُ (٩) مِن الرَّمْلِ ، ولاشك أنَّ (١٠) لِينَ الصخورِ (١٠) التى لا تنْفَعِلُ ولا بالنارِ أعْجَبُ مِن لِينِ الحديدِ الذى إذا حَمِىَ لان ، كما قال بعضُهم :

(١ - ١) فى م : « بنفسه بعملها » .

(٢) فى ا ١٥١ : « فتقصم » ، وفى م : « فيقصم » .

(٣) فتح البارى ٦/ ٤٥٣، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ .

(٤) فى م : « لتحصنكم » ، وهى قراءة ابن عامر وحفص . والمثبت هو قراءة الباقين غير أبى بكر بن عياش ، فقرأها بالنون . انظر حجة القراءات ص ٤٦٩.

(٥) تقدم فى ٦/٢٥ - ٣٢.

(٦ - ٦) فى م : « ثالثة » .

(٧) بياض فى ا ١٥١. والمثبت مما تقدم .

(٨) فى م : « انسالت » . وانثالت : تهدمت وتكسرت . اللسان (ث ل ل) .

(٩) سقط من : م .

(١٠ - ١٠) فى الأصل : « الصخرة » . وفى م : « انسيال الصخرة » .

فلو أنَّ ما عالجْتُ لِينَ فُؤادِها بنفسى[1] لَلانَ الجَدْلُ والجَنْدَلُ الصخرُ

فلو كان شىءٌ أشدَّ قَسْوةً[2] مِن الصَّخْرِ لَذَكَره هذا الشاعرُ المُبالِغُ. وقال اللَّهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ الآية [البقرة: ٧٤]. وأما قولُه تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٠، ٥١]. [3]فذاك التَّرَقِّى لمعنًى آخرَ ذُكِر[3] فى «التفسيرِ»، وحاصلُه أنَّ الحديدَ أشدُّ امْتِناعًا فى الساعةِ الراهنةِ مِن الحجَرِ ما لم يُعالَجْ، فإذا عُولج انفَعل الحديدُ ولا ينْفَعِلُ الحَجَرُ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو نُعيم[4]: فإن قيل: فقد لَيَّنَ اللَّهُ لداودَ، عليه السلامُ، الحديدَ حتى سرَد منه الدُّروعَ السَّوابغَ. قيل: لُيِّنَت لمحمدٍ ﷺ الحجارةُ وصُمُّ الصخورِ، فعادت له غارًا اسْتَتَر به مِن المشركين يومَ أُحُدٍ؛ مال برَأْسِه[5] إلى الجبلِ ليُخْفِيَ شخصَه عنهم، فَلَيَّنَ [6]اللَّهُ له[6] الجبلَ حتى أدْخَل فيه رأسَه، وهذا أعْجَبُ؛ لأن الحديدَ تُلَيِّنُه النارُ، ولم نَرَ النارَ تُلَيِّنُ الحَجَرَ. قال: وذلك بعدُ ظاهرٌ باقٍ يراه [٥/ ٤١ظ] الناسُ. قال: وكذلك فى بعضِ شِعابِ مكةَ حجرٌ مِن جبلٍ [6]أَصَمَّ، اسْتَرْوح[6] فى صلاتِه إليه، فَلان له[5] الحَجرُ حتى أثَّر[7] فيه بذراعَيه وساعدَيه،

---

(١) بعده بياض فى الأصل، م. وفى ١٥١: «اسلرنه». ولعل صواب البيت ما أُثبت. ولم نجده فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) فى م: «قوة».

(٣ - ٣) فى م: «فذلك لمعنى آخر».

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٥٩٤، ٥٩٥.

(٥) سقط من: م.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) فى م: «ادرأ».

وذلك مشهورٌ يَقْصِدُه الحُجَّاجُ ويَرَونه[1] ، وعادتِ الصخرةُ ليلةَ أُسْرِىَ به كهيئةِ العَجينِ ، فربَط بها دابتَه البُراقَ[2] ، يلْمَسُه[3] الناسُ ، إلى يومِنا هذا باقٍ .

وهذا الذى أشار إليه مِن يومِ أُحُدٍ وبعضِ شِعابِ مكةَ غريبٌ جدًّا ، ولعله قد أسْنَده هو فيما سلَف ، وليس ذلك بمعروفٍ فى السيرِ[4] المشهورةِ . وأمَّا رَبْطُ الدابَّةِ فى الحَجَرِ فصحيحٌ ، والذى ربَطها جبريلُ كما هو فى « صحيحِ مسلمٍ »[5] رحِمه اللَّهُ .

وأما قولُه تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٠] . فقد كانت الحكمةُ التى أُوتِيَها محمدٌ ﷺ والشِّرْعةُ التى شُرِعَت له أكملَ مِن كلِّ حكمةٍ وشِرْعةٍ كانت لمن قبلَه مِن الأنبياءِ ، صلواتُ اللَّهِ عليه وعليهم أجمعين ، فإنَّ اللَّهَ جَمَع له مَحاسِنَ مَن كان قبلَه ، وفضَّله ، [6]وأكمل له[6] وآتاه[7] ما لم يُؤْتِ أحدًا قبلَه ، وقد قال صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه : « أُوتِيتُ جَوامعَ الكَلِمِ ، واخْتُصِرَت لىَ الحكمةُ اخْتِصارًا »[8] . ولاشكَّ أنَّ العربَ أفصحُ الأُمَمِ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أفْصَحَهم نُطْقًا ، وأجْمَعَ لكلِّ خُلُقٍ جميلٍ مُطْلقًا .

---

(١) فى الدلائل : « يزورونه » .

(٢) بعده فى م : « وموضعه » .

(٣) فى الأصل ، م : « يمسونه » . وفى ١٥١ : « سسونه » . والمثبت من الدلائل .

(٤) فى م : « السيرة » .

(٥) الذى فى صحيح مسلم (١٦٢/٢٥٩) أن النبى ﷺ هو الذى ربط البراق .

(٦ - ٦) فى م : « وأكمله » .

(٧) سقط من : الأصل ، ١٥١ .

(٨) تقدم تخريجه فى ٤٧٤/٨ .

القولُ فيما أُوتِىَ سليمانُ بنُ داودَ عليه السلامُ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٣٦- ٤٠] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١، ٨٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣] . وقد بسَطْنا ذلك فى قصتِه[3] ، وفى « التفسيرِ »[4] أيضًا .

وفى الحديثِ الذى رواه الإمامُ أحمدُ وصحَّحه الترمذىُّ [٥]وابنُ ماجه[٥] وابنُ حِبانَ والحاكمُ فى « مُستدركِه »[6] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن النبىِّ ﷺ ، أن

---

(١) التفسير ٧/ ٦٤.

(٢) التفسير ٥/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) تقدم فى ٢/٣٢٣ - ٣٥٦.

(٤) التفسير ٦/٤٨٧ - ٤٨٩.

(٥ - ٥) سقط من: ١٥١، م.

(٦) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٤١. ولم نجده عند الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو، وانظر تحفة الأشراف ٦/ ٣٤٩، والمسند الجامع ١١/ ٢٦٥.

سليمانَ ، عليه السلامُ ، لمَّا فرَغ مِن بناءِ بيتِ المقدسِ سأَل اللَّهَ خِلالًا ثلاثًا ؛ سأَل اللَّهَ حُكْمًا يُوافِقُ حُكْمَه ، ومُلْكًا لا ينْبَغى لأحدٍ مِن بعدِه ، وأنه لا يأتى هذا المسجدَ أحدٌ إلا خرَج مِن ذنوبِه كيومَ وَلَدتْه أمُّه .

أما تَسْخيرُ الريحِ لسليمانَ فقد قال اللَّهُ تعالى فى شأنِ الأحْزابِ[1] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

وقد تقدَّم[2] فى الحديثِ الذى رواه مسلمٌ مِن طريقِ شعبةَ ، عن الحكمِ[3] ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبورِ[4] » . ورَواه مسلمٌ[5] مِن طريقِ الأعْمشِ ، عن مسعودِ بنِ مالكٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، مثلَه . وثبَت فى « الصحيحَيْن »[6] : « نُصِرْتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شهرٍ » . ومعنى ذلك أنه ﷺ [٥/ ٤٢و] كان إذا قصَد قِتالَ قومٍ مِن الكُفَّارِ ، ألْقَى اللَّهُ الرُّعْبَ فى قلوبِهم منه[7] قبلَ وصولِه إليهم بشهرٍ ، ولو كان مَسيرُه شهرًا ، فهذا فى مُقابلةِ : ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ . بل هذا أبْلغُ فى التمكينِ[8] والنصرِ والتَّأْييدِ والظَّفَرِ ، وسُخِّرَت

---

(١) التفسير ٦/٣٨٤ - ٣٨٨.

(٢) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٩٩.

(٣) فى م : « الحاكم » .

(٤) الصَّبا : الريح الشرقية . والدَّبور : الريح الغربية . صحيح مسلم بشرح النووى ٦/ ١٩٧، ١٩٨.

(٥) مسلم (٠٠٠/٩٠٠) .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ١٢١.

(٧) سقط من : م .

(٨) فى م : « التمكن » .

له[1] الرياحُ تَسُوقُ السَّحابَ لإنزالِ المطرِ الذى امْتَنَّ اللَّهُ به حينَ اسْتَسْقى رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِهِ[1] فى غيرِ ما موطنٍ، كما تقدم. وقال أبو نُعيمٍ[2]: فإن قيل: فإن سليمانَ سُخِّرَت له الريحُ فسارت به فى بلادِ اللَّهِ، وكان غُدُوُّها شهرًا ورَواحُها شهرًا. قيل: ما أُعْطِىَ محمدٌ ﷺ أعْظمُ وأكْبَرُ؛ لأنه سار فى ليلةٍ واحدةٍ مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ مَسيرةَ شهرٍ، وعُرِج به فى مَلَكوتِ السَّماواتِ مَسيرةَ خمسين ألفَ سنةٍ فى أقلَّ مِن ثُلُثِ ليلةٍ، فدخَل السماواتِ سماءً سماءً، ورأَى[3] عَجائبَها، ووقَف على الجنةِ والنارِ، وعُرِض عليه أعمالُ أُمَّتِه، وصلَّى بالأنبياءِ وبملائكةِ السماواتِ، واخْتَرق[4] الحُجُبَ، وهذا كلُّه فى ليلةٍ، فأيُّما أكبرُ وأعْجبُ؟!

وأما تَسْخيرُ الشَّياطينِ بينَ يديه تَعْمَلُ ما يَشاءُ مِن مَحاريبَ وتَماثيلَ وجِفانٍ كالجَوابِ وقُدورٍ راسياتٍ، فقد أنْزَل اللَّهُ الملائكةَ المقرَّبين لنُصْرةِ عبدِه ورسولِه محمدٍ ﷺ فى غيرِ ما مَوْطنٍ؛ يومَ بدرٍ وأحدٍ ويومَ الأحْزابِ ويومَ حنينٍ[5]، كما تقدَّم ذكْرُنا ذلك مُفَصَّلًا فى مَواضعِه. وذلك أعْظمُ وأبْهرُ وأجَلُّ وأعْلى مِن تَسْخيرِ الشَّياطينِ. وقد ذكَر ذلك ابنُ حامدٍ فى كتابِه.

وفى «الصحيحَيْن»[6] مِن حديثِ شعبةَ، عن محمدِ بنِ زيادٍ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «إنَّ عِفْريتًا مِن الجنِّ تفَلَّت علىَّ البارحةَ - أو كلمةً

---

(١) سقط من: م.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٩٦، مطولًا بنحوه.

(٣) فى الأصل، ١٥١: «أرى».

(٤) فى الدلائل: «خرق».

(٥) فى الأصل: «خيير».

(٦) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٤٦. وهو فى البخارى أيضا (٤٦١، ٤٨٠٨).

نحوَها - ليَقْطَعَ عليَّ الصلاةَ فأمْكَننيَ اللَّهُ منه ، فأرَدْتُ أن أَرْبِطَه إلى ساريةٍ مِن سَوارى المسجدِ حتى تُصْبِحوا وتَنْظُروا إليه ، فذكَرْتُ دَعْوةَ أخى سليمانَ : ربِّ اغْفِرْ لى وهَبْ لى مُلْكًا لا ينْبَغى لأحدٍ مِن بعدِى » . قال رَوْحٌ : فردَّه اللَّهُ خاسئًا . لفظُ البخاريِّ .

ولمسلمٍ[1] عن أبى الدَّرْداءِ نحوُه ، قال : « ثم أرَدْتُ أخْذَه ، واللَّهِ لولا دعوةُ أخينا سليمانَ لأصْبَح مُوثَقًا[2] يَلْعَبُ به وِلْدانُ أهلِ المدينةِ » .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[3] بسندٍ جيِّدٍ عن أبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام يُصَلِّى صلاةَ الصبحِ وهو خلْفَه ، فقرأ فالْتَبَستْ عليه القراءةُ ، فلمّا فرَغ مِن صلاتِه قال : « لو رأيْتُمونى وإبليسَ ، فأهْوَيْتُ بيدى ، فما زِلْتُ أخْنُقُه حتى وجَدْتُ بَرْدَ لُعابِه بينَ أُصْبُعَىَّ هاتين - الإبْهامِ والتى تليها - ولولا دعوةُ أخى سليمانَ لأَصْبحَ مَرْبوطًا بساريةٍ مِن سَوارِى المسجدِ يَتلاعَبُ به صِبيانُ[4] المدينةِ » .

وقد ثبَت فى الصِّحاحِ والحِسانِ والمَسانيدِ[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا دخَل شهرُ رَمضانَ فُتِّحت أبوابُ الجنةِ وغُلِّقت أبوابُ النارِ وصُفِّدَت الشَّياطينُ » . وفى روايةٍ[6] : « مَرَدةُ الجنِّ » . فهذا مِن بَرَكةِ ما شرَعه اللَّهُ له مِن

---

(١) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٤٦.

(٢) سقط من : م.

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٤٧.

(٤) بعده فى م : « أهل » .

(٥) البخارى (١٨٩٩، ٣٢٧٧) ، ومسلم (١٠٧٩) ، والنسائى (٢٠٩٦ - ٢١٠١، ٢١٠٣، ٢١٠٤) ، وابن خزيمة (١٨٨٢) ، وابن حبان (الإحسان ٣٤٣٤) ، ومسند أحمد ٢/ ٢٨١، ٣٥٧، ومصنف عبد الرزاق (٧٣٨٤) ، والسنن الكبرى للبيهقى ٤/ ٢٠٢، ٣٠٣.

(٦) مصنف عبد الرزاق (٧٣٨٥) .

صيامِ شهرِ رَمضانَ وقيامِه، وسيأتى عندَ إبْراءِ الأكْمهِ والأبْرصِ مِن مُعْجزاتِ المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ، عليه السلامُ، دعاءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لغيرِ ما واحدٍ [1]ممَّن به لَمَمٌ[1] مِن الجنِّ فشُفِيَ وفارقهم؛ خوفًا منه، ومَهابةً له، وامْتثالًا لأمْرِه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، وقد بعَث اللَّهُ نفرًا مِن الجِنِّ يَسْتَمِعون القرآنَ، فآمَنوا به وصدَّقوه، ورجَعوا إلى قومِهم، فدعَوْهم إلى دينِ محمدٍ ﷺ وحذَّروهم مُخالفتَه؛ لأنه كان مَبْعوثًا إلى الإنسِ والجنِّ، فآمَنَت طَوائفُ مِن الجنِّ كثيرةٌ كما ذكَرْنا[2]، ووفَدَت إليه منهم وفودٌ كثيرةٌ، وقرَأ عليهم سورةَ «الرَّحْمنِ»، وخبَّرَهم بما لِمَن آمَن منهم مِن الجِنانِ، وما لِمَن كفَر مِن النِّيرانِ، [٥/ ٤٢ظ] وشرَع لهم ما يأكُلون وما يُطْعِمون دَوابَّهم، فدَلَّ على أنه بيَّنَ لهم ما هو أهمُّ مِن ذلك وأكبرُ.

وقد ذكَر أبو نُعيمٍ[3] هـٰهنا حديثَ الغُولِ التى كانت تَسْرِقُ التمرَ مِن جماعةٍ مِن أصحابِه ﷺ، ويُريدون إحْضارَها إليه فتَمْتَنِعُ كلَّ الامْتناعِ؛ خَوْفًا مِن المُثولِ بينَ يديه، ثم افْتَدت منهم بتعْليمِهم قراءةَ آيةِ الكُرْسىِّ التى لا يَقْرَبُ قارئَها الشيطانُ، وقد سُقْنا ذلك بطرقِه وألفاظِه عندَ تفسيرِ آيةِ الكرسىِّ مِن كَتابِنا «التفسيرِ»[4] وللَّهِ الحمدُ. والغُولُ هى الجِنُّ المُتَبَدِّى بالليلِ فى صورةٍ مُرْعِبةٍ.

وذكرَ أبو نُعيمٍ[5] هـٰهنا حمايةَ جبريلَ له، عليه السلامُ، غيرَ ما مرَّةٍ مِن أبى جهلٍ، كما ذكَرْنا فى السيرةِ، وذكَر[6] مُقاتَلةَ جبريلَ ومِيكائيلَ عن يمينِه وشمالِه

(١ - ١) فى م: «ممن أسلم».

(٢) تقدم فى ٤/ ٣٤٢.

(٣) دلائل النبوة (٥٤٥).

(٤) التفسير ١/ ٤٥٠ - ٤٥٩.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٦٠٢، ٦٠٣.

(٦) دلائل النبوة ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤. وإنما ذكر أبو نعيم يوم بدر والأحزاب، ولم يذكر يوم أحد.

يومَ أحدٍ .

وأما ما جمَع اللَّهُ تعالى لسليمانَ مِن النبوةِ والمُلْكِ كما كان أبوه مِن قبلِه ، فقد خيَّر اللَّهُ عبدَه محمدًا ﷺ بينَ أن يكونَ مَلِكًا نبيًّا أو عبدًا رسولًا ، فاستشار جبريلَ فى ذلك ، فأشار إليه وعليه أن يَتواضَعَ ، فاخْتار أن يكونَ عبدًا رسولًا . وقد رُوِىَ ذلك مِن حديثِ عائشةَ وابنِ عباسٍ[1] ، ولاشكَّ أن مَنْصِبَ الرسالةِ أعْلَى ، وقد عُرِضَت على نبيِّنا ﷺ كُنوزُ الأرضِ فأباها ، قال : « ولو شئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ معى جبالَ الأرضِ ذهبًا ، ولكن أجُوعُ يومًا وأَشْبَعُ يومًا »[2] . وقد ذكَرْنا ذلك كلَّه بأدلتِه وأسانيدِه فى « التفسيرِ » وفى السيرةِ أيضًا[3] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقد أوْرَد الحافظُ أبو نُعيمٍ[4] هـٰهنا طَرَفًا منها ؛ مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدٍ وأبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بينا أنا نائمٌ إذْ جِىء بمَفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ فجُعِلَت[5] فى يدى » . ومِن حديثِ الحسينِ بنِ واقدٍ[6] ، عن أبى[7] الزبيرِ ، عن جابرٍ مرفوعًا : « أُوتِيتُ

---

(١) تقدم تخريج حديث ابن عباس فى ٨/ ٤٩٤، ٤٩٥. وأما حديث عائشة فقد أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٥٤١) .

(٢) تقدم بعض هذا الحديث فى الحديث السابق - حديث عائشة فى دلائل أبى نعيم - بلفظ : « لو شئت لسارت معى جبال الذهب » . كما أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٥٤٠) من حديث أبى أمامة بلفظ : « عرض علىَّ ربى ، عز وجل ، ليجعل لى بطحاء مكة ذهبًا فقلت : لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع ثلاثا ...» إلى آخر الحديث .

(٣) انظر التفسير ٥/ ٨، ٩.

(٤) لم نجده فى مختصر دلائل أبى نعيم الذى بين أيدينا . وقد أخرجه أحمد فى المسند ٢/ ٢٦٨، والبيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ٤٨. كلاهما من حديث عبد الرزاق به نحوه .

(٥) فى مصدرى التخريج : « فوضعت » .

(٦) لم نجده فى مختصر دلائل أبى نعيم الذى بين أيدينا . وقد أخرجه ابن حبان (الإحسان ٦٣٦٤) من طريق الحسين بن واقد به نحوه . ضعيف (السلسلة الضعيفة ١٧٣٠) .

(٧) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٠٢.

(١ مَفاتيحَ خَزائنِ ١) الدنيا على فرسٍ أَبْلَقَ (٢ جاءنى به جبريلُ ٢)، عليه قَطيفةٌ مِن سُنْدُسٍ». ومِن حديثِ القاسمِ، عن أبى أُمامةَ(٣) مرفوعًا(٤): «عرَض علىَّ ربى ليَجْعَلَ لى بَطْحاءَ مكةَ ذهبًا فقلتُ: لا ياربِّ، ولكن أَشْبَعُ يومًا وأجوعُ يومًا(٥)، فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إليك (٦ وذكرْتُك ٦) وإذا شبِعْتُ حمَدْتُك وشكَرْتُك».

قال أبو نُعيم(٧): فإن قيل: سليمانُ، عليه السلامُ، كان يَفْهَمُ كلامَ الطيرِ والنَّمْلَةِ، (٨ كما قال تعالى(٩): ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ الآية [النمل: ١٦]. وقال(١٠): ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ الآية٨) [النمل: ١٨، ١٩]. قيل: قد أُعْطِىَ محمدٌ ﷺ مثلَ ذلك وأكثرَ منه، فقد تقدَّم ذِكْرُنا لكلامِ البَهائمِ والسِّباعِ وحَنينِ الجِذْعِ ورُغاءِ البَعيرِ وكلامِ الشجرِ وتَسْبيحِ الحَصا والحجرِ، ودُعائِه إياه واستجابتِه لأمْرِه، وإقرارِ الذئبِ بنُبُوَّتِه، وتَسْخيرِ(١١) الطيرِ لطاعتِه، وكلامِ الظَّبْيةِ وشَكْواها إليه، وكلامِ الضَّبِّ وإقرارِه بنُبوَّتِه، وما فى معناه. كلُّ ذلك قد تقدَّم ذِكرُه فى الفُصولِ بما يُغْنِى عن إعادتِه. انتَهَى كلامُه.

(١ - ١) فى الإحسان: «بمقاليد».
(٢ - ٢) زيادة من: الأصل، ١٥١، م، ليست فى مصدر التخريج.
(٣) فى الأصل، م: «لبابة». وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٥٨.
(٤) دلائل النبوة (٥٤٠)، بنحوه.
(٥) فى الدلائل: «ثلاثًا».
(٦ - ٦) سقط من: م.
(٧) دلائل النبوة ٢/ ٦٠٥.
(٨ - ٨) زيادة من: الأصل، ١٥١، م، ليست فى الدلائل.
(٩) التفسير ٦/ ١٩٢، ١٩٣.
(١٠) التفسير ٦/ ١٩٤.
(١١) فى م: «تسبيح».

قلتُ : وكذلك أخْبَره ذِراعُ الشاةِ بما فيه مِن السُّمِّ ، وكان ذلك بإقرارِ مَن وضَعه فيه مِن اليهودِ ، وقال : إن هذه السَّحابةَ لَتَسْتَهِلُّ[1] بنصرِك يا عمرَو بنَ سالمٍ - يعنى الخُزاعىَّ - حينَ أنْشَده تلك القَصيدةَ يستَعْديه فيها على بنى بكرٍ الذين نقَضوا صلحَ الحُدَيبيةِ ، وكان ذلك سببَ فتحِ مكةَ ، كما تقدم[2] .

وقال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم : « إنى لَأَعْرِفُ حجرًا كان يُسَلِّمُ علىَّ بمكةَ قبلَ أن أُبْعَثَ ، إنى لَأعْرِفُه الآنَ »[3] . فهذا إن كان كلامًا مما يَليقُ بحالِه ، ففَهِم عنه الرسولُ ﷺ ذلك ، فهو مِن هذا القَبيلِ وأبْلَغُ ؛ لأنه جَمادٌ بالنسبةِ إلى الطيرِ والنملِ ؛ لأنهما مِن الحيواناتِ ذواتِ [٥/ ٤٣و] الأرْواحِ ، وإن كان سلامًا نُطْقيًّا ، وهو الأظهرُ ، فهو أعْجبُ مِن هذا الوجهِ أيضًا ، كما قال علىٌّ[4] : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بعضِ شِعابِ مكةَ ، فما مَرَّ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . فهذا النُّطقُ سمِعه رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه .

ثم قال أبو نُعيمٍ[5] : حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ موسى[6] العَنْبرىُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ [7]محمدِ بنِ[7] يوسفَ[8] ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سُوَيْدٍ الجُذُوعِىُّ[9] ، حدَّثنا

---

(١) فى م : « لتبتهل » .
(٢) تقدم فى ٦/ ٥٠٩، ٥١٠.
(٣) تقدم تخريجه فى ٨/ ٦٩٨.
(٤) تقدم فى ٨/ ٦٩٩.
(٥) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٨٣.
(٦) فى الأصل ، ١٥١، م : « الحارث » . والمثبت مما تقدم .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ١٥١، م . والمثبت مما تقدم .
(٨) بعده فى الأصل ، ١٥١، م : « بن سفيان » . والمثبت كما تقدم .
(٩) فى الأصل : « الجروعى » ، وفى م : « النخعى » .

عبدُ اللَّهِ بنُ أُذَيْنةَ الطائيُّ ، عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ [1]مَعْدانَ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ[1] قال : أتَى النبيَّ ﷺ وهو بخيبرَ حمارٌ أسْودُ ، فوقَف بينَ يديه فقال : « مَن أنت ؟ » فقال : أنا عمرُو بنُ فلانٍ[2] ، كنا سبعةَ إخوةٍ ، كلُّنا ركِبْنا الأنبياءَ ، وأنا أصغرُهم ، وكنتُ لك ، فملَكنى رجلٌ مِن اليهودِ ، وكنتُ إذا ذَكَرْتُك كَبَوْتُ[3] به فيُوجِعُنى ضَرْبًا . فقال النبيُّ ﷺ : « فأنت يَعْفورٌ » . وهذا الحديثُ فيه نَكارةٌ شديدةٌ ، ولا نَحتاجُ إلى ذكرِه مع ما تقدَّم مِن الأحاديثِ الصحيحةِ التى فيها غُنْيةٌ عنه . وقد رُوِىَ على غيرِ هذه الصِّيغةِ[4] ، وقد نصَّ على نَكارتِه ابنُ أبى حاتمٍ ، عن أبيه . واللَّهُ أعلمُ .

القولُ فيما أُوتِىَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلامُ

ويُسَمَّى المسيحَ ؛ فقيل : لمَسْحِه الأرضَ[5] . وقيل : لمَسْحِ قدمِه[5] . وقيل : لخُروجِه مِن بطنِ أمِّه مَمْسوحًا بالدِّهانِ . وقيل : لمسحِ جبريلَ له[6] بالبركةِ . وقيل : لمسحِ اللَّهِ الذنوبَ عنه . وقيل : لأنه كان لا يَمْسَحُ أحدًا إلا بَرِئَ . حكاها كلَّها الحافظُ أبو نُعيمٍ[7] رحمه اللَّهُ .

(١ - ١) فى م : « معلان » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ١٦٧.

(٢) فى م : « فهران » .

(٣) فى م : « عثرت » .

(٤) فى م : « الصفة » .

(٥) مسح الأرضَ : قَطَعها . وأَمْسَحُ القدمِ : لا أخمص له . انظر النهاية ٤/ ٣٢٦.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) لم نجده فى مختصر الدلائل الذى بين أيدينا .

ومِن خصائصِه أنه ، عليه السلامُ ، مَخْلوقٌ بالكَلِمةِ مِن أُنْثَى بلا ذكرٍ ، كما خُلِقت حَوَّاءُ مِن ذكرٍ بلا أُنْثَى ، وكما خُلِق آدمُ لا مِن ذكرٍ ولا مِن أُنْثَى ، وإنما خلَقه اللَّهُ تعالى مِن ترابٍ ، ثم قال له : كنْ فيكونُ ، وكذلك يكونُ عيسى بالكلمةِ وبنفْخِ جبريلَ (١ فى فَرْجِ ١) مريمَ ، فخلَق اللَّهُ(٢) منها عيسى .

ومِن خَصائصِه وأمِّه أن إبليسَ ، لعَنه اللَّهُ ، حينَ وُلد ذهَب يَطْعُنُ فطعَن فى الحِجابِ كما جاء فى « الصحيحِ »(٣) . ومِن خَصائصِه أنه لم يَمُتْ ، وهو حيٌّ الآنَ بجسدِه فى السماءِ الدنيا ، وسيَنْزِلُ قبلَ يومِ القيامةِ على المَنارةِ البَيْضاءِ الشرقيَّةِ بدمَشقَ ، فيَمْلأُ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلًا ، كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا ، ويحْكُمُ بهذه الشَّريعةِ المُحَمَّديةِ ، ثم يَموتُ ويُدْفَنُ بالحُجرةِ النبويَّةِ ، كما رواه الترمذىُّ(٤) ، وقد بسَطْنا ذلك فى قصتِه (٥مِن كتابِنا هذا٥) .

وقال شيخُنا العَلَّامةُ ابنُ الزَّمْلَكانىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى : وأما مُعْجزاتُ عيسى ، عليه السلامُ ، فمنها إحياءُ المَوْتَى ، وللنبىِّ ﷺ مِن ذلك كثيرٌ ، وإحياءُ الجَمادِ أبْلَغُ مِن إحْياءِ الميِّتِ ، وقد كلَّم النبىُّ ﷺ الذِّراعَ المسمومةَ ، وهذا الإحْياءُ أبْلغُ مِن إحياءِ الإنسانِ الميتِ مِن وجوهٍ ؛ أحدُها ، أنه إحياءُ جزءٍ مِن الحيوانِ دونَ (٦بقيَّةِ بدنِه٦) ، وهذا مُعْجِزٌ لو كان متصلًا بالبدنِ . الثانى : أنه أحْياه وحدَه مُنْفصلًا عن بقيَّةِ أجزاءِ ذلك الحيوانِ مع موتِ البقيَّةِ . الثالثُ : أنه أعاد عليه الحياةَ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سقط لفظ الجلالة من : ١٥١ ، م .

(٣) البخارى (٣٢٨٦) .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٧.

(٥ - ٥) سقط من : م . وانظر ما تقدم فى ٢/٤١٦ - ٥١٨.

(٦ - ٦) فى م : « بقيته » .

مع الإدْراكِ والعقلِ، ولم يكنْ هذا الحيوانُ يَعْقِلُ فى حياتِه [1] فصار جُزْؤُه حيًّا يَعْقِلُ. الرابعُ: أنه أقدَره اللَّهُ على النطقِ والكلامِ ولم يكنِ الحيوانُ [1] الذى هو جزؤُه مما يتَكَلَّمُ، وفى هذا ما هو أبْلَغُ مِن حياةِ الطيورِ التى أحْياها اللَّهُ لإبراهيمَ ﷺ.

قلتُ: وفى حُلولِ الحياةِ والإدْراكِ والعقلِ فى الحَجَرِ الذى كان يُخاطِبُ النبىَّ [٥/٤٣ظ] ﷺ بالسلامِ عليه، كما رُوِىَ فى «صحيحِ مسلمٍ» [2]، مِن المُعْجِزِ ما هو أبْلَغُ مِن إحْياءِ الحيوانِ فى الجملةِ؛ لأنه كان مَحَلًّا للحياةِ فى وقتٍ، بخلافِ هذا حيث لا حياةَ له بالكليَّةِ قبلَ ذلك، وكذلك تسْليمُ الأحجارِ والمَدَرِ عليه، وكذلك الأشْجارُ والأغْصانُ وشهادتُها بالرسالةِ، [3] وحَنينُ الجِذْعِ إليه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه. قال شيخُنا، رحِمه اللَّهُ تعالى [3]: وقد جَمع ابنُ أبى الدنيا كتابًا فيمَن عاش بعدَ الموتِ، وذكَر منها كثيرًا، وقد ثبَت عن أنسٍ [4]، رضِى اللَّهُ عنه، أنه قال: دخَلْنا على رجلٍ مِن الأنصارِ، وهو مَريضٌ يَعْقِلُ [5]، فلم نَبْرَحْ حتى قَضَى [6]، فبسَطْنا عليه ثوبَه وسجَّيْناه [7]، وله أمٌّ عجوزٌ كبيرةٌ عندَ رأسِه، فالتفَت إليها بعضُنا، وقال: يا هذه احْتَسبى مُصيبتَكِ عندَ اللَّهِ. فقالت: وما ذاك؟ أمات ابنى؟ قلنا: نعم. قالت: أحقٌّ ما تقولون؟! قلنا: نعم. فمدَّت يَدَيْها [8]

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تقدم تخريجه فى ٨/ ٦٩٨.

(٣ - ٣) سقط من: ١٥١. وفى م: «وحنين الجذع».

(٤) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٥٦١) من حديث أنس، بنحوه.

(٥) زيادة من م ليست فى الدلائل، وفى الأصل، ١٥١: «يقبل». والمثبت من م ما يقتضيه السياق.

(٦) فى م: «قبض».

(٧) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل.

(٨) فى الأصل، م: «يدها».

إلى اللَّهِ تعالى فقالت : اللهم إنك تَعْلَمُ أنى أسْلَمْتُ وهاجَرْتُ إلى رسولِك ؛ رَجاءَ أن تُغِيثَنى[1] عندَ كلِّ شدةٍ ورَخاءٍ ، فلا تُحَمِّلْنى هذه المُصيبةَ اليومَ . قال : فكشَف الرجلُ عن وجهِه وقعَد ، وما برِحْنا حتى أكَلْنا معه .

وهذه القصةُ قد تقَدَّم التَّنْبِيهُ عليها فى دلائلِ النبوةِ[2] ، وفى[3] ذِكْرِ مُعْجِزِ الطُّوفانِ مع قصةِ العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ ، وهذا السِّياقُ الذى أوْرَده شيخُنا ، ذكَر بعضَه بالمعنى ، وقد رَواه أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا ، والحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ مِن غيرِ وجهٍ ، عن صالحِ بنِ بَشيرٍ المُرِّىِّ - أحدِ زهادِ البصرةِ وعُبَّادِها وفى حديثِه لِيْنٌ - عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، فذكَره[4] . وفى روايةِ البيهقىِّ : أن أمَّه كانت عجوزًا عَمْياءَ . ثم ساقه البيهقىُّ مِن طريقِ عيسى بنِ يونسَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عونٍ ، عن أنسٍ ، كما تقَدَّم ، وسِياقُه أتَمُّ ، وفيه أن ذلك كان بحَضْرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهذا بإسنادٍ رجالُه ثِقاتٌ ، ولكن فيه انقطاعٌ بينَ عبدِ اللَّهِ بنِ عونٍ وأنسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

قصةٌ أخْرى

قال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[5] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى سَبْرةَ النَّخَعىِّ قال : أقْبَل رجلٌ مِن اليمنِ ، فلمَّا كان فى بعضِ الطريقِ نفَق حمارُه ، فقام وتوضَّأ ، ثم صلَّى ركعتَيْن ، ثم قال : اللهم إنى جئتُ

---

(١) فى الأصل ، م : « تعيننى » .
(٢) تقدم فى صفحتى ٥٠، ٥١.
(٣) فى م : « قد » .
(٤) تقدم تخريج روايتى ابن أبى الدنيا والبيهقى فى صفحتى ٥٠، ٥١.
(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٨.

مِن الدَّثِينَةِ[1] مُجاهدًا فى سبيلِك وابتغاءَ مَرْضاتِك ، وأنا أَشْهَدُ أنك تُحْيى الموتَى وتَبْعَثُ مَن فى القبورِ ، لا تَجْعَلْ لأحدٍ علىَّ اليومَ مِنَّةً ، أَطْلُبُ إليك اليومَ أن تَبْعَثَ حمارى . فقام الحمارُ ينْفُضُ أُذُنيه . قال البيهقىُّ : هذا إسنادٌ صحيحٌ . ومثلُ هذا يكونُ كَرامةً لصاحبِ الشَّريعةِ . قال البيهقىُّ : وكذلك رواه محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلىُّ ، وغيرُه[2] عن محمدِ بنِ عُبَيدٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبىِّ .وكأنه عندَ إسماعيلَ مِن الوجهين . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : كذلك رَواه ابنُ أبى الدنيا[3] مِن طريقِ إسماعيلَ ، عن الشعبىِّ ، فذكَره . قال الشعبىُّ ، فأنا رأيْتُ الحمارَ يبيع أو يُباعُ فى الكُنَاسَةِ . يعنى بالكوفةِ ، وقد أوْرَدها ابنُ أبى الدنيا مِن وجهٍ آخرَ[3] ، وأن ذلك كان فى زمنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وقد قال بعضُ قومِه فى ذلك :

ومنَّا الذى أَحْيَا الإلهُ حِمارَه ... وقد مات منه كلُّ عُضْوٍ ومَفْصِلِ

وأما قصةُ زيدِ بنِ خارجةَ وكلامُه بعدَ الموتِ ، وشهادتُه للنبىِّ ﷺ ولأبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ بالصدقِ ، فمشهورةٌ مَرْوِيَّةٌ مِن وجوهٍ كثيرةٍ صحيحةٍ . قال البخارىُّ فى « التاريخِ الكبيرِ »[4] : زيدُ بنُ خارجةَ الخزرجىُّ الأنصارىُّ شهِد بدرًا ، وتُوُفِّىَ زمنَ عثمانَ ، وهو الذى تكَلَّم بعدَ الموتِ . وروَى الحاكمُ فى « مُسْتدرِكِه » والبيهقىُّ فى « دلائلِه » وصحَّحه ، كما تقَدَّم[5] مِن طريقِ

---

(١) فى م : « المدينة » .

(٢) سقط من : الأصل ، ١٥١ ، م . والمثبت مما تقدم .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩ .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٥٨ .

(٥) تقدم تخريج رواية البيهقى فى صفحة ٥٥ ، وتقدم تخريج رواية البيهقى عن الحاكم فى صفحة ٥٦ .

القَعْنَبِىُّ[1] [٥/ ٤٤و] عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، أن زيدَ بنَ خارجةَ الأنصارىَّ، ثم مِن بنى[2] الحارثِ بنِ الخزرجِ، تُوُفِّىَ زمنَ عثمانَ بنِ عفانَ فسُجِّىَ فى ثوبِه، ثم إنهم سمِعوا جَلْجَلةً فى صدرِه، ثم تكَلَّم ثم قال: أحمدُ أحمدُ[3] فى الكتابِ الأولِ، صدَق صدَق، أبو بكرٍ الضعيفُ فى نفسِه، القوىُّ فى أمْرِ اللَّهِ، فى الكتابِ الأولِ، صدَق صدَق، عمرُ بنُ الخطابِ القوىُّ الأمينُ[3]، فى الكتابِ الأولِ، صدَق صدَق، عثمانُ بنُ عفانَ على مِنْهاجِهم، مضَت أربعٌ وبقِيَت ثِنْتان، أتَتِ الفِتَنُ وأكَل الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأْتيكم عن جيشِكم [4]خبرُ بئرِ أريسَ، وما بئرُ أريسَ[4]. قال يحيى بنُ سعيدٍ: قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ: ثم هلَك رجلٌ مِن بنى خَطْمةَ فسُجِّىَ بثوبِه، فسُمِع جَلْجَلةٌ فى صدرِه، ثم تكَلَّم فقال: إن أخا بنى الحارثِ بنِ الخزرجِ صدَق صدَق. ورَواه ابنُ أبى الدنيا والبيهقىُّ أيضًا مِن وجهٍ آخرَ بأبْسطَ مِن هذا وأطولَ، وصحَّحه البيهقىُّ[5]. قال[6]: وقد رُوِىَ فى التَّكَلُّمِ بعدَ الموتِ، عن جماعةٍ بأسانيدَ صحيحةٍ. واللَّهُ أعلمُ.

قلتُ: قد ذكَرْتُ فى قصةِ شاةِ[7] جابرٍ يومَ الخندقِ وأكْلِ الألفِ منها ومِن قليلِ شَعيرٍ، ما تقَدَّم[8]. وقد أوْرَد الحافظُ محمدُ بنُ المنذرِ المعروفُ بـ «شَكَّرَ»[9]

---

(١) فى م: «العتبى».
(٢) سقط من: م.
(٣) سقط من: الأصل، م.
(٤ - ٤) فى م: «خير».
(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٥٦.
(٦) أى البيهقى. دلائل النبوة ٦/ ٥٨.
(٧) سقط من: الأصل. وفى م: «سخلة».
(٨) تقدم فى ٦/ ٢٠ - ٢٤.
(٩) فى م: «بيشكر». وانظر نزهة الألباب فى الألقاب ١/ ٤٠٣.

فى كتابِه « الغَرائبِ والعَجائبِ » بسندِه ، كما سبَق[1] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جمَع عِظامَها ، ثم دَعا اللَّهَ تعالى ، فعادت كما كانت فترَكها فى منزلِهم[2] . واللَّهُ أعلمُ .

قال شيخُنا : ومِن مُعْجزاتِ عيسى الإبْراءُ مِن الجنونِ ، وقد أبْرَأ النبىُّ ﷺ . يعنى مِن ذلك . هذا آخرُ [3]ما وجَدْتُه[3] مما حكَيْناه عنه . فأمَّا إبراءُ عيسى مِن الجنونِ ، فما أعْرِفُ فيه نقلًا خاصًّا ، وإنما كان يُبْرِئُ الأكْمهَ والأبْرصَ ، والظاهرُ : ومِن جميعِ العاهاتِ والأمراضِ المُزْمِنةِ .

وأما إبراءُ النبىِّ ﷺ مِن الجُنونِ ، فقد روَى الإمامُ أحمدُ والحافظُ البيهقىُّ[4] مِن غيرِ وجهٍ ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ ، أن امرأةً أتَت بابنٍ لها صغيرٍ به لَمَمٌ ، ما رأيْتُ لَمَمًا أشدَّ منه ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ابنى هذا كما ترَى أصابه بَلاءٌ ، وأصابَنا منه بَلاءٌ ، يُؤْخَذُ[5] فى اليومِ ما أدْرى[6] كم[7] مرةً . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ناوِلِينيه » . [8]فرَفَعَتْه إليه[8] فجعَلَته بينَه وبينَ واسطةِ الرَّحْلِ ، ثم فَغَر فاه ونفَث فيه ثلاثًا ، وقال : « بسمِ اللَّهِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ، اخْسَأْ عدُوَّ اللَّهِ » . ثم ناوَلها إياه . فذكَرتْ أنه بَرَأَ مِن ساعتِه وما رابهم منه[9] شىءٌ بعدَ ذلك .

---

(١) تقدم فى ٨/ ٦٤٢، ٦٤٣.

(٢) فى م : « منزله » .

(٣ - ٣) فى ا ١٥١: « ما وُجد بخطه » .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ١٢، ١٤.

(٥) فى الأصل : « يوحد منه » ، وفى ا ١٥١: « بوحد منه » ، وفى م: « يوجد منه » . والمثبت كما تقدم .

(٦) فى م : « يؤذى » .

(٧) فى الأصل ، م : « ثم قالت » ، وفى ا ١٥١: « كم قالت » . والمثبت كما تقدم .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت مما تقدم .

(٩) سقط من : الأصل ، م .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن فَرْقَدٍ السَّبَخىِّ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن امرأةً جاءت بولدِها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن به لَمَمًا ، وإنه يأخُذُه عندَ طعامِنا فيُفْسِدُ علينا طعامَنا . قال : فمسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ صدْرَه ، ودَعا له ، [2]فثعَّ ثَعَّةً[2] ، فخرَج منه مثلُ الجَرْوِ الأسودِ يَسْعَى[3] . غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وفَرْقَدٌ فيه كلامٌ ، وإن كان مِن زُهَّادِ البصرةِ ، لكن ما تقَدَّم له شاهدٌ ، وإن كانت القصةُ واحدةً . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى البزارُ[4] مِن طريقِ فَرْقَدٍ أيضًا ، عن [5]سعيدٍ ، عن[5] ابنِ عباسٍ قال : كان النبىُّ ﷺ بمكةَ فجاءته امرأةٌ مِن الأنصارِ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هذا الخَبيثَ قد غَلَبَنى . فقال لها : « إنْ[6] تَصْبِرى على ما أنتِ عليه تَجِيئى يومَ القيامةِ ليس عليكِ ذنوبٌ ، ولا حسابٌ » . فقالت : والذى بعَثك بالحقِّ لأَصْبِرَنَّ حتى أَلْقَى اللَّهَ . ثم قالت : إنى أخافُ الخَبيثَ أن يُجَرِّدَنى . فدَعا لها ، وكانت إذا خشِيَت[7] أن يأتيَها تأتى أسْتارَ الكعبةِ فتَعَلَّقُ بها ، وتقولُ له : اخْسَأْ . فيذْهَبُ عنها .

[٥/٤٤ظ] وهذا دليلٌ على أن فَرْقَدًا قد حفِظ ، فإن هذا له شاهدٌ فى « صحيحِ البخارىِّ ومسلمٍ »[8] مِن حديثِ عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ قال : قال لى ابنُ عباسٍ : ألا

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٢.
(٢ - ٢) فى م : « فسغ سغة » .
(٣) فى م : « فشفى » .
(٤) تقدم تخريجه فى صفحتى ٦٢، ٦٣.
(٥ - ٥) فى الأصل : « سعيد » ، وفى م : « سعد » .
(٦) سقط من : الأصل ، م .
(٧) فى الأصل ، م : « أحست » .
(٨) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٤.

أُرِيك امرأةً مِن أهلِ الجنةِ ؟ قلتُ : بلى . قال : هذه السَّوْداءُ أتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالت : إنى أُصْرَعُ وأتَكَشَّفُ ، فادْعُ اللَّهَ لى . قال : « إن شئتِ صبرْتِ ولكِ الجنةُ ، وإن شئتِ دعَوْتُ اللَّهَ أن يُعافِيَك » . قالت : لا ، بل أَصْبِرُ ، فادْعُ اللَّهَ أن لا أَتَكَشَّفَ . قال : فدَعا لها فكانت لا تَنْكَشِفُ .

ثم قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا محمدٌ ، حدَّثنا مَخْلَدٌ عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أخْبَرنى عَطاءٌ أنه رأَى أمَّ زُفَرَ تلك[2] ، امرأةً طويلةً سوداءُ ، على سِتْرِ الكعبةِ . وذكَر الحافظُ ابنُ الأثيرِ فى كتابِه « الغابةِ فى أسْماءِ الصحابةِ »[1] أن أمَّ زُفَرَ هذه كانت ماشِطةً لخديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، وأنها عُمِّرت حتى رآها عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

وأمَّا إبْراءُ عيسى الأَكْمَهَ ، وهو الذى يُولَدُ أعْمَى ، وقيل : هو الذى لا يُبْصِرُ فى النهارِ ويُبْصِرُ فى الليلِ ، وقيل غيرُ ذلك ، كما بسَطْنا ذلك فى « التفسيرِ »[3] ، والأبْرَصَ الذى به بَهَقٌ ، فقد رَدَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ عينَ قتادةَ بنِ النُّعمانِ إلى مَوْضِعِها بعدَما سالت على خَدِّه ، فأخَذها فى [4]يدِه الكريمةِ[4] وأعادها إلى مَقَرِّها فاسْتَمَرَّت بجَمالِها[5] وبصرِها ، وكانت أحسنَ عينيه ، رَضى اللَّهُ عنه ، وصلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ، كما ذكَرَ ذلك محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ فى « السيرةِ » وغيرُه ، وكذلك بسَطْناه ثَمَّ[6] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وقد دخَل بعضُ ولدِه ، وهو

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٤.

(٢) سقط من : م .

(٣) التفسير ٢/ ٣٦.

(٤ - ٤) فى ا ١٥١: « كفه الكريمة » ، وفى م : « كفه الكريم » .

(٥) فى م : « بحالها » .

(٦) تقدم تخريجه فى ٥/ ٤٠٧، ٤٠٨.

عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فسأَل عنه فأَنْشَأ يقولُ :

أنا ابنُ الذى سالَتْ على الخدِّ عينُه ... فرُدَّت بكفِّ المُصْطَفَى أحْسَنَ الرَّدِّ
فعادت كما كانت لأولِ أمْرِها ... فيا حُسْنَ ما عينٍ ويا حُسْنَ ما خَدِّ

فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ :

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ مِن لبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبْوالاَ[1]

ثم أجازه فأحْسَن جائزتَه . وقد روَى الدارَقُطْنىُّ[2] أن عينَيه أُصِيبتا معًا حتى سالتا على خَدَّيْه ، فردَّهما رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مكانِهما . والمشهورُ الأولُ ، كما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه[3] .

قصةُ الأعْمى الذى رَدَّ اللَّهُ عليه بصَره بدُعاءِ الرسولِ ﷺ

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا رَوْحٌ وعثمانُ بنُ عمرَ ، قالا : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبى جعفرٍ المَدِينىِّ ، سمِعْتُ عُمارةَ بنَ خُزَيمةَ بنِ ثابتٍ يُحَدِّثُ عن عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ ، أن رجلًا ضَريرًا أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ[5] أن يُعافِيَنى . فقال : « إن شئتَ أخَّرْتُ ذلك فهو أفضلُ لآخِرتِك ، وإن شئتَ دعَوْتُ

---

(١) قائله أمية بن أبى الصلت ، وقيل : النابغة الجعدى . انظر ١٤٧/٥ .
(٢) تقدم تخريجه فى ٤٠٨/٥.
(٣) سقط من : م .
(٤) تقدم تخريج رواية روح فى صفحة ٦٥، ورواية عثمان بن عمر فى صفحة ٦٦.
(٥) بعده فى م : « لى » .

لك[1] » . قال : لا[2] ، بل ادْعُ اللَّهَ لى . قال : فأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يتَوَضَّأَ وأن[3] يصلِّىَ رَكعتين وأن يدْعُوَ بهذا الدعاءِ : اللهم إنى أسألُك وأتوَجَّهُ إليك بنبيِّك محمدٍ ﷺ نبىِّ الرحمةِ ، [4]يا محمدُ[4] ، إنى أتوَجَّهُ بك[5] [6]إلى ربى[6] فى حاجتى هذه فتُقْضَى . وقال فى روايةِ عثمانَ بنِ عمرَ : اللهم[1] فشَفِّعْه فىَّ . قال : ففعَل الرجلُ فبَرَأَ . ورَواه الترمذىُّ [7]والنسائىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ شعبةَ[7] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ أبى جعفرٍ الخَطْمىِّ . وقد رَواه البيهقىُّ عن الحاكمِ بسندِه ، إلى أبى جعفرٍ الخَطْمىِّ ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلِ ابنِ حُنَيْفٍ ، عن عمِّه عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ[8] ، فذكَر نحوَه ، قال عثمانُ : فواللَّهِ ما تفرَّقْنا ولا طال الحديثُ بنا حتى دخَل الرجلُ كأن لم يكنْ به ضُرٌّ قطُّ .

قصةٌ أخرى

قال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[8] : حدَّثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، حدَّثنا عبدُ [٥/٤٥و] العزيزِ بنُ عمرَ ، حدَّثنى رجلٌ مِن بنى سَلَامانَ بنِ سعدٍ ، عن أمِّه أنَّ[9] خالَها

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سقط من : ١٥١ ، م .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) فى م : « به » .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت مما تقدم .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م . وتقدم تخريج روايات الترمذى والنسائى وابن ماجه فى صفحة ٦٦ .

(٨) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٧ .

(٩) فى النسخ : « عن خاله أو أن خاله أو » . والمثبت مما تقدم .

حَبيبَ بنَ فُوَيْكٍ[1] ، حدَّثها أن أباه خرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعيناه مُبْيَضَّتان لا يُبْصِرُ بهما شيئًا أصلًا ، فقال له : « ما أصابك ؟ » قال : كنتُ أمْرِى[2] جملًا[3] لى فوقَعتْ رِجلى على بَيْضِ حَيَّةٍ ، فأُصِيب بَصَرى . فنفَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينيه فأبْصَر ، فرأيْتُه وإنه لَيُدْخِلُ الخَيطَ فى الإبْرةِ ، وإنه لَابنُ ثمانينَ سنةً ، وإن عينيه لَمُبْيَضَّتان . قال البيهقىُّ : [4]كذا فى كتابِه[4] ، وغيرُه يقولُ : حَبيبُ بنُ مُدْرِكٍ .

وثبَت فى « الصحيحِ »[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نفَث فى عينَىْ علىٍّ يومَ خيبرَ ، وهو أرْمَدُ فبرَأَ مِن ساعتِه ، ثم لم تَرْمَدْ بعدَها أبدًا ، ومسَح رِجْلَ [6]عبدِ اللَّهِ[6] بنِ عَتيكٍ ، وقد انْكَسَرت رجلُه ليلةَ قَتَل أبا رافعٍ تاجرَ أهلِ الحجازِ الخَيْبرىَّ ، فبرَأَ مِن ساعتِه أيضًا . وروَى البيهقىُّ أنه ﷺ مسَح يدَ محمدِ بنِ حاطبٍ ، وكانت قد احْتَرقت بالنارِ فبرَأَ مِن ساعتِه[7] ، ومسَح رِجْلَ سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ ، وقد أُصِيبت يومَ خيبرَ ، فبَرَأَتْ مِن ساعتِها[8] ، ودَعا لسعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ أن يُشْفَى مِن مرضِه[9] فشُفِىَ[10] . وروَى البيهقىُّ[10] أن عمَّه أبا طالبٍ مرِض ، فسأَل منه ﷺ

---

(١) فى الأصل : « فريط » ، وفى ١٥١ : « قرط » ، وفى م : « قريط » . والمثبت مما تقدم .
(٢) سقط من : م ، وفى الأصل : « أرعى » .
(٣) فى م : « حملا » .
(٤ - ٤) زيادة مما تقدم .
(٥) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٦١.
(٦ - ٦) فى النسخ : « جابر » . والمثبت مما تقدم ، وقد تقدم تخريجه فى ٦/ ١٣٠.
(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٨.
(٨) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٧٤. ولفظه : فنفث فيه ثلاث نفثات . وليس فيه ذِكْر المسح .
(٩) بعده فى الأصل ، م : « ذلك » .
(١٠) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٩.

أن يَدْعُوَ له ربَّه [1]أن يُعافِيَه[1] فدَعا له فشُفِيَ مِن مرضِه ذلك . وكم له مِن مثلِها وعلى مَسْلَكِها ؛ مِن إبْراءِ آلامٍ ، وإزالةِ أسْقامٍ ، مما يَطولُ شرحُه وبَسْطُه .

وقد وقَع فى كَراماتِ الأوْلياءِ إبْراءُ الأعْمى بعدَ الدعاءِ عليه بالعَمَى أيضًا ، كما رَواه الحافظُ ابنُ عَساكرَ[2] مِن طريقِ أبى سعيدِ بنِ الأعْرابىِّ ، عن أبى داودَ ، حدَّثنا عمرُ بنُ عثمانَ ، حدَّثنا بقيَّةُ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، عن أبى مسلمٍ ، أن امرأةً خَبَّبَتْ[3] عليه امرأتَه ، فدَعا عليها فذهَب بصرُها ، فأتَتْه فقالت : يا أبا مسلمٍ ، إنى كنتُ فعَلْتُ وفعَلْتُ ، وإنى لا أعودُ لمثلِها . فقال : اللهم إن كانت صادقةً فارْدُدْ عليها بصرَها . فأبْصَرتْ .

ورَواه أيضًا مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى الدنيا[4] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ واقدٍ ، حدَّثنا ضَمْرةُ[5] ، حدَّثنا عثمانُ بنُ عطاءٍ قال : كان أبو مسلمٍ الخَوْلانىُّ إذا دخَل منزلَه سلَّم[6] فإذا بلَغ وَسَطَ الدارِ كبَّر وكبَّرَت امرأتُه ، فإذا بلَغ[7] البيتَ كبَّر وكبَّرت امرأتُه . قال : فيَدْخُلُ فيَنْزِعُ رداءَه وحِذاءَه وتأتِيه بطعامٍ فيأْكُلُ ، فجاء ذاتَ ليلةٍ فكبَّر فلم تُجِبْه ، ثم جاء إلى بابِ البيتِ ، فكبَّر وسلَّم فلم تُجِبْه ، وإذا البَيتُ ليس فيه سِراجٌ ، وإذا هى جالسةٌ بيدِها عودٌ[8] فى الأرضِ تَنْكُتُ به ، فقال

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٣.

(٣) فى م : « خبثت » ، وفى تاريخ دمشق : « حَمَّلَتْ » . ثم قال ابن عساكر عقب الحديث : كذا قال : « حملت » ، وإنما هو : « خببت » ؛ أى أفسدت .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٤.

(٥) بعده فى الأصل ، م : « حدثنا عاصم » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣١٦، ١٩/ ٤٤١.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى م : « دخل » .

(٨) فى تاريخ دمشق : « ود » . والوَدّ : الوَتَد ، بلغة تميم . وفى الصحاح : الود : الوتد فى لغة نجد . تاج العروس (و د د) .

لها : ما لكِ ؟ فقالت : الناسُ بخيرٍ وأنت [1]أبو مسلمٍ[1] ، لو أتَيْتَ مُعاويةَ فيأمُرَ لنا بخادمٍ ويُعْطِيَك شيئًا تَعيشُ به . فقال : اللهم مَن أفْسَد عليَّ أهلى فأَعْمِ بصرَه . قال : وكانت أتَتْها امرأةٌ فقالت : [2]أنت امرأةُ[2] أبى مسلمٍ ، فلو كلَّمْتِ زوجَك ليُكَلِّمَ معاويةَ ليُخْدِمَكم ويُعْطِيَكم . قال : فبينما هذه المرأةُ فى منزلِها والسِّراجُ يُزْهِرُ ، إذ أنْكَرَت بصرَها ، فقالت : سِراجُكم طَفِئ ؟ قالوا : لا . قالت : [3]إنَّا للَّهِ[3] ، أُذْهِبَ بصَرى . فأقْبَلَت كما هى [4]إلى أبى مسلمٍ[4] ، فلم تَزَلْ تُناشِدُه [5]اللَّهَ وتَطْلُبُ[5] إليه ، فدَعا اللَّهَ فردَّ بصرَها ، ورجَعَت امرأتُه إلى حالِها التى كانت عليها .

وأما قصةُ المائدةِ التى قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ [٥/٤٥ظ] وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢- ١١٥] . وقد ذكَرْنا فى « التفسيرِ »[6] بَسْطَ ذلك واخْتلافَ المفَسِّرين فيها ؛ هل نزَلت أم لا ، على قولَيْن ،

(١ - ١) سقط من : م .
(٢ - ٢) فى الأصل : « امرأة » ، وفى م : « لامرأة » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « أنا والله » ، وفى م : « إن الله » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « أبا مسلم » ، وفى ١٥١ : « حتى أتت أبا مسلم » .
(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « وتتلطف » .
(٦) التفسير ٣/٢٢٠ - ٢٢٦.

والمشهورُ عن الجمهورِ[1] أنها نزَلت ، واخْتُلِف فيما كان عليها مِن الطعامِ على أقوالٍ ، وذكَر أهلُ التاريخِ أن موسى بنَ نُصَيْرٍ الذى فتَح البلادَ المَغْرِبيَّةَ أيامَ بنى أميَّةَ وجَد المائدةَ ، ولكن قيل[2] : إنها مائدةُ سليمانَ بنِ داودَ مُرَصَّعَةٌ بالجَواهرِ ، وهى مِن ذهبٍ ، فأرْسَل بها إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، [3]فلم تَصِلْ[3] حتى مات ، فتَسَلَّمها أخوه سليمانُ . وقيل : إنها مائدةُ عيسى . لكن يُبْعِدُ هذا أن النَّصارَى لا يَعْرِفون المائدةَ ، كما قاله غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ . واللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أن المائدةَ سَواءٌ كانت قد نزَلت أم لم تَنْزِلْ ، فقد كانت مَوائدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ تُمَدُّ مِن السماءِ ، وكانوا يَسْمَعون تَسْبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ بينَ يديه ، وكم قد أَشْبَع مِن طعامٍ يَسيرٍ ألوفًا ومئاتٍ وعشَراتٍ [4]بعد عشَراتٍ[4] صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ما تَعاقَبت الأوْقاتُ ، وما دامت الأرضُ والسماواتُ . هذا وأبو مسلمٍ الخَوْلانىُّ قد ذكَر الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى ترجمتِه مِن « تاريخِه »[5] أمرًا عجيبًا وشأنًا غريبًا ، حيث روَى مِن طريقِ إسحاقَ بنِ نَجيحٍ[6] المَلَطىِّ ، عن الأوْزاعىِّ قال : أتى أبا مسلمٍ الخَوْلانىَّ نفَرٌ مِن قومِه فقالوا : يا أبا مسلمٍ ، أما

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٦/ ٣٦٩.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨١، حوادث السنة الثالثة والتسعين ، والكامل لابن الأثير ٤/ ٥٦٤، وتاريخ الإسلام ، وفيات وحوادث السنة الثانية والتسعين ص ٢٥٦.

(٣ - ٣) بياض فى : الأصل . وفى م : « فكانت عنده » . وقد ذكَر كلا الأمرين - عدم وصولها للوليد ، ووصولها له - الحافظُ الذهبىُّ فى تاريخ الإسلام ، واختار القول بعدم الوصول .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١٦، ٢١٧.

(٦) فى الأصل ، م : « يحيى » . وهو إسحاق بن نجيح الأزدى أبو صالح ، ويقال : أبو يزيد الملطى . قال أحمد بن حنبل : يحدِّث عن البَتِّىِّ عن ابن سيرين برأى أبى حنيفة . وقال المزى : وهو أحد الضعفاء المتروكين والكَذَبة الوَضَّاعين . انظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥.

تَشْتاقُ إلى الحجِّ؟ قال: بلى، لو أَصَبْتُ لى أصحابًا. قال: فقالوا: نحن أصحابُك. قال: لسْتُم لى بأصحابٍ، إنما أصحابى قومٌ لا يُريدون الزادَ ولا المَزادَ. فقالوا: سبحانَ اللَّهِ، وكيف يُسافرُ قومٌ بلا زادٍ ولا مَزادٍ؟! قال لهم: ألا تَرَوْنَ إلى الطيرِ تغْدو وتَرُوحُ بلا زادٍ ولا مَزادٍ، واللَّهُ يَرْزُقُها، وهى لا تَبِيعُ ولا تَشْترى، ولا تَحْرُثُ ولا تَزْرَعُ، واللَّهُ يَرْزُقُها؟ قال: فقالوا: فإنا نُسافرُ معك. قال: تَهَيَّئوا[1] على بركةِ اللَّهِ تعالى. قال: فغدَوْا مِن غُوطَةِ دمشقَ، ليس معهم زادٌ ولا مَزادٌ، فلما انتَهَوا إلى المنزلِ قالوا: يا أبا مسلمٍ، طعامٌ لنا وعَلَفٌ لدوابِّنا. قال: فقال لهم: نعم. فتَنَحَّى[2] غيرَ بعيدٍ، فتَسَنَّم[3] مسجدَ أحْجارٍ فصلَّى فيه ركعتَيْن، ثم جَثَا على ركبتيه فقال: إلهى، قد تَعْلَمُ ما أخْرَجنى مِن مَنْزلى، وإنما خرَجْتُ زائِرًا[4] لك، وقد رأيْتُ البخيلَ مِن ولدِ آدمَ تَنْزِلُ به العِصابةُ مِن الناسِ فيُوسِعُهم قِرًى، وإنا أضْيافُك وزُوَّارُك، فأطْعِمْنا واسْقِنا، واعْلِفْ دوابَّنا. قال: فأُتِىَ بسُفْرةٍ فمُدَّت بينَ أيديهم، وجِىء بجَفْنةٍ مِن ثَريدٍ تَبْخَرُ[5]، وجِىء بقُلَّتَيْنِ مِن ماءٍ، وجِىءَ بالعَلَفِ لا يَدْرون مَن يأتى به، فلم تَزَلْ تلك حالَهم منذُ خَرَجوا مِن عندِ أهاليهم حتى رجَعوا، لا يتَكَلَّفون زادًا ولا مَزادًا.

فهذه حالُ وَلِىٍّ مِن هذه الأمةِ، نزَل عليه وعلى أصحابِه كلَّ يومٍ مائدةٌ مرتَيْن، مع ما يُضافُ إليها مِن الماءِ والعَلُوفةِ لدوابِّ أصحابِه، وهذا اعتناءٌ عظيمٌ، وإنما نال ذلك ببركةِ مُتابَعتِه لهذا النبىِّ الكريمِ، عليه أفضلُ الصلاةِ والتَّسْليمِ.

---

(١) فى الأصل: «تأهبوا»، وفى م: «فهبوا».

(٢) فى م: «فسجا».

(٣) فى م: «فيمم». وتَسَنَّم: علا. وكل شىء علا شيئًا فقد تسنمه. انظر النهاية ٢/ ٤٠٩.

(٤) فى الأصل، ١٥١: «أبرأ»، وفى م: «آمرا». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٥) سقط من: م. وتبخر: يرتفع بخارها. انظر تاج العروس (ب خ ر).

وأما قولُه تعالى[1] عن عيسى ابنِ مريمَ، عليه السلامُ، أنه قال لبنى إسرائيلَ: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية [آل عمران: ٤٩]. فهذا سهلٌ[2] يَسيرٌ على الأنبياءِ، بل وعلى كثيرٍ مِن الأوْلياءِ، وقد قال يوسفُ [3]نبىُّ اللَّهِ و[3] الصِّدِّيقُ لذَيْنِك الفَتَيَيْنِ المحْبوسَين معه[4]: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ الآية [يوسف: ٣٧]. وقد أخْبَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالأخْبارِ الماضيةِ طِبْقَ ما وقَع، وعن الأخبارِ الحاضرةِ سواءً بسواءٍ، كما أخْبَر عن أكْلِ الأَرَضةِ لتلك الصَّحيفةِ الظالمةِ التى كانت بُطونُ قريشٍ [5]قد تمالأَتْ[5] على مُقاطعةِ بنى هاشمٍ وبنى المطلبِ حتى يُسَلِّموا إليهم [٥/٤٦و] رسولَ اللَّهِ ﷺ، وكتَبوا بذلك صَحيفةً وعلَّقوها فى سَقْفِ الكعبةِ، فأرْسَل اللَّهُ الأَرَضَةَ، فأكَلَتْها إلَّا مَواضعَ اسمِ اللَّهِ تعالى، وفى روايةٍ: فأكَلَت اسمَ اللَّهِ منها تَنْزِيهًا لها أن تكونَ مع الذى فيها مِن الظلمِ والعُدْوانِ. فأخْبَر بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ عمَّه أبا طالبٍ وهم بالشِّعْبِ، فخرَج إليهم أبو طالبٍ، وقال لهم عما أخْبَره به، فقالوا: إن كان كما قال وإلا فسَلِّموه إلينا. فقالوا: نعم. فأنزَلوا الصَّحيفةَ، فوجَدوها كما أخْبَر عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ سواءً بسواءٍ، فأقْلَعت بُطونُ قريشٍ عما كانوا تمالئوا[6] عليه لبنى هاشمٍ وبنى المطلبِ، وهدَى اللَّهُ بذلك خَلْقًا كثيرًا، وكم له مثلُها، كما تقدَّم بسْطُه وبَيانُه

---

(١) التفسير ٢/ ٣٦.

(٢) فى م: «شىء».

(٣ - ٣) زيادة من: الأصل، ١٥١.

(٤) التفسير ٤/ ٣١٤، ٣١٥.

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «قديمًا كتبتها».

(٦) سقط من: م.

فى مَواضعَ مِن السيرةِ وغيرِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى يومِ بدرٍ لمّا طلَب مِن العباسِ عمِّه فِداءً ادَّعَى أنه لا مالَ له ، فقال له : « فأينَ المالُ الذى دفَنْتَه أنت وأمُّ الفَضْلِ تحت أُسْكُفَّةِ البابِ ، وقلتَ لها : إن قُتِلْتُ فهو للصِّبْيةِ ؟ » فقال : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، إن هذا شىءٌ لم يَطَّلِعْ عليه غيرى وغيرُ أمِّ الفضلِ إلا اللَّهَ ، عز وجل . وأخْبَر بموتِ النَّجاشىِّ يومَ مات وهو بالحبشةِ ، وصلَّى عليه ، وأخْبَر عن قتلِ الأُمراءِ يومَ مُؤْتةَ واحدًا بعدَ واحدٍ وهو على المنبرِ ، وعيناه تَذْرِفان ، وأخْبَر عن الكِتابِ الذى أَرْسَل به حاطبُ بنُ أبى[1] بَلْتَعةَ مع [2]سارَةَ مولاةِ[2] بنى عبدِ المطلبِ ، وأرْسَل فى طَلَبِها عليًّا والزبيرَ والمِقْدادَ ، فوجَدوها قد جعَلَتْه فى عِقاصِها ، وفى روايةٍ : فى حُجْزتِها . وقد تقَدَّم ذلك فى غزوةِ الفتحِ ، وقال لأميرَىْ كِسْرَى اللذين بعَث بهما نائبُ اليمنِ لكِسْرى ؛ ليَسْتَعْلِما أمْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « إن رَبِّى قد قتَل الليلةَ ربَّكما » . فأرَّخا تلك الليلةَ ، فإذا كِسْرى قد سلَّط اللَّهُ عليه ولَدَه فقتَله ، فأسْلَما وأسْلَم باذامُ[3] نائبُ اليمنِ ، وكان ذلك سببَ مُلْكِ اليمنِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ .

وأما إخبارُه ﷺ عن الغُيوبِ المُسْتَقْبَلةِ فكثيرةٌ جدًّا - كما تقَدَّم بسطُ ذلك ، وسيأتى فى أثناءِ[4] التَّواريخِ - فيقعُ ذلك طِبْقَ ما قال[5] سواءً بسواءٍ .

وذكر ابنُ حامدٍ فى مُقابلةِ سياحةِ[6] عيسى ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، كثرةَ[7]

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « شاكر مولى » . وانظر ما تقدم فى ٦/ ٥٢١ .

(٣) سقط من : م . وانظر ما تقدم فى ٦/ ٤٨٥ .

(٤) فى م : « أنباء » .

(٥) فى الأصل ، م : « كان » .

(٦) سقط من : الأصل . وفى م : « جهاد » .

(٧) زيادة من : ا ١٥١ .

جهادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وفى مُقابلةِ زُهْدِ عيسى ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، زَهَادَةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عن كُنوزِ الأرضِ حينَ عُرِضَت عليه فأباها ، وقال : « أجوعُ يومًا وأشْبَعُ يومًا » . وأنه كان له ثلاثَ عشْرةَ[1] زوجةً يَمْضِى عليهن الشهرُ والشَّهْران لا تُوقَدُ عندَهن نارٌ ولا مِصْباحٌ ، إنما هو الأسْودان ؛ التمرُ والماءُ ، وربما ربَط على بطنِه الحجرَ مِن الجوعِ ، وما شبِعوا مِن خُبزِ بُرٍّ ثلاثَ ليالٍ تِباعًا ، وكان فِراشُه مِن أَدَمٍ حَشْوُه لِيفٌ ، وربما اعْتَقَل الشاةَ ليَحْلُبَها ، ورقَّع ثوبَه ، وخَصَف نعلَه بيدِه الكريمةِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، ومات صلَّى اللَّهُ عليه وسلم ودِرْعُه مَرْهونةٌ عندَ يَهوديٍّ على طعامٍ اشْتراه لأهْلِه ، هذا وكم آثَر بآلافِ مُؤَلَّفةٍ والإبلِ والشاءِ والغَنائمِ والهَدايا على نفسِه وأهلِه للفقراءِ والمَحاوِيجِ والأراملِ والأيْتامِ والأَسْرى والمَساكِينِ .

وذكَر أبو نُعيمٍ[2] فى مُقابلةِ تَبْشيرِ الملائكةِ لمريمَ الصِّدِّيقةِ بمولدِ[3] عيسى ، ما بُشِّرت به آمِنةُ أمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ حمَلت به فى مَنامِها ، وما قيل لها : إنك قد حمَلْتِ بسيِّدِ هذه الأُمةِ فسَمِّيه محمدًا . وقد بسَطْنا ذلك فى المَوْلدِ ، كما تقدَّم[4] . وقد أوْرَد الحافظُ أبو نُعيمٍ هـٰهنا حديثًا غريبًا مُطَوَّلًا بالمولدِ أحْبَبْنا أن نَسوقَه ليكونَ الخِتامُ نَظيرَ الافتتاحِ ، وباللَّهِ المُسْتعانُ ، وعليه التُّكْلانُ ، وللَّهِ الحمدُ .

فقال[5] : حدَّثنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا [6]حفصُ [٥/٤٦ظ] بنُ عمرَ[6] بنِ

---

(١) راجع ٨/٢٠٢ .

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٦٠٩، ٦١٠.

(٣) فى ا ١٥١: « بولدها » ، وفى م : « بوضع » .

(٤) تقدم فى ٣/٣٨١ - ٣٩٠.

(٥) دلائل النبوة (٥٥٥) ، بنحوه .

(٦ - ٦) فى م : « حفص بن عمرو » ، وفى الدلائل : « عمرو بن محمد » . وانظر ميزان الاعتدال ١/ ٥٦٦.

الصَّبَّاحِ ، حدَّثنا يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ البابْلُتِّيُّ[1] ، أنا أبو بكرِ بنُ أبى مريمَ ، عن سعيدِ ابنِ عمرٍو[2] الأنصاريِّ ، عن أبيه قال : قال ابنُ عباسٍ : فكان مِن دَلالاتِ حَمْلِ محمدٍ ﷺ أن كلَّ دابةٍ كانت لقريشٍ نطَقت تلك الليلةَ وقالت[3] : حُمِل برسولِ اللَّهِ ﷺ وربِّ الكعبةِ ، وهو أَمانُ الدنيا وسِراجُ أهلِها . ولم تَبْقَ كاهنةٌ[4] فى قريشٍ ولا قَبيلةٍ مِن قَبائلِ العربِ إلا حُجِبَت عن صاحبتِها ، وانْتُزِع عِلْمُ الكَهَنةِ منها[5] ، ولم يبْقَ سَريرُ مَلِكٍ مِن ملوكِ الدنيا إلَّا أصْبَح مَنْكوسًا ، والمَلِكُ مُخَرَّسًا لا يَنْطِقُ يومَه ذلك[6] ، ومرَّت[7] وحوشُ المشرقِ إلى وحوشِ المغربِ بالبِشاراتِ ، وكذلك أهلُ[5] البِحارِ يبشِّرُ بعضُهم بعضًا به ، فى كلِّ شهرٍ مِن شهورِه[8] نداءٌ فى الأرضِ ونداءٌ فى السماواتِ ؛ أن[9] أبْشِروا فقد آن لأبى القاسمِ أن يَخْرُجَ إلى الأرضِ مَيْمونًا مُبارَكًا . [10]قال : وبَقِىَ فى بطنِ أمِّه [11]تِسعةَ أشْهرٍ ، وهلَك أبوه عبدُ اللَّهِ وهو فى بطنِ أمِّه[11] ، فقالت الملائكةُ : إلهَنا وسيدَنا ، بَقِىَ نبيُّك هذا يتيمًا . فقال اللَّهُ تعالى للملائكةِ : أنا له وليٌّ وحافظٌ[10]

---

(١) فى الأصل ، م : « البابلى » . وانظر الأنساب ١/ ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١٨.
(٢) فى الأصل ، م : « عمر » .
(٣) فى م : « قد » .
(٤) فى م : « كاهن » .
(٥) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .
(٦) فى م : « لذلك » .
(٧) فى م : « فرت » .
(٨) أى شهور الحمل به ﷺ .
(٩) سقط من : الأصل ، م .
(١٠ - ١٠) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .
(١١ - ١١) سقط من : الأصل .

(١ ونَصيرٌ ، فتبَرَّكوا بمولدِه ، فمولدُه(٢) مَيْمونٌ مُبارَكٌ . وفتَح اللَّهُ لمولدِه أبوابَ السماءِ وجَنّاتِه ١) ، وكانت آمِنةُ تُحَدِّثُ عن نفسِها وتقولُ : أتانى آتٍ حينَ مَرَّ بى مِن حَمْلِه ستةُ أشهرٍ ، فوَكَزنى برِجْلِه فى المَنام ، وقال : يا آمِنةُ ، إنك حَمَلْتِ بخيرِ العالَمين طُرًّا ، فإذا ولَدْتِيه فسَمِّيه محمدًا ، (٣ واكتُمى ٣) شأنَكِ . قال : وكانت تُحَدِّثُ عن نفْسِها وتقولُ : لقد أخَذَنى ما يأخُذُ النساءَ ، ولم يَعْلَمْ بى أحدٌ مِن القومِ ذكرٌ ولا أُنْثى ، وإنى لَوَحيدةٌ فى المنزلِ ، وعبدُ المطلبِ فى طَوافِه . قالت : فسمِعْتُ وَجْبةً شَديدةً ، وأمْرًا عظيمًا ، فهالَنى ذلك ، وذلك يومَ الاثنين ، فرأيْتُ كأنَّ جَناحَ طيرٍ أبْيضَ قد مسَح على فؤادى ، فذهَب عنى(٤) كلُّ رُعْبٍ وكلُّ فَزَعٍ ووَجَعٍ(٥) كنتُ أجِدُ ، ثم الْتَفَتُّ فإذا أنا بشَرْبةٍ بَيضاءَ ظنَنْتُها لبنًا ، وكنتُ عَطْشَى ، فتَناوَلْتُها فشرِبْتُها ، (٦ فأضاء منى ٦) نورٌ عالٍ ، ثم رأيْتُ نِسوةً كالنخلِ الطِّوالِ ، كأنهن مِن بناتِ عبدِ المطلبِ يُحْدِقْنَ بى ، فبينا أنا أعْجَبُ وأقولُ : واغَوْثاه ، مِن أين عَلِمْنَ بى ؟ واشْتَدَّ بىَ الأمرُ ، وأنا أسْمَعُ الوَجْبةَ فى كلِّ ساعةٍ أعْظَمَ وأهْولَ ، وإذا أنا بدِيباجٍ أبيضَ قد مُدَّ بينَ السماءِ والأرضِ ، وإذا قائلٌ يقولُ : خُذوه عن أعينِ الناسِ . قالت : ورأيْتُ رِجالًا قد وقَفوا فى الهواءِ ، بأيديهم أَباريقُ فِضةٍ ، وأنا يَرْشَحُ منى عَرَقٌ كالجُمَانِ ، أطْيَبُ رِيحًا مِن المِسْكِ الأذْفَرِ ، وأنا أقولُ : يا ليتَ عبدَ المطلبِ قد دخَل علىَّ ، (٧ وعبدُ المطلبِ عنى ناءٍ ٧) .

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى الدلائل .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) فى م : « أو النبى » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، م : « وجل » .

(٦ - ٦) فى م : « فأصابنى » .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من دلائل النبوة .

قالت : ورأيْتُ قطعةً مِن الطيرِ قد أقْبَلت مِن حيث لا أشْعُرُ حتى غطَّت حُجْرتى ، مَناقِيرُها مِن الزُّمُرُّدِ ، وأجْنِحتُها مِن اليَواقيتِ ، (١ فكشَف اللَّهُ ١) لى عن بَصَرِى (٢) ، فأبْصَرْتُ مِن ساعتى مَشارقَ الأرضِ ومَغاربَها ، ورأيْتُ ثلاثةَ أعلامٍ (٣) مَضْروباتٍ ؛ علَمٌ بالمشرقِ ، وعلَمٌ بالمغربِ ، وعلَمٌ على ظهرِ الكعبةِ ، فأخَذنى المَخاضُ ، واشْتَد بىَ الطَّلْقُ (٤) جدًّا ، فكنتُ كأنى مُسْتَنِدَةٌ إلى أركانِ النساءِ ، وكثُرْنَ علىَّ حتى (٥ كأنَّ الأيدِىَ معى فى ٥) البيتِ ، وأنا لا أرَى شيئًا ، فولَدْتُ محمدًا ، فلمَّا خرَج مِن بطنى دُرْتُ فنظَرْتُ إليه ، فإذا (٦ أنا به ٦) ساجدًا وقد رفَع أُصْبُعَيه كالمُتَضَرِّعِ المُبْتَهِلِ ، ثم رأيْتُ سَحابةً بَيْضاءَ قد أقْبَلت مِن السماءِ تَنْزِلُ حتى غشِيَتْه ، فغُيِّب عن عينى (٧) ، فسمِعْتُ مناديًا يُنادِى ؛ يقولُ : طُوفوا بمحمدٍ ﷺ شَرْقَ الأرضِ وغَرْبَها ، وأدْخِلوه البحارَ كلَّها ؛ ليَعْرِفوه باسمِه ونعتِه وصورتِه ، ويعْلَموا أنه سُمِّىَ الماحىَ ؛ لا يَبْقى شىءٌ مِن الشركِ إلا مُحِىَ به (٨ فى زمنِه ٨) . قالتْ : ثم تجلَّت (٩) عنه فى أسْرعِ [٥/٤٧و] وقتٍ ، فإذا أنا بِه مُدْرَجًا فى ثوبِ صوفٍ أبيضَ ، أشدَّ بياضًا مِن اللَّبَنِ ، وتحتَه حَريرةٌ خَضْراءُ ، وقد قبَض محمدٌ على ثلاثةِ مَفاتيحَ مِن اللؤلؤِ الرَّطْبِ الأبْيضِ ، وإذا قائلٌ يقولُ : قبَض محمدٌ على مَفاتيحِ النصرِ ، ومَفاتيحِ الرِّيحِ ، ومَفاتيحِ النُّبوَّةِ . هكذا أوْرَده وسكَت

(١ - ١) فى الدلائل : « فكشف » .

(٢) فى م : « بصيرتى » .

(٣) فى م : « علامات » .

(٤) فى الدلائل : « الأمر » .

(٥ - ٥) فى م : « كأنى مع » .

(٦ - ٦) فى م : « هو » .

(٧) فى الدلائل : « وجهى » .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) فى الأصل : « نحلو » ، وفى م : « تخلوا » .

عليه ، وهو غريبٌ جدًّا .

وقال الشيخُ جمالُ الدينِ أبو زكريا يحيى بنُ يوسفَ [1]بنِ يحيى[1] بنِ منصورِ ابنِ المُعَمَّرِ[2] الأنصاريُّ الصَّرْصَرىُّ ، المادحُ[3] ، الماهرُ ، الحافظُ للأحاديثِ واللغةِ ، ذو المحبةِ الصادقةِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلذلك يُشَبَّهُ فى عصرِه بحسانَ بنِ ثابتٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى دِيوانِه المكتوبِ عنه فى مَديحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد كان ضَريرَ البصرِ ، بَصيرَ البَصيرةِ ، وكانت وفاتُه ببَغْدادَ فى سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، قتَله التَّتارُ فى كائنةِ[4] بغدادَ ، كما سيأتى ذلك فى موضعِه ، فى كتابِنا هذا ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ ، وعليه التُّكْلانُ . قال فى قصيدتِه مِن حرفِ الحاءِ المهملةِ مِن دِيوانِه :

محمدٌ المبعوثُ للناسِ رَحْمةً ... يُشَيِّدُ ما أوْهَى الضَّلالُ ويُصْلِحُ
لئن سَبَّحَتْ صُمُّ الجِبالِ مُجِيبةً ... لداودَ أو لان الحديدُ المُصَفَّحُ
فإن الصخورَ الصُّمَّ لانَتْ بكَفِّهِ ... وإن الحَصا فى كفِّه لَيُسَبِّحُ
وإنْ كان موسى أنْبَع الماءَ بالعصا[5] ... فمِن كفِّه قد أصْبَح الماءُ يَطْفَحُ[6]
وإنْ كانتِ الرِّيحُ الرُّخاءُ مُطِيعةً ... سليمانَ لا تألو تَرُوحُ وتَسْرَحُ
فإن الصَّبا كانت لِنَصْرِ نبيِّنا ... ورعْبٌ على شهرٍ به الخَصْمُ يَكْلَحُ

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٥، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٣٦.

(٢) فى م : « عمر » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « كل بنة » .

(٥) فى م : « من العصا » .

(٦) فى الأصل ، ١٥١ : « يدلج » .

وإن أُوتِىَ المُلْكَ العظيمَ وسُخِّرَتْ ... له الجنُّ [1]تَسْعَى فى رِضَاه[1] وتَكْدَحُ[2]

فإنَّ مَفاتيحَ الكُنوزِ بأَسْرِها ... أَتَتْه فرَدَّ الزاهدُ المُتَرَجِّحُ

وإن كان إبراهيمُ أُعْطِىَ خُلَّةً ... وموسى بتَكْليمٍ على الطُّورِ يُمْنَحُ

فهذا حَبيبٌ بل خليلٌ مُكَلَّمٌ ... وخُصِّص بالرؤيا وبالحقِّ أَشْرَحُ

وخُصِّصَ بالحَوْضِ الرَّواءِ[3] وباللِّوا ... ويَشْفَعُ للعاصِين والنارُ تَلْفَحُ

وبالمَقْعدِ الأَعْلَى المُقَرَّبِ نالَه[4] ... عطاءً لعينَيه[5] أَقَرُّ وأَفْرَحُ

وبالرُّتْبةِ العُلْيا الوسيلةِ[6] دونَها ... مَراتِبُ أَرْبابِ المَواهِبِ تَلْمَحُ

[7]وَلَهْوَ إلى الجنَّاتِ أولُ داخلٍ ... له بابُها قبلَ الخلائقِ يُفْتَحُ[7]

[8]و[9] هذا آخرُ ما يَسَّر اللَّهُ جمعَه مِن الإخبارِ بالمُغَيَّباتِ التى وقَعت إلى زمانِنا مما يَدْخُلُ فى دَلائلِ النبوةِ، واللَّهُ الهادى، وإذا فرَغْنا، إن شاء اللَّهُ، مِن إيرادِ الحادثاتِ مِن بعدِ موتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى زمانِنا، نُتْبِعُ ذلك بذكرِ الفتنِ والمَلاحمِ الواقعةِ فى آخرِ الزمانِ، ثم نَسوقُ بعدَ ذلك أَشْراطَ الساعةِ، ثم نذْكُرُ البَعْثَ والنُّشورَ، ثم ما يقَعُ يومَ القيامةِ مِن الأَهْوالِ وما فيه مِن العَظَمةِ، ونَذْكُرُ الحوضَ والميزانَ والصِّراطَ، ثم نَذْكُرُ صفةَ النارِ، ثم صفةَ الجنةِ[8].

(١ - ١) فى الأصل: «تسعى ما رضاه»، وفى م: «تشفى ما رضيه».

(٢) فى م: «تلدح».

(٣) فى م: «العظيم».

(٤) فى م: «عنده».

(٥) فى م: «ببشراه».

(٦) فى م: «الأسيلة».

(٧ - ٧) فى م: «وفى جنة الفردوس أول داخل ... له سائر الأبواب بالخار تفتح».

(٨ - ٨) سقط من: الأصل. وفى ا ١٥١: «آخر الدلائل».

(٩) من هنا عاد اتصال نسخة ص.

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

كتابُ تاريخِ الإسلامِ الأولِ مِن الحوادثِ الواقعةِ فى الزمانِ، ووَفَياتِ المَشاهيرِ والأعْيانِ[1]

سنةَ إحْدى عشْرةَ مِن الهجرةِ

تقَدَّم ما كان فى ربيعِ الأولِ منها مِن وَفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى يومِ الاثنين، وذلك الثانى عشَرَ منه على المشهورِ، وقد بسَطْنا الكلامَ فى ذلك بما فيه كِفايةٌ، وباللَّهِ المستعانُ.

---

(١) اعتمد المصنف، رحمه اللَّه، فى نقل جل حوادث تاريخ الإسلام الأول على تاريخ الإمام محمد بن جرير الطبرى، رحمه اللَّه، فيما رواه بإسناده وفيما ذكره من الأخبار، ومن هذه الأخبار ما يُستنكر أو يُستشنع، ومن المعلوم أن الأخبار التاريخية يتسامح فيها بما لا يتسامح فيه فيما يتصل بنقل السنة؛ لذلك نقل المصنف وغيره من المؤرخين فى كتبهم التاريخية نصوصا غير محققة اعتمادا على ذكر الإسناد. وقد قال ابن جرير الطبرى فى مقدمة كتابه ص ٧، ٨.

وليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، وأستنبط بفِكَر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم؛ إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحةِ، ولا معنى فى الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قِبَلنا، وإنما أتى من قِبَل بعض ناقليه إلينا؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا.

خلافةُ أبى بكرٍ الصّدّيقِ، رضِى اللَّهُ عنه، وما (١) كان فى أيامِه (١) مِن الحَوادثِ والأمورِ

قد تقدَّم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ يومَ الاثنين، وذلك ضُحًى، فاشْتَغَل الناسُ بأمرِ بيعةِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ فى سَقيفةِ بنى ساعِدةَ، ثم فى [٥/٤٧ظ] المسجدِ البيعةُ العامَّةُ(٢) فى بقيَّةِ يومِ الاثنين وصَبيحةَ الثلاثاءِ، كما تقدم ذلك بطُولِه(٣)، ثم أخَذوا فى غَسْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وتَكْفينِه، والصلاةِ عليه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم تسْليمًا، بقيَّةَ يومِ الثلاثاءِ، ودفَنوه ليلةَ الأرْبعاءِ، كما تقدم ذلك مُبَرْهَنًا فى مَوْضعِه(٤).

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ(٥): حدَّثنى الزهرىُّ، حدَّثنى أنسُ بنُ مالكٍ قال: لمّا بُويِع أبو بكرٍ فى السَّقيفةِ وكان الغدُ، جلَس أبو بكرٍ (٦على المِنبرِ٦)، فقام عمرُ فتكَلَّم قبلَ أبى بكرٍ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أيُّها الناسُ، إنى قد قلتُ لكم بالأمسِ مَقالةً ما كانت مما وجَدْتُها فى كتابِ اللَّهِ، ولا كانت عَهْدًا عهِده إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، ولكنى قد كنتُ أرَى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سيَدْبُرُ أمْرَنا - يقولُ: يكونُ آخرَنا - وإن اللَّهَ قد أبْقَى فيكم كتابَه(٧) الذى به

(١ - ١) فى الأصل: «ترتب فى أيامه»، وفى م: «فيها».

(٢) فى الأصل: «التامة».

(٣) تقدم فى ٨/٨١ - ٨٦.

(٤) تقدم فى ٨/١٠٤ - ١٤٦.

(٥) تقدم تخريجه فى ٨/ ٨٩.

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

(٧) سقط من: م، ص.

هدَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فإن اعْتَصَمْتُم به هداكم اللَّهُ لِما كان هداه له ، وإن اللَّهَ قد جمَع أمْرَكم على خيرِكم ؛ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثانى اثنين إذ هما فى الغارِ ، فقوموا فبايِعوه . فبايَع الناسُ أبا بكرٍ [1] بيعةَ العامَّةِ [1] بعدَ بيعةِ السَّقيفةِ ، ثم تكَلَّم أبو بكرٍ فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بالذى هو أهلُه ، ثم قال : أمَّا بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فإنى قد وُلِّيتُ عليكم ولسْتُ بخيرِكم ، فإن أحْسَنْتُ فأعِينونى وإن أسَأْتُ فقوِّمونى ، الصدقُ أمانةٌ ، والكَذِبُ خِيانةٌ ، والضعيفُ فيكم قوىٌّ عندى حتى أُرِيحَ [2] عليه حقَّه ، إن شاء اللَّهُ ، والقوىُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخُذَ الحقَّ منه ، إن شاء اللَّهُ ، لا يدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيلِ اللَّهِ إلا ضرَبهم [3] اللَّهُ بالذُّلِّ ، ولا تَشيعُ الفاحشةُ فى قومٍ إلا عمَّهم اللَّهُ بالبَلاءِ ، أطِيعونى ما أطَعْتُ اللَّهَ ورسولَه ، فإذا عصَيْتُ اللَّهَ ورسولَه فلا طاعةَ لى عليكم ، قُوموا إلى صلاتِكم يَرْحَمْكم اللَّهُ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ .

وقد اتَّفَق الصحابةُ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، على بَيْعةِ الصِّدِّيقِ فى ذلك الوقتِ ، حتى علىُّ بنُ أبى طالبٍ والزبيرُ بنُ العَوَّامِ ، رضِى اللَّهُ عنهما وأرضاهما ، والدليلُ على ذلك ما رَواه البيهقىُّ [4] حيث قال : أنبأنا أبو الحسينِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ الحافظُ الإسْفَرايِينىُّ ، ثنا أبو علىٍّ الحسينُ بنُ علىٍّ الحافظُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ خُزَيمةَ وإبراهيمُ بنُ أبى طالبٍ ، قالا : ثنا بُندارُ بنُ بَشَّارٍ [5] ، ثنا أبو هشامٍ المَخْزومىُّ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، ثنا أبو نَضْرَةَ عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واجْتَمع الناسُ فى دارِ سعدِ بنِ عُبادةَ ، وفيهم أبو بكرٍ وعمرُ .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م : « أرجع » . وأريح عليه حقه : أردُّه إليه . النهاية ٢/٢٧٤ .

(٣) فى م : « خذلهم » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ٩٠.

(٥) فى م ، ص : « يسار » . وهو تصحيف . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.

قال: فقام خَطيبُ الأنصارِ فقال: أتعْلَمون [1]أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان من المهاجرين، وخليفتَه من المهاجرين، ونحن كنَّا[1] أنصارَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فنحن أنصارُ خليفتِه، كما كنا أنصارَه. قال: فقام عمرُ بنُ الخطابِ فقال: صدَق قائلُكم، ولو قلتُم غيرَ هذا لم نُتابِعْكم[2]. فأخَذ بيدِ أبى بكرٍ، وقال: هذا صاحبُكم فبايِعوه. فبايَعه عمرُ، وبايَعه المهاجرون والأنصارُ، قال: فصعِد أبو بكرٍ المنبرَ، فنظَر فى وجوهِ القومِ، فلم يرَ الزبيرَ. قال: فدَعا بالزبيرِ فجاء، قال: قلتَ: ابنُ عَمَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [3]وحواريُّه[3]، أرَدْتَ أن تَشُقَّ عَصا المسلمين؟! قال: لا تَثْرِيبَ يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ. فقام فبايعَه، ثم نظَر فى وجوهِ القومِ فلم يرَ عليًّا، فدَعا بعلىِّ بنِ أبى طالبٍ، [٥/٤٨و] [1]فجاء فقال[1]: قلتَ: ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وخَتَنُه على ابنتِه، أرَدْتَ أن تَشُقَّ عَصا المسلمين؟! قال: لا تَثْريبَ يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ. فبايَعه. هذا أو معناه.

قال الحافظُ أبو علىٍّ النَّيْسابورىُّ[4]: سمِعْتُ ابنَ خُزَيْمةَ يقولُ: جاءنى مسلمُ ابنُ الحَجَّاجِ، فسأَلنى عن هذا الحديثِ، [5]فكتَبْتُه له فى رُقْعةٍ وقرَأْتُ عليه، فقال: هذا حديثٌ[5] يُساوى بَدَنةً. [5]فقلتُ: يَسْوَى بَدَنةً[5]؟! بل هذا يسوَى بَدْرةً. وقد رواه الإمامُ أحمدُ عن الثِّقةِ، عن وُهَيْبٍ، مُخْتَصَرًا[6]. وأخْرَجَه

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى ١٥١، م، ص: «نبايعكم».

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٤) تقدم فى ٨/٩١.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) تقدم تخريجه فى ٨/ ٩١.

الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[1] مِن طريقِ عَفَّانَ بنِ مسلمٍ ، عن وُهَيْبٍ ، مطوَّلًا كنحوِ ما تقَدَّم . ورُوِّينا مِن طريقِ المَحامِلِىِّ[2] ، عن القاسمِ بنِ سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن علىِّ بنِ عاصمٍ ، عن الجُرَيْرِىِّ[3] ، عن [4]أبى نَضْرةَ[4] ، عن أبى سعيدٍ ، فذكَر مثلَه فى مُبايعةِ علىٍّ والزبيرِ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، يومَئذٍ .

وقال موسى بنُ عُقبةَ فى « مَغازيه »[5] عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، حدَّثنى أبى ، أن أباه عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ كان مع عمرَ ، وأن محمدَ بنَ مَسْلَمةَ كسَر سيفَ الزبيرِ ، ثم خطَب أبو بكرٍ ، واعْتَذَر إلى الناسِ ، وقال : واللَّهِ ما كنتُ حريصًا على الإمارةِ يومًا ولا ليلةً ، ولا سألْتُها اللَّهَ فى سرٍّ ولا عَلانيةٍ . فقبِل المهاجرون مَقالتَه ، وقال علىٌّ والزبيرُ : ما غضِبْنا[6] إلا لأننا أُخِّرْنا عن المَشورةِ ، وإنا نَرَى أبا بكرٍ أحقَّ الناسِ بها [7]بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[7] ، إنه لَصاحبُ الغارِ ، وإنا لَنَعْرِفُ شرَفَه وخيرَه ، ولقد أمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بالصلاةِ بالناسِ وهو حَىٌّ . وهذا اللَّائقُ بعلىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، والذى تدُلُّ عليه الآثارُ ؛ مِن شُهودِه معه الصلواتِ ، وخُروجِه معه إلى ذى القَصَّةِ بعدَ موتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما سنُورِدُه ، وبَذْلِه له النَّصيحةَ والمَشورةَ بينَ يديه ، وأما ما يَأْتِى مِن مُبايَعتِه إياه بعدَ موتِ فاطمةَ - وقد ماتَتْ بعدَ أبيها ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بستةِ أشهرٍ - فذلك مَحْمولٌ على أنها بَيْعةٌ ثانيةٌ أزالت ما

---

(١) المستدرك ٣/ ٧٦.

(٢) تقدم تخريجه فى ٨/ ٩١.

(٣) فى الأصل، م، ص: «الحريرى». وهو تصحيف. وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٣٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «أبى نصرة». وهو تصحيف. وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٠٨.

(٥) تقدم تخريجه فى ٨/ ٩٢. وقال المصنف عقب الأثر: إسناد جيد، ولله الحمد.

(٦) سقط من: م، ص. وفى ا ١٥١: «عصينا».

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

كان قد وقَع مِن وَحْشةٍ بسببِ الكلامِ فى الميراثِ ، ومَنْعِه إياهم ذلك بالنَّصِّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قوله : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا فهو صدقةٌ » . كما تقدَّم إيرادُ أسانيدِه وألفاظِه[1] . وللَّهِ الحمدُ . وقد كتَبْنا هذه الطرقَ مُسْتَقْصاةً فى الكتابِ الذى أفْرَدْناه فى سيرةِ الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وما أسْنَده مِن الأحاديثِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وما روَى عنه مِن الأحْكامِ مُبَوَّبةً على أبوابِ العلمِ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ التَّمِيمىُّ[2] عن أبى ضَمْرةَ ، عن أبيه ، عن عاصمِ بنِ عَدِىٍّ قال : نادَى مُنادِى أبى بكرٍ مِن[3] الغَدِ مِن مُتَوَفَّى رسولِ اللَّهِ ﷺ : ليَتِمَّ[4] بَعْثُ أُسامةَ ، ألا لا يَبْقَيَنَّ بالمدينةِ أحدٌ مِن جندِ[5] أسامةَ إلا خرَج إلى عَسْكرِه بالجُرْفِ . وقام أبو بكرٍ فى الناسِ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، وقال : أيُّها الناسُ ، إنما أنا مِثْلُكم ، وإنى [6]لا أدْرِى[6] لعلكم ستُكَلِّفوننى ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُطِيقُ ، إن اللَّهَ اصْطَفى محمدًا على العالَمين ، وعصَمه مِن الآفاتِ ، وإنما أنا مُتَّبِعٌ ولَسْتُ بمُبْتَدِعٍ ، فإن اسْتَقَمْتُ فتابعونى[7] ، وإن زِغْتُ فقَوِّمُونى ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قُبِض وليس أحدٌ مِن هذه الأُمَّةِ يطْلُبُه بمَظْلِمةٍ ؛ ضَرْبةِ سَوْطٍ فما دونَها ، وإن لى شَيْطانًا يَعْتَرِينى ، فإذا أتانى فاجْتَنبونى ، لا أُؤَثِّرُ فى أشعارِكم وأبْشارِكم ، وإنكم تَغْدُون وتَرُوحون فى أَجَلٍ قد غُيِّب عنكم [٥/٤٨ظ] عِلْمُه ، وإن اسْتَطَعْتُم أن لا

---

(١) تقدم فى ٨/١٨٥ - ٢٠٠.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٢٢٣، من طريق سيف بن عمر، بنحوه.

(٣) بعده فى التاريخ : « بعد » .

(٤) بياض فى الأصل، وفى م : « ليتمم » .

(٥) فى م، ١٥١: « جيش » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى الأصل : « فاتبعونى » ، وفى م ، ص : « فبايعونى » .

يَمْضِيَ إلا وأنتم فى عملٍ صالحٍ فافْعَلوا ، ولن تَسْتَطيعوا ذلك إلا باللَّهِ ، وسابِقوا فى مَهْلِ آجالِكم مِن قبلِ أن تُسْلِمَكم آجالُكم إلى انقطاعِ الأعْمالِ ، فإن قومًا نَسُوا آجالَهم وجعَلوا أعْمالَهم لغيرِهم ، فإياكم أن تَكونوا أمثالَهم ، الجِدَّ الجِدَّ ، النَّجاءَ النجاءَ ، (١الوَحَا الوَحَا١) فإن وراءَكم طالبًا حَثيثًا ، وأجَلًا مَرُّه سَريعٌ ، احْذَروا الموتَ ، واعْتَبِروا بالآباءِ والأبْناءِ والإخْوانِ ، ولا تَغْبِطوا(٢) الأحْياءَ إلا بما تَغْبِطون(٢) به الأمْواتَ . قال : وقام أيضًا فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : إن اللَّهَ ، عز وجل ، لا يَقْبَلُ مِن الأعمالِ إلا ما أُرِيد به وَجْهُه ، فأَرِيدوا اللَّهَ بأعمالِكم ، فأيَّما أخْلَصْتُم (٣للَّهِ من الأعمالِ ، فطاعةً أتيتموها ، وحظًّا(٤) ظَفِرْتُم به ، وضرائبَ أدَّيْتُموها ، وسَلَفًا قَدَّمْتُموه من أيامٍ فانيةٍ(٥) لأخرى باقيةٍ٣) لحينِ فَقْرِكم وحَاجَتِكم ، اعْتَبِروا عبادَ اللَّهِ بمَن مات منكم ، وتفَكَّروا فيمَن كان قبلكم ، أين كانوا أمسِ ؟ وأين هم اليومَ ؟ أين الجبَّارون ؟! أين الذين كان لهم ذِكْرُ القِتالِ والغَلَبةِ فى مَواطنِ الحُروبِ ؟! قد تَضَعْضَع بهم الدَّهْرُ ، وصاروا رَميمًا ، قد (٦تُرِكَتْ عليهم القالاتُ٦) ، الخَبِيثاتُ للخَبِيثِين ، والخَبِيثون للخَبِيثاتِ ، وأين المُلوكُ الذين أثاروا الأرضَ(٧) وعمَروها ؟! قد بَعُدوا(٨) ونُسِيَ ذِكْرُهم ، وصاروا كَلا

(١ - ١) الوحا الوحا : أى السرعة السرعة ، ويمد ويقصر . يقال : توحَّيْتُ . إذا أسرعت . وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر . النهاية ٥/ ١٦٣.

(٢) فى النسخ : « تطيعوا » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى التاريخ : « خطأ » .

(٥) فى ا ١٥١ : « فائتة » .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « تولت عليهم العالات » .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى الأصل : « فقدوا » .

شيءٍ ، ألا إنَّ اللَّهَ ، عز وجل ، قد أبْقَى عليهم التَّبِعاتِ ، وقطَع عنهم الشَّهَواتِ ، ومضَوْا والأعمالُ أعمالُهم ، والدنيا دنيا غيرِهم ، وبَقِينا[1] خَلَفًا بعدَهم ، فإن نحن اعْتَبَرْنا بهم نجَوْنا ، وإن [2]اغْتَرَرْنا بهم[2] كنَّا مثلَهم ، أين الوِضاءُ[3] الحَسَنةُ وُجوهُهم ، المُعْجَبون بشبابِهم ؟! صاروا تُرابًا ، وصار ما فرَّطوا فيه حَسْرةً عليهم ، أين الذين بنَوُا المَدائنَ وحصَّنوها بالحَوائطِ ، وجعَلوا فيها الأعاجيبَ ؟! قد ترَكوها لِمَن خلْفَهم ، فتلك مَساكنُهم خاويةً ، وهم فى ظُلُماتِ القُبورِ ، هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكزًا ؟ أين مَن [4]تَعْرِفون مِن آبائكم[4] وإخْوانِكم[5] ؟! قد انتَهَت بهم آجالُهم ، فورَدوا على ما قدَّموا فحَلُّوا عليه ، وأقاموا للشِّقْوةِ أو السعادةِ فيما بعدَ الموتِ ، ألا إنَّ اللَّهَ لا شريكَ له ، ليس بينَه وبينَ أحدٍ مِن خلقِه سببٌ يُعْطيه به خيرًا ، ولا يَصْرِفُ عنه به سُوءًا ، إلا بطاعتِه واتباعِ أمْرِه ، واعْلَموا أنكم عَبيدٌ مَدِينون ، وأن ما عندَه لا يُدْرَكُ إلا بطاعتِه ، [6]أمَا إنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ ، ولا شرَّ بشرٍّ بعده الجنةُ[6] .

فصلٌ فى تنفيذِه جيشَ أسامةَ بنِ زيدٍ

الذين كانوا قد أمَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمسيرِ إلى تُخومِ البَلْقاءِ مِن الشامِ ،

---

(١) فى م : « بعثنا » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « اعتبروا بنا » ، وفى م : « انحدرنا » .

(٣) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « الوضاة » ، وفى م : « الوضاءة » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤ - ٤) فى ١٥١ ، وتاريخ الطبرى : « أبنائكم » ، وفى ص : « يعترفون من آبائكم » .

(٥) بعده فى ١٥١ : « وأخواتكم » .

(٦ - ٦) فى م : « أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النار ولا يبعد عنه الجنة » .

حيثُ قُتِل زيدُ بنُ حارثةَ وجعفرٌ وابنُ رَواحةَ فيُغِيروا[1] على تلك الأراضى ، فخرَجوا إلى الجُرْفِ فخيَّموا به ، وكان فيهم عمرُ بنُ الخطابِ - ويقالُ : وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ . فاسْتَثْناه رسولُ اللَّهِ ﷺ [2]منهم ؛ للصلاةِ - فلما ثَقُل رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] أقاموا هنالك ، فلما مات عَظُم الخَطْبُ واشْتَد الحالُ ونجَم النِّفاقُ بالمدينةِ ، وارْتَدَّ مَن ارْتَدَّ مِن أحْياءِ العربِ حولَ المدينةِ ، وامْتَنَع آخرون مِن أداءِ الزكاةِ إلى الصِّدِّيقِ ، [3]ولم تَبْقَ الجُمُعةُ تُقامُ[3] فى بلدٍ سوى مكةَ والمدينةِ ، وكانت جُوَاثا مِن البَحْرَين أولَ قريةٍ أقامت الجُمُعةَ بعدَ رجوعِ الناسِ إلى الحقِّ ، كما فى « صحيحِ البخاريِّ »[4] عن ابنِ عباسٍ كما سيأتى ، وقد كانت ثَقِيفٌ بالطائفِ ثَبَتوا على الإسلامِ ، لم يَفِرُّوا[5] ولا ارْتَدوا .

والمقصودُ أنه لما وقَعت هذه الأمورُ أشار كثيرٌ مِن الناسِ على الصِّدِّيقِ أن لا يُنْفِذَ جيشَ أسامةَ لاحتياجِه إليه فيما هو أهمُّ [٥/ ٤٩و] [6]الآنَ مما[6] جُهِّز بسببِه فى حالِ السَّلامةِ ، وكان مِن جملةِ مَن أشار بذلك عمرُ بنُ الخطابِ ، فامْتَنع الصِّدِّيقُ مِن ذلك ، وأبَى أشَدَّ الإباءِ إلّا أن يُنْفِذَ جيشَ أسامةَ ، وقال : واللَّهِ لا أَحُلُّ عُقْدةً عقَدها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولو أن الطَّيرَ تخْطَفُنا ، والسِّباعَ مِن حولِ المدينةِ ، ولو أن الكِلابَ جَرَّتْ بأرْجُلِ أُمهاتِ المؤمنين ، لَأُجَهِّزَنَّ جيشَ أسامةَ . فجهَّزه[7] وأمَرَ الحَرَسَ يكونون حولَ المدينةِ ، فكان خروجُه فى ذلك الوقتِ مِن أكبرِ المَصالحِ ،

---

(١) فى الأصل : « فتعبروا » ، وفى م ، ص : « فيغتزوا » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) فى م : « ولم يبق للجمعة مقام » .
(٤) البخارى (٨٩٢، ٤٣٧١) .
(٥) فى ا ١٥١ : « يغيروا » .
(٦ - ٦) فى م : « لأن ما » .
(٧) سقط من : م ، ص .

والحالةُ تلك ، فساروا لا يَمُرُّون بحيٍّ مِن أحْياءِ العربِ إلا أُرْعِبوا منهم ، وقالوا : ما خرَج هؤلاء مِن قومٍ إلا وبهم مَنَعَةٌ شَديدةٌ . فغابوا[1] أربعين يومًا ، ويقالُ : سبعين يومًا . ثم آبوا سالِمين غانِمين ، ثم رجَعوا فجهَّزهم حينئذٍ مع الأحْياءِ الذين أخْرَجهم لقتالِ المُرْتَدَّةِ ، ومانعى الزكاةِ ، على ما سيأتى تَفْصيلُه .

قال سيفُ بنُ عمرَ[2] عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه قال : لمّا بُويِع أبو بكرٍ ، وجَمَع الأنْصارَ فى الأمْرِ الذى افْتَرقوا فيه قال : لِيَتِمَّ بَعْثُ أسامةَ . وقد ارْتَدَّت العربُ إما عامَّةً وإما خاصَّةً فى كلِّ قَبيلةٍ ، ونجَم النِّفاقُ واشْرَأَبَّت [3]اليَهوديَّةُ والنَّصْرانيَّةُ[3] ، والمسلمون كالغَنَمِ المَطِيرةِ فى الليلةِ الشاتيةِ ؛ لفَقْدِ نبيِّهم ﷺ ، وقِلَّتِهم ، وكثرةِ عدوِّهم ، فقال له الناسُ : إن هؤلاء جُلُّ المسلمين ، والعربُ على ما ترَى قد انتَقَضَت[4] بك ، وليس ينْبَغى لك أن تُفَرِّقَ عنك جماعةَ المسلمين . فقال : والذى نفسُ أبى بكرٍ بيدِه لو ظنَنْتُ أن السِّباعَ تَخْطَفُنى لأَنْفَذْتُ بَعْثَ أسامةَ كما أمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولو[5] لم يَبْقَ فى القُرَى غيرى لأَنْفَذْتُه . وقد رُوِىَ هذا عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ[6] ، [7]ومِن حديثِ القاسمِ وعَمْرةَ ، عن عائشةَ[7] قالت[8] : لمّا قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّت العربُ قاطِبةً

---

(١) فى ا ١٥١: « فعاثوا » ، وفى م : « فقاموا » .

(٢) أخرجه الطبرى فى التاريخ ٣/ ٢٢٥، من طريق سيف بن عمر به .

(٣ - ٣) فى التاريخ : « اليهود والنصارى » .

(٤) فى الأصل : « انفضت » ، وفى ا ١٥١: « تعصب » ، وفى م ، ص : « انتقصت » . وهو تصحيف . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٣١١، من طريق هشام بن عروة به بنحوه .

(٧ - ٧) سقط من : ا ١٥١.

(٨) أخرجه خليفة فى تاريخه ١/ ٨٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/٣١١ - ٣١٤، كلاهما من طريق القاسم به بنحوه . أما رواية عمرة فقد أخرجها ابن عساكر ٣٠/ ٣١٤، بدون ذكر عمر ، رضى اللَّه عنه .

واشْرَأَبَّ النِّفاقُ ، واللَّهِ لقد نزَل بأبى[1] ما لو نزَل بالجبالِ الراسِيات لهاضها[2] ، وصار أصحابُ محمدٍ ﷺ كأنَّهم مِعْزَى مَطِيرةٌ [3]فى حِفْشٍ[3] فى ليلةٍ مَطيرةٍ بأرضٍ مُسْبِعَةٍ ، فواللَّهِ ما اخْتَلفوا فى نُقْطةٍ[4] إلا طارَ أبِى بحَظِّها[5] وعَنائِها[6] وفَضْلِها[7] . ثم ذكَرَتْ عمرَ فقالت : مَن رأَى عمرَ علِم أنه خُلِق غِنًى[8] للإسلامِ ، كان واللَّهِ [9]أحْوَزِيًّا نَسِيجَ وَحْدِهِ[9] ، قد أعَدَّ للأمورِ أقْرانَها .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهقىُّ[10] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يَعقوبَ ، ثنا محمدُ بنُ علىٍّ المَيْمونىُّ ، ثنا الفِرْيابىُّ ، ثنا عَبَّادُ بنُ كَثيرٍ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هُريرةَ قال : واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو لولا أن أبا بكرٍ اسْتُخْلِف ما عُبِد اللَّهُ . ثم قال الثانيةَ ، ثم قال الثالثةَ ، فقيل له : مَهْ يا أبا هريرةَ . فقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ وجَّه أُسامةَ بنَ زيدٍ فى سبعِمائةٍ إلى الشامِ ، فلما نزَل بذى خُشُبٍ[11] قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وارْتَدَّت العربُ حولَ المدينةِ ،

---

(١) فى م : « بى » .

(٢) هاضها : كسرها . النهاية ٥/ ٢٨٨.

(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥١. وفى الأصل ، م ، ص : « فى حش » . والمثبت من تاريخ ابن عساكر . والحِفْش : البيت الحقير القريب السقف من الأرض . والبيت الصغير من بيوت الأعراب . الوسيط (ح ف ش) . وروى « خِفش » بكسر الخاء المعجمة ، وهو البيت الصغير أيضا . ويرى الخطابى أن الصواب « خَفَش » بفتح الخاء والفاء . والمراد : أنهم فى عَمًى وحيرة . غريب الحديث ٢/ ٥٨٥.

(٤) أى فى أمرٍ وقضية . النهاية ٥/١٠٧ .

(٥) فى م ، ص : « بخطلها » .

(٦) فى الأصل ، م : « عنانها » .

(٧) فى م : « فصلها » .

(٨) فى الأصل : « عناية » ، وفى ا ١٥١، ص : « غناء » . والغناء والغنى بمعنًى .

(٩ - ٩) فى الأصل : « أجودنا يسبح وحده » . والأحوزى : الحسن السياقة للأمور ، وفيه بعض النِّفار . ويروى بالذال . ونسيج وحده : رجلا لا عيب فيه ، وأصله أن الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيرُه ، وهو فعيل بمعنى مفعول . ولا يقال إلا فى المدح . النهاية ١/ ٤٥٩، ٥/ ٤٦.

(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٣١٥، من طريق البيهقى به .

(١١) فى الأصل ، ا ١٥١ : « جشب » . وهو تصحيف . وخشب : وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة . معجم البلدان ٢/ ٤٤٤.

فاجْتَمع إليه أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا أبا بكرٍ ، رُدَّ هؤلاء ، تُوَجِّهُ هؤلاء إلى الرومِ وقد ارْتَدَّت العربُ حولَ المدينةِ ؟! فقال : والذى لا إلهَ غيرُه لو جَرَّت الكِلابُ بأرْجُلِ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما ردَدْتُ جيشًا وَجَّهه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولا حَلَلْتُ لِواءً عقَده رسولُ اللَّهِ ﷺ . فوجَّه أُسامةَ ، [٥/٤٩ظ] فجعَل لا يَمُرُّ بقَبيلٍ يُرِيدون الارْتِدادَ إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرَج مثلُ هؤلاء مِن عندِهم ، ولكن ندَعُهم حتى يَلْقَوُا الرُّومَ . فلَقُوا الرومَ فهزَموهم وقَتَلوهم ، ورجَعوا سالمين ، فثبَتوا على الإسلامِ . عَبَّادُ بنُ كثيرٍ هذا أظُنُّه الرَّمْلىَّ[1] ؛ لروايةِ الفِرْيابىِّ عنه ، وهو مُتقارِبُ الحَديثِ ، فأما البَصْرىُّ الثَّقَفىُّ فمَتْروكُ الحديثِ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى سيفُ بنُ عمرَ[3] عن أبى ضَمْرةَ وأبى عمرٍو وغيرِهما ، عن الحسنِ البَصْرىِّ ، أن أبا بكرٍ لما صمَّم على تَجْهيزِ جيشِ أسامةَ قال بعضُ الأنصارِ لعمرَ : قلْ له فلْيُؤَمِّرْ علينا غيرَ أسامةَ . فذكَر له عمرُ ذلك ، فيقالُ : إنه أخَذ بلحيتِه وقال : ثَكِلَتْك أمُّك يا بنَ الخطابِ ، أأُؤَمِّرُ غيرَ أميرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟! ثم نهَض بنفسِه إلى الجُرْفِ فاسْتَعْرض[4] جيشَ أسامةَ وأمَرهم بالمَسيرِ ، وسار معهم ماشيًا ، وأسامةُ راكبًا ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ يقودُ براحلةِ الصِّدِّيقِ ، فقال أسامةُ : يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ، إما أن تَرْكَبَ وإما أن أَنْزِلَ . فقال : واللَّهِ لسْتَ بنازلٍ ولسْتُ براكبٍ . ثم اسْتَطْلَق الصِّدِّيقُ مِن أُسامةَ عمرَ بنَ الخطابِ - وكان مُكْتَتِبًا فى جيشِه - فأطْلَقه له ، فلهذا كان عمرُ لا يَلْقاه بعدَ ذلك إلا قال : السلامُ عليك أيُّها الأميرُ .

---

(١) فى م ، ص : « البرمكى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٥٠.

(٢) كذا قال المصنف ، وهو ظن كما قال ، والصواب أنه عباد بن كثير البصرى الثقفى فإنه يروى عن أبى الزناد ، وعنه محمد بن يوسف الفريابى . وانظر المجروحين لابن حبان ٢/١٦٦ - ١٧٠، وميزان الاعتدال ٢/٣٧٠ - ٣٧٥. وتهذيب الكمال ١٤/١٤٥ - ١٥٤.

(٣) أخرجه الطبرى فى التاريخ ٣/٢٢٥ ، ٢٢٦ ، من طريق سيف بن عمر مطولا .

(٤) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « فاستعبر » . واستعرض الجيش : طلب عرضهم عليه . الوسيط (ع ر ض) .

مَقْتَلُ الأسْودِ العَنْسىّ المُتَنَبِّئِ الكَذَّابِ لعَنه اللَّهُ وأخْزاه

قال أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ[1] : حدَّثنى عمرُ بنُ شَبَّةَ[2] النُّمَيْرىُّ ، ثنا علىُّ بنُ محمدٍ - يعنى المَدائِنىَّ - عن أبى مَعْشَرٍ ويزيدَ بنِ عِياضِ بنِ[3] جُعْدُبَةَ وغَسَّانَ بنِ عبدِ الحميدِ وجُوَيْرِيَةَ بنِ أسْماءَ ، عن مَشْيَخَتِهم ، قالوا : أمْضَى أبو بكرٍ جيشَ أسامةَ ابنِ زيدٍ فى آخرِ ربيعٍ الأولِ ، [4]وأتَى مَقْتَلُ الأسْودِ فى آخرِ ربيعٍ الأوَّلِ[4] بعدَ مَخْرَجِ أسامةَ ، فكان ذلك أولَ فتحٍ [5]أتَى أبا بكرٍ[5] وهو بالمدينةِ .

صفةُ خروجِه وتَملُّكِه[6] ومَقْتَلِه

قد أسْلَفْنا فيما تقَدَّم أنَّ اليمنَ كانت قديمًا[7] لحِمْيَرَ ، وكانت مُلوكُهم يُسَمَّون التَّبابِعةَ ، وتكَلَّمْنا فى أيامِ الجاهليةِ على طَرَفٍ صالحٍ مِن هذا ، ثم إنَّ مَلِكَ الحَبَشَةِ بعَث أميرَيْن مِن قُوَّادِه ، وهما أبْرَهَةُ الأشْرَمُ وأَرْياطُ ، فتَمَلَّكا له اليمنَ مِن حِمْيَرَ ، وصار مُلْكُها للحبشَةِ ، ثم اخْتَلف هذان الأميران ، فقُتِل أَرْياطُ واسْتَقَلَّ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٢٤٠.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « شيبة » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٨٦.

(٣) فى م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٢١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل : « أبى بكر » ، وفى م ، ص : « فتح أبو بكر » .

(٦) فى م ، ص : « تمليكه » .

(٧) سقط من : م ، ص .

أبْرَهةُ بالنِّيابةِ ، وبنَى كَنيسةً سمَّاها القُلَّيْسَ[1] ؛ لارتفاعِها ، وأراد أن يَصْرِفَ حَجَّ العربِ إليها دونَ الكعبةِ ، فجاء بعضُ قريشٍ فأحْدَث فى هذه الكَنيسةِ ، فلمَّا بلَغه ذلك حلَف لَيُخَرِّبَنَّ بيتَ مكةَ ، فسار إليه ومعه الجنودُ والفِيلُ محمودٌ ، فكان مِن أمْرِهم ما قَصَّ اللَّهُ فى كتابِه . وقد تقَدَّم بَسْطُ ذلك فى موضعِه[2] ، فرجَع أبْرَهةُ ببعضِ مَن بَقِىَ مِن جيشِه فى أَسْوأِ حالٍ وشَرِّ خَيْبةٍ ، ومازال تَسْقُطُ أعْضاؤُه أُنْمُلةً أُنْمُلةً ، فلما وصَل إلى صَنْعاءَ انْصَدع صدْرُه فمات ، فقام بالمُلْكِ بعدَه ولدُه يَكْسُومُ[3] بنُ أبْرهةَ ثم أخوه مَسْروقُ بنُ أبْرَهةَ ، فيقالُ : إنَّه اسْتَمَرَّ مُلكُ اليمنِ بأيْدى الحَبَشَةِ سبعين سنةً ، ثم ثار سَيْفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيرىُّ ، فذهَب إلى قَيْصَرَ ملكِ الرومِ[4] يسْتَنْصِرُه عليهم ، فأبَى ذلك عليه ؛ لِما بينَه وبينَهم مِن الاجتماعِ فى دينِ النَّصْرانِيَّةِ ، فسار إلى كِسْرى ملكِ الفُرسِ ، فاسْتَغاث به ، وله معه مَواقفُ ومَقاماتٌ فى الكلامِ تقَدَّم بَسْطُ بعضِها ، ثم اتَّفَق الحالُ على أن بعَث معه ممن بالسجونِ طائفةً تقَدَّمهم رجلٌ منهم يقال له : وَهْرِزُ . فاسْتَنْقَذ مُلكَ اليمنِ مِن الحبشةِ ، وكسَر مَسْروقَ بنَ أَبْرهَةَ [٥/ ٥٠و] وقتَلَه ، ودخَلوا إلى صَنْعاءَ وقرَّروا سيفَ بنَ ذى يَزَنَ فى المُلْكِ على عادةِ آبائِه ، وجاءت العربُ تُهَنِّئُه مِن كلِّ جانبٍ ، غيرَ أنَّ لكِسْرى نُوَّابًا على البلادِ ، فاسْتَمَرَّ الحالُ على ذلك حتى بعَث اللَّهُ رسولَه ﷺ ، فأقام بمكَّةَ ما أقام ، ثم هاجَر إلى المدينةِ ، فلمَّا كتَب كُتُبَه إلى مُلوكِ[5] الآفاقِ يدْعوهم إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، فكتَب فى جملةِ ذلك

---

(١) فى الأصل : « القلبس » ، وفى م : « العانس » .
(٢) تقدم فى ٣/١٣٩ - ١٥٧.
(٣) فى م ، ص : « بلسيوم » .
(٤) فى الأصل ، ١٥١ : « الشام » .
(٥) سقط من : م ، ص .

إلى كِسْرى ملكِ الفرسِ[1] : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى كِسْرى عظيمِ الفرسِ ، سلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى ، أما بعدُ فأَسْلِمْ تَسْلَمْ » . إلى آخرِه ، فلما جاءه الكتابُ قال : ما هذا ؟ قالوا : هذا كتابٌ جاء مِن عندِ رجلٍ بجزيرةِ العربِ يزْعُمُ أنه نبيٌّ ، فلما فتَح الكتابَ فوجَده قد بدَأ باسمِه قبلَ اسمِ كِسْرى غَضِب كِسْرَى عندَ ذلك غضَبًا شَديدًا ، وأخَذ الكتابَ فمزَّقه قبلَ أن يَقْرَأَه ، وكتَب إلى عاملِه على اليمنِ ، وكان اسمُه باذامَ : أما بعدُ فإذا جاءك كتابى هذا فابْعَثْ مِن قِبَلِك أميرَيْن إلى هذا الرجلِ الذى بجزيرةِ العربِ الذى يَزْعُمُ أنه نبيٌّ ، فابْعَثْه إلىَّ فى جامعةٍ[2] . فلما جاء الكتابُ إلى باذامَ ، بعَث مِن عندِه أميرَيْن عاقلَيْن ، وقال : اذْهَبا إلى هذا الرجلِ ، فانْظُرا ما هو ، فإن كان كاذبًا فخُذاه فى جامعةٍ حتى تذْهَبا به إلى كِسْرَى ، وإن كان غيرَ ذلك فارْجِعا إلىَّ فأخْبِرانى ما هو ، حتى أنْظُرَ فى أمْرِه . فقدِما على رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، فوجَداه على أَسَدِّ الأحْوالِ وأرْشَدِها ، ورَأَيا منه أُمورًا عَجيبةً يَطولُ ذِكْرُها ، ومكَثا عندَه شهرًا [3] بعدَما أبلغاه[3] ما جاءا له[4] ، ثم تَقاضاه[5] الجوابَ بعدَ ذلك ، فقال لهما : « ارْجِعا إلى صاحِبِكما فأخْبِراه أنَّ ربى قد قتَل الليلةَ ربَّه » . فأرَّخا ذلك عندَهما ، ثم رجَعا سريعًا إلى اليمنِ ، فأخْبَرا باذامَ بما قال لهما فقال : أَحْصُوا تلك الليلةَ ، فإن ظهَر الأمْرُ كما قال فهو نبيٌّ . فجاءت الكتبُ مِن عندِ مَلِكِهم أنَّه قد قُتِل كِسْرَى فى ليلةِ كذا وكذا ، لتلك الليلةِ ، وكان قد قتَله بنوه ، ولهذا قال

---

(١) تقدم فى ٦/ ٤٨٥.

(٢) الجامعة : الغُلُّ - وهو القَيْد - وسُمّيت كذلك لأنها تجمع اليدين إلى العُنُق . لسان العرب (جمع) .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « حتى بلغا » .

(٤) فى الأصل : « إليه » .

(٥) فى ا ١٥١ : « تقصاه » .

بعضُ الشُّعراءِ[1] :

وكِسْرَى إذ تَقاسَمه بنُوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسم اللِّحَامُ
تَمَخَّضَت المَنونُ له بيومٍ ... أنَى ولكلِّ حاملةٍ تَمامُ

وقام بالمُلْكِ مِن بعدِه ولَدُه يَزْدَجِرْدُ ، وكتَب إلى باذامَ أن خُذْ ليَ البيعةَ ممَّن قِبَلَكَ ، واعْمِدْ إلى ذلك الرجلِ فلا تُهِجْه[2] وأكْرِمْه ، فدخَل الإسلامُ فى قلبِ باذامَ وذَوِيه[3] مِن أبناءِ فارسَ ممن باليمنِ ، وبعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بإسلامِه ، فبعَث إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ بنِيابةِ اليمنِ بكمالِها ، فلم يَعْزِلْه عنها حتى مات ، فلما مات اسْتَناب ابنَه شَهْرَ بنَ باذامَ على [4]صَنْعاءَ و[4] بعضِ المخاليفِ، وبعَث[5] طائفةً مِن أصحابِه نُوَّابًا على مَخاليفَ أُخَرَ ، فبعَث أولًا فى سنةِ عَشْرٍ عليًّا وخالدًا ، ثم أرْسَل مُعاذًا وأبا موسى الأشْعرىَّ ، وفَرَّق عِمالةَ اليمنِ بينَ جماعةٍ مِن الصحابةِ ، فمنهم ؛ شهرُ بنُ باذامَ ، وعامرُ بنُ شهرٍ الهَمْدانِىُّ علَى هَمْدانَ ، وأبو موسى على مَأْرِبَ ، وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ على [6]ما بينَ نَجْرانَ[6] ورِمَعٍ[7] وزَبِيدٍ ، ويَعْلَى ابنُ أميَّةَ على الجَنَدِ ، والطاهرُ بنُ أبى هالةَ على عَكٍّ والأشْعريِّين ، وعمرُو بنُ حَزْمٍ[8] على نَجْرانَ ، وعلى بلادِ حَضْرموتَ زيادُ بنُ لَبِيدٍ ، وعلى السَّكاسِكِ

---

(١) هو النابغة الذبيانى ، والبيت الثانى وحده فى ديوانه بشرح ابن السِّكِّيت صفحة ٢٣٢ .

(٢) فى م : « تهنه » .

(٣) فى م : « ذريته » ، وفى ص : « ذرية » .

(٤ - ٤) سقط من : ا ١٥١ .

(٥) فى الأصل : « بعض » .

(٦ - ٦) بياض فى ا ١٥١. وفى م ، ص : « عامر نجران » .

(٧) بياض فى الأصل ، ا ١٥١. وفى م ، ص : « رفع » . والمثبت من تاريخ الطبرى كما سيأتى . وانظر معجم البلدان ٢/ ٨١٧.

(٨) فى م ، ص : « حرام » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١١٧٢، وأسد الغابة ٤/ ٢١٤، والإصابة ٤/ ٦٢١.

عُكَّاشةُ بنُ ثَورِ بنِ أَصْغرَ[1] ، وعلَى السَّكُونِ [2]وبنى[2] مُعاويةَ بنِ كِنْدةَ ، وبعَث مُعاذَ بنَ جبلٍ مُعَلِّمًا لأهلِ البَلَدَيْن ؛ اليمنِ وحَضْرَمَوتَ ، [٥/ ٥٠ظ] يتَنَقَّلُ مِن بلدٍ إلى بلدٍ . ذكَره سيفُ بنُ عمرَ[3] ، وذلك كلُّه فى سنةِ عشْرٍ فى آخرِ حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبينما هم على ذلك إذ نجَم هذا اللَّعينُ الأسْودُ العَنْسىُّ .

[4]خروجُ الأسْودِ العَنْسىّ[4]

واسمُه عَبْهَلَةُ بنُ كعبِ بنِ غَوْثٍ ، مِن بلدٍ يقالُ لها : كهفُ خُبَّانَ[5] . فى سبعِمائةِ مُقاتلٍ ، وكتَب إلى عُمَّالِ النبىِّ ﷺ : أيُّها المَوْرُودُون علينا ، أمْسِكوا علينا ما أخَذْتُم مِن أرضِنا ، ووفِّروا ما جمَعْتُم ، فنحن أوْلَى به ، وأنتم على ما أنتم عليه . ثم ركِب فتَوَجَّه إلى نَجْرانَ فأخَذها بعدَ عشْرِ ليالٍ مِن مَخْرجِه ، [6]ثم قصَد إلى صَنْعاءَ ، فَخَرج إليْه شَهْرُ بنُ بَاذامَ فتَقاتَلا ، فَغَلَبه الأَسْوَدُ وقَتَلَه ، وكَسَرَ جَيْشَه مِن الأَبناءِ[7] ، واحْتَلَّ بَلْدَةَ صَنْعاءَ لخمسٍ وعشرين ليلةً مِن مَخرجِه[6] ، ففرَّ مُعاذُ بنُ جبلٍ مِن هنالك ، واجْتازَ[8] بأبى موسى الأشعرىِّ ، فذهَبا إلى حَضْرَموتَ ، وانحاز عُمَّالُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الطاهرِ ، ورجَع [9]عمرُو بنُ حَزْمٍ[9] وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ

---

(١) سقط من : الأصل . وفى ١٥١ بياض ، وفى م : « أخضر » ، وفى ص : « أحصر » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٠٨٠، وأسد الغابة ٤/ ٦٧.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر المصدرين السابقين .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وهو فى هامش ١٥١.

(٥) فى النسخ : « حنان » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٩٧.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) هم أولاد فارس الذين سكن آباؤهم اليمن وتزوَّجوا بها . النهاية ١/ ١٨ .

(٨) فى الأصل : « انحاز » .

(٩ - ٩) فى الأصل : « عمر بن حزم » ، وفى م : « عمر بن حرام » . وانظر الإصابة ٤/ ٦٢١ .

العاصِ إلى المدينةِ، واسْتَوْسَقتِ اليمنُ بكمالِها للأسْودِ العَنْسيِّ، وجعَل أمْرُه يَسْتَطِيرُ استِطارةَ الشَّرارةِ، وكان جيشُه يومَ لَقِيَ شَهْرًا سبعَمائةِ فارسٍ، وأمراؤُه قيسُ بنُ عبـدِ يَغوثَ المُرادِيُّ، ومُعاويةُ بنُ قيسٍ، ويزيدُ بنُ مُخَزِّمٍ[1]، [2]ويزيدُ[2] بنُ حُصَينٍ[3] الحارثيُّ، ويزيدُ بنُ الأَفْكَلِ الأزْديُّ، واشْتَد مُلْكُه، واسْتَغْلَظ أمْرُه، وارْتَدَّ خَلْقٌ مِن أهْلِ اليمنِ، وعامَله المسلمون الذين هناك بالتَّقِيَّةِ، وكان خَليفتَه على مَذْحِجٍ عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ، وأسْنَد أمْرَ الجُنْدِ إلى قيسِ بنِ عبدِ يَغوثَ، وأسْنَد أمْرَ الأبْناءِ إلى فَيْروزَ الدَّيْلميِّ وداذَوَيْهِ[4]، وتزَوَّج امرأةَ شهرِ بنِ باذامَ، وهى ابنةُ عمِّ فَيْروزَ الدَّيْلميِّ، واسمُها آزادُ[5]، وكانتِ امرأةً حَسْناءَ جميلةً، وهى مع ذلك مؤمنةٌ باللَّهِ ورسولِه محمدٍ ﷺ، ومِن الصالحاتِ.

قال سيفُ بنُ عمرَ التَّميميُّ[6]: وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ كتابَه حينَ بلَغه خبرُ الأسْودِ العَنْسيِّ مع رجلٍ يقالُ له: وبَرُ بنُ يُحَنِّسَ الدَّيْلميُّ. يأْمُرُ المسلمين الذين هناك بمُقاتَلةِ الأسْودِ العَنْسيِّ ومُصاوَلتِه، وقام[7] مُعاذُ بنُ جبلٍ بهذا الكتابِ أتَمَّ

---

(١) فى الأصل، م، ص، وتاريخ الطبرى: «محرم»، وفى ا ١٥١: «مخرم». والمثبت من الإكمال ٧/ ٢٢٠، وتبصير المنتبه ٤/ ١٢٦٧.

(٢ - ٢) سقط من: النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٣) فى م، ص: «حصن».

(٤) فى ا ١٥١: «دازن».

(٥) فى م، ص: «زاذ».

(٦) تاريخ الطبرى ٣/ ٢٣١.

(٧) فى الأصل: «قال»، وفى ا ١٥١: «مقام».

القِيام ، وكان قد تزَوَّج امرأةً مِن السَّكُونِ يقالُ لها : رَمْلةُ . فحَدِبَتْ[1] عليه السَّكُونُ ؛ لصهرِه[2] فيهم ، وقاموا معه فى ذلك ، وبلَّغوا هذا الكتابَ إلى عُمَّالِ النبىِّ ﷺ ومَن قدَروا عليه مِن الناسِ ، واتَّفق اجتماعُهم بقَيْسِ بنِ عبدِ يَغوثَ أميرِ الجُنْدِ ، وكان قد [3]تَغَضَّب عليه[3] الأسْودُ واسْتَخَفَّ به ، وهَمَّ بقتلِه ، وكذلك كان أمْرُ فَيروزَ الدَّيْلمىِّ قد ضَعُف عندَه أيضًا ، وكذا داذَوَيْهِ ، فلمَّا أَعْلَم وبرُ بنُ يُحَنِّسَ [4]والمسلمون[4] قيسَ بنَ عبدِ يَغوثَ ، وهو قيسُ بنُ مَكْشوحٍ ، كان كأنما نزَلوا عليه مِن السماءِ ، ووافَقهم على الفَتْكِ بالأسْودِ ، وتوافَق المسلمون على ذلك وتَعاقدوا عليه ، فلما أيْقَن ذلك فى الباطنِ اطَّلَع شيطانُ الأسْودِ للأسْودِ على شىءٍ مِن ذلك ، فدَعا قيسَ بنَ مَكْشوحٍ فقال له : يا قيسُ ، ما يقولُ هذا ؟! قال : وما يقولُ ؟ قال يقول : عمَدْتَ إلى قيسٍ فأكْرَمْتَه حتى إذا دخَل منك كلَّ مَدْخَلٍ ، وصار فى العِزِّ مثلَك ، مال مَيْلَ عدوِّك ، وحاول مَلْكَك ، وأضْمَر على الغَدْرِ ، إنه يقولُ : يا أسودُ يا أسودُ ، يا سَوْآه يا سَوْآه [5]قَطِّفْ قُنَّتَه[5] ، وخُذْ مِن قيسٍ أعْلاه ، وإلا سَلَبك[6] وقطَّف قُنَّتَك . فقال قيسٌ - وحلَف له فكذَب - : وذى الخِمارِ[7] لَأنت أعْظمُ فى نفسى وأجَلُّ عندى مِن أن أُحَدِّثَ بك نفسى . فقال له الأسودُ : ما إخالُك تُكَذِّب الملَكَ ، [8]فقد صدَق الملَكُ[8] وعرَف الآنَ أنك تائبٌ ؛ لِمَا[9]

---

(١) فى م ، ص : « فحزبت » . وحَدِبَت عليه : عَطَفت . النهاية ١/ ٣٤٩.

(٢) فى م ، ص : « لصبره » .

(٣ - ٣) فى م : « غضب على » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) فى م : « فطف به » ، وفى ص : « قطف به » . وقنة كل شىء أعلاه . اللسان (ق ن ن) .

(٦) فى الأصل : « ملكك » .

(٧) فى ١٥١، ص : « الحمار » ، وذو الخمار هو الأسود ، فهو يحلف به . وانظر ما تقدم ص ٣٣٠.

(٨ - ٨) سقط من : ١٥١.

(٩) فى م : « عما » .

اطَّلع عليه منك . ثم خرَج قيسٌ مِن بينِ يديه ، فجاء إلى أصحابِه فَيْروزَ وداذَوَيْهِ ، فأخْبَرهم بما قال له ورَدَّ عليه ، فقالوا : إنا كلَّنا على حَذَرٍ ، فما الرَّأْىُ ؟ فبينما هم يَشْتَوِرون إذ جاءهم رسولُه فأحْضَرهم بينَ يديه ، فقال : [٥/ ٥١و] ألم أُشْرِفْكم على قومِكم ؟ قالوا : بلى . قال : فماذا يَبْلُغُنى عنكم ؟ فقالوا : أَقِلْنا مَرَّتَنا هذه . فقال : لا يَبْلُغُنى عنكم فأَقْتُلَكم[1] . قال[2] : فخرَجْنا مِن عندِه ولم نَكَدْ وهو فى ارْتِيابٍ مِن أمْرِنا ، ونحن على خطرٍ ، فبينما نحن فى ذلك إذ جاءتْنا كتبٌ مِن عامرِ بنِ شهرٍ[3] أميرِ هَمْدانَ ، وذى ظُلَيْم ، وذى كَلاعٍ ، وغيرِهم مِن أُمراءِ اليمنِ ، يَبْذُلون لنا[4] الطاعةَ والنصرَ على مُخالفةِ الأسْودِ ، وذلك حينَ جاءهم كتابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّهم على مُصاولةِ الأسودِ العَنْسىِّ ، فكتَبْنا إليهم أن لا يُحْدِثوا شيئًا حتى نُبْرِمَ الأمْرَ . قال قيسٌ[5] : فدخَلْتُ على امرأتِه آزاذَ ، فقلتُ : يا ابنةَ عمى ، قد عرَفْتِ بَلاءَ هذا الرجلِ عندَ قومِك ، قتَل زوجَك ، وطَأْطَأَ فى قومِك القَتْلَ ، وفضَح النساءَ ، فهل عندَك مُمالأةٌ عليه ؟ قالت : على أىِّ أمْرِه ؟ قلتُ : إخراجِه . قالت : أو قتلِه ؟ قلتُ : أو قتلِه . قالت : نعم ، واللَّهِ ما خلَق اللَّهُ شخصًا هو أبغضُ إلىَّ منه ، ما يقومُ للَّهِ على حقٍّ ، ولا يَنْتَهِى له عن حُرْمةٍ ، فإذا عزَمْتُم فأعلِمونى أُخْبِرْكم بما فى هذا الأمرِ . قال : فأَخْرُجُ فإذا فَيْروزُ وداذَوَيْه ينْتَظِرانى يُرِيدون أن يُناهِضوه . فما اسْتَقَرَّ اجْتماعُه بهما حتى بعَث إليه الأسودُ ، فدخَل فى عشَرةٍ مِن قومِه ، فقال له : ألم أُخْبِرْك بالحقِّ وتُخْبِرْنى بالكِذَابةِ ؟ إنه

---

(١) فى م ، ص : « فأقيلكم » .

(٢) القائل هو جشيش كما فى تاريخ الطبرى .

(٣) فى الأصل : « سهيل » .

(٤) فى ١٥١ : « له » .

(٥) كذا فى النسخ ، والصحيح أن القائل هنا جشيش ، كما يقتضيه السياق ، وكما فى تاريخ الطبرى .

يقولُ : يا سَوْآه يا سَوْآه ، إن لم تَقْطَعْ مِن قيسٍ يدَه يَقْطَعْ رقبتَك العُلْيَا . حتى ظنَّ قيسٌ أنه قاتلُه ، فقال : إنه ليس مِن الحقِّ أنْ أَهْلِكَ وأنت رسولُ اللَّهِ ، فقَتْلِى أحَبُّ إلىَّ مِن مَوْتاتٍ أمُوتُها كلَّ يومٍ . فرَقَّ له وأمَره بالانصرافِ ، فخرَج إلى أصحابِه وقال : اعْمَلوا عملَكم . فبينما هم وُقوفٌ بالبابِ يَشْتَوِرون إذ خرَج الأسْودُ عليهم ، وقد جمَع له مائةً ما بينَ بقرةٍ وبعيرٍ ، فقام وخَطَّ خَطًّا وأُقِيمت مِن ورائِه ، وقام دونَها ، فنحَرها غيرَ مُحَبَّسَةٍ ولا مُعَقَّلَةٍ ، ما يَقْتَحِمُ الخَطَّ منها شىءٌ ، فجالت إلى أن زهَقت أرواحُها . قال قيسٌ[1] : فما رأيْتُ أمْرًا كان أفْظَعَ منه ، ولا يومًا أوْحشَ منه . ثم قال الأسْودُ : أحَقٌّ ما بلَغنى عنك يا فيروزُ ؟ لقد هَمَمْتُ أن أَنْحَرَك [2]فأُتْبِعَكَ هذه[2] البَهيمةَ . وبَوَّأ[3] له الحَرْبةَ . فقال له فَيْروزُ : اخْتَرْتَنا لصِهْرِك ، وفضَّلْتنا على الأبْناءِ ، فلو لم تكُنْ نبيًّا ما بِعْنا نَصيبَنا منك بشىءٍ ، فكيف وقد اجْتَمع لنا بك أمْرُ الآخرةِ والدنيا ؟ فلا تَقْبَلْ علينا أمثالَ ما يَبْلُغُك ، فإنّا بحيث تُحِبُّ . فرضِى عنه وأمَره بقَسْمِ لحومِ تلكِ الأنعامِ ، ففرَّقها فيرْوزُ فى أهلِ صَنعاءَ ، ثم أسْرَع اللِّحاقَ به ، فإذا رجلٌ يُحَرِّضُه على فيروزَ ويَسْعَى إليه فيه ، فاسْتَمع له فَيْروزُ ، فإذا الأسْودُ يقولُ : أنا قاتلُه غدًا وأصحابِه ، فاغْدُ علىَّ به . ثم الْتَفت فإذا فيروزُ ، فقال : مَهْ . فأخْبَره فيروزُ بما صنَع مِن قَسْمِ ذلك اللحمِ ، فدخَل الأسْودُ دارَه ، ورجَع فيروزُ إلى أصحابِه ، فأعْلَمهم بما سمِع وبما قال وقيل له ، فاجْتَمع رأيُهم على أن يعاودوا المرأةَ فى أمْرِه ، فدخَل أحدُهم - وهو

---

(١) كذا فى النسخ ، والصحيح أن القائل هنا جشيش ، كما تقدم .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « فألحقك بهذه » .

(٣) فى م : « أبدى » .

فَيْروزُ[1] - إليها ، فقالت : إنه ليس مِن الدارِ بيتٌ إلا والحَرَسُ مُحيطون به ، غيرَ هذا البيتِ ، فإنَّ ظهرَه إلى مكانِ كذا وكذا مِن الطريقِ ، فإذا أمْسَيتُم فانْقُبوا[2] عليه مِن دونِ الحَرَسِ ، وليس مِن دونِ قتلِه شيءٌ ، وإنى سأضَعُ فى البيتِ سِراجًا وسلاحًا . فلما [٥/ ٥١ظ] خرَج مِن عندِها تلَقَّاه الأسْودُ فقال له : ما أدْخَلك على أهلى ؟ ووجَأ رأسَه ، وكان الأسودُ شديدًا ، فصاحتِ المرأةُ فأدْهَشَتْه عنه ، ولولا ذلك لقتَله ، وقالت : ابنُ عمِّى جاءنى زائرًا . فقال : اسْكُتى لا أبا لك ، قد وهَبْتُه لكِ . فخرَج على أصحابِه فقال : النَّجاءَ النَّجاءَ . وأخْبَرهم الخبرَ ، فحاروا ماذا يَصْنَعون ؟ فبعَثتِ المرأةُ إليهم تقولُ لهم : لا تثْنُوا عما كنتُم عازمِين عليه . فدخَل عليها فيروزُ الدَّيْلمىُّ فاسْتَثْبَت منها الخبرَ ، ودخَلوا إلى ذلك البيتِ فنقَبوا مِن داخلِه بَطائنَ ؛ لِيَهُونَ عليهم النَّقْبُ مِن خارجٍ ، ثم جلَس عندَها جهرةً كالزائرِ ، فدخَل الأسْودُ فقال : وما هذا ؟ فقالت : إنه أخى مِن الرَّضاعةِ ، وهو ابنُ عمِّى . فنهَره وأخْرَجه ، فرجَع إلى أصحابِه ، فلما كان الليلُ نقَبوا ذلك البيتَ فدخَلوا فوجَدوا فيه سِراجًا تحتَ جَفْنةٍ ، فتقَدَّم إليه فيروزُ الدَّيْلمىُّ والأسْودُ نائمٌ على فراشٍ مِن حريرٍ ، قد غرِق رأسُه فى جسَدِه ، وهو سَكْرانُ يَغُطُّ ، والمرأةُ جالسةٌ عندَه ، فلما قام فيروزُ على البابِ أجْلَسه شَيْطانُه وتكَلَّم على لسانِه - وهو نائمٌ[3] مع ذلك يَغُطُّ - فقال : ما لى وما لك يا فيروزُ ؟ فخشِىَ إن رجَع أن[3] يَهْلِكَ وتَهْلِكَ المرأةُ ، فعاجَله وخالَطه ، وهو مثلُ الجملِ ، فأخَذ برأسِه فدَقَّ عُنُقَه ، ووضَع ركبتيه فى ظهرِه حتى قتَلَه ، ثم قام ليخْرُجَ إلى أصحابِه ليُخْبِرَهم ، فأخَذَت المرأةُ بذَيْلِه

---

(١) كذا فى النسخ والصحيح أنه جشيش كما فى سياق الطبرى .
(٢) فى الأصل : « فابعثوا » .
(٣) سقط من : م ، ص .

وقالت : أين تذهَبُ عن حُرمتِكم؟ فظَنَّت [1]أنَّه لم يَقْتُلْه[1] ، فقال : أَخْرُجُ لأُعْلِمَهم بقَتْلِه . فدخَلوا عليه ليَحْتَزُّوا رأسَه ، فحرَّكه شَيْطانُه فاضْطَرب ، فلم يَضْبُطوا أمْرَه حتى جلَس اثنان على ظهرِه ، وأخَذتِ المرأةُ بشعْرِه ، وجعَل يُبَرْبِرُ بلسانِه ، فاحْتَزَّ الآخَرُ رقبتَه ، فخار كأشدِّ خُوارِ ثَوْرٍ سُمِع قطُّ ، فابْتَدر الحَرَسُ إلى المَقْصورةِ ، فقالوا : ما هذا ما هذا ؟! فقالت المرأةُ : النبيُّ يُوحَى إليه . فرجَعوا ، وجلَس قيسٌ وداذَوَيْهِ وفيروزُ يأْتَمِرون كيف يُعْلِمون أشْياعَهم ، فاتَّفقوا على أنه إذا كان الصباحُ [2]يُنادُون بشِعارِهم الذى بينَهم وبينَ المسلمين ، فلما كان الصباحُ[2] قام أحدُهم ، وهو قيسٌ ، على سُورِ الحصنِ فنادَى بشِعارِهم ، فاجْتَمَع المسلمون [2]والكافرون[2] حولَ الحصنِ ، فنادَى قيسٌ - ويقالُ : وبَرُ بنُ يُحَنِّسَ[3] - بالأذانِ : أشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، وأنَّ عَبْهَلَةَ كَذَّابٌ . وألْقَى إليهم رأسَه ، فانْهَزم أصحابُه ، وتبِعهم الناسُ يأْخُذونهم ويَرْصُدونهم فى كلِّ طريقٍ يأْسِرُونهم ، وظهَر الإسلامُ وأهلُه ، وتَراجَع نُوَّابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أعمالِهم ، وتَنازَع أولئك الثلاثةُ فى الإمارةِ ، ثم اتَّفَقوا على مُعاذِ بنِ جَبلٍ يُصَلِّى بالناسِ ، وكتَبوا بالخبرِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد أطْلَعه اللَّهُ على الخبرِ مِن ليلَتِه .

كما قال سيفُ بنُ عمرَ التَّميمىُّ[4] عن أبى القاسمِ الشَّنَوىِّ[5] ، عن العَلاءِ بنِ زِيَادٍ[6] ، عن ابنِ عمرَ قال : أتَى الخبرُ النبىَّ ﷺ مِن السماءِ الليلةَ التى قُتِل فيها العَنْسىُّ ليُبَشِّرَنا ، فقال : « قُتِل العَنْسىُّ البارحةَ ، قتَله رجُلٌ مُبارَكٌ مِن أهلِ بيتٍ

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ص : « أنها لم تقتله » .

(٢ - ٢) سقط من : ١٥١ .

(٣) فى م : « يحنش » . وفى الطبرى أن وبر هو الذى أقام الصلاة ، لا أنه أذن .

(٤) تاريخ الطبرى ٣/٢٣٦ .

(٥) فى ١٥١ : « النسوى » . وانظر الأنساب ٣/ ٤٦٢ .

(٦) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٩٧ .

مُبارَكِين » . قيل : ومَن ؟ قال : « فيروزُ ، فاز[1] فيروزُ » . وقد قيل : إنَّ مُدَّةَ مُلْكِه منذُ ظهَر إلى أن قُتِل ثلاثةُ أشْهرٍ . ويقالُ : أربعةُ أشهرٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[2] عن المُسْتَنِيرِ ، عن عروةَ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن فيروزَ قال : قتَلْنا الأسْودَ ، وعاد [٥/ ٥٢و] أمْرُنا[3] كما كان ، إلا أنّا أرْسَلْنا إلى مُعاذِ بنِ جبلٍ فتراضَيْنا عليه ، فكان يُصَلِّى بنا فى صَنْعاءَ ، فواللَّهِ ما صلَّى بنا إلا ثلاثةَ أيامٍ حتى أتانا الخبرُ بوفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فانْتَقَضت الأُمورُ ، وأنْكَرْنا كثيرًا مما كنا نَعْرِفُ ، واضْطَرَبت الأرضُ .

وقد قدَّمْنا أنَّ خبرَ العَنْسىِّ جاء إلى الصِّدِّيقِ فى أواخِرِ ربيعٍ الأولِ بعدَما جهَّز جيشَ أسامةَ ، وقيل : بل جاءت البِشارةُ إلى المدينةِ صَبيحةَ تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ . والأولُ أشْهرُ . واللَّهُ أعلمُ . والمقصودُ أنه لم يَجِئْهم فيما يتعَلَّقُ بمصالِحِهم واجتماعِ كلمتِهم وتأليفِ ما بينَهم والتَّمَسُّكِ بدينِ الإسلامِ إلا الصِّدِّيقُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وسيأتى إرْسالُه إليهم مَن يُمَهِّدُ الأمورَ التى اضْطَربت فى بلادِهم ويُقَوِّى أيْدِىَ المسلمينَ ، ويُثَبِّتُ أرْكانَ دَعائمِ الإسلامِ فيهم ، رضِى اللَّهُ عنهم .

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٢٣٦ .

(٣) بعده فى م : « فى صنعاء » .

فصلٌ فى تَصدّى الصدّيقِ لقِتالِ أهلِ الرّدّةِ ومانعى الزكاةِ

قد تقدَّم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما تُوُفِّىَ ارْتَدَّت أحْياءٌ كثيرةٌ مِن الأعْرابِ ، ونجَم النِّفاقُ بالمدينةِ ، وانحاز إلى مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ بنو حَنيفةَ وخَلْقٌ كثيرٌ باليَمامةِ ، والْتَفَّتْ على طُلَيْحةَ الأسَدىِّ بنو أسَدٍ وطَيِّئٌ ، وبَشَرٌ كثيرٌ أيضًا ، وادَّعى النُّبوةَ أيضًا كما ادَّعاها مُسَيْلِمةُ الكَذَّابُ ، وعَظُم الخَطْبُ واشْتَدَّ الحالُ ، ونفَّذ الصِّدِّيقُ جيشَ أسامةَ ، فقَلَّ الجُنْدُ عندَ الصِّدِّيقِ ، فطمِعَت كثيرٌ مِن الأعْرابِ فى المدينةِ ، وراموا أن يَهْجُموا عليها ، فجعَل الصِّدِّيقُ على أنْقابِ المدينةِ حُرَّاسًا يَبِيتون بالجيوشِ حولَها ؛ فمِن أُمراءِ الحَرَسِ[1] علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، والزبيرُ بنُ العَوَّامِ ، وطَلْحةُ بنُ عبيدِ اللَّهِ ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ مسعودٍ ، وجعَلَت وفودُ العربِ تَقْدَمُ المدينةَ ، يُقِرُّون بالصلاةِ [2]ويَمْتَنِعون مِن أداءِ[2] الزكاةِ ، ومنهم مَن امتنع مِن دَفْعِها إلى الصِّدِّيقِ ، وذُكِرَ أن منهم مَن احْتَجَّ بقولِه تعالى[3] : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] . قالوا : فلسنا نَدْفَعُ زكاتَنا إلا إلى مَن صلاتُه سَكَنٌ لنا . وأنْشَد بعضُهم[4] :

---

(١) فى ا ١٥١ : « الجيش » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « ويمنعون » .

(٣) التفسير ٤/ ١٤٥.

(٤) انظر ما يأتى صفحة ٤٤٢ .

أَطَعْنا رسولَ اللَّهِ إذ كان بيننا فواعَجَبًا ما بالُ[1] مُلْكِ أبى بكرِ

وقد تكلَّم الصحابةُ مع الصديقِ فى أن يَتْرُكَهم وما هم عليه مِن مَنْعِ الزكاةِ ويتألَّفَهم حتى يَتَمَكَّنَ الإيمانُ فى قلوبِهم، ثم هم بعدَ ذلك يُزَكُّون، فامْتَنع الصِّدِّيقُ مِن ذلك وأباه.

وقد روَى الجماعةُ فى كتبِهم سوى ابنِ ماجه، عن أبى هريرةَ[2]، أن عمرَ بنَ الخطابِ قال لأبى بكرٍ: عَلامَ[3] تُقاتِلُ الناسَ وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ، فإذا قالوها عصَموا منِّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها»؟ فقال أبو بكرٍ: واللَّهِ لو منَعونى عَناقًا[4] - وفى روايةٍ: عِقالًا - كانوا يُؤَدُّونه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، لأُقاتِلَنَّهم على مَنْعِها، إن الزكاةَ حقُّ المالِ، واللَّهِ لأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بينَ الصلاةِ والزكاةِ. قال عمرُ: فما هو إلا أن رأيْتُ اللَّهَ قد شرَح صدرَ أبى بكرٍ للقِتالِ، فعرَفْتُ أنه الحقُّ.

[٥/٥٢ظ] قلتُ: وقد قال اللَّهُ تعالى[5]: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وثبَت[6] فى «الصحيحِ»[7]: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا[8]: لا إله إلا اللَّهُ، [9]وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ[9][6]».

---

(١) فى الأصل: «كان».

(٢) البخارى (١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥، ٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذى (٢٦٠٧)، والنسائى (٢٤٤٢، ٣٠٩١ - ٣٠٩٣، ٣٩٨٠، ٣٩٨١).

(٣) فى مصادر التخريج: «كيف».

(٤) العناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. النهاية ٣/ ٣١١.

(٥) التفسير ٤/٥٣ - ٥٥.

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

(٧) كذا فى ١٥١، وسقط من: الأصل. والحديث فى البخارى (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٨) فى مصدرى التخريج: «يشهدوا».

(٩ - ٩) سقط من: الأصل، ١٥١. والمثبت من مصدرى التخريج.

(١ ويُقِيمُوا الصلاةَ ويُؤْتُوا الزكاةَ ». و١) فى « الصحيحَيْن »(٢) : « بُنِىَ الإسلامُ على خمسٍ ؛ شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، (٣ وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ٣) ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وحجِّ البيتِ ، وصومِ رمضانَ » .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ مِن طريقِ(٤) ، عن شَبابةَ بنِ سَوَّارٍ ، ثنا عيسى ابنُ يزيدَ المَدِينىُّ ، حدَّثنى صالحُ بنُ كَيْسانَ قال : لما كانت الرِّدَّةُ قام أبو بكرٍ فى الناسِ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : الحمدُ للَّهِ الذى هدَى فكَفَى ، وأعْطَى فأغْنَى ، إن اللَّهَ بعَث محمدًا ﷺ والعلمُ شَرِيدٌ ، والإسلامُ غريبٌ طَرِيدٌ ، قد رَثَّ حبلُه ، وخَلِق عهدُه ، وضَلَّ أهلُه منه ، ومقَت اللَّهُ أهلَ الكتابِ فلا يُعْطِيهم خيرًا لخيرٍ عندَهم ، ولا يَصْرِفُ عنهم شرًّا لشرٍّ عندَهم ، قد غيَّروا كتابَهم ، (٥ وألْحَقوا فيه ما ليس منه٥) ، والعربُ (٦ الأُمِّيُّون صِفْرٌ٦) مِن اللَّهِ لا يَعْبُدونه ولا يَدْعُونه ، فأجْهَدُهم عَيْشًا ، وأضَلُّهم دينًا ، فى ظَلَفٍ مِن الأرضِ مع (٧ ما فيه مِن٧) السَّحابِ ، فجَمعهم(٨) اللَّهُ بمحمدٍ ﷺ ، وجعَلهم الأُمةَ الوُسْطَى ، نصَرهم بمَن اتَّبعهم ، ونصَرهم على غيرِهم ، حتى قبَض اللَّهُ نبيَّه ﷺ ، فركِب منهم الشيطانُ مَرْكَبَه الذى أنْزَله (٩ اللَّهُ عنه٩) ، وأخَذ بأيديهم ، وبغَى هَلَكَتَهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٨) ، ومسلم (١٩ - ١٦/٢٢) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١٥١ .

(٤) فى ١٥١ ، م ، ص : « طريقين » . ولم نجده فى تاريخ دمشق إلا من طريق واحدة ٣٠/ ٣١٧ ، ٣١٨ ، فاللَّه أعلم .

(٥ - ٥) فى تاريخ دمشق : « وأتوا عليه ما ليس فيه » .

(٦ - ٦) فى م : « الآمنون يحسبون أنهم فى منعة » ، وفى ص : « الأميون صفة » .

(٧ - ٧) فى تاريخ دمشق : « قلة » .

(٨) فى م ، ص : « فختمهم » .

(٩ - ٩) فى م : « عليهم » ، وفى ص : « اللَّه عليه » .

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. إن مَن حولكم مِن العربِ منَعوا شاتَهم وبعيرَهم، ولم يكونوا فى دينِهم - وإن رجَعوا إليه - أزْهدَ منهم يومَهم هذا، ولم تكونوا فى دينِكم أقْوَى منكم يومَكم هذا، على ما قد فقدتُّم[1] مِن بركةِ نبيِّكم ﷺ، ولقد وَكَلكم إلى المَوْلَى الكافى، الذى وجَده ضالًّا فهداه، وعائلًا فأغْناه ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. واللَّهِ لا أدَعُ أُقاتِلُ على أمْرِ اللَّهِ حتى يُنْجِزَ اللَّهُ وعْدَه، ويُوفِىَ لنا عَهْدَه، ويُقْتَلَ مَن قُتِل منا شهيدًا مِن أهلِ الجنةِ، ويُبْقِىَ مَن بَقِىَ منّا خَليفتَه وورثَتَه فى أرضِه، قَضاءُ اللَّهِ الحقُّ، وقولُه الذى لا خُلْفَ له ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [النور: ٥٥]. ثم نزَل، رحِمه اللَّهُ.

وقال الحسنُ وقَتادةُ وغيرُهما فى قولِه تعالى[2]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]. قالوا: المرادُ بذلك أبو بكرٍ وأصحابُه فى قتالِهم المُرْتَدِّين ومانعى الزكاةِ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: وارْتَدَّت العربُ عندَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما خلا أهلَ المسجدَيْنِ؛ مكةَ والمدينةِ، وارْتَدَّت أسَدٌ وغَطَفانُ، وعليهم طُلَيْحةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأسَدىُّ الكاهنُ، وارْتَدَّت كِنْدةُ ومَن يَلِيها، وعليهم الأشْعثُ بنُ قيسٍ الكِندىُّ، وارْتَدَّت مَذْحِجٌ ومَن يَلِيها، وعليهم الأسودُ بنُ كعبٍ العَنْسىُّ

---

(١) فى م، ص: «تقدم».

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٦/ ٢٨٢، ٢٨٣، وانظر التفسير ٣/ ١٢٧.

الكاهنُ، وارْتَدَّت رَبيعةُ مع المَغْرورِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ، وكانت بنو[1] حَنيفةَ مُقيمةً على أمْرِها[2] مع مُسَيْلِمةَ بنِ حَبيبٍ الكَذَّابِ، وارْتَدَّت سُلَيْمٌ مع الفُجاءةِ[3]، واسمُه [٥/٥٣و] أنسُ بنُ عبدِ ياليلَ، وارْتَدَّت بنو تَميمٍ مع سَجَاحِ الكاهنةِ.

وقال القاسمُ بنُ محمدٍ[4]: اجْتَمَعت أسَدٌ وغَطَفَانُ وطَيِّئٌ على طُلَيْحةَ الأسَديِّ، وبعَثوا وُفودًا [5]إلى المدينةِ[5]، فنزَلوا على وُجوهِ الناسِ، فأنْزَلوهم إلا العباسَ، فحمَلوا بهم إلى أبى بكرٍ، على أن يُقِيموا الصلاةَ ولا يُؤْتوا الزكاةَ، فعزَم اللَّهُ لأبى بكرٍ على الحقِّ، وقال: لو منَعونى عِقالًا لجاهَدْتُهم. فردَّهم فرجَعوا إلى عَشائرِهم، فأخْبَروهم بقلةِ أهلِ المدينةِ، وطمَّعوهم فيها، فجعَل أبو بكرٍ الحَرَسَ على أنْقابِ المدينةِ، وألْزَم أهلَ المدينةِ بحضورِ المسجدِ، وقال: إن الأرضَ كافرةٌ، وقد رأَى وفْدُهم منكم قِلةً، وإنكم لا تَدْرون ليلًا تُؤْتَوْن[6] أم نهارًا، وأدْناهم منكم على بَريدٍ، وقد كان القومُ يُؤَمِّلون أن نَقبَلَ منهم ونُوادِعَهم، وقد أبَيْنا عليهم، فاسْتَعِدُّوا وأعِدُّوا. فما لبِثوا إلا ثلاثًا حتى طَرَقوا المدينةَ غارةً، وخَلَّفوا نصفَهم بذى حُسَى ليكونوا رِدْءًا لهم، وأرْسَل الحَرَسُ إلى أبى بكرٍ يُخْبِرونه بالغارةِ، فبعَث إليهم أنِ الزموا مكانَكم. وخرَج أبو بكرٍ فى أهلِ المسجدِ على النَّواضِحِ إليهم، فانقَشَعَ[7] العدوُّ، واتَّبعهم المسلمون على إبِلِهم، حتى بلَغوا ذا

---

(١) سقط من: ١٥١، م، ص.

(٢) فى الأصل: «كفرها».

(٣) فى م: «الفجأة». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٢٤٤ - ٢٤٨، من طريق القاسم بنحوه.

(٥ - ٥) سقط من: ١٥١.

(٦) فى م، ص: «يأتون».

(٧) فى م، وتاريخ الطبرى: «فانفش».

حُسَّى ، فخرَج عليهم الرِّدْءُ ، فالْتَقَوا مع الجَميعِ فكان الفتحُ ، وقد قال [1] الخُطَيْلُ ابنُ أوسٍ - ويقالُ : الحُطَيْئَةُ - فى ذلك [1] :

أطَعْنا رسولَ اللَّهِ ما كان وَسْطَنا[2] فيالَعبادِ اللَّهِ ما لِأبى بكرِ
يُوَرِّثُنا[3] بَكْرًا إذا كان[4] بعدَه وتلك لَعَمْرُ اللَّهِ قاصمةُ الظهرِ
فهَلَّا ردَدْتُم وَفْدَنا بزمانِه وهَلَّا خشِيتُم حِسَّ راغِيَةِ البَكْرِ
وإن الذى سالوكُمُ فمَنَعْتُمُ لكالتَّمرِ أو أحْلَى إلىَّ مِن التَّمرِ

وفى جُمادى الآخِرةِ ركِب الصِّديقُ فى أهلِ المدينةِ وأُمراءِ الأنْقابِ إلى مَن حولَ المدينةِ مِن الأعْرابِ الذين أغاروا عليها ، فلما تواجَه هو وأعداؤُه مِن بنى عَبْسٍ ، وبنى مُرَّةَ ، وذُبْيانَ ، ومَن ناصَبَ معهم مِن بنى كِنانةَ ، وأمَدَّهم طُلَيْحةُ بابنِه حِبالٍ ، فلما تَواجَه القومُ كانوا قد صنَعوا مَكيدةً ، وهى أنهم عمَدوا إلى أنْحاءٍ[5] فنفَخوها ثم أرْسَلوها مِن رُءوسِ الجبالِ ، فلما رأَتْها إبلُ أصحابِ الصِّدِّيقِ نفَرت وذهَبت كلَّ مَذْهَبٍ ، فلم يَمْلِكوا مِن أمْرِها شيئًا إلى الليلِ ، حتى رجَعَت إلى المدينةِ ، فقال فى ذلك الخُطَيْلُ بنُ أوسٍ :

فِدًى لبنى ذُبْيانَ رَحْلى وناقتى عَشِيَّةَ يُحْذَى بالرماحِ أبو بكرِ
ولكن يُدَهْدَى بالرجالِ فهِبْتَه إلى قَدَرٍ ما إن تُقِيمُ ولا تَسْرِى
وللَّهِ أجْنادٌ تُذاقُ مَذاقَهُ لِتُحْسَبَ فيما عُدَّ مِن عَجَبِ الدَّهْرِ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى تاريخ الطبرى : « بيننا » .
(٣) فى م : « أيورثنا » ، وفى تاريخ الطبرى : « أيورثها » .
(٤) فى م ، وتاريخ الطبرى : « مات » .
(٥) أنحاء : جمع نِحْى ، وهو الزِّق ، وعاء من جلد للشرب .

أَطَعْنا رسولَ اللَّهِ ما كان بينَنا فيالَعبادِ اللَّهِ ما لِأَبى بكرِ

فلما وقَع ما وقَع ظنَّ القومُ بالمسلمين الوَهَنَ ، وبعَثوا إلى عَشائرِهم مِن نَواحى أُخَرَ ، فاجْتَمعوا ، وبات [٥/٥٣ظ] أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قائمًا ليلَه يَتَهَيَّأُ يُعَبِّئُ الناسَ ، ثم خرَج على تَعْبئةٍ مِن آخرِ الليلِ ، وعلى مَيْمَنتِه النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ ، وعلى المَيْسَرةِ أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ مُقَرِّنٍ ، وعلى الساقةِ أخوهما سُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ ، فما طلَع الفجرُ إلا وهم والعَدُوُّ فى صَعيدٍ واحدٍ ، فما سمِعوا للمسلمين حِسًّا ولا هَمْسًا ، حتى وضَعوا فيهم السيوفَ ، فما طَلَعَت الشمسُ حتى ولَّوْهم الأدْبارَ ، وغلَبوهم على عامَّةِ ظهرِهم ، وقُتِل حِبالٌ ، واتَّبَعهم أبو بكرٍ حتى نزَل بذى القَصَّةِ ، وكان أولَ الفتحِ ، وذَلَّ بها المشركون ، وعَزَّ بها المسلمون ، ووثَب بنو ذُبْيانَ وعَبْسٌ على مَن فيهم مِن المسلمين فقتَلوهم ، وفعَل مَن وراءَهم كفعلِهم ، فحلَف أبو بكرٍ لَيَقْتُلَنَّ فى كلِّ قبيلةٍ بمَن قَتَلوا مِن المسلمين وزيادةً ، ففى ذلك يقولُ زيادُ بنُ حَنْظلةَ التَّميمىُّ :

غَداةَ سعَى أبو بكرٍ إليهمْ كما يَسْعَى لموتتِه جُلالُ[1]
أراح على نَواهقِها عليًّا ومَجَّ لهنَّ مُهْجَتَه حِبالُ

وقال أيضًا :

أَقَمْنا لهم عُرْضَ الشِّمالِ فكُبْكِبوا ككَبْكَبةِ الغُزَّى[2] أناخوا على الوَفْرِ[3]
فما صبَروا للحربِ عندَ قيامِها صَبيحةَ يَسْمو بالرجالِ أبو بكرِ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « حلال » وهو لفظ إحدى نسخ الطبرى كما ذكر محققه فى الحاشية . والجُلال : البعير الضخم . انظر تاج العروس (ج ل ل) .
(٢) فى الأصل ، ١٥١ : « المعزى » .
(٣) فى الأصل : « الوبر » .

طرَقْنا بنى عَبْسٍ (١بأدْنَى نباجِها١) وذُبْيانَ نَهْنَهْنا(٢) بقاصمةِ الظهرِ

فكانت هذه الوَقْعةُ مِن أكْبرِ العَوْنِ على نَصْرِ الإسلامِ وأهلِه، وذلك أنه عَزَّ المسلمون فى كلِّ قَبيلةٍ، وذَلَّ الكُفارُ فى كلِّ قَبيلةٍ، ورجَع أبو بكرٍ إلى المدينةِ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا، سالمًا غانمًا، وطرَقت المدينةَ فى الليلِ صَدَقاتُ عدِىِّ بنِ حاتمٍ، وصفوانَ، والزِّبْرِقانِ، إحداها فى أولِ الليلِ، والثانيةُ فى أوْسَطِه، والثالثةُ فى آخرِه، وقدِم بكلِّ واحدةٍ منهن بَشيرٌ مِن أُمراءِ الأنْقابِ، فكان الذى بشَّر بصَفْوانَ سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ، والذى بشَّر بالزِّبْرِقانِ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، والذى بشَّر بعدِىِّ بنِ حاتمٍ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، ويقالُ: أبو قَتادةَ الأنصارىُّ. رضِى اللَّهُ عنهم. وذلك على رأسِ ستين ليلةً مِن مُتَوَفَّى رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثم قدِم أسامةُ بنُ زيدٍ بعدَ ذلك بليالٍ، فاسْتَخْلَفه أبو بكرٍ على المدينةِ، وأمَرهم أن يُرِيحوا ظهرَهم، ثم ركِب أبو بكرٍ فى الذين كانوا معه فى الوَقْعةِ المتقدِّمةِ إلى ذى القَصَّةِ، فقال له المسلمون: لو رجَعْتَ إلى المدينةِ وأرْسَلْتَ رجلًا. فقال: واللَّهِ لا أفْعَلُ، ولَأُواسِيَنَّكم بنَفْسى. فخرَج فى تَعْبِئتِه إلى ذى حُسًى وذى القَصَّةِ، والنُّعمانُ وعبدُ اللَّهِ وسُوَيْدٌ بنو مُقَرِّنٍ على ما كانوا عليه، حتى نزَل على أهلِ الرَّبَذةِ بالأبْرَقِ، وهناك جماعةٌ مِن بنى عَبْسٍ وذُبْيانَ، وطائفةٌ مِن بنى كِنانةَ، فاقْتَتلوا فهزَم اللَّهُ الحارثَ وعَوْفًا، فأُخِذ الحُطَيئةُ أسِيرًا، فطارت بنو عَبْسٍ وبنو بكرٍ، وأقام أبو بكرٍ على الأبْرَقِ أيامًا، وقد (٣غلَب بنو٣) ذُبْيانَ على البلادِ، [٥/ ٥٤و] فقال: حرامٌ على بنى ذُبْيانَ أن يتَمَلَّكوا هذه البلادَ إذ غنَّمناها اللَّهُ، وحَمَى الأبْرَقَ

(١ - ١) فى الأصل، ١٥١، ص: «ذهاب نتاجها». والنباج: الآكام - أى التلال - العالية. اللسان (ن ب ج).

(٢) نَهْنَهْنا: كَفَفْنا.

(٣ - ٣) فى الأصل: «علت بنو»، وفى م، ص: «غلب بنى».

بخيولِ المسلمين، وأرْعَى سائرَ بلادِ الرَّبَذةِ. ولمّا فَرَّت عَبْسٌ وذُبْيانُ صاروا إلى مُؤازَرةِ طُلَيْحةَ[1] وهو نازلٌ على بُزَاخَةَ، وقد قال فى يومِ الأبْرَقِ زيادُ بنُ حَنْظلةَ:

ويومٍ بالأبارقِ قد شهِدْنا ... على ذُبْيانَ يَلْتَهِبُ الْتِهابَا
أتَيْناهمْ بداهيةٍ نَسُوفٍ[2] ... مع الصِّدِّيقِ إذ ترَكَ العِتابَا

[3]ثم رجَع الصِّدِّيقُ إلى المدينةِ مؤيَّدًا منصورًا سالمًا غانمًا، رضِى اللَّهُ عنه وأرضاه[3].

ذكرُ[4] خروجِه إلى ذى القَصَّةِ حينَ عقَد أَلْوِيَةَ الأُمَراءِ الأحدَ عشَرَ [5]على ما سيأتى[5]

وذلك بعدَما جَمَّ جيشُ أسامةَ واسْتَراحوا، ركِب الصِّديقُ أيضًا فى الجيوشِ الإسلاميةِ شاهرًا سيفَه مَسْلولًا، مِن المدينةِ إلى ذى القَصَّةِ، وهى مِن المدينةِ على مَرْحلةٍ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ يَقودُ براحلةِ الصِّديقِ، رضِى اللَّهُ عنهما، كما سيأتى، فسأَله الصَّحابةُ، منهم علىٌّ وغيرُه، وألَحُّوا عليه أن يَرْجِعَ إلى المدينةِ، وأن يَبْعَثَ لقِتالِ الأعْرابِ غيرَه ممن يُؤَمِّرُه مِن الشُّجْعانِ الأبْطالِ، فأجابهم إلى ذلك، وعقَد لهم الألْويةَ [5]الأحدَ عشَرَ[5] لأحَدَ عشَرَ أميرًا، على ما سنُفَصِّلُه قريبًا

---

(١) فى م، ص: «طلحة».

(٢) فى ص: «نسوق». ونسوف: صيغة مبالغة، من نسف البناء، إذا اقتلعه من أصله. انظر اللسان (ن س ف). والمعنى أنها داهية نسفت العدو نسفا.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

إن شاء اللَّهُ .

وقد روَى الدارَقُطْنىُّ[1] مِن حديثِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ موسى الزُّهرىِّ ، عن مالكٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : لمّا برَز أبو بكرٍ إلى ذى القَصَّةِ واسْتَوى على راحلتِه ، أخَذ علىُّ بنُ أبى طالبٍ بزِمامِها وقال : إلى أين يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أقولُ لك ما قال لك[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ : « شِمْ[3] سيفَك ولا تَفْجَعْنا بنفسِك » . وارْجِعْ إلى المدينةِ ، فواللَّهِ لئن فُجِعْنا بك لا يكونُ للإسلامِ نِظامٌ أبدًا . فرجَع . هذا حديثٌ غريبٌ مِن طريقِ مالكٍ .

وقد رَواه زكريا السَّاجىُّ[4] مِن حديثِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ موسى بنِ عبدِ العزيزِ ابنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ[5] الزهرىِّ أيضًا ، عن أبى الزِّنادِ ، عن هشامِ ابنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : خرَج أبى شاهرًا سيفَه راكبًا على راحلتِه إلى ذى القَصَّةِ ، فجاء علىُّ بنُ أبى طالبٍ فأخَذ بزِمامِ راحلتِه فقال : إلى أين يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أقولُ لك ما قال لك[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ : « شِمْ[3] سيفَك ولا تَفْجَعْنا بنفسِك » . فواللَّهِ لئن أُصِبْنا بك لا يكونُ للإسلامِ بعدَك نِظامٌ أبدًا . فرجَع وأمْضَى الجيشَ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[6] عن سهلِ بنِ يوسفَ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ : لمّا

---

(١) ذكره صاحب كنز العمال (١٤١٥٨، ١٤١٦٧) . وعزاه إلى الدارقطنى فى غرائب مالك .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م : « لم » . وشامَ سيفه : أغمَدَه .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٣١٦، من طريق زكريا الساجى به .

(٥) بعده فى م : « و » .

(٦) تاريخ الطبرى ٣/ ٢٤٩.

اسْتَراح أسامةُ وجُنْدُه ، وقد جاءت صَدَقاتٌ كثيرةٌ تَفْضُلُ عنهم ، قطَع أبو بكرٍ البُعوثَ ، وعقَد الألْوِيةَ ، فعقَد أحدَ عشَرَ لِواءً ؛ عقَد لخالدِ بنِ الوليدِ وأمَره بطُلَيْحةَ ابنِ خُوَيْلِدٍ ، فإذا فرَغ سار إلى مالكِ بنِ نُوَيْرةَ بالبُطاحِ إن أقام له . ولعِكْرِمَةَ بنِ أبى جهلٍ ، وأمَره بمُسَيْلِمةَ . وبعَث شُرَحْبِيلَ ابنَ حَسَنَةَ فى أثَرِه إلى مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ ، ثم إلى بنى قُضاعةَ . وللمُهاجرِ بنِ أبى أميَّةَ ، وأمَره بجنودِ العَنْسىِّ ، ومَعونةِ الأبْناءِ على قيسِ بنِ مَكْشوحٍ - قلتُ : وذلك لأنه كان قد نزَع يدَه مِن الطاعةِ ، على ما سيأتى - قال : ولخالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ [٥/ ٥٤ظ] إلى مَشارفِ[(١)] الشامِ . ولعمرِو بنِ العاصِ إلى جِماعِ قُضاعةَ ووَديعةَ والحارثِ . ولحذيفةَ بنِ مِحْصَنٍ الغَطَفانىِّ[(٢)] ، وأمَره بأهلِ دَبَا . ولِعَرْفَجَةَ بنِ[(٣)] هَرْثَمةَ [(٤)]وأمَره بمَهْرةَ[(٤)] . [(٥)]ولطُرَيْفةَ ابنِ حاجزٍ[(٥)] ، وأمَره ببنى سُلَيْمٍ ومَن معهم مِن هَوازِنَ . ولسُوَيْدِ بنِ مُقَرِّنٍ ، وأمَره بتِهامةِ اليمنِ . وللعَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ ، وأمَره بالبَحْرَيْن . رضِى اللَّهُ عنهم .

وقد كتَب لكلِّ أميرٍ كتابَ عَهْدِه على حِدَتِه ، ففصَل كلُّ أميرٍ بجُنْدِهِ مِن ذى القَصَّةِ ، ورجَع الصِّديقُ إلى المدينةِ ، وقد كتَب معهم الصديقُ كِتابًا إلى المُرْتَدَّةِ[(٦)] ، وهذه نسختُه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن أبى بكرٍ خَليفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مَن بلَغه كتابى هذا مِن عامَّةٍ وخاصَّةٍ ، أقام على إسلامِه أو رجَع

---

(١) فى ا ١٥١: « مشارق » .

(٢) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « الغلفانى » . وفى الاستيعاب ١/ ٣٣٦، وأسد الغابة ١/ ٤٦٧، ٤٦٨، والإصابة ٢/ ٤٤: « القَلْعانى » ، وقال ابن الأثير : وأنا أشك فيه . والله تعالى أعلم .

(٣) فى ا ١٥١، م، ص : « و » . وانظر الإصابة ٤/ ٤٨٥.

(٤ - ٤) فى النسخ : « وغير ذلك » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥ - ٥) فى م : « ولطرفة بن حاجب » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٧٦.

(٦) فى ا ١٥١، م، ص : « الربذة » .

عنه ، سَلامٌ على مَن اتَّبع الهُدَى ، ولم يَرْجِعْ بعدَ الهُدَى إلى الضَّلالةِ والهَوَى[1] ، فإنى أحْمَدُ اللَّهَ إليكم الذى لا إلهَ إلا هو ، [2]وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ[2] وحدَه لا شَريكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، نُقِرُّ بما جاء به ، ونُكَفِّرُ مَن أَبَى ذلك ونُجاهِدُه ، أما بعدُ ، فإن اللَّهَ أرْسَل محمدًا[3] بالحقِّ مِن عندِه إلى خلقِه بَشيرًا ونَذيرًا ، وداعيًا إلى اللَّهِ بإذنِه وسِراجًا مُنيرًا ، ليُنْذِرَ مَن كان حَيًّا ويَحِقَّ القولُ على الكافرين ، فهدَى اللَّهُ بالحقِّ مَن أجاب إليه ، وضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ مَن أدْبَر عنه ، حتى صار إلى الإسلامِ طَوْعًا وكَرْهًا ، ثم تَوَفَّى اللَّهُ رسولَه ﷺ وقد نَفَذَ لأمْرِ اللَّهِ ، ونصَح لأمتِه ، وقضَى الذى عليه ، وكان اللَّهُ قد بيَّن له ذلك ، ولأهلِ الإسلامِ فى الكتابِ الذى أنزَل فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] . وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] . وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . فمَن كان إنما يَعْبُدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومَن كان إنما يَعْبُدُ [4]اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حيٌّ[4] لا يَموتُ ، ولا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ ، حافظٌ لأمْرِه ، مُنْتَقِمٌ مِن عدوِّه ، وإنِّى أُوصِيكم بتَقْوَى اللَّهِ وحَظِّكم ونَصِيبِكم [5]مِن اللَّهِ[5] وما جاءكم به نبيُّكم ﷺ ، وأن تَهْتَدوا بهُداه ، وأن تَعْتَصِموا بدينِ اللَّهِ ، فإن كلَّ مَن لم يَهْدِه اللَّهُ ضالٌّ ، [5]وكلَّ مَن لم يعافِه[5]

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « العمى » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) فى تاريخ الطبرى : « اللَّه وحده لا شريك له فإن اللَّه حى قيوم » .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

مُبْتَلًى[1] ، وكلَّ مَن لم يُعِنْه اللَّهُ مَخْذولٌ ، ومَن [2]هداه اللَّهُ كان مُهْتَدِيًا ، ومَن أضلَّه كان ضالًّا[2] ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] . ولم يُقْبَلْ منه[3] فى الدنيا عملٌ حتى يُقِرَّ به ، ولم يُقْبَلْ منه[4] فى الآخرةِ صَرْفٌ ولا عَدْلٌ ، وقد بلَغنى رُجوعُ مَن رجَع منكم عن دينِه بعدَ أن أقَرَّ بالإسلامِ وعمِل به ؛ اغْترارًا باللَّهِ وجهلًا بأمْرِه ، وإجابةً للشيطانِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] . وقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] . وإنى بعَثْتُ إليكم فلانًا[1] فى جيشٍ مِن المهاجرين والأنصارِ ، والتابعين بإحسانٍ ، وأمَرْتُه أن لا يَقْبَلَ مِن أحدٍ إلا الإيمانَ باللَّهِ ، ولا يَقْتُلَه حتى يدْعُوَه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فإن أجاب وأقَرَّ [٥/٥٥و] وعمِل صالحًا ، قَبِل منه وأعانه عليه ، وإن أَبَى حارَبه عليه حتى يَفِيءَ إلى أمْرِ اللَّهِ ، ثم لا يُبْقِى على أحدٍ منهم قَدَرَ عليه ، وأن يَحْرِقَهم بالنارِ وأن يَقْتُلَهم كلَّ قِتْلةٍ ، وأن يَسْبِيَ النساءَ والذَّراريَّ ، ولا يَقْبَلَ مِن أحدٍ غيرَ الإسلامِ ، فمَن اتَّبعه فهو خيرٌ له ، ومَن ترَكه فلن يُعْجِزَ اللَّهَ ، وقد أمَرْتُ رسولى أن يَقْرَأَ كتابى فى كلِّ مَجْمعٍ لكم ، والداعيةُ الأذانُ ، فإذا أذَّن المسلمون فكُفُّوا عنهم ، وإن لم يُؤَذِّنوا [5]عاجِلوهم ، وإن أذَّنوا[5] فسَلوهم ما عليهم ، فإن أبَوْا

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢ - ٢) فى م : « هداه غير اللَّه كان ضالًّا » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « له » .

(٤) فى النسخ : « له » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

عاجِلوهم ، وإن أقَرُّوا [1] قَبِل منهم وحَمَلَهم [1] على ما يَنْبَغِى لهم [2] . رواه سيفُ بنُ عمرَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ [3] .

فصلٌ فى مَسيرِ الأمراءِ مِن ذى القَصَّةِ على ما عُوهِدوا عليه

وكان سيِّدَ الأُمراءِ ورأسَ الشُّجعانِ الصَّناديدِ أبو سليمانَ خالدُ بنُ الوليدِ .

روَى الإمامُ أحمدُ [4] مِن طريقِ وَحْشِيِّ بنِ حربٍ ، أن أبا بكرٍ الصِّديقَ لمّا عقَد [5] لخالدِ بنِ الوليدِ على قِتالِ أهلِ الرِّدَّةِ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « نِعْمَ عبدُ اللَّهِ وأخو العَشيرةِ خالدُ بنُ الوليدِ ، سيفٌ مِن سيوفِ اللَّهِ سلَّه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، على الكُفَّارِ والمنافقِين » .

ولمّا توَجَّه خالدٌ [6] مِن ذى القَصَّةِ وفارَقه الصِّدِّيقُ ، واعَده أنه سيَلْقاه مِن ناحيةِ خيبرَ بمَن معه مِن الأمراءِ ، وأظْهَروا ذلك ليُرْعِبوا الأعْرابَ [7] ، وأمَره أن يَذْهَبَ

(١ - ١) فى النسخ : « حمل منهم » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) بعده فى الأصل : « وكان أبو بكر الصديق إذا أرسل أمراءه إلى أهل الردة يوصيهم يقول : إذا سمعتم فى نادى قوم بأذان للصلاة فكفوا عنهم حتى تسألوهم ما عليهم من شرائع الإسلام ، وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارات وحرقوا وانهكوا فى القتل والجراح ، ولا يردنكم وهن لموت نبيكم ﷺ . وأمّر على المهاجرين خالد بن الوليد وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس » .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/٢٤٩ - ٢٥١.

(٤) المسند ١/٨ (إسناده صحيح) .

(٥) فى الأصل ، ١٥١ : « عهد » .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٣/٢٥٣ - ٢٦٠ ، والمنتظم ٤/ ٧٧ ، وتاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٢٩ ، ٣٠.

(٧) فى ١٥١ : « الأعداء » .

أولًا إلى طُلَيْحةَ الأسَدىِّ ، ثم يذْهَبَ بعدَه إلى بنى تَميم ، وكان طُلَيْحةُ بنُ خُوَيْلِدٍ فى قومِه بنى أسَدٍ ، وفى غَطَفَانَ ، وانْضَمَّ إليهم بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ ، وبعَث إلى بنى جَدِيلةَ والغَوْثِ وطَيِّئٍ يسْتَدْعِيهم إليه ، فبعَثوا أقوامًا منهم بينَ أيديهم ، ليَلْحَقوهم على أثَرِهم سريعًا ، (١) وكان عَدِىُّ بنُ حاتمٍ والزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ قد قَدِما على أبى بكرٍ بصَدَقاتِ قومِهما بعد وفاةِ النبىِّ ﷺ ليَقْوَى بها أبو بكرٍ على قتالِ أهلِ الرِّدَّةِ ، ولم يزلْ لعدىٍّ والزِّبْرِقانِ بذلك الشرفُ على قومِهما ومَن سواهما (١) ، وكان الصدِّيقُ قد بعَث عَدِىَّ بنَ حاتمٍ قبلَ خالدِ بنِ الوليدِ ، وقال له : أَدْرِكْ قومَك لا يَلْحَقوا بطُلَيْحةَ فيكونَ دَمارُهم . فذهَب عَدِىٌّ إلى قومِه بنى طَيِّئٍ، فأمَرهم أن يُبايِعوا الصِّدِّيقَ ، وأن يُراجِعوا أمْرَ اللَّهِ ، فقالوا : لا نُبايِعُ أبا الفصِيلِ (٢) أبدًا . يَعْنون أبا بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال : واللَّهِ لَيَأْتِيَنَّكم جيشٌ فلا يَزالون يُقاتِلونكم حتى تَعْلَموا أنه أبو الفَحْلِ الأكبر . ولم يَزَلْ عَدِىٌّ يَفْتِلُ لهم فى الذِّرْوةِ والغاربِ (٣) حتى لانُوا ، وجاء خالدٌ فى الجنودِ ، وعلى مُقَدِّمةِ الأنصارِ الذين معه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، وبعَث بينَ يديه ثابتَ بنَ أقْرَمَ وعُكَّاشةَ [٥/ ٥٥ظ] بنَ مِحْصَنٍ طَليعةً ، فتَلَقَّاهما طُلَيْحةُ وأخوه سَلَمةُ فيمَن معهما ، فلما وجَدا ثابتًا وعُكَّاشةَ تَبارَزوا ، فقَتَل عُكَّاشةُ حِبالَ بنَ طُلَيْحةَ - وقيل : بل كان قتَل حِبالًا قبلَ ذلك - وأخَذ ما معه ، وحمَل عليه طُلَيْحةُ فقتَله ، وقتَل هو وأخوه سَلَمةُ ثابتَ بنَ أقرمَ ، وجاء خالدٌ بمَن معه فوجَدوهما صَرِيعَيْن ، فشَقَّ ذلك على المسلمين ، (٤) ثم أمر بهما فَدُفِنا بدمائهما فى ثيابِهما (٤) . وقد قال طُلَيْحةُ فى ذلك :

(١ - ١) سقط من : ١٥١، م، ص .

(٢) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه .

(٣) لم يزل يفتل لهم فى الذروة والغارب : هذا مثل لإزالتهم عن رأيهم . انظر النهاية ٢/ ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٤ - ٤) سقط من : ١٥١، م، ص . وانظر تاريخ دمشق ١١/ ١١٢.

عَشِيَّةَ غادَرْتُ ابنَ أَقْرَمَ ثاوِيًا وعُكَّاشةَ الغَنْمىَّ[1] تحتَ مَجالِ
أَقَمْتُ لهمْ[2] صدرَ الحَمَالةِ إنها مَعَوَّدةٌ قبلَ الكُماةِ نِزالِ
فيومًا تراها فى الجُلالِ مَصُونةً ويومًا تَراها فى ظِلالِ عوالى
وإن تَكُ أذوادٌ[3] أُصِبْنَ ونسوةٌ فلم يَذْهَبوا فِرْغًا[4] بقَتْلِ حِبالِ

ومال خالدٌ إلى بنى طَيِّئٍ، فخرَج إليه عَدِىُّ بنُ حاتمٍ فقال: أَنْظِرْنى ثلاثةَ أيامٍ؛ فإنهم قد اسْتَنْظرونى حتى يَبْعثوا إلى مَن تعَجَّل منهم إلى طُلَيْحةَ حتى يَرْجِعوا إليهم، فإنهم يَخْشَوْن إن تابعوك أن يَقْتُلَ طُلَيْحةُ مَن سار إليه منهم، وهذا أحَبُّ إليك مِن أن يُعَجِّلَهم إلى النارِ. فلما كان بعدَ ثلاثٍ جاءه عَدِىٌّ فى خمسِمائةِ مُقاتِلٍ ممَّن راجَع الحقَّ، فانْضافوا إلى جيشِ خالدٍ، وقصَد خالدٌ بنى جَدِيلةَ، فقال له عَدِىٌّ: أَجِّلْنى أيامًا حتى آتيَهم فلعلَّ اللَّهَ أن يُنْقِذَهم كما أنْقَذ طَيِّئًا، فأتاهم عَدِىٌّ فلم يَزَلْ بهم حتى بايَعوه[5]، فجاء خالدًا بإسلامِهم، ولحِق بالمسلمين منهم ألفُ راكبٍ، فكان عَدِىٌّ خيرَ مَوْلودٍ وأعْظَمَه بركةً على قومِه، رضِى اللَّهُ عنه. قالوا: ثم سار خالدٌ حتى نزَل بأَجَأَ وسَلْمَى، وعَبَّأَ جيشَه هنالك، والْتَقَى مع طُلَيْحةَ الأسَدىِّ بمكانٍ يقالُ له: بُزاخةُ. ووقَفَت أحْياءٌ كثيرةٌ مِن الأعْرابِ يَنْظُرون على مَن تكونُ الدائرةُ، وجاء طُلَيْحةُ فيمَن معه مِن قومِه ومَن الْتَفَّ معهم وانضاف إليهم، وقد حضَر معه عُيَيْنةُ بنُ حِصْنٍ فى سبعِمائةٍ مِن قومِه

---

(١) فى الأصل: «العيمى»، وفى م: «العمى»، وفى ص: «الغمى». وانظر الإصابة ٤/ ٥٣٣، ٥٣٥.
(٢) فى م، ص: «له».
(٣) فى م: «أولاد». والأذواد: الإبل.
(٤) فِرْغا: يقال: ذهب دمه فرغا. أى باطلاً هدرًا لم يُطْلَبْ به. المحتسب لابن جنى ٢/ ١٤٨، ولسان العرب (ف ر غ، ح ل ب).
(٥) فى م: «تابعوه».

بنى فَزارةَ ، واصْطَفَّ الناسُ ، وجلَس طُلَيْحةُ مُلْتَفًّا فى كِساءٍ له [1] يتَنَبَّأُ لهم ، يَنْظُرُ ما يُوحَى إليه فيما يَزْعُمُ ، وجعَل عُيَيْنةُ يُقاتِلُ ما يُقاتِلُ ، حتى إذا ضجِر مِن القتالِ يَجِىءُ إلى طُلَيْحةَ وهو مُلْتَفٌّ فى كِسائِه [1] فيقولُ : أجاءك جِبْريلُ [2] ؟ فيقولُ : لا . فيَرْجِعُ فيُقاتِلُ ، ثم يَرْجِعُ فيَقولُ له مثلَ ذلك ويَرُدُّ عليه مثلَ ذلك ، فلما كان فى الثالثةِ قال له : هل جاءكَ جبريلُ ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟ قال : قال لى : إن لك رَحًا كرَحاه ، وحديثًا لا تَنْساه . قال : يقولُ عُيَيْنةُ : أظُنُّ أن قد علِم اللَّهُ أن سيكونُ لك حديثٌ لا تَنْساه . ثم قال : يا بنى فَزارةَ ، انْصَرِفوا . وانْهَزم ، وانْهَزم الناسُ عن طُلَيْحةَ ، فلما جاءه المسلمون ركِب على فرسٍ كان قد أعَدَّها له ، وأرْكَب امرأتَه النَّوارَ على بعيرٍ له ، ثم انهزم بها إلى الشامِ وتفَرَّق جمعُه ، وقد قتَل اللَّهُ طائفةً ممَّن كان معه ، فلمَّا أوْقَع اللَّهُ بطُلَيْحةَ وفَزارةَ ما أوْقَع ، قالت بنو عامرٍ وسُلَيمٍ وهَوازِنُ : نَدْخُلُ فيما خرَجْنا منه ، ونُؤْمِنُ باللَّهِ ورسولِه ، ونُسَلِّمُ لحُكْمِه [3] فى أموالِنا وأنفسِنا .

قلتُ : وقد كان طُلَيْحةُ الأسَدىُّ ارْتَدَّ فى [٥/٥٦و] حياةِ النبىِّ ﷺ ، فلما مات رسولُ اللَّهِ ﷺ قام بمُؤَازَرتِه عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ بنِ [4] بدرٍ ، وارْتَدَّ عن الإسلامِ ، وقال لقومِه : واللَّهِ لَنبىٌّ مِن بنى أسَدٍ أحَبُّ إلىَّ [5] مِن نبىٍّ [5] مِن بنى هاشمٍ ، وقد مات محمدٌ ، وهذا طُلَيْحةُ فاتَّبِعوه . فوافَقه قومُه بنو فَزارةَ على ذلك ، فلما كسَرهما خالدٌ هرَب طُلَيْحةُ بامرأتِه إلى الشامِ ، فنزَل على بنى كَلْبٍ ، وأسَر خالدٌ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « الوحى » .

(٣) فى الأصل : « ونحكمه » .

(٤) فى م ، ص : « من » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٣٣١.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ١٥١.

عُيَيْنةَ بنَ حِصْنٍ ، وبعَث به إلى المدينةِ مَجْموعةً يداه إلى عنقِه ، فدخَل المدينةَ وهو كذلك ، فجعَل الوِلْدانُ والغِلْمانُ يَطْعُنونه بأيديهم ، ويقولون : أى عدوَّ اللَّهِ ، ارْتَدَدْتَ عن الإسلامِ ؟ فيقولُ : واللَّهِ ما كنتُ آمنتُ قطُّ . فلما وقَف بينَ يدَيِ الصدِّيقِ اسْتَتابه وحقَن دمَه ، ثم حَسُن إسلامُه بعدَ ذلك ، وكذلك مَنَّ على قُرَّةَ ابنِ هُبَيْرةَ ، وكان أحدَ الأُمراءِ مع طُلَيْحةَ ، فأسَره مع عُيَيْنةَ ، وأمَّا طُلَيْحةُ فإنه راجَع الإسلامَ بعدَ ذلك أيضًا ، وذهَب إلى مكةَ مُعْتَمِرًا أيامَ الصِّدِّيقِ ، واسْتَحْيَا أن يُواجِهَه مدةَ حياتِه ، وقد رجَع فشهِد القِتالَ مع خالدٍ ، وكتَب الصِّديقُ إلى خالدٍ أنِ اسْتَشِرْه فى الحربِ ولا تُؤَمِّرْه ، يعنى مُعامَلَتَه له بنَقيضِ ما كان قصَدَه مِن الرِّياسةِ فى الباطلِ[1] . وهذا مِن فِقْهِ الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه وأرضاه .

وقد قال خالدُ بنُ الوليدِ لبعضِ أصحابِ طُلَيْحةَ ممن أسْلَم وحَسُن إسلامُه : أخْبِرْنا عما كان يقولُ لكم طُلَيْحةُ مِن الوَحْيِ . فقال : إنه كان يقولُ : و[2]الحَمامِ واليَمامِ ، والصُّرَدِ الصَّوَّامِ[3] ، قد صُمْنَ قبلَكم بأعوامٍ ، لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العراقَ والشامَ . إلى غيرِ ذلك مِن الخُرافاتِ والهَذَياناتِ السَّمِجَةِ .

وقد كتَب أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ إلى خالدِ بنِ الوليدِ حينَ جاءه أنه كسَر طُلَيْحةَ ومَن كان فى صفِّه ، وقام بنصرِه ، فكتَب إليه : لِيَرِدْك ما أنْعَم اللَّهُ به خيرًا ، واتَّقِ اللَّهَ فى أمْرِك ، فإن اللَّهَ مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحْسِنون ، جِدَّ فى أمْرِك ولا تَنِيَنَّ[4] ، ولا تَظْفَرْ بأحدٍ مِن المشركين قتَل مِن المسلمين إلا نَكَّلْتَ به ، ومَن

---

(١) سقط من : الأصل ، وفى م : « الباطن » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « الصرام » . وفى م : « والصوام » .

(٤) فى م : « تلن » .

أخَذْتَ ممَّن حادَّ اللَّهَ أو ضادَّه ممنْ يرَى أن فى ذلك صَلاحًا فاقْتُلْه . فأقام خالدٌ ببُزاخةَ شهرًا ، يُصَعِّدُ فيها ويُصَوِّبُ ، ويَرْجِعُ إليها فى طلبِ الذين وَصَّاه بسببِهم الصِّدِّيقُ ، فجعَل يتَرَدَّدُ فى طلبِ هؤلاء شهرًا ، يأخُذُ بثَأْرِ مَن قتَلوا مِن المسلمين الذين كانوا بينَ أظْهُرِهم حينَ ارْتَدُّوا ؛ فمنهم مَن حرَّقه بالنارِ ، ومنهم مَن رضَخه بالحجارةِ ، ومنهم مَن رمَى به مِن شَواهقِ الجبالِ ، كلُّ هذا لِيُشَرِّدَ[1] بهم مَن يَسْمَعُ بخبرِهم مِن مُرْتَدَّةِ العربِ . رضِى اللَّهُ عنه .

وقال الثورىُّ[2] ، عن قيسِ بنِ مسلم ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ قال : لمّا قدِم وفدُ بُزاخةَ ؛ أسَدٌ وغَطَفَانُ على أبى بكرٍ يسْأَلونه الصُّلْحَ ، خيَّرهم أبو بكرٍ بينَ حربٍ مُجْلِيةٍ[3] أو حِطَّةٍ مُخْزِيةٍ . فقالوا : يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ، أمّا الحَرْبُ المُجْلِيةُ فقد عرَفْناها ، فما الحِطَّةُ المُخْزِيةُ ؟ قال : تُؤْخَذُ منكم الحَلْقةُ والكُراعُ ، وتُتْرَكون أقوامًا يتَّبِعون أذْنابَ الإبلِ حتى يُرِىَ اللَّهُ خليفةَ نبيِّه والمؤمنين أمْرًا يَعْذِرونكم به ، وتُؤَدُّون ما أصَبْتُم منا ، ولا نُؤَدِّى ما أصَبْنا منكم ، وتَشْهَدون أن قَتْلانا فى الجنةِ وأن قَتْلاكم فى النارِ ، وتَدُون قَتْلانا ولا نَدِى قَتْلاكم . فقال عمرُ : أمّا قولُك : تَدُون قَتْلانا . فإن قَتْلانا قُتِلوا على أمْرِ اللَّهِ لا دِيَاتِ لهم . [٥/٥٦ظ] فاتَّبَعَ[4] عمرَ . وقال عمرُ فى الثانى[5] : نِعْمَ ما رأيْتَ . ورَواه البخارىُّ مِن حديثِ الثورىِّ بسندِه مُخْتَصرًا[6] .

---

(١) فى م : « ليعتبر » .

(٢) ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٣٢ عن الثورى به .

(٣) أى مخرجة عن الدار والمال . النهاية ١/٢٩٠ .

(٤) فى م ، ص : « فامتنع » .

(٥) فى تاريخ الإسلام : « الباقى » .

(٦) البخارى (٧٢٢١) .

وَقعةٌ أخرى[1]

كان قد اجْتَمع طائفةٌ كثيرةٌ مِن الفُلَّالِ يومَ بُزاخةَ مِن أصحابِ طُلَيْحةَ مِن بنى غَطَفَانَ ، فاجْتَمعوا إلى امرأةٍ يقالُ لها : أمُّ زِمْلٍ سَلْمَى بنتُ مالكِ بنِ حُذَيْفةَ . وكانت مِن سَيِّداتِ العربِ ، كأُمِّها أمِّ قِرْفَةَ ، وكان يُضْرَبُ بأمِّها المَثَلُ فى الشرفِ ؛ لكثرةِ أولادِها وعِزَّةِ قَبيلتِها وبيتِها ، فلما اجْتَمعوا إليها ذمَرَتْهم[2] لقِتالِ خالدٍ ، فهاجوا لذلك ، وتأشَّب[3] إليهم آخرون مِن بنى سُلَيْمٍ وطَيِّئٌ وهَوازِنَ وأسَدٍ ، فصاروا جيشًا كَثيفًا ، وتفَحَّل أمْرُ هذه المرأةِ ، فلما سمِع بهم خالدُ بنُ الوليدِ سار إليهم ، واقْتَتلوا قتالًا شديدًا ، وهى راكبةٌ على جملِ أُمِّها الذى كان يُقالُ : مَن نَخَسَ[4] جملَها فله مائةٌ مِن الإبلِ . وذلك لعِزِّها[5] ، فهزَمهم خالدٌ وعقَر جملَها وقتَلها وبعَث بالفتحِ إلى الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قصةُ الفُجَاءةِ[6]

واسمُه إياسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ ياليلَ بنِ عُمَيْرةَ بنِ خُفَافٍ ، مِن بنى سُلَيْمٍ . قاله ابنُ إسحاقَ . وقد كان الصِّدِّيقُ حرَّق الفُجَاءةَ بالبَقيعِ فى المدينةِ ، وكان سببَه

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٦٣، والكامل ٢/ ٣٥٠.

(٢) فى الأصل : « أمرتهم » . وذمرتهم : حضتهم وشجعتهم . انظر اللسان (ذ م ر) .

(٣) فى م : « ناشب » . وتأشب : تدانى وتضامَّ .

(٤) فى م : « يمس » .

(٥) بعده فى الأصل : « فقال خالد : من يعقر جملها وله مائة بعير فلم يقدم عليها أحد فحمل خالد وجماعة معه فعقروا جملها وقتلوها بعد أن قُتل حولها مائة فارس » .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٦٤، ٢٦٥، والكامل ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.

أنه قدِم عليه فزَعَم أنه مسْلمٌ ، وسأَل منه أن يُجَهِّزَ معه جيشًا يُقاتِلُ به أهلَ الرِّدَّةِ ، فجهَّز معه جيشًا ، فلما سار جعَل لا يَمُرُّ بمسلمٍ ولا مُرْتَدٍّ إلا قتَله وأخَذ مالَه ، فلما سمِع الصِّدِّيقُ بعَث وراءَه جيشًا فرَدَّه ، فلما أمْكَنه بعَث به إلى البَقِيعِ ، فجُمِعت يَداه إلى قَفاه وأُلْقِيَ فى النارِ ، فحرَّقه وهو مَقْموطٌ[1] .

قصةُ سَجَاحِ وبنى تَميمٍ[2]

كانت بنو تَميمٍ قد اخْتَلَفَت آراؤُهم أيامَ الرِّدَّةِ ؛ فمنهم مَن ارْتَدَّ ومنَع الزكاةَ ، ومنهم مَن بعَث بأموالِ الصَّدَقاتِ إلى الصِّدِّيقِ ، ومنهم مَن توَقَّف لِيَنْظُرَ فى أمْرِه ، فبينما هم كذلك إذ أقْبَلَت سَجَاحِ بنتُ الحارثِ بنِ سُوَيْدِ بنِ عُقْفانَ التَّغْلِبيةُ مِن الجزيرةِ ، وهى مِن نَصارَى العربِ ، وقد ادَّعَتِ النُّبوَّةَ ، ومعها جُنودٌ مِن قومِها ومَن الْتَفَّ بهم ، وقد عزَموا على غزوِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، فلما مرَّت ببلادِ[3] بنى تَميمٍ دعَتْهم إلى أمْرِها ، فاسْتَجاب لها عامَّتُهم ، وكان ممَّن اسْتَجاب لها مالكُ بنُ نُوَيْرَةَ التَّميمىُّ ، وعُطارِدُ بنُ حاجبٍ ، وجماعةٌ مِن ساداتِ أُمراءِ بنى تَميمٍ ، وتخَلَّف آخرون منهم عنها ، ثم اصْطَلحوا على أن لا حربَ بينَهم ، إلا أنَّ مالكَ ابنَ نُوَيْرَةَ لمّا وادَعها ثَنَاها عن غَزْوِها[4] ، وحرَّضها على بنى يَرْبوعٍ ، ثم اتَّفَق الجميعُ على قِتالِ الناسِ ، وقالوا : بمن نَبْدَأُ ؟ فقالت لهم فيما تَسْجَعُه : أعِدُّوا الرِّكاب ، واسْتَعِدُّوا للنِّهاب ، ثم أَغِيروا على الرِّباب ، فليس دونَهم حجاب . ثم

---

(١) مقموط : قمط الأسير : جمع بين يديه ورجليه بحبل . الوسيط (ق م ط) .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/٢٦٧ - ٢٧٥، والكامل ٢/٣٥٣ - ٣٥٧.

(٣) فى الأصل : « بملأ » .

(٤) فى م ، ص : « عودها » .

إنهم تَعاهَدوا على نصرِها ، فقال قائلٌ منهم :

[٥/٥٧و] أتَتْنا[1] أُخْتُ تَغْلِبَ فى رِجالٍ ... جَلائِبَ مِن سَراةِ بنى أَبِينا

وأرْسَتْ دعوةً فينا سَفاهًا ... وكانت مِن عَمائرَ آخَرِينا

فما كنا لنَرْزِيَهم[2] زِبالًا ... وما كانت لتُسْلِمَ إذ أُتِينا

ألا سَفِهَتْ حُلومُكُمُ وضلَّتْ ... عَشِيَّةَ تَحْشِدون لها ثُبِينا[3]

وقال عُطارِدُ بنُ حاجبٍ فى ذلك :

أمْسَتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطيفُ[4] بها ... وأصْبَحتْ أنبياءُ الناسِ ذُكْرانا

ثم إنَّ سَجاحِ قصَدت بجنودِها اليَمامةَ ؛ لتأْخُذَها مِن مُسَيْلِمةَ بنِ حَبيبٍ الكَذَّابِ ، فهابه قومُها ، وقالوا : إنه قد اسْتَفْحَل أمْرُه وعظُم . فقالت لهم فيما تقولُه : عليكم باليَمامةْ ، دُفُّوا دَفيفَ الحَمامةْ ، فإنها غَزْوةٌ صَرَّامةْ ، لا تَلْحَقُكم بعدَها مَلامةْ . قال : فقصَدوا[5] نحوَ[6] مُسَيْلِمةَ ، فلما سمِع بمَسيرِها إليه خافها على بلادِه ، وذلك أنه مَشْغولٌ بمُقاتلةِ ثُمامةَ بنِ أُثالٍ ، وقد ساعَده عِكْرِمةُ بنُ أبى جَهلٍ بجنودِ المسلمين ، وهم نازلون ببعضِ بلادِه يَنْتَظِرون قدُومَ خالدِ بنِ الوليدِ ، كما سيأتى ، فبعَث إليها يَسْتَأْمِنُها ويَضْمَنُ لها أن يُعْطِيَها نصفَ الأرضِ الذى كان لقريشٍ لو عدَلَت ، فقد رَدَّه اللَّهُ عليك فحَباكِ[7] به ، وراسَلها ليَجْتَمِعَ بها فى

---

(١) فى ا ١٥١: « أتينا » .

(٢) فى الأصل: « لنتبعهم » ، وفى ا ١٥١، ص: « لننعيهم » . ونرزيهم زبالًا : نصيب منهم شيئًا . انظر الوسيط (ز ب ل) .

(٣) الثُّبَة : العُصبة من الفرسان . اللسان (ث ب أ) .

(٤) فى الأصل، ا ١٥١، ص: « نطوف » .

(٥) فى الأصل، م: « فعمدوا » .

(٦) فى م، ص: « لحرب » .

(٧) فى الأصل، ا ١٥١: « فحياك » .

طائفةٍ مِن قومِه [1] وقَومِها [1] ، فركِب فى أربعين مِن قومِه وجاء إليها ، فاجْتَمعا فى خَيْمةٍ ، فلما خَلا بها وعرَض عليها ما عرَض مِن نصفِ الأرضِ وقبِلَت ذلك ، قال مُسَيْلِمةُ : سمِع اللَّهُ لمَن سمِعْ ، وأطْمَعه بالخيرِ إذا طَمِعْ ، ولا يَزالُ أمْرُه فى كلِّ ما [2] سَرَّ نَفْسَه [2] مُجْتَمِعْ ، رآكم ربُّكم فحَيَّاكم ، ومِن وَحْشَةٍ [3] أخْلاكم ، ويومَ دينِه أنجاكم ، فأحْياكم علينا مِن صلواتِ مَعْشَرٍ أبرار ، لا أشْقياءَ ولا فُجَّار ، يقومون الليلَ ويصومون النهار ، لربِّكم الكُبَّار ، ربِّ الغُيومِ والأمْطار . وقال أيضًا : لمّا رأيْتُ وُجوهَهم حَسُنَتْ ، وأبْشارَهم صَفَتْ ، وأيديَهم طَفُلَتْ [4] ، [5] قلتُ لهم : لا النساءَ تأتون ، ولا الخمرَ تَشْربون ، ولكنَّكم مَعْشَرٌ أبْرارٌ تصومون [5] ، فسبحانَ اللَّهِ إذا جاءت الحياةُ كيف تَحْيَون ، وإلى مَلِكِ السماءِ كيف تَرْقَون ، فلو أنها حَبَّةُ خَرْدَلةٍ لَقام عليها شهيدٌ يَعْلَمُ ما فى الصُّدور ، ولأَكْثَرَ الناسُ فيها الثُّبُور .

وقد كان مُسَيْلِمةُ ، لعَنه اللَّهُ ، شرَع لمَن اتَّبعه أنَّ العَزَبَ يتَزَوَّجُ ، فإذا وُلِد له ذَكَرٌ فيَحْرُمُ عليه النِّساءُ حينَئذٍ ، إلّا أن يموتَ ذلك الولدُ الذكرُ ، فتَحِلَّ له النساءُ حتى يُولَدَ له ذكرٌ ، هذا مما اقْتَرحه ، لعَنه اللَّهُ ، مِن تِلْقاءِ نفسِه . ويقالُ : إنه لما خلا بسَجاحِ سأَلها ماذا يُوحَى إليها ؟ فقالت : وهل يكونُ النِّساءُ يَتَدِئْنَ ؟ بل أنت ماذا أُوحِيَ إليك ؟ فقال : ألم تَرَ إلى ربِّك كيف فعَل بالحُبْلَى ، أخْرَج منها نَسَمةً تَسْعَى ، مِن بينِ صِفاقٍ [6] وحَشا . قالت : وماذا ؟ فقال : إنَّ اللَّهَ خلَق

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « يسر » .

(٣) فى م : « وحشته » .

(٤) طفلت : أى صارت ناعمة . انظر الوسيط (ط ف ل) .

(٥ - ٥) سقط من : ١٥١ .

(٦) الصفاق : الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر . الوسيط (ص ف ق) .

(١ النساءَ أفراجا ١) ، وجعَل الرجالَ لهن أزواجا ، فنُولِجُ (٢) فيهن قُعْسًا إيلاجا ، ثم (٣ نُخْرِجُها إذا نَشاءُ ٣) إخْراجا ، فيُنْتِجْنَ لنا سِخالًا إنتاجا . [٥/٥٧ظ] فقالت : أشْهَدُ أنك نبيٌّ . فقال لها : هل لكِ أن أتزَوَّجَكِ وآكُلَ بقومِى وقومِك العربَ ؟ قالت : نعم . فقال :

أَلا قُومى إلى النَّيْكِ ... فقد هُيِّئ لكِ المَضْجَعْ
فإن شئتِ ففى البيتِ ... وإن شئتِ ففى المَخْدَعْ
وإن شئتِ سَلقْناكِ (٤) ... وإن شئتِ على أربعْ
وإن شئتِ بثُلْثَيْهِ ... وإن شئتِ به أجْمَعْ

فقالت : بل به أجْمَعْ . فقال : بذلك أُوحِىَ إلىَّ . وأقامت عندَه ثلاثةَ أيامٍ ، ثم رجَعت إلى قومِها فقالوا : ما أصْدَقَك ؟ فقالت : لم يُصْدِقْنى شيئًا . فقالوا : إنه قَبيحٌ على مثلِك أن تَتَزَوَّجَ بغيرِ صَداقٍ . فبعَثت إليه تَسْأَلُه صَداقَها (٥) ، فقال : أرْسِلى إلىَّ مُؤَذِّنَك . فبعَثَتْه إليه ، وهو شَبَثُ (٦) بنُ رِبْعىٍّ ، فقال : نادِ فى قومِكَ : إنَّ مُسَيْلِمةَ بنَ حَبيبٍ رسولَ اللَّهِ قد وضَع عنكم صَلاتَين مما أتاكم به محمدٌ .

(١ - ١) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « النساء أفواجا » ، وفى م : « للنساء أفراجا » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .

(٢) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « فيولج » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « يخرجنا إذا شاء » ، وفى ١٥١ : « يخرجنا إذا يشاء » ، وفى ص : « يخرجها إذا شاء » .

(٤) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « صلقناك » . وسلق المرأة : ألقاها على قفاها ليباضعها . اللسان (س ل ق) . قال ابن الأثير : يروى بالصاد والسين ، والسينُ أكثر وأعلى . النهاية ٢/ ٣٩١ .

(٥) فى م ، ص : « صداقا » .

(٦) فى الأصل : « شيت » ، وفى م : « شبت » ، وفى ص : « ثبت » . وانظر ما تقدم فى ٧/ ٢٥٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٢٧ .

يعنى صلاةَ الفجرِ وصلاةَ العِشاءِ الآخِرةِ - [1]وقيل : بل قال لهم : إنى وضَعْتُ عنكم ما أتاكم به محمدٌ من الصَّلَوات ، وأَبَحْتُ فروجَ المؤمنات ، وشُرْبَ الخمرِ فى الكاسات[1] - فكان هذا صَداقَها عليه ، لعَنهما اللَّهُ[2] ، ثم انْشَمَرتْ[3] سَجاحِ راجعةً إلى بلادِها ، وذلك حينَ بلَغها دُنُوُّ خالدٍ مِن أرضِ اليَمامةِ ، فكَرَّت راجعةً إلى الجَزيرةِ بعدَما قبَضت مِن مُسَيْلِمةَ نصفَ خَراجِ أرْضِه ، فأقامت فى قومِها بنى تَغْلِبَ إلى زمانِ مُعاويةَ ، فأجْلاهم منها عامَ الجماعةِ ، كما سيأتى بيانُه فى موضعِه .

فصلٌ فى خبرِ مالكِ بنِ نُوَيْرةَ اليَرْبوعىّ التَّميمىّ[4]

كان قد صانَع سَجاحِ حينَ قدِمَت مِن أرضِ الجزيرةِ ، فلما اتَّصَلت بمُسَيْلِمةَ ، لعَنهما اللَّهُ[2] ، ثم ترَحَّلت إلى بلادِها ، فلما كان ذلك ندِم مالكُ بنُ نُوَيْرةَ على ما كان مِن أمْرِه ، وتَلَوَّم فى شأنِه ، وهو نازلٌ بمكانٍ يقالُ له : البُطاحُ . فقصَدها خالدٌ بجنودِه وتأخَّرت عنه الأنصارُ ، وقالوا : إنا قد قضَيْنا ما أَمَرَنا به الصِّدِّيقُ . فقال لهم خالدٌ : إنَّ هذا أمْرٌ لابُدَّ مِن فعلِه ، وفُرصَةٌ لابُدَّ مِن انتهازِها وإن لم يَأْتِنى فيها كتابٌ ، وأنا الأميرُ وإلىَّ تَرِدُ الأخْبارُ ، ولستُ بالذى أُجْبِرُكم على المَسيرِ ، وأنا قاصدٌ البُطاحَ . فسار يومين ، ثم لحِقه رسولُ الأنصارِ يَطْلُبون منه الانْتِظارَ ، فلَحِقوا به ، فلما وصَل البُطاحَ وعليها مالكُ بنُ نُوَيْرةَ ، فبَثَّ خالدٌ

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) كذا فى النسخ ، وقد جاء فى ٢٥٩/٧ أن سجاح أسلمت وحسن إسلامها .

(٣) فى الأصل : « استمرت » ، فى م : « انثنت » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢٧٦/٣ - ٢٨٠، والكامل ٣٥٧/٢ - ٣٦٠.

السَّرايا فى البُطاحِ يَدْعون الناسَ ، فاسْتَقْبَله أُمراءُ بنى تَميمٍ بالسَّمعِ والطاعةِ ، وبذَلوا الزَّكَواتِ ، إلا ما كان مِن مالكِ بنِ نُوَيْرةَ ، فإنَّه مُتَحَيِّرٌ فى أمْرِه ، مُتَنَحٍّ عن الناسِ ، فجاءتْه السَّرايا فأسَروه وأسَروا معه أصحابَه ، واخْتَلَفت السَّرِيَّةُ فيهم ، فشهِد أبو قتادةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِىٍّ الأنصارىُّ أنَّهم أقاموا الصَّلاةَ ، وقال آخرون : إنَّهم لم يُؤَذِّنوا ولا صَلَّوا . فيُقالُ : إنَّ الأُسارَى باتوا فى كُبولِهم فى ليلةٍ باردَةٍ[1] شديدةِ البردِ ، فنادَى مُنادِى خالدٍ أن دافِئوا[2] أَسْراكم . فظَنَّ القومُ أنه أراد القتلَ ، فقتَلوهم ، وقتَل ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ مالكَ بنَ نُوَيْرةَ ، فلما سمِع خالدٌ[1] الواعِيَةَ[3] خرَج وقد فرَغوا منهم ، فقال : إذا أراد اللَّهُ أمْرًا أصابه . واصْطَفى خالدٌ امرأةَ مالكِ بنِ نُوَيْرةَ ، وهى أمُّ تَميمٍ ابنةُ المِنْهالِ ، وكانت جميلةً ، فلما حَلَّت بنَى بها . ويقالُ : بل اسْتَدْعَى خالدٌ مالكَ بنَ نُوَيْرةَ فأنَّبه على ما صدَر منه مِن مُتابعةِ[4] [٥/٥٨و] سَجَاحِ ، وعلى مَنْعِه الزكاةَ ، وقال : ألم تَعْلَمْ أنها قَرينةُ الصلاةِ ؟ فقال مالكٌ : إنَّ صاحِبَكم كان يَزْعُمُ ذلك . فقال : أهو صاحبُنا وليس بصاحبِك ؟! يا ضِرارُ ، اضْرِبْ عنقَه . (٥ فضَرَب عنقَه ٥) ، وأمَر برأسِه فجُعِل مع حَجَرين ، وطبَخ على الثلاثةِ قِدْرًا ، فأكَل منها خالدٌ تلك الليلةَ ليُرْهِبَ بذلك الأعْرابَ مِن المُرْتَدَّةِ وغيرِهم . ويقالُ : إنَّ شعْرَ مالكٍ جعَلَت النارُ تَعْمَلُ فيه إلى أن نَضِج لحمُ القِدْرِ ، ولم يَفْرُغِ الشعْرُ لكثرتِه . وقد تكَلَّم أبو قَتادةَ مع خالدٍ فيما صنَع ، وتَقاوَلا فى ذلك ، حتى ذهَب أبو قَتادةَ فشَكاه إلى الصِّدِّيقِ ، وتكَلَّم عمرُ مع أبى قَتادةَ فى خالدٍ ، وقال للصِّدِّيقِ : اعْزِلْه فإن فى سيفِه رَهَقًا[6] . فقال أبو بكرٍ : لا أشِيمُ سيفًا

---

(١) سقط من : م .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى ورد الكلام هكذا : « أدفئوا أسراكم » وكانت فى لغة كنانة إذا قالوا : دَثِّروا الرجل فأدفئوه ، دِفئه قَتْلُه ، وفى لغة غيرهم : أدْفِه فاقتُلْه ...» .

(٣) فى م : « الداعية » . والواعية : الصراخ على الميت ونعيه . النهاية ٥/ ٢٠٨.

(٤) فى ا ١٥١: « مبايعة » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) رهقا : أى عجلة . النهاية ٢/ ٢٨٣.

سَلَّه اللَّهُ على الكفارِ. وجاء مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرةَ فجعَل يَشْكو إلى الصِّدِّيقِ خالدًا، وعمرُ يُساعِدُه، ويُنْشِدُ الصِّدِّيقَ ما قال فى أخيه مِن المَراثى، فوَدَاه الصِّديقُ مِن عندِه. ومِن قولِ مُتَمِّمٍ فى ذلك[1]:

وكُنّا كَنَدْمانَىْ جَذِيمةَ بُرْهَةً ... مِن الدَّهْرِ حتى قيل لن يَتَصَدَّعَا
وعِشْنا بخيرٍ ما حَيِينا وقبلَنَا ... أَباد المَنايا قومَ كسرى وتُبَّعَا
فلمَّا تَفَرَّقْنا كأنِّى ومالِكًا ... لطولِ اجْتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معَا
[2]تَراه كنَصْلِ السيفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى ... إذا لم يجِدْ عندَ امْرِئِ السَّوءِ مطْمَعا
وما كان وقَّافًا إذا الخيلُ أحْجمتْ ... ولا طالبًا مِن خَشْيَةِ الموتِ مَفْزَعا
ولا بِكَهامٍ[3] سَيفُهُ عن عدُوِّه ... إذا هوَ لاقَى حاسِرًا أو مُقَنَّعا
وإنِّى متى ما أَدْعُ باسمِك لم تُجِبْ ... وكنتَ حَرِيًّا أن تُجيبَ وتَسْمَعا
وما شارِفٌ حنَّت حنِينًا ورجَّعَتْ ... أنينًا فأبكَى شَجْوُها البَرْكَ أجمَعا[4]
بأوجدَ منِّى يومَ قام بمالكٍ ... منادٍ فصيحٌ بالفِراقِ فأسْمَعا
تَحِيَّتُهُ منِّى وإن كان نائِيًا[5] ... وأَمْسَى ترابًا فوقَه الأرضُ بَلْقَعا[6]
سَقَى اللَّهُ أرضًا حَلَّها قبرُ مالكٍ ... ذِهابَ الغَوادِى المُدْجِناتِ فأمْرَعا[7][2]

---

(١) انظر ديوان مالك ومتمم ص ١١١ - ١١٧، والعقد الفريد ٣/ ٢٦٣، ٢٦٤، وتاريخ دمشق ١٦/ ٢٥٧، بتقديم وتأخير فى الأبيات.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل.

(٣) سيف كهام: لا يقطع، كَليلٌ عن الضربة. اللسان (ك هـ م).

(٤) الشارف: الناقة التى أسنت. والبرك: الإبل الكثيرة. اللسان (ش ر ف) (ب رك).

(٥) فى الأصل: «مسائنا». والمثبت من المصادر.

(٦) البلقع: هى الأرض القفر التى لا شىء بها. النهاية ١/ ١٥٣.

(٧) الذهاب: الأمطار اللينة، واحدتها ذِهْبة. والغوادى: جمع غادية، وهى السحابة تنشأ غدوة. والمدجنات: السحاب الدائم المطر. وأمرعَ: أخصَبَ. النهاية ٢/ ١٧٤، ٤/ ٣٢٠، واللسان (غ د و) (د ج ن).

(١) فى أبياتٍ أُخرَ اخْتَصَرْناها . وقيل : إنَّ متَمِّمًا حَزِن على أخِيه مالكٍ حُزْنًا شديدًا ؛ مكَث سَنةً كامِلةً لم يَنَمِ الليلَ ، ولم يَزَلْ حزينًا عليه يُنْشِدُ فيه الأشعارَ حتى مات ، وكان أعورَ ، فلم يَزَلْ يَبْكِيه حتى سالَت عينُه العوراءُ بالدُّموعِ ، وهذا أبلغُ ما يكونُ مِن الحُزْنِ(١) .

وقال أيضًا(٢) :

لقد لامنى عندَ القُبورِ(٣) على البُكَا ... رَفِيقِى لِتَذْرافِ الدموعِ السَّوافكِ(٤)

وقال أَتَبْكِى كلَّ قبرٍ رأيْتَه ... لقبرٍ ثَوَى بينَ اللِّوَى فالدَّكَادِكِ(٥)

فقلتُ له إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى ... فدَعْنى فهذا كلُّه قبرُ مالكِ

[٥/٥٨ظ] والمقصودُ أنَّه لم يَزَلْ عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يُحَرِّضُ الصِّدِّيقَ ويَذْمُرُه على عَزْلِ خالدٍ عن الإمْرةِ ويقولُ : إنَّ فى سيفِه لَرَهَقًا ، (٦)قتَل مالِكًا ونَزَى على امرأتِه(٦) . حتى بعَث الصِّدِّيقُ إلى خالدِ بنِ الوليدِ ، فقَدِم عليه المدينةَ وقد لبِس عليه دِرْعَه التى مِن حديدٍ ، قد صَدِئَ مِن كثرةِ الدماءِ ، وغرَز فى عِمامتِه النُّشَّابَ المُضَمَّخَ بالدِّماءِ ، فلما دخَل المسجدَ قام إليه عمرُ بنُ الخطابِ ، فانْتَزَع الأَسْهُمَ مِن عِمامةِ خالدٍ فحطَمها ، وقال : أَرِيَاءً قتَلْتَ امْرَأً مُسْلِمًا ثم نزَوْتَ على امرأتِه ؟! واللَّهِ لأَرْجُمَنَّك بأحْجارِك(٧) . وخالدٌ لا يُكَلِّمُه ، ولا يَظُنُّ

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) العقد الفريد ٣/ ٢٦٣.

(٣) فى م ، ص : « العبور » .

(٤) فى الأصل : « السواكب » .

(٥) اللوى : ما التوى من الرمل . والدَّكادك : جمع دكْدَاك ، وهو ما تَكَبَّس من الرمل واستوى . انظر اللسان (د ك ك) (ل و ى) .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى م ، ص : « بالجنادل » .

إلا أنَّ رَأْىَ الصِّدِّيقِ فيه كرَأْيِ عمرَ ، حتى دخَل على أبى بكرٍ فاعْتَذر إليه ، فعذَره وتَجاوَز عنه ما كان منه فى ذلك ، وودَى مالكَ بنَ نُوَيْرةَ ، فخرَج مِن عندِه وعمرُ جالسٌ فى المسجدِ ، فقال خالدٌ : هَلُمَّ إلىَّ يا بنَ أمِّ شَمْلةَ[1] . فلم يَرُدَّ عليه ، وعرَف أنَّ الصِّدِّيقَ قد رَضِى عنه ، واسْتَمَرَّ أبو بكرٍ بخالدٍ على الإمْرةِ ، وإن كان قد اجْتَهد فى قتلِ مالكِ بنِ نُوَيْرةَ وأخْطَأ فى قتلِه ، كما أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمّا بعَثه إلى بنى[2] جَذِيمةَ ، فقتَل أولئك الأُسارَى الذين قالوا : صَبَأْنا صَبَأْنا . ولم يُحْسِنوا أن يَقولوا : أسْلَمْنا . فوَداهم رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى رَدَّ إليهم مِيلَغةَ الكلبِ ، ورفَع يدَيه وقال : « اللهم إنى أَبْرَأُ إليك مما صنَع خالدٌ »[3] . ومع هذا لم يَعْزِلْ خالدًا عن الإمْرةِ .

مَقْتَلُ مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ ، لعَنه اللَّهُ وأَخْزاه[4]

لمّا رضِى الصِّدِّيقُ عن خالدِ بنِ الوليدِ وعذَره بما اعْتَذر به ، بعَثه إلى قتالِ بنى حَنيفةَ باليَمامةِ ، وأوْعَب معه المسلمون ، وعلى الأنصارِ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، فسار لا يَمُرُّ بأحدٍ مِن المُرْتَدِّين إلَّا نكَّل بهم ، وقد اجْتاز بخيولٍ لأصحابِ سَجاحِ فشرَّدهم ، وأمَر بإخْراجِهم مِن جزيرةِ العربِ ، وأرْدَف الصِّدِّيقُ خالدًا بسريَّةٍ ؛ لتكونَ رِدْءًا له مِن ورائِه ، وقد كان بَعَثَ قبلَه إلى مُسَيْلِمةَ عِكْرِمةَ ابنَ أبى جهلٍ ، وشُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ ، فلم يُقاوما بنى حَنيفةَ ؛ لأنهم فى نحوٍ مِنْ

(١) فى الأصل : « حمله » ، وفى ١٥١ : « سلمة » .
(٢) فى م ، ص : « أبى » .
(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٦٠١ .
(٤) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٨١ - ٢٨٧ ، بنحوه .

أربعين ألفًا مِن المُقاتِلةِ ، فعجِل عكرمةُ قبلَ مَجِيءِ صاحبِه شُرَحْبيلَ ، فناجزَهم فنُكِب ، فانْتَظَر خالدًا ، فلما سمِع مُسَيْلِمةُ بقدومِ خالدٍ ، عَسْكَرَ بمكانٍ يقالُ له : عَقْرَباءُ . فى طَرَفِ اليَمامةِ ، والرِّيفُ وراءَ ظهورِهم ، وندَب له الناسَ وحثَّهم ، فحشَد له أهلَ اليَمامةِ ، وجعَل على مُجَنِّبَتَىْ جيشِه المُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيْلِ ، والرَّجَّالَ ابنَ[1] عُنْفُوَةَ بنِ نَهْشَلٍ ، وكان الرَّجَّالُ هذا صديقَه الذى شهِد له أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ أنه قد أشْرَك معه مُسَيْلِمةَ بنَ حَبيبٍ فى الأمْرِ ، فكان هذا المَلْعونُ مِن أكْبرِ ما أضَلَّ أهلَ اليَمامةِ ، حتى اتَّبعوا مُسَيْلِمةَ ، لعَنهما اللَّهُ ، وقد كان الرَّجَّالُ هذا قد وفَد إلى النبىِّ ﷺ وقرأ « البقرةَ » ، وجاء زمنَ الرِّدَّةِ إلى أبى بكرٍ ، فبعَثه إلى أهلِ اليَمامةِ يَدْعوهم إلى اللَّهِ ، ويُثَبِّتُهم على الإسلامِ ، فارْتَدَّ مع مُسَيْلِمةَ وشهِد له بالنُّبوَّةِ .

قال سيفُ بنُ عمرَ[2] عن طَلْحةَ ، عن عكرمةَ ، عن أبى هريرةَ : كنتُ يومًا عندَ النبىِّ ﷺ فى رَهْطٍ ، معنا الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ ، فقال : « إن فيكم لَرجلًا ضِرْسُه فى النارِ أعْظَمُ مِن أُحُدٍ » . فهلَك القومُ وبقِيتُ أنا والرَّجَّالُ ، وكنتُ مُتَخَوِّفًا لها ، حتى خرَج الرَّجَّالُ مع مُسَيْلِمةَ ، [٥/ ٥٩و] وشهِد له بالنُّبوَّةِ ، فكانت فتنةُ الرَّجَّالِ أعْظَمَ مِن فتنةِ مُسَيْلِمةَ . و[3] رَواه ابنُ إسحاقَ عن شيخٍ ، عن أبى هريرةَ[4] .

واقْتَرَب خالدٌ[5] وقد جعَل على المُقَدِّمةِ شُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ ، وعلى المُجَنِّبَتَيْن زيدًا وأبا حُذَيفةَ ، وقد مَرَّتِ المُقَدِّمةُ فى الليلِ بنحوٍ مِن أربعين ، وقيل : ستين

---

(١) فى م : « من » .
(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٢٨٧، من طريق سيف بن عمر بنحوه ، مطولا .
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٢٨٩، من طريق محمد بن إسحاق به نحوه .
(٥) انظر المصدر السابق ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧، بنحوه .

فارسًا . عليهم مُجَّاعةُ بنُ مُرَارةَ ، وكان قد ذهَب لأَخْذِ ثَأْرٍ له فى بنى تَميم وبنى عامرٍ وهو راجعٌ إلى قومِه ، فأخَذوهم فلما جِىءَ بهم إلى خالدٍ ، سألَهم[1] عن خبرِهم[2] فاعْتَذروا إليه فلم يُصَدِّقْهم ، وأمَر بضَرْبِ أعْناقِهم كلِّهم سوى مُجَّاعةَ فإنه اسْتَبْقاه مُقَيَّدًا عندَه ؛ لِعِلْمِه بالحربِ والمَكيدةِ ، وكان سيِّدًا فى بنى حَنيفةَ شَريفًا مُطاعًا . ويقالُ[3] : إن خالدًا لمّا عُرِضُوا عليه قال لهم : ماذا تقولون يا بنى حَنيفَةَ ؟ قالوا : نقولُ : منا نبىٌّ ومنكم نبىٌّ . فقتَلهم إلا واحدًا اسمُه ساريةُ ، فقال له : أيُّها الرجلُ ، إن كنتَ تُريدُ غدًا بعُدولِ هؤلاء خيرًا أو شرًّا فاسْتَبْقِ هذا الرجلَ . يعنى مُجَّاعةَ بنَ مُرارةَ . فاسْتَبْقاه خالدٌ مُقَيَّدًا ، وجعَله فى الخَيْمةِ مع امرأتِه ، وقال : اسْتَوْصِى به خيرًا . فلمّا تواجَه الجيشان قال مُسَيْلِمةُ[4] لقومِه : اليومَ يومُ الغَيْرةِ ، اليومَ إن هُزِمْتُم تُسْتَرْدَفِ[5] النِّساءُ سَبِيَّاتٌ ، ويُنْكَحْنَ غيرَ حَظِيَّات[6] ، فقاتِلوا عن أحْسابِكم وامْنَعوا نساءَكم . وتقَدَّم المسلمون حتى نزَل بهم خالدٌ على كَثيبٍ يُشْرِفُ على اليَمامةِ ، فضرَب به عَسْكرَه ، وراية المهاجرين مع سالمٍ مولى أبى حُذَيْفةَ ، وراية الأنصارِ مع ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، والعربُ على راياتِها ، ومُجَّاعةُ بنُ مُرَارةَ مُقَيَّدٌ فى الخَيْمةِ مع أمِّ تَميمٍ امرأةِ خالدٍ ، فاصْطَدَم المسلمون والكُفَّارُ ، فكانت للمسلمين[7] جَوْلَةٌ ، وانْهَزَمَت الأعْرابُ حتى دخَلَت

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م : « آخرهم » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٨٨، بنحوه .

(٤) فى تاريخ الطبرى ، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٦٢: « شرحبيل بن مسيلمة » .

(٥) فى النسخ : « تستنكح » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الكامل .

(٦) حَظِيَّات : جمع حَظِيَّة . يقال : حَظيت المرأة عند زوجها تَحْظَى حُظْوة - والحاء مثلثة - أى سَعِدت به ودَنَتْ من قلبه . النهاية ١/ ٤٠٥.

(٧) سقط من : م .

بنو حَنيفةَ خَيْمةَ خالدِ بنِ الوليدِ ، وهَمُّوا بقتلِ أمِّ تَميم ، حتى أجارَها مُجَّاعةُ ، وقال : نِعْمَت الحُرَّةُ هذه . وقد قُتِل الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ ، لعَنه اللَّهُ ، فى هذه الجَوْلةِ ، قتَله زيدُ بنُ الخطابِ ، ثم تَذامَر الصحابةُ بينَهم ، وقال ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ : بئس ما عَوَّدْتُم أقْرانَكم . ونادَوْا مِن كلِّ جانبٍ : اخْلُصْنا يا خالدُ . فخلَصت ثُلَّةٌ مِن المهاجرين والأنصارِ ، وحمِىَ البَراءُ بنُ مالكٍ[1] ، وكان إذا رأَى الحربَ أخَذَتْه العُرَوَاءُ[2] فيَجْلِسُ على [3]ظهرِه الرِّجَالُ ويَنْتَفِضُ[3] حتى يَبولَ فى سَراوِيلِه ، ثم يَثورُ كما يَثُورُ الأسَدُ ، وقاتَلَت بنو حَنيفةَ قِتالًا لم يُعْهَدْ مِثلُه ، وجعَلت الصحابةُ يَتَواصَوْن بينَهم ويقولون : يا أصحابَ سورةِ « البقرةِ » ، بَطَل السِّحْرُ اليومَ . وحفَر ثابتُ بنُ قيسٍ لقدميه فى الأرضِ إلى أنصافِ ساقَيه ، وهو حاملٌ لِواءَ الأنصارِ بعدَما تحَنَّط وتكَفَّن ، فلم يَزَلْ ثابتًا حتى قُتِل هناك ، وقال المهاجرون لسالمٍ مولى أبى حُذَيْفةَ : أتَخْشَى أن نُؤْتَى مِن قِبَلِك ؟ فقال : بئس حاملُ القرآنِ أنا إذًا . وقال زيدُ بنُ الخطابِ : أيُّها الناسُ ، عَضُّوا على أضْراسِكم ، واضْرِبوا فى عدوِّكم ، وامْضُوا قُدُمًا . وقال : واللَّهِ لا أتكَلَّمُ حتى يَهْزِمَهم اللَّهُ أو ألْقَى اللَّهَ فأُكَلِّمَه بحُجَّتى . فقُتِل شَهيدًا ، رضِى اللَّهُ عنه . وقال أبو حُذَيْفةَ : يا أهلَ القرآنِ ، زَيِّنوا القرآنَ بالفِعالِ . وحَمَل فيهم حتى أبْعَدَهم وأُصِيب ، رضِى اللَّهُ عنه ، وحمَل خالدُ بنُ الوليدِ حتى جاوَزهم ، [4]وسار بحِيالِ[4] مُسَيْلِمةَ وجعَل يَتَرَقَّبُ أن يَصِلَ إليه فيَقْتُلَه ، [٥/ ٥٩ظ] ثم رجَع ثم وثَب[5] بينَ الصَّفَّيْن ودَعا إلى البِرازِ ، وقال :

---

(١) فى النسخ : « معرور » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الكامل ٢/ ٣٦٤، والإصابة ١/ ٢٧٩ - ٢٨٢.

(٢) العُرواء : الرِّعْدة ، وهو فى الأصل بَرْد الحُمَّى . انظر النهاية ٣/ ٢٢٦.

(٣ - ٣) فى م : « ظهر الرحال » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « وصال لحبال » . وفى م ، ص : « وسار لجبال » .

(٥) فى م ، ص : « وقف » .

أنا ابنُ الوليدِ العَودْ ، أنا ابنُ عامرٍ وزيدْ . ثم نادَى بشِعارِ المسلمين ، وكان شِعارُهم يومَئذٍ : يا مُحمداه . وجعَل لا يَبْرُزُ لهم أحدٌ إلا قتَله ، ولا يَدْنو منه شيءٌ إلا أكَله ، ودارت رَحَى المسلمين ، ثم اقْتَرَب مِن مُسَيْلِمةَ فعرَض عليه النِّصْفَ[1] والرجوعَ إلى الحقِّ ، فجعَل شيطانُ مُسَيْلِمةَ يَلْوِى عُنقَه ، لا يَقْبَلُ منه شيئًا ، وكلما أراد مُسَيْلِمةُ يُقارِبُ مِن الأمْرِ صرَفه عنه شَيْطانُه ، فانْصَرف عنه خالدٌ ، وقد مَيَّز خالدٌ المُهَاجرين مِن الأنصارِ مِن الأعْرابِ ، وكلُّ بنى أبٍ على رايتِهم ، يُقاتِلون تحتَها ، حتى يَعْرِفَ الناسُ مِن أين يُؤْتَوْن ، وصبَرَتِ الصَّحابةُ فى هذا الموطنِ صَبْرًا لم يُعْهَدْ مثلُه ، ولم يَزالوا يتقدمون إلى نُحورِ عدوِّهم حتى فتَح اللَّهُ عليهم ، وولَّى الكُفارُ الأدْبارَ ، واتَّبعوهم يُقَتِّلون فى أقْفائِهم ، ويضَعون السيوفَ فى رقابِهم حيث شاءوا ، حتى ألْجَئوهم إلى حَديقةِ الموتِ ، وقد أشار عليهم مُحَكَّمُ اليَمامةِ ، وهو مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْلِ ، لعَنه اللَّهُ ، بدخولِها ، فدخَلوها وفيها عدوُّ اللَّهِ مُسَيْلِمةُ ، لعَنه اللَّهُ ، وأدْرَك عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ مُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيْلِ ، فرَماه بسهمٍ فى عنقِه ، وهو يَخْطُبُ فقتَله ، وأغْلَقَت بنو حَنيفةَ الحَديقةَ عليهم ، وأحاط بهم الصحابةُ ، وقال البَراءُ بنُ مالكٍ : يا مَعْشَرَ المسلمين ، ألْقُونى عليهم فى الحَديقةِ . فاحْتَملوه فوقَ الحَجَفِ[2] ورفَعوها بالرِّماحِ حتى ألْقَوْه عليهم مِن فوقِ سُورِها ، فلم يَزَلْ يُقاتِلُهم دونَ بابِها حتى فتَحه ، ودخَل المسلمون الحَديقةَ مِن حِيطانِها وأبْوابِها يَقْتُلون مَن فيها مِن المُرْتَدَّةِ مِن أهل اليَمامةِ ، حتى خلَصوا إلى مُسَيْلِمةَ ، لعَنه اللَّهُ ، وإذا هو واقفٌ فى ثُلْمةِ جدارٍ ، كأنه جملٌ أوْرَقُ ، [3]وهو مُزْبِدٌ متَساندٌ[3] ، لا يَعْقِلُ مِن الغيظِ ، وكان إذا اعْتَراه شيطانُه أزْبَد حتى يَخْرُجَ الزَّبَدُ مِن

---

(١) أى الإنصاف .

(٢) فى م : « الجحف » . والحجف واحدتها حَجَفة وهى التُّرس . انظر النهاية ١/ ٣٤٥.

(٣ - ٣) فى م : « وهو يريد يتساند » ، وفى ص : « وهو يريد متساند » .

شِدْقَيْه ، فتقَدَّم إليه وَحْشِيُّ بنُ حربٍ مولى جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، قاتلُ حمزةَ ، فرَماه بحَرْبَتِه فأصابه وخرَجتْ مِن الجانبِ الآخرِ ، وسارع إليه أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ ، فضرَبه بالسيفِ فسقَط ، فنادَتِ امرأةٌ مِن القَصْرِ : (١) وا أميرَ المؤمنيناه (١) ، قتَله العبدُ الأسودُ . فكان جملةُ مَن قُتِلوا فى الحَديقةِ وفى المعركةِ قريبًا مِن عشَرةِ آلافِ مُقاتِلٍ - وقيل : أحدٌ وعشرون ألفًا(٢) - وقُتِل مِن المسلمين ستُّمائةٍ(٣) - وقيل : خمسُمائةٍ - فاللَّهُ أعلمُ . وفيهم مِن ساداتِ الصحابةِ ، وأعْيانِ الناسِ مَن يُذْكَرُ بعدُ ، وخرَج خالدٌ ومعه مُجَّاعةُ بنُ مُرارةَ يَرْسُفُ فى قيودِه ، فجعَل يُرِيه القَتْلَى ليُعَرِّفَه بمُسَيْلِمةَ ، فلما مَرُّوا بالرَّجَّالِ بنِ عُنْفُوَةَ قال له خالدٌ : أهذا هو ؟ قال : لا ، واللَّهِ هذا خيرٌ منه ، هذا الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ(٤) .

قال سيفُ بنُ عمرَ(٥) : ثم مَرُّوا بِرُوَيْجِلٍ أُصَيْفِرَ أُخَيْنِسَ ، فقال : هذا صاحبُكم . فقال خالدٌ : قبَّحكم اللَّهُ على اتِّباعِكم هذا . ثم بعَث خالدٌ الخُيولَ(٦) حولَ اليَمامةِ يلْتَقِطون ما حولَ حُصونِها مِن مالٍ وسَبْيٍ ، ثم عزَم على غزوِ الحُصونِ ، ولم يَكُنْ بَقِيَ فيها إلَّا النساءُ والصِّبْيانُ والشيوخُ الكِبارُ ، فخَدَعه

(١ - ١) فى م ، ص : « وا أمير الوضاءة » .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٩٧، وقد ذكر تفصيلهم كالتالى ؛ قال : « قُتل من بنى حنيفة فى الفضاء بعقرباء سبعة آلاف ، وفى حديقة الموت سبعة آلاف ، وفى الطلب نحو منها » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٩٦، ٢٩٧. وذكر هناك بسنده عن القاسم بن محمد أن الذى قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون . وذكَر الطبرى أيضا بإسناده عن سهل ابن يوسف ، أنه قتل من المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلاثمائة من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء ، ستمائة أو يزيدون .

(٤) الذى فى تاريخ الطبرى ٣/ ٢٩٥، أن قول مجاعة هذا - أى قوله : واللَّه هذا خير منه - كان عن مُحَكِّم بن الطفيل ، لا عن الرجال . وإنما قال مجاعة عن الرجال - كما عند الطبرى - : هذا الرجال .

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٢٩٥ ، بسنده عن ابن إسحاق ، وليس عن سيف بن عمر .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٣/٢٩٦ - ٣٠٠، بنحوه .

مُجَّاعةُ فقال : إنها مَلْأَى رجالًا ومُقاتِلةً فهَلُمَّ فصالِحْنى عنهم[1] . فصالَحه خالدٌ ؛ لِما رأَى بالمسلمين مِن الجَهْدِ ، وقد كَلُّوا مِن كثرةِ الحروبِ والقِتالِ ، فقال : دَعْنى حتى أذْهَبَ إليهم ليُوافِقونى على الصُّلْحِ . فقال : اذْهَبْ . فسار إليهم مُجَّاعةُ ، فأمَر النساءَ أن يَلْبَسْنَ الحديدَ ويَبْرُزْن على [٥/ ٦٠و] رُءوسِ الحُصونِ ، فنظَر خالدٌ فإذا الشُّرُفاتُ مُمْتلئةٌ مِن رُءوسِ الناسِ ، فظنَّهم كما قال مُجَّاعةُ ، فانْتَظَم[2] الصُّلْحُ ، [3]فصالحَهم على البيضاءِ والصَّفْراءِ والحَلْقَةِ والكُراعِ[4] ونصفِ الرقيقِ . وقيل لخالدٍ : إن مُجَّاعةَ قد خدَعك فقال له : يا مُجَّاعةُ ، خدعتَنى . فقال : إنهم قومى وقد أفنيتَهم ، فلا تَلُمْنى على ذلك . ولما فرَغ من قتالِ بنى حنيفةَ ، خطَب إلى مُجَّاعةَ ابنتَه وألحَّ عليه ، فزوَّجه إياها ، ولمَّا بلَغ أبا بكرٍ ذلك كتَب إليه : إنك لفارغُ القلبِ ؛ تتزوَّجُ النساءَ وحولَ خبائِك ألفٌ ومائتان مِن المسلمين لم تجفَّ دماؤهم ؟! وبعدُ ، فإذا جاءك كتابى هذا فالحَقْ بمَن معك مِن جموعِ المسلمين إلى العراقِ . وبَعَث بالكتابِ مع أبى سعيدٍ الخدرىِّ[5] ، وقال : لا تفارقْه حتى تُشْخِصَه . فلما قرَأ خالدٌ الكتابَ قال : هذا من عملِ الأُعَيْسِرِ[6] عمرَ ابنِ الخطابِ[3] . ودَعاهم خالدٌ إلى الإسْلامِ ، فأسْلَموا عن آخرِهم ورجَعوا إلى الحَقِّ ، ورَدَّ عليهم خالدٌ بعضَ ما كان أخَذ مِن السَّبْيِ ، وساق الباقِين إلى الصِّدِّيقِ ، وقد تَسَرَّى علىُّ بنُ أبى طالبٍ بجاريةٍ منهم ، وهى أمُّ ابنِه محمدٍ الذى

---

(١) فى م ، ص : « عنها » .

(٢) فى م : « فانتظر » .

(٣ - ٣) سقط من : ١٥١، م ، ص .

(٤) البيضاء : الفضة . والصفراء : الذهب . والحلقة : الدروع . والكُراع : اسمٌ لجميع الخيل . انظر النهاية ٣/ ٣٧، ٤/ ١٦٥.

(٥) الذى فى تاريخ الطبرى ، أن أبا بكر بعث بالكتاب مع سلمة بن سلامة بن وقش .

(٦) الأعيسر : تصغير للأعسر وهو الذى يعمل بيده اليسرى . انظر النهاية ٣/ ٢٣٦.

يقالُ له : محمدُ ابنُ الحَنَفيَّةِ . رضِى اللَّهُ عنه . وقد قال ضِرارُ بنُ الأَزْورِ[1] فى غزوةِ اليَمامةِ هذه :

ولو سُئِلَتْ عنا جَنوبُ لأَخْبَرَتْ ... عشيَّةَ سالَتْ عَقْرَباءُ ومَلْهَمُ[2]

وسال بفرعِ الوادِ حتى تَرَقْرَقَتْ[3] ... حجارتُه فيه مِن القوْمِ بالدمِ[4]

عشيَّةَ لا تُغْنِى الرِّماحُ مكانَها ... ولا النَّبْلُ إلا المَشْرَفِىُّ المُصَمِّمُ[5]

[6]فإن تَبْتَغِى الكفارَ غيرَ مُلِيمَةٍ[7] ... جنوبُ فإنى تابعُ الدينِ مُسْلمُ[6]

أُجاهدُ إذ كان الجهادُ غَنيمةً ... ولَلَّهُ بالمَرْءِ المُجاهِدِ أعلمُ

وقد قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ ومحمدُ بنُ جَريرٍ وخَلْقٌ مِن السَّلَفِ[8] : كانت وَقْعةُ اليَمامةِ فى سنةِ إحْدى عشْرةَ . وقال ابنُ قانعٍ[9] : فى آخرِها . وقال الواقدىُّ وآخرون[10] : كانت فى سنةِ ثنتَىْ عشْرةَ . والجمعُ بينَها أن ابتداءَها فى سنةِ إحْدى عشْرةَ ، والفَراغَ منها فى سنة ثنْتَىْ عشْرةَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « الخطاب » . وانظر الاستيعاب ٢/٧٤٦ - ٧٤٨ ، وأسد الغابة ٣/٥٢ - ٥٤ .

(٢) فى الأصل : « سلهم » ، وفى ١٥١ ، ص : « سليم » . وملهم : قرية باليمامة لبنى يَشْكُر وأخلاط من بنى بكر . معجم البلدان ٤/٦٣٨ ، ٦٣٩ .

(٣) فى الأصل : « تررقت » ، وفى ١٥١ ، م ، ص : « ترقرت » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى هذا البيت إقواء .

(٥) المشرفى : السيف يُجلب من المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، منسوب إليها . والمصمم : السيف الذى يمر فى العظام . انظر اللسان (ش ر ف) ، (ص م م) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى ١٥١ : « سليمة » ، وفى م : « مسليمة » .

(٨) تاريخ خليفة ١/٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٣/٢٨١ .

(٩) ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٤٠ .

(١٠) ذكر قولَ الواقدى وغيره ، الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٤١ .

ولمّا قَدِمَتْ وفودُ بنى حَنيفةَ على الصِّدِّيقِ[1] قال لهم : أسْمِعونا شيئًا مِن قرآنِ مُسَيْلِمةَ . فقالوا : أوَ تُعْفِينا يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ؟ فقال : لابدَّ مِن ذلك . فقالوا : كان يقولُ : يا ضِفْدَعَ بنتَ الضِّفْدَعِينْ ، نِقِّى كم تَنِقِّينْ ، لا الماءَ تُكَدِّرينْ ، ولا الشاربَ تَمْنَعينْ ، رأسُكِ فى الماءِ وذَنَبُكِ فى الطِّينْ . وكان يقولُ : والمُبَذِّراتِ زَرْعا ، والحاصداتِ حَصْدا ، والذَّارياتِ قَمْحا ، والطاحِناتِ طَحْنا ، والخابزاتِ خَبْزا ، والثارِداتِ ثَرْدا ، واللاقماتِ لَقْما ؛ إهالةً وسَمنا ، لقد فُضِّلْتُم على أهلِ الوَبَر ، وما سبَقَكم أهلُ المَدَر ، رفيقَكم فامْنَعُوه[2] ، والمُعْتَرَّ فآوُوه ، [3]والباغىَ فناوئوه[3] . وذكَروا أشياءَ مِن هذه الخُرافاتِ التى يَأْنَفُ مِن قولِها الصِّبيانُ وهم يَلْعَبون ، فيقالُ : إن الصديقَ قال لهم : وَيْحَكم ! أين كان يُذْهَبُ بعقولِكم[4] ؟ إن هذا الكلامَ لم يَخْرُجْ مِن إلٍّ[5] . وكان يقولُ : والفيلْ ، وما أدراك ما الفيلْ ، له زَلُّومٌ طويلْ . وكان يقولُ : والليلِ الدامسْ ، والذئبِ الهامسْ ، ما قطَعَت أسدٌ مِن رَطْبٍ ولا يابسْ . [٥/ ٦٠ظ] وتقدَّم قولُه : لقد أنْعَم اللَّهُ على الحُبْلَى ، أخْرَج منها نَسَمةً تَسْعَى ، مِن بينِ صِفاقٍ وحَشَا . وأشياءُ مِن هذا الكلامِ السَّخيفِ الرَّكيكِ الباردِ السَّمِجِ . وقد أوْرَد أبو بكرِ بنُ الباقِلَّانىِّ ، رحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه « إعْجازِ القرآنِ »[6] أشْياءَ مِن كلامِ هؤلاء الجَهَلةِ المُتَنَبِّئين كمُسَيْلِمةَ وطُلَيْحةَ والأسْودِ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٨٤، ٣٠٠، بنحوه .

(٢) فى الأصل : « فاتبعوه » ، وفى ١٥١ ، ص : « فأمتعوه » . والمثبت موافق لمصدر التخريج .

(٣ - ٣) فى م : « والناعى فواسوه » .

(٤) فى م : « بقولكم » .

(٥) قال ابن الأثير : إن هذا لم يخرج من إلٍّ : أى من ربوبية . والإلُّ بالكسر هو اللَّه تعالى . وقيل : الإل : هو الأصل الجيد ، أى لم يجئ من الأصل الذى جاء منه القرآن . وقيل : الإلُّ : النسب والقرابة . فيكون المعنى : إن هذا كلام غير صادر عن مناسبة الحق والإدْلَاء بسببٍ بينَه وبين الصِّدْق . النهاية ١/ ٦١.

(٦) إعجاز القرآن ص ١٥٦، ١٥٧. وإنما ذكر الباقلانى كلام مسيلمة فقط ولم يذكر شيئا لطليحة والأسود وسجاح .

وسَجاحِ وغيرِهم ، مما يَدُلُّ على ضَعْفِ عقولِهم وعُقولِ مَن اتَّبعهم على ضَلالِهم ومِحالِهم . وقد رُوِّينا[1] عن عمرِو بنِ العاصِ ، أنه وفَد إلى مُسَيْلِمةَ فى أيامِ جاهليَّتِه ، فقال له مُسَيْلِمةُ : ماذا أُنْزِل على صاحِبِكم فى هذا الحِينِ ؟ فقال له عمرٌو : لقد أُنْزِل عليه سورةٌ وجِيزةٌ بَليغةٌ . فقال : وما هى ؟ قال : أُنْزِل عليه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ . قال : ففكَّر مُسَيْلِمةُ ساعةً ، ثم رفَع رأسَه فقال : ولقد أُنْزِل علىَّ مثلُها . فقال له عمرٌو : وما هو ؟ فقال مُسَيْلِمةُ : يا وَبْرُ يا وَبْرُ[2] ، إنما أنت أُذُنانِ وصدرٌ ، وسائرُك حَقْرٌ[3] نَقْرٌ . ثم قال : كيف تَرَى يا عمرُو ؟ فقال له عمرٌو : واللَّهِ إنك لَتَعْلَمُ أنى أعْلَمُ إنك لَتَكْذِبُ . وذكر عُلماءُ التاريخِ[4] أنه كان يتَشَبَّهُ بالنبىِّ ﷺ ، بلَغه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بصَق فى بئرٍ ، فغزُر ماؤُها ، فبصَق فى بئرٍ فغاض ماؤُها بالكُلِّيَّةِ ، وفى أخْرَى فصار ماؤُها أُجاجًا ، وتوَضَّأ وسقَى بوَضوئِه نَخْلًا فيَبِسَت وهلَكَت ، وأُتِىَ بولدانٍ يُبَرِّكُ عليهم فجعَل يَمْسَحُ رُءوسَهم ، فمنهم مَن قُرِع رأسُه ، ومنهم مَن لُثِغ لسانُه ، ويقالُ : إنه دَعا لرجلٍ أصابه وَجَعٌ فى عينيه فمسَحهما فعَمِىَ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[5] ، عن خُلَيْدِ بنِ ذَفَرَةَ[6] النَّمَرىِّ ، عن عُمَيْرِ بنِ طَلْحةَ ،

---

(١) ذكره المصنف فى التفسير ٤/ ١٩٢، ٨/ ٤٩٩. وقال معلِّقًا عقيب ذكره ذلك: فإذا كان هذا من مشرك فى حال شركه ، لم يشتبه عليه حال محمدٍ ﷺ وصدقه ، وحال مسيلمة ، لعنه اللَّه ، وكذبه ، فكيف بأولى البصائر والنُّهى ، وأصحاب العقول السليمة المستقيمة والحجى .

(٢) الوَبْرُ : دُوَيْبَّة على قدر السِّنَّور ، غبراء أو بيضاء . النهاية ٥/ ١٤٥.

(٣) فى الأصل ، م : « حفر » . والحقير : ضد الخطير ، ويؤكد فيقال : حقير نَقير ، وحقر نقر . اللسان (ح ق ر) .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥، والكامل ٢/ ٣٦٢.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٢٨٦ ، من طريق سيف به ، نحوه .

(٦) فى الأصل : « ذفر » . وفى ا ١٥١، م ، ص : « زفر » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر الإكمال ٣/ ٣٢٨، والمشتبه ١/ ٢٨٧.

عن أبيه ، أنه جاء إلى اليَمامةِ فقال : أين مُسَيْلِمةُ ؟ [1] قالوا[2] : مَهْ ، رسولُ اللَّهِ . فقال : لا ، حتى أَراه . فلما جاءه قال : أنت مُسَيْلِمةُ[1] ؟ فقال : نعم . قال : مَن يَأْتِيك ؟ قال : رحمنٌ[3] . قال : أفي نورٍ أم في ظُلْمةٍ ؟ فقال : في ظُلْمةٍ . فقال : أشْهَدُ أنك كَذَّابٌ وأن محمدًا صادقٌ ، ولكن كَذَّابُ رَبيعةَ أحَبُّ إلينا مِن صادقِ مُضَرَ . واتَّبعه هذا الأعْرابيُّ الجِلْفُ ، لعَنه اللَّهُ ، حتى قُتِل معه يومَ عَقْرَباءَ ، لا رحِمه اللَّهُ .

ذِكْرُ رِدَّةِ أهلِ البحْرَيْن وعَوْدِهم إلى الإسلامِ

كان مِن خبرِهم[4] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قد بعَث العَلاءَ بنَ الحَضْرميِّ إلى مَلِكِها المنذرِ بنِ ساوَى العبديِّ ، فأسْلَمَ على يَدَيْه وأقام فيهم الإسْلامَ والعَدْلَ ، فلمَّا تُوُفِّيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ المنذرُ بعدَه بقليلٍ ، وكان قد حضَر عندَه في مرضِه عمرُو بنُ العاصِ ، فقال له : يا عمرُو ، هل كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَجْعَلُ للمريضِ[5] شيئًا مِن مالِه ؟ قال : نعم ، الثُّلُثَ . قال : ماذا أصْنَعُ به ؟ قال : إن شئتَ تَصَدَّقْتَ به على أَقْربائِك ، وإن شئتَ على المَحاويجِ ، وإن شئتَ جعَلْتَه صدقةً مِن بعدِك حَبْسًا مُحَرَّمًا ، فقال : إني أَكْرَهُ أن أَجْعَلَه كالبَحيرةِ والسائبةِ والوَصِيلةِ والحَامِي ، ولكنِّي أَتَصَدَّقُ به . ففعَل ، ومات فكان عمرُو بنُ العاصِ يَتَعَجَّبُ منه ، فلما مات المنذرُ ارْتَدَّ أهلُ البَحْرَيْن وملَّكوا عليهم الغَرورَ ، وهو

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) في ا ١٥، م ، ص : « فقال » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) في ا ١٥: « رحن » ، وفي م ، ص : « رجس » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٣/٣٠١ - ٣٠٤، بنحوه .

(٥) في تاريخ الطبرى : « للميت » . والمريض هنا : مَن في مرض الموت .

المُنذرُ بنُ النُّعْمانِ بنِ المُنْذرِ . وقال قائلُهم : لو كان محمدٌ نبيًّا ما مات . ولم يَبْقَ بها بَلْدةٌ على الثَّباتِ [٥/ ٦١و] سوى قريةٍ يقالُ لها : جُواثَى . كانت أولَ قريةٍ أقامت الجُمُعةَ مِن أهلِ الرِّدَّةِ ، كما ثبَت ذلك فى البخاريِّ عن ابنِ عباسٍ[(١)] . وقد حاصَرهم المُرْتَدُّون وضيَّقوا عليهم ، حتى مُنِعوا مِن الأقْواتِ ، وجاعوا جُوعًا شديدًا حتى فرَّج اللَّهُ ، وقد قال رجلٌ منهم يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ حَذَفٍ . أحدُ بنى بكرِ بنِ كِلابٍ ، وقد اشْتَدَّ عليه الجُوعُ :

ألا أبْلِغْ أبا بكرٍ رسولًا ... وفِتْيانَ المدينةِ أجْمَعِينا
فهل لكمُ إلى قومٍ كِرامٍ ... قُعودٍ فى جُواثَى مُحْصَرِينا
كأنَّ دماءَهمْ فى كلِّ فَجٍّ ... شُعاعُ الشمسِ يَغْشَى النَّاظِرِينا
توَكَّلْنا على الرحمنِ إنَّا ... وَجَدْنا الصبرَ للمُتَوَكِّلِينا

وقد قام فيهم رجلٌ مِن أشْرافِهم ، وهو الجارودُ بنُ المُعَلَّى ، وكان ممَّن هاجَر إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، خَطِيبًا ، وقد جمَعهم فقال : يا معشرَ عبدِ القَيْسِ ، إنى سائلُكم عن أمرٍ ، فأخْبِرونى إن علِمْتُموه ولا تُجِيبونى إن لم تَعْلَموه . فقالوا : سَلْ . قال : أتَعْلَمون أنه كان للَّهِ أنْبياءُ قبلَ محمدٍ ؟قالوا : نعم . قال : تَعْلَمونه أم تَرَوْنه ؟ قالوا : نَعْلَمُه . قال : فما فعَلوا ؟ قالوا : ماتوا . قال : فإن محمدًا ﷺ مات كما ماتوا ، وإنى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ . فقالوا : ونحن أيضًا نَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، وأنت أفْضَلُنا وسيِّدُنا . وثبتوا على إسلامِهم ، وترَكوا بقيَّةَ الناسِ فيما هم فيه . وبعَث الصِّدِّيقُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كما قدَّمْنا[(٢)] ، إليهم العَلاءَ بنَ الحَضْرميِّ ، فلما دَنا مِن البَحْرَيْن جاء إليه ثُمامةُ بنُ

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٢١ .

(٢) تقدم فى صفحة ٤٤٧ .

أُثالٍ فى (١ جَحْفَلٍ كثيرٍ ١) ، وجاء كلُّ أُمراءِ تلك النَّواحى ، فانْضافوا إلى جيشِ العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ ، فأكْرَمهم العَلاءُ وتَرَحَّب بهم وأحْسَن إليهم . وقد كان العَلاءُ مِن ساداتِ الصحابةِ العُلماءِ العُبَّادِ مُجابى الدَّعوةِ ، اتَّفَق له فى هذه الغزوةِ أنه نزَل مَنْزِلًا ، فلم يَسْتَقِرَّ الناسُ على الأرضِ حتى نفَرَت الإبلُ بما عليها مِن زادِ الجيشِ وخِيامِهم وشَرابِهم ، وبَقُوا على الأرضِ ليس معهم شىءٌ سوى ثيابِهم ، وذلك ليلًا ، ولم يَقْدِروا منها على بعيرٍ واحدٍ ، فركِب الناسَ مِن الهَمِّ والغَمِّ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، وجعَل بعضُهم يُوصِى إلى بعضٍ ، فنادَى مُنادِى العَلاءِ ، فاجْتَمَع الناسُ إليه ، فقال : أيُّها الناسُ ألسْتُم المسلمين ؟ ألسْتُم فى سبيلِ اللَّهِ ؟ ألسْتُم أنْصارَ اللَّهِ ؟ قالوا : بلى . قال : فأبْشِروا ، فواللَّهِ لا يَخْذُلُ اللَّهُ مَن كان فى مثلِ حالِكم . ونُودِىَ بصلاةِ الصُّبحِ حينَ طلَع الفجرُ ، فصلَّى بالناسِ ، فلمَّا قضَى الصلاةَ جَثا على رُكْبَتَيْه وجَثا الناسُ ، ونَصِب (٢) فى الدعاءِ ورفَع يدَيْه ، وفعَل الناسُ مثلَه حتى طلَعت الشمسُ ، وجعَل الناسُ يَنْظُرون إلى سَرابِ الشمسِ يَلْمَعُ مرةً بعدَ أُخْرى ، وهو يَجْتَهِدُ فى الدُّعاءِ ، فلمَّا لَمَع (٣) الثالثةَ ، إذا قد خلَق اللَّهُ إلى جانبِهم غَديرًا عظيمًا مِن الماءِ القَراحِ ، فمشَى ومشَى الناسُ إليه فشرِبوا واغْتَسَلوا ، فما تَعالى النهارُ حتى أقْبَلت الإبلُ مِن كلِّ فَجٍّ بما عليها ، لم يَفْقِدِ الناسُ مِن أمْتِعَتِهم سِلْكًا (٤) ، فسَقَوُا الإبلَ عَلَلًا بعدَ نَهَلٍ ، فكان هذا مما عايَن الناسُ مِن آياتِ اللَّهِ بهذه السَّرِيَّةِ ، ثُم لما اقْتَرب مِن جُيوشِ المُرْتَدَّةِ - وقد حشَدوا وجَمعوا خَلْقًا عظيمًا - نزَل ونزَلوا ، وباتوا [٥/ ٦١ظ] مُتجاوِرين فى المَنازِلِ ، فبينما المسلمون فى

(١ - ١) فى م: « محفل كبير » .

(٢) نَصِب ، بكسر الصاد : أى تعب فى الدعاء واجتهد .

(٣) فى الأصل ، م : « بلغ » .

(٤) السلك : جمع سِلْكَة وهى الخيط الذى يخاطه به الثوب . انظر اللسان (س ل ك) .

الليلِ إذ سمِع العَلاءُ أصواتًا عاليةً[1] فى جيشِ المُرْتَدِّين ، فقال : مَن رجلٌ يَكْشِفُ لنا خبرَ هؤلاء ؟ فقام عبدُ اللَّهِ بنُ حَذَفٍ ، فدخَل فيهم فوجَدهم سُكارَى لا يَعْقِلون مِن الشَّرابِ ، فرجَع إليه فأخْبَره ، فركِب العَلاءُ مِن فَوْرِه هو والجيشُ معه ، فكَبَسوا أولئك فقتَلوهم قتلًا عَظيمًا ، وقَلَّ مَن هرَب منهم ، واسْتَوْلى على جميعِ أموالِهم وحَواصِلِهم وأثْقالِهم ، فكانت غَنيمةً عظيمةً جَسيمةً ، وكان الحُطَمُ بنُ ضُبَيْعةَ - أخو بنى قيسِ بنِ ثَعْلبةَ مِن ساداتِ القومِ - نائمًا ، فقام دَهِشًا حينَ اقْتَحَم المسلمون عليهم ، فركِب جَوادَه ، فانْقَطَع رِكابُه فجعَل يقولُ : مَن يُصْلِحُ لى رِكابى ؟ فجاءه رجلٌ مِن المسلمين فى الليلِ فقال : أنا أُصْلِحُها لك ، ارْفَعْ رِجْلَك . فلمَّا رفَعها ضرَبه بالسيفِ فقطَعها مع قدمِه . فقال له : أجْهِزْ علىَّ . فقال : لا أفْعَلُ . فوقَع صَريعًا كلما مَرَّ به أحدٌ يَسْأَلُه أن يَقْتُلَه فيَأْبَى ، حتى مَرَّ به قيسُ بنُ عاصمٍ فقال له : أنا الحُطَمُ فاقْتُلْنى . فقتَله ، فلما رأى رِجْلَه مَقْطوعةً ندِم على قتلِه وقال : واسَوْأتَاه ، لو أَعْلَمُ ما به لم أُحَرِّكْه . ثم ركِب المسلمون فى آثارِ المُنْهَزِمين ، يَقْتُلونهم بكلِّ مَرْصَدٍ وطريقٍ ، وذهَب مَن فَرَّ منهم أو أكثرُهم فى البحرِ إلى دارِينَ[2] ، ركِبوا إليها السفنَ ، ثم شرَع العَلاءُ بنُ الحَضْرمىِّ فى قَسْمِ الغَنيمةِ و[3]نَفْلِ الأنفالِ[3] ، وفرَغ مِن ذلك وقال للمسلمين : اذْهَبوا بنا إلى دارِينَ ؛ لنَغْزُوَ مَن بها مِن الأعْداءِ . فأجابوا إلى ذلك سَريعًا ، فسار بهم حتى أتَى ساحلَ البحرِ ؛ ليَرْكَبوا فى السفنِ ، فرأَى أن الشُّقَّةَ بعيدةٌ ، لا يَصِلون إليهم فى السُّفنِ حتى

---

(١) فى تاريخ الطبرى ، والكامل ٢/ ٣٧٠، أن ذلك حدث بعدما تراوح المسلمون والمشركون القتال شهرًا .

(٢) دارين : قرية على شاطىء البحر ، فى البحرين . انظر معجم ما استعجم ٢/ ٥٣٨، ومعجم البلدان ٢/ ٥٣٧.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م ، ص : « نقل الأثقال » .

يَذْهَبَ أعْداءُ اللَّهِ ، فاقْتَحَم البحرَ بفرسِه ، وهو يقولُ : يا أرْحمَ الراحِمِين ، يا حَليمُ يا كَريمُ ، يا أحَدُ يا صَمَدُ ، يا حَيُّ يا مُحْيِى الموتى[1] ، [2]يا حَيُّ يا قيُّومُ[2] ، لا إلهَ إلا أنت يا ربَّنا . وأمَر الجيشَ أن يَقولوا ذلك ويَقْتَحِموا ، ففعَلوا ذلك فأجاز بهم الخليجَ بإذْنِ اللَّهِ يَمْشون على مثلِ رَمْلةٍ دَمِثةٍ[3] ، فوقَها ماءٌ لا يَغْمُرُ أخْفافَ الإبلِ[4] ، ولا يَصِلُ إلى رُكَبِ الخيلِ ، ومَسيرتُه للسفنِ يومٌ وليلةٌ ، فقطَعه إلى الساحلِ الآخَرِ ، فقاتَل عدوَّه وقهَرهم ، واحْتاز غَنائمَهم ، ثم رجَع فقطَعه إلى الجانبِ الآخَرِ ، فعاد إلى موضعِه الأولِ ، وذلك كلُّه فى يومٍ ، ولم يَتْرُكْ مِن العدوِّ مُخْبِرًا ، واسْتاق الذَّرارِىَّ والأنْعامَ والأمْوالَ ، ولم يَفْقِدِ المسلمون فى البحرِ شيئًا سوى عَلِيقةِ فرسٍ لرجلٍ مِن المسلمين ، ومع هذا رجَع العَلاءُ فجاءه بها ، ثم قسَم غَنائمَ المسلمين فيهم ، فأصاب الفارسُ ألفَيْنِ والراجلُ ألفًا[5] ، مع كثرةِ الجيشِ ، وكتَب إلى الصِّدِّيقِ فأعْلَمَه بذلك ، فبعَث الصِّدِّيقُ يَشْكُرُه على ما صنَع ، وقد قال رجلٌ مِن المسلمين فى مُرورِهم فى البحرِ ، وهو عَفِيفُ بنُ المُنذرِ :

ألم تَرَ أنَّ اللَّهَ ذَلَّل بَحْرَه ... وأنْزَل بالكُفارِ إحْدى الجَلائلِ
دَعَوْنا الذى[6] شَقَّ البحارَ فجاءنا ... بأعْجَبَ مِن فَلْقِ البحارِ الأَوائلِ

وقد ذكَر سيفُ بنُ عمرَ التَّميمىُّ[7] أنه كان مع المسلمين فى هذه المَواقفِ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى ٣/ ٣١١، والكامل ٢/ ٣٧١.
(٢ - ٢) فى م، ص: « يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام » .
(٣) رملة دمثة : سهلة لينة . انظر الوسيط (د م ث) .
(٤) فى تاريخ الطبرى، والكامل ؛ أنه ماء يغمر أخفاف الإبل . والمؤدَّى قريب ؛ فالمقصود أنه ماء قليل لا يغمر أخفاف الإبل، أو: يغمرها ؛ يعنى يقف حدُّه عند غَمْر الأخفاف فقط .
(٥) فى تاريخ الطبرى، والأغانى ١٥/ ٢٦١؛ أن الفارس أصاب ستة آلاف، والراجل ألفين .
(٦) فى النسخ : « إلى » . والمثبت من تاريخ الطبرى، والأغانى .
(٧) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣١٢، بنحوه .

والمَشاهِدِ التى رَأَوْها مِن أمْرِ العَلاءِ، وما أجْرَى اللَّهُ على يديه مِن الكَراماتِ، رجلٌ مِن أهلِ هَجَرَ، راهبٌ، فأسْلَم حينَئذٍ، فقيل له: ما دَعاك إلى الإسْلامِ؟ [٥/ ٦٢و] فقال: خشِيتُ إن لم أفْعَلْ أن يَمْسَخَنِى اللَّهُ؛ لِما شاهَدْتُ مِن الآياتِ. قال: وقد سمِعْتُ فى الهواءِ وقْتَ السَّحَرِ دُعاءً. قالوا: وما هو؟ قال: اللهم أنت الرحمنُ الرحيمُ لا إلهَ غيرُك، والبديعُ ليس قبلَك شىءٌ، والدائمُ غيرُ الغافلِ، والحَىُّ[1] الذى لا يَموتُ، وخالقُ ما يُرَى وما لا يُرَى، وكلَّ يومٍ أنت فى شَأْنٍ، وعَلِمْتَ اللهمَّ كلَّ شىءٍ عِلْمًا. قال: فعلِمْتُ أن القومَ لم يُعانوا بالمَلائكةِ إلا وهم على أمْرِ اللَّهِ. قال: فحَسُن إسلامُه، وكان الصحابةُ يَسْمَعون منه.

ذِكْرُ رِدَّةِ أهلِ عُمانَ ومَهْرَةَ و[2]اليمنِ

أمّا أهلُ عُمانَ[3] فنبَغ فيهم رجلٌ يقالُ له: ذو التاجِ. لَقِيطُ بنُ مالكٍ الأزْدىُّ، وكان تَسامَى[4] فى الجاهليةِ الجُلَنْدَى، فادَّعَى النُّبوَّةَ أيضًا، وتابَعه الجَهَلةُ مِن أهلِ عُمانَ، فتغَلَّب عليها وقهَر جَيْفَرًا وعَبَّادًا، وألْجَأهما إلى أطْرافِها، مِن نَواحى الجِبالِ والبَحْرِ، فبعَث جَيْفَرٌ إلى الصِّدِّيقِ، فأخْبَره الخبرَ واسْتَجاشَه، فبعَث إليه الصديقُ بأَمِيرَيْن، وهما حذيفةُ بنُ مِحْصَنٍ الحِمْيَرىُّ، وعَرْفَجةُ البارقىُّ مِن الأزْدِ؛ حُذَيفةُ إلى عُمانَ، وعَرْفَجةُ إلى مَهْرةَ، وأمَرهما أن يَجْتَمِعا ويَتَّفِقا

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٢) سقط من: م.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣/٣١٤ - ٣١٨، بنحوه.

(٤) فى م: «يسمى». وتسامى القوم: تداعوا بأسمائهم. انظر الوسيط (س م و).

ويَبْتَدِئا بعُمانَ وحُذَيْفةُ هو الأميرُ، فإذا ساروا إلى بلادِ مَهْرةَ فعَرْفَجةُ الأميرُ.

وقد قدَّمْنا[1] أن عكرمةَ بنَ أبى جَهلٍ لمّا بعَثه الصِّدِّيقُ إلى مُسَيْلِمةَ وأتْبَعه بشُرَحْبِيلَ ابنِ حَسَنةَ، عجِل عِكْرمةُ وناهَض مُسَيْلِمةَ قبلَ مَجيءِ شُرَحْبِيلَ؛ ليَفوزَ بالظَّفَرِ وحدَه، فنالَه مِن مُسَيْلِمةَ قَرْحٌ والذين معه، فتقَهْقَر حتى جاء خالدُ بنُ الوليدِ، فقهَر مُسَيْلِمةَ، كما تقدَّم، وكتَب إليه الصِّدِّيقُ يَلومُه على تَسَرُّعِه، قال: لا أَرَيَنَّك ولا أَسْمَعَنَّ بك إلا بعدَ بَلاءٍ. وأمَره أن يَلْحَقَ بحُذَيْفةَ وعَرْفَجةَ إلى عُمانَ، وكلٌّ منكم أميرٌ على خيلِه[2]، وحُذَيْفةُ ما دُمْتُم بعُمانَ فهو أميرُ الناسِ، فإذا فرَغْتُم فاذْهَبوا إلى مَهْرةَ، فإذا فرَغْتُم منها فاذْهَبْ إلى اليمنِ وحَضْرَمَوْتَ فكنْ مع المُهاجِرِ بنِ أبى أُمَيَّةَ، ومَن لَقِيتَه مِن المُرْتَدَّةِ بينَ عُمانَ إلى حَضْرَموتَ واليمنِ فتَكَلْ به. فسار عِكْرمةُ لِما أمَره به الصِّدِّيقُ، فلَحِق حُذَيْفةَ وعَرْفَجةَ قبلَ أن يَصِلا إلى عُمانَ، وقد كتَب إليهما الصِّدِّيقُ أن يَنْتَهِيا إلى رَأْيِ عِكْرمةَ بعدَ الفَراغِ مِن السَّيْرِ مِن عُمانَ أو المُقامِ بها، فساروا فلما اقْتَربوا مِن عُمانَ[3] راسَلوا جَيْفَرًا [4]وعَبَّادًا[4]، وبلَغ لَقيطَ بنَ مالكٍ مَجِيءُ الجيشِ، فخرَج فى جُموعِه فعَسْكَر بمكانٍ يقالُ له: دَبَا. وهى مِصْرُ تلك البلادِ وسُوقُها العُظْمَى، وجعَل الذَّرارِىَّ والأمْوالَ وراءَ ظُهورِهم؛ ليكونَ أقْوَى لحَرْبِهم، واجْتَمع جَيْفَرٌ وعَبَّادٌ بمكانٍ يقالُ له: صُحَارُ. فعَسْكَرا به وبعَثا إلى أُمراءِ الصِّدِّيقِ، فقدِموا على المسلمين، فتَقابَل

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٦٥.

(٢) فى م: «جيشه».

(٣) بعده فى تاريخ الطبرى: «بمكان يدعى رجاما». ورجام: هو جبل طويل أحمر بالقرب من عمان. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٥٤.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى.

الجَيْشان هنالك ، وتَقاتَلوا قِتالًا شديدًا ، وابْتُلِيَ المسلمون وكادوا أن يُوَلُّوا ، فمَنَّ اللَّهُ بكرمِه ولُطْفِه ؛ أن بعَث إليهم مَدَدًا فى الساعةِ الراهنةِ مِن بنى ناجيةَ وعبدِ القَيْسِ ، فى جماعةٍ مِن الأُمراءِ ، فلمَّا وصَلوا إليهم كان الفتحُ والنَّصْرُ ، فولَّى المشركون مُدْبِرين ، وركِب المسلمون ظُهورَهم ، فقتَلوا منهم عَشْرةَ آلافِ مُقاتِلٍ وسبَوُا الذَّرارىَّ ، وأخذَوا الأمْوالَ والسُّوقَ بحَذافيرِها[1] ، وبعَثوا بالخُمُسِ إلى الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، مع أحدِ الأُمراءِ ، وهو عَرْفَجةُ ، ثم رجَع إلى أصحابِه .

وأما مَهْرةُ فإنهم لما فرَغوا مِن عُمانَ كما ذكَرْنا ، سار عِكْرمةُ بالناسِ إلى بلادِ مَهْرةَ ، بمَن معه مِن الجيوشِ ومَن أُضيف إليها ، حتى اقْتَحم على مَهْرةَ بلادَها ، فوجَدهم جُنْدَيْن ؛ على أحدِهما - وهم الأكثرُ - أميرٌ يقالُ له : المُصَبَّحُ . أحدُ بنى مُحاربٍ ، وعلى الجُندِ الآخَرِ أميرٌ يقالُ له : شخريتُ[2] . وهما مُخْتَلفان ، وكان هذا الاخْتِلافُ رحمةً على المؤمنين ، فراسَل عِكْرمةُ شخريتَ ، فأجابه وانْضاف إلى عِكْرمةَ ، فقَوِىَ بذلك المسلمون ، وضَعُف جَأْشُ المُصَبَّحِ ، فبعَث إليه عكرمةُ يَدْعوه إلى اللَّهِ وإلى السمعِ والطاعةِ ، فاغْتَرَّ بكثرةِ مَن معه ومُخالفةً لشخريتَ ، فتَمادَى فى طُغْيانِه ، فسار إليه عكرمةُ بمَن معه مِن الجنودِ ، فاقْتَتلوا مع المُصبَّحِ أشدَّ مِن قتالِ دَبَا المُتَقَدِّمِ ، ثم فتَح اللَّهُ بالنَّصْرِ والظَّفَرِ ، ففَرَّ المشركون ، وقُتِل المُصبَّحُ وخَلْقٌ كثيرٌ مِن قومِه ، وغنِم المسلمون أمْوالَهم ، فكان فى جملةِ ما غَنِموا ألْفَا نجيبةٍ ، فخمَّس عِكْرمةُ ذلك كلَّه ، وبعَث بخُمُسِه إلى الصِّدِّيقِ مع شخريتَ ، وأخْبَره بما فتَح اللَّهُ عليه ، والبِشارةِ مع رجلٍ يقالُ له : السائبُ . مِن

---

(١) بعده فى الأصل : « وقتلوا ملكهم لقيط بن مالك ذا التاج فصحار من [٤/ ٦٢ظ] أرض عمان وكان ذو التاج فصحار من أرض عمان وكان ذو التاج من بنى ناحيه وعبد القيس وكانوا قد أسلموا ثم ارتدوا » .

(٢) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، ص : « سخريب » ، وفى ا ١٥١ : « سخريب » .

بنى عابدٍ مِن مَخْزومٍ ، وقد قال فى ذلك رجلٌ يقالُ له عُلْجُومٌ :

جزَى اللَّهُ شخريتًا وأفْناءَ هاشمٍ[1] وفِرْضِمَ إذ سارت إلينا الحَلائبُ[2]

جزاءَ مُسِيءٍ لم يُراقِبْ لذِمَّةٍ[3] ولم يرْجُها فيما يُرَجَّى الأقاربُ

أعِكْرِمُ لولا جَمْعُ قومى وفِعْلُهم لَضاقَت عليكم بالفَضاءِ المَذاهبُ

وكنا كمَنْ إقْتاد كفًّا بأُخْتِها وحَلَّت علينا فى الدُّهورِ النَّوائِبُ

وأما أهلُ اليمنِ[4] فقد قدَّمْنا أن الأسْودَ العَنْسىَّ ، لعَنه اللَّهُ لما نبَغ باليمنِ ، أضَلَّ خَلْقًا كَثيرًا مِن ضُعفاءِ العُقولِ والأدْيانِ ، حتى ارْتَدَّ كثيرٌ منهم أو أكْثَرُهم عن الإسلامِ ، وأنه لمَّا قتَله الأمْراءُ الثلاثةُ ؛ قيسُ بنُ مَكْشوحٍ وفَيْروزُ الدَّيْلمىُّ وداذَوَيْهِ ، وكان ما قَدَّمْنا ذِكْرَه ، ولما بلَغهم موتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ازداد بعضُ أهلِ اليمنِ فيما كانوا فيه مِن الحَيرةِ والشَّكِّ ، أجارنا اللَّهُ مِن ذلك ، وطمِع قيسُ بنُ مَكْشوحٍ فى الإمْرةِ باليمنِ ، فعمِل لذلك ، وارْتَدَّ عن الإسلامِ ، وتابَعه عَوامُّ أهلِ اليمنِ ، وكتَب الصِّدِّيقُ إلى الأمراءِ والرُّؤساءِ مِن أهلِ اليمنِ ، أن يَكونوا عَوْنًا إلى فَيْروزَ والأبْناءِ على قيسِ بنِ مَكْشوحٍ ، حتى تَأْتِيَهم جُنودُه سَريعًا ، وحَرَص قيسٌ على قَتْلِ الأميرَيْن الأخِيرَيْن ، فلم يَقْدِرْ إلَّا على داذَوَيْهِ ، واحْتَرَز منه فَيْروزُ الدَّيْلمىُّ ، وذلك أنه عمِل طَعامًا وأرْسَل إلى داذَوَيْهِ أوَّلًا ، فلمَّا جاءه عجِل عليه فقتَله ، ثم أرْسَل إلى فَيْروزَ ليَحْضُرَ عندَه ، فلمَّا كان ببعضِ الطريقِ سمِع امْرأةً تقولُ لأخْرى : وهذا أيضًا واللَّهِ مَقْتولٌ كما قُتِل صاحبُه . فرجَع مِن الطريقِ ، وأخْبَر

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « هيشم » .

(٢) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « الجلايب » . والحلائب : الجماعات . انظر اللسان : (ح ل ب) .

(٣) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « لدينه » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٣/٣٢٣ - ٣٣٠ ، بنحوه .

أصحابَه بقَتْلِ داذَوَيْهِ ، وخرَج إلى أخْوالِه ؛ خَوْلانَ ، فتحَصَّن عندَهم وساعَدَتْه عُقَيْلٌ وعَكٌّ ، وخَلْقٌ ، وعمَد قيسٌ إلى ذرارىِّ فَيْروزَ وداذَوَيْهِ والأبْناءِ ، فأجْلاهم عن اليمنِ ، وأرْسَل طائفةً [٥/٦٣و] فى البَرِّ وطَائفةً فى البحرِ ، فاحْتَدَّ فيروزُ فخرَج فى خَلْقٍ كثيرٍ ، فتَصافَّ[1] هو وقيسٌ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، فهزَم قَيْسًا وجُنْدَه مِن العَوامِّ ، وبَقِيَّةَ جُنْدِ الأسْودِ العَنْسىِّ ، فهرَبوا[2] فى كلِّ وَجْهٍ ، وأُسِر قيسٌ وعمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ ، وكان عمرٌو قد ارْتَدَّ أيضًا ، وتابَع[3] الأسْودَ العَنْسىَّ ، وبعَث بهما المُهاجِرُ بنُ أبى أُمَيَّةَ إلى أبى بكرٍ أسيرَيْن ، فعنَّفهما وأنَّبهما ، فاعْتَذرا إليه فقبِل منهما علانِيَتَهما ، ووكَل سَرائرَهما إلى اللَّهِ ، عز وجل ، وأطْلَق سَراحَهما وردَّهما إلى قومِهما . ورجَعت عُمَّالُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذين كانوا باليمنِ إلى أماكنِهم التى كانوا عليها فى حياتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ حُروبٍ طويلةٍ[4] لو اسْتَقْصَيْنا إيرادَها لطال ذكرُها ، ومُلَخَّصُها أنه ما مِن ناحيةٍ مِن جزيرةِ العربِ إلا وحصَل فى أهلِها رِدَّةٌ لبعضِ الناسِ ، فبعَث الصِّدِّيقُ إليهم جُيوشًا وأُمراءَ يَكونون عَوْنًا لمن فى تلك الناحيةِ مِن المؤمنين ، فلا يَتواجَهُ المشركون والمؤمنون فى مَوْطِنٍ مِن تلك المواطنِ إلا غلَب جيشُ الصِّدِّيقِ لمن هنالك مِن المُرْتَدِّين ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، وقتَلوا منهم مَقْتَلةً عَظيمةً ، وغنِموا مَغانمَ كَثيرةً ، فيَتَقَوَّوْن بذلك على مَن هنالك ، ويَبْعَثون بأخْماسِ ما يَغْنَمون إلى الصِّدِّيقِ فيُنْفِقُه فى الناسِ ، فيَحْصُلُ لهم قوةٌ أيضًا ، ويَسْتَعِدُّون به على قِتالِ مَن يُريدون قِتالَهم مِن الأعاجمِ والرُّومِ ، على ما سيأتى تفصيلُه ، ولم يَزَلِ الأمْرُ كذلك حتى لم يَبْقَ

---

(١) فى م : « فتصادف » .

(٢) فى م ، ص : « فهزموا » .

(٣) فى م ، ص : « بايع » .

(٤) انظر فى ذلك تاريخ الطبرى ٣/٣٣٠ - ٣٤١، والكامل ٢/٣٧٨ - ٣٨٢.

بجَزيرةِ العربِ إلا أهلُ طاعةٍ للَّهِ ولرسولِه ، أو أهلُ ذِمَّةٍ مِن الصِّدِّيقِ ، كأَهْلِ نَجْرانَ وما جرَى مَجْراهم ، وللَّهِ الحمدُ .

وعامَّةُ ما وقَع مِن هذه الحروبِ كان فى أَواخرِ سنةِ إحْدى عشْرةَ وأوائلِ سنةِ ثنتَيْ عشْرةَ ، ولْنَذْكُرْ بعدَ إيرادِ هذه الحَوادثِ مَن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ مِن الأَعْيانِ والمَشاهيرِ ، وباللَّهِ المُسْتعانُ . وفيها رجَع مُعاذُ بنُ جبلٍ مِن اليمنِ ، وفيها استَقْضى[1] أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ عمرَ بنَ الخَطابِ ، رضِى اللَّهُ عنهما .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ

أعْنِى سنةَ إحْدَى عشْرةَ ، مِن الأعْيانِ والمَشاهيرِ ، وذكَرْنا معهم مَن قُتِل باليَمامةِ ؛ لأنَّها كانت فى سنةِ إحْدى عشْرةَ على قولِ بعضِهم ، وإن كان المشهورُ أنَّها فى ربيعِ سنةَ ثِنتَيْ عَشْرةَ .

تُوُفِّىَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ؛ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، سيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فى الدنيا والآخِرةِ ، وذلك فى رَبيعِها الأوَّلِ يومَ الاثنين ثانىَ عشَرَه على المَشْهورِ ، كما قدَّمْنا بيانَه[2] ، وبعدَه بستةِ أشْهُرٍ - على الأشْهَرِ - تُوُفِّيَتِ ابنتُه فاطمةُ ، رضِى اللَّهُ عنها ، وتُكَنَّى بأمِّ أبيها ، وقد كان صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه عَهِد إليها أنَّها أولُ أهلِه لُحوقًا به ، وقال لها مع ذلك : « أما تَرْضَين أنْ تَكونى سيِّدةَ نساءِ أهلِ الجنةِ ؟ »[3] . وكانت أصْغَرَ بناتِ النبىِّ ﷺ على المشهورِ ، ولم يَبْقَ بعدَه سِواها ،

---

(١) فى م : « استبقى » .

(٢) تقدم فى ٨/١٠٦ - ١٠٨.

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٢٩.

فلهذا عظُم أجْرُها ؛ لأنَّها أُصِيبَت به ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، [1]ويقالُ : إنها كانت تَوْأَمًا لعبدِ اللَّهِ ابنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[1] . وليس له ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، نَسْلٌ إلا مِن جِهَتِها ، قاله[2] الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ . وقد وَرَد[3] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ليلةَ زِفافِ عليٍّ على فاطمةَ تَوَضَّأ وصبَّ عليه وعلى فاطمةَ ، [4]ودَعا لهما أن يُبارَكَ فى نَسْلِهما[4] . وقد تزَوَّجها [٥/ ٦٣ظ] ابنُ عمِّها عليُّ بنُ أبى طالبٍ بعدَ الهجرةِ ، وذلك بعدَ بدرٍ ، وقيل : بعدَ أُحُدٍ . وقيل : بعدَ تَزْويجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عائشةَ بأربعةِ أشْهُرٍ ونصفٍ . [5]وبنَى بها بعدَ ذلك بسبعةِ أشهرٍ ونصفٍ[5] ، أصْدَقها دِرْعَه الحُطَمِيَّةَ ، وقيمَتُه أربعُمائةِ درهمٍ ، وكان عمْرُها إذ ذاك خمسَ عشْرةَ سنةً وخَمْسةَ أشهرٍ ، وكان عليٌّ أسَنَّ منها بسِتِّ سنينَ . وقد ورَدَت أحاديثُ مَوْضوعةٌ فى تَزْويجِ عليٍّ بفاطمةَ ، لم نَذْكُرْها ؛ رَغْبةً عنها ، فولَدت له حَسَنًا وحُسَيْنًا ومُحَسِّنًا وأمَّ كُلْثومٍ ، التى تَزَوَّج بها عمرُ بنُ الخطابِ بعدَ ذلك .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عَفَّانُ ، [7]ثنا حَمَّادٌ[7] ، أنا عَطاءُ بنُ السائبِ ، عن أبيه ، عن عليٍّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمّا زوَّجه فاطمةَ بعَث معها بخَمِيلةٍ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١٥١. وهذا القول ذكره محمد بن على المدينى ، كما فى تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٤٨.

(٢) فى م : « قال » .

(٣) فى م ، ص : « روى » . والحديث أخرجه الدولابى فى الذرية الطاهرة ، بسند جيد من حديث بريدة ، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٨/ ٥٦. كما أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٧/ ٢٢٢، من طريق الدولابى به .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ١٥١.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١٥١. وانظر الأقوال المذكورة - عدا ذكره زواجهما بعد بدر - فى أسد الغابة ٧/ ٢٢٠.

(٦) المسند ١/ ١٠٦، ١٠٧. (إسناده صحيح) .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص . وانظر أطراف المسند ٤/ ٤١٢، وتهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣.

ووِسادةٍ مِن أَدَمٍ حَشْوُها لِيفٌ ، ورحَيَيْنِ[1] وسِقاءٍ وجَرَّتَيْن ، فقال عليٌّ لفاطمةَ ذاتَ يومٍ : واللَّهِ لقد سنَوْتُ[2] حتى لقد اشْتَكَيْتُ صَدْرى ، وقد جاء اللَّهُ أباكِ بسَبْيٍ فاذْهَبى فاسْتَخْدِميه . فقالت : وأنا واللَّهِ لقد طحَنْتُ حتى مَجَلَتْ[3] يَداىَ . فأَتَتِ النبىَّ ﷺ فقال : « ما جاء بكِ أىْ بُنَيَّةُ ؟ » قالت : جئتُ لأُسَلِّمَ عليك . واسْتَحْيَتْ أن تَسْأَلَه ، ورجَعَت . فقال : ما فعَلْتِ ؟ قالت : اسْتَحْيَيْتُ أن أَسْأَلَه . فأَتَياه جميعًا ، فقال علىٌّ : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد سنَوْتُ حتى اشْتَكَيْتُ صدرى . وقالت فاطمةُ : لقد طحَنْتُ حتى مَجَلَت يداىَ ، وقد جاءك اللَّهُ بسَبْيٍ وسَعَةٍ فأَخْدِمْنا . فقال : « واللَّهِ لا أُعْطِيكما وأَدَعُ أهلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطونُهم ، لا أَجِدُ ما أُنْفِقُ عليهم ، [4]ولكنِّى أبِيعُهم وأُنفِقُ عليهم أثْمانَهم[4] » . فرجَعا فأتاهما رسولُ اللَّهِ ﷺ وقد دخَلا فى قَطِيفَتِهما ، إذا غَطَّت رُءوسَهما تكَشَّفَت أقدامُهما ، وإذا غَطَّيا[5] أقْدامَهما تكَشَّفَت رءوسُهما ، فثارا ، فقال : « مكانَكما » . ثم قال : « ألا أُخْبِرُكما بخيرٍ مما سأَلْتُمانى ؟ » قالا : بلى . قال : « كلماتٌ علَّمَنِيهن جبريلُ ؛ تُسَبِّحان[6] فى دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عَشْرًا ، وتَحْمَدان عَشْرًا ، وتُكَبِّران عشْرًا ، وإذا أويْتُما إلى فراشِكما فسَبِّحا ثلاثًا وثلاثين ، واحْمَدا ثلاثًا وثلاثين ، وكَبِّرا أربعًا وثلاثين » . قال : فواللَّهِ ما ترَكْتُهن منذُ عَلَّمَنِيهن رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : فقال له ابنُ الكَوَّاءِ : ولا ليلةَ صِفِّينَ ؟ فقال : قاتَلَكم اللَّهُ يا أهلَ

---

(١) فى م : « رحى » .

(٢) سنوت : استقيت . انظر النهاية ٢/ ٤١٥.

(٣) هنا وفيما يأتى ، فى م : « محلت » . يقال : مجَلت يده . إذا ثَخُن جلدها وتعَجَّر ، وظهر فيها ما يشبه البَثْر ؛ من العمل بالأشياء الصُّلْبة الخَشِنة . انظر النهاية ٤/ ٣٠٠.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) فى الأصل ، ١٥١، م : « غطت » .

(٦) بعده فى م ، ص : « اللَّه » .

العراقِ ، نعم ولا ليلةَ صِفِّينَ . وآخرُ هذا الحديثِ ثابتٌ فى « الصحيحَيْن »[1] مِن غيرِ هذا الوجهِ . فقد كانت فاطمةُ صابرةً مع علىٍّ على جَهْدِ العيشِ وضِيقِه ، ولم يَتزوَّجْ عليها حتى ماتت ، ولكنَّه أراد أن يَتَزَوَّجَ فى وقتٍ بدُرَّةَ[2] بنتِ أبى جهلٍ ، فأَنِف رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن ذلك ، وخطَب الناسَ ، فقال : « إنِّى لا أُحَرِّمُ حَلالًا ولا أُحِلُّ حَرامًا ، وإنَّ فاطمةَ بَضْعةٌ منِّى يَرِيبُنى ما رابها ، ويُؤْذِينى ما آذاها ، وإنى أَخْشَى أن تُفْتَنَ عن دِينِها[3] ، ولكن إن[4] أَحَبَّ ابنُ أبى طالبٍ أن يُطَلِّقَها ويَتَزَوَّجَ بنتَ أبى جهلٍ ، فإنَّه واللَّهِ لا تَجْتَمِعُ بنتُ نبىِّ اللَّهِ وبنتُ عدوِّ اللَّهِ تحتَ رجلٍ واحدٍ أبدًا »[5] . قال : فترَك علىٌّ الخِطْبةَ . ولما مات رسولُ اللَّهِ ﷺ سألَت مِن أبى بكرٍ الميراثَ ، فأخْبَرها أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا فهو صدقةٌ »[6] . فسألَت [٥/ ٦٤و] أن يكونَ زوجُها ناظرًا على هذه الصدقةِ ، فأبَى ذلك وقال : إنِّى أَعُولُ مَن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعولُ ، وإنى أَخْشَى إن تَرَكْتُ شيئًا مما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُه أن أَضِلَّ ، وواللَّهِ لَقَرابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحَبُّ إلىَّ أن أَصِلَ مِن قَرابتى . فكأنها وجَدَت فى نفسِها مِن ذلك ، فلم تَزَلْ مُغْضَبَةً[7] مدةَ حياتِها ، فلمَّا مرِضت جاءها الصِّدِّيقُ ، فدخَل عليها ، فجعَل يترَضَّاها ، وقال : واللَّهِ ما ترَكْتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعَشيرةَ ، إلا ابْتغاءَ مَرْضاةِ اللَّهِ ومَرْضاةِ رسولِه

---

(١) البخارى (٣١١٣، ٣٧٠٥، ٥٣٦١، ٥٣٦٢، ٦٣١٨) ، ومسلم (٢٧٢٧، ٢٧٢٨) .

(٢) كذا فى النسخ . وفى اسمها اختلاف ، ولكن لم يرد فيه « درة » ، والمحفوظ أن اسمها جويرية . انظر فتح البارى ٧/ ٨٦، والإصابة ٧/ ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٤.

(٣) فى م ، ص : « دمها » .

(٤) فى م ، ص : « إنى » .

(٥) البخارى (٥٢٣٠ ، ٣٧٢٩) ، ومسلم (٢٤٤٩) ، وأبو داود (٢٠٦٩) ، والترمذى (٣٨٦٧) ، وابن ماجه (١٩٩٨) .

(٦) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٢٣.

(٧) فى م : « تبغضه » .

ومَرْضاتِكم أهلَ البيتِ . فرضِيَت ، رضِى اللَّهُ عنهما . رَواه البيهقىُّ[1] مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشَّعبىِّ ، ثم قال : وهذا مُرْسَلٌ حسنٌ بإسنادٍ صحيحٍ . ولمَّا حضَرَتْها الوفاةُ أوْصَتْ إلى أسْماءَ بنتِ عُمَيْسٍ امرأةِ الصِّدِّيقِ أن تُغَسِّلَها ، فغَسَّلَتها هى وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ وسَلْمَى أمُّ رافعٍ[2] ، قيل : والعباسُ بنُ عبدِ المطَّلبِ . وما رُوِىَ مِن أنَّها اغْتَسَلَت قبلَ وفاتِها وأوْصَت أن لاتُغَسَّلَ بعدَ ذلك فضعيفٌ لا يُعَوَّلُ عليه . واللَّهُ أعلمُ .

وكان الذى صلَّى عليها زوجُها علىٌّ ، وقيل : عمُّها العباسُ . وقيل : أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ[3] . فاللَّهُ أعلمُ . ودُفِنت ليلًا ، وذلك ليلةَ الثلاثاءِ لثلاثٍ خَلَوْنَ مِن رمضانَ سنةَ إحْدَى عشْرةَ ، وقيل : إنها تُوُفِّيَت بعدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بشهرين . وقيل : بسبعين يومًا . وقيل : بخمسةٍ وسبعين يومًا . وقيل : بِثلاثةِ أشهرٍ . وقيل : بثمانيةِ أشهرٍ[4] .

والصحيحُ ما ثبَت فى « الصحيحِ »[5] مِن طريقِ الزهرىِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، أنَّ فاطمةَ عاشت بعدَ النبىِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ ، ودُفِنَت ليلًا . ويقالُ : إنَّها لم تَضْحَكْ فى مدةِ بقائِها بعدَه ، عليه الصَّلاةُ والسلامُ ، وإنَّها كادت[6] تَذُوبُ

---

(١) السنن الكبرى ٦/ ٣٠١، بنحوه .

(٢) أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى ٣/٣٩٦ من حديث أسماء ، وقد حسّن إسناد هذا الحديث الحافظ فى التلخيص ٢/ ١٤٣. وأما سلمى أم رافع فقد سكبت لها غُسلًا ، ولم تُغسّلها ، وحديث أم رافع هذا أخرجه أحمد فى المسند ٦/٤٦١ - وهو الذى سيشير إليه المصنف بعد قليل بقوله : « وما روى من أنها اغتسلت ...» - وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢١١: رواه أحمد وفيه من لم أعرفه .

(٣) أخرج هذه الأقوال الثلاثة بإسناده ابن سعد فى طبقاته ٨/ ٢٩.

(٤) انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٩٤، والإصابة ٨/ ٥٧.

(٥) البخارى (٤٢٤٠، ٤٢٤١) ، مطولًا .

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « كانت » .

مِن حُزْنِها عليه ، وشَوْقِها إليه . واخْتُلِف فى مِقْدارِ سنِّها يومَئذٍ ، فقيل : سبعٌ . وقيل : ثمانٌ . وقيل : تسعٌ وعشرون . وقيل : ثلاثون . وقيل : خمسٌ وثلاثون سنةً[1] . وهذا بعيدٌ ، وما قبلَه أقربُ منه . واللَّهُ أعلمُ . ودُفِنَت بالبَقيعِ ، وهى أولُ مَن سُتِر سَريرُها .

وقد ثبَت فى « الصحيحِ »[2] أنَّ عليًّا كان له وجهٌ[3] مِن الناسِ حياةَ فاطمةَ ، فلما ماتت الْتَمَس مُبايعةَ الصِّدِّيقِ فبايَعه . كما هو مَرْوِىٌّ فى « البخارىِّ » . وهذه البيعةُ لإزالةِ ما كان وقَع مِن وَحْشةٍ حصَلت بسببِ الميراثِ ، ولا يَنْفِى ما ثبَت مِن البيعةِ المتقدِّمةِ عليها كما قرَّرْنا[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وممَّن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ أمُّ أيْمنَ ، بَرَكةُ بنتُ ثَعْلبةَ بنِ عمرِو بنِ حُصينِ بنِ مالكِ بنِ سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ النُّعمانِ[5] ، مَوْلاةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورِثها مِن أبيه ، وقيل : مِن أُمِّه[6] . وحضَنَته وهو صغيرٌ ، وكذلك بعدَ ذلك ، وقد شرِبَت بولَه ، فقال لها : « لقد احْتَظَرْتِ[7] بحِظارٍ[8] مِن النارِ »[9] . وقد أعْتَقها وزوجَها عُبَيدًا ، فولَدت منه ابنَها أيْمنَ فعُرِفت به ، ثم تزَوَّجها زيدُ بنُ حارثةَ مَوْلى رسولِ اللَّهِ

---

(١) انظر أسد الغابة ٧/ ٢٢٦.

(٢) البخارى (٤٢٤٠، ٤٢٤١).

(٣) فى م، ص: «فرجة». ووجه: أى جاهٌ وعز فَقَدَهما بعدها. النهاية ٥/ ١٥٩.

(٤) تقدم فى ٨/ ٩٢.

(٥) الاستيعاب ١٧٩٣/٤، وأسد الغابة ٣٦/٧، والإصابة ١٦٩/٨.

(٦) انظر الإصابة ٨/ ١٧٠.

(٧) فى م، ص: «احتضرت».

(٨) فى م، ص: «بحضار».

(٩) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٨٦. واحتظرتِ بحظارٍ من النار: احتميتِ بِحِمى عظيمٍ من النار يقيك حرَّها ويؤمِّنك دخولها. انظر النهاية ١/ ٤٠٤.

ﷺ ، فولَدت أسامةَ بنَ زيدٍ ، وقد هاجَرت الهجْرَتَيْن ؛ إلى الحبشةِ والمدينةِ ، وكانت مِن الصالحاتِ ، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ يَزورُها فى بيتِها ويقولُ : « هى أُمِّى بعدَ أُمِّى »[1] . وكذلك كان أبو بكرٍ وعمرُ يَزُورانِها فى بيتِها ، كما تقَدَّم[2] ذلك فى ذِكْرِ المَوالى ، وقد تُوُفِّيَت بعدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بخمسةِ أشهرٍ ، وقيل : بستَّةِ أشهرٍ .

ومنهم ثابتُ بنُ أقْرمَ بنِ ثَعْلبةَ بنِ عَدِىِّ بنِ العَجْلانِ البَلَوىُّ[3] ، حليفُ الأنصارِ ، شهِد بدرًا وما بعدَها ، وكان ممَّن حضَر مُؤْتةَ ، [٥/ ٦٤ظ] فلما قُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ دُفِعتِ الرايةُ إليه ، فسلَّمها لخالدِ بنِ الوليدِ ، وقال : أنت أعْلَمُ بالقِتالِ منِّى . وقد تقَدَّم[4] أنَّ طُلَيْحةَ الأسَدىَّ قتَله وقتَل معه عُكَّاشَةَ بنَ مِحْصَنٍ ، وذلك حينَ يقولُ طُلَيْحةُ :

عشيَّةَ غادَرْتُ ابنَ أقْرمَ ثاويًا[5] وعُكَّاشةَ الغَنْمىَّ تحتَ مجالِ

وذلك فى سنةِ إحْدَى عشْرةَ ، وقيل : سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ[6] . وعن عروةَ أنه قُتِل فى حياةِ النبىِّ ﷺ[7] . وهذا غريبٌ ، والصحيحُ الأولُ . واللَّهُ أعْلَمُ .

ومنهم ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ الأنصارىُّ الخزرجىُّ ، أبو محمدٍ خَطيبُ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٨٥.

(٢) تقدم فى ٨/ ٢٨٤.

(٣) الاستيعاب ١/ ١٩٩ ، وأسد الغابة ١/ ٢٦٥ ، والإصابة ١/ ٣٨٣ .

(٤) تقدم فى صفحتى ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٥) فى م : « ساويا » .

(٦) انظر الاستيعاب ١/ ١٩٩، وأسد الغابة ١/ ٢٦٥.

(٧) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢/ ٧٠ (١٣٤٧) ، بسنده عن عروة ، ولفظه : أن رسول اللَّه ﷺ بعث سرية قبل الغمرة من نجد أميرهم ثابت بن أقرم ، فأصيب فيها ثابت . قال فى المجمع ٦/ ٢١٠: فيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن وفيه ضعف . وقال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ١/ ٣٨٤ معلقًا على هذا الحديث : ويمكن تأويل قوله : « أصيب » ؛ أى بجراحةٍ فلم يمت .

الأنصارِ، ويقالُ له أيضًا: خَطيبُ النبيِّ ﷺ[1]. وقد ثبَت عنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، [2]أنَّه بشَّره بالجَنَّةِ و[2] أنه بشَّره بالشَّهادةِ - وقد تقَدَّم الحديثُ فى دلائلِ النبوةِ[3] - فقُتِل يومَ اليَمامةِ شَهيدًا، وكانت رايةُ الأنصارِ يومَئذٍ بيدِه. وروَى الترمذىُّ بإسنادٍ على شرطِ مسلمٍ[4]، عن أبى هُرَيرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ قال: «نِعم الرجلُ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ».

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرانىُّ[5]: ثنا أحمدُ بنُ المُعَلَّى الدِّمشقىُّ، ثَنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ يَزيدَ بنِ جابرٍ، عن عَطاءٍ الخُراسانىِّ قال: قدِمْتُ المدينةَ فسَأَلْتُ عمَّن يُحَدِّثُنى بحديثِ ثابتِ بنِ قيسِ ابنِ شَمَّاسٍ، فأرْشَدونى إلى ابنتِه، فسأَلْتُها، فقالت: سمِعْتُ أبى يقولُ: لمَّا أُنْزِل على رسولِ اللَّهِ ﷺ[6]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. اشْتَدَّت على ثابتٍ وغلَّق عليه بابَه، وطَفِق يَبْكى، فأُخْبِر رسولُ اللَّهِ ﷺ، فسأَله فأخْبَره بما كَبُر عليه منها، وقال: أنا رجلٌ أُحِبُّ الجَمالَ، وأنا أَسُودُ قومى. فقال: «إنك لسْتَ منهم، بل تَعيشُ بخيرٍ وتموتُ بخيرٍ، ويُدْخِلُك اللَّهُ الجنةَ». فلما أُنْزِل على رسولِ اللَّهِ ﷺ[7]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ

---

(١) الاستيعاب ١/ ٢٠٠، وأسد الغابة ١/٢٧٥، والإصابة ١/٣٩٥.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ١٣٢.

(٤) الترمذى (٣٧٩٥). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٨٤).

(٥) المعجم الكبير ٢/ ٦١، ٦٢ (١٣٢٠). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٢٢: رواه الطبرانى، وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أن بنت ثابت صحابية؛ فإنها قالت: سمعت أبى. والله أعلم.

(٦) التفسير ٦/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٧) التفسير ٧/٣٤٥ - ٣٤٨.

صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ [الحجرات: ٢]. فعَل مثلَ ذلك، فأُخْبِر النبيُّ ﷺ فأرْسَل إليه، فأخْبَره بما كَبُر عليه منها، وأنه جَهيرُ الصوتِ، وأنه يتَخَوَّفُ أن يكونَ ممَّن حَبِط عملُه، فقال: «إنك لسْتَ منهم، بل تَعِيشُ حَميدًا، وتُقْتَلُ شَهيدًا، ويُدْخِلُك اللَّهُ الجنةَ». فلما اسْتَنْفَر أبو بكرٍ المسلمين إلى أهلِ الرِّدَّةِ واليَمامةِ ومُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ، سار ثابتُ بنُ قَيْسٍ فيمَن سار، فلما لَقُوا مُسَيْلِمةَ وبنى حَنيفةَ هزَموا المسلمين ثلاثَ مراتٍ، فقال ثابتٌ وسالمٌ مَوْلَى أبى حُذَيْفةَ: ما هكذا كنا نُقاتِلُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ. فجعَلا لأنفُسِهما حُفْرةً فدخَلا فيها، فقاتَلا حتى قُتِلا. قالت: وأُرِىَ[1] رجلٌ مِن المسلمين ثابتَ بنَ قيسٍ فى مَنامِه، فقال: إنِّى لمّا قُتِلْتُ بالأمسِ مَرَّ بى رجلٌ مِن المسلمين، فانْتَزَع منى دِرْعًا نَفيسةً، ومَنْزِلُه فى أقصى العَسْكَرِ، وعندَ مَنْزِلِه[2] فرسٌ يَسْتَنُّ[3] فى طِوَله[4]، وقد أكْفَأ على الدِّرْعِ بُرْمةً[5]، وجعَل فوقَ البُرْمةِ رَحْلًا، وائْتِ خالدَ بنَ الوليدِ، فلْيَبْعَثْ إلى دِرْعى فلْيَأْخُذْها، فإذا قدِمْتَ على خَليفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأعْلِمْه أنَّ علَىَّ مِن الدَّيْنِ كذا، ولى مِن المالِ كذا، وفلانٌ مِن رَقِيقى عَتيقٌ، وإياك أن تقولَ: هذا حُلْمٌ، فتُضَيِّعَه. قال: فأتَى خالدًا فوَجَّه إلى الدِّرْعِ فوجَدها كما ذكَر، وقدِم على أبى بكرٍ، فأخْبَره فأنْفَذ أبو بكرٍ وصيَّتَه بعدَ [٥/ ٦٥و] موتِه، فلا نَعْلَمُ أحدًا جازت وَصِيَّتُه بعدَ موتِه إلَّا ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ. ولهذا الحديثِ وهذه القصةِ

---

(١) فى م: «رأى».

(٢) فى الطبرانى: «فراسة».

(٣) فى الأصل: «ستين»، وفى م: «بتن». واستن الفرس: عدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب عليه. انظر النهاية ٢/ ٤١٠.

(٤) الطول، بكسر الطاء وفتح الواو: هو الحبل يُشَدّ أحد طرفيه فى وتد، والطرف الآخر فى يد الفرس ليدور فيه ويرعى، ولا يذهب لوجهه. النهاية ٣/١٤٥.

(٥) البرمة: القِدر مطلقا، وجمعها بِرام، وهى فى الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. انظر النهاية ١/ ١٢١.

شَواهدُ أُخَرُ ، والحديثُ المُتَعَلِّقُ بقولِه : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ . فى « صحيحِ مسلمٍ » عن أنسٍ[1] .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[2] عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ جاء يومَ اليَمامةِ وقد تحنَّط ونشَر أكْفانَه ، وقال : اللهم إنى أبْرَأُ إليك مما جاء به هؤلاء وأعْتَذِرُ إليك[3] مما صنَع هؤلاء . فقُتِل ، وكانت له دِرْعٌ فسُرِقت ، فرآه رجلٌ فيما يَرَى النائمُ ، فقال : إن دِرْعى فى قِدْرٍ تحتَ الكانونِ فى مكانِ كذا وكذا . وأوْصاه بوصايا ، فطلَبوا الدِّرْعَ فوجَدوها وأنْفَذوا الوَصايا . رَواه الطَّبَرانىُّ أيضًا .

ومنهم حَزْنُ بنُ أبى وَهْبِ بنِ عمرِو بنِ عائذِ[4] بنِ عِمْرانَ المَخْزومىُّ[5] ، له هجرةٌ ، ويقالُ : أسْلَم عامَ الفتحِ[6] . وهو جَدُّ سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُسَمِّيَه سَهْلًا فامْتَنع وقال : لا أُغَيِّرُ اسمًا سَمَّانيه أبواىَ .[7] قال سعيدٌ[7] : فلم تزَلِ الحُزونةُ[8] فينا . اسْتُشْهِد يومَ اليَمامةِ ، وقُتِل معه أيضًا ابناه عبدُ الرحمنِ ووَهْبٌ ، وابنُ ابنِه حَكيمُ بنُ وهبِ بنِ حَزْنٍ .

وممن اسْتُشْهِد فى هذه السنةِ داذَوَيْهِ الفارسىُّ[9] ، أحدُ أُمراءِ اليمنِ الذين قتَلوا الأسْودَ العَنْسىَّ ، قتَله غِيلَةً قيسُ بنُ مَكْشوحٍ حينَ ارْتَدَّ قبلَ أن يَرْجِعَ قَيْسٌ

---

(١) مسلم (١١٩) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٥٦/٢ (١٣٠٧) ، من طريق حماد بن سلمة به .

(٣) زيادة من النسخ ليست فى المعجم الكبير .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « عامر » . وانظر الحاشية التالية .

(٥) الاستيعاب ١/ ٤٠١ ، وأسد الغابة ٢/ ٤ ، والإصابة ٢/ ٦١ .

(٦) ذكره ابن الأثير فى الأسد ، وعزاه لمصعب الزبيرى .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص . وقول سعيد أخرجه البخارى فى صحيحه (٦١٩٠) .

(٨) الحزونة : الخشونة . النهاية ١/ ٣٨٠ .

(٩) الاستيعاب ٤٦١/٢ ، وأسد الغابة ١٥٧/٢ ، والإصابة ٣٩٧/٢ .

إلى الإسلامِ ، فلما عنَّفه الصِّدِّيقُ على قتلِه أنْكر ذلك ، فقبِل عَلانِيتَه وإسْلامَه .

ومنهم زَيْدُ بنُ الخطابِ بنِ نُفَيْلٍ القُرَشيُّ العَدَوِيُّ أبو محمدٍ[1] ، وهو أخو عمرَ بنِ الخطابِ لأبيه ، وكان زيدٌ أكْبرَ مِن عمرَ ، أسْلَم قديمًا ، وشهِد بدرًا وما بعدَها ، وقد آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ مَعْنِ بنِ عَدِيٍّ الأنصاريِّ ، وقد قُتِلا جميعًا باليَمامةِ ، وقد كانت رايةُ المُهاجرين يومَئذٍ بيدِه ، فلم يَزَلْ[2] يتَقَدَّمُ بها حتى قُتِل فسقَطت ، فأخَذها سالمٌ مَوْلَى أبى حُذَيفةَ ، وقد قتَل زيدٌ يومَئذٍ الرَّجَّالَ ابنَ عُنْفُوَةَ ، واسمُه نَهارٌ ، وكان الرَّجّالُ هذا قد أسْلَم وقرَأ « البَقَرةَ » ، ثم ارْتَدَّ ورجَع فصدَّق مُسَيْلِمةَ ، وشهِد له بالرسالةِ ، فحصَل به فِتْنةٌ عَظيمةٌ ، فكانت وفاتُه على يدِ زيدٍ ، رضِى اللَّهُ عن زيدٍ ، ثم قتَل زيدًا رجلٌ يقالُ له : أبو مَرْيَمَ الحَنَفيُّ . وقد أسْلَم بعدَ ذلك وقال لعمرَ : يا أميرَ المؤمنين ، إن اللَّهَ أكْرَم زيدًا بيدِى ولم يُهِنِّى على يدِه . وقيل : إنما قتَله سَلَمةُ بنُ صُبَيْحٍ ، ابنُ عَمِّ أبى مَرْيَمَ هذا . ورجَّحه أبو عمرَ ، وقال[3] : لأن عمرَ اسْتَقْضَى أبا مريمَ . وهذا لا يدُلُّ على نَفْيِ ما تقَدَّم . واللَّهُ أعلمُ . وقد قال عمرُ لمّا بلَغه مَقْتلُ زيدِ بنِ الخطابِ : سبَقنى إلى الحُسْنَيَيْن ؛ أسْلَم قبلى ، واسْتُشْهِد قبلى . وقال لمُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرةَ حينَ جعَل يَرْثِى أخاه مَالِكًا بتلك الأبياتِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُها : لو كنتُ أُحْسِنُ الشعرَ لقلتُ كما قلتَ . فقال له مُتَمِّمٌ : لو أن أخى ذهَب على ما ذهَب عليه أخوك[2] ما حَزِنْتُ

---

(١) بعده فى الأصل : « وقيل : أبو ثور » . والمعروف أن كنيته أبو عبد الرحمن . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٥١ ، والاستيعاب ٢/ ٥٥٠ ، وأسد الغابة ٢/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، والإصابة ٢/ ٦٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، والثقات ٣/ ١٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤١١ . وانظر ما سيأتى قريبا من كلام المصنف ، رحمه اللَّه ، فى آخر الكلام على زيد بن الخطاب .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) الاستيعاب ٢/ ٥٥٢ .

عليه . فقال له عمرُ : ما عَزَّانى أحدٌ بمثلِ ما عزَّيْتَنى به . ومع هذا كان عمرُ يقولُ : ما هَبَّتِ الصَّبَا إلا ذكَّرَتْنى زيدَ بنَ الخطابِ . رضِى اللَّهُ عنه . [1] وكان له مِن الولدِ عبدُ الرحمنِ وأسماءُ ، تزوَّجها عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ [1] .

ومنهم سالمُ بنُ عُبَيدٍ ، ويقالُ : ابنُ مَعْقِلٍ [2] . مَوْلى أبى حُذَيْفةَ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ ، وإنما كان مُعْتَقًا لزوجتِه ثُبَيْتةَ بنتِ يَعارٍ ، وقد تَبَنَّاه أبو حُذَيْفةَ [3] وزوَّجه بابنةِ أخيه فاطمةَ بنتِ الوليدِ بنِ عُتْبةَ ، فلما أنْزَل اللَّهُ [٥/ ٦٥ظ] ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٥] . جاءت امرأةُ أبى حُذَيفةَ سَهْلةُ بنتُ سُهيلِ [4] بنِ عمرٍو ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن سالمًا يَدْخُلُ علىَّ وأنا فُضُلٌ [5] . فأمَرها أن تُرْضِعَه فأرْضَعَتْه ، فكان يَدْخُلُ عليها بتلك الرَّضاعةِ . وكان مِن ساداتِ المسلمين ، أسْلَم قديمًا وهاجَر إلى المدينةِ قبلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكان يُصَلِّى بمَن بها مِن المهاجرين وفيهم عمرُ بنُ الخطابِ ؛ لكثرةِ حِفْظِه القرآنَ ، وشهِد بدرًا وما بعدَها ، وهو أحَدُ الأربعةِ الذين قال فيهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْتَقْرِئوا القرآنَ مِن أربعةٍ » [6] . فذكَر منهم سالمًا مَوْلَى أبى حُذَيفةَ .

ورُوِىَ عن عمرَ أنه قال لمَّا احْتُضِر : لو كان سالمٌ حيًّا لـمَا جعَلْتُها شُورَى [7] . قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ [7] : معناه أنه كان يَصْدُرُ عن رأيِه فيمَن يُولِّيه الخِلافةَ .

(١ - ١) سقط من : ١٥١، م، ص .

(٢) فى الأصل، ١٥١: « نفيل » ، وفى م ، ص : « يعمل » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر الاستيعاب ٢/ ٥٦٧، وأسد الغابة ٢/ ٣٠٧، والإصابة ٣/ ١٣.

(٣) فى م ، ص : « حنيفة » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « سهل » . وانظر أسد الغابة ٧/ ١٥٤، والإصابة ٧/ ٧١٦.

(٥) فى الأصل : « حلال له » ، وفى م : « غفل » . وفضل : أى متبذِّلة فى ثياب مِهْنتى . يقال : تفضلت المرأة : إذا لبست ثياب مِهْنتها ، أو كانت فى ثوب واحد . النهاية ٣/ ٤٥٥، ٤٥٦.

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٦٥٨، ٣٧٦٠) وغير ما موضع .

(٧) انظر الاستيعاب ٢/ ٥٦٨.

ولمّا أخَذ الرايةَ يومَ اليَمامةِ بعدَ مَقْتَلِ زيدِ بنِ الخَطابِ قال له المهاجرون : أتَخْشَى أن نُؤْتَى مِن قِبَلِك ؟ فقال : بئس حاملُ القرآنِ أنا إذًا . انْقَطَعت يدُه اليُمْنَى فأخَذها بيسَارِه ، فقُطِعت فاحْتَضَنها وهو يقولُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ[1] مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) [آل عمران : ١٤٦] . فلما صُرِع قال لأصحابِه : ما فعَل أبو حُذَيفةَ ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما فعَل فلانٌ ؟ قالوا : قُتِل . قال : فأضْجِعونى بينَهما .

وقد بعَث عمرُ بميراثِه إلى مَوْلاتِه التى أعْتَقَتْه ؛ ثُبَيْتَةَ[2] ، فرَدَّته وقالت : إنما أعْتَقْتُه سائبةً[3] . فجعَله عمرُ فى بيتِ المالِ[4] .

ومنهم أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشةَ – ويقالُ : سِماكُ بنُ أوسِ بنِ خَرَشةَ – ابنِ لَوْذانَ (٥بنِ عبدِ وُدٍّ٥) بنِ زيدِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ الخَزْرجِ بنِ ساعدةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرجِ ، الأنصاريُّ الخَزْرجيُّ[6] ، شهِد بدرًا وأبْلَى يومَ أحدٍ ، وقاتَل قِتالًا[7] شديدًا ، وأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ سيفًا فأعْطاه حقَّه ، وكان يتَبَخْتَرُ عندَ الحربِ ، فقال عليه الصلاةُ والسلامُ : « إن هذه لَمِشْيةٌ يُبْغِضُها اللَّهُ إلا فى هذا المَوْطِنِ »[8] . وكان يَعْصِبُ رأسَه بعِصابةٍ حَمْراءَ ؛ شِعارًا له بالشَّجاعةِ ، وشهِد اليَمامةَ ، ويقالُ : إنه ممَّن اقْتَحم على بنى حَنيفةَ يومَئذٍ الحَديقةَ ، فانْكَسَرَت رِجْلُه ،

---

(١) كذا فى ١٥١، ص، وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو. وفى الأصل، م: « قاتل »، وهى قراءة الباقين. انظر حجة القراءات ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) فى م: « بثينة ». وهو خطأ طباعى.

(٣) السائبة : العبد يعتق على ألّا ولاءَ لمعتقه عليه . الوسيط (س ى ب) .

(٤) انظر أسد الغابة ٢/ ٣٠٨.

(٥ – ٥) سقط من: الأصل.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٦٥١ ، وأسد الغابة ٢/ ٤٥١ ، والإصابة ٧/ ١١٩ .

(٧) سقط من: م، ص.

(٨) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، من طريق ابن إسحاق به .

فلم يَزَلْ يُقاتِلُ حتى قُتِل يومَئذٍ .

وقد قَتَل مُسَيْلِمةَ مع وَحْشِيِّ بنِ حربٍ ؛ رَماه وَحْشيٌّ بالحربةِ ، وعلاه أبو دُجانةَ بالسيفِ . قال وَحْشيٌّ : فربُّك أعْلَمُ أيُّنا قتَله . وقد قيل : إنه عاش حتى شَهِد صِفِّينَ مع عليٍّ . والأولُ أصَحُّ . وأما ما يُرْوَى عنه مِن ذِكْرِ الحِرْزِ المَنْسوبِ إلى أبى دُجانةَ ، فإسْنادُه ضَعيفٌ ، ولا يُلْتَفَتُ إليه[1] . واللَّهُ أعْلَمُ .

ومنهم شُجاعُ بنُ وَهْبِ بنِ رَبيعةَ الأسَدىُّ ، حَليفُ بنى عبدِ شَمسٍ[2] ، أسْلَم قديمًا وهاجَر ، وشهِد بدرًا وما بعدَها ، وكان رسولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الحارثِ ابنِ أبى شَمِرٍ الغَسَّانىِّ ، فلم يُسْلِمْ ، وأسْلَم [3]حاجبُه مِرِى[3] . واسْتُشهِد شُجاعُ بنُ وَهْبٍ يومَ اليَمامةِ عن بِضْعٍ وأرْبعين سنةً ، وكان رجلًا طُوالًا نَحِيفًا أجْنأَ[4] .

ومنهم الطُّفَيْلُ بنُ عمرِو بنِ طَريفِ بنِ العاصِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ سُلَيْمِ بنِ [5]فَهْمِ ابنِ[5] غَنْمِ بنِ دَوْسٍ الدَّوْسىُّ[6] ، أسْلَم قديمًا قبلَ الهجرةِ ، وذهَب إلى قومِه فدَعاهم إلى اللَّهِ ، فهداهم اللَّهُ على يديه ، فلما هاجَر النبىُّ ﷺ إلى المدينةِ جاءه بتسعين أهلَ بيتٍ مِن دَوْسٍ مسلمين ، وقد خرَج عامَ اليَمامةِ مع المسلمين ، ومعه [7]ابنُه عمرٌو ، فرأَى الطُّفَيلُ[7] فى المَنامِ كأنَّ رأسَه قد حُلِق ، وكأنَّ امرأةً أدْخَلتْه فى فَرْجِها ، وكأنَّ ابنَه يَجْتَهِدُ[8] [٥/٦٦و] أن يَلْحَقَه فلم يَصِلْ . فأوَّلَها بأنه سيُقْتَلُ

---

(١) انظر اللآلئ المصنوعة ٢/ ٣٤٧، وتذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر الفَتَّنى ص ٢١١، ٢١٢.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٧٠٧ ، وأسد الغابة ٢/ ٥٠٥ ، والإصابة ٣/ ٣١٦ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « صاحبه مرة وشهد » ، وفى م ، ص : « حاجبه سوى » . وانظر الإصابة ٦/ ٢٨٧، ٢٨٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤) سقط من : ١٥١. وفى م : « أحنى » . والجَنَأ : مَيْل فى الظهر ، وقيل : فى العُنُق . انظر اللسان (ج ن أ) .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٢.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٧٥٧، وأسد الغابة ٣/ ٧٨، والإصابة ٣/ ٥٢١.

(٧ - ٧) فى الأصل : « ابنه عمرو بن أبى الطفيل » ، وفى ١٥١ : « ابن عمه فرأى الطفيل » .

(٨) فى ١٥١ : « عهد » .

ويُدْفَنُ ، وأن ابنَه يَحْرِصُ على الشَّهادةِ فلا يَنالُها عامَه ذلك . وقد وقَع الأمرُ كما أَوَّلَها ، ثم قُتِل ابنُه شَهيدًا يومَ اليَرْموكِ ، كما سيأتى .

ومنهم عَبَّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وَقْشٍ الأنصاريُّ[1] ، أسْلَم على يَدَىْ مُصْعبِ بنِ عُمَيْرٍ قبلَ الهجرةِ ، قبلَ إسلامِ مُعاذٍ وأُسَيْدِ بنِ الحُضَيْرِ ، وشهِد بدرًا وما بعدَها ، وكان ممَّن قتَل كعبَ بنَ الأشْرفِ ، وكانت عَصاه تُضِىءُ له إذا خرَج مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ظُلْمةٍ . قال موسى بنُ عُقْبةَ عن الزهرىِّ[2] : قُتِل يومَ اليَمامةِ شَهيدًا عن خمسٍ وأرْبعين سنةً ، وكان [3]له بَلاءٌ وغَناءٌ[3] . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن [5]عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن[5] عائشةَ قالت : تهَجَّد رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فسمِع صوتَ عَبَّادٍ فقال : « اللهم اغْفِرْ له » .

ومنهم السائبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعونٍ[6] ، بَدْرِىٌّ ، مِن الرُّماةِ ، أصابه يومَ اليَمامةِ سَهْمٌ فقتَله وهو شابٌّ ، رحِمه اللَّهُ .

ومنهم السائبُ بنُ العَوَّامِ[7] ، أخو الزبيرِ بنِ العَوَّامِ ، اسْتُشْهِد يومَئذٍ ، رحِمه اللَّهُ .

ومنهم عبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيلِ بنِ عَمْرِو بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ وُدٍّ القُرشىُّ العامرىُّ[8] ، أسْلَم قديمًا وهاجَر ، ثم اسْتُضْعِف بمكةَ ، فلما كان يومُ بدرٍ خرَج

---

(١) الاستيعاب ٨٠١/٢ ، وأسد الغابة ١٥٠/٣ ، والإصابة ٦١١/٣ .

(٢) انظر تهذيب الكمال ١٠٦/١٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « على غنائم حنين وعلى الحرس » . والغناء : النفع والكفاية . الوسيط (غ ن ى) .

(٤) ذكره المزى فى تهذيب الكمال ١٠٥/١٤.

(٥ - ٥) سقط من : ا ١٥١. والحديث أخرجه البخارى معلقا (٢٦٥٥) ، عن عباد بن عبد اللَّه به بنحوه .

(٦) الاستيعاب ٥٧٥/٢ ، وأسد الغابة ٣١٨/٢ ، والإصابة ٢٤/٣ .

(٧) الاستيعاب ٥٧٢/٢ ، وأسد الغابة ٣١٨/٢ ، والإصابة ٢٥/٣ .

(٨) الاستيعاب ٩٢٥/٣ ، وأسد الغابة ٢٧١/٢ ، والإصابة ١٢٣/٤ .

معهم ، فلمَّا تواجَهوا فَرَّ إلى المسلمين فشهِدها معهم ، [1]وما بعدَها[1] ، وقُتِل يومَ اليَمامةِ ، فلمَّا حَجَّ أبو بكرٍ عَزَّى أباه فيه ، فقال سُهَيْلٌ : بلَغنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن الشَّهيدَ يَشْفَعُ لسبعين مِن أهلِه » . فأرْجُو أن يَبْدَأَ بى .

ومنهم عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىِّ ابنِ سَلولَ الأنصارىُّ الخزرجىُّ[2] ، كان مِن ساداتِ الصحابةِ وفُضَلائِهم ، شهِد بدرًا وما بعدَها ، وكان أبوه رأسَ المُنافِقِين ، وكان أشَدَّ الناسِ على أبيه ، ولو أذِن له رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه لَضَرَب عُنقَه ، وكان اسمُه الحُبابَ ، فسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ ، وقد اسْتُشْهِد يومَ اليَمامةِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

ومنهم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ[3] ، أسْلَم قديمًا ، ويقالُ : إنه الذى كان يَأْتِى بالطعامِ والشرابِ والأخْبارِ ، إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وإلى أبيه[4] أبى بكرٍ وهما بغارِ ثَوْرٍ ، ويَبِيتُ عندَهما ويُصْبِحُ بمكةَ كبائتٍ ، فلا يَسْمَعُ بأمرٍ يُكادان به إلا أخْبَرهما به .

وقد شهِد الطائفَ ، فرَماه رجلٌ يقالُ له : أبو مِحْجَنٍ الثقفىُّ . بسهمٍ فدُوِّىَ[5] منها فانْدَمَلت ، ولكن لم يَزَلْ منها ضَمِنًا[6] حتى مات فى شَوَّالٍ سنةَ إحْدَى عشْرةَ .

ومنهم عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ بنِ قيسِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَثيرِ[7] **بنِ غَنْمِ**

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) الاستيعاب ٣/٩٤٠ ، وأسد الغابة ٣/٢٩٦ ، والإصابة ٤/١٥٥ .

(٣) الاستيعاب ٣/٨٧٤ ، وأسد الغابة ٣/١٨٨ ، والإصابة ٤/٢٧ .

(٤) زيادة من : الأصل ، ١٥١ .

(٥) فى م ، ص : « فذوى » . ودُوِّى : عُولِج . اللسان (د و ى) .

(٦) فى م : « حمتا » . والضَّمِن : المريض . انظر اللسان (ض م ن) .

(٧) فى الأصل ، وجمهرة أنساب العرب ص ١٩٢ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٩٢ : « كبير » ، وفى =

ابنِ دُودانَ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيمةَ الأسَدىُّ، حليفُ بنى عبدِ شمسٍ، يُكَنَّى أبا مِحْصَنٍ، وكان مِن ساداتِ الصحابةِ وفُضلائِهم، هاجَر وشهِد بدرًا، وأبْلَى يومَئذٍ بَلاءً حسنًا، وانْكَسر سيفُه، فأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ عُرْجونًا، فعاد فى يدِه سيفًا أبيضَ الحديدِ شديدَ المَتْنِ. وكان ذلك السيفُ يُسَمَّى العَوْنَ. وشهِد أُحُدًا والخندقَ وما بعدَها.

ولمّا ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ السبعين ألفًا الذين يَدْخُلون الجنةَ بغيرِ حِسابٍ، قال عُكَّاشةُ: يا رسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنى منهم. فقال: «اللهم اجْعَلْه منهم». ثم قام رجلٌ آخرُ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، [٥/ ٦٦ظ] ادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنى منهم. فقال: «سبَقك بها عُكَّاشةُ». والحديثُ مَرْوِىٌّ مِن طرقٍ تُفيدُ القَطْعَ.

وقد خرَج عُكَّاشةُ مع خالدٍ يومَ أَمَّرَه[1] الصِّدِّيقُ بذى القَصَّةِ، فبعَثه وثابتَ بنَ أقْرمَ بينَ يديه طَليعةً، فتَلَقَّاهما طُلَيْحةُ الأسَدىُّ وأخوه سَلَمةُ فقتَلاهما، وقد قتَل عُكَّاشةُ قبلَ مَقْتَلِه[2] حِبالَ بنَ طُلَيْحةَ، ثم أسْلَم طُلَيْحةُ بعدَ ذلك، كما ذكَرْنا، وكان عُمْرُ عُكَّاشةَ يومَئذٍ أربعًا وأربعين سنةً، وكان مِن أجْملِ الناسِ، رضِى اللَّهُ عنه.

ومنهم مَعْنُ بنُ عَدِىِّ بنِ الجَدِّ بنِ عَجْلانَ بنِ ضُبَيْعةَ البَلَوىُّ[3]، حَليفُ بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ، وهو أخو عاصمِ بنِ عَدِىٍّ، شهِد العَقَبةَ وبَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدقَ

= الإصابة ٤/ ٥٣٣، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٣٨: «بكير». وانظر الاستيعاب ٣/ ١٠٨٠، وأسد الغابة ٤/ ٦٧.

(١) فى م: «إمرة».

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٤٤١، وأسد الغابة ٥/ ٢٣٨، والإصابة ٦/ ١٩١.

وسائرَ المَشاهدِ ، وكان قد آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ زيدِ بنِ الخطابِ ، فقُتِلا جميعًا يومَ اليَمامةِ ، رضِى اللَّهُ عنهما .

وقال مالكٌ[1] عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمٍ ، عن أبيه قال : بكَى الناسُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ حين مات وقالوا : واللَّهِ وَدِدْنا أنّا مُتْنا قبلَه ، نَخْشَى أن نُفْتَتَنَ بعدَه . فقال مَعْنُ بنُ عَدِىٍّ : لكنى واللَّهِ ما أُحِبُّ أن أَموتَ قبلَه ؛ لأُصَدِّقَه ميِّتًا كما صدَّقْتُه حيًّا .

ومنهم الوليدُ وأبو عُبَيدةَ[2] ابنا عُمارةَ بنِ الوَليدِ بنِ المُغيرةِ ، قُتِلا مع عمِّهما خالدِ بنِ الوليدِ بالبُطاحِ ، وأبوهما عُمارةُ بنُ الوَليدِ ، هو صاحبُ عمرِو بنِ العاصِ إلى النَّجاشىِّ ، وقصتُه مَشْهورةٌ .

ومنهم أبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ القُرشىُّ العَبْشَمىُّ[3] ، أسْلَم قديمًا قبلَ دارِ الأرْقمِ ، وهاجَر إلى الحَبَشةِ وإلى المدينةِ ، وشهِد بدرًا وما بعدَها ، وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ ، وقد قُتِلا شهيدَيْن يومَ اليَمامةِ . وكان عُمْرُ أبى حُذَيْفةَ يومَئذٍ ثلاثًا أو أربعًا وخمسين سنةً ، وكان طويلًا ، حسَنَ الوجهِ ، أَحْوَلَ أثْعَلَ ، وهو الذى له سِنٌّ زائدةٌ ، وكان اسمُه هُشَيْمًا ، [4]وقيل : مُهَشِّمٌ[4] . وقيل : هاشمٌ .

وبالجملةِ فقد قُتِل مِن المسلمين يومَ اليَمامةِ أربعُمائةٍ وخمسون مِن حَمَلةِ القرآنِ ومِن الصحابةِ وغيرِهم . وإنما أوْرَدْنا هؤلاء لشُهْرتِهم ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/١٤٤١ ، من طريق مالك به .

(٢) فى الأصل ، ١٥١ : «عبيد» . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٤٨، والاستيعاب ٤/١٥٥٧، وأسد الغابة ٦/ ٢٠٧، والإصابة ٧/ ٢٦٩.

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٦٣١، وأسد الغابة ٦/ ٧٠، ٧١، والإصابة ٧/ ٨٧.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

قلتُ : **وممَّن اسْتُشْهِد يومَئذٍ مِن المهاجرين ؛ مالكُ** بنُ [1]عمرٍو ، حليفُ بنى[1] غَنْمٍ ، مُهاجرىٌّ بَدْرىٌّ . **ويَزيدُ** بنُ رُقَيْشِ بنِ رئابٍ[2] الأَسَدىُّ ، بدرىٌّ . **والحَكَمُ** بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيَّةَ الأُموىُّ . **وجُبَيْرُ**[3] بنُ مالكِ ابنُ بُحَيْنةَ ، أخو عبدِ اللَّهِ بنِ مالكٍ الأَزْدىُّ ، حَليفُ بنى المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ . **وعامرُ** بنُ البُكَيْرِ[4] اللَّيْثىُّ ، حليفُ بنى عَدِىٍّ ، بدرىٌّ . **ومالكُ** بنُ رَبيعةَ ، حليفُ بنى عبدِ شمسٍ . **وأبو أُمَيَّةَ** صفوانُ بنُ أميَّةَ بنِ عمرٍو[5] . **ويزيدُ** بنُ أوسٍ ، حَليفُ بنى عبدِ الدارِ . **وحُيىٌّ** ويقالُ : مُعَلَّى بنُ حارثةَ الثَّقفىُّ . [6]**وحَبيبُ** بنُ أَسِيدِ بنِ جاريةَ[7] الثَّقَفىُّ[6] . **والوليدُ** بنُ عبدِ شمسٍ المَخْزومىُّ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ عمرِو بنِ بُجْرةَ[8] العَدَوىُّ . **وأبو قيسٍ** بنُ الحارثِ ابنِ قيسٍ السَّهْمىُّ ، [6]وهو مِن مُهاجِرةِ الحَبَشةِ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ[6] . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ مَخْرَمةَ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ أبى قيسِ بنِ عبدِ وُدٍّ بنِ نصرٍ[9] العامرىُّ ، مِن المُهاجِرين الأَوَّلين ، شهِد بدرًا وما بعدَها ، وقُتِل يومَئذٍ . **وعمرُو**[10] بنُ أُوَيْسِ ابنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ العامرىُّ .

(١ - ١) سقط من : ١٥١. وفى الأصل : «عمرو بن». وانظر أسد الغابة ٥/ ٣٧.

(٢) فى م ، ص : «رباب». وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٧٤، وأسد الغابة ٥/ ٤٨٧، والإصابة ٦/ ٦٥٥.

(٣) فى الأصل، ١٥١: «حنين»، وفى م، ص: «حسن». والمثبت من مصادر ترجمته. انظر الاستيعاب ١/ ٢٣٤، وأسد الغابة ١/ ٣٢٢، والإصابة ١/ ٤٦٠.

(٤) فى م، ص: «البكر». وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٨٨، وأسد الغابة ٣/ ١١٨.

(٥) بعده فى الأصل: «وخالد بن سويد وعبد الله بن قيس». وانظر تاريخ خليفة ١/ ٩٣.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى ١٥١، م، ص: «حارثة». والمثبت من مصادر ترجمته. انظر الاستيعاب ١/ ٣٢١، وأسد الغابة ١/ ٤٤١، والإصابة ٢/ ١٤.

(٨) فى الأصل، ١٥١، ص: «بحراة». وانظر الاستيعاب ٣/ ٩٥٤، وأسد الغابة ٣/ ٣٤٦.

(٩) فى الأصل: «نصير». وانظر الاستيعاب ٣/ ٩٨٥، وأسد الغابة ٣/ ٣٧٩.

(١٠) فى الأصل: «عمر». وانظر الاستيعاب ٣/ ١١٦٥، وأسد الغابة ٤/ ١٩٥، والإصابة ٤/ ٦٠٥.

(١ **وسَلِيطُ** بنُ(٢) عمرٍو العامرىُّ . **ورَبيعةُ** بنُ أبى خَرَشَةَ العامرىُّ ١) . **وعبدُ اللَّهِ** ابنُ الحارثِ بنِ رَحْضةَ ، مِن بنى عامرٍ .

ومن الأنصارِ غيرِ مَن ذكَرْنا تَراجمَهم(٣) ؛ **عُمارةُ** بنُ حَزْمٍ [٥/٦٧و] بنِ زيدِ ابنِ لَوْذانَ النَّجّارىُّ ، وهو أخو عمرِو بنِ حَزْمٍ ، كانت معه رايةُ قومِه يومَ الفتحِ ، وقد شهِد بدرًا ، وقُتِل يومَئذٍ . **وعُقْبةُ** بنُ عامرِ بنِ نابى بنِ زيدِ بنِ حَرامٍ السَّلَمىُّ ، شهِد العَقَبةَ الأولَى وشهِد بدرًا وما بعدَها . **وثابتُ** بنُ هَزَّالٍ مِن بنى سالمِ بنِ عوفٍ ، بَدْرىٌّ فى قولٍ . **وأبو عَقيلٍ** (٤عبدُ الرحمنِ٤) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلبةَ ، مِن بنى جَحْجَبَى ، شهِد بدرًا وما بعدَها ، فلما كان يومُ اليَمامةِ أصابه سَهْمٌ فنزَعه ، ثم تَحَزَّم وأخَذ سيفَه ، فقاتَل حتى قُتِل ، وقد أصابتْه جِراحاتٌ كثيرةٌ . **وعبدُاللَّهِ** بنُ عَتِيكٍ . **ورافعُ** بنُ سهلٍ . **وحاجبُ** بنُ يزيدَ الأشْهلىُّ . **وسهلُ** بنُ عَدِىٍّ . **ومالكُ** ابنُ أوسٍ . **وعُمَيرُ**(٥) بنُ أوسٍ . **وطَلْحةُ** بنُ عُتْبةَ ، مِن بنى جَحْجَبَى . **ورَباحٌ** مولى الحارثِ . **ومَعْنُ** بنُ عَدِىٍّ . **وجَزْءُ** بنُ مالكِ بنِ عامرٍ ، مِن بنى جَحْجَبَى . **ووَدَقةُ**(٦)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده فى ١٥١، ص : « بن سليط » . قال الحافظ فى الإصابة ٣/ ١٦٢، ترجمة سليط بن سليط بن عمرو : قد اتفق الأكثر على أن أباه استشهد باليمامة .

وقد رجح ابن الأثير وابن عبد البر أن الذى استشهد باليمامة هو سليط بن عمرو وليس سليط بن سليط ، ولم يقل أحد باستشهاد سليط بن سليط يوم اليمامة إلا ما كان من قول ابن إسحاق كما فى تاريخ خليفة وغيره . وقد رد قوله أبو معشر وغيره . انظر تاريخ خليفة ١/ ٩٤، والاستيعاب ٢/ ٦٤٥، وأسد الغابة ٢/ ٤٣٩.

(٣) انظر تاريخ خليفة ١/٩٤ - ٩٧، والكامل فى التاريخ ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧، وتاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٧٢، ٧٣ .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل . وانظر أسد الغابة ٣/ ٤٦٦، والإصابة ٧/ ٣٠٨.

(٥) فى م ، ص : « عمر » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٢١٢.

(٦) فى الأصل ، ١٥١، ص : « وزقة » ، وفى م : « ورقة » . والمثبت من تاريخ الإسلام . وانظر الإصابة ٦/ ٦٠٢.

ابنُ إياسِ بنِ عمرٍو الخَزْرَجيُّ ، بَدْرِيٌّ . **وجَرْوَلُ**[1] بنُ العباسِ . **وعامرُ** بنُ ثابتٍ . **وبِشْرُ** بنُ عبدِ اللَّهِ الخزرجيُّ . **وكُلَيْبُ** بنُ تَميمٍ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ عِتْبانَ . **وإياسُ** بنُ وَدَقَةَ[2] . **وأُسَيْدُ** بنُ يَرْبوعٍ . **وسعدُ** بنُ حارثةَ . **وسَعْدُ**[3] بنُ حِمّانَ . **ومُخاشِنُ**[4] ابنُ حُمَيِّرَ . **وسَلَمةُ** بنُ مَسْعودٍ ، وقيل : مسعودُ بنُ سِنانٍ . **وضَمْرةُ** بنُ عِياضٍ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ أُنَيْسٍ . **وأبو حَبَّةَ** بنُ غَزِيَّةَ المازنيُّ . **وحَبِيبُ**[5] بنُ زيدٍ . **وحَبيبُ** بنُ عمرِو بنِ مِحْصَنٍ . **وثابتُ** بنُ خالدٍ . **وفَرْوَةُ** بنُ النُّعمانِ . **وعائذُ** بنُ ماعصٍ . **ويزيدُ** بنُ ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ ، أخو زيدِ بنِ ثابتٍ .

قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[6] : فجميعُ مَن اسْتُشْهِدَ مِن المهاجرين والأنْصارِ يومَ اليَمامةِ ثمانيةٌ وخمسون رجلًا . يعنى وبقيَّةُ الأرْبعِمائةِ والخمسين مِن غيرِهم . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قُتِل مِن الكُفارِ فيما سُقْنا مِن المَواطِنِ التى الْتَقَى فيها المسلمون والمشركون فى هذه وأوائلِ التى قبلَها ، ما يُنَيِّفُ على خمسين ألفًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ .

---

(١) فى الأصل : « حروان » ، وفى ا ١٥١ : « خروان » ، وفى م : « مروان » ، وفى ص : « جروان » . والمثبت من تاريخ خليفة ، وانظر الإصابة ١/ ٤٧٣.

(٢) فى الأصل : « وديقه » ، وفى ا ١٥١ ، م ، ص : « وديعة » . والمثبت من تاريخ خليفة . وانظر الإصابة ١/ ١٦٨.

(٣) فى ا ١٥١ ، م ، ص : « سهل » . وانظر الإصابة ٣/ ٥١.

(٤) فى م : « محاسن » . ويقال : مخشى . انظر الإكمال ٧/ ٢٢٨ ، والتبصير ١/ ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، والإصابة ٦/ ٤٧.

(٥) فى الأصل : « حباذ » ، وفى ا ١٥١ : « حباب » ، وفى م : « خباب » ، وفى ص : « حاب » . والمثبت من تاريخ خليفة ١/ ٩٧. وانظر الإصابة ٢/ ١٩.

(٦) تاريخ خليفة ١/ ٩٧.

فمِن مَشاهيرِهم ؛ **الأسْودُ العَنْسيُّ ، لعَنه اللَّهُ** ، واسمُه عَبْهَلَةُ بنُ كعبِ بنِ غَوْثٍ ، خرَج أولَ مَخْرَجِه مِن بلدةٍ باليمنِ يقالُ لها : كَهْفُ خُبَّانَ . ومعه سبعُمائةِ مُقاتِلٍ ، فما مضَى شهرٌ حتى مَلَك صَنْعاءَ ، ثم اسْتَوْسَقَت[1] له اليمنُ بحَذافِيرِها فى أقْصَرِ مدةٍ ، وكان معه شَيْطانٌ يُمَخْرِقُ[2] له ، ولكن خانَه أحْوَجَ ما كان إليه ، ثم لم تَمْضِ له ثلاثةُ[3] أشهرٍ أو أربعةُ أشهرٍ حتى قتَله اللَّهُ على يَدَىْ إخْوانِ صِدْقٍ ، [4]وأُمراءِ حَقٍّ[4] ، كما قدَّمْنا ذكْرَه ؛ وهم داذَوَيْهِ الفارسيُّ ، وفَيْروزُ الدَّيْلَمىُّ ، وقيسُ بنُ مَكْشوحٍ المُرادىُّ ، وذلك فى ربيعِ الأولِ مِن سنةِ إحْدى عَشْرةَ ، قبلَ وَفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بليالٍ ، وقيل : بليلةٍ . فاللَّهُ أعلمُ . وقد أطْلَع اللَّهُ رسولَه ليلةَ قتلِه على ذلك ، كما أسْلَفْناه .

ومنهم مُسَيْلِمةُ بنُ حَبيبٍ الحنفىُّ[5] اليَمامىُّ الكَذَّابُ لعَنه اللَّهُ

قدِم المدينةَ وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مع قومِه بنى حَنيفةَ ، وقد وقَف عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فسمِعه وهو يقولُ : إن جعَل لى محمدٌ الأمْرَ مِن بعدِه اتَّبَعْتُه . فقال له : « لو سألْتَنى هذا العُودَ - لِعُرْجُونٍ فى يدِه - ما أعْطَيْتُكَه ، ولَئِنْ أدْبَرْتَ

---

(١) فى م : « استوثقت » .

(٢) فى م : « يحذق » .

(٣) بعده فى الأصل : « أيام بل ثلاثة » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) زيادة من : الأصل ، ص .

ليَعْقِرَنَّك اللَّهُ ، وإنى لَأراك الذى أُرِيتُ فيه ما أُرِيتُ[1] » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد رأَى فى المَنامِ كأن فى يدِه سِوارَيْن مِن ذهبٍ ، فأهَمَّه شأنُهما ، فأوْحَى اللَّهُ إليه فى المَنامِ أَنِ انْفُخْهما ، فنفَخهما فطارا ، فأوَّلَهما بكَذَّابَين يَخْرُجان ، وهما صاحبُ صَنْعاءَ ، وصاحبُ اليَمامةِ . وهكذا وقَع ؛ [٥/ ٦٧ظ] فإنهما ذهَبا وذهَب أمْرُهما ؛ أما الأسْودُ فذُبِح فى دارِه ، وأما مُسَيْلِمةُ فعقَره اللَّهُ على يدَىْ وَحْشىٍّ ابنِ حربٍ ، رَماه بالحَرْبةِ فأنْفَذَه كما تُعْقَرُ الإبلُ ، وضرَبه أبو دُجانةَ على رأسِه ففلَقه ، وذلك بعُقْرِ دارِه فى الحَديقةِ التى يُقالُ لها : حَديقةُ الموتِ . وقد وقَف عليه خالدُ بنُ الوليدِ وهو طَريحٌ ، أَراه إياه مِن بينِ القَتْلَى مُجَّاعةُ بنُ مُرارةَ . ويقالُ : كان أُصَيْفرَ أُخَيْنِسَ[2] . وقيل : كان ضَخْمًا أسْمَرَ اللونِ كأنه جَمَلٌ أوْرَقُ . ويقالُ : إنه مات وعمْرُه مائةٌ وأربعون سنةً . فاللَّهُ أعْلَمُ .

وقد قُتِل قبلَه وَزِيراه ومُسْتَشاراه ، لعَنهما اللَّهُ ، وهما مُحَكِّمُ بنُ الطُّفَيْلِ الذى يقالُ له : مُحَكِّمُ اليَمامةِ . قتَله عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ ، رَماه بسهمٍ وهو يَخْطُبُ قومَه يَأْمُرُهم بمَصالحِ حربِهم فقتَله ، والآخرُ نَهَارُ بنُ عُنْفُوَةَ الذى يقالُ له : الرَّجَّالُ ابنُ عُنْفُوَةَ . وكان ممَّن أسْلَم ، ثم ارْتَدَّ وصدَّق مُسَيْلِمةَ ، لعَنهما اللَّهُ ، [3]وشهِد له أنه سمِع النبىَّ ﷺ يَذْكُرُ له أنه قد أُشْرِك فى الأمرِ معه ، وقد كذَب الرجَّالُ ، لعَنه اللَّهُ[3] ، فى هذه الشَّهادةِ ، وقد رزَق اللَّهُ زيدَ بنَ الخطابِ قتْلَه قبلَ أن يُقْتَلَ زيدٌ ، رضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) فى الأصل : « رأيت » . وتقدم تخريجه فى ٧/٢٥٣ .

(٢) الخنس بالتحريك : انقباض قصبة الأنف ، وعِرَضُ الأرنبة ، والرجل أخنس . النهاية ٢/ ٨٤.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

ومما يَدُلُّ على كَذِبِ الرَّجَّالِ فى هذه الشَّهادةِ الضَّرورةُ فى دينِ الإسلامِ، وما رَواه البُخارىُّ[1] وغيرُه أن مُسَيْلِمةَ، لعَنه اللَّهُ، كتَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ: بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيـــمِ، مِن مُسَيْلِمةَ رسولِ اللَّهِ إلى محمدٍ رسولِ اللَّهِ، سَلامٌ عليك، أما بعدُ فإنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمْرِ معك، فلك المَدَرُ ولىَ الوَبَرُ. ويُرْوَى: فلكم نصفُ الأرضِ ولنا نِصْفُها، ولكنَّ قُرَيْشًا قومٌ يَعْتَدون. فكتَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ، سَلَامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى، أما بعدُ، فإن الأرضَ للَّهِ يُورِثُها مَن يَشاءُ مِن عبادِه، والعاقبةُ للمُتَّقِين».

وقد قدَّمْنا ما كان يَتَعاطاه مُسَيْلِمةُ ويَتعاناه، لعَنه اللَّهُ، مِن الكلامِ الذى هو أسْخَفُ مِن الهَذَيانِ، مما كان يَزْعُمُ أنه وَحْىٌ مِن الرحمنِ، تَعالَى اللَّهُ عما يقولُه وأمْثالُه عُلُوًّا كَبيرًا.

ولمّا مات رسولُ اللَّهِ ﷺ زعَم أنه قد اسْتَقَلَّ بالأمْرِ مِن بعدِه، واسْتَخَفَّ قومَه فأطاعوه، وكان يقولُ:

خُذِى الدُّفَّ يا هذِهِ والْعَبى ... وبُثِّى مَحاسنَ هذا النبِى
تولَّى نبىٌّ[2] بنى هاشمٍ ... وقام نبىٌّ بنى[2] يَعْرُبِ

فلم يُمْهِلْه اللَّهُ بعدَ وفاةِ[3] رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا قليلًا حتى سلَّط اللَّهُ عليه سَيْفًا مِن سُيوفِه، وحَتْفًا مِن حُتوفِه، فبَعَج بطنَه، وفَلَق رأسَه وعجَّل اللَّهُ بِرُوحِه إلى النارِ، فبئس القَرارُ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ

---

(١) لم يرو البخارى هذا الكتاب. وتقدم تخريجه فى ٧/ ٢٥٩، حاشية (٥).
(٢) فى الأصل: «من».
(٣) زيادة من: م، ص.

أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣] . فمُسَيْلِمةُ والأسْودُ وأمْثالُهما ، لعَنهم اللَّهُ ، أحَقُّ الناسِ دُخولًا فى هذه الآيةِ الكريمةِ ، وأوْلاهم بهذه العقوبةِ العظيمةِ .

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

[٥/٦٨و] سنةُ ثِنْتَىْ عشْرةَ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ وجيوشُ الصِّدِّيقِ وأمراؤُه الذين بعَثهم لقِتالِ أهلِ الرِّدَّةِ جَوَّالون فى البلادِ يمينًا وشِمالًا ؛ لتمهيدِ قَواعدِ الإسْلامِ وقِتالِ الطُّغاةِ مِن الأنامِ ، حتى رُدَّ شاردُ الدِّينِ بعدَ ذَهابِه ، ورجَع الحقُّ إلى نِصابِه ، وتمَهَّدَت جزيرةُ العربِ ، وصار البَعيدُ الأقْصَى كالقريبِ الأدْنَى[(١)] .

وقد قال جماعةٌ مِن عُلماءِ السِّيَرِ والتَّواريخِ[(٢)] : إن وَقْعةَ اليَمامةِ كانت فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ . وقيل : إنها كانت فى أواخرِ السنةِ التى قبلَها . والجمعُ بينَ القولَين أن ابْتداءَها كان فى السنةِ الماضيةِ ، وانتهاءَها وقَع فى هذه السنةِ الآتيةِ ، [(٣)] فعلى قولِ الأوَّلين يَنْبَغِى أن تُنْقَلَ تراجمُ مَن ذكَرْنا أنه قُتِل فى اليمامةِ إلى هذه السنةِ ، وعلى القولِ الآخرِ[(٣)] ينْبَغى أن يُذْكَروا فى السنةِ الماضيةِ كما ذكَرْناه ؛ لاحتمالِ أنهم قُتِلوا فى الماضيةِ ، ومُبادرةً إلى استِيفاءِ تَراجِمِهم قبلَ أن يُذْكَروا مع مَن قُتِل بالشامِ والعراقِ فى هذه السنةِ ، على ما سنَذْكُرُ إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) بعده فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « الأقرب » .

(٢) جاءت وقعة اليمامة فى حوادث السنة الحادية عشرة ، فى كل من تاريخ الطبرى ٣/ ٣١٣، وتاريخ خليفة ١/ ٨٦، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٦٠، ٣٧٢، والمنتظم ٤/ ٨٣. وفى حوادث السنة الثانية عشرة فى تاريخ الإسلام، جزء الخلفاء الراشدين ص ٥٣.

(٣ - ٣) فى الأصل : « فعلى قول الأوليين » ، وفى م : « وعلى هذا القول » ، وفى ص : « وعلى القول » .

وقد قيل[1] : إن وَقْعةَ جُواثَى وعُمانَ ومَهْرةَ ، وما كان مِن الوَقائعِ التى أشَرْنا إليها إنما كانت فى سنةِ ثِنْتَىْ عشْرةَ .

وفيها كان قَتْلُ المُلوكِ الأربعةِ ؛ [2]جَمْدٌ ، ومِخْوَسٌ[2] ، وأبْضَعَةُ ، ومِشْرَحٌ ، وأخْتُهم العَمَرَّدَةُ ، الذين ورَد الحديثُ فى « مسندِ أحمدَ »[3] بلَعْنِهم . وكان الذى قتَلهم زيادُ بنُ لَبيدٍ الأنصاريُّ .

بعثُ خالدِ بنِ الوليدِ إلى العراقِ

لمّا فرَغ خالدُ بنُ الوَليدِ مِن اليَمامةِ ، بعَث إليه الصِّدِّيقُ أن يَسيرَ إلى العراقِ ، وأن يَبْدَأَ بفَرْجِ الهندِ ، وهى الأُبُلَّةُ[4] ، ويأتى العراقَ مِن أعاليها ، وأن يَتَأَلَّفَ الناسَ ويَدْعُوَهم إلى اللَّهِ ، عز وجل ، فإن أجابوا وإلا أخَذ منهم الجِزْيَةَ ، فإن امْتَنعوا مِن ذلك كلِّه قاتَلهم فى اللَّهِ ، وأمَره أن لا يُكْرِهَ أحدًا على المَسيرِ معه ، ولا يَسْتعينَ بمَن ارْتَدَّ عن الإسلامِ ، وإن كان قد عاد إليه ، وأمَره أن يَسْتَصْحِبَ كلَّ امْرِئٍ مَرَّ به مِن المسلمين ، وشرَع أبو بكرٍ فى تَجْهيزِ السَّرايا والبُعوثِ والجُيوشِ إمْدادًا لخالدٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال الواقدىُّ[5] : اخْتُلِف فى خالدٍ ، فقائلٌ يقولُ : مضَى مِن وجهِه ذلك مِن

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣١٣، حوادث السنة الحادية عشرة .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حمد ومجوس » ، وفى م ، ص : « حمد ومحرس » . وانظر ما تقدم فى ٧/ ٣٦٧.

(٣) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٦٧.

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة وهى أقدم من مدينة البصرة . معجم البلدان ١/ ٩٧.

(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٤٣.

اليَمامةِ إلى العِراقِ . وقائلٌ يقولُ : رجَع مِن اليَمامةِ إلى المدينةِ ، ثم سار إلى العراقِ مِن المدينةِ ، فمَرَّ على طريقِ الكوفةِ حتى انْتَهَى إلى الحيرةِ . قلتُ : والمَشْهورُ الأولُ .

وقد ذكَر المَدائنيُّ بإسنادِه[1] أن خالدًا توَجَّه إلى العراقِ فى المُحَرَّمِ سنةَ اثْنَتَيْ عشْرةَ ، فجعَل طريقَه البَصْرةَ وفيها قُطْبةُ بنُ قَتادةَ ، وعلى الكوفةِ المُثَنَّى بنُ حارثةَ[2] الشَّيْبانيُّ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ عن صالحِ بنِ كَيْسانَ[3] : إن أبا بكرٍ كتَب إلى خالدٍ أن يَسيرَ إلى العِراقِ ، فمضَى خالدٌ يُريدُ العِراقَ حتى نزَل بقُرَيَّاتٍ مِن السَّوادِ[4] يقالُ لها : بانِقْيَا ، وبارُوسْمَا[5] ، [6] وأُلَّيْسٌ [6] [7] وصاحبُها جابانُ [7] ، فصالَحه أهلُها .

قلتُ : وقد قتَل منهم المسلمون قبلَ الصُّلْحِ خَلْقًا كثيرًا ، وكان الصُّلْحُ على ألفِ[8] دِرْهمٍ ، وقيل : دينارٍ . فى رجبٍ ، وكان الذى صالَحه [٥/٦٨ظ] بُصْبُهْرَى ابنُ صَلُوبَا ، [9] ويقالُ : صَلُوبَا بنُ بُصْبُهْرَى [9] . فقبِل منهم خالدٌ ، وكتَب

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٤٣، من طريق على بن محمد المدائنى ، بإسناده المتقدم فى ٣/ ٢٤٠ من تاريخ الطبرى .

(٢) فى الأصل : « خارجة » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٤٣، بإسناده عن صالح بن كيسان .

(٤) السواد : رستاق العراق وضياعها ، سُمِّى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار ؛ لأنه حين تاخم جزيرة العرب التى لا زرع فيها ولا شجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سوادًا . انظر معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

(٥) فى الأصل ، ١٥١: « بارسوما » ، وفى ص : « بارشوما » . وانظر معجم البلدان ١/ ٤٦٥.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل . وجابان صاحب أليس ، وليس صاحب القريات جميعًا .

(٨) بعده فى الأصل : « ألف » .

(٩ - ٩) فى الأصل : « وصاحبها حافان وملوك الأعاجم فهزمه خالد وقتل أصحابه ثم طلبوا الصلح » .

لهم كتابًا ، ثم أقْبَل حتى نزَل الحيرةَ ، فخرَج إليه أشْرافُها مع قَبِيصةَ بنِ إياسِ بنِ حَيَّةَ الطَّائيِّ ، وكان أمَّره عليها كِسْرى بعدَ النُّعمانِ بنِ المنذِرِ ، فقال لهم خالدٌ : أدْعُوكم إلى اللَّهِ وإلى الإسلامِ ، فإن أجَبْتُم إليه فأنتم مِن المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبَيْتُم فالجزيةُ ، (١فإن أبَيْتُم الجزيةَ١) فقد أتَيْتُكم بأقوامٍ هم أحْرصُ على الموتِ منكم على الحياةِ ؛ جاهَدْناكم حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بيننا وبينَكم . فقال له قَبيصةُ : ما لنا بحربِك مِن حاجةٍ ، بل نُقيمُ على دينِنا ونُعْطِيكم الجزيةَ . (٢فقال لهم خالدٌ : تبًّا لكم ! إن الكفرَ فَلاةٌ مُضِلَّةٌ ، فأحْمَقُ العربِ مَن سلَكها٢) ، فلَقِيَه منهم(٣) رجلان ؛ أحدُهما عربيٌّ والآخرُ أعْجَميٌّ ، فترَكه واسْتَدَلَّ بالعَجَميِّ . ثم صالَحهم على تسعين ألفًا . (٤وفى روايةٍ : مائتَىْ ألفِ دِرْهمٍ٤) . فكانت أولَ جِزْيةٍ أُخِذَت مِن العراقِ وحُمِلَت إلى المدينةِ هى والقُرَيَّاتِ قبلَها التى صالَح عليها ابنُ صَلُوبَا .

قلتُ : وقد كان مع نائبِ كسرى على الحيرةِ ممن وفَد إلى خالدٍ (٥عبدُ المسيحِ بنُ عمرٍو٥) بنِ حَيَّانَ بنِ بُقَيْلةَ ، وكان مِن نَصارَى العربِ ، فقال له خالدٌ : مِن أين أثَرُك ؟ قال : مِن ظهرِ أبى . قال : ومِن أين خرَجْتَ ؟ قال : مِن بطنِ أمى . قال : وَيْحَك ! على أىِّ شىءٍ أنت ؟ قال : على الأرضِ . قال : وَيْلَك ! وفى أىِّ شىءٍ أنت ؟ قال : فى ثِيابى . قال : وَيْحَك ! تَعْقِلُ ؟! قال : نعم

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى الأصل : « فقبل منهم خالد » .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وانظر الكامل ٢/ ٣٩٢.

(٥ - ٥) فى النسخ : « عمرو بن عبد المسيح » . والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٤. وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣٤٥، والكامل ٢/ ٣٩٠.

وأُقَيِّدُ . قال : إنما أسْأَلُك . قال : وأنا أُجِيبُك . قال : أسِلْمٌ أنت أم حَرْبٌ ؟ قال : بل سِلْمٌ . قال : فما هذه الحُصونُ التى أَرَى ؟ قال : بَنَيْناها للسَّفيهِ نَحْبِسُه حتى يَجِيءَ الحَلِيمُ فيَنْهاه . ثم دَعاهم إلى الإسلامِ أو الجزيةِ أو القِتالِ ، فأجابوا إلى الجِزْيةِ بتسعين أو[1] مائتَىْ ألفٍ ، كما تقدم .

ثم بعَث خالدُ بنُ الوَليدِ كتابًا إلى أُمراءِ كِسْرَى بالمَدائنِ ومَرازِبتِه ووُزَرائِه ، كما قال هشامُ بنُ الكَلْبىِّ[2] عن أبى مِخْنَفٍ ، عن مُجالِدٍ ، عن الشعبىِّ قال : أقْرَأنى بنو بُقَيْلةَ كتابَ خالدِ بنِ الوَليدِ إلى أهْلِ المَدائنِ : مِن خالدِ بنِ الوليدِ إلى مَرازِبَةِ أهلِ فارسَ ، سَلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى ، أما بعدُ ، فالحمدُ للَّهِ الذى فضَّ خَدَمَتَكم[3] وسلَب مُلْكَكم ، ووهَّن كَيْدَكم ، وإنه مَن صلَّى صلاتَنا واسْتَقْبَل قِبْلتَنا وأكَل ذَبيحتَنا فذلك المسلمُ الذى له ما لنا وعليه ما علينا ، أما بعدُ ، فإذا جاءكم كتابى فابْعَثوا إلىَّ بالرُّهُنِ ، واعْتَقِدوا منى الذِّمَّةَ ، وإلا فوالذى لا إلهَ غيرُه لأَبْعَثَنَّ إليكم قومًا يُحِبُّون الموتَ كما تُحِبُّون أنتم الحياةَ . فلمَّا قرَءُوا الكتابَ أخَذوا يتَعَجَّبون .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[4] عن طَلْحةَ[5] الأعْلَمِ ، عن المُغيرةِ بنِ عُتَيْبةَ[6] ، وكان قاضىَ أهلِ الكوفةِ ، قال : فرَّق خالدٌ مَخْرَجَه مِن اليَمامةِ إلى العراقِ ، جُنْدَه ثلاثَ فِرَقٍ ، ولم يَحْمِلْهم على طريقٍ واحدةٍ ، فسرَّح المُثَنَّى قبلَه بيومين ودليلُه ظَفَرٌ ،

---

(١) فى الأصل ، ١٥١، ص ، وتاريخ الطبرى : « و » . والمثبت هو المناسب لما ذكره المصنف قبل .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٤٦، عن هشام بن الكلبى به .

(٣) فى الأصل ، ص : « حديثكم » ، وفى م : « خدمكم » . وفض خدمتكم : أى فرّق جَمْعَكم وكسره . النهاية ٣/ ٤٥٤.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٣٤٨ - ٣٥٠، عن سيف بن عمر به .

(٥) فى الأصل ، م : « طليحة » . وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٣٤٨، وتاريخ ابن معين ٢/ ٢٧٧، والجرح والتعديل ٤/ ٤٨٢.

(٦) فى النسخ : « عيينة » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٢٢٧.

وسرَّح عَدِيَّ بنَ حاتمٍ وعاصمَ بنَ عمرٍو ودليلاهما مالكُ بنُ عَبَّادٍ وسالمُ بنُ نصرٍ، أحدُهما قبلَ صاحبِه بيومٍ، وخرَج خالدٌ - يعنى فى آخرِهم - ودليلُه رافعٌ، فواعَدهم جميعًا الحَفِيرَ ليَجْتَمِعوا به، ويُصادِموا عدوَّهم، وكان فَرْجُ الهندِ أعْظَمَ فُروجِ فارسَ شأْنًا[1] وأشَدَّها شَوْكةً، [٥/ ٦٩و] وكان صاحبُه يُحارِبُ العربَ[2] فى البَرِّ، والهِنْدَ فى البَحْرِ، وهو هُرْمُزُ، فكتَب إليه خالدٌ، فبعَث هُرْمُزُ بكتابِ خالدٍ إلى شِيرَى بنِ كِسْرَى، وأَرْدَشِيرَ[3] بنِ شِيرَى، وجمَع هُرْمُزُ وهو نائبُ كِسْرَى، جُموعًا كثيرةً، وسار بهم إلى كاظِمَةَ، وعلى مُجَنِّبَتَيْه قُبَاذُ وأَنُوشَجانُ - وهما مِن بيتِ المِلكِ - وقد تَقَرَّن[4] الجَيْشُ فى السَّلاسلِ؛ لئلا يَفِرُّوا، وكان هُرْمُزُ هذا مِن أخْبثِ الناسِ طَوِيَّةً وأشَدِّهم كفرًا، وكان شَرِيفًا فى الفُرْسِ، وكان الرجلُ كلما ازْداد شَرَفًا زاد فى حِلْيتِه، فكانت قَلَنْسُوَةُ هُرْمُزَ بمائةِ ألفٍ، وقدِم خالدٌ بمَن معه مِن الجيشِ، وهم ثمانيةَ عشَرَ ألفًا فنزَل تُجاهَهم على غيرِ ماءٍ، فشَكى إليه أصحابُه ذلك، فقال: جالِدُوهم حتى تُجْلوهم عن الماءِ، فإن اللَّهَ جاعلُ الماءِ لِأَصْبَرِ الطائفتَيْن. فلمَّا اسْتَقَرَّ بالمسلمين المَنْزِلُ وهم رُكْبانٌ على خُيولِهم، بعَث اللَّهُ سَحابةً فأمْطَرَتْهم حتى صار لهم غُدْرانٌ مِن ماءٍ، فقَوِىَ المسلمون بذلك، وفرِحوا فرَحًا شديدًا، فلما تواجَه الصَّفان وتَقابَل[5] الفريقان،

---

(١) فى ا ١٥١: «بنيانا»، وفى م: «بأسا».

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٣) فى ا ١٥١: «أزدشير». وهو مما قيل فى اسمه، قال الحافظ فى تبصير المنتبه ١/ ١٢: أردشير - بالراء - من ملوك المجوس، وكذا رأيته بخط الذهبى، ولم أره فى الإكمال ولا فى ذيله. وكذا ذكره الزبيدى فى التاج بالراء. وانظر المشتبه ١/ ١٩، وتاج العروس (أ ر د).

(٤) بعده فى الأصل: «فتيمن المسلمون بذلك وقالوا: هذا طائر مشئوم، قيدوا نفوسهم بالحديد».

(٥) فى م، ص: «تقاتل».

ترَجَّل هُرْمُزُ ودَعا إلى البِرازِ[1] ، فتَرَجَّل خالدٌ وتقَدَّم إلى هُرْمُزَ ، فاخْتَلَفا ضَرْبتَين واحْتَضَنه خالدٌ ، وجاءت حاميةُ هُرْمُزَ ، فما شغَله عن قتلِه ، وحَمَل القَعْقاعُ بنُ عمرٍو على حاميةِ هُرْمُزَ فأناموهم[2] ، وانْهَزم أهلُ فارسَ ، وركِب المسلمون أكْتافَهم إلى الليلِ ، واسْتَحْوذ[3] خالدٌ على أَمْتِعتِهم وسلاحِهم ، فبلَغ [4]وِقْرَ ألفِ بعيرٍ[4] ، وسُمِّيَت هذه الغزوةُ ذاتَ السَّلاسلِ ؛ لكثرةِ مَن سُلْسِل[5] بها مِن فُرْسانِ فارسَ ، وأفْلَت قُبَاذُ وأَنُوشَجانُ . ولما رَجَع الطَّلَبُ نادَى مُنادِى خالدٍ بالرحيلِ ، فسار بالناسِ وتَبِعَتْه الأثْقالُ حتى نزَل بموضعِ الجِسْرِ الأعْظمِ مِن البصرةِ اليومَ ، وبعَث بالفتحِ والبِشارةِ والخُمُسِ ، مع زِرٍّ[6] بنِ كُلَيْبٍ ، إلى الصِّدِّيقِ ، وبعَث معه بفيلٍ ، فلما رآه نِسْوةُ أهلِ المدينةِ جعَلْنَ يَقُلْنَ : أمِن خَلْقِ اللَّهِ هذا أم شيءٌ مَصْنوعٌ ؟! فردَّه الصِّدِّيقُ مع زِرٍّ ، وبعَث أبو بكرٍ لمّا بلَغه الخبرُ إلى خالدٍ ، فنفَّله سَلْبَ هُرْمُزَ ، وكانت قَلَنْسُوَتُه بمائةِ ألفٍ ، وكانت مُرَصَّعةً بالجَوْهَرِ ، وبعَث خالدٌ الأمراءَ يمينًا وشِمالًا يُحاصِرون حُصونًا هنالك ، ففتَحوها عَنْوةً وصُلْحًا ، وأخَذوا منها أموالًا جَمَّةً ، ولم يَكُنْ خالدٌ يَتَعَرَّضُ للفلاحِين - مَن لم يُقاتِلْ منهم - ولا لأولادِهم ، بل للمُقاتِلةِ مِن أهلِ فارسَ .

ثم كانت وَقْعةُ المَذَارِ فى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ . ويقالُ لها : وَقْعةُ الثِّنْيِ . وهو النهرُ . قال ابنُ جَريرٍ[7] : ويومَئذٍ قال الناسُ : صَفَرُ الأصْفار ، فيه يُقْتَلُ كلُّ جَبَّار ،

---

(١) فى م ، ص : « النزال » . وهما بمعنًى .

(٢) فى الأصل : « فأبانوهم » .

(٣) بعده فى م ، ص : « المسلمون و » .

(٤ - ٤) فى تاريخ الطبرى : « وقر بعير ، ألف رطل » .

(٥) فى الأصل ، ١٥١ : « تسلسل » .

(٦) فى الأصل ، ١٥١ : « رزين » ، وفى ص : « زيد » . وانظر الإكمال ٤/ ١٨٣ .

(٧) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٥١ ، ٣٥٢ .

على مجمعِ الأنهار. وكان سببَها أن هُرْمُزَ كان قد كتَب إلى أَرْدَشِيرَ وشِيرَى بقُدومِ خالدٍ نحوَه مِن اليَمامةِ، فبعَث إليه كسرى بمَدَدٍ مع أميرٍ يقالُ له: قارنُ بنُ قريانسَ. فلم يَصِلْ إلى هُرْمُزَ حتى كان مِن أمْرِه مع خالدٍ ما تقَدَّم، وفَرَّ مَن فَرَّ مِن الفرسِ، فتلَقَّاهم قارنُ، فالْتَقُوا عليه فتَذامَروا واتَّفَقوا على العَوْدِ إلى خالدٍ، فساروا إلى مَوْضعٍ [٥/٦٩ظ] يقالُ له: المَذَارُ. وعلى مُجَنِّبَتَىْ قارنَ قُبَاذُ وأَنُوشَجانُ، فلمَّا انْتَهى الخبرُ إلى خالدٍ، قسَم ما كان معه مِن أربعةِ أخْماسِ غَنيمةِ يومِ ذاتِ السَّلاسلِ، وأرْسَل إلى الصِّدِّيقِ بخبرِه مع الوليدِ بنِ عقبةَ، وسار خالدٌ بمَن معه مِن الجُيوشِ حتى نزَل على المَذَارِ، وهو على تَعْبئتِه، فاقْتَتلوا قِتالَ حَنَقٍ وحَفِيظةٍ، وخرَج قارنُ يدْعو إلى البِرازِ، فبرَز إليه خالدٌ، وابْتَدره الشُّجْعانُ مِن الأمراءِ، فقتَل مَعْقِلُ بنُ (١الأعْشى بنِ النَّبَّاشِ١) قارنَ، وقتَل عَدِيُّ بنُ حاتمٍ قُبَاذَ، وقتَل عاصمٌ أنوشَجانَ، وفرَّتِ الفرسُ، وركِبهم المسلمون فى ظُهورِهم، فقتَلوا منهم يومَئذٍ ثلاثين ألفًا، وغَرِق كثيرٌ منهم فى الأنهارِ والمياهِ، وأقام خالدٌ بالمَذارِ، وسلَّم الأسْلابَ إلى مَن قتَل - وكان قارنُ قد انْتَهى شَرَفُه فى(٢) أبناءِ فارسَ - وجَمَع بقيَّةَ الغَنيمةِ وخَمَّسَها، وبعَث بالخُمُسِ والفتحِ والبِشارةِ إلى الصِّدِّيقِ، مع سعيدِ بنِ النعمانِ، أخى بنى عَدِيِّ بنِ كعبٍ، وأقام خالدٌ هناك حتى قسَم أربعةَ الأخْماسِ وسَبَى ذَرارِيَّ مَن حَضَره مِن المُقاتِلةِ، دونَ الفَلَّاحين؛ فإنه أقَرَّهم بالجِزْيةِ، وكان فى هذا السَّبْيِ حَبيبٌ أبو الحسنِ البَصْرِيُّ، وكان نصرانيًّا، ومافنَّةُ مولى عثمانَ، وأبو زيادٍ مولى المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ. ثم أمَّر على الجُنْدِ سعيدَ بنَ النعمانِ وعلى الجِزْيةِ سُوَيْدَ بنَ مُقَرِّنٍ، وأمَره أن يَنْزِلَ الحَفِيرَ؛ لِيَجْبِيَ إليه

(١ - ١) فى الأصل، ص: «النباش الأعشى». وانظر الإصابة ٦/٣٠٦.

(٢) فى الأصل: «إلى».

الأمْوالَ ، وأقام خالدٌ يَتَحَسَّسُ الأخْبارَ عن الأعداءِ .

ثم كان أمْرُ الوَلَجَةِ[1] فى صَفَرٍ أيضًا مِن هذه السنةِ ، فيما ذكَره ابنُ جَريرٍ[2] ، وذلك لأنه لمّا انْتَهَى الخبرُ بما كان بالمَذارِ مِن قَتْلِ قارنَ وأصحابِه ، إلى أَرْدَشِيرَ ، وهو مِلِكُ الفرسِ يومَئذٍ ، بعَث أميرًا شُجاعًا يقالُ له : الأَنْدَرْ زَغَرُ[3] . [4]وكان مِن أبناءِ السَّوَادِ ، وُلِد بالمَدائنِ ونشَأ بها[4] ، وأمَدَّه بجيشٍ آخرَ مع أميرٍ يقالُ له : بَهْمَنُ جاذَوَيْهِ . فساروا حتى بلَغوا مكانًا يقالُ له : الوَلَجَةُ . فسمِع بهم خالدٌ فسار بمَن معه مِن الجنودِ ، ووصَّى مَن اسْتَخْلَفه هنالك بالحَذَرِ وقلةِ الغَفْلةِ ، فنازَل أَنْدَرْزَغَرَ[5] ومَن تأَشَّب[6] معه ، واجْتَمع عندَه بالوَلَجَةِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا هو أشَدُّ مما قبلَه ، حتى ظَنَّ الفَريقانِ أن الصبرَ قد فرَغ ، واسْتَبْطأ كَمينَه ؛ الذين كان قد أرْصَدهم وراءَه فى مَوْضِعَيْن ، فما كان إلا يسيرٌ حتى خرَج الكَمينان مِن هـٰهنا وهـٰهنا ، ففرَّت صفوفُ الأعاجمِ ، فأخَذهم خالدٌ مِن أمامِهم ، والكَمينانِ مِن ورائِهم ، فلم يَعْرِفْ رجلٌ منهم مَقْتَلَ صاحبِه ، وهرَب الأَنْدَرْزَغَرُ مِن الوَقْعةِ فمات عَطَشًا[7] ، وقام خالدٌ فى الناسِ خَطيبًا فرغَّبَهم فى بلادِ الأعاجمِ ، وزهَّدهم فى بلادِ العربِ ، وقال : ألا تَرَوْن ما هـٰهنا مِن الأَطْعِماتِ ؟ وباللَّهِ لو لم يَلْزَمْنا[8] الجهادُ فى سبيلِ

---

(١) فى الأصل : « الوليجة » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٩٣٩.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٥٣، ٣٥٤.

(٣) فى الأصل : « الأندرز عن » ، وفى ١٥١ : « الأندررعز » .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « وكان فارسيا من مولدى السواد وتنائهم ، ولم يكن ممن ولد فى المدائن ولا نشأ بها » .

(٥) فى الأصل : « أندرزعز » ، وفى ١٥١ : « أندررعر » . وما فى الأصل موافق لما فى الكامل ٢/ ٣٨٧.

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « ناشب » . وكلاهما يعنى : تدانَوْا وتضامُّوا . انظر النهاية ١/ ٥٠.

(٧) بعده فى الأصل : « وقتل منهم سبعون ألفًا » .

(٨) فى الأصل ، ١٥١، ص : « يكن بنا » .

اللَّهِ والدعاءُ إلى الإسلامِ ، ولم يكنْ إلا[1] المعاشُ ، لكان الرأىُ أن نُقاتِلَ على هذا الرِّيفِ حتى نكونَ أوْلَى به ، ونُوَلِّىَ الجُوعَ والإقْلالَ مَن توَلَّاه ممَّنْ اثَّاقَل عما أنتم عليه . ثم خمَّس الغَنيمةَ ، [٥/ ٧٠و] وقسَم أربعةَ أخْماسِها بينَ الغانِمين ، وبعَث الخُمُسَ إلى الصِّدِّيقِ ، وأسَر مَن أسَر مِن ذَرارِىِّ المُقاتِلةِ ، وأقَرَّ الفَلَّاحين بالجِزْيةِ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[2] عن عمرٍو ، عن الشعبىِّ قال : بارَز خالدٌ يومَ الوَلَجَةِ رجلًا مِن الأعاجمِ [3]يَعْدِلُ بألفِ[3] رجلٍ ، فقتَله ، ثم اتَّكأ عليه وأُتِىَ بغَدائِه فأكَله وهو مُتَّكِئٌ عليه . يَعْنى بينَ الصَّفَّين .

ثم كانت وَقْعةُ أُلَّيْسٍ فى صَفَرٍ أيضًا[4] ، وذلك أن خالدًا كان قد قتَل يومَ الوَلَجَةِ طائفةً مِن بكرِ بنِ وائلٍ ، مِن نَصارَى العربِ ممَّن كان مع الفرسِ ، فاجْتَمع عَشائرُهم ، وأشَدُّهم حَنَقًا عبدُ الأسودِ العِجْلىُّ ، وكان قد قُتِل له ابنٌ بالأمسِ ، فكاتَبوا الأعاجمَ فأرْسَل إليهم أَرْدَشِيرُ جَيْشًا مددًا[5] ، فاجْتَمعوا بمكانٍ يقالُ له : أُلَّيْسٌ . فبينما هم قد نصَبوا لهم سِماطًا [6]فيه طعامٌ يُرِيدون أكْلَه[6] ، إذ غافَلهم[7] خالدٌ بجيشِه ، فلما رَأَوْه أشار مَن أشار منهم بأكلِ الطعامِ وعدمِ الاعْتناءِ بخالدٍ ، وقال أميرُ كِسْرَى ، [8]واسمُه جابانُ[8] : بل نَنْهَضُ إليه . فلم يَسْمَعوا منه . فلمَّا نزَل خالدٌ تقَدَّم بينَ يَدَىْ جيشِه ونادَى بأعْلَى صوتِه لشُجْعانِ مَن هنالك مِن

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٥٤، من طريق سيف بن عمر به .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ١٥١، ص : « بعد مبارزة ألف » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٣/٣٥٥ - ٣٥٧.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى الأصل ، ١٥١، ص : « غالقهم » .

(٨ - ٨) زيادة من الأصل .

الأعرابِ : أين فلانٌ ، أين فلانٌ ؟ فكلُّهم نكَلوا[1] عنه إلا رجلًا يقالُ له : مالكُ بنُ قيسٍ ، مِن بنى جِذْرةَ[2] ، فإنه برَز إليه ، فقال له خالدٌ : يا بنَ الخَبيثةِ ، ما جرَّأك علىَّ مِن بينِهم وليس فيك وَفاءٌ ؟! فضرَبه فقتَله . ونفَرَت الأعاجمُ عن الطعامِ ، [3]وقاموا إلى السلاحِ[3] ، فاقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا جدًّا ، والمشركون يَرْقُبون قُدومَ بَهْمَنَ مَدَدًا مِن جهةِ المِلكِ إليهم ، فهم فى قوةٍ وشدةٍ وكَلَبٍ[4] فى القِتالِ ، وصبَر المسلمون صَبْرًا بَليغًا ، وقال خالدٌ : اللهم لك علىَّ إن منَحْتَنا أكْتافَهم أن لا أسْتَبْقِىَ منهم أحدًا أَقْدِرُ عليه حتى أُجْرِىَ نَهرَهم بدمائِهم . ثم إن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، منَح المسلمين أكْتافَهم ، فنادَى مُنادى خالدٍ : الأسْرَ ، الأسْرَ ، لا تَقْتُلوا إلا مَن امْتَنع مِن الأسْرِ . فأقْبَلَت الخُيولُ بهم أفْواجًا يُساقُون سَوْقًا ، وقد وكَّل بهم رجالًا يَضْرِبون أعْناقَهم فى النهرِ ، ففعَل ذلك بهم خالدٌ[5] يومًا وليلةً ، ويَطْلُبُهم فى الغدِ ومِن بعدِ الغدِ ، وكلما حضَر منهم أحدٌ ضُرِبت عنقُه فى النهرِ ، وقد صرَف ماءَ النهرِ إلى موضعٍ آخرَ ، فقال له بعضُ الأمراءِ : إن النهرَ لا يَجْرى بدمائِهم حتى تُرْسِلَ الماءَ على الدمِ فيَجْرىَ معه ، فتُبِرَّ يَمِينَك . فأرْسَله فسال النهرُ دمًا عَبيطًا ، فلذلك سُمِّىَ نهرَ الدمِ ، إلى اليومِ ، فدارت الطَّواحِينُ بذلك الماءِ المُخْتَلِطِ بالدمِ العَبيطِ ما كفَى العَسْكَرَ بكمالِه ثلاثةَ أيامٍ ، وبلَغ عددُ القَتْلَى سبعين ألفًا[6] ، ولمَّا هزَم خالدٌ الجيشَ ورجَع مَن رجَع مِن الناسِ ، عدَل خالدٌ إلى الطعامِ الذى كانوا

---

(١) فى م : « تلكأوا » .

(٢) فى الأصل : « حذرة » ، وفى ا ١٥١ ، ص : « خدرة » . وانظر الأنساب ٢/ ٣٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) الكَلَب : الشدة . القاموس المحيط (ك ل ب) .

(٥) زيادة من ا ١٥١.

(٦) بعده فى الأصل : « وقيل مائة وخمسين ألفا » .

قد وضَعوه ليأْكُلوه ، فقال للمسلمين : هذا نَفَلٌ فانْزِلوا فكُلوا . فنزَل الناسُ فأكَلوا عِشاءً . وقد جعَل الأعاجمُ على طعامِهم جَرْدَقًا[1] كثيرًا ، فجعَل مَن يَراه مِن أهلِ الباديةِ مِن الأعْرابِ يقولون : ما هذه الرُّقَعُ ؟ يَحْسَبونها ثيابًا . فيقولُ لهم مَن يَعْرِفُ ذلك مِن أهلِ الأرْيافِ والمُدُنِ : أما سمِعْتُم برَقيقِ العَيْشِ ؟ قالوا : بلى . قالوا : فهذا رَقيقُ العَيْشِ . فسَمَّوه يومَئذٍ رُقاقًا ، وإنما كانت [٥/ ٧٠ظ] العربُ تُسَمِّيه القرنَ[2] .

وقد قال سيفُ بنُ عمرَ[3] عن عمرِو بنِ محمدٍ ، عن الشعبيِّ ، عمَّن حدَّث عن خالدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نفَّل الناسَ يومَ خيبرَ الخبزَ والطَّبِيخَ[4] والشِّواءَ وما أكَلوا غيرَ ذلك ، غيرَ مُتأَثِّليه[5] .

وكان كلُّ مَن قُتِل بهذه الوقعةِ يومَ أُلَّيْسٍ مِن بلدةٍ يقالُ لها : أَمْغِيشَيَا[6] . فعدَل إليها خالدٌ وأمَر بخَرابِها ، واسْتَوْلى على ما بها ، فوجَدوا فيها مَغْنمًا عظيمًا ، فقسَم بينَ الغانِمين فأصاب الفارسُ بعدَ النَّفْلِ ألفًا وخمسَمائةٍ ، غيرَ ما تَهَيَّأ له مما قبلَه . وبعَث خالدٌ إلى الصِّدِّيقِ بالبِشارةِ والفتحِ والخُمُسِ مِن الأَمْوالِ والسَّبْيِ مع رجلٍ يقالُ له : جَنْدَلٌ . مِن بنى عِجْلٍ ، وكان دليلًا صارمًا ، فلما بلَّغ الصِّدِّيقَ الرِّسالةَ ، وأدَّى الأمانةَ ، أثْنَى عليه وأجازه جاريةً مِن السَّبْيِ ، وقال

---

(١) فى ا ١٥١: « جرذقا » ، وفى م : « مرققا » . والجردق : الرغيف ، وقال الأزهرى : الجردق والجرذق : معرَّبتان ، لا أصول لهما فى كلام العرب . انظر تاج العروس (جردق) .

(٢) فى م ، ص : « العود » ، وفى تاريخ الطبرى : « القرى » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٥٧، من طريق سيف بن عمر به .

(٤) فى م : « البطيخ » .

(٥) متأثليه : تأثل المالَ : جمَعَه وادخره . انظر النهاية ١/ ٢٣، والوسيط (أ ث ل) .

(٦) فى ص : « أمعيشا » . وأمغيشيا : موضع بالعراق . انظر معجم البلدان ١/ ٣٦٣.

الصِّدِّيقُ : يا مَعْشرَ قريشٍ ، إن أسَدَكم قد عَدا على الأسَدِ ، [1] فغلَبه على خَراذيلِه [1] ، عجَزَت النساءُ أن تَلِدْنَ مثلَ خالدِ بنِ الوليدِ [2] . ثم جرَت أمورٌ طَويلةٌ لخالدٍ فى أماكنَ متعددةٍ يُمَلُّ سَماعُها ، وهو مع ذلك لا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ ولا يَهِنُ ولا يَحْزَنُ ، بل كلُّ ما له فى قوةٍ وصَرامةٍ وشدةٍ وشَهامةٍ ، ومثلُ هذا إنما خلَقه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، عِزًّا للإسلامِ وأهلِه ، وذُلًّا للكفرِ وشَتاتِ شَمْلِه .

فصلٌ

ثم سار خالدٌ فنزَل الخَوَرْنَقَ [3] والسَّدِيرَ [4] والنَّجَفَ ، وبَثَّ سراياه هـٰهنا وهـٰهنا ، يُحاصِرون الحصونَ مِن الحيرةِ ، ويَسْتَنْزِلُونَ [5] أهلَها قَسْرًا وقَهْرًا ، وصُلْحًا ويُسْرًا ، وكان فى جملةِ مَن نزَل بالصُّلْحِ قومٌ مِن نَصارَى العربِ ، فيهم ابنُ بُقَيْلةَ المتقدِّمُ ذِكْرُه ، وكتَب لأهلِ الحيرةِ كتابَ أمانٍ ، فكان الذى راوضَهُ [6] عليه [7] عمرُو بنُ عبدِ المسيحِ بنِ بُقَيْلةَ ، ووجَد خالدٌ معه كِيسًا ، فقال : ما فى هذا ؟ - وفتَحه خالدٌ فوجَد فيه شيئًا - فقال ابنُ بُقَيْلةَ : هو سَمُّ ساعةٍ . فقال : ولِمَ اسْتَصْحَبْتَه معك ؟ فقال : حتى إذا رأيْتُ مَكْروهًا فى قومى أكَلْتُه ، فالموتُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١٥١ ، ص . وخراذيله : جمع خرذولة ، وهى قطعة اللحم . وهى بالدال أيضا . انظر الوسيط (خردل) .

(٢) بعده فى الأصل : « وقد صدق الصديق رضى اللَّه عنه » .

(٣) فى ص : « الخوريق » . والخورنق : قصر النعمان بظهر الحيرة . معجم ما استعجم ٢/ ٥١٥.

(٤) السدير : هو نهر ، ويقال : قصر بالحيرة . وانظر معجم البلدان ٣/٥٩ - ٦١.

(٥) فى الأصل ، ١٥١ : « يسترقون » .

(٦) فى م : « راوده » .

(٧) سقط من: ١٥١.

أحَبُّ إليَّ مِن ذلك . فأخَذه خالدٌ فى يدِه وقال : إنه لن تموتَ نفسٌ حتى تأتىَ على أجلِها . ثم قال : بسمِ اللَّهِ خيرِ الأسْماءِ ، ربِّ الأرضِ والسماءِ ، الذى ليس يَضُرُّ مع اسمِه داءٌ ، الرحمنِ الرحيمِ . قال : وأهْوَى إليه الأمراءُ ؛ ليَمْنَعوه منه فبادَرَهم فابْتَلَعه ، فلمَّا رأَى ذلك ابنُ بُقَيْلةَ قال : واللَّهِ يا معشَرَ العربِ لَتَمْلِكُنَّ ما أرَدْتُم مادام منكم أحدٌ . ثم الْتَفَت إلى أهلِ الحيرةِ ، فقال : لم أرَ كاليومِ أوْضَحَ إقْبالًا مِن هذا . ثم دَعاهم وسأَلوا خالدًا الصُّلحَ ، فصالَحهم ، وكتَب لهم كتابًا بالصُّلْحِ ، وأخَذ منهم أربعَمائةِ ألفِ دِرْهمٍ عاجلةً ، ولم يَكُنْ صالَحهم حتى سَلَّموا كَرامةَ بنتَ عبدِ المسيحِ إلى رجلٍ مِن الصحابةِ يقالُ له : شُوَيْلٌ[1] . وذلك أنه لمَّا ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ قُصورَ الحيرةِ كأنَّ شُرَفَها أنيابُ الكلابِ ، فقال له : يا رسولَ اللَّهِ ، هَبْ لى ابنةَ بُقَيْلةَ . فقال : « هى لك » . فلما فُتِحَت ادَّعاها شُوَيْلٌ[1] ، وشهِد له اثنان مِن الصَّحابةِ ، فامْتَنَعوا مِن تَسْليمِها إليه وقالوا : ما تُريدُ إلى امرأةٍ ابنةِ ثمانين سنةً ؟ فقالت لقومِها : ادْفَعونى إليه فإنى سأَفْتَدى منه ، وإنه قد رآنى وأنا شابَّةٌ . فسُلِّمَتْ إليه فلما خَلَا بها قالت : ما تُريدُ إلى امرأةٍ ابنةِ ثمانين سنةً ؟ وأنا أفْتَدِى [٥/ ٧١و] منك فاحْكُمْ بما أرَدْتَ . فقال : واللَّهِ لا أفْدِيك[2] بأقلَّ مِن عشْرِ مائةٍ . فاسْتَكْثَرَتْها خَديعةً منها ، ثم أتَتْ قومَها فأحْضَروا له ألفَ درهمٍ ، ولامَه الناسُ وقالوا : لو طلَبْتَ أكثرَ مِن مائةِ ألفٍ لَدَفَعوها إليك . فقال : وهل عددٌ أكثرُ مِن عشْرِ مائةٍ ؟ وذهَب إلى خالدٍ وقال : إنما أرَدْتُ أكثرَ العددِ . فقال خالدٌ : أرَدْتَ أمْرًا وأراد اللَّهُ غيرَه ، وإنا نَحْكُمُ بظاهرِ قولِك ، ونيَّتُك عندَ اللَّهِ ، كاذبًا

---

(١) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « شريك » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى والكامل .
(٢) فى ١٥١ : « أفتدى منك » .

كنتَ أم صادِقًا[1] .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[2] عن عمرِو بنِ محمدٍ ، عن الشعبيِّ : لما افْتَتَح خالدٌ الحيرةَ صلَّى ثمانيَ رَكَعاتٍ بتَسْليمةٍ واحدةٍ . وقد قال [3]القَعْقاعُ بنُ عمرٍو[3] فى هذه الأيامِ ومَن قُتِل مِن المسلمين بها وأيامِ الرِّدَّةِ[4] :

سقَى اللَّهُ قَتْلَى بالفُراتِ[5] مُقِيمةً ... وأخْرَى بأثْباجِ النِّجافِ الكَوانِفِ
ونحن وطِئْنا بالكَواظمِ هُرْمُزًا ... وبالثِّنْيِ قَرْنَىْ قارنٍ بالجَوارفِ
ويومَ أحَطْنا بالقصورِ تَتابَعَتْ ... على الحيرةِ الرَّوْحاءُ إحْدى المَصارفِ
حطَطْناهُم مِنها[6] وقد كاد عرشُهم ... يَميلُ بهم فِعْلَ الجَبانِ المُخالِفِ
[7]رَمَيْنا عليهم بالقَبولِ وقد رَأَوْا ... غَبُوقَ المَنايا حولَ تلكَ المحارِفِ[7]
صَبِيحةَ قالوا نحْن قَومٌ تَنَزَّلوا ... إلى الرِّيفِ مِن أرضِ العُرَيْبِ المَقانِفِ

وقد قدِم جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ على خالدِ بنِ الوليدِ وهو بالحيرةِ بعدَ الوَقَعاتِ المتعدِّدةِ ، والغَنائمِ المُتَقَدِّمِ ذكرُها ، ولم يَحْضُرْ شيئًا منها ؛ وذلك لأنه كان قد بعَثه الصِّدِّيقُ مع خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ إلى الشَّامِ ، فاسْتَأْذَنَ خالدَ بنَ سعيدٍ فى الرجوعِ إلى الصِّدِّيقِ ؛ ليَجْمَعَ له قومَه مِن بَجِيلةَ فيكونوا معه ، فلما قدِم

---

(١) ذكر القصة بنحوها ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٣/٣٦٠ - ٣٦٦، وابن الأثير فى الكامل ٢/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٦٦، من طريق سيف به .

(٣ - ٣) فى النسخ : «عمرو بن القعقاع» . وهو خطأ واضح . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الإصابة ٥/ ٤٥٠.

(٤) ذكرها الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٦٥. وانظر البيتين الأوَّلَين فى معجم البلدان ١/ ٩٣٧.

(٥) فى الأصل ، ١٥١، ص : «بالعراق» .

(٦) فى الأصل ، ص : «فيها» .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

على الصِّدِّيقِ فسأَله ذلك ، غضِب الصِّدِّيقُ وقال : أَتَيْتَنى لتَشْغَلَنى عما هو أَرْضَى للَّهِ مِن الذى تَدْعونى إليه . ثم سيَّره الصِّدِّيقُ إلى خالدِ بنِ الوليدِ بالعراقِ[1] .

قال سيفٌ بأسانيدِه[2] : ثم جاء [3]ابنُ صَلُوبَا[3] فصالَح خالدًا على بانِقْيَا وبارُوسْما[4] وما حولَ ذلك على عشْرةِ آلافِ دينارٍ ، وجاءه دَهاقِينُ تلك البلادِ فصالَحوه على بُلْدانِهم وأهاليهم ، كما صالَح أهلُ الحيرةِ على الحيرةِ ، واتَّفق فى تلك الأيامِ - التى كان خالدٌ[5] قد تَمَكَّنَ بأطْرافِ العراقِ ، واسْتَحْوذ على الحيرةِ وتلك البُلْدانِ وأوْقَع بأهلِ أُلَّيْسٍ والثِّنْيِ وما بعدَها بفارسَ ومَن تأَشَّب معهم ، ما أوْقَع مِن القَتْلِ الفَظيعِ فى فُرْسانِهم - أن عَدَتْ فارسُ على مِلِكِهم الأكبرِ أرْدَشيرَ وابنِه شِيرَى[6] ، فقتَلوهما وقَتَلوا كلَّ مَن يَنْتَسبُ إليهما ، وبقِيَتِ الفرسُ حائرِين لِمَن يُوَلُّونه أمْرَهم ؟ واخْتَلفوا فيما بينَهم ، غيرَ أنَّهم قد جَهَّزوا جُيوشًا تكونُ حائلةً بينَ خالدٍ وبينَ المَدائنِ التى فيها إيوانُ كِسْرَى وسَريرُ مَمْلَكَتِه ، فحينَئذٍ كتَب خالدٌ إلى مَن هنالك مِن المَرازِبَةِ والأُمراءِ والوُزَراءِ[5] والدَّوْلَةِ ، يدْعُوهم إلى اللَّهِ وإلى الدخولِ فى دينِ الإسلامِ ؛ ليَثْبُتَ مُلْكُهم عليهم ، وإلا فلْيَدْفَعوا الجِزْيَةَ ، وإلا فلْيَعْلَموا ولْيَسْتَعِدُّوا [٥/ ٧١ظ] لقُدومِه عليهم بقومٍ يُحِبُّون الموتَ كما يُحِبُّون هم الحياةَ ، فجعَلوا يَعْجَبون مِن جُرْأةِ خالدٍ وشَجاعتِه ، ويَسْخَرون مِن ذلك لحَماقتِهم

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٦٥، بنحوه .

(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٦٧، ٣٦٨.

(٣ - ٣) فى تاريخ الطبرى : « صلوبا » .

(٤) فى الأصل ، ١٥١، ص : « برسوما » ، وفى م ، وتاريخ الطبرى : « بسما » . وانظر ما سبق فى صفحة ٥١٢.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى الأصل ، ص : « سيرين » ، وفى م : « شيرين » .

ورُعونتِهم فى أنفسِهم ، وقد أقام خالدٌ هنالك بعدَ صُلْحِ الحيرةِ سنةً يَتَرَدَّدُ فى بلادِ فارسَ هـٰهنا وهـٰهنا ، ويُوقِعُ بأهلِها مِن البَأْسِ الشديدِ ، والسَّطْوةِ الباهرةِ ، ما يُبْهِرُ الأبْصارَ لمَن شاهَد ذلك ، ويُشَنِّفُ أسْماعَ مَن بلَغه ذلك ، ويُحَيِّرُ العُقولَ لمَن تَدَبَّره .

فتحُ خالدٍ للأَنْبارِ ، وتُسَمَّى هذه الغَزوةُ[1] ذاتَ العُيونِ

رِكِب خالدٌ فى جيوشِه ، فسار حتى انْتَهى إلى الأنْبارِ ، وعليها رجلٌ مِن أعْقَلِ الفُرْسِ وأسْودِهم فى أنفسِهم ، يقالُ له : شِيرزاذُ[2] . فأحاط بها خالدٌ وعليها خَنْدقٌ وحولَه أعْرابٌ مِن قومِهم على دينِهم ، واجْتَمع معهم أهلُ أرضِهم ، فمانَعوا خالدًا أن يَصِلَ إلى الخندقِ ، فضرَب معهم رأسًا ، ولما تواجَه الفريقان أمَر خالدٌ أصحابَه فرشَقوهم بالنِّبالِ حتى فقَئُوا منهم ألفَ عينٍ ، فتَصايَح الناسُ : ذهَبَت عُيونُ أهلِ الأنْبارِ . فسُمِّيَت هذه الغزوةُ ذاتَ العُيونِ ، فراسَل شيرزاذُ خالدًا فى الصُّلْحِ ، فاشْتَرط خالدٌ أمورًا امْتَنع شيرزاذُ مِن قَبولِها ، فتقَدَّم خالدٌ إلى الخَنْدقِ فاسْتَدْعَى بِرَذِيٍّ[3] الأمْوالِ مِن الإبلِ فذبَحها حتى ردَم الخَنْدَقَ بها ، وجاز هو وأصحابُه فوقَها ، فلما رأى شيرزاذُ ذلك أجاب إلى الصُّلْحِ على الشروطِ التى اشْتَرَطها خالدٌ ، وسأَله أن يَرُدَّه إلى مَأْمَنِه ، فوفَّى له خالدٌ بذلك ،

---

(١) فى م : « الغزوات » . وذكر ابن جرير هذه الغزوة فى تاريخه ٣/٣٧٣ - ٣٧٥. والأنبار : مدينة على الفرات فى غربى بغداد . معجم البلدان ١/ ٣٦٧.

(٢) هنا وفيما يأتى فى ١٥١: « شيرزاد » .

(٣) فى م ، وتاريخ الطبرى : « برذايا » . والرَّذِيُّ : الضعيف من كلّ شىء . والمراد : إبل هزيلة . النهاية ٢/٢١٨ .

وخرَج شيرزاذُ مِن الأنْبارِ وتسَلَّمها خالدٌ ، فنزلَها واطْمَأنَّ بها ، وتعَلَّم الصحابةُ ممَّن بها مِن العربِ الكِتابةَ العربيةَ ، وكان أولئك العربُ قد تعَلَّموها مِن عربٍ قبلَهم وهم بنو إيادٍ ، كانوا بها مِن[1] زَمانِ بُخْتُ نَصَّرَ حينَ أباح العراقَ للعربِ ، وأنْشَدوا خالدًا قولَ بعضِ إيادٍ يَمْتَدِحُ قومَه[2] :

قَومى إيادٌ لو انَّهم أَمُمٌ[3] أو لو أقاموا فتُهْزَلَ[4] النَّعَمُ
قَوْمٌ لهم باحةُ العراقِ إذا ساروا جميعًا واللوحُ[5] والقلمُ

ثم صالَح خالدٌ أهلَ البَوازِيجِ وكَلْوَاذَى[6] . قال : ثم نقَض أهلُ الأنْبارِ ومَن حولَهم عهدَهم لما اضْطَرَبَت بعضُ الأحْوالِ ، ولم يَبْقَ على عهدِه سوى البَوازِيجِ وبانِقْيَا .

قال سيفُ بنُ عمرَ[7] عن عبدِ العزيزِ بنِ سِياهٍ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ قال : ليس لأحدٍ مِن أهلِ السَّوادِ عَقْدٌ[8] قبلَ الوَقْعَةِ إلا بنى صَلُوبَا ، وهم أهلُ الحيرةِ وكَلْوَاذَى وقُرًى مِن قُرَى الفُراتِ ، حتى[9] غدَروا ، حتى دُعوا إلى الذِّمَّةِ بعدَما غدَروا .

---

(١) فى م ، ص : « فى » .
(٢) الشاعر هو أمية بن أبى الصلت . انظر ديوان أمية ص ١٠ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٤٧.
(٣) أمم : قريب .
(٤) فى الأصل : « قامت » ، وفى ١٥١ ، ص : « أقامت » .
(٥) فى تاريخ الطبرى : « الخط » ، وفى سيرة ابن هشام : « القط » .
(٦) البوازيج : بلد قريب من تكريت . وكلواذى : ناحية قرب بغداد . انظر معجم البلدان ١/ ٧٥٠، ٤/ ٣٠١.
(٧) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٣/٣٧٥ ، من طريق سيف به .
(٨) فى الأصل ، م ، ص : « عهد » .
(٩) سقط من : م .

وقال سيفٌ[1] عن محمدِ بنِ قيسٍ : قلتُ للشعبيِّ : أُخِذ السَّوادُ عَنْوةً ؟ [2]قال : نعم[2] ، وكلُّ أرْضٍ إلا بعضَ القِلاعِ والحُصونِ . قال : بعضٌ صالَح وبعضٌ غالَب . قلتُ : فهل لأهلِ السَّوادِ ذِمَّةٌ اعْتَقَدوها قبلَ الهَرَبِ[3] ؟ قال : لا ، ولكنَّهم لما دُعُوا ورَضُوا بالخَراجِ وأُخِذ منهم صاروا ذِمَّةً .

وقعةُ عينِ التَّمْرِ[4]

لما اسْتَقَلَّ خالدٌ بالأنْبارِ اسْتَناب عليها الزِّبْرِقانَ بنَ بدرٍ ، وقصَد عينَ التَّمْرِ ، وبها يومَئذٍ مِهْرانُ [٥/ ٧٢و] بنُ بَهْرامَ جُوبينَ[5] في جَمْعٍ عظيمٍ مِن العجمِ[6] ، وحولَهم مِن الأعْرابِ طَوائفُ مِن النَّمِرِ وتَغْلِبَ وإيادٍ ومَن لاقاهم ، وعليهم عَقَّةُ[7] ابنُ أبي عَقَّةَ ، فلما دَنا خالدٌ ، قال عَقَّةُ لِمِهْرانَ : إنَّ العربَ أعْلَمُ بقِتالِ العربِ ، فدَعْنا وخالدًا . فقال له[8] : دونَكم وإياهم ، وإنِ احْتَجْتُم إلينا أعَنَّاكم . فلَامت العَجَمُ أميرَهم على هذا ، فقال : دَعُوهم ، فإن غلَبوا خالدًا فهو لكم ، وإن غُلِبوا قاتَلْنا خالدًا وقد ضَعُفوا ونحن أقْوياءُ . فاعْتَرفوا له بفَضْلِ الرأيِ عليهم ، وسار

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٣/٣٧٥ ، من طريق سيف به .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) فى الأصل ، م : « الحرب » .

(٤) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة . معجم البلدان ٣/ ٧٥٩. والوقعة ذكرها ابن جرير فى تاريخه ٣/ ٣٧٦، ٣٧٧، وابن الأثير فى الكامل ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) سقط من : الأصل ، ١٥١، ص .

(٦) فى النسخ : « العرب » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، والكامل .

(٧) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ١٥١، ص : « عقبة » .

(٨) فى الأصل ، ١٥١: « لهم » .

خالدٌ وتَلَقَّاه عَقَّةُ، فلمَّا تَواجَهوا قال خالدٌ لـمُجَنِّبَتَيْه: احْفَظوا مكانَكم فإنى حاملٌ. وأمَر حُماتَه[1] أن يَكونوا مِن وَرائِه، وحمَل على عَقَّةَ وهو يُسَوِّى الصُّفوفَ، فاحْتَضَنه وأسَره، وانْهَزم جيشُ عَقَّةَ مِن غيرِ قِتالٍ، فأكْثَروا فيهم الأسْرَ، وقصَد خالدٌ حصْنَ عينِ التَّمرِ، فلمَّا بلَغ مِهْرانَ هَزيمةُ عَقَّةَ وجيشِه، نزَل مِن الحِصنِ وهرَب وترَكه، ورجَعت فُلَّالُ نَصارَى الأعْرابِ إلى الحصنِ، فوجَدوه مَفْتوحًا فدخَلوه واحْتَمَوا به، فجاء خالدٌ فأحاط به[2] وحاصَرهم أشدَّ الحِصارِ، فلمَّا رأَوْا ذلك سأَلوه الصُّلْحَ، فأبَى إلا أن يَنْزِلوا على حكمِه، فنزَلوا على حُكْمِ خالدٍ، فجُعِلوا فى السَّلاسلِ وتسَلَّم الحِصْنَ، ثم أمَر فضُرِبَت عُنُقُ عَقَّةَ، ومَن كان أُسِر معه، والذين نزَلوا على حُكْمِه أيضًا أجْمَعين، وغنِم جميعَ ما كان[3] فى ذلك الحصنِ، ووجَد فى الكَنيسةِ التى به أربعين غلامًا يَتَعَلَّمون الإنْجيلَ، وعليهم بابٌ مُغْلَقٌ، فكسَره خالدٌ وفرَّقهم فى الأُمراءِ وأهلِ الغَناءِ، كان فيهم[4] حُمْرانُ، صار إلى عثمانَ بنِ عفانَ مِن الخُمُسِ، ومنهم سِيرينُ والدُ محمدِ بنِ سِيرينَ، أخَذه أنسُ بنُ مالكٍ، وجماعةٌ آخرون مِن المَوالى المَشاهِيرِ أراد اللَّهُ[5] بهم وبذَراريِّهم خيرًا.

ولما قدِم الوليدُ بنُ عُقْبةَ على الصِّدِّيقِ بالخُمُسِ ردَّه الصديقُ إلى عِياضِ بنِ غَنْمٍ مَدَدًا له وهو مُحاصِرٌ دُومةَ الجَنْدلِ، فلما قدِم عليه وجَده فى ناحيةٍ مِن العراقِ يُحاصِرُ قومًا وهم قد أخَذوا عليه الطُّرُقَ، فهو مَحْصورٌ أيضًا، فقال عِياضٌ

---

(١) فى ا ١٥: «جماعة».

(٢) فى م، ص: «بهم».

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) سقط من: م.

(٥) سقط لفظ الجلالة من: الأصل، م، ص.

للوليدِ : إن بعضَ الرأْيِ خيرٌ مِن جيشٍ كَثيفٍ ، ماذا ترى فيما نحن فيه ؟ فقال له الوليدُ : اكْتُبْ إلى خالدٍ يُمِدُّك بجيشٍ مِن عندِه . فكتَب إليه يَسْتَمِدُّه ، فقدِم كتابُه على خالدٍ غِبَّ[1] وَقْعةِ عينِ التمرِ ، وهو يَسْتَغِيثُ به ، فكتَب إليه : مِن خالدٍ إلى عِياضٍ ، إيَّاك أريدُ ،

لَبِّثْ قليلًا تَأْتِكَ الحَلائبُ[2] يَحْمِلْنَ آسادًا[3] عليها القاشبُ

كَتائِبٌ تَتْبَعُها كَتائِبُ

خبرُ دُومةِ الجَنْدلِ[4]

لمّا فرَغ خالدٌ مِن عينِ التمرِ قصَد إلى دُومةِ الجَنْدلِ ، واسْتَخْلَف على عينِ التمرِ عُوَيْمرَ بنَ الكاهنِ الأسْلميَّ ، فلمَّا سمِع أهلُ دُومةِ الجَنْدلِ بمَسيرِه إليهم ، بعَثوا إلى أحْزابِهم[5] مِن بَهْراءَ وتَنُوخَ وكَلْبٍ وغَسَّانَ والضجاعمِ ، فأقْبَلوا إليهم وعلى غَسَّانَ وتَنُوخَ ابنُ الأَيْهَمِ ، وعلى الضجاعِمِ ابنُ الحِدْرِجانِ ، وجِماعُ الناسِ بدُومةَ إلى رجلين ؛ أُكَيْدِرِ بنِ عبدِ الملكِ ، والجُودِيِّ بنِ رَبيعةَ ، فاخْتَلَفا ، فقال أُكَيْدِرٌ : أنا أعْلَمُ الناسِ بخالدٍ ، لا أحدَ أيْمَنُ طائرًا منه فى حربٍ ولا أحَدُّ منه ، ولا يَرَى وجهَ خالدٍ قومٌ أبدًا ؛ قلُّوا أم كَثُروا [٥/ ٧٢ظ] إلا انْهَزموا عنه ، فأطِيعونى

---

(١) فى الأصل : « عقيب » ، وفى م : « عقب » . وغبّ : بَعْدَ .

(٢) الحلائب : الجماعات . اللسان (ح ل ب) .

(٣) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « أسلاحا » .

(٤) ذكر القصة بنحوها ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، وابن الأثير فى الكامل ٢/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٥) فى ١٥١ : « إخوانهم » .

وصالحِوا القومَ. فأبَوْا عليه، فقال: لن أُمالِئَكم على حربِ خالدٍ. وفارَقَهم، فبعَث إليه خالدٌ عاصمَ بنَ عمرٍو فعارَضه فأخَذه، فلمَّا أتَى به خالدًا أمَر فضُرِبتْ عنقُه وأخَذ ما كان معه، ثم تواجَه خالدٌ وأهلُ دُومةِ الجَنْدلِ وعليهم الجُودِيُّ بنُ رَبيعةَ، وكلُّ قَبيلةٍ مع أميرِها مِن الأعْرابِ، وجعَل خالدٌ دُومةَ بينَه وبينَ جيشِ عِياضِ بنِ غَنْمٍ، وافْتَرق جيشُ الأعْرابِ فِرْقَتَيْن؛ فرقةً نحوَ خالدٍ، وفرقةً نحوَ عِياضٍ، وحمَل خالدٌ على مَن قِبَلَه، وحمَل عِياضٌ على أولئك، فأسَر خالدٌ الجُودِيَّ، وأسَر الأقْرَعُ بنُ حابسٍ وَديعةَ، وفرَّت الأعْرابُ إلى الحصنِ، فملَئُوه وبَقِيَ منهم خَلْقٌ ضاق عنهم، فعَطَفَت بنو تَميمٍ على مَن هو خارجَ الحِصْنِ [1] فأعْطَوْهم مِيرةً، فنَجَا بعضُهم، وجاء خالدٌ فضرَب أعْناقَ مَن وجَده خارجَ الحصنِ [1]، وأمَر بضربِ عُنُقِ الجُودِيِّ ومَن كان معه مِن الأُسارَى، إلا أُسارَى بنى كَلْبٍ؛ فإنَّ عاصمَ بنَ عمرٍو والأقْرعَ بنَ حابسٍ وبنى تَميمٍ أجاروهم، فقال لهم خالدٌ: ما لى و[2] لكم، أتَحْفَظون أمْرَ الجاهليةِ وتُضَيِّعون[3] أمْرَ الإسلامِ؟! فقال له عاصمُ بنُ عمرٍو: أتَحْسُدونهم العافيةَ [4] وتُحَوِّزونَهم إلى [4] الشيطانِ. ثم أطاف خالدٌ بالبابِ فلم يَزُلْ عنه حتى اقْتَلَعه، واقْتَحموا الحصنَ فقتَلوا مَن فيه مِن المُقاتِلةِ، وسَبَوُا الذَّرارِيَّ، فتَبايَعوهم بينَهم فيمَن يَزِيدُ، واشْتَرى خالدٌ يومَئذٍ ابنةَ الجُودِيِّ، وكانت مَوْصوفةً بالجَمالِ، وأقام بدُومةِ الجَنْدلِ، ورَدَّ الأقْرعَ إلى الأنْبارِ، ثم رجَع خالدٌ إلى الحيرةِ، فتلَقَّاه أهلُها مِن أهلِ الأرضِ بالتَّقْلِيسِ[5]،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) بعده فى م، ص: «ما».

(٣) فى الأصل، ١٥١، ص: «تدعون».

(٤ - ٤) فى م: «تحوذونهم».

(٥) التقليس: الضرب بالدف. اللسان (ق ل س).

فسمِع رجلًا منهم يقولُ لصاحبِه : مُرَّ بنا فهذا يومُ فرِح الشرِّ .

خبرُ وَقْعَتَي الحُصَيْدِ والمُصَيَّخِ[1]

قال سيفٌ[2] عن محمدٍ وطَلْحةَ والمُهَلَّبِ ، قالوا : وقد كان خالدٌ أقام بدُومةِ الجَنْدلِ ، فظَنَّ الأَعاجمُ به ، وكاتَبوا[3] عربَ الجَزيرةِ ، فاجْتَمعوا لحربِه ، وقصَدوا الأَنْبارَ يُرِيدون انْتزاعَها مِن الزِّبْرِقانِ ، وهو نائبُ خالدٍ عليها ، فلما بلَغ ذلك الزِّبْرِقانَ كتَب إلى القَعْقاعِ بنِ عمرٍو نائبِ خالدٍ على الحيرةِ ، فبعَث القَعْقاعُ أعبدَ ابنَ فَدَكِيٍّ السَّعْدىَّ ، وأمَره بالحُصَيْدِ ، وبعَث عُروةَ بنَ[4] الجَعْدِ البارقِيَّ وأمَره بالخَنافِسِ[5] ، ورجَع خالدٌ مِن دُومةَ إلى الحيرةِ وهو عازمٌ على مُصادَمةِ أهلِ المَدائنِ مَحَلَّةِ كِسْرَى ، لكنه يَكْرَهُ أن يَفْعَلَ ذلك بغيرِ إذْنِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، وشغَله ما قد اجْتَمَعَ مِن جُيوشِ الأعاجمِ مع نَصارَى الأَعْرابِ يُرِيدون حَرْبَه ، فبعَث القَعْقاعَ ابنَ عَمْرٍو أميرًا على الناسِ ، فالْتَقَوْا بمكانٍ يقالُ له : الحُصَيْدُ . وعلى العَجَمِ رجلٌ منهم يقالُ له : رُوزَبَه . وأمدَّه أميرٌ آخرُ يقالُ له : زَرْمِهْرُ[6] . فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، وهُزِم المُشْركون ، فقتَل منهم المسلمون خَلْقًا كثيرًا ، وقتَل القَعْقاعُ بيدِه زَرْمِهْرَ ، وقتَل رجلٌ يقالُ له : عِصْمَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الضَّبِّيُّ رُوزَبَه . وغنِم المسلمون شيئًا

---

(١) فى ١٥١: «المضيج»، وفى م: «المضيح». والمصيخ: موضع بالشام. والحصيد: واد بين الكوفة والشام. معجم البلدان ٢/ ٢٨٠، ٥/ ٥٥٦.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٣٧٩ - ٣٨١، من طريق سيف به. وانظر الكامل ٢/٣٩٦ - ٣٩٨.

(٣) فى تاريخ الطبرى، والكامل: «كاتبهم».

(٤) بعده فى النسخ: «أبى». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٦.

(٥) الخنافس: أرض للعرب فى طرف العراق قرب الأنبار. معجم البلدان ٢/ ٤٧٣.

(٦) فى الأصل، ١٥١: «وزمهر»، وفى معجم البلدان ٢/ ٢٨٠: «رُوزَمِهْر».

كثيرًا ، وهرَب مَن هرَب مِن العَجَمِ ، فلجئوا إلى مكانٍ يقالُ له : خَنافِسُ . فسار إليهم أبو لَيْلى بنُ فَدَكِيٍّ السَّعْدىُّ ، فلما أحَسُّوا بذلك ساروا إلى المُصَيَّخِ ، فلما اسْتَقَرُّوا بها بمَن معهم مِن الأعاجمِ والأَعرابِ قصَدهم خالدُ بنُ الوليدِ بمَن معه مِن الجُنودِ ، وقسَم الجيشَ ثلاثَ فِرَقٍ ، وأغار [٥/٧٣و] عليهم ليلًا وهم نائمون فأنامهم ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا اليَسيرُ ، فما شُبِّهوا إلا بغَنَمٍ مُصَرَّعةٍ . وقد روَى ابنُ جَريرٍ[(١)] عن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ قال : انْتَهَيْنا فى هذه الغارةِ إلى رجلٍ يقالُ له : حُرقُوصُ بنُ النُّعمانِ النَّمَرىُّ . وحولَه بنوه وبناتُه وامْرأتُه ، وقد وَضَع لهم جَفْنةً مِن خمرٍ وهم يقولون : أحدٌ يَشْرَبُ هذه الساعةَ ، وهذه جيوشُ خالدٍ قد أقْبَلَت ؟! فقال لهم : اشْرَبوا شُرْبَ وَداعٍ ، فما أَرَى[(٢)] أن تَشْرَبوا خمرًا بعدَها . فشرِبوا وجعَل يقولُ :

ألا فاسْقِيانى قبلَ ثائرةِ الفَجْرِ لعلَّ مَنايانا قريبٌ ولا نَدْرِى

القصيدةَ إلى آخرِها . قال : فهجَم الناسُ عليه ، فضرَب رجلٌ رأسَه ، فإذا هو فى جَفْنتِه ، وأُخِذت بنوه وبناتُه وامرأتُه .

وقد قُتِل فى هذه المعركةِ رجلان كانا قد أسْلَما ومعهما كتابٌ مِن الصِّدِّيقِ بالأمانِ ، ولم يَعْلَمْ بذلك المسلمون ، وهما عبدُ العُزَّى بنُ أبى رُهْمٍ[(٣)] بنِ قِرْواشٍ ، قتَله جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ ، والآخرُ لَبيدُ بنُ جَريرٍ ، قتَله بعضُ المسلمين ، فلمَّا بلَغ خبرُهما الصديقَ وَداهما ، وبعَث بالوَصاةِ بأولادِهما ، وتكَلَّم عمرُ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٨٢.

(٢) سقط من : ١٥١.

(٣) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « هرم » . وانظر الإصابة ٥/ ٨٧.

الخطابِ فى خالدٍ بسببِهما ، كما تكَلَّم فيه بسببِ مالكِ بنِ نُوَيْرةَ ، [1] فقال له الصِّدِّيقُ [1] : كذلك يَلْقَى مَن ساكَن أهلَ الحربِ فى ديارِهم . أى : الذنْبُ لهما فى مُجاورَتِهما المشركينَ . وهذا كما فى الحديثِ : « أنا بَرِىءٌ مِن كلِّ مَن ساكَن المُشْركَ فى دارِه » [2] . وفى الحديثِ الآخَرِ : « لا تَتَراءَى ناراهُما » [3] . أى لا يَجْتَمِعُ المسلمون والمُشْركون فى مَحَلَّةٍ واحدةٍ .

ثم كانت وَقْعةُ الثَّنِي والزُّمَيْلِ [4] ، وقد بيَّتوهم ، فقتَلوا مَن كان هنالك مِن الأعْرابِ والأَعاجِمِ ، فلم يُفْلِتْ منهم أحدٌ ، ولا انْبَعَث مُخبِرٌ [5] ، ثم بعَث خالدٌ بالخُمُسِ مِن الأموالِ والسَّبْيِ إلى الصِّدِّيقِ ، وقد اشْتَرى علىُّ بنُ أبى طالبٍ مِن هذا السَّبْيِ جاريةً مِن العربِ ، وهى ابنةُ رَبيعةَ بنِ بُجَيْرٍ التَّغْلِبِىِّ ، فاسْتَوْلَدها عمرَ ورُقَيَّةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم أجْمَعين .

وَقْعَةُ الفِراضِ [6]

ثم سار خالدٌ بمَن معه مِن المسلمين إلى [7] الفِراضِ ، وهى تُخومُ الشامِ والعراقِ والجزيرةِ ، فأقام هنالك شهرَ رَمضانَ مُفْطِرًا ؛ لشُغْلِه بالأعْداءِ ، ولما بلَغ الرومَ أمْرُ

(١ - ١) سقط من : ا ١٥١.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) ، والترمذى (١٦٠٤) ، والنسائى (٤٧٩٤) ، بنحوه . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٠٤) .

(٣) هو جزء من الحديث السابق .

(٤) ذكر هذه الوقعة ابن جرير فى تاريخه ٣/ ٣٨٢، ٣٨٣، وابن الأثير فى الكامل ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٥) فى م : « بخبر » .

(٦) تاريخ الطبرى ٣/٣٨٣ - ٣٨٥، والكامل ٢/ ٣٩٩.

(٧) بعده فى م ، ص : « وقعة » .

خالدٍ ومَصِيرُه إلى قُرْبِ بلادِهم، حَمُوا وغضِبوا وجمَعوا جُموعًا كثيرةً، واسْتَمَدُّوا تَغْلِبَ وإيادًا والنَّمِرَ، ثم ناهَدوا خالدًا، فحالتِ الفُراتُ بينَهم، فقالتِ الرومُ لخالدٍ: اعْبُرْ إلينا. وقال خالدٌ للرُّومِ: بل اعْبُروا أنتم. فعبَرتِ الرومُ إليهم، وذلك للنِّصْفِ مِن ذى القَعْدةِ سنةَ ثِنْتَيْ عشْرةَ، فاقْتتلوا هنالك قِتالًا عَظيمًا بليغًا، ثم هزَم اللَّهُ جُموعَ الرومِ، وتمكَّن المسلمون مِن أقْفائِهم، فقُتِل فى هذه المعركةِ مائةُ ألفٍ، وأقام خالدٌ بعدَ ذلك بالفِراضِ عشَرةَ أيامٍ، ثم أذِن بالقُفولِ إلى الحيرةِ، لخمسٍ بَقِين مِن ذى القَعْدةِ، وأمَر عاصمَ بنَ عمرٍو أن يَسِيرَ فى المُقَدِّمةِ، وأمَر شَجَرةَ بنَ الأعَزِّ أن يَسيرَ فى السَّاقةِ، وأظْهَر خالدٌ أنه يَسِيرُ فى الساقةِ، وسار خالدٌ فى عِدَّةٍ مِن أصحابِه، وقصَد شَطْرَ المسجدِ الحَرامِ، وسار إلى مكةَ فى طريقٍ لم تُسْلَكْ قبلَه [٥/٧٣ظ] قطُّ، وتأتَّى[1] له فى ذلك أمْرٌ لم يَقَعْ لغيرِه، فجعَل يَسِيرُ مُعْتَسِفًا على غيرِ جَادَّةٍ، حتى انْتَهَى إلى مكةَ فأدْرَك الحَجَّ هذه السنةَ، ثم عاد فأدْرَك آخِرَ[2] الساقةِ قبلَ أن يَصِلوا إلى الحيرةِ، ولم يَعْلَمْ أحدٌ بحَجِّ خالدٍ هذه السنةَ إلا القليلُ مِن الناسِ ممَّن كان معه، ولم يَعْلَمْ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ بذلك أيضًا إلا بعدَما رجَع أهلُ الحَجِّ مِن المَوْسِمِ، فبعَث يَعْتِبُ عليه فى مُفارَقَتِه الجيشَ، وكانت عُقوبتُه عندَه أن صرَفه مِن غَزْوِ العراقِ إلى غَزْوِ الشامِ، وقال له فيما كتَب إليه يقولُ له: وإن الجُموعَ لم تَشْجُ بعَوْنِ اللَّهِ شَجْيَك[3]، فلْيَهْنِك أبا سليمانَ النِّيَّةُ والحُظْوةُ، فأتْمِمْ يُتْمِمِ اللَّهُ لك، ولا يَدْخُلَنَّك عُجْبٌ فتَخْسَرَ وتُخْذَلَ، وإياك أن

---

(١) فى م، ص: «يأتى».
(٢) فى الأصل، م، ص: «أمر».
(٣) فى الأصل، ١٥١، ص: «بمثلك».

تُدِلُّ[1] بعملٍ، فإنَّ اللَّهَ له المَنُّ، وهو وَلِيُّ الجَزاءِ[2].

فصلٌ فيما كان مِن الحَوادثِ فى هذه السنةِ

فيها أمَر الصِّدِّيقُ زيدَ بنَ ثابتٍ أن يَجْمَعَ القُرْآنَ مِن اللِّخافِ[3] والعُسُبِ وصُدورِ الرجالِ، وذلك بعدَ ما اسْتَحَرَّ القَتْلُ فى القُرَّاءِ يومَ اليَمامةِ كما ثبَت به الحديثُ فى «صحيحِ البخاريِّ»[4].

وفيها تزَوَّج عليُّ بنُ أبى طالبٍ بأُمامةَ بنتِ زَيْنبَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهى مِن أبى العاص بنِ الرَّبيعِ بنِ عبدِ شَمْسٍ الأُمَوىِّ، وقد تُوُفِّى أبوها فى هذا العامِ، وهذه هى التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُها فى الصلاةِ فيَضَعُها إذا سجَد ويَرْفَعُها إذا قام.

وفيها تزَوَّج عمرُ بنُ الخطابِ عاتِكةَ بنتَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، وهى ابنةُ عمِّه، وكان لها مُحِبًّا وبها مُعْجَبًا، وكان لا يَمنَعُها مِن الخروجِ إلى الصلاةِ، ويَكْرَهُ خروجَها، فجلَس لها ذاتَ ليلةٍ فى الطَّريقِ فى ظُلْمةٍ، فلمَّا مَرَّت ضرَب بيدِه على عَجُزِها، فرجَعت إلى منزلِها ولم تَخْرُجْ بعدَ ذلك، وقد كانت قبلَه تحتَ أخيه[5]

---

(١) الدل: هو المن. اللسان (د ل ل).

(٢) بعده فى الأصل: «ولما قرأ خالد الكتاب قال: هذا من عمل الأعيسر - يعنى عمر بن الخطاب - جد فى أن يكون فتح العراق على يدى. ولما انفصل خالد عن العراق استخلف عليه المثنى بن حارثة ومعه من تخلف من الصحابة وغيرهم فانحاز بهم المثنى نحو البرية مما يلى الأنهار مخافة عليهم من الفرس حتى يأتيه المدد».

(٣) فى الأصل، م، ص: «اللحاف». واللخاف: هى جمع لَخْفَة، وهى حجارة بيض رقاق. والعسب: هى السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. النهاية ٤/ ٢٤٤، ٣/ ٢٣٤.

(٤) البخارى (٤٩٨٦).

(٥) زيادة من: الأصل، ١٥١.

زيدِ بنِ الخَطَّابِ فيما قيل، فقُتِل عنها، وكانت قبلَ زيدٍ تحتَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ فقُتِل عنها، ولما مات عمرُ تزَوَّجها بعدَه الزُّبيرُ، فلما قُتِل خطَبها علىُّ بنُ أبى طالبٍ فقالت: إنى أَرْغَبُ بك عن الموتِ. وامْتَنَعت [1]مِن التزويجِ[1] حتى ماتت.

وفيها اشْتَرى عمرُ مولاه أسْلَمَ، ثم صار منه أن كان أحَدَ ساداتِ التابعين، وابنُه زيدُ بنُ أسْلَمَ أحَدُ الثِّقاتِ الرُّفعاءِ.

وفيها حَجَّ بالناسِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، رضِى اللَّهُ عنه، واسْتَخْلَف على المدينةِ عثمانَ بنَ عَفَّانَ. رَواه ابنُ إسحاقَ[2] عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يَعقوبَ مَوْلى الحُرَقَةِ، عن رجلٍ مِن بنى سَهْمٍ، عن أبى ماجدةَ، قال: حَجَّ بنا أبو بكرٍ فى خِلافتِه سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ. فذكَر حديثًا فى القِصاصِ مِن قَطْعِ الأُذُنِ، وأنَّ عمرَ حكَم فى ذلك بأمْرِ الصِّدِّيقِ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وقال بعضُ الناسِ: لم يَحُجَّ أبو بكرٍ فى خِلافَتِه، وإنَّه بعَث على المَوْسِمِ [٥/ ٧٤و] سنةَ ثِنتىْ عشْرةَ عمرَ بنَ الخطابِ، أو عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ.

فصلٌ فيمَن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ

قد قيل: إنَّ وَقْعةَ اليَمامةِ وما بعدَها كانت فى سنةِ ثنتَىْ عشْرةَ. فلْيُذْكَرْ هـٰهنا مَن تقَدَّم ذِكْرُه فى سنةِ إحْدَى عشْرَةَ مَن قُتِل باليَمامةِ، وما بعدَها، ولكن

(١ - ١) فى م: «عن التزوج».

(٢) أخرجه ابن جرير فى تاريخه ٣/ ٣٨٦، من طريق ابن إسحاق به بنحوه.

(٣) المصدر السابق.

المشهور ما ذكَرْناه .

[1]وممَّن تُوفِّىَ فى هذه السَّنةِ[1] **بَشيرُ بنُ سعدِ بنِ ثَعْلبةَ الخزْرجِىُّ**[2] ، والدُ النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ ، شهِد العَقَبةَ الثانيةَ وبدرًا وما بعدَها ، ويقالُ : إنه أولُ مَن أَسْلَم مِن الأنصارِ . وهو أولُ مَن بايَع الصِّدِّيقَ يومَ السَّقيفةِ مِن الأنْصارِ ، وشهِد مع خالدٍ حُروبَه إلى أن قُتِل بعينِ التَّمرِ ، رضِى اللَّهُ عنه . روَى له النسائىُّ حديثَ النُّحْلِ[3] .

والصَّعْبُ بنُ جَثَّامةَ اللَّيْثىُّ ، أخو مُحَلَّمِ بنِ جَثَّامةَ[4] ، له عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثُ . قال أبو حاتمٍ[5] : هاجَر ، وكان ينزِلُ وَدّانَ ، ومات فى خلافةِ الصِّدِّيقِ .

وأبو مَرْثَدٍ الغَنَوىُّ ، واسمُه كَنّازُ بنُ الحُصَيْنِ[6] - ويقالُ : ابنُ حُصَيْنِ - ابنِ يَرْبوعِ بنِ عمرِو بنِ يَرْبوعِ بنِ خَرَشَةَ بنِ سعدِ بنِ طَريفِ بنِ جَلّانَ[7] بنِ غَنْمِ ابنِ غَنِىِّ بنِ أَعْصُرَ بنِ سعدِ بنِ قيسِ بنِ عَيْلانَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارٍ ، أبو مَرْثَدٍ الغَنَوىُّ ، شهِد هو وابنُه مَرْثَدٌ بدرًا ، ولم يَشْهَدْها رجلٌ هو وابنُه سواهما ، واسْتُشْهِد ابنُه مَرْثَدٌ يومَ الرَّجيعِ كما تقدَّم ، وابنُ ابنِه أُنَيْسُ بنُ مَرْثَدِ بنِ أبى مَرْثَدٍ ، له صُحْبةٌ أيضًا ، شهِد الفتحَ[8] وحُنَيْنًا ، وكان عَيْنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أَوْطاسٍ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) الاستيعاب ١/١٧٣ ، وأسد الغابة ١/٢٣١ ، والإصابة ١/٣١١ .

(٣) النسائى (٣٦٧٤ - ٣٦٨٥، ٣٦٨٧، ٣٦٨٨) . والنُّحل : العطاء .

(٤) الاستيعاب ٢/٧٣٩ ، وأسد الغابة ٣/٢٠ ، والإصابة ٣/٤٢٦ .

(٥) الجرح والتعديل ٤/ ٤٥٠.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٧٥٤، وأسد الغابة ٦/ ٢٨٢، والإصابة ٥/ ٦٢٥، ٧/ ٣٦٩.

(٧) فى م ، ص : « خيلان » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٧.

(٨) فى ا ١٥١: « العقبة » . وانظر أسد الغابة ١/ ١٥٩.

فهم ثلاثةٌ نَسَقًا ، وقد كان أبو مَرْثَدٍ حَليفًا للعباسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ ، ويُروَى له عن النبيِّ ﷺ حديثٌ واحدٌ أنه قال : « لا تُصَلُّوا إلى القبورِ ولا تَجْلِسوا إليها » [1] رَواه مسلمٌ ، وأبو داودَ ، والتِّرمذِيُّ ، والنَّسائيُّ ، من طريقِ واثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ عنه [2][1] .

قال الواقديُّ [3] : تُوُفِّيَ سنةَ ثنتَيْ عشْرةَ . زاد غيرُه : بالشامِ . وزاد غيرُه : عن سِتٍّ وستين سنةً [4] . وكان رجلًا طويلًا كثيرَ الشَّعْرِ . قلتُ : وفى قِبْلِيِّ دِمشقَ قبرٌ يُعْرَفُ بقبرِ كثيرٍ ، [1] وكأنَّه مِن تَصْحِيفِ بعضِ العامَّةِ [1] . والذى قرَأْتُه على قبرِه : هذا قبرُ كَنَّازِ بنِ الحُصَيْنِ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ورأَيْتُ على ذلك المكانِ رَوْحًا وجَلالةً ، والعَجَبُ أنَّ الحافظَ ابنَ عَساكرَ لم يَذْكُرْه فى « تاريخِ الشامِ » . فاللَّهُ أعلمُ .

وممَّن تُوُفِّيَ فى هذه السنةِ أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ القُرشيُّ العَبْشمىُّ [5] ، زوجُ أكبرِ بناتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ زينبَ ، وكان مُحْسِنًا إليها ومُحِبًّا لها ، ولما أمَره المُشرِكون [6] بطَلاقِها حينَ بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ أبَى عليهم ذلك ، وكان ابنَ أختِ خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، واسْمُ أمِّه هالةُ ، ويقالُ : هندُ بنتُ خُوَيْلِدٍ . واخْتُلِف فى اسمِه فقيل : لَقِيطٌ . وهو الأشهرُ ، وقيل : مُهَشِّمٌ [7] . وقيل : هُشَيْمٌ . وقد شهِد بدرًا مِن ناحيةِ الكفارِ فأُسِر ، فجاء أخوه عمرُو بنُ الرَّبيعِ ليُفادِيَه ، وأحْضَر معه فى الفِداءِ قِلادةً كانت

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) مسلم (٩٧، ٩٧٢/٩٨) ، وأبو داود (٣٢٢٩) ، والترمذى (١٠٥١/١٠٥) ، والنسائى (٧٥٩) .

(٣) ذكره ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٤٧.

(٤) انظر الجرح والتعديل ٧/ ١٧٤، والاستيعاب ٣/ ١٣٣٤.

(٥) الاستيعاب ١٧٠١/٤ ، وأسد الغابة ١٨٥/٦ ، والإصابة ٢٤٨/٧ .

(٦) فى م ، ص : « المسلمون » .

(٧) فى الأصل : « شهم » ، وفى ١٥١ : « مشهم » . وانظر الإصابة ٧/ ٢٤٨.

خديجةُ أخْرَجَتْها مع ابنتِها زينبَ حينَ تزَوَّج أبو العاصِ [٥/ ٧٤ظ] بها ، فلما رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لها رِقَّةً شَديدةً ، وأطْلَقه بسببِها ، واشْتَرط عليه أن يَبْعَثَ له زينبَ إلى المدينةِ ، فوفَّى له بذلك ، واسْتَمَرَّ أبو العاصِ على كفرِه بمكَّةَ إلى قُبَيْلِ الفتحِ بقَليلٍ ، فخرَج فى تجارةٍ لقريشٍ ، فاعْتَرضه زيدُ بنُ حارثةَ فى سَرِيَّةٍ ، فقتَلوا جماعةً مِن أصحابِه وغنِموا العِيرَ ، وفَرَّ أبو العاصِ هاربًا إلى المدينةِ ، فاسْتَجار بامرأتِه زينبَ فأجارته ، فأجاز رسولُ اللَّهِ ﷺ جِوارَها ، ورَدَّ عليه ما كان معه مِن أموالِ قريشٍ ، فرجَع بها أبو العاصِ إليهم ، ورَدَّ كلَّ مالٍ إلى صاحبِه ، ثم تشَهَّد شَهادةَ الحَقِّ وهاجَر إلى المدينةِ ، ورَدَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ زينبَ بالنِّكاحِ الأوَّلِ ، وكان بينَ فِراقِها له وبينَ اجتماعِها ستُّ سنينَ ، (١وذلك بعدَ سنتين١) مِن وقتِ تَحْريمِ المُسْلِماتِ على المشركين فى عُمْرةِ الحُدَيْبِيةِ ، وقيل : إنما رَدَّها عليه بنِكاحٍ جديدٍ . فاللَّهُ أعلمُ . وقد وُلِد له مِن زَينبَ علىُّ بنُ أبى العاصِ ، (٢وأُمامَةُ بنتُ أبى العاصِ٢) ، وخرَج مع علىٍّ إلى اليمنِ حينَ بعَثه إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُثْنى عليه خيرًا فى صَهَارَتِه ، ويقولُ : « حدَّثنى فصدَقنى ، (٣ووعَدنى فوَفَّى لى٣) » . وقد تُوُفِّى فى أيامِ الصِّدِّيقِ سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ . وفى هذه السنةِ تزَوَّج علىُّ بنُ أبى طالبٍ بابنتِه أُمامةَ بنتِ أبى العاصِ ، بعدَ وفاةِ خالَتِها فاطمةَ ، وما أدْرِى هل كان ذلك قبلَ وفاةِ أبيها أبى العاصِ أو بعدَه . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ١٥١.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص.

(٣ - ٣) فى م : « وواعدنى فوفانى » ، وفى ص : « وواعدنى فوفى لى » . والحديث أخرجه البخارى (٣١١٠، ٣٧٢٩، ٥١٥١) ، ومسلم (٢٤٤٩/٩٥م) .

سَنَةُ ثلاثَ عشْرةَ مِن الهجرةِ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ والصِّدِّيقُ عازِمٌ على جَمْعِ الجُنودِ ؛ ليَبْعَثَهم إلى الشامِ ، وذلك بعدَ مَرْجِعِه مِن الحجِّ ، وذلك عَمَلًا بقولِه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] . وبقولِه تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ الآية [التوبة : ٢٩] . واقتداءً برسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فإنَّه جَمَع المسلمين لغزوِ الشامِ ، وذلك عامَ تَبوكَ ، حتى وَصَلها فى حرٍّ شديدٍ وجَهْدٍ ، فرجَع عامَه ذلك ، ثُم بَعَث قِبَلَ مُؤْتَةَ أسامةَ بنَ زيدٍ مَوْلاه ؛ ليغزوَ تُخُومَ الشامِ ، كما تقدَّم[1] ، ولمَّا تَفَرَّغ الصديقُ مِن أمْرِ جزيرةِ العربِ بَسَط يمينَه إلى العراقِ ، فبَعَث إليها خالدَ بنَ الوليدِ ، ثُم أراد أن يَبْعَثَ إلى الشامِ كما بَعَث إلى العراقِ ، فشَرَع فى جَمْعِ الأُمراءِ فى أماكنَ متفرِّقةٍ مِن جزيرةِ العربِ . وكان قد اسْتَعْمل عمرَو بنَ العاصِ على صَدَقاتِ قُضاعةَ ، ومعه الوليدُ بنُ عُقْبةَ فيهم[2] ، فكَتَب إليه يَسْتَنْفِرُه إلى الشامِ : إنى كنتُ قد رَدَدْتُك على العملِ الذى وَلَّاكَه رسولُ اللَّهِ ﷺ مرةً ، وسمَّاه لك أخرى ، وقد أحْبَبْتُ ، أبا عبدِ اللَّهِ ، أن أُفَرِّغَك لما هو خيرٌ لك فى حياتِك ومَعادِك منه ، إلَّا أن يكونَ الذى أنت فيه أحَبَّ إليك . فكَتَب إليه عمرُو بنُ العاصِ : إنِّى سَهْمٌ مِن سِهامِ الإسلامِ ، وأنت فعبدُ[3] اللَّهِ الرامى بها ، والجامعُ لها ، فانظُرْ أَشَدَّها وأخْشَاها فارْمِ بى فيها . وكَتَب إلى الوليدِ بنِ عقبةَ

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٢١ .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/٣٨٨ - ٣٩٠، والكامل ٢/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) فى م : « عبد » ، وفى تاريخ الطبرى ، والكامل : « بعد » .

بمثلِ ذلك ورَدَّ عليه مثلَه ، وأقْبلا - بعدَما اسْتَخْلَفا فى عملِهما - إلى المدينةِ .

وقَدِم خالدُ بنُ [٥/ ٧٥و] سعيدِ بنِ العاصِ مِن اليمنِ ، فدخَل المدينةَ وعليه جُبَّةُ دِيباجٍ ، فلمَّا رآها عمرُ عليه أمَر مَن هنالك مِن الناسِ بتَمْزِيقِها[1] عنه ، فغضِب خالدُ بنُ سعيدٍ ، وقال لعليِّ بنِ أبى طالبٍ : يا أبا الحسنِ ، أَغُلِبْتُم يا بنى عبدِ مَنافٍ عن الإمْرَةِ ؟ فقال له عليٌّ : أمُغالَبَةً تَراها أم خِلافةً ؟ فقال : لا يُغالَبُ على هذا الأمرِ أوْلَى منكم . فقال له عمرُ بنُ الخطابِ : اسْكُتْ فَضَّ اللَّهُ فاك ، واللَّهِ لا تَزالُ كاذبًا تَخُوضُ فيما قلتَ ، ثُم لا تَضُرُّ إلَّا نفسَك . وأبْلَغها عمرُ أبا بكرٍ ، فلم يَتَأَثَّرْ لها أبو بكرٍ ، ولمَّا اجْتَمَع عندَ الصِّدِّيقِ مِن الجُيوشِ ما أراد ، قام فى الناسِ خَطيبًا ، فأثْنَى على اللَّهِ بما هو أهلُه ، ثُم حَثَّ الناسَ على الجهادِ فقال : ألا لكُلِّ أمرٍ جَوامعُ ، فمَن بَلَغَها فهى حَسْبُه ، ومَن عَمِل للَّهِ كفاه اللَّهُ ، عليكم بالجِدِّ والقَصْدِ ، فإن القَصْدَ أبْلَغُ ، ألا إنه لا دِينَ لأحدٍ لا إيمانَ له ، ولا إيمانَ لمن لا حِسْبةَ[2] له ، ولا عَمَلَ لمن لا نِيَّةَ له ، ألا وإنَّ فى كتابِ اللَّهِ مِن الثوابِ على الجهادِ فى سبيلِ اللَّهِ لَمَا يَنْبَغى للمسلمِ أن يُحِبَّ أن يُخَصَّ به ، هى التجارةُ[3] التى دلَّ اللَّهُ عليها ، ونَجَّى بها مِن الخِزْيِ ، وألْحَق بها الكَرامةَ .

ثُم شرَع الصِّدِّيقُ فى تَوْليةِ الأُمراءِ ، وعَقْدِ الألْويةَ والراياتِ ، فيقالُ : إن أولَ لواءٍ عَقَده لخالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، فجاء عمرُ بنُ الخطابِ فثَنَاه عنه وذكَّره بما قال ، فلم يتَأَثَّرْ به الصِّدِّيقُ كما تَأَثَّر به عمرُ ، بل عَزَله عن الشامِ وولَّاه أرضَ

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥١ ، م : « بتحريقها » .

(٢) فى الأصل ، م : « خشية » .

(٣) فى النسخ : « النجاة » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

تَيْماءَ ، يكونُ بها فيمَن معه مِن المسلمين حتى يَأْتِيَه أمْرُه . ثم عقَد لواءَ يزيدَ بنِ أبى سفيانَ ، ومعه جُمْهورُ الناسِ ، ومعه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو وأشباهُه مِن أهلِ مكةَ ، وخرَج معه ماشيًا يُوصِيه بما اعْتَمده فى حَربِه ومَن معه مِن المسلمين ، وجعَل له دمشقَ . وبعَث أبا عُبَيدةَ بنَ الجرَّاحِ على جُنْدٍ آخرَ ، وخرَج معه ماشيًا يُوصِيه ، وجعَل له نِيابةَ حِمْصَ . وبَعَث عمرَو بنَ العاصِ ومعه جُنْدٌ آخرُ ، وجَعَلَه على فِلَسْطِينَ . وأمَر كلَّ أميرٍ أن يَسْلُكَ طريقًا غيرَ طريقِ الآخرِ ؛ لِمَا لَحَظ فى ذلك مِن المصالحِ ، وكان الصِّدِّيقُ اقْتَدى فى ذلك بنبىِّ اللَّهِ يَعْقوبَ حينَ قال لبَنِيهِ : ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : ٦٧] . فكان سُلوكُ يزيدَ بنِ أبى سُفيانَ على تَبوكَ . قال المَدائنىُّ بإسنادِه عن شيوخِه ، قالوا : وكان بَعْثُ أبى بكرٍ هذه الجيوشَ فى أولِ سنةِ ثلاثَ عشْرةَ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)] عن صالحِ بنِ كَيْسانَ : خرَج أبو بكرٍ ماشيًا ويَزيدُ ابنُ أبى سفيانَ راكبًا ، فجعَل يُوصِيهِ ، فلما فرَغ قال : أُقْرِئُك السلامَ وأَسْتَوْدِعُك اللَّهَ . ثم انْصَرف ومضَى يزيدُ [(٢)] فأَخَذَ التَّبُوكِيَّةَ [(٢)] ، ثُم تَبِعَه شُرَحْبِيلُ ابنُ حَسَنةَ ، ثُم أبو عُبَيدةَ مَدَدًا لهما ، فسلَكوا[(٣)] ذلك الطريقَ ، وخرَج عمرُو بنُ العاصِ حتى نزَل [(٤)] العَرَباتِ[(٥)] مِن أرضِ الشامِ [(٤)] . ويقالُ : إن يزيدَ بنَ أبى سُفيانَ نَزَل البَلْقاءَ أولًا ، ونزَل شُرَحْبيلُ بالأُرْدُنِّ ، ويقالُ : ببُصْرَى . ونزَل أبو عُبَيْدةَ بالجابيةِ ، وجعَل

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٤٠٥، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٢ - ٢) فى م : « وأجد السير » .

(٣) بعده فى ١٥١، م، ص : « غير » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فلسطين من الشام » ، وفى ١٥١ : « بالشام » .

(٥) فى م، ص : « العرمات » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

الصِّدِّيقُ يُمِدُّهم بالجيوشِ، وأمَر كلَّ واحدٍ منهم أن يَنْضافَ إلى مَن أحَبَّ مِن الأُمراءِ. ويقالُ: إن أبا عُبَيدةَ لَمَّا مَرَّ (١بمَآبَ مِن أرضِ١) البَلْقاءِ قاتَلَهم حتى صالَحوه، وكان أولَ صُلْحٍ وَقَع بالشامِ.

ويقالُ: إن أولَ حربٍ وَقَع بالشامِ أن الرومَ اجْتَمعوا بمكانٍ يقالُ له: العَرَبَةُ[٢]. مِن أرضِ فِلَسْطِينَ، فوَجَّه إليهم يَزيدُ[٣] أبا أُمامةَ فى سَرِيَّةٍ فقتَلهم وغنِم منهم، وقتَل منهم بِطْرِيقًا عظيمًا. ثُم كانت بعدَ هذه وَقْعةُ مَرْجِ الصُّفَّرِ[٤]، اسْتُشْهِد فيها خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ وجماعةٌ [٥/ ٧٥ظ] مِن المسلمين. ويقالُ: إن الذى اسْتُشْهِد فى مَرْجِ الصُّفَّرِ[٤] ابنٌ لخالدِ بنِ سعيدٍ. وأمَّا هو ففَرَّ حتى انْحاز إلى أرضِ الحِجازِ. فاللَّهُ أعلمُ. حكاه ابنُ جَريرٍ[٥].

قال ابنُ جَريرٍ[٦]: ولمَّا انْتَهَى خالدُ بنُ سعيدٍ إلى تَيْماءَ، اجْتَمَع له جنودٌ مِن الرومِ فى جَمْعٍ كثيرٍ مِن نَصارَى العربِ؛ مِن بَهْراءَ[٧]، وتَنُوخَ، وبنى كَلْبٍ، وسَلِيحٍ، ولَخْمٍ، وجُذامَ، وغَسَّانَ، فتَقَدَّم إليهم خالدُ بنُ سعيدٍ، فلمَّا اقْتَرَب منهم تَفَرَّقوا عنه ودَخَل كثيرٌ منهم فى الإسلامِ، وبَعَث إلى الصِّدِّيقِ يُعْلِمُه بما وقَع مِن الفتحِ، فأمَره الصِّدِّيقُ أن يَتَقَدَّمَ ولا يُحْجِمَ، وأمَدَّه بالوليدِ بنِ عُقْبةَ وعِكْرِمةَ ابنِ أبى جهلٍ وجماعةٍ، فسار إلى قَريبٍ مِن آبِلَ[٨]، فالْتَقَى هو وأميرٌ مِن الرومِ

(١ - ١) فى الأصل، م: «بأرض»، وفى ١٥١: «بمأرب من أرض». وانظر معجم البلدان ٤/ ٣٧٧.

(٢) فى الأصل: «الغربة»، وفى ١٥١: «العرابة»، وفى م: «العربة». وانظر معجم البلدان ٣/ ٦٣٣.

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) فى الأصل، م: «الصفراء».

(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٠٦.

(٦) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢.

(٧) فى م: «غيرا».

(٨) فى الأصل، م: «إيلياء»، وفى ١٥١، ص: «أيلة». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر معجم البلدان ١/ ٥٦، ٥٧.

يقالُ له : باهانُ[1] . فكَسَرَه ، ولجأ باهانُ إلى دمشقَ ، فلحِقه خالدُ بنُ سعيدٍ ، وبادَر الجيوشَ إلى نَحْوِ[2] دمشقَ وطَلَبِ الحُظْوةِ ، فوصَلوا إلى مَرْجِ الصُّفَّرِ[3] ، فانْطَوت عليه مَسالحُ باهانَ ، وأخَذوا عليهم الطريقَ ، وزَحَف باهانُ ، ففَرَّ خالدُ ابنُ سعيدٍ ، فلم يَرِدْ إلى ذى المَرْوةِ ، واسْتَحْوَذ الرومُ على جيشِهم إلَّا مَن فَرَّ على الخيلِ ، وثَبَت عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ ، وقد تَقَهْقَر عن الشامِ قريبًا ، وبَقِىَ رِدْءًا لمن نَفَر إليه ، وأقْبَل شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ مِن العراقِ ؛ مِن عندِ خالدِ بنِ الوليدِ إلى الصِّدِّيقِ ، فأمَّره على جيشٍ[4] وبَعَثَه إلى الشامِ ، فلمَّا مَرَّ بخالدِ بنِ سعيدٍ بذى المَرْوةِ ، أخَذ جُمهورَ أصحابِه الذين هرَبوا معه إلى ذى المَرْوةِ ، ثُم اجْتَمَع عندَ الصِّدِّيقِ طائفةٌ مِن الناسِ ، فأمَّر عليهم معاويةَ بنَ أبى سُفيانَ ، وأرْسَلَه وراءَ أخيه يزيدَ بنِ أبى سُفيانَ ، [5]ولما مَرَّ بخالدِ بنِ سعيدٍ أخَذ مَن كان بَقِىَ معه بذى المَرْوةِ إلى الشامِ[5] ، ثم أذِن الصِّدِّيقُ لخالدِ بنِ سعيدٍ فى الدخولِ إلى المدينةِ وقال : كان عمرُ أعْلَمَ بخالدٍ .

وَقْعةُ اليَرْمُوكِ

على ما ذكَره سيفُ بنُ عمرَ فى هذه السنةِ قبلَ فتحِ دمشقَ ، وتَبِعَه على ذلك أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ ، رَحِمه اللَّهُ[6] . وأمَّا الحافظُ ابنُ عَساكرَ ، رَحِمه اللَّهُ ، فإنَّه نَقَل

---

(١) هنا وفيما يأتى ، فى م : « ماهان » .
(٢) فى الأصل ، م : « لحوق » .
(٣) فى م : « الصفراء » .
(٤) فى م ، ص : « جيشه » .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٣٦، ٤٤١.

عن يزيدَ بنِ[1] عَبيدةَ والوليدِ وابنِ لَهِيعةَ والليثِ وأبى مَعْشَرٍ، أنَّها كانت فى سنةِ خَمْسَ عشْرةَ بعدَ فتحِ دِمَشقَ[2]. وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3]: كانت فى رجبٍ سنةَ خَمْسَ عَشْرةَ. وقال خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[4]: قال ابنُ الكَلْبىِّ: كانت وَقْعةُ اليَرْموكِ يومَ الاثنين لخمسٍ مَضَين مِن رجبٍ سنةَ خَمْسَ عشْرةَ. قال ابنُ عَساكرَ[5]: وهذا هو المحفوظُ، وما قاله سيفٌ مِن أنها قبلَ فتحِ دِمَشْقَ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ، فلم يُتابَعْ عليه.

قلتُ: وهذا ذِكْرُ سِياقِ سيفٍ وغيرِه على ما أوْرَده ابنُ جَريرٍ وغيرُه، قالوا[6]: ولما تَوَجَّهَتْ هذه الجيوشُ نحوَ الشامِ أفْزَعَ ذلك الرومَ وخافوا خوفًا شديدًا، وكتَبوا إلى هِرَقْلَ يُعْلِمونه بما كان مِن الأمْرِ، فيُقالُ: إنه كان يومَئذٍ بحِمْصَ. ويُقالُ: بل كان حَجَّ عامَه ذلك إلى بيتِ المقدسِ. فلمَّا انْتَهَى إليه الخبرُ قال لهم: وَيْحَكم! إنَّ هؤلاء أهلُ دينٍ جديدٍ، وإنهم لا قِبَلَ لأحدٍ بهم، فأطِيعونى وصالِحُوهم بما تُصالِحونهم على نصفِ خَراجِ الشامِ، ويَبْقَى لكم جِبالُ الرومِ، وإن أنتم أبَيْتُم ذلك، أخَذوا منكم الشامَ وضيَّقوا عليكم جبالَ الرومِ. فنَخَروا مِن ذلك نَخْرةَ حُمُرِ الوَحْشِ، كما هى عاداتُهم فى قِلَّةِ المعرفةِ [٥/٧٦و] والرأيِ بالحربِ والنُّصْرةِ فى الدينِ والدنيا. فعندَ ذلك سار إلى حِمْصَ، وأمَر هِرَقْلُ بخروجِ الجيوشِ الروميَّةِ صُحْبةَ الأُمراءِ، فى مُقابلةِ كلِّ أميرٍ مِن المسلمين

---

(١) بعده فى الأصل، م: «أبى». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٠٧.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ١٤١، ١٤٢.

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٤٤١، بإسناده عن محمد بن إسحاق.

(٤) تاريخ خليفة ١/ ١١٨.

(٥) تاريخ دمشق ٢/ ١٤٢.

(٦) فى الأصل، م: «قال». انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، والكامل ٢/ ٤١٠ - ٤١٤.

جيشٌ كَثيفٌ ، فبعَث إلى عمرِو بنِ العاصِ أخاه[1] لأبويه تَذَارِقَ فى تسعين ألفًا مِن المُقاتِلةِ ، وبعَث جَرَجَةَ بنَ توذرا[2] إلى ناحيةِ يزيدَ بنِ أبى سُفيانَ ، فعَسْكَر بإزائِه[3] ، وبعَث الدُّراقصَ إلى شُرَحْبيلَ ابنِ حَسَنةَ ، وبعَث القيقارَ[4] - ويقالُ : القيقلانُ[5] . قال ابنُ إسحاقَ : وهو حَصِىُّ هِرَقْلَ[6] - ابنَ[7] نَسْطُورِسَ ، فى ستين ألفًا إلى أبى عُبَيدةَ بنِ الجَرَّاحِ . وقالت الرومُ : واللَّهِ لَنَشْغَلَنَّ أبا بكرٍ عن أن يُورِدَ الخُيولَ إلى أرضِنا . وجميعُ عَساكِرِ المسلمين أحَدٌ وعشرون ألفًا سوى الجيشِ الذى مع عِكْرمةَ بنِ أبى جهلٍ ، وكان واقفًا فى طَرَفِ الشامِ رِدْءًا للناسِ فى ستةِ آلافٍ ، فكَتَب الأُمراءُ إلى أبى بكرٍ وعمرَ يُعْلِمونهما بما وقَع مِن الأمرِ العظيمِ ، فكتَب إليهم أن يَجْتَمِعوا فيَكونوا جُنْدًا واحدًا ، والْقَوْا جُنودَ المشركين ، فأنتم أعوانُ[8] اللَّهِ ، واللَّهُ ناصرٌ مَن نصَره ، وخاذلٌ مَن كَفَرَه ، ولن يُؤْتَى مثلُكم عن قِلَّةٍ ، ولكنْ مِن تِلْقاءِ الذنوبِ ، فاحْتَرِسوا منها ، ولْيُصَلِّ كلُّ رجلٍ منكم بأصحابِه . وقال الصِّدِّيقُ : واللَّهِ لأَشْغَلَنَّ النَّصارَى عن وَساوِسِ الشيطانِ بخالدِ ابنِ الوليدِ . وبَعَث إليه وهو بالعراقِ ليَقْدَمَ إلى الشامِ ، فيَكُونَ الأميرَ على مَن به ، فإذا فَرَغ عاد إلى عملِه بالعراقِ . فكان ما سنَذْكُرُه . ولمَّا بَلَغ هِرَقْلَ ما أمَر به الصِّدِّيقُ أُمراءَه مِن الاجْتماعِ ، بَعَث إلى أُمرائِه أن يَجْتَمِعوا أيضًا ، وأن يَنْزِلوا

---

(١) فى الأصل ، م : « أخًا له » .

(٢) فى الأصل : « نودرا » ، وفى ص : « بوذرا » ، وفى م : « بوذيها » .

(٣) بعده فى الأصل : « فى خمسين ألفا فى ستين ألفا » ، وبعده فى م : « فى خمسين ألفا أو ستين ألفا » .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « الفيقار » .

(٥) فى تاريخ الطبرى ٣/ ٤١٧، ٤١٨: « القبقلار » .

(٦) الحصى : الوافر العقل الكتوم الذى يحفظ السر . انظر اللسان (ح ص ى) .

(٧) سقط من : م ، ص . وفى الأصل ، ١٥١: « و » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٨) فى الأصل ، ١٥١، م : « أنصار » .

بالجيشِ مَنْزِلًا واسعَ العَطَنِ، واسعَ المَطْرَدِ، ضَيِّقَ المَهْرَبِ، وعلى الناسِ أخوه تَذَارِقُ[1]، وعلى المُقَدِّمةِ جَرَجَةُ، وعلى المُجَنِّبَتَيْنِ باهانُ والدُّراقصُ، وعلى الحربِ[2] القيقلانُ.

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[3] عن عبدِ الأعْلَى، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ: إن المسلمين كانوا أربعةً وعشرين ألفًا، وعليهم أبو عُبَيْدةَ، والرومَ كانوا عِشْرين ومائةَ ألفٍ، عليهم [4]باهانُ وسقلابُ[4]، يومَ اليَرْمُوكِ.

وكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ[5] أن سقلابَ الحَصِيَّ كان على الرومِ يومَئذٍ فى مائةِ ألفٍ، وعلى المُقَدِّمةِ جَرَجَةُ مِن أَرْمِينِيَةَ فى اثْنَى عشَرَ ألفًا، ومن المُسْتَعْرِبةِ اثْنَا عشَرَ ألفًا عليهم جَبَلَةُ بنُ الأيْهَمِ، والمسلمون فى أربعةٍ وعشرين ألفًا، فقاتَلوا قِتالًا شديدًا، حتى قاتَلَتِ النساءُ مِن ورائِهم أَشَدَّ القِتالِ.

وقال الوليدُ[6]، عن صَفْوانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرٍ قال: بَعَث هِرَقْلُ مائتَىْ ألفٍ، عليهم باهانُ الأَرْمَنِيُّ.

قال سيفٌ[7]: فسارت الرومُ فنزَلوا الواقُوصَةَ قريبًا مِن اليَرْموكِ، وصار الوادى خَنْدقًا عليهم، وبعَث الصحابةُ إلى الصِّدِّيقِ يَسْتَمِدُّونه، ويُعْلِمونه بما اجْتَمَع مِن

---

(١) فى الأصل: «لبيدارة»، وفى ا ١٥١: «ابتدارق»، وفى م، ص: «بندارق». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر ما سبق قريبا.

(٢) فى م، ص: «البحر».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٤٣، من طريق محمد بن عائذ به.

(٤ - ٤) فى تاريخ دمشق: «ماهان وسقلان».

(٥) المصدر السابق ٣/ ١٤٤، ١٤٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٤٥، من طريق الوليد به.

(٧) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٠٦ - ٤١١، ٤١٥ - ٤١٧.

جيشِ الرومِ باليَرْموكِ ، فكَتَب الصديقُ عندَ ذلك إلى خالدِ بنِ الوَليدِ أن يَسْتَنيبَ على العراقِ ، وأن يَقْفِلَ بمَن معه إلى الشامِ ، فإذا وصَل إليهم فهو الأميرُ عليهم . فاسْتَناب المُثَنَّى بنَ حارثةَ على العراقِ ، فسار خالدٌ مُسْرِعًا فى تسعةِ آلافٍ - و(١)يُقالُ : ثمانُمائةٍ ، أو(١) خمسُمائةٍ - ودليلُه رافعُ بنُ عُمَيْرةَ الطائىُّ ، (٢)فأخَذ به على السَّماوَةِ(٣) ، حتى انْتَهَى إلى قُراقِرَ ، وسلَك به أراضىَ لم يَسْلُكْها قبلَه أحدٌ(٢) ، فاجْتاب البَرارىَّ والقِفارَ ، وقطَع الأوْديةَ ، وتصَعَّد على الجبالِ ، [٥/ ٧٦ظ] وسار فى غيرِ مَهْيَعٍ(٤) ، وجعَل رافعٌ يَدُلُّهم فى مَسيرِهم على الطريقِ وهو أَرْمَدُ(٥) ، وعَطَّش النُّوقَ وسَقاها الماءَ عَلَلًا بعدَ نَهَلٍ ، وقطَع مَشافرَها وكَعَمَها حتى لا (٦)تَجْتَرَّ ، وخَلَّ(٦) أدبارَها ، واسْتاقها معه ، فلمَّا فقَدوا الماءَ نَحَرها فشرِبوا ما فى أجْوافِها مِن الماءِ ، ويقالُ: بل سَقاه الخيلَ وشَرِبوا ما كانت تَحْمِلُه مِن الماءِ وأكَلوا لُحومَها ، ووصَل ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، فى خمسةِ أيامٍ ، فخرَج على الرومِ مِن ناحيةِ تَدْمُرَ ، فصالَح أهلَ تَدْمُرَ وأرَكَ(٧) ، ولمَّا مَرَّ بعَذْراءَ أباحها وغَنِمَ لغَسَّانَ أموالًا عظيمةً ، (٨)وخَرَج مِن شَرْقىِّ دِمشقَ ، ثم سار حتى وصَل إلى قَناةِ بُصْرَى ، فوجَد الصحابةَ مُحاصِرِيها(٩)(٨) ، فصالَحه صاحبُها وسلَّمها إليه ، فكانت أولَ مدينةٍ

(١ - ١) سقط من الأصل ، م .

(٢ - ٢) سقط من : ١٥١ ، ص .

(٣) فى م : « السماق » . والسماوة : مفازة بين الكوفة والشام ، وقيل : بين الموصل والشام . معجم ما استعجم ٣/ ٧٥٤.

(٤) المهيع من الطرق : البَيِّنُ . الوسيط (هـ ى ع) .

(٥) فى الأصل : « فى مفاوز معطشة » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « تحتز رحل » . ومشافر الإبل : شفاهها . وكعمها : شد أفواهها .

(٧) فى النسخ : « أركه » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وأرك : مدينة صغيرة فى طرف برية حلب قرب تدمر . معجم البلدان ١/ ٢١٠.

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) فى الأصل ، م : « تحاربها » .

فُتِحَتْ مِن الشامِ . وللَّهِ الحمدُ .

وبعَث خالدٌ بأخْماسِ ما غنِم مِن غَسَّانَ مع بلالِ بنِ الحارثِ المُزَنىِّ إلى الصِّدِّيقِ ، [1]ثُم سار خالدٌ وأبو عُبَيدةَ ويزيدُ[2] وشُرَحْبِيلُ إلى عمرِو بنِ العاصِ ، وقد قَصَده الرومُ بأرضِ [3]العَرَباتِ مِن الغَوْرِ[3] ، فكانت وقعةُ أجْنادِينَ[1] ، وقد قال رجلٌ مِن المسلمين فى مَسيرِهم هذا مع خالدٍ :

لِلَّهِ عينا رافعٍ أَنَّى اهْتَدَى ... فَوَّزَ مِن قُراقِرٍ إلى سُوَى
خمسًا إذا ما سارها الجيشُ بَكَى ... ما سارَها قَبْلَكَ إنْسِيٌّ أَرَى[4]

وقد كان بعضُ العربِ قال له فى هذا المَسيرِ : إن أنت أَصْبَحْتَ عندَ الشجرةِ الفُلانيَّةِ ، نَجَوْتَ أنت ومَن معك ، وإن لم تُدْرِكْها هَلَكْتَ أنت ومَن معك . فسار خالدٌ بمَن معه وسَرَوْا سَرْوَةً عظيمةً ، فأصْبَحوا عندَها ، فقال خالدٌ : عندَ الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى . فأرْسَلها مثلًا ، وهو أولُ مَن قالها ، رضِى اللَّهُ عنه .

[1]قال غيرُ ابنِ إسْحاقَ كسيفِ بنِ عمرَ وأبى مِخْنَفٍ[5] وغيرِهما فى تَكْميلِ السِّياقِ الأولِ : حينَ اجْتَمَعَت الرومُ مع أُمرائِها بالواقُوصَةِ[1] ، وانْتَقَل الصحابةُ مِن مَنْزِلهم الذى كانوا فيه فنَزَلوا قريبًا مِن الرومِ فى طريقِهم الذى ليس لهم طريقٌ غيرُه ، فقال عمرُو بنُ العاصِ : أبْشِروا أيُّها الناسُ ، فقد حُصِرت واللَّهِ الرومُ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى م ، ص : « مرثد » .
(٣ - ٣) فى ا ١٥ : « العرمات من الغور » ، وفى م : « العربا من المعور » ، وفى ص : « العربا من العور » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٤) فى تاريخ الطبرى : « يرى » . والرجز فى معجم ما استعجم للبكرى صفحة ١٠٥٨ .
(٥) فى م : « نحيف » . وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٣، وتاريخ دمشق ٢/ ١٦٢.

وقلَّما جاء مَحْصورٌ بخيرٍ . ويقالُ[1] : إن الصحابةَ لمَّا اجْتَمَعوا للمَشورةِ فى كيفيةِ المَسيرِ إلى الرومِ ، جلَس الأُمراءُ لذلك ، فجاء أبو سفيانَ فقال : ما كنتُ أَظُنُّ أنى أُعَمَّرُ حتى أُدْرِكَ قومًا يَجْتَمِعون لحربٍ ولا أَحْضُرُهم . ثُم أشار أن يَتَجَزَّأَ الجيشُ ثلاثةَ أجزاءٍ ، فيَسيرُ ثُلُثُه فيَنْزِلون تُجاهَ الرومِ ، ثُم تَسِيرُ الأَثْقالُ والذَّرارِىُّ فى الثُّلُثِ الآخَرِ ، ويتَأَخَّرُ خالدٌ بالثُّلُثِ الآخِرِ ، حتى إذا وَصَلَتِ الأَثْقالُ إلى أولئك سار بعدَهم ، ونزَلوا فى مكانٍ تكونُ البَرِّيَّةُ مِن وراءِ ظهورِهم ؛ ليَصِلَ إليهم البُرُدُ والمَدَدُ . فامْتَثَلوا ما أشار به ، ونِعْمَ الرأىُ هو .

وذكَر الوليدُ[2] عن صَفْوانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرٍ ، أن الرومَ نزَلوا فيما بينَ دَيْرِ أيوبَ واليَرْموكِ ، ونَزَل المسلمون مِن وراءِ النهرِ مِن الجانبِ الآخَرِ ، وأَذْرِعاتٌ خلفَهم ؛ ليَصِلَ إليهم المَدَدُ مِن المدينةِ .

ويقالُ[3] : إن خالدًا إنَّما قَدِم عليهم بعدَما نزَل الصحابةُ تُجاهَ الرومِ ، بعدَما صابَروهم وحاصَروهم شهرَ رَبيعٍ الأولِ بكمالِه ، فلما انْسَلَخ وأمْكَن القِتالُ لقِلَّةِ الماءِ ، بعَثوا إلى الصِّدِّيقِ يَسْتَمِدُّونه ، فقال : خالدٌ لها . فبَعَثَ إلى خالدٍ ، فقَدِم عليهم فى ربيعٍ الآخِرِ ، فعندَ وصولِ خالدٍ إليهم أَقْبَل باهانُ مَدَدًا للرومِ ، ومعه القَساقِسَةُ ، والشَّمامِسَةُ والرُّهْبانُ ، يَحُثُّونهم ويُحَرِّضُونهم على القِتالِ لنَصْرِ دينِ النَّصْرانيةِ ، فتَكامَلَ جيشُ الرومِ أربعين ومائتَىْ ألفٍ ؛ ثمانون ألفَ مُسَلْسَلٍ بالحَديدِ والحبالِ ، وثمانون ألفَ [٥/٧٧و] فارسٍ ، وثمانون ألفَ راجلٍ[4] .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢/١٤٥ - ١٤٧، بنحوه مطولاً .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/١٤٥ - ١٤٧، من طريق الوليد بنحوه مطولا .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٣، ٣٩٤، وتاريخ دمشق ٢/ ١٦٢، ١٦٣.

(٤) بعده فى الأصل، م : « قال سيف » .

وقيل[1] : بل كان الذين تسَلْسَلوا - كلُّ عشَرةٍ فى[2] سِلْسِلةٍ ؛ لئلا يَفِرُّوا - ثلاثين ألفًا . فاللَّهُ أعلمُ .

قال سيفٌ[3] : وقدِم عِكْرمةُ[4] بمَن معه مِن الجيوشِ ، فتكامَل جيشُ الصَّحابةِ ستةً وثلاثين ألفًا إلى الأربعين ألفًا .

وعندَ ابنِ إسحاقَ[5] والمَدائنىِّ أيضًا أن وَقْعةَ أجْنادِينَ قبلَ وَقْعةِ اليَرْموكِ ، وكانت وَقْعةُ أجْنادِينَ لليلَتَيْنِ بَقِيتا مِن جُمادَى الأولى سنةَ ثلاثَ عشْرةَ ، وقُتِل بها بَشَرٌ كثيرٌ مِن الصحابةِ ، وهُزِم الرومُ وقُتِل أميرُهم القيقلانُ . وكان قد بعَث رجلًا مِن نَصارَى العربِ يَجُسُّ له أمْرَ الصَّحابةِ ، فلما رجَع إليه قال : وجَدْتُ قومًا رُهْبانًا بالليلِ فُرْسانًا بالنهارِ ، واللَّه لو سرَق فيهم ابنُ مَلِكهم قَطَعوه ، أو زَنَى لَرَجَموه . فقال له القيقلانُ : واللَّهِ لئن كنتَ صادقًا لَبَطْنُ الأرضِ خيرٌ مِن ظهرِها .

وقال سيفُ بنُ عمرَ فى سِياقِه[6] : ووجَد خالدٌ الجُيوشَ مُتَفَرِّقةً ؛ فجيشُ أبى عُبَيدةَ وعمرِو بنِ العاصِ ناحيةً ، وجيشُ يزيدَ وشُرَحْبيلَ ناحيةً ، فقام خالدٌ فى الناسِ خَطيبًا ، فأمَرهم بالاجْتماعِ ونَهاهم عن التَّفَرُّقِ والاخْتِلافِ ، فاجْتَمع الناسُ وتَصافُّوا مع عدوِّهم فى أولِ جُمادَى الآخِرةِ ، وقام خالدُ بنُ الوليدِ فى الناسِ ، فحَمِدَ اللَّهَ وأثْنَى عليه وقال : إن هذا يومٌ مِن أيامِ اللَّهِ ، لا يَنْبَغى فيه الفَخْرُ ولا

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢/ ١٥٠.

(٢) سقط من : م .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٦.

(٤) كذا فى النسخ . والصحيح : « خالد » . كما هو عند الطبرى .

(٥) تاريخ الطبرى ٣/٤١٧ - ٤١٩.

(٦) المصدر السابق ٣/٣٩٤ - ٣٩٧.

البَغْىُ ، أخْلِصوا جهادَكم وأَرِيدوا اللَّهَ بعملِكم ، وإن هذا يومٌ له ما بعدَه ، إن رَدَدْناهم اليومَ إلى خَنْدقِهم فلا نَزالُ نَرُدُّهم ، وإن هزَمونا لا نُفْلِحُ بعدَها أبدًا ، فتَعالَوا فَلْنَتَعاوَرِ الإمارةَ ، فلْيَكُنْ عليها بعضُنا اليومَ ، والآخَرُ غدًا ، والآخرُ بعدَ غدٍ ، حتى يَتَأَمَّرَ كلُّكم ، ودَعونى اليومَ أَلِيكم . فأمَّروه عليهم ، وهم يَظُنون أن الأمْرَ يَطولُ جدًّا ، فخرَجَتِ الرومُ فى تَعْبِئةٍ لم يُرَ مثلُها قطُّ ، وخرَج خالدٌ فى تَعْبِئَةٍ لم تُعَبِّها العربُ قبلَ ذلك ؛ فخرَج فى ستةٍ وثلاثين كُرْدُوسًا إلى الأربعين ، كلُّ كُرْدوسٍ ألفُ رجلٍ عليهم أميرٌ ، وجعَل أبا عُبَيدةَ فى القَلْبِ ، وعلى المَيْمَنةِ عمرَو ابنَ العاصِ ومعه شُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ ، وعلى المَيْسَرةِ يزيدَ بنَ أبى سفيانَ ، وأمَّر على كلِّ كردوسٍ أمِيرًا ، وعلى الطَّلائعِ قُباثَ[1] بنَ أَشْيَمَ ، وعلى الأقْباضِ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ ، والقاضى يومَئذٍ أبو الدَّرْداءِ ، وقاصُّهم الذى يَعِظُهم ويَحُثُّهم على القِتالِ أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، وقارِئُهم الذى يَدورُ على الناسِ فيَقْرَأُ سُورةَ « الأنْفالِ » وآياتِ الجِهادِ المِقْدادُ بنُ الأسْودِ .

وذكَر إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2] بإسْنادِه ، أن أُمراءَ الأرْباعِ يومَئذٍ كانوا أرْبعةً ؛ أبو عُبَيدةَ ، وعمرُو بنُ العاصِ ، وشُرَحْبِيلُ ابنُ حَسَنَةَ ، ويزيدُ بنُ أبى سُفْيانَ ، وخرَج الناسُ على راياتِهم ، وعلى المَيْمَنةِ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، وعلى المَيْسَرةِ [3]قُباثُ بنُ أَشْيَمَ[3]

---

(١) فى م : « قباب » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٣٠٣، وأسد الغابة ٤/ ٣٧٩.

(٢) فى الأصل : « بشار » ، وفى م : « يسار » . انظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٨/١٨٧ - ١٩٣. وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/١٤٨ - ١٥٩ ، بسنده عن إسحاق بن بشر ، بنحوه .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م ، ص : « نفاثة بن أسامة » ، وفى ١٥١ : « نباتة بن أسامة » ، وفى تاريخ دمشق : « قثامة بن أسامة » ، وفى مختصر تاريخ دمشق ١/ ٢١٤: « قباثة بن أسامة » . والمثبت مما سيأتى فى صفحة ٥٥٨، بهذا الإسناد .

الكِنانىُّ ، وعلى الرَّجَّالةِ هاشمُ بنُ عُتْبةَ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، وعلى الخَيَّالةِ خالدُ بنُ الوَليدِ ؛ وهو المُشيرُ فى الحربِ الذى يَصْدُرُ الناسُ كلُّهم عن رَأْيِه .

ولمَّا أقْبَلَتِ الرومُ فى خُيَلائِها وفَخرِها قد سَدَّت أقْطارَ تلك البُقْعةِ سَهْلِها ووَعْرِها ، كأنهم غَمامَةٌ سَوْداءُ يَصِيحون بأصواتٍ مُرْتفعةٍ ، ورُهْبانُهم يَتْلُون الإنْجيلَ ويَحُثُّونهم على القِتالِ ، وكان خالدٌ فى الخيلِ بينَ يَدَيِ الجيشِ ، فساق بفرسِه إلى أبى عُبَيْدةَ ، [٥/٧٧ظ] فقال له : إنى مُشيرٌ بأمْرٍ . فقال : قلْ ما أراكَ[1] اللَّهُ ، أسْمَعْ لك وأُطِعْ . فقال له خالدٌ : إنَّ هؤلاء القومَ لابُدَّ لهم مِن حَمْلةٍ عظيمةٍ لا مَحِيدَ لهم عنها ، وإنى أخْشَى على المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ ، وقد رأيْتُ أن أُفَرِّقَ الخيلَ فِرْقَتَيْنِ وأجْعَلَها مِن[2] وراءِ المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ ، حتى إذا صَدَموهم كانوا لهم رِدْءًا[3] مِن ورائِهم . فقال له : نِعْمَ ما رأيْتَ . فكان خالدٌ فى أحدِ الخَيْلَين مِن وراءِ المَيْمنةِ ، وجعَل قيسَ بنَ هُبَيْرةَ فى الخيلِ الأخرى ، وأمَر أبا عُبَيدةَ أن يَتَأَخَّرَ عن القَلْبِ إلى وراءِ الجيشِ كلِّه ؛ لكى إذا رآه المُنْهَزِمُ اسْتَحيى منه ، ورجَع إلى القتالِ ، فجعَل أبو عُبَيدةَ مكانَه فى القَلْبِ سعيدَ بنَ زيدٍ العَدَوِىَّ أحدَ العشَرةِ ، رَضِى اللَّهُ عنهم ، وساق خالدٌ إلى النساءِ مِن وراءِ الجيشِ ، ومعهنَّ عددٌ مِن السيوفِ وغيرِها ، فقال لهن : مَن رأيْتُموه مُوَلِّيًا فاقْتُلْنَه . ثُم رجَع إلى موقفِه ، رَضِى اللَّهُ عنه .

ولمَّا تَرَاءَى الجَمْعانِ وتَبارَز الفريقان ، وَعَظ أبو عُبَيدةَ المسلمين فقال : عِبادَ اللَّهِ ، انْصُروا اللَّهَ يَنْصُرْكم ويُثَبِّتْ أقْدامَكم ، يا معشرَ المسلمين ، اصْبِروا ؛ فإن

---

(١) فى الأصل ، م : « أمرك » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م ، ص : « فنأتيهم » .

الصبرَ مَنْجاةٌ مِن الكفرِ ، ومَرْضاةٌ للربِّ ، ومَدْحَضَةٌ للعارِ ، ولا تَبْرَحوا مَصافَّكم ، ولا تَخْطُوا إليهم خُطْوةً ، ولا تَبْدَءُوهم بالقِتالِ ، وأَشْرِعوا الرِّماحَ واسْتَتِروا بالدَّرَقِ ، والْزَموا الصَّمْتَ إلَّا مِن ذِكْرِ اللَّهِ فى أنْفُسِكم ، حتى آمُرَكم إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

قالوا : وخرَج مُعاذُ بنُ جبلٍ على الناسِ ، فجعَل يُذَكِّرُهم ويقولُ : يا أهلَ القُرآنِ ومُسْتَحْفَظِى[1] الكتابِ ، وأنصارَ الهُدَى والحقِّ ، إن رحمةَ اللَّهِ لا تُنالُ وجنتَه لا تُدْخَلُ بالأمانِىِّ ، ولا يُؤْتِى اللَّهُ المَغْفرةَ والرحمةَ الواسعةَ إلَّا الصادقَ المُصَدَّقَ ، ألم تَسْمَعوا لقولِ اللَّهِ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآيةَ [النور : ٥٥] . فاسْتَحْيُوا ، رَحِمكم اللَّهُ ، مِن ربِّكم أن يَراكم فُرَّارًا مِن عدوِّكم وأنتم فى قَبْضَتِه ، وليس لكم مُلْتَحَدٌ مِن دونِه ، ولا عِزٌّ بغيرِه .

وقال عمرُو بنُ العاصِ : يا أيُّها المسلمون ، غُضُّوا الأبْصارَ ، واجْثُوا على الرُّكَبِ ، وأشْرِعوا الرِّماحَ ، فإذا حَمَلوا عليكم فأمْهِلوهم ، حتى إذا رَكِبوا أطْرافَ الأَسِنَّةِ فثِبُوا إليهم وَثْبَةَ الأسدِ ، فوالذى يَرْضَى الصِّدقَ ويُثِيبُ عليه ، ويَمْقُتُ الكَذِبَ ، ويَجْزِى بالإحْسانِ إحسانًا ، لقد سَمِعْتُ أنَّ المسلمين سيَفْتَحونها كَفْرًا كَفْرًا ، وقَصْرًا قَصْرًا ، فلا يَهُولَنَّكم جُمُوعُهم ولا عُدَدُهم ، فإنَّكم لو صدَقْتُموهم الشدَّ تَطايَروا تَطايُرَ أولادِ الحَجَلِ .

وقال أبو سُفيانَ : يا معشرَ المسلمين ، أنتم العربُ ، وقد أصْبَحْتُم فى دارِ العَجَمِ مُنْقَطِعِين عن الأهلِ ، نائِينَ عن أميرِ المؤمنين وأمْدادِ المسلمين ، وقد واللَّهِ أصْبَحْتُم بإزاءِ عدُوٍّ كثيرٍ عَدَدُه ، شَديدٍ عليكم حَنَقُه ، وقد وَتِرْتُموهم فى أنفسِهم

---

(١) فى م : « متحفظى » .

وبلادِهم ونسائِهم ، واللَّهِ لا يُنَجِّيكم مِن هؤلاء القومِ ، ولا يُبْلَغُ بكم رِضوانَ اللَّهِ غدًا ، إلَّا بصِدْقِ اللِّقاءِ والصَّبْرِ فى المَواطنِ المكْروهةِ ، ألا وإنَّها سُنَّةٌ لازمةٌ ، وإنَّ الأرضَ وراءَكم ، بينَكم وبينَ أميرِ المؤمنين وجماعةِ المسلمين صَحارَى [٥/ ٧٨و] وبَرَارِىُّ ، ليس لأحدٍ فيها مَعْقِلٌ ولا مَعْدِلٌ إلَّا الصبرُ ورَجاءُ ما وَعَد اللَّهُ ، فهو خيرُ مُعَوَّلٍ ، فامْتَنِعُوا بسيوفِكم وتَعاوَنوا ، ولْتَكُنْ هى الحُصونَ . ثُم ذهَب إلى النساءِ فوَصَّاهُنَّ ، ثُم عاد فنادَى : يا معشرَ[1] أهلِ الإسلامِ ، حَضَر ما تَرَوْن ، فهذا رسولُ اللَّهِ ﷺ والجنةُ أمامَكم ، والشيطانُ والنارُ خلفَكم . ثُم سار إلى مَوْقِفِه ، رحِمه اللَّهُ .

وقد وَعَظ الناسَ أبو هريرةَ[2] أيضًا فجعَل يقولُ : سارِعوا إلى الحُورِ العِينِ وجِوارِ ربِّكم ، عَزَّ وجَلَّ ، فى جناتِ النَّعيمِ ، ما أنتم إلى ربِّكم فى مَوْطِنٍ أحَبَّ إليه منكم فى مثلِ هذا المَوْطِنِ ، ألا وإن للصابرين فضلَهم .

قال سيفُ بنُ عمرَ[3] بإسنادِه عن شيوخِه : إنهم قالوا : كان فى ذلك الجمعِ ألفُ رجلٍ مِن الصحابةِ ؛ منهم مائةٌ مِن أهلِ بدرٍ . وجَعَل أبو سُفْيانَ يقِفُ على كلِّ كُردوسٍ ويقولُ : اللَّهَ اللَّهَ ، إنكم دارَةُ[4] العربِ وأنْصارُ الإسلامِ ، وإنهم دارةُ[4] الرومِ وأنْصارُ الشِّركِ ، اللهم إنَّ هذا يومٌ مِن أيامِك ، اللهم أَنْزِلْ نَصْرَك على عبادِك . قالوا : ولما أقْبَل خالدٌ مِن العراقِ قال رجلٌ مِن نَصارَى العربِ لخالدِ ابنِ الوليدِ : ما أكْثَرَ الرومَ وأقلَّ المسلمين ! فقال خالدٌ : وَيْلَكَ ، أتُخَوِّفُنى بالرومِ ؟

---

(١) فى الأصل ، م : « معاشر » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٥١ - ١٥٣ ، بسنده عن إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن قدماء أهل الشام ، بنحوه مطولا .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « ذاذة » .

إنَّما تَكْثُرُ الجُنودُ بالنصرِ، وتَقِلُّ بالخِذْلانِ لا بعدَدِ الرِّجالِ، واللَّهِ لَوَدِدْتُ أنَّ الأَشْقَرَ بَرَاءٌ مِن تَوَجِّيهِ[1] وأنَّهم أضْعَفوا فى العددِ. وكان فرسُه قد حَفِيَ واشْتَكى فى مجيئِه مِن العراقِ. ولمَّا تَقارَب الناسُ تقدَّم أبو عُبيدةَ ويزيدُ بنُ أبى سُفْيانَ، ومعهما ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ، والحارثُ بنُ هشامٍ، وأبو جَنْدلِ بنُ سُهَيْلٍ، ونادَوْا: إنَّما نُرِيدُ أميرَكم لنَجْتَمِعَ به. فأُذِن لهم فى الدُّخولِ على تَذَارِقَ، وإذا هو جالسٌ فى خَيْمةٍ مِن حَريرٍ، فقال الصحابةُ: لا نَسْتَحِلُّ دُخولَها. فأمَرَ لهم بفُرُشٍ؛ بُسُطٍ مِن حريرٍ، فقالوا: ولا نَجْلِسُ على هذه. فجلَس معهم حيث أحَبُّوا، وتَراضَوا على الصُّلْحِ[2]، ورجَع عنهم الصحابةُ بعدَما دَعَوْهم إلى اللَّهِ، عز وجل، فلم يَتِمَّ ذلك.

وذكَر الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ[3] أن باهانَ طلَب خالدًا؛ ليَبْرُزَ إليه فيما بينَ الصَّفَّيْن، فيَجْتَمِعا فى مَصْلحةٍ لهم، فقال باهانُ: إنّا قد علِمْنا أنَّ ما أخْرَجكم مِن بلادِكم الجَهْدُ والجُوعُ، فهَلُمُّوا إلى أن أُعْطِيَ كلَّ رجلٍ منكم عشَرةَ دَنانِيرَ وكِسْوةً وطعامًا، وتَرْجِعون إلى بلادِكم، فإذا كان مِن العامِ المُقْبِلِ بَعَثْنا لكم بمِثْلِها. فقال خالدٌ: إنَّه لم يُخْرِجْنا مِن بلادِنا ما ذَكَرْتَ، غيرَ أنَّا قومٌ نَشْرَبُ الدِّماءَ، وأنَّه بَلَغَنا أنَّه لا دمَ أطْيَبُ مِن دمِ الرومِ، فجِئْنا لذلك. فقال أصحابُ باهانَ: هذا واللَّهِ ما كنا نُحَدَّثُ به عن العربِ.

قالوا[4]: ثم تَقَدَّم خالدٌ إلى عِكْرِمةَ بنِ أبى جهلٍ والقَعْقاعِ بنِ عَمْرٍو - وهما

---

(١) فى الأصل، م: «توجعه». والتَّوَجِّى: رِقَّة الحافر من كثرة المشى. انظر الوسيط (و ج ى).

(٢) فى تاريخ دمشق أنه لم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صلح. ولعلَّ هذا ما عبَّر عنه المصنف هنا فى آخر الكلام بقوله: فلم يتمّ ذلك.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ١٤٦، ١٤٧.

(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٧ - ٤٠٠.

على مُجَنِّبَتَي القَلْبِ - أن يُنْشِئا القِتالَ ، فبدَرا يَرْتَجِزان ودَعَوَا إلى البِرازِ ، وتَنازَل الأبْطالُ ، وتَجاوَلوا وحَمِيَ الحربُ ، وقامت على ساقٍ ، هذا وخالدٌ معه[1] كُرْدُوسٌ مِن الحُماةِ الشُّجْعانِ الأبطالِ بينَ يدي الصُّفوفِ ، والأبْطالُ يَتَصاوَلون مِن الفريقَيْنِ بينَ يديه ، وهو يَنْظُرُ ويَبْعَثُ [٥/ ٧٨ظ] إلى كلِّ قومٍ مِن أصحابِه بما يَعْتَمِدونه مِن الأفاعيلِ ، ويُدَبِّرُ أمْرَ الحربِ أتَمَّ تَدْبيرٍ .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2] عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن قُدَماءِ مَشايخِ دمشقَ ، قالوا : ثم زحَف باهانُ ، فخرَج أبو عُبَيدةَ وقد جعَل على المَيْمَنةِ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ، وعلى المَيْسَرةِ قُباثَ[3] بنَ أَشْيَمَ الكِنانيَّ ، وعلى الرَّجَّالةِ هاشمَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبي وَقَّاصٍ ، وعلى الخيلِ خالدَ بنَ الوَليدِ ، وخَرَج الناسُ على راياتِهم ، وسار أبو عُبَيدةَ بالمسلمين وهو يقولُ[4] : عبادَ اللَّهِ ، انْصُروا اللَّهَ يَنْصُرْكم ويُثَبِّتْ أقْدامَكم ، يا معشرَ المسلمين ، اصْبِروا ؛ فإن الصَّبْرَ مَنْجاةٌ مِن الكفرِ ، ومَرْضاةٌ للربِّ ، ومَدْحَضَةٌ للعارِ ، ولا تَبْرَحوا مَصافَّكم ، ولا تَخْطوا إليهم خُطْوةً ، ولا تَبْدءُوهم بالقِتالِ ، وأشْرِعوا الرِّماحَ ، واسْتَتِروا بالدَّرَقِ ، والْزَموا الصَّمْتَ إلَّا مِن ذِكْرِ اللَّهِ .

وخَرَج مُعاذُ بنُ جبلٍ ، فجعَل يُذَكِّرُهم ، ويقولُ : يا أهلَ القُرْآنِ ، ومُسْتَحْفَظِي الكتابِ ، وأنْصارَ الهُدَى والحَقِّ ، إن رحمةَ اللَّهِ لا تُنالُ وجَنَّتَه لا تُدْخَلُ بالأمانيِّ ، ولا يُؤْتِي اللَّهُ المغفرةَ والرحمةَ الواسعةَ إلَّا الصادقَ المُصَدِّقَ ، ألم تَسْمَعوا لقولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

---

(١) فى الأصل ، م : « مع » .

(٢) فى الأصل ، م : « بشير » . وهو خطأ ؛ والخبر تقدم تخريجه فى صفحة ٥٥٣ .

(٣) فى ا ١٥١ : « قتاب » ، وفى م : « قباب » . وانظر الاستيعاب ١٣٠٣/٣ .

(٤) هذا والذى بعده مكرر ، فقد سبق فى صفحة ٥٥٤ وما بعدها .

إلى آخرِ الآيةِ [النور: ٥٥] . فَاسْتَحْيُوا ، رَحِمكم اللَّهُ ، مِن ربِّكم أن يَراكم فُرَّارًا مِن عدوِّكم ، وأنتم فى قَبْضَتِه ، وليس لكم مُلْتَحَدٌ مِن دونِه .

وسار عمرُو بنُ العاصِ فى الناسِ وهو يقولُ : أيها المسلمون ، غُضُّوا الأبْصارَ ، واجْثُوا على الرُّكَبِ ، وأشْرِعوا الرِّماحَ ، فإذا حَمَلوا عليكم فأمْهِلوهم ، حتى إذا رَكِبوا أطْرافَ الأَسِنَّةِ فثِبُوا وَثْبَةَ الأسدِ ، فوالذى يَرْضَى الصِّدْقَ ويُثِيبُ عليه ، ويَمْقُتُ الكذبَ ويَجْزِى الإحْسانَ إحْسانًا ، لقد سَمِعْتُ أن المسلمين سيَفْتَحونها كَفْرًا كَفْرًا ، وقَصْرًا قَصْرًا ، فلا يَهُولَنَّكم جُموعُهم ولا عُدَدُهم ، فإنكم لو صدَقْتُموهم الشدَّ لَتَطايَرُوا تَطايُرَ أولادِ الحَجَلِ .

ثُم تكَلَّم أبو سفيانَ فأحْسَن وحَثَّ على القِتالِ ، فأبْلَغَ فى كلامٍ طويلٍ ، ثُم قال حينَ تَواجَهَ الناسُ : يا مَعْشرَ أهلِ الإسلام ، حَضَر ما تَرَوْن ، فهذا رسولُ اللَّهِ ﷺ والجنةُ أمامَكم ، والشيطانُ والنارُ خلفَكم . وحرَّض أبو سُفْيانَ النساءَ فقال : مَن رَأيْتُنَّه فارًّا فاضْرِبْنَهُ بهذه الأحْجارِ والعِصِىِّ حتى يَرْجِعَ . وأشار خالدٌ أن يَقِفَ فى القَلْبِ سعيدُ بنُ زيدٍ ، وأن يكونَ أبو عُبيدةَ مِن وراءِ الناسِ ليَرُدَّ المُنْهَزِمَ ، وقَسَم خالدٌ الخيلَ قِسْمَيْن ؛ فجَعَل فِرْقةً وراءَ المَيْمَنةِ ، وفِرْقةً وراءَ المَيْسَرةِ ؛ لِئَلَّا يَفِرَّ الناسُ وليَكُونوا رِدْءًا لهم مِن ورائِهم ، فقال له أصحابُه : افْعَلْ ما أراك اللَّهُ . وامْتَثَلوا ما أشار به خالدٌ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، وأقْبَلَتِ الرومُ رافعةً صُلْبانَها ، ولهم أصواتٌ مُزْعِجةٌ كالرَّعْدِ ، والقَساقِسةُ والبَطارِقةُ تُحَرِّضُهم على القِتالِ ، وهم فى عَدَدٍ وعُدَدٍ لم يُرَ مثلُه . فاللَّهُ المُسْتعانُ وعليه التُّكْلانُ .

وقد كان فيمَن شهِد اليَرْموكَ الزبيرُ بنُ العوامِ ، وهو أفضلُ مَن هناك مِن الصحابةِ ، وكان مِن فُرْسانِ الناسِ وشُجْعانِهم ، فاجْتَمَع إليه جماعةٌ مِن الأبطالِ يومَئذٍ فقالوا : ألَا تَحْمِلُ فنَحْمِلَ معك ؟ [٥/ ٧٩و] فقال : إنكم لا تَثْبُتون . فقالوا :

بلى . فحَمَل وحمَلوا ، فلمَّا واجَهوا صُفوفَ الرومِ أحْجَموا وأقْدَم هو ؛ فاخْتَرَق صُفوفَ الرومِ حتى خرَج مِن الجانبِ الآخَرِ وعاد إلى أصحابِه ، ثم جاءُوا إليه مَرَّةً ثانيةً ، ففعَل كما فعَل فى الأولى ، وجُرِح يومَئذٍ جُرْحَين بيـنَ كتِفَيْه . وفى روايةٍ : جُرْحٌ . وقد روَى البخاريُّ معنى ما ذكَرْناه فى « صحيحِه »[1] .

وجعَل مُعاذُ بنُ جبلٍ كلما سمِع أصواتَ القِسِّيسِين والرُّهْبانِ يقولُ : اللهم زَلْزِلْ أقْدامَهم ، وأَرْعِبْ قُلُوبَهم ، وأَنْزِلْ علينا السَّكينةَ ، وأَلْزِمْنا كلمةَ التَّقْوَى ، وحَبِّبْ إلينا اللِّقاءَ ، ورَضِّنا بالقَضاءِ . وخَرَج باهانُ ، فأمَر صاحبَ المَيْسَرةِ ، وهو الذربيجانُ[2] ، وكان عدوُّ اللَّهِ مُتَنَسِّكًا فيهم ، فحَمَل على المَيْمنةِ ، وفيها الأَزْدُ ومَذْحِجٌ وحَضْرَمَوْتُ[3] وخَوْلانُ ، فثبَتوا حتى صَدَقوا أعْداءَ اللَّهِ ، ثُم ركِبهم مِن الرومِ أمثالُ الجبالِ ، فزال المسلمون مِن المَيْمَنةِ إلى ناحيةِ القَلْبِ ، وانْكَشَفَتْ طائفةٌ مِن الناسِ إلى العَسْكَرِ ، وثبَت صَدْرٌ[4] مِن المسلمين عظيمٌ يُقاتِلون تحتَ راياتِهم ، وانْكَشَفَتْ زُبَيْدٌ ، ثُم تَنادَوْا فتَراجَعوا وحَمَلوا حتى نَهْنَهوا مَن أمامَهم مِن الرومِ ، وأشْغَلوهم عن اتِّباعِ مَن انْكَشَف مِن الناسِ ، واسْتَقْبل النساءُ مَن انْهَزم مِن سَرَعانِ الناسِ يَضْرِبْنَهم بالخُشُبِ والحِجارةِ ، وجَعَلَتْ خَوْلَةُ بنتُ ثَعْلَبَةَ تقولُ :

يا هاربًا عن نِسْوةٍ تَقِيَّاتْ فعن قليلٍ ما تَرَى سَبِيَّاتْ
ولا حَظِيَّاتٍ ولا رَضِيَّاتْ

قال : فتَراجَع الناسُ إلى مواقِفِهم .

---

(١) البخارى (٣٧٢١ ، ٣٩٧٥) .
(٢) فى الأصل : « الديربجان » ، وفى م : « الدبريجان » .
(٣) بعده فى تاريخ دمشق : « وحمير » .
(٤) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « صور » .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[1] ، عن أبى عُثمانَ الغَسَّانىِّ ، عن أبيه قال : قال عِكْرِمةُ ابنُ أبى جَهْلٍ يومَ اليَرْموكِ : قاتَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَواطِنَ وأَفِرُّ منكم اليومَ ؟! ثُم نادَى : مَن يُبايِعُ على الموتِ ؟ فبايَعه عمُّه الحارثُ بنُ هشامٍ ، وضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ فى أَرْبعِمائةٍ مِن وُجوهِ المسلمين وفُرْسانِهم ، فقاتَلوا قُدَّامَ فُسْطاطِ خالدٍ حتى أُثْبِتُوا جميعًا جِراحًا ، وقُتِل منهم خَلْقٌ ، منهم ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ[2] ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم .

وقد ذكَر الواقدىُّ وغيرُه[3] ، أنَّهم لَمَّا صُرِعوا مِن الجِراحِ اسْتَسْقَوْا ماءً ، فجِىء إليهم بشَرْبةِ ماءٍ ، فلما قُرِّبت إلى أحدِهم نَظَر إليه الآخَرُ ، فقال : ادْفَعْها إليه . فلمّا دُفِعَتْ إليه نظَر إليه الآخَرُ ، فقال : ادْفَعْها إليه . فتَدافَعوها بينَهم ، مِن واحدٍ إلى واحدٍ حتى ماتوا جميعًا ، ولم يَشْرَبْها أحدٌ منهم ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجْمَعين .

ويقالُ[4] : إنَّ أولَ مَن قُتِل مِن المسلمين يومَئذٍ شهيدًا رجلٌ جاء إلى أبى عُبَيدةَ فقال : إنِّى قد تَهَيَّأْتُ لأمْرى ، فهل لك مِن حاجةٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، تُقْرِئُه عنى السلامَ وتقولُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّا قد وجَدْنا ما وعَدَنا ربُّنا حقًّا . قال : فتقَدَّم هذا الرجلُ فقاتَلَ حتى قُتِل ، رَحِمه اللَّهُ .

قالوا[5] : وثَبَتَ كلُّ قومٍ على رايتِهم حتى صارت الرومُ تَدورُ كأنها الرَّحَى . فلم يُرَ يومَ اليَرْمُوكِ [6]أكثرُ قِحْفًا[6] ساقطًا ، ومِعْصَمًا نادرًا[7] ، وكفًّا طائرةً ، مِن

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٤٠١، من طريق سيف به نحوه .

(٢) هذا أحد الأقوال فى وفاته رضى اللَّه عنه ، وسيذكر المصنف فى الصفحة ٥٨٩ أنه شهد وَقعة فحل ، وكان على الخيل .

(٣) أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٥٠٤، وابن الجوزى فى المنتظم ٤/١٢٣ نحوه .

(٤) انظر تاريخ دمشق ٢/ ١٥١.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٥٣.

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : «مخا» . والقحف : ما انْفَلَق من الجمجمة فبان .

(٧) نادرا : ساقطا . اللسان (ن د ر) .

ذلك المَوْطِنِ ، ثُم حَمَل خالدٌ بمَن معه مِن الخَيَّالةِ على المَيْسَرةِ التى حَمَلَتْ على مَيْمَنَةِ المسلمين فأزالوهم إلى القَلْبِ ، فقتَل فى حَمْلَتِه هذه ستةَ [٥/ ٧٩ظ] آلافٍ منهم ، ثُم قال : والذى نفسى بيدِه لم يَبْقَ عندَهم مِن الصبرِ والجَلَدِ غيرُ ما رأيْتُم ، وإنى لأَرْجو أن يَمْنَحكم اللَّهُ أكْتافَهم . ثُم اعْتَرَضَهم فحَمَل بمِائةِ[1] فارسٍ معه على نحوٍ مِن مائةِ ألفٍ ، فما وصَل إليهم حتى انْفَضَّ جَمْعُهم ، وحَمَل المسلمون عليهم حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ فانْكَشَفَوا ، وتَبِعَهم المسلمون لا يَمْتَنِعون منهم .

قالوا[2] : وبينما هم فى جَوْلةِ الحَرْبِ وحَوْمةِ الوَغَى ، والأبطالُ يَتَصاوَلون مِن كلِّ جانبٍ ، إذ قَدِم البَرِيدُ مِن نحوِ الحِجازِ ، فدُفِع إلى خالدِ بنِ الوليدِ فقال له : ما الخبرُ ؟ فقال له ، فيما بينَه وبينَه : إنَّ الصِّدِّيقَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قد تُوُفِّىَ ، واسْتَخْلَفَ عمرَ ، فاسْتَناب على الجيوشِ أبا عُبَيدةَ عامرَ بنَ الجَرَّاحِ . فأسَرَّها خالدٌ ، ولم يُبْدِ ذلك للناسِ ؛ لِئَلَّا يَحْصُلَ ضَعْفٌ ووَهَنٌ فى تلك الحالِ ، وقال له والناسُ يَسْمَعون : أحْسَنْتَ . وأخَذ منه الكِتابَ فوضَعه فى كِنانتِه ، واشْتَغل بما كان فيه مِن تَدْبيرِ الحربِ والمُقاتِلةِ ، وأوْقَف الرسولَ الذى جاء بالكتابِ - وهو مَحْمِيَةُ[3] بنُ زُنَيْمٍ - إلى جانبِه . كذا ذكَره ابنُ جَريرٍ بأسانيدِه .

قالوا[2] : وخَرَج جَرَجَةُ أحدُ الأمراءِ الكِبارِ مِن الصفِّ ، واسْتَدْعَى خالدَ بنَ الوليدِ ، فجاء إليه حتى اخْتَلَفَتْ أعْناقُ فَرَسَيْهما ، فقال جَرَجَةُ : يا خالدُ ، أخْبِرْنى فاصْدُقْنى ولا تَكْذِبْنى ، فإن الحُرَّ لا يَكْذِبُ ، ولا تُخادِعْنى ، فإن الكريمَ لا يُخادِعُ المُسْتَرْسِلَ باللَّهِ[4] ، هل أنْزَل اللَّهُ على نبيِّكم سَيْفًا مِن السماءِ فأعْطاكَه فلا تَسُلُّه

---

(١) كذا فى النسخ . والذى فى تاريخ دمشق أنهم كانوا ألفا .

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٣٩٨ - ٤٠٠ .

(٣) فى الأصل : « نحيمة » ، وفى م : « منجمة » . وانظر الإصابة ٦/ ٢٨٠ .

(٤) الاسترسال : الاستئناس والطمأنينة . انظر النهاية ٢/٢٢٣ .

على أحدٍ إلَّا هَزَمْتَهم؟ قال: لا. قال: فبِمَ سُمِّيتَ سيفَ اللَّهِ؟ قال: إنَّ اللَّهَ بعَث فينا نبيَّه ﷺ، فدعانا فنَفَرْنا منه ونَأَيْنا عنه جميعًا، ثُم إن بعضَنا صدَّقه وتابَعه، وبعضَنا كذَّبه وباعَدَه، فكنتُ فيمَن كذَّبه وباعَدَه، ثُم إن اللَّهَ أخَذ بقُلوبِنا ونَواصِينا فهدانا به وبايَعْناه، فقال لى: «أنت سيفٌ مِن سيوفِ اللَّهِ سَلَّه اللَّهُ على المُشْرِكين». ودَعا لى بالنصرِ، فسُمِّيتُ سيفَ اللَّهِ بذلك، فأنا مِن أشَدِّ المسلمين على المُشْرِكين. فقال جَرَجَةُ: يا خالدُ، إلامَ تَدْعُون؟ قال: إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، والإقْرارِ بما جاء به مِن عندِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ. قال: فمَن لم يُجِبْكم؟ قال: فالجزيةُ ونَمْنَعُهم. قال: فإن لم يُعْطِها؟ قال: نُؤْذِنُه بالحربِ ثم نُقاتِلُه. قال: فما مَنْزِلةُ مَن يُجِيبُكم ويَدْخُلُ فى هذا الأمرِ اليومَ؟ قال: مَنْزِلتُنا واحدةٌ فيما افْتَرَض اللَّهُ علينا، شَرِيفُنا ووَضِيعُنا وأولُنا وآخِرُنا. قال جَرَجَةُ: فَلِمَن دَخَل فيكم اليومَ مِن الأجرِ مِثلُ ما لكم مِن الأجرِ والذُّخْرِ؟ قال: نعم وأفضلُ. قال: وكيف يُساوِيكم وقد سبَقْتُموه؟ فقال خالدٌ: إنا (١دخَلْنا فى١) هذا الأمْرِ(٢)، وبايَعْنا نبيَّنا ﷺ وهو حَىٌّ بينَ أظْهُرِنا تَأْتيه أخْبارُ السماءِ، ويُخْبِرُنا بالكُتُبِ(٣) ويُرِينا الآياتِ، وحُقَّ لمَن رَأَى ما رَأَيْنا وسَمِع ما سمِعْنا أن يُسْلِمَ ويُبايِعَ، وإنَّكم أنتم لم تَرَوْا ما رَأَيْنا، ولم تَسْمَعوا ما سَمِعْنا مِن العَجائبِ والحُجَجِ، فمَن دخَلَ فى هذا الأمْرِ منكم بحَقيقةٍ ونِيَّةٍ كان أفْضلَ منا. فقال جَرَجَةُ: باللَّهِ لقد صَدَقْتَنى ولم تُخادِعْنى؟ قال: باللَّهِ لقد صدَقْتُك، وإنَّ

(١ - ١) فى الأصل: «فقلنا»، وفى ١٥١، ص: «فعلنا»، وفى م: «قبلنا». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٢) بعده فى النسخ: «عنوة». والمثبت كما فى تاريخ الطبرى، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠، ترجمة جرجة بن عبد الله الرومى.

(٣) فى م: «بالكتاب».

اللَّهَ وَلِيُّ ما سألْتَ عنه. فعندَ ذلك قَلَبَ جَرَجَةُ التُّرْسَ ومال مع خالدٍ، وقال: عَلِّمْنِى الإسلامَ. فمال به خالدٌ إلى فُسْطاطِه، فشَنَّ[1] عليه قِرْبةً مِن ماءٍ، ثُم صلَّى به ركْعَتَيْن، وحَمَلَتِ الرومُ مع انْقلابِه إلى خالدٍ، [٥/ ٨٠و] وهم يَرَوْن أنَّها منه حَمْلةٌ، فأزالوا المسلمين عن مَواقِفِهم إلَّا المُحامِيةَ، عليهم عِكْرِمةُ بنُ أبى جهلٍ والحارثُ بنُ هشامٍ، فرَكِبَ خالدٌ وجَرَجَةُ معه، والرومُ خِلالَ المسلمين، فتَنادَى الناسُ وثابوا، وتَراجَعَتِ الرومُ إلى مَواقِفِهم، وزحَف خالدٌ بالمسلمين حتى تَصافَحوا بالسيوفِ، فضرَب فيهم خالدٌ وجَرَجَةُ مِن لَدُنِ ارتفاعِ النهارِ إلى جُنوحِ الشمسِ للغروبِ، وصَلَّى المسلمون صلاةَ الظُّهْرِ وصلاةَ العَصْرِ إيماءً، وأُصِيب جَرَجَةُ، رَحِمَه اللَّهُ، ولم يُصَلِّ للَّهِ إلَّا تلك الركعتَين مع خالدٍ، رَضِى اللَّهُ عنهما، وتَضَعْضَعَتِ[2] الرومُ عندَ ذلك، ثُم نَهَد خالدٌ بالقَلْبِ حتى صار فى وَسَطِ خُيولِ الرومِ، فعندَ ذلك هرَبَت خَيَّالتُهم، واشْتَدَّتْ بهم فى تلك الصَّحْراءِ، وأفْرَج المسلمون بخُيولِهم حتى ذهَبوا، وأخَّر الناسُ صَلاتَيِ العِشاءِ[3] حتى اسْتَقَرَّ الفتحُ، وعَمَد خالدٌ إلى رَجْلِ الرومِ - وهم الرَّجَّالةُ - ففَصَلوهم عن آخرِهم، حتى صاروا كأنَّهم حائطٌ قد هُدِم، ثُم تَبِعُوا مَن فَرَّ مِن الخَيَّالةِ، واقْتَحم خالدٌ عليهم خَنْدَقَهم، وجاء الرومُ فى ظَلامِ الليلِ إلى الواقُوصَةِ، فجَعَلَ الذين تَسَلْسَلوا وقَيَّدوا بَعْضَهم ببعضٍ إذا سقَط واحدٌ منهم سقَط الذين معه. قال ابنُ جَريرٍ وغيرُه[4]: فسَقَط فيها وقُتِل عندَها مائةُ ألفٍ وعشرون ألفًا سوى مَن قُتِل فى المعركةِ.

---

(١) فى الأصل، م، ص: «فسن». وشَنّ الماءَ: صَبَّه متفرِّقًا. وسنَّه: صبَّه صبًّا سَهْلًا. انظر الوسيط (ش ن ن)، (س ن ن).

(٢) فى الأصل، م: «ضعضعت»، وفى ١٥١: «فضعضعت».

(٣) فى م: «العشاءين».

(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٠٠، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ١٦١، والمنتظم ٤/ ١٢١.

(١) وقد قاتَل نساءُ المسلمين فى هذا اليومِ، وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا مِن الرومِ. وكُنَّ يَضْرِبْنَ مَن انْهَزَم مِن المسلمين ويَقُلْنَ: أين تَذْهَبون وتَدَعُوننا للعُلُوجِ؟! فإذا زَجَرْنَهم لا يَمْلِكُ أحدٌ نفسَه حتى يَرْجِعَ إلى القِتالِ.

قال: وتَجَلَّل القيقلانُ وأشْرافٌ مِن قومِه مِن الرومِ ببَرانسِهم، وقالوا: إذا لم نَقْدِرْ على نَصْرِ دِينِ النَّصْرانيةِ، فلْنَمُتْ على دينِهم(٢). فجاء المسلمون فقتَلوهم عن آخرِهم(١).

قالوا(٣): وقُتِل فى هذا اليومِ مِن المسلمين ثلاثةُ آلافٍ، منهم؛ عِكْرِمةُ وابنُه عمرٌو، وسَلَمةُ بنُ هِشامٍ، وعمرُو بنُ سعيدٍ، وأبانُ بنُ سَعيدٍ - وأُثْبِتَ خالدُ بنُ سَعيدٍ فلا يُدْرَى أَين ذهَب، وضِرارُ بن الأزْوَرِ - وهشامُ بنُ العاصِ، وعمرُو بنُ الطُّفَيْلِ بنِ عمرٍو الدَّوْسىُّ(٤)، وحقَّق اللَّهُ رؤْيا أبيه يومَ اليَمامةِ(٥).

وقد انْكَشَفَ(٦) فى هذا اليومِ جَماعةٌ مِن الناسِ؛ انْهَزَم عمرُو بنُ العاصِ فى أربعةٍ، حتى وصَلوا إلى النِّساءِ، ثم رجَعوا حينَ زَجرَهم النساءُ، وانْكَشَف شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ وأصحابُه، ثم تَراجَعوا حينَ وعَظَهم الأميرُ بقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآية [التوبة: ١١١]. وثبَت يومَئذٍ يزيدُ بنُ أبى سُفيانَ، وقاتَل قِتالًا شديدًا، وذلك أنَّ أباه مَرَّ به فقال

(١ - ١) سقط من: ١٥١.

(٢) أى دين النصارى.

(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٠٢.

(٤) الذى فى تاريخ الطبرى أن الطفيل هو الذى قتل فى هذه المعركة. وهو خطأ؛ فإن الطفيل استشهد يوم اليمامة فى حروب الردة. انظر أسد الغابة ٣/ ٨٠، ٨١، ٤/ ٢٤٣.

(٥) هذه العبارة الأخيرة زيادة من المصنف عما فى تاريخ الطبرى.

(٦) فى الأصل: «تسلسل»، و فى م، ص: «أتلف». وانظر تاريخ دمشق ٢/ ١٥٦.

له : يا بُنيَّ ، عليك بتَقْوَى اللَّهِ والصَّبْرِ ؛ فإنه ليس رجلٌ بهذا الوادى مِن المسلمين إلَّا مَحْفوفًا بالقِتالِ ، فكيف بك وبأشْباهِك الذين وُلُّوا أمورَ المسلمين ؟ أولئك أحقُّ الناسِ بالصبرِ والنَّصيحةِ ، فاتَّقِ اللَّهَ يا بُنيَّ ، ولا يكونَنَّ أحدٌ مِن أصحابِك بأَرْغبَ فى الأجرِ والصَّبْرِ فى الحربِ ، ولا أجْرَأَ على عدوِّ الإسلامِ منك . فقال : أفْعَلُ إن شاء اللَّهُ . فقاتَل يومَئذٍ قِتالًا شديدًا ، وكان مِن ناحيةِ القَلْبِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

وقال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ[1] ، عن أبيه قال : هَدَأَتِ الأصْواتُ يومَ اليَرْموكِ فسَمِعْنا صوتًا يَكادُ يَمْلأُ العَسْكَرَ يقولُ : يا نَصْرَ اللَّهِ اقْتَرِبْ ، الثَّباتَ الثَّباتَ يا معشرَ المسلمين . [٥/ ٨٠ظ] قال : فنظَرْنا فإذا هو أبو سُفيانَ تحتَ رايةِ ابنِه يزيدَ . وأكْمَل خالدٌ ليلتَه[2] فى خَيْمةِ تَذارِقَ أخى هِرَقْلَ ، وهو أميرُ الرومِ كلِّهم يومَئذٍ ، هرَب فيمَن هرَب ، وباتَت الخُيولُ تَجولُ نحوَ خَيْمةِ خالدٍ يَقْتُلون مَن مَرَّ بهم مِن الرومِ حتى أصْبَحوا ، وقُتِل تذارقُ ، وكان له ثلاثون سُرَادِقًا وثلاثون رُواقًا مِن دِيباجٍ بما فيها مِن الفُرُشِ والحَريرِ ، فلمَّا كان الصباحُ حازوا ما كان هنالك مِن الغَنائمِ ، وما فَرِحوا بما وجَدوا بقَدْرِ حُزْنِهم على الصِّدِّيقِ حينَ أعْلَمَهم خالدٌ بذلك ، ولكنْ عَوَّضَهم اللَّهُ بالفارُوقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . وقال خالدٌ حينَ عَزَّى المسلمين فى الصِّدِّيقِ : الحمدُ للَّهِ الذى قضَى على أبى بكرٍ بالموتِ وكان أحبَّ إلىَّ مِن عُمرَ ، والحمدُ للَّهِ الذى وَلَّى عمرَ وكان أبْغَضَ إلىَّ مِن أبى بكرٍ ، وألْزَمَنى حُبَّه .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ١٥٧.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤٠١ - ٤٠٣.

وقد اتَّبع خالدٌ مَن انْهَزَم مِن الرومِ حتى وصَل إلى دِمشقَ ، فخرَج إليه أهلُها فقالوا : نحن على عَهْدِنا وصُلْحِنا ؟ قال : نعم . ثم اتَّبعهم إلى ثَنِيَّةِ العُقابِ ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا ، ثم ساق وراءَهم إلى حِمْصَ ، فخرَج إليه أهلُها فصالَحهم كما صالَح أهلَ دِمشقَ ، وبعَث أبو عُبَيدةَ عِياضَ بنَ غَنْمٍ وراءَهم أيضًا ، فساق حتى وصَل مَلَطْيَةَ ، فصالَحه أهلُها ورجَع ، فلما بلَغ هِرَقْلَ ذلك بعَث إلى مُقاتِليها فحضَروا بينَ يديه ، وأمَر بمَلَطْيَةَ فحُرِقَت ، وانْتَهَتِ الرومُ مُنْهزمةً إلى هِرَقْلَ وهو بحِمْصَ ، والمسلمون فى آثارِهم يَقْتُلون ويَأْسِرون ويَغْنَمون ، فلما وصَل الخبرُ إلى هِرَقْلَ ارْتَحل مِن حِمْصَ ، وجعَلها بينَه وبينَ المسلمين ، وترَّس بها ، وقال هِرَقْلُ : أما الشامُ فلا شامَ ، ووَيْلٌ للرومِ مِن المَوْلودِ المَشْئومِ .

ومما قيل مِن الأشْعارِ فى يومِ اليَرْموكِ قولُ القَعْقاعِ بنِ عَمرٍو[1] :

ألم تَرَنا على اليَرْموكِ فُزْنا ... كما فُزْنا بأيامِ العِراقِ
فتَحْنا قبلَها بُصْرَى وكانت ... مُحَرَّمةَ الجَنابِ لدى البُعاقِ[2]
وعَذْراءَ المَدائنِ قد فتَحْنا ... ومَرْجَ الصُّفَّرَيْنِ[3] على العِتاقِ
قتَلْنا مَن أقام لنا وفينا ... نِهابُهمُ بأسْيافٍ رِقاقِ
قتَلْنا الرومَ حتى ما تُساوِى ... على اليَرْموكِ [4]ثُفْروقَ الوِراقِ[4]

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ١٦٦، ومختصره ٢١/ ٨٩.

(٢) فى م : « النعاق » . والبعاق : الصوت الشديد .

(٣) فى م : « الصفر » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « معروق الوراق » ، وفى ا ١٥١ : « معروب الرواق » ، وفى ص ، وتاريخ دمشق : « نفروق الوراق » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق . والثفروق : قِمَع البسرة والتمرة ، أو ما يلزق به القمع من التمرة . والوراق : الوقت الذى يورق فيه الشجر . اللسان (ثفرق) ، (ورق) . وأراد ضعفهم وذلتهم .

فضَضْنا[1] جمعَهمْ لمّا اسْتَحالوا على [2]الواقُوصَ بالبُترِ[2] الرِّقاقِ
غداةَ تَهافَتوا[3] فيها فصاروا إلى أمْرٍ يُعضِّلُ بالذواقِ

وقال الأسودُ [4]أبو مُفَزِّرٍ[4] التَّميميُّ :

وكم قد أغَرْنا غارةً بعدَ غارةٍ ويومًا ويومًا قد كشَفْنا أهاولَهْ
ولولا رجالٌ كان حشوُ غَنيمةٍ لدى مَأْقَطٍ[5] [6]رجَّتْ علينا[6] أوائلُهْ
[٥/ ٨١و] لقِيناهمُ اليَرْموكَ لمّا تَضايَقَتْ بمَن حَلَّ باليَرْموكِ منه حَمائلُهْ
فلا يَعْدَمَنْ مِنّا هِرَقْلُ كتائبًا إذا رامها رامَ الذى لا يُحاوِلُهْ

وقال عمرُو بنُ العاصِ :

القومُ لَخْمٌ وجُذامٌ فى الحرِبْ ونحن والرومُ بمَرْجٍ نَضْطَرِبْ
فإن يَعودوا بعدَها[7] لا نَصْطَحِبْ بل نَعْصِبُ الفُرَّارَ بالضَّرْبِ الكلِبْ[8]

وروَى أحمدُ بنُ مَرْوانَ المالكيُّ فى «المُجالَسةِ»[9]، ثنا أبو إسماعيلَ التِّرمذيُّ، ثنا مُعاويةُ[10] بنُ عمرٍو، عن أبى إسْحاقَ قال: كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لا

---

(١) فى م: «فضفنا».
(٢ - ٢) فى الأصل، ١٥١، ص، وتاريخ دمشق: «الواقوصة البتر»، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٨٩.
(٣) فى ١٥١: «تهالبوا».
(٤ - ٤) فى الأصل: «المقزز»، وفى م: «بن مقرن»، وفى ص: «بن مفزر». وانظر الإصابة ١/ ١٩٧. وانظر هذا الشعر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٦٦، ٩/ ٦٩.
(٥) المأقط: موضع الحرب، أو المضيق فى الحرب. تاج العروس (أ ق ط).
(٦ - ٦) فى ١٥١: «رحب عليه»، وفى ص: «رجت عليه»، وفى تاريخ دمشق: «رجت عليهم».
(٧) فى الأصل، م: «بها».
(٨) فى الأصل، م: «الكرب».
(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٩٧، من طريق أحمد بن مروان به.
(١٠) فى الأصل، م: «أبو معاوية».

يَثْبُتُ لهم العدوُّ فُوَاقَ[1] ناقةٍ عندَ اللقاءِ . فقال هِرَقْلُ وهو على أَنْطَاكِيَةَ لما قدِمَت مُنْهَزِمةُ الرومِ : ويْلَكم ! أَخْبِرونى عن هؤلاء القومِ الذين يُقاتِلونكم ، أَلَيسوا هم بَشَرًا مثلَكم ؟! قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثرُ أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثرُ منهم أضْعافًا فى كلِّ مَوْطِنٍ . قال : فما بالُكم تَنْهَزمون [2]كلما لَقِيتُموهم[2] ؟! فقال شيخٌ مِن عُظمائِهم : مِن أجْلِ أنهم يقومون الليلَ ، ويصومون النهارَ ، ويُوفون بالعهدِ ، ويأْمُرون بالمعروفِ ، ويَنْهَوْن عن المنكرِ ، ويَتَناصَفون بينَهم ، ومن أجْلِ أنّا نَشْـرَبُ الخمرَ ، ونَزْنِى ، ونَرْكَبُ الحَرامَ ، ونَنْقُضُ العهدَ ، ونَغْصِبُ ونَظْلِمُ ، ونأْمُرُ [3]بما يُسْخِطُ اللَّهَ[3] ، ونَنْهَى عما يُرْضِى اللَّهَ ، ونُفْسِدُ فى الأرضِ . فقال : أنت صَدَقْتَنى .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[4] : أخْبَرَنى مَن سمِع يحيى بنَ يحيى الغَسَّانىَّ يُحَدِّثُ عن رجلين مِن قومِه ، قالا : لمّا نزَل المسلمون بناحيةِ الأُرْدُنِّ تحَدَّثْنا بينَنا أن دمشقَ ستُحاصَرُ ، فذهَبْنا نَتَسَوَّقُ منها قبلَ ذلك ، فبينا نحن فيها إذ أرْسَل إلينا بِطْرِيقُها فجِئْناه فقال : أنتما مِن العربِ ؟ قلنا : نعم . قال : وعلى النَّصْرانيَّةِ ؟ قلنا : نعم . فقال : لِيَذْهَبْ أحدُكما فلْيَتَجَسَّسْ لنا عن هؤلاء القومِ ورأْيِهم ، ولْيَثْبُتِ الآخرُ على متاعِ صاحبِه . ففعَل ذلك أحدُنا ، فلبِث مَلِيًّا ثم جاءه فقال : جِئْتُك مِن عندِ رِجالٍ دِقاق ، يَرْكَبون خُيولًا عِتاق ، أما الليلُ فرُهْبان ، وأما النَّهارُ ففُرْسان ، يَرِيشون النَّبْلَ ويَبْرُونها ، ويُثَقِّفون القَنَا ، لو حَدَّثْتَ جَليسَك حديثًا ما فهِمه عنك ؛ لِمَا علا مِن أصْواتِهم بالقرآنِ والذِّكْرِ . قال : فالْتَفَت إلى أصحابِه وقال : أتاكم منهم ما لا طاقةَ لكم به .

---

(١) الفواق ، بضم الفاء وفتحها : ما بين الحلْبتين من الوقت .

(٢ - ٢) زيادة من : ١٥١ ، ص .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « بالسخط » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٩٦، ٩٧، من طريق الوليد بن مسلم به بنحوه .

انتقالُ إمْرةِ الشامِ مِن خالدٍ إلى أبى عُبَيدةَ (١) فى الدولةِ العُمَرِيَّةِ وذلك (١) بعدَ وَقْعةِ اليَرْموكِ، وصَيْرورةُ الإمْرةِ بالشامِ إلى أبى عُبَيدةَ، فكان أبو عُبَيدةَ أولَ مَن سُمّىَ أميرَ الأُمراءِ

قد تقَدَّم أن البَريدَ قدِم بموتِ الصِّدِّيقِ والمسلمون مُصَافُّو الرومِ يومَ اليَرْموكِ، وأن خالدًا كتَم ذلك عن المسلمين؛ لئلا يَقَعَ وَهَنٌ، فلما أصْبَحوا أجْلَى لهم الأمْرَ، وقال ما قال، ثم شرَع أبو عُبيدةَ فى جَمْعِ الغَنيمةِ وتَخْمِيسِها، وبعَث بالفتحِ والخُمُسِ مع قُباثِ بنِ أشْيَمَ [٥/ ٨١ظ] إلى الحجازِ، ثم نُودِىَ بالرَّحيلِ إلى دِمشقَ، فساروا حتى نزَلوا مَرْجَ الصُّفَّرِ، وبعَث أبو عُبَيدةَ بينَ يديه طَليعةً أبا أُمامةَ الباهلىَّ، ومعه رجلان مِن أصحابِه. قال أبو أُمامةَ(٢): فسِرْتُ، فلما كان ببعضِ الطريقِ أمَرْتُ الواحدَ(٣)، فكمَن هناك وسِرْتُ أنا (٤)والآخَرُ، فلما كان ببعضِ الطريقِ أمرتُ الآخَر فكمَن هناك، ثم سِرْتُ أنا(٤) وَحْدى حتى جِئْتُ بابَ البلدِ وهو مُغْلَقٌ فى الليلِ، وليس هناك أحدٌ، فنزَلْتُ وغرَزْتُ رُمْحى بالأرضِ، ونزَعْتُ لجامَ فَرَسى، وعلَّقْتُ عليه مِخْلاتَه ونِمْتُ، فلما أصْبَح الصَّباحُ قُمْتُ فتوَضَّأْتُ وصلَّيْتُ الفجرَ، فإذا بابُ المدينةِ يُقَعْقِعُ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤٠٤، وتاريخ دمشق ٢/ ١٦٥.

(٣) فى م، ص: «الآخر».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م، ص.

فلما فُتِح حمَلْتُ على البَوَّابِ فطَعَنْتُه بالرُّمْحِ فقتَلْتُه، ثم رجَعْتُ والطَّلَبُ ورائى، فلما انْتَهَيْنا إلى الرجلِ الذى فى الطريقِ مِن أصحابى ظَنُّوا أنه كَمِينٌ فرجَعوا عنى، ثم سِرْنا حتى أخَذْنا صاحبَنا[1] الآخرَ، وجِئْتُ إلى أبى عُبَيدةَ فأخْبَرْتُه بما رأيْتُ، فأقام أبو عُبَيدةَ يَنْتَظِرُ كتابَ عمرَ فيما يَعْتَمِدُه مِن أمْرِ دِمشقَ، فجاءه الكتابُ يَأْمُرُه بالمَسيرِ إليها، فساروا إليها حتى أحاطوا بها، واسْتَخْلَف أبو عُبَيدةَ على اليَرْموكِ بَشيرَ بنَ كعبٍ، فى خَيْلٍ هناك.

وَقْعةٌ جَرَتْ بالعراقِ بعدَ مجيءِ خالدٍ إلى الشامِ[2]

وذلك أن أهلَ فارسَ اجْتَمعوا بعدَ مَقْتلِ مَلِكِهِم وابنِه على تَمْليكِ شَهْرِيارَ[3] ابنِ أَرْدشِيرَ[4] بنِ شَهْرِيارَ، واسْتَغْنَموا غَيْبةَ خالدٍ عنهم، فبعَثوا إلى نائبِه المُثَنَّى بنِ حَارثةَ جيشًا كثيفًا نحوًا مِن عشَرةِ آلافٍ، [5]عليهم هُرْمُزُ بنُ جاذَوَيْهِ[5]، وكتَب شَهْرِيارُ إلى المُثَنَّى: إنى قد بعَثْتُ إليك جُنْدًا مِن وَحْشِ أهلِ فارسَ، إنما هم رُعاةُ الدَّجاجِ والخَنازيرِ، ولستُ أُقاتِلُك إلَّا بهم. فكتَب إليه المُثَنَّى: مِن المُثَنَّى إلى شَهْرِيارَ، إنما أنت أحدُ رجلين؛ إمَّا باغٍ فذلك شَرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإمَّا كاذبٌ فأعْظَمُ الكاذِبينَ عقوبةً وفَضِيحةً عندَ اللَّهِ فى الناسِ المُلوكُ، وأمَّا الذى يَدُلُّنا عليه الرأْىُ فإنَّكم إنَّما اضْطُرِرْتم إليهم، فالحمدُ للَّهِ الذى ردَّ كيْدَكم إلى رُعاةِ الدَّجاجِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/٤١١ - ٤١٤، ٤٤٦ - ٤٤٨، والكامل ٢/٤١٥، ٤١٦.

(٣) فى الأصل: «شهرباد»، وفى ا ١٥١: «شهرباز»، وفى تاريخ الطبرى: «شهربراز».

(٤) فى الأصل: «أدشير». وفى ا ١٥١، م، ص: «أزدشير»، وانظر ما تقدم فى صفحة ٥١٥ حاشية (٣).

(٥ - ٥) سقط من: ا ١٥١، ص.

والخَنازيرِ . قال : فجَزِع أهلُ فارسَ مِن هذا الكتابِ ، ولاموا شَهْرِيارَ على كتابِه إليه واسْتَهْجَنوا رأيَه ، وسار المُثَنَّى مِن الحَرَّةِ إلى بابلَ ، ولمَّا الْتَقَى المُثَنَّى وجَيْشَهم بمكانٍ عندَ عُدْوَةِ الصَّرَاةِ الأولى ، اقْتَتلوا قِتالًا شديدًا جِدًّا ، وأرْسَل الفرسُ فِيلًا بينَ صُفوفِ الخيلِ ليُفَرِّقَ خُيولَ المسلمين ، فحمَل عليه أميرُ المسلمين المُثَنَّى بنُ حارثةَ فقَتَله ، وأمَر المسلمين فحَمَلوا ، فلم تَكُنْ إلا هزيمةُ الفرسِ ، فقَتَلوهم قتلًا ذَرِيعًا ، وغَنِموا منهم مالًا عظيمًا ، وفرَّتِ الفرسُ حتى انْتَهَوْا إلى المَدائنِ فى شَرِّ حالةٍ ، ووجَدوا المِلكَ قد مات ، فمَلَّكُوا عليهم ابنةَ كِسْرَى بُورَانَ بنتَ أبَرْوِيزَ ، فأقامتِ العَدْلَ ، وأحْسَنَتِ السيرةَ ، فأقامت سنةً وسبعةَ شُهورٍ ، ثُم ماتتْ ، فملَّكوا عليهم أُخْتَها آزَرْمِيدُخْتَ زنانَ ، فلم يَنْتَظِمْ لهم أمْرٌ ، فملَّكوا عليهم سابورَ بنَ شَهْرِيارَ ، وجعَلوا أمْرَه إلى الفَرُّخْزاذِ بنِ البِندَوانِ ، فزوَّجه سابورُ بابنةِ كِسْرَى آزَرْمِيدُخْتَ ، فكَرِهَتْ ذلك وقالت : إنما هذا عبدٌ مِن عَبِيدِنا . فلمَّا كان ليلةُ عُرْسِها عليه هَمُّوا إليه فقتَلَوه ، ثُم ساروا إلى سابورَ فقَتَلوه أيضًا ، وملَّكوا عليهم هذه المرأةَ ، وهى آزَرْمِيدُخْتُ ابنةُ كسرى[1] ، ولعِبَت فارسُ بمُلْكِها [٥/ ٨٢و] لَعِبًا كَثيرًا ، وآخِرُ ما اسْتَقَرَّ أمْرُهم عليه فى هذه السنةِ أن مَلَّكوا امرأةً ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « لن يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوا أمْرَهم امرأةً »[2] .

وفى هذه الوَقْعةِ التى ذكَرْنا يقولُ عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيبِ السَّعْدِىُّ ، وكان قد هاجَر لمُهاجَرَةٍ حَليلةٍ له حتى شهِد وَقْعةَ بابلَ هذه ، فلما آيَسَتْه رجَع إلى الباديةِ وقال[3] :

---

(١) كذا هنا . والذى فى تاريخ الطبرى ، أنهم ملكوا آزرميدخت فلم ينفذ لها أمر فخُلعتْ ، وملكوا سابور وقام بأمره الفرخزاذ ... وانتهى الأمر إلى أن ملكت آزرميدخت بعد قَتْل سابور والفرخزاذ ، ولم تملك بوران إلا بعد قتل آزرميدخت . وانظر ما سيأتى فى صفحة ٥٩٢ .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٨٩.

(٣) انظر المفضليات ص ١٣٥، ١٣٦.

هل حَبْلُ خَوْلَةَ بعدَ البَيْنِ مَوْصولُ أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مَشْغولُ
ولِلأَحِبَّةِ أيامٌ تَذَكَّرُها وللنَّوَى قبلَ يومِ البَيْنِ تَأْويلُ
حَلَّتْ خُوَيْلَةُ فى حىٍّ عَهِدْتُهمُ دونَ المدينةِ فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقارِعون رءوسَ العُجْمِ ضاحِيةً منهمْ فَوارسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

وقد قال الفَرَزْدَقُ فى شعرِه يَذْكُرُ قَتْلَ المُثَنَّى ذلك الفيلَ[1] :

وبَيْتُ المُثَنَّى قاتِلُ الفيلِ عَنْوةً ببابلَ إذ فى فارِسٍ مُلْكُ بابلِ

ثم إن المُثَنَّى بنَ حارثةَ اسْتَبْطَأَ أخبارَ الصِّدِّيقِ لتَشاغُلِه بأهلِ الشامِ ، وما فيه مِن حربِ اليَرْمُوكِ المتقدِّمِ ذكرُه ، فسار المُثَنَّى بنفسِه إلى الصِّدِّيقِ ، واسْتَناب على العِراقِ بَشِيرَ بنَ الخَصَاصِيَةِ ، وعلى المَسالحِ سعيدَ بنَ مُرَّةَ العِجْلِىَّ ، فلمَّا انْتَهى المُثَنَّى إلى المدينةِ وَجَد الصِّدِّيقَ فى آخِرِ مَرضِ الموتِ ، وقد عَهِد إلى عمرَ بنِ الخطابِ ، ولمَّا رأَى الصِّدِّيقُ المُثَنَّى قال لعمرَ : إذا أنا مُتُّ فلا تُمْسِيَنَّ حتى تَنْدُبَ الناسَ لحربِ أهلِ العِراقِ مع المُثَنَّى ، وإذا فَتَح اللَّهُ على أُمَرائِنا بالشامِ فارْدُدْ أصحابَ خالدٍ إلى العِراقِ ، فإنهم أعْلَمُ بحَرْبِه . فلمَّا مات الصِّدِّيقُ نَدَب عمرُ المسلمين إلى الجِهادِ بأرضِ العراقِ ؛ لقِلَّةِ مَن بَقِىَ فيه مِن المُقاتِلَةِ بعدَ خالدِ بنِ الوليدِ ، فانْتَدَب خَلْقٌ ، وأمَّر عليهم أبا عُبَيدِ[2] بنَ مسعودٍ ، وكان شابًّا شجاعًا ، خَبيرًا بالحربِ والمكيدةِ . وهذا آخِرُ ما يَتَعَلَّقُ بخبرِ العِراقِ إلى آخرِ أيامِ الصِّدِّيقِ وأولِ دولةِ الفاروقِ .

---

(١) انظر ديوان الفرزدق ص ٦٦٩.

(٢) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « عبيدة » . وانظر أسد الغابة ٦/ ٢٠٥.

خِلافةُ عمرَ بنِ الخَطابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه

كانت وفاةُ الصِّدِّيقِ، رضِى اللَّهُ عنه، فى يومِ الاثْنَين عَشِيةً. وقيل: بعدَ المغربِ. ودُفِن مِن ليلتِه، وذلك لثمانٍ بَقِينَ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ، بعدَ مرضٍ خمسةَ عشَرَ يومًا. وكان عمرُ بنُ الخطابِ يُصَلِّى عنه فيها بالمسلمين، وفى أثناءِ هذا المرضِ عَهِدَ بالأمْرِ مِن بعدِه إلى عمرَ بنِ الخطابِ، وكان الذى كتَب العهدَ عثمانُ بنُ عفانَ، وقُرِئَ على المسلمين فأقَرُّوا به وسَمِعوا له وأطاعوا، فكانت خِلافةُ الصِّدِّيقِ سَنَتَين وثلاثةَ أشْهرٍ [1] وعشَرةَ أيامٍ. وقيل: وعشرين يومًا. وقيل: سنتين وأربعةَ أشْهُرٍ [1]. وكان عمْرُه يومَ تُوُفِّىَ ثلاثًا وستين سنةً، للسِّنِّ الذى تُوُفِّىَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقد جَمَع اللَّهُ بينَهما فى التُّرْبةِ كما جمَع بينَهما فى الحَياةِ، فرَضِىَ اللَّهُ عنه وأرْضاه.

قال محمدُ بنُ سعدٍ [2]، عن أبى قَطَنٍ عمرِو بنِ الهَيْثمِ، عن الرَّبيعِ، [3] عن حِبّانَ [3] الصَّائغِ قال: كان نَقْشُ خاتَمِ أبى بكرٍ: نِعْمَ القادرُ اللَّهُ. [٥/ ٨٢ظ] وهذا غريبٌ، وقد ذكَرْنا ترجمةَ الصِّدِّيقِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، وسِيرتَه وأيامَه، وما روَى مِن الأحاديثِ، وما رُوِىَ عنه مِن الأحْكامِ، فى مُجَلَّدٍ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٤٢٧، من طريق محمد بن سعد به.

(٣ - ٣) فى م، ص: «بن حسان». وفى تاريخ الطبرى: «عن حيان». وانظر الإكمال ٢/ ٣٠٧، والثقات ٦/ ٢٤٠. ووقع فى الجرح والتعديل ٣/ ٢٤٨: «حيان».

فقام بالأمْرِ مِن بعدِه أتَمَّ القيامِ الفاروقُ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، وهو أولُ مَن سُمِّىَ بأميرِ المؤمنين ، وكان أولَ مَن حَيَّاه بها المُغيرةُ بنُ شُعْبةَ ، وقيل : غيرُه . كما بَسَطْنا ذلك فى ترجمةِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ وسِيرتِه التى أفْرَدْناها فى مُجَلَّدٍ ، ومُسْنَدِه والآثارِ المَرْوِيَّةِ ، مُرَتَّبًا على الأبْوابِ فى مُجَلَّدٍ آخرَ ، وللَّهِ الحمدُ .

وقد كَتَب بوفاةِ الصِّدِّيقِ إلى أُمراءِ الشامِ مع شَدَّادِ بنِ أوْسٍ ، [1] ومَحْمِيَةَ بنِ جَزْءٍ [1] ، فوصَلا والناسُ مُصافُّون جُيوشَ الرومِ يومَ اليَرْموكِ ، كما قدَّمْنا ، وقد أمَّر عمرُ على الجُيوشِ أبا عُبَيدةَ ، وعزلَ خالدَ بنَ الوليدِ .

وذكَر سَلَمةُ [2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، أن عمرَ إنما عزَل خالدًا لكلامٍ بَلَغَه عنه ، ولِمَا كان مِن أمْرِ مالكِ بنِ نُوَيْرَةَ ، وما كان يَعْتَمِدُه فى حربِه ، فلما وُلِّىَ عمرُ كان أولَ ما تَكَلَّم به أن عزَل خالدًا ، وقال : لا يَلِى لى عَمَلًا أبدًا . وكَتَب عمرُ إلى أبى عُبَيدةَ : إنْ أكْذَبَ خالدٌ نفسَه فهو أميرٌ على ما كان عليه ، وإن لم يُكْذِبْ نفسَه فهو مَعْزولٌ ، فانْزِعْ عِمامتَه عن رأسِه وقاسِمْه مالَه نصفيْن . فلمَّا قال أبو عُبيدةَ ذلك لخالدٍ قال له خالدٌ : أمْهِلْنى حتى أسْتَشِيرَ أُختى . فذهَب إلى أختِه فاطمةَ ، وكانت تحتَ الحارثِ بنِ هشامٍ ، فاسْتَشارها فى ذلك ، فقالت له : إن عمرَ لا يُحِبُّكَ أبدًا ، وإنه سَيَعْزِلُك وإن أكْذَبْتَ نفسَك . فقال لها : صدَقْتِ واللَّهِ . فقاسمَه أبو عُبيدةَ حتى أخَذَ أحدَ نَعْلَيْه وتَرَك له الآخَرَ ، وخالدٌ يقولُ :

(١ - ١) كذا فى ا ١٥١، وتاريخ الطبرى ٣/ ٤٣٤، وفى الأصل : « محنة بن جريح » ، وفى م : « محمد ابن جريح » ، وفى ص : « محمد بن جزء » . وتقدم فى صفحة ٥٦٢، وكما جاء فى تاريخ الطبرى ٣/ ٣٩٨ أنه محمية بن زنيم . وهو الصواب . انظر الإصابة ٦/ ٢٨٠.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٤٣٦، ٤٣٧، من طريق سلمة به .

وهذا السياق يخالف ما سيأتى فى صفحة ٦٥٠ من أن عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه لم يعزل خالدا عن ريبة . وانظر ما سيأتى أيضا فى ١٠/ ٤٦، ٤٧.

سَمْعًا وطاعةً لأميرِ المؤمنين .

وقد روَى ابنُ جَريرٍ[1] ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ أنه قال : كان أولَ كتابٍ كتَبه عمرُ إلى أبى عُبَيدةَ حينَ وَلَّاه وعزَل خالدًا أن قال : وأُوصِيك بتَقْوَى اللَّهِ الذى يَبْقى ويَفْنَى ما سِواه ، الذى هَدانا مِن الضَّلالةِ ، وأخْرَجَنا مِن الظُّلماتِ إلى النورِ ، وقد اسْتَعْمَلْتُك على جُنْدِ خالدِ بنِ الوَليدِ ، فقُمْ بأمْرِهم الذى يَحِقُّ عليك ، لا تُقَدِّمِ المسلمين إلى هَلَكةٍ رَجاءَ غَنيمةٍ ، ولا تُنْزِلْهم مَنْزِلًا قبلَ أن تَسْتَرِيدَه لهم ، وتَعْلَمَ كيف مَأْتاه ، ولا تَبْعَثْ سَرِيَّةً إلَّا فى كَثْفٍ[2] مِن الناسِ ، وإياك وإلقاءَ المسلمين فى الهَلَكةِ ، وقد أبْلاك اللَّهُ بى وأبْلانى بك ، فغُضَّ بصرَك عن الدنيا ، وأَلْهِ قلبَك عنها ، وإياك أن تُهْلِكَك كما أهْلَكَتْ مَن كان قبلَك ، فقد رأيْتَ مَصارِعَهم . وأمَرهم بالمَسيرِ إلى دِمشقَ ، وذلك بعدَما بَلَغَه الخبرُ بفَتْحِ اليَرْموكِ وجاءتْه به البِشارةُ ، وحُمِل الخُمُسُ إليه .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[3] أن الصَّحابةَ قاتَلوا بعدَ اليَرْموكِ بأَجْنادِينَ ، ثُم بفِحْلٍ مِن أرضِ الغَوْرِ قريبًا مِن بَيْسَانَ بمكانٍ يقالُ له : الرَّدْغَةُ[4] . سُمِّى بذلك لكَثْرةِ ما لَقُوا مِن الأوْحالِ فيها ، [5]ثُم لَمَّا فَرَّتِ الرومُ مِن هذه الوَقْعَةِ أَلْجَئُوهم[6] إلى دمشقَ ، فقَصَدوهم فيها[5] فأغْلَقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابةُ . قال : وحينَئذٍ جاءتِ الإمارةُ لأبى عُبيدةَ مِن جهةِ عمرَ ، وعُزِل خالدٌ . وهذا الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٣٤.

(٢) فى الأصل : « كتف » ، وفى م ، ص : « كنف » . و « فى كَثْف » أى فى حَشْدٍ وجماعة . النهاية ٤/١٥٣ .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٤) فى تاريخ الطبرى : « ذات الردغة » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى ص : « لجئوا » .

مِن مجيءِ الإمارةِ لأبى عُبَيدةَ فى حِصارِ دمشقَ هو المشهورُ.

ذكرُ[1] فتحِ دِمَشْقَ

[٥/٨٣و] قال سيفُ بنُ عمرَ[2]: لما ارْتَحل أبو عُبيدةَ مِن اليَرْموكِ، فنزَل بالجنودِ على مَرْجِ الصُّفَّرِ، وهو عازمٌ على حِصارِ دِمشقَ إذ أتاه الخبرُ بقُدومِ مَدَدٍ لهم مِن حِمْصَ، وجاءه الخبرُ بأنه قد اجْتَمع طائفةٌ كثيرةٌ مِن الرومِ بفِحْلٍ مِن أرضِ فِلَسْطِينَ[3]، فهو لا يَدْرى بأىِّ الأمْرَيْن يَبْدَأُ، فكتَب إلى عمرَ فى ذلك، فجاء الجوابُ أن ابْدَأْ بدِمشقَ فإنها حصنُ الشامِ وبَيْتُ مَمْلَكتِهم، فانْهَدْ لها واشْغَلوا عنكم أهلَ فِحْلٍ بخُيولٍ تكونُ تِلْقاءَهم، فإن فتَحها اللَّهُ قبلَ دمشقَ فذلك الذى نُحِبُّ، وإن فُتِحَت دِمشقُ قبلَها فسِرْ أنت ومَن معك واسْتَخْلِفْ على دمشقَ، فإذا فتَح اللَّهُ عليكم فِحْلًا فسِرْ أنت وخالدٌ إلى حِمْصَ واتْرُكْ عَمْرًا وشُرَحْبيلَ على الأُرْدُنِّ وفِلَسْطِينَ. قال: فسرَّح أبو عُبَيدةَ إلى فِحْلٍ عشَرةَ أُمراءَ، مع كلِّ أميرٍ خمسةُ أُمراءَ، وعلى الجميعِ عُمارةُ بنُ مَخْشِيٍّ، صحابيٌّ، فساروا مِن مَرْجِ الصُّفَّرِ إلى فِحْلٍ، فوجَدوا الرومَ هنالك قريبًا مِن ثمانين ألفًا، وقد أرْسَلوا المياهَ حولَهم حتى أرْدَغَتِ الأرضُ، فسَمَّوا ذلك المَوْضِعَ الرَّدْغَةَ، وفتَحها اللَّهُ على المسلمين، فكانت أولَ حِصْنٍ فُتِح قبلَ دِمشقَ، على ما سيأتى تَفْصيلُه، وللَّهِ الحمدُ.

---

(١) سقط من: م.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٤٣٦ - ٤٤١.

(٣) فى تاريخ الطبرى: «الأردن».

وبعَث أبو عُبيدةَ جيشًا يكونُ بينَ دِمشقَ وبينَ [1]فِلَسْطِينَ، وبعَث ذا الكَلاعِ فى جيشٍ يكونُ بينَ دِمشقَ وبينَ[1] حِمْصَ؛ ليَرُدَّ مَن يَرِدُ إليهم مِن المَدَدِ مِن جهةِ هِرَقْلَ، ثم ساز أبو عُبَيدةَ مِن مَرْجِ الصُّفَّرِ قاصدًا دِمشقَ، وقد جعَل خالدَ ابنَ الوَليدِ فى القَلْبِ، وركِب أبو عُبَيدةَ وعمرُو بنُ العاصِ فى المُجَنِّبَتَيْن، وعلى الخيلِ عِياضُ بنُ غَنْمٍ، وعلى الرَّجَّالةِ شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ، فقدِموا دمشقَ وعليها نِسْطاسُ[2] بنُ نَسْطُورسَ[3]، فنزَل خالدُ بنُ الوليدِ على البابِ الشرقىِّ وإليه بابُ كَيْسانَ أيضًا، ونزَل أبو عُبيدةَ على بابِ الجابيةِ [4]الكبيرِ، ونزَل يزيدُ بنُ أبى سُفيانَ على بابِ الجابيةِ[4] الصغيرِ، ونزَل عمرُو بنُ العاصِ وشُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ على بقيةِ أبوابِ البلدِ، ونصَبوا المَجانِيقَ والدَّبَّاباتِ، وقد أرْصَد أبو عُبَيدةَ أبا الدَّرْداءِ على جيشٍ ببَرْزَةَ[5] يكونون رِدْءًا له، وكذا الذى بينَه وبينَ حِمْصَ، وحاصَروها حِصارًا شديدًا سبعين ليلةً، وقيل: أربعةَ أشهرٍ. وقيل: ستةَ أشهرٍ. وقيل: أربعةَ عشَرَ شهرًا. فاللَّهُ أعلمُ. وأهلُ دمشقَ مُمْتَنِعون منهم غايةَ الامْتناعِ، ويُرْسِلون إلى مَلِكِهم هِرَقْلَ وهو مُقِيمٌ بحِمْصَ، يَطْلُبون منه المَدَدَ، فلا يُمْكِنُ وصولُ المَدَدِ إليهم مِن ذى الكَلاعِ الذى قد أرْصَده أبو عُبَيدةَ، رضِى اللَّهُ عنه، بينَ دِمشقَ وبينَ حِمْصَ - عن دمشقَ ليلةً[6] - فلما أيْقَن أهلُ دمشقَ أنه لا يَصِلُ

(١ - ١) سقط من: ا ١٥١.

(٢) فى الأصل: «قسطاس»، وفى ا ١٥١: «بسطاس»، وكذا فى تاريخ دمشق ٢/ ١٢٩. وانظر تاج العروس (نسطس).

(٣) فى الأصل: «بسطوس»، وكذا فى تاريخ دمشق ٢/ ١٢٩، وفى ا ١٥١، م، ص: «نسطوس»، والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) برزة: قرية من غوطة دمشق. معجم البلدان ١/ ٥٦٣.

(٦) أى يبعد عن دمشق مقدار ليلة.

إليهم مَدَدٌ أبْلَسوا[1] وفشِلوا وضَعُفوا ، وقوِىَ المسلمون واشْتَدَّ حِصارُهم ، وجاء فصلُ الشِّتاءِ واشْتَدَّ البردُ وعسُر الحالُ وعسُر القِتالُ ، فقدَّر اللَّهُ الكَبيرُ المُتَعالى ، ذو العِزَّةِ والجَلالِ ، أن وُلِد لِبطْرِيقِ دمشقَ مولودٌ فى تلك الليالى ، فصنَع لهم طعامًا وسَقَاهم بعدَه شَرابًا ، وباتوا عندَه فى وَليمتِه قد أكَلوا وشرِبوا وتَعِبوا ، فناموا عن مَواقِفِهم ، واشْتَغلوا عن أماكِنِهم ، وفَطِن لذلك أميرُ الحربِ خالدُ بنُ الوَليدِ ، فإنه كان لا يَنامُ ولا يَتْرُكُ أحدًا ينامُ ، بل مُراصِدٌ [٥/ ٨٣ظ] لهم ليلًا ونَهارًا ، وله عُيونٌ وقُصَّادٌ يَرْفَعون إليه أحوالَ المُقاتِلةِ صَباحًا ومَساءً ، فلمَّا رأَى خَمْدةَ تلك الليلةِ ، وأنه لا يُقاتِلُ على السُّورِ أحدٌ ، كان قد أعَدَّ سَلالِيمَ مِن حِبالٍ ، فجاء هو وأصحابُه مِن الصَّنادِيدِ الأبْطالِ ، مثلَ القَعْقاعِ بنِ عمرٍو ومَذْعورِ بنِ عَدِىٍّ ، وقد أحْضَر جيشَه عندَ البابِ ، وقال لهم : إذا سمِعْتُم تَكْبيرَنا فوقَ السُّورِ[2] فارْقَوْا إلينا . ثم نهَد هو وأصحابُه فقَطَعوا الخَنْدَقَ سِباحةً بقِرَبٍ فى أعْناقِهم ، ثم نصَبوا تلك السَّلالمَ وأثْبتوا أعاليَها بالشُّرُفاتِ ، وأكَّدوا أسافلَها خارجَ الخَنْدقِ ، وصعِدوا فيها ، فلما اسْتَوَوا على السُّورِ رفَعوا أصواتَهم بالتَّكْبيرِ ، وجاء المسلمون فصعِدوا فى تلك السَّلالمِ وانحَدر خالدٌ وأصحابُه الشُّجْعانُ مِن السُّورِ إلى البَوَّابِين فقتَلوهم ، وقطَع خالدٌ وأصحابُه أغالِيقَ البابِ بالسُّيوفِ وفتَحوا البابَ[3] ، فدخَل الجيشُ الخالدىُّ مِن البابِ الشَّرْقىِّ ، ولمَّا سمِع أهلُ البلدِ التَّكْبيرَ ثاروا ، وذهَب كلُّ فَريقٍ إلى أماكِنِهم مِن السُّورِ ، لا يَدْرُون ما الخبرُ ، فجعَل كلما قدِم أحدٌ مِن أصحابِ البابِ الشَّرْقىِّ قَتَلَه أصحابُ خالدٍ ، ودخَل خالدٌ البلدَ عَنْوةً ، فقتَل[4] مَن

---

(١) أى تحيَّروا وسكتوا من الحزن أو الخوف . النهاية ١/ ١٥٢ .

(٢) فى ا ١٥١: « الباب » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « عنوة » .

(٤) فى ا ١٥١: « يقتل » .

وجَده ، وذهَب أهلُ كلِّ بابٍ فسألوا مِن أميرِهم الذى عندَ البابِ مِن خارجٍ الصُّلْحَ - وقد كان المسلمون دعَوْهم إلى المُشاطَرةِ فيأْبَون عليهم - فلما دَعَوْهم إلى ذلك أجابوهم ، ولم يَعْلَمْ بقيَّةُ الصَّحابةِ ما صنَع خالدٌ ، ودخَل المسلمون مِن كلِّ جانبٍ وبابٍ ، فوجَدوا خالدًا وهو يَقْتُلُ مَن وجَده ، فقالوا له : إنا قد أمَّنّاهم . فقال : إنى فتَحْتُها عَنْوةً . والْتَقَتِ الأُمراءُ فى وسَطِ البلدِ عندَ كَنيسةِ المِقْسِلَّاطِ بالقربِ مِن دَرْبِ الرَّيْحانِ اليومَ . هكذا ذكَره سيفُ بنُ عمرَ وغيرُه ، وهو المَشْهورُ أن خالدًا فتَح البابَ قَسْرًا .

وقال آخرون[1] : بل الذى فتَحها عَنْوةً أبو عُبَيدةَ ، وقيل[2] : يزيدُ بنُ أبى سُفيانَ ، وخالدٌ صالَح أهلَ البلدِ . فعكَسوا المشهورَ المعروفَ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد اخْتَلف الصحابةُ ، فقال قائلون : هى صلحٌ . يعنى على ما صالَحَهم الأميرُ فى نفسِ الأمْرِ ، وهو أبو عُبَيدةَ . وقال آخرون : بل هى عَنْوةٌ . لأن خالدًا افْتَتَحها بالسَّيفِ أولًا كما ذكَرْنا ، فلمَّا أحَسُّوا بذلك ذهَبوا إلى بقيَّةِ الأُمراءِ ، ومنهم أبو عُبَيدةَ فصالَحوهم ، فاتَّفقوا فيما بينَهم على أن جعَلوا نصفَها صُلْحًا ونصفَها عَنْوةً ، فملَك أهلُها نصفَ ما كان بأيديهم وأُقِرُّوا عليه ، واسْتَقَرَّت يدُ الصَّحابةِ على النِّصفِ . ويُقَوِّى هذا ما ذكَره سيفُ بنُ عمرَ مِن أن الصَّحابةَ كانوا يَطْلُبون إليهم أن يُصالِحوهم على المُشاطَرةِ فيأْبَوْن ، فلمَّا أحَسُّوا باليَأْسِ أنابوا إلى ما كانت الصحابةُ دَعَوْهم إليه فبادَروا إلى إجابتِهم . ولم يَعْلَمِ الصحابةُ بما كان مِن خالدٍ إليهم . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢/ ١٢٤.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ١١٦، ١٢٢.

ولهذا أخَذ الصَّحابةُ نصفَ الكَنيسةِ العُظْمَى التى كانت بدِمشقَ ، وتُعْرفُ بكَنيسةِ يُوحَنَّا ، فاتَّخذوا الجانبَ الشَّرقىَّ منها مسجدًا ، وأبْقَوْا لهم نصفَها الغربىَّ كَنيسةً ، وقد أبْقَوْا لهم مع ذلك أربعَ عشْرَةَ كَنيسةً أخرى مع نصفِ الكَنيسةِ المعروفةِ بيُوحَنَّا ، والتى هى جامعُ دمشقَ اليومَ[1] ، وقد كتَب [٥/ ٨٤و] لهم بذلك خالدُ بنُ الوَليدِ كتابًا ، وكتَب فيه شَهادتَه أبو عُبَيدةَ وعمرُو بنُ العاصِ ويَزيدُ وشُرَحْبيلُ ؛ إحداها كنيسةُ المِقْسِلَّاطِ التى اجْتَمع عندَها أُمراءُ الصَّحابةِ ، وكانت مَبْنيَّةً على ظَهْرِ السوقِ الكبيرِ ، وهذه القَناطرُ المُشاهَدةُ فى سُوقِ الصابونيِّين مِن بقيَّةِ القَناطرِ التى كانت تحتَها ، ثم بادت فيما بعدُ ، وأُخِذَت حِجارتُها فى العِماراتِ . الثانيةُ : كنيسةٌ كانت فى رأسِ دَرْبِ القُرَشِيِّين ، وكانت صغيرةً . قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ : وبعضُها باقٍ إلى اليومِ ، وقد تشَعَّثَت . الثالثةُ : كانت بدارِ البِطِّيخِ العَتيقةِ . قلتُ : وهى داخلَ البلدِ بقربِ الكُوشَكِ[2] ، وأَظُنُّها هى المسجدَ الذى قِبَلَ هذا المكانِ المذكورِ ، فإنها خَرِبت مِن دَهْرٍ . واللَّهُ أعْلَمُ . الرابعةُ : كانت بدَرْبِ بنى نَصْرٍ بينَ دَرْبِ الحبَّالين ودَرْبِ التَّميمىِّ . قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ : وقد أدْرَكْتُ بعضَ بُنْيانِها ، وقد خَرِب أكثرُها . الخامسةُ : كنيسةُ بُولِصَ . قال ابنُ عَساكرَ : وكانت غربىَّ القَيْسارِيَّةِ الفخريةِ ، وقد أدْرَكْتُ مِن بُنْيانِها بعضَ أساسِ الحَنْيَةِ . السادسةُ : كانت فى مَوْضِعِ دارِ الوَكالةِ ، وتُعْرفُ اليومَ بكنيسةِ القَلانِسِيِّين . قلتُ : والقلانسيِّين هى الخَوّاصِين اليومَ . السابعةُ : التى بدَرْبِ السقيلِ اليومَ ، وتُعْرَفُ بكَنيسةِ حُمَيْدِ بنِ دُرَّةَ سابقًا ؛ لأن هذا الدَّرْبَ كان إقْطاعًا له ، وهو حميدُ بنُ عمرِو بنِ مُساحقٍ القُرَشىُّ العامرىُّ ، ودُرَّةُ أمُّهُ ، وهى

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢/٣٥٥ - ٣٥٨.

(٢) الكوشك : القصر ، والحضن . فارسى معرب . المعجم الذهبى ص ٤٨٤. وانظر المعرب ص ١٤٤.

دُرَّةُ بنتُ أبى[1] هاشمِ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ ، فأبوها خالُ مُعاويةَ . وكان قد أُقْطِع هذا الدَّرْبَ فنُسِبَت هذه الكنيسةُ إليه ، وكان مسلمًا ، ولم يَبْقَ لهم اليومَ سِواها ، وقد خَرِب أكثرُها . ولليَعْقُوبِيَّةِ منهم كَنيسةٌ داخلَ بابِ تُوما بينَ رَحْبةِ خالدٍ - وهو خالدُ بنُ أَسِيدِ بنِ أبى العِيصِ - وبينَ دَرْبِ طَلْحةَ بنِ عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنىِّ ، وهى الكَنيسةُ الثامنةُ ، وكانت لليَعْقوبيين كنيسةٌ أخرى فيما بينَ دَرْبِ السُوسىِّ[2] وسُوقِ علىٍّ . قال ابنُ عَساكرَ : قد بَقِىَ مِن بُنْيانِها بعضُه ، وقد خَرِبت منذُ دَهْرٍ . وهى الكَنيسةُ التاسعةُ . وأما العاشرةُ فهى الكَنيسةُ المُصَلَّبَةُ ، قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ : وهى باقيةٌ إلى اليومِ بينَ البابِ الشرقىِّ وبابِ تُوما بقربِ النَّيْبَطُنِ عندَ السُّورِ . والناسُ اليومَ يقولون : النَّيْبَطُونُ[3] . قال ابنُ عَساكرَ : وقد خَرِب أكثرُها . هكذا قال ، وقد خَرِبت هذه الكنيسةُ وهُدِمَت فى أيامِ صَلاحِ الدِّينِ فاتحِ القدسِ بعدَ الثمانين وخمسِمائةٍ بعدَ موتِ الحافظِ ابنِ عَساكرَ ، رحِمه اللَّهُ . الحاديةَ عشْرةَ : كَنيسةُ مَرْيَمَ داخلَ البابِ الشَّرْقىِّ . قال ابنُ عَساكرَ : وهى مِن أكْبرِ ما بَقِىَ بأيديهم . قلتُ : ثم خَرِبت بعدَ موتِه بدَهْرٍ فى أيامِ الملكِ الظَّاهرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدارِىِّ ، على ما سيأتى بيانُه . الثانيةَ عشْرةَ : كنيسةُ اليَهودِ التى بأيديهم اليومَ فى حارتِهم ، ومَحَلُّها مَعْروفٌ بالقُرْبِ مِن الحيرِ[4] وتُسَمِّيه الناسُ اليومَ بُسْتانَ القطِّ ، وكانت لهم كَنيسةٌ فى دَرْبِ البلاغةِ ، لم تَكُنْ داخلةً فى

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص . ويقال : درة بنت هاشم . وهو أخو أبى هاشم . كما فى تاريخ دمشق ٢٨٨/١٥ فى ترجمة ابنها حميد بن عمرو .

(٢) فى الأصل ، م : « التنوى » ، وفى ص : « التنوسى » .

(٣) فى م : « النيطون » .

(٤) فى الأصل ، م : « الجبر » ، وفى ا ١٥١ : « الحر » ، وفى التاريخ : « الخير » ، والمثبت من تاريخ دمشق ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلدة الثانية القسم الأول ص ١٣١ .

العَهْدِ، فهُدِمتْ فيما بعدُ، وجُعِل مكانَها المسجدُ المَعْروفُ بمسجدِ ابنِ الشَهْرُزُوريِّ[1]، والناسُ اليومَ يقولون: دَرْبُ الشاذوريِّ.

[٥/ ٨٤ظ] قلتُ: وقد أُخْرِبَت لهم كنيسةٌ كانوا قد أحْدَثوها لم يَذْكُرْها أحدٌ مِن عُلماءِ التاريخِ، لا ابنُ عَساكرَ ولا غيرُه، وكان إخْرابُها فى حدودِ سنةِ سبعَ عشْرةَ وسبعِمائةٍ، ولم يَتَعَرَّضِ الحافظُ ابنُ عَساكرَ لذكرِ كنيسةِ السامِرةِ بمَرَّةٍ. ثم قال ابنُ عَساكرَ: ومما أَحْدَث - يعنى النَّصارَى - كنيسةٌ بناها أبو جَعْفرٍ المنصورُ لبنى قطيطا فى الفورنقِ[2] عندَ قَناةِ صالحٍ قريبًا مِن [3]دارِ بَهَادُرْ آص[3] اليومَ، وقد أُخْرِبت فيما بعدُ، وجُعِلت مَسْجدًا يُعْرَفُ بمسجدِ الجينيقِ[4]، وهو مسجدُ أبى اليمنِ. قال: ومما أُحْدِث كنيستا العُبّادِ؛ إحداهما عندَ دارِ ابنِ الماشَكىِّ[5]، وقد جُعلت مسجدًا، والأُخْرى التى فى رأسِ دَرْبِ النقّاشِينَ[6]، وقد جُعِلت مسجدًا. انْتَهى ما ذكَره الحافظُ ابنُ عَساكرَ الدِّمَشقىُّ، رحِمه اللَّهُ.

قلتُ: وظاهرُ سِياقِ سيفِ بنِ عمرَ يَقْتَضِى أن فتحَ دمشقَ وقَع فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ، ولكن نَصَّ سيفٌ على ما نصَّ عليه الجُمهورُ مِن أنها فُتِحت فى نصفِ رَجَبٍ سنةَ أرْبعَ عشْرةَ[7]. و[8]كذا حكاه الحافظُ ابنُ عَساكرَ[9] مِن طريقِ محمدِ

---

(١) فى م: «السهروردى».

(٢) فى م، ص: «الفريق».

(٣ - ٣) فى م: «ازبها وارمن». وبهادر آص كان من أعيان دمشق، توفى سنة ٧٣٠. انظر الدرر الكامنة ٢/ ٣٠، ٣١.

(٤) فى م: «الجنيق».

(٥) فى النسخ: «الماشلى». والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٣٥٨، ٣٠١.

(٦) فى ا ١٥١، ص: «النقاشة».

(٧) انظر تاريخ دمشق ٢/ ١١١، ولكن وقع عنده أنها فى شوال.

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

(٩) تاريخ دمشق ٢/ ١٠٩، ١١٠.

ابنِ عائذٍ القُرَشيِّ الدمشقيِّ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن عثمانَ بنِ حِصْنٍ[1] بنِ عَلَّاقٍ ، عن يزيدَ بنِ عُبَيدةَ ، قال : فُتِحت دمشقُ سنةَ أربعَ عشْرةَ . ورَواه دُحَيْمٌ ، عن الوليدِ ، قال[2] : سمِعْتُ أشْياخَنا يقولون : إن دمشقَ فُتِحت سنةَ أربعَ عشْرةَ . وهكذا قال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ وأبو مَعْشَرٍ ومحمدُ بنُ إسحاقَ ومَعْمَرٌ والأُمَويُّ - وحكاه عن مَشايخِه - وابنُ الكَلْبيِّ وخَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وأبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ؛ أنَّ فتْحَ دمشقَ كان فى سنةِ أربعَ عشْرةَ[3] . وزاد سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ وأبو مَعْشَرٍ والأُمويُّ : وكانت اليَرْمُوكُ بعدَها بسنةٍ . وقال بعضُهم[4] : بل كان فَتْحُها فى شوالٍ سنةَ أربعَ عشْرةَ . وقال خَليفةُ[5] : حاصَرهم أبو عُبَيدةَ فى رجبٍ وشعبانَ ورَمضانَ وشَوَّالٍ ، وتَمَّ الصُّلْحُ فى ذى القَعْدةِ . وقال الأُمويُّ فى « مَغازيه »[6] : كانت وَقْعةُ أجْنادِينَ فى جُمادَى الأُولى ، ووَقْعةُ فِحْلٍ فى ذى القَعْدةِ مِن سنةِ ثلاثَ عشْرةَ . يعنى : ووَقْعةُ دِمشقَ سنةَ أرْبعَ عشْرةَ . وقال دُحَيْمٌ عن الوليدِ[7] : حدَّثنى الأُمويُّ أن وَقْعةَ فِحْلٍ وأجْنادِينَ كانت فى خلافةِ أبى بكرٍ ، ثم مضَى المسلمون إلى دِمَشقَ ، فنزَلوا عليها فى رجبٍ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ . يعنى ففتَحوها فى سنةِ أربعَ عشْرةَ . وكانت اليَرْمُوكُ سنةَ خمسَ عشْرةَ ، وقدِم عمرُ إلى بيتِ المقدسِ سنةَ سِتَّ عشْرةَ .

---

(١) فى م : « حصين » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٥١.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ١١٠. ودحيم هو عبد الرحمن بن إبراهيم . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٩٥.

(٣) المصدر السابق ٢/١٠٩ - ١١٢.

(٤) هو سيف بن عمر كما سبق، وانظر المصدر السابق ٢/ ١١١.

(٥) تاريخ خليفة ١/ ١١٣، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١١٢، من طريق خليفة به .

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ١١٤.

(٧) المصدر السابق ٢/ ١١٥.

فصلٌ

واخْتَلف العلماءُ فى دمشقَ ؛ هل فُتِحت صُلْحًا أو عَنْوةً ؟ فأكثرُ العُلماءِ على أنه اسْتَقَرَّ أمْرُها على الصُّلْحِ ؛ لأنَّهم شَكُّوا فى المُتَقَدِّمِ على الآخَرِ ؛ أفُتِحَت عَنْوةً ثم عدَلَ الرومُ إلى المُصالحةِ ، أو فُتِحت صُلْحًا واتَّفَق الاسْتيلاءُ مِن الجانبِ الآخَرِ قَسْرًا ؟ فلما شَكُّوا فى ذلك جَعَلوها صُلْحًا احْتِياطًا . وقيل : بل جُعِل نصفُها صُلْحًا ونصْفُها عَنْوةً . وهذا القولُ قد يَظْهَرُ مِن صَنيعِ الصَّحابةِ فى الكَنيسةِ العُظْمَى التى كانت أكبرَ مَعابدِهم ، حينَ أخَذوا نصفَها وترَكوا لهم نصفَها . واللَّهُ أعلمُ .

ثم قيل : إن أبا عُبَيدةَ هو الذى كتَب لهم كتابَ الصُّلْحِ ، وهذا هو الأنْسَبُ والأشْهَرُ ، فإن خالدًا كان قد عُزِل عن الإمْرةِ . وقيل : بل الذى كتَب لهم الصلحَ خالدُ بنُ الوليدِ ، ولكن [٥/ ٨٥و] أقَرَّه على ذلك أبو عُبَيدةَ . فاللَّهُ أعْلمُ .

وذكَر أبو حُذَيفةَ إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[1] أن الصِّدِّيقَ تُوُفِّىَ قبلَ فَتْحِ دِمَشقَ ، وأن عمرَ كتَب إلى أبى عُبَيدةَ يُعَزِّيه والمسلمين فى الصِّدِّيقِ ، وأنه قد اسْتَنابه على مَن بالشامِ ، وأمَره أن يَسْتَشيرَ خالدًا فى الحربِ ، فلمَّا وصَل الكتابُ إلى أبى عُبَيدةَ كتَمه مِن خالدٍ حتى فُتِحتْ دِمشقُ بنحوٍ مِن عِشْرين ليلةً ، فقال له خالدٌ : يَرْحَمُك اللَّهُ ، ما منَعك أن تُعْلِمَنى حينَ جاءك ؟ فقال : إنى كَرِهْتُ أن أَكْسِرَ عليك حَرْبَك ، وما سُلْطانَ الدنيا أُريدُ ، ولا للدنيا أَعْمَلُ ، وما تَرَى سيَصِيرُ إلى زَوالٍ وانْقطاعٍ ، وإنما نحن إخْوانٌ ، وما يَضُرُّ الرجلَ أن يَلِيَه أخوه فى دينِه ولا دُنْياه .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ١٢٣، ١٢٥.

ومِن أعْجَبِ ما يُذْكَرُ هـٰهنا ما رَواه يعقوبُ بنُ سُفيانَ الفَسَوىُّ[1] ، حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ محمدٍ ، ثنا راشدُ بنُ دَاودَ الصَّنْعانىُّ ، حدَّثنى أبو عُثمانَ الصَّنْعانىُّ شَراحِيلُ بنُ مَرْثَدٍ ، قال : بعَث أبو بكرٍ خالدَ بنَ الوَليدِ إلى أهلِ اليَمامةِ ، وبعَث يزيدَ بنَ أبى سُفْيانَ إلى الشامِ . فذكَر الراوى قِتالَ[2] خالدٍ لأهلِ اليَمامةِ ، إلى أن قال : ومات أبو بكرٍ واسْتَخْلَف عمرَ ، فبعَث أبا عُبَيدةَ إلى الشامِ ، فقدِم دمشقَ ، فاسْتَمَدَّ أبو عُبيدةَ عمرَ ، فكتَب عمرُ إلى خالدِ بنِ الوليدِ أن يَسيرَ إلى أبى عُبَيدةَ بالشامِ . فذكَر مَسيرَ خالدٍ مِن العِراقِ إلى الشامِ كما تقَدَّم . وهذا غريبٌ جدًّا ، فإن الذى لا يُشَكُّ فيه أن الصِّدِّيقَ هو الذى بعَث أبا عُبَيدةَ وغيرَه مِن الأُمراءِ إلى الشامِ ، وهو الذى كتَب إلى خالدِ بنِ الوَليدِ أن يَقْدَمَ مِن العِراقِ إلى الشامِ ليكونَ مَدَدًا لمَن به وأميرًا عليهم ، ففتَح اللَّهُ تعالى عليه وعلى يَدَيْه جميعَ الشامِ ، على ما سنَذْكُرُه إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[3] : قال الوليدُ بنُ مُسْلمٍ : أخْبَرنى صَفْوانُ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرِ بنِ نُفَيْرٍ ، أن المسلمين لما افْتَتَحوا مدينةَ دمشقَ بعَثوا أبا عُبَيدةَ بنَ الجَرَّاحِ وافدًا إلى أبى بكرٍ بَشيرًا بالفتحِ ، فقدِم المدينةَ فوجَد أبا بكرٍ قد تُوُفِّىَ ، واسْتَخْلف عمرَ بنَ الخَطَّابِ ، فأعْظَم أن يَتَأَمَّرَ أحدٌ مِن أصْحابِه[4] عليه ، فوَلَّاه جماعةَ الناسِ ، فقدِم عليهم فقالوا : مَرْحبًا بمَن بعَثْناه بَريدًا فقدِم علينا أميرًا .

وقد روَى الليثُ وابنُ لَهِيعةَ وحَيْوةُ بنُ شُرَيحٍ ومُفَضَّلُ بنُ فَضالةَ وعمرُو[5] بنُ

---

(١) المعرفة والتاريخ ٢/ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) فى م : « فقال » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٣٤، من طريق محمد بن عائذ به .

(٤) فى م ، ص : « الصحابة » .

(٥) فى الأصل ، م : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٧٠.

الحارثِ وغيرُ واحدٍ[1] ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحكَمِ ، عن عُلَىّ[2] بنِ رَباحٍ ، عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ ، أنه بعَثه أبو عُبَيدةَ بَريدًا بفَتْحِ دِمشقَ . قال : فقدِمْتُ على عمرَ يومَ الجُمُعةِ فقال لى : منذ كم لم تَنْزِعْ خُفَّيْك ؟ فقلتُ : مِن يومِ الجُمُعةِ وهذا يومُ الجُمُعةِ . فقال : أصَبْتَ السُّنَّةَ . قال الليثُ : وبه نَأْخُذُ . يعنى أن المسحَ على الخُفَّيْنِ للمسافرِ لا يَتَأَقَّتُ ، بل له أن يَمْسَحَ عليهما ما شاء ، وإليه ذهَب الشافعىُّ فى القديمِ[3] . وقد روَى أحمدُ وأبو دَاودَ ، عن أُبَىِّ بنِ عُمارةَ مَرْفوعًا مثلَ هذا[4] ، والجُمهورُ على ما رواه مُسْلمٌ عن علىٍّ فى تَأْقيتِ المَسْحِ ؛ للمُسافرِ ثلاثةُ أيامٍ ولَياليهن ، وللمقيمِ يومٌ وليلةٌ[5] . ومِن الناسِ مَن فصَل بينَ البَريدِ ومَن فى معناه وغيرِه ، فقال فى الأولِ : لا يَتَأَقَّتُ . وفيما عداه : يَتَأَقَّتُ ؛ لحديثِ عُقْبةَ وحديثِ علىٍّ . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

ثم إنَّ [٥/ ٨٥ظ] أبا عُبَيدةَ بعَث خالدَ بنَ الوَليدِ إلى البِقاعِ ففتَحه بالسيفِ ، وبعَث سَريةً فالْتَقَوْا مع الرومِ بعينِ ميسنون ، وعلى الرومِ رجلٌ يقالُ له : سِنانُ[6] . تَحَدَّر على المسلمين مِن عَقَبةِ بَيْروتَ ، فقُتِل مِن المسلمين يومَئذٍ جماعةٌ مِن

---

(١) تاريخ دمشق ٢/١٣٥ - ١٣٧.

(٢) بضم العين وفتح اللام ، على هيئة التصغير . انظر سير أعلام النبلاء ٥/١٠٢ .

(٣) انظر معرفة السنن والآثار ١/ ٣٤٤.

(٤) لم نجده فى المسند . وانظر جامع المسانيد ١/٤٢ - ٤٤ ، والمسند الجامع ١/ ١٦. وأخرجه أبو داود (١٥٨) ، وابن ماجه (٥٥٧) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٩) .

(٥) مسلم (٢٧٦) .

(٦) فى الأصل ، ١٥١: « سسان » .

الشُّهداءِ ، فكانوا يُسَمُّون عينَ ميسنون عينَ الشُّهداءِ . واسْتَخْلف أبو عُبَيدةَ على دمشقَ يزيدَ بنَ أبى سُفْيانَ ، كما وعَده بها الصِّدِّيقُ ، وبعَث يزيدُ دِحْيةَ بنَ خَليفةَ إلى تَدْمُرَ فى سَرِيَّةٍ ليُمَهِّدوا أمْرَها ، وبعَث أبا الزَّهْراءِ القُشَيْرىَّ إلى البَثَنِيَّةِ[1] وحَوْرانَ فصالَح أهْلَها .

قال أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ[2] ، رحِمه اللَّهُ : افْتَتح خالدٌ دمشقَ صُلْحًا ، وهكذا سائرُ مُدُنِ الشامِ كانت صُلْحًا دونَ أرْضِها ، فعلى يدَىْ يزيدَ بنِ أبى سفيانَ وشُرَحْبيلَ ابنِ حَسَنةَ وأبى عُبَيدةَ . وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[3] : أخْبَرنى غيرُ واحدٍ مِن شُيوخِ دمشقَ [4]أن المسلمين[4] بينما هم على حِصارِ دمشقَ إذ أقْبَلت خَيْلٌ مِن عَقَبةِ السَّلَمْيَةِ مُخَمَّرَةٌ بالحَريرِ ، فثار إليهم المسلمون ، فالْتَقَوْا فيما بينَ بيتِ لَهْيَا والعَقَبةِ التى أقْبَلوا منها ، فهزَموهم وطَرَدُوهم إلى أبوابِ حِمْصَ ، فلما رأى أهلُ حِمْصَ ذلك ظَنُّوا أنهم قد فتَحوا دمشقَ ، فقال لهم أهلُ حِمْصَ : إنا نُصالحُكم على ما صالَحْتُم عليه أهلَ دِمَشقَ . ففعَلوا .

وقال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ المُغيرةِ ، عن أبيه قال : افْتَتَح شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ الأُرْدُنَّ كلَّها عَنْوةً ما خلا طَبَرِيَّةَ ، فإنَّ أهلَها صالَحوه . وهكذا قال ابنُ الكَلْبىِّ . وقالا : بعَث أبو عُبَيدةَ خالدًا فغلَب على أرضِ البِقاعِ ، وصالَحه أهلُ بَعْلَبَكَّ وكتَب لهم كتابًا . وقال ابنُ المُغيرةِ[6] عن أبيه : وصالَحهم على

---

(١) فى النهاية ١/٩٥ : « البَثْنة » .

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ١٣٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٣٤.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) تاريخ خليفة ١/ ١١٧، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٣٩، من طريق خليفة به .

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ١٣٩.

أنْصافِ مَنازِلِهم وكَنائسِهم، ووَضْعِ الخَراجِ. وقال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[1]: وفى سنةِ أربعَ عشْرةَ فُتِحت حِمْصُ وبَعْلَبَكُّ صُلْحًا على يدَىْ أبى عُبَيدةَ فى ذى القَعْدةِ. قال خَليفةُ[2]: ويقالُ: فى سنةِ خمسَ عشْرةَ.

وَقْعَةُ فِحْلٍ، [3]بكسرِ الفاءِ، قيل: والحاءِ.

والصحيحُ تسكينُها[3]

وقد ذكَرها كثيرٌ مِن عُلماءِ السِّيرِ قبلَ فتحِ دِمشقَ[4]، وإنما ذكَرها الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ بعدَ فتحِ دِمشقَ[5]، وتبع فى ذلك سِياقَ سيفِ بنِ عمرَ، فيما رَواه عن أبى عُثمانَ يزيدَ بنِ أَسِيدٍ الغَسَّانىِّ وأبى حارثةَ العَبْشَمِىِّ[6] قالا: خلَّف الناسُ يزيدَ بنَ أبى سُفيانَ فى خَيْلِه فى دِمشقَ، وساروا نحو فِحْلٍ، وعلى الناسِ الذين هم بالغَوْرِ شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ، وسار أبو عُبَيدةَ وقد جعَل على المُقَدِّمةِ خالدَ بنَ الوليدِ، وأبو عُبَيدةَ على المَيْمنةِ، وعمرَو بنَ العاصِ على المَيْسَرةِ، وعلى الخَيْلِ ضِرارَ بنَ الأَزْورِ، وعلى الرَّجَّالةِ عِياضَ بنَ غَنْمٍ، فوصَلوا إلى فِحْلٍ، وهى بَلْدةٌ بالغَوْرِ، وقد انْحاز الرومُ إلى بَيْسانَ، وأرْسَلوا مياهَ تلك الأراضى على ما هنالك مِن الأراضى، فحال بينَهم وبينَ المسلمين، وأرْسَل المسلمون إلى عمرَ يُخْبِرونه بما

---

(١) تاريخ دمشق ٢/١٣٩.

(٢) تاريخ خليفة ١/ ١١٧.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٢/ ٩٨، ١٠٩.

(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٤٢.

(٦) فى الأصل، ١٥١، م: «القيسى».

هم فيه مِن مُصابَرةِ عدوِّهم ، وما صنَعه الرومُ مِن تلك المَكِيدةِ ، إلا أن المسلمين فى عَيْشٍ رَغيدٍ ومَدَدٍ كثيرٍ ، وهم على أُهْبَةٍ مِن أمْرِهم ، وأميرُ هذا الحربِ شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ ، وهو لا يَبيتُ ولا يُصْبِحُ إلا على تَعْبِئةٍ ، وظَنَّ الرومُ أن المسلمين على غِرَّةٍ ، فركِبوا فى بعضِ الليالى ليُبَيِّتوهم ، وعلى الرومِ [٥/٨٦و] سِقْلابُ[1] بنُ مخراقَ ، فهجَموا على المسلمين فنهَضوا إليهم نَهْضةَ رجلٍ واحدٍ ؛ لأنهم على أُهْبَةٍ دائمًا ، فقاتَلوهم حتى الصباحِ وذلك اليومَ بكمالِه [2]إلى الليلِ ، فلما أظْلَم الليلُ فرَّ الرومُ وقُتِل أميرُهم سِقْلابُ[1] ، وركِب المسلمون أكْتافَهم[2] وأسْلَمَتْهم هَزيمتُهم إلى ذلك الوَحْلِ الذى كانوا قد كادوا به المسلمين ، فغرَّقهم اللَّهُ فيه ، وقتَل منهم المسلمون بأطرافِ الرِّماحِ ما قارَب الثمانين ألفًا ، لم يَنْجُ منهم إلا الشَّرِيدُ ، وغَنِموا منهم شيئًا كثيرًا ومالًا جَزيلًا ، وانْصَرف أبو عُبَيدةَ وخالدٌ بمَن معهما مِن الجُيوشِ نحوَ حِمْصَ ، كما أمَر أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، واسْتَخْلف أبو عُبَيدةَ على الأُرْدُنِّ شُرَحْبيلَ ابنَ حَسَنةَ ، فسارَ شُرَحْبِيلُ ومعه عمرُو ابنُ العاصِ ، فحاصَر بَيْسانَ ، فخرَجوا إليه فقتَل منهم مَقْتَلةً عَظيمةً ، ثم صالَحوه على مثلِ ما صالَحَتْ عليه دمشقُ ، وضرَب عليهم الجزيةَ ، والخَراجَ على أراضيهم ، وكذلك فعَل أبو الأعْورِ السُّلَمِيُّ بأهلِ طَبَرِيَّةَ سواءً .

فصلٌ فيما وقَع بأرضِ العراقِ فى هذه المدَّةِ مِن القِتالِ

قد قدَّمْنا[3] أن المُثَنَّى بنَ حارثةَ لما سار خالدٌ مِن العراقِ بمَن صحِبه إلى

---

(١) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى وابن عساكر : « سقلار » .

(٢ - ٢) سقط من : ١٥١.

(٣) تقدم فى صفحة ٥٧٣ .

الشامِ - وقد قيل : إنه سار بتسعةِ آلافٍ . وقيل : بثلاثةِ آلافٍ . وقيل : بسبعِمائةٍ . وقيل : بأقلَّ . إلا أنهم صَنادِيدُ جيشِ العراقِ - فأقام المُثَنَّى بمَن بَقِىَ ، فاسْتَقَلَّ عددَهم ، وخاف مِن سَطْوةِ الفُرْسِ لولا اشْتغالُهم بتَبْديلِ مُلوكِهم ومَلِكاتِهم ، واسْتَبْطأ المُثَنَّى خبرَ الصِّدِّيقِ ، فسار إلى المدينةِ ، فوجَد الصِّدِّيقَ فى السِّياقِ[1] ، فأخْبَره بأمْرِ العراقِ ، فأوْصَى الصِّدِّيقُ عمرَ أن يَنْدُبَ الناسَ لقِتالِ أهلِ العِراقِ ، فلما مات الصِّدِّيقُ ودُفِن ليلةَ الثلاثاءِ ، أصْبَح عمرُ فندَب الناسَ وحَثَّهم على قِتالِ أهلِ العِراقِ ، وحرَّضهم ورَغَّبهم فى الثَّوابِ على ذلك ، فلم يَقُمْ أحدٌ ؛ لأن الناسَ كانوا يَكْرَهون قِتالَ الفُرْسِ ؛ لقوةِ سَطْوتِهم ، وشدةِ قِتالِهم ، ثم ندَبهم فى اليومِ الثانى والثالثِ ، فلم يَقُمْ أحدٌ ، وتكَلَّم المُثَنَّى بنُ حارثةَ فأحْسَن ، وأخْبَرهم بما فتَح اللَّهُ تعالى على يَدْى خالدٍ مِن مُعظمِ أرضِ العراقِ ، وما لهم هنالك مِن الأمْوالِ والأمْلاكِ والأمْتِعةِ والزادِ ، فلم يَقُمْ أحدٌ فى اليومِ الثالثِ ، فلما كان اليومُ الرابعُ كان أولَ مَن انْتَدَب مِن المسلمين أبو عُبَيدِ بنُ مَسْعودٍ الثقفىُّ ، ثم تَتابَع الناسُ فى الإجابةِ ، وأمَّر عمرُ طائفةً مِن أهلِ المدينةِ ، وأمَّر على الجميعِ أبا عُبَيدٍ هذا ، ولم يَكُنْ صحابيًّا ، فقيل لعمرَ : هلَّا أمَّرْتَ عليهم رجلًا مِن الصَّحابةِ[2] ؟ فقال : إنما أُؤمِّرُ أولَ مَن اسْتَجاب ، إنكم إنما سَبَقْتُم الناسَ بنُصْرةِ هذا الدِّينِ ، وإن هذا هو الذى اسْتَجاب قبلَكم . ثم دَعاه فوَصَّاه فى خاصَّةِ نفسِه بتَقْوَى اللَّهِ وبمَن معه مِن

---

(١) السياق : نزع الروح . اللسان (س و ق) .

(٢) جاء ذكر أبى عبيد فى الصحابة فى الاستيعاب ٤/ ١٧٠٩، وأسد الغابة ٦/ ٢٠٥، والإصابة ٧/ ٢٦٧. وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام، جزء الخلفاء الراشدين. ص ٨٧: وكان أبو عبيد من فضلاء الصحابة . ولعل المصنف بنى حكمه على ما جاء فى تاريخ الطبرى ٣/ ٤٤٦، حيث قال : فقيل لعمر : أمِّر عليهم رجلا له صحبة ... والله أعلم .

المسلمين خيرًا ، وأمَره أن يَسْتَشِيرَ أصْحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [1] وأن يَسْتَشيرَ سَلِيطَ ابنَ قَيسٍ ؛ فإنه رجلٌ باشَر الحُروبَ [1] . فسار المسلمون إلى أرضِ العِراقِ ، [1] وهم سبعةُ آلافِ رجلٍ [1] ، وكتَب عمرُ إلى أبى عُبَيدةَ أن يُرْسِلَ مَن كان بالعراقِ ممَّن قدِم مع خالدٍ إلى العراقِ ، [1] فجهَّز عشَرةَ آلافٍ ، عليهم هاشمُ بنُ عُتْبةَ ، وأرْسَل عمرُ جريرَ بنَ عبدِ اللَّهِ البَجَلىَّ [٥/٨٦ظ] فى أربعةِ آلافٍ إلى العِراقِ ، فقدِم الكُوفةَ ، ثم خرَج منها ، فواقَع هرقرانَ المدارَ فقتَله وانْهَزم جيشُه ، وغرِق أكثرُهم فى دِجْلةَ [1] ، فلما وصَل الناسُ إلى العراقِ وجَدوا الفرسَ مُضْطَربين فى مُلْكِهم ، وآخِرُ ما اسْتَقَرَّ عليه أمْرُهم أن مَلَّكوا عليهم بُورانَ بنتَ كِسْرَى بعدَما قتَلوا التى كانت قبلَها آزَرْميدُخْتَ ، وفوَّضَت بُورانُ أمْرَ المُلْكِ عشْرَ سنين إلى رجلٍ منهم يقالُ له : رُسْتُمُ [2] بنُ فَرُّخْزاذَ . على أن يَقومَ بأمْرِ الحربِ ، ثم يَصيرَ المُلْكُ إلى آلِ كِسْرَى ، فقبِل ذلك . وكان رُسْتُمُ [2] هذا مُنَجِّمًا يَعْرِفُ النُّجومَ وعِلْمَها جيدًا ، فقيل له : ما حمَلك على هذا ؟ يَعْنون وأنت تَعْلَمُ أن هذا [3] لا يَتِمُّ لك ، فقال : الطَّمَعُ وحُبُّ الشَّرَفِ .

وَقْعةُ النَّمارِقِ [4]

بعَث رُسْتُمُ أميرًا يقالُ له : جابانُ . وعلى مُجَنِّبَتَيْه رجلان يقالُ لأحدِهما :

(١ - ١) سقط من : ١٥١، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) بعده فى م : « الأمر » .

(٤) النمارق : موضع قرب الكوفة من أرض العراق . معجم البلدان ٤/ ٨١٢. وانظر لهذه الوقعة تاريخ الطبرى ٣/ ٤٤٩.

جِشْنِسُ ماه . ويقالُ للآخَرِ : مَرْدَانْ شاه . وهو حَصِيٌّ[1] أميرِ حاجبِ الفُرْسِ ، فالْتَقَوْا مع أبى عُبَيدٍ بمكانٍ يقالُ له : النَّمارقُ . [2]بينَ الحيرةِ والقادِسيَّةِ[2] ، وعلى الخيلِ المُثَنَّى بنُ حارثةَ ، [2]وعلى المَيْسَرةِ عمرُو بنُ الهَيْثَمِ[2] ، فاقْتَتَلوا هنالك قِتالًا شديدًا ، وهزَم اللَّهُ الفرسَ ، وأُسِر جابانُ ومَرْدانْ شاه . فأمَّا مَرْدانْ شاه فإنه قتَله الذى أسَره ، وأمَّا جابانُ فإنه خدَع الذى أسَره حتى أطْلَقه ، فأمْسَكه المسلمون وأبَوْا أن يُطْلِقوه ، وقالوا : إن هذا هو الأميرُ . وجاءُوا به إلى أبى عُبيدٍ ، فقالوا : اقْتُلْه فإنه الأميرُ . فقال : وإن كان الأميرَ ، فإنى لا أقْتُلُه وقد أمَّنه رجلٌ مِن المسلمين . ثم ركِب أبو عُبَيدٍ فى آثارِ مَن انْهَزم منهم ، وقد لَجَئوا إلى مدينةِ كَسْكَرَ[3] التى لابنِ خالةِ كِسْرَى ، واسمُه نَرْسِى ، فوازَرهم نَرْسِى على قِتالِ أبى عُبيدٍ ، فقهَرهم أبو عُبَيدٍ ، وغَنِم منهم شيئًا كثيرًا وأَطْعِماتٍ كَثيرةً جدًّا ، وللَّهِ الحمدُ . وبعَث بخُمُسِ ما غَنِم مِن المالِ والطَّعامِ إلى عمرَ بنِ الخَطَّابِ بالمدينةِ ، وقد قال فى ذلك رجلٌ مِن المسلمين[4] :

لَعَمْرى وما عَمْرى علىَّ بهَيِّنٍ ... لقد صُبِّحَتْ بالخِزْيِ أهلُ النَّمارِقِ
بأَيْدى رجالٍ هاجَروا نحوَ ربِّهم ... يَجوسُونهم[5] ما بينَ دُرْتا[6] وبارِقِ
قتَلْناهمُ ما بينَ مَرْجِ مُسَلِّحٍ ... وبينَ[7] الهَوافى مِن طريقِ البَذارِقِ[7]

---

(١) سقط من : ص . وفى م : « خصى » .
(٢ - ٢) سقط من : ١٥١.
(٣) فى ١٥١: « كسكرى » . وكسكر مدينة بين الكوفة والبصرة . انظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٤.
(٤) هو عاصم بن عمرو التميمى ، وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤٥٠.
(٥) يقال بالجيم والحاء أيضا . النهاية ١/ ٤٦٠ .
(٦) فى الأصل ، ١٥١: « دريا » ، وفى م ، ص : « درنا » . والمثبت من تاريخ الطبرى . ودرتا : موضع قرب بغداد . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٦٥.
(٧ - ٧) فى الأصل ، م : « الهوانى من طريق التدارق » ، وفى ١٥١، ص : « الهوانى من طريق التذارق » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر معجم البلدان ٤/ ٩٩٥. وقال : الهوانى : موضع بأرض السواد . وذكر البيت .

(١ فالْتَقَوْا بمكانٍ بينَ كَسْكَرَ والسَّقاطِيَةِ(٢) ، وعلى مَيْمَنةِ نَرْسِى ومَيْسَرتِه ابنا خالِه بندَوَيْهِ وتِيرَوَيْهِ أولادُ بسطامَ ، وكان رُسْتُمُ قد جهَّز الجيوشَ مع الجالِنوسِ ، فلمَّا بلَغ أبا عُبَيدٍ ذلك أعْجَل نَرْسِى بالقِتالِ قبلَ وُصولِهم ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، فانْهَزَمت الفرسُ ، وهرَب نَرْسِى والجالِنوسُ إلى المَدائنِ بعدَ وَقْعةٍ جرَتْ مِن أبى عُبَيدٍ مع الجالِنوسِ بمكانٍ يقالُ له : بارُوسْمَا١ . فبعَث أبو عُبَيدٍ المُثَنَّى بنَ حارثةَ وسَرايا أُخَرَ إلى ماتاخَمَ تلك الناحيةَ كنهرِ جَوْبَرَ(٣) ونحوِها ، ففتَحها صُلْحًا وقَهْرًا ، وضرَبوا الجِزْيةَ والخَراجَ ، وغَنِموا الأمْوالَ الجَزيلةَ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وكسَروا الجالِنوسَ الذى جاء لنُصْرةِ جابانَ، وغَنِموا [٥/٨٧و](٤) جيشَه وأمْوالَه ، وكَرَّ هاربًا إلى قومِه حَقيرًا ذَليلًا .

وَقْعةُ جِسْرِ أبى عُبَيدٍ (٥التى قُتِل فيها٥) أميرُ المسلمين وخَلْقٌ كثيرٌ منهم، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون

لما رجَع الجالِنوسُ هاربًا مما لَقِىَ مِن المسلمين تَذامَرتِ الفرسُ بينَهم واجْتَمعوا إلى رُسْتُمَ ، فأرْسَل جيشًا كَثيفًا (١عليهم ذا الحاجب (٦بَهْمنُ جاذَوَيْهِ٦) ، وأعْطاه١)

(١ - ١) سقط من: ا ١٥١، ص.

(٢) فى الأصل، م: «السفاطية». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر معجم البلدان ٣/ ١٠٠.

(٣) فى الأصل: «حور»، وفى ا ١٥١، م، ص: «جور». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر معجم البلدان ٢/ ١٤١.

(٤) الصفحة [٤/٨٧و] مطموسة فى صورة الأصل. والصفحة [٤/٨٧ظ] بها بياض فى صورة الأصل.

(٥ - ٥) فى م: «ومقتل». وانظر الوقعة فى تاريخ الطبرى ٣/٤٥٤ - ٤٦٠.

(٦ - ٦) فى م: «بهمس حادويه». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(١ راية أفْرِيدُونَ ، وتُسَمَّى دِرَفْشَ كابيانَ ، وكانت الفرسُ تَتَيَمَّنُ بها ١) ، وحمَلوا معهم رايةَ كِسْرَى ، وكانت مِن جُلودِ النُّمورِ ، عَرْضُها ثمانيةُ أَذْرُعٍ ، فوصَلوا إلى المسلمينَ وبينَهم النَّهرُ ، وعليه جِسْرٌ ، فأرْسَلوا : إما أن تَعْبُروا إلينا وإما أن نَعْبُرَ إليكم . فقال المسلمون لأميرِهم أبى عُبَيدٍ : مُرْهم فلْيَعْبُرُوا هم إلينا . فقال : ما هم بأَجْرَأَ على الموتِ منا . ثم اقْتَحَم إليهم ، فاجْتَمعوا فى مكانٍ ضيقٍ فالتَقَوا(٢) هنالك ، فاقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا لم يُعْهَدْ مثلُه ، والمسلمون فى نحوٍ مِن عشَرةِ آلافٍ ، وقد جاءتِ الفُرْسُ معهم بأَفْيِلةٍ كثيرةٍ ، عليها (٣ الجَلاجِلُ والنَّخْلُ ٣) قائمةً لتَذْعَرَ خُيولَ المسلمين ، فجعَلوا كلما حمَلوا على المسلمين فرَّتْ خُيولُهم مِن الفِيَلةِ ، ومما تَسْمَعُ مِن الجَلاجِلِ التى عليها ، ولا يَثْبُتُ منها إلا القليلُ على قَسْرٍ ، وإذا حَمَل المسلمون عليهم لا تُقْدِمُ خَيْلُهم على الفِيَلةِ ، ورَشَقَتْهم الفُرسُ بالنَّبْلِ ، فنالوا منهم خَلْقًا كَثيرًا ، وقتَل المسلمون منهم مع ذلك ستةَ آلافٍ ، وأمَر أبو عُبيدٍ المسلمين أن يَقْتُلوا الفِيَلةَ أولًا ، فاحْتَوَشُوها فقتَلوها عن آخِرِها ، وقد قدَّمَت الفرسُ بينَ أيديهم فِيلًا عظيمًا أبيضَ ، فتقَدَّم إليه أبو عُبَيدٍ فضرَبه بالسَّيفِ فقطَع زلومَه ، فحَمِيَ الفيلُ وصاح صَيْحةً هائلةً وحمَل عليه(٢) ، فتَخَبَّطَه برِجْلِه فقتَله ووقَف فوقَه ، فحمَل على الفيلِ خَليفةُ أبى عُبَيدٍ الذى كان أوْصَى أن يكونَ أميرًا بعدَه فقُتِل ، ثم آخَرُ ، ثم آخَرُ ، حتى قُتِل سبعةٌ مِن ثَقِيفٍ كان قد نَصَّ أبو عُبَيدٍ عليهم واحدًا بعدَ واحدٍ ، ثم صارت إلى المُثَنَّى بنِ حارثةَ بمُقْتَضى الوصيَّةِ أيضًا ، وقد كانت دَوْمةُ امرأةُ أبى عُبيدٍ رأَتْ مَنامًا يَدُلُّ على ما وقَع سواءً بسواءٍ ، فلمّا رأى المسلمون ذلك

(١ - ١) سقط من : ١٥١، ص .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م . والنخل : ضرب من الحلى . اللسان (ن خ ل) .

وَهَنوا عندَ ذلك ، ولم يَكُنْ بَقِيَ إلا الظَّفَرُ بالفُرسِ ، وضَعُف أمرُهم ، وذهَبَت رِيحُهم ، ووَلَّوْا مُدْبِرين ، وساقتِ الفُرسُ خلفَهم يَقْتُلون بَشَرًا كثيرًا ، وانْكَشَف الناسُ ، فكان أمْرًا بَليغًا ، وجاءُوا إلى الجِسْرِ ، فمرَّ بعضُ الناسِ ، ثم انْكَسَر الجِسْرُ فتَحَكَّم فيمَن وراءَه الفُرسُ ، فقتَلوا مِن المسلمينَ ، وغرِق فى الفُراتِ نحوٌ مِن أربعةِ آلافٍ ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، وسار المُثَنَّى بنُ حارثةَ ، فوقَف عندَ الجِسْرِ الذى جاءوا منه ، وكان الناسُ لمّا انْهَزَموا جعَل بعضُهم يُلْقِى بنفسِه فى الفُراتِ فيَغْرَقُ ، فنادَى المُثَنَّى : أيُّها الناسُ ، على هِينَتِكم ، فإنى واقفٌ على فَمِ الجِسْرِ لا أَجوزُه حتى لا يَبْقى منكم أحدٌ هـٰهنا . فلمَّا عدَّى الناسُ إلى النّاحيةِ الأُخْرى سار المُثَنَّى فنزَل بهم أولَ مَنْزِلٍ ، وقام يَحْرُسُهم[1] هو وشُجْعانُ المسلمينَ ، وقد جُرح أكثرُهم وأُثْخِنوا ، ومِن الناسِ مَن ذهَب فى البَرِّيَّةِ لا يُدْرَى أين ذهَب ، ومنهم مَن رجَع إلى المدينةِ النبويةِ مَذْعُورًا ، وذهَب بالخبرِ عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عاصمٍ المازنىُّ إلى عمرَ بنِ الخَطَّابِ ، فوجَده على المِنْبرِ ، فقال له عمرُ : ما وراءَك يا عبدَ اللَّهِ بنَ زيدٍ ؟ فقال : أتاك الخبرُ اليَقينُ يا أميرَ المؤمنين . ثم صعِد إليه المِنْبرَ فأخْبَره الخبرَ سِرًّا ، ويقالُ : كان أولَ مَن قدِم بخبرِ الناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ بنِ الحُصَيْنِ الخَطْمىُّ . فاللَّهُ أعلمُ - قال سيفُ بنُ عمرَ : وكانت هذه الوَقْعةُ فى شَعْبانَ مِن سنةِ ثلاثَ عشْرةَ بعدَ اليَرْموكِ بأربعين يومًا . فاللَّهُ أعلمُ - وتَراجَع المسلمون بعضُهم إلى بعضٍ ، وكان منهم مَن فَرَّ إلى المدينةِ ، فلم يُؤَنِّبْ عمرُ الناسَ ، بل قال : أنا فِئَتُكم[2] . وأَشْغَل اللَّهُ المجوسَ بأمْرِ مَلِكِهم ؛ وذلك أنَّ أهلَ المَدائِنِ عَدَوْا على رُسْتُمَ فخلَعوه ، ثم وَلَّوه ، وأضافوا إليه الفَيْرُزانَ[3] ، واخْتَلفوا على فِرْقَتَيْن ،

---

(١) فى ا ١٥١: « لحربهم » .

(٢) فى م : « فيئكم » .

(٣) فى ا ١٥١، ص : « الفرزان » .

فركِب الفُرسُ إلى المَدائنِ ، ولحِقهم المُثَنَّى بنُ حارِثةَ فى نفرٍ مِن المسلمينَ ، فعارَضه أميران مِن أُمرائِهم فى جيشِهم ، فأسَرهما وأسَر معهما بشرًا كثيرًا ، فضرَب أعْناقَهم ، ثم أرْسَل المُثَنَّى إلى مَن بالعراقِ مِن أُمراءِ المسلمين يَسْتَمِدُّهم ، فبعَثوا إليه بالأمْدادِ ، وبعَث إليه عمرُ بنُ الخطابِ بمَدَدٍ كثيرٍ ، فيهم جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ فى قومِه بَجِيلةَ بكمالِها ، وغيرُه مِن ساداتِ المسلمين ، حتى كَثُر جيشُه .

وَقْعةُ البُوَيْبِ[1] التى اقْتَصَّ فيها المسلمون مِن الفُرْسِ

فلما سمِع[2] أُمراءُ الفُرْسِ بكثرةِ[3] جُيوشِ المُثَنَّى ، بعَثوا إليه جيشًا آخرَ مع رجلٍ يقالُ له : مِهْرانُ . فتَوافَوْا هم وإياهم بمكانٍ يقالُ له : البويبُ . قريبٍ مِن مكانِ الكوفةِ اليومَ ، وبينَهما الفُراتُ ، فقالوا : إمَّا أن تَعْبُروا إلينا أو نَعْبُرَ إليكم . فقال المسلمون : بل اعْبُروا إلينا . فعبَرت الفرسُ [٥/ ٨٧ظ] إليهم فتَواقَفوا ، وذلك فى شهرِ رَمضانَ ، فعزَم المُثَنَّى على المسلمين فى الفِطْرِ ، فأفْطَروا عن آخِرِهم ليكونَ أقْوَى لهم ، وعَبَّى الجيشَ ، وجعَل يَمُرُّ[4] على كلِّ رايةٍ مِن راياتِ الأُمراءِ على القَبائلِ ويَعِظُهم ويَحُثُّهم على الجِهادِ والصَّبْرِ والصَّمْتِ والثَّباتِ ، وفى القومِ جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ فى بَجِيلةَ ، وجماعةٌ مِن ساداتِ المسلمينَ ، وقال المُثَنَّى لهم : إنى مُكَبِّرٌ ثلاثَ تَكْبيراتٍ فتَهَيَّئوا ، فإذا كَبَّرْتُ الرابعةَ فاحْمِلوا . فقابَلوا قولَه بالسمعِ والطاعةِ والقَبولِ . فلما كبَّر أولَ تَكْبيرةٍ عاجَلَتْهم الفُرْسُ فحمَلوا حتى

---

(١) فى ١٥١، ص : « البويت » . وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤٦٠ ، ومعجم البلدان ١/ ٧٦٤.
(٢) بعده فى م ، ص : « بذلك » .
(٣) فى م ، ص : « وبكثرة » .
(٤) سقط من : ١٥١، ص .

غالَقوهم ، واقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا ، [1]وركَدتِ الحربُ[1] ، ورأَى المُثَنَّى فى بعضِ صُفوفِه خَلَلًا ، فبعَث إليهم رجلًا يقولُ : الأميرُ يَقْرَأُ عليكم السَّلامَ ويقولُ لكم : لا تَفْضَحوا المُسْلِمِين[2] اليومَ . فاعْتَدَلوا ، فلمَّا رأَى ذلك منهم - وهم بنو عِجْلٍ - أعْجَبه وضحِك ، وبعَث إليهم يقولُ : يا معشرَ المسلمين ، عاداتِكم ، انْصُروا اللَّهَ يَنْصُرْكم . وجعَل المُثَنَّى والمسلمون يَدْعون اللَّهَ بالظَّفَرِ والنَّصْرِ ، فلما طالت مدَّةُ الحربِ جمَع المُثَنَّى جماعةً مِن أصحابِه الأبطالِ يَحْمُون ظَهْرَه ، وحمَل على مِهْرانَ فأزاله عن مَوْضِعِه حتى دخَل المَيْمَنةَ ، وحمَل غلامٌ مِن بنى تَغْلِبَ نَصْرانىٌّ فقتَل مِهْرانَ وركِب فرسَه . كذا ذكَره سيفُ بنُ عمرَ[3] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : بل حمَل عليه المُنْذِرُ بنُ حَسَّانَ بنِ ضِرارٍ الضَّبِّىُّ فطعَنه ، واحْتَزَّ رأسَه جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ ، واخْتَصما فى سَلَبِه ، فأخَذ جَريرٌ السِّلاحَ وأخَذ المُنْذِرُ مِنْطَقَتَه ، وهرَبتِ المَجوسُ وركِب المسلمون أكْتافَهم [5]يَقْصِلونهم قَصْلًا[5] ، وسبَق المُثَنَّى بنُ حارثةَ إلى الجِسْرِ فوقَف عليه ليَمْنَعَ الفُرْسَ مِن الجَوازِ عليه ليَتَمَكَّنَ منهم المسلمون ، فركِبوا أكْتافَهم بَقيةَ ذلك اليومِ وتلك الليلةَ ، ومِن الغدِ[6] إلى الليلِ ، فيقالُ : إنَّه قُتِل منهم يومَئذٍ وغرِق قريبٌ مِن مائةِ ألفٍ . وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . وغَنِم المسلمون مالًا جَزيلًا وطَعامًا كَثيرًا ، وبعَثوا بالبِشارةِ والأخْماسِ إلى عُمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه . وقد قُتِل مِن ساداتِ المسلمينَ فى

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى النسخ : « العرب » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٤) المصدر السابق ٣/ ٤٧٢ .

(٥ - ٥) فى م : « يفصلونهم فصلا » . والقصل : القطع القوى السريع . الوسيط (ق ص ل) .

(٦) فى م ، ص : « أبعد » .

هذا اليومِ بَشَرٌ كثيرٌ أيضًا ، وذَلَّتْ لهذه الوَقْعةِ رِقابُ الفُرْسِ ، وتَمكَّن الصحابةُ مِن الغاراتِ فى بلادِهم فيما بينَ الفُراتِ ودِجْلةَ ، فغَنِموا شيئًا عظيمًا لا يُمْكِنُ حَصْرُه ، وجَرَت أمورٌ يَطولُ ذِكْرُها بعدَ يومِ البُوَيْبِ ، وكانت هذه الوقْعَةُ بالعِراقِ نَظيرَ اليَرْموكِ بالشامِ . وقد قال الأعْورُ الشَّنِّىُّ العَبْدىُّ فى ذلك :

هاجتْ لأعورَ دارُ الحَىِّ أحْزانَا ... واسْتَبْدَلَتْ بعدَ عبدِ القيسِ خَفّانا[1]

وقد أرانا بها والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... إذ بالنُّخَيْلةِ قَتْلى جُندِ مِهْرانَا

[2]إذ كان[2] سار المُثَنَّى بالخُيولِ لهم ... فقَتَّل الزَّحْفَ مِن فُرْسٍ وجِيلانا

سما لمِهْرانَ والجيشِ الذى معه ... حتى أبادَهمُ مَثْنَى ووُحْدانَا

فصلٌ

ثم بعَث أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ الزُّهْرىَّ أحدَ العشَرةِ ، فى ستَّةِ آلافٍ أميرًا على العِراقِ ، وكتَب إلى جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ والمُثَنَّى بنِ حارثةَ أن يكونا تَبَعًا له ، وأن يَسْمَعا له ويُطِيعا ، فلمَّا وصَل إلى العِراقِ كانا معه ، وكانا قد تَنازَعا الإمْرةَ ، فالمُثَنَّى يقولُ لجَريرٍ : إنما بعَثك أميرُ المؤمنين مَدَدًا لى . ويقولُ جَريرٌ : إنما بعَثنى أميرًا عليك . فلما قدِم سعدٌ على إمْرةِ[3] العراقِ انْقَطَع نِزاعُهما . قال ابنُ إسحاقَ[4] : وتُوُفِّىَ المُثَنَّى بنُ حارثةَ فى هذه السنةِ . كذا قال ابنُ إسحاقَ . والصحيحُ أنَّ بَعْثَ عمرَ سعدًا إنما كان فى أولِ سنةِ أرْبعَ عشْرةَ كما سيأتى .

---

(١) فى م ، ص : « حسانا » .

(٢ - ٢) فى تاريخ الطبرى : « أزمان » .

(٣) فى م : « أمر » .

(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٧٢.

ذكرُ اجْتماعِ الفُرْسِ على يَزْدَجِرْدَ بعدَ اخْتِلافِهم واضطِرابِهم ثم اجتَمعتْ كَلِمتُهم[1]

كان شيرينُ قد جَمَع آلَ كِسْرَى فى القصرِ الأبْيضِ ، وأمَر بقَتْلِ ذُكْرانِهم كلِّهم ، وكانت أمُّ يَزْدَجِرْدَ فيهم ، ومعها ابنُها وهو صَغيرٌ ، فواعَدَت أخْوالَه ، فجاءوا فأخَذوه منها وذهَبوا به إلى بلادِهم ، فلمَّا وقَع ما وقَع يومَ البُوَيْبِ ، وقُتِل مَن قُتِل منهم كما ذكَرْنا ، وركِب المسلمون أكْتافَهم وانْتَصروا عليهم وعلى أخْذِ بُلْدانِهم ومَحالِّهم وأقاليمِهم ، ثم سمِعوا بقُدومِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ مِن جهةِ عمرَ ، اجْتَمعوا فيما بينَهم وأحْضَروا الأميرَيْن الكبيرَيْن فيهم ، وهما رُسْتُمُ والفيرُزانُ ، فتَذامَروا فيما بينَهم وتَواصَوْا ، وقالوا لهما : لئن لم تَقُوما بالحربِ كما يَنْبَغى لَنَقْتُلَنَّكما ونَشْتَفِى بكما . ثم رَأَوْا فيما بينَهم أن يَبْعَثوا خلفَ نِساءِ كِسْرَى مِن كلِّ فَجٍّ ومِن كلِّ بُقْعةٍ ، فمَن كان لها ولدٌ مِن آلِ كِسْرَى مَلَّكوه عليهم ، فجعَلوا إذا أتَوْا بالمرأةِ عاقَبوها : هل لها ولدٌ ، وهى تُنْكِرُ ذلك خوفًا على ولدِها إن كان لها ولدٌ ، فلم يَزالوا حتى دُلُّوا على أمِّ يَزْدَجِرْدَ ، فأحْضَروها وأحْضَروا ولدَها فملَّكوه عليهم ، وهو ابنُ إحْدى وعشرين سنةً ، وهو مِن ولدِ شَهْرِيارَ[2] بنِ كِسْرَى ، وعَزَلوا بورانَ ، واسْتَوْسَقَت المَمالِكُ له ، واجْتَمَعوا عليه وفرِحوا به ، وقاموا بينَ يديه بالنُّصْرةِ أتَمَّ قِيامٍ ، واسْتَفْحَل أمْرُه فيهم ، وقَوِيَت شَوْكَتُهم به ، وبعَثوا إلى الأقاليمِ والرَّساتِيقِ ، فخلَعوا الطاعةَ للصَّحابةِ ونَقَضوا عُهودَهم

(١ - ١) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) فى ا١٥١ : « شهرباز » .

وذِمَمهم ، وبعَث الصَّحابةُ إلى عمرَ بالخبرِ ، فأمَرهم عمرُ أن يَتَبَرَّزوا[1] [٥/ ٨٨و] مِن بينِ ظَهْرانَيْهم وليكونوا على أطْرافِ البِلادِ حولَهم على المياهِ ، وأن تَكونَ كلُّ قَبيلةٍ تَنْظُرُ إلى الأخرى بحيثُ إذا حدَث حَدَثٌ على قَبيلةٍ لا يَخْفَى أمْرُها على جِيرانِهم . وتَفاقَم الحالُ جِدًّا ، وذلك فى ذى القَعْدةِ مِن سنةِ ثلاثَ عشْرةَ . وقد حَجَّ بالناسِ عمرُ فى هذه السنةِ . [2]وقيل : بل حَجَّ بهم عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، ولم يَحُجَّ عمرُ هذه السنةَ[2] . واللَّهُ أعْلمُ .

ذِكْرُ[3] ما وقَع [4]فى هذه السَّنَةِ أعنى[4] سنةَ ثلاثَ عشْرةَ مِن الحَوادثِ [4]إجْمالًا ، ومَن تُوفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ[4]

كانت فيها وَقائعُ تقَدَّم تَفْصيلُها ببلادِ العِراقِ على يدَىْ خالدِ بنِ الوَليدِ ، رضِى اللَّهُ عنه ؛ فُتِحت فيها الحيرةُ والأنْبارُ وغيرُهما مِن الأمْصارِ ، وفيها سار خالدُ بنُ الوَليدِ مِن العراقِ إلى الشامِ ، على المَشْهورِ .

وفيها كانت وَقْعةُ اليَرْمُوكِ فى قولِ سيفِ بنِ عمرَ واخْتيارِ ابنِ جَريرٍ ، وقُتِل بها مَن قُتِل مِن الأعْيانِ ممَّن يَطولُ ذِكْرُهم وتَراجِمُهم ، رضِى اللَّهُ عنهم أجْمَعين . وفيها تُوُفِّىَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رضى اللَّهُ عنه ، وقد أفْرَدْنا سِيرتَه فى مُجَلَّدٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) أى : يخرجوا من بينهم .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) سقط من : م .

وفيها وُلِّىَ عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يومَ الثلاثاءِ لثمانٍ بَقِين مِن جُمادَى الآخِرةِ منها ، فوَلَّى قَضاءَ المَدينةِ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، واسْتَناب على الشامِ أبا عُبَيدةَ عامرَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الجَرَّاحِ الفِهْرىَّ ، وعزَل عنها خالدَ بنَ الوَليدِ المخزومىَّ ، وأبْقاه على شُورَى الحَرْبِ . وفيها فُتِحَت بُصْرَى صُلْحًا ، وهى أولُ مَدينةٍ فُتِحت مِن الشامِ .

وفيها فُتِحت دمشقُ فى قولِ سيفٍ وغيرِه ، كما قدَّمْنا . واسْتُنِيب فيها يَزيدُ ابنُ أبى سفيانَ ، فهو أولُ مَن وَلِيَها مِن أُمراءِ المسلمين ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وفيها كانت وَقْعةُ فِحْلٍ مِن أرضِ الغَوْرِ ، وقد قُتِل بها جماعةٌ مِن الصَّحابةِ وغيرِهم .

وفيها كانت وَقْعةُ جِسْرِ أبى عُبَيدٍ ، فقُتِل فيها أربعةُ آلافٍ مِن المسلمين ؛ منهم أمِيرُهم أبو عُبَيدِ بنُ مَسْعودٍ الثَّقفىُّ ، وهو والدُ صَفِيةَ امرأةِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وكانت امرأةً صالحةً ، رحِمَهما اللَّهُ ، ووالدُ المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ كَذَّابِ ثَقِيفٍ ، وقد كان نائبًا على العِراقِ فى بعضِ وَقَعاتِ[1] العِراقِ كما سيأتى .

وفيها تُوُفِّى المُثَنَّى بنُ حارثةَ فى قولِ ابنِ إسحاقَ ، وقد كان نائبًا على العِراق ؛ اسْتَخْلَفه خالدُ بنُ الوليدِ حينَ سار إلى الشامِ ، وقد شهِد مَواقفَ مَشْهورةً ، وله أيامٌ مَذْكورةٌ ، ولاسِيَّما يومَ البُويبِ بعدَ جِسْرِ أبى عُبَيدٍ ، قُتِل فيه مِن الفُرسِ وغرِق بالفُرات قريبٌ مِن مائةِ ألفٍ ، والذى عليه الجُمهورُ أنه بَقِىَ إلى سنةِ أرْبعَ عشْرةَ ، كما سيأتى بَيانُه .

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

وفيها حَجَّ بالناسِ عمرُ بنُ الخطابِ فى قولِ بعضِهم، وقيل: بل حَجَّ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ. وفيها اسْتَنْفَر عمرُ قَبائلَ العربِ لغَزْوِ العِراقِ والشامِ، فأقْبَلوا مِن كلِّ النَّواحى، فرمَى بهم الشامَ والعراقَ.

وفيها كانت وَقْعةُ أجْنادِينَ فى قَولِ ابنِ إسحاقَ يومَ السبتِ لثلاثٍ بَقِينَ[1] مِن جُمادَى الأولى منها، وكذا عندَ الواقدىِّ، فيما بينَ الرَّمْلةِ و[2]بَيْتِ [٥/٨٨ظ] جَبْرِينَ[2]، وعلى الرومِ القيقلانُ، وأميرُ المسلمين عمرُو بنُ العاصِ، وهو فى عشرين ألفًا فى قولٍ، فقُتِل القيقلانُ وانْهَزَمتِ الرومُ، وقُتِل منهم خَلْقٌ كَثيرٌ، واسْتُشْهِد مِن المسلمين أيضًا جماعةٌ؛ منهم هشامُ بنُ العاصِ والفضلُ بنُ العَبَّاسِ، وأبانُ بنُ سعيدٍ وأَخَواه خالدٌ وعمرٌو، ونُعَيْمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ النَّحَّامِ، والطُّفَيْلُ بنُ عمرٍو وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو الدَّوْسِيَّانِ، وضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ، وعِكْرِمةُ بنُ أبى جَهْلٍ، وعمُّه سَلَمةُ بنُ هشامٍ، وهَبَّارُ بنُ سفيانَ، وصَخْرُ بنُ نصرٍ، وتَميمٌ وسعيدٌ ابنا الحارثِ بنِ قيسٍ، رضِى اللَّهُ عنهم.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3]: قُتِل يومَئذٍ طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ[4] وأمُّه أرْوَى بنتُ عبدِ المطَّلِبِ [5]عَمَّةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وممن قُتِل يومَئذٍ عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المطَّلبِ[5]، وكان عمرُه يومَئذٍ ثلاثين سنةً، فيما ذكَره الواقدىُّ، قال: ولم يَكُنْ

---

(١) سقط من: الأصل، م، ص. وقول ابن إسحاق أخرجه خليفة فى تاريخه ١/١٠٣، عنه. ووقع عند الطبرى فى تاريخه ٣/٤١٨، وابن الأثير فى الكامل ٢/٤١٧، عن ابن إسحاق أن وقعة أجنادين كانت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى. والظن أن الخلاف فى التاريخ وقع من قبل تلاميذ ابن إسحاق. والله أعلم.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «بين جسرين».

(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ١٢٤.

(٤) فى الأصل، م: «عمرو». وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٧٢. وفى أسد الغابة ٣/ ٩٤، والإصابة ٣/٥٤٠ أنه طليب بن عمير أو عمرو.

(٥ - ٥) سقط من: ١٥١.

له رِوايةٌ[1] . وكان ممن صبَر يومَ حُنَيْنٍ . قال ابنُ جَريرٍ[2] : وقُتِل يومَئذٍ عثمانُ بنُ طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ ، والحارثُ بنُ أَوْسِ بنِ عَتيكٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وفيها كانت وَقْعةُ مَرْجِ الصُّفَّرِ فى قولِ خَليفةَ بنِ خَيَّاطٍ[3] ، وذلك لثنتَىْ عشْرةَ بقِيَت مِن جُمادَى الأُولى ، وأميرُ الناسِ خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، فقُتِل يومَئذٍ ، وقيل : إنما قُتِل أخوه عمرُو . وقيل : ابنُه . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان أميرُ الرومِ قلقطَ ، فقُتِل مِن الرومِ مَقْتَلةٌ عَظيمةٌ حتى جَرَت طاحونٌ هناك مِن دمائِهم . والصحيحُ أنَّ وَقْعةَ مَرْجِ الصُّفَّرِ فى أوَّلِ سنةِ أربعَ عشْرةَ كما سيأتى .

ذِكْرُ المُتَوفَّيْن فى هذه السنةِ مُرَتَّبِين على الحروفِ كما ذكرهم شيخُنا الحافظُ الذَّهبىُّ فى تاريخِه[5] :

أبانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُميةَ الأُمَوىُّ[6] أبو الوليدِ المَكِّىُّ ، صحابىٌّ

---

(١) ذكره عنه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ٩٠٥.

(٢) ذكر ذلك أيضا الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٨٣، ٨٤ عن ابن جرير ، ولم نجد ذلك فى تاريخ الطبرى ولا فى المنتخب من ذيل تاريخ الطبرى . وذكر أبو عمر فى الاستيعاب ٣/ ١٠٣٤، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٥٧٩، والحافظ فى الإصابة ٤/٤٥١ أن عثمان بن طلحة توفى سنة اثنتين وأربعين . وقالوا : وقيل : إنه قتل يوم أجنادين . قال الحافظ فى الإصابة : قال العسكرى : وهو باطل .

قلت : هذا عن عثمان بن طلحة ، أما عن الحارث فذكروا أنه استشهد يوم أجنادين .

(٣) تاريخ خليفة ١/ ١٠٤.

(٤) أخرجه خليفة بن خياط فى تاريخه ١/١٠٤ بسنده عن ابن إسحاق .

(٥) تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٨٩ - ١٢٠.

(٦) الاستيعاب ١/٦٢ ، وأسد الغابة ١/٤٦ ، والإصابة ١/١٥ .

جَليلٌ ، وهو الذى أجار عُثمانَ بنَ عَفَّانَ يومَ الحُدَيْبِيةِ [1] حتى دخَل مكةَ [1] لأداءِ رِسالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أسْلَم بعدَ مَرْجِعِ أخَوَيْه مِن الحبشةِ ؛ خالدٍ ، وعمرٍو ، فدَعَواه إلى الإسلامِ فأجابهما ، وساروا فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ قد فتَح خيبرَ ، وقد اسْتَعْمله رسولُ اللَّهِ ﷺ سنةَ تسعٍ على البَحْرَيْن وقُتِل بأجْنَادِينَ .

أَنَسَةُ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ [2] : المَشْهورُ أنه قُتِل ببدرٍ فيما ذكَره البخاريُّ وغيرُه [3] . وزعَم الواقدىُّ [4] فيما نقَله عن أهلِ العلمِ أنه شهِد أُحُدًا ، وأنه بَقِىَ بعدَ ذلك زمانًا ، قال : وحدَّثنى ابنُ أبى الزِّنادِ عن محمدِ بنِ يوسُفَ ، أن أنَسَةَ مات فى خِلافةِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، وكان يُكَنَّى أبا مَسْروحٍ . وقال الزهرىُّ [5] : كان يَأْذَنُ للناسِ على النبىِّ ﷺ .

تَميمُ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسٍ السَّهْمىُّ وأخوه سعيدٌ [6] ؛ صَحابيَّان جَليلان هاجَرا إلى الحبشةِ ، وقُتِلا بأجْنادِينَ .

الحارثُ بنُ أوسِ بنِ عَتيكٍ [7] ، مِن مُهاجِرةِ الحَبَشةِ ، قُتِل بأجْنادِينَ .

(١ - ١) سقط من : ١٥١.

(٢) الاستيعاب ١/١٣٧ ، وأسد الغابة ١/١٥٦ ، والإصابة ١/١٣٥ .

(٣) لم نجده فى التاريخ الكبير ولا فى الصحيح ، ولعله ذكره فى المصنف الخاص بالصحابة كما سبق التنويه على ذلك فى ٥/٢١٩ حاشية (٢) . وانظره فيمن ذكر أنه استشهد فى بدر فى الإصابة ١/ ١٣٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٨، ٤٩.

(٥) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٣/٤٩ بسنده عن الزهرى .

(٦) فى النسخ : « قيس » . والمثبت من تاريخ الإسلام ، وليس لتميم أخ اسمه قيس ، وإنما له أخ يكنى أبا قيس ، استشهد يوم اليمامة . أما سعيد فهو ابن عمرو التميمى أخو تميم لأمه . وقيل : إن الذى استشهد هو أخوه سعيد بن الحارث بن قيس . انظر تراجم تميم وأبى قيس وسعيد بن عمرو وسعيد بن الحارث فى الاستيعاب ١/ ١٩٢، ٢/ ٦١٣، ٦٢٦، ٤/ ١٧٣٧، وأسد الغابة ١/ ٢١٦، ٣/ ٣٩٣، ٣٩٨، ٦/ ٢٥٨، والإصابة ٢/ ٤٤، ٤٥، ٣/ ١٠٠، ٣/ ١١٢، ٧/ ٣٣٣.

(٧) الاستيعاب ١/٢٨١ ، وأسد الغابة ١/٣٧٩ ، والإصابة ١/٥٦٣ .

خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ الأُمَوىُّ[1] ، مِن السابقِين الأوَّلين ، ممَّن هاجِر إلى الحبشةِ ، وأقام بها بِضْعَ عشْرةَ سنةً ، ويقالُ : إنه كان على صَنْعاءَ مِن جهةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأمَّره الصِّدِّيقُ على بعضِ الفُتوحاتِ كما تقدَّم ، قُتِل يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ فى قولٍ ، وقيل : بل هرَب فلم يُمَكِّنْه الصِّدِّيقُ مِن دُخولِ المَدينةِ تَعْزيرًا له ، فأقام شهرًا[2] فى بعضِ ظَواهرِها حتى أذِن له . ويقالُ : إن الذى قتَله أسْلَمَ ، وقال : رأيْتُ له حينَ قتَلْتُه نُورًا ساطعًا إلى السماءِ . رضِى اللَّهُ عنه .

سعدُ بنُ عُبادةَ بنِ دُلَيْم بنِ حارثةَ بنِ أبى حَزِيمةَ[3] - ويقالُ : حارثةُ بنُ [4]حرامِ بنِ[4] [٥/ ٨٩و] حَزِيمةَ[3] - بنِ ثَعْلبةَ بنِ طَريفِ بنِ الخَزْرجِ بنِ ساعدةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرجِ ، الأنْصارىُّ الخزرجىُّ سيدُهم ، أبو ثابتٍ ويقالُ : أبو قيسٍ . صحابىٌّ جَليلٌ ، كان أحَدَ النُّقَباءِ ليلةَ العَقَبةِ ، وشهِد بدرًا فى قولِ عُرْوةَ وموسى ابنِ عُقْبةَ والبخارىِّ وابنِ ماكُولَا[5] .

وروَى ابنُ عَساكرَ[6] مِن طريقِ حَجَّاجِ بنِ أَرْطاةَ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ أن رايةَ المهاجِرين يومَ بَدْرٍ كانت مع علىٍّ ، ورايةَ الأنْصارِ كانت مع سعدِ بنِ عُبادةَ ، رضِى اللَّهُ عنهما . قلتُ : والمَشْهورُ أن هذا كان يومَ الفتحِ . واللَّهُ أعْلَمُ .

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٤٢٠ ، وأسد الغابة ٢/ ٩٧ ، والإصابة ٢/ ٢٣٦ .

(٢) فى ا ١٥١: «أشهرًا» .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : «خزيمة» . وانظر الإكمال ٣/ ١٤١، والاستيعاب ٢/ ٥٩٤ ، وأسد الغابة ٢/ ٣٥٦ ، والإصابة ٣/ ٦٥.

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٧٧.

(٥) تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٣٨، ٢٣٩، والتاريخ الكبير ٤/ ٤٤، والإكمال ٣/ ١٤٠، ولكن نصّ ابن ماكولا على أنه لم يشهد بدرًا . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٢٢٧ .

(٦) تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٤٩.

وقال الواقدىُّ[1] : لم يَشْهَدْها ؛ لأنه نَهَسَتْه حَيَّةٌ ، فشَغَلَتْه عنها بعدَ أن تَجَهَّز لها ، فضَرَب له رسولُ اللَّهِ ﷺ بسَهْمِه وأجْرِه ، وشهِد أُحُدًا وما بعدَها . وكذا قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[2] . وكانت له جَفْنةٌ تَدورُ مع النبىِّ ﷺ حيث دارَ مِن بُيوتِ نِسائِه بلَحْمٍ وثَرِيدٍ ، أو لَبَنٍ وخُبْزٍ ، أو خُبْزٍ وسمنٍ ، أو بِخَلٍّ وزيتٍ ، وكان يُنادِى عندَ أُطُمِه[3] كلَّ لَيلةٍ لمن أراد القِرَى ، وكان يُحْسِنُ الكِتابةَ بالعَربىِّ والرَّمْىَ والسِّباحةَ ، وكان يُسَمَّى مَن أحْسَنَ ذلك كاملًا . وقد ذكَر أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ ما ذكَره غيرُ واحدٍ مِن عُلماءِ التاريخِ أنه تخَلَّف عن بَيْعةِ الصِّدِّيقِ حتى خرَج إلى الشامِ . فمات بقريةٍ مِن حَوْرانَ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ فى خِلافةِ الصِّدِّيقِ . قاله ابنُ إسحاقَ والمَدائنىُّ وخَليفةُ[4] . قال[5] : وقيل : فى أولِ خِلافةِ عمرَ . وقيل : سنةَ أرْبعَ عشْرةَ . وقيل : سنةَ خمسَ عشْرةَ . وقال الفَلَّاسُ وابنُ بُكيرٍ[6] : سنةَ ستَّ عشْرةَ .

قلتُ : أما بَيْعةُ الصِّدِّيقِ ، فقد رُوِّينا فى « مسندِ الإمامِ أحمدَ »[7] أنه سَلَّم للصِّديقِ ما قاله مِن أن الخُلفاءَ مِن قُريشٍ . وأما موتُه بأرضِ الشامِ فمُحَقَّقٌ ، والمَشْهورُ أنه بحَوْرانَ .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٦١٤.

(٢) طبقات خليفة ١/ ٢١٦.

(٣) الأُطُم ، بضمتين : البناء المرتفع . النهاية ١/ ٥٤ .

(٤) الاستيعاب ٢/ ٥٩٩.

(٥) انظر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٤٣، ٢٦٨، وتاريخ خليفة ص ٩٩.

(٦) فى الأصل ، م : « بكر » . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٦٩، ٢٧٠، بسنده عن الفلاس وابن بكير .

(٧) تقدم فى ٨/ ٨٧.

قال محمدُ بنُ عائذٍ الدِّمشقيُّ[1] ، عن عبدِ الأعْلَى ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، أنه قال : أولُ مَدينةٍ فُتِحت مِن الشامِ بُصْرَى ، وبها تُوُفِّى سعدُ بنُ عُبادةَ . وعندَ كثيرٍ مِن أهلِ زَمانِنا أنه دُفِن بقريةٍ مِن غُوطَةِ دمشقَ يقالُ لها : المَنِيحةُ . وبها قبرٌ مَشْهورٌ به . ولم أرَ الحافظَ ابنَ عَساكرَ تَعَرَّض لذِكْرِ هذا القبرِ فى ترجمتِه بالكُلِّيةِ[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ عبدِ البَرِّ[3] : ولم يَخْتَلِفوا أنه وُجِد مَيِّتًا فى مُغْتَسَلِه وقد اخْضَرَّ جسدُه ، ولم يَشْعُروا بموتِه حتى سمِعوا قائلًا يقولُ :

قتَلْنا سيدَ الخَزْرَ ... جِ سعدَ بنَ عُبادَهْ
رَمَيْناه بسهمينِ ... فلم نُخْطِ فُؤادَهْ

قال ابنُ جُرَيْجٍ : سمِعْتُ عَطاءً يقولُ : سمِعْتُ أنَّ الجِنَّ قالوا فى سعدِ بنِ عُبادةَ هذَيْن البيتَيْن .

له عن النبىِّ ﷺ أَحادِيثُ ، وكان ، رضِى اللَّهُ عنه ، مِن أشَدِّ الناسِ غَيْرةً ، ما تزَوَّج امرأةً إلا بِكْرًا ، ولا طلَّق امرأةً فتَجاسَر أحدٌ أن يَخْطُبَها بعدَه . وقد رُوِىَ[4] أنه لما خرَج مِن المدينةِ قسَم مالَه بينَ بنيه ، فلما تُوُفِّىَ وُلِدَ له وَلَدٌ ، فجاء أبو بكرٍ وعمرُ إلى ابنِه قيسِ بنِ سعدٍ ، فأمَراه أن يُدْخِلَ هذا معهم ، فقال : إنى لا أُغَيِّرُ ما صنَع سعدٌ ، ولكن نَصِيبى لهذا الولدِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٦٦، من طريق محمد بن عائذ به .
(٢) بل قال الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٣٧: وسكن دمشق ، ومات بحوران ، وقيل : إن قبره بالمنيحة من إقليم بيت الآبار .
(٣) الاستيعاب ٢/ ٥٩٩ .
(٤) انظر تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٩٢، ٩٣.

سَلَمةُ بنُ هشامِ بنِ المُغيرةِ . أخو أبى جَهْلِ بنِ هِشامٍ[1] ، أسْلَم سَلَمةُ قديمًا وهاجَر إلى الحَبَشةِ ، فلمَّا رجَع منها حبَسه أخوه وأجاعَه ، فكان رسولُ اللَّهِ [٥/ ٨٩ظ] ﷺ يَدْعو له فى القُنوتِ ولجماعةٍ معه مِن المُسْتَضْعَفِين . ثم انْسَلَّ فلحِق برسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ بعدَ الخَنْدقِ ، وكان معه بها ، وقد شهِد أجْنادِينَ وقُتِل بها ، رضِى اللَّهُ عنه .

ضِرارُ بنُ الأزْوَرِ الأسَدىُّ[2] ، كان مِن الفُرْسانِ المَشْهورين ، والأبْطالِ المَذْكُورين ، له مَواقِفُ مَشْهودةٌ ، وأحْوالٌ مَحْمودةٌ . ذكَر عُرْوةُ وموسى بنُ عُقْبةَ أنه قُتِل بأجْنادِينَ[3] . له حديثٌ فى اسْتِحْبابِ إبْقاءِ شىءٍ مِن اللبنِ فى الضَّرْعِ عندَ الحَلْبِ[4] .

طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبِ بنِ كَثيرِ بنِ عبدِ[5] **بنِ قُصَىٍّ القرشىُّ العَبْدىُّ**[6] ، أمُّه أرْوَى بنتُ عبدِ المطلبِ عَمَّةُ النبىِّ ﷺ ، أسْلَم قديمًا وهاجَر إلى الحَبَشةِ الهِجْرةَ الثانيةَ ، وشهِد بدرًا . قاله ابنُ إسحاقَ والواقدىُّ والزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[7] . ويُقالُ : إنه أولُ مَن ضرَب مُشْرِكًا . وذلك أن أبا جهلٍ سَبَّ النبىَّ ﷺ فضرَبه طُلَيْبٌ بلَحْيِ جملٍ فشَجَّه . اسْتُشْهِد طُلَيْبٌ بأجْنادِينَ وقد شاخ . رضِى اللَّهُ عنه .

عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ القرشىُّ الهاشمىُّ[8] ، ابنُ عَمِّ

---

(١) الاستيعاب ٦٤٣/٢ ، وأسد الغابة ٤٣٥/٢ ، والإصابة ١٥٥/٣ .

(٢) الاستيعاب ٧٤٦/٢ ، وأسد الغابة ٥٢/٣ ، والإصابة ٤٨١/٣ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٩٠، ٣٩١ بسنده عن عروة وموسى .

(٤) المسند ٤/ ٣١١، ٣٣٩. وله حديث آخر فى مبايعته النبى ﷺ فى المسند ٤/ ٧٦.

(٥) فى النسخ : « هند » . والمثبت من تاريخ الإسلام . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٢٨.

(٦) الاستيعاب ٧٧٢/٢ ، وأسد الغابة ٩٤/٣ ، والإصابة ٥٤٠/٣ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٥/ ١٤٢، ١٤٦، بسنده عن الزبير والواقدى . أما ابن إسحاق فقد قال ابن سعد فى الطبقات ٣/ ١٢٣، ١٢٤: ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر ممن شهد بدرًا . وانظر ما تقدم فى ٢٣١/٥ .

(٨) الاستيعاب ٩٠٤/٣ ، أسد الغابة ٢٤١/٣ ، والإصابة ٨٩/٤ .

النبيِّ ﷺ ، كان مِن الأبْطالِ المذْكورين والشُّجْعانِ المَشْهورِين ، قُتِل يومَ أجْنادِين بعدَما قتَل عشَرةً مِن الرُّومِ مُبارَزةً ، كلُّهم بَطارِقةٌ أبْطالٌ . وله مِن العمرِ يومَئذٍ بِضْعٌ وثلاثون سنةً .

عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو الدَّوْسيُّ[1] ، قُتِل بأجْنادِينَ .[2] وليس هذا الرجلُ مَعْروفًا .

عثمانُ بنُ طَلْحةَ العَبْدَرِيُّ الحَجَبيُّ[3] ، قيل : إنه قُتِل بأجْنادِين[2] . والصَّحيحُ أنه تأَخَّر إلى ما بعدَ الأرْبعينَ .

عَتَّابُ بنُ أَسِيدِ بنِ أبى العِيصِ بنِ أميةَ الأُمَوىُّ . أبو عبدِ الرحمنِ[4] ، أميرُ مكةَ نِيابةً عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، اسْتَعْمَله عليها عامَ الفَتْحِ ، وله مِن العمرِ عشرون سنةً ، فحجَّ بالناسِ عامَئذٍ ، واسْتَنابه عليها أبو بكرٍ بعدَه عليه الصلاةُ والسلامُ . وكانت وَفاتُه بمكةَ ، قيل : يومَ تُوُفِّىَ أبو بكرٍ . رضِى اللَّهُ عنهما . له حديثٌ واحدٌ رَواه أهلُ السُّننِ الأرْبعةِ[5] .

عِكْرِمةُ بنُ أبى جَهْلٍ عمرِو بنِ هشامِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزومٍ ، أبو عثمانَ القُرَشىُّ المَخْزومىُّ[6] ، كان مِن ساداتِ الجاهليةِ كأبيه ، ثم أسْلَم عامَ الفَتْحِ بعدَما فَرَّ ، ثم رجَع إلى الحقِّ ، واسْتَعْمَله الصِّدِّيقُ على عُمَانَ حينَ ارْتَدُّوا ، فظفِر بهم ، كما تقَدَّم ، ثم قدِم الشامَ وكان أميرًا على بعضِ الكَرادِيسِ ،

---

(١) الاستيعاب ٩٥٦/٣ ، وأسد الغابة ٣٤٩/٣ ، والإصابة ١٩٢/٤ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) الاستيعاب ١٠٣٤/٣ ، وأسد الغابة ٥٧٨/٣ ، والإصابة ٤٥٠/٤ .

(٤) الاستيعاب ١٠٢٥/٣ ، وأسد الغابة ٥٥٦/٣ ، والإصابة ٤٢٩/٤ .

(٥) بل له حديثان ؛ الأول ما أخرجه أصحاب السنن الأربعة أبو داود (١٦٠٣، ١٦٠٤) ، والترمذى (٦٤٤٠) ، والنسائى (٢٦١٧) ، وابن ماجه (١٨١٩) . والثانى ما أخرجه ابن ماجه (٢١٨٩) ، وأعله المصنف بالانقطاع فى جامع المسانيد ٥٣٤/٨ - ٥٣٦. وانظر تحفة الأشراف ٢٢٧/٧، ٢٢٨ .

(٦) الاستيعاب ١٠٨٢/٣ ، وأسد الغابة ٧٠/٤ ، والإصابة ٥٣٨/٤ .

ويقالُ : إنه لا يُعْرَفُ له ذَنْبٌ بعدَما أسْلَم . وكان يُقَبِّلُ المُصْحَفَ ويَبْكى ويقولُ : كلامُ ربى كلامُ ربى[1] . احْتَج بهذا الإمامُ أحمدُ على جَوازِ تَقْبيلِ المُصْحَفِ ومَشْرُوعيَّتِه . وقال الشافعىُّ : كان عِكْرِمةُ مَحْمودَ البَلاءِ فى الإسلامِ . قال عروةُ : قُتِل بأجْنادينَ . وقال غيرُه : باليَرْموكِ بعدَ ما وُجِد به بِضْعٌ وسبعون ما بينَ ضَرْبةٍ وطَعْنةٍ . رضِى اللَّهُ عنه[2] .

الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ[3] ، قيل : إنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ . والصحيحُ أنه تأَخَّر إلى سنةِ ثمانىَ عشْرةَ .

نُعَيْمُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّحَّامُ[4] ، [5]أحَدُ بنى عَدِىٍّ[5] ، أسْلَم قديمًا قبلَ عُمرَ ، ولم يَتَهَيَّأْ له هجرةٌ إلى ما بعدَ الحُدَيْبيةِ ؛ وذلك لأنه كان فيه بِرٌّ بأقاربِه ، فقالت له قريشٌ : أقِمْ عندَنا على أىِّ دينٍ شئتَ ، فواللَّهِ لا يَتَعَرَّضُك أحدٌ إلا ذهَبَتْ أنفسُنا دونَك . اسْتُشْهِد يومَ أجْنادِين ، وقيل : يومَ اليَرْموكِ [٥/ ٩٠و] . رضِى اللَّهُ عنه .

[6]**هَبَّارُ بنُ الأسْودِ بنِ أسدٍ . أبو الأسْودِ القُرَشىُّ الأسَدىُّ**[7] ، هذا الرجلُ كان قد طعَن راحلةَ زَيْنبَ بنتِ النبىِّ ﷺ يومَ خرَجَت مِن مكةَ حتى أسْقَطَت ، ثم أسْلَم بعدُ فحَسُن إسلامُه ، وقُتِل بأجْنادِينَ ، رضِى اللَّهُ عنه[6] .

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٧/ ٣٧١، ٣٧٢ (١٠١٨)، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٤٣. وقال الذهبى : مرسل . وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٨٥: رواه الطبرانى مرسلًا ورجاله رجال الصحيح .

(٢) لم يذكر المصنف عمرو بن سعيد بن العاص ، فقد ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ص ١٠٠، ١٠١ هنا بعد عكرمة .

(٣) الاستيعاب ١٢٦٩/٣ ، وأسد الغابة ٢٦٦/٤ ، والإصابة ٣٧٥/٥ .

(٤) الاستيعاب ١٥٠٧/٤، وأسد الغابة ٣٤٦/٥، والإصابة ٤٥٨/٦.

(٥ - ٥) فى ١٥١: «أحدى مدنى» .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) الاستيعاب ١٥٣٦/٤ . وأسد الغابة ٣٨٤/٥ ، والإصابة ٥٢٤/٦ .

هَبَّارُ بنُ سفيانَ بنِ عبدِ الأسدِ[1] **المخزوميُّ**. ابنُ أخى أبى[2] سَلَمةَ. أسْلَم قديمًا وهاجَر إلى الحبشةِ، واسْتُشْهِد يومَ أجْنادِين على الصَّحيحِ، وقيل: قُتِل يومَ مُؤْتَةَ. واللَّهُ أعلمُ.

هشامُ بنُ العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمىُّ[3]، أخو عمرِو بنِ العاصِ. روَى التِّرْمذىُّ[4]، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ابنا العاصِ مُؤْمنان». وقد أسْلَم هشامٌ قبلَ عمرٍو، وهاجَر إلى الحبشةِ، فلمَّا رجَع منها احْتُبِس بمكةَ، ثم هاجَر بعدَ الخَنْدقِ، وقد أرْسَله الصِّدِّيقُ إلى ملكِ الرومِ، وكان مِن الفُرْسانِ. وقُتِل بأجْنادِينَ، وقيل: باليَرْموكِ. والأولُ أصَحُّ. واللَّهُ أعلمُ.

أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ[5]، رضِى اللَّهُ عنه، تقَدَّم، وله تَرْجمةٌ مُفْرَدَةٌ، وللَّهِ الحمدُ.

---

(١) الاستيعاب ٤/١٥٣٦، وأسد الغابة ٥/٣٨٥، والإصابة ٦/٥٢٨.

(٢) فى النسخ: «أم»، والمثبت من تاريخ الإسلام. انظر المصادر السابقة.

(٣) الاستيعاب ٤/١٥٣٩، وأسد الغابة ٥/٤٠٣، والإصابة ٦/٥٤٠.

(٤) كذا فى النسخ. وإنما رواه النسائى فى الكبرى (٨٣٠٠)، وأحمد فى المسند ٢/٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣، ٣٥٤. إسناده حسن (السلسلة الصحيحة ١٥٦)، وانظر تحفة الأشراف ١١/٥، والمسند الجامع ١٨/٢٠٠.

(٥) الاستيعاب ٩٦٣، وأسد الغابة ٣/٣٠٩، ٦/٣٧، والإصابة ٤/١٦٩.

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

سنةُ أربعَ عشرةَ مِن الهجرةِ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ ، والخَليفةُ عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، يَحُثُّ الناسَ ويُحَرِّضُهم على جِهادِ أهلِ العِراقِ ؛ وذلك لِما بلَغه مِن قَتْلِ أبى عُبَيْدٍ يومَ الجِسْرِ ، وانتظامِ شَمْلِ الفرسِ ، واجْتماعِ أمْرِهم على يَزْدَجِرْدَ الذى أقاموه مِن بيتِ الملكِ ، ونَقْضِ أهلِ الذِّمَّةِ بالعراقِ[1] عُهودَهم ، ونَبْذِهم المَواثِيقَ التى كانت عليهم ، وآذَوُا المسلمين وأخْرَجوا العُمَّالَ مِن بينِ أظْهُرِهم ، [2]وقد كتَب عمرُ إلى مَن هنالك مِن الجيشِ أن يَتَبَرَّزوا مِن بينِ أظْهُرِهم[2] إلى أطْرافِ البلادِ .

قال ابنُ جَريرٍ ، رحِمه اللَّهُ[3] : وركِب عمرُ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فى أولِ يومٍ مِن المُحَرَّمِ هذه السنةَ فى الجيوشِ مِن المدينةِ ، فنزَل على ماءٍ يقالُ له : صِرارٌ . فعَسْكَر به عازمًا على غَزْوِ العراقِ بنفسِه ، واسْتَخْلف على المدينةِ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، واسْتَصْحَب معه عثمانَ بنَ عَفَّانَ وساداتِ الصَّحابةِ ، ثم عقَد مَجْلِسًا لاسْتِشارةِ الصَّحابةِ فيما عزَم عليه ، ونُودِىَ : إن الصلاةَ جامعةٌ . وقد أرْسَل إلى عليٍّ ، فقدِم مِن المدينةِ ، ثم اسْتَشارهم ، فكلُّهم وافَقه على الذَّهابِ إلى العراقِ ، إلا عبدَ الرحمنِ ابنَ عَوْفٍ ، فإنه قال له : إنى أخْشَى إن كُسِرْتَ أن تُضْعِفَ المسلمين فى سائرِ أقْطارِ الأرضِ ، وإنى أرَى أن تَبْعَثَ رجلًا ، وتَرْجِعَ أنت إلى المدينةِ . فأرْفَأَ[4] عمرُ

---

(١) سقط من : ا ١٥١.

(٢ - ٢) سقط من : ص.

(٣) تاريخ الطبرى ٣/٤٨٠ - ٤٨٧.

(٤) فى الأصل ، م : « فارثا » . وأرفئوا : توافقوا واجتمع أمرهم . انظر اللسان (ر ف أ) .

والناسُ عندَ ذلك ، واسْتَصْوَبوا رَأْىَ ابنِ عَوْفٍ . فقال عمرُ : فمَن تَرَى أن نَبْعَثَ إلى العراقِ ؟ فقال : قد وَجَدْتَه . قال : ومَن هو ؟ قال : الأَسَدُ فى بَرَاثِنِه سعدُ بنُ مالكٍ[1] الزهرىُّ . فاسْتَجاد قولَه وأرْسَل إلى سعدٍ ، فأمَّره على العراقِ ، وأوْصاه فقال : يا سعدَ بنى[2] وُهَيْبٍ ، لا يَغُرَنَّك مِن اللَّهِ أن قيل : خالُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه . فإن اللَّهَ لا يَمْحُو السَّيِّئَ بالسَّيِّئِ ، ولكن يَمْحو السَّيِّئَ بالحَسَنِ ، وإن اللَّهَ ليس بينَه وبينَ أحدٍ نَسَبٌ إلا بطاعتِه ، فالناسُ شَرِيفُهم ووَضِيعُهم فى ذاتِ اللَّهِ سواءٌ ؛ [٥/ ٩٠ظ] اللَّهُ ربُّهم ، وهم عِبادُه ، يَتَفاضَلون بالعافيةِ[3] ويُدْرِكون ما عندَ اللَّهِ بالطاعةِ ، فانْظُرِ الأمْرَ الذى رأيْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عليه منذُ بُعِث إلى أن فارَقَنا فالْزَمْه ؛ فإنه الأمْرُ ، هذه عِظَتى إياك ، إن تَرَكْتَها ورَغِبْتَ عنها حبِط عملُك وكنتَ مِن الخاسرين . ولما أراد فِراقَه قال له : إنك ستُقْدِمُ على أمْرٍ شديدٍ ، فالصَّبْرَ الصبرَ على ما أصابك ونابك تُجْمَعْ لك خَشْيةُ اللَّهِ ، واعْلَمْ أن خَشْيةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فى أمْرَيْن ؛ فى طاعتِه واجْتِنابِ مَعْصيتِه ، وإنما أطاعه مَن أطاعه ببُغْضِ الدنيا وحُبِّ الآخِرةِ ، وإنما عِصْيانُ مَن عَصاه بحُبِّ الدنيا وبُغْضِ الآخِرةِ ، وللقلوبِ حَقائقُ يُنْشِئُها اللَّهُ إنْشاءً ، منها السِّرُّ ومنها العَلانِيةُ ؛ فأمَّا العَلانيةُ فأن يكونَ حامِدُه وذامُّه فى الحَقِّ سَواءً ، وأما السِّرُّ فيُعْرَفُ بظهورِ الحِكْمةِ مِن قَلْبِه على لسانِه ، وبمَحَبَّةِ الناسِ[4] ، فلا تَزْهَدْ فى التَّحَبُّبِ ، فإن النَّبِيين قد سألوا مَحَبَّتَهم ، وإن اللَّهَ إذا أحَبَّ عبدًا حبَّبه ، وإذا أبْغَض عبدًا بَغَّضَه ، فاعْتَبِرْ منزلتَك عندَ اللَّهِ بمنزلتِك عندَ الناسِ . قالوا : فسار سعدٌ نحوَ العراقِ فى أربعةِ آلافٍ ؛ ثلاثةِ آلافٍ

---

(١) هو سعد بن أبى وقاص . رضى الله عنه .

(٢) فى م ، ص : « بن » .

(٣) فى ا ١٥١ : « بالعاقبة » .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « ومن محبة الناس » .

مِن أهلِ اليمنِ ، وألفٍ مِن سائرِ الناسِ . وقيل : فى ستةِ آلافٍ . وشيَّعهم عمرُ مِن صِرارٍ إلى الأعْوصِ ، وقام عمرُ فى الناسِ خَطيبًا هنالك فقال : إن اللَّهَ إنما ضرَب لكم الأمْثالَ ، وصرَّف[1] لكم القَوْلَ ليُحْيِيَ به[2] القلوبَ ، فإن القلوبَ مَيِّتةٌ فى صُدورِها حتى يُحْيِيَها اللَّهُ ، مَن عَلِم شيئًا فلْيَنْتَفِعْ به ، فإن للعدلِ أماراتٍ وتَباشِيرَ ؛ فأمَّا الأماراتُ فالحَياءُ والسَّخاءُ والهَيْنُ واللَّيْنُ ، وأمَّا التَّباشِيرُ فالرحمةُ ، وقد جعَل اللَّهُ لكلِّ أمْرٍ بابًا ، ويَسَّر لكلِّ بابٍ مِفْتاحًا ؛ فبابُ العَدْلِ الاعْتِبارُ ، ومِفْتاحُه الزُّهْدُ ، والاعْتِبارُ ذِكْرُ الموتِ والاسْتِعدادُ بتَقْديمِ الأعمالِ[3] ، والزُّهْدُ أخْذُ الحقِّ مِن كلِّ أحدٍ قِبَلَه حقٌّ[4] والاكْتِفاءُ بما يَكْفِيه مِن الكَفافِ ، فإن مَنْ لم يَكْفِه الكَفافُ لم يُغْنِه شيءٌ ، إنى بينَكم وبينَ اللَّهِ ، وليس بينى وبينَه أحدٌ ، وإنَّ اللَّهَ قد ألْزَمَنى دَفْعَ الدُّعاءِ عنه ، فأنْهُوا شَكاتَكم إلينا ، فمَن لم يَسْتَطِعْ فإلى مَن [5]يُبَلِّغُناها نأْخُذ له[5] الحَقَّ غيرَ مُتَعْتَعٍ . ثم سار سَعْدٌ إلى العراقِ ، ورجَع عمرُ بمَن معه مِن المسلمين إلى المدينةِ ، ولما انْتَهى سعدٌ إلى نهرِ[6] زَرُودَ ، ولم يَبْقَ بينَه وبينَ أن يَجْتَمِعَ بالمُثَنَّى بنِ حارثةَ إلا اليَسيرُ ، وكلٌّ منهما مُشْتاقٌ إلى صاحبِه ، انْتَقَض جُرْحُ المُثَنَّى بنِ حارثةَ الذى كان جُرِحَه يومَ الجِسْرِ ، فمات رحِمه اللَّهُ ورضِى اللَّهُ عنه ، واسْتَخْلف على الجيشِ بَشيرَ بنَ الخَصاصِيَةِ ، ولما بلَغ سعدًا موتُه تَرَحَّم عليه وتزَوَّج زَوْجتَه[7] سَلْمَى ، ولما وصَل سعدٌ إلى مَحَلَّةِ الجُيوشِ انتَهَت إليه رِياستُها وإمْرَتُها ، ولم يَبْقَ

---

(١) فى ا ١٥١: «ضرب».

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) فى النسخ: «الأموال»، والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى: «وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، وألا تصانع فى ذلك أحدًا».

(٥ - ٥) فى الأصل: «جعلناها فنأخذ».

(٦) سقط من: ١٥١، ص. وانظر معجم البلدان ٢/ ٩٢٨.

(٧) فى ص: «أخته».

بالعراقِ أميرٌ مِن ساداتِ العربِ إلا تحتَ أَمْرِه ، وأمَدَّه عمرُ بأمْدادٍ أُخَرَ حتى اجْتَمع [1] معه يومَ [1] القادسيةِ ثلاثون ألفًا ، وقيل : ستةٌ وثلاثون . وقال عمرُ : واللَّهِ لَأُرْمِيَنَّ مُلوكَ العَجَمِ بمُلوكِ العربِ . وكتَب إلى سعدٍ أن يَجْعَلَ الأُمراءَ على القَبائلِ ، والعُرفاءَ على كلِّ عشَرةٍ [2] عَرِيفًا على الجيوشِ ، [٥/ ٩١و] وأن يُواعِدَهم إلى القادسيةِ ، ففعَل ذلك سعدٌ ؛ عرَّف العُرفاءَ ، وأمَّر على القَبائلِ ، وولَّى على الطَّلائعِ ، والمُقَدِّماتِ ، والمُجَنِّباتِ والساقاتِ ، والرَّجَّالةِ ، والرُّكْبانِ ، كما أمَر أميرُ المؤمنين عمرُ .

قال سيفٌ بإسنادِه عن مَشايخِه قالوا [3] : وجعَل عمرُ على قَضاءِ الناسِ عبدَ الرحمنِ بنَ رَبيعةَ الباهليَّ ذا النُّورِ [4] ، وجعَل إليه الأَقْباضَ [5] وقِسْمةَ الفَيْءِ ، وجعَل داعيةَ الناسِ وقاصَّهم سَلْمانَ الفارسيَّ ، وجعَل الكاتبَ زيادَ بنَ أبى سُفْيانَ . قالوا : وكان فى هذا الجيشِ كلِّه مِن الصَّحابةِ ثلاثُمائةٍ وبِضْعةَ عشَرَ صحابيًّا ، منهم بِضْعةٌ وسبعون بَدْريًّا ، وكان [6] فيه سبعُمائةٍ [6] مِن أبْناءِ الصَّحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وبعَث عمرُ كتابَه إلى سعدٍ يَأْمُرُه بالمُبادَرةِ إلى القادسيةِ ، والقَادسيةُ بابُ فارسَ فى الجاهليةِ ، وأن يكونَ منزلُه بينَ الحَجَرِ والمَدَرِ ، وأن يَأْخُذَ الطُّرُقَ والمَسالِكَ على فارسَ ، وأن يَبْدُروهم [7] بالضَّرْبِ والشِّدةِ ، ولا يَهولَنَّك كثرةُ عَدَدِهم وعُدَدِهم ،

(١ - ١) فى الأصل : « له فى » .

(٢) فى ا ١٥١ : « عشيرة » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٤٨٩، ٤٩٠، من طريق سيف به .

(٤) فى النسخ : « النون » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر نزهة الألباب ١/ ٣١١.

(٥) الأقباض : جمع قَبَض ، بفتح القاف والباء ، وهو ما جُمع من الغنيمة قبل أن تقسم . النهاية ٤/ ٦ .

(٦ - ٦) فى ا ١٥١ : « فيهم » .

(٧) فى ا ١٥١ : « يبدءوهم » ، وفى ص : « يندروهم » .

فإنهم قومٌ خَدَعةٌ مَكَرةٌ، فإن أنتم [1]صَبَرْتم لعدوِّكم واحتسَبْتم لقتالِه ونوَيْتُم الأمانةَ[1] رجَوْتُ أن تُنْصَروا عليهم، ثم لم يَجْتَمِعْ لهم شَمْلُهم أبدًا، إلا أن يَجْتَمِعوا وليست معهم قلوبُهم، وإن كانت الأخرى فارْجِعوا إلى ما وراءَكم حتى تَصِلوا إلى الحَجَرِ فإنكم عليه أجْرَأُ، وإنهم عنه أجْبَنُ وبه أجْهَلُ، حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بالفتحِ عليهم ويَرُدَّ لكم الكَرَّةَ. وأمَره بمُحاسبةِ نَفْسِه ومَوْعظةِ جَيْشِه، وأمَرهم بالنيةِ الحَسَنةِ [2]والصَّبْرِ، فإن النصرَ يأْتي مِن اللَّهِ على قَدْرِ النيةِ، والأجْرَ على قَدْرِ الحِسْبةِ[2]، وسَلُوا اللَّهَ العافيةَ، وأكْثِروا مِن قولِ: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ. واكْتُبْ إليَّ بجَميعِ أحْوالِكم وتَفاصيلِها، وكيف تَنْزِلون وأين يكونُ منكم عَدُوُّكم، واجْعَلْني بكتبِك إليَّ كأني أنْظُرُ إليكم، واجْعَلْني مِن أمْرِكم على الجَلِيَّةِ، وخَفِ اللَّهَ وارْجُهُ ولا [3]تَدِلَّ بشيءٍ[3]، واعْلَمْ أن اللَّهَ قد توَكَّل لهذا الأمْرِ بما لا خُلْفَ له، فاحْذَرْ أن يَصْرِفَه عنك ويَسْتَبْدِلَ بكم غيرَكم.

فكتَب إليه سعدٌ يَصِفُ له كَيفيةَ تلك المَنازِلِ والأراضي بحيث كأنه يُشاهِدُها، وكتَب إليه يُخْبِرُه بأن الفرسَ قد جَرَّدوا لحَرْبِه رُسْتُمَ وأمثالَه، فهم يَطْلُبوننا ونحن نَطْلُبُهم، وأمْرُ اللَّهِ بعدُ ماضٍ، وقضاؤُه مُسْلِمٌ لنا[4] إلى ما قُدِّر لنا وعلينا، فنَسْأَلُ اللَّهَ خيرَ القَضاءِ وخيرَ القَدَرِ في عافيةٍ.

(١ - ١) في الأصل: «صبرتم واحتسبتم ونويتم الإنابة»، وفي ١٥١: «ضربتم واحتسبتم ونويتم الأمانة»، وفي م: «صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة»، وفي ص: «صبرتم واحتسبتم ونويتم الأمانة». والمثبت من تاريخ الطبري.

(٢ - ٢) سقط من: ١٥١.

(٣ - ٣) في ١٥١: «تذل لشيء». ولعلها بمعنى: دلّ يدلّ: إذا مَنّ بعطائه. والأدلّ: المنان بعمله. وانظر تاج العروس (د ل ل).

(٤) سقط من: م.

وكتَب إليه عمرُ : قد جاءنى كتابُك وفهِمْتُه ، فإذا لقِيتَ عدوَّك ومنَحك اللَّهُ أدْبارَهم ، فإنه قد أُلْقِىَ فى رُوعى أنكم ستَهْزِمونهم ، فلا تَشُكَّنَّ فى ذلك ، فإذا هزَمْتَهم فلا تَنْزِعْ عنهم حتى تَقْتَحِمَ عليهم المَدائنَ ؛ فإنه خَرابُها ، إن شاء اللَّهُ . وجعَل عمرُ يَدْعو لسعدٍ خاصةً وللمسلمين عامةً .

ولمَّا بلَغ سعدٌ العُذَيْبَ اعْتَرض المسلمين جيشٌ للفرسِ مع شيرزاذَ بنِ آزاذَوَيْهِ ، فغَنِموا مما معه شيئًا كثيرًا ، ووقَع منهم موقعًا كبيرًا ، فخمَّسها سعدٌ ، وقسَم أربعةَ أخْماسِها فى الناسِ ، واسْتَبْشَر الناسُ بذلك وفرِحوا وتَفاءَلوا ، وأفْرَد سعدٌ سَرِيَّةً تكونُ حِياطةً لمن معهم مِن الحَرِيمِ ، على هذه السَرِيةِ غالبُ بنُ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثِىُّ .

(١) فصلٌ فى (١) غزوةِ القادِسيةِ

ثم سار سعدٌ [٥/ ٩١ظ] فنزَل القادسيةَ ، وبَثَّ سَراياه ، وأقام بها شهرًا لم يَرَ أحدًا مِن الفرسِ ، فكتَب إلى عمرَ بذلك ، والسَّرايا تأتى بالميرةِ مِن كلِّ مكانٍ ، فعجَّت رَعايا الفُرْسِ مِن أطْرافِ بلادِهم إلى يَزْدَجِرْدَ مِن الذى (٢) يَلْقَون مِن المسلمين مِن النَّهْبِ والسِّباءِ . وقالوا : إن لم تُنْجِدونا وإلا أعْطَيْنا ما بأيدينا وسلَّمْنا إليهم الحُصونَ . واجْتَمع رأىُ الفرسِ على إرْسالِ رُسْتُمَ إليهم ، فبعَث إليه يَزْدَجِرْدُ ، فأمَّره على الجيشِ ، فاسْتَعْفَى رُسْتُمُ مِن ذلك وقال : إن هذا ليس برَأْيِ فى الحربِ ، إنَّ إرْسالَ الجُيوشِ بعدَ الجيوشِ أَشَدُّ على العربِ مِن أن يَكْسِروا جيشًا كثيفًا مرةً واحدةً . فأبَى المَلِكُ إلا ذلك ، فتَجَهَّز رُسْتُمُ للخروجِ ، ثم بعَث سعدٌ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، م : « الذين » .

كاشفًا إلى الحيرةِ، [1]وإلى صَلُوبَا[1]، فأتاه الخبرُ بأن المَلِكَ قد أمَّر على الحربِ رُسْتُمَ بنَ الفَرُّخْزاذِ الأرْمنيَّ، وأمَدَّه بالعَساكرِ، فكتَب سعدٌ إلى عمرَ بذلك، فكتَب إليه عمرُ: لا يَكْرُبَنَّك ما [2]يأتيك عنهم[2]، ولا ما يَأْتونك به، واسْتَعِنْ باللَّهِ وتوَكَّلْ عليه، وابْعَثْ إليه رجالًا مِن أهلِ النظَرِ[3] والرأيِ والجَلَدِ يَدْعونه، فإنَّ اللَّهَ جاعلٌ دُعاءَهم تَوْهِينًا لهم وفَلْجًا[4] عليهم، واكْتُبْ إليَّ فى كلِّ يومٍ.

ولما اقْتَرب رُسْتُمُ بجيوشِه وعَسْكَر بساباطَ كتَب سعدٌ إلى عمرَ يقولُ: إن رُسْتُمَ قد عَسْكَر بساباطَ، وجَرَّ الخُيولَ والفُيولَ وزحَف علينا بها، وليس شىءٌ أهَمَّ عندى ولا أكْثرَ ذِكْرًا منى لمَا أحْبَبْتُ أن أكونَ عليه مِن الاسْتِعانةِ والتَوَكُّلِ.

وعبَّأ رُسْتُمُ، فجعَل على المُقَدِّمةِ - وهى أربعونَ ألفًا - الجالِنوسَ، وعلى المَيْمَنةِ الهُرْمُزانَ، وعلى المَيْسَرةِ مِهْرانَ بنَ بَهْرامَ، وذلك ستون ألفًا، وعلى السَّاقةِ البندرانَ[5] فى عشرين ألفًا، فالجيشُ كلُّه ثمانون ألفًا، فيما ذكَره سيفٌ وغيرُه. وفى روايةٍ: كان رُسْتُمُ فى مائةِ ألفٍ وعشرين ألفًا، يَتْبَعُها [6]ثمانون ألفًا[6]، وكان معه ثلاثةٌ وثلاثون فيلًا، منها فيلٌ أبْيَضُ كان لسابورَ، فهو أعْظَمُها وأقْدَمُها، وكانت الفِيَلَةُ تَأْلَفُه.

ثم بعَث سعدٌ جماعةً مِن الساداتِ، منهم النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ، وفُراتُ بنُ

(١ - ١) سقط من: الأصل. وفى ١٥١، ص: «وابن صلوبا».
(٢ - ٢) فى الأصل: «بلغك عنهم»، وفى ١٥١: «ندعهم».
(٣) فى ١٥١: «المنظر». وفى تاريخ الطبرى ٣/ ٤٩٥: «المنظرة».
(٤) فى الأصل، ١٥١: «ملجأ». والفلج: الظفر والفوز. اللسان (ف ل ج).
(٥) فى تاريخ الطبرى ٣/ ٥٠٤: «البيرزان».
(٦ - ٦) فى تاريخ الطبرى ٣/ ٥٠٥: «أكثر من مائتى ألف».

حَيَّانَ[1] ، وحَنْظلةُ بنُ الربيعِ التَّميمىُّ ، وعُطارِدُ بنُ حاجبٍ ، والأَشْعثُ بنُ قيسٍ ، والمُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ ، وعمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ ، يَدْعون رُسْتُمَ إلى اللَّهِ عز وجل ، فقال لهم رُسْتُمُ : ما أَقْدَمَكم ؟ فقالوا : جِئْنا لموعودِ اللَّهِ إيانا ؛ أَخْذِ بلادِكم وسَبْيِ نسائِكم وأبْنائِكم وأخْذِ أموالِكم ، فنحن على يقينٍ مِن ذلك . وقد رَأَى رُسْتُمُ فى مَنامِه كأنَّ مَلَكًا نزَل مِن السماءِ ، فختَم على سِلاحِ الفُرْسِ كلِّه ، ودفَعه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى عمرَ .

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ[2] ، أنَّ رُسْتُمَ طاوَل سعدًا فى اللِّقاءِ حتى كان بينَ خُروجِه مِن المَدائنِ ومُلْتَقاه سعدًا بالقادسيةِ أربعةُ أشْهُرٍ ، كلُّ ذلك لعلَّه يُضْجِرُ سعدًا ومَن معه ليَرْجِعوا ، ولولا أنَّ الملكَ اسْتَعْجَله ما الْتقاه ؛ لِما يَعْلَمُ مِن غَلَبةِ المسلمينَ لهم ونَصْرِهم عليهم ، لِما رَأَى فى مَنامِه ، ولِما يَتَوَسَّمُه ، ولِما سمِع منهم ، ولِما عندَه مِن عِلْمِ النُّجومِ الذى يَعْتَقِدُ صحتَه فى نفسِه ؛ لِما له مِن المُمارَسةِ لهذا الفَنِّ . ولمَّا دَنا جيشُ رُسْتُمَ مِن سعدٍ ، [٥/٩٢و] أحَبَّ سعدٌ أن يَطَّلِعَ على أخْبارِهم على الجَلِيَّةِ ، فبعَث[3] سَرِيَّةً لتأتيَه برجلٍ مِن الفُرْسِ ، وكان فى السَّرِيَّةِ طُلَيْحةُ الأسَدىُّ الذى كان ادَّعَى النُّبوةَ ثم تاب ، وتقَدَّم الحارثُ مع أصحابِه حتى رجَعوا ، فلما بعَث سعدٌ السَّرِيَّةَ اخْتَرق طُلَيْحةُ الجُيوشَ والصُّفوفَ ، وتَخَطَّى الأُلوفَ ، وقتَل جماعةً مِن الأبطالِ حتى أسَر أحدَهم ، وجاء به لا يَمْلِكُ مِن نفسِه شيئًا ، فسأَله سعدٌ عن القومِ ، فجعَل يَصِفُ شَجاعةَ طُلَيْحةَ ، فقال : دَعْنا مِن هذا وأخْبِرْنا عن رُسْتُمَ . فقال : هو فى مائةِ ألفٍ وعشرين ألفًا ، ويَتْبَعُها مِثْلُها . وأسْلَم

---

(١) فى النسخ : « حبان » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٣/ ٤٩٦. وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ١٤٧.
(٢) تاريخ الطبرى ٣/٥١٢ - ٥١٤.
(٣) بعده فى الأصل ، م : « رجلا » .

الرجلُ مِن فَوْرِه ، رحِمه اللَّهُ .

قال سيفٌ عن شيوخِه[1] : ولمّا تَواجَهَ الجيشانِ بعَث رُسْتُمُ إلى سعدٍ أن يَبْعَثَ إليه برجلٍ عاقلٍ عالمٍ بما أَسْأَلُه عنه . فبعَث إليه المُغيرةَ بنَ شُعْبةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فلما قدِم عليه جعَل رُسْتُمُ يقولُ له : إنكم جِيرانُنا وكنا نُحْسِنُ إليكم ونَكُفُّ الأَذَى عنكم ، فارْجِعوا إلى بلادِكم ولا نَمْنَعُ تُجّارَكم[2] مِن الدُّخولِ إلى بلادِنا . فقال له المُغيرةُ : إنا ليس طَلَبُنا الدُّنيا ، وإنما هَمُّنا وطَلَبُنا الآخرةُ ، وقد بعَث اللَّهُ إلينا رسولًا قال له : إنى قد سَلَّطْتُ هذه الطَّائفةَ على مَن لم يَدِنْ بدِينى ، فأنا مُنْتَقِمٌ بهم منهم ، وأجْعَلُ لهم الغَلَبةَ ما داموا مُقِرِّين به ، وهو دينُ الحَقِّ ، لا يَرْغَبُ عنه أحدٌ إلا ذلَّ ، ولا يَعْتَصِمُ به أحَدٌ إلا عَزَّ . فقال له رُسْتُمُ : فما هو ؟ فقال : أمّا عَمودُه الذى لا يَصْلُحُ شىءٌ منه إلا به ، فشَهادةُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، والإقرارُ بما جاء مِن عندِ اللَّهِ . فقال : ما أحْسَنَ هذا ! وأىُّ شىءٍ أيضًا ؟ قال : وإخْراجُ العِبادِ مِن عِبادةِ العِبادِ إلى عِبادةِ اللَّهِ . قال : وحَسَنٌ أيضًا ، وأىُّ شىءٍ أيضًا ؟ قال : والناسُ بنو آدمَ ، فهم إخْوةٌ لأبٍ وأُمٍّ . قال : وحَسَنٌ أيضًا . ثم قال رُسْتُمُ : أرأيْتَ إن دخَلْنا فى دينِكم ، أتَرْجِعون عن بلادِنا ؟ قال : إى واللَّهِ ، ثم لا نَقْرَبُ بلادَكم إلا فى تجارةٍ أو حاجةٍ . قال : وحَسَنٌ أيضًا . قال : ولما خرَج المُغيرةُ مِن عندِه ذاكَر رُسْتُمُ رُؤساءَ قومِه فى الإسلامِ ، فأَنِفوا مِن ذلك وأبَوْا أن يَدْخُلوا فيه ، قبَّحهم اللَّهُ وأخْزاهم ، وقد فعَل .

قالوا : ثم بعَث إليه سعدٌ رسولًا آخَرَ بطَلَبِه ، وهو رِبْعىُّ بنُ عامرٍ ، فدخَل عليه

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/٥١٧ - ٥٢٤.

(٢) فى الأصل ، م : « تجارتكم » .

وقد زَيَّنوا مَجْلِسَه بالنَّمارِقِ المُذَهَّبةِ والزَّرابيِّ الحَريرِ، (١)وأظْهَرِ اليَواقيتِ واللآلئِ الثَّمينةِ، والزِّينةِ العَظيمةِ، وعليه تاجُه(١)، وغيرُ ذلك مِن الأمْتِعةِ الثَّمينةِ، وقد جلَس على سَريرٍ مِن ذَهَبٍ، ودخَل رِبْعيٌّ بثِيابٍ صَفِيقةٍ وسيفٍ وتُرْسٍ وفرسٍ قَصيرةٍ، ولم يَزَلْ راكِبَها حتى داس بها على طَرَفِ البُساطِ، ثم نزَل وربَطها ببعضِ تلك الوَسائدِ، وأقْبَل وعليه سِلاحُه ودِرْعُه وبَيْضَةٌ على رأسِه، فقالوا له: ضَعْ سِلاحَك. فقال: إنى لم آتِكم، وإنما جِئْتُكم حينَ دَعَوْتُمونى، فإن تَرَكْتُمونى هكذا وإلا رَجَعْتُ. فقال رُسْتُمُ: ائْذَنوا له. فأقْبَل يَتَوَكَّأُ على رُمْحِه فوقَ النَّمارِقِ فخرَّق عامَّتَها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: اللَّهُ ابْتَعَثَنا لنُخْرِجَ مَن شاء مِن عبادةِ العِبادِ إلى عبادةِ اللَّهِ، ومِن ضِيقِ الدُّنيا إلى سَعَتِها، ومِن جَوْرِ الأدْيانِ إلى عَدْلِ الإسلامِ، [٥/ ٩٢ظ] فأرْسَلَنا بدينِه إلى خلقِه لنَدْعُوَهم إليه، فمَن قَبِل ذلك قَبِلْنا منه ورَجَعْنا عنه، ومَن أَبَى قاتَلْناه أبدًا حتى نُفْضِيَ إلى مَوْعودِ اللَّهِ. قالوا: وما مَوعُودُ اللَّهِ؟ قال: الجنَّةُ لمن مات على قتالِ مَن أَبَى، والظَّفَرُ لمَن بَقِيَ. فقال رُسْتُمُ: قد سمِعْتُ مَقالتَكم، فهل لكم أن تُؤَخِّروا هذا الأمْرَ حتى نَنْظُرَ فيه وتَنْظُروا؟ قال: نعم، كم أَحَبُّ إليكم؟ أيومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نُكاتِبَ أهلَ رَأْيِنا ورُؤساءَ قَوْمِنا. فقال: ما سَنَّ لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نُؤَخِّرَ الأعْداءَ عندَ اللِّقاءِ أكْثَرَ مِن ثَلاثٍ، فانْظُرْ فى أمْرِك وأمْرِهم، واخْتَرْ واحدةً مِن ثلاثٍ بعدَ الأجَلِ. فقال: أسَيِّدُهم أنت؟ قال: لا، ولكنِ المسلمون كالجَسَدِ الواحدِ يُجِيرُ أدْناهم على أعْلاهم. فاجْتَمَع رُسْتُمُ برُؤساءِ قومِه، فقال: هل رأيْتُم قطُّ أعَزَّ وأرْجَحَ مِن كلامِ هذا الرجلِ؟ فقالوا: مَعاذَ اللَّهِ أن تَمِيل إلى شيءٍ مِن هذا وتَدَعَ دينَك لهذا الكَلْبِ! أما تَرَى إلى ثيابِه؟! فقال: ويْلَكم لا تَنْظُروا إلى

(١ - ١) زيادة من: الأصل، م.

الثيابِ ، وانْظُروا إلى الرأيِ والكلامِ والسِّيرةِ ، إنَّ العربَ يَسْتَخِفُّون بالثِّيابِ والمَأْكَلِ ، ويَصُونون الأحْسابَ .

ثم بعَثوا يَطْلُبون فى اليومِ الثانى رجلًا ، فبُعِث إليهم حُذَيفةُ بنُ مِحْصَنٍ ، فتَكَلَّم نحوَ ما قال رِبْعِىٌّ . وفى اليومِ الثالثِ المُغِيرةُ بنُ شُعْبةَ ، فتَكَلَّم بكلامٍ حسنٍ طويلٍ ، قال فيه رُسْتُمُ للمُغيرةِ : إنما مَثَلُكم فى دُخولِكم أرْضَنا كمَثَلِ الذُّبابِ رأَى العَسَلَ فقال : مَن يُوصِلُنى إليه وله دِرْهمان ؟ فلما سقَط عليه غرِق فيه ، فجعَل يَطْلُبُ الخَلاصَ فلا يَجِدُه ، وجعَل يقولُ : مَن يُخَلِّصُنى وله أربعةُ دراهمَ ؟ ومَثَلُكم كمَثَلِ ثعلبٍ ضَعيفٍ دخَل جُحْرًا فى كَرْمٍ ، فلما رآه صاحبُ الكَرْمِ ضَعيفًا رحِمه فترَكه ، فلما سَمِن أفْسَد شيئًا كثيرًا فجاء بجَيشِه ، واسْتَعان عليه بغِلْمانِه ، فذهَب ليَخْرُجَ فلم يَسْتَطِعْ لسِمَنِه ، فضرَبه حتى قتَله ، فهكذا تَخْرُجون مِن بلادِنا . ثم اسْتَشاط غَضَبًا ، وأقْسَم بالشمسِ لَأَقْتُلَنَّكم غدًا .[1] فقال المغيرةُ : ستَعْلَمُ . ثم قال رُسْتُمُ للمُغيرةِ : قد أمَرْتُ لكم بكِسْوةٍ ، ولأميرِكم بألفِ دِينارٍ[2] وكِسْوةٍ ومَرْكوبٍ وتَنْصَرِفون عنا . فقال المغيرةُ : أبَعْدَ أن أوْهَنَّا مُلْكَكم وضَعَّفْنا عِزَّكم ؟! ولنا مُدَّةٌ نحوَ بلادِكم ، ونَأْخُذُ الجِزْيةَ منكم عن يدٍ وأنتم صاغرون ، وستَصِيرون لنا عَبيدًا على رَغْمِكم . فلما قال ذلك اسْتَشاط غَضَبًا[1] .

وقال ابنُ جَريرٍ[3] : حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ صَفْوانَ الثَّقفىُّ ، ثنا أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، قال : قال أبو وائلٍ : جاء سعدٌ حتى نزَل القادِسيَّةَ ومعه الناسُ . قال[4] : لا أدْرِى لعلنا لا نَزيدُ على سبعةِ

(١ - ١) سقط من : ١٥١، ص .

(٢) فى تاريخ الطبرى ٣/ ٥٢٣: « درهم » .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٩٦، ٤٩٧.

(٤) أى : أبو وائل .

آلافٍ أو ثمانيةِ آلافٍ ، بينَ ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفًا أو نحوُ ذلك ، فقالوا : لا يدَ لكم ولا قوةَ ولا سلاحَ ، ما جاء بكم ؟ ارْجِعوا . قال : قُلْنا : ما نحن براجعين . فكانوا يَضْحَكون من نَبْلِنا[1] ، ويقولون : دوك دوك[2] . وشَبَّهونا بالمَغازِلِ . فلما أبَيْنا عليهم أن نَرْجِعَ . قالوا : ابْعَثوا إلينا [٥/٩٣و] رجلًا [3]منكم عاقِلًا[3] يُبَيِّنُ لنا ما جاء بكم . فقال المغيرةُ بنُ شُعْبةَ : أنا . فعبرَ إليهم فقعَد مع رُسْتُمَ على السَّريرِ فنخَروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يَزِدْنى رِفْعةً ولم يَنْقُصْ صاحبَكم . فقال رُسْتُمُ : صدَق ، ما جاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قومًا فى شَرٍّ وضَلالةٍ ، فبعَث اللَّهُ فينا[4] نبيًّا ، فهَدانا اللَّهُ به ورزَقَنا على يدَيه ، فكان فيما رَزَقَنا حَبَّةٌ تَنْبُتُ بهذا البلدِ ، فلما أكَلْناها وأطْعَمْناها أهْلِينا ، قالوا : لا صَبرَ لنا عنها ، أنْزِلونا هذه الأرضَ حتى نَأْكُلَ مِن هذه الحَبَّةِ . فقال رُسْتُمُ : إذًا نَقْتُلَكم . قال : إن قتَلْتُمونا دَخَلْنا الجنَّةَ ، وإن قَتَلْناكم دخَلْتُم النارَ ، أو أدَّيْتُم الجِزْيةَ . قال : فلما قال : أو أدَّيْتُم الجِزْيةَ . نخَروا وصاحوا ، وقالوا : لا صُلْحَ بينَنا وبينَكم . فقال المُغيرةُ : تَعْبُرون إلينا أو نَعْبُرُ إليكم ؟ فقال رُسْتُمُ : بل نَعْبُرُ إليكم . فاسْتَأْخَر المسلمون حتى عبَروا ، فحمَلوا عليهم فهزَموهم .

وذكر سيفٌ[5] أنَّ سعدًا كان به عِرْقُ النَّسا يومَئذٍ ، وأنه خطَب الناسَ وتَلَا قولَه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] . وصلَّى بالناسِ الظُّهرَ ، ثم كبَّر أربعًا ،

---

(١) فى الأصل : « قلتنا » ، وفى ١٥١ ، ص : « قيلنا » .

(٢) دوك : كلمة فارسية بمعنى المغزل . انظر المعجم الذهبى ص ٢٨٣.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « من عقلائكم » .

(٤) فى الأصل ، م : « إلينا » .

(٥) تاريخ الطبرى ٣/٤٩٧ - ٥٠٢، ٥٣٥.

وحَمَلوا بعدَ أن أمَرهم أن يقولوا : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ . [1] ثم ذَكَر الحديثَ [1] فى طَرْدِهم إياهم ، وقَتْلِهم لهم ، وقُعودِهم لهم كلَّ مَرْصَدٍ ، وحَصْرِهم لبعضِهم فى بعضِ الأماكنِ حتى أكَلوا الكِلابَ والسَّنانيرَ ، وما رُدَّ شاردُهم حتى وصَل إلى نَهاوَنْدَ ، ولجأ أكثرُهم إلى المَدائنِ ، ولحِقهم المسلمون إلى أبوابِها . وكان سعدٌ قد بعَث طائفةً مِن أصحابِه إلى كِسْرَى يَدْعُونه إلى اللَّهِ قبلَ الوَقْعةِ ، فاسْتَأْذَنوا على كِسْرَى ، فأذِن لهم ، وخرَج أهلُ البلدِ يَنْظُرون إلى أشْكالِهم ، وأرْدِيتِهم على عَواتِقِهم ، وسِياطِهم بأيديهم ، والنِّعالِ فى أرجلِهم ، وخُيولِهم الضَّعيفةِ ، وخَبْطِها الأرضَ بأرجلِها ، وجعَلوا يَتَعَجَّبون منهم غايةَ العَجَبِ ، كيف مِثْلُ هؤلاء يَقْهَرون جُيوشَهم مع كثرةِ عَدَدِها وعُدَدِها . ولما اسْتَأْذنوا على الملكِ يَزْدَجِرْدَ أذِن لهم وأجْلَسهم بينَ يديه ، وكان مُتَكَبِّرًا قَليلَ الأدَبِ ، ثم جعَل يَسْأَلُهم عن مَلابِسِهم هذه ما اسمُها ؛ عن الأَرْديةِ ، والنِّعالِ ، والسِّياطِ ، ثم كلما قالوا له شيئًا مِن ذلك تَفاءل ، فرَدَّ اللَّهُ فَأْلَه على رأسِه . ثم قال لهم : ما الذى أقْدَمَكم هذه البلادَ ؟ أظَنَنْتُم أنَّا لمَّا تَشاغَلْنا بأنفسِنا اجْتَرَأْتُم علينا ؟! فقال له النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ : إنَّ اللَّهَ رحِمَنا فأرْسَل إلينا رسولًا يَدُلُّنا على الخيرِ ويأْمُرُنا به ، ويُعَرِّفُنا الشَّرَّ ويَنْهانا عنه ، ووعَدَنا على إجابتِه خيرَ الدنيا والآخرةِ ، فلم يَدْعُ إلى ذلك قَبيلةً إلا صاروا فِرْقتَيْن ؛ فِرْقةً تُقارِبُه وفِرْقةً تُباعِدُه ، ولا يَدْخُلُ معه فى دينِه إلا الخَواصُّ ، فمكَث بذلك [2] ما شاء اللَّهُ أن يَمْكُثَ ، ثم أُمِر أن يَنْبِذَ [3] إلى مَن خالَفه مِن العربِ ويَبْدَأَ بهم ، ففعَل ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) فى م : « كذلك » .

(٣) فى الأصل ، م : « ينهد » . وينبذ : أى : ينقض العهد ويلقيه إلى من كان بينه وبينه . انظر اللسان (ن ب ذ) .

فدخَلوا معه جميعًا على وجهَيْن ؛ مكروهٍ عليه فاغْتَبَط ، وطائعٍ أتاه[1] فازْداد ، فعرَفْنا جميعًا فَضْلَ ما جاء به على الذى كنا عليه مِن العَداوةِ والضِّيقِ ، وأمَرَنا أن نَبْدَأَ بمَن يَلينا مِن الأممِ فنَدْعُوَهم إلى الإنصافِ ، فنحن نَدْعوكم[2] إلى دينِنا ، وهو دينٌ[3] [٥/٩٣ظ] حسَّن الحسنَ وقبَّح القبيحَ كلَّه ، فإن أبَيْتُم فأَمْرٌ مِن الشرِّ هو أهْوَنُ مِن آخَرَ شرٍّ منه ؛ الجِزاءُ[4] ، فإن أبَيْتُم فالمُناجَزةُ ، وإن أجَبْتُم إلى دينِنا خَلَّفْنا فيكم كتابَ اللَّهِ ، وأقَمْناكم عليه على أن تَحْكُموا بأحْكامِه ونَرْجِعَ عنكم ، وشَأْنَكم وبلادَكم ، وإنِ اتَّقَيْتُمونا[5] بالجِزَيِ قَبِلْنا ومنَعْناكم ، وإلا قاتَلْناكم . قال : فتَكَلَّم يَزْدَجِرْدُ فقال : إنى لا أعْلَمُ فى الأرضِ أُمَّةً كانت أشْقَى ولا أقَلَّ عَدَدًا ولا أسْوَأَ ذاتِ بَيْنٍ منكم ، قد كنا نُوَكِّلُ بكم قُرَى الضَّواحى فيَكْفُوناكم ، لا تَغْزوكم فارسُ ولا تَطْمَعون أن تَقوموا لهم ، [6]فإن كان عَدَدُكم كَثُر فلا يَغُرَّنَّكم منّا[6] ، وإن كان الجَهْدُ دَعاكم فرَضْنا لكم قُوتًا إلى خِصْبِكم ، وأكَرَمْنا وُجوهَكم [7]وكَسَوْناكم[7] ، ومَلَّكْنا عليكم مَلِكًا يَرْفُقُ بكم . فأسكَت القومُ ، فقام المُغيرةُ بنُ زُرارةَ[8] فقال : أيُّها المَلِكُ ، إن هؤلاء رُءوسُ العربِ ووُجوهُهم ، وهم أشْرافٌ يَسْتَحْيُون مِن الأشْرافِ ، وإنما يُكْرِمُ الأشْرافَ الأشْرافُ ، ويُعَظِّمُ حُقوقَ[9] الأشْرافِ الأشْرافُ ، وليس كلُّ ما أُرْسِلوا له جَمعوه لك ، ولا كلُّ ما تَكَلَّمْتَ به

---

(١) فى م : « إياه » .

(٢) فى ١٥١ : « ندعوهم » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « الإسلام » .

(٤) الجزاء : جمع جزية . وتجمع أيضا على جِزْيٍ وجِزًى . اللسان (ج ز ى) .

(٥) فى الأصل : « أبقيتمونا » ، وفى م ، ص : « أتيتمونا » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) سقط من : ١٥١ .

(٨) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « شعبة » . وانظر الكامل لابن الأثير ٢/٤٥٧ .

(٩) سقط من : الأصل ، ١٥١ .

أجابوك عنه ، وقد أحْسَنوا ، ولا يَحْسُنُ بمثلِهم إلا ذلك ، فجاوِبْنى فأكونَ أنا الذى أُبَلِّغُك ويَشْهَدون على ذلك ؛ إنك قد وَصَفْتَنا صِفةً لم تَكُنْ بها عالمًا ، فأمَّا ما ذكَرْتَ مِن سُوءِ الحالِ ، فما كان أسْوَأُ حالًا منا ، وأما جُوعُنا فلم يَكُنْ يُشْبِهُ الجُوعَ ؛ كنا نَأْكُلُ الخَنافِسَ والجِعْلانَ والعَقارِبَ والحيَّاتِ ، ونَرَى ذلك طَعامَنا ، وأما المَنازِلُ فإنما هى ظَهْرُ الأرضِ ، ولا نَلْبَسُ إلا ما غَزَلْنا مِن أوبارِ الإبلِ وأشْعارِ الغنمِ ، دِينُنا أن يَقْتُلَ بعضُنا بعضًا ، وأن يُغِيرَ[1] بعضُنا على بعضٍ ، وإن كان أحدُنا لَيَدْفِنُ ابنتَه وهى حيةٌ ؛ كراهيةَ أن تَأْكُلَ مِن طَعامِه ، فكانت حالُنا قبلَ اليومِ على ما ذكَرْتُ لك[2] ، فبعَث اللَّهُ إلينا رجلًا مَعْروفًا ؛ نَعْرِفُ نَسَبَه ، ونَعْرِفُ وجهَه ومَوْلدَه ، فأرضُه خيرُ أرضِنا ، وحَسَبُه خيرُ أحْسابِنا ، وبيتُه خيرُ بُيوتِنا ، وقَبيلتُه خيرُ قَبائِلِنا ، وهو نفسُه كان خيرَنا فى الحالِ التى كان فيها أصْدَقَنا وأحْلَمَنا ، فدَعانا إلى أمْرٍ فلم يُجِبْه أحدٌ أوّل مِن تِرْبٍ كان له [3]وكان[3] الخليفةَ مِن بَعْدِه ، فقال وقُلْنا ، وصدَق وكَذَبْنا ، وزاد ونقَصْنا ، فلم يَقُلْ شيئًا إلا كان ، فقذَف اللَّهُ فى قلوبِنا التَّصْديقَ له واتِّباعَه ، فصار فيما بينَنا وبينَ ربِّ العالمين ، فما قال لنا فهو قولُ اللَّهِ ، وما أمَرَنا فهو أمْرُ اللَّهِ ، فقال لنا : إن ربَّكم يقولُ : أنا اللَّهُ وحْدى لا شَريكَ لى ، كنتُ إذ لم يَكُنْ شىءٌ ، وكلُّ شىءٍ هالكٌ إلا وجهى ، وأنا خَلَقْتُ كلَّ شىءٍ ، وإلىَّ يَصِيرُ كلُّ شىءٍ ، وإنَّ رَحْمتى أدْرَكَتْكم فبعَثْتُ إليكم هذا الرجلَ لأَدُلَّكم على السَّبيلِ التى بها أُنَجِّيكم بعدَ الموتِ مِن عَذابى ، ولأُحِلَّكم دارى دارَ السَّلامِ . فنَشْهَدُ عليه أنه جاء بالحقِّ مِن عندِ الحقِّ . وقال : مَن تابَعكم

---

(١) فى م ، ص : « يبغى » .

(٢) بعده فى النسخ : « وفى المعاد على ما ذكرت لك » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم ، ومَن أَبَى فاعْرِضوا عليه الجِزْيةَ ، ثم امْنَعوه مما تَمْنَعون منه[1] أنفسَكم ، ومَن أَبَى فقاتِلوه ، فأنا الحَكَمُ بينَكم ، فمَن قُتِل[2] منكم أدْخَلْتُه جَنَّتى ، ومَن [٥/٩٤و] بَقِىَ منكم أعْقَبْتُه النَّصْرَ على مَن ناوَأَه . فاخْتَرْ إن شئتَ الجِزْيةَ وأنت صاغِرٌ ، وإن شئتَ فالسيفَ ، أو تُسْلِمَ فتُنَجِّىَ نَفْسَك . فقال يَزْدَجِرْدُ : اسْتَقْبَلْتَنى[3] بمثلِ هذا ؟! فقال : ما اسْتَقْبَلْتُ إلا مَن كلَّمنى ، ولو كلَّمنى غيرُك لم أسْتَقْبِلْك به . فقال : لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لقَتَلْتُكم ، لا شىءَ لكم عندى . وقال : ائْتونى بوِقْرٍ مِن ترابٍ[4] ، فاحْمِلوه على أشْرَفِ هؤلاء ، ثم سُوقوه حتى يَخْرُجَ مِن أبْياتِ[5] المَدائِنِ ، ارْجِعوا إلى صاحِبِكم فأعْلِموه أنى مُرْسِلٌ إليه رُسْتُمَ حتى يَدْفِنَه وجُنْدَه فى خَنْدقِ القادسيةِ ويُنَكِّلَ به وبكم مِن بَعْدُ ، ثم أُورِدُه بلادَكم حتى أَشْغَلَكم فى أنفسِكم بأشَدَّ مما نالكم مِن سابورَ . ثم قال : مَن أشْرَفُكم ؟ فسكَت القومُ ، فقال عاصمُ بنُ عمرٍو ، وافْتاتَ ليأْخُذَ التُّرابَ : أنا أشْرَفُهم ، أنا سيدُ هؤلاء ، فحَمِّلْنيه . فقال : أكذاك ؟ قالوا : نعم . فحمَّله على عُنُقِه فخرَج به مِن الإيوانِ والدارِ حتى أتَى راحلتَه ، فحمَله عليها ، ثم انْجَذب فى السَّيْرِ فأتَوا[6] به سعدًا ، وسبَقهم عاصمٌ ، [7]فمَرَّ ببابِ قُدَيْسٍ فطَواهُ[7] فقال : بَشِّروا الأميرَ بالظَّفَرِ ، ظَفِرْنا إن شاء اللَّهُ [7]تعالى . ثم مضَى حتى جعَل الترابَ فى الحِجْرِ ، ثم رجَع فدخَل على سعدٍ فأخْبَره الخبرَ . فقال : أَبْشِروا[7] فقد واللَّهِ أعْطانا اللَّهُ أقاليدَ مُلْكِهم . وتَفاءلوا بذلك أخْذَ بلادِهم ، ثم لم

---

(١) فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « عليه » .
(٢) فى ص : « قبل » .
(٣) فى تاريخ الطبرى : « أتستقبلنى » .
(٤) الوقر : الحمل الثقيل . تاج العروس (و ق ر) .
(٥) فى ١٥١ : « أبواب » .
(٦) فى م : « ليأتوا » .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ١٥١ ، ص .

يَزَلْ أَمْرُ الصَّحابةِ يَزْدادُ فى كلِّ يومٍ عُلُوًّا وشَرَفًا ورِفْعةً ، ويَنْحَطُّ أَمْرُ الفُرسِ سُفْلًا وذُلًّا ووَهَنًا[1] .

ولما رجَع رُسْتُمُ إلى المَلِكِ يَسْأَلُه عن حالِ مَن رَأَى مِن المسلمين ، فذكَر له عَقْلَهم وفَصاحتَهم وحِدَّةَ جَوابِهم ، وأنهم يَرُومون أمْرًا يُوشِكُ أن يُدْرِكوه ، وذكَر له[2] ما أمَر به أشْرَفَهم مِن حَمْلِ التُّرابِ ، وأنه اسْتَحْمَق أشْرَفَهم فى حَمْلِه الترابَ على رأسِه ، ولو شاء اتَّقَى بغيرِه وأنا لا أشْعُرُ . فقال له رُسْتُمُ : إنه ليس بأحْمَقَ ، وليس هو بأشْرفِهم ، إنما أراد أن يَفْتَدِىَ قومَه بنفسِه ، ولكنْ واللَّهِ ذهَبوا بمَفاتيحِ أرْضِنا . وكان رُسْتُمُ مُنَجِّمًا ، ثم أرْسَل رجلًا وراءَهم ، وقال : إن أدْرَك التُّرابَ فرَدَّه تَدارَكْنا أمْرَنا ، وإن ذهَبوا به إلى أميرِهم غلَبونا على أرضِنا . قال : فساق وراءَهم فلم يُدْرِكْهم ، بل سبَقوه إلى سعدٍ بالتُّرابِ . وساء ذلك فارسَ وغضِبوا مِن ذلك أشَدَّ الغَضَبِ ، واسْتَهْجَنوا رأىَ المَلِكِ .

فصلٌ

كانت وَقْعةُ القادسيةِ وَقْعةً عظيمةً لم يَكُنْ بالعراقِ أعْجَبُ منها ؛ وذلك أنه لما تَواجَه الصَّفَّان كان سعدٌ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قد أصابه عِرْقُ النَّسَا ، ودَمامِلُ فى جَسَدِه ، فهو لا يَسْتَطِيعُ الرُّكوبَ ، وإنما هو فى قَصْرٍ مُتَّكِئٌ على [3]صدرِه فوقَ[3] وِسادةٍ ، وهو يَنْظُرُ إلى الجيشِ ويُدَبِّرُ أمْرَه ، وقد جعَل أمْرَ الحربِ إلى خالدِ بنِ

---

(١) فى ا ١٥١: « هوانا » .
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

عُرْفُطَةَ ، وجعَل على المَيْمَنةِ جَريرَ بنَ عبدِ اللَّهِ البَجَلىَّ ، وعلى المَيْسَرةِ قيسَ بنَ مَكْشوحٍ ، وكان قيسٌ والمغيرةُ بنُ شُعْبةَ قد قدِما على سعدٍ مَدَدًا مِن عندِ أبى عُبَيدةَ مِن الشامِ بعدَما شهِدا وَقْعةَ اليَرْموكِ .

وزعَم ابنُ إسحاقَ أن المسلمين كانوا ما بينَ السبعةِ آلافٍ إلى الثمانيةِ آلافٍ[1] ، وأن رُسْتُمَ كان فى ستين ألفًا ، فصلَّى سعدٌ بالناسِ الظُّهْرَ ، ثم خطَب الناسَ فوعَظهم وحثَّهم وتَلا قولَه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ [٥/ ٩٤ظ] ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] . وقرَأ القُرَّاءُ آياتِ الجهادِ وسُوَرَه ، ثم كبَّر سعدٌ أربعًا ، ثم حمَلوا بعدَ الرابعةِ ، فاقْتَتلوا حتى كان الليلُ ، فتَحاجَزوا ، وقد قُتِل مِن الفريقَين بَشَرٌ كثيرٌ ، ثم أصْبَحوا إلى مَواقِفِهم[2] ، فاقْتَتلوا يومَهم ذلك وعامَّةَ ليلتِهم ، ثم أصْبَحوا [3]كما أمْسَوا[3] على مَواقِفِهم[4] ، فاقْتَتلوا حتى أمْسَوا ، ثم اقْتَتلوا فى اليومِ الثالثِ كذلك ، وأمْسَتْ هذه الليلةُ تُسَمَّى ليلةَ الهَرِيرِ ، فلما أصْبَح اليومُ الرابعُ اقْتَتلوا قِتالًا شَديدًا ، وقد قاسَوْا مِن الفِيَلةِ بالنسبةِ إلى الخُيولِ العربيةِ بسببِ نَفْرتِها منها ، أمْرًا بَليغًا ، وقد أباد الصحابةُ الفِيَلةَ ومَن عليها ، وقلَعوا عُيونَها ، وأبْلَى جماعةٌ مِن الشُّجْعانِ فى هذه الأيامِ مثلُ طُلَيْحةَ الأسَدىِّ ، وعمرِو بنِ مَعْدِ يكَرِبَ ، والقَعْقاعِ بنِ عَمْرٍو ، وجَريرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلىِّ ، وضِرارِ بنِ الخطابِ ، وخالدِ بنِ عُرْفُطةَ ، وأشْكالِهم وأضْرابِهم ، فلما كان وقتُ الزَّوالِ مِن هذا اليومِ - ويُسَمَّى يومَ القادسيةِ ، وكان

---

(١) أخرج خليفة فى تاريخه ١/ ١١٩، عن ابن إسحاق أنهم كانوا ستة آلاف أو سبعة ، وكذلك ذكر الطبرى فى ٣/ ٥٧٦، أما العدد الذى ذكره المصنف فقد ذكره خليفة والإمام الذهبى عن أبى وائل . وانظر تاريخ خليفة ١/ ١١٩، وتاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ١٤٢ .

(٢) فى الأصل ، ١٥١: « مواقعهم » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ١٥١، ص : « مصافهم » .

يومَ الاثنين مِن المُحَرَّمِ سنةَ أربعَ عشْرةَ ، كما قاله سيفُ بنُ عمرَ التَّميمىُّ[1] - هَبَّت ريحٌ شَديدةٌ فرفَعتْ خِيامَ الفرسِ عن أماكنِها ، وألْقَتْ سَريرَ رُسْتُمَ الذى هو مَنْصوبٌ له ، فبادَر فركِب بَغْلتَه وهرَب ، فأدْرَكه المسلمون فقتَلوه ، وقتَلوا الجالِنوسَ مُقَدِّمَ الطَّلائعِ الفارسيةِ ، وانْهَزَمت الفرسُ - وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ - عن بَكْرةِ أبيهم ، ولحِقهم المسلمون فى أقْفائِهم ، فقُتِل يومَئذٍ المُسَلْسَلُون بكَمالِهم ، وكانوا ثلاثين ألفًا ، وقُتِل فى المعركةِ عشَرةُ آلافٍ ، وقتَلوا قبلَ ذلك قريبًا مِن ذلك ، وقُتِل مِن المسلمين فى هذا اليومِ وما قبلَه مِن الأيامِ ألفان وخمسُمائةٍ ، رحِمهم اللَّهُ .

وساق المسلمون خلْفَ المُنْهَزِمين حتى دخَلوا وراءَهم مدينةَ المَلِكِ ، وهى المَدائنُ التى فيها الإيوانُ الكِسْرَوىُّ ، وقد أذِن لمَن ذكَرْنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدَّمْنا . وقد غنِم المسلمون مِن وَقْعةِ القادسيةِ هذه مِن الأمْوالِ والسِّلاحِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كثرةً ، فحُصِّلَتْ الغَنائمُ بعدَ صَرْفِ الأسْلابِ ، وخُمِّسَت وبُعِث بالخُمُسِ والبِشارةِ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقد كان عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يَسْتَخْبِرُ عن أمْرِ القادسيةِ كلَّ مَن لقِيَه مِن الرُّكْبانِ ، ويَخْرُجُ مِن المَدينةِ إلى ناحيةِ العراقِ يَسْتَنْشِقُ الخَبَرَ ، فبينما هو ذاتَ يومٍ مِن الأيامِ إذا هو براكبٍ يَلوحُ مِن بُعْدٍ ، فاسْتَقْبَله عمرُ فاسْتَخْبَره ، فقال له : فتَح اللَّهُ على المسلمين بالقادسيةِ ، وغَنِموا غَنائمَ كثيرةً . وجعَل يُحَدِّثُه ، وهو لا يَعْرِفُ عمرَ ، وعمرُ ماشٍ تحتَ راحلتِه ، فلمَّا اقْتَربا مِن المدينةِ جعَل الناسُ يُحَيُّون عمرَ بالإمارةِ ، فعرَف الرجلُ عمرَ فقال : يَرْحَمُك اللَّهُ يا أميرَ المؤمنين ، هَلَّا أعْلَمْتَنى

---

(١) رواية سيف بن عمر إنما تنصب على أول أيام القتال وهو يوم أرماث . وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ٥٣١.

أنك الخَليفةُ ؟ فقال : لا حرَجَ عليك يا أخى[1] .

وقد تقدَّم أن سعدًا ، رضِى اللَّهُ عنه ، كان به قُروحٌ وعِرْقُ النَّسَا ، فمنَعه مِن شُهودِ القِتالِ ، لكنه جالسٌ فى رأسِ القَصْرِ يَنْظُرُ فى مَصالحِ الجيشِ ، وكان مع ذلك لا يُغْلِقُ عليه بابَ القصرِ ؛ لشَجاعتِه[2] ، ولو فَرَّ الناسُ لأخَذَتْه الفرسُ قَبْضًا باليدِ ، لا يَمْتَنِعُ منهم ، وعندَه امرأتُه سَلْمَى بنتُ حَفْصٍ [٥/ ٩٥و] التى كانت قبلَه عندَ المُثَنَّى بنِ حارثةَ ، فلما فَرَّ بعضُ الخيلِ يومَئذٍ فزِعَت وقالت : وامُثَنَّيَاهْ ، ولا مُثَنَّى لىَ اليومَ . فغضِب سعدٌ مِن ذلك ولطَم وجهَها ، فقالت : أغَيْرَةً وجُبْنًا ؟ يعنى أنها تُعَيِّرُه بجُلوسِه فى القَصْرِ يومَ الحربِ ، وهذا عِنادٌ منها ، فإنها أعْلَمُ الناسِ بعُذْرِه ، وما هو فيه مِن المرضِ المانعِ مِن ذلك[3] .

وكان عندَه فى القَصْرِ رجلٌ مَسْجونٌ على الشَّرابِ ، كان قد حُدَّ فيه مراتٍ مُتَعددةً ، يقالُ : سبعَ مراتٍ . فأمَر به سعدٌ فقُيِّد وأُودِع القَصْرَ ، فلما رَأَى الخيولَ تَجولُ حولَ حِمَى القصرِ ، وكان مِن الشُّجْعانِ الأبْطالِ ، قال[4] :

كفى حَزَنًا أن تُدْحَمَ[5] الخيلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدودًا علىَّ وَثاقِيا

إذا قمتُ عنَّانى الحديدُ وأُغْلِقَتْ[6] ... مَصارِيعُ مِن دونى تَصُمُّ المُنادِيا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... وقد ترَكونى مُفْرَدًا لا أخا ليا

ثم سأَل مِن زَبْراءَ أمِّ ولدِ سعدٍ أن تُطْلِقَه وتُعِيرَه فرسَ سعدٍ ، وحلَف لها أنه

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٥٨٣.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) انظر المصدر السابق ٣/ ٥٧٥.

(٤) انظر المصدر السابق ٣/ ٥٧٥، ٥٧٦. والأبيات لأبى محجن الثقفى فى ديوانه بشرح أبى هلال العسكرى صفحة ٤٣ .

(٥) فى تاريخ الطبرى : « تردى » . وتدحم : تدفع دفعا شديدا .

(٦) فى م : « غلقت » .

يَرْجِعُ آخرَ النَّهارِ ، فيَضَعُ رجلَه فى القَيْدِ ، فأطْلَقَتْه ، وركِب فرسَ سعدٍ وخرَج فقاتَل قِتالًا شديدًا ، وجعَل سعدٌ يَنْظُرُ إلى فرسِه فيَعْرِفُها ويُنْكِرُها ، ويُشَبِّهُه بأبى مِحْجَنٍ ، ولكن يَشُكُّ لظنِّه أنه فى القصرِ مُوثَقٌ ، فلما كان آخرُ النهارِ رجَع فوضَع رجلَه فى قَيْدِها ، ونزَل سعدٌ فوجَد فرسَه يَعْرَقُ فقال : ما هذا ؟ فذكَروا له قصةَ أبى مِحْجَنٍ ، فرضِى عنه وأطْلَقه ، رضِى اللَّهُ عنهما .

وقد قال رجلٌ مِن المسلمين فى سعدٍ ، رضِى اللَّهُ عنه :

نُقاتِلُ حتى أنْزَلَ اللَّهُ نصرَهُ ... وسعدٌ ببابِ القادسيَّةِ مُعْصِمُ
فأُبْنا وقد آمَتْ نساءٌ كثيرةٌ ... ونسوةُ سعدٍ ليسَ فيهنَّ أَيِّمُ

فيقالُ : إن سعدًا نزَل إلى الناسِ ، فاعْتَذَر إليهم بما فيه مِن القُروحِ فى فَخِذيه وأَلْيَتَيْه ، فعذَره الناسُ . وذكروا أنه دَعا على قائلِ هذين البيتَيْنِ وقال : اللهم إن كان كاذبًا أو قال الذى قال رِياءً وسُمْعةً وكَذِبًا فاقْطَعْ لِسانَه ويدَه . فجاءه سهمٌ وهو واقفٌ بينَ الصَّفَّيْن ، فوقَع فى لسانِه فبطَل شِقُّه ، فلم يَتَكَلَّمْ حتى مات . رواه سَيْفٌ عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن قَبيصةَ بنِ جابرٍ ، فذكَره[1] . وقال سيفٌ عن المِقْدامِ بنِ شُرَيْحٍ الحارثىِّ ، عن أبيه قال : قال جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ[2] :

أنا جريرٌ كُنْيَتى أبو عَمِرْو ... قد فتَح اللَّهُ وسعدٌ فى القَصِرْ

فأشْرَف سعدٌ مِن قَصْرِه وقال :

وما أرْجُو بَجِيلةَ غيرَ أنى ... أُؤَمِّلُ أَجْرَها يومَ الحسابِ
وقد لَقِيَت خيولُهمُ خيولًا ... وقد وقَع الفوارسُ فى الضِّرابِ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٣٧٧، ٥٧٩، ٥٨٠، من طريق سيف به .
(٢) أخرجه الطبرى ٣/ ٥٨٠، من طريق سيف به . مع اختلاف فى الأبيات .

وقد دَلَفَتْ بعَرْصَتِهم فُيولٌ[1] كأَنَّ زُهاءَها إبلُ الجِرابِ

فلولا جَمْعُ قعقاعِ بنِ عمرٍو وحمَّالٍ لَلَجُّوا فى الرِّكابِ

[٥/٩٥ظ] ولولا ذاك أُلْفِيتُمْ رَعَاعًا تسيلُ[2] جموعُكمْ مثلَ الذُّبابِ

وقد روَى محمدُ بنُ إسحاقَ[3] عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ البَجَلىِّ - وكان ممن شهِد القادسيةَ - قال: كان معنا رجلٌ مِن ثَقيفٍ، فلحِق بالفُرْسِ مُرْتَدًّا، فأخْبَرهم أن بأسَ الناسِ فى الجانبِ الذى فيه بَجِيلةُ. قال: وكنا رُبُعَ الناسِ. قال: فوجَّهوا إلينا ستةَ عشَرَ فيلًا، وجعَلوا يُلْقُون تحتَ أرْجُلِ خيولِنا حَسَكَ الحديدِ[4]، ويَرْشُقوننا بالنُّشَّابِ، فَلَكأنه المَطَرُ، وقرَنوا[5] خُيولَهم بعضَها إلى بعضٍ؛ لِئلَّا يَفِرُّوا[6]. قال: وكان عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْدىُّ يَمُرُّ بنا فيقولُ: يا معشرَ المهاجرين، كونوا أُسُودًا، فإنما الفارسىُّ تَيْسٌ. قال: وكان فيهم أُسْوارٌ[7] لا تَكادُ تَسْقُطُ له نُشَّابةٌ، فقلنا له: يا أبا ثَوْرٍ، اتَّقِ ذاك الفارسىَّ[8]؛ فإنه لا تَسْقُطُ له نُشَّابةٌ. فتوجَّه إليه، ورَماه الفارسىُّ[8] بنُشَّابةٍ فأصاب تُرْسَه، وحَمَل عليه عمرٌو، فاعْتَنَقه فذبَحه، فاسْتَلَبه سِوارَيْن مِن ذهبٍ، ومِنْطَقةً مِن ذَهَبٍ، ويَلْمَقًا[9] مِن دِيباجٍ. قال: وكان المسلمون ستةَ آلافٍ أو سبعةَ آلافٍ، فقتَل اللَّهُ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «خيول».

(٢) فى ص: «مسيل». وفى الطبرى: «تُشلّ».

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٥٧٦، ٥٧٧، من طريق محمد بن إسحاق به.

(٤) حسك الحديد: ما يعمل على مثال الحسك - نبات له ثمرة خشنة - كان يلقى حول العسكر ويبث فى مذاهب الخيل فينشب فى حوافرها. انظر الوسيط (ح س ك).

(٥) فى م، ص: «قرّبوا».

(٦) فى م: «ينفروا».

(٧) الإسوار والأسوار من أساورة الفرس: الرامى، وقيل: الفارس. المعرب ص ٦٨.

(٨) فى م: «الفارس».

(٩) فى ١٥١: «يلمعا». واليلمق: القَبَاء، وهو ثوب يُلبس فوق الثياب أو القميص ويُتنطف عليه. الوسيط (يلمق) (ق ب و).

رُسْتُمَ ، وكان الذى قتله رجلٌ يقالُ له : هلالُ بنُ [1]عُلَّفَةَ التَّيْمىُّ[1] . رَماه رُسْتُمُ بنُشَّابةٍ ، فأصاب قدمَه ، وحَمَل عليه هلالٌ فقتَله واحْتَزَّ رأسَه ، ووَلَّت الفرسُ ، فأَتْبعهم المسلمون يُقَتِّلُونهم ، فأدْرَكوهم فى مكانٍ قد نزَلوا فيه واطْمَأَنُّوا ، [2]فبينما هم[2] سُكارَى قد شرِبوا ولَعِبوا إذ هجَم عليهم المسلمون ، فقتَلوا منهم مَقْتَلةً عظيمةً ، وقُتِل هنالك الجالِنوسُ ، قتَله زُهْرةُ بنُ حَوِيَّةَ التَّميمىُّ ، ثم ساروا خلفَهم ، فكلما تَواجَه الفريقان نصَر اللَّهُ حزْبَ الرحمنِ ، وخَذَل حِزْبَ الشيطانِ وعَبَدَةَ النِّيرانِ ، واحْتاز المسلمون [3]مِن الأموالِ ما يَعْجِزُ عن حصرِه مِيزانٌ وقَبَّانٌ ، حتى إن منهم مَن يقولُ : مَن يُقايِضُ بَيضاءَ بصَفْراءَ[3] . لكثرةِ ما غَنِموا مِن الفُرْسانِ . ولم يَزالوا يُتْبِعونهم حتى جازوا الفُراتَ وراءَهم ، وفتَحوا المَدائنَ وجَلُولاءَ ، على ما سيأتى تَفْصيلُه فى مَوْضِعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى وبه الثقةُ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[4] عن سليمانَ بنِ بَشيرٍ ، عن أمِّ كَثيرٍ امرأةِ هَمَّامِ بنِ الحارثِ النَّخَعىِّ قالت : شَهِدْنا القادسيةَ مع سعدٍ مع أزْواجِنا ، فلمَّا أتانا أن قد فُرِغَ مِن الناسِ ، شدَدْنا علينا ثِيابَنا وأخَذْنا الهَرَاوَى ، ثم أتَيْنا القَتْلَى ، فمَن كان مِن المسلمين سَقَيْناه ورَفَعْناه ، ومَن كان مِن المشركين أجْهَزْنا عليه ، ومعنا الصِّبْيانُ فنُوَلِّيهم ذلك . تعنى اسْتِلابَهم ؛ لئلا يَكْشِفْنَ عن عَوْراتِ الرِّجالِ .

وقال سيفٌ بأسانيدِه عن شيوخِه قالوا[5] : وكتَب سعدٌ إلى عمرَ يُخْبِرُه بالفَتْحِ

(١ - ١) فى النسخ : « علقمة التميمى » ، والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الاشتقاق ص ١٨٦ .
(٢ - ٢) فى ا ١٥١ ، ص : « فهم » .
(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥١ .
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٥٨١ ، من طريق سيف بن عمر به .
(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٥٨٣ ، من طريق سيف بن عمر به .

وبعِدَّةِ مَن قَتَلوا مِن المُشْرِكين ، وبعِدَّةِ مَن قُتِل مِن المسلمين ، وبعَث بالكِتابِ مع سعدِ بنِ عُمَيْلةَ الفَزاريِّ ، وصُورتُه : أما بعدُ ، فإن اللَّهَ نَصَرَنا على أهلِ فارسَ ، ومنَحَهم[1] سَنَنَ مَن كان قبلَهم مِن أهلِ دينِهم بعدَ قِتالٍ طويلٍ ، وزِلْزالٍ شديدٍ ، وقد لَقُوا المسلمين بعُدَّةٍ لم يَرَ الراءُون مثلَ زُهائِها ، فلم يَنْفَعْهم اللَّهُ بذلك ، بل سُلِبوه ، ونقَله[2] عنهم إلى المسلمين ، وأَتْبَعهم المسلمون على الأنْهارِ ، وصُفوفِ الآجامِ ، وفى الفِجاجِ ، وأُصِيب مِن المسلمين سعدُ بنُ عُبَيدٍ القارئُ [٥/٩٦و] وفلانٌ وفلانٌ ، ورِجالٌ مِن المسلمين لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ ، فإنه بهم عالمٌ ، كانوا يُدَوُّون بالقرآنِ إذا جَنَّ عليهم الليلُ كدَوِىِّ النَّحلِ ، وهم آسادٌ فى النهارِ لا تُشْبِهُهم الأسودُ ، ولم يَفْضُلْ مَن مضَى منهم [3]مَن بَقِىَ[3] إلا بفَضْلِ الشَّهادةِ إذا لم تُكْتَبْ لهم . فيقالُ : إن عمرَ قرَأ هذه البِشارةَ على الناسِ فوقَ المِنبرِ ، رضِى اللَّهُ عنهم . ثم قال عمرُ للناسِ : إنى حَريصٌ على أن لا أرى حاجةً إلا سدَدْتُها ما اتَّسَع بعضُنا لبعضٍ ، فإذا عجَز ذلك عنا تأَسَّيْنا فى عَيْشِنا حتى نَسْتَوِىَ فى الكَفافِ ، ولَوَدِدْتُ[4] أنكم علِمْتُم مِن نفسى مثلَ الذى وقَع فيها لكم ، ولستُ مُعْلِمَكم إلا بالعملِ ، إنى واللَّهِ لستُ بمَلِكٍ فأَسْتَعْبِدَكم ، ولكنى عبدُ اللَّهِ ، عرَض علىَّ الأمانةَ ، فإن أبَيْتُها ورَدَدْتُها عليكم واتَّبَعْتُكم حتى تَشْبَعوا فى بيوتِكم وتَرْوَوْا سَعِدْتُ بكم ، وإن أنا حمَلْتُها و[5]اسْتَتْبَعْتُها إلى بيتى[5] شَقِيتُ بكم ، ففَرِحْتُ

---

(١) فى م : « منحناهم » .

(٢) فى ص : « نقلهم » .

(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥١.

(٤) فى ا ١٥١ : « لوددتم » .

(٥ - ٥) فى النسخ : « استتبعتكم » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

قليلًا وحَزِنْتُ طويلًا ، فبَقِيتُ لا أُقالُ ولا أُرَدُّ فأُسْتَعْتَبَ .

وقال سيفٌ عن شيوخِه قالوا[1] : وكانت العربُ مِن العُذَيْبِ إلى عَدَنِ أَبْيَنَ يَتَرَبَّصون وَقْعةَ القادسيةِ هذه ، يَرَوْن أن ثَباتَ مُلْكِهم وزَوالَه بها ، وقد بعَث أهلُ كلِّ بَلْدةٍ قاصدًا يَكْشِفُ ما يكونُ مِن خبرِهم ، فلما كان ما كان مِن الفَتْحِ سبَقَتِ الجِنُّ بالبِشارةِ إلى أقْصَى البلادِ قبلَ رُسلِ الإنْسِ ، فسُمِعَت امرأةٌ ليلًا بصَنْعاءَ على رأسِ جبلٍ وهى تقولُ :

فحُيِّيتِ عنَّا عِكْرِمَ ابنةَ خالدٍ ... وما خيرُ زادٍ بالقليلِ المُصَرَّدِ[2]
وحَيَّتْكِ[3] عنِّى الشمسُ عند طلُوعِها ... وحَيّاكِ[3] عنِّى كلُّ ناجٍ مُفَرَّدِ
وحَيَّتْكِ عنِّى عُصْبَةٌ نَخَعِيَّةٌ ... حِسانُ الوجوهِ آمَنوا بمحمدِ
أقاموا لكسرى يَضْرِبون جنودَه ... بكلِّ رقيقِ الشفرتَين مُهَنَّدِ
إذا ثوّبَ الداعى أناخوا[4] بكَلْكَلٍ ... مِنَ الموتِ مُسْوَدٍّ الغَياطِلِ أَجْرَدِ

قالوا : وسمِع أهلُ اليَمامةِ مُجْتازًا يُغَنِّى بهذه الأبْياتِ :

وجَدْنا الأكثرين بنى تميمٍ ... غداةَ الرَّوعِ أكثرَهم رجالا
همُ ساروا بأرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... إلى لَجِبٍ فزرَّتْهمْ[5] رِعالا
بُحُورٌ للأكاسرِ مِن رجالٍ ... كأُسْدِ الغابِ تَحْسَبُهم جبالا[6]

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٥٨٢، ٥٨٣.
(٢) المصرد : المقلل . الوسيط (ص ر د) .
(٣) فى النسخ : «حييت» ، والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٤) فى ا ١٥١، ص : «أنابوا» .
(٥) فى م ، ص : «يرونهم» . والرعال : جمع رَعْلَة ، وهى القطعة من الخيل القليلة .
(٦) فى ا ١٥١، ص : «جمالًا» .

تَرَكْنَ لهمْ بقادسَ عِزَّ فَخْرٍ وبالخَيْفَين أيامًا طِوالا
مُقَطَّعةً أكفُّهمُ وسُوقٌ [1]بمُرْدٍ حيث قابلَتِ الرِّجالا[1]

قالوا : وسُمِع ذلك فى سائرِ بلادِ العربِ .

وقد كانت بلادُ العِراقِ بكمالِها التى فتَحها خالدٌ نقَضَت العُهودَ والذِّمَمَ والمَواثِيقَ التى كانوا أعْطَوْها خالدًا سوى أهلِ بانِقْيَا وباروسْما وأهلِ أُلَّيْسٍ الآخِرةِ ، ثم عادَ الجميعُ بعدَ هذه الوَقْعةِ التى أوْرَدْناها ، وادَّعَوا أن الفرسَ أجْبَروهم على نَقْضِ العُهودِ ، وأخَذوا منهم الخَراجَ وغيرَ [٥/ ٩٦ظ] ذلك . فصَدَّقوهم فى ذلك ؛ تَألُّفًا لقلوبِهم ، وسنَذْكُرُ حُكْمَ أهلِ[2] السَّوادِ فى كتابِنا « الأحكامِ الكبيرِ » إن شاء اللَّهُ تعالى .

[3]وقد ذهَب ابنُ إسحاقَ وغيرُه إلى أنَّ وَقْعةَ القادسيةِ كانت فى سنةِ خمسَ عشْرةَ[4] . وزعَم الواقدىُّ أنها كانت فى سنةِ ستَّ عشْرةَ[5] . وأما سيفُ بنُ عمرَ وجماعةٌ فذكَروها فى سنةِ أربعَ عشْرةَ ، وفيها ذكَرها ابنُ جَريرٍ[6] . فاللَّهُ أعلمُ[3] .

قال ابنُ جَريرٍ والواقدىُّ[7] : وفى سنةِ أربعَ عشْرةَ جمَع عمرُ بنُ الخطابِ الناسَ على أُبَىِّ بنِ كعبٍ فى التَّراويحِ ، وذلك فى شهرِ رمضانَ منها ، وكتَب إلى سائرِ الأمْصارِ يَأْمُرُهم بالاجْتماعِ فى قيامِ شهرِ رَمضانَ .

(١ - ١) فى الأصل ، ١٥١ : « بردى حيث قابلت الجبالا » ، وفى ص : « تردى حيث قاتلت الجبالا » .
(٢) فى ص : « أرض » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٥٩٠، وتاريخ خليفة ١/١١٩ ، وتاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ١٤٢.
(٥) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٥٩٠.
(٦) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٤٨٠.
(٧) ذكر الطبرى فى تاريخه ٣/٥٩٠ ، عن الواقدى - واختاره - أن عمر أمر الناس بالقيام فى المساجد فى شهر رمضان بالمدينة ، ولم يذكر جمعهم على أبى بن كعب رضى اللَّه عنه . وانظر المنتظم ٤/ ١٨٠.

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفيها بعَث عمرُ بنُ الخَطابِ عُتْبةَ بنَ غَزْوانَ إلى البَصْرةِ ، وأمَره أن يَنْزِلَ بها ومَن معه مِن المسلمين ، وقَطْعِ مادَّةِ أهلِ فارسَ عن الذين بالمَدائنِ ونَواحِيها منهم ، فى قولِ المَدائنىِّ . ورِوايتُه قال[2] : وزعَم سيفٌ أن البَصْرةَ إنما مُصِّرتْ فى ربيعٍ مِن سنةِ ستَّ عشْرةَ ، وأن عُتْبةَ بنَ غَزْوانَ إنما خرَج إلى البَصْرةِ مِن المَدائنِ بعدَ فراغِ سعدٍ مِن جَلُولاءَ وتَكْرِيتَ ، وجَّهه إليها سعدٌ بأمْرِ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وقال أبو مِخْنَفٍ عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ[3] : إن عمرَ بعَث عُتْبةَ بنَ غَزْوانَ إلى أرضِ البَصْرةِ فى ثلاثِمائةٍ وبِضْعةَ عشَرَ رجلًا ، وسار إليه مِن الأعْرابِ ما كمَّل معه خَمسَمائةٍ ، فنزَلها فى ربيعٍ الأولِ سنةَ أربعَ عشْرةَ ، والبَصْرةُ يومَئذٍ تُدْعَى أرضَ الهندِ ، فيها حِجارةٌ بِيضٌ خشِنةٌ ، وجعَل يَرْتادُ لهم مَنْزِلًا حتى جاءوا حِيالَ الجِسْرِ الصِّغيرِ ، فإذا فيه حَلَفٌ وقَصَبٌ نابتٌ فنزَلوا ، فركِب إليهم صاحبُ الفُراتِ فى أربعةِ آلافِ أُسْوارٍ ، فالْتقاه عُتبةُ بعدَما زالت الشمسُ ، وأمَر أصحابَه[4] فحمَلوا عليهم فقتَلوا الفرسَ عن آخِرِهم ، وأسَروا صاحبَ الفُراتِ ، وقام عُتْبةُ خَطيبًا فقال فى خُطْبتِه : إن الدنيا قد [5]آذَنَت بصُرْمٍ[5] ، ووَلَّت حَذَّاءَ[6] ، ولم يَبْقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناءِ ، وإنكم مُنْتَقِلون منها إلى دارِ القَرارِ ، فانْتَقِلوا [7]بخيرِ ما[7]

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٥٩٠، ٥٩١.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٥٩٠.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣/٥٩٠ - ٥٩٢.

(٤) فى الأصل، م: «الصحابة».

(٥ - ٥) فى الطبرى: «تصرمت». وآذنت بصرم: أَعْلَمَتْ بانقطاع وانقضاء. انظر النهاية ٣/ ٢٦.

(٦) حذاء: مسرعة الانقطاع. صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٠٢.

(٧ - ٧) فى م، ص: «عما».

بحَضْرَتِكم ، فقد ذُكِر لى لو أنَّ صَخْرةً أُلْقِيَت مِن شَفِيرِ جَهَنَّمَ هَوَت سَبْعين خَريفًا ولَتَمْلَأَنَّه ، أوَ عجِبتُم ؟! ولقد ذُكِر لى أن ما بينَ مِصْراعَين مِن مَصارِيعِ الجَنةِ مسيرةُ أربعين عامًا ، ولَيَأْتِيَنَّ عليه يومٌ وهو كَظِيظٌ مِن الزِّحامِ ، ولقد رأيْتُنى وأنا سابعُ سبعةٍ ، وأنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لنا طَعامٌ إلا وَرَقُ السَّمُرِ ، حتى تقرَّحَتْ أشْداقُنا ، والْتَقَطْتُ بُرْدةً فشقَقْتُها بينى وبينَ سعدٍ ، فما منا مِن أولئك السبعةِ مِن أحدٍ إلا هو أميرٌ على مِصْرٍ مِن الأمْصارِ ، وستُجَرِّبون الناسَ بعدَنا . وهذا الحديثُ فى « صحيحِ مسلمٍ » بنحوٍ مِن هذا السِّياقِ[1] .

وروَى علىُّ بنُ محمدٍ المَدائنىُّ[2] ، أن عمرَ كتَب إلى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ حينَ وجَّهه إلى البَصْرةِ : يا عُتْبةُ ، إنى اسْتَعْمَلْتُك على أرضِ الهندِ ، وهى حَوْمةٌ مِن حَوْمةِ العدوِّ ، وأرْجو أن يَكْفِيَك اللَّهُ ما حولَها ، وأن يُعينَك عليها ، وقد كتَبْتُ إلى العَلاءِ بنِ الحَضْرمىِّ يُمِدُّك بعَرْفَجةَ بنِ هَرْثَمةَ ، فإذا قدِم عليك فاسْتَشِرْه وقرِّبْه ، وادْعُ إلى اللَّهِ ، فمَن أجابك فاقْبَلْ منه ، ومَن أبَى فالجِزْيةُ عن صَغارٍ وذِلَّةٍ ، وإلا فالسيفُ فى غيرِ هَوادةٍ ، واتَّقِ اللَّهَ فيما وُلِّيتَ ، وإياك أن تُنازِعَك نفسُك إلى كِبْرٍ فتُفْسِدَ عليك آخِرتَك[3] ، وقد صَحِبْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فعزِزْتَ به بعدَ الذِّلَّةِ ، وقَوِيتَ به بعدَ الضَّعْفِ ، حتى صِرْتَ أميرًا مُسَلَّطًا ، ومَلِكًا مُطاعًا ، تقولُ فيُسْمَعُ منك ، وتَأْمُرُ فيُطاعُ أمْرُك ، فيا لها نعمةً [٥/٩٧و] إن لم تَرْقَ فوقَ قَدْرِك وتَبْطَرْ على مَن دُونَك ، احْتَفِظْ مِن النِّعمةِ احْتِفاظَك مِن المَعْصيةِ ، ولَهِىَ أخْوفُهما عندى عليك أن تَسْتَدْرِجَك وتَخْدَعَك فتَسْقُطَ سَقْطةً فتَصِيرَ بها إلى جَهَنَّمَ ،

---

(١) مسلم (٢٩٦٧) .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٧، من طريق المدائنى به .

(٣) فى الطبرى : « إخوتك » .

أُعِيذُك باللَّهِ ونفسى مِن ذلك ، إن الناسَ أسْرَعوا إلى اللَّهِ حتى رُفِعَت لهم الدنيا فأرادوها ، فأَرِدِ اللَّهَ ولا تُرِدِ الدنيا ، واتَّقِ مَصارعَ الظالمين .

وقد فتَح عُتْبةُ الأُبُلَّةَ فى رَجَبٍ أو شعبانَ مِن هذه السنةِ ، ولما مات عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ فى هذه السنةِ اسْتَعْمَل عمرُ على البصرةِ المُغيرةَ بنَ شُعْبةَ سنتين ، فلما رُمِىَ بما رُمِىَ به عَزَله ووَلَّى عليها أبا موسى الأَشْعرىَّ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وفى هذه السنةِ ضرَب عمرُ بنُ الخَطَّابِ ابنَه عُبَيدَ اللَّهِ فى الشَّرابِ هو وجماعةٌ معه ، وفيها ضَرَب أبا مِحْجَنٍ الثقفىَّ فى الشَّرابِ أيضًا سبعَ مراتٍ ، وضرَب معه رَبيعةَ بنَ أميةَ بنِ خلفٍ . وفيها نزَل سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ بالكوفةِ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ الخطابِ . قال : وكان بمكةَ عَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ ، وبالشامِ أبو عُبَيدةَ ، وبالبَحْرَيْن عثمانُ بنُ أبى العاصِ ، وقيل : العَلاءُ بنُ الحَضْرمىُّ . وعلى العِراقِ سعدٌ ، وعلى عُمَانَ حُذَيفةُ بنُ مِحْصَنٍ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فى هذا العامِ مِن المَشاهِيرِ والأعيانِ

ففيها تُوُفِّى سعدُ بنُ عُبادةَ فى قولٍ ، والصحيحُ فى التى قبلَها[1] . واللَّهُ أعلمُ .

[2]وفيها تُوُفِّىَ[2] **عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ بنِ جابرِ بنِ وُهَيْبٍ المازنىُّ**[3] ، حَليفُ بنى عبدِ شمسٍ ، صحابىٌّ بَدْرىٌّ ، وأسْلَم قديمًا بعدَ سنةٍ ، وهاجَر إلى أرضِ الحَبَشةِ ، وهو أولُ مَن اخْتَطَّ البَصْرةَ عن أمرِ عمرَ ، وإمْرتُه له على ذلك كما تقدَّم ، وله فَضائلُ

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٦٠٧ .

(٢ - ٢) زيادة من : ١٥١.

(٣) الاستيعاب ١٠٢٦/٣ ، وأسد الغابة ٥٦٥/٣ ، والإصابة ٤٣٨/٤ .

ومآثِرُ ، وتُوُفِّىَ سنةَ أربعَ عشْرةَ ، وقيل : سنةَ خمسَ عشْرةَ . وقيل : سنةَ سبعَ عشْرةَ . وقيل : سنةَ عشرين . فاللَّهُ أعلمُ . وقد جاوَز الخمسين . وقيل : بلَغ ستين سنةً ، رضِى اللَّهُ عنه .

عمرُو بنُ أمِّ مَكْتومٍ الأعْمَى[1] ، ويُقالُ : اسمُه عبدُ اللَّهِ . صحابىٌّ مُهاجِرىٌّ ، هاجَر بعدَ مُصْعبِ بنِ عُمَيرٍ قبلَ النبىِّ ﷺ ، فكان يُقْرِئُ الناسَ القرآنَ ، وقد اسْتَخْلَفه رسولُ اللَّهِ ﷺ على المدينةِ غيرَ مرةٍ ، فيقالُ : ثلاثَ عشْرةَ مرةً . وشهِد القادسيةَ مع سعدٍ زمنَ عمرَ ، فيقالُ : إنه قُتِل بها شهيدًا . ويقالُ : إنه رجَع إلى المدينةِ وتُوُفِّىَ بها . فاللَّهُ أعلمُ .

المُثَنَّى بنُ حارثةَ بنِ سَلَمةَ بنِ ضَمْضَمِ بنِ سعدِ بنِ مُرَّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ الشَّيْبانىُّ[2] ، نائبُ خالدٍ على العراقِ ، وهو الذى صارت إليه الإمْرةُ بعدَ أبى عُبَيدٍ يومَ الجِسْرِ ، فدَارَى بالمسلمين حتى خَلَّصهم مِن الفرسِ يومَئذٍ ، وكان أحدَ الفُرْسانِ الأبْطالِ ، وهو الذى ركِب إلى الصِّدِّيقِ فحرَّضه على غَزْوِ العراقِ ، ولمَّا تُوُفِّىَ تَزَوَّج سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ بامرأتِه سَلْمَى بنتِ حَفْصٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما وأرْضاهما ، وقد ذكَره ابنُ الأثيرِ فى كتابِه « الغابةِ فى أسماءِ الصَّحابةِ » .

أبو زيدٍ الأنْصارىُّ النَّجَّارىُّ[3] ، أحدُ القُرَّاءِ الأربعةِ الذين حَفِظوا القرآنَ مِن الأنْصارِ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما ثبَت ذلك فى حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ[4] ، وهم : مُعاذُ بنُ جبلٍ ، وأُبَىُّ بنُ كعبٍ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وأبو زيدٍ . قال أنسٌ :

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٩٨، وأسد الغابة ٤/ ٢٦٣، والإصابة ٤/ ٦٠٠.
(٢) الاستيعاب ٤/١٤٥٦ ، وأسد الغابة ٥/٥٩ ، والإصابة ٥/٧٦٦ .
(٣) الاستيعاب ٤/١٦٦٥ ، وأسد الغابة ٦/١٢٦ ، والإصابة ٧/١٥٨ .
(٤) البخارى (٣٨١٠، ٥٠٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

أحدُ عُمومتى . قال ابنُ الكَلْبىِّ : واسمُ أبى زيدٍ [٥/٩٧ظ] هذا قيسُ بنُ السَّكَنِ ابنِ قيسِ بنِ [1]زَعُوراءَ بنِ حَرامِ[1] بنِ جُنْدُبِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِىِّ بنِ النَّجارِ ، شهِد بدرًا . قال موسى بنُ عُقْبةَ[2] : واسْتُشْهِد يومَ جِسْرِ أبى عُبَيدٍ . وهى عندَه فى سنةِ أربعَ عشْرةَ[3] . وقال بعضُ الناسِ : أبو زيدٍ الذى جَمَع القرآنَ سعدُ بنُ عُبَيدٍ . ورَدُّوا هذا بروايةِ قَتادةَ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال[4] : افْتَخَرت الأوسُ والخَزْرجُ ، فقالت الأوسُ : منا غَسِيلُ المَلائكةِ حَنْظلةُ بنُ أبى عامرٍ ، ومنا الذى حَمَتْه الدَّبْرُ عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبى الأقْلَحِ ، ومنا الذى اهْتَزَّ له عرشُ الرحمنِ سعدُ بنُ مُعاذٍ ، ومنا الذى جُعِلت شَهادتُه شَهادةَ رجلين خُزَيْمةُ بنُ ثابتٍ . فقالت الخزرجُ : منا أرْبَعةٌ جَمَعوا القرآنَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أُبَىٌّ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، ومُعاذٌ ، وأبو زيدٍ . رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

أبو عُبَيدِ بنُ مسعودِ بنِ عمرٍو الثَّقفىُّ[5] ، والدُ المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ أميرِ العراقِ ، ووالدُ صَفِيةَ امْرأةِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أسْلَم أبو عُبَيدٍ فى حَياةِ النبىِّ ﷺ ، وذكَره الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ فى الصَّحابةِ .

قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ[6] : ولا يَبْعُدُ أن يكونَ له رِوايةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى الأصل : «زعوراء» ، وفى م : «زعوراء بن حزم» .

(٢) ذكره عنه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/ ١٦٦٥، وابن الأثير فى أسد الغابة ٦/ ١٣٠.

(٣) كذا فى النسخ . وفى الاستيعاب وأسد الغابة : «سنة خمس عشرة» .

(٤) أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٢٨٠٢) ، وأبو يعلى فى مسنده (٥٩٥٣) . وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤١: رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى ، ورجالهم رجال الصحيح .

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٧٠٩، وأسد الغابة ٦/ ٢٠٥، والإصابة ٧/ ٢٦٧.

(٦) تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ١٣٧.

أبو قُحافةَ والدُ الصِّدِّيقِ[1] ، واسْمُ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى قُحافةَ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ صَخْرِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ، أسْلَم أبو قُحافةَ عامَ الفَتْحِ ، فجاء به الصِّدِّيقُ يَقودُه إلى النبىِّ ﷺ فقال : « هلَّا أقْرَرْتُم الشيخَ فى بيتِه حتى كنا نحن نَأْتيه » . تَكْرِمةً لأبى بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال : بل هو أحَقُّ بالسَّعْيِ إليك يا رسولَ اللَّهِ[2] . فأجْلَسه رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ يدَيه ، ورأسُه كالثَّغامةِ بَياضًا ، ودَعا له ، وقال : « غَيِّروا هذا الشَّيْبَ بشىءٍ ، وجَنِّبوه السَّوادَ »[3] . ولما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وصارت الخِلافةُ إلى الصِّدِّيقِ أخْبَره المسلمون بذلك وهو بمكةَ ، فقال : وأَقَرَّت بذلك بنو هاشمٍ[*] وبنو مَخْزومٍ ؟ قالوا : نعم . قال : ذلك فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيه مَن يَشاءُ . ثم أُصِيب بابنِه الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ثم تُوُفِّىَ أبو قُحافةَ فى مُحَرَّمٍ ، وقيل : فى رَجَبٍ سنةَ أربعَ عشْرةَ بمكةَ . عن أربعٍ وتسعين[4] سنةً ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه .

وممَّن ذكَر شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ مِن المُسْتَشْهِدين فى هذه السنةِ مُرَتَّبين على الحُروفِ[5] :

أوسُ بنُ أوسِ بنِ عَتيكٍ . قُتِل يومَ الجِسْرِ . **بَشيرُ** بنُ عَنْبَسِ بنِ يَزيدَ الظَّفَرىُّ أُحُدىٌّ ، وهو ابنُ عمِّ قَتادةَ بنِ النُّعمانِ ، ويُعْرَفُ بفارسِ الحَوَّاءِ ؛ اسمِ فرسِه . **ثابتُ** ابنُ عَتيكٍ ، مِن بنى عمرِو بنِ مَبْذولٍ ، صحابىٌّ قُتِل يومَ الجِسْرِ . **ثَعْلبةُ** بنُ عمرِو

---

(١) الاستيعاب ١٧٣٢/٤ ، وأسد الغابة ٢٥١/٦ ، والإصابة ٣٣٠/٧ .

(٢) المسند ٣/ ١٦٠، من حديث أنس، و٦/ ٣٤٩، ٣٥٠، من حديث أسماء.

(٣) مسلم (٢١٠٢). وانظر ما تقدم فى ٦/ ٥٥٠، ٥٥١ ، عن ابن إسحاق.

* هنا خرم فى ١٥١ ينتهى فى ١٠/ ١٧.

(٤) فى الأصل، م: « سبعين ». وانظر الإصابة ٧/ ٣٣٠.

(٥) تاريخ الإسلام، جزء الخلفاء الراشدين ص ١٣١ - ١٣٨.

ابنِ مِحْصَنِ النَّجَّارىُّ بَدْرىٌّ ، قُتِل يومَئذٍ . (١) **الحارثُ** بنُ عَتيكِ بنِ النُّعمانِ[٢] النَّجَّارىُّ ، شهِد أُحُدًا ، قُتِل يومَئذٍ . **الحارثُ** بنُ مَسْعودِ بنِ عَبْدةَ ، صحابىٌّ أنْصارىٌّ ، قُتل يومَئذٍ . **الحارثُ** بنُ عَدِىِّ بنِ مالكٍ ، أنصارىٌّ أُحُدِىٌّ ، قُتِل يومَئذٍ (١) . **خالدُ** بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، قيل : إنه اسْتُشْهِد يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ ، وكان فى سنةِ أربعَ عشْرةَ فى قولٍ . **خُزَيْمةُ** بنُ أوسٍ الأشْهَلىُّ ، قُتِل يومَ الجِسْرِ . **ربيعةُ** بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، أرَّخ وَفاتَه فى هذه السنةِ ابنُ قانعٍ . **زيدُ** بنُ سُراقةَ ، يومَ الجِسْرِ . **سعدُ** بنُ سَلَامةَ بنِ وَقْشٍ الأشْهَلىُّ . **سعدُ** بنُ عُبادةَ ، فى قولٍ . **سَلَمةُ** بنُ أسْلَمَ بنِ حَريشٍ يومَ الجِسْرِ . (٣) **سلَمةُ** بنُ هشامٍ ، يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ ، وقد كان فى سنةِ أربعَ عشْرةَ فى قولٍ . **سَلِيطُ** بنُ قيسِ بنِ عمرٍو الأنصارىُّ ، يومَ الجسرِ (٣) . **ضَمْرةُ** بنُ غَزِيَّةَ يومَ الجِسْرِ . [٥/ ٩٨و] **عَبَّادٌ وعبدُ اللَّهِ وعبدُ الرحمنِ** بنو مِرْبَعِ[٤] بنِ قَيْظىٍّ قُتِلوا يومَئذٍ . **عبدُ اللَّهِ** بنُ صَعْصَعةَ بنِ وَهْبٍ الأنصارىُّ النَّجَّارىُّ ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها . قال ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[٥] : وقُتِل يومَ الجِسْرِ . **عُتْبةُ** بنُ غَزْوانَ ، تقدَّم . **عُقْبةُ** وأخوه **عبدُ اللَّهِ** ، حضَرا الجِسْرَ مع أبيهما قَيْظىِّ بنِ قيسٍ ، وقُتِلا يومَئذٍ . **العَلاءُ** بنُ الحَضْرمىِّ ، تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ فى قولٍ ، وقيل : بعدَها . وسيأتى . **عمرُ**[٦] بنُ أبى اليَسَرِ ، قُتِل يومَ الجِسْرِ . **قيسُ** بنُ السَّكَنِ أبو زيدٍ الأنْصارىُّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، تقدَّم . **المُثَنَّى** بنُ حارثةَ الشَّيْبانىُّ ، تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى تاريخ الإسلام : « النعام » . وانظر الإصابة ١/ ٥٨٦.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى الأصل ، م : « مريع » . وهو تصحيف ، وانظر الإصابة ٤/ ٣٥٩.

(٥) أسد الغابة ٣/ ٢٧٩.

(٦) فى الأصل ، م : « عمرو » . ولم نجد له ترجمة فى غير تاريخ الإسلام .

رحِمه اللَّهُ، وقد تقدَّم. **نافعُ** بنُ غَيْلانَ قُتِل يومَئذٍ. **نوفلُ** بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، وكان أسَنَّ مِن عمِّه العباسِ، قيل: إنه تُوُفِّيَ فى هذه السنةِ. والمَشْهورُ قبلَها كما تقدَّم[1]. **واقدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ، قُتِل يومَ[2]. **يزيدُ** بنُ قيسِ بنِ الخَطِيمِ الأنصاريُّ الظَّفَرِيُّ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها، قُتِل يومَ الجِسْرِ، وقد أصابه يومَ أُحُدٍ جِراحاتٌ كثيرةٌ، وكان أبوه شاعرًا مَشْهورًا. **أبو عُبَيدٍ** بنُ مَسْعودٍ الثَّقفيُّ، أميرُ يومِ الجِسْرِ، وبه عُرِف؛ لقتلِه عندَه، تَخَبَّطه الفيلُ حتى قتَله، رضِى اللَّهُ عنه، بعدَما قطَع بسيفِه خُرْطُومَه كما تقدَّم. **أبو قُحافةَ** التَّيْميُّ والدُ أبى بكرٍ الصِّديقُ، تُوُفِّيَ فى هذه السنةِ، رضِى اللَّهُ عنه. **هندُ** بنتُ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ أُميَّةَ الأمويةُ[3]، والدةُ مُعاويةَ بنِ أبى سُفْيانَ، وكانت مِن سَيداتِ نساءِ قُرَيْشٍ، ذاتَ رَأْيٍ ودَهاءٍ ورِياسةٍ فى قومِها، وقد شَهِدَت يومَ أُحُدٍ مع زوجِها، وكان لها تَحْريضٌ على قتلِ المسلمين يومَئذٍ، ولما قُتِل حَمْزةُ مَثَّلَت به، وأخَذَت مِن كَبِدِه فلاكَتْها، فلم تَسْتَطِعْ إساغتَها؛ لأنَّه كان قد قتَل أباها وأخاها يومَ بدرٍ، ثم بعدَ ذلك كلِّه أسْلَمَت - وحَسُنَ إسْلامُها - عامَ الفتحِ بعدَ زوجِها بليلةٍ، ولما أرادت الذَّهابَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لتُبايِعَه اسْتَأْذَنت أبا سفيانَ، فقال لها: قد كنتِ بالأمْسِ مُكَذِّبةً بهذا الأمرِ. فقالت: واللَّهِ ما رأيْتُ اللَّهَ عُبِد حَقَّ عبادتِه بهذا المسجدِ قبلَ هذه الليلةِ، واللَّهِ لقد باتوا ليلَهم كلَّهم يُصَلُّون فيه. فقال لها: إنك قد فعَلْتِ ما فعَلْتِ فلا تَذْهَبى وحْدَكِ. فذهَبت إلى عثمانَ بنِ عَفَّانَ - ويُقالُ:

---

(١) لم يذكره المصنف فيما تقدم، وسيذكره المصنف فيمن توفى فى سنة خمس عشرة، فى صفحة ٦٧٢. وانظر الإصابة ٦/ ٤٨٠.

(٢) كذا فى النسخ وفى تاريخ الإسلام. وفى الاستيعاب ٤/ ١٥٥٠، وأسد الغابة ٤٣٣/٥ أنه توفى فى خلافة عمر، وفى الإصابة ٥٩٥/٦ فى أول خلافة عمر.

(٣) الاستيعاب ١٩٢٢/٤، وأسد الغابة ٢٩٢/٧، والإصابة ١٥٥/٨.

إلى أخيها أبى حُذَيفةَ بنِ عُتْبةَ - فذهَب معها ، فدخَلت وهى مُتَنَقِّبةٌ ، فلمَّا بايَعَها رسولُ اللَّهِ ﷺ مع غيرِها مِن النِّساءِ قال : « على أن لا تُشْرِكْنَ باللَّهِ شيئًا ، ولا تَسْرِقْنَ ولا تَزْنِينَ » . فقالت : أوَ تَزْنِى الحُرَّةُ ؟ « ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ » . قالت : قد رَبَّيْناهم صِغارًا فقَتَلْتَهم[1] كِبارًا . فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ . « ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ ﴾ » . فبادَرَت وقالت : فى معروفٍ . [2]فقال : ﴿ فِى مَعْرُوفٍ ﴾[2] . وهذا مِن فَصاحتِها وحَزْمِها ، وقد قالت لرسولِ اللَّهِ ﷺ : واللَّهِ يا محمدُ ما كان [3]على ظهرِ الأرضِ أهلُ[3] خِباءٍ أحَبَّ إلىَّ مِن أن يَذِلُّوا مِن أهلِ[4] خِبائِك ، فقد واللَّهِ أصبح وما على ظهرِ الأرضِ مِن أهلِ خِباءٍ أحَبَّ إلىَّ مِن أن يَعِزُّوا مِن أهلِ[4] خِبائِك . فقال : « وكذلك والذى نفسى بيدِه » . وشَكَت مِن شُحِّ أبى سُفيانَ ، فأمَرها أن تَأْخُذَ ما يَكْفِيها [٥/ ٩٨ظ] ويَكْفى بَنيها بالمعروفِ[5] . وقصَّتُها مع الفاكهِ بنِ المُغيرةِ مَشْهورةٌ[6] ، وقد شَهِدَت اليَرْموكَ مع زوجِها ، وماتَتْ يومَ مات أبو قُحافةَ ، فى سنةِ أربعَ عشْرةَ .

---

(١) فى الأصل ، م : « نقتلهم » ، وفى ص : « أنقتلهم » . والمثبت مما تقدم فى ٦/٦١٧ ويقتضيه السياق .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) انظر ما تقدم فى ٦/٦١٦ - ٦١٩ .

(٦) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/١٨٠ - ١٨١ .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : قال بعضُهم : فيها مصَّر سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ الكوفةَ ، دَلَّهم عليها ابنُ بُقَيْلةَ ؛ قال لسعدٍ : أَدُلُّك على أرضٍ ارْتَفَعت عن البَقِّ ، وانْحَدرت عن الفَلاةِ ؟ فدَلَّهم على مَوْضِعِ الكوفةِ اليومَ . قال : وفيها كانت وَقْعةُ مَرْجِ الرومِ ؛ وذلك لمّا انْصَرف أبو عُبَيدةَ وخالدٌ مِن وَقْعةِ فِحْلٍ قاصدين إلى حِمْصَ ، حَسَبَ ما أمَر به أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، رضِى اللَّهُ عنه كما تقَدَّم فى روايةِ سيفِ بنِ عمرَ ، فسارا حتى نزَلا على ذى الكَلاعِ ، فبعَث هِرَقْلُ بِطْريقًا يقالُ له : توذَرا[2] . فى جيشٍ معه . فنزَل بمَرْجِ دِمَشْقَ وغَرْبِيّها ، وقد هجَم الشتاءُ ، فبَدأ أبو عُبَيدةَ بمَرْجِ الرومِ ، وجاء أميرٌ آخرُ مِن الرومِ يقالُ له : شَنَسُ . وعَسْكَرٌ معه كثيفٌ ، فنازَله أبو عُبَيدةَ فاشْتَغلوا به عن توذرا ، فسار توذرا نحوَ دِمشقَ لينازلَها وينتزعَها مِن يدِ[3] يزيدَ بنِ أبى سُفيانَ ، فأتْبعه خالدُ بنُ الوليدِ ، وبرَز إليه يزيدُ بنُ أبى سُفيانَ مِن دمشقَ ، فاقْتَتَلوا ، وجاء خالدٌ وهم فى المعركةِ فجعَل يُقَتِّلُهم مِن ورائِهم ، ويزيدُ يُقَصِّلُ فيهم مِن أمامِهم ، حتى أناموهم ولم يُفْلِتْ منهم إلا الشاردُ ، وقتَل خالدٌ توذرا ، وأخذَوا مِن الرومِ أمْوالًا عظيمةً فاقْتَسماها ، ورجَع يزيدُ إلى دِمشقَ ، وانْصَرف خالدٌ إلى أبى عُبيدةَ ، فوجَده قد واقع شَنَسَ بمَرْجِ الرومِ ، فقتَّلهم فيه مَقتَلةً عَظيمةً حتى أنْتَنَت الأرضُ مِن زَهَمِهم ، وقتَل أبو عُبَيدةَ شَنَسَ ، وركِبوا أكْتافَهم إلى حِمْصَ ، فنزَل عليها يُحاصِرُها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٥٩٨.

(٢) هنا وفيما يأتى فى الأصل : « بوذرا » .

(٣) زيادة من : الأصل .

وَقْعةُ حِمْصَ الأُولى

لمّا وصَل أبو عُبَيدةَ[1] فى اتِّباعِه الرومَ المُنْهَزِمين إلى حِمْصَ، نزَل حولَها يُحاصِرُها، ولحِقه خالدُ بنُ الوليدِ فحاصَروها حِصارًا شَديدًا، وذلك فى زمنِ البَرْدِ الشَّديدِ، وصابَر أهلُ البلدِ؛ رَجاءَ أن يَصْرِفَهم عنهم شِدَّةُ البَرْدِ، وصبَر الصَّحابةُ صَبْرًا عَظيمًا، بحيث إنه ذكَر غيرُ واحدٍ أن مِن الرومِ مَن كان يَرْجِعُ وقد سقَطَت رِجْلُه وهى فى الخُفِّ، والصحابةُ ليس فى أرجلِهم شىءٌ سوى النِّعالِ، ومع هذا لم يُصَبْ منهم قدمٌ ولا أُصْبُعٌ أيضًا، ولم يَزالوا كذلك حتى انْسَلخ فصلُ الشِّتاءِ فاشْتَدَّ الحِصارُ، وأشار بعضُ كِبارِ أهلِ حِمْصَ عليهم بالمُصالحةِ، فأبَوْا عليه ذلك وقالوا: أنُصالحُ والمَلِكُ منا قَريبٌ؟ فيقالُ: إن الصَّحابةَ كبَّروا فى بعضِ الأيامِ تَكْبيرةً ارْتَجَّت منها المدينةُ حتى تَفَطَّرَت منها بعضُ الجُدْرانِ، ثم تَكْبيرةً أُخْرى فسقَطَت بعضُ الدُّورِ، فجاءت عامَّتُهم إلى خاصَّتِهم فقالوا: ألا تَنْظُرون إلى ما نزَل بنا، وما نحن فيه؟ ألا تُصالِحون القومَ[2] عنا؟ قال: فصالَحوهم على ما صالَحوا عليه أهلَ دمشقَ؛ على نصفِ المَنازِلِ، وضَرْبِ الخَراجِ على الأراضى، وأخْذِ الجِزْيةِ على الرِّقابِ [٥/ ٩٩و] بحَسَبِ الغِنَى والفَقْرِ. وبعَث أبو عُبَيدةَ بالأخْماسِ والبِشارةِ إلى عمرَ مع عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ. وأنْزَل أبو عُبَيدةَ بحِمْصَ جيشًا كَثيفًا يكونُ بها، مع جماعةٍ من الأُمراءِ، منهم بلالٌ والمِقْدادُ، وكتَب أبو عُبَيدةَ إلى عمرَ يُخْبِرُه بأن هِرَقْلَ قد قطَع الماءَ إلى الجَزيرةِ، وأنه يَظْهَرُ تارةً ويَخْفَى أخرى. فبعَث إليه عمرُ يَأْمُرُه بالمُقامِ ببلدِه.

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/٥٩٩ - ٦٠١، بنحوه.

(٢) فى ص: «اليوم».

وَقْعةُ قِنَّسْرِينَ

لمّا فتَح أبو عُبَيدةَ حِمْصَ[1] بعَث خالدَ بنَ الوليدِ إلى قِنَّسْرِينَ ، فلما جاءها ثار إليه أهلُها ومَن عندَهم مِن نَصارَى العربِ ، فقاتَلهم خالدٌ فيها قِتالًا شديدًا ، وقتَل منهم خَلْقًا كَثيرًا ، فأما مَن هناك مِن الرومِ فأبادهم ، وقتَل أميرَهم مِيناسَ[2] ، وأمَّا الأعْرابُ فإنهم اعْتَذروا إليه بأن هذا القِتالَ لم يَكُنْ عن رَأْيِنا ، فقبِل منهم خالدٌ وكَفَّ عنهم ، ثم خلَص إلى البلدِ فتَحَصَّنوا فيه ، فقال لهم خالدٌ : إنكم لو كنتم فى السَّحابِ لحَمَلَنا اللَّهُ إليكم أو لأَنْزَلَكم إلينا . ولم يَزَلْ بهم حتى فتَحها اللَّهُ عليه ، وللَّهِ الحمدُ . فلما بلَغ عمرَ ما صنَعه خالدٌ فى هذه الوَقْعةِ قال : يَرْحَمُ اللَّهُ أبا بكرٍ ، كان أعْلَمَ بالرجالِ منِّى ، واللَّهِ إنى لم أَعْزِلْه عن رِيبةٍ ، ولكن خَشِيتُ أن يُوكَلَ الناسُ إليه .

وفى هذه السنةِ تَقَهْقَر هِرَقْلُ بجنودِه ، وارْتَحل عن بلادِ الشامِ إلى بلادِ الرومِ . هكذا ذكَره ابنُ جَريرٍ عن محمدِ بنِ إسحاقَ . قال : وقال سيفٌ[3] : كان ذلك فى سنةِ ستَّ عشْرةَ . قالوا[4] : وكان هِرَقْلُ كلما حَجَّ إلى بيتِ المقدسِ ، وخرَج منها يقولُ : عليكِ السلامُ يا سُورِيَةُ تَسْليمَ مُوَدِّعٍ لم يَقْضِ منك وَطَرَهُ وهو عائدٌ . فلما عزَم على الرَّحيلِ مِن الشامِ وبلَغ الرُّهاءَ ، طَلَب مِن أهلِها أن يَصْحَبوه إلى الرومِ ، فقالوا : إن بقاءَنا هـٰهنا أنْفَعُ لك مِن رَحيلِنا معك . فترَكهم ، فلمَّا وصَل

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٦٠١، ٦٠٢، بنحوه.

(٢) فى الأصل : «سيناس» ، وفى م ، ص : «ميتاس» . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٠٢.

(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٠٢، ٦٠٣، بنحوه. والضمير فى قوله : «قالوا» يقصد به شيوخ سيف بن عمر.

إلى شِمْشاطَ[1] وعَلَا على شَرَفٍ هنالك ، الْتَفَت إلى نحوِ بيتِ المَقْدِسِ ، وقال : عليكِ السلامُ يا سُورِيَةُ سَلامًا لا اجْتماعَ بعدَه ، إلا أن أُسَلِّمَ عليكِ تَسْليمَ المُفارِقِ ، ولا يَعودُ إليكِ رُومِيٌّ أبدًا إلا خائفًا حتى يُولَدَ المَوْلودُ المَشْئومُ ، ويا ليتَه لم يُولَدْ ، ما أحْلَى فعلَه ، وأمَرَّ عاقبتَه على الروم ! ثم سار هِرَقْلُ حتى نزَل القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، واسْتَقَرَّ بها مُلْكُه . وقد سأَل رجلًا ممَّن اتَّبعه كان قد أُسِر مع المسلمين ، فقال : أخْبِرْنى عن هؤلاء القومِ . فقال : أُخْبِرُك كأنك تَنْظُرُ إليهم ؛ هم فُرْسانٌ بالنَّهارِ ، رُهْبانٌ بالليلِ ، لا يَأْكُلون فى ذِمَّتِهم إلا بثَمَنٍ ، ولا يَدْخُلون إلا بسَلامٍ ، يَقِفون على مَن حارَبوه حتى يَأْتوا عليه . فقال : لئن كنتَ صدَقْتَنى لَيَمْلِكُنَّ مَوْضِعَ قدمىَّ هاتين .

قلتُ : وقد حاصَر المسلمون قُسْطَنْطِينِيَّةَ فى زمانِ بنى أميةَ ، فلم يَمْلِكوها ، ولكن سَيَمْلِكُها المسلمون فى آخرِ الزمانِ ، كما سنبينُه فى كتابِ المَلاحِمِ ، وذلك قبلَ خُروجِ الدَّجالِ بقليلٍ على ما صحَّت به الأحاديثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى « صحيحِ مسلمٍ » وغيرِه مِن الأئمةِ[2] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقد حرَّم اللَّهُ على الرومِ أن يَمْلِكوا بلادَ الشامِ برُمَّتِها إلى آخرِ الدهرِ ، كما ثبَت به الحديثُ فى « الصحيحَيْن »[3] عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه ، وإذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، والذى نفسى بيدِه [٥/ ٩٩ظ] لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ عز وجل » . وقد وقَع ما

---

(١) فى ص : « ممشاط » . وشمشاط : مدينة بالروم على شاطئ الفرات . معجم البلدان ٣/ ٣١٩.
(٢) مسلم (٢٨٩٧) ، وابن ماجه (٢٧٧٩) ، والحاكم فى مستدركه ٤/ ٤٨٢.
(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٣.

أَخْبَر به ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، كما رأيْتَ ، وسيكونُ ما أَخْبَر به جَزْمًا ، لا يعودُ مُلْكُ القَياصِرةِ إلى الشامِ أبدًا ؛ لأن قَيْصَرَ عَلَمُ جنسٍ عندَ العربِ يُطْلَقُ على كلِّ مَن ملَك الشامَ مع بلادِ الرومِ . فهذا لا يَعودُ لهم أبدًا .

وقعةُ قَيْسارِيَّةَ

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ أمَّر عمرُ مُعاويةَ بنَ أبى سُفْيانَ على قَيْسارِيَّةَ ، وكتَب إليه : أما بعدُ ، فقد وَلَّيْتُك قَيْسارِيَّةَ ، فسِرْ إليها واسْتَنْصِرِ اللَّهَ عليهم ، وأَكْثِرْ مِن قولِ : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العليِّ العظيمِ ، اللَّهُ ربُّنا وثِقَتُنا ، ورَجاؤُنا ومَوْلانا ، فنِعْم المَوْلَى ونِعْم النَّصيرُ . فسار إليها فحاصَرها ، وزاحَفه أهلُها مَرَّاتٍ عَديدةً ، وكان آخرَها وَقْعةً أن قاتَلوا قِتالًا عظيمًا ، وصَمَّم عليهم مُعاويةُ ، واجْتَهد فى القِتالِ حتى فتَح اللَّهُ عليه ، فما انْفَصل الحالُ حتى قتَل منهم نحوًا مِن ثمانين ألفًا ، وكمَّل المائةَ الألفِ مِن الذين انْهَزموا عن المعركةِ ، وبعَث بالفتحِ والأَخْماسِ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وفيها كتَب عمرُ بنُ الخَطَّابِ إلى عمرِو بنِ العاصِ بالمَسيرِ إلى إيلِيَاءَ ، ومُناجَزةِ صاحبِها ، فاجْتاز فى طريقِه عندَ الرَّمْلةِ بطائفةٍ مِن الرومِ ، فكانت :

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٠٤، بنحوه .

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٦٠٥ - ٦٠٧، بنحوه .

وقعةُ أجْنادِينَ

وذلك أنه سار بجيشِه وعلى مَيْمَنتِه ابنُه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو، وعلى مَيْسَرتِه جُنادةُ بنُ تَميمٍ المالكيُّ؛ مِن بنى مالكِ بنِ كِنانةَ، ومعه شُرَحْبيلُ ابنُ حَسَنةَ، واسْتَخْلف على الأُرْدُنِّ أبا الأعْورِ السُّلَمىَّ، فلما وصَل إلى الرَّمْلةِ وجَد عندَها جَمْعًا مِن الرومِ عليهم الأرْطَبونُ، وكان أدْهَى الرومِ وأبْعَدَها غَوْرًا، وأنْكَاها فِعْلًا، وقد كان وضَع بالرَّمْلةِ جُنْدًا عظيمًا وبإيلياءَ جُنْدًا عظيمًا، فكتَب عمرٌو إلى عمرَ بالخبرِ. فلمَّا جاءه كتابُ عمرٍو قال: قد رمَيْنا أرْطَبونَ الرومِ بأرْطَبونِ العربِ، فانْظُروا عما تَنْفَرِجُ. وبعَث عمرُو بنُ العاصِ عَلْقَمةَ بنَ حَكيمٍ الفِراسىَّ، ومَسْروقَ ابنَ فلانٍ[1] العَكِّىَّ على قِتالِ أهلِ إيلياءَ، وأبا أيوبَ المالكىَّ إلى الرَّمْلةِ وعليها التَّذارِقُ، فكانوا بإزائِهم؛ ليَشْغَلوهم عن عمرِو بنِ العاصِ وجيشِه، وجعَل عمرٌو كلما قدِم عليه أمْدادٌ مِن جهةِ عمرَ يَبْعَثُ منهم طائفةً إلى هؤلاء وطائفةً إلى هؤلاء، وأقام عمرٌو على أجْنادِينَ لا يَقْدِرُ مِن الأرْطَبونِ على سَقْطةٍ ولا تَشْفِيه الرسلُ، فوليَه بنفسِه، فدخَل عليه كأنه رسولٌ، فأبْلَغه ما يريدُ وسمِع كلامَه وتأمَّل حُصُونَه[2] حتى عرَف ما أراد، وقال الأرْطَبونُ فى نفسِه: واللَّهِ إن هذا لَعمرٌو، أو إنه الذى يأخُذُ عمرٌو برأيِه، وما كنتُ لِأُصيبَ القومَ بأمرٍ هو أعظمُ مِن قتلِه. فدَعا حَرَسِيًّا فسارَّه فأمَره بقَتْلِه[3]، فقال: اذْهَبْ فقُمْ فى مكانِ كذا وكذا، فإذا مَرَّ بك فاقْتُلْه. ففطِن عمرُو بنُ العاصِ، فقال للأرْطَبونِ: أيُّها

---

(١) فى الأصل، م: «بلال». وانظر الإصابة ٦/ ٩٢.

(٢) فى الأصل: «خصومه»، وفى م، ص: «حضرته». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٣) فى م، ص: «بفتكه».

الأميرُ، إنى قد سمِعْتُ كلامَك وسمِعْتَ كلامى، وإنى واحدٌ مِن عشَرةٍ بعَثَنا عمرُ بنُ الخطابِ؛ لنكونَ مع هذا الوالى؛ لِنَشْهَدَ أُمورَه، وقد أحْبَبْتُ أن آتِيَك بهم؛ ليَسْمَعوا كلامَك [٥/١٠٠و] ويَرَوْا ما رأيْتُ. فقال الأرْطَبونُ: نعم، فاذْهَبْ فأْتِنى بهم. ودَعا رجلًا فسارَّه فقال: اذْهَبْ إلى فلانٍ فرُدَّه. وقام عمرٌو فذَهَبَ إلى جيشِه، ثم تحقَّق الأرْطَبونُ أنه عمرُو بنُ العاصِ. فقال: خدَعنى الرجلُ، هذا واللَّهِ أدْهَى العربِ. وبلَغَت عمرَ بنَ الخطابِ فقال: (١غلَبه عمرٌو١)، للَّه دَرُّ عمرٍو. ثم ناهَضه عمرٌو، فاقْتَتلوا بأجْنادِينَ قِتالًا عظيمًا كقِتالِ اليَرْموكِ، حتى كَثُرت القَتْلى بينَهم، ثم اجْتَمَعت بقيَّةُ الجيوشِ إلى عمرِو بنِ العاصِ، وذلك حينَ أعْياهم صاحبُ إيلِياءَ وتحَصَّن منهم بالبلدِ، وكثُر جيشُه، فكتَب أرْطَبونُ إلى عمرٍو بأنك صَديقى ونَظيرى، أنت فى قومِك مِثْلى فى قومى، واللَّهِ لا تَفْتَحُ مِن فِلَسْطينَ شيئًا بعدَ أجْنادِينَ، فارْجِعْ ولا تُغَرَّ(٢)؛ فتَلْقَى مثلَ ما لَقِيَ الذين قبلَك مِن الهزيمةِ. فدَعا عمرٌو رجلًا يتَكَلَّمُ بالروميةِ فبعَثه إلى أرْطَبونَ وقال: اسْمَع ما يقولُ لك، ثم ارْجِعْ فأخْبِرْنى. وكتَب إليه معه: جاءنى كتابُك، وأنت نظيرى ومِثْلى فى قومِك، لو أخْطَأْتَك خَصْلَةٌ تجاهَلتَ فَضيلتى، وقد علِمْتَ أنى صاحبُ فتحِ هذه البلادِ، واقْرَأْ كتابى هذا بمَحْضَرٍ مِن أصحابِك ووُزرائِك. فلمَّا وصَله الكتابُ جمَع وُزراءَه، وقرَأ عليهم الكتابَ، فقالوا للأرْطَبونِ: مِن أين عَلِمْتَ أنه ليس بصاحبِ فتحِ هذه البلادِ؟ فقال: صاحبُها رجلٌ اسمُه على(٣) ثلاثةِ أحْرفٍ. فرجَع الرسولُ إلى عمرٍو فأخْبَره بما قال، فكتَب

(١ - ١) سقط من: م. وفى ص: «عَلِيه عمرو».

(٢) فى الأصل، ص: «تَغْنَ». وغَنِيَ يَغْنَى: تعب وأصابته مشقةٌ.

(٣) فى تاريخ الطبرى: «عمر».

عمرٌو إلى عمرَ يَسْتَمِدُّه ويقولُ له : إنى أُعالجُ حَرْبًا كَئودًا صَدُومًا ، وبلادًا ادُّخِرَت لك ، فرأْيَك . فلما وصَل الكتابُ إلى عمرَ علِم أن عَمْرًا لم يَقُلْ ذلك إلا لأمْرٍ عَلِمه ، فعزَم عمرُ على الدخولِ إلى الشامِ لفتحِ بيتِ المقدسِ ، كما سَنَذْكُرُ تَفْصيلَه .

قال سيفُ بنُ عمرَ عن شيوخِه[1] : وقد دخَل عمرُ الشامَ أربعَ مراتٍ ؛ الأولى كان راكبًا فَرَسًا حينَ فتَح بيتَ المقدسِ ، والثانيةَ على بعيرٍ ، والثالثةَ وصلَ إلى سَرْغٍ[2] ، ثم رجَع لأجلِ ما وقَع بالشامِ مِن الوَباءِ ، والرابعةَ دخَلها على حمارٍ . هكذا نقَله ابنُ جَريرٍ عنه .

فتحُ بيتِ المَقْدِسِ على يدَىْ عمرَ بنِ الخطابِ

ذكَره أبو جَعفرِ بنُ جَريرٍ فى هذه السنةِ عن روايةِ سيفِ بنِ عمرَ[3] ، ومُلَخَّصُ ما ذكَره ، (هو وغيرُه[4] ، أنَّ أبا عُبَيدةَ لمّا فرَغ مِن دمشقَ ، كتَب إلى أهلِ إيلياءَ يَدْعوهم إلى اللَّهِ وإلى الإسلامِ ، أو يَبْذُلون الجِزْيَةَ أو يُؤْذَنون بحربٍ . فأبَوْا أن يُجِيبوا إلى ما دَعاهم إليه . فركِب إليهم فى جُنودِه ، واسْتَخْلف على دمشقَ سعيدَ ابنَ زيدٍ ، ثم حاصَر بيتَ المقدسِ ، وضيَّق عليهم حتى أجابوا إلى الصُّلْحِ بشَرْطِ أن يَقْدَمَ إليهم أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ . فكتَب إليه أبو عُبَيدةَ بذلك فاسْتَشار عمرُ الناسَ فى ذلك ، فأشار عثمانُ بنُ عفانَ بأن لا يَرْكَبَ إليهم ؛ ليكونَ أحْقَرَ)

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦٠٧/٣ ، بسنده عن سيف بنحوه .

(٢) سرغ : أول الحجاز وآخر الشام . معجم البلدان ٣/ ٧٧.

(٣) تاريخ الطبرى ٦٠٧/٣ - ٦١٣، بنحوه .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدى ١٥١/١ - ١٦٣، بنحوه .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(١) لهم وأرْغَمَ لأُنوفِهم ، وأشار عليٌّ بنُ أبى طالبٍ بالمَسيرِ إليهم ؛ ليكونَ أخَفَّ وَطْأةً على المسلمين فى حِصارِهم بينَهم ، فهَوِىَ ما قال عليٌّ ولم يَهْوَ ما قال عثمانُ . وسار بالجيوشِ نحوَهم ، واسْتَخْلَف على المدينةِ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، وسار العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ على مُقَدِّمتِه ، فلما وصَل إلى [٥/ ١٠٠ظ] الشامِ تلَقَّاه أبو عُبَيدةَ ورُءوسُ الأُمراءِ ؛ كخالدِ بنِ الوليدِ ، ويَزيدَ بنِ أبى سفيانَ ، فترَجَّل أبو عُبَيدةَ وترَجَّل عمرُ ، فأشار أبو عُبَيدةَ ليُقَبِّلَ يدَ عمرَ ، فهَمَّ عمرُ بتَقْبيلِ رِجْلِ أبى عُبَيدةَ ، فكفَّ أبو عُبَيدةَ ، فكَفَّ عمرُ . ثم سار حتى صالَحَ نَصارَى بيتِ المَقدِسِ ، واشْتَرط عليهم إجْلاءَ الرومِ إلى ثلاثٍ ، ثم دخَلها إذ دخَل المسجدَ مِن البابِ الذى دخَل منه رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ الإسْراءِ . ويُقالُ : إنه لبَّى حينَ دخَل بيتَ المقدسِ ، فصلَّى فيه تحيةَ المسجدِ بمِحْرابِ داودَ ، وصلَّى بالمسلمين فيه صلاةَ الغَداةِ مِن الغدِ ، فقرَأ فى الأُولى بسورةِ « ص » وسجَد فيها والمسلمون معه ، وفى الثانيةِ بسورةِ « بنى إسرائيل » ، ثم جاء إلى الصَّخْرةِ فاسْتَدَلَّ على مكانِها مِن كعبِ الأحْبارِ ، وأشار عليه كعبٌ أن يَجْعَلَ المسجدَ مِن وَرائِه ، فقال : ضاهَيْتَ اليهوديةَ . ثم جعَل المسجدَ فى قِبْلِىِّ بيتِ المقدسِ ، وهو العُمَرىُّ اليومَ ، ثم نقَل الترابَ عن الصخرةِ فى طَرَفِ رِدائِه وقَبائِه ، ونقَل المسلمون معه فى ذلك . وسُخِّر أهلُ الأُرْدُنِّ فى نَقْلِ بقيتِها ، وقد كانت الرومُ جعَلوا الصخرةَ مَزْبَلَةً ؛ لأنها قِبْلةُ اليَهودِ ، حتى إن المرأةَ كانت تُرْسِلُ خِرْقةَ حَيضَتِها مِن داخلِ الحَوْزِ لتُلْقَى فى الصخرةِ ، وذلك مُكافأةً لِما كانت اليهودُ عامَلَتْ به القُمامةَ ، وهى المكانُ الذى كانت اليهودُ صلَبوا فيه المَصْلوبَ ، فجعَلوا يُلْقون على قبرِه القُمامةَ ، فلأجْلِ ذلك سُمِّىَ ذلك الموضعُ القُمامةَ ، وانْسَحَب هذا الاسْمُ على الكَنيسةِ التى بَناها (١)

(١ - ١) سقط من : ص .

[1] النَّصارَى هنالك . وقد كان هِرَقْلُ حينَ جاءه الكتابُ النَّبويُّ وهو بإيلِياءَ ، وعَظ النَّصارَى فيما كانوا قد بالَغوا فى إلقاءِ الكُناسةِ على الصَّخْرةِ حتى وصَلت إلى مِحْرابِ داودَ ، قال لهم : إنكم لَخَليقٌ أن تُقْتَلوا على هذه الكُناسةِ مما امْتَهَنْتُم هذا المسجدَ ، كما قُتِلت بنو إسرائيلَ على دمِ يحيى بنِ زكريا . ثم أُمِروا بإزالتِها ، فشرَعوا فى ذلك ، فما أزالوا ثُلُثَها حتى فتَحها المسلمون ، فأزالها عمرُ بنُ الخطابِ . وقد اسْتَقْصَى هذا كلَّه بأسانيدِه ومُتونِه الحافظُ بَهاءُ الدينِ بنُ الحافظِ أبى القاسمِ ابنِ عَساكرَ فى كتابِه « المُسْتَقْصَى فى فَضائلِ المَسْجدِ الأقْصَى » .

وذكر سيفٌ فى سِياقِه[1] أن عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ركِب مِن المدينةِ على فرسٍ ؛ ليُسْرِعَ السَّيْرَ بعدَ ما اسْتَخْلَف عليها عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، فسار حتى قدِم الجابيةَ ، [1] فنزَل بها وخطَب بالجابيةِ[2] خُطْبةً طويلةً بليغةً منها : أيُّها الناسُ ، أصْلِحوا سَرائرَكم تَصْلُحْ عَلانِيتُكم ، واعْمَلوا لآخرتِكم تُكْفَوْا أمْرَ دُنْياكم ، واعْلَموا أن رجلًا ليس بينَه وبينَ آدمَ أبٌ حَيٌّ ولا بينَه وبينَ اللَّهِ هَوادةٌ ، فمَن أراد لَحْبَ[3] وجهِ الجنةِ فلْيَلْزَمِ الجماعةَ ؛ فإن الشَّيطانَ مع الواحدِ ، وهو مع الاثنين أبْعَدُ ، ولا يَخْلُوَنَّ أحدُكم بامرأةٍ ؛ فإن الشيطانَ ثالثُهما ، ومَن سرَّتْه حَسَنتُه وساءتْه سيئتُه فهو مؤمنٌ . وهى خُطْبةٌ طَويلةٌ اخْتَصَرْناها . ثم صالَح عمرُ أهلَ الجابيةِ ورحَل إلى بيتِ المَقْدِسِ[1] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) لم يذكر الطبرى فى تاريخه هذه الخطبة ، ولكن ذكرها الواقدى إلَّا أنه جعلها بعد نزوله ببيت المقدس وصلاته بالمسلمين صلاة الفجر .

(٣) اللحب : الواضح . انظر اللسان (ل ح ب) .

وقد كتَب إلى أُمراءِ الأجْنادِ أن يُوافوه فى اليومِ الفُلانىِّ إلى الجابيةِ ، فتوافَوْا أجْمعون فى ذلك اليومِ إلى الجابيةِ ، فكان أولَ مَن تَلَقَّاه يزيدُ بنُ أبى [٥/ ١٠١و] سُفيانَ ، ثم أبو عُبَيدةَ ، ثم خالدُ بنُ الوليدِ فى خُيولِ المسلمين وعليهم يَلامِقُ الدِّيباجِ ، فسار إليهم عمرُ ليَحْصِبَهم ، فاعْتَذروا إليه بأن عليهم السِّلاحَ ، وأنهم يَحْتاجون إليه فى حُروبِهم ، فسكَت عنهم ، واجْتَمع الأُمراءُ كلُّهم بعدَما اسْتَخْلفوا على أعمالِهم سوى عمرِو بنِ العاصِ وشُرَحْبِيلَ فإنهما مُوافِقان الأرْطَبونَ بأجْنادِينَ ، فبينما عمرُ فى الجابيةِ إذا بكُرْدُوسٍ مِن الرومِ بأيديهم سيوفٌ مُسَلَّلةٌ ، فسار إليهم المسلمون بالسلاحِ ، فقال عمرُ : إن هؤلاء قومٌ يَسْتَأْمِنون . فساروا نحوَهم ، فإذا هم جُنْدٌ مِن بيتِ المقدسِ يَطْلُبون الأمانَ والصُّلْحَ مِن أميرِ المؤمنين حينَ سمِعوا بقُدومِه ، فأجابهم عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، إلى ما سأَلوا ، وكتَب لهم كتابَ أمانٍ ومصالحةٍ ، وضرَب عليهم الجِزْيةَ ، واشْتَرط عليهم شُروطًا ذكَرها ابنُ جَريرٍ ، وشَهِد فى الكتابِ خالدُ بنُ الوَليدِ ، وعمرُو بنُ العاصِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، ومُعاويةُ بنُ أبى سُفيانَ ، وهو كاتبُ الكتابِ ، وذلك فى سنةِ خَمْسَ عَشْرةَ .

ثم كتَب لأهلِ لُدٍّ ومَن هنالك مِن الناسِ كتابًا آخرَ ، وضرَب عليهم الجِزْيةَ ، ودخَلوا فيما صالَح عليه أهلَ إيلِياءَ . وفَرَّ الأرْطَبونُ إلى بلادِ مصرَ ، فكان بها حتى فتَحها عمرُو بنُ العاصِ ، ثم فَرَّ إلى البحرِ ، فكان يَلى بعضَ السَّرايا الذين يُقاتِلون المسلمين ، فظفِر به رجلٌ مِن قيسٍ ، فقطَع يدَ القَيْسىِّ ، وقتَله القَيْسىُّ ، وقال فى ذلك :

فإن يكنْ أرْطَبونُ الرومِ أفْسَدها ... فإنَّ فيها بحمدِ اللَّهِ مُنْتَفَعَا

وإن يكنْ أرْطَبونُ الرومِ قطَّعها فقد ترَكْتُ بها أَوصالَه قِطَعَا

ولما صالَح أهلَ الرَّمْلةِ وتلك البلادَ ، أقْبَل عمرُو بنُ العاصِ وشُرَحْبِيلُ ابنُ حَسَنةَ حتى قدِما الجابيةَ ، فوجَدا أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطابِ راكبًا ، فلمَّا اقْتَربا منه أكَبَّا على رُكْبتَيه فقَبَّلاها واعْتَنَقهما عمرُ معًا ، رضِى اللَّهُ عنهم .

قال سيفٌ : ثم سار عمرُ إلى بيتِ المقدسِ مِن الجابيةِ ، وقد تَوَجَّى فرسُه ، فأتَوْه ببِرْذَوْنٍ ، فركِبه فجعَل يُهَمْلِجُ[1] به ، فنزَل عنه وضرَب وجهَه ، وقال : لا عَلَّم اللَّهُ مَن عَلَّمك ، هذا مِن الخُيَلاءِ . ثم لم يَرْكَبْ بِرْذَوْنًا قبلَه ولا بعدَه ، ففُتِحَت إيلياءُ وأرضُها على يدَيه ما خلا أجْنادِينَ فعلى يدَىْ عمرٍو ، وقَيْساريَّةَ فعلى يدَىْ معاويةَ . هذا سِياقُ سيفِ بنِ عمرَ ، وقد خالَفه غيرُه مِن أئمةِ السِّيَرِ ، فذهَبوا إلى أنَّ فتحَ بيتِ المقدسِ كان فى سنةِ ستَّ عشْرةَ .

قال محمدُ بنُ عائذٍ[2] عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن عثمانَ بنِ [3]حِصْنِ بنِ عَلَّاقٍ[3] قال : قال يزيدُ بنُ عَبِيدةَ : فُتِحت بيتُ المقدسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ ، وفيها قدِمَ عمرُ بنُ الخطابِ الجابيةَ .

وقال أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ[4] عن دُحَيْمٍ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ قال : ثم عاد فى سنةِ سبعَ عشْرةَ ، فرجَع مِن سَرْغٍ ، ثم قدِم[5] سنةَ ثمانىَ عشْرةَ ، فاجْتَمع إليه

---

(١) يهملج : أى يحسن السير فى سرعة وبخترة . اللسان (هملج) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٦٧، من طريق محمد بن عائذ به .

(٣ - ٣) فى م : « حصن بن علان » ، وفى ص : « حصن بن صلاق » ، وفى تاريخ دمشق : « حصين ابن سلاق » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٥١، وما تقدم فى صفحة ٣٣٦ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٦٧، من طريق أبى زرعة به .

(٥) يعنى قدم حتى أتى الجابية ، كما فى تاريخ دمشق .

الأُمراءُ، وسلَّموا إليه ما اجْتمَع عندَهم مِن الأموالِ، فقسَمها وجنَّد الأجْنادَ ومَصَّر الأمْصارَ، ثم عاد إلى المدينةِ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1]: ثم كان فتحُ الجابيةِ وبيتِ المقدسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ. وقال [٥/ ١٠١ظ] أبو مَعْشَرٍ[2]: ثم كان عَمَواسُ والجابيةُ فى سنةِ ستَّ عشْرةَ. ثم كانت سَرْغٌ فى سنةِ سبعَ عَشْرةَ، ثم كان عامُ الرَّمادةِ فى سنةِ ثمانىَ عشْرةَ. قال: وكان فيها طاعونُ عَمَواسَ. يعنى فتحَ البلدةِ المعروفةِ بعَمَواسَ، فأما الطاعونُ المنسوبُ إليها، فكان فى سنةِ ثمانىَ عشْرةَ. كما سيأتى قريبًا، إن شاء اللَّهُ تعالى.

قال أبو مِخْنَفٍ[3]: لما قدِم عمرُ الشامَ فرأَى غُوطةَ دمشقَ، ونظَر إلى المدينةِ والقُصورِ والبَساتينِ تلا قولَه تعالى[4]: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥- ٢٨]. ثم أنْشَد قولَ النابغةِ[5]:

هما فَتَيا دهرٍ يكُرُّ عليهما ... نهارٌ وليلٌ يَلْحَقان التَّواليا
إذا ما هما مرَّا بحىٍّ بغِبْطةٍ ... أناخا بهم حتى يُلاقوا الدَّواهيا

وهذا يَقْتَضِى بادىَ الرأيِ أنه دخَل دمشقَ، وليس كذلك، فإنه لم يَنْقُلْ أحدٌ أنه دخَلها فى شىءٍ مِن قَدَماتِه الثلاثِ إلى الشامِ؛ أما الأولى، وهى هذه، فإنه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/١٦٧، عن يعقوب به.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٦٨، ١٦٩ بسنده عن أبى معشر.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق، بسنده عن أبى مخنف به. طبعة مؤسسة الرسالة ص ٤، ٥، ترجمة عمر.

(٤) التفسير ٧/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٥) هو النابغة الجعدى ديوانه صفحة ١٦٩، والمنازل والديار لأسامة بن منقذ صفحة ٤٦٣، ٤٦٤.

سار مِن الجابيةِ إلى بيتِ المقدسِ ، كما ذكَر سيفٌ وغيرُه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الواقدىُّ[1] : أما رِوايةُ[2] أهلِ الشامِ[3] أن عمرَ دخَل الشامَ مرتَيْن ، ورجَع الثالثةَ مِن سَرْغٍ ، [4]فليس بمعروفٍ ، وإنَّما قدِم مَرَّةً واحدةً عامَ الجابيَةِ حينَ صالَح أهلَ بيتِ المَقْدِسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ ، ورجَع مِن سَرْغٍ[4] سنةَ سبعَ عشْرةَ ، وهم يقولون : دخَل فى الثالثةِ دمشقَ وحِمْصَ . وأنْكَر الواقدىُّ ذلك .

قلتُ : ولا يُعْرَفُ أنه دخَل دمشقَ إلا فى الجاهليةِ قبلَ إسلامِه كما بسَطْنا ذلك فى « سيرتِه » .

وقد رُوِّينا[5] أن عمرَ حينَ دخَل بيتَ المقدسِ سأَل كعبَ الأحْبارِ عن مكانِ الصَّخْرةِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أَذْرِعْ مِن [6]الحائطِ الذى يلى[6] وادى جهنمَ ، كذا وكذا ذِراعًا فهى ثَمَّ . فذرَعوا فوجَدوها وقد اتَّخَذها النَّصارَى مَزْبَلةً ، كما فعَلَتِ اليهودُ بمكانِ القُمامةِ ، وهو المكانُ الذى صُلِب فيه المَصْلوبُ الذى شُبِّه بعيسى ، فاعْتَقَدتِ النَّصارَى واليهودُ أنه المَسيحُ ، وقد كذَبوا فى اعْتقادِهم هذا ، كما نصَّ اللَّهُ تعالى على خَطئِهم فى ذلك .

والمقصودُ أن النَّصارَى لمَّا حُكِّموا على بيتِ المقدسِ قبلَ البِعْثَةِ بنحوٍ مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ ، طَهَّروا مكانَ القُمامةِ ، واتَّخَذوه كَنيسةً هائلةً بنَتْها أمُّ المَلِكِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، بسنده عن الواقدى به ، طبعة مؤسسة الرسالة ص ٦ ، ترجمة عمر .

(٢) بعده فى م : « غير » .

(٣) بعده فى م : « فهى » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ١٧٠، ١٧١، بنحوه .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

قُسْطَنْطِينَ[1] بانى المدينةِ المَنْسوبةِ إليه ، واسْمُ أمِّه هَيْلانةُ الحَرَّانيةُ الفُنْدُقانيَّةُ[2] ، وأمَرت ابنَها فبنَى للنَّصارَى بيتَ لَحْمٍ على موضعِ الميلادِ ، وبنَتْ هى على موضعِ القبرِ ، فيما يَزْعُمون . والغرضُ أنهم اتَّخذوا مكانَ قِبْلةِ اليَهودِ مَزْبَلَةً أيضًا ، فى مُقابلةِ ما صنَعوا فى قديمِ الزمانِ وحَديثِه ، فلمَّا فتَح عمرُ بيتَ المقدسِ ، وتَحَقَّق موضعَ الصَّخْرةِ ، أمَر بإزالةِ ما عليها مِن الكُناسةِ حتى قيل : إنه كنَسها بردائِه . ثم اسْتَشار كعْبًا أين يَضَعُ المسجدَ ؟ فأشار عليه بأن يَجْعَلَه مِن وراءِ الصَّخْرةِ ، فضرَب فى صدرِه ، وقال : يا بنَ أمِّ كعبٍ ، ضارَعْتَ اليهوديَّةَ . وأمَر ببنائِه فى مُقَدَّمِ بيتِ المقدسِ .

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا أسْودُ بنُ عامرٍ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن أبى سِنانٍ ، عن عُبَيدِ بنِ آدمَ وأبى مَرْيَمَ وأبى شُعَيْبٍ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ كان بالجابِيَةِ ، [٥/ ١٠٢و] فذكَر فتحَ بيتِ المقدسِ . قال : قال ابنُ[4] سَلَمةَ : فحدَّثنى أبو سِنانٍ ، عن عُبَيدِ بنِ آدمَ ، سمِعْتُ عمرَ يقولُ لكعبٍ : أين تُرَى أن أُصَلِّىَ ؟ قال : إن أخَذْتَ عنِّى صَلَّيْتَ خلفَ الصَّخرةِ ، فكانت القدسُ كلُّها بينَ يدَيك . فقال عمرُ : ضاهَيْتَ اليهوديةَ ، لا ولكن أُصَلِّى حيث صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ . فتقَدَّم إلى القِبْلةِ فصلَّى ، ثم جاء فبسَط رداءَه وكنَس الكُناسةَ فى ردائِه وكنَس الناسُ . وهذا إسنادٌ جيدٌ اخْتاره الحافظُ ضِياءُ الدينِ المَقْدِسىُّ فى كتابِه « المُسْتَخْرَجِ » . وقد تكَلَّمْنا على رجالِه فى كتابِنا الذى أفْرَدْناه فى مسندِ عمرَ ؛ ما

---

(١) انظر ما تقدم فى ٢/ ٥٣٣.

(٢) فى م ، ص : « البندقانية » . قال فى معجم البلدان ٣/ ٩١٨: الفندق موضع بالثغر قُرب المِصِّيصة ، وهو فى الأصل اسم الخان بلغة أهل الشام .

(٣) المسند ١/ ٣٨. (إسناده حسن) .

(٤) فى المسند : « أبو » . وأبو سلمة هى كنية حماد بن سلمة . انظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣.

رَواه مِن الأحاديثِ المرفوعةِ وما رُوِىَ عنه مِن الآثارِ المَوْقوفةِ مُبَوَّبًا على أبوابِ الفقهِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقد روَى سيفُ بنُ عمرَ[1] عن شيوخِه ، عن سالمٍ قال : لمّا دخَل عمرُ الشامَ تَلَقَّاه رجلٌ مِن يهودِ دمشقَ ، فقال : السلامُ عليك يا فاروقُ ، أنت صاحبُ إيلِياءَ ، لا ها اللَّهِ لا تَرْجِعْ حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليك إيلِياءَ .

وقد روَى أحمدُ بنُ مَرْوانَ الدِّينَوَرِىُّ[2] عن محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن أبيه ، عن الهَيْثَمِ بنِ عَدِىٍّ ، عن أسامةَ بنِ زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه ، عن جدِّه أسْلَمَ مَوْلى عمرَ ، [3]عن عمرَ[3] بنِ الخَطَّابِ ، أنه قدِم دمشقَ فى تُجَّارٍ مِن قريشٍ ، فلما خرَجوا تخَلَّف عمرُ لبعضِ حاجتِه ، فبينما هو فى البلدِ إذا هو بِبِطريقٍ يَأْخُذُ بعُنُقِه ، فذهَب يُنازِعُه فلم يَقْدِرْ ، فأدْخَله دارًا[4] فيها تُرابٌ وفأسٌ ومِجْرَفةٌ وزِنْبِيلٌ[5] ، وقال له : حوِّلْ هذا مِن هـٰهنا إلى هـٰهنا . وغلَّق عليه البابَ وانْصَرف ، فلم يَجِئْ إلى نصفِ النهارِ . قال : وجلَسْتُ مُفَكِّرًا ، ولم أفْعَلْ مما قال لى شيئًا . فلما جاء قال : ما لك لم تَفْعَلْ ؟ ولكَمَنى فى رأسى بيدِه ، قال : فأخَذْتُ الفَأْسَ فضرَبْتُه بها فقتَلْتُه ، وخرَجْتُ على وجْهى فجِئْتُ دَيْرًا لراهبٍ ، فجلَسْتُ عندَه مِن العَشِىِّ ، فأشْرَف علىَّ ، فنزَل وأدْخَلنى الدَّيْرَ فأطْعَمَنى وسَقانى ، وأتْحَفَنى ، وجعَل يُحَقِّقُ النَّظَرَ فىَّ ، وسأَلنى عن أمْرِى ، فقلتُ : إنى أُضْلِلْتُ عن[6] أصْحابى . فقال : إنك

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٣/ ٦٠٨، بسنده عن سيف به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، من طريق أحمد بن مروان الدينورى به ، طبعة مؤسسة الرسالة ص ٤ ، ٥ ، ترجمة عمر .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى تاريخ دمشق : « كنيسة » .

(٥) الزنبيل : القُفَّة . انظر الوسيط (ز ب ل) .

(٦) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

لَتَنْظُرُ بعينِ خائفٍ . وجعَل يَتَوَسَّمُنى ، ثم قال : لقد عَلِم أهلُ دينِ النَّصْرانيةِ أنى أعْلَمُهم بكتابِهم ، وإنى لأراك الذى تُخْرِجُنا مِن بلادِنا هذه ، فهل لك أن تَكْتُبَ لى كتابَ أمانٍ على دَيْرى هذا ؟ فقلتُ : يا هذا ، لقد ذهَبْتَ غيرَ مَذْهَبٍ . فلم يَزَلْ بى حتى كتَبْتُ له صَحيفةً بما طلَب منى ، فلما كان وقتُ الانْصِرافِ أعْطانى أتانًا ، فقال لى : ارْكَبْها ، فإذا وصَلْتَ إلى أصحابِك فابْعَثْ إلىَّ بها وحدَها فإنها لا تَمُرُّ بدَيْرٍ إلا أكْرَموها . ففعَلْتُ ما أمَرَنى به ، فلما قدِم عمرُ لفَتْحِ بيتِ المقدسِ أتاه ذلك الراهبُ وهو بالجابيةِ بتلك الصَّحيفةِ ، فأمْضاها له عمرُ ، واشْتَرَط عليه ضِيافةَ مَن يَمُرُّ به مِن المسلمين ، وأن يُرْشِدَهم إلى الطَّريقِ . رَواه ابنُ عَساكرَ وغيرُه . وقد ساقه ابنُ عَساكرَ مِن طريقٍ أخرى فى ترجمةِ يحيى بنِ عبدِ[1] اللَّهِ بنِ أُسامةَ القُرَشىِّ البَلْقاوىِّ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه[2] ، فذكَر حديثًا طويلًا عَجيبًا ، هذا بعضُه . وقد ذكَرْنا الشُّروطَ العُمَريةَ على نَصارَى الشامِ مُطَوَّلًا فى كتابِنا « الأحكامِ » ، وأفْرَدْنا له مُصَنَّفًا على حِدَةٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقد ذكَرْنا خُطْبتَه فى الجابيةِ [٥/١٠٢ظ] بألفاظِها وأسانيدِها فى الكتابِ الذى أفْرَدْناه لمسندِ عمرَ ، وذكَرْنا تَواضُعَه فى دُخولِه الشامَ فى السِّيرةِ التى أفْرَدْناها له .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[3] : حدَّثنى الربيعُ بنُ ثَعْلبٍ ، نا أبو إسماعيلَ المُؤَدِّبُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمِ بنِ هُرْمُزَ المكِّىِّ ، عن أبى العاليَةِ[4] الشامىِّ قال :

---

(١) فى الأصل ، م : « عبيد » .

(٢) تاريخ دمشق ١٤٣/١٨ - ١٤٧ ، مخطوط . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧١/٢٧ - ٢٧٤ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، من طريق ابن أبى الدنيا ، بنحوه ، طبعة مؤسسة الرسالة ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ترجمة عمر .

(٤) فى م : « الغالية » ، وفى تاريخ دمشق : « العادية » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٠ ، ١٣١ .

قدِم عمرُ بنُ الخَطَّابِ الجابيةَ [1]على طريقِ إيلياءَ[1] على جَمَلٍ أَوْرَقَ تَلوحُ صَلْعَتُه للشمسِ، ليس عليه قَلَنْسُوَةٌ ولا عِمامةٌ، تَصْطَفِقُ رِجْلاه بينَ شُعْبَتَيِ الرَّحْلِ بلا رِكابٍ، وِطاؤُه كِساءٌ أَنْبِجانيٌّ ذو صوفٍ، هو وِطاؤُه إذا ركِب، وفِراشُه إذا نزَل، حَقِيبتُه نَمِرةٌ أو شَمْلةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا، هى حَقِيبتُه إذا ركِب، ووِسادتُه إذا نزَل، وعليه قميصٌ مِن كَرابِيسَ قد دَسِم[2] وتَخَرَّق جيبُه[3]. فقال: ادْعُوا لى رأسَ القومِ. فدَعَوْا له الجلومسَ[4]، فقال: اغْسِلوا قَميصى وخَيِّطوه، وأَعِيرونى قميصًا أو ثوبًا فأُتِىَ بقَميصِ كَتَّانٍ فقال: ما هذا؟ قالوا: كَتَّانٌ. قال: وما الكَتَّانُ؟ فأخْبَروه، فنزَع قميصَه فغُسِل ورُقِّع، وأُتِىَ به، فنزَع قميصَهم ولبِس قميصَه. فقال له الجلومسُ: أنت ملكُ العربِ، وهذه بلادٌ لا تَصْلُحُ بها الإبلُ[5]. فأُتِىَ ببِرْذَوْنٍ فطُرِح عليه قَطيفةٌ بلا سَرْجٍ ولا رَحْلٍ، فركِبه[6] فقال: احْبِسوا احْبِسوا، ما كنتُ أظنُّ[7] الناسَ يَرْكَبون الشيطانَ قبلَ[8] هذا، [9]هاتوا جملى[9]. فأُتِىَ بجملِه فركِبه.

(١ - ١) زيادة من النسخ ليست فى تاريخ دمشق.

(٢) فى الأصل، م: «رسم». ودسم: اسوَدَّ. انظر النهاية ٢/١١٧.

(٣) فى الأصل، م: «جنبه».

(٤) هذه اللفظة زيادة من النسخ، لم تأت فى سياق تاريخ دمشق، هنا وفى بقية الحديث.

(٥) بعده فى الأصل، م: «فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك أعظم فى أعين الروم فقال نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلا».

(٦) بعده فى م: «بها».

(٧) فى الأصل، م: «أرى».

(٨) فى تاريخ دمشق: «فما».

(٩ - ٩) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق.

وقال إسماعيلُ بنُ محمدٍ الصَّفَّارُ[1] : [2]حدَّثنا سَعْدانُ بنُ نصرٍ ، حدَّثنا سفيانُ عن أيوبَ الطَّائيِّ[2] ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ قال : لما قدِم عمرُ الشامَ عَرَضَتْ له مَخاضةٌ ، فنزَل عن بعيرِه ونزَع مُوقَيْه[3] ، فأمْسَكهما بيدِه وخاض الماءَ ومعه بعيرُه ، فقال له أبو عُبَيدةَ : قد صنَعْتَ اليومَ صَنيعًا عظيمًا عندَ أهلِ الأرضِ ؛ صنَعْتَ كذا وكذا . قال : فصَكَّ فى صَدْرِه . وقال : أَوْهِ ، لو غيرُك يقولُها يا أبا عُبَيدةَ ! إنكم كنتُم أذَلَّ الناسِ وأحْقَرَ الناسِ وأقَلَّ الناسِ ، فأعَزَّكم اللَّهُ بالإسلامِ ، فمهما تَطْلُبوا العِزَّ بغيرِه يُذِلَّكم اللَّهُ .

قال ابنُ جَريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ - أعْنى سنةَ خمسَ عشْرةَ - كانت بينَ المسلمين وفارسَ وَقَعاتٌ فى قولِ سيفِ بنِ عمرَ .

وقال ابنُ إسحاقَ والواقدىُّ[5] : إنما كان ذلك فى سنةِ ستَّ عشْرةَ . ثم ذكَر ابنُ جَريرٍ وَقَعاتٍ كثيرةً كانت بينَهم ، وذلك حينَ بعَث[6] عمرُ بنُ الخطابِ إلى سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ يَأْمُرُه بالمَسيرِ إلى المَدائنِ ، وأن يُخَلِّفَ النِّساءَ والعِيالَ بالعَقيقِ[7] فى خيلٍ كَثيرةٍ كَثيفةٍ ، فلما تَفَرَّغ سعدٌ مِن أمرِ القادسيةِ بعَث على المُقَدِّمةِ زُهْرةَ بنَ حَوِيَّةَ ، ثم أتْبَعه بالأمراءِ واحدًا بعدَ واحدٍ ، ثم سار فى الجيوشِ ، وقد جعَل هاشمَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبى وَقَّاصٍ على خِلافتِه مكانَ خالدِ بنِ عُرْفُطةَ ، وجعَل خالدًا هذا على الساقةِ ، فساروا فى خيولٍ عظيمةٍ ، وسلاحٍ كثيرٍ ، وذلك

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، من طريق إسماعيل الصفار به ، طبعة مؤسسة الرسالة ص ٣ ، ترجمة عمر .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الموق : الخف . فارسى مُعرَّب . انظر النهاية ٤/ ٣٧٢.

(٤) تاريخ الطبرى ٣/ ٦١٨.

(٥) انظر المصدر السابق .

(٦) تاريخ الطبرى ٣/٦١٨ - ٦٢٢.

(٧) فى تاريخ الطبرى : « بالعتيق » .

لأيامٍ بَقِين مِن شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، فنزَلوا الكُوفةَ ، وارْتَحل زُهْرةُ بينَ أيديهم نحوَ المَدائنِ ، فلقِيَه بها بُصْبُهْرَى فى جيشٍ مِن فارسَ ، فهزَمهم زُهْرةُ ، وذهَبَت الفرسُ فى هزيمتِهم إلى بابلَ ، وبها جمعٌ كثيرٌ ممن انْهَزم يومَ القادسيةِ ، قد جعَلوا عليهم الفَيْرُزانَ ، فبعَث زُهْرةُ إلى سعدٍ ، فأعْلَمه باجتماعِ المُنْهَزِمين ببابلَ ، فسار سعدٌ بالجيوشِ إلى بابلَ ، فتقابَل هو والفَيرُزانُ عندَ بابلَ فهزَمهم كأسْرَعَ مِن لَفَّةِ الرِّداءِ ، وانْهَزموا بينَ يديه فِرْقَتَيْن ؛ ففِرْقةٌ ذهَبَت إلى المَدائنِ ، وأخْرى [٥/١٠٣و] سارت إلى نَهاوَنْدَ ، وأقام سعدٌ ببابلَ أيامًا ، ثم سار منها نحوَ المَدائنِ فلَقُوا جَمْعًا آخرَ مِن الفرسِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا وبارَزوا أميرَ الفرسِ ، وهو شَهْرِيارُ ، فبرَز إليه رجلٌ مِن المسلمين يقالُ له : نايلٌ الأَعْرَجيُّ أبو نُباتةَ . مِن شُجْعانِ بنى تَميمٍ ، فتَجاوَلا ساعةً بالرِّماحِ ، ثم ألْقَياها فانْتَضَيا سيْفَيْهما وتَصاوَلا بهما ، ثم تَعانَقا وسقَطا عن فرسَيْهما إلى الأرضِ ، فوقَع شَهْرِيارُ على صدرِ أبى نُباتةَ ، وأخْرَج خِنْجَرًا ليَذْبَحَه بها ، فوقَعت أُصْبعُه فى فمِ أبى نُباتةَ فقضَمها حتى شغَله عن نفسِه ، وأخَذ الخِنْجَرَ فذبحَ شَهْرِيارَ بها وأخَذ فرسَه وسِوارَيْه وسَلَبَه ، وانْكَشَف أصحابُه فهُزِموا ، فأقْسَم سعدٌ على نايلٍ لَيَلْبَسُ سِوارَىْ شَهْرِيارَ وسِلاحَه ، ولَيَرْكَبَنَّ فرسَه إذا كان حربٌ ، فكان يَفْعَلُ ذلك . قالوا : وكان أولَ مَن تَسَوَّر بالعراقِ . وذلك بمكانٍ يقالُ له : كُوثَى . وزار المكانَ الذى حُبِس فيه الخليلُ ، وصلَّى عليه وعلى سائرِ الأنْبياءِ ، وقرَأ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٠] .

وقعةُ (١) بَهُرَسِيرَ (١)

قالوا(٢) : ثم قدَّم سعدٌ زُهْرةَ بينَ يدَيه مِن كُوثَى إلى بَهُرَسيرَ ، فمضَى إلى

(١ - ١) هنا وفيما سيأتى فى الأصل ، م : « نهرشير » . وبهرسير : من نواحى سواد بغداد قرب المدائن . معجم البلدان ١/ ٧٦٨.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٢٢، ٦٢٣، بنحوه .

المُقَدِّمةِ ، وقد تَلَقَّاه شِيرَزاذُ إلى ساباطَ بالصُّلْحِ والجِزْيةِ ، فبعَثه إلى سعدٍ فأمْضاه ، ووصَل سعدٌ بالجنودِ إلى مكانٍ يقالُ له : مُظْلِمُ ساباطَ . فوجَدوا هنالك كَتائبَ كثيرةً لكِسْرَى يُسَمُّونها بُورانَ ، وهم يُقْسِمون كلَّ يومٍ : لا يَزولُ مُلْكُ فارسَ ما عِشْنا . ومعهم أسدٌ كبيرٌ لكِسْرَى يقالُ له : المُقَرَّطُ . قد أرْصَدوه فى طريقِ المسلمين ، فتقَدَّم إليه ابنُ أخى سعدٍ ، وهو هاشمُ بنُ عُتْبةَ ، فقتَل الأسدَ والناسُ يَنْظُرون ، وسُمِّىَ يومَئذٍ سيفُه المَتِينَ[1] ، وقبَّل سعدٌ يومَئذٍ رأسَ هاشمٍ ، وقبَّل هاشمٌ قَدَمَ سعدٍ ، وحَمَل هاشمٌ على الفُرْسِ ، فأزالهم عن أماكنِهم وهزَمهم وهو يَتْلُو قولَه تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] . فلما كان الليلُ ارْتَحل المسلمون ونزَلوا بَهُرَسِيرَ ، فجعَلوا كلما وَقَفوا كبَّروا ، وكذلك حتى كان آخرُهم مع سعدٍ ، فأقاموا بها شهرين ، ودخَلوا فى الثالثِ وفرَغت السنةُ .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وفيها حَجَّ بالناسِ عمرُ ، وكان عاملَه فيها على مكةَ عَتَّابُ ابنُ أَسِيدٍ ، وعلى الشامِ أبو عُبَيدةَ ، وعلى الكوفةِ والعراقِ سعدٌ ، وعلى الطائفِ يَعْلَى بنُ أميةَ[3] ، وعلى البَحْرَيْن واليَمامةِ عثمانُ بنُ أبى العاصِ ، وعلى عُمَانَ حُذَيفةُ بنُ مِحْصَنٍ .

قلتُ : وكانت وَقْعةُ اليَرْموكِ فى سنةِ خمسَ عشْرةَ فى رجبٍ منها ، عندَ الليثِ بنِ سعدٍ وابنِ لَهِيعةَ وأبى مَعْشَرٍ والوليدِ بنِ مسلمٍ ويزيدَ بنِ عَبِيدةَ وخَليفةَ ابنِ خَيَّاطٍ وابنِ الكَلْبىِّ ومحمدِ بنِ عائذٍ وابنِ عَساكِرَ وشيخِنا أبى عبدِ اللَّهِ

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « المتن » .
(٢) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٢٣.
(٣) فى تاريخ الطبرى : « مُنْيَةَ » . وهى أمه ، وقيل : هى أم أبيه . وانظر الإصابة ٦/ ٦٨٥.

الذَّهَبيِّ الحافظِ[1] . وأما سيفُ بنُ عمرَ وأبو جَعْفرِ بنُ جَريرٍ ، فذكَروا وَقْعةَ اليَرْموكِ في سنةِ ثلاثَ عشْرةَ ، وقد قدَّمْنا ذِكْرَها هنالك تَبَعًا لابنِ جَريرٍ . وهكذا وَقْعةُ القادسيةِ عندَ بعضِ الحُفَّاظِ أنها كانت في أواخرِ هذه السنةِ ؛ سنةِ خمسَ عشْرةَ ، وتبِعهم في ذلك شيخُنا الحافظُ الذَّهبيُّ[2] ، والمشهورُ أنها كانت في سنةِ أربعَ عشْرةَ كما تقَدَّم .

ثم ذكَر شيخُنا الذهبيُّ[3] [٥/١٠٣ظ] **مَن تُوُفِّيَ في هذه السنةِ مُرَتَّبِين على الحُروفِ :**

سعدُ بنُ عُبادةَ الأنْصاريُّ الخزرجيُّ ، وهو أحدُ أقوالِ المؤَرِّخِين ، وقد تقَدَّم[4] .

سعدُ بنُ عُبَيدِ بنِ النعمانِ أبو زيدٍ الأنْصاريُّ الأوْسيُّ[5] ، قُتِل بالقادسيةِ ، ويُقالُ : إنه أبو زيدٍ القارِئُ . أحدُ الأربعةِ الذين جَمَعوا القُرآنَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنْكَر آخَرون ذلك[6] ، ويُقالُ : إنه والدُ عُمَيْرِ بنِ سعدٍ الزاهدِ أميرِ حِمْصَ . وذكَر محمدُ بنُ سعدٍ وفاتَه بالقادسيةِ وقال[7] : كانت في سنةِ ستَّ عشْرةَ . واللَّهُ أعلمُ .

سُهَيْلُ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِوُدِّ بنِ نصرِ بنِ [8]مالكِ بنِ[8] حِسْلِ ابنِ عامرِ بنِ لُؤَيٍّ ، أبو يَزيدَ العامريُّ[9] ، أحدُ خُطباءِ قريشٍ وأشْرافِهم ، أسْلَم

---

(١) تقدم في صفحة ٥٤٦ .

(٢) تقدم في صفحة ٦٣٨ .

(٣) تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ١٤٦ - ١٥٦.

(٤) تقدم في صفحة ٦٠٦ .

(٥) الاستيعاب ٢/٦٠٠ ، وأسد الغابة ٢/٣٥٩ ، والإصابة ٣/٦٨ .

(٦) انظر أسد الغابة ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٧) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٨.

(٨ - ٨) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الإسلام. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٦٦.

(٩) الاستيعاب ٢/٦٦٩ ، وأسد الغابة ٣/٣٥٩ ، والإصابة ٣/٢١٢ .

يومَ الفتحِ وحَسُن إسلامُه ، وكان سَمْحًا جَوادًا فَصيحًا ، كثيرَ الصلاةِ والصومِ والصدقةِ وقراءةِ القرآنِ والبُكاءِ . ويقالُ : إنه قام وصام حتى شَحَب لونُه . وله سَعْىٌ مَشْكورٌ فى صُلْحِ الحُدَيْبيةِ ، ولمّا مات رسولُ اللَّهِ ﷺ خطَب الناسَ بمكةَ خُطْبةً عَظيمةً تُثَبِّتُ الناسَ على الإسْلامِ ، وكانت خُطْبتُه بمكةَ قريبًا مِن خُطْبةِ الصِّديقِ بالمدينةِ ، ثم خرَج فى جماعةٍ إلى الشامِ مُجاهِدًا ، فحضَر اليَرْموكَ ، وكان أميرًا على بعضِ الكَراديسِ ، ويقالُ : إنه اسْتُشْهِد يومَئذٍ . وقال الواقدىُّ والشافعىُّ : تُوُفِّىَ بطاعونِ عَمَواسَ .

عامرُ بنُ مالكِ بنِ أُهَيْبٍ الزُّهْرىُّ ، أخو سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ[1] ، هاجَر إلى الحبشةِ ، وهو الذى قدِم بكتابِ عمرَ إلى أبى عُبَيدةَ بولايتِه على الشامِ وعَزْلِ خالدٍ عنها ، اسْتُشْهِد يومَ اليَرْموكِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ سُفيانَ بنِ عبدِ الأسدِ المَخْزومىُّ[2] ، صحابىٌّ هاجَر إلى الحَبَشةِ مع عمِّه أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الأسَدِ . روَى عنه عمرُو بنُ دينارٍ مُنْقَطِعًا ؛ لأنه قُتِل يومَ اليَرْموكِ .

[3]**عبدُ الرحمنِ بنُ العَوَّامِ ، أخو الزبيرِ بنِ العَوَّامِ**[4] ، حضَر بدرًا مُشْرِكًا ، ثم أسْلَم واسْتُشْهِد يومَ اليَرْموكِ فى قولٍ[3] .

[5]**عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ** ، تُوُفِّىَ فيها فى قولٍ .

عِكْرِمةُ بنُ أبى جَهْلٍ ، اسْتُشْهِد باليَرْموكِ فى قولٍ[5] .

---

(١) الاستيعاب ٧٩٩/٢ ، وأسد الغابة ١٤٠/٣ ، والإصابة ٥٩٨/٣ .

(٢) الاستيعاب ٩٢١/٣ ، وأسد الغابة ٢٦٣/٣ ، والإصابة ١١٥/٤ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) بعده فى تاريخ الإسلام : « لأبيه » . وانظر الاستيعاب ٨٤٤/٢ ، وأسد الغابة ٤٧٩/٣ ، والإصابة ٣٤٤/٤ .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

عمرُو بنُ أمِّ مَكْتومٍ اسْتُشْهِد يومَ القادسيةِ ، وقد تقَدَّم ، ويقالُ : بل رجَع إلى المدينةِ .

عمرُو بنُ الطُّفَيْلِ بنِ عمرٍو ، تقَدَّم .

عيَّاشُ[1] **بنُ أبى رَبيعةَ** ، تقَدَّم .

فِراسُ بنُ النَّضْرِ بنِ الحارثِ[2] ، يقالُ : اسْتُشْهِد يومَ اليَرْموكِ .

قيسُ بنُ عَدِىِّ بنِ سعدِ [3]**بنِ سَهْمٍ** ، مِن مُهاجِرةِ الحَبَشةِ[3] ، قُتِل باليَرْموكِ .

قيسُ بنُ أبى صَعْصَعةَ عمرِو بنِ زيدِ بنِ عَوْفٍ الأنصارىُّ المازنىُّ[4] ، شهِد العَقبةَ وبَدْرًا ، وكان أحدَ أُمراءِ الكَراديسِ يومَ اليَرْموكِ ، وقُتِل يومَئذٍ ، وله حديثٌ[5] ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فى كم أَقْرَأُ القرآنَ ؟ قال : « فى خمسَ عشْرةَ » . الحديثَ . قال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ : ففيه دليلٌ على أنه ممَّن جمَع القرآنَ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

نُضَيْرُ بنُ الحارثِ بنِ عَلْقمةَ بنِ كَلَدَةَ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدارِ بنِ قُصَىٍّ القُرَشىُّ العَبْدرىُّ[6] ، أسْلَم عامَ الفتحِ ، وكان مِن عُلماءِ قُرَيشٍ ، وأعْطاه رسولُ

---

(١) فى النسخ : « عامر » . والمثبت من تاريخ الإسلام . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٢٣٠، وأسد الغابة ٤/ ٣٢٠.

(٢) الاستيعاب ١٢٦٨/٤ ، وأسد الغابة ٣٥٤/٤ ، والإصابة ٣٦٠/٥ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٦٥ . وقد ذكر الحافظ فى الإصابة ٥/ ٥٦٤ أنه مات فى الجاهلية ، وذكر ابن إسحاق ابنَ ابنه قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سهم فيمن هاجر إلى الحبشة ، سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٨. وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٣/ ١٢٨٦، وأسد الغابة ٤/ ٤١٨، والإصابة ٥/ ٤٦٠.

(٤) الاستيعاب ١٢٩٤/٣ ، وأسد الغابة ٢٩/٤ ، والإصابة ٥٧٩/٥ .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧٧/١٤ مخطوط .

(٦) فى تاريخ الإسلام : « العبدى » . وانظر الاستيعاب ١٤٩٥/٤ ، وأسد الغابة ٣٢٣/٥، والإصابة ٦/ ٤٣٦.

اللَّهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ مائةً مِن الإبلِ، فتَوَقَّف فى أخْذِها وقال: لا أرْتَشى على الإسلامِ. ثم قال: واللَّه ما طَلَبْتُها ولا سَأَلْتُها، وهى عَطِيةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ. فأخَذَها وحَسُن إسلامُه، واسْتُشْهِد يومَ اليَرْموكِ.

نَوْفَلُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ[1]، [2]ابنُ عَمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، كان أسَنَّ مَن أسْلَم مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ[2]، وكان ممَّن [٥/١٠٤و] أُسِر يومَ بدرٍ، ففداه العباسُ، ويُقالُ: إنه هاجَر أيامَ الخَنْدقِ، وشهِد الحُدَيْبيةَ والفتحَ، وأعان رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ بثلاثةِ آلافِ رُمْحٍ، وثبَت يومَئذٍ، وتُوُفِّىَ سنةَ خمسَ عشْرةَ، وقيل: سنةَ عشرين. واللَّهُ أعْلَمُ. تُوُفِّىَ بالمدينةِ، وصلَّى عليه عمرُ، ومشَى فى جِنازتِه ودُفِن بالبَقيعِ، وخلَّف عدةَ أوْلادٍ فُضَلاءَ وأكابرَ.

هشامُ بنُ العاصِ، أخو عمرِو بنِ العاصِ، تقدَّم، وقال ابنُ سَعْدٍ[3]: قُتِل يومَ اليَرْموكِ.

---

(١) الاستيعاب ١٥١٢/٤، وأسد الغابة ٣٦٩/٥، والإصابة ٤٧٩/٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) طبقات ابن سعد ١٩٢/٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخَلَت سنةُ ستَّ عشْرَةَ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ مُنازِلٌ مدينةَ بَهُرَسِيرَ[1] ، وهى إحدَى مَدينَتَىْ كِسْرَى ممّا يلى دِجْلَةَ مِن الغربِ ، وكان قُدومُ سعدٍ إليها فى ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ خمسَ عشْرةَ ، واسْتَهَلَّت هذه السنةُ وهو نازلٌ عندَها ، وقد بعَث السرايا والخُيولَ فى كلِّ وجهٍ ، فلم يَجِدوا واحدًا مِن الجُندِ ، بل جمَعوا مِن الفلّاحين مائةَ ألفٍ ، فحُبِسوا[2] حتى كتَب إلى عمرَ ما يفعَلُ بهم ، فكتَب إليه عمرُ : إنَّ مَن[3] كان مِن الفلّاحين لم يُعِنْ عليكم ، وهو مقيمٌ ببلدِه ، فهو أمانُه ، ومَن هرَب فأدْرَكتموه فشأنَكم به . فأطلَقهم سعدٌ بعدَ ما دَعاهم إلى الإسلامِ ، فأبَوْا إلَّا الجزيةَ . ولم يَبْقَ مِن غربِىِّ دِجْلَةَ إلى أرضِ العربِ[4] أحدٌ مِن الفلّاحين إلّا تحتَ الجزيةِ والخَراجِ .

وامتنَعَت بَهُرَسِيرُ مِن سعدٍ أشدَّ الامتناعِ ، وقد بعَث إليهم سعدٌ سلمانَ

---

(١) فى الأصل ، م : « نهرشير » . وكذا فيما يأتى من مواضع ، وهى : من نواحى سواد بغداد قرب المدائن . انظر معجم البلدان ١/ ٧٦٨، ٧٦٩.

(٢) فى الأصل : « فحسبوا » . انظر المنتظم ٤/ ٢٠٤.

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى الأصل : « المغرب » .

الفارسيَّ فدَعاهم إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، أو الجزية أو المقاتَلة، فأبَوْا إلَّا المقاتَلةَ والعِصيانَ، ونصَبوا المجانيقَ والدَّبّاباتِ، وأمَر سعدٌ بعملِ المَجانيقِ، فعُمِلت عشرون مَنْجَنيقًا، ونُصِبَت على بَهُرَسِيرَ، واشتدَّ الحصارُ، وكان أهلُ بَهُرَسِيرَ يَخْرُجون فيُقاتِلون قتالًا شديدًا، ويحلِفون أن لا يفِرُّوا[1] أبدًا، فأكذَبهم اللَّهُ، وهزَمهم زُهْرَةُ بنُ حَوِيَّةَ بعدَ ما أصابه سهمٌ، وقتَل بعدَ مُصابِه[2] به[3] كثيرًا مِن الفُرْسِ، وفرُّوا بينَ يدَيه، ولَجَئُوا إلى بلدِهم، فكانوا يُحاصَرون فيه أشدَّ[4] الحصارِ، وقد انحصَر أهلُ البلدِ حتى أكَلوا الكلابَ والسنانيرَ. وقد أشرَف رجلٌ منهم على المسلمين فقال: يقولُ لكم المِلِكُ: هل لكم إلى المصالحةِ، على أنَّ لَنا ما يلينا مِن دِجْلَةَ إلى (٥) جَبَلِنا، ولكم ما يليكم مِن دِجْلَةَ إلى (٥) جبلِكم، أما شبِعتم! لا أشبَع اللَّهُ بُطونَكم. قال[6]: فبدَر الناسَ رجلٌ، يُقالُ له: أبو مُفَزِّرٍ[7] الأسودُ بنُ قُطْبَةَ[8]. فأنطَقه اللَّهُ بكلامٍ لم يَدْرِ ما قال لهم، قال: فرجَع الرجلُ ورأيْناهم يقطَعون مِن بَهُرَسِيرَ إلى المدائنِ. فقال الناسُ لأبى مُفَزِّرٍ[9]: ما قلتَ لهم؟ فقال: والذى بعَث محمدًا بالحقِّ[10] ما أدرِى ما قلتُ لهم، إلَّا أنَّ علىَّ سكينةً، وأنا

---

(١) فى الأصل: «ينفرون».

(٢) فى الأصل: «اتصاله».

(٣) سقط من: م.

(٤) فى ص: «أتم».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل. انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٧.

(٦) يعنى: أنس بن الحليس. المصدر السابق.

(٧) فى الأصل: «مفرن». وفى م، ص: «مقرن» والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٧. وانظر الإكمال ٧/ ٢٨٣، والإصابة ١/ ١٩٧.

(٨) فى ص: «قطية».

(٩) فى النسخ: «مقرن».

(١٠) سقط من: الأصل.

أرجُو أن أكونَ قد أُنْطِقتُ بالذى هو خيرٌ. وجعَل الناسُ يَنْتابونه، يَسْألونه عن ذلك، وكان فى مَن سأله سعدُ بنُ أبى وقاصٍ، وجاءه سعدٌ إلى منزلِه فقال: يا أبا مُفَزِّرٍ[1] ما قلتَ؟ فواللَّهِ إنَّهم هُرّابٌ. فحلَف له أنَّه لا يَدْرِى ما قال.

فنادَى سعدٌ فى الناسِ [2]ونهَد بهم[2] إلى البلدِ، والمجانيقُ تضرِبُ فى البلدِ، فنادَى رجلٌ مِن البلدِ بالأمانِ فآمَنّاه[3]، فقال: واللَّهِ ما بالبلدِ أحدٌ. فتسوَّر الناسُ السورَ، فما وجَدْنا فيها[4] أحدًا إلَّا قد هرَبوا إلى المدائنِ. وذلك فى شهرِ صفرٍ مِن هذه السنةِ. [٥/١٠٤ظ] فسألْنا ذلك الرجلَ وأُناسًا مِن الأُسارَى فيها لأىِّ شىءٍ هرَبوا؟ قالوا: بعَث المِلِكُ إليكم يَعرِضُ عليكم الصلحَ، فأجابه ذلك الرجلُ بأنَّه لا يكونُ بينَكم وبينَهم[5] صلحٌ أبدًا، حتى نأكُلَ عسلَ أفرندينَ[6] بأُتْرُجٍّ[7] كُوثَى[8]. فقال المِلِكُ: ياويْلاه، إنَّ الملائكةَ لتتكلَّمُ على ألسنتِهم، تَرُدُّ علينا وتجيبُنا عن العربِ. ثم أمَر الناسَ بالرحيلِ مِن هناك إلى المدائنِ، فجازُوا فى السُّفُنِ منها إليها، وبينَهما دِجْلَةُ، وهى قريبةٌ منها جدًّا.

---

(١) فى الأصل: «مفرن». وفى م، ص: «مقرن».

(٢ - ٢) فى الأصل: «يهديهم».

(٣) الكلام على لسان أنس بن الحليس، كما أخرجه ابن جرير فى تاريخه ٤/ ٧.

(٤) فى ص: «بها».

(٥) فى م، ص: «بينه».

(٦) فى الأصل، ص: «أفريدين». وفى م: «أفريذين». وهى: موضع بين الرى ونيسابور. معجم البلدان ١/ ٣٢٤. وانظر المسالك والممالك ٢٢، ٥٢. وكتاب الخراج وصنعة الكتابة ٢٠٠.

(٧) الأترج: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبى اللون، ذكى الرائحة، حامض الماء.

(٨) كوثى: اسم لثلاثة مواضع بسواد العراق فى أرض بابل. معجم البلدان ٤/ ٣١٧.

ولمَّا دخَل المسلمون بَهُرَسِيرَ [1]فى الليلِ[1] ، لاح لهم القصرُ الأبيضُ مِن المدائنِ ، وهو قصرُ المِلكِ الذى ذكَره رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه سيفتَحُه اللَّهُ على أمتِه[2] ، وذلك قَرِيبُ الصباحِ ، فكان أولَ مَن رآه مِن المسلمين ضِرارُ بنُ الخطابِ ، فقال : اللَّهُ أكبرُ ، أبيضُ كِسرى ، هذا ما وعدَنا اللَّهُ ورسولُه . ونظَر الناسُ إليه فتابَعوا التكبيرَ إلى الصبحِ .

[*]ذكرُ فتحِ المدائنِ [3]التى هى مستقَرُّ مُلْكِ كِسْرَى[3]

لمَّا فتَح سعدٌ بَهُرَسِيرَ[4] واستقرَّ بها ، وذلك فى صفرٍ[5] ، لم يجِدْ فيها أحدًا ولا شيئًا [6]ممَّا يُغْنَمُ[6] ، بل قد تحوَّلوا بكمالِهم[7] إلى المدائنِ ، وركِبوا السفُنَ ، [8]وضمُّوا السفُنَ إليهم ، ولم يجدْ سعدٌ ، رضِى اللَّهُ عنه ، شيئًا مِن السفُنِ[8] ، وتعذَّر عليه تحصيلُ شىءٍ منها بالكليَّةِ ، وقد زادت دِجْلَةُ زيادةً عظيمةً ، واسودَّ ماؤُها ، ورمَت بالزَّبَدِ مِن كثرةِ الماءِ بها ، وأُخبِر سعدٌ ، بأنَّ كِسْرَى يَزْدَجِرْدَ عازمٌ

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢) تقدم فى ٩/١٤٣.

(*) من هنا يبدأ الجزء الثامن من نسخة أحمد الثالث ، ويرمز لها بالرمز ٨ا.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، م ، ا ٨: « نهرشير » .

(٥) فى الأصل ، م : « صفة » .

(٦ - ٦) فى ا ٨: « من الغنائم » .

(٧) فى ص : « بكيانهم » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

على أخذِ الأموالِ والأمتعةِ [1]مِن المدائنِ[1] إلى حُلْوانَ ، وأنَّك إن لم تُدركْه قبلَ[2] ثلاثٍ ، فات عليك وتفارَط الأمرُ ، فخطَب سعدٌ المسلمين على شاطئِ دِجْلَةَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنى عليه ، وقال[3] : إنَّ عدوَّكم قد اعتَصم منكم بهذا البحرِ ؛ فلا تَخلُصون إليه[4] معه ، وهم يخلُصون إليكم إذا شاءوا فيُناوِشُونكم فى سُفُنِهم ، وليس وراءَكم شيءٌ تخافون أن تؤتَوْا منه ، وقد رأيتُ أن تُبادِروا جهادَ العدوِّ بنيّاتِكم قبلَ أن تحصُرَكم[5] الدُّنيا ، ألَا إنِّى قد عزَمتُ على قطعِ هذا البحرِ إليهم . فقالوا جميعًا : عزَم اللَّهُ لنا ولك على الرُّشْدِ ، فافعَلْ . فعندَ[6] ذلك ندَب سعدٌ الناسَ إلى العبورِ ، ويقولُ : مَن يبدأُ فيحمِىَ لنا الفِراضَ[7] - يعنِى ثُغْرةَ[6] المَخاضَةِ[8] مِن الناحيةِ الأُخرى - ليجوزَ الناسُ إليهم آمنينَ . فانتَدَب عاصمُ بنُ عمرٍو وذَوو البأسِ مِن الناسِ ، قريبٌ مِن ستِّمائةٍ ، فأمَّر سعدٌ عليهم عاصمَ بنَ عمرٍو ، فوقَفوا على حافَّةِ دِجلةَ ، فقال عاصمٌ : مَن ينتدِبُ معى لِنكونَ قبلَ الناسِ دخولًا فى هذا البحرِ ، فنحمِىَ الفِراضَ مِن الجانبِ الآخَرِ ؟ فانتَدَب له ستُّون مِن الشُّجعانِ المذكورين ؛ والأعاجمُ وقوفٌ صفوفًا مِن الجانبِ الآخَرِ ، فتقدَّم رجلٌ مِن المسلمين وقد أحجَم الناسُ عن الخوضِ فى دِجْلةَ ، فقال : أتَخافون مِن هذه

(١ - ١) فى ا ٨: « وهو يريد أن يهرب » .

(٢) فى الأصل : « بعد » . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٠. والكامل لابن الأثير ٢/ ٥١١.

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٩.

(٤) فى الأصل ، م ص : « إليهم » .

(٥) فى الأصل ، ص : « تحصدكم » . وفى ا ٨: « تحضركم » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) الفِراض : فوهة النهر .

(٨) المخاضة : ما جاز الناسُ فيه مُشاةً ورُكبانًا . والمخَاضة أيضا : بقاع كانت لقوم من جهينة . معجم ما استعجم ١/ ١٥٥ وجهينة : قرية كبيرة من نواحى الموصل على دجلة . معجم البلدان ٢/ ١٩٨.

النُّطْفَةِ[1] ؟ ثم تلا قولَه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران ١٤٥] . ثم أقحَم فرسَه فيها واقتَحم الناسُ ، وقد افترق الستون فِرْقَتَين ؛ أصحابُ الخيلِ الذكورِ ، وأصحابُ الخيلِ الإناثِ ، فلمّا رآهم الفرسُ يَطْفُون على وجهِ الماءِ قالوا : [2]دِيوانا دِيوانا[2] . يقولون : مجانينُ مجانينُ[3] . ثم قالوا : واللَّهِ ما تقاتلون إنسًا بل تقاتلون جنًّا . ثم أرسَلوا فرسانًا منهم فى الماءِ يلتقُون أولَ المسلمين ليمنَعوهم مِن الخروجِ مِن الماءِ ، فأمَر عاصمُ بنُ عمرٍو أصحابَه أن يشرَعوا لهم الرِّماحَ ويتوخَّوُا [٥/١٠٥و] الأعينَ ، ففعلوا ذلك بالفُرْسِ فقلَعوا عيونَ خيولِهم ، فرجَعوا أمامَ المسلمين لا يملِكون كفَّ خيولِهم حتى خرَجوا[4] مِن الماءِ ، واتَّبعهم عاصمٌ وأصحابُه فساقُوا وراءَهم حتى طردُوهم عن الجانبِ الآخرِ ، [5]ووَقَفُوا على حافَّةِ الدِّجْلَةِ مِن الجانبِ الآخَرِ[5] ، ونزَل بقيةُ أصحابِ عاصمٍ [6]مِن السِّمائةِ[6] فى دِجْلَةَ ، فخاضُوها[7] ، حتى وصَلوا إلى أصحابِهم مِن الجانبِ الآخَرِ ، فقاتَلوا مع أصحابِهم حتى نفَوُا الفُرْسَ عن ذلك الجانبِ . وكانوا يسمُّون الكتيبةَ الأُولَى كتيبةَ الأهوالِ ، وأميرُها عاصمُ بنُ عمرٍو ، والكتيبةَ الثانيةَ الكتيبةَ الخرساءَ[8] ، وأميرُها القَعْقاعُ بنُ عمرٍو . وهذا كُلُّه وسعدٌ

---

(١) النطفة : ماء البحر . النهاية ٥/ ٧٥.

(٢ - ٢) فى ص : « ديوان ديوان » . وفى الطبرى ٤/١٤ : « ديوان آمذ ديوان آمذ » . انظر المعجم الذهبى .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ا ٨: « خرج المسلمون » .

(٥ - ٥) فى ا ٨: « ووقف المسلمون مكانهم » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى الأصل، ص : « الحرشا » . وفى ا ٨: « الخرشا » . انظر : تاريخ الطبرى ٤/ ١١. والكامل لابن الأثير ٢/ ٥١٣.

والمسلمون ينظُرون إلى ما يصنعُ هؤلاءِ الفرسانُ بالفُرْسِ، وسعدٌ واقفٌ على شاطئِ[1] دِجْلةَ. ثم نزَل سعدٌ ببقيةِ الجيشِ، وذلك حينَ نظَروا[2] إلى الجانبِ الآخَرِ وقد تحصَّن بمَن حصَل فيه مِن الفرسانِ المسلمين، وقد أمَر سعدٌ المسلمين عندَ دخولِ الماءِ أن يقولوا[3]: نستعِينُ باللَّهِ، ونتوكَّلُ عليه، حسبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العليِّ العظيمِ. ثم اقتَحم بفرسِه دِجْلَةَ، واقتَحم الناسُ لم يتخلَّفْ عنه أحدٌ، فساروا فيها كأنَّما يسِيرون على وجهِ الأرضِ، حتى ملئُوا ما بينَ الجانِبَيْن، فلا يُرَى وجهُ الماءِ مِن الفُرْسانِ والرَّجّالةِ، وجعَل الناسُ يتحدَّثون على وجهِ الماءِ كما يتحدَّثون على وجهِ الأرضِ؛ وذلك لِما حصَل لهم مِن الطُّمأْنينةِ والأمنِ، والوثوقِ بأمرِ اللَّهِ ووعدِه ونصرِه، وتأْييدِه، ولأنَّ أميرَهم سعدَ ابنَ أبى وقاصٍ أحدُ العشَرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ، وقد تُوُفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو عنه راضٍ، ودَعا له، فقال: «اللهمَّ أجِبْ دعْوتَه، وسدِّدْ رَمْيتَه»[4].

والمقطوعُ به أنَّ سعدًا دعا لجيشِه هذا فى هذا اليومِ بالسلامةِ والنصرِ، وقد رمَى بهم فى هذا اليمِّ، فسدَّدهم اللَّهُ وسلَّمهم، فلم يُفْقَدْ مِن المسلمين رجلٌ واحدٌ، غيرَ أنَّ رجلًا واحدًا يقالُ له: [5]غَرْقَدَةُ البارِقىُّ[5]، ذلَّ عن فرسٍ له شقْراءَ، فأخَذ القَعْقاعُ بنُ عمرٍو بلِجامِها، وأخَذ بيدِ الرجلِ حتى عدَله على فرسِه، وكان مِن الشُّجعانِ، فقال: عجَز النساءُ أن يلِدْنَ مثلَ القَعْقاعِ بنِ عمرٍو. ولم يُعْدَمْ

---

(١) فى الأصل: «شفير».

(٢) فى ص: «نظر».

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٠.

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٧٦.

(٥ - ٥) فى الأصل: «عروة الباهلى». وفى ا ٨١: «عروة البارقى». انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٢.

للمسلمين شيءٌ مِن أمتعتِهم غيرُ قَدَحٍ مِن خشبٍ لرجلٍ يقالُ له : مالكُ بنُ عامرٍ . كانت عِلاقتُه رَثَّةً ، فأخذَه الموجُ ، فدعا صاحبُه اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، وقال : اللهمَّ لا تجعَلْنى مِن بينِهم يذهبُ متاعى . فردَّه الموجُ إلى الجانبِ الذى يَقصِدونه ، فأخَذه الناسُ ثم ردُّوه على صاحبِه بعينِه . وكان الفَرَسُ إذا أعْيا وهو فى الماءِ ، يُقيِّضُ اللَّهُ له مثلَ النَّشْزِ المرتفعِ ، فيقِفُ عليه فيستريحُ ، وحتى إنَّ بعضَ الخيلِ لَيسيرُ وما يصِلُ الماءُ إلى حِزامِها ، وكان يومًا عَظيمًا ، وأمرًا هائلًا ، وخطبًا جليلًا ، وخارقًا باهرًا ، ومعجِزةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، خلَقها اللَّهُ لأصحابِه ، لم يُرَ مثلُها فى تلك البلادِ ، ولا فى بُقعةٍ مِن البِقاعِ ، سوَى قضيةِ العلاءِ بنِ الحَضْرَمِىِّ المتقدِّمةِ[1] ، بل هذا أجلُّ وأعظمُ ؛ فإنَّ هذا الجيشَ كان أضعافَ ذلك . قالوا[2] : وكان الذى يسايرُ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ فى الماءِ سلمانُ الفارسىُّ . [٥/١٠٥ظ] فجعَل سعدٌ يقولُ : حسبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ ، واللَّهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ وليَّه ، وليُظهِرنَّ اللَّهُ دينَه ، وليَهزِمَنَّ اللَّهُ عدوَّه ، إن لم يكنْ فى الجيشِ بغىٌ أو ذنوبٌ تغلِبُ الحسناتِ . فقال له سلمانُ : إنَّ الإسلامَ جديدٌ ، ذُلِّلَت لهم واللَّهِ البحورُ ، كما ذُلِّل لهم البرُّ ، أمَا والذى نفسُ سلمانَ بيدِه ليخرُجُنَّ منه أفواجًا كما دخَلوا أفواجًا . فخرَجوا منه كما قال سلمانُ ، لم يَغْرَقْ منهم أحدٌ ، ولم يفقِدوا شيئًا .

ولمَّا استقلَّ المسلمون على وجهِ الأرضِ ، خرَجتِ الخيولُ تَنْفُضُ أعرافَها صاهلةً ، فساقُوا وراءَ الأعاجمِ حتى دخَلوا المدائنَ ، فلم يجِدوا بها أحدًا ، بل قد أخَذ كِسْرَى أهلَه وما قدَروا عليه مِن الأموالِ والأمتعةِ والحواصلِ[3] ، وترَكوا ما

---

(١) انظر ما تقدم فى ٩/ ٥٢.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١١. والكامل لابن الأثير ٢/ ٥١٢.

(٣) الحاصل : ما بقى من كل شىء وثبت ، والحواصل : البقايا .

عَجزوا عنه مِن الأنعامِ ، والثيابِ ، والمتاعِ ، والآنيةِ ، والألطافِ ، والأدهانِ ، ما لا يُدْرَى قيمتُه . وكان فى خِزانةِ كِسْرَى ثلاثةُ آلافِ ألفِ ألفِ ألفِ دينارٍ[1] ، ثلاثَ مراتٍ ، فأخَذوا مِن ذلك ما قدَروا عليه ، وترَكوا ما عجَزوا عنه ، وهو مِقدارُ النصفِ مِن ذلك أو ما يُقارِبُه .

فكان أولَ مَن دخَل المدائنَ كتيبةُ الأهوالِ ، ثم الكتيبةُ الخرساءُ[2] ، فأخَذوا فى سِكَكِها لا يلقَوْن أحدًا ولا يخشَوْنه ، غيرَ القصرِ الأبيضِ ، ففيه مُقاتِلةٌ ، وهو مُحصَّنٌ . فلما جاء سعدٌ بالجيشِ[3] ، دعا أهلَ القصرِ الأبيضِ ثلاثةَ أيامٍ ، على لسانِ سلمانَ الفارسيِّ ، فلمّا كان اليومُ الثالثُ نزَلوا منه ، وسكَنه سعدٌ واتخَذ الإيوانَ مصلًّى ، وحينَ دخَله تلا قولَه تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان ٢٥- ٢٨] . ثم تقدَّم إلى صدرِه فصلَّى ثمانِ ركَعاتٍ صلاةَ الفتحِ[4] ، وذكَر سيفٌ[5] فى روايتِه أنَّه صلَّاها بتسليمةٍ واحدةٍ ، وأنَّه جمَّع بالإيوانِ ، فى صفرٍ مِن هذه السنةِ ، فكانت أولَ جُمُعةٍ جُمِّعَت بالعراقِ ؛ وذلك لأنَّ سعدًا نوَى الإقامةَ بها ، وبَعَث إلى العِيالاتِ فأنزَلهم دورَ المدائنِ واستوطَنوها ، حتى فتحوا[6] جَلُولاءَ وتَكْرِيتَ والمَوْصِلَ ، ثم تحوَّلوا إلى الكوفةِ [7]بعدَ ذلك ، كما سنذكرُه[7] .

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢/ ٥١٣. وفى تاريخ الطبرى ٤/ ١١: « ثلاثة آلاف ألف ألف » .

(٢) فى الأصل : « الحرشا » . وفى ص : « الجرشاء » . وفى ا ٨: « الخرشا » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٦. والكامل لابن الأثير ٢/ ٥١٤.

(٤) تقدم الحديث عنها فى ٦/ ٥٦٦.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ١٦.

(٦) فى ا ٨، ص : « فتح » .

(٧ - ٧) فى ا ٨: « وقد كانت المدائن محل مملكة الأكاسرة مدينة عظيمة متسعة الأكناف كثيرة =

ثم أرسَل السرايا فى إثْرِ كِسْرَى يَزْدَجِرْدَ ، فلحِق بهم طائفةٌ فقتَلوهم وشرَّدوهم ، واستلَبُوا منهم أموالًا عظيمةً ، أكثرُها[1] مِن ملابسِ كِسْرَى وتاجِه وحُلِيِّه . وشرَع سعدٌ فى تحصيلِ ما هنالك مِن الأموالِ والحواصلِ والتُّحفِ ، ممّا لا يُقَوَّمُ ولا يُحَدُّ ولا يوصفُ ؛ كثرةً وعظمةً .

وقد رُوِّينا[2] أنَّه كان هناك تماثِيلُ مِن جِصٍّ ، فنظَر سعدٌ إلى أحدِها وإذا هو يُشِيرُ بأُصْبَعِه إلى مكانٍ ، فقال سعدٌ : إنَّ هذا لم يوضعْ هكذا سُدًى . فأخذوا ما يُسامِتُ أُصْبُعَه ، فوجَدوا قُبالَتَها[3] كنزًا عظيمًا مِن كنوزِ الأكاسرةِ الأوائلِ ، فأخرَجوا منه أموالًا عظيمةً جزيلةً ،وحواصلَ باهرةً ، وتحفًا فاخرةً . واستحوَذ المسلمون على ما هُنالِك أجمعَ ، ممّا لم يَرَ أحدٌ فى الدنيا أعجبَ منه . وكان فى جُملةِ ذلك تاجُ كِسْرَى وهو مكلَّلٌ بالجواهرِ النفيسةِ التى تُحَيِّرُ الأبصارَ ، ومِنْطَقَتُه كذلك ، وسيفُه وسِوارَاه[4] [٥/١٠٦و] وقَباؤُه ، وبِساطُ إيوانِه ، [5]وكان[5] مربَّعًا ، ستون ذراعًا فى مثلِها ، مِن كلِّ جانبٍ ، والبساطُ مثلُه سواءً ، وهو منسوجٌ بالذهبِ واللآلئِ والجواهرِ الثمينةِ ، وفيه مصوَّرٌ جميعِ ممالكِ كِسْرَى ؛ بلادُه بأنهارِها وقلاعِها وأقاليمِها [6]وكُوَرِها[6] ، وصفةِ الزروعِ والأشجارِ التى فى بلادِه . فكان إذا جلَس على كرسيِّ مملكتِه ، ودخَل تحتَ تاجِه ، وتاجُه معلقٌ بسلاسلِ

= القصور كثيرة الناس لم يكن لها نظير فى حسنها وكثرة أهلها وكثرة خيرها وأموالها » .

(١) فى الأصل ، م ، ص : « وأكثر ما استرجعوا » .

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ٢٠٣. وابن الجوزى فى المنتظم ٤/ ٢١١. والخبر عندهما عن السائب بن الأقرع وليس سعد بن أبى وقاص .

(٣) القبالة من الطريق : ما استقبلك منه . ويقال : جلس فلان قبالة فلان : تجاهه .

(٤) فى م ، ص : « سواره » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٨. وفى الأصل ، م : « وكنوزها » .

الذهبِ ؛ لأنَّه كان لا يستطيعُ أن يُقِلَّه [1]على رأسِه[1] لثِقَلِه ، بل كان يجيءُ فيجلِسُ تحتَه ، ثم يُدخِلُ رأسَه تحتَ التاجِ ، والسلاسلُ الذهبُ تحمِلُه عنه ، وهو يستُرُه[2] حالَ لُبْسِه ، فإذا رُفِع الحجابُ عنه ، خَرَّت له الأُمراءُ سجودًا ، وعليه المِنْطَقَةُ والسِّواران والسيفُ والقَباءُ المُرصَّعُ بالجواهرِ ، فينظُرُ فى البُلدانِ واحِدَةً واحِدَةً ، فيسألُ عنها ، ومَن فيها مِن النوابِ ، وهل حدَث فيها شىءٌ مِن الأحداثِ ؟ فيُخبِرُه بذلك وُلَاةُ الأُمورِ بينَ يدَيه ، ثم ينتقِلُ إلى الأُخْرى ، وهكذا حتى يسألَ عن أحوالِ[3] بلادِه فى كلِّ وقتٍ ، لا يُهْمِلُ أمرَ المملكةِ ، وقد وضعَوا هذا البِساطَ بينَ يدَيه ، تِذْكارًا له بشأْنِ الممالكِ ، وهو اصطِلاحٌ[4] جيِّدٌ منهم فى أمرِ السياسةِ . فلمّا جاء قدَرُ اللَّهِ ، زالت تلك الأيدى عن تلك الممالكِ [5]والأراضى[5] ، وتسلَّمها المسلمون مِن أيديهم قسْرًا ، وكسَروا شوكتَهم عنها ، وأخَذوها بأمرِ اللَّهِ صافيةً[6] ضافيةً ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقد جعَل سعدُ بنُ أبى وقاصٍ على الأقْباضِ عمرَو بنَ عمرِو بنِ مُقَرِّنٍ[7] ، فكان أولُ ما حصَّل ما كان فى القصرِ الأبيضِ ، ومنازلِ كِسْرَى ، وسائرِ دُورِ المدائنِ ، وما كان بالإيوانِ ممّا ذكَرْنا ، وما يَفِدُ مِن السرايا الذين فى صُحبةِ زُهْرَةَ ابنِ حَوِيَّةَ ، وكان فيما ردَّ زُهْرَةُ بغلٌ[8] كان قد أدركه وغصَبه مِن الفُرْسِ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٨.

(٢) فى الأصل : « يسير » . وفى ا ٨: « يشير » . وفى ص « يستر » .

(٣) بعده فى ص : « أهل » .

(٤) فى م : « إصلاح » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٦.

(٨) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٧.

وكانت تحوطُه بالسيوفِ، فاستنقذَه منهم، وقال: إنَّ لهذا لشأْنًا. فردَّه إلى الأقباضِ، وإذا عليه سَفَطان[1] فيهما ثيابُ كِسْرَى وحُلِيُّه، ولُبسُه الذى كان يلبَسُه على السَّريرِ كما ذكَرْنا، وبغلٌ آخرُ عليه تاجُه الذى ذكَرْنا فى سَفَطَين أيضًا، رُدًّا مِن الطريقِ ممّا استلَبه أصحابُ السرايا.

وكان فيما ردَّتِ السرايا أموالٌ عظيمةٌ وفيها أكثرُ أثاثِ كِسْرَى، وأمتِعتُه والأشياءُ النفيسةُ التى استَصْحَبُوها معهم، فلحِقهم المسلمون فاستلَبوها منهم. ولم تقدِرِ الفُرْسُ على حملِ البِساطِ لثِقَلِه عليهم، ولا حملِ الأموالِ لكثرتِها؛ فإنَّه كان المسلمون يجِيئُون بعضَ تلكَ الدورِ فيجِدُون البيتَ مَلْآنًا إلى أعْلاه مِن أوانِى الذهبِ والفضةِ، ويجِدُون مِن الكافورِ شيئًا كثيرًا، فيَحْسَبُونه مِلْحًا، ورُبَّما استعْمَله بعضُهم فى العجينِ فوجَدوه مرًّا، حتى تبيَّنُوا أمرَه.

فتَحَصَّلَ الفىءُ على أمرٍ عظيمٍ مِن الأموالِ، وشرَع سعدٌ فخمَّسه، وأمَر [2]سلمانَ بنَ ربيعةَ الباهلىَّ[2] فقسَم الأربعةَ الأخماسَ بينَ الغانِمِين، فحصَلَ لكلِّ واحدٍ مِن الفرسانِ اثنا عشَرَ ألفًا، وكانوا كلُّهم فرسانًا، ومع بعضِهم جنائبُ. واستوْهَب سعدٌ[3] أربعةَ أخماسِ البِساطِ ولُبْسَ كِسْرَى مِن المسلمين؛ ليبعَثَه إلى عمرَ والمسلمين بالمدينةِ لينظُروا إليه، ويتعجَّبُوا منه، فطيَّبوا له ذلك وأذِنوا فيه، فبعَثه سعدٌ إلى عمرَ مع الخُمُسِ مع [٥/١٠٦ظ] بَشِيرِ بنِ[4] الخَصَاصِيَةِ، وكان

---

(١) السفط؛ محركة: كالجوالق أو كالقفة، والجمع أسفاط.

(٢ - ٢) فى الأصل، م، ص: «سلمان الفارسى». وفى ا٨: «سلمان». والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٢٠، والكامل لابن الأثير ٢/ ٥١٥.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٠ - ٢٢. والكامل لابن الأثير ٢/ ٥١٧ - ٥١٩. والمنتظم ٤/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) سقط من: الأصل.

الذى بشَّر بالفتحِ قبلَه حُليْسُ[1] بنُ فلانٍ[2] الأسَدِىُّ ، فرُوِّينا أنَّ عمرَ لمّا نظَر إلى ذلك قال : إنَّ قومًا أدَّوْا هذا لأُمناءُ . فقال له علىُّ بنُ أبى طالبٍ : إنَّك عفَفتَ فعفَّت رعيَّتُك ، ولو رتَعْتَ لرَتَعَتْ . ثم قسَم عمرُ ذلك فى المسلمين ، فأصاب عليًّا قطعةٌ مِن البِساطِ فباعَها بعشرين ألفًا .

وقد ذكَر سيفُ[*] بنُ عمرَ[3] ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ألْبَس ثيابَ كِسْرَى لخشبةٍ ، ونصَبها أمامَه ، ليُرِىَ الناسَ ما فى هذه الزينةِ مِن العَجَبِ ، وما عليها مِن زَهْرَةِ الحياةِ الدنيا الفانيةِ .

وقد رُوِّينا أنَّ عمرَ ألبَسَ ثِيابَ كِسْرَى لسُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، أميرِ بنى مُدْلِجٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ فى « دلائلِ النُّبوَّةِ »[4] : أخبَرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ الأصْبهانىُّ ، ثنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابىِّ ، قال : وجَدْتُ فى كتابى بخَطِّ يدِى عن أبى داودَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ ، حدَّثَنا حَمّادٌ ، ثنا يُونُسُ ، عن الحسنِ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ أُتِىَ بفَرْوَةِ كِسْرَى فوُضِعَتْ بينَ يَدَيه وفى القومِ سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، قال : فألقَى إليه سِوارَىْ كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ ، فجعَلهما فى يَدَيْه ، فبلَغا مَنْكِبَيْه ، فلمّا رآهما فى يَدَىْ سُراقَةَ قال : الحمدُ للَّهِ ، سِوارَىْ كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ فى يَدَىْ سُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، أعرابىٌّ مِن بنى مُدْلِجٍ . وذكَر الحديثَ . هكذا ساقَه البَيْهَقِىُّ . ثم حكَى عن الشافعىِّ[5] أنَّه قال :

---

(١) فى الأصل : « حلبس » . وفى ص : « حالبس » . وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٢٢ : « خنيس » .
(٢) فى ص : « فلانة » .
(*) نهاية الخرم فى ١٥١.
(٣) أخرجه الطبرى ، فى : تاريخه ٤/ ٢٢، ٢٣.
(٤) دلائل النبوة ٦/ ٣٢٥.
(٥) دلائل النبوة ، الموضع السابق .

وإنَّما ألبَسهما سراقةَ ؛ لأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لسُراقةَ ونظَر إلى ذِراعَيْه : « كأنِّى بك وقد لبِستَ سِوارَىْ كِسْرَى »[1] . [2]قال الشافعىُّ[3] : وقد قال عمرُ لسُراقةَ حينَ ألبَسَه سِوارَىْ كِسْرَى[2] : قل : اللَّهُ أكبرُ . فقال : اللَّهُ أكبرُ . ثم قال : قل : الحمدُ للَّهِ الذى سلَبهما[4] كِسْرَى بنَ هُرْمُزَ وألبسَهما سُراقةَ بنَ مالكٍ ، أعرابيًّا[5] مِن بنى مُدْلِجٍ .

وقال الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ : أخبرَنا أسامةُ بنُ زيدٍ الليثىُّ ، ثنا القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، قال : بعَث سعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، أيامَ القادسيةِ ، إلى عمرَ بقَباءِ كِسْرَى وسيفِه ومِنْطَقَتِه [6]وسِوارَيْه[6] وسَراويلِه وقميصِه وتاجِه وخُفَّيْه ، قال : فنظَر عمرُ فى وجوهِ القومِ ، فكان أجْسَمَهم[7] وأبْدَنَهم[8] قامةً سُرَاقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، فقال : يا سُرَاقُ قُمْ فالْبَسْ . قال سُراقَةُ : فطمِعْتُ فيه فقُمْتُ فلبِسْتُ . فقال : أدْبِرْ . فأدْبَرْتُ ، ثم قال : أقْبِلْ . فأقبَلْتُ ، ثم قال : بَخٍ بَخٍ ، أُعَيْرابِىٌّ مِن بنى مُدْلِجٍ عليه قَباءُ كِسْرَى وسَراويلُه وسيفُه ومِنْطَقَتُه وتاجُه وخُفّاه ، رُبَّ يومٍ يا سُرَاقُ بنَ مالكٍ ، لو كان عليك فيه هذا مِن متاعِ كِسْرَى وآلِ كِسْرَى ، كان شرفًا لك ولقومِك ، انْزِعْ . فنَزَعْتُ ، فقال : اللهمَّ إنَّك مَنَعْتَ هذا رسولَك ونبيَّك ، وكان أحَبَّ إليك منِّى ، وأكْرَمَ عليك منِّى ، ومنَعْتَه أبا بكرٍ ، وكان أحبَّ إليك منِّى ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٤٤.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٣٢٦.

(٤) فى الأصل : « لبسهما ».

(٥) فى الأصل ، ا ٨: « أعيرابى ». وفى ا ١٥١ ، ص ، م : « أعرابى » ، والمثبت من مصدر التخريج.

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥، ا ٨، ص.

(٧) فى ا ١٥: « أحسنهم ».

(٨) فى الأصل : « أبدانهم ». وفى ا ١٥، ص : « أمدهم ».

وأكْرَمَ عليك منِّى ، وأعْطَيْتَنِيه ، فأعُوذُ بك أن تكونَ أعْطَيْتَنِيه لتمكُرَ بى . ثم بَكى حتى رحِمه مَن كان عندَه . ثم قال لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : أقْسَمْتُ عليك لَما بِعْتَه ثم قَسَمْتَه قبلَ أن تُمْسِيَ .

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ التَّميمِيُّ[1] أنَّ عمرَ حينَ ملَك تلك الملابِسَ والجواهرَ ، جيءَ[2] بسيفِ كِسْرَى ومعه عِدَّةُ سُيُوفٍ ؛ منها سيفُ النُّعْمانِ بنِ المنذِرِ نائبِ كِسْرَى على الحيرَةِ ، وأنَّ عمرَ قال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَل سيفَ كِسْرَى فيما يَضُرُّه ولا يَنْفَعُه . [٥/١٠٧و] ثم قال : إنَّ قومًا أدَّوْا هذا[3] لذوو[4] أمانةٍ . ثم قال : إنَّ كِسْرَى لم يَزِدْ على أن تشاغَلَ بما أُوتِيَ عن آخِرَتِه ، فجمَع لزوجِ امرأتِه ، أو زوجِ ابنتِه ، ولم يُقَدِّمْ لنفسِه ، ولو قدَّم لنفسِه ووضَع الفُضُولَ مواضعَها لحصَل له .

وقد قال بعضُ المسلمين ، وهو أبو بُجَيْدٍ[5] نافعُ بنُ الأسودِ ، فى ذلك[6] :

وأمَلْنا على المدائنِ[7] خَيْلًا ... بحرُها مثلُ بَرِّهِنَّ أَرِيضا[8]
فانتثَلْنا[9] خزائنَ المرءِ كِسْرَى ... يومَ وَلَّوْا وحاصَ[10] منّا[11] جَرِيضَا[12]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٢، ٢٣.
(٢) فى الأصل : « مع ذلك » .
(٣) بعده فى م ، ص : « لأمناء أو » .
(٤) فى الأصل ، ا ١٥، م ، ص : « لذوا » .
(٥) فى ا ١٥: « نحيد » . وفى م : « نجيد » . وفى ص : « عيد » . وهى ساقطة من ٨١. والتصويب والبيتان فى تاريخ الطبرى ٤/ ١٠، والكامل ٢/ ٥١٤. وانظر الإكمال ١/ ١٨٧. وتبصير المنتبه ١/ ٦٤.
(٦) عند الطبرى ، ورواية فى الكامل : « أسلنا » .
(٧) فى الأصل : « الخزائن » .
(٨) أريضا : مُعجِبة للعين .
(٩) فى م : « فانتشلنا » . وانتثل : استخرج وأخذ .
(١٠) فى ا ١٥، والكامل : « خاص » . وحاص : حاد يحاول الفرار والهرب .
(١١) فى الكامل : « منها » .
(١٢) جريضا : يكاد يَقْضى .

وَقْعَـةُ جَلُـولاءَ

لمّا سار كِسْرَى وهو يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْرِيارَ[1] مِن المدائنِ هاربًا إلى حُلْوانَ ، شرَع فى أثناءِ الطريقِ فى جمعِ رجالٍ وأعوانٍ وجنودٍ ، مِن البُلدانِ التى هناك ، فاجْتَمَع إليه خلقٌ كثيرٌ ، وجمٌّ غفيرٌ مِن الفُرْسِ ، وأمّر على الجميعِ مِهْرانَ ، وسار كِسْرَى إلى حُلْوانَ ، وأقام الجمعُ[2] الذى جمَعه بينَه وبينَ المسلمين فى جَلُولاءَ ، واحتَفَروا خندقًا عظيمًا حولَها ، وأقاموا بها فى العَدَدِ والعُدَدِ[3] وآلاتِ الحصارِ ، فكتَب سعدٌ[4] إلى عمرَ يُخْبِرُه بذلك ، فكتَب إليه عمرُ ، أن يقيمَ هو بالمدائنِ ، ويبعَثَ ابنَ أخيه هاشمَ [5] بنَ عُتْبَةَ أميرًا على الجيشِ الذى يبعَثُه إلى كِسْرَى ، ويكونَ على المقدِّمةِ القَعْقاعُ[5] بنُ عمرٍو ، [6] وعلى المَيْمنةِ سِعْرُ[7] بنُ مالكٍ ، وعلى المَيْسرَةِ أخوه عمرُ بنُ مالكٍ[6] ، وعلى السّاقةِ عمرُو بنُ مُرَّةَ الجُهَنِىُّ . ففعَل سعدٌ ذلك ، وبعَث مع ابنِ أخيه جيشًا كثيفًا يقارِبُ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا ، مِن ساداتِ المسلمين ووُجُوهِ المهاجِرين والأنصارِ ، ورُءوسِ العربِ . وذلك فى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ ، بعدَ فراغِهم مِن أمرِ المدائنِ ، فساروا حتى انتهَوْا إلى المجوسِ وهم بجَلُولَاءَ قد خَنْدَقُوا عليهم ، فحاصَرَهم هاشمُ بنُ عُتْبَةَ ، وكانوا يَخْرُجون مِن بلدِهم للقتالِ فى كلِّ

---

(١) فى ا ١٥: «شهرباز» . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥.

(٢) فى ا ١٥، ا ٨، ص: «الجيش».

(٣) فى الأصل: «العديد». وفى ص: «العدة».

(٤) انظر هذا الخبر فى تاريخ الطبرى ٤/ ٢٤.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦ - ٦) سقط من ا ١٥، ا ٨، ص.

(٧) فى الأصل، م: «سعد». والمثبت موافق لما فى الطبرى. انظر الإكمال ٤/ ٢٩٨، ٢٩٩.

وَقْتٍ ، فيُقاتِلون قتالًا لم يُسْمَعْ بمثلِه . وجعَل كِسْرَى يَبْعَثُ إليهم الأمدادَ ، وكذلك سعدٌ يَبْعَثُ المددَ إلى ابنِ أخيه ، مَرَّةً بعدَ أُخْرى . وحمِى القتالُ ، واشتَدَّ النِّزالُ ، واضْطَرَمَتْ نارُ الحربِ ، وقام فى الناسِ هاشمٌ فخطَبَهم غيرَ مَرَّةٍ ، فحَرَّضَهم على القتالِ ، والتوكُّلِ على اللَّهِ . وقد تعاقَدَتِ الفُرْسُ وتعاهَدَت ، وحلَفوا بالنارِ أن لا يَفِرُّوا أبدًا حتى يُفْنُوا العربَ . فلمّا كان الموقِفُ الأخيرُ ، وهو يومُ الفَيْصَلِ والفُرْقانِ ، تواقَفُوا مِن أولِ النهارِ ، فاقْتَتَلوا قتالًا شدِيدًا لم يُعْهَدْ مثلُه ، حتى فَنِىَ النُّشَّابُ مِن الطَّرَفَين ، وتَقَصَّفَتِ الرِّماحُ مِن هؤلاءِ وهؤلاءِ ، وصاروا إلى السُّيوفِ والطَّبَرْزِيناتِ[1] ، وحانت صلاةُ الظهرِ فصلَّى المسلمون إيماءً ، وذهَبت فرقةُ المجوسِ وجاءَتْ مكانَها أُخْرَى ، فقام القَعْقاعُ بنُ عمرٍو فى المسلمين فقال : أهَالَكم ما رَأيْتم أيُّها المسلمون ؟ قالوا : نعم ، إنّا كالُّون وهم مُريحُون[2] . فقال : بل إنّا حامِلُون عليهم ، ومُجِدُّون فى طَلَبِهم حتى يحكُمَ اللَّهُ بينَنا ، فاحمِلوا عليهم حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ حتى نُخالِطَهم[3] . فحمَل وحمَل الناسُ ، فأمّا القَعْقاعُ فإنَّه صَمَّم الحَملةَ فى جماعةٍ مِن الفُرْسانِ والأبطالِ والشُّجْعانِ ، حتى انْتَهَى إلى بابِ الخَنْدَقِ ، وأقبلَ الليلُ بظَلامِه ، وجالت بقيَّةُ [٤/١٠٧ظ] الأبطالِ بمَن معهم فى الناسِ ، وجعَلوا يَأْخُذون فى التحاجُزِ مِن أجلِ إقبالِ الليلِ ، وفى الأبطالِ يومَئِذٍ طُلَيْحَةُ الأسَدِىُّ ، و[4]عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ[5] ، وقَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ ، وحُجْرُ بنُ عَدِىٍّ ، ولم يَعْلَموا بما صنَعه القَعْقاعُ فى ظُلمةِ الليلِ ، ولم

---

(١) فى م ، ص : « الطبرزنيات » . والطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس . الألفاظ الفارسية المعربة ١١١ .
(٢) فى الأصل ، ا ١٥ : « يريحون » . وفى ا ٨ : « مستريحون » . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٧ .
(٣) فى الأصل ، ص : « يخالطهم » . وفى ا ١٥ : « نحتاطهم » .
(٤) بعده فى الأصل : « عمر بن » .
(٥) بعده فى ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « الزبيدى » .

يَشْعُروا بذلك ، لولا مُنادِيه يُنادِى : أين أيُّها المسلمون[1] ! هذا أميرُكم على بابِ خَنْدَقِهم . فلمّا سمِع ذلك المجوسُ فرُّوا ، وحمَل المسلمون نحوَ القَعْقاعِ ابنِ عمرٍو ، فإذا هو على بابِ الخندقِ قد ملَكه عليهم ، وهرَبتِ الفُرْسُ كلَّ مَهْرَبٍ ، وأخَذهم المسلمون مِن كلِّ وجهٍ ، وقعَدوا لهم كلَّ مَرْصَدٍ ، فقُتِل منهم فى ذلك الموقفِ مائةُ ألفٍ ، حتى جَلَّلوا وجهَ الأرضِ بالقَتْلى ، [2]فلذلك سُمِّيَتْ جَلُولاءَ[2] . وغنِموا مِن الأموالِ والسلاحِ والذهبِ والفضةِ قريبًا ممّا غنِموا مِن المدائنِ قبلَها .

وبعَث هاشمُ بنُ عُتْبَةَ القَعْقاعَ بنَ عمرٍو فى إثْرِ مَن انهَزَم منهم وراءَ كِسْرَى ، فساق خلفَهم حتى أدْرَك مِهْرانَ مُنْهزِمًا ، فقتَله القَعْقَاعُ بنُ عمرٍو ، وأفلَتَهم الفَيْرُزانُ[3] فاسْتَمَرَّ مُنْهَزِمًا ، وأسَر سبايَا كثيرةً بعَث بها إلى هاشمِ بنِ عُتْبَةَ ، وغنِموا دوابَّ كثيرةً جدًّا . ثم بعَث هاشمٌ بالغنائمِ والأموالِ إلى عمِّه سعدِ بنِ أبى وَقّاصٍ ، فنفَّل سعدٌ ذوى النَّجْدَةِ ، ثم أمَر بقَسْمِ ذلك على الغانِمين .

قال الشَّعْبِىُّ[4] : كان المالُ المتحصِّلُ مِن وَقْعةِ جَلُولاءَ ثَلاثين ألفَ ألفٍ ، وكان خُمُسُه ستةَ آلافِ ألفٍ . وقال غيرُه[5] : كان الذى أصاب كلُّ فارسٍ يومَ جَلُولاءَ نظيرَ ما حَصَل له[6] يومَ المدائنِ . يعْنِى اثْنَىْ عَشَرَ ألفًا[7] لكلِّ فارسٍ . وقيل[8] : أصاب كلُّ فارسٍ تسعةَ آلافٍ وتسعَ دَوابَّ .

---

(١) فى الأصل : « الناس » . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٦.

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥، ص . وانظر المصدر السابق .

(٣) فى الأصل ، ا ٨: « الفرزان » .

(٤) أخرجه ابن جرير فى تاريخه ٤/ ٢٩. وابن الجوزى فى المنتظم ٤/ ٢١٣.

(٥) أخرجه ابن جرير فى الموضع السابق ، عن الشعبى أيضا .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨: « لهم » .

(٧) تقدم فى صفحة ١٦.

(٨) تاريخ الطبرى ٤/ ٢٩.

وكان الذى وَلِىَ قَسْمَ ذلك بينَ المسلمين وتَحْصيلِه سلمانُ [1] بنُ ربيعةَ [1] ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . ثم بعَث سعدٌ بالأخماسِ مِن المالِ والرقيقِ والدّوابِّ مع زيادِ بنِ أبى سُفْيانَ ، وقُضاعِىِّ بنِ عمرٍو ، وأبى مُفَزِّرٍ [2] الأسودِ . فلمَّا قدِموا على عمرَ سأل عمرُ زيادَ بنَ أبى سفيانَ عن كيفيَّةِ الوقعةِ ، فذكَرها له ، وكان زيادٌ فصيحًا ، فأَعْجَبَ إيرادُه لها عمرَ بنَ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وأحبَّ أن يسمَعَ المسلمون منه ذلك ، فقال له : أتستطيعُ أن تخْطُبَ الناسَ بما أخبرْتَنِى به ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤْمِنِين ، إنَّه ليس أحدٌ على وجهِ الأرضِ أهيبَ عندِى منك ، فكيف لا أقْوَى على هذا مع غيرِك ؟ فقام فى الناسِ فقصَّ عليهم خبرَ الوقْعةِ ، وكم قتَلوا ، وكم غنِموا ، بعبارةٍ عظيمةٍ بليغةٍ ، فقال عمرُ : إنَّ هذا لهو الخطيبُ المِصْقَعُ . يَعْنِى الفَصِيحَ . فقال زيادٌ : إنَّ جندَنا أطلَقوا بالفَعالِ [3] لِسانَنا . ثم حلَف عمرُ بنُ الخطابِ أن لا يُجِنَّ هذا المالَ الذى جاءوا به سقفٌ حتى يَقْسِمَه ، فباتَ عبدُ اللَّهِ ابنُ أرْقَمَ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ يَحْرُسانِه فى المسجدِ ، فلَمّا أصْبَح جاء عمرُ فى الناسِ ، بعدَ ما صلَّى الغداةَ وطلَعَتِ الشمسُ ، فأمَرَ فكشَف عنه جلابيبَه ، فلَمّا نظَر إلى ياقُوتِه وزَبَرْجَدِه وذهبِه الأصفرِ وفِضَّتِه البيضاءِ ، بكَى عمرُ ، فقال له عبدُ الرحمنِ : ما يُبْكيك يا أميرَ المؤْمِنِين ؟ فواللَّهِ إنَّ هذا لموطنُ شُكْرٍ . فقال عمرُ : واللَّهِ ماذاك يُبْكينى ، وتاللَّهِ ما أعْطَى اللَّهُ هذا [4] قومًا إلَّا تحاسَدُوا وتباغَضُوا ، ولا تحاسَدُوا [4] إلَّا أُلْقِىَ بأْسُهم بينَهم . ثم قسَمه كما قسَم أموالَ القادسيَّةِ .

(١ - ١) فى النسخ : « الفارسى » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٢٩. وانظر الكامل ٢/ ٥٢٢.

(٢) فى النسخ : « مقرن » . والمثبت كما فى الطبرى ، وانظر ما تقدم صفحة ٦.

(٣) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « بالمقال » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٣٠.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

وروَى سيفُ بنُ عمرَ[1] عن شُيُوخِه أنَّهم قالوا: وكان فتحُ جَلُولاءَ فى ذى القَعْدَةِ مِن سنةِ [٥/١٠٨و] ستَّ عشْرةَ، وكان بينَه وبينَ فتحِ المدائنِ تسعةُ أشهرٍ. وقد تكلَّم ابنُ جريرٍ[2] هـٰهُنا فيما رَواه عن سيفٍ، على ما يتعَلَّقُ بأرضِ السّوادِ وخَراجِها، وموضِعُ تحريرِ ذلك كتابُ «الأحكامِ».

وقد قال هاشمُ بنُ عُتْبَةَ فى يومِ جَلُولاءَ[3]:

يـومُ جَـلُـولاءَ ويـومُ رُسْـتَـمْ
ويـومُ زَحْـفِ الـكـوفـةِ المُقَـدَّمْ
ويـومُ عَـرْضِ الـنَّـهَـرِ[4] المحـرَّمْ[5]
وأيامٌ خلَتْ مِن شَهْرِ[6] صُرَّمْ
شَيَّبْنَ أصْـدُغـى فـهُـنَّ[7] هُـرَّمْ
مـثـلُ ثَـغـامِ[8] الـبَـلَـدِ المحـرَّمْ

[9]وقال أبو بُجَيْدٍ[10] فى ذلك[11][9]:

---

(١) أخرجه ابن جرير فى تاريخه ٤/ ٣٢.
(٢) فى: تاريخه ٤/ ٣٠ - ٣٣.
(٣) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣، ٣٤.
(٤) فى الأصل، م: «الشهر».
(٥) فى ا ٨: «المحتدم».
(٦) فى الأصل، ا ٨، م، ص: «بينهن».
(٧) فى م: «فهى».
(٨) الثغام؛ جمع الثغامة: شجرة بيضاء الثمر والزهر، تنبت فى قنة الجبل، وإذا يبست اشتد بياضها.
(٩ - ٩) سقط من: الأصل.
(١٠) فى ا ٨، م، ص: «نجيد». وانظر ما تقدم فى صفحة ١٩.
(١١) الأبيات فى: تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤.

(١ ويومُ جَلُولاءَ الوقيعةِ أصبحَتْ كتائِبُنا تَرْدِى[٢] بأُسْدِ عَوابسِ
فضَضْتُ[٣] جموعَ الفُرْسِ ثم أَتَمْتُهمْ فتبًّا لأجسادِ المجوسِ النّجائِسِ
وأفلَتَهُنَّ الفَيْرُزانُ بجَرْعَةٍ ومِهْرانُ أَرْدَتْ يومَ حزِّ القوانسِ[٤]
أقاموا بدارٍ للمنيَّةِ موعدٌ وللتُّرْبِ تَحْثُوها خَجُوجُ الروامسِ[٥]١)

ذِكْرُ فتحِ حُلْوانَ

ولمّا انقَضَتِ الوقعةُ، أقام هاشمُ[٦] بنُ عُتْبَةَ بجَلُولاءَ عن أمرِ عمرَ بنِ الخطابِ - فى كتابِه إلى سعدٍ[٧] - وتقدَّم القَعْقاعُ بنُ عَمرٍو إلى حُلْوانَ[٨]، عن أمرِ عمرَ أيضًا؛ ليكونَ رِدْءًا للمسلمين هنالك، ومُرابِطًا لكِسْرَى حيث هرَب. فسار كما قدَّمْنا وأدْرَك أميرَ الوقعةِ، وهو مِهْرانُ الرّازِىُّ، فقتَله وهرَب منه الفَيْرُزانُ، فلمّا وصَل إلى كِسْرَى وأخبَره بما كان مِن أمرِ جَلُولاءَ، وما جرَى على الفُرْسِ بعدَه، وكيف قُتِل منهم مائةُ ألفٍ، وأُدْرِك مِهْرانُ فقُتِل، هرَب عندَ ذلك كِسْرَى مِن حُلْوانَ إلى الرَّىِّ، واسْتَناب على حُلْوانَ أميرًا يقالُ له:

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) تردى: ترمى.
(٣) فى ص: «فضفت». وفضضتهم: كسرتهم وفرقتهم.
(٤) القوانس؛ جمع القونس: مقدم الرأس، والمراد الرأس.
(٥) خجوج الروامس: الرياح الشديدة التى تثير التراب وتدفن الآثار.
(٦) فى م: «هشام».
(٧) انظر الكامل ٢/ ٥٢١.
(٨) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤.

(١ خُسْرَوْ شُنُومُ[٢] . فتقدَّم إليه القَعْقَاعُ بنُ عمرٍو ، وبرَز إليه ١) خُسْرَوْ شُنُومُ[٣] إلى مكانٍ خارجٍ مِن حُلْوانَ ، فاقتتَلوا هنالك قتالًا شديدًا ، ثم فتَح اللَّهُ ونصَر المسلمين وانهَزَم خُسْرَوْ شُنُومُ[٣] ، وساق القَعْقاعُ إلى حُلْوانَ فتسلَّمها[٤] ، ودخَلها المسلمون فغنِموا وسبَوْا ، وأقاموا بها ، وضرَبوا الجِزيةَ على مَن حولَها مِن الكُوَرِ والأقاليمِ ، بعدَما دُعُوا إلى الدخُولِ فى الإسلامِ ، فأبَوْا إلَّا الجِزيةَ . فلم يَزَلِ القَعْقاعُ بها حتى تَحَوَّلَ سعدٌ مِن المدائنِ إلى الكوفةِ ، فسار إليه[٥] ، كما سنذْكُرُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

فَتْحُ تَكْرِيتَ والمَوْصِلِ

لمَّا افتَتَح سعدٌ المدائنَ بلَغه أنَّ أهلَ المَوْصِلِ قد اجتَمَعوا بتَكْرِيتَ على رجلٍ مِن الكَفَرةِ ، يقالُ له : الأنطاقُ . فكتَب إلى عمرَ بأمرِ جَلُولاءَ واجتِماعِ الفُرْسِ بها ، وبأمْرِ أهلِ المَوْصِلِ ، فتقدَّم ما ذكَرْناه مِن كتابِ عمرَ فى أهلِ جَلُولاءَ ، وما كان مِن أمْرِها . وكتَب عمرُ[٦] فى قضيَّةِ أهلِ المَوْصِلِ الذين قد اجتَمَعوا بتَكْرِيتَ على الأنطاقِ ، أن يُعَيِّنَ جيشًا لحربِهم ، ويُؤَمِّرَ عليه عبدَ اللَّهِ بنَ المُعْتَمِّ ، وأن يَجْعَلَ على

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ١٥ : « حسرسنوم » . وفى ا ٨ : « حرسيوم » . وفى ص : « خسرشنوم » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤.

(٣) فى الأصل ، ا ٨ : « حرسيوم » . وفى ا ١٥ : « حرسنوم » ، وفى ص : « خسرشنوم » .

(٤) فى الأصل : « تسلموها » . وفى ا ١٥ : « فقسمها » .

(٥) فى م ، ص : « إليها » .

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٣٥.

مُقَدِّمَتِه رِبْعِيَّ[1] بنَ الأفكلِ العَنْزِيَّ[2] ، وعلى المَيْمَنَةِ الحارثَ بنَ حَسّانَ الذُّهْلِيَّ ، وعلى المَيْسَرَةِ فُرَاتَ بنَ حَيَّانَ العِجْلِيَّ ، وعلى الساقةِ هانِئَ بنَ قَيْسٍ ، وعلى الخيلِ عَرْفَجَةَ بنَ هَرْثَمَةَ . ففصَل عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَمِّ فى خمسةِ آلافٍ مِن المدائنِ ، فسار فى أربعٍ حتى نزَل بتَكْرِيتَ على الأنطاقِ ، وقد اجتَمَع إليه جماعةٌ مِن الرومِ ، ومِن الشهارجةِ[3] ، ومِن نصارَى العربِ ، مِن إيَادَ وتَغْلِبَ والنَّمِرِ ، وقد خندقوا[4] بتَكْرِيتَ ، فحاصَرَهم عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَمِّ أرْبَعين يومًا ، وزاحَفُوه فى هذه المدَّةِ أربعةً وعشْرين مرَّةً ، ما مِن مرَّةٍ إلَّا وينتَصِرُ عليهم ، [٥/١٠٨ظ] ويَفُلُّ جُموعَهم ، فضَعُف جأْشُهم[5] ، وعزَمَتِ الرومُ على الذَّهابِ فى السُّفُنِ بأموالِهم ، وراسَلَ عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَمِّ مَن هنالِك مِن الأعرابِ ، فدَعاهم إلى الدُّخولِ معه فى النُّصْرةِ على أهلِ البلدِ ، [6] فجاءتِ القُصّادُ[6] إليه عنهم بالإجابةِ إلى ذلك ، فأرسلَ إليهم : إن كنتم صادِقِين فيما قلْتم ، فاشْهَدوا أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، وأقِرُّوا بما جاء مِن عندِ اللَّهِ . فرجَعَتِ القُصّادُ إليه بأنَّهم قد أسْلَموا ، فبعَث إليهم : إن كنتم صادِقِين ، فإذا كبَّرْنا وحمَلْنا على البلدِ الليلةَ ، فأمْسِكوا علينا أبوابَ السفُنِ ، وامْنَعوهم أن يرْكَبوا فيها ، واقتُلوا منهم مَن قَدَرْتُم على قتلِه . ثم شدَّ عبدُ اللَّهِ وأصحابُه ، وكبَّروا تكبيرةَ رجلٍ واحدٍ ، وحمَلوا على البلدِ ، فكبَّرَتِ الأعرابُ مِن الناحيةِ الأُخْرى ، فحار أهلُ البلدِ ، وأخَذوا فى الخُروجِ مِن الأبوابِ التى تلى

---

(١) هنا وفيما يأتى فى ا ١٥: « ربيع » .

(٢) فى م ، ص : « الغزى » . وفى الإصابة ٢/ ٤٥٣: « العنبرى » .

(٣) ذكرهم المسعودى فى أجناس الفرس ، وقال : الشهارجة الذين شرفهم إبرج وجعلهم أشراف السواد . مروج الذهب ١/ ٣١٤.

(٤) فى النسخ : « أحدقوا » . والمثبت كما فى الطبرى .

(٥) فى الأصل ، م : « جانبهم » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

دِجْلةَ ، فتَلَقَّتْهم إيَادُ والنَّمِرُ وتَغْلِبُ ، فقَتَلوهم قتلًا ذَرِيعًا ، وجاء عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَمّ بأصحابِه مِن الأبوابِ الأُخَرِ ، فقُتِل جميعُ أهلِ البلدِ عن بَكْرةِ أبيهم ، ولم يَسْلَمْ إلَّا مَن أسْلم مِن الأعرابِ مِن إيَادَ وتَغْلِبَ والنَّمِرِ ، وقد كان عمرُ عهِد فى كتابِه أن[1] إذا نُصِروا على أهلِ تَكْرِيتَ أن يبْعَثوا رِبْعِيَّ بنَ الأفكلِ إلى الحِصْنَيْن ، وهى المَوْصِلُ[2] ، سريعًا ، فسار إليها - كما [3] أمَر عمرُ - ومعه سرِيَّةٌ كثيرةٌ ، وجماعةٌ مِن الأبطالِ ، فسار إليها[3] حتى فجَأَها[4] قبلَ وُصولِ الأخبارِ إليها ، فما كان إلَّا أن واقَفَها حتى أجابوا إلى المُصالَحَةِ ، فضُرِبت عليهم [5] الذِّمَّةُ عن يدٍ[5] وهم صاغِرُون .

ثم اقْتُسمَتِ الأموالُ التى تَحَصَّلت مِن تَكْرِيتَ ، فبلَغ سهمُ الفارسِ ثلاثةَ آلافٍ ، وسهمُ الراجلِ ألفَ دِرْهَمٍ . وبَعَثوا بالأَخْماسِ مع فُراتِ بنِ حَيَّانَ ، وبالفَتْحِ مع الحارِثِ بنِ حَسّانَ ، ووَلِى إمْرةَ حَرْبِ المَوْصِلِ ربْعِيُّ بنُ الأفكلِ ، ووَلِى الخراجَ بها عَرْفَجَةُ بنُ هَرْثَمَةَ .

فَتْحُ ماسَبَذانَ[6] مِن أرضِ العِراقِ

لمّا رجَع هاشمُ بنُ عُتْبَةَ مِن جَلُولاءَ إلى المدائنِ[7] ، بلَغ سعدًا أنَّ آذينَ بنَ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) قال ابن الأثير : « إلى الحصنين ، وهما نينوى والموصل ، تسمى نينوى الحصن الشرقى ، وتسمى الموصل الحصن الغربى » . الكامل ٢/ ٥٤٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ا ١٥: « فتحها » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « الذلة » .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « ماسندان » . وانظر : معجم البلدان ٤/ ٣٩٣.

(٧) فى النسخ : « عمر بالمدائن » . والمثبت كما فى الطبرى ٤/٣٧ ، والكامل ٢/ ٥٢٥. وهو الصواب لأنه لم يذكر أن عمر رضى اللَّه عنه ورد المدائن .

الهُرْمُزانِ قد حَمَل[1] طائفةً مِن الفُرْسِ ، فكتَب إلى عمرَ فى ذلك ، فكتَب إليه أنِ ابعَثْ جيشًا ، وأمِّرْ عليهم ضِرارَ بنَ الخطّابِ . فخرَج ضِرارٌ فى جيشٍ مِن المدائنِ ، وعلى مُقدِّمتِه ابنُ الهُذَيلِ[2] الأسديُّ ، فتقدَّم ابنُ الهُذَيلِ بينَ يَدَيِ الجيشِ ، فالتَقَى مع آذينَ وأصحابِه قبلَ وُصولِ ضِرارٍ إليه ، فكسَر ابنُ الهُذَيلِ طائفةَ الفُرْسِ ، وأسَرَ آذينَ بنَ الهُرْمُزانِ ، وفَرَّ عنه أصحابُه ، وأمَرَ ابنُ الهُذَيلِ فضُرِب عُنُقُ آذينَ بينَ يَدَيْه ، وساق وراءَ المُنْهَزِمين حتى انْتَهى إلى ماسَبَذانَ[3] - وهى مدينةٌ كبيرةٌ - فأخَذها عَنْوةً ، وهرَب أهلُها فى رُءوسِ الشِّعابِ والجبالِ ، فدَعاهم فاسْتَجابوا له ، وضرَب على مَن لم يُسْلِمِ الجزيةَ ، وأقام نائبًا عليها حتى تحوَّلَ سعدٌ مِن المدائنِ إلى الكوفةِ ، كما سيأْتى .

فَتْحُ قَرْقِيسِيَاءَ وهِيتَ فى هذه السنةِ

قال ابنُ جريرٍ وغيرُه[4] : لمّا رجَع هاشمٌ مِن جَلُولاءَ إلى المدائنِ ، وكان أهلُ الجزيرةِ قد أمَدُّوا أهلَ حِمْصَ على قِتالِ أبى عبيدةَ وخالدٍ - لمّا كان هِرَقْلُ بقِنَّسْرِينَ - واجتَمَع أهلُ الجزيرةِ فى مدينةِ هِيتَ ، [٥/١٠٩و] كتَب سعدٌ إلى عمرَ فى ذلك ، فكتَب إليه أن يبعَثَ إليهم جيشًا ، وأن يُؤَمِّرَ عليهم عمرَ بنَ مالكِ بنِ عُتْبَةَ بنِ نوفلِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، فسار فى مَن معه مِن المسلمين إلى هِيتَ ، فوجَدهم قد خَنْدَقوا عليهم ، فحاصَرَهم حينًا فلم يَظْفَرْ بهم ، فسار فى طائفةٍ مِن أصحابِه ،

---

(١) فى م : « جمع » .
(٢) فى الأصل ، م : « الهزيل » . وكذا فى م فى المواضع التالية .
(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « ماسندان » .
(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٣٧ ، ٣٨ . والكامل ٢/ ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

واستَخْلَف على مُحاصَرَةِ هِيتَ الحارثَ بنَ يزيدَ ، فراغ[1] عمرُ بنُ مالكٍ إلى قَرْقِيسِيَاءَ ، فأخَذها عَنْوةً ، وأنابوا إلى بذلِ الجزيةِ ، وكتَب إلى نائبِه على هِيتَ : إن لم يُصالِحوا ، أن يَحْفِرَ مِن وراءِ خَنْدَقِهم خَنْدَقًا ، ويَجْعَلَ له أبوابًا مِن ناحيتِه . فلمّا بلَغهم ذلك أنابوا إلى المُصالحةِ .

قال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ الذهبيُّ[2] : وفى هذه السنةِ بعَث أبو عبيدةَ عمرَو بنَ العاصِ بعدَ فراغِه مِن اليَرْمُوكِ إلى قِنَّسْرِينَ ، فصالَح أهلَ حَلَبَ ، ومَنْبِجَ ، وأنْطاكِيَّةَ ، على الجزيةِ ، وفتَح سائرَ بلادِ قِنَّسْرِينَ عَنْوَةً . قال : وفيها افتُتِحَت سَرُوجُ والرُّها على يَدَىْ عِياضِ بنِ غَنْمٍ . قال : وفيها فيما ذكَر ابنُ الكَلْبِيِّ سار أبو عبيدةَوعلى مُقَدِّمَتِه خالدُ بنُ الوليدِ ، فحاصَرَ إيلِيَاءَ ، فسألوا الصلحَ على أن يَقْدَمَ عمرُ فيصالِحَهم على ذلك ، فكتَب أبو عبيدةَ إلى عمرَ ، فقدِم حتى صالَحَهم ، وأقام أيامًا ثم رجَع إلى المدينةِ . قلتُ : قد تقدَّم[3] هذا فيما قبلَ هذه السنةِ ، واللَّهُ أعلمُ .

قال الواقدىُّ[4] : وفى هذه السنةِ حمَى عمرُ الرَّبَذَةَ لخيلِ[5] المسلمين ، وفيها غرَّب عمرُ أبا مِحْجَنٍ الثَّقَفِيَّ [6]إلى باضِعٍ[6] ، وفيها تزوَّج عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ صفيةَ

---

(١) فى الأصل : « فراخ » . وفى ا ٨، م : « فراح » .

(٢) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ١٦٢، ١٦٣.

(٣) تقدم فى ٩/ ٥.

(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٣٨، ٣٩. وليس فيه ذكر حمى عمر للربذة . وذكره ابن الأثير فى الكامل ٢/ ٥٢٦، وابن الجوزى ، فى : المنتظم ٤/ ٢٢٦، غير معزوّ .

(٥) فى م ، ص : « بخيل » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ١٥: « إلى ما صنع » . وفى ا ٨: « على ما صنع » . وباضع : جزيرة فى بحر اليمن . معجم البلدان ١/ ٤٧١.

بنتَ أبى عُبَيْدٍ[1] . قلتُ : الذى قُتِل يومَ الجِسْرِ[2] ، وكان أميرَ السريةِ ، وهى أُخْتُ المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، أميرِ العراقِ فيما بعدُ ، وكانتِ امرأةً صالحةً ، وكان أخوها فاجرًا ، وكافرًا أيضًا .

قال الواقدىُّ[3] : وفيها حَجَّ عمرُ بالناسِ ، واستَخْلَف على المدينةِ زيدَ بنَ ثابتٍ . قال : وكان نائبَه على مكَّةَ عَتّابٌ ، وعلى الشامِ أبو عبيدةَ ، وعلى العراقِ سعدٌ ، وعلى الطائفِ عثْمانُ بنُ أبى العاصِ ، وعلى اليمنِ يَعْلَى بنُ أُمَيَّةَ ، وعلى اليمامةِ والبَحْرَينِ العلاءُ بنُ الحَضْرَمِىِّ ، وعلى عُمَانَ حُذَيْفَةُ بنُ مِحْصَنٍ ، وعلى البصرةِ المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ ، وعلى المَوْصِلِ رِبْعِىُّ بنُ الأفكلِ ، وعلى الجزيرةِ عِياضُ بنُ غَنْمٍ الأشعرىُّ .

قال الواقدىُّ[4] : وفى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ - أعْنِى سنةَ ستَّ عشْرةَ - كتَب عمرُ بنُ الخطابِ التَّأْريخَ ، وهو أولُ مَن كتَبه . قلتُ : قد ذكَرْنا سببَه فى « سِيرَةِ عمرَ » ، وذلك أنَّه رُفِع إلى عمرَ صكٌّ[5] مكتوبٌ لرجلٍ على آخَرَ بدينٍ يحِلُّ عليه فى شعبانَ ، فقال : أىُّ شعبانَ ؟ أمِن هذه السنةِأم التى قبلَها[6] ، أم التى بعدَها ؟ ثم جمَع الناسَ فقال : ضَعُوا للناسِ شيئًا يَعْرِفون به[7] حُلُولَ دُيونِهم . فيقالُ : إنَّهم أراد بعضُهم أن يُؤرِّخوا كما تُؤرِّخُ الفرسُ بمُلُوكِهم ، كلما هلَك مِلِكٌ أرَّخوا مِن تاريخِ وِلايةِ الذى بعدَه ، فكرِهوا ذلك . ومنهم مَن قال : أرِّخوا

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « عبيدة » . انظر الإصابة ٧/ ٧٤٩.
(٢) تقدم فى ٩/٥٩٤ .
(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٣٩.
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٣٨.
(٥) تقدم فى ٤/٥١٠ - ٥١٣.
(٦) فى ا ١٥: « تليها » .
(٧) فى م : « فيه » .

بتاريخِ الرومِ مِن زمانِ إسْكَنْدَرَ. فكرِهوا ذلك، ولطولِه أيضًا. وقال قائلون: أرِّخوا مِن مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقال آخَرُون: مِن مَبْعَثِه ﷺ. وأشار عليُّ بنُ أبى طالبٍ وآخَرُون [٥/١٠٩ظ] أن يُؤَرَّخَ مِن هجرتِه مِن مكةَ إلى المدينةِ؛ لظُهورِه لكلِّ أحدٍ، فإنَّه أظْهَرُ مِن المولِدِ والمَبْعَثِ. فاستَحْسَن ذلك عمرُ والصحابةُ، فأمَرَ عمرُ أن يُؤَرَّخَ مِن هجرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وأرَّخُوا مِن أولِ تلك السنةِ مِن مُحَرَّمِها. وعندَ مالكٍ، رحِمه اللَّهُ، فيما حَكاه عنه[1] السُّهَيْلِيُّ وغيرُه أنَّ أولَ السنةِ مِن ربيعٍ الأولِ؛ لقُدومِه ﷺ إلى المدينةِ فيه[2]. والجُمهورُ على أنَّ أولَ السنةِ مِن المحرَّمِ؛ لأنَّه أضْبَطُ، لئلَّا تختلِفَ الشهورُ، فإنَّ المحرمَ أولُ السنةِ الهلاليَّةِ العربيَّةِ.

وفى هذه السنةِ - أعْنِى سنةَ ستَّ عشْرَةَ - تُوُفِّيَتْ مارِيَةُ* أُمُّ إبراهيمَ ابنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وذلك فى المحرَّمِ منها، فيما ذكَره الواقدىُّ وابنُ جريرٍ[3] وغيرُ واحدٍ، وصلَّى عليها عمرُ بنُ الخطابِ، وكان يَجْمَعُ الناسَ لشُهودِ جِنازتِها، ودُفِنَتْ بالبقيعِ، رضِى اللَّهُ عنها وأرْضاها. وهى مارِيَةُ القِبْطِيَّةُ، أهْداها صاحبُ إسْكَنْدَرِيَّةَ - وهو جُرَيْجُ بنُ مِينا - فى جملةِ تُحَفٍ وهدايا لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقَبِل ذلك منه، وكان معها أُخْتُها سيرينُ[4] التى وهَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ، فولَدت له ابنَه عبدَ الرحمنِ بنَ حسانَ. ويقالُ: أهْدَى المُقَوْقِسُ معهما جارِيَتَين أُخْرَيَين[5]. فيَحْتَمِلُ أنَّهما كانتا خادِمَتَين لمارِيَةَ وسِيرينَ[6]. وأهْدَى

---

(١) فى م: «عن».

(٢) زيادة من: ص.

(*) ترجمتها فى الاستيعاب ٤/ ١٩١٢، وأسد الغابة ٧/ ٢٦١، الإصابة ٨/ ١١١.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٣٨. الكامل ٢/ ٥٢٦. وانظر ما تقدم فى ٨/ ٢٣٢.

(٤) فى النسخ: «شيرين». انظر ما تقدم فى ٨/ ٢٩٣.

(٥) تقدم فى ٨/ ٢٢٧.

(٦) فى الأصل، ا ١٥، ص: «شيرين».

معهُنَّ غلامًا خَصِيًّا اسمُه مأْبورٌ ، وأَهْدَى مع ذلك بغلةً شَهْباءَ اسمُها الدُّلْدُلُ ، وأَهْدَى حُلَّةَ حريرٍ مِن عمَلِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ . وكان قُدومُ هذه الهديةِ فى سنةِ ثمانٍ . فحمَلَت مارِيَةُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بإبراهيمَ ، عليه السلامُ ، فعاش عِشْرِين شهرًا ، ومات قبلَ أبيه رسولِ اللَّهِ ﷺ بسنةٍ سواءٍ ، وقد حزِن عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبكَى عليه ، وقال[1] : « تَدْمَعُ العينُ ، ويَحْزَنُ القلبُ ، ولا نقولُ إلَّا ما يُرْضِى ربَّنا ، وإنَّا بكَ يا إبْراهيمُ لَمَحْزونُونَ » . وقد تَقَدَّم ذلك فى سنةِ عشْرٍ . وكانت مارِيَةُ هذه مِن الصالحاتِ الخَيِّراتِ الحِسانِ ، وقد حَظِيَت عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأُعْجِب بها ، وكانت جميلةً مُلَّاحَةً ، أى حُلْوةً ، وهى تُشابِهُ هاجَرَ سُرِّيَّةَ الخليلِ ، فإنَّ كلًّا منهما مِن دِيارِ مصرَ وتَسَرّاها نبىٌّ كريمٌ ، وخليلٌ جليلٌ ، عليهما السلامُ .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٤٨.

ثم دخلت سنة سبع عشرة

فى المحرَّمِ منها انتقَل سعدُ بنُ أبى وقاصٍ مِن المدائنِ إلى الكوفةِ ؛ وذلك أنَّ الصحابةَ استوْخمُوا المدائنَ ، وتغيَّرت ألوانُهم ، وضعُفَت أبدانُهم ؛ لكثرةِ ذُبابِها وغُبارِها ، فكتَب سعدٌ إلى عمرَ فى ذلك ، فكتَب عمرُ : إنَّ العربَ لا تصلُحُ إلَّا حيث يُوافِقُ إبلَها . فبعَث سعدٌ حذيفةَ وسلْمانَ[1] يَرْتادان[2] للمسلمين مَنْزِلًا مناسِبًا يصلُحُ لإقامَتِهم ، فمَرّا على أرضِ الكوفةِ وهى حَصباءُ فى رملةٍ حمراءَ ، فأعجَبَتهما ، ووجَدا[3] هنالك ثلاثَ دَيْراتٍ ؛ دَيْرُ حُرَقَةَ [4]بنتِ النُّعمانِ[4] ، ودَيْرُ أُمِّ عمرٍو ، ودَيْرُ سِلْسِلةَ . وبينَ ذلك خِصاصٌ خلالَ هذه الكوفةِ . فنزَلا فصلَّيا هنالك ، وقال كلُّ واحدٍ منهما : اللهمَّ ربَّ السماءِ وما أظلَّتْ ، وربَّ الأرضِ وما أقلَّتْ ، و[5] الريحِ وما ذرَتْ ، والنُّجومِ وما هَوَتْ ، والبحارِ وما جرَتْ ، والشياطينِ وما أضلَّتْ ، والخِصاصِ وما أجَنَّتْ ، بَارِكْ لنا فى هذه الكوفةِ ، واجعَلْها [٥/ ١١٠و] مُنزَلَ ثباتٍ . ثم كتَبا[6] إلى سعدٍ بالخبرِ ، فأمَر سعدٌ باختِطاطِ الكوفةِ ، وسار إليها فى أوَّلِ هذه السنةِ فى مُحَرَّمِها ، فكان أوَّلَ بناءٍ[7] وُضِعَ فيها المسجدُ . وأمَر سعدٌ رَجلًا راميًا شديدَ الرَّمي ، فرَمَى مِن المسجدِ إلى الأربعِ جهاتٍ ، فحيث سقَط سهمُه بنَى الناسُ مَنازلَهم ، وعمَّر قصرًا تلقاءَ محرابِ المسجدِ للإمارةِ وبيتِ

---

(١) بعده فى م ، ص : « ابن زياد » . وسلمان هو سلمان الفارسى .

(٢) فى الأصل : « يريدان » .

(٣) فى ا ١٥ : « وجدوا » . وفى م : « وجد » .

(٤ - ٤) سقط من : ا ١٥ ، ص . وفى الأصل : « ابن النعمان » . وانظر الإكمال ٢/ ٤٠٩ .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « رب » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤١ .

(٦) فى ا ١٥ ، تاريخ الطبرى : « كتب » .

(٧) فى الأصل : « ما » .

المالِ ، فكان أولَ ما بنَوا المنازلُ بالقصَبِ ، فاحترَقتْ فى أثناءِ السنةِ ، فبنَوْها باللَّبِنِ عن أمرِ عمرَ ، بشرطِ أن لا يُسرِفُوا ولا يُجاوِزوا الحدَّ . وبعَث سعدٌ إلى الأمراءِ والقبائلِ فقَدِموا عليه ، فأنزَلهم الكوفةَ ، وأمَر سعدٌ أبا هَيّاجٍ الموكَّلَ بإنزالِ الناسِ فيها بأن يُعَمِّروا ويَدَعُوا للطريقِ المُنْهَجِ وُسْعَ أربعين ذراعًا ، ولِما دونَ ذلك ثلاثين وعشرين ذراعًا ، وللأزِقَّةِ سبعةَ أذْرُعٍ . وبُنِى لسعدٍ قصْرٌ قريبٌ مِن السوقِ ، فكانت غَوغاءُ الناسِ تَمنَعُ سعدًا مِن الحديثِ ، فكان يُغْلِقُ بابَه ، ويقولُ : سَكِّن الصُّوَيْتَ . فلمّا بلَغتْ هذه الكلمةُ عمرَ بنَ الخطابِ بعَث محمدَ بنَ مَسلمةَ ، فأمَره إذا انتَهى إلى الكوفةِ أن يَقدَحَ زِنادَه ويَجمَعَ حَطبًا ويَحرِقَ بابَ القصرِ ، ثم يرجِعَ مِن فورِه . فلمَّا انتهَى إلى الكوفةِ فعَل ما أمَره به عمرُ ، وأمَر سعدًا أن لا يُغلِقَ بابَه عن الناسِ ، ولا يجعَلَ على بابِه أحدًا يَمنَعُ الناسَ عنه ، فامتَثلَ ذلك سعدٌ ، وعرَض على محمدِ بنِ مَسلَمةَ شيئًا مِن المالِ فامتَنعَ مِن قَبولِه ، ورجَع إلى المدينةِ . واستَمرَّ سعدٌ بعدَ ذلك فى الكوفةِ ثلاثَ سنينَ ونصفًا[1] ، حتى عزَله عنها عمرُ ، مِن غيرِ عجْزٍ ولا خِيانَةٍ .

[2]قِصَّةُ أبى[2] عبيدةَ وحَصْرِ الرُّومِ له بحِمْصَ وقُدُومِ عمرَ إلى الشامِ [3]أيضًا لينْصُرَه[3]

وذلك أنَّ جمعًا مِن الرُّومِ عزَموا على حِصارِ أبى عبيدةَ بحِمْصَ ، واستَجاشُوا[4] بأهلِ الجزيرةِ وخَلْقٍ ممَّن هنالك ، وقصَدوا أبا عبيدةَ ، فبعَث أبو

---

(١) فى النسخ : « نصف » .
(٢ - ٢) فى م : « أبو » .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) استجاشوا : طلبوا جيشًا .

عبيدةَ إلى خالدٍ ، فقَدِم عليه مِن قِنَّسْرِينَ ، وكتَب إلى عمرَ بذلك ، واسْتَشارَ أبو عبيدةَ المسلمين فى أن يُناجِزَ الرُّومَ ، أو يتَحصَّنَ بالبلدِ حتى يَجىءَ أمرُ عمرَ ؟ فكلُّهم أشار بالتَّحصُّنِ إلَّا خالدًا فإنَّه أشار بمُناجَزتِهم ، فعَصاه وأطاعَهم . وتَحصَّنَ بحِمْصَ وأحاطَ به الرُّومُ ، وكلُّ بلَدٍ مِن بُلدانِ الشَّامِ مَشغولٌ أهلُه عنه بأمرِهم ، ولو ترَكوا ما هم فيه وأقبَلُوا إلى حِمْصَ لانْخَرَمَ النِّظامُ فى الشامِ كلِّه . وكتَب عمرُ إلى سعدٍ أن يَندُبَ الناسَ مع القَعْقاعِ بنِ عمرٍو ، ويُسيِّرَهم إلى حِمْصَ مِن يومِ يَقدَمُ عليه الكِتابُ نَجْدَةً لأبى عبيدةَ فإنَّه مَحصُورٌ . وكتَب إليه أن يُجهِّزَ جيشًا إلى أهلِ الجزيرةِ الذين مالَئُوا الرُّومَ على حِصارِ أبى عبيدةَ ، ويكونَ أميرُ الجيشِ إلى الجزيرةِ عِياضَ بنَ غَنْمٍ . فخرَج الجيشان معًا مِن الكوفةِ ؛ القَعْقاعُ فى أربعةِ آلافٍ نحوَ حِمْصَ لنَجْدَةِ أبى عبيدةَ ، وخرَج عمرُ بنفسِه مِن المدينةِ ليَنصُرَ أبا عبيدةَ ، فبلَغ الجابيَةَ . وقيل : إنَّما بلَغ سَرْغَ . قاله ابنُ إسحاقَ[1] . وهو أشبهُ . واللَّهُ أعلمُ . فلمَّا بلَغ أهلَ الجزيرةِ الذين مع الرُّومِ على حِمْصَ أنَّ الجيشَ قد طرَق بلادَهم ، انْشَمَرُوا إلى بِلادِهم ، وفارَقُوا الرُّومَ ، وسمِعَتِ الرُّومُ بقُدُومِ أميرِ المؤْمنين عمرَ لنُصْرةِ نائبِه عليهم ، فضعُف جانبُهم جدًّا . وأشارَ خالدٌ على أبى عبيدةَ بأن يَبرُزَ إليهم ليُقاتِلَهم ، ففعَل [٥/١١٠ظ] ذلك أبو عبيدةَ ، ففتَح اللَّهُ عليه ونصَره ، وهُزِمَتِ الرُّومُ هزيمةً فظيعةً ، وذلك قبلَ وُرودِ عمرَ عليهم ، وقبلَ وُصولِ الأمدادِ إليهم بثلاثِ ليالٍ . فكتَب أبو عبيدةَ إلى عمرَ وهو بالجابِيَةِ يُخبِرُه بالفتحِ ، وأنَّ المددَ وصَل إليهم بعدَ ثلاثِ ليالٍ ، وسأله هل يُدخِلُهم فى القَسْمِ معهم مما أفاء اللَّهُ عليهم ؟ فجاء الجوابُ بأن يُدخِلَهم معهم فى الغنيمةِ ، فإنَّ العدوَّ إنَّما ضعُف وإنَّما انْشَمَر عنه المددُ مِن خَوفِهم منهم ، فأشرَكهم أبو عبيدةَ فى الغنيمةِ . وقال عمرُ :

---

(١) أخرجه الطبرى . فى تاريخه ٤/٥٧.

جزَى اللَّهُ أهلَ الكوفةِ خيرًا، يَحْمُون حَوزَتَهم ويَمُدُّون أهلَ الأمصارِ.

فتْحُ الجزيرَةِ

(١)قال ابنُ جريرٍ: وفى هذه السنةِ فُتِحَتِ الجزيرةُ، فيما قاله سيفُ بنُ عمرَ(١). قال ابنُ جريرٍ: فى ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ سبعَ عشْرةَ. فوافَقَ سيفَ بنَ عمرَ فى كونِها فى هذه السنةِ. وقال ابنُ إسحاقَ(٢): كان ذلك فى سنةِ تسعَ عشْرةَ. سار إليها عِياضُ بنُ غَنْمٍ، وفى صُحبتِه أبو موسى الأشعرىُّ، وعمرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ، وهو غلامٌ صغيرُ السنِّ ليس إليه مِن الأمرِ شىءٌ، وعثمانُ بنُ أبى العاصِ، فنزَل الرُّها فصالَحه أهلُها على الجزيَةِ، وصالَحَتْ حَرّانُ على ذلك. ثم بعَث أبا موسى الأشعرىَّ إلى نَصِيبِينَ، وعمرَ بنَ سعدٍ إلى رأسِ العينِ، وسار بنفسِه إلى دَارَا، فافتُتِحَتْ هذه البُلدانُ، وبعَث عثمانَ بنَ أبى العاصِ إلى إرْمِينِيَةَ، فكان عندَها شىءٌ مِن قتالٍ، قُتِل فيه صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِىُّ شهيدًا. ثم صالَحهم عثمانُ بنُ أبى العاصِ على الجزيةِ، على كلِّ أهلِ بيتٍ دينارٌ.

وقال سيفٌ فى روايتِه(٣): جاء عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبانَ(٤)، فسلَك على دِجْلَةَ(٥) حتى انتهَى إلى المَوْصِلِ، فعبَر إلى بَلَدَ(٦) حتى انتهى إلى نَصِيبِينَ، فلَقُوه

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣، ١٠٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣، ٥٤.

(٤) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «غسان». وانظر الإصابة ٤/ ١٥٧.

(٥) فى م، ص: «رجليه».

(٦) بلَد: اسمها بالفارسية شهراباذ، وهى مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل. معجم البلدان ١/ ٧١٥.

بالصُّلحِ وصنَعوا كما صنَع أهلُ الرَّقَّةِ . وبعَث إلى عمرَ برءوسِ النَّصارى مِن عربِ أهلِ الجزيرةِ ، فقال لهم عمرُ : أدُّوا الجزيةَ . فقالوا : أبلِغْنا مَأْمَنَنا ، فواللَّهِ لئن وضَعْتَ علينا الجزيةَ (١) لنَدخُلَنَّ أرضَ الرُّومِ (١) ، واللَّهِ لَتَفْضَحُنا مِن بينِ العربِ . فقال لهم : أنتم فَضَحْتُم أنفُسَكم ، وخالفْتُم أُمَّتَكم ، وواللَّهِ لتُؤَدُّنَّ الجزيةَ وأنتم صَغَرَةٌ قَمَأَةٌ(٢) ، ولئن هرَبْتُم إلى الرُّومِ لأكتُبَنَّ فيكم ، ثم لأسبيَنَّكم(٣) . قالوا : فخُذْ منّا شيئًا ولا تُسمِّه جزيَةً(٤) . فقال : أمّا نحن فنُسمِّيه جزيَةً(٥) ، وأمّا أنتم فسَمُّوه ما شِئتُم . فقال له عليُّ بنُ أبى طالبٍ : ألم يُضْعِفْ عليهم سعدٌ الصدقةَ ؟ قال : بلى . وأصغَى إليه ورَضِى به منهم .

قال ابنُ جريرٍ(٦) : وفى هذه السنةِ قدِم عمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، إلى الشامِ ، فوَصَل إلى سَرْغَ ، فى قولِ محمدِ بنِ إسحاقَ . وقال سيفٌ(٧) : وصَل إلى الجابيَةِ . قلتُ : والأشهرُ أنه وصَل سَرْغَ . وقد تلقّاه أمراءُ الأجنادِ ؛ أبو عبيدةَ ، ويزيدُ بنُ أبى سفيانَ ، وخالدُ بنُ الوليدِ ، إلى سَرْغَ ، فأخبَرُوه أنَّ الوباءَ قد وقَع بالشامِ ، فاستَشارَ عمرُ المهاجرين والأنصارَ فاختلَفوا عليه ، فمِن قائلٍ يقولُ : أنتَ قد جِئْتَ لأمرٍ فلا تَرجِعْ عنه . ومِن قائلٍ يقولُ : لا نرَى أن تُقْدِمَ بوُجوهِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على هذا الوباءِ . فيقالُ : إنَّ عمرَ أمَر الناسَ بالرجوعِ مِن الغدِ . فقال أبو عبيدةَ : أفِرارًا مِن قدَرِ اللَّهِ ؟ قال : نعم ، نَفِرُّ مِن قدَرِ اللَّهِ إلى قدَرِ اللَّهِ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨: « لنرحلن » .
(٢) القمىء : الذليل الحقير .
(٣) فى الأصل : « لأسلبنكم » .
(٤) فى ا ١٥، ص ، تاريخ الطبرى : « جزاء » .
(٥) فى تاريخ الطبرى : « جزاء » .
(٦) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٧.
(٧) المصدر السابق ٤/ ٥٥.

أرأيْتَ لو هبَطْتَ وادِيًا ذا عُدْوَتَينِ؛ إحداهما مُخْصِبَةٌ والأخرَى مُجْدِبَةٌ، فإن رعَيْتَ الخِصْبَةَ رعَيْتَها بقدَرِ اللَّهِ، [٥/١١١و] وإن أنت رعَيْتَ الجَدْبَةَ رعَيْتَها بقدَرِ اللَّهِ. ثم قال: لو غيرُك يقولُها يا أبا عبيدةَ!

قال ابنُ إسحاقَ فى روايتِه[(١)] - وهو فى «صحيحِ البخارىِّ»[(٢)]: وكان عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ مُتغيِّبًا فى بعضِ شأنِه، فلمَّا قدِم قال: إنَّ عندى مِن ذلك عِلْمًا، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إذا سمِعتُم به بأرضٍ[(٣)]، فلا تُقْدِمُوا عليه، وإذا وقَع بأرضٍ وأنتم فيها فلا تخرُجوا فِرارًا منه». فحمِد اللَّهَ عمرُ - يعنى لكونِه وافَق رأيَه - ورجَع بالناسِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[(٤)]: ثنا وكيعٌ، ثنا سفيانُ، عن[(٥)] حَبيبِ[(٦)] بنِ أبى ثابتٍ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن سعدِ بنِ مالكِ بنِ أبى وقاصٍ، وخُزَيْمَةَ بنِ ثابتٍ، وأسامةَ بنِ زيدٍ، قالوا: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ هذا الطاعونَ رِجْزٌ وبقيَّةُ عذابٍ عُذِّبَ به قومٌ قبلَكم، فإذا وقَع بأرضٍ أنتم بها[(٧)] فلا تخرُجوا منها فِرارًا منه، وإذا سمِعتُم به بأرضٍ فلا تدخُلوا عليه». ورَواه الإمامُ أحمدُ أيضًا، مِن حديثِ سعيدِ بنِ المسَيَّبِ، ويحيى بنِ سعدٍ[(٨)]، عن سعدِ بنِ أبى وقاصٍ به[(٩)].

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٨.

(٢) البخارى (٥٧٢٩).

(٣) بعده فى الأصل، م: «قوم».

(٤) المسند ١/ ١٨٢ (إسناده صحيح).

(٥) فى الأصل، م: «بن».

(٦) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «حسين»، وفى ا ٨: «خيز». والمثبت من المسند، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٥٨.

(٧) فى م: «فيها».

(٨) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، م: «سعيد». والمثبت كما فى ص والمسند. وانظر الجرح والتعديل ٩/ ١٥٣.

(٩) المسند ١/ ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٦. (إسناده صحيح).

قال سيفُ بنُ عمرَ[1] : كان الوباءُ قد وقَع بالشامِ فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ [2]وصَفَرٍ[2] ثم ارتَفع . وكأنَّ سيفًا يَعتقِدُ أنَّ هذا الوباءَ هو طاعونُ عَمَواسَ ، الذى هلَك فيه خَلْقٌ مِن الأمراءِ ووُجوهِ المسلمين . وليس الأمرُ كما زعَم ، بل طاعونُ عَمَواسَ مِن السنةِ المستقبَلةِ بعدَ هذه ، كما سنُبيِّنُه إن شاءَ اللَّهُ تعالى . وذكَر سيفُ ابنُ عمرَ[3] أنَّ أميرَ المؤْمنين عمرَ كان قد عزَم على أن يَطُوفَ البُلدانَ ، ويَزورَ الأمراءَ ، ويَنظُرَ فيما اعتَمدوه وما آثَروا مِن الخيرِ ، فاختَلَف عليه الصحابةُ ؛ فمِن قائلٍ يقولُ : ابْدَأْ بالعراقِ . ومِن قائلٍ يقولُ : بالشامِ . فعزَم عمرُ على قُدومِ الشامِ لأجلِ قَسْمِ مواريثِ مَن مات مِن المسلمين فى طاعونِ عَمَواسَ ، فإنَّه أشكَل قَسْمُها على المسلمين بالشامِ ، فعزَم على ذلك . وهذا يَقتضِى أنَّ عمرَ عزَم على قُدومِ الشامِ بعدَ طاعونِ عَمَواسَ ، وقد كان الطاعونُ فى سنةِ ثَمانىَ عشْرَةَ كما سيأْتى ، فهو قُدومٌ آخَرُ غيرُ قُدومِ سَرْغَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال سيفٌ[4] ، عن أبى عثمانَ ، وأبى حارثةَ ، والربيعِ بنِ النعمانِ ، قالوا : قال عمرُ : ضاعتْ مواريثُ الناسِ بالشامِ ، أبدَأُ بها فأقْسِمُ المواريثَ ، وأُقيمُ لهم ما فى نَفْسِى ، ثم أرجِعُ فأتقلَّبُ فى البلادِ وأنْبِذُ إليهم أَمْرى . قالوا : فأتَى عمرُ الشامَ أربعَ مراتٍ ؛ مرَّتينِ فى سنةِ ستَّ عَشْرَةَ ، ومرَّتينِ فى سنةِ سبعَ عَشْرَةَ ، ولم يَدخُلْها فى الأُولى مِن الأُخْرَيَيْنِ . وهذا يقتضِى ماذكَرناه عن سيفٍ ، أنَّه يقولُ بكونِ طاعونِ عَمَواسَ فى سنةِ سبعَ عَشْرَةَ . وقد خالفَه محمدُ بنُ إسحاقَ ، وأبو

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٨.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٥٨، ٥٩.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٥٩.

مَعْشَرٍ[1] ، وغيرُ واحدٍ ، فذهَبوا إلى أنَّه كان فى سنةِ ثمانىَ عَشْرَةَ .

وفيه تُوُفِّى أبو عبيدةَ ، ومعاذٌ ، ويزيدُ بنُ أبى سفيانَ ، وغيرُهم مِن الأعيانِ ، على ما سيأْتى تفصيلُه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

ذِكْرُ[2] شىءٍ مِن أخبارِ طاعونِ عَمَواسَ

الذى تُوُفِّى فيه أبو عبيدةَ ، ومعاذٌ ، ويزيدُ بنُ أبى سفيانَ ، وغيرُهم مِن أشرافِ الصحابةِ وغيرِهم . أورَدَه ابنُ جريرٍ فى هذه السنةِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] ، عن شُعْبَةَ ، عن المُخارِقِ[4] بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِىِّ ، عن طارقِ بنِ شهابٍ البَجَلِىِّ قال : أتَينا أبا موسى وهو فى دارِه بالكوفةِ لنَتحدَّثَ عندَه ، فلمَّا جلَسْنا قال : لا تَخِفُّوا[5] ، فقد أُصيبَ فى الدارِ إنسانٌ بهذا السقمِ ، ولا عليكم أن تَنزَّهوا عن هذه القريةِ ، فتَخرُجوا فى فسيحِ بلادِكم ونُزَهِها حتى يَرتفِعَ هذا البلاءُ [٥/١١١ظ] ، فإنِّى سأُخبِرُكم بما يُكرَهُ مما يُتَّقَى ؛ مِن ذلك أن يَظُنَّ مَن خرَج أنَّه لو أقام ماتَ ، ويَظُنَّ مَن أقام فأصابَه ذلك أنه لو خرَج لم يُصِبْه ، فإذا لم يَظُنَّ ذلك هذا المرءُ المسلمُ ، فلا عليه أن يَخرُجَ وأن يَتنزَّهَ عنه ، إنِّى كنتُ مع أبى عبيدةَ بنِ الجرّاحِ بالشامِ عامَ طاعونِ عَمَواسَ ، فلمَّا اشتَعل[6] الوَجَعُ وبلَغ ذلك عمرَ ، كتَب

---

(١) أخرجه عنهما الطبرى فى تاريخه ٤/ ٦٠.

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/٦٠ ، ٦١ عن محمد بن إسحاق به .

(٤) فى النسخ : « المختار » . والمثبت من تاريخ الطبرى . ويقال فيه : مخارق بن خليفة ، ويقال : ابن عبد الرحمن . انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣١٤.

(٥) فى ا ١٥ : « تحيفوا » ، وفى ا ٨ : « تجيئوا » . وفى تاريخ الطبرى ٤/٦٠ ، والكامل ٢/٥٥٨ : « لا عليكم أن تخفوا » .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨: « استقل » .

إلى أبى عبيدةَ ليستخرِجَه منه : أن سلَامٌ عليك ، أمَّا بعدُ ، فإنَّه قد عرَضَتْ لى إليك حاجةٌ أُريدُ أنْ أُشافِهَك بها ، فعزَمتُ عليك إذا نظَرْتَ فى كِتابى هذا أن لا تضَعَه مِن يَدِك حتى تُقْبِلَ إلىَّ . قال : فعرَف أبو عبيدةَ أنَّه إنَّما أراد أن يستَخْرِجَه مِن الوباءِ . فقال : يَغفِرُ اللَّهُ لأميرِ المؤمنينَ ! ثم كتَب إليه : يا أميرَ المؤْمنين ، إنِّى قد عرَفتُ حاجتَك إلىَّ ، وإنِّى فى جُندٍ مِن المسلمين لا أجِدُ بنَفْسِى رَغْبةً عنهم ، فلستُ أُريدُ فِراقَهم حتى يَقضِىَ اللَّهُ فىَّ وفيهم أمْرَه وقضاءَه ، فخَلِّنى[1] مِن عَزيمَتِك يا أميرَ المؤمنينَ ، ودَعْنى و[2]جُنْدِى . فلمَّا قرَأ عمرُ الكتابَ بكَى ، فقال الناسُ : يا أميرَ المؤْمنين أمات أبو عبيدةَ ؟ قال : لا ، وكأنْ قدْ . قال : ثم كتَب إليه : سلَامٌ عليك ، [3]أمَّا بعدُ ، فإنَّك[3] أنزَلْتَ الناسَ أرضًا غَمِقَةً[4] ، فارفَعْهم إلى أرضٍ مُرتفِعةٍ نَزِهَةٍ . قال أبو موسى : فلمَّا أتاه كتابُه دعانى فقال : يا أبا موسَى ، إنَّ كِتابَ أميرِ المؤْمنين قد جاءنى بما تَرَى ، فاخرُجْ فارْتَدْ للناسِ مَنْزِلًا حتى أتْبَعَك بهم ، فرجَعتُ إلى مَنزِلى لأرتحِلَ ، فوجَدْتُ صاحبَتى قد أُصيبَتْ ، فرجَعْتُ إليه فقلتُ : واللَّهِ لقد كان فى أهلِى حَدَثٌ . فقال : لعلَّ صاحبَتَك قد أُصيبَتْ ؟ قلتُ : نعَم . فأمَر ببعيرِه[5] فرُحِلَ له ، فلمَّا وضَع رِجْلَه فى غَرْزِه طُعِنَ ، فقال : واللَّهِ لقد أُصِبْتُ . ثم سار بالناسِ حتى نزَل الجابيَةَ ، ورُفِعَ عن الناسِ الوباءُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[6] ، عن أبانَ بنِ صالحٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٤/٦١ ، والكامل ٢/٥٥٩ : « فحللنى » .

(٢) فى م : « فى » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « وأنى » .

(٤) فى الأصل : « عميقة » ، وفى ا ١٥، ا ٨، م ، ص ، نسخة للطبرى : « عميقة » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وغمقة : قريبة من المياه والنزوز والخضر . النهاية ٣/ ٣٨٨.

(٥) فى م : « ببعير » .

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٦١، ٦٢. عن ابن إسحاق به .

رابةَ - رجلٍ مِن قومِه ، وكان قد خلَف على أُمِّه بعدَ أبيه ، وكان قد شهِد طاعونَ عَمَواسَ - قال : لمَّا اشتَعل[1] الوَجَعُ ، قام أبو عبيدةَ فى الناسِ خطيبًا فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّ هذا الوَجَعَ رحمةٌ بكم[2] ، ودعوةُ نبيِّكم ، وموتُ الصالحينَ قبلَكم ، وإنَّ أبا عبيدةَ يسألُ اللَّهَ أن يَقسِمَ لأبى عبيدةَ حَظَّه . فطُعِنَ فمات ، واستُخلِفَ على الناسِ مُعاذُ بنُ جبلٍ ، فقام خطيبًا بعدَه ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّ هذا الوَجَعَ رحمةُ رَبِّكم[3] ، ودعوةُ نبيِّكم ، وموتُ الصالحينَ قبلَكم ، وإنَّ معاذًا يسألُ اللَّهَ تعالى أن يَقسِمَ لآلِ مُعاذٍ حَظَّهم . فطُعِن ابنُه عبدُ الرحمنِ ، فماتَ ، ثم قام فدَعا لنفسِه ، فطُعِن فى راحَتِه ، فلقد رأيتُه يَنظُرُ إليها ثم يُقَلِّبُ[4] ظَهْرَ كَفِّه ثم يقولُ : ما أُحِبُّ أنَّ لى بما فيكِ شيئًا مِن الدُّنيا . فلمَّا مات استُخلِف على الناسِ عمرُو بنُ العاصِ ، فقام فيهم خطيبًا فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّ هذا الوَجَعَ إذا وقَع فإنَّما يَشتعِلُ اشتعالَ النَّارِ ، فتَحَصَّنوا منه فى الجبالِ . فقال أبو وائلةَ[5] الهُذَلِيُّ : كذَبْتَ[6] ، واللَّهِ لقد صَحِبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنتَ شرٌّ مِن حِمارى هذا . فقال : واللَّهِ ما أرُدُّ عليكَ ما تقولُ ، وايمُ اللَّهِ لا نُقيمُ عليه . قال : ثم خرَج وخرَج الناسُ فتَفَرَّقوا ودفَعه اللَّهُ عنهم . قال : فبلَغ ذلك عمرَ بنَ الخطابِ مِن رأيِ عمرِو بنِ العاصِ ، فواللَّهِ ما كرِهَه .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ولمَّا انتهَى إلى عمرَ مُصابُ أبى عبيدةَ ويزيدَ بنِ أبى سفيانَ ، أمَّر مُعاويةَ على جُندِ دِمشقَ وخَراجِها ، وأمَّر شُرَحْبِيلَ ابنَ حَسَنةَ على

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « استقل » .
(٢) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « ربكم » .
(٣) فى م : « بكم » .
(٤) فى تاريخ الطبرى : « يقبل » .
(٥) فى النسخ : « وائل » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٦) سقط من الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص .
(٧) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٦٢ .

جُندِ الأُرْدُنِّ وخَراجِها .

وقال سيفُ [٥/١١٢و] بنُ عمرَ[١] عن شيوخِه قالوا : لمَّا كان طاعونُ عَمَواسَ ووقَع مرَّتين لم يُرَ مثلُهما ، وطال مُكْثُه ، وفَنِيَ خَلْقٌ كثيرٌ مِن الناسِ ، حتى طمِع العدوُّ ، وتَخوَّفتْ قلوبُ المسلمين لذلك .

قلتُ : ولهذا قدِم عمرُ بعدَ ذلك إلى الشامِ ، فقسَم مواريثَ الذين ماتوا لمَّا أَشْكَل أمرُها على الأمراءِ ، وطابتْ قلوبُ الناسِ بقدومِه ، وانقمَعَتِ الأعداءُ مِن كلِّ جانبٍ لمجيئِه إلى الشامِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

[٢]قال سيفٌ : وأصاب أهلَ البصرةِ تلك السنة طاعونٌ أيضًا ، فمات بشَرٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، رحِمهم اللَّهُ ، ورَضِى اللَّهُ عنهم أجمعين[٢] . قالوا[٣] : وخرَج الحارثُ بنُ هِشامٍ فى سبعين مِن أهلِه إلى الشامِ ، فلم يرجِعْ منهم إلَّا أربعةٌ ، فقال المُهاجِرُ بنُ خالدٍ فى ذلك :

مَنْ يَسْكُنِ الشامَ يُعَرِّسْ بِهِ ... والشَّامُ إنْ لم يُفْنِنا كارِبُ
أَفْنَى بَنى رَيْطَةَ[٤] فُرسانُهمْ ... عِشْرونَ لم يُقصَصْ لهم شارِبُ
ومِن بَنى أعمامِهم مِثلَهم ... لِمِثلِ هذا يَعجَبُ العاجِبُ
طَعْنًا وطاعُونًا مَنايا هُمُ ... ذلك ما خَطَّ لنا الكاتِبُ

وقال سيفٌ[٥] - بعدَ ذِكْرِه قدومَ عمرَ بعدَ طاعونِ عَمَواسَ فى آخِرِ سنةِ سبعَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٦٣ بنحوه .
(٢ - ٢) زيادة من : م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٤/٦٣ بنحوه .
(٣) المصدر السابق ٤/ ٦٥. من طريق سيف عن مجالد عن الشعبى .
(٤) فى الأصل ، ا ٨: «رطبة» ، وفى ص : «قريظة» .
(٥) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٥، ٦٦.

عَشْرَةَ - قال: فلمَّا أراد القفولَ إلى المدينةِ فى ذى الحِجَّةِ منها، خطَب الناسَ فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه، ثم قال: ألَا إنِّى قد وُلِّيتُ عليكم وقضَيتُ الذى علىَّ فى الذى ولَّانى اللَّهُ مِن أمرِكم إنْ شاء اللَّهُ، فبسَطْنا[1] بينَكم فَيْئَكم ومنازِلَكم ومَغازِيَكم، وأبلَغْناكم ما لَدَيْنا، فجنَّدْنا لكم الجنودَ، وهيَّأْنا لكم الفُروجَ[2]، وبوَّأْنا لكم، ووسَّعْنا عليكم ما بلَغ فَيْئُكم وما قاتَلْتم عليه مِن شامِكم، وسمَّيْنا لكم أَطْعِماتِكم[3]، وأمَرنا لكم بأَعْطِياتِكم وأرزاقِكم ومغانِمِكم، فمَن عَلِم شيئًا ينْبَغى العملُ به فلْيُعلِمْنا نعمَلْ به إن شاءَ اللَّهُ، ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ. قال: وحضَرتِ الصلاةُ فقال الناسُ: لو أمَرْتَ بلالًا فأذَّن! فأمَره فأذَّن، فلم يَبْقَ أحدٌ كان أدْرَك رسولَ اللَّهِ ﷺ وبلالٌ يؤذِّنُ إلَّا بكَى حتى بَلَّ لحْيَتَه، وعمرُ أشدُّهم بُكاءً، وبكَى مَن لم يدرِكْه لبُكائِهم ولذكرِه ﷺ.

وذكَر ابنُ جريرٍ[4] فى هذه السنةِ، مِن طريقِ سيفِ بنِ عمرَ عن أبى المُجالِدِ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بعَث يُنكِرُ على خالدِ بنِ الوليدِ فى دخولِه إلى الحمَّامِ، وتَدَلُّكِه بعدَ النُّورَةِ بعُصْفُرٍ معجونٍ بخمرٍ، فقال فى كتابِه: إنَّ اللَّهَ قد حرَّم ظاهرَ الخمرِ وباطنَه، كما حرَّم ظاهرَ الإثمِ وباطنَه، وقد حرَّم مسَّ الخمرِ فلا تُمِسُّوها أجسادَكم فإنَّها نَجَسٌ، فإن فعَلْتم فلا تَعودوا. فكتَب إليه خالدٌ: إنَّا قتَلْناها فعادتْ غَسُولًا غيرَ خمرٍ. فكتَب إليه عمرُ: إنِّى أظُنُّ أنَّ آلَ المُغيرَةِ قد ابْتُلوا بالجَفاءِ، فلا أماتَكم اللَّهُ عليه. فانتَهى لذلك.

---

(١) فى تاريخ الطبرى «قسطنا».

(٢) فى م: «العروج».

(٣) فى تاريخ الطبرى: «أطماعكم».

(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٦.

كائنةٌ غريبةٌ فيها عُزِل خالدٌ عن قِنَّسْرِينَ أيضًا

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ أدرَب خالدُ بنُ الوليدِ وعِياضُ بنُ غَنْمٍ ، أى سلكَا دَرْبَ الرومِ وأغارَا عليهم ، فغَنِموا أموالًا عَظيمةً وسبيًا[2] كثيرًا . ثم روَى[3] مِن طريقِ سيفٍ ، عن أبى عثمانَ وأبى حارثةَ والربيعِ وأبى المُجالِدِ ، [٥/ ١١٢ظ] قالوا : لمَّا رجَع خالدٌ ومعه أموالٌ جزيلةٌ مِن الصائِفَةِ ، انتَجَعه الناسُ يَبتَغُون رِفْدَه ونائِلَه ، فكان ممَّن دخَل[4] عليه الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ ، فأجازَه بعَشَرَةِ آلافٍ ، فلمَّا بلَغ ذلك عمرَ كتَب إلى أبى عبيدةَ يأمُرُه أن يُقيمَ خالدًا ، ويكشِفَ عِمامَتَه ، وينزِعَ عنه قَلَنْسُوَتَه ، ويُقيِّدَه بعِمامَتِه ، ويسألَه عن هذه العَشَرَةِ آلافٍ ، إن كان أجازها الأشْعَثَ مِن مالِه فهو سَرَفٌ ، وإن كان مِن مالِ الصائفَةِ فهى خيانةٌ ، ثم اعزِلْه عن عملِه . فطلَب أبو عبيدةَ خالدًا ، وصعِد أبو عبيدةَ المِنْبَرَ ، وأُقيمَ خالدٌ بين يَدَيِ المِنْبَرِ ، وقام إليه بلالٌ ففعَل به ما أمَر عمرُ بنُ الخطابِ هو والبَرِيدِىُّ الذى قدِم بالكتابِ . هذا وأبو عبيدةَ ساكتٌ لا يتكلَّمُ ، ثم نزَل أبو عبيدةَ واعتذَر إلى خالدٍ ممَّا كان بغيرِ اختيارِه وإرادتِه ، فعذَره خالدٌ ، وعرَف أنَّه لا قَصْدَ له فى ذلك . ثم سار خالدٌ إلى قِنَّسْرِينَ ، فخطَب أهلَ[5] البلدِ ووَدَّعهم ، وسار بأهلِه إلى حِمْصَ فخطَبهم أيضًا ووَدَّعهم وسار إلى المدينةِ ، فلمَّا دخَل خالدٌ على عمرَ أنشَد عمرُ قولَ الشاعرِ[6] :

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٦٦ بنحوه .

(٢) فى ا ١٥: « شيئًا » .

(٣) المصدر السابق ٤/٦٧، ٦٨.

(٤) فى ا ١٥، ا ٨، ص : « قدم » .

(٥) فى الأصل : « إلى » .

(٦) البيت فى تاريخ الطبرى ٤/٦٨.

صَنَعْتَ فلم يَصْنَعْ كصُنْعِكَ صانِعٌ وما يَصْنَعِ الأقوامُ فاللَّهُ صانِعُ

ثم سأله : مِن أين هذا اليسارُ الذى تُجيزُ منه[1] بعَشَرَةِ آلافٍ ؟ فقال : مِن الأنفالِ والسُّهْمانِ . قال : فما زاد على السِّتين ألفًا فلك . ثم قوَّم أموالَه وعُروضَه وأخَذ منه عشرين ألفًا ، ثم قال : واللَّهِ إنَّك علىَّ لكريمٌ ، وإنك إلىَّ لَحبيبٌ ، ولن تَعمَلَ لى بعدَ اليومِ على شىءٍ .

وقال سيفٌ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ[3] المُسْتَوْرِدِ ، عن أبيه ، عن عَدِىِّ بنِ سُهَيْلٍ[4] قال : كتَب عمرُ إلى الأمصارِ : إنِّى لم أعزِلْ خالدًا عن سُخْطَةٍ ولا خيانةٍ ، ولكنَّ الناسَ فُتِنوا به ، فأحببتُ أن يَعلَموا أنَّ اللَّهَ هو الصانِعُ . ثم رواه سيفٌ[5] عن مُبَشِّرٍ ، عن سالمٍ قال : لمَّا قدِم خالدٌ على عمرَ . فذكَر مثلَه .

قال الواقدىُّ[6] : وفى هذه السنةِ اعتمَر عمرُ فى رجبٍ منها ، وعمَّر فى المسجدِ الحرامِ ، وأمَر بتجديدِ أنصابِ الحَرَم ، أمَر بذلك لمَخْرَمَةَ بنِ نَوْفَلٍ ، وأزهرَ بنِ عبدِ عَوْفٍ ، وحُوَيْطِبِ بنِ عبدِ العُزَّى ، وسعيدِ بنِ يَرْبُوعٍ .

قال الواقِدِىُّ[7] : وحدَّثنى كَثِيرُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنىُّ[8] ، عن أبيه ، عن جَدِّه قال : [9]قَدِمْنا مع[9] عمرَ مكةَ فى عُمْرَةِ سنةِ سَبْعَ عَشْرَةَ ، فمرَّ بالطريقِ[10] فكلَّمه

---

(١) فى الأصل ، ا ٨: « به » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٨.

(٣) فى النسخ : « عن » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى النسخ : « سهل » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) المصدر السابق .

(٦) ذكره الطبرى فى تاريخه ٤/ ٦٨، ٦٩.

(٧) المصدر السابق ٤/ ٦٩.

(٨) فى الأصل ، م : « المرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١٣٦.

(٩ - ٩) فى م : « قدم » .

(١٠) فى م : « فى الطريق » .

أهلُ المياهِ أن يَبْنُوا منازلَ بين مكةَ والمدينةِ - ولم يكنْ قبلَ ذلك بناءٌ - فأذِن لهم وشرَط عليهم أنَّ ابنَ السبيلِ أحقُّ بالظِّلِّ والماءِ.

قال الواقديُّ[1] : وفيها تزوَّج عمرُ بأمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، مِن فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ودخَل بها فى ذِى القَعْدَةِ . وقد ذكَرنا فى « سِيرةِ عمرَ » و « مسندِه » صفةَ تَزويجِه بها ، وأنَّه أمْهَرَها أربعين ألفًا ، وقال : إنما تَزوَّجْتُها لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « كلُّ سببٍ ونَسَبٍ فإنَّه ينْقطِعُ يومَ القيامةِ إلَّا سَبَبى ونَسَبى »[2] .

قال[3] : وفى هذه السنةِ ولَّى عمرُ أبا موسى الأشعرىَّ البصرةَ ، وأمَره أن يُشخِصَ إليه المغيرةَ بنَ شعبةَ فى ربيعِ الأولِ ، فشهِد عليه - فيما حدَّثنى مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ - أبو بَكْرةَ ، وشِبْلُ بنُ مَعْبَدٍ البَجَلىُّ ، ونافعُ ابنُ كَلَدَةَ[4] ، وزِيادٌ . ثم ذكَر الواقدىُّ وسيفٌ[5] هذه القصةَ ، وملخَّصُها أنَّ امرأةً كان يُقالُ لها : أمُّ جَميلٍ بنتُ الأفْقَمِ ، مِن نساءِ بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، ويُقالُ : [٥/١١٣و] مِن نساءِ بنى هِلالٍ . وكان زوجُها مِن ثَقيفٍ قد تُوفِّى عنها ، وكانت تَغشَى نساءَ الأمراءِ والأشرافِ ، وكانت تَدخُلُ على بيتِ المغيرةِ بنِ شُعبةَ وهو أميرُ البصرةِ ، وكانت دارُ المغيرةِ تُجاهَ دارِ أبى بَكْرةَ ، وكان بينَهما الطريقُ ، وفى

---

(١) السابق ٤/ ٦٩.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/٣٦ ، ٣٧ (٢٦٣٣) (٢٦٣٤) ، والأوسط (٦٦٠٥) . والبزار ، كشف الأستار (٢٤٥٥) (٢٤٥٦) . والبيهقى ، فى : السنن الكبرى ٧/ ١١٤. والحاكم بنحوه فى المستدرك ٣/ ١٤٢. وقال : صحيح الإسناد . وقال الذهبى : منقطع . وانظر التلخيص الحبير ٣/ ١٤٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٩.

(٤) فى النسخ : « عبيد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر أسد الغابة ٥/ ٣٠١. ويأتى على الصواب فيما بعد .

(٥) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٩- ٧٢.

دارِ أبى بَكْرةَ كُوَّةٌ تُشْرِفُ على كُوَّةٍ فى دارِ المغيرةِ ، وكان لا يَزالُ بين المغيرةِ وبين أبى بَكْرةَ شَنآنٌ ، فبينَما أبو بَكْرةَ فى دارِه وعندَه جماعةٌ يتحدَّثون فى العُلِّيَّةِ ، إذ فتَحتِ الريحُ بابَ الكُوَّةِ ، فقام أبو بَكْرةَ ليُغلِقَها ، فإذا كُوَّةُ المغيرةِ مفتوحةٌ ، وإذا هو على صَدْرِ امرأةٍ وبينَ رِجْلَيْها ، وهو يُجامِعُها ، فقال أبو بَكْرةَ لأصحابِه : تَعالَوْا فانْظُروا إلى أميرِكم يَزْنِى بأُمِّ جميلٍ . فقاموا فنظَروا إليه وهو يُجامِعُ تلك المرأةَ ، فقالوا لأبى بَكْرةَ : ومِن أين قلتَ إنها أُمُّ جميلٍ ؟ وكان رَأْساهما مِن الجانبِ الآخَرِ ، فقال : انتظِروا . فلمَّا فرَغا قامتِ المرأةُ ، فقال أبو بَكرةَ : هذه أُمُّ جميلٍ . فعرَفوها فيما يظُنُّونَ ، فلمَّا خرَج المغيرةُ - وقد اغتَسل - ليُصلِّىَ بالناسِ منَعه أبو بَكْرةَ أن يَتقدَّمَ . وكتَبوا إلى عمرَ فى ذلك ، فولَّى عمرُ أبا موسى الأشعرِىَّ أميرًا على البصرةِ ، وعزَل المغيرةَ ، فسار إلى البصرةِ فنزَل[1] بالمِرْبَدِ[2] ، فقال المغيرةُ : واللَّهِ ما جاء أبو موسى تاجرًا ولا زائرًا ولا جاء إلَّا أميرًا . ثم قدِم أبو موسى على الناسِ ، وناوَل المغيرةَ كتابًا مِن عمرَ ، هو أوْجَزُ كتابٍ ، فيه : أمَّا بعدُ ، فإنَّه بلَغنى نبأٌ عظيمٌ ، فبعَثْتُ أبا موسى أميرًا ، فسلِّمْ ما فى يدَيْك ، والعَجَلَ . وكتَب إلى أهلِ البصرةِ : إنِّى قد ولَّيتُ عليكم أبا موسى ليأخُذَ مِن قويِّكم لضعيفِكم ، وليقاتِلَ بكم عدوَّكم ، وليدفَعَ عن دينِكم ، وليجْبِىَ لكم فيئَكم ، [3]ثم يقسِمَه[3] فيكم . وأهدَى المغيرةُ لأبى موسى جاريةً مِن مُوَلَّدَاتِ الطائفِ تُسمَّى عقيلةَ ، [4]وقال : إنِّى رضِيتُها لك . وكانت فارِهةً . وارتحَل المغيرةُ[4]

---

(١) فى الأصل ، ا ٨: « فبرد » .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨: « البريد » ، وفى م : « البرد » ، وفى ص : « الربد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٧١، وانظر معجم البلدان ٤/ ٤٨٣.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ٨، وفى ا ١٥ ، ص : « وليقسمه » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

[1] والذين شهِدوا عليه [1] [2] إلى عمرَ [2] ، وهُم أبو بَكْرةَ ، ونافعُ بنُ كَلَدَةَ ، وزيادُ ابنُ أبيه [3] ، وشِبْلُ بنُ مَعْبَدٍ البَجَلىُّ ، فلمَّا قدِموا على عمرَ جمَع بينَهم وبين المغيرةِ ، فقال المغيرةُ : سَلْ هؤلاء الأعبدَ كيف رأَوْنى ؛ مُستقبِلَهم أو مُستدْبِرَهم ؟ وكيف رأَوُا المرأةَ أو [4] عرَفوها ؟ فإن كانوا مُستقبِلِىَّ ، فكيف لم يَستتِروا [5] ! أو مُستدبِرِىَّ ، فكيف استحلُّوا النَّظرَ فى منزِلِى إلى امرأتِى ! واللَّهِ ما أتيتُ إلَّا امرأتى . وكانت شَبَهَها [6] . فبدَأ عمرُ بأبى بَكْرةَ ، فشهِد عليه أنَّه رآه بين رِجْلَى أمِّ جَميلٍ ، وهو يُدْخِلُه ويُخرِجُه كالميلِ فى المُكْحُلَةِ . قال : كيف رأيتَهما ؟ قال : مُستدبِرَهما . قال : فكيف استَثْبَتَّ [7] رأسَها [8] ؟ قال : تحامَلْتُ . ثم دعا شِبْلَ بنَ مَعْبَدٍ فشهِد بمثلِ ذلك ، فقال : استَقبَلْتَهما أم استَدْبرْتَهما ؟ قال : استَقبَلْتُهما . وشهِد نافعٌ بمثلِ شهادةِ أبى بَكْرةَ ، ولم يَشهَدْ زيادٌ بمثلِ شهادتِهم ، قال : رأيتُه جالسًا بين رِجْلَىِ امرأةٍ ، فرأيتُ قَدَمَين مَخْضوبَتَينِ يَخْفِقَان ، واستَين مَكْشوفَتين ، وسمِعتُ حَفَزانًا شديدًا . قال : هل رأيتَ كالمِيلِ فى المُكْحُلَةِ ؟ قال : لا . قال : فهل تَعرِفُ المرأةَ ؟ قال : لا ، ولكن أُشَبِّهُها . قال : فتنحَّ . ورُوِى أنَّ عمرَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، كبَّر عندَ ذلك ، ثم أمَر بالثلاثةِ فجُلِدوا الحدَّ ، وهو يَقرأُ قولَه تعالى :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى النسخ : « أمية » . وهو زياد بن أبيه ، مختلف فى اسم أبيه ، وينسب إلى أمه سمية ، واستلحقه معاوية بن أبى سفيان بعد ، فصار ينسب إلى أبى سفيان . انظر الاستيعاب ٢/ ٥٢٣ ، وأسد الغابة ٢/ ٢٧١ ، والإصابة ٢/ ٦٣٩ .

(٤) فى م : « و » .

(٥) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٧١ ، الكامل ٢/ ٥٤١ ، نهاية الأرب ١٩/ ٣٤٧ : « أستتر » .

(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، م ، الكامل ٢/ ٥٤١ ، نهاية الأرب ١٩/ ٣٤٧ : « تشبهها » .

(٧) فى ا ١٥ ، م ، ص : « استبنت » . وهى فى نسخة للطبرى .

(٨) فى الأصل ، ا ٨ : « رءوسهما » .

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ . [النور: ١٣] . فقال المغيرةُ : اشْفِنِى مِن الأعبُدِ . قال : اسكُتْ أسكتَ اللَّهُ نَأْمَتَكَ[١] ، واللَّهِ لو تمَّتِ الشهادةُ لَرَجَمْتُك[٢] بأحجارِك .

فتحُ الأهوازِ ومَناذِرَ ونهرِ تِيرَى

قال ابنُ جريرٍ[٣] : كَان فى هذه السَّنةِ ، [٥/١١٣ظ] وقيلَ : فى سنةِ سِتَّ عَشْرةَ . ثم روَى مِن طريقِ سيفٍ[٤] عن شُيوخِه أنَّ الهُرْمُزانَ كان قد تَغلَّبَ على هذه الأقاليمِ ، وكان ممَّن فَرَّ يومَ القادسيةِ مِن الفُرْسِ ، فجَهَّزَ أبو موسى مِن البصرةِ وعُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ مِن الكوفةِ جَيشَين لقتالِه ، فنصَرَهم اللَّهُ عليه ، وأخَذوا منه ما بينَ دِجْلَةَ إلى دُجَيْلٍ ، وغَنِموا مِن جيشِه ما أرادُوا ، وقَتَلوا مَن أرادُوا ، ثم صانَعَهم وطلَبَ مُصالَحَتَهم عن بَقيَّةِ بلادِه ، فشاوَروا[٥] فى ذلك عُتْبَةَ بنَ غَزْوانَ فصالَحَه ، وبعَث بالأخماسِ والبِشارةِ إلى عمرَ ، وبعَث وَفْدًا فيهم الأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ ، فأُعْجِبَ عمرُ به ، وحَظِى عندَه ، وكتَب إلى عُتْبَةَ يُوصِيه به ، ويأمُرُه بمُشاورَتِه والاستعانةِ برأيِه . ثم نقَض الهُرْمُزانُ العهدَ والصُّلحَ ، واستعان بطائفةٍ مِن الأكرادِ ، وغَرَّتْه نفسُه ، وحَسَّنَ له الشيطانُ عملَه فى ذلك ، فبَرَز إليه المسلمون فنُصِروا عليه ، وقَتَلُوا مِن جيشِه جَمًّا غفيرًا ، وخَلْقًا كثيرًا[٦] ، واستلَبُوا منه ما بيدِه

---

(١) فى النسخ : « فاك » تصحيف ، صوابه من الطبرى . والنأمة : من النئيم ، وهو الصوت الضعيف ، اللسان (ن ء م) .

(٢) فى الأصل ، م : « لرجمناك » .

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٧٢.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٧٢- ٧٤.

(٥) فى ا ١٥: « فساوروا » . وفى م : « فشاورا » .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « وجمعا عظيما » .

مِن الأقاليمِ والبُلدانِ[1] إلى تُسْتَرَ، فتَحصَّنَ بها، وبَعثُوا إلى عمرَ بذلك. وقد قال الأسودُ بنُ سَرِيعٍ فى ذلك[2]، وكان صَحابِيًّا، رَضِى اللَّهُ عنه:

لَعَمْرُكَ ما أضاعَ بنو أبينا ... ولكنْ حافَظوا فى مَن يُطيعُ[3]
أطاعُوا رَبَّهُمْ وعَصاهُ قومٌ ... أضاعُوا أمْرَه فى مَن يُضِيعُ[4]
مَجُوسٌ لايُنَهْنِهُهَا[5] كتابٌ ... فلاقَوْا كَبَّةً[6] فيها قُبُوعُ[7]
ووَلَّى الهُرْمُزانُ على جَوَادٍ ... سَرِيعِ الشَّدِّ يَثْفِنُه[8] الجَميعُ
وخَلَّى[9] سُرَّةَ الأهوازِ كَرْهًا ... غَداةَ الجِسْرِ إذ نَجَم الرَّبيعُ

وقال حُرْقُوصُ بنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِىُّ[10]، وكان صَحابِيًّا أيضًا:

غَلَبْنا الهُرْمُزانَ على بلادٍ ... لها فى كلِّ ناحيةٍ ذخائِرْ
سَواءٌ بَرُّهم والبحرُ فيها ... إذا صارَت نواحِيها[11] بَواكِرْ
لها بحرٌ يَعِجُّ بجانِبَيْهِ ... جَعافِرُ لا يزالُ لها زواخِرْ

---

(١) بعده فى ا ٨: «وهرب».
(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٧٦، ٧٧.
(٣) فى الأصل، م: «يطيعوا». وفى ا ٨: «يطبع». وفى ص: «يضايع».
(٤) بعده فى ا ٨: «فسلط أهل طاعته عليهم ... أبادوهم خلت منهم ربوع».
(٥) فى الأصل، ا ١٥: «ينهها»، وفى ا ٨، ص: «يهنها». وينهنهها: يزجرها ويكفها.
(٦) فى الأصل، ا ٨: «كتبه»، وفى ا ١٥، ص: «كتبة». والكبة: جماعة الناس وغيرهم.
(٧) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص: «قنوع».
(٨) فى الأصل، ص: «يتبعه»، وفى ا ١٥، ا ٨: «تتبعه». ويثفنه، أى: يطرده.
(٩) فى الأصل: «حلى»، وفى ا ١٥: «جلى»، وفى ص: «خيل».
(١٠) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٧٧.
(١١) فى تاريخ الطبرى: «نواجبها».

فتح تُستَر المَرَّة الأُولى صُلحًا

قال ابنُ جَرير[1] : كان ذلك فى هذه السَّنةِ ، فى قَوْلِ سَيْفٍ ورِوايَتِه ، وقال غيرُه : فى سَنةِ سِتَّ عَشْرَةَ ، وقال غيرُه : كان فى سنةِ تِسْعَ عَشْرَةَ . ثم قال ابنُ جَرير[2] : ذكْرُ الخبرِ عن فتحِها . ثم ساق مِن طريقِ سَيْفٍ ، عن محمدٍ وطَلْحةَ والمُهَلّبِ وعمرٍو ، قالوا : لمَّا افْتَتَح حُرْقُوصُ بنُ زهيرٍ سُوقَ الأهْوازِ ، وفَرَّ الهُرْمُزانُ [3]بينَ يَديْه[3] ، فبعَث فى إثرِه جَزْءَ بنَ معاويةَ - وذلك عن كتابِ عمرَ بذلك - فما زالَ جَزْءٌ يَتْبَعُه حتى انتهَى إلى رامَهُرْمُزَ ، فتَحَصَّن الهُرْمُزانُ فى بلادِها ، وأعْجَزَ جَزْءًا تَطَلُّبُه ، واستحوَذ جَزْءٌ على تلك البلادِ والأقاليمِ والأراضِى ، فضَرَبَ الجِزْيةَ على أهلِها ، وعَمَر عامِرَها ، وشَقَّ الأنهارَ إلى خَرابِها ومَواتِها ، فصارت فى غايةِ العمارةِ والجودةِ . ولمَّا رأَى الهُرْمُزانُ[4] ضِيقَ بلادِه عليه بمجاورةِ[5] المسلمِين ، طلَب مِن جَزْءِ بنِ معاويةَ المُصَالحةَ ، فكتَب إلى حُرْقُوصٍ ، فكتَب حُرْقُوصٌ إلى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ ، وكتَب [٥/١١٤و] عُتْبَةُ إلى عمرَ فى ذلك . فجاء الكِتابُ العُمَرِىُّ بالمُصالحةِ على رامَهُرْمُزَ وتُسْتَرَ [6]وجُنْدَيْسابُورَ[6] ، ومَدائِنَ أُخَرَ مع ذلك . فوقَع الصُّلحُ على ذلك ، كما أمَرَ به عمرُ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٧٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٧٧.

(٣ - ٣) فى ا ٨: «إلى تستر».

(٤) بعده فى الأصل : «أن».

(٥) فى ا ٨: «بمجاورته»، وفى م : «لمجاورة».

(٦ - ٦) فى الأصل: «وجند نسيابور»، وفى م : «وجند سابور». وانظر معجم البلدان ٢/ ١٣٠.

ذكرُ غزوِ بلادِ فارسَ مِن ناحيةِ البحرَيْن

(١)وذلك فى هذه السنةِ فيما حكاه(١)

(٢)ابنُ جَريرٍ(٢) عن سَيْفٍ(٣)

وذلك أنَّ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ كان على البحرَيْنِ فى أيامِ الصِّديقِ ، فلمّا كان عمرُ عَزَله عنها ووَلّاها لقُدامةَ بنِ مَظْعُونٍ ، ثم أعاد العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ إليها ، وكان العَلاءُ بنُ الحَضْرَمِيِّ يُبارِى(٤) سعدَ بنَ أبى وَقّاصٍ ، فلمّا افتتَحَ سعدٌ القادسيةَ ، وأزاحَ كِسْرَى عن دارِه ، وأخَذ حُدودَ ما يلى السَّوادَ ، (٥)واستعْلَى(٥) ، وجاء بأعظمَ ممَّا جاء به العَلاءُ مِن ناحيةِ البحرَيْنِ ، فأَحبَّ العَلاءُ(٦) أن يفعَلَ فِعْلًا فى فارِسَ نظيرَ ما فعَله سعدٌ فيهم ، فندَب الناسَ إلى حَرْبِهم ، فاستجاب له أهلُ بلادِه ، فجزَّأَهم أجزاءً ، فعلى فِرْقةٍ الجارُودُ بنُ المُعَلَّى ، وعلى الأُخرَى السَّوّارُ بنُ هَمَّامٍ ، وعلى الأُخرَى خُلَيْدُ بنُ المنذرِ بنِ ساوَى ، وخُلَيْدٌ هو أميرُ الجماعةِ . فحَمَلهم فى البحرِ إلى فارِسَ ، وذلك بغيرِ إذنِ عمرَ له فى ذلك - وكان عمرُ يَكرَهُ ذلك ؛ لأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ولا(٧) أبا بكرٍ(٨) أغْزَيَا فيه المسلمين - فعَبَرَت

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « عن ابن جرير » .

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٧٩- ٨٣.

(٤) فى ا ١٥: « يمارى » .

(٥ - ٥) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨: « استعلى » .

(٦) سقط من : الأصل، ا ١٥، ص .

(٧) سقط من : م .

(٨) بعده فى م : « ما » .

تلك الجنودُ مِن البحرَيْن إلى فارِسَ ، فخرَجُوا مِن عندِ إصْطَخْرَ ، فحالَتْ فارِسُ بينَهم وبينَ سُفُنِهم ، فقام فى الناسِ خُلَيْدُ[1] بنُ المنذرِ ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّما أرادَ هؤلاءِ القومُ بصَنيعِهم هذا مُحاربَتَكم ، وأنتم [2]إنَّما جئتُم[2] لمحاربَتِهم ، فاستعِينُوا باللَّهِ وقاتِلُوهم ، فإنَّما الأرضُ والسُّفُنُ لمَن غلَب : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. [البقرة : ٤٥] . فأجابُوه إلى ذلك فصَلَّوُا الظهرَ ثم ناهَدُوهم ، فاقْتَتَلُوا قِتالًا شديدًا فى مكانٍ مِن الأرضِ يُدْعَى طَاوُسَ ، ثم أمَر خُلَيْدٌ المسلمين فترجَّلوا ، وقاتَلوا فصبَروا ، ثم ظفِروا ، فقَتَلوا فارِسَ مَقتَلَةً لم يُقْتَلُوا قبلَها مثلَها ، ثم خَرَجُوا يُريدونَ البصرةَ فغَرِقَت بهم سُفُنُهم ، ولم يَجِدوا إلى الرجوعِ فى البحرِ سبيلًا ، ووجَدوا شَهْرَكَ فى أهلِ إصْطَخْرَ قد أخَذوا على المسلمين بالطُّرُقِ[3] ، فعَسْكَروا وامتنَعوا مِن العَدُوِّ. ولمَّا بلَغ عمرَ ما صنَع العلاءُ بنُ الحَضْرَمىِّ ، اشتدَّ غَضَبُه عليه ، وبعَث إليه ، فعَزَله وتوَعَّده ، وأمَره بأثقلِ الأشياءِ عليه ، وأبغضِ الوُجوهِ إليه ، فقال : الْحَقْ بسعدِ بنِ أبى وَقاصٍ [4]فى مَن قِبَلَكَ[4] . فخرَج العَلاءُ إلى سعدِ بنِ أبى وَقاصٍ مُضافًا إليه ، وكتَب عمرُ إلى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ : إنَّ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمىِّ خرَج بجيشٍ فأقطَعَهم أهلُ فارِسَ ، وعَصانى ، وأظُنُّه لم يُرِدِ اللَّهَ بذلك ، فَخشِيتُ عليهم إن لا يُنْصَروا ، أن[5] يُغلَبوا وينشَبُوا[6] ، فاندُب إليهم الناسَ ، واضمُمْهم إليك مِن قبلِ أن يُجتاحُوا[7] . فندَب عُتْبَةُ المسلمين

---

(١) فى الأصل ، ا ٨: « خالد » .
(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥، وفى الأصل ، م : « جئتم » .
(٣) فى الأصل : « فى الطرق » ، وفى ا ٨: « الطرق » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « وأن » .
(٦) نشب فى الشىء إذا وقع فيما لا مخلص له منه .
(٧) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « يحتاجوا » . وبعده فى ا ٨: « عن آخرهم » .

وأخبَرهم بكِتابِ عمرَ إليه فى ذلك ، فانتدَب جماعةٌ مِن الأُمراءِ الأبطالِ ؛ منهم [1] هاشمُ بنُ عُتْبةَ بنِ أبى وَقّاصٍ [1] ، وعاصمُ بنُ عمرٍو [2] ، وعَرْفَجَةُ بنُ هَرْثَمةَ ، وحُذيفةُ بنُ مِحْصَنٍ ، والأحْنَفُ بنُ قيسٍ ، وغيرُهم ، فى اثْنَىْ عشَرَ ألفًا ، وعلى الجميعِ [3] أبو سَبْرَةَ [3] بنُ أبى رُهْمٍ . فخرَجوا على البِغالِ يَجْنُبُون الخيلَ سِراعًا ، فسارُوا على الساحلِ لا يَلْقَوْن أحَدًا ، حتى انتهَوْا إلى مَوْضعِ الوَقْعةِ التى كانت بينَ المسلمين مِن أصحابِ العَلاءِ وبينَ أهلِ فارِسَ ، بالمكانِ المسمَّى بطاوُسَ ، وإذا خُلَيْدُ بنُ المنذرِ ومَن معه [4] مِن المسلمين مَحصورُون ، قد أحاط بهم العَدُوُّ مِن كلِّ جانِبٍ ، وقد تداعت عليهم تلك الأُمَمُ مِن كلِّ وجهٍ ، وقد تكامَلَت أمدادُ المشْرِكين ، ولم يَبْقَ إلَّا القتالُ ، فقَدِم المسلمون إليهم فى أحوجِ ما هم فيه إليهم ، فالتقَوْا مع المشْرِكين رأسًا ، فكسَر أبو سَبْرَةَ المشرِكين كَسْرةً عظيمةً ، وقتَل منهم مَقتلَةً عظيمةً جدًّا ، وأخَذ منهم أموالًا جَزيلةً باهرةً ، واستنقَذ خُلَيْدًا ومَن معه مِن المسلمين مِن أيدِيهم ، وأعزَّ اللَّهُ [5] به الإسْلامَ وأهلَه ، ودمَغ [6] الشِّركَ وذَلَّه [7] ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، ثم عادُوا إلى عُتْبةَ بنِ غَزْوانَ إلى البصرةِ .

ولمَّا استكمَل عتبةُ فتحَ تلك الناحيةِ ، استأذن عمرَ فى الحجِّ فأذِن له ، فسار

(١ - ١) فى ا ١٥، ص : « سعد بن أبى وقاص » ، وفى الأصل ، م : « هاشم بن أبى وقاص » . وتقدم ذكره فى وقعة جلولاء ٦٩/٧ وما بعدها . ولم يذكره الطبرى فى تاريخه ٨١/٤ فى من انتدبه عتبة ، وكذا ابن الأثير فى الكامل ٢/ ٥٣٩.

(٢) فى ا ٨ : « عمر » . وهو عاصم بن عمرو التميمى ، أخو القعقاع بن عمرو . انظر الإصابة ٣/ ٥٧٤.

(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥، وفى الأصل : « سبرة » ، وفى ا ٨: « شبرة » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٦٦٦.

(٤) فى الأصل ، ا ٨: « تبعه » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى م ، ص : « دفع » .

(٧) فى ا ١٥: « أهله » ، وفى ا ٨: « أذله » .

إلى الحجِّ ، واستخلَف على البصرةِ أبا سَبْرَةَ بنَ أبى رُهْمٍ ، واجتمَع بعمرَ فى المَوْسِمِ ، وسألَه أن يُقِيلَه فلم يَفعَلْ ، وأقسَم عليه لَيَرْجِعَنَّ إلى عَمَلِه . فدعا عُتْبةُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ فمات ببطنِ نخلةَ ، وهو منصرِفٌ مِن الحجِّ ، فتأسَّفَ[1] عليه عمرُ ، وأثنَى عليه خيرًا ، ووَلَّى بعدَه بالبصرةِ المغيرةَ بنَ شُعْبةَ ، فوَلِيَها بقيَّةَ تلك السنةِ والتى تليها ، لم يَقَعْ فى زمانِه حَدَثٌ ، وكان مَرزوقَ السلامةِ فى عملِه . ثم وقَع الكلامُ فى تلك المرأةِ مِن أبى بَكْرةَ ، فكان مِن أمْرِه ما قدَّمْنا . ثم بعَث إليها أبا موسى الأشعَرىَّ واليًا عليها ، رضِى اللَّهُ عنهم .

ذكرُ فتحِ تُستَرَ ثانيةً [2]عَنْوةً والسُّوسِ ورامَهُرْمُزَ[2] وأسْرِ الهُرْمُزانِ وبَعْثِه إلى عمرَ بنِ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه

قال ابنُ جريرٍ[3] : كان ذلك فى هذه السنةِ فى روايةِ سيفِ بنِ عمرَ التميمىِّ . وكان سببَ ذلك أنَّ يَزْدَجِرْدَ كان يُحرِّضُ أهلَ فارسَ فى كلِّ وقتٍ ويؤنِّبُهم بمِلْكِ العربِ بلادَهم وقصدِهم إيّاهم فى حُصُونِهم ، فكتَب إلى أهلِ الأهْوازِ وأهلِ فارِسَ ، فتَحرَّكُوا وتَعاهَدُوا وتعاقَدُوا على حربِ المسلمين ، وأن يقصِدوا البصرةَ . وبلَغ الخبرُ إلى عمرَ ، فكتَب إلى سعدٍ وهو بالكوفةِ : أنِ ابعَثْ جندًا[4] كثيفًا إلى

---

(١) فى م : « فتأثر » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٨٣.

(٤) فى الأصل ، م : « جيشا » .

الأهوازِ مع النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ ، وعجِّلْ ، ولْيَكونوا بإزاءِ الهُرْمُزانِ . وسمَّى رجالًا مِن الشُّجعانِ الأعيانِ الأمراءِ ، يكونون فى هذا الجيشِ ؛ منهم جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ ، وجَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحِمْيرىُّ[1] ، وسُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ ذِى السَّهمَين . وكتَب عمرُ إلى أبى موسى وهو بالبصرةِ : أنِ ابعَثْ إلى الأهوازِ جندًا كثيفًا ، وأمِّرْ عليهم سُهَيْلَ بنَ عَدِىٍّ ، ولْيَكُنْ معه البراءُ بنُ مالكٍ ، وعاصمُ بنُ عمرٍو[2] ، ومَجْزَأَةُ بنُ ثَوْرٍ ، وكَعْبُ بنُ سُورٍ[3] ، وعَرْفَجَةُ بنُ هَرْثَمَةَ ، وحُذَيْفَةُ بنُ مِحْصَنٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ سهلٍ[4] ، والحصينُ بنُ مَعْبَدٍ[5] ، ولْيَكُنْ على أهلِ الكوفةِ وأهلِ البصرةِ جميعًا أبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ ، وعلى كلِّ مَن أتاه مِن المَدَدِ .

قالوا : فسار النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ بجيشِ الكوفةِ فسبَق البصريين ، فانتهَى إلى رَامَهُرْمُزَ وبها الهُرْمُزانُ ، فخرَج إليه الهُرْمُزانُ فى جندِه ، ونقَض العهدَ بينَه وبينَ المسلمين ، فبادَره طمعًا أن يقتَطِعَه قبلَ مَجيءِ أصحابِه مِن أهلِ البصرةِ ، رجاءَ أن يَنصُرَ[6] أهلَ فارِسَ ، فالتقَى معه النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ بأَرْبُكَ[7] ، فاقتتَلا قتالًا شديدًا ، فهُزِم الهُرْمُزانُ وفرَّ إلى تُسْتَرَ ، وتَرَك رامَهُرْمُزَ ، فتَسَلَّمها النُّعمانُ عَنْوةً وأخَذ ما فيها

---

(١) فى ص : « الحيرى » ، وبعده فى الأصل ، ا ٨ ، م : « والنعمان بن مقرن » . انظر الإصابة ١/ ٤٧٦.

(٢) فى الأصل ، ا ٨ : « عمر » .

(٣) فى م : « ثور » .

(٤) فى ا ١٥ : « سهم » .

(٥) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « سعيد » .

(٦) بعده فى الأصل ، ا ٨ : « على » .

(٧) فى النسخ : « بأربل » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٨٤. انظر معجم البلدان ١/ ١٨٥.

مِن الحواصلِ والذخائرِ والسلاحِ والعُدَدِ .

ولمّا وصَل الخبرُ إلى أهلِ البصرةِ بما صنَع الكوفيّون بالهُرْمُزانِ ، وأنه قد[1] فرَّ فلجَأ إلى تُسْتَرَ ، ساروا إليها ، ولَحِقهم أهلُ الكوفةِ حتى أحاطوا بها فحاصَروها جميعًا ، وعلى الجميعِ أبو سَبْرَةَ[2] ، فوجَدوا الهُرْمُزانَ قد حشَد بها خلقًا كثيرًا ، وجمًّا غفيرًا . [٥/١١٥و] وكتَبوا إلى عمرَ فى ذلك وسألوه أن يُمِدَّهم ، فكتَب إلى أبى موسى أن يسيرَ إليهم ، فسار إليهم ، وكان أميرَ أهلِ البصرةِ ، واستمَرَّ أبو سَبْرَةَ[3] على الإمرةِ على جميعِ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ ، فحاصَرَهم أشهُرًا ، وكَثُر القتلُ مِن الفريقَين ، وقتَل البَراءُ بنُ مالكٍ أخو أنسِ بنِ مالكٍ يومَئذٍ مائةً مُبارَزَةً[4] سِوَى مَن قتَل غيرَ ذلك ، وكذلك فعَل كَعْبُ بنُ سُورٍ[5] ، ومَجْزَأَةُ بنُ ثَوْرٍ ، وأبو تَمِيمَةَ[6] ، وغيرُهم مِن أهلِ البصرةِ ، وكذلك أهلُ الكوفةِ قتَل منهم جماعةٌ مائةً مُبارَزةً ؛ كحَبيبِ بنِ قُرَّةَ ، ورِبْعِيِّ بنِ عامرٍ ، وعامرِ بنِ عبدِ[7] الأسْوَدِ[8] ، وقد تزاحَفوا أيامًا متعددةً ، حتى إذا كان فى آخرِ زحفٍ ، قال المسلمون للبَراءِ بنِ مالكٍ - وكان مُجابَ الدعوةِ -: يا بَراءُ ، أقسِمْ على رَبِّك ليهزِمَنَّهم لَنا . فقال : اللهمَّ اهزِمْهم لَنا ، واستَشْهِدْنى . قال : فهزَمَهم المسلمون حتى أدخَلوهم خَنادِقَهم واقتَحَموها عليهم ، ولجَأ المشرِكون إلى البلدِ فتَحصَّنوا به ، وقد ضاقَت

---

(١) سقط من : ا ٨، م .

(٢) فى الأصل : « شبرة » .

(٣) فى الأصل : « شبرة » ، وفى ا ١٥ : « بصرة » .

(٤) فى م ، وتاريخ الطبرى ٥/٨٥ ، ونهاية الأرب ١٩/ ٢٤٣ : « مبارز » .

(٥) فى ا ٨ : « سورة » ، وفى م : « ثور » .

(٦) فى الأصل ، م : « يمامة » ، وفى ص : « عتبة » .

(٧) فى ص : « عدى » .

(٨) فى الأصل ، ا ٨ : « الأسد » .

بهم البلدُ ، وطلَب رجلٌ مِن أهلِ البلدِ الأمانَ مِن أبى موسَى[1] فأمَّنَه ، فبعَث يَدُلُّ المسلمين على مكانٍ يدخُلون منه إلى البلَدِ ، وهو مِن مَدْخَلِ الماءِ إليها ، فندَب الأمراءُ الناسَ إلى ذلك ، فانتَدَب لذلك[2] رِجالٌ مِن الشُّجعانِ والأبطالِ ، وجاءُوا فدخَلوا مع الماءِ - كالبَطِّ - إلى البلدِ ، وذلك فى الليلِ ، فيُقالُ : كان أولَ مَن دخَلها [3]مِن المسلمين[3] عبدُ اللَّهِ بنُ مُغَفَّلٍ[4] المُزَنِىُّ ، وجاءُوا إلى البوَّابِين فأناموهم وفتَحوا الأبوابَ ، وكبَّر المسلمون فدخَلوا البلدَ ، وذلك فى وقتِ الفجرِ إلى أن تعالَى النهارُ ، ولم يُصلُّوا الصبحَ يومئذٍ إلَّا بعدَ طلوعِ الشمسِ[5] ، كما حكاه البخارىُّ[6] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : شَهِدتُ فتحَ تُسْتَرَ ، وذلك عندَ إضاءَةِ[7] الفجرِ ، فاشتغَل الناسُ بالفتحِ ، فما صَلَّوُا الصُّبحَ إلَّا بعدَ طلوعِ الشمسِ ، فما أُحِبُّ أنَّ لى بتلك الصلاةِ حُمْرَ النَّعَمِ . احتَجَّ بذلك البخارىُّ[6] لمكحولٍ والأوزاعىِّ فى ذَهابِهما إلى جَوازِ تأخيرِ الصلاةِ لعُذْرِ القتالِ . وجنَح إليه البخارىُّ ، واستدَلَّ بقصةِ الخندَقِ فى قولِه ﷺ : « شَغلُونا عن الصلاةِ الوُسْطَى ، ملأ اللَّهُ قُبورَهم[8] وبُيوتَهم نارًا »[9] . وبقولِه يومَ بنى قُرَيْظةَ : « لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ مِنْكُمُ العَصْرَ إلّا فى بَنِى

---

(١) فى ص : « يوسف » . والذى فى تاريخ الطبرى ٨٥/٤ ، الكامل ٥٤٧/٢ ، نهاية الأرب ١٩/ ٢٤٤: أن الرجل إنما طلب الأمان من النعمان وليس من أبى موسى .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى الأصل : « معقل » . وانظر الاستيعاب ٩٩٦/٣ ، وأسد الغابة ٣٩٩/٣ ، والإصابة ٢٤٢/٤ ، ٢٤٣.

(٥) فى ص : « الفجر » .

(٦) انظر ما تقدم فى ٥٣/٦ حاشية ٤.

(٧) فى م : « صلاة » .

(٨) فى ص : « قلوبهم » .

(٩) تقدم تخريجه بنحوه فى ٦/ ٥١.

قُرَيْظَةَ »[1] . فأخَّرَها فريقٌ مِن الناسِ إلى ما[2] بعدَ غُروبِ الشمسِ ، ولم يُعَنِّفْهم . وقد تَكلَّمْنا على ذلك فى غزوةِ الفتحِ[3] .

والمقصودُ أنَّ الهُرْمُزانَ لمَّا فُتِحتِ البلدُ لجَأ إلى القَلْعةِ فتَبِعه جَماعةٌ مِن الأبطالِ ممَّن ذكَرْنا وغيرِهم ، فلمّا حصَروه فى مكانٍ مِن القَلْعةِ ولم يَبْقَ إلَّا تَلَفُه أو تَلَفُهُم ، قال لهم بعدَ ما قتَل البَراءَ بنَ مالكٍ ومَجْزَأةَ بنَ ثَوْرٍ ، رحِمهما اللَّهُ : إنَّ معى جَعْبَةً فيها مِائةُ سَهْمٍ ، وإنَّه لا يَتقدَّمُ إلىَّ أحدٌ منكم إلَّا رمَيْتُه بسَهْمٍ فقتَلْتُه ، ولا يَسقُطُ لى سَهْمٌ إلَّا فى رجلٍ منكم ، فماذا يَنفَعُكم إن أسَرْتُمونى بعدَما قَتَلْتُ منكم مائةَ رجلٍ ؟ قالوا : فماذا تُريدُ ؟ قال : تُؤَمِّنُونى حتى أُسْلِمَكم يَدَىَّ فتَذهَبوا بى[4] إلى عمرَ بنِ الخطابِ فيَحكُمَ فىَّ بما يشاءُ . فأجابوه إلى ذلك ، فألقَى قوسَه ونُشَّابَه وأسَرُوه ، فشَدُّوه وَثاقًا وأرصَدوه ليبعَثوه إلى أميرِ المؤمنِين عمرَ ، ثم تَسلَّموا ما فى البلدِ مِن الأموالِ والحواصلِ ، فاقتسَموا أربعةَ أخماسِه ، فنالَ كلُّ فارسٍ ثلاثةَ آلافٍ ، وكلُّ راجلٍ ألفَ دِرهمٍ .

فتحُ السُّوسِ[5]

ثم ركِب أبو سَبْرَةَ فى طائفةٍ مِن الجيشِ ومعه أبو موسى الأشعرىُّ والنُّعمانُ ابنُ مُقَرِّنٍ ، واستصحَبوا معهم الهُرْمُزانَ ، وساروا فى طَلَبِ المنهزِمِين مِن الفُرْسِ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٧٢. وليس فيه : « منكم » .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) كذا فى النسخ ، وتقدم كلامه على ذلك فى غزوة الخندق ، وغزوة بنى قريظة . انظر ٦/ ٥٣، ٥٤، ٧٥، ٧٦.

(٤) زيادة من : ا ٨، م .

(٥) فى الأصل : « السويس » . انظر : معجم البلدان ٣/ ١٨٨.

حتى نزَلوا على السُّوسِ ، فأحاطوا بها . وكتَب أبو سَبْرَةَ إلى [٥/١١٥ظ] عمرَ فجاء الكِتابُ بأن يَرجِعَ أبو موسى إلى البصرةِ ، وأمَر عمرُ زِرَّ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ كُلَيْبٍ الفُقَيْمىَّ - وهو صحابىٌّ - أن يَسيرَ إلى جُنْدَيْسابُورَ[1] ، فسار ، ثم بعَث أبو سَبْرَةَ[2] بالخُمُسِ وبالهُرْمُزانِ مع وَفْدٍ فيهم أنسُ بنُ مالكٍ والأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ ، فلمّا اقترَبوا مِن المدينةِ هَيَّئُوا[3] الهُرْمُزانَ بلُبْسِه الذى كان يَلبَسُه مِن الدِّيباجِ والذَّهبِ المُكَلَّلِ بالياقُوتِ واللَّآلِئِ ، ثم دخَلوا المدينةَ وهو كذلك ، فتيَمَّموا به مَنزِلَ أميرِ المؤْمنين ، فسألوا عنه فقالوا : إنَّه ذهَب إلى المسجدِ بسببِ وفدٍ مِن الكوفةِ . فجاءُوا المسجدَ فلم يَرَوْا أحَدًا فرَجَعوا ، فإذا غِلْمانٌ يَلعَبون فسألوهم عنه ، فقالوا : إنَّه نائمٌ فى المسجدِ مُتوسِّدًا بُرْنُسًا له . فرَجَعوا إلى المسجدِ فإذا هو مُتوسِّدٌ بُرْنُسًا له كان قد لَبِسه للوفدِ ، فلمّا انصرَفوا عنه تَوسَّد البُرْنُسَ ونام وليس فى المسجدِ غيرُه ، والدِّرَّةُ مُعلَّقةٌ فى يدِه . فقال الهُرْمُزانُ : أينَ عمرُ ؟ فقالوا : هو ذا . وجعَل الناسُ يَخفِضون أصواتَهم لئلّا يُنبِّهُوه ، وجعَل الهُرْمُزانُ يقولُ : وأين حُجّابُه ، أين حَرَسُه ؟ فقالوا : ليس له حُجّابٌ ولا حَرَسٌ ، ولا كاتِبٌ ولا دِيوانٌ . فقال : يَنبغِى أن يكونَ نَبِيًّا . فقالوا : بل يَعمَلُ عملَ الأنبياءِ . وكَبَّر[4] الناسُ ، فاستيقَظ عمرُ بالجَلَبةِ فاستوَى جالسًا ، ثم نظَر إلى الهُرْمُزانِ ، فقال : الهُرْمُزانُ ؟ قالوا : نعم . فتأمَّلَه وتأمَّلَ ما عليه ، ثم قال : أعُوذُ باللَّهِ مِن النارِ ، و[5]أسْتعينُ باللَّهِ[5] . ثم قال : الحمدُ للَّهِ الذى أذَلَّ بالإسلامِ هذا وأشياعَه ، يا معشرَ المسلمين تَمسَّكوا بهذا الدِّينِ ، واهتَدُوا بهُدَى نَبيِّكم ، ولا تُبْطِرَنَّكم الدُّنيا فإنَّها غَرَّارةٌ . فقال له الوفدُ :

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ : « نيسابور » . وفى ا ١٥ : « يسابور » . وفى م : « سابور » .

(٢) فى الأصل : « شبرة » .

(٣) فى الأصل ، ا ٨ : « بعثوا » .

(٤) فى م : « كثر » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « أستغفر الله » .

هذا مَلِكُ الأهوازِ فكَلِّمْه . فقال : لا ؛ حتى لا يَبقَى عليه مِن حِلْيَتِه شيءٌ . ففعَلوا ذلك وألبَسوه ثوبًا صفيقًا[1] ، فقال عمرُ : هَيْ[2] يا هُرْمُزانُ ! كيفَ رأيتَ وَبالَ الغدرِ وعاقبةَ أمرِ اللَّهِ ؟ فقال : يا عمرُ ، إنّا وإيّاكم فى الجاهليةِ كان اللَّهُ قد خَلَّى بينَنا وبينَكم فغلَبْناكم ، [3]إذ لم يكنْ معنا ولا معكم[3] ، فلمّا كان معكم غَلبتُمونا . فقال عمرُ : إنَّما غلبتُمونا فى الجاهليةِ باجتماعِكم وتفرُّقِنا . ثم قال عمرُ[4] : ما عُذرُكَ وما حُجَّتُك فى انتِقاضِك[5] مرةً بعدَ مرةٍ ؟ فقال : أخافُ أن تَقتُلَنى قبلَ أن أُخبِرَك . قال : لا تَخَفْ ذلك . واستسْقَى الهُرْمُزانُ ماءً ، فأُتِى به فى قَدَحٍ غليظٍ ، فقال : لو مِتُّ عطشًا لم أستطِعْ أن أشرَبَ فى هذا . فأُتِىَ به فى قَدَحٍ آخَرَ يرضاه ، فلمَّا أخَذه جعَلَت يدُه تَرعُدُ ، وقال : إنِّى أخافُ أن أُقتَلَ وأنا أشرَبُ . فقال عمرُ : لا بأسَ عليك حتى تَشرَبَه . فأكفَأه ، فقال عمرُ : أعِيدُوه عليه ، ولا تَجمَعوا عليه القتلَ والعَطَشَ . فقال : لا حاجةَ لى فى الماءِ ، إنَّما أردْتُ أن أستأْنِسَ به . فقال له عمرُ : إنِّى قاتِلُك . فقال : إنَّك قد[6] أمَّنتَنى . قال : كذَبْتَ . فقال أنَسٌ : صدَق يا أميرَ المؤْمنين . فقال عمرُ : وَيْحَك يا أنسُ ، أنا أُؤَمِّنُ قاتِلَ مجْزَأةَ والبَراءِ ! لتأْتِيَنِّى[7] بمَخرَجٍ [8]أو لأُعاقِبَنَّكَ[8] . قال : قلتَ : لا بأسَ عليك حتى تُخبِرَنى . وقلتَ : لا بأسَ عليك حتى تَشرَبَه . وقال له مَن حولَه مثلَ ذلك . فأقبَل على الهُرْمُزانِ ،

---

(١) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص: «مفتقا».
(٢) سقط من: م، ص. وفى تاريخ الطبرى ٤/٨٧: «هيه». وهَيْ: كلمة تعجب.
(٣ - ٣) زيادة من: م. وهى موافقة لما فى تاريخ الطبرى ٤/٨٧.
(٤) سقط من: م.
(٥) فى ا ١٥، ص: «انتقاصك»، وفى ا ٨: «نقضك»، وفى م: «إنقاضك».
(٦) سقط من: الأصل، م.
(٧) فى ا ١٥: «ليأتينى»، وفى تاريخ الطبرى ٤/٨٨: «لتأتين».
(٨ - ٨) فى م: «وإلا عاقبتك».

فقال : خَدعْتَنى ، واللَّهِ لا أنخَدِعُ إلا أن تُسلِمَ . فأسلَم ، ففرَض له[1] فى ألفَين[2] وأنزَله المدينةَ .

وفى روايةٍ[3] أنَّ التُّرجُمانَ بينَ عمرَ وبينَ الهُرْمُزانِ كان المغيرةَ بنَ شُعْبةَ ، فقال له عمرُ : قل له : مِن أىِّ أرضٍ أنتَ ؟ فقال : مِهْرِجانىٌّ . قال : تَكلَّمْ بحُجَّتِك . فقال : أكلامُ حَىٍّ أم مَيِّتٍ ؟ قال : بل كلامُ حَىٍّ . فقال : قد أمَّنتَنى . فقال : خدَعْتَنى ولا أقبَلُ ذلك إلا أن تُسلِمَ . فأَسْلَمَ ، ففرَض له فى ألفَين وأنزَلَه المدينةَ . ثم جاء زيدٌ فتَرْجَم بينَهما أيضًا .

قلتُ : وقد حسُن إسلامُ الهُرْمُزانِ ، وكان لا يُفارِقُ عمرَ حتى قتِل عمرُ ، فاتَّهَمه بعضُ الناسِ بِمُمَالأَةِ[4] أبى لُؤْلُؤَةَ هو وجُفَيْنةُ ، فقتَل عبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ الهُرْمُزانَ وجُفَيْنةَ ، على ما سيأْتى تفصيلُه .

وقد رُوِّينا أنَّ الهُرْمُزانَ لمّا عَلاه عبيدُ اللَّهِ بالسيفِ قال : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . وأمّا جُفَيْنةُ فصَلَّب على وجهِه .

والمقصودُ أنَّ عمرَ كان يَحجُرُ[5] على [٥/١١٦و] المسلمين أن يَتوسَّعوا فى بلادِ العَجَمِ ؛ خوفًا عليهم مِن العَجَمِ ، حتى أشار عليه الأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ بأنَّ المصلحةَ تَقتَضى تَوسُّعَهم فى الفُتوحاتِ ، فإنَّ المَلِكَ يَزْدَجِرْدَ لا يَزالُ يَستحِثُّهم على قِتالِ المسلمِين ، وإن لم يُستأصَلْ سَاقُ[6] العَجَمِ وإلَّا طَمِعوا فى الإسلامِ

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) فى ا ٨ : « الفىء » .
(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٨٨.
(٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى الأصل : « يحرج » .
(٦) فى م : « شأو » .

وأهلِه ، فاستحسَن عمرُ ذلك منه وصَوَّبَه ، وأذِن للمسلِمين فى التَّوسُّعِ فى بلادِ العَجَمِ ، ففتَحوا بسببِ ذلك شيئًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ . وأكثرُ ذلك وقَع فى سنةِ ثمانِىَ عَشْرَةَ ، كما سيأْتى بَيانُه فيها .

ثم نَعودُ إلى فتحِ السُّوسِ وجُنْدَيْسابُورَ وفتحِ نَهاوَنْدَ فى قولِ سَيْفٍ[1] ، كان قد تَقدَّم أنَّ أبا سَبْرَةَ سار بمَن معه مِن عِلْيةِ الأُمراءِ مِن تُسْتَرَ إلى السُّوسِ ، فنازَلها حِينًا ، وقتِل مِن الفَريقَين خلقٌ كثيرٌ ، فأشرَف عليه علماءُ أهلِها فقالوا : يا مَعشَرَ المسلِمين ، لا تَتْعَبوا فى حصارِ هذا البلدِ فإنّا نأْثُرُ فيما نَروِيه عن قُدمائِنا مِن أهلِ هذا البلدِ أنَّه لا يَفتَحُه إلَّا الدَّجالُ أو قومٌ معهم الدَّجالُ . واتَّفَق أنَّه كان فى جيشِ أبى موسى الأشعرىِّ صافُ بنُ صَيّادٍ ، فأرسَلَه أبو موسى فى مَن يُحاصِرُ[2] ، فجاء إلى البابِ فدَقَّه[3] برِجْلِه ، فتَقطَّعَتِ السَّلاسِلُ ، وتَكسَّرَتِ الأغلاقُ ، ودخَل المسلِمون البلدَ فقتَلوا مَن وجَدوا حتى نادَوْا بالأمانِ ودعَوْا إلى الصُّلحِ ، فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السُّوسِ شَهْرِيارُ[4] أخو الهُرْمُزانِ ، فاستحوَذ المسلِمون على السُّوسِ ، وهو بلدٌ قديمُ العِمارةِ فى الأرضِ[5] ، يقالُ : إنَّه أولُ بلدٍ وُضِع على وجهِ الأرضِ . واللَّهُ أعلمُ .

وذكَر ابنُ جريرٍ[6] أنَّهم وجَدوا قبرَ دانيالَ بالسُّوسِ ، وأنَّ أبا موسى لمَّا أقام[7]

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٩١، ٩٢.
(٢) فى الأصل ، م : « يحاصره » .
(٣) فى الأصل ، ا ١٥١ ، ا ٨ ، ص : « فرفسه » .
(٤) فى ا ١٥١ : « شهرباز » .
(٥) فى الأصل : « العمارة » .
(٦) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٢، ٩٣.
(٧) فى م : « قدم » .

بها بعدَ مُضِيِّ أبى سَبْرَةَ إلى جُنْدَيْسابُورَ ، كتَب إلى عمرَ فى أمرِه ، فكتَب إليه أن يَدْفِنَه وأن يُغَيِّبَ عن الناسِ مَوضِعَ قبرِه ، ففعَل . وقد بسَطْنا ذلك فى « سِيرةِ عمرَ » . وللَّهِ الحمدُ .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وقال بعضُهم : إن فَتْحَ السُّوسِ ورامَهُرْمُزَ[2] وتَسْيِيرَ الهُرْمُزانِ مِن تُسْتَرَ إلى عمرَ ، فى سنةِ عشرِين . واللَّهُ أعلمُ .

وكان الكِتابُ العُمَرِىُّ قد ورَد بأنَّ النُّعمانَ بنَ مُقَرِّنٍ يَذهَبُ إلى أهلِ نَهاوَنْدَ ، فسار إليها فمَرَّ بماهَ - بلدةٍ كبيرةٍ قبلَها - فافتتَحها ثم ذهَب إلى نَهاوَنْدَ ففتَحها . وللَّهِ الحمدُ .

قلتُ : المشهورُ أنَّ فتحَ نَهاوَنْدَ إنَّما وقَع فى سَنةِ إحدَى وعشرِين ، كما سيأتى فيها بيانُ ذلك ، وهى وَقْعةٌ عظيمةٌ ، وفتحٌ كبيرٌ ، وخبرٌ غريبٌ ، ونَبَأٌ عجيبٌ . وفتَح زِرُّ بنُ عبدِ اللَّهِ الفُقَيْمىُّ مدينةَ جُنْدَيْسابُورَ ، فاسْتَوْسَقت[3] تلك البلادُ للمسلِمين . هذا وقد تَحوَّل يَزْدَجِرْدُ مِن بلدٍ إلى بلدٍ[4] ، حتى انتهَى أمْرُه إلى الإقامةِ بأصبهانَ ، وقد كان صرَف طائفةً مِن أشرافِ أصحابِه قريبًا مِن ثَلاثِمائةٍ مِن العُظماءِ عليهم رجلٌ يقالُ له : سِياهُ . فكانوا يَفِرُّون مِن المسلِمين مِن بلدٍ إلى بلدٍ ، حتى فتَح المسلِمون تُسْتَرَ وإصْطَخْرَ ، فقال سِياهُ لأصحابِه : إنَّ هؤلاء بعدَ الشَّقاءِ والذِّلَّةِ ملَكوا أماكِنَ المُلوكِ الأقدَمِين ، ولا يَلقَوْن جُندًا إلَّا كسَرُوه ، واللَّهِ ما هذا عن باطلٍ . ودخَل فى قلبِه الإسلامُ وعظَمتُه ، فقالوا له : نحنُ تَبَعٌ لك . وبعَث عَمارُ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٤. وانظر تاريخ خليفة ١/١٣٨ ، والكامل ٢/٥٤٦ . وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٩٨.

(٢) فى م : « رامهز » .

(٣) فى م : « فاستوثقت » .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ١٥: « ومن ذلك البلد إلى غيره » .

ياسرٍ فى غُبُونٍ[1] ذلك يَدعوهم إلى اللَّهِ ، فأرسَلوا إلى أبى موسى الأشعرىِّ بإسلامِهم ، وكتَب فيهم إلى عمرَ فى ذلك ، فأمَرَه أن يَفرِضَ لهم فى ألفَين ألفَين ، وفرَض لستِّةٍ منهم فى ألفَين وخَمسِمِائةٍ ، وحسُن إسلامُهم . وكانت لهم نِكايةٌ عظيمةٌ فى قتالِ قومِهم ، حتى بلَغ مِن أمرِهم أنَّهم حاصَروا حصنًا فامتنَع عليهم ، فجاء أحدُهم فرَمَى بنفسِه فى الليلِ [٥/١١٦ظ] على بابِ الحصنِ وضَمَّخ ثيابَه[2] بدَمٍ ، فلمّا نظَروا إليه حَسِبوا أنَّه منهم ، ففتَحوا له بابَ الحصنِ ليَأْوُوه ، فثار إلى البوَّابِ فقتَله ، وجاء بَقيَّةُ أصحابِه ففتَحوا ذلك الحصنَ ، وقتَلوا مَن فيه مِن المجوسِ . إلى غيرِ ذلك مِن الأُمورِ العجيبةِ ، واللَّهُ يَهدِى مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ .

وذكَر ابنُ جريرٍ[3] أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ عقَد الألوِيةَ والراياتِ الكثيرَةَ[4] فى بلادِ خُراسانَ والعراقِ لغَزْوِ الفُرْسِ والتَّوسُّعِ فى بلادِهم ، كما أشار عليه بذلك الأحنفُ بنُ قيسٍ ، فحصَل بسببِ ذلك فُتوحاتٌ كثيرةٌ فى السَّنةِ المستقبَلةِ بعدَها ، كما سنُبَيِّنُه ونُنَبِّهُ عليه . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

قال[5] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السَّنةِ أميرُ المؤْمنين عمرُ بنُ الخطابِ . ثم ذكَر نُوّابَه على البلادِ ، وهم مَن ذكَر فى السنةِ قبلَها غيرَ المُغِيرةِ ، فإنَّ على البصرةِ بَدَلَه أبا موسى الأشْعَرِىَّ .

قلتُ : وقد تُوُفِّى فى هذه السَّنةِ أقوامٌ ، قيلَ : إنَّهم تُوفُّوا قبلَها . وقد ذكَرْناهم . وقيلَ : فيما بعدَها . وسيأْتى ذِكْرُهم فى أماكنِهم . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) فى م : « غضون » .
(٢) فى الأصل : « بابه » .
(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٤.
(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الكبيرة » .
(٥) المصدر السابق ٤/ ٩٤، ٩٥.

ثم دخلَتْ سنَةُ ثمانِىَ عشْرَةَ

المشهورُ الذى عليه الجمهورُ أنَّ طاعونَ عَمَواسَ كان بها ، وقد تَبِعْنا قولَ سيفِ بنِ عمرَ[1] ، وابنِ جَريرٍ[2] فى إيرادِه ذلك فى السَّنةِ التى قبلَها ، لكِنَّا نَذكُرُ وَفاةَ مَن مات فى الطاعونِ فى هذه السَّنةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ إسحاقَ ، وأبو مَعْشَرٍ[3] : كان فى هذه السَّنةِ طاعونُ عَمَواسَ ، وعامُ الرَّمادةِ[4] ، فتَفانَى فيها[5] الناسُ .

قلتُ : كان فى عامِ الرمادةِ جَدْبٌ عَمَّ أرضَ الحِجازِ ، وجاعَ الناسُ جوعًا شديدًا ، وقد بَسَطْنا القولَ فى ذلك فى « سيرةِ عمرَ » . وسُمِّيَت عامَ الرَّمادةِ لأنَّ الأرضَ اسوَدَّت مِن قِلَّةِ المطَرِ ، حتى عاد لونُها شبيهًا بالرَّمادِ . وقيلَ : لأنَّها كانت[6] تَسْفِى الرِّيحُ تُرابًا كالرَّمادِ . ويُمكِنُ أن تكونَ سُمِّيت لكلٍّ منهما ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد أجدَب الناسُ فى هذه السَّنةِ بأرضِ الحجازِ ، وجَفَلَتِ الأحياءُ إلى المدينةِ ولم يَبْقَ عندَ أحدٍ منهم زادٌ ، فلَجَئُوا إلى أميرِ المؤمنِين فأنفَق فيهم مِن حواصِلِ بيتِ المالِ مما فيه مِن الأطعمةِ والأموالِ حتى أنفَذَه ، وألزَم نفسَه أن لا يأكُلَ سمنًا ولا

---

(١) أخرجه ابن الجوزى ، فى المنتظم ٤/ ٢٤٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٠، ٩٦.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٦٠.

(٤) فى الأصل : « الزيادة » .

(٥) أى : فى السنة . وفى ا ١٥، م ، ص : « فيهما » .

(٦) زيادة من : ا ٨.

سَمِينًا حتى يُكْشَفَ ما بالناسِ، فكان فى زَمَنِ الخِصْبِ يُبَسُّ له الخبزُ باللَّبنِ والسَّمْنِ، ثم كان عامَ الرَّمادةِ يُبَسُّ له بالزيتِ والخَلِّ، وكان يَستمرِئُ الزيتَ، وكان لا يَشبَعُ مع ذلك، فاسوَدَّ لونُ عمرَ، رضِى اللَّهُ عنه، وتَغيَّر جِسمُه حتى كاد يُخشَى عليه مِن الضَّعفِ. واستمرَّ هذا الحالُ فى الناسِ[1] تِسْعةَ أشهُرٍ، ثم تَحوَّل الحالُ إلى الخِصْبِ والدَّعَةِ، وانشَمَر الناسُ[2] عن المدينةِ إلى أماكنِهم.

قال الشافعىُّ: بلَغَنى أنَّ رجلًا مِن العربِ قال لعمرَ حينَ تَرحَّل الأحياءُ عن المدينةِ: لقد انجَلَت عنك وإنَّك لَابْنُ حُرَّةٍ. أى واسَيْتَ الناسَ وأنصفْتَهم وأحسنْتَ إليهم. وقد رُوِّينا[3] أنَّ عمرَ عَسَّ المدينةَ ذاتَ ليلةٍ فى عامِ الرَّمادةِ فلم يَجِدْ أحدًا يَضحَكُ، ولا يَتحدَّثُ الناسُ فى منازِلِهم على العادةِ، ولم يَجِدْ سائلًا يسألُ، فسأل عن سببِ ذلك، فقيلَ له: ياأميرَ المؤمنين، إنَّ السُّؤَّالَ سألوا فلم يُعطَوْا فقطَعوا السُّؤَالَ، والناسُ فى هَمٍّ وضِيقٍ، فهم لا يَتحدَّثون ولا يَضحَكون. فكتَب عمرُ إلى أبى موسَى بالبصرةِ: أنْ ياغَوْثاهُ لأُمَّةِ محمدٍ. وكتَب إلى عمرِو ابنِ العاصِ بمصرَ: أنْ ياغَوْثاهُ لأُمَّةِ محمدٍ. فبعَث إليه كلُّ واحدٍ منهما بقافلةٍ عظيمةٍ تحمِلُ البُرَّ وسائرَ الأَطعِماتِ، ووصلَت مِيرَةُ عمرٍو فى البحرِ إلى جُدَّةَ ومِن جُدَّةَ إلى مَكَّةَ. وهذا الأثرُ جَيِّدُ الإسنادِ، [٥/١١٧و] لكنْ ذِكرُ عمرِو بنِ العاصِ فى عامِ الرَّمادةِ مُشْكِلٌ؛ فإنَّ مصرَ لم تَكُنْ فُتِحت فى سنَةِ ثَمانِىَ عَشْرَةَ، فإمَّا أن يكونَ عامُ الرَّمادةِ بعدَ سَنةِ ثَمانِىَ عَشْرَةَ، أو يكونَ ذِكْرُ عمرِو بنِ العاصِ فى عامِ الرَّمادةِ وَهْمٌ، واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى ا ١٥: «السنة».

(٢) انشمر الناس: نهضوا.

(٣) أخرج القصة ابن سعد بنحوه، عن ابن عمر. طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٠. وتاريخ الطبرى أيضا بنحوه ٤/ ١٠٠. وانظر المنتظم ٤/ ٢٥١، ٢٥٢. والكامل ٢/ ٥٥٦.

وذكَر سيفٌ ، عن شُيوخِه[1] ، أنَّ أبا عُبيدَةَ قدِم المدينةَ ومعه أربعةُ آلافِ راحلةٍ تَحمِلُ طَعامًا ، فأمَرَه عمرُ بتفْرِقَتِها فى الأحياءِ حولَ المدينةِ ، فلمّا فرَغ مِن ذلك أمَرَ له عمرُ[2] بأربعةِ آلافِ دِرهَمٍ ، فأبَى أن يقبَلَها ، فألَحَّ عليه عمرُ حتى قَبِلها .

وذكَر ابنُ جَريرٍ[3] فى هذه السَّنةِ مِن طريقِ سيفِ بنِ عمرَ ، عن أبى المجالِدِ ، والرَّبيعِ ، وأبى[4] عثمانَ وأبى حارِثةَ ، وعن عبدِ اللَّهِ بنِ شُبْرُمَةَ ، عن الشَّعْبىِّ ، قالوا : كتَب أبو عُبيدةَ إلى عمرَ بنِ الخطابِ : إنَّ نَفَرًا مِن المسلمِين أصابوا الشَّرابَ - منهم ضِرارٌ وأبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلٍ[5] - فسألْناهم فقالوا : خُيِّرْنا فاختَرْنا ؛ [6]قال[7] : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] . ولم يَعزِمْ علَيْنا[8] . فجمَع عمرُ الناسَ فأجمَعوا على خِلافِهم ، وأنَّ المعنَى[6] فى قولِه[9] : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ أى انتَهُوا . وأجمَعوا على جَلْدِهم ثَمانِين ثَمانِين ، وأنَّ مَن تأوَّلَ هذا التأويلَ وأصَرَّ عليه يُقتَلُ . فكتَب عمرُ إلى أبى عُبيدةَ ؛ أنِ ادْعُهم فسَلْهم عن الخمرِ ؛ فإن قالوا : هى حَلالٌ . فاقتُلْهم ، وإن قالوا : هى حَرامٌ . فاجْلِدْهم . فاعترَف القومُ بتحرِيمِها ، فجُلِدوا الحدَّ ونَدِموا على ما كان منهم مِن اللَّجاجةِ فيما تأوَّلُوه[10] ، حتى وُسْوِس أبو جَنْدَلٍ فى نفسِه ، فكتَب أبو عُبيدةَ إلى عمرَ فى

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ١٠٠.
(٢) زيادة من : ا ١٥.
(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٦، ٩٧.
(٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى م : « سهل » . انظر : الإصابة ٧ / ٦٩.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل .
(٧) سقط من : ا ١٥، ا ٨ ، ص .
(٨) زيادة من : ا ١٥.
(٩) التفسير ٣/ ١٧٠.
(١٠) فى الأصل ، ا ١٥ : « قالوه » .

ذلك ، [1] وسأله أن يكتبَ إلى أبى جَنْدَلٍ [1] ويُذكِّره ، فكتَب إليه عمرُ بنُ الخطابِ فى ذلك : مِن عمرَ إلى أبى جَنْدَلٍ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. فتُبْ وارفَعْ رأسَك وابرُزْ ولا تَقنَطْ ، فإنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]. وكتَب عمرُ إلى الناسِ أن عليكم أنفسَكم ، ومَن غَيَّرَ فغَيِّروا عليه ، ولا تُعَيِّروا [2] أحدًا فيَفشُوَ فيكم البَلاءُ. وقد قال أبو الزَّهراءِ القُشَيْرىُّ [3] فى ذلك :

أَلَمْ تَرَ أنَّ الدَّهْرَ يَعثُرُ بالفَتَى ... وليسَ على صَرْفِ المَنُونِ بِقادرِ
صَبَرْتُ ولم أجْزَعْ وقد ماتَ إخْوَتِى ... ولسْتُ عن الصَّهْباءِ يومًا بصابرِ [4]
رماها أميرُ المؤمنِينَ بحتْفِها [5] ... فخُلَّانُها يَبْكُونَ حولَ المَعاصِرِ [6]

قال [*] سيفُ بنُ عمرَ [7] ، عن سَهْلِ بنِ يُوسُفَ السُّلَمِىِّ [8] ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، قال : كان عامُ الرَّمادةِ فى آخِرِ سَنةِ سَبْعَ عَشْرَةَ ، وأوَّلَ سنةِ ثمانِىَ عَشْرَةَ ، أصابَ أهلَ المدينةِ وما حولَها جُوعٌ فهَلَك كثيرٌ مِن الناسِ ، حتى جعَلَتِ الوَحْشُ تأوِى إلى الإنْسِ. فكان الناسُ كذلك [9] وعمرُ كالمحصورِ عن

(١ - ١) فى الأصل ، ا ١٥ : « وسأل أن يكتب إليه عمر ». وانظر الخبر فى تاريخ الطبرى ٤/ ٩٧.
(٢) فى ا ١٥: « تغيروا ».
(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٧، ٩٨.
(٤) فى ا ١٥: « بقادر ».
(٥) فى الأصل ، ا ١٥: « بحقها ».
(٦) فى ا ١٥، ا ٨، م: « المقاصر ».
(*) من هنا سقط فى : ص.
(٧) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٨.
(٨) فى ا ١٥: « السليمى ».
(٩) فى الأصل ، م ، ص : « بذلك ».

أهلِ الأمصارِ ، حتى أقبلَ بِلالُ بنُ الحارثِ المُزَنِيُّ فاستأذَن على عمرَ ، فقال : أنا رسولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليك ، يقولُ لك رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد عَهِدْتُكَ كَيِّسًا ، ومازِلْتَ على ذلك ، فما شأنُك ؟ »[1] . قال : متى رأيتَ هذا ؟ قال : البارِحةَ . فخرَج فنادَى فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . فصلَّى بهم ركعتَيْن ، ثم قام فقال : أيُّها الناسُ أَنشُدُكمُ اللَّهَ هل تَعلَمُون مِنِّى أمرًا غيرَه خيرًا منه ؟ قالوا : اللَّهمَّ لا . فقال : إن بِلالَ بنَ الحارثِ يَزعُمُ [2]ذَيْتَ وذَيْتَ[2] . فقالوا : صدَق بِلالٌ ، فاستَغِثْ باللَّهِ ثم بالمسلِمين . فبعَث إليهم - وكان عمرُ عن ذلك محصورًا - فقال عمرُ : اللَّهُ أكبرُ ، بلَغ البَلاءُ مُدَّتَه[3] فانكشَف ، ما أُذِن لقومٍ فى الطَّلَبِ إلا وقد رُفِع عنهم[4] البَلاءُ . وكتَب إلى أُمراءِ الأمصارِ أن أعِينُوا أهلَ المدينةِ ومَن حولَها ، فإنَّه قد بلَغ جَهْدُهم . وأخرَج الناسَ إلى الاستسقاءِ ، فخرَج وخرَج[5] معه [٥/١١٧ظ] العَباسُ ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ ماشيًا ، فخطَب وأوجَز وصلَّى ثم جثَى لرُكْبتَيْه وقال : اللَّهمَّ إيَّاكَ نَعبُدُ وإيَّاكَ نَستَعِينُ ، اللَّهمَّ اغفِرْ لَنا وارحَمْنا وارْضَ عنا . ثم انصرَف فما بلَغوا المنازِلَ راجِعِين حتى خاضُوا الغُدْرانَ .

ثم روَى سيفٌ[6] ، عن مُبَشِّرِ بنِ الفُضَيْلِ[7] ، عن[8] جُبَيْرِ بنِ صَخْرٍ ، عن

---

(١) انظر المنتظم ٤/ ٢٥٠.

(٢ - ٢) فى ا ١٥: « دته ودنه » . وذيت وذيت : اسمان يكنى بهما عن الحديث والقصة ، مثل لفظتى : « كَيْتَ وكَيْتَ » .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥: « بدنه » .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « الأذى و » .

(٥) زيادة من : ا ١٥.

(٦) تاريخ الطبرى ٤/ ٩٩.

(٧) فى الأصل ، ا ١٥ : « الفضل » . وفى ا ٨ : « المفضل » .

(٨) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « بن » .

عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، أن رجلًا مِن مُزَيْنةَ عامَ الرَّمادةِ سأله أهلُه أن يَذبَحَ لهم شاةً ، فقال : ليس فيهن شيءٌ . فألَحُّوا عليه فذَبَح شاةً ، فإذا عِظامُها حُمْرٌ ، فقال : يامُحمّداه . فلمّا أمسَى أُرِى فى المنامِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ له : « أبشِرْ بالحَيا[1] ، ائتِ عمرَ فأَقْرِئْه مِنِّى السَّلامَ وقُلْ له : إنَّ عَهدِى بك وَفِىَّ العهدِ ، شَديدَ العَقْدِ ، فالكَيْسَ الكَيْسَ ياعمرُ » . فجاء حتى أتَى بابَ عمرَ فقال لغُلامِه : استأذِنْ لرسولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأتَى عمرَ فأخبرَه ففَزِع ثم صَعِد عمرُ المِنبَرَ فقال للناسِ : أَنشُدُكم بالذى هداكم للإسلامِ ، هل رأيتُم مِنِّى شيئًا تكرَهونه ؟ فقالوا : اللهمَّ لا ، وعمَّ ذاك ؟ فأخبَرهم بقولِ المُزَنِىِّ - وهو بِلالُ بنُ الحارثِ - ففَطِنوا ولم يَفْطَنْ . فقالوا : إنَّما استَبْطَأَك فى الاستسقاءِ فاستَسْقِ بِنا . فنادَى فى الناسِ ، فخطَب فأوجَز ، ثم صلَّى ركعتَين فأوجَز ، ثم قال : اللَّهُمَّ عَجَزَت عنا أنصارُنا[2] ، وعجَز عنا حَوْلُنا وقُوَّتُنا ، وعجَزت عنا أنْفُسُنا ، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلّا بك ، اللَّهمَّ فاسْقِنا وأحْيِ العبادَ والبلادَ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقىُّ[3] : أخبَرنا أبو نَصْرِ بنُ قَتادةَ وأبو بكرٍ الفارِسىُّ قالا : حدثنا أبو عَمْرٍو[4] بنُ مَطَرٍ ، حدَّثَنا إبراهيمُ[5] بنُ علىٍّ الذُّهْلِىُّ ، حَدَّثَنا يَحْيَى بنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنا أبو مُعاوِيةَ ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن مالكٍ[6] قال : أصابَ الناسَ قَحْطٌ فى زمانِ عمرَ بنِ الخطابِ ، فجاء رجلٌ إلى قبرِ النبىِّ

---

(١) فى الأصل ، م : « الحياة » . والحيا : الخصب والمطر .

(٢) فى ا ١٥ : « أبصارنا » .

(٣) دلائل النبوة ٧ / ٤٧ .

(٤) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من مصدر التخريج . انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٢٩ .

(٥) فى مطبوعة الدلائل : « أبو بكر » . وفى نسختها الأحمدية : « إبراهيم » . وهو الصواب كما أثبتنا . انظر سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥١٢ .

(٦) هو مالك الدار ، مالك بن عياض ، مولى عمر . ترجمته فى الإصابة ٦ / ٢٧٤ .

ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ استَسْقِ اللَّهَ[1] لأُمَّتِك فإنَّهم قد هَلَكوا . فأتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ ، فقال : « ائْتِ عمرَ فأقْرِئْه مِنِّى السَّلامَ وأخْبِرْه[2] أنَّكم[3] مُسْقَوْن ، وقُلْ له عليكَ الكَيْسَ الكَيْسَ » . فأتَى الرجلُ فأخبرَ عمرَ فقال : يارَبِّ ما آلُو إلَّا ما عجَزْتُ عنه . وهذا إسنادٌ[4] صحيحٌ .

وقال الطبرانىُّ[5] : حَدَّثَنا أبو مسلمٍ الكَشِّىُّ ، ثنا [6]محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ[6] ، ثنا أبى ، عن ثُمامَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنَسٍ ، عن أنَسٍ ، أنَّ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، خرَج يسْتَسْقِى وخرَج بالعباسِ معه يَستَسْقِى ، فيَقولُ : اللَّهمَّ إنّا كنا إذا قَحَطْنا على عهدِ نَبِيِّنا تَوَسَّلْنا إليك بنَبِيِّنا ، وإنّا نَتوَسَّلُ إليك بعَمِّ نَبِيِّنا ﷺ . وقد رَواه البخارىُّ ، عن الحسنِ بنِ محمدٍ ، [7]عن محمدِ[7] بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارِىِّ[8] ، به[9] ، ولفظُه : عن أنَسٍ ، أنَّ عمرَ كان إذا قَحَطُوا يَسْتَسْقى بالعَباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، فيقول : اللَّهمَّ إنا كُنّا نَتوَسَّلُ إليك بنَبِيِّنا فتَسْقِينا ، وإنَّا نَتوَسَّلُ إليك بعَمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا . قال : فيُسقَوْن . وقال أبو بكرِ بنُ أبِى الدُّنيا فى « كتابِ المَطَرِ » ، وفى كتابِ « مُجابِى الدَّعوةِ »[10] : حَدَّثَنا أبو بكرٍ الشَّيْبانىُّ[11] ، ثنا عَطاءُ بنُ

---

(١) فى الأصل : « الناس » .
(٢) فى م : « أخبرهم » .
(٣) فى النسخ « أنهم » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٤) بعده فى ا ١٥ : « جيد » .
(٥) المعجم الكبير ١/٢٧ (٨٤) .
(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « أبو محمد الأنصارى »
(٧ - ٧) سقط من : ا ١٥.
(٨) سقط من : م .
(٩) صحيح البخارى (١٠١٠) .
(١٠) مجابو الدعوة ٧٩.
(١١) فى النسخ : « النيسابورى » .وفى تاريخ دمشق ١٣/١٢٩ (مخطوط) : « النسائى » .

مسلمٍ ، عن العُمَرِيِّ ، عن خَوّاتِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : خرَج عمرُ يَستسقِى بهم فصلَّى ركعتَيْن ، فقال : اللَّهمَّ إنّا نَستغفِرُك ونَستسقِيك . فما بَرِح مِن مَكانِه حتى مُطِروا ، فقَدِم أعرابٌ فقالوا : يا أميرَ المؤمنين بينَا نحنُ بوادِينا[1] فى ساعةٍ كذا إذ أظَلَّتْنا غَمامةٌ فسَمِعْنا منها صوتًا : أتاكَ الغَوْثُ أبا حفصٍ ، أتاك الغَوْثُ أبا حفصٍ .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا : ثَنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، ثَنا سفيانُ ، عن مُطَرِّفِ بنِ طرِيفٍ ، عن الشَّعْبِيِّ قال[2] : خرَج [٥/١١٨و] عمرُ يَستسقِى بالناسِ فما زاد على الاستغفارِ حتى رجَع ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنِين مانَراكَ اسْتَسقَيْتَ . فقال : لقد طَلَبْتُ المَطَرَ بمَجاديحِ[3] السماءِ التى يُستَنْزَلُ بها المَطَرُ ، ثم قرأ : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح : ١٠، ١١] . ثم قرأ : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود : ٣] .

قال[*] الواقدىُّ[4] ، وغيرُه : وفى هذه السَّنةِ فى ذى الحِجَّةِ منها حَوَّل عمرُ المَقامَ[5] ، وكان مُلْصَقًا بجِدارِ الكعبةِ ، فأخَّرَه إلى حيثُ هو الآنَ ؛ لئلّا يُشَوِّشَ المُصَلُّون عندَه على الطائفِين . قُلتُ : وقد ذكَرْتُ أسانيدَ ذلك فى « سيرةِ عمرَ » . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . قال : وفيها استقضَى عمرُ شُرَيْحًا على الكوفةِ ، وكَعْبَ بنَ

---

(١) فى الأصل ، م : « فى وادينا » . وانظر تاريخ دمشق (ترجمة عمر : تحقيق سكينة الشهابى) ٢٩٥.

(٢) أخرجه البيهقى ، فى الكبرى ٣/ ٣٥٢. من طريق سفيان وهشيم ، عن مطرف عن الشعبى ، بنحوه .

(٣) فى م : « بمحاديج » . والمجاديح : جمع مِجْدَح ، والمِجْدَح : نجم من النجوم . وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر ، فجعل الاستغفار مُشبَّهًا بالأنواء ، مخاطبةً لهم بما يعرفونه ، لا قولاً بالأنواء . وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التى يزعمون أن من شأنها المطر . النهاية ١ / ٢٤٣.

(*) نهاية السقط فى : ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠١.

(٥) يعنى : مقام إبراهيم . انظر التفسير ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

سُورٍ على البصرةِ . قال : وفيها حَجَّ عمرُ بالناسِ ، وكانت نُوّابُه فيها الذين تَقدَّم ذِكْرُهم فى السَّنةِ الماضيةِ . قال : وفيها فُتِحَتِ الرَّقَّةُ والرُّهَا وحَرّانُ على يَدَىْ عِياضِ بنِ غَنْمٍ . قال : وفُتِحت رأسُ عَيْنِ الوَرْدةِ على يَدَىْ عمرَ[1] بنِ سعدِ بنِ أبى وَقّاصٍ . وقال غيرُه[2] خلافَ ذلك .

وقال شيخُنا الحافظُ الذَّهَبِىُّ فى تاريخِه[3] : وفيها - يَعْنِى هذه السَّنةَ - افتَتَح أبو موسَى الأشعرِىُّ الرُّهَا وسُمَيْساطَ[4] عَنْوةً ، وفى أوائلِها وَجَّه أبو عُبيدةَ عِياضَ ابنَ غَنْمٍ إلى الجَزيرةِ ، فوافَق أبا موسَى ، فافتَتَحا حَرّانَ ونَصِيبِينَ وطائفةً مِن الجزيرةِ عَنْوَةً ، وقِيلَ[5] : صُلْحًا . وفيها سار عِياضٌ إلى المَوْصِلِ فافتَتَحها وما حولَها عَنْوَةً . وفيها بَنَى سعدٌ جامِعَ الكُوفةِ .

وقال الواقدىُّ[6] : وفيها كان طاعُونُ عَمَواسَ ، فمات فيه خَمسةٌ وعِشْرونَ ألفًا . قُلْتُ : هذا الطّاعُونُ مَنسوبٌ إلى بُلَيْدَةٍ[7] صغيرةٍ يقالُ لها : عَمَواسُ . وهى بينَ القُدْسِ والرمْلَةِ ، لأنَّها كان أولَ ما نَجَم هذا الداءُ بها ، ثم انتشَر فى الشّامِ منها فنُسِب إليها ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعُون . قال الواقدىُّ : تُوُفِّى فى عامِ طاعُونِ عَمَواسَ مِن المسلمِين بالشّامِ خَمسةٌ وعِشْرونَ ألفًا . وقال غيرُه : ثَلاثون ألفًا .

---

(١) فى الطبرى : « عمير » . انظر الإصابة ٥/ ٢٨٦.

(٢) يعنى : أبا إسحاق . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٠٢.

(٣) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٨٥، ١٨٦.

(٤) فى الأصل ، م : « شمشاط » . وفى ا ١٥: « شمساط » . وسميساط ، بضم أوله وفتح ثانيه ، ثم ياء مثناة ساكنة : مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات . معجم البلدان ٣ / ١٥١، ١٥٢.

(٥) تاريخ خليفة ١/ ١٣١.

(٦) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠١.

(٧) فى م : « بلدة » . انظر معجم البلدان ٣/ ٧٢٩.

وهذا ذِكْرُ طائفةٍ مِن أعيانِهم ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعِين .

الحارِثُ بنُ هِشامٍ[1] أخو أبِى جَهْلٍ ، أسلَم يومَ الفتحِ ، وكان سيِّدًا شريفًا فى الإسلامِ كما كان فى الجاهليةِ ، استُشهِد بالشامِ فى هذه السنةِ ، فى قولٍ ، وتَزوَّج عمرُ بعدَه بامرأتِه فاطمةَ .

شُرَحْبِيلُ ابنُ حَسَنَةَ[2] أحدُ أُمراءِ الأرباعِ ، وهو أميرُ فِلَسْطِينَ ، وهو شُرَحْبِيلُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المُطاعِ بنِ قَطَنٍ الكِنْدِىُّ ، حليفُ بَنِى زُهْرَةَ . وحَسَنَةُ أُمُّه ، نُسِب إليها وغلَب عليه ذلك . أسلَم قديمًا وهاجَر إلى الحبشةِ ، وجَهَّزه الصِّدِّيقُ إلى الشّامِ ، فكان أميرًا على رُبْعِ الجيشِ ، وكذلك فى الدَّوْلَةِ العُمَرِيَّةِ ، وطُعِن هو وأبو عُبيدةَ ، وأبو مالكٍ الأشعرِىُّ فى يومٍ واحدٍ سنةَ ثمانِىَ عَشْرةَ . له حَديثانِ ؛ روَى له ابنُ ماجه أحدَهما فى الوُضوءِ[3] ، وغيرُه[4] .

عامرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الجَرّاحِ[5]

ابنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبَّةَ بنِ الحارثِ بنِ فِهْرٍ القُرَشِىُّ ، أبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ ، الفِهْرِىُّ ، أمِينُ هذه الأُمَّةِ ، وأحدُ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لهم بالجَنةِ ، وأحدُ

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٠١، وأسد الغابة ٢/ ٤٢٠، والإصابة ١/ ٦٠٥.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٩٨، وأسد الغابة ٢/ ٥١٢، والإصابة ٣ / ٣٢٨، وتحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه (نوادر المخطوطات) ١/ ١٠٦.

(٣) ابن ماجه (٤٥٥) . صحيح . (صحيح سنن ابن ماجه ٣٦٨) .

(٤) البخارى فى التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨. مرفوعا . وابن خزيمة فى صحيحه (٦٦٥) . وأبو يعلى فى مسنده (٧١٨٤) . والطبرانى فى الكبير (٣٨٤٠) . والبيهقى فى الكبرى ٢/ ٨٩.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٧٩٢، وأسد الغابة ٣ / ١٢٨، والإصابة ٣/ ٥٨٦.

الخَمسةِ الذين أسلَموا فى يومٍ واحدٍ، وهم؛ عُثمانُ بنُ مَظعُونٍ، وعُبَيْدةُ بنُ الحارثِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الأسَدِ، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ. أسلَموا على يَدَيِ الصِّدِّيقِ. ولمَّا هاجَروا آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ مُعاذٍ، وقيلَ: بينَ محمدِ بنِ مَسلَمةَ. وقد شهِد بدرًا وما بعدَها، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ أمِينًا وأمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاحِ». ثبَت ذلك [٥/١١٨ظ] فى «الصَّحِيحَيْن»[(١)]. وثبَت فى «الصَّحِيحَيْن»[(٢)] أيضًا أنَّ الصِّدِّيقَ قال يومَ السَّقِيفةِ: وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذَيْن الرَّجلَين فبايِعوه. يَعْنِى عمرَ بنَ الخطّابِ وأبا عُبَيْدةَ. وبعَثه الصِّدِّيقُ أميرًا[(٣)] على رُبْعِ الجيشِ إلى الشامِ، ثم لمَّا انتدَب خالدًا مِن العراقِ كان أميرًا على أبى عُبَيْدةَ وغيرِه، لِعِلْمِه بالحُروبِ. فلمّا انتهَتِ الخِلافةُ إلى عمرَ عزَل خالدًا ووَلَّى أبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرّاحِ، وأمَرَه أن يَستَشيرَ خالدًا، فجمَع للأُمَّةِ بينَ أمانةِ أبِى عُبَيْدةَ وشَجاعةِ خالدٍ.

قال ابنُ عَساكِرَ[(٤)]: وهو أولُ مَن سُمِّى أميرَ الأُمَراءِ بالشامِ.

قالُوا: وكان أبو عُبَيْدةَ طُوالًا نَحِيفًا، أجْنَأَ[(٥)] مَعْرُوقَ[(٦)] الوجهِ، خَفِيفَ اللِّحْيةِ، أهْتَمَ؛ وذلك لأنَّه لمَّا انتزَع الحَلْقَتَين مِن وَجْنَتَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ خاف أن يُؤْلِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فتَحامَلَ على ثَنِيَّتَيْه[(٧)] فسقَطَتا، فما رُئِىَ أحسنُ هَتْمًا منه.

---

(١) فى ا ١٥، ص: «الصحيح». والحديث تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٣٧.

(٢) صحيح البخارى (٦٨٣٠)، بطوله. وصحيح مسلم (١٥/ ١٦٩١) مختصرًا.

(٣) فى ص: «أمينا».

(٤) تاريخ دمشق ٢٥ / ٤٧٧، بمعناه.

(٥) فى الأصل، ا ١٥: «أحنى». والجنأ: ميل فى الظهر، وقيل: فى العنق. النهاية ٢/ ٣٠٢.

(٦) فى ا ١٥، ا ٨: «مفروق». ويقال: فلان معروق: قليل اللحم.

(٧) فى الأصل، ا ١٥: «ثنيته». انظر ما تقدم ٥/ ٣٩٦، ٣٩٧.

تُوُفِّى بالطاعُونِ عامَ عَمَواسَ ، كما تَقدَّم سِياقُه فى سنةِ سبعَ[1] عَشْرَةَ ، عن سيفِ بنِ عمرَ - والصَّحيحُ أنَّ عَمَواسَ كانت فى هذه السنةِ سنةَ ثمانِىَ عَشْرَةَ - بقَرْيةِ فِحْلٍ . وقيلَ : بالجابِيةِ .

وقد اشتهَر فى هذه الأعصارِ قبرٌ بالقُرْبِ مِن عَقَبةِ [2]عُمَيّاءَ بالغُورِ[2] يُنسَبُ إليه . واللَّهُ أعلمُ .

وعُمُرُه يومَ مات ثمانٍ وخَمسُون سنةً .

الفضْلُ بنُ عباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ[3] ، كان حَسَنًا وَسِيمًا جميلًا ، أردفه رسولُ اللَّهِ ﷺ وراءَه يومَ النَّحْرِ مِن حَجَّةِ الوَداعِ ، وهو شابٌّ حَسَنٌ[4] . وقد شهِد فتحَ الشامِ ، واستُشْهِد بطاعُونِ عَمَواسَ ، فى قولِ محمدِ بنِ سعدٍ[5] ، والزُّبيرِ بنِ بَكّارٍ[6] ، وأبى حاتمٍ[7] ، وابنِ البَرْقِىِّ[8] ، وهو الصَّحيحُ . وقيلَ : يومَ مَرْجِ الصُّفَّرِ . وقيلَ : بأجنادِينَ . ويقالُ : باليَرْمُوكِ . ويقالُ[9] : سنةَ ثمانٍ وعشرِين .

---

(١) فى النسخ : « ست » . وقد تقدم الحديث عنه فى أحداث السنة السابقة . ورواية سيف أيضا أنه فى سنة سبع عشرة . تاريخ الطبرى ٤/ ٦٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٢٦٩، وأسد الغابة ٤/ ٣٦٦، والإصابة ٥/ ٣٧٥.

(٤) تقدم فى ٧/ ٦٠١.

(٥) الطبقات ٤/ ٥٥، ٧/ ٣٩٩.

(٦) تاريخ دمشق ٢٣٦/١٤ (مخطوط) .

(٧) الجرح والتعديل ٧/ ٦٣.

(٨) فى م : « الرقى » . وروايته فى تاريخ دمشق ٢٣٧/١٤ (مخطوط) .

(٩) سقط من : م . وهذه الرواية عن الهيثم بن عدى . انظر تاريخ دمشق ٢٣٨/٤ (مخطوط) .

معاذُ بنُ جَبَلٍ[1]

ابنِ عمرِو بنِ أوْسِ بنِ عائِذِ[2] بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ عمرِو[3] بنِ أُدَيِّ بنِ [4]سعدِ بنِ[4] عليِّ بنِ أسدِ بنِ سارِدَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ الأنصاريُّ الخَزْرَجِيُّ، أبو عبدِ الرحمنِ المدنيُّ، صَحابيٌّ جَليلٌ كبيرُ القَدْرِ.

قال الواقديُّ: كان طُوالًا حَسَنَ الشَّعْرِ والثَّغْرِ بَرّاقَ الثَّنايا، لم يُولَدْ له. وقال غيرُه: بل وُلِد له وَلَدٌ، وهو عبدُ الرحمنِ. شهِد معه اليَرْمُوكَ. وقد شهِد مُعاذٌ العَقَبَةَ. ولمَّا هاجَر الناسُ آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ ابنِ مسعودٍ، حكَى الواقديُّ الإجماعَ على ذلك. وقد قال محمدُ[5] بنُ إسحاقَ: آخَى بينَه وبينَ جَعفَرِ بنِ أبِي طالبٍ. وشهِد بدرًا وما بعدَها. وكان أحدَ الأرْبعةِ مِن الخَزْرَجِ، الذين جَمَعوا القرآنَ فى حياةِ النبيِّ ﷺ؛ وهم أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وزَيْدُ بنُ ثابتٍ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وأبو زَيْدٍ عَمُّ[6] أنَسِ بنِ مالكٍ.

وصَحَّ فى الحديثِ الذى رَواه أبو داودَ والنَّسائيُّ، مِن حديثِ[7] حَيْوَةَ بنِ

---

(١) الاستيعاب ٣ / ١٤٠٢، وأسد الغابة ٥ / ١٩٤، والإصابة ٦/ ١٣٦. وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٥٨٣.

(٢) فى الأصل، م: «عابد». وفى ا ١٥، ص: «عايد».

(٣) فى الأصل، ا ١٥، ص: «عمر».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى ا ١٥: «موسى».

(٦) فى م: «عمر بن».

(٧) فى ا ١٥، ص: «طريق».

شُرَيْحٍ ، عن عُقْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ ، عن أبِى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ[1] ، عن الصُّنابحىِّ[2] ، عن مُعاذٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[3] له : « يا معاذُ واللَّهِ إنِّى لأُحِبُّكَ ، فلا تَدَعَنَّ أن تقولَ فى دُبُرِ كلِّ صلاةٍ : اللَّهمَّ أَعِنِّى على ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْنِ عِبادَتِك » . وفى المُسنَدِ ، والنَّسائىِّ ، وابنِ ماجه ، مِن طريقِ أبى قِلابةَ ، عن أنَسٍ مَرْفوعًا[4] : « وأعْلَمُهم بالحَلالِ والحَرامِ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ » .

وقد بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليَمَنِ ، وقال له : « بِمَ تَحْكُمُ؟ » . فقال : بكِتابِ اللَّهِ . الحَدِيثُ[5] . وكذلك أقَرَّه الصِّدِّيقُ على ذلك يُعلِّمُ الناسَ الخيرَ باليَمَنِ . ثم هاجَر إلى الشامِ فكان بها حتى مات بعدَ ما استَخْلَفه أبو عُبيدةَ حينَ طُعِن ، [٥/ ١١٩و] ثم طُعِن بعدَه فى هذه السَّنةِ . وقد قال عمرُ بنُ الخطابِ[6] : إن معاذًا يُبعَثُ أمامَ العُلماءِ برَتْوَةٍ[7] . ورَواه محمدُ بنُ كَعْبٍ ، مُرسَلًا[8] . وقال ابنُ مسعودٍ[9] : كُنَّا نُشَبِّهُه بإبراهيمَ الخَليلِ . وقال ابنُ مَسعودٍ[10] : إن معاذًا كان

---

(١) فى م : « الجيلى » . انظر المشتبه ١/ ١٣٦.

(٢) فى ا ١٥: « الصباحى » .

(٣) أبو داود (١٥٢٣) ، والنسائى (١٣٠٢) . بنحوه . صحيح . صحيح سنن أبى داود (١٣٤٧) .

(٤) المسند ٣ / ١٨٤، ٢٨١. والنسائى فى الكبرى (٨٢٤٢، ٨٢٨٧) . وابن ماجه (١٥٤) . صحيح . صحيح سنن ابن ماجه (١٢٥) .

(٥) فى م : « وبالحديث » . والحديث أخرجه أبو داود (٣٥٩٢، ٣٥٩٣) . والترمذى (١٣٢٧، ١٣٢٨) - ولفظهما : « كيف تقضى » - وهو ضعيف .ضعيف سنن أبى داود (٧٧٠، ٧٧١) .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٢٨، ٢٢٩ بنحوه .

(٧) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ا ٨. وفى م ، ص : « بربوة» . والمعنى أنه يتقدم العلماء يوم القيامة برمية سهم . وقيل : بميل . وقيل : مدى البصر . والرتوة أيضا : الخطوة . النهاية ٢/ ١٩٥.

(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠ /٣٠ (٤١) . وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٣١١: رواه الطبرانى مرسلا ، وفيه محمد بن عبد اللَّه بن أزهر الأنصارى ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٩) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٧٢. وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(١٠) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ /٢٧١ - ٢٧٢. والطبرانى فى الكبير ٢٠ /٣٤ (٤٧) . وقد =

أُمَّةً[1] قانِتًا للَّهِ حَنيفًا ولم يَكُ مِن المشركِين .

ـ وكانت وَفاتُه شَرْقِيَّ غَوْرِ بَيْسانَ[2] سنةَ ثمانِيَ عَشْرَةَ . وقِيلَ : سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ[3] . وقِيلَ : سَبْعَ عَشْرَةَ ، عن ثَمانٍ وثَلاثِين ، على المشهورِ . وقيلَ غيرُ ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

يَزِيدُ بنُ أبى سُفيانَ ، أبو خالدٍ ، صَخْرُ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ القُرَشِيُّ الأُمَوِيُّ[4] ، أخو مُعاوِيةَ ، وكان يَزيدُ أكبرَ وأفضلَ . وكان يقالُ له : يَزِيدُ الخَيْرِ . أسلَم عامَ الفتحِ ، وحضَر حُنَيْنًا ، وأعطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ مائةً مِن الإبِلِ وأربعِين أُوقِيَّةً ، واستعمَلَه الصِّدِّيقُ على رُبْعِ الجيشِ إلى الشامِ ، وهو أوَّلُ أميرٍ وصَل[5] إليها ، ومشَى الصِّدِّيقُ فى رِكابِه يُوصِيه ، وبعَث معه أبا عُبيدةَ ، وعمرَو بنَ العاصِ ، وشُرَحْبِيلَ ابنَ حَسَنةَ ؛ فهؤلاءِ أُمراءُ الأرباعِ . ولمَّا افتَتَحوا دِمَشْقَ دخَل هو مِن بابِ الجابيةِ الصغيرِ عَنْوةً كخالدٍ فى دُخُولِه مِن البابِ الشَّرقىِّ عَنْوةً ، وكان الصِّدِّيقُ قد وعَده بإمْرَتِها ، فوَلِيها عن أمْرِ عمرَ وأنفَذ له ما وعَده الصِّدِّيقُ ، فكان أوَّلَ مَن وَلِيها مِن المسلمِين .

المشهورُ أنَّه مات فى طاعُونِ عَمَواسَ ، كما تَقدَّم[6] . وزعَم الوليدُ بنُ مسلمٍ[7] ، أنه تُوُفِّى سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ بعدَما فتَح قَيْسارِيَّةَ . ولمَّا مات كان قد استخلَف أخاه مُعاوِيةَ

= صححه الحاكم من مجموع طرقه ، ووافقه الذهبى .

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى م : « ينسان » . وفى ص : « نيسان » .

(٣) تهذيب الكمال ٢٨ / ١١٣.

(٤) الاستيعاب ٤ / ١٥٧٥، وأسد الغابة ٥ / ٤٩١، و الإصابة ٦ / ٦٥٨.

(٥) فى الأصل، ا ١٥، ص : « فصل » .

(٦) انظر صفحة ٤١ .

(٧) انظر تهذيب الكمال ٣٢ / ١٤٦.

على دِمَشْقَ ، فأمضَى عمرُ بنُ الخطابِ له ذلك ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وليس له فى الكُتُبِ شىءٌ[1] ، وقد روَى عنه أبو عبدِ اللَّهِ الأشعرىُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[2] : « مَثَلُ الذى يُصَلِّى ولا يُتِمُّ رُكوعَه ولا سُجُودَه ، مثلُ الجائعِ الذى لا يأكُلُ إلا التَّمْرةَ والتَّمْرتَين ، لا يُغْنِيان عنه شيئًا » .

أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو[3] ، وقيل : اسمُه العاص . أسلَم قديمًا ، وقد جاء يومَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ مُسْلِمًا يَرْسُفُ فى قُيُودِه[4] ؛ لأنَّه كان قد استُضعِف فرَدَّه أبوه ، وأبَى أن يُصالِحَ[5] حتى يُرَدَّ ، ثم لَحِق أبو جَنْدَلٍ بأبِى بَصيرٍ[6] إلى سِيفِ البحرِ[7] ، ثم هاجَر إلى المدينةِ ، وشهِد فتحَ الشامِ . وقد تَقدَّم أنَّه تأوَّلَ آيةَ الخمرِ ثم رجَع[8] . ومات بطاعُونِ عَمَواسَ . رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه .

[9]**أبو عُبيدةَ بنُ الجَرّاحِ** . هو عامِرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، تَقدَّم[10][9] .

---

(١) ذكر الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٣٢ /١٤٥ حديثا له عن النبى ﷺ ، وكذا الذهبى فى تاريخه (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١ / ٣٢٩. والحديث عند ابن ماجه (٤٥٥) .

(٢) سقط من : ا ١٥. والحديث أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٤ /٢٠ بنحوه . وابن خزيمة فى صحيحه ١ / ٣٣٢. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨ /٣٠٦ (مخطوط) كلهم عن أبى صالح الأشعرى عن أبى عبد الله الأشعرى .

(٣) الاستيعاب ٤ / ١٦٢١، وأسد الغابة ٦ / ٥٤، الإصابة ٧ / ٦٩.

(٤) رسف فى قيده : إذا مشى فيه رويدًا .

(٥) فى ص : « يصلح » .

(٦) فى الأصل ، ص : « نصير » . انظر الإصابة ٤ / ٤٣٣.

(٧) سيف البحر ، بكسر السين : ساحله .

(٨) انظر صفحة ٧٠ .

(٩ - ٩) سقط من : ا ١٥.

(١٠) انظر صفحة ٧٧ .

أبو مالِكٍ الأشْعَرِىُّ[1] ، قيلَ : اسمُه كَعْبُ بنُ عاصمٍ[2] . قدِم مُهاجِرًا سَنةَ خَيْبَرَ مع أصحابِ السَّفينةِ ، وشهِد ما بعدَها . واستُشهِد بالطاعُونِ عامَ عَمَواسَ هو وأبو عُبيدَةَ ومُعاذٌ فى يومٍ واحدٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمَعِين .

---

(١) الاستيعاب ٣ / ١٣٢١، وأسد الغابة ٤ / ٤٨٠، الإصابة ٧ / ٣٥٦.

(٢) الصحيح أن كعب بن عاصم الأشعرى غير أبى مالك الأشعرى الذى يروى عنه عبد الرحمن بن غنم والشاميون . انظر الإصابة ٥ / ٥٩٧، ٥٩٨. وتهذيب التهذيب ٨ / ٤٣٤، ٤٣٥. وتهذيب الكمال ٢٤ / ١٧٧، ١٧٨.

ثم دخلَتْ سنةُ تِسْعَ عَشْرَةَ

قال الواقدىُّ[1] وغيرُه : كان فتحُ المَدائنِ وجَلُولَاءَ فيها . والمشهورُ خِلافُ ما قال ، كما تَقدَّم[2] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : كان فتحُ الجزيرةِ والرُّها وحَرّانَ ورأسِ العَيْنِ ونَصِيبِينَ فى هذه السَّنةِ . وقد خالَفه غيرُه .

وقال أبو مَعْشَرٍ ، وخَليفةُ[4] ، وابنُ الكَلْبىِّ : كان فتحُ قَيْسارِيَّةَ فى هذه السَّنةِ وأميرُها مُعاوِيةُ . وقال غيرُه[5] : يَزِيدُ بنُ أبى سفيانَ . وقد تَقدَّم أَنَّ مُعاوِيةَ افتتَحها قبلَ هذا بسِنين[6] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : كان فتحُ قَيْسارِيَّةَ مِن فِلَسْطِينَ ، وهَرَبُ هِرَقْلَ وفتحُ مِصْرَ فى سنةِ عِشْرِين . وقال سيفُ بنُ عمرَ[3] : كان فتحُ قَيْسارِيَّةَ وفتحُ مِصْرَ فى سنةِ سِتَّ عَشْرَةَ . قال ابنُ جريرٍ[3] : فأمَّا فتحُ قَيْسارِيَّةَ فقد تَقدَّم ، وأمَّا فتحُ مِصْرَ فإنِّى سأَذْكُرُه فى سنةِ عِشرِين ، [٥/١١٩ظ] إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

قال الواقدىُّ[3] : وفى هذه السَّنةِ ظهَرَت نارٌ مِن حَرَّةِ لَيْلَى[7] فأراد عمرُ أن

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ١٠٣.

(٢) انظر حوادث سنة ست عشرة .

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٢.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٢. وتاريخ خليفة ١ / ١٣٤.

(٥) هو قول الوليد بن مسلم . انظر : تهذيب الكمال ٣٢/ ١٤٦، وسير أعلام النبلاء ١ / ٣٢٩.

(٦) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، م : « بسنتين » . وانظر فتح قيسارية فى حوادث سنة خمس عشرة .

(٧) فى الأصل، ص : « ليل »، وفى ا ٨، م : « ليلا » . وحرة ليلى : حرة لبنى مرة بن عوف يطؤها =

يَخرُجَ بالرجالِ إليها ، ثم أمَر المسلمِين بالصدقةِ فطَفِقَت . وللَّهِ الحمدُ .

ويقالُ : كان فيها وَقْعَةُ إرْمِينِيَةَ ، وأميرُها عثمانُ بنُ أبى العاصِ ، وقد أُصِيبَ فيها صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ بنِ رَخْضَةَ[1] السُّلَمىُّ ثم الذَّكْوانىُّ ، وكان أحدَ الأُمَراءِ يَومَئذٍ . وقد قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا »[2] . وهو الذى ذكَره المنافِقون فى قِصَّةِ الإفْكِ فبَرَّأَ اللَّهُ ساحَتَه ، وجَنابَ أُمِّ المؤمنِين زوجةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ممَّا قالُوا . وقد كان إلى حينَ قالُوا [3]ما قالُوا[3] لم يَتزوَّجْ . ولهذا قال : واللَّهِ ما كَشَفْتُ كَنَفَ أُنثَى قَطُّ[4] . ثم تَزوَّجَ بعدَ ذلك ، وكان كثيرَ النومِ ، ورُبَّما غلَبَه[5] عن صلاةِ الصبحِ فى وَقْتِها ، كما جاء فى « سُنَنِ أبى داودَ » ، وغيرِه[6] . وكان شاعرًا ثم حَصَلَتْ له شَهادةٌ فى سبيلِ اللَّهِ . قِيلَ[7] : بهذا البَلَدِ . وقِيلَ :

= الحاج فى طريقهم إلى المدينة . وعن بعضهم أنها من وراء وادى القرى من جهة المدينة فيها نخل وعيون . معجم البلدان ٢ / ٢٥٠.

(١) بياض فى ا ١٥، وفى الأصل، م : « رخصة »، وفى ص : « رحصه » . والمثبت من : ا ٨، وفى المصادر اختلاف كبير فى اسم جده ، فما أثبتناه موافق لما فى المستدرك ٣/ ٥١٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٤٥. وجاء : « رخصة » . فى جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٤، وتاريخ دمشق ٢٤/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٨٨، وفى طبقات خليفة ص ٥١، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٢: « رحيضة » ، وفى الاستيعاب ٢/ ٧٢٥، والإصابة ٣/ ٤٤٠، وتعجيل المنفعة : « رُبَيِّعة » ، وفى أسد الغابة ٣/ ٣٠، ونسخة من الاستيعاب : « ريضة » . وقال محقق جمهرة أنساب العرب : المعروف فى أسمائهم رخصة . وكذا ذكره الكلبى كما فى أسد الغابة ، وفى حاشية الاستيعاب أنه فى الإصابة : « رخصة » . وانظر الاشتقاق ١١٥، والقاموس المحيط وتاج العروس (ر ح ض) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٩٢، ١٩٩. ويصوب رقم مسلم إلى (٢٧٧٠) .

(٣ - ٣) زيادة من : ا ١٥، ا ٨.

(٤) البخارى (١٢٦٦، ٤٧٥٧) . مسلم (٥٧/ ٢٧٧) .

(٥) فى م ، ص : « غلب عليه » .

(٦) أبو داود (٢٤٥٩) . المسند ٣ / ٨٠. صحيح . (صحيح سنن أبى داود ٢١٤٧) . وانظر ما تقدم فى ٦/ ٢٠٢.

(٧) فى ا ١٥، ا ٨، ص : « قتل » .

بالجَزيرةِ . وقِيلَ : بسُمَيْساطَ[1] . وقد تَقدَّم بعضُ هذا فيما سلَف[2] .

وفيها فُتِحَتْ تَكْرِيتُ فى قولٍ ، والصَّحِيحُ قبلَ ذلك .

وفيها فيما ذَكَرْنا أَسَرَتِ الرُّومُ عبدَ اللَّهِ بنَ حُذافَةَ .

وفيها فى ذى الحِجَّةِ منها كانت وَقْعَةٌ بأرضِ العِراقِ قُتِل فيها أميرُ المَجوسِ[3] شَهْرَكُ ، وكان أميرُ المسلمين يومَئذٍ الحَكَمَ بنَ أبِى العاصِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ جَريرٍ[4] : وفيها حجَّ بالناسِ عمرُ ، ونُوّابُه على البلادِ وقضاتُه هم المذكُورُون قبلَها . واللَّهُ أعلمُ .

(٥) ومِمَّن (٥) تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ

أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ[6] ، سَيِّدُ القُرّاءِ ، وهو أُبَىُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زيدِ ابنِ مُعاوِيَةَ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ النَّجارِ ، أبو المُنْذِرِ وأبو الطُّفَيْلِ ، الأنصارىُّ النَّجّارىُّ ، سَيِّدُ القُرّاءِ ، شهِد العَقَبةَ وبدرًا وما بعدَهما ، وكان سيدًا جَلِيلَ القَدْرِ . وهو أحَدُ القُرّاءِ الأربعةِ الخَزْرَجِيِّينَ الذين جَمَعوا القرآنَ فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد قال لعمرَ يومًا[7] : إنِّى تَلَقَّيْتُ القرآنَ ممَّن تَلَقَّاه مِن[8] جِبْرِيلَ وهو رَطْبٌ . وفى

---

(١) فى الأصل : « سمساط » ، وفى ا ١٥، ا ٨، م ، ص : « شمساط » . وانظرما تقدم فى ٦/ ٢٠٢.

(٢) انظر ما تقدم فى قصة الإفك فى ٦/ ١٩٢- ٢٠٣.

(٣) فى الأصل : « الجيوش » .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٣.

(٥ - ٥) فى م : « ذكر من » .

(٦) الاستيعاب ١ / ٦٥، وأسد الغابة ١ / ٦١، والإصابة ١ / ٢٧.

(٧) أخرجه الإمام أحمد ، فى : المسند ٥/ ١١٧.

(٨) سقط من : الأصل ، وفى م : « منه » .

« المُسنَدِ » ، و « النَّسائىّ » ، و « ابنِ ماجه »[1] ، مِن طريقِ أبى قِلابةَ ، عن أنَسٍ مَرفوعًا : « أقْرَأُ أُمَّتِى أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ » . وفى الصَّحيحِ[2] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « إنَّ اللَّهَ أمَرَنى أنْ أقرَأَ عليكَ القرآنَ » . قال : وَسَمّانِى لك ؟ قال : « نعم » . فَذَرَفَتْ عَيْناه . وقد تَكَلَّمْنا على ذلك فى التفسيرِ[3] عندَ سورةِ ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ . [البينة : ١] . قال الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ[4] : تُوُفِّى أُبَىٌّ سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ . وقال يَحْيَى بنُ مَعِينٍ[4] : سنةَ تِسْعَ[5] عَشْرَةَ أو عشرين . وقال الواقدىُّ[6] ، عن غيرِ واحدٍ : تُوُفِّى سنةَ ثِنْتَين وعشرِين . وبه قال أبو عُبَيْدٍ[7] ، وابنُ[8] نُمَيرٍ ، وجَماعَةٌ[9] . وقال الفَلَّاسُ ، وخليفةُ[10] : تُوُفِّىَ فى خِلافةِ عثمانَ بنِ عَفّانَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وفيها مات خَبّابٌ[11] مَوْلَى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ ؛ مِن المهاجِرِين ، شهِد بدرًا وما بعدَها ، وهو صَحابِىٌّ مِن السابِقِين ، وصلَّى عليه عمرُ .

ومات فيها صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ فى قولٍ كما تَقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٣/١٨٤ ، ٢٨١ ، والنسائى فى الكبرى (٨٢٤٥) ، وابن ماجه (١٥٤ ، ١٥٥) . صحيح . (سنن ابن ماجه ١/ ٣١) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٨/٣٢٣ .

(٣) التفسير ٨ / ٤٧٤.

(٤) انظر تهذيب الكمال ٢ / ٢٧١. وتاريخ الإسلام : (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٩٤، ١٩٥.

(٥) فى الأصل، ا ٨، م : « سبع » .

(٦) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١ / ٤٠٠.

(٧) فى الأصل : « عبيدة » .

(٨) فى الأصل : « أبو » .

(٩) قول ابن نمير أخرجه الطبرانى فى الكبير ١ /١٦٦ (٥٣٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٣١٢: رواه الطبرانى ، وإسناده منقطع من ابن نمير. وانظر المستدرك ٣/ ٣٠٢، والمصادر السابقة .

(١٠) تاريخ خليفة ١ /١٧٧، حوادث سنة ٣٢ هـ ، قال : ويقال : مات فيها أبى بن كعب أيضا . ويقال : بل مات أبى فى خلافة عمر بن الخطاب . وانظر المصادر السابقة .

(١١) فى الأصل : « حبان » . انظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢ / ٤٣٩، وأسد الغابة ٢ / ١١٧، والإصابة ٢ / ٢٦٠.

سنةُ عشرين مِن الهِجْرَةِ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : وفيها كان فتحُ مصرَ. وكذا قال الواقديُّ[2] : إنَّها فُتِحت هى والإسكندريةُ فى هذه السنةِ. وقال أبو مَعْشَرٍ[3] : فُتِحت مصرُ سنةَ عشرين، وإسكندريةُ فى سنةِ خمسٍ وعشرين. وقال سيفٌ[4] : فُتِحت مصرُ [٥/١٢٠و] وإسكندريةُ فى سنةِ ستَّ عَشْرَةَ فى رَبيعِ الأولِ منها. ورجَّح ذلك أبو الحسنِ ابنُ الأثيرِ فى «الكاملِ»[5] ؛ لقِصَّةِ بعْثِ عمرِو بنِ العاصِ الميرَةَ مِن مصرَ عامَ الرَّمادَةِ، وهو معذورٌ فيما رَجَّحه. واللَّهُ أعلمُ.

وفيها كان فتحُ تُسْتَرَ فى قولِ طائفةٍ مِن علماءِ السِّيرِ بعدَ مُحاصَرَةِ سنتين. وقيل: سنةٍ ونصفٍ. واللَّهُ أعلمُ.

صفةُ فتحِ مِصْر [6]مجموعًا مِن كلامِ[6] ابنِ إسحاقَ وسيفٍ [7]وغيرِهما[7]

قالوا: لمَّا اسْتَكْملَ عمرُ والمسلمون فتحَ الشّامِ بعَث عمرَو بنَ العاصِ إلى

---

(١) أخرجه الطبرى عنه فى تاريخه ٤ / ١٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٤، ٢٥٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٤، ١١١.

(٥) الكامل ٢ / ٥٦٤.

(٦ - ٦) فى م: «عن».

(٧ - ٧) سقط من: م. وانظر تاريخ الطبرى ٤/١٠٤ وما بعدها.

مصرَ - وزعَم سيفٌ[1] أنَّه بعَثَه بعدَ فتحِ بيتِ المَقْدِسِ - وأرْدَفَه بالزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ، وفى صُحْبَتِه[2] بُسْرُ بنُ أَرْطاةَ[2]، وخارِجَةُ بنُ حُذافَةَ، وعُمَيْرُ[3] بنُ وَهْبٍ الجُمَحِيُّ، فاجْتَمَعا على بابِ مِصْرَ، فلقِيهم أبو مَرْيَمَ جاثَليقُ[4] مصرَ، ومعه الأُسْقُفُّ أبو مَرْيامَ فى أهلِ الثَّباتِ[5]، بعَثه المُقَوْقِسُ صاحبُ إسْكندريةَ لمَنْعِ بلادِهم، فلمّا تَصافُّوا قال عمرُو بنُ العاصِ: لا تَعْجَلُوا حتى نُعْذِرَ إليكم[6]، لِيَبْرُزْ إلىَّ أبو مَرْيَمَ وأبو مَرْيَامَ راهِبَا هذه البلادِ. فبرَزا إليه، فقال لهما عمرُو بنُ العاصِ: أنتما راهِبَا هذه البلادِ فاسْمَعا، إنَّ اللَّهَ بعَث محمدًا ﷺ بالحقِّ، وأمَره به، وأمرَنا به محمدٌ ﷺ، وأدَّى إلينا كلَّ الذى أُمِرَ به، ثُم مَضَى وترَكَنا على الواضِحَةِ، وكان ممّا أمرَنا به الإعْذارُ إلى النّاسِ، فنحن نَدْعُوكم إلى الإسلامِ، فمَن أجابَنا إليه فمثلُنا، ومَن لم يُجِبْنا عَرَضْنا عليه الجِزْيَةَ وبَذَلْنا له المَنَعَةَ، وقد أعْلَمَنا أنّا مُفْتَتِحوكم، وأَوْصانا بكم؛ حِفْظًا لرَحِمِنا منكم، وأنَّ لكم إن أجَبْتُمونا بذلك ذِمَّةً إلى ذِمَّةٍ، وممّا عَهِد إلينا أميرُنا: اسْتَوصُوا بالقِبْطِيِّين خيرًا؛ فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أوْصانا بالقِبْطِيِّين خيرًا؛ لأنَّ لهم رَحِمًا وذِمَّةً. فقالوا: قرابةٌ بعيدةٌ لا يَصِلُ مثلَها إلَّا الأنبياءُ، مَعْروفَةٌ شَريفَةٌ، كانتِ ابْنَةَ مَلِكِنا، وكانت مِن أهلِ مَنْفٍ[7] والمَلِكُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٦.

(٢ - ٢) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨: «بشر بن أبى أرطاه»، وفى م: «بشر بن أرطاة»، وفى النجوم الزاهرة ١/٢٣ نقلا عن ابن كثير: «بسر بن أبى أرطاة». وانظر تاريخ خليفة ١/ ١٣٦، والكامل ٢/ ٥٦٤، وتهذيب الكمال ٤ / ٥٩.

(٣) فى ا ١٥: «عمرو». وانظر الاستيعاب ٣ / ١٢٢١.

(٤) فى ا ٨: «صاحب». والجاثليق: رئيس للنصارى فى بلاد الإسلام بمدينة السلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية. القاموس المحيط (جاثليق).

(٥) فى تاريخ الطبرى ٤/ ١٠٧: «النيات».

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) منف: هى اسم مدينة الفرعون بمصر. معجم البلدان ٤ / ٦٦٧.

فيهم[1] ، فأُدِيلَ[2] عليهم أهلُ عينِ شمسٍ ، فقتَلوهم وسَلَبوهم مُلْكَهم واغْتَرَبوا[3] ، فلذلك صارتْ إلى إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ ، مَرْحبًا به وأهلًا ، أمِّنّا حتى نَرْجِعَ إليك . فقال عَمْرٌو : إنَّ مثلى لا يُخْدَعُ ، ولكِنِّى أُؤَجِّلُكما ثلاثًا لِتَنْظُرا ولِتُناظِرا قَوْمَكما ، وإلَّا ناجَزْتُكم . قالا : زِدْنا . فزادَهم يومًا ، فقالا : زِدْنا . فزادَهم يومًا[4] ، فرَجَعا إلى المُقَوْقِسِ فأبَى أَرْطَبونُ أن يُجِيبَهما وأمَر بمُناهَدَتِهم ، وقال[5] لأهلِ مصرَ : أمَّا نحن فنَجْتَهِدُ أنْ نَدْفَعَ عنكم [6]ولا نَرْجِعُ إليهم ، وقد بَقِيت أربعةُ أيّامٍ[6] . وأشارَ عليهم بأن يُبَيِّتُوا[7] المسلمين . فقال الملأُ منهم : ما تقاتِلُون مِن قومٍ قتَلوا كِسْرَى وقَيْصَرَ وغلَبوهم على بلادِهم ؟! فألحَّ الأَرْطَبونُ فى أن يُبَيِّتُوا[8] المسلمين[9] ، ففعَلوا فلم يَظْفَروا بشىءٍ بل قُتِل منهم طائفةٌ منهم الأرطبونُ . وحاصَر المسلمون عينَ شمسٍ مِن مصرَ فى اليومِ الرّابعِ ، وارتقَى الزُّبَيْرُ عليهم سُورَ البَلَدِ ، فلمّا أحَسُّوا بذلك خرَجوا إلى عَمْرٍو مِن البابِ الآخرِ فصالَحوه ، واخْتَرَقَ الزبيرُ البلدَ حتى خرَج مِن البابِ الذى عليه عمرٌو ، فأمْضَوُا الصُّلْحَ .

وكتَب لهم عمرٌو كِتابَ أمانٍ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أعطَى عمرُو بنُ العاصِ أهلَ مصرَ مِن الأمانِ على أنفسِهم ومِلَّتِهم وأمْوالِهم وكنائِسِهم

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ : « منهم » .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ : « فتغلب » .

(٣) فى ص : « أغربوا » . وكذا فى النجوم الزاهرة ١/٢٣ نقلا عن ابن كثير .

(٤) سقط من : الأصل ، وبعده فى ا ٨ : « آخر » .

(٥) فى م ، وتاريخ الطبرى ٤ / ١٠٨ : « فقالا » . وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٦٥ .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٨ ، وبعده فى م : « قاتلوا » .

(٧) سقط من : الأصل ، وفى ا ١٥ : « يثبتوا » .

(٨) سقط من : ا ٨ ، وفى الأصل : « يثبتوا » ، وغير منقوطة فى ا ١٥ .

(٩) فى م : « للمسلمين » .

وصُلُبِهم ، وبَرِّهم وبَحْرِهم ، لا يُدْخَلُ عليهم شيءٌ مِن ذلك ولا يُنْتَقَصُ ، ولا يُساكِنُهم النُّوبَةُ ، وعلى أهلِ مصرَ أن يُعْطُوا الجزيةَ إذا اجْتَمَعوا على هذا [٥/ ١٢٠ظ] الصُّلْحِ ، وانْتَهَتْ زِيادَةُ نَهْرِهم ، خمسين ألفَ ألفٍ ، وعليهم ما [١] جنَى لُصُوتُهم [١] ، فإن أبَى أحدٌ منهم أن يُجِيبَ ، رُفِع عنهم مِن الجزاءِ بقدرِهم ، وذِمَّتُنا ممَّن أبَى بريئَةٌ ، وإن نقَص نَهْرُهم مِن غايتِه [٢] إذا انتَهى [٢] ، رُفِع عنهم بقَدْرِ ذلك ، ومَن دخَل فى صُلْحِهم مِن الرّومِ والنُّوبَةِ ، فله مثلُ ما لهم وعليه مثلُ ما عليهم ، ومَن أبَى واخْتارَ الذَّهابَ ، فهو آمِنٌ حتى يَبْلُغَ مَأْمَنَه أو يَخْرُجَ مِن سُلْطانِنا ، عليهم ما عليهم أثْلاثًا ، [٣] فى كلِّ ثُلُثٍ جبايةُ ثُلُثِ ما عليهم [٣] ، على ما فى هذا الكتابِ عَهْدُ اللَّهِ وذِمَّةُ رسولِه وذِمَّةُ الخليفةِ أميرِ المؤمنين ، وذِمَمُ المؤمنين . وعلى النُّوبَةِ الذين استجابوا أن يُعِينُوا بكذا وكذا رَأْسًا ، وكذا وكذا فَرَسًا ، على أن لا يُغْزَوْا ، ولا [٤] يُمْنَعوا مِن تجارَةٍ [٤] صادِرَةٍ ولا وارِدَةٍ . شهِد الزُّبيرُ وعبدُ اللَّهِ ومحمدٌ ابناه ، وكتَب وَرْدانُ وحضَر .

فدَخَل فى ذلك أهلُ مصرَ كلُّهم ، وقَبِلوا الصُّلْحَ ، واجْتمَعتِ الخُيولُ [٥] بمصرَ ، وعَمَرُوا [٥] الفُسْطاطَ ، وظهَر أبو مَرْيَمَ وأبو مَرْيامَ فكَلَّما عَمْرًا فى السّبايا التى أُصيبتْ بعدَ المَعْرَكَةِ ، فأبَى عَمْرٌو أن يَرُدَّها عليهما ، وأمَر بطَرْدِهما وإخْراجِهما مِن بينِ يَدَيْه ، فلمَّا بلَغ ذلك أميرَ المؤمنين عُمَرَ بنَ الخطابِ أمَر أنَّ كلَّ

(١ - ١) فى م : « حق لصونهم » . واللصوت : جمع لَصْت ، واللصت : اللص فى لغة طيىء . اللسان (ل ص ت) .

(٢ - ٢) سقط من : ا ٨، م .

(٣ - ٣) زيادة من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٠٩.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨: « يمنعونا من غارة » ، وفى ا ١٥: « يمنعوا من غارة » ، وفى ص : « يمنعونا من غادة » . والمثبت كما فى م ، وتاريخ الطبرى ٤/ ١٠٩، والنجوم الزاهرة ١/ ٢٥.

(٥ - ٥) فى تاريخ الطبرى ٤/ ١٠٩، والمنتظم ٤/ ٢٩٣: « فمصَّر عمرٌو » .

سَبْيٍ[1] أُخِذَ فى الخمسةِ أيامِ التى أمَّنوهم فيها أن يُرَدَّ عليهم ، وكلُّ سَبْيٍ[1] أُخِذَ ممَّن لم يُقاتِلْ وكذلك مَن قاتَل ، فلا يُرَدُّ عليه سَباياه . وقيلَ[2] : إنَّه أمَره أن يُخَيِّروا مَن فى أيْدِيهم مِن السَّبْيِ بينَ الإسلامِ وبينَ أن يَرْجِعَ إلى أهلِه ، فمَن اخْتارَ الإسلامَ فلا يَرُدُّه[3] إليهم ، ومَن اخْتارَهم رَدُّوه عليهم وأخذوا منه الجزيةَ ، وأمّا ما تفرَّقَ مِن سَبْيِهم فى البلادِ ووصَل إلى الحَرَمَيْنِ وغيرِهما ، فإنّه لا يقدِرُ على ردِّهم ، ولا يَنْبَغِى أن يُصالحَهم على ما يتعَذَّرُ الوفاءُ به . ففعَل عَمرٌو ما أمَر به أميرُ المؤمنين ، وجَمع السَّبايا وعرَضوهم وخيَّروهم ، فمنهم مَن اختار الإسلامَ ، ومنهم مَن عاد إلى دينِه ، وانعقَد الصلحُ بينَهم .

ثم أرسَل عمرٌو جَيْشًا إلى إسْكندريَّةَ - وكان المُقَوْقِسُ صاحِبُ الإسْكندريَّةِ قبلَ ذلك يؤدِّى خَراجَ بلدِه وبلدِ مصرَ إلى مَلِكِ الرّومِ - فلمّا حاصَره عمرُو بنُ العاصِ جمَع أَساقِفَتَه وأكابرَ دَوْلَتِه ، وقال لهم : إنّ هؤلاء العربَ غلَبوا كِسْرَى وقَيْصَرَ وأزالُوهم عن مُلْكِهم ، ولا طاقةَ لنا بهم ، والرَّأْىُ عندِى أن نؤدِّىَ الجزيةَ

---

(١) فى الأصل ، ا ٨: « شىء » .

(٢) من هنا إلى قوله : « رضى اللهُ عنه » فى الصفحة القادمة سقط من : ص ، وفى ا ١٥: « وقد قال الإمام أحمد : ثنا عَتّابٌ ، ثنا عبد اللّه ، أخبرنى عبد اللّه ابن عقبة - وهو عبد اللّه بن لهيعة بن عقبة - حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عمن سمع عبد اللّه بن المغيرة بن أبى بردة يقول : سمعت سفيان بن وهب الخولانى يقول : لما افتتحنا مصر بغير عهد قام - فى المسند : قال - الزبير : واللّه لنقسمنها - فى المسند لتقسمنها - كما قسم رسول اللّه ﷺ خيبر ، فقال عمرٌو : واللّه لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين . وكتب إلى عمر فكتب عمر : أقرها حتى نعدو - فى المسند : يغزو - منها حَبَلُ الحَبَلَةِ . تفرد به أحمد ، وفى إسناده ضعف من جهة ابن لهيعة لكنه عليم بأمور مصر ، ومن جهة المبهم الذى لم يسم ، فلو صح لدل على فتحها عنوة ، ولدل على أن الإمام مخير فى الأراضى العنوة إن شاء قسمها وإن شاء أبقاها . واللّه أعلم » . وهو فى المسند ١/ ١٦٦. وهكذا أورد هذه الزيادة ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ١/ ٢٥، ٢٦. عن القاضى البلقينى عن ابن كثير .

(٣) فى الأصل ، م : « يردوه » .

إليهم . ثم بعَث إلى عمرِو بنِ العاصِ يقولُ : إنِّى كنتُ أُؤَدِّى الخراجَ إلى مَن هو أبغضُ إلىَّ منكم ؛ فارسَ والرومِ . ثم صالحَه على أداءِ الجزيَةِ ، وبعَث عمرٌو بالفَتْحِ والأخماسِ إلى عُمَرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وذكَر سيفٌ[1] أنَّ عمرَو بنَ العاصِ لمّا التقى مع المُقَوْقِسِ جعَل كثيرٌ مِن المسلمين يَفِرُّ مِن الزَّحْفِ ، فجعَل [2]عمرٌو يُذَمِّرُهم[2] ويَحُثُّهم على الثَّباتِ ، فقال له رَجلٌ مِن أهلِ اليمنِ : إنّا لم نُخْلَقْ مِن حِجارَةٍ ولا حديدٍ . فقال له عمرٌو : اسْكُتْ فإنَّما أنت كلبٌ . فقال له الرجلُ : فأنت إذًا أميرُ الكِلابِ . فأعرَض عنه عمرٌو ونادَى يَطلُبُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا اجْتَمَعَ إليه مَن هناك مِن الصحابةِ قال لهم عمرٌو : تقدَّموا فبكم يَنْصُرُ اللَّهُ المسلمين . فنَهَدوا إلى القومِ ففتَحَ اللَّهُ عليهم ، وظفِرُوا أتَمَّ الظفَرِ .

قال سيفٌ[3] : ففُتِحَتْ مصرُ فى ربيعِ الأولِ مِن سنةِ سِتَّ عَشْرَةَ ، وقامَ فيها مُلْكُ الإسلامِ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . وقال غيرُه[4] : فُتِحتْ مصرُ فى سنةِ عشرين ، وفُتِحتْ إسْكندريَّةُ فى سنةِ خمسٍ وعشرين ، بعدَ مُحاصرةٍ ثلاثةَ [٥/١٢١و] أشْهُرٍ عَنْوَةً . وقيلَ[5] : صُلْحًا على اثْنَى عشَرَ ألفَ دِينارٍ .

وقد ذُكِر[6] أنَّ المُقَوْقِسَ سأل مِن عمرٍو أن يُهادِنَه أوَّلًا ، فلم يَقْبَلْ عمرٌو ، وقال له : قد علِمْتُم ما فعَلْنا بمَلِكِكم الأكبرِ هِرَقْلَ . فقال المُقَوْقِسُ لأصْحابِه :

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٠، ١١١ بنحوه . وانظر الكامل ٢ / ٥٦٥.

(٢ - ٢) فى م : «عمر يزمرهم» . وذمرهم : حضهم وشجعهم .

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ١٠٤، ١١١. وتقدم مثله فى صفحة ٨٩.

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٨٩.

(٥) الكامل ٢ / ٥٦٧، وفتوح البلدان ٢٦٠.

(٦) الكامل ٢ / ٥٦٧.

صدَق ، فنحن أحقُّ بالإذْعانِ . ثم صالَح على ما تقدَّم .

وذَكَر غيرُه[1] أن عَمرًا والزبيرَ سارا إلى عينِ شمسٍ فحاصَراها ، وأنَّ عمرًا بعَث إلى الفَرَمَا أبْرَهَةَ بنَ الصَّبَّاحِ ، وبعَث عوفَ بنَ مالكٍ إلى الإسكندريَةِ ، فقال كلٌّ منهما لأهلِ بلدِه : إن نزَلْتُم فلكم الأمانُ . فتربَّصوا ماذا يكونُ مِن أهلِ عينِ شمسٍ ، فلمَّا صالَحوا ، صالَح الباقون . وقد قال عوفُ بنُ مالكٍ لأهلِ إسكندريةَ : ما أحسنَ بلدَكم ! فقالوا : إنَّ إسْكَنْدَرَ لمَّا بناها قال : لأَبْنِيَنَّ مدينةً[2] فقيرةً إلى اللَّهِ غنيةً عن الناسِ . [3]فبَقِيَت بَهْجَتُها[3] . وقال أبرهةُ لأهلِ الفَرَمَا : ما أقبحَ مدينَتَكم ! فقالوا : إنَّ الفَرَمَا - وهو أخو الإسكندرِ - لمَّا بَناها قال : لأَبْنِيَنَّ مدينةً غنيَّةً عن اللَّهِ فقيرةً إلى الناسِ . فهى لا يزالُ ساقِطًا بناؤُها ، فشُوِّهَت بذلك .

وذكَر سيفٌ[4] أن عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ لمَّا وَلِىَ مصرَ بعدَ ذلك زادَ فى الخراجِ عليهم رُءوسًا مِن الرقيقِ يُهْدُونَها إلى المسلمين فى كلِّ سنةٍ ، ويُعَوِّضُهم المسلمون بطَعامٍ مُسَمًّى وكِسوةٍ . وأقرَّ[5] ذلك عثمانُ بنُ عفانَ وولاةُ الأمورِ بعدَه ، حتى كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فأمْضاه أيضًا ؛ نظرًا لهم ، وإبقاءً لعهدِهم .

قلتُ : وإنَّما سُمِّيت ديارُ[6] مصرَ بالفُسطاطِ نِسبةً إلى فُسطاطِ عمرِو بنِ العاصِ ، وذلك أنَّه نصَب خيمتَه - وهى الفُسطاطُ - موضعَ مصرَ اليومَ ، وبنَى

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٠٨.

(٢) فى الأصل : « مقبرة » .

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/١١١ عن يزيد بن أبى حبيب من غير طريق سيف .

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/١١١ عن ابن لهيعة .

(٦) فى الأصل : « بلاد » .

الناسُ حولَه ، وتُرِكَتْ مصرُ القديمةُ مِن زمانِ[1] عمرِو بنِ العاصِ وإلى اليومِ ، ثم رُفِع الفُسطاطُ وبُنِىَ مَوْضِعَه جامِعٌ وهو المنسوبُ إليه اليومَ .

وقد غزا المسلمون بعدَ فتحِ مصرَ النُّوبةَ ، فنالَهم جراحاتٌ كثيرةٌ ، وأُصيبتْ أعينٌ كثيرةٌ ؛ لجَودَةِ رَمْيِ النُّوبةِ ، فسَمَّوْهم جندَ الحِدَقِ . ثم فتَحها اللَّهُ بعدَ ذلك . وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وقد اختُلِفَ فى بلادِ مصرَ ، فقيل : فُتِحتْ صلحًا إلَّا الإسكندريةَ . وهو قولُ يزيدَ بنِ أبى حبيبٍ[2] . وقيل : كلُّها عَنوةً . وهو قولُ ابنِ عُمرَ[3] وجماعةٍ .

وعن عمرِو بنِ العاصِ[4] أنَّه خطَب الناسَ فقال : ما قَعَدْتُ مَقْعَدِى هذا ولأحَدٍ مِن القِبْطِ عندى عَهْدٌ ؛ إنْ شئتُ قَتَلْتُ ، وإن شئتُ بِعْتُ ، وإن شئتُ خَمَّسْتُ ، إلَّا لأهلِ أنْطَابُلُسَ[5] ، فإنَّ لهم عهدًا نَفِى به .

قصةُ نِيلِ مصر

رُوِّينا[6] مِن طريقِ ابنِ لَهِيعَةَ ، عن قَيْسِ بنِ الحجَّاجِ ، عمَّن حدَّثه قال : لمَّا افتُتِحتْ مصرُ أتَى أهلُها عمرَو بنَ العاصِ - حينَ دخَل بُؤْنَةُ[7] مِن أشْهُرِ

---

(١) بعده فى ا ١٥، ص : « بناية » .

(٢) أخرجه خليفة فى تاريخه ١/ ١٣٨.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٣٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٣٦.

(٥) فى ا ٨: « أنطرابلس » ، وفى م : « الطابلس » .

وأنْطَابُلُس : معناها بالرومية خمس مدن ، وهى مدينة بين الإسكندرية وبرقة ، وقيل : هى مدينة ناحية برقة . معجم البلدان ١ / ٣٨١.

(٦) أخرجه ابن عبد الحكم ، فى : فتوح مصر ص ١٥٠، ١٥١. وابن الجوزى ، فى : المنتظم ٤/ ٢٩٤.

(٧) الشهر العاشر من شهور السنة القبطية ، ودخوله فى الخامس والعشرين من أيّار [مايو] من شهور =

العَجَمِ - فقالوا : أيُّها الأميرُ ، لِنيلِنا هذا سُنَّةٌ لا يجرِى إلَّا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانتِ اثْنَتَى عَشْرةَ ليلةً خلَت مِن هذا الشهرِ ، عَمَدْنا إلى جاريةٍ بِكرٍ مِن أبَويها ، فأرْضَيْنا أبَويها ، وجعَلْنا عليها مِن الحُلِيِّ والثِّيابِ أفضلَ ما يكونُ ، ثم ألقَيْناها فى هذا النيلِ . فقال لهم عمرٌو : إنَّ هذا ممَّا لا يكونُ فى الإسلامِ ، إنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما قبلَه . قال : فأقاموا بؤنةَ وأَبِيبَ[1] ومِسْرَى[2] والنيلُ لا يَجْرِى قليلًا ولا كثيرًا ، حتى هَمُّوا بالجلاءِ ، فكتَب عمرٌو إلى عمرَ بنِ الخطابِ بذلك ، فكتَب إليه : إنَّك قد أَصَبْتَ بالذى فعَلْتَ ، وإنِّى قد بعَثْت إليك ببِطاقةٍ داخلَ كتابى ، فأَلْقِها فى النيلِ . فلمّا قَدِم كتابُه أخَذَ عمرٌو البِطاقةَ [٥/١٢١ظ] فإذا فيها : مِن عبدِ اللَّهِ أميرِ المؤمنين إلى نيلِ أهلِ[3] مصرَ ، أمَّا بعدُ ، فإنْ كنتَ إنَّما تجرِى مِن قِبَلِك[4] فلا تَجْرِ[5] ، وإن كان[6] اللَّهُ الواحدُ القهارُ هو[7] الذى يُجْرِيك ، فنسألُ اللَّهَ تعالى أنْ يُجْرِيَك . قال : فأَلْقَى البِطاقةَ فى النيلِ[8] فأصبَحوا يومَ السبتِ[9] ، وقد أجْرَى اللَّهُ النيلَ ستةَ عشَرَ ذِراعًا فى ليلةٍ واحدةٍ ، وقطَع اللَّهُ

= السريان ، وآخره الثالث والعشرون من حزيران (يونيو) . صبح الأعشى ٢ / ٣٧٧.

(١) الشهر الحادى عشر من أشهر السنة القبطية ، دخوله فى الرابع والعشرين من حزيران ، وآخره الثالث والعشرون من تموز [يوليو] . المصدر السابق ٢ / ٣٧٨.

(٢) الشهر الثانى عشر من أشهر السنة القبطية دخوله فى الرابع والعشرين من تموز ، وآخره السابع والعشرون من آب [أغسطس] . المصدر السابق ٢ / ٣٧٩.

(٣) سقط من : ا ٨، وليست فى المنتظم .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « ومن أمرك » ، وفى ا ٨: « وبأمرك » .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « فلا حاجة لنا فيك » ، وفى ا ٨: « ولا حاجة لنا بك » .

(٦) فى الأصل ، ا ٨، م : « كنت إنما تجرى بأمر » .

(٧) فى الأصل ، م : « وهو » .

(٨) بعده فى فتوح مصر : « قبل يوم الصليب بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل » . ونحوه فى المنتظم .

(٩) فى فتوح مصر ، والمنتظم : « الصليب » .

تلك السُّنَّةَ عن أهلِ مصرَ إلى اليومِ .

قال سيفُ بنُ عمرَ[1] : وفى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السَّنةِ - وهى عندَه سنةُ ستَّ عَشْرةَ - جعَل عمرُ[2] المَسالِحَ على أرجاءِ مصرَ ، وذلك لأنَّ هِرَقْلَ أغْزَا الشامَ ومصرَ فى البحرِ .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ غزا أرضَ الرومِ أبو بَحْرِيَّةَ[4] عبدُ اللَّهِ بنُ قيسٍ الكِنْدِىُّ[5] - وهو أولُ مَن دخَلها فيما قيلَ - فسَلِم وغَنِم ، وقِيل : أولُ مَن دخَلها مَيْسَرَةُ بنُ مَسْروقٍ العَبْسِىُّ .

قال الواقدىُّ[3] : وفيها عزَل عمرُ قُدامةَ بنَ مَظْعونٍ عن البحرينِ ، [6]وحَدَّه فى الشَّرابِ ، ووَلَّى على البحرينِ[6] واليمامةِ أبا هريرةَ الدَّوْسِىَّ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال[7] : وفيها شَكَا أهلُ الكوفةِ سعدًا فى كلِّ شىءٍ ، حتى قالوا : لا يُحْسِنُ يُصَلِّى . فعزَله عنها ووَلَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبانَ ، وكان نائبَ سعدٍ . وقيلَ[8] : بل ولَّاها عمَّارَ[9] بنَ ياسرٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١١١.
(٢) فى م : « عمرو » .
(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٢.
(٤) فى الأصل ، ا ٨: « بحيرة » . وانظر الإصابة ٥/ ٩٥، ٧/ ٤٧.
(٥) فى النسخ : « العبدى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر : تهذيب الكمال ١٥/ ٤٥٦.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل .
(٧) تاريخ الطبرى ٤/ ١١٢ ، ولم يذكر ولاية عبد اللّه بن عبد اللّه بن عتبان .
(٨) تاريخ الطبرى ٤/ ١٤٤. وعزاه للواقدى . وفى تاريخ خليفة ١/ ١٤٦ كلاهما فى أحداث سنة إحدى وعشرين .
(٩) فى الأصل ، م : « عمرو » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ الملِكِ ، سَمِعه مِن جابرِ بنِ سَمُرَةَ قال : شكا أهلُ الكُوفَةِ سعدًا إلى عمرَ فقالوا : إنه لا يُحْسِنُ يُصلِّى . قال : الأعاريبُ[2] ! واللَّهِ ما آلُو بهم عن[3] صلاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الظهرِ والعصرِ ، أركُدُ[4] فى الأُولَيَيْن ، وأحْذِفُ[5] فى الأُخْرَيَين[6] . فسمِعْتُ عمرَ يقولُ : كذلك[7] الظنُّ بك يا أبا إسحاقَ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[8] أنّ عمرَ بعَث مَن يسألُ عنه أهلَ الكُوفَةِ ، فأثْنَوا خيرًا إلَّا رجلًا يقالُ له : أبو سَعْدَةَ ، [9]أسامةُ بنُ قَتادَةَ[9] . قام فقال : أمَّا إذ نَشَدْتَنا ، فإنَّ سعدًا لا يَقْسِمُ بالسّويَّةِ ، ولا يعدِلُ فى القضيّةِ ، ولا يخرجُ فى السّريَّةِ . فقال سعدٌ : اللهمَّ إن كان عبدُك هذا قام مَقامَ رِياءٍ وسُمْعَةٍ ، فأطِلْ عُمْرَه ، وأَدِمْ فَقْرَه ، وعَرِّضْه للفِتَنِ . فأصابَته دعوةُ سعدٍ ، فكان شيخًا كبيرًا يرفَعُ حاجِبَيه عن عينَيْه ، ويتعرَّضُ للجوارِى فى الطُّرُقِ فيَغْمِزُهُنَّ ، فيقالُ له فى ذلك فيقولُ : شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابَتْه دعوةُ سعدٍ .

---

(١) المسند ١ / ١٧٩. (إسناده صحيح) .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٤) فى الأصل ، م : « أردد » .

(٥) فى الأصل ، « أحرف » . وفى م : « أصرف » .

وقال ابن الأثير : أى أسكن وأطيل القيام فى الركعتين الأوليين من الصلاة الرباعية ، وأخفف فى الأخريين . النهاية ٢/ ٢٥٨.

(٦) فى م : « الأخيرين » .

(٧) فى م : « كذا » .

(٨) مسلم (١٥٨/ ٤٥٣) مقتصرا على أوله ، وليس فيه سؤال أهل الكوفة عنه . وأخرجه بتمامه البخارى (٧٥٥) بنحوه .

(٩ - ٩) فى الأصل : « بن أسامة » ، وفى ا ١٥، م ، ص : « قتادة بن أسامة » ، وفى ا ٨: « قتادة أسامة » . والمثبت كما فى البخارى .

وقد قال عمرُ[1] فى وصيَّته - وذكَره فى السِّتةِ[2] - : فإن أصابَتِ الإمْرَةُ سعدًا فذاكَ ، [3]وإلَّا فلْيَسْتَعِنْ به أيُّكم وَلِىَ ، فإنِّى لم أعزِلْه عن عجزٍ ولا خِيانةٍ[3] .

قال[4] : وفيها أجلَى عمرُ يهودَ خيبرَ عنها إلى أذْرِعاتٍ وغيرِها ، وفيها أجلَى عمرُ يهودَ نجرانَ منها أيضًا إلى الكُوفةِ ، وقسَم خيبرَ ، ووادىَ القُرَى ، ونجرانَ بينَ المسلمين .

قال[4] : وفيها دَوَّنَ عمرُ الدواوينَ . وزعَم غيرُه[5] أنَّه دَوَّنَها قبلَ ذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

قال[4] : وفيها بعَث عمرُ علقمةَ بنَ مُجَزِّزٍ المُدْلجىَّ إلى الحبشةِ فى البحرِ فأُصِيبوا ، فآلى عمرُ على نفسِه أن لا يبعَثَ جيشًا فى البحرِ بعدَها . وقد خالَف الواقدىُّ فى هذا أبو معشرٍ[6] ، فزَعَم أنّ غزوةَ الحبشةِ إنَّما كانت فى سنةِ إحدَى وثلاثين . يَعْنِى فى خلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال الواقدىُّ[4] : وفيها تزوَّجَ عمرُ فاطمةَ بنتَ الوليدِ بنِ عُتْبَةَ - التى ماتَ عنها الحارثُ بنُ هشامٍ فى الطاعونِ - وهى أختُ خالدِ بنِ الوليدِ .

قال[4] : وفيها ماتَ بلالٌ[7] بدِمَشْقَ ، وأُسَيْدُ بنُ الحُضيرِ[8] فى شعبانَ ،

---

(١) البخارى (٣٧٠٠) ، والنسائى فى الكبرى (١١٥٨١) .
(٢) أى : الستة الذين رشحهم عمر للخلافة من بعده .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ٨.
(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٢.
(٥) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٦١٣، والمنتظم ٤/ ١٩٤.
(٦) تاريخ الطبرى ٤/ ١١٢، ١١٣.
(٧) فى الأصل ، م : « هلال » . وتأتى ترجمته .
(٨) فى الأصل : « الحصين » . وتأتى ترجمته .

[٥/١٢٢و]، وزينبُ بنتُ جَحْشٍ أُمُّ المؤمنين، وهى أولُ مَن ماتَ مِن أُمَّهاتِ المؤمنين، رضِى اللَّهُ عنها.

قال[١]: وفيها ماتَ هِرَقلُ، وقام بعدَه ولدُه قُسْطَنْطِينُ.

قال[٢]: وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ. ونوّابُه وقضاتُه، مَن تقدَّم فى التى قبلَها، سوَى مَن ذكَرنا أنَّه عزَله ووَلَّى غيرَه.

ذكرُ المتوفَّين [٣]فى هذه السنةِ[٣] مِن الأعيانِ

أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ[٤] بنِ سِماكٍ الأنصارىُّ الأشْهَلِىُّ، مِن الأوسِ، أبو يَحْيَى، أحدُ النقباءِ ليلةَ العَقَبةِ، وكان أبوه رئيسَ الأوسِ يومَ بُعاثٍ، وكان قبلَ الهجرةِ بستِّ سنينَ، وكان يقالُ له: حُضَيْرُ الكتائبِ. يقالُ: إنه أسلَم على يَدَىْ مُصْعبِ بنِ عُمَيْرٍ. ولمَّا هاجَر الناسُ آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ، ولم يشهَدْ بدرًا.

وفى الحديثِ الذى صَحَّحه الترمِذِىُّ[٥]، عن أبى هُرَيْرَةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «نِعْمَ الرجلُ أبو بَكْرٍ، نِعْمَ الرجلُ عمرُ، نِعْمَ الرجلُ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ». وذكَر جماعةً.

---

(١) الكامل ٢ / ٥٦٩، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢٠٠. ولم ينسبا هذا القول.
(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٣.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) فى الأصل: «الحصين». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ١ / ٩٢، وأسد الغابة ١ / ١١١، والإصابة ١ / ٨٣.
(٥) الترمذى (٣٧٩٥). وقال: حديث حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذى ٢٩٨٤).

وقَدِم الشامَ مع عمرَ. وأثْنَت عليه عائشةُ، وعلَى سعدِ بنِ معاذٍ، وعبَّادِ بنِ بِشْرٍ، رضِى اللَّهُ عنهم.

وذكَر ابنُ بُكَيْرٍ[1] أنَّه توفِّى بالمدينةِ سنةَ عشرين، وأنَّ عمرَ حمَل بينَ عَمُودَيْه، وصلَّى عليه، ودفَنه بالبقيعِ. وكذا أرَّخ وفاتَه سنةَ عشرين الواقدىُّ[2]، وأبو عُبَيْدٍ[3]، وجماعةٌ.

أُنَيْسُ بنُ مَرْثَدِ [4]بنِ أبى مَرْثَدٍ[4] الغَنَوِىُّ[5] هو وأبوه وجدُّه صحابةٌ، وكان أُنَيْسٌ هذا عينًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حنينٍ، ويقالُ: إنّه الذى قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «واغدُ يا أنيسُ إلى امرأةِ هذا، فإنِ اعْتَرَفَتْ فارْجُمْها»[6]. والصحيحُ أنَّه غيرُه، فإنَّ فى الحديثِ: فقال لرجلٍ مِن أسْلَمَ. فقيل: إنّه أنيسُ بنُ الضّحاكِ الأسْلَمِىُّ. وقد مالَ ابنُ الأثيرِ[7] إلى تَرْجِيحِه. واللَّهُ أعلمُ. له حديثٌ فى الفِتْنةِ[8]. قال إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ[9]: تُوفِّىَ فى ربيعِ الأولِ سنةَ عشْرين.

بِلالُ بنُ[10] رباحٍ الحبشىُّ[11] المُؤَذِّنُ، مولَى أبى بَكْرٍ، ويقالُ له: بِلالُ ابنُ

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١/١٧٢ (٥٤٨) وليس فيه: بالمدينة. وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣١١: رواه الطبرانى وروى عن الواقدى بعضه وإسنادهما منقطع.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٦٠٦، وتاريخ دمشق ٩/ ٩٧.

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٩٦.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٨.

(٥) الاستيعاب ١ / ١١٣، ١١٤، وأسد الغابة ١ / ١٥٩، والإصابة ١ / ١٣٨.

(٦) البخارى (٢٣١٤، ٢٣١٥). ومسلم (٢٥/ ١٦٩٧، ١٦٩٨).

(٧) أسد الغابة ١ / ١٥٧.

(٨) فى الأصل: «الفقه»، وفى ا ١٥: «الفتن».

والحديث أخرجه البخارى، فى: التاريخ الكبير ٢ / ٣٠. وانظر الإصابة ١ / ١٣٨.

(٩) ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢٠٨.

(١٠) فى م: «ابن أبى».

(١١) الاستيعاب ١ / ١٧٨، وأسد الغابة ١ / ٢٤٣، والإصابة ١ / ٣٢٦.

حَمامةَ . وهى أمُّه . أسلم قديمًا فعُذِّبَ فى اللَّهِ فصَبَر ، فاشتَراه الصديقُ فأعتَقَه . شَهِد بدرًا وما بعدَها . وكان عمرُ يقولُ : أبو بكرٍ سَيِّدُنا وأعتَق سيِّدَنا . رَواه البخاريُّ[1] .

ولمَّا شُرِع الأذانُ بالمدينةِ كان هو الذى يُؤَذِّنُ بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وابنُ أمِّ مَكْتُومٍ ، يتناوَبان ، تارةً هذا وتارةً هذا . وكان بِلالٌ نَدِىَّ الصوتِ ، حسنَه ، فَصِيحًا ، وما يُرْوَى : « إنَّ سينَ بلالٍ عندَ اللَّهِ شينٌ » . فليسَ له أصلٌ . وقد أذَّن يومَ الفتحِ على ظهرِ الكعبةِ . ولمَّا تُوفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ترَك الأذانَ ، ويقالُ : أذَّن للصديقِ أيامَ خلافتِه . ولا يَصِحُّ . ثم خرَج إلى الشامِ مُجاهِدًا ، ولمَّا قَدِم عمرُ إلى الجابيَةِ أذَّن بينَ يَدَيْه بعدَ الخُطْبَةِ لصلاةِ الظُّهْرِ ، فانتَحَب الناسُ بالبُكاءِ . ويُقالُ : إنَّه زار المدينةَ فى غبُونٍ[2] ذلك فأذّن ، فبكَى الناسُ بكاءً شديدًا . ويحِقُّ لهم ذلك ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وثبَت فى الصحيحِ[3] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لبلالٍ : « إنِّى دخَلْتُ الجنَّةَ فسمِعتُ خَشْفَ[4] نَعْلَيكَ أمامى ، فأخْبِرْنى بأرْجَى عملٍ عَمِلْتَه » . فقال : ما تَوضَّأْتُ إلَّا وصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْن . فقال : « بذاك » . وفى روايةٍ[5] : ما أحدَثْتُ إلَّا توضَّأْتُ ، وما توضَّأْتُ إلَّا رأيتُ أنَّ علىَّ أنْ أُصَلِّىَ ركعتَين .

---

(١) البخارى (٣٧٥٤) .

(٢) فى م : « غضون » .

(٣) البخارى (١١٤٩) ، ومسلم (١٠٨ / ٢٤٥٨) . كلاهما بنحوه . وعند البخارى : « ردف » بدلا من : « خشف » . وليس عندهما : « بذاك » .

(٤) الخشْفة : الحس والحركة ، وقيل : هو الصوت . والخشَفة : الحركة . وقيل : هما بمعنى . وكذلك الخشْف . النهاية ٢ / ٣٤ .

(٥) حلية الأولياء ١/ ١٥٠، وتاريخ دمشق ١٠/ ٤٥٥.

قالوا[1] : وكان بلالٌ آدمَ شديدَ الأُدْمَةِ ، طويلًا ، [٥/١٢٢ظ] نحيفًا ، أجْنَأَ[2] ، كثيرَ الشَّعْرِ ، خفيفَ العَارِضَيْن .

قال ابن بُكَيْرٍ[3] : توفِّى بدِمَشْقَ فى طاعونِ عَمَواسَ سنةَ ثمانىَ عَشْرَةَ . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُ واحدٍ[4] : تُوفِّىَ سنةَ عشرين . قال الواقدىُّ[5] : ودُفِن ببابِ الصّغيرِ ، وله بضعٌ وستونَ[6] سنةً . وقال غيرُه[7] : ماتَ بدَارَيَّا[8] ، ودُفِن ببابِ كَيْسانَ . وقيلَ : دُفِن بدَارَيَّا[9] . وقيلَ : إنّه ماتَ بحَلَبَ[9] . والأولُ أصحُّ . واللَّهُ أعلمُ .

سعيدُ بنُ عامرِ بنِ حِذْيَمٍ[10] ، مِن أشْرافِ بنى جُمَحَ ، شهِد خَيْبرَ ، وكان مِن الزُّهَّادِ العُبَّادِ ، وكان أميرًا لعمرَ على حِمْصَ بعدَ أبى عبيدةَ . بلَغ عمرَ أنَّه قد أصابَتْه حاجةٌ[11] شديدةٌ ، فأرْسَل إليه بألفِ دِينارٍ ، فتصدَّق بها جمِيعِها ، وقال

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩، وتاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٨.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١/٣١٨ (١٠٠٧) . ومن طريقه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٦. وعندهما : سنة سبع أو ثمان عشرة . كما أخرجه ابن عساكر فى نفس الموضع من طريق محمد بن إسحاق دون شك .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٨، وتاريخ بغداد ١/ ١٨٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٦- ٤٧٩.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٨، وتاريخ دمشق ١٠/ ٤٧٦، ٤٧٧.

(٦) فى الأصل ، ا ٨: « سبعون » .

(٧) تاريخ دمشق ١٠ / ٤٧٩.

(٨) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة . معجم البلدان ٢ / ٥٣٦.

(٩) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٠.

(١٠) سقط من : ا ٨، وفى الأصل ، ص : « جذيم » ، وفى م : « خذيم » . وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢ / ٦٢٤، وأسد الغابة ٢ / ٣٩٣، والإصابة ٣ / ١١٠.

(١١) فى م ، ص : « جراحة » .

لزوجتِه : أعْطَيْناها لمَن يتَّجِرُ لنا فيها[1] . رضِى اللَّهُ عنه . قال خليفةُ[2] : فتَح هو ومعاويةُ قَيْسارِيَّةَ ، كلٌّ منهما أميرٌ على مَن معه .

عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ أبو سعدٍ الفِهْرِىُّ[3] ، مِن المهاجِرين الأوَّلينَ ، شَهِد بَدْرًا وما بعدَها ، وكان سَمْحًا جَوَادًا ، شُجاعًا ، وهو الذى افْتَتح الجزيرةَ ، وهو أولُ مَن جَازَ دَرْبَ الرومِ غازِيًا ، واسْتَنابه أبو عبيدةَ بعدَه على الشَّامِ ، فأقَرَّه عمرُ عليها إلى أن ماتَ سنةَ عشرين عن ستِّين سنةً .

أبو سُفْيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ[4] ، ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قيلَ : اسْمُه المغيرةُ . أسْلَم عامَ الفتحِ فحسُنَ إسْلامُه جدًّا ، وكان قبلَ ذلك مِن أشدِّ الناسِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعلى دينِه ومَن تَبِعَه ، وكان شاعِرًا مُطبقًا ، يهجُو الإسْلامَ وأهلَه ، وهو الذى ردَّ عليه حسانُ بنُ ثابتٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فى قولِه[5] :

أَلَا أبْلِغْ أبا سفْيانَ عنِّى ... مُغَلْغَلةً فقدْ بَرِحَ الخفاءُ
هَجَوْتَ محمَّدًا وأجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللَّهِ فى ذاكَ الجزَاءُ
أَتَهْجُوهُ ولسْتَ له بكُفءٍ ... فشَرُّكما لخيرِكما الفِداءُ

ولمَّا جاءَ هو وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى أميَّةَ ليُسلِمَا ، لم يأْذَنْ لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى شفَعت أمُّ سَلَمَةَ لأخيها فأَذِن له ، وبلَغه أنَّ أبا سفْيانَ هذا قال : واللَّهِ لئن لم يأذَنْ لى لآخُذَنَّ بيدِ بُنَىَّ هذا - لولدٍ معه صغيرٍ - فلأَذْهَبنَّ ، فلا يُدْرَى أينَ

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، وتاريخ دمشق ٢١/ ١٤٩، ١٥٠.
(٢) تاريخ خليفة ١ / ١٣٤.
(٣) الاستيعاب ٣ / ١٢٣٤، وأسد الغابة ٤ / ٣٢٧، والإصابة ٤/ ٧٥٧.
(٤) الاستيعاب ٤ / ١٦٧٣، وأسد الغابة ٦ / ١٤٧، والإصابة ٧ / ١٧٩.
(٥) تقدمت الأبيات فى ٦/ ٥٩٢، ٥٩٣.

أذهبُ . فرَقَّ حينَئذٍ له رسولُ اللَّهِ ﷺ وأذِن له ، ولزِم رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ[1] ، وكان آخِذًا بلِجامِ بغْلتِه يومئذٍ . وقد رُوِىَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أحبَّه ، وشَهِد له بالجنَّةِ ، وقال : « أرْجُو أن تكونَ خَلَفًا مِن حمْزةَ[2] » . وقد رثَى رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ تُوفِّى بقصِيدةٍ ذكَرناها فيما سلَف ، وهى التى يقولُ فيها[3] :

أرِقْتُ فَبَاتَ ليلِىَ لا يَزُولُ ... وليلُ أخى المُصيبةِ فيهِ طُولُ
وأسعَدَنى البكاءُ وذاكَ فيما ... أُصيبَ المسلمونَ بهِ قليلُ
فقدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنا وجَلَّتْ ... عَشِيَّةَ قيلَ قدْ قُبِضَ الرسولُ
فقَدْنا الوحىَ والتنزيلَ فينا ... يروحُ به ويغدُو جِبْرَئِيلُ

ذكَروا[4] أنَّ أبا سفيانَ حجَّ ، فلمَّا حلَق رأسَه قطَع الحالِقُ ثُؤْلُولًا[5] فى رأسِه ، فتمَرَّض منه ، فلم يزَلْ كذلِكَ حتَّى ماتَ بعدَ مَرجِعِه إلى المدينةِ ، وصلَّى عليه عمرُ بنُ الخطَّابِ . وقد قيلَ : إنّ أخَاه نَوْفَلًا توفِّىَ قبلَه بأربعةِ أشْهرٍ . واللَّهُ أعلمُ .

أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ[6] ، هو مالكُ بنُ مالكِ بنِ عَتِيكِ[7] بنِ [٥/١٢٣و] عمرِو بنِ عبدِ الأعْلَمِ بنِ عامرِ بنِ زَعُورَاءَ[8] بنِ جُشَمَ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرجِ بنِ عَمرِو[9] بنِ

---

(١) فى الأصل : « خيبر » . وتقدم فى ٧ / ١٦.
(٢) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/ ١٦٧٥. والذهبى فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢١٨. وانظر طبقات ابن سعد ٤/ ٥٢.
(٣) تقدمت الأبيات فى ٨/ ١٧٧، ١٧٨.
(٤) الاستيعاب ٤ / ١٦٧٦، ١٦٧٧، وطبقات ابن سعد ٤/ ٥٣، والمستدرك ٣ / ٢٥٥، ٢٥٦.
(٥) بعده فى م : « له » .
والثؤلول : بثر صغير صلب مستدير ، يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها .
(٦) الاستيعاب ٤ / ١٧٧٣، وأسد الغابة ٦ / ٣٢٣، والإصابة ٧ / ٤٤٩.
(٧) فى الأصل ، م : « عسل » .
(٨) فى الأصل : « عول » ، وفى ا ١٥، ا ٨: « زعور » ، وفى م ، ص : « دعورا » . والمثبت من مصادر الترجمة .
(٩) فى ا ١٥: « عمر » .

مالكِ بنِ الأَوْسِ ، الأنصاريُّ الأوسِيُّ ، شهِد العَقَبةَ نقِيبًا ، وشَهِد بدرًا وما بعدَها ، ماتَ سنةَ عشرِين . وقيل : إحدَى وعشرِين . وقيل : إنَّه شهِد صِفِّينَ مع عليٍّ . قال ابنُ الأثيرِ[1] : وهو الأكثرُ . وقد ذكَره شيخُنا هنا[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

زينبُ بنتُ جحْشِ بنِ رِيَابٍ[3] الأَسَدِيَّةُ[4]

مِن أسدِ خُزَيْمةَ . أوّلُ أُمَّهاتِ المؤْمنين وفاةً ، أُمُّها أُميْمةُ بنتُ عبدِ المطَّلِبِ ، وكان اسْمُها بَرَّةَ ، فسمَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ زينبَ ، وتُكَنَّى أُمَّ الحكَمِ ، وهى التى زوَّجه اللَّهُ بها ، وكانت تفْتَخِرُ بذلك على سائرِ أزواجِ النبىِّ ﷺ فتقولُ : زوَّجَكُنَّ أهْلُوكُنَّ ، وزوَّجَنِى اللَّهُ مِن السَّماءِ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ . الآية [الأحزاب : ٣٧] . وكانت قبلَه عندَ مَولَاه زيدِ بنِ حارِثَةَ ، فلمَّا طلَّقها تَزوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ . قِيل : كان ذلك فى سنةِ ثلاثٍ . وقيل : أربعٍ . وهو الأشْهرُ . وقيل : سنةَ خمسٍ . وفى دخولِه عليهِ السلامُ بها نزَل الحجابُ كما ثبَت فى « الصحيحَين »[5] عن أنسٍ[6] . وهى التى كانت تُسَامِى عائشةَ بنتَ الصِّديقِ فى الجمالِ والحُظْوةِ ، وكانت ديِّنةً ورِعةً عابِدةً كثيرةَ

---

(١) أسد الغابة ٦ / ٣٢٤.

(٢) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٢١.

(٣) سقط من : ا ٨، وغير منقوطة فى : الأصل، ا ١٥، وفى م، ص : « رباب »، وفى الاستيعاب : « رئاب » . والمثبت كمافى أسد الغابة ٣/ ١٩٤، والإصابة ٤/ ٣٥، وانظر الإكمال ٤/ ١، ٢، والمشتبه ١/ ٣٠١.

(٤) الاستيعاب ٤ / ١٨٤٩، وأسد الغابة ٧ / ١٢٥، والإصابة ٧ / ٦٦٧. وانظر ما تقدم فى ٦/ ١٥٠- ١٦١.

(٥) فى ا ١٥، ص : « الصحيح » . والحديث تقدم تخريجه فى ٦/ ١٥٥- ١٦٠.

(٦) فى ا ١٥، ص : « ابن عباس » .

الصَّدقةِ. وذاك الذى أشار إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ بقولِه: «أسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بى أطولُكُنَّ يَدًا»[1] - أى بالصدقةِ - وكانتِ امرأةً صنَاعًا تعمَلُ بيدِها وتتصَدَّقُ على الفُقراءِ.

قالت عائشةُ[1]: ما رَأيْتُ امرأةً قَطُّ خيرًا فى الدِّينِ، وأتْقَى للَّهِ، وأصدقَ حديثًا، وأوْصلَ للرَّحِمِ، وأعظَمَ أمانةً وصَدَقةً، مِن زينبَ بنتِ جحْشٍ.

ولم تَحُجَّ بعدَ حَجَّةِ الوَداعِ لا هى ولا سودةُ؛ لقولِه عليه السلامُ لأزواجِه: «هذه ثم ظُهُورُ الحُصُرِ»[2]. وأمّا بقيةُ أزواجِ النبىِّ ﷺ فكُنَّ يَخرُجْنَ إلى الحَجِّ، وقالت زينبُ وسودةُ[3]: واللَّهِ لا تُحرِّكْنَا بعدَه دابَّةٌ.

قالوا[4]: وبعَث عمرُ إليها فرْضَها اثنَى عشَر ألفًا فتصَدَّقت به فى أقارِبِها، ثم قالت: اللهمَّ لا يُدرِكُنِى عطاءُ عمرَ بعدَ هذا. فماتت فى سنةِ عشْرِينَ، وصلَّى عليها عمرُ، وهى أولُ مَن صُنِع لها النَّعْشُ، ودُفِنَت بالبَقِيعِ.

صَفِيَّةُ بنتُ عبدِ المطلبِ[5]، عمَّةُ الرسولِ ﷺ، وهى أُمُّ الزُّبيرِ بنِ العوامِ، وهى شقيقةُ حمزةَ والمُقَوَّمِ وحَجْلَ، أمُّهم هالةُ بنتُ وُهَيْبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهْرَةَ. لا خِلافَ فى إسلامِها، وقد حضَرت يومَ أُحدٍ، ووجَدتْ على أخِيها

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٦٠.

(٢) تقدم تخريجه فى ٨ / ٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، فى: المسند ٦/ ٣٢٤. وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٢١٤: رواه أحمد وأبو يعلى... وفيه صالح مولى التوأمة، ولكنه من رواية ابن أبى ذئب عنه، وابن أبى ذئب سمع منه قبل اختلاطه، وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن سعد، فى: الطبقات ٨ / ١٠٩، ١١٠.

(٥) فى الاستيعاب ٤ / ١٨٧٣، وأسد الغابة ٧ / ١٧٢، والإصابة ٧ / ٧٤٣.

حمزةَ وَجْدًا كثيرًا ، وقَتَلتْ يومَ الخندقِ رجلًا مِن اليهودِ جاءَ فجَعَل يُطِيفُ[1] بالحِصْنِ التى هى فيه ، وهو فارغٌ ؛ حِصْنُ حسّانَ ، فقالتْ لحسانَ : انْزِلْ فاقْتُلْه . فأبَى ، فنَزَلت إليه فقَتلَتْه ، ثم قالت : انْزِلْ فاسْلُبْه فلولا أنَّه رجلٌ لاسْتلَبتُه . فقال : لا حاجةَ لى فيه[2] . فكانت أولَ امرأةٍ قتَلتْ رجلًا مِن المُشْرِكين .

وقد اخْتُلِف فى إسلامِ مَن عَدَاها مِن عمَّاتِ النبىِّ ﷺ . فقِيل : أسْلَمَت أَرْوَى وعاتِكَةُ . قال ابنُ الأثيرِ[3] وشَيْخُنا أبو عبدِ اللَّهِ [٥/١٢٣ظ] الذهبىُّ الحافظُ[4] : والصحيحُ أنَّه لم يُسْلِمْ مِنهنَّ غيرُها .

وقد تَزوَّجَت أوَّلًا بالحارثِ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ ، ثم خلَف عليها العوّامُ بنُ خُوَيْلِدٍ ، فولدَتْ له الزبيرَ وعبدَ الكعبةِ . وقيل : تزوَّجها العوامُ بِكْرًا . والصَّحيحُ الأوَّلُ . تُوفِّيَت بالمدينةِ سنةَ عشْرِين ، عن ثلاثٍ وسبعينَ سنةً . ودُفِنت بالبَقِيعِ ، رضِى اللَّهُ عنها .

[5]وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ مَنْ تُوفِّىَ [6]غيرَ هؤلاء[6] :

عُوَيْمُ[7] بنُ ساعِدَةَ الأنصارِىُّ[8] شهِد العَقَبتَين والمشاهِدَ كلَّها ، وهو أولُ مَن استَنْجَى بالماءِ ، وفيه نزَل قولُه تعالى[9] : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ . [التوبة : ١٠٨] . ولـه رواياتٌ . تُوفِّىَ هذه السنةَ بالمدينةِ[5] .

---

(١) فى م : « يطوف » .
(٢) تقدم فى ٦ / ٤٩، ٥٠.
(٣) أسد الغابة ٧ / ١٧٢.
(٤) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢٢٠.
(٥ - ٥) سقط من : ا ١٥، ص .
(٦ - ٦) فى م : « غيرها » .
(٧) فى الأصل ، ا ٨: « عويمر » . وانظر مصادر ترجمته .
(٨) الاستيعاب ٣ / ١٧١، وأسد الغابة ٤ / ١٥٨، والإصابة ٣ / ٤٤.
(٩) التفسير ٤ / ١٥١.

(١ **بِشْرُ بنُ عمرِو بنِ حَنَشٍ**[٢] ، يُلقَّبُ بالجَارُوْدِ ، أسلَم فى السنةِ العاشرةِ ، وكان شـرِيفًا مُطاعًا فى عبدِ القَيْسِ ، وهو الذى شَهِد على قُدَامةَ بنِ مَظْعُونٍ أنه شَرِب الخمرَ ، فعَزَله عمرُ عن اليمنِ وحَدَّه . قُتِلِ الجارودُ شهِيدًا .

أبو خِراشٍ[٣] **خُوَيْلدُ بنُ مُرَّةَ الهُذَلىُّ**[٤] ، كان شاعِرًا مُجِيدًا مُخَضْرَمًا ، أدْرَكَ الجاهليةَ والإسلامَ ، وكان إذا جرَى سبَق الخيلَ . نهَشتْه حيةٌ فمات بالمدينةِ١) .

(١ - ١) سقط من : ا ١٥، ص .

(٢) الاستيعاب ١ / ٢٦٢، وأسد الغابة ١ / ٣١١، والإصابة ١ / ٤٤١.

(٣) فى م : « خراشة » .

(٤) الاستيعاب ٤ / ١٦٣٦، وأسد الغابة ٦ / ٨٦، والإصابة ٢ / ٣٦٤.

ثم دَخلتْ سنةُ إحْدَى وعشْرينَ

(١ ففيها كانت وَقْعَةُ نَهاوَنْدَ وفَتْحُها على المشْهورِ ١) ، وهى وَقْعةٌ عظيمةٌ جدًّا لها شأنٌ رَفيعٌ ونَبأٌ عجِيبٌ ، وكان المسلمون يُسَمُّونَها فَتْحَ الفُتوحِ .

قال ابنُ إسحاقَ والواقدىُّ[٢] : كانت وَقْعةُ نَهاوَنْدَ فى سنةِ إحْدَى وعِشْرينَ . وقال سيفٌ[٣] : كانت فى سنةِ سبعَ عشْرَةَ . وقيل : فى سنةِ تسعَ عشْرَةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وإنَّما ساق أبو جعفرِ بنُ جريرٍ قصتَها فى هذه السنةِ فتَبِعْناه فى ذلك ، وجمَعْنا كلامَ هؤلاء الأئمَّةِ فى هذا الشأنِ سِياقًا واحدًا ، حتى دخَل سِياقُ بعضِهم فى بعضٍ . قال سيفٌ وغيرُه[٤] : وكان الذى هاجَ هذه الوقْعةَ أنَّ المسلمينَ لمَّا افْتَتَحوا الأهْوازَ ، ومنَعوا جيشَ العلاءِ مِن أيدِيهم ، واستَوْلَوا على دارِ الملكِ القديمِ من إصْطَخْرَ مع ما حازُوا مِن دارِ مملَكَتِهم حديثًا ، وهى المدائنُ ، وأخَذُوا[٥] تلك المدائنَ والأقاليمَ والكُوَرَ والبلدانَ الكثيرةَ ، فحَمُوا عندَ ذلك ، واسْتَجاشَهم يَزْدَجِردُ الذى تَقَهْقر مِن بلدٍ إلى بلدٍ ، حتى صارَ إلى أَصْبَهانَ مُبعَدًا طرِيدًا ، لكنَّه فى أسرةٍ من قومِه وأهلِه ومالِه ، فكتَب إلى ناحيةِ نَهاوَنْدَ وما والاها مِن الجبالِ والبُلْدانِ ، فتجَمَّعوا وتَراسَلوا حتى كَمَل لهم مِن الجنودِ ما لم يَجتَمِعْ لهم قبلَ

(١ - ١) فى م : « وكانت وقعة نهاوند » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٤. وفيه : « سنة ثمان عشرة فى سنة ست من إمارة عمر » . وانظر : الكامل ٣/ ٥.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ١٢٠. والكامل ٣ / ٥، ٦.

(٥) فى م : « أخذ » .

ذلك . فبَعَث سعدٌ إلى عمرَ يُعلِمُه بذلك ، وثار أهلُ الكوفةِ على سعدٍ فى غبونِ[1] هذا الحالِ . فشكَوْه فى كلِّ شىءٍ حتى قالوا : لا يُحِسنُ يُصَلِّى . وكان الذى نهَض بهذه الشَّكْوى رجلٌ يُقال له : الجرَّاحُ بنُ سِنانٍ الأسَدِىُّ . فى نَفرٍ معه ، فلمَّا ذهَبوا إلى عمرَ فشكَوْه إليه[2] . قال لهم عمرُ : مِن[3] الدَّليلِ على شَرِّكم[4] نهوضُكم فى هذا الحالِ عليه ، وهو مُستَعِدٌّ لقتالِ أعداءِ اللَّهِ ، وقدْ أجمَعوا[5] لكم ، ومع هذا لا يَمْنَعُنى أن أنظرَ فى أمرِكم . ثم بعَث محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ - وكان رسولَ العُمَّالِ - فلما قَدِمَ مَحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ الكوفةَ طافَ على القبائلِ والعشائرِ والمساجدِ بالكُوفةِ ، فكلٌّ يُثْنِى على سعدٍ خيرًا إلَّا ناحيةَ الجَرَّاحِ بنِ سِنانٍ ، فإنَّهم سكَتوا ، فلم يَذُمُّوا ولم يَشْكُروا ، حتى انتَهى إلى بَنى عَبْسٍ ، فقام رجلٌ يُقال له : أبو سَعْدَةَ أسامةُ بنُ قَتادَةَ . فقال : أمَّا إذ نَشَدتَنا ، فإنَّ سَعْدًا لا يَقْسِمُ بالسَّويَّةِ ، ولا يَعدِلُ فى [١٢٤/٥و] الرَّعِيَّةِ ، ولا يَغْزو فى السَّرِيَّةِ . فدَعا عليه سَعْدٌ ، فقال : اللهمَّ إن كان قالها كَذِبًا ورِياءً وسُمْعةً ، فأعْمِ بصَرَه ، وأكْثِرْ عِيالَه ، وعَرِّضْه لمُضِلَّاتِ الفِتَنِ . فعَمِى واجْتَمَع عِندَه عشْرُ بناتٍ ، وكان يَسمَعُ بالمرأةِ فلا يَزالُ حتى يأْتِيَها فيَجُسَّها ، فإذا عُثِر عليه قال : دَعوةُ سعدٍ الرجلِ المُباركِ . ثم دعا سعدٌ على الجرَّاحِ وأصحابِه ، فكلٌّ أصابَتْه قارِعَةٌ فى جسَدِه ، ومُصيبَةٌ فى مالِه بعدَ ذلك . واسْتَنْفر محمدُ بنُ مَسْلَمةَ أهلَ الكوفةِ لغَزوِ أهلِ نَهاوَنْدَ فى غبُونِ[1] ذلك عن أمرِ عمرَ بنِ الخطَّابِ . ثم سار سعدٌ ومحمدُ بنُ مَسْلَمةَ والجرَّاحُ وأصحابُه

---

(١) فى م : « غضون » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « إن » .

(٤) فى م : « ما عندكم من الشر » .

(٥) فى م : « جمعوا » ، وفى ص : « اجتمعوا » .

حتى جاءُوا عمرَ ، فسأله عمرُ : كيف يُصَلِّى ؟ فأخبَره أنَّه يُطوِّلُ فى الأُولَيَيْنِ ويُخفِّفُ فى الأُخْرَيَيْنِ ، وما آلو ما اقتَدَيْتُ به مِن صلاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال له عمرُ : ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاقَ . وقال سعدٌ فى هذه القضِيَّةِ[1] : لقد أسلَمتُ خامسَ خمسةٍ ، ولقد كنَّا وما لنا طعامٌ إلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ[2] حتى تَقَرَّحت أشداقُنا ، وإنِّى لأوَّلُ رجلٍ رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، ولقد جمَع لى رسولُ اللَّهِ ﷺ [3]يومَ أُحدٍ[3] أبويه وما جمَعهما لأَحَدٍ قبلى ، ثم أصبَحَتْ بنو أسدٍ يقُولُونَ : لا يُحسِنُ يُصَلِّى . وفى رِوايةٍ : تُعزِّرُنى على الإسلامِ ، لقد خِبْتُ إذًا وضلَّ عَمَلى[4] . ثم قال عمرُ لسعدٍ : مَن استَخْلفتَ على الكوفةِ ؟ فقال : عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبَانَ . فأقرَّه عمرُ على نيابتِه الكوفةَ - وكان شيخًا كبيرًا مِن أشْرافِ الصَّحابَةِ ، حليفًا لبَنى الحُبْلى مِن الأنْصارِ - واستَمرَّ سعدٌ معْزولًا مِن غيرِ عَجْزٍ ولا خِيانةٍ ، وتهدَّد أولئك النَّفرَ ، وكاد يُوقِعُ بهم بأسًا ، ثم ترَك ذلك خوفًا مِن أن لا يَشكُوَ أحدٌ أميرًا .

والمقصودُ أنَّ أهلَ فارسَ اجتَمَعوا مِن كلِّ فَجٍّ عميقٍ بأرضِ نَهاوَنْدَ ، حتى اجتَمَع منهم مائةُ ألفٍ وخَمسونَ ألفَ مقاتلٍ ، وعليهم الفَيْرُزانُ ، ويقالُ : بُنْدارُ . ويقالُ : ذو الحاجِبِ . وتَذامَروا فيما بينَهم وقالوا : إنَّ محمدًا الذى جاء العربَ لم يتعرَّضْ لبلادِنا ، ولا أبو بكرٍ الذى قام بعدَه تَعرَّض لنا فى دارِ مُلْكِنا ، وإنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ هذا لمَّا طال مُلْكُه انتَهك حُرْمَتَنا وأخَذ بلادَنا ، ولم يَكْفِه ذلك حتى أغْزَانا فى عُقْرِ دارِنا ، وأخَذ بيتَ المملَكَةِ ، وليس بمُنتَهٍ[5] حتى يُخرِجَكم مِن

---

(١) فى م : « القصة » .

(٢) الحبلة : ثمر السمُر يشبه اللوبياء . النهاية ١/ ٣٣٤.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) البخارى (٣٧٢٨) . ومسلم (٢٩٦٦) .

(٥) فى الأصل : « بميته » ، وفى ا ١٥ : « بميتكم » .

بلادِكم . فتعاهَدوا وتعاقَدوا على أن يَقصِدوا البصرةَ والكوفةَ ثم يَشغَلوا عمرَ عن بلادِه ، وتواثَقوا مِن أنفُسِهم وكتَبوا بذلك عليهم كتابًا . فلمّا كتَب سعدٌ بذلك إلى عمرَ - وكان[1] عزْلُ سعدٍ فى غُبونِ[2] ذلك - شافَه[3] سعدٌ عمرَ بما تمالَؤوا عليه وقصَدوا إليه ، وأنَّه قد اجتَمَع منهم مائةٌ وخمسونَ ألفًا . وجاء كتابُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبانَ مِن الكوفةِ إلى عمرَ مع قَريبِ بنِ ظَفَرٍ العَبْدىِّ ، بأنَّهم قد اجتَمَعوا ، وهم مُتَحَرِّقون[4] مُتذامِرون على الإسلامِ وأهلِه ، وأنَّ المصلَحةَ يا أميرَ المؤمنين أن نَقصِدَهم فنُعاجِلَهم عمّا همُّوا به وعزَموا عليه مِن المَسِيرِ إلى بلادِنا . فقال عمرُ لحاملِ الكتابِ : ما اسمُك ؟ قال : قَريبٌ . قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابنُ ظَفَرٍ . فتفاءَلَ عمرُ بذلك ، وقال : ظَفَرٌ قَرِيبٌ . ثم أمَر فنُودِى : الصلاةَ جامعةً . فاجتمَع الناسُ ، وكان أولُ مَن دخَل المسجدَ لذلك سعدَ بنَ أبى وقّاصٍ ، فتفاءلَ عمرُ أيضًا بسعدٍ ، فصعِد عمرُ المنبرَ حتى اجتمَع الناسُ فقال : إنَّ هذا يومٌ له ما بعدَه [5]مِن الأيّامِ ، ألَا[5] وإنِّى قد [6]هَمَمْتُ بأمرٍ[6] فاسمَعوا وأجِيبوا [٥/١٢٤ظ] وأوجِزوا ، ولا تَنازَعوا فتفْشَلوا وتَذهَبَ ريحُكم ، إنِّى قد رأيتُ أن أسيرَ بمَن قِبَلى حتى أنزِلَ مُنزَلًا وَسَطًا بينَ هذين المِصرَينِ فأستَنفِرَ الناسَ ، ثم أكونَ لهم رِدْءًا حتى يَفتَحَ اللَّهُ عليهم . فقام عثمانُ وعلىٌّ وطلحةُ والزبيرُ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ فى رجالٍ مِن أهلِ الرَّأْيِ ، فتكَلَّم كلٌّ منهم بانفِرادِه فأحسَن وأجادَ ، واتَّفَق رأيُهم على أن لا يَسيرَ مِن المدينةِ ، ولكنْ يَبعَثُ البعوثَ

---

(١) بعده فى م ، ص : « قد » .

(٢) فى م : « غضون » .

(٣) بياض فى : ا ١٥ ، فى الأصل : « شاور » .

(٤) فى الأصل ، ا ١٥ ، م ، ص : « منحرفون » .

(٥ - ٥) زيادة من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٤ / ١٢٣ .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « عزمت على أمر » .

ويحضُرُهم[1] برأيه ودعائِه. وكان مِن كلامِ عليٍّ، رضِى اللَّهُ عنه، أن قال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ هذا الأمرَ لم يكنْ نصرُه ولا خِذلانُه بكَثرةٍ ولا قِلَّةٍ، هو دينُه الذى أظهرَ، وجندُه الذى أعزَّ[2]، وأمدَّه بالملائكةِ، حتى بلَغ ما بلَغ، فنحن على مَوعُودٍ مِن اللَّهِ، واللَّهُ مُنجِزُ وعدِه، وناصرُ جندِه، ومَكَانُك منهم يا أميرَ المؤمنين مكانُ النِّظَامِ[3] مِن الخَرَزِ يَجمَعُه ويُمسِكُه، فإذا انحَلَّ تفرَّق ما فيه وذهَب، ثم لم يَجتمِعْ بحذَافيرِه أبدًا، والعربُ اليومَ وإن كانوا قليلًا فهم كثيرٌ عزيزٌ بالإسلامِ، فأقِمْ مَكانَك واكتُبْ إلى أهلِ الكوفةِ فهم أعلامُ العربِ ورُؤَساؤُهم، فليَذهَبْ منهم الثُّلُثانِ ويُقيمُ الثُّلُثُ، واكتُبْ إلى أهلِ البصرةِ يمدُّونَهم أيضًا. وكان عثمانُ قد أشارَ فى كلامِه بأن يُمِدَّهم بجيوشٍ مِن أهلِ اليمنِ والشّامِ. ووافَق عمرُ على الذَّهابِ بنفْسِه[4] إلى ما بينَ البصْرةِ والكوفةِ. فردَّ عليٌّ على عثمانَ فى مُوافقَتِه على الذَّهابِ إلى ما بينَ البصْرةِ والكوفةِ، كما تقدَّم، وردَّ رأىَ عثمانَ فيما أشار به مِن استِمدادِ أهلِ الشامِ خوفًا على بلادِهم - إذا قلَّ جيوشُها - مِن الرُّومِ، ومِن أهلِ اليمنِ خوفًا على بلادِهم مِن الحَبشةِ. فأَعجَب عمرَ قولُ عليٍّ وسُرَّ به - وكان عمرُ إذا استَشار أحدًا لا يُبرِمُ أمرًا حتى يُشاوِرَ العبّاسَ - فلمّا أعجَبه كلامُ الصحابةِ فى هذا المَقامِ، عرَضه على العبّاسِ، فقال[5]: يا أميرَ المؤمنين خَفِّضْ عليك، فإنَّما اجتَمع هؤلاء الفُرْسُ لنِقْمَةٍ. يَعْنى[6]: تَنزِلُ عليهم. ثم قال عمرُ:

---

(١) فى م، ص: «يحصرهم».

(٢) فى م: «أعزه».

(٣) النظام: الخيط ينظم فيه الخرز وغيره.

(٤) سقط من: م.

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ١٢٤. وفيه أنه من كلام سعد.

(٦) زيادة من: ا ١٥، ص.

أشِيروا عليَّ بمَن أُولِّيه أمرَ[1] الحربِ ، وليكنْ عِراقِيًّا . فقالوا : أنت أبصرُ بجُندِك يا أميرَ المؤمنين . فقال : أمَا واللَّهِ لأُولِّيَنَّ رجلًا يكونُ أولَ الأسِنَّةِ إذا لَقِيَها غدًا . قالوا : مَن يا أميرَ المؤمنين؟ قال : النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ . فقالوا : هو لها . وكان النُّعمانُ قد كتَب إلى عمرَ وهو نائبٌ[2] على كَسْكَرَ ، وسأله أن يَعزِلَه عنها ويُولِّيه قتالَ أهلِ نَهاوَنْدَ ، فلهذا أجابه إلى ذلك وعَيَّنه له . ثم كتَب عمرُ إلى حذيفةَ أن يسيرَ مِن الكوفةِ بجنودٍ منها ، وكتَب إلى أبى موسى أن يَسيرَ بجنودِ[3] البصرةِ ، وكتَب إلى النُّعمانِ - وكان بالبصرةِ - أن يَسيرَ بمَن هناك مِن الجنودِ إلى نَهاوَنْدَ ، وإذا اجتَمَع الناسُ فكلُّ أميرٍ على جيشِه ، والأميرُ على الناسِ كلِّهم النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ ، فإذا قُتِل فحذيفةُ بنُ اليَمانِ ، فإن قُتِل فجريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، فإن قُتِل فقَيْسُ ابنُ مَكْشُوحٍ ، فإن قُتِل قيسٌ ففلانٌ ثم فلانٌ . حتى عدَّ سبعةً ، أحدُهم المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ . وقِيل : لم يسمِّ فيهم . فاللَّهُ أعلمُ .

وصورةُ الكتابِ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ اللَّهِ عمرَ أميرِ المؤمنين ، إلى النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ ، سلامٌ عليك ، فإنِّى أحمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، أمَّا بعدُ ، فإنَّه قد بلَغَنى أنَّ جموعًا مِن الأعاجمِ كثيرةً قد[4] جمَعوا لكم بمدينةِ نَهاوَنْدَ ، فإذا أتاك كتابى هذا فسِرْ بأمرِ اللَّهِ وبعونِ اللَّهِ وبنصرِ اللَّهِ ، وبمَن معك مِن المسلمين ، ولا تُوطِئْهم وَعْرًا فتُؤْذِيَهم ، ولا تَمنَعْهم [٥/١٢٥و] حقَّهم فتُكْفِرَهم[5] ، ولا تُدخِلْهم غَيْضَةً ، فإنَّ رجلًا مِن المسلمين أحبُّ إلىَّ مِن مائةِ

---

(١) فى ا ١٥: «إمرة». فى ص: «من إمرة».
(٢) زيادة من: ا ١٥، ص.
(٣) فى الأصل: «بجنوده»، وبعده فى ا ١٥: «من».
(٤) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «وقد».
(٥) زيادة من: م.

ألفِ دينارٍ ، والسلامُ عليكَ ، فسِرْ فى وجهِك ذلك [1] حتى تأتِىَ ماهَ [1] ، فإنِّى قد كتَبتُ إلى أهلِ الكوفةِ أن يُوافوكَ [2] بها ، فإذا اجتمَع إليك جنودُك فسِرْ إلى الفَيْرُزانِ ومَن يَجْتَمِعُ [3] معه مِن الأعاجمِ مِن أهلِ فارسَ وغيرِهم ، واستنصِروا اللَّهَ [4] ، وأكثِروا مِن : لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ .

وكتَب عمرُ إلى نائبِ الكوفةِ - عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ - أن يُعيِّنَ جيشًا ويَبعثَهم إلى نَهاوَنْدَ ، وليكنِ الأميرُ عليهم حذيفةَ بنَ اليَمانِ حتى يَنتهِىَ إلى النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ ، فإن قُتِلَ النُّعمانُ فحذيفةُ ، فإن قُتِلَ فنُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ ، ووَلِّ السّائِبَ بنَ الأَقْرَعِ قَسْمَ الغنائمِ . فسار حذيفةُ فى جيشٍ كثيفٍ نحوَ النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ لِيُوافوه بماهَ ، وسار مع حذيفةَ خلقٌ كثيرٌ مِن أمراءِ العراقِ ، وقد أرصَد فى كلِّ كُورَةٍ ما يَكْفِيها مِن المُقاتِلةِ ، وجعَل الحَرَسَ فى كلِّ ناحيةٍ ، واحتاطُوا احتياطًا عظيمًا ، ثم انتَهَوْا إلى النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ حيث اتَّعَدُوا ، فدفَع حذيفةُ بنُ اليمانِ إلى النُّعمانِ كتابَ عمرَ ، وفيه الأمرُ له بما يَعتمِدُه فى هذه الوَقْعَةِ . فكمَل جيشُ المسلمينَ فى ثلاثينَ ألفًا مِن المُقاتِلَةِ . فيما رَواه سيفٌ [5] ، عن الشَّعْبِىِّ ، فيهم [6] مِن ساداتِ الصحابةِ ورءُوسِ العربِ خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ؛ منهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ أميرِ المؤمنينَ ، وجريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلِىُّ ، وحذيفةُ بنُ اليَمانِ ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ ، وعمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْدِىُّ ، وطُليحةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأسَدِىُّ ، وقيسُ بنُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ١٥، ص : « يوافقوك » .

(٣) سقط من : ا ٨، وفى الأصل ، م : « جمع » ، وفى ص : « يجمع » ، وفى تاريخ الطبرى ٤ / ١٢٦: « تجمع » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٦.

(٦) فى الأصل ، م : « فمنهم » .

مَكْشُوحِ المُرادِيُّ . فسار الناسُ نحوَ نَهاوَنْدَ ، وبعَث النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ الأميرُ بينَ يدَيه طليعةً ثلاثةً ؛ وهم طُليحةُ ، وعمرُو بنُ [1] مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْدِيُّ ، وعمرُو بنُ [1] أبى سُلْمَى [2] ، ويُقالُ له : عمرُو بنُ ثُبَيٍّ [3] أيضًا ، لِيكشِفوا له خَبَرَ القومِ وما هم عليه . فسارَتِ الطليعةُ يومًا وليلةً فرجَع عمرُو بنُ ثُبَيٍّ [3] ، فقيل له : ما رجَعك ؟ فقال : كنتُ فى أرضِ العجَمِ ، وقتَلَتْ أرضٌ جاهِلَها ، وقتَل أرضًا عالمُها . ثم رجَع بعدَه عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ ، وقال : لم نَرَ أحدًا ، وخِفتُ أن يؤخَذَ علينا بالطريقِ [4] . ونفَذ طُليحةُ ولم يحفِلْ برجوعِهما ، فسار بعدَ ذلك نحوًا مِن بِضْعَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا حتى انتهَى إلى نَهاوَنْدَ ، ودخَل فى العجَمِ وعلِم مِن أخبارِهم ما أحبَّ ، ثم رجَع إلى النُّعمانِ فأخبَره بذلك ، وأنَّه ليس بينَه وبينَ نَهاوَنْدَ شىءٌ يَكرَهُه .

فسار النُّعمانُ على تعبئَتِه وعلى المُقدَّمَةِ نُعَيْمُ [5] بنُ مُقَرِّنٍ ، وعلى المُجَنِّبَتَيْنِ حُذيفةُ وسُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ ، وعلى المُجَرَّدَةِ القَعْقاعُ بنُ عمرٍو ، وعلى السَّاقَةِ مجاشِعُ ابنُ مسعودٍ ، حتى انتهَوْا إلى الفُرْسِ وعليهم الفَيْرُزانُ ، ومعه مِن الجيشِ كلُّ مَن غاب عن القادِسيَّةِ فى تلك الأيامِ المتقدِّمةِ ، وهو فى مائةٍ وخمسينَ ألفًا . فلمَّا تراءا الجمعانِ كبَّر النُّعمانُ وكبَّر المسلمونَ ثلاثَ تَكْبيراتٍ ، فزُلْزِلَتِ الأعاجمُ ورُعِبُوا مِن ذلك رُعْبًا شَديدًا ، ثم أمَر النُّعمانُ بحطِّ الأثقالِ وهو واقفٌ ، فحطَّ الناسُ أثقالَهم ، وترَكوا رِحالَهم ، وضرَبوا خيامَهم وقِبابَهم ، وضُرِبت خَيْمَةٌ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، وفى ص : « معدى » .

(٢) فى م : « سلمة » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٢٨، ١٣٠.

(٣) فى ا ١٥: « منى » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١١٦٨.

(٤) فى الأصل : « فى الطريق » ، وفى ا ١٥، ص : « بالطريق » .

(٥) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « سويد » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ / ١٢٨.

للنُّعمانِ عظيمةٌ ، وكان الذين ضرَبوا أربعةَ عَشَرَ مِن أشرافِ الجيشِ ؛ وهم حُذيفةُ ابنُ اليَمانِ[1] ، وعُقْبَةُ[2] بنُ عمرٍو ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ ، وبَشيرُ بنُ الخَصَاصِيَّةِ ، وحَنْظَلَةُ الكاتبُ ، وابنُ الهَوْبَرِ[3] ، ورِبْعِيُّ بنُ عامرٍ ، وعامرُ بنُ مَطَرٍ ، وجريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ [4]الحِمْيَرِيُّ ، وجريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ[4] البَجَلِيُّ ، والأقْرَعُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحِمْيَرِيُّ[5] ، والأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ [٥/١٢٥ظ] الكِنْدِيُّ ، وسعيدُ بنُ قيسٍ الهَمْدانِيُّ ، ووائلُ بنُ حُجْرٍ ، فلم يُرَ بالعراقِ خَيْمَةٌ عظيمةٌ أعظمَ مِن بناءِ هذه الخَيْمَةِ . وحينَ حطُّوا الأثقالَ أمَر النُّعمانُ بالقتالِ ، وكان يومَ الأرْبِعاءِ ، فاقتتَلوا ذلك اليومَ والذى بعدَه والحربُ سِجالٌ ، فلمَّا كان يومُ الجُمُعَةِ انحجَزوا فى حصنِهم ، وحاصَرهم المسلمونَ فأقاموا عليهم ما شاءَ اللَّهُ ، والأعاجمُ يَخرُجون إذا أرادوا ويَرجِعونَ إلى حُصونِهم إذا أرادوا . وقد بعَث أميرُ الفُرْسِ يَطلُبُ رجلًا مِن المسلمين ليُكلِّمَه ، فذهَب إليه المغيرةُ بنُ شعبةَ ، فذكَر مِن عَظَمةِ ما رآه عليه فى لُبْسِه ومَجْلِسِه ، وفيما خاطَبه به مِن الكلامِ فى احتقارِ العرَبِ واستهانتِه بهم ، وأنَّهم كانوا أطولَ الناسِ جُوعًا ، وأقلَّهم دارًا وقَدْرًا ، وقال : ما يَمْنَعُ هؤلاء الأساوِرَةَ حَولِى أن يَنتَظِموكم بالنُّشَّابِ إلَّا تَنجُّسًا[6] مِن جِيَفِكم ، فإن تَذهَبوا نُخَلِّ عنكم ، وإن تَأْبَوا نُزِرْكم مَصارِعَكم . قال : فتَشهَّدتُ وحمِدتُ اللَّهَ ، وقلتُ : لقد كنّا أسوأَ حالًا ممَّا ذكَرْتَ ، حتى بعَث اللَّهُ رسولَه فوعَدَنا النصرَ فى

---

(١) فى الأصل : « النعمان » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « عتبة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ١٢٩.

(٣) فى الأصل : « بهوير » ، وفى ا ١٥، ا ٨: « الهربر » ، وفى ص : « الهومر » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٢٩.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى ص : « الحيرى » .

(٦) فى م ، ص : « مجا » .

الدنيا ، والجنَّةَ[1] فى الآخِرةِ ، وما زِلْنا نتَعرَّفُ مِن ربِّنا النصرَ منذ بعَث اللَّهُ رسولَه إلينا ، وقد جِئْناكم فى بلادِكم ، وإنَّا لن نرجِعَ إلى ذلك الشقاءِ أبدًا حتى نَغلِبَكم على بلادِكم وما فى أيدِيكم ، أو نُقتَلَ بأرضِكم . فقال : أمَا واللَّهِ ، إنَّ الأعورَ لقد صدَقَكم ما فى نفسِه .

فلمَّا طال على المسلمينَ هذا الحالُ واستمرَّ ، جمَع النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ أهلَ الرأْيِ مِن الجيشِ ، واشتَوَرُوا فى ذلك ، وكيف يكونُ مِن أمرِهم حتى يَتواجَهوا هم والمشرِكُون فى صعيدٍ واحدٍ . فتكلَّم عمرُو بنُ أبى سُلْمَى[2] أولًا - وهو أسنُّ مَن كان هناك - فقال : إنَّ بقاءَهم على ما هم عليه أضَرُّ عليهم مِن الذى يَطلُبُه منهم وأبْقَى على المسلمينَ . فردَّ الجميعُ عليه وقالوا : إنَّا لعلى يقينٍ مِن إظهارِ دِينِنا ، وإنجازِ موعودِ اللَّهِ لنا . وتكلَّم عمرُو بنُ مَعْدِ يكَرِبَ فقال : ناهِدْهم وكاثِرْهم ولا تَخَفْهم . فرَدُّوا جميعًا عليه وقالوا : إنَّما يُناطِحُ بنا الجُذْرانَ ، والجُذْرانُ أعوانٌ لهم علينا . وتكلَّم طُلَيْحَةُ الأسَدِىُّ فقال : إنَّهما لم يُصِيبا ، [3]وإنِّى[3] أرَى أن تَبعَثَ سريةً فتَحدِقَ بهم ويُناوِشوهم بالقتالِ ويُحْمِشُوهم ، فإذا بَرَزوا إليهم[4] فليَفِرُّوا إلينا هِرابًا [5]بينَ أيدِيهم[5] ، فإذا استطْرَدوا وراءَهم وانتهَوْا[6] إلينا ، عزَمْنا أيضًا على الفِرارِ كُلُّنا ، فإنَّهم حينَئذٍ لا يَشكُّونَ فى الهزيمةِ فيَخرُجون مِن حُصونِهم عن بَكْرَةِ أبِيهم ، فإذا تكامَل خُروجُهم رجَعْنا إليهم فجالدْناهم

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، م : « الخير » .
(٢) فى م : « سلمة » .
(٣ - ٣) فى ا ١٥ : « رأيًا » .
(٤) فى ص : « إلينا » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .
(٦) فى م ، ص : « انتموا » .

حتى يَقضِيَ اللَّهُ بينَنا . فاستَجاد الناسُ هذا الرأىَ .

وأمَّر النُّعمانُ على المُجرَّدَةِ القَعْقاعَ بنَ عمرٍو ، وأمَرهم أن يَذهَبوا إلى البلدِ فيُحاصِروهم وحدَهم ويَهْرُبوا بينَ أيدِيهم إذا برَزوا إليهم . ففعَل القَعْقاعُ ذلك ، فلمَّا برَزوا مِن حُصونِهم نكَص القَعْقاعُ بمَن معه ، ثم نكَص ، ثم نكَص ، فاغتَنَمها الأعاجمُ ، ففعَلوا ما ظَنَّ طُلَيحةُ ، وقالوا : هى هى . فخرَجوا بأجمَعِهم ولم يَبْقَ بالبلدِ مِن المُقاتِلَةِ إلَّا مَن يَحفَظُ لهم الأبوابَ ، حتى انتهَوْا إلى الجيشِ ، والنُّعمانُ ابنُ مُقَرِّنٍ على تَعبِئَتِه ، وذلك فى صدرِ نهارِ جُمُعةٍ ، فعزَم الناسُ على مصادَمَتِهم ، فنَهاهم النُّعمانُ وأمَرهم أن لا يُقاتِلوا حتى تَزولَ الشمسُ ، وتَهُبَّ الأرْواحُ ، ويَنزِلَ النصرُ ، كما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يفعَلُ . وألحَّ الناسُ على النُّعمانِ فى الحمْلَةِ ، [٥/١٢٦و] فلم يَفعَلْ - وكان رَجلًا ثابتًا - فلمَّا كان[1] الزوالُ ، صلَّى بالمسلمين ثم ركِب بِرْذَوْنًا له أحْوَى قريبًا مِن الأرضِ ، فجعَل يَقِفُ على كُلِّ رايةٍ ويَحُثُّهم على الصبرِ ويأْمُرُهم بالثباتِ ، ويُقَدِّمُ إلى المسلمينَ أنَّه يُكبِّرُ الأُولَى فيتأهَّبُ الناسُ للحَمْلةِ ، ويكبِّرُ الثانيةَ فلا يَبْقَى لأحدٍ أُهْبَةٌ ، ثم الثالثةَ ومعها الحمْلَةُ الصادقةُ . ثم رجَع إلى موقِفِه ، وتعبَّتِ الفُرْسُ تَعْبِئَةً عظيمةً واصطَفُّوا صفوفًا هائِلَةً ، فى عَدَدٍ وعُدَدٍ لم يُرَ مثلُه ، وقد تَغلْغَل كثيرٌ منهم بعضُهم فى بعضٍ ، وألقَوْا حَسَكَ الحديدِ وراءَ ظهورِهم حتى لا يُمكِنَهم الهربُ ولا الفِرارُ ولا التحيُّزُ . ثم إنَّ النُّعمانَ بنَ مُقَرِّنٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كبَّر الأُولى وهزَّ الرايةَ فتأهَّب الناسُ للحملةِ ، ثم كبَّر الثانيةَ وهزَّ الرايةَ فتأهَّبُوا أيضًا ، ثم كبَّر الثالثةَ وحمَل وحمَل الناسُ على المشركينَ ، وجعَلت رايةُ النُّعمانِ تَنقَضُّ نحوَ[2] الفُرْسِ كانقِضاضِ العُقابِ على

---

(١) فى م ، ص : « حان » .

(٢) فى م ، ص : « على » .

الفريسةِ حتى تصافَحوا بالسيوفِ ، فاقتتلوا قِتالًا لم يُعْهَدْ مِثلُه فى مَوْقفٍ مِن المواقفِ المتقدِّمَةِ ، ولا سمِع السامِعون بوَقْعَةٍ مثلِها ، قُتِل مِن المشركين ما بينَ الزوالِ إلى الظلامِ مِن القَتْلَى ما طبَّق وجهَ الأرضِ دَمًا ، بحيث إنَّ الدوابَّ كانت تَطْبَعُ فيه ، حتى قِيل : إنَّ الأميرَ النُّعمانَ بنَ مُقَرِّنٍ زلَق به حِصانُه فى ذلك الدَّمِ[1] ، فوقَع وجاءه سَهمٌ فى خاصِرَتِه فقَتَله ، ولم يَشعُرْ به أحدٌ سوَى أخيه سُوَيْدٍ ، وقيل : نُعَيْمٌ . وقيل : غطّاه بثوبِه وأخْفَى موتَه ودفَع الرايةَ إلى حذيفةَ بنِ اليَمانِ . فأقام حذيفةُ أخاه نُعَيْمًا مكانَه ، وأمَر بكتْمِ موتِه حتى ينفصِلَ الحالُ ، لئلا يَنهزِمَ الناسُ . فلمَّا أظْلَم الليلُ انهزَم المشرِكون مُدْبِرِينَ وتبِعهم المسلمونَ - وكان الكفارُ قد قرَّنوا منهم ثلاثينَ ألفًا بالسلاسلِ وحفَروا حولَهم خَنْدَقًا ، فلمَّا انهزَموا وقَعوا فى الخَنْدَقِ وفى تلك الأوديةِ نحوَ مائةِ ألفٍ - وجعَلوا يتَساقطونَ فى أوديةِ بلادِهم ، فهلَك منهم بَشرٌ كثيرٌ نحوَ مائةِ ألفٍ أو يَزيدونَ ، سوى مَن قُتِل فى المعرَكةِ ، ولم يَفْلِتْ منهم إلَّا الشَّريدُ . وكان الفَيْرُزانُ أميرُهم قد صُرِع فى المعركةِ فانفَلَت وانهزَم ، وأتْبَعَه نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ ، وقدَّم القَعْقاعَ بينَ يَدَيْه ، وقصَد الفَيْرُزانُ هَمَذانَ[2] ، فلحِقه القَعْقاعُ وأدرَكه عندَ ثَنِيَّةِ هَمَذانَ[3] ، وقد أقْبَل منها بِغالٌ كثيرٌ وحُمُرٌ تحمِلُ عسلًا ، فلم يَستَطِعِ الفيرزانُ صعودَها منهم ، وذلك لحَيْنِه فترجَّلَ وتَوَقَّلَ[4] فى الجبلِ فأتْبَعه القَعْقاعُ حتى قتَله . وقال المسلمونَ يومئذٍ : إنَّ للَّهِ جنودًا مِن عسلٍ . ثم غنِموا ذلك العسلَ وما خالَطه مِن الأحمالِ . وسُمِّيَتْ تلك الثَّنِيَّةُ ثَنِيَّةَ العسلِ .

---

(١) فى ا ١٥: «اليوم» .

(٢) فى ا ١٥، ا ٨ ، م ، ص : «همدان» . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٢.

(٣) فى النسخ : «همدان» . والمثبت من المصدر السابق .

(٤) فى الأصل، ا ٨، م : «تعلق» . وتوقل فى الجبل يَقِل ويتوقَّل : صعَّد فيه .

ثم لَحِق القَعْقاعُ بقيَّةَ المنْهزِمينَ منهم إلى هَمَذانَ[1] ، وحاصَرَها وحوَى ما حولَها ، فنزَل إليه صاحِبُها - وهو خُسْرَوْ شُنُومُ[2] - فصالَحه عليها . ثم رجَع القَعْقاعُ إلى حذيفةَ ومَن معه مِن المسلمين وقد دخَلوا بعدَ الوَقْعَةِ نَهاوَنْدَ عَنْوَةً ، وقد جمَعوا الأسلابَ والمغانمَ إلى صاحبِ الأقْباضِ وهو السائِبُ بنُ الأقرعِ . ولمَّا سمِع أهلُ ماهَ بخبرِ أهلِ هَمَذانَ[1] ، بعَثوا إلى حذيفةَ وأخَذوا لهم منه الأمانَ . وجاء رَجلٌ يُقالُ له : الهِرْبذُ[3] - وهو صاحبُ نارِهم - فسأل مِن حذيفةَ الأمانَ ويَدفَعُ إليهم وَديعةً عنده لكسرَى ادَّخَرها لنوائبِ الزمانِ ، فأمَّنه حذيفةُ ، وجاء ذلك الرجلُ بِسَفَطَيْنِ مملوءتَيْنِ [٥/١٢٦ظ] جَوْهرًا ثَمينًا لا يُقَوَّمُ ، غيرَ أنَّ المسلمينَ لم يَعْبَئوا به ، واتَّفَق رأيُهم على بَعْثِه لعمرَ خاصَّةً ، وأرْسَلوه صُحْبَةَ الأخماسِ والسَّبيِ ، صُحْبةَ السائبِ بنِ الأقرعِ ، وأرْسَل قبلَه بالفتحِ مع طَريفِ بنِ سَهمٍ ، ثم قسَم حذيفةُ بقيَّةَ الغَنيمةِ فى الغانِمينَ ، ورضَخ ونفَل لذَوِى النَّجَدَاتِ ، وقسَم لمَن كان قد أرْصَد مِن الجيوشِ لحفظِ ظُهورِ المسلمينَ مِن ورائِهم ، ومَن كان رِدْءًا لهم ، ومَنْسوبًا إليهم .

وأمَّا أميرُ المؤمنينَ فإنَّه كان يَدْعُو اللَّهَ ليلًا ونهارًا لهم ، دُعاءَ الحواملِ المُقْرِباتِ ، وابتهالَ ذوى الضروراتِ ، وقد استبْطَأ الخبرَ عنهم ، فبَينا رجلٌ مِن المسلمينَ ظاهِرَ المدينةِ إذا هو براكبٍ ، فسأله مِن أين أقْبَل ؟ فقال : مِن نَهاوَنْدَ . فقال : ما فعَل الناسُ ؟ قال : فتَح اللَّهُ عليهم وقُتِل الأميرُ ، وغَنِم المسلمونَ[4] غنيمةً

---

(١) فى النسخ : « همدان » . والمثبت من : تاريخ الطبرى ٤/١٣٣.

(٢) فى الأصل : « حسر سبوم » ، وفى ا ٨: « حبر سنيوم » .

(٣) فى ا ١٥ ، ص : « الهرند » ، وفى ا ٨: « الهرتد » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ /١٣٣.

(٤) فى ا ١٥ ، ص : « الناس » .

عظيمةً ، أصاب الفارسَ ستةُ آلافٍ ، والراجِلَ ألفانِ . ثم فاتَه وقدِم ذلك الرجلُ المدينةَ ، فأخْبَر الناسَ وشاع الخبرُ حتى بلَغ أميرَ المؤمنين فطلَبه فسأله عمَّن أخْبَره ، فقال : راكبٌ . فقال : إنَّه لم يَجِئْنى ، وإنَّما هو رجلٌ مِن الجِنِّ ، وهو بريدُهم ، واسمُه عثيم[1] .

ثم قدِم طريفٌ بالفتحِ بعدَ ذلك بأيامٍ ، وليس معه سِوى الفتحِ ، فسأله عمرُ[2] عمَّن قتَل النُّعمانَ فلم يكنْ معه علمٌ ، حتى قدِم الذين معهم الأخماسُ فأخبَروا بالأمرِ على جَلِيَّتِه ، فإذا ذلك الجِنِّىُّ قد شهِد الوَقْعَةَ ورجَع سريعًا إلى قومِه نذيرًا . ولمَّا أُخْبِر عمرُ بمَقْتَلِ النُّعمانِ [3]بكَى وسأَل السائِبَ[3] عمَّن قُتِل مِن المسلمين فقال : فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ . لأعيانِ الناسِ وأشرافِهم . ثم قال : وآخرونَ مِن أفْنادِ الناسِ ممَّن لا يَعْرِفُهم أميرُ المؤمنينَ . فجعَل عمرُ يَبْكِى ويقولُ : وما ضرَّهم أن لا يَعْرِفَهم أميرُ المؤمنينَ ! لكنَّ اللَّهَ يَعْرِفُهم وقد أكْرَمَهم بالشهادةِ ، وما يَصْنَعونَ بمعرِفةِ عمرَ . ثم أمَر بقِسْمَةِ الخُمُسِ على عادتِه ، وحُمِلَتْ ذانِك السَّفَطَانِ إلى مَنْزِلِ عمرَ ، ورجَعتِ الرسلُ . فلمَّا أصْبَح عمرُ طلَبهم فلم يجِدْهم ، فأرْسَل فى إثْرِهم البُرُدَ فما لحِقهم البريدُ إلَّا بالكوفةِ .

قال السائِبُ بنُ الأقرعِ : فلمَّا أنخْتُ بَعيرى بالكوفةِ ، أناخ البريدُ بعيرَه[4] على عُرْقُوبِ بَعيرِى ، وقال : أجِبْ أميرَ المؤمنينَ . فقلتُ : لماذا ؟ فقال : لا أدرى . فرَجَعْنا على إثْرِنا حتى انتهَيْتُ إليه . قال : مالى ولك يا ابنَ أمِّ السائبِ ، بل ما لابنِ أمِّ السائبِ ومالى . قال : فقلتُ : وما ذاك يا أميرَ المؤمنينَ ؟ فقال :

---

(١) فى ا ١٥، ص : « غنيم » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٤.
(٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) فى ا ١٥: « بكى وسأله » ، وفى ص : « بن مقرن وسأل » .
(٤) سقط من : الأصل ، م .

وَيْحَك ، واللَّهِ إنْ هو إلَّا أن نِمْتُ فى الليلةِ التى خرَجْتَ فيها ، فباتَتْ ملائكةُ اللَّهِ تسحَبُنى[1] إلى ذينِك السَّفَطَيْنِ وهما يَشتَعِلانِ نارًا ، يقولون : لنَكْوِيَنَّك بهما . فأقولُ : إنِّى سأقْسِمُهما بينَ المسلمينَ . فاذْهَبْ بهما لا أبَا لك فبِعْهما فاقْسِمْهما فى أَعْطِيَةِ المسلمينَ وأرزاقِهم ، فإنَّهم لا يَدْرونَ ما وُهِبُوا ولم تدْرِ أنت معهم . قال السائِبُ : فأخذْتُهما حتى جئتُ بهما مسجدَ الكوفةِ وغَشِيَتْنى التجارُ ، فابتاعَهما مِنِّىَ عمرُو بنُ حُرَيثٍ المخْزُومِىُّ بألْفَىْ ألفٍ ، ثم خرَج بهما إلى أرضِ الأعاجِمِ فباعَهما بأربعةِ آلافِ ألفٍ ، فما زال أكثرَ أهلِ الكوفةِ مالًا بعدَ ذلك .

قال سيفٌ : ثم قسَم ثَمَنَهما بينَ الغانمينَ ، فنال كلُّ فارسٍ أربعةَ آلافِ درهمٍ مِن ثَمَنِ السَّفَطَيْنِ .

قال الشَّعْبِىُّ[2] : وحصَل للفارسِ مِن أصلِ الغنيمةِ ستةُ آلافٍ ، وللراجِلِ ألفانِ ، وكان المسلمونَ ثلاثينَ ألفًا .

قال[3] : وافتُتِحَتْ نَهاوَنْدُ فى أولِ سنةِ تسعَ عَشْرَةَ لسبعِ سنينَ [٥/١٢٧و] مِن إمارةِ عمرَ . رَواه سيفٌ ، عن عمرِو[4] بنِ محمدٍ عنه .

وبه عن الشَّعْبِىِّ قال[5] : لمَّا قُدِم بسَبيِ نَهاوَنْدَ إلى المدينةِ ، جعَل أبو لُؤْلُؤَةَ - فَيْرُوزُ غلامُ المغيرةِ بنِ شعبةَ - لا يَلْقَى منهم صغيرًا إلَّا مسَح رأسَه وبكَى ، وقال : أكَل عمرُ كَبِدِى . وكان أصلُ أبى لُؤْلُؤَةَ مِن نَهاوَنْدَ ، فأسَرَتْه الرُّومُ أيامَ فارسَ ،

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ : « تستحثنى » .
(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٣، ١٣٦.
(٣) أى : الشعبى . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٦.
(٤) فى ا ١٥ : « عمر » .
(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٦.

وأسرَتْه المسلمون بعدُ ، فنُسِب إلى حيثُ سُبِى .

قالوا : ولم تَقُمْ للأعاجمِ بعدَ هذه الوَقْعَةِ قائمةٌ . وألْحَقَ[1] عمرُ الذين أبْلَوْا فيها فى ألفين تَشريفًا لهم وإظهارًا لشأنِهم .

وفى هذه السنةِ افتتَح المسلمونَ أيضًا بعدَ نَهاوَنْدَ مدينةَ جَيٍّ - وهى مدينةُ أصْبَهَانَ - بعدَ قتالٍ كثيرٍ وأمورٍ طويلةٍ ، فصالَحوا المسلمينَ ، وكتَب لهم عبدُ اللَّهِ ابنُ عبدِ اللَّهِ كتابَ [2]أمانٍ و[2]صُلْحٍ ، وفرَّ منهم ثلاثونَ نفرًا إلى كَرْمَانَ لم يصالِحوا المسلمين . وقيل : إنَّ الذى فتَح أَصْبَهَانَ هو النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ وأنَّه قُتِلَ بها ، ووقَع أميرُ المجوسِ وهو ذو الحاجِبَين عن[3] فرسِه فانشقَّ بطنُه ومات وانْهزَم أصحابُه . والصحيحُ أنَّ الذى فتَح أَصْبَهَانَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبانَ ، الذى كان نائبَ الكوفةِ .

وفيها افتتَح أبو موسى قُمَّ وقَاشَانَ ، وافتتَح سهيلُ بنُ عدىٍّ مدينةَ كَرْمَانَ[4] .

وذكَر ابنُ جريرٍ ، عن الواقِدِىِّ[5] ، أنَّ عمرَو بنَ العاصِ سار فى جيشٍ معه إلى أنْطَابُلُسَ[6] - قال : وهى بَرْقَةُ - فافتتَحها صُلْحًا على ثلاثةَ عَشَرَ ألفَ دينارٍ فى كلِّ سنةٍ .

قال[5] : وفيها بعَث عمرُو بنُ العاصِ عُقْبَةَ بنَ نافعٍ الفِهْرىَّ إلى زَوِيلَةَ ففتَحها

---

(١) فى م : « أتحف » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ / ١٣٧.

(٢ - ٢) زيادة من : م ، ص .

(٣) فى الأصل : « من » ، وفى ص : « من غير » .

(٤) كذا أورده ابن كثير هاهنا ، وسيذكره مرة أخرى فى حوادث سنة ثلاث وعشرين ، وكذا أورده ابن جرير فى تاريخه ٤/١٨٠ حوادث سنة ثلاث وعشرين ، وابن الأثير فى الكامل ٣/ ٤٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ١٤٤.

(٦) فى الأصل ، ا ١٥ : « طرابلس » ، وفى ص : « أطرابلس » .

بصُلْحٍ ، وصار ما بينَ بَرْقَةَ إلى زَوِيلَةَ سِلْمًا للمسلمينَ .

قال[1] : وفيها ولَّى عمرُ عمّارَ بنَ ياسرٍ على الكوفةِ بدلَ زيادِ بنِ حَنْظَلةَ الذى ولَّاه بعدَ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبانَ ، وجعَل عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ على بيتِ المالِ ، فاشتَكى أهلُ الكوفةِ مِن عمَّارٍ فاستَعْفَى عمّارٌ مِن عمرَ ، فعزَله وولَّى جُبَيْرَ ابنَ مُطْعِمٍ ، وأمَره أن لا يُعْلِمَ أحدًا . وبعَث المغيرةُ بنُ شعبةَ امرأتَه إلى امرأةِ جُبَيْرٍ يَعْرِضُ عليها طعامًا للسفَرِ ، فقالت : اذهَبى فائْتِينى به . فذهَب المغيرةُ إلى عمرَ فقال : بارَك اللَّهُ يا أميرَ المؤمنينَ فى مَن ولَّيتَ على الكوفةِ . فقال : وماذاك[2] ؟ وبعَث إلى جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ ، فعزَله وولَّى المغيرةَ بنَ شعبةَ ثانيةً ، فلم يَزَلْ عليها حتى مات عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

قال[3] : وفيها حَجَّ عمرُ واستخلَف على المدينةِ زيدَ بنَ ثابتٍ ، وكان عُمّالَه على البُلدانِ المتقدِّمونَ فى السنةِ التى قبلَها سوى الكوفةِ .

قال الواقِدِىُّ[1] : وفيها تُوُفِّىَ خالدُ بنُ الوليدِ بحِمْصَ ، وأوْصَى إلى عمرَ بنِ الخطابِ . وقال غيرُه[4] : تُوُفِّىَ سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ . وقيل : بالمدينةِ . والأوَّلُ أصحُّ .

وقال غيرُه[4] : وفيها تُوُفِّىَ العلاءُ بنُ الحَضْرَمِىِّ فولَّى عمرُ مكانَه أبا هريرةَ . وقد قيل : إنَّ العلاءَ تُوُفِّىَ قبلَ هذا . كما تقدَّم[5] . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٤٤.
(٢) فى ا ١٥، ص : « أدراك » .
(٣) المصدر السابق ٤ / ١٤٥.
(٤) الكامل ٣ / ٢١.
(٥) تقدم فى ٧/ ٥٠.

وقال ابنُ جريرٍ فيما حكاه عن الواقِدِىِّ[1] : وكان أميرَ دِمشقَ فى هذه السنةِ عُمَيرُ[2] بنُ سعدٍ[3] ، وهو أيضًا على حِمْصَ وحَوْرانَ وقِنَّسْرِينَ والجزيرةِ ، وكان مُعاويةُ على البَلْقاءِ والأُرْدُنِّ ، وفِلَسْطِينَ ، والسواحِلِ وأَنْطاكِيَةَ وغيرِ ذلك .

ذكرُ مَن تُوُفِّىَ [4]فى هذه السنةِ أعْنِى[4] سنةَ إحْدَى وعِشْرين

خالدُ بنُ الوليدِ[5]

ابنِ المُغِيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[6] بنِ مَخْزُومٍ القُرَشِىُّ ، أبو سليمانَ المَخْزُومِىُّ ، سيفُ اللَّهِ ، أحدُ الشجْعانِ المَشْهُورين ، لم يُقْهَرْ فى جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ . وأُمُّه [١٢٧/٥ظ] [7]عَصْماءُ بنتُ الحارثِ ، أُختُ[7] لُبابَةَ بنتِ الحارثِ ، وأُختُ ميمونةَ بنتِ الحارثِ أُمِّ المؤمنينَ .

قال الواقِدِىُّ[8] : أسْلَم أولَ يومٍ مِن صَفَرٍ سنةَ ثمانٍ ، وشهِد مُؤْتَةَ ، وانتهَتْ إليه الإمارةُ يومَئذٍ عن غيرِ إمْرَةٍ ، فقاتَلَ يومَئذٍ قتالًا شديدًا لم يُرَ مثلُه ، اندقَّتْ فى

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٤٤، ١٤٥. وفيه : عن ابن إسحاق ، وليس الواقدى .

(٢) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص : «عمر» .

(٣) فى الأصل، ا ٨، م : «سعيد» . وانظر : الإصابة ٥ / ٣٠٨.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) الاستيعاب ٢/ ٤٢٧، وأسد الغابة ٢ / ١٠٩، والإصابة ٢ / ٢٥١.

(٦) فى ا ١٥: «عمرو» .

(٧ - ٧) سقط من : ا ١٥، ص . وقال ابن العديم : وأمه عصماء . بغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٢٩. وانظر : الإصابة ٨ / ٢٦، ٩٧ - ٩٩.

(٨) تاريخ دمشق ١٦ / ٢١٩.

يدِه تسعةُ أسيافٍ ، ولم تَثْبُتْ فى يدِه إلَّا صفيحةٌ يَمانِيَةٌ . وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أخَذ الرايَةَ زيدٌ فأُصيب ، ثم أخَذَها جعفرٌ فأُصِيبَ ، ثم أخَذَها عبدُ اللَّهِ ابنُ رَواحَةَ فأُصِيبَ ، ثم أخَذَها سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ففتَح اللَّهُ على يَدَيْه »[1] .

وقد رُوِى[2] أنَّ خالدًا سقَطَت قَلَنْسُوتُه يومَ اليَرْموكِ وهو فى الحربِ ، فجعَل يَستحِثُّ فى طلبِها ، فعُوتِبَ فى ذلك ، فقال : إنَّ فيها شيئًا[3] مِن شَعْرِ ناصِيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنَّها ما كانت معى فى موقفٍ إلَّا نُصِرْتُ بها .

وقد رُوِّينا فى « مسندِ أحمدَ »[4] مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن وَحْشِىِّ بنِ حَرْبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه وَحْشىِّ بنِ حَرْبٍ ، عن أبى بكرٍ الصِّديقِ ، أنَّه لمَّا أمَّر خالدًا على حربِ أهلِ الردةِ قال : إنِّى[5] سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « نِعْمَ[6] عبدُ اللَّهِ وأخو العشيرةِ[7] خالدُ بنُ الوليدِ ، سيفٌ مِن سيوفِ اللَّهِ ، سلَّه اللَّهُ على الكفارِ والمُنافِقِين » .

وقال أحمدُ[8] : حدَّثنا حسينُ الجُعْفِىُّ ، عن زائِدَةَ ، عن [9]عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ[9] ، قال : استعْمَل عمرُ بنُ الخطابِ أبا عبيدةَ على الشامِ وعزَل خالدَ بنَ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٢٣.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ / ٢٩٩. وقال الذهبى : منقطع . وابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٤٦، ٢٤٧. وانظر : مسند أبى يعلى (٧١٨٣) . والمعجم الكبير ٤ /٢٢ (٣٨٠٤) .

(٣) فى ص : « شعرا » .

(٤) المسند ١/٨ . وقال الشيخ شعيب ١ / ٢١٦: صحيح بشواهده .

(٥) سقط من : الأصل ، ا ٨، م ، ص .

(٦) فى م ، ص : « فنعم » .

(٧) بعده فى م ، ص : « خالد بن الوليد » .

(٨) المسند ٤ /٩٠. وقال الهيثمى فى المجمع ٩ /٣٤٨، ٣٤٩: ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك أبا عبيدة .

(٩ - ٩) فى ص : « عبد اللَّه بن عمر » .وانظر : تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠.

الوليدِ ، فقال خالدٌ : بعَث عليكم[1] أمينَ هذه الأُمةِ ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ » . فقال أبو عبيدةَ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « خالدٌ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ، نِعْمَ فَتَى العشيرةِ » . وقد أورَده ابنُ عَساكِرَ[2] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوْفَى ، وأبى هريرةَ ، ومِن طُرُقٍ مُرْسَلَةٍ يُقَوِّى بعضُها بعضًا .

وفى الصحيحِ[3] : « وأمَّا خالدٌ فإنَّكم تَظْلِمون خالدًا ، وقد احتَبَس أدْراعَه وأعْتادَه[4] فى سبيلِ اللَّهِ » .

وشهِد الفتحَ ، وشهِد حُنَيْنًا ، وغَزا بنى جَذِيمةَ أميرًا فى حياتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، واخْتُلِف فى شهودِه خَيْبرَ . وقد دخَل مكةَ يَومَئِذٍ[5] أميرًا على طائفةٍ مِن الجيشِ ، وقتَل خَلْقا كثيرًا مِن قُرَيْشٍ ، كما قدَّمنا ذلك مبسوطًا فى موضعِه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . وبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى العُزَّى - وكانت لهَوازِنَ - فكسَر أنفَها[6] أولًا ، ثم دعثَرها[7] وجعَل يقولُ :

يا عُزَّ كُفْرانَكِ لا سُبحانَكِ ... إنِّى رأيتُ اللَّهَ قد أهانَكِ

ثم حرَقَها .

---

(١) فى م ، ص : « إليكم » .

(٢) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٤١ - ٢٤٤.

(٣) البخارى (١٤٦٨) ، ومسلم (١١/٩٨٣) .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، م : « أعبده » . ولفظ البخارى : « وأعتده » . والمثبت لفظ مسلم .
وقال ابن حجر فى فتح البارى ٣ / ٣٣٣: وقيل : إن لبعض رواة البخارى : « وأعبده » بالموحدة ، جمع عبد ، حكاه عياض ، والأول هو المشهور .

(٥) زيادة من : ا ١٥.

(٦) فى م : « قمتها » ، وفى ص : « ابها » .

(٧) دعثرها : هدمها .

وقد استعْمَلَه الصديقُ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ على قتالِ أهلِ الرِّدةِ ومانِعِى الزكاةِ، فشفَى واشْتَفَى[1]. ثم وجَّهه إلى العراقِ ثم إلى[2] الشامِ، فكانت له مِن المقاماتِ ما ذكَرْناها مما تَقَرُّ بها القلوبُ والعيونُ، وتَتَشَنَّفُ بها الأسماعُ. ثم عزَله عمرُ عنها وولَّى أبا عبيدةَ وأبْقاه مستشارًا فى الحربِ، ولم يَزَلْ بالشامِ حتى مات على فراشِه، رضِى اللَّهُ عنه.

وقد روَى الواقِدِىُّ[3]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ، عن أبيه قال: لمّا حضَرَت خالدًا الوفاةُ بكَى، ثم قال: لقد حضَرْتُ كذا وكذا زَحْفًا، وما فى جسدِى شِبْرٌ إلَّا وفيه ضَرْبَةٌ بسيفٍ، أو طعنةٌ برُمْحٍ، [4]أو رميةٌ بسهمٍ[4]، وها أنا أموتُ على فراشِى حتْفَ أنفى كما يموتُ البعيرُ[5]، فلا نامت[6] أعْيُنُ الجُبَناءِ.

وقال أبو يَعْلَى[7]: ثنا سُرَيْجُ[8] بنُ يونسَ، ثنا يحيى بنُ زكريّا، عن إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ، عن قيسٍ قال: قال خالدُ بنُ الوليدِ: ما ليلةٌ تُهْدَى [9]إلىَّ فيها عَروسٌ[9]، أو أُبَشَّرُ فيها بغلامٍ، بأحَبَّ إلىَّ مِن ليلةٍ شديدةِ الجليدِ فى سريَّةٍ مِن المُهاجِرِين أُصَبِّحُ بهم العدوَّ.

---

(١) فى ا ١٥، ا ٨: «أشفى».
(٢) فى الأصل، م: «أتى».
(٣) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٣. بغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٨٦.
(٤ - ٤) سقط من: ا ١٥.
(٥) فى الاستيعاب ٢ / ٤٣٠، وبغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ١ / ٣٨٢: «العَيْر».
(٦) فى الأصل: «عاشت».
(٧) مسند أبى يعلى (٧١٨٥). وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٣٥٠: ورجاله رجال الصحيح.
(٨) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «شريح». وغير منقوطة فى ا ٨. والتصويب من مسند أبى يعلى، وانظر: تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢١.
(٩ - ٩) عند أبى يعلى: «إلى بيتى فيها عروس أنا لها محب».

وقال أبو بكرِ بنُ عَيّاشٍ[1] ، عن الأَعْمَشِ ، عن خَيْثَمَةَ قال : أُتِى خالدٌ برجلٍ معه زِقُّ خَمْرٍ ، فقال : اللهمَّ اجعَلْه عسلًا . فصار عسلًا . وله طرقٌ ، وفى بعضِها[2] : مرَّ عليه رجلٌ[3] معه زِقُّ خمرٍ ، فقال له خالدٌ : ما هذا ؟ قال : خلٌّ[4] . فقال : اللهمَّ [٥/١٢٨و] اجعَلْه خلًّا . فلمّا رجَع[5] إلى أصحابِه قال : جئْتُكم بخمرٍ لم تَشْرَبِ العربُ مثلَه . ثم فتَحه فإذا هو خلٌّ ، فقال : أصابتْه واللَّهِ دعوةُ خالدٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقال حمّادُ بنُ سَلَمَةَ[6] ، عن ثُمامَةَ ، عن أنسٍ قال : التَقَى[7] خالدٌ عدوًّا له ، فولَّى عنه المسلمونَ مُدْبِرين[8] وثبَت هو وأخى[9] البَرَاءُ بنُ مالكٍ ، وكنتُ بينَهما واقفًا ، قال : فنكَس خالدٌ رأسَه ساعةً إلى الأرضِ ، ثم رفَع رأسَه إلى السماءِ ساعةً - قال : وكذلك كان يفعَلُ إذا أصابه مثلُ هذا - ثم قال لأخى البراءِ : قُمْ . فرَكِبا ، واخْتَطَب خالدٌ مَن[10] معه مِن المسلمين ، وقال : ما هو إلَّا الجنةُ ، وما إلى المدينةِ سبيلٌ . ثم حمَل بهم فهزَم المشركين .

وقد حكَى مالكٌ[11] ، عن عمرَ بنِ الخطابِ أنَّه قال لأبى بكرٍ : اكتُبْ إلى

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا ، فى : مجابو الدعوة ٨٨. من طريق أبى بكر بن عياش به . ومن طريق ابن أبى الدنيا أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦/ ٢٥٢. وصحح ابن حجر إسناده ، فى : الإصابة ٢/ ٢٥٤.

(٢) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٥٢، ٢٥٣. بنحوه .

(٣) فى ا ١٥: « برجل » .

(٤) فى م ، ص : « عسل » .

(٥) بعده فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « الرجل » .

(٦) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٥٩، ٢٦٠. من طريق حماد بن سلمة به .

(٧) فى م : « لقى » .

(٨) فى الأصل ، ا ٨، م : « منهزمين » .

(٩) فى الأصل ، ا ٨، م : « أخو » .

(١٠) سقط من : ا ١٥، وفى ص : « بمن » .

(١١) أخرجه ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٢. وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧/ ١٧٩، ١٨٠.

خالدٍ أن لا يُعْطِيَ شاةً ولا بعيرًا إلَّا بأمرِك . فكتَب أبو بكرٍ إلى خالدٍ بذلك ، فكتَب إليه خالدٌ : إمَّا أن تدَعَني وعملِي ، وإلَّا فشأْنَك بعملِك . فأشار عليه عمرُ بعزلِه ، فقال أبو بكرٍ : مَن[1] يُجْزِي عنِّي جَزاةَ[2] خالدٍ ؟ قال عمرُ : أنا . [3]قال : فأنت[3] . فتَجَهَّزَ[4] عمرُ حتى أُنِيخَتِ[5] الظَّهْرُ[6] في الدّارِ ، ثم جاء الصحابةُ فأشاروا على الصديقِ بإبقاءِ عمرَ بالمدينةِ وإبقاءِ خالدٍ بالشامِ ، فلمَّا وَلِيَ عمرُ كتَب إلى خالدٍ بذلك ، فكتَب إليه خالدٌ بمثلِ ذلك ، فعزَله ، وقال : ما كان اللَّهُ لِيَرانى آمُرُ أبا بكرٍ بشيءٍ لا أُنْفِذُه أنا .

وقد روَى البخاريُّ في « التاريخِ » ، وغيرُه[7] ، مِن طريقِ عُلَيٍّ[8] بنِ رَباحٍ ، عن [9]ناشِرَةَ بنِ سُمَيٍّ اليَزَنِيِّ[9] قال : سمِعْتُ عمرَ يَعْتَذِرُ إلى الناسِ بالجابِيَةِ مِن عَزْلِ خالدٍ ، فقال : أمَرْتُه أن يَحْبِسَ هذا المالَ على ضَعَفَةِ المُهاجِرين ، فأعْطاه ذا البأْسِ ، وذا الشرفِ واللسانِ ، وأمَّرْتُ أبا عبيدةَ . فقال أبو عمرٍو[10] بنُ حفصِ[11] بنِ

---

(١) في م : « فمن » .

(٢) في م : « جزاء » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص . وبعده في تاريخ دمشق ، وبغية الطلب : « قال مالك ، قال زيد بن أسلم » .

(٤) في الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « فعزم » .

(٥) في م : « أنيخ » ، وفي ص : « أتحت » .

(٦) في الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « الركائب » .

(٧) التاريخ الصغير ١ / ٨٢ ، والنسائي ، في : الكبرى (٨٢٨٣) ، والمسند ٣ / ٤٧٥ ، وعزاه الهيثمي في المجمع ٩ /٣٤٩ لأحمد والطبراني ، وقال : ورجالهما ثقات . وما أورده المصنف أقرب إلى لفظ النسائي والإمام أحمد .

(٨) سقط من : الأصل .

(٩ - ٩) في الأصل : « ناشرة بن سمى البرنى » ، وفي م : « ياسر بن سمى البرنى » . وانظر : تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٦٠ .

(١٠) في ا ١٥ : « عمر » .

(١١) في ص : « حصين » . وانظر : تهذيب الكمال ٣٤/ ١١٦ .

المغيرةِ : ما اعتذَرْتَ يا عمرُ ، لقد نزَعْتَ عاملًا[1] استعْمَله رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ووضعْتَ لواءً رفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأغْمَدْتَ[2] سيفًا سلَّه اللَّهُ ، ولقد قطعْتَ الرحِمَ ، وحسَدْتَ ابنَ العمِّ . فقال عمرُ : إنَّك قريبُ القرابةِ ، حديثُ السنِّ ، مُغْضَبٌ[3] [4]فى ابنِ[4] عمِّك .

قال الواقدىُّ ، ومحمدُ بنُ سعدٍ ، وغيرُ واحدٍ[5] : مات سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ بقريةٍ على مِيلٍ مِن حِمصَ ، وأوصَى إلى عمرَ بنِ الخطابِ . وقال دُحَيْمٌ وغيرُه[6] : مات بالمدينةِ . والصحيحُ الأولُ .

وقدَّمْنا فيما سلَف[7] تعْزيرَ عمرَ له حينَ أعْطَى الأشْعَثَ بنَ قيسٍ عَشَرَةَ آلافٍ ، وأخْذَه مِن مالِه عشْرين ألفًا أيضًا . وقدَّمنا[8] عَتْبَه عليه لدُخولِه الحمامَ وتدلُّكِه بعدَ النُّورَةِ بدقيقِ عُصْفُرٍ معجونٍ بخمرٍ ، واعْتِذارَ خالدٍ إليه بأنَّه صار غَسُولًا .

ورُوِّينا[9] عن خالدٍ أنَّه طلَّق امرأةً مِن نسائِه وقال : إنِّى لم أُطلِّقْها عن رِيبةٍ ، ولكنَّها لم تَمْرَضْ عندى ولم يُصِبْها شىءٌ فى بدنِها[10] ولا رأْسِها ، ولا فى شىءٍ

---

(١) فى التاريخ الصغير : « غلاما » .

(٢) فى ا ١٥، ا ٨، ص، المسند : « غمدت » .

(٣) فى الأصل، المسند : « معصب »، وفى ا ١٥: « تعصب »، وفى ا ٨: « منغصب »، وفى ص : « تغصب » . والمثبت كما فى م، وهو لفظ البخارى والنسائى .

(٤ - ٤) فى ا ١٥: « لابن عمك » .

(٥) طبقات ابن سعد ٧ / ٣٩٧، وتاريخ خليفة ١ / ١٤٧، وتاريخ دمشق ١٦ / ٢٨٠ - ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١ / ٣٨٣.

(٦) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٨٢. بغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٨٨، ١٩٥. تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٢٣٢. وانظر: حاشية السير ١ / ٣٦٧، ٣٦٨.

(٧) انظر ما تقدم فى صفحة ٤٦.

(٨) انظر ما تقدم فى صفحة ٤٥.

(٩) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٥٣، ٢٥٤، وبغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٧٤.

(١٠) فى ص : « بيتها » .

مِن جسدِها .

وروَى سيفٌ وغيرُه[1] أنَّ عمرَ قال حينَ عزَل خالدًا عن الشامِ ، والمثنَّى بنَ حارثةَ عن العراقِ : إنَّما عزَلْتُهما ليعْلمَ الناسُ أنَّ اللَّهَ نصَر[2] الدِّينَ لا يَنْصُرُهما[3] ، وأنَّ القوةَ للَّهِ جميعًا .

وروَى سيفٌ[4] أيضًا أنَّ عمرَ قال [5]حينَ عزَل خالدًا[5] عن قِنَّسْرِينَ وأخَذ منه ما أخَذ : إنَّك عليَّ لكريمٌ ، وإنَّك عندى لعزيزٌ ، ولن يَصِلَ إليك منِّى أمرٌ تكرَهُه بعدَ ذلك .

وقد قال الأصْمَعِيُّ[6] ، عن سَلَمَةَ بنِ[7] بلالٍ ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشعبيِّ قال : اصطَرَع عمرُ وخالدٌ وهما غُلامان - وكان خالدٌ ابنَ خالِ عمرَ - فكسَر خالدٌ ساقَ عمرَ ، فعُولجَت وجَبَرَتْ ، وكان ذلك سببَ العداوةِ بينَهما .

وقال الأصْمَعِيُّ[8] ، عن ابنِ عونٍ ، عن [٥/١٢٨ظ] محمدِ بنِ سيرينَ قال : دخَل خالدٌ على عمرَ وعليه قميصُ حريرٍ ، فقال عمرُ : ما هذا يا خالدُ ؟ فقال :

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٦٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٢٦١، ٢٦٢، وتاريخ حلب (مخطوط) ٧ / ١٧٨. وانظر : تاريخ خليفة ١ / ١٠٦.

(٢) فى ص : « لم ينصر » .

(٣) فى الأصل ، م : « بنصرهما » .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٦٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٦.

(٥ - ٥) فى ص : « ثم بعد ما عزله » .

(٦) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٧. وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧/ ١٨٤. كلاهما من طريق الأصمعى به .

(٧) فى م ، ص : « عن » .

(٨) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٩. وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧/ ١٨٤. كلاهما من طريق الأصمعى به .

وما بأْسُه[1] يا أميرَ المؤْمنِين ، أليس قد لبِسه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ؟ فقال : وأنت مثلُ ابنِ عوفٍ ! ولك مثلُ ما لابنِ عوفٍ ! عزَمْتُ على مَن بالبيتِ إلَّا أخَذ كلُّ واحدٍ منهم طائفةً[2] ممّا يَلِيه . قال : فمزَّقوه حتى لم يَبْقَ منه شيءٌ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[3] ، عن حمّادِ بنِ زيدٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المختارِ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن أبى وائلٍ - ثم شكَّ حمّادٌ فى أبى وائلٍ - قال : لمّا حضَرَت خالدَ بنَ الوليدِ الوفاةُ قال : لقد طلَبْتُ القتلَ فى مَظَانِّه فلم يُقَدَّرْ لى إلَّا أنْ أموتَ على فِراشى ، وما مِن عملى شيءٌ أرجَى عندى بعدَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، مِن ليلةٍ بِتُّها وأنا مُتَتَرِّسٌ والسماءُ تهُلُّنِى[4] نَنْتَظِرُ[5] الصبحَ ، حتى نُغِيرَ على الكفارِ . ثم قال : إذا أنا مِتُّ فانظُرُوا إلى سِلاحِى وفَرَسِى[6] فاجْعَلوه عُدَّةً فى سبيلِ اللَّهِ . فلَمّا تُوُفِّىَ خرَج عمرُ على جِنازتِه ، فذكَر قولَه : ما على نساءِ آلِ الوليدِ أن يَسْفَحْنَ على خالدٍ مِن دُموعِهِنَّ ، ما لم يكنْ نَقْعًا أو لَقْلَقَةً . قال ابنُ المخْتارِ : النقْعُ : الترابُ على الرأْسِ ، واللَّقْلَقَةُ : الصوتُ . وقد علَّق البخارىُّ فى « صحيحِه »[7] بعضَ هذا فقال : وقال عمرُ : دَعْهُنَّ يَبْكِينَ على أبى سليمانَ ، ما لم يكنْ نَقْعًا أو لَقْلَقَةً . [8]والنقْعُ : الترابُ على الرأْسِ ، واللَّقْلَقَةُ : الصوتُ[8] .

---

(١) فى النسخ : « بأس » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) فى م : « بطائفة » .

(٣) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٩. وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧/ ١٨٥. كلاهما من طريق ابن المبارك به .

(٤) فى الأصل ، ا ٨: « تلهنى » . وهلَّ المطر : اشتد انصبابه . والمراد بالسماء المطر .

(٥) فى م : « نمطر إلى » .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥: « قوسى » .

(٧) فتح البارى ٣ / ١٦٠. باب ما يكره من النياحة على الميت ، من كتاب الجنائز .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ا ٨، م .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أنا وكيعٌ وأبو معاويةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ قالوا : حدَّثنا الأعْمَشُ ، عن شَقِيقِ بنِ سَلَمَةَ قال : لمَّا مات خالدُ بنُ الوليدِ اجتَمَع نِسوةُ بنى المغيرةِ فى دارِ خالدٍ يَبْكِينَ عليه ، فقيل لعمرَ : إنَّهُنَّ قد اجتمَعْنَ فى دارِ خالدٍ[2] ، وهُنَّ خُلَقَاءُ أن يُسْمِعْنَك بعضَ ما تَكْرَهُ ، فأرْسِلْ إليهِنَّ فانْهَهُنَّ . فقال عمرُ : وما عليهِنَّ أن يُرِقْنَ[3] مِن دُموعِهِنَّ على أبى سُليمانَ ، ما لم يكنْ نَقْعًا أو لَقْلَقَةً . ورَواه البخاريُّ فى « التاريخِ »[4] مِن حديثِ الأعْمَشِ بنحوِه .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[5] : وقال محمدٌ : مات خالدُ بنُ الوليدِ بالمدينةِ فخرَج عمرُ فى جِنازتِه وإذا أُمُّه تَنْدُبُه وتقولُ[6] :

أنتَ خيرٌ مِن ألْفِ ألفٍ مِن القو ... مِ إذا ما كَبَتْ[7] وُجوهُ الرِّجالِ

فقال عمرُ[8] : صدقْتِ[9] ، إنْ كان لكذلك .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[10] ، عن مُبَشِّرٍ[11] ، عن سالمٍ ، قال : فأقام خالدٌ فى

---

(١) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٧. من طريق محمد بن سعد به .
(٢) بعده فى الأصل ، ا ٨، م : « يبكين عليه » .
(٣) فى الأصل ، ا ٨، م : « ينزفن » .
(٤) التاريخ الصغير ١ / ٧١.
(٥) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٠. من طريق إسحاق بن بشر به . وقال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١ / ٣٨١: ويروى بإسناد ساقط . ثم ساقه .
(٦) البيت للأعشى ، وهو فى ديوانه صفحة ١١ .
(٧) كبا الوجه : تغير لونه من الفزع .
(٨) سقط من : م .
(٩) بعده فى م : « واللَّه » ، وفى تاريخ دمشق : « واللَّه صدقت » .
(١٠) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٠، ٢٧١. وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٨٦، ١٨٧. كلاهما من طريق سيف به . وانظره فى الإصابة ٨ /٩٨ بنحوه .
(١١) فى الأصل : « ميسر » ، وفى م : « شيوخه » .

المدينةِ حتى إذا ظنَّ عمرُ أنْ[1] قد [2]سَبَكَه[3] وبصَّر الناسَ، حَجَّ[2] وقد عزَم على توليتِه[4]، واشْتَكَى خالدٌ بعدُ[5] وهو خارجٌ مِن المدينةِ زائرًا لأُمِّه، فقال لها: أَحْدِرُونى إلى مُهاجَرِى. فقدِمَتْ به المدينةَ ومرَّضَتْه، فلمَّا ثَقُل وأظلَّ[6] قدومُ عمرَ، [7]لَقِيَه لاقٍ[7] على مسيرةِ ثلاثٍ صادرًا عن حَجِّه، فقال له عمرُ: مَهْيَمْ[8]؟ فقال: خالدُ بنُ الوليدِ ثقيلٌ لِما به. فطوَى[9] ثلاثًا فى ليلةٍ، فأدْرَكه حينَ قَضَى، فرقَّ عليه واسترْجَع، وجلَس ببابِه حتى جُهِّز، وبكتْه البَواكى، فقيل لعمرَ: ألَا تَسْمَعُ، ألَا تَنْهاهُنَّ؟ فقال: وما على نساءِ قريشٍ أن يَبْكِينَ أبا سليمانَ، ما لم يكنْ نَقْعٌ ولا لَقْلَقَةٌ. فلمَّا خرَج لجِنازتِه رأى عمرُ امرأةً مُحْتَزِمةً[10] تَبْكِيه وتقولُ:

أنْتَ خيرٌ مِن ألفِ ألفٍ مِن النَّا ... سِ إذا ما كَبَتْ وُجوهُ الرجالِ
أشُجاعٌ فأنتَ أشْجَعُ مِن لَيْـ ... ـثِ[11] عرينٍ[12] جهمٍ[13] أبى أشْبالِ

---

(١) فى م: «أنه».
(٢ - ٢) فى الأصل: «سبله، ونصر الناس حج»، وفى ا ١٥: «سبكه ونصر الناس حج»، وفى ا ٨: «نسيه حج»، وفى م: «زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به»، وفى ص: «يسبله وبصر الناس حج».
(٣) سبكه: خلصه مما فى نفسه منه.
(٤) بعده فى م، الإصابة: «بعد أن يرجع من الحج».
(٥) فى م، ص: «بعده».
(٦) فى الأصل: «أطال».
(٧ - ٧) فى الأصل: «أتته الأحيا».
(٨) فى الأصل، م: «بهم»، وبياض فى: ص. ومَهْيَمْ: كلمة استفهام، أى: ما وراءك؟
(٩) بعده فى م، الإصابة: «عمر».
(١٠) فى م، الإصابة ٨ / ٩٨: «محرمة».
(١١) فى ا ١٥، ا ٨: «كنت».
(١٢) فى ا ١٥: «عرير»، وفى ا ٨: «عزير»، وفى م: «ضمر بن»، وفى الإصابة ٨/ ٩٨: «صهر بن».
(١٣) فى الأصل: «حمر»، وفى ا ٨: «هزبر»، وفى تاريخ دمشق: «حميم».

أجَوَادٌ فأنتَ أجْودُ مِن سَيْـ ـلِ [1]دياسٍ يسيلُ بينَ[1] الجبالِ

فقال عمرُ: مَن هذه؟ فقيل[2]: أُمُّه. فقال: أُمُّه، والإلهِ - ثلاثًا - هل[3] قامَتِ النساءُ عن مثلِ خالدٍ! قال: فكان[4] [٥/١٢٩و] عمرُ يَتَمثَّلُ فى طَيِّه تلك الثلاثَ فى ليلةٍ[5] وفى قدومِه[6]:

تُبَكِّى[7] ما وَصَلْتَ به النَّدامَى ولا تَبْكِى[8] فوارسَ كالجبالِ

أولئكَ إنْ بكيتَ أشَدُّ فقدًا[9] مِن الأذْهابِ والعَكَرِ[10] الجلالِ

تَمنَّى بعدَهمْ قومٌ مَداهُمْ فلم يَدْنُوا لأسْبابِ الكمالِ

وفى روايةٍ[11] أنَّ عمرَ قال لأُمِّ خالدٍ: أخالدًا و[12] أجْرَه تَرْزَئِين[13]! عزَمْتُ عليكِ أن لا تَبِيتى حتى تَسْودَّ يَداكِ مِن الخِضابِ.

(١ - ١) فى الأصل: «قد سال من»، وفى الإصابة ٨ / ٩٨: «أتى يستقل»، وفى مختصر تاريخ دمشق ٨ / ٢٤: «رئاس» بدلا من: «دياس». ودياس: متتابع.

(٢) بعده فى الأصل، ا ٨، م: «له».

(٣) فى م: «وهل».

(٤) فى الأصل: «فبكا».

(٥) فى ا ١٥، ا ٨: «ليله».

(٦) فى بغية الطلب: «وبعدما قدم».

(٧) فى ص: «يبكى»، وفى: تاريخ دمشق، وبغية الطلب: «نبكى».

(٨) فى بغية الطلب: «نبكى».

(٩) فى الأصل: «منه»، وفى ا ١٥: «فقرا».

(١٠) العكر؛ محركة: ما فوق خمسمائة من الإبل، أو الستون منها، أو ما بين الخمسين إلى المائة، وتسكن الكاف. القاموس المحيط (ع ك ر).

(١١) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٧، وبغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٩٤، وعزاه الحافظ فى الإصابة ٨ /٩٨ لابن سعد وصحح إسناده.

(١٢) فى م، الإصابة: «أو».

(١٣) فى الأصل، ا ١٥، تاريخ دمشق: «ترزين»، وفى ا ٨: «تندبين»، وفى ص: «تورين»، وفى: بغية الطلب: «تؤثرين». والمثبت كما فى م، والإصابة، ومختصر تاريخ دمشق ٨ / ٢٧. وبعده فى هذه المصادر ما عدا الإصابة: «جميعا».

وهذا كلُّه ممَّا يقتَضِى موتَه بالمدينةِ النبويةِ ، وإليه ذهَب دُحَيْمٌ عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ الدِّمَشْقِىُّ ، ولكنَّ المشهورَ عن الجمهورِ ؛ وهم الواقدىُّ ، وكاتبُه محمدُ ابنُ سعدٍ ، وأبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلّامٍ ، وإبراهيمُ بنُ المنذرِ ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ نُمَيْرٍ ، [1] وأبو عمرٍو [1] العُصْفُرِىُّ ، وموسى بنُ أيوبَ ، وأبو سليمانَ بنُ أبى محمدٍ ، وغيرِهم [2] ، أنَّه مات بحِمْصَ سنةَ إحْدَى وعِشْرين . زاد الواقدىُّ [3] : وأوْصَى إلى عمرَ بنِ الخطابِ .

وقد روَى محمدُ بنُ سعدٍ [4] ، عن الواقدىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ وغيرِه ، قالوا : قدِم خالدٌ المدينةَ بعدَ ما عزَله عمرُ ، فاعتمَر ثم رجَع إلى الشامِ ، فلم يَزَلْ بها حتى مات فى سنةِ إحْدَى وعِشْرينَ .

وروَى الواقدىُّ [5] أنَّ عمرَ رأَى [6] حُجَّاجًا يُصَلُّون [7] بمسجدِ قُباءَ . فقال : أين نزَلْتُم بالشامِ ؟ قالوا : بحِمْصَ . قال : فهل مِن [8] مُغَرِّبَةِ خبرٍ [8] ؟ قالوا : نعم ، مات خالدُ بنُ الوليدِ . قال : فاسترْجَع عمرُ وقال : كان واللَّهِ سَدّادًا لنُحورِ العدوِّ ، مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ . فقال له علىٌّ : فلِمَ عزَلتَه ؟ قال : لبَذْلِه المالَ لذَوى الشرفِ واللسانِ . وفى روايةٍ [9]

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، م : « أبو عبد اللَّه » ، وفى ا ١٥ : « ابن عمرو » . وأبو عمرو العصفرى هو خليفة بن خياط . انظر الأنساب ٤ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ١٣٤ .

(٣) الطبقات ٧ / ٣٩٧ .

(٤) أخرجه ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ١٧ / ٢٧٥ ، وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٩٠ ، من طريق محمد بن سعد بنحوه .

(٥) تاريخ دمشق ١٧ / ٢٧٥ ، وبغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٩٠ ، ١٩١ .

(٦) بعده فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « بالمدينة قوما » .

(٧) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ : « يقيلون » .

(٨ - ٨) فى الأصل ، م : « معرفة بخبر » ، وفى ا ٨ : « مخبر يخبر » .
ومغربة خبر : خبر جديد جاء من بلد بعيد . النهاية ٣ / ٣٤٩ .

(٩) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، وبغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٩١ .

أنَّ عمرَ قال لعليٍّ : ندِمْتُ على ما كان مِنِّى .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أخْبَرَنا عبدُ اللَّهِ[2] بنُ الزُّبَيرِ الحُمَيْدِىُّ ، ثنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، قال[3] : سمِعْتُ قيسَ بنَ أبى حازمٍ يقولُ : لمَّا مات خالدُ بنُ الوليدِ قال عمرُ : رحِم اللَّهُ أبا سليمانَ ، لقد كنَّا نظُنُّ به أُمورًا ما كانت . وقال جُوَيْرِيَةُ[4] عن نافعٍ قال : لمَّا مات خالدٌ لم يوجَدْ له إلَّا فرسُه وغلامُه وسلاحُه ، [5]فقال عمرُ : رحِم اللَّهُ أبا سليمانَ ، إنْ كنّا لنَظُنُّه على غيرِ هذا[5] .

وقال القاضى المُعافَى بنُ زكريّا[6] الجَرِيرِىُّ[7] : ثنا أحمدُ بنُ العباسِ العسكرىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى سعدٍ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ حمزةَ اللَّخْمِىُّ ، ثنا أبو علىٍّ الحِرْمازِىُّ[8] قال : دخَل هشامُ بنُ البَخْتَرِىِّ[9] فى ناسٍ مِن بنى مَخْزُومٍ على عمرَ بنِ الخطابِ ، فقال له : يا هشامُ ، أنْشِدْنى شِعْرَكَ فى خالدٍ . فأنشَده ، فقال : قَصَّرْتَ فى الثناءِ على أبى سليمانَ ، رحِمه اللَّهُ ، إنَّه كان لَيُحِبُّ أن يُذِلَّ

---

(١) الطبقات ٧ / ٣٩٧.

(٢) فى ص : « الرحمن » .

(٣) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، م ، ص .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧ / ٣٩٧، ٣٩٨. وابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٦، وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧ / ١٩٢. كلهم من طريق جويرية به ، واللفظ لابن عساكر وابن العديم .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، م .

(٦) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٩، وابن العديم ، فى : بغية الطلب (مخطوط) ٧/ ١٩٢، ١٩٣ كلاهما من طريق القاضى المعافى به . وعزاه الحافظ فى الإصابة ٦ /٥٣٧ له فى كتاب الجليس .

(٧) فى الأصل ، م : « الحريرى » . وانظر الإكمال ٢ / ٢٠٨، والأنساب ٣ / ٢٤٣.

(٨) فى م : « الحرنازى » .

(٩) فى م : « البحترى » . وانظر الإصابة ٦ / ٥٣٧.

الشِّركَ[1] وأهلَه ، وإنْ كان الشامتُ به لمُتَعَرِّضًا لمَقْتِ اللَّهِ . ثم قال عمرُ : قاتَلَ اللَّهُ أخا بنى تَميمٍ ما أشعرَه :

فقُلْ[2] للَّذِى يَبْقَى خِلافَ الَّذِى مَضَى ... تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِها فَكَأَنْ قَدِ

فما عَيْشُ مَن قد عاشَ بَعْدِى بِنافِعِى ... ولا مَوْتُ مَنْ قَدْ ماتَ يَوْمًا بِمُخْلِدِى

ثم قال عمرُ : رحِم اللَّهُ أبا سليمان ، ما عندَ اللَّهِ خيرٌ له ممَّا كان فيه ، ولقد مات فقيدًا[3] ، وعاش حَمِيدًا ، ولكنْ رأيتُ الدهْرَ ليس بقابِلٍ[4] .

طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدٍ[5]

ابنِ نَوْفَلِ بنِ نَضْلَةَ بنِ الأَشْتَرِ بنِ حَجْوانَ[6] بنِ فَقْعَسِ[7] [٥/١٢٩ظ] بنِ طَرِيفِ بنِ عمرِو[8] بنِ قُعَيْنِ[9] بنِ الحارثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ دُودانَ[10] بنِ أَسَدِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « الشر » .

(٢) فى الأصل ، م : « وقل » .

(٣) فى م ، ص : « سعيدا » .

(٤) كذا فى النسخ ، وتاريخ دمشق ، وبغية الطلب ، وذكر محقق تاريخ دمشق أنها فى الجليس الصالح : « بقاتل » .

(٥) الاستيعاب ٢ / ٧٧٣، وأسد الغابة ٣ / ٩٥، والإصابة ٣ / ٥٤٢، ٥٤٣.

(٦) فى م : « جحوان » ، وفى ص « محران » ، وغير منقوطة فى الأصل ، ا ١٥. وبتقديم الحاء على الجيم فى أسد الغابة ، والإصابة ، والنسب ٢٢٦، وجمهرة النسب ١٦٩، وجمهرة أنساب العرب ١٧٨، ١٩٥، ١٩٦، والاشتقاق ١٠٤. وفى نسخة منه فى بيان اشتقاقه بتقديم الجيم على الحاء . وبتقديم الجيم على الحاء فى الإكمال ١ / ٨١، وجمهرة اللغة ٢ / ٦٠، والقاموس (ج ح و) .

(٧) فى الأصل : « نفعن » .

(٨) فى الأصل ، م : « عمر » .

(٩) فى م : « قعير » .

(١٠) فى الأصل ، م : « داود » ، وفى ا ١٥: « ذوذان » .

خُزَيْمَةَ ، الأَسَدِىُّ الفَقْعَسِىُّ ، كان ممَّن شهِد الخنْدَقَ مِن ناحيةِ المُشْرِكين ، ثم أسْلَم سنةَ تِسْعٍ ، ووفَد على رسولِ اللَّه ﷺ إلى المدينةِ ، ثم ارْتَدَّ بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أيامِ الصديقِ ، وادَّعَى النُّبُوَّةَ كما تقدَّم[1] . وروَى ابنُ عَساكِرَ[2] أنَّه ادَّعَى النُّبُوَّةَ فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنَّ ابنَه حِبالًا[3] قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسأله : « [4]ما اسمُ[4] الذى يأْتى إلى أبِيك ؟ » . فقال : ذُو النُّونِ الذى لا يَكْذِبُ ولا يخونُ ، ولا يكونُ كما يكونُ . فقال : « لقد سمَّى مَلَكًا عظيمَ الشأْنِ » . ثم قال لابنِه : « قَتَلَك اللَّهُ وحَرَمَك الشهادةَ » . وردَّه كما جاء ، فقُتِل حِبالٌ[5] فى الردَّةِ فى بعضِ الوقائعِ ، قَتَله عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ ثم قتَل طُلَيْحَةُ عُكَّاشَةَ ، وله مع المسلمين وقائِعُ . ثم خذَله اللَّهُ على يَدَىْ خالدِ بنِ الوليدِ وتفرَّقَ جندُه ، فهرَب حتى دخَل الشامَ ، فنزَل على آلِ جَفْنَةَ ، فأقام عندَهم حتى مات الصديقُ - حَياءً منه - ثم رجَع إلى الإسلامِ واعْتَمَر ، ثم جاء يسلِّمُ على عمرَ فقال له : اغْرُبْ عنِّى فإنَّك قاتلُ الرجُلَين الصالحَين ؛ عُكَّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ وثابتِ بنِ أَقْرَمَ . فقال : يا أميرَ المؤْمِنِين ، هما[6] رَجُلان أكْرَمَهما اللَّهُ على يَدَىَّ ولم يُهِنِّى بأيدِيهما . فأعْجَبَ عمرَ كلامُه ورضِى عنه ، وكتَب له بالوَصاةِ إلى الأُمراءِ أن يُشاوَرَ ولا يُوَلَّى شيئًا مِن الأمرِ ، ثم عاد إلى الشامِ مُجاهِدًا فشهِد اليَرْمُوكَ وبعضَ حروبٍ ، كالقادسيةِ

---

(١) تقدم فى ٤٥٣/٩ ، ٤٥٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢٥ / ١٥٤. بنحوه ، وهذا اللفظ مجموع من الحديثين.

(٣) فى الأصل ، م : « خيال » ، وفى ا ٨: « حبال » ، وغير منقوطة فى ا ١٥، ص وقد ذكر ابن كثير أن حبالا هذا هو أخو طليحة . انظر ما تقدم فى ٤٥١/٩ والتعليق عليه .

(٤ - ٤) فى ا ١٥: « من » .

(٥) فى الأصل ، م : « خيال » .

(٦) سقط من : الأصل .

ونَهاوَنْدَ الفُرْسِ، وكان مِن الشُّجعانِ المذْكُورِين، والأبطالِ المَشْهورِين، وقد حسُن إسلامُه بعدَ هذا كلِّه.

وذَكَره محمدُ بنُ سعدٍ[1] فى الطبقةِ الرابعةِ مِن الصحابةِ، وقال: كان يُعَدُّ بألفِ فارسٍ؛ لشدَّتِه وشجاعتِه [2]وبصرِه بالحربِ[2]. وقال أبو نصرِ بنُ ماكُولا[3]: أسْلَم ثم ارْتَدَّ ثم أسْلَم وحسُن إسلامُه، وكان يُعْدَلُ بألفِ فارسٍ.

ومِن شِعرِه أيّامَ رِدَّتِه وادِّعائِه[4] النُّبُوَّةَ فى قتلِ المسلمين أصحابَه[5]:

فما ظَنُّكمْ بالقومِ إذْ تَقْتُلُونَهم ... أَلَيْسُوا وإنْ لم يُسْلِمُوا برِجالِ
فإنْ تكُ[6] أذْوادٌ[7] أُصِبْنَ ونسوةٌ ... فلم يُذْهِبُوا فِرْغًا[8] بقتلِ حِبالِ[9]
نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحِمالةِ إنَّها ... مُعاوِدَةٌ قتلَ[10] الكُماةِ نَزَالِ
فيَوْمًا تَراها فى الجِلالِ[11] مصونةً ... ويَوْمًا تَراها[12] غيرَ ذاتِ جِلالِ[13][12]

---

(١) أخرجه ابن عساكر، فى: تاريخ دمشق ٢٥ /١٤٩ عن محمد بن سعد.
(٢ - ٢) فى ص: «نصره الحرب»، وفى تاريخ دمشق: «صبره بالحرب».
(٣) الإكمال ١ / ٨١.
(٤) فى ا ١٥: «ادعا به».
(٥) الأبيات أخرجها ابن عساكر، فى: تاريخ دمشق ٢٥ / ١٦٦، ١٦٧. وانظر ما تقدم فى ٩/ ٤٥٢.
(٦) فى الأصل، م: «يكن».
(٧) فى الأصل، ا ١٥: «أزواد»، وفى م: «أذداد».
(٨) فى ا ١٥: «فزعا».
(٩) فى الأصل، م: «خيال».
(١٠) فى ا ١٥: «قيل».
(١١) الجلال: الغطاء.
(١٢ - ١٢) سقط من: الأصل.
(١٣) فى ص: «جلجال».

(١ وَيَوْمًا(٢) تُضِيءُ المشرفيةُ نحوَها(٣) ويَوْمًا تَراها(١) فى ظِلالِ عوالِى

عَشِيَّةَ غادَرْتُ ابنَ أَقْرَمَ ثاوِيًا وعُكَّاشَةَ الغَنْمِىَّ(٤) عندَ مَجالِ

وقال سيفُ بنُ عمرَ(٥)، عن مُبَشِّرِ بنِ الفُضَيْلِ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: باللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو، ما اطَّلَعْنا على أحدٍ مِن أهلِ القادسِيَّةِ يُريدُ الدنيا مع الآخرةِ، ولقد اتَّهَمْنا ثلاثةَ نفرٍ(٦)، فما رَأَيْنا كما هَجَمْنا عليه(٧) مِن أمانَتِهم وزُهْدِهم؛ طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدٍ، وعمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ، وقَيْسُ بنُ المَكْشُوحِ.

قال ابنُ عساكِرَ(٨): ذكَر أبو الحسنِ(٩) محمدُ بنُ أحمدَ بنِ القوّاسِ(١٠) الورّاقُ، أنَّ طُلَيْحَةَ اسْتُشْهِدَ بنَهاوَنْدَ سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ مع النُّعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ، وعمرِو بنِ مَعْدِيكَرِبَ. رضِىَ اللَّهُ عنهم.

عمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ(١١) بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عُصْمِ(١٢) بنِ عمرِو بنِ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) بعده فى م: «تراها».

(٣) فى ص: «بنحوها».

(٤) فى م: «العمى».

(٥) أخرجه ابن جرير، فى: تاريخه ٤ / ١٩، ٢٠، وابن عساكر، فى: تاريخ دمشق ٢٥ / ١٧٢. كلاهما من طريق سيف به.

(٦) سقط من: الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص.

(٧) فى الأصل، م: «عليهم».

(٨) تاريخ دمشق ٢٥ / ١٧٢.

(٩) فى الأصل، م: «الحسين».

(١٠) فى م، ص: «الفراس».

(١١) الاستيعاب ٣ / ١٢٠١، وأسد الغابة ٤ / ٢٧٣، والإصابة ٤/ ٦٨٦.

(١٢) فى الأصل: «خصم»، وفى ا ١٥: «خضم»، وفى الحاشية كالمثبت، وفى م، الاستيعاب: «عاصم»، وفى ص: «حضم»، وفى أسد الغابة: «حصم». وانظر جمهرة أنساب العرب ٤١١.

زُبَيْدٍ[1] الأصغرِ - [2]وهو مُنَبِّهٌ[2] - بنِ رَبِيعَةَ بنِ سَلَمَةَ بنِ مازنِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ مُنَبِّهٍ[3] ابنِ[4] زُبَيْدٍ[5] الأكبرِ بنِ الحارثِ بنِ صَعْبِ[6] بنِ سعدِ [٥/١٣٠و] العَشِيرَةِ بنِ مَذْحِجٍ، الزُّبَيْدِيُّ[7] المَذْحِجيُّ، أبو ثَورٍ، أحدُ الفُرْسانِ المشاهيرِ [8]الأبطالِ، والشجعانِ المذاكيرِ[8]، قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ سنةَ تسعٍ[9]، وقيل: عَشْرٍ. مع وَفْدِ مُرادٍ، وقيل: فى وَفْدِ زُبَيْدٍ قومِه. وقد ارْتَدَّ مع الأسْودِ العَنْسِيِّ، فسار إليه خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، فقاتَله فضرَبه خالدُ بنُ سعيدٍ بالسيفِ على عاتقِه فهرَب وقومَه، وقد استَلَب خالدٌ سيفَه الصَّمْصَامَةَ، ثم أُسِر ودُفِع إلى أبى بكرٍ فأنَّبه وعاتَبه واسْتَتَابَه، فتاب [10]وأناب[10] وحسُن إسلامُه بعدَ ذلك، فسيَّره إلى الشامِ، فشهِد اليَرْمُوكَ ثم أمَره عمرُ بالمسيرِ إلى سعدٍ، وكتَب بالوُصاةِ به، وأن يشاوَرَ ولا يُولَّى شيئًا، فنفَع اللَّهُ به الإسلامَ وأهلَه، وأبْلَى بلاءً حَسَنًا يومَ القادِسيَّةِ. وقيل: إنَّه قُتِل بها. وقيل: بنَهاوَنْدَ. وقيل: مات عَطَشًا فى بعضِ القُرَى، يُقالُ لها: رُوذَةَ[11]. فاللَّهُ أعلمُ. وذلك كلُّه[12] سنةَ[13] إحْدَى

---

(١) فى ا ١٥: «زنيد».
(٢ - ٢) سقط من: م، وفى الأصل: «وهو منتبه»، وفى ا ١٥: «وهو منية».
(٣) فى ا ١٥: «منية»، وفى م: «شيبة».
(٤) فى م: «وهو».
(٥) فى ا ١٥: «زنيد».
(٦) فى م: «صعف».
(٧) فى ا ١٥: «الزنيدى».
(٨ - ٨) فى ا ١٥: «والأبطال المذكورين».
(٩) فى الأصل، ا ٨: «سبع».
(١٠ - ١٠) زيادة من: ا ١٥.
(١١) روذة: قرية من قرى الرى. معجم البلدان ٢ / ٨٣٣.
(١٢) بعده فى م، ص: «فى».
(١٣) سقط من: م.

وعِشْرِين ، فقال بعضُ مَن رَثاه مِن قومِه[1] :

لَقَدْ غادَرَ الرُّكْبانُ يومَ تَحَمَّلُوا ... بِرُوذَةَ شَخْصًا لا جَبانًا ولا غَمْرَا[2]

فَقُلْ لِزُبَيْدٍ بل لِمَذْحِجَ كلِّها ... رُزِئْتُمْ أبا ثَورٍ قَرِيعَكُمُ[3] عَمْرَا

وكان عمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، مِن الشعراءِ المُجيدين ، فمِن شعرِه[4] :

أعَاذِلَ عُدَّتِى بَدَنِى[5] ورُمْحِى ... وكُلُّ مُقَلِّصٍ[6] سَلِسِ القِيادِ

أعَاذِلَ إنَّما أفْنَى شَبابِى ... [7]إجابَتِىَ الصريخَ[7] إلى المنادِى

مَعَ الأَبطالِ حتى سُلَّ جِسْمِى ... وأقْرَحَ[8] عاتِقِى حَمْلُ النِّجادِ[9]

ويَبْقَى بعدَ [10]حِلمِ القَوْمِ حلمِى[10] ... ويَفْنَى قبلَ زادِ القومِ زادِى

---

(١) البيتان فى الاستيعاب ٣ / ١٢٠٣، وأسد الغابة ٤ / ٢٧٤. دون نسبة. وعزاهما فى الإصابة ٤ / ٦٩١، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١٦ / ٦٣٨، لدعبل بن على الخزاعى، وعزاهما فى : الأغانى ١٥ / ٢٢٥ لامرأة عمرو، والبيت الأول منهما فى معجم البلدان ٢ /٨٣٣ منسوب لامرأته أيضا. مع اختلاف فى البيتين فى المصادر.

(٢) الغمر : من لم يجرب الأمور.

(٣) فى م، الإصابة : «قريع الوغى»، وفى الأغانى : «سنانكم».

(٤) الأبيات فى ديوانه ٦٠ - ٦٥.

(٥) البَدَن : الدرع.

(٦) المقلص : الفرس الطويل القوائم الضامر البطن.

(٧ - ٧) فى الديوان : «ركوبى فى الصريخ».

(٨) فى الأصل، م : «أقرع»، وفى ا ١٥: «أفرغ»، وغير منقوطة فى ص، والمثبت كما فى الديوان، والأغانى ١٥ / ٢٢٦، والاستيعاب ٣ / ١٢٠٤.

(٩) النجاد : حمائل السيف.

(١٠ - ١٠) فى الأصل : «حكم القوم حكمى».

تمنَّى أن يُلاقِيَنى قُيَيْسٌ وَدِدْتُ وأيْنَما[1] منِّى وِدادِى
فمَن ذا عاذرى مِن ذِى سفاهٍ يَرُودُ بِنَفْسِه شَرَّ[2] المرادِ
أُرِيدُ حَيَاتَه[3] ويُرِيدُ قَتْلِى عَذِيرَكَ مِن خَليلِكَ مِن مُرادِ

له حديثٌ واحدٌ فى التَّلْبِيَةِ رَواه شَرَاحِيلُ بنُ القَعْقاعِ عنه[4]، قال: كنّا نقولُ فى الجاهليةِ إذا لبَّيْنا:

* لبَّيكَ تعظيمًا إليْكَ عُذْرا *
* هذى زُبَيْدٌ قد أتَتْكَ قَسْرا *
* تَعْدُو بها مُضَمَّراتٌ شَزْرا[5] *
* يَقْطَعْنَ خَبْتًا[6] وجِبالًا وُعْرا *
* قد تَرَكوا الأوثانَ خِلْوًا[7] صِفْرا *

قال عمرٌو: فنحن نقولُ الآنَ وللَّهِ الحمدُ كما علَّمَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ: لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شَرِيكَ لك لَبَّيْكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك والمُلْكَ، لا شَرِيكَ لك.

---

(١) فى الأصل، ا ١٥، ص: «إنما».
(٢) فى م: «منى».
(٣) فى الأغانى: «حباءه».
(٤) أخرجه البزار، انظر كشف الأستار (١٠٩٣). والطبرانى، فى: المعجم الكبير ١٧ /٤٦ (١٠٠)، والصغير ١ /٥٩. وقال البزار: إسناده ليس بالثابت. وانظر: الإصابة ٤ /٦٩٠.
(٥) فى الأصل، ا ١٥: «نشزا».
(٦) فى الأصل: «حينا». والخبت: ما انخفض من الأرض واتسع.
(٧) فى: الأصل: «خلفا».

العَلاءُ بنُ الحَضْرَمِيّ[1] ، أميرُ البَحْرَيْن لرسولِ اللَّهِ ﷺ وأقَرَّه عليها أبو بكرٍ ثم عمرُ . تَقدَّم أنَّه تُوُفِّى سنةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ[2] . ومنهم مَن يقولُ : إنَّه تأخَّرَ إلى سنةِ إحْدَى وعِشْرِينَ . وعزَله عمرُ عن البَحْرَيْن ووَلَّى مَكانَه أبا هريرةَ ، وأمَّرَه عمرُ على الكوفةِ ، فمات قبلَ أن يَصِلَ إليها مُنْصَرَفَه مِن الحجِّ . كما قدَّمْنا ذلك . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذَكَرْنا فى دلائلِ النُّبوةِ[3] قِصَّتَه [٥/١٣٠ظ] فى سيرِه بجيشِه على وجهِ الماءِ وما جرَى له مِن خَرْقِ العاداتِ . وللَّهِ الحمدُ .

النُّعمانُ بنُ مُقَرِّنِ بنِ عائذٍ المُزَنِىُّ[4] ، أميرُ وَقْعةِ نَهاوَنْدَ ، صحابىٌّ جَلِيلُ القدرِ[5] ، قَدِم مع قومِه مِن مُزَيْنَةَ فى أربعِمائةِ راكبٍ ، ثم سَكَنَ البصرةَ ، وبَعَثه الفاروقُ أميرًا على الجنُودِ إلى نَهَاوَنْدَ ، ففتَح اللَّهُ على يَدَيْهِ فَتْحًا عظِيمًا ، ومَكَّنَ اللَّهُ له فى تلك البلادِ ، ومَكَّنَه مِن رِقابِ أولئك العِبادِ ، ومَكَّنَ به[6] للمسلمين هنالك إلى يومِ التَّنَادِ ، ومنَحه النَّصْرَ فى الدُّنْيا ويومَ يقومُ الأشْهادُ ، وأتاح له بعدَ ما أراه ما أحبَّ شهادةً عظيمةً ، وذلك غايةُ المُرادِ ، فكان ممَّن قال اللَّهُ تعالى فى حَقِّه فى كِتابِه المُبِينِ وهو صراطُه المستقِيمُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

---

(١) الاستيعاب ٣ / ١٠٨٥، وأسد الغابة ٤ / ٧٤، والإصابة ٤ / ٥٤١.

(٢) تقدم فى ٩/ ٦٤٥.

(٣) تقدم فى ٩/ ٥٤.

(٤) الاستيعاب ٤ / ١٥٠٥، وأسد الغابة ٥ / ٣٤٢، والإصابة ٦ / ٤٥٣.

(٥) زيادة من: ا ١٥.

(٦) فى ا ١٥: «له و».

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وعشْرين

وفيها كانت فتوحاتٌ كثيرةٌ [1] فيما ذكَر ابنُ جَريرٍ وغيرُه فى هذا الشأنِ [1] منها : فتحُ هَمَذَانَ ثانيةً ، ثم الرَّىِّ وما بعدَها ، ثم أَذْرَبِيجانَ .

قالَ الواقِدىُّ وأبو معشرٍ [2] : كانت فى سنةِ ثِنْتَين وعشرِينَ . وقال سَيْفٌ [2] : كانت فى سنةِ ثَمانِىَ عَشْرةَ بعدَ فتحِ هَمَذَانَ والرَّىِّ وجُرْجانَ . وأبو معشرٍ يقولُ بأنَّ أَذْرَبِيجَانَ كانت بعدَ هذه البُلْدانِ ، ولكِنْ عندَه أن الجميعَ كان فى هذه السنةِ . وعندَ الواقدىِّ [3] أن فتحَ هَمَذانَ والرَّىِّ كان فى سنةِ ثلاثٍ وعشرِينَ ؛ فهَمَذانُ افْتتحَها المغيرةُ بعدَ مَقتَلِ عمرَ بستةِ أشْهرٍ ، قال : ويُقالُ كان فتحُ الرَّىِّ قبلَ وفاةِ عمرَ بسنتينِ . إلَّا أنَّ الواقدىَّ وأبا معشرٍ مُتَّفقانِ على أن أَذْرَبِيجَانَ فى هذه السنةِ ، وتَبِعَهما ابنُ جريرٍ وغيرُه [4] .

وكان السببُ فى ذلك أن المسلمينَ لمَّا فَرَغُوا مِن نَهَاوَنْدَ وما وقَع مِن الحربِ المُتقدِّمِ ، فَتحُوا [5] حُلْوانَ وهَمَذَانَ بعدَ ذلك . ثمَّ إن أهلَ هَمَذانَ نَقضُوا عَهْدَهم الَّذِى صَالَحهم عَلَيْه القَعْقَاعُ بنُ عَمْرٍو ، فكتَب عمرُ إلى نُعَيْمِ بنِ مُقَرِّنٍ أن يسيرَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١٤٦.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٤٨.

(٤) المصدر السابق ٤ / ١٤٦، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٤١، وتاريخ خليفة ١ / ١٤٨.

(٥) فى الأصل : «وفتح» .

إلى هَمَذانَ ، وأن يجْعلَ على مُقَدَّمَتِه أخاهُ سُوَيْدَ بنَ مُقَرِّنٍ ، وعلى مُجَنِّبَتَيْه رِبْعِيَّ ابنَ عَامِرٍ الطَّائِيَّ ، ومُهَلْهِلَ بنَ زَيْدٍ اليَمَنِيَّ[1] . فسار حتَّى نزَل على ثَنِيَّةِ العَسلِ ، ثم تَحَدَّرَ على هَمَذَانَ ، واسْتَولَى على بلادِها ، وحَاصَرَها فَسَألوه الصُّلْحَ فصَالَحَهُم ودخَلَها ، فبَيْنَما هو فِيها ومعَه اثنا عَشَرَ ألفًا مِن المُسْلمينَ إذ تَكاتَبَ[2] الدَّيلمُ وأَهْلُ الرَّيِّ وأَهْلُ أَذْرَبِيجَانَ ، واجْتَمَعُوا على حَرْبِ نُعَيْمِ بنِ مُقَرِّنٍ فى جَمْعٍ كَثيرٍ ، فعَلى الدَّيْلَمِ مَلِكُهم واسْمُهُ موتا ، وعلى أَهْلِ الرَّيِّ أبو الفَرُّخَانِ ، وعلى أهلِ أَذْرَبِيجانَ إسْفَنْدِيادُ[3] أخو رُسْتَمَ ، فخرَج إليهِمْ[4] نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ[4] بمَنْ مَعَهُ مِن المُسْلمينَ حتى التَقَوا بمكَانٍ يُقَالُ له : وَاجِ رُوذَ[5] . فاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وكانت وَقْعَةً عظِيمةً تَعْدِلُ نَهَاوَنْدَ ولم تَكُ دُونَها ، فقَتَلوا مِن المُشْرِكِينَ جَمْعًا كَثيرًا ، وجَمًّا غَفِيرًا لا يُحْصَونَ كَثْرةً ، وقُتِلَ مَلِكُ الدَّيْلَمِ موتا وتَمَزَّقَ شَمْلُهم ، وانْهزَمُوا بأَجْمَعِهم ، بعدَ مَن قُتِلَ بالمعرَكَةِ منهم ، فكان نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ أولَ مَن قاتَلَ الدَّيْلَمَ مِن المسلمِين .

وقد كان نُعَيْمٌ كتبَ إلى عمرَ يُعْلِمُهُ باجْتماعِهم فهمَّهُ ذلك واغْتمَّ له . فلم يَفْجَأْه إلّا البَريدُ بالبِشارَةِ ، فحمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عليهِ ، وأمَر بالكِتابِ فقُرِئَ على النَّاسِ ، ففَرِحوا وحَمِدوا اللَّهَ ، عَزَّ وجَلَّ . ثم قدِم عليه بالأخماسِ ثَلاثةٌ مِن

---

(١) فى الأصل ، ا ٨: « التيمى » ، وفى م : « التميمى » . وفى تاريخ الطبرى ٤/١٤٧ قال : « وعلى مجنبتيك ربعى بن عامر ومهلهل بن زيد ، هذا طائى وذاك تميمى » . فظاهر الكلام أن الطائى هو مهلهل ابن زيد وأن التميمى هو ربعى ، وفى المنتظم ٤ / ٣٢١: « مهلهل بن زيد الطائى » . وانظر الإصابة ٦ / ٣١٦. وطيئ أحد قبائل اليمن .

(٢) فى م : « تكاتف الروم و » ، وفى ص : « تكاتب الروم و » .

(٣) زيادة من : م . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٤٨.

(٤ - ٤) زيادة من : ا ٨.

(٥) واج روذ : موضع بين همذان وقزوين . معجم البلدان ٤ / ٨٧٢.

الأُمراءِ ؛ [١٣١/٥و] وهم سِماكُ بنُ خَرَشةَ - وليس بأبى دُجانَةَ[١] - وسِماكُ بنُ عُبَيْدٍ ، وسِماكُ بنُ مَخْرَمَةَ . فلمّا اسْتَسْماهُم عمرُ ، قال[٢] : « اللهمَّ اسْمُكْ[٣] بهم الإسلامَ ، وأمِدَّ بهمُ الإسلامَ . ثم كتَب إلى نُعَيْمِ بنِ مُقَرِّنٍ بأن يستَخلِفَ على هَمَذَانَ ويسيرَ إلى الرَّىِّ . فامْتَثَلَ نُعَيْمٌ . وقد قالَ نُعَيْمٌ فى هذه الوقْعَةِ[٤] :

ولمَّا أتانِى أَنَّ موتا ورهطَهُ ... بنى باسلٍ جَرُّوا جنودَ الأعاجِمِ
نهَضتُ إليهمْ بالجنودِ مُسامِيًا ... لأمنعَ منهم ذِمَّتِى بالقواصِمِ
فجِئْنا إليهم بالحديدِ كأننا ... جبالٌ تراءَى مِن فروعِ القلاسِمِ
فلمَّا لَقِيناهم بها مُسْتفيضةً ... وقدْ جَعلوا يَسْمونَ فِعلَ المساهِمِ
صَدَمْناهُم فى واجِ رُوذَ بجَمْعِنا ... غداةَ رَمَيْناهُم بإحدَى العَظائمِ
فما صَبروا فى حَوْمةِ الموتِ ساعةً ... لحدِّ الرِّماحِ والسُّيوفِ الصَّوارِمِ
كأنَّهمُ عندَ انبِثاثِ جُموعِهِمْ ... جدارٌ تَشَظَّى لَبْنُهُ لِلهَوادِمِ[٥]
أصَبْنا بها موتا ومَن لفَّ جَمْعَه ... وفيها نهابٌ قسْمُه غيرُ عاتِمِ[٦]
تَبِعْناهُمُ حتَّى أَوَوْا فى شِعابِهم ... فنقْتُلُهمْ قتلَ الكِلابِ الجواحِمِ[٧]
[٨]كأنَّهمُ فى واجِ رُوذَ وَجَوِّهِ ... ضَئِينٌ[٩] أصابَتْها فروجُ المخارِمِ[١٠][٨]

(١) قد تقدمت وفاته فى ٦/٤٩٧ .
(٢) سقط من : ا ٨، م . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٤٩.
(٣) اسمك : أى ارفع .
(٤) المصدر السابق .
(٥) فى م ، ص : « للهادم » .
(٦) فى الأصل : « عالم » . وفى ا ١٥ : « غانم » . وفى ص : « عانم العظائم » .
(٧) الجُحام : داء يصيب الكلب فى رأسه فيكون منه بين عينيه .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص . والمثبت موافق لما فى الطبرى .
(٩) الضئين : الضأن . وهى لغة تميمية ، اللسان (ض ا ن) .
(١٠) المخارم : جمع مخرم ؛ وهو الطريق فى الجبل أو الرمل . النهاية ٢/ ١٢٧.

فتحُ الرىّ[1]

استخلَف نُعَيمُ بنُ مُقَرِّنٍ على هَمَذانَ يزيدَ بنَ قيسٍ الهَمْدانىَّ ، وسار بالجيوشِ حتى لحِق بالرَّىِّ فلَقِى هناك جَمْعًا مِن المشركين عظيمًا ، فاقتتلوا عندَ سفحِ جبلِ الرَّىِّ ، فصبَروا صَبْرًا عظيمًا ، ثم انهزَموا فقتَل منهم نُعَيْمُ[2] بنُ مُقَرِّنٍ مَقْتَلةً عظيمةً بحيثُ عُدُّوا بالقَصَبِ فيها ، وغنِموا منهم غنيمةً عظيمةً قريبًا مِمَّا غنِم المسلمون مِن المدائنِ . وصالَحه أبو الفرخانِ على الرَّىِّ ، وكتَب له أمانًا بذلك ، ثم كتَب نُعَيمٌ إلى عمرَ بالفتحِ ثم بالأخماسِ . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

فتحُ قُومِسَ[3]

ولمَّا ورَد البشيرُ بفتحِ الرَّىِّ وأخماسِها ، كتَب عمرُ إلى نُعَيمِ بنِ مُقَرِّنٍ أن يبعَثَ أخاه سُوَيْدَ بنَ مُقَرِّنٍ إلى قُومِسَ ، فسار إليها سُوَيْدٌ ، فلم يقمْ له شىءٌ حتى أخَذها سِلْمًا ، وعَسْكَر بها وكتَب لأهلِها كتابَ أمانٍ وصُلْحٍ .

فتحُ جُرْجَانَ[4]

لمَّا عَسْكَر سُوَيْدٌ بقُومِسَ بعَث إليه أهلُ بُلْدانٍ شَتَّى ؛ منها جُرْجَانُ وطَبَرِسْتَانُ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٥٠، والكامل ٣/ ٢٤، والمنتظم ٤/ ٣٢١.

(٢) فى م : « النعمان » .

(٣) قُومِسُ : هى كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهى فى ذيل جبال طبرستان . معجم البلدان ٤ / ٢٠٣. انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٥١، والكامل ٣/ ٢٥، والمنتظم ٤/ ٣٢١.

(٤) جُرْجَانُ : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . معجم البلدان ٢ / ٤٨، ٤٩. انظر =

وغيرُها يسألونه الصُّلْحَ على الجزيةِ ، فصالَح الجميعَ وكتَب لأهلِ كلِّ بلدةٍ كتابَ أمانٍ وصلحٍ . وحكَى المدائنىُّ[1] أن جُرْجَانَ فُتِحت فى سنةِ ثلاثين أيامَ عثمانَ ، فاللَّهُ أعلمُ .

وهذا فتحُ أَذْرَبِيجَانَ[2]

لمَّا افتتح نُعَيْمُ بنُ مُقَرِّنٍ هَمَذَانَ ثم الرَّىَّ ، وكان قد بعَث بينَ يدَيْه بُكَيْرَ بنَ عبدِ اللَّهِ مِن هَمَذانَ إلى أَذْرَبِيجَانَ ، [٥/١٣١ظ] وأرْدَفه بسِمَاكِ بنِ خَرَشةَ ، فلَقِى إِسْفَنْدِيَاذُ بنُ الفَرُّخْزاذِ بُكَيْرًا وأصحابَه ، قبلَ أن يَقْدَمَ عليهم سِماكٌ ، فاقتتَلوا فهزَم اللَّهُ المشركين ، وأسَر بكيرٌ إسْفَنْدِيَاذَ ، فقال له إِسْفَنْدِيَاذُ : الصلحُ أحبُّ إليك أم الحربُ ؟ فقال : بل الصلحُ . قال : فأمسِكْنى عندَك . فأمسَكه ، ثم جعَل يفتَحُ بلدًا بلدًا ، وعُتْبَةُ بنُ فَرْقدٍ أيضًا يفتَحُ معه بلدًا بلدًا فى مُقابلتِه مِن الجانبِ الآخرِ . ثم جاء كتابُ عمرَ ، بأن يتقدَّمَ بُكَيرٌ إلى البابِ ، وجَعْلِ سِماكٍ موضعَه نائبًا لعُتْبَةَ ابنِ فَرْقَدٍ . وجمَع عمرُ أَذْرَبِيجَانَ كلَّها لعُتْبَةَ بنِ فَرْقَدٍ ، وسلَّم إليه بُكَيْرٌ إِسْفَنْدِياذَ ، وصار كما أمَره عمرُ إلى البابِ . قالوا : وقد كان اعترَض بَهْرَامُ بنُ فَرُّخْزَاذَ لعُتْبَةَ ابنِ فَرْقَدٍ ، فهزَمه عُتْبَةُ وهرَب بَهْرَامُ ، فلمَّا بلَغ ذلك إِسْفَنْدِيَاذَ وهو فى الأَسْرِ عندَ بُكَيْرٍ قال : الآنَ تمَّ الصلحُ وطُفِئَتِ الحربُ . فصالَحه فأجاب إلى ذلك كلُّهم ، وعادت أَذْرَبِيجَانُ سِلْمًا ، وكتَب بذلك عُتْبَةُ وبُكَيْرٌ إلى عمرَ ، وبعَثوا بالأخماسِ

= الطبرى ٤/ ١٥٢، والكامل ٣/ ٢٥.

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٥٣.

(٢) المصدر السابق، وانظر الكامل ٣/ ٢٧.

إليه، وكتَب عُتْبَةُ - حينَ انتَهَت إليه[1] إمْرَةُ أَذْرَبيجَانَ - لأهلِها كتابَ أمانٍ وصلحٍ.

فتحُ البابِ

قال ابنُ جريرٍ[2]: وزعَم سيفٌ أنه كان فى هذه السنةِ؛ كتَب عمرُ بنُ الخطابِ كتابًا بالإمْرَةِ على هذه الغزوةِ لسُرَاقَةَ بنِ عمرٍو - الملقبِ بذى النورِ[3] - وجعَل على مقدَّمتِه عبدَ الرحمنِ بنَ رَبيعَةَ، ويقالُ له: ذو النورِ[4] أيضًا. وجعَل على إحْدَى المجَنِّبَتَين حُذَيْفَةَ بنَ أَسِيدٍ، وعلى الأخرَى بُكَيْرَ بنَ عبدِ اللَّهِ الليثىَّ - وكان قد تقدَّمهم إلى البابِ - وعلى المَقاسِمِ سلمانَ بنَ رَبيعةَ. فساروا كما أمَرهم عمرُ، وعلى تَعْبئتِه، فلمَّا انتَهى مُقَدَّمُ العساكرِ - وهو عبدُ الرحمنِ بنُ رَبيعَةَ - إلى الملكِ الذى هناك عندَ البابِ وهو شَهْرَبرَازُ[5] ملكُ أَرْمِينِيَةَ، وهو مِن بيتِ المَلِكِ الذى قتَل بنى إسرائيلَ وغزا الشامَ فى قديمِ الزمانِ، فكتَب شَهْرَبَرازُ لعبدِ الرحمنِ واستَأمَنه، فأمَّنه عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ، فقدِم عليه الملكُ، فأنهَى إليه أنَّ صَغْوَه[6] إلى المسلمين، وأنه مُناصِحٌ للمسلمين. فقال له: إنَّ فوقى رجلًا

---

(١) سقط من: ا ٨، م.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١٥٥.

(٣) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص: «النون».

(٤) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص: «النون»، والمثبت هو الصواب، وانظر نزهة الألباب لابن حجر ١/ ٣١١.

(٥) فى الأصل، ا ٨، ص: «شهريار»، وهو كذلك فى الكامل. وفى ا ١٥: «شهربزار»، والمثبت موافق لما فى الطبرى. وكذا فيما يأتى.

(٦) الصغو: الميل.

فاذهَبْ إليه . فبعَثه إلى سُرَاقَةَ بنِ عمرٍو أميرِ الجيشِ ، فسأَل مِن سُرَاقَةَ الأمانَ ، فكتَب إلى عمرَ ، فأجاز ما أعطاه مِن الأمانِ ، واستَحْسنه ، فكتَب له سُرَاقَةُ كتابًا بذلك . ثم بعَث سُرَاقَةُ بُكَيْرًا ، وحبيبَ بنَ مَسْلَمةَ ، وحُذَيْفَةَ بنَ أَسِيدٍ ، وسلمانَ ابنَ ربيعةَ ، إلى أهلِ تلك الجبالِ المحيطةِ بأَرْمِينِيَةَ جبالِ اللَّانِ وتَفْلِيسَ ومُوقَانَ[1] ، فافتتَح بُكَيْرٌ مُوقَانَ ، وكتَب لهم كتابَ أمانٍ ، ومات فى غبونِ ذلك أميرُ المسلمين هنالك ، وهو سُرَاقَةُ بنُ عمرٍو ، واستَخْلَف بعدَه عبدَ الرحمنِ بنَ ربيعةَ ، فلمَّا بلَغ عمرَ ذلك أقرَّه على ذلك وأمَره بغَزْوِ التُّرْكِ .

أوَّلُ غزوِ التُّرْكِ

وهو تَصْديقُ الحديثِ المتقدِّمِ[2] الثابتِ فى « الصَّحيحِ » ، عن أبى هريرةَ ، وعمرِو بنِ تَغْلِبَ ؛ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [٥/١٣٢و] قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتِلوا قومًا عِرَاضَ الوُجوهِ ، ذُلْفَ الأُنوفِ ، حُمْرَ الوجوهِ ، كأنَّ وجُوهَهم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ » . وفى روايةٍ « يَنْتَعِلون[3] الشَّعْرَ »[4] .

لمَّا جاء كتابُ عمرَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ ربيعةَ يأمُرُه[5] بأن يغزُوَ التركَ ، سار حتى قطَع البابَ قاصِدًا لما أمَره عمرُ ، فقال له شَهْرَبرازُ : أين تريدُ ؟ قال : أريدُ ملكَ التُّركِ بَلَنْجَرَ . فقال له شَهْرَبرازُ : إنا لنرضَى منهم بالمُوادَعَةِ ، ونحن مِن وراءِ

---

(١) فى م : « موتان » .
(٢) تقدم فى ٩/٢٢١ بنحوه .
(٣) فى الأصل ، م : « يبتلعون » .
(٤) تقدم فى ٩/ ٢٢٢.
(٥) بعده فى : الأصل ، ا ٨: « أن يقطع النهر » .

البابِ . فقال له عبدُ الرحمنِ : إن اللَّهَ بعَث إلينا رسولًا ، ووعَدَنا على لسانِه بالنصرِ والظَّفَرِ ، ونحن لا نزالُ منصورِين . فقاتَل التُّركَ وسار فى بلادِ بَلَنْجَرَ مائتى فرسخٍ ، وغزَا مراتٍ متعددةً . ثم كانت له وقائعُ هائلةٌ فى زمنِ عثمانَ ، كما سنورِدُه فى موضعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[1] ، عن الغُصْنِ[2] بنِ القاسمِ ، عن [3]رجلٍ ، عن سلمانَ ابنِ ربيعةَ[3] ، قال : لمَّا دخَل عليهم عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ بلادَهم حال اللَّهُ بينَ التُّركِ والخروجِ عليه ، وقالوا : ما اجترَأ علينا هذا الرجلُ إلّا ومعهم[4] الملائكةُ تمنَعُهم[5] مِن الموتِ . فتحصَّنوا منه وهرَبوا بالغُنْمِ والظَّفَرِ[6] . ثم إنه غزَاهم غزواتٍ فى زمنِ عثمانَ فظفَر بهم ، كما كان يظفَرُ بغيرِهم . فلمَّا ولَّى عثمانُ على الكوفةِ بعضَ مَن كان ارتدَّ[7] ، غزَاهم فتذامَرَتِ التُّركُ ، وقال بعضُهم لبعضٍ : إنهم لا يموتون . [8]قال : انظُروا . وفعَلوا[8] فاختَفَوا لهم فى الغِيَاضِ ، فرمَى رجلٌ منهم رجلًا مِن المسلمين على غِرَّةٍ ، فقتَله وهرَب عنه أصحابُه[9] ، فخرَجوا على المسلمين بعدَ ذلك حينَ عَرَفوا أن المسلمين يموتون ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا ، ونادَى

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ / ١٥٨، من طريق سيف بن عمر ، به .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥: « القبض » . وفى ا ٨: « الفيض » . وفى ص : « العيص » . انظر تهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « جرجان » .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « معه » .

(٥) فى المصدر السابق : « تمنعه » .

(٦) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص . والمثبت موافق لما فى الطبرى .

(٧) فى ص : « أريد » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص .

(٩) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص .

منادٍ مِن الجوِّ : صبرًا آلَ[1] عبدِ الرحمنِ وموعِدُكم الجنةُ . فقاتَل عبدُ الرحمنِ حتى قُتِل وانكشَف الناسُ ، وأخَذ الرايةَ سلمانُ بنُ ربيعةَ فقاتَل بها ، ونادَى المنادِى مِن الجوِّ : صبرًا آلَ[1] سلمانَ بنِ ربيعةَ . فقاتَل قِتالًا شديدًا ، ثم تحيَّز سلمانُ وأبو هريرةَ بالمسلمين ، وفرُّوا مِن كثرةِ التُّركِ ورَمْيِهم الشديدِ السديدِ على جِيلانَ[2] ، فقطَعوها إلى جُرْجَانَ ، واجترَأَتِ التُّركُ بعدَها ، ومع هذا أخَذَتِ التُّركُ عبدَ الرحمنِ بنَ ربيعةَ فدفَنوه فى بلادِهم ، فهم يَسْتَسْقون بقبرِه إلى اليومِ . وسيأتى تفصيلُ ذلك كلِّه .

قصةُ السَّدّ

ذكَر ابنُ جريرٍ بسندِه[3] أن شَهْرَبرازَ قال لعبدِ الرحمنِ بنِ ربيعةَ لمَّا قدِم عليه حينَ وصَل إلى البابِ ، وأرَاه رجلًا فقال شَهْرَبَرازُ : أيُّها الأميرُ إنَّ هذا الرجلَ كنتُ بعَثْتُه نحوَ السدِّ ، وزوَّدْتُه مالًا جَزيلًا ، وكتَبْتُ له إلى الملوكِ الذين يَلُونى ، وبعَثْتُ لهم هدايا ، وسأَلْتُ منهم أن يكتُبوا له إلى مَن يلِيهم مِن الملوكِ حتى ينتَهِىَ إلى سدِّ ذى القَرْنينِ ، فينظُرَ إليه ويأتِينا بخَبَرِه . فسار حتى انتَهى إلى الملكِ الذى السَّدُّ فى أرضِه ، فبعَثه إلى عاملِه مِمَّا يلى السَّدَّ ، فبعَث معه بَازْيارَه[4] ومعه عُقَابُه ، فلمَّا انتَهَوا إلى السَّدِّ إذا جَبَلان بينَهما سَدٌّ مسدودٌ ، حتى ارتفَع على الجبلين ، وإذا دونَ السدِّ خندقٌ أشدُّ سَوَادًا مِن الليلِ لبُعْدِه ، فنظَر إلى ذلك كلِّه وتفرَّس فيه ، ثم

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « لله » .

(٢) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . معجم البلدان ٢ / ١٧٩ .

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٥٩ .

(٤) بازيار : أمير الصيد ، صاحب الباز ، صياد . المعجم الذهبى (فارسى - عربى) .

لمَّا همَّ بالانصِرافِ قال له البَازْيارُ : على رِسْلِك . ثم شَرَح بضعةَ لحمٍ معه فألْقاها فى ذلك [٥/١٣٢ظ] الوادى[١] ، وانقَضَّ عليها العُقَابُ . فقال : إن أدْرَكَها فى الهواءِ قبلَ أن تقَعَ فلا شىءَ ، وإن لم يُدْرِكْها حتى تقَعَ ، فذلك شىءٌ . قال : فلم يُدْرِكْها حتى وقَعَت فى أسفلِه وأَتْبعَها العُقَابُ فأخْرَجها ، فإذا فيها ياقوتةٌ ، وهى هذه . ثم ناوَلها الملكُ شَهْرَبَرازُ لعبدِ الرحمنِ بنِ ربيعةَ ، فنظَر إليها عبدُ الرحمنِ ثم ردَّها إليه ، فلمَّا ردَّها إليه فرِح وقال : واللَّهِ لَهذه خيرٌ مِن مملكةِ هذه المدينةِ - يعنى مدينةَ بابِ الأبوابِ التى هو فيها - وواللَّهِ لأنتم أحبُّ إلىَّ[٢] مَلَكَةً[٣] مِن[٤] آلِ كِسْرَى ، ولو كنتُ فى سلطانِهم ثم بلَغهم خبرُها لانتَزَعوها منِّى ، وايمُ اللَّهِ لا يقومُ لكم شىءٌ ما وَفَيْتُم ووفَى[٥] مِلِكُكم الأكبرُ .

ثم أقبَل عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ على الرسولِ الذى ذهَب إلى السدِّ فقال : ما حالُ هذا الرَّدْمِ ؟ - يعنى : ما صِفَتُه ؟ - فأشار إلى ثوبٍ فى زُرْقةٍ وحُمْرةٍ ؛ فقال : مثلُ هذا . فقال رجلٌ لعبدِ الرحمنِ : صدَق واللَّهِ ؛ لقد نفَذ ورأَى . [٦]فقال : أجلْ[٦] ، وصَف صفةَ الحديدِ والصُّفْرِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف : ٩٦] . وقد ذكَرتُ صفةَ السدِّ فى « التَّفسيرِ »[٧] ، وفى

---

(١) فى م : « الهواء » .
(٢) بعده فى م : « اليوم من » . وبعده فى ص : « اليوم » .
(٣) فى م ، ا ٨ : « مملكة » .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص : « ولى » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص . والمثبت موافق لما فى الطبرى .
(٧) التفسير ٥ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

أوائلِ هذا الكتابِ[1] .

وقد ذكَر البخاريُّ فى « صحيحِه »[2] تعليقًا أن رجلًا قال للنبىِّ ﷺ رأَيتُ السَّدَّ . فقال : « كيفَ رأَيتَه ؟ » قال : مثلَ البُرْدِ المُحَبَّرِ . فقال : « رأيتَه » .

قالوا[3] : ثم قال عبدُ الرحمنِ بنُ ربيعةَ لشَهْرَبرازَ : كم كانت هَديَّتُك ؟ قال : قيمةُ مائةِ ألفٍ فى بلادى ، وثلاثةُ آلافِ ألفٍ فى تلك البلدانِ .

[4]بَقيَّةٌ مِن خبرِ السَّدِّ[4]

أورَد شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ[5] الحافظُ فى هذه السنةِ ما ذكَره صاحبُ كتابِ « مسالكِ الممالكِ »[6] ، عمَّا أملَاه عليه سَلَّامٌ التُّرْجمانُ ، حينَ بعَثه الواثقُ بأمرِ اللَّهِ بنُ المُعْتَصِمِ - وكان قد رأَى فى النومِ كأن السَّدَّ قد فتِح[7] - فأرْسَل [8]سلَّامًا هذا[8] وكتَب له إلى الملوكِ بالوَصاةِ به ، وبعَث معه ألفَىْ بغلٍ تحمِلُ طعامًا ، فساروا مِن[9] سامَرَّاءَ إلى إسحاقَ بتَفْلِيسَ ، فكتَب لهم إلى صاحبِ السريرِ ، وكتَب لهم صاحبُ السريرِ إلى ملكِ اللَّانِ ، فكتَب لهم إلى

---

(١) تقدم فى ٢ /٥٥٢ - ٥٦٠.
(٢) تقدم فى ٢ / ٥٥٦.
(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٦٠.
(٤ - ٤) سقط من : ا ١٥.
(٥) تاريخ الإسلام ٣ /٢٤٦ - ٢٤٨.
(٦) المسالك والممالك ١٦٢ - ١٧٠.
(٧) فى ا ١٥: « انفتح » وهو لفظ المسالك والممالك ، والمثبت لفظ الذهبى .
(٨ - ٨) فى الأصل : « غلاما » .
(٩) فى م ، ص : « بين » .

فِيلَانشاه[1] ، فكتَب لهم إلى ملكِ الخزَرِ[2] ، فوجَّه معه خمسةَ أدِلَّاءِ[3] فساروا[4] ستةً وعِشرين يومًا فانتَهَوا إلى أرضٍ سَوداءَ مُنْتِنَةٍ حتى جعَلوا يَشُمُّون الخلَّ ، فساروا فيها عشَرةَ أيامٍ ، فانتَهَوا إلى مدائنَ خِرابٍ مدةَ سبعةٍ وعشرين يومًا ، وهى التى كانت يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ تَطْرُقُها فخرِبَتْ مِن ذلك الحينِ وإلى الآنَ ، ثم انتَهَوا إلى حصنٍ قريبٍ مِن السَّدِّ فوجَدوا قومًا يعرِفون بالعربيةِ وبالفارسيةِ ويحفَظون القرآنَ ، ولهم مكاتبُ ومساجدُ ، فجعَلوا يعجَبون منهم ويسأَلونهم مِن أين أقبَلوا ؟ فذكَروا لهم أنهم مِن جهةِ أميرِ المؤمنين[5] ، فلم يعرِفوه بالكليةِ . ثم انتَهَوا إلى جبلٍ أملسَ ليس عليه خَضْراءُ وإذا السَّدُّ هنالك مِن لَبِنٍ حديدٍ مُغَيَّبٍ فى نحاسٍ ، وهو مُرْتَفِعٌ جدًّا لا يكادُ البصرُ ينتَهى إليه ، وله شرفاتٌ مِن حديدٍ ، وفى وسطِه بابٌ عظيمٌ بمِصراعين مُغْلقَيْن ، عرضُهما مائةُ ذراعٍ ، فى طولِ مائةِ ذراعٍ ، فى ثَخَانةِ خمسةِ أَذْرُعٍ ، وعليه قُفْلٌ طولُه سبعةُ أذرعٍ فى غِلَظِ باعٍ - [١٣٣/٥و] وذكَر أشياءَ كثيرةً - وعندَ ذلك المكانِ حرسٌ يضرِبون عندَ القُفْلِ فى كلِّ يومٍ ، فيسمَعون بعدَ ذلك صوتًا عظيمًا مُزْعِجًا ؛ فَيَعْلَمون أن وراءَ هذا البابِ حَرَسًا وحَفَظَةً ، وقريبٌ مِن هذا البابِ حِصْنان عظيمان بينَهما عينُ ماءٍ عذبةٍ ، وفى

---

(١) فى ا ١٥: « قبلانشاه » . وفى ا ٨، م ، ص : « قيلانشاه » . والمثبت موافق لما فى المسالك والممالك ، وتاريخ الإسلام .

وفيلان : بلد وولاية قرب باب الأبواب من ناحية الخزَر . معجم البلدان ٣ / ٩٣٣. و « شاه » تعنى الملك بالفارسية .

(٢) فى الأصل : « الخرز » . وفى ا ١٥: « الحرر » .

والخزر : هى بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدَّرْبَنْد قريب من سد ذى القرنين . معجم البلدان ٢ / ٤٣٦.

(٣) فى م : « أولاد » .

(٤) بعده فى الأصل : « من سامرا إلى إسحاق فساروا » .

(٥) بعده فى م ، ص : « الواثق » .

إحداهما بقايا العِمارةِ مِن مَغارفَ ولَبِنٍ مِن حديدٍ وغيرِ ذلك ، وإذا طولُ اللَّبِنَةِ ذراعٌ ونصفٌ فى مثلِه ، فى سُمْكِ شِبْرٍ .

وذكَروا أنهم سأَلوا أهلَ تلك البلادِ هل رَأَوْا أحدًا مِن يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ؟ فأخبَرَوهم أنهم رَأَوْا منهم يومًا أشْخاصًا فوقَ الشُّرُفاتِ ، فهَبَّتِ الريحُ فألقَتْهم إليهم ، فإذا طولُ الرجلِ منهم شبرٌ و[1] نصفُ شبرٍ . واللَّهُ أعلمُ .

قال الواقدىُّ[2] : وفى هذه السنةِ غزَا معاويةُ الصائفةَ مِن بلادِ الرومِ ، [3]فى عشَرةِ آلافٍ مِن المسلمين[3] ، فسار وغنِم ورجَع سالمًا .

وفيها وُلِد يزيدُ بنُ معاويةَ ، وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ . وفيها حجَّ بالناسِ عمرُ بنُ الخطابِ ، وكان عمَّالُه فيها على البلادِ ، هم الذين كانوا فى السنةِ قبلَها .

وذُكِر[4] أن عمرَ عزَل عمارًا فى هذه السنةِ عن الكوفةِ ؛ اشتَكاه أهلُها وقالوا : لا يحسِنُ السياسةَ . فعزَله وولَّى أبا موسى الأشعرىَّ ، فقال أهلُ الكوفةِ : لا نريدُه . وشكَوا مِن غلامِه . فقال : دعُونى حتى أنظُرَ فى أمرى . وذهَب إلى طائفةٍ مِن المسجدِ ليفكِّرَ مَن يولِّى . فنام مِن الهمِّ فجاءه المغيرةُ فجعَل يحرُسُه حتى استيقَظَ فقال له : إنَّ هذا الأمرَ عظيمٌ ، يا أميرَ المؤمنين ، الذى بلَغ بك هذا . قال : وكيف لا[5] وأهلُ الكوفةِ مائةُ ألفٍ لا يرضَون عن أميرٍ ، ولا يَرضَى عنهم أميرٌ . ثم جمَع الصحابةَ واستَشارهم ؛ هل يولِّى عليهم قَويًّا مُشَدِّدًا أو ضعيفًا مُسْلِمًا ؟ فقال له المغيرةُ بنُ شُعْبةَ : يا أميرَ المؤمنين ، إن القوىَّ قوَّتُه لك وللمسلمين ،

---

(١) فى م : «أو» .
(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١٦٠.
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : «وكان معه حماد والصحابة» .
(٤) المصدر السابق ٤ /١٦٣ - ١٦٥.
(٥) سقط من : م .

وتَشْديدُه لنفسِه ، وأمَّا الضعيفُ المسلمُ فضَعْفُه عليك وعلى المسلمين ، وإسلامُه لنفسِه . فقال عمرُ للمغيرةِ - واستَحْسَن ما قال له -: اذهَبْ فقد ولَّيتُك الكوفةَ . فردَّه إليها بعدَ ما كان عزَله عنها بسببِ ما كان شهِد عليه الذين تقدَّم حدُّهم بسببِ قذفِـه ، والعلمُ عندَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وبعَث أبا موسى الأشعريَّ إلى البصرةِ ، [1]فقيل لعمارٍ : أسَاءَك العزلُ؟ فقال : واللَّهِ ما سرَّتْنى الولايةُ ، ولقد سَاءَنى العَزْلُ . وفى روايةٍ ، أن الذى سأَله عن ذلك عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنه[1] . [2]ثم أرادَ عمرُ أن يبعَثَ سعدَ بنَ أبى وقَّاصٍ على الكوفةِ بدلَ المغيرةِ فعاجَلَتْه المَنيَّةُ فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين ، على ما سيأتى بيانُه ، ولهذا أوصَى لسعدٍ به[2] .

قال الواقدىُّ[3] : وفى هذه السنةِ غزَا الأحنفُ بنُ قيسٍ بلادَ خُراسانَ ، وقصَد البلدَ الذى فيه يَزْدَجِرْدُ ملكُ الفرسِ .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وزعَم سيفٌ أن هذا كان فى سنةِ ثمانىَ عشْرَةَ . قلتُ : والأوَّلُ هو المشهورُ . واللَّهُ أعلمُ .

قِصَّةُ يَزْدَجِرْدَ بنِ شَهْرِيارَ[5] بنِ كِسْرَى

[6]الذى كان مَلِكَ الفُرْسِ[6] لمَّا استَلب سعدٌ مِن يدَيْه مدينةَ مُلْكِه ، ودارَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٦٦.

(٤) المصدر السابق .

(٥) فى ا ١٥: « شهرباز » . وفى ص : « شهرياز » ، وانظر جمهرة أنساب العرب ٥١١.

(٦ - ٦) سقط من : م .

مَقَرِّه ، وإيوانَ سلطانِه ، وبِساطَ مشورَتِه وحواصلِه ، تحوَّل مِن هناك إلى حُلْوانَ ، ثم جاء المسلمون ليُحاصِروا حُلْوانَ ، فتحوَّل إلى الرَّىِّ ، وأخَذ المسلمون حُلْوانَ ، ثم أُخِذَتِ الرَّىُّ ، فتحوَّل منها إلى أَصْبَهَانَ ، فأُخِذَت أَصْبَهَانُ ، فسار إلى كَرْمَانَ ، فقصَد المسلمون كَرْمَانَ فافتَتَحوها ، فانتَقَل إلى خُرَاسانَ فنزَلها . هذا كلُّه ، والنارُ التى يعبُدُها مِن دونِ اللَّهِ يسيرُ بها معه مِن بلدٍ إلى بلدٍ ، ويُبْنَى لها فى كلِّ بلدٍ بيتٌ [٥/١٣٣ظ] توقَدُ فيه[1] على عادتِهم ، وهو يُحمَلُ فى الليلِ فى مسيرِه إلى هذه البُلْدانِ على بعيرٍ عليه هودجٌ ينامُ فيه ، فبينَما هو ذاتَ ليلةٍ فى هودجِه وهو نائمٌ فيه ، إذ مرُّوا به على مَخاضَةٍ[2] فأرادوا أن يُنَبِّهوه قبلَها ؛ لئلّا يَنزعِجَ إذا استيقظ فى المَخاضَةِ ، فلمَّا أيقَظُوه تغضَّب عليهم شديدًا وشتَمهم ، وقال : حرَمتُمونى أن أعلَمَ مدةَ بقاءِ هؤلاء فى هذه البلادِ وغيرِها ، إنّى رأَيتُ فى منامِى هذا أنّى ومحمدًا تناجينا[3] عندَ اللَّهِ ، فقال له : مُلْكُكم مائةُ سنةٍ . فقال : زِدْنى . فقال : عشرًا ومائةً . فقال : زِدْنى . فقال : عشرين ومائةَ سنةٍ . فقال : زِدْنى . فقال : لك . وأنْبَهْتُمونى ، فلو ترَكتُمونى لعلِمْتُ مدةَ هذه الأُمّةِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « فيهم » .

(٢) المخاضة من النهر الكبير : الموضع القليل الماء الذى يعبر فيه الناس النهر مشاة وركبانا . الوسيط (خ و ض) .

(٣) سقط من : م .

(١) غزوُ المسلمينَ بلادَ (١) خُرَاسانَ مع الأحْنَفِ بنِ قيسٍ (٢)

وذلك أن الأحْنَفَ بنَ قيسٍ هو الذى أشار على عمرَ بأن يتوسَّعَ المسلمون بالفتوحاتِ فى بلادِ العجمِ، ويُضَيِّقوا على كِسرَى يَزْدَجِرْدَ، فإنّه هو الذى يستَحِثُّ الفُرْسَ والجنودَ على قتالِ المسلمينِ، فأذِن عمرُ بنُ الخطابِ فى ذلك عن رأيِه، وأمَّر الأحْنَفَ، وأمَره بغزوِ بلادِ خُراسان. (٣) فركِب الأحنفُ فى جيشٍ كثيفٍ إلى خُرَاسانَ قاصدًا حربَ يَزْدَجِرْدَ، فدخَل خُرَاسانَ (٣) فافتَتَح هَرَاةَ (٤) عَنْوةً واستَخْلَف عليها صُحَارَ بنَ فلانٍ العَبْدِىَّ. ثم سار إلى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ (٥) وفيها يَزْدَجِرْدُ، وبعَث الأحْنَفُ بينَ يدَيْه مُطَرِّفَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ إلى نَيْسَابورَ، والحارثَ بنَ حَسَّانَ إلى سَرْخَسَ، ولمَّا اقترب الأحْنَفُ مِن مَرْوِ الشَّاهِجَانِ، ترحَّل منها يَزْدَجِرْدُ إلى مَرْوِ الرُّوذِ (٦)، (٧) فافتَتح الأحْنَفُ مَرْوَ الشَّاهِجَانِ فنزَلها، وكتَب يَزْدَجِرْدُ حينَ نزَل مَرْوَ الرُّوذِ (٧) إلى خاقانَ ملكِ التُّرْكِ يَسْتَمِدُّه، وكتَب إلى ملكِ الصُّغْدِ (٨) (٩) يستمدُّه، وكتَب إلى ملكِ الصينِ (٩) يَسْتعِينُه. وقصَده الأحنفُ بنُ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) انظر الطبرى ٤/ ١٦٦، والكامل ٣/ ٣٣.

(٣ - ٣) سقط من: ا ١٥.

(٤) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. معجم البلدان ٤ / ٩٥٨.

(٥) مرو الشاهجان: هى مرو العظمى أشهر مدن خراسان. معجم البلدان ٤/ ٥٠٧.

(٦) مرو الروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان. معجم البلدان ٤/ ٥٠٦.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) فى الأصل، ا ٨: «الصفر». وفى ا ١٥: «الصعد». وفى م: «الصفد». وفى ص: «الصقيد». والمثبت كما فى الطبرى، والصغد: كورة عجيبة قصبتها سمرقند. معجم البلدان ٣ / ٣٩٤.

(٩ - ٩) سقط من: الأصل.

قيسٍ إلى مَرْوِ الرُّوذِ ، وقد استَخْلَف على مَرْوِ الشَّاهِجَانِ حارِثةَ بنَ النُّعْمانِ ، وقد وَفَدَت إلى الأَحْنَفِ أمدادٌ مِن أهلِ الكوفةِ مع أربعةِ أمراءٍ . فلمَّا بلَغ مسيرُه إلى يَزْدَجِرْدَ ، (١ ترحَّل إلى بَلْخَ ، ٢) وجاء الأحنفُ ، فافتَتَح مروَ الرُّوذِ ، ثم سار وراءَ يَزْدَجِرْدَ إلى بَلْخَ ٢) فالتقَى معه ببَلْخَ يَزْدَجِرْدُ ١) ، فهزَمه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وهرَب هو ومَن بقِى معه مِن جيشِه ، فعبَر النهْرَ .

واسْتَوْسَق (٣) مُلْكُ خُراسانَ على يَدى الأَحْنَفِ بنِ قيسٍ ، واستَخلَف فى كلِّ بلدةٍ أميرًا ، ورجَع الأَحْنَفُ فنزَل مَرْوَ الرُّوذِ ، وكتَب إلى عمرَ بما فتَح اللَّهُ عليه مِن بلادِ خُرَاسانَ بكَمالِها ، فقال عمرُ (٤) : وَدِدْت أنه كان بينَنا وبينَ خُرَاسانَ بحرٌ مِن نارٍ . فقال له علىٌّ : ولِمَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : إنَّ أهلَها (٥ سيَنقُضون (٦) عهدَهم ٥) ثلاثَ مراتٍ ، فيُجْتاحون (٧) فى الثالثةِ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، (٨ لأَن يكونَ ذلك بأهلِها ، أحبُّ إلىَّ مِن ٨) أن يكونَ ذلك بالمسلمين .

وكتَب (٩) عمرُ إلى الأَحْنَفِ يَنْهَاه عن العبورِ إلى ما وراءَ النهْرِ ، وقال : احفَظْ ما بيدِك مِن بلادِ خُرَاسانَ . ولمَّا وصَل رسولا (١٠) يَزْدَجِرْدَ إلى اللَّذين استَنْجَد بهما لم يحتَفِلا بأمرِه ، فلمَّا عبرَ يَزْدَجِرْدُ النهْرَ ، ودخَل فى بلادِهما تعيَّن عليهما إنجادُه

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م : « استوثق » . واستوسق : أى اجتمع وانضم .

(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ١٦٨ .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى الطبرى والكامل : « سينفضون منها » .

(٦) فى الأصل ، ا ٨ : « ينقضون » .

(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ص : « فيحتاجون » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) الخبر فى الطبرى ٤/ ١٦٨ - ١٧٣ . من حديث الوادع بن زيد بن خلدة .

(١٠) فى م : « رسول » .

فى شرعِ الملوكِ ، فسار معه خَاقانُ الأعظمُ مَلِكُ التُّرْكِ ، ورجَع يَزْدَجِرْدُ بجنودٍ عظيمـةٍ فيهم ملكُ التتارِ خاقانُ ، فوصَل إلى بَلْخَ واستَرْجَعها ، وفرَّ عمالُ الأحْنَفِ (١) إليه إلى مَرْوِ الرُّوذِ ، وخرَج المشركون مِن بلخَ حتى نزَلوا على الأحْنَفِ (١) بمَرْوِ الرُّوذِ ، فبَرَزَ الأحْنَفُ بمَن معه مِن أهلِ البصرةِ ، وأهلِ الكوفةِ ، والجميعُ عشرون ألفًا ، فسمِع رجلًا يقولُ لآخَرَ : إن كان الأميرُ ذا رَأْيٍ ، فإنَّه يقِفُ دونَ هذا [٥/١٣٤و] الجبلِ ، فيجعَلُه وراءَ ظهرِه ، ويبقَى هذا النهْرُ خَنْدَقًا حولَه ؛ فلا يأتِيه العدوُّ إلَّا مِن جهةٍ واحدةٍ ، فلمَّا أصبَح الأحنفُ ، أمَر المسلمين فوقَفوا فى ذلك الموقِفِ بعينِه ، وكان أمارةُ النصرِ والرُّشدِ ، وجاءتِ الأتراكُ والفُرْسُ فى جمعٍ عظيمٍ هائلٍ مُزْعِجٍ ، فقام الأحْنَفُ فى الناسِ خطيبًا فقال : إنكم قليلٌ وعدوُّكم كثيرٌ ، فلا يَهُولَنَّكم ، فـ ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] . فكانتِ التُّرْكُ يقاتِلون بالنَّهارِ ، ولا يدرِى الأحْنَفُ أين يذهَبون فى الليلِ . فسار ليلةً مع طليعةٍ مِن أصحابِه نحوَ جيشِ خاقانَ ، فلمَّا كان قَرِيبَ الصبحِ ، خرَج فارسٌ مِن التُّرْكِ طليعةً ، وعليه طوقٌ ، وضرَب بطبلِه ، فتقدَّم إليه الأحنفُ فاختَلَفا طَعْنَتَين فطعَنه الأحْنَفُ فقتَله وهو يَرْتَجِزُ :

إنَّ علـى كُـلِّ رئـيـسٍ حـقّـا ... أن يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو يَنْدَقّا
إنَّ لنـا (٢) شَيْخًا بـهـا مُـلَـقًّى ... سيفَ أبى حَفْصٍ الذى تَبَقَّى

قال (٣) : ثم استَلَب التركِيَّ طَوْقَه ووقَف موضِعَه ، فخرَج آخرُ عليه طوقٌ ومعه

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى الأصل ، م : « لها » .
(٣) أى : الوازع ، روى الخبر .

طبلٌ، فجعَل يضرِبُ بطبلِه، فتقدَّم إليه الأحْنَفُ فقتَله أيضًا، واستَلَبه طَوْقَه ووقَف موضِعَه، فخرَج ثالثٌ فقتَله، وأخَذ طَوْقَه ثم أسرَع الأحْنَفُ الرجوعَ إلى جيشِه ولا يعلَمُ بذلك أحدٌ مِن التُّرْكِ بالكليةِ. وكان مِن عادتِهم أنهم لا يخرُجون مِن مَبيتِهم[1]، حتى يخرُجَ ثلاثةٌ مِن كهولِهم بينَ أيدِيهم؛ يضرِبُ الأولُ بطبلِه، ثم الثانى، ثم الثالثُ، ثم يخرُجون بعدَ الثالثِ، فلمَّا خرَجتِ التُّرْكُ ليلتَئذٍ بعدَ الثالثِ، فأتَوا على فرسانِهم مُقَتَّلِين، تشاءَم بذلك الملكُ خاقانُ وتَطَيَّر، وقال لعسكرِه: قد طال مُقامُنا، وقد أُصِيب هؤلاء القومُ بمكانٍ لم نُصَبْ بمثلِه، ما لنا فى قتالِ هؤلاءِ القومِ مِن خيرٍ، فانصرِفوا بنا. فرجَعوا إلى بلادِهم وانتظَرهم المسلمون يومَهم ذلك؛ ليخرُجوا إليهم مِن شِعْبِهم، فلم يَرَوا أحدًا منهم، ثم بلَغهم انصرافُهم إلى بلادِهم راجِعِين عنهم. [2]وقد كان يَزْدَجِرْدُ - وخاقانُ فى مقابلةِ الأحْنَفِ بنِ قيسٍ ومقاتِلَتِه - ذهَب[2] إلى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ [3]فحاصَر حارثةُ[3] ابنُ النُّعمانِ بها واستَخرَج منها خِزانتَه التى كان دفَنها بها، ثم رجَع وانتظَره خاقانُ ببلخَ حتى رجَع إليه.

وقد قال المسلمون للأحْنَفِ: ما ترَى فى اتِّباعِهم؟ فقال: أقيموا بمكانِكم ودعُوهم. وقد أصاب الأحنفُ فى ذلك، فقد جاء فى الحديثِ: «اترُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم»[4]. وقد ﴿ رَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]. ورجَع كِسْرَى خاسرًا الصفقةَ لم يُشْفَ له غليلٌ، ولا حصَل على خيرٍ، ولا انتَصَر كما كان فى

---

(١) فى م، ص: «صبيتهم».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) فى م: «فحاصرها وحارثة».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢). صحيح سنن أبى داود (٣٦١٥).

زعمِه ، بل تخلَّى عنه مَن كان يرجُو النصرَ منه ، وتنحَّى عنه وتبرَّأ منه أحوجَ ما كان إليه ، وبقِى مُذَبْذَبًا ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣] . وتحيَّر فى أمرِه ماذا يصنَعُ ؟ وإلى أين يذهَبُ ؟ وقد أشار عليه بعضُ أولى النُّهَى مِن قومِه حينَ قال : قد عزَمْتُ أن أذهَبَ إلى بلادِ الصينِ أو أكونَ مع خاقانَ فى بلادِه . فقالوا : إنا نرَى أن نصانِعَ هؤلاءِ القومَ ، فإنّ لهم ذِمةً ودِينًا يرجِعون إليه ، فنكونَ فى بعضِ هذه البلادِ وهم مُجاوِرِينا ، فهم خيرٌ لنا مِن غيرِهم . فأتَى عليهم كِسْرى ذلك ، ثم بعَث إلى ملكِ الصينِ يستَغِيثُ به ويستَنجِدُه ، [٥/١٣٤ظ] فجعَل ملكُ الصينِ يسأَلُ[(١)] عن صفةِ هؤلاءِ القومِ الذين قد فتَحوا البلادَ وقهَروا رِقابَ العبادِ ، فجعَل يُخبِرُه عن صفتِهم ، وكيف يركَبون الخيلَ والإبلَ ، وماذا يصنَعون ، وكيف يُصلُّون . فكتَب معه إلى يَزْدَجِرْدَ ، إنه لم يمنَعْنى أن أبعَثَ إليك بجيشٍ أوَّلُه بمَرْوَ وآخِرُه بالصينِ الجهالةُ بما [(٢)]يحِقُّ علىَّ[(٢)] ، ولكنَّ هؤلاءِ القومَ الذين وَصف لى رسولُك [(٣)]صِفَتَهم ؛ لو يحاوِلون الجبالَ لهدُّوها ، ولو جئتُ لِنَصْرِك ، أزالُونى ما دامُوا على ما وصَف لى رسولُك[(٣)] ، فسالِمْهم وارضَ منهم بالمسالَمَةِ . فأقام كِسْرَى وآلُ كِسْرَى فى بعضِ البلادِ مَقْهورِين ، ولم يَزَلْ ذلك دأبُه حتى قُتِل بعدَ سنتَين مِن إمارةِ عثمانَ ، كما سنورِدُه فى موضعِه .

ولمَّا بعَث الأحنفُ بكتابِ الفتحِ ، وما أفاء اللَّهُ عليهم مِن أموالِ التُّرْكِ ومَن كان معهم ، وأنهم قتَلوا منهم مع ذلك مَقْتَلَةً عظيمةً ، ثم ردَّهم اللَّهُ بغيظِهم لم

---

(١) بعده فى م : « الرسول » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « نحن عليه » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

ينالوا خيرًا . فقام عمرُ على المنبرِ وقُرِئَ الكتابُ بينَ يدَيه ، ثم قال عمرُ : إن اللَّهَ بعَث محمدًا بالهدَى ، ووعَد على اتِّباعِه مِن عاجلِ الثوابِ وآجلِه خيرَ الدنيا والآخرةِ ، فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] . فالحمدُ للَّهِ الذى أنجز وعدَه ، ونصَر جندَه ، ألَا وإن اللَّهَ قد أهلَك مُلْكَ المجوسيةِ وفرَّق شملَهم ، فليسوا يملِكون مِن بلادِهم شِبرًا يضرُّ[1] بمسلمٍ ، ألَا وإن اللَّهَ قد أورَثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأبناءَهم ؛ لينظُرَ كيف تعمَلون ، فقوموا فى أمرِه على وَجَلٍ ، يُوَفِّ لكم بعهدِه ، ويُؤْتِكم وعدَه ، ولا تغيِّروا فيستبدِلَ قومًا غيرَكم ، فإنى لا أخافُ على هذه الأُمّةِ أن تُؤتَى إلّا مِن قِبَلِكم .

وقال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذهبىُّ الحافظُ فى تاريخِ هذه السنةِ[2] - أعنى سنةَ ثِنتَين وعشرين - : وفيها فُتِحت أَذْرَبِيجَانُ على يَدى المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ . قاله ابنُ إسحاقَ . فيقالُ : إنه صالَحهم على ثمانِمائةِ ألفِ درهمٍ . وقال أبو عبيدةَ : فتَحها حبيبُ بنُ مسْلَمةَ[3] الفِهْرِىُّ بأهلِ الشامِ عَنْوةً ، ومعه أهلُ الكوفةِ ؛ فيهم حُذَيفَةُ فافتَتَحها بعدَ قتالٍ شديدٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها افتَتَح حُذَيفَةُ الدِّينَوَرَ عَنْوةً ، بعدَ ما كان سعدٌ افتَتَحها فانتقَضوا عهدَهم .

وفيها افتَتَح حُذَيفةُ مَاسَبَذَانَ[4] عَنْوةً - وكانوا نقَضوا أيضًا عهدَ سعدٍ -

---

(١) فى م : « يضير » .

(٢) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢٤١. وانظر تاريخ الطبرى ٤ / ١٤٦، وتاريخ خليفة ١/ ١٤٨، ١٤٩.

(٣) فى ا ٨، م : « سلمة » . والمثبت موافق لتاريخ خليفة ، وتاريخ الإسلام .

(٤) فى الأصل : « ماسندان » . وفى ا ١٥، ا ٨، م ، ص : « ماه سبدان » والمثبت كما فى مصدر =

وكان مع حُذَيفةَ أهلُ [1]البصرةِ، فلَحِقهم أهلُ الكوفةِ[1]، فاختَصَموا فى الغنيمةِ، فكتَب عمرُ: إن الغنيمةَ لمَن شهِد الوقعةَ. قال أبو عُبَيدةَ: ثم غزا حُذَيفةُ هَمَذَانَ فافتَتَحها عَنْوَةً، ولم تكنْ فُتِحت قبلَ ذلك، وإليها انتَهى فتوحُ حُذَيفةَ. قال: ويقالُ: افتَتَحها جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بأمرِ المُغِيرةِ. ويقالُ: افتَتَحها المغيرةُ سنةَ أربعٍ وعشرين. وفيها افتُتِحت جُرْجَانُ.

قال خليفةُ[2]: وفيها افتَتَح عمرُو بنُ العاصِ أَطْرَابُلُسَ المغربِ. ويقالُ: فى السنةِ التى بعدَها. [3]قلت: وفى هذا كلِّه غرابةٌ بالنسبةِ[4] إلى ما سلَف. واللَّهُ أعلمُ[3].

قال شيخُنا[5]: وفيها توفِّى **أُبَىُّ بنُ كعبٍ** فى قولِ الواقدىِّ، وابنِ نُمَيرٍ، والذُّهْلِىِّ، والترمذىِّ. وقد تقدَّم فى سنةِ تسعَ عشْرَةَ[6].

مِعْضَدُ بنُ يزيدَ الشَّيْبَانىُّ[7]، استُشْهِد بأَذْرَبِيجَانَ ولا صُحْبةَ له.

= التخريج. وانظر معجم البلدان ٤ / ٣٩٣.

(١ - ١) فى الأصل: «الشام».

(٢) تاريخ خليفة ١ / ١٥٠.

(٣ - ٣) سقط من: ا ١٥.

(٤) فى م: «لنسبته».

(٥) أى: الذهبى، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣ / ٢٤٢.

(٦) تقدم صفحة ٨٧.

(٧) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٤٢. تاريخ خليفة.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وعشرين وفيها وَفاةُ عمرَ بنِ الخطابِ

قال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ[1] : فيها كان فتحُ إصْطَخْرَ وهَمَذَانَ . وقال سيفٌ[1] : كان فتحُها بعدَ فتحِ تَوَّجَ الآخِرَةِ . ثم ذكَر[2] أنَّ الذى افتَتَح تَوَّجَ مُجَاشِعُ بنُ مسعودٍ ، بعدَ ما [٥/١٣٥و] قتَل مِن الفُرْسِ مَقْتَلَةً عظيمةً ، وغَنِم منهم غنائمَ جَمَّةً ، ثم ضرَب الجزيةَ على أهلِها ، وعقَد لهم الذِّمَّةَ ، ثم بعَث بالفَتْحِ وخُمُسِ الغنائمِ إلى عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه . ثم ذكَر[2] أنَّ عثمانَ بنَ أبى العاصِ افتَتَح جُورَ بعدَ قتالٍ شديدٍ كان عندَها ، ثم افتَتَح المسلمون إصْطَخْرَ ، وهذه المرَّةُ الثانيةُ ، وكان أهلُها قد نقَضوا العهدَ[3] بعدَ ما كان جندُ العلاءِ بنِ الحَضْرَمِىِّ افتَتَحوها حينَ جازَ فى البحرِ مِن أرضِ البَحْرَينِ ، والتَقَوْا هم والفرسُ فى مكانٍ يقالُ له : طاوسُ . كما تقدَّم بسطُ ذلك فى موضعِه[4] . ثم صالَحَه الهِرْبِذُ[5] على الجزيةِ ، وأن يضرِبَ لهم الذِّمَّةَ . ثم بعَث بالأخْماسِ والبشارةِ إلى عمرَ .

قال ابنُ جريرٍ[2] : وكانتِ الرُّسُلُ لها جوائزُ ، وتُقْضَى لهم حوائجُ ، كما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يعامِلُهم بذلك . ثم إنَّ شَهْرَكَ خلَع العهدَ ، ونقَض الذِّمَّةَ ، ونشَّط الفُرْسَ ، فنقَضوا ، فبعَث إليهم عثمانُ بنُ أبى العاصِ ابنَه وأخاه الحكَمَ ، فاقتَتَلوا

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٧٤.

(٢) المصدر السابق ٤ / ١٧٥.

(٣) سقط من : الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨.

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٥٤ .

(٥) فى النسخ : « الهربد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ١٧٥ ، وانظر الكامل لابن الأثير ٣ / ٤٠.

مع الفُرْسِ ، فهزَم اللَّهُ جيوشَ المشركين ، وقتَل الحكَمُ بنُ أبى العاصِ شَهْرَكَ ، وقُتِل ابنُه معه أيضًا .

وقال أبو مَعْشَرٍ[1] : كانت فارسُ الأُولى وإصْطَخْرُ الآخِرَةُ سنةَ ثمانٍ وعشرين فى إمارةِ عثمانَ ، وكانت فارسُ الآخِرَةُ ووَقْعةُ جُورَ فى سنةِ تسعٍ وعشرين .

فَتْحُ فَسَا ودَارَابْجِرْدَ وقِصَّةُ ساريةَ بنِ زُنَيْمٍ

ذكَر سيفٌ[2] عن مشايخِه أنَّ ساريةَ بنَ زُنَيْمٍ قصَد فَسَا ودَارَابْجِرْدَ ، فاجتَمع له جموعٌ مِن الفُرْسِ والأكرادِ عظيمةٌ ، ودهَم المسلمين منهم أمرٌ عظيمٌ وجمعٌ كثيرٌ ، فرأى عمرُ فى تلك الليلةِ فيما يرَى النائمُ معركتَهم وعددَهم فى وقتٍ مِن النهارِ ، وأنَّهم فى صحراءَ ، وهناك جبلٌ إنِ استنَدوا[3] إليه لم يُؤْتَوْا إلَّا مِن وجهٍ واحدٍ ، فنادَى مِن الغدِ : الصلاةَ جامعةً . حتى إذا كانتِ السَّاعةُ التى رأى أنَّهم اجتَمَعوا فيها ، خرَج إلى الناسِ وصَعِد المِنبرَ فخطَب الناسَ وأخبرَهم بصفةِ ما رأى ، ثم قال : يا ساريةُ ، الجبلَ الجبلَ ! ثم [4]أقبَل عليهم[4] ، وقال : إنَّ للَّهِ جنودًا ، ولعلَّ بعضَها أن يُبَلِّغَهم . قال : ففعَلوا ما قال عمرُ ، فنصَرهم اللَّهُ على عدوِّهم ، وفتَحوا البلدَ .

وذكَر سيفٌ[5] فى روايةٍ أخرَى عن شيوخِه ، أنَّ عمرَ بينَما هو يخطُبُ يومَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٧٦.
(٢) المصدر السابق ٤ / ١٧٨.
(٣) فى الأصل ، م ، ص : «أسندوا» .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥) المصدر السابق ٤ / ١٧٨، ١٧٩.

الجمعةِ إذ قال : يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ، الجبلَ الجبلَ ! فلجأ المسلمون إلى جبلٍ هناك ، فلم يقدِرِ العدوُّ عليهم إلَّا مِن جهةٍ واحدةٍ ، فأظفَرهم اللَّهُ بهم ، وفتَحوا البلدَ ، وغنِموا شيئًا كثيرًا ، فكان مِن جملةِ ذلك سَفَطٌ مِن جَوْهَرٍ ، فاستَوهَبه ساريةُ مِن المسلمين لعمرَ ، فلمَّا وصَل إليه مع الأخماسِ ، قدِم الرسولُ بالخُمُسِ فوجَد عمرَ قائمًا فى يدِه عصًا ، وهو يُطْعِمُ المسلمين سِماطَهم[1] ، فلمَّا رآه عمرُ قال له : اجلِسْ . ولم يعرِفْه . فجلَس الرجلُ فأكلَ مع الناسِ ، فلمَّا فرَغوا انطلَق عمرُ إلى منزلِه ، وأتْبَعه الرجلُ ، فاستأذَن فأُذِن له ، وإذا هو قد وُضِع له خبزٌ وزيتٌ ومِلْحٌ ، فقال : ادْنُ فكُلْ . قال : فجلَسْتُ ، فجعَل يقولُ لامرأتِه : ألَا تَخْرُجِين يا هذه فتأكُلِين ؟ فقالت : إنى أسمَعُ حِسَّ رجلٍ عندَك . فقال : أجلْ . فقالت : لو أردْتَ أن أبرُزَ للرجالِ اشتَرَيْتَ لى غيرَ هذه الكِسوةِ . فقال : أوَما تَرضِين [2]أن يُقالَ[2] : أمُّ كلثومٍ بنتُ علىٍّ وامرأةُ عمرَ ! فقالت : ما أقلَّ غَناءَ ذلك عنِّى[3] . ثم قال للرجلِ : ادْنُ فكُلْ ، فلو كانت راضيةً لكان أطيبَ مِمَّا ترَى . فأكَلا ، فلمَّا فرَغا ، قال : أنا رسولُ ساريةَ بنِ زُنَيْمٍ يا أميرَ المؤمنين . فقال : مرحبًا وأهلًا . ثم أدنَاه حتى مسَّت ركبتُه ركبتَه ، [٥/١٣٥ظ] ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن ساريةَ بنِ زنيمٍ ، فأخبَره ، ثم ذكَر له شأنَ السَّفَطِ مِن الجَوْهَرِ ، فأبَى أن يقبَلَه ، وأمَر بردِّه إلى الجندِ . وقد سأل أهلُ المدينةِ رسولَ ساريةَ عن الفتحِ فأخبَرهم ، فسألوه : هل سمِعوا صوتًا يومَ الوقعةِ ؟ قال : نعم ، سمِعنا قائلًا يقولُ : يا ساريةُ ، الجبلَ ! وقد كِدْنا نهلِكُ ، فلجَأْنا إليه ففتَح اللَّهُ علينا .

---

(١) السماط : ما يمد ليوضع الطعام فى المآدب ونحوها . والمراد هنا : الطعام . وانظر : الكامل ٣/ ٤٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ا ١٥، ص، وفى ا ٨: «أن تكونى».

(٣) زيادة من : م.

ثم رَوَاه سيفٌ[1] ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشعبىِّ بنحوِ هذا .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[2] ، عن يحيَى بنِ أيوبَ ، عن ابنِ عَجْلانَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ عمرَ وجَّه جيشًا ، ورأَّس عليهم رجلًا يقالُ له : ساريةُ . قال : فبينَما عمرُ يخطُبُ فجعَل ينادِى : يا سارِىَ ، الجبلَ[3] ! ثلاثًا . ثم قدِم رسولُ الجيشِ فسأله عمرُ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هُزِمْنا فبينَما نحن كذلك ، إذ سمِعنا منادِيًا : يا ساريةُ ، الجبلَ ! ثلاثًا . فأسنَدْنا ظهورَنا بالجبلِ فهزَمهم اللَّهُ . قال : فقيلَ لعمرَ : إنك كنتَ تصيحُ بذلك . وهذا إسنادٌ جيدٌ حسنٌ .

وقال الواقدىُّ[4] : حدَّثنى نافعُ بنُ أبى نُعَيْمٍ ، عن نافعٍ مولَى ابنِ عمرَ ، أنَّ عمرَ قال على المنبرِ : يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ، الجبلَ ! فلم يدْرِ الناسُ ما يقولُ ، حتى قدِم ساريةُ بنُ زُنَيْمٍ المدينةَ على عمرَ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين كنّا محاصِرى العدوِّ ، فكنَّا نقيمُ الأيامَ لا يخرُجُ علينا منهم أحدٌ ، نحن فى خفضٍ مِن الأرضِ وهم فى حصنٍ عالٍ ، فسمِعْتُ صائحًا ينادى بكذا وكذا : يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ، الجبلَ ! فعَلَوْتُ بأصحابى الجبلَ ، فما كان إلَّا ساعةٌ حتى فتَح اللَّهُ علينا .

وقد رَواه الحافظُ أبو القاسمِ اللَّالكَائىُّ ، مِن طريقِ مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ بنحوِه ، وفى صحَّتِه مِن حديثِ مالكٍ نظرٌ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٧٩.

(٢) أخرجه أبو نعيم ، فى : دلائل النبوة ٥٢٦ من طريق عبد اللّه بن وهب به بنحوه . ومن طريق أبى نعيم أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠ / ٢٤، ٢٥. وحسن ابن حجر إسناده أيضا . الإصابة ٣/ ٦.

(٣) بعده فى ا ٨، م، ص : « يا سارى الجبل » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠ /٢٥ من طريق الواقدى به .

وقال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى أسامةُ بنُ زيدِ بنِ[2] أسلمَ ، عن أبيه ، [3]وأبو سليمانَ[3] ، عن يعقوبَ بنِ زيدٍ ، قالا : خرَج عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يومَ الجمعةِ إلى الصلاةِ فصعِد المِنبرَ ثم صاحَ : يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ، الجبلَ ! يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ، الجبلَ ! ظلَم مَن استَرْعَى الذئبَ الغنمَ . ثم خطَب حتى فرَغ ، فجاء كتابُ ساريةَ إلى عمرَ : إنّ اللَّهَ قد فتَح علينا يومَ الجمعةِ ساعةَ كذا وكذا - لتلك الساعةِ التى خرَج فيها عمرُ فتكلَّم على المِنبرِ - قال ساريةُ : فسمِعْتُ صوتًا : ياساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ،الجبلَ ! يا ساريةُ بنَ زُنَيْمٍ ، الجبلَ ! ظلَم مَن استَرعَى الذئبَ الغنمَ . فعلَوْتُ بأصحابى الجبلَ ، ونحن قبلَ ذلك فى بطنِ وادٍ ، ونحن محاصِرو العدوِّ ، ففتَح اللَّهُ علينا . فقيل لعمرَ بنِ الخطابِ : ما ذلك الكلامُ ؟ فقال : واللَّهِ ما ألقيْتُ له [4]بالًا ؛ شىءٌ[4] أُلْقِى على لسانى . فهذه طرقٌ يشدُّ بعضُها بعضًا[5] .

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ[6] ، مِن طريقِ سيفٍ ، عن شيوخِه فَتْحَ كَرْمَانَ على يدَى سهيلِ بنِ عدىٍّ ، وأمدَّه عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عِتْبَانَ . وقيل : على يدَى عبدِ اللَّهِ ابنِ بُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ الخُزَاعِىِّ .

وذكَر[7] فَتْحَ سِجِسْتَانَ على يدَى عاصمِ بنِ عمرٍو ، بعدَ قتالٍ شديدٍ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/٢٥ وابن الجوزى فى المنتظم ٤/ ٣٢٦. كلاهما من طريق الواقدى به .

(٢) فى الأصل ، ا ٨، م : « عن » .

(٣ - ٣) فى تاريخ دمشق : « وأبو سنيم » ، وفى المنتظم : « وأبى سليمان » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « إلا بشىء » ، وفى ا ٨: « بالا وإنما هو شىء » .

(٥) وانظر السلسلة الصحيحة ٣ /١٠١ - ١٠٤.

(٦) تاريخ الطبرى ٤ / ١٨٠.

(٧) المصدر السابق ٤ / ١٨٠، ١٨١.

وكانت ثُغُورُها متسعةً ، وبلادُها مُتباينةً[1] ، ما بينَ السِّنْدِ إلى نهرِ بَلْخَ ، وكانوا يقاتِلون القُنْدُهَارَ والتُّركَ مِن ثُغُورِها وفُرُوجِها .

وذكَر[2] فَتْحَ مُكْرَانَ[3] على يدَى الحكمِ بنِ عمرٍو ، وأمدَّه شِهَابُ[4] بنُ المُخَارِقِ بنِ شِهابٍ[5] ، وسهيلُ بنُ عدىٍّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، فاقتَتَلوا مع ملكِ السِّنْدِ ، فهزَم اللَّهُ جموعَ السِّنْدِ ، وغنِم المسلمون منهم غنيمةً عظيمةً[6] ، وكتَب الحكَمُ بنُ عَمرٍو بالفتحِ ، وبعَث [٥/١٣٦و] بالأخماسِ مع صُحَارِ العَبْدِىِّ ، فلمَّا قدِم على عمرَ سأله عن أرضِ مُكْرَانَ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أرضٌ سهلُها جبلٌ ، وماؤها وَشَلٌ[7] ، وثمرُها[8] دَقَلٌ ، وعدوُّها بَطَلٌ ، وخيرُها قليلٌ ، وشرُّها طويلٌ ، والكثيرُ بها قليلٌ ، والقليلُ بها ضائعٌ ، وما وراءَها شرٌّ منها . فقال عمرُ : أسجَّاعٌ أنت أم مُخْبِرٌ ؟ فقال : لا ، بل مُخْبِرٌ . فكتَب عمرُ إلى الحكَمِ بنِ عمرٍو أن لا يغزُوَ بعدَ ذلك مُكْرَانَ ، ولْيقتَصِروا على ما دونَ النهرِ .

وقد قال الحكَمُ بنُ عمرٍو[9] فى ذلك :

لقد شبِع الأرَامِلُ غيرَ فَخْرٍ ... بفَىءٍ جاءَهُمْ مِنْ مُكَّرانِ

---

(١) فى م ، ص : « متنائية » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١٨١، ١٨٢.

(٣) مكران : قال ياقوت : بالضم ثم السكون وراء وآخره نون أعجمية وأكثر ما تجىء فى شعر العرب مشددة الكاف . معجم البلدان ٤/ ٦١٢.

(٤) فى الأصل ، ا ٨، م : « بشهاب » .

(٥) بعده فى ا ١٥: « ابن سهيل » .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥، م : « كثيرة » .

(٧) فى ص : « سهل » . والوشَل : الماء القليل . النهاية ٥ / ١٨٩.

(٨) فى تاريخ الطبرى ٤/ ١٨٢: « تمرها » . وفى نسخة منه كالمثبت .

(٩) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤ / ١٨٢، ١٨٣، ومعجم البلدان ٤/ ٦١٢، ٦١٣، وليس فيه البيت الأخير .

أتاهمْ بعدَ مَسْغَبَةٍ وجَهْدٍ ... وقد صَفِرَ الشِّتاءُ مِنَ الدُّخَانِ
فإنِّى لا يَذُمُّ الجَيشُ فِعْلِى ... ولا سَيْفى يُذَمُّ ولا سِنانِى[1]
غَدَاةَ أُدَفِّعُ[2] الأوْباشَ[3] دَفْعًا[4] ... إلى السِّندِ العَريضةِ والمَدانى
ومِهْرانٌ لنا فيما أرَدْنا ... مُطِيعٌ غيرُ مُسْتَرْخى العِنانِ[5]
فلَوْلا ما نهَى عنه أميرى ... قَطَعناهُ إلى البُدُدِ[6] الزَّوانى

غزوةُ الأكرادِ

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ[7] بسندِه عن سيفٍ، عن شيوخِه، أنَّ جماعةً مِن الأكرادِ والتفَّ إليهم طائفةٌ مِن الفرسِ اجتَمعوا[8]، فلَقِيهم أبو موسى بمكانٍ مِن أرضِ يَيْرُوذَ قريبٍ مِن نهرِ تِيرَى، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصْبَهَانَ، وقد استَخْلَف على حربِهم الرَّبِيعَ بنَ زِيادٍ بعدَ مَقْتَلِ أخيه المُهاجِرِ بنِ زيادٍ، فتسلَّم الحربَ وهو[9] حَنِقٌ عليهم، فهزَم اللَّهُ العدوَّ. وللَّهِ الحمدُ والمنةُ، كما هى عادتُه المستمِرَّةُ، وسُنَّتُه المستقِرَّةُ، فى عبادِه المؤمنين، وحزبِه المفلحين، مِن أتباعِ سيِّدِ المرسلين. ثم خُمِّسَتِ الغنيمةُ وبُعِث بالفتحِ والأخماسِ إلى عمرَ، رضِى اللَّهُ عنه.

---

(١) فى ا ١٥، م، ص: «لسانى».
(٢) فى ا ١٥، ومعجم البلدان «أرفع»، وفى: م «أدافع».
(٣) الأوباش، والأوشاب: السفلة من القوم والأخلاط.
(٤) فى ا ١٥، ومعجم البلدان: «رفعا».
(٥) فى معجم البلدان: «الهوانى».
(٦) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص: «البدو».
(٧) تاريخ الطبرى ٤/ ١٨٣.
(٨) زيادة من: م.
(٩) سقط من: م، ص.

وقد سار ضَبَّةُ بنُ مِحْصَنٍ العَنَزِيُّ[1] ، فاشتَكى أبا موسى إلى عمرَ ، وذكَر عنه أُمورًا لا يُنقَمُ عليه بسببِها ، فاستَدْعاه عمرُ ، فسأله عنها فاعتَذَر منها بوُجُوهٍ مقبولةٍ فسمِعها عمرُ وقَبِلها ، ورَدَّه إلى عملِه وعذَر ضَبَّةَ فيما تأوَّله . ومات عمرُ وأبو موسى على صلاةِ البصرةِ .

خبرُ سَلَمةَ بنِ قَيْسٍ الأشْجَعِيّ والأكرادِ

بعَثه عمرُ أميرًا[2] على سريةٍ ، ووَصَّاه بوَصايا كثيرةٍ بمضمونِ حديثِ بُرَيْدَةَ في « صحيحِ مسلمٍ »[3] : « اغزُوا بسمِ اللَّهِ ، قاتِلوا مَن كفَر باللَّهِ » . الحديثُ إلى آخرِه . فساروا فلَقَوْا جمعًا مِن المشركين فدعَوْهم إلى إحدَى ثلاثِ خلالٍ ، فأبَوْا أن يقبَلوا واحدةً منها ، فقاتَلوهم فقتَلوا مُقَاتِلتَهم ، وسَبَوْا ذَرارِيَّهم ، وغنِموا أموالَهم . ثم بعَث سَلَمةُ[4] بنُ قَيْسٍ رسولًا إلى عمرَ بالفتحِ وبالغنائمِ ، فذكَروا ورودَه على عمرَ وهو يُطْعِمُ الناسَ ، وذَهابَه معه إلى منزلِه ؛ كنحوِ ما تقدَّم[5] مِن قصةِ أمِّ كلثومٍ بنتِ عليٍّ ، وطلبِها الكِسْوةَ كما يكسو طَلْحَةُ وغيرُه أزواجَهم ، فقال : ألا يكفِيك أن يُقالَ : بنتُ عليٍّ وامرأةُ أميرِ المؤمنين ! ثم ذكَر طعامَه الخَشِنَ ، وشرابَه مِن سُلْتٍ[6] ، ثم شرَع [٥/١٣٦ظ] يستعلِمُه عن أخبارِ المهاجرين ،

---

(١) في ص : « العبدى » . وانظر الإصابة ٣/ ٤٩٩.

(٢) زيادة من : ا ١٥، ص .

(٣) مسلم (٣ / ١٧٣١) .

(٤) في ص : « مسلمة » . وانظر الإصابة ٣/ ١٥٢.

(٥) في صفحة ١٧٤.

(٦) السلت :ضرب من الشعير ليس له قشر ، وفي حاشية ا ١٥: « نوع من الحبوب » . والمراد هنا : ما ينبذ منه .

وكيف طعامُهم وأسعارُهم[1] ؟ وهل يأكُلون اللحمَ الذى هو شجرتُهم - ولا بقاءَ للعربِ دونَ شجرتِهم ؟ وذكَر عرضَه عليه ذلك السَّفَطَ مِن الجوهَرِ ، فأبَى أن يأخُذَه وأقسَم على ذلك ، وأمَره بأن يردَّه ، فيُقْسَمَ بينَ الغانِمين . وقد أورَده ابنُ جريرٍ مطوَّلًا جدًّا[2] .

وقال ابنُ جريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ حجَّ عمرُ بأزواجِ النبىِّ ﷺ ، وهى آخِرُ حجَّةٍ حجَّها ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال[3] : وفى هذه السنةِ كانت وفاتُه . ثم ذكَر صفةَ مقتَلِه مطوَّلًا أيضًا[4] ، وقد ذكَرْتُ ذلك مستقصًى فى آخِرِ « سيرةِ عمرَ » ، فليُكْتَبْ مِن هناك إلى هنا .

وهو عمرُ بنُ الخطابِ[5] بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ رِياحِ[6] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُرْطِ بنِ رَزَاحِ[7] بنِ عَدِىِّ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ ابنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ ، القُرَشِىُّ ، أبو حفصٍ العَدَوِىُّ ، الملقَّبُ بالفاروقِ ، قيل : لقَّبه بذلك أهلُ الكِتابِ . [8]رُوِىَ ذلك عن الزهرىِّ[8][9] . وأمُّه حَنْتَمَةُ بنتُ هشامٍ أختُ أبى جهلٍ

---

(١) فى ا ٨، م : « أشعارهم » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤/ ١٨٨.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ /١٨٦ - ١٨٩.

(٣) المصدر السابق ٤ / ١٩٠. بإسناده عن الواقدى .

(٤) المصدر السابق ٤ /١٩٠ - ١٩٤.

(٥) الاستيعاب ٣/ ١١٤٤، وأسد الغابة ٤/ ١٤٥، والإصابة ٤/ ٥٨٨.

(٦) فى ا ١٥، ا ٨، ص : « رباح » .

(٧) فى الأصل : « رداح » ، وفى ص : « دزاح » .

(٨ - ٨) هكذا السياق فى ا ١٥، ص ، وجاء فى الأصل ، م فى آخر الزيادة الآتية ، ولم ترد فى ا ٨. والأثر أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ١٩٥.

(٩) من هنا زيادة من : الأصل ، ا ٨، م ، وتنتهى عند قوله : فأعود خائنا . الآتى فى صفحة ١٨٩. وهذه الزيادة منقولة من سيرة عمر .

ابنِ هشامٍ . أسلَم عمرُ وعُمْرُه سبعٌ وعشرون سنةً ، وشهِد بَدْرًا وأُحُدًا والمشاهدَ كلَّها مع النبيِّ ﷺ ، وخرَج فى عدَّةِ سَرايا ، وكان أميرًا على بعضِها .

وهو أوَّلُ مَن دُعِى أميرَ المؤمنين ، وأوَّلُ مَن كتَب التاريخَ ، وجمَع الناسَ على التراويحِ ، وأوَّلُ مَن عَسَّ بالمدينةِ ، وحمَل الدِّرَّةَ وأدَّب بها ، وجلَد فى الخمرِ ثمانين ، وفتَح الفتوحَ ، ومصَّر الأمصارَ ، وجنَّد الأجنادَ ، ووضَع الخراجَ ، ودوَّن الدواوينَ ، وعرَض الأَعْطِيةَ ، واستَقْضَى القُضاةَ ، وكوَّر الكُورَ ؛ مثلَ السَّوادِ ، والأهْوازِ ، والجبالِ ، وفارسَ وغيرِها ، وفتَح الشامَ كلَّه ، والجزيرةَ ، والمَوْصِلَ ، ومَيَّافَارِقِينَ ، وآمِدَ ، وإرْمِينِيَةَ ، ومصرَ وإسكندرِيَّةَ ، ومات وعساكرُه على بلادِ الرِّيِّ . فتَح مِن الشامِ اليَرْمُوكَ ، وبُصْرَى ، ودِمَشْقَ ، والأُرْدُنَّ ، وبَيْسَانَ ، وطَبَرِيَّةَ ، والجَابِيَةَ ، وفِلَسْطِينَ ، والرَّمْلَةَ ، وعَسْقَلانَ ، وغَزَّةَ والسَّواحِلَ ، والقُدْسَ . وفتَح مِصْرَ ، وإسكندرِيَّةَ ، وطَرَابُلُسَ الغَرْبِ ، وبَرْقَةَ . ومِن مُدُنِ الشامِ بَعْلَبَكَّ ، وحِمْصَ ، وقِنَّسْرِينَ ، وحَلَبَ ، وأَنْطَاكِيَةَ . وفتَح الجزيرةَ ، وحَرَّانَ ، والرُّهَا ، والرَّقَّةَ ، ونَصِيبِينَ ، ورأسَ عَينٍ ، وشِمْشَاطَ ، وعَينَ وَرْدَةَ ، وديارَ بكرٍ ، وديارَ ربيعةَ ، وبلادَ المَوْصِلِ ، وإرْمِينِيَةَ جميعَها . وبالعراقِ القادِسِيَّةَ ، والحِيرَةَ وبَهُرَسِيرَ[1] ، وسَابَاطَ ، ومدائنَ كِسْرَى . وكُورَةَ الفُرَاتِ ، ودِجْلَةَ ، والأُبُلَّةَ ، والبَصْرَةَ ، والأهْوَازَ ، وفارسَ ، ونَهاوَنْدَ ، وهَمَذَانَ ، والرَّيَّ ، وقُومِسَ ، وخُرَاسَانَ ، وإصْطَخْرَ ، وأصْبَهانَ ، والسُّوسَ ، ومَرْوَ ، ونَيْسَابُورَ ، وجُرْجَانَ ، وأذْرَبِيجَانَ ، وغيرَ ذلك ، وقطَعت جيوشُه النهرَ مِرارًا .

---

(١) فى الأصل ، م : « نهر سير » . وفى ا ٨ : « نهرشير » .

وكان متواضِعًا فى اللَّهِ ، خَشِنَ العَيْشِ ، خَشِنَ المَطْعَمِ ، شديدًا فى ذاتِ اللَّهِ ، يُرقِّعُ الثَّوبَ بالأَدِيمِ ، ويحمِلُ القِرْبَةَ على كَتِفَيْه ، مع عِظَمِ هَيْبَتِه ، ويركَبُ الحِمارَ عُرْيًا ، والبعيرَ مَخْطُومًا باللِّيفِ ، وكان قليلَ الضَّحِكِ لا يمازِحُ أحدًا ، وكان نَقْشُ خاتَمِه : كفَى بالموتِ واعِظًا يا عمرُ .

وقال النبىُّ ﷺ : « أشدُّ أُمَّتى فى دينِ اللَّهِ عمرُ »[1] . وعن ابنِ عباسٍ أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « إنَّ لى وَزِيرَيْن مِن أهلِ السماءِ ، ووَزِيرَيْن مِن أهلِ الأرضِ ، فَوَزِيرَاى مِن أهلِ السماءِ جبريلُ وميكائيلُ ، وَوَزِيرَاى مِن أهلِ الأرضِ [٥/ ١٣٧و] أبو بكرٍ وعمرُ ، وإنَّهما السَّمعُ والبصرُ »[2] . وعن عائشةَ أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « إنَّ الشيطانَ يَفْرَقُ مِن عمرَ »[3] . وقال : « أرحَمُ أُمَّتى أبو بكرٍ ، وأشدُّها فى دينِ اللَّهِ عمرُ »[4] .

وقيل لعمرَ : إنَّك فظٌّ[5] . فقال : الحمدُ للَّهِ الذى مَلأَ قلبى لهم رُحْمًا[6] ، وملأَ قلوبَهم لى رُعْبًا . وقال عمرُ : لا يحِلُّ لى مِن مالِ اللَّهِ إلّا حُلَّتان ؛ حُلَّةٌ للشتاءِ ، وحُلَّةٌ للصيفِ ، وقوتُ أهلى كرجلٍ مِن قريشٍ ليس بأغْناهم ، ثم أنا

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ٢٩١. بلفظ : « أمر » . بدلا من « دين » .

(٢) عزاه فى الكنز (٣٢٦٦١) للحكيم الترمذى ، وأخرجه الحاكم عن أبى سعيد الخدرى ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى . المستدرك ٢ / ٢٦٤.
وليس عندها : « وإنهما السمع والبصر » . ولكن جاءت فى حديث آخر عن عبد الله بن حنطب أن النبى ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال : « هذان السمع والبصر » . أخرجه الترمذى (٣٦٧١) . السلسلة الصحيحة (٨١٤) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٧١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، فى المسند : ٣ / ١٨٤. وانظر ما تقدم فى ٨/ ٣٣٧، ٣٣٨.

(٥) فى الأصل : « قضاة » ، وفى م : « قضاء » . وانظر تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٢٢٩ .

(٦) الرُّحْم : أصل الرحمة . النهاية ٢ / ٢١٠.

رجلٌ مِن المسلمين. وكان عمرُ إذا استعمَل عاملًا كتَب له[1] عهدًا، وأشهَدَ عليه رهطًا مِن المهاجِرين[1]، واشترط عليه أن لا يركَبَ بِرْذَوْنًا، ولا يأكُلَ نقِيًّا، ولا يلبَسَ رَقِيقًا، ولا يُغْلِقَ بابَه دونَ ذوى الحاجاتِ، فإن فعَل شيئًا مِن ذلك حلَّت عليه العقوبةُ.

وقيل: إنَّه كان إذا حدَّثه الرجلُ بالحديثِ فيكذِبُ فيه الكلمةَ والكلمتَيْن، فيقولُ عمرُ: احبِسْ هذه، احبِسْ هذه. فيقولُ الرجلُ: واللَّهِ كلُّ ما حدَّثْتُك به حقٌّ غيرَ ما أمرْتَنى أن أحْبِسَه.

وقال معاويةُ بنُ أبى سفيانَ[2]: أمَّا أبو بكرٍ فلم يُرِدِ الدُّنيا ولم تُرِدْه، وأمَّا عمرُ فأرادَتْه فلم يُرِدْها، وأمَّا نحن فتَمَرَّغْنا فيها ظَهْرًا لبطنٍ.

وعُوتِب عمرُ فقيل له: لو أكَلْتَ طعامًا طيِّبًا، كان أقوَى لك على الحقِّ؟ فقال: إنِّى ترَكْتُ صاحبيَّ على جادَّةٍ، فإنْ [3]تَرَكْتُ جادَّتَهما لم[3] أُدْرِكْهما فى المنزلِ. وكان يلبَسُ وهو خليفةٌ جُبَّةَ صوفٍ مرقوعةً بعضُها بأَدَمٍ، ويطوفُ بالأسواقِ على عاتقِه الدِّرَّةُ يؤدِّبُ بها الناسَ، وإذا مرَّ بالنَّوَى وغيرِه يلتَقِطُه، ويَرْمِى به فى مَنازِلِ الناسِ ينتَفِعون به.

وقال أنسٌ[4]: كان بينَ كَتِفَى عمرَ أربعُ رِقاعٍ، وإزارُه مرقوعٌ بأَدَمٍ. وخطَب على المنبرِ وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشْرة رُقْعَةً، وأنفَقَ فى حَجَّتِه ستَّةَ عشَرَ دِينارًا، وقال

(١ - ١) زيادة من م، ص. وانظر تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٥.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «أدركت جادتهما فلم». وانظر مصنف عبد الرزاق (٢٠٣٨١).

(٤) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٥٨٨). وآخره من حديث ابن عساكر أخرجه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/ ٢٩٧.

لابنِه : قد أسرَفْنا . وكان لا يستَظِلُّ بشيءٍ غيرَ أنه كان يُلْقِى كِساءَه على الشَّجَرِ ويستَظِلُّ تحتَه ، وليس له خيمةٌ ولا فُسْطاطٌ .

ولمَّا قدِم الشامَ لفتحِ بيتِ المقدسِ ، كان على جملٍ أوْرَقَ تلُوحُ صَلْعَتُه للشمسِ ، ليس عليه قَلَنْسُوَةٌ ولا عِمامَةٌ ، قد طبَّق رِجْلَيه بينَ شُعْبَتَى[1] الرَّحْلِ بلا رِكابٍ ، ووِطَاؤُه كساءٌ[2] مِن صوفٍ ، وهو فِراشُه إذا نزَل ، وحقيبتُه مَحْشُوَّةٌ ليفًا ، وهى وِسادتُه إذا نام ، وعليه قَمِيصٌ مِن كرابيسَ[3] قد دَسِمَ[4] وتَخَرَّق جيبُه ، فلمَّا نزَل قال : ادعُوا لى رأسَ القريةِ . فدَعَوْه فقال : اغسِلوا قميصى وخيِّطوه وأعيرونى قميصًا . فأُتِى بقميصٍ كَتَّانٍ ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : كَتَّانٌ . فقال : فما الكَتَّانُ ؟ فأخبَروه ، فنزَع قميصَه فغسَلوه وخاطُوه ثم لبِسه ، فقيل له : أنت مَلِكُ العربِ ، وهذه بلادٌ لا يصلُحُ فيها رُكُوبُ الإبلِ . فأُتِى ببِرْذَوْنٍ فطرَح عليه قطيفةً بلا سَرْجٍ ولا رَحْلٍ ، فلمَّا سار جعَل البِرْذَوْنُ يُهَمْلِجُ به ، فقال لمَن معه : احبِسوا ، ما كنتُ أظنُّ الناسَ يركَبون الشياطينَ ، هاتوا جملى . ثم نزَل وركِب الجملَ[5] .

وعن أنسٍ قال[6] : كنتُ مع عمرَ فدخَل حائطًا لحاجتِه ، فسمِعْتُه يقولُ - وبينى وبينَه جِدارُ الحائطِ - : عمرُ بنُ الخطابِ أميرُ المؤْمنين ! بَخٍ بَخٍ ، واللَّهِ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ بُنَىَّ الخطابِ أو لَيُعَذِّبَنَّك . وقيل : إنَّه حمَل قِرْبةً على عاتقِه ، فقيل له

---

(١) فى الأصل ، م : « شعبى » .
(٢) فى الأصل : « كبشا » ، وفى م : « كبش » .
(٣) واحدها الكِرْباس : ثوب غليظ من القطن .
(٤) فى م : « رسم » . ودسم الشىء : علاه الوسخ والقذر .
(٥) انظر : تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٢٦٠، ٢٦١.
(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٢٩٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٢٦٤.

فى ذلك فقال : إنَّ نَفْسى أعجَبَتْنى فأرَدْتُ أن أَذِلَّها .

وكان يصلِّى بالناسِ العشاءَ ، ثم يدخُـلُ بيتَه فلا يزالُ يصلِّى إلى الفجرِ . [٥/١٣٧ظ] وما مات حتى سرَد الصومَ ، وكان فى عامِ الرَّمادَةِ لا يأكُلُ إلَّا الخبزَ والزَّيتَ ، حتى اسوَدَّ جِلْدُه ، ويقولُ : بئْس الوالى أنا إنْ شَبِعْتُ والناسُ جياعٌ . وكان فى وجهِه خطَّان أسودان مِن البكاءِ ، وكان يسمَعُ الآيةَ مِن القرآنِ فيُغْشَى عليه ، فيُحْمَلُ صَرِيعًا إلى منزلِه ، فيُعادُ أيامًا ليس به مرضٌ إلَّا الخوفُ .

وقال طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ[1] اللَّهِ : خرَج عمرُ ليلةً فى سَوَادِ الليلِ ، فدخَل بيتًا ، فلمَّا أصبَحْتُ ذهَبْتُ إلى ذلك البيتِ ، فإذا عجوزٌ عَمْيَاءُ مُقْعَدَةٌ فقلْتُ لها : ما بالُ هذا الرجلِ يأتيكى ؟ فقالت : إنه يتعاهَدُنى مدَّة كذا وكذا ؛ يأتينى بما يُصْلِحُنى ويُخْرِجُ عنِّى الأذَى . فقلْتُ لنفسى : ثَكِلَتْك أمُّك يا طَلْحَةُ ، أعَثَرَاتِ عمرَ تتَّبِعُ !

وقال أسلمُ مَوْلى عمرَ[2] : قَدِم المدينةَ رُفْقَةٌ مِن تُجَّارٍ ، فنزَلوا المُصَلَّى ، فقال عمرُ لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : هل لك أن نَحْرُسَهم الليلةَ ؟ قال : نعم . فباتا يحرُسَانهم ويصلِّيان ، فسمِع عمرُ بكاءَ صبىٍّ فتوجَّه نحوَه ، فقال لأمِّه : اتَّقِ اللَّهَ تعالى وأحْسِنى إلى صبيِّكِ . ثم عاد إلى مكانِه ، فسمِع بكاءَه ، فعاد إلى أمِّه ، فقال لها مثلَ ذلك ، ثم عاد إلى مكانِه ، فلمَّا كان آخرُ الليلِ سمِع بكاءَ الصبىِّ فأتَى إلى أمِّه فقال لها : ويحكِ ! إنكِ أمُّ سَوْءٍ ، مالى أرَى ابنَكِ لا يَقِرُّ منذُ الليلةِ مِن البُكاءِ ؟ فقالت : يا عبدَ اللَّهِ إنى أُشْغِلُه عن الطَّعامِ فيأبَى ذلك . قال : ولِمَ ؟

---

(١) فى الأصل ، م : « عبد » . وذكره ابن الجوزى فى سيرة عمر ص ٥٨ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ٣٠١ ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ . كلاهما بنحوه ، وهو عندهما عن ابن عمر وليس أسلم .

قالت : لأنَّ عمرَ لا يَفْرِضُ إلَّا للمفطومِ . قال : وكم عمرُ ابنِك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهرًا . فقال : ويحكِ ! لا تُعْجِليه عن الفطامِ . فلمَّا صلَّى الصبحَ وهو لا يَسْتَبِينُ للناسِ قراءَتُه مِن البكاءِ . قال : بؤسًا لعمرَ ، كم قتَل مِن أولادِ المسلمين . ثم أمَر مُناديَه ، فنادَى : لا تُعْجِلوا صِبْيانَكم عن الفطامِ ، فإنَّا نفرِضُ لكلِّ مولودٍ فى الإسلامِ . وكتَب بذلك إلى الآفاقِ .

وقال أسْلَمُ[1] : خرَجْتُ ليلةً مع عمرَ إلى ظاهرِ المدينةِ ، فَلَاحَ لنا بيتُ شَعْرٍ فقَصَدْناه ، فإذا فيه امرأةٌ تَمْخَضُ وتَبْكِى ، فسألَها عمرُ عن حالِها ، فقالت : أنا امرأةٌ غَريبةٌ[2] وليس عندِى شىءٌ . فبكَى عمرُ وعاد يُهَرْوِلُ إلى بيتِه ، فقال لامرأتِه أمِّ كلثومٍ بنتِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ : هل لك فى أجرٍ ساقَه اللَّهُ إليكِ ؟ وأخبَرها الخبرَ ، فقالت : نعم . فحمَل على ظهرِه دَقِيقًا وشَحْمًا ، وحمَلَت أمُّ كلثومٍ ما يَصْلُحُ للولادةِ وجاءَا ، فدخَلَت أمُّ كلثومٍ على المرأةِ ، وجلَس عمرُ مع زوجِها - وهو لا يعرِفُه - يتحدَّثُ ، فوضَعَتِ المرأةُ غلامًا ، فقالت أمُّ كلثومٍ : يا أميرَ المؤمنين بشِّرْ صاحِبَك بغلامٍ . فلمَّا سمِع الرجلُ قولَها استَعْظَم ذلك وأخَذ يعتَذِرُ إلى عمرَ . فقال عمرُ : لا بأسَ عليك . ثم أوصَلَهم بنفقةٍ وما يُصْلِحُهم وانصرَف .

وقال أسْلَمُ[3] : خرَجْتُ ليلةً مع عمرَ إلى [4]حَرَّةِ واقِمٍ[5] ، حتى إذا كنّا بصِرَارٍ[6] إذا[4] بنارٍ فقال : يا أسْلَمُ هاهُنا ركبٌ قد قصَّر بهم الليلُ ، انطلِقْ بنا

---

(١) أورده ابن الجوزى فى سيرة عمر ٧٣، ٧٤ عن أنس .

(٢) فى م : « عربية » .

(٣) أخرجه الإمام أحمد ، فى : فضائل الصحابة (٣٨٢) بنحوه ، وقال محققه : إسناده حسن .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨: « الحرة فإذا » .

(٥) حرة واقم : إحدى حرتى المدينة وهى الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم . معجم البلدان ٢ / ٢٥٢.

(٦) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . معجم البلدان ٣ / ٣٧٧.

إليهم . فأتَيْناهم فإذا امرأةٌ معها صِبْيانٌ (١ لها ، وقِدْرٌ منصوبةٌ على النارِ ، وصِبْيانُها يَتَضاغَون(٢) ، فقال عمرُ : السلامُ عليكم يا أصحابَ الضَّوْءِ . قالت : وعليك السلامُ . قال : أدْنُو ؟ قالت : ادْنُ أو دَعْ . فدَنَا فقال : ما بالُكم ؟ قالت : قصَّرَ بنا الليلُ والبَرْدُ . قال : فما بالُ هؤلاء الصِّبْيةِ(٣) يَتَضاغَـون ١) ؟ قالت : مِن الجوعِ . فقال : وأيُّ شيءٍ على النارِ ؟ قالت : ماءٌ أُعَلِّلُهم به حتى ينامُوا ، (٤ اللَّهُ بينَنا وبينَ عمرَ ٤) ! فبكَى عمرُ ورجَع يُهَرْوِلُ إلى دارِ الدقيقِ ، فأَخْرَج عِدْلًا مِن دقيقٍ وجِرَابَ شَحْمٍ ، وقال : يا أسْلَمُ احمِلْه على ظَهْرِى . فقلتُ : أنا أحمِلُه عنك . فقال : أنتَ تحمِلُ وِزْرِى يومَ القيامةِ ! فحمَله على ظهرِه وانطَلَقْنا إلى المرأةِ ، فألقَى عن ظهرِه وأخرَج مِن الدَّقيقِ فى القِدْرِ ، وألقَى عليه مِن الشَّحْمِ ، وجعَل ينفُخُ تحتَ القِدْرِ والدُّخَانُ يتخلَّلُ لحيتَه ساعَةً ، ثم أنزَلها عن النارِ وقال : آتِنى بصَحْفَةٍ . [١٣٨/٥و] ، فأُتِى بها (٥ فغَرف فيها ثم جعَلها ٥) بينَ يدَيِ الصِّبْيانِ ، وقال : كُلُوا . فأكَلوا حتى شبِعُوا - والمرأةُ تدعُو له وهى لا تعرِفُه - فلم يزَلْ عندَهم حتى نام الصِّغارُ ، ثم أوصَلَهم بنفقةٍ وانصرَف(٦) فقال : يا أسْلَمُ ، الجوعُ الذى أسهَرَهم وأبكَاهم .

وقيل : إنّ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، رأى عمرَ وهو يعدُو إلى ظاهرِ المدينةِ فقال له : إلى أين يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : قد ندَّ بعيرٌ مِن إبلِ الصَّدقةِ فأنا

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) أى : يبكون .
(٣) فى ا ٨: « الصغار » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ا ٨.
(٥ - ٥) فى الأصل : « ثم غرفها ثم تركها » ، وفى م : « فغرفها ثم تركها » .
(٦) بعده فى م : « ثم أقبل على » .

أطلُبُه . فقال : قد أتعَبْتَ الخلفاءَ مِن بعدِك ! وقيل : إنَّه رأى جاريةً تتمايَلُ مِن الجوعِ فقال : مَن هذه ؟ فقالت ابنةُ عبدِ اللَّهِ : هذه ابنتى . قال : فما بالُها ؟ فقالت : إنَّك تحبِسُ عنَّا ما فى يدِك فيصيبُنا ما ترَى . فقال : يا عبدَ اللَّهِ ، بينى وبينَكم كتابُ اللَّهِ ، واللَّهِ ما أعْطِيكُم إلَّا ما فرَض اللَّهُ لكم ، أتريدون مِنِّى أن أعْطِيَكم ما ليس لكم فأعودُ خائنًا[*] ! .

وقال الواقدىُّ[(١)] : حدَّثنا أبو حَزْرَةَ[(٢)] يعقوبُ بنُ مجاهدٍ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبى عمرٍو ، قال : قلتُ لعائشةَ : مَن سمَّى عمرَ الفاروقَ[(٣)] ؟ قالت : النبىُّ ﷺ[(٤)] .

أميرُ المؤْمنين[(٥)] وأوَّلُ مَن حيّاه بها المغيرةُ بنُ شعبةَ ، وقيل : غيرُه . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ جريرٍ[(٦)] : حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الصمدِ الأنصارىُّ[(٧)] ، حدَّثَتْنى أمُّ عمرٍو[(٨)] بنتُ حسّانَ الكوفيَّةُ - وكان قد أتَى عليها مائةٌ وثلاثٌ[(٩)] وثلاثون سنةً - عن أبِيها ، قال : لمَّا وَلِىَ عمرُ قالوا : يا خليفةَ خليفةِ رسولِ اللَّهِ . فقال عمرُ : هذا أمرٌ يَطولُ ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميرُكم . فسُمِّىَ أميرَ المؤمنين .

ومُلَخَّصُ ذلك أنَّ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، لمَّا فرَغ مِن الحجِّ سنةَ ثلاثٍ

(*) إلى هنا تنتهى الزيادة المشار إليها فى صفحة ١٨١ .

(١) تاريخ الطبرى ٤/١٩٥ .

(٢) فى ا ٨: «جزرة»، وفى م، ص: «حمزة». وانظر الإكمال ٢/ ٤٦٠.

(٣) بعده فى م: «أمير المؤمنين».

(٤) بعده فى م: «قال».

(٥) بعده فى: م: «هو».

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ /٢٠٨. من طريق أحمد بن عبد الصمد الأنصارى به.

(٧) فى ا ١٥: «الأقعاوى».

(٨) فى الأصل، ا ١٥: «عمر».

(٩) سقط من: الأصل، ا ٨.

وعشرين ونزَل بالأبْطَحِ دعا اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، وشكا إليه أنَّه قد كَبِرَتْ سِنُّه وضعُفَتْ قوَّتُه، وانتشَرتْ رَعِيَّتُه، وخاف مِن التَّقصيرِ، وسأل اللَّهَ أن يقبِضَه إليه، وأن يَمُنَّ عليه بالشهادةِ فى بلدِ النبىِّ ﷺ، كما ثبَت عنه فى «الصحيحِ»[1] أنَّه كان يَقولُ: اللهمَّ إنِّى أسألُك شهادةً فى سبيلِك، ومَوْتًا فى بلدِ رسولِك. فاستَجاب اللَّهُ له هذا الدُّعاءَ، وجمَع له بينَ هذينِ الأمْرَينِ؛ الشهادةِ فى المدينةِ النبويةِ. وهذا عزيزٌ جدًّا، ولكنَّ اللَّهَ لطيفٌ لِما[2] يشاءُ، تباركَ وتعالَى. فاتَّفَق له أنْ ضرَبه أبو لُؤْلُؤَةَ فَيْرُوزُ المجُوسِىُّ الأصْلِ، الرُّومِىُّ الدّارِ، وهو قائمٌ يُصلِّى فى المحرابِ صلاةَ الصبحِ مِن يومِ الأربعاءِ، لأرْبَعٍ بَقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ بخِنْجَرٍ ذاتِ طَرَفَيْنِ، فضرَبه ثلاثَ ضَرَباتٍ، وقيل: ستَّ ضَرَباتٍ. إحْداهُنَّ تحتَ سُرَّتِه قَطَعتِ الصِّفاقَ[3] فَخَرَّ مِن قامَتِه، واستخلَف عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ، ورجَع العِلْجُ بخِنْجَرِه لا يَمُرُّ بأحَدٍ إلَّا ضرَبه، حتى ضرَب ثلاثةَ عشَرَ رجلًا مات منهم ستةٌ، فألْقَى عليه [4]عبدُ اللَّهِ[4] بنُ عوفٍ بُرْنُسًا فانتَحَر نَفْسَه، لعَنه اللَّهُ، وحُمِل عمرُ إلى منزلِه والدمُ يسيلُ مِن جُرْحِه - وذلك قبلَ طلوعِ الشمسِ - فجعَل يُفِيقُ ثم يُغْمَى عليه، ثم يُذكِّرُونه بالصلاة فيُفِيقُ ويقولُ: نعم، ولا حَظَّ فى الإسلامِ لمَن ترَكها. ثم صلَّى فى الوقتِ، ثم سأل عمَّن قتَله مَن هو؟ فقالوا له: أبو لُؤْلُؤَةَ غُلامُ المغيرةِ بنِ شعبةَ. فقال: الحمدُ للَّهِ الذى لم يَجْعَلْ مَنِيَّتِى على يَدَى رجلٍ يدَّعى الإيمانَ، ولم يَسْجُدْ للَّهِ سجدةً. ثم قال: قبَّحه اللَّهُ، لقد كنَّا

---

(١) البخارى (١٨٩٠) بنحوه.

(٢) فى م: «بما».

(٣) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «السفاق». والصفاق والسفاق: جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم. النهاية ٣ / ٣٩.

(٤ - ٤) فى ا ١٥، ا ٨: «عبد الرحمن». وانظر طبقات بن سعد ٣ / ٣٤٧.

[٥/١٣٨ظ] أمَرنا به مَعْرُوفًا .

وكان المغيرةُ قد ضرَب عليه فى كلِّ يَوْمٍ دِرْهَمينِ ، ثم سأَل مِن عمرَ أنْ يزيدَ فى خراجِه فإنَّه نجّارٌ نقّاشٌ حدّادٌ ، فزاد فى خراجِه ؛ إلى مائةٍ[1] فى كلِّ شهرٍ ، وقال له : لقد بلَغنى أنَّك تُحْسِنُ أنْ تَعْمَلَ رَحًا تدورُ بالهواءِ . فقال أبو لُؤْلُؤَةَ : أمَا واللَّهِ لأعْمَلَنَّ لك رَحًا يتحدَّثُ بها[2] الناسُ فى المشارقِ والمغاربِ - وكان هذا يومَ الثلاثاءِ عشيَّةً - وطعَنه صَبيحةَ الأربعاءِ لأربعٍ بَقِينَ مِن ذِى الحِجَّةِ .

وأَوْصَى عمرُ أن يكونَ الأمرُ شُورَى بعدَه فى ستَّةٍ ممَّن تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ ؛ وهم عثمانُ ، وعلىٌّ ، وطلحةُ ، والزُّبيرُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وسعدُ بنُ أبى وقّاصٍ ، ولم يَذْكُرْ سعيدَ بنَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِىَّ فيهم ؛ لكونِه مِن قَبِيلَتِه ، خَشْيَةَ أنْ يُراعَى فى الإمارةِ بسببِه ، وأوْصَى مَن يُسْتَخْلَفُ بعدَه بالناسِ خيرًا على طبقاتِهم ومراتِبِهم .

ومات ، رضِى اللَّهُ عنه ، بعدَ ثلاثٍ ، ودُفِن فى يومِ الأحدِ مُسْتَهَلَّ المحرَّمِ مِن سنةِ أربعٍ وعشرين ، بالحُجْرَةِ النبويةِ ، إلى جانبِ الصديقِ ، عن إذْنِ أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، فى ذلك ، وفى ذلك اليومِ حكَم أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفّانَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى أبو بكرِ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، قال : طُعِن عمرُ يومَ الأربعاءِ لأربعِ ليالٍ بَقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرين ، ودُفِن يومَ الأحدِ صباحَ هِلالِ المحرَّمِ سنةَ أربعٍ وعشرين ، فكانَتْ وِلايَتُه عَشْرَ سِنين

---

(١) فى ا ١٥، ص : « ستمائة » .

(٢) فى م : « عنها » .

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/٣٦٤ عن الواقدى به .

وخمسةَ أشهرٍ وأحدًا وعشرين يومًا ، وبُويع لعثمانَ يومَ الاثنينِ لثلاثٍ مَضَينَ مِن المحرَّمِ . قال : فذكَرْتُ ذلك لعثمانَ الأَخْنَسِيِّ[1] ، فقال : ما أراك إلَّا وَهِلْتَ[2] ، تُوُفِّى عمرُ لأربعِ ليالٍ بَقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ ، وبُويع لعثمانَ لليلةٍ بَقِيَتْ مِن ذى الحِجَّةِ ، فاستقْبَل بخلافتِه المحرَّمَ سنةَ أربعٍ وعشرين .

وقال أبو مَعْشَرٍ[3] : قُتِل عمرُ لأربعٍ بَقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ تمامَ سنةِ ثلاثٍ وعشرين ، وكانت خلافَتُه عَشْرَ سنين وستةَ أشهرٍ وأَربعةَ أيّامٍ ، وبُويع عثمانُ بنُ عفّانَ .

وقال ابنُ جريرٍ[4] : حُدِّثْتُ عن هِشامِ بنِ محمدٍ ، قال : قُتِل عمرُ لثلاثٍ بَقِينَ من ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرين ، فكانت خلافَتُه عَشْرَ سنين وستةَ أشهرٍ وأربعةَ أيّامٍ .

وقال سيفٌ[4] ، عن خليدِ بنِ ذَفَرَةَ[5] ومُجالدٍ قالا : اسْتُخْلِفَ عثمانُ لثلاثٍ[6] مِن المحرَّمِ ، فخرَج فصلَّى بالناسِ صلاةَ العصرِ .

وقال عليُّ بنُ محمدٍ المدائِنِيُّ[7] ، عن شَرِيكٍ ، عن الأَعْمَشِ - أو جابرٍ الجُعْفِيِّ - عن عَوْفِ بنِ مالِكٍ الأَشْجَعِيِّ وعامرِ بنِ أبى محمدٍ ، عن أشياخٍ مِن

---

(١) فى م : « الأخنس » .
(٢) وهلت : وهمت .
(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٩٤.
(٤) المصدر السابق .
(٥) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « دفرة » ، وفى ا ٨، م : « وفرة » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الإكمال ٣/ ٣٢٨.
(٦) بعده فى ا ١٥: « بقين » ، وفى تاريخ الطبرى : « مضين » .
(٧) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/١٩٤ من طريق المدائنى به .

قومِه ، وعثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن الزُّهْرِيِّ ، قالوا[1] : طُعِنَ عمرُ يومَ الأربعاءِ لسبْعٍ بَقِينَ مِن ذِى الحِجَّةِ . [2]قال : وقال غيرُهم : لسِتٍّ بقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ[2] .

والقولُ الأوَّلُ هو الأشهرُ ، واللَّهُ سبحانَه وتعالَى أعلمُ .

صفتُه رضِى اللَّهُ عنه

كان رضِى اللَّهُ عنه رجلًا طُوالًا أصْلَعَ ، أعْسَرَ أيسَرَ ، أَحْوَرَ العَيْنَيْنِ ، آدَمَ اللَّونِ ، وقيل : كان أبْيَضَ شَدِيدَ البَياضِ تعْلُوه حُمْرَةٌ ، أشْنَبَ الأسْنانِ[3] ، وكان يُصَفِّرُ لحيتَه ، ويُرَجِّلُ رأسَه بالحِنّاءِ .

واخْتُلف فى مقدارِ سنِّه يومَ مات ، رضِى اللَّهُ عنه ، على أقوالٍ عِدَّتُها عَشَرَةٌ فقال [٥/١٣٩و] ابنُ جريرٍ[4] : حدَّثَنا زيدُ[5] بنُ أخزمَ[6] ، ثنا أبو قتيبةَ ، عن[7] جريرِ ابنِ حازمٍ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قُتِل عمرُ بنُ الخطابِ وهو ابنُ خمسٍ وخمسين سنةً . ورَواه الدَّرَاوَرْدِيُّ[8] ، عن عُبَيْدِ[9] اللَّهِ ، عن نافعٍ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « قال » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) الشنب فى الأسنان : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان . النهاية ٢/ ٥٠٣.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ /١٩٧.

(٥) فى ا ١٥: « يزيد » .

(٦) فى م : « أحزم » . وانظر الإكمال ١/ ٣٧.

(٧) فى ص : « بن » .

(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ /١٩٧ من طريق الدراوردى به .

(٩) فى م : « عبد » .

عن[1] ابنِ عمرَ. وقاله عبدُ الرَّزّاقِ[2]، عن ابنِ جريجٍ[3]، عن الزُّهْرِيِّ. ورَواه أحمدُ[4]، عن هُشَيْمٍ، عن عليِّ بنِ زَيْدٍ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ.

وعن نافعٍ[5] روايةٌ أخرى: ستٌّ وخمسون سنةً. [6]وثالثةٌ: تسعٌ وخمسون[6].

قال ابنُ جريرٍ[7]: وقال آخرون: كان عُمْرُه ثلاثًا وخمسين سنةً، حُدِّثْتُ بذلك عن هِشامِ بنِ محمدٍ. ثم روَى عن عامرٍ الشَّعْبِيِّ[8] أنَّه تُوُفِّى وله ثلاثٌ وستون سنةً. قلتُ: وقد تقدَّم فى عُمْرِ الصديقِ مثلُه[9]. وروَى عن قَتادةَ[8] أنَّه قال: تُوُفِّى عمرُ وهو ابنُ إحدى وستين سنةً.

وعن ابنِ عمرَ والزُّهْرِيِّ[10]: خمسٌ وستون سنةً. وعن ابنِ عبّاسٍ[11]: ستٌّ وستون.

وروى ابنُ جريرٍ[12]، عن أسْلَمَ مولى عمرَ أنَّه قال: تُوُفِّى وهو ابنُ ستين سنةً. قال الواقدىُّ: وهذا أَثْبَتُ الأقاوِيلِ عندَنا.

---

(١) سقط من: الأصل.
(٢) المصنف (٦٧٩١).
(٣) فى ا ١٥: «جرير».
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٤٠٢ من طريق الإمام أحمد، به.
(٥) المصدر السابق ص ٤٠٣.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ا ٨، وفى م: «وثالثة سبع وخمسون».
(٧) تاريخ الطبرى ٤ / ١٩٧.
(٨) المصدر السابق ٤ / ١٩٨.
(٩) انظر ٩/ ٥٧٤.
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٤٠٨ عن ابن عمر، ولم نجده عن الزهرى.
(١١) المصدر السابق ص ٤٠٨.
(١٢) تاريخ الطبرى ٤ / ١٩٨. وأخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٣٦٥.

وقال المدائِنِىُّ[1] : تُوُفِّى عمرُ وهو ابنُ سبعٍ وخمسين سنةً .

ذِكْرُ زَوْجاتِه وأبْنائِه وبَناتِه

قال الواقدىُّ وابنُ الكَلْبِىِّ وغيرُهما[1] : تزوَّج عمرُ فى الجاهليةِ زينبَ بنتَ مَظْعونٍ أختَ عثمانَ بنِ مظعونٍ ، فولَدتْ له عبدَ اللَّهِ وعبدَ الرحمنِ الأكْبَرَ وحَفْصَةَ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وتزوَّج مُلَيْكةَ بنتَ جَرْوَلٍ ، فولَدتْ له عبيدَ اللَّهِ ، فطلَّقها فى الهُدْنَةِ ، فخلَف عليها أبو الجَهْمِ بنُ حُذَيْفَةَ . قاله المدائِنِىُّ[1] . وقال الواقدىُّ[1] : هى أمُّ كُلْثومٍ بنتُ جَرْوَلٍ ، فولَدتْ له عبيدَ اللَّهِ وزَيْدًا الأصغرَ .

قال المدائنىُّ[1] : وتزوَّج قُرَيْبَةَ بنتَ أبى أُمَيَّةَ المَخْزُومِىِّ ففارَقها فى الهُدْنَةِ ، فتزوَّجَها بعده عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ .

قالوا : وتزوَّج أُمَّ حَكيمٍ بنتَ الحارثِ بنِ هشامٍ بعدَ زوجِها - حين قُتِل فى الشامِ - فولَدتْ له فاطمةَ ثم طلَّقها .

قال المدائنىُّ[1] : وقيل : لم يُطَلِّقْها .

قالوا : وتزوَّج جَمِيلةَ أختَ[2] عاصمِ بنِ ثابتِ بنِ أبى

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ١٩٨.

(٢) فى النسخ : « بنت » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر طبقات ابن سعد ٣ /٢٦٥ ، والوافى بالوفيات ١١ / ١٨٧.

الأَقْلَحِ[1] مِن الأَوْسِ .

وتزوَّج عاتِكَةَ بنتَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وكانت قبلَه عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ[2] ، ولمَّا قُتِل عمرُ تزوَّجها بعدَه الزُّبَيْرُ بنُ العوّامِ ، رضِى اللَّهُ عنهم . ويقالُ : هى أمُّ ابنِه عِياضٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال المدائنىُّ[3] : وكان قد خطَب أمَّ كُلْثُومٍ بنتَ أبى بكرٍ الصديقِ وهى صغيرةٌ وراسَل فيها عائشةَ ، فقالت أمُّ كُلْثومٍ : لا حاجةَ لى فيه . فقالت عائشةُ : أتَرْغَبِينَ عن أميرِ المؤمنين ؟ قالتْ : نعم ، إنَّه خَشِنُ العَيْشِ . فأرسلَتْ عائشةُ إلى عمرِو بنِ العاصِ فصدَّه عنها ، ودلَّه على أمِّ كُلْثومٍ بنتِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، ومِن فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقال : تَعْلَقُ منها بسببٍ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . فخطَبها مِن علىٍّ فزوَّجه إيّاها ، فأصْدَقها عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أرْبعين ألفًا ، فولَدتْ له زَيْدًا ورُقَيَّةَ .

قالوا[3] : وتزوّج لُهَيَّةَ - امرأةً مِن اليمنِ - فولَدت له عبدَ الرحمنِ الأصْغَرَ . وقيل : الأوْسَطَ . وقال الواقدىُّ[3] : هى أمُّ وَلَدٍ وليستْ [٥/١٣٩ظ] بزوجةٍ .

قالوا : وكانتْ عندَه فُكَيْهةُ ، أمُّ وَلَدٍ ، فولَدتْ له زينبَ . قال الواقدىُّ[3] : وهى أصْغَرُ وَلَدِه .

---

(١) فى النسخ : « الأفلح » .

(٢) سقط من : ا ٨، وفى ا ١٥، م، ص : « ملكية » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٩٩، والإصابة ٨/ ١١.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٩٩.

قال الواقدىُّ[1] : وخطَب أمَّ أَبَانَ بنتَ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ[2] ، فكرِهَتْه ، وقالتْ : يُغْلِقُ بابَه ، ويَمْنَعُ خيرَه ، ويَدْخُلُ عابِسًا ، ويَخْرُجُ عابِسًا .

قلتُ : فجُمْلةُ أولادِه رضِى اللَّهُ عنه وأرْضاه ، ثلاثةَ عَشَرَ وَلَدًا ؛ وهم زَيدٌ الأكْبَرُ ، وزَيدٌ الأصْغَرُ ، وعاصِمٌ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الرحمنِ الأكْبَرُ ، وعبدُ الرحمنِ الأوْسَطُ - قال الزُّبَيْرُ بنُ بَكّارٍ : وهو أبو شَحْمَةَ - وعبدُ الرحمنِ الأصْغَرُ ، وعبيدُ اللَّهِ ، وعِياضٌ ، وحَفْصَةُ ، ورُقَيَّةُ ، وزينبُ ، وفاطمةُ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

ومجموعُ نِسائِه اللاتى تزوَّجَهُنَّ فى الجاهليةِ والإسلامِ ممَّن طلَّقَهُنَّ أو مات عنهُنَّ سَبْعٌ ؛ وهُنَّ جميلَةُ أختُ[3] عاصِمِ بنِ ثابتِ بنِ أبى[4] الأقْلَحِ[5] ، وزينبُ بنتُ مَظْعُونٍ ، وعاتِكَةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وقُرَيْبَةُ بنتُ أبى أُمَيَّةَ ، و مُلَيْكَةُ بنتُ جَرْوَلٍ ، وأُمُّ حَكيمٍ بنتُ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وأُمُّ كُلْثومٍ بنتُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وأُمُّ كُلْثومٍ أُخْرى وهى مُلَيْكَةُ بنتُ جَرْوَلٍ .

وكانتْ له أمَتانِ له منهما أولادٌ ؛ وهما فُكَيْهةُ ولُهَيَّةُ[6] ، وقد اختُلِف فى لُهَيَّةَ هذه فقال بعضُهم : كانتْ أمَّ ولدٍ . وقال بعضُهم : كان أصلُها مِن اليمنِ وتزوَّجها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٠٠ من كلام المدائنى .

(٢) فى النسخ : « شيبة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر الإصابة ٨ / ١٦٤ .

(٣) فى النسخ : « بنت » . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٩٥ .

(٤) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، م ، ص .

(٥) سقط من ا ٨ ، وفى ا ١٥ ، م ، ص : « الأفلح » . وتقدم فى صفحة ١٩٦ .

(٦) فى الأصل : « لهيمة » .

ذِكْرُ بعضِ ما رُثِىَ به

قال علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ[1] ، عن ابنِ دَابٍ وسعيدِ بنِ خالدٍ ، عن صالحِ ابنِ كَيْسانَ ، عن المغيرةِ بنِ شُعبةَ قال : لمَّا مات عمرُ بَكَتْه ابنةُ أبى حَثْمَةَ[2] فقالت : واعُمَراه ! أقام الأَوَدَ[3] ، وأبرأ العَمَدَ[4] ، أمَات الفِتَنَ ، وأَحْيا السُّنَنَ ، خرَج نَقِىَّ الثوبِ ، بريئًا مِن العَيْبِ . قال : فقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : واللَّهِ لقد صَدَقَتْ ، ذَهَب بخيرِها ، ونجا مِن شرِّها ، أمَا واللَّهِ ما قالتْ ولكنْ قُوِّلت .

قال : وقالتْ عاتِكَةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ فى زوجِها عمرَ[5] :

فَجَّعَنِى فَيْروزُ لا دَرَّ دَرُّه ... بأَبْيَضَ تالٍ للكتابِ مُنيبِ
رَءُوفٍ على الأدنَى غَليظٍ على العِدَى ... أَخى ثِقَةٍ فى النائباتِ مُجِيبِ[6]
متى ما يَقُلْ لا يُكْذِبِ القولَ فِعْلُه ... سَريعٍ إلى الخَيْراتِ غَيْرِ قَطوبِ[7]

وقالتْ أيضًا[8] :

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢١٨.

(٢) فى م ، ص : « خيثمة » .

(٣) الأود : الاعوجاج . أوِد يأوَدُ أوَدًا اعوجَّ . القاموس المحيط (أ و د) .

(٤) فى الأصل ، ا ١٥ ، م ، ص : « العهد » . والعَمَد بالتحريك : ورم ودبر يكون فى الظهر ، أرادات أنه أحسن السياسة . النهاية ٣/ ٢٩٧.

(٥) الأبيات فى نوادر المخطوطات ١/ ٦٣ عن المردفات من قريش ، وتاريخ المدينة ٣/ ٩٤٨ ، والكامل ٣/ ٦١ ، وتاريخ الطبرى ٤/ ٢١٩ ، وفيه أنها لعاتكة ابنة زيد بن عمر بن الخطاب .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥ ، م ، ص ، المردفات من قريش : « نجيب » . وفى الكامل : « منيب » .

(٧) القطوب : يقال : هو قاطب وقطوب : إذا زوى ما بين عينيه وكلح .

(٨) الأبيات فى المصادر السابقة ، إلا تاريخ المدينة ففيه الأول والثانى فقط ، والأبيات فى تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٤١٣.

عينُ جُودِى بِعَبْرَةٍ ونحيبِ ... لا تَمَلِّى على الإمامِ[1] النجيبِ

فَجَّعَتْنِى[2] المَنونُ بالفارسِ المُعْـ ... ـلِمِ[3] يَوْمَ الهياجِ والتَّلْبيبِ[4]

عِصْمَةِ النَّاسِ والمُعينِ على الدَّهْـ ... ـرِ وغَيْثِ المُنتابِ والمَحْروبِ

قُلْ لأَهْلِ السَّرَّاءِ[5] والبُؤْسِ[6] مُوتوا ... قد سَقَتْه المنونُ كَأْسَ شَعُوبِ[7]

[8]وقالتِ امرأةٌ مِن المسلمين تَبْكِيه[9] :

سَيَبْكِيكَ نساءُ الحِيِّ[10] يَبْكِينَ شَجِيّاتِ

ويَخْمِشْنَ وُجوهًا كَالدَّنا ... نيرِ نَقِيّاتِ

ويَلْبَسْنَ ثيابَ الحُزْ ... نِ[11] بَعْدَ القَصَبِيّاتِ[8][12]

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ تَرْجَمَةً طويلةً لعمرَ بنِ الخطابِ[13] ، وكذلك أطال ابنُ

---

(١) فى تاريخ المدينة : « الجواد » .

(٢) فى م : « فجعتنا » .

(٣) فى الأصل : « العلم » ، وفى م : « العليم » ، وفى المردفات : « المقدم » .

(٤) فى المردفات من قريش : « التذبيب » ، وفى تاريخ المدينة : « التثويب » .

(٥) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ص ، المردفات : « الضراء » ، وفى الكامل : « الثراء » ، وفى تاريخ دمشق : « السرور » .

(٦) فى المردفات : « البأس » .

(٧) فى الأصل ، م : « شغوب » . وشعوب : من أسماء المنية ، وسميت شعوب لأنها تفرق .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ا ٨.

(٩) تاريخ المدينة ٢/ ٩٤٨ ، وتاريخ الطبرى ٤/ ٢١٩ ، ونسبها ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق (ترجمة عمر) ص ٤١٢.

(١٠) فى تاريخ دمشق : « الجن » .

(١١) فى تاريخ دمشق : « السور » .

(١٢) القصبيات : ثياب ناعمة من كتان ، الواحد قَصَبِىّ . لسان العرب (ق ص ب) .

(١٣) ترجمته فى الطبرى ٤ /١٩٠ - ٢٤١.

الجَوْزِىِّ فى « سِيرَتِه »[1] ، وشيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذهبىُّ فى تاريخِه[2] ، وقد جَمَعنا مُتفرِّقاتِ كلامِ الناسِ فى مجلَّدٍ مُفْرَدٍ[3] ، وأَفْرَدْنا لِما أَسْنَدَه [٥/١٤٠و] . ورُوِى عنه مِن الأحْكامِ مُجلَّدًا آخرَ كبيرًا مرتَّبًا على أبوابِ الفقهِ . وللَّهِ الحمدُ[4] .

قال ابنُ جريرٍ[5] : وفى هذه السنةِ تُوُفِّى قَتادةُ بنُ النُّعمانِ ، وفيها غزا مُعاويةُ الصّائِفَةَ حتى بلَغ عَمُّوريَةَ ومعه مِن الصحابةِ عبادةُ بنُ الصامتِ ، وأبو أيوبَ ، وأبو ذَرٍّ ، وشدّادُ بنُ أوْسٍ ، وفيها فتَح مُعاويةُ عَسْقَلانَ صُلْحًا . قال : وفيها كان على قضاءِ الكوفةِ شُرَيْحٌ ، وعلى قضاءِ البصرةِ كَعْبُ بنُ سُورٍ[6] . قال : وأمَّا مُصْعَبُ الزُّبَيْرِىُّ فإنَّه ذكَر أنَّ مالكًا روَى عن الزُّهْرِىِّ أنَّ أبا بَكْرٍ وعمرَ لم يكنْ لهما قاضٍ .

وقال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذهبىُّ فى « تاريخِه »[7] فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين : فيها كانتْ قصَّةُ ساريةَ بنِ زُنَيمٍ ، وفيها [8]كان فتحُ[8] كَرْمانَ وأميرُها سُهَيْلُ بنُ عَدِىٍّ ، وفيها فُتِحَتْ سِجِسْتانُ وأميرُها عاصمُ بنُ عمرٍو . وفيها فُتِحَتْ مُكْرانُ وأميرُها [9]الحكَمُ بنُ أبى العاصِ - أخو عثمانَ[9] - وهى مِن بلادِ الجبلِ ، وفيها

---

(١) « سيرة عمر بن الخطاب » لابن الجوزى ، ط المكتبة التجارية الكبرى .

(٢) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٥٣- ٢٨٤.

(٣) يشير إلى كتابه « سيرة عمر بن الخطاب » . وأشرنا إليه فى ١/ ٣٠ من مقدمة التحقيق .

(٤) يشير إلى « مسند عمر والآثار والأحكام المروية عنه » . وأشرنا إليه أيضا فى ١/ ٣٣. من مقدمة التحقيق .

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٤١.

(٦) فى م : « سوار » .

(٧) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٨ - ٨) فى الأصل ، ا ٨: « فتح » . وفى م : « فتحت » .

(٩ - ٩) كذا فى النسخ ، وفى تاريخ الإسلام : « الحكم بن عثمان » . وتقدم فى صفحة ٣٢ أن الذى افتتح مكران الحكم بن عمرو . وهو كذلك فى تاريخ الطبرى ٤/ ١٨١، وانظر الكامل ٣/ ٤٥، والإصابة =

رجَع أبو موسى الأشْعَرِىُّ مِن بلادِ أصْبَهانَ وقد افتَتَح بلادَها ، وفيها غزا مُعاويةُ الصّائِفَةَ حتى بلَغ عَمُّورِيَةَ .

ثم ذكَر وفاةَ مَن مات فيها ، فمنهم :

قَتادةُ بنُ النُّعمانِ الأنصارىُّ الأوْسِىُّ الظَّفَرِىُّ[1] ، أخو أبى سعيدٍ الخدرىِّ لأُمِّه ، وقتادةُ أكبَرُ منه ، شَهِد بَدْرًا وأُصيبَتْ عينُه فى يومِ أُحُدٍ حتى وَقَعَتْ على خَدِّه ، فردَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ فصارَتْ أحسنَ عَيْنَيْه[2] . وكان مِن الرُّماةِ المذكُورين ، وكان على مُقدَّمةِ عمرَ حين قدِم الشامَ . تُوُفِّى فى هذه السنةِ على المشهورِ عن خمسٍ وستين سنةً ، ونزَل عمرُ فى قبرِه . وقيل : إنَّه تُوُفِّى فى التى قبلَها .

ثم ذكَر ترجمةَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فأطال فيها وأكثَر وأطنَبَ [3]وأطيبَ[3] ، وأتَى بمقاصِدَ كثيرةٍ مهمةٍ ، وفوائدَ جمَّةٍ ، وأشياءَ حسنةٍ ، فأثابه اللَّهُ الجنةَ .

ثم قال[4] : ذِكْرُ مَن تُوُفِّى فى خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه :

الأَقْرَعُ بنُ حابِسِ بنِ عِقالِ بنِ محمدِ بنِ سفيانَ بنِ مُجاشِعِ بنِ دارِمِ بنِ مالكِ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مالكِ بنِ زيدِ مَناةَ بنِ تميمٍ التَّمِيمىُّ المُجاشِعِىُّ[5] . قال ابنُ دُرَيْدٍ[6] : واسْمُه فِراسُ ابنُ حابِسٍ ، ولُقِّب بالأَقْرَعِ لقَرَعٍ فى رَأْسِه . وكان أحدَ

= ٢/ ١٠٨.

(١) الاستيعاب ٣ / ١٢٧٤، وأسد الغابة ٤ / ٣٨٩، والإصابة ٥ / ٥٤٩.

(٢) تقدم فى ٥ / ١٤٧.

(٣ - ٣) زيادة من: ا ١٥، ص.

(٤) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٨٥.

(٥) الاستيعاب ١ / ١٠٣، وأسد الغابة ١ / ١٢٨، والإصابة ١/ ١٠١.

(٦) الاشتقاق ص ٢٣٩.

الرُّؤساءِ، قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ مع وفدِ بنِى تميم، وهو الذى نادَى مِن وراءِ الحُجُراتِ: يا محمدُ إنَّ مَدْحى زَيْنٌ، وذَمِّى شَيْنٌ[1]. وهو القائِلُ - وقد رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ الحسَنَ - أتُقَبِّلُه؟! واللَّهِ إنَّ لى عَشَرَةً مِن الولدِ ما قَبَّلْتُ واحدًا منهم. فقال: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»[2]. وفى رِوايةٍ[3]: «ما أمْلِكُ أنْ نزَع اللَّهُ الرحمةَ مِن قَلْبِك». وكان ممَّن تألَّفه رسولُ اللَّهِ ﷺ فأعْطاه يومَ حُنَيْنٍ مائةً مِن الإبِلِ، وكذلك لِعُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفزارىِّ، وأعْطَى عبّاسَ بنَ مرداسٍ خمسين مِن الإبِلِ فقال[4]:

أتَجْعَلُ[5] نَهْبِى ونَهْبَ العُبَيْـ ... ـدِ[6] بيـنَ عُـيَـيْنَةَ والأقْـرَعِ
فما كانَ حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقانِ مِرْداسَ[7] فى مَجْمَعِ
وما كنتُ دونَ امْرِئٍ منهما ... ومَنْ تَخْفِضِ[8] اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أنتَ القائِلُ:

أتَجْعَلُ نَهْبِى ونَهْبَ العُبَيْـ ... ـدِ بيـنَ [9]الأقْرَعِ وعُـيَـيْنَةَ»[9]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣ / ٤٨٨. بلفظ: «حمدى» بدلا من: «مدحى».
(٢) أخرجه البخارى (٥٩٩٧)، ومسلم (٦٥/ ٢٣١٨).
(٣) المسند ٦ / ٥٦.
(٤) الأبيات فى المغازى للواقدى ٣/ ٩٤٧، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٣، وتاريخ الطبرى ٣/ ٩١، وتاريخ دمشق ٩/ ١٨٧، وانظر ما تقدم فى ٧/ ٩٩- ١٠٠.
(٥) فى المغازى، وسيرة ابن هشام، وتاريخ الطبرى: «فأصبح».
(٦) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس. شرح غريب السيرة ٣/ ١٣٠.
(٧) فى سيرة ابن هشام: «شيخى».
(٨) فى ا ١٥: «تحفظ»، وفى م: «يخفض»، وفى باقى المصادر: «تضع». والمثبت موافق لإحدى نسخ الطبرى.
(٩ - ٩) فى الأصل، م: «عيينة والأقرع».

رواه البخاريُّ[1] .

قال السُّهَيْلِيُّ[2] : [٥/١٤٠ظ] إنَّما قدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ذِكْرَ الأقرعِ قبلَ عيينةَ ؛ لأنَّ الأقرعَ كان خيرًا مِن عيينةَ ، ولهذا لم يَرْتَدَّ بعدَ النبيِّ ﷺ كما ارْتَدَّ عيينةُ ، فبايَعَ طُلَيْحَةَ وصدَّقَه ثم عاد .

والمقصودُ أنَّ الأقرعَ كان سيِّدًا مُطاعًا ، وشهِد مع خالدٍ وقائِعَه بأرضِ العراقِ ، وكان على مُقدَّمَتِه يومَ الأَنْبارِ . [3]ذَكَره شيخُنا فى مَن[3] تُوُفِّى فى خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ . والذى ذكَره ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[4] أنه استَعْمَله عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ على جيشٍ وسيّره إلى الجُوزَجانِ فقُتِل وقُتِلوا جميعًا ، وذلك فى خلافَةِ عثمانَ كما سيأْتى ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

حُبَابُ بنُ المُنْذِرِ بنِ الجَموحِ بنِ زَيدِ بنِ حَرامِ بنِ كعبِ بن غَنْمِ بنِ كعبِ ابنِ سَلِمَةَ[5] . أبو عمرَ ، ويُقالُ : أبو عمرٍو ، الأنصاريُّ الخَزْرَجِيُّ السَّلِمِيُّ .

ويُقالُ له : ذو الرَّأْيِ . لأنَّه أشارَ يومَ بدرٍ أنْ ينزِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على أدْنَى ماءٍ يكونُ إلى القومِ ، وأنْ يُغَوِّرَ[6] ما وراءَهم من القُلُب فأصاب فى هذا الرَّأْيِ ، ونزَل

---

(١) كذا ذكر ابن كثير هنا ، وفى ٩٩/٧ قال : رواه مسلم . والقصة بهذا السياق ليست عند البخارى ، وإنما أخرج أصل القصة . انظر البخارى (٣١٥٠) . وانظر أطراف الحديث فى فتح البارى ٦/ ٢٥١، ٢٥٢.
وليس فى هذه المصادر أنه أعطاه خمسين من الإبل ، بل عند الواقدى أنه أعطاه أربعا ، وعند ابن هشام والطبرى أنه أعطاه أباعر ، وكذلك ابن عساكر لم يذكركم أعطاه . وقول النبى ﷺ : « أنت القائل ... » . عند الواقدى وابن هشام فقط .

(٢) الروض الأنف ٧ / ٢٨٧. بنحوه .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ذكره فى من » ، وفى ا ٨: « ذكر من » .
وانظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٨٥.

(٤) أسد الغابة ١ / ١٣٠.

(٥) الاستيعاب ١ / ٣١٦، وأسد الغابة ١ / ٤٣٦، والإصابة ٢ / ١٠.

(٦) انظر التعليق على هذا اللفظ فى ٥/ ٨٢.

المَلِكُ بتصديقِه . وأما قولُه يومَ السَّقِيفةِ[1] أَنَا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وعُذَيْقُها[2] ، المُرَجَّبُ ، منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ . فقد ردَّه عليه الصِّدِّيقُ والصحابةُ .

ربيعةُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، [3]الهاشميُّ[4] ، ابنُ عمِّ رسولِ اللَّه ﷺ[3] .

عُتْبَةُ بنُ مسعودٍ الهُذَلِيُّ[5] ، هاجَر مع أخيه لأبَوَيه عبدِ اللَّهِ إلى الحبشةِ ، وشهِد أُحُدًا وما بعدَها . قال الزهريُّ[6] : ما كان عبدُ اللَّهِ بأفْقَهَ منه ، ولكنْ مات عُتْبَةُ قبلَه . وتُوُفِّى زَمَنَ عمرَ على الصحيحِ . ويُقالُ : فى زمنِ معاويةَ سنةَ أربعٍ وأربعين .

عَلْقَمَةُ بنُ عُلاثَةَ بنِ عوفِ بنِ الأحْوَصِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ العامِرِيُّ الكِلابِيُّ[7] ، أسلمَ عام الفَتْحِ ، وشهِد حُنَيْنًا ، وأُعْطِىَ يومئذٍ مائةً مِن الإبِلِ تأليفًا لقَلْبِه ، وكان يكونُ بتِهامةَ ، وكان شَرِيفًا مُطاعًا فى قومِه ، وقد ارْتَدَّ أيامَ الصديقِ فبعَث إليه سَرِيَّةً ، فانْهَزَم ثم أسْلَم وحسُن إسلامُه ، ووفَد على عمرَ فى خلافَتِه ، وقدِم دِمَشْقَ فى طَلَبِ ميراثٍ له[8] ، ويُقالُ : استَعْمَله عمرُ على حَوْرانَ فمات بها . وقد كان الحُطَيْئَةُ قصَدَه ليمتدِحَه فمات قبلَ مَقْدَمِه بليالٍ فقال[9] :

---

(١) تقدم فى ٨/٨٥ .

(٢) فى م : « مزيجها » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الاستيعاب ٢ / ٤٩٠، وأسد الغابة ٢ /٢٠٩ ، والإصابة ٢ / ٤٦١.

(٥) الاستيعاب ٣ / ١٠٣٠، وأسد الغابة ٣ / ٥٦٩، والإصابة ٤ / ٤٤٠.

(٦) فى الأصل، ا ٨: « الترمذى »، وفى ا ١٥: « الزبيرى ».
والأثر عزاه الحافظ فى الإصابة ٤/٤٤١ لعبد الرزاق .

(٧) الاستيعاب ٣ / ١٠٨٨، وأسد الغابة ٤ /٨٦ والإصابة ٤ / ٥٥٣.

(٨) بعده فى الأصل، ا ٨، م : « ثَمَّ ».

(٩) ديوان الحطيئة ٢٤.

فما كان بَيْنى لو لَقِيتُك سَالِمًا وبينَ الغِنَى[1] إلَّا ليالٍ قَلائِلُ

عَلْقَمَةُ بنُ مُجَزِّزٍ[2] بنِ الأعْوَرِ بنِ جَعْدَةَ بنِ مُعاذِ بنِ عُتْوارةَ بنِ عمرِو بنِ مُدْلِجٍ الكِنانىُّ المُدْلِجِىُّ[3] ، أحدُ أُمراءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على بعضِ السَّرايا ، وكانت فيه دُعابَةٌ ، فأجَّجَ نارًا وأمَر أصحابَه أن يَدخُلوا فيها فامتَنَعوا ، فقال النبىُّ ﷺ : « لو دخَلوا فيها ما خَرَجوا منها » . وقال : « إنَّما الطَّاعةُ فى المعروفِ »[4] . وقد كان عَلقَمةُ جَوَادًا مُمَدَّحًا ، رثاه [5]جَوّاسٌ العذرىُّ[5] فقال :[6]

إنَّ السّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيَّةٍ تغدو على ابنِ مجززٍ[7] وتروحُ

عُوَيمُ بنُ ساعِدَةَ بنِ عائشٍ[8] أبو عبدِ الرحمنِ الأنصارىُّ الأوْسِىُّ[9] ، أحدُ بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ ، شهِد العَقَبَةَ وبَدْرًا وما بعدَها ، له حديثٌ عند أحمدَ وابنِ ماجَه فى الاستنجاءِ بالماءِ[10] . قال ابنُ عبدِ البَرِّ[11] : تُوُفِّىَ فى حياةِ النبىِّ ﷺ ،

---

(١) فى الأصل : « العلى » .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ : « محرز » . وانظر الإكمال ٧ / ٢١٨ .

(٣) أسد الغابة ٤/ ٨٧ ، والإصابة ٤/ ٥٥٩ .

(٤) أخرجه البخارى (٤٣٤٠) ، ومسلم (٤٠/ ١٨٤٠) ، وأبو داود (٢٦٢٥) واللفظ لمسلم دون قوله : « فيها » . وليس عندهم ذكر اسم قائد السرية ، ولكن أخرجه بذكر تأمير علقمة ابن ماجه (٢٨٦٣) ، والإمام أحمد ، فى : المسند ٣/٦٧ بلفظ آخر من حديث أبى سعيد ، وأن الذى أجج النار عبد اللَّه بن حذافة بعد تأميره على طائفة من الجيش . وانظر الكلام على الحديث فى فتح البارى ٨/ ٥٨- ٦٠ .

(٥ - ٥) فى ص : « جواش العدوى » .

(٦) البيت فى الأغانى ٢٢/ ١٥٤ .

(٧) فى الأصل ا ١٥ : « محرز » .

(٨) فى النسخ ، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٦٦ ، والتهذيب ٨/ ١٧٤ ، والتقريب ٢/ ٩٠ : « عابس » . والتصويب من مصادر ترجمته ، وانظر : تبصير المنتبه ٣/ ٨٨٩ . وتقدم ذكره فى صفحة ١٠٩ فى من توفى سنة عشرين .

(٩) تقدم فى صفحة ١٠٩ فى من توفى سنة عشرين .

(١٠) تقدم تخريجه عند الإمام أحمد فى صفحة ١٠٩ ، وحديثه عند ابن ماجه (١٨٦١) فى النكاح وليس فى الاستنجاء بالماء ، وهو صحيح (صحيح ابن ماجه ١٥٠٨) .

(١١) الاستيعاب ٣ / ١٢٤٨ .

وقيل : فى خلافةِ عمرَ . وقال وهو واقِفٌ على قَبْرِه : لا يَسْتَطِيعُ أحدٌ [٥/١٤١و] أن يقولَ : أنا خيرٌ مِن صاحبِ هذا القَبْرِ ، ما نُصِبَتْ رايةٌ للنبىِّ ﷺ [1] إلَّا وهو واقفٌ تحتَها . وقد روَى هذا الأثَرَ ابنُ أبى عاصمٍ [2] ، كما أوْرَدَه ابنُ الأثيرِ [3] مِن طريقِه .

غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ الثقفىُّ [4] ، أَسْلَمَ عامَ الفَتْحِ على عَشْرِ نسوةٍ ، فأمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] أن يخْتارَ مِنْهُنَّ أرْبعًا . وقد وفَد قبلَ الإسلام على كِسْرَى فأمَره أنْ يَبْنِىَ له قَصْرًا بالطائِفِ . وقد سأله كِسْرَى : أىُّ وَلَدِك أحَبُّ إليك ؟ قال : الصغيرُ حتى يَكْبَرَ ، والمريضُ حتى يبرأَ ، والغائبُ حتى يَقْدَمَ . فقال له كِسْرَى : أنَّى لك هذا ! هذا كلامُ الحكماءِ ! قال : فما غِذاؤُك ؟ قال : البُرُّ . قال : نعم ، هذا مِن البُرِّ لا مِن التمْرِ واللَّبَنِ .

مَعْمَرُ بنُ الحارثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وَهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ القرشىُّ [5] **الجُمَحِىُّ** [6] ، أخو حاطبٍ وحطّابٍ ، أُمُّهم قُتَيْلَةُ [7] بنتُ مَظْعُونٍ ، [8] أختُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ [8] . أسْلَمَ معمرٌ قبلَ دخولِ [9] دارِ الأرْقَمِ ، وشهِد بَدْرًا وما بعدَها ، وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ مُعاذِ بنِ عَفْراءَ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الآحاد والمثانى (١٩٤٤) بنحوه .

(٣) أسد الغابة ٤ / ٣١٦ .

(٤) الاستيعاب ٣ / ١٢٥٦ ، وأسد الغابة ٤ / ٣٤٣ ، والإصابة ٥ / ٣٣٠ .

(٥) زيادة من : م .

(٦) الاستيعاب ٤ / ١٤٣٢ ، وأسد الغابة ٥ / ٢٣٤ ، والإصابة ٦ / ١٨٦ .

(٧) فى النسخ : « قيلة » . والمثبت من مصادر الترجمة ، وانظر طبقات ابن سعد ٣ / ٤٠٢ ، ٤ / ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) بعده فى م : « النبى ﷺ » .

مَيْسَرَةُ بنُ مَسْروقٍ العبسيُّ[1] شيخٌ صالحٌ، قيل: إنَّه صحابيٌّ. شهِد اليرموكَ ودخَل الرُّومَ أميرًا على جيشٍ ستةِ آلافٍ، وكانتْ له هِمّةٌ عاليةٌ، فقَتَل وسبَى وغنِم، وذلك فى سنةِ عشرين. ورَوَى عن أبى[2] عُبيدةَ، [3]وعنه أسلَمُ مَوْلَى عمرَ. لم يَذْكُرْه ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ»[4].

واقِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عَرينٍ[5] **الحَنْظَلِيُّ اليَرْبُوعِيُّ**[6]، حليفُ بنى عَدِيِّ بنِ كعبٍ[3]، أسْلَمَ قبلَ[7] دارِ الأرْقَمِ، وشهِد بَدْرًا وما بعدَها، وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ بِشرِ بنِ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ، وهو أوَّلُ مَن قتَل فى سبيلِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، بِبَطْنِ نَخْلَةَ، مع عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ حينَ قَتَل عمرَو بنَ الحَضْرَمِيِّ. تُوُفِّىَ فى خلافَةِ عمرَ، رضِى اللَّهُ عنه.

أبو خِراشٍ الهُذَلِيُّ الشاعرُ[8] واسْمُه خُوَيْلِدُ بنُ مُرَّةَ، كان يَسْبِقُ الخَيلَ على قَدَمَيْه، وكان فتّاكًا فى الجاهليةِ، ثمَ أسْلَم وحسُن إسلامُه، وتُوُفِّى فى زمنِ عمرَ. أتَاه حُجّاجٌ، فذهَب يَأْتِيهم بماءٍ فنهَشَتْه حَيَّةٌ فرجَع إليهم بالماءِ، وأعْطاهم شاةً وقِدْرًا ولم يُعْلِمْهم بما جرَى له، فأصْبَح فمات فدفَنوه. ذكَره ابنُ عبدِ البَرِّ وابنُ الأثيرِ فى أسماءِ الصحابةِ. والظاهرُ أنَّه ليست له وِفادَةٌ، وإنَّما أسْلَم فى حياةِ

---

(١) فى الأصل، ا ١٥، ص: «العنسى». وانظر ترجمته فى أسد الغابة ٥ / ٢٨٥، والإصابة ٦ / ٢٣٨.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) كذا ذكر، رحمه الله، وتقدمت الإشارة إلى ترجمته فى أسد الغابة.

(٥) فى ا ١٥: «عزيز». وانظر الإكمال ٦ / ١٧٥.

(٦) الاستيعاب ٤ / ١٥٥٠، وأسد الغابة ٥ / ٤٣٢، والإصابة ٦ / ٥٩٤.

(٧) بعده فى م: «دخول النبى ﷺ».

(٨) الاستيعاب ٤ / ١٦٣٦، وأسد الغابة ٦ / ٨٦، والإصابة ٢ / ٣٦٤، ٧ / ١١٢.

النبيِّ ﷺ ، فهو مُخَضْرَمٌ . واللَّهُ أعلمُ .

أبو لَيْلَى عبدُ الرحمنِ بنُ كعبِ بنِ عمرٍو الأَنصارِيُّ[1] ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها ، إلَّا تَبُوكَ فإنَّه [2]تخلَّفَ لعذرِ الفقرِ[2] ، وهو أحدُ البَكَّائين المذكُورين[3] .

سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ القُرَشِيَّةُ العامِرِيَّةُ أمُّ المؤْمنين[4] ، أوَّلُ مَن دخَل بها رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ خديجةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، وكانت صوّامةً قوّامةً . ويُقالُ : كان فى خُلُقِها حِدَّةٌ . وقد كبِرَتْ فأراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُفارِقَها - ويُقالُ : بل فارقَها - فقالت : يا رسولَ اللَّهِ لا تُفارِقْنِى وأنا أجْعَلُ يومِى لعائشةَ . فترَكها رسولُ اللَّهِ ﷺ وصالَحها على ذلك . وفى ذلك أنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ[5] : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا[6] بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ الآيةَ [النساء: ١٢٨] . قالت عائشةُ : نزَلتْ فى سَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ . تُوُفِّيَتْ فى خلافَةِ عمرَ بنِ الخطابِ .

هِنْدُ بنتُ عُتْبةَ[7] ، يقالُ : ماتَتْ فى خلافةِ عمرَ . وقيل : تُوُفِّيَتْ قبلَ ذلك . كما تقدَّم . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٢، وأسد الغابة ٦ / ٢٦٩، والإصابة ٤/ ٣٥٥، ٧/ ٣٥٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « تعذر بالفقر » .

(٣) الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع ﴾ [التوبة : ٩٢] . وانظر التفسير ٤ / ١٣٨.

(٤) الاستيعاب ٤ / ١٨٦٧، وأسد الغابة ٧ / ١٥٧، والإصابة ٧ / ٧٢٠.

(٥) التفسير ٢/ ٣٧٩. وانظر الترمذى (٣٠٤٠) .

(٦) فى م : « يصلحا » . والمثبت قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبى عمرو، وما فى م قراءة عاصم وحمزة والكسائى . انظر : السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد ٢٣٨.

(٧) تقدمت ترجمتها فى صفحة ٦٤٦/٩ فى من توفى سنة أربع عشرة .

[١٤١/٥ظ] ثم استَهَلَّتْ سنةُ أربعٍ وعشرين

ففى أوَّلِ يومٍ منها دُفِن أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وذلك يومَ الأحدِ ، فى قولٍ[(١)] . وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ بُويع لأميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

خلافةُ عثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه

كان عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قد جعَل الأمرَ بعدَه شورَى بينَ ستَّةِ نَفَرٍ ، وهم ؛ عثمانُ بنُ عفانَ ، وعليُّ بنُ أبى طالبٍ ، وطَلْحةُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ ، والزُّبَيرُ ابنُ العوّامِ ، وسعدُ بنُ أبى وقّاصٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم . وتحرَّج أن يجعَلَها إلى واحدٍ مِن هؤلاء على التَّعْيِينِ ، وقال[(٢)] : لا أتحمَّلُ أمرَكم حيًّا وميِّتًا ، وإن يُرِدِ اللَّهُ بكم خيرًا يجمَعْكم على خيرِ هؤلاء ، كما جمَعكم على خيرِكم بعدَ نبيِّكم ﷺ .

ومِن تمامِ وَرَعِه لم يذكُرْ فى أهلِ الشورَى سعيدَ بنَ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ؛ لأنَّه ابنُ عمِّه ، خشِى أن يُراعَى فيولَّى لكونِه ابنَ عمِّه ، فلذلك ترَكه ، وهو أحدُ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنةِ ، بل جاء فى روايةِ المدائنىِّ[(٣)] ، عن شيوخِه ، أنه استَثْناه مِن بينِهم ، وقال : لستُ مُدْخِلَه فيهم . وقال لأهلِ الشورى : يحضُرُكم عبدُ اللَّهِ - يعنى ابنَه - وليس له مِن الأمرِ شىءٌ ، بل يحضُرُ الشورَى ويُشيرُ بالنُّصْحِ

---

(١) هو قول إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص . أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ٣٦٥.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٢٢٨/٤ .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢٢٧/٤ - ٢٣٤ من حديث المدائنى به .

ولا يولِّى شيئًا .

وأوصَى أن يصلِّىَ بالناسِ صهيبُ بنُ سِنانٍ الرومىُّ ثلاثةَ أيامٍ حتى تنقضِىَ الشورَى ، وأن يجتمِعَ أهلُ الشورَى ، ويوكِّلَ بهم أناسٌ حتى ينبرِمَ الأمرُ ، ووكَّل بهم خمسين رجلًا مِن المسلمين ، وجعَل عليهم مُسْتَحِثًّا أبا طلحةَ الأنصارىَّ ، والمِقْدَادَ بنَ الأسودِ الكِنْدِىَّ . وقد قال عمرُ بنُ الخطابِ : ما أظنُّ الناسَ يعدِلون بعثمانَ وعلىٍّ أحدًا ؛ إنهما كانا يكتُبان الوحْىَ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا ينزِلُ به جبريلُ عليه .

قالوا[1] : فلمَّا مات عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وأُحضِرَت جِنازَتُه تبادَر إليها علىٌّ وعثمانُ أيُّهما يُصلِّى عليه ، فقال لهما عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ : لستُما مِن هذا فى شىءٍ ، إنَّما هذا إلى صُهَيبٍ الذى أمَره عمرُ أن يصلِّىَ بالناسِ . فتقدَّم صهيبٌ فصلَّى عليه . ونزَل فى قبرِه مع ابنِه عبدِ اللَّهِ أهلُ الشورَى سوَى طلحةَ ، فإنه كان غائبًا .

فلمَّا فُرِغ مِن شأنِ عمرَ جمَعهم المِقْدَادُ بنُ الأسودِ فى بيتِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ، وقيل : فى حجرةِ عائشةَ . وقيل : فى بيت المالِ . وقيل : فى بيتِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ أختِ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ . والأوَّلُ أشبَهُ . واللَّهُ أعلمُ . فجلَسوا فى البيتِ ، وقام أبو طَلْحةَ يحجُبُهم ، وجاء عمرُو بنُ العاصِ ، والمغيرةُ بنُ شُعْبةَ فجلَسا مِن وراءِ البابِ ، فحصَبَهما سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ ، وطرَدهما ، وقال : جئتُما لتقُولا : حضَرْنا أمرَ الشورَى ! رَواه المدائنىُّ عن مشايخِه . واللَّهُ أعلمُ بصحَّتِه .

والمقصودُ أنَّ القومَ خلَصوا مِن الناسِ فى بيتٍ يتَشَاوَرُون فى أمرِهم ، فكثُر

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة عمر : تحقيق سكينة الشهابى) ص ٣٨٦ .

القولُ ، وعَلَتِ الأصواتُ ، وقال أبو طَلْحةَ : إنِّى كنتُ أظُنُّ أن تدافَعوها ، ولم أكُنْ أظنُّ أن تنافَسُوها . ثم صار الأمرُ بعدَ حُضورِ طلحةَ إلى أن فوَّض ثلاثةٌ منهم ما لهم فى ذلك إلى ثلاثةٍ ؛ ففوَّض الزُّبَيرُ ما يستَحِقُّه مِن الإمارةِ إلى علىٍّ ، وفوَّض سعدٌ ما له فى ذلك إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، وترَك طلحةُ حقَّه لعثمانَ بنِ عفانَ ، فقال عبدُ الرحمنِ لعلىٍّ وعثمانَ : أيُّكما يبْرَأُ مِن هذا الأمرِ فنفوِّضَ الأمرَ إليه ، واللَّهُ عليه والإسلامُ ، لَيُوَلِّيَنَّ[1] أفضلَ الرجُلَين الباقِيَين . فأُسْكِتَ الشَّيخان علىٌّ وعثمانُ ، فقال عبدُ الرحمنِ : فإنِّى أترُكُ [٥/١٤٢و] حقِّىَ مِن ذلك ، واللَّهُ علىَّ والإسلامُ أن أجتَهِدَ فأُوَلِّى أَوْلَاكُما بالحقِّ . فقالَا : نعم . ثم خاطَب كلَّ واحدٍ منهما بما فيه مِن الفضْلِ ، وأخَذ عليه العهْدَ والميثاقَ لَئِن وَلَّاه لَيَعْدِلَنَّ ، ولَئِن ولَّى عليه ليَسْمَعَنَّ ولَيُطِيعَنَّ ، فقال كلٌّ منهما : نعم . ثم تفرَّقُوا .

ويُرْوَى[2] أنَّ أهلَ الشورى جعَلوا الأمرَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ؛ لِيَجْتَهِدَ للمسلمين فى أفْضلِهم فيُولِّيه . فيُذْكَرُ أنَّه سأَل كلَّ مَن يمكِنُه سؤالُه مِن أهلِ الشورَى وغيرِهم ، فلا يشيرُ إلا بعثمانَ بنِ عفانَ ، حتى أنّه قال لعلىٍّ : أرَأَيتَ إن لم أُوَلِّكَ ، فمَن تشيرُ به علىَّ ؟ قال : [3]بعثمانَ . وقال لعثمانَ : أرأيتَ إن لم أُوَلِّكَ ، فمَن تشيرُ به ؟[3] قال : بعلىِّ بنِ أبى طالبٍ . والظَّاهِرُ أن هذا كان قبلَ أن ينحصِرَ الأمرُ فى ثلاثةٍ ، وينخلِعَ عبدُ الرحمنِ منها لينظُرَ الأفضلَ ، واللَّهُ عليه والإسلامُ لَيَجْتَهِدَنَّ[4] فى أفضلِ الرَّجلين فيُوَلِّيه .

---

(١) فى ا ١٥: «فنولن».

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٣٤- ٢٧٠.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) بعده فى ا ١٥: «رايه للمسلمين».

ثم نهَض عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يستَشِيرُ الناسَ فيهما ، [1]ويجتمِعُ[2] برءوسِ الناسِ وأجنادِهم[1] ؛ جميعًا وأشْتَاتًا ، مَثْنَى وفُرَادَى ومُجْتَمِعِين ، سِرًّا وجَهْرًا ، حتى خلَص إلى النساءِ المُخَدَّرَاتِ فى حِجابِهن ، وحتى سأَل الوِلْدانَ فى المكاتبِ ، وحتى سأَل مَن يَرِدُ مِن الرُّكْبانِ والأعْرابِ إلى المدينةِ ، فى مدةِ ثلاثةِ أيامٍ بلَيالِيها ، فلم يجِدْ اثنَين يختَلِفان فى تقديمِ عثمانَ بنِ عفانَ ؛ إلّا ما يُنْقَلُ عن عمارٍ والمِقْدادِ ، أنّهما أشارَا بعلىِّ بنِ أبى طالبٍ ، ثم بايَعا مع الناسِ على ماسيُذكَرُ . فسعَى فى ذلك عبدُ الرحمنِ ثلاثةَ أيامٍ بلَيالِيها لا يَغْتَمِضُ بكثيرِ نومٍ إلا صلاةً ودعاءً[3] واستِخارةً ، وسؤالًا مِن ذَوى الرأْيِ[4] وغيرِهم[4] ، فلم يجِدْ أحدًا يعدِلُ بعثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

فلمَّا كانتِ الليلةُ التى[5] يسفِرُ صباحُها عن اليومِ الرابعِ مِن موتِ عمرَ بنِ الخطابِ جاء إلى منزلِ ابنِ أختِه المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ، فقال : أنائمٌ يامِسْوَرُ ! واللَّهِ لم أغتَمِضْ بكثيرِ نومٍ منذُ ثلاثٍ ، اذهَبْ فادْعُ لى عليًّا وعثمانَ . قال المِسْوَرُ : فقلت : بأيِّهما أبدَأُ ؟ فقال : بأيِّهما شئْتَ . قال : فذهَبْتُ إلى علىٍّ ، فقلْتُ : أجِبْ خالى . فقال : أمَرَكَ أن تدعُوَ معىَ أحدًا ؟ قلتُ : نعم . قال : مَن ؟ قلتُ : عثمانَ بنَ عفانَ . قال : بأيِّنا بدَأَ ؟ قلتُ : لم يأمُرْنى بذلك ، بل قال : ادعُ أيَّهما شئْتَ أولًا . فجئتُ إليك . قال : فخرَج معىَ ، فلمَّا مرَرْنا بدارِ عثمانَ بنِ عفانَ ،

(١ - ١) فى م : « ويجمع رأى المسلمين برأى رءوس الناس وأقيادهم » .

(٢) بعده فى الأصل : « رأى المسلمين » ، وبعده فى ص : « راية المسلمين » .

(٣) بعده فى ا ١٥ : « واجتهادا » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « عنهم » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

جلَس عليٌّ حتى دخَلْتُ فوجَدْتُه يُوتِرُ مع الفجرِ، فدعوتُه[1]، فقال لى كما قال لى عليٌّ سواءً، ثم خرَج، فدخَلْتُ بهما على خالى[2] وهو قائمٌ يصلِّى، فلمَّا انصَرَف أقبَل على عليٍّ وعثمانَ، فقال: إنِّى قد سأَلْتُ الناسَ عنكما، فلم أجِدْ أحدًا يعدِلُ بكما أحدًا. ثم أخَذ العهْدَ على كلٍّ منهما أيضًا لَئِن ولَّاه لَيَعْدِلَنَّ، ولَئِن ولَّى عليه لَيَسْمَعَنَّ ولَيُطِيعَنَّ، ثم خرَج بهما إلى المسجدِ وقد لبِس عبدُ الرحمنِ العِمامةَ التى عمَّمه بها رسولُ اللَّهِ ﷺ، وتقلَّد سيفًا، وبعَث إلى وُجُوهِ الناسِ مِن المهاجرين والأنصارِ، ونُودِى فى الناسِ عامةً: الصلاةَ جامعةً. فامتلأ المسجدُ حتى غَصَّ بالناسِ، وتراصَّ الناسُ، وتراصُّوا حتى لم يبْقَ لعثمانَ موضعٌ يجلِسُ فيه إلا فى [3]أُخْرَياتِ الناسِ[3] - وكان رجلًا حَيِيًّا، رضِى اللَّهُ عنه - ثم صعِد عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ مِنبرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، [4]فقام على الدرجةِ التى كان يَجلِسُ عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ[4]، فوقَف وُقوفًا طويلًا، ودعا دعاءً طويلًا، لم يسمَعْه الناسُ ثم تكلَّم، فقال: أيُّها الناسُ، إنِّى قد سأَلْتُكم سرًّا وجَهْرًا، [5]مَثْنَى وفُرادَى[5]، فلم أجِدْكم تعدِلُون بأحدِ هذين الرجلَين [٥/١٤٢ظ]؛ إمَّا عليٌّ وإمَّا عثمانُ، فقُمْ إلىَّ يا عليُّ[6]، فقام إليه فوقَف تحتَ المنبرِ فأخَذ عبدُ الرحمنِ بيدِه فقال: هل أنت مُبايِعى على كتابِ اللَّهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ وفعْلِ أبى بكرٍ وعمرَ؟ قال: اللهمَّ لا، ولكن على جَهْدِى مِن ذلك وطاقَتِى. قال: فأرسَل يدَه وقال:

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٨، م.

(٢) فى الأصل: «على».

(٣ - ٣) فى ا ١٥، ا ٨: «آخر باب المسجد».

(٤ - ٤) زيادة من: ا ١٥، ا ٨.

(٥ - ٥) فى الأصل م، ص: «بامانيكم».

(٦) فى الأصل: «عثمان».

قُمْ ياعثمانُ . فأخَذ بيدِه فقال : هل أنت مُبايِعى على كتابِ اللَّهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ وفِعْلِ أبى بكرٍ وعمرَ؟ قال : اللهمَّ نعم . قال : فرفَع رأْسَه إلى سقفِ المسجدِ ، ويدُه فى يدِ عثمانَ ، فقال : اللهمَّ اسمَعْ واشهَدْ ، اللهمَّ اسمَعْ واشهَدْ ، اللهمَّ اسمَعْ واشهَدْ ، اللهمَّ إنِّى قد جعلْتُ ما فى رقبَتى مِن ذاك فى رقبةِ عثمانَ . قال : وازدَحم الناسُ يُبايِعون عثمانَ حتى غَشَوه تحتَ المنبرِ ، قال : فقعَد عبدُ الرحمنِ مَقْعَدَ النبىِّ ﷺ . وأجلَس عثمانَ تحتَه على الدرجةِ الثانيةِ ، وجاء إليه الناسُ يبايِعونه ، وبايَعه علىُّ بنُ أبى طالبٍ أوَّلًا ، ويقالُ : آخِرًا[1] .

وما يذكُرُه كثيرٌ مِن المؤرِّخين[2] - كابنِ جريرٍ وغيرِه - عن رجالٍ لا يُعْرَفُون ، مِن أن عليًّا قال لعبدِ الرحمنِ : خدَعْتَنى ، وإنك إنما وَلَّيْتَه ؛ لأنَّه صِهْرُك وليُشاوِرَك كلَّ يومٍ فى شأنٍ . وأنه تلكَّأ حتى قال له عبدُ الرحمنِ : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] [سورة الفتح : ١٠] . إلى غيرِ ذلك مِن الأخبارِ المخالفةِ لِما ثبَت فى الصِّحاحِ ، فهى مَرْدُودَةٌ على قائِلِيها وناقِلِيها . واللَّهُ أعلمُ . والمظنونُ بالصحابةِ خلافُ ما يَتَوَهَّمُ كثيرٌ مِن جَهَلةِ[4] الرافِضَةِ وأغبياءِ القُصَّاصِ الذين لا تمييزَ عندَهم بينَ صحيحِ الأخبارِ وضعيفِها ، ومستقيمِها [5]وسَقيمِها ، وشاذِّها[5] وقويِّها ،

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٦٢.

(٢) ذكر ذلك ابن جرير فى تاريخه ٤ / ٢٣٣، ٢٣٨، وابن الأثير فى الكامل ٣ / ٧١، والذهبى فى تاريخ الإسلام ، (عهد الخلفاء) ص ٣٠٥.

(٣) فى ص : « عليهِ » بالكسر خلافا لحفص ؛ فإنه قرأ : « عليهُ » مضمومة الهاء على أصل حركتها . وقرأ الباقون : « عليهِ » بكسر الهاء لمجاورة الياء . انظر : حجة القراءات ٦٧٢.

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « وسقيمها ومنادها » . وفى م : « وسقيهما ومبادها » . وفى ا ١٥ : « وشاذها » .

واللَّهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ .

وقد اختَلَف علماءُ السِّيَرِ فى اليومِ الذى بُويِع فيه لعثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ؛ فروَى الواقدىُّ[1] ، عن شيوخِه ، أنَّه بُويِع يومَ الاثنينِ لليلةٍ بَقِيت مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرين ، واستَقْبَل بخلافتِه المحرمَ سنةَ أربعٍ وعشرين . وهذا غريبٌ جدًّا . وقد روَى الواقدىُّ أيضًا[2] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ[3] ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، قال : بُويِع لعثمانَ بنِ عفانَ لعشرٍ خلَون مِن المحرمِ بعدَ مقتلِ عمرَ بثلاثِ ليالٍ . وهذا أغْرَبُ مِن الذى قبلَه .

وقال سيفٌ[4] ، عن خُلَيدِ[5] بنِ ذَفَرَةَ[6] ، ومُجالدٍ ، قالا : استُخْلِف عثمانُ لثلاثٍ خَلَون مِن المحرَّمِ سنةَ أرْبعٍ[7] وعشرين . وكذا روَى سيفٌ[8] ، عن[9] عمرَ[10] ، عن عامرٍ الشعبىِّ ، أنَّه قال : اجتَمَع أهلُ الشورَى على عثمانَ لثلاثٍ خَلَوْن مِن المحرمِ سنةَ أربعٍ وعشرين ، وقد دخَل وقتُ العصرِ وقد أذَّن مُؤَذِّنُ صُهيبٍ ، واجتَمَع الناسُ بينَ الأذانِ والإقامةِ فخرَج فصلَّى بهم العصرَ ، وزادَ الناسَ - يعنى فى أُعْطِياتِهم - مائةً ، ووَفَّد أهلَ الأمصارِ ، وهو أوَّلُ مَن صنَع ذلك .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ /٦٣ من حديث الواقدى به .
(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ /٢٤٢ من حديث الواقدى به .
(٣) فى الأصل ، ا ٨: « جرير » .
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢٤٢/٤ من حديث سيف .
(٥) فى الأصل ، م ، ص : « خليفة » ، وفى ا ١٥: « خليدة » .
(٦) فى النسخ : « زفر » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظرالإكمال ٣٢٨/٣ .
(٧) فى الأصل ، م ، ص : « ثلاث » .
(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ / ٢٤٢. من حديث سيف به .
(٩) فى الأصل ، م ، ص : « بن » .
(١٠) فى ا ١٥، ا ٨: « عمرو » .

قلتُ : ظاهرُ ما ذكَرْناه مِن سياقِ بَيْعَتِه يقتَضى أنَّ ذلك كان قبلَ الزَّوالِ ، لكنَّه لمَّا بايَعه الناسُ فى المسجدِ ، ذُهِب به إلى دارِ الشورَى ، على ما تقدَّم فيها مِن الخلافِ ، فبايَعه بقيةُ الناسِ ، وكأنَّه لم يُتِمَّ البيعةَ إلا بعدَ الظهرِ .

وصلَّى صهيبٌ يومَئذٍ الظهرَ فى المسجدِ النبوىِّ ، وكان أوّلُ صلاةٍ صلَّاها الخليفةُ أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ بالمسلمين صلاةَ العصرِ ، كما ذكَره الشعبىُّ وغيرُه . وأمَّا أوَّلُ خُطبةٍ خطَبها بالمسلمين ، [٥/١٤٣و] فروَى سيفُ بنُ عمرَ[(١)] ، عن بدرِ[(٢)] بنِ عثمانَ ، عن عمِّه ، قال : لَمَّا بايَع أهلُ الشورَى عثمانَ خرَج وهو أشدُّهم كآبةً ، فأتَى مِنبرَ النبىِّ ﷺ ، فخطَب الناسَ ؛ فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه وصلَّى على النبىِّ ﷺ ، وقال : إنَّكم فى دارِ قُلْعَةٍ[(٣)] وفى بقيَّةِ أعمارٍ ، فبادِروا آجالَكم بخيرِ ما تَقْدِرُون عليه ، [(٤)]فلقد أُتِيتُم ؛ صُبِّحْتُم أو مُسِّيتُم ، ألَا وإنَّ الدنيا طُوِيَت على الغرورِ[(٤)] ؛ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان : ٣٣] . اعْتَبِروا بمَن مضَى ثم جِدُّوا ولا تَغْفُلوا ؛ أين أبناءُ الدنيا وإخوانُها ، الذين أثارُوها وعمَرُوها ومُتِّعوا بها طويلًا ؛ ألم تلفِظْهم ! ارمُوا بالدنيا حيثُ رمَى اللَّهُ بها واطلُبوا الآخرةَ ، فإنَّ اللَّهَ قد ضرَب لها مثلًا ، [(٥)]والذى[(٥)] هو خيرٌ ، فقال تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ /٢٤٣ من حديث سيف به .

(٢) فى الأصل : « بد » ، وفى ا ١٥، ا ٨: « ثور » .

(٣) يقال : الدنيا دار قلعة : أى دار تحول وارتحال .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص .

(٥ - ٥) فى م : « بالذى » ، وفى تاريخ الطبرى ٤ /٢٤٣: « وللذى » .

وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة الكهف: ٤٥، ٤٦]. قال: وأقبَل الناسُ يبايِعُونه.

قلتُ: وهذه الخُطبةُ إمَّا بعدَ صلاةِ العصرِ يومَئذٍ، أو قبلَ الزَّوالِ، [1]وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ جالسٌ فى رأْسِ المنبرِ[1]، وهو الأشْبَهُ. واللَّهُ أعلمُ.

وما يذكُرُه بعضُ الناسِ مِن أنَّ [2]عثمانَ لمَّا خطَب أوَّلَ خُطْبةٍ أُرْتِجَ عليه فلم يدْرِ ما يقولُ حتى قال: أيُّها الناسُ، إنَّ[2] أوَّلَ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وإنْ أَعِشْ فسَتَأْتِيكم الخُطبةُ على وجهِها. فهو شىءٌ يذكُرُه صاحبُ العِقْدِ وغيرُه[3]، مِمَّن يذكُرُ طرفَ الفوائدِ، ولكن لم أرَ هذا بإسنادٍ تسكُنُ النفْسُ إليه. واللَّهُ أعلمُ.

وأمَّا قولُ الشعبىِّ أنَّه زاد الناسَ مائةً[4]، يعنى فى عطاءِ كلِّ واحدٍ مِن جندِ المسلمين؛ زادَه على ما فرَض له عمرُ مائةَ درهمٍ مِن بيتِ المالِ، وكان عمرُ قد جعَل لكلِّ نفسٍ مِن المسلمين فى كلِّ ليلةٍ مِن رمضانَ دِرْهمًا مِن بيتِ المالِ يُفْطِرُ عليه، ولأُمَّهاتِ المؤمنين دِرْهَمَين دِرْهَمَين، فلمَّا وَلِى عثمانُ أقرَّ ذلك وزادَه، واتَّخَذ سِماطًا فى المسجدِ أيضًا للمُتَعَبِّدِين، والمُعْتَكِفين، وأبناءِ السَّبيلِ، والفقراءِ، والمساكينِ، رضِى اللَّهُ عنه. وقد كان أبو بكرٍ إذا خطَب يقومُ على الدرجةِ التى تحتَ الدرجةِ التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقِفُ عليها، فلمَّا وَلِى عمرُ نزَل درجةً أخرى عن درجةِ أبى بكرٍ، رضِى اللَّهُ عنهما، فلمَّا وَلِى عثمانُ قال: إن هذا يطولُ: فصعِد إلى الدرجةِ التى كان يخطُبُ عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ[5].

(١ - ١) زيادة من: ا ١٥، ص.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ /٦٦ (ط. لجنة التأليف والترجمة). وذكره ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ٦٢. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (فى ترجمة عثمان رضى اللَّه عنه) ص ٢٣٠.

(٤) فى م: «مائة مائة».

(٥) بعده فى ا ١٥: «فأعظم الناس ذلك وكان هذا أول ما أخذ عليه».

وزاد الأذانَ الأوَّلَ يومَ الجمعةِ ، قبلَ الأذانِ الذى كان يُؤَذَّنُ به بينَ يَدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا جلَس على المنبرِ .

وأمَّا أوَّلُ حُكُومةٍ حكَم فيها فقضيةُ[1] عبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وذلك أنه غدَا على ابنةِ[2] أبى لؤلؤةَ قاتلِ عمرَ فقتَلها[3] ، وضَرَب رجلًا نصرانيًا يقالُ له : جُفَيْنَةُ . بالسيفِ فقتَله ، وضرَب الهُرْمُزَانَ الذى كان صاحبَ تُسْتَرَ فقتَله ، وكان قد قيل : إنَّهما مالَئَا أبا لؤلؤةَ على قتلِ عمرَ . فاللَّهُ أعلمُ . وقد كان عمرُ قد أمَر بسَجْنِه ليحكُمَ فيه الخليفةُ مِن بعدِه ، فلمَّا وَلِى عثمانُ ، وجلَس للناسِ ، كان أوَّلَ ما تُحُوكِم إليه فى شأنِ عبيدِ اللَّهِ ، فقال علىٌّ : ما مِن العدلِ تَرْكُه . وأمَر بقتْلِه . وقال بعضُ المهاجرين : أيُقْتَلُ أبوه بالأمْسِ ، ويُقْتَلُ هو اليومَ ! فقال عمرُو بنُ العاصِ : ياأميرَ المؤمنين ، قد برَّأَكَ اللَّهُ مِن ذلك ؛ قضيةٌ لم تكُنْ فى أيَّامِكَ فدَعْها عنك . فوَدَى عثمانُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أولئك القَتْلَى مِن مالِه ؛ لأنَّ أمْرَهم إليه ، [٥/ ١٤٣ظ] إذْ لا وارثَ لهم إلا بيتُ المالِ ، والإمامُ يرَى الأصْلَحَ فى ذلك ، وخلَّى سبيلَ عُبَيدِ اللَّهِ . قالوا : فكان زيادُ بنُ لَبِيدٍ البياضِىُّ إذا رأَى عبيدَ اللَّهِ بنَ عمرَ يقولُ[4] :

ألا ياعبيدَ اللَّهِ ما لكَ مَهْرَبٌ ... ولا مَلْجَأٌ مِن ابنِ أروَى ولا خَفَرْ
أصبتَ دمًا واللَّهِ فى غيرِ حِلِّه ... حَرامًا وقتلُ الهُرْمُزَانِ[5] له خَطَرْ
على غيرِ شىءٍ غيرَ أنْ قال قائلٌ ... أتَتَّهِمون الهُرْمُزَانَ على عمرْ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٣٩، والكامل ٣/ ٧٥.
(٢) فى ا ١٥، ا ٨: «قاتل أبيه».
(٣) فى ا ١٥، ا ٨: «فقتله».
(٤) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤ / ٢٣٩، ٢٤٠، والكامل ٣ / ٧٥، ٧٦.
(٥) بعده فى ا ١٥: «ان».

[1] فقال سَفِيهٌ[2][1] والحوادثُ جَمَّةٌ نَعَمْ أَتَّهِمْهُ قد أشار وقد أمَرْ
وكان سِلاحُ العبدِ فى جوفِ بَيتِه يُقلِّبُها والأمرُ بالأمْرِ يُعْتَبَرْ

قال : فشَكَا عُبَيْدُ اللَّهِ زيادًا إلى عثمانَ ، فاسْتَدعَى عثمانُ زيادَ بنَ لَبِيدٍ ، فأنشَأ زيادٌ يقولُ فى عثمانَ[3] :

أبا عمرٍو عُبَيدُ اللَّهِ رَهْنٌ فلا تَشْكُكْ بقَتْلِ الهُرْمُزَانِ
[4]فإنك إن غفرتَ الجُرْمَ عنه وأسبابَ الخطا فرسا رِهانِ[4]
أَتَعْفُو إذ عَفوتَ بغيرِ حَقٍّ فما لَك بالذى يُخْلَى[5] يَدَانِ

قال : فنَهَاه عثمانُ عن ذلك ، وزبَرَه ، فسكَت زيادُ بنُ لبيدٍ عمَّا يقولُ .

ثم كتَب عثمانُ بنُ عفانَ إلى عمالِه على الأمصارِ ؛ أمراءِ الحربِ ، والأئمةِ على الصَّلَواتِ ، والأمناءِ على بيوتِ المالِ ؛ يأمُرُهم بالمعروفِ ويَنْهَاهُم عن المنكرِ ، ويَحُثُّهم على طاعةِ اللَّهِ وطاعةِ رسولِه ، ويُحَرِّضُهم على الاتِّباعِ وتَرْكِ الابْتِدَاعِ .

قال ابنُ جريرٍ[6] : وفى هذه السنةِ عزَل عثمانُ المُغيرةَ بنَ شُعبةَ عن الكوفةِ ، ووَلَّى عليها سعدَ بنَ أبى وقَّاصٍ ، فكان أوَّلَ عاملٍ ولَّاه ؛ لأنَّ عمرَ قال : فإنْ أصابَتِ الإمْرَةُ سَعْدًا فَذَاك ، وإلَّا فَلْيَسْتَعِنْ به أيُّكم وُلِّىَ ، فإنِّى لم أعزِلْه عن عجزٍ ولا خيانةٍ . فاستَعْمَل سعدًا عليها سنةً وبعضَ أخرَى . ثم رَواه ابنُ جريرٍ ، مِن

(١ - ١) فى الأصل : « يقال سيف » .
(٢) فى ا ١٥ : « سقته » .
(٣) البيتان فى تاريخ الطبرى ٤/ ٢٤٠ ، والكامل ٣/ ٧٦.
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥) فى الأصل : « يحكى » .
(٦) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٤٤.

طريقِ سيفٍ ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشعبيِّ[1] .

وقال الواقديُّ فيما ذكَره ، عن [2]أسامةَ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ[2] ، عن أبيه ، أنَّ عمرَ أوصَى أن تُقَرَّ عمَّالُه سنةً ، فلمَّا وَلِى عثمانُ أقرَّ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ على الكوفةِ سنةً ، [3]ثم عزَله ، واستَعْمَل سَعْدًا ، ثم عزَله ووَلَّى الوليدَ بنَ عُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ . قال ابنُ جريرٍ : فعلى ما ذكَره الواقديُّ تكونُ ولايةُ سعدٍ على الكوفةِ سنةَ[3] خمسٍ وعشرين .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ - أعنى سنةَ أربعٍ وعشرين - غزَا الوليدُ بنُ عُقْبَةَ أَذْرَبِيجانَ وأَرْمِينِيَةَ حينَ منَع أهلُها ما كانوا صُولحِوا عليه فى أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وهذا فى روايةِ أبى مِخْنَفٍ . وأمَّا فى روايةِ غيرِه ، فإنَّ ذلك كان فى سنةِ ستٍّ وعشرين .

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ هَـٰهنا هذه الوقعةَ ، وملخَّصُها أنَّ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ سار بجيشِ الكوفةِ نحوَ أَذْرَبِيجانَ وأَرْمِينِيَةَ ، حينَ نقَضوا العهدَ ، فوَطِئَ بلادَهم ، وأغار بأراضِى تلك الناحيةِ ، فغَنِم وسبَى ، وأخَذ أموالًا جزيلةً ، فلمَّا أيقَنُوا بالهَلَكةِ صالَحه أهلُها على ما كانوا صالَحوا عليه حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ ؛ ثمانِمائةِ ألفِ درهمٍ فى كلِّ سنةٍ ، فقبَض منهم جزيةَ سنةٍ ، ثم رجَع سالمًا غانمًا إلى الكوفةِ ، فمرَّ بالمَوْصِلِ ، وجاءَه كتابُ عثمانَ وهو بها يأمُرُه أن يُمِدَّ أهلَ الشامِ على حربِ الرومِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٢٤٤ من حديث سيف به .

(٢ - ٢) فى النسخ : « زيد بن أسلم » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر « تهذيب الكمال » ٢٦ / ١٨٠، ١٨١.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٤٦.

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ جاشَتِ الرومُ حتى خاف أهلُ الشامِ وبعَثوا إلى عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يستَمِدُّونه ، فكتَب إلى الوليدِ بنِ عُقْبَةَ ؛ أنْ إذا جاءَكَ كِتابى هذا ، فابعَثْ رجلًا أمينًا كريمًا شُجاعًا فى ثمانيةِ آلافٍ أو تسعةِ آلافٍ أو عَشَرَةِ آلافٍ إلى إخوانِكم بالشامِ . فقام الوليدُ بنُ عُقْبَةَ فى الناسِ خَطِيبًا ، حينَ وصَل إليه كتابُ عثمانَ ، فأخبرَهم بما أمَره به أميرُ المؤمنين ، وندَب [٥/١٤٤و] الناسَ وحَثَّهم على الجهادِ ومُعَاونةِ معاويةَ وأهلِ الشامِ ، وأمَّر سَلْمَانَ بنَ ربيعةَ على الناسِ الذين يخرُجون إلى الشامِ ، فانتَدَب فى ثلاثةِ أيامٍ ثمانِيةَ آلافٍ فبعَثَهم إلى الشامِ ، وعلى جندِ المسلمين حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ[2] الفِهْرِىُّ . فلمَّا اجتَمَع الجيشان شَنُّوا الغاراتِ على بلادِ الرومِ ، فغَنِموا وسَبَوا سَبْيًا[3] كثيرًا ، وفتَحوا حُصونًا كثيرةً . وللَّهِ الحمدُ .

وزعَم الواقدىُّ[4] أن الذى أمَدَّ أهلَ الشامِ بسلمانَ بنِ ربيعةَ إنَّما هو سعيدُ بنُ العاصِ ؛ عن كتابِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فبعث سعيدُ بنُ العاصِ سلمانَ بنَ ربيعةَ بستةِ آلافِ فارسٍ حتى انتَهَى إلى حبيبِ بنِ مَسْلَمَةَ ، وقد أقبَل إليه المَوْريانُ[5] الرومىُّ فى ثمانين ألفًا مِن الرومِ والتُّرْكِ ، وكان حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ شُجاعًا شَهْمًا ، فعزَم على أن يُبَيِّتَ جيشَ الرومِ ، فسمِعَته امرأتُه يقولُ للأمراءِ ذلك ، فقالت له : فأين مَوْعِدى معكَ ؟ تعنى أين أجتَمِعُ بكَ غدًا ؟ فقال لها : مَوْعِدُكِ سُرادِقُ مَوْريانَ أو الجنةُ . ثم نهَض إليهم فى الليلِ بمَن معه مِن المسلمين ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٤٧.

(٢) فى الأصل ، م : « مسلم » .

(٣) فى الأصل ، م : « شيئا » .

(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٢٤٨.

(٥) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « المرزبان » . وكذا فيما يأتى من مواضع .

فقَتَل مَن [(١] أشرَف له [١)] ، وسبَقَته امرأتُه إلى سُرَادِقِ مَوْريانَ ، فكانت أوَّلَ امرأةٍ مِن العربِ ضُرِب عليها سُرَادِقٌ ، وقد مات عنها حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ بعدَ ذلك ، فخلَف عليها بعدَه الضَّحّاكُ بنُ قيسٍ الفِهْرِىُّ ؛ فهى أمُّ ولدِه .

قال ابنُ جريرٍ [(٢)] : واختُلِف فى مَن حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ ؛ فقال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ : حجَّ بهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ [(٣] بأمرِ عثمانَ [٣)] . وقال آخرون : حجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه . والأوَّلُ هو الأشهرُ ؛ فإنَّ عثمانَ لم يَتَمَكَّنْ مِن الحجِّ فى هذه السنةِ ، لأجلِ رُعَافٍ أصابَه مع الناسِ فى هذه السنةِ حتى خُشِى عليه . وكان يقالُ لهذه السنةِ : سنةُ الرُّعَافِ .

وفيها افتَتَح أبو موسى الأشعرىُّ الرَّىَّ بعدَ ما نقَضوا العهدَ الذى كان واثَقَهم عليه حُذَيْفَةُ بنُ اليَمانِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وفيها توفِّى سُرَاقَةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجِىُّ [(٤)] ، ويكنَى بأبى سفيانَ ، كان ينزِلُ قُدَيْدًا [(٥)] ، وهو الذى اتَّبَع رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعامرَ بنَ فُهَيْرَةَ وعبدَ اللَّهِ بنَ أُرَيْقِطٍ الدِّيلِىَّ ، حينَ خرَجوا مِن غارِ ثَوْرٍ قاصِدِين المدينةَ ، فأرادَ أن يَرُدَّهم على أهلِ مكةَ لمَّا جعَلوا فى كلِّ واحدٍ مِن النبىِّ ﷺ وأبى بكرٍ مائةً [(٦)] مِن الإبلِ ، فطمِع أن يفوزَ بهذا الجُعْلِ ، فلم يُسَلِّطْه اللَّهُ عليهم ، بل لمَّا اقتَرَب منهم وسمِع قراءةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ساخَتْ قوائمُ فرسِه فى الأرضِ حتى ناداهم

(١ - ١) فى الأصل، ا ١٥، ص: «أشرافهم»، وفى ا ٨: «أشرافهم وكبرائهم».

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٢٤٩.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٥٨١، وأسد الغابة ٢/ ٣٣١، والإصابة ٣/ ٤١.

(٥) اسم موضع قرب مكة. معجم البلدان ٤ / ٤٢.

(٦) بعده فى الأصل، م: «مائة».

بالأمانِ ، فأعطَوْه الأمانَ ، وكتَب له أبو بكرٍ كتابَ أمانٍ عن إذنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم قدِم به بعدَ غزوةِ الطائفِ ، فأسلَم ، وأكرَمه النبيُّ ﷺ ، وهو القائلُ : يا رسولَ اللَّهِ أعُمْرَتُنا هذه لعامِنا هذا أمْ للأبَدِ ؟ فقال له : « بل لأبدِ الأبدِ ، دخَلتِ العمرةُ فى الحجِّ إلى يومِ القيامةِ »[1] .

---

(١) جزء من حديث جابر الطويل ؛ أخرجه بنحوه مسلم (١٤٧ / ١٢١٨) .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

فيها نقَض أهلُ إسكَنْدرِيَّةَ العهدَ ، وذلك أنَّ مَلِكَ الرومِ بعَث إليهم مَنَوِيلَ[1] الخَصِيَّ[2] فى مراكِبَ مِن البحرِ ، فطَمِعوا فى النُّصْرةِ ونقَضوا ذِمَّتَهم ، فغزَاهم عمرُو بنُ العاصِ فى رَبيعِ الأوَّلِ منها[3] ، فافتَتَح الأرضَ عَنوةً وافتَتَح المدينةَ صُلْحًا .

وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

وفيها [٥/١٤٤ظ] فى قولِ سيفٍ[4] عزَل عثمانُ سعدًا عن الكوفةِ وولَّى الوليدَ ابنَ عُقْبةَ بنِ أبى مُعَيطٍ مكانَه . فكان هذا ممّا نُقِم على عثمانَ .

وفيها وَجَّه عمرُو بنُ العاصِ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ لغزْوِ بلادِ المغربِ ، واستأْذَنه ابنُ أبى سَرْحٍ فى غَزوِ إفريقِيَّةَ فأذِن له .

ويقال : فيها أيضًا عزَل عثمانُ عمرَو بنَ العاصِ عن مصرَ وولَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ . وقيل : بل كان هذا فى سنةِ سبعٍ وعشرِينَ . كما سيأتى . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها فتَح معاويةُ الحُصُونَ .

وفيها وُلِد ابنُه يزيدُ بنُ معاويةَ .

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « معويل » ، وفى ا ١٥ : « مقيول » ، وفى ا ٨ : « مقبول » . والمثبت من الكامل ٨١/٣ ، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣١٢.

(٢) فى الأصل : « الحمصى » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥١.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وعِشرينَ

قال الواقدىُّ[1] : فيها أمَر عثمانُ بتَجديدِ أنصابِ الحرَمِ ، وفيها وسَّع المسجدَ الحرامَ ، وفيها عزَل سعدًا عن الكوفةِ وولَّى[2] الوليدَ بنَ عُقْبةَ . وكان سببُ عزلِ سعدٍ أنَّه اقتَرَض مِن ابنِ مسعودٍ مالًا مِن بيتِ المالِ ، فلمّا تَقاضاه به ابنُ مسعودٍ لم[3] يَتيسَّرْ قضاؤُه ، تَقاوَلا وجرَت بينَهما خُصومةٌ شديدةٌ ، فغَضِب عليهما عثمانُ ، فعزَل سعدًا واستعْمَل الوليدَ بنَ عُقبةَ - وكان عاملًا لعمرَ على عربِ الجزيرةِ - فلمَّا قدِمها أقبَل عليه أهلُها ، فأقام بها خمسَ سنينَ وليس على دارِه بابٌ ، وكان فيه [4]رِفقٌ برعِيَّتِه[4] .

قال الواقِدىُّ[1] : وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

وقال غيرُه[5] : وفيها افتَتَح عثمانُ بنُ أبى العاصِ سَابُورَ[6] صلحًا على ثلاثةِ آلافِ ألفٍ وثلاثِمائةِ ألفٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥١.

(٢) فى م : « وولاها » .

(٣) فى م : « ولم » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « رقيق بن عتبة » . وانظر تاريخ الإسلام ، (عهد الخلفاء) ص ٣١٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٤/ ٢٥١، وعزاه لأبى معشر والواقدى . وانظر : تاريخ خليفة ١/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣١٥.

(٦) فى ا ١٥: « نيسابور » .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدىُّ وأبو معشرٍ[1] : وفيها عزَل عثمانُ عمرَو بنَ العاصِ عن مصرَ وولَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ - وكان أخا عثمانَ لأُمِّه - وهو الذى شفَع له يومَ الفتحِ حينَ كان أهْدَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دَمَه . [2]وكان يَكتُبُ الوحْىَ ثم ارْتَدَّ عن الإسلامِ ، فأباح دمَه يومَ الفتحِ . وهذا أيضًا ممّا نُقِم على عثمانَ[2] .

غزوةُ إفرِيقِيَّةَ

أمَر عثمانُ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ أن يَغزُوَ بلادَ إفريقيَّةَ ، فإذا فتَحها[3] اللَّهُ عليه فله خُمُسُ الخُمُسِ مِن الغنيمَةِ نَفْلًا . فسار إليها فى [4]عشَرةِ آلافٍ[4] فافتَتَحها ؛ سهْلَها وجبَلَها ، وقتَل خلقًا كثيرًا مِن أهلِها ، ثم اجتمَعوا على الطاعةِ والإسلامِ ، وحسُن إسلامُهم ، وأخَذ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدٍ خُمُسَ الخُمُسِ مِن الغنيمةِ ، وبعَث بأربعةِ أخْماسِه إلى عثمانَ ، وقسَم أربعةَ أخماسِ الغنيمةِ بينَ الجيشِ ، فأصاب الفارسَ ثلاثةُ آلافِ دينارٍ ، والراجلَ ألفُ دينارٍ .

قال الواقدىُّ[5] : وصالَحه بِطْرِيقُها على ألفَىْ ألفِ دينارٍ [6]وخَمْسِمائةِ ألفِ دينارٍ[6] وعِشرينَ ألفَ دينارٍ ، فأطلَقها كلَّها عثمانُ فى يومٍ واحدٍ لآلِ الحكَمِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٢٥٦ عن الواقدى .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ١٥.

(٣) فى م : « افتتحها » .

(٤ - ٤) فى ا ١٥، ا ٨: « عشرين ألفًا » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/٢٥٦، والكامل ٣ / ٨٩.

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥٦.

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥، م .

ويُقالُ : لآلِ مَرْوانَ .

غزوةُ الأنْدَلُسِ

لمَّا افتُتِحت إفريقيَّةُ بعَث عثمانُ عبدِ اللَّهِ بنِ نافعِ بنِ [1]الحُصَينِ وعبدِ اللَّهِ ابنِ نافعِ بنِ عبدِ قَيْسٍ[1] مِن فورِهما إلى الأندَلُسِ ، فأتَياها مِن قِبَلِ البحرِ ، وكتَب عثمانُ إلى الذين خرَجوا إليها يقولُ : إنَّ القُسْطَنْطِينِيَّةَ إنَّما تُفتَحُ مِن قِبلِ البحرِ ، وأنتم إذا فتَحتم الأندلُسَ فأنتم شركاءُ لمَن يَفتتِحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فى الأجرِ آخِرَ الزمانِ ، والسلامُ . قال : فساروا[2] إليها فافتَتَحوها . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقعةُ جُرْجيرَ[3] والبَرْبَرِ مع المسلمين

لمّا قصَد المسلمونَ - وهم عشرونَ ألفًا - إفريقيَّةَ ، وعليهم عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ ابنِ أبى سَرْحٍ ، وفى جيشِه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، [4]وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ[4] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ ، صمَد إليهم مَلِكُ البَرْبَرِ جُرْجيرُ فى عِشرينَ ومائةِ ألفٍ . وقيل : [٥/١٤٥و] فى مائتى ألفٍ . فلمَّا تَراءى الجمعانِ أمَر جيشَه فأحاطُوا بالمسلمين هالَةً ، فوقَف المسلمون فى موْقِفٍ لم يُرَ أشنَعُ منه ولا أخوفُ عليهم

(١ - ١) فى الأصل : «الحصين وعبد قيس» ، وفى م : «عبد قبيس وعبد اللّه بن نافع بن الحصين الفهريين» ، وفى ص : «الحصين وعبد اللّه بن نافع وعبد قيس» . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٥٥، والكامل ٣/ ٩٣، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣٢٠.

(٢) فى الأصل ، ا ١٥، ص : «فسار» .

(٣) فى ا ١٥: «جرجين» . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٥٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، ص . وانظر : تاريخ خليفة ١ / ١٦٤. وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ٣١٨.

مِنه . قال عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ : فنظَرْتُ إلى الملكِ جُرْجيرَ مِن وراءِ الصُّفوفِ وهو راكبٌ على بِرْذَوْنٍ ، وجاريتانِ تُظِلّانِه بريشِ الطَّوَاويسِ ، فذهَبتُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ ، فسألتُه أن يَبْعثَ معى مَن يَحمِى ظَهْرِى وأقْصِد المَلِكَ ، فجَهَّز معى جماعةً مِن الشُّجعانِ . قال : فأمَر بهم فحَمَوْا ظَهْرِى وذهَبْتُ حتى اخترَقْتُ الصُّفوفَ إليه - وهم يَظُنُّون أنِّى فى رِسالةٍ إلى الملكِ - فلمّا اقترَبتُ منه أحسَّ منى الشرَّ ففرَّ على بِرْذَوْنِه ، فلحِقْتُه فطعَنْتُه برُمحِى ، وذَفَّفْتُ عليه بسَيْفِى ، وأخَذْتُ رأسَه فنَصَبْتُه على رأسِ الرُّمحِ وكبَّرْتُ ، فلمَّا رأى ذلك البَرْبَرُ فَرِقُوا وفَرُّوا كفِرارِ القَطَا ، وأتْبعهم المسلمون يَقْتُلون ويَأْسِرون ، فغنِموا غَنائمَ جمَّةً ، وأموالًا كثيرةً ، وسَبْيًا عَظيمًا ، وذلك ببلدٍ يُقالُ له : سُبَيْطِلَةُ . على يَومين مِن القَيْرَوانِ . فكان هذا أولَ موقِفٍ اشتَهَر فيه أمْرُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيرِ ، رَضِى اللَّهُ عنه وعن أبيه وأصحابِهما أجمَعِين .

قال الواقدىُّ[1] : وفى هذه السنةِ افتُتِحتْ إصْطَخْرُ ثانيةً على يدَىْ عثمانَ بنِ أبى العاصِ . وفيها غَزا معاويةُ قِنَّسْرِينَ . وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ .

قال ابنُ جريرٍ[2] : قال بعضُهم : وفى هذه السنةِ غَزا معاويةُ قُبْرُسَ . وقال الواقدىُّ[2] : كان ذلك فى سنةِ ثمانٍ وعِشرينَ . وقال أبو معشرٍ[2] : غَزاها معاويةُ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥٨.

ثم دخلتْ سنةُ ثمانٍ وعِشرينَ

فَتْحُ قُبـرُسَ

ففيها ذَكَر ابنُ جريرٍ فَتْحَ قُبْرُسَ تَبعًا للواقِدىِّ[1] وهى جَزيرةٌ غَربِىُّ بلادِ الشامِ فى البحرِ مُخلَصَةٌ وحدَها ، ولها ذَنَبٌ مُستطيلٌ إلى نحوِ الساحِلِ ممّا يلى دِمشقَ ، وغَرْبِيُّها أعرَضُها ، وفيها فواكِهُ كثيرةٌ ومعادنُ ، وهى بلدٌ جيِّدٌ ، وكان فتْحُها على يدَىْ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، رَكِب إليها فى جيشٍ كَثيفٍ مِن المسلمينَ ومعه عُبادةُ بنُ الصامتِ وزوجتُه أمُّ حرامٍ بنتُ مِلْحانَ التى تقدَّم حديثُها فى ذلك[2] حينَ نام رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتِها ثم استيقَظَ يَضْحَكُ ، فقالت : ما أضحَكَك يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « أُناسٌ مِن أمَّتى عُرِضوا علىَّ ، يَركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ مثلَ الملوكِ على الأسِرَّةِ » . فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجعَلَنى منهم . فقال : « أنتِ منهم » . ثم نام فاستيقَظَ وهو يَضْحَكُ فقال مثلَ ذلك ، فقالت : ادْعُ اللَّهَ أن يَجعَلَنى منهم . فقال : « أنتِ مِن الأوَّلِينَ » . فكانت فى هذه الغزْوَةِ وماتَتْ بها ، وكانتِ الثانيةُ عبارةً عن غزوةِ قُسطَنْطِينِيَّةَ بعدَ هذا ، كما سنذْكُرُه .

والمقصودُ أنَّ معاويةَ رَكِب البحرَ فى مراكِبَ ، فقصَد الجزيرةَ المعرُوفةَ بقُبْرُسَ ، ومعه جيشٌ عظيمٌ مِن المسلمين ، وذلك بأمرِ عثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، له فى ذلك بعدَ سؤالِه إيّاه . وقد كان سأل فى ذلك عمرَ بنَ الخطابِ ، فأَبَى أن يُمَكِّنَه مِن حَمْلِ المسلمين على هذا الخلقِ العظيمِ الذى لو اضْطَرَب

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥٨.

(٢) تقدم الحديث فى ٩ / ٢١٥.

لهلَكُوا عن آخِرِهم ، فلمّا كان عثمانُ أَلَحَّ معاويةُ عليه فى ذلك فأذِنَ له ، فرَكِب فى المراكِبِ فانتَهى إليها ، ووَافاه عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ إليها [٥/١٤٥ظ] مِن الجانبِ الآخَرِ ، فالتقَيا على أهلِها فقَتَلوا خلقًا كثيرًا ، وسبَوْا سَبايا كثيرةً ، وغَنِموا مالًا جَزيلًا جيِّدًا[1] . ولمّا جِيءَ بالأُسارَى جعَل أبو الدَّرْداءِ يَبكِى ، فقال له جُبَيرُ بنُ نُفَيرٍ : أتَبْكِى وهذا يومٌ أعَزَّ اللَّهُ فيه الإسلامَ وأهلَه ؟ فقال : وَيْحَك ! إنَّ هذه كانت أمةً قاهِرةً لهم مُلْكٌ ، فلمّا ضَيَّعُوا أمرَ اللَّهِ صَيَّرَهم إلى ما ترَى سَلَّط اللَّهُ عليهم السِّباءَ ، وإذا سُلِّط على قومٍ السِّباءُ فليس للَّهِ فيهم حاجةٌ . وقال : ما أهونَ العبادَ على اللَّهِ تعالى إذا تَرَكوا أمرَه ! ثم صالَحَهم معاويةُ على سبعةِ[2] آلافِ دينارٍ فى كلِّ سنةٍ ، وهادَنَهم .

فلمّا أرادُوا الخرُوجَ منها قُدِّمَتْ لأمِّ حرامٍ بَغْلَةٌ لتَرْكَبَها ، فسقَطَت عنها فاندَقَّتْ عُنُقُها فماتَتْ هناك . فقَبْرُها هنالك يُعَظِّمونَه ويَستَسْقُونَ به ، ويقولون : قبرُ المرأةِ الصالحةِ .

قال الواقدىُّ[3] : وفى هذه السنةِ غَزا حبيبُ بنُ مَسْلَمةَ سُورِيَةَ مِن أرضِ الرُّومِ . وتَزوَّجَ عثمانُ نائلةَ بنتَ الفَرافِصَةِ الكلبِيَّةَ ، وكانت نصرانيةً فأسْلَمتْ قبلَ الدُّخولِ بها ، وفيها بنَى [4]عثمانُ دارَه - بالمدينةِ[4] - الزَّوراءَ . وفيها[5] حَجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) فى ا ١٥: « جدًّا » .
(٢) فى ا ١٥، ا ٨: « ستة » . وانظر تاريخ الطبرى ٤ / ٢٦٢.
(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٦٣.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ا ١٥، ص، وفى ا ٨: « عثمان » .
(٥) المصدر السابق ٤ / ٢٦٧.

ثم دخلت سنةُ تسعٍ وعِشرينَ

فيها عزَل عثمانُ بنُ عفانَ أبا موسى الأشْعَرىَّ عن البصرةِ ، بعدَ عَمالةِ ستِّ سنينَ . وقيل : ثَلاثٍ . وأمَّر عليها عبدَ اللَّهِ بنَ عامرِ بنِ كُرَيزِ بنِ رَبيعةَ بنِ حَبيبِ بنِ عَبدِ شمسٍ ، وهو ابنُ خالِ عثمانَ بنِ عفانَ ، وجمَع له بينَ جُنْدِ أبى موسى وجندِ عثمانَ بنِ أبى العاصِ ، وله مِن العُمْرِ خمسٌ وعشرونَ سنةً ، فأقام بها ستَّ سنينَ .

وفى هذه السنةِ افتَتَح عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ فارسَ ، فى قولِ الواقِدىِّ وأبى مَعشرٍ[1] . وزعَم سيفٌ أنَّه كان قبلَ هذه السنةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها وسَّع عثمانُ بنُ عفانَ مسجدَ النبىِّ ﷺ وبناه بالقَصَّةِ - وهى الكِلْسُ[2] ، كان يُؤْتَى به مِن [3]بَطْنِ نَخْلٍ[3] - والحجارةِ المنقُوشَةِ ، وجعَل عُمُدَه حِجارَةً مُرصَّصَةً[4] ، وسُقُفَه بالسّاجِ ، وجعَل طولَه سِتينَ ومائةَ ذِراعٍ ، وعرْضَه خَمسِينَ ومائةَ ذِراعٍ ، وجعَل أبوابَه سِتَّةً ؛ على ما كانت عليه[5] فى زمانِ عمرَ بنِ الخطابِ . ابتدَأ بناءَه فى ربيعٍ الأوَّلِ منها .

وفيها حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ ، وضرَب له بمِنًى فُسطاطًا ، فكان أولَ فُسطاطٍ ضرَبه عثمانُ بمِنًى ، وأتَمَّ الصلاةَ عامَه هذا ، فأنكَر ذلك عليه غيرُ واحدٍ مِن الصحابةِ ؛ كعَلىٍّ وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، حتى قال ابنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٧٩.

(٢) الكِلْس : الجيرُ .

(٣ - ٣) فى الأصل، ا ١٥، ص: «نخلة». وبطن نخل قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة. معجم البلدان ١ / ٦٦٧.

(٤) فى م: «مرصعة».

(٥) زيادة من: م.

مسعودٍ : ليتَ حَظِّى مِن أربعِ رَكَعاتٍ رَكْعتانِ مُتَقَبَّلَتانِ[1] . وقد ناظَرَه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ فيما فعَله ، فروَى ابنُ جريرٍ[2] أنَّه قال : تأهَّلْتُ بمَكَّةَ . فقال له : ولك أهلٌ بالمدينةِ ، وإنَّك تقومُ حيث أهلُك بالمدينةِ . قال : وإنَّ لى مالًا بالطائفِ أريدُ أن أطَّلِعَه بعدَ الصَّدَرِ . قال : إنَّ بينَك وبينَ الطائفِ مسيرةَ ثلاثٍ . فقال : وإنَّ طائفةً مِن أهلِ اليمنِ قالوا : إنَّ الصلاةَ بالحضَرِ رَكْعتانِ . فرُبَّما رأَوْنى أُصَلِّى رَكْعتيْنِ فيَحتَجُّونَ بى . فقال له : قد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنزِلُ عليه الوحْىُ ، [3]والناسُ يومَئذٍ الإسلامُ فيهم قليلٌ[3] ، وكان يُصَلِّى هـٰهنا رَكْعتيْن ، وكان أبو بكْرٍ يُصَلِّى هـٰهنا رَكْعتَيْن ، وكذلك عمرُ بنُ الخطابِ ، وصَلَّيتَ أنت رَكْعتَين صَدْرًا مِن إمارَتِك . قال : فسكَت عثمانُ ثم قال : إنَّما هو رأىٌ رأيْتُه .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٨٤) (١٦٥٧)، ومسلم (١٩/ ٦٩٥)، والدارمى ٢/ ٥٥، والمسند ١/ ٤١٦، ٤٢٥، ٤٦٤.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٦٨.

(٣ - ٣) زيادة من : م.

سنةُ ثلاثِينَ مِن الهجرةِ النَّبوِيَّةِ

[١٤٦/٥و] فيها افتَتَح سعيدُ بنُ العاصِ طَبَرِسْتانَ ، فى قولِ الواقِدىِّ وأبى معشرٍ والمدائِنىِّ[(١)] ، وقال[(٢)] : هو أولُ مَن غزاها . وزعَم سيفٌ[(١)] أنَّهم كانوا صالَحوا سُوَيْدَ ابنَ مُقَرِّنٍ قبلَ ذلك على أن لا يَغْزُوَها ، على مالٍ بذَله له إصْبَهْبَذُها[(٣)] . فاللَّهُ أعلمُ . فذكَر المدائنىُّ[(٤)] أنَّ سعيدَ بنَ العاصِ ركِب فى جيشٍ فيه الحسَنُ والحُسَينُ والعبادِلَةُ الأربعةُ وحُذَيْفَةُ بنُ اليمانِ ، فى خَلْقٍ مِن الصحابةِ ، فسار بهم فمرَّ على بلدانٍ شتَّى ، فَصالَحوه على أموالٍ جَزيلَةٍ ، حتى انتهَى إلى بلدٍ بمعامَلَةِ جُرْجانَ [(٥)]تُسَمَّى طَمِيسَةَ على ساحلِ البحرِ[(٥)] ، فقاتلُوه حتى احتاجُوا إلى صلاةِ الخوْفِ ، فسأل حذيفةَ : كيف صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فأخبَره ، فصَلَّى كما أخبَرَه ، ثم سأَله أهلُ ذلك الحصنِ الأمانَ[(٦)] ، فأعْطاهم على أن لا يَقتُلَ منهم رجلًا واحدًا ، ففتَحوا الحِصنَ ، فقَتَلهم إلَّا رَجلًا واحدًا ، واحتَوَى على ما كان فى الحِصنِ ، فأصابَ رجلٌ مِن بَنى نَهْدٍ سَفَطًا مقفولًا فاستُدْعِىَ به سعيدٌ ، ففَتَحوه فإذا فيه خِرْقَةٌ سوداءُ مُدْرَجةٌ ، فنَشَرُوها ، فإذا فيها خِرْقَةٌ حمراءُ ، فنَشَرُوها ، وإذا داخِلُها خِرْقَةٌ صفراءُ ، وفيها [(٧)]أَيْرانِ كُمَيْتٌ[(٧)] ووَرْدٌ . [(٨)]فقال شاعِرٌ[(٨)] يهجُو بهما بَنى نَهْدٍ :

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٢٦٩.

(٢) أى المدائنى .

(٣) إصبهبذ : معناه بالفارسية قائد العسكر ، وهو أيضا اسم وعلم لملوك طبرستان . الألفاظ الفارسية المعربة ١٠٧، وانظر المعرب ٢٦٦، ولسان العرب (إصبهبذ) .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٦٩، ٢٧٠.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٦) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « أن يصالحهم » .

(٧ - ٧) بياض فى ا ١٥، وفى الأصل : « أيران » ، وفى ا ٨: « كماه كمه » ، وفى ص : « إيوان » ، وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٢٧٠، والكامل ٣/ ١١٠. والبيتان فيهما .

(٨ - ٨) زيادة من : م .

آبَ الكِرامُ بالسَّبايا غَنِيمةً وفازَ بنو نَهْدٍ بأيْرَيْنِ فى سَفَطْ
كُمَيْتٍ ووَرْدٍ وافِرَيْنِ كلاهما فظنُّوهما غُنمًا فناهِيكَ[1] مِن غَلَطْ

قالوا: ثم نقَض أهلُ جُرْجانَ ما كان صالَحهم عليه سعيدُ بنُ العاصِ، وامتَنَعوا عن أداءِ المالِ الذى ضرَبه عليهم - وكان مائةَ ألفِ دينارٍ. وقيل: مائتى ألفِ دينارٍ، وقيل: ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ - ثم [2]رَدَّه عليهم[2] يزيدُ بنُ المهَلَّبِ بعدَ ذلك، كما سنذْكُرُه إن شاءَ اللَّهُ تعالى.

وفى هذه السنةِ عزَل عثمانُ بنُ عفانَ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ عن الكوفةِ، وولَّى عليها سعيدَ بنَ العاصِ، وكان سببُ عزْلِه، أنَّه صلَّى بأهلِ الكوفةِ الصبحَ أربعًا، ثم التَفَت فقال: أزيدُكم؟ فقال قائلٌ: مازِلْنا منك منذ اليومِ فى زِيادةٍ. ثم إنه تَصَدَّى له جماعةٌ يقالُ كان بينَهم وبينه شنآنٌ، فشَكَوْه إلى عثمانَ، وشهِد بعضُهم عليه أنَّه شرِب الخمرَ، وشهِد الآخرُ أنَّه رآه يتقيَّؤها، فأمَر عثمانُ بإحضارِه وأمَر بجلدِه - فيقالُ: إنَّ عليًّا نزَع عنه حُلَّتَه، وإنَّ سعيدَ بنَ العاصِ جلَده بينَ يَدَىْ عثمانَ بنِ عفانَ - وعَزَله وأمَّر مكانَه على الكوفةِ سعيدَ بنَ العاصِ.

وفى هذه السنةِ سقَط خاتَمُ النَّبىِّ ﷺ مِن يدِ عثمانَ فى بئرِ أريسٍ، وهى على مِيلَيْنِ مِن المدينةِ، وهى مِن أقلِّ الآبارِ ماءً، فلم يُدرِكْ خَبَرَه، بعدَ بذلِ مالٍ جزيلٍ، والاجْتهادِ فى طلبِه، حتى الساعةَ، فاستخْلَف عثمانُ بعدَه خاتَمًا مِن فِضَّةٍ، ونقَش عليه: محمدٌ رسولُ اللَّهِ. فلَمَّا قُتِل عثمانُ ذهَب الخاتَمُ[3] فلا يُدْرَى مَن أخَذه.

وقد روَى ابنُ جريرٍ[4] هاهنا حديثًا طويلًا فى اتِّخاذِ النبىِّ ﷺ خاتَمًا مِن

---

(١) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص: «فيالك».
(٢ - ٢) فى الأصل، م: «وجه إليهم».
(٣) زيادة من: م.
(٤) تاريخ الطبرى ٤ /٢٨١ - ٢٨٣.

ذهَبٍ ، ثم مِن فِضَّةٍ ، وبَعْثِه عمرَ بنَ الخطابِ إلى كِسْرَى ، ثم دِحيةَ إلى قَيْصرَ ، وأنَّ الخاتَمَ[1] كان فى يدِ النبىِّ ﷺ ، ثم فى يدِ أبى بكرٍ ، ثم فى يدِ عمرَ ، ثم فى يدِ عثمانَ ستَّ سِنين ، ثم إنَّه وقَع فى بئرِ أريسٍ . وقد تقدَّم بعضُ هذا فى « الصحيحِ »[2] .

وفى هذه السنةِ وقَع بينَ معاويةَ وأبى ذَرٍّ بالشامِ ، وذلك أنَّ أبا ذرٍّ أنكَر على معاويةَ بعضَ الأمورِ ، وكان يُنكِرُ على مَن يَقْتَنِى مالًا مِن [٥/١٤٦ظ] الأغنياءِ ، ويَمنَعُ أن يَدَّخِرَ فوقَ القُوتِ ، ويُوجِبُ أن يتَصدَّقَ بالفضْلِ ، ويتأوَّلُ قولَ اللَّهِ سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] . فينهاه معاويةُ عن إشاعةِ ذلك فلا يَمْتَنِعُ ، فبعَث يَشْكُوه إلى عثمانَ ، فكتَب عثمانُ إلى أبى ذَرٍّ أن يَقدَمَ عليه المدينةَ ، فقدِمها فلامَه عثمانُ على بعضِ ما صدَر منه ، واستَرْجَعه فلم يَرْجِعْ ، فأمَره بالمُقامِ بالرَّبَذَةِ - وهى شَرْقِىُّ المدينةِ - ويقالُ : إنَّه سأل عثمانَ أن يُقيمَ بها ، وقال : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لى : « إذا بلَغ البناءُ سَلْعًا فاخرُجْ منها »[3] . وقد بلَغ البناءُ سَلْعًا ، فأذِن له عثمانُ بالمقامِ بالرَّبَذَةِ ، وأمَره أن يَتعاهَد المدينةَ فى بعضِ الأحيانِ ، حتى لا يَرتَدَّ أعرابيًّا بعدَ هجرَتِه ، ففعَل ، فلم يَزَلْ مقيمًا بها حتى ماتَ ، على ما سنذكُره ، رَضِى اللَّهُ عنه .

وفى هذه السنةِ زاد عثمانُ النِّداءَ الثالثَ[4] يومَ الجُمعةِ على الزَّوْرَاءِ .

فَصْلٌ : وممَّن ذكَر شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ[5] أنَّه تُوفِّى فى هذه السنةِ -

---

(١) بعده فى م ، ص : « الذى » .

(٢) انظر ما تقدم فى ٨ /٣٦١ - ٣٦٨.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ /٣٤٤ ، وعنه البيهقى فى دلائل النبوة ٦ / ٤٠١.
وقال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٤) فى ص : « الثانى » .

(٥) تاريخ الإسلام ، (عهد الخلفاء) ص ٣٣٣. وانظر كلام الواقدى ، فى : الطبقات ٣/ ٥٠٢.

أعنى سنةَ ثلاثينَ - **أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ** ، فيما صَحَّحه الواقِدىُّ .

جَبَّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أميَّةَ بنِ خَنْساءَ ، أبو [1]عبدِ اللَّه[1] الأنْصارِىُّ[2] ، عَقَبىٌّ بَدْرِىٌّ ، وقد بعثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى خَيْبَرَ خارِصًا ، وقد تُوفِّى عن ستينَ سنةً .

حاطِبُ بنُ أبى[3] **بَلْتَعَةَ عمرِو**[4] **بنِ عُمَيرٍ اللَّخْمِىُّ**[5] ، حليفُ بنى أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، شهِد بدرًا وما بعدَها ، وهو الذى كان كتَب إلى المشرِكين يُعلِمُهم بعَزْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على فتحِ مَكَّةَ ، فعذَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بما اعتذَرَ به ، ثم بعَثه بعدَ ذلك برسالةٍ إلى المُقَوْقِسِ ملكِ الإسكَنْدَرِيَّةِ .

الطُّفَيلُ بنُ الحارثِ بنِ المطَّلِبِ[6] ؛ أخو عبيدةَ[7] وحصينٍ ، شَهِد بدرًا . قال سعيدُ بنُ عُفيرٍ[8] : تُوفِّى فى هذه السنةِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ كَعْبِ بنِ عمرٍو المازنىُّ[9] ، أبو الحارثِ - وقيل : أبو يَحيى - الأنصارىُّ . شهِد بدرًا ، وكان على الخُمُسِ يومَئذٍ .

عبدُ اللَّهِ بنُ مَظْعونٍ[10] ، أخو عثمانَ بنِ مظعونٍ ، هاجَر إلى الحبشةِ وشهِد بدرًا .

(١ - ١) فى النسخ : « عبد الرحمن » . والمثبت من مصادر الترجمة ، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣٣٣، وذكر محققه أنها فى نسخة دار الكتب ، ع ، ح ، المنتقى : « عبد الرحمن » . كما وردت عندنا .

(٢) الاستيعاب ١ / ٢٢٨، ٢٢٩، وأسد الغابة ١ / ٣١٦، والإصابة ١ / ٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، م : « ابن عمرو » .

(٥) الاستيعاب ١/ ٣١٢، وأسد الغابة ١ / ٤٣١، والإصابة ٢ / ٤.

(٦) الاستيعاب ٢ / ٧٥٦، وأسد الغابة ٣ / ٧٦، والإصابة ٣ / ٥١٩.

(٧) فى ا ١٥: « عبيد الله » .

(٨) فى الأصل ، م : « عمير » ، وفى ص : « عمر » . وانظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ٣٣٤.

(٩) الاستيعاب ٣ / ٩٨١، وأسد الغابة ٣ / ٣٧٢، والإصابة ٤/ ٢١٨.

(١٠) الاستيعاب ٣ / ٩٩٥، وأسد الغابة ٣ / ٣٩٤، والإصابة ٤ / ٢٣٩.

عِياضُ بنُ زُهيرِ بنِ أبى شدّادِ بنِ ربيعةَ بنِ هلالٍ[1] ، أبو سعدٍ[2] القُرَشِىُّ الفِهْرِىُّ ، شهِد بدرًا وما بعدَها .

مَسعودُ بنُ رَبيعةَ[3] وقيل : ابن الرَّبيعِ . أبو عمرٍو[4] القارِىُّ ، شهِد بدرًا وما بعدَها . تُوفِّى عن نَيِّفٍ وستينَ سنةً .

مَعْمَرُ بنُ أبى سَرْحِ بنِ رَبيعةَ بنِ هلالٍ القُرَشِىُّ[5] ، أبو سَعْدٍ الفِهْرِىُّ . وقيل[6] : اسمُه عمرٌو . بدْرِىٌّ قديمُ الصُّحْبةِ .

أبو أُسَيْدٍ مالكُ بنُ ربيعةَ[7] . قال الفَلَّاسُ : ماتَ فى هذه السنةِ . والأصَحُّ أنَّه مات سنةَ أرْبَعينَ . وقيل : سنةَ ستينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الاستيعاب ٣ / ١٢٣٣، وأسد الغابة ٤ / ٣٢٣، والإصابة ٤ / ٧٥٣.

(٢) فى الأصل، ا ١٥، م : « سعيد » .

(٣) الاستيعاب ٣ / ١٣٩٢، وأسد الغابة ٥ / ١٦٠، ١٦١، والإصابة ٦ / ٩٧، ٩٨.

(٤) فى ا ١٥: « عمير » .

(٥) الاستيعاب ٣ / ١٤٣٣، وأسد الغابة ٥ / ٢٣٥.

(٦) عزاه ابن سعد لموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وهشام الكلبى . الطبقات ٣/ ٤١٧، وانظر الاستيعاب ٣ / ١١٧٦، وأسد الغابة ٤ / ٢٢٨، والإصابة ٤ / ٦٣٤.

(٧) الاستيعاب ٣ / ١٣٥١، وأسد الغابة ٥ / ٢٣، ٢٤، والإصابة ٥ / ٧٢٣.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوةُ الصَّوارِى، وغزوةُ الأَساوِدَةِ[1] فى البحرِ فيما ذكَره الواقِدىُّ[2]. وقال أبو معشرٍ[2]: كانت غزوةُ الصَّوارِى سنةَ أربعٍ وثَلاثينَ. ومُلَخَّصُ ذلك فيما ذكَره الواقِدىُّ وسيفٌ وغيرُهما[3]، أنَّ الشامَ كان قد [4]جُمِع نِيابتُه[4] لمعاويةَ بنِ أبى سفيانَ لسنَتَيْنِ مضَتا مِن خلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ، رَضِى اللَّهُ عنه، وقد أحرَزه غايةَ الحفظِ وحمَى حَوْزَتَه، ومع هذا له فى كلِّ سنةٍ غزوةٌ فى بلادِ الرُّومِ فى زمنِ الصَّيْفِ - ولهذا يُسَمُّونَ هذه الغزوةَ الصّائِفةَ - فيَقتُلونَ خلقًا، ويأْسِرونَ آخرِينَ، ويَفْتَحونَ حُصُونًا، ويَغْنَمُونَ أموالًا، ويُرْعِبون الأعداءَ، فلمّا أصابَ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ مَن أصاب مِن الفِرِنْجِ والبَرْبَرِ ببلادِ إفريقِيَّةَ والأَنْدَلُسِ، حَمِيتِ الرُّومُ واجتَمَعتْ على قُسْطَنْطِينَ [٥/١٤٧و] بنِ هِرَقْلَ، وساروا إلى المسلمينَ فى جمْعٍ لم يُرَ مثلُه منذُ كان الإسلامُ، خرَجوا فى خَمْسِمائةِ مَركَبٍ، وقصَدوا عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ فى أصحابِه مِن المسلمينَ الذين ببلادِ المغربِ. فلمَّا تراءَى الجمعانِ بات الرُّومُ يُقسْقِسُونَ ويُصَلِّبون، وبات المسلمونَ يَقرَءُون ويُصلُّون، فلمّا أصبَحوا صَفَّ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدٍ أصحابَه صُفوفًا فى المراكبِ، وأمَرهم بذكْرِ اللَّهِ وتِلاوةِ القرآنِ. قال بعضُ مَن حضَر ذلك: فأقبَلوا إلينا فى أمرٍ لم يُرَ مثلُه مِن كَثْرةِ المراكبِ، وتَعْدادِ[5] صوارِيها، وكانتِ الرِّيحُ لهم وعلينا، فأرْسَيْنا ثم سكَنَتِ الرِّيحُ عنَّا، فقلنا لهم:

---

(١) فى الأصل، ا ١٥، ص: «الأساورة». وانظر: تاريخ الطبرى ٤/ ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٨٨- ٢٩٢، والكامل ٣ /١١٧، ١١٨، والمنتظم ٥ /١٢.

(٤ - ٤) فى الأصل: «جمع بناته»، وفى م: «جمعها».

(٥) فى م: «عقدوا».

إن شِئتُم خرَجنا نحن وأنتم إلى البَرِّ فماتَ الأعْجَلُ[1] منَّا ومنكم . قال : فنَخَروا نَخْرَةَ رجلٍ واحدٍ وقالوا : الماءَ الماءَ . قال : فدَنَوْنا منهم وربَطْنا سفُنَنا بسُفُنِهم ، ثم اجتَلَدنا وإيّاهم بالسيوفِ ، يَثِبُ الرجالُ على الرجالِ بالسيوفِ والخناجرِ ، وضرَبتِ الأمواجُ فى عيونِ تلك السفنِ حتى ألْجأتْها إلى الساحلِ ، وألقتِ الأمواجُ جثَثَ الرجالِ إلى الساحلِ ، حتى صارت مثلَ الجبَلِ العظيمِ ، وغلَب الدمُ على لونِ الماءِ ، وصبَر المسلمون يومئذٍ صبرًا لم يُعْهَدْ مثلُه قَطُّ ، [2]وقُتِل منهم بشرٌ كثيرٌ ، ومن الرُّومِ[2] أضعافُ ذلك ، ثم أنزَل اللَّهُ نصْرَه [3]على المسلمين[3] ، فهرَب قُسْطَنْطِينُ وجيشُه - وقد قلُّوا جدًّا - وبه جِراحاتٌ شديدةٌ كثيرةٌ[4] مكَث حينًا يُداوَى منها بعدَ ذلك ، وأقام عبدُ اللَّهِ بنُ سعدٍ بذاتِ الصَّوارِى أيامًا ، ثم رجَع مؤَيَّدًا منصورًا مُظفَّرًا .

قال الواقدىُّ[5] : فحدَّثنى مَعمَرٌ عن الزُّهرِىِّ قال : كان فى هذه الغزوةِ محمدُ بنُ أبى حذيفةَ ، ومحمدُ بنُ أبى بكرٍ ، فأظْهَر عيبَ عثمانَ ، وما غيَّرَ وما خالفَ أبا بكرٍ وعمرَ ، ويقولان : دَمُه حَلالٌ ؛ لأنَّه استَعْمَلَ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدٍ - وكان قد ارتَدَّ وكفَر بالقرآنِ العظيمِ ، وأباحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دمَه - وأخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ أقوامًا واستَعْمَلَهم عثمانُ ، ونزَع الصَّحابةَ واستعمل سعيدَ بنَ العاصِ وعبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ . فبلَغ ذلك عبدَ اللَّهِ بنَ سعدٍ ، فقال : لا تركَبا معَنا . فركِبا فى مركَبٍ ما فيه أحدٌ مِن المسلمين ، ولَقُوا العدوَّ فكانا أنكلَ[6] المسلمينَ قتالًا ، فقيل

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « الأعجز » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « قتل وقتل من الروم بشر كثير » .
(٣ - ٣) زيادة من : م .
(٤) فى م ، ص : « مكينة » .
(٥) تاريخ الطبرى ٤ /٢٩٢ بنحوه .
(٦) فى ا ١٥ ، ا ٨ : « أنكى » .

لهما فى ذلك فقالا : كيف نُقاتِلُ مع رجلٍ لا يَنْبَغِى لنا أن نُحَكِّمَه ؟ فأرسَل إليهما عبدُ اللَّهِ بنُ سعدٍ فنهاهما أشدَّ النَّهيِ ، وقال : واللَّهِ لولا [1] أنِّى لا [1] أدْرِى ما يُوافِقُ أميرَ المؤمنين لعاقَبْتُكما وحَبَسْتُكما .

قال الواقدىُّ [2] : وفى هذه السنةِ فُتِحَتْ إرْمِينِيَةُ على يدَىْ حبيبِ بنِ مَسلَمَةَ .

[3] وفى هذه السنةِ قُتِلَ كِسْرَى مَلكُ الفُرْسِ [3] .

كيْفِيَّةُ قتلِ كِسْرى ملكِ الفرسِ وهو يَزْدَجِرْدُ

قال ابنُ إسحاقَ [4] : هرَب يَزْدَجِردُ مِن كَرْمانَ فى جماعةٍ يَسيرَةٍ إلى مَرْوَ ، فسأل مِن بعضِ أهلِها مالًا فمنَعوه وخافُوه على أنفسِهم ، فبعَثوا إلى التُّركِ يَسْتنصِرونَهم [5] عليه ، فأتَوْه فقتَلوا أصحابَه وهرَب هو حتى أتَى منزِلَ رجلٍ يَنْقُرُ الأَرْحِيَةَ على شَطِّ ، فأوى إليه ليلًا ، فلمّا نام قتَله .

وقال المدائنىُّ [4] : لمَّا هرَب بعدَ قَتْلِ أصحابِه انطلَق ماشيًا وعليه تاجُه ومِنْطَقَتُه وسَيْفُه ، فانتهَى إلى مَنزِلِ هذا الرجلِ الذى يَنْقُرُ الأَرْحِيَةَ فجلَس عنده ، فاستَغْفَله وقتَله وأخَذ ما كان عليه ، وجاءتِ التركُ فى طلَبِه فوَجَدُوه قد قتَله وأخَذ حاصِلَه [6] ، فقتَلوا ذلك الرجلَ وأهلَ بيتِه وأخَذوا ما كان مع كِسْرَى ، ووضَعوا

(١ - ١) سقط من : ص ، وفى الأصل ، ا ١٥ ، م : « لا » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، وبعده فى ا ١٥ : « يزدجرد بن شهرباز بن أبرويز » ، وفى ا ٨ : « وفيها قتل كسرى يزدجرد ملك الفرس بن شهريار بن أبرويز » .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٩٣ .

(٥) فى الأصل : « يستنفرونهم » ، وفى م : « يستفزونهم » .

(٦) أى : ما بقى معه .

كِسْرَى فى تابوتٍ وحمَلوه إلى إصْطَخْرَ ، وقد كان يَزْدَجِرْدُ وَطِئَ امرأةً مِن أهلِ مَرْوَ قبلَ أن يُقتَلَ ، فحمَلت منه ، ووضعَت بعدَ قتلِه غلامًا ذاهِبَ الشِّقِّ ، وسُمِّى ذلك الغلامُ المُخْدَجَ ، وكان له نَسْلٌ وعَقِبٌ فى خُراسَانَ ، وقد سَبَى قُتَيْبةُ بنُ مُسْلِمٍ فى بعضِ غزَواتِه بتلك البلادِ جاريَتَيْنِ مِن نَسْلِه ، فبعَث بإحْداهما إلى الحجّاجِ ، فبعَث بها إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فولَدتْ له ابنَه يزيدَ[1] بنَ الوليدِ ، الملقَّبَ بالنّاقصِ .

وقال المدائنىُّ[2] فى روايةٍ عن بعضِ شيوخِه : إنَّ يَزْدَجِرْدَ لمّا انهزَم عنه أصحابُه عُقِرَ جوادُه ، وذهَب ماشيًا حتى دخَل رَحًى على شطِّ نَهْرٍ يُقالُ له : المَرْغابُ[3] . فمكَث فيه ليْلَتيْن والعَدوُّ فى طلَبِه فلم يَدْرِ أين هو ، ثم جاء صاحبُ الرَّحَى فرأَى كِسْرَى وعليه أُبَّهَتُه ، فقال له : ما أنت ؟ إنْسِىٌّ أم جِنِّىٌّ ؟ قال : إنْسِىٌّ ، فهل عندَك طَعامٌ ؟ قال : نعم . فأتاه بطعامٍ فقال : إنِّى مُزَمْزِمٌ فأْتِنى بما أُزَمْزِمُ به . قال : فذهَب الطَّحّانُ إلى أُسوارٍ مِن الأَساوِرَةِ فطلَب منه ما يُزَمْزِمُ به . قال : وما تَصنَعُ به ؟ قال : عندِى رجلٌ لم أرَ مثلَه قَطُّ وقد طلَب منى هذا . فذهَب به الأُسوارُ إلى مَلِكِ البلَدِ - مَرْوَ - واسمُه ماهوَيْه بنُ باباه ، فأخبَره خبَرَه ، فقال : هو يَزْدَجِرْدُ ، اذهَبوا فجيئونِى برأسِه . فذهَبوا مع الطَّحّانِ ، فلمّا دَنَوْا مِن دارِ الرَّحَى هابُوا أن يَقتُلوه وتدَافَعُوه ، وقالوا للطحّانِ : ادخُلْ أنت فاقتُلْه . فدخَل فوجَده نائمًا فأخَذ حَجَرًا فشَدَخ به رأسَه ، ثم احتزَّه[4] فدفَعه إليهم وألقَى جسَدَه فى النهْرِ ،

---

(١) فى الأصل : « زيد » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٩٤.

(٣) فى الأصل : « الرعاب » ، وفى ا ١٥، ا ٨، م : « المرعاب » . وفى ص : « المرعاة » . والمثبت من مصدر التخريج ، والمرغاب نهر بمرو . معجم البلدان ٤/ ٤٩٩.

(٤) فى ا ١٥، م : « اجتزه » ، وفى ص : « أخذه » .

فخرَجتِ العامَّةُ إلى الطحّانِ فقتَلوه ، وخرَج أُسْقُفٌ فأخَذ جسدَه مِن النَّهْرِ وجعَله في تابوتٍ وحمَله إلى إصْطَخْرَ فوضَعه في ناووسٍ[1] .

ويُرْوَى[2] أنَّه مكَث في مَنزِلِ ذلك الطحّانِ ثَلاثةَ أيامٍ لا يَأْكُلُ حتى رَقَّ له وقال له : وَيْحَك يا مِسكِينُ ألَا تَأكُلُ ؟ وأتاه بطعامٍ فقال : إنِّي لا أستَطيعُ أن آكُلَ إلَّا بزَمْزَمةٍ . فقال له : كُلْ وأنا أُزَمْزِمُ لك . فسأل أن يأتِيَه بمُزَمْزِمٍ ، فلَمّا ذهَب يَطلُبُ له مِن بعضِ الأَساوِرَةِ شَمُّوا رائحةَ المِسْكِ مِن ذلك الرجلِ ، فأنكَرُوا رائحةَ المِسْكِ منه ، فسأَلوه فأخبَرهم ، فقال : إنَّ عندِي رجلًا مِن صِفتِه كَيْتَ وكَيْتَ . فعرَفُوه وقصَدُوه مع الطحّانِ ، وتقدَّم الطحّانُ فدخَل عليه وهَمَّ بالقبضِ عليه ، فعرَف يَزْدَجِرْدُ ذلك ، فقال له : وَيْحَك ، خُذ خَاتَمِي وسِوارِي ومِنْطَقَتِي ودَعْنِي أذهبُ مِن هـٰهنا . فقال : لا ، أعْطِنِي أربعةَ دَراهمَ وأنا أُطْلِقُكَ . فزادَه إحدَى[3] قِرطَيْه مِن أُذُنَيه[4] فلم يَقبَلْ حتى يُعْطِيَه أربعةَ دراهمَ[5] ، فهُم في ذلك إذ دَهَمهم الجندُ ، فلمّا أحاطُوا به وأرادُوا قتلَه قال : ويْحَكُم لا تَقتُلُونِي فإنّا نَجِدُ في كُتُبِنا أنَّ مَن اجترَأ على قَتْلِ الملوكِ عاقبَه اللَّهُ بالحريقِ في الدُّنيا مع ما هو قادِمٌ عليه ، فلا تَقْتُلُونِي واذهبُوا بِي إلى الملكِ أو إلى العرَبِ ، فإنَّهم يَستَحيُونَ مِن قتْلِ الملوكِ . فأبَوْا عليه ذلك فسَلَبُوه ما كان عليه مِن الحَلْيِ ، فجعَلُوه في جِرابٍ وخَنقُوه بوَتَرٍ وألقَوْه في النَّهْرِ ، فتَعَلَّقَ بعُودٍ فأخَذه أُسْقُفٌ - واسمهُ إيليا - فحَنَّ عليه ؛ لِما كان مِن أسلافِه مِن الإحسانِ إلى النَّصارَى الذين كانوا ببلادِهم ، فوضَعه في تابوتٍ ودفَنه

---

(١) الناووس : مقبرة النصارى .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) زيادة من : م .

(٤) في م : « أذنه » .

(٥) بعده في م : « أخرى » .

فى ناووسٍ . ثم حُمِل ما كان عليه مِن الحَلْيِ إلى أميرِ المؤمنينَ عثمانَ [١٤٨/٥و] ابنِ عفانَ ، ففُقِدَ قِرْطٌ مِن حَلْيِه ، فبعَث إلى دِهْقانَ تلك البلادِ فأغرَمه ذلك .

وكان مُلكُ يَزْدَجِرْدَ عشرينَ سنةً ؛ منها أربعُ سنينَ فى دَعَةٍ ، وباقى ذلك هاربًا مِن بلدٍ إلى بلدٍ ، خوفًا مِن الإسلامِ وأهلِه . وهو آخِرُ ملوكِ الفُرْسِ فى الدُّنيا على الإطلاقِ ؛ لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « إذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، وإذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه ، والذى نَفْسِى بيدِه لتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » . رَواه البخارىُّ[1] . وثبَت فى الحديثِ الصحيحِ[2] أنَّه لمَّا جاءَه كتابُ النبىِّ ﷺ مَزَّقَه ، فدَعا عليه النبىُّ ﷺ أن يُمَزَّقَ كلَّ مُمَزَّقٍ ، فوقَع الأمرُ كذلك .

وفى هذه السنةِ فتَح ابنُ عامرٍ فتوحاتٍ كثيرةً كان قد نقَض أهلُها ما كان لهم مِن الصُّلْحِ ، فمِن ذلك ما فُتِحَ عَنوةً ومِن ذلك ما فُتِحَ صُلحًا ، فكان فى جملةِ ما صالَح عليه بعضُ المدائنِ - وهى مَرْوُ - على ألفَىْ ألفٍ ومائتَىْ ألفٍ ، وقيل : على سِتَّةِ آلافِ ألفٍ[3] ومائتَىْ ألفٍ .

وفى هذه السنةِ حَجَّ بالناسِ عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) تقدم تخريجه ١٢٧/٩ ، ١٢٨ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٣٣/٦ .

(٣) سقط من : الأصل ، ا ١٥.

ثم دخلَتْ سَنةُ ثِنْتَين وثَلاثِين

وفيها غَزا مُعاوِيَةُ بِلادَ الرُّوم حتى بلَغ المَضِيقَ، مَضِيقَ القُسطَنْطِينِيَّةِ، ومعه زوجتُه عاتِكةُ - ويقالُ: فاخِتَةُ[1] - بنتُ قَرَظةَ[2] بنِ عبدِ [3]عمرِو بنِ[3] نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ. قاله أبو مَعْشَرٍ والواقدىُّ[4].

وفيها استعمَل سعيدُ بنُ العاصِ سَلْمانَ بنَ رَبِيعةَ على جيشٍ وأمَرَه أن يَغزُوَ البابَ، وكتَب إلى عبدِ الرحمنِ بنِ رَبِيعةَ نائبِ تلك الناحيةِ بمُساعدَتِه، فسار حتى بلَغ بَلَنْجَرَ، فحصَرُوها ونُصِبت عليها المَجانِيقُ والعَرّاداتُ[5]. ثم إنَّ أهلَ بَلَنْجَرَ خرَجُوا إليهم وعاوَنَهم التُّرْكُ فاقتتَلُوا قتالًا شديدًا - وكانتِ التُّرْكُ تَهابُ قِتالَ المسلمين، ويَظنُّون أنَّهم لا يَموتُون حتى اجترَءوا عليهم بعدَ ذلك - فلمّا كان هذا اليومُ التقَوْا معَهم فاقتتَلوا، فقُتِل يومئذٍ عبدُ الرحمنِ بنُ رَبِيعةَ - وكان يقالُ له: ذُو النُّورِ[6] - وانهزَم المسلِمون فافترَقوا فِرْقتَيْن؛ ففِرْقةٌ ذهبَت على بلادِ الخَزَرِ[7]، وفِرقةٌ سلَكوا ناحيةَ جِيلانَ وجُرْجانَ، وفى هؤلاء أبو هريرةَ وسَلْمانُ الفارسِىُّ. وأخذَتِ التُّرْكُ جَسدَ عبدِ الرحمنِ بنِ رَبيعةَ - وكان مِن ساداتِ المسلمِين وشُجْعانِهم - فدفَنوه فى بلادِهم فهم يَستَسْقون عندَه إلى اليومِ، ولمّا

---

(١) فى النسخ: «فاطمة». والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٣٠٤، وانظر: جمهرة أنساب العرب ١٦٦، والإصابة ٨/ ٤٧.

(٢) فى الأصل، م، ص، تاريخ الطبرى: «قرطة»، وفى ا ١٥: «قرط». وانظر: جمهرة النسب ٢٠٤، وجمهرة أنساب العرب ١١٦، والإصابة الموضع السابق.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ١٥، ا ٨، ص.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٠٤.

(٥) العرادات، والواحدة عرادة: آلة من آلات الحرب القديمة، وهى منجنيق صغير.

(٦) فى النسخ: «النون». والمثبت من تاريخ الطبرى ٤ / ٣٠٤، وانظر الاستيعاب ٢ / ٨٣٢.

(٧) فى الأصل: «الحرز»، وفى ا ٨: «الجزر»، وفى ص: «الخرز». وانظر تاريخ الطبرى ٤ / ٣٠٥، ومعجم البلدان ٢ / ٤٣١.

قُتِل عبدُ الرحمنِ بنُ رَبيعةَ ، استعمَل سعيدُ بنُ العاصِ على ذلك الجَيْشِ[1] سَلْمانَ ابنَ رَبيعةَ ، وأمَدَّهم عثمانُ بأهلِ الشامِ عليهم حَبيبُ بنُ مَسلمةَ ، فتنازَع حبيبٌ وسَلْمانُ فى الإمْرَةِ حتى اختلَفا ، فكان أولَ اختلافٍ وقَع بينَ أهلِ الكوفةِ وأهلِ الشامِ ، حتى قال فى ذلك رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ ، وهو أوسٌ[2] :

فإن تَضْربوا سَلْمانَ نَضرِبْ حَبيبَكمْ ... وإنْ تَرحَلُوا نحوَ ابنِ عَفّانَ نَرْحَلِ
وإنْ تُقْسِطوا فالثَّغْرُ[3] ثَغْرُ أميرِنا ... وهذا أمِيرٌ فى الكَتائبِ مُقبِلُ
ونحنُ وُلاةُ الثَّغْرِ كنّا حُماتَه ... لَيالىَ نَرْمِى كُلَّ ثَغْرٍ ونُنْكِلُ[4]

وفيها فتَح ابنُ عامرٍ مَرْوَ الرُّوذِ والطالَقانَ والفارِيابَ[5] والجُوزَجانَ وطَخارِسْتانَ . فأمّا مَرْوُ الرُّوذِ فبعَث إليها ابنُ[6] عامِرٍ الأحْنَفَ بنَ قَيْسٍ [٥/١٤٨ظ] فحصَرها ، فخرَجوا إليه فقاتَلَهم حتى كسَرهم فاضطَرَّهم إلى حِصْنِهم ، ثم صالَحوه على مالٍ جَزِيلٍ ، وعلى أن يَضْرِبَ على أراضِى الرَّعِيَّةِ الخَراجَ ، ويَدَعَ الأرضَ التى كان أقطَعها[7] كِسْرَى لوالِدِ[8] المَرْزُبانِ ، صاحبِ مَرْوَ ، حينَ قتَل الحيَّةَ التى كانت تَقطَعُ الطريقَ على الناسِ وتأكُلُهم ، فصالَحهم الأحْنَفُ على

---

(١) فى الأصل ، م : « الفرع » ، وفى ص : « السرح » .
(٢) هو أوس بن مغراء ، والأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٠٧، والكامل ٣/ ١٣٣.
(٣) فى الكامل : « الأمر » .
(٤) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ص : « موكل » ، وفى الكامل : « نعكل » .
(٥) فى الأصل : « العادرياب » ، وفى ا ١٥: « الفاريات » ، وفى ص : « العاريات » . والفارياب : مدينة مشهورة بخراسان ، من أعمال جوزجان قرب بلخ ، غربى نهر جيحون . معجم البلدان ٣ / ٨٣٠.
(٦) فى م ، ص : « أبو » .
(٧) فى م : « اقتطعها » .
(٨) فى ا ١٥، ا ٨: « لولد » . وانظر تاريخ الطبرى ٤ / ٣١٠.

ذلك ، وكتَب لهم كتابَ صُلْحٍ بذلك ، ثم بعَث الأحْنَفُ الأقْرَعَ بنَ حابسٍ إلى الجُوزَجانِ ففتَحها بعدَ قِتالٍ وقَع بينَهم ، قُتِل فيه خَلْقٌ مِن شُجْعانِ المسلمِين ، ثم نُصِروا ، فقال فى ذلك كُثَيِّرٌ[1] النَّهْشَلِىُّ قَصيدةً طويلةً فيها[2] :

سَقَى مُزْنُ[3] السَّحابِ إذا استَهلَّتْ ... مَصارِعَ فِتْيةٍ بالجُوزَجانِ

إلى القَصْرَيْنِ مِن رُستاقِ خُوطٍ ... أبادَهُمُ[4] هناكَ الأقْرَعانِ[5]

ثم سار الأحْنَفُ مِن مَرْوِ الرُّوذِ إلى بَلْخَ فحاصَرهم حتى صالَحوه على أربعِمائةِ ألفٍ ، واستَناب[6] ابنَ عَمِّه أَسِيدَ بنَ المُتَشَمِّسِ[7] على قبضِ المالِ ، ثم ارتَحَل يُريدُ الجهادَ ، ودهَمه الشتاءُ ، فقال لأصحابِه : ما تَشاءُون ؟ فقالوا : قد قال عمرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ[8] :

إذا لم تَسْتَطِعْ شيئًا فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تَستَطِيعُ

فأمَر الأحنفُ بالرَّحِيلِ إلى بَلْخَ ، فأقام بها مُدَّةَ الشتاءِ ، ثم عاد إلى ابنِ[9]

---

(١) فى الأصل : « ابن كثير » ، وفى ا ١٥، ا ٨، م ، ص : « أبو كثير » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٣١٣، وانظر الإصابة ٥/ ٦٣٧.

(٢) القصيدة فى الأغانى ١١/ ٢٧٨- ٢٨٠، والبيتان فى تاريخ الطبرى ، والكامل ٣/ ١٢٦، والأول منهما فى الإصابة .

(٣) فى الكامل : « صوب » .

(٤) فى الكامل : « أقادهم » .

(٥) يعنى : الأقرعَ بن حابس وأخاه .

(٦) فى الأصل : « استشار » .

(٧) فى الأصل ، ا ٨، م ، ص : « المشمس » . وانظر الكامل ٣/ ١٢٦، ١٢٧.

(٨) الديوان ص ٤٢. والبيت فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣١٣، والكامل ٣/ ١٢٧، وفيهما : « أمرا » بدلا من : « شيئا » .

(٩) سقط من : م .

عامرٍ، فقِيلَ لابنِ عامرٍ: ما فُتِح على أحَدٍ ما فُتِح عليك؛ فارسُ وكَرْمانُ وسِجِسْتانُ وعامَّةُ[1] خُراسانَ. فقال: لا جَرَمَ، لأجعلَنَّ شُكْرِى للَّهِ على ذلك أن أُحرِمَ بعُمْرةٍ مِن مَوْقِفى هذا مُشَمِّرًا[2]. فأحرَم بعُمْرةٍ مِن نَيْسابُورَ، فلمَّا قدِم على عثمانَ لامَه على إحرامِه مِن خُراسانَ.

وفيها أقبَل قارِنٌ[3] فى أربعِينَ ألفًا فالتَقاه عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ[4] فى أربعةِ آلافٍ، وجعَل له[5] مُقدَّمةً سِتَّمِائةِ رجلٍ، وأمَر[6] كُلَّ واحدٍ[6] منهم أن يَحمِلَ على رأسِ رُمْحِه نارًا، وأقبَلوا إليهم فى وَسَطِ الليلِ فبيَّتُوهم فثاروا إليهم فناوَشَتْهم المُقَدَّمةُ فاشتغَلوا بهم، وأقبَل عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ بمَن معه مِن المسلمِين فاتَّقَعوا[7] هم وإيّاهم، فوَلَّى المشرِكون مُدْبِرين، وأتْبَعَهم المسلِمون يَقتُلون مَن شاءُوا كيفَ شاءُوا، وغَنِموا سَبْيًا[8] كثيرًا وأموالًا جَزيلةً، ثم بعَث عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ[9] بالفتحِ إلى ابنِ عامرٍ، فرَضِى عنه وأقَرَّه على خُراسانَ - وكان قد عزَله عنها - فاستمَرَّ بها عبدُ اللَّهِ بنُ خازِمٍ إلى ما بعدَ ذلك.

---

(١) فى الأصل، م، ص: «عامر».
(٢) سقط من: الأصل، وفى ا ١٥، ا ٨: «مستمرا».
(٣) فى ا ١٥: «ماران»، وفى ا ٨: «فارن». وانظر: تاريخ الطبرى ٤/ ٣١٤، والكامل ٣/ ١٣٥.
(٤) فى الأصل، ا ٨، م، الاستيعاب: «حازم». وانظر أسد الغابة ٣ / ٢٢٠، والإصابة ٤ / ٦٩.
(٥) فى م: «لهم».
(٦ - ٦) فى م: «كلا».
(٧) فى م، ص: «فاتفقوا».
(٨) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨: «شيئا».
(٩) فى الأصل، م، ص: «حازم».

ذِكْرُ مَن تُوفِّى مِن الأعيانِ فى هذه السَّنةِ

العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ[1]

ابنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافٍ القُرَشِيُّ الهاشِمِيُّ ، أبو الفضلِ المكِّيُّ ، عَمُّ رسولِ اللَّه ﷺ ، ووالدُ الخلفاءِ العباسِيِّينَ ، وكان أسَنَّ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بسَنتَين أو ثَلاثٍ ، أُسِر يومَ بدرٍ فافتَدَى نفسَه بمالٍ ، وافتدَى ابنَىْ أخَوَيْه[2] ؛ عَقِيلَ بنَ أبى طالبٍ ونَوْفَلَ بنَ الحارِثِ . وقد ذكَرْنا أنَّه لمّا أُسِر وشُدَّ فى الوَثاقِ وأمسَى الناسُ ، أُرِّق رسولُ اللَّه ﷺ فقِيل : يارسولَ اللَّهِ ما لكَ ؟ فقال : « إنِّى أسمَعُ أنِينَ العَبّاسِ فى وَثاقِه فلا[3] أنامُ » . فقام رجلٌ مِن المسلمِين فحَلَّ مِن وَثاقِ العباسِ حتى سكَن أَنِينُه ، فنام رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] . ثم أسلَم عامَ الفتحِ ، وتَلَقَّى رسولَ اللَّهِ ﷺ إلى الجُحْفَةِ فرجَع معه ، وشهِد الفتحَ ، ويقالُ : إنَّه أسلَم قبلَ ذلك ولكنَّه أقام بمكَّةَ بإذنِ النبىِّ ﷺ له فى ذلك ، كما ورَد به الحديثُ[5] . فاللَّهُ أعلَمُ . وقد كان رسولُ اللَّهِ [٥/١٤٩و] ﷺ يُجِلُّه ويُعَظِّمُه ويُنَزِّلُه مَنزِلةَ الوالدِ مِن الوَلدِ ، ويقولُ : « هذا بَقِيَّةُ آبائى »[6] . وكان مِن أوْصَلِ الناسِ لقُريشٍ وأشفَقِهم عليهم ، وكان ذا

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٨١٠، وأسد الغابة ٣ / ١٦٤، والإصابة ٣ / ٦٣١.

(٢) فى الأصل : « أخته » .

(٣) فى ا ١٥: « فلما » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٥ /١٦٩ بنحوه .

(٥) تقدم تخريجه فى ٥ / ١٧٠، ١٩٧.

(٦) أخرجه الطبرانى ، فى : الأوسط (٤٢٢١) ، والصغير ١ /٢٠٧. وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٢٦٩: رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ، وفيه جماعة لم أعرفهم .

رأيٍ وعقلٍ تامٍّ وافٍ ، وكان طويلًا جميلًا أبيضَ بَضًّا[1] ذا ضَفِيرَتَين[2] ، وكان له مِن الولدِ عَشَرةُ ذُكورٍ سِوَى الإناثِ ، وهم تَمّامٌ - وكان أصغرَهم - والحارثُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبيدُ اللَّهِ ، وعبدُ الرحمنِ ، وعَوْنٌ ، والفَضْلُ ، وقُثَمٌ ، وكَثِيرٌ ، ومَعْبَدٌ . وأعتَق سبعِين مَمْلوكًا مِن غِلمانِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثَنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ قال : حَدَّثنى محمدُ بنُ طَلْحةَ التَّيْمىُّ[4] مِن أهلِ المدينةِ ، حَدَّثنى أبو سُهَيْلٍ نافعُ بنُ مالكٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقّاصٍ قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ للعباسِ : « هذا العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ ، أجودُ قريشٍ كَفًّا وأوصَلُها » . تَفرَّد به[5] .

وثبَت فى « الصَّحيحَين »[6] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمرَ حينَ بعَثه على الصَّدقةِ فقِيلَ : منَع ابنُ جَميلٍ وخالدُ بنُ الوليدِ والعباسُ عَمُّ رسولِ اللَّه ﷺ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما يَنقِمُ ابنُ جَميلٍ إلّا أن كان فقيرًا فأغناه اللَّهُ ، وأمّا خالدٌ فإنَّكم تَظلِمون خالدًا ؛ وقد احتبَس أدْراعَه وأعْتادَه فى سبيلِ اللَّهِ ، وأما العَبّاسُ فهى علَىَّ ومثلُها » . ثم قال : « يا عمرُ أمَا شعَرْتَ أنَّ عَمَّ الرجلِ صِنْوُ أبيه ؟ » .

---

(١) البض : الرقيق اللون الصافى البشرة . النهاية ١ / ١٣٢.

(٢) فى الأصل ، ص : « ظفرتين » ، وفى ا ١٥ : « طفريات » ، وفى ا ٨ : « طفيرتين » ، وفى م : « طفرتين » . والمثبت من الاستيعاب ٢/ ٨١٦، وأسد الغابة ٣/ ١٦٧، وانظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣٧٤.

(٣) المسند ١ /١٨٥ (إسناده صحيح) .

(٤) فى م : « التميمى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤١٤.

(٥) كذا قال المصنف رحمه اللَّه ، والحديث لم يتفرد به الإمام أحمد ، فقد عزاه المصنف فى جامع المسانيد ٥/ ٤١ للنسائى عن حميد بن مخلد النسائى عن على بن عبد اللَّه وهو المدائنى به . وكذا الحافظ المزى ، فى : تحفة الأشراف ٣/ ٢٨٨. وهو فى النسائى الكبرى (٨١٧٤) .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ١٣٠.

وثبَت فى «صحيحِ البخاريِّ»[1] عن أنَسٍ أنَّ عمرَ خرَج يَستسقِى وخرَج بالعباسِ معه يَستسقِى به، وقال: اللهمَّ إنّا كنّا إذا قَحَطْنا تَوسَّلْنا إليك بنَبِيِّنا فتَسقِينا، وإنّا نَتوسَّلُ إليك[2] بعَمِّ نَبِيِّنا. قال فيُسقَوْن.

ويقالُ: إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ وعثمانَ بنَ عَفّانَ كانا إذا مَرّا بالعباسِ وهما راكِبانِ تَرَجَّلا إكرامًا له. قال الواقدىُّ وغيرُ واحدٍ[3]: تُوفِّى العباسُ فى يومِ الجُمُعَةِ لِثِنْتَىْ عَشْرةَ ليلةً خَلَت مِن رَجَبٍ - وقِيلَ: مِن رَمضانَ - سَنةَ ثِنْتين وثَلاثينَ، عن ثَمانٍ وثَمانِين سنةً، وصلَّى عليه عثمانُ بنُ عَفّانَ، ودُفِن بالبَقِيعِ. وقيل: تُوفِّى سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثِين. وقيل: سَنةَ أربعٍ وثَلاثينَ. وفَضائلُه ومَناقِبُه كثيرةٌ جِدًّا.

عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْعودٍ[4]

ابنِ غافلِ[5] بنِ حَبِيبِ[6] بنِ شَمْخِ[7] بنِ فارِ[8] بنِ مَخزُومِ[9] بنِ صَاهلةَ بنِ كاهلِ بنِ الحارثِ بنِ تميمِ[10] بنِ سعدِ[11] بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٧٥

(٢) بعده فى ا ١٥، ا ٨: «اليوم».

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٣١، وتاريخ دمشق ٢٦/ ٣٧٩، ٣٨٠. وعندهما عن الواقدى: لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، والمثبت هنا موافق لما ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢/ ٨١٦، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ١٦٧.

(٤) الاستيعاب ٣ / ٩٨٧، وأسد الغابة ٣ / ٣٨٤، والإصابة ٤ / ٢٣٣.

(٥) فى ا ١٥، ا ٨: «عاقل».

(٦) فى ا ١٥، ص: «ضبيب».

(٧) فى ا ١٥، ص: «سمح».

(٨) بعده فى ا ١٥: «بن فار». وفوقه: كذا.

(٩) فى الأصل، ص: «محروم»، وفى م: «محزوم».

(١٠) فى م، الإصابة: «تيم».

(١١) فى ا ١٥: «سعيد».

مُضَرَ ، أبو عبدِ الرحمنِ الهُذَلِيُّ ، حَليفُ بنى زُهْرَةَ ، أسلَم قديمًا قبلَ عمرَ ، وكان سببُ إسلامِه حينَ مَرَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ[1] ، رضِى اللَّهُ عنه ، وهو يَرعَى غنمًا فسألاه لَبَنًا ، فقال : إنِّى مُؤْتَمَنٌ . قال فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَناقًا لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ فاعتقَلَها ثم حلَب وشرِب وسقَى أبا بكرٍ ، ثم قال للضَّرْعِ : « اقْلِصْ » . فقلَص ، فقُلتُ : عَلِّمْنى مِن هذا الدُّعاءِ . فقال : « إنَّك[2] غُلَيِّمٌ[3] مُعَلَّمٌ » . الحديث[4] .

وروَى محمدُ بنُ إسحاقَ[5] ، عن يَحْيَى بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، أنَّ ابنَ مسعودٍ كان أولَ مَن جهَر بالقرآنِ بمَكَّةَ بعدَ النبىِّ ﷺ عندَ البيتِ ، وقريشٌ فى أنْديَتِها ؛ قرَأ سورةَ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن : ١ ، ٢] . فقاموا إليه فضَرَبوه .

ولزِم رسولَ اللَّهِ ﷺ [6]حينَ أسلَم[6] ، [١٤٩/٥ظ] وكان يَحمِلُ نَعلَيْه وسِواكَه ، وقال له : « إذنُك عَلَىَّ أن تَسمَعَ سِوادِى »[7] . ولهذا كان يقال له : صاحبُ السِّواكِ والسِّوادِ[8] .

وهاجَر إلى الحبشةِ ثم عاد إلى مَكَّةَ ، ثم هاجَر إلى المدينةِ ، وشهِد بدرًا ، وهو

---

(١) بعده فى الأصل : « وعمر » .

(٢) فى الأصل : « أنت » .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « عليم » ، وفى م : « غلام » . وانظر شرح المسند ٥/ ٢١٠ .

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ٦٢٦ . وهو فى المسند أيضا ١/ ٤٦٢ بلفظ : « غلام » . (إسناده صحيح) .

(٥) أخرجه ابن الأثير مطولا فى أسد الغابة ٣/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ من طريق ابن إسحاق به . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) مسلم فى (٢١٦٩) ، وابن ماجه (١٣٩) .

والسِّواد : السِّرار ، يقال : ساودت الرجل مساودة ، إذا ساررته . قيل : هو من إدناء سوادك من سواده : أى شخصك . النهاية ٢/ ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٨) فى م ، الإصابة ٤/ ٢٣٤ : « الوساد » .

الذى قتَل أبا جهلٍ بعدَ ما أثبتَه ابْنا عَفْراءَ، وشهِد بَقيَّةَ المَشاهِدِ.

وقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا: «اقْرَأْ عَلَىَّ». فقُلتُ: أَقْرَأُ عليكَ وعليكَ أُنْزِل؟ فقال: «إنِّى أُحِبُّ أنْ أسمَعَه مِن غَيْرِى». فقرأ عليه مِن أوَّلِ سورةِ النِّساءِ إلى قولِه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. فبَكَى رسولُ اللَّهُ ﷺ وقال: «حَسْبُكَ»[(١)].

وقال أبو موسى[(٢)]: قَدِمْتُ أنا وأخِى مِن اليَمَنِ وما كنّا نَظُنُّ إلَّا أنَّ ابنَ مسعودٍ وأُمَّه مِن أهلِ بيتِ النبىِّ ﷺ؛ لكثرةِ دُخُولِهم بيتَ النبىِّ ﷺ.

وقال حُذَيْفَةُ[(٣)]: ما رأيتُ أحدًا أشبهَ برسولِ اللَّهِ ﷺ فى هَدْيِه ودَلِّه[(٤)] وسَمْتِه مِن ابنِ مسعودٍ، ولقد عَلِم المَحْفُوظون مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ أنَّ ابنَ أُمِّ عَبْدٍ أقرَبُهم إلى اللَّهِ زُلْفَى. وفى الحديثِ[(٥)]: «وتَمَسَّكُوا بعَهْدِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ».

وفى الحديثِ الآخَرِ الذى رَواه أحمدُ[(٦)]، عن محمدِ بنِ فُضَيْلٍ، عن مُغِيرَةَ، عن أُمِّ موسى[(٧)]، عن علىٍّ أنَّ ابنَ مَسعودٍ صعِد شجرةً يَجتَنِى الكَباثَ[(٨)]، فجعَل

---

(١) البخارى (٥٠٤٩، ٥٠٥٠، ٥٠٥٦)، ومسلم (٨٠٠).

(٢) البخارى (٣٧٦٣، ٤٣٨٤)، ومسلم (٢٤٦٠).

(٣) البخارى (٣٧٦٢، ٦٠٩٧) بنحوه.

(٤) الدل والهدى والسمت: عبارة عن الحالة التى يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار، وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة. النهاية ٢/ ١٣١.

(٥) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/٣٨٧ عن حذيفة، والترمذى (٣٨٠٥) بلفظ: «وتمسكوا بعهد ابن مسعود». عن ابن مسعود، وقال: هذا حديث حسن غريب. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٩٢).

(٦) المسند ١ /١١٤ بنحوه. (إسناده صحيح).

(٧) فى الأصل: «حرسى». وانظر: تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٨٨.

(٨) الكباث: النضيج من ثمر الأراك. النهاية ٤/ ١٣٩.

الناسُ يَعْجَبونَ مِن دِقَّةِ ساقَيْه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « والذى نفسِى بيدِه لهما فى الميزانِ أثقَلُ مِن أُحُدٍ » .

وقال عمرُ بنُ الخطابِ[1] ، رضِى اللَّهُ عنه - وقد نظر إلى قِصَرِه وكان يُوازِى بقامَتِه الجلُوسَ - فجعَل يُتبِعُه بَصَرَه ثم قال : هو كُنَيْفٌ[2] مُلِئَ عِلْمًا .

وقد شهِد ابنُ مسعودٍ بعدَ النبىِّ ﷺ مَواقِفَ كثيرةً ؛ منها اليَرْمُوكُ وغيرُها ، وكان قد[3] قدِم مِن العراقِ حاجًّا فمَرَّ بالرَّبَذَةِ فشهِد وَفاةَ أبى ذَرٍّ ودفَنَه ، ثم قدِم إلى المدينةِ فمَرِض بها ، فجاءَه عثمانُ بنُ عَفّانَ عائدًا ، فيُرْوَى[4] أنَّه قال له : ما تَشتَكِى ؟ قال ذُنُوبِى . قال : فما تَشتَهِى ؟ قال : رَحْمةَ رَبِّى . قال : ألا آمُرُ لك بطَبيبٍ ؟ فقال : الطَّبيبُ أمرَضَنِى . قال : ألا آمُرُ لك بعطائِك - وكان قد ترَكه سَنتَيْن ؟ فقال : لا حاجَةَ لى فيه . فقال : يكونُ لبَناتِك مِن بعدِك . فقال : أتخشَى على بَناتِى الفقرَ ؟ إنِّى أمَرْتُ بَناتى أن يَقرأْنَ كلَّ ليلةٍ سورةَ الواقعةِ ، وإنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن قَرَأ الواقعةَ كُلَّ ليلةٍ لم تُصِبْه فاقةٌ أبدًا » .

وأوصَى عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ إلى الزبيرِ بنِ العَوّامِ ، فيقالُ : إنَّه هو الذى صَلَّى عليه ليلًا ، ثم عاتَب عُثمانُ الزُّبيرَ على ذلك . وقيلَ : بل صَلَّى عليه عُثمانُ . وقِيلَ : عمارٌ . فاللَّهُ أعلمُ . ودُفِن بالبَقيعِ عن بِضْعٍ وسِتِّينَ سَنةً .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ١٥٦، وأبو نعيم فى الحلية ١ / ١٢٩، وأورده الهيثمى فى المجمع ٢٩١/٩ وقال : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٢) كنيف بالتصغير للتعظيم : وهو تصغير للكِنْف ، بكسر الكاف وهو الوعاء . النهاية ٤ / ٢٠٥.

(٣) زيادة من : ص .

(٤) أخرجه البيهقى ، فى : شعب الإيمان (٢٤٩٧) بنحوه و بلفظ : « من قرأ الواقعة كل ليلة لم يفتقر » . وضعفه الزيلعى . تخريج الأحاديث والآثار الواقعة فى تفسير الكشاف ٣/ ٤١١- ٤١٤.

عبدُ الرّحمنِ بنُ عَوْفٍ[1]

ابنِ عبدِ عَوْفِ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ أبو محمدٍ، القُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ، أسلَم قديمًا على يَدَىْ أبِى بكرٍ، وهاجَر إلى الحبشةِ وإلى المدينةِ، وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ، وشهِد بدرًا وما بعدَها، وأمَّرَه رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ بَعَثه إلى بَنِى [٥/١٥٠و] كَلْبٍ، وأرخَى له عَذَبةً بينَ كَتِفَيْه، لتكونَ أمارةً عليه للإمارةِ، وهو أحَدُ العَشَرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ، وأحَدُ الثَّمانيةِ السابقِين إلى الإسلامِ، وأحَدُ السِّتَّةِ أصحابِ الشُّورَى، ثم أحَدُ الثَّلاثةِ الذين انتَهَت إليهم منهم، كما ذكَرْنا[2]. ثم كان هو الذى اجتهَد فى تقديمِ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، وقد تَقاوَل هو وخالدُ بنُ الوَليدِ فى بعضِ الغَزَواتِ فأغلَظ له خالدٌ فى المَقالِ، فلمّا بلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا أصحابِى، فوَالَّذِى نفسِى بيدِه لو أنفَق أحَدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصِيفَه». وهو فى «الصَّحيحِ»[3]. وقال مَعْمَرٌ[4]، عن الزُّهْرِيِّ: تَصدَّق عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ على عهدِ النبىِّ ﷺ بشَطْرِ مالِه؛ أربعةِ آلافٍ، ثم تَصدَّقَ بأربَعِين ألفًا، ثم تَصدَّقَ بأربَعِين ألفَ دِينارٍ، ثم حمَل على خَمسِمائةِ فرَسٍ فى سبيلِ اللَّهِ، ثم حمَل

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٨٤٤، وأسد الغابة ٣ / ٤٨٠، والإصابة ٤ / ٣٤٦.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٢١٠.

(٣) البخارى (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١). وليس فى البخارى ذكر تقاول عبد الرحمن وخالد.

(٤) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٥٢٠) عن معمر عن الزهرى. ومن طريق ابن المبارك أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١/ ٩٠ (٢٦٥)، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٩٩. وعندهم أنه حمل على ألف وخمسمائة راحلة. وقال الشيخ شعيب: ورجاله ثقات لكنه منقطع بين الزهرى وابن عوف. انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٨١.

على خَمسِمِائةِ راحلةٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، وكان عامَّةُ مالِه مِن التِّجارةِ .

فأمّا الحديثُ الذى قال عبدُ بنُ حُميدٍ فى « مُسنَدِه »[1] : ثنا يَحْيَى بنُ إسحاقَ ، ثنا عُمارةُ بنُ زاذانَ ، عن ثابتٍ البُنانىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عَوْفٍ لمّا هاجَر آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ عثمانَ بنِ عفانَ ، فقال له : إنَّ لى حائطَين فاخْتَرْ أيَّهما شئتَ . فقال : بارَكَ اللَّهُ لك فى حائطَيْك ، ما لهذا أسلَمْتُ ، دُلَّنِى على السُّوقِ . قال : فدَلَّه ، فكان يَشترِى السُّمَيْنَةَ[2] والأُقَيْطَةَ والإهابَ ، فجمَع فتزَوَّج ، فأتى النبىَّ ﷺ فقال : « بارك اللَّه لك ، أَوْلِمْ ولو بشاةٍ » . قال فكَثُر مالُه حتى قدِمَت له سَبعُمِائةِ راحلةٍ تَحمِلُ البُرَّ وتَحمِلُ الدَّقيقَ والطَّعامَ . قال : فلمّا دخلَتِ المدينةَ سُمِع لأهلِ المدينةِ رَجَّةٌ ، فقالت عائشةُ : ما هذه الرَّجَّةُ ؟ فقِيلَ لها : عِيرٌ قَدِمت لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ سَبْعُمِائةٍ تَحمِلُ البُرَّ والدَّقيقَ والطَّعامَ . فقالت عائشةُ : سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَدخُلُ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ الجنةَ حَبْوًا » . فلما بلَغ ذلك عبدَ الرَّحمنِ قال : أُشْهِدُكِ يا أُمَّهْ أنَّها بأحمالِها وأحلاسِها وأقتابِها فى سبيلِ اللَّهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عبدُ الصَّمَدِ بنُ حَسّانَ ، ثنا عُمارةُ - هو ابنُ زاذانَ - عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : بينَما عائشةُ فى بيتِها إذ سَمِعتْ صوتًا فى المدينةِ فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عِيرٌ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ قَدِمت مِن الشامِ تَحمِلُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (طبعة مجمع اللغة بدمشق) ٤١/ ٢٤٤، ٢٤٥. من طريق عبد بن حميد به . ومن طريق ابن عساكر ، أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٤٨٢، ٤٨٣. وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف لضعف عمارة بن زاذان . سير أعلام النبلاء ١/ ٧٦.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « السمنة » .

(٣) المسند ٦/ ١١٥. وأخرجه ابن الجوزى من طريق الإمام أحمد فى الموضوعات ٢/ ١٣. وقال : قال أحمد بن حنبل : هذا الحديث كذب منكر ، قال : وعمارة يروى أحاديث مناكير .

كلَّ شيءٍ - قال : وكانت سبعَمِائةِ بَعيرٍ - قال : فارتَجَّتِ المدينةُ مِن الصوتِ ، فقالت عائشةُ : سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « قد رأيتُ عبدَ الرحمنِ بنَ عَوْفٍ يَدخُلُ الجنةَ حَبْوًا » . فبلَغ ذلك عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ ، فقال : لَئِنِ اسْتطَعْتُ لأدْخُلَنَّها[1] قائمًا . فجعَلَها بأقتابِها وأحمالِها فى سبيلِ اللَّهِ . فقد تَفرَّد به عُمارةُ ابنُ زاذانَ الصَّيْدلانىُّ وهو ضعيفٌ . وقولُه فى سياقِ عبدِ بنِ حُمَيْدٍ : إنَّه آخَى بينَه وبينَ عثمانَ بنِ عفانَ . فغلَطٌ مَحْضٌ مُخالِفٌ لِما فى « صحيحِ البخارىِّ »[2] مِن أنَّ الذى آخَى بينَه وبينَه إنَّما هو سعدُ بنُ الرَّبيعِ الأنصارىُّ ، رضِى اللَّهُ عنهما . وثبَت فى « الصَّحيحِ »[3] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى وراءَه الركعةَ الثانيةَ مِن صلاةِ الفجرِ فى بعضِ الأسفارِ . وهذه مَنْقَبةٌ عَظيمةٌ لا تُبارَى .

ولما حَضَرَتْه الوفاةُ أوصَى لكلِّ رجلٍ ممَّن بقِى مِن أهلِ بدرٍ بأربعِمِائةِ دينارٍ - وكانوا مائةً - فأخَذوها حتى عثمانُ وعلىٌّ . وقال علىٌّ[4] : اذهَبْ يا ابنَ عَوْفٍ [٥/١٥٠ظ] فقد أدرَكْتَ صَفْوَها ، وسَبَقْتَ رَنْقَها[5] . وأوصَى لكُلِّ امرأةٍ مِن أُمَّهاتِ المؤمنين بمبلغٍ كثيرٍ حتى كانت عائشةُ تقولُ[6] : سقاه اللَّهُ مِن السَّلسَبِيلِ . وأعتَق خَلْقًا مِن مَماليكِه ، ثم ترَك بعدَ ذلك كلَّه مالًا جَزيلًا ؛ مِن ذلك ذهبٌ قُطِع

---

(١) فى الأصل ، م : « لأدخلها » .

(٢) تقدم تخرجه فى ٤/٥٦٣.

(٣) مسلم (٨١ /٢٧٤) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٨٩/١ (١/٢٦٣) ، وابن سعد فى الطبقات ٣ / ١٣٥، ١٣٦، وأبو نعيم فى الحلية ١ / ١٠٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤١/ ٢٨٩. وقال الشيخ شعيب : إسناده صحيح . سير أعلام النبلاء ١ / ٩٠.

(٥) فى الأصل : « دمعها » ، وفى م : « زيفها » ، وفى ص : « رفقها » .

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ١٠٤، ١٣٥ بنحوه .

بالفُئوسِ حتى مَجَلت[1] أيدِى الرِّجالِ ، وترَك ألفَ بَعيرٍ ومائةَ فرسٍ ، وثَلاثةَ آلافِ شاةٍ تَرْعَى بالبَقيعِ ، وكان نِساؤُه أربعًا فصُولِحَت إحداهُنَّ مِن رُبُعِ الثُّمُنِ بثَمانِين ألفًا .

ولما مات صلَّى عليه عثمانُ بنُ عفانَ ، وحمَل فى جَنازتِه سعدُ بنُ أبى وَقّاصٍ ، ودُفِن بالبَقيعِ ، عن خمسٍ وسبعِين سنةً .

وكان أبيضَ مُشْرَبًا حُمْرةً ، حسنَ الوجهِ ، رقيقَ[2] البَشَرةِ ، أعينَ ، أهدبَ الأشفارِ ، أقنَى ، له جُمَّةٌ ، ضخمَ الكَفَّيْن ، غليظَ الأصابعِ ، لا يُغَيِّرُ شَيْبَه ، رضِى اللَّهُ عنه .

أبو ذَرٍّ الغفارىُّ[3] واسمُه جُندَبُ بنُ جُنادةَ ، على المشهورِ . أسلَم قديمًا بمكَّةَ ، فكان رابعَ أربعةٍ أو خامِسَ خَمسةٍ . وقِصَّةُ إسلامِه تَقدَّمَت قبلَ الهجرةِ[4] ، وهو أوَّلُ مَن حَيّا رسولَ اللَّهِ ﷺ بتحيةِ الإسلامِ ، ثم رجَع إلى بلادِه وقَوْمِه ، فكان هناك حتى هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ فهاجَر بعدَ الخَنْدقِ ، ثم لزِم رسولَ اللَّهِ ﷺ حَضَرًا وسفَرًا ، وروَى عنه أحاديثَ كثيرةً . وجاء فى فضلِه أحاديثُ كثيرةٌ ؛ مِن أشهرِها ما رَواه الأعمَشُ[5] ، عن أبى اليَقْظانِ عثمانَ بنِ عُمَيْرٍ[6] ، عن

---

(١) مجلت يده تمجُل إذا ثخن جلدها وتعجز ، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة . النهاية ٤ / ٣٠٠.

(٢) فى الأصل ، م ، الإصابة ٤/ ٣٤٩: «دقيق» ، وانظر الاستيعاب ٣ / ٨٤٧، وأسد الغابة ٣ / ٤٨٥.

(٣) الاستيعاب ٤ / ١٦٥٢. أسد الغابة ٦ / ٩٩. والإصابة ٧ / ١٢٥.

(٤) انظر ٤/ ٨٥- ٩١.

(٥) أخرجه الترمذى (٣٨٠١) وقال : وهذا حديث حسن. وابن ماجه (١٥٦) كلاهما من طريق الأعمش به بنحوه.

(٦) فى ا ٨، ص : «عمر» . وانظر تهذيب الكمال ١٩/٤٦٩ .

أبى حربِ بنِ أبى الأسودِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما أظَلَّتِ الخَضراءُ ، ولا أقَلَّتِ الغَبْراءُ أصدقَ لهجةً مِن أبى ذَرٍّ » . وفيه ضَعْفٌ[1] . ثم لما مات رسولُ اللَّهِ ﷺ ومات أبو بكرٍ خرَج إلى الشامِ فكان فيه حتى وقَع بينَه وبينَ معاويةَ فاستقدَمَه عثمانُ إلى المدينةِ ، ثم نزَل بالرَّبَذَةِ فأقام بها حتى مات فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السَّنةِ ، وليس عندَه سِوَى امرأتِه وأولادِه ، فبينَما هم كذلك لا يقدِرون على دَفْنِه إذ قدِم عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ مِن العراقِ فى جماعةٍ مِن أصحابِه ، فحضَروا مَوْتَه ، وأوصاهم كيف يَفعَلون به . وقيلَ : قدِموا بعدَ مَوْتِه فوَلُوا غَسْلَه ودَفْنَه . وكان قد أمَر أهلَه أن يطبُخوا لهم شاةً مِن غنَمِه ليأْكُلوها[2] بعدَ الموتِ .

وقد أرسَل عثمانُ بنُ عَفّانَ إلى أهلِه فضَمَّهم إلى أهلِه .

---

(١) من قِبل عثمان بن عمير ، ولكن قال الشيخ شعيب : حديث قوى بشواهده . سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٩.
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « ليأكلوه » .

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وثلاثين

فيها كان فتحُ قُبْرُسَ فى قولِ أبى معشرٍ[1] ، وخالفَه الجمهورُ فذكَروها قبلَ ذلك كما تقدَّم[2] .

وفيها غزا عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سرحٍ إفريقيةَ ثانيةً ، حين نقَضَ أهلُها العهدَ .

وفيها سيَّرَ أميرُ المؤمنينَ جماعةً من قرّاءِ أهلِ الكوفةِ إلى الشامِ ، وكان سببُ ذلك أنَّهم تكلَّموا بكلامٍ قبيحٍ فى مجلسِ سعيدِ بنِ عامرٍ ، فكتَب إلى عثمانَ فى أمرِهم ، فكتَب إليه عثمانُ أن يُجْليَهم عن بلدِه إلى الشامِ ، وكتب عثمانُ إلى معاويةَ أميرِ الشامِ أنَّه قد خرَجَ[3] إليك قُرَّاءٌ مِن أهلِ الكوفةِ فأنْزِلْهم وأكْرِمْهم وتألَّفْهم . فلما قَدِموا أنزلَهم معاويةُ ، وأكرمَهم واجتمَعَ بهم ووعظَهم ونصحَهم فيما يعتمِدونه من اتِّباعِ الجماعةِ وتركِ الانفرادِ والابتعادِ ، فأجابه مُتكلِّمُهم والمترجِمُ عنهم بكلامٍ فيه بشاعةٌ وشناعةٌ ، فاحتمَلَهم معاويةُ لحلمِه ، وأخذ فى مدحِ قريشٍ - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ فى المدحِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، والثناءِ عليه ، والصلاةِ والتسليمِ . وافتخَرَ معاويةُ بوالدِه وشرفِه فى قومِه ، وقال فيما قال : وأظنُّ أبا سفيانَ لو ولَد الناسَ كلَّهم لم يلدْ إلَّا حازمًا . فقال له صعصعةُ بنُ صُوحانَ : كذَبْتَ ، قد ولَد الناسَ كلَّهم لمَن هو خيرٌ مِن أبى سفيانَ ؛ مَن خلَقه اللَّهُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٣١٧، ٣٢٩.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٢٨ حوادث سنة ثمان وعشرين.

(٣) فى م، ص: «أخرج».

بيدِه ، ونفخَ فيه من رُوحِه ، وأمَر الملائكةَ فسجَدوا له ، فكان فيهم البرُّ والفاجرُ ، والأحمقُ والكيِّسُ . ثم بذَل لهم النصحَ مرةً أخرى فإذا هم يتمادَوْن فى غيِّهم ، ويستمِرّون على جَهالتِهم وحَماقتِهم ، فعند ذلك أخرَجهم من بلدِه ونَفاهم عن الشامِ ؛ لئلا يُشَوِّشُوا عقولَ الطَّغامِ ، وذلك أنَّه كان يشتملُ مَطاوى كلامِهم على القدحِ فى قريشٍ ، كونَهم فرَّطوا وضيَّعوا ما يجبُ عليهم مِن القيامِ فيه ، مِن نُصرةِ الدِّينِ وقمعِ المفسدين . وإنَّما يريدون بهذا التنقيصَ والعيبَ ورجمَ الغيبِ ، وكانوا يشتُمونَ عثمانَ وسعيدَ[1] بنَ العاصِ ، وكانوا عشَرةً ، وقيل : تِسعةً . وهو الأشبهُ ، منهم كُمَيْلُ بنُ زيادٍ ، والأشترُ النَّخَعِيُّ - واسمه مالكُ بنُ [2]الحارثِ ، وصعصعةُ بنُ صُوحانَ ، وأخوه زيدُ بنُ صُوحانَ ، [3]ومالكُ بنُ كعبٍ[3] الأَرْحَبِيُّ[4] ، والأسودُ بنُ[2] [5]يزيدَ و[5]علقمةُ بنُ قيسٍ النَّخَعِيّان ، وثابتُ بنُ قيسٍ النَّخَعِيُّ ، وجندبُ بنُ زهيرٍ الغامِدِيُّ[6] ، وجندبُ بنُ كعبٍ الأزديُّ ، وعروةُ بنُ الجعدِ ، وعمرُو بنُ الحَمِقِ الخُزَاعِيُّ . فلمَّا خرَجوا مِن دمشقَ أَوَوْا إلى الجزيرةِ ، فاجتَمَع بهم عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ - وكان نائبًا على الجزيرةِ ، ثم ولِى حِمْصَ بعدَ ذلك - فهدَّدَهم وتوعَّدَهم ، فاعتَذَروا إليه وأنابوا إلى الإقلاعِ عمَّا كانوا عليه ، فدَعا لهم وسيَّر مالِكًا الأشْتَرَ النَّخَعِيَّ إلى عثمانَ بنِ عفَّانَ ؛ ليعتَذِرَ

---

(١) فى ص : « سعد » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى النسخ : « كعب بن مالك » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٣٢٣، والكامل ٣/ ١٣٨.

(٤) فى ا ٨: « الأزدى » . وفى ص : « الأوسى » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ، والكامل . وانظر الجرح والتعديل ٨ / ٢١٥.

(٥ - ٥) فى ص : « زيد بن » .

(٦) فى الأصل ، ا ٨، م : « العامرى » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٢٦، والكامل ٣/ ١٤٤. وانظر الإصابة ١/ ٥٠٧.

إليه عن أصحابِه بينَ يدَيه ، فقَبِل ذلك منهم ، وكفَّ عنهم وخيَّرهم أن يُقيموا حيث أحبُّوا ، فاختَاروا أن يكونوا فى معاملةِ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ ، فقَدِموا عليه حِمْصَ ، فأمَرهم بالمُقامِ بالسَّاحلِ ، وأجرَى عليهم الرزقَ . ويقالُ : بل لمَّا مَقَتَهم معاويةُ كتَب فيهم إلى عثمانَ فجاءَه كتابُ عثمانَ أن يردَّهم إلى سعيدِ ابنِ العاصِ بالكوفةِ ، فردَّهم إليه ، فلمَّا رجَعوا كانوا أزلَقَ ألسنةً ، وأكثَرَ شرًّا ، فضجَّ منهم سعيدُ بنُ العاصِ إلى عثمانَ ، فأمَره أن يسيِّرَهم إلى عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ بحِمْصَ ، وأن يَلْزَمُوا الدُّرُوبَ .

وفى هذه السنةِ سيَّر عثمانُ بعضَ أهلِ البصرةِ منها إلى الشامِ ، وإلى مصرَ بأسبابٍ مُسَوِّغَةٍ لِما فعَله ، رضِى اللَّهُ عنه ، فكان هؤلاء ممَّن يُؤَلِّبُ عليه ويُمَالِئُ الأعداءَ فى الحَطِّ والكلامِ فيه ، وهم الظالِمون فى ذلك ، وهو البَارُّ الرَّاشِدُ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وفى هذه السنةِ حجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وتقبَّل اللَّهُ منه .

(*) ثم دَخَلَت سنةُ أربعٍ وثلاثين

قال أبو مَعْشَرٍ[1] : فيها كانت غزوةُ[2] الصَّوارى . والصَّحيحُ فى قولِ غيرِه أنَّها كانت قبلَ ذلك ، كما تقدَّم .

وفى هذه السنةِ تكاتَب المنحرِفون عن طاعةِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وكان جمهورُهم مِن أهلِ الكوفةِ - وهم فى معاملةِ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ بحِمْصَ مَنْفِيُّون عن الكوفةِ - وثارُوا على سعيدِ بنِ العاصِ أميرِ الكوفةِ ، وتألَّبُوا عليه ، ونالوا منه ومِن عثمانَ ، وبعَثوا [٥/١٥١ظ] إلى عثمانَ مَن يناظِرُه فيما فعَل ، وفيما اعتَمَد مِن عَزْلِ كثيرٍ مِن الصحابةِ وتَوْليةِ جماعةٍ مِن بنى أُمَيَّةَ مِن أقربائِه ، وأغلَظوا له فى القولِ ، وطلَبوا منه أن يعزِلَ عمَّالَه ويستَبْدِلَ بهم[3] غيرَهم[4] مِن السَّابِقِين ومِن الصحابةِ[4] ، حتى شَقَّ ذلك عليه جدًّا ، وبعَث إلى أمراءِ الأجنادِ فأحضَرَهم عندَه ليستَشِيرَهم ، فاجتَمَع إليه معاويةُ بنُ أبى سفيانَ أميرُ الشامِ ، وعمرُو بنُ العاصِ أميرُ مصرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ أميرُ المغربِ ، وسعيدُ ابنُ العاصِ أميرُ الكوفةِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ أميرُ البصرةِ ، فاستَشَارَهم فيما حدَث مِن الأمرِ وافتراقِ الكلمةِ ، فأشار عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ أن يشغَلَهم بالغزوِ عمَّا هم فيه مِن الشرِّ ، فلا يكونُ همُّ أحدِهم إلَّا نفسَه ، وما هو فيه مِن دَبَرةِ دابَّتِه ، وقَمْلِ[5]

(*) من هنا يبدأ الجزء السابع من نسخة أحمد الثالث والمشار إليها بالرمز (ا ٧) .

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٣٠.

(٢) فى الأصل، م، ص: «وقعة».

(٣) فى الأصل، م: «أئمة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) فى الأصل، ص: «حمل».

فَرْوَتِه ، [1] فإنَّ غَوْغاءَ الناسِ إذا تفرَّغوا وبَطَلوا ، اشتَغَلوا بما لا يُغْنِى وتكلَّموا فيما[2] لا يُرْضِى ، وإذا تفرَّقوا نفَعوا أنفسَهم وغيرَهم [1] . وأشار سعيدُ بنُ العاصِ بأن يستأْصِلَ شَأْفَةَ المفسدِين ، ويقطَعَ دابِرَهم . وأشار معاويةُ بأن يرُدَّ عمالَه إلى أقاليمِهم ، وأن لا يلتَفِتَ إلى هؤلاء وما تألَّبوا عليه مِن الشرِّ ، فإنَّهم أقلُّ وأضعَفُ جندًا . وأشار عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ بأن يتألَّفَهم بالمالِ فيُعْطِيَهم منه ما يكُفُّ به شَرَّهم ، ويأمَنُ غائِلتَهم ، ويعطِفُ به قلوبَهم إليه . وأمَّا عمرُو بنُ العاصِ فقام فقال : أمَّا بعدُ يا عثمانُ ، فإنَّك قد ركَّبْتَ الناسَ ما يكرَهون ، فإمَّا أن تعزِلَ عنهم ما يكرَهون ، وإمَّا أن تَقَدَّمَ فتُنْزِلَ عُمَّالَك عمَّا[3] هم عليه . وقال له كلامًا فيه غِلْظَةٌ ، ثم اعتذَر إليه فى السِّرِّ بأنَّه إنَّما قال هذا ليُبَلِّغَ عنه مَن كان حاضِرًا مِن الناسِ إليهم ليَرْضَوا مِن عثمانَ بهذا ، فعندَ ذلك قرَّر عثمانُ عمالَه على ما كانوا عليه ، وتألَّف قلوبَ أولئك بالمالِ ، وأمَر بأن يُبْعَثوا فى[4] الغزوِ إلى الثُّغورِ ، فجمَع بينَ المصالحِ كلِّها ، ولمَّا رَجَعَتِ العمالُ إلى أقاليمِها ، امتَنَع أهلُ الكوفةِ مِن أن يدخُلَ عليهم سعيدُ بنُ العاصِ ، ولبِسوا السِّلاحَ وحلَفوا أن لا يُمكِّنوه مِن الدُّخولِ عليهم[5] حتى يعزِلَه عثمانُ ويولِّىَ عليهم أبا موسى الأشعرىَّ ، وكان اجتماعُهم بمكانٍ يقالُ له : الجَرَعَةُ[6] . وقد قال يومَئذٍ الأشْتَرُ النَّخَعِىُّ : واللَّهِ لا يدخُلُها علينا ما حَمَلْنا سيوفَنا . وتواقَف الناسُ بالجَرَعَةِ ، وأحْجَم سعيدٌ عن قتالِهم وصمَّموا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « بما » .

(٣) فى الأصل ، م : « على ما » .

(٤) فى الأصل ، م : « إلى » .

(٥) فى الأصل ، م : « فيها » ، وفى ص : « عليهم فيها » .

(٦) الجَرَعة : موضع قرب الكوفة . معجم البلدان ٢ / ٩٢. وقال الطبرى فى تاريخه ٤ / ٣٣٥: والجرعة مكان مشرف قرب القادسية .

على مَنْعِه . وقد اجتَمَع فى مسجدِ الكوفةِ فى هذا اليومِ حُذَيْفَةُ ، وأبو مسعودٍ عُقْبَةُ بنُ عمرٍو ، فجعَل أبو مسعودٍ يقولُ : واللَّهِ لا يرجِعُ سعيدُ بنُ العاصِ حتى يكونَ دماءً . فجعَل حُذَيْفَةُ يقولُ : واللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ ولا يكونُ فيها مِحْجَمَةٌ مِن دمٍ ،وما أعلَمُ اليومَ شيئًا إلَّا وقد علِمْتُه ومحمدٌ ﷺ حىٌّ . والمقصودُ أنَّ سعيدَ بنَ العاصِ كرَّ راجِعًا إلى المدينةِ وكسَر الفتنةَ ، فأعجَب ذلك أهلَ الكوفةِ ، وكتَبوا إلى عثمانَ (١أن يولِّىَ عليهم أبا موسى الأشعرىَّ١) ، فأجابَهم عثمانُ إلى ما سألوا ؛ إزاحَةً لعُذْرِهم ، وإزالَةً لِشُبَهِهم ، وقَطْعًا لعِلَلِهم .

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ[٢] أنَّ سببَ تألُّبِ الأحزابِ على عثمانَ أنَّ رجلًا يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ . كان يهوديًّا فأظهَر الإسلامَ وصار إلى مصرَ ، فأوحَى إلى طائفةٍ مِن الناسِ كلامًا اختَرَعه مِن عندِ نفسِه ، مضمونُه أنَّه يقولُ للرجلِ : أليس قد ثبَت أنَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ سيعودُ إلى هذه الدنيا ؟ فيقولُ الرجلُ : بلى[٣] ! فيقولُ له : فرسولُ اللَّهِ ﷺ أفضَلُ منه ، فما تُنْكِرُ أن يعودَ إلى هذه الدنيا وهو أشرفُ مِن عيسى ابنِ مريمَ ، عليه السلامُ ! [٥/١٥٢و] ثم يقولُ : وقد كان أوصَى إلى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ؛ فمحمدٌ خاتَمُ الأنبياءِ ، وعلىٌّ خاتَمُ الأوصياءِ . ثم يقولُ : فهو أحقُّ بالإمْرَةِ[٤] مِن عثمانَ ، وعثمانُ مُعْتَدٍ فى وِلايتِه ما ليس له . فأنْكِروا عليه وأَظْهِروا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهْىَ عن المنكرِ . فافتَتَن به بشرٌ كثيرٌ مِن أهلِ مصرَ ، وكتَبوا إلى جماعاتٍ مِن عوامِّ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ ، فتمالَئوا على ذلك ، وتكاتَبوا فيه ، وتواعَدوا أن يجتَمِعوا فى الإنكارِ على عثمانَ ، وأرسَلوا إليه مَن يناظِرُه ويذكُرُ له

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « بذلك » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، م : « نعم » .

(٤) فى ا ٨، ا ٧، ص : « بالأمر » .

ما يَنْقِمون عليه مِن توليتِه أقرباءَه وذوى رحمِه وعزلِه كبارَ الصحابةِ . فدخَل هذا فى قلوبِ كثيرٍ مِن الناسِ ، فجمَع عثمانُ بنُ عفانَ نُوَّابَه مِن الأمصارِ ، فاستَشَارهم فأشاروا عليه بما تقدَّم ذِكْرُنا له . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الواقدىُّ[1] فيما رَواه عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه قال : لمَّا كانت سنةُ أربعٍ وثلاثين كثَّر[2] الناسُ على عثمانَ ، ونالوا منه أقبَحَ ما نِيلَ مِن أحدٍ ، فكلَّم الناسُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ أن يدخُلَ على عثمانَ ، فدخَل عليه فقال له : إنَّ الناسَ [3]وَرَائى و[3] قد كلَّمونى فيك ، وواللَّهِ ما أدْرِى ما أقولُ لك ، وما أعرِفُ شيئًا تجهَلُه ، ولا أدُلُّك على أمرٍ لا تعرِفُه ، إنَّك لَتَعْلَمُ ما نعلَمُ ، ما سبَقْناك إلى شىءٍ فنُخْبِرَك عنه ، ولا خلَونا بشىءٍ فَنُبَلِّغَكَه ، وما خُصِصْنا بأمورٍ عنك[4] ، وقد رأيْتَ وسمِعْتَ وصحِبْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ونِلْتَ صِهْرَه ، [3]وما ابنُ أبى قُحَافَةَ بأوْلَى بعملِ الحقِّ منك ، ولا ابنُ الخطابِ بأوْلَى بشىءٍ مِن الخيرِ منك ، وإنَّك أقرَبُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ رَحِمًا ، ولقد نِلْتَ مِن صِهْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لم يَنالَا ، ولا سَبَقاك إلى شىءٍ[3] ، فاللَّهَ اللَّهَ فى نفسِك ، فإنَّك واللَّهِ ما تُبَصَّرُ مِن عمًى ، ولا تُعَلَّمُ مِن جهلٍ ، وإنَّ الطريقَ لَواضِحٌ بيِّنٌ ، وإنَّ أعلامَ الدِّينِ لَقائمةٌ ، تَعْلَمْ يا عثمانُ أنَّ أفضلَ عبادِ اللَّهِ عندَ اللَّهِ إمامٌ عادلٌ ، هُدِىَ وهَدَى ، فأقام سُنَّةً معلومةً ، وأمات بدعةً معلومةً[5] ، فواللَّهِ إنَّ كُلًّا لَبيِّنٌ ، وإنَّ السُّنَنَ لقائمةٌ لها أعلامٌ ، وإنَّ البدَعَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٣٦- ٣٣٩.

(٢) فى م : « أكثر » .

(٣ - ٣) زيادة من : م ، وهى موافقة لما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٧.

(٤) فى ا ٨، ا ٧، م : « خفى عنك إدراكها » . وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٧: « وما خصصنا بأمر دونك » .

(٥) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٧: « متروكة » .

لقائمةٌ لها أعلامٌ ، وإنَّ شرَّ الناسِ عندَ اللَّهِ إمامٌ جائرٌ ، ضلَّ وضُلَّ به ، فأمات سُنَّةً معلومةً وأحْيَا بدعةً متروكةً ، وإنِّى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُؤْتَى يومَ القيامةِ بالإمامِ الجائرِ وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ[1] ، فيُلْقَى فى جهنمَ فيدورُ فيها كما تدورُ الرَّحَا ثم يَرْتَطِمُ فى غمرةِ جهنمَ » . وإنِّى أُحَذِّرُك اللَّهَ وأُحَذِّرُك سَطْوَتَه ونِقْمَتَه ، فإنَّ عذابَه شديدٌ أليمٌ ، واحذَرْ أن تكونَ إمامَ هذه الأمةِ المقتولَ ، فإنَّه كان يقالُ : يُقتَلُ فى هذه الأمةِ إمامٌ ، فيُفْتَحُ عليها القَتْلُ والقِتالُ إلى يومِ القيامةِ ، وتُلْبَسُ أمورُها عليها ، ويُتْرَكون شِيَعًا لا يُبْصِرون الحقَّ مِن الباطلِ ، يموجون فيها مَوْجًا ، و[2] يمرَجون فيها مَرَجًا[2] . فقال عثمانُ : [3]قد واللَّهِ علِمْتُ لَتَقُولَنَّ[3] الذى قُلْتَ ، أمَا واللَّهِ لو كنتَ مكانى ما عَنَّفْتُك ، ولا [4]أسلَمْتُك ، ولا عِبْتُ عليك[4] ، ولا جئتُ مُنكرًا أن[5] وصَلْتُ رَحِمًا ، وسَدَدْتُ خَلَّةً ، وأوَيْتُ ضائعًا ، ووَلَّيْتُ شَبِيهًا بمَن كان عمرُ يُوَلِّى ، أنشُدُك اللَّهَ يا علىُّ هل تعلَمُ أنَّ المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ ليس هناك ؟ قال : نعم . قال : فتعلَمُ أنَّ عمرَ وَلَّاه ؟ قال : نعم . قال : فلِمَ تَلُومُنى[6] أن وَلَّيْتُ ابنَ عامرٍ فى رَحِمِه وقرابتِه[7] ؟ فقال علىٌّ : سأُخبِرُك ، إنَّ عمرَ كان كلُّ مَن ولَّى فإنَّما يطَأُ على صِماخَيْه[8] ، إنْ بلَغه عنه[9] حرفٌ جاء به ، ثم بَلَغ به أقْصَى الغايةِ[10] فى العقوبةِ[10] ،

---

(١) بياض فى الأصل ، ص . وفى ا ٨ ، ا ٧ : « حميم » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « يمرحون فيها مرحا » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٧ ، والكامل ٣/ ١٥١ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « واللَّه ما علمت ليقولن » . وفى ا ٨ ، ا ٧ : « واللَّه لقد علمت أنك لتقولن » .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٨ ، ا ٧ . وفى الأصل ، ص : « بحثت عليك » .

(٥) فى م ، ص : « إنى » .

(٦) فى الأصل : « يلومونني » ، وفى ا ٧ : « تلمنى » . وفى م : « تلومونى » .

(٧) بياض فى : الأصل . وفى ا ٨ : « قربانه » .

(٨) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٨ : « صماخه » . وبعده فى م : « وإنه » .

(٩) سقط من : الأصل ، م .

(١٠ - ١٠) زيادة من : ا ٨ ، ا ٧ ، م .

وأنتَ لا تفعَلُ ، ضَعُفْتَ ورَفَقْتَ[1] [٥/١٥٢ظ] على أقربائِك . فقال عثمانُ : هم أقرباؤُك أيضًا . فقال عليٌّ : لَعَمْرِى[2] إنَّ رَحِمَهم منِّى لقَريبةٌ ، ولكنَّ الفضلَ فى غيرِهم . قال عثمانُ : هل تعلَمُ أنَّ عمرَ وَلَّى معاويةَ خِلَافتَه كلَّها ؟ فقد ولَّيتُه . فقال عليٌّ : أَنشُدُك اللَّهَ ، هل تعلَمُ أنَّ معاويةَ كان أخوفَ مِن عمرَ مِن يَرْفَأَ غلامِ عمرَ منه ؟ قال : نعم . قال عليٌّ : فإنَّ معاويةَ يقطَعُ الأمورَ دونَك [3]وأنت تعلَمُها[3] ، ويقولُ للناسِ : هذا أمرُ عثمانَ . فيَبْلُغُكَ[4] ولا تُغَيِّرُ على معاويةَ . ثم خرَج عليٌّ مِن عندِه ، وخرَج عثمانُ على إثْرِه ، فصعِد المنبرَ ، [5]فخطَب الناسَ[5] فوَعَظ ، وحذَّر وأنذَر ، وتهدَّد وتوعَّد ، وأبرَق وأرعَد ، فكان فيما قال : ألَا فقد واللَّهِ عِبْتُم علىَّ بما أقرَرْتُم به لابنِ الخطابِ ، ولكنَّه وَطِئَكم برِجْلِه ، وضرَبكم بيدِه ، وقَمَعَكم بلسانِه ، فدِنْتُم له على ما أحبَبْتُم أو كرِهْتُم ، ولِنْتُ لكم وأوطأْتُ لكم كَتِفى ، وكَفَفْتُ يَدِى ولسانى عنكم ، فاجترَأْتُم علىَّ ، أمَا واللَّهِ لأنَا أعزُّ نَفَرًا ، وأقربُ ناصِرًا ، وأكثرُ عَدَدًا ، وأقْمَنُ إن قلتُ : هَلُمَّ . أُتِى[6] إلىَّ ، ولقد أعدَدْتُ لكم أقرانَكم ، وأفضَلْتُ عليكم فُضُولًا ، وكَشَرْتُ لكم عن نابى ، فأخرَجْتُم مِنِّى خُلُقًا لم أكنْ أُحْسِنُه ، ومَنْطِقًا لم أنطِقْ به ، فكُفُّوا ألسنتَكم وطعْنَكم وعَيْبَكم على وُلَاتِكم ، فإنِّى قد كفَفْتُ عنكم مَن لو كان هو الذى يَلِيكُم لَرَضِيتُم منه بدونِ مَنْطِقى هذا ، ألَا فما تفقِدون مِن حَقِّكم ؟ فواللَّهِ ما

---

(١) فى الأصل : « زققت » ، وفى ا ٨، ا ٧، الكامل ٣/ ١٥١: « رققت » ، وفى ص : « دققت » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٨.

(٢) سقط من : ص ، وفى الأصل ، ا ٨، ا ٧، الكامل : « أجل » .

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤) بعده فى ا ٨، ا ٧، م : « فلا تنكر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل ، م ، ص : « إلى » . وفى ا ٨، ا ٧: « إلى ابتدروا » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٣٣٩، والكامل ٣/ ١٥٢.

قصَّرْتُ فى بُلوغِ ما كان يبلُغُ مَن كان قبلى . ثم اعتذَر عمَّا كان يُعْطِى أقارِبَه[1] بأنَّه مِن فَضْلِ مالِه . فقام مرْوانُ بنُ الحكَمِ فقال : إن شِئْتُم واللَّهِ حكَّمْنا بينَنا وبينَكم السيفَ ، نحن واللَّهِ وأنتم كما قال الشاعرُ :

فرَشْنا لكم أعراضَنا فنَبَتْ بكم ... مَعَارِسُكم[2] تَبْنُونَ فى دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمانُ : اسكُتْ لا سكَتَّ ، دَعْنى وأصحابى ، ما مَنْطِقُكَ فى هذا ! ألم أتقدَّمْ إليك أن لا تنطِقَ ! فسكَت مرْوانُ ونزَل عثمانُ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ وغيرُه[3] أنَّ معاويةَ لمَّا ودَّع[4] عثمانَ حينَ عزَم على الخروجِ إلى الشامِ ، عرَض عليه أن يرحَلَ معه إلى الشامِ ، فإنهم قومٌ كثيرةٌ طاعتُهم للأمراءِ . فقال : لا أختارُ بجوارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ سواه . فقال : أجهِّزُ لك جيشًا مِن الشامِ يكونون عندَك ينصُرونك ؟ فقال : إنِّى أخشَى أن أُضَيِّقَ بهم بلدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ على أصحابِه مِن المهاجرين والأنصارِ . قال معاويةُ : فواللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لتُغْتالَنَّ[5] - أو قال : لتُغْزَيَنَّ - فقال عثمانُ : حَسْبىَ اللَّهُ ونعمَ الوكيلُ . ثم خرَج معاويةُ مِن عندِه وهو متقلِّدٌ السيفَ ، وقَوْسُه فى يدِه ، فمرَّ على ملأٍ مِن المهاجرين[6] ؛ فيهم علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وطلحةُ ، والزُّبيرُ ، فوقَف عليهم واتَّكأ على قوسِه ، وتكلَّم بكلامٍ بليغٍ يشتَمِلُ على الوَصاةِ بعثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه ، والتحذيرِ مِن إسلامِه إلى أعدائِه ، ثم انصرَف ذاهِبًا . فقال الزبيرُ : ما

---

(١) فى م ، ص : « أقرباءه » .
(٢) فى ا ٨ ، ا ٧ ، م ، ص : « مغارسكم » .
(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٤٥ ، والكامل ٣ / ١٥٧ .
(٤) فى م : « ودعه » .
(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ص : « لتقاتلن » . وانظر تاريخ الطبرى ، والكامل .
(٦) بعده فى م ، ص : « والأنصار » .

رأيتُه أهيبَ فى عينى مِن يومِه هذا .

وذكَر ابنُ جريرٍ[1] أنَّ معاويةَ استَشْعَر الأمرَ لنفسِه مِن قَدْمتِه هذه إلى المدينةِ ، وذلك أنَّه سمِع حادِيًا يرتجِزُ فى أيامِ الموسمِ فى هذا العامِ وهو يقولُ : [٥/١٥٣و]

قد علِمَت ضوامرُ المطىِّ وضُمَّراتُ[2] [3]عُوَّجِ القِسِىِّ[3]

أنَّ الأميرَ بعدَه علىُّ وفى الزبيرِ خَلَفٌ رَضِىُّ[4]

* وطلحةُ الحامى لها[5] ولىُّ *

[6]فقال كعبُ الأحبارِ - وهو يَسيرُ خلفَ عثمانَ : واللَّهِ إنَّ الأميرَ بعدَه صاحبُ البغلةِ الشهباءِ . وأشار إلى معاويةَ[6] .

فلمَّا سمِعها معاويةُ لم يزَلْ ذلك فى نفسِه حتى كان ما كان ، على ما سنَذْكُرُه فى موضعِه ، إن شاء اللَّهُ ، وبه الثقةُ .

قال ابنُ جريرٍ[7] : وفى هذه السنةِ مات أبو عبسِ بنُ جَبْرٍ[8] بالمدينةِ ، وهو بدرىٌّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٣٤٣.

(٢) فى تاريخ الطبرى : «ضامرات» ، والمثبت موافق لما فى الكامل ٣/١٥٦.

(٣ - ٣) فى الأصل : «عرج العشى» ، وفى ا ٨: «عرج العينبى» ، وفى ا ٧: «عرج العبسى» ، وفى ص : «عرج القسى» . وانظر مصادر التخريج .

(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ص : «مرضى» .

(٥) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ص : «لما» .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) تاريخ الطبرى ٤ /٣٣٩.

(٨) فى الأصل ، م ، ص: «جبير» . وانظر الاستيعاب ٤/١٧٠٨، وأسد الغابة ٦/٢٠٣.

ومات أيضًا **مِسْطَحُ**[1] بنُ أُثَاثَةَ، **وعاقلُ**[2] بنُ البُكَيْرِ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عثمانُ بنُ عفانَ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه.

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٤٧٢، وأسد الغابة ٥/ ١٥٦، والإصابة ٦/ ٩٣.

(٢) فى الأصل: «عافل»، وفى م، ص: «غافل». وانظر الاستيعاب ٣/ ١٢٣٥، وأسد الغابة ٣/ ١١٦. وجاء فى تاريخ الطبرى: «عاقل بن أبى البكير». وهو قول فى اسمه. انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٨.

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ وثلاثين
ففيها مَقْتَلُ عثمانَ بنِ عفانَ رضِى اللَّهُ عنه

وكان السببُ فى ذلك أنَّ عمرَو بنَ العاصِ حينَ عزَله عثمانُ عن مصرَ (١ووَلَّى١) عليها عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سرحٍ . وكان سببُ ذلك أنَّ الخوارجَ مِن المِصْريِّين كانوا مَحْصورِين مِن عمرِو بنِ العاصِ ، (٢مَقْهورِين معه لا يستطيعون أن يتكلَّموا بسوءٍ فى خليفةٍ ولا أميرٍ ، فما زالوا٢) (٣يعملونَ عليه٣) حتى شَكَوْه إلى عثمانَ ؛ لينزِعَه عنهم ويولِّىَ عليهم مَن هو ألينُ منه ، فلم يزَلْ ذلك دَأْبَهم حتى عزَل عَمْرًا عن الحربِ وترَكه على الصلاةِ ، ووَلَّى على الحربِ والخراجِ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سرحٍ ، ثم سَعَوْا فيما بينَهما بالنميمةِ فوقَع بينَهما ، حتى كان بينَهما كلامٌ قبيحٌ ، فأرسَل عثمانُ فجمَع لابنِ أبى سرحٍ جميعَ عمالةِ مصرَ ؛ خراجِها (٤وحَرْبِها٤) وصَلاتِها ، وبعَث إلى عمرٍو يقولُ له : لا خيرَ لك فى المُقامِ عندَ مَن يكرَهُك ، فاقدَمْ إلىَّ . فانْتَقَل عمرُو بنُ العاصِ إلى المدينةِ وفى نفسِه مِن عثمانَ أمرٌ (٤عظيمٌ وشرٌّ٤) كبيرٌ ، فكلَّمه فيما كان مِن أمرِه بنفْسٍ ، وتقاوَلَا فى ذلك ، وافتَخَر عمرُو بنُ العاصِ بأبيه على أبى(٥) عثمانَ ، وأنَّه كان أعزَّ منه ، فقال له عثمانُ : دَعْ هذا فإنَّه مِن أمرِ الجاهليةِ . وجعَل عمرُو بنُ العاصِ يؤلِّبُ الناسَ على

(١ - ١) فى م ، ص : « ولى » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « فجعلوا » .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .
(٥) سقط من : ا ٨ ، ا ٧ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٣٥٦.

عثمانَ . وكان بمصرَ جماعةٌ يَبْغَضون عثمانَ ويتكلَّمون فيه بكلامٍ قبيحٍ - [1] على ما قدَّمنا [1] - ويَنْقِمون عليه فى عَزْلِه جماعةً مِن عِلْيَةِ الصحابةِ ، وتوليتِه مَن دونَهم ، أو مَن لا يصلُحُ عندَهم للولايةِ . وكرِهَ أهلُ مصرَ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سرحٍ بعدَ عمرِو بنِ العاصِ ، واشتَغَل عبدُ اللَّهِ بنُ سعدٍ عنهم بقتالِ أهلِ المغربِ ، وفَتْحِه بلادَ البربرِ والأندلسَ وإفريقيَّةَ .

ونشَأ بمصرَ طائفةٌ مِن أبناءِ الصحابةِ يؤلِّبون الناسَ على حربِه والإنكارِ عليه ، وكان عُظْمُ [2] ذلك مُسْنَدًا إلى محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، ومحمدِ بنِ أبى حذيفةَ ، حتى استَنْفَرَا نَحوًا مِن ستِّمائةِ راكبٍ يذهَبون إلى المدينةِ فى صفةِ مُعْتَمِرين فى شهرِ رجبٍ ؛ ليُنكِروا على عثمانَ ، فساروا إليها تحتَ أربعِ رفاقٍ [3] ، وأمْرُ الجميعِ إلى [4] أبى عمرِو بنِ [4] بُدَيْلِ بنِ ورقاءَ الخُزَاعىِّ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عُدَيْسٍ [5] البَلَوِىِّ ، وكِنانةَ بنِ بِشْرٍ [5] التُّجِيبِىِّ ، [5] وسُودانَ بنِ حُمْرَانَ السَّكونىِّ [5] ، وأقبَل معهم محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، وأقام بمصرَ محمدُ بنُ أبى حذَيفةَ يؤلِّبُ الناسَ ويدافِعُ عن هؤلاءِ ، وكتَب عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سرحٍ إلى عثمانَ يعلِمُه بقدومِ هؤلاءِ القومِ إلى المدينةِ مُنْكِرِين عليه فى صفةِ مُعْتَمِرين ، فلمَّا اقتَرَبوا مِن المدينةِ أمَر عثمانُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ [٥/١٥٣ظ] أن يخرُجَ إليهم ؛ ليردَّهم إلى بلادِهم قبلَ أن يدخُلوا المدينةَ . ويقالُ : بل ندَب الناسَ إليهم ، فانتَدَب علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ،

(١ - ١) سقط من ا ٨، ا ٧، وفى الأصل : « كما قدمنا » .

(٢) فى ا ٨، ا ٧: « أعظم » .

وعُظْمُ الأمر : معظمه . القاموس المحيط (ع ظ م) .

(٣) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ص : « رايات » .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٨، ا ٧. وفى الأصل، م، ص : « عمرو بن » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤٨، وانظر الإصابة ٧/ ٢٨٦.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ا ٨، ا ٧، ص .

لذلك فبعَثه وخرَج معه جماعةُ الأشرافِ وأمَره أن يأخُذَ معه عمارَ بنَ ياسرٍ . فقال عليٌّ لعمارٍ فأبَى عمارٌ أن يخرُجَ معه ، فبعَث عثمانُ سعدَ بنَ أبى وقَّاصٍ أن يَذْهَبَ إلى عمارٍ ليُحَرِّضَه على الخروجِ مع عليٍّ إليهم ، فأبَى عمارٌ كلَّ الإباءِ ، وامتَنَع أشدَّ الامتناعِ ، وكان مُتَغَضِّبًا[1] على عثمانَ بسببِ [2]تأديبِه له[3] على أمْرٍ ، وضرْبِه إيَّاه فى ذلك ، وذلك بسببِ[2] شَتْمِه عباسَ بنَ عُتْبَةَ بنِ أبى لهبٍ ، فأدَّبَهما عثمانُ ، فتآمَر عمارٌ عليه لذلك ، وجعَل يحرِّضُ الناسَ عليه ، فنَهَاه سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ عن ذلك ولامَه عليه ، فلم يُقلِعْ عنه ولم يرجِعْ ولم ينزِعْ ، فانطلَق عليُّ بنُ أبى طالبٍ إليهم وهم بالجُحْفَةِ ، وكانوا يُعَظِّمونه ويبالِغون فى أمْرِه ، فردَّهم وأنَّبَهم وشتَمهم ، فرجَعوا على أنفسِهم بالمَلامةِ ، وقالوا : هذا الذى تحارِبون الأميرَ بسببِه ، وتحتَجُّون عليهم[4] به . ويقالُ : إنه ناظَرهم فى عثمانَ ، وسألهم ماذا ينقِمون عليه ؟ فذكَروا أشياءَ ؛ منها أنَّه حمَى الحِمَى ، وأنه حرَّق المصاحِفَ ، وأنه أتمَّ الصلاةَ ، وأنه ولَّى الأحداثَ [5]الولاياتِ ، وترَك الصحابةَ الأكابرَ[5] ، وأعطَى بنى أميَّةَ أكثرَ مِن الناسِ ، فأجاب عليٌّ[6] عن ذلك فقال[7] : أمَّا الحِمَى فإنَّما حَمَاه لإبلِ الصدقةِ لتَسْمَنَ ، ولم يَحْمِه لإبلِه ولا لغنمِه ، وقد حَمَاه عمرُ مِن قبلِه ، وأمَّا المصاحِفُ فإنَّما حرَّق ما وقَع فيه اختلافٌ ، وأبقَى لهم المُتَّفَقَ عليه ، كما ثبَت فى العرضةِ الأخيرةِ ، وأمَّا إتمامُه الصلاةَ بمكةَ فإنَّه كان قد تأهَّل بها ونوَى الإقامةَ

---

(١) فى الأصل ، ا ٧، م : « متعصبًا » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) بعده فى م ، ص : « فيما تقدم » .
(٤) فى م : « عليه » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .
(٦) فى الأصل ، ص : « عثمان » .
(٧) زيادة من : ا ٨، ا ٧.

فأتمَّها ، وأمَّا توليتُه الأحداثَ فلم يولِّ إلَّا رجلًا سَوِيًّا[1] عدلًا ، وقد ولَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ [2]على مكةَ[2] وهو ابنُ عشرين سنةً ، وولَّى أسامةَ بنَ زيدِ بنِ حارثةَ ، وطعَن الناسُ فى إمارتِه [3]فقال : « إنَّه لَخليقٌ للإمارةِ »[3] . وأمّا إيثارُه قومَه بنى أميَّةَ فقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يؤثِرُ قريشًا على الناسِ ، ووَاللَّهِ لو أنَّ مِفتاحَ الجنةِ بيدى لأدخَلْتُ بنى أميَّةَ إليها .

ويقالُ : إنَّهم عتَبوا عليه فى عمارٍ ومحمدِ بنِ أبى بكرٍ . فذكَر عثمانُ عُذْرَه فى ذلك ، وأنَّه أقام فيهما ما كان يجِبُ عليهما . وعتَبوا عليه فى إيوائِه الحكمَ بنَ أبى العاصِ ، وقد نفاه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ ، فذكَر أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قد نفاه إلى الطائفِ ثم ردَّه ، ثم نفاه إليها ، قال : فقد نفاه رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم ردَّه .

ورُوِى أنَّ عثمانَ خطَب الناسَ بهذا كلِّه بمحضرٍ مِن الصحابةِ ، وجعَل يستَشْهِدُ بهم فيشهَدون له فيما فيه شهادةٌ له . ويُرْوَى أنَّهم بعَثوا طائفةً منهم فشهِدوا خطبةَ عثمانَ هذه ، فلمَّا تمهَّدتِ الأعذارُ وانزاحَت عِلَلُهم ولم يبقَ لهم شُبْهةٌ ، أشار جماعةٌ مِن الصحابةِ على عثمانَ بتأديبِهم ، فصفَح عنهم [4]وتركَهم[4] ، رضِى اللَّهُ عنه ، وردَّهم إلى قومِهم ، فرجَعوا خائِبين مِن حيث أتَوْا ، ولم ينالوا شيئًا ممَّا كانوا أمَّلوا ورامُوا . ورجَع علىٌّ إلى عثمانَ فأخبَره برجوعِهم عنه ، وسماعِهم منه ، وأشار على عثمانَ أن يخطُبَ [٥/١٥٤و] الناسَ خُطبةً يعتَذِرُ إليهم فيها مما كان وقَع مِن الأَثَرةِ لبعضِ أقاربِه ، ويشهِدُهم عليه بأنَّه قد تاب مِن ذلك ، وأناب إلى الاستمرارِ على ما كان عليه مِن سيرةِ الشيخَين

---

(١) فى ا ٨، ا ٧: « سريا » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، وفى ا ٨: « مكة » ، وفى ا ٧: « بمكة » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

قبلَه ، وأنَّه لا يحيدُ عنها ، كما كان الأمرُ أولًا فى مدةِ ستِّ سنينَ الأُوَلِ ، فاستَمَع عثمانُ هذه النصيحةَ وقابَلها بالسَّمعِ والطاعةِ ، ولمَّا كان يومُ الجمعةِ وخطَب الناسَ ، رفَع يدَيه فى أثناءِ الخُطبةِ ، وقال : اللهمَّ إنِّى أستَغْفِرُك وأتوبُ إليك ، اللهمَّ إنِّى أوَّلُ تائبٍ ممَّا كان منِّى . وأرسَل عينَيه بالبكاءِ فبكَى المسلمون أجمَعون ، وحصَل للناسِ رِقَّةٌ شديدةٌ على إمامِهم ، وأشهَد عثمانُ الناسَ على نفسِه بذلك ، وأنَّه قد لزِم ما كان عليه الشيخان أبو بكرٍ وعمرُ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، وأنه قد سبَّل بابَه لمَن أراد الدخولَ عليه ، لا يمنَعُ أحدًا مِن ذلك ، ونزَل فصلَّى بالناسِ ثم دخَل منزلَه ، وجعَل مَن أراد الدخولَ على أميرِ المؤمنين لحاجةٍ أو مسألةٍ أو سؤالٍ ، لا (١يُمْنَعُ أحدٌ١) مِن ذلك مدةً .

قال الواقدىُّ[٢] : فحدَّثنى علىُّ بنُ عمرَ ، عن أبيه قال : ثم إنَّ عليًّا جاء عثمانَ بعدَ انصرافِ المِصْريين فقال له : تكلَّمْ كلامًا يسمَعُه الناسُ منك ويشهَدون عليك[٣] ، ويشهَدُ اللَّهُ على ما فى قلبِك مِن النزوعِ والإنابةِ ، فإنَّ البلادَ قد تمخَّضَت عليك ، ولا آمَنُ ركْبًا آخرِين يقدَمون مِن قِبَلِ الكوفةِ فتقولُ : يا علىُّ اركَبْ إليهم . ويقدَمُ آخرون مِن البصرةِ ، فتقولُ : يا علىُّ اركَبْ إليهم . فإنْ لم أفعَلْ قطَعْتُ رحِمَك واستخفَفْتُ بحقِّك . قال : فخرَج عثمانُ فخطَب الخطبةَ التى نزَع فيها ، وأعلَم الناسَ مِن نفسِه التوبةَ ، فقام ؛ فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : أمَّا بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فواللَّهِ ما عاب مَن عاب شيئًا أجهَلُه ، وما جئْتُ شيئًا إلَّا وأنا أعرِفُه ، ولكن ضلَّ رُشْدى ، ولقد سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن زلَّ فَلْيَتُبْ ، ومَن أخطَأ فَلْيَتُبْ ، ولا يتمادَى فى الهَلَكَةِ ، إنَّ مَن

(١ - ١) فى الأصل : « يمتنع أحد » ، وفى م : « يمنع أحدا » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٦٠- ٣٦٣ بنحوه .

(٣) فى المصدر السابق : « عليه » .

تمادَى فى الجَوْرِ كان أبعدَ عن الطريقِ » . فأنا أوَّلُ مَن اتَّعَظَ ، أستغفِرُ اللَّهَ ممَّا فعَلْتُ وأتوبُ إليه[1] ، فمِثْلى نزَع وتاب ، فإذا نزَلْتُ فليأْتِنى أشرافُكم ، فواللَّهِ لأكونَنَّ كالمَرْقوقِ ، إنْ مُلِك صبَر ، وإنْ عتَق شكَر ، وما عن اللَّهِ مذهبٌ إلّا إليه . قال : فرقَّ الناسُ له وبكَى مَن بكَى ، وقام إليه سعيدُ بنُ زيدٍ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اللَّهَ اللَّهَ فى نفسِك ! فأتِمِّ على ما قلتَ . فلمَّا انصرَف عثمانُ إلى منزلِه وجَد به جماعةً مِن أكابرِ الناسِ ، وجاءَه مروانُ بنُ الحكمِ فقال : أتكلَّمُ يا أميرَ المؤمنين أم أصمُتُ ؟ فقالتِ امرأةُ عثمانَ - نائلةُ بنتُ الفَرافِصةِ الكَلْبِيَّةُ - مِن وراءِ الحجابِ : بل اصمُتْ ، فواللَّهِ إنَّهم لقاتِلوه ، ولقد قال مقالةً لا ينبَغى له[1] النزوعُ عنها . فقال لها : وما أنتِ وذاكَ ! فواللَّهِ لقد مات أبوكِ وما يحسِنُ[2] يتوضَّأُ . فقالت له : دعْ ذكرَ الآباءِ . ونالَت مِن أبيه الحكمِ ، فأعرَض عنها مروانُ ، وقال لعثمانَ : يا أميرَ المؤمنين [٥/١٥٤ظ] أتكلَّمُ أم أصمُتُ ؟ فقال له عثمانُ : بل تكلَّمْ . فقال مروانُ : بأبى أنت وأمى ، لَوَدِدْتُ أنَّ مقالتَك هذه كانت وأنت ممتنعٌ[3] منيعٌ ، فكنْتُ أوَّلَ مَن رضِى بها وأعان عليها ، ولكنَّك قلتَ ما قلتَ حينَ بلَغ[4] الحِزامُ الطُّبْيَيْن[5] ، وخلَّف[6] السَّيْلُ الزُّبَى[7] ، وحينَ أعطَى الخُطَّةَ الذَّليلةَ الذَّليلُ ، واللَّهِ لَإقامةٌ على خطيئةٍ يُسْتَغْفَرُ منها ، خيرٌ مِن توبةٍ تُخوَّفُ[8] عليها ، وإنك لو شئتَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) بعده فى ، م ، ص : « أن » .

(٣) فى م ، ص : « ممنع » .

(٤) فى م : « جاوز » .

(٥) الطُّبْى للحافر والسباع : كالضرع لغيرها .

(٦) فى م : « بلغ » .

(٧) الزبى ، جمع زبية : وهى حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده ، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء ، فإذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا . وهما مثلان يضربان لبلوغ الشدة منتهاها ومجاوزة الأمر الحد . مجمع الأمثال ١/ ١٥٨، ٢٩٥، وانظر النهاية ٣/ ١١٥.

(٨) فى الأصل ، ا ٧، م ، ص : « خوف » .

(١ لعَزَمْتَ التوبةَ ١) ولم تُقَرِّرْ لنا بالخطيئةِ ، وقد اجتَمَع إليك على البابِ مثلُ الجبالِ مِن الناسِ . فقال عثمانُ(٢) : فاخرُجْ إليهم فكلِّمْهم ، فإنِّى أستَحِيى أن أكلِّمَهم . قال : فخرَج مروانُ إلى البابِ والناسُ يركَبُ بعضُهم بعضًا ، فقال : ما شأْنُكم ؟ كأنَّكم قد جئتُم لنَهْبٍ ، شاهَتِ الوُجوه ! كلُّ إنسانٍ آخِذٌ بأُذُنِ صاحبِه ، ألا مَن أُرِيدَ ؟ جِئْتُم تريدون أن تنزِعوا مُلْكَنا مِن أيدينا ، اخرُجُوا عنَّا ، أمَا واللَّهِ لَئِن رُمْتُمُونا لَيَمُرَّنَّ عليكم أمْرٌ يَسُوءُكم ولا تَحْمَدوا غِبَّه ، ارجِعوا إلى منازِلِكم ، فواللَّهِ ما نحن مَغْلوبِين على ما بأيدِينا . قال : فرجَع الناسُ ، وخرَج بعضُهم حتى أتَى عليًّا فأخبَره الخبرَ ، فجاء علىٌّ مغضَبًا حتى دخَل على عثمانَ فقال : أمَا رضِيتَ مِن مروانَ ولا رضِى منك إلّا بتحويلِك عن دينِك وعقلِك ، وإنَّ مَثلَك مَثلُ جملِ الظَّعِينَةِ سار حيث يسارُ به ، واللَّهِ ما مروانُ بذِى رَأْيٍ فى دينِه ولا نفسِه ، وايمُ اللَّهِ ، إنّى لأرَاه سيورِدُك ثم لا يُصْدِرُك ، وما أنا بعائدٍ بعدَ مُقامى هذا لمُعَاتَبتِكَ ، أذْهَبْتَ شرفَك(٣) ، وغُلِبْتَ على أمرِك . فلمَّا خرَج علىٌّ دخَلَت نائلةُ على عثمانَ فقالت : أتكلَّمُ أو أسكُتُ ؟ فقال : تكلَّمِى . فقالت : سمِعْتُ قولَ علىٍّ أنَّه ليس يعاودُك ، وقد أطعْتَ مروانَ حيثُ شاء . قال : فما أصنَعُ ؟ قالت : تتَّقِى اللَّهَ وحدَه لا شريكَ له ، وتَتَّبِعُ سُنَّةَ صاحِبَيك مِن قبلِك ، فإنَّك متى أطعْتَ مروانَ قتَلَك ، ومروانُ ليس له عندَ اللَّهِ(٤) قدرٌ ولا هَيبةٌ ولا محبَّةٌ ، فأرسِلْ إلى علىٍّ فاستَصْلِحْه ، فإنَّ له قرابةً منك وهو لا يُعْصَى . قال : فأرسَل عثمانُ إلى علىٍّ فأبَى أن يأْتِيَه ، وقال : لقد أعلَمْتُه أنِّى لستُ بعائدٍ . قال : وبلَغ مروانَ قولُ نائلةَ فيه ،

(١ - ١) فى الأصل : « تقريب التوبة » ، وفى ا ٨، ا ٧، ص : « تقريت التوبة » ، وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٦٢، ٣/ ١٦٥: « تقربت بالتوبة » .

(٢) بعده فى م : « قم » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « سوقك » .

(٤) فى الأصل : « أحد » ، وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٥٢، والكامل ٣/١٦٦ : « الناس » .

فجاء إلى عثمانَ فقال : أتكلَّمُ أو أسكُتُ ؟ فقال : تكلَّمْ . فقال : إنَّ نائلةَ بنتَ الفَرافِصَةِ . فقال عثمانُ : لا تذكُرْها بحرفٍ فأَسُوءَ لك[1] وجهَك ، فهى واللَّهِ أنصَحُ لى منك . قال : فكَفَّ مروانُ .

ذِكْرُ مَجِيءِ الأحزابِ إلى عثمانَ للمرَّةِ الثانيةِ مِن مصرَ [2]وغيرِها فى شوالٍ مِن هذه السنةِ

وسببُ[2] ذلك أنَّ أهلَ الأمصارِ لمَّا بلَغهم خبرُ مَرْوانَ وغضَبُ علىٍّ على عثمانَ بسببِه ، ووَجَدوا الأمرَ على ما كان عليه لم يتغيَّرْ ، وتكاتَب أهلُ مصرَ وأهلُ الكوفةِ وأهلُ البصرةِ وتراسَلوا ، وزُوِّرَت كتبٌ على لسانِ الصحابةِ الذين بالمدينةِ ، وعلى لسانِ علىٍّ وطلحةَ والزبيرِ ، يدعُون الناسَ إلى قتالِ عثمانَ ونصرِ الدِّينِ ، وأنّه أكبرُ الجهادِ اليومَ .

وقال[3] سيفُ بنُ عمرَ التميمىُّ[4] ، عن محمدٍ وطلحةَ وأبى[5] حارثةَ وأبى عثمانَ - وقاله غيرُهم أيضا - قالوا : لمَّا كان فى شوالٍ سنةَ خمسٍ وثلاثين ، خرَج أهلُ مصرَ فى أربعِ رِفاقٍ على أربعةِ أمراءَ ؛ المُقَلِّلُ [٥/١٥٥و] لهم يقولُ : ستُّمائةٍ . والمُكَثِّرُ يقولُ : ألفٌ . على الرِّفاقِ عبدُ الرحمنِ بنُ عُدَيْسٍ البَلَوِىُّ ، وكِنانةُ بنُ

---

(١) فى م ، ص : « إلى » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « أذكر » .

(٤) أخرجه الطبرى ، فى : تاريخه ٤/ ٣٤٨، وابن الجوزى ، فى : المنتظم ٥/ ٥٠، كلاهما من طريق سيف به .

(٥) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧: « ابن » .

بِشْرٍ[1] [2]التُّجِيبِيُّ، وعُرْوَةُ بنُ شِيَيْمٍ[2] اللَّيْثِيُّ[3]، وسَوْدَانُ بنُ حُمْرانَ السَّكُونِيُّ، وقُتَيْرَةُ[4] السَّكُونِيُّ، وعلى القومِ جميعًا الغافِقِيُّ بنُ حَرْبٍ العَكِّيُّ وخرَجوا فيما يُظْهِرون للناسِ حُجَّاجًا، ومعهم ابنُ السوداءِ، وكان أصلُه ذِمِّيًّا[5]، فأظهَر الإسلامَ وأحدَث بِدَعًا قَوليَّةً وفِعْليَّةً - قبَّحه اللَّهُ - وخرَج أهلُ الكوفةِ فى[6] أربعِ رِفاقٍ[7]، وأمراؤُهم زيدُ بنُ صُوحَانَ، والأشترُ النَّخَعِيُّ، وزيادُ بنُ النضْرِ الحارثيُّ[8]، وعبدُ اللَّهِ بنُ الأصمِّ، وعلى الجميعِ عمرُو بنُ الأصمِّ[9]. وخرَج أهلُ البصرةِ[10] أيضًا فى أربعِ راياتٍ مع حُكَيمِ[11] بنِ جَبَلَةَ العبدىِّ، وبشرِ بنِ شريحِ[12] بنِ ضُبَيعَةَ القيسىِّ، وذَرِيحِ بنِ عَبّادٍ العبدىِّ، [13]وابنِ مُحَرِّشٍ الحنفىِّ[13]، وعليهم كلِّهم حُرْقُوصُ بنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ. وأهلُ مصرَ مُصِرُّون على ولايةِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، وأهلُ الكوفةِ عازِمون على تأْميرِ الزُّبيرِ، وأهلُ البصرةِ

---

(١) فى ص: «قيس».

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٤ /٣٤٨، والذى فى الطبرى: «شيبم». والصواب ما أثبتناه كما فى الإكمال ٥/ ٤١، والمشتبه ٢/ ٣٩٢، وتبصير المنتبه ٢/ ٧٧٥. وأورده فى القاموس المحيط (ش ى م) بضم الشين، قال: ويكسر.

(٣) بعده فى تاريخ الطبرى: «وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وسواد بن رومان الأصبحى، وزرع بن يشكر اليافعى».

(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧: «قنبرة»، وفى ص: «مريرة».

(٥) فى ص: «روميا».

(٦) بعده فى الأصل، م، ص: «عدتهم فى».

(٧) بعده فى الأصل، م، ص: «أيضا».

(٨) فى الأصل: «ابن الحارث». وانظر الإصابة ٢/ ٦٤٣، ٦٤٤.

(٩) فى الأصل، ص: «الأهتم».

(١٠) بعده فى الأصل، م، ص: «فى عدتهم».

(١١) فى ا ٨، ا ٧: «محكم». وانظر الإكمال ٢/ ٤٨٦.

(١٢) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧: «ابن الحكم»، وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤٩: «الحطم».

(١٣ - ١٣) سقط من: الأصل، م، ص.

مُصَمِّمون على توليةِ طلحةَ . لا تَشُكُّ كلُّ فرقةٍ أنَّ أمرَها سيتِمُّ ، فسار كلُّ طائفةٍ مِن بلدِهم حتى تَوافَوا حولَ المدينةِ - كما تواعَدوا فى كتبِهم - فى شهرِ شوالٍ فنزَل طائفةٌ منهم بِذِى خُشُبٍ ، وطائفةٌ بالأَعْوَصِ ، والجمهورُ بِذِى المَرْوَةِ ، وهم على وَجلٍ مِن أهلِ المدينةِ ، فبعَثوا قُصّادًا وعُيُونًا بينَ أيدِيهم ؛ ليَخْتَبِروا[1] الناسَ [2]ويخبِروهم[2] أنَّهم إنَّما جاءُوا للحجِّ لا لغيرِه ، وليَسْتَعْفُوا هذا الوالِىَ مِن بعضِ عمالِه ، ما جِئْنا إلَّا لذلك ، واستأْذَنوا [3]فى الدخولِ[3] ، فكلُّ الناسِ أبَى دخولَهم ونهَى عنه ، فتجاسَروا واقترَبوا مِن المدينةِ . وجاءَت طائفةٌ مِن المصرِيين إلى علىٍّ وهو فى عسكرٍ عندَ أَحْجارِ الزَّيْتِ ، عليه حُلَّةُ أفوافٍ[4] ، مُعْتَمٌّ بشقيقةٍ حمراءَ يَمانِيَةٍ ، مُتَقَلِّدٌ السيفَ ، وليس عليه قميصٌ ، وقد سرّحَ ابنَه الحسنَ إلى عثمانَ فى مَن اجتَمَع إليه ، فسلَّم عليه المصرِيون فصاح بهم وأطْرَدهم[5] وقال : لقد علِم الصالحون أنَّ جيشَ ذِى المَرْوَةِ وذِى خُشُبٍ ملعونون على لسانِ محمدٍ ﷺ ، فارْجِعوا لا صبَّحكم اللَّهُ . قالوا : نعم . وانصرَفوا مِن عندِه على ذلك ، وأتَى البصريّون طلحةَ وهو فى جماعةٍ أُخْرَى إلى جنبِ علىٍّ - وقد أرْسَل ابنَيْه إلى عثمانَ - فسلَّموا عليه ، فصاح بهم وأطْرَدهم[5] وقال لهم كما قال علىٌّ لأهلِ مصرَ ، وكذلك كان ردُّ الزُّبيرِ على أهلِ الكوفةِ . فرجَع كلُّ فريقٍ منهم إلى قومِهم ، وأظهَروا للناسِ أنَّهم راجِعون إلى بُلْدانِهم ، وساروا أيّامًا راجِعين ، ثم

---

(١) فى م ، ص : « ليخبروا » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣ - ٣) فى م : « للدخول » ، وبعده فى ا ٨ ، ا ٧ : « إلى المسجد » .

(٤) الأفواف : جمع فوف ، وهو القطن ، وواحدة الفوف : فوفة ... وحلة أفواف بالإضافة ، ضرب من برود اليمن . انظر النهاية ٣/ ٤٧٩ .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م : « طردهم » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٣٥٠ .

كرُّوا عائِدين إلى المدينةِ ، فما كان غيرُ[1] قليلٍ حتى سمِع أهلُ المدينةِ التكبيرَ ، وإذا القومُ قد زحَفوا على المدينةِ وأحاطوا بها ، وجمهورُهم عندَ دارِ عثمانَ بنِ عفانَ ، وقالوا للناسِ : مَن كَفَّ يدَه فهو آمِنٌ . فكَفَّ الناسُ[2] ولزِموا بُيوتَهم ، وأقام الناسُ على ذلك أيّامًا . هذا كلُّه ولا يدرِى الناسُ ما القومُ صانِعون ولا على ما هم عازِمون ، وفى كلِّ ذلك وأميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ يخرُجُ مِن دارِه فيُصَلِّى بالناسِ ، فيُصَلِّى وراءَه أهلُ المدينةِ وأولئك الآخَرُون ، وذهَب الصحابةُ إلى هؤلاء يُؤَنِّبُونَهم ويَعذِلُونهم على رجوعِهم ، حتى قال علىٌّ لأهلِ مصرَ : ما ردَّكم [٥/١٥٥ظ] بعدَ ذَهابِكم ورُجوعِكم عن رأيِكم ؟ فقالوا : وجَدنا مع بريدٍ كتابًا بقتلِنا . وكذلك قال البصريُّون لطلحةَ ، والكوفيُّون للزُّبيرِ . وقال أهلُ كلِّ مصرٍ : إنَّما جِئْنا لننصُرَ أصحابَنا . فقال لهم الصحابةُ : كيف علِمْتم بذلك مِن أصحابِكم وقد افترَقْتم وصار بينَكم مراحلُ ؟ إنَّما هذا أمرٌ اتفَقْتم عليه . فقالوا : ضعُوه على ما أرَدْتم ، لا حاجةَ لنا فى هذا الرجلِ ، لِيَعْتَزِلْنَا ونحن نعتزِلُه . يعنُون أنَّه إن نزَل عن الخلافةِ تركُوه آمِنًا .

وكان المصريُّون - فيما ذكَر[3] - لمَّا رجَعوا إلى بلادِهم وجَدوا فى الطريقِ بريدًا يسيرُ ، فأخَذوه ففتَّشُوه ، فإذا معه فى إداوَةٍ كتابٌ على لسانِ عثمانَ ، فيه الأمرُ بقتْلِ طائفةٍ منهم ، وبصَلْبِ آخَرِين ، وبقطْعِ أيدِى آخَرين منهم وأرْجُلِهم . وكان على الكتابِ طابَعٌ بخاتَمِ عثمانَ ، والبريدُ أحدُ غلمانِ عثمانَ ، وعَلَى جملِ عثمانَ ، فلمَّا رجَعوا جاءُوا بالكتابِ ودارُوا به على الناسِ ، فكلَّم الناسُ أميرَ

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ص : « عن » .
(٢) بعده فى ا ٨ ، ا ٧ : « أيديهم » .
(٣) أى : سيف . انظر تاريخ الطبرى ٤ / ٣٥٥ .

المؤمنين فى ذلك ، فقال : بَيِّنَةٌ علىَّ بذلك ، وإلَّا فواللَّهِ لا كتَبتُ ولا أملَيتُ ، ولا دَرَيتُ بشىءٍ مِن ذلك ، والخاتَمُ قد يُزَوَّرُ على الخاتَمِ . فصدَّقه الصادقون فى ذلك ، وكذَّبه الكاذبون . ويُقالُ : إنَّ أهلَ مِصْرَ كانوا قد سألوا مِن عثمانَ أن يعزِلَ عنهم ابنَ أبى سَرْحٍ ويولِّىَ محمدَ بنَ أبى بكرٍ ، فأجابَهم إلى ذلك ، فلمَّا رجَعوا[1] وجَدوا ذلك البريدَ ومعه الكتابُ بقتْلِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ وآخَرِين معه ، فرجَعوا ، وقد حَنِقوا عليه حَنَقًا شديدًا ، وطافوا بالكتابِ على الناسِ ، فدخَل ذلك فى أذهانِ كثيرٍ مِن الناسِ .

وروَى ابنُ جريرٍ[2] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عمِّه عبدِ الرحمنِ بنِ يَسَارٍ ، أنَّ الذى كان معه هذه الرسالةُ مِن جهةِ عثمانَ إلى مِصْرَ أبو الأعْورِ السُّلَمِىُّ ، على جملٍ لعثمانَ . وذكَر ابنُ جريرٍ[2] مِن هذه الطريقِ أنَّ الصحابةَ كتَبوا إلى الآفاقِ مِن المدينةِ يأمُرون الناسَ بالقدومِ على عثمانَ ليُقاتِلوه . وهذا كذِبٌ على الصحابةِ ، وإنَّما كُتِبَتْ كُتُبٌ مزوَّرةٌ عليهم ، كما كتَبوا مِن جهةِ علىٍّ وطلحةَ والزُّبيرِ إلى الخوارجِ كُتُبًا مزوَّرةً عليهم أنْكَرُوها ، وهكذا زُوِّر هذا الكتابُ على عثمانَ أيضًا ، فإنَّه لم يأمُرْ به ولم يعلَمْ به أيضًا .

واستمَرَّ عثمانُ يُصلِّى بالناسِ فى تلك الأيامِ كلِّها ، وهم أحقرُ فى عينِه مِن الترابِ ، فلمَّا كان فى بعضِ الجُمُعاتِ وقام على المِنْبَرِ ، وفى يدِه العصا التى كان يعتَمِدُ عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى خُطْبَتِه ، وكذلك أبو بكرٍ وعمرُ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، مِن بعدِه ، فقام إليه رجلٌ مِن أولئك فسبَّه ونال منه ، وأنزَله عن المِنْبَرِ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٦٧.

فطمِع الناسُ فيه مِن يومِئذٍ ، كما قال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن يحيى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطِبٍ ، عن أبيه قال : بينا أنا أنظرُ إلى عثمانَ يخطُبُ[2] على عصا النبىِّ ﷺ التى كان يخطُبُ عليها وأبو بكرٍ وعمرُ ، فقال له جَهْجَاهٌ : قُمْ يا نَعْثَلُ[3] فانزِلْ عن هذا المِنْبَرِ . وأخَذ العصا فكسَرها على ركبتِه اليُمْنَى فدخَلتْ شَظِيَّةٌ منها فيها ، فبقِى الجرحُ حتى أصابَته الأَكِلَةُ فرأيتُها تَدُودُ ، فنزَل عثمانُ وحَمَلوه وأمَر بالعصا فشدُّوها ، فكانتْ مضبَّبةً ، فما خرَج بعدَ ذلك [١٥٦/٥و] اليومِ إلَّا خَرْجَةً أو خَرْجَتَين ، حتى حُصِرَ فقُتِل .

قال ابنُ جريرٍ[4] : حدَّثنى أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن نافعٍ أنَّ جَهْجَاهًا الغِفارِىَّ أخَذ عصًا كانت فى يدِ عثمانَ فكسَرها على ركبتِه ، فرُمِىَ فى ذلك المكانِ بأَكِلَةٍ .

وقال الواقدىُّ[5] : وحدَّثنى ابنُ أبى الزِّنادِ ، عن مُوسى بنِ عُقْبةَ ، عن[6] أبى حبيبةَ قال : خطَب عثمانُ الناسَ فى بعضِ أيامِه فقال عمرُو بنُ العاصِ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّك قد رَكِبتَ نهابِيرَ[7] ورَكِبناها معك ، فتُبْ نتُبْ[8] . فاستقبَل عثمانُ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ / ٣٦٦، ٣٦٧. من طريق الواقدى به.

(٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) فى اللسان (ن ع ث ل) : « نعثل رجل من أهل مصر كان طويل اللحية ، قيل : إنه كان يشبه عثمان ، رضى اللّه عنه » . ومثله فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٤٤٤. وفى القاموس (ن ع ث ل) : « يهودى كان بالمدينة ... كان يشبه به عثمان رضى اللّه عنه إذا نيل منه » . ومثله فى المشتبه ١/ ٨٦.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٦٧.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ / ٣٦٦. من طريق الواقدى به .

(٦) بعده فى م : « ابن » . وانظر تعجيل المنفعة ص ٤٧٤.

(٧) النهابير : المهالك .

(٨) بعده فى م : « معك » .

القبلةَ وشهَر[1] يدَيْه ، قال أبو[2] حبيبةَ : فلم أرَ يومًا أكثرَ باكيًا ولا باكيةً مِن يومِئذٍ . ثم لمَّا كان بعدَ ذلك خطَب الناسَ ، فقام إليه جَهْجَاةُ الغِفارِيُّ فصاح[3] : يا عثمانُ ألَا إنَّ هذه شارفٌ[4] قد جِئْنا بها عليها عَباءةٌ وجامعةٌ[5] ، فانزِلْ فلْنُدْرِجْك[6] فى العباءةِ ، ولْنَطْرَحْك فى الجامعةِ ، ولْنَحمِلْك على الشارفِ ثم نطرَحْك فى جبلِ الدخَانِ . فقال عثمانُ : قبَّحك اللَّهُ وقبَّحَ ما جِئْتَ به . ثم نزَل عثمانُ . قال أبو[7] حبيبةَ : وكان آخرَ يومٍ رأيتُه فيه .

وقال الواقدىُّ[8] : حدَّثنى أبو بكرِ بنُ إسماعيلَ ، عن أبيه ، عن عامرِ بنِ سعدٍ قال : كان أوَّلُ مَن اجترَأ على عثمانَ بالمَنْطِقِ[9] السيِّئِ جَبَلَةَ بنَ عمرٍو السَّاعِدِىَّ ، مرَّ به عثمانُ وهو فى نادِى قومِه ، وفى يدِ جبَلةَ جامعةٌ ، فلمَّا مرَّ عثمانُ سلَّم فردَّ القومُ ، فقال جبلةُ : لِمَ تردُّون عليه ؟ رجلٌ قال كذا وكذا . ثم أقبَل على عثمانَ فقال : واللَّهِ لأَطْرَحَنَّ هذه الجامعةَ فى عُنُقِك أو لَتَتْرُكَنَّ بِطانتَك هذه . فقال عثمانُ : أىُّ بطانةٍ ! فواللَّهِ إنِّى[10] لأتخيَّرُ الناسَ . فقال : مروانَ تخيَّرتَه ! ومعاويةَ تخيَّرتَه ! وعبدَ اللَّهِ بنَ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ تخيَّرتَه ! وعبدَ اللَّهِ بنَ سعدٍ

---

(١) فى م : « شمر » .
(٢) فى م : « ابن أبى » .
(٣) بعده فى م ، ص : « إليه » .
(٤) الشارف من النوق : المسنة الهرمة .
(٥) الجامعة : الغل يوضع فى العنق .
(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ص : « فلندرك » . وفى تاريخ الطبرى : « فلندرعك » .
(٧) فى م : « ابن أبى » .
(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ . من طريق الواقدى به .
(٩) فى الأصل ، م ، ص : « بالنطق » .
(١٠) سقط من : م .

ابنِ أبى سَرْحٍ تخيَّرتَه ! منهم مَن نزَل القرآنُ بدَمِه[1] ، وأباح رسولُ اللَّهِ ﷺ دمَه . قال : فانصرَف عثمانُ فما زال الناسُ مجترِئين عليه إلى هذا اليومِ .

قال الواقدىُّ[2] : وحدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ ، عن [3]عبيدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ[3] بنِ نُقاخةَ ، عن عثمانَ بنِ الشَّرِيدِ[4] قال : مرَّ عثمانُ على جَبَلةَ بنِ عمرٍو السّاعِدِىِّ وهو بفناءِ دارِه ، ومعه جامعةٌ ، فقال : يا نعثلُ ، واللَّهِ لأَقْتُلَنَّك ولأَحْمِلَنَّك على قَلوصٍ جرباءَ ، ولأُخْرِجَنَّك إلى حرَّةِ النارِ . ثم جاءه مرَّةً أُخْرَى وعثمانُ على المِنْبَرِ فأنزَله عنه .

وذكَر سيفُ بنُ عمرَ[5] أنَّ عثمانَ بعدَ أن صلَّى بالناسِ يومَ الجمعةِ صعِد المنبرَ فخطَبهم أيضًا ، فقال فى خُطبتِه : يا هؤلاء العِدا[6] اللَّهَ اللَّهَ ! فواللَّهِ إنَّ أهلَ المدينةِ لَيَعْلَمون أنَّكم ملعونون على لسانِ محمدٍ ﷺ ، فامْحُوا الخطأَ بالصوابِ ، فإنَّ اللَّهَ لا يَمْحُو السيِّئَ إلَّا بالحسنِ . فقام محمدُ بنُ مسلمةَ فقال : أنا أشهَدُ بذلك . فأخَذه حُكَيمُ بنُ جَبَلةَ فأقعَده ، فقام زيدُ بنُ ثابتٍ فقال : إنَّه فى الكتابِ . فثار إليه مِن ناحيةٍ أُخْرَى محمدُ بنُ أبى قُتَيْرةَ[7] فأقعَده وقال فأفظَع[8] ، وثار القومُ

---

(١) فى م ، ص : « بذمه » .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤ / ٣٦٥. من طريق الواقدى به .

(٣ - ٣) فى ا ٨: « عبيد بن رافع » ، وفى ص : « عبيد بن نافع » .

(٤) فى ا ٨، ا ٧: « الرشيد » .

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٥٢، ٣٥٣.

(٦) سقط من : ص ، وفى الأصل : « الغرباء » ، وفى ا ٨: « الغزا » .

(٧) غير واضحة فى ص ، وفى الأصل ، ا ٨، ا ٧: « مرة » ، وفى م : « مريرة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤ / ٣٥٣. وانظر الكامل ٣ / ١٦١، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٤٤٠.

(٨) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ص : « فأقطع » ، وفى م : « يانطع » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

بأجْمَعِهم فحصَبوا[1] الناسَ حتى أخرَجُوهم مِن المسجدِ، وحصَبوا عثمانَ حتى صُرِع مِن المنبرِ مغشيًّا عليه، فاحتُمِل وأُدْخِل دارَه، وكان المصريُّون لا يطمَعُون فى أحدٍ مِن الناسِ أن يساعِدَهم [٥/١٥٦ظ] إلَّا محمدَ بنَ أبى بكرٍ، ومحمدَ بنَ جعفرٍ، وعمّارَ بنَ ياسرٍ. وأقبَل علىٌّ وطلحةُ والزُّبيرُ إلى عثمانَ فى أناسٍ يَعُودُونه ويشْكُون إليه بَثَّهم وما حَلَّ بالناسِ، ثم رجَعوا إلى منازِلِهم، واستَقتَلَ[2] جماعةٌ مِن الصحابةِ؛ منهم أبو هريرةَ، وابنُ عمرَ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، فى المحاربةِ عن عثمانَ، فبعَث إليهم يُقْسِمُ عليهم لما كفُّوا أيدِيَهم وسكَنُوا[3] حتى يقضِىَ اللَّهُ ما يشاءُ.

صِفةُ[4] حَصْرِ أميرِ المؤمنِين عثمانَ بنِ عفانَ رضِى اللَّهُ عنه

لمَّا وقَع ما وقَع يومَ الجمعةِ، وشُجَّ أميرُ المؤمنين عثمانُ وهو فى رأسِ المِنْبَرِ، وسقَط مَغْشِيًّا عليه، واحتُمِل إلى دارِه، تَفاقَم الأمرُ، وطمِع فيه أولئك الأجلافُ الأخلاطُ مِن الناسِ، وألجَئوه إلى دارِه وضَيَّقوا عليه، وأحاطُوا بها مُحاصِرِين له،

---

(١) أى: رجموهم بالحَصْبَاء يُشكتوهم، والحصباء: الحَصَى الصغار.

(٢) سقط من: ا ٨، ا ٧ وفى الأصل، م، ص: «استقبل». وهى إحدى نسخ الكامل، والمثبت منه ٣/ ١٦١، وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٣٥٣.

(٣) فى ا ٨، ا ٧: «سكتوا».

(٤) فى م، ص: «ذكر».

ولزِم كثيرٌ مِن الصحابةِ بُيوتَهم ، وسار إليه جماعةٌ مِن أبناءِ الصحابةِ عن أمرِ آبائِهم ؛ منهم الحسنُ والحسينُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ - وكان أميرَ الدارِ - وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ[1] ، وصارُوا يُجاحفون[2] عنه ، ويُناضِلون دونَه أن يَصِلَ إليه أحدٌ منهم ، وأسْلَمه بعضُ الناسِ رَجاءَ أن يُجِيبَ أولئك إلى واحدةٍ مِمَّا سألوا ، فإنَّهم كانوا قد طلَبوا منه إمَّا أن يَعزِلَ نفسَه أو يُسلِمَ إليهم مَرْوانَ بنَ الحكَمِ ، ولم يَقَعْ فى خَلَدِ أحدٍ [3]أنَّه يُقتَلُ ، إلَّا ما[3] كان فى نفسِ أولئك[4] الخارِجِين عليه[5] . وانقَطَع عثمانُ عن المسجدِ ، فكان لا يَخرُجُ إليه[6] إلَّا قليلًا فى أوائلِ الأمْرِ ، ثم انقَطَع بالكُلِّيَّةِ فى آخرِه ، وكان يُصَلِّى بالناسِ فى هذه الأيامِ الغافِقِىُّ بنُ حَرْبٍ . وقد استمَرَّ الحَصْرُ أكثرَ مِن شهرٍ . وقيل : أربعِين يومًا . حتى كان آخرُ ذلك أن قُتِل شهيدًا ، رضِى اللَّهُ عنه ، على ما سَنُبَيِّنُه إن شاء اللَّهُ تعالى . والذى ذكَره ابنُ جَريرٍ[6] أنَّ الذى كان يُصَلِّى بالناسِ فى هذه المدةِ وعثمانُ محصورٌ طلحةُ ابنُ عبيدِ اللَّهِ[7] . وروَى الواقدىُّ[8] أنَّ عليًّا صلَّى بالناسِ[9] أيضًا ، وصلَّى

---

(١) فى ا ٨، ا ٧: «عمرو بن العاص».

(٢) فى ا ٨، ا ٧: «يحاجفون»، وفى م: «يحاجون»، وفى ص: «يحاجنون». والمراد يدافعون.

(٣ - ٣) فى الأصل: «أن يقتل كما»، وفى م: «أن القتل»، وفى ص: «أن يقتل».

(٤) سقط من: م.

(٥) زيادة من: ا ٨، ا ٧.

(٦) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٧١.

(٧) بعده فى م، ص: «وفى صحيح البخارى عن». وبعد ذلك بياض فى: ص.

(٨) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٢٣.

(٩) زيادة من: ا ٨، ا ٧.

(١أبو أيوبَ١) ، وصلَّى بهم سهلُ بنُ حُنَيْفٍ[٢] ، وكان يُجَمِّعُ بهم عليٌّ ، وهو الذى صلَّى بهم بعدُ[٣] . وقد خاطَب الناسَ فى غُبونِ[٤] ذلك بأشياءَ ، وجَرَتْ أُمورٌ سنُورِدُ منها ما تيسَّر . وباللَّهِ المُستعانُ .

قال الإمامُ أحمدُ[٥] : حدَّثنا بَهْزٌ ، ثنا أبو عَوانةَ ، ثنا حُصَيْنٌ ، عن عمرِو بنِ جاوانَ[٦] قال : قال الأحنفُ : انطلَقْنا حُجّاجًا فمرَرْنا بالمدينةِ ، فبينَما نحن فى منزِلِنا إذ جاءَنا آتٍ فقال : الناسُ فى المسجدِ . فانطلَقْتُ أنا وصاحِبى ، فإذا الناسُ مُجتمِعون على نفرٍ فى المسجدِ ، قال : فتَخَلَّلْتُهم حتى قُمتُ عليهم ، فإذا عليُّ بنُ أبى طالبٍ والزُّبيرُ وطَلحةُ وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، قال : فلم يكنْ ذلك بأسرَعَ مِن أن جاء عثمانُ يمشِى ، فقال : هٰهنا عليٌّ ؟ قالوا : نعم . قال : أهٰهُنا الزُّبيرُ ؟ قالوا : نعم . قال : أهٰهُنا طَلحةُ ؟ قالوا : نعم . قال : أهٰهُنا سعدٌ ؟ قالوا : نعم . قال : أَنْشُدُكم باللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، أتعلَمون أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن يبتاعُ مِرْبَدَ بنى فلانٍ غفَر اللَّهُ له » . فابْتَعْتُه فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : إنِّى قد ابْتَعْتُه . فقال : « اجعَلْه فى مسجدِنا وأجرُه لك » ؟ قالوا : نعم . قال : أَنْشُدُكم باللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، أتعلَمون أنَّ رسولَ ﷺ قال : « مَن يَبتاعُ بِئْرَ رُومةَ ؟ » .

(١ - ١) فى ص : « أيوب » .
(٢) فى ص : « حبيب » .
(٣) فى الأصل : « العيد » .
(٤) فى م : « غبوب » .
(٥) المسند ١ / ٧٠. (إسناده صحيح) .
(٦) فى الأصل ، ا ٨، ص : « حاوان » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٦٤.

فابْتَعْتُها بكذا وكذا، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: إنِّى قد ابْتَعْتُها - يَعْنِى بِئْرَ رُومةَ - فقال: «اجْعَلْها [٥/١٥٧و] سِقايةً للمسلِمين ولك أجرُها»؟ قالوا: نعم. قال: أَنْشُدُكم باللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو، أتعلَمون أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نظَر فى وُجوهِ القومِ يومَ جيشِ العُسْرَةِ، فقال: «مَنْ يُجَهِّزُ هؤلاءِ غفَر اللَّهُ له». فجَهَّزْتُهم حتى ما يَفقِدُون خِطامًا ولا عِقالًا؟ قالوا: اللهمَّ نعم. فقال: اللَّهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ. ثم انصرَف. ورَواه النَّسائىُّ[1] مِن حديثِ حُصَيْنٍ، وعندَه: إذ جاء عثمانُ[2] وعليه مُلاءةٌ صفراءُ.

طريقٌ أُخْرَى: قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[3]: حَدَّثنى عُبَيْدُ[4] اللَّهِ بنُ عمرَ القَوارِيرىُّ، حدَّثنى القاسمُ بنُ الحكمِ بنِ أَوْسٍ[5] الأنصارىُّ، حدَّثنى أبو عُبادةَ الزُّرَقىُّ[6] الأنصارىُّ، مِن أهلِ المدينةِ[7]، عن زيدِ بنِ أسلمَ، عن أبيه قال: شهِدْتُ عثمانَ يومَ حُصِرَ فى موضعِ الجنائزِ، ولو أُلْقِى حجرٌ لم يقعْ إلَّا على رأسِ رجلٍ، فرأيتُ عثمانَ أشْرَف مِن الخَوخَةِ التى تَلِى مَقامَ جِبريلَ، فقال: أيُّها الناسُ، أفيكم طلحةُ؟ فسكَتُوا. ثم قال: أيُّها الناسُ، أفيكم طَلحةُ؟ فسكَتُوا. ثم قال: أيُّها الناسُ، أفيكم طلحةُ؟ فقام طَلحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ، فقال له عثمانُ: ألَا

---

(١) النسائى (٣٦٠٨، ٣٦٠٩). صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٣٧٢، ٣٣٧٣).

(٢) فى م: «رجل».

(٣) المسند ١ / ٧٤. (إسناده ضعيف).

(٤) فى م، ص: «عبد». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٣٠.

(٥) فى ا ٧: «أويس». وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٤٦.

(٦) فى م، ص: «الدرقى». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٦٢٧، ٣٤/ ١٩.

(٧) فى النسخ: «الحديبية». والمثبت من المسند. وانظر تهذيب الكمال، الموضع السابق.

أراك هاهنا؟ ما كنتُ أرَى أنَّك[1] تكونُ فى جماعةِ قومٍ[2] تسمَعُ نِدائى آخِرَ ثلاثِ مراتٍ ثم لا تُجِيبُنى، أَنْشُدُك اللَّهَ يا طلحةُ، تذْكُرُ يومَ كنتُ أنا وأنتَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى موضعِ كذا وكذا، ليس معه أحدٌ مِن أصحابِه غيرى وغيرُك - فقال: نعم - فقال لك رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا طلحةُ إنَّه ليس مِن نبىٍّ إلَّا ومعه مِن أصحابِه رفيقٌ مِن أُمَّتِه معه فى الجنةِ، وإنَّ عثمانَ بنَ عفانَ هذا - يَعْنِينِى[3] - رَفِيقى فى الجنةِ»؟ فقال طلحةُ: اللهمَّ نعم. ثم انصرَف. لم يُخرِجُوه.

طريقٌ أُخْرَى: قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[4]: حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمِىُّ[5]، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ، ثنا هِلالُ بنُ حِقٍّ[6]، عن الجُرَيْرِىِّ، عن ثُمامةَ بنِ حَزْنٍ[7] القُشَيْرِىِّ، قال: شهِدْتُ الدارَ يومَ أُصِيب عثمانُ، فاطَّلَعَ[8] عليهم[9] اطِّلاعَةً، فقال: ادْعُوا لِى صاحِبَيْكم اللَّذَيْن ألَّباكم علىَّ. فدُعِيا له، فقال: أنشُدُكما[10] اللَّهَ[11]، أتعلَمانِ[12] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا

---

(١) فى ص: «أن».
(٢) ليست هذه اللفظة فى المسند.
(٣) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ص. وفى م: «يعنى». والمثبت من المسند.
(٤) المسند ١ / ٧٤- ٧٥. (إسناده حسن).
(٥) فى م: «المقدسى». وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٣٤.
(٦) فى: ا ٨، ا ٧، م: «إسحاق». وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٢٨.
(٧) فى م: «جزء». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٠١.
(٨) فى المسند: «فطلع».
(٩) فى م، ص: «عليه».
(١٠) المسند: «نشدتكما».
(١١) فى ا ٨، ا ٧، ص: «بالله».
(١٢) فى الأصل: «أتعلمون».

قدِم المدينةَ ضاق المسجدُ بأهلِه ، فقال : « مَن يَشترِى هذه البُقْعةَ مِن خالصِ مالِه فيكونَ فيها كالمسلمِين ، وله خيرٌ منها فى الجنةِ ؟ » . فاشترَيْتُها مِن خالصِ مالِى فجعَلْتُها بينَ المسلمِين ، وأنتم تَمنَعونى أن أُصَلِّىَ فيه ركْعَتَين ! ثم قال : أَنْشُدُكم اللَّهَ ، أتعلَمون أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمّا قدِم المدينةَ لم يكنْ فيها بِئرٌ يُستعْذَبُ منه إلَّا رُومةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن يشْتَرِيها مِن خالصِ مالِه فيكونَ دَلْوُه فيها كدِلاءِ[1] المسلمِين ، وله خيرٌ منها فى الجنةِ ؟ » . فاشترَيْتُها مِن خالصِ مالِى ، وأنتم تَمنَعونِى أن أشرَبَ منها ! ثم قال : هل تعلَمون أنِّى صاحبُ جيشِ العُسْرةِ ؟ قالوا : اللهمَّ نعم . وقد رَواه الترمذىُّ[2] عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الدارمىِّ[3] وعباسٍ الدُّورىِّ وغيرِ واحدٍ . وأخرَجه النسائىُّ[4] ، عن زِيادِ بنِ أيُّوبَ . كلُّهم عن سعيد بنِ عامرٍ ، عن يَحْيَى بنِ أبى الحَجّاجِ المِنْقَرِىِّ[5] ، عن سعيدٍ[6] الجُرَيْرِىِّ به . وقال الترمذىُّ : حسنٌ[7] .

طريقٌ أُخْرَى : قال الإمامُ أحمدُ[8] : حَدَّثنا [9]عبدُ الصَّمدِ[9] ، ثنا القاسمُ - يعنى [٥/١٥٧ظ] ابنَ الفَضْلِ[10] - ثَنا عمرُو بنُ مُرَّةَ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ

---

(١) المسند : « كدلى » .

(٢) الترمذى (٣٧٠٣) . حسن (صحيح الترمذى ٢٩٢١) .

(٣) فى الأصل : « الرازى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٥ / ١٠ .

(٤) النسائى (٣٦١٠) قال الألبانى : صحيح دون قصة (ثبير) . (صحيح النسائى ٣٣٧٤) . وانظر مشكاة المصابيح (٦٠٦٦) .

(٥) فى الأصل : « البصرى » . فى ا ٨، ا ٧: « التقوى » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٦) فى النسخ « أبى مسعود » . والمثبت من سنن النسائى ، وانظر تهذيب الكمال ٣١ / ٢٦٤ .

(٧) بعده فى ا ٨، ا ٧، م ، ص : « صحيح » .

(٨) المسند ١ / ٦٢ . (إسناده ضعيف) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٩٩ .

(١٠) فى م : « المفضل » ، وفى المسند : « الفضيل » ، وأشار الشيخ شاكر أنه هكذا فى إحدى النسخ - الفضيل - وأنه خطأ . شرح المسند ١/ ٣٤٩، وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٤١٠ .

قال : دعا عثمانُ رجالًا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيهم عمارُ بنُ ياسرٍ ، فقال : إنِّى سائِلُكم وإنِّى أُحِبُّ أن تَصدُقُونِى ، نَشَدْتُكم اللَّهَ ، أتعلَمون أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُؤْثِرُ قُريشًا على سائرِ[1] الناسِ ، ويُؤْثِرُ بنى هاشمٍ على سائرِ قريشٍ ؟ فسَكَت القومُ ، فقال عثمانُ[2] : لو أنَّ بيدِى مَفاتيحَ الجنَّةِ لأعْطَيْتُها بنى أُمَيَّةَ حتى يَدْخُلوا مِن عندِ آخِرِهم . فبعَث إلى[3] طَلحةَ والزُّبيرِ ، فقال عثمانُ : ألَا أُحَدِّثُكما عنه - يعنى عَمّارًا - أقبلْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ [4]آخِذًا بيدِى نَتَمشَّى[4] فى البَطْحاءِ حتى أتَى على أبيه وأُمِّه وعليه[5] يُعَذَّبون ، فقال أبو عمارٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، الدهرَ هكذا ؟ فقال له النبىُّ ﷺ : « اصْبِرْ » . ثم قال : « اللهمَّ اغْفِرْ لآلِ ياسرٍ وقد فَعَلْتَ » . تفرَّد به أحمدُ ، ولم يُخَرِّجْه أحَدٌ مِن أصحابِ الكُتُبِ .

طريقٌ أُخْرَى : قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، سَمِعتُ مُغِيرَةَ[7] بنَ مسلمٍ أبا[8] سَلَمةَ[9] يَذكُرُ عن مَطَرٍ[10] ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ عثمانَ أشْرَف على أصحابِه وهو محصورٌ ، فقال : عَلامَ تَقتُلونى ؟ فإنِّى سَمِعتُ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « أخذ بيدى يمشى » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ : « أخذ بيدى نمشى » . والمثبت من المسند .

(٥) فى ا ٨ ، ا ٧ ، م : « هم » .

(٦) المسند ١ / ٦٣ . (إسناده صحيح) .

(٧) سقط من : ص ، وفى ا ٨ ، ا ٧ ، م : « معاوية » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٩٥ .

(٨) فى المسند : « أنا » . وقال الشيخ شاكر فى شرح المسند ١/ ٣٥٥ : وهو خطأ ، صوابه أبا سلمة وهى كنية مغيرة بن مسلم ، صححناه من ك هـ . وانظر تهذيب الكمال ، الموضع السابق .

(٩) فى ا ٨ ، ا ٧ : « مسلم » .

(١٠) فى النسخ : « مطرف » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥١ .

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مُسلِمٍ[1] إلَّا بإحدَى ثلاثٍ ؛ رجلٌ زنَى بعد إحصانِه فعليه الرجمُ ، أو قتَل عَمْدًا فعليه القَوَدُ ، أو ارْتَدَّ بعدَ إسلامِه فعليه القَتْلُ » . فواللَّهِ ما زَنيتُ فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ ، ولا قتلتُ أحدًا فأُقيدَ نفسِى منه ، ولا ارْتَدَدْتُ منذ أسلَمْتُ ؛ إنِّى أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . ورَواه النسائىُّ[2] ، عن أحمدَ بنِ الأزهرِ ، عن إسحاقَ بنِ سليمانَ به .

طريقٌ أُخْرَى : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، ثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، عن أبى أمامةَ بنِ سهلِ بنِ حنيفٍ قال : كنتُ مع عثمانَ فى الدارِ وهو محصورٌ ، قال : وكنَّا ندخُلُ مَدْخلًا إذا دخَلْناه سمِعْنا كَلامَ مَن على البِلاطِ[4] ، قال : فدخَل عثمانُ يومًا لحاجَةٍ[5] ، فخرَج إلينا مُنتقِعًا لونُه ، فقال : إنَّهم لَيَتَوعَّدُونى بالقتْلِ آنفًا . قال : قُلْنا : يَكْفِيكَهم اللَّهُ يا أميرَ المؤمنين . قال : فقال[6] : [7]وبِمَ[7] يَقتُلونى ؟ فإنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلَّا بإحدَى ثلاثٍ ؛ رجلٌ كفَر بعدَ إسلامِه ، أو زنَى بعدَ إحصانِه ، أو قتَل نفسًا بغيرِ نَفْسٍ » . فواللَّهِ ما زَنَيْتُ فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ قطُّ[8] ، ولا تَمَنَّيْتُ بَدَلًا بدِينى مُذْ هَدانى اللَّهُ له ، ولا قَتلتُ نفسًا ، فبِمَ يَقتُلونى ؟ . وقد رَواه أهلُ

---

(١) سقط من ا ٨، م . وهو حاشية فى الأصل ، ص .

(٢) سنن النسائى (٤٠٦٨) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٧٨١) .

(٣) المسند ١ /٦٥ (إسناده صحيح) .

(٤) والبلاط بكسر الباء وفتحها : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد الرسول ﷺ وسوق المدينة . معجم البلدان ١ / ٧٠٩، ٧١٠.

(٥) فى الأصل ، ا ٧، م ، ص : « لحاجته » .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « بم » ، وفى م : « ولم » .

(٨) ليست من لفظ المسند .

« السُّننِ الأربعةُ »[1] ، مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، [2]عن أبى أُمامةَ[2] - زاد النسائىُّ : وعبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ - قالا : كنَّا مع عثمانَ . فذكَره . [3]وقال الترمذىُّ : حسنٌ ، وقد رَواه حَمّادُ بنُ سَلَمَةَ عن يحيى بنِ سعيدٍ فرَفَعَه[3] .

طريقٌ أُخْرَى : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا قَطَنٌ ، ثنا يُونُسُ - يعنى ابنَ أبى إسحاقَ - عن أبيه ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، قال : أشْرَف عثمانُ مِن القصرِ وهو محصورٌ ، فقال : أنشُدُ باللَّهِ مَن شهِد رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ حِراءَ ، إذِ اهْتَزَّ الجبلُ فركَله بقَدَمِه ، ثم قال : « اسْكُنْ حراءُ ، ليس عليك إلَّا نبىٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ » . وأنا معه . فانْتَشَد له رِجالٌ . قال : أَنْشُدُ باللَّهِ مَن شهِد رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ بيعةِ الرِّضوانِ ، إذ بعَثَنى إلى المُشرِكِين إلى أهلِ مكةَ فقال : [٥/١٥٨و] « هذه يدِى وهذه يدُ عثمانَ »[5] . فبايَع لى ؟ فانْتَشَد له رِجالٌ . قال : أَنْشُدُ باللَّهِ مَن شهِد رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن يُوسِّعُ لَنا بهذا البيتِ فى[6] المسجدِ ببَيْتٍ[7] فى الجنةِ ؟ » . فابْتَعْتُه مِن مالى ، فوَسَّعْتُ به المسجدَ ؟ فانْتَشَد له رِجالٌ . قال : وأَنْشُدُ باللَّهِ مَن شهِد رسولَ اللَّهِ يومَ جيشِ العُسْرَةِ قال : « مَن يُنفِقُ اليومَ نفقةً مُتَقَبَّلَةً ؟ » . فجهَّزْتُ نصفَ الجيشِ مِن مالِى ؟ فانْتَشَد له رِجالٌ . وأَنْشُدُ باللَّهِ مَن

---

(١) أبو داود (٤٥٠٢) ، والترمذى (٢١٥٨) ، والنسائى (٤٠٣١) ، وابن ماجه (٢٥٣٣) . صحيح . (صحيح سنن أبى داود ٣٧٧٨) .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « حدثنى أبو أسامة » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) المسند ١ / ٥٩ . (إسناده صحيح) .

(٥) بعده فى ا ٨ ، ا ٧ ، م : « ووضع يديه إحداهما على الأخرى » .

(٦) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ص .

(٧) فى م : « بنيت له بيتا » . وفى ص : « بنيت له » .

شهِد رُومةَ يُباعُ ماؤُها ابنَ السبيلِ ، فابْتَعْتُها مِن مالِى فأَبَحْتُها ابنَ السبيلِ ؟ قال : فانتَشَد له رجالٌ . ورَواه النسائىُّ[1] ، عن عِمْرانَ بنِ بَكّارٍ ، عن خَطّابِ[2] بنِ عثمانَ ، عن عيسَى بنِ يُونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن أبيه ، عن جدِّه أبى إسحاقَ السَّبِيعىِّ به .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ[3] أنَّ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، لمَّا رأى ما فعَله هؤلاء الخَوارِجُ مِن أهلِ الأمصارِ ، مِن مُحاصرتِه فى دارِه ، ومَنْعِه الخُروجَ إلى المسجدِ ، كتَب إلى معاويةَ بالشامِ ، وإلى ابنِ عامرٍ بالبصرةِ ، وإلى أهلِ الكُوفةِ ، يَستَنجِدُهم فى بَعْثِ جَيْشٍ يَطرُدون هؤلاء مِن المدينةِ ، فبعَث مُعاويةُ [4]حبيبَ بنَ مَسْلَمةَ[4] ، وانتدَب يَزِيدُ بنُ أَسَدٍ[5] القَسْرِىُّ[6] فى جيشٍ ، وبعَث أهلُ الكوفةِ جيشًا ، وأهلُ البصرةِ جيشًا ، فلمَّا سمِع أولئك بخُروجِ الجيوشِ إليهم صَمَّموا فى الحصارِ ، فما اقترَب الجيوشُ إلى المدينةِ حتى جاءَهم قتلُ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كما سنَذكُرُه .

وذَكَر ابنُ جَريرٍ[7] أنَّ عثمانَ استَدْعَى الأشترَ النَّخَعِىَّ ، ووُضِعَتْ لعثمانَ وِسادةٌ فى كُوَّةٍ مِن دارِه ، فأشرَف على الناسِ ، فقال له عثمانُ : يا أشترُ ماذا يُريدون ؟ فقال : إنَّهم يُريدون منك إمَّا أن تَعزِلَ نفسَك عن الإمْرةِ ، وإمَّا أن تُقِيدَ[8] مِن نفسِك مَن قد ضربتَه ، أو جَلَدْتَه ، أو حبَسْتَه ، وإمَّا أن يَقتُلوك .

---

(١) النسائى (٣٦١١). صحيح لغيره (صحيح سنن النسائى ٣٣٧٥) .
(٢) فى م : « حطاب » . وهو تصحيف . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٦٨.
(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٦٨.
(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « مسلمة بن حبيب » . وانظر الإصابة ٢/ ٢٤.
(٥) فى ا ٨، ا ٧: « أسلم » . وانظر الإصابة ٦/ ٦٤٦.
(٦) فى ا ٨، ا ٧، م ، ص : « القشيرى » .
(٧) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٧١، ٣٧٢.
(٨) فى م : « تفتدى » .

وفى رِوايةٍ[1] أنَّهم طلَبوا منه أن يَعزِلَ نُوّابَه عن الأمصارِ ويُولِّىَ عليها مَن يُرِيدون هم ، وإن لم يَعزِلْ نفسَه ، أن يُسَلِّمَ لهم مَرْوانَ بنَ الحكَمِ فيُعاقِبوه كما زَوَّر على عثمانَ كتابَه إلى مصرَ . فخَشِىَ عثمانُ إن سَلَّمه إليهم أن يَقتُلوه ، فيكونَ سببًا فى قتلِ امرئٍ مسلمٍ ، وما فعَل مِن الأمرِ ما يَستحِقُّ بسببِه القتلَ ، واعتذَر عن الاقتصاصِ مِمَّا قالوا بأنَّه[2] رجلٌ ضعيفُ البَدَنِ كبيرُ السِّنِّ . وأمَّا ما سألوا مِن خَلْعِه نفسَه ، فإنَّه لا يَفعَلُ ولا يَنزِعُ قَمِيصًا قَمَّصَه اللَّهُ إياه ، ويَترُكُ أُمَّةَ محمدٍ يَعْدُو بعضُها على بعضٍ ، وقال لهم فيما قال : وأىُّ شىءٍ إلىَّ مِن الأمرِ إن كنتُ كلَّما كرِهتُم أميرًا عزَلْتُه ، وكلَّما رَضِيتم عنه وَلَّيْتُه ؟ وقال لهم فيما قال : واللَّهِ لئن قتَلتُمونى لا تَتَحابُّوا بعدِى أبدًا[3] ، ولا تُصَلُّوا جميعًا أبدًا ، ولا تُقاتِلوا بعدِى عَدُوًّا جميعًا أبدًا . وقد صدَق ، رضِى اللَّهُ عنه ، فيما قال .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، ثنا مُعاوِيةُ بنُ صالحٍ ، عن رَبِيعةَ بنِ يَزِيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قَيْسٍ ، حَدَّثنى النُّعمانُ بنُ بشيرٍ قال : كتَب معى معاويةُ[5] إلى عائشةَ كِتابًا فدَفَعْتُ إليها كِتابَه ، فحَدَّثَتْنى أنَّها سَمِعتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعثمانَ : « إنَّ اللَّهَ لعلَّه يُقَمِّصُك قَمِيصًا ، فإن [6]أرادَك أحدٌ[6] على خَلْعِه فلا تَخْلَعْه » . ثَلاثَ مراتٍ . قال النُّعمانُ : فقلتُ [٥/١٥٨ظ] يا أُمَّ المُؤمِنِين ، فأين كنتِ عن هذا الحديثِ ؟ فقالت : يا بُنىَّ ، واللَّهِ أُنْسِيتُه . وقد رَواه

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٣٧١ .

(٢) فى م : « أنه » .

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) المسند ٦ /١٤٩ بنحوه بطولا .

(٥) فى م : « عثمان » .

(٦ - ٦) فى المسند : « أرادوك » .

الترمذىُّ[1] مِن حديثِ اللَّيْثِ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن ربيعةَ بنِ يَزِيدَ ، عن [2]عبدِ اللَّهِ[2] بنِ عامرٍ ، عن النُّعمانِ ، عن عائشةَ به . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . ورَواه ابنُ ماجه[3] ، مِن حديثِ الفَرَجِ بنِ فَضالَةَ ، عن ربيعةَ بنِ يَزِيدَ ، عن النُّعمانِ فأسقَط عبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا يَحْيَى ، عن[5] إسماعيلَ ، ثنا قَيْسٌ ، عن أبى سَهْلَةَ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْعُوا لى بعضَ أصحابِى » . قلتُ : أبو بكرٍ ؟ قال : « لا » . قلتُ : عمرُ ؟ قال : « لا » . قلتُ : ابنُ عَمِّك علىٌّ ؟ قال : « لا » . قالت : قلت : عثمانُ ؟ قال : « نعم » . فلمَّا جاء قال : تَنَحَّىْ . فجعَل يُسارُّه ولونُ عثمانَ يَتغيَّرُ . فلمَّا كان يومُ الدارِ وحُصِر فيها قُلنا : يا أميرَ المؤمنِين ألَا تُقاتِلُ ؟ قال : لا ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عهِد إلىَّ عهدًا وإنِّى صابرٌ نفسِى عليه . تَفرَّد به أحمدُ .

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[6] الدِّمَشْقِىُّ[7] : حَدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ لَهِيعَةَ ، عن يَزِيدَ بنِ عمرٍو ، أنَّه سَمِع أبا ثورٍ الفَهْمِىَّ[8] يقولُ : قَدِمتُ على

---

(١) الترمذى (٣٧٠٥) مختصرا : صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٢٣) .

(٢ - ٢) فى الترمذى : « عبد الملك » . وهو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبى المقرئ ، أبو عمران . انظر تهذيب الكمال ١٥ / ١٤٣ . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٣٣٢ .

(٣) سنن ابن ماجه (١١٢) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٩٠) .

(٤) المسند ٦ / ٥١، ٥٢ . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ /٩٩ من طريق يحيى بن سعيد به . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٥) فى م ، ص : « بن » .

(٦) فى م : « عائذ » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق :ترجمة عثمان ص ٤٢٩ من طريق بن عائذ به بنحوه .

(٨) فى م ، ص : « الفقيمى » . وانظر الإصابة ٧/ ٦٠ .

عثمانَ ، فبينَا أنا عندَه فخرَجْتُ[1] فإذا بوفدِ أهلِ مصرَ قد رجَعوا فدَخَلْتُ على عثمانَ فأعلَمْتُه ، فقال : وكيفَ رأيتَهم ؟ فقلتُ : رأيتُ فى وجوهِهم الشَّرَّ ، وعليهم ابنُ عُدَيْسٍ البَلَوِىُّ ، فصَعِد ابنُ عُدَيْسٍ مِنْبَرَ رسولِ اللَّهِ [٥/١٥٩و] ﷺ فصَلَّى بهم الجمعةَ ، وتنقَّصَ عثمانَ فى خُطبتِه ، فدخلْتُ على عثمانَ فأخبرتُه بما قام[2] فيهم ، فقال : كذَب واللَّهِ ابنُ عُدَيْسٍ ، ولولا ما ذكَر ما ذكَرْتُ ذلك[3] ، إنِّى لرابعُ أربعةٍ فى الإسلامِ ، ولقد أنكَحَنِى رسولُ اللَّهِ ﷺ ابنتَه ، ثم تُوُفِّيَت ، فأنكَحَنِى ابنتَه الأُخْرَى ، واللَّهِ[4] لا زَنَيْتُ ولا سَرَقْتُ[5] فى جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ ، ولا تَغَنَّيْتُ[6] ولا تَمَنَّيْتُ[7] منذُ أسلَمْتُ ، ولا مَسَسْتُ فَرْجِى بيَمِينِى منذُ بايَعْتُ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ولقد جَمَعْتُ القرآنَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا أتَتْ علىَّ جُمُعةٌ إلَّا وأنا أُعتِقُ فيها رَقَبةً منذُ أسلَمْتُ ، إلَّا أن لا أجِدَها فى تلك الجُمُعَةِ فأجمَعَها فى الجُمُعَةِ الثانيةِ . ورَواه يَعقوبُ بنُ سفيانَ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبِى بكرٍ ، عن ابنِ لَهِيعَةَ قال : لقد اختبأْتُ عندَ رَبِّى عَشْرًا . فذَكَرَهُنَّ .

---

(١) سقط من الأصل .

(٢) فى الأصل ، م : « فقال » .

(٣) سقط من : م .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٥) تاريخ دمشق : « شربت » .

(٦) غير معجمة فى الأصل ، وفى ا ٨ ، ا ٧ وبعض نسخ ابن عساكر : « تغنيت » ، وفى م ، ص : « تعنيت » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر التعليق على هذه الكلمة فى المصدر نفسه ص ٢٣ . وانظر اللسان (ع ت و) .

(٧) أى ما كذبت ، التمنى : التكذيب ، تفعل ، من منى يمنى ، إذا قدر ؛ لأن الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقوله . النهاية ٤/ ٣٦٧ .

(٨) المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٨٨ . وعنده : « تعنيت » .

فصـلٌ

كان الحصارُ مُستمِرًّا مِن أواخِرِ ذى القَعْدةِ إلى يومِ الجُمُعَةِ الثامِنَ عَشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ ، فلمّا كان قبلَ ذلك بيومٍ ، قال عثمانُ للذين عندَه فى الدارِ مِن أبناءِ المهاجِرين والأنصارِ - وكانوا قريبًا مِن سَبْعِمائةٍ ؛ فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، والحَسَنُ ، والحُسَيْنُ ، ومَرْوانُ ، وأبو هريرةَ ، وخَلْقٌ مِن مَوالِيه ، ولو ترَكهم لمنَعوه ، فقال لهم : أُقسِمُ على مَن لى عليه حَقٌّ أن يَكُفَّ يدَه ، وأن يَنطلِقَ إلى مَنزِلِه . وعندَه مِن أعيانِ الصَّحابةِ وأبنائِهم جَمٌّ غَفيرٌ . وقال لرَقِيقِه : مَن أغمَد سيفَه فهو حُرٌّ . فبرَدَ القِتالُ مِن داخلِ الدّارِ[1] ، وحَمِى مِن خارجٍ ، واشتدَّ الأمرُ ، وكان سببُ ذلك أنَّ عثمانَ رأى فى المَنامِ رُؤْيا دَلَّت على اقترابِ أجَلِه ، فاستسلَمَ لأمرِ اللَّهِ رَجاءَ مَوْعودِه ، وشوقًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وليكونَ خيرَ ابْنَىْ آدَمَ ، حيثُ قال حينَ أراد أخوه[2] قتلَه : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] . ورُوِى[3] أنَّ آخِرَ مَن خرَج مِن عندِ عثمانَ مِن الدارِ ، بعدَ أن عزَم عليهم فى الخُروجِ ، الحسَنُ[4] بنُ علىٍّ وقد جُرِح[5] ، وكان أميرُ الحربِ على أهلِ الدارِ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبيرِ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وروَى موسَى بنُ عُقْبَةَ[6] ، عن سالمٍ أو نافعٍ ، أنَّ ابنَ عمرَ لم يَلبَسْ سِلاحَه

---

(١) زيادة من : ا ٨، ا ٧.

(٢) زيادة من : م .

(٣) تاريخ خليفة ١ / ١٨٨، وتاريخ دمشق من طريق خليفة (ترجمة عثمان) ص ٣٩٧.

(٤) فى ا ٧: «الحسين» . وانظر مصادر التخريج .

(٥) فى ا ٨، م، ص : «خرج» .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٩٧، من طريق موسى بن عتبة به =

بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا يومَ الدارِ، ويومَ نَجْدَةَ[1] الحَرُورِيِّ.

قال أبو جَعفرٍ الرازِيُّ[2]، عن أيُّوبَ السَّخْتِيانيِّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ أنَّ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، أصبَح يُحَدِّثُ الناسَ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ فى المَنامِ فقال: «يا عثمانُ أفطِرْ عندَنا». فأصبَح صائمًا وقُتِل مِن يومِه.

وقال سيفُ بنُ عمرَ[3]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زِيادِ بنِ أنعُمَ، عن رجلٍ قال: دخَل عليه كَثِيرُ بنُ الصَّلْتِ، فقال: يا أميرَ المؤمنِين، اخرُجْ فاجلِسْ بالفِناءِ[4] فيُرى وجهُك[4]، فإنَّك إن فعَلْتَ ارتدَعوا. فضَحِك وقال: يا كَثِيرُ، رأيتُ البارحةَ وكأنِّى دخلْتُ علىَ نبيِّ اللَّهِ ﷺ وعندَه أبو بكرٍ وعمرُ، فقال: «ارجِعْ فإنَّك مُفطِرٌ عندِى غدًا». ثم قال عثمانُ: ولن تَغِيبَ الشمسُ واللَّهِ غدًا - أو[5] كذا وكذا - إلَّا وأنا مِن أهلِ الآخِرَةِ. قال: فوَضَع سعدٌ وأبو هريرةَ السِّلاحَ، وأقبَلا حتى دخَلا على عثمانَ[6].

وقال موسى بنُ عقبةَ[7]: [٥/١٥٩ظ] حَدَّثنى أبو عَلْقمةَ - مَوْلًى لعبدِ الرحمنِ ابنِ عوفٍ - حَدَّثنى ابنُ الصَّلْتِ قال: أغفَى عثمانُ بنُ عفانَ فى اليومِ الذى قُتِل

=بنحوه. وعنده: عن سالم أو نافع أو عنهما جميعا.

(١) فى م: «نجرة». وانظر الكامل ٤/ ٢٠١.

(٢) فى م: «الدارى». وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٩٢.

والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٩٠، ٣٩١ من طريق أبى جعفر الرازى به.

(٣) المصدر السابق ٣٩١ من طريق سيف به.

(٤ - ٤) فى ا ٨، ا ٧، م: «فيرى الناس وجهك»، وفى تاريخ دمشق: «فنرى وجهك».

(٥) بعده فى تاريخ دمشق: «يوم».

(٦) فى الأصل: «عمار».

(٧) المصدر السابق ٣٩٠ من طريق موسى بن عقبة به.

فيه فاستيقَظ فقال : لولا أن يقولَ الناسُ : تَمَنَّى عثمانُ أُمنِيَّةً لَحَدَّثْتُكم . قال : قُلنا أصلَحَك اللَّهُ ، حَدِّثْنا فلَسْنا نقولُ ما يقولُ الناسُ . فقال : إنِّى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَنامِى هذا فقال : « إنَّك شاهدٌ معنا الجُمُعَةَ » .

وقال ابنُ أبِى الدُّنيا[1] : حَدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ القُرَشِيُّ ، ثَنا خَلَفُ بنُ تَمِيمٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ مُهاجرٍ البَجَلِيُّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ عُمَيْرٍ ، حَدَّثنى كَثيرُ ابنُ الصَّلْتِ قال : دخلْتُ على عثمانَ وهو مَحصورٌ فقال لى : يا كثيرُ ، ما أرانى إلَّا مَقتولًا يومى هذا . قال : قلتُ : يَنصُرُك اللَّهُ على عَدُوِّكَ يا أميرَ المؤمنِين . قال : ثم أعاد علىَّ ، فقلتُ : وُقِّتَ لك فى هذا اليومِ شىءٌ ، أو قِيلَ لك شىءٌ ؟ قال : لا ، ولكنِّى سَهِرتُ فى لَيْلَتِى هذه الماضيةِ ، فلمَّا كان عندَ السَّحَرِ أغفَيْتُ إغْفاءةً ، فرأيتُ فيما يَرى النائمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ لى : « يا عثمانُ الْحَقْنا لا تَحْبِسْنا ، فإنّا نَنتظِرُك » . قال : فقُتِل مِن يومِه ذلك .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[2] : حَدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا يَزِيدُ بنُ هارونَ ، عن [3]فَرَجِ بنِ فَضالةَ[3] ، عن مَرْوانَ بنِ أبى أُمَيَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ قال : أتَيْتُ عثمانَ لأُسَلِّمَ عليه وهو مَحصورٌ ، فدخَلْتُ عليه فقال : مرحبًا بأخِى ، رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ الليلةَ فى هذه الخَوْخَةِ - قال : وخَوْخَةٌ فى البيتِ - فقال : « يا عثمانُ حَصَرُوك ؟ » . قلتُ : نعم . قال : « عَطَّشُوك ؟ » . قلتُ : نعم . فأدلَى دَلْوًا فيه ماءٌ فشَرِبتُ حتى رَوِيتُ ، حتى إنِّى لأَجِدُ بَرْدَه بيـنَ ثَدْيَىَّ وبيـنَ كَتِفَىَّ ، وقال

---

(١) تاريخ دمشق ص ٣٩١ من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩١، ٣٩٢ من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣ - ٣) فى الأصل : « نوح بن فضلة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ١٥٦.

لى : « إن شئتَ نُصِرتَ[1] عليهم ، وإن شئتَ أفطَرْتَ عندَنا » . فاخترتُ أن أُفطِرَ عندَه . فقُتِل ذلك اليومَ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : [3]ثنا محمدُ بنُ عمرَ[3] ، أنا عفانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا وُهَيْبٌ ، ثنا داودُ ، عن زِيادِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أُمِّ هِلالٍ بنتِ وَكيعٍ ، عن امرأةِ عثمانَ - قال : وأحسَبُها بنتَ الفَرافِصَةِ - قالت : أغْفَى عثمانُ فلمّا استيقَظ قال : إنَّ القومَ يَقتُلونَنى . قلتُ : كلّا يا أميرَ المؤمنِين . قال : إنِّى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ فقالوا : « أفْطِرْ عندَنا الليلةَ » . أو : « إنَّك تُفطِرُ عندَنا الليلةَ » .

وقال الهَيْثَمُ بنُ كُلَيْبٍ[4] : حَدَّثنا عيسى بنُ أحمدَ العَسْقلانىُّ ، ثنا شَبّابةُ ، ثنا يَحْيَى بنُ أبى راشدٍ مَوْلَى عمرِو[5] بنِ حُرَيْثٍ ، عن [6]محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ[6] الجُرَشِىِّ ، وعُقْبةَ[7] بنِ أُسَيْدٍ[8] ، عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ ، عن نائلةَ بنتِ الفَرافِصةِ الكَلْبِيَّةِ - امرأةِ عثمانَ - قالت : لمَّا حُصِر عثمانُ ظلَّ اليومَ الذى كان [9]قبلَ قَتْلِه بيومٍ[9] صائمًا ، فلمّا كان عندَ إفطارِه سألهم الماءَ العَذْبَ ، فأبَوْا عليه وقالوا :

---

(١) فى الأصل : « صبرت » .

(٢) الطبقات ٣/ ٧٥.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٩٤ من طريق الهيثم بن كليب به .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، م ، ص : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٨٠.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ ، وتاريخ دمشق ، وقال ابن عساكر : الصواب ... يحيى بن عبد الرحمن .

(٧) فى ا ٨ ، ا ٧ : « قفة » .

(٨) فى النسخ : « أسد » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر تاريخ الثقات ٣٣٧ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣٠٨.

(٩ - ٩) فى الأصل : « قبله بيوم » ، وفى م : « فيه قتله » ، وفى ص : « قتله » .

دونَك ذلك الرَّكِيّ[1] - ورَكِيٌّ فى الـدارِ[2] يُلْقَى[3] فيه النَّتِنُ - قالت : فلم يُفْطِرْ ، [4]فأتَيْتُ جاراتٍ لنا[4] على أجاجيرَ[5] متواصلةٍ[6] - وذلك فى السَّحَرِ - فسألتُهم الماءَ العَذْبَ ، فأعطَوْنى كُوزًا مِن ماءٍ ، فأتَيْتُه فقلتُ : هذا ماءٌ عَذْبٌ أتَيْتُكَ به . قالت : فنظَر فإذا الفجرُ قد طلَع ، فقال : إنِّى أصبَحْتُ صائمًا . قالت : فقلتُ : ومِـن أين[7] ولم أرَ أحدًا أتاكَ بطَعامٍ ولا شَرابٍ ؟ فقال : إنِّى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٥/١٦٠و] اطَّلَع علىَّ مِن هذا السَّقْفِ ومعه دَلْوٌ مِن ماءٍ فقال : « اشرَبْ يا عثمانُ » . فشَرِبتُ حتى رَوِيتُ ، ثم قال : « ازدَدْ » . فشَرِبتُ حتى نهِلتُ[8] ، ثم قال : « أمَا إنَّ القومَ سَيَبْكُرونَ[9] عليك ، فإن قاتَلْتَهم ظَفِرتَ ، وإن ترَكتَهم أفطرتَ عندَنا » . قالت : فدَخلوا عليه مِن يومِه فقَتَلوه .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[10] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[11] : حَدَّثنى عثمانُ

---

(١) الركى : جنس للركية ، وهى البئر . النهاية ٢ / ٢٦١.

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « الذى » .

(٣) فى ا ٨، ورواية ابن عساكر من طريق الهيثم بن كليب : « نلقى » ، والمثبت موافق لرواية ابن عساكر من طريق الخطيب ص ٣٩٥ .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « فرأيت جارًا » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « أحاجير » . والأجاجير جمع إجّار : وهو السطح ليس حواليه ما يرد الساقط عنه . النهاية ١ / ٢٦.

(٦) فى ا ٨، ا ٧: « بنى سلمة » ، وفى رواية ابن عساكر من طريق الهيثم بن كليب : « لنا متواصلة » . والمثبت موافق لروايته من طريق الخطيب .

(٧) بعده فى ا ٨، ا ٧، م : « أكلت » .

(٨) فى الأصل : « نهدت » ، وفى ا ٨، ا ٧: « مليت » . وفى تاريخ دمشق : « ثملت أو نهلت » . والشك عنده من عيس بن أحمد العسقلانى .

(٩) فى الأصل : مستنكرون . وفى ا ٨، ا ٧، م ، ص « سينكرون » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وعند ابن عساكر من طريق الخطيب : « سيكثر ، أو سيكثرون » .

(١٠) وعزاه الهيثمى أيضا إلى أبى يعلى فى الكبير . المجمع ٩/ ٩٧.

(١١) المسند ١/ ٧٢. وقال الشيخ شعيب فى المسند ١/ ٥٤٥: إسناده ضعيف .

ابنُ أبى شَيْبَةَ ، ثنا يُونُسُ بنُ أبِى يَعفُورٍ العبدىُّ ، عن أبيه ، عن مسلمٍ أبى سعيدٍ مَوْلَى عثمانَ بنِ عفانَ ، أنَّ عثمانَ أعتَق عشرين مَملوكًا ، ودعا بسَراوِيلَ فشَدَّها ولم يَلبَسْها فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ ، وقال : إنِّى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ وأبا بكرٍ وعمرَ ، وإنَّهم قالوا لى : « اصْبِرْ فإنَّك تُفْطِرُ عندَنا القابِلةَ » . ثم دعا بمُصْحَفٍ فنَشره بينَ يدَيْه ، فقُتِل وهو بينَ يدَيْه . قلتُ : إنَّما لَبِس السَّراويلَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى هذا اليومِ لِئلَّا تَبدُوَ عَوْرَتُه إذا قُتِل ؛ فإنَّه كان شديدَ الحياءِ ، كانت تَستَحْيِى منه الملائكةُ ، كما نطَق بذلك النبىُّ ﷺ[1] . ووضَع بينَ يدَيْه المُصحَفَ يَتْلُو فيه ، واستسلَم لقضاءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكفَّ يدَه عن القتالِ ، وأمَر الناسَ وعزَم عليهم أن لا يُقاتِلوا دونَه ، ولولا عَزِيمتُه عليهم لنَصَروه مِن أعدائِه ، ولكن كان أمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدورًا .

وقال هشامُ بنُ عُرْوةَ[2] ، عن أبيه : إنَّ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أوصَى إلى الزُّبيرِ .

وقال الأصمعىُّ[3] ، عن العلاءِ بنِ الفَضْلِ ، عن أبيه قال : لمَّا قُتِل عثمانُ فَتَّشوا خَزائِنَه[4] ، فوَجَدوا فيها صُنْدُوقًا مُقْفَلًا ، ففَتَحوه فوجَدوا فيه حُقَّةً[1] فيها ورقةٌ مكتوبٌ فيها : هذه وَصِيَّةُ عثمانَ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، عثمانُ بنُ عفانَ يَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأنَّ الجنةَ حَقٌّ ، وأنَّ النارَ حقٌّ ، وأنَّ اللَّهَ يَبعَثُ مَن فى القُبورِ ، ليومٍ لا رَيْبَ فيه ، إنَّ اللَّهَ لا يُخلِفُ الميعادَ ، عليها يَحْيَا وعليها يَموتُ ، وعليها يُبعثُ إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) انظر ما يأتى تخريجه فى صفحة ٣٥٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٠٧ من طريق هشام بن عروة به .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠٦ من طريق الأصمعى به .

(٤) فى ا ٨، م، ص : « خزانته » .

وروَى ابنُ عساكِرَ[1] أنَّ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، قال يومَ دخَلوا عليه فقَتَلوه:

أرَى الموتَ لا يُبْقِى عزيزًا ولم يَدَعْ لعادٍ مَلاذًا فى البلادِ ومُرْتَقَى[2]

وقال أيضًا:

يُبَيِّتُ أهلَ الحِصْنِ والحِصْنُ مُغْلَقٌ ويأتى الجبالَ[3] فى شماريخِها العُلَا

---

(١) تاريخ دمشق ص ٤٠٧.

(٢) فى ا ٨، ا ٧: «مهربا». وفى م، ص: «مرتعا».

(٣) بعده فى م: «الموت».

صِفةُ قتلِه رضِى اللَّهُ عنه

قال خليفةُ بنُ خَيّاطٍ[1] : حدَّثَنا ابنُ عُلَيَّةَ ، ثنا ابنُ عَوْنٍ[2] ، عن الحسنِ قال : أنبأَنى وَثَّابٌ[3] قال : بعَثَنى عثمانُ فدعَوْتُ له الأَشْتَرَ فقال : ما يريدُ الناسُ ؟ قال : ثلاثٌ[4] ليس مِن إحداهُنَّ بدٌّ . قال : ما هنَّ ؟ قال : يُخَيِّرونَك[5] بيـنَ أن تَخْلَعَ لهم أمرَهم فتقولَ : هذا أمرُكم فاخْتاروا مَن شِئْتُم ، وبيـنَ أن تُقِصَّ[6] مِن نفسِك ، فإن أبَيْتَ فإنَّ القومَ قاتِلُوك[7] . فقال : أمّا أن أخْلَعَ لهم أمرَهم ، فما كنتُ لأخلَعَ سِرْبالًا سَرْبَلَنِيه اللَّهُ ، وأمّا أن أُقِصَّ[8] لهم مِن نفسِى ، [9]فواللَّهِ لقد علِمْتُ أنَّ صاحِبَىَّ بيـنَ يدىَّ قد كانا يُعاقِبانِ ، وما يقومُ بَدَنى بالقِصاصِ ، وأمَّا أن يَقْتُلُونى[9] ، فواللَّهِ لَئن قَتَلْتُمونى[10] لا تَحابُّون[11] بعدِى أبدًا[12] ، ولا تُصَلُّون[13] بعدِى جميعًا أبدًا[14] ،

---

(١) تاريخ خليفة ١ / ١٨٣، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٠٨، من طريق خليفة به .

(٢) فى م ، ص : « عوف » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٠٢.

(٣) فى م ، ص : « رباب » . وانظر التاريخ الكبير ٨/ ١٩١.

(٤) كذا فى النسخ ، وتاريخ دمشق . وفى تاريخ خليفة : « ثلاثا » .

(٥) فى م : « يخبرونك » .

(٦) فى م ، ص : « تقتص » .

(٧) بعده فى تاريخ خليفة : « قال ما من إحداهن بد قال : ما من إحداهن بد » ، وكذا فى تاريخ دمشق بزيادة : « يعنى » بعد : « بد » فى الموضع الأول .

(٨) فى م ، ص : « أقتص » .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) فى ا ٧، تاريخ خليفة : « قتلونى » .

(١١) فى تاريخ خليفة : « يتحابون » .

(١٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(١٣) فى تاريخ خليفة : « يضلون » .

(١٤) سقط من : م ، ص .

ولا تقاتلون بعدِى[1] عدوًّا جميعًا أبدًا[1] . قال : وجاء رُوَيْجِلٌ كأنَّه ذئبٌ ، فاطَّلَع مِن بابٍ ورجَع ، وجاء محمدُ بنُ [٥/١٦٠ظ] أبى بكرٍ فى ثلاثةَ عَشَرَ رجلًا ، فأخَذ بلِحْيَتِه فقال بها حتى سمِعْتُ وقْعَ أضْراسِه ، فقال : ما أغْنَى عنك معاويةُ ، وما أغْنَى عنك ابنُ عامرٍ ، وما أغْنَتْ عنك كُتُبُك . قال : أرْسِلْ لحْيتى يا ابنَ أخى . قال : فأنا رأيْتُه اسْتَعْدَى[2] رجلًا مِن القومِ بعينِه - يَعْنِى أشار إليه - فقام إليه بمِشْقَصٍ فوجَأ به رأسَه . قلتُ : ثم مَه ؟ قال[3] : ثم تعاوَرُوا[4] عليه [5]واللَّهِ[5] حتى قتَلوه .

وقال سيفُ بنُ عمرَ التميمىُّ[6] ، رحمَه اللَّهُ ، عن الغُصْنِ[7] بنِ القاسمِ ، عن رجلٍ ، عن خَنْساءَ مولاةِ أسامةَ بنِ زيدٍ - وكانت تكونُ مع نائلَةَ بنتِ الفَرافِصَةِ امرأةِ عثمانَ - أنَّها كانت فى الدارِ ، ودخَل محمدُ بنُ أبى بكرٍ فأخَذ بلِحْيَتِه وأهْوَى بمَشاقِصَ معه ليَجَأَ[8] بها فى حلقِه ، فقال : مهلًا يا ابنَ أخى ، فواللَّهِ لقد أخَذْتَ مأْخَذًا ما كان أبوك ليأْخُذَ به . فترَكه وانصرَف مُسْتحييًا نادمًا ، فاسْتَقْبَله القومُ على بابِ الصُّفَّةِ ، فردَّهم طويلًا حتى غلَبوه ، فدَخَلوا وخرَج محمدٌ راجعًا ، فأتاه رجلٌ بيدِه جريدةٌ يَقْدُمُهم حتى قام على عثمانَ ، فضرَب بها رأْسَه فشجَّه ،

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : « استدعى » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « تعاونوا » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ : « تعادوا » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ترجمة عثمان ص ٤١٠ ، ٤١١ ، من طريق سيف به .

(٧) فى الأصل : « الحصين » ، وفى م ، ص : « العيص » ، وليس فى ا ٨ ، ا ٧ . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر : الإكمال ٧ / ٢٤ ، وتهذيب الكمال ١٢ / ٣٢٥ ، والأنساب ٧ / ٣٩٨ .

(٨) فى م : « فيجأ » ، وفى ص : « فيجاء » .

فقطَر دمُه على المصحفِ حتى لطَّخه ، ثم تَغاوَوْا[1] عليه ، فأتاه رجلٌ فضَرَبه على الثدْيِ بالسيفِ[2] ، ووثبَتْ نائِلَةُ بنتُ الفرافِصَةِ الكلبيَّةُ فصاحَتْ وألقَتْ نفسَها عليه وقالت : يا بنتَ شَيْبَةَ أيُقْتَلُ أميرُ المؤْمِنِين ! وأخَذَتِ السيفَ ، فقطَع الرجلُ يدَها ، وانتهَبُوا [3]متاعَ الدارِ[3] ، ومرَّ رجلٌ على عثمانَ ورأْسُه مع المصحفِ ، فضرَبَ رأسَه برِجْلِه ونحّاه عن المصحفِ وقال : ما رأيْتُ كاليومِ وجْهَ كافرٍ أحسنَ ، ولا مَضْجَعَ كافرٍ أكرمَ . فلا[4] واللَّهِ ما ترَكوا فى دارِه شيئًا حتى الأقداحَ إلَّا ذهَبُوا به .

وروَى الحافظُ ابنُ عساكِرَ[5] أنَّ عثمانَ لمّا عزَم على أهلِ الدارِ فى الانصِرافِ ، ولم يَبْقَ عندَه سِوَى أهلِه تَسَوَّرُوا عليه الدّارَ وأحرَقوا البابَ ودخَلُوا عليه ، وليس فيهم أحدٌ مِن الصحابةِ ولا أبنائِهم ، إلَّا محمدَ بنَ أبى بكرٍ ، وسبَقه بعضُهم فضرَبوه حتى غُشِيَ عليه ، وصاح النِّسوةُ فانْذَعَرُوا وخرَجوا ، ودخَل محمدُ بنُ أبى بكرٍ وهو يظُنُّ أنَّه قد قُتِل ، فلمّا رَآه قد أفاق قال : على أىِّ دينٍ أنت [6]يا نَعْثَلُ ؟ قال : على دينِ الإسلامِ ، ولستُ بنَعْثَلٍ ، ولكنِّى أميرُ المؤْمِنِين . فقال[6] : غيَّرْتَ كتابَ اللَّهِ . فقال : كتابُ اللَّهِ بينى وبينَكم . فتقدَّم إليه وأخَذ بلِحْيَتِه وقال : إنَّا لا يُقْبَلُ منّا يومَ القيامةِ أن نقولَ : ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا

---

(١) فى الأصل : « تعاونوا » ، وفى ا ٨، ا ٧: « تعادوا » ، وفى م : « تعاوروا » وفى ص : « تعاووا » ، والمثبت من تاريخ دمشق . وقال ابن الأثير فى النهاية ٣/ ٣٩٨: أى تجمعوا وتعاونوا ، وأصله من الغواية ، والتغاوى : التعاون فى الشر ، ويقال بالعين المهملة . وانظر غريب الحديث لأبى عبيد ٣/ ٤٣٠.

(٢) بعده فى تاريخ دمشق : « فسقط » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « المتاع » ، وفى ص بياض مكان كلمة الدار ، وفى تاريخ دمشق : « البيت » .

(٤) سقط من : ا ٨، ا ٧، وفى م ، ص : « قال » .

(٥) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٠٨، ٤١٢ بنحوه .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وشحَطه[1] بيدِه مِن البيتِ إلى بابِ الدارِ وهو يقولُ: يا ابنَ أخى ما كان أبوك ليأْخُذَ بلِحْيَتى. وجاء رجلٌ مِن كِنْدَةَ مِن أهلِ مصرَ - يُلقَّبُ حمارًا، ويُكْنى بأبى رُومانَ. وقال قتادةُ[2]: اسمُه رومانُ. وقال غيرُه: كان أزرقَ أشقرَ. وقيل: كان اسمُه سُودَانَ بنَ رُومانَ المُرادِىَّ. وعن ابنِ عمرَ[3] قال: كان اسمُ الذى قتَل عثمانَ أسودَ بنَ حُمرانَ ضرَبه بحَرْبَةٍ - وبيدِه السيفُ صَلْتًا [4]فقال: أفْرِجُوا[4]. ثم جاء فضرَبه به فى صدرِه حتى أقْعَصَه[5]، ثم وضَع ذُبابَ السيفِ فى بطنِه واتَّكأ عليه وتحامَلَ حتى قتَلَه، وقامَتْ نائِلَةُ دونَه فقطَع السيفُ أصابعَها، رضِى اللَّهُ عنها.

ويروَى أنَّ محمدَ بنَ أبى بكرٍ[6] طعَنه بمشاقِصَ فى أُذُنِه حتى دخَلَتْ فى حلقِه. والصحيحُ أنَّ الذى فعَل ذلك غيرُه، وأنَّه اسْتَحْيى [٥/١٦١و] ورجَع حينَ قال له عثمانُ: لقد أخَذْتَ بلِحْيَةٍ كان أبوك يكْرِمُها. فتذَمَّم مِن ذلك وغطَّى وجهَه ورجَع وجاحَفَ[7] دونَه فلم يُفِدْ، وكان أمرُ اللَّهِ قدرًا مَقْدُورًا، وكان ذلك فى الكتابِ مَسْطورًا.

---

(١) فى م: «شطحه».

(٢) أخرجه خليفة فى تاريخه ١/ ١٩٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤١٨ من طريق خليفة.

(٣) أخرجه خليفة فى تاريخه ١ / ١٩٠، وعنده: «سودان بن حمران». وابن عساكر فى تاريخ دمشق ترجمة عثمان ص ٤١٨ من طريق خليفة كما أورده ابن كثير. والمشهور فيه: سودان.

(٤ - ٤) فى ا ٨، ا ٧: «فقال: إليكم عنه. فأفرجوا عنه»، وفى م: «قال»، وفى ص: «فقال» وبعده بياض.

(٥) أقعصه: قتله مكانه.

(٦) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٣، وتاريخ الطبرى ٤ / ٣٩٣، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤١٤. وعندهم أن الذى فعل ذلك كنانة بن بشر، وعند ابن عساكر قبله أن محمد بن أبى بكر ضربه بمشقص فى ودجه فأسرع السهم فيه.

(٧) فى ا ٧: «حاجف»، وفى م: «حاجز».

وروَى ابنُ عساكِرَ[1] [2]عن ابنِ أبى عونٍ[2] ، أنَّ كِنانَةَ بنَ بشْرٍ ضرَب جبينَه ومقدَّمَ رأْسِه بعَمُودٍ حديدٍ ، فخَرَّ لجنبِه[3] ، وضرَبه سُودانُ بنُ حُمرانَ المُرادِىُّ بعدَ ما خرَّ لجنبِه فقتَلَه ، وأمّا عمرُو بنُ الحَمِقِ فوثَبَ على عثمانَ فجلَس على صَدْرِه وبه رَمَقٌ ، فطعَنه تسعَ طَعَناتٍ ، وقال : أمّا ثلاثٌ منهُنَّ فللهِ ، وستٌّ لِما كان فى صدْرِى عليه .

وقال الطبرانىُّ[4] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ صَدَقَةَ البغدادىُّ وإسحاقُ بنُ داودَ الصَّوّافُ التُّسْتَرِىُّ ، قالا : ثنا محمدُ بنُ خالدِ بنِ خِدَاشٍ ، ثنا سَلْمُ[5] بنُ قُتَيْبَةَ ، ثنا مُبارَكٌ ، عن الحسنِ قال : حدَّثنى سَيّافُ عثمانَ أنَّ رجلًا مِن الأنصارِ دخَل على عثمانَ فقال : ارجِعْ يا ابنَ أخى فلستَ بقاتِلى . قال : وكيف علِمْتَ ذاك ؟ قال : لأنَّه أُتِىَ بك النبىُّ ﷺ يومَ سابِعِك فحنَّكَك ودَعا لك بالبَرَكةِ . ثم دخَل عليه رجلٌ آخرُ مِن الأنصارِ فقال له مثلَ ذلك سواءً . ثم دخَل محمدُ بنُ أبى بكرٍ فقال : أنت قاتِلى . قال : وما يُدْرِيك يا نَعْثَلُ ؟ قال : لأنَّه أُتِىَ بك رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ سابِعِك ليُحَنِّكَك ويَدْعُوَ لك بالبركةِ ، فخَرِيتَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فوثَب على صَدْرِه وقبَض على لحيتِه ، ووجَأه بمشاقِصَ كانت فى يدِه . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا وفيه نَكارةٌ .

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤١٤ .

(٢ - ٢) سقط من : ا ٨، ا ٧، وفى الأصل، م، ص : « عن ابن عون » . والمثبت من تاريخ دمشق، وطبقات ابن سعد، وعند الطبرى : « أبو عون » . وانظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٤٥٦.

(٣) فى م، ص : « لجنبيه » .

(٤) المعجم الكبير ١ /٣٩ (١١٨) بنحوه . وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٩٤: فيه سياف عثمان ولم يسم، وبقية رجاله وثقوا .

(٥) فى النسخ : « مسلم » ، وعند الطبرانى : « سالم » . وانظر تهذيب الكمال ١١ / ٢٣٢.

وثبَت مِن غيرِ وجهٍ[1] أنَّ أولَ قَطْرةٍ مِن دمِه سقَطَت على قولِه تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]. ويُرْوَى أنَّه كان قد وصَل إليها في التلاوةِ أيضًا حينَ دخَلوا عليه. وليس ببعيدٍ، فإنَّه كان قد وضَع المصحفَ يقْرَأُ فيه القرآنَ.

وروَى ابنُ عساكِرَ[2] أنَّه لمّا طُعِن قال: بسمِ اللَّهِ، توكَّلْتُ على اللَّهِ. فلَمَّا قطَر الدمُ قال: سبحانَ اللَّهِ العظيمِ.

وقد ذَكَر ابنُ جريرٍ في «تاريخِه»[3] بأسانيدِه أنَّ المِصْريين لمّا وجَدوا ذلك الكتابَ مع البريدِ إلى أميرِ مصرَ، فيه الأمرُ بقتلِ بعضِهم، وصلبِ بعضِهم، وبقطعِ أيدِى بعضِهم وأرْجُلِهم، وكان قد كتَبه مَرْوانُ بنُ الحكمِ على لسانِ عثمانَ، متأوِّلًا قولَه تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]. وعندَه أنَّ هؤلاء الذين خرَجوا على أميرِ المؤْمِنين عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، مِن جملَةِ المُفْسِدين في الأرضِ، ولا شكَّ أنَّهم كذلك، لكنْ لم يكنْ له أن يَفْتاتَ على عثمانَ ويكتُبَ على لسانِه بغيرِ علمِه، ويزوِّرَ على خطِّه وخاتَمِه، ويبعَثَ غلامَه على بعيرِه، بعدَ ما وقَع الصلحُ بينَ عثمانَ وبينَ المِصْريين على تأْميرِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ على مصرَ، بخلافِ ذلك كلِّه، ولهذا لمّا

---

(١) تاريخ خليفة ١ / ١٩٠، ١٩١، وطبقات ابن سعد ٣ / ٧٤، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤١٩، ٤٢٠.

(٢) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٤١٨، ٤١٩ من طريق ابن سعد، وهو فى الطبقات ٣ / ٧٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٧٣، ٣٧٧.

وجَدوا هذا الكتابَ على خلافِ ما وقَع الاتِّفاقُ عليه ، وظنُّوا أنَّه مِن عثمانَ ، أعْظَمُوا ذلك ، مع ما هم مُشْتَمِلون [٥/١٦١ظ] عليه مِن الشرِّ ، فرجَعوا إلى المدينةِ ، فطافُوا به على رءُوسِ الصحابةِ ، وأعانَهم على ذلك قومٌ آخَرُون ، حتى ظنَّ بعضُ الصحابةِ أنَّ هذا عن أمرِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فلمّا قيلَ لعثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى أمرِ هذا الكتابِ بحَضرَةِ جماعةٍ مِن أعيانِ الصحابةِ وجُمْهورِ المصْرِيين ، حلَف باللَّهِ العظيمِ - وهو الصادِقُ البارُّ الراشِدُ - أنَّه لم يكْتُبْ هذا الكتابَ ولا أمْلاه على مَن كتَبه ، ولا علِم به ، فقالوا له : فإنَّ عليه خاتَمَك . فقال : إنَّ الرجلَ قد يُزَوِّرُ على خَطِّه وخاتَمِه . قالوا : فإنَّه مع غلامِك وعلى جَمَلِك . فقال : واللَّهِ لم أشْعُرْ بشىءٍ مِن ذلك . فقالوا له بعدَ كلِّ مقالِهِ : إن كنتَ قد كتَبْتَه فقد خُنْتَ ، وإن لم تكنْ قد كَتَبْتَه بل كُتِب على لسانِك وأنت لا تَعْلَمُ فقد عجَزْتَ ، ومثلُك لا يَصْلُحُ للخلافةِ ؛ إمّا لخيانَتِك ، وإمّا لعَجْزِك .

وهذا الذى قالوا باطلٌ على كلِّ تقْديرٍ ، فإنَّه لو فُرِض أنَّه كتَب الكتابَ - وهو لم يكْتُبْه فى نفسِ الأمرِ - لا يَضُرُّه ذلك ؛ لأنَّه قد يكونُ رأَى ذلك مصلحةً للأُمةِ فى إزالةِ شَوْكَةِ هؤلاء البُغاةِ الخارِجين على الإمامِ ، وأمّا إذا لم يكنْ قد علِم به ، فأىُّ عجزٍ يُنْسَبُ إليه إذا لم يكنْ قد اطَّلَع عليه وزُوِّرَ على لسانِه ؟! وليس هو بمَعْصُومٍ ، بل الخطَأُ والغَفْلَةُ جائِزَان عليه ، رضِى اللَّهُ عنه ، وإنَّما هؤلاء الجهَلَةُ البُغاةُ مُتَعَنِّتُون خَوَنَةٌ ظَلَمَةٌ مُفْتَرون ، ولهذا صَمَّموا بعدَ هذا على حَصْرِه والتضْييقِ عليه ، حتى مَنَعُوه الميرَةَ والماءَ والخُروجَ إلى المسجدِ ، وتهدَّدُوه بالقتلِ ، ولهذا خاطَبَهم بما خاطَبَهم به مِن تَوْسِعَةِ المسجدِ وهو أوَّلُ مَن مُنِع منه ، ومِن وقفِه بئرَ رُومَةَ على المُسْلمين وهو أوَّلُ مَن مُنِع ماءَها ، ومِن أنَّه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مسلمٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ إلَّا بإحْدَى ثلاثٍ ؛ النفْسُ بالنفْسِ ، والثيِّبُ

الزّانِى ، والتارِكُ لدينِه المُفارِقُ للجماعَةِ »[1] . وذكَر أنَّه لم يَقْتُلْ نفْسًا ، ولا ارْتَدَّ بعدَ إيمانِه ، ولا زنَى فى جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ ، بل ولا مَسَّ فَرْجَه بيمينِه بعدَ أن بايَعَ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ . وفى رِوايةٍ[2] ، بعدَ أن كتَب بها المُفَصَّلَ . ثم ذكَر لهم مِن فضائلِه ومَناقِبِه ما لعَلَّه يَنْجَعُ فيهم بالكفِّ عنه والرُّجوعِ إلى الطاعةِ للَّهِ ولرسولِه ولأُولِى الأمْرِ منهم ، فأبَوْا إلَّا الاسْتِمْرارَ على ما هم عليه مِن البَغْيِ والعُدْوانِ . ومنَعُوا الناسَ مِن الدُّخولِ إليه والخُروجِ مِن عندِه ، حتى اشْتَدَّ عليه الحالُ ، وضاق المَجالُ ، ونفَد ما عندَه مِن الماءِ ، فاسْتغاثَ بالمسلمين فى ذلك ، فركِب علىٌّ بنفسِه وحمَل معه قِرَبًا مِن الماءِ فبالجَهْدِ حتى أوْصَلَها إليه بعدَ ما ناله مِن جَهَلَةِ أولئك كلامٌ غَلِيظٌ ، وتَنْفِيرٌ لدابَّتِه ، وإخْراقٌ عظيمٌ بليغٌ ، وكان قد زجَرهم أتمَّ الزجْرِ ، حتى قال لهم فيما قال : واللَّهِ إنَّ فارسَ والرومَ لا يفْعَلُون كفِعلِكم هذا بهذا الرجلِ ، واللَّهِ إنَّهم ليَأْسِرُون فيُطْعِمُون ويُسْقُون . فأبَوْا أن يَقْبَلُوا منه حتى رمَى بعِمامَتِه فى وَسَطِ الدارِ ، وجاءَتْ أُمُّ حبيبةَ راكِبَةً بغلةً وحولَها حَشَمُها وخَدَمُها ، فقالوا : ما جاء بك ؟ فقالت : [٥/ ١٦٢و] إنَّ عندَه وصايا بنى أُمَيَّةَ لأيْتامٍ وأرامِلَ ، فأحْبَبْتُ أن أُذَكِّرَه بها . فكذَّبُوها فى ذلك ، ونالَها منهم شدَّةٌ عظيمةٌ ، وقطَعوا حِزامَ البغلةِ وندَّتْ بها ، وكادَتْ [3]أو سقَطَت عنها[3] ، وكادَتْ تُقْتَلُ لولا تلاحَقَ بها الناسُ فأمْسَكُوا بدابَّتِها ، ووقَع أمرٌ كبيرٌ جدًّا ، ولم يَبْقَ يَحْصُلُ لعثمانَ وأهلِه مِن الماءِ إلَّا ما يُوصِلُه إليهم آلُ عمرِو بنِ حزمٍ فى الخُفْيَةِ ليلًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُون .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٠٢) ، والترمذى (٢١٥٨) . وقال : حديث حسن . النسائى (٤٠٣١) ، وابن ماجه (٢٥٣٣) . صحيح ، صحيح سنن أبى داود (٣٧٧٨) .

(٢) انظر تاريخ خليفة ١ / ١٨٩، وتاريخ الطبرى ٤ / ٣٨٤، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤١٦، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٤٥٦. وعندهم أنها أول كف خطت المفصل .

(٣ - ٣) فى ا ٨، ا ٧: «أن تسقط بها» .

ولمَّا وقَع هذا أعْظَمَه الناسُ جدًّا ، ولزِم أكثرُ الناسِ بُيوتَهم ، وجاء وقتُ الحجِّ فخَرَجت أُمُّ المؤْمِنِين عائشةُ فى هذه السنةِ إلى الحجِّ ، فقيل لها : إنَّك لو أقَمْتِ كان أصْلَحَ ، لعلَّ هؤلاء القومَ يَهابُونَك . فقالت : إنِّى أخْشَى أن أُشِيرَ عليهم برأْيٍ ، فيَنالَنِى منهم مِن الأذِيَّةِ ما نال أُمَّ حبيبةَ . فعزَمَتْ على الخروجِ[1] .

واستَخْلَف عثمانُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى هذه السنةِ على الحجِّ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ ، فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ : إنَّ مُقامى على بابِك أُجاحِفُ[2] عنك أفضلُ مِن الحجِّ . فعزَم عليه ، فخرَج بالناسِ إلى الحجِّ ، واستمرَّ الحِصارُ بالدارِ حتى مضَت أيامُ التشْرِيقِ ورجَع البَشِيرُ[3] مِن الحجِّ ، فأخْبَرَ بسَلامةِ الناسِ ، وأخْبَرَ أولئك بأنَّ أهلَ المَوْسِمِ عازِمُون على الرُّجوعِ إلى المدينةِ ليَكُفُّوكم عن أميرِ المؤْمِنِين . وبلَّغَهم أيضًا أنَّ معاويةَ قد بعَث جيشًا مع حَبِيبِ بنِ مَسْلَمَةَ ، وأنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ قد نَفَّذَ آخَرَ مع معاويةَ بنِ حُدَيْجٍ[4] ، وأنَّ أهلَ الكوفةِ قد بعَثوا القَعْقاعَ بنَ عمرٍو فى جيشٍ ، وأنَّ أهلَ البصرةِ بعَثوا مُجاشِعًا فى جيشٍ ، فعندَ ذلك صمَّمُوا على أمرِهم وبالَغُوا فيه ، وانتهَزُوا الفُرْصَةَ بقِلَّةِ الناسِ وغَيْبَتِهم فى الحجِّ ، وأحاطُوا بالدّارِ ، وجَدُّوا فى الحصارِ ، وأحْرَقُوا البابَ ، وتسوَّرُوا مِن الدارِ المُتاخِمَةِ للدارِ ؛ كدارِ عمرِو بنِ حزمٍ وغيرِها ، وجاحَفَ[5] الناسُ عن عثمانَ أشدَّ المُجاحَفَةِ[6] ، واقْتَتَلوا على البابِ قتالًا شديدًا ، وتبارَزُوا وتراجَزُوا بالشعْرِ فى مُبارَزَتِهم ، وجعَل أبو هريرةَ يقولُ : هذا يومٌ طاب امْضِرابُ[7] . وقُتِل طائفةٌ مِن

---

(١) فى الأصل : « الحج » .

(٢) فى ا ٧، م، ص : « أحاجف » .

(٣) فى م : « اليسير » .

(٤) فى الأصل، ا ٨، م، ص : « خديج » . وانظر الإصابة ٦/ ١٤٧.

(٥) فى ا ٧، م، ص : « حاجف » .

(٦) فى ا ٧، م، ص : « المحاجفة » .

(٧) فى ا ٨، ا ٧: « الضراب فيه » ، وفى م : « فى الضرب فيه » ، وفى ص : « أم حرب » . وهو عند =

أهلِ الدارِ، وآخَرُون مِن أولئك الفُجَّارِ، وجُرِح عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ جراحاتٍ كثيرةً، وكذلك جُرِح الحسنُ بنُ عليٍّ، ومَرْوانُ بنُ الحكمِ فقُطِع إحْدَى عِلْباوَيْه[1]، فعاش أوْقَصَ[2] حتى مات.

[3]ومِن أعْيانِ مَن قُتِل مِن أصحابِ عثمانَ، زيادُ بنُ نُعَيْم الفِهْرِيُّ[3]، والمغيرةُ بنُ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، ونِيارُ بنُ [4]عبدِ اللهِ[4] الأسْلَمِيُّ، فى أُناسٍ وقتَ المعْرَكةِ.

ويقالُ: إنَّه انهزَم أصحابُ عثمانَ ثم تراجَعُوا[5]. ولمّا رَأى عثمانُ ذلك عزَم على الناسِ لِيَنْصَرِفُوا إلى بُيوتِهم، فانْصَرَفُوا - كما تقدَّم - فلم يَبْقَ عندَه أحدٌ سِوَى أهلِه، فدخَلُوا عليه مِن البابِ ومِن الجُدْرانِ، وفزِع عثمانُ إلى الصلاةِ وافْتَتَح سورةَ طه - وكان سريعَ القراءةِ - فقَرَأها والناسُ فى غَلَبَةٍ عظيمةٍ، قد احْتَرق البابُ والسقيفةُ التى عندَه، وخافُوا أن يصِلَ الحريقُ إلى بيتِ المالِ، ثم فرَغ عثمانُ مِن صلاتِه وجلَس وبيـنَ يَدَيْه المصحفُ، وجعَل يتْلُو هذه الآيةَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فكان أولَ مَن دخَل عليه [٥/١٦٢ظ]

= الطبرى فى تاريخه ٤ /٣٨٩ بلفظ: «امضرب». وقال: وهذه لغة حمير. وانظر: النهاية ٢ / ١٥٠، ولسان العرب (ط ى ب)، وتاريخ خليفة ١ /١٨٨، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٠١، ٤٣٧.

(١) جمع علباء: وهو عصب فى العنق يأخذ إلى الكاهل. النهاية ٣/ ٢٨٥.

(٢) أوقص يعنى: مائل العنق قصيرها. تاج العروس (و ق ص).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤ - ٤) كذا فى النسخ، وهو موافق لما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٩٠. وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٣٨٢، والكامل ٣/ ١٧٥، والإصابة ٦/ ٤٨٣: نيار بن عياض. ولكن الذى فى تاريخ المدينة ٤/ ١٣٠٨، والإكمال ٧/٤٣٧ أن نيار بن عياض هذا هو أحد من وجأ عثمان بمشاقص.

(٥) فى م: «رجعوا».

رجلٌ يقالُ له : الموتُ الأسودُ . فخنَقه خنقًا شديدًا حتى غُشِى عليه ، وجعَلَتْ نفسُه تَتَرَدَّدُ فى حلقِه ، فتَرَكه وهو يَظُنُّ أنَّه قد قتَله ، ثم[1] دخَل ابنُ أبى بكرٍ فمسَك بلِحْيَتِه ، ثم ندِم[2] وخرَج ، ثم دخَل عليه آخَرُ ومعه سيفٌ فضرَبه به فاتَّقاه بيدِه فقطَعها . فقيل : إنَّه أبانَها . وقيل : بل قطَعها ولم يُبِنْها . إلَّا أنَّ عثمانَ قال : واللَّهِ إنَّها لأولُ[3] يدٍ كتَبَتِ المفصَّلَ . فكان أولُ قَطْرَةِ دمٍ منها سقَطَت على هذه الآيةِ : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة ١٣٧] . ثم جاء آخَرُ شاهِرًا سيفَه ، فاسْتَقْبَلَته نائِلَةُ بنتُ الفَرافِصَةِ لتَمْنَعَه منه ، وأخذتِ السيفَ فانْتَزَعه منها فقطَع أصابعَها ، ثم إنَّه تقدَّم إليه ، فوضَع السيفَ فى بطنِه فتحامَلَ عليه ، رضِى اللَّهُ عن عثمانَ وأرْضاه .

وفى رِوايةٍ[4] أنَّ الغافِقِىَّ بنَ حربٍ تقدَّم إليه بعدَ محمدِ بنِ أبى بكرٍ فضرَبه بحديدةٍ فى يدِه[5] ، ورفَس المصحفَ الذى بينَ يَدَيْه برِجْلِه ، فاسْتَدارَ المصحفُ ثم اسْتَقَرَّ بينَ يَدَىْ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وسالَتْ عليه الدِّماءُ ، ثم تقدَّم سُودَانُ ابنُ حُمْرانَ بالسيفِ فمانَعَتْه نائِلَةُ ، فقَطَع أصابِعَها ، فولَّت فضرَب عَجِيزَتَها بيدِه ، وقال : إنَّها لكبيرةُ العَجِيزَةِ . وضرَب عثمانَ فقتَلَه ، فجاء غلامُ عثمانَ فضرَب

---

(١) فى م ، ص : « و » .
(٢) فى م : « ند » ، وفى ص : « تذمم » .
(٣) فى م : « أول » .
(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٩١.
(٥) فى م ، ص : « فيه » .
(٦) فى ا ٨، ا ٧: « قنبرة » ، وفى م ، ص : « قترة » . وانظر : تاريخ الطبرى ٤ / ٣٤٨.
(٧) فى م : « ذكر » .
(٨) المصدر السابق ٤ /٤١٤ بنحوه .
(٩) فى الأصل : « الناس » .

سُودانَ فقتَلَه ، فضَرَب الغلامَ رجلٌ يقالُ له : قُتَيْرَةُ[٦] . فقَتَلَه .

وروَى[٧] ابنُ جريرٍ[٨] أنَّهم أرادُوا حزَّ رأسِه بعدَ قتْلِه ، فصاح النساءُ[٩] وضرَبْنَ وُجوهَهُنَّ ؛ فيهنَّ امْرَأتاه نائِلَةُ وأُمُّ البَنِينِ[١] و بناتُه ، فقال ابنُ عُدَيْسٍ : اتْرُكُوه . فترَكُوه . ثم مال هؤلاء الفجَرةُ على ما فى البيتِ[٢] فنهَبوه ، وذلك أنَّه نادَى مُنادِيهم[٣] : أيحِلُّ لنا دَمُه ولا يحِلُّ لَنا مالُه ! فانتَهَبُوه ، ثم خرَجوا فأغْلَقُوا البابَ على عثمانَ وقَتِيلَين معه ، فلمّا خرَجُوا إلى صحنِ الدارِ وثَب غلامٌ لعثمانَ على قُتَيْرَةَ[٤] فقتَلَه ، وجعَلُوا لا يَمُرُّون على شيءٍ إلَّا أخَذُوه ، حتى اسْتَلَبَ رجلٌ يقالُ له : كُلْثُومٌ التُّجِيبِيُّ . مُلاءَةَ نائِلَةَ ، فضرَبَه غلامٌ لعثمانَ فقتَلَه ، وقُتِل الغلامُ أيضًا ، ثم تنادَى القومُ : أنْ أدْرِكوا بيتَ المالِ لا تُسْتَبَقوا إليه . فسمِعَهم حَفَظةُ بيتِ المالِ فقالوا : يا قومُ النَّجاءَ النَّجاءَ ! فإنَّ هؤلاء القومَ لم يَصْدُقوا فيما قالوا مِن أنَّ قصدَهم قيامُ الحقِّ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ ، وغير ذلك ممّا ادَّعَوْا أنَّهم إنَّما قامُوا لأجْلِه ، وكذَبوا إنَّما قَصْدُهم الدُّنيا . فانْهَزَمُوا وجاء الخوارجُ فأخَذُوا مالَ بيتِ المالِ وكان فيه شيءٌ كثيرٌ جدًّا .

---

(١) فى الأصل ، ص : « اليدين » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ : « الوليد » .

(٢) فى الأصل : « بيت المال » .

(٣) فى م ، ص : « مناد منهم » .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : « قنبرة » ، وفى م ، ص : « قترة » .

(٥) هذه الترجمة فى الجزء المفقود من تاريخ ابن عساكر . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠ / ٢٢٧- ٢٢٩ .

(٦ - ٦) فى الأصل : « حنيش أو » ، وفى ا ٨ : « جيش أو خنيس أو حنش » ، وفى ا ٧ : « حنش أو خنيش أو خنش » ، وفى م : « خنش أو خنيش أو خنش » . والمثبت على حسب ما فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٧ . وفى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٣٢ : « يقال له : سهم أبو حبيش » . وانظر ٤٣٥ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٣٢- ٤٣٥ من طريق محمد بن عائذ به .

وقد ذكَر ابنُ عساكِرَ[٥] فى تَرْجمةِ سَهْمِ بنِ [٦]خَنْبَسٍ أبى خَنْبَشٍ، أو خُنَيْسٍ[٦] الأزْدِىِّ - وكان قد شهِد الدارَ - ورَواه محمدُ بنُ عائذٍ[٧]، عن إسماعيلَ بنِ عيّاشٍ، عن محمدِ بنِ يزيدَ الرَّحَبىِّ[١] عنه، وكان قد اسْتَدْعاه[٢] عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى دَيْرِ سَمْعانَ، فسألَه عن مقْتَلِ عثمانَ، فذكَر ما مُلَخَّصُه أنَّ وفدَ [٣]الأشْقِياءِ وهم[٣] وفدُ مصرَ كانوا قد قدِموا على عثمانَ فأجازَهم وأرْضاهم، فانْصَرَفوا راجِعِين، ثم كرُّوا إلى المدينةِ فوافَقُوا عثمانَ قد خرَج لصلاةِ الغَداةِ أو الظهرِ، فحَصَبوه بالحَصا والنِّعالِ والخِفافِ، فانصَرَف إلى الدارِ ومعه أبو هريرةَ والزبيرُ وابنُه عبدُ اللَّهِ وطلحةُ ومَرْوانُ والمغيرةُ بنُ الأخْنَسِ فى أُناسٍ، وأطاف وفدُ مصرَ بدارِه، فاستشارَ الناسَ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ: [٥/١٦٣و] يا أميرَ المؤْمِنِين إنِّى أُشِيرُ بإحْدَى ثلاثِ خصالٍ؛ إمّا أن تُحْرِمَ بعمرةٍ فتَحْرُمَ عليهم دماؤُنا، وإمّا أن نَرْكَبَ معك إلى معاويةَ[٤] بالشامِ، وإمّا أن نخرُجَ فنضْرِبَ بالسيفِ [٥]إلى أن[٥] يَحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَهم، فإنّا على الحقِّ وهم على الباطِلِ. فقال عثمانُ: أمّا ما ذكَرْتَ مِن الإحْرامِ بعمرةٍ فتحرُمُ دِماؤُنا، فإنَّهم يَرَوْنا حلالًا[٦] الآنَ وحالَ الإحرامِ وبعدَ الإحرامِ، وأمّا الذَّهابُ إلى الشامِ فإنِّى أسْتَحْيِى [٧]أن أخرُجَ مِن بينِهم[٧] خائفًا، فيَرانى أهلُ الشامِ وتسمَعَ الأعداءُ مِن الكفارِ ذلك، وأمّا القتالُ فإنِّى أرجُو أن ألقَى اللَّهَ وليس يُهَراقُ بسَبَبِى مِحْجَمَةُ دَمٍ. قال: ثم صلَّينا معه صلاةَ الصبحِ ذاتَ يومٍ، فلمّا فرَغ أقبلَ على الناسِ فقال: إنِّى رأيْتُ أبا بكرٍ وعمرَ أتَيانى الليلةَ

---

(١) فى م: «الرجى».
(٢) فى م: «استعاده».
(٣ - ٣) فى م: «السبائية».
(٤) فى الأصل: «مأمننا».
(٥ - ٥) فى الأصل: «حتى».
(٦) فى ا ٨، ا ٧، م: «ضلالا».
(٧ - ٧) فى الأصل: «من بلدى».

فقالا لى : صُمْ يا عثمانُ ، فإنَّك تُفْطِرُ عندَنا . وإنِّى أُشْهِدُكم أنِّى قد أصبحْتُ صائمًا ، وإنِّى أعْزِمُ على مَن كان يؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَخْرُجَ مِن الدارِ سالمًا مسلومًا منه . فقلنا : يا أميرَ المؤْمِنِين إن خرَجْنا لم نأْمَنْ منهم علينا ، فائْذَنْ لنا أن نكونَ[1] فى بيتٍ مِن الدارِ تكونُ لَنا فيه جماعةٌ ومنَعةٌ . ثم أمَر بابَ الدارِ ففُتِح ودَعا بالمصحفِ فأكبَّ عليه وعندَه امْرَأتاه بنتُ الفَرافِصَةِ الكلبيَّةُ وابنةُ شَيْبَةَ ، فكان أولُ مَن دخَل عليه محمدَ بنَ أبى بكرٍ فأخَذ بلِحْيَتِه ، فقال : دَعْها يا ابنَ أخى ، فواللَّهِ لقد كان أبوك [2]يَتَلَهَّفُ لها[2] بأدْنَى مِن هذا . فاسْتَحْيَى فخرَج فقال للقومِ : قد أشْعَرْتُه لكم . وأخَذ عثمانُ ما امْتُعِطَ[3] مِن لحيتِه فأعْطاه إحْدَى امْرأتَيْه ، ثم دخَل رُومانُ بنُ سُودانَ[4] ، رجلٌ أزرقُ قصيرٌ مُخَدَّدٌ[5] ، عِدادُه مِن مُرادٍ معه جُرْزٌ[6] مِن حديدٍ ، فاسْتَقْبَله فقال : على أىِّ ملةٍ أنت يا نَعْثَلُ ؟ فقال عثمانُ : لستُ بنَعْثَلٍ ، ولكنِّى عثمانُ بنُ عفانَ ، وأنا على ملةِ إبراهيمَ حنيفًا مسلمًا وما أنا مِن المُشْرِكين . فقال : كذَبْتَ . وضرَبه بالجُرْزِ[7] على صُدْغِه الأيسرِ فقتَله فخرَّ ، فأدْخَلَته [8]بنتُ الفَرافِصَةِ[8] بينَها وبينَ ثيابِها - وكانتِ امرأةً[9] جسيمةً ضليعةً - فألقت نفسَها عليه ، وألقت بنتُ شَيْبَةَ نفسَها على ما بَقِى مِن

---

(١) بعده فى ا ٨، ا ٧، م : « معه » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « يتلطف بها » .

(٣) فى الأصل : « أسقط » .

(٤) فى تاريخ دمشق : « وردان » . وتقدم الخلاف فى اسم قاتله فى صفحة ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٥) فى النسخ : « محدد » . والمثبت كما فى مختصر تاريخ دمشق ، وفى تاريخ دمشق : « مجدور » . والمخدد : المهزول قليل اللحم اللسان (خ د د) .

(٦) فى ا ٨، ا ٧: « جرف » ، وفى م : « حرف » . والجُرْزُ : عمود حديد .

(٧) فى ا ٨، ا ٧، م : « بالجرف » .

(٨ - ٨) فى ا ٨، ا ٧، م : « نائلة » .

(٩) سقط من : م .

جسدِه ، ودخَل رجلٌ مِن أهلِ مصرَ بالسيفِ مُصْلَتًا فقال : واللَّهِ لأَقْطَعَنَّ أنفَه . فعالَجَ المرأةَ عنه فغلَبَتْه ، فكشَف عنها دِرْعَها مِن خلفِها حتى نظَر إلى مَتْنِها ، فلمّا لم يصِلْ إليه أدخَلَ السيفَ بينَ قُرْطِها[1] ومَنْكِبِها ، فقبَضَتْ على السيفِ فقطَع أنامِلَها ، فقالت : يا رَباحُ - لغلامِ عثمانَ أسودَ - يا غلامُ ادفَعْ عنِّى هذا الرجلَ . فمشَى إليه الغلامُ فضرَبه فقتَلَه ، وخرَج أهلُ البيتِ يُقاتِلُون عن أنفسِهم ، فقُتِل المغيرةُ بنُ الأخنَسِ وجُرِح مَرْوانُ . قال : فلمّا أمسينا قُلْنا : إن ترَكْتُم صاحِبَكم حتى يُصْبحَ مَثَّلُوا به . فاحْتَمَلْناه إلى بقيعِ الغَرْقَدِ[2] فى جوفِ الليلِ ، وغَشِيَنا سوادٌ مِن خلفِنا فهِبْناهم[3] وكِدْنا أن نتفَرَّقَ عنه ، فنادَى منادِيهم[4] : أن لا رَوْعَ عليكم ، اثْبُتُوا[5] إنَّما جِئْنا لنشْهَدَه معكم - وكان أبو خُنَيْسٍ[6] يقولُ : هم ملائكةُ اللَّهِ - فدَفَنّاه ثم هرَبْنا إلى الشامِ مِن ليلتِنا ، [7]فلقِينا الجيشَ[7] بوادِى القُرَى عليهم[8] حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ[9] .

فصل

ولمّا وقَع هذا الأمرُ العظيمُ الفظيعُ الشنيعُ ، أُسْقِطَ فى أيْدِى الناسِ ، [٥/١٦٣ظ]

---

(١) فى الأصل : « درعها » .

(٢) فى م : « الفرقد » .

(٣) فى الأصل : « حتى هبناهم » .

(٤) فى الأصل : « مناد منهم » .

(٥) فى ا ٨، ا ٧، م : « البثوا » .

(٦) فى الأصل : « حبش » ، وفى ا ٨، ا ٧، م ، تاريخ دمشق : « حبيش » . والمثبت كما فى مختصر تاريخ دمشق .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى م : « عليه » .

(٩) بعده فى ا ٨، م : « قد أتوا فى نصرة عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه » . وليست فى تاريخ دمشق ولا مختصره .

فأعْظَمُوه جِدًّا ، وندِم أكثرُ هؤلاء الجهلةِ الخوارِجِ (١على ما١) صنَعوا ، وأشْبَهوا مَن تقدَّمهم ممّن قصَّ اللَّهُ علينا خبَرَهم فى كتابِه العزيزِ ، مِن الذين عبَدوا العجلَ فى قولِه تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

ولمّا بلَغ الزبيرَ مقْتَلُ عثمانَ - وكان قد خرَج مِن المدينةِ - قال : إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعُون . ثم ترَحَّم على عثمانَ ، وبلَغه أنَّ الذين قتَلوه نَدِموا فقال : تبًّا لهم . ثم تَلا قولَه تعالى : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس : ٤٩، ٥٠] . وبلَغ عليًّا قتلُه ، فترَحَّم عليه ، وسمِع بندَمِ الذين قتَلُوه فتلا قولَه تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ الآية(٢) [الحشر : ١٦] . ولمّا بلَغ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ قتلُ عثمانَ اسْتَغْفَر له وترَحَّم عليه ، وتلا فى حقِّ الذين قتَلُوه : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣، ١٠٤] . ثم قال سعدٌ : اللهمَّ أنْدِمْهم ثم خُذْهم . وقد أقْسَم بعضُ السلفِ باللَّهِ أنَّه ما مات أحدٌ مِن قتَلةِ عثمانَ إلَّا مَقْتُولًا . رَواه ابنُ جريرٍ(٣) . وهكذا يَنْبَغِى أن يكونَ ؛ لوُجوهٍ منها ، دَعْوةُ سعدٍ المُسْتجابةُ ، كما ثبَت فى

(١ - ١) فى م ، ص : « بما » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرج هذه الآثار الطبرى ، فى : تاريخه ٤ / ٣٩٢. وفيه أن الزبير قال : دبروا دبروا . ثم قرأ : ﴿ وحيل بينهم وبين مايشتهون ﴾ [سبأ ٤٥] . وأن طلحة هو الذى قرأ الآية التى من سورة يس ، وأن سعدا قرأ الآية التى من سورة الكهف . وانظر تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٤٧، وفيه ، ذئروا ذئروا . بدلا من : دبروا دبروا .

الحديثِ[1] الصحيحِ[2] . وقال بعضُهم[3] : ما مات أحدٌ منهم حتى جُنَّ .

وقال الواقدىُّ[4] : حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ قال : الذى قتَل عثمانَ كِنانةُ بنُ بِشْرِ بنِ عَتَّابٍ[5] التُّجِيبِىُّ ، وكانتِ امرأةُ مَنْظُورِ بنِ سَيّارٍ الفَزارِىِّ تقولُ : خرَجْنا إلى الحجِّ وما علِمْنا لعثمانَ بقتلٍ ، حتى إذا كنّا بالعَرْجِ[6] سمِعْنا رجلًا يُغَنِّى تحتَ الليلِ :

أَلَا إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ ثلاثةٍ قتيلُ التُّجِيبِىِّ الذى جاء مِن مصرِ

ولمّا رجَع الحَجِيجُ[7] وجَدوا عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قد قُتِل ، وبايَع الناسُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . ولمّا بلَغ أُمَّهاتِ المؤْمِنِين فى أثناءِ الطريقِ أنَّ عثمانَ قد قُتِل ، رَجَعْنَ إلى مكةَ ، فأقَمْنَ بها نحوًا مِن أربعةِ أشهرٍ كما سيأْتى .

فصــلٌ

كانت مدةُ حَصْرِ[8] عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى دارِه أربَعِين يومًا على

---

(١) زيادة من : م ، ص .

(٢) وهو دعاء النبى له : « اللهم سدد رميته وأجب دعوته » . وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٠٠.

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١/ ٤٥ (١٣٤) . من كلام يزيد بن حبيب . وقال فى المجمع ٩/ ٩٤: وإسناده حسن .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٣٩٤ من طريق الواقدى به .

(٥) فى الأصل ، الإصابة ٥/ ٦٥٤: « غياث » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى .

(٦) فى م : « بالمرج » .

والعرج : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج . معجم البلدان ٣ / ٦٣٧.

(٧) فى م : « الحج » .

(٨) فى م ، ص : « حصار » .

المشهورِ. وقيل: كانت بِضْعًا وأربَعِين يومًا. وقال الشعبىُّ[1]: كانت ثِنْتَين وعِشْرِين ليلةً. ثم كان قتلُه، رضِى اللَّهُ عنه، فى يومِ الجُمُعةِ بلا خِلافٍ. قال سيفُ بنُ عمرَ[2] عن مشايخِه: فى آخرِ ساعةٍ منها. ونصَّ عليه مصعبٌ الزُّبَيْرِىُّ[3] وآخَرُون. وقال آخَرون[4]: ضَحْوَةً[5]. وهذا أشبَهُ. وكان ذلك لثمانىَ عَشْرَةَ ليلةً خلَت مِن ذى الحِجَّةِ على المشهورِ. وقيل: فى أيامِ التشريقِ. رَواه ابنُ جريرٍ[1]: حدَّثنى أحمدُ بنُ زُهَيْرٍ، ثنا أبو خَيْثَمَةَ، ثنا وَهْبُ بنُ جريرٍ [6]قال: سمِعْتُ أبى قال[6]: سمِعْتُ يُونُسَ [7]بنَ يزيدَ[7]، عن الزُّهْرِىِّ قال: قُتِل عثمانُ فزَعَم بعضُ الناسِ أنَّه قُتِل فى أيامِ التشريقِ- [8]ورَواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[9]، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ، عن مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ، عن أبيه، عن أبى عثمانَ قال: قُتِل عثمانُ فى أوسْطِ أيّامِ التشريقِ[8]- وقال بعضُهم: قُتِل يومَ الجُمُعَةِ [10]لِثَمانىَ عَشْرَةَ ليلةً[10] خلَت مِن ذى الحِجَّةِ. وقيل: قُتِل يومَ النحرِ. حَكاه

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٤١٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فى م، ص: «بن الزبير».
وانظر نسب قريش ص ١٠١. وفيه أنه بعد العصر.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٤١٦. عن هشام الكلبى ومخرمة بن سليمان الوالبى.

(٥) بعده فى م: «نهارها»، وفى ص: «نهار».

(٦ - ٦) سقط من: النسخ، والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٤ / ٥٢٦، ٣١/ ١٢٢.

(٧ - ٧) فى الأصل: «بن بكير»، وفى م، ص: «عن يزيد». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٥١.

(٨ - ٨) زيادة من: الأصل.

(٩) المسند ٢/ ٧٤. (إسناده صحيح).

(١٠ - ١٠) فى النسخ: «لثلاث». والمثبت من تاريخ الطبرى.

ابنُ عساكِرَ[1] . ويُسْتَشهَدُ له بقولِ الشاعرِ[2] :

ضحَّوْا بأشْمَطَ[3] عُنوانُ السجودِ به يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقرآنا

[٥/١٦٤و] قلتُ[4] : والأولُ هو الأشهرُ . وهو[5] أنَّه قُتِل يومَ الجُمُعةِ لثمانِ عَشْرَةَ ليلةً[6] خلَت من ذى الحِجَّةِ سنةَ خمسٍ وثلاثين ، على الصحيحِ المشهورِ . وقيل : سنةَ ستٍّ وثلاثين . قاله[7] مصعبٌ الزُّبَيْرِىُّ[8] وطائفةٌ . وهو غريبٌ . فكانت خلافتُه ثِنْتَى عشْرَةَ سنةً إلَّا اثْنَىْ عشَرَ يومًا ؛ لأنَّه بُويعَ له فى مُسْتَهَلِّ المحرَّمِ سنةَ أربعٍ وعِشرِين .

فأمَّا عُمْرُه ، رضِى اللَّهُ عنه ، فإنَّه جاوَزَ[9] الثمانِين على المشْهُورِ . فقيل : إحْدَى وثمانِين سنةً . وقال الواقدىُّ[10] وغيرُ واحدٍ[9] : تُوُفِّىَ عن ثِنْتَيْنِ[11] وثمانِين سنةً . [12]وقال صالحُ بنُ كَيْسانَ[12] : وأشهرٍ . وقيل : أربعٍ وثمانِين سنةً . وقال

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٢٧.

(٢) هو حسان بن ثابت . والبيت فى ديوانه ٢١٦. وعزاه إليه فى العقد الفريد ٣ / ٨١، ٤ / ١٥٩، ٢٨٤، ٢٩٨. ونسبه إلى أوس بن مغراء فى خزانة الأدب ٩ / ٤١٨.

(٣) الشمَط ؛ بالتحريك : بياض الشعر من الرأس يخالط سواده ، والرجل أشمط والمرأة شمطاء.

(٤) فى م : « قال » .

(٥) فى م ، ص : « قيل » .

(٦) زيادة من : ا ٨، ا ٧.

(٧) فى م : « قال » .

(٨) فى م : « بن الزبير » . وأخرجه الطبرى عنه فى تاريخه ٤ / ٤١٥.

(٩ - ٩) فى م : « ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان » ، وبعده فى الأصل : « وقال أحمد عن حسن بن موسى عن قتادة » .

(١٠) المصدر السابق ٤ / ٤١٧.

(١١) فى الأصل : « ثلاث » .

(١٢ - ١٢) سقط من : الأصل ، م ، ص . وأخرجه الطبرى ، فى : تاريخه ٤ / ٤١٨.

[1]أحمدُ[2]، عن حسنِ بنِ موسى، [3]حدَّثنا أبو هلالٍ[3]، عن قَتادةَ: تُوُفِّى عثمانُ[1] عن ثمانٍ وثمانِينَ أو تِسْعِين سنةً. وفى روايةٍ عنه[4]: تُوُفِّىَ عن ستٍّ وثمانين سنةً. وعن هشامِ بنِ الكلبىِّ[5]: تُوُفِّىَ عن خمسٍ وسَبْعين سنةً. وهذا غريبٌ جدًّا. وأغربُ منه ما رَواه سيفُ بنُ عمرَ[5] عن مَشايخِه؛ وهم محمدٌ وطلحةُ وأبو عثمانَ وأبو حارثةَ أنَّهم قالوا: قُتِل عثمانُ، رضِى اللَّهُ عنه، عن ثلاثٍ وستِّين سنةً.

وأمّا موضعُ قبرِه، فلا خلافَ أنَّه دُفِن بحَشِّ كَوْكَبٍ - شرقىِّ البقيعِ - وقد بُنِى عليه زمانَ بنى أميةَ قُبَّةٌ عظيمةٌ وهى باقيةٌ إلى اليومِ. قال الإمامُ مالكٌ[6]: بلَغَنى أنَّ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، كان يَمُرُّ بمكانِ قبرِه مِن حَشِّ كَوْكَبٍ فيقولُ: إنَّه سيُدْفَنُ هـٰهُنا رجلٌ صالحٌ.

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ[7] أنَّ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، بَقِىَ بعدَ أن قُتِل ثلاثةَ أيامٍ لا يُدْفَنُ. قلتُ: وكأنَّه اشْتَغَل الناسُ عنه بمُبايعةِ علىٍّ، رضِى اللَّهُ عنه، حتى تَمَّتْ. وقيل: إنَّه مَكَث لَيْلَتَيْن. وقيل: بل دُفِن مِن لَيْلَتِه. ثم كان دفنُه ما بينَ المغربِ والعشاءِ خِيفَةً مِن الخوارجِ. وقيل: بل اسْتُؤْذِن فى ذلك بعضُ رُؤسائِهم.

(١ - ١) فى ا ٨، ا ٧: «قتادة»، وفى م، ص: «قتادة: توفى».

(٢) المسند ١ /٧٤ بنحوه. (إسناده منقطع).

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والتصويب من المسند. وانظر تهذيب الكمال ٢٥ /٢٩٣.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ /٤١٨. وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٢٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٤ /٤١٨.

(٦) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١ /٣٤ (١٠٩). وقال الهيثمى فى المجمع ٩ /٩٥: ورجاله ثقات. وانظر الاستيعاب ٣ /١٠٤٨.

(٧) تاريخ الطبرى ٤ /٤١٢.

فخرَجوا به فى نفرٍ قليلٍ مِن الصحابةِ ؛ منهم[1] حكيمُ بنُ حِزامٍ ، وحُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى ، وأبو الجَهْمِ بنُ حذيفةَ ، ونِيارُ[2] بنُ مُكْرَمٍ الأسلمىُّ ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وكعبُ بنُ مالكٍ ، وطلحةُ ، والزبيرُ ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وجماعةٌ مِن أصحابِه ونسائِه ؛ منهُنَّ امْرَأتاه نائلةُ وأُمُّ البَنِين[3] بنتُ عُيَيْنَةَ[4] بنِ حِصْنٍ[5] ، وصِبْيانٌ . وهذا مجموعٌ مِن كلامِ الواقدىِّ وسيفِ بنِ عمرَ التميمىِّ[6] .

[7]قال أحمدُ[8] : ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ قال : صلَّى الزبيرُ على عثمانَ ودفَنه وكان أوْصَى إليه . وروَى عبدُ اللَّهِ[9] مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ فَرُّوخَ ، [10]عن أبيه[10] : شهِدْتُ عثمانَ دُفِن فى ثيابِه بدِمائِه ولم يُغَسَّلْ[7] .

[11]وحمَله جماعةٌ مِن خَدَمِه[11] بعدَ ما غَسَّلُوه وكفَّنُوه . وزعَم بعضُهم أنَّه لم يُغَسَّلْ ولم يُكَفَّنْ . والصحيحُ الأولُ . وصلَّى عليه جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ . وقيل : الزبيرُ بنُ العوامِ . وقيل : حَكِيمُ بنُ حِزامٍ . وقيل : مَرْوانُ بنُ الحكمِ . وقيل : المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ . وقد عارَضَه بعضُ الخوارجِ وأرادوا رجْمَه وإلقاءَه عن سريرِه ،

---

(١) فى م : « فيهم » .

(٢) فى الأصل : « بيان » . وانظر الإصابة ٦/ ٤٨٤.

(٣) فى الأصل : « المنذر » .

(٤) فى ا ٨، ا ٧، م : « عتبة » ، وفى ص : « عبد الله » .

(٥) فى م ، ص : « حصين » .

(٦) تاريخ الطبرى ٤ / ٤١٢- ٤١٥.

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل .

(٨) المسند ١ / ٧٤. (إسناده منقطع) .

(٩) المسند ١ / ٧٣. وقال الشيخ شعيب ١/ ٥٤٨: إسناده ضعيف .

(١٠ - ١٠) تكملة من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٥ / ٤٢٧.

(١١ - ١١) فى الأصل ، م ، ص : « وجماعة من خدمه حملوه على باب » .

وعزَموا على أن يُدْفَنَ بمقبرةِ اليهودِ بدَيْرِ سَلْعٍ ، حتى [1] بلَغ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، فبعَث [1] إليهم مَن نَهاهم عن ذلك . وحمَل جِنازَتَه حكيمُ بنُ حِزامٍ [2] وأبو جَهْمِ ابنُ حذيفةَ ونِيارُ بنُ مُكْرَمٍ [3] وجبيرُ بنُ مُطْعِمٍ [3] .

وذكَر الواقدىُّ [4] [٥/١٦٤ظ] أنَّه لمّا وُضِع ليُصَلَّى عليه - عندَ مُصَلَّى الجنائزِ - أراد بعضُ الأنصارِ أن يَمْنَعَهم مِن ذلك ، فقال أبو جَهْمِ بنُ حذيفةَ : ادْفِنُوه ، فقد صلَّى اللَّهُ عليه وملائكَتُه . ثم قالوا : لا يُدْفَنُ فى البقيعِ ، ولكنِ ادْفِنُوه وراءَ الحائطِ . فدَفَنوه شرقِىَّ البقيعِ تحتَ نَخَلاتٍ هناك .

وذكَر الواقدىُّ [5] أنَّ عُمَيْرَ بنَ ضابِئٍ نَزا على سريرِه وهو موضوعٌ للصلاةِ عليه ، فكسَر ضِلَعًا مِن أضْلاعِه ، وقال : أحبَسْتَ [6] ضابئًا حتى مات فى السجنِ ؟ وقد قتَل الحجاجُ فيما بعدُ عُمَيْرَ بنَ ضابِئٍ هذا .

وقال البخارىُّ فى « التاريخِ » [7] : حدَّثَنا موسى بنُ إسماعيلَ ، عن عيسى بنِ مِنْهالٍ ، ثنا غالِبٌ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ قال : كنتُ أطوفُ بالكعبةِ وإذا رجلٌ يقولُ : اللهمَّ اغْفِرْ لى ، وما أظُنُّ أن تَغْفِرَ لى . فقلتُ : يا عبدَ اللَّهِ ما سمِعْتُ أحدًا

(١ - ١) فى ا ٨، ا ٧: « بعث على » ، وفى م : « بعث على رضى اللَّه عنه » ، وفى ص : « بعث إليهم على رضى اللَّه عنه » .

(٢) بعده فى م ، ص : « وقيل : مروان بن الحكم ، وقيل : المسور بن مخرمة » . وانظر طبقات ابن سعد ٣ / ٧٨، وتاريخ الطبرى ٤ / ٤١٣، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٤٠.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٤١٣. بنحوه .

(٥) المصدر السابق .

(٦) فى تاريخ الطبرى : « سجنت » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٥٨. من طريق البخارى به .

يقولُ ما تقولُ . قال : كنتُ أعطَيتُ اللَّهَ[1] عهدًا إن قَدَرْتُ أن أَلْطِمَ وجهَ عثمانَ إلَّا لَطَمْتُه ، فلمّا قُتِل وُضِع على سريرِه فى البيتِ والناسُ يَجِيئُون فيُصَلُّون عليه ، فدخَلْتُ كأنِّى أُصَلِّى عليه ، فوجَدْتُ خَلْوةً فرفَعْتُ الثوبَ عن وجهِه[2] فلطَمْتُه ، [3]وسَجَّيْتُه[3] وقد يَبِسَتْ يَمِينِى . قال ابنُ سيرينَ : فرأيْتُها يابسةً كأنَّها عُودٌ .

ثم خرَجُوا[4] بعبدَىْ عثمانَ اللذَيْن قُتِلا فى الدارِ ؛ وهما صُبَيْحٌ ونُجَيْحٌ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، فدُفِنا إلى جانبِه بحَشٍّ كَوْكَبٍ . وقيل : إنَّ الخوارجَ لم يُمَكِّنُوا مِن دَفْنِهما ، بل جَرُّوهما بأرجُلِهما حتى ألقَوْهما بالبَلاطِ فأكَلَتْهما الكلابُ .

وقد اعْتَنَى معاويةُ فى أيامِ إمارتِه بقبرِ عثمانَ ، ورَفَع الجدارَ بينَه وبينَ البقيعِ ، وأمَر الناسَ أن يَدْفِنُوا مَوْتاهم حولَه [5]حتى اتصَلَت بمقابرِ المسلمين[5] .

---

(١) فى م ، ص : « لله » .
(٢) بعده فى م : « ولحيته » .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى م ، ص : « أخرجوا » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

ذِكْرُ صِفَتِه، رضِى اللَّهُ عنه

كان رضِى اللَّهُ عنه، حسَنَ الوجهِ، رقيقَ[1] البشَرةِ، كبيرَ اللحيةِ، معتدِلَ القامةِ، عظيمَ الكرَاديسِ[2]، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن، كثيرَ شعْرِ الرأسِ، حسَنَ الثَّغْرِ، فيه سُمْرةٌ. [3]وقيل: بياضٌ[3]. وقيل: كان فى وجهِه شىءٌ مِن آثارِ الجُدَرِىِّ، رضِى اللَّهُ عنه. وعن الزهرىِّ[4]: كان حسنَ الوجهِ والشعْرِ[5]، مربوعًا أضْلَعَ[6]، أرْوَحَ[7] الرِّجْلَيْن.

[8]وقال الإمامُ أحمدُ[9]: ثنا عبدُ الصمدِ، ثنا سالمٌ أبو جُمَيْعٍ، ثنا الحسنُ، وذكَر عثمانَ وشدَّةَ حيائِه، فقال: إنْ كان ليكونُ فى البيتِ والبابُ عليه مغْلَقٌ، فما يَضَعُ عنه الثوبَ ليُفِيضَ عليه الماءَ؛ يَمْنَعُه الحياءُ أن يُقِيمَ صُلْبَه.

وقال عبدُ اللَّهِ[10]: حدَّثَنا زيادُ بنُ أيوبَ، ثنا هُشَيْمٌ قال: زعَم أبو المِقْدامِ، عن الحسنِ بنِ أبى الحسنِ قال: دخَلْتُ المسجدَ فإذا أنا بعثمانَ بنِ عفانَ[8]

---

(١) فى م، ص: «دقيق».

(٢) الكراديس؛ جمع كردوس: وهو كل عظمين التقيا فى مفصل.

(٣ - ٣) سقط من: م، وفى الأصل: «وقيل: بيان».

(٤) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ١٦. وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤١٩.

(٥) فى الأصل، م، ص: «الثغر».

(٦) فى الأصل، ا ٨، م، ص، وفى تاريخ الطبرى: «أصلع».
المربوع: الوسيط القامة. والأضلع: الشديد القوى الأضلاع.

(٧) الأروح: الذى تتدانى عقباه ويتباعد صدرا قدميه.

(٨ - ٨) سقط من: ص، وفى ا ٨، ا ٧: «يخضب بالصفرة، وقد كان شد أسنانه بالذهب وقد كسا ذراعيه الشعر». ومثله فى م إلا أن فيها: «وكان قد». بدلا من: «وقد كان».

(٩) المسند ١ / ٧٣، ٧٤. إسناده صحيح.

(١٠) المسند ١ / ٧٣. إسناده ضعيف.

(١ مُتَوَكِّئٌ على رِدائِه ، فأتاه سَقَّاآن يَخْتَصِمان[٢] فقضَى بينَهما ، ثم أتَيْتُه فنظَرْتُ إليه فإذا رجلٌ حسَنُ الوجهِ ، بوَجْنَتَيْه[٣] نَكَتاتُ جُدَرِيٍّ ، وإذا شَعْرُه قد كَسا ذِراعَيْه . وقال واقِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ[٤] : حدَّثَنى مَن رَأى عثمانَ بنَ عفانَ ضَبَّبَ أسْنانَه بالذهبِ ١) .

وقال الواقدىُّ[٥] : حَدَّثَنا ابنُ أبى سَبْرَةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى زيدٍ[٦] ، عن الزهرىِّ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ قال : كان لعثمانَ عندَ خازنِه يومَ قُتِل ، ثلاثون ألفَ ألفِ درهمٍ وخمسُمائةِ ألفِ درهمٍ ، [٧]وخمْسون[٧] ومائةُ ألفِ دينارٍ ، فانتُهِبَتْ وذهَبَت ، وترَكَ ألفَ بعيرٍ بالرَّبَذَةِ ، وترَكَ صدقاتٍ كان [٥/١٦٥و] تصدَّقَ بها ؛ ببئرِ[٨] أَرِيسٍ ، وخيبرَ ، ووادِى القُرَى ، [٩]قيمَةَ مائتى[٩] ألفِ دينارٍ[١٠] .

[١١]وقال الإمامُ أحمدُ[١٢] : ثنا أبو[١٣] المغيرةِ ، ثنا أرْطاةُ بنُ المنذرِ ، ثنا أبو عَوْنٍ الأنصارىُّ أنَّ عثمانَ قال لابنِ مسعودٍ : هل أنت مُنْتَهٍ عمّا بلَغَنى عنك[١١] ؟

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى المسند : « إليه » .

(٣) فى المسند : « بوجنته » .

(٤) المسند ١ / ٧٣. من زوائد عبد الله . (إسناده ضعيف) .

(٥) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٦، ٧٧، تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٥٤.

(٦) فى الأصل : « سعيد » وفى ص : « يزيد » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

(٨) فى م ، ص : « بئر » .

(٩ - ٩) فى الأصل ، م ، ص : « فيه مائتا » . والمثبت من مصدر التخريج .

(١٠) بعده فى م : « وبئر رومة كان اشتراها فى حياة النبى ﷺ وسبلها » . وفى الحاشية إشارة إلى أنها زيادة من عقد الجمان منسوبة لابن كثير .

(١١ - ١١) زيادة من : الأصل .

(١٢) المسند ١ / ٦٦، بنحوه : إسناده ضعيف . وانظر تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(١٣) فى الأصل : « المغيرة » . والمثبت من المسند .

[1] فاعْتَذَر بعضَ العذرِ. فقال عثمانُ: إنِّى قد سمِعْتُ وحفِظْتُ، وليس كما سمِعْتَ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّه سيُقْتَلُ أميرٌ[2]، [3]ويَنْتَزِى مُنْتَزٍ[3]». وإنِّى أنا المقْتولُ وليس عمرُ، إنَّ عمرَ قتلَه واحدٌ، وإنَّه سيُجْتَمَعُ علىَّ.

وقال أحمدُ[4]: ثنا وكيعٌ، عن إسماعيلَ، عن قيسٍ قال: حدَّثَنى أبو سَهْلَةَ أنَّ عثمانَ قال يومَ الدارِ: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عهِد لى عهدًا، فأنا صابرٌ عليه. قال قيسٌ: فكانوا يَرَوْنَه ذلك اليومَ.

ورَواه الترمذىُّ، مِن حديثِ وكيعٍ ويحيى بنِ سعيدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[5].

وفى «مسندِ أبى يعلَى»[6]، مِن طريقِ أبى سَهْلَةَ قال: قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتُبْتَلَى بعدِى فلا تُقاتِلْ»[1].

فصـــلٌ

قال الأعمشُ[7]، عن زيدِ بنِ وهبٍ، عن حذيفةَ أنَّه قال: أولُ الفتنِ قتْلُ عثمانَ، وآخرُ الفتنِ الدَّجّالُ.

وروَى الحافظُ ابنُ عساكِرَ[8]، مِن طريقِ شَبَابةَ، عن حَفْصِ بنِ مُوَرِّقٍ

(١ - ١) زيادة من: الأصل.
(٢) فى الأصل: «امرء».
(٣ - ٣) فى الأصل: «يتبرى متبرى». والانتزاء: التسرع إلى الشر.
(٤) المسند ١ /٥٧، ٥٨، ٦٩. (إسناده صحيح).
(٥) الترمذى (٣٧١١). وقال: حديث حسن صحيح غريب. (صحيح الترمذى ٢٩٢٨).
(٦) لم نجده فى مسنده. وأخرجه ابن عساكر من طريقه بنحوه، فى: تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٤. وعزاه السيوطى فى الجامع الكبير ٢ /٦ لأبى يعلى، ورمز لضعفه.
(٧) أخرجه ابن عساكر بلفظ آخر فى: تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٥٨، ٤٥٩.
(٨) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٥٩.

الباهلىّ ، عن حجّاجِ بنِ أبى عثمانَ[1] الصوّافِ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ ، عن حذيفةَ . قال : أولُ الفتنِ قتلُ عثمانَ ، وآخِرُ الفتنِ خُروجُ الدَّجّالِ ، والذى نفسِى بيدِه لا يموتُ رجلٌ وفى قلبِه مثقالُ حبةٍ مِن حبِّ قتلِ عثمانَ ، إلَّا تبِع الدَّجّالَ إن أدْرَكه ، وإن لم يُدْرِكْه آمَن به فى قبرِه .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[2] وغيرُه : أنا محمدُ بنُ سعدٍ ، أنا عمرُو بنُ عاصمٍ الكِلَابىُّ ، ثنا أبو الأشْهَبِ ، حدَّثنى عوفٌ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ قال : اللهمَّ إن كان قتلُ عثمانَ بنِ عفانَ خيرًا ، فليس لى فيه نصيبٌ ، وإن كان قتلُه شرًّا ، فأنا منه بَرِىءٌ ، واللَّهِ لَئِن كان قتلُه خيرًا لتَحْلُبُنَّه[3] لبنًا ، ولَئِن[4] كان قتلُه شرًّا لتَمْتَصُّنَّ[5] به دمًا . وقد ذكَره البخارىُّ فى « صحيحِه »[6] .

طريقٌ أُخْرَى عنه : قال محمدُ بنُ عائذٍ[7] : ذكَر يحيى[8] بنُ حمزةَ ، حدَّثنى أبو عبدِ اللَّهِ النَّجْرانىُّ[9] أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ فى مرضِه الذى هلَك فيه ، كان عندَه رجلٌ مِن إخوانِه وهو يُناجِى امرأتَه ، ففتَح عَيْنَيه فسألهما[10] فقالا : خيرٌ[11] . فقال :

---

(١) فى ا ٨، ا ٧، م، ص: «عمار». وانظر: تهذيب الكمال ٥ / ٤٤٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريقه فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٨٧. وهو فى الطبقات ٣ / ٨٣.

(٣) فى الأصل: «لتحتلبنه»، وفى ا ٨: «لنحتلبنه»، وفى ا ٧: «لحلينه»، وفى الطبقات: «ليحلبنها».

(٤) فى م، ص: «إن».

(٥) فى الأصل، ا ٨: «لنمتصى» .، وفى م، ص: «ليمتص». وفى ا ٧ والطبقات «ليمتصن».

(٦) لم نجده فى صحيح البخارى. انظر تحفة الأشراف ٣/ ٥٢. وقد أخرجه ابن أبى شيبة (١٩٥٤٣) من طريق هشام عن محمد بن سيرين بنحوه.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٨٨. من طريق محمد بن عائذ به.

(٨) فى م، ص: «محمد». وانظر: تهذيب الكمال ٣١ / ٢٧٨- ٢٨٠.

(٩) فى ا ٨، ا ٧، م: «الحرانى». وانظر الموضع السابق من تهذيب الكمال.

(١٠) فى ا ٨: «فسألهما ماذا تقولان»، وفى ا ٧، تاريخ دمشق: «فسألها».

(١١) فى م: «خيرا».

إنَّ[1] شيئًا تُسِرّانِه دونى ما هو بخيرٍ . قال : قُتِل الرجلُ . يَعْنِى عثمانَ . قال : فاسترجَع[2] ثم قال : اللهمَّ إنِّى كنتُ مِن هذا الأمرِ بمعْزِلٍ ، فإن كان خيرًا فهو لِمَن حضَره ، وأنا منه برىءٌ ، وإن كان شرًّا فهو لِمَن حضَره ، وأنا منه برىءٌ ، اليومَ نَفَرتِ[3] القلوبُ بأنفارِها[4] ، الحمدُ للَّهِ الذى [5]سبَق بى الفتنَ[5] ، قادتَها وعُلوجَها ، الحظىُّ[6] مَن تردَّى بعيرُه[7] ، فشبِع شحمًا وقلَّ[8] عملُه .

وقال الحسنُ بنُ عرفةَ[9] : ثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ابنِ عُلَيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قتادةَ ، عن أبى موسى الأشعرىِّ قال : لو كان قتلُ عثمانَ هدًى ، لاحْتَلَبَتْ به الأمةُ لبنًا ، ولكنَّه كان ضلالًا ، فاحْتَلَبَتْ به الأمةُ دمًا . وهذا منقطِعٌ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[10] : أنا عارِمُ[11] بنُ الفضلِ ، أنا الصَّعِقُ بنُ حَزْنٍ ، ثنا قتادةُ ، عن زَهْدَمٍ الجَرْمِىِّ قال : خطَب ابنُ عباسٍ فقال : لو لم يَطْلُبِ [٥/١٦٥ظ] الناسُ بدمِ عثمانَ لرُمُوا بالحِجارةِ مِن السماءِ . وقد رُوِى مِن غير هذا الوجهِ عنه[12] .

وقال الأعمشُ[13] وغيرُه ، عن ثابتِ بنِ عبيدٍ ، عن أبى جعفرٍ الأنصارىِّ

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل ، ص : « فرجع » .
(٣) فى ا ٨، ا ٧: « تنكرت »، وفى م، ص : « تغيرت » .
(٤) فى ا ٨، ا ٧: « وتغيرت »، وفى م، ص : « يا عثمان » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « سوى العير » .
(٦) فى ا ٨، م : « الخطى » .
(٧) فى الأصل : « بغير »، وفى ا ٨، ا ٧، م : « بغيره » .
(٨) فى الأصل : « قد »، وفى ا ٨، ا ٧، م : « قبل » .
(٩) أخرجه ابن عساكر، فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٨٩.
(١٠) الطبقات ٣ / ٨٠.
(١١) فى م : « حازم » .
(١٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٥٩ من طريق محمد بن سعد به .
(١٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٦٠، ٤٦١. عن الأعمش به بنحوه .

قال : لمّا قُتِل عثمانُ جِئْتُ عليًّا وهو جالسٌ فى المسجدِ وعليه عِمامةٌ سوداءُ فقلتُ له : قُتِل عثمانُ . فقال : تبًّا لهم آخِرَ الدهرِ . وفى رِوايةٍ[1] : خَيبةً لهم .

وقال أبو القاسمِ البغوىُّ[2] : أنبأَنا علىُّ بنُ الجعدِ ، أنا شَرِيكٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عيسى ، عن ابنِ أبى ليلى . قال : سمِعتُ عليًّا وهو ببابِ المسجدِ ، أو عندَ أحجارِ الزيتِ ، رافعًا صوتَه يقولُ : اللهمَّ إنِّى أبرَأُ إليك مِن دمِ عثمانَ . وقال أبو هلالٍ[3] : عن قتادةَ ، عن الحسنِ قال : قُتِل عثمانُ وعلىٌّ غائبٌ فى أرضٍ له ، فلمّا بلَغه قال : اللهمَّ إنِّى لم أرْضَ ولم أُمالِئْ .

وروَى الربيعُ بنُ بدرٍ[4] ، عن سيّارِ بنِ سلامةَ ، عن أبى العاليةِ أنَّ عليًّا دخَل على عثمانَ ، فوقَع عليه وجعَل يَبْكِى حتى ظنُّوا أنَّه سيَلْحَقُ به .

وقال الثورىُّ[5] وغيرُه ، عن ليثٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال علىٌّ يومَ قُتِل عثمانُ : واللَّهِ ما قتَلْتُ ولا أمَرْتُ ، ولكنِّى غُلِبْتُ . ورَواه غيرُ ليثٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن علىٍّ بنحوِه .

وقال حَبِيبُ بنُ أبى العاليةِ[6] ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال علىٌّ : إن شاء الناسُ حلَفْتُ لهم عندَ مَقامِ إبراهيمَ باللَّهِ ، ما قتَلْتُ عثمانَ ، ولا أمَرْتُ بقتلِه ، ولقد نهَيْتُهم فعصَوْنى . وقد رُوِى مِن غيرِ وجهٍ عن علىٍّ بنحوِه[7] .

---

(١) تاريخ دمشق ص ٤٦١.
(٢) المصدر السابق عن أبى القاسم البغوى به .
(٣) المصدر السابق عن أبى هلال به .
(٤) المصدر السابق عن الربيع بن بدر به بنحوه .
(٥) المصدر السابق ص ٤٦٢ عن الثورى به بنحوه .
(٦) المصدر السابق ص ٤٦٣ عن حبيب بن أبى العالية به بنحوه .
(٧) المصدر السابق ص ٤٦٣ - ٤٦٦ .

وقال محمدُ بنُ يونسَ الكُدَيْمِيُّ[1] : ثنا هارونُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا قُرَّةُ بنُ خالدٍ ، عن الحسنِ ، عن قَيْسِ بنِ عُبَادٍ قال : سمِعْتُ عليًّا يومَ الجملِ يقولُ : اللهمَّ إنِّى أبْرَأُ إليك مِن دمِ عثمانَ ، ولقد طاش عقْلى يومَ قُتِل عثمانُ ، وأنكَرْتُ نفسِى ، وجاءُونى للبيعةِ فقلتُ : واللَّهِ إنِّى لأسْتَحْيِى مِن اللَّهِ أن أُبايِعَ قومًا قتَلوا رجلًا قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألَا أسْتَحْيى ممّن تَسْتَحْيِى منه الملائكةُ » . وإنِّى لأستحيِى مِن اللَّهِ أن أُبايِعَ وعثمانُ قتيلٌ [2]على الأرضِ[2] لم يُدْفَنْ بعدُ . فانصَرَفوا ، فلمّا دُفِن رجَع الناسُ يسْألُونى البيعةَ فقلتُ : اللهمَّ إنِّى لمُشْفِقٌ[3] مِمّا أُقْدِمُ عليه ، ثم جاءَتْ عَزْمَةٌ فبايَعْتُ ، فلمّا قالوا : أميرُ المؤْمِنِين ، فكأنَّما[4] صُدِع قلْبى ، [5]وانْسَكَبْتُ بعَبْرةٍ[5] .

وقد اعْتَنَى الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ ابنُ عساكِرَ[6] بجمعِ الطرقِ الواردةِ عن علىٍّ ، أنَّه تبرَّأَ مِن دمِ عثمانَ ، وكان يُقْسِمُ على ذلك فى خُطَبِه وغيرِها أنَّه لم يَقْتُلْه ، ولا أمَر بقتلِه ، ولا مَالأَ ، ولا رضِى به ، ولقد نَهَى عنه فلم يَسْمَعُوا منه . ثبَت ذلك عنه ، مِن طُرقٍ تُفِيدُ القطعَ عندَ كثيرٍ مِن أئمةِ الحديثِ . وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . وثبَت عنه أيضًا مِن غيرِ وجهٍ أنَّه قال : إنِّى لأرْجُو أن أكونَ أنا وعثمانُ مِمّن قال اللَّهُ تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ

---

(١) أخرجه الحاكم ، فى : المستدرك ٣ / ١٠٣ ، وابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٦٢ . كلاهما عن محمد بن يونس به .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « فى الأرض » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ : « بالأرض » .

(٣) فى م : « أشفق » ، وفى المستدرك : « مشفق » .

(٤) فى الأصل ، ص : « فكان » فى ا ٨ ، ا ٧ : « فكأنه » ، وفى م : « كان » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « وأسكت بغيره » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ ، م « وأسكت نفرة من ذلك » ، وفى ص : « وانسكب سره » . وجاء مكانها فى المستدرك : « فقلت : اللهم خذ منى لعثمان حتى ترضى » . والمثبت كما فى تاريخ دمشق .

(٦) انظر تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٦١ - ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ - ٤٧٦ .

مُّنَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وثبت عنه أيضًا مِن غيرِ وجهٍ أنَّه قال: كان مِن الذين آمنُوا وعمِلوا الصالحاتِ، ثم اتقَوْا وآمنُوا، ثم اتقَوْا وأحسَنُوا. وفى رِوايةٍ[1] أنَّه قال: كان عثمانُ، رضِى اللَّهُ عنه، خيرَنا، وأوصَلَنا للرحمِ، [٥/١٦٦و] وأشدَّنا حياءً وأحسنَنا طُهورًا، وأتْقانا للربِّ عزَّ وجلَّ.

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[2]، عن سليمانَ بنِ حَرْبٍ، عن حمادِ بنِ زيدٍ، عن مجالدٍ، عن عُمَيْرِ بنِ زَوْذِىٍّ[3] أبى كثيرٍ قال: خطَب علىٌّ فقطَع الخوارِجُ عليه خُطبتَه، فنزَل فقال: إنَّ مثَلى ومثَلَ عثمانَ كمثَلِ أثوارٍ ثلاثةٍ؛ أحمرَ وأبيضَ وأسودَ، ومعهم فى أجَمَةٍ أسدٌ، فكان كلَّما أراد قتْلَ أحدِهم منَعه الآخَران، فقال للأسودِ والأحمرِ: إنَّ هذا الأبيضَ قد فضَحَنا فى هذه الأجَمَةِ، فخَلِّيا عنه حتى آكُلَه. فخَلَّيا عنه، فأكلَه، ثم كان كلَّما أراد أحدَهما منَعه الآخرُ، فقال للأحمرِ: إنَّ هذا الأسودَ قد فضَحنا فى هذه الأجَمَةِ، وإنَّ لَوْنِى على لونِك، فلو خلَّيْتَ عنه أكلْتُه. فخلَّى عنه الأحمرُ فأكَله، ثم قال للأحمرِ: إنِّى آكِلُك. فقال: دَعْنِى حتى أَصِيحَ ثلاثَ صَيْحاتٍ. فقال: دونَك. فقال: ألَا إنِّى إنَّما أُكِلْتُ يومَ أكِلَ الأبيضُ[4]. ثلاثًا[5]، ثم قال علىٌّ: وإنَّما أنا وَهَنْتُ يومَ قُتِل عثمانُ. قالَها ثلاثًا[6].

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧٨- ٤٨١. وفيه روايات كثيرة بهذا المعنى.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣ / ١١٨، ١١٩. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٨٢. من طريق يعقوب بن سفيان به. كلاهما بنحوه.

(٣) فى الأصل: «وودى»، وفى ا ٨، والمعرفة والتاريخ: «روزى»، وفى ا ٧، ص: «رودى»، وفى م: «رودى (كذا)». والمثبت كما فى التاريخ الكبير ٦ / ٥٣٩، والجرح والتعديل ٦ / ٣٧٦، وتاريخ دمشق.

(٤) فى م: «البيض».

(٥) بعده فى ا ٨، ا ٧، م: «فلو أنى نصرته لما أكلت».

(٦) بعده فى ا ٨، ا ٧، م: «ولو أنى نصرته لما وهنت».

وروَى ابنُ عساكِرَ[1] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ هارونَ الحضْرَمِيِّ ، عن سَوَّارِ[2] ابنِ عبدِ اللَّهِ العَنْبَرِيِّ[3] القاضى ، عن ابنِ مَهْدِيٍّ ، عن حمّادِ بنِ زيدٍ ، عن يحيى ابنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ قال : كانتِ المرأةُ تجيءُ فى زمانِ عثمانَ إلى بيتِ المالِ ، فتَحْمِلُ وِقْرَها[4] وتقولُ : اللهمَّ بدِّلْ ، اللهمَّ غيِّرْ . فقال حسانُ بنُ ثابتٍ[5] حينَ قُتِل عثمانُ ، رضِى اللَّهِ عنه :

قُلْتُمُ بَدِّلْ فقد بدَّلَكُمْ سَنَةً[6] حرَّى وحَرْبًا كاللَّهَبْ

ما نَقِمتُمْ مِن ثيابٍ خِلْفَةٍ وعبيدٍ وإماءٍ وذهَبْ

قال : وقال أبو حُمَيْدٍ أخو بنى ساعِدَةَ - وكان مِمَّن شهِد بدرًا ، وكان فى مَن جانَبَ عثمانَ - فلمّا قُتِل قال : واللَّهِ ما أرَدْنا قتلَه ، ولا كنّا نرَى أن يَبْلُغَ منه القتلَ ، اللهمَّ إنَّ لك علىَّ أن لا أفعلَ كذا [7]وكذا[7] ، ولا أضْحَكَ حتى ألقاك .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[8] : أنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، أنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن سعيدِ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، قال : لقد رَأَيْتُنِى وإنَّ عمرَ مُوثِقى وأُخْتَه على الإسلامِ ، ولو ارْفَضَّ[9] أحدٌ فيما صنَعْتُم بابنِ عفانَ ،

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) فى النسخ : «سويد» . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر : تهذيب الكمال ١٢ / ٢٣٨.

(٣) فى ا ٨، ا ٧: «العنزى» ، وفى م : «القشيرى» .

(٤) الوقر : الحمل الثقيل .

(٥) الديوان ٢٧٠.

(٦) السنة : القحط والجدب .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) الطبقات ٣ / ٧٩. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٨٥ من طريق محمد بن سعد به .

(٩) قال ابن حجر : ارفض : أى زال من مكانه . فتح البارى ٧/ ١٧٦. وانظر اللسان (ر ف ض) ، (ر ض ض) .

لكان حقيقًا . وهكذا رَواه البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] .

وروَى محمدُ بنُ عائذٍ[2] ، عن إسماعيلَ بنِ عيّاشٍ[3] ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جبيرٍ قال : سمِع عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ رجلًا يقولُ لآخرَ : قُتِل عثمانُ بنُ عفانَ ، فلم يَنْتَطِحْ فيه عَنْزان . فقال ابنُ سلَامٍ : أجل إنَّ البقرَ والمَعْزَ لا تَنْتَطِحُ فى قتلِ الخليفةِ ، ولكنْ تَنْتَطِحُ فيه الرجالُ بالسلاحِ ، واللَّهِ ليُقْتَلَنَّ به أقوامٌ ، إنَّهم لفى أصلابِ آبائِهم مَا وُلِدُوا بعدُ .

وقال ليثٌ[4] ، عن طاوسٍ قال : قال ابنُ سَلَامٍ : يُحَكَّمُ عثمانُ يومَ القيامةِ فى القاتِلِ والخاذِلِ .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ المَحامِلِيُّ[5] : ثنا أبو الأَشْعَثِ ، ثنا حَزْمُ بنُ أبى حَزْمٍ ، سمِعْتُ أبا الأسودِ يقولُ : سمِعْتُ أبا بَكْرَةَ يقولُ : لَأن أخِرَّ مِن السماءِ إلى الأرضِ أحبُّ إلىَّ مِن أن أُشْرَكَ فى دَمِ[6] عثمانَ .

وقال أبو يَعْلَى[7] : ثنا إبراهيمُ [٥/١٦٦ظ] بنُ محمدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، ثنا محمدُ بنُ عَبّادٍ الهُنَائِيُّ[8] ، ثنا البَرَاءُ بنُ أبى فَضالَةَ[9] ، ثنا الحَضْرَمِيُّ ، عن أبى مريمَ رضيعِ

---

(١) البخارى (٣٨٦٢) ، (٣٨٦٧) ، (٦٩٤٢) .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٠ من طريق محمد بن عائذ به بنحوه .
(٣) فى م ، ص : « عباس » . انظر تهذيب الكمال ١٦٣/٣ .
(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ٨١ ، ٨٢ عن ليث به .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ٤٩٢ عن المحاملى به .
(٦) فى الأصل ، م ، ص : « قتل » .
(٧) مسند أبى يعلى (٦٧٦٧) . وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٩٦ : رواه أبو يعلى بإسنادين ، وفى أحدهما من لم أعرفه ، وفى الآخر سفيان بن وكيع وهو ضعيف .
(٨) فى ا ٧ ، ص : « الهنابى » ، وفى ا ٨ : « الهيانى » ، وفى م : « الهنانى » . وانظر : تهذيب الكمال ٢٥ / ٤٤٥ .
(٩) فى الأصل ، م ، ص : « فضال » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ : « فضل » . والمثبت من مصادر التخريج .

الجارُودِ قال : كنتُ بالكوفةِ فقام الحسنُ بنُ عليٍّ خطيبًا فقال : أيُّها الناسُ ، رأيتُ البارحةَ فى منامى عجبًا ؛ رأيتُ الربَّ تبارَكَ وتعالى فوقَ عرشِه ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى قام عندَ قائمةٍ مِن قوائمِ العرشِ ، فجاء أبو بكرٍ فوضَع يدَه على مَنْكِبِ النبيِّ ﷺ ، ثم جاء عمرُ فوضَع يدَه على مَنْكِبِ أبى بكرٍ ، ثم جاء عثمانُ [1] فكان نَبْذَةً [1] ، فقال : ربِّ سلْ عبادَك فيم قتلُونى ؟ فانْبَعَث [2] مِن السماءِ مِيزابان مِن دمٍ فى الأرضِ . قال : فقيل لعليٍّ : ألَا تَرَى ما يُحَدِّثُ به الحسنُ ؟ فقال : حدَّثَ بما رأَى .

ورَواه أبو يَعْلَى [3] أيضًا ، عن سفيانَ بنِ وكيعٍ ، عن جُمَيْعِ بنِ [4] عمرَ بنِ [4] عبدِ الرحمنِ ، عن [5] مُجالِدٍ ، عن طُحْرُبٍ [6] العِجْلِيِّ : سمِعْتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ : ما كنتُ لأُقاتِلَ بعدَ رُؤْيا رأيْتُها ؛ رأيْتُ العرشَ ، ورأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُتَعَلِّقًا بالعرشِ ، ورأيتُ أبا بكرٍ واضعًا يدَه على مَنْكِبِ [7] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان عمرُ واضعًا يدَه على مَنْكِبِ أبى بكرٍ ، ورأيتُ عثمانَ واضعًا يدَه على مَنْكِبِ [7]

(١ - ١) فى الأصل : « فكان بيده - يعنى رأسه - وهو وهم » . وفى م : « فكان بيده يعنى رأسه » . وهذه رواية ابن حمدان كما أشار إليها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٥ . وقال معلقا عليها : وهو وهم . وفى ا ٨، ا ٧: « كأنه ، وضع يده على منكب عمر » ، وفى ص : « فكان بيده » والمثبت من مصدر التخريج .

والنبذة : الناحية .

(٢) فى مسند أبى يعلى : « فانثعب » .

(٣) مسند أبى يعلى (٦٧٦٨) . واللفظ لابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى عن سفيان بن وكيع به . تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٣، ٤٩٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : « عمرو بن » ، وفى م : « عمير عن » . وانظر : تهذيب الكمال ٥ / ١٢٢.

(٥) فى م : « بن » .

(٦) فى م ، ص : « حرب » . وقال الأزدى : لا يقوم إسناد حديثه . ميزان الاعتدال ٢ / ٣٣٥.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

عمرَ ، ورأيتُ دَمًا دونَهم ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقيل : هذا دمُ عثمانَ يَطْلُبُ اللَّهَ به .

وقال مسلمُ بنُ إبراهيمَ[1] : ثنا سَلّامُ بنُ مِسكِينٍ ، عن وَهْبِ بنِ شَبِيبٍ ، عن زيدِ بنِ صُوحانَ أنَّه قال يومَ قُتِل عثمانُ : نفَرتِ القلوبُ مَنافِرَها ، والذى نفسى بيدِه ، لا تَتآلفُ إلى يومِ القيامةِ .

وقال محمدُ بنُ سيرينَ[2] : قالت عائشةُ : مُصْتُموه[3] مَوْصَ[4] الإناءِ ثم قتَلْتُموه .

وقال خليفةُ بنُ خيّاطٍ[5] : ثنا أبو قُتَيْبَةَ ، ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ ، عن عونِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ قال : قالت عائشةُ : غضِبْتُ لكم مِن السوطِ ولا أغضَبُ لعثمانَ مِن السيفِ ! استَعْتَبْتُموه حتى إذا تَرَكْتُموه كالقُلْبِ[6] المصفَّى قتَلْتُموه .

وقال أبو معاويةَ[7] ، عن الأعمشِ ، عن خَيْثَمةَ ، عن مسروقٍ قال : قالت عائشةُ حينَ قُتِل عثمانُ : تَرَكْتُموه كالثوبِ النقىِّ مِن الدنَسِ ثم قتَلْتُموه . وفى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٩، من طريق مسلم بن إبراهيم به .

(٢) أخرجه خليفة فى تاريخه ١ / ١٩١، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٥ من طرق عن محمد بن سيرين عن عائشة .

(٣) فى الأصل، ا ٨، ا ٧: «مصيتموه»، وفى م: «مصصتموه» .

(٤) فى الأصل، ا ٧، م: «مص» .

والموص: الغسل بالأصابع ... أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه . النهاية ٤ / ٣٧٢. وانظر: غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٢٦١، ٢٦٢.

(٥) تاريخ خليفة ١ / ١٩١. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٥ من طريق خليفة به .

(٦) فى ا ٧: «كالقعب»، وفى م: «كالعقب»، وفى ا ٨: «كالثعب»، وفى حاشيتها: «كالقلب . كذا فى الأصل» .

والقلب: السوار من الفضة . النهاية ٤ / ٩٨، اللسان (ق ل ب) .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٦ عن أبى معاوية به .

رِوايةٍ[1] : ثم قرَّبْتُموه فذبَحْتُموه كما يُذْبَحُ الكبشُ . فقال لها مسروقٌ : هذا عملُكِ ، أنتِ كتبْتِ إلى الناسِ تَأْمُرينهم أن يَخْرُجوا إليه . فقالت : لا والذى آمَن به المؤْمِنون ، وكفَر به الكافِرُون ، ما كتبْتُ إليهم سوداءَ فى بيضاءَ حتى جلسْتُ مَجْلِسى هذا . قال الأعمشُ : فكانوا يَرَوْن أنَّه كُتِب على لسانِها . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إليها . وفى هذا وأمثالِه دَلالةٌ ظاهرةٌ على أنَّ هؤلاء الخوارجَ ، قبَّحَهم اللَّهُ ، زَوَّرُوا كُتبًا على لسانِ الصحابةِ إلى الآفاقِ[2] ، يُحَرِّضُونهم على قتالِ عثمانَ ، كما قدَّمْنا بيانَه . وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وقال أبو داودَ الطيالسىُّ[3] : حدَّثنا حَزْمٌ القُطَعِىُّ ، ثنا [4]أبو الأسودِ ، سَوادَةُ[4] ، أخْبَرنِى طَلْقُ بنُ خُشّافٍ[5] . قال : قُتِل عثمانُ فتفرَّقْنا فى أصحابِ محمدٍ ﷺ نسألُهم عن قتلِه ، فسمِعْتُ [٥/١٦٧و] عائشةَ تقولُ : قُتِل مظلومًا لَعَن اللَّهُ قَتَلَتَه .

وروَى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ[6] ، عن أبيه ، عن ثُمامةَ ، عن أنسٍ قال : قالت أُمُّ سُلَيْمٍ لمَّا سمِعَتْ بقتلِ عثمانَ : رحِمه اللَّهُ ، أمَا إنَّهم[7] لن[8]

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٦.

(٢) فى الأصل : «الأقاليم» .

(٣) لم نجده فى مسنده . وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٤ / ٣٥٨. من طريق يحيى بن موسى عن أبى داود به .

(٤ - ٤) فى م : «أبو الأسود بن سوادة» . وهو خطأ واضح ، فسوادة هو ابن أبى الأسود (مسلم بن مخراق) ، وأبو الأسود هو الذى روى عنه حزم القطعى وروى عن طلق بن خشاف ، أما سوادة فيروى عن أبيه ، وانظر : تهذيب الكمال ٥ / ٥٨٨، ١٢ / ٢٣١، ٢٧/ ٥٣٥.

(٥) فى ا ٨، ا ٧، م، ص : «حسان» . وانظر : الإكمال ٣ / ١٥٧.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٩ من طريق الأنصارى - ولم يسمه - به .

(٧) فى م، ص : «إنه» .

(٨) فى ا ٨، ا ٧، م، ص : «لم» .

يَحْتَلِبوا[1] بعدَه إلَّا دَمًا .

وأمّا كلامُ أئمةِ التابِعين فى هذا الفصلِ فكثيرٌ جدًّا يطولُ ذكرُنا له ، فمِن ذلك قولُ أبى مسلمٍ الخَوْلَانىِّ[2] حينَ رَأى الوفدَ الذين قدِموا مِن قَتْلِه[3] : أمَا مَرَرْتُم ببلادِ ثمودَ ؟ قالوا : نعم . قال : أشْهَدُ أنَّكم مثلُهم ، لخَليفةُ اللَّهِ أكرمُ عليه مِن ناقَتِه . وقال ابنُ عُلَيَّةَ[4] ، عن يونسَ بنِ عبيدٍ ، عن الحسنِ قال : لو كان قتلُ عثمانَ هدًى لاحْتَلَبَتْ به الأمةُ لبنًا ، ولكنَّه كان ضلالًا ، فاحتَلَبَت به الأمةُ دمًا . وقال أبو جعفرٍ الباقرُ[5] : كان قتلُ عثمانَ على غيرِ وجهِ الحقِّ .

ذِكْرُ بعضِ ما رُثِى به ، رضِى اللَّهُ عنه

قال مجالدٌ[6] ، عن الشعبىِّ : ما سمِعْتُ مِن مَراثى عثمانَ أحسنَ مِن قولِ كعبِ بنِ مالكٍ :

فكفَّ يديهِ ثم أغلَقَ بابَهُ ... وأيقَنَ أنَّ اللَّهَ ليسَ بغافلِ
وقال لأهلِ الدارِ لا تقتلوهُمُ ... عَفا اللَّهُ عن كلِّ امرئٍ لم يُقاتِلِ
فكيف رأيتَ اللَّهَ صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوةَ والبغضاءَ بعدَ التواصلِ

---

(١) فى الأصل : « يختلفوا » ، وفى م : « يحلبوا » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩٩، ٥٠٠ ، بنحوه .
(٣) بعده فى م : « إنكم مثلهم أو أعظم جرما » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٠٠ ، عن ابن علية به .
(٥) المصدر السابق نفس الموضع .
(٦) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧: « مجاهد » .
وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٤٧، ٥٤٨ ، عن مجالد به .
وانظر الأغانى ١٦ / ٢٣٣، ونهاية الأرب ١٩ / ٥١٢.

وكيف رأيتَ الخيرَ أدبرَ بعدَه عن الناسِ إدبارَ النعامِ الجوافلِ[1]

وقد نسَب هذه الأبياتَ سيفُ بنُ عمرَ[2] إلى [3]المغيرةِ بنِ[3] الأخنسِ بنِ شَرِيقٍ.

وقال سيفُ بنُ عمرَ[4]: وقال حسانُ بنُ ثابتٍ:

ماذا[5] أردْتُمْ مِن أخى الدينِ[6] باركَتْ يدُ اللَّهِ فى ذاك الأديمِ المقدَّدِ

قتلتمْ وليَّ اللَّهِ فى جوفِ دارِهِ وجئْتُمْ بأمرٍ جائرٍ غيرِ مهتدِ

فهلَّا رَعَيْتُمْ ذمَّةَ اللَّهِ بينَكم[7] وأوفَيْتُمْ بالعهدِ عهدِ محمدِ

ألمْ يكُ فيكمْ ذا بلاءٍ ومَصْدَقٍ وأوفاكُمُ قِدْمًا[8] لدَى كلِّ مشهدِ

فلا ظَفِرَتْ أيمانُ قومٍ تبايَعُوا[9] على قتلِ عثمانَ الرشيدِ المسدَّدِ

وقال ابنُ جريرٍ[10]: وقال حسانُ بنُ ثابتٍ، رضِى اللَّهُ عنه:

مَن سرَّه الموتُ صِرْفًا لا مِزاجَ لهُ فلْيأْتِ مَأْسدَةً[11] فى دارِ عثمانَا

---

(١) الجوافل؛ جمع جافلة: وهى التى نفرت فزعة مسرعة.

(٢) انظر تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٤٨.

(٣ - ٣) فى م: «أبى المغيرة»، وفى ص: «المغيرة».

(٤) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٤٥. والأبيات فى ديوان حسان ص ٢١٣.

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ص: «فماذا». والبيت هكذا حسب الديوان وكما فى تاريخ دمشق، وفيه خرم.

(٦) فى الديوان: «الخير».

(٧) فى الديوان: «وسطكم».

(٨) فى ا ٨، ا ٧، م: «عهدا». وهى رواية أخرى للبيت، انظر الديوان.

(٩) فى الديوان: «تظاهرت».

(١٠) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٢٥. والأبيات فى الديوان ٢١٥، ٢١٦.

(١١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ص: «مأدبة». وهكذا فى الاستيعاب ٣ / ١٠٤٩.

(١ مستَشْعِرِى (٢) حَلَقَ الماذِىِّ (٣) قد شُفِعَتْ (٤) قبلَ (٥) المَخاطِمِ (٦) بَيْضٌ (٧) زانَ أبدانا (٨) ١)

ضَحَّوْا بأشمطَ عُنوانُ السجودِ به يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقرآنا (٩)

صبرًا فِدًى لكُمُ أُمِّى وما ولدَتْ قد ينفعُ الصبرُ فى المكروهِ أحْيانا

(١٠ فقدْ رضِينا ١٠) بأرضِ (١١) الشامِ نافرةً (١٢) وبالأميرِ وبالإخْوانِ إخْوانا

إنِّى لمنهمْ وإن غابوا وإن شهِدوا (١٣ مادمتُ حيًّا ١٣) وما سمِّيتُ حسّانا

لتسمَعنَّ وشيكًا فى ديارهمُ اللَّهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا

يا ليتَ شعرِى وليتَ الطيرَ تُخْبِرُنى ما كانَ شأْنُ علىٍّ وابنِ عفانا (١٤)

وقال راعى الإبلِ النُّمَيرِىُّ (١٥) فى عثمانَ :

(١ - ١) سقط من : الأصل.

(٢) فى م ، الديوان : « مستحقبى » . ومستشعرى أى لابسى .

(٣) الماذى : خالص الحديد وجيده .

(٤) فى م ، ص ، الديوان : « سفعت » . وفى الديوان : ويروى شفعت ، يريد قرنت الدروع بالبيض .

(٥) فى م ، الديوان : « فوق » .

(٦) المخاطم : الأنوف .

(٧) بيض ؛ جمع بيضة : وهى الخوذة .

(٨) الأبدان : الدروع .

(٩) لم يرد هذا البيت فى تاريخ الطبرى . وتقدم فى صفحة ٣٢٣ .

(١٠ - ١٠) فى الديوان : « وقد رضيت » .

(١١) فى تاريخ الطبرى ، الديوان : « بأهل » .

(١٢) فى الديوان : « زافرة » .

(١٣ - ١٣) فى الديوان : « حتى الممات » .

(١٤) جاء فى ، م بعد ذلك ثلاثة أبيات منسوبة لحسان ، وثلاثة أخرى منسوبة للفرزدق ، كلها فى رثاء عثمان ، رضى اللَّه عنه ، هذه الأبيات لم ترد فى أى نسخة مما لدينا ، وأشار فى حاشية م إلى أن هذه الأبيات زيادة من تاريخ البدر العينى نقلها فى سياق عبارة ابن كثير » .

(١٥) البيتان ليسا فى ديوانه . وأخرجهما ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٥٥٥.

عشيَّةَ يَدْخُلون بغيرِ إذنٍ على متوكِّلٍ أوْفَى وطابا
خليلُ محمدٍ ووزيرُ صدقٍ ورابعُ خيرِ مَن وطِئَ التُّرابا

فصلٌ

إن قال قائلٌ : كيف وقَع قتلُ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، بالمدينةِ وفيها جماعةٌ مِن كبارِ الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ؟ فجوابُه مِن وُجوهٍ :

أحدُها ، أنَّ كثيرًا منهم ، بل أكثرَهم أو كلَّهم ، لم يكنْ يَظُنُّ أنه يَبْلُغُ الأمرُ إلى قتلِه ، فإنَّ أولئك الأحزابَ [١٦٧/٥ظ] لم يكونوا يحاوِلون قتلَه عَيْنًا ، بل طلَبوا منه أحدَ أُمورٍ ثلاثةٍ ؛ إمّا أن يَعْزِلَ نفسَه ، أو يُسَلِّمَ إليهم مَرْوانَ بنَ الحكمِ ، أو يقتُلُوه ، فكانوا يَرْجُون أن يُسَلِّمَ إلى الناسِ مَرْوانَ ، أو أن يَعْزِلَ نفسَه ويستريحَ مِن هذه الضائقةِ الشديدةِ . وأمّا القتلُ فما كان أحدٌ يَظُنُّ أنَّه يقَعُ ، ولا أنَّ هؤلاء يَجْتَرِئون عليه إلى ما هذا حدُّه ، حتى وقَع ما وقَع . واللَّهُ أعلمُ .

الثانى ، أنَّ الصحابةَ مانَعوا دونَه أشدَّ المُمانعةِ ، ولكنْ لمّا وقَع التضْييقُ الشديدُ ، عزَم عثمانُ على الناس أن يكفُّوا أيديَهم ويَغْمِدوا أسلحتَهم ففعَلوا ، فتمكَّن أولئك ممّا أرادوا ، ومع هذا ما ظنَّ أحدٌ مِن الناسِ أنَّه يُقْتَلُ بالكُلِّيةِ .

الثالثُ ، أنَّ هؤلاء الخوارجَ لمَّا اغْتَنَمَوا غَيْبَةَ كثيرٍ مِن أهلِ المدينة[1] فى أيامِ الحجِّ ، ولم تَقْدَمِ الجُيوشُ مِن الآفاقِ للنُّصرةِ ، بل لمّا اقتَرَب مجيئُهم ، انتَهَزوا فُرْصتَهم ، قبَّحَهم اللَّهُ ، وصنَعوا ما صنَعوا مِن الأمرِ العظيمِ .

الرابعُ ، أنَّ هؤلاء الخوارجَ كانوا قريبًا مِن ألفىْ مقاتلٍ مِن الأبطالِ ، وربَّما لم

---

(١) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : «أو أكثرهم» .

يكنْ فى أهلِ المدينةِ هذه العِدَّةُ مِن المقاتلةِ ؛ لأنَّ الناسَ كانوا فى الثُّغورِ وفى الأقاليمِ فى كلِّ جهةٍ [1] وفى الحجِّ [1] .

ومع هذا كان كثيرٌ مِن الصحابةِ قد اعتزَل هذه الفتنةَ ولزِموا بُيوتَهم ، ومَن كان يحضُرُ منهم المسجدَ لا يجيءُ إلَّا ومعه السيفُ يضَعُه على حَبْوتِه إذا احْتَبَى ، والخوارجُ محدِقُون بدارِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه . وربَّما لو أرادوا صرفَهم عن الدارِ لَما أمكَن ذلك .

ولكنَّ كبارَ الصحابةِ قد بعَثوا أولادَهم إلى الدارِ يُجاحِفون [2] عن عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، لكى تَقْدَمَ الجيوشُ مِن الأمصارِ لنُصرتِه ، فما فجَأ الناسَ إلَّا وقد ظفِر أولئك بالدارِ مِن خارجِها ، وأحرَقوا بابَها ، وتسوَّرُوا عليه حتى قتَلوه .

وأمّا ما يذكُرُه بعضُ الناسِ مِن أنَّ بعضَ الصحابةِ أسْلَمه ورضِى بقتلِه ، فهذا لا يصِحُّ عن أحدٍ مِن الصحابةِ أنَّه رضِى بقتلِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، بل كلُّهم كرِهه ، ومقَتَه ، وسبَّ مَن فعلَه ، ولكنَّ بعضَهم كان يَوَدُّ لو خلَع نفسَه مِن الأمرِ ؛ كعمارِ بنِ ياسرٍ ، ومحمدِ بنِ أبى بكرٍ ، وعمرِو بنِ الحَمِقِ وغيرِهم .

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ [3] : دفَنوا عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، بحَشِّ كَوْكَبٍ ، وكان قد اشْتَراه وزاده فى البقيعِ .

ولقد أحسَن بعضُ السلفِ حيث يقولُ وقد سُئِل عن عثمانَ : هو أميرُ البرَرةِ ، وقتيلُ الفجَرةِ ، مخذولٌ من خذَله ، منصورٌ مَن نصَره .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى ا ٨، ا ٧: « يقاتلون » ، وفى م ، ص : « يحاجفون » . وتجاحفوا : تناول بعضهم بعضًا بالعصى والسيوف .

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٠٤٨.

وقال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذهبيُّ[1] فى آخرِ ترجمةِ عثمانَ وفضائلِه، بعدَ حكايتِه هذا الكلامَ: قلتُ[2]: الذين قتَلوه أو ألَّبُوا عليه قَتَلُوا إلى عفوِ اللَّهِ ورحمتِه، والذين خذَلوه خُذِلوا وتنغَّص عَيْشُهم، وكان المُلْكُ بعدَه فى نائبِه معاويةَ [3]وابْنَيْه، ثم[3] فى وزيرِه مَرْوانَ وثمانيةٍ مِن ذُرِّيتِه، استَطالوا حياتَه ومَلُّوه مع فضلِه وسوابقِه، فتَمَلَّك عليهم مَن هو مِن بنى عمِّه بضْعًا وثمانين سنةً، فالحكمُ للَّهِ العلىِّ الكبيرِ. وهذا لفظُه بحروفِه.

---

(١) لعله ذكر هذا فى كتابه: «التبيان فى مناقب عثمان». وهو غير موجود بين أيدينا.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) فى الأصل: «واستديم»، وفى ا ٨، ا ٧: «وابنه ثم»، وفى م: «وبنيه ثم».

فصلٌ فى الإشارةِ إلى شىءٍ مِن [٥/١٦٨و] الأحاديثِ الواردةِ فى فَضائلِ عثمانَ بنِ عفانَ، رَضِى اللَّهُ عنه

هو عثمانُ بنُ عفانَ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ ابنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ، أبو عَمْرٍو، وأبو عبدِ اللَّهِ، القُرَشِىُّ، الأُمَوِىُّ، أميرُ المؤمنين، ذو النُّورَينِ، وصاحبُ الهجرَتَيْنِ، (١والمصلِّى إلى القبلتيْن١)، وزَوجُ الابْنَتَيْنِ[٢]. وأُمُّه أَرْوَى بنتُ كُرَيْزِ ابنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ. وأُمُّها أُمُّ حكيمٍ؛ وهى البيضاءُ بنتُ عبدِ المطلبِ عَمَّةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وهو أحدُ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجَنةِ، وأحدُ الستَّةِ أصحابِ الشورَى، وأحدُ الثلاثةِ الذين خلَصت لهم الخلافةُ مِن الستَّةِ، ثم تعيَّنت فيه بإجماعِ المهاجِرين والأنصارِ، رَضِى اللَّهُ عنهم، فكان ثالثَ الخلفاءِ الرّاشدين، والأَئمةِ المَهْدِيِّين، المأْمورِ باتِّباعِهم والاقْتِداءِ بهم.

أسْلَم عثمانُ، رَضِى اللَّهُ عنه، قَديمًا على يَدَىْ أبى بكْرٍ الصدِّيقِ، وكان سببُ إسلامِه عجيبًا، فيما ذكَره الحافظُ ابنُ عساكرَ[٣]، ومُلَخَّصُ ذلك أنَّه لمّا بلَغه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ زوَّج ابنتَه رُقَيَّةَ - وكانت ذاتَ جمالٍ - مِن ابنِ عمِّها عُتْبَةَ بنِ أبى لَهَبٍ، تأسَّف إذ لم يَكنْ هو تَزوَّجها، فدخَل على أهلِه مَهمومًا

(١ - ١) زيادة من: ا ٧.

(٢) فى الأصل: «الانثيين».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٠، ٢١ بنحوه.

فوجَد عندَهم خالتَه سُعْدَى بنتَ كُرَيْزٍ - وكانت كاهِنةً - فقالت له :

أَبْشِرْ وَحُيِّيتَ ثَلاثًا تَتْرَا ... ثم ثَلاثًا وثَلاثًا أُخْرَى
ثم بأُخْرَى كى تَتِمَّ عَشْرا ... أتاكَ خَيْرٌ ووُقِيتَ شَرّا
أُنْكِحْتَ واللَّهِ حَصَانًا زَهْرا ... وأنت بِكْرٌ ولَقِيتَ بِكْرا
وافَيْتَها[1] بنتَ عَظيمٍ قَدْرا ... بَنيْتَ[2] أمْرًا[3] قد أشاد ذِكْرا

قال عثمانُ : فعجِبتُ مِن قولِها[4] ؛ حيث تُبَشِّرُنى بامرأةٍ[5] قد تزوَّجت بغيرِى ، فقلتُ : يا خالةُ ، ما تقولِين ! فقالتْ :

عثمانُ

لك الجمالُ ولك اللسانُ ... هذا نبىٌّ معه البُرْهانُ
أَرْسَلَهُ بحقِّه الدَّيّانُ ... وجاءَه التنزيلُ والفُرقانُ
* فَاتْبَعْهُ لا تَغْتالُكَ الأَوْثانُ *

قال : فقلتُ إنَّكِ لتَذكُرين أمرًا ما وقَع ببلدِنا . فقالت : محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، رسولٌ مِن عندِ اللَّهِ ، جاءَ بتَنزيلِ اللَّهِ ، يَدعُو به إلى اللَّهِ . ثم قالت :

مِصباحُه مِصباحُ ... ودينُه فلاحُ
وأمرُه نجاحُ ... وقرنُه نِطاحُ
ذلَّت له البِطاحُ ... ما ينفَعُ الصياحُ

---

(١) فى ا ٨، ا ٧: «وأمها».
(٢) فى الأصل، ا ٨: «بنت». وفى ا ٧: «أتيت».
(٣) فى الأصل: «امرئ». وفى ا ٨: «امراء».
(٤) فى م: «أمرها».
(٥) فى م: «بالمرأة».

لـو وقَـع الذِّبـاحُ وسُلَّـتِ الصِّفـاحُ
* ومُـدَّتِ الرِّمـاحُ *

قال عثمانُ : فانطلقتُ مفكِّرًا فلَقِيَنى أبو بكرٍ فأخبرْتُه ، فقال : وَيْحَك يا عثمانُ ، إنَّك لَرجلٌ حازِمٌ ، ما يَخْفَى عليك الحقُّ مِن الباطلِ ، ما هذه الأصنامُ التى يعبُدُها قومُنا ؟ أليسَتْ مِن حجارةٍ صُمٍّ ؛ لا تَسمَعُ ولا تُبْصِرُ ولا تضُرُّ ولا تَنفَعُ ؟ قال : قلتُ : بلى ، واللَّهِ إنَّها لكذلك . فقال :واللَّهِ لقد صدَقَتْك خالتُك ، هذا رسولُ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قد بعَثه اللَّهُ إلى خَلْقِه برسالَتِه ، هل لك أن تأتِيَه ؟ فاجتمَعْنا برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا عثمانُ أجِبِ اللَّهَ إلى جنته[1] ، فإنِّى رسولُ اللَّهِ إليك وإلى [٥/١٦٨ظ] خلقِه » . قال : فواللَّهِ ما تمالكْتُ حين[2] سمِعتُ قولَه أن أسلَمْتُ وشهِدْتُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شَريكَ له [3]وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه[3] ، ثم لم ألبَثْ أن تزوَّجْتُ رُقَيَةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فكان يُقال : أحْسنُ زَوْجٍ رآه إنسانٌ ؛ رُقيةُ وزوجُها عثمانُ .

فقالت فى ذلك سُعْدَى بنتُ كُرَيْزٍ :

هَدَى اللَّهُ عثمانًا بقولِى إلى الهُدَى وأرشدَه واللَّهُ يَهْدِى إلى الحقِّ
فتابعَ بالرأيِ السديدِ محمدًا وكان برأيٍ لا يَصُدُّ[4] عنِ الصدقِ
وأنْكَحه المبعوثُ بالحقِّ بنتَه فكانا كبدرٍ مازجَ الشمسَ فى الأُفْقِ
فداؤُكَ يا ابنَ الهاشميِّينَ مُهْجَتى وأنتَ أمينُ اللَّهِ أُرسلْتَ للخَلْقِ

---

(١) فى م ، ص : « حقه » .
(٢) فى م : « نفسى منذ » . وفى ص : « منذ » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٤) فى الأصل : « بعيد » .

قال : ثم جاء أبو بكرٍ مِن الغدِ بعثمانَ بنِ مَظْعُونٍ ، وبأبى عُبيدَةَ[1] [2] بنِ الجرّاحِ[2] ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، وأبى سَلَمةَ بنِ[*] عبدِ الأَسَدِ ، والأَرْقَمِ بنِ أبى الأَرْقَمِ ، فأسلَموا وكانوا[3] مع مَنِ اجتمَع مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ثمانيةٌ وثلاثونَ رَجُلًا .

ثم هاجَر إلى الحبشةِ أوَّلَ الناسِ ومعه زوجتُه رُقَيةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم عاد إلى مكَّةَ وهاجَر إلى المدينةِ ، فلمَّا كانت وَقْعَةُ بَدْرٍ اشتغَل بتمريضِ ابنةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأقام بسببِها فى المدينةِ ، فضرَب له رسولُ اللَّهِ ﷺ بسَهْمِه منها وأجرِه فيها ، فهو معدودٌ فيمَن شهِدها . فلمَّا تُوُفِّيَتْ زوَّجه رسولُ اللَّهِ ﷺ بأختِها أُمِّ كُلْثُومٍ ، فتُوُفِّيَتْ أيضًا فى صُحْبتِه ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو كان عندَنا أخْرَى لزوَّجناها بعثمانَ »[4] . وشهِد أُحُدًا وفَرَّ يومئذٍ فيمَن تولَّى ، وقد نَصَّ اللَّهُ تعالى على العَفْوِ عنهم ، وشهِد الخَنْدَقَ والحُدَيْبِيَةَ ، وبايَع عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ بإحْدَى يدَيْه ، وشهِد خَيْبَرَ وعُمْرَةَ القضاءِ ، وحضَر الفتحَ وهَوازنَ والطائفَ وغزوةَ تبوكَ ، وجهَّز فيها[5] جيشَ العُسْرَةِ . فتقدَّم [6] فى روايةٍ[6] عبدِ الرحمنِ بنِ خَبّابٍ أنَّه جهَّزَهم يومئذٍ بثلاثِمائةِ بعيرٍ بأقتابِها وأحلاسِها[7] . وعن عبدِ الرحمنِ ابنِ سَمُرَةَ أنَّه جاء يومئذٍ بألفِ دينارٍ فصبَّها فى حِجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال النبىُّ

---

(١) فى م : « عبيد » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(*) إلى هنا نهاية السقط من المخطوطة ا ١٥.

(٣) فى ا ٨، ا ٧: « كان » .

(٤) لم نجده بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر ، وقد تقدَّم تخريجه بلفظ مقارب فى ٢٤٣/٨ .

(٥) سقط من م ، ص .

(٦ - ٦) فى م : « عن » .

(٧) تقدم فى : ٧ / ١٤٨، ١٤٩.

ﷺ : [1] « ما ضَرَّ عثمانَ ما فعَل بعدَ هذا اليومِ » . مرَّتيْن . و [1] حجَّ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حَجَّةَ الوداعِ ، وتُوُفِّى وهو عنه راضٍ .

[2] وصحِب أبا بكرٍ فأحْسَن صُحْبَتَه ، وتُوُفِّى وهو عنه راضٍ . وصحِب عمرَ فأحْسَن صُحْبَتَه وتُوُفِّى وهو عنه راضٍ [2] - ونَصَّ عليه فى أهلِ الشورَى الستَّةِ ، فكان خيرَهم ، كما سيأتى - فوَلِى الخلافةَ بعدَه ففتَح اللَّهُ على يَدَيْه كثيرًا مِن الأقاليمِ والأمصارِ ، وتوسَّعتِ المملكةُ الإسلاميةُ ، وامتَدَّتِ الدولةُ المحمَّديةُ ، وبُلِّغتِ الرسالةُ المصطفَويَّةُ فى مشارقِ الأرضِ ومغارِبها ، وظهَر للناسِ مصداقُ قولِه تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] . وقولِه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] . وقولِه ﷺ : [3] « إنَّ اللَّهَ زَوَى لى الأرضَ فرأيتُ مَشارِقَها ومغارِبَها وسيبلُغُ مُلْكُ أمَّتِى ما زوَى لى مِنها » [4] . وقولِه ﷺ [3] : « إذا هلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، وإذا هلَكَ كِسرَى فلا كِسرَى بعدَه ، والذى نَفْسِى بيدِه لتُنْفِقُنَّ كُنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » [4] . وهذا كلُّه تحقَّق وقوعُه وتأكَّد وتوطَّد فى زمانِ عثمانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

(١ - ١) سقط من : الأصل . وفى ا ١٥ : « ماضر عثمان بعد هذا اليوم » . وفى ص : « ماضر بعد هذا اليوم » . والحديث تقدم تخريجه فى ٧ / ١٤٨ ، من حديث مولى عبد الرحمن بن سمرة وذلك خطأ ؛ فقد سقط اسم الصحابى - عبد الرحمن بن سمرة - من الرواية المتقدمة فى جميع النسخ التى اعتمدنا عليها فى ذلك الموضع ، وقد صادف ذلك سهوا منا - وجلّ من لا يسهو - والصواب أن الحديث من مسند عبد الرحمن ابن سمرة كما جاء على الصواب هنهنا . ولله الحمد والمنة .

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/١١٦ .

وقد كان ، رَضِى اللَّهُ عنه ، حسَنَ الشكلِ ، مليحَ الوجهِ ، كريمَ الأخلاقِ ، ذا حياءٍ كثيرٍ ، وكرَمٍ غزيرٍ ، يؤثِرُ أهلَه وأقارِبَه فى اللَّهِ ، تأليفًا لقلوبِهم ، مِن متاعِ الحياةِ الدنيا الفانِى ، لعلَّه يرغِّبُهم فى إيثارِ ما يَبْقَى على ما يَفْنَى ، كما كان النبىُّ ﷺ يُعْطِى أقْوامًا ويَدَعُ آخَرِين ؛ يُعطِى أقْوامًا خَشيةَ أن يَكُبَّهم اللَّهُ على وجوهِهم فى النارِ ، ويَكِلُ آخَرِين إلى ما جعَل اللَّهُ فى قلوبِهم مِن الهدَى والإيمانِ ، وقد عابَه[1] بسببِ هذه الخَصلةِ أقوامٌ ، كما عاب[1] بعضُ الخوارجِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الإيثارِ . وقد قدَّمنا ذلك فى غزوةِ حنينٍ[2] حيثُ قسَم غنائِمَها .

وقد ورَدت أحاديثُ كثيرةٌ فى فضلِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، نذكُرُ ما تَيسَّرَ منها إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ ؛ وهى قسمانِ :

الأوَّلُ : فيما ورَد فى فضائِلِه مع غيرِه :

فمِن ذلك : الحديثُ الذى رَواه البخارىُّ فى « صحيحِه »[3] : حدَّثنا مُسدَّدٌ ، ثنا يَحيى بنُ سعيدٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، أنَّ أنسًا حدَّثهم قال : « صعِد النبىُّ ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ، فرجَف ، فقال : « اسْكُنْ أُحُدُ - أظُنُّه ضرَبه برجْلِه - فليس عليك إلَّا نَبىٌّ وصدِّيقٌ وشهيدانِ » . تفرَّد به دونَ مُسْلِمٍ .

وقال التِّرمذىُّ[4] : ثنا قُتيبةُ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن سُهَيلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان على حِراءَ هو وأبو بكرٍ

---

(١) فى الأصل : « يعتب » ، وفى ا ١٥ : « تعتب » ، وفى م ، ص : « تعنت عليه » .
(٢) فى ا ١٥ : « خيبر » . وتقدم ذلك فى : ٧ / ١٠٥- ١٠٩ .
(٣) البخارى (٣٦٩٩) .
(٤) الترمذى (٣٦٩٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩١٧) .

وعمرُ وعثمانُ وعليُّ بنُ أبى طالبٍ وطلحةُ والزُّبيرُ، فتحرَّكتِ الصخرةُ، فقال النبىُّ ﷺ: «اهْدَأْ فما عليك إلَّا نَبىٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ». ثم قال[1]: وفى البابِ: عن عثمانَ، [2]وسعيدِ[2] بنِ زيدٍ، وابنِ عباسٍ، وسَهْلِ[3] بنِ سعدٍ، وأنسِ ابنِ مالكٍ، وبُرَيْدَةَ الأَسْلَمِىِّ، وهذا حديثٌ صحيحٌ. قلتُ: ورواه أبو داودَ[4]، ورَواه التِّرمذىُّ، عن عثمانَ فى خُطبتِه يومَ الدارِ[5]، وقال: على[6] ثَبِيرَ.

حديثٌ آخَرُ: [7]وهو ما ثبَت فى «الصحيحيْن»[8]، مِن حديثِ أبى عثمانَ النَّهْدِىِّ، عن[7] أبى موسى الأشعرىِّ قال: كنتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حائطٍ، فأمَرنى بحفظِ البابِ، فجاء رجلٌ يَستأذِنُ، فقلتُ: مَن هذا؟ قال: أبو بكرٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ». ثم جاء عمرُ فقال: «ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ». ثم جاء عثمانُ فقال: «ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ على بَلْوَى تُصِيبُه». فدخَل وهو يَقولُ: اللهُمَّ صبرًا. وفى روايةٍ: اللَّهُ المستعانُ. رَواه عنه قتادةُ[9]، وأيوبُ السَّخْتِيانىُّ. وقال البخارىُّ[10]: وقال حمادُ بنُ زيدٍ: حدَّثنا

---

(١) انظر: الجامع الصحيح للترمذى ٥ / ٥٨٣.

(٢ - ٢) فى م، ص: «بن سعيد».

(٣) فى م، ص: «سهيل».

(٤) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «أبو الدرداء». والحديث فى سنن أبى داود (٤٦٥١). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٨٨). من حديث أنس بن مالك.

(٥) الترمذى (٣٧٠٣). حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٩٢١).

(٦) زيادة من: م، ص.

(٧ - ٧) فى ا ٨، ا ٧: «وفى الصحيحين من حديث»، وفى م، ص: «وهو عن أبى عثمان النهدى عن».

(٨) البخارى (٣٦٩٥، ٧٢٦٢). ومسلم (٠٠٠ / ٢٤٠٣) وهى رواية أيوب السختيانى واللفظ له. وقد تقدم فى ٩/ ١٥٦.

(٩) فى ا ٧: «أبو قتادة ورواه عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى». وبعده فى ا ٨: «أى رواه عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى الأشعرى». وحديث قتادة أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤ / ٣٩٣.

(١٠) البخارى (٣٦٩٥). وانظر: تغليق التعليق ٤ / ٦٧، ٦٨.

عاصمٌ [٥/١٦٩ظ] الأحولُ وعليُّ بنُ الحكَمِ، سَمِعَا أبا عثمانَ يُحدِّثُ عن أبى مُوسى الأشعرىِّ بنحوِه، وزاد عاصمٌ: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قاعِدًا فى مكانٍ (١فيه ماءٌ١) قد انكَشَف عن رُكْبَتَيْهِ، أو رُكْبَتِه، فلمَّا دخَل عثمانُ غَطّاها. وهو فى «الصحيحَيْنِ»(٢) أيضًا، مِن حديثِ سعيدِ بنِ المسَيَّبِ، عن أبى مُوسَى، وفيه: أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ دَلَّيا أرجلَهما مع رسولِ اللَّهِ فى بابِ القُفِّ وهو فى البئْرِ، وجاء عثمانُ فلم يَجِدْ له مَوضِعًا (٣فجلَس ناحِيةً٣). قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ: فأوَّلْتُ ذلك قُبورَهم؛ اجتَمَعَتْ وانفَرَد عثمانُ.

وقد(٤) قال الإمامُ أحمدُ(٥): حدَّثَنا يَزيدُ بنُ هارونَ(٦)، ثنا محمدُ بنُ عمرٍو، عن أبى سَلَمةَ قال: قال نافعُ بنُ (٧عبدِ الحارثِ٧): خرَجتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل حائطًا فقال لى(٨): «أمْسِكْ علىَّ البابَ». فجاء حتى جلَس على القُفِّ ودَلَّى رِجْلَيْه، فضُرِب البابُ فقلتُ: مَن هذا؟ قال: أبو بكْرٍ. قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ هذا أبو بكرٍ. قال: «ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنَّةِ». فدخَل فجلَس مع رسولِ اللَّهِ ﷺ على القُفِّ ودَلَّى رجْلَيْه فى البئرِ، ثم ضُرِب البابُ، فقلتُ: مَن هذا؟ قال: عمرُ. قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ هذا عمرُ. قال: «ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ». ففعَلتُ، فجاء فجلَس مع رسولِ اللَّهِ ﷺ على القُفِّ ودَلَّى رِجْلَيْه فى

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) البخارى (٣٦٧٤، ٧٠٩٧)، ومسلم (٢٩ /٢٤٠٣).

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) سقط من: م.

(٥) المسند ٣ /٤٠٨.

(٦) فى م، ص: «مروان».

(٧ - ٧) فى م: «الحارث». وانظر الإصابة ٦ /٤٠٨.

(٨) سقط من: م، ص.

البئرِ ، ثم ضُرِب البابُ فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : عثمانُ . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ هذا عثمانُ . قال : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ معها بلاءٌ » . فأذِنتُ له وبشَّرْتُه بالجنةِ ، فجلَس مع رسولِ اللَّهِ ﷺ على القُفِّ ودلَّى رِجْلَيْه فى البئرِ . هكذا وقَع فى هذه الروايةِ . وقد أخرَجه أبو داودَ والنسائىُّ ، مِن حديثِ أبى سَلَمَةَ[1] .

فيَحتَمِلُ أنَّ أبا موسَى ونافعَ بنَ عبدِ الحارثِ كانا مُوكَّلَيْنِ بالبابِ ، أو أنَّها قصةٌ أخرَى .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن عفّانَ ، عن وُهَيْبٍ[3] ، عن مُوسى بنِ عُقْبةَ سمعتُ أبا سَلَمةَ يُحدِّثُ[4] ، ولا أعْلَمُه إلَّا عن نافعِ بنِ عبدِ الحارثِ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل حائطًا ، فجلَس على قُفِّ البئرِ ، فجاء أبو بكرٍ فاستأْذَن ، فقال [5]لأبى مُوسى[5] : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ » . ثم جاء عمرُ فقال : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ » . ثم جاء عثمانُ فقال : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ وسيَلْقَى بلاءً » . وهذا السياقُ أشبهُ مِن الأوَّلِ ، على أنَّه قد رواه النسائىُّ ، مِن حديثِ صالحِ بنِ كَيْسانَ ، عن أبى الزنادِ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ نافعِ بنِ عبدِ الحارثِ ، عن أبى مُوسى الأشعرىِّ[6] فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا يَزيدُ ، أنا هَمّامٌ[8] ، عن قتادةَ ، عن ابنِ سِيرِينَ

---

(١) أبو داود (٥١٨٨) . والنسائى فى الكبرى (٨١٣٢) . وفيه : أن الذى أمسك الباب هو بلال وليس نافع بن عبد الحارث . حسن الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٤٣٢٠) .

(٢) المسند ٣ / ٤٠٨ .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « وهب » .

(٤) زيادة من : المسند .

(٥ - ٥) ليست فى المسند .

(٦) النسائى فى الكبرى (٨١٣١) .

(٧) المسند ٢ / ١٦٥ . (إسناده صحيح) .

(٨) فى ا ١٥ : « هشام » .

ومحمدِ بنِ عبيدٍ ، عن (١ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ١) قال : كنتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فجاء أبو بكرٍ فاستأذَنَ ، فقال : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ » . ثم جاء عمرُ فاستأذَن (٢) ، فقال : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ » . ثم جاء عثمانُ فاستأذَن ، فقال : « ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنةِ » . قال : قلتُ : فأين أنا ؟ قال : « أنتَ مع أبيكَ » . تَفرَّد به أحمدُ . وقد رَواه البزّارُ ، وأبو يَعلَى ، مِن حديثِ أنسِ [٥/١٧٠و] بنِ مالكٍ ، بنحوِ ما تقدَّم (٣) .

حديثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ (٤) : حدَّثنا حَجّاجٌ ، ثنا لَيْثٌ ، حدَّثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن يَحيى بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، (٥ أنَّ سعيدَ بنَ العاصِ أخبرَه ٥) ، أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ وعثمانَ حدَّثَاه ، أنَّ أبا بكرٍ استأذَن على النبيِّ ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ على فراشِه لابِسٌ مِرْطَ عائشةَ ، فأذِنَ لأبى بكرٍ وهو كذلك ، فقضَى إليه حاجتَه ، ثم انصَرَف ، فاستأذَن عمرُ فأذِن له وهو على تلك الحالةِ ، فقضَى إليه حاجتَه ، ثم انصَرَف ، قال عثمانُ : ثم استأذَنتُ عليه ، فجلَس وقال : « اجمَعِى عليكِ ثيابَك » . فقضَيْتُ إليه حاجَتِى ثم انصرَفتُ . فقالت عائشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لى لم أرَكَ فَزِعتَ لأبى بكرٍ وعمرَ كما فَزِعتَ لعثمانَ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن عثمانَ رجلٌ حَيِيٌّ ، وإنِّى خَشِيتُ إن أذِنتُ له على تلك الحالةِ أن لا يُبلِغَ إلىَّ حاجتَه » . قال اللَّيثُ : وقال جماعةُ الناسِ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعائشةَ : « ألَا أستَحِى ممَّن تَستَحِى منه الملائكةُ (٦) ! » . ورَواه مسلمٌ مِن

(١ - ١) فى الأصل : « عبيد الله بن عمر » ، وانظر أطراف المسند ٤/ ٨٧.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) كشف الأستار (١٥٧٢، ١٥٧٣) ، ومسند أبى يعلى (٣٩٥٨) . قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٧٧: « رواه أبو يعلى والبزار ... وفيه صقر بن عبد الرحمن وهو كذاب ، وفى إسناد البزار عتبة أبو عمرو ، ضعفه النسائى وغيره ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات » .

(٤) المسند ١ / ٧١، ٦ / ١٥٥. (إسناده صحيح) .

(٥ - ٥) سقط من : ا ١٥.

(٦) فى الأصل : « ملائكة الرحمن » .

حديثِ [1]اللَّيْثِ بنِ سعدٍ به[2]، ومِن حديثِ صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن الزُّهرِيِّ به[3]. ورَواه مسلمٌ، مِن حديثِ[1] محمدِ بنِ أبى حَرْمَلَةَ، عن عطاءٍ وسليمانَ ابنَى[4] يَسارٍ، و[5] أبى سَلَمةَ[6]، عن عائشةَ[7]. ورَواه أبو يَعلَى الموصِلىُّ، مِن حديثِ سُهَيلٍ، عن أبيه، عن عائشةَ[8]. ورَواه جُبَيرُ بنُ نُفيرٍ، وعائشةُ بنتُ طلحةَ عنها[9].

وقال الإمامُ أحمدُ[10]: حدَّثنا مَرْوانُ، ثنا [11]عبيدُ اللَّهِ[11] بنُ سَيّارٍ[12]، سمِعتُ عائشةَ بنتَ طلحةَ تذْكُرُ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين، رَضِى اللَّهُ عنها: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان جالسًا كاشِفًا عن فخِذِه، فاستأذَن أبو بكرٍ، فأذِن له وهو على حالِه، ثم جاء عمرُ فاستأذَن، فأذِن له وهو على حالِه، ثم استأذَن عثمانُ فأرْخَى عليه ثِيابَه، فلمّا قامُوا قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، استأذَن عليك أبو بكرٍ وعمرُ فأذِنتَ لهما وأنت على حالِك، فلمّا استأذَن عثمانُ أرْخَيْتَ عليك ثِيابَك. فقال: «يا عائشةُ ألَا أستَحِى مِن رَجلٍ، واللَّهِ إنَّ الملائكةَ تستَحى منه!».

(١ - ١) سقط من: م، ص.
(٢) مسلم (٢٧ / ٢٤٠٢).
(٣) مسلم: (٠٠٠ / ٢٤٠٢).
(٤) فى النسخ: «ابن». والمثبت من صحيح مسلم ٤ / ١٨٦٦.
(٥) فى م، ص: «عن».
(٦) فى الأصل: «مسلم».
(٧) مسلم (٢٤٠١).
(٨) لم نجده فى مسند أبى يعلى من هذا الوجه. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٨١، من طريق أبى يعلى به بنحوه.
(٩) المصدر السابق ص ٨١، ٨٢، من طريق جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عن عائشة به.
(١٠) المسند ٦ / ٦٢. وفى إسناده عبيد الله بن سيار. قال الحافظ فى تعجيل المنفعة ص ٢٧٢: قال الحسينى: مجهول. وانظر السلسلة الصحيحة (١٦٨٧).
(١١ - ١١) فى النسخ: «عبد الله». والمثبت من المسند.
(١٢) فى ا ١٥، م: «يسار».

تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخرَى عن حفصةَ : رَواه الحسنُ بنُ عرفةَ[1] ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ[2] عن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ ، [3]عن ابنِ جُرَيجٍ[3] ، أخبَرنى أبو خالدٍ عثمانُ بنُ خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سعيدٍ المَدَنِىِّ[4] ، حدَّثتْنى حفصةُ ، فذكَر مثلَ حديثِ عائشةَ ، وفيه : فقال : « ألَا أستحِى ممَّن تستحِى منه الملائكةُ ! » .

طريقٌ أخرَى عن ابنِ عباسٍ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[5] : حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، ثنا النَّضْرُ - هو ابنُ عبدِ الرحمنِ أبو عُمَرَ الخزَّازُ الكوفىُّ - عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا أستحْيِى[6] ممَّن تستحيِى منه الملائكةُ ؛ عثمانَ بنِ عفانَ ؟ » . ثم قال البزَّارُ : لا نعلَمُه يُرْوَى عن ابنِ عباسٍ إلَّا بهذا الإسنادِ . قلتُ : هو على شرطِ الترمذىِّ ، ولم يُخْرِجوه .

طريقٌ أخرَى عن ابنِ عمرَ : قال الطبرانىُّ[7] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، [٥/١٧٠ظ] ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقدِّمِىُّ ، ثنا أبو مَعْشَرٍ ، حدَّثنى إبراهيمُ

---

(١) رواية الحسن بن عرفة أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٨٢، ٨٣.

(٢) فى : المسند ٦ / ٢٨٨. وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٨٢: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط، وأبو يعلى باختصار كبير، وإسناده حسن.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل.

(٤) فى مطبوعة المسند : « المزى » . وهو خطأ . انظر أطراف المسند ٨ / ٤٠٣. والتاريخ الكبير ٥ / ١٠٤.

(٥) كشف الأستار (٢٥٠٧) . قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٨٢: فيه النضر أبو عمر وهو متروك .

(٦) فى م : « نستحى » .

(٧) المعجم الكبير ١٢/٣٢٧ (١٣٢٥٣) . قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٨٢: فيه إبراهيم بن عمر بن أبان وهو ضعيف .

ابنُ عمرَ بنِ أبانَ ، حدَّثنى [1]أبى - عمرُ بنُ أبانَ[1] - عن أبيه ، قال : سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ يقولُ : بينَما رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ وعائشةُ وراءَه إذ استأذَنَ أبو بكرٍ فدخَل ، ثم استأذَن عمرُ فدخَل ، ثم استأذَن سعدُ بنُ مالكٍ فدخَل ، ثم استأذَن عثمانُ بنُ عفانَ[2] ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يتحدَّثُ كاشِفًا عن رُكْبَتِه[3] ، فمدَّ[4] ثوبَه على ركبتِه[3] حينَ استأذَن عثمانُ ، وقال لامرأتِه : استأخِرى . فتحدَّثوا ساعةً ثم خرَجوا ، فقالت عائشةُ : يا نبىَّ اللَّهِ [5]دخَل أبى وأصحابُه ، فلم تُصْلِحْ ثوبَك على ركبتِك ولم تُؤَخِّرْنى عنك[5] . فقال النبىُّ ﷺ : [6]« يا عائشةُ[6] ، ألَا أستحِى مِن رجُلٍ تستحِى منه الملائكةُ ! والذى [7]نفسُ رسولِ اللَّهِ[7] بيدِه إنَّ الملائكةَ لتَستحْيِى مِن عثمانَ ، كما تستحِى مِن اللَّهِ ورسولِه ، ولو دخَل وأنتِ قريبٌ مِنِّى لم يتحدَّثْ ولم يرفَعْ رأسَه حتى يخرُجَ[8] » . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ وفيه زيادةٌ على ما قبلَه ، وفى إسنادِه ضعفٌ . قلت : وفى البابِ عن علىٍّ[9] ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوفَى[10] ، وزيدِ بنِ ثابتٍ[11] .

(١ - ١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ا ٨ ، ا ٧ : « أبى أبان بن عمر » . وفى ص : « ابن عمر بن أبان » .

(٢) بعده فى م : « فدخل » .

(٣) فى الأصل ، ا ٧ : « ركبتيه » .

(٤) فى النسخ « فرد » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥ - ٥) فى ا ٨ ، ا ٧ : « فلامته بما تقدم » .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٨ ، ا ٧ ، م ، ص .

(٧ - ٧) فى م : « نفسى » .

(٨) فى مصدر التخريج : « تخرج » .

(٩) تقدم ص ٣٣٤ .

(١٠) أخرجه الإمام أحمد ٤ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ . قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٨١ : رواه أحمد عن رجل من بجيلة ، ولم يسم الرجل ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٥/١٧٨ (٤٩٣٩) . قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٨٢ : فيه محمد بن إسماعيل الوساوسى وكان يضع الحديث . وانظر السلسلة الصحيحة (١٦٨٧) .

وروَى[1] أبو مروانَ القرشيُّ، عن أبيه، عن مالكٍ، عن أبى الزِّنادِ، عن الأعرجِ، عن أبى هريرةَ أنَّ[2] رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «عثمانُ حييٌّ تستحِى منه الملائكةُ».

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا وكيعٌ، عن سفيانَ، عن خالدٍ الحذّاءِ، عن أبى قِلابةَ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أرحمُ أمَّتى أبو بكرٍ، وأشدُّها فى دينِ اللَّه عمرُ، وأشدُّها حياءً عثمانُ، وأعلَمُها بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، وأقرؤُها لكتابِ اللَّهِ أُبىٌّ، وأعلَمُها بالفرائضِ زيدُ بنُ ثابتٍ، ولكلِّ أُمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأُمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاحِ». [4]وهكذا رَواه الترمذىُّ، والنسائىُّ، وابنُ ماجه، مِن حديثِ خالدٍ الحذَّاءِ[5]، وقال الترمذىُّ: حسنٌ صحيحٌ. وفى «صحيحِ البخارىِّ»[6]، و «مسلمٍ»[7] آخِرُه؛ «ولكُلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأُمةِ أبو عُبيدةَ بنُ الجرّاحِ»[4].

وقد روَى هُشيمٌ[8]، عن [9]كوثرِ بنِ حُكَيمٍ[9]، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ مثلَ حديثِ أبى قِلابةَ عن أنسٍ، أو نحوَه.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٨٦ به.
(٢) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ا ٧: «قال».
(٣) تقدم فى ص ٨١.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) الترمذى (٣٧٩١)، والنسائى فى الكبرى (٨٢٤٢، ٨٢٨٧)، وابن ماجه (١٥٤).
(٦) تقدم فى ٨ / ٣٥٧.
(٧) مسلم (٢٤١٩) بنحوه.
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٨٩ به.
(٩ - ٩) فى الأصل، ا ١٥، ا ٨، ا ٧: «جرير بن حازم»، وفى م، ص: «كريز بن حكيم». والمثبت من مصدر التخريج.

حديثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يزيدُ بنُ عبدِ ربِّه ، ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، حدَّثنى الزُّبَيْدِىُّ[2] ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عمرِو بنِ أبانَ بنِ عثمانَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّه كان يُحدِّثُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أُرِىَ الليلَةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيطَ[3] برسولِ اللَّهِ ﷺ ، ونِيطَ عمرُ بأبى بكرٍ ، ونِيطَ عثمانُ بعمرَ » . [4]قال جابرٌ[4] : فلمَّا قُمْنا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قلنا : أمَّا الرجلُ الصالحُ فرسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأمَّا [5]ما[6] ذكَر[7] رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن نَوْطِ بعضِهم لبعضٍ[8][5] ، فهُمْ وُلاةُ هذا الأمرِ الذى بعَث اللَّهُ به نبيَّه ﷺ .

ورَواه أبو داودَ[9] ، عن عمرِو بنِ عثمانَ ، عن محمدِ بنِ حربٍ ، ثم قال : ورَواه يونسُ وشعيبٌ[10] ، فلم يذْكُرا عمرَ[11] .

حديثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ[12] : حدَّثنا أبو داودَ[13] - [14]عمرُ بنُ سعدٍ - ثنا بدرُ بنُ عثمانَ[14] ، عن [15]عبيدِ اللَّهِ[15] بنِ مَرْوانَ ، عن أبى عائشةَ ، عن ابنِ

---

(١) المسند ٣ / ٣٥٥.
(٢) فى ص : « الترمذى » . انظر أطراف المسند ٢ / ٧٠، وتهذيب الكمال ٢٦ / ٥٨٦.
(٣) نيط : عُلِّق .
(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .
(٥ - ٥) سقط من : ا ١٥، ا ٨، ا ٧.
(٦) زيادة من : الأصل ، م ، ص . وليست فى المسند .
(٧) فى م : « ذكره » .
(٨) فى الأصل ، م ، ص : « ببعض » .
(٩) أبو داود (٤٦٣٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠٠٣) .
(١٠) بعده فى النسخ : « عن الزهرى » . وهى ليست فى سنن أبى داود .
(١١) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ا ٧، م : « عمرًا » .
(١٢) المسند ٢ /٧٦ (إسناده صحيح) .
(١٣) بعده فى الأصل : « ثنا » . وهو خطأ . انظر أطراف المسند ٣ / ٦٠٩، ٦١٠، وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٦٠.
(١٤ - ١٤) فى ا ١٥ : « عن ابن سعيد ثنا مالك بن عتبان » . وفى ا ٨، ا ٧ : « عن بن سعيد ثنا بكر بن غسان » .
(١٥ - ١٥) فى الأصل ، ا ١٥، ا ٨، ا ٧ : « عبد الله » .

[٥/١٧١و] عمرَ قال : خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعدَ طلوعِ الشمسِ فقال : « رأيتُ قُبَيْلَ الفجرِ[(١)] كأنِّى أُعْطِيتُ المقاليدَ والموازينَ ؛ فأمَّا المقاليدُ فهذه المفاتيحُ ، وأمَّا الموازينُ فهى التى [(٢)]تَزِنُون بها[(٢)] ، فوُضِعْتُ فى كِفَّةٍ ، ووُضِعَتْ أُمَّتى فى كِفَّةٍ ، فوُزِنتُ بهم فرَجَحْتُ ، ثم جِىءَ بأبى بكرٍ فوُزِن بهم فوزَن ، ثم جِىءَ بعمرَ فوُزِن فوزَن[(٣)] ، ثم جِىءَ بعثمانَ[(٤)] فوزَن بهم ، ثم رُفِعَت » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[(٥)] : حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، ثنا عمرُو بنُ واقدٍ ، ثنا يونسُ بنُ مَيْسرةَ ، عن أبى إدريسَ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى رأيتُ أنِّى وُضِعْتُ فى كِفَّةٍ وأُمَّتى فى كِفَّةٍ فعدَلْتُها ، ثم وُضِع أبو بكرٍ فى كِفَّةٍ وأُمَّتى فى كِفَّةٍ فعدَلها ، ثم وُضِع عمرُ فى كِفَّةٍ وأُمَّتى فى كِفَّةٍ فعدَلها ، ثم وُضِع عثمانُ فى كِفَّةٍ وأُمَّتى فى كِفَّةٍ فعدَلها » .

حديثٌ آخَرُ : قال أبو يَعْلَى[(٦)] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُطيعٍ ، ثنا هُشيمٌ ، عن العَوَّامِ ، عمَّن حدَّثه ، عن عائشةَ قالت : لمَّا أسَّس رسولُ اللَّهِ ﷺ مسجدَ المدينةِ جاء بحَجَرٍ فوضَعه ، وجاء أبو بكرٍ بحَجَرٍ فوضَعه ، وجاء عمرُ بحَجَرٍ فوضَعه ، وجاء عثمانُ بحَجَرٍ فوضَعه ، قالت : فسُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ، فقال : « [(٧)]هذا أمرُ[(٧)] الخلافةِ مِن بعدى » . وقد تقدَّم[(٨)] هذا الحديثُ فى بناءِ مسجدِه أوَّلَ

---

(١) فى الأصل : « العجب » .
(٢ - ٢) فى النسخ : « قوزن فوزن بهم » . والمثبت موافق لما فى المسند .
(٣) بعده فى النسخ : « بهم » .
(٤) بعده فى النسخ : « فوزن » .
(٥) المعرفة والتاريخ ٣ / ٤٦٠ .
(٦) مسند أبى يعلى (٤٨٨٤) . قال الهيثمى فى المجمع ٥ / ١٧٦ : رواه أبو يعلى عن العوام بن حوشب عمن حدثه عن عائشة ، ورجاله رجال الصحيح غير التابعى فإنه لم يسم .
(٧ - ٧) فى الأصل : « هم أمر » . وفى باقى النسخ : « هم أمراء » . والمثبت من مسند أبى يعلى .
(٨) تقدم فى ٤ / ٥٣٩ .

مَقْدَمِه المدينةَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

وكذلك تقدَّم[1] فى دلائلِ النبوةِ[2] حديثُ الزُّهْرِىِّ ، عن رجلٍ ، عن أبى ذرٍّ ، فى تسبيحِ الحصا فى يدِه عليه الصلاةُ والسلامُ ، ثم فى كَفِّ أبى بكرٍ ، ثم فى كَفِّ عمرَ ، ثم فى كَفِّ عثمانَ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم . وفى بعضِ الرواياتِ : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذه خلافةُ النبوةِ » .

وسيأتى حديثُ سَفِينةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الخلافةُ بعدى ثلاثون سنةً ثم تكونُ مُلْكًا »[3] . فكانت ولايةُ عثمانَ ، ومدَّتُها ثِنتى عَشْرةَ سنةً ، مِن جملةِ هذه الثلاثين بلا خلافٍ بينَ العلماءِ العاملين ، كما أخبَر به سيدُ المرسلين ، صلى اللَّهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه أجمعين .

حديثٌ آخَرُ : وهو ما رُوِى مِن طُرُقٍ متعددةٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه شهِد للعشَرةِ بالجنةِ ، وعثمانُ منهم بنصِّ النبىِّ ﷺ [4]على ذلك[4] .

حديثٌ آخَرُ : قال البخارىُّ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ حاتمِ[6] بنِ بَزِيعٍ ، ثنا شاذانُ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى سلَمةَ الماجِشونُ ، عن عبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كنَّا فى زمنِ النبىِّ ﷺ لا نعدِلُ بأبى بكرٍ أحدًا ، ثم عمرَ ، ثم عثمانَ ، ثم نتركُ أصحابَ النبىِّ ﷺ لا نفاضِلُ بينَهم . تابَعه عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن[7]

---

(١) تقدم فى ٨ / ٦٩٤- ٦٩٦.

(٢) بعده فى م : « من » .

(٣) سيأتى فى حوادث سنة إحدى وأربعين ، وآخر حوادث سنة تسع وأربعين ، وفى ترجمة معاوية .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ا ١٥ ، م ، ص . ويشير المصنف هنا إلى الحديث الذى أخرجه أبو داود (٤٦٤٩، ٤٦٥٠) ، والترمذى (٣٧٤٧، ٣٧٥٧) ، وابن ماجه (١٣٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٨٨٦، ٣٨٨٧) .

(٥) البخارى (٣٦٩٧) .

(٦) فى م ، ص : « حازم » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥ / ١٦.

(٧) فى م ، ص : « بن » .

عبدِ العزيزِ . تفرَّد به البخاريُّ . ورَواه إسماعيلُ بنُ عياشٍ ، والفرجُ بنُ فَضَالةَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ[1] . ورَواه أبو يَعْلَى ، عن أبى مَعْمَرٍ[2] ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن الليثِ ، عن يزيدَ بنِ أبى حبيبٍ ، عن ابنِ عمرَ به[3] .

طريقٌ أُخْرَى عن ابنِ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا [٥/١٧١ظ] أبو معاويةَ ، ثنا [5]سهيلُ بنُ أبى صالحٍ[5] ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ قال : كنَّا نَعُدُّ ، و[6]رسولُ اللَّهِ ﷺ حيٌّ[7] وأصحابُه متوافِرون ؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ، ثم نَسْكُتُ .

طريقٌ أُخْرَى عن ابنِ عمرَ بلفظٍ آخَرَ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[8] : حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ وعقبةُ بنُ مُكرَمٍ قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عمرَ[9] بنِ محمدٍ ، عن سالمٍ ، عن أبيه قال : كنَّا نقولُ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ،

---

(١) رواية إسماعيل بن عياش أخرجها أبو يعلى الموصلى فى مسنده (٥٦٠٣) ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ١٥٥، ١٥٦، وأما رواية الفرج بن فضالة فقد أخرجها ابن عساكر فى المصدر السابق ص ١٥٦.

(٢) فى الأصل، م، ص: «معشر». وانظر تهذيب الكمال ٣ / ١٩.

(٣) مسند أبى يعلى (٥٦٠٤).

(٤) المسند ٢ /١٤ (إسناده صحيح).

(٥ - ٥) فى ا ٨: «سهيل عن أبى صالح»، وفى ا ٧: «سهيل بن صالح»، وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٢٣.

(٦) سقط من: ا ١٥، م.

(٧) سقط من النسخ. والمثبت من المسند.

(٨) كشف الأستار (١٥٦٩). قال الهيثمى فى المجمع ٥ / ١٧٧: هو فى الصحيح خلا قوله: فى الخلافة. رواه البزار والطبرانى ورجال البزار رجال الصحيح.

(٩) فى ا ٧: «عمرو».

يعنى فى الخلافةِ. وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ[1] الشيخين، ولم يُخْرِجاه[2]، لكن قال البَزَّارُ[3]: وهذا الحديثُ قد رُوِى عن ابنِ عمرَ مِن وجـوهٍ[4]، وعمرُ[5] ابنُ محمدٍ لم يكنْ بالحافظِ، وذلك[6] فى حديثِه متبيِّنٌ[7] إذا روَى عن غيرِ سالمٍ[8].

وقد رَواه غيرُ واحدٍ مِن الضعفاءِ، عن الزُّهْرِىِّ، عن سالمٍ، عن أبيه به، وقد اعتَنَى الحافظُ ابنُ عساكرَ بجمعِ طرقِه عن ابنِ عمرَ فأفاد وأجاد[9].

فأمَّا الحديثُ الذى رواه[10] الطبرانىُّ[11]: حدَّثنا سعيدُ[12] بنُ عبدَويهِ الصفَّارُ البغدادىُّ، حدَّثنا[13] علىُّ بنُ جميلٍ الرَّقىُّ، أنا جريرٌ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «فى الجنةِ شجرةٌ، أو ما فى

---

(١) بعده فى ا ٧: «الصحيحين».
(٢) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «يخرجوه».
(٣) كشف الأستار (١٥٦٩).
(٤) بعده فى النسخ: «كنا نقول: أبو بكر وعمر وعثمان ثم لا نفاضل بعد».
(٥) فى ا ٧: «عمرو».
(٦) بعده فى ا ٨، ا ٧: «أن».
(٧) فى الأصل: «متنين»، وفى ا ١٥ «مبدبر» كذا، وفى ا ٨، ا ٧: «تبرير»، وفى م: «يتبين»، وفى ص: «تبيين». والمثبت من كشف الأستار.
(٨) بعده فى النسخ: «فلم يقل شيئا». وليس فى كشف الأستار.
(٩) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ١٥٣- ١٥٩.
(١٠) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «قال».
(١١) المعجم الكبير ١١ /٧٦ (١١٠٩٣). قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٥٨: رواه الطبرانى، وفيه على ابن جميل الرقى وهو ضعيف.
(١٢ - ١٢) فى الأصل: «عن عبد ربه»، وفى ا ١٥، ا ٨، ا ٧، م، والمعجم الكبير: «بن عبد ربه». وانظر تاريخ بغداد ٩ /٩٧، وانظر المعجم الصغير ١ / ١٧١.
(١٣ - ١٣) فى الأصل: «حنبل»، وفى ا ١٥: «على بن حبيل»، وفى ص: «على بن حنبل»، وانظر ميزان الاعتدال ٣ /١١٧.

الجنةِ شجرةٌ - شكَّ عليُّ بنُ جميلٍ[1] - ما عليها[2] ورقةٌ[3] إلا مكتوبٌ عليها : لا إلهَ إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ ، أبو بكرٍ الصديقُ ، عمرُ الفاروقُ ، عثمانُ ذو النُّورَين » . فإنَّه حديثٌ ضعيفٌ ، فى إسنادِه مَن تُكُلِّم فيه ، ولا يخلو مِن نكارةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

القِسمُ الثانى فيما ورَد فى فضائلِه وحدَه : قال البخاريُّ[4] : حَدَّثنا موسَى ابنُ إسماعيلَ ، ثَنا أبو عَوانةَ ، ثَنا عثمانُ بنُ مَوْهَبٍ ، قال : جاءَ رجلٌ مِن أهلِ مصرَ حَجَّ البيتَ ، فرأَى قومًا جُلوسًا فقال : مَن هؤلاءِ القومُ ؟ فقالوا : هؤلاءِ قريشٌ . قال : فمَن الشيخُ فيهم ؟ قالوا[5] : عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ . قال : يا ابنَ عمرَ إنِّى سائِلُك عن شيءٍ فحَدِّثْنى ؛ هل تَعلَمُ أنَّ عثمانَ فرَّ يومَ أُحُدٍ ؟ قال : نعم . فقال : تَعلَمُ أنَّه تَغيَّب عن بدرٍ[6] ولم يَشْهَدْها[7] ؟ قال : نعم . قال : تَعلَمُ أنَّه تَغيَّب عن بَيْعةِ الرِّضوانِ فلم يَشهَدْها ؟ قال : نعم . قال : اللَّهُ أكبرُ . قال ابنُ عمرَ : تعالَ[8] أُبَيِّنْ لك ؛ أمّا فِرارُه يومَ أُحُدٍ فأشهَدُ أنَّ اللَّهَ عفا عنه وغفَر له ، وأمّا تَغيُّبه عن بدرٍ فإنَّه كانت تحتَه[9] بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وكانت مَريضةً ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ لَكَ أجْرَ رجلٍ ممَّن شهِد بدرًا وسهمَه » . وأمّا تَغيُّبه[10] عن

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « حنبل » ، وفى ا ١٥ ، ا ٨ ، ا ٧ : « حبيل » والمثبت من المعجم الكبير .
(٢) فى ا ٨ ، ا ٧ : « فيها » .
(٣) سقط من : ا ١٥ .
(٤) صحيح البخارى (٣٦٩٨) .
(٥) فى ص : « قال » .
(٦) فى الأصل ، م : « يوم بدر » .
(٧) كذا فى النسخ ، وفى البخارى : « يشهد » .
(٨) فى الأصل : « فقال » .
(٩) بعده فى ا ٧ : « رقية » .
(١٠) فى الأصل : « تخلفه » .

بَيْعةِ الرِّضوانِ فلو كان أحدٌ أعَزَّ ببطنِ مَكَّةَ مِن عثمانَ لَبَعَثه مَكانَه ؛ فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عثمانَ - [1] وكانت بَيْعَةُ الرِّضوانِ بعدَما ذهَب عثمانُ [1] - إلى مَكَّةَ ، فقال النبيُّ ﷺ بيدِه اليُمْنَى : « هذه يدُ عثمانَ » . فضرَب بها على يدِه ، فقال : هذه لعثمانَ [2] . فقال [٥/١٧٢و] له ابنُ عمرَ : اذهَبْ بها الآنَ معك . تَفرَّد به دونَ مُسلمٍ .

طريقٌ أُخرَى : وقال الإمامُ أحمدُ [3] : حَدَّثنا مُعاويةُ بنُ [4] عمرٍو [5] ، ثنا زائدةُ [6] ، عن عاصمٍ ، عن شَقيقٍ [7] قال : لَقِى عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ الوليدَ بنَ عُقْبةَ ، فقال له الوليدُ : ما لِى أراك جَفَوْتَ أميرَ المؤمنِين عثمانَ ؟ فقال له عبدُ الرحمنِ : أبلِغْه أنِّى لم أفِرَّ يومَ حُنَيْنٍ [8] - قال عاصمٌ : يقولُ : يومَ أُحُدٍ - ولم أتَخلَّفْ عن يومِ بدرٍ ، ولم أترُكْ سُنَّةَ عمرَ . قال : فانطلَق فخَبَّر ذلك [9] عثمانَ ، فقال : أمّا قولُه : إنِّى لم أفِرَّ يومَ حُنَيْنٍ [10] ، فكيفَ يُعَيِّرُنى بذلك وقد عفَا اللَّهُ عنى [11] ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

(١ - ١) سقط من : ا ١٥.

(٢) فى الأصل : « يد عثمان » .

(٣) المسند ١ / ٦٨. (إسناده صحيح) .

(٤) فى ص : « عن » .

(٥) فى الأصل : « عمر » .

(٦) فى ا ١٥ : « زياد » .

(٧) فى ا ١٥، م : « سفيان » .

(٨) فى الأصل ، ١٥١ : « عينين » .

(٩) فى م ، ص : « بذلك » .

(١٠) فى الأصل : « عينين » ، وفى ا ١٥ : « عيدين » .

(١١) فى الأصل، والمسند : « عنه » .

[آل عمران: ١٥٥]. وأمّا قولُه: إنّى تَخلَّفْتُ يومَ بدرٍ. فإنّى كنتُ أُمَرِّضُ رُقيَّةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[(١)]، وقد ضرَب لى رسولُ اللَّهِ ﷺ بسَهْمِى[(٢)]، [(٣)]ومَن ضرَب له رسولُ اللَّهِ ﷺ[(٣)] بسَهْمِه[(٤)] فقد شهِد، وأمّا قولُه: ولم أترُكْ سُنَّةَ عمرَ. فإنّى لا أُطِيقُها ولا هو، فأْتِه[(٥)] فحَدِّثْه[(٦)] بذلك.

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ[(٧)]: حَدَّثنا أحمدُ بنُ شَبِيبِ بنِ سعيدٍ[(٨)]، ثنا أبِى، عن يُونُسَ، قال ابنُ شِهابٍ: أخبرَنى عُروةُ أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ عَدِىِّ بنِ الخِيارِ[(٩)] أخبرَه أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخرمَةَ وعبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ بنِ عبدِ يَغُوثَ، قالا: ما يَمنَعُك أن تُكلِّمَ عثمانَ لأخِيه الوليدِ، فقد أكثَر الناسُ فيه؟ فقصَدتُ لعثمانَ حينَ خرَج إلى الصلاةِ. قُلْتُ[(١٠)]: إنَّ لى إليك حاجةً، وهى نصيحةٌ لك. قال: يا أيُّها المرءُ - قال أبو عبدِ اللَّهِ: قال مَعْمَرٌ: [(١١)]أراه قال[(١١)] - أعوذُ باللَّهِ منكَ. فانصرَفْتُ فرَجَعْتُ إليهم إذ جاء رسولُ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه، فأتَيْتُه فقال: ما نَصيحتُكَ؟ فقلت: إن اللَّهَ بعَث محمدًا ﷺ بالحَقِّ، وأنزَل عليه الكتابَ، وكنتَ ممَّن استجاب للَّهِ ولرسولِه، فهاجرْتَ الهِجرتَيْن، وصَحِبْتَ

---

(١) بعده فى المسند: «حين ماتت».
(٢) سقط من م، وفى الأصل، ا ١٥، ص: «بسهم».
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) سقط من الأصل، وفى ا ١٥، م، ص: «بسهم».
(٥) فى الأصل، م: «فإنه».
(٦) فى م: «يحدثه».
(٧) البخارى (٣٦٩٦).
(٨) فى م، ص: «سعد».
(٩) فى الأصل: «الخباز»، وفى ا ١٥، م، ص: «الحبار».
(١٠) فى الأصل: «فقال».
(١١ - ١١) سقط من النسخ، والمثبت من صحيح البخارى.

رسولَ اللَّهِ ﷺ ورأيتَ هَدْيَه ، وقد أكثَر الناسُ فى شأنِ الوليدِ . فقال : أدركتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ خلَص إلىَّ مِن عِلْمِه ما يَخلُصُ إلى العَذْراءِ فى سِتْرِها . قال : أمّا بعدُ ، فإنَّ اللَّهَ بعَث محمدًا بالحقِّ وكنتُ ممَّن استجاب للَّهِ ولرسولِه ، وآمَنْتُ بما بُعِث به ، وهاجرْتُ الهِجرتَيْنِ كما قلتَ ، وصَحِبتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وبايَعْتُه ، فواللَّهِ ما عَصَيتُه ولا غَشَشْتُه حتى تَوفّاه اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، ثم أبو بكرٍ مثلُه ، ثم عمرُ مثلُه ، ثم استُخْلِفتُ ، أفلَيْس لى مِن الحقِّ مثلُ الذى لهم ؟ قلتُ : بلى . قال : فما هذه الأحاديثُ التى تبلُغُنِى عنكم ؟ أمّا ما ذكرتَ مِن شأنِ الوليدِ ، فسنأخُذُ فيه بالحقِّ إن شاء اللَّهُ . ثم دعا عليًّا فأمَره أن يَجلِدَه فجلَده ثَمانِين .

حَديثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا أبو المُغِيرةِ ، ثنا الوليدُ[2] بنُ سُلَيْمانَ[3] ، حَدَّثنى ربيعةُ بنُ يَزيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ ، عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ ، عن عائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، قالت : أرسَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى عثمانَ بنِ عفانَ[4] [١٧٢/٥ظ] ، فأقبَل عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رأَيْنا إقبالَ[5] رسولِ اللَّهِ ﷺ[6] ، أقبلَتْ إحدانا على الأُخْرَى فكان مِن آخِرِ [7]كلامٍ كلَّمَه[7] أن ضرَب مَنكِبَه[8] ، وقال : « يا عثمانُ ، إنَّ اللَّهَ عسى أن يُلبِسَك قميصًا فإن أرادَك المنافقون

---

(١) المسند ٦ / ٨٦، ٨٧.

(٢) فى ا ١٥: « أبو الوليد » .

(٣) فى الأصل: « سليم » ، وفى ا ١٥، ا٨، ا ٧، م، ص: « مسلم » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٣١ / ١٨.

(٤) بعده فى م: « فجاء » .

(٥) ليست فى المسند .

(٦) بعده فى م: « على عثمان » .

(٧ - ٧) فى الأصل، ا ١٥ م، ص: « كلمة » . وفى ا ٨، ا ٧: « كلامه » .

(٨) فى ص: « منكبيه » . وفى الأصل: « منكبه ثلاثا » .

على خَلْعِه فلا تَخلَعْه حتى تَلقانِى » ثلاثًا . فقلتُ لها : يا أُمَّ المؤمنِين ، فأين كان هذا عنكِ ؟ قالت : نُسِّيتُه واللَّهِ فما ذكرْتُه . قال[1] : فأخبرْتُه مُعاويةَ بنَ أبى سُفيانَ فلَم يَرْضَ بالذى أخبرْتُه حتى كتَب إلى أُمِّ المؤمنِين أن اكتُبِى إلىَّ به ، فكتبَتْ إليه به كتابًا .

وقد رَواه أبو عبدِ اللَّهِ الجَسْرِىُّ[2] ، عن عائشةَ وحفصةَ بنحوِ ما تَقدَّم[3] . ورَواه قيسُ بنُ أبى حازمٍ وأبو سَهْلةَ[4] عنها[5] . ورَواه أبو سهلةَ[6] ، عن عثمانَ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عهِد إلىَّ عهدًا فأنا صابرٌ نفسِى عليه . ورَواه فرجُ بنُ فَضالةَ ، عن محمدِ بنِ الوليدِ الزبيدىِّ[7] ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، [8]فذكَره[9] . قال الدارَقُطنىُّ[10] : تَفرَّد به الفَرَجُ بنُ فَضالةَ[8] . ورَواه أبو مَرْوانَ محمدُ بنُ[11] عثمانَ بنِ خالدٍ العُثْمانىُّ[12] ، عن أبيه ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى

---

(١) فى الأصل : « قالت » .

(٢) فى الأصل : « الحسيرى » ، وفى ا ١٥ : « الحسرى » ، وفى م : « الجيرى » . وفى ص : « الحرى » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٤) فى ا ٨، ا ٧، م : « سلمة » .

(٥) فى ا ٧: « عنهما » . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٢-٢٨٤ بنحوه .

(٦) فى ا ٨، ا ٧: « سلمة » . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق : (ترجمة عثمان) ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(٧) فى ا ١٥: « الزبيرى » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « بنحوه » .

(٩) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦ / ٧٥.

(١٠) ذكره بنحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٧٩.

(١١) فى م ، ص : « عن » .

(١٢) فى الأصل ، م ، ص : « العمانى » .

الزِّنادِ، عن أبيه، عن هِشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ[1]. ورَواه ابنُ عساكِرَ[2]، مِن طريقِ المِنْهالِ بنِ بَحْرٍ[3]، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ، عن أبيه، عنها. ورَواه [4]أبو أسامةَ[4]، عن الجُرَيْرِيِّ[5]: حَدَّثنى أبو بكرٍ العَدَوِيُّ[6] قال: سألتُ عائشةَ. فذكَر عنها نحوَ ما تَقدَّم[7]. ورَواه خُصَيْفٌ[8]، عن مُجاهدٍ، عن عائشةَ بنحوِه[9].

وقال الإمامُ أحمدُ[10]: حَدَّثنا محمدُ بنُ كُناسَةَ[11] الأسدىُّ أبو يَحْيَى، ثَنا إسحاقُ[12] بنُ سعيدٍ، عن أبيه، قال: بلَغَنى أنَّ عائشةَ قالت: ما استمَعْتُ[13] على[14] رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا مَرَّةً، فإنَّ عثمانَ جاءه فى نَحْرِ[1] الظَّهِيرةِ فظَنَنْتُ أنَّه

---

(١) أخرجه بنحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨١، وليس فى سنده: عن أبيه.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٢ بنحوه.

(٣) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، وفى م، ص: «المنهال بن عمر». والمثبت من تاريخ دمشق، وانظر الكامل لابن عدى ٦ / ٢٣٣٢، ولسان الميزان ٦ / ١٠٣.

(٤ - ٤) فى م: «ابن أسامة».

والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٦، بنحوه مطولاً.

(٥) فى ا ١٥، ص: «الحريرى».

(٦) فى ص: «العلوى».

(٧) بعده فى الأصل، م: «تفرد به الفرج بن فضالة».

(٨) فى م، ص: «حصين».

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٠.

(١٠) المسند ٦ / ١١٤.

(١١) فى الأصل: «خالد». وفى م، ص: «كنانة». وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩٢.

(١٢) فى الأصل: «أبو إسحاق». وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٢٨، ٢٥/ ٤٩٢.

(١٣) فى الأصل: «استسمعت»، فى ا ١٥، ا ٨: «استفتفت»، وفى ا ٧: «أضعيت».

(١٤) زيادة من المسند.

جاءَه فى أمرِ النِّساءِ، فحمَلَتْنى الغَيْرَةُ على أن أصغَيْتُ إليه فسَمِعْتُه يقولُ: «إنَّ اللَّهَ مُلبِسُك قميصًا تُرِيدُك أُمَّتى على خَلْعِه فلا تَخلَعْه». فلمّا رأيتُ عثمانَ يَبذُلُ لهم ما سألوه إلَّا خَلْعَه، عَلِمتُ أنَّه [٢]مِن عَهْدِ[٢] رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى عهِد إليه.

طريقٌ أُخرَى: قال الطَّبَرانىُّ[٣]: حدَّثنا مُطَّلِبُ[٤] بنُ شُعَيْبٍ[٥] الأزْدىُّ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، ثنا اللَّيْثُ، عن خالدِ بنِ يَزِيدَ، عن سعيدِ بنِ أبى هِلالٍ، عن رَبِيعةَ بنِ سيفٍ، قال: كنَّا عندَ شُفَىٍّ[٦] الأَصْبَحِىِّ، فقال: حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو[٧]، قال: التفَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «يا عثمانُ [٨]إنْ ألبَسَكَ[٩] اللَّهُ[٨] قميصًا فأرادَك الناسُ على خَلْعِه فلا تَخلَعْه، فواللَّهِ لَئِنْ خَلعْتَه لا تَرى الجنةَ حتى يَلِجَ الجملُ فى سَمِّ الخِياطِ».

وقد رَواه أبو يَعْلَى[١٠]، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن أُختِه حفصةَ أُمِّ

---

(١) فى م: «حر».

(٢ - ٢) فى النسخ: «عهد من».

(٣) الأوسط (٨٧٤٤). قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥ / ١٧٨: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وفيه مطلب بن شعيب، قال ابن عدى: لم أر له حديثا منكرا غير حديث واحد غير هذا، وبقية رجاله وُثقوا.

(٤) فى ا ١٥: «المطلب».

(٥) فى ا ١٥، م: «سعيد».

(٦) بياض فى الأصل، وفى ا ١٥: «سفى».

(٧) فى النسخ «عمر». والمثبت من مصدر التخريج، وانظر مجمع الزوائد.

(٨ - ٨) فى م، ص: «إن الله كساك».

(٩) فى النسخ: «كساك». والمثبت من مصدر التخريج.

(١٠) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٧٠٤٥) بنحوه. قال فى مجمع الزوائد ٩/ ٩٠: رواه أبو يعلى ... وفى إسناد أبى يعلى إبراهيم بن عمر بن عثمان العثمانى، وهو ضعيف.

المؤمنين . وفى سِياقِ مَتْنِه غَرابةٌ ، فاللَّهُ أعلمُ .

حَديثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حَدَّثَتْنى فاطمةُ بنتُ عبدِ الرحمنِ قالت : حَدَّثَتْنى أُمِّى أنَّها سألت عائشةَ ، وأرسلَها عَمُّها فقال[2] : إنَّ أحَدَ بَنِيكِ يُقرِئُكِ السَّلامَ ويَسألُكِ عن عثمانَ [٥/١٧٣و] بنِ عفانَ ، فإنَّ الناسَ قد شَتَموه ! فقالت : لعَنَ اللَّهُ مَن لَعَنه ، فواللَّهِ لقد كان قاعدًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمُسْنِدٌ ظهرَه إلىَّ ، وإنَّ جبريلَ لَيُوحِى إليه القرآنَ ، وإنَّه ليَقُولُ له : « اكتُبْ يا عُثَيْمُ » . قالت عائشةُ : فما كان اللَّهُ لِيُنْزِلَ[3] تلكَ المنزلةَ إلَّا كريمًا على اللَّهِ ورسولِه . ثم رَواه الإمامُ أحمدُ[4] ، عن يونسَ ، [5]عن عمرَ[5] بنِ إبراهيمَ التَيشكُرىِّ[6] ، عن أُمِّه[7] ، عن أُمِّها ، أنَّها سألت عائشةَ عندَ الكعبةِ عن عثمانَ فذكرَتْ مثلَه .

حديثٌ آخَرُ : قال البَزّارُ[8] : حَدَّثنا عمرُ بنُ الخطَّابِ قال : ذكَر [9]أبو المغيرةِ[9] ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو ، عن ماعزٍ التميمىِّ ، عن جابرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر فتنةً ، فقال أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه : أنا أُدرِكُها ؟ قال : « لا » . فقال عمرُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ أُدرِكُها ؟ قال : « لا » . فقال عثمانُ : يا رسولَ اللَّهِ أنا

---

(١) المسند ٦ / ٢٥٠.

(٢) بعده فى م : « قولى » .

(٣) فى المسند : « لينزله » .

(٤) المسند ٦ / ٢٦١.

(٥ - ٥) فى الأصل : « عبد » ، وفى ص : « بن عمر » . وفى ا ١٥ بياض .

(٦) فى ا ١٥ : « السكرى » .

(٧) فى ا ١٥ : « أبيه » .

(٨) كشف الأستار (٣٢٦٤) . وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٢٢٥ : رواه البزار ، وفيه ماعز التميمى ، ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه ، وبقية رجاله ثقات .

(٩ - ٩) فى الأصل : « المغيرة » .

أُدرِكُها؟ قال: «بك يُبتَلَوْن». قال البَزّارُ: وهذا لا نَعلَمُه يُروَى إلَّا مِن هذا الوجهِ.

حَديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حَدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ[2]، ثنا سِنانُ بنُ هارونَ، ثنا كُلَيْبُ بنُ وائلٍ[3]: عن ابنِ عمرَ قال: ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فتنةً [4]فمَرَّ رَجُلٌ[4]، فقال: «يُقتَلُ فيها هذا المُقَنَّعُ يومَئذٍ مَظلومًا». فنظَرْتُ فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ، رضِى اللَّهُ عنه. ورَواه الترمذىُّ[5]، عن إبراهيمَ بنِ سعيدٍ[6]، عن شاذانَ به. وقال: حَسَنٌ غَريبٌ.

حديثٌ آخَرُ: قال الإمامُ أحمدُ[7]: حَدَّثنا عفانُ، ثنا وُهيبٌ، ثنا موسَى بنُ عُقْبَةَ قال[8]: حَدَّثنى أبو أُمِّى [9]أبو حَبِيبَةَ[9]، أنَّه دخَل الدارَ و عثمانُ مَحصورٌ فيها، وأنَّه سمِع أبا هريرةَ يَستأذِنُ عثمانَ فى الكلامِ فأذِن له، فقام فحمِد اللَّهَ، وأثنَى عليه، ثم قال: إنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّكم تَلقَوْن بعدِى فتنةً واختلافًا» - أو قال: «اختِلافًا وفتنةً» - فقال له قائلٌ مِن الناسِ: فمَن لَنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «عليكم بالأمِينِ[10] وأصحابِه». وهو يُشيرُ إلى عثمانَ بذلك. تفرَّد به أحمدُ، وإسنادُه جيدٌ حسَنٌ، ولم يُخرِجوه مِن هذا الوجهِ.

---

(١) المسند ٢ / ١١٥. (إسناده صحيح).
(٢) فى م: «عمر».
(٣) فى الأصل، م: «واصل».
(٤ - ٤) زيادة من: المسند.
(٥) الترمذى (٣٧٠٨). قال الألبانى: حسن الإسناد. (صحيح سنن الترمذى ٢٩٢٥).
(٦) فى سنن الترمذى: «سعد». وانظر تهذيب الكمال ٢ / ٩٥.
(٧) المسند ٢ / ٣٤٤، ٣٤٥. (إسناده صحيح).
(٨) زيادة من المسند.
(٩ - ٩) فى الأصل: «حبيبة»، وفى م: «أبو حنيفة». وانظر تعجيل المنفعة ٤٧٤.
(١٠) فى الأصل، ا ٧: «بالأمير».

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا أبو أُسامةَ[2] - حمادُ بنُ أُسامةَ[3] - أنا كَهْمَسُ ابنُ الحسنِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ، حَدَّثنى هَرِمُ[4] بنُ الحارثِ، وأُسامةُ بنُ خُرَيْمٍ[5] - وكانا يُغازِيان - فحدَّثانى حديثًا ولم يَشعُرْ كلُّ واحدٍ منهما أنَّ صاحبَه حدَّثَنِيه، عن مُرَّةَ البَهْزِىِّ، قال: بينَما نحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى طريقٍ مِن طرقِ المدينةِ فقال: «كيف تَصنَعون فى فتنةٍ تَثورُ فى أقطارِ الأرضِ كأنَّها صَياصِى بقرٍ؟» قالوا: نَصنَعُ ماذا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «عليكم هذا وأصحابَه» - أو «اتَّبِعوا هذا وأصحابَه» - قال: فأسرعْتُ حتى عَيِيتُ فأدرَكتُ الرجلَ فقلتُ: هذا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «هذا». فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ، فقال: «هذا وأصحابُه». فذكَره.

طريقٌ أُخرَى: وقال الترمذىُّ فى «جامعِه»[6]: حَدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ[7]، ثنا عبدُ الوهابِ الثَّقَفىُّ، ثنا أيوبُ، عن أبى قِلابةَ، عن أبى الأشْعَثِ الصَّنْعانىِّ أنَّ خُطَباءَ[8] قامت بالشامِ [٥/١٧٣ظ] وفيهم رجالٌ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ[9] فقام آخِرُهم[9]؛ رجلٌ يقالُ له: مُرَّةُ بنُ كعبٍ. فقال: لولا حديثٌ سَمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما تَكلَّمتُ[10]، وذكَر الفِتَنَ فقرَّبَها، فمَرَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ فى ثوبٍ، فقال:

---

(١) المسند ٥/ ٣٣، وبنحوه فى ٥/ ٣٥.

(٢) بعده فى م: «ثنا». وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢١٧.

(٣) فى ص: «سلمة».

(٤) فى الأصل: «هربر»، وفى ا ١٥، ا ٧: «هرمى»، وفى ا ٨: «حرمى». وانظر الجرح والتعديل ٩/ ١١١.

(٥) فى م: «خزيم». وانظر الإكمال ٣/ ١٣٣.

(٦) الجامع الصحيح (٣٧٠٤). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٢٢).

(٧) فى الأصل: «يسار».

(٨) فى ا ٧: «حربا». وفى م: «خطبا».

(٩ - ٩) زيادة من: الترمذى.

(١٠) فى الترمذى: «قمت».

« هذا يومَئِذٍ على الهُدَى » . فقُمتُ إليه ، فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ ، فأقبَلتُ عليه بوجهِه[1] ، فقلتُ : هذا ؟ قال « نعم » . قال الترمذيُّ : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وفى البابِ عن ابنِ عمرَ وعبدِ اللَّهِ بنِ حَوالةَ وكعبِ بنِ عُجْرَةَ . قلتُ : وقد رَواه أسَدُ بنُ موسَى[2] ، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ ، عن جُبَيْرِ ابنِ نُفَيْرٍ ، عن [3]مُرَّةَ بنِ كعبٍ[3] البَهْزِىِّ ، فذكَر نحوَه .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[4] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهدِىٍّ ، عن مُعاويةَ بنِ[5] صالحٍ ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ ، عن جُبَيْرِ[6] بنِ نُفَيْرٍ ، عن كعبِ بنِ مُرَّةَ البَهْزِىِّ ، والصحيحُ مُرَّةُ بنُ كعبٍ ، كما تَقدَّم .

وأمّا حديثُ ابنِ حَوالةَ[7] ، فقال حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوالةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كيفَ أنتَ وفتنةٌ تكونُ فى أقطارِ الأرضِ ؟ » . قلتُ : ما خار اللَّهُ لى ورسولُه . قال : « اتَّبِعْ هذا الرجلَ ، فإنَّه يومَئِذٍ ومَن اتَّبعه على الحَقِّ » . قال : فاتَّبَعْتُه فأخذتُ بمَنْكِبِه فلَفَتُّه[9] ، فقلتُ : هذا يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « نعم » . فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ .

---

(١) فى ا ١٥: « بوجهى » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٧١ بنحوه مطولاً .
(٣ - ٣) فى ا ٧، ص: « كعب بن مرة » .
(٤) المسند ٤ / ٢٣٦.
(٥) فى م: « عن » .
(٦) فى ا ١٥: « جبار » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٧٠.
(٨) فى ا ١٥، ص: « الحريرى » ، وبعده فى م ، ص: « عن عبد اللّه بن سفيان » .
(٩) فى الأصل، ا ١٥، ص: « فقبلته » ، وفى ا ٨، ا ٧، م: « ففتلته » . والمثبت من مصدر التخريج .

وقال حَرْمَلةُ[1] ، [2]عن ابنِ وَهْبٍ[2] ، عن ابنِ لَهِيعَةَ ، عن يَزِيدَ بنِ أبِي حَبيبٍ ، عن رَبِيعةَ بنِ لَقِيطٍ ، عن ابنِ حَوالةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلاثٌ مَن نَجا منهُن فقد نجا ؛ مَوْتِى ، وخُروجُ الدَّجّالِ ، وقتلُ خَليفةٍ مُصْطَبِرٍ[3] قَوّامٍ بالحقِّ يُعطِيه » .

وأمّا حديثُ كعبِ بنِ عُجْرةَ ، فقال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا إسحاقُ بنُ سُليمانَ الرازيُّ ، أخبرَنى [5]مُغيرةُ بنُ مُسلِمٍ[5] ، عن مَطَرٍ الوَرّاقِ ، عن ابنِ سِيرِينَ ، عن كعبِ بنِ عُجْرَةَ قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فتنةً فقرَّبَها وعَظَّمَها . قال : ثم مَرَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ فى مِلْحَفةٍ ، فقال : « هذا يومَئذٍ على الحقِّ » . فانطلَقْتُ مُسرِعًا - أو قال[6] : مُحْضِرًا[7] - وأخَذتُ بضَبْعَيْه[8] ، فقلتُ : هذا يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هذا »[9] . فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ .

ثم رَواه الإمامُ أحمدُ[10] ، عن يَزِيدَ بنِ هارونَ ، عن هشامِ بنِ حَسانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن كَعْبِ بنِ عُجْرةَ ، فذكَر مثلَه .

ورَواه أبو يَعْلَى[11] ، عن هُدْبةَ ، عن هَمامٍ ، عن قَتادةَ ، عن محمدِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨٩ من طريق حرملة به .
(٢ - ٢) فى ا ١٥ «ابن وهب» .
(٣) فى الأصل : «مضطر» وفى ا ١٥، ا ٨، ا ٧: «مضطهد» .
(٤) المسند ٤ / ٢٤٢. كما أخرجه ابن ماجه (١١١) من طريق ابن سيرين به . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٨٩) .
(٥ - ٥) فى ا ١٥، ا ٨: «مغيرة بن سلم»، فى ا ٧، م : «معاوية بن سلم» .
(٦) زيادة من : المسند .
(٧) فى الأصل، ا ١٥: «محصرا» .
(٨) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها .
(٩) فى ا ١٥، ص : «نعم» .
(١٠) المسند ٤ / ٢٤٣.
(١١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٧٤. من طريق أبى يعلى به .

سِيرِينَ ، عن كعبِ بنِ عُجْرةَ .

وكذا رَواه ابنُ[1] عَوْنٍ ، عن ابن سِيرِينَ ، عن كعبِ [2]بنِ عُجْرةَ[2] .

وقد تَقدَّم حديثُ أبِى ثَوْرٍ الفَهْمِىِّ[3] عنه ، فى قولِه فى الخُطبةِ التى خاطَب بها الناسَ مِن دارِه : واللَّهِ ما تَعَتَّيْتُ[4] ولا تَمَنَّيْتُ ولا زَنَيْتُ فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ ولا مَسَسْتُ فَرْجِى بيَمِينى منذُ بايَعْتُ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ . وأنَّه كان يُعتِقُ كلَّ يومِ جُمُعةٍ عَتِيقًا ، فإن تَعذَّر عليه أعتَق فى الجُمُعةِ الأُخرى عَتِيقَيْن . وقال مولاه حُمْرانُ[5] : كان عثمانُ يَغتَسِلُ كلَّ يومٍ منذُ أسلَم . رضِى اللَّهُ عنه .

[٥/١٧٤و] **حديثٌ آخَرُ** : قال الإمامُ أحمدُ[6] : حَدَّثنا علىُّ بنُ عَيَّاشٍ[7] ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، أنا الأوزاعىُّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ أنَّه حَدَّثه عن المُغيرةِ بنِ شعبةَ أنَّه دخَل على عثمانَ وهو مَحصورٌ ، فقال : إنَّك إمامُ العامَّةِ وقد نزَل بك ما ترَى وإنِّى أَعرِضُ عليك خِصالًا ثلاثًا اختَرْ إحداهُن ؛ إمّا أن تَخرُجَ فتُقاتِلَهم ، فإنَّ معك عددًا وقوةً وأنتَ على الحقِّ وهم على الباطلِ ، وإمّا أن تَخْرِقَ بابًا سِوَى البابِ الذى هم عليه فتَقعُدَ على رَواحِلِك فتَلْحَقَ بمكةَ ، فإنَّهم لن يَستحِلُّوك وأنتَ بها ، وإمّا أن تَلحَقَ بالشامِ ، فإنَّهم أهلُ الشامِ وفيهم مُعاويةُ .

---

(١) فى م : « أبو » . وانظر تهذيب التهذيب ٥ / ٣٤٦.
والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٧٤. من طريق أبى عون به .
(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .
(٣) فى م : « التميمى » . وانظر ما تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٧ .
(٤) فى الأصل : « تغييت » ، وفى ١ ١٥، ص : « تعنيت » ، وفى م : « تغنيت » ٩ /١٧١ .
(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١ / ٦٧ عنه (إسناده حسن ، وهو صحيح لغيره) .
(٦) المسند ١ / ٦٧ . فى إسناده نظر .
(٧) فى الأصل ، م ، ص : « عباس » .

(١ فقال عثمانُ ١) : أمّا أن أخرُجَ فأُقاتِلَ ، فلن أكونَ أوّلَ مَن خلَف رسولَ اللّهِ ﷺ فى أُمَّتِه بسَفْكِ الدِّماءِ ، وأمّا أن أخرُجَ إلى مَكَّةَ فإنَّهم لن يَستَحِلُّونى بها ، فإنِّى سَمِعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ « يُلْحَدُ رجلٌ[٢] مِن قريشٍ بمكةَ يكونُ عليه نصفُ عذابِ العالَمِ » . فلن أكونَ أنا ، وأمّا أن أَلْحَقَ بالشامِ ، فإنَّهم أهلُ الشامِ وفيهم مُعاوِيةُ فلن أفارِقَ دارَ هِجْرتى ومُجاوَرةَ رسولِ اللّهِ ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[٣] : ثنا أبو المُغيرةِ ، ثنا أرطاةُ - يَعنِى ابنَ المُنْذِرِ - حَدَّثنى أبو عَوْنٍ الأنصارىُّ أنَّ عثمانَ قال لابنِ مسعودٍ : هل أنتَ مُنْتَهٍ عما بلَغَنى عنك ؟ فاعتَذر بعضَ العُذْرِ ، فقال عثمانُ : وَيْحَك ! إنِّى قد سَمِعتُ وحفِظتُ - وليس كما سَمِعتَ - أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « سيُقتَلُ أميرٌ ، (٤ ويَنْتَزِى مُنتزٍ ٤) » . وإنِّى أنا المقتولُ ، وليس عمرَ ، إنَّما قتَل عمرَ واحدٌ ، وإنَّه يُجتمَعُ علىَّ . وهذا الذى قاله لابنِ مسعودٍ ، قبلَ مَقتَلِه بنحوٍ مِن أربعِ سِنينَ ، فإنَّه مات قبلَه بنحوِ ذلك .

حديثٌ آخَرُ[٥] : قال عبدُ اللّهِ بنُ أحمدَ : ثنا عُبَيْدُ اللّهِ بنُ عمرَ القَواريرِىُّ[٦] ، ثنا القاسمُ بنُ الحكمِ بنِ أوْسٍ الأنصارىُّ ، حَدَّثنى أبو عُبادةَ الزُّرَقىُّ الأنصارىُّ - مِن أهلِ المدينةِ - عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبيه قال : شَهِدتُ عثمانَ يومَ حُصِر فى موضعِ الجنائزِ ولو أُلقِىَ حجرٌ لم يقعْ إلَّا على رأسِ رجلٍ ، فرأيتُ عثمانَ أشرَف مِن الخَوْخَةِ التى تلى بابَ مَقامِ جبريلَ ، فقال : أيُّها الناسُ ، أفيكم طَلْحةُ ؟

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده فى الأصل : « فى الحرم رجل » .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٤ - ٤) فى النسخ : « ويتبرى متبر » .

(٥) هذا الحديث بأكمله سقط من : ١٥١، ٨١، ٧١، ص . وتقدم تخريجه فى صفحة ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٦) فى م : « القربرى » .

فسَكتُوا ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، أفيكم طَلْحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ؟ فسَكَتوا ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، أفيكم طلحةُ ؟ فقام طَلْحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، فقال له عثمانُ : ألَا أراك هٰهنا ؟ ما كنتُ أرَى أنَّك تكونُ فى جماعةِ قومٍ تَسمَعُ نِدائى آخِرَ ثَلاثِ مَرَّاتٍ ، ثم لا تُجِيبُنى ؟ أنشُدُك اللَّهَ يا طلحةُ ، تذكُرُ يومَ كنتُ أنا وأنتَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى موضعِ كذا وكذا ليس معه أحَدٌ مِن أصحابِه غيرِى وغيرُك ؟ فقال : نعم . قال : فقال لك رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّه ما مِن نبىٍّ إلَّا ومعه مِن أصحابِه رَفيقٌ [1] مِن أُمَّتِه معه [1] فى الجنَّةِ ، وإنَّ عثمانَ بنَ عفانَ هذا - يَعْنِينى [2] - رَفِيقى فى الجَنَةِ » ؟ فقال طلحةُ : اللَّهمَّ نعم . تَفرَّد به [3] .

حديثٌ آخَرُ ، [4] عن طلحةَ [4] : قال الترمذىُّ [5] : حَدَّثنا أبو هشامٍ الرفاعىُّ ، ثنا يَحْيَى بنُ اليَمانِ ، عن [6] شَيْخٍ مِن بنى زُهْرَةَ [6] ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ذُبابٍ [7] ، عن طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ [٥/١٧٤ظ] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لكلِّ نبىٍّ رفيقٌ ورفِيقِى فى الجنةِ عثمانُ » . ثم قال : هذا حديثٌ غريبٌ وليس إسنادُه بالقوىِّ ، وإسنادُه مُنقطِعٌ . ورَواه أبو مَرْوانَ [8] محمدُ بنُ عثمانَ ، عن أبِيه ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى الأصل ، م : « يعنى » ، وبعده فى م : « نفسه » .

(٣) سقط من : الأصل ، وبعده فى م : « أحمد » . والحديث من زيادات عبد الله بن أحمد .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، م .

(٥) الترمذى (٣٦٩٨) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٦٣) .

(٦ - ٦) فى النسخ : « شريح بن زهرة » . انظر تحفة الأشراف ٤ / ٢١٢ .

(٧) فى الأصل ، م : « وثاب » ، وفى باقى النسخ : « دياب » . انظر تهذيب الكمال ٥ / ٢٥٤ .

(٨) فى م : « عثمان » . والحديث أخرجه ابن ماجه (١٠٩) . قال البوصيرى : إسناده ضعيف ، فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم . مصباح الزجاجة ١ / ٦٦ . وضعفه الألبانى أيضا . (ضعيف سنن ابن ماجه ٢١) .

عن أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ .

وقال الترمذىُّ[1] : حَدَّثنا الفَضْلُ بنُ أبى طالبٍ البَغدادىُّ ، وغيرُ واحدٍ ، قالوا : حَدَّثنا عثمانُ بنُ زُفَرَ ، حَدَّثنا محمدُ بنُ زيادٍ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن أبى الزُّبَيْرِ ، عن جابرٍ قال : أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بجِنازةِ رجلٍ ليُصلِّىَ عليه فلم يُصَلِّ عليه ، فقِيلَ : يا رسولَ اللَّهِ ما رأَيْناك ترَكْتَ الصلاةَ على أحدٍ قبلَ هذا ؟ فقال : « إنَّه كان يَبغَضُ عثمانَ فأبغَضه اللَّهُ عزَّ وجَلَّ » . ثم قال الترمذىُّ : هذا حديثٌ غريبٌ ، ومحمدُ بنُ زيادٍ هذا صاحبُ مَيْمونِ بنِ مِهْرانَ ضعيفُ الحديثِ جِدًّا ، ومحمدُ بنُ زِيادٍ صاحبُ أبى هريرةَ بصرىٌّ ثقةٌ يُكْنَى أبا الحارثِ ، ومحمدُ ابنُ زيادٍ الألهانِىُّ صاحِبُ أبى أُمامةَ ثقةٌ شامىٌّ يُكْنَى أبا سفيانَ .

حديثٌ آخَرُ : روَى الحافظُ ابنُ عساكِرَ[2] ، مِن حديثِ أبى مَرْوانَ العُثمانىِّ[3] ، حَدَّثنى أبى[4] ، عثمانُ بنُ خالدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَقِى عثمانَ بنَ عفانَ على بابِ المسجدِ ، فقال : « يا عثمانُ ، هذا جبريلُ يُخبِرُنى أنَّ اللَّهَ قد زَوَّجَك أُمَّ كُلثومٍ بمثلِ صَداقِ رُقَيَّةَ ، على مثلِ مُصاحَبَتِها » . وقد روَاه ابنُ عساكِرَ[5] أيضًا ، مِن حديثِ ابنِ عباسٍ ، وعائشةَ ، وعُمارةَ بنِ رُوَيْبةَ ، وعِصْمَةَ بنِ مالكٍ الخَطْمِىِّ ، وأنسِ بنِ مالكٍ ، وابنِ عمرَ ، وغيرِهم . وهو غريبٌ ومُنكَرٌ مِن جميعِ طُرُقِه .

---

(١) الترمذى (٣٧٠٩) . موضوع . (ضعيف سنن الترمذى ٧٦٦) .

(٢) أخرجه فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٤، ٣٥. ومن الطريق نفسه أخرجه ابن ماجه (١١٠) . إسناده ضعيف (مصباح الزجاجة ١ / ٦٦) .

(٣) فى الأصل : « النعمانى » .

(٤) فى ا ١٥، ا ٧: « أبو » . وانظر تهذيب الكمال ١٩ / ٣٦٣، ٣٦٤.

(٥) فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٦- ٤١.

ورُوِى بإسنادٍ ضعيفٍ، عن عليٍّ[1] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لو كان لى أربعونَ ابنةً لزَوَّجْتُهن بعثمانَ واحدةً بعدَ واحدةٍ، حتى لا يَبقَى منهُنَّ واحدةٌ».

وقال محمدُ بنُ سعيدٍ الأُمويُّ، عن يُونُسَ بنِ أبى إسحاقَ، عن أبيه، عن المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ، قال: سألتُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ لِمَ قُلْتُم فى عثمانَ: [2]أعلاها فُوقًا[2]؟ قالوا: لأنَّه لم يَتزوَّجْ رجلٌ مِن الأوَّلِين والآخِرِين ابنتَىْ نبيٍّ غيرُه. رَواه ابنُ عساكِرَ[3].

وقال إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ[4]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكةَ، عن عائشةَ قالت: ما رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ رافعًا يدَيْه حتى يَبدوَ ضَبْعَيْه إلَّا لعثمانَ بنِ عفانَ، إذا دعا له.

وقال مِسْعَرٌ[5]، عن عطيةَ، عن أبى سعيدٍ قال: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن أوَّلِ الليلِ إلى أن طلَع الفجرُ رافعًا يدَيْه يَدعُو لعثمانَ بنِ عَفّانَ، يقولُ: «اللَّهمَّ عثمانُ رَضِيتُ عنه فارْضَ عنه». [٥/١٧٥و] وفى روايةٍ[6] يقولُ لعثمانَ: «غفَر اللَّهُ لك ما قدَّمتَ وما أخَّرْتَ، وما أسْرَرْتَ وما أعلَنْتَ، وما كان منك وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ». ورَواه الحسنُ[7] بنُ عَرفةَ، عن محمدِ بنِ القاسمِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٧.
(٢ - ٢) فى م، ص: «أعلانا فوقًا». والفوق الحظ والنصيب من الدين. النهاية ٣ / ٤٨٠.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٦.
(٤) المصدر السابق ص ٤٦. من طريق إسماعيل بن عبد الملك به.
(٥) المصدر السابق ص ٤٨. من طريق مسعر به.
(٦) المصدر السابق ص ٤٩. من طريق أبى سالم الفقيمى عن مسعر به.
(٧) المصدر السابق ص ٥١، ٥٢. من طريق الحسن به.

الأسدىّ[1] ، عن الأوزاعىّ ، عن حَسانَ بنِ عطيةَ ، عن النبىّ ﷺ مُرْسَلًا .

وقال ابنُ عدىٍّ[2] ، عن أبى يَعْلَى ، عن عمارِ بنِ ياسرٍ المُسْتَمْلِىّ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ المُسْتَمْلِىّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى وائلٍ ، عن حُذيفةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث إلى عثمانَ يَستعِينُه فى غَزاةٍ غَزاها ، فبعَث إليه عثمانُ بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ ، فوضَعها بينَ يدَيْه ، فجعَل يُقلِّبُها بيدَيْه ويَدْعُو له : « غفَر اللَّهُ لك يا عثمانُ ما أسررتَ وما أعلنتَ وما أخفيتَ ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ ، ما يُبالى عثمانُ ما عَمِل بعدَ هذا » .

حديثٌ آخَرُ : وقال ليثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ[3] : أوَّلُ مَن خبَص الخَبِيصَ عثمانُ ؛ خلَط بينَ العسَلِ والنَّقِىِّ[4] ، ثم بعَث به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مَنزِلِ أُمِّ سَلَمةَ ، فلم يُصادِفْه ، فلمّا جاء وضَعوه بينَ يدَيْه ، فقال : مَن بعَث بهذا ؟ قالوا : عثمانُ . قالت : فرفَع يدَيْه إلى السماءِ ، فقال : « اللَّهمَّ إنَّ عثمانَ يَترضّاك فارْضَ عنه » .

حديثٌ آخَرُ : روَى أبو يَعْلَى[5] ، عن شَيْبانَ[6] بنِ فَرُّوخٍ ، عن طلحةَ بنِ زَيْدٍ[7] ، عن عُبيدةَ بنِ حَسانَ ، عن عطاءٍ الكَيْخارنِىِّ ، عن جابرٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ

---

(١) بعده فى ا ١٥، ص : « وقد كذبه ابن معين » .

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل ١ / ٣٣٤، فى ترجمة إسحاق بن إبراهيم ، وقال : هو بهذا الإسناد غير محفوظ .

(٣) فى ا ١٥: « سالم » . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٩، ٥٠. من طريق ليث به بنحوه .

(٤) النقى : الخبز الحُوّارَى . النهاية ٥ / ١١٢.

(٥) مسند أبى يعلى (٢٠٥١) . بنحوه . وأورده ابن حجر فى المطالب العالية ٤ / ٥٢. وقال : فيه ضعف وفيه متروك .

(٦) فى م ، ص : « سنان » .

(٧) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « يزيد » .

وهو طلحة بن زيد القرشى ، أبو مسكين كان يضع الحديث . تهذيب الكمال ١٣ / ٣٩٥، ٣٩٦.

ﷺ اعتنق عثمانَ ، وقال : « أنتَ وَلِيِّى فى الدُّنيا ووَلِيِّى فى الآخرةِ »[1] .

حديثٌ آخَرُ : قال أبو داودَ الطيالسىُّ[2] : حَدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، وحمادُ بنُ زَيْدٍ ، عن الجُرَيْرِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوالةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَهْجُمون على رجلٍ مُعْتَجِرٍ[3] ببُرْدَةٍ مِن أهلِ الجنةِ ، يبايعُ الناسَ » . قال : فهَجَمْنا على عثمانَ بنِ عفانَ مُعْتَجِرًا يُبايعُ الناسَ .

---

(١) بعده فى ا ٨، ا ٧: « ولا يصح » .

(٢) مسند أبى داود الطيالسى (١٢٥٠) .

(٣) الاعتجار : لَىُّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك . تاج العروس (ع ج ر) .

فصلٌ فى ذِكْرِ شىءٍ مِن سيرتِه وهى دَالَّةٌ على فَضِيلَتِه ، رضِى اللَّهُ عنه

قال ابنُ مسعودٍ[1] : لمَّا توفِّىَ عمرُ بايَعْنا خيرَنا ولم نَأْلُ . وفى رِوايةٍ : بايَعوا[2] خيرَهم ولم يأْلُوا[3] .

وقال الأصمعىُّ[4] ، عن أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عَفّانَ ، قال : كان نَقْشُ خاتَمِ عثمانَ : آمَنْتُ بالذى خلَق فسوَّى .

وقال محمدُ بنُ المباركِ[5] : بلَغنى أنَّه كان نَقْشُ خاتَمِ عثمانَ : آمَن عثمانُ باللَّهِ العظيمِ .

وقال البخارىُّ فى « التاريخِ »[6] : ثنا موسَى ابنُ إسماعيلَ ، ثنا مباركُ بنُ فَضَالةَ ، قال : سمِعتُ الحسنَ يقولُ : أدرَكْتُ عثمانَ على ما نقَموا عليه ، قَلَّما يأتى على الناسِ يومٌ إلَّا وهم يقتَسِمون فيه خيرًا ، يقالُ لهم : يا معشرَ المسلِمين اغدُوا على أَعْطِياتِكم . فيأخُذونها وافِرةً ، ثم يقالُ لهم : اغدُوا على أرزاقِكم . فيأخُذُونها وافِرةً ، ثم يقالُ لهم : [٥/١٧٥ظ] اغدُوا على السَّمْنِ والعَسَلِ ، الأَعْطِياتُ جاريةٌ ، والأرزاقُ دارَّةٌ ، والعدُوُّ متَّقًى[7] ، وذاتُ البَيْنِ حسنٌ ، والخيرُ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ /٦٣ بنحوه . وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٠٥ فما بعدها ، بطرقه ورواياته .

(٢) فى ا ١٥، ا ٧: « بايعنا » .

(٣) فى ا ١٥، ا ٧: « نألوا » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص : ٢٠٣ بسنده ، من طريق الأصمعى به .

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٤.

(٦) المصدر السابق ص ٢٢٠ بسنده من طريق البخارى به بنحوه .

(٧) فى الأصل ، ا ١٥، ص ، ا ٨، ا ٧: « منفى » .

كثيرٌ ، وما مُؤْمِنٌ يخافُ مؤمِنًا ، مَن لَقِيَه فهو أَخُوه مَن كان ؛ أُلْفَتُه ونصيحتُه ومَودَّتُه ، قد عهِد إليهم أنَّها ستكونُ أثَرَةً ، فإذا كانت فاصبِروا . قال الحسنُ : فلو أنَّهم صبَروا حينَ رأَوْها لوَسِعَهم ما كانوا فيه مِن العطاءِ والرزقِ والخيرِ الكثيرِ ، قالوا : لا واللَّهِ ما نصابِرُها . فواللَّهِ ما رُدُّوا وما سلِموا ، والأُخرَى كان السيفُ مُغْمَدًا عن أهلِ الإسلامِ فسلُّوه على أنفسِهم ، فواللَّهِ ما زال مَسلولًا إلى يومِ الناسِ هذا ، وايْمُ اللَّهِ إنِّى لأرَاه سيفًا مَسلولًا إلى يومِ القيامةِ .

وقال غيرُ واحدٍ[1] ، عن الحسنِ البصرىِّ ، قال : سمِعْتُ عثمانَ يأمُرُ فى خُطْبَتِه بذبحِ الحمامِ وقتْلِ الكلابِ .

وروَى سيفُ بنُ عمرَ[2] أنَّ أهلَ المدينةِ اتَّخَذ بعضُهم الحمامَ ، ورمَى بعضُهم بالجُلاهِقَاتِ ، [3]فوَكَّل عثمانُ رجلًا مِن بنى لَيْثٍ يَتَتَبَّعُ ذلك ، فيَقُصُّ الحَمامَ ويكسِرُ الجُلاهِقاتِ[3] ، وهى قِسِىّ البُنْدُقِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : أنبأَنا القَعْنبِىُّ ، وخالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، ثنا محمدُ بنُ هلالٍ ، عن جَدَّتِه - وكانت تدخُلُ على عثمانَ وهو محصورٌ - فولَدَت هِلالًا ، ففقَدَها يومًا ، فقيل له : إنَّها قد ولَدَت هذه الليلةَ غلامًا . قالت : فأرسَل إلىَّ بخمسِين دِرْهمًا وشُقَيْقةً سُنْبُلانِيَّةً[5] ، وقال : هذا عطاءُ ابنِك وكِسْوتُه ، فإذا مرَّت به سَنَةٌ رفَعناه إلى مائةٍ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٨.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٣٩٨. من طريق سيف ابن عمر به بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٢. من طريق محمد بن سعد به .

(٥) الشقيقة ، تصغير الشقة : القطعة المشقوقة مستطيلة من الثياب . والسنبلانى : ثوب سابغ الطول ، منسوب إلى بلد بالروم .

وروَى [1]الزُّبيرُ بنُ أبى بكرٍ[1] ، عن محمّدِ بنِ سلّامٍ ، عن ابنِ دَابٍ[2] ، قال : قال ابنُ سعيدِ بنِ يَربوعِ بنِ عَنْكَثَةَ[3] المخزوميُّ : انطلَقْتُ وأنا غلامٌ فى الظَّهِيرةِ ومعى طيرٌ أرسِلُه فى المسجدِ ، والمسجدُ يُبْنَى ، فإذا شيخٌ جميلٌ حسنُ الوجهِ نائمٌ ، تحتَ رأسِه لَبِنَةٌ أو بعضُ لَبِنَةٍ ، فقُمْتُ أنظُرُ إليه أتعجَّبُ مِن جَمالِه ، ففَتَح عينَيه فقال : مَن أنتَ يا غلامُ ؟ فأخبَرْتُه ، [4]فنادَى غُلامًا نائمًا[4] ، قريبًا منه[5] ، فلم يُجِبْه ، فقال لى : ادعُه . فدَعَوْتُه فأمَره بشىءٍ وقال لى : اقعُدْ . قال : فذهَب الغلامُ فجاء بحُلَّةٍ ، وجاء بألفِ درهمٍ ، ونزَع ثوبِى وألبَسَنى الحلَّةَ ، وجعَل الألفَ درهمٍ فيها ، فرجَعْتُ إلى أبِى فأخبَرْتُه ، فقال : يا بُنَىَّ مَن فعَل هذا بك ؟ فقلتُ : لا أدْرِى ، إلَّا أنَّه رجلٌ فى المسجدِ نائمٌ لم أرَ قَطُّ أحسنَ منه . قال : ذاك أميرُ المؤمِنين عثمانُ بنُ عفانَ .

وقال عبدُ الرزاقِ[6] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : أخبرَنى يَزِيدُ بنُ خَصِيفةَ ، عن السائبِ[7] بنِ يَزِيدَ أنَّ رجلًا سأل عبدَ الرحمنِ بنَ عثمانَ التَّيْمىَّ[8] عن[9] صلاةِ طلحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟ [10]قال : إن شئتَ أخبَرتُك عن[10] صلاةِ عثمانَ ؟ قال :

(١ - ١) فى ا ٨: « الزبيرى بن بكار » ، وفى ا ٧: « الزبير بن بكار » . ولم أجد رواية للزبير بن بكار عن محمد بن سلَّام . تهذيب الكمال ٩/ ٢٩٤. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٢ .

(٢) فى الأصل : « برداب » ، وفى م : « بكار » . انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٧٢.

(٣) فى ا ١٥: « عتكية » ، وفى ا ٨: « عبكة » ، وفى ا ٧، م : « عتكة » ، وفى ص : « سنكثة » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٠١.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص : « فإذا غلامًا نائما » ، وفى م : « فإذا غلام نائم » .

(٥) بعده فى م : « فدعاه » .

(٦) المصنف (٤٦٥٣) بنحوه .

(٧) فى م ، ص : « أبى السائب » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٩٥.

(٨) فى ا ١٥، م : « التميمى » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٩) فى م : « أهى » .

(١٠ - ١٠) سقط من : النسخ . وهو مثبت من مصدر التخريج .

نعم . قال : قلتُ لأغلِبَنَّ الليلةَ النَّفَرَ على الحَجَرِ - يَعْنِى المَقامَ - فلمَّا قمتُ إذا رجلٌ يَزْحَمُنِى[1] مُقَنَّعًا ، قال : فالتَفَتُّ فإذا بعثمانَ[2] فتأخَّرتُ عنه ، فصَلَّى فإذا هو يَسجُدُ سُجودَ القرآنِ ، حتى إذا قلتُ : هذا هو أذانُ الفجرِ . أوتَر بركعةٍ لم يُصَلِّ غيرَها ، ثم انطلَق . وقد رُوِى هذا مِن غيرِ وجهٍ[3] [٥/١٧٦و] أنَّه صَلَّى بالقرآنِ العظيمِ فى ركعةٍ واحدةٍ عندَ الحَجَرِ الأسودِ ، أيامَ الحَجِّ . وقد كان هذا مِن دَأْبِه ، رضِى اللَّهُ عنه . ولهذا رُوِّينا عن ابنِ عمرَ[4] أنَّه قال فى قولِه تعالَى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] . قال : هو عثمانُ بنُ عَفّانَ . وقال ابنُ عباسٍ[5] فى قولِه تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] . قال : هو عثمانُ بنُ عَفّانَ .

وقال حسانُ[6] :

ضَحُّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به ... يُقطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقُرآنا

وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ[7] : ثنا إسرائيلُ بنُ موسَى ، سَمِعتُ الحسَنَ يقولُ : قال عثمانُ : لو أنَّ قُلوبَنا طَهُرَت ما شَبِعْنا مِن كلامِ رَبِّنا ، وإنِّى لأكرَهُ أن يأتِىَ علىَّ يومٌ لا أنظُرُ فى[8] المصحفِ ، وما مات عثمانُ حتى خرَق مُصحفَه مِن كثرةِ ما

---

(١) فى الأصل : « يرحمنى » ، وفى ا ١٥، م ، ص : « يرجمنى » .

(٢) بعده فى م : « يزحمنى » .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٦، والسنن الكبرى ٣/ ٢٤، ٢٥، وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) انظر حلية الأولياء ١/ ٥٦. وتاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٤.

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٦٠. وتاريخ دمشق : ترجمة عثمان ابن عفان ٢١٠- ٢١٢.

(٦) تقدم فى ص ٣٢٣ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٣٢ من طريق سفيان بن عيينة به .

(٨) فى ا ١٥، ا ٧: « فيه » .

يُدِيمُ النَّظرَ فيه .

وقال أَنَسٌ ومحمدُ بنُ سِيرِينَ[1] : قالتِ امرأةُ عثمانَ يومَ الدارِ : اقتُلوه أو دَعُوه ، فواللَّهِ لقد كان يُحْيِي الليلَ بالقرآنِ فى ركعةٍ . وقال غيرُ واحدٍ[2] : إنَّه ، رضِى اللَّهُ عنه ، كان لا يُوقِظُ أحدًا مِن أهلِه إذا قام مِن الليلِ ليُعِينَه على وُضوئِه ، إلَّا أن يَجِدَه يَقظانَ ، وكان يَصومُ الدهرَ ، وكان يُعاتَبُ فيقالُ له : لو أيقظْتَ بعضَ الخَدَمِ ؟ فيقولُ : لا ، الليلُ لهم يَستريحون فيه . وكان إذا اغتسَل[3] لا يَرفعُ المِئزرَ عنه ، وهو فى بيتٍ مُغلَقٍ عليه ، ولا يَرفَعُ صُلْبَه جيدًا مِن شِدَّةِ حَيائِه ، رضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٣/٧٦ عن ابن سيرين بنحوه وأبو نعيم فى الحلية ١/٥٧ عن أنس بنحوه .

(٢) انظر تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٩. وانظر حلية الأولياء ١/ ٥٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٧٣- ٧٤.

فصلٌ فى ذكرِ شىءٍ مِن خُطَبِه

قال الواقدىُّ[1] : حَدَّثنى [2]إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ[2] بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ المخزومىُّ ، عن أبيه أنَّ عثمانَ لمّا بُويِعَ خرَجَ إلى الناسِ فخطَبَهم ، فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ إنَّ ، أولَ كلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وإنَّ بعدَ اليومِ أيامًا ، وإن أعِشْ تأتِكم الخُطبةُ على وجهِها ، وما كنا خطباءَ ، وسَيُعلِّمُنا اللَّهُ .

وقال الحسنُ[3] : خطَب عثمانُ فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ اتقوا اللَّهَ فإنَّ تَقْوَى اللَّهِ غُنْمٌ ، وإنَّ أكيَسَ الناسِ مَن دانَ نفسَه وعمِل لِما بعدَ الموتِ ، واكتسَب مِن نورِ اللَّهِ نورًا لظلمةِ القبرِ ، ولْيَخْشَ عبدٌ أن يحشُرَه اللَّهُ أعمَى وقد كان بصيرًا ، وقد يكْفِينى[4] الحكيمُ جَوامِعَ الكَلِمِ ، والأصَمُّ يُنادَى مِن مكانٍ بعيدٍ ، واعلَموا أنَّ مَن كان اللَّهُ معه لم يَخَفْ شيئًا ، ومَن كان اللَّهُ عليه فمَن يَرجُو بعدَه ؟

وقال مجاهدٌ[5] : خطَب عثمانُ فقال : ابنَ آدمَ ، اعلَمْ أنَّ مَلَكَ الموتِ الذى وُكِّل بك لم يَزَلْ يُخْلِفُكَ ويتَخَطَّى إلى غيرِك منذُ أنتَ فى الدُّنيا ، وكأنَّه قد تَخَطَّى غيرَك إليك وقصَدك ، فخُذْ حِذْرَك واستَعِدَّ له ، ولا تَغْفُلْ فإنَّه لا يَغفُلُ عنك ، واعلَمِ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٣/٦٢ من طريق الواقدى به . وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٣٠، من طريق ابن سعد عن الواقدى به .

(٢ - ٢) فى م : « إبراهيم بن إسماعيل » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦.

(٣) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٣٠.

(٤) فى النسخ : « يلقى » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٣١.

ابنَ آدمَ ، إن غَفِلتَ عن نفسِك ولم تستَعِدَّ لها ، لم يَستَعِدَّ لها غيرُك ، [٥/١٧٦ظ] ولا بُدَّ مِن لِقاءِ اللَّهِ ، فخُذْ لنفسِك ولا تَكِلْها إلى غيرِك . والسَّلامُ .

وقال سيفُ بنُ عمرَ[(١)] ، عن بدرِ بنِ عثمانَ ، عن عَمِّه قال : آخِرُ خُطبةٍ خطَبها عثمانُ فى جماعةٍ : إنَّ اللَّهَ إنَّما أعْطاكم الدُّنيا لتَطلُبوا بها الآخِرةَ ، ولم يُعطِكُموها لتركَنوا إليها ، إنَّ الدُّنيا تفنَى وإنَّ الآخِرةَ تبقَى ، لا تُبطِرَنَّكم[(٢)] الفانيةُ ولا تشغَلَنَّكم عن الباقيةِ ، فآثِروا ما يبقَى على ما يفنَى ، فإنَّ الدنيا مُنقطِعةٌ ، وإن المصيرَ إلى اللَّهِ ، اتَّقوا اللَّهَ فإنَّ تَقواه جُنَّةٌ مِن بأسِه ، ووسيلةٌ عندَه ، واحذَروا مِن اللَّهِ الغِيَرَ ، والْزَموا جَماعتَكم ، لا تَصِيرُوا أحزابًا : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ إلى آخِرِ الآيتَيْنِ [آل عمران : ١٠٣، ١٠٤] .

فصـــل

قال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : حَدَّثنا هُشَيْمٌ ، ثَنا محمدُ بنُ قَيْسٍ الأَسَدِىُّ ، عن موسَى ابنِ طَلحةَ قال : سَمِعتُ عثمانَ بنَ عفانَ وهو على المِنبرِ والمؤذِّنُ يُقِيمُ الصلاةَ ، وهو يَستخبِرُ الناسَ يَسألُهم عن أخبارِهم وأسعارِهم[(٤)] .

وقال أحمدُ[(٥)] : حَدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا يُونُسُ - يَعْنِى ابنَ عُبَيْدٍ - حَدَّثنى عطاءُ بنُ فَرُّوخَ[(٦)] مَوْلَى القُرَشِيِّين أنَّ عثمانَ اشترَى مِن رجلٍ أرضًا فأبطَأَ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٤٢٢، وابن عساكر فى الموضع السابق ، كلاهما من طريق سيف بن عمر به .

(٢) فى ا ١٥: « تغرنكم » .

(٣) المسند ١/ ٧٣. (إسناده صحيح) .

(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧: « أشعارهم » ، وفى م ، ص : « أسفارهم » .

(٥) المسند ١/ ٥٨، ٧٠. (إسناده صحيح) .

(٦) فى ا ٧: « رافع » ، وفى ص : « فروح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٩٩.

عليه ، فلَقِيه فقال : ما منَعك مِن قبضِ مالِك ؟ قال : إنَّك غَبَنْتَنى ، فما ألقَى مِن الناسِ أحدًا إلَّا وهو يَلُومُنى . قال : أوَ ذلك يَمنَعُك ؟ قال : نعم . قال : فاختَرْ بينَ أرضِك ومالِك . ثم قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أدخَلَ اللَّهُ الجنةَ رجلًا كان سَهْلًا ، مشترِيًا ، وبائعًا ، وقاضيًا ، ومُقتَضِيًا » .

وروَى ابنُ جَريرٍ[1] أنَّ طلحةَ لَقِى عثمانَ وهو خارجٌ إلى المسجدِ ، فقال له طلحةُ : إنَّ الخَمسِين ألفًا التى لك عندِى قد حَصَلت ، فأرسِلْ مَن يَقبِضُها . فقال له عثمانُ : إنّا قد وَهَبناكها لمُروءَتِك .

وقال الأصمعىُّ[2] : استعمَل ابنُ عامرٍ قَطَنَ بنَ عبدِ عوفٍ الهلالىَّ علَى كَرْمانَ ، فأقبَل جيشٌ مِن المسلِمين - أربعةُ آلافٍ - وجرَى الوادِى[3] فقطعَهم عن طريقِهم ، وخشِى قَطَنٌ الفَوْتَ ، فقال : مَن جازَ الوادِىَ فله ألفُ دِرهمٍ . فحمَلوا أنفسَهم على العُظْمِ[4] ، فكان إذا جاز الرجلُ منهم قال قَطَنٌ : أعطُوه جائزتَه . حتى جازُوا جميعًا وأعطاهم أربعةَ آلافِ ألفِ درهمٍ ، فأتَى ابنُ عامرٍ أن يَحسِبَها له ، فكتَب بذلك إلى عثمانَ بنِ عفانَ ، فكتَب عثمانُ أن احسِبْها له ، فإنَّه إنَّما أعان المسلِمين فى سبيلِ اللَّهِ ، ففى[5] ذلك اليومِ سُمِّيتِ الجوائزُ لإجازةِ الوادِى ، فقال الكنانىُّ[6] فى ذلك :

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٤٠٥ بنحوه .

(٢) تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٢- ٢٢٣.

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ا ٨، ا ٧، م : « العوم » ، وفى ا ١٥ : « العطم » . والعظم ، بضم العين وسكون الظاء ، من قولهم : عظم الشىء يعنى جله وأكثره وأكبره . والمراد هنا أنهم خاطروا وتحملوا أكبر المشقة فى اجتياز هذا الوادى .

(٥) فى م : « فمن » .

(٦) فى ا ٧ : « الكتانى » . والأبيات فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٢٣، والبيت الأول والثانى فى اللسان (ج و ز) .

فِدًى للأكرمِينَ بَنِى هلالٍ ... على عِلّاتِهم أَهلِى ومالِى
هُمُ سَنُّوا الجوائزَ فى مَعَدٍّ ... فعادَت سُنَّةً أخرَى اللَّيالى
رِماحُهمُ تَزِيدُ على ثمانٍ ... وعشْرٍ قبلَ تركيبِ النِّصالِ

فصل

ومِن مَناقبِه الكِبارِ وحَسناتِه العظيمةِ أنَّه جمَع الناسَ على قراءةٍ واحدةٍ، وكتَب المصحفَ على العرضةِ الأخيرةِ، التى درَّسها جبريلُ[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ [٥/١٧٧و] [2]فى آخِرِ[2] سِنِى حياتِه، وكان سببُ ذلك أنَّ حُذَيْفةَ بنَ اليمانِ كان فى بعضِ الغَزَواتِ، وقد اجتمَع فيها خلقٌ مِن أهلِ الشامِ ممَّن يقرَأُ على قراءةِ المِقْدادِ بنِ الأسودِ وأبى الدَّرداءِ، وجماعةٌ مِن أهلِ العراقِ ممَّن يقرأُ على قراءةِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ وأبى موسى، وجعَل مَن لا يعلمُ بسَوَغانِ القراءةِ على سبعةِ أحرُفٍ، يُفضِّلُ قِراءتَه على قراءةِ غيرِه، وربَّما خَطَّأ الآخَرَ أو كَفَّره، فأدَّى ذلك إلى اختلافٍ شديدٍ وانتشارٍ فى الكلامِ السَّيِّئِ بينَ الناسِ، فركِب حذيفةُ إلى عثمانَ، فقال: يا أميرَ المؤمنِين أدرِكْ هذه الأُمَّةَ قبلَ أن تَختلِفَ فى كتابِها كاختلافِ اليهودِ والنصارَى فى كُتُبِهم. وذكَر له ما شاهَد مِن اختلافِ الناسِ فى القراءةِ، فعندَ ذلك جمَع عثمانُ الصحابةَ وشاورَهم فى ذلك، ورأى أن يُكتَبَ المصحفُ على حرفٍ واحدٍ، وأن يَجتمِعَ الناسُ فى سائرِ الأقاليمِ على القراءةِ به دونَ ما سِواه؛ لِما رأى فى ذلك مِن مصلحةِ كَفِّ المنازعةِ، ودفعِ[3]

---

(١) بعده فى م، ص: «على».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) فى ص: «وقوع».

الاختلافِ ، فاستدعَى بالصُّحُفِ[1] التى كان الصديقُ أمَر زيدَ بنَ ثابتٍ بجمعِها ، وكانت عندَ الصديقِ أيامَ حياتِه ، ثم كانت عندَ عمرَ ، فلمّا تُوفِّى صارت إلى حفصةَ أُمِّ المؤمنِين ، فاستدعَى بها عثمانُ وأمَر زيدَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ أن يَكتُبَ ، وأن يُمِلِيَ عليه سعيدُ بنُ العاصِ الأُمويُّ ، بحَضْرةِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ الأسَدِيِّ و [2]عبدِ الرحمنِ[2] بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ المخزوميِّ ، وأمَرهم إذا اختلَفوا فى شىءٍ أن يَكتُبوه بلغةِ قريشٍ ، فكتَب لأهلِ الشامِ مصحفًا ولأهلِ مصرَ آخَرَ ، وبعَث إلى البصرةِ مصحفًا وإلى الكوفةِ بآخَرَ ، وأرسَل إلى مكةَ مصحفًا وإلى اليمنِ مثلَه ، وأقَرَّ بالمدينةِ مصحفًا ، ويقالُ لهذه المصاحفِ : الأئمةُ . وليست كلُّها بخَطِّ عثمانَ ، بل ولا واحدٌ منها ، وإنَّما هى بخَطِّ زَيْدِ بنِ ثابتٍ ، وإنَّما يقالُ لها : المصاحفُ العثمانيةُ ؛ نسبةً إلى أمرِه وزمانِه وإمارتِه . كما يقالُ : دِينارٌ هِرَقْلِيٌّ . أى ضُرِب فى زمانِه ودَولَتِه .

وقال الواقدىُّ[3] : حَدَّثنا ابنُ أبى سَبْرَةَ ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ - ورَواه غيرُه[4] مِن وجهٍ آخرَ عن أبى هريرةَ - قال : لمَّا نسَخ عثمانُ المصاحفَ دخَل عليه أبو هريرةَ ، فقال : أصبتَ ووُفِّقتَ ، أشهَدُ لَسَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنّ أشَدَّ أُمَّتى حُبًّا لى قومٌ يأْتون مِن بعدِى يُؤْمنونَ بى ولم يَرَوْنى ، يَعمَلُون بما فى الوَرَقِ المعلَّقِ » . فقلتُ : أىُّ ورقٍ ؟ حتى رأيتُ المصاحفَ . قال : فأعجَب ذلك عثمانَ ، وأمَر لأبى هريرةَ بعشَرةِ آلافٍ ، وقال :

---

(١) فى ا ١٥، ا ٨، ا ٧: « بالمصاحف » .

(٢ - ٢) فى ا ١٥، ا ٧: « عبد اللَّه » . وانظر الإصابة ٥/ ٢٩.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٣٧. من طريق الواقدى به . وقال الألبانى : الحديث بهذا اللفظ موضوع . (السلسلة الضعيفة ٦٤٩) .

(٤) تاريخ دمشق الموضع السابق .

واللَّهِ ما عَلِمتُ أنَّك لَتَحْبِسُ علينا حديثَ نبيِّنا ﷺ . ثم عمَد عثمانُ إلى بقيةِ المصاحفِ التى بأيدِى الناسِ مما يُخالِفُ ما كتَبه فحرَّقه ؛ لئلَّا يقعَ بسببِه اختلافٌ ، فقال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ فى كتابِ « المصاحفِ »[1] : [٥/١٧٧ظ] حَدَّثنا محمدُ ابنُ بَشّارٍ ، ثنا محمدُ[2] بنُ جعفرٍ وعبدُ الرحمنِ قالا : ثنا شعبةُ ، عن علقمةَ بنِ مَرْثَدٍ[3] ، عن رجلٍ ، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ قال : قال[4] علىٌّ حينَ حرَّق عثمانُ المصاحفَ : لو لم يَصنَعْه هو لَصَنعتُه . وهكذا رَواه أبو داودَ الطيالسىُّ[5] ، وعمرُو ابنُ مَرزوقٍ[6] ، عن شُعبةَ مثلَه . وقد رَواه البيهقىُّ[7] وغيرُه ، مِن حديثِ محمدِ ابنِ أبانَ[8] - زوجِ أختِ حسينٍ[9] - عن عَلقمةَ بنِ مَرْثَدٍ[10] قال : سَمِعتُ العَيْزارَ[11] بنَ جَرْوَلَ[12] ، سَمِعتُ سُوَيْدَ بنَ غَفَلَةَ[13] قال : قال علىٌّ : أيُّها الناسُ ، إيَّاكم والغُلُوَّ فى عثمانَ ، يَقولونَ : حرَّق المصاحفَ . واللَّهِ ما حرَّقها إلَّا عن ملأٍ مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ ، ولو وَلِيتُ مثلَ ما وَلِى ، لَفعَلتُ مثلَ الذى فعَل .

---

(١) المصاحف ص ١٢.

(٢) فى ص : « أحمد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥.

(٣) فى الأصل : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٠٨.

(٤) بعده فى م : « لى » .

(٥) المصاحف لابن أبى داود ،الموضع السابق .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٣٨ من طريق عمرو بن مرزوق به .

(٧) السنن الكبرى ٢ /٤٢ بنحوه . وانظر تاريخ دمشق الموضع السابق .

(٨) فى ص : « أباد » . وانظر الجرح والتعديل ٧/ ١٩٩.

(٩) فى ص : « حسن » .

(١٠) فى الأصل : « يزيد » .

(١١) فى ص : « القزار » . وانظر الجرح والتعديل ٧/ ٣٧.

(١٢) فى ا ١٥: « جرون » ، وفى ا ٧: « حيرون » .

(١٣) فى ا ١٥: « علقمة » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٦٥.

وقد روِى عن ابنِ مسعودٍ[1] أنَّه تَعَتَّبَ[2] لمّا أُخِذ منه مُصحفُه فحرِّق ، وتَكلَّم فى تَقدُّمِ إسلامِه على زيدِ بنِ ثابتٍ الذى كتَب المصاحفَ ، وأمَر أصحابَه أن يَغُلُّوا مَصاحفَهم ، وتلا قولَه تعالَى : ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران : ١٦١] . فكتَب إليه عثمانُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يَدعُوه إلى اتِّباعِ الصحابةِ فيما أجمَعوا عليه مِن المصلحةِ فى ذلك ، وجمعِ الكلمةِ وعدمِ الاختلافِ ، فأناب وأجاب إلى المُتابعةِ وترَك المخالفةَ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعِين .

وقد قال أبو إسحاقَ[3] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ دخَل مسجدَ منًى ، فقال : كم صَلَّى أميرُ المؤمنِين الظهرَ ؟ قالوا : أربعًا . فصَلَّى ابنُ مسعودٍ أربعًا ، فقالوا : ألم تُحَدِّثْنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ صلَّوْا ركعتَيْن ؟ فقال : نعم ، وأنا أُحَدِّثُكموه الآنَ ، ولكنْ أكرَهُ الاختلافَ .

وفى « الصَّحِيحِ »[4] أنَّ ابنَ مسعودٍ قال : ليتَ حَظِّى مِن أربعِ ركَعاتٍ ركعتان مُتقبَّلتان .

وقال الأعمَشُ[5] : حدَّثنى مُعاويةُ بنُ قُرَّةَ - بواسِطٍ - عن أشياخِه قالوا : صَلَّى عثمانُ الظهرَ بمنًى أربعًا ، فبلَغ ذلك ابنَ مسعودٍ فعاب عليه ، ثم صَلَّى بأصحابِه العصرَ فى رَحْلِه أربعًا ، فقِيل له : عِبتَ[6] على عثمانَ وصَلَّيتَ أربعًا ؟ فقال : إنِّى أكرَهُ الخِلافَ . وفى روايةٍ[7] : الخِلافُ شَرٌّ . فإذا كان هذا مُتابَعةً مِن

---

(١) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ١٤- ١٧.

(٢) فى ا ٧: « تغيب » .

(٣) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٣/١٤٤ من طريق أبى إسحاق به ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٤٨ . من طريق البيهقى .

(٤) البخارى (١٠٨٤، ١٦٥٧) . ومسلم (٦٩٥) .

(٥) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٣ / ١٤٤. من طريق الأعمش به ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٤٨. من طريق البيهقى .

(٦) فى م : « عتبت » .

(٧) أبو داود (١٩٦١) . صحيح . (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٦) .

ابنِ مسعودٍ عثمانَ فى هذا الفَرْعِ ، فكيفَ بمُتابعتِه إيّاه فى أصلِ القرآنِ ، والاقتداءِ به فى التلاوةِ التى عزَم على الناسِ أن يَقرءُوا بها لا بغيرِها ؟ وقد حكَى الزُّهرىُّ[1] وغيرُه أنَّ عثمانَ إنَّما أتَمَّ الصلاةَ خشيةً على الأعرابِ أن يَعتقِدُوا أنَّ فَرْضَ الصلاةِ ركعتان . وقيل : بل قد تأهَّلَ بمكةَ . فروَى أبو يعلَى وغيرُه[2] ، مِن حديثِ عِكرمةَ ابنِ إبراهيمَ ، حَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ أبى ذُبابٍ ، عن أبيه أنَّ عثمانَ صَلَّى بهم بمنًى أربعَ ركَعاتٍ ، ثم أقبَل عليهم ، فقال : إنِّى سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذا تَزوَّج الرجلُ ببلدٍ فهو مِن أهلِه » . وإنِّى أتمَمْتُ لأنِّى تَزوَّجتُ بها منذُ قَدِمْتُها . وهذا الحديثُ لا يصحُّ ، [٥/١٧٨و] وقد تَزوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عُمْرةِ القضاءِ بمَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ ولم يُتِمَّ الصلاةَ . وقد قيلَ : إنَّ عثمانَ تأوَّل أنَّه أميرُ المؤمنِين حيث كان . وهكذا تأوَّلَتْ عائشةُ فأتَمَّت . وفى هذا التأويلِ نظرٌ ؛ فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ هو رسولُ اللَّهِ حيث كان ، ومع هذا ما أتَمَّ الصلاةَ فى الأسفارِ .

وممّا كان يَعتمِدُه عثمانُ بنُ عفانَ أنَّه كان يُلزِمُ عُمّالَه بحُضورِ المَوْسِمِ كلَّ عامٍ ، ويَكتُبُ إلى الرّعايا : مَن كانت له عندَ أحدٍ منهم مَظلِمَةٌ فلْيُوافِ إلى المَوْسِمِ ، فإنِّى آخُذُ له حَقَّه مِن عامِلِه . وكان عثمانُ قد سمَح لكثيرٍ مِن كبارِ الصحابةِ فى المَسيرِ حيثُ شاءوا مِن البلادِ ، وكان عمرُ يَحجُرُ عليهم فى ذلك ، حتى ولا فى الغزوِ ، ويقولُ : إنِّى أخافُ أن تَرَوُا[3] الدُّنيا أو[4] يَراكم أبناؤُها . فلمّا

---

(١) أبو داود (١٩٦٥) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٧٢٧) .

(٢) أخرجه بنحوه الإمام أحمد فى المسند ٦٢/١ . وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٥٠ . من طريق أبى يعلى به . إسناده ضعيف .

(٣) فى الأصل : « تزول » .

(٤) فى م : « أن » .

خرَجوا فى زمانِ عثمانَ اجتمَع عليهم الناسُ، وصار لكلِّ واحدٍ أصحابٌ، وطمِع كلُّ قومٍ فى توليةِ صاحبِهم الإمارةَ العامَّةَ بعدَ عثمانَ، فاستعجَلوا موتَه، واستطالوا حياتَه، حتى وقَع ما وقَع مِن بعضِ أهلِ الأمصارِ، كما تَقدَّم، فإنّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعون، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ، العلىِّ العظيمِ.

ذِكْرُ زوجاتِه وبَنِيه وبناتِه رضِى اللَّهُ عنه

تَزوَّج برُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فوُلِد له منها عبدُ اللَّهِ، وبه كان يُكْنَى، بعدَ ما كان يُكنَى فى الجاهليةِ بأبِى عمرٍو، ثم لمَّا تُوفِّيت تَزوَّج بأُختِها أُمِّ كُلثومٍ، ثم تُوفِّيت فتَزوَّج بفاخِتةَ بنتِ غَزْوانَ بنِ جابرٍ، فوُلد له منها عبيدُ[1] اللَّهِ الأصغرُ. وتَزوَّج بأُمِّ عمرٍو بنتِ جُندَبِ[2] بنِ عمرٍو الأَزْدِيَّةِ، فولَدت له عمرًا، وخالدًا، وأبانَ، وعمرَ، ومريمَ. وتَزوَّج بفاطمةَ بنتِ الوليدِ بنِ عبدِ شمسٍ المخزوميّةِ، فولَدت له الوليدَ وسعيدًا. وتَزوَّج أُمَّ البنِينَ بنتَ عُيَيْنةَ[3] بنِ حِصْنٍ الفزاريَّةَ، فولَدت له عبدَ الملكِ، ويقالُ: وعتبةَ. وتَزوَّج رَمْلةَ بنتَ شَيْبةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَىٍّ، فولَدت له عائشةَ، وأُمَّ أبانَ، وأُمَّ عمرٍو؛ بناتِ عثمانَ. وتَزوَّج نائلةَ بنتَ الفَرافِصةِ بنِ الأحوصِ بنِ عمرِو بنِ ثعلبةَ بنِ حصنِ بنِ ضَمْضَمِ بنِ عَدِىِّ بنِ جَنابِ[4] بنِ كَلْبِ[5]، فولَدت له مريمَ، ويقالُ: وعَنْبسةَ.

---

(١) فى ا ١٥، ا ٧: «عبد».

(٢) فى ا ١٥، ا ٧: «حبيب».

(٣) فى ا ١٥، ا ٧: «عتبة». وانظر الإصابة ٨/ ١٧٨.

(٤) فى الأصل: «خباب»، وفى ا ١٥: «حناب»، وفى ا ٧: «حبان»، وفى م: «حيان». وانظر جمهرة أنساب العرب ٤٥٦.

(٥) فى ا ١٥، ا ٧: «كليب».

وقتِل ، رضِى اللَّهُ عنه ، وعندَه أربعٌ ؛ نائلةُ ، ورَمْلَةُ ، وأُمُّ البنِينَ ، وفاخِتةُ . ويقالُ : إنَّه طلَّق أُمَّ البنِينَ وهو مَحصورٌ .

فصل

تَقدَّم فى دلائلِ النُّبوةِ الحديثُ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ ، وأبو داودَ[1] ، مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، عن منصورٍ ، عن رِبْعِىٍّ ، عن البراءِ بنِ ناجيةَ الكاهلىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بن مسعودٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ رحَى الإسلامِ ستدورُ[2] [٥/١٧٨ظ] لخمسٍ[3] وثَلاثينَ ، أو سِتٍّ وثلاثِين ، أو سبعٍ وثلاثِين ، فإن يَهلِكْ[4] فسبيلُ مَن[5] هلَك ، وإن يَقُمْ لهم دينُهم ، يَقُمْ لهم سبعِين عامًا » . قال : [6]فقال عمرُ[6] : يا رسولَ اللَّهِ أبما مضَى أم بما بقِى ؟ قال : « بل بما بَقِى » . وفى لفظٍ له ولأبى داودَ[7] : « تَدورُ رحَى الإسلامِ لخمسٍ وثلاثِين ، أو ستٍّ وثلاثِين » . الحديث . وكأنَّ هذا الشَّكَّ مِن الراوِى ، والمحفوظُ فى نفسِ الأمرِ : « خمسٍ وثلاثِين » . فإنَّ فيها قُتِل أميرُ المؤمنِين عثمانُ ، على الصحيحِ . وقيلَ : سنةَ[8] ستٍّ وثلاثين . والصحيحُ الأولُ . وكانت أُمورٌ شَنِيعةٌ فَظيعةٌ[8] ، ولكنَّ اللَّهَ سلَّم ووَقَى بحولِه وقُوَّتِه فلم يكنْ بأسرعَ مِن أن بايَع الناسُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ

---

(١) تقدم فى ٦ / ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) فى الأصل، ص: «ستزول»، وفى ا ١٥: «سيدور»، وفى سنن أبى داود والمسند: «تدور».

(٣) فى سنن أبى داود، والمسند: «بخمس».

(٤) فى ا ٨، ا ٧: «يهلكوا»، وفى م: «تهلك».

(٥) فى الأصل، ا ١٥، م، ص: «ما».

(٦ - ٦) فى أبى داود، والموضع الأول من المسند: «قال قلت».

(٧) تقدم أيضا فى ٩/١٧٤ .

(٨) سقط من: م.

عنه ، وانتظَم الأمرُ ، واجتمَع الشَّمْلُ ، ولكنْ جرَت بعدَ ذلك أُمورٌ فى يومِ الجَمَلِ وأيامِ صِفِّينَ ، على ما سنُبَيِّنُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

فصلٌ

فى ذِكْرِ مَن تُوفِّى فى زمانِ دولةِ[1] عثمانَ ممَّن لا يُعرَفُ وقتُ وفاتِه على التَّعيينِ ،[2] على ما ذكرَه شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذهبىُّ وغيرُه[2] .

أنَسُ بنُ مُعاذِ بنِ أنَسِ بنِ قَيْسٍ الأنصارىُّ النَّجَّارِىُّ[3] - ويقالُ له : أُنَيْسٌ أيضًا ، شهِد المَشاهِدَ كلَّها ، رَضِى اللَّهُ عنه .

أوسُ بنُ الصَّامتِ[4] ، أخو عُبادةَ بنِ الصامتِ الأنصاريّان ، شهِد بدرًا ، وأوْسٌ هو زوجُ المُجادِلةِ المذكورُ فى قولِه تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] . وامرأتُه خَوْلَةُ[5] بنتُ ثَعلبةَ .

أوسُ بنُ خَوَلِىٍّ الأنصارىُّ[6] ، مِن بنى الحُبَلَى ، شهِد بدرًا ، وهو المُنفَرِدُ مِن بينِ الأنصارِ بحُضورِ غُسْلِ النبىِّ ﷺ ، والنزولِ مع أهلِه فى قبرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ا ٧: «البخارى» . وانظر ترجمته فى الاستيعاب ١/ ١٠٨، وأسد الغابة ١/ ١٥٤، والإصابة ١/ ١٣٢.

(٤) الاستيعاب ١/ ١١٨، وأسد الغابة ١/ ١٧٢، والإصابة ١/ ١٥٦.

(٥) هكذا فى م، وفى بقية النسخ : «خويلة» . وقال ابن عبد البر : ويقال : خويلة . وخولة أكثر . الاستيعاب ٤/ ١٨٣٠، وكذا فى أسد الغابة ٧/ ٩٤، وانظر الإصابة ٧/ ٦١٨.

(٦) الاستيعاب ١/ ١١٧، وأسد الغابة ١/ ١٧٠، والإصابة ١/ ١٥٢.

الجَدُّ[1] **بنُ قيسٍ**[2]، كان سيدًا فى الأنصارِ، ولكنْ كان بخيلًا ومُتَّهَمًا بالنِّفاقِ، يقالُ[3]: إنَّه شهِد يومَ[4] بيعةِ الرِّضوانِ فلم يُبايِعْ، واستَتَر ببعيرٍ له. وهو الذى نزَل فيه قولُه تعالى[5]: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾. الآية [التوبة: ٤٩]. وقد قيل: إنَّه تاب [6]مِن ذلك[6] وأقلَع عنه[7]. فاللَّهُ أعلمُ.

الحُطَيْئَةُ الشاعرُ المشهورُ[8]، قيل: اسمُه جَرْوَلٌ. ويُكنَى بأبى مُلَيْكةَ، مِن بنى عَبْسٍ، أدرَك أيامَ الجاهليةِ، وأدرَك صدرًا مِن الإسلامِ، وكان يَطوفُ فى الآفاقِ يمتدِحُ الرؤساءَ مِن الناسِ، ويَستجدِيهم، ويقالُ: كان بخيلًا مع ذلك. سافَر مَرَّةً فودَّع امرأتَه فقال لها[9]:

عُدِّى السِّنِينَ إذا خَرَجْتُ[10] لغَيْبةٍ[11] ... ودَعِى الشُّهورَ فإنهنَّ قصارُ

[12]وكان مَدّاحًا هَجّاءً، وله شعرٌ جيدٌ، ومِن شعرِه ما قاله بينَ يدَىْ أميرِ المؤمنِين عمرَ بنِ الخطابِ، رضِى اللَّهُ عنه، فاستجاد منه قولَه[13][12]:

---

(١) فى الأصل، م: «الحر»، وفى ا ١٥: «الحد».
(٢) الاستيعاب ١/ ٢٦٦، وأسد الغابة ١/ ٣٢٧، والإصابة ١/ ٤٦٨.
(٣) تقدم ذلك فى ٦/ ٢١٥.
(٤) سقط من: الأصل، م.
(٥) التفسير ٤/ ١٠١.
(٦ - ٦) زيادة من: ا ١٥، ص.
(٧) زيادة من: ا ١٥، ص.
(٨) أسد الغابة ٢/ ٣٢، والإصابة ١/ ٥٣٣، ٢/ ١٧٦. وانظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٠٤، والأغانى ٢/ ١٥٧.
(٩) لم نجده فى الديوان. والقصة التى ورد بها البيت فى الأغانى ٢/ ١٧٧ دون البيت نفسه. وهو فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٣٤٠، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٢.
(١٠) فى الأصل: «حضرت»، وفى ا ١٥: «مرحت»، وفى ا ٧: «فرحت».
(١١) فى الأصل: «أفيته»، وفى مختصر تاريخ دمشق: «لغُنية».
(١٢ - ١٢) سقط من: الأصل.
(١٣) الديوان ٥٤.

(١ مَن يَفعَلِ الخيرَ لم يَعدِمْ جوازِيَه[٢] لا يَذهَبُ العُرفُ بينَ اللَّهِ والناسِ ١)

خُبَيْبُ[٣] بنُ يِسافِ بنِ عِنَبَةَ[٤] الأنصاريُّ[٥]، أحدُ مَن شهِد بدرًا.

سَلمانُ بنُ ربيعةَ الباهليُّ[٦]، يقالُ: له صحبةٌ. كان مِن الشُّجعانِ الأبطالِ المذكورِين والفرسانِ المشهورِين، وَلَّاه عمرُ قضاءَ الكوفةِ، ثم وُلِّى فى زمنِ عثمانَ إمرةً على جهادِ[٧] التُّرْكِ، فقُتِل ببَلَنْجَرَ[٨]، فقبرُه هناك فى [٥/١٧٩و] تابوتٍ يَستسقِى به الترْكُ إذا قحَطوا.

عبدُ اللَّهِ بنُ حُذافةَ بنِ قيسٍ القرشيُّ السَّهميُّ[٩]، هاجَر هو وأخوه قيسٌ إلى الحبشةِ، وكان مِن ساداتِ الصحابةِ، وهو القائلُ: مَن أبِى[١٠] يارسولَ اللَّهِ؟- وكان إذا لاحَى الرجالَ دُعِى (١١لغيرِ أبيه١١) - فقال: «أبوك حُذافةُ»[١٢]. وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ بعَثه إلى كِسْرَى، فدَفَع كتابَه إلى عظيمِ بُصْرَى، فبعَث معه مَن يُوصِّلُه إلى هِرَقْلَ[١٣]، كما تقدَّم. وقد أسَرتْه الرومُ فى زَمنِ عمرَ بنِ الخطابِ،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى النسخ: «جوائزه». والمثبت من الديوان.

(٣) فى ا ٧، ص: «حبيب».

(٤) فى النسخ: «عتبة». وانظر الحاشية التالية، وانظر أيضا الإكمال ٦/ ١١٨.

(٥) الاستيعاب ١/ ٤٤٣، وأسد الغابة ٢/ ١١٨، والإصابة ٢/ ٢٦١، وفيها أنه ابن إساف، وقيل: ابن يساف.

(٦) الاستيعاب ١/ ٦٣٢، وأسد الغابة ٢/ ٤١٥، والإصابة ٣/ ١٣٩.

(٧) فى الأصل، م: «قتال».

(٨) فى الأصل: «ببلخ»، وفى ص: «بعلنجر». وانظر أسد الغابة ٤١٦، ومعجم البلدان ١/ ٧٣٩.

(٩) الاستيعاب ٢/ ٨٨٨، وأسد الغابة ٣/ ٢١١، والإصابة ٤/ ٥٧.

(١٠) فى الأصل: «لى».

(١١ - ١١) فى الأصل: «لقرائبه». وانظر التفسير ٣/ ١٩٩.

(١٢) البخارى (٩٢، ٩٣، ٧٢٩٤)، ومسلم (١٣٦، ١٣٧، ١٣٨/ ٢٣٥٩).

(١٣) كذا فى النسخ، والصواب: كسرى. وتقدمت القصة فى ٦/ ٤٨٥. وانظر الاستيعاب ٣/ ٨٨٨، وأسد الغابة ٣/ ٢١٢.

رضِى اللَّهُ عنه ، فى جُملةِ ثمانين مِن المسلمِين ، فأرادُوه على الكفرِ فأبَى عليهم ، فقال له المَلِكُ : قَبِّلْ رأسى وأنا أُطلِقُك ومَن معك مِن المسلمِين . فقَبَّل رأسَه فأطلَقَهم ، فلمّا قدِم على عمرَ قال له : حقٌّ على كلِّ مسلمٍ أن يُقَبِّلَ رأسَك . ثم قام عمرُ فقَبَّل رأسَه (١ثم قبَّله الناسُ١) ، رضِى اللَّهُ عنه .

عبدُ اللَّهِ بنُ سُراقةَ بنِ المعتمرِ العَدَوىُّ[٢] ، صَحابىٌّ أُحُدِىٌّ ، وزعَم الزُّهْرىُّ[٣] أنَّه شهِد بدرًا . فاللَّهُ أعلمُ .

(٤**عبدُ اللَّهِ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ الأنصارىُّ النَّجَّارىُّ**[٥] ، شهِد بدرًا٤) .

عبدُ الرحمنِ بنُ سهلِ بنِ زيدٍ الأنصارىُّ الحارثىُّ[٦] ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها ، وقال ابنُ عبدِ البَرِّ[٧] : شهِد بدرًا . استعْمَلَه عمرُ على البصرةِ بعدَ موتِ عُتْبةَ بنِ غَزْوانَ . وقد نهَشَتْه حَيَّةٌ فرَقاه عُمارةُ بنُ حَزْمٍ ، وهو القائلُ لأبِى بكرٍ ، وقد جاءته جَدَّتان فأعطَى السُّدُسَ أُمَّ الأُمِّ وترَك الأُخرَى وهى أُمُّ الأبِ - فقال له : أعطَيْتَ التى لو ماتت لم يَرِثْها[٨] ، (٩وترَكْتَ التى لو ماتت لوَرِثها٩) . فشَرَك بينَهما .

(١ - ١) فى م ، ص : « قبل » .

(٢) الاستيعاب ٣/ ٩١٦، وأسد الغابة ٣/ ٢٥٥، والإصابة ٤/ ١٠٥.

(٣) انظر أسد الغابة ٣/ ٢٥٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) الاستيعاب ٣/ ٩٧٨، وأسد الغابة ٣/ ٣٦١، والإصابة ٤/ ٢١١.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٨٣٦، وأسد الغابة ٣/ ٤٥٧، والإصابة ٤/ ٣١٤.

(٧) الاستيعاب ٢/ ٨٣٦.

(٨) فى الأصل : « ترثها » .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل .

عمرُو بنُ سُراقةَ بنِ المُعتمِرِ العَدَوِىُّ[1] ، أخو[2] عبدِ اللَّهِ بنِ سُراقةَ ، وهو بَدْرِىٌّ كبيرٌ ، روِى أنَّه جاع مَرَّةً فربَط حَجَرًا على بطنِه مِن شِدَّةِ الجُوعِ ، ومشَى يومَه ذلك إلى الليلِ ، فأضافَه قومٌ مِن العَربِ ومَن معه ، فلمّا شبِع قال لأصحابِه : كنتُ أحسَبُ الرِّجْلَيْن يَحمِلان البطنَ ، فإذا البطنُ تَحمِلُ الرِّجْلَيْن .

عُمَيْرُ[3] **بنُ سعدٍ الأنصارىُّ الأوْسِىُّ**[4] ، صَحابىٌّ جَليلُ القَدْرِ كبيرُ المَحَلِّ ، كان يقالُ له : نَسِيجُ وَحْدِه . لكثرةِ زَهادَتِه وعِبادتِه ، شهِد فتحَ الشّامِ مع أبى عبيدةَ ، وناب بحِمْصَ وبدِمَشقَ أيضًا فى زمانِ عمرَ ، فلمّا كانت خِلافةُ عثمانَ عزَله ووَلَّى معاويةَ الشامَ بكمالِه ، وله أخبارٌ يَطُولُ ذِكْرُها .

عُروةُ بنُ حزامٍ ، أبو سعيدٍ العُذرِىُّ[5] ، كان شاعرًا مُغرَمًا فى ابنةِ عَمٍّ له ، وهى عَفْراءُ بنتُ مهاجرٍ ، يقولُ فيها الشِّعْرَ واشتُهر بحُبِّها ، فارتحَل أهلُها مِن الحِجازِ إلى الشامِ ، فتَبِعهم عروةُ فخَطَبها إلى عَمِّه فامتنَع مِن تزويجِه لفَقْرِه ، وزَوَّجها بابنِ عَمِّها الآخَرِ ، فهَلَك عروةُ هذا فى مَحبَّتِها ، وهو مذكورٌ فى كتابِ « مَصارِعِ العُشّاقِ »[6] ، ومِن شِعْرِه فيها قولُه[7] :

وما هو[8] إلّا أن أراها فُجاءةً فأُبْهَتُ حتى ما[9] أكادُ أُجِيبُ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٧٦، وأسد الغابة ٣/ ٢٢٧، والإصابة ٤/ ٦٣٣.

(٢) فى ا ٧: « أبو » .

(٣) فى ص : « عمرو » .

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٢١٥، وأسد الغابة ٣/ ٢٩٢، والإصابة ٤/ ٧١٨.

(٥) فى ا ٨، ا ٧، م : « العدوى » . وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٦٢٢ ، وذيل الأمالى ٢٤/ ١٢٤ ، وفوات الوفيات ٢/ ٤٤٧ .

(٦) لأبى محمد جعفر بن أحمد بن الحسين المتوفى سنة (٥٠٠) هـ . معجم المؤلفين ١/ ٤٨٥.

(٧) البيتان فى : الشعر والشعراء ٢/ ٦٢٢، ٦٢٣، والأغانى ٢٤/ ١٥٩.

(٨) فى م ، والأغانى : « هى » .

(٩) فى ا ٨، ا ٧: « لا » .

وأُصرَفُ[1] عن[2] رأيِ الذى[3] كنتُ أرتَئى[3] وأنسَى الذى أعددْتُ[4] حينَ[5] تَغِيبُ

قُطْبَةُ بنُ عامرٍ، أبو زيدٍ الأنصارىُّ[6] عَقَبِىٌّ بَدْرِىٌّ.

قَيْسُ بنُ قَهْدِ[7] بنِ قيسِ[8] بنِ ثَعْلبةَ الأنصارىُّ النَّجّارِىُّ، له حديثٌ فى الركعتَين قبلَ[9] الفجرِ[10]. وزعَم ابنُ ماكُولَا[11] أنَّه شهِد بدرًا. قال مصعبٌ الزُّبَيْرِىُّ[12]: هو جَدُّ يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ. [٥/١٧٩ظ] وقال الأكثرُون: بل

---

(١) فى الأغانى: «أصدف»، وفى الديوان «أصرف» بالراء، كما أشار إلى ذلك محقق الأغانى.

(٢) فى ص: «من».

(٣ - ٣) فى ا ٨، ا ٧: «قد رأيتها».

(٤) فى ا ٨، ا ٧، ص، والشعر والشعراء: «عددت»، وفى الأغانى: «أزمعت».

(٥) أشار محقق الأغانى إلى أن رواية الديوان: «ثم».

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٨٢، وأسد الغابة ٤/ ٤٠٦، والإصابة ٥/ ٤٤٤.

(٧) فى الأصل، م: «مهدى»، وفى ا ٨، ا ٧، ص: «فهد». وانظر مصادر ترجمته الآتية.

(٨) بعده فى ا ٧: «بن فهد بن قيس». وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٣/ ١٢٩٨، وأسد الغابة ٤/ ٤٤٠، والإصابة ٥/ ٤٩٦.

(٩) كذا فى النسخ، والصواب: «بعد». كما فى مصادر التخريج، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٣٥٢، الذى نقل عنه ابن كثير.

(١٠) أبو داود (١٢٦٧)، والترمذى (٤٢٢)، وقال: وإسناد هذا الحديث ليس بمتصل. وابن ماجه (١١٥٤). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١١٢٨).

والحديث عندهم عن قيس بن عمرو وليس قيس بن قهد، لكن قال الترمذى: قيس بن عمرو، ويقال: هو قيس بن قهد. وأخرجه ابن حبان عن قيس بن قهد. الإحسان (٢٤٧١). وحكى عنه الحافظ فى الإصابة ٥/٤٩٦ أنه جعل قهدا لقب عمرو، واستغربه الحافظ. والذى ذكر أنهما واحد هو مصعب الزبيرى ولكنهم خطأوه فى ذلك. انظر مصادر الترجمة السابقة. وقال البخارى فى ترجمة قيس بن عمرو: وقال بعضهم: قيس ابن قهد. وليس يثبت. التاريخ الكبير ٧/ ١٤٢. وانظر تهذيب التهذيب ٨/ ٤٠١.

والظاهر أن ابن كثير إنما تبع الحافظ الذهبى حيث أورده هكذا فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٣٥٢.

أما حديث قيس بن قهد فأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ١٤٢/٧ أن إماما لهم اشتكى فصلوا بصلاته جلوسا. وجوّد الحافظ إسناده فى الإصابة ٥/ ٤٩٧.

(١١) الإكمال ٧/ ٧٧.

(١٢) الاستيعاب ٣/ ١٢٩٨، وأسد الغابة ٤/ ٤٤٠، والإصابة ٥/ ٤٩٦.

هو جَدُّ أبى مَرْيَمَ عبدِ الغفارِ بنِ القاسمِ الكوفىِّ . فاللَّهُ أعلمُ .

لَبِيدُ بنُ ربيعةَ ، أبو عَقِيلٍ العامرىُّ الشاعرُ المشهورُ[1] . صَحَّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : «أصدَقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كَلِمةُ لَبِيدٍ ؛ ألَا كلُّ شىءٍ ماخلَا اللَّهَ باطلُ»[2] . وتمامُ البيتِ :

* وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ[3] *

فقال عثمانُ بنُ مظعونٍ[4] : إلَّا نعيمَ الجنةِ . وقد قيلَ : إنَّه تُوفِّى سنةَ إحدَى وأربعين . فاللَّهُ أعلمُ .

المُسَيّبُ [5]بنُ حَزْنِ بنِ أبى[5] وهبٍ المخزومىُّ[6] ، شهِد بيعةَ الرِّضوانِ ، وهو والدُ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ سيدِ التّابعِين .

مُعاذُ بنُ عمرِو بنِ الجَمُوحِ الأنصارىُّ[7] ، شهِد بدرًا ، وضرَب يومَئذٍ أبا جهلٍ بسيفِه فقطَع رجلَه ، وحمَل عكرمةُ بنُ أبِى جهلٍ على معاذٍ هذا فضرَبه بالسيفِ فحلَّ يدَه مِن كَتِفِه ، فقاتَل بَقيَّةَ يومِه وهى مُعَلَّقةٌ يَسحَبُها خلَفه ، قال معاذٌ : فلمَّا آذَتْنِى وضَعتُ قَدَمِى عليها ثم تَمطَّأتُ عليها حتى طرَحتُها[8] . رضِى اللَّهُ عنه . وعاش بعدَ ذلك إلى هذه السنةِ سنةِ خمسٍ وثلاثِين .

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٢٣٥، وأسد الغابة ٤/ ٥١٤، والإصابة ٥/ ٦٧٥.
(٢) البخارى (٣٨٤١، ٦١٤٧، ٦٤٨٩)، ومسلم (٢٢٥٦).
(٣) البيت بتمامه فى شرح ديوان لبيد ...، والأغانى ١٥/ ٣٧٥.
(٤) تقدم فى ٤/ ٢٢٨.
(٥ - ٥) فى ا ٧: «حرب بن أبى مريرة».
(٦) الاستيعاب ٣/ ١٤٠٠، وأسد الغابة ٤/ ١٧٧، والإصابة ٦/ ١٢١.
(٧) الاستيعاب ٣/ ١٤١٠، وأسد الغابة ٤/ ٢٠٢، والإصابة ٦/ ١٤٢.
(٨) سقط من: ص، وفى م: «انتهيت».

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبِى طالبٍ، القرشىُّ الهاشمىُّ[1]، وُلِد لأبِيه وهو بالحبشةِ، فلمَّا هاجَر إلى المدينةِ سنةَ خيبرَ، وتُوفِّى يومَ مُؤْتَةَ شهيدًا، جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى منزِلهم، فقال لأُمِّهم أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ: «ائْتِينِى ببَنِى أخِى». فجِىء بهم كأنَّهم أفرُخٌ، فجعَل يُقَبِّلُهم ويَشَمُّهم ويَبكِى، فبَكَتْ أُمُّهم فقال: «أتخافِينَ عليهم العَيْلةَ وأنا وَلِيُّهم فى الدُّنيا والآخِرةِ؟». ثم أمَر الحلاقَ فحَلَق رءُوسَهم[2]. وقد مات محمدٌ وهو شابٌّ فى أيامِ عثمانَ، كما ذكَرْنا. وزعَم ابنُ عبدِ البَرِّ[3] أنَّه تُوفِّى فى تُسْتَرَ. فاللَّهُ أعلمُ.

مَعْبَدُ بنُ العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ[4]، ابنُ عَمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قُتِل شابًّا بإفريقيَّةَ مِن بلادِ المغربِ.

مُعَيْقِيبُ بنُ أبى فاطمةَ الدَّوْسِىُّ[5]، صاحبُ خاتَمِ النبىِّ ﷺ، قيلَ: تُوفِّى فى أيامِ عثمانَ. وقيل: قبلَ ذلك. وقيلَ: سنةَ أربعِين. واللَّهُ أعلمُ.

مُنقِذُ[6] **بنُ عمرٍو الأنصارىُّ**[7]، أحدُ بَنِى مازِنِ بنِ النَّجارِ، كان قد أصابَتْه آمَّةٌ فى رأسِه فكسَرَت لسانَه، وضَعُفَ عقلُه، وكان يُكثِرُ مِن البيعِ والشِّراءِ [9]وكان يُغْبَنُ[10][9]، فقال له النبىُّ ﷺ: «مَن بايَعْتَ فقُلْ: لاخِلابةَ. ثم أنتَ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٣٦٧، وأسد الغابة ٤/ ٨٣، والإصابة ٦/ ٨.

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٣٦٨.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٤٢٧، وأسد الغابة ٤/ ٢٢٠.

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٤٧٨، وأسد الغابة ٤/ ٢٤٠، والإصابة ٦/ ١٩٣، ١٩٤.

(٦) فى الأصل: «سعد».

(٧) الاستيعاب ٤/ ١٤٥١، وأسد الغابة ٥/ ٢٧٣، والإصابة ٦/ ٢٢٤.

(٨) الآمَّة: شَجَّة بلغت أُم الرأس.

(٩ - ٩) سقط من: الأصل، م، ص.

(١٠) فى ا ٧: «يغش».

بالخيارِ فى كلِّ ما تَشترِيه ثلاثةَ أيامٍ »[1] . قال الشافعىُّ[2] : كان مُخَصَّصًا بإثباتِ الخيارِ ثلاثةً فى كلِّ بَيْعٍ ، سواءٌ اشترط الخيارَ أم لا .

نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ ، أبو سلمةَ الغَطَفانىُّ[3] ، وهو الذى خَذَّل بينَ الأحزابِ وبينَ بنى قُريظةَ ، كما قَدَّمناه[4] ، فله بذلك اليدُ البيضاءُ ، والرايةُ العُلْيا .

أبو ذُؤَيْبٍ خُوَيْلِدُ بنُ خالدٍ الهُذَلِىُّ[5] ، الشاعرُ المشهورُ[6] ، أدرَك الجاهليةَ ، وأسلَم بعدَ موتِ النبىِّ ﷺ ، وشهِد يومَ السَّقِيفةِ ، وصلَّى على النبىِّ ﷺ ، وكان أشعَرَ [٥/١٨٠و] هُذَيْلٍ ، وهُذَيْلٌ أشعَرُ العربِ ، وهو القائلُ[7] :

وإذا المَنِيَّةُ أَنشَبَتْ أظفارَها ... أَلفَيْتَ كُلَّ تَمِيمةٍ لا تَنْفَعُ
وتَجَلَّدِى للشّامِتِين أُرِيهِمُ ... أنِّى لرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

تُوفِّى غازيًا بإفريقيَّةَ فى خِلافةِ عثمانَ .

أبو رُهْمٍ سَبْرَةُ بنُ[8] **عبدِ العُزَّى ، القُرشىُّ العامِرِىُّ**[9] . ذكَره فى هذا

---

(١) أخرجه بنحوه البخارى فى التاريخ الكبير ٨/ ١٧، والدار قطنى فى سننه ٣/ ٥٥، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٢٧٣. واختلف فى القصة هل وقعت لمنقذ بن عمرو أو لابنه حَبّان ؟ انظر الإصابة ٢/ ١١، وفتح البارى ٤/ ٣٣٧.

(٢) انظر الأم ٣/ ٩٥.

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٥٠٨، وأسد الغابة ٥/ ٣٤٨، والإصابة ٦/ ٤٦١.

(٤) انظر ما تقدم فى ٦/ ٥٩- ٦٢.

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٦٤٨، وأسد الغابة ٦/ ١٠٢، والإصابة ٧/ ٣١.

(٦) زيادة من : ا ٨، ا ٧.

(٧) ديوان الهذليين ١/ ٣ ، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٨ ، ١٠.

(٨) فى الأصل ، ص : « ابن أبى » ، وفى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٣٥٩: « بن أبى بن » .

(٩) فى الأصل ، م ، ص : « الشاعر » . وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبى هنا فى ترجمة أبى رهم هذا ، ولكن الذى ترجم له ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٤٠٣ هو أبو سبرة بن أبى رهم العامرى الآتى ذكره ، وذكر أنه توفى فى خلافة عثمان ، وذكر ابن سعد أيضًا فى الطبقات ١/ ٧٩، ٣/ ٤٠٨ أبا رهم بن عبد العزى =

الفصلِ محمدُ بنُ سعدٍ وحدَه .

أبو زُبَيْدٍ[1] **الطائيُّ**[2] ، **الشاعرُ ، اسمُه حَرْمَلةُ بنُ المُنْذِرِ** ، كان نصرانيًّا[3] وكان يُجالِسُ الوليدَ بنَ عُقبةَ ، فأدخَلَه علَى عثمانَ فاستنشَدَه شيئًا مِن شعرِه ، فأنشدَه قصيدةً له فى الأسدِ بديعةً ، فقال له عثمانُ : تَفْتَأُ[4] تَذكُرُ الأسدَ ما حَيِيتَ ؟ إنِّى لأحسَبُك جَبانًا نصرانيًّا .

أبو سَبْرَةَ بنُ أبِى رُهْمٍ العامرىُّ[5] ، أخُو أبِى[6] سَلَمةَ بنِ عبدِ الأسَدِ ، أُمُّهما بَرَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ ، هاجَر إلى الحبشةِ وشهِد بدرًا وما بعدَها . قال [7]الزبيرُ بنُ بكّارٍ[7] : لا نَعلَمُ بدرِيًّا سكَن مكةَ[8] بعدَ النبىِّ سِواه . قال : وأهلُه يُنكِرون[9] ذلك .

= العامرى ؛ والذى هو أبو أبى سبرة الآتى . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٦٩.

(١) فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٣٥٩: «زيد».

(٢) الإصابة ٧/ ١٦٢، طبقات ابن سلام ٢/ ٥٩٣، والشعر والشعراء ١/ ٣٠١، والأغانى ١٢/ ١٢٧.

(٣) اختلف فى إسلامه ، فابن قتيبة وأبو الفرج يريان أنه لم يسلم ومات على نصرانيته ، والذى ذكره الطبرى فى تاريخه ٤/ ٢٧٣، وابن الأثير فى الكامل ٣/ ١٠٥، ١٠٦، وابن حجر فى الإصابة ٧/ ١٦٢، أنه أسلم وحسن إسلامه .

(٤) فى ا ٨: «مقتا لك»، وفى ا ٧: «مقالتك».

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٦٦٦، وأسد الغابة ٦/ ١٣٤، والإصابة ٧/ ١٦٨. وانظر التعليق على ترجمة أبى رهم سبرة بن عبد العزى.

(٦) فى ا ٧: «بنى».

(٧ - ٧) فى الأصل ، م ، ص : «الزبير» ، وفى ا ٧: «ابن الزبير بن بكار» . وقوله فى الاستيعاب ٤/ ١٦٦٦، وأسد الغابة ٦/ ١٣٥.

(٨) فى ا ٨، ا ٧: «بدرا».

(٩) فى الأصل ، م ، ص : «بيدر فى» ، وفى ا ٨، ا ٧: «بها» ، والمثبت من الاستيعاب ، وأسد الغابة ، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٣٦٠.

أبو لُبابةَ بنُ عبدِ المنذِرِ[1] ، أحَدُ نقباءِ ليلةِ العَقَبةِ ، وقيل : إنَّه تُوفِّى فى خِلافةِ علىٍّ . واللَّهُ أعلمُ .

أبو هاشمِ[2] **بنُ عُتبةَ**[3] ، تَقدَّم وفاتُه فى سنةِ إحدَى وعشرِين[4] . وقيل : فى خِلافةِ عثمانَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الاستيعاب ٤/١٧٤٠ ، وأسد الغابة ٦/٢٦٦ ، والإصابة ٧/٣٤٩ .

(٢) فى : ا ٨، ا ٧: « هشام » .

(٣) فى ا ٧: « عقبة » . وترجمته فى الاستيعاب ٤/١٧٦٧، وأسد الغابة ٦/ ٣١٦، والإصابة ٧/ ٤٢٢.

(٤) كذا ذكر الحافظ ابن كثير تبعا لشيخه الذهبى ، والحافظ الذهبى ذكره فى وفيات سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر ، ثم ذكره فى من توفى فى خلافة عثمان تقريبا ، انظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢٢٩، ٣٦٢، أما ابن كثير فلم يذكره فى وفيات سنة إحدى وعشرين ، انظر ما تقدم فى صفحة ١١٣- ١٢٠.

[٦/١ظ] *خلافةُ أميرِ المؤمنين علىّ بنِ أبى طالبٍ رضِى اللَّهُ عنه

(١) ولنذكُرْ شيئًا مِن ترجمتِه على سبيلِ الاختصارِ قبلَ ذلك (١) .

هو أميرُ المؤمنين علىُّ بنُ أبى طالبِ - واسمُه عبدُ مَنافِ - بنِ عبدِ المطلبِ - واسمُه شَيْبَةُ - ابنِ هاشمِ - واسمُه عمرٌو - بنِ عبدِ مَنافِ - واسمُه المغيرةُ - بنِ قُصَىٍّ - واسمُه زيدٌ - بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ ابنِ عَدْنانَ ، أبو الحسنِ والحسينِ ، ويُكنَى بأبى تُرابٍ وأبى القَضْمِ (٢) ، الهاشمىُّ ، ابنُ عَمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخَتَنُه على ابنتِه فاطمةَ الزهراءِ . وأُمُّه فاطمةُ بنتُ أسدِ ابنِ هاشمِ (٣) بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَىٍّ . ويقالُ : إنَّها أولُ هاشميةٍ ولَدت هاشميًّا . وكان له مِن الإخوةِ طالبٌ ، وعَقِيلٌ ، وجعفرٌ ، وكانوا أكبرَ منه ، بينَ كلِّ واحدٍ

---

* من هنا يبدأ الجزء السادس من المخطوطة الأحمدية المشار إليها بـ (الأصل) . ومن هنا أيضا تبدأ نسخة أحمد الثالث المشار إليها بـ (٦١) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ص : « القسم » ، وفى تاريخ دمشق ١٢/١٦ (مخطوط) : « قسم » . والمثبت موافق لما فى مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٠٠.

(٣) فى ا ٧: « هشيم »

منهم وبينَ الآخرِ عشْرُ سنينَ ، وله أُختان ؛ أُمُّ هانئٍ وجُمَانَةُ ، وكلُّهم مِن فاطمةَ بنتِ أسدٍ ، وقد أسلَمَت وهاجرَت .

كان عليٌّ أحدَ العشَرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ ، وأحدَ الستةِ أصحابِ الشورَى ، وكان ممَّن تُوُفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو راضٍ عنهم ، وكان رابعَ الخلفاءِ الراشدين ، وكان رجلًا آدَمَ شديدَ الأُدْمَةِ شَكِلَ[1] العينَيْن عظيمَهما ، [2]فيهما خَفَشٌ[2] ، ذو بطنٍ ، أصلعَ[3] ، وهو إلى القِصَرِ أقربُ ، وكان عظيمَ اللحيةِ ، قد مَلأَت صدرَه ومَنْكِبيه[4] ، أبيضُها كثيرٌ[5] ، وكان كثيرَ شعْرِ الصدرِ والكَتِفَين ، حسنَ الوجهِ ، ضحوكَ السِّنِّ ، خفيفَ المشيِ على الأرضِ .

أسلَم عليٌّ قديمًا وهو ابنُ سبعٍ ، وقيل : ابنُ ثمانٍ . وقيل : تسعٍ . وقيل : عشْرٍ . وقيل : إحدَى عَشْرةَ . [6]وقيل : اثْنَى عَشْرَةَ[6] . وقيل : ثلاثَ عشْرةَ . وقيل : أربعَ عَشْرةَ . وقيلَ : ابنُ خمسَ عشْرةَ ، أوسِتَّ عشْرةَ سنةً[7] . قاله عبدُ الرزاقِ[8] ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ . ويقالُ[9] : إنَّه أولُ مَن

---

(١) فى م : « أشكل » ، وفى ص : « تقتل » . وشكلت العين : إذا خالط بياضها حمرة .

(٢ - ٢) سقط من : م ، وفى الأصل : « حسن » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « حنس » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق ١٢/١١٩ (مخطوط) . والخفش : ضعف فى الإبصار يعرض فى النور الشديد .

(٣) فى الأصل : « أضلع » .

(٤) فى ص : « إلى كتفيه » .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل ، م .

(٧) تقدمت هذه الأقوال فى ٤/ ٦٤- ٧٣.

(٨) المصنف (٢٠٣٩١) .

(٩) تقدم ذلك فى ٤/ ٦٤- ٧٣.

أسلَم .[1] والصحيحُ أنَّه أولُ مَن أسلَم[1] مِن الغِلمانِ ، كما أنَّ خَديجةَ أوَّلُ مَن أسلَمت مِن النساءِ ، وزيدَ بنَ حارثةَ أولُ مَن أسلَم مِن المَوالى ، وأبو بكرٍ الصديقُ أولُ مَن أسلَم مِن الرجالِ الأحرارِ . وكان سببُ إسلامِ عليٍّ صغيرًا أنَّه كان فى كَفالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لأنَّه كان قد أصابَتهم سَنَةُ مَجاعةٍ ، فأخَذه مِن أبيه ، فكان فى كَفالتِه ، فلمّا بعَثه اللَّهُ بالحقِّ آمَنتْ خديجةُ وأهلُ البيتِ ، [2]ومِن جُملتِهم عليٌّ ، و[2]كان الإيمانُ النافعُ المتعدِّى نفعُه إلى الناسِ إيمانَ الصديقِ ، رضِى اللَّهُ عنه . وقد ورَد عن عليٍّ أنَّه قال[3] : أنا أولُ مَن أسلَم . ولا يصِحُّ إسنادُه إليه . وقد روِى فى هذا المعنَى أحاديثُ أورَدها ابنُ عساكرَ[4] ، كثيرةٌ منكَرةٌ لا يصحُّ شىءٌ منها . واللَّهُ أعلمُ . وقد روَى الإمامُ أحمدُ[5] ، مِن حديثِ [٦/٢و] شعبةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ : سمِعت أبا حمزةَ[6] - رجلًا مِن مَوالى الأنصارِ - قال : سمِعتُ زيدَ بنَ أرْقَمَ يقولُ : أولُ مَن أسلَم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عليٌّ . وفى روايةٍ[7] : أولُ مَن صلَّى . قال عمرٌو : فذكَرْتُ ذلك للنخعىِّ فأنكَره وقال : أبو بكرٍ أولُ مَن أسلَم . وقال محمدُ بنُ كعبٍ القرظىُّ[8] : أولُ مَن آمَن[9] خديجةُ ، وأولُ رجلَين آمنَا أبو بكرٍ وعليٌّ ، ولكنْ كان أبو بكرٍ يُظهِرُ إيمانَه وعليٌّ يَكتُمُ إيمانَه . قلتُ : يعْنِى خوفًا مِن أبيه ، ثم أمَره أبوه بمتابعةِ ابنِ عمِّه ونُصْرَتِه .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى ص : « وإنما » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ١٢٤، ١٢٥ (مخطوط) .

(٤) تاريخ دمشق ، الموضع السابق .

(٥) المسند ٤/ ٣٧١.

(٦) فى ا ٦: « حمرة » . وفى ص : « حرة » .

(٧) المسند ٤/ ٣٦٨. وتقدم تخريجه فى ٤/ ٦٩.

(٨) تقدم تخريجه فى ٤/ ٦٥. ولفظه هناك : « أول من أسلم » .

(٩) بعده فى م : « من النساء » .

وهاجَر عليٌّ بعدَ خروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكةَ ، وكان قد أمَره بقضاءِ دُيونِه وردِّ ودائِعه ، ثم يلحَقُ به ، فامتثلَ ما أمَره به ، ثم هاجَر ، وآخَى النبيُّ ﷺ بينَه وبينَ سهلِ بنِ حُنيفٍ . وذكَر ابنُ إسحاقَ وغيرُه مِن أهلِ السيرِ والمغازِى[1] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [2]آخَى بينَه وبينَ نفسِه[2] . [3]ولايَصِحُّ[3] ، وقد ورَد فى ذلك أحاديثُ كثيرةٌ لا يصحُّ شىءٌ منها ؛ لضعفِ أسانِيدِها ، ورَكَّةِ بعضِ مُتونِها ، فإنَّ فى بعضِها : «أنتَ أخِى ووارثِى وخليفَتى وخيرُ مَن أُمِّر بعدِى»[4] . وهذا الحديثُ موضوعٌ مخالفٌ لِما ثبَت فى [5]«الصحاحِ» وغيرِها[5] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد شهِد عليٌّ بدرًا ، وكانت له اليدُ البيضاءُ فيها ، بارَز يومَئذٍ فغلَب وظهَر ، وفيه وفى عمِّه حمزةَ وابنِ عمِّه عُبيدةَ بنِ الحارثِ وخصومِهم الثلاثةِ - عُتْبَةَ وشَيْبَةَ والوليدِ بنِ عُتْبَةَ - نزَل قولُه تعالى[6] : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحج : ١٩] . وقال الحكَمُ وغيرُه[7] ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : دفَع النبيُّ ﷺ الرايةَ يومَ بدرٍ إلى عليٍّ وهو ابنُ عشرين سنةً . وقال الحسنُ بنُ عرفةَ[8] : حدَّثنى عمارُ بنُ محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ محمدٍ الحنظليِّ ، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ قال : نادَى منادٍ فى السماءِ يومَ بدرٍ - يقالُ له : رضوانُ - : لا سيفَ إلَّا ذو

---

(١) انظر ما تقدم فى ٤/ ٥٦٠. وانظر تاريخ دمشق ١٣٥/١٢ (مخطوط) .

(٢ - ٢) فى ص : «آخاه» .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٦، م، ص .

(٤) لم نجده بهذا اللفظ، وانظر ما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣٥/١٢ وما بعده (مخطوط) . وانظر الموضوعات ١/ ٣٤٦، والفوائد المجموعة ص ٣٤٦.

(٥ - ٥) فى م : «الصحيحين وغيرهما» . وانظر ما تقدم فى ٣٦/٨ وما بعدها .

(٦) التفسير ٥/ ٤٠١. وانظر ما تقدم فى ٥/ ٩٦، ٩٧.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤٦/١٢ (مخطوط) من طرق عن مقسم به .

(٨) تاريخ دمشق الموضع السابق .

الفَقَارِ، ولا فتًى إلَّا عليٌّ. قال ابنُ عساكرَ[1]: وهذا مرسلٌ، وإنَّما تنفَّل[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه ذا الفَقَارِ يومَ بدرٍ ثم وهَبه مِن عليٍّ بعدَ ذلك. وقال يونسُ بنُ بكيرٍ[3]، عن مسعرٍ، عن أبى عونٍ[4]، عن أبى صالحٍ، عن عليٍّ قال: قيل لى يومَ بدرٍ ولأبى بكرٍ [5]قيل لأحدِنا: معك[5] جبريلُ، ومع الآخرِ ميكائيلُ. قال: وإسرافيلُ مَلَكٌ عظيمٌ يشهَدُ القتالَ ولا يقاتِلُ ويكونُ فى الصفِّ.

وشهِد عليٌّ أُحُدًا، وكان على الميمنةِ ومعه الرايةُ بعدَ مصعبِ بنِ عُمَيرٍ، وعلى الميسرةِ المنذرُ بنُ عمرٍو الأنصاريُّ، وحمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ على القلبِ، وعلى الرَّجَّالةِ الزبيرُ بنُ العوامِ، وقيل: المقدادُ بنُ الأسودِ. وقد قاتَل عليٌّ يومَئذٍ[6] قتالًا شديدًا، وقتَل خلقًا[7] مِن المشركين، وغسَل عن وجهِ النبىِّ ﷺ الدمَ[8] حينَ شُجَّ يومَئذٍ[9] فى رأسِه[10] [٦/٢ظ] وكُسِرَت رَبَاعِيَتُه.

وشهِد يومَ الخندقِ فقتَل يومَئذٍ فارسَ العربِ وأحدَ شجعانِهم المشاهيرِ، عمرَو ابنَ عبدِ وُدٍّ العامرىَّ، كما قدَّمنا ذلك[11].

وشهِد الحُدَيْبِيَةَ وبيعةَ الرضوانِ، وشهِد خيبرَ وكانت له بها مَواقفُ هائلةٌ،

---

(١) المصدر السابق. وفيه: ثم وهبه بعد ذلك لعلى.
(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «نفل».
(٣) المصدر السابق. وتقدم تخريجه عند الإمام أحمد فى ١١٢/٥ عن أبى نعيم عن مسعر به.
(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «عوف». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٨.
(٥ - ٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، المسند: «مع أحدكما»، وفى ا ٦: «مع أحدهما».
(٦) فى م: «يوم أحد».
(٧) بعده فى م، ص: «كثيرًا».
(٨) بعده فى م، ص: «الذى كان أصابه من الجراح».
(٩) سقط من: م، ص.
(١٠) فى م، ص: «وجهه».
(١١) بعده فى م، ص: «فى غزوة الخندق».

[1]ومشاهدُ طائلةٌ[1]؛ منها أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه»[2]. فبات الناسُ يَدُوكُون[3] لَيْلتَهم[4] أيُّهم يُعطاها، فدعا عليًّا - وكان أرْمَدَ - فدعا له، وبصَق فى عينَيه فلم يرمَدْ بعدَها، فبرَأ وأعطاه الرايةَ، ففتَح اللَّهُ على يدَيْه، وقتَل مَرْحَبًا اليهوديَّ. وذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[5]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ، عن بعضِ أهلِه، عن أبى رافعٍ أنَّ يهوديًّا ضرَب عليًّا فطرَح تُرْسَه، فتناوَل بابًا عندَ الحصنِ فتَتَرَّس به، فلم يَزَلْ فى يدِه حتى فتَح اللَّهُ على يدِه ثم ألقاه مِن يدِه. قال أبو رافعٍ: فلقد رأيتُنى أنا وسبعةٌ معى نَجْهَدُ[6] أن نقلِبَ ذلك البابَ على ظهرِه يومَ خيبرَ فلم نستطِعْ. وقال ليثٌ[5]، عن أبى جعفرٍ، عن جابرٍ أنَّ عليًّا حمَل البابَ على ظهرِه [7]يومَ خيبرَ[7] حتى صعِد المسلمون عليه ففتَحوها، فلم يَحمِلْه[8] [9]إلَّا أربعون[9] رجلًا. ومنها أنَّه قتَل مَرْحبًا فارسَ يهودَ وشُجاعَهم[10].

وشهِد عليٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، عُمْرَةَ القضاءِ، وفيها قال له النبىُّ ﷺ: «أنتَ

(١ - ١) زيادة من: م، ص.

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٦١.

(٣) فى الأصل، م، ص: «يذكرون». وانظر ٦/٢٦١ حاشية (٥).

(٤) سقط من: م، ص.

(٥) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٧٣.

(٦) فى م، ص: «نجتهد».

(٧ - ٧) فى الأصل، ا ٦: «يومئذ».

(٨) فى الأصل: «يجهله»، وفى م: «يحملوه».

(٩ - ٩) فى الأصل، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣١: «الأربعون»، وفى مصدر التخريج: «أربعون»، والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٨ (مخطوط).

(١٠) فى م: «شجعانهم».

منِّى ، وأنا منك »[1] . وما يذكُره كثيرٌ مِن القُصّاصِ فى مقاتَلَتِه الجنَّ فى بئرِ ذاتِ العلمِ - [2]وهو بئرٌ[2] قريبٌ مِن الجُحفةِ - فلا أصلَ له ، وهو مِن وضعِ الجهَلةِ مِن الأخباريِّين فلا يُغترُّ به .

وشهِد الفتحَ وحُنينًا والطائفَ ، وقاتَل فى هذه المشاهدِ قتالًا كثيرًا ، واعتمَر مِن الجِعْرانةِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولـمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى تبوكَ واستخلَفَه على المدينةِ قال : يارسولَ اللَّهِ أتَخلِّفُنِى مع النساءِ والصبيانِ ؟ فقال : « ألَا ترضَى أن تكونَ منِّى بمنزلةِ هارونَ مِن مُوسى ، غيرَ[3] أنَّه لا نبىَّ بعدِى »[4] .

وبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمنِ ، ومعه خالدُ بنُ الوليدِ ، ثم وافَى رسولَ اللَّهِ ﷺ عامَ حَجَّةِ الوَداعِ إلى مكةَ ، وساق معه هَدْيًا ، وأهلَّ كإهلالِ النبىِّ ﷺ فأشرَكه فى هَدْيِه ، واستمرَّ على إحرامِه ، [5]ونحرا هَدْيَهما بعدَ فراغِ نُسُكِهما ، كما تقدَّم[5] .

ولـمَّا مرِض رسولُ اللَّهِ ﷺ قال له العباسُ : سَلْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَن الأمرُ بعدَه ؟ فقال : واللَّهِ لا أسألُه ، فإنَّه إن منَعَناها لا يُعطِيناها الناسُ بعدَه أبدًا[6] . والأحاديثُ الصحيحةُ الصريحةُ دالَّةٌ على أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُوصِ إليه ولا إلى غيرِه بالخلافةِ ، بل لَوَّح بذكرِ الصديقِ ، وأشار إشارةً مُفْهِمةً ظاهرةً جدًّا إليه ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٩٤.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) فى الأصل : « إلا ».

(٤) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٥٥، ١٥٦.

(٥ - ٥) زيادة من : م. وتقدم ذلك فى ٧/ ٥٥٦- ٥٥٧.

(٦) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٤.

كما قدَّمنا ذلك وللَّهِ الحمدُ. وأمَّا ما يفتَريه كثيرٌ مِن جهلةِ الشِّيعةِ والقُصّاصِ الأغبياءِ[1]، مِن أنه أوصَى إلى عليٍّ بالخلافةِ، فكَذِبٌ وبَهْتٌ وافتراءٌ عظيمٌ يلزمُ منه خَطأٌ كبيرٌ؛ مِن جَوْرِ[2] الصحابةِ وتمَالُئِهم[3] بعدَه، عليه السلامُ، على تركِ إنفاذِ وصيَّتِه [٦/٣و] وإيصالِها إلى مَن أوصَى إليه، وصَرْفِهم إيّاها إلى غيرِه، لا لمعنًى ولا لسببٍ، وكلُّ مؤمنٍ باللَّهِ ورسولِه يتحققُ أنَّ دينَ الإسلامِ هو الحقُّ، يعلَمُ بُطلانَ هذا الافتراءِ؛ لأنَّ الصحابةَ كانوا خيرَ الخلقِ بعدَ الأنبياءِ، وهم خيرُ قرونِ هذه الأُمةِ، التى هى أشرفُ الأُممِ بنصِّ القرآنِ، وإجماعِ السَّلَفِ والخَلَفِ، فى الدنيا والآخِرةِ، وللَّهِ الحمدُ.

وما يقُصُّه بعضُ القُصّاصِ مِن العَوامِّ وغيرِهم فى الأسواقِ وغيرِها، مِن الوصيةِ لعليٍّ بآدابٍ وأخلاقٍ فى المأْكَلِ والمَشرَبِ والملبَسِ، مثلَ ما يقولون: يا عليُّ لا تَعتَمَّ وأنت قاعدٌ، يا عليُّ لا تلبَسْ سَراوِيلَك وأنت قائمٌ، يا عليُّ لا تُمسِكْ عِضادَتَي البابِ[4]، ولا تجلِسْ على [5]أُسْكُفَّةِ البابِ[5]، ولا تَخِطْ ثوبَك وهو عليك. ونحوَ ذلك، كلُّ ذلك مِن الهَذَياناتِ فلا أصلَ له[6]، بل هو اختلاقٌ [7]وكذِبٌ وزُورٌ[7].

ثم لمَّا مات رسولُ اللَّهِ ﷺ كان عليٌّ فى جُملةِ مَن غسَّله وكفَّنه ووَلِى دفْنَه،

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٧، ا ٦.

(٢) فى م، ص: «تخوين».

(٣) فى م، ص: «ممالأتهم».

(٤) عضادتا الباب: خشبتان منصوبتان مثبتتان فى الحائط على جانبيه.

(٥ - ٥) فى ص: «الأسكفة». وأسكفة الدار عتبته.

(٦) فى م، ص: «لشىء منه».

(٧ - ٧) فى م، ص: «بعض السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يغتر به إلا غبى عبى».

كما تقدَّم ذلك [1]مفصَّلًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ[1] .

وسيأْتى فى بابِ فضائلِه ذكرُ تَزويجِه بفاطمةَ بعدَ وقعةِ بدرٍ ، فوُلِد له منها حسنٌ وحسينٌ ومُحَسِّنٌ ، كما قدَّمْنا[2] . وقد ورَدتْ أحاديثُ فى ذلك لا يصحُّ كثيرٌ[3] منها بل أكثرُها مِن وضعِ الرَّوافضِ والقُصّاصِ .

ولـمَّا بويع الصديقُ يومَ السَّقيفةِ كان علىٌّ مِن جُملةِ مَن بايَع بالمسجدِ ، [4]كما قدَّمنا[4] . وكان بينَ يدَيِ الصديقِ كغيرِه مِن أُمراءِ الصحابةِ يَرى طاعتَه فرضًا عليه ، وأحبَّ الأشياءِ إليه ، ولمَّا تُوُفِّيت فاطمةُ بعدَ ستةِ أشهرٍ ، وكانت قد تغضَّبت بعضَ التَّغَضُّبِ[5] على أبى بكرٍ ، بسببِ الميراثِ الذى فاتَها مِن أبيها ، عليه السلامُ ، ولم تكنِ اطَّلَعت على النَّصِّ المختصِّ بالأنبياءِ وأنَّهم لا يُورَّثون ، فلمَّا بلغَها سألَتْ أبا بكرٍ أن يكونَ زوجُها ناظرًا على هذه الصدقةِ ، فأبَى ذلك عليها ، فبَقِى فى نفسِها شىءٌ ، كما قدَّمنا[6] ، واحتاجَ علىٌّ أن يُداريَها بعضَ المُداراةِ ، فلمَّا تُوُفِّيت جَدَّد علىٌّ البيعةَ مع الصديقِ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، فلمَّا تُوُفِّى أبو بكرٍ وقام عمرُ فى الخلافةِ ، بوصيةِ أبى بكرٍ إليه بذلك ، كان علىٌّ مِن جُملةِ مَن بايعَه ، وكان معه يُشاوِرُه فى الأُمورِ ، ويُقالُ : إنَّه استَقْضاه فى أيامِ خِلافتِه ، وقدِم معه فى جُملةِ ساداتِ أُمراءِ الصحابةِ إلى الشامِ ، وشهِد خطبتَه بالجابيةِ ، فلمّا طُعِن

(١ - ١) زيادة من : م ، ص . وانظر ما تقدم فى ٨/١١٩ و١٢٥ و١٣٦ .

(٢) انظر ما تقدم فى ٨/٢٤٢ .

(٣) فى م : « شىء » .

(٤ - ٤) زيادة من : م ، ص . وانظر ما تقدم فى ٨/٩١ .

(٥) فى م ، ص : « الشىء » .

(٦) انظر ما تقدم فى ٨/٩٢ .

عمرُ وجعَل الأمرَ شورَى فى ستةٍ أحدُهم علىٌّ ، (١ثم خُلِص منهم بعثمانَ وعلىٌّ - كما قدَّمْنا١) - فقُدِّم عثمانُ على عَلِىٍّ ، سمِع وأطاع . فلمَّا قُتِل عثمانُ يومَ الجمعةِ لثمانِ عَشْرَةَ خلتْ مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ خمسةٍ وثلاثين ، على المشهورِ ، عدَل الناسُ إلى علىٍّ فبايَعوه قبل أن يُدفَنَ عثمانُ ، وقيلَ : بعدَ دفنِه . كما تقدَّم ، وقد امتنَع علىٌّ مِن مُبايعتِهم ، وفرَّ منهم إلى حائطِ[٢] بنى عمرِو بنِ مَبذُولٍ[٣] ، وأغْلَق بابَه (٤وامتنَع مِن قَبولِ الإمارةِ حتى تكرَّر قولُهم٤) ، فجاء الناسُ فطرَقوا البابَ وولجُوا عليه ، وجاءُوا معهم بطلحةَ والزبيرِ ، فقالوا له : إنَّ هذا الأمرَ لا يمكِنُ بقاؤُه بلا أميرٍ ، ولم يَزالوا به حتى أجابَ .

ذكرُ بَيْعَةِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، بالخلافةِ [٦/٣ظ]

فيُقالُ : إنَّ أولَ مَن بايَعه طلحةُ بيدِه اليُمنىَ وكانت شَلَّاءَ مِن يومِ أُحُدٍ - لمَّا وقَى بها رسولَ اللَّهِ ﷺ - فقال بعضُ القومِ : واللَّهِ إنَّ هذا الأمرَ لا يَتِمُّ . وخرَج علىٌّ إلى المسجدِ فصعِد المِنبرَ وعليه إزارٌ وعِمامةُ خزٍّ ، ونعلاه فى يدِه ، يتوكَّأُ على قوسِه ، فبايعَه عامَّةُ الناسِ ، وذلك يومُ السبتِ التاسعَ عَشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ خمسٍ وثلاثين ، ويُقالُ : إنَّ طلحةَ والزبيرَ إنَّما بايعاه بعد أن طلَبهما وسألَاه أن

(١ - ١) زيادة من : م ، ص . وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٠٨ .

(٢) زيادة من : م ، ص .

(٣) فى الأصل ، م : « مبدول » ، وفى ا ٧ : « مندول » . وانظر الكامل ٣/ ١٩١ .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

يُؤَمِّرَهما على البصرةِ والكوفةِ ، فقال لهما : بل تكونان عندى أستأْنِسُ بكما .

ومِن الناسِ مَن يزعُمُ أنَّه لم يبايِعْه طائفةٌ مِن الأنصارِ ؛ منهم حسانُ بنُ ثابتٍ ، وكعبُ بنُ مالكٍ ، ومسلمةُ بنُ مُخَلَّدٍ ، وأبو سعيدٍ ، ومحمدُ بنُ مسلمةَ ، والنعمانُ بنُ بشيرٍ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، ورافعُ بنُ خَديجٍ ، وفَضالةُ بنُ عبيدٍ ، وكعبُ ابنُ عُجْرةَ . ذكَره ابنُ جريرٍ[1] ، مِن طريقِ المدائنىِّ ، عن شيخٍ مِن بنى هاشمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ . قال المدائنىُّ[2] : حدَّثنى مَن سمِع الزُّهْرِىَّ يقولُ : هرَب قومٌ مِن المدينةِ إلى الشامِ ولم يبايِعوا عليًّا ، ولم يبايعْه قدامةُ بنُ مظعونٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سلَامٍ ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ . قلتُ[3] : وهرَب مروانُ بنُ الحكمِ والوليدُ بنُ عقبةَ وآخرون إلى الشامِ . وقال الواقدىُّ[4] : بايَع الناسُ عليًّا بالمدينةِ ، وتربَّص سبعةُ نفرٍ لم يبايِعُوا ؛ منهم ابنُ عمرَ ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، وصهيبٌ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، ومحمدُ بنُ[5] مسلمةَ ، وسلمةُ[6] بنُ سلامةَ بنِ وَقْشٍ[7] ، وأسامةُ بنُ زيدٍ ، ولم يتخلَّفْ أحدٌ مِن الأنصارِ إلَّا بايَع فيما نعلَمُ .

وذكَرَ سيفُ بنُ عمرَ[8] ، عن جماعةٍ مِن شيوخِه قالوا : بقِيَتِ المدينةُ خمسةَ أيامٍ بعدَ قَتْلِ[9] عثمانَ وأميرُها الغافقىُّ بنُ حربٍ ، يلتَمِسون مَن يُجيبُهم إلى القيامِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٣٠.
(٣) سقط من : الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٣١.
(٥) بعده فى م : «أبى».
(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «سلامة». وانظر الإصابة ٣/ ١٤٨.
(٧) فى م، ص : «رقش».
(٨) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٣٢.
(٩) فى م، ص : «مقتل».

بالأمرِ ، والمصريون يُلحُّون علَى عَلِيٍّ وهو يهرُبُ منهم إلى[1] الحيطانِ ، ويطلُبُ الكوفيون الزبيرَ فلا يجِدونه ، والبصريون يطلُبون طلحةَ فلا يُجيبُهم ، فقالوا فيما بينهَم : لا نُوَلِّى أحدًا مِن هؤلاء الثلاثةِ . فمضَوْا إلى سعدِ بنِ أبى وقاصٍ فقالوا : إنَّك مِن أهلِ الشورَى . فلم يقبَلْ منهم ، ثم جاءُوا[2] إلى ابنِ عمرَ فأتَى عليهم ، فحاروا فى أمرِهم ، ثم قالوا : إنْ نحن رجَعْنا إلى أمصارِنا بقتلِ عثمانَ مِن غيرِ إمرةٍ ، اختلَف الناسُ فى أمرِهم ولم نسلَمْ . فرجَعوا إلى علىٍّ فألحُّوا عليه ، وأخَذ الأشترُ النَّخَعِىُّ بيدِه فبايَعه وبايَعه الناسُ ، وأهلُ الكوفةِ يقولون : أولُ مَن بايَعه الأشترُ النخعىُّ . وذلك يومُ الخميسِ الرابعُ والعشرون مِن ذى الحِجَّةِ ، وذلك بعدَ مراجعةِ الناسِ لهم فى ذلك ، وكلُّهم يقولون : لا يصلُحُ لها إلَّا علىٌّ . فلمَّا كان يومُ الجمعةِ وصعِد المنبرَ ، بايَعه مَن لم يبايِعْه بالأمسِ ، وكان أولَ مَن بايَعه طلحةُ بيدِه الشلاءِ ، فقال [٦/٤و] قائلٌ : إنَّا للَّه ، وإنَّا إليه راجِعون . [3]ثم الزبيرُ[3] ، ثم قال الزبيرُ : إنَّما بايَعتُ [4]عليًّا واللُّجُّ[5] على عُنُقِى[4] . ثم راح إلى مكةَ فأقام بها[6] أربعةَ أشهرٍ ، وكانت هذه البيعةُ يومَ الجمعةِ[7] لخمسٍ بَقِين مِن ذى الحِجَّةِ ، وكان أولُ خُطْبَةٍ خطَبها أنَّه حمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : إنَّ اللَّهَ تعالى أنزَل كتابًا

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « من » .

(٢) فى م ، ص : « راحوا » .

(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : « والسلاح على رأس » . وفى ا ٦ : « والسلاح على » . وفى م : « واللج على عنقى والسلام » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤٣٥ .

(٥) اللج ؛ بالضم : السيف بلغة طيئ ، وقيل : هو اسم سمى به السيف . النهاية ٤/ ٢٣٤ .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى ص : « الخميس » .

هاديًا بينٌ فيه الخيرَ والشرَّ، فخُذوا بالخيرِ ودعُوا الشرَّ، إنَّ اللَّهَ حرَّم حُرُمًا مُجْملَةً[1]، وفضَّل حُرْمةَ المسلمِ على الحُرُمِ كلِّها، وشدَّ[2] بالإخلاصِ والتوحيدِ حقوقَ المسلمين، والمسلمُ مَن سلِم المسلمون مِن لسانِه ويدِه إلّا بالحقِّ، لا يحِلُّ[3] أذَى مسلمٍ إلَّا بما يجِبُ، بادِروا أمرَ العامةِ، وخاصةُ أحدِكم الموتُ، فإنَّ الناسَ أمامَكم وإنَّما خلْفَكم الساعةُ تحْدوكم[4] فتخفَّفوا تلحَقوا، فإنَّما يَنْتَظِرُ الناسُ[5] أخْراهم، اتَّقوا اللَّهَ عبادَه[6] في عبادِه وبلادِه، إنَّكم مسئولون حتى[7] عن البقاعِ والبهائمِ[8]، أطِيعوا اللَّهَ ولا تعصُوه، وإذا رأيْتم الخيرَ فخُذوا به[9] وإذا رأيْتم الشرَّ فدَعُوه[9]: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فلما فرَغ مِن خطبتِه قال المصريون[10]:

خُذْها إليكَ واحذَرَنْ أبا الحسنْ ... [11]إنَّا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ[11]

صَوْلَةَ[12] أقوامٍ كأسْدادِ[12] السُّفُنْ[13] ... بمَشْرَفِيَّاتٍ كغُدْرانِ اللبَنْ

---

(١) في م، ص: «مجهولة».

(٢) في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «سد». وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤٣٦، والكامل ٣/ ١٩٤.

(٣) بعده في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «لمسلم».

(٤) في م، ص: «تحدو بكم».

(٥) في م، ص: «بالناس».

(٦) زيادة من: م.

(٧) بعده في م، ص: «ثم».

(٨ - ٨) زيادة من: م، ص.

(٩) بعده في م، ص: «الآية».

(١٠) الأبيات في تاريخ الطبرى ٤/ ٤٣٧، والكامل ٣/ ١٩٥.

(١١ - ١١) في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «إنما الأعمار مر كالوسن»، وفي ا ٨: «الوسن» بدلا من: «كالوسن». والرسن: الحبل الذى يقاد به البعير وغيره. النهاية ٢/ ٢٢٤.

(١٢ - ١٢) في النسخ: «آساد كآساد»، وفي الكامل: «أقوام كأشداد». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(١٣) في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «الدسن».

ونَطْعُنُ المُلْكَ بلِينٍ[1] كالشَّطَنْ حتى يُمَرَّنَّ[2] على غيرِ عَنَنْ[3]

فقال عليٌّ مُجِيبًا لهم:

إنِّى عجَزتُ عجزةً لا أعتذِرْ سوفَ أكيسُ بعدَها وأستمِرّ

أرفَعُ مِن ذَيلىَ ما كنتُ أَجُرّ وأجمَعُ الأمرَ[4] الشتيتَ المنتشِرْ

إنْ لمْ يُشاغِبْنى[5] العَجولُ المنتصِرْ أوْ يتركونى والسلاحُ يُبْتَدَرْ

وكان على الكوفةِ أبو موسى الأشعرىُّ[6] على الصلاةِ، وعلى الحربِ القَعْقَاعُ بنُ عمرٍو، وعلى الخراجِ جابرُ بنُ فلانٍ[7] المُزَنىُّ، وعلى البصرةِ عبدُ اللَّهِ ابنُ عامرٍ، وعلى مصرَ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، وقد تغلَّب عليه محمدُ بنُ أبى حذيفةَ، وعلى الشامِ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ، ونوّابُه على حمصَ؛ عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ، وعلى قِنَّسْرِينَ حبيبُ بنُ مَسلمةَ[8]، وعلى الأُرْدُنِّ أبو الأعورِ، وعلى فِلَسْطِينَ [9]علقمةُ بنُ حكيمٍ[9]، وعلى أَذْرَبِيجانَ الأشعثُ بنُ قيسٍ، وعلى قَرْقيسياءَ جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البجلىُّ، وعلى حُلْوانَ عُتَيْبَةُ[10] بنُ

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «بطعن».

(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «يمرون».

(٣) فى الأصل، ا ٨، ا ٦: «غبن» وفى ا ٧: «غنن».

(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «الشمل».

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «يساعينى».

(٦) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «و».

(٧) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٢٢: «عمرو». وفى نسخة منه كالمثبت، وكذا فى الكامل ٣/ ١٨٦.

(٨) فى م: «سلمة».

(٩ - ٩) فى النسخ: «حكيم بن علقمة». والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٤٢١، والكامل ٣/ ١٨٦، وانظر الإصابة ٥/ ١٣٦.

(١٠) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «عبد اللّه»، وفى ص: «عيينة». والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل، وانظر الإصابة ٥/ ١٢١.

النَّهَّاسِ، وعلى ماهَ[1] مالكُ بنُ حبيبٍ، وعلى هَمَذَانَ النُّسَيْرُ[2]. هذا ما ذكَره ابنُ جريرٍ[3] مِن نوّابِ عثمانَ الذين تُوُفِّى وهم نوّابُ الأمصارِ، وكان على بيتِ المالِ عقبةُ بنُ عمرٍو، وعلى قضاءِ المدينةِ زيدُ بنُ ثابتٍ.

ولمَّا قُتِل عثمانُ بنُ عفانَ، خرَج النعمانُ بنُ بَشِيرٍ ومعه قميصُ عثمانَ مضمَّخٌ بدمِه، ومعه أصابعُ نائلةَ التى أُصيبَت حينَ جاحَفَت[4] عنه بيدِها، فقُطِعت مع بعضِ الكفِّ، فورَد به على معاويةَ بالشامِ، فوضَعه معاويةُ على المنبرِ ليَراه الناسُ، وعلَّق الأصابعَ فى كمِّ القميصِ، وندَب الناسَ إلى الأخذِ [5]بثأْرِ هذا[5] الدمِ وصاحبِه، فتباكَى [٦/٤ظ] الناسُ حولَ المنبرِ، وجعَل القميصُ يُرفَعُ تارةً ويوضَعُ تارةً، والناسُ يتباكَوْن حولَه سنةً، ويَحُثُّ بعضُهم بعضًا على الأخذِ بثأرِه، واعتزَل أكثرُ الناسِ النساءَ فى هذا العامِ، وقام فى الناسِ معاويةُ وجماعةٌ مِن الصحابةِ معه يُحرِّضون الناسَ على المطالبةِ بدمِ عثمانَ ممَّن قتَله مِن أولئك الخوارجِ؛ منهم عبادةُ بنُ الصامتِ، وأبو الدرداءِ، وأبو أمامةَ، وعمرُو بنُ عَبَسَةَ[6]، وغيرُهم مِن الصحابةِ، ومِن التابعين؛

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، م: «قيسارية»، وفى ا ٦: «قناة قيسارية». والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى والكامل.

(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «حبيش بن»، وفى ص: «حنيس بن» وبعده فى النسخ بياض. والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل، وعندهما أن حبيشا - وفى الكامل: خنيس - كان على ماسبذان.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٢١، ٤٢٢، وانظر الكامل ٣/ ١٨٦، ١٨٧.

(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، م، ص: «حاجفت».

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «بهذا لثأرو».

(٦) فى الأصل، م: «عنبة». والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٨٢، ولم يذكره ابن جرير فى من حض على نصرة عثمان. تاريخ الطبرى ٤/ ٣٥٢ وقال ابن حجر: «وأظنه مات فى أواخر خلافة عثمان، فإنى لم أر له ذكرًا فى الفتنة ولا فى خلافة معاوية». الإصابة ٤/ ٦٦١. وانظر حاشية تاريخ دمشق.

شريــكُ بنُ خُباشةَ[1] ، وأبو مسلمٍ الخولانىُّ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ غَنْمٍ ، وغيرُهم مِن التابعين[2] .

ولمَّا استقرَّ أمرُ بيعةِ علىٍّ دخَل عليه طلحةُ والزبيرُ ورءوسُ الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، وطلَبوا منه إقامةَ الحدودِ ، والأخذَ بدمِ عثمانَ . فاعتذَر إليهم بأنَّ هؤلاء لهم مددٌ وأعوانٌ ، وأنَّه لا يُمكِنُه ذلك يومَه هذا ، فطلَب منه الزبيرُ أن يولِّيَه إمرةَ الكوفةِ ليأتِيَه بالجنودِ ، وطلَب منه طلحةُ أن يُوَلِّيَه إمرةَ البصرةِ ليأتِيَه منها بالجنودِ ، ليتقَوَّى[3] بهم على شوكةِ هؤلاء الخوارجِ ، وجهلةِ الأعرابِ الذين كانوا معهم فى قتلِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال لهما[4] : حتى أنظُرَ فى هذا[5] . ودخَل عليه المغيرةُ بنُ شعبةَ على إثرِ ذلك فقال له : إنِّى أرَى أن تُقِرَّ عمّالَك على البلادِ ، فإذا أتتْك طاعتُهم استبْدَلْتَ بعدَ ذلك بمَن شئتَ وتركْتَ مَن شئتَ . ثم جاءَه مِن الغدِ فقال له : إنِّى أرَى أنْ تعزِلَهم لتعْلَمَ مَن يُطيعُك ممَّن يَعْصِيك . فعرَض ذلك علىٌّ علَى ابنِ عباسٍ فقال : لقد نصَحك بالأمسِ وغشَّك اليومَ . فبلَغ ذلك المغيرةَ فقال : نعم نصَحتُه فلمَّا لم يقبَلْ غشَشْتُه . ثم خرَج المغيرةُ فلحِق

---

(١) فى النسخ : « حباشة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٣٥٢، وانظر الإكمال ٣/ ١٩٢.

(٢) كذا ذكر ابن كثير هؤلاء الصحابة والتابعين فى من حرض على المطالبة بدم عثمان ، وليس صحيحا ، فهؤلاء إنما كانوا ممن حض على نصرة عثمان لما كتب إلى أهل الأمصار ، يستنجدهم ويأمرهم بالحث للمنع عنه . وتقدم التعليق على ذكر عمرو بن عبسة ، وأما عبادة بن الصامت فتوفى سنة أربع وثلاثين كما ذكره ابن الأثير فى الكامل ٣/ ١٥٣، والذهبى فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٤٢٢، وأبو الدرداء توفى سنة اثنتين وثلاثين كما ذكره الذهبى فى تاريخه ص ٣٩٨. فهذا أيضا مما يؤكد أن هؤلاء لم يكونوا من المطالبين بدم عثمان ، حيث إن وفاتهم متقدمة على وفاته .

(٣) فى الأصل ، م : « ليقوى » .

(٤) بعده فى : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « امهلا على » ، وفى م : « مهلا على » .

(٥) فى النسخ كلها عدا ص : « هذا الأمر » ، وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٣٨: « ذلك » .

بمكةَ ، ولحِق[1] جماعةٌ منهم طلحةُ والزبيرُ بمكةَ[2] ، وكانوا قد استأْذَنُوا عليًّا فى الاعتمارِ فأذِن لهم ، ثم إنَّ ابنَ عباسٍ أشار علَى علىٍّ [3]باستمرارِه بنوابِه[3] فى البلادِ إلى حينِ[4] يتمكَّنُ الأمرُ ، وأن يُقِرَّ معاويةَ خصوصًا على الشامِ وقال له : إنِّى أخْشَى إنْ عزَلْتَه عنها أن يطالبَك[5] بدمِ عثمانَ ، ولا آمَنُ طلحةَ والزبيرَ أنْ يَكِرَّا[6] عليك بسببِ ذلك . فقال علىٌّ : إنِّى لا أرَى هذا ، ولكنِ اذهبْ أنت إلى الشامِ فقد ولَّيتُكَها . فقال ابنُ عباسٍ : إنِّى أخشَى مِن معاويةَ أنْ يقتُلَنِى بعثمانَ ، أو يحبِسَنِى لقرابتى منك ، ولكنِ اكتُبْ[7] إلى معاويةَ فَمَنِّه وعِدْه . فقال علىٌّ : واللَّهِ إنَّ هذا ما لا يكونُ أبدًا . فقال ابنُ عباسٍ : يا أميرَ المؤمنين إنَّ[8] الحربَ خُدْعَةٌ كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فواللَّهِ[9] لَئن أطعْتَنى لأُورِدَنَّهم بعدَ صَدَرِهم . ونهَى ابنُ عباسٍ عليًّا فيما أشار عليه أن يقبلَ مِن هؤلاء الذين يُحَسِّنون [10]له الدخولَ[10] إلى العراقِ ، ومفارقةَ المدينةِ ، فأبَى [11]عليه ذلك كلَّه[11] ، وطاوَع أمرَ أولئك الأمراءِ مِن أولئك الخوارجِ مِن أهلِ الأمصارِ .

قال ابنُ جريرٍ[12] : وفى هذه السنةِ قصَد قسطنطينُ بنُ هِرَقْلَ [٦/٥و] بلادَ

---

(١) فى م : « لحقه » .
(٢) سقط من : ا ٨، م .
(٣ - ٣) فى م ، ص : « باستمرار نوابه » .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى م ، ص : « يطلبك » .
(٦) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « ينكرا » . وفى م : « يتكلما » .
(٧) بعده فى م ، ص : « معى » .
(٨) سقط من : م .
(٩) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « و » .
(١٠ - ١٠) فى م : « إليه الرحيل » .
(١١ - ١١) فى ص : « على ذلك كله على ابن عباس » .
(١٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٤١.

المسلمين فى ألفِ مركبٍ ، فأرسَل اللَّهُ عليه قاصفًا مِن الريحِ فغَرَّقه اللَّهُ بحولِه وقوّتِه ومَن معه ، ولم يَنْجُ منهم أحدٌ إلّا الملِكُ فى شِرْذِمَةٍ قليلةٍ مِن قومِه ، فلمَّا دخَل صِقِلِّيَّةَ عمِلوا له حمامًا فدخَله[1] فقتَلوه فيه وقالوا : أنت قتلْتَ رجالَنا .

(١) زيادة من : م .

ثم دخَلَتْ سنةُ ستٍّ وثلاثين مِن الهجرةِ

اسْتَهَلَّتْ هذه السنةُ وقد تَوَلَّى أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبى طالبٍ الخلافةَ ، وولّى على الأمصارِ نوابًا ؛ فولَّى [1]عبيدَ اللَّهِ[1] بنَ عباسٍ على اليمنِ ، وولَّى [2]عثمانَ بنَ حُنَيْفٍ[2] على البصرةِ ، وعُمارةَ بنَ شهابٍ على الكوفةِ ، وقيسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادةَ على مصرَ ، وعلى الشامِ سهلَ بنَ حنيفٍ بدلَ معاويةَ ، فسار حتى بلَغ تبوكَ فتلَقَّتْه خيلُ معاويةَ ، فقالوا : مَن أنت ؟ قال : أميرٌ . قالوا : على أىِّ شىءٍ ؟ قال : على الشامِ . فقالوا : إن كان عثمانُ بعَثك فحيَّهلًا بك ، وإن كان غيرُه بعَثك[3] فارجعْ . فقال : أوَما سمِعْتمُ الذى كان ؟ قالوا : بلى . فرجَع إلى علىٍّ . وأمّا قيسُ ابنُ سعدٍ فاختَلف عليه أهلُ مصرَ فبايَع له الجمهورُ ، وقالتْ طائفةٌ : لا نبايعُ حتى نقتُلَ[4] قتلةَ عثمانَ . وكذلك أهلُ البصرةِ . وأمّا عُمارةُ بنُ شهابٍ المبعوثُ أميرًا على الكوفةِ فصدَّه عنها طليحةُ[5] بنُ خويلدٍ غضبًا لعثمانَ ، فرجَع إلى علىٍّ فأخبَره ، وانتَشَرتِ الفتنةُ ، وتفاقَمَ الأمرُ ، واختلَفتِ الكلمةُ ، وكتَب أبو موسى إلى علىٍّ بطاعةِ أهلِ الكوفةِ ومبايَعَتِهم إلَّا القليلَ منهم .

وبعَث علىٌّ إلى معاويةَ كتبًا كثيرةً فلم يردَّ عليه لها جوابًا ، وتكرَّر ذلك مرارًا إلى الشهرِ الثالثِ مِن مقتلِ عثمانَ فى صفرٍ ، ثم بعَث معاويةُ

(١ - ١) فى ا ٨، م : « عبد الله » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « سمرة بن جندب » . والمثبت من الطبرى ٤/ ٤٤٢، والكامل ٣/ ٢٠١.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى ا ٧، ا ٦، ص : « تقتل » .

(٥) فى النسخ : « طلحة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٤٤٢، والكامل ٣/ ٢٠٢.

طُومارًا[1] مع رجلٍ، فدخَل به علَى عليٍّ فقال [2]له عليٌّ[2]: ما وراءَك؟ قال: جئتُك مِن عندِ قومٍ لا يُريدون إلَّا القَوَدَ، كلُّهم مَوْتورٌ، تركتُ ستِّين[3] ألفَ شيخٍ يبكون تحتَ قميصِ عثمانَ، وهو على مِنْبَرِ دِمشقَ، فقال عليٌّ: اللهمَّ إنِّى أبرأُ إليك مِن دمِ عثمانَ. ثم خرَج رسولُ معاويةَ مِن بينِ يدَىْ عليٍّ، فَهَمَّ به أولئك الخوارجُ الذين قتَلوا عثمانَ يُرويدون قتْلَه، فما أفْلَتَ إلَّا بعدَ جهدٍ. وعزَم عليٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، على قتالِ أهلِ الشامِ، وكتَب إلى قيسِ ابنِ سعدٍ بمصرَ يستنفِرُ الناسَ لقتالِهم، وإلى أبى موسى بالكوفةِ، وبعَث إلى[4] عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ بذلك، وخطَب الناسَ فحثَّهم على ذلك. وعزَم على التجَهُّزِ، وخرَج مِن المدينةِ، واستخْلَف عليها قُثَمَ بنَ العباسِ، وهو عازمٌ أن يقاتِلَ بمَن أطاعه مَن عصاه وخرَج عن أمرِه[5] ولم يُبايِعْه مع الناسِ[5]. وجاء إليه ابنُه الحسنُ بنُ عليٍّ فقال: يا أبَه دَعْ هذا فإنَّ فيه سفكَ دماءِ المسلمين، ووقوعَ الاختلافِ بينَهم. فلم يقبَلْ منه ذلك، بل صمَّمَ على القتالِ، ورتَّب الجيشَ، فدفَع اللواءَ إلى محمدِ بنِ الحنفيَّةِ، وجعَل ابنَ العباسِ على الميمنةِ، وعمرَ[6] بنَ أبى سلمةَ على الميسرةِ، وقيل: [5]جعَل على الميسرةِ[5] عمرَو

---

(١) الطومار: الصحيفة. القاموس المحيط (ط م ر).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) فى ا ٧، ا ٦، م: «سبعين». والمثبت موافق لما فى الطبرى.

(٤) سقط من: الأصل، ٨١، ٧١، ٦١.

(٥ - ٥) زيادة من: م، ص.

(٦) فى م، ص: «عمرو».

ابنَ[1] سفيانَ بنِ عبدِ الأسدِ. وجعَل على مقدَّمتِه أبا ليلى [٦/٥ظ] ابنَ عمرَ[2] بنِ الجراحِ، ابنَ أخى أبى عبيدةَ، واستخْلَف على المدينةِ قُثَمَ بنَ العباسِ، ولم يَبْقَ شىءٌ إلَّا أن يخرُجَ [3]مِن المدينةِ[3] قاصِدًا الشامَ، حتى جاءَه مَن[4] شغَله عن ذلك كلِّه وهو ما سنذكُرُه.

ابتداءُ وقعةِ الجملِ

لمَّا وقَع قتلُ عثمانَ بعدَ أيامِ التشريقِ، كان أزواجُ النبىِّ ﷺ[5] قد خَرَجْن إلى الحجِّ فى هذا العامِ فرارًا مِن الفتنةِ، فلمَّا بلَغ الناسَ أنَّ عثمانَ قد قُتِل، أقَمْنَ بمكةَ بعدَ ما خرَجوا منها، رجَعوا إليها فأقاموا بها، وجعَلوا ينتظِرون ما يصنعُ الناسُ[6]، فلمَّا بُويِع لعلىٍّ وصار أحظَى[7] الناسِ عندَه - بحكمِ الحالِ وغلبةِ الرأيِ، لا عن اختيارٍ منه لذلك - رءُوسَ أولئك الخوارجِ الذين قتَلوا عثمانَ، مع أنَّ عليًّا فى نفسِ الأمرِ يكرَهُهم، ولكنَّه تربَّص بهم الدوائرَ، ويَوَدُّ لو تمكَّن منهم ليأْخُذَ حقَّ اللَّهِ منهم، ولكنْ لمَّا وقَع الأمرُ هكذا واستحوَذوا عليه وحجَبوا عنه عِلْيَةَ

---

(١) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، ص: «أبى». والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٤٥. وانظر الإصابة ٤/ ٦٤١.

(٢) فى م، ص: «عمرو».

(٣ - ٣) زيادة من: م. وفى ص: «إلى المدينة».

(٤) فى م: «ما».

(٥) بعده فى م، ص: «أمهات المؤمنين».

(٦) بعده فى م، ص: «ويتجسسون الأخبار».

(٧) فى م: «حظ».

الصحابةِ ، فرَّ جماعةٌ مِن بنى أميةَ وغيرِهم إلى مكةَ ، واستأْذَنه طلحةُ والزبيرُ فى الاعتمارِ ، فأذِن لهما ، فخرَجا إلى مكةَ وتبِعهم خلقٌ كثيرٌ ، وجمٌّ غفيرٌ . وكان علىٌّ لـمَّا عزَم على قتالِ أهلِ الشامِ ، قد ندَب أهلَ المدينةِ إلى الخروجِ معه فأبَوْا عليه ، وطلَب عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ بنِ الخطابِ وحرَّضه على الخروجِ معه ، فقال[1] : إنَّما أنا رجلٌ مِن أهلِ المدينةِ ، فإنْ خرَجوا خرَجْتُ[2] وعلىَّ السمعُ والطاعةُ ، ولكنْ لا أخرُجُ للقتالِ فى هذا العامِ . ثم تجهَّز ابنُ عمرَ وخرَج إلى مكةَ . وقدِم إلى مكةَ أيضًا فى [3]هذا العامِ[3] يعْلَى بنُ أُمَيَّةَ مِن اليمنِ - وكان عاملًا عليها لعثمانَ - ومعه ستُّمائةِ بعيرٍ وستُّمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ[4] ، وقدِم إليها عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ مِن البصرةِ ، وكان نائِبَها لعثمانَ .

فاجتَمَع بمكة خلقٌ مِن ساداتِ الصحابةِ ، وأمهاتُ المؤمنين ، فقامَتْ عائشةُ ، رضِى اللَّهُ عنها ، فى الناسِ تخطُبُهم[5] وتحثُّهم على القيامِ بطلبِ دمِ عثمانَ ، وذكَرتْ ما افتاتَ به أولئك مِن قتلِه فى بلدٍ حرامٍ وشهرٍ حرامٍ ، ولم يُراقِبوا جوارَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد سفَكُوا الدماءَ وأخَذوا الأموالَ . فاستجاب الناسُ لها ، وطاوَعوها على ما تَراه مِن الأمرِ[6] ، وقالوا لها : حيثما[7] سرتِ سِرْنا معك . فقال قائلٌ : نذهَبُ إلى الشامِ . فقال بعضُهم : إنَّ معاويةَ قد كَفاكم أمرَها . ولو قدِموها لغَلَبوا ، واجتَمع الأمرُ كلُّه لهم ؛ لأنَّ أكابرَ الصحابةِ معهم . وقال

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤/٤٤٦ .

(٢) سقط من : م ، وبعده فى ص : « وأنا » .

(٣ - ٣) فى ا٨ ، ا٧ ، ٦١ ، ص : « هذه الأيام » .

(٤) سقط من : الأصل ، ا٨ ، ٦١ .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٤/٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٦) فى ص : « المصلحة » ، وبعده فى م : « بالمصلحة » .

(٧) بعده فى م : « ما » .

آخرون : نذهَبُ إلى المدينةِ فنطلُبُ مِن عليٍّ أن يسلِّمَ إلينا قتلةَ عثمانَ فيُقتَلوا . وقال آخرون : بل نذهَبُ إلى البصرةِ فنتقَوَّى[1] بالخيلِ والرجالِ ، ونبدأُ بمَن هناك مِن قتلتِه . فاتفَق الرأىُ على ذلك ، [2]ووافَق بقيةُ أمهاتِ المؤمنين[2] عائشةَ على المسيرِ إلى المدينةِ[3] ، فلمَّا اتفَق الناسُ على المسيرِ إلى البصرةِ رجَعْنَ عن ذلك ، وقُلْنَ : لا نسيرُ إلى غيرِ المدينةِ . وجهَّز الناسَ يَعْلَى بنُ أُمَيَّةَ ، فأنفَق فيهم [4]سِتَّمائةِ ألفٍ وسِتَّمائةِ بعيرٍ[4] ، وجهَّزهم ابنُ عامرٍ أيضًا بمالٍ كثيرٍ : وكانتْ حفصةُ بنتُ عمرَ أمُّ المؤمنين قد وافقَت عائشةَ على المسيرِ إلى البصرةِ ، [٦/٦و] فمنَعها أخوها عبدُ اللَّهِ مِن ذلك ، وأبَى هو أن يسيرَ معهم إلى غيرِ المدينةِ ، وسار الناسُ صحبةَ عائشةَ فى ألفٍ[5] . وقيل : تسعِمائةِ فارسٍ مِن أهلِ المدينةِ ومكةَ . وتلاحَق بهم آخرون ، فصاروا فى ثلاثةِ آلافٍ ، وأمُّ المؤمنين عائشةُ تُحمَلُ فى هَوْدَجٍ على جَمَلٍ اسمُه عَسْكَرُ ، اشتَراه يعلَى بنُ أميةَ مِن رجلٍ مِن عرينةَ بمائتَىْ دينارٍ . وقيل : بثمانين دينارًا ، وقيل غيرُ ذلك . وسار معها أمهاتُ المؤمنين إلى ذاتِ عِرْقٍ ففارَقْنَها هنالك وبكَيْنَ للوداعِ ، وتباكَى الناسُ ، وكان ذلك اليومُ يُسمَّى يومَ النحيبِ .

وسار الناسُ قاصدين البصرةَ ، وكان الذى يصلِّى بالناسِ عن أمرِ عائشةَ ابنُ أختِها عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، ومَرْوانُ بنُ الحكمِ يؤذِّنُ للناسِ فى أوقاتِ الصلواتِ ، وقد مَرُّوا فى مسيرِهم ليلًا بماءٍ يُقال له : الحوَأْبُ . فنبَحَتْهم كلابٌ عندَه ، فلمَّا

---

(١) بعده فى م : « من هنالك » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن » .

(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « البصرة » . انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤٥١ .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « ستمائة بعير وستمائة ألف درهم » .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « فارس » .

سمِعتْ ذلك عائشةُ[1] قالت : ما اسمُ هذا الماءِ[2] ؟ قالوا : الحَوأْبُ . فضرَبت بإحدَى يدَيْها على الأُخْرَى وقالتْ : إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، ما أظُنني إلَّا راجعةً . قالوا : ولِم ؟ قالت : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لنسائِه[3] : « ليتَ شعرِى أيَّتُكُنَّ التى تنْبَحُها كلابُ الحَوأْبِ » . ثم ضرَبت عضُدَ بعيرِها فأناخَتْه ، وقالت : رُدّونى ، أنا واللَّهِ صاحبةُ ماءِ الحَوأْبِ . وقد أورَدْنا هذا الحديثَ بطرقِه وألفاظِه فى دلائِلِ النبوةِ كما سبَق[4] . فأناخ الناسُ حولَها يومًا وليلةً ، وقال لها عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ[5] : إنَّ الذى أخبرَكِ أنَّ هذا ماءُ الحوأبِ قد كذَب . ثم قال الناسُ : النجاءَ النجاءَ ! هذا جيشُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ قد أقْبَل . فارتحَلوا نحوَ البصرةِ .

فلمَّا اقتربَتْ مِن البصرةِ كتَبَتْ إلى الأَحنفِ بنِ قيسٍ وغيرِه مِن رءوسِ الناسِ أنَّها قد قدِمَتْ . فبعَثَ عثمانُ بنُ حنيفٍ عمرانَ بنَ حصينٍ وأبا الأسودِ الدُّئِلىَّ إليها ليعلَما ما جاءت له ، فلمَّا قدِما عليها سلَّما عليها واستعْلَما منها ما جاءتْ له ، فذكَرت لهما ما الذى جاءتْ له مِن القيامِ بطلبِ دمِ عثمانَ ؛ لأنَّه قُتِل مظلومًا فى شهرٍ حرامٍ وبلدٍ حرامٍ . وتلتْ قولَه تعالى : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ الآية [النساء : ١١٤] . فخرَجا مِن عندِها فجاءَا إلى طلحةَ فقالا له : ما أقدَمَك ؟ فقال : الطلبُ بدمِ عثمانَ . فقالا : أمَا[6] بايعْتَ عليًّا ؟ قال : بلى والسيفُ على عنقِى ،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤/٤٦٩ .

(٢) فى الأصل ، م : « المكان » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) تقدم فى ٩/١٨٦ - ١٨٨ .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤٥٧، والكامل ٣/ ٢١٠.

(٦) فى الأصل ، م : « ما » .

ولا أستقيلُه[1] إن هو لم يُخَلِّ بيننا وبينَ قتلةِ عثمانَ . فذهَبا إلى الزبيرِ فقال مثلَ ذلك . قال : فرجَع عمرانُ وأبو الأسودِ إلى عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ فقال أبو الأسودِ :

يا ابنَ حُنَيْفٍ[2] قد أُتيتَ فانفِرِ وطاعنِ القومَ وجالِدْ واصْبِرِ[3]

[3]واخرجْ لهم مُسْتَلْئِمًا وشَمِّرِ[3]

فقال عثمانُ بنُ حُنَيْفٍ : إنّا للّهِ وإنّا إليه راجعون ، دارَتْ رحا الإسلامِ وربِّ الكعبةِ ، فانظُروا بأيِّ [4]زَيَفانٍ تَزِيفُ[4] . فقال عمرانُ : إيْ واللّهِ لتعرُكَنَّكم عَرْكًا طويلًا . يشيرُ عثمانُ بنُ حنيفٍ إلى حديثِ ابنِ مسعودٍ مرفوعًا : « تدورُ رحا الإسلامِ لخمسٍ [٦/٦ظ] وثلاثين ، [5]أوستٍّ وثلاثين[5] »[6] . الحديث كما تقدَّم . ثم قال عثمانُ بنُ حنيفٍ لعمرانَ بنِ حصينٍ : أشِرْ عَلَيَّ . فقال : اعْتَزِلْ فإنِّى قاعدٌ فى منزِلى . أو قال : قاعدٌ على بعيرى فذاهبٌ . فقال عثمانُ : بل أمْنَعُهم حتى يأتيَ أميرُ المؤمنين . فنادَى فى الناسِ يأمرُهم بلُبْسِ السلاحِ والاجتماعِ فى المسجدِ ، فاجتمَعوا فأمَرهم بالتجهُّزِ ، فقام رجلٌ وعثمانُ على المنبرِ فقال : أيُّها الناسُ إن كان هؤلاء القومُ[7] جاءُوا خائِفين فقد جاءُوا مِن بلدٍ يأمَنُ فيها الطيرُ ، وإن كانوا جاءُوا يطلُبون بدمِ عثمانَ فما نحن بقتلَتِه ، فأطيعُونى ورُدُّوهم مِن

---

(١) فى م : « أستقبله » .

(٢) فى م : « الأحنف » ، وفى ص : « حنين » .

(٣ - ٣) زيادة من : م . وهو فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٦٣، والكامل ٣/ ٢١١: « وابرز لهم مستلئما وشمر » .

(٤ - ٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « ريعان بريف أنتم » ، وفى ص ، ونسخة من الكامل : « ريعان » والكلمة الثانية غير معجمة . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى والكامل .

والزيفان : بالتحريك : التبختر فى المشى . النهاية ٢/ ٣٢٥.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٧٣، ١٧٤.

(٧) زيادة من : م ، ص .

حيث جاءُوا . فقام الأسودُ بنُ سَرِيعٍ السعدىُّ فقال : إنَّما جاءُوا يستعِينون بنا على قتَلَةِ عثمانَ مِنَّا ومِن غيرِنا . فحصَبه الناسُ ، فعلِم عثمانُ بنُ حنيفٍ أنَّ لقتلةِ عثمانَ بالبصرةِ أنصارًا ، فكسَره[1] ذلك .

وقدِمت أمُّ المؤمنين بمَن معها مِن الناسِ ، فنزَلوا المِرْبَدَ مِن أعلاه قريبًا مِن البصرةِ ، وخرَج إليها مَن [2]أراد مِن أهلِ البصرةِ ، فكان[2] معها ، وخرَج عثمانُ بنُ حنيفٍ بالجيشِ فاجتمَعوا بالمِرْبَدِ ، فتكلَّم طلحةُ - وكان على الميمنةِ - فندَب إلى الأخذِ بثأرِ عثمانَ ، والطلبِ بدمِه ، وتابَعه الزبيرُ فتكلَّم بمثلِ مقالتِه ، فردَّ عليهما ناسٌ مِن جيشِ عثمانَ بنِ حنيفٍ ، وتكلَّمتْ أمُّ المؤمنين فحرَّضت وحثَّت على ذلك[3] ، فتثاوَر[4] طوائفُ مِن أطرافِ الجَيْشَين[5] فترامَوْا بالحجارةِ ، ثم تحاجَز الناسُ ورجَع كلُّ فريقٍ إلى حوزتِه ، وقد صارت طائفةٌ مِن جيشِ عثمانَ بنِ حنيفٍ إلى جيشِ عائشةَ ، فكثُروا . وجاء جاريةُ[6] بنُ قدامةَ السعدىُّ فقال : يا أمَّ المؤمنين ، واللَّهِ لقتلُ عثمانَ أهونُ مِن خروجِك مِن بيتِك على هذا الجملِ عرضةً للسلاحِ ، إن كنتِ أتَيْتِنا طائعةً فارْجِعى مِن حيث جئتِ إلى منزلِك ، وإن كنتِ أتَيْتِنا مكرهةً فاستعِينى بالناسِ فى الرجوعِ .

وأقبَل حُكَيْمُ بنُ جَبَلَةَ - وكان على خيلِ عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ - فأنشَب القتالَ وجعَل أصحابُ أمِّ المؤمنين يكفُّون أيدِيَهم ويمتنِعون مِن القتالِ ، وجعَل حُكَيْمٌ

---

(١) فى م ، ص : « فكره » .

(٢ - ٢) فى م : « أهل البصرة من أراد أن يكون » .

(٣) فى م ، ص : « القتال » .

(٤) فى ا ٦ : « فثاور » ، وفى م : « فتناور » .

(٥) فى الأصل ، م : « الجيش » .

(٦) غير منقوطة فى ص ، وفى باقى النسخ : « حارثة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٤٦٥ ، والكامل ٣/ ٢١٣ . وانظر الإصابة ١/ ٤٤٥ .

يقتحِمُ عليهم فاقتَتَلوا على فمِ السكةِ ، وأمَرت عائشةُ أصحابَها فتيامَنوا [1] حتى انتهَوْا [1] إلى مقبرةِ بنى مازنٍ ، وحجَز الليلُ بينَهم ، فلمَّا كان اليومُ الثانى قصَدوا القتالَ ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا ، إلى أن زال النهارُ ، وقُتِل خلقٌ كثيرٌ مِن أصحابِ ابنِ حُنَيْفٍ ، وكثُرتِ الجراحُ فى الفريقَين ، فلمَّا عضَّتهم الحربُ تداعَوْا إلى الصلحِ على أن يكتُبوا بينَهم كتابًا ويبعَثوا رسولًا إلى أهلِ المدينةِ يسألُ أهلَها ؛ إن كان طلحةُ والزبيرُ أُكْرِها على البيعةِ ، خرَج عثمانُ بنُ حنيفٍ عن البصرةِ وأَخْلَاها لهما [2] ، وإن لم يَكونا أُكْرِها على البيعةِ ، خرَج طلحةُ والزبيرُ عنها وأخلَوْها له [3] . وبعَثوا بذلك كعبَ بنَ سُورٍ القاضىَ ، فقدِم المدينةَ يومَ الجمعةِ ، فقام فى الناسِ فسألَهم : هل بايَع طلحةُ والزبيرُ طائِعَيْن أو مُكْرَهَيْن ؟ فسكَت الناسُ فلم يتكلَّمْ إلَّا أسامةُ بنُ زيدٍ ، فقال : بل كانا مُكْرَهَيْنِ . فثار إليه بعضُ الناسِ فأرادوا ضرْبَه ، فجاحَف [4] دونَه صُهَيْبٌ ، وأبو أيوبَ ، وجماعةٌ حتى خلَّصوه [٦/٧و] وقالوا له : ما وسِعك ما وسِعنا [5] مِن السكوتِ [5] ؟ فقال : [5] لا واللَّهِ [5] ما كنتُ أرَى أنَّ الأمرَ ينتهِى إلى هذا . وكتَب علىٌّ إلى عثمانَ بنِ حنيفٍ يقولُ [6] : إنَّهما لم يُكْرَها على فُرقةٍ ، ولقد أُكْرِها على جماعةٍ وفضلٍ ، فإن كانا يُريدان الخلعَ فلا عذرَ لهما ، وإن كانا يُريدان غيرَ ذلك نظَرا ونظَرْنا . وقدِم كعبُ بنُ سُورٍ على عثمانَ بكتابِ علىٍّ ، فقال عثمانُ : هذا أمرٌ آخرُ غيرُ ما كنَّا فيه . وبعَث طلحةُ

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، م ، وفى ا ٨، ا ٧، ا ٦: «لهم» .

(٣) فى الأصل ، م : «لهم» .

(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، م ، ص : «حاجف» .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

(٦) تاريخ الطبرى ٤٦٨/٤ .

والزبيرُ إلى عثمانَ بنِ حنيفٍ أن يخرُجَ إليهما فأبَى . فجمَعا الرجالَ فى ليلةٍ مظلمةٍ وشهِد بهم صلاةَ العشاءِ فى المسجدِ الجامعِ ، ولم يخرُجْ عثمانُ بنُ حُنَيْفٍ تلك الليلةَ ، فصلَّى بالناسِ عبدُ الرحمنِ بنُ عَتَّابِ بنِ أَسِيدٍ ، ووقَع مِن رعاعِ الناسِ مِن أهلِ البصرةِ كلامٌ وضربٌ ، فقُتِل منهم نحوٌ مِن[1] أربعين رجلًا ، ودخَل الناسُ على عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ قصْرَه فأخرَجوه إلى طلحةَ والزبيرِ ، ولم يَبْقَ فى وجهِه شَعْرَةٌ إلا نَتَفوها ، فاستعْظَما ذلك وبَعثا إلى عائشةَ فأعْلَماها الخبرَ ، فأمَرت أن تُخَلَّى سبيلُه ، فأطْلَقوه ، وولَّوْا على بيتِ المالِ عبدَ الرحمنِ بنَ أبى بكرٍ ، وقسَم طلحةُ والزبيرُ أموالَ بيتِ المالِ فى الناسِ وفضَّلوا أهلَ الطاعةِ ، وأكبّ عليهم الناسُ يأخُذون أرْزاقَهم ، وأخَذوا الحرسَ ، واستبدُّوا [2]بالأمرِ فى البصرةِ[2] ، فحمِى لذلك جماعةٌ مِن قومِ قتلةِ عثمانَ وأنصارِهم ، فركِبوا فى جيشٍ قريبٍ مِن ثلاثِمائةٍ ، ومقدَّمُهم حُكَيْمُ بنُ جَبَلَةَ ، وهو أحدُ مَن باشَر قتلَ عثمانَ ، فبارَزوا وقاتَلوا[3] ، فضرَب رجلٌ رِجْلَ حُكَيْمِ بنِ جَبَلَةَ فقطَعها ، فزحَف حتى أخَذها وضرَب بها ضاربَه فقتَله ثم اتَّكأَ عليه وجعَل يقولُ :

يا ساقُ[4] لن تُراعى إنَّ معى[5] ذراعى

أحمى بها كُراعى

وقال أيضًا :

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « فى الأمر بالبصرة » .

(٣) فى ا ٨، ا ٧، ا ٦: « وتقاتلوا » .

(٤) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٧١: « فخذ » .

(٥) فى النسخ : « لك » والمثبت من تاريخ الطبرى ، والكامل ٣/ ٢١٨.

ليس عليَّ أن أموتَ عارُ والعارُ فى الناسِ هو الفِرارُ
* والمجدُ لا يفضحُه الدَّمارُ *

فمرَّ عليه رجلٌ وهو مُتَّكِئٌ برأسِه على ذلك الرَّجُلِ، فقال له: مَن قتلَك؟ فقال[1]: وسادَتِى. ثم مات حُكَيمٌ قتيلًا هو ونحوٌ مِن سبعين مِن قتلةِ عثمانَ وأنصارِهم[2]، فضعُف جأشُ مَن خالفَ طلحةَ والزبيرَ مِن أهلِ البصرةِ. ويقالُ: إنَّ أهلَ البصرةِ بايَعوا طلحةَ والزبيرَ، وندَب الزبيرُ ألفَ فارسٍ يأخُذُها معه ويلتَقِى[3] عليًّا قبلَ أن يَجىءَ، فلم يُجِبْه أحدٌ، وكتَبوا بذلك إلى أهلِ الشامِ يُبَشِّرُونهم بذلك. وقد كانت هذه الوقعةُ لخمسِ ليالٍ بَقِين مِن ربيعٍ الآخِرِ سنةَ ستٍّ وثلاثين.

وقد كتَبت عائشةُ إلى زيدِ بنِ صُوحانَ تَدْعُوه إلى نصرتِها والقيامِ معها، فإن لم يجئْ فليَكُفَّ يدَه ولْيَلْزَمْ مَنْزِلَه، أى لا يكنْ[4] عليها ولا لها، فقال: أنا فى نصرَتِكِ مادُمْتِ فى منزلِكِ. وأبَى أن يُطِيعَها فى ذلك، وقال: رحِم اللَّهُ أمَّ المؤمنين، أُمِرتْ[5] أن تلزَمَ بيتَها وأُمِرْنا أن نقاتِلَ، فخرَجتْ مِن منزلِها وأمَرتْنا بلزومِ بُيوتِنا التى كانت هى أحقَّ بذلك منَّا. وكتَبت عائشةُ إلى أهلِ اليمامةِ والكوفةِ بمِثلِ ذلك.

---

(١) بعده فى م: «له».
(٢) بعده فى م، ص: «أهل المدينة».
(٣) بعده فى م، ص: «بها».
(٤) فى الأصل، م: «يكون».
(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «أمرها الله».

[٦/٧ظ] ذِكْرُ[(١)] مسيرِ [(٢)]أميرِ المؤمنين[(٢)] علىّ بنِ أبى طالبٍ مِن المدينةِ إلى البصرةِ بَدلًا [(٣)]عن مَسيرِه إلى[(٣)] الشامِ

بعدَ أنْ كان قد تجهَّز قاصدًا الشامَ، كما ذكَرْنا، فلمَّا بلَغه قصدُ طلحةَ والزبيرِ البصرةَ، خطَب الناسَ وحثَّهم على المسيرِ إلى البصرةِ ليمنَعَ أولئك مِن دخولِها، إن أمكَن، أو يَطردَهم عنها إن كانوا قد دخَلوها، فتثاقَل عنه[(٤)] أكثرُ الناسِ[(٥)]، واستجاب له بعضُهم.

قال الشعبىُّ[(٦)]: ما نهَض معه فى هذا الأمرِ غيرُ ستَّةِ نفرٍ مِن البدريين، ليس لهم سابعٌ. وقال غيرُه[(٦)]: أربعةٌ. وذكَر ابنُ جريرٍ وغيرُه[(٧)] قال: كان مِمَّن استجاب له مِن كبارِ الصحابةِ أبو الهيثمِ بنُ التَّيِّهانِ، وأبو قَتادةَ الأنصارىُّ، وزيادُ ابنُ حنظلةَ، وخزيمةُ بنُ ثابتٍ. قالوا: وليس بذى الشهادتين، ذاك مات فى زمنِ عثمانَ، رضِى اللَّهُ عنه. وسار علىٌّ مِن المدينةِ نحوَ البصرةِ على تعبئتِه [(٨)]المتقدمةِ إلى الشامِ[(٨)]، غيرَ أنَّه استخْلَف على المدينةِ تَمَّامَ بنَ عباسٍ، وعلى مكةَ قُثَمَ بنَ

---

(١) سقط من: م.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣ - ٣) فى م: «من».
(٤) فى الأصل: «عليه».
(٥) فى م، ص: «أهل المدينة».
(٦) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٤٧.
(٧) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥١، والكامل ٣/ ٢٢١.
(٨ - ٨) فى م، ص: «المتقدم ذكرها».

عباسٍ ، وذلك فى آخِرِ شهرِ ربيعِ الآخِرِ سنةَ ستٍّ وثلاثين . وخرَج [1] علىٌّ مِن المدينةِ [1] فى نحوٍ مِن تسعِمائةِ [2] مقاتلٍ ، وقد لقِى عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، عليًّا وهو بالرَّبَذَةِ ، فأخَذ بلجامِ [3] فرسِه وقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تخرُجْ منها ، فواللَّهِ لَئن خرجْتَ منها لا يعودُ إليها سلطانُ المسلمين أبدًا . فسبَّه بعضُ الناسِ ، فقال علىٌّ : دَعُوه فنِعْمَ الرجلُ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وجاء الحسنُ بنُ علىٍّ إلى أبيه فى الطريقِ فقال : لقد نهيتُك فعصَيْتَنِى ، تُقتَلُ غدًا بمضْيَعَةٍ لا ناصرَ لك . فقال له علىٌّ : إنَّك لا تزالُ تحِنُّ علَىَّ حَنينَ الجاريةِ ، وما الذى نَهَيْتَنى عنه فعصَيْتُك ؟ فقال : ألم آمُرْك قبلَ مقتلِ عثمانَ أن تخرُجَ منها لئلَّا يُقتَلَ وأنت بها ، فيقولَ قائلٌ أو يتحدَّثَ متحدِّثٌ ؟ ألم آمُرْك أن لا تُبايِعَ الناسَ بعدَ قتلِ عثمانَ حتى يبعَثَ إليك أهلُ كلِّ مصرٍ بيعتَهم [4] ؟ وأمَرْتُك حينَ خرَجتْ هذه المرأةُ وهذان الرجلان أنْ تجلِسَ فى بيتِك حتى يصطلِحوا ، فعصَيْتَنى فى ذلك كلِّه ؟ فقال له علىٌّ : أمّا قولُك أنِّى [5] أخرُجُ [6] قبلَ مقتلِ عثمانَ ، فلقد أُحِيط بنا كما أُحِيط به ، وأمّا مبايَعتى قبلَ مجىءِ بيعةِ الأَمصارِ فكرِهْتُ أن يضيعَ هذا الأمرُ ، وأمّا أنْ أجلِسَ وقد ذهَب هؤلاء إلى ماذهَبوا إليه ، فتُريدُنى [7] أن أكونَ كالضَّبُعِ التى يُحاطُ بها ويقالُ : ليست هٰهنا . حتى يُحَلَّ [8] عُرْقُوبُها فتخرجَ ،

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) فى م ، تاريخ الطبرى ٤/ ٤٥٥ : « سبعمائة » . والمثبت موافق لما فى الكامل ٣/ ٢٢٢ .

(٣) فى م : « بعنان » .

(٤) فى م ، ص : « ببيعتهم » .

(٥) فى م ، ص : « أن » .

(٦) فى الأصل : « خرجت » .

(٧) فى ا ٨ ، ا ٧ : « فتريد » ، وفى م ، ص : « فتريد منى » .

(٨) فى الأصل ، ا٨ ، ا٧ ، ٦١ ، م : « يشق » . والمثبت موافق لتاريخ الطبرى ٤/ ٤٥٦ ، والكامل ٣/ ٢٢٣ .

فإذا لم أنظُرْ فيما يلزَمُنى مِن[1] هذا الأمرِ ويَعنِينى ، فمَن ينظُرُ فيه[2] ؟ فكُفَّ عنِّى يابُنىَّ .

ولمّا انتهَى إليه خبرُ ما صنَع القومُ بالبصرةِ[3] ، كتَب[4] إلى أهلِ الكوفةِ مع محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، ومحمدِ بنِ جعفرٍ : إنِّى قد اخترتُكم على[5] الأمصارِ ، [6]وفزِعتُ إليكم[6] لِما حدَث ، فكونوا لدينِ اللَّهِ أعوانًا وأنصارًا ، وانهَضوا إلينا ، فالإصلاحَ نُريدُ لتعودَ هذه الأمةُ إخوانًا . فمضَيا ، وأرسَل إلى المدينةِ فأخَذ ما أراد مِن سلاحٍ ودَوابَّ ، وقام فى الناسِ[٦/٨و] خطيبًا فقال[7] : إنَّ اللَّهَ أعزَّنا بالإسلامِ ورفَعَنا به ، وجعَلنا به إخوانًا ، بعدَ ذِلةٍ وقِلَّةٍ وتباغُضٍ وتباعُدٍ ، فجرَى الناسُ على ذلك ما شاء اللَّهُ ؛ الإسلامُ دينُهم ، والحقُّ قائمٌ بينَهم ، والكتابُ إمامُهم ، حتى أُصيب هذا الرجلُ بأيدِى هؤلاء القومِ الذين أذلَّهم[8] الشيطانُ لينزِغَ بينَ هذه الأمةِ ، ألَا وإنَّ هذه الأمةَ لا بُدَّ مفترِقةٌ[9] كما افترقَتِ الأممُ قبلَها ، فنعوذُ باللَّهِ مِن شرِّ ما هو كائنٌ[10] . ثم عاد ثانيةً فقال : إنَّه لابُدَّ مما هو كائنٌ أن يكونَ ، ألَا وإنَّ هذه الأمةَ ستفتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ؛ شرُّها فرقةٌ تُحبُّنى ولا تعمَلُ بعمَلى ، وقد أدرَكْتم ورأَيْتم ، فالزَموا دينَكم ، واهتَدوا بهَدْيِ[11] نبيِّكم ، واتَّبِعوا سنَّتَه ،

---

(١) فى الأصل ، م : « فى » .

(٢) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٣) بعده فى م ، ص : « من الأمر الذى قدمنا » .

(٤) تاريخ الطبرى ٤٧٨/٤ .

(٥) بعده فى م ، ص : « أهل » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا٨ ، ا٧ ، ا٦ : « فرغبت إليكم وفزعت » .

(٧) المصدر السابق ٤٧٩/٤ .

(٨) فى م ، ص : « نزغهم » .

(٩) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « متفرقة » .

(١٠) بعده فى ا ٧ : « إلى يوم القيامة » .

(١١) فى م ، ص : « بهديى فإنه هدى » .

وأعرِضوا عمَّا أَشْكَل عليكم، حتى تَعرِضوه على الكتابِ، فما عرَّفه القرآنُ فالزَموه[1]، وما أنْكَره فرُدّوه، وارْضُوا باللَّهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا، وبالقرآنِ حكَمًا وإمامًا.

قال[2]: فلمَّا عزَم على المسيرِ مِن الرَّبَذَةِ قام إليه [3]ابنٌ لرفاعةَ[3] بنِ رافعٍ فقال: يا أميرَ المؤمنين، أيَّ شيءٍ تُريدُ؟ وأين تذهَبُ بنا؟ فقال: أمّا الذى نُريدُ وننْوِى فالإصلاحُ، إن قبِلوا مِنّا وأجابوا إليه. قال: فإن لم يُجِيبوا إليه؟ قال: نَدَعُهم بغدرِهم ونُعطِيهم الحقَّ ونصبِرُ. قال: فإن لم يَرضَوا؟ قال: نَدَعُهم ما ترَكونا. قال: فإن لم يترُكونا؟ قال: امتَنَعْنا منهم. قال: فنعم إذًا. فقام إليه الحجاجُ بنُ غَزِيَّةَ الأنصاريُّ فقال: لأُرْضِيَنَّك بالفعلِ كما أرضَيْتَنى بالقولِ، واللَّهِ ليَنْصُرَنِّى[4] اللَّهُ كما سمّانا أنصارًا.

قال[5]: وأتت جماعةٌ مِن طَيئٍ وعليٌّ بالرَّبَذَةِ، فقيل له: هؤلاء جماعةٌ جاءُوا مِن طيِّئٍ منهم مَن يريدُ الخروجَ معك ومنهم مَن يريدُ السلامَ عليك. فقال: جزَى اللَّهُ كلًّا خيرًا ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]. [6]ثم سار[6] مِن الربذةِ على تعبئتِه وهو راكبٌ ناقةً حمراءَ يَقودُ فرسًا كُمَيْتًا، فلمَّا كان بفَيْدَ[7] جاءَه جماعةٌ مِن أَسَدٍ وطيِّئٍ، فعرَضوا أنفسَهم عليه فقال: فى مَن

---

(١) فى الأصل: «فاعرفوه».

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٧٩.

(٣ - ٣) فى م، ص: «ابن أبى رفاعة».

(٤) فى ا ٦، ا ٧: «لينصرنك»، وفى تاريخ الطبرى: «لأنصرن».

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٧٨.

(٦ - ٦) فى م، ص: «قالوا فسار على».

(٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «بنبذ». وفَيْدُ: بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة. معجم البلدان ٣/ ٩٢٧. وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨٠.

معى كفايةٌ . وجاء رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ يُقالُ له : عامرُ بنُ مَطَرٍ الشَّيْبانىُّ . فقال له علىٌّ : ما وراءَك ؟ فأخبَره الخبرَ ، فسأله عن أبى موسى فقال : إنْ أردْتَ الصلحَ فأبو موسى صاحبُه ، وإنْ أردْتَ القتالَ فليس بصاحِبِه . فقال علىٌّ : واللَّهِ ما أُرِيدُ إلَّا الصلحَ ممن تمرَّد علينا .

وسار ، فلمَّا اقترَب مِن الكوفةِ وجاءَه الخبرُ بما وقَع مِن الأمرِ على جَلِيَّتِه ، مِن قتلِ (١) مَن قُتِل مِن الناسِ (١) ، ومِن إخراجِ عثمانَ بنِ حُنَيْفٍ مِن البصرةِ ، وأخْذِهم أموالَ بيتِ المالِ ، جعَل يقولُ(٢) : اللهمَّ عافِنى ممَّا [٦/٨ظ] ابتلَيْتَ به طلحةَ والزبيرَ . فلمَّا انتَهَى إلى ذى قارٍ أتاه عثمانُ بنُ حُنَيْفٍ مهشمًا ، وليس فى وجهِه شَعْرَةٌ ، فقال(٣) : يا أميرَ المؤمنين بعثْتَنِى إلى البصرةِ وأنا ذو لِحْيَةٍ ، وقد جئتُك أَمْرَدَ . فقال : أَصَبْتَ أجرًا وخيرًا . وقال عن طلحةَ والزبيرِ : اللهمَّ احلُلْ ما عقَدا ، ولا تُبْرِمْ ما أحْكَما فى أنفسِهما ، وأَرِهما المَساءَةَ فيما قد عمِلا - يَعنى فى هذا الأمرِ . وأقام علىٌّ بذى قارٍ ينتظِرُ جوابَ ما كتَب به مع محمدِ بنِ أبى بكرٍ وصاحبِه محمدِ بنِ جعفرٍ - وكانا قد قدِما بكتابِه على أبى موسى ، وقاما فى الناسِ بأمرِه - فلم يُجابا إلى(٤) شىءٍ ، فلمَّا أمسَوْا دخَل ناسٌ(٥) مِن ذوِى الحِجَا على أبى موسى يَعْرِضون عليه الطاعةَ لعلىٍّ ، فقال : كان هذا بالأمسِ . فغضِب محمدٌ ومحمدٌ ، فقالا له قولًا غليظًا ، فقال لهما : واللَّهِ إنَّ بيعةَ عثمانَ لفى عُنُقِى وعنقِ صاحِبِكما ، فإنْ لم يكنْ بُدٌّ مِن قتالٍ فلا نقاتِلُ أحدًا(٦) حتى نفرَغَ مِن قَتَلَةِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ٤/٤٨١ .

(٣) تاريخ الطبرى ٤/٤٨٠ .

(٤) فى الأصل ، م : « فى » .

(٥) فى الأصل : « الناس » ، وفى م ، ص : « أناس » .

(٦) زيادة من : م ، ص .

عثمانَ حيث كانوا ومَن كانوا . فانطلَقا إلى عليٍّ فأخْبَراه الخبرَ ، وهو بذى قارٍ ، فقالَ للأَشْتَرِ : أنت [1] صاحبُنا فى [1] أبى موسى والمُعْترِضُ [2] فى كلِّ شىءٍ ! فاذهَبْ أنت وابنُ عباسٍ فأصلِحْ ما أَفْسَدْتَ . فخرَجا فقدِما الكوفةَ وكلَّما أبا موسى واستعانا عليه بنفرٍ مِن أهلِ [3] الكوفةِ فقامَ فى الناسِ فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّ أصحابَ محمدٍ ﷺ الذين صحِبوه أعلمُ باللَّهِ وبرسولِه ممَّن لم يَصْحَبْه ، وإنَّ لكم علينا حقًّا وأنا مؤدٍّ [4] إليكم نصيحةً ، كان الرأىُ أنْ لاتستخِفُّوا بسلطانِ اللَّهِ ، وأنْ لا تجتَرِئوا على أمرِه ، وهذه فتنةٌ النائِمُ فيها خيرٌ مِن اليقظانِ ، واليقظانُ خيرٌ مِن القاعدِ ، والقاعدُ خيرٌ مِن القائمِ ، والقائمُ خيرٌ مِن [5] الراكبِ ، والراكبُ خيرٌ مِن [5] الساعِى ، فاغمِدُوا السُّيُوفَ ، وأنْصِلوا الأَسِنَّةَ ، واقطَعوا الأوتارَ ، وآوُوا المُضْطَهِدَ والمظلومَ حتى يلتَئِمَ هذا الأمرُ ، وتنجَلِىَ هذه الفتنةُ . فرجَع ابنُ عباسٍ والأَشْتَرُ إلى عليٍّ فأخْبَراه الخبرَ ، فأرْسَلَ الحسنَ وعمارَ بنَ ياسرٍ ، وقال لعَمَّارٍ : انطَلِقْ فأصْلِحْ ما أفْسَدْتَ . فانطَلَقا حتى دخَلا المسجِدَ ، فكان أوَّلَ مَن سلَّم عليهما مسروقُ بنُ الأَجْدَعِ ، فقال لعمارٍ : علامَ قَتَلْتم عثمانَ ؟ فقالَ : على شَتْمِ أعْراضِنا وضَرْبِ أبشارِنا . فقالَ : واللَّهِ ما عاقَبْتم بمثلِ ما عُوقِبْتم به ، ولو صَبَرْتم لكان خيرًا للصابرين .

قال [6] : وخرَج أبو موسى فلَقِىَ الحسنَ بنَ علىٍّ فضمَّه إليه ، وقال لعمارٍ : يا أبا اليَقظانِ أَعَدَوْتَ على أميرِ المؤمنين عثمانَ قَتَلْتَه ؟ فقالَ : لم أفعَلْ ، ولم يَسُؤْنى

(١ - ١) فى م ، ص : « صاحب » .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ : « الغرض » ، وفى ا ٧ ، ا ٦ : « العرض » ، وفى م ، ص : « المعرض » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨ .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « نؤدى » .

(٥ - ٥) زيادة من : م ، وهى موافقة لما فى الكامل ٣/ ٢٢٧ .

(٦) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨٢ .

ذلك . فقطَع عليهما الحسنُ بنُ عليٍّ فقال لأبى موسى : لِمَ تُثَبِّطُ الناسَ عنّا ؟ فواللَّهِ [٦/٩و] ما أَرَدْنا إلَّا الإصْلاحَ ، ولا مثلَ أميرِ المؤمنينَ يُخافُ على شيءٍ . فقال : صَدَقْتَ بأبى أنت وأُمى ، ولكِنَّ المسْتشَارَ مؤْتَمَنٌ ، سَمِعْتُ[1] النبىَّ ﷺ يقولُ : « إنَّها ستكونُ فتنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ مِن القائمِ ، والقائمُ خيرٌ مِن الماشى ، والماشى خيرٌ مِن الراكبِ » . وقد جَعَلَنا اللَّهُ إخْوانًا ، وحرَّم علينا دِماءَنا وأموالَنا . فغضِب عمارٌ وسبَّه ، وقال : يا أيُّها الناسُ ، إنَّما قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ وحدَه : « أنت فيها قاعدًا خَيْرٌ منك قائمًا » . فغضِب رجلٌ مِن بنى تَميمٍ لأبى موسى ونالَ مِن عمارٍ ، وثار آخرون ، وجعَل أبو موسى يُكَفْكِفُ الناسَ ، وكثُرَ اللَّغَطُ ، وارْتَفعتِ الأصْواتُ ، وقال أبو موسى : أيُّها الناسُ ، أطيعُونى [2]وكونوا خَيْرَ قَوْمٍ مِن خيرِ أُمَمِ العربِ[2] ، يأْوِى إليهم المَظْلُومُ ، ويَأْمَنُ فيهم الخائِفُ ، وإنَّ الفِتْنَةَ إذا أقبلَتْ شَبَّهَتْ ، وإذا أدْبَرتْ بيَّنَتْ . ثم أمَر الناسَ بكَفِّ أيدِيهم ولُزومِ بُيوتِهم ، فقام زيدُ بنُ صُوحانَ فقالَ : أيُّها الناسُ سِيروا إلى أميرِ المؤمنين ، وسيِّدِ المسلمين ، سِيروا إليه أجْمعين[3] . فقام القَعْقاعُ بنُ عمرٍو فقال : إنَّ الحقَّ ما قالَه الأميرُ ، ولكنْ لا بدَّ للناسِ مِن أميرٍ يَرْدَعُ الظّالمَ ، ويُعْدِى المظْلُومَ ، وينتظِمُ به شَمْلُ الناسِ ، وأميرُ المؤمنين عليٌّ مَلِىءٌ بما وَلِىَ ، وقد أنصفَ [4]فى الدعاءِ[4] ، وإنَّما يُريدُ الإصلاحَ ، فانْفِروا إليه . وقامَ عبدُ خيرٍ فقال : الناسُ أربعُ فِرَقٍ ؛ عليٌّ بمَن معه فى ظاهرِ الكُوفةِ ، وطلحةُ والزبيرُ بالبصرةِ ، ومعاويةُ بالشامِ ، وفِرْقَةٌ بالحجازِ لا تُقاتِلُ

---

(١) بعده فى م : « من » .

(٢ - ٢) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨٣، والكامل ٣/ ٢٢٨: « تكونوا جرثومة من جراثيم العرب » .

(٣) فى الأصل، ا ٨، م : « أجمعون » .

(٤ - ٤) فى م : « بالدعاء » ، وفى ص : « من الدعاء » .

ولا غَناءَ[1] بها . فقال أبو موسى : أولئك خيرُ الفرقِ ، وهذه فِتنَةٌ .

ثم تراسلَ الناسُ فى الكلامِ ثم قامَ عمارٌ والحسنُ بنُ علىٍّ فى الناسِ على المنبرِ يَدْعُوانِ الناسَ إلى النفيرِ إلى أميرِ المؤمنين ، فإنَّه إنَّما يُريدُ الإصلاحَ بينَ الناسِ ، وسمِع عمارٌ رجلًا يَسُبُّ عائشةَ فقال : اسْكُتْ مقبوحًا منبوحًا ، واللَّهِ إنَّها لزَوْجَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الدنيا والآخرةِ ، ولكنَّ اللَّهَ ابتَلاكم بها ليَعْلَمَ أتُطِيعُونَه أو إيّاها . رَواه البخاريُّ[2] .

وقام حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ فقال : أيُّها الناسُ ، سيروا إلى أميرِ المؤمنين : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [التوبة : ٤١] . وجعَل الناسُ كلَّما قام رجلٌ يُحرِّضُ[3] الناسَ على النفيرِ يُثَبِّطُهم أبو موسى مِن فوقِ المنبرِ ، وعمارٌ والحسنُ معه على المنبرِ حتى قال له الحسنُ بنُ علىٍّ : وَيْحَكَ ! اعْتَزِلْنا لا أُمَّ لكَ ، ودَعْ منبرَنا . ويقالُ : إنَّ عليًّا بعَث الأَشْتَرَ ، فعزَل أبا موسى عن الكوفةِ وأخرَجه مِن قصرِ الإمارةِ مِن تلك الليلةَ .

واستجابَ الناسُ للنفيرِ فخرَج مع الحسنِ [٦/٩ظ] تِسْعةُ آلافٍ فى البرِّ وفى دِجلةَ ، ويقالُ : سار معه اثنا عَشَرَ ألفًا[4] ورجلٌ واحدٌ ، فقدِموا على علىٍّ[5] بذى قارٍ فتلقَّاهم إلى أثناءِ الطريقِ فى جماعةٍ ، مِنهم ابنُ عباسٍ ، فرحَّب بهم وقال : يا أهلَ الكوفةِ ، أنتم لقِيتُم ملوكَ العجمِ ففَضَضْتم

---

(١) فى الأصل ، ا ٧ ، م ، ص : « عناء » .
(٢) البخارى (٣٧٧٢ ، ٧١٠٠) بنحوه .
(٣) فى م ، ص : « فحرض » .
(٤) فى م : « ألف رجل » ، وفى ص : « رجل » .
(٥) فى م ، ص : « أمير المؤمنين » .

جموعَهم، وقد دعوتُكم لتشهَدوا معنا إخوانَنا مِن أهلِ البصرةِ، فإنْ يَرْجِعوا فذاك الذى نُريدُ، وإن أبَوا داوَيْناهم بالرفقِ حتى يَبْدَءُونا بالظلمِ، ولم نَدَعْ أمرًا فيه صلاحٌ إلَّا آثَرْناه على ما فيه[1] الفسادُ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى. فاجْتَمَعوا عندَه بذى قارٍ.

وكان مِن المشهورين مِن رؤساءِ مَن انْضاف إلى علىٍّ؛ القَعْقاعُ بنُ عمرٍو، وسِعْرُ[2] بنُ مالكٍ، وهندُ بنُ عمرٍو، والهيثمُ بنُ شهابٍ، وزيدُ بنُ صُوحانَ، والأَشْتَرُ، وعَدِىُّ بنُ حاتمٍ، والمسيّبُ بنُ نَجَبَةَ[3]، ويزيدُ بنُ قيسٍ، وحُجْرُ بنُ عَدِىٍّ، وأمثالُهم، وكانت عبدُ القيسِ بكمالِها بينَ علىٍّ وبينَ البصرةِ ينتظِرُونه وهم أُلوفٌ، فبعَثَ علىٌّ القعقاعَ رسولًا إلى طلحةَ والزبيرِ بالبصرةِ يدْعُوهما إلى الأُلْفةِ والجماعةِ، ويُعَظِّمُ عليهما الفُرْقَةَ والاختلافَ، فذَهَب القعقاعُ إلى البصرةِ فبدَأ بعائشةَ أمِّ المؤمنين، فقال[4]: أىْ أُمَّهْ، ما أقْدَمَكِ هذه البلدةَ؟ فقالَتْ[4]: أىْ بُنَىَّ، الإصلاحُ بينَ الناسِ. فسأَلها أن تَبْعَثَ إلى طلحةَ والزبيرِ ليحضُرا عندها، فحضَرا، فقال القعقاعُ: إنِّى سألتُ أُمَّ المؤمنين ما أقْدَمها؟ فقالت[5]: الإصلاحُ بينَ الناسِ. فقالا: ونحن كذلك. قال: فأخْبِرانى ما

---

(١) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «من».

(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٦، م، ص، الكامل ٣/ ٢٣٢: «سعد»، وفى ا ٧: «سعيد». والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨٨، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٩٨.

(٣) فى الأصل، ا ٧ بالياء والنون غير معجمة، وفى ا ٨، ا ٦: «نجية»، وانظر تاريخ الطبرى والكامل الموضع السابق والإصابة ٦/ ٢٩٧.

(٤) تاريخ الطبرى ٤/٤٨٨.

(٥) بعده فى م، ص: «إنما جئت».

وَجْهُ هذا الإصلاحِ[1] ؟ فواللَّهِ لئن عرَفناه لَنَصْطَلِحَنَّ، ولئن أنكَرْناه لا نصْطَلِحَنَّ. قالا: قتلةُ عثمانَ، فإنَّ هذا إن تُرِكَ كان تركًا للقرآنِ. فقال: قَتَلْتما [2]قتلةَ عثمانَ[2] مِن أهلِ البصرةِ، وأنتم[3] قبلَ قَتْلِهم أقربُ منكم إلى الاستقامةِ منكم اليومَ، قتَلتم ستَّمائةِ رجلٍ[4]، فغضِب لهم ستةُ آلافٍ فاعتزَلوكم، وخرَجوا مِن بينِ أَظْهُرِكم، وطلَبتم حُرْقُوصَ بنَ زهيرٍ، فمنَعه ستةُ آلافٍ، فإنْ ترَكْتموهم وقَعتم فيما تقولونَ، وإنْ قاتَلْتموهم فأُدِيلُوا عليكم، فالذى[5] حذِرتم وفرِقتم مِن هذا الأمرِ أعظمُ ممَّا أراكم [6]تَدْفَعون وتَجْمَعون منه[6]. يَعنى أنَّ الذى تُريدونَ مِن قتلِ قتَلَةِ عثمانَ مصلحةٌ، ولكنَّه يترتَّبُ عليه مفسدةٌ هى أَرْبَى منها، وكما أنَّكم عجَزتم عن الأخذِ بثأرِ عثمانَ مِن حُرْقُوصِ بنِ زهيرٍ، لقيامِ ستةِ آلافٍ فى منعِه ممَّن يُريدُ قتلَه، فعلىٌّ أعذرُ فى تركِه الآنَ قتلَ قتلةِ عثمانَ، وإنَّما أخَّر قتلَ قتلةِ عثمانَ إلى أنْ يتمَكَّنَ منهم [7]بعد هذا[7]، فإنَّ الكلمةَ فى جميعِ الأمصارِ مختلفةٌ عليه[8].

ثم أعْلَمَهم أنَّ خَلْقًا مِن ربيعةَ ومُضَرَ قد أجمَعوا[9] لحربِهم بسببِ هذا الأمرِ الذى وقَع. فقالتْ له عائشةُ أمُّ المؤمنين: فماذا تقولُ أنت؟ قال: أقولُ: إنَّ هذا

---

(١) بعده فى الأصل، ٨١، ٧١، ٦١، م: «وعلى أى شىءٍ يكونُ».

(٢ - ٢) فى م، ص: «قتلته».

(٣) فى م: «وأنتما».

(٤) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨٨: «ستمائة إلا رجلًا».

(٥) فى الأصل، ١ ٨، ١ ٧، ١ ٦، م: «كان الذى».

(٦ - ٦) فى ص: «تدفعون». وفى تاريخ الطبرى، والكامل ٣/ ٢٣٣: «تكرهون».

(٧ - ٧) زيادة من: ص.

(٨) سقط من: م، ص.

(٩) فى م، ص: «اجتمعوا».

الأمرَ الذى وقَع دواؤُه التسكينُ ، فإذا سكَن اختَلَجوا ، فإنْ أنتم بايَعْتمونا[1] [٦/ ١٠و] فعلامةُ خيرٍ ، وتباشيرُ رحمةٍ ، [2]ودَرَكٌ بثأرٍ[2] ، وإنْ أنتم أبَيْتم إلَّا مكابرةَ هذا الأمرِ وائتنافَه[3] ، كانت علامةَ شرٍّ وذَهابَ هذا الملكِ[4] ، فآثِروا العافيةَ تُرْزَقوها ، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ كما كنتم أوّلُ، ولا تُعَرِّضُونا للبلاءِ فتعرَّضوا له ، فيَصْرَعَنا اللَّهُ وإيَّاكم ، وايمُ اللَّهِ ، إنِّى لأقولُ قولى هذا وأَدْعوكم إليه ، وإنِّى لخائفٌ أن لا يتمَّ حتى يأخُذَ اللَّهُ حاجتَه مِن هذه الأمةِ التى قَلَّ مَتاعُها ، ونزَل بها ما نزَل ، فإنّ هذا الأمرَ الذى قد حدَث أمرٌ عظيمٌ ، وليس كقَتْلِ الرجلِ الرجلَ ، [5]ولا النَّفرِ الرجلَ[5] ولا القبيلةِ[6] القبيلةَ . فقالوا : قد أصَبْتَ وأحْسَنْتَ فارجِعْ ، فإن قَدِمَ عَلِيٌّ وهو على مثلِ رأيِك ، صلَح هذا[7] الأمرُ . قال : فرجَع إلى عليٍّ فأخبَره فأعجبَه ذلك ، وأشرَف القومُ على الصُّلحِ ، كَرِه ذلك مَن كَرِهَه ، ورَضِيه مَن رَضِيه .

وأرْسَلت عائشةُ إلى عليٍّ تُعلِمُه أنَّها إنَّما جاءَتْ للإصلاحِ[8] ، ففرِحَ هؤلاء وهؤلاء ، وقام عليٌّ فى النَّاسِ خطيبًا ، فذَكَر الجاهليةَ وشَقاءَها[9] ، وذكَر الإسلامَ

---

(١) فى ا ٨، ا ٧، ا ٦: « تابعتمونا » والمثبت موافق لما فى الطبرى والكامل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « وإدراك الثأر » ، وفى ا ٨، ا ٧، ا ٦: « وأدرك الثأر » . انظر تاريخ الطبرى ٤/٤٨٩ .

(٣) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٤٨٩، والكامل ٣/ ٢٣٣: « اعتسافه » .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « الثأر » ، وفى الكامل : « المال » .

(٥) سقط من : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٦) زيادة من الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م .

(٧) سقط من : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م .

(٨) فى م : « للصلح » .

(٩) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م : « وأعمالها » والمثبت موافق لما فى الطبرى والكامل .

وسعادةَ أهلِه بالأُلفةِ والجماعةِ ، وأنَّ اللَّهَ جمَعهم بعدَ نبيِّهم[1] ﷺ على الخليفةِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، ثم بعدَه على عُمرَ بنِ الخطَّابِ ، ثم على عُثْمانَ ، ثم حدَث هذا الحدثُ الذى جرَّه[2] على هذه[3] الأمَّةِ أقوامٌ طلَبوا هذه[4] الدُّنيا ، وحسَدوا مَن أنعَم اللَّهُ عليه بها ، وعلى الفضيلةِ التى مَنَّ[5] بها ، وأرادوا رَدَّ الإسلامِ والأشياءِ على أدبارِها ، واللَّهُ بالغُ أمرِه . ثم قال : أَلَا إنِّى مُرتحِلٌ غدًا فارتحِلوا ، ولا يَرتحِلْ معى أحدٌ أعانَ على[6] عُثمانَ بشىءٍ مِن أمورِ الناسِ . فلمَّا قال هذا اجتمَع مِن رءوسِهم جماعةٌ ؛ كالأشترِ النَّخَعِىِّ ، وشُرَيْحِ بنِ أَوْفَى ، وعبدِ اللَّهِ بنِ سَبأٍ المعروفِ بابنِ السَّوْداءِ ، وسالمِ بنِ ثَعْلَبَةَ ، وعِلْباءَ[7] بنِ الهَيْثَمِ ، وغيرِهم فى ألفينِ وخمسِمائةٍ ، وليس فيهم صحابىٌّ . وللَّهِ الحمدُ . فقالوا : ما هذا الرأىُ ؟ وعلىٌّ واللَّهِ أبصرُ[8] بكتابِ اللَّهِ وهو[9] ممَّن يطلُبُ قتلةَ عثمانَ ، وأقربُ إلى العملِ بذلك ، وقد قال ما سمِعْتُم ، غدًا يجمَعُ عليكم الناسَ ، وإنَّما يريدُ القومُ كُلُّهم أنتم ، فكيف بكم وعددُكم قليلٌ فى كثرتِهم ؟ فقال الأشترُ : قد عرَفنا رأىَ طَلْحَةَ والزبيرِ فينا ، وأمَّا رأىُ علىٍّ فلم نعرِفْه إلى اليومِ ، فإن كان قد اصطَلَحَ معهم فإنَّما اصطلَحوا على دمائِنا ، فإن كان الأمرُ هكذا ألحقَنَا عليًّا بعثمانَ ، فرضِى القومُ منا

---

(١) فى م ، ص : « نبيه » .
(٢) فى م : « جرى » ، وفى ص : « حرم » .
(٣) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م .
(٤) بعده فى م : « الله » .
(٥) فى ص : « وإنكارها » .
(٦) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « قتل » .
(٧) فى م : « غلث » . وانظر الإصابة ٥/ ١٣٤ .
(٨) فى م : « أعلم » .
(٩) سقط من : م ، ص .

بالسكوتِ . فقال ابنُ السوداءِ : بئْس ما رأيتَ ، (١لو قتَلناه قُتِلْنا١) ، فإنَّا يا معشرَ قتلةِ عثمانَ فى ألفينِ وخمسِمائةٍ ، وطلحةُ والزبيرُ (٢وأصحابُهما٢) فى خمسةِ آلافٍ ، ولا طاقةَ لكم بهم ، وهم إنَّما يُريدونكم . فقال عِلْباءُ(٣) بنُ الهَيْثَمِ : دَعُوهم وارجِعوا بنا حتى نتعلَّقَ ببعضِ البلادِ فنمتنعَ بها . فقال ابنُ السوداءِ : (٤بئْس ما قلتَ ، إذًا واللَّهِ كان يتخطَّفُكم النَّاسُ . ثم قال ابنُ السوداءِ٤) ، قبَّحه اللَّهُ : يا قومِ إنَّ عِزَّكم(٥) فى (٦خُلْطَةِ الناسِ٦) ، فإذا التقَى الناسُ فأنشِبوا (٧القتالَ ، [٦/١٠ظ] ولا تُفرِّغوهم للنظرِ٧) ، فمَن أنتم معه لا يجِدُ بُدًّا مِن أن يمتَنِعَ ، ويشغَلُ اللَّهُ طلحةَ والزبيرَ ومَن معهما عمَّا تكرَهون(٨) . فأبصَروا الرأىَ وتفرَّقوا عليه ، وأصبَح علىٌّ مرتحِلًا ، ومرَّ بعبدِ القيسِ ، فساروا(٩) معه حتى نزَلوا بالزاويةِ ، وسار منها يريدُ البصرةَ ، وسار طلحةُ والزبيرُ ومَن معهما للقائِه(١٠) ، فاجتمَعوا عندَ قصرِ عبيدِ اللَّهِ ابنِ زيادٍ ، ونزَل النّاسُ (١١كُلٌّ فى١١) ناحيةٍ ، وقد سبَق علىٌّ جيشَه ، وهم يتلاحَقون به ، فمكَثوا ثلاثةَ أيامٍ والرسلُ بينَهم ، فكان ذلك للنصفِ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ ، (١٢وقد أشار١٢) بعضُ النّاسِ على طلحةَ والزبيرِ بانتهازِ

(١ - ١) فى الأصل: «قلنا له قتلنا»، وفى ا ٨، ا ٦: «قتلنا له قتلنا»، وفى ا ٧: «فإن قتلنا له قتللنا».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٣) فى م: «غلب».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٥) فى م: «عيركم»، وفى ص: «غيركم».
(٦ - ٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «خلطتكم بالناس».
(٧ - ٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «الحرب والقتال بين الناس ولتدعوهم يجتمعون».
(٨) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «يحبون ويأتيهم ما يكرهون».
(٩) بعده فى م: «من».
(١٠) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «يريدا لقائه».
(١١ - ١١) فى ا ٧، ص: «فى كل ناحيه».
(١٢ - ١٢) فى م: «فأشار».

الفرصةِ مِن قَتَلةِ عثمانَ ، فقالا : إنَّ عليًّا قد[1] أشار بتَسْكينِ هذا الأمرِ ، وقد بعثْنا إليه بالمصالحةِ على ذلك . وقام عليٌّ فى الناسِ خطيبًا ، فقام إليه الأعْوَرُ بنُ بُنانٍ[2] المِنْقَرِيُّ ، فسأله عن إقدامِه على أهلِ البصرةِ فقال : الإصلاحُ وإطفاءُ النائرةِ[3] ؛ ليجتمعَ الناسُ على الخيرِ ، ويلتئِمَ شَمْلُ هذه الأمةِ . قال : فإن لم يُجيبونا ؟ قال : ترَكْناهم ما ترَكونا . قال : فإن لم يترُكونا ؟ قال : دفَعْناهم[4] عن أنفسِنا . قال : فهل لهم فى هذا الأمرِ مثلُ الذى لنا ؟ قال : نعم . وقام إليه أبو سلامةَ[5] الدَّالَانِيُّ[6] ، فقال : هل لهؤلاء القومِ مِن[7] حُجَّةٍ فيما طَلَبوا مِن هذا الدمِ ، إن كانوا أرادوا اللَّهَ فى ذلك ؟ قال : نعم . قال : فهل لك مِن حُجَّةٍ فى تأخيرِك ذلكَ ؟ قال : نعم . قال : فما حالُنا وحالُهم إنِ ابْتُلِينا غدًا ؟ قال : إنِّى لأرجو أن لا يُقتَلَ منَّا ومنهم أحدٌ نَقَّى قلبَه للَّهِ إلَّا أدخلَه اللَّهُ الجنَّةَ . وقال فى خُطبتِه : أيُّها الناسُ أمسِكُوا[8] عن هؤلاء القومِ أيديَكم وألسنتَكم ، وإياكم أن تَسبِقونا[9] ، فإنَّ المخصومَ غدًا [10]مَن خُصِم[10] اليومَ . وجاء فى غبونِ ذلك الأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ فى جماعةٍ فانضافَ إلى عليٍّ - وكان قد منَع حُرْقُوصَ بنَ زُهَيْرٍ مِن طلحةَ والزبيرِ - وكان قد بايعَ عليًّا بالمدينةِ ؛ وذلك أنَّه قَدِم المدينةَ وعثمانُ محصورٌ ، فسأل عائشةَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : « بيان » ، وفى م : « نيار » ، وغير منقوطة فى ا ٦ ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٤٩٥ ، والكامل ٣/ ٢٣٧ .

(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « الثائرة » .

(٤) سقط من : الأصل ، وفى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « دفعنا » .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٦ ، م ، ص ، نسخة من الكامل : « سلام » ، وانظر الإكمال ٣/ ٣٠٦ .

(٦) فى الطبرى والكامل : « الدألانى » بالهمز . وانظر الإكمال الموضع السابق .

(٧) سقط من : م .

(٨) فى ص ، والكامل : « املكوا » .

(٩) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « غدا » .

(١٠ - ١٠) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م : « مخصوم » ، وفى ا ٦ : « خصم » .

وطلحةَ والزبيرَ : إن قُتِل عثمانُ مَن أبايعُ ؟ فقالوا : بايِعْ عليًّا . فلمَّا قُتِل عثمانُ بايعَ عليًّا ، (١) قال : ثم رجَعْتُ إلى قومِى (١) ، فجاءَنى بعدَ ذلك ما هو أفظعُ ، حتى قال الناسُ : هذه عائشةُ جاءت لتأخُذَ بدمِ عثمانَ . فحِرْتُ فى أمْرِى لمَن أتَّبِعُ ، فنفعَنى (٢) اللَّهُ بحديثٍ سَمِعْتُه مِن أبى بَكرةَ (٣) قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ ، وقد بلَغه أنَّ الفُرْسَ قد مَلَّكوا عليهم ابنةَ كِسْرَى فقال : « لن يُفلِحَ قومٌ وَلَّوْا أمْرَهم امرأةً » . وأَصْلُ هذا الحديثِ فى « صحيحِ البخارىِّ » (٤) .

والمقصودُ أنَّ الأحنفَ لمَّا انحازَ إلى علىٍّ ومعه سِتَّةُ آلافٍ (٥) ، فقال لعلىٍّ : إنْ شئْتَ قاتَلْتُ معك ، وإنْ شئتَ كَفَفْتُ عنك عشَرةَ آلافِ سيفٍ (٦) . (٧) فقال : اكْفُفْ عنَّا (٧) عشَرةَ آلافِ سيفٍ . ثم بعَث علىٌّ إلى طلحةَ والزبيرِ يقولُ : إن كنتُم على ما فارَقْتُم عليه القَعْقَاعَ بنَ عَمْرٍو فكُفُّوا [٦/١١و] حتى نَنْزِلَ فننظُرَ فى هذا الأمرِ . فأرْسَلا إليه فى جوابِ رسالتِه : إنَّا على ما فارَقْنا عليه (٨) القعقاعَ بنَ عمرٍو مِن الصلحِ بينَ الناسِ . فاطمأنَّتِ النفوسُ وسكنَت ، واجتمعَ كلُّ فريقٍ بأصحابِه مِن الجيشَيْن ، فلما أمْسَوْا بعَثَ علىٌّ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ إليهم ، وبعَثُوا إليه محمدَ

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ثم رجع إلى قومه » .

(٢) فى ا ٦ : « فينفعنى » ، وفى م : « فمنعنى » .

(٣) فى م : « بكر » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/١٨٩ ولفظة : لقد نفعنى ..... إلخ . من كلم أبى بكرة وليس من كلم الأحنف . وسياق الطبرى وابن الأثير ليس فيه ذكر لذلك . وقد ثبت فى صحيح البخارى (٧٠٨٣) أن الأحنف خرج لنصرة علىٍّ فثبطه أبو بكرة عن ذلك مستشهدًا بحديث النبى ﷺ : « إذا التقى المسلمان ... » إلخ .

(٥) بعده فى م : « قوس » .

(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « قوس » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٨) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م .

ابنَ طَلْحَةَ[1] السَّجَّادَ ، وباتَ النَّاسُ بخيرِ ليلةٍ ، وباتَ قتلةُ عثمانَ بشرِّ ليلةٍ ، وباتُوا يتشاوَرون وأجمَعوا على أنْ يُثيروا الحربَ مِن الغَلَسِ ، فنهَضوا مِن قبلِ طلوعِ الفجرِ ، وهم قريبٌ مِن ألفَيْ رجلٍ ، فانصرفَ كلُّ فريقٍ إلى قَرَاباتِهم ، فهجَموا عليهم بالسيوفِ ، فثارَ كلُّ طائفةٍ إلى قومِهم ليمنَعوهم ، وقام الناسُ مِن مَنامِهم إلى السِّلاحِ ، فقالوا : [2]ماهذا ؟ قالوا[2] : طرَقَنا[3] أهلُ الكوفةِ ليلًا ، وبيَّتونا وغَدَروا بنا . وظنُّوا أنّ هذا عن ملأٍ مِن أصحابِ عليٍّ ، فبلغَ الأمرُ عليًّا ، فقال : ما للنَّاسِ ؟ فقالوا : بيَّتَنا أهلُ البصرةِ . فثارَ كُلُّ فريقٍ إلى سلاحِهم[4] ولبِسوا اللَّأْمَةَ وركِبوا الخيولَ ، ولا يشعُرُ أحدٌ منهم بما وقَع الأمرُ عليه فى نفسِ الأمرِ . وكان أمرُ اللَّهِ قَدَرًا مقدورًا . فنشِبَتِ الحربُ وتواقفَ الفريقان ، وقد اجتَمع مع عليٍّ عشرون ألفًا ، والتفَّ على عائشةَ ومَن معها نحوٌ مِن ثلاثين ألفًا ، وقامتِ الحربُ على ساقٍ ، وتبارزَ الفرسان وجالتِ الشجعان ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون . والسبئيَّةُ[5] أصحابُ ابنِ السَّوْداءِ ، قبَّحه اللَّهُ ، لا يَفتُرون عن القتلِ ، ومنادِى عليٍّ يُنادِى : ألَا كفُّوا ! ألَا كفُّوا ! فلا يسمَعُ أحدٌ ، وجاء كعبُ بنُ سُورٍ[6] قاضِى البصرةِ ، فقال : يا أمَّ المؤمنين أدرِكى الناسَ ، لعلَّ اللَّهَ أن يُصْلِحَ بكِ بينَ الناسِ . فجلَستْ فى هَوْدَجِها فوقَ بعيرِها وستَروا الهودَجَ بالدروعِ ، وجاءَت فوقفَتْ بحيث تنظُرُ إلى الناسِ [7]فى معركتِهم[7] ، فتَصاوَلُوا وتجاوَلوا ، وكان فى جملةِ مَن تَبارزَ الزبيرُ

---

(١) فى م : « طليحة » . وانظر الإصابة ٦/ ١٧.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م : « طرقتنا » .

(٤) فى م : « سلاحه » .

(٥) فى الأصل ، م : « السائبة » .

(٦) فى من : « سوار » .

(٧ - ٧) فى م : « عند حركتهم » .

وعمَّارٌ ، فجعَل عمَّارٌ يحوزُه[1] بالرمحِ ، والزبيرُ كافٌّ عنه ، ويقولُ له : أتقتُلُني يا أبا اليَقْظَانِ ؟ فيقولُ : لا يا أبا عبدِ اللَّهِ . وإنَّما تركَه الزبيرُ لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغيَةُ » . وإلَّا فالزبيرُ أقدرُ عليه منه عليه ، فلهذا كَفَّ عنه ، وقد كان مِن سُنَّتِهم فى هذا اليومِ أنَّه لا يُذَفَّفُ على جريحٍ ، ولا يُتْبَعُ مُدبِرٌ ، وقد قُتِلَ مع هذا بَشرٌ[2] كثيرٌ جدًّا ، حتى جعَلَ عليٌّ يقولُ لابنِه الحسنِ : يابُنَيَّ ليتَ أباك ماتَ قبلَ هذا اليومِ بعشرين سنةً[3] . فقال له : يا أبَه[4] ، قد كنتُ أنهاك عن هذا .

قال سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ[5] ، عن قَتادَةَ ، عن الحسنِ ، عن قَيْسِ بنِ عُبَادٍ[6] قال : قال عليٌّ يومَ الجملِ : ياحسنُ ، [7]ياحسنُ[7] ، ليتَ أباك مات منذُ عشرين سنةً . فقال له : يا أبَه ، قد كنتُ أنهاك عن هذا . قال : يابُنَيَّ إنى لم أرَ أنَّ الأمرَ يبلُغُ هذا . [٦/١١ظ] وقال مُبَارَكُ بنُ فَضَالَةَ[8] ، عن الحسَنِ ، عن[9] أبى بَكْرَةَ : لمَّا اشتدَّ القتالُ يومَ الجملِ ، ورأَى عليٌّ الرءوسَ تندُرُ[10] ، أخَذ عليٌّ ابنَه الحسنَ فضمَّه إلى صدرِه ، [11]ثم قال[11] : إنّا للَّهِ يا حسَنُ ! أىُّ خيرٍ يُرْجَى بعدَ هذا !

---

(١) فى م : « ينخره » .

(٢) فى الأصل ، م : « خلق » .

(٣) فى م ، ص : « عاما » .

(٤) فى م : « أبت » .

(٥) فى م : « عجرة » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٥.

والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٢/١٢ (مخطوط) من طريق سعيد بن أبى عروبة به .

(٦) فى الأصل ، م : « عبادة » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٦٤.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، م ، ص . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٢/١٢ (مخطوط) من طريق مبارك بن فضالة به .

(٩) فى م ، ص : « بن » .

(١٠) تندر : تسقط .

(١١ - ١١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فقال » .

فلمَّا ركِب الجيشانِ، وتراءى الجَمعانِ، طلَب[1] عليٌّ الزبيرَ وطلحةَ ليكلِّمَهما، فاجتَمعوا حتى التفَّتْ أعناقُ خُيولِهم، فيقالُ: إنّه قال لهما: إنِّى أراكما قد جمَعْتُما خيلًا ورجالًا وعُدَدًا، فهل أعدَدْتُما عُذْرًا يومَ القيامةِ كذلك[2]؟ فاتَّقِيا اللَّهَ، ولا تكونا كالتى نقضَتْ غَزْلَها مِن بعدِ قوَّةٍ أنْكَاثًا، ألم أكُنْ أخَاكما[3] فى دينِكما[4]، تُحَرِّمانِ دمى وأحرِّمُ دَمَكما، فهل مِن حدثٍ[5] أَحلَّ لكما دمى[6]؟ فقال طلحةُ[7]: ألَّبْتَ على عثمانَ. فقال عليٌّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]. ثم قال: لعَن اللَّهُ قَتَلَةَ عثمانَ. ثم قال: ياطلحةُ، أجئتَ بعِرْسِ[8] رسولِ اللَّهِ ﷺ تُقاتِلُ بها، وخَبَّأْتَ عِرْسَك فى البيتِ! أمَا بايعْتَنى؟ قال: بايَعتُك والسيفُ على عُنُقى. وقال للزبيرِ: ما أخرَجَك؟ قال: أنتَ، ولا أراك بهذا الأمرِ أولى به مِنِّى. فقال له عليٌّ: أتذْكُرُ[9] يومَ مررْتُ مع رسولِ اللَّه ﷺ فى بنى غَنْمٍ فنظَر إلىَّ وضحِك وضحِكتُ إليه، فقلتَ: لا يدَعُ ابنُ أبى طالبٍ زَهْوَه. فقال لك رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّه ليس بمَزْهوٍّ[10]، لَتُقاتِلَنَّه وأنت ظالمٌ له». فقال الزبيرُ: اللهمَّ نعم، ولو ذكَرْتُ[11] ما سِرْتُ مسيرى هذا،

---

(١) فى م، ص: «وطلب».
(٢) سقط من م، ص.
(٣) فى م، ص: «حاكما».
(٤) فى م، ص: «دمكما».
(٥) فى م، ص: «حديث».
(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا٦: «دم أخيكما».
(٧) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أنت».
(٨) العرس: الزوج.
(٩) فى م: «أما تذكر».
(١٠) فى م: «بمتمرد»، وفى ص: «بتمرده»، وفى تاريخ الطبرى ٤/ ٥٠٢، والكامل ٣/ ٢٤٠: «به زهو»، وفى نسخة من الكامل: «بمزه».
(١١) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «ذلك».

وواللَّهِ لا أُقاتِلُك .

وفى هذا السياقِ كُلِّه نظَرٌ ، والمحفوظُ منه الحديثُ ، كما[1] رَواه الحافظُ أبو يَعْلى المَوْصِلىُّ[2] : حدَّثنا أبو يُوسُفَ يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرَقىُّ[3] ، حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مُسْلِمٍ الرَّقَاشِىِّ ، عن جَدِّه عبدِ الملكِ ، عن أبى جَرْوٍ[4] المازِنىِّ قال : شَهِدْتُ عليًّا والزبيرَ حينَ تواقَفا - [5]يعْنى يومَ الجملِ[5] - فقال له علىٌّ : يا زبيرُ ، أنْشُدُك اللَّهَ ، أسمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنّك تُقاتِلُنى[6] وأنت لى[7] ظالمٌ ؟ » قال : نعم ، ولم أذكُرْه إلَّا فى موقِفى هذا . ثم انصرَف . وقد رَواه البيهقىُّ[8] ، عن الحاكمِ ، عن أبى الوليدِ الفقيهِ ، عن الحسنِ بنِ سفيانَ ، عن قَطَنِ بنِ نُسَيْرٍ[9] ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مُسْلمٍ الرَّقَاشِىِّ ، عن جَدِّه ، عن أبى جَرْوٍ[4]

---

(١) فى م ، ص : « فقد » .

(٢) بعده فى م ، ص : « فقال » .

والحديث لم نجده فى مسند أبى يعلى ، وقد أخرجه المزى فى تهذيب الكمال ١٦/ ٧١، ٧٢ من طريق أبى يعلى به . وقال العقيلى : الأسانيد فى هذا لينة . الضعفاء الكبير ٢/ ٣٠٠.

(٣) فى م ، ص : « الدورى » . انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١١.

(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « حرة » ، وفى م ، ص : « حزم » . والمثبت من الضعفاء الكبير ، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٨٧.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى تهذيب الكمال : « تقاتل » .

(٧) ليس فى م ، ص ، تهذيب الكمال .

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤١٥.

(٩) فى الأصل ، ا ٨، ا ٦، م ، الدلائل : « بشير » وفى ا ٧: « شبير » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٦١٧.

المازنيِّ ، عن عليٍّ والزبيرِ به .

وقال عبدُ الرزَّاقِ[1] : أنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ قال : لمَّا ولَّى الزبيرُ يومَ الجملِ بلَغ عليًّا فقال : لو كان ابنُ صفيَّةَ يَعلَمُ أنَّه على حقٍّ ما وَلَّى . وذلك أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لقِيَهما فى سقيفةِ بنى ساعدةَ فقال : « أتُحِبُّه يا زبيرُ ؟ » . فقال : وما يَمنعُنى[2] ؟ قال : « فكيف بك[3] إذا قاتلْتَه وأنت ظالمٌ له ؟ » . قال : فيرَوْنَ أنه إنما وَلَّى لذلك . قال البيهقيُّ[4] : وهذا مرسلٌ ، وقد رُوِى مَوْصولًا مِن وجهٍ آخرَ : أخبَرَنا أبو بَكْرٍ أحمدُ[5] بنُ الحسنِ القاضى ، أنا أبو عمرٍو[6] [٦/١٢و] بنُ مَطَرٍ ، أنا أبو العَبَّاسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سَوَّارٍ الهاشمِيُّ الكوفيُّ ، أنا مِنْجابُ بنُ الحارثِ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الأجْلَحِ ، ثنا أبى ، عن [7]يزيدَ الفقيرِ[7] ، عن أبيه قال : وسمِعْتُ فَضْلَ بنَ فَضَالةَ يحُدِّثُ عن [8]أبى ، عن[8] أبى[9] حَرْبِ بنِ أبى الأَسْوَدِ الدُّئِلِيِّ ، [10]عن أبيه[10] - دخَل [11]حديثُ أحدِهما[11] فى حديثِ صاحبِه - قال : لمَّا دَنَا عليٌّ وأصحابُه مِن طلحةَ والزبيرِ ، ودنَتِ الصفوفُ بعضُها مِن بعضٍ ، خرَج

---

(١) المصنف (٢٠٤٣٠) .

(٢) بعده فى الأصل : « أن أحبه » ، وفى ا ٧، ا ٦: « أن لا أحبه » .

(٣) فى المصنف : « أنت » .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤١٤.

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « بن أحمد » ، وفى م ، ص : « محمد » . والمثبت من دلائل النبوة ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٦.

(٦) فى ا ٦: « عمر » ، وفى م : « عامر » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٢.

(٧ - ٧) فى م ، ص : « مرثد الفقيه » . انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٦٣.

(٨ - ٨) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل .

(٩) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٣١.

(١٠ - ١٠) سقط من : م ، ص .

(١١ - ١١) فى ا ٨، ا ٧، ا٦: « حديثهما » .

عليٌّ وهو على بَغْلَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فنادى : ادْعُوا لى الزبيرَ بنَ العوَّامِ [1] فإنِّى عليٌّ [1] . فدُعِى له الزبيرُ [2] ، فأقبَل حتى اختلفَتْ أعناقُ دَوَابِّهما ، فقال عليٌّ : يا زبيرُ ، نَشَدْتُك باللَّهِ ، أتذكُرُ يومَ مرَّ بك رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن فى مكانِ كذا وكذا فقال : « يا زبيرُ [3] ، تُحِبُّ عَليًّا ؟ » . فقلتَ : ألَا أُحِبُّ ابنَ خالى وابنَ عمِّى وعلى دينى ! فقال : « يا زبيرُ ، أمَا واللَّهِ لتُقاتلَنَّه وأنت ظالمٌ له ؟ » . فقال الزبيرُ : بلى واللَّهِ ، لقد نسِيتُه منذُ سمِعتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم ذكَرتُه الآنَ ، واللَّهِ لا أُقاتِلُك . فرجَع الزبيرُ على دابَّتِه يشُقُّ [4] الصفوفَ ، فعرَض [5] له ابنُه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ فقال : ما لك ؟ فقال : ذكَّرنى عليٌّ حديثًا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّه ﷺ ، سمِعتُه [2] يقولُ : « لَتُقَاتِلَنَّه وأنتَ ظالمٌ له » . فقال : وللقتالِ جئتَ ؟ إنَّما جئتَ لتُصْلِحَ بينَ الناسِ ويُصْلِحَ اللَّهُ بك هذا الأمرَ . قال : قد حَلَفْتُ أن لا أُقاتلَه . قال : أعتِقْ غلامَك جِرْجِسَ [6] ، وقِفْ حتى تُصْلِحَ [7] بينَ الناسِ . فأعتَقَ غُلامَه ووقَف ، فلمَّا اختلفَ [8] أمرُ الناسِ ذهَب على فرسِه .

[9] وروَى البزارُ [10] عن أحمدَ بنِ عَبْدَةَ ، عن الحسينِ بنِ الحسنِ ، عن رفاعةَ [9]

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٢) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٣) بعده فى م ، ص : « ألا » .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « من » .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فتعرض » .

(٦) فى م : « سرجس » .

(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « يصلح الله » .

(٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « رأى اختلاف » .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) كشف الأستار (٢٥٢٨) . وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٠٧ : ونذير - أبو إياس تفرد عنه ابنه .=

(١) ابنِ إياسِ بنِ أبى إياسٍ، عن أبيه، عن جدِّهِ قال: (٢) سمِعتُ عليًّا يقولُ لطلحةَ يومَ الجملِ: أمَا (٢) سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه»؟ قال: بلى. وانصرَف. وقد استغرَبه البزارُ، وهو جديرٌ بذلك (١).

فرجَع الزبيرُ (٣) إلى عائشةَ فذكَر لها (٤) أنَّه قد آلَى أنْ لا يُقاتِلَ عليًّا، فقال له ابنُه عبدُ اللَّهِ: إنَّك جمَعْتَ الناسَ، فلمَّا تَرآى بعضُهم لبعضٍ خَرَجْتَ مِن بينِهم، كَفِّرْ عن يمينِك (٥) واحضُرْ (٥). فأعتَقَ غُلامًا (٦) له اسمُه مكحولٌ (٦)، وقيل (٧): سَرْجِسُ (٨).

وقد قيلَ: إنَّه إنَّما رجَع (٩) عن القتالِ لمَّا رأَى عَمَّارًا مع عليٍّ، وقد سمِع رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ لعَمَّارٍ: «تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ». فخَشِى أنْ يُقْتَلَ عَمَّارٌ فى هذا اليومِ. وعندى أنَّ الحديثَ الذى أورَدْناه إن كان صحيحًا عنه فما رجَعه سِواه، ويبعُدُ أن يُكفِّرَ عن يمينِه، ثم يحضُرَ بعدَ ذلك (١٠) ويقاتلَ عليًّا (١٠). واللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّ الزبيرَ لمَّا رجَع يومَ الجملِ (١١) سار حتى نزَل (١١) واديًا يقالُ له:

= وقال ابن حجر: نذير، مصغرا، مجهول، من الثالثة التقريب ٢/ ٢٩٨.

(١ - ١) سقط من: م، ص، وبعده فى م، ص: «قالوا».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) زيادة من: م، ص.

(٤) سقط من: م، ص.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

(٧) فى ا ٧: «اسمه»، وبعده فى م، ص: «غلامه».

(٨) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «جرجس». وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٠٩، والكامل ٣/ ٢٤٠.

(٩) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «رجعه».

(١٠ - ١٠) فى م: «لقتال على»، وفى ص: «قتال على».

(١١ - ١١) فى م، ص: «منزل».

وادى السِّباعِ . فاتَّبعه[1] عمرُو بنُ جُرْموزٍ ، فجاءَه وهو نائمٌ فقتَله غِيلةً ، كما سنذكرُ تفصيلَه . وأمَّا طلحةُ فجاءَه فى المعركةِ سهمٌ غَرْبٌ ، يقالُ : رَماه به مَروانُ ابنُ الحكمِ . فاللَّهُ أعلمُ . فانتظَمَ رجلَه مع فرسِه فجمَحتْ به الفرسُ فجعَل يقولُ : إلىَّ عبادَ اللَّهِ [٦/١٢ظ] ، إلىَّ عبادَ اللَّهِ . فاتَّبعه مولًى له فأمسكَها ، فقال له : ويحَك ، اعدِلْ[2] بى إلى البيوتِ . وامتلأَ خُفُّه دمًا فقال لغلامِه : [3]انزِعْه و[3] اردُفنى . وذلك أنه نزَفه الدمُ وضعُفَ ، فركِب الغلامُ[4] وراءَه ، وجاء به إلى بيتٍ فى البصرةِ فمات فيه ، رضِى اللَّهُ عنه .

وتقدَّمَتْ عائشةُ ، رضِى اللَّهُ عنها ، [5]فى هَوْدَجِها[5] ، ونَاوَلَتْ كعبَ بنَ سُورٍ[6] قاضىَ البصرةِ مصحفًا وقالت : ادْعُهم إليه . وذلك[7] حينَ اشتدَّ الحربُ وحَمِى القتالُ ، ورجَع الزبيرُ وقُتِلَ طلحةُ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، فلمّا تقدَّم كعبُ بنُ سُورٍ بالمصحفِ يدعو الناسَ[4] إليه ، استقْبَله مقدَّمةُ جيشِ الكوفيين ، وهو[8] عبدُ اللَّهِ بنُ سبأٍ[9] - ابنُ السوداءِ - وأتباعُه ، وهم[4] بينَ يَدَى الجيشِ يقتُلون مَن قدَروا عليه مِن أهلِ البصرةِ ، لا يتوقَّفون فى أحدٍ ، فلمّا رأَوْا كعبَ بنَ سورٍ رافعًا

---

(١) بعده فى م ، ص : « رجل يقال له » .
(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « اعتزل » .
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥ - ٥) زيادة من : م ، ص .
(٦) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « سوار » .
(٧) بعده فى م ، ص : « أنه » .
(٨) فى م ، ص : « كان » .
(٩) بعده فى م ، ص : « وهو » .

المصحفَ رشَقوه بنبالِهم رشقةَ رجلٍ واحدٍ فقتَلوه ، ووَصَلتِ النبالُ إلى هودجِ أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها ، فجعَلتْ تُنادِى : اللَّهَ اللَّهَ ! يابنىَّ اذكُروا يومَ الحسابِ . ورفَعت يَدَيها تدعو على أولئك النفرِ مِن قتلةِ عثمانَ ، فضجَّ الناسُ معها بالدعاءِ ، حتى وصلَتِ[1] الضجَّةُ إلى علىٍّ فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أمُّ المؤمنين تدعُو على قتلةِ عثمانَ وأشياعِهم . فقال : اللهمَّ الْعَنْ قتلةَ عثمانَ . وجعَل أولئك النفرُ لا يُقْلِعون عن رشقِ هودجِها بالنبالِ حتى بقِى مثلَ القنفذِ ، وجعَلت تُحرِّضُ الناسَ على منعِهم وكفِّهم ، فحمَلت [2]مُضَرُ حملةَ[2] الحفيظةِ ، فطرَدوهم حتى وصَلتِ الحملةُ إلى الموضعِ الذى فيه علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، فقال لابنِه محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ : وَيْحَك ، تقدَّمْ بالرايةِ . فلم يَسْتَطِعْ ، فأخَذها علىٌّ مِن يدِه فتقدَّم بها ، وجعَلتِ الحربُ تأخذُ وتُعْطِى ؛ فتارةً لأهلِ البصرةِ ، وتارةً لأهلِ الكوفةِ ، حتى[3] قُتِلَ خلقٌ كثيرٌ ، وجمٌّ غفيرٌ ، ولم تُرَ وقعَةٌ أكثرُ مِن قطعِ الأيدى والأرجلِ فيها مِن هذه الوقعةِ ، وجَعلَتْ عائشةُ تُحرِّضُ الناسَ على أولئك النفرِ مِن قتلةِ عثمانَ ، ونظرَتْ عن يمينِها فقالت : مَن هؤلاء القومُ ؟ فقالوا : نحن بكرُ بنُ وائلٍ . فقالت : لكم يقولُ القائلُ :

وَجَاءُوا إِلَيْنَا بالحديدِ[4] كأنَّهُمْ ... مِن العزَّةِ القعساءِ بكرُ بنُ وائلِ

ثم جاء[5] إليها بنو ناجيةَ ثم بنو ضَبَّةَ ، فقُتِل عندها[6] منهم خلقٌ كثيرٌ .

---

(١) فى م ، ص : « بلغت » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « معه » .

(٣) فى م ، ص : « و » .

(٤) فى تاريخ الطبرى ٤/ ٥١٦ ، والكامل ٣/ ٢٤٧ : « فى الحديد » .

(٥) فى م ، ص : « لجأ » .

(٦) فى م ، ص : « عنده » .

ويقالُ : إنَّه قُطِعت يدُ سبعين رجلًا وهى آخِذةٌ بخِطامِ الجملِ . فلمَّا أُثْخِنُوا تقدَّم بنو عَدِىِّ بنِ عبدِ مَنَافٍ فقاتَلوا قِتالًا شديدًا ، ورفَعوا رأسَ الجملِ ، وجعَل أولئك يقصِدون الجملَ ، وقالوا : لا يزالُ الحربُ قائمًا مادام هذا الجملُ واقفًا . ورأسُ الجملِ فى يدِ عَمِيرةَ[1] بنِ يَثْرِبِىٍّ ، وقُتِل[2] أخوه عمرُو بنُ يَثْرِبِىٍّ[3] ، وكان مِن الشجعانِ المذْكُورين ، [4]والفرسانِ المشهورين[4] ، فتقدَّم إليه [5]هندُ ابنُ[5] عمرٍو الجَمَلىُّ ، فقتَله ابنُ يَثْرِبِىٍّ ، [4]ثم صمَد إليه عِلْباءُ بنُ الهيثمِ ، فقتلَه ابنُ يثربىٍّ أيضًا[4] ، وقَتَل سَيْحانَ[6] بنَ صُوحانَ ، وارْتُثَّ[7] صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ ، فدَعاه عَمَّارٌ [٦/١٣و] إلى البِرازِ فبَرز له ، فتجاوَلا بينَ الصَّفَّيْنِ - وعمَّارٌ يومَئذٍ[8] ابنُ تسعينَ سنةً ، عليه فروةٌ قد ربَط وَسَطَه بحبلِ ليفٍ - فقال الناسُ : إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، الآنَ يُلحِقُ عمَّارًا بأصحابِه . فضرَبه ابنُ يَثْرِبِىٍّ بالسيفِ ، فاتَّقاه عمَّارٌ بدَرَقتِه[9] ، فعضَّتِ[10] السيفَ ونشِب فيها[8] ،

---

(١) فى الأصل ، ا ٧ ، ا ٦ : « عمير » ، وفى ا ٨ : « عمرو » ، وفى م ، ص : « عمرة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣٠ ، والكامل ٣/ ٣٤٨ . وانظر التاريخ الكبير ٧/ ٦٩ .

(٢) فى م ، ا ٧ : « قيل » .

(٣) بعده فى م ، ص : « ثم صمد عليه علباء بن الهيثم » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص ، وفى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « نفيل بن » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٥١٨ ، والكامل ٣/ ٢٤٨ . وانظر الأنساب ٢/ ٨٧ .

(٦) فى م ، ص ، تاريخ الطبرى : « زيد » . والمثبت موافق لما فى الكامل ٣/ ٢٤٨ . وكلاهما ممن قتل يوم الجمل . انظر الإصابة ٢/ ٦٤٦ ، ٣/ ٢٣٥ .

(٧) ارتث : أى حمل من المعركة رثيثًا أى جريحًا وبه رمق . تاج العروس (ر ث ث) .

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩) الدرقة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عَقَب .

(١٠) فى م ، ص : « فغص فيها » .

وضَرَبه عمَّارٌ فقطَع رِجْلَيْه[1] ، وأخَذه أسيرًا إلى بينِ يدَى علىٍّ فقال : اسْتَبْقِنى يا أميرَ المؤمنين . فقال : أبعدَ ثلاثةٍ تقتُلُهم ! ثم أمَر به فقُتِلَ ، واستمرَّ زمامُ الجملِ بيدِ رجلٍ بعدَه كان قد استَنابه فيه مِن بنى عَدِىٍّ ، فبرَز إليه ربيعةُ العُقَيْلىُّ فتجاوَلا حتى قتَل كُلُّ واحدٍ منهما[2] صاحبَه ، وأخَذ الزمامَ الحارثُ الضَّبىُّ ، فما رُئى أشدُّ منه وجعَل يقولُ[3] :

نحنُ بنو[4] ضَبَّةَ أصحابُ الجملْ نُبارِزُ[5] القِرنَ إذا القِرْنُ نزَل

نَنْعَى[6] ابنَ عفانَ بأطْرَافِ الأسَلْ الموتُ أَحْلَى[7] عِنْدَنا مِن العَسَلْ

* ردُّوا علينا شيخَنا ثم بَجَلْ[8] *

وقد[9] قيل : إن هذه الأبياتَ لوسيمِ بنِ عمرٍو الضَّبىِّ .

وكُلَّما قُتِلَ واحدٌ ممَّن يُمسِكُ الجملَ تقدَّم[10] غيرُه ، حتى قُتِلَ منهم أربعون رجلًا . قالت عائشةُ[11] : ما زال جمَلى مُعتدِلًا حتى فَقَدْتُ أصواتَ بنى ضَبَّةَ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « يده » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٤/ ٥١٨ ، والكامل ٣/ ٢٤٩ ، والشطر الثانى من البيت الأول ليس عند الطبرى .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « بنى » . على الاختصاص .

(٥) فى الأصل : « بنا » ، وفى ا ٨ : « تنازل » ، وفى ا ٧ ، ا ٦ : « نبا » .

(٦) فى الأصل : « تنصر » ، وفى ا ٨ : « نبغى ننصر » .

(٧) فى الطبرى : « أشهى » .

(٨) بجل : حشب . اللسان (ب ج ل) .

(٩) سقط من : م .

(١٠) فى م ، ص : « يقوم » .

(١١) تاريخ الطبرى ٤/ ٥١٨ ، والكامل ٣/ ٢٤٩ .

ثم أخَذَ الخِطامَ سبعون رجلًا مِن قريشٍ ، وكلُّ واحدٍ يُقْتَلُ بعدَ صاحبِه ، فكان منهم محمدُ بنُ طلحةَ المعروفُ بالسَّجَّادِ ، فقال لعائشةَ : مُرِينى بأمرِك يا أُمّاه[1] . فقالت : آمُرُك أن تكونَ كخيرِ ابنَىْ آدمَ . فامتنَع أنْ ينصرِفَ وثبَت فى مكانِه ، وجعَل يقولُ : حـٰـم لا يُنْصَرُونَ . فتقدَّم إليه نفرٌ فحمَلوا عليه فقتَلوه وصارَ كلُّ واحدٍ منهم بعدَ ذلك يَدَّعى قتْلَه ، وقد طعَنه بعضُهم بحربةٍ فأنفذَه وقال[2] :

وأَشْعَثَ قَوَّامٍ بآياتِ ربِّهِ ... قليلِ الأذَى فيما تَرَى العينُ مُسْلِمِ
هَتَكْتُ له بالرُّمحِ جيبَ قَمِيصِه ... فخرَّ صَريعًا لليدَيْنِ وللفمِ
يُناشِدُنى[3] حـٰـم والرمحُ شاجرٌ[4] ... فهلَّا تلا حـٰـم قبلَ التقَدُّمِ
على غيرِ شىءٍ غيرَ أن ليس تابِعًا ... عَلِيًّا ومَنْ لا يَتْبَعِ الحقَّ يَنْدَمِ

وأخذَ الخِطامَ عمرُو بنُ الأشْرَفِ ، فجعَل لا يدنو منه أحدٌ إلَّا خطَمه[5] بالسيفِ ، فأقبَل إليه الحارثُ بنُ زُهَيْرٍ الأَزْدِىُّ وهو يقولُ :

يا أُمَّنَا[6] يا خيرَ أمٍّ نعلَمُ ... أمَا تَرين كم[7] شجاعٍ يُكْلَمُ
* وتُخْتَلَى[8] هامتُه والمِعْصَمُ *

فاختلَفا ضربتيْن فقَتَل كلُّ واحدٍ منهما[9] صاحبَه ، وأحدقَ أهلُ النجَداتِ

---

(١) فى م ، ص : « أمه » .
(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ، والكامل ، وأمالى ابن دريد ص ٧١ ، وانظر تخريجها فى حاشية الأمالى .
(٣) فى مصادر التخريج : « يذكرنى » .
(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « شاهر » .
(٥) فى ا ٦ ، م : « حطه » .
(٦) فى الكامل : « أمتا » .
(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فى » .
(٨) تختلى : تقطع .
(٩) سقط من : م ، ص .

(١ والمروءاتِ ١) والشجاعةِ بعائشةَ ، فكان لا يأخُذُ الرايةَ والخِطامَ(٢) إلَّا شجاعٌ معروفٌ ، فيَقتُلُ مَن قصَده ثم يُقْتَلُ بعدَ ذلك ، وقد فقَأ بعضُهم عينَ عَدِيِّ بنِ حاتمٍ [٦/١٣ظ] ذلك اليومَ ، ثم تقدَّمَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ فأخَذ بخطامِ الجملِ وهو لا يتكلَّمُ ، فقيل لعائشةَ : إنَّه ابنُك ابنُ أختِك . فقالت : واثُكْلَ أَسْمَاءَ ! وجاء مالكُ ابنُ الحارثِ الأشترُ النَّخَعِيُّ فاقتتلا ، فضرَبه الأشترُ على رأسِه فجرَحه جُرْحًا شديدًا ، وضرَبه عبدُ اللَّهِ ضربةً خفيفةً(٣) ، ثم اعتَنقا وسقَطا إلى الأرضِ يعترِكانِ ، فجعَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ يقولُ :

اقْتُلونى ومَالِكًا واقْتُلُوا مَالِكًا معى

(١ فأرسَلها مثلًا ١) . وجعَل الناسُ لا يعرِفون مالكًا مَن هو ، إنما هو يُعرَفُ(٤) بالأشترِ ، فحمَل أصحابُ عليٍّ وعائشةَ فخلَّصوهما ، وقد جُرِحَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ يومَ الجملِ بهذه الجراحةِ سبعًا وثلاثين جراحةً ، وجُرِحَ مروانُ بنُ الحكمِ أيضًا . ثم جاء رجلٌ فضرَبَ الجملَ على قوائمِه ، فعقَره وسقَط إلى الأرضِ ، فسُمِعَ له عجيجٌ ما سُمِعَ أشدُّ ولا أنفذُ منه ، وآخِرُ مَن كان الزمامُ بيدِه زُفَرُ بنُ الحارثِ فعُقِرَ الجملُ وهو فى يدِه ، ويقالُ : إنه اتفقَ هو وبُجَيْرُ بنُ دُلْجَةَ على عقرِه . ويقالُ : إنَّ الذى أشارَ بعقرِه(٥) عليٌّ . وقيل : القعقاعُ بنُ عمرٍو . لِئَلَّا تُصابَ أمُّ المؤمنين ، فإنها صارت(٦) غَرَضًا للرماةِ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م ، ص : « ولا بخطام الجمل » .

(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ضعيفة » وفى ص : « خفية » .

(٤) فى م ، ص : « معروف » .

(٥) فى م ، ص : « بعقر الجمل » .

(٦) فى م ، ص : « بقيت » .

ومَن يُمسِكُ بالزمامِ بُرْجاسًا[1] للرماحِ، ولينفصِلَ هذا الموقفُ الذى قد تفانَى فيه الناسُ. ولمّا سقَط الجملُ[2] إلى الأرضِ انهزَم مَن حولَه[3]، وحُمِلَ هودجُ عائشةَ، وإنَّه لكالقنفُذِ مِن [4]كثرةِ النُّشَّابِ[4]، ونادَى مُنادى علىٍّ فى الناسِ: إنَّه لا يُتبَعُ مُدبِرٌ ولا يُذَفَّفُ على جريحٍ، ولا يدخُلوا الدُّورَ. وأمَر علىٌّ نَفَرًا أنْ يحمِلوا الهودجَ مِن بين القتلَى، وأمَر محمدَ بنَ أبى بكرٍ وعمَّارًا أن يضرِبا عليها قُبَّةً، وجاء إليها أخوها محمدٌ فسأَلها: هل وصَل إليك شىءٌ مِن الجراحِ؟ فقالت[5]: وما أنت وذاك يا ابنَ الخثْعَمِيَّةِ. وسَلَّم عليها عمارٌ فقال: كيف أنتِ يا أمَّ[6]؟ فقالت: لستُ لكَ بأمٍّ. قال: بلى وإن كرِهْتِ. وجاء إليها علىُّ بنُ أبى طالبٍ[7] مُسلِّمًا فقال: كيف أنتِ يا أمَّه؟ قالت: بخيرٍ. فقال: يغفِرُ اللَّهُ لكِ. وجاء وجوهُ الناسِ إليها[8]، مِن الأمراءِ والأعيانِ يُسلِّمون عليها[9].

ويقالُ: إنَّ أَعْيَنَ بنَ ضُبَيْعَةَ المُجَاشِعِىَّ اطَّلعَ فى الهودجِ. فقالت: إليك لعَنك اللَّهُ. فقال: واللَّهِ ما أرَى إلا حُمَيْرَاءَ. فقالت: هتَك اللَّهُ سترَك، وقطَع يدَك، وأبْدَى عورتَك. فقُتِلَ بالبصرةِ وسُلِبَ وقُطِعَتْ يدُه ورُمِى عُرْيانًا فى خَرِبَةٍ مِن

---

(١) البرجاس: غرض فى الهواء على رأس رمح ونحوه يرمى به. تاج العروس (ب ر ج س).
(٢) فى م، ص: «البعير».
(٣) بعده فى م، ص: «من الناس».
(٤ - ٤) فى م، ص: «السهام».
(٥) بعده فى م، ص: «لا».
(٦) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «المؤمنين».
(٧) بعده فى م، ص: «أمير المؤمنين».
(٨) سقط من: م، ص.
(٩) فى م، ص: «على أم المؤمنين رضى الله عنها».

خراباتِ الأَزْدِ. فلمَّا كان الليلُ دخَلت أمُّ المؤمنين البصرةَ، ومعها أخوها محمدُ ابنُ أبى بكرٍ، فنزَلت فى دارِ عبدِ اللَّهِ بنِ خَلَفٍ[1] الخُزَاعِىِّ - وهى أعظمُ دارٍ بالبصرةِ - على صفيَّةَ بنتِ الحارثِ [2]بنِ طلحةَ[2] بنِ أبى طلحةَ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ عثمانَ بنِ عبدِ الدَّارِ، وهى أمُّ طلحةَ الطَّلَحاتِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خَلَفٍ، وتسلَّل الجرحَى مِن بينِ القتلَى فدخَلوا البصرةَ، وأقام علىٌّ بظاهرِ البصرةِ ثلاثًا، وقد طافَ علىٌّ [٦/١٤و] بينَ القتلَى، فجعَل كُلَّما مرَّ برجلٍ يعرِفُه يترحَّمُ عليه ويقول: يعِزُّ علىَّ أنْ أرَى قُريشًا صَرْعَى. وقد مرَّ علىٌّ - فيما[3] ذُكِر - على طلحةَ بنِ عبيدِ اللَّهِ وهو مقتولٌ فقال: لهفى عليك يا أبا محمدٍ، إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، واللَّهِ لقد كنتَ كما قال الشاعرُ:

فتًى كانَ يُدْنِيه الغِنى مِن صَديقِه ... إذا ما هوَ اسْتَغْنَى ويُبْعِدُهُ الفَقْرُ[4]

ثم صلَّى علىٌّ[5] على القتلَى مِن الفريقَين، وخصَّ قريشًا بصلاةٍ مِن بينِهم، ثم جمَع ما وجَد لأصحابِ عائشةَ فى العسكرِ[6]، وأمَر به أن يُحْمَلَ إلى مسجدِ البصرةِ، فمَن عرَف شيئًا هو لأهلِهم فليأخُذْه، إلا[7] سِلاحًا كان فى الخزائنِ عليه سمةُ السلطانِ. وكان مجموعُ مَن قُتِلَ يومَ الجملِ مِن الفريقَين عشَرةَ آلافٍ؛

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا٦: «خليل». وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣٤، والكامل ٣/ ٢٥٥، والإصابة ٥/ ٨٥.

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣٤، وليست فى الكامل أيضا، وانظر الإصابة ٧/ ٧٣٨.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) فى م، ص: «ما».

(٥) سقط من: ا ٦، م، ص.

(٦) فى م، ص: «المعسكر».

(٧) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أن يكون».

خمسةٌ مِن هؤلاءِ وخمسةٌ مِن هؤلاءِ، رحِمهم اللَّهُ ورَضِى عن الصحابةِ منهم. وقد سأَل بعضُ أصحابِ علىٍّ عليًّا أن يَقْسِمَ فيهم [1]أموالَ أصحابِ طلحةَ والزبيرِ، فأبَى عليهم[1]، فطعَن فيه السبئيَّةُ وقالوا: كيف تحِلُّ لنا دماؤُهم ولا تَحِلُّ لنا أموالُهم؟ فبلَغ ذلك عليًّا فقال: أيُّكم يُحِبُّ أنْ تصيرَ أمُّ المؤمنين فى سهمِه؟ فسكَت القومُ، ولهذا لمَّا دخَلَ البصرةَ فرَّق فى أصحابِه أموالَ بيتِ المالِ، فنال كلُّ رجلٍ منهم خمسَمائةٍ، وقال: لكم مثلُها مِن الشامِ [2]فى أعطياتِكم[2]. فتكلَّم فيه السبئيَّةُ أيضًا، ونالوا منه مِن وراءَ وراءَ.

فصـــلٌ

ولمَّا فرَغ علىٌّ مِن أمرِ الجَمَلِ أتاه وُجوهُ الناسِ يُسلِّمون عليه، فكان فيمَن جاءه الأحنفُ بنُ قيسٍ فى بنى سعدٍ - وكانوا قد اعتزَلوا القِتالَ - فقال له علىٌّ: تَربَّصتَ[3] - يعنى بنا - فقال: ما كنتُ أرانِى إلَّا قد أحسنْتُ، وبأمرِك كان ما كان يا أميرَ المؤمنِين، فارفُقْ فإنَّ طريقَك الذى سلَكْتَ بعيدٌ، وأنت إلىَّ غدًا أحوجُ منك أمسِ، فاعرِفْ إحسانى، واستَبْقِ مَودَّتى لغدٍ، ولا تَقُلْ مثلَ هذا، فإنِّى لم أزَلْ لك ناصحًا[4].

قالوا[5]: ثم دخَل علىٌّ البصرةَ يومَ الاثنَيْنِ فبايَعه أهلُها على راياتِهم، حتى

(١ - ١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أموالهم فأبى يعنى أموال طلحة والزبير».
(٢ - ٢) سقط من: م، ص.
(٣) فى م: «تربعت».
(٤) تاريخ الطبرى ٥٣٥/٤ بنحوه.
(٥) تاريخ الطبرى ٥٤٣/٤ بنحوه.

الجَرْحَى والمستأمِنَةُ . وجاءه عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بَكْرَةَ الثَّقَفىُّ فبايَعه فقال له علىٌّ : أينَ المريضُ - يَعنِى أباه ؟ فقال : إنَّه واللَّهِ مَريضٌ يا أميرَ المؤمنِين ، وإنَّه على مَسَرَّتِك لحَرِيصٌ . فقال : امْشِ أمامى . فمضَى إليه فعادَه ، واعتذَر إليه أبو بَكْرَةَ فعذَرَه ، وعرَض عليه البصرةَ فامتنَع وقال : رجلٌ مِن أهلِك يَسكُنُ إليه الناسُ . وأشار عليه بابنِ عباسٍ فوَلَّاه على البصرةِ ، وجعَل معه زيادَ بنَ أبِيه على الخَراجِ (١وبيتِ المالِ١) ، وأمَر ابنَ عباسٍ أن يَسمَعَ مِن زيادٍ ، وكان زيادٌ مُعتزِلًا .

ثم جاء علىٌّ[٢] إلى الدارِ التى فيها أُمُّ المؤمنِين عائشةُ ، فاستأذَن ودخَل فسَلَّم عليها ورَحَّبَت به ، وإذا النساءُ فى دارِ بنى خَلَفٍ يَبكِينَ على مَن قُتِل منهم ؛ عبدُ اللَّهِ وعثمانُ ابنا خَلَفٍ ، فعبدُ اللَّهِ قُتِل مع عائشةَ ، وعثمانُ قُتِل مع علىٍّ ، فلمّا دخَل علىٌّ قالت له صفيةُ امرأةُ عبدِ اللَّهِ ، أُمُّ طلحةَ الطلحاتِ : أيْتَمَ اللَّهُ منك أولادَك كما أيْتَمْتَ أوْلادِى . فلم يَرُدَّ عليها علىٌّ شيئًا ، فلمّا خرَج أعادت عليه المَقالَةَ أيضًا فسكَت ، فقال له رجلٌ : يا أميرَ المؤمنِين ، أتسكُتُ عن هذه المرأةِ وهى تقولُ ما تسمَعُ ؟ فقال : وَيْحَك ! إنّا أُمِرْنا أن نَكُفَّ عن النساءِ وهن مُشرِكاتٌ ، أفلا نَكُفُّ [٦/١٤ظ] عنهن وهن مُسلماتٌ ؟! فقال له رجلٌ : يا أميرَ المؤمنِين ، إنَّ على البابِ رَجلَيْن يَنالان مِن عائشةَ . فأمَر علىٌّ القَعْقاعَ بنَ عمرٍو أن يَجْلِدَ كُلَّ واحدٍ منهما مائةً وأن يُخرِجَهما مِن ثِيابِهما .

وقد سألت عائشةُ[٣] عمّن قُتِل معها مِن المسلمِين ومَن قُتِلَ مِن عسكرِ علىٍّ ، فجعَلَت كلما ذُكِر لها واحدٌ[٤] تَرحَّمَتْ عليه ودعَتْ له .

(١ - ١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «على بيت المال ابن عباس».

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣٩، ٥٤٠.

(٣) الكامل فى التاريخ ٣/ ٢٥٧.

(٤) بعده فى م، ص: «منهم».

ولمَّا أرادت أُمُّ المؤمنِين عائشةُ الخُروجَ مِن البصرةِ[1]، بعَث إليها عليٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، بكلِّ ما يَنبغِى مِن مَرْكَبٍ وزادٍ ومَتاعٍ وغيرِ ذلك، وأذِن لمَن نجا ممَّن جاء فى جيشِها أن يَرجِعَ معها، إلا أن يُحِبَّ المُقامَ. واختار لها أربعِين امرأةً مِن نساءِ أهلِ البصرةِ المعروفاتِ. وسيَّر معها أخاها محمدَ بنَ أبى بكرٍ، فلمَّا كان اليومُ الذى ارتحلَتْ فيه، جاء عليٌّ فوقَف على البابِ وحضَر الناسُ معه[2]، وخرجَت مِن الدارِ فى الهَوْدَجِ فوَدَّعَتِ الناسَ ودَعَتْ لهم، وقالت: يا بَنِىَّ لا يَعْتِبْ بعضُنا على بعضٍ، إنَّه واللَّهِ ما كان بينِى وبينَ عليٍّ فى القِدَمِ إلَّا ما يكونُ بينَ المرأةِ وأحمائِها، وإنَّه على مَعْتَبَتِى[3] لِمن الأخيارِ. فقال عليٌّ: صدقَتْ واللَّهِ ما كان بينِى وبينَها إلّا ذاك، وإنَّها لزوجةُ نبيِّكم ﷺ فى الدُّنيا والآخِرةِ. وسار عليٌّ معها مُودِّعًا ومُشيِّعًا أميالًا، وسَرَّح بَنِيه معَها بَقِيَّةَ ذلك اليومِ - وكان يومَ السبتِ مُستَهَلَّ رجبٍ سنةَ سِتٍّ وثَلاثِين - وقَصدَتْ فى مسيرِها ذلك إلى مكةَ فأقامت بها إلى أن حَجَّت عامَها ذلك ثم رجعَت إلى المدينةِ، رضِى اللَّهُ عنها.

وأمَّا مَرْوانُ[4] بنُ الحكَمِ فإنَّه لمّا فَرَّ استَجار بمالكِ بنِ مِسْمَعٍ فأجارَه ووَفَّى له، ولهذا كان بنو مَرْوانَ يُكرِمون مالكًا ويُشرِّفُونَه. ويُقالُ: إنه نزَل دارَ بنى خَلَفٍ، فلمَّا خرجَتْ عائشةُ خرَج معَها، فلمّا سارَت هى إلى مكةَ سار هو[5] إلى المدينةِ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٤٤.

(٢) سقط من: م.

(٣) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «له».

(٤) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٣٦.

(٥) سقط من: م، ص.

قالوا: وقد عَلِم مَن بينَ مكةَ والمدينةِ والبصرةِ بالوقعةِ يومَ الوقعةِ، وذلك مِمَّا كانتِ النُّسورُ تَخطَفُه مِن الأيْدِى والأقدامِ فيَسقُطُ منها هنالِك، حتى إنَّ أهلَ المدينةِ عَلِموا بذلك يومَ الجَمَلِ قبلَ أن تَغرُبَ الشمسُ، وذلك أن نَسْرًا مَرَّ بهم ومعه شىءٌ فسقَط منه فإذا هو كَفٌّ فيه خاتَمٌ نَقْشُه: عبدُ الرحمنِ بنُ عَتّابٍ.

هذا مُلخَّصُ ما ذكَره أبو جَعْفَرٍ بنُ جريرٍ[1]، رحِمه اللَّهُ، عن أئمَّةِ هذا الشأنِ، وليس [2]فيه ما يذكُرُه[2] أهلُ الأهواءِ مِن الشيعةِ وغيرِهم مِن الأحاديثِ المُختلَقةِ على[3] الصحابةِ، والأخبارِ الموضوعةِ التى يَنقُلونها بما فيها، وإذا دُعوا إلى الحقِّ الواضحِ أعرَضوا عنه وقالوا: لنا أخبارُنا ولكم أخبارُكم. فنقولُ لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

فصلٌ فى ذِكْرِ أعيانِ مَن قُتِل [4]يومَ الجَمَلِ[4] مِن السّادةِ النُّجَباءِ مِن الصحابةِ وغيرِهم مِن الفريقَيْن، رضِى اللَّه عنهم أجمعِين

وقد قَدَّمْنا[5] أنَّ عِدَّةَ القَتْلَى نحوٌ مِن عَشَرةِ آلافٍ، وأمّا الجَرْحَى فلا

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤/٥٠٦، ٥٤٤.

(٢ - ٢) فى م، ص: «فيما ذكره».

(٣) فى الأصل، ٨١، ٧١، ٦١: «عن».

(٤ - ٤) زيادة من: م، ص.

(٥) انظر ما تقدم فى ٤٦٩، ٤٧٠.

يُحْصَوْن كثرةً .

(١ ولم يَكُنْ(٢) فى الفريقَيْن مِن الصحابةِ إلَّا القليلُ . وقال الإمامُ أحمدُ(٣) : ثنا إسماعيلُ ، ثنا أيوبُ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ قال : هاجتِ الفِتْنَةُ وأصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عشراتُ أُلوفٍ ، فلم يَحضُرْها منهم مِائةٌ ، بل لم يبلُغوا ثلاثين . وقال أحمدُ(٤) أيضًا : ثنا إسماعيلُ - هو ابنُ عُلَيَّةَ - ثنا منصورُ بنُ عبدِ الرحمنِ قال : قال الشَّعبىُّ : لم يَشهَدِ الجملَ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ غيرُ علىٍّ وعمّارٍ ، [٦/١٥و] وطلحةَ والزُّبيرِ ، فإن جاءُوا بخامسٍ فأنا كَذّابٌ(٥) . قلتُ : قد حضَرها عائشةُ ، وابنُ الزُّبيرِ ، والحسنُ ، والحسينُ ، ومحمدُ بنُ أبى بكرٍ ، وسهلُ بنُ حُنَيفٍ ١) ، وآخَرون .

فمِمَّن قُتِل يومَئذٍ فى المعركةِ :

طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سَعْدِ بنِ تيمِ بنِ مُرَّةَ ابنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكٍ ١) بنِ النَّضْرِ ١) بنِ كِنانةَ ، أبو محمدٍ القرشىُّ التَّيْمىُّ(٦) .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) بعده فى ا ٧: « قتل » .

(٣) لم نجده فى المسند ، ولا فى فضائل الصحابة للإمام أحمد . وأخرجه بنحوه عبد الرزاق فى المصنف (٢٠٧٣٥) . ومن طريقه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٤٤٠ .

(٤) لم نجده عند أحمد . وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٩٦٢٨) . من طريق أحمد نفسه .

(٥) فى حاشية الأصل : « قلت قد يكون الشعبى أراد أنه لم يحضرها من المهاجرين غير من ذكر . والله أعلم » .

(٦) الاستيعاب ٢/ ٧٦٤ . وأسد الغابة ٣/ ٨٥ . والإصابة ٣/ ٥٢٩ .

ويُعرَفُ بطَلْحةَ الخيرِ، وطلحةَ الفَيَّاضِ؛ [1]لكثرةِ بِرِّه[1] وكثرةِ جُودِه. أسلَم قديمًا على يَدَىْ أبى بكرٍ الصديقِ، فكان نَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدِ بنِ العَدَوِيَّةِ يَشُدُّهما فى حبلٍ واحدٍ، ولا تَستطيعُ بنو تَيْمٍ[2] أن تَمنعَهما منه، ولذلك كان يقالُ لطَلْحةَ وأبى بكرٍ: القَرِينانِ[3]. وقد هاجَر وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ أبى أيوبَ الأنصارىِّ، وشهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ المشاهِدَ كلَّها إلَّا بدرًا، فإنَّه كان بالشامِ فى تجارةٍ، وقيلَ: فى رسالةٍ؛ لهذا ضرَب له رسولُ اللَّهِ ﷺ بسَهْمِه وأَجْرِه مِن بدرٍ. وكانت له يومَ أُحُدٍ اليدُ البيضاءُ، وشَلَّت يدُه يومَئذٍ؛ لأنَّه وقَى بها رسولَ اللَّهِ ﷺ واستمَرَّت كذلك إلى أن مات. وكان الصِّديقُ إذا حَدَّث عن [4]يومِ أُحُدٍ[4] يقولُ[5]: ذاك يومٌ كان كلُّه لطَلْحةَ. وقد قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ: «أوجَبَ طَلْحةُ»[6]. وذلك أنَّه كان على رسولِ اللَّهِ ﷺ دِرعان، فأراد أن يَنهَضَ وهما عليه ليَصعَدَ صخرةً هنالِك فما استطاع، فطَأْطَأَ له طلحةُ فصَعِد على ظَهْرِه حتى استوَى عليها، وقال: «أوجَبَ طلحةُ».

وهو أحدُ العشرةِ المَشهودِ لهم بالجنَّةِ، وأحدُ السِّتَّةِ أصحابِ الشُّورَى، وقد

(١ - ١) فى م، ص: «لكرمه».

(٢) فى م، ص: «تميم».

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٥. وتاريخ دمشق ٢٥/ ٦٥.

(٤ - ٤) فى م، ص: «يده أحمد».

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (٦)، وابن سعد فى الطبقات ٣/ ٢١٨، وأبو نعيم فى الحلية ٨/ ١٧٤، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٢٦٣. وكشف الأستار (١٧٩١) وابن حبان فى صحيحه (٦٩٨٠). قال فى المجمع ٦/ ١١٢: رواه البزار وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة، وهو متروك. وانظر ما تقدم فى ٥/ ٣٩٦.

(٦) أخرجه الترمذى (١٦٩٢). وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق. و(٣٧٣٨). وقال: وهذا حديث حسن صحيح غريب. (صحيح سنن الترمذى ١٣٨٣). وقوله: «أوجب طلحة». عمل عملًا أوجب له الجنة. النهاية ٥/ ١٥٣.

صَحِب رسولَ اللَّهِ ﷺ فأحسَن صُحبتَه حتى تُوفِّى وهو عنه راضٍ ، وكذلك أبو بكرٍ وعمرُ . فلمَّا كانت قَضيَّةُ عثمانَ اعتزَل عنه ، فنسَبه[1] بعضُ الناسِ إلى تحامُلٍ عليه ؛ فلهذا لمَّا حضَر يومَ الجَمَلِ واجتمَع به عليٌّ فوعَظَه ، تأخَّر فوقَف فى بعضِ الصفوفِ ، فجاءَه سَهْمٌ غَرْبٌ فوقَع فى رُكْبَتِه . وقيلَ : فى رَقَبَتِه . والأوَّلُ أشهَرُ ، وانتظَم السَّهمُ مع ساقِه خاصِرةَ الفَرسِ ، فجمَح به حتى كاد يُلقِيه ، وجعَل يقولُ : إلىَّ عبادَ اللَّهِ . فأدرَكه مولًى له فرَكِب وراءَه وأدخَله البصرةَ ، فمات بدارٍ فيها . ويقالُ : إنَّه مات بالمعركةِ ، وأنَّ عليًّا لمَّا دارَ بينَ القَتْلَى رآه فجعَل يَمسَحُ عن وجهِه التُّرابَ ، وقال : رحمةُ اللَّهِ عليك أبا محمدٍ ، يَعِزُّ علىَّ أن أَراك مُجَدَّلًا[2] تحتَ نُجومِ السماءِ . ثم قال : إلى اللَّهِ أشكُو عَجَرِى وبُجَرِى[3] ، واللَّهِ لوَدِدْتُ أنِّى كنتُ مِتُّ قبلَ هذا اليومِ بعِشْرِين سنةً . ويقالُ : إنَّ الذى رماه بهذا السهمِ مَروانُ ابنُ الحكَمِ ، وقال لأبانَ بنِ عثمانَ : قد كَفَيْتُك رجُلًا[4] مِن قَتَلةِ عثمانَ . وقد قيلَ : إنَّ الذى رماه غيرُه . وهذا عندِى أقربُ ، وإن كان الأوَّلُ مشهورًا . واللَّهُ أعلمُ . وكان يومَ الخميسِ[5] لعَشْرٍ خَلَوْنَ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ سِتٍّ وثَلاثِين .

ودُفِن طَلحةُ إلى جانِبِ الكَلَّاءِ[6] وكان عُمْرُه سِتِّين سنةً . وقيلَ : بضعًا وسِتِّين سنةً .

---

(١) فى ا ٦: « فسبه » .

(٢) فى م ، ص : « مجدولا » . والمجدّل : الصريع .

(٣) يعنى همومى وأحزانى . وأصل العُجر العروق المتعقدة فى الظهر ، والبُجر العروق المتعقدة فى البطن ، ثم نقلا إلى الهموم والأحزان . وأراد أنه يشكو إلى الله أموره كلها ما ظهر منها وما بطن . النهاية ١/ ٩٧.

(٤) فى م ، ص : « رجالًا » .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « الجمل » .

(٦) الكلّاءُ ، بالفتح ثم التشديد والمد ، ويقال : الكلأ ، مهموزًا مقصورًا . والكلّاءُ موضع محلة مشهورة وسوق بالبصرة . معجم البلدان ٤/ ٢٩٣.

وكان آدَمَ، وقيلَ: أبيضَ. حسنَ الوجهِ كثيرَ الشَّعْرِ، إلى القِصَرِ أقربَ وكانت غَلَّتُه فى كلِّ يومٍ ألفَ دِرْهمٍ.

وروَى حمادُ بنُ سَلَمةَ[1]، عن علىِّ بنِ زيدٍ [٦/١٥ظ] بنِ جُدْعانَ، عن أبيه أنَّ رجلًا رأَى طَلْحةَ فى مَنامِه وهو يقولُ: حَوِّلُونى عن قبرِى فقد آذانى الماءُ. ثَلاثَ ليالٍ، فأتَى ابنَ عباسٍ - وكان نائبًا على البصرةِ - فأخبَره فاشترَوْا[2] له دارًا بالبصرةِ بعَشَرةِ آلافِ دِرهَمٍ، فحوَّلوه مِن قبرِه إليها، فإذا هو[3] قد اخضَرَّ مِن جسدِه ما يَلِى الماءَ، وإذا هو كهيئتِه يومَ أُصِيبَ.

وقد وَرَدتْ له فضائلُ كثيرةٌ؛ فمنها ما رَواه أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[4]: حَدَّثنا الحسنُ بنُ علىِّ بنِ سليمانَ بنِ عيسَى بنِ [5]موسى بنِ طلحةَ بنِ عبيدِ اللَّهِ، حدَّثنى أبى، عن جدِّه، عن[5] موسَى بنِ طَلْحةَ، عن أبيه قال: سَمّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ طلحةَ الخَيْر، ويومَ العُسْرَةِ طَلْحَةَ الفيَّاض، ويومَ حُنَيْنٍ طَلْحةَ الجُود.

وقال أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[6]: ثنا أبو كُرَيْبٍ، ثنا يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[7]، عن طلحةَ ابنِ يَحْيَى، عن موسَى وعيسَى ابنَىْ طَلْحةَ، عن أبيهما أنَّ ناسًا مِن أصحابِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢٤/٢٥ من طريق حماد بن سلمة به. انظر أسد الغابة ٣/ ٨٩.

(٢) فى الأصل: «فاشترى».

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٩٧). بسنده إلى سليمان بن عيسى به. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٢/٢٥ بسنده إلى سليمان به.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) مسند أبى يعلى (٦٦٣). كما أخرجه الترمذى (٣٧٤٢) صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٤٢).

(٧) فى ٨١، ٦١: «بكر». وفى م، ص: «عن أبى بكر». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٩٤، ٤٩٥.

رسولِ اللَّهِ ﷺ قالوا لأعرابيٍّ جاء يَسأَلُ عمَّن قضَى نَحْبَه ، فقالوا : سَلْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسأَلَه فى المسجدِ فأعرَض عنه ، ثم سأَلَه فأعرَض عنه ، ثم اطَّلَعْتُ[1] مِن بابِ المسجدِ وعليَّ ثيابٌ خُضْرٌ[2] ، فقال رسولُ اللَّهِ : « أينَ السائلُ ؟ » . قال : ها أنا ذا . فقال : « هذا ممَّن قضَى نَحْبَه » .

وقال أبو القاسمِ البغويُّ[3] : ثنا داودُ بنُ رُشَيْدٍ ، ثنا مَكّيُّ[4] بنُ إبراهيمَ ، ثنا الصَّلْتُ بنُ دينارٍ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أراد أن يَنظُرَ إلى شَهيدٍ يَمْشِى على رِجْلَيْه فلْيَنظُرْ إلى طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ » .

وقال الترمذىُّ[5] : حَدَّثنا أبو سعيدٍ الأَشَجُّ ، ثنا أبو عبدِ الرحمنِ بنُ منصورٍ العَنَزِىُّ[6] - اسمُه النَّضْرُ - ثنا عُقبةُ بنُ عَلقمةَ اليَشْكُرِىُّ : سَمِعتُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ يقولُ : سَمِعَتْ أُذُناىَ[7] رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « طَلْحةُ والزُّبَيْرُ جاراىَ فى الجنةِ » .

وقد روِى مِن غيرِ وجهٍ عن علىٍّ أنَّه قال[8] : إنِّى لأَرْجُو أن أكونَ أنا وطلحةُ

---

(١) أى : طلحة .

(٢) فى ا ٦ : « حصر » .

(٣) لم نقف عليه من رواية أبى القاسم البغوى بهذا السند . وأخرجه من طريق أبى القاسم البغوى ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/٨٧ بلفظه .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « مكى ثنا على » . والثابت أنه روى عن الصلت بن دينار . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٢٢.

(٥) الترمذى (٣٧٤١) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٨٢) .

(٦) فى الأصل : « العنبرى » وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٠٥.

(٧) فى الترمذى : « أذنى من فى » .

(٨) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٢٩١ ، ١٢٩٥) وليس فيه ذكر لعثمان ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٢٤ ، ٢٢٥. وليس فيه ذكر الزبير وعثمان ، وانظر تاريخ دمشق ٢٥/ ١١٦ - ١١٩.

والزُّبَيْرُ وعثمانُ ممَّن قال اللَّهُ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[(١)] ، عن عليِّ بنِ زَيْدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أنَّ رجلًا كان يقَعُ فى طَلْحةَ والزُّبَيْرِ وعثمانَ وعليٍّ ، فجعَل سعدٌ يَنهاه ويقولُ : لا تَقعْ فى إخوانِى . فأبَى ، فقام سعدٌ[(٢)] فصَلَّى ركعتَيْن ثم قال : اللَّهمَّ إن كان [(٣)]هذا مُسْخِطًا[(٣)] لك فيما يقولُ ، فأرِنِى فيه [(٤)]اليومَ آيةً[(٤)] واجعَلْه للناسِ عِبْرةً[(٥)] . فخرَج الرجلُ فإذا هو[(٦)] ببُخْتِيٍّ يَشُقُّ الناسَ فأخذَه بالبَلاطِ فوضَعه بينَ كِرْكِرَتِه[(٧)] والبلاطِ فسَحَقه حتى قتَله . قال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ : فأنا رأيتُ الناسَ يَتْبَعُون سعدًا ويَقولون : هنيئًا لك أبا إسحاقَ أُجِيبَتْ دَعْوتُك .

والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعْبِ بنِ لؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ ، أبو عبدِ اللَّهِ القُرَشىُّ الأَسَدِىُّ[(٨)] .

---

(١) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/٨٩ من طريق حماد بن سلمة به ، وبنحوه أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١/١٠٢ (٣٠٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٥٤: رجاله رجال الصحيح .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى ا ٨: « هذا سخطا » ، وفى م ، ص : « سخطا » .

(٤ - ٤) فى أسد الغابة : « آفة » .

(٥) فى أسد الغابة : « آية » .

(٦) زيادة من : ا ٧.

(٧) الكركرة : زور البعير الذى إذا برك أصاب الأرض ، وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة . النهاية ٤/ ١٦٦.

(٨) الاستيعاب ٢/ ٥١٠، وأسد الغابة ٢/ ٢٤٩، والإصابة ٢/ ٥٥٣.

وأُمُّه صَفيَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ ؛ عَمَّةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . أسلَم الزُّبيرُ[1] قديمًا وعُمْرُه خمسَ عشْرةَ سنةً ، [٦/١٦و] وقيل : أقَلُّ . وقيل : أكثرُ . وهاجَر إلى الحبَشةِ ثم إلى المدينةِ فآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ سَلَمةَ بنِ سَلامَةَ بنِ وَقْشٍ ، وقد شهِد المشاهدَ كلَّها ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأحزابِ[2] : « مَن يأتِينا بخَبَرِ القومِ ؟ » . فقال : أنا . ثم ندَب الناسَ فانتدَب الزُّبيرُ ، ثم ندَبهم فانتدَب الزُّبيرُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ لكلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّا وحَوارِيَّ[3] الزُّبيرُ » . ثبَت ذلك[4] مِن رِوايةِ زِرٍّ ، عن عليٍّ[5] ، وثبَت عن الزُّبيرِ أنَّه قال[6] : جمَع لى رسولُ اللَّهِ ﷺ أبوَيْه يومَ بَنِى قُرَيْظةَ .

ورُوِى[7] أنَّه أوَّلُ مَن سَلَّ سيفًا فى سبيلِ اللَّهِ ؛ وذلك بمَكَّةَ حينَ بلَغ الصحابةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ قد قُتِل فجاء الزُّبيرُ[1] شاهِرًا سيفَه حتى رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فشام سيفَه .

وهو أحدُ العَشَرةِ المشهودِ لهم بالجنَّةِ ، وأحَدُ السِّتَّةِ الذين تُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ . وصَحِب الصِّديقَ فأحسَن صُحبتَه ، وكان خَتَنَه على ابنتِه

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٢٨٤٦، ٢٨٤٧، ٢٩٩٧، ٣٧١٩، ٤١١٣، ٧٢٦١) ، ومسلم (٢٤١٥) .

(٣) اختلف فى ضبطه ، فضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء كمصرخِىّ ، وضبطه أكثرهم بكسرها ، والحوارىّ : الناصر . انظر : صحيح البخارى ٣٣/٤ حاشية (٧) ومسلم ١٨٧٩/٤ حاشية (٣) .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « فى الصحيح » .

(٥) الترمذى (٣٧٤٤) صحيح ، (صحيح الترمذى ٢٩٤٤) . والمسند ١/ ٨٩، ١٠٢، ١٠٣ بنحوه .

(٦) البخارى (٣٧٢٠) ، ومسلم (٤٩/ ٢٤١٦) ، والترمذى (٣٧٤٣) .

(٧) أخرجه عبد الرزاق ، فى : المصنف (٢٠٤٢٩) ، وابن أبى شيبة ، فى : المصنف (١٢٢١٥) ، والإمام أحمد ، فى : فضائل الصحابة (١٢٦٦) . وقال محققه : مرسل صحيح .

أسماءَ، وابنُه عبدُ اللَّهِ منها؛ أوَّلُ مَوْلودٍ وُلِد للمسلمِين بعدَ الهجرةِ. وخرَج مع الناسِ إلى الشامِ مجاهِدًا فشهِد اليَرْموكَ فتَشرَّفوا بحُضورِه، وكانت له بها اليدُ البيضاءُ والهِمَّةُ العاليةُ، اخترَق جُيوشَ الرومِ وصُفوفَهم [1]مِن بينِ الناسِ[1] مَرَّتَيْن مِن أوَّلِهم إلى آخِرِهم. وكان مِن جُملةِ مَن دافَع عن عثمانَ [2]وجاحَفَ عنه[2]. فلمّا كان يومُ الجَمَلِ ذكَّره عليٌّ بما ذكَّره به - [3]كما تَقدَّم[3] - فرجَع عن القتالِ وكَرَّ راجعًا إلى المدينةِ، فمَرَّ بقومِ الأحنفِ بنِ قَيْسٍ - وكانوا قد اعتزَلوا الفريقَيْن - فقال قائلٌ منهم؛ يُقالُ: هو[4] الأحنفُ[5]: ما بالُ هذا جمَع بينَ الناسِ حتى إذا التقَوْا كرَّ راجعًا إلى أهلِه؟ مَن رجلٌ يكشِفُ لنا خبرَه؟ فاتَّبعه عمرُو بنُ جُرمُوزٍ، وفُضالةُ بنُ حابسٍ، ونُفَيْعٌ فى طائفةٍ مِن غُواةِ بَنى تَميمٍ، فيقالُ: إنَّهم لمّا أدرَكوه تَعاوَنوا عليه حتى قَتلُوه. ويقالُ: بل أدرَكه عمرُو بنُ جُرمُوزٍ، فقال له عمرٌو: إنَّ لى إليك حاجةً. فقال: ادْنُ. فقال مَوْلَى الزُّبَيْرِ؛ واسمُه عطيةُ: أرَى معه سِلاحًا. فقال: وإنْ كان. فتقدَّم إليه فجعَل يُحادِثُه وحان وقتُ الصلاةِ، فقال له الزُّبَيْرُ: الصلاةُ. فقال: الصلاةُ. فتقدَّم الزُّبَيْرُ ليُصَلِّيَ بهما، فطَعَنه عمرُو بنُ جُرمُوزٍ فقَتَله. ويقالُ: بل أدرَكه عمرٌو[6] بوادٍ يقالُ له: وادِى السِّباعِ. وهو نائمٌ فى القائِلةِ، فهجَم عليه فقتَله. وهذا القولُ هو الأشهَرُ، ويَشهَدُ له شِعْرُ امرأتِه عاتِكَةَ بنتِ زَيْدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، وكان آخِرَ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢ - ٢) زيادة من: م، ص.

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) فى م، ص: «له».

(٥) انظر: طبقات ابن سعد ٣/ ١١٢، والاستيعاب ٢/ ٥١٦، وأسد الغابة ٢/ ٢٥٢.

(٦) زيادة من: م، ص.

مَن تَزوَّجَها - وكانت قبلَه تحتَ عُمرَ بنِ الخطابِ فقُتِل عنها أيضًا ، وكانت قبلَ عمـرَ تحتَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ فقُتِل عنها - فلمّا قُتِل الزُّبَيْرُ رَثَتْه بقَصيدةٍ (١) جيِّدَةِ الشعرِ (١) مُحْكَمَةِ المعنَى ، فقالت (٢) :

[٦/١٦ظ] غدَر ابنُ جُرْمُوزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ (٣) يومَ اللِّقاءِ وكان غيرَ (٤) مُعَرِّدِ (٥)

يا عَمْرُو لو نبَّهتَه لوجدتَه لا طائشًا رَعِشَ الجَنانِ (٦) ولا اليدِ

ثَكِلَتْكَ أُمُّك أنْ ظَفِرتَ بمثلِه ممَّنْ بَقِى ممَّنْ يَروحُ ويَغتدِى

كم غَمْرةٍ (٧) قد خاضَها لم يَثْنِه عنها طِرادُك يا ابنَ (٨) فَقْعِ القَرْدَدِ (٨)

(٩) واللَّهِ ربِّى (٩) إنْ قتَلْتَ لَمُسْلِمًا حَلَّتْ عليكَ عُقوبةُ المُتعمِّدِ (١٠)

ولمّا قتَله عمرُو بنُ جُرمُوزٍ احتَزَّ رأسَه وذهَب به إلى علىٍّ ، ورأَى أنَّ ذلك يَحْصُلُ له به حُظْوةٌ عندَه ، فاستأذَن ، فقال علىٌّ (١١) : لا تأذَنوا له وبَشِّروه بالنارِ . وفى رِوايةٍ أنَّ عليًّا قال (١٢) : سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « بَشِّرْ قاتِلَ ابنِ صَفِيَّةَ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) الأبيات فى : الأغانى ١٨/ ٥٨، ونهاية الأرب ٢٠/ ٩٢، ٩٣، وانظر خزانة الأدب ١٠/ ٣٧٨.

(٣) البهمة : الشجاع ، ويراد بالبهمة هنا الجيش .

(٤) فى م ، ص : « غر » .

(٥) المعرد : الهارب .

(٦) فى الأغانى : « اللسان » . والجنان : القلب .

(٧) الغمرة : الشدة .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « فقع العردد » . والفقع : نَخيرُ الكمأة ، وهو أبيض ضخم سريع الفساد . والقردد : أرض مستوية غليظة مرتفعة . يضرب بهذا المثل للذليل الضعيف الذى لا امتناع به على من يضيمه . وانظر : ثمار القلوب ٥٩٤ .

(٩ - ٩) فى الأغانى ، وخزانة الأدب : « شلت يمينك » .

(١٠) فى الأغانى : « المستشهد » .

(١١) أخرجه بنحوه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ١٨/ ٤١٧.

(١٢) المسند ١/ ٨٩، ١٠٢، ١٠٣ (صحيح) .

بالنارِ » . [1] ودخَل ابنُ جُرْمُوزٍ ومعه سَيْفُ الزُّبَيْرِ ، فقال عليٌّ : إنَّ هذا السيفَ طالما فَرَّج الكَربَ عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [1] . فيُقالُ : إنَّ عمرَو بنَ جُرْمُوزٍ لمَّا سمِع ذلك قتَل نفسَه . وقيلَ : بل عاش إلى أن تأمَّر مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ على العراقِ ، فاختفَى منه ، فقيلَ لمُصْعَبٍ : إنَّ عَمْرَو بنَ جُرْمُوزٍ هـٰهنا وهو مُختَفٍ ، فهل لك فيه ؟ فقال : مُرُوه فليَظهَرْ فهو آمِنٌ ، واللَّهِ ما كنتُ لأُقِيدَ للزُّبيرِ منه فهو أحقرُ مِن أن أجعَلَه عِدْلًا للزُّبَيْرِ .

وقد كان الزُّبَيْرُ ذا مالٍ جَزيلٍ وصدقاتٍ دارَّةٍ كثيرةٍ جِدًّا ، ولمّا كان يومُ الجَمَلِ أوصَى إلى ابنِه عبدِ اللَّهِ ، فلمّا قُتِل وجَدوا عليه مِن الدَّيْنِ ألفَى ألفٍ ومائتى ألفٍ فوَفَّوْها عنه ، وأخرَجوا بعدَ ذلك ثُلُثَ مالِه الذى كان أوصَى به ثم قُسِمتِ التَّرِكةُ بعدَ ذلك ، فأصابَ كلَّ واحدةٍ مِن [2] زوجاتِه - وكنَّ أربعًا [2] - مِن رُبُعِ الثُّمُنِ ، ألفُ ألفٍ ومائتا ألفِ درهمٍ ؛ فعلى هذا يَكونُ مَجموعُ [3] ما قُسِم بينَ الوَرثةِ ثَمانيةً وثَلاثِين ألفَ ألفٍ وأربعَمائةِ ألْفٍ ، والثُّلُثُ المُوصَى به تِسْعَةَ عَشَرَ ألفَ ألفٍ ومائتى ألفٍ ، فالجُملةُ سَبْعةٌ وخَمْسونَ ألفَ ألفٍ وسِتُّمائةِ ألفٍ ، والدَّيْنُ المُخْرَجُ قبلَ ذلك ألفا ألفٍ ومائتا ألفٍ ، فعلى هذا يكونُ جميعُ ما ترَكه مِن الدَّيْنِ والوَصِيَّةِ والميراثِ تِسْعةً وخَمسِين ألفَ ألفٍ وثَمانِمائةِ ألفٍ ، وإنَّما نَبَّهْنا على هذا ؛ لأنَّه وقَع فى « صحيحِ البخاريِّ » ما فيه نَظَرٌ يَنبَغِى أن يُنَبَّهَ له [4] . واللَّهُ أعلمُ . وقد جمَع مالَهُ هذا بعدَ الصَّدقاتِ الكثيرةِ والمآثرِ [5] الوثيرةِ من الحلالِ [5] ، مِمَّا أفاءَ اللَّهُ

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « الزوجات الأربع » .

(٣) زيادة من : م ، ص .

(٤) البخارى (٣١٢٩) .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « الغزيرة » .

عليه مِن الجهادِ ومِن خُمُسِ الخُمُسِ [1]مِمّا يَختَصُّ به[1] منه، ومِن التجارةِ المبْرُورةِ[2]. وقد قيلَ: إنَّه كان له ألفُ مَملُوكٍ يُؤدُّونَ إليه الخَراجَ، فرُبَّما تَصدَّقَ فى بعضِ الأيامِ بخَراجِهم كلِّهم، رضِى اللَّهُ عنه وأرضاه.

وكان قَتْلُه يومَ الخميسِ لعَشْرٍ خَلَوْن مِن جُمادَى الآخِرَةِ سنةَ سِتٍّ وثَلاثِين، وقد نَيَّف على السِّتِّين سنةً بسِتٍّ أو سبعٍ، وكان أسمرَ رَبْعَةً مِن الرجالِ، مُعتدِلَ اللَّحمِ، خفيفَ اللِّحيةِ، رَضِى اللَّهُ عنه.

وفى هذه السَّنةِ [٦/١٧و] أعْنِى سنةَ ستٍّ وثَلاثِين، وَلَّى علىٌّ بنُ أبى طالبٍ أميرُ المؤْمِنين نِيابةَ الدِّيارِ المصريةِ لقَيْسِ[3] بنِ سعدِ بنِ عُبادةَ، وكان على نِيابتِها فى أيامِ عثمانَ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، فلمّا توجَّهَ أولئك الأحزابُ مِن خَوارجِ المصريِّين إلى عثمانَ ليقْتُلُوه وكان الذى جَهَّزهم إليه مع عبدِ اللَّهِ بنِ سَبَأٍ - المعروفُ بابنِ السَّوداءِ - محمدُ بنُ أبى حُذيفةَ بنِ عُتْبةَ، وكان لمّا قُتِل أبوه باليَمامةِ قد[4] أوصَى به إلى عثمانَ، فكَفَله ورَبّاه فى حَجْرِه ومنزِلِه، وأحسَن إليه إحسانًا كثيرًا، ونشَأ فى عِبادةٍ وزَهادَةٍ، وسأل مِن عثمانَ أن يُولِّيَه عملًا، فقال له: متى ما صِرْتَ أهلًا لذلك وَلَّيْتُك. فتَعَتَّبَ[5] فى نفسِه على عثمانَ، فسأل مِن عثمانَ أن يَخْرُجَ إلى الغزوِ فأذِن له، فقصَد الديارَ المِصْريةَ، وحضَر مع أميرِها عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ غزوةَ الصَّوارِى كما قَدَّمْنا. وشرَع يَتَنَقَّصُ عثمانَ،

(١ - ١) فى م، ص: «ما يخص أمه».
(٢) بعده فى م، ص: «من الخلال المشكورة».
(٣) فى الأصل، ا ٨، ا ٦: «لبشر».
(٤) سقط من: م، ص.
(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «فبقيت».

رضِى اللَّهُ عنه ، وساعَده على ذلك محمدُ بنُ أبِى بكرٍ الصديقِ[1] ، فكتَب بذلك ابنُ أبِى سَرْحٍ إلى عثمانَ يَشْكُوهما إليه[2] ، فلم يَعبَأْ بهما عثمانُ شيئًا[1] ، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَ محمدِ بنِ أبى حُذيفةَ حتى استنفرَ أولئك إلى عثمانَ ، فلمّا بلَغه أنّهم قد حَصَروا عثمانَ ، تَغلَّب على الدِّيارِ المِصريةِ وأَخرَج منها ابنَ أبى سَرْحٍ ، وصَلَّى بالناسِ فيها ، فلمّا كان ابنُ أبى سَرْحٍ ببعضِ الطريقِ جاءَه الخبرُ بقتلِ عثمانَ ، فقال : إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون . وبلَغه أنَّ عليًّا قد بعَث على إمْرَةِ مصرَ قيسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادةَ ، فشَمِت[3] بمحمدِ بنِ أبى حذيفةَ إذ لم يُمَتَّعْ [4]بمِلْكِ الدِّيارِ[4] المِصْريَّةِ سنةً . وسار عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سرحٍ إلى الشامِ إلى مُعاوِيةَ فأخبرَه بما كان مِن أمرِه بديارِ مصرَ ، وأنَّ محمدَ بنَ أبى حُذيفةَ قد استحوَذ عليها ، فسار مَعاويةُ وعمرُو بنُ العاصِ إليه[1] ليُخْرِجاه منها ؛ لأنه مِن أكبرِ الأعوانِ على قتلِ عثْمانَ ، مع أنَّه كان قد رَبّاه [5]وكَفَله[5] وأحسَن إليه ، فعالَجا دُخولَ مصرَ فلم يَقدِرا ، فلم يَزالا يَخْدَعانِه حتى خرَج إلى العريشِ فى ألفِ رجلٍ فتَحصَّنَ بها ، وجاءَه عمرُو بنُ العاصِ فنصَب عليه المَنْجَنِيقَ حتى نزَل فى ثَلاثِين مِن أصحابِه فقُتِلوا[6] . ذكَره محمدُ بنُ جريرٍ[7] .

ثم سار إلى مصرَ قيسُ بنُ سعدِ بوِلايةٍ مِن علىٍّ ، فدخَلها[8] فى سبعةِ نفرٍ ،

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) زيادة من : م ، ص .
(٣) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « الناس » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « بالديار » .
(٥ - ٥) زيادة من : م ، ص .
(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فقتل » .
(٧) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٤٦ .
(٨) فى م ، ص : « فدخل مصر » .

فرَقِيَ المِنْبَرَ وقرَأ عليهم كتابَ أميرِ المؤْمنِين عليِّ بنِ أبِي طالبٍ فيه[1] :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ اللَّهِ عليٍّ أميرِ المؤمنِين إلى مَن بلَغه كِتابِي هذا مِن المؤْمِنِين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإنِّى أحمَدُ اللَّهَ إليكم[2] كثيرًا الذى لا إلهَ إلَّا هو ، أمّا بعدُ ، فإنَّ اللَّهَ بحُسْنِ صَنِيعِه وتقديرِه وتدبيرِه اخْتارَ الإسلامَ دِينًا لنفسِه وملائكتِه ورُسُلِه ، وبعَث به الرُّسُلَ إلى عبادِه ، وخصَّ به مَن انتخَب مِن خلقِه ، [٦/١٧ظ] فكان ممّا أكرَم اللَّهُ به هذه الأُمَّةَ وخَصَّهم به مِن الفضيلةِ أن بعَث محمدًا ﷺ يُعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ والفرائضَ والسنةَ ؛ لكيما يَهتدُوا ، وجَمَعَهم لكيلا[3] يَتفرَّقوا ، وزَكّاهم لكى يَتطهَّروا ، ووَفَّقهم لكَيْلا يَجُوروا ، فلمّا قضَى مِن ذلك ما عليه قبَضَه اللَّهُ إليه ، صَلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وبركاتُه ورحمتُه ، ثم إنَّ المسلمين استخلَفوا بعدَه أميرَيْن صالحَيْن ، عمِلا بالكِتابِ ، وأحسَنا السيرةَ ولم يَعْدُوَا السنةَ ، ثم تَوفّاهما اللَّهُ تعالَى ، فرَحِمهما اللَّهُ ، ثم وَلِى بعدَهما والٍ أحدَث أحداثًا ، فوجَدَتِ الأُمَّةُ عليه مَقالًا فقالوا ، ثم نَقَموا عليه فغَيَّروا ، ثم جاءُونى فبايَعونى ، فأستهدِى اللَّهَ بهُداه ، وأستَعِينُه على التقْوَى ، ألَا وإنَّ لكم علينا العملَ بكِتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِ اللَّهِ ، والقيامَ عليكم بحَقِّه ، والنُّصْحَ لكم بالغَيْبِ - واللَّهُ المُستعانُ وحسبُنا اللَّهُ ونعمَ الوكيلُ - وقد بعَثْتُ إليكم قَيْسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادةَ ، فوازِرُوه وكانِفُوه وأعِينوه على الحقِّ ، وقد أمَرْتُه

---

(١) سقط من : م ، ص . والخبر أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤/ ٥٤٨. وفيه نظر ؛ ففى إسناده هشام بن محمد الكلبى ، وهو رافضى متروك غير ثقة ، وفيه أبو مخنف لوط بن يحيى وهو كسابقه أخبارى شيعى غير ثقة . ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٤، ٣/ ٤١٩.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : «لكيما» .

بالإحسانِ إلى مُحسِنِكم، والشدَّةِ على مُرِيبِكم[1]، والرِّفْقِ بعوامِّكم وخواصِّكم، وهو ممَّن أرضَى هَدْيَه وأرجُو صَلاحَه ونَصيحتَه، أسألُ اللَّهَ لنا ولكم عملًا زاكيًا، وثوابًا جزيلًا، ورحمةً واسعةً، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه. وكتَب [2]عبيدُ اللَّهِ[2] بنُ أبى رافعٍ فى صَفَرٍ سنةَ ستٍّ وثَلاثِين.

قال[3]: ثم قام قَيْسُ بنُ سعدٍ فخَطَب الناسَ ودَعاهم إلى البَيْعةِ لعلىٍّ، فقام الناسُ فبايَعوه، واستقامَتْ له طاعةُ بلادِ مصرَ سوى قريةٍ منها يقالُ لها: خِرِبْتَا[4]. فيها أناسٌ[5] قد أعظَموا قَتْلَ عثمانَ، وكانوا سادةَ الناسِ ووُجُوهَهم، وكانوا فى نحوٍ مِن عشْرةِ آلافٍ - [6]منهم بُسْرُ بنُ أبى أرطاةَ، ومَسْلَمةُ بنُ مُخَلَّدٍ، ومعاويةُ بنُ حُدَيْجٍ، وجماعةٌ مِن الأكابرِ[6] - وعليهم رجلٌ يقالُ له: يَزيدُ ابنُ الحارثِ المُدْلِجِىُّ. وبَعَثوا إلى قيسِ بنِ سعدٍ فوادَعهم، وكذلك مَسْلَمةُ بنُ مُخَلَّدٍ[7] الأنصارىُّ تأخَّرَ عن البَيْعةِ فتَرَكه قَيْسٌ ووادَعه.

ثم كتَب معاويةُ بنُ أبِى سفيانَ [8]بعدَ أن[8] استَوْسَق[9] له أمرُ الشامِ بحَذافِيرِه إلى أقصَى بلادِ الرُّومِ والسَّواحلِ - وجزيرةُ قُبْرُسَ أيضًا تحتَ

---

(١) بعده فى الأصل: «سيئكم»، وفى ا ٨، ا ٧، ا ٦: «مسيئكم».

(٢ - ٢) فى النسخ: «عبد الله». وهو عبيد الله بن أبى رافع المدنى، مولى النبى ﷺ، روى عن على وكان كاتبه. تهذيب الكمال ١٩/ ٣٤، ٣٥. وانظر: تاريخ الطبرى ٤/ ٥٤٩.

(٣) تاريخ الطبرى ٤/٥٤٩ .

(٤) خربتا: موضع فى مصر حوالى الإسكندرية. معجم البلدان ٢/ ٤١٦.

(٥) فى م، ص: «ناس».

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

(٧) فى م، ص: «مدلج».

(٨ - ٨) فى م، ص: «وقد».

(٩) فى ا ٧، م، ص: «استوثق».

حكمِه (١ يأتِيه حِمْلُها ١) - وبعضِ بلادِ الجزيرةِ؛ كالرُّهَا وحَرّانَ وقَرْقِيسِياءَ وغيرِها، وقد أتاه(٢) الذين هرَبوا يومَ الجَمَلِ مِن العُثمانيَّةِ، وقد أراد الأشترُ انتزاعَ هذه البلادِ مِن(٣) نُوّابِ معاويةَ فبعَث إليه عبدَ الرحمنِ بنَ خالدِ بنِ الوليدِ ففرَّ منه الأشترُ (٤ وهرَب ٤)، واستَقَرَّ أمرُ معاويةَ على تلك البلادِ، (٥ فلمّا اسْتَوْسَقَت له البلادُ كما ذكَرْنا، كتَب ٥) إلى قَيْسِ بنِ سعدٍ يَدْعوه إلى القيامِ بطلَبِ دَمِ عثمانَ، وأن [٦/١٨و] يكونَ مُؤازِرًا له على ما هو بصَدَدِه مِن القيامِ فى ذلك، ووَعَده أن يكونَ نائبَه على العِراقَيْن إذا تَمَّ له الأمرُ مادام سُلطانًا.

فلمّا بلَغه الكتابُ - وكان قيسٌ رجلًا حازمًا - لم يخالِفْه ولم يوافِقْه، بل بعَث يُلاطِفُ معه الأمرَ؛ وذلك لبُعْدِه عن عليٍّ وقُرْبِه مِن بلادِ الشامِ وما مع معاويةَ مِن الجُنودِ، فسالَمَه قَيْسٌ وتارَكه ولم يُوافِقْه(٦) على(٧) ما دَعاه إليه، ولا خالَفَه(٨) عليه. فكتَب معاويةُ إليه: إنَّه لا يَسَعُك معى تسويفُك بى، وخَدِيعَتُك لى، ولابُدَّ أن أعلَم أنَّك سَلْمٌ لى(٩) أو عَدُوٌّ - وكان معاويةُ حازمًا أيضًا. فكتَب إليه (١٠ قيسٌ - لمّا ١٠) صَمَّم عليه: إنِّى مع عليٍّ؛ إذ هو أحَقُّ بالأمرِ منك. فلمّا بلَغ

(١ - ١) سقط من: م، ص، وفى ا ٦: «يأتيه حكمها».
(٢) فى م، ص: «ضوى إليها».
(٣) بعده فى م، ص: «يد».
(٤ - ٤) سقط من: م، ص.
(٥ - ٥) فى م، ص: «فكتب». انظر مكاتبة معاوية وقيس فى تاريخ الطبرى ٤/ ٥٥٠- ٥٥٤.
(٦) فى م، ص: «يوافقه».
(٧) فى الأصل: «إلى».
(٨) فى م، ص: «وافقه».
(٩) سقط من: م، ص.
(١٠ - ١٠) فى م، ص: «بما».

ذلك معاويةَ ، يَئِس منه ورجَع عنه[1] .

ثم أشاع بعضُ أهلِ الشامِ أنَّ قيسًا يُكاتِبُهم فى الباطنِ ويُمالِئُهم على أهلِ العِراقِ . وروَى ابنُ جريرٍ[2] أنَّه جاءهم[3] مِن جهتِه كتابٌ مُزَوَّرٌ بمبايعةِ قيسٍ مُعاوِيةَ . فاللَّهُ أعلمُ بصِحَّتِه .

فلمّا جاء الكتابُ إلى علىٍّ اتَّهَمه ، وكتَب إليه أن يَغزوَ أهلَ خِرِبْتَا الذين تَخلَّفوا عن البَيْعةِ ، فبعَث[4] يَعتذِرُ إليه بأنَّهم كثيرٌ عددُهم ، وهم وُجوهُ الناسِ ، وكتَب إليه : إن كنتَ إنَّما أمَرْتنى بهذا لتَختبِرَنى ؛ لأنَّك اتَّهَمْتَنى [5]فى طاعتِك[5] ، فابعَثْ على عَمَلِك بمصرَ غيرِى . فبَعَث علىٌّ الأشترَ النَّخَعىَّ ، فسار إليها فلمّا بلَغ القُلْزُمَ شرِب شَرْبةً مِن عَسلٍ فكان فيها حَتْفُه . فبلَغ ذلك أهلَ الشامِ ، فقالوا : إنَّ للَّهِ جندًا مِن عَسَلٍ . فلمّا بلَغ عليًّا مَهْلِكُ الأشترِ ، بعَث محمدَ بنَ أبِى بكرٍ على إمْرَةِ مصرَ ، وقد قيل - وهو الأصَحُّ - : [6]إنَّه إنَّما ولَّاه مصرَ[6] بعدَ قَيْسِ بنِ سعدٍ . فارتحَل قَيْسٌ إلى المدينةِ ، ثم ركِب هو وسَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ إلى علىٍّ فاعتذَر إليه قَيْسُ ابنُ سعدٍ ، فعَذَره علىٌّ ، وشهِدا معه صِفِّينَ ، كما سنذكُرُه . فلم يَزَلْ محمدُ بنُ أبِى بكرٍ قائمَ الأمرِ مَهْنِيًّا[7] بالدِّيارِ المِصريةِ ، حتى كانت وقعةُ صِفِّينَ ، وبلَغ أهلَ مصرَ صبرُ[8] معاويةَ ومَن معه مِن أهلِ الشامِ فى[9] قتالِ أهلِ العِراقِ ، وصاروا إلى

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٥٥٣.
(٣) فى م ، ص : « جاء » .
(٤) بعده فى م ، ص : « إليه » .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦ - ٦) فى م ، ص : « إن عليا ولى محمد بن أبى بكر » .
(٧) فى ا ٨: « مهينا » ، وفى م ، ص : « مهيبا » .
(٨) فى م ، ص : « خبر » .
(٩) فى م ، ص : « على » .

التحكيمِ ، [1] فعندَ ذلك [1] طمِع أهلُ مصرَ فى محمدِ بنِ أبِى بكرٍ ، واجترءوا عليه وبارَزوه بالعَداوةِ ، فكان مِن أمرِه ما سنذكُره . وكان عمرُو بنُ العاصِ قد بايَع مُعاوِيةَ على القيامِ بطَلَبِ دمِ عثمانَ وكان قد خرَج مِن المدينةِ حينَ أرادوا حَصْرَه ؛ لئلّا يَشهَدَ مَهْلِكَه ، مع أنَّه كان مُتَعَتِّبًا على عثمانَ بسببِ عَزْلِه له عن ديارِ مصرَ [1] وهو الذى فتَحها [1] ، وتَوْلِيتِه بدَلَه عبدَ اللَّهِ بنَ أبِى سرحٍ ، فخرَج مِن المدينةِ على تغَضُّبٍ [1] وغيظٍ [1] ، فنزَل قريبًا مِن الأُرْدُنِّ ، فلمّا قتِل عثمانُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، صار إلى مُعاوِيةَ فبايَعه على ما [2] ذكَرْناه مِن القيامِ بدمِ عثمانَ [2] .

فصلٌ فى ذكرِ [3] وقْعةِ صِفّينَ [4] بينَ أهلِ العراقِ [4] مِن أصحابِ علىٍّ [4] وبينَ أهلِ الشامِ [٦/١٨ظ] [5] مِن أصحابِ معاويةَ [5]

قد تَقدَّم ما رَواه الإمامُ أحمدُ [6] ، عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ ، عن أيُّوبَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ أنَّه قال : هاجَتِ الفتنةُ وأصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عَشَراتُ أُلوفٍ فلم يَحضُرْها منهم مائةٌ ، بل لم يَبلُغوا ثَلاثِين . وقال الإمامُ أحمدُ [7] : [4]

(١ - ١) سقط من : م ، ص .
(٢ - ٢) فى م : « ذكرنا » .
(٣) سقط من : ا ٦ ، م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) انظر صفحة ٤٧٤ .
(٧) أخرجه الخطيب ، فى : تاريخ بغداد ٦/١١٣ ، من طريق الإمام أحمد به بنحوه . وكذا المزى ، فى : تهذيب الكمال ٢/ ١٥٠ .

(١ حدَّثنا أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ، قال لشُعْبةَ: إنَّ أبا شيبةَ روَى عن الحكمِ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى قال: شهِد صِفِّينَ مِن أهلِ بَدْرٍ سبعون رجلًا. فقال: كذَب أبو شيبةَ، واللَّهِ لقد ذاكَرْنا الحكَمَ فى ذلك، فما وَجَدْنا شهِد صِفِّينَ مِن أهلِ بدرٍ غيرَ خُزَيْمةَ بنِ ثابتٍ. وقد قيل: إنَّه شهِدها مِن أهلِ بدرٍ سَهلُ بنُ حُنَيْفٍ، وكذا أبو أيوبَ الأنصاريُّ. قاله شيخُنا العَلامةُ ابنُ تَيْمِيَّةَ فى كتابِ «الرَّدِّ على الرافضةِ»[٢]. وروَى ابنُ بَطَّةَ بإسنادِه، عن بُكَيْرِ[٣] بنِ الأشَجِّ أنَّه قال: أمَا إنَّ رجالًا مِن أهلِ بدرٍ لزِموا بُيوتَهم بعدَ قتلِ عثمانَ فلم يَخرُجوا إلَّا إلى قُبورِهم١).

وأمّا عليُّ بنُ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنه، فإنَّه لمّا فرَغ مِن وَقْعةِ الجَمَلِ ودخَل البصرةَ وشيَّع أمَّ المؤمنين عائشةَ لما أرادتِ الرجوعَ إلى مكّةَ، سار من البصرةِ إلى الكوفةِ، قال (٤ابنُ أبى٤) الكَنودِ (٥عبيدُ الرحمنِ بنُ عبيدٍ٥): فدخَلها عليٌّ يومَ الاثنَيْنِ لِثِنْتَى عشْرةَ ليلةً خَلَت مِن رجبٍ سنةَ ستٍّ وثَلاثِين، فقِيل له: انزِلْ بالقَصْرِ الأبيضِ. فقال: لا، إنَّ عمرَ كان يَكرَهُ نُزولَه، فأنا أكرَهُه لذلك[٦]. فنزَل فى الرَّحْبَةِ وصَلَّى فى الجامعِ الأعظمِ رَكْعتَيْن، ثم خطَب الناسَ فحَثَّهم على الخيرِ ونَهاهم عن الشَّرِّ، ومدَح أهلَ الكوفةِ فى خطبتِه هذه، ثم بعَث إلى جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ - وكان على هَمَذَانَ مِن زمانِ عثمانَ - وإلى الأشعثِ بنِ قَيْسٍ - وهو

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) انظر: منهاج السنة ٦/ ٢٣٧.

(٣) فى الأصل، ا ٦: «بكر».

(٤ - ٤) فى النسخ: «أبو». والمثبت من مصدر التخريج.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦. والخبر فى «وقعة صفين» ص ٣. وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٦١.

(٦) فى الأصل، ا ٨: «كذلك».

على نِيابةِ أذْرَبِيجانَ مِن أيامِ عثمانَ - يأْمُرُهما[1] أن يأْخُذا البَيْعةَ له[2] على مَن هُنالِك[3] ثم يُقبِلا إليه ، ففَعَلا ذلك . فلمّا أرادَ عليٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أن يبعَثَ إلى مُعاوِيةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يَدعُوه إلى بَيْعَتِه ، قال جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ : أنا أذهَبُ إليه يا أميرَ المؤمنين فإنَّ بينى وبينَه وُدًّا ، فآخُذُ لك البيعةَ منه . فقال الأشترُ : لا تَبْعَثْه يا أميرَ المؤمنِين ، فإنِّى أخشَى أن يكونَ هَواه معه . فقال عليٌّ : دَعْه . فبعَثَه وكتَب معه كتابًا إلى معاويةَ يُعلِمُه باجتماعِ المهاجِرين والأنصارِ على بَيْعَتِه ، ويُخبِرُه بما كان فى وَقْعةِ الجَمَلِ ، ويَدعُوه إلى الدُّخولِ فيما دخَل فيه الناسُ . فلمّا انتهَى إليه جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أعْطاه الكتابَ . وطَلَب معاويةُ عمرَو بنَ العاصِ ورءُوسَ أهلِ الشامِ فاستشارَهم ، فأبَوْا أن يُبايِعوا حتى يَقتُلَ قَتَلةَ عثمانَ ، [4]أو أن يُسَلِّمَ إليهم قَتَلةَ عثمانَ[4] ، وإن لم يَفعَلْ قاتَلوه ولم يُبايِعوه حتى يقتُلَهم عن آخِرِهم . فرجَع جريرٌ إلى عليٍّ فأخبَرَه بما قالوا ، فقال الأشترُ : ألم أنْهَك يا أميرَ المؤْمِنِين أن تبعَثَ جريرًا ؟ فلو كنتَ بعثْتَنى لَما فتَح معاويةُ بابًا إلَّا أغلَقْتُه . فقال له جريرٌ : لو كنْتَ ثَمَّ لقتَلوك بدمِ عثمانَ . فقال الأشترُ : واللَّهِ لو بعَثنى لم يُعْيِنى[5] جَوابُ معاويةَ ولأُعْجِلَنَّه عن الفِكْرةِ ، ولو أطاعَنى فيك أميرُ المؤْمِنين ، لحبَسك وأمثالَك حتى يَستقيمَ أمرُ هذه الأُمَّةِ . فقام جَريرٌ مُغْضَبًا فأقام بقَرْقِيسِياءَ ، وكتَب إلى معاويةَ يُخبِرُه بما قال وما قيل له ، [٦/١٩و] فكتَب إليه معاويةُ يأْمُرُه بالقُدومِ عليه .

---

(١) فى م ، ص : « زمان » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) بعده فى م ، ص : « من الرعايا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى م : « يعننى » .

وخرَج أميرُ المؤْمنِين عليٌّ مِن الكوفةِ عازمًا على الدُّخولِ إلى الشام ، فعَسْكَر بالنُّخَيْلَةِ ، واستخلَف على الكوفةِ أبا مسعودٍ عُقْبَةَ بنَ عمرٍو[1] البَدْرِيَّ الأنصاريَّ ، وكان قد أشار عليه جَماعةٌ بأن يُقِيمَ بالكوفةِ ويَبعَثَ الجُنودَ ، وأشار آخَرون عليه بالخُروجِ بنفسِه . وبلَغ معاويةَ أنَّ عليًّا قد خرَج إليه[2] بنفسِه فاسْتَشارَ عمرَو بنَ العاصِ ، فقال له : اخرُجْ إليه أيضًا أنت بنفسِك . وقام عمرُو بنُ العاصِ في الناسِ خطيبًا[2] فقال : إنَّ صَنادِيدَ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ قد تفانَوْا يومَ الجَمَلِ ، ولم يَبْقَ مع عليٍّ إلا شِرْذِمةٌ قليلةٌ ممَّن قتَل الخليفةَ أميرَ المؤْمنِين عثمانَ ، فاللَّهَ اللَّهَ في حَقِّكم أن تُضيِّعوه ، وفي [3]دمِ عثمانَ خليفةِ اللَّهِ فلا تَطِلُّوهُ[3] . وكتَب إلى أجنادِ الشامِ فحضَروا ، وعُقِدتِ الألويَةُ والراياتُ للأُمَراءِ ، وتهيَّأ أهلُ الشامِ وتأهَّبوا ، وخرَجوا أيضًا إلى نحوِ الفُراتِ مِن ناحيةِ صِفِّينَ - حيث يكونُ مَقْدَمُ عليٍّ - وسار عليٌّ ، رضِي اللَّهُ عنه ، بمَن معه مِن النُّخَيْلَةِ قاصدًا أرضَ الشامِ .

قال أبو إسرائيلَ ، عن الحكَمِ بنِ عُتَيْبَةَ[4] : وكان في جيشِ عليٍّ ثمانون بدريًّا ، ومائةٌ وخَمْسون ممَّن بايَعَ تحتَ الشجرَةِ . رَواه ابنُ دِيزِيلَ . وقد اجْتازَ في طريقِه براهبٍ ، فكان مِن أمرِه ما ذكَره [5]إبراهيمُ بنُ[5] الحسينِ بنِ دِيزِيلَ في كتابِه ، فيما رَواه عن يحيَى بنِ عبدِ اللَّهِ الكَرابِيسيِّ ، عن نَصْرِ بنِ مُزاحِمٍ[6] ، عن

---

(١) في م ، ص : « عامر » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) في ا ٧ : « دم خليفة الله فتطلوه » ، وفي م ، ص : « دمكم أن تطلوه » ، وطلَّ دمَه : أهدره .

(٤) في ا ٧ ، م ، ص : « عيينة » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه نصر بن مزاحم ، في : وقعة صفين ص ١٤٧ ، ١٤٨ عن عمر بن سعد به بنحوه . ومسلم =

عمرَ بنِ سعدٍ ، حدَّثَنى مسلمٌ الأعورُ ، عن حَبَّةَ العُرَنِىِّ قال : لمّا أتَى علىٌّ الرَّقَّةَ ، نزَل بمكانٍ يقالُ له : البَلِيخُ[1] . على جانبِ الفراتِ ، فنزَل إليه راهبٌ مِن صَوْمَعتِه فقال لعلىٍّ : إنَّ عندَنا كتابًا توارَثْناه عن آبائِنا ، كتَبه أصحابُ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، عليهما السلامُ ، أعْرِضُه عليك ؟ فقال علىٌّ : نعم . فقرأ الراهبُ[2] : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، الذى قضَى فيما قضَى ، وسطَر فيما سطَر ، وكتَب فيما كتَب أنَّه باعثٌ فى الأُمِّيين رسولًا منهم يعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ ويُزَكِّيهم ، ويَدُلُّهم على سبيلِ اللَّهِ ، لا فظٌّ ولا غليظٌ ولا صَخَّابٌ فى الأسواقِ ، ولا يَجْزِى بالسيئةِ السيئةَ ، ولكنْ يعفُو ويصفَحُ ، أُمَّتُه الحمّادون الذين يَحْمَدون اللَّهَ على كلِّ شَرَفٍ ، وفى كلِّ صُعودٍ وهُبوطٍ ، تَذِلُّ ألسنتُهم بالتهليلِ والتكبيرِ ، وينصُرُه اللَّهُ على كلِّ مَن ناوَأه ، فإذا توفّاه اللَّهُ اختَلَفَت أُمَّتُه ثم اجْتَمَعَتْ [3]فلبِثَتْ بذلك[3] ما شاء اللَّهُ ، ثم اخْتَلَفَتْ ، ثم يمرُّ رجلٌ مِن أُمَّتِه بشاطئِ هذا الفراتِ ، يأْمُرُ بالمعْرُوفِ وينْهَى عن المنكرِ ، ويقْضِى بالحقِّ ، ولا [4]يُنَكِّسُ الحُكْمَ[4] ، الدُّنيا أهونُ عليه مِن الرّمادِ - أو قال : الترابِ - فى يومٍ عصَفَتْ فيه الريحُ ، والموتُ أهونُ عليه مِن شربِ الماءِ ، يخافُ اللَّهَ فى السرِّ ، ويَنْصَحُ فى العلانيةِ ، ولا يخافُ فى اللَّهِ لومةَ لائمٍ ، فمَن أدْرَك ذلك النبىَّ مِن أهلِ البلادِ فآمَن به ، كان ثوابُه رِضْوانى والجنةَ ، ومَن أدْرَك ذلك العبدَ الصالِحَ فلْيَنْصُرْه ، [٦/١٩ظ] فإنَّ القتلَ معه شهادةٌ . ثم قال

= هو ابن كيسان الضبى الملائى ، قال الحافظ فى التقريب ٢/ ٢٤٦: ضعيف . وحبة هو ابن جوين العرنى ، قال الحافظ فى التقريب ١/ ١٤٨: صدوق له أغلاط ، وكان غاليا فى التشيع .

(١) فى الأصل ، ا ٦، ص : « البليج » ، وفى م : « البلبخ » . وانظر معجم البلدان ١/ ٧٣٤.

(٢) بعده فى م ، ص : « الكتاب » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧: « فتلبث فى ذلك » .

(٤ - ٤) فى وقعة صفين : « يرتشى فى الحكم » ، وفى رواية : « يركس الحكم » .

لعليٍّ : فأنا أُصاحِبُك فلا أُفارِقُك حتى يُصِيبَنى ما أصابَك . فبَكى عليٌّ ثم قال : الحمدُ للَّهِ الذى لم يَجْعَلْنى عندَه نَسْيًا مَنْسِيًّا ، والحمدُ للَّهِ الذى ذكَرنى عندَه فى كُتُب الأبرارِ . فمضَى الراهبُ معه وأسلَم ، فكان مع عليٍّ حتى [(١)]أُصيبَ يومَ[(١)] صِفِّينَ ، فلمّا خرَج الناسُ يَدْفِنون[(٢)] قتْلَاهم قال عليٌّ : اطْلُبوا الراهبَ[(٣)] . فلمّا وجَدوه صلَّى عليه ودفَنه واستَغْفَر له .

وقد بعَث عليٌّ[(٤)] بينَ يَدَيْه زيادَ بنَ النضْرِ الحارثىَّ طَليعةً فى ثمانيةِ آلافٍ ، ومعه شُرَيْحُ بنُ هانئٍ فى أربعةِ آلافٍ ، فسارُوا فى طريقٍ بينَ يَدَيْه غيرِ طريقِه ، وجاء عليٌّ فقطَع دِجْلةَ مِن جسرِ مَنْبِجٍ ، وسارتِ المقدَّمتان ، فبلَغهم أنَّ معاويةَ قد ركِبَ فى أهلِ الشامِ ؛ ليَلْقَى[(٥)] عليًّا فهَمُّوا بلِقائِه ، فخافُوا مِن قلةِ عددِهم بالنسْبةِ إليه ، فعدَلوا عن طريقِهم وجاءُوا ليَعْبُروا مِن عاناتَ ، فمنَعهم أهلُ عاناتَ فسارُوا فعبَروا مِن هِيتَ ثم لحِقوا عليًّا - وقد سبقَهم - فقال عليٌّ : مقدَّمتى تأْتى مِن ورائى ! فاعتَذَروا إليه بما جرَى لهم ، فعذَرَهم ثم قدَّمهم أمامَه إلى معاويةَ بعدَ أن عبرَ الفراتَ فتلقّاهم أبو الأعْورِ عمرُو بنُ سفيانَ السُّلَمِىُّ فى مُقدَّمةِ أهلِ الشامِ فتواقَفُوا ، ودَعاهم زيادُ بنُ النضرِ أميرُ مُقدَّمةِ أهلِ العراقِ إلى [(٦)]بيعةِ عليٍّ[(٦)] فلم يُجِيبوه بشىءٍ ، فكتَب إلى عليٍّ بذلك ، فبعَث إليهم عليٌّ الأشْتَرَ النَّخَعِىَّ أميرًا ، وعلى ميمنتِه زيادُ [(٧)]بنُ النضْرِ[(٧)] ، وعلى ميسَرَتِه شريحٌ ، وأمَره أن لا

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : « انقضت وقعة » ، وفى ا ٦ : « انفضت وقعة » .

(٢) فى م ، ص : « يطلبون » .

(٣) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م : « فوجدوه قتيلا » ، وفى ا ٦ : « فوجده قتيلا » .

(٤) انظر وقعة صفين ص ١٥٢ . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٦٦ .

(٥) فى م ، ص : « ليلتقى أمير المؤمنين » .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « البيعة » .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

يتقدَّمَ [(١] إلى أهلِ الشامِ [١)] بقتالٍ حتى يبْدَءُوه أوَّلًا [(٢)] بالقتالِ، ولكنْ ليَدْعُهم إلى البيعةِ مرةً بعدَ مرةٍ، فإنِ امتنَعوا فلا يُقاتِلْهم حتى يُقاتلُوه، ولا يَقْرَبْ منهم قُرْبَ مَن يريدُ الحربَ، ولا يَبْعُدْ منهم إبعادَ مَن يهابُ الرجالَ، ولكنْ صابِرْهم حتى آتيَك، فأنا حثيثُ السيرِ وراءَك إن شاء اللَّه. وبعَث معه بكتابِ الإمارةِ على المقدَّمةِ مع الحارثِ بنِ جُمهانَ [(٣)] الجُعْفِيِّ.

فلمّا قدِم الأشترُ على [(٤)] المقدَّمةِ، امْتَثَل ما أمَرَه به عليٌّ، فتواقَف هو ومقدَّمةُ معاويةَ وعليها أبو الأعورِ [(٥] فلم يزالوا متواقفين [٥)] يومَهم ذلك، فلمّا كان آخِرُ النهارِ حمَل عليهم أبو الأعورِ السُّلَمِيُّ فثَبَتوا له، [(٦] واضْطَرَبوا [٦)] ساعةً، ثم انصَرَف أهلُ الشامِ عندَ المساءِ، فلمّا كان الغدُ تواقَفُوا أيضًا وتصابَرُوا، فحمَل الأشترُ فقُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ المُنْذِرِ التَّنُوخيُّ - وكان مِن فُرْسانِ أهلِ الشامِ - قتَله رجلٌ مِن أهلِ العراقِ يقالُ له: ظَبْيانُ بنُ عُمارةَ التميميُّ. فعندَ ذلك حمَل عليهم [(٧)] أبو الأعورِ بمَن معه، فتقدَّمُوا إليهم، وطلَب الأشترُ مِن أبي الأعورِ أن يُبارِزَه، فلم يُجِبْه أبو الأعورِ إلى ذلك، وكأنَّه رآه غيرَ كُفْءٍ له في ذلك - واللَّهُ أعلمُ - ثم تحاجَزَ القومُ عن القتالِ عندَ إقبالِ الليلِ مِن اليومِ الثاني.

(١ - ١) في م، ص: «إليهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «جهمان». وانظر: التاريخ الكبير ٢/ ٢٦٦.

(٤) بعده في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أمير».

(٥ - ٥) في الأصل ا ٨، ا ٧، ا ٦: «فتخاصموا». وفي م، ص: «فتحاجزوا». والمثبت من مصدر التخريج.

(٦ - ٦) في الأصل، ا ٨، ا ٦: «وصبروا»، وفي ا ٧: «وانصرفوا»، وفي م، ص: «واصطبروا لهم». والمثبت كما في وقعة صفين وتاريخ الطبري.

(٧) زيادة من: م، ص.

فلمّا كان صباحُ اليومِ الثالثِ أقبَل عليٌّ ، رضِى اللّهُ عنه ، فى جُيوشِه ، وجاء معاويةُ ، رضِى اللّهُ عنه ، فى جُنودِه ، فتواجَهَ الفَرِيقان [٦/٢٠و] وتقابَلَ الجَمْعان[١] - وباللّهِ المستعانُ - فتواقَفُوا طويلًا ، وذلك بمكانٍ يقالُ له : صِفِّينُ . وذلك[٢] فى أوائلِ ذى الحِجَّةِ ، ثم عدَل عليٌّ ، رضِى اللّهُ عنه ، فارْتادَ لجيشِه منزلًا ، وقد كان معاويةُ سبَق بجيشِه فنزَلوا على مَشْرَعَةِ الماءِ فى أسهلِ موضعٍ وأفيحِه[٣] ، فلمّا جاء[٤] عليٌّ نزَل بعيدًا مِن الماءِ ، وجاء سَرَعانُ أهلِ العراقِ ليَرِدُوا مِن الماءِ ، فمنَعهم أهلُ الشامِ ، فوقَع بينَهم مُقاتَلَةٌ بسببِ ذلك .

وكان معاويةُ قد وكَّل على الشريعةِ أبا الأعورِ السُّلَمِيَّ ، وليس هناك مَشْرَعَةٌ سواها ، فعطِش أصحابُ عليٍّ عطشًا شديدًا ، فبعَث عليٌّ الأشعثَ بنَ قيسٍ الكنديَّ فى جماعةٍ ليصِلُوا إلى الماءِ ، فمنَعهم أولئك وقالوا[٥] : موتوا عطشًا كما منَعْتُم عثمانَ الماءَ . فتَرامَوْا بالنَّبْلِ ساعةً ، ثم تطاعَنُوا بالرماحِ أُخْرى ، ثم تقاتَلوا بالسُّيوفِ بعدَ ذلك كلِّه ، وأمدَّ كلَّ طائفةٍ أصحابُها[٦] ، حتى جاء الأشترُ مِن ناحيةِ العِراقِيِّين ، وجاء عمرُو بنُ العاصِ مِن ناحيةِ الشامِيِّين ، فاشتدَّتِ الحربُ بينَهم أكثرَ ممّا كانت ، وقد قال رجلٌ مِن أهلِ العراقِ - وهو عبدُ اللّهِ بنُ عوفِ بنِ الأحمرِ الأزْدىُّ - وهو يقاتِلُ[٧] :

---

(١) فى م ، ص : « الطائفتان » .
(٢) زيادة من : م ، ص .
(٣) فى م ، ص : « أفسحه » . وهما بمعنى .
(٤) فى م ، ص : « نزل » .
(٥) فى ا ٧ ، م ، ص : « قال » .
(٦) فى م ، ص : « أهلها » .
(٧) الأبيات فى وقعة صفين ص ١٧٢ ، تاريخ الطبرى ٤/ ٥٧٠ .

خلُّوا لنا ماءَ[1] الفراتِ الجارِى ... أو اثْبُتوا لجحفلٍ جرّارِ

لكلِّ قَرْمٍ[2] [3]مُسْتميتٍ شارٍ[3] ... مُطاعِنٍ برُمحِه كرّارِ

* ضرّابِ هاماتِ العِدَا مِغْوارِ *

ثم مازال أهلُ العراقِ يكْشِفون الشاميِّين عن الماءِ حتى أزاحوهم عنه وخلَّوْا بينَهم وبينَه ، ثم اصطَلَحوا على الوُرودِ حتى صاروا يَزْدَحِمون فى تلك الشريعةِ لا يُكلِّمُ أحدٌ أحدًا ، ولا يُؤْذِى إنسانٌ منهم[4] إنسانًا .

وفى رِوايةٍ[5] أنَّ معاويةَ لمّا أمَر أبا الأعورِ بحفظِ الشريعةِ وقَف دونَها برماحٍ مُشْرَعَةٍ ، وسُيوفٍ مُسَلَّلةٍ ، وسِهامٍ مُفَوَّقةٍ ، وقِسىٍّ مُوتَّرَةٍ ، فجاء أصحابُ علىٍّ عليًّا فشكَوْا إليه ذلك ، فبعَث صَعْصَعَةَ بنَ صُوحانَ إلى معاويةَ يقولُ له : إنّا جئْنا كافِّين عن قتالِكم حتى نُقِيمَ عليكم الحُجَّةَ ، فبعَثْتَ إلينا مُقدَّمتَك فقاتَلْتنا قبلَ أن نبدَأَكم بالقِتالِ[4] ، ثم هذه أخْرى قد منعْتُمونا[6] الماءَ . فقال[7] معاويةُ للقومِ : ماذا تَرَون[8] ؟ فقال عمرُو بنُ العاصِ : خلِّ بينَهم وبينَه ، فليس مِن النَّصَفِ أن نكونَ رَيّانِين وهم عِطاشٌ . وقال الوليدُ بنُ عقبةَ : دعْهم يذُوقوا مِن العطشِ ما أذاقوا أميرَ

---

(١) فى وقعة صفين : « عن » .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « قوم » . والقرم من الرجال : السيد المعظم .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ٦١ ، م : « مشرب تيار » .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) انظر : وقعة صفين ص ١٦٠ ، ١٦١ ، تاريخ الطبرى ٤/ ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٦) فى م ، ص : « منعونا » .

(٧) فى م ، ص : « فلما بلغه ذلك قال » .

(٨) فى م ، ص : « يريدون » .

المؤْمِنِين عثمانَ حينَ حصَروه [1]فى دارِه[1] ومنَعُوه طَيِّبَ[2] الماءِ والطعامِ أرْبَعين صباحًا. وقال عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سرحٍ: امنَعْهم الماءَ إلى الليلِ فلعلَّهم يَرْجِعون إلى بلادِهم. فسكَت معاويةُ، فقال له صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ: ماذا جوابُك؟ فقال: سيأْتِيكم رأْيى بعدَ هذا. فلمّا رجَع صَعْصَعَةُ فأخْبَر الخبرَ، ركِبَتِ الخيلُ والرِّجالُ فما زالوا حتى أزاحوهم عن الماءِ ووَرَدُوه قهرًا، ثم اصطَلَحوا على وُرودِه، [٦/٢٠ظ] وأن[3] لا يَمْنَعَ أحدٌ أحدًا منه.

وأقام علىٌّ يَوْمين لا يُكاتِبُ معاويةَ ولا يُكاتِبُه معاويةُ، ثم دَعا علىٌّ[4] بَشيرَ بنَ عمرٍو الأنصارىَّ، وسعيدَ بنَ قيسٍ الهَمْدانىَّ، وشَبَثَ[5] بنَ رِبْعىٍّ التمِيمىَّ[6] فقال: ائْتوا هذا الرجلَ فادْعُوه إلى الطاعةِ والجماعةِ، واسْمَعُوا ما يقولُ لكم. فلما دخَلُوا على معاويةَ قال له بَشيرُ بنُ عمرٍو: يا معاويةُ، إنَّ الدُّنيا عنك زائلةٌ، وإنّك راجعٌ إلى الآخِرَةِ، واللَّهُ مُحاسِبُك بعمَلِك، ومُجازِيكَ بما قدَّمَتْ يَداك، وإنِّى أَنشُدُك اللَّهَ أن تُفَرِّقَ جماعةَ هذه الأمَّةِ، وأن تَسفِكَ دماءَها بينَها. فقال له معاويةُ: هلَّا أَوْصَيْتَ بذلك صاحِبَك[7]؟! فقال له: إنَّ صاحِبى أحقُّ هذه البَرِيَّةِ بالأمرِ فى فضلِه ودينِه وسابقتِه وقرابتِه، وإنَّه يَدعُوك إلى مبايَعَتِه، فإنَّه أسلَمُ لك فى دُنياك، وخيرٌ لك فى أُخرَاك. فقال معاويةُ: ويُطَلُّ دمُ عثمانَ؟ لا واللَّهِ لا

(١ - ١) زيادة من: م، ص.

(٢) زيادة من: م، ص.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) وقعة صفين ص ١٨٧، وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٧٣.

(٥) فى ا ٨: «شبت» وفى ا ٧: «شيت»، وفى م: «شيبث». وكذا فيما يأتى، وانظر الإكمال ٥/ ٩٢.

(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «السهمى».

(٧) فى م، ص: «صاحبكم».

أفعَلُ ذلك أبدًا . ثم أرادَ سعيدُ بنُ قيسٍ الهَمْدانيُّ أن يَتكلَّمَ ، فبَدَره شَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ فتَكلَّم قبلَه بكلامٍ فيه غِلْظَةٌ وجَفاءٌ فى حَقِّ معاويةَ ، فزجَره معاويةُ وزَبَره فى افتياتِه على مَن هو (١أكبرُ مِنه وأشرفُ ، وفى١) كلامِه بما لا عِلْمَ له به ، ثم أمَر بهم فأُخرِجُوا مِن بينِ يدَيْه ، وصَمَّم على القيامِ(٢) بطلَبِ دَمِ عثمانَ (٣الذى قُتِل مظلومًا٣) .

فعندَ ذلك نشَبَتِ الحربُ بينَهم ، وأمَر عليٌّ بالطلائعِ والأُمراءِ أن يَتقدَّموا للحربِ ، وجعَل عليٌّ(٤) يُؤَمِّرُ (٥كلَّ يومٍ على٥) الحربِ أميرًا ، فمِن أمرائِه على الحربِ ؛ الأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ - وهو أكبرُ مَن كان يَخرُجُ للحربِ - وحُجْرُ بنُ عَدِيٍّ ، وشَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ ، وخالدُ بنُ المُعَمَّرِ(٦) ، وزيادُ بنُ النَّضْرِ ، وزيادُ بنُ خَصَفةَ(٧) ، وسعيدُ بنُ قَيْسٍ(٨) ، ومَعْقِلُ بنُ قَيْسٍ ، وقَيْسُ بنُ سَعدٍ . وكذلك فعَل(٩) معاويةُ ؛ كان كلَّ يومٍ يَبعَثُ على الحربِ أميرًا ، فمِن أمرائِه ؛ عبدُ الرَّحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ ، وأبو الأَعورِ السُّلَمِيُّ(١٠) ، وحَبيبُ بنُ مُسلِمٍ ، وذو الكَلاعِ الحِمْيَرِيُّ ، وعبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ رَضِى اللَّهُ عنه ، وشُرَحْبيلُ بنُ السِّمْطِ ، وحمزةُ بنُ مالكٍ الهَمْدانيُّ .

(١ - ١) فى م ، ص : « أشرف منه و » .

(٢) فى الأصل ، ا ٧ : « القتال » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا٨ ، ا٧ ، ا٦ : « فلما أخبروا عليا بما قالوا له وما رد عليهم » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ٥٧٤.

(٥ - ٦) فى م ، ص : « على كل قوم من » .

(٦) فى م ، ص : « المعتمر » .

(٧) فى النسخ : « حفصة » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر وقعة صفين ص ١٩٧.

(٨) فى م : « ليس » .

(٩) فى م ، ص : « كان » .

(١٠) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦.

وربَّما اقتَتَل الناسُ فى اليومِ مرَّتيْن ، وذلك فى شهرِ ذِى الحِجَّةِ بكمالِه . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ (١عبدُ اللَّهِ١) بنُ عباسٍ عن أمرِ علىٍّ له بذلك .

فلمّا انسلَخ ذو الحِجَّةِ ودخَل المحرَّمُ تَداعَى الناسُ للمُتارَكةِ ، لعلَّ اللَّهَ أن يُصلِحَ بينَهم على أمرٍ يكونُ فيه حَقْنُ دِمائِهم ، فكان ما سنَذْكُرُه ، إن شاءَ اللَّهُ تَعالى .

(١ - ١) فى ص : «عبيد الله» .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلّت هذه السنةُ وأميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبى طالبٍ، رضِى اللّهُ عنه، مُتواقِفٌ هو ومعاويةُ بنُ أبى سفيانَ، رضِى اللّهُ عنه، كلٌّ منهما فى جُنودِه بمكانٍ يقالُ له: صِفِّينُ، بالقربِ مِن الفراتِ، شَرْقِىِّ بلادِ الشامِ، وقد اقتتَلوا فى مدَّةِ شهرِ ذى الحِجَّةِ[1] كلَّ يومٍ، وفى بعضِ الأيامِ رُبَّما اقتتَلوا مَرَّتيْن، [٦/٢١و] وجرَت بينَهم حروبٌ[2] يطولُ ذِكْرُها. والمقصودُ[3] أنَّه لمّا دخَل شهرُ المحرَّمِ [4]تحاجَزوا عن القتالِ، طلبًا للصُّلحِ ورجاءَ[4] أن يقَعَ بينَهم مهادنةٌ وموادَعةٌ يَؤولُ أمرُها إلى الصُّلحِ بينَ الناسِ وحَقْنِ دمائِهم، فذكَر ابنُ جريرٍ[5]، مِن طريقِ [6]هشامٍ، عن[6] أبى مِخْنَفٍ قال[7]: حدَّثنى [8]سعدٌ أبو[8] المجاهِدِ الطائىُّ، عن مُحِلِّ بنِ خليفةَ، أنَّ عليًّا بعَث عَدِىَّ بنَ حاتمٍ، ويَزيدَ بنَ قَيْسٍ الأَرْحَبِىَّ[9]، وشَبَثَ[10] بنَ رِبْعىٍّ، وزِيادَ بنَ خَصَفةَ[11] إلى معاويةَ، فلمّا دخَلوا عليه - وعمرُو

---

(١) بعده فى الأصل: «بكماله».

(٢) فى ص: «فصول».

(٣) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «منها».

(٤ - ٤) فى م، ص: «تحاجز القوم رجاء».

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٥.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٧) فى م، ص: «مالك».

(٨ - ٨) فى م، ص: «سعيد بن». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥.

(٩) فى ص: «الأزدى».

(١٠) فى ا ٧، م: «شبيث».

(١١) فى النسخ «حفصة». والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ٥، وانظر: وقعة صفين ص ١٩٧.

ابنُ العاصِ إلى جانبِه - قال عَدِيٌّ بعدَ حَمْدِ اللَّهِ والثناءِ عليه - : أمّا بعدُ ، يا معاويةُ فإنّا جِئْناكَ نَدْعُوك إلى أمرٍ يَجمَعُ اللَّهُ به كَلِمَتَنا وأُمَّتَنا ، وتُحقَنُ به دِماؤنا ، ويَأْمَنُ به السبيلُ ، ويُصلَحُ به ذاتُ البَيْنِ ؛ إنَّ ابنَ عَمِّك سيدُ المسلِمينَ[1] أفضلُها سابقةً ، وأحسنُها فى الإسلامِ أَثَرًا ، وقد [2]استَجمَع له[2] الناسُ وقد أرْشَدَهم اللَّهُ[3] بالذى رأَوْا فلم يبقَ أحدٌ[4] غيرُك وغيرُ مَن معك[5] ، فانْتَهِ يا معاويةُ لا يُصِبْكَ اللَّهُ وأصحابَك مِثلَ [6]ما أصابَ الناسَ[6] يومَ الجَمَلِ . فقال له معاويةُ : كأنَّك إنَّما جئتَ مُتَهَدِّدًا ولم تأتِ مُصلِحًا ، هَيْهاتَ يا عَدِيُّ ، كلّا واللَّهِ إنِّى لابنُ حَربٍ ، [7]لا يُقَعْقَعُ لى بالشِّنانِ[7] ، أمَا واللَّهِ إنَّك لَمِن المجلِبينَ على ابنِ عفَّانَ ، وإنَّك لَمِن قَتَلَتِه ، وإنِّى لأرْجو أن تَكُونَ [8]مِمَّن يَقْتُلُه[8] اللَّهُ به[9] . وتكلَّمَ شَبَثُ[10] بنُ رِبْعِيٍّ ، وزِيادُ ابنُ خَصَفَةَ[11] فذَكَرا مِن فضلِ علىٍّ ، وقالا[12] : اتَّقِ اللَّهَ يا معاويةُ ولا تُخالِفْه ،

---

(١) فى ا ٨، ص : « المرسلين » .

(٢ - ٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « اجتمع عليه » ، وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥.

(٣) سقط من : الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٤) زيادة من : م، ص .

(٥) بعده فى م، ص : « من شيعتك » .

(٦ - ٦) سقط من : م، ص .

(٧ - ٧) فى الأصل : « وأنا من لا يقعقع بالشنان له » ، وفى ا ٨، ا ٦: « وأنا من لا يقعقع بالشناف » ، وفى ا ٧: « وأنا من لا يقعقع بالشنان » .

والقعقعة : تحريك الشىء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره . والشنان : جمع شَن ، وهى القربة البالية . وهو مثل يضرب للرجل الشرس الصعب لا يهدد ولا يفزَّع بالوعيد . جمهرة الأمثال للعسكرى ٢/ ٢٣٧، ٤١٢. ومجمع الأمثال ٣/ ٢٣٨. والمستقصى ٢/ ٢٧٤.

(٨ - ٨) فى ص : « يقتل » .

(٩) فى الأصل، ا ٨، ا ٧: « بى » ، وفى ا ٦: « به بى » .

(١٠) فى ا ٧، م : « شبيث » .

(١١) فى النسخ « حفصة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ٥، وانظر : وقعة صفين ١٩٧.

(١٢) هذا القول ليزيد بن قيس الأرحبى وليس لشبث بن ربعى وزياد بن خصفة . انظر تاريخ الطبرى =

فإنّا واللّهِ ما رأَيْنا رَجُلًا قَطُّ أعْمَلَ بالتَّقوَى ، ولا أزْهدَ فى الدُّنيا ، ولا أجمَعَ لخِصالِ الخيرِ كلِّها منه . فتكلَّم معاويةُ فحمِد اللّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ، فإنَّكم دَعوْتُمونِى إلى الجماعَةِ والطّاعةِ ، فأمَّا الجماعةُ[1] فنِعِمّا[2] هى ، وأمَّا الطاعةُ[3] فكيف أطيعُ رجُلًا أعان على قَتْلِ عثمانَ وهو يزعُمُ أنَّه لم يَقتُلْه ؟ ونحن لا نَرُدُّ ذلك عليه ولا نتَّهِمُه به ، ولكنَّه أوَى قتَلَتَه ؛ فيدْفَعَهم إلينا حتى نَقتُلَهم ، ثم نحن نُجِيبُكم إلى الطاعةِ والجماعةِ . فقال له شَبَثُ[4] [5]بنُ رِبْعىٍّ[5] : أنشُدُك اللّهَ يا معاويةُ ، لو تَمكَّنْتَ مِن عمَّارٍ أكُنتَ قاتلَه بعثمانَ ؟ فقال معاويةُ : [6]واللّهِ[6] لو تَمكَّنتُ مِن ابنِ سُمَيَّةَ ما قَتَلْتُه بعثمانَ ، ولكنِّى كنتُ أقتُلُه بغلامِ عثمانَ . فقال له شَبَثُ[7] بنُ رِبعىٍّ : وإلهِ الأرضِ والسماءِ لا تَصِلُ إلى قَتْلِ عمّارٍ[8] حتى تَنْدُرَ الرُّءوسُ عن كواهِلِها ، ويَضيقُ فضاءُ الأرضِ ورَحْبُها عليك . فقال له[9] معاويةُ : لو قد كان ذلك كانت عليك أضْيَقَ . وخرَج القومُ مِن بينِ يدَيْه فذهَبوا إلى علىٍّ فأخبَروه الخبرَ[10] .

= ٥/ ٥، ٦. ووقعة صفين ص ١٩٨.

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «الطاعة». وانظر: تاريخ الطبرى ٥/ ٦.

(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «فمعنا». وكذا هو فى تاريخ الطبرى ٥/ ٦. وانظر وقعة صفين ١٩٨.

(٣) فى الأصل، ا ٨، ا٧، ا ٦: «الجماعة». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٦.

(٤) فى ا ٧، م: «شبيث».

(٥ - ٥) زيادة من: م، ص.

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

(٧) فى ا ٦: «شيث»، وفى ا ٧، م: «شبيث».

(٨) فى ا ٧: «عثمان».

(٩) سقط من: م، ص.

(١٠) فى م، ص: «بما قال».

وبعَث معاويةُ حبيبَ بنَ مَسْلَمةَ الفِهرِيَّ[1] ، وشُرَحْبِيلَ بنَ السِّمْطِ ، ومَعْنَ بنَ يَزِيدَ بنِ الأَخْنَسِ إلى عليٍّ ، فدخَلوا عليه ، فبدَأ حبيبٌ فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ، فإنَّ عثمانَ بنَ عفانَ كان خليفةً مَهْدِيًّا ، عمِل بكتابِ اللَّهِ وثبَت لأمْرِ اللَّهِ ، فاستَثْقلْتُمْ حياتَه ، واستَبْطأْتُم[2] وفاتَه ، فعَدَوْتُم عليه فقَتَلْتُمُوه ، فادْفَعْ إلينا قَتَلةَ عثمانَ - إن زعَمتَ أنَّك لم تَقتُلْه - ثم اعتَزِلْ أمرَ الناسِ ، فيكونَ أمرُهم شُورَى بينَهم ، فيُولِّى الناسُ أمرَهم مَن أجمَعوا عليه رأيَهم . فقال له عليٌّ : وما أنت ، لا أمَّ لـكَ وهذا الأمرَ وهذا العزْلَ ، فاسْكُتْ فإنَّكَ لستَ هناك ولا بأهلٍ [٦/٢١ظ] لذاكَ . فقال له حبيبٌ : أمَا واللَّهِ [3]لتَرِيَنِّى حيثُ تكْرَهُ[3] . فقال له عليٌّ : وما أنتَ ولو أجلَبْتَ بخَيْلِك ورَجِلِك لا أَبْقَى اللَّهُ عليك إن أَبقَيتَ ، اذهبْ فصعِّدْ وصوِّبْ ما بدا لك . ثم ذكَر أهلُ السِّيرِ كلامًا طويلًا جرَى بينَهم وبينَ عليٍّ ، وفى صحَّةِ ذلك عنهم وعنه نظرٌ ، فإنَّ فى مَطاوِى ذلك الكلامِ [4]مِن كلامِ[4] عليٍّ ما يَنتَقِصُ فيه معاويةَ وأباه ، [5]وإنَّهم إنَّما دخَلوا فى الإسلامِ كَرْهًا[6] ولم يَزالَا فى تَردُّدٍ فيه ، وغيرَ ذلك[5] ، وأنَّه قال فى غُبونِ ذلك : لا أقولُ إنَّ عثمانَ قتِل مَظلومًا ولا ظَالِمًا . فقالوا : نحن نبرَأُ ممَّن لم يَقُلْ : إنَّ عثمانَ قتِل مَظلومًا . وخرَجوا مِن عندِه ، فقال عليٌّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم

---

(١) فى م : « الهفرى » .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « استطلتم » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « لترين من حيث تكره » . وفى ا ٨ ، ا ٧ : « لترينى حيث يكره منى ما تكره » . وفى ا ٦ : « لترين منى ما تكره » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) سقط من : م .

مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٨٠، ٨١] . ثم قال لأصحابِه : لا يَكُنْ هؤلاءِ أولَى بالجِدِّ فى ضلالتِهم منكم بالجِدِّ فى حقِّكم وطاعةِ نبيِّكم . وهذا عندِى لا يَصِحُّ عن علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقد روَى ابنُ دِيزِيلَ ، مِن طريقِ عمرَ[(١)] بنِ سعدٍ بإسنادِه[(٢)] ، أنَّ [(٣)]قُرّاءَ أهلِ العراقِ ، وقُرّاءَ أهلِ الشامِ عَسْكَرُوا ناحيةً ، وكانوا قريبًا مِن ثلاثين ألفًا ، وأنَّ جماعةً مِن[(٣)] قُرّاءِ العراقِ ؛ منهم عَبِيدَةُ السَّلْمَانىُّ ، وعَلْقَمةُ بنُ قَيْسٍ ، وعامرُ بنُ عبدِ قَيْسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عُتْبَةَ بنِ مَسعودٍ ، وغيرُهم جاءوا إلى معاويةَ ، فقالوا له : ما تَطلُبُ ؟ قال : أطلُبُ بدَمِ عثمانَ . قالوا : لمَن تطلُبُ به ؟ قال : عليًّا . قالوا : أهو قتَله ؟ قال : نعم ، [(٤)]وأرَى قَتَلَتَه[(٤)] . فانصرَفوا إلى علىٍّ ، فذَكَرُوا له ما قال ، فقال : كذَب ، لم أقتُلْه ، وأنتم تَعلَمونَ أنِّى لم أقتُلْه . فرجَعوا إلى معاويةَ فأخبَروه[(٥)] ، فقال : إن لم يَكُنْ قتَلَه بيدِه فقد أمَر [(٦)]بقَتْلِه ومالأَ عليه[(٦)] . فرجَعوا إلى علىٍّ فأخبَروه[(٧)] ، فقال : واللَّهِ لا قَتَلْتُ ولا أمَرتُ ولا مالأْتُ . فرجَعوا إلى معاويةَ فأخبَروه[(٨)] ، فقال معاويةُ : إن كان صادقًا فلْيُقِدْنا مِن قتلةِ عثمانَ ، فإنَّهم فى عسكرِه وجندِه . فرجَعوا إلى علىٍّ ، فقال علىٌّ : تأوَّلَ القومُ عليه[(٩)] القرآنَ فى فِتنةٍ

---

(١) فى ا ٧، م : «عمرو»، وفى ص : «محمد» .
(٢) وقعه صفين ص ١٨٨، ١٨٩. بنحوه .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٤ - ٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «وأرى قتله» . وانظر وقعة صفين ص ١٨٩.
(٥) سقط من : م، ص .
(٦ - ٦) فى م، ص : «رجالًا» .
(٧) سقط من : م، ص .
(٨) زيادة من : ا ٧.
(٩) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «على» . وانظر وقعة صفين ص ١٨٩.

ووقعَتِ الفُرقَةُ لأجلِها[1] ، وقتَلوه فى سلطانِه وليس لى عليهم سبيلٌ . فرجَعوا إلى معاويةَ فأخبَرُوه ، فقال : إن كان الأمرُ على ما يقولُ ، فما له انتهَز[2] الأمرَ دونَنا مِن غيرِ مَشُورةٍ منّا ولا ممَّن هـٰهنا ؟ فرجَعوا [3]إلى علىٍّ[3] ، فقال : إنَّما الناسُ تَبَعُ المهاجِرين والأنصارِ ، فهم شهودُ الناسِ على وِلايتِهم وأمرِ دينِهم ، وقد[4] رضُوا وبايَعونِى ، ولستُ أستَحِلُّ[5] أن أدَعَ مثلَ معاويةَ يحكُمُ على الأمَّةِ ويَشُقُّ عَصاها . فرجَعوا إلى معاويةَ ، فقال : ما بالُ مَن هـٰهنا مِن المهاجِرين والأنصارِ لم يَدخُلوا فى هذا الأمرِ ؟ فرجَعوا إلى علىٍّ ، فقال : إنَّما هذا للبَدرِيِّين دونَ غيرِهم ، وليس على وجهِ الأرضِ بَدرِىٌّ إلَّا وهو معى ، وقد [6]تابعَنى وبايَعَنِى ورضِى بى[6] ، فلا يَغُرَّنَّكم مِن دينِكم وأنفُسِكم . قال : فأقاموا يَتراسلُون فى ذلك مدَّةَ[7] شهرِ ربيعٍ الآخِرِ[8] وجُمادَيَيْن ، ويَفزَعُون[9] فى غبونِ ذلك الفَزْعةَ[10] بعدَ الفَزْعةِ[11] ، ويَزْحَفُ بعضُهم إلى بعضٍ ، ويَحجِزُ بينَهم القرّاءُ ، فلا يكونُ فى ذلك قتالٌ . قال : ففَزِعوا[12] فى ثلاثةِ أشهُرٍ خمسةً وثمانين فَزْعةً[13] . قال : وخرَج أبو

---

(١) سقط من : ص .
(٢) فى م ، ص : « أنفذ » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .
(٦ - ٦) فى م ، ص : « بايعنى وقد رضى » .
(٧) سقط من : م ، ص .
(٨) فى ص : « الأول » .
(٩) فى م ، ص : « يقرعون » .
(١٠) فى م : « القرعة » .
(١١) فى م ، ص : « القرعة » .
(١٢) فى م ، ص : « فقرعوا » .
(١٣) فى م ، ص : « قرعة » .

الدَّرْداءِ وأبو أُمامةَ ، فدخَلا على معاويةَ ، فقالا له : يا معاويةُ ، علامَ تُقاتِلُ هذا الرجلَ ؟ فواللَّهِ إنَّه لأقدمُ منك (١ ومِن أبيك ١) سَلْمًا[٢] ، وأقربُ منك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأحقُّ بهذا الأمرِ منك . فقال : أُقاتِلُه على دمِ عثمانَ وأنَّه أوَى قَتَلَتَه ، فاذهَبا إليه فقولا له فلْيُقِدْنا مِن قَتَلَةِ عثمانَ ، ثم أنا أوَّلُ مَن يُبايعُه[٣] مِن أهلِ الشامِ . فذهَبا إلى عليٍّ فقالا له ذلك ، فقال : هؤلاءِ الذين ترَوْن[٤] . فخرَج خَلقٌ كثيرٌ فقالوا : كلُّنا قَتَلَةُ عثمانَ ، فمَن شاءَ فليَرُمْنا (٥ وَلْيَكِدْنا ٥) . قال : فرجَع أبو الدَّرداءِ وأبو أُمامةَ فلم يَشهَدا لهم (٦ قِتالًا ، بل لَزِما بيوتَهما ٦) .

[٦/٢٢و] وقال عمرُ[٧] بنُ سعدٍ بإسنادِه[٨] : حتى إذا كان رجَبٌ وخَشِي معاويةُ أن تُبايعَ القرّاءُ كلُّهم عليًّا ، كتَب فى سهمٍ : مِن عبدِ اللَّهِ الناصحِ ، يا مَعْشَرَ أهلِ العراقِ ، إنَّ معاويةَ يُريدُ أن يَفجُرَ عليكم الفُراتَ ليُغرِقَكم ، فخذُوا حِذْرَكم . ورمَى به فى جيشِ أهلِ العراقِ . فأخَذه الناسُ فقرَءُوه وتحدَّثُوا به ، وذكَرُوه لعليٍّ ، فقال : إنَّ هذا ما لا يَكونُ ولا يَقعُ . وشاعَ ذلك فيهم[٩] ، وبعَث معاويةُ مِائتَى فاعلٍ يَحفِرونَ فى جنبِ الفراتِ وبلَغ الناسَ ذلك ، فخاف[١٠] أهلُ العراقِ مِن ذلك وفزِعوا إلى عليٍّ ، فقال : وَيحَكم ! إنَّه يُريدُ (١١ أن يَخدَعَكم ويُوهِنَ كيدَكم ١١) ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) يعنى إسلامًا .

(٣) فى م ، ص : « بايعه » . وكذلك فى وقعة صفين ص ١٩٠ .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « تريان » . وانظر المصدر السابق .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « حربًا » .

(٧) فى م : « عمرو » .

(٨) وقعة صفين ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) فى م ، ص : « فتشوش » .

(١١ - ١١) فى م ، ص : « خديعتكم » .

ليُزيلَكم عن مكانِكم هذا ويَنزِلَ فيه ؛ لأنَّه خَشِى[1] مِن مكانِه . فقالوا : لا بُدَّ [2]أن نرتَحِلَ عن هذا المكانِ[2] . فارتحَلُوا منه - وجاء معاويةُ فنزَله[3] بجيشِه - وكان عليٌّ آخِرَ مَن ارتحَلَ ، فنَزَل بهم وهو يقولُ[4] :

فلو أنِّى أطَعْتُ عَصَمتُ[5] قومى ... إلى ركنِ اليمامةِ أو شَمامِ[6]

ولكنِّى إذا أبرَمتُ أمرًا ... يُخالِفُه الطَّغامُ بنو الطَّغامِ[7]

قال : فأقاموا إلى شهرِ ذِى الحِجَّةِ ثم شرَعوا فى القتالِ ، فجعَل عليٌّ يُؤَمِّرُ على الحربِ كلَّ يومٍ رَجُلًا ، وأكثرُ مَن[8] كان يُؤَمِّرُ الأَشْتَرُ . وكذلك معاويةُ كان يُؤَمِّرُ كلَّ يومٍ أميرًا ، فاقتَتَلوا شهرَ ذى الحجةِ بكمالِه ، [9]ورُبَّما اقتَتَلوا فى بعضِ الأيامِ مرَّتين[9] .

قال ابنُ جريرٍ ، رحِمه اللَّهُ[10] : ثم لم تَزَلِ الرسلُ تَتَرَدَّدُ بينَ عليٍّ ومعاويةَ ، والناسُ كافُّونَ عن القتالِ حتى انسلَخ المحرَّمُ مِن هذه السنةِ ، ولم يَقَعْ بينَهم صُلْحٌ ، فأمَر عليُّ بنُ أبى طالبٍ مَرْثَدَ[11] بنَ الحارثِ الجُشَمِىَّ ، فنادَى أهلَ الشامِ عندَ غروبِ الشمسِ : ألَا إنَّ أميرَ المؤمنين يقولُ لكم : إنِّى قد

---

(١) فى م ، ص : « خير » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « من أن نخلى عن هذا الموضع » .

(٣) فى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فنزله » .

(٤) البيتان فى : وقعة صفين ص ١٩١ .

(٥) فى وقعة صفين : « عصبت » .

(٦) شمام : جبل لباهلة . معجم البلدان ٣/ ٣١٨ .

(٧) فى وقعة صفين : « منيت بخلف آراء الطغام » .

(٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ما » .

(٩ - ٩) زيادة من : م ، ص .

(١٠) تاريخ الطبرى ٥/ ١٠ . بنحوه .

(١١) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من : تاريخ الطبرى ٥/ ١٠ ، وانظر وقعة صفين ص ٢٠٣ .

استَدَمْتُكم[1] لتُراجِعوا[2] الحقَّ، وأقَمتُ عليكم الحُجَّةَ فلم تُجِيبوا، وإنِّى قد أعذَرتُ إليكم ونبَذتُ إليكم على سواءٍ، إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخائنين. ففزِع أهلُ الشامِ إلى أمرائِهم فأعلَمُوهم بما سمِعُوا المنادِىَ يُنادِى به[3]، فنهَض عندَ ذلك معاويةُ وعمرٌو فعبَّيا الجيشَ ميمنةً وميسرةً، وبات علىٌّ يُعَبِّى جيشَه مِن ليلَتِه، فجعَل على خيلِ أهلِ[4] الكوفةِ الأشترَ النَّخَعِىَّ، وعلى رَجَّالَتِهم عمّارَ ابنَ ياسرٍ، وعلى خيلِ أهلِ[4] البصرةِ سَهلَ بنَ حُنَيفٍ، وعلى رَجّالَتِهم قيسَ ابنَ سعدٍ وهاشمَ بنَ عُتبةَ، وعلى قُرّائِهم مِسعرَ[5] بنَ فَدَكىٍّ التَّميمىَّ، وتقدَّم علىٌّ إلى الناسِ أن لا يَبدَءُوا أحدًا بقتالٍ حتى يَبدأَ[6] هم ويَعتَدِىَ عليهم[6]، وأنَّه لا يُذَفَّفُ[7] على جَريحٍ، ولا يُتْبَعُ مُدْبِرٌ، ولا يُكشَفُ سَترُ امرأةٍ ولا تُهانُ وإن شتَمَتْ أمراءَ الناسِ وصلحاءَهم. وبرَز معاويةُ صُبحَ تلك الليلةِ وقد جعَل على الميمنةِ ابنَ ذِى الكَلاعِ الحِمْيَرِىَّ، وعلى الميسرةِ حَبيبَ بنَ مَسلمةَ الفِهرىَّ، وعلى المُقدَّمةِ أبا الأعورِ السُّلَمىَّ، وعلى خيلِ دِمشْقَ عمرَو بنَ العاصِ، وعلى رَجَّالتِهم الضحاكَ بنَ قَيسٍ. ذكَره ابنُ جريرٍ[8].

وروَى ابنُ دِيزيلَ[9]، مِن طريقِ جابرٍ الجُعفىِّ، عن أبى جعفرٍ الباقرِ، وزيدِ[10]

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «استأنيتكم». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٠، والكامل ٣/ ٢٩٣.
(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «لترجعوا إلى». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٠.
(٣) سقط من: م، ص.
(٤) زيادة من: م، ص.
(٥) فى النسخ: «سعد». والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ١١. وانظر الكامل ٣/ ٢٩٤.
(٦ - ٦) فى م، ص: «أهل الشام».
(٧) فى م: «يزفف».
(٨) تاريخ الطبرى ٥/ ١١، ١٢.
(٩) أخرجه نصر بن مزاحم فى وقعة صفين ص ١٥٦، ١٥٧. من طريق جابر الجعفى به.
(١٠) فى م، ص: «يزيد». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٩٦.

ابنِ الحسنِ بنِ عليٍّ ، وغيرِهما ، قالوا : لمَّا بلَغ معاويةَ مَسيرُ عليٍّ إليه ، سار معاويةُ نحوَ عليٍّ واستعملَ على مقدَّمتِه سفيانَ بنَ عمرٍو أبا الأعورِ السُّلَميَّ ، وعلى الساقةِ بُسْرَ[(١)] [(٢)] بنَ أرطاةَ[(٢)] حتى توافَوا[(٣)] جميعًا بقُنَاصِرِينَ[(٤)] إلى جانبِ صِفِّينَ . وزاد ابنُ الكَلْبيِّ فقال[(٥)] : جعَل على المقدَّمةِ أبا الأعورِ السُّلَميَّ ، وعلى الساقةِ بُسرًا[(٦)] ، وعلى الخيلِ عبيدَ اللَّهِ بنَ عمرَ ، ودفَع اللواءَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ ابنِ الوليدِ ، وجعَل على الميْمَنةِ حبيبَ بنَ مَسْلَمةَ ، وعلى رَجَّالتِها يزيدَ بنَ [(٧)] زَحْرٍ العَنْسِي[(٧)] ، وعلى الميسرةِ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ ، وعلى رَجَّالتِها حابسَ بنَ سعدٍ الطائيَّ ، وعلى خيلِ دِمشقَ الضحاكَ بنَ قيسٍ ، وعلى رجَّالتِهم يزيدَ بنَ لَبيدِ ابنِ كُرْزٍ البَجَليَّ ، [٦/٢٢ظ] وجعَل على أهلِ حِمْصَ ذا الكَلاعِ ، وعلى أهلِ فِلَسطينَ مَسلمةَ بنَ مُخَلَّدٍ ، وقام معاويةُ فى الناسِ خطيبًا [(٨)] فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه[(٨)] ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، واللَّهِ ما أصبتُ الشامَ إلَّا بالطاعةِ ، ولا أضبِطُ حربَ أهلِ العراقِ إلَّا بالصبرِ ، ولا أُكابِدُ أهلَ الحجازِ إلَّا باللُّطفِ ، وقد تهيَّأتُم وسِرتُم

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بشر » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « ابن أبى أرطاة » . يقال : بسر بن أرطاة وابن أبى أرطاة . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٩ ، ٦١ ، تاريخ بغداد ١/ ٢١٠ ، أسد الغابة ١/ ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٦ : « تواقفوا » ، وفى ا ٧ : « توافقوا » .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بقناصرير » . وفى م ، ص : « سائرين » ، والمثبت من : وقعة صفين ص ١٥٧ . وقناصرين : موضع بالشام . القاموس (ق . ن . و . ر) ولم يورده . ياقوت فى معجم البلدان .

(٥) زيادة من : م ، ص . وقول ابن الكلبى أخرجه بنحوه نصر بن مزاحم فى : وقعة صفين ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ . وفيه : أن حبيب بن مسلمة كان على الميسرة لا على الميمنة . وانظر : تاريخ خليفة ٢٢٢ ، تاريخ الإسلام ، (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٥٤٢ .

(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بشرًا » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « زجر العبس » .

(٨ - ٨) زيادة من : م ، ص .

لتَمنَعوا الشامَ وتأخُذوا العراقَ ، وسار القومُ ليمنَعوا العراقَ ويأخُذوا الشامَ ولَعَمْرِى ما للشامِ (١ رجاءٌ فى ١) العراقِ ولا أموالِها ، ولا للعراقِ خبرَةُ أهلِ الشامِ ولا بصائرُها ، مع أن للقومِ أعدادَهم ، وليس بعدَكم غيرُكم ، فإن غلبتُموهم (٢ فليس تَغْلِبُوهم ٢) إلَّا مِن أناتِكم وصبرِكم ، وإن غلَبُوكم غلَبوا مَن بعدَكم ، والقومُ لاقُوكم بكيدِ أهلِ العراقِ ، ورِقَّةِ أهلِ اليمنِ وبصائرِ أهلِ الحجازِ وقَسوةِ أهلِ مِصرَ ، وإنَّما يُنصَرُ غدًا مَن يُنْصَرُ اليومَ ، فاستَعِينُوا باللَّهِ واصبِرُوا إنَّ اللَّهَ مع الصابِرينَ . فلمّا بلَغ عليًّا خُطبَةُ معاويةَ ، قامَ فى أصحابِه (٣ أيضًا خطيبًا وحَضَّهم ٣) على الجهادِ ، ومدَحهم بالصبرِ ، وشجَّعَهم بكثْرَتِهم بالنسبةِ إلى أهلِ الشامِ .

قال جابرٌ الجُعْفِىُّ (٤) ، عن أبى جعْفَرٍ الباقرِ ، وزيدِ بنِ الحسَنِ (٥) ، وغيرِهما قالوا (٦) : سار علىٌّ (٧ إلى الشامِ ٧) فى مائةٍ وخمسينَ ألفًا مِن أهلِ العراقِ ، وأقبَل معاويةُ فى نحوٍ منهم مِن أهلِ الشامِ . وقال غيرُهم (٨) : أقبَل علىٌّ فى مائةِ ألفٍ أو يَزيدُونَ ، وأقبَل معاويةُ فى مائةِ ألفٍ وثلاثينَ ألفًا (٩) . (١٠ ذكَر ذلك ١٠) ابنُ دِيزيلَ فى كتابِه . وقد تعاقَد جماعةٌ مِن أهلِ الشامِ على أن لا يَفِرُّوا ، فعقَّلُوا أنفُسَهم بالعمائمِ ، وكان هؤلاءِ خمسةَ صفوفٍ ، ومعهم ستةُ صفوفٍ آخرينَ ، وكذلك

(١ - ١) فى م ، ص : « رجال » .
(٢ - ٢) فى م ، ص : « لم تغلبوا » .
(٣ - ٣) فى م ، ص : « فحرضهم » .
(٤) أخرجه نصر بن مزاحم فى وقعه صفين ص ١٥٦ ، من طريق جابر الجعفى به .
(٥) فى م ، ص : « أنس » .
(٦) سقط من : ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .
(٨) وقعة صفين ص ١٥٧ .
(٩) بعده فى ا ٧ : « والأول أصح » .
(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « رواها » .

أهلُ العراقِ كانوا أحدَ عشَرَ صفًّا أيضًا، فتواقَفوا على هذه الصفةِ أولَ يومٍ مِن صَفَرٍ، وكان ذلك يومَ الأربعاءِ، وكان أميرَ الحربِ يومَئذٍ للعراقيِّين[1] الأشترُ النَّخَعِيُّ[2]. وأميرَ الحربِ يومَئذٍ للشاميِّين حبيبُ بنُ مَسلَمةَ، فاقتَتَلوا ذلك اليومَ قتالًا شديدًا، ثم تراجَعوا مِن آخِرِ يومِهم، وقد انتصَف بعضُهم مِن بعضٍ وتكافَئُوا فى القتالِ، ثم أصبَحوا مِن الغدِ يومَ الخميسِ وأميرُ حربِ أهلِ العراقِ هاشمُ بنُ عُتْبةَ، وأميرُ الشاميِّين يومَئذٍ [3]أبو الأعورِ[3] السُّلَمِيُّ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا؛ تَحمِلُ الخيلُ على الخيلِ، والرجالُ على الرجالِ ثم تراجَعوا مِن آخرِ يومِهم، وقد صبَر كلٌّ مِن الفريقَين للآخَرِ وتكافَئوا، ثم خرَج فى اليومِ الثالثِ - وهو يومُ الجُمُعةِ - عمّارُ بنُ ياسرٍ مِن [4]ناحيةِ أهلِ العراقِ[4]، وخرَج إليه عمرُو بنُ العاصِ فى الشاميِّين، فاقتَتَل الناسُ قتالًا شديدًا، وحمَل عمارٌ على عمرِو بنِ العاصِ فأزاله عن موقِفِه، وبارَز زيادُ بنُ النَّضْرِ الحارِثيُّ - وكان على الخيّالَةِ يومَئذٍ - رجلًا، فلمّا تواقَفا تعارَفا، فإذا هما أخَوانِ مِن أمٍّ، فانصرَف كلُّ واحدٍ منهما إلى قومِه وترَك صاحبَه، وتراجَع الناسُ مِن العَشِيِّ، وقد صبَر كلُّ فريقٍ لصاحبِه، وخرَج فى اليومِ الرابعِ - وهو يومُ السبتِ - محمدُ بنُ علىٍّ، [5]وهو[5] ابنُ الحنَفيَّةِ، ومعه جمعٌ عظيمٌ، فخرَج إليه فى [6]جَحْفَلٍ كثيرٍ[6] مِن جهةِ الشاميِّين عبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، [7]فاقتَتَل الناسُ قتالًا شديدًا، وبرَز عبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ[7]، فطلَب

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٢) بعده فى: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «من جهة على».
(٣ - ٣) فى الأصل، ا ٦: «الأعور».
(٤ - ٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا٦: «جهة على».
(٥ - ٥) زيادة من: م، ص.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦. وفى م: «كثير».
(٧ - ٧) فى الأصل، ا٨، ا ٧، ا ٦: «ابن الخطاب فى جحفل كثير من الشاميين».

مِن ابنِ الحنَفيَّةِ أن يَبرُزَ إليه ، فبرَز إليه ، فلمّا كادَا أن يَقتَرِبَا قال عليٌّ : مَن المبارِزُ ؟ قالوا : محمدٌ ابنُك وعبيدُ اللَّهِ (١ بنُ عمرَ ١) . فيقالُ : إنَّ عليًّا حرَّك دابَّتَه وأمَر ابنَه أن يَتوقَّفَ (٢) ، وتقدَّم عليٌّ إلى عبيدِ اللَّهِ فقال له : تقدَّمْ إليَّ . فقال عبيدُ اللَّهِ : لا حاجةَ لى فى مُبارَزَتِك . فقال : بلى . فقال : لا . فرجَع عنه عليٌّ وتَحاجَز الناسُ يومَهم ذلك ، ثم خرَج فى اليومِ الخامسِ - وهو يومُ الأحدِ - فى العراقيِّين عبدُ اللَّهِ ابنُ عبّاسٍ ، وفى الشاميِّين الوليدُ بنُ عُقْبةَ ، فاقتَتَل الناسُ قتالًا شديدًا ، وجعَل الوليدُ يَنالُ مِن ابنِ [٦/٢٣و] عبّاسٍ - فيما ذكَره أبو مِخْنَفٍ (٣) - ويقولُ : قتَلْتُم خليفَتَكم ولم تَنالوا ما طلَبْتُم ، ووالله إنَّ اللَّهَ ناصِرُنا عليكم . فقال له ابنُ عبّاسٍ : فابرُزْ إليَّ . فأبَى عليه . ويُقالُ : إنَّ ابنَ عبّاسٍ قاتَل يومَئذٍ قِتالًا شديدًا بنفْسِه ، رضِى اللَّهُ عنه ، ثم خرَج فى اليومِ السادسِ - وهو يومُ الاثنَيْنِ - (٤ مِن جهةِ عليٍّ على ٤) العراقيِّين قَيسُ بنُ سعدِ (٥ بنِ عُبَادَةَ ٥) ، ومِن جهةِ أهلِ الشامِ ابنُ ذِى الكَلاعِ ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا أيضًا ، وتصابَروا ثم تراجَعوا ، ثم خرَج الأشترُ النَّخَعِيُّ فى اليومِ السابعِ - وهو يومُ الثلاثاءِ - (٦ مِن جهةِ عليٍّ ٦) ، وخرَج إليه قِرْنُه (٧ مِن جهةِ معاويةَ ، وهو ٧) حبيبُ بنُ مَسلَمةَ ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا أيضًا ، ولم يَغلِبْ أحدٌ أحدًا فى هذه الأيامِ كلِّها .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « يكف عنه » .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣. ووقعة صفين ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٤ - ٤) فى م ، ص : « وعلى الناس من جهة » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

قال أبو مِخْنَفٍ[1] : حدَّثَنى مالكُ بنُ أعيَنَ الجُهَنِىُّ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ ، أنَّ عليًّا قال : حتى متى لا نُناهِضُ هؤلاءِ القومَ بأجمَعِنا ؟ ثم قام فى الناسِ عَشِيَّةَ الأربعاءِ[2] بعدَ العصرِ ، فقال : الحمدُ للَّهِ الذى لا يُبرَمُ[3] ما نقَض ، وما أبرَم لم يَنْقُضْه الناقِضُونَ ، لو شاءَ ما اختلَف اثنانِ مِن خلقِه ، ولا تنازَعَتِ الأمَّةُ فى شىءٍ مِن أمرِه ، ولا جحَد المفْضُولُ ذا الفَضْلِ فَضْلَه ، وقد ساقتْنا وهؤلاءِ القومَ الأقدارُ فلَفَّت[4] بيننا فى هذا المكانِ ، فنحن مِن ربِّنا بمَرْأًى ومسْمَعٍ ، فلو شاءَ لعجَّلَ النِّقْمَةَ ، وكان منه التغييرُ[5] حتى يُكذِبَ اللَّهُ الظالمَ ، ويُعلَمَ الحقُّ أين مصيرُه ، ولكنَّه جعَل الدُّنيا دارَ الأعمالِ ، وجعَل الآخِرةَ عندَه هى دارُ القرارِ ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] . ألَا وإنَّكم لاقُوا القومِ غدًا فأطِيلُوا[6] الليلةَ القيامَ ، وأكثِرُوا تِلاوةَ القرآنِ ، واسألوا اللَّهَ النصرَ والصبرَ ، والْقَوْهم[7] بالجِدِّ والحزْمِ وكُونوا صادِقِينَ . قال : فوثَب الناسُ إلى سيوفِهم ورماحِهم ونبالِهم يُصلِحونَها . قال : ومرَّ بالناسِ وهم كذلك كعبُ بنُ جُعَيْلٍ[8] التَّغلبِىُّ[9] ، فرأَى ما يَصنَعون[10] فجعَل يقولُ[11] :

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ١٣، ١٤. من طريق أبى مخنف به .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « الثلاثاء ، ليلة الأربعاء » .

(٣) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « أحد » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٥/ ١٣.

(٤) فى الأصل ا ٨، ا ٧، ا ٦: « وجمعت » ، وفى م ، ص : « وألقت » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ١٣.

(٥) فى م ، ص : « التعسير » .

(٦) فى ص : « فاطلبوا » .

(٧) فى م ، ص : « القوة » .

(٨) فى النسخ « جعل » . والمثبت من الطبرى . وهو كعب بن جعيل بن قُمير ، من بنى تغلب بن وائل ، شاعر مخضرم عرف فى الجاهلية والإسلام . طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٧١، ٥٧٢. والشعر والشعراء ٢/ ٦٤٩.

(٩) فى الأصل : ا ٨، ا ٧: « الثعلبى » .

(١٠) فى م : « يصفون » .

(١١) البيتان فى تاريخ الطبرى ٥/ ١٤، ووقعة صفين ص ٢٢٥، ٢٢٦.

أصبَحتِ الأُمَّةُ فى أمرٍ عجَبْ والـمُلكُ مجموعٌ غدًا لِمَن غلَبْ
فقلتُ قولًا صادقًا غيرَ كَذِبْ إنَّ غدًا تَهلِكُ أعلامُ العرَبْ

قال : ثم أصبَح علىٌّ فى جنودِه قد عبَّأَهم كما أرادَ ، وركِب معاويةُ فى جيشِه قد عبَّأَهم كما أرادَ ، وقد أمَر علىٌّ كلَّ قبيلةٍ مِن أهلِ العراقِ أن تكفِيَه أختَها مِن أهلِ الشامِ ، ثم زحَف الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ ، فتَقاتلُوا قتالًا عظيمًا لا يَفِرُّ أحدٌ مِن أحدٍ ولا يَغلِبُ أحدٌ أحدًا ، ثم تَحاجَزوا عندَ العَشِىِّ ، وأصبَح علىٌّ فصلَّى الفجرَ بغَلَسٍ وباكَر القتالَ ، ثم استقْبَل أهلَ الشامِ فاستقبَلُوه بوجوهِهم ، فقال علىٌّ فيما رَواه [1]أبو مِخْنَفٍ[1] ، عن مالكِ بنِ أعيَنَ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ : اللهمَّ ربَّ السَّقْفِ المحفوظِ المكفوفِ الذى جعَلْتَه مَغِيضًا[2] لِلَّيلِ والنهارِ ، وجعَلتَ فيه مجرَى الشمسِ والقمرِ ومنازلَ النجومِ ، وجعَلتَ فيه سِبْطًا مِن الملائكةِ[3] لا يسأَمُون العبادَةَ ، وربَّ هذه الأرضِ التى جعَلتَها قرارًا للأنامِ والهوامِّ والأنعامِ ، وما لا يُحصَى ممّا يُرَى وما لا يُرَى مِن خَلقِك العظيمِ ، وربَّ الفُلْكِ التى تَجرِى فى البحرِ بما يَنفَعُ الناسَ ، وربَّ السحابِ المسخَّرِ بينَ السماءِ والأرضِ ، وربَّ البحرِ المسجورِ المحيطِ بالعالمِ ، وربَّ الجبالِ الرواسِى التى جعَلتَها للأرضِ أوْتادًا وللخَلْقِ[4] مَتاعًا ، إن أظهَرتَنا على عدوِّنا فجنِّبْنا البَغْىَ والفسادَ وسدِّدْنا للحقِّ ، وإن أظهَرتَهم علينا فارزُقْنى[5] الشهادةَ ، [٦/٢٣ظ] وجنِّبْ بقيَّةَ أصحابى مِن

(١ - ١) فى م ، ص . « ابن مخنف » . وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ١٤ . من طريق أبى مخنف به .
(٢) فى النسخ : « سقفا » . والمثبت من الطبرى . والمقصود بأن سقف السماوات مغيض الليل والنهار ، أى الموضع الذى يُغيَّبان فيه .
(٣) يعنى : أُمَّة منهم .
(٤) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « منافع و » .
(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فارزقنا » .

الفِتنةِ . ثم تقدَّم عليٌّ وهو فى القلْبِ فى أهلِ المدينةِ وعلى مَيمنَتِه يومَئذٍ عبدُ اللَّهِ ابنُ بُدَيلٍ ، وعلى الميسرَةِ عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، وعلى القرّاءِ عمارُ بنُ ياسرٍ وقيسُ بنُ سعدٍ ، والناسُ على راياتِهم ، فزحَف بهم إلى القومِ . وأقبَل معاويةُ - وقد بايَعه أهلُ الشامِ على الموتِ - فتواقَف الناسُ فى موطنٍ مَهولٍ وأمرٍ عظيمٍ ، وحمَل عبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيلٍ أميرُ ميمنةِ عليٍّ على ميسرَةِ أهلِ الشامِ وعليها حبيبُ بنُ مَسلمَةَ ، فاضطرَّه حتى ألجأَه إلى القلْبِ ، وفيه معاويةُ ، وقام عبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيلٍ فى الناسِ خطيبًا فحرَّضَهم على القتالِ ، وقام كلُّ أميرٍ فى أصحابِه يُحرِّضُهم على القتالِ ويَحُثُّهم على الصبرِ والثباتِ والجهادِ ، ويتلُو عليهم آياتِ القتالِ ، وحرَّض أميرُ المؤمنين عليٌّ الناسَ على الثباتِ والصبرِ ، وحثَّهم على قِتالِ أهلِ الشامِ ، وتلَا عليهم آياتِ القتالِ مِن أماكنَ مُتفرِّقةٍ مِن القرآنِ ؛ فمِن ذلك قولُه تَعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] . ثم قال[1] : قدِّموا المدارعَ وأخِّروا الحاسِرَ وعَضُّوا على الأضراسِ ، فإنَّه أنْبَى[2] للسيوفِ عن الهامِ ، والتَوُوا[3] فى أطرافِ الرماحِ فإنَّه أصوَنُ[4] للأسنَّةِ ، وغُضُّوا الأبصارَ فإنَّه أربَطُ للجأشِ وأسْكَنُ[5] للقلبِ ، وأميتُوا الأصواتَ فإنَّه أطرَدُ للفشَلِ وأوْلَى[6] بالوقارِ ، راياتِكم لا تُميلُوها ولا تُزيلُوها ولا تَجعَلُوها إلَّا بأيدِى شُجعانِكم .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ١٦، ١٧. من طريق أبى مخنف، بنحوه.

(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «أنكى». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٦.

(٣) فى الأصل: «ألبوا». وفى م: «ألبوا». وانظر: تاريخ الطبرى ٥/ ١٦.

(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «أفوق». وفى ص: «أموت». والمثبت من الطبرى.

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أثبت». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٧.

(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «امسكوا».

وقد ذكَر علماءُ التاريخِ وغيرُهم[1] ، أنَّ عليًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، بارَز فى يومِ صِفِّينَ وقاتَل وقتَل خلقًا ، حتى ذكَر بعضُهم أنَّه قتَل خمسَمائةٍ ، فمِن ذلك أنَّ كُريبَ بنَ الصبّاحِ قتَل أربعةً مِن أهلِ العراقِ مُبارزَةً[2] ، ثم وضعَهم تحتَ قدمَيْه ونادَى : هل مِن مُبارزٍ ؟ فبرَز إليه علىٌّ فتَجاولا ساعةً ثم ضرَبه علىٌّ فقتَله ، ثم قال علىٌّ : هل مِن مبارِزٍ ؟ فبرَز إليه الحارثُ بنُ وَداعةَ الحِمْيَرِىُّ فقتَله ، ثم برَز إليه رُودُ[3] بنُ الحارثِ الكَلاعىُّ فقتَله ، ثم برَز إليه المطاعُ بنُ المطَّلبِ القَيْنِىُّ[4] فقتَله . ثم تلا علىٌّ قولَه تعالَى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . ثم نادَى : ويحَك يامعاويةُ ! ابرُزْ إلىَّ ولا تُفْنِ العربَ بينِى وبينَك . فقال له عمرُو يا معاويةُ اغتَنِمْه فإنَّه قد أثخَن بقتْلِ هؤلاءِ الأربعةِ . فقال له معاويةُ : واللَّهِ لقد علِمْتُ أنَّ عليًّا لم يُقهَرْ قطُّ ، وإنَّما أردتَ قَتْلِى لتُصِيبَ الخلافةَ مِن بعدِى ، اذْهَبْ إليك ! فليس مِثلى يُخدَعُ .

وذكَروا[5] أنَّ عليًّا حمَل على عمرِو بنِ العاصِ يومًا فضرَبه بالرُّمحِ ، فألقاه إلى

---

(١) أخرجه بنحوه نصر بن مزاحم ، فى وقعة صفين ص ٣١٥، ٣١٦. ولم أجد ذكرًا لذلك عند غيره . ولكن ذكر خبر كريب الحميرى وقتل علىٍّ له ، ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٥٤٢، ٥٤٣ (مخطوط) . والذهبى فى تاريخ الإسلام : (عهد الخلفاء) ص ٥٤٦. وابن حجر فى الإصابة ٥/٦٤٣ . وفى وقعة صفين ، والإصابة أنه قتل ثلاثة . وفى تاريخ الإسلام أنه قتل جماعة .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ا ٨، ا ٦. « رواد » . وفى م : « راود » . وفى وقعة صفين ص ٥٥٦: « روق » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٣. وفيه أنه « رود بن الحارث الكلابى » . وذكر ابن عساكر فى ذلك الموضع أن له ذكرًا سوف يأتى فى ترجمة كريب بن الصباح ، ولم أجد فى ترجمة الأخير ذكرًا لرود هذا . وانظر تاريخ دمشق ١٤/ ٥٤٢، ٥٤٣. (مخطوط) . وانظر أيضا بغية الطلب فى تاريخ حلب ٨/ ٢٤٨. وفيه أنه « رود بن الحارث الكلاعى » ، وقيل : ورقاء بن الحارث .

(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٦: « القيسى » . وانظر وقعة صفين ص ٣١٦، ٥٥٦.

(٥) وقعة صفين ص ٤٠٧، ٤٢٤ بنحوه .

الأرضِ، فبدَتْ سَوءَتُه فرجَع عليٌّ[1] عنه، فقال له أصحابُه: ما لك يا أميرَ المؤمنين رجَعتَ عنه؟ فقال: أتدرون مَن هو؟ قالوا: لا. قال: هو عمرُو بنُ العاصِ، وإنَّه تلَقّانى بسوْءَتِه فذكَّرَنى بالرَّحمِ فرجَعتُ عنه. فلمّا رجَع عمرٌو إلى معاويةَ قال له: احمَدِ اللَّهَ، واحمَدِ اسْتَك.

وقال إبراهيمُ بنُ الحسينِ بنِ دِيزيلَ: ثنا يَحيى بنُ[2] نَصْرٍ، ثنا عمرُو بنُ شَمِرٍ، عن جابرٍ الجُعْفِيِّ، عن نُمَيرٍ الأنصارِيِّ قال: واللَّهِ لكأنِّى أسمَعُ عليًّا وهو يقولُ لأصحابِه يومَ صِفِّينَ: أمَا تَخافون مَقْتَ اللَّهِ حتى متَى. ثم انفتَل إلى القبلةِ يدْعو، ثم قال: واللَّهِ ما سمِعنا برئيسٍ أصابَ بيدِه [3]مِن القتلِ[3] ما أصابَ عليٌّ يومَئذٍ، إنَّه قتَل فيما ذكَر العادُّون زيادةً على خمسِمائةِ رجلٍ، يَخرُجُ فيَضرِبُ [٦/٢٤و] بالسيفِ حتى يَنحَنِيَ، ثم يَجِيءُ فيقولُ: مَعْذِرَةً إلى اللَّهِ وإليكم، واللَّهِ لقد هَمَمْتُ أن أقلَعَه ولكن يَحجِزُنِى عنه أنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[4]: «لا سيفَ إلَّا ذو الفَقَارِ ولا فتَى إلَّا عليٌّ». قال: فيأخُذُه فيُصلِحُه[5] ثم يرجِعُ به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ وحديثٌ منكرٌ.

وحدَّثنا يحيى، ثنا[6] ابنُ وهبٍ، أخبَرنى اللَّيثُ، عن يَزيدَ بنِ حبيبٍ أنه

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) فى م، ص: «ثنا». وابن ديزيل إنما يروى عن يحيى بن بكير المصرى. سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٥. وأما نصر بن مزاحم فإنما يروى عنه ابنه الحسين بن نصر، ولم أجد فى ترجمته فيمن يروى عنه من اسمه يحيى بن نصر. انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٢. وانظر وقعة صفين صفحة (و) من المقدمة.

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٦٩.

(٥) فى الأصل، ا ٧، ا ٦: «فيصفحه». وفى ا ٨: «فيضقحه».

(٦) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦. وانظر تهذيب الكمال، ٣٢/ ٣٣.

أخبَره مَن حضَر صِفِّينَ مع عليٍّ ومعاويةَ ، قال ابنُ وهبٍ : وأخبَرنى ابنُ لَهِيعَةَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حبيبٍ ، عن ربيعةَ بنِ لقيطٍ قال[1] : شهِدنا صِفِّينَ مع عليٍّ ومعاويةَ ، قال : فمطَرتِ السماءُ علينا دَمًا[2] عبيطًا . قال اللَّيثُ فى حديثِه : حتى أن كانوا لَيأخُذونَه بالصِّحافِ والآنيةِ . قال ابنُ لهيعةَ : فتَمْتَلِئُ ونُهَرِيقُها .

وقد ذكَرْنا[3] أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ بُدَيْلٍ كسَرالميسرةَ التى فيها حبيبُ بنُ مَسلَمةَ حتى [4]أدخَلها فى[4] القلْبِ ، فأمَر معاويةُ الشُّجعانَ أن يُعاوِنوا حبيبًا على الكَرَّةِ ، وبعَث إليه معاويةُ يأمُرُه بالحملَةِ والكَرَّةِ[5] على ابنِ بُدَيْلٍ ، فحمَل حبيبٌ بمَن معه مِن الشجعانِ على مَيمنةِ أهلِ العراقِ ، [6]فأزالُوهم عن أماكنِهم وانكَشَفُوا عن أميرِهم حتى لم يبقَ معه إلَّا زُهَاءُ ثلاثِمائةٍ وانجفَل بقيَّةُ أهلِ العراقِ[6] ، ولم يبقَ مع عليٍّ مِن تلك القبائلِ كلِّها إلَّا أهلَ المدينةِ[7] وعليهم سَهلُ بنُ حُنَيْفٍ ، وثبَت ربيعةُ مع عليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، واقتَربَ أهلُ الشامِ منه حتى جعَلتْ نِبالُهم تصِلُ إليه ، وتقدَّم إليه مولًى لبنى أُميَّةَ فاعتَرَضه مولًى لعليٍّ فقتَله الأُمَوىُّ وأقبَل يُريدُ عليًّا ، وحَوْلَه بنوه الحسنُ والحسينُ ومحمدُ بنُ الحنَفِيَّةِ ، فلمّا وصَل إلى عليٍّ أخَذه عليٌّ بيدِه ، فرفَعه ثم ألقاه على الأرضِ فكسَر عَضُدَه ومَنْكِبَه ، وابتدَره

---

(١) أخرجه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٢٤. من طريق ابن ديزيل عن ابن لهيعة به .
وأورده بنحوه ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٩١. وبنحوه أيضا أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠.

(٢) فى الأصل، ا ٧، ا ٦: «ماء».

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٥١٧ .

(٤ - ٤) فى م، ص: «أضافها إلى».

(٥) زيادة من: م، ص.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى م: «مكة».

الحسينُ ومحمدٌ بأسيافِهما[1] فقتَلاه ، فقال عليٌّ للحسنِ ابنِه ، [2]وهو واقفٌ معه[2] : ما منَعك أن تَصنَعَ كما صنَعا ؟ فقال : كَفَيانِى أمرَه يا أميرَ المؤمنين . وأسرَع إلى عليٍّ أهلُ الشامِ فجعَل عليٌّ لا يَزيدُه قربُهم منه سُرعةً فى مِشْيَتِه ، بل هو سائرٌ على هِينَتِه[3] ، فقال له ابنُه الحسنُ : يا أبَهْ ، لو سَعيتَ أكثرَ مِن هذا[4] . فقال : يا بُنَىَّ إنَّ لأبيك يومًا لن يَعدُوَه ، ولا يُبطِئُ به عنه السَّعْىُ ، ولا يُعَجِّلُ به إليه المشىُ ، إنَّ أباكَ واللَّهِ لا يُبالى ، أوَقَع على الموتِ أو وقَع عليه الموتُ . ثم إنَّ عليًّا أمَر الأشْتَرَ النَّخَعىَّ أن يَلحَقَ المنهزِمينَ فيَرُدَّهم ، [5]فساقَ بأسرعِ سَوْقٍ[5] حتى استَقبَل المنهَزِمينَ مِن [6]العراقيِّين مِن بينِ أيدِيهم[6] ، فجعَل يؤنِّبُهم ويُوبِّخُهم ويُحرِّضُ القبائلَ والشجعانَ منهم على الكَرَّةِ ، فتابَعه[7] طائفةٌ واستمَرَّ[8] آخَرُونَ[9] فى هَزيمَتِهم ، فلم يَزَلْ ذلك دَأْبَه حتى اجتَمَع عليه [10]منهم جمْعٌ عظيمٌ ، فرجَع بهم إلى أهلِ الشامِ[10] ، فجعَل لا يَلْقَى قبيلةً [11]مِن الشاميِّين[11] إلَّا كشَفَها ، ولا طائفةً إلَّا رَدَّها ، حتى انتهَى إلى أميرِ الميمَنةِ وهو عبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيْلٍ ، ومعه نحوٌ مِن ثلاثِمائةٍ قد ثبتوا فى مكانِهم ، فسألوه عن أميرِ المؤمنين فقال[12] : حىٌّ صالحٌ .

---

(١) زيادة من : م ، ص .

(٢ - ٢) زيادة من : م ، ص .

(٣) يعنى على رسله .

(٤) فى م ، ص : « مشيتك هذه » .

(٥ - ٥) فى م : « فسار فأسرع » . وفى ص : « فساق فأسرع » .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « العراق » .

(٧) فى م ، ص : « فجعل » .

(٨) فى م ، ص : « تتابعه » .

(٩) بعده فى م ، ص : « يستمرون » .

(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « خلق عظيم من الناس » .

(١١ - ١١) سقط من : م ، ص .

(١٢) فى م ، ص : « فقالوا » .

فالتَقُّوا عليه[1] ، فتقدَّم بهم حتى تَراجَعَ كثيرٌ مِن الناسِ ، [٦/٢٤ظ] وذلك ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى الغُروبِ ، وأراد ابنُ بُدَيْلٍ أن يَتقدَّمَ إلى أهلِ الشامِ ، فأمَره الأشترُ أن يَثبُتَ مكانَه فإنَّه خيرٌ له ، فأبَى عليه [2]ابنُ بُدَيْلٍ[2] ، وحمَل نحوَ معاويةَ ، فلمّا انتهَى إليه وجدَه واقِفًا أمامَ أصحابِه وفى يدِه سيفانِ وحولَه كتائبُ أمثالُ الجبالِ ، فلمّا اقتَرَب ابنُ بُدَيْلٍ ، حمَل عليه جماعةٌ منهم[3] فقتَلُوه وألقَوْه إلى الأرضِ قَتيلًا ، وفرَّ أصحابُه مُنهَزِمينَ وأكثَرُهم مجروحٌ ، فلمّا انهزَمُوا قال معاويةُ لأصحابِه : انظُرُوا مَن أميرُهم ؟ فجاءُوا إليه فلم يَعرِفُوه ، فتقدَّم معاويةُ [4]إليه ، فإذا هو[4] عبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيْلٍ ، [5]فقال معاوية[5] :

هذا واللَّهِ كما قال الشاعرُ - وهو حاتمٌ الطائىُّ[6] -:

أخُو الحربِ إن عَضَّتْ به الحربُ عضَّها ... وإن شمَّرَتْ يومًا به الحربُ شَمَّرا

ويَحْمِى إذا ما الموتُ حان[7] لقاؤه ... كذلكَ[8] ذوالأشْبالِ[8] يَحمِى[9] إذا فرَّا[9]

كليثِ هِزَبْرٍ كان يَحْمِى ذِمارَه ... رَمَتْهُ المنايا قَصْدَها[10] فتَقَطَّرا

---

(١) فى م، ص: « إليه ».

(٢ - ٢) زيادة من: م، ص.

(٣) زيادة من: م، ص.

(٤ - ٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « فعرفه فقال هذا ».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٦) البيت الأول فقط فى ديوانه ص ٣٦٩، وتاريخ الطبرى ٥/ ٢٤. والبيت الأول والثالث فى نهاية الأرب ٢٠/ ١٣١.

(٧) فى ا ٨، ا ٧، ا ٦، م، ص: « كان ».

(٨ - ٨) فى الأصل: « الأشبال »، وفى ص: « الشبل ».

(٩ - ٩) فى ا ٨: « إذا ما تأخرا »، وفى ا ٧، ا ٦، م: « إذا ما تأمرا »، وفى ص: « الأنف إن تناظرا ».

(١٠) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: « سهمها ». وهو موافق لرواية النويرى.

ثم حمَل الأشترُ النَّخَعِيُّ بمَن رجَع معه مِن المنهَزِمين، فصدَق الحملةَ حتى خالَط الصفوفَ الخمسةَ الذين تعاقَدوا [1] وتَعاهَدوا على الموتِ [1] أن لا يَفِرُّوا وهم حولَ معاويةَ، [2] فخرَق منهم أربعةً [2] وبقِى بينَه وبينَ معاويةَ صفٌّ واحدٌ [3]، قال الأشترُ: فرأيتُ هَوْلًا عظيمًا، وكِدتُ أن أَفِرَّ فما ثَبَّتَنِى إلَّا قولُ ابنِ الإطْنابةِ - وهى أمُّه مِن بَلْقَيْنَ [4]، وكان هو مِن الأنصارِ وهو جَاهِلِىٌّ [5] -:

أَبَتْ لى عِفَّتِى وأَبَى بَلائِى ... وإقدَامِى على البَطَلِ المُشيحِ [6]

وإعطائى على المَكْروهِ مالى ... وضَرْبِى هامةَ الرَّجلِ السَّميحِ [7]

وقولى كلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ ... مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَستَرِيحى

قال: هذا هو الذى ثَبَّتَنى فى ذلك الموقِفِ. والعجَبُ أنَّ ابنَ دِيزِيلَ روَى فى كتابِه [8] أنَّ أهلَ العراقِ حَمَلُوا حملةً واحدةً، فلم يَبْقَ لأهلِ الشامِ صَفٌّ إلَّا أزالُوه، حتى أفضَوا إلى معاويةَ، فدَعا بفرَسِه ليَنجُوَ عليه، قال معاويةُ: فلمَّا وضَعْتُ رِجلِى فى آلةِ [9] الرِّكابِ تَمثَّلتُ بأبياتِ عمرِو بنِ الإطْنابةِ:

أَبَتْ لى عِفَّتِى وأَبَى بَلائِى ... وأَخْذى الحمدَ [10] بالثَّمَنِ الرَّبيحِ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢ - ٢) زيادة من: م، ص.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) بلقين، بفتح فسكون: حى من بنى أسد، وأصله بنو القين، كما قالوا: بلحارث. تخفيفًا، وهو من شواذ التخفيف. التاج (ق ى ن).

(٥) الأبيات فى الأمالى ١/ ٢٥٨، وتاريخ الطبرى ٥/ ٢٤. والأول والثالث فى سمط اللآلى ١/ ٥٧٤. مع اختلاف فى الرواية.

(٦) المشيح: الجِد.

(٧) فى الأصل، ا ٨، ص: «المسيح»، وفى ا ٧، ا ٦: «المشيح».

(٨) أورده ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٩) سقط من: م، ص.

(١٠) فى ا ٨، ا ٦: «الجمل». وفى الأصل ا ٧، م، ص: «الحمل». والمثبت من مصدر التخريج.=

وإعْطائى على المكروهِ مالى وضربى هامةَ البَطَلِ المُشيحِ
وقولى كلّما جَشَأَتْ وجاشَتْ مكانَكِ تُحمَدِى أو تَستَرِيحِى

قال : فثبَتُّ . ونظَر معاويةُ إلى عمرِو بنِ العاصِ (١يومَ صفِّينَ١) ، فقال : اليومَ صبرٌ وغدًا فَخرٌ . فقال له عمرٌو(٢) : صدَقْتَ . قال معاويةُ : فأصَبْتُ (٣خَيرًا فى٣) الدُّنيا ، وأنا أَرْجُو أن أُصِيبَ (٣خيرًا فى٣) الآخِرَةِ .

ورَواه محمدُ بنُ إسحاقَ(٤) ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بَكْرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ ، عن معاويةَ . وبعَث معاويةُ إلى خالدِ بنِ المعتمرِ(٥) - وهو أميرُ الخَيَّالَةِ لعَلىٍّ - فقال له : اتْبعْنِى على ما أنت عليه ولك إمْرَةُ العراقِ . فطَمِع فيها ، فلمّا وَلِى معاويةُ(٦) العراقَ (٧لم يُعْطِه شيئًا٧) . ثم إنَّ عليًّا لمَّا رَأَى المَيْمَنةَ قد اجتَمَعت ، رجَع إلى الناسِ فأَنَّبَ بعضَهم وعذَّرَ بعضَهم وحرَّضَ [٦/٢٥و] الناسَ وثبَّتَهم ، ثم تَراجَع أهلُ العراقِ فاجتَمَع شمْلُهم ودارَت رَحَى الحربِ لهم(٨) وجالُوا فى الشاميِّين وصالُوا ، وتَبارَز الشُّجعانُ فقُتِلَ خَلْقٌ كثيرٌ(٩) مِن الأعيانِ مِن الفريقَيْن -

---

= وانظر الأمالى ١/ ٢٥٨. وسمط اللآلى ١/ ٥٧٤.

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) زيادة من: م، ص.

(٣ - ٣) فى م، ص: «خير».

(٤) أخرجه نصر بن مزاحم فى وقعة صفين ص ٣٩٥ مطولًا، عن محمد بن إسحاق عن عبد اللَّه بن أبى يحيى به. ومحمد بن إسحاق إنما يروى عن عبد اللَّه بن أبى بكر بن عمرو بن حزم - كما هو واضح فى السند الذى أورده المصنف - وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٥١، ٢٤/ ٤٠٧، ٤٠٨.

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «المعمر».

(٦) بعده فى م، ص: «ولاه».

(٧ - ٧) فى م، ص: «فلم يصل إليها خالد رحمه اللَّه».

(٨) فى ا ٧، م: «بينهم».

(٩) سقط من: ا ٨، ا ٧، ا ٦، ص.

فإنّا للّهِ وإنّا إليه راجِعُون - منهم[1] عبيدُ اللّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ مِن الشاميّين ، واختَلَفُوا فى قاتِلِه مِن أهلِ العراقِ مَن هو؟ وقد ذكَر إبراهيمُ بنُ الحسينِ بنِ دِيزيلَ[2] ، أنَّ عبيدَ اللّهِ لمّا خرَج يومَئذٍ أميرًا على الحربِ [3]مِن جهةِ معاويةَ[3] ، أحضَر امرأتَيْه ؛ أسماءَ بنتَ عُطاردِ بنِ حاجبِ التَّميمىِّ ، وبَحريةَ بنتَ هانئِ بنِ قُبَيْصةَ الشَّيْبانىِّ ، فوقَفتا وراءَه فى راحِلَتيْن لتَنْظُرَا إلى قِتالِه وشجاعَتِه وقوَّتِه ، فواجَهتْه مِن جيشِ العراقيّين رَبيعةُ الكُوفَةِ وعليهم زيادُ بنُ [4]خَصَفَةَ التَّيْمِىُّ[4] ، فشَدُّوا عليه شَدَّةً واحدةً فقَتَلُوه بعدَ ما انهزَم عنه أصحابُه ، ونزَلت رَبيعةُ فضَرَبوا لأميرِهم خيمةً ، فبَقِى منها طُنُبٌ لم يَجِدوا له وَتَدًا فشَدُّوه برِجلِ عُبيدِ اللّهِ بنِ عمرَ ، وجاءتِ امرَأتاه تُوَلْوِلانِ حتى وقفتَا عليه وبكَتَا عندَه ، وشَفَعتِ امرأتُه بَحريةُ إلى الأميرِ [5]أن يُطلِقَه[5] لها فأطلقه لها فاحتَمَلَتاه فى هَوْدَجِهما . وقُتِلَ معه أيضًا ذو الكَلاعِ الحِمْيَرِىُّ[6] ، قال الشَّعبِىُّ[7] : ففى مَقتَلِ عبيدِ اللّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ يقولُ كعبُ بنُ جُعَيْلٍ[8] التَّغْلبِىُّ[9] :

أَلَا إنَّما تَبْكِى العيونُ لفارسٍ ... بصِفِّينَ وَلَّتْ خَيْلُه وهْو واقِفُ

---

(١) فى م ، ص : « وقيل ممن قتل فى هذا اليوم » .

(٢) تاريخ دمشق (ط مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٣٦٣، بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) فى النسخ : « حفصة التميمى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٦.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) أخرجه ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق (ط مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٣٦٦.

(٨) فى النسخ : « جعل » .

(٩) الأبيات فى تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٣٦٧. وهى أيضا فى : وقعة صفين ص ٢٩٨، ٢٩٩. وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٧٥، ٥٧٦. والأخبار الطوال ١٧٨، ١٧٩. مع اختلاف فى الرواية فى هذه المصادر .

تَبدَّلَ مِن أسماءَ أسيافَ وائلٍ وكان فَتًى لو أخطَأتْهُ المَتالفُ
تَرَكْنَ عبيدَ اللَّهِ بالقاعِ ثاويًا تسيلُ دِماهُ والعروقُ نَوازِفُ
يَنوءُ ويَغشاهُ شآبيبُ مِن دمٍ كما لاحَ مِن جَيْبِ القميصِ الكَفائفُ
وقد صبرَتْ حولَ ابنِ عمٍّ محمدٍ لَدَى الموتِ أربابُ المناقبِ شارفُ
فما بَرِحوا حتى رأَى اللَّهُ صَبرَهم وحتى (١أُليحَتْ بالأَكُفِّ ١) المصاحفُ

وزاد غيرُه فيها(٢) :

مُعاوِيَ لا تَنْهَضْ بغيرِ وَثيقَةٍ فإنَّكَ بعدَ اليومِ بالذُّلِّ عارفُ

وقد أَجابه أبو جَهْمةَ(٣) الأَسْدِيُّ بقصيدَةٍ فيها أنواعٌ مِن الهجاءِ تَرَكْناها قَصْدًا(٤) .

وهذا مَقْتَلُ عمّارِ بنِ ياسرٍ رضِى اللَّهُ عنه مع أميرِ المؤمنينَ علىّ بنِ أبى طالبٍ رضِى اللَّهُ عنه

قتَله أهلُ الشامِ وبانَ بذلك وظهَر سِرُّ ما أخبَر به الرَّسولُ ﷺ مِن أنَّه تَقتُلُه الفِئةُ الباغيةُ ، (٥وبان بذلك أنَّ عليًّا مُحِقٌّ وأنَّ معاويةَ باغٍ٥) ، (٦وما فى ذلك مِن٦) دلائلِ النُّبوَّةِ .

(١ - ١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «رقت فوق الأكف»، وفى ص: «ألحت بالأكف». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٢) وقعة صفين ص ٣٦٠. وتاريخ دمشق ٤٤/٣٦٨.

(٣) فى النسخ: «جهم». والمثبت من تاريخ دمشق ٤٤/٣٦٨. وانظر وقعة صفين ص ٣٦١.

(٤) انظر وقعة صفين ص ٣٦١، ٣٦٢، وتاريخ دمشق ٤٤/٣٦٨.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦ - ٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «وظهر بذلك».

ذكَر ابنُ جريرٍ[1] ، مِن طريقِ أبى مِخْنَفٍ : حدَّثَنى مالكُ بنُ أَعْيَنَ الجُهَنِىُّ ، عن زَيدِ بنِ وَهْبٍ الجُهَنِىِّ ، أنَّ عمّارًا قال يومَئذٍ : أين[2] مَن يَبْتَغِى رضوانَ اللَّهِ ولا يَلْوِى إلى مالٍ ولا وَلَدٍ ؟ قال : فأَتَتْه عِصابةٌ مِن الناسِ فقال : أيُّها الناسُ اقصِدوا بنا نحوَ هؤلاءِ القومِ الذين يَبتَغُونَ دمَ عثمانَ ويَزعُمونَ أنَّه قتِل مَظلُومًا ، واللَّهِ ما [3]قَصْدُهم الأَخْذَ[3] بدَمِه [4]ولا القيامَ بثَأْرِه[4] ، ولكنَّ القومَ ذاقوا الدُّنيا فاستَحْلَوْها[5] واستمرءُوها[6] ، وعلِمُوا أنَّ الحَقَّ إذا لَزِمهم حالَ بينَهم وبينَ ما يَتمرَّغُونَ فيه [٦/٢٥ظ] مِن دُنياهم وشَهَواتِهم[7] ، ولم يَكنْ للقومِ سابقةٌ فى الإسلامِ يَستَحِقُّون بها طاعةَ الناسِ لهم[8] والوِلايةَ عليهم ، [9]ولا تَمكَّنَتْ مِن قلوبِهم خَشْيةُ اللَّهِ التى تَمنَعُ مَن تَمكَّنَتْ مِن قلبِه عن نَيْلِ الشَّهواتِ ، وتَعْقِلُه عن إرادَةِ الدُّنيا وطَلَبِ العُلُوِّ فيها ، وتَحمِلُه على اتِّباعِ الحقِّ والميلِ إلى أهلِه[9] ، فخدَعُوا أتْباعَهم بقولِهم : إمامُنا قتِل مَظلُومًا . ليَكونوا بذلك جَبابِرةً مُلوكًا ، وتلك مَكيدَةٌ بلَغوا بها ما تَرَوْنَ ، ولولا هى ما تَبِعَهم مِن الناسِ رَجلانِ ، [10]ولكانوا أذَلَّ وأخَسَّ وأقَلَّ ، ولكنَّ قولَ الباطلِ له حلاوةٌ فى أسماعِ الغافِلينَ ، فسِيرُوا إلى اللَّهِ سَيْرًا جميلًا ، واذكُروه ذِكرًا كثيرًا[10] . ثم تَقدَّم فلَقِيَه عمرُو بنُ العاصِ وعبيدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٣٩ بنحوه .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) فى ص : « طلبهم » . وفى الطبرى : « طلبتهم » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، وفى م : « ولا الأخذ بثأره » . وليس فى رواية الطبرى .

(٥) فى النسخ : « واستحلوها » . والمثبت من الطبرى .

(٦) فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ ، م : « واستمرءوا الآخرة فقلوها » .

(٧) سقط من : ص .

(٨) سقط من : ص .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

عمرَ فلامَهما وانتَهَرهما[1] ووَعَظَهما ، وذكَروا مِن كلامِه لهما ما فيه غِلْظَةٌ . فاللَّهُ أعلَمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ جَعفرٍ ، ثنا شُعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَمةَ[3] يقولُ : رأيتُ عمّارًا يومَ صفِّينَ شيخًا كبيرًا آدَمَ طُوالًا ، آخِذَ الحرْبةِ[4] بيدِه ويدُه تَرعَدُ ، فقال : والذى نَفْسِى بيدِه لقد قاتَلْتُ بهذه الرايةِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ مراتٍ ، وهذه الرابعةُ ، والذى نَفْسِى بيدِه لو ضَرَبُونا حتى يَبلُغوا بنا شَعفاتِ[5] هجَرَ ، لعرَفتُ أنَّ مُصلِحينا على الحقِّ ، وأنَّهم على الضَّلالَةِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ وحَجّاجٌ ، حدَّثنى[7] شعبةُ : سمِعتُ قتادةَ يُحدِّثُ عن أبى نَضْرَةَ ، قال حَجّاجٌ : سمِعتُ أبا نَضْرَةَ ، عن قَيْسِ بنِ عُبَادٍ[8] ، قال : قلتُ لعمّارٍ[9] : أرأيتَ قتالكم[10] رَأْيًا رأَيْتُموه ، فإنَّ الرأْىَ يُخطِئُ ويُصِيبُ ، أو عَهْدًا عَهِدَه إليكم رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : ما

---

(١) فى م ، ص : « أنبهما » .

(٢) المسند ٤/ ٣١٩. قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٤٢، ٢٤٣: رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة ، وهو ثقة .

(٣) فى ا ٨، ا ٧، ا ٦: « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٣٣.

(٤) كذا فى المسند ومجمع الزوائد . وفى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « الراية » .

(٥) فى الأصل : « شغفات » . وفى م ، ص : « سعفات » . وشعفة كل شىء أعلاه ، يريد به رأس الجبل . وقد جاء « سعفات » بالسين فى روايات أخرى . والسعفة أغصان النخيل ، وإنما خصّ هجر لبعد المسافة وكثرة النخيل بها . الفتح الربانى ٢٣/ ١٤١.

(٦) المسند ٤/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٧) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « وحدثنى » .

(٨) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « عبادة » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢١٧.

(٩) بعده فى م ، ص : « بن ياسر » .

(١٠) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م : « مع على » .

عهِد إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ شيئًا لم يَعهَدْه إلى الناسِ كافَّةً .

وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ[1] ، وله تمامٌ عن عمَّارٍ ، عن حُذيفةَ [2] فى المنافِقينَ[3] .

وهذا كما ثبَت فى « الصَّحيحَيْن »[4] ، وغيرِهما[5] ، عن جماعةٍ مِن التابِعين ؛ منهم الحارثُ بنُ سُوَيْدٍ ، وقَيْسُ بنُ عُبَادٍ[5] ، وأبو جُحَيْفةَ وَهْبُ بنُ عبدِ اللَّهِ السُّوائِىُّ ، ويَزيدُ بنُ شَريكٍ ، وأبو حسّانَ الأجرَدُ ، وغيرُهم أنَّ كلًّا منهم قال : قلتُ لعلىٍّ : هل عِندَكم شىءٌ عهِده إليكم رسولُ اللَّهِ ﷺ لم يَعهَدْه إلى الناسِ ؟ فقال : لا والذى فلَق الحبَّةَ وبرَأ النَّسَمَةَ ، إلَّا فَهْمًا يُؤتيه اللَّهُ عبدًا فى القرآنِ ، وما فى هذه الصَّحيفَةِ . قلتُ : وما فى هذه الصحيفةِ ؟ فإذا فيها العَقْلُ وفَكاكُ الأسيرِ ، وأنْ لا يُقتَلَ مُسلِمٌ بكافرٍ ، وأنَّ المدينةَ حَرَمٌ ما بينَ [6] عَيْرٍ[7] إلى ثَوْرٍ[6] .

---

(١) مسلم (١٠/ ٢٧٧٩) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) مسلم (٩/ ٢٧٧٩) .

(٤) البخارى (١١١، ٣٠٤٧، ٦٩٠٣، ٦٩١٥) من طريق أبى جحيفة وهب بن عبد اللَّه السوائى ، (١٨٧٠، ٣١٧٢، ٣١٧٩، ٦٧٥٥، ٧٣٠٠) ، ومسلم (١٣٧٠) . كلاهما من طريق يزيد بن شريك ، وأبو داود (٤٥٣٠) من طريق قيس بن عباد ، و(٢٠٣٥) من طريق يزيد بن شريك ، والترمذى (١٤١٢) من طريق أبى جحيفة وهب بن عبد اللَّه السوائى ، (٢١٢٧) من طريق يزيد بن شريك ، والنسائى (٤٧٤٨) من طريق قيس بن عباد ، وأحمد ، فى : المسند ١/ ٨١، ١٢٦ من طريق يزيد بن شريك ، و١/١١٩ من طريق أبى حسان الأجرد ، و ١/١٥١ من طريق الحارث بن سويد .

(٥) فى النسخ : « عبادة » . والمثبت من مصادر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/٦٤ - ٧٠.

(٦ - ٦) ثور وعير جبلان بالمدينة ، وقد استشكل هذا وخفى على جماعة من أكابر العلماء ، حتى إن بعضهم ادعى غلط رواة الصحيح وتوهيم روايته . انظر تفصيل هذا الخلاف وتحريره فى « الإقناع لطالب الانتفاع للحجاوى » بتحقيقنا ، ١/٦٠٩ حاشية (٣) . وانظر أيضا صحيح مسلم ٢/ ٩٩٤، حاشية (٣) .

(٧) فى م : ص : « ثبير » .

(١ وثبَت فى « الصَّحيحَيْن »[٢] أيضًا مِن حديثِ الأعمَشِ ، عن أبى وائلٍ[٣] ، عن سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ أنَّه قال يومَ صِفِّينَ : يا أيُّها الناسُ ، اتَّهِمُوا الرأْىَ على الدِّينِ ، فلقد رَأيتُنى يومَ أبى جَنْدَلٍ [٦/٢٦و] ولو أقْدِرُ لرَدَدتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ أمْرَه ، وواللَّهِ ما حمَلنا سُيوفَنا على عَواتِقِنا منذُ أسلَمنا لأمرٍ يَقطَعُنا إلَّا أسهلَنْ[٤] بنا إلى أمرٍ نَعرِفُه ، غيرِ أمرِنا هذا ، فإنَّا لا نَسُدُّ منه خَصْمًا إلَّا انفتَح لنا غيرُه لا ندرِى كيف نُبالى له١) .

وقال أحمدُ[٥] : حدَّثنا وكيعٌ ، ثَنا سفيانُ ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ قال : (٦قال عمّارٌ يومَ صفِّينَ٦) : ائتُونى بشَرْبَةِ لبنٍ ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُها مِن الدُّنيا (٧شَرْبةُ لَبَنٍ٧) » .

وقال الإمامُ أحمدُ[٨] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن سفيانَ ، عن حبيبٍ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ ، أنَّ عمّارًا أُتِىَ بشَرْبَةِ لَبَنٍ ، فضَحِك وقال : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لى : إنَّ آخرَ شَرابٍ أشرَبُه لَبَنٌ[٩] حينَ[١٠] أَموتُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) البخارى (٣١٨١، ٧٣٠٨) . ومسلم (٩٥/ ١٧٨٥) . كلاهما بنحوه .

(٣) بعده فى النسخ : « عن سفيان بن مسلم » . وليس فى مصدرى التخريج . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٩٩ - ١٠٠.

(٤) فى النسخ : « أسهل » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) المسند ٤/٣١٩ بنحوه . قال فى المجمع ٧/ ٢٤٣: رواه أحمد والطبرانى ...، ورجال أحمد رجال الصحيح ، إلا أنه منقطع .

(٦ - ٦) فى النسخ : « قام عمار يوم صفين فقال » ، والمثبت من المسند .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « تشربها يوم تقتل » .

(٨) المسند ٤/ ٣١٩.

(٩) سقط من : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(١٠) فى المسند : « حتى » .

وقال إبراهيمُ بنُ الحسينِ بنِ دِيزيلَ[1] : ثَنا يَحيى ، ثنا[2] نصرٌ ، ثَنا عمرُو بنُ شَمِرٍ ، عن جابرٍ الجُعْفِيِّ قال[3] : سَمِعتُ الشَّعبِيَّ ، عن الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قال : ثم حمَل عمّارُ بنُ ياسرٍ عليهم ، فحمَل عليه [4]ابنُ جَوْنٍ السَّكونيُّ[4] وأبو الغادِيَةِ الفَزارِيُّ ، فأمّا أبو الغادِيةِ فطعَنه ، وأمّا ابنُ جَوْنٍ[5] فاحتَزَّ رأسَه . وقد كان ذو الكَلاعِ سمِع قولَ[6] عمرِو بنِ العاصِ[7] : قال رسولُ اللّهِ ﷺ لعمّارِ بنِ ياسرٍ : « تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ ، وآخِرُ شَرْبةٍ تَشْرَبُها صاعُ لبَنٍ » . فكان ذو الكَلاعِ يقولُ لعمرٍو : وَيْحَك ما هذا يا عمرُو ؟ فيقولُ له عمرٌو : إنّه سيَرجِعُ إلينا . قال : فلمّا أُصِيبَ عمّارٌ بعدَ ذى الكَلاعِ ، قال عمرٌو لمعاويةَ : ما أدْرِى بقَتْلِ أيِّهما أنا أشدُّ فَرَحًا ؛ بقَتْلِ عمّارٍ أو ذِى الكَلاعِ ، واللّهِ لو بَقِى ذو الكَلاعِ [8]حتى يُقْتَلَ[8] عمّارٌ لَمالَ بعامّةِ أهلِ الشامِ [9]إلى علىٍّ[9] ولأَفْسَدَ علينا جُنْدَنا . قال : وكان لا يَزالُ يَجِىءُ رجلٌ فيقولُ لمعاويةَ وعمرٍو : أنا قتَلْتُ عمّارًا . فيقولُ له عمرٌو : فما سَمِعتَه يقولُ ؟ فيَخلِطونَ [10]فيما يخبِرون[10] ، حتى جاء [11]ابنُ جَوْنٍ[11] فقال : أنا سمِعتُه

---

(١) أخرجه نصر بن مزاحم فى وقعة صفين ص ٣٤١ عن عمرو بن شمر به .

(٢) فى م ، ص : « بن » .

(٣) زيادة من : م ، ص .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « ابن جوى السكسكى » . وفى ص : « ابن حوى السكسكى » . والمثبت من وقعة صفين .

(٥) فى النسخ « جوى » .

(٦) فى ص : « قتل » .

(٧) بعده فى م ، ص : « يقول » .

(٨ - ٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بعد قتل » .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠ - ١٠) زيادة من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(١١ - ١١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م : « حوى » . وفى ا ٦ ، ص : « جوى » .

يقولُ[1] :

اليومَ ألقَى الأَحِبَّهْ محمدًا وحِزْبَهْ

فقال له عمرٌو : صدَقتَ أنتَ ، إنَّك صاحبُه . ثم قال له : رُوَيْدًا ، أمَا واللَّهِ ما ظَفِرْتَ بذاك[2] ، ولقد أَسْخَطتَ رَبَّكَ .

[3]وقد روَى ابنُ دِيزيلَ[4] ، مِن طريقِ أبى يوسفَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ الكِنْدىِّ ، عن أبيه ، عن عمرِو بنِ العاصِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّارٍ : « تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ » .

ورَواه أيضًا مِن حديثِ جماعةٍ مِن التابعينَ أرسَلُوه ؛ منهم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الهُذيلِ[5] ، ومُجاهدٌ ، وحبيبُ بنُ أبى ثابتٍ[6] ، وحَبَّةُ العُرَنِىُّ ، وساقَه مِن طريقِ أبانَ ، عن أنسٍ مَرفوعًا[7] . ومِن حديثِ عمرِو بنِ شَمِرٍ ، عن جابرٍ الجُعْفِىِّ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن حُذيفةَ مرفوعًا[8] : « ما خُيِّرَ عمارٌ بينَ شَيئَيْنِ إلَّا اختارَ أرشدَهما »[3] . وبه عن عمرِو بنِ شَمِرٍ ، عن السُّدِّىِّ[9] ، عن [٦/٢٦ظ] يعقوبَ بنِ

---

(١) البيت فى وقعة صفين ص ٣٤٢. وتاريخ الطبرى ٥/ ٣٩.

(٢) فى م ، ص : « يداك » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) لم أقف عليه من هذا الطريق . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٦٣٢ - ٦٣٩ (مخطوط) بطرق عدة .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٦٣٢، ٦٣٥ (مخطوط) .

(٦) أخرجه بنحوه نصر بن مزاحم فى وقعة صفين ص ٣٢٤.

(٧) لم أقف على رواية أبان عن أنس ، وقد أخرجه عن أنس ، من طرق غير طريق أبان ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٦٤٢ (مخطوط) .

(٨) أخرجه بهذا الإسناد نصر بن مزاحم فى وقعة صفين ص ٣٤٣ بنحوه . وهذا اللفظ عند الترمذى (٣٧٩٩) ، وابن ماجه (١٤٨) ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٣٨٨. كلهم من حديث عائشة بسند غيره .

(٩) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م : « السرى » . وانظر وقعة صفين ص ٣٤٢.

الأوسَطِ[1] قال[2] : اختَصَم رجلانِ فى سَلَبِ عمّارٍ وفى قتْلِه ، فأتَيا عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ ليَتحاكما إليه ، فقال لهما : ويحَكما ، اخرُجا عنى ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « وَلِعت[3] قريشٌ بعمّارٍ ، ما لهم ولعمّارٍ ؟ عمّارٌ يَدعُوهم إلى الجنَّةِ ويَدعُونَه إلى النارِ ، قاتِلُه وسالِبُه فى النارِ » . قال[4] : فبلغَنى أنَّ معاويةَ قال : إنَّما قتَله مَن أخرَجه . يَخدَعُ بذلك أهلَ الشامِ .

وقال إبراهيمُ بنُ الحسينِ[5] : حدّثنا يَحيى ، ثَنا عيسى[6] بنُ عمرَ ، ثنا هُشَيمٌ ، ثنا العوامُ بنُ حَوْشَبٍ ، عن[7] الأسودِ بنِ مسعودٍ ، عن حَنْظَلةَ بنِ خُوَيْلدٍ - وكان [8]يأتى مِن[8] عندِ علىٍّ ومعاويةَ - قال : بينَا هو عندَ معاويةَ إذ جاءَه رجلانِ يَختَصِمانِ فى قَتْلِ عمّارٍ ، فقال لهما عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : ليَطِبْ كلُّ واحدٍ مِنكما نفْسًا لصاحِبِه بقَتْلِ عمّارٍ ، فإنِّى سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « تَقْتُلُه الفئةُ الباغيةُ » . فقال معاويةُ لعمرٍو : [9]ألَا تَنْهَى[9] عنا مجنُونَك هذا ؟ ثم أقبَل معاويةُ على عبدِ اللَّهِ فقال له : فلِمَ تُقاتِلُ معنا ؟ فقال له : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَنى بطاعةِ والدِى ما كان حيًّا ، وأنا معكم ولستُ أُقاتِلُ .

---

(١) فى م : « راقط » .

(٢) أخرجه نصر بن مزاحم ، فى : وقعة صفين ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣) فى م : « لعبت » .

(٤) يعنى السُّدّى .

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢/ ١٦٤ . عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به بنحوه . (إسناده صحيح) . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٣٧/١٢ (مخطوط) . من طريق العوام بن حوشب به بنحوه .

(٦) فى م ، ص : « عدى » .

(٧) فى م ، ص : « بن » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « ناس » .

(٩ - ٩) فى ص : « ألا تعتى » . وفى تاريخ دمشق : « لا تعنى » .

وحدَّثنا يَحيى[1] ، ثنا[2] نصرٌ ، حدَّثَنى حَفْصُ بنُ عِمرانَ البُرْجُمِيُّ قال[3] : حدَّثَنى نافعُ بنُ عمرَ الجُمَحِيُّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو قال لأبِيه : لولا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرنى بطاعَتِك ما سِرْتُ معك هذا المسِيرَ ، أمَا سَمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعمّارِ بنِ ياسرٍ : « تقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ » ؟

وحدَّثنا يَحيى[4] ، ثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ زيادٍ ، ثَنا هُشَيْمٌ[5] ، عن مجالدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ قال : جاء قاتلُ عمّارٍ يَستأْذِنُ على معاويةَ وعندَه عمرُو بنُ العاصِ ، فقال : ائذَنْ له وبشِّرْه بالنارِ . فقال الرجلُ : أمَا تَسمَعُ ما يقولُ عمرٌو ؟ فقال معاويةُ : صدَق ، إنَّما قتَله الذين جاءُوا به .

وقال ابنُ جريرٍ[6] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدٍ ، ثَنا الوليدُ بنُ صالحٍ ، ثَنا عطاءُ ابنُ مُسلمٍ ، عن الأعمشِ قال : قال أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ : كنا مع علىٍّ بصِفِّينَ وكنا قد وَكَلْنا بفرسِه نَفْسيْن يَحفَظانِه ويَمنَعانِه أن يَحمِلَ[7] ، فكان إذا حانَتْ منهما غَفْلَةٌ ، حمَل فلا يَرجِعُ حتى يَخْضِبَ سيفَه ، وإنَّه حمَل ذاتَ يومٍ فلم يَرجِعْ حتى انثَنَى سيفُه ، فألقاه إليهم ، وقال : لولا أنَّه انثَنَى ما رجَعتُ . قال : ورأيتُ عمّارًا لا يَأخذُ وادِيًا مِن أَوْدِيةِ صِفِّينَ إلَّا اتَّبَعَه مَن كان هناك مِن

---

(١) أخرجه نصر بن مزاحم ، فى وقعة صفين ص ٣٢٤ من طريق حفص بن عمران البرجمى به .

(٢) فى م ، ص : « بن » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) لم أجده بهذا السند . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٦٦١ . عن مخراق مولى عمرو ابن العاص عن عمرو بن العاص .

(٥) فى ص : « إبراهيم » .

(٦) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٠ ، ٤١ .

(٧) بعده فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ : « بنفسه على القوم خوفًا عليه » . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٠ .

أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورأيتُه جاء إلى المِرْقالِ[1] هاشمِ بنِ عُتبةَ ، وهو صاحبُ رايةِ عليٍّ ، فقال : يا هاشمُ تقدَّمْ ، الجنَّةُ تحتَ ظلالِ السيوفِ ، والموتُ فى أطرافِ الأَسَلِ[2] ، وقد [٦/٢٧و] فُتِحت أبوابُ السماءِ[3] وتَزيَّنتِ الحورُ العينُ :

اليومَ أَلْقَى الأحِبَّهْ محمَّدًا وحِزْبَهْ

ثم حمَلا هو وهاشمٌ فقُتِلا ، رحِمهما اللَّهُ تَعالى ، قال : وحمَل حينَئذٍ عليٌّ وأصحابُه على أهلِ الشامِ حَمْلَةَ رَجلٍ واحدٍ كأنَّهما كانا - يَعنى عمّارًا وهاشِمًا - عَلَمًا لهم ، قال : فلمّا كان الليلُ قلتُ : لأدْخُلَنَّ الليلةَ إلى عَسْكرِ الشاميِّين حتى أعلَمَ هل بلَغ منهم قَتْلُ عمَّارٍ ما بلَغ مِنّا ؟ وكنَّا إذا تَوادَعْنا مِن القتالِ تَحدَّثوا إلينا وتَحدَّثْنا إليهم ، فرَكِبتُ فَرَسِى وقد هَدَأتِ الرِّجلُ ، ثم دخَلتُ عَسْكَرَهم فإذا أنا بأربَعةٍ يَتَسامَرُونَ[4] ؛ معاويةُ ، وأبو الأعْوَرِ السُّلَمِيُّ ، وعمرُو بنُ العاصِ ، وابنُه [5]عبدُ اللَّهِ[5] بنُ عمرٍو - وهو خيرُ الأربَعةِ[6] - فأدْخَلْتُ فَرَسِى بينَهم مَخافةَ أن يَفُوتَنى ما يَقولُ بعضُهم لبعضٍ ، فقال عبدُ اللَّهِ لأبِيه : يا أبتِ ، قَتَلْتُم هذا الرجلَ فى يومِكم هذا ، وقد قال فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ما قال ! قال : وما قال ؟ قال[7] :

---

(١) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « الأسنة » . والأسل : الرماح والنبال .

(٣) فى م ، ص : « الجنة » .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « يسايرون معاوية وهم » . وفى م ، ص : « يتسامرون » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ٤١ .

(٥ - ٥) فى ص : « عبد الرحمن » .

(٦) بعده فى م ، ص : « قال » .

(٧) قول عبد اللَّه بن عمرو هذا فيه نظر ، وذلك لأن بناء المسجد كان فى السنة الأولى من الهجرة ، وعمرو بن العاص وابنه أسلما فى سنة ثمان قبل الفتح ، وقيل : أسلما بين الحديبية وخيبر . فلا يتصور حضورهما بناء المسجد ! انظر الاستيعاب ٣/١١٨٤ - ١١٨٦ . وأسد الغابة ٤/ ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

ألَم تكُنْ معنا ونحنُ نَبْنى المسجدَ والناسُ يَنقُلُون حجرًا حجرًا ، ولَبِنَةً لَبِنَةً ، وعمّارٌ يَنقُلُ حَجَرَيْنِ حَجَرَيْنِ ولَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ، فأتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فجعَل يَمسَحُ الترابَ عن وجهِه ويقولُ : « ويحَك يا ابنَ سُميَّةَ ، الناسُ يَنقُلون حجرًا حجرًا ولَبِنَةً لَبِنَةً ، وأنت تَنقُلُ حَجَرَيْنِ حَجَرَيْنِ ولَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ؛ رغبةً مِنك فى الأجْرِ ! وأنت ويحَك مع ذلك تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ » ؟ قال : فدفَع[1] عمرٌو صدْرَ فرَسِه ، ثم جذَب معاويةَ إليه ، فقال : يا معاويةُ ، أمَا تَسمَعُ ما يقولُ عبدُ اللَّهِ ؟ قال : وما يقولُ ؟ فأخبَرَه[2] الخبرَ . فقال معاويةُ : إنَّك شَيْخٌ أخرقُ ، ولا تزالُ تُحدِّثُ بالحديثِ وأنت تَدْحَضُ فى بَوْلِك ، أوَ نحنُ قتَلْنَا عمّارًا ؟ إنّما قتَل عمّارًا مَن جاء به . [3]قال : فخرَج الناسُ مِن عندِ فساطِيطِهم وأخبِيَتِهم وهم يقولونَ : إنَّما قتَل عمّارًا مَن جاءَ به[3] . فلا أدرى [4]مَن كان[4] أعجبُ هو أوهم ؟

قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثَنا محمدُ بنُ جَعْفَرٍ ، حدَّثنا شُعبةُ[6] ، عن خالدٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّارٍ : « تقتُلُه[7] الفِئَةُ الباغِيَةُ » .

وقال أحمدُ[8] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ داودَ ، حدَّثَنا شُعبةُ ، عن[9] عمرِو بنِ

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « فرجع » . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤١ .
(٢) فى م ، ص : « قال : يقول وأخبره » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « أيهم » .
(٥) المسند ٣/ ٢٢ .
(٦) فى ا ٦ : « سعيد » .
(٧) فى النسخ : « تقتلك » . والمثبت لفظ المسند .
(٨) المسند ٣/ ٢٨ .
(٩) فى المسند : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٨ .

دِينارٍ، عن هشام[1]، عن أبى سعيدٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّارٍ: «تَقْتُلُك[2] الفئةُ الباغيةُ».

وقال أحمدُ أيضًا[3]: حدَّثَنا أبو معاويةَ، حدَّثَنا الأعمشُ، عن عبدِ الرحمنِ [4]ابنِ زيادٍ[4]، [5]عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ[5] قال: إنِّى لأسيرُ مع معاويةَ مُنْصرَفَه مِن صفِّينَ بينَه وبينَ عمرِو بنِ العاصِ. فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو: يا أبتِ أمَا سَمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعمّارٍ: «ويحَك يا ابنَ سُميَّةَ تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ!»؟ فقال عمرٌو لمعاويةَ: ألَا تَسمَعُ ما يقولُ هذا؟ فقال معاويةُ: لا تزال تأتينا بهَنَةٍ[6]، أَنحْنُ قتَلْنَاه؟ إنَّما قتَلَه [7]الذين جاءُوا[7] به. ثم رَواه أحمدُ[8]، عن أبى نُعَيْمٍ، عن الثَّوْرىِّ، عن الأعمشِ به نحوَه. تَفَرَّد به أحمدُ بهذا [٦/٢٧ظ] السِّياقِ مِن هذا الوجهِ[9].

وهذا التأويلُ الذى سلكه معاويةُ بعيدٌ، ثم لم يَنْفَرِدْ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو بهذا الحديثِ، بل قد روِى مِن وجوهٍ أُخَرَ؛ فقد روَى البخارىُّ فى «صحيحِه»،

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٦، م، ص: «أبى هشام».
وفى ا ٧: «أبى هشيم». والمثبت من المسند. وهشام هو هشام بن يحيى بن العاص بن هشام بن المغيرة. تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٦٤.
(٢) فى المسند: «تأتيك».
(٣) المسند ٢/ ١٦١. إسناده صحيح.
(٤ - ٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٦، م، ص: «ابن أبى زياد». وهو عبد الرحمن بن زياد ويقال له: ابن أبى زياد. تهذيب الكمال ١٧/ ١١٢.
(٥ - ٥) سقط من النسخ. والمثبت من المسند، وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ١١٣.
(٦) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «بعد هنة».
(٧ - ٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «الذى جاء».
(٨) المسند ٢/ ١٦١. إسناده صحيح.
(٩) انظر المسند بشرح الشيخ شاكر ١٠/ ٢٠٩.

(١) مِن حديثِ عبدِ العزيز بنِ المختارِ(٢) ، وعبدِ الوهابِ الثقفىِّ(٣) ، عن خالدِ الحذَّاءِ ، عن عكرمةَ(١) ، عن أبى سعيدٍ فى قصَّةِ بناءِ المسجدِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّارٍ : « يا ويحَ عمّارٍ يَدْعُوهم إلى الجنةِ ويَدْعُونَه إلى النارِ » . قال : يقولُ عمّارٌ : أَعوذُ باللَّهِ مِن الفِتَنِ . وفى (٤)الفِتَنِ مِن صحيحِه أيضًا(٤) : « يا ويحَ عمّارٍ (٥)تَقْتُلُه الفئةُ الباغيةُ(٥) يَدعُوهم إلى الجنةِ ويَدعُونَه إلى النارِ » .

وروَى مُسلِمٌ(٦) ، مِن حديثِ(٧) أبى سعيدٍ قال : حدَّثَنى مَن هو خيرٌ مِنِّى - يَعْنى أبا قَتادَةَ - أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّارٍ : « تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ » .

وروَى مُسلمٌ(٨) أيضًا (٩)مِن حديثِ شعبة عن خالدٍ الحذّاءِ ، عن الحسن وسعد ابنى أبى الحسن ، عن أمهما حرة(٩) ، عن أمِّ سَلَمةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّارٍ : « تَقْتُلُك الفئةُ الباغيةُ » .

(٥)ورَواه(١٠) أيضًا(١١) عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، عن الحسنِ ، عن أبِيه ، عن أمِّ سَلَمةَ به(٥) . وفى رِوايةٍ(١٢) : « وقاتِلُه فى النّارِ » .

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .
(٢) البخارى (٤٤٧) بنحوه .
(٣) البخارى (٢٨١٢) بنحوه .
(٤ - ٤) فى م ، ص : « بعض نسخ البخارى » . ولم نجده عنده فى كتاب الفتن .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ٦١ .
(٦) مسلم (٢٩١٥) .
(٧) بعده فى م ، ص : « شعبة عن أبى نضرة عن » .
(٨) مسلم (٢٩١٦) .
(٩ - ٩) زيادة من م ، ص .
(١٠) مسلم (٧٣/ ٢٩١٦) .
(١١) سقط من : م .
(١٢) أخرجها ابن عساكر ، فى : تاريخ دمشق ٦٦١/١٢ (مخطوط) : بلفظ : « قاتل ابن سمية » .

وروَى البَيْهقىُّ[1] ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، عن أبى بكرٍ محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّنْعانِىِّ ، عن أبى الجَوَّابِ ، عن عمّارِ بنِ زُرَيْقٍ ، عن عمَّارٍ الدُّهْنِىِّ[2] ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن ابنِ مَسعودٍ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[3] : « إذا اختَلَف الناسُ كان ابنُ سُميَّةَ مع الحقِّ » .

وقال إبراهيمُ بنُ الحسينِ بنِ دِيزيلَ[4] فى « سيرةِ علىٍّ » : ثَنا يَحيى بنُ عبيدِ اللَّهِ الكَرابِيسىُّ ، ثَنا أبو كُرَيْبٍ ، ثنا أبو معاويةَ ، عن عمّارِ بنِ زُرَيْقٍ ، عن عمَّارٍ الدُّهْنِىِّ[5] ، عن سالمِ بنِ أبى الجعْدِ قال : جاء رَجلٌ إلى ابنِ مسعودٍ ، فقال : إنَّ اللَّهَ قد أَمَّنَنا أن يَظلِمَنا ولم يُؤَمِّنَّا أن يَفتِنَنا ، أَرَأيتَ إذا نَزَلَت فِتنةٌ كيف أصنَعُ ؟ قال : عليك بكتابِ اللَّهِ . قلتُ : أرأيتَ إن جاء قومٌ كلُّهم يَدعُونَ إلى كتابِ اللَّهِ ؟ فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذا اختَلَف الناسُ كان ابنُ سُميَّةَ مع الحقِّ » .

وروَى ابنُ دِيزيلَ ، عن عمرِو بنِ العاصِ نفسِه حديثًا فى ذِكْرِ عمّارٍ وأنَّه مع فِرْقَةِ[6] الحَقِّ ، وإسنادُه غريبٌ .

وروَى البَيْهَقِىُّ[7] : [8]أنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ ، أنا أحمدُ بنُ[8]

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٢٢.

(٢) فى م : « الذهبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٠٨.

(٣) بعده فى م ، ص : « لعمار » .

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٦/ ٤٢٢.

(٥) فى م : « الذهبى » .

(٦) زيادة من : م ، ص .

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٢١.

(٨ - ٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « من طريق » .

(١ عبيدٍ(٢) الصَّفّارُ، ثَنا الأسْفاطِيُّ(٣)، ثَنا أبو مصعبٍ، ثَنا١) يوسُفُ(٤) الماجِشُونُ، عن أبيه، عن أبى عبيدةَ بنِ(٥) محمدِ بنِ عمّارِ بنِ ياسرٍ، عن مولاةٍ لعمّارٍ، قالت: اشتَكى عمّارٌ شَكْوَى أَرِقَ مِنها فغُشِيَ عليه، فأَفاقَ ونحنُ نَبكِى حولَه، فقال: ماتَبْكُونَ، أَتَخشَوْنَ أن أموتَ على فِراشِى؟ أخبرَنى حبيبى ﷺ أنه تَقْتُلُنى الفئةُ الباغيةُ، وأنَّ آخِرَ زادِى مِن الدُّنيا مَذْقَةٌ مِن لَبَنٍ.

وقال أحمدُ(٦): ثَنا ابنُ أَبى عَدىٍّ، عن داودَ، عن أَبى نَضْرَةَ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ قال: أَمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ببناءِ المسجدِ، فجعَلْنا نَنْقُلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وكان عمّارٌ يَنقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فتَتَرَّبَ رَأْسُه، قال: فحدَّثَنى أصحابِى(٧)، ولم أسمَعْه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه جعَل يَنفُضُ رَأْسَه ويقولُ: «ويحَك يا ابنَ سُميَّةَ، تَقتُلُك الفئةُ الباغيةُ». تَفرَّد به أحمدُ. وما زادَه (٨بعضُ الرُّواةِ٨) فى [٦/٢٨و] هذا الحديثِ؛ (٩وهو قولُه٩): لا أَنالَها اللَّهُ(١٠) شَفاعَتِى يومَ القيامةِ. فهو كَذِبٌ وبَهْتٌ (١١على رسولِ اللَّهِ ﷺ١١)، فإنَّه قد ثبَتَتِ الأحاديثُ عنه، صلواتُ اللَّهِ

(١ - ١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «من طريق».

(٢) فى م، ص: «عبيد الله». وفى الدلائل ٦/ ٤٢١: «عبيد الأسفاطى» والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٨، ٤٣٩.

(٣) فى م: «الأسقاطى». والأسفاطى هو: العباس بن الفضل الأسفاطى. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٧.

(٤) بعده فى م، ص: «بن». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٧٩.

(٥) فى م، ص: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٦١.

(٦) المسند ٣/٥ (إسناده حسن).

(٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أصحاب رسول الله ﷺ».

(٨ - ٨) فى م، ص: «الروافض».

(٩ - ٩) فى م، ص: «بعد قوله الباغية».

(١٠) فى م: «والله».

(١١ - ١١) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

عليه وسلامُه ، بتَسمِيةِ الفريقَيْن مُسلِمينَ ، كما سنُورِدُه[1] إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ جريرٍ[2] : وقد ذكِر أنَّ عمارًا لمَّا قتِل قال عليٌّ لربيعةَ وهَمْدانَ : أنتم دِرْعى ورُمْحِى . فانتدَب له نحوٌ مِن اثْنَى عشَر ألفًا ، وتَقدَّمهم علَى بغْلَتِه فحمَل وحمَلوا معه حَمْلةَ رَجلٍ واحدٍ ، فلم يَبْقَ لأهلِ الشامِ صَفٌّ إلَّا انتقَضَ ، وقَتَلوا كلَّ مَن انتَهَوا إليه ، حتى بلَغوا معاويةَ ، وعليٌّ يُقاتِلُ ويقولُ[3] :

أضْـرِبُـهـمْ ولا أرَى مـعـاويَـهْ الجاحِظَ العَيْـنِ العظيمَ الحاوِيَهْ

قال : ثم دعَى عليٌّ معاويةَ إلى أن يُبارِزَه ، فأشارَ عليه[4] عمرُو بنُ العاصِ [5]أن يَبْرُزَ إليه[5] ، فقال له معاويةُ : إنَّك لَتَعْلَمُ أنَّه لم يُبارِزْه رَجلٌ قطُّ إلَّا قتَله ، ولكنَّك طمِعتَ فيها بعْدِى . ثم قدَّم عليٌّ ابنَه محمدًا فى عِصابَةٍ كثيرةٍ [6]مِن الناسِ[6] ، فقاتَلُوا[7] قتالًا شديدًا ، ثم أتْبعه عليٌّ فى عِصابةٍ أُخرَى فحمَل بهم ، فقتَل فى هذا الموطنِ [8]خَلْقًا كثيرًا أيضًا[8] ، [9]وقُتِل مِن العراقيينَ خَلْقٌ كثيرٌ أيضًا[9] ، وطارَت أَكُفٌّ ومعاصِمَ ورُءوسٌ عن كواهِلِها - رَحِمهم اللَّهُ - ثم حانَتْ صلاةُ المغربِ فمَا صلَّى الناسُ[10] إلَّا إيماءً ؛ صَلاتَي العشاءِ ، واستمَرَّ القتالُ فى هذه الليلةِ كلِّها

---

(١) بعده فى م ، ص : « قريبًا » .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٤١، ٤٢.

(٣) عزاه نصر بن مزاحم فى وقعة صفين ص ٣٩٩ للأشتر النخعى .

(٤) بعده فى م ، ص : « بالخروج إليه » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

(٧) فى م : « فقاتلوه » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله » .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠) فى م ، ص : « بالناس » .

وهى مِن أعظمِ اللَّيالى شرًّا بينَ المسلمينَ ، وتُسمَّى [1] هذه الليلةُ [1] ليلةَ الهَريرِ [2] .
وكانت ليلةَ الجمُعةِ تقَصَّفَت فيها [3] الرِّماحُ ونفِدَتِ النِّبالُ ، وصارَ الناسُ إلى السيوفِ ، وعلىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يُحرِّضُ القبائلَ ، ويَتقدَّمُ إليهم ، يَأمرُ بالصبرِ والثباتِ وهو أمامَ الناسِ فى قلبِ الجيشِ ، وعلى الميمنةِ الأشْتَرُ النَّخَعِىُّ ، تَولَّاها بعدَ قتلِ عبدِ اللَّهِ بن بُدَيْلٍ ، رَحِمَه اللَّهُ ، عشيةَ الخميسِ ليلةَ الجُمعَةِ ، وعلى المَيْسرَةِ ابنُ عبّاسٍ ، والناسُ يَقتتِلُونَ مِن كلِّ جانبٍ ، [4] وذلك لمّا قُتِلَ عمَّارٌ ، عرَف أهلُ العراقِ أنَّ أهلَ الشامِ بُغاةٌ ليس معهم حَقٌّ [4] .

وذَكَر غيرُ واحدٍ مِن [5] علماءِ السِّيَرِ [6] ، أنَّهم اقتتَلُوا بالرِّماحِ حتى تَقَصَّفَت [7] ، وبالنِّبالِ حتى فَنِيَتْ ، وبالسيوفِ حتى تَحطَّمَتْ ، ثم صارُوا إلى أن تَقاتَلُوا بالأيْدِى ، والرَّمْيِ بالحجارَةِ ، والتُّرابِ يَعفِرونَه [8] فى الوُجوهِ ، ثم تَعاضُّوا بالأسنانِ ، فكان [9] يَقتَتِلُ الرجلانِ حتى يُثْخِنا ثم يَجلِسانِ يَستريحانِ ، وكلُّ واحدٍ منهما يَهمِزُ [10] على الآخَرِ ويَهِرُّ [11] عليه ، ثم يَقومانِ فيقْتَتِلانِ كما كانا ،

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .
(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٦ : « الهزيز » .
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٥) بعده فى م ، ص : « علمائنا » .
(٦) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٧ . والمنتظم ٥/ ١٢٠ . كلاهما بنحوه .
(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « تكسرت » .
(٨) سقط من : م ، ص .
(٩) سقط من : م ، ص .
(١٠) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م ، ص : « يهمر » .
(١١) فى ا ٦ : « يهز » . وفى م ، ص : « يهمر » .

(١ لا يُمكِّنُ أحدُهما الفرارَ مِن الآخَرِ ١) ، فإنا للَّهِ وإنّا إليه راجِعونَ . ولم يَزَلْ ذلك دَأْبُهم حتى أصبَح الناسُ مِن يومِ الجمُعةِ وهم كذلك ، وصلَّى الناسُ الصُّبْحَ إيماءً وهم (٢) فى القتالِ ، حتى تَضاحَى النَّهارُ (٣ وأقْبَلَ النَّصرُ ٣) ، وتوجَّه النَّصرُ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشامِ ؛ وذلك أنَّ الأشْتَرَ النَّخَعِيَّ صارتْ إليه إمْرَةُ المَيمنةِ - (٤ وكان مِن الشُّجعانِ الأبطالِ الذين يَعرِفونَ الحروبَ ولا يَهابُونَ القَتْلَ ٤) - فحمَل بمَن فيها على أهلِ الشامِ ، وتَبِعه علىٌّ [٦/٢٨ظ] فانفَضَّتْ (٥) غالِبُ (٦ صُفوفِ أهلِ الشامِ ، ولم يَبْقَ إلَّا الهزيمةُ والكَسْرَةُ والفِرارُ .

ذِكْرُ رَفْعِ أهلِ الشامِ المصاحِفَ مَكْرًا مِنهم بأهلِ العراقِ وخَدِيعةً ٦

فعندَ ذلك رفَع أهلُ الشَّامِ المصاحفَ فوقَ الرِّماحِ ، وقالوا : هذا بيننا وبينَكم قد فنِيَ الناسُ فمَن للثُّغورِ ؟ ومَن لجهادِ المشركينَ والكُفَّارِ ؟

وذكَر ابنُ جريرٍ وغيرُه مِن أهلِ التاريخِ (٧) ، أنَّ الذى أشارَ برفْعِ المصاحفِ هو عمرُو بنُ العاصِ ، وذلك لمّا رَأَى أنَّ أهلَ العراقِ قد (٨ ظهَروا وانتَصَروا ٨) ، أحَبَّ أن يَنفَصِلَ (٩) الحالُ وأن يَتأخَّرَ الأمرُ ، فإنَّ كلًّا مِن الفريقَيْن صابرٌ للآخَرِ ، والناسُ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « استمروا » .
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .
(٥) فى م ، ص : « فتنقضت » .
(٦ - ٦) فى م ، ص : « صفوفهم وكادوا ينهزمون » .
(٧) تاريخ الطبرى ٥/٤٨ ، ٤٩ ، المنتظم ٥/١٢٠ - ١٢٢ .
(٨ - ٨) فى م ، ص : « استظهروا فى ذلك الموقف » .
(٩) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م : « يفصل » .

يتفانَون ، فقال لمعاويةَ : إنِّى قد رأيتُ أمرًا لا يَزِيدُنا[1] إلَّا اجتماعًا ولا يَزيدُ أهلَ العراقِ[2] إلَّا [3]تفرُّقًا واختلافًا[3] ، أرَى أن نَرْفَعَ المصاحفَ ونَدعُوَهم إليها ، فإن أجابُوا كلُّهم إلى ذلك ، برَد القِتالُ [4]هذه الساعةَ[4] ، وإنِ اختَلَفوا فيما بينَهم - بأن يقولَ بعضُهم : نُجيبُهم . وبعضُهم : لانُجيبُهم . فشِلُوا وذهَبت رِيحُهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يَعلَى بنُ عبيدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ سِياهٍ ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، قال : أتيتُ[6] أبا وائلٍ فى مسجدِ أهلِه أسألُه[7] عن هؤلاءِ القومِ الذين قتَلهم علىٌّ بالنَّهرَوانِ ، فيمَ استَجابوا له وفيمَ فارَقوه ، وفيمَ استَحلَّ قِتالَهم ؟ فقال : كنَّا بصِفِّينَ فلمّا استَحَرَّ القَتْلُ بأهلِ الشامِ اعتَصَموا بتَلٍّ ، فقال عمرُو بنُ العاصِ لمعاويةَ : أرْسِلْ إلى علىٍّ بمصحَفٍ فادْعُه إلى كتابِ اللَّهِ فإنَّه لن يأبَى عليك[8] . فجاءَ به رَجلٌ[9] فقال : بينَنا وبينَكم كتابُ اللَّهِ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[آل عمران : ٢٣] . فقال علىٌّ : نعم ، أنا أَوْلَى بذلك ، بينَنا وبينَكم كتابُ اللَّهِ . قال فجاءَته الخوارجُ - ونحنُ نَدعُوهم يومَئذٍ القُرَّاءَ - وسيوفُهم على عَواتِقِهم ، فقالوا : يا أميرَ المؤْمنين ، ما تنتَظِرُ بهؤلاء القومِ الذين

---

(١) بعده فى م ، ص : « هذه الساعة » .
(٢) فى الأصل : « الشام » .
(٣ - ٣) فى م ، ص : « فرقة » .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .
(٥) المسند ٣/ ٤٨٥، ٤٨٦.
(٦) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « أتينا » .
(٧) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « نسأله » .
(٨) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « الإجابة إلى كتاب اللَّه » .
(٩) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « فهم » .

على التَّلِّ ، ألَا نَمْشِى إليهم بسيوفِنا حتى يحكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَهم ؟ فتكلَّم سهلُ بنُ حُنَيْفٍ ، فقال : يا أيُّها الناسُ اتَّهِموا أنفُسَكم ، فلقد رأيتُنا يومَ الحديبيةِ - يومَ[1] الصُّلحِ الذى كان بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ المشرِكينَ - ولو نرَى قِتالًا لقاتَلْنَا ، فجاءَ عمرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يارسولَ اللَّهِ ألَسْنا على الحَقِّ وهم على باطلٍ[2] ؟ وذكَر تمامَ الحديثِ كما تَقدَّم فى مَوضِعِه[3] .

فلمّا رفِعَتِ المصاحِفُ ، قال أهلُ العراقِ : نُجيبُ إلى كِتابِ اللَّهِ ونُنِيبُ إليه . قال أبو مِخْنَفٍ[4] : حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ جُنْدَبٍ الأَزْدِىُّ ، عن أبيه أنَّ عليًّا قال : عبادَ اللَّهِ ، امضُوا إلى حَقِّكم وصِدقِكم وقتالِ عدوِّكم ؛ فإنَّ معاويةَ وعمرَو ابنَ العاصِ وابنَ أبى مُعَيْطٍ وحبيبَ بنَ مَسلَمةَ وابنَ أبى سَرْحٍ والضَّحاكَ بنَ قَيْسٍ ، ليْسوا بأصحابِ دِينٍ ولا قرآنٍ ، أنا أعْرَفُ بهم مِنكم ، وقد صَحِبتُهم[5] أطفالًا ، وصَحِبتُهم[6] رِجالًا ، فكانوا شَرَّ أطفالٍ وشَرَّ رجالٍ ، وَيْحَكم ! واللَّهِ إنَّهم ما رفَعوها [7]رَفْعَ [٦/٢٩ و] مَن يَقرأُها ويَعمَلُ[7] بما[8] فيها وإنَّما رَفَعوها[9] خَدِيعةً

---

(١) فى م ، ص : « يعنى » .
(٢) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « قال : بلى » .
(٣) تقدم فى ٦/ ٢١٦. وبعده فى م ، ص : « رفع أهل الشام المصاحف » .
(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٨، ٤٩.
(٥) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « طويلًا » . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩.
(٦) زيادة من : م ، ص .
(٧ - ٧) فى م ، ص : « إنهم يقرأونها ولا يعملون » .
(٨) فى م ، ص : « ما » .
(٩) بعده فى م ، ص : « إلا » .

ودهاءً ومكيدةً [1] ومَكْرًا وتَخْذِيلًا لكم ، وكَسْرًا لحدَّتِكم وقِتالِكم ، ولم يَبْقَ إلَّا هزيمتُهم وفِرارُهم ونصرُكم عليهم [1] . فقالوا له : ما يَسَعُنا أن نُدْعَى إلى كتابِ اللَّهِ فنأْبَى أن نَقبَلَهُ [2] ونُجيبَ إليه [2] . فقالَ لهم : إنِّى [3] إنَّما أقاتِلُهم ليَدينُوا بحُكْمِ الكتابِ ؛ فإنَّهم قد عَصَوُا اللَّهَ فيما أمَرهم به ، وترَكوا عَهْدَه ، ونبَذُوا [4] كتابَه . فقال له مِسْعرُ [5] بنُ فَدَكيٍّ التميميُّ ، وزيدُ بنُ حِصنٍ [6] الطائيُّ ثم السِّنْبِسِيُّ [7] فى عِصابةٍ معهما مِن القرّاءِ الذين صاروا بعدَ ذلك خوارجَ : يا عليُّ ، أجِبْ إلى كتابِ اللَّهِ إذ دُعيتَ إليه وإلَّا دَفَعناك برُمَّتِك إلى القومِ ، أو نَفعَلْ بك ما فعَلْنا بابنِ عفّانَ ، إنَّه [8] لمّا تَرَكَ العَمَلَ [8] بكتابِ اللَّهِ قَتَلْناه ، واللَّهِ لتفْعَلَنَّها أو لنَفْعَلَنَّها بك . قال : فاحفَظُوا عنى نَهْيِى إيّاكم واحفَظُوا مَقالَتَكم لى ، أمّا أنا فإن تُطِيعُونى فقَاتِلوا ، وإن تَعْصُونى فاصنَعوا ما بَدا لكم . قالوا : فابعَثْ إلى الأشْتَرِ فليأتِك ويَكُفَّ عن القتالِ . فبعَث إليه عليٌّ ليَكُفَّ عن القتالِ .

وقد ذكَر الهَيثَمُ بنُ عَدِيٍّ فى كتابِه الذى صَنَّفَه فى الخوارجِ ، فقال : قال ابنُ عبّاسٍ : فحدّثَنى محمدُ بنُ المنتَشِرِ الهَمْدانيُّ ، عن مَن شَهِد صفِّينَ ، وعن ناسٍ مِن رءُوسِ الخوارجِ ممَّن لا يُتَّهَمُ على كَذِبٍ ، أنَّ عمّارَ بنَ ياسرٍ كَرِه ذلك وأبَى ،

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٣) فى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « على » .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « أمره و » .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ : « ابن مسعر » .

(٦) فى م ، ص : « حصين » ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٢ .

(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « السبائى » ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٢ .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « غلبنا أن يعمل » ، وفى الطبرى : « علينا أن نعمل » .

وقال فى علىٍّ بعضَ ما أكْرَهُ ذِكْرَه ، ثم قال عمارٌ[1] : مَن رائحٌ إلى اللَّهِ قبلَ أن يَبتَغِىَ غيرَ اللَّهِ حَكَمًا ؟ فحمَل فقاتَلَ حتى قُتِل ، [2]رَضِى اللَّهُ عنه[2] . وكان ممَّن دَعا إلى ذلك [3]فى ذلك اليومِ مِن[3] ساداتِ الشاميِّين عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ ؛ قام فى أهلِ العراقِ فدَعاهم إلى الموادَعةِ والكَفِّ وتَرْكِ القتالِ والائْتِمارِ بما فى القرآنِ ، وذلك عن أمرِ معاويةَ له فى ذلك ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، وكان ممَّن أشارَ على علىٍّ بالقَبولِ والدُّخولِ فى ذلك الأشعَثُ بنُ قَيْسٍ الكِنْدِىُّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فروَى أبو مِخْنَفٍ[4] مِن وجهٍ آخَرَ ، أنَّ عليًّا لمَّا بعَث إلى الأشتَرِ قال : قلْ له : إنَّ هذه ساعةٌ ليس يَنبَغِى أن تُزيلَنى[5] عن مَوْقِفى فيها[6] ، إنِّى قد رَجَوتُ أن يَفتحَ اللَّهُ علىَّ ، فلا تُعْجِلْنى . فرجَع الرسولُ - وهو يزيدُ بنُ هانئٍ - إلى علىٍّ فأخبَره [7]بما قال الأشتَرُ[7] ، وصمَّم الأشترُ على القتالِ لينتَهِزَ الفُرصةَ ، فارتفَع الهرْجُ وعلَتِ الأصواتُ ، فقال أولئك القومُ لعلىٍّ : واللَّهِ ما نَراك إلَّا قد أمَرْتَه أن يُقاتِلَ . فقال علىٌّ : أرَأيتُمونِى [8]سارَرْتُ الرسولَ[8] ، ألم أبعَثْ إليه جَهْرةً وأنتم تَسمَعونَ ؟ فقالوا : فابعَثْ إليه فليأتِك ، وإلَّا واللَّهِ اعتزَلْناكَ . فقال علىٌّ ليَزيدَ بنِ هانئٍ: ويحَك ! قل له : أقبِلْ إلىَّ فإنَّ الفتنةَ قد وقَعت . فلمَّا رجَع إليه يَزيدُ بنُ هانئٍ وأبلَغه [9]ما قال علىٌّ ، أنَّه[9] يُقبِلُ إليه ، جعَل

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « رحمة الله عليه » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩، ٥٠، وقعة صفين ص ٤٩٠، ٤٩١.

(٥) فى م : « لا تزيلنى » .

(٦) فى الأصل ، ١ ٨، ١ ٧، ١ ٦: « منها » .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « عن الأشتر بما قال » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « سارورته » .

(٩ - ٩) فى م ، ص : « عن أمير المؤمنين أنه ينصرف عن القتال و » .

الأشتَرُ[1] يتَمَلْمَلُ[2] ويقولُ : ويحَك ! ألَا تَرَى ما نحن فيه مِن النصرِ ، ولم يَبْقَ إلَّا القليلُ ؟ فقلت : أيُّما أحبُّ إليك ؛ أن ترجِعَ[3] أو يُقتَلَ أميرُ المؤمنين كما قُتِلَ عثمانُ ؟ ثم ماذا تُغْنِى عنك نَصْرتُك هـٰهنا ؟ [٦/٢٩ظ] قال : فأقبَل الأشترُ إلى عليٍّ وترَك القتالَ فقال الأشترُ[4] : يا أهلَ العراقِ ، يا أهلَ الذُّلِّ والوهْنِ[5] ، أحِينَ عَلَوْتُم القومَ وظهَرْتُم[6] وظَنُّوا أنَّكم لهم قاهرُونَ ؛ رفَعُوا المصاحِفَ يَدعُونَكم إلى ما فيها ، وقد واللَّهِ ترَكُوا ما أمَر اللَّهُ به فيها ، وسُنَّةَ مَن [7]أُنزِلَ عليه القرآنُ[7] ، فلا تُجِيبُوهم ، أمْهِلُونى[8] فإنِّى قد أَحْسَسْتُ بالفَتْحِ . قالوا : لا . قال : أمهِلُونى عَدوَ الفَرَسِ فإنِّى قد طَمِعتُ فى النَّصرِ . قالوا : إذًا نَدخُلَ معك فى خطِيئَتِك . ثم أخَذ الأشتَرُ يُناظِرُ أولئكَ القرّاءَ الدّاعينَ إلى إجابَةِ[9] أهلِ الشامِ بما حاصِلُه : إن كان أوَّلُ قتالِكم لهؤلاءِ حَقًّا فاستَمِرُّوا عليه ، وإن كان باطلًا فاشْهَدُوا لقَتْلَاكم بالنارِ . فقالوا : دَعْنا مِنك فإنّا لا نُطِيعُك ولا صاحِبَك أبدًا ، ونحنُ قاتَلْنَا هؤلاءِ فى اللَّهِ ، [10]وترَكْنا قتالَهم[10] للَّه . فقال لهم الأشترُ : خُدِعتُم واللَّهِ فانخَدَعْتُم ، ودُعِيتُم إلى وَضْعِ الحربِ فأَجَبْتُم يا أصحابَ السَّوْءِ ، كُنَّا نَظُنُّ صلاتَكم زَهَادَةً فى

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى الأصل : « يتمثل » .
(٣) فى م ، ص : « تقبل » .
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « الرهب » وانظر وقعة صفين ص ٤٩١ .
(٦) سقط من : م ، ص .
(٧ - ٨) فى م ، ص : « أنزلت عليه » .
(٨) زيادة من : م ، ص .
(٩) فى ص : « اجتماع » .
(١٠) فى الأصل : « تركناهم » وفى م : « تركنا لقتالهم » .

الدُّنيا وشَوْقًا إلى لقاءِ اللَّهِ ، فلا أَرَى فِرارَكم إلَّا إلى الدُّنيا مِن الموتِ ، يا أَشْباهَ النِّيبِ الجِلَّالَةِ ، ما أنتم بربانِيِّين بعدَها ، فابعَدوا كما بَعِد القومُ الظالمون . فسبُّوه وسبَّهم فضَرَبوا وَجْهَ دابَّتِه بسياطِهم ، وجرَت بينَهم أمورٌ طويلةٌ ، ورَغِب أكثرُ الناسِ مِن العراقيِّينَ والشاميِّين بكمالِهم إلى المصالَحَةِ والمسالَمَةِ مُدَّةً [1] لعلَّهم يَتَّفِقونَ على [1] أمْرٍ يكونُ فيه [2] مصلحةٌ لحَقْنِ دِماءِ [2] المسلمينَ ، فإنَّ [3] الناسَ قد [4] تَفانَوْا فى هذه المدَّةِ ، ولاسيَّما فى هذه الثلاثةِ الأيامِ المتأخِّرَةِ التى [5] كان آخِرُها [5] ليلةَ الجمُعةِ ، وهى ليلةُ الهريرِ [6] . [7] وقد صَبَر [7] كلٌّ مِن الجَيْشيْنِ [8] للآخَرِ صَبرًا لم يُرَ مثلُه لِمَا كان فيهم مِن الشُّجعانِ والأبطالِ [8] ما ليس يُوجَدُ [9] مثلُهم فى الدنيا [9] ، ولهذا لم يَفِرَّ أحدٌ عن أحدٍ ، بل صبَروا حتى قتِل مِن الفريقَين - فيما ذكَره غيرُ واحدٍ - سبعون ألفًا ؛ خمسةٌ وأربعون ألفًا مِن أهلِ الشامِ ، وخمسةٌ وعشرونَ ألفًا مِن أهلِ العراقِ . قاله غيرُ واحدٍ ؛ منهم محمدُ [10] ابنُ سِيرينَ ، وسيفٌ [11] وغيرُه [12] . وزادَ أبو الحسنِ بنُ البراءِ [13] : وكان فى أهلِ العراقِ خمسةٌ وعشرونَ

(١ - ١) فى م ، ص : « لعله يتفق » .
(٢ - ٢) فى م ، ص : « حقن لدماء » .
(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « قالوا إن » .
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥ - ٥) فى م ، ص : « آخر أمرها » .
(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٦ : « الهزيز » .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .
(٨) فى م ، ص : « فيه من الشجاعة والصبر » .
(٩) فى م ، ص : « فى الدنيا مثله » .
(١٠) سقط من : م ، ص .
(١١) فى ا ٧ : « يوسف » .
(١٢) تاريخ خليفة ص ٢٢٣ ، والمنتظم ٥/ ١٢٠ .
(١٣) أخرجه ابن الجوزى ، فى : المنتظم ٥/ ١٢٠ .

بَدْرِيًّا . قال : وكان بينَهم فى هذه المدَّةِ تسعون زَحْفًا . واختَلَفا[1] فى مدَّةِ المُقامِ بصفِّينَ ؛ فقال سيفٌ : سبعةُ أشْهُرٍ أو تسعةُ أشهرٍ . وقال أبو الحسنِ بنُ البراءِ : مائةُ يومٍ[2] وعَشَرةُ أيامٍ . قلتُ : ومُقتَضَى كلامِ أبى مِخْنَفٍ أنَّه كان فى[3] مُستَهَلِّ ذِى الحِجةِ إلى[4] يومِ الجمُعةِ لثلاثَ عَشْرةَ ليلةً خلَت مِن صَفَرٍ ، وذلك ثلاثةٌ[5] وسبعونَ يومًا . فاللَّهُ أعلَمُ . وقال الزُّهْرِىُّ[6] : بلَغنى أنَّه كان يُدْفَنُ فى القبرِ الواحدِ خمسون نَفْسًا . هذا كلُّه مُلخَّصٌ مِن كلامِ ابنِ جريرٍ ، وابنِ الجوْزِىِّ فى كتابِه « المنتَظَمِ » .

وقد روَى البيهقىُّ[7] ، مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن أبى اليمانِ ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو قال[8] : كان أهلُ الشامِ ستِّين ألفًا فقُتِل منهم عشرون ألفًا ، وكان أهلُ العراقِ مائةً وعشرين ألفًا فقُتِل منهم أربعون ألفًا [٦/٣٠و] . وحكَى[9] البيهقىُّ هذه الوقعةَ على الحديثِ الذى أخرجاه فى « الصحيحَين »[10] عن أبى

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « اختلفوا » .
(٢) سقط من : م ، ص .
(٣) فى م ، ص : « من » .
(٤) فى م ، ص : « فى » .
(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « سبعة » .
(٦) أخرجه ابن الجوزى ، فى : المنتظم ٥/١٢٣ .
(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤١٩ ، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٤ .
(٨) سقط من : م .
(٩) فى م : « حمل » .
(١٠) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٩٢ .
وبعده فى م : « من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه » .

هريرةَ . ورَواه البخاريُّ مِن (١ طريقٍ أخرَى ١) ، عن أبى هريرةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ يُقتَلُ (٢) بينَهما مقتَلةٌ عظيمةٌ ودعواهما واحدةٌ » (٣) . ورَواه مجالدٌ ، عن أبى الحوارىِّ (٤) ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا مثلَه (٥) . ورَواه الثورىُّ ، عن ابنِ جُدعانَ ، عن أبى نضرةَ ، عن أبى سعيدٍ (٦) قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقتَتِلَ فئتانِ عظيمتانِ دعواهما (٧) واحدةٌ ؛ فبينَما هم كذلك (٨ إذ مرَقَتْ ٨) منهما مارقةٌ تقتُلُهم أَولَى الطائفتَين بالحقِّ » . وقد تقدَّم ما رواه الإمامُ أحمدُ (٩) ، عن ابنِ (١٠) مهدىٍّ وإسحاقَ (١١) ، عن سفيانَ الثورىِّ (١٢) ، عن منصورٍ ، عن ربعىِّ بنِ حِراشٍ (١٣) . عن البراءِ بنِ ناجيةَ الكاهِلىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ رَحَى الإسلامِ ستزولُ لخمسٍ وثلاثينَ أو ستٍّ وثلاثين ، فإن يَهلِكوا فسبيلُ مَن هلَك ، وإن يَقُمْ لهم دينُهم يقُمْ لهم سبعين عامًا » . فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ أمِمَّا مضَى أم مِمَّا بَقِى ؟

(١ - ١) فى م : « حديث شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، ومن حديث شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج » .

(٢) فى الصحيح : « تكون » .

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٩٢.

(٤) فى الأصل ، ا ٨: « المراويح » وفى ا ٧، ا ٦: « المراونى » .

(٥) لم نجده بهذا الإسناد .

(٦) أخرجه الحميدى فى مسنده (٧٤٩) من حديث الثورى به ، وفيه تقديم وتأخير .

(٧) فى م ، ص : « دعوتهما » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « مرق » .

(٩) تقدم فى ٩/ ١٧٣، ١٧٤.

(١٠) سقط من : م ، ص .

(١١) بعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « بن رباح » .

(١٢) سقط من : م ، ص .

(١٣) فى م : « خراش » ، وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٤.

قال : « بل مِمَّا بَقِى » .

وقد رَواه إبراهيمُ بنُ الحسينِ بنِ دِيزِيلَ فى كتابِ جمَعه فى سيرةِ علىٍّ ؛ [1] رَواه عن إبراهيمَ [1] ، عن أبى نُعَيْمٍ الفضلِ بنِ دُكَيْنٍ ، عن شَرِيكٍ ، عن منصورٍ به مثلَه . وقال أيضًا : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا شَرِيكُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّخَعِىُّ ، عن مُجالِدٍ ، عن [2] الشعبىِّ ، عن مَسْروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ رَحَى الإسلامِ ستزولُ بعدَ خمسٍ وثلاثينَ سنةً ؛ فإن يَصْطَلِحوا فيما بينَهم يأكُلوا الدنيا [3] سبعينَ عامًا رَغَدًا ، وإنْ يَقْتَتِلوا يركَبوا سَنَنَ مَن كان قبلَهم » .

وقال ابنُ دِيزِيلَ : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ خِراشٍ الشيبانىُّ ، عن العوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن إبراهيمَ التَّيْمىِّ [4] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تدورُ رَحَى الإسلامِ عندَ قتلِ رجلٍ مِن بنى أُمَيَّةَ » . يعنى عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه . [5] وهذا مرسلٌ [5] . وقال أيضًا : حدَّثنا الحكمُ بنُ [6] نافعٍ ، عن صفوانَ ابنِ عمرٍو ، عن الأشياخِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، دُعِىَ إلى جِنازةِ رجلٍ مِن الأنصارِ فقال وهو قاعدٌ ينتظرُها : « كيف أنتُم إذا رأيتُم [7] خَيْلَيْن [8] فى الإسلامِ ؟ » [9] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « عامر » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ا ٨، م : « التميمى » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى ا ٧، م : « عن » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١٩.

(٧) فى م : « راعيتم » .

(٨) فى الأصل : « خليفتين حلفين » ، وفى ا ٨: « خليفتين » . وبعده فى م : « كذا » .

(٩) بعده فى ا ٦: « خليفتين خليفتين » .

قالوا[1] : أوَ يكونُ ذلك فى أُمَّةٍ إلهُها واحدٌ ونَبِيُّها واحدٌ ؟ قال : « نعم » . قال [2]أبو بكرٍ[2] : أفأُدرِكُ ذلك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لا »[3] . قال عمرُ : أفأُدرِكُ ذلك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لا » . فقال عثمانُ : أفأُدرِكُ ذلك يارسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نعم ! بك [4]يُنشِئون الحربَ[4] » . وقال[5] عمرُ بنُ الخطابِ لابنِ عباسٍ : كيف يختلِفونَ وإلهُهم واحدٌ وقبيلتُهم واحدةٌ ؟ فقال : إنه سيجىءُ قومٌ لا يفهَمونَ القرآنَ كما نفهَمُ ، فيختلِفونَ فيه ، فإذا اختلفوا[6] اقتتَلوا . فأقرَّ عمرُ بذلك . وقال أيضًا : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا [٦/٣٠ظ] سعيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ - أخو أبى حمزةَ - ثنا محمدُ بنُ سيرينَ قال : لمَّا قُتِل عثمانُ قال عدىُّ بنُ حاتمٍ : لا يَنْتَطِحُ فى قتلِه عَنْزان . فلمَّا كان يومُ صِفِّينَ فُقِئَتْ عينُه ، فقيل : لا يَنْتَطِحُ فى قتلِه عَنْزَان ! فقال : بلى ، وتُفْقَأُ عيونٌ كثيرةٌ . وروِى عن كعبِ الأحبارِ أنَّه مرَّ بصِفِّينَ فرأى حِجارتَها فقال : لقد اقتتَل فى هذا الموضعِ بنو إسرائيلَ تسعَ مراتٍ ، وإنَّ العربَ ستَقْتَتِلُ فيها العاشرةَ ، حتى يتقاذَفوا بالحجارةِ التى تقاذَفَ بها[7] بنو إسرائيلَ ، ويتفانَوْا كما تفانَوْا .

وقد ثبَت فى الحديثِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « سألتُ ربِّى عزَّ وجلَّ أن لا

---

(١) فى م : « قال أبو بكر » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) فى ا ٧: « نعم بك ينشو لا » .
(٤ - ٤) فى م : « يفتنون » .
(٥) بعده فى م : « أيضا » .
(٦) بعده فى م : « فيه » .
(٧) فى م ، ص : « فيها » .

يُهلِكَ أُمَّتى بسَنةٍ عامةٍ فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِن غيرِهم[1] ، فيستبيحَ بَيْضَتَهم فأعطانِيها ، وسألتُه أن لا يُسلِّطَ بعضَهم على بعضٍ فمنَعنِيها » . ذكَرنا ذلك عندَ تفسيرِ قولِه تعالى[2] : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا أهونُ » .

قصةُ التحكيمِ[3]

ثم تراوَض الفريقانِ بعدَ مكاتباتٍ ومراجعاتٍ يطولُ ذكرُها على التحكيمِ ، وهو أن يُحَكِّمَ كلُّ واحدٍ مِن الأميرَين - عليٌّ ومعاويةُ - رجلًا مِن جهتِه ، ثم يتفِقَ الحكمانِ على ما فيه المصلحةُ للمسلمينَ . فوكَّل معاويةُ عمرَو بنَ العاصِ ، وأراد عليٌّ أن يُوَكِّلَ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ - وليتَه فعَل - ولكنَّه منَعه القرَّاءُ الخوارجُ[4] ممَّن ذكَرنا ، وقالوا : لا نَرضَى إلّا بأبى موسى الأشعرىِّ .

وذكَر الهيثمُ بنُ عدىٍّ فى كتابِ « الخوارجِ » له[5] أنَّ أوَّلَ مَن أشارَ بأبى موسى الأشعرىِّ الأشعثُ بنُ قيسٍ ، وتابَعه أهلُ اليمنِ ، ووَصَفوه بأنَّه كان ينهَى الناسَ عن الفتنةِ والقتالِ ، وكان أبو موسى قد اعتزَل فى بعضِ أرضِ الحجازِ ، قال

---

(١) فى م ، ص : « سواهم » .

(٢) التفسير ٣/ ٢٦٤.

(٣) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « قال » .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) زيادة من : م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥١ ، والكامل ٣/ ٣١٨.

عليٌّ : فإنِّى أجعَلُ الأشترَ حَكمًا . فقالوا : وهل سَعَّرَ[1] ، الأرضَ إلا الأشترُ؟ قال : فاصنَعوا ما شئتُم . فقال الأحنفُ لعليٍّ : واللَّهِ لقد رَمَيْتَ بحجَرٍ ، إنَّه لا يَصْلُحُ لهؤلاء القومِ إلا رجلٌ[2] يدنو مِنهم حتى يصيرَ فى أكفِّهم ، ويبعُدُ عنهم حتى يصيرَ بمنزلةِ النجمِ ، فإن أبَيْتَ[3] أن تجعَلَنى حكمًا فاجعَلْنى ثانيًا أو ثالثًا ، فإنه لن يعقِدَ عقدةً إلا حللتُها ، ولا يحُلَّ عقدةً عقدتُها إلا عقَدتُ لك أخرَى مثلَها أو أحْكَمَ منها . قال : فأبَوْا إلّا أبا موسى الأشعريَّ . فذهَبتِ الرسلُ إلى أبى موسى الأشعريِّ - وكان قد اعتزَل - فلمَّا قيل له : إنَّ الناسَ قد اصطَلَحوا . قال : الحمدُ للَّهِ . قيل له : وقد جُعِلتَ حكمًا . فقال : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ . ثم أخَذوه حتى أحضَروه إلى عليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وكتَبوا بينَهم كتابًا هذا صورتُه :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما تقاضَى[4] عليه عليُّ بنُ أبى طالبٍ أميرُ المؤمنينَ . فقال عمرُو بنُ العاصِ : اكتُبِ اسمَه واسمَ أبيه ، هو أميرُكم [٦/٣١و] وليس بأميرِنا . فقال الأحنفُ : لا تكتُبْ إلَّا أميرَ المؤمنينَ . فقال عليٌّ : امْحُه[5] ، واكتُبْ : هذا ما قاضَى عليه عليُّ بنُ أبى طالبٍ . ثم استشهَد عليٌّ بقصةِ[6] الحديبيةِ حينَ امتنعَ أهلُ مكةَ [7]مِن قولِه[7] : هذا ما قاضَى عليه محمدٌ رسولُ

---

(١) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «الحرب وشعر». ولم ترد فى تاريخ الطبرى ولا الكامل.

(٢) بعده فى م، ص: «منهم».

(٣) فى الأصل ا ٨، ا ٧، ا ٦: «رأيت».

(٤) فى م: «قاضى».

(٥) فى م، ص: «امح أمير المؤمنين».

(٦) فى الأصل: «بقضية».

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

اللَّهِ . فامتنَع المشركون مِن ذلك وقالوا : اكتُبْ : هذا ما قاضَى عليه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ . فكتَب الكاتبُ : هذا ما قاضَى[1] عليه عليُّ بنُ أبى طالبٍ ومعاويةُ بنُ أبى سفيانَ ؛ قاضَى عليٌّ على أهلِ العراقِ ومَن معهم مِن شيعتِهم والمسلمين ، وقاضَى معاويةُ على أهلِ الشامِ ومَن كان معه مِن المؤمنين والمسلمين ، إنَّا ننزِلُ عندَ حكمِ اللَّهِ وكتابِه ، ونُحيِى ما أحيا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، ونُميتُ ما أمات اللَّهُ ، فما وجَد الحكمان فى كتابِ اللَّهِ - وهما أبو موسى الأشعرىُّ وعمرُو بنُ العاصِ - عَمِلا به ، وما لم يجِدا فى كتابِ اللَّهِ ، فالسنةُ العادلةُ الجامعةُ غيرُ المفرقةِ[2] . ثم أخَذ الحكمانِ مِن علىٍّ ومعاويةَ ومِن الجندَين مِن[3] العهودِ والمواثيقِ على[4] أنَّهما آمنانِ على أنفسِهما وأهلِهما ، والأُمَّةُ لهما أنصارٌ على الذى يتقاضَيان عليه ويتَّفِقان[4] ، وعلى المؤمنين والمسلمين مِن الطائفتَينِ كليهما عهدُ اللَّهِ وميثاقُه أنَّهم[5] على ما فى هذه الصحيفةِ ، وأجَّلا القضاءَ إلى رمضانَ ، وإنْ أحبَّا أنْ يؤخِّرا ذلك على تراضٍ منهما ، وكُتِب فى يومِ الأربعاءِ لثلاثَ عشْرةَ خلتْ مِن صفرٍ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ ، على أن يوافِىَ علىٌّ ومعاويةُ موضعَ الحكمَين بدُومةِ الجندلِ فى رمضانَ ، ومع كلِّ واحدٍ مِن الحكمَين أربعُمائةٍ مِن أصحابِه ، فإن لم يجتمِعا لذلك اجتمَعا فى[6] العامِ المقبلِ بأذْرُحَ[7] .

---

(١) فى م ، ص : « تقاضى » .
(٢) فى م ، ص : « المتفرقة » .
(٣) زيادة من : الأصل ، ا ٦.
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥) فى م ، ص : « أنهما » .
(٦) فى م ، ص : « من » .
(٧) أذرح : بلد فى أطراف الشام . معجم البلدان ١/ ١٧٤.

وقد ذكَر الهيثمُ بنُ عدىٍّ فى كتابِ[1] «الخوارجِ» أنَّ الأشعثَ بنَ قيسٍ لمَّا ذهَب إلى معاويةَ بالكتابِ وفيه: هذا ما قاضى[2] عبدُ اللَّهِ أميرُ المؤمنين علىٌّ[3] معاويةَ بنَ أبى سفيانَ. قال معاويةُ: لو كان أميرَ المؤمنين لم أقاتِلْه، ولكن ليكتُبِ اسمَه وليبدَأْ به قبلَ اسمى لفضلِه وسابقتِه. فرجَع إلى علىٍّ فكتَب كما قال معاويةُ.

وذكَر الهيثمُ أنَّ أهلَ الشامِ أبَوْا أنْ يبدءُوا[4] باسمِ علىٍّ قبلَ معاويةَ، وباسمِ أهلِ العراقِ قبلَهم، حتى كُتِبَ كتابان؛ كتابٌ لهؤلاء [5]وكتابٌ لهؤلاء بما أرادوا[5].

وهذه تسميةُ مَن شهِد على هذا [6]الكتابِ و[6] التحكيمِ من جيشِ علىٍّ: عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ، والأشعثُ بنُ قيسٍ الكِنْدِىُّ، وسعيدُ بنُ قيسٍ الهَمْدَانىُّ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الطُّفيلِ العامرىُّ[7]، وحُجْرُ بنُ عدىٍّ[8] الكندىُّ، وورقاءُ بنُ سُمَىٍّ البَجَلىُّ[9]، وعبدُ اللَّهِ بنُ مُحِلٍّ[10] العِجْلىُّ، وعقبةُ بنُ زيادٍ[11] الحَضْرَمِىُّ[12]،

---

(١) فى الأصل: «كتابه»، وفى م، ص: «كتابه فى».
(٢) بعده فى الأصل: «عليه».
(٣) بعده فى م، ص: «على».
(٤) فى م، ص: «يبدأ».
(٥ - ٥) فى م، ص: «فيه تقديم معاوية على على وكتاب آخر لأهل العراق بتقديم اسم على وأهل العراق على معاوية وأهل الشام».
(٦ - ٦) سقط من: م، ص.
(٧) سقط من: الأصل، وفى ا ٨، ا ٦: «المعافرى» وفى ا ٧: «المغافرى»، وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٤، والكامل ٣/ ٣٢١.
(٨) فى م، ص، وقعة صفين ص ٥١١: «يزيد».
(٩) فى النسخ: «العجلى». والمثبت من تاريخ الطبرى، والكامل.
(١٠) فى النسخ: «بلال»، وفى وقعة صفين: «جمل»، والمثبت من تاريخ الطبرى، والكامل.
(١١) فى وقعة صفين: «جارية».
(١٢) فى النسخ: «الأنصارى». والمثبت من تاريخ الطبرى، والكامل.

ويزيدُ بنُ حُجَيَّةَ[1] التميميُّ[2] ، ومالكُ بنُ كعبٍ الهَمْدَانيُّ . فهؤلاء عَشَرَةٌ . وأمَّا مِن الشاميِّين فعشَرةٌ آخرون ؛ وهم أبو الأعورِ السُّلَميُّ ، وحبيبُ بنُ مسلمةَ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ ، ومخارِقُ بنُ الحارثِ الزُّبيديُّ ، زِمْلُ[3] بنُ عمرٍو[4] العُذْرِيُّ[5] ، وعلقمةُ بنُ يزيدَ[6] الحضرميُّ[7] ، وحُمْرَةُ[8] [٦/٣١ظ] بنُ مالكٍ الهَمْدانيُّ ، وسُبَيْعُ[9] بنُ يزيدَ الحضرميُّ ، وعتبةُ بنُ أبى سفيانَ أخو معاويةَ ، ويزيدُ بنُ الحُرِّ العبْسيُّ .

وخرَج الأشعثُ بنُ قيسٍ بذلك الكتابِ يقرَؤه على الناسِ ويعرِضُه [10]عليهم مِن[10] الطائفتين . ثم شرَع الناسُ فى دفنِ قَتْلاهم . قال الزهريُّ[11] : بلَغنى أنه [12]كان يُدْفَنُ[12] فى كلِّ قبرٍ خمسونَ نفسًا . وكان عليٌّ قد أسَر جماعةً مِن أهلِ الشامِ ، فلمَّا أراد الانصرافَ [13]عن صِفِّينَ[13] أطلَقهم ، وكان مثلُهم أو قريبٌ

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « جحفة » . وانظر تاريخ الطبرى ، والكامل .

(٢) كذا فى النسخ والكامل ، وفى تاريخ الطبرى : « التيمى » .

(٣) فى النسخ : « وائل » . والمثبت من وقعة صفين ، وتاريخ الطبرى ، والكامل ، وانظر الإصابة ٢/ ٥٦٧ ، والقاموس (ز م ل) .

(٤) فى الأصل : « عمر » ، وفى م ، ص : « علقمة » .

(٥) فى م ، ص : « العدوى » .

(٦) فى وقعة صفين : « مرثد » .

(٧) كذا فى النسخ ، وفى تاريخ الطبرى : « الأنصارى » .

(٨) فى النسخ ، وقعة صفين ، تاريخ الطبرى : « حمزة » . والمثبت من الكامل ، وانظر الإصابة ٢/ ١٢٠ .

(٩) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « شيبة » .

(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « على » .

(١١) ذكره ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ١٢٣ .

(١٢ - ١٢) فى م ، ص : « دفن » .

(١٣ - ١٣) سقط من : م ، ص .

منهم [1] قد أسَرهم أهلُ الشامِ [1] ، وكان معاويةُ [2] قد عزَم على قتلِهم لظنِّه [3] أنَّ عليًّا [3] قد قَتَل أسْراهم ، فلمَّا جاء أولئك الذين أطلقَهم ، أطلقَ معاويةُ الذين فى يدِه ، ويقالُ : إنَّ رجلًا يقالُ له : عمرُو بنُ أوسٍ - مِن الأودِ [4] . كان مِن الأُسارى فأرادَ معاويةُ قتلَه ، فقال : امنُنْ علىَّ فإنَّك خالى . فقال : ويحك ! مِن أين أنا خالُك ؟ فقال : إنَّ أمَّ حبيبةَ زوجةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهى أمُّ المؤمنين ، وأنا ابنُها ، وأنت أخوها ، فأنت خالى . فأعجَب ذلك معاويةَ وأطلقَه . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيادِ بنِ أنْعُمَ - وذكَر أهلَ صفينَ - فقال : كانوا عربًا يعرِفُ بعضُهم بعضًا فى الجاهلية ، فالتَقَوْا فى الإسلامِ معهم بتلك [5] الحَمِيَّةِ نُهيةِ [6] الإسلامِ ، فتصابَروا واستحيَوْا مِن الفرارِ ، وكانوا إذا تحاجَزوا دخَل هؤلاء فى عسكرِ هؤلاء ، وهؤلاء فى عسكرِ هؤلاء ، فيستخرِجون قتلَاهم فيدفِنونهم . قال الشعبىُّ : هم أهلُ الجنةِ ، لقِى بعضُهم بعضًا فلم يفرَّ أحدٌ مِن أحدٍ .

ذِكْرُ [2] خُروجِ الخوارِجِ

وذلك أنَّ الأشْعَثَ بنَ قيْسٍ مرَّ على ملأٍ مِن بنى تَميمٍ فقرَأ عليهم الكِتابَ ،

(١ - ١) فى م ، ص : « فى يد معاوية » .
(٢) سقط من : م ، ص .
(٣ - ٣) فى م ، ص : « أنه » .
(٤) فى النسخ : « الأزد » ، والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٤/ ٥٥ .
(٥) فى م ، ص : « على » .
(٦) فى م ، ص : « سنة » .

فقام إليهِ عُرْوَةُ[1] ابنُ أُدَيَّةَ[2] - وهى أمُّه ، وهو عُرْوَةُ بنُ حُدَيرٍ[3] مِن بنى ربيعةَ بنِ حَنْظَلَةَ ، وهو أخو أبى بِلالٍ[4] مِرْدَاسِ بنِ حُدَيرٍ[3] - فقال : أتُحَكِّمونَ فى دينِ اللَّهِ الرِّجالَ ؟ ثم ضَرَبَ بسيفِه عَجُزَ دابَّةِ الأَشْعَثِ ، فغضِب الأَشْعَثُ وقومُه ، وجاء الأحنفُ بنُ قيسٍ [5]وجماعةٌ[5] مِن [6]رُؤساءِ بنى تميمٍ[6] يعتذِرون إلى الأشعثِ مِن ذلك . قال الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ : والخوارجُ يزعُمون أنَّ أوَّلَ مَن حَكَّمَ عبدُ اللَّهِ بنُ وَهْبٍ الرَّاسِبىُّ[7] ، والصحيحُ الأوَّلُ . وقد أخَذ هذه الكَلِمةَ مِن هذا الرجلِ طَوائفُ مِن أصحابِ عَلىٍّ مِن القُرَّاءِ وقالوا : [8]إنِ الحكمُ[8] إلا للَّهِ . فسُمُّوا المُحَكِّمِيَّةَ . وتفرَّق الناسُ إلى بلادِهم مِن صفينَ ، [9]فرَجَعَ علىٌّ إلى الكوفةِ على طريقِ هِيتَ ، ورجَع معاويةُ إلى الشامِ بأصحابِه فلما دخَل علىٌّ الكوفةَ[9] سمِع رجلًا يقولُ : ذهَب علىٌّ ورجَع فى غيرِ شىءٍ . فقال علىٌّ : لَلذين فارَقْناهم آنِفًا[10] خيرٌ مِن هؤلاء . ثم أنشَأ يقولُ[11] :

---

(١) فى ص : « عبد اللَّه » .

(٢) فى م : « أذينة » . وانظر الاشتقاق ص ٢١٩، والإكمال ١/ ٤٨.

(٣) فى م : « جرير » ، وفى ص : « حديد » .

(٤) بعده فى ا ٧، م ، ص : « بن » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٦ - ٦) فى م ، ص : « رؤسائهم » .

(٧) بعده فى م ، ص : « قلت » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « لا حكم » .

(٩ - ٩) فى م ، ص : « وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ورجع علىّ إلى هيت فلما دخل الكوفة » .

(١٠) سقط من : م ، ص .

(١١) وقعة صفين ص ٥٣٢، وتاريخ الطبرى ٥/ ٦٣، والكامل ٣/ ٣٢٥.

أخوكَ الذى إنْ أجرَضَتكَ[1] مُلِمَّةٌ مِن الدهرِ لم يبرَحْ لِبثِّك واجِما[2]
وليس أخوكَ[3] بالذى إن[4] تشعَّبَت[5] عليكَ الأمورُ ظلَّ يلحاكَ لائما[6]

ثم مضَى فجعَل يذكُرُ اللَّهَ حتى دخَل قصرَ الإمارةِ مِن الكوفةِ، ولمَّا كان قد قَرُبَ مِن دخولِ الكوفةِ [٦/٣٢و] انخزَل[7] مِن جيشِه قريبٌ مِن اثنَى عشَرَ ألفًا وهم الخوارجُ، وأبَوْا أن يساكِنوه فى بلدِه، ونزَلوا بمكانٍ يقالُ له: حروراءُ. وأنكَروا عليه أشياءَ فيما يزعُمون أنه ارتكَبها، فبعَث إليهم علىٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ فناظَرهم، فرجَع أكثرُهم، وبقِى بقيَّتُهم، فقاتَلهم علىٌّ وأصحابُه، كما سيأْتى بيانُه [8]وتفصيلُه[8] قريبًا إن شاء اللَّهُ تعالى. والمقصودُ أن هؤلاء الخوارجَ هم[9] المشارُ إليهم فى الحديثِ المُتَّفَقِ عليه[10] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «تمرُقُ مارقةٌ على حينِ[11] فُرقةٍ مِن الناسِ» - وفى روايةٍ: «مِن المسلمين». وفى روايةٍ: «مِن أمتى» - «فيقتُلُها أَولَى الطائفتَين بالحقِّ[12]».

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أجرستك»، وفى م: «أحرجتك»، وفى وقعة صفين: «أحرضتك». وفى نسخة من الكامل: «أحوجتك». وأجرضتك: أغصتك.
(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «راحمًا».
(٣) فى الأصل، ا ٦: «أخالك»، وفى ا ٨، ا ٧: «أخ لك».
(٤) فى الأصل: «قد».
(٥) فى ا ٧: «تستعبث»، وفى وقعة صفين: «تمنعت».
(٦) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «قال».
(٧) فى م، ص: «اعتزل».
(٨ - ٨) زيادة من: م، ص.
(٩) زيادة من م، ص.
(١٠) فى م، ص: «على صحته».
والحديث تقدم تخريجه فى ٩/ ١٩٩، ٢٠٠. وليس هذا اللفظ عند البخارى، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٤٦٩.
(١١) فى الأصل: «خير».
(١٢) سقط من: م، ص.

وهذا الحديثُ له طرقٌ متعددةٌ وألفاظٌ كثيرةٌ .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا وكيعٌ وعفانُ ، ثنا[2] القاسمُ بنُ الفضلِ ، عن أبى نضرةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تمرُقُ مارقةٌ عندَ فُرقةٍ مِن المسلمين ، تقتُلُهم[3] أَولَى الطائفتَين بالحقِّ » . ورَواه مسلمٌ ، عن شيبانَ بنِ فرُّوخَ ، عن القاسمِ[4] به[5] .

وقال أحمدُ[6] : حدَّثنا أبو عَوانةَ ، عن قتادةَ ، عن أبى نضرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال[7] : « تكونُ أُمتى فِرْقتَين ، يخرُجُ بينَهما[8] مارقةٌ ، يَلى قتْلَها أَولَاهما بالحقِّ[9] » . ورَواه مسلمٌ ، مِن حديثِ قتادةَ وداودَ بنِ أبى هندٍ ، عن أبى نضرةَ به[10] .

وقال أحمدُ[11] : حدَّثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن سليمانَ ، عن أبى نضرةَ ، عن أبى سعيدٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر قومًا يكونون فى أمتِه يخرُجون فى فُرقةٍ مِن الناسِ ، سِيماهم التحليقُ ، هم شرُّ الخلقِ - أو مِن شرِّ الخلقِ - يقتُلُهم أدنَى الطائفتَين مِن الحقِّ . قال أبو سعيدٍ : وأنتم قتَلتُموهم يا أهلَ العراقِ .

---

(١) المسند ٣/٣٢ من حديث وكيع ، و٣/٩٧ من حديث عفان .
(٢) فى م ، ص : « بن » .
(٣) فى المسند : « يقتلها » .
(٤) بعده فى م ، ص : « بن محمد » والقاسم هو ابن الفضل الحدانى . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٤١٠ .
(٥) مسلم (١٥٠/ ١٠٦٥) .
(٦) المسند ٣/ ٤٥ .
(٧) سقط من : م ، ص .
(٨) فى الأصل : « معها » ، وفى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « معهما » .
(٩) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .
(١٠) مسلم (١٥١ ، ١٥٢/ ١٠٦٥) .
(١١) المسند ٣/ ٥ .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا عوفٌ ، عن أبى نضرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تفترِقُ أمتى فِرقتَين فتمرُقُ بينهما مارقةٌ ، فيقتُلُها أَولَى الطائفتَين بالحقِّ » . ورَواه أيضًا[2] ، عن يحيى القطّانِ ، عن عوفٍ ؛ وهو الأعرابىُّ ، به مثلَه . فهذه طرقٌ متعددةٌ ، عن أبى نضرةَ المنذرِ بنِ مالكِ بنِ قِطْعَةَ العبدىِّ ، وهوأحدُ الثقاتِ الرفعاءِ . ورَواه مسلمٌ[3] أيضًا ، مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن الضَّحَّاكِ المِشْرَقىِّ ، عن أبى سعيدٍ بنحوِه .

فهذا الحديثُ مِن دلائلِ النبوةِ ؛ لأنَّه قد وقَع الأمرُ طِبْقَ ما أخبَر به الرسولُ ﷺ ، وفيه الحكمُ بإسلامِ الطائفتَيْن ؛ أهلِ الشامِ وأهلِ العراقِ ، لا كما تزعُمُه فِرقةُ الرافضةِ ، [4]أهلُ الجهلِ والجَوْرِ[4] ، مِن تكفيرِهم أهلَ الشامِ . وفيه أنَّ أصحابَ علىٍّ أدْنَى الطائفتَيْن إلى الحقِّ ، وهذا هو مذهَبُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ ، أنَّ عليًّا هو المُصِيبُ وإن كان معاويةُ مجتهِدًا [5]فى قتالِه له وقد أخطَأ[5] ، وهو مأجورٌ إن شاء اللَّهُ ، ولكنَّ عليًّا هو الإمامُ [5]المصيبُ إن شاء اللَّهُ تعالى[5] ، فله أجْران كما ثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[6] ، [7]مِن حديثِ عمرِو بنِ العاصِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ[7] قال : « إذا اجتَهد الحاكمُ فأصاب فله أجران وإذا اجتهَد فأخطَأ فله أجرٌ » . وسيأْتى بيانُ كيفيةِ قِتالِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، للخوارجِ ، وصِفةُ [٦/٣٢ظ]

---

(١) المسند ٣/ ٧٩.

(٢) سقط من : م ، ص والحديث فى المسند ٣/ ٢٥.

(٣) مسلم (١٥٣/ ١٠٦٥) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « والجهلة الطغام » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) البخارى (٧٣٥٢) ، بنحوه .

(٧ - ٧) زيادة من : م ، ص .

المُخْدَجِ الذى أخبَر به الرسولُ ﷺ فوُجِد كما أخبَر ، ففرِح بذلك علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وسجَد [1] شكرًا للَّهِ عزّ وجلّ [1] .

فصلٌ

قد تقدَّم أنَّ عليًّا ، رَضِى اللَّهُ عنه ، لمّا رجَع مِن الشامِ بعدَ وقْعةِ صفِّينَ ، ذهَب إلى الكوفةِ ، فلمّا دخَلها اعتزَله [2] طائفةٌ مِن جيشِه ، قيل : ستةَ عشَرَ ألفًا . وقيل : اثنَا عشَرَ ألفًا . وقيل : أقلُّ مِن ذلك . فبايَنوه وخرَجوا عليه ، وأنكَروا عليه [3] أشياءَ ، فبعَث إليهم عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ ، فناظَرهم فيها ، ورَدَّ عليهم ما توهَّمُوه [4] مِن الشُّبَهِ [4] ولم يكنْ له حقيقةٌ [5] فى نفسِ الأمرِ [5] ، فرجَع بعضُهم واستمَرَّ بعضُهم على ضلالِه حتى كان منهم ما سنُورِدُه قريبًا إن شاء اللَّهُ . ويقالُ : إنَّ عليًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، ذهَب إليهم فناظَرهم [5] فيما نقَموا عليه [5] حتى استَرْجَعهم عمّا كانوا عليه ، ودخَلوا معه الكوفةَ ، ثم إنَّهم عادُوا [6] فنَكَثُوا ما عاهَدوه عليه ، [7] وتعاقَدوا [7] وتعاهَدوا فيما بينَهم على القيامِ بالأمْرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكرِ ، والقيامِ على الناسِ فى ذلك ، ثم تَحيَّزوا ناحيةً [3] إلى موضعٍ يقالُ له : النَّهْروانُ . وفيه قاتَلَهم علىٌّ كما سيأْتى .

(١ - ١) فى م ، ص : « للشكر » .
(٢) فى م ، ص : « انعزل عنه » .
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٤) فى م ، ص : « شبهة » .
(٥ - ٥) زيادة من : م ، ص .
(٦) فى م ، ص : « عاهدوا » .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ عِيسى الطبّاعُ ، حدَّثنى[2] يَحيى بنُ سُلَيْمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ[3] ، عن عُبيدِ[4] اللَّهِ بنِ عياضِ[5] بنِ عمرٍو[5] القارىِّ ، قال : جاءَ عبدُ اللَّهِ بنُ شدّادٍ[6] فدخَل على[6] عائشةَ - [7] ونحن عندَها مَرجِعَه مِن العراقِ ليالىَ قتْلِ[8] علىٍّ - فقالت له : ياعبدَ اللَّهِ بنَ شدَّادٍ[7] ، هل أنت صادقِى عمّا أسألُك عنه ؟ تُحدِّثُنى عن هؤلاء القومِ الذين قتَلهم علىٌّ . قال : وما لى لا أَصْدُقُكِ . قالت : فحدِّثْنى عن قصَّتِهم . قال : فإنَّ عليًّا لمّا كاتَب معاويةَ وحكَم الحكمانِ ، خرَج عليه ثمانيةُ آلافٍ مِن قُرّاءِ الناسِ فنزَلوا بأرضٍ يُقالُ لها : حَرُوراءُ . مِن جانبِ الكوفةِ ، وأنَّهم عتَبوا عليه ، فقالوا : انسلَخْتَ مِن قميصٍ أَلْبَسكَه اللَّهُ ، واسمٍ سمّاكَ به اللَّهُ ، ثم انطَلَقتَ فحكَّمتَ[9] فى دينِ اللَّهِ ، فلا حُكْمَ إلَّا للَّهِ . فلمّا أن بلَغ عليًّا ما عتَبوا عليه وفارَقُوه عليه[10] ، فأمَر[11] فأذَّن مُؤذِّنٌ[11] : أن لا يَدخُلَ على أميرِ المؤْمنين[12] إلَّا رجلٌ[12] قد حمَل القرآنَ . فلمّا أنِ امتلأَتِ الدارُ مِن قرّاءِ الناسِ ، دعا بمُصْحفٍ إمامٍ عظيمٍ ، فوضَعه بينَ يديه فجعَل

---

(١) المسند ١/ ٨٦. (إسناده صحيح).

(٢) فى الأصل: ا ٨، ا ٧، ا ٦: «وحدثنى».

(٣) فى المسند: «خيثم». وانظر أطراف المسند ٤/ ٤٣٨، وتهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٩.

(٤) فى النسخ: «عبد». والمثبت من المسند ١/ ٨٦. وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٣٩.

(٥ - ٥) زيادة من: م، ص.

(٦ - ٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «إلى».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٨) فى م، ص: «قبل».

(٩) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «الرجال».

(١٠) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «بسببه».

(١١ - ١١) فى ا ٧: «مؤذنًا»، وفى المسند: «مؤذنا فأذن».

(١٢ - ١٢) فى م، ص: «رجل إلا رجلًا».

يَصُكُّه بيدِه ، ويقولُ : أيُّها المصحفُ ، حَدِّثِ الناسَ ! فنادَاه الناسُ فقالوا : يا أميرَ المؤْمنين ، ما تسألُ عنه ! إنَّما هو مِدادٌ فى وَرَقٍ ، ونحن نتكَلَّمُ بما رُوِّينا منه ، فماذا تُريدُ ؟ قال : أصحابُكم هؤلاء الذين خرَجوا ، بينى وبينَهم كتابُ اللَّهِ ، يقولُ اللَّهُ تَعالى فى كتابِه فى امرأةٍ ورجلٍ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء : ٣٥] . فأُمَّةُ محمدٍ ﷺ أعظمُ دَمًا وحُرْمةً مِن امرأةٍ ورجلٍ ، ونقَموا علىَّ أن كاتَبْتُ معاويةَ : كتَب علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وقد جاءَنا سُهَيلُ بنُ عمرٍو ونحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بالحديبِيَةِ حينَ صالَح قومَه قُرَيْشًا ، فكتَب رسولُ اللَّهِ ﷺ : بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرحيمِ . فقال سُهَيْلٌ : لا أكْتُبُ[1] [٦/٣٣و] بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فقال : « كيف نكتُبُ ؟ » . فقال : اكتُبْ باسمِك اللهمَّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فاكتُبْ[2] محمدٌ رسولُ اللَّهِ » . فقال : لو أعلَمُ أنَّك رسولُ اللَّهِ لم أُخالِفْك . فكتَب : هذا ما صالَح عليه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ قُريشًا . يقولُ اللَّهُ تَعالى فى كتابِه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] . فبعَث إليهم عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ فخرَجْتُ معه ، حتى إذا تَوَسَّطْتُ[3] عسكرَهم قامَ ابنُ الكَوّاءِ يخطُبُ الناسَ فقال : يا حَمَلةَ القرآنِ ، هذا عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، فمَن لم يكنْ يَعرِفُه فأنا أعْرِفُه ، [4]هذا[5] ممَّن يُخاصِمُ فى كتابِ اللَّهِ بما لا يَعْرِفُه[4] ، هذا ممَّن نزَل فيه وفى قومِه ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾

---

(١) المسند : « تكتب » .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « اكتب فكتب ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه » .

(٣) فى المسند : « توسطنا » .

(٤ - ٤) فى المسند : « من كتاب الله ما يعرفه به » .

(٥) سقط من : ا ٧ ، م ، ص .

[الزخرف: ٥٨] . فرُدُّوه إلى صاحبِه ولا تُواضِعُوه كتابَ اللَّهِ . [١] فقال بعضُهم [١] : واللَّهِ لَنُواضِعَنَّه [٢] ، فإن [٣] جاءَ بحَقٍّ نَعرِفُه لَنَتَّبِعَنَّه ، وإن جاء بباطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّه [٤] بباطِلِه . فواضَعوا عبدَ اللَّهِ الكتابَ ثلاثةَ أيامٍ ، فرجَع منهم أربعةُ آلافٍ كلُّهم تائبٌ ، فيهم ابنُ الكوّاءِ ، حتى أدخَلهم علَى عليٍّ الكوفةَ ، فبعَث عليٌّ إلى بقِيَّتِهم فقال : قد كان مِن أمرِنا وأمرِ الناسِ ما قد رأيتُم ، فقِفُوا حيث شِئتُم حتى تَجتَمِعَ أمةُ محمدٍ ﷺ ، بيننا وبينَكم أن لا تَسفِكوا دمًا حرامًا ، أو [٥] تقطَعوا سبيلًا ، أو [٥] تَظلِموا ذِمَّةً ، فإنَّكم إن فَعلْتُم فقد نبَذْنا إليكم الحربَ على سواءٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] . فقالت له عائشةُ : يا ابنَ شدّادٍ ، فقَتَلهم [٦] ؟ فقال [٧] : واللَّهِ ما بعَث [٨] إليهم حتى قطَعوا السَّبيلَ ، وسفَكوا الدِّماءَ ، واستَحلُّوا أهلَ الذِّمَّةِ . فقالت : آللَّهِ ؟ قال : آللَّهِ الذى [٩] لا إلهَ إلَّا هو لقد كان ذلك . قالت : فما شيءٌ بلَغنى عن أهلِ العراقِ [١٠] يقولون : ذو الثُّدَىِّ وذو الثُّدَيَّةِ [١١] ؟ قال : قد رأيتُه وقُمْتُ [١٢] مع عليٍّ عليه [١٣] فى القَتْلَى ، فدعا الناسَ فقال : أتَعرِفون هذا ،

(١ - ١) فى المسند : « فقام خطباؤهم فقالوا » .
(٢) بعده فى المسند : « كتاب الله » .
(٣) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « كان » .
(٤) فى ا ٦ ، م ، ص : « لنكبتنه » .
(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ولا » .
(٦) فى المسند : « فقد قتلهم » .
(٧) فى م ، ص : « فقالوا » .
(٨) فى م ، ص : « بعثت » .
(٩) سقط من : م ، ص .
(١٠) فى المسند : « الذمة يتحدثونه » .
(١١) فى المسند : « الثدى » .
(١٢) فى النسخ : « كنت » . والمثبت من المسند .
(١٣) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

فما أكثرَ مَن جاء يقولُ : قد رأيتُه فى مسجدِ بنى فلانٍ (١يُصَلِّى ويَقْرأُ١) ، ورأيتُه فى مسجدِ بنى فلانٍ يُصَلِّى . ولم يَأْتُوا فيه بثَبَتٍ يُعرَفُ إلَّا ذلك . قالت : فما قولُ علىٍّ حينَ[٢] قامَ عليه كما يَزعُمُ أهلُ العراقِ ؟ قال : سمِعتُه يقولُ : صدَق اللَّهُ ورسولُه . قالت : هل سمِعتَ منه أنَّه قال غيرَ ذلك ؟ قال : اللهمَّ لا . قالت : أجَلْ ، صدَق اللَّهُ ورسولُه ، يَرحَمُ اللَّهُ عليًّا ، إنَّه كان[٣] لا يَرى شيئًا يُعجِبُه إلَّا قال : صدَق اللَّهُ ورسولُه . فيَذهَبُ أهلُ العراقِ يَكذِبونَ عليه ويَزيدُون عليه فى الحديثِ . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه صحيحٌ ، واختارَه الضياءُ . ففى هذا السياقِ ما يَقْتَضِى أنَّ عِدَّتَهم [٦/٣٣ظ] كانت ثمانيةَ آلافٍ ، لكنْ مِن القرّاءِ ، وقد يكونُ واطأَهم على مذهبِهم آخرون مِن غيرِهم حتى بلَغوا اثْنَىْ عشَرَ ألفًا ، أو ستةَ عَشَرَ ألفًا . ولمّا ناظَرهم ابنُ عبّاسٍ رجَع منهم أربعةُ آلافٍ ، وبقِى بقيَّتُهم على ما هم عليه . وقد رَواه يعقوبُ بنُ سفيانَ[٤] ، عن موسى بنِ مسعودٍ ، عن عِكرمةَ بنِ عمّارٍ ، عن سِماكٍ أبى[٥] زُمَيْلٍ ، عن ابن عباس ، فذكَر القصةَ وأنَّهم عتَبوا عليه فى كَوْنِه حكَّم الرجالَ ، وأنَّه محا اسمَه مِن الإمْرَةِ ، وأنَّه غزا يومَ الجمَلِ فقتَل الأَنفُسَ الحرامَ ولم يَقسِمِ الأموالَ والسَّبْىَ ، فأجاب عن الأوّلَتَيْن بما تقدَّم ، وعن الثالثةِ بأن قال : قد كان فى السَّبْىِ أمُّ المؤمنين عائشةُ[٦] ، فإن قُلتُم : ليستْ لكم بأمٍّ . فقد كفَرتُم ، وإنِ (٧استَحْلَلْتُم سَبْىَ٧) أُمِّكم[٨] فقد كفَرتُم . قال : فرجَع منهم

(١ - ١) سقط من : م ، ص . وفى المسند : « يصلى » .

(٢) فى م ، ص : « حيث » .

(٣) بعده فى المسند : « من كلامه » .

(٤) المعرفة والتاريخ ١/٥٢٢ - ٥٢٤.

(٥) فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ ، ص : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/١٢٧.

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) فى ص : « سبيتم » .

(٨) فى م : « أمهاتكم » .

ألفانِ وخرَج سائرُهم فتقاتَلُوا[1] . وذكَر غيرُه[2] أنَّ ابنَ عباسٍ لَبِسَ حُلَّةً لمَّا [3]خرَج إليهم[3] ، فناظَرُوه فى لُبْسِه إيّاها ، فاحتَجَّ عليهم بقولِه تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ الآية[الأعراف : ٣٢] .

وذكَر ابنُ جريرٍ[4] أنَّ عليًّا خرَج بنفسِه إلى بقيَّتِهم ، فلم يَزَلْ يُناظِرُهم حتى رجَعوا معه إلى الكوفةِ ، وذلك فى يومِ عيدِ الفطرِ أو الأضْحَى - شَكَّ الرّاوِى [5]فى ذلك[5] - ثم جعَلوا بعدَ ذلك يُعرِّضُون له فى الكلامِ ويُسمِعونه شَتْمًا [6]ويَتَأوَّلونَ تأوِيلَ فى أقوالِه[6] . قال الشّافِعىُّ[7] ، رَحِمه اللَّهُ : قال رجلٌ مِن الخوارجِ لعلىٍّ وهو فى الصلاةِ : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] . فقرأ علىٌّ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] . و ذكَر ابنُ جريرٍ[8] أنَّ هذا [9]الكلامَ إنَّما قاله[9] وعلىٌّ [10]يَخطُبُ ، لا فى الصلاةِ[10] . وذكَر ابنُ جريرٍ أيضًا[11] أنَّ عليًّا بينَما هو يَخطُبُ يومًا إذ قام إليه رجلٌ مِن الخوارجِ فقال : يا علىُّ أشرَكتَ فى دينِ اللَّهِ الرجالَ ولا

---

(١) فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ : « فقاتلوا » ، وفى المعرفة والتاريخ : « فقتلوا » .

(٢) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٣/ ٥٨٨.

(٣ - ٣) فى م ، ص : « دخل عليهم » .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٩١.

(٥ - ٥) زيادة من : م ، ص .

(٦ - ٦) فى م : « ويتأولون بتأويل فى قوله » ، وفى ص : « بتأويل » .

(٧) تاريخ الطبرى ٥/ ٧٣، ٧٤.

(٨) تاريخ الطبرى ٥/ ٧٣.

(٩ - ٩) فى م ، ص : « كان » .

(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « فى الخطبة » .

(١١) تاريخ الطبرى ٥/٧٣ بنحوه .

حُكْمَ إلا للَّهِ . فتَنادَوْا مِن كلِّ جانبٍ : لا حُكْمَ إلا للَّهِ ، لا حُكْمَ إلَّا للَّهِ . فجعَل عليٌّ يقولُ : هذه كلمةُ حَقٍّ أُرِيدَ بها باطلٌ . ثم قال : إنَّ لكم علينا أن لا نَمنَعَكم فَيْئًا مادامت أيدِيكم معنا ، وأن لا نمنَعَكم مساجدَ اللَّهِ ، وأن لا نَبدأَكم بالقِتالِ حتى تَبْدءُونا به . ثم إنَّهم خرَجوا بالكليَّةِ عن الكوفةِ وتَحيَّزُوا إلى النَّهْرَوانِ ، على ماسنَذْكُرُه بعدَ حُكْمِ الحَكَمَيْن .

صِفةُ[1] اجتماعِ الحكَمين [2]وهما[2] أبو موسى الأشعريُّ وعمرُو بنُ العاصِ رضِى اللَّهُ عنهما بدُومةِ الجَنْدَلِ

وكان[1] ذلك فى شهرِ رمضانَ كما تشارَطوا عليه وقتَ التحكيمِ [٦/٣٤و] بصِفِّينَ . وقال الواقدىُّ[3] : اجتمَعوا فى شعبانَ . وذلك أنَّ عليًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، لمّا كان مجىءُ رمضانَ ، بعَث أربعَمائةِ فارسٍ مع شُرَيْحِ بنِ هانئٍ ، ومعهم أبو موسى ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، وإليه الصلاةُ ، وبعَث معاويةُ عمرَو بنَ العاصِ فى أربعِمائةٍ[4] مِن أهلِ الشامِ [5]ومعه[5] [6]عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ابنُه[6] ، فتوافَوْا بدُومةِ

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٧١.

(٤) بعده فى م ، ص : « فارس » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « مع » ، وفى م ، ص : « ومنهم » .

(٦ - ٦) فى ا ٧: « عبيد اللَّه بن عمرو ابنه » . وفى م ، ص : « عبد اللَّه بن عمر » .

الجَندَلِ بأذرُحَ - وهى نصفٌ[1] بينَ الشامِ والكوفةِ ، بينَها وبينَ كلٍّ مِن البلدَيْنِ تِسعُ مَراحِلَ - وشهِد ذلك[2] معهم جماعةٌ مِن رءُوسِ الناسِ ؛ كعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ابنِ الخطابِ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، والمغيرةِ بنِ شعبةَ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ابنِ هشامٍ المخزوميِّ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ يَغوثَ الزُّهْرِيِّ ، وأبى جهمِ بنِ حُذيفةَ . وزعَم بعضُ الناسِ أنَّ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ شهِدهم أيضًا ، وأنكَر حضورَه آخَرون . وقد ذكَر ابنُ جريرٍ[3] أنَّ عمرَ بنَ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ خرَج إلى أبيه وهو بمَاءٍ لبنى سُلَيْمٍ مُعتزِلٌ بالباديةِ ، فقال : يا أبهْ ، قد بلَغك ما كان مِن الناسِ بصِفِّينَ ، وقد حكَّم الناسُ أبا موسى الأشعريَّ وعمرَو بنَ العاصِ ، وقد شهِدهم نفرٌ مِن قريشٍ ، فاشهَدْهم فإنَّك صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأحدُ أصحابِ الشورَى ، ولم تدخُلْ فى شىءٍ كرِهَتْه هذه الأُمَّةُ ، فاحضُرْ إنَّك أحقُّ الناسِ بالخلافةِ . فقال : لا أفعَلُ ، إنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّه ستكونُ فتنةٌ ، خيرُ الناسِ فيها الخَفِيُّ التَّقِيُّ »[4] . واللَّهِ لا أشهَدُ شيئًا مِن هذا الأمرِ أبدًا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثَنا أبو بكرٍ الحنفيُّ[6] [7]عبدُ الكبيرِ بنُ عبدِ المجيدِ[7] ، ثنا بُكَيْرُ[8] بنُ مِسْمارٍ[9] ، عن عامرِ بنِ سعدٍ أنَّ أخاه[10] عمرَ انطلَق

---

(١) فى م : « نصف المسافة » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٦٧.

(٤) فى ا ٨: « النقى » ، وفى م : « البقى » .

(٥) المسند ١/١٦٨ (إسناده صحيح) .

(٦) فى ا ٧: « الجعفى » . وبعده فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « ثنا » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « عبد الكريم بن عبد الحميد » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٤٣.

(٨) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « بكر » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٤٣.

(٩) فى م ، ص : « سمار » .

(١٠) زيادة من : م ، ص .

إلى سعدٍ فى غَنَمٍ له خارجًا مِن المدينةِ ، فلمّا رآه سعدٌ قال : أعوذُ باللَّهِ مِن شَرِّ هذا الراكبِ ، فلمّا أتاه قال : يا أَبَهْ ، أرضِيتَ أن تكونَ أعرابيًّا فى غنَمِك والناسُ يتنازَعون فى المُلْكِ بالمدينةِ ؟ فضرَب سعدٌ صدْرَ عمرَ وقال : اسكُتْ فإنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العبدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ » . وهكذا رَواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[1] .

وقال أحمدُ أيضًا[2] : حَدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ عمرٍو ، ثنا كَثِيرُ بنُ زيدٍ الأسلمىُّ ، عن المُطَّلِبِ ، عن عمرَ بنِ سعدٍ ، عن أبيه أنَّه[3] جاءه ابنُه عامرٌ فقال[4] : يا بُنىَّ ، أفى الفِتْنةِ تأمُرُنِى أن [٦/٣٤ظ] أكونَ رأسًا ؟ لا واللَّهِ حتى أُعطَى سيفًا إن ضرَبتُ به مؤمنًا نبا عنه ، وإن ضرَبتُ به كافرًا قتلَه[5] ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ التَّقِيَّ » .

وهذا السِّياقُ كأنَّه عكسُ الأولِ ، والظاهِرُ أنَّ عمرَ بنَ سعدٍ استعان بأخِيه عامرٍ على أبيه ، ليُشِيرَ عليه أن يحضُرَ أمرَ التحكيمِ لعلَّهم يَعدِلون عن علىٍّ ومعاويةَ ويُوَلُّونه ، فامتنعَ سعدٌ مِن ذلك وأباه أشَدَّ الإباءِ وقنِع بما هو فيه مِن الكِفايةِ والخَفاءِ ، كما ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[6] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « قد أفلَح

---

(١) مسلم (١١/ ٢٩٦٥) .

(٢) زيادة من : م ، ص .

والحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/١٧٧ بنحوه . وقال الشيخ شعيب ٣/ ١١٢: حديث صحيح ، وفى الإسناد قلب .

(٣) بعده فى المسند : « قال » .

(٤) « بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « يا أبه ، الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا فقال » وليست فى المسند .

(٥) فى ا ٧ ، م ، ص : « قتلته » .

(٦) مسلم (١٢٥/ ١٠٥٤) .

مَن أسلَم ورُزِق كَفافًا، وقَنَّعه اللَّهُ بما آتاه». وكان عمرُ بنُ سعدٍ هذا يُحِبُّ [1]الدنيا و[1] الإمارةَ، فلم يزَلْ ذلك دَأْبَه حتى كان هو مِن[2] السَّرِيَّةِ التى قتلَتِ الحسينَ بنَ عليٍّ، رضِى اللَّهُ عنه، كما سيأتى بيانُه فى موضعِه، ولو قنِع[3] بما كان عليه أبوه، لم يكنْ شىءٌ مِن ذلك. واللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّ سعدًا لم يحضُرْ أمرَ التحكيمِ ولا أراد ذلك ولا هَمَّ به، وإنَّما حضرَه مَن ذَكَرْنا، فلمّا اجتمَع الحكمان تراوَضا على المصلحةِ للمسلمين، بعلمِ[4] ونَظَرٍ[5] فى تقديرِ أُمورٍ، ثم اتَّفَقا على أن يعزِلا عليًّا ومعاويةَ، ثم يجعَلا الأمرَ شورَى بينَ الناسِ ليتَّفِقوا على الأصلحِ لهم منهما أو مِن غيرِهما، وقد أشار أبو موسى بتوليةِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ، فقال له عمرُو بنُ العاصِ: فوَلِّ ابنِى عبدَ اللَّهِ، فإنَّه يقارِبُه فى العلمِ والعملِ والزهدِ. فقال له أبو موسى: إنَّك قد غمَسْتَ ابنَك فى الفِتَنِ [1]والدنيا[1] معك، وهو مع ذلك رجلُ صدقٍ.

قال أبو مِخْنَفٍ[6]: فحدَّثَنى محمدُ بنُ إسحاقَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قال عمرُو بنُ العاصِ: إنَّ هذا الأمرَ لا يُصلِحُه إلَّا رجلٌ له ضِرْسٌ يأكُلُ ويُطعِمُ. وكان ابنُ عمرَ فيه غَفْلةٌ، فقال له ابنُ الزُّبيرِ: [1]ياعبدَ اللَّهِ[1] افطَنْ وانتبِهْ.

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى م، ص: «أمير».

(٣) فى ص: «توسم».

(٤) سقط من: م، ص.

(٥) فى م، ص: «نظرا».

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٦٩ من طريق أبى مخنف به.

فقال ابنُ عمرَ : لا واللّهِ لا أرشُو عليها شيئًا أبدًا . ثم قال : يا ابنَ العاصِ إنَّ العربَ قد أسندَتْ إليكَ أمرَها بعدَ ما تقارعَتْ بالسيوفِ وتشاكَّت بالرِّماحِ ، فلا تَرُدَّنَّهم فى فتنةٍ مثلِها أو أشدَّ منها . ثم إنَّ عمرَو بنَ العاصِ حاوَل أبا موسى على أن يُقِرَّ معاويةَ وَحْدَه على الناسِ فأبَى عليه ، ثم حاوَله ليكونَ ابنُه عبدُ اللّهِ بنُ عمرٍو هو الخليفةَ ، فأبَى أيضًا ، وطلَب أبو موسى مِن عمرٍو أن يُوَلِّيا عبدَ اللّهِ بنَ عمرَ بنِ الخطابِ فأبَى عمرٌو أيضًا ، ثم اصطلَحا على أن يَخلَعا معاويةَ وعليًّا ويترُكا الأمرَ شورَى بينَ الناسِ ليتَّفِقوا على مَن يختارُوه لأنفسِهم ، ثم جاءَا إلى المجَمَعِ الذى فيه الناسُ - وكان عمرٌو لا يَتقدَّمُ بينَ يدَىْ أبى موسى (١بل يُقدِّمُه١) فى كلِّ الأُمورِ أدبًا وإجلالًا - فقال له : يا أبا موسى قُمْ فأعلِمِ الناسَ بما اتفقْنَا عليه .

[٦/٣٥و] فخطَب أبو موسى الناسَ ، فحمِد اللّهَ وأثنَى عليه ثم صلَّى على رسولِ اللّهِ ﷺ ، ثم قال : أيُّها الناسُ إنّا قد نظرْنا فى أمرِ هذه الأُمَّةِ فلم نَرَ أمرًا أصلحَ لها ولا ألَمَّ لشَعَثِها مِن رأيٍ قد(٢) اتفقتُ أنا وعمرٌو عليه ، وهو أنّا نخلَعُ عليًّا ومعاويةَ ونترُكُ الأمرَ شورَى ، وتستقبِلُ الأُمَّةُ هذا الأمرَ فيُوَلُّوا عليهم مَن أحَبُّوه (٣واختاروه٣) ، وإنِّى قد خلَعتُ عليًّا ومعاويةَ . ثم تنحَّى وجاء عمرٌو فقام مَقامَه فحمِد اللّهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : إنَّ هذا قال ما قد سمِعتم ، وإنَّه قد خلَع صاحبَه ، وإنِّى قد خلَعتُه أيضًا(٢) كما خلَعه وأثبتُّ صاحبى معاويةَ ، فإنَّه وَلِىُّ عثمانَ بنِ عفانَ ، والطالبُ بدمِه ، وهو أحقُّ الناسِ بمَقامِه . وكان عمرٌو رأى

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بل أبو موسى يتقدمه » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(١ مِن المصلحةِ ١) أنَّ تَرْكَ الناسِ بلا إمامٍ - والحالةُ هذه - يُؤَدِّى إلى مَفسدةٍ طويلةٍ عريضةٍ أعظمَ(٢) مما الناسُ فيه مِن الاختلافِ، فأقرَّ معاويةَ لمّا رأى ذلك مِن المصلحةِ فاجتهَد(٣)، والاجتهادُ يُخْطئُ ويُصِيبُ. ويقالُ: إنَّ أبا موسى تكلَّم مع عمرٍو بكلامٍ فيه غِلْظةٌ، ورَدَّ عليه عمرُو بنُ العاصِ مثلَه.

وذكَر ابنُ جَريرٍ(٤) أنَّ شُرَيْحَ بنَ هانئٍ - مُقدَّمَ جيشِ عليٍّ - وثَب على عمرٍو ابنِ العاصِ فضَرَبه بالسَّوطِ، وقام إليه ابنٌ لعمرٍو فضَرَبه بالسَّوطِ، وتفرَّق الناسُ فى كلِّ وجهٍ إلى بلادِهم، فأمّا عمرٌو وأصحابُه فدَخلوا على معاويةَ فسلَّموا عليه بتحيةِ الخِلافةِ، وأمّا أبو موسى فاستَحْيَى مِن عليٍّ فذهَب إلى مكةَ، ورجَع ابنُ عباسٍ وشُريحُ بنُ هانئٍ إلى عليٍّ فأخبَراه بما فعَل أبو موسى وعمرٌو، فاستضعَفوا رأىَ أبِى موسى وعرَفوا أنَّه لا يوازِنُ عمرًا. فذكَر أبو مِخْنَفٍ(٥) عن أبى جَنابٍ(٦) الكَلْبىِّ أنَّ عليًّا لمّا بلَغه ما فعَل عمرٌو كان يلعَنُ فى قُنوتِه معاويةَ، وعمرَو بنَ العاصِ، وأبا الأعورِ السُّلمىَّ، وحَبيبَ بنَ مَسْلمةَ، والضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ، وعبدَ الرحمنِ بنَ خالدِ بنِ الوليدِ، والوليدَ بنَ عُقبةَ(٧)، فلمّا بلَغ ذلك معاويةَ أيضًا، كـان يلعَنُ فى قُنوتِه عليًّا وحسنًا وحُسَيْنًا وابنَ عباسٍ والأشترَ النَّخَعِىَّ. ولا

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى م، ص: «أربى».

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٧١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) فى الأصل، ا ٧، م: «حباب»، وفى ا ٨: «خباب». وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٨٤.

(٧) فى م: «عتبة». وانظر وقعة صفين ص ٥٥٢.

يَصِحُّ هذا [1] عنهم، رضِى اللَّهُ عنهم [1]. واللَّهُ أعلمُ [2]. فأمّا الحديثُ الذى قال البيهقىُّ فى «الدلائلِ» [3]: أخبرَنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبدانَ [4]، أنا أحمدُ بنُ عُبيدٍ الصَّفّارُ، ثنا إسماعيلُ بنُ الفضلِ، ثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، عن جريرٍ، عن زكريا بنِ يَحْيَى، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ وحَبيبِ بنِ يسارٍ، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ قال: إنِّى لأمشِى مع علىٍّ بشَطِّ [5] الفُراتِ فقال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ بنى إسرائيلَ اختلَفوا فلم يَزَلِ اختلافُهم بينَهم [6] حتى بعَثوا [7] حكمَيْن [8] فضَلَّا وأضَلَّا، وإنَّ هذه الأُمَّةَ ستختَلِفُ فلا يزالُ اختِلافُهم بينَهم حتى يبعَثوا حكمَين [8]، [9] فيَضِلَّان ويُضِلَّان [9] مَن اتَّبعهما». فإنَّه حديثٌ منكَرٌ، ورَفْعُه مَوْضوعٌ، واللَّهُ أعلمُ - إذ لو كان [10] معلومًا عندَ علىٍّ لم يُوافِقْ على تحكيمِ الحكمَيْن حتى [٦/٣٥ظ] لا يكونَ سببًا لإضلالِ الناسِ، كما فى [11] هذا الحديثِ. وآفةُ هذا الحديثِ هو زكريّا بنُ يَحْيَى، وهو الكِنْدىُّ الحِمْيَرِىُّ الأعمَى. قال ابنُ معينٍ [12]: ليس بشىءٍ.

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) بعده فى ا ٦: «قلت: قد ذكر ذلك ابن جرير وغيره». ولعلها زيادة من الناسخ.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤٢٣.

(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «عبدين». وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «على شط».

(٦) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٦.

(٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٦: «يبعثوا».

(٨ - ٨) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٦.

(٩ - ٩) فى الدلائل: «ضلا وضل».

(١٠) بعده فى م، ص: «هذا».

(١١) فى م، ص: «نطق به».

(١٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٧٥. ولسان الميزان ٢/ ٤٨٣. والجرح والتعديل ٣/ ٦٠١.

ذكرُ[1] خروجِ الخوارجِ مِن الكوفةِ ومبارزتِهم عليًّا [2]رضِى اللَّهُ عنه بالعداوةِ والمخالفةِ وقتالِ عليٍّ إيَّاهم وما ورَد فى ذلك مِن الأحاديثِ[2]

لمَّا بعَث عليٌّ أبا موسى ومَن معه [3]مِن الجيشِ[3] إلى دُومةِ الجندلِ ، اشتَدَّ أمرُ الخوارجِ وبالَغوا فى النَّكيرِ على عليٍّ وصرَّحوا بكُفْرِه ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زُرْعةُ بنُ البُرْجِ الطائىُّ ، وحُرقُوصُ بنُ زهيرٍ السَّعدىُّ ، فقالا : لا حُكْمَ إلَّا للَّهِ . فقال عليٌّ : نعم[4] ، لا حكمَ إلَّا للَّهِ . فقال له حُرقُوصٌ : تُبْ [5]إلى اللَّهِ[5] مِن خطيئتِك ، [5]وارجِعْ عن قضيَّتِك[5] ، واذهَبْ بنا إلى عدوِّنا حتى نُقاتلَهم حتى نلقَى ربَّنا . فقال عليٌّ : قد أرَدتُّكم على ذلك فأبَيتُم ، وقد كتَبْنا بينَنا وبينَ القومِ [5]كتابًا و[5] عُهودًا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ الآية [النحل : ٩١] . فقال له حُرقُوصٌ : ذلك ذنبٌ ينبغِى أن تَتوبَ منه . فقال عليٌّ : ما هو بذنبٍ ولكنَّه عجْزٌ مِن الرأيِ ، وقد تَقدَّمتُ إليكم فيما كان منه ، ونهيتُكم عنه . فقال له زُرْعةُ بنُ البُرْجِ : أمَا واللَّهِ يا عليُّ لَئن لم تَدَعْ تحكيمَ الرجالِ فى كتابِ اللَّه لأُقاتِلَنَّك أطلُبُ بذلك وجهَ[6] اللَّهِ ورضوانَه . فقال له : تبًّا لك ما

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى م ، ص : « رحمتى » .

أشقاك ! كأنّى بك قتيلًا تَسْفِى عليك الرِّيحُ . فقال : ودِدْتُ أنْ قد كان ذلك . فقال له علىٌّ : إنَّك لو كنتَ مُحِقًّا كان فى الموتِ تَعزِيةٌ عن الدنيا ، ولكنَّ الشيطانَ قد استَهواكم . فخرَجا مِن عندِه يُحَكِّمان أمرَهما[1] ، وفشَى فيهم ذلك ، وجاهَروا به الناسَ ، وتعرَّضوا لعلىٍّ فى خُطَبِه وأسمَعوه السَّبَّ والشَّتْمَ والتَّعريضَ بآياتٍ مِن القرآنِ ، وذلك أنَّ عليًّا قام خطيبًا فى بعضِ الجُمَعِ فذكَر أمْرَ الخوارجِ فذَمَّه وعابَه . فقام إليه جماعةٌ منهم كلٌّ يقولُ : لا حُكْمَ إلَّا للَّهِ . وقام رجلٌ منهم وهو واضِعٌ أُصبُعَه فى أُذُنَيه يقولُ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] . فجعَل علىٌّ يُقلِّبُ يدَيْه هكذا وهكذا وهو على المِنبرِ يقولُ : حكمَ اللَّهِ ننتَظِرُ فيكم . ثم قال : إنَّ لكم علينا أنْ لا نمنَعَكم مساجدَنا مالم تَخرُجوا علينا ، ولا نَمنَعَكم نصيبَكم مِن هذا الفىءِ ما دامت أيدِيكم مع أيدِينا ، ولا نقاتلَكم حتى تُقاتِلونا .

وقال أبو مِخْنَفٍ[2] ، عن عبدِ الملكِ بنِ[3] أبى حُرَّةَ[4] أنَّ عليًّا لمَّا بعَث أبا موسى لإنفاذِ الحكومةِ ، اجتمَع الخوارجُ فى منزلِ عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ الراسبىِّ فخطَبَهم خُطبةً بليغةً زهَّدهم فى هذه الدنيا ورغَّبهم فى الآخِرةِ والجنَّةِ ، وحثَّهم [٦/٣٦و] على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكَرِ ، ثم قال : فاخرُجوا بنا إخوانَنا مِن هذه القريةِ الظالمِ أهلُها ، إلى جانبِ هذا السَّوادِ إلى بعضِ كُوَرِ الجبالِ ، أو بعضِ هذه المدائنِ ، منكرِين لهذه الأحكامِ الجائرةِ . ثم قام حُرقُوصُ بنُ زُهيرٍ فقال بعدَ حمدِ اللَّهِ والثناءِ عليه : إنَّ المتاعَ بهذه الدُّنيا قليلٌ ، وإنَّ الفراقَ لها وَشيكٌ ، فلا

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٧٤.

(٣) فى النسخ : «عن» . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأصل ، ا ٨: «حمزة» . وفى ا ٧، ا ٦: «جمرة» .

تدعوَنَّكم زينتُها[1] وبَهجتُها إلى المُقامِ بها ، ولا تَلْفِتَنَّكم[2] عن طلبِ الحقِّ وإنكارِ الظلمِ[3] ، فإنَّ اللَّهَ مع الذين اتقَوْا والذين هم مُحسِنون . فقال سِنانُ بنُ حمزةَ الأَسَدِيُّ : يا قومُ إنَّ الرأىَ ما رأيتم ، وإنَّ الحقَّ ما ذكرتُم ، فوَلُّوا أمرَكم رجلًا منكم ، فإنَّه لا بُدَّ لكم مِن عمادٍ وسِنادٍ ، ومِن رايةٍ تَحُفُّون بها وتَرجِعون إليها . فبعَثوا إلى زيدِ بنِ حُصَيْنٍ[4] الطائىِّ - وكان مِن رءُوسِهم - فعرَضُوا عليه الإمارةَ عليهم[5] فأبَى ، ثم عرَضوها على حُرقُوصِ بنِ زُهيرٍ فأبَى ، ثم عرَضوها على حمزةَ بنِ سنانٍ[6] فأبَى ، ثم عرَضوها على شُرَيْحِ بنِ[7] أوْفَى العَبْسِيِّ فأبَى ، ثم عرَضُوها على عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ الراسبىِّ فقَبِلها ، وقال : أمَا واللَّهِ لا أقبَلُها رغبةً فى الدنيا ولا أدَعُها فَرَقًا مِن الموتِ . واجتمَعوا أيضًا فى بيتِ زيدِ بنِ حُصَيْنٍ[8] الطائىِّ السِّنْبِسىِّ فخَطَبهم وحثَّهم على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكَرِ ، وتلا عليهم آياتٍ مِن القرآنِ منها قولُه تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [ص : ٢٦] . وقولُه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، والتى بعدَها وبعدَها : ﴿ الظالمون ﴾ . ﴿ الفاسقون ﴾ . [المائدة ٤٥، ٤٧] . ثم قال : فأشهَدُ على أهلِ دعوتِنا مِن أهلِ قِبلَتِنا أنَّهم قد اتَّبعوا الهوَى ، ونبَذوا حُكْمَ

---

(١) بعده فى ا ٨، ا ٧، ا ٦: «وزهرتها».
(٢) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «يلفتنكم»، وفى م: «تلتفت بكم».
(٣) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أمير مسلط ولا سلطان غشوم».
(٤) فى م: «حصن».
(٥) سقط من: م، ص.
(٦) فى ا ٦: «سيار».
(٧) بعده فى م، ص: «أبى». وانظر الكامل ٣/ ٣٣٦.
(٨) فى ا ٧، ا ٦، م: «حصن».

الكتابِ ، وجاروا فى القولِ والأعمالِ ، وأنَّ جهادَهم حقٌّ على المؤمنين . قال[1] : فبكَى رجلٌ منهم يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ شَجَرَةَ[2] السُّلَمِيُّ . ثم حرَّض أولئك على الخروجِ على الناسِ ، وقال فى كلامِه : اضرِبُوا وجوهَهم وجِباهَهم بالسيوفِ حتى يُطاعَ الرحمنُ الرحيمُ ، فإن أنتم ظَفِرتُم وأُطِيع اللَّهُ كما أردتُم ، آتاكم[3] اللَّهُ ثوابَ المُطيعِين له العامِلين بأمرِه ، وإن قُتِلتُم فأىُّ شىءٍ أفضلُ مِن [4]الصبرِ و[4] المصيرِ إلى اللَّهِ ورضوانِه وجنَّتِه ؟

قلتُ : وهذا الضربُ مِن الناسِ مِن أغرَبِ أشكالِ بنى آدمَ ، فسُبحانَ مَن نوَّع خَلْقَه كما أراد ، وسبَق فى قدَرِه ذلك[5] . وما أحسنَ ما قال بعضُ السلفِ فى الخَوَارِجِ : إنَّهم المذكورون فى قولِه تعالى[6] : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٥] . والمقصودُ أنَّ هؤلاء الجهلةَ الضُّلَّالَ ، والأشقياءَ فى الأقوالِ والأفعالِ ، [٣٦/٦ ظ] اجتمَع رأيُهم على الخُروجِ مِن بينِ أظهُرِ المسلمين ، وتَواطَئُوا على المسيرِ إلى المدائنِ ؛ ليَمْلِكوها[7] ويتحَصَّنوا بها ثم يبعَثوا إلى إخوانِهم وأضرابِهم - ممَّن هو على [8]ماهم عليه[8] ، مِن أهلِ البصرةِ وغيرِها - فيوافُوهم إليها ، ويكونُ

---

(١) سقط من م ، ص .

(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، م : « سخبرة » . وانظر تاريخ الطبرى ٤/ ٨٣ ، والكامل ٣/ ٣٤٣ .

(٣) فى م ، ص : « أثابكم » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) فى م ، ص : « العظيم » .

(٦) التفسير ٥/ ١٩٧ .

(٧) بعده فى م ، ص : « على الناس » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « رأيهم ومذهبهم » .

اجتماعُهم عليها . فقال لهم زيدُ بنُ حُصَيْنٍ[1] الطائيُّ : إنَّ المَدائِنَ لا تَقدِرون عليها ، فإنَّ بها جيشًا لا تُطيقونه وسيمنَعونها منكم ، ولكنْ واعِدوا إخوانَكم إلى جسرِ نهْرِ جُوخا[2] ، ولا تَخرُجوا مِن الكوفةِ جماعاتٍ ، ولكنِ اخرُجوا وُحْدانًا لِئَلَّا يشعُروا[3] بكم . فكتَبوا كتابًا عامًّا إلى مَن هو على مذهَبِهم [4]ومَسلَكِهم[4] مِن أهلِ البصرةِ وغيرِها ، وبعَثوا به إليهم ليُوافُوهم إلى[5] النَّهْرِ ، ليكونوا يدًا واحدةً على الناسِ ، ثم خرَجوا يتسَلَّلون وُحدانًا ؛ لئَلّا يَعلَمَ أحدٌ بهم فيَمنَعوهم مِن الخُروجِ فخرَجوا مِن بين الآباءِ والأُمَّهاتِ و [6]الأعمامِ والعَمّاتِ[6] وفارَقوا سائرَ القَراباتِ ، يعتقِدون بجهلِهم وقلَّةِ علمِهم وعقلِهم أنَّ هذا الأمرَ يُرضِى ربَّ الأرضِ والسَّماواتِ ، ولم يعلَموا أنَّه مِن أكبرِ الكبائرِ والذُّنوبِ الموبِقاتِ ، والعظائمِ والخطيئاتِ ، وأنَّه مما يُزَيِّنُه لهم إبليسُ [7]وأنفُسُهم التى هى بالسوءِ أمّاراتٌ[7] . وقد تَدارَك جماعةٌ منهم بعضَ أولادِهم [8]وقَراباتِهم[8] وإخوانِهم فرَدُّوهم ووَبَّخوهم ، فمنهم مَن استمَرَّ على الاستقامةِ ، ومنهم مَن فرَّ بعدَ ذلك [4]فلَحِق بالخوارجِ فخسِر إلى يومِ القيامةِ[4] ، وذهَب الباقون إلى ذلك الموضعِ ، ووافَى إليهم مَن

---

(١) فى م : « حصن » .

(٢) فى الأصل : « خوجى » ، وفى ا ٨ : « جوحى » ، وفى ا ٦ : « حوجى » . وجوخا ، بالضم والقصر ، وقد يفتح : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد . معجم البلدان ٢/ ١٤٣ .

(٣) فى م ، ص : « يفطن » .

(٤ - ٤) زيادة من : م ، ص .

(٥) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ذلك الجسرو » .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « الأخوال والخالات » .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات الذى نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته ما دامت أرواحهم فى أجسادهم مترددات . والله المسئول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات » .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

كاتَبوه مِن أهلِ البصرةِ وغيرِها ، واجْتمَع الجميعُ بالنهروانِ[1] وصارت لهم شَوْكةٌ ومَنَعةٌ ، وهم جندٌ مستقِلُّون وفيهم شَجاعةٌ [2]وثَباتٌ وصبرٌ[2] ، وعندَهم أنَّهم متقرِّبون بذلك إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ . فهم قومٌ لا يُصْطَلَى لهم بنارٍ[3] ، ولا [4]يَطمَعُ أحدٌ فى أن يأخُذَ[4] منهم بثأرٍ ، وباللَّهِ المستعانُ .

وقال أبو مِخْنَفٍ[5] ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الشَّعْبىِّ أنَّ عليًّا لمّا خرَجتِ الخوارجُ إلى النهروانِ[6] وهرَب أبو موسى الأشعرىُّ إلى مكةَ ، ورَدَّ ابنَ عباسٍ إلى البصرةِ ، قام فى الناسِ بالكوفةِ خطيبًا فقال : الحمدُ للَّهِ وإن أتَى الدهرُ بالخَطْبِ الفادحِ ، والحَدَثانِ الجليلِ ، وأشهَدُ أن لا إلهَ غيرُه وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، أمّا بعدُ ، فإنَّ المعصيةَ[7] تُورِثُ الحسْرةَ ، وتُعقِبُ الندَمَ ، وقد كنتُ أمرتُكم فى هذَيْن الرجلَيْن وفى هذه الحكومةِ بأمرِى ، ونحَلْتُكم رأيى ، فأبيتُم إلّا ما أردتُم ، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هَوازِنَ[8] فأجاد[9] :

بذلتُ لهم نُصْحِى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فلم يَستبِينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحَى الغَدِ[10]

---

(١) فى ص : « بالنهر » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) لا يصطلى لهم بنار أى : شجاعتهم لا تطاق .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « يطمع فى أن يؤخذ » .

(٥) فى ص : « مخنف » . وأورد هذه الخطبة الطبرى فى تاريخه ٥/ ٧٧. من طريق أبى مخنف عن عبد الملك بن أبى حرة . وانظر شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٠٤.

(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٦ ، ص : « النهر » .

(٧) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « تشين وتسوءو » . وانظر الطبرى ، وشرح نهج البلاغة .

(٨) يعنى : دُريد بن الصِّمَّة .

(٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) البيت فى حماسة أبى تمام ١/ ٣٩٧، والأغانى ١٠/ ٨، والخزانة ١١/ ٢٧٩. والرواية عندهم : « أمرتهم أمرى » . وهى كذلك عند الطبرى وابن أبى الحديد . وأما جميع النسخ الخطية والمطبوعة ، فهى على : « بذلت لهم نصحى » .

ثم تكلَّم فيما فعَله الحكمانِ فرَدَّ عليهما فيما حكَما به وأنَّبهما ، و [1] بيَّن ما فى ذلك مِن هوًى وزُورٍ ومَحبَّةٍ للدنيا ، وقلَّةِ نُصحٍ ونظرٍ للأُمَّةِ [1] ، [٦/٣٧و] وحطَّ عليهما ، ثم ندَب الناسَ إلى الخروجِ إلى أهلِ الشامِ والجهادِ فيهم ، وعيَّن لهم يومَ الاثنين يخرُجون فيه ، وكتَب إلى ابنِ عباسٍ والى البصرةِ يستنفِرُ له الناسَ إلى الخروجِ إلى أهلِ الشامِ. وكتَب إلى الخوارجِ يُعلِمُهم أن الذى حكَم به [2] الحكمان مَردودٌ عليهما ، وأنَّه قد عزَم على الذَّهابِ إلى أهلِ الشامِ ، فهَلُمُّوا حتى نجتمِعَ [2] على قِتالِهم. فكتَبوا إليه : أمَّا بعدُ ، فإنَّك لم تغضَبْ لرَبِّك ، وإنَّما غضِبتَ لنفسِكَ ، [2] وإن شَهِدتَ على نفسِك بالكفرِ واستقبلتَ التوبةَ ، نَظَرْنا فيما بينَنا وبينَك [2] ، وإلَّا فقد نابَذْناك على سواءٍ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

فلمَّا قرَأ علىٌّ [3] كتابَهم يَئِس منهم وعزَم على الذَّهابِ إلى أهلِ الشامِ ليُناجِزَهم ، وخرَج مِن الكوفةِ إلى النُّخَيْلةِ فى عسكرٍ كثيفٍ - خمسةٍ وسِتِّين ألفًا - وبعَث إليه ابنُ عباسٍ بثلاثةِ آلافٍ ومائتى فارسٍ مِن أهلِ البصرةِ مع جاريةَ [4] بنِ قُدامةَ ألفٌ وخمسُمائةٍ ، ومع أبى الأسودِ الدُّئِلىِّ ألفٌ وسبعُمائةٍ ، فكَمَل جيشُه فى ثمانيةٍ وسِتِّينَ ألفَ فارسٍ ومائتى فارسٍ .

وقام علىٌّ [5] فى الناسِ [5] خطيبًا فحثَّهم على الجهادِ والصبرِ عندَ اللِّقاءِ ، فبينَما هو عازمٌ على غزوِ أهلِ الشامِ إذ بلَغه أنَّ الخوارجَ قد عاثُوا فى الأرضِ فسادًا

(١ - ١) فى م ، ص : « قال ما فيه » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) انظر الطبرى ٥/ ٧٩، والكامل ٣/ ٣٤٠.
(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٦: « حارثة » ، وفى ص : « معاوية » .
(٥ - ٥) فى م ، ص : « أمير المؤمنين » .

وسفَكوا الدماءَ وقطَعوا السبيلَ واستحَلُّوا المحارِمَ ، وكان مِن جُملةِ مَن قتَلوه عبدُ اللَّهِ بنُ خبّابٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أسَرُوه وامرأتَه معه وهى حاملٌ فقالوا له : مَن أنتَ ؟ فقال : أنا عبدُ اللَّهِ بنُ خَبّابٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وأنتم قد رَوَّعتُمونى . فقالُوا : لا بأسَ عليك ، حَدِّثْنا ما سمِعتَ مِن أبِيك . فقال : سمِعتُ أبى[1] يقول : [2]سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[2] : « ستكونُ فتنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ مِن القائِمِ ، والقائِمُ خيرٌ مِن الماشِى ، والماشِى خيرٌ مِن الساعى » . فقادُوه بيدِه ، فبينَما هو يسيرُ معهم إذ لقِى بعضُهم خِنزيرًا لبعضِ أهلِ الذِّمةِ[3] فضرَبه بعضُهم بسيفِه فشَقَّ جلدَه ، فقال له آخَرُ : لِمَ فعلْتَ هذا وهو لذِمِّىٍّ ؟ فذهَب إلى ذلك الذمِّىِّ فاستحَلَّه وأرضاه . وبينَما هو معهم إذ سقَطتْ تمرةٌ مِن نخلةٍ فأخَذها أحدُهم فألقاها فى فمِه ، فقال له آخَرُ : بغيرِ إذنٍ ولا ثَمَنٍ ؟ فألقاها ذاك مِن فمِه ، ومع هذا قدَّموا عبدَ اللَّهِ بنَ خبّابٍ فذبَحوه ، وجاءُوا إلى امرأتِه فقالت : إنِّى امرأةٌ حُبْلَى ، ألَا تتَّقون اللَّهَ عز وجل ! فذبَحوها وبقَروا بطنَها عن وَلدِها ، فلمّا بلَغ الناسَ هذا مِن صنيعِهم ، خافوا إن هُم ذهَبوا إلى الشامِ واشتغَلوا بالقتالِ أن يَخلُفَهم هؤلاء فى ذَرارِيهم وديارِهم ويَفعَلوا هذا الصنيعَ ، فخافوا غائلتَهم ، وأشاروا على علىٍّ بأن يبدَأَ بهم ، ثم إذا فَرَغ منهم ساروا معه إلى الشامِ ، والناسُ آمِنون مِن شَرِّهم ، فاجتمَع الرأىُ على هذا ، وفيه خِيَرَةٌ عظيمةٌ لهم ولأهلِ الشامِ أيضًا ؛ [4]إذ لو قَوُوا هؤلاء لأفسَدوا الأرضَ كلَّها عِراقًا وشامًا ، ولم يترُكوا طِفْلًا[4]

---

(١) فى ا ٦: « النبى » .

(٢ - ٢) سقط من: ا ٦. والحديث تقدم تخريجه فى ٩/١٨٥ .

(٣) فى ا ٦: « المدينة » .

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(١) ولا طِفْلةً ، ولا رجلًا ولا امرأةً ؛ لأنَّ الناسَ عندَهم قد فسَدوا فسادًا لا يُصلِحُهم إلَّا القتلُ جُمْلَةً(١) . فأرسل عليٌّ إليهم(٢) الحارثَ(٣) بنَ مُرَّةَ العَبْدىَّ ، وقال له : (٤)اخبُرْ لى(٤) خبرَهم ، واعلَمْ لى أمرَهم واكتُبْ إلىَّ به على الجَلِيَّةِ . فلمّا قدِم عليهم الحارثُ(٥) قتَلوه ولم يُنظِروه ، فلمّا بلَغ ذلك عليًّا (٦)سار إليهم وترَك(٦) أهلَ الشامِ .

ذكرُ مسيرِ أميرِ المؤمنين عليٍّ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، إلى الخوارجِ

لمَّا عزَم عليٌّ(٧) ومَن معه مِن الجيشِ على البَداءةِ بالخوارجِ ، نادَى مُنادِيه فى الناسِ بالرحيلِ إليهم ، فعبَر الجِسْرَ فصلَّى ركعتَين عندَه ، ثم سلَك على ديرِ عبدِ الرحمنِ ، ثم ديرِ أبى موسى ، ثم على شاطئِ الفراتِ ، فلَقِيَه هنالك مُنَجِّمٌ ، فأشارَ عليه بوقتٍ مِن النهارِ يسيرُ فيه ولا يسيرُ فى غيرِه ، فإنَّه (١)إن سار فى غيرِه(١) يُخشَى عليه ، فخالَفَه عليٌّ ، وسارَ على خلافِ ما قال (١)المُنجِّمُ ، وقال : نسيرُ ثِقةً باللَّهِ ، وتوكُّلًا عليه ، وتكذيبًا لقولِ المُنَجِّمِ(١) فأظفَره اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وقال عليٌّ : إنَّما أردتُ أن أبيِّنَ للناسِ خطأَه وخشِيتُ أن يقولَ الناسُ(٨) : إنَّما ظفِر لكونِه

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م ، ص : « إلى الخوارج رسولا من جهته هو » .

(٣) فى م ، ص : « الحرب » . انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٨٢.

(٤ - ٤) فى ا ٦: « أخبرنى » .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « عزم على الذهاب إليهم أو لا قبل » .

(٧) تاريخ الطبرى ٥/ ٨٣، والكامل ٣/ ٣٤٣.

(٨) فى م ، ص : « جاهل » .

وافقَه [1] فيما أشار به، فيُشرِكوا باللَّهِ غيرَه [1].

وسلَك عليٌّ ناحيةَ الأنبارِ، وبعَث بينَ يدَيه قيسَ بنَ سعدٍ، وأمَره أن يأتيَ المدائنَ وأن يلقاه بنائبِها سعدِ بنِ مسعودٍ - وهو أخو عبدِ [2] اللَّهِ بنِ مسعودٍ الثقفيِّ - في جيشِ المدائنِ، فاجتمَع الناسُ هنالك على عليٍّ، وبعَث إلى الخوارجِ أن ادفَعوا إلينا قتَلةَ إخوانِنا مِنكم لنقتُلَهم بهم، ثم إنَّا تاركُوكم وذاهبون عنكم إلى الشامِ، ثم لعلَّ اللَّهَ أن يُقْبِلَ بقلوبِكم، ويردَّكم إلى خيرٍ مِمَّا أنتم عليه، فبعَثوا إليه يقولون: كلُّنا قتَل إخوانَكم، ونحن مُستحِلُّون [3] دماءَهم ودماءَكم [3]. فتقدَّم إليهم قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ، فوعَظهم فيما [4] هم مُرتكِبوه [4] مِن الأمرِ العظيمِ، والخطْبِ الجسيمِ، فلم ينفَعْ ذلك فيهم، وكذلك فعَل أبو أيوبَ الأنصاريُّ؛ أنَّبهم [5] ووبَّخهم فلم يَنجَعْ فيهم، وتقدَّم أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ إليهم، فوعَظهم وخوَّفهم وحذَّرهم وأنذَرهم وتهدَّدهم وتوعَّدَهم، وقال [6]: إنَّكم أنكَرتم عليَّ أمرًا أنتم دعَوتمونى إليه وأبَيتم إلَّا إيَّاه، فنهيتُكم عنه فلم تقبَلوا، وها أنا وأنتم، فارجِعوا إلى ما خرَجتم مِنه، ولا تركَبوا [7] محارمَ اللَّهِ، فإنَّكم قد سَوَّلتْ لكم أنفسُكم أمرًا [8] تقتُلون عليه المسلمين، واللَّهِ لو قتَلتُم عليه دَجاجةً لكان عظيمًا عندَ اللَّهِ، فكيف بدماءِ المسلمين؟!

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) في الأصل، ا ٧، ا ٦: «عبيد». وفي ص: «أبو عبد». انظر الاستيعاب ٣/ ٩٨٧، والإصابة ٤/ ٢٣٦. وهو غير عبد اللَّه بن مسعود بن غافل الهذلي الصحابي المعروف.

(٣ - ٣) في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «دماءكم وأموالكم».

(٤ - ٤) في ا ٨: «هم مرتكبون». وفي ا ٧: «هم فيه مرتكبوه». وفي م، ص: «ارتكبوه».

(٥) في الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أتاهم».

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٨٤، والكامل ٣/ ٣٤٤.

(٧) في ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «ترتكبوا».

(٨) سقط من: ا ٨. وفي الأصل، ا ٧، ا ٦: «ما».

فلم يكنْ لهم جوابٌ إلَّا أن تبادَروا وتنادَوا فيما بينَهم أن لا تُخاطِبوهم ولا تُكلِّموهم وتَهيَّئوا للقاءِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، الرواحَ الرواحَ إلى الجنةِ! وتقدَّموا فاصطفُّوا للقتالِ وتأهَّبوا للنِّزالِ، فجعَلوا على ميمنتِهم زيدَ [٦/٣٨و] بنَ حُصينٍ[(١)] الطائيَّ السِّنْبِسِيَّ، وعلى الميسرةِ شُريحَ بنَ أَوْفى، وعلى خيَّالتِهم حمزةَ بنَ سِنانٍ، وعلى الرَّجَّالةِ حُرقوصَ بنَ زُهيرٍ السَّعديَّ، ووقَفوا مقاتِلين لعليٍّ وأصحابِه.

وجعَل عليٌّ على ميمنتِه حُجْرَ بنَ عديٍّ، وعلى الميسرةِ شَبَثَ بنَ رِبعيٍّ، أو[(٢)] مَعْقِلَ بنَ قيسٍ الرِّياحيَّ، وعلى خَيَّالتِه أبا أيوبَ الأنصاريَّ، وعلى الرجَّالةِ أبا قتادةَ الأنصاريَّ، وعلى أهلِ المدينةِ - وكانوا سبعَمائةٍ - قيسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادةَ، وأمَر عليٌّ أبا أيوبَ الأنصاريَّ أن يرفَعَ رايةَ أمانٍ للخوارجِ[(٣)]، ويقولَ لهم: مَن جاء إلى هـذه الرايةِ فهو آمِنٌ، ومَن انصرَفَ إلى الكوفةِ والمدائنِ فهو آمِنٌ، إنه لا حاجةَ لنا [(٤)]في دمائِكم[(٤)]، إلَّا في من قتَل إخوانَنا.

فانصرَف منهم طوائفُ كثيرون، وكانوا في أربعةِ آلافٍ، فلم يبقَ منهم إلا ألفٌ - أو أقلُّ - مع عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ الرَّاسِبيِّ، فزحَفوا إلى عليٍّ فقدَّم عليٌّ بينَ يدَيه الخيلَ، وقدَّم منهم الرماةَ، وصفَّ الرَّجَّالةَ وراءَ الخيَّالةِ، وقال لأصحابِه: كُفُّوا عنهم حتى يبدءُوكم. وأقبَلتِ الخوارجُ وهم[(٥)] يقولون: لا حُكمَ إلا للَّهِ، الرواحَ الرواحَ إلى الجنةِ! فحمَلوا على الخيَّالةِ الذين قدَّمهم عليٌّ، ففرَّقوهم حتى

---

(١) في النسخ: «حصن». والمثبت من تاريخ الطبري، والكامل. وانظر وقعة صفين، ص: ٩٩، ١٠٠، ٤٨٩.

(٢) في الأصل، ا ٧، م: «و».

(٣) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٤ - ٤) في م، ص: «فيكم».

(٥) سقط من: م، ص.

أخَذَت طائفةٌ مِن الخيَّالةِ إلى الميمنةِ، وأخرَى إلى الميسرةِ، فاستقبَلتْهم الرماةُ بالنَّبلِ، فرمَوا وجوهَهم، وعطَفت عليهم الخيَّالةُ مِن الميمنةِ والميسرةِ، ونهَض إليهم الرِّجالُ بالرماحِ والسيوفِ، فأناموا الخوارجَ، فصاروا صَرعَى تحتَ سنابكِ الخيولِ، وقُتِلَ أُمراؤُهم؛ عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ، وحُرقوصُ بنُ زُهيرٍ، وشُريحُ بنُ أوفَى، وعبدُ اللَّهِ بنُ شَجَرةَ[1] السُّلَمىُّ. قبَّحهم اللَّهُ.

قال أبو أيوبَ[2]: وطعَنتُ رجلًا مِن الخوارجِ بالرمحِ فأنفَذتُه مِن ظهرِه، وقلتُ له: أبشِرْ يا عدوَّ اللَّهِ بالنارِ. فقال: ستعلَمُ أيُّنا أولَى بها صِليًّا.

قالوا[3]: ولم يُقتَلْ مِن أصحابِ عليٍّ إلا سبعةُ نَفَرٍ.

وجعَل عليٌّ يَمشى بينَ القتلَى منهم ويقولُ[4]: بُؤْسًا لكم، لقد ضرَّكم مَن غرَّكم. فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، ومَن غرَّهم؟ قال: الشيطانُ، وأنفسٌ بالسوءِ أمَّارةٌ، غرَّتْهم بالأمانىِّ، وزيَّنت لهم المعاصىَ، ونبَّأتْهم أنهم ظاهِرون. ثم أمَر بالجرحَى مِن بينِهم فإذا هم أربعُمائةٍ، فسلَّمهم إلى قبائلِهم ليُداووهم، وقسَم ما وجَد مِن سلاحٍ ومتاعٍ لهم.

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ فى كتابِ «الخوارجِ»: وحدَّثنا محمدُ بنُ قيسٍ الأسَدىُّ ومنصورُ بنُ دينارٍ، عن [5]عبدِ الملكِ[5] بنِ مَيْسَرَةَ، عن النَّزَّالِ بنِ سَبْرَةَ[6]، أنَّ عليًّا لم يُخَمِّسْ ما أصاب مِن الخوارجِ يومَ النهروانِ، ولكن ردَّه إلى

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «سخبرة». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٨٧، والكامل ٣/ ٣٤٧.
(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٨٧، والكامل ٣/ ٣٤٦.
(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٨٩، والمنتظم ٥/ ١٣٤، والكامل ٣/ ٣٤٨.
(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٨٨.
(٥ - ٥) فى ص: «عبد اللَّه». انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٢١.
(٦) فى ص: «ميسرة». انظر المصدر السابق ٢٩/ ٣٣٤.

أهليهم[1] كلَّه، حتى كان آخِرَ ذلك مِرجَلٌ أُتِى به فردَّه.

وقال أبو مِخْنَفٍ[2]: حدَّثنى [3]عبدُ الملكِ[3] [٦/٣٨ظ] بنُ أبى حُرَّةَ[4]، أن عليًّا خرَج فى طلبِ ذِى الثُّدَيَّةِ، ومعه سليمانُ بنُ ثُمامةَ الحنفىُّ أبو جَبْرةَ[5]، والرَّيَّانُ[6] بنُ صَبْرةَ بنِ هَوْذةَ، فوجَده الرَّيَّانُ[7] فى حفرةٍ على جانبِ النَّهَرِ فى أربعين أو خمسين قتيلًا، قال: فلما استُخرِج له نظَر إلى عَضُدِه، فإذا لحمٌ مجتمِعٌ على مَنكِبِه كثَدْيِ المرأةِ، له حَلَمةٌ كحلمةِ الثدىِ عليها شَعَراتٌ سودٌ، فإذا مُدَّت امتدَّت حتى تُحاذِىَ[8] يدَه[9] الأُخرى، ثم تُترَكُ[10] فتعودَ إلى مَنْكِبِه كثدىِ المرأةِ. فلمَّا رآه[11] قال علىٌّ: أمَا واللَّهِ ما كذَبتُ [12]ولا كُذِبتُ[12]، [13]أمَا واللَّهِ[13] لولا أن تتَّكِلوا على غيرِ[14] العملِ لأخبَرتُكم بما قضَى اللَّهُ [15]على لسانِ نبيِّه ﷺ لمن قاتَلهم مُستبصِرًا[15] فى قتالِهم عارفًا للحقِّ.

---

(١) فى م، ص: «أهله».

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٨٨ من طريق أبى مخنف به بنحوه.

(٣ - ٣) فى ا ٦: «عبد الله». وانظر المصدر السابق.

(٤) فى ص: «جمرة».

(٥) فى الأصل، ا ٧، ا ٦، م، ص: «حرة». والمثبت من الطبرى.

(٦) فى ص: «الريانى».

(٧) فى م، ص: «الريانى».

(٨) بعده فى الطبرى: «طول».

(٩) فى ا ٧: «ثديه».

(١٠) فى م: «تنزل». وفى ص: «نزل».

(١١) فى م، ص: «استخرج».

(١٢ - ١٢) سقط من: م، ص.

(١٣ - ١٣) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى.

(١٤) سقط من: م، ص.

(١٥ - ١٥) سقط من: م، ص. وفى الأصل، ٨١، ٧١، ٦١: «لكم». والمثبت من تاريخ الطبرى.

وقال الهيثمُ بنُ عديٍّ فى كتابِه فى الخوارجِ: وحدَّثنى محمدُ بنُ ربيعةَ الأحمَسيُّ[1]، عن نافعِ بنِ مَسْلَمةَ الأحمَسيِّ[2] قال: كان ذُو الثُّدَيَّةِ رجلًا مِن عُرَيْنةَ[3] مِن بَجيلةَ، وكان أسودَ شديدَ السوادِ، له ريحٌ مُنتِنةٌ معروفٌ فى العسكرِ[4]، يرافِقُنا على[5] ذلك وينازلُنا وننازلُه.

وحدَّثنى أبو إسماعيلَ الحنفيُّ، عن الريانِ بنِ صَبْرةَ الحنفيِّ قال: شهِدنا النهروانَ مع عليٍّ، فلمَّا وجدَ المُخْدَجَ[6] سجدَ سَجدةً طويلةً [7]شكرًا للَّهِ[7].

وحدَّثنى سفيانُ الثوريُّ، عن محمدِ بنِ قيسٍ الهَمْدانيِّ، عن رجلٍ مِن قومِه يُكْنَى أبا موسى، أن عليًّا لمَّا وجَد المُخْدَجَ سجدَ[8].

وحدَّثنى يونسُ بنُ أبى إسحاقَ، حدَّثنى إسماعيلُ [7]بنُ سعيدِ بنِ عروةَ[7]، عن حَبَّةَ العُرَنيِّ قال: لمَّا [9]قتَل عليٌّ[9] أهلَ النهروانِ جعَل الناسُ يقولون: الحمدُ للَّهِ يا أميرَ المؤْمنين الذى قطَع دابرَهم. فقال عليٌّ: كلَّا واللَّهِ إنَّهم لفى أصلابِ الرجالِ وأرحامِ النساءِ، فإذا خرجوا من بينِ الشرايينِ فقلَّما يُقاتِلون[10] أحدًا إلَّا

---

(١) فى الأصل، ا ٨، ا ٦: «الأخمس». وفى م: «الأخنسى».
(٢) قال السمعانى فى الأنساب ١/ ٩١: الأَحْمَسى:... هذه النسبة إلى أحمس وهى طائفة من بجيلة نزلوا الكوفة.
(٣) فى م، ص: «عرنة». انظر معجم قبائل العرب ١/ ٦٣.
(٤) بعده فى م، ص: «وكان».
(٥) فى م، ص: «قبل».
(٦) فى ا ٧: «المخرج». وفى ص: «المجدع». والمخدج: ناقص اليد. صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ١٧١.
(٧ - ٧) سقط من: م، ص.
(٨) بعده فى م: «سجدة طويلة».
(٩ - ٩) فى م، ص: «أقبل».
(١٠) فى م، ص: «يلقون».

أَلِفوا[1] أن يَظْهروا عليه. قال: وكان عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ الراسبيُّ قد قحِلت[2] مواضعُ السجودِ منه مِن شدةِ اجتهادِه وكثرةِ سجودِه، وكان يقالُ له: ذو المَنقَباتِ[3].

وروى الهيثمُ، عن بعضِ الخوارِجِ، أنَّه قال: ما كان عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ مِن بِغضَتِه لعليٍّ يُسمِّيه إلَّا الجاحدَ.

وقال الهيثمُ بنُ عديٍّ: ثنا [4]إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ[4]، عن [5]حَكيمِ بنِ جابرٍ[5] قال: سُئِل عليٌّ عن أهلِ النهروانِ: أمشركون هم؟ فقال: مِن الشركِ فرُّوا. قيل: أفمنافقون هم[6]؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون اللَّهَ إلَّا قليلًا. فقيل: فما هم يا أميرَ المؤمنين؟ قال: إخوانُنا بَغَوا علينا فقاتَلْناهم ببَغْيِهم علينا. هذا ما أورَده ابنُ جريرٍ[7]، وغيرُه فى هذا المَقامِ[8].

---

(١) فى م، ص: «ألبوا».

(٢) فى ص: «محلت». وقحلت: يبست.

(٣) فى م: «البينات». وفى ص: «النسات» كذا.

(٤ - ٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أشهب بن أبى خالد». وفى م، ص: «إسماعيل عن خالد». وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩.

(٥ - ٥) فى الأصل: «عليم بن جابر». وفى ا ٨، ا ٧: «عكيم بن جابر». وفى م، ص: «علقمة بن عامر». وانظر المصدر السابق ٧/ ١٦٢.

(٦) سقط من: م، ص.

(٧) تاريخ الطبرى ٥/٧٢ - ٩٢.

(٨) المنتظم ٥/١٢٩ - ١٣٦، والكامل ٣/٣٤١ - ٣٤٨.

ولْنَذْكُرِ الآنَ ما ورَد فيهم مِن الأحاديثِ المرفوعةِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ

الحديثُ الأولُ عن عليٍّ ، رضِيَ اللَّهُ عنه : رَواه [٦/٣٩و] عنه زيدُ بنُ وهبٍ ، وسُوَيدُ بنُ غَفَلَةَ ، وطارقُ بنُ زيادٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ شدادٍ ، وعبيدُ اللَّهِ بنُ أبى رافعٍ ، وعَبِيدةُ بنُ عمرٍو السَّلْمانىُّ ، وكُلَيْبٌ أبو عاصمٍ ، وأبو كثيرٍ ، وأبو مريمَ ، وأبو موسى ، وأبو وائلٍ ، (١وأبو الوَضِيءِ١) ، فهذه اثنا عشَرَ طريقًا إليه ، سَتَراها بأسانيدِها وألفاظِها ، ومثلُ هذا يَبلُغُ حدَّ التَّوَاتُرِ .

(٢**الطريقُ الأولى**٢) : (٣قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ(٤) : ثنا أبو يوسفَ ، أنا يحيى بنُ عبدِ الملكِ بنِ حُميدِ بنِ أبى غَنِيَّةَ(٥) ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهيلٍ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ قال : لمَّا خرجتِ الخوارجُ بالنهروانِ ، قام عليٌّ فى أصحابِه فقال : إن هؤلاء القومَ قد سفكُوا الدمَ الحرامَ ، وأغاروا على(٦) سَرْحِ الناسِ ، وهم أقربُ العدوِّ إليكم ، فإن تَسيروا إلى عدوِّكم ، (٧فإنَّا نخافُ٧) أن يَخلُفَكم هؤلاء فى أعقابِكم ، إنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « تَخرُجُ خارجةٌ مِن أمتى ، ليس صلاتُكم إلى صلاتِهم بشىءٍ ، ولا صيامُكم إلى صيامِهم بشىءٍ ، ولا قِراءتُكم إلى قِراءتِهم بشىءٍ ، يَقرءون٣)

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « وأبو الرضى » ، وفى م : « الوضى » . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٦٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) المسند ١/ ٩١ ، ٩٢. (إسناده صحيح) .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « عتبة » . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٤٦.

(٦) فى المسند : « فى » .

(٧ - ٧) فى المسند : « أنا أخاف » .

[1] القرآنَ يَحسَبون أنَّه لهم وهو عليهم، لا يُجاوزُ حَناجِرَهم، يَمرُقون مِن الإسلامِ مُروقَ[2] السهمِ مِن الرَّمِيَّةِ». وآيةُ ذلك أن فيهم رجلًا له عَضُدٌ وليس لهَا ذِراعٌ، عليها مثلُ حلَمةِ الثدي، عليها شَعَراتٌ بِيضٌ، لو يعلمُ الجيشُ الذين يُصيبونهم ما لهم على لسانِ نبيِّهم [3]لاتَّكَلُوا على[3] العملِ، فسيروا على اسمِ اللَّهِ. وذكَر الحديثَ بطولِهِ. هكذا رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ إلى هنا[1].

قال مسلمُ بنُ الحجَّاجِ فى «صحيحه»[4]: حدَّثنا عبدُ بنُ حُميدٍ، ثنا عبدُ الرزَّاقِ بنُ[5] همّامٍ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ أبى سليمانَ، ثنا سلمةُ بنُ كُهيلٍ، حدَّثنى زيدُ بنُ وهبٍ الجُهنىُّ، أنه كان فى الجيشِ الذين كانوا مع علىٍّ[6]، رَضِىَ اللَّهُ عنه، الذين ساروا إلى الخوارجِ، فقال علىٌّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه: يا أيها الناسُ، إنى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يخرُجُ قومٌ مِن أُمتى يقرءُون القرآنَ، ليس قِراءتُكم إلى قِراءَتِهم بشىءٍ، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهم بشىءٍ، ولا صيامُكم إلى صيامِهم بشىءٍ، يقرءُون القرآنَ يَحسَبون أنه لهم وهو عليهم [7]لا تُجاوزُ صلاتُهم تراقِيَهم، يمرُقون من الإسلامِ كما يَمرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّةِ[7]». لو يعلَمُ الجيشُ الذين يُصيبونهم ما قُضِى لهم على لسانِ نبيِّهم ﷺ [8]لاتَّكَلوا على[8] العملِ، وآيةُ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى المسند: «كما يمرق».

(٣ - ٣) فى الأصل: «لنكلوا على»، وفى ا ٨، ا ٧: «لنكلوا عن»، وفى ا ٦: «لتكلوا عن». والمثبت من المسند.

(٤) مسلم (١٥٦/١٠٦٦).

(٥) فى م، ص: «عن». انظر تهذيب الكمال ١٨/٥٢.

(٦) سقط من: م، ص.

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من مسلم.

(٨ - ٨) فى الأصل: «لنكلوا على»، وفى ا ٨، ا ٧، ا ٦: «لنكلوا عن»، وفى مسلم «لاتكلوا عن».

ذلك أن فيهم رجلًا له عَضُدٌ ليس له[1] ذِراعٌ، على رأسِ عَضُدِه مثلُ حَلَمةِ الثَّدْيِ، عليه شَعَراتٌ بِيضٌ، فتذهَبون إلى معاويةَ وأهلِ الشامِ وتترُكون هؤلاء يخلُفُونكم فى [2]ذَرَارِيِّكم وأموالِكم[2]، واللَّهِ إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القومَ، فإنهم قد سفَكوا الدمَ الحرامَ، وأغاروا فى سَرْحِ الناسِ، [٦/٣٩ظ] فسِيروا على اسمِ اللَّهِ.

قال سَلَمةُ: فنزَّلَنى[3] زيدُ بنُ وهبٍ [4]مَنْزِلًا مَنْزِلًا[4]، حتى [5]قال: مرَرْنا[5] على قنطرةٍ. فلمَّا التقينا، وعلى الخوارجِ يومَئذٍ عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ الراسبىُّ، فقال لهم: ألقُوا الرِّماحَ، وسُلُّوا سُيوفَكم مِن[6] جُفُونِها، فإنى أخافُ أن يُناشِدوكم كما ناشَدوكم يومَ حَرُوراءَ. فرجَعوا فوَحَّشوا برماحِهم[7]، وسلُّوا السُّيُوفَ، فشجَرهم الناسُ برماحِهم[8]. قال: وقُتِل بعضُهم على بعضٍ، وما أُصِيب مِن الناسِ يومَئذٍ إلَّا رجلان، فقال علىٌّ، رضِى اللَّهُ عنه: التَمِسُوا فيهمُ المُخْدَجَ. فالتمَسوه فلم يَجِدوه، فقام علىٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، بنفسِه حتى أتَى ناسًا

---

(١) فى النسخ: «لها» والمثبت من مسلم.

(٢ - ٢) فى ا ٦: «دياريكم وأموالكم»، وفى ص: «ذراريكم».

(٣) فى م، ص: «فذكر».

(٤ - ٤) كذا فى: م، وفى باقى النسخ، ومسلم: «منزلًا».

قال الإمام النووى فى شرح مسلم ٧/ ١٧٢: هكذا هو فى معظم النسخ مرة واحدة، وفى نادر منها: «منزلًا منزلًا» مرتين، وهو وجه الكلام؛ أى: ذكر لى مراحلهم بالجيش منزلًا منزلًا حتى بلغ القنطرة التى كان القتال عندها وهى قنطرة الديرجان.

(٥ - ٥) فى النسخ: «مروا». والمثبت من مسلم.

(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٦: «واكسروا»، وفى ا ٧، م: «وكسروا».

(٧) أى: رموا بها عن بعد.

(٨) «فشجرهم الناس برماحهم» أى: مددوها إليهم وطاعنوهم بها، والمراد بالناس أصحاب علىٍّ، رضى اللَّه عنه. انظر المصدر السابق.

(١ قد قُتِل بعضُهم على بعضٍ ١) ، فقال : أخِّروهم (٢) . فوجَدوه مِما يَلِى الأرضَ ، فكبَّر (٣) ، قال : صدَق اللَّهُ ، وبلَّغ رسولُه . قال : فقام إليه عَبيدةُ (٤) السَّلْمانىُّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، آللَّهُ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، (٥ لَسَمِعْتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ٥) فقال : إى (٦ والله الذى لا إلهَ إلَّا هو ٦) . فاستحلَفه (٧) ثلاثًا ، وهو يَحلِفُ له (٨) . هذا (٩) لفظُ مسلمٍ . وقد رَواه أبو داودَ ، عن الحسنِ بنِ علىٍّ الخلَّالِ ، عن عبدِ الرزَّاقِ ، بنحوِه (١٠) .

طريقٌ أخرَى عن علىٍّ : قال الإمامُ أحمدُ (١١) : حدَّثنا وكيعٌ ، ثنا الأعمشُ وعبدُ الرحمنِ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن (١٢) خيثمةَ ، عن سُوَيدِ بنِ غَفَلةَ قال : قال علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، إذا حدَّثْتُكم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فلأَن أخِرَّ مِن السماءِ أحبُّ إلىَّ مِن أن أكذِبَ عليه ، وإذا حدَّثْتُكم فيما بينى وبينَكم فإن الحربَ خَدعةٌ ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يخرُجُ قومٌ (١٣) فى آخرِ الزمانِ أحداثُ

(١ - ١) فى م ، ص : « بعضهم إلى بعض » .

(٢) فى م ، ص : « أخروه » .

(٣) بعده فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ : « على » .

(٤) فى ص : « عبادة » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ .

(٦ - ٦) فى م : « إنى » . وفى ص : « قال : إنى » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) إنما استحلفه ليسمع الحاضرين ويؤكد ذلك عندهم ويظهر لهم المعجزة التى أخبر بها رسول الله ﷺ ويظهر لهم أن عليًا وأصحابه أولى الطائفتين بالحق وأنهم محقون فى قتالهم . مسلم بشرح النووى ٧/ ١٧٣ .

(٨) بعده فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ ، م : « أنه سمعه من رسول الله ﷺ » .

(٩) سقط من : الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ .

(١٠) أبو داود (٤٧٦٨) .

(١١) المسند ١٣١/١ (إسناداه صحيحان) .

(١٢) فى م ، ص : « ابن » . انظر أطراف المسند ٤/ ٤١٧ .

(١٣) بعده فى م ، ص : « من أمتى » .

الأسنانِ ، سفهاءُ الأحلامِ ، يقولون مِن قولِ خيرِ البريَّةِ ، [1]يقرءُون القرآنَ لا يُجاوزُ حناجرَهم ، قال عبدُ الرحمنِ : لا يجاوزُ إيمانُهم حناجرَهم[1] ، يمرُقون مِن الدينِ كما يمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، فإذا لَقِيتُموهم فاقتلُوهم ؛ فإن فى قتلِهم أجرًا لِمَن قتلَهم عندَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، يومَ القيامةِ » . وأخرَجاه فى « الصحيحَين » ، مِن [2]طُرُقٍ ، عن[2] الأعمشِ به[3] .

طريقٌ أخرَى : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو نعيمٍ ، و[5]حدَّثنا الوليدُ بنُ القاسمِ الهَمْدانىُّ ، ثنا إسرائيلُ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الأعلى ، عن طارقِ بنِ زيادٍ قال : سار علىٌّ إلى النهروانِ - قال الوليدُ فى روايتِه : وخرَجنا معه - فقَتل الخوارجَ ، فقال : اطْلُبوا المُخْدَجَ[6] ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « سَيَجِىءُ قومٌ يَتَكلَّمون بكلمةِ الحقِّ لا تُجاوزُ[7] حُلُوقَهم ، يَمرُقُون مِن الإسلامِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، سيماهُم ، أو فيهم ، رجلٌ أسودُ مُخْدَجُ اليدِ ، فى يدِه شَعَراتٌ سُودٌ » . إن كان فيهم فقد قتَلتُم شرَّ الناسِ ، وإن لم يكنْ فيهم فقد قتَلتم خيرَ الناسِ . قال الوليدُ فى روايتِه : فبكَيْنا . قال : ثم[5] إنا وجَدنا المُخْدَجَ . قال[5] : فخرَرنا سُجُودًا ، وخرَّ علىٌّ ساجدًا[8] معنا . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « طريق » .

(٣) البخارى (٣٦١١ ، ٥٠٥٧ ، ٦٩٣٠) ، ومسلم (١٥٤/١٠٦٦) .

(٤) المسند ١/١٤٧ ، ١٠٧ . (إسناداه صحيحان) .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) سقط من : ص . وغير موجودة فى المسند .

(٧) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « لا يجاوز » .

(٨) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

طريقٌ أخرَى : رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادٍ ، [1]عن عليٍّ[1] ، كما تقدَّم[2] قريبًا إيرادُه[3] بطولِه .

طريقٌ أخرَى [4]عن عليٍّ رضِى اللَّهُ عنه[4] : قال مسلمٌ[5] : حدَّثنى أبو الطاهرِ ويونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قالا[6] : أنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، أخبَرنى عمرُو [٦/٤٠و] ابنُ الحارثِ ، عن بُكيرِ بنِ الأشجِّ ، عن بُسْرِ[7] بنِ سعيدٍ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى رافعٍ ؛ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ أن الحَرُورِيَّةَ لمَّا خرَجتْ ، وهو مع عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قالوا : لا حُكْمَ إلَّا للَّهِ . قال عليٌّ : كلمةُ حقٍّ أُرِيد بها باطلٌ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ وصَف ناسًا ، إنى لأعرِفُ صفتَهم فى هؤلاء « يَقولون الحقَّ بألسنتِهم لا يَجُوزُ[8] هذا منهم ، وأشار إلى حَلْقِه ، مِن أبغضِ خلقِ اللَّهِ إليه ، منهم أسودُ إحدى يَديْه طُبْىُ شَاةٍ[9] ، أو حَلَمةُ ثَدْيٍ » . فلمَّا قتَلهم عليُّ بنُ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : انظُروا . فنظَروا فلم يَجِدوا شيئًا ، فقال : ارْجِعوا[10] ، فواللَّهِ ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ . مرتَين أو ثلاثًا ، ثم وجَدوه فى خَرِبةٍ ، فأَتَوْا به[11] حتى وضَعوه بينَ يدَيْه ، قال عُبيدُ اللَّهِ : وأنا حاضرُ ذلك مِن أمرِهم ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٢) تقدم فى صفحة ٥٦٥ .

(٣) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٥) مسلم (١٥٧/ ١٠٦٦) .

(٦) سقط من : م ، وفى ص : « قال » .

(٧) فى النسخ : « بشر » . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٢ .

(٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، م : « يجاوز » ، وفى ا ٦ : « نجاوز » .

(٩) طبى شاة : ضرع شاة . مسلم بشرح النووى ٧/ ١٧٤ .

(١٠) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « فانظروا » .

(١١) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « عليًا » .

وقولِ عليٍّ فيهم. زاد يونسُ فى رِوايتِه: قال بُكَيْرٌ: وحدَّثنى رجلٌ، عن ابنِ حُنَيْنٍ، أنه قال: رأيتُ ذلك الأسودَ. تفرَّد به مسلمٌ.

طريقٌ أخرَى: قال أحمدُ[1]: حدَّثنا إسماعيلُ، ثنا أيوبُ، عن محمدٍ، عن عَبيدةَ، عن عليٍّ قال: ذُكِر الخوارجُ[2]، فقال: فيهم مُخْدَجُ اليدِ، [3]أو مَثْدُونُ اليدِ[3]، أو قال: مُودَنُ اليدِ، لولا أن تَبْطَروا لحدَّثْتكم بما وعَد اللَّهُ الذين يَقتُلُونهم على لسانِ محمدٍ ﷺ. قال: قلت: أنت سمِعتَه مِن محمدٍ ﷺ؟ قال: إى وربِّ الكعبةِ، إى وربِّ الكعبةِ، إى وربِّ الكعبةِ.

وقال أحمدُ[4]: ثنا وكيعٌ، ثنا جريرُ بنُ حازمٍ وأبو عمرِو بنِ العلاءِ، عن ابن سِيرينَ، سمِعاه عن عَبيدةَ، عن عليٍّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخرُجُ قومٌ فيهم رجلٌ مُودَنُ اليدِ، أو[5] مَثْدونُ اليدِ، أو مُخْدَجُ اليدِ، ولولا أن تَبْطَروا لأنبأْتُكم بما وعَد اللَّهُ الذين يقتُلُونهم على لسانِ نبيِّه[6] ﷺ. قال عَبيدةُ: قلت لعليٍّ: أنتَ سمِعتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: إى وربِّ الكعبةِ، إى وربِّ الكعبةِ، [7]إى وربِّ الكعبةِ[7].

وقال أحمدُ[8]: ثنا يزيدُ، ثنا هشامٌ، عن محمدٍ، عن عَبيدةَ قال: قال عليٌّ

---

(١) المسند ١/٨٣ (إسناده صحيح).
(٢) بعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «عند على».
(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٤) المسند ١/٩٥ (إسناده صحيح).
(٥) فى الأصل: «اذا». وبعده فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «قال».
(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «نبيكم».
(٧ - ٧) سقط من: ا ٨، ا ٧، ا ٦، م، ص.
(٨) المسند ١/١٤٤ (إسناده صحيح).

لأهلِ النهروانِ[1] : فيهم رجلٌ مَثْدونُ اليدِ ، [2]أو مُودَنُ اليدِ[2] ، أو مُخْدَجُ اليدِ ، لولا أن تَبْطَرُوا لأَخْبَرتُكم ما قضَى اللَّهُ على لسانِ نبيِّه ﷺ لِمَن قتَلهم . [3]قال عَبيدةُ[3] : فقلتُ لعليٍّ : أنتَ سمِعتَه[4] ؟ قال : إى[5] وربِّ الكعبةِ . يحلِفُ عليها ثلاثًا .

وقال أحمدُ[6] : ثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن[7] ابنِ عونٍ ، عن محمدٍ قال : قال عَبيدةُ : لا أُحدِّثُك إلا ما سمِعتُ منه . قال محمدٌ : فحلَف لنا عَبيدةُ ثلاثَ مرَّاتٍ[8] ، وحلَف له عليٌّ ، [9]قال : قال[9] : لولا أن تَبْطَروا لأنبأْتكم ما وعَد اللَّهُ الذين يقتُلُونهم على لسانِ محمدٍ ﷺ . قال : قلت : أنتَ سمِعتَه ؟ قال : إى وربِّ الكعبةِ ، إى وربِّ الكعبةِ ، إى وربِّ الكعبةِ ، فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ ، [٦/ ٤٠ظ] أو مَثْدُونُ اليدِ ، أحسَبُه قال : أو مُودَنُ اليدِ .

وقد رَواه مسلمٌ ، مِن حديثِ إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ وحمادِ بنِ زيدٍ ، كلاهما عن أيوبَ ، وعن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن ابنِ أبى عديٍّ ، عن ابنِ عونٍ ، كلاهما عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن عَبيدةَ ، عن عليٍّ[10] .

وقد ذكَرناه مِن طُرُقٍ متعدِّدةٍ تُفيدُ القطعَ عندَ كثيرين ، عن محمدِ بنِ

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « النهر » .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .
(٤) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « من رسول الله ﷺ » .
(٥) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « نعم » .
(٦) المسند ١/١٥٥ (إسناده صحيح) .
(٧) بعده فى م ، ص : « أبى » . انظر أطراف المسند ٤/ ٤٦٠ .
(٨) كذا فى النسخ ، وفى المسند « مرار » .
(٩ - ٩) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « قال » .
(١٠) مسلم (١٥٥،..../١٠٦٦) .

سِيرينَ ، وقد حلَف[1] أنه سمِعه مِن عَبيدةَ ، وحلَف عَبيدةُ أنه سمِعه مِن عليٍّ ، [2]وحلَف عليٌّ[2] أنه سمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد قال عليٌّ : لأَن أَخِرَّ مِن السماءِ إلى الأرضِ أحبُّ إليَّ مِن أن أكذِبَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ .

طريقٌ أخرَى : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ[3] : حدَّثنى إسماعيلُ أبو[4] مَعْمَرٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، ثنا عاصمُ بنُ كُليبٍ ، عن أبيه قال : كنت جالسًا عندَ عليٍّ ، إذ دخَل رجلٌ عليه ثيابُ السفرِ ، فاستأذَن علَى عليٍّ وهو يُكلِّمُ الناسَ ، [5]فشُغِل عنه[5] ، فقال عليٌّ : إنِّى دخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعندَه عائشةُ ، فقال لى[6] : « كيف أنت وقومُ[7] كذا وكذا ؟ » . فقلت : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ[8] . قال : فقال : « قومٌ يَخْرُجون مِن قِبَلِ المشرقِ ، يَقرءون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهم ، يَمرُقون مِن الدينِ كما يَمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ ، كأنَّ [9]يدَه ثَدْىُ[9] حَبَشِيَّةٍ » . أنشُدُكم باللَّهِ ، هل أخبَرتكم أنه فيهم ؟ فذكَر الحديثَ بطولِه .

ثم رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ ، عن أبى خَيْثمةَ زُهيرِ بنِ حربٍ ، عن القاسمِ بنِ مالكٍ ، عن عاصمِ بنِ كليبٍ ، عن أبيه ، عن عليٍّ فذكَر نحوَه[10] ، وإسنادُه

---

(١) بعده فى م : « على » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) المسند ١/١٦٠ (إسناده صحيح) .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بن » . وهو خطأ . انظر أطراف المسند ٤/٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٥ - ٥) فى الأصل : ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فاشتغل عنه على » .

(٦) زيادة من المسند .

(٧) فى النسخ : « يوم » . والمثبت من المسند . انظر أطراف المسند ٤/٤٦٨ .

(٨) بعده فى المسند : « ثم عاد ، فقلت : اللَّه ورسوله أعلم » .

(٩ - ٩) فى م ، ص : « يديه يدى » .

(١٠) المسند ١/١٦٠ (إسناده صحيح) .

جيدٌ ، [1] ولم يُخْرِجوه [1] .

طريقٌ أخرَى : قال الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البغداديُّ [2] : أخبَرنا أبو القاسم الأزهريُّ ، أنا عليُّ بنُ عبدِ الرحمنِ البكَّائيُّ [3] ، أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ [4] سليمانَ الحضرَميُّ ، أنا يحيى بنُ [5] عبدِ الحميدِ الحِمَّانيُّ ، أنا خالدُ بنُ عبدِ [6] اللَّهِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن مَيْسَرَةَ قال : قال أبو جُحَيْفَةَ : قال عليٌّ حينَ فرَغْنا مِن الحَرُوريَّةِ : إن فيهم رجلًا مُخْدَجًا [7] ليس فى عَضُدِه عَظْمٌ ، ثم عَضُدُه [8] كحَلَمةِ الثَّدي ؛ عليها شَعَراتٌ طوالٌ عُقْفٌ . فالتَمَسوه فلم يَجِدُوه ، قال : فما رأَيْتُ عليًّا جزِع جَزَعًا أشدَّ مِن جَزَعِه يومَئذٍ . فقالوا : ما نجِدُه يا أميرَ المؤمنين . فقال : ويلكم ، ما اسمُ هذا المكانِ ؟ قالوا : النهروانُ . قال : كذَبتُم ، إنه لفيهم . فثوَّرْنا القتلى فلم نجِدْه ، فعُدْنا إليه ، فقلْنا : يا أميرَ المؤمنين ، ما وجدناه . قال : ما اسمُ هذا المكانِ ؟ قلنا : النهروانُ . قال : صدَق اللَّهُ ورسولُه وكذَبتم ، إنه لفيهم ، فالتمِسوه . فالتمَسْناه ، فوجَدْناه فى ساقيةٍ ، فجِئْنا به فنظَرْتُ إلى عَضُدِه ؛ ليس فيها عَظْمٌ ، وعليها [8] كحَلَمةِ ثَدْيِ المرأةِ ، عليها شَعَراتٌ طِوَالٌ عُقْفٌ .

طريقٌ أخرَى : قال الإمامُ أحمدُ [9] : حدَّثنا أبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ ، ثنا

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) فى م ، ص : « الكنانى » . انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٩.

(٤) بعده فى النسخ : « عطاء عن » . انظر المصدر السابق ١٤/ ٤١.

(٥) سقط من : تاريخ بغداد . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤١٩.

(٦) فى النسخ : « عبيد » . انظر المصدر السابق ٨/ ٩٩.

(٧) زيادة من تاريخ بغداد .

(٨) بعده فى تاريخ بغداد : « حلمة » .

(٩) المسند ١/ ٨٨ (إسناده صحيح) .

إسماعيلُ بنُ مسلمٍ العبديُّ ، ثنا أبو كثيرٍ [٦/٤١و] مولى الأنصارِ قال : كنت مع سيِّدى مع علىِّ بنِ أبى طالبٍ حيثُ قُتِل أهلُ النهروانِ ، فكأنَّ الناسَ وجَدوا فى أنفسِهم مِن قتلِهم ، فقال علىٌّ : يا أيُّها الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد حدَّثَنا بأقوامٍ يَمرُقُون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، ثم لا يَرجِعون فيه أبدًا ، حتى يَرجِعَ السهمُ على فُوقِه ، وإن آيةَ ذلك أن فيهم رجلًا أسودَ مُخْدَجَ اليدِ ، إحدَى يدَيْه كثَدْيِ المرأةِ ، لها حَلَمةٌ كحَلَمةِ ثَدْيِ المرأةِ ، حولَه سبعُ هَلَباتٍ[1] ، فالتمِسوه فإنى أُراه فيهم . فالتمَسوه ، فوجَدوه إلى شَفيرِ[2] النهرِ تحتَ القَتْلى ، فأخرَجوه ، فكبَّر علىٌّ ، فقال : اللَّهُ أكبرُ ، صدَق اللَّهُ ورسولُه . وإنه لمُتَقَلِّدٌ قوسًا له عربيةً ، فأخَذها بيدِه ، فجعَل يَطعَنُ بها فى مُخْدَجَتِه ويقولُ : صدَق اللَّهُ ورسولُه . وكبَّر الناسُ حينَ رأَوْه واستبشَروا ، وذهَب عنهم ما كانوا يَجِدون . تفرَّد به أحمدُ .

طريقٌ أخرَى : قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[3] : حدَّثنا أبو خيثمةَ ، ثنا شَبَابةُ[4] بنُ سَوَّارٍ ، حدَّثنى نُعيمُ بنُ حَكيمٍ ، حدَّثنى أبو مريمَ ، ثنا علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن قومًا يَمرُقُون مِن الإسلامِ كما يَمرُقُ السهمُ مِن الرمِيَّةِ ، يَقرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهم ، طُوبَى لِمَن قتَلهم وقتَلوه ، علامتُهم رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ[5] » .

وقال أبو داودَ فى « سُنَنِه »[6] : حدَّثنا بِشرُ بنُ خالدٍ ، ثنا شَبابةُ بنُ سوَّارٍ ، عن

---

(١) هلبات : شعرات ، أو خصلات من الشعر ، واحدتها : هَلبة . النهاية ٥/ ٢٦٩.

(٢) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « جانب » ، وهما بمعنًى .

(٣) المسند ١/ ١٥١ (إسناده صحيح) .

(٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أبو شبابة» .

(٥) زيادة من المسند .

(٦) أبو داود (٤٧٧٠) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ١٠٢١) .

نُعيمِ بنِ حَكيمٍ، عن أبى مريمَ[1] قال: إن كان ذاك المُخْدَجُ لمعنا يومَئذٍ فى المسجدِ، نجالِسُه بالليلِ والنهارِ، وكان فقيرًا، ورأَيْتُه مع المساكينِ يَشهَدُ طعامَ علىٍّ مع الناسِ، وقد كَسَوْتُه بُرْنُسًا لى. قال أبو مريمَ: وكان المُخْدَجُ يُسمَّى نافعًا ذا الثُّدَيَّةِ، [2]وكان[3] فى يدِه مثلُ ثَدْيِ المرأةِ، على رأسِه حَلَمةٌ مثلُ حَلَمةِ الثَّدْيِ[2]، عليه شَعَراتٌ[4] مثلُ سَبالةِ[5] السِّنَّوْرِ.

طريقٌ أخرَى: قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[6]: [7]أخبَرنا أبو علىٍّ الرُّوذْبارِىُّ، أنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ [8]بنُ عمرٍو[8] بنِ شَوْذَبٍ المقرئُ الواسطِىُّ بها، ثنا شُعيبُ بنُ أيوبَ[7]، ثنا أبو نُعيمٍ - الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ - عن سفيانَ؛ هو الثورىُّ، عن محمدِ بنِ قيسٍ، عن أبى موسى؛ رجلٍ مِن قومِه، قال: كنتُ مع علىٍّ، فجعَل يَقولُ: التمِسوا المُخْدَجَ، فالتَمَسوه فلم يَجِدوه. قال: فأخَذ يَعْرَقُ ويقولُ: واللَّهِ، ما كذَبْتُ ولا كُذِبتُ. فوجَدوه فى نهرٍ أو داليةٍ[9]، فسجَد.

طريقٌ أخرَى: قال أبو بكرٍ البزَّارُ: حدَّثنى محمدُ بنُ مُثَنَّى، ومحمدُ بنُ

---

(١) فى الأصل: «تميم».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ٨، ا٧، ا ٦.

(٣) فى م: «دان».

(٤) كذا فى النسخ، وفى سنن أبى داود: «شعيرات».

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا٧، ا ٦: «سنابلة».
وسبالة السنور: شاربه. النهاية ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٣.

(٧ - ٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «من طريق شعيب بن أيوب».

(٨ - ٨) زيادة من: م، ص ليست فى دلائل النبوة.

(٩) الدالية: المنجنون، وهو دولاب يُستقى عليه.

مَعْمَرٍ[1] ، ثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا سُويدُ بنُ عُبيدٍ العِجْليُّ[2] ، ثنا أبو مؤمنٍ ، قال : شهِدتُ عليَّ بنَ أبى طالبٍ يومَ قُتِل الحَرُورِيَّةُ وأنا مع مولاى ، فقال : انظُروا فإن فيهم رجلًا إحدَى يَدَيْه مثلُ ثَدْيِ المرأةِ ، وأخبَرنى [٦/٤١ظ] النبىُّ ﷺ أنى صاحبُه . فقَلَّبوا القَتْلى فلم يَجِدوه ، وقالوا : سبعةُ نفرٍ تحتَ النخلةِ لم نُقَلِّبْهم[3] بعدُ . فقال : ويلَكم ، انظُروا . قال أبو مؤمنٍ : فرأَيْتُ فى رِجليْه حَبْلَين يَجُرُّونه بهما[4] ، حتى أَلْقَوْه بينَ يَدَيْه ، فخرَّ عليٌّ ساجدًا ، وقال : أبشِروا ، قَتْلاكُم فى الجنَّةِ وقَتْلاهم فى النارِ . ثم قال البزَّارُ : لا نعلَمُ روَى أبو مؤمنٍ[5] عن عليٍّ غيرَ هذا الحديثِ .

طريقٌ أخرَى : قال البزَّارُ : حدَّثنا يوسفُ بنُ موسى ، ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ الرازىُّ ، سمِعت أبا سنانٍ[6] ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ قال : قلت لشَقِيقِ بنِ سَلَمةَ - يعنى أبا وائلٍ : حَدِّثْنى عن ذى الثُّدَيَّةِ . قال : لمَّا قاتلْناهم قال عليٌّ : اطْلُبوا رجلًا علامتُه كذا وكذا . فطلَبْناه فلم نَجِدْه ، فبكَى عليٌّ[7] وقال : اطْلُبُوه ، فواللَّهِ ما كذَبتُ ولا كُذِبتُ . قال : فطَلَبْناه فلم نَجِدْه ، فبكى وقال : اطلُبُوه فواللَّهِ ما كذَبتُ ولا كُذِبتُ . قال : فطَلَبْناه فلم نجِدْه قال : وركِب بغلتَه الشَّهْباءَ ، فطلَبْناه فوجَدْناه تحتَ بَرْدِيٍّ ، فلمَّا رآه سجَد . ثم قال البزَّارُ : لا نعلَمُ روَى

---

(١) فى الأصل ، ٨١ ، ٧١ ، ٦١ : « معتمر » . انظر تهذيب الكمال ٢٦/٤٨٧ .
(٢) فى الأصل : « العلبى » .
(٣) فى الأصل ، ١ ٨، ١ ٧، ١ ٦: « تقتلهم » .
(٤) سقط من : الأصل ، ص .
(٥) فى م : « موسى » .
(٦) فى م ، ص : « سفيان » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٩٢.
(٧) سقط من : م ، ص .

حبيبٌ ، عن شَقِيقٍ ، عن عليٍّ إلَّا هذا الحديثَ .

طريقٌ أخرَى : قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[1] : حدَّثنى عبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ[2] القواريرىُّ ، ثنا حمَّادُ بنُ زَيْدٍ ، ثنا جَميلُ بنُ مُرَّةَ ، عن أبى الوَضِىءِ قال : شهِدتُ عليًّا حيثُ[3] قُتِل أهلُ النهروانِ ، قال : التمِسُوا المُخْدَجَ . فطلَبوه فى القَتْلى ، فقالوا : ليس نَجِدُه . فقال : ارجِعُوا فالتمِسوه ، فواللَّهِ ما كذَبت ولا كُذِبت . فرَجَعوا فطلَبوه ، فردَّد ذلك مِرارًا ، كلُّ ذلك يَحْلِفُ باللَّهِ : ما كذَبتُ ولا كُذِبتُ . فانطَلَقوا فوجَدوه تحتَ القَتْلى فى طينٍ ، فاستَخْرَجُوه ، فجِىءَ به ، فقال أبو الوضِىءِ : فكأنِّى أنظُرُ إليه : حَبَشِىٌّ عليه ثَدْىٌ قد طَبَّق إِحْدَى يَدَيْه مِثلُ ثَدْيِ المرأةِ[4] ، عليها شَعَراتٌ مثلُ شَعَراتِ تكونُ على ذَنَبِ اليَرْبُوعِ .

وقد رَواه أبو داودَ ، عن محمدِ بنِ عُبيدِ بنِ حِسابٍ[5] ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، ثنا جَميلُ بنُ مُرَّةَ ، ثنا أبو الوَضِىءِ ، واسمُه عبَّادُ بنُ نُسَيْبٍ[6] ، ولكنه اختصَره[7] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ أيضًا[8] : حدَّثنا حَجَّاجُ بنُ يُوسفَ الشاعرُ ، حدَّثنى عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى صالحٍ ، أن أبا الوضِىءِ عبَّادًا حدَّثه

---

(١) المسند ١/١٣٩ (إسناده صحيح) .
(٢) فى م : «عمرو» . انظر أطراف المسند ٤/٥٠٨.
(٣) فى الأصل ، م ، ص : «حين» .
(٤) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : «له حلمة» .
(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا٦ : «حسان» . انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٦٠.
(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : «شبيب» . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٦٩.
(٧) سنن أبى داود (٤٧٦٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٩١) .
(٨) المسند ١/ ١٤٠، ١٤١ (إسناده صحيح) .

أنه قال : كنا عامِدِين[1] إلى الكوفةِ مع عليٍّ بنِ أبى طالبٍ . فلمَّا بَلغْنا مَسيرَةَ ليلتَين أو ثلاثٍ مِن حَرُورَاءَ ، شذَّ مِنَّا ناسٌ كثيرٌ ، فذكَرْنا ذلك لعليٍّ فقال : لا يَهولنَّكم أمرُهم ، فإنهم سيَرْجِعون . فـذكَر الحديثَ بطولِه ، قال : فحمِد اللَّهَ عليُّ بنُ أبى طالبٍ وقال : إن خليلى أخبرَنى أن قائدَ هؤلاء رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ ، على حَلَمةِ ثَدْيِه شَعَراتٌ كأنَّهنَّ ذَنَبُ اليَرْبُوعِ . فالتَمَسوه فلم يَجِدُوه ، فأَتَيْناه فقلْنا: إنا لم نجِدْه [2] فقال : فالتَمِسوه ، فواللَّهِ ما كَذَبتُ ولا كُذِبت - ثلاثًا . فقلنا : لم نجدْه . فجاء عليٌّ بنفسِه[2] . فجعَل يقولُ : اقلِبوا ذا ، اقلِبوا ذا . حتى جاء رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ فقال : هو ذا . فقال عليٌّ : اللَّهُ أكبرُ ، لا يَأْتيكم أحدٌ يُخْبِرُكم مَن [٦/٤٢و] أَبُوه ؟ فجعَل الناسُ يقولون : هذا مالكٌ ، هذا مالكٌ . فيقولُ عليٌّ . ابنُ مَن هو[3] ؟

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ أيضًا[4] : حدَّثنى حَجَّاجُ بنُ الشَّاعرِ ، حدَّثنى عبدُ الصَّمـدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى صالحٍ ، أن أبا الوَضِىءِ عبّادًا حدَّثه أنه[5] [6]قال : كنَّا عامِدِين[7] إلى الكوفةِ مع عليٍّ ، فذكَر حديثَ المُخْدَجِ ، قال عليٌّ : فواللَّهِ ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ - ثلاثًا[6] -. ثم قال عليٌّ : أمَا إنَّ خليلى أخبرَنى بثلاثةِ إخوةٍ مِن الجنِّ ، هذا أكبرُهم ، والثانى له جَمْعٌ كثيرٌ ، والثالثُ فيه

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « عائدين » .
(٢ - ٢) زيادة من المسند .
(٣) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .
(٤) المسند ١/١٤١ (إسناده صحيح) .
(٥) سقط من : م ، ص . وفى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فذكر الحديث وفيه » . والمثبت من المسند .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا٧ ، ا ٦ .
(٧) فى م : « عائدين » .

ضَعْفٌ . وهذا السياقُ فيه غَرَابةٌ شديدةٌ[1] جدًّا . وقد يُمكِنُ أن يكونَ ذو الثُّدَيَّةِ مِن الجِنِّ ، بل هو مِن الشياطينِ ؛ إمَّا شياطينِ الإنسِ ، أو شياطينِ الجِنِّ . إن صحَّ هذا السياقُ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

والمقصودُ أن هذه طرقٌ متواترةٌ عن عليٍّ إذ قد رُوِى مِن طُرُقٍ متعدِّدةٍ ، عن جماعةٍ مُتباينَةٍ ، لا يُمْكِنُ تواطُؤُهم على الكذبِ ، فأصْلُ القِصَّةِ محفوظٌ - وإن كان بعضُ الألفاظِ وقَع فيها اختلافٌ بينَ الرُّوَاةِ ، ولكنَّ معناها وأصلَها الذى تواطَأَتِ الرِّواياتُ عليه صحيحٌ لا يُشَكُّ فيه - عن عليٍّ أنه رواه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه أخبَره[2] عن صفةِ الخوارجِ ، وصفةِ[1] ذى الثُّدَيَّةِ الذى هو علامةٌ عليهم .

وقد رُوِى ذلك مِن طريقِ جماعةٍ مِن الصحابةِ [3]غيرَ[4] عليٍّ كما ستراها[5] بأسانيدِها وألفاظِها ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وباللَّهِ المستعانُ .

فقد رواه جماعةٌ مِن الصحابةِ[3] ؛ منهم أنسُ بنُ مالكٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ورافعُ بنُ عمرٍو الغِفاريُّ ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، [6]وأبو سعيدٍ سعدُ بنُ مالكِ بنِ سِنانٍ الأَنْصاريُّ ، وسهلُ بنُ حُنَيْفٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو[6] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ[7] ، وأبو ذرٍّ ، وعائشةُ - أمُّ المؤمنين ،

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) فى م ، ص : « أخبر » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « عن » .
(٥) فى م ، ص : « تراها » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .
(٧) بعده فى م ، ص : « وعلى » .

رضِيَ اللَّهُ عنهم أجمعين.

وقد قدَّمنا حديثَ عليٍّ بطُرُقِه؛ لأنَّه أحدُ الخلفاءِ الأربعةِ، وأحدُ العَشَرَةِ [1]المشهودِ لهم بالجنةِ، وأحدُ أصحابِ الشورى[1]، وصاحبُ القصةِ، ولْنَذْكُرْ بعدَه حديثَ ابنِ مسعودٍ؛ لتَقَدُّمِ وفاتِه على وقعةِ الخوارجِ.

الحديثُ الثانى [2]عن ابنِ مسعودٍ، رضِى اللَّهُ عنه[2]: قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا يحيى بنُ أبى بُكَيْرٍ، ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ قومٌ فى آخرِ الزَّمانِ، سُفَهاءُ الأَحْلَامِ، أَحْدَاثُ - أو قال[4]: حُدَثَاءُ - الأَسْنَانِ، يَقولون مِن خيرِ قولِ الناسِ، يقرَءون القرآنَ بألسنتِهم، لا يَعْدُو تَرَاقِيَهم، يمرُقُون مِن الإسلامِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ، فمَن أدرَكهم فلْيَقْتُلْهم، فإن فى قَتْلِهم أجرًا عظيمًا عندَ اللَّهِ لِمَن قتَلهم».

وقد روَاه الترمذىُّ، عن أبى كُريبٍ، وأخرَجه ابنُ ماجه، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيبةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ زُرَارَةَ، ثلاثتُهم عن أبى بكرِ بنِ عيَّاشٍ به[5]، وقال الترمذىُّ: [2]هذا حديثٌ[2] حسنٌ صحيحٌ.

ابنُ مسعودٍ مات قبلَ ظهورِ الخوارجِ بنحوٍ مِن [6]خمسِ سِنين[6]، فحديثُه[7]

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٣) المسند ١/٤٠٤ (إسناده صحيح).

(٤) سقط من: ا ٨، ا ٧، ا ٦، م، ص.

(٥) الترمذى (٢١٨٨)، وابن ماجه (١٦٨). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٧٩).

(٦ - ٦) فى ا ٧: «خمسين سنة». وهو تحريف.

(٧) فى م، ص: «فخبره».

فى ذلك مِن أقوَى [٦/٤٢ظ] الاعتضادِ[1] .

الحديثُ الثالثُ عن أنسِ بنِ مالكٍ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا إسماعيلُ ، ثنا سليمانُ التَّيْمِيُّ[3] ، ثنا أنَسٌ قال : ذُكِر لى أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ قال - ولم أسمَعْه منه -: « إن فيكم قومًا[4] يتعبَّدون[5] ، ويَدْأَبون[6] حتَّى يُعْجِبوا الناسَ وتُعْجِبُهم أنفُسُهم ، يَمْرُقُون مِن الدينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ » .

طريقٌ أخرَى : قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا أبو المُغيرَةِ ، ثنا الأوزاعىُّ ، حدَّثنى قتادةُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، وأبى سعيدٍ ، قال أحمدُ : وقد حدَّثْناه[8] أبو المُغيرَةِ ، فقال : عن أنسٍ ، عن أبى سعيدٍ ، ثم رجَع ، أن النبىَّ ﷺ قال : « سيكونُ فى أمتى اختلافٌ وفُرقةٌ ؛ قومٌ يُحسِنون القِيلَ ويُسِيئون الفِعْلَ ، يَقرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهم ، يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم ، وصيامَه مع صيامِهم ، يَمْرُقُون مِن الدينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، [9]لا يَرجِعون[9] حتى يَرتدَّ السهمُ على فُوقِه ، هم شرُّ الخَلْقِ والخَلِيقةِ ، طُوبَى لمَن قتَلهم وقتَلوه ، يَدْعُون إلى كتابِ اللَّهِ وليسوا مِنه فى شىءٍ ، مَن قاتَلهم كان أولى باللَّهِ منهم » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما

---

(١) فى م ، ص : « الأسانيد » .
(٢) المسند ٣/ ١٨٩.
(٣) فى الأصل ، م : « التميمى » .
(٤) فى م ، ص : « فرقه » .
(٥) فى المسند : « يعبدون » .
(٦) فى ا ٨، ا ٧، ا ٦، م ، ص : « يدينون » . والدأب : الجد والتعب .
(٧) المسند ٣/ ٢٢٤.
(٨) فى النسخ : « حدثنا » . والمثبت من المسند .
(٩ - ٩) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « يرجعون » ، وفى م ، ص : « ثم لا يرجعون » . والمثبت من المسند .

سِيماهم ؟ قال : « التَّحْلِيقُ » .

وقد رواه أبو داودَ فى « سُنَنِه » ، عن نصرِ بنِ عاصمٍ الأنطاكىِّ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، ومُبَشِّرِ[1] بنِ إسماعيلَ الحلبىِّ ، كلاهما عن الأوزاعىِّ ، عن قتادةَ ، عن[2] أبى سعيدٍ ، و[3]أنسٍ ، به[4] . وأخرَجه أبو داودَ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ وحدَه[5] .

وقد روَى البَزَّارُ مِن طريقِ أبى سفيانَ ، وأبو يَعْلى مِن طريقِ يزيدَ الرَّقَاشىِّ ، كلاهما عن أنسِ بن مالكٍ ، حديثًا فى الخوارجِ ، قريبًا مِن حديثِ أبى سعيدٍ ، كما سيأتى [6]قريبًا مِن حديثِ أبى سعيدٍ[6] . إن شاء اللَّهُ تعالى .

الحديثُ الرابعُ [7]عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رضِىَ اللَّهُ عنه[7] : قال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا حسنُ بنُ موسى ، ثنا أبو[9] شهابٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : كنتُ[10] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ الجِعْرَانةِ وهو يَقْسِمُ فِضَّةً فى ثوبِ بلالٍ للناسِ ، فقال رجلٌ : يارسولَ اللَّهِ ، اعْدِلْ . فقال : « ويلَك ، ومَن يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ ؟! لقد خِبْتُ إن لم أكنْ أَعْدِلُ » . فقال عمرُ : يارسولَ اللَّهِ ، دَعْنى أقتُلُ هذا المنافقَ . فقال : « معاذَ اللَّهِ ، أن يَتحدَّثَ الناسُ أنى

---

(١) فى النسخ : « قيس » . انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١٩٠.

(٢) فى م ، ص : « و » .

(٣) فى م ، ص : « عن » .

(٤) أبو داود (٤٧٦٥) . صحيح سنن أبى داود (٣٩٨٧) .

(٥) أبو داود (٤٧٦٦) ، وابن ماجه (١٧٥) . صحيح سنن أبى داود (٣٩٨٨) .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) سقط من : ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٨) المسند ٣/ ٣٥٣.

(٩) فى النسخ : « ابن » . انظر أطراف المسند ٢/ ١٣٠.

(١٠) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « جئت » . انظر المصدر السابق .

أقتُلُ أصحابى ، إن هذا وأصحابَه يقرءُون القرآنَ لا يُجاوزُ حَناجرَهم ، أو تراقيَهم ، يَمرُقون مِن الدينِ مُرُوقَ[1] السهمِ مِن الرَّميَّةِ » .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ عيَّاشٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، حدَّثنى يحيى بنُ سعيدٍ ، أخبَرنى أبو الزبيرِ ، قال : سمِعت جابرًا يقولُ : [3] بصُر عينى وسمِع[3] أُذُنى رسولَ اللَّهِ ﷺ بالجِعْرَانةِ وفى ثوبِ بلالٍ فضةٌ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقبِضُها للناسِ يُعطيهم ، [٦/٤٣و] فقال رجلٌ : اعْدِلْ . فقال : « ويلَك ، ومَن يَعدِلُ إذا لم أكنْ أَعْدِلُ ؟ » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ دَعْنى أقتُلُ هذا المنافقَ الخبيثَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « معاذَ اللَّهِ ، أن يَتحدَّثَ الناسُ أنى أقتُلُ أصحابى ، إنّ[4] هذا وأصحابَه يقرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيَهم ، يَمرُقون مِن الدينِ كما يمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ » .

ثم رواه أحمدُ[5] ، عن أبى المُغيرَةِ ، [6] عن مُعَانِ[6] بنِ رِفاعةَ ، ثنا أبو الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : لمَّا قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ غنائمَ هوازنَ بالجِعْرَانةِ قام رجلٌ مِن بنى تَميمٍ فقال : اعْدِلْ يا محمدُ . فقال : « ويلَك ! ومَن يَعْدِلُ إذا لم أعْدِلْ ! لقد خِبْتُ وخَسِرْتُ[7] إنْ لم أَعْدِلْ » . قال : فقال عمرُ : يارسولَ اللَّهِ ،

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « كما يمرق » .

(٢) المسند ٣/ ٣٥٤.

(٣ - ٣) اختلف فى ضبط هذين اللفظين ؛ فروى فى ضبطها بصُر ، وسمِع ، كما هو مثبت ، وروى بصَّر وسمَّع ، وروى غيرهما . انظر النهاية ١/ ١٣١.

(٤) زيادة من المسند .

(٥) المسند ٣/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بن معاذ » . وفى م ، ص : « عن معاذ » . وفى المسند : « ثنا معاذ » . والمثبت من أطراف المسند ٢/ ١٣٠.

(٧) روى بفتح التاء فى « خبت وخسرت » وبضمهما فيهما . ومعنى الضم ظاهر والفتح أشهر . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ١٥٩.

ألا أقومُ فأقتُلُ هذا المنافقَ ؟ قال : « معاذَ اللَّهِ أن تَتَسامعَ الأُمَمُ أنَّ محمدًا يقتُلُ أصحابَه » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ هذا [1] وأصحابًا له [1] يَقرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهم ، يَمْرُقُون مِن الدينِ كما يَمرُقُ المَرْمَاةُ [2] مِن الرَّمِيَّةِ » . قال مُعَانٌ [3] : فقال لى أبو الزبيرِ : فعرَضتُ هذا الحديثَ على الزُّهْرِىِّ فما خالفَنى [4] ، إلَّا أنَّه قال : النَّضِىُّ [5] . وقلتُ : القِدْحُ [6] . فقال : ألستَ رجلًا عربيًا ؟ .

وقد روَاه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ رُمْحٍ ، عن الليثِ ، وعن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن عبدِ الوهَّابِ الثَّقَفىِّ ، وأخرَجه النسائىُّ مِن حديثِ الليثِ ، ومالكِ بنِ أنسٍ ، كلُّهم عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ ، به بنحوِه [7] .

حديثُ [8] رافعِ بنِ [8] عمرٍو الغِفارىِّ [9] ، سيأتى [10] مع حديثِ أبى ذرٍ الغِفارىِّ ، رضِىَ اللَّهُ عنهما .

الحديثُ الخامسُ عن [11] سعدِ بنِ مالكِ بنِ أُهَيْبٍ الزُّهْرِىِّ وهو [11] سعدُ بنُ

(١ - ١) فى الأصل : « وأصحابه » .

(٢) فى ا ٧، م : « السهم » .

(٣) فى الأصل : « معاذ الله » . وفى بقية النسخ : « معاذ » . والمثبت من أطراف المسند ٢/١٣٠ .

(٤) بعده فى م ، ص : « فيه » .

(٥) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م : « النضو » . والنَّضِىُّ من السهم : ما بين ريشه ونصله . الوسيط (ن ض ى) .

(٦) القدح : السهم قبل أن يُراش ويُنْصَل . تاج العروس (ق د ح) .

(٧) مسلم (١٠٦٣) ، والنسائى فى السنن الكبرى (٨٠٨٧، ٨٠٨٨) .

(٨ - ٨) فى الأصل : « رابع عن » .

(٩) فى م ، ص : « الأنصارى » ، وبعده فى الأصل : « ومالك بن أنس » .

(١٠) سقط من : م ، ص .

(١١ - ١١) سقط من : م .

أبى وقاصٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه: قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1]: حدَّثنا الحُميدِىُّ، ثنا سفيانُ؛ هو ابنُ عُيَيْنَةَ، حدَّثنى العلاءُ بنُ أبى عيَّاشٍ، أنه سمِع أبا الطُّفَيْلِ، يُحَدِّثُ عن بكرِ بنِ قِرْواشٍ، عن سعدِ بن أبى وقاصٍ قال: ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ذا الثُّدَيَّةِ فقال: «شيطانُ الرَّدْهَةِ[2]، كراعِى الخيلِ يَحْتَدِرُه[3] رجلٌ مِن بَجِيلَةَ؛ يُقَالُ له: الأَشْهَبُ، أو ابنُ الأَشْهَبِ، علامةٌ[4] [5]فى قومٍ[5] ظَلَمَةٍ». قال سفيانُ: فأخبَرنى عمارٌ الدُّهْنِىُّ[6]، أنه جاء به[7] رجلٌ يُقالُ له: الأَشْهَبُ، [8]أو ابنُ الأشهبِ[8].

وقد روَى هذا الحديثَ الإمامُ أحمدُ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، به مختصرًا[9]، ولفظُه: «شيطانُ الرَّدْهَةِ يَحْتَدِرُه»[10]. [11]يعنى رجلًا[11] مِن بَجِيلَةَ. انفرَد به

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، وأخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» ٦/ ٤٣٣، ٤٣٤، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٢) فى الأصل: «الردمه». والرَّدْهة: النقرة فى الجبل يَسْتَنْقِع فيها الماء. وقيل الرَّدهة: قُلَّة الرابية. النهاية ٢/ ٢١٦.

(٣) فى الأصل: «حدره» كذا بغير إعجام، وفى ا ٨: «يحتذره»، وفى ا ٧، ا ٦: «تحذره». قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٣/ ٧٦: ومعنى «يحتدره» فيما أرى: يحدره، أى يحطه من علو إلى سفل، والفعل ثلاثى متعد بنفسه، وأما «احتدر» وهو بوزن المطاوع فلم أجده، ثم هو يكون لازمًا على قياس المطاوع، والذى فى اللسان فى مطاوع «حدر»: «حدره يحدره حدرًا وحدورًا فانحدر وتحدر» ولكن هكذا جاء هنا فعل «احتدر» متعديًا.

(٤) فى م، والمعرفة والتاريخ: «علابة».

(٥ - ٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «لى فيه يوم».

(٦) فى الأصل، م، ص: «الذهبى».

(٧) سقط من: م، ص.

(٨ - ٨) سقط من: م، ص.

(٩) المسند ١/ ١٧٩. (إسناده صحيح).

(١٠) فى م، ص، والمسند: «يحتذره». وشيطان الردهة: أى الحية. انظر الفائق للزمخشرى ٢/ ٢٧٤.

(١١ - ١١) فى النسخ: «رجل». والمثبت من المسند.

أحمدُ . وحكَى البخاريُّ[1] ، عن عليِّ بنِ المَدِينيِّ قال : لم أسمَعْ بذِكْرِ بكرِ بنِ قِرْواشٍ إلَّا فى هذا الحديثِ .

وروى يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] ، عن عُبيدِ[3] اللَّهِ بنِ معاذٍ ، عن أبيه ، عن شُعْبَةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حامدٍ الهَمْدَانِيِّ قال : سمِعتُ سعدَ[4] بنَ أبى وقاصٍ يقول : قَتَل عليٌّ شَيْطانَ الرَّدْهَةِ . قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ : يريدُ ، واللَّهُ أعلمُ ، قتَله أصحابُ عليٍّ بأمرِهِ . وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[5] : حدَّثنا إسرائيلُ بنُ[6] يونسَ ، عن جَدِّه أبى إسحاقَ السَّبِيعيِّ ، عن رجلٍ قال [٦/٤٣ظ] : بلَغ سعدَ بنَ أبى وقاصٍ أن عليَّ بنَ أبى طالبٍ قتَل الخوارجَ ، فقال : قتَل عليُّ بنُ أبى طالبٍ شيطانَ الرَّدْهَةِ .

الحديثُ السادسُ عن أبى سعيدٍ ؛ سعدِ بنِ مالكِ بنِ سِنانٍ الأنصاريِّ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ؛ وله طرقٌ عنه :

الأولى منها : قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا بكرُ بنُ عيسى ، ثنا جامعُ بنُ مَطَرٍ[8] الحَبَطيُّ ، ثنا أبو رُؤْبَةَ[9] شدَّادُ بنُ عِمْرَانَ[10] القيسيُّ[11] ، عن أبى سعيدٍ

---

(١) التاريخ الكبير ٢/ ٩٤.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٠٧، وأخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» ٦/ ٤٣٤، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٣) فى الأصل، م، ص: «عبد».

(٤) فى م، ص: «سعيد».

(٥) فى الأصل: «على».

(٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «عن». انظر تهذيب الكمال ٢/ ٥١٥، ٥١٦.

(٧) المسند ٣/ ١٥.

(٨) فى م: «قطر». انظر أطراف المسند ٦/ ٢٥٦.

(٩) فى م: «روية». انظر المصدر السابق ٦/ ٢٥٥.

(١٠) فى م: «عمر». انظر المصدر السابق.

(١١) فى ا ٨: «العبسى». وفى م، ص: «العنسى». انظر المصدر السابق.

الخدرىِّ ، أن أبا بكرٍ جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال يارسولَ اللَّهِ ، إنى مَرَرْتُ بوَادِى كذا وكذا ، فإذا رجلٌ مُتَخَشِّعٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ يُصَلِّى . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اذهبْ إليه فاقْتُلْه » . قال : فذهَب إليه أبو بكرٍ فلمَّا رآه على تلك الحالِ كرِه أن يَقْتُلَه ، فرجَع[1] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ . لعمرَ : « اذْهَبْ[2] فاقْتُلْه » . فذهَب عمرُ فرآه على تلك الحالِ التى رآه أبو بكرٍ[3] ، فكرِه أن يَقْتُلَه ، فرجَع فقال : يارسولَ اللَّهِ ، إنى رأيتُه يُصلِّى[4] مُتَخَشِّعًا فكرِهْتُ أن أقتُلَه . قال : « يا علىُّ ، اذْهَبْ فاقْتُلْه » . فذهَب علىٌّ فلم يرَه ، فرجَع فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، [5]إنى لم أرَه[5] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ[6] هذا وأصحابَه يَقْرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهم ، يَمْرُقُون مِن الدينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ثم[7] لا يَعودون فيه حتى يعودَ السهمُ فى فُوقِه ؛ فاقتلوهم هم شرُّ البَرِيَّةِ » . تفرَّد به أحمدُ .

وقد روَى البزَّارُ فى « مسندِه » ، مِن طريقِ الأعمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ[8] . وأبو يَعْلى[9] ، عن أبى خَيْثمةَ ، عن عمرَ بنِ يونسَ ، عن عِكْرمةَ ابنِ عمَّارٍ[10] ، عن[11] يزيدَ الرَّقَاشِىِّ ، عن أنسٍ ، نحوًا[12] مِن هذه القصةِ ،

---

(١) فى م ، ص : « فجاء » .
(٢) بعده فى م ، ص : « إليه » .
(٣) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « عليها » .
(٤) زيادة من المسند .
(٥ - ٥) فى المسند : « إنه لم يره » .
(٦) سقط من : م .
(٧) سقط من : م ، ص .
(٨) كشف الأستار (١٨٥١) .
(٩) فى ص : « العلا » .
(١٠) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « عمران » . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٥٦ .
(١١) فى م : « وعن » .
(١٢) سقط من : م ، ص .

وأطولَ منها وفيها زياداتٌ أُخَرُ[1] .

الطريقُ الثانى : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو أحمدَ ، ثنا سفيانُ ، عن حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن الضَّحَّاكِ المِشْرَقِىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، عن النبىِّ ﷺ فى حديثٍ [3]ذكَره : « قومٌ[3] يخرُجون على فِرْقَةٍ[4] مِن الناسِ مُختلفةٍ ، يقتُلُهم أقربُ الطائفتين إلى الحقِّ » . أخرَجاه فى « الصحيحين »[5] ، كما سيأتى فى ترجمةِ أبى سَلَمةَ ، عن أبى سعيدٍ .

الطريقُ الثالثُ : قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا وكيعٌ ، ثنا عكرمةُ بنُ عمَّارٍ ، ثنا عاصمُ بنُ شُمَيْخٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا حلَف فاجتَهد فى اليمينِ قال : « والذى نفسُ أبى القاسمِ بيدِه ، ليَخْرُجَنَّ قومٌ مِن أُمَّتى ، تَحقِرُون أعمالَكم عندَ[7] أعمالِهم ، يقرءُون القرآن لا يجاوزُ تَرَاقِيَهم ، يَمرُقُون مِن الإسلامِ كما يَمرُقُ السهمُ مِن الرَّميَّةِ » . قالوا : فهل مِن علامةٍ يُعْرَفون بها ؟ قال : « فيهم رجلٌ ذو يُدَيَّةٍ - أو ثُدَيَّةٍ - مُحَلِّقِى رءُوسِهم » . قال أبو سعيدٍ : فحدَّثنى عشرون أو بضعٌ وعشرون مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ أنَّ عليًّا ، رضىَ اللَّهُ عنه ، ولِى قتلَهم . قال : فرأَيْتُ أبا سعيدٍ بعدما كَبُر ويَدَاه تَرْتعِشُ يقول : قِتَالُهم أَحلُّ[8]

---

(١) مسند أبى يعلى (٤١٢٧) .

(٢) المسند ٣/ ٨٢.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « ذكر قومًا » .

(٤) بكسر الفاء وضمها . انظر مسلم بشرح النووى (٧/ ١٦٩) .

(٥) الحديث من طريق الضحاك المشرقى عن أبى سعيد به ، فى مسلم فقط ، وهو فى « الصحيحين » من طريق أبى سلمة عن أبى سعيد به . انظر تحفة الأشراف ٣/٣٦٨ ، ٤٩٣ .

(٦) المسند ٣/ ٣٣، ٤٨ مختصرًا .

(٧) فى المسند : « مع » .

(٨) فى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « أجل » .

عنْدى مِن قتالِ عدَّتِهم[1] مِن التركِ . وقد رواه أبو داودَ ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، به[2] .

الطريقُ الرابعُ : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الرَّزاقِ ، أنا سفيانُ ، عن أبيه ، عن [4]ابنِ أبى نُعمٍ[4] ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : بعَث [٦/٤٤و] علىٌّ وهو باليمنِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بذُهَيْبَةٍ فى تُرْبتِها ، فقسَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ الأقرعِ بنِ حابسٍ الحنظلىِّ - ثم أحدِ بنى مُجاشعٍ - وبينَ عُيَيْنَةَ بنِ بدرٍ الفزارىِّ ، وبينَ علقمةَ بنِ عُلَاثةَ [5]العامرىِّ - ثم[5] أحدِ بنى كلابٍ - وبينَ زيدِ الخيرِ[6] الطائىِّ - ثم أحدِ بنى نَبْهانَ - قال : فغضِبَت قريشٌ والأنصارُ ، قالوا : يُعْطِى صناديدَ أهلِ نجدٍ ويَدَعُنا ؟ قال : « إنما أتَأَلَّفُهم » . قال : فأقبَل رجلٌ غائرُ العينَين ، ناتئُ الجَبِينِ ، كَثُّ اللحيةِ ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَين ، محلوقُ الرأسِ ، فقال : يا محمدُ ، اتَّقِ اللَّهَ . فقال : « فمَن يُطِيعُ اللَّهَ إذا عصَيتُه ! يأمَنُنى على أهلِ الأرضِ ، ولا تأمَنونى ؟! » . قال : فسأل رجلٌ مِن القومِ قَتْلَه النبىَّ ﷺ - أُرَاه خالدَ بنَ الوليدِ - فمنَعه ، فلمَّا ولَّى قال : « إنَّ مِن ضِئْضِئِ هذا قومٌ يَقرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ حناجِرَهم يَمْرُقُون مِن الإسلامِ مُرُوقَ السهمِ مِن الرَّمِيَّةِ يقتُلُون أهلَ الإسلامِ ويَدَعُون أهلَ الأوثانِ ، لئِن أنا أَدْرَكْتُهم لأَقْتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ » . رواه البخارىُّ ، مِن

---

(١) المسند ٣/ ٨٢.

(٢) أبو داود (٣٢٦٤) مختصرًا . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٧٠٩) .

(٣) المسند ٣/ ٦٨، ٧٢، ٧٣.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «أبى نعيم» . وفى م ، ص ، «ابن أبى نعيم» . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٦/ ٢٧٤.

(٥ - ٥) فى م : «أو عامر بن الطفيل» .

(٦) فى النسخ : «الخيل» . والمثبت من المسند .

حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ به[1] . ثم روَاه أحمدُ ، عن محمدِ بنِ فُضَيْلٍ ، عن عُمارةَ بنِ القَعْقَاعِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى نُعمٍ[2] ، عن أبى سعيدٍ[3] . وفيه الجزمُ بأن خالدًا سأَل أن يَقْتُلَ ذلك الرجلَ ، ولا يُنافى سؤالَ عمرَ بنِ الخطابِ .

وهو فى « الصحيحَين » مِن حديثِ عُمَارةَ بنِ القَعْقَاعِ [4] بنِ شُبْرُمَةَ[4] ، وقال فيه : « إنَّه سيخرُجُ مِن [5] ضِئْضِئِ هذا قومٌ يَقْرَءُون القرآنَ لا يُجَاوِزُ حَناجِرَهم » .

وليس المرادُ[6] به أنه يَخْرُجُ مِن[5] صُلبِه ونسلِه ؛ لأنَّ الخوارجَ الذين ذكَرْنا لم يكونوا مِن سُلالَةِ هذا ، بل ولا أعلمُ أحدًا منهم مِن نسلِه ، وإنما المرادُ[7] : « مِن ضِئْضِئِ هذا » . أى مِن شَكْلِه ، [8] وعلى صفتِه[8] [5] فعلًا وقولًا . واللَّهُ أعلمُ . وهذا الشكلُ وهذه الصفةُ كثيرةٌ فى الناسِ جدًّا فى كلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ ، فى قُرَّاءِ القرآنِ وغيرِهم ، لِمَن تأمَّلها[5] . واللَّهُ أعلمُ . وهذا الرجلُ المذكورُ هو ذو الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ ، وسمَّاه بعضُهم : حُرْقُوصًا . فاللَّهُ أعلمُ .

الطريقُ الخامسُ : قال الإمامُ أحمدُ[9] : ثنا عفانُ ، ثنا مهدىُّ بنُ مَيْمُونٍ ، ثنا محمدُ بنُ سِيرِينَ ، عن مَعْبَدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يَخْرُجُ أُناسٌ مِن قِبَلِ المَشْرِقِ يَقْرءُون القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهم ، يَمرُقون مِن الدِّينِ

---

(١) البخارى (٧٤٣٢) .
(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « نعيم » .
(٣) المسند ٣/ ٤ ، ٥ .
(٤ - ٤) فى م ، ص : « من سيرته » . والحديث عند البخارى (٤٣٥١) ، ومسلم (١٤٤/ ١٠٦٤) .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦) بعده فى الأصل : « بهم » .
(٧) فى م ، ص : « أراد » .
(٨ - ٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « وشبهه وصفته » .
(٩) المسند ٣/ ٦٤ .

كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّميَّةِ، ثم لا يَعُودون فيه حتى يعودَ السهمُ على فُوقِه». قِيل: ماسِيماهم؟ قال: «سِيماهم التَّحْليقُ، [1]والتَّسْبِيدُ[1]». ورواه البخاريُّ، عن أبى النُّعمانِ محمدِ بنِ الفضلِ، عن مَهْدِيِّ بنِ مَيْمُونٍ به[2].

الطريقُ السادسُ: قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا محمدُ بنُ عبيدٍ، ثنا سُوَيْدُ [٦/٤٤ظ] ابنُ نَجِيحٍ، عن يَزِيدَ الفقيرِ قال: قلْتُ لأبى سعيدٍ: إنَّ مِنَّا رجالًا هم أقرؤنا للقرآنِ، وأكثرُنا صلاةً، وأوصلُنا للرَّحِمِ، وأكثرُنا صَوْمًا، خرَجوا علينا بأسيافِهم. فقال أبو سعيدٍ: سمِعتُ النبىَّ ﷺ يقولُ: «يَخْرُجُ قومٌ يَقْرءُون القرآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهم يَمْرُقُون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ». تفرَّد به أحمدُ، ولم يُخْرِجُوه فى الكتبِ الستَّةِ، [4]ولا واحدٌ منهم[4]، وإسنادُه لا بأسَ به؛ رجالُه كلُّهم ثِقاتٌ، وسُويدُ [4]بنُ نَجِيحٍ هذا[4] مَسْتُورٌ.

الطريقُ السابعُ: قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، ثنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ، عن أبى سعيدٍ قال: بَيْنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ قَسْمًا إذ جاءه[6] ذو الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فقال: اعْدِلْ يارسولَ اللَّهِ.

(١ - ١) فى الأصل: «والتسبيل». وفى حاشية ا ٨، والمسند: «والتسبيت». وفى م، ص: «أو التسبيد».

والتسبيد: الحلق واستئصال الشعر، وقيل: هو ترك التدهن وغسل الرأس. النهاية ٢/ ٣٣٣.

قال الحافظ فى الفتح ٥٣٧/١٣: إن السلف كانوا لا يحلقون رءوسهم إلا للنسك أو فى الحاجة، والخوارج اتخذوه ديدنًا فصار شعارًا لهم وعُرفوا به.

(٢) البخارى (٧٥٦٢).

(٣) المسند ٣/ ٥٢.

(٤ - ٤) زيادة من: م، ص.

(٥) المسند ٣/ ٥٦.

(٦) بعده فى م، ص، والمسند: «ابن».

فقال : « ويلَك ! ومَن يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ ؟ » . فقال عمرُ بنُ الخَطَّابِ : يارسولَ اللَّهِ ، أَتَأْذَنُ لى فيه فأَضْرِبَ عُنُقَه ؟ فقال : « دَعْه ، فإنَّ له أَصْحَابًا يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صَلاتِهم[1] ، وصيامَه مع صيامِهم[2] ، يَمْرُقُون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، فيَنْظُرُ فى قُذَذِه[3] فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ ، ثم يَنْظُرُ فى [4]نَضِيِّه[5] فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ ، ثم يَنْظُرُ فى[4] رِصَافِه فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ ، ثم يَنْظُرُ فى نَصْلِه فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ ، قد سبَق الفَرْثَ والدمَ ، آيتُهم رجلٌ أسودُ فى[6] إحْدَى يَدَيْه - [7]أو قال : إحْدَى ثَدْيَيْه[7] - مثلُ ثَدْيِ المرأةِ ، أو مثلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ، يَخْرُجُون على حينِ فَتْرَةٍ[8] مِن الناسِ » . فنزَلت فيهم[9] : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الآية [التوبة : ٥٨] . قال أبو سعيدٍ : فأشهدُ أنى سمِعتُ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأشهدُ أنَّ عليًّا حينَ قتَلهم[10] وأنا معه جِىء بالرجلِ على النَّعْتِ الذى نعَت رسولُ اللَّهِ ﷺ . ورَواه البخاريُّ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن هشامِ بنِ يوسفَ ، عن مَعْمَرٍ به[11] ، ورَواه البخاريُّ أيضًا[6] ، مِن حديثِ شعيبٍ[12] ،

---

(١) فى المسند : « صلاته » .
(٢) فى المسند : « صيامه » .
(٣) فى الأصل : « فوقه » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٨١ ، ٧١ ، ٦١ .
(٥) كذا فى : م ، ص . وفى المسند : « نضيته » .
(٦) سقط من : م ، ص .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .
(٨) فى الأصل ، ١ ٨ : « فرقة » .
(٩) فى م ، ص : « فيه » .
(١٠) فى المسند : « قتله » .
(١١) البخارى (٦٩٣٣) .
(١٢) فى م ، ص : « شعبة » .

ومسلمٌ مِن حديثِ يونسَ بنِ يزيدَ[1] ، عن الزُّهْرِىِّ به[2] ، لكنْ فى روايةِ مسلمٍ عن حَرْمَلَةَ وأحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ ؛ كلاهما عن ابنِ وهبٍ ، عن يونسَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمةَ والضَّحاكِ الهَمْدَانىِّ[3] ، عن أبى سعيدٍ ، به . ثم روَاه أحمدُ[4] ، عن محمدِ بنِ مُصْعَبٍ ، عن الأوزاعىِّ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمةَ والضَّحاكِ المِشْرَقِىِّ ، عن أبى سعيدٍ ، فذكَر نحوَ ما تقدَّم مِن هذا السياقِ ، وفيه أن عمرَ هو الذى[5] استأذَن [6]رسولَ اللَّهِ ﷺ[6] فى قَتْلِه ، وفيه : « يَخْرُجُون على فِرْقتين[7] مِن الناسِ ، يقتُلُهم أَوْلَى الطَّائِفَتَيْن باللَّهِ » . قال أبو سعيدٍ : فأَشْهدُ أنى سَمِعتُ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنى شهِدتُ عليًّا حينَ قتَلَهم ، فالْتُمِس فى القَتْلَى فوُجِد على النَّعتِ الذى نعَته رسولُ اللَّهِ ﷺ . ورواه البخارِىُّ ، عن دُحيمٍ ، عن الوليدِ ، عن الأوزاعىِّ كذلك[8] .

وقال أحمدُ[9] : قرَأتُ على عبدِ الرحمنِ ، عن[10] مالكٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ [٦/٤٥و] ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمِىِّ[11] ، عن أبى سَلَمةَ بنِ

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « بكير » .

(٢) البخارى (٣٦١٠) ، ومسلم (١٤٨/ ١٠٦٤) .

(٣) فى ا ٨ ، ا ٦ : « المشرقى » . وكلاهما صحيح ؛ فهو الضحاك بن شراحيل الهمدانى المشرقى . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٦٣ .

(٤) المسند ٣/ ٦٥ .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « فرقة » . وفى م ، ص : « حين فرقة » . والمثبت من المسند .

(٨) البخارى (٦١٦٣) .

(٩) المسند ٣/ ٦٠ .

(١٠) بياض فى : الأصل . وسقط من : ا ٨ ، ا٧ ، ا٦ ، ص . وفى م : « بن » وليس فى المسند . والصواب ما أثبتناه . انظر أطراف المسند ٦/ ٣٣٥ .

(١١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا٦ : « التميمى » .

عبدِ الرحمنِ ، عن أبى سعيدٍ أنه قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَخْرُجُ فيكم قومٌ تَحْقِرون صلاتَكم مع صلاتِهم ، وصيامَكم مع صيامِهم ، وأعمالَكم مع أعمالِهم ، يقرءُون القرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهم ، يَمْرُقُون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، يَنْظُرُ فى النَّصْلِ فلا يَرَى شيئًا ، ثم يَنْظُرُ فى القِدْحِ فلا يَرَى شيئًا ، ثم يَنْظُرُ فى الرِّيشِ فلا يَرَى شيئًا ، ويَتَمَارَى فى الفُوقِ » . قال عبدُ الرحمنِ : حدَّثنا به مالكٌ ؛ يعنى هذا الحديثَ . ورَواه البخاريُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ ، [1]عن مالكٍ به[1] . ورَواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن عبدِ الوهَّابِ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمةَ ، وعطاءِ بنِ يَسَارٍ ، عن أبى سعيدٍ به[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ ، أنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ قال : جاء رجلٌ إلى أبى سعيدٍ فقال : هل سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فى الحَرُورِيَّةِ شيئًا ؟ قال : سمِعتُه يَذْكُرُ قومًا يَتَعَمَّقُون فى الدِّينِ ، يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه عندَ صلاتِهم ، وصومَه عندَ صومِهم ، يَمْرُقُون مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، أخَذ سهمَه فنظَر[4] فى نصلِه فلم يَرَ شيئًا ، ثم نظَر[5] فى رِصَافِه فلم يَرَ شيئًا[6] ، ثم نظَر[5] فى القُذَذِ فتَمَارَى[7] ، هل يَرَى شيئًا أم لا » . ورواه ابنُ ماجه ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ . والحديث عند البخارى (٥٠٥٨) .

(٢) البخارى (٦٩٣١) ، ومسلم (١٤٧/ ١٠٦٤) .

(٣) المسند ٣/ ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) فى م ، ص : « فينظر » .

(٥) فى م ، ص : « ينظر » .

(٦) بعده فى المسند : « ثم نظر فى قدحته فلم ير شيئًا » .

(٧) فى الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ١ ٦ : « فيما يرى » . وفى م : « فيمارى » .

عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، به[1] .

الطريقُ الثامنُ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن سليمانَ ، عن أبى نضرةَ ، عن أبى سعيدٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر قومًا يكونونَ فى أُمَّتِه يخرُجونَ فى فُرْقَةٍ مِن الناسِ سيماهم التحليقُ[3] ، هم شرُّ الخلْقِ ، أو[4] مِن شرِّ الخلْقِ ، تقتلُهم أدنَى[5] الطائفتَينِ مِن الحقِّ . قال : فضرَب النبىُّ ﷺ لهم مثلًا - أو قال قولًا - « الرجلُ يَرمى الرمِيَّةَ - أو قال : الغَرَضَ - فينظُرُ فى النَّصْلِ فلا يرَى بَصِيرَةً[6] ، وينظُرُ فى النَّضِىِّ فلا يَرى بَصِيرَةً ، وينظرُ فى الفُوقِ فلا يَرى بَصِيرَةً » . فقال أبو سعيدٍ : وأنتم قتَلتموهم يا أهلَ العراقِ . وقد رَواه مسلمٌ[7] عن محمدِ بنِ المثنَّى ، عن محمدِ بنِ أبى عديٍّ ، عن سليمانَ - وهو ابنُ طرخانَ التَّيْمِىُّ - عن أبى نَضْرةَ ، واسمُه المنذرُ بنُ مالكِ بنِ قُطَعةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ بنحوِه .

الحديثُ الثامنُ عن سلمانَ الفارسىِّ : قال الهيثمُ بنُ عديٍّ : ثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، عن حميدِ بنِ هلالٍ قال : جاءَ رجلٌ إلى قومٍ فقال : لِمَن هذه الخباءُ ؟ قالوا : لسلمانَ الفارسىِّ . قال : أفلا تنطلِقون معى فيُحدِّثَنا ونسمعَ منه ؟ فانطلَق

---

(١) ابن ماجه (١٦٩) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٩) .
(٢) المسند ٣/ ٥.
(٣) بعده فى م ، ص : « ثم » .
(٤) فى م ، ص : « و » .
(٥) فى م ، ص : « أولى » .
(٦) البصيرة : أى شىء من الدم يستدل به على الرمية ويستبينها به . النهاية ١/ ١٣١.
(٧) سقط من : م ، ص . والحديث أخرجه مسلم (١٤٩/ ١٠٦٥) .

معه بعضُ القومِ فقال : يا أبا عبدِ اللَّهِ [٦/٤٥ظ] لو أدنَيتَ خِباءَك إلينا[(١)] وكنتَ منَّا قريبًا فحدَّثتَنا وسمِعْنا منك ؟ فقال : ومَن أنت ؟ قال : فلانُ بنُ فلانٍ . قال سلمانُ : قد بلَغنى عنك معروفٌ ؛ بلَغنى أنَّك تَخِفُّ فى سبيلِ اللَّهِ ، وتقاتِلُ العدوَّ ، وتخدُمُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن أخطَأَتْك واحدةٌ أن تكونَ مِن هؤلاءِ القومِ الذين ذكَرهم لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالوا : فوُجِدَ ذلك الرجلُ قتيلًا فى أصحابِ النهروانِ .

الحديثُ التاسعُ عن سهلِ بنِ حُنَيْفٍ الأنصاريِّ[(٢)] : قال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، ثنا حِزامُ بنُ إسماعيلَ العامريُّ ، عن أبى إسحاقَ الشيبانيِّ ، عن يُسَيْرِ[(٤)] بنِ عمرٍو قال : دخَلتُ على سهلِ بنِ حُنَيْفٍ ، فقلتُ : حدِّثْنى ما سمِعتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال فى الحروريةِ . قال : أحدِّثُك ما سمِعتُ [(٥)]مِن النبيِّ ﷺ[(٥)] لا أزيدُك عليه شيئًا[(٦)] ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذكُرُ قومًا يخرُجونَ مِن هـٰهنا - وأشارَ بيدِه نحوَ العراقِ - يقرءُون القرآنَ لا يجاوزُ حناجِرَهم ، يمرُقونَ مِن الدِّينِ كما يمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ . قال : قلتُ : هل ذكَر لهم علامةً ؟ قال : هذا ما سمِعتُ لا أزيدُك عليه . وقد أخرَجاه فى « الصحيحين »[(٧)] مِن حديثِ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) زيادة من : م ، ص .

(٣) المسند ٣/ ٤٨٦ .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ : « بشر » وفى ا ٧ : « شير » وفى م : « بسر » وانظر أطراف المسند ٢/ ٥٤٤ ، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٨ .

(٥ - ٥) ليست فى المسند .

(٦) ليست فى المسند .

(٧) البخارى (٦٩٣٤) ، ومسلم (٠٠٠/ ١٠٦٨) .

عبدِ الواحدِ بنِ زيادٍ ، ومسلمٌ[1] مِن حديثِ عليِّ بنِ مُسْهِرٍ والعَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، والنسائيُّ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ ، كلُّهم عن أبي إسحاقَ الشيبانيِّ به .

وقد رَواه مسلمٌ[3] ثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ، ثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن الشيبانيِّ ، عن يُسَيْرِ[4] بنِ عمرٍو ، قال : سألتُ سهلَ بنَ حُنَيْفٍ : سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذكرُ الخوارجَ ؟ فقال : سمِعْتُه ، وأشارَ بيدِه نحوَ المشرقِ « قومٌ يقرءُونَ القرآنَ بألسنتِهم لا يعدُو تراقِيَهم ، يمرُقون مِن الدِّينِ كما يمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ » . وحدَّثَناه[5] أبو كاملٍ ، ثنا عبدُ الواحدِ ، ثنا سليمانُ الشيبانيُّ بهذا الإسنادِ ، وقال : « يخرُجُ منه أقوامٌ » . حدَّثنا[6] أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وإسحاقُ جميعًا عن يزيدَ ، قال أبو بكرٍ : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، ثنا أبو إسحاقَ الشيبانيُّ ، عن أُسَيْرِ[7] بنِ عمرٍو ، عن سهلِ بنِ حُنَيْفٍ عن النبيِّ ﷺ قال : « يَتِيهُ[8] قومٌ قِبَلَ المَشرقِ مُحَلَّقَةٌ رءُوسُهم » .

الحديثُ العاشرُ عن ابنِ عباسٍ : قال البزارُ[9] : ثنا يوسفُ بنُ موسى ، ثنا الحسنُ بنُ الربيعِ ، ثنا أبو الأحْوَصِ ، عن سِمَاكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ

---

(١) مسلم (١٥٩/ ١٠٦٨) ، (١٦٠/ ١٠٦٨) .
(٢) النسائى فى الكبرى (٨٠٩٠) .
(٣) مسلم (١٥٩/ ١٠٦٨) .
(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٦ : « بشير » وفى ا ٧ : « شير » وفى م : « بسر » وغير منقوطة فى ص والمثبت من مسلم ، وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٠٢.
(٥) مسلم (٠٠٠/ ١٠٦٨) .
(٦) مسلم (١٦٠/ ١٠٦٨) .
(٧) فى الأصل : « أسد » ، وفى م ، ص : « بسر » ، وانظر تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧٨.
(٨) فى النسخ : « فتنة » ، والمثبت من صحيح مسلم .
(٩) لم نجده .

قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيَقْرَأَنَّ[1] القرآنَ أقوامٌ مِن أُمَّتى يمرُقونَ مِن الدينِ كما يمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ » . ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ وسويدِ بنِ سعيدٍ كلاهما عن أبى الأحوصِ [٦/٤٦و] بإسنادِه مثلَه[2] .

الحديثُ الحادى عشَرَ عن ابنِ عمرَ : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ ، ثنا أبو جَنَابٍ[4] يحيى بنُ أبى حَيَّةَ[5] ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ قال : سمِعتُ عبدَ اللَّهِ ابنَ عمرَ يقولُ : لقد سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يخرُجُ مِن أمتى قومٌ يُسيئون الأعمالَ يقرءُون القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهم » . قال يزيدُ : لا أعلَمُه إلَّا قال : « يحقِرُ أحدُكم عملَه مع عملِهم يقتُلون أهلَ الإسلامِ فإذا خرَجوا فاقتُلوهم ، [6]ثم إذا خرَجُوا فاقتُلُوهم ، ثم إذا خرَجُوا فاقتُلُوهم[6] فطُوبى لِمَن قتلَهم وطُوبى لِمَن قتَلوه ، كلَّما طلَع منهم قرنٌ قطَعه اللَّهُ »[7] . فردَّدَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ عشرين مرةً أو أكثرَ ، وأنا أسمعُ . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . وقد ثبَت مِن حديثِ سالمٍ ونافعٍ ، عن ابنِ عمرَ[8] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الفتنةُ مِن هـٰهنا ؛ مِن حيثُ يطلُعُ قرنُ الشيطانِ » . وأشارَ بيدِه نحوَ المشرقِ .

الحديثُ الثانى عشَرَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو : قال الإمامُ أحمدُ[9] : حدَّثنا

---

(١) فى م ، ص : « يقرأ » .

(٢) ابن ماجه (١٧١) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٤١) .

(٣) المسند ٢/٨٤ (إسناده ضعيف) .

(٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « حباب ثنا » وفى م : « حساب » وغير منقوطة فى ص . والمثبت من المسند وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٨٤ .

(٥) فى الأصل ، م : « حبة » وغير واضحة فى ص ، والمثبت موافق لما فى المسند .

(٦ - ٦) زيادة من المسند .

(٧) بعده فى م ، ص : « كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » .

(٨) البخارى (٧٠٩٢ ، ٧٠٩٣) ، مسلم (٤٥/ ٢٩٠٥) .

(٩) المسند ٢/١٩٨ - ١٩٩ (إسناده صحيح) .

عبدُ الرزاقِ ، أنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ قال : لمّا جاءَتْنا بيعةُ يزيدَ ابنِ معاويةَ ، قدِمتُ الشامَ فأُخْبِرْتُ بمَقَامٍ يقومُه نَوْفٌ البِكَالِيُّ ، فجئتُه فجاء رجلٌ فانتَبَذ[1] عن الناسِ عليه خميصةٌ ، فإذا هو عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ ، فلمَّا رآه نَوْفٌ أمسَك عن الحديثِ ، فقال عبدُ اللَّهِ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّها ستكونُ هجرةٌ بعدَ هجرةٍ ، ينحازُ الناسُ إلى مُهَاجَرِ إبراهيمَ ، لا يبقَى فى الأرضِ إلَّا شرارُ أهلِها ، تلفِظُهم أرضُهم ، تَقْذَرُهم نفسُ الرحمنِ ، تحشُرُهم النارُ مع القردةِ والخنازيرِ ، تبيتُ معهم إذا باتوا ، وتقيلُ معهم إذا قالوا ، وتأكُلُ مَن تخلَّفَ[2] » . قال : وسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سيخرُجُ ناسٌ مِن أُمَّتى مِن[3] قِبَلِ المشرقِ يقرءُون القرآنَ ، لا يجاوزُ تَرَاقِيَهم ، كلَّما خرَج منهم قَرْنٌ قُطِعَ [4]كلّما خرَج منهم قَرْنٌ قُطِع[4] - حتى عدَّها زيادةً على عشرِ مراتٍ - كلَّما خرَج منهم قَرْنٌ قُطِعَ ، حتى يخرُجَ الدجالُ فى بَقِيَّتِهم » . وقد روَى أبو داودَ أوَّلَه فى كتابِ الجهادِ من « سننِه » ، عن القواريرىِّ ، عن معاذِ بنِ هشامٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ به[5] . وقد تقدَّمَ حديثُ [6]عبدِ اللَّهِ[6] بنِ مسعودٍ وحديثُ[7] علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنهما .

الحديثُ الثالثَ عشَرَ عن أبى ذَرٍّ : قال مسلمُ بنُ الحجاجِ[8] : حَدَّثنا شَيْبَانُ

---

(١) فى المسند : « فاشتد » .

(٢) بعده فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « منهم » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) زيادة من المسند .

(٥) أبو داود (٢٤٨٢) ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٣٤) .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

(٧) بعده فى م ، ص : « أمير المؤمنين » .

(٨) مسلم (١٥٨/ ١٠٦٧) .

ابنُ فَرُّوخٍ ، ثنا سُلَيْمَانُ بنُ المغيرَةِ ، ثنا حُمَيْدُ[1] بنُ هِلَالٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصَّامِتِ ، عن أبى ذَرٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ بعدى مِن أمتى - أو سيكونُ بعدى مِن أمتى - قومٌ يقرءُون القرآنَ [٦/٤٦ظ] لا يُجَاوِزُ حَلاقِيمَهم يَخْرُجون مِن الدينِ ، كما يَخْرُجُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّةِ ، لا يَعُودُون فيه ، هم[2] شرُّ الخلقِ والخليقةِ » . قال ابنُ الصَّامِتِ : فلقِيتُ رَافِعَ[3] بنَ عَمْرٍو الغِفَارِىَّ أخا الحَكَمِ[4] الغِفَارِىِّ [5]قلتُ : ما حديثٌ سمِعتُه[5] مِن أبى ذَرٍّ كَذا وكَذا ؟ فقال : وأنا سمِعتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . لم يروِهِ البخارىُّ[6] .

الحديثُ الرابعَ عشَرَ عن أُمِّ المؤمنِينَ عَائِشَةَ : قال الحافظُ البيهقىُّ[7] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، ثنا أبو العباسِ الأَصَمُّ ، ثنا السَّرِىُّ بنُ[8] يَحْيَى ، ثنا أحمدُ بنُ يُونُسَ ، ثنا علىُّ بنُ عَيَّاشٍ[9] ، عن حَبِيبٍ ، عن[10] سَلَمَةَ[11] قال : قال لى[12] عَلِىٌّ : لقد علِمَتْ عائِشَةُ أنَّ جيشَ المروةِ[13] وأهلَ النهروانِ ملعونون علَى لسانِ محمّدٍ ﷺ . قال ابنُ عَيّاشٍ[9] : جيشُ المروةِ[14] قتلةُ عثمانَ ،

---

(١) فى م : « حبيب » . انظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٠٣.
(٢) سقط من : م .
(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « نافع » . انظر الاستيعاب ٢/ ٤٨٢.
(٤) فى م : « الحاكم » .
(٥ - ٥) فى م ، ص : « قال : ما حدث سمعت » .
(٦) تحفة الأشراف ٣/ ١٦٤.
(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٤.
(٨) فى م ، ص : « عن » ، انظر المصدر السابق .
(٩) فى النسخ : « عباس » وهو خطأ ، والمثبت من مصدر التخريج . وانظر التقريب ٢/ ٤٢.
(١٠) فى م ، ص : « بن » .
(١١) فى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م ، ص : « مسلمة » .
(١٢) زيادة من : ا ٦.
(١٣) فى م ، ص : « المردة » .
(١٤) فى م ، ص : « المشرق » .

رضِىَ اللَّهُ عنه .

وقال الْهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ : حدَّثنى إسرائيلُ بنُ يونسَ ، عن جدِّهِ أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ[1] ، عن رجلٍ عن عائشةَ قال[2] : بلَغَنا قتلُ علىٍّ الخوارجَ فقالت : قتَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ شيطانَ الرَّدْهَةِ . تَعْنِى المُخْدَجَ .

وقال البَزَّارُ[3] : حدَّثنا محمدُ ابنُ عِمَارَةَ[4] بنِ[5] صبيحٍ ، ثنا سَهْلُ[6] بنُ عَامِرٍ البَجَلِىُّ ، ثنا أبو خَالِدٍ ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن مَسْرُوقٍ ، عن عَائِشَةَ قالت : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الخوارجَ فقال : « شِرارُ أمتِى يقتُلُهم خِيارُ أمتى » .

قال : وحدَّثَناه إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، ثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، ثنا سليمانُ بنُ قَرْمٍ ، ثنا عَطاءُ بنُ السَّائِبِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ[7] ، عن عائشةَ عن النبىِّ ﷺ فذكَر نحْوَه . قال : فرأيتُ عليًّا قَتَلَهم ، وهم أصحابُ النَّهْرَوَانِ . ثم قال البَزَّارُ : لا نعْلَمُ روَى[8] عطاءٌ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ إلا هذا الحديثَ ، ولا نعلَمُ رَواه عن عطاءٍ إلا سليمانُ بنُ قَرْمٍ . قلتُ[9] : وسليمانُ بنُ قَرْمٍ قد تكَلَّمُوا فيه ، ولكنَّ الإسنادَ الأولَ يشْهَدُ له[10] كما أنَّ هذا يشهدُ لذاك[11] فهما

---

(١) زيادة من : م ، ص .
(٢) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، مصدر التخريج : « قالت » .
(٣) فتح البارى ١٢/٢٨٦ وقال الحافظ : حسن الإسناد .
(٤) فى الأصل ، ا ٧ ، ا ٦ : « عثمان » . انظر الثقات لابن حبان ٩/ ١١٢.
(٥) فى الأصل ، ا ٧ : « عن » .
(٦) فى الأصل ، ا ٦ : « سهيل » . انظر الجرح والتعديل ٤/ ٢٠٢.
(٧) فى الأصل : « مشرف » .
(٨) بعده فى م ، ص : « عن » .
(٩) سقط من م ، ص .
(١٠) فى م ، ص : « لهذا » .
(١١) فى م ، ص : « للأول » .

مُتعاضِدان ، وهو غريبٌ مِن حديثِ عائشةَ ، وقد تقدَّمَ[1] فى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ شدَّادٍ عن علىٍّ ما يدلُ علَى أنَّ عائشةَ استغربَتْ حديثَ الخوارجِ ولاسيما خبرَ ذى الثُّديَّةِ كما تقدَّم ، وإنَّما أورَدنا هذه الطرقَ كلَّها ؛ ليعلَمَ الواقفُ عليها أنَّ ذلك حقٌّ وصدقٌ[2] وهو مِن أكبرِ دلالاتِ النبوةِ ، كما ذكَرهُ غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ [3]فى دلائلِ النبوةِ[3] . واللَّهُ تعالى أعلمُ . وقد[4] سألتْ عائشةُ ، رضِى اللَّهُ عنها ، بعدَ ذلكَ عن خبرِ ذى الثُّدَيَّةِ فتيقَّنَتْهُ مِن طرقٍ متعددةٍ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[5] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا الحسينُ بنُ الحسنِ بنِ عامرٍ[6] الكِنْدِىُّ بالكوفةِ مِن أصلِ سماعِهِ [٦/٤٧و] ، ثنا [7]أحمدُ بنُ مُحَمدِ[7] بنِ صَدَقَةَ الكاتبُ ، حدَّثنى [8]عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ محمدِ ابنِ أبانَ بنِ صالحٍ قال : هذا كتابُ جدِّى[8] محمدِ[9] بنِ أبانَ فقرأتُ فيه : حدَّثنى [10]الحسنُ بنُ الحُرِّ ، حدَّثنى الحكمُ[11] بنُ عُتَيْبَةَ[10] ، وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أبى السَّفَرِ ، عن[12] عَامِرٍ الشَّعْبِىِّ ، عن مسروقٍ قال : قالتْ عائشةُ : عندك علمٌ مِن[13] ذى الثُّدَيَّةِ الذى

---

(١) تقدم فى ص ٥٦٥ .
(٢) زيادة من : م ، ص .
(٣ - ٣) فى م ، ص : « فيها » .
(٤) فى م ، ص : « قال » .
(٥) دلائل النبوة ٦/٤٣٤ - ٤٣٥.
(٦) فى الأصل : « عمار » .
(٧ - ٧) فى م : « محمد » ، وفى ص : « أحمد » .
(٨ - ٨) سقط من النسخ والمثبت من مصدر التخريج .
(٩) فى م : « أحمد » . وانظر المجروحين لابن حبّان ٢/٢٦٠ - ٢٦١.
(١٠ - ١٠) فى م ، ص : « الحسن بن عيينة » .
(١١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « الحسن » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٨٠ ، ٧/ ١١٦.
(١٢) فى م ، ص : « بن » .
(١٣) فى م ، ص : « عن » .

أصابَهُ عليٌّ فى الحروريَّةِ ؟ قال : قلتُ : لا . قالت : فاكتُبْ لى بشهادةِ مَن شَهِدهم . فرجَعتُ إلى الكوفةِ - وبها يومَئذٍ أَسْباعٌ - فكتَبتُ شهادةَ عشَرةٍ مِن كلِّ سُبْعٍ ، ثُمَّ أَتيتُها بشَهادتِهم فقرأتُها عليها ، قالت : أكلُّ هؤلاءِ عايَنوهُ ؟ قلتُ : لقد سألْتُهم فأخْبَرونى بأنَّ كلَّهُم قد عايَنَه . فقالت : لعَنَ اللَّهُ فلانًا ؛ فإنَّه كتَب إلىّ أنَّه أصابَهم بنيلِ مِصْرَ . ثم أَرْخَتْ عينَيْها فبَكتْ فلمَّا سكَنتْ عَبْرَتُها قالت : رحِمَ اللَّهُ عليًّا ! لقد كانَ علَى الحقِّ ، وما كان بينى وبينَه إلَّا كما يكونُ بينَ المرأةِ وأحمائِها .

حديثٌ آخرُ عن رجلينِ مُبْهَمَينِ[1] مِن الصّحابةِ: قال الهيثَمُ بنُ عَدِىٍّ فى « كتابِ الخوارجِ » : حدَّثنى سليمانُ بنُ الْمُغِيرَةِ ، عن حُمَيدِ[2] بنِ هِلَالٍ قال : أقبَل رجلانِ مِن أهلِ[3] الحِجَازِ حتى قدِما العراقَ [4]فقيل لهما : ما أقدَمكما العراقَ ؟[4] قالا : رجَوْنا أن نُدرِكَ هؤلاءِ القومَ الذين ذكَرهم لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فوجَدنا علىَّ[5] بنَ أبى طَالبٍ قد سبَقنا إليهم ؛ يَعْنِيانِ أهلَ النَّهروانِ .

حديثٌ آخرُ[6] فى مدحِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، على قتالِه الخَوارجَ

قال الإمامُ أحمدُ[7] : حَدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، ثنا فِطْرٌ ، عن إسماعيلَ بنِ

---

(١) سقط من م ، وفى الأصل : « مؤمنين » .
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « حبيب » .
(٣) زيادة من : م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ا ٧ ، ا ٦ .
(٥) زيادة من : م ، ص .
(٦) سقط من : ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م ، ص .
(٧) المسند ٣/ ٨٢. وقال فى المجمع ٩/ ١٣٤: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة ، وهو ثقة .

رجاءِ بنِ ربيعةَ الزُّبَيْدىِّ[1] ، عن أبيه قال : سمِعتُ أبا سعيدٍ يقولُ : « كنّا جلوسًا ننتظِرُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فخرَج علينا [2]مِن بُيوتِ بعضِ نسائِه[2] ، قال : فقُمنا معه ، فانقطَعَتْ نعلُه فتَخلَّف عليها علىٌّ يخصِفُها ، فمضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ومضَيْنا معه ثم قام ينتظِرُه وقمنا معه ، فقال : « إنَّ منكم مَن يُقاتِلُ على تأويلِ القرآنِ[3] كما قاتَلْتُ على تنزيلِه » . [4]فاستشرَفْنا لها وفينا[4] أبو بكرٍ ، وعمرُ فقال : « لا ، ولكنَّه خاصِفُ النعلِ » . قال : فجِئنا نُبشِّرُه ، قال : فكأنَّه قد سمِعه .

ورَواه أحمدُ[5] ، عن وَكيعٍ وأبى أُسامةَ ، عن فِطْرِ[6] بنِ خليفةَ به .

فأمَّا الحديثُ الذى قال الحافظُ أبو يعلَى[7] : حَدّثنا إسماعيلُ بنُ موسَى ، ثنا الرَّبيعُ بنُ سهلٍ ، عن سعيدِ بنِ عُبيدٍ ، عن علىِّ بنِ ربيعةَ قال : سمِعتُ عليًّا على مِنبَرِكم هذا يقولُ : عهِد إلىَّ النبىُّ ﷺ أن أُقاتِلَ الناكِثين والقاسِطين والمارِقين . وقد رَواه أبو بكرِ بنُ المُقرِئِ[8] ، عن [9]إسماعيلَ بنِ عَبَّادٍ البصرىِّ ، نا عبّادُ بنُ يعقوبَ[9] ، عن الرَّبيعِ بنِ سهلٍ الفَزارىِّ به . فإنَّه حديثٌ غريبٌ ومُنكَرٌ . على أنَّه

---

(١) فى م : « الربيدى » . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٩٠.

(٢ - ٢) فى المسند : « من بعض بيوت نسائه » .

(٣) فى المسند : « هذا القرآن » .

(٤ - ٤) فى م : « فاستشرق لها وفيهم » .

(٥) المسند ٣/ ٣٣، ٦/ ٢٤٤.

(٦) فى م : « قطر » . تصحيف ، وكذا فى المسند فى الموضع الأول من طريق وكيع . وتحرفت فى الموضع الثانى من طريق أبى أسامة إلى : « فطن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٢، ٣١٣.

(٧) مسند أبى يعلى (٥١٩) . قال العقيلى فى الضعفاء الكبير ٢/ ٥١ بعد أن أورده : الأسانيد فى هذا الحديث عن علىٍّ لينة الطرق ، والرواية عنه فى الحرورية صحيحة .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٦٨ (مخطوط) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « الجد بن عبادة ، عن يعقوب بن عبادة » .

وفى ا ٨: « الجبر بن عبادة عن يعقوب بن عباد » . وفى ا ٧، ا ٦، م : « الجد بن عبادة عن يعقوب بن عباد » . وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٩٨، ٢٩٩. وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠١.

قد رُوِى مِن طرقٍ عن عليٍّ ، وعن غيرِه ولا تخلو واحدةٌ منها عن ضعفٍ . [٦/ ٤٧ظ] والمرادُ بالناكِثين ، يَعْنِى أهلَ الجَمَلِ . وبالقاسِطين أهلُ الشام ؛ والقاسطُ[(١)] هو الجائرُ الظالمُ . وبالمارِقين الخوارجُ ؛ لأنَّهم مَرَقوا مِن الدِّينِ . [(٢)] وأمّا الناكِثون فهم أصحابُ الجَمَلِ الذين عقَدوا البَيْعةَ له ثم نكَثوا . واللَّهُ أعلمُ[(٢)] . وقد [(٣)] روَى هذا الحديثَ[(٣)] الحافظُ أبو أحمدَ بنُ عَدِىٍّ فى « كَاملِه »[(٤)] ، عن أحمدَ بنِ جَعْفرٍ البَغدادىِّ ، عن سليمانَ بنِ سيفٍ[(٥)] ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ موسَى ، عن فِطْرٍ[(٦)] ، عن حكيمِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلقمةَ ، عن عليٍّ قال : أُمِرْتُ بقِتالِ الناكِثين والقاسِطين والمارِقين .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البغدادىُّ[(٧)] : أخبَرنى الأزهرىُّ ، ثنا محمدُ بنُ المُظَفَّرِ ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ ثابتٍ قال : وجَدْتُ فى كتابِ جَدِّى محمدِ بنِ ثابتٍ : ثنا أشعثُ[(٨)] بنُ الحسنِ السُّلَمىُّ ، عن جعفرٍ الأحمرِ ، عن يُونسَ بنِ الأرقمِ ، عن أبانَ ، عن خُلَيْدٍ العَصَرىِّ[(٩)] قال : سمِعت عليًّا أميرَ المؤمنين يقولُ يومَ النَّهروانِ : أمَرَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتالِ الناكِثين والمارِقين والقاسِطين .

---

(١) فى ا ٨: « القاسم » .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، ص .

(٣ - ٣) فى م : « رواه » .

(٤) لم نجده فى الكامل . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٦٨ (مخطوط) من طريق ابن عدى به .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م : « يوسف » .

(٦) فى الأصل ، م ، وابن عساكر : « مطر » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١٦٧ .

(٧) تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٨) فى النسخ : « شعيب » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٩) فى م : « المصرى » . انظر تهذيب الكمال ٨/ ٣١٠ .

وقد رَواه ابنُ عساكِرَ[1] ، مِن حديثِ محمدِ بنِ فرجٍ الجُنْدَيْسابوريِّ ، أنا هارونُ بنُ إسحاقَ ، ثنا أبو غَسّانَ ، عن جعفرٍ - أحسَبُه الأحمرَ - عن عبدِ الجبارِ الهَمْدانيِّ ، عن أنسِ بنِ عمرٍو ، عن أبيه ، عن عليٍّ قال : أُمِرتُ بقتالِ ثلاثةٍ ؛ المارِقين والقاسِطين والناكِثين .

وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ[2] ، أنا أبو الحسَينِ[3] محمدُ بنُ أحمدَ بنِ تَميمٍ[4] الحَنْظَلِيُّ ، بقَنْطَرةِ بَرَدانَ[5] ، ثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ عطيةَ بنِ سعدٍ العَوْفِيُّ ، [6]حَدَّثني أبي[6] ، [7]حدَّثَني عَمِّي - عمرُو[8][7] بنُ عطيةَ بنِ سعدٍ - عن أخِيه الحسنِ بنِ عطيةَ ، حَدَّثني جَدِّي[9] سعدُ بنُ جُنادةَ ، عن عليٍّ ، رضِي اللَّهِ عنه ، قال : أُمِرتُ بقتالِ ثلاثةٍ ؛ القاسِطين ، والناكِثين ، والمارِقين ؛ فأمّا القاسِطون فأهلُ الشامِ ، وأمّا الناكِثون فذكرَهم ، وأمّا المارِقون فأهلُ النَّهْروانِ . يعني الحَرُورِيَّةَ .

وقال الحافظُ ابنُ عساكِرَ[10] : أنا أبو القاسمِ زاهرُ بنُ طاهرٍ ، أنا أبو سعدٍ[11] الأدِيبُ ، أنا السيدُ أبو الحسنِ محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٣٦٧ - ٣٦٨ (مخطوط).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٦٧ (مخطوط).

(٣) فى الأصل، ا ٦، تاريخ دمشق: «الحسن». انظر تاريخ بغداد ١/ ٢٨٣.

(٤) فى النسخ: «غنم». والمثبت من مصدر التخريج.

(٥) فى تاريخ دمشق «برذان». وانظر معجم البلدان ١/ ١٨٩.

(٦ - ٦) هكذا فى النسخ وهى بياض فى تاريخ دمشق. ولعلها واو سقطت بعدها. انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٧٠.

(٧ - ٧) فى ا ٧: «عن جدى عن عمرو».

(٨) فى م: «عن عمرو».

(٩) سقط من: الأصل، ا ٨، ٧١، ا ٦. وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٢١١.

(١٠) تاريخ دمشق ١٢/٣٦٧ (مخطوط).

(١١) فى الأصل، ٦١، ا ٨: «سعيد».

الصوفيُّ ، ثنا محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، ثنا كَثِيرُ بنُ يَحْيَى ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن أبى الجارُودِ ، عن زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عليٍّ قال : أمَرَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتالِ الناكِثين والمارِقين والقاسِطين .

حديثُ ابنِ مسعودٍ فى ذلك : قال الحاكمُ[1] : حَدَّثنا الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ إسحاقَ[2] الفقيهُ ، أنا الحسنُ بنُ عليٍّ ، [3]نا زكريا بنُ يَحْيَى الحَرّارُ[4] المُقرِئُ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عبّادٍ[5] المقرئُ[3] ، ثنا شَرِيكٌ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : خرَجَ[6] رسولُ اللَّهِ ﷺ فأتَى منزِلَ أُمِّ سلمةَ فجاء عليٌّ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أُمَّ سلمةَ هذا واللَّهِ قاتِلُ الناكِثين والقاسِطين والمارِقين مِن بعدى » .

[٦/٤٨و] **حديثٌ أبى سعيدٍ فى ذلك** : قال الحاكمُ[7] : حَدَّثنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عليِّ بنِ دُحَيْمٍ الشَّيبانيُّ ، ثنا الحسينُ بنُ الحكمِ الحِبَرِيُّ[8] ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبانَ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الأزْدِيُّ ، عن أبى هارونَ العَبْدىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ قال : أمرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتالِ الناكِثين والقاسِطين

---

(١) فى م ، ص : « الحافظ » . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٦٨ (مخطوط) ، من طريق الحاكم به .

(٢) فى م ، ص : « الحسن » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ا ٦ : « الجزار » . وفى ا ٨ : « الخزاز » . وفى ا ٧ ، م : « الحزاز » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) فى ص : « شعبان » .

(٦) بعده فى الأصل ، ا ٦ ، ا ٨ ، ا ٧ : « علينا » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٦٩ (مخطوط) . من طريق الحاكم به .

(٨) فى الأصل ، ا ٦ ، ا ٨ : « الجبرى » . وفى م ، ص : « الجيرى » . وانظر الأنساب ٢/ ١٦٧ . وتهذيب الكمال ٣/ ٥ ، ٧ .

والمارِقين ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ! أمَرْتَنا بقتالِ هؤلاءِ فمع مَن ؟ فقال : « مع عليِّ ابنِ أبى طالبٍ ، معه يُقتَلُ عمارُ بنُ ياسرٍ » .

حديثُ أبى أيوبَ فى ذلك : قال الحاكمُ[1] : أنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ حَمْشاذَ[2] العَدْلُ[3] ، ثنا إبراهيمُ بنُ الحسينِ بنِ دِيزِيلَ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ الخطابِ ، ثنا محمدُ بنُ كثيرٍ ، عن الحارثِ بنِ حَصِيرةَ[4] ، عن أبى صادقٍ ، عن مِخْنَفِ بنِ سُلَيْمٍ[5] قال : أتَيْنا أبا أيوبَ فقُلنا : قاتلْتَ بسيفِك المشركِين مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ثم جِئْتَ تُقاتِلُ المسلمِين ؟ فقال : أمرَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتالِ الناكِثين والمارِقين والقاسِطين .

وقال الحاكمُ[6] : وحَدَّثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ بالوَيْه ، ثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ شَبيبٍ المَعْمَرِىُّ[7] ، ثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، ثنا سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ ، حَدَّثنى أبو زيدٍ الأحولُ[8] ، عن عَتّابِ بنِ ثعلبةَ ، [9]حَدَّثنى أبو أيوبَ الأنصارىُّ[9] فى خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ قال : أمرَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتالِ الناكِثين والقاسِطين

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٦٩ (مخطوط) من طريق الحاكم به .

(٢) فى النسخ « حماد » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الأنساب ٢/ ٢٦٣. وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) فى ا ٧، م : « المعدل » .

(٤) فى الأصل ، ا ٦، ا ٧: « حفيرة » . وفى ا ٨، م : « خضيرة » . وفى ص : « حصرة » . و المثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٢٤.

(٥) فى النسخ ، ومصدر التخريج : « سليمان » . والمثبت من تهذيب الكمال ٢٧/٣٤٧ ، ٣٣/ ٤١٢.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٦٩ (مخطوط) . من طريق الحاكم به .

(٧) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « المعتمرى » . وفى م ، ص ، ابن عساكر : « العمرى » . والمثبت من الأنساب ٥/ ٣٤٦. وانظر أيضا اللباب ٣/ ١٦٠. وتهذيب الكمال ٢٥/ ٩٨، ٩٩.

(٨) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م : « الأموى » .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

والمارِقين مع عليِّ بنِ أبى طالبٍ .

وقال الخطيبُ البغداديُّ[1] : أخبرَنى[2] الحسنُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ المقرئُ ، ثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ ، ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ المَطِيرىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ المؤدِّبُ ، بسُرَّ مَن رَأَى[3] ، ثنا المُعَلَّى بنُ عبدِ الرحمنِ ببَغدادَ ، ثنا شَرِيكٌ ، عن سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأعمشِ[4] ، قال[5] : [6] حَدَّثنا إبراهيمُ[6] ، عن عَلْقَمَةَ ، والأسودِ قالا : أتَيْنا أبا أيوبَ الأنصارىَّ عندَ مُنصَرَفِه مِن صِفِّينَ فقُلْنا له : يا أبا أيوبَ ، إنَّ اللَّهَ أكرَمك بنُزولِ محمدٍ ﷺ وبمَجِيءِ ناقتِه تَفضُّلًا مِن اللَّهِ وإكرامًا لك حتى[7] أناخَت ببابِك دونَ الناسِ ، ثم جئتَ بسيفِك على عاتِقِك تَضرِبُ به أهلَ لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ فقال : يا هذا ، إنَّ الرائدَ لا يَكذِبُ أهلَه ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَنا بقتالِ ثلاثةٍ مع عليٍّ ؛ بقِتالِ الناكِثين والقاسِطين والمارِقين ؛ فأمّا الناكِثون فقد قاتَلْناهم ، وهم أهلُ الجَمَلِ ؛ طلحةُ والزُّبيرُ ، وأمّا القاسِطون فهذا مُنصَرَفُنا مِن عندِهم - يَعْنِى مُعاويةَ وعمرًا - وأمّا المارِقون فهم أهلُ الطَّرْفاواتِ[8] ، وأهلُ السُّعَيْفاتِ ، وأهلُ النُّخَيْلاتِ ، وأهلُ النَّهرواناتِ[9] ، واللَّهِ ما أدرى أين هم ، ولكنْ لا بُدَّ مِن قتالِهم ، إن شاء اللَّهُ . قال : وسَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/١٨٦ - ١٨٧.

(٢) فى م ، ص : « حدثنا » .

(٣) سُرَّ مَن رأى : مدينة يقال لها سامراء . وتقع بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة . قال الزجاجى : كان اسمها قديما ساميرا ، وسميت بسامير بن نوح . معجم بالبلدان ٣/ ١٤، ٨٢.

(٤) فى م ، ص : « عن الأعمش » .

(٥) سقط من النسخ ، وهو مثبت من تاريخ بغداد .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى الأصل ، م : « حين » .

(٨) ا ٨، ا ٧، م ، ص : « الطرفات » .

(٩) فى ا ٧، م : « النهروان » .

لعمارٍ : « يا عمارُ تَقتُلُك الفئةُ الباغيةُ ، وأنتَ إذ ذاك مع الحقِّ والحقُّ معَك ، ياعمارُ ابنَ ياسرٍ ، إن رأيتَ عليًّا قد[1] [٦/٤٨ظ] سلَك وادِيًا وسلَك الناسُ وادِيًا[2] غيرَه فاسلُكْ مع عليٍّ ، فإنَّه لن يُدْلِيَك فى رَدًى ، ولن يُخرِجَك مِن هُدًى ، يا عمارُ ، مَن تَقلَّدَ سيفًا أعان به عليًّا على عَدُوِّه ، قَلَّدَه اللَّهُ يومَ القيامةِ وِشاحَيْن مِن دُرٍّ ، ومَن تقَلَّدَ سيفًا أعان به عدُوَّ عليٍّ عليه ، قلَّدَه اللَّهُ يومَ القيامةِ وِشاحَيْن مِن نارٍ » . فقلنا : يا هذا حَسْبُك رحِمك اللَّهُ ، حَسْبُك رحِمك اللَّهُ . هذا السِّياقُ ، الظاهرُ أنَّه مَوْضوعٌ وآفَتُه مِن جِهَةِ المُعَلَّى بنِ عبدِ الرحمنِ ؛ فإنَّه مَتْرُوكُ الحديثِ . واللَّهُ أعلمُ[3] . [4]قلتُ : هذا الحديثُ إن صحَّ بعضُه ، ففى بعضِه زياداتٌ موضوعةٌ مِن وضعِ الرافضةِ ، والمُعَلَّى بنُ عبدِ الرحمنِ لا يُلتَفَتُ إليه[4] .

فصــلٌ

قال الهيثمُ بنُ عَدِيٍّ فى كتابِه الذى جمَعه فى الخَوارجِ ، وهو مِن أحسنِ ماصُنِّف فى ذلك ، قال : وذكَر عيسى بنُ دابٍ قال : لمَّا انصرَف عليٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، مِن النَّهْروانِ قام فى الناسِ خطيبًا ، فقال بعدَ حمدِ اللَّهِ والثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ : أمَّا بعدُ ، فإنَّ اللَّهَ قد أعزَّ نصرَكم فتوجَّهوا مِن فَوْرِكم هذا إلى عدوِّكم مِن أهلِ الشامِ . فقاموا إليه فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، نَفِد نَبْلُنا

---

(١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، ص : « إن » ، والمثبت موافق لما فى مصدر التخريج .

(٢) سقط من : م .

(٣) هذا التعليق أورده الخطيب بعد الحديث السابق ، نقلا عن عبد اللَّه بن على بن عبد اللَّه المدينى ، عن أبيه . وانظر تاريخ دمشق ١٣/ ١٨٧ .

(٤ - ٤) سقط من : م .

وكَلَّت سيوفُنا ونصَلت أسِنَّتُنا ، فانصرِفْ بنا إلى مِصْرِنا حتى نستعِدَّ بأحسنِ عُدَّتِنا ، ولعلَّ أميرَ المؤمنين يزيدُ فى عُدَّتِنا عُدَّةَ مَن فارَقَنا وهلَك مِنّا ؛ فإنَّه أقوَى لنا على عدُّونا - وكان الذى تَكلَّم بهذا الأشعثُ بنُ قيسٍ الكِندِىُّ - فبايَعهم[1] وأقبلَ بالناسِ حتى نزَل بالنُّخَيْلةِ ، وأمرَهم أن يلزَموا معسكرَهم ، ويوطِّنوا أنفسَهم على جهادِ عدوِّهم ، ويُقِلُّوا زيارةَ نسائِهم وأبنائِهم ، فأقاموا معه أيّامًا مُستمسِكين برأيِه وقولِه ، ثم تسلَّلوا حتى لم يبقَ معه[2] منهم أحدٌ إلَّا رءُوسَ أصحابِه ، فقام علىٌّ فيهم خطيبًا ، فقال : الحمدُ للَّهِ فاطرِ الخلقِ وفالقِ الإصباحِ ، وناشرِ الموتى وباعثِ مَن فى القُبورِ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، أُوصِيكم بتقوَى اللَّهِ ، فإنَّ أفضلَ ما توسَّلَ به العبدُ الإيمانُ والجهادُ فى سبيلِه وكلمةُ الإخلاصِ ؛ فإنَّها الفِطْرةُ ، وإقامُ الصلاةِ ؛ فإنَّها المِلَّةُ ، وإيتاءُ الزكاةِ ؛ فإنَّها مِن فرائضِه ، وصومُ شهرِ رمضانَ ؛ فإنَّه جُنَّةٌ مِن عذابِه ، وحَجُّ البيتِ ؛ فإنَّه مَنفاةٌ للفقرِ مَدْحَضَةٌ للذنبِ ، وصلةُ الرَّحِمِ ؛ فإنها مثراةٌ فى المالِ ، مَنْسَأَةٌ فى الأجَلِ ، مَحبَّةٌ فى الأهلِ ، وصدقةُ السِّرِّ ؛ فإنَّها تكفيرٌ للخطيئةِ وتُطْفِئُ غضبَ الرَّبِّ ، وصُنْعُ المعروفِ ؛ فإنَّه يدفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ويَقِى مَصارِعَ الهَوْلِ[3] ، أفِيضوا فى ذكرِ اللَّهِ ؛ فإنَّه أحسنُ الذِّكْرِ ، وارغَبوا فيما وعَد اللَّهُ المُتَّقِين ؛ فإنَّ وعدَ اللَّهِ أصدَقُ الوعدِ ، واقتَدوا بهَدْيِ نبيِّكم ﷺ ؛ فإنَّه أفضلُ الهَدْيِ ، واستنُّوا[4] بسُنَّتِه ؛ فإنَّها أفضلُ السُّنَنِ ، [٦/٤٩و] وتعلَّموا كتابَ اللَّهِ ؛ فإنَّه أفضلُ الحديثِ ، وتفقَّهوا فى الدينِ ؛ فإنَّه ربيعُ القلوبِ ، واستشْفُوا بنورِه ؛ فإنَّه شفاءٌ لِما فى الصُّدورِ ، وأحسِنوا تِلاوتَه ؛ فإنَّه

---

(١) فى الأصل ، ا ٨: « فتابعهم » . وفى ص : « فبايعه » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « الهلكة » .

(٤) فى م : « استسنوا » .

أحسنُ القَصصِ ، وإذا قرِئَ عليكم فاستمِعوا له وأنصِتوا لعلَّكم تُرحمون ، وإذا هُدِيتم لعلمِه فاعمَلوا بما علِمتم به لعلَّكم تهتدون ؛ فإنَّ (١) العالِمَ العاملَ (١) بغيرِ علمٍ (٢) كالجاهلِ الحائرِ (٣) الذى لا يستقيمُ مِن جهلِه ، بل قد رأيتُ أنَّ الحُجَّةَ أعظمُ ، والحَسْرةَ أدوَمُ على هذا العالِمِ المنسلِخِ مِن علمِه ، (٤) وضَرَرَه (٤) على هذا الجاهلِ المتحيِّرِ فى جهلِه ، وكلاهما حائرٌ (٥) مُضَلِّلٌ مَثْبورٌ . لا ترتابوا فتشُكُّوا ، ولا تشُكُّوا فتكفُروا ، ولا تُرخِّصوا لأنفسِكم فتَذهَلوا ، ولا تُذْهَلوا (٦) فى الحقِّ فتخسَروا ، ألَا وإنَّ مِن الحزمِ أن تثِقوا ، ومِن الثقةِ أن لا تَغتَرُّوا ، وإنَّ أنصحَكم لنفسِه أطوعُكم لربِّه ، وإنَّ أغَشَّكم لنفسِه أعصاكم لربِّه ، مَن يُطِعِ اللَّهَ يأمَنْ ويستبشِرْ ، ومَن يعصِ اللَّهَ يخَفْ ويندَمْ ، سلُوا اللَّهَ اليقينَ ، وارغَبوا إليه فى العافيةِ ، وخيرُ ما دام فى القلبِ اليقينُ ، إنَّ عوازمَ الأُمورِ أفضلُها ، وإنّ مُحْدَثاتِها شَرُّها (٧) ، وكلُّ مُحدَثةٍ (٨) بدعةٌ وكلُّ مُحدِثٍ مُبتدِعٌ ، ومَن ابتدعَ فقد ضيَّعَ ، وما أحدَث مُحدِثٌ بدعةً إلا ترَك بها سُنَّةً ، المغبونُ مَن غبَن دينَه ، والمفْتونُ (٩) مَن خسِر نفسَه ، وإنَّ الرياءَ مِن الشركِ ، وإنَّ الإخلاصَ مِن العلمِ (١٠) والإيمانِ . ومَجالسُ اللهوِ تُنْسى القرآنَ ويحضُرُها الشيطانُ ، وتدعو إلى كلِّ غَيٍّ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٧، ا ٦: « العامل » . وفى ا ٨: « العالم » .

(٢) فى م ، ص : « علمه » .

(٣) فى الأصل ، ا ٧، م ، ص : « الجائر » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) سقط من : م . وفى الأصل ، ا ٧: « جائر » . وفى ص : « كبائر » .

(٦) فى الأصل ، ا٨ ، ا٧ ، ا٦ ، ص : « تدهنوا » .

(٧) فى م : « شرارها » .

(٨) فى ا ٨، ا ٧، م : « محدث » .

(٩) فى الأصل : « المقتور » . وفى م : « المغبون » .

(١٠) فى م : « العمل » .

ومُحادَثةُ[1] النساءِ تُزيغُ القلوبَ وتُطمِحُ لهن الأبصارَ، وهن[2] مصائدُ الشيطانِ، فاصدُقوا اللَّهَ؛ فإن اللَّهَ مع مَن صدَق، وجانِبوا الكذِبَ؛ فإنَّ الكذِبَ مُجانِبٌ للإيمانِ، ألَا إنَّ الصادقَ[3] على شَرَفِ مَنجاةٍ وكرامةٍ، وإنَّ الكاذبَ[4] على شرفِ ردًى وهَلَكةٍ [5]وإهانةٍ[5]، ألَا وقولوا الحقَّ تُعرَفوا به واعمَلوا به تكونوا مِن أهلِه، وأدُّوا الأمانةَ إلى مَن ائتمَنَكم، وصِلوا أرحامَ مَن قطَعكم، وعُودوا بالفضلِ على مَن حَرَمكم، وإذا عاهدْتُم فأَوْفوا، وإذا حكَمتم فاعدِلوا، ولا تَفاخَروا بالآباءِ، ولا تَنابَزوا بالألقابِ، ولا تمازَحوا، ولا يَغْتَبْ[6] بعضُكم بعضًا، وأعِينُوا الضعيفَ[7] والمظلومَ والغارِمين وفى سبيلِ اللَّهِ وابنَ السبيلِ والسائِلين وفى الرِّقابِ، وارحَموا الأرملةَ واليتيمَ، وأفشُوا السلامَ ورُدُّوا التحيةَ على أهلِها مِثلَها أو بأحسنَ منها. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وأكرِموا الضَّيْفَ، وأحسِنوا إلى الجارِ، [٦/٤٩ظ] وعُودوا[8] المرضَى، وشيِّعوا الجنائزَ، وكونوا عبادَ اللَّهِ إخوانا.

أمَّا بعدُ، فإنَّ الدنيا قد أَدْبَرَت وآذَنَتْ بوَداعٍ، وإنَّ الآخِرةَ قد أقبلَتْ[9] وأشرَفَتْ باطِّلاعٍ، وإنَّ المِضمارَ اليومَ، وغدًا السباقُ، وإنَّ [10]السَّبَقَةَ والغايةَ الجنةُ أو النارُ[10]،

---

(١) فى م: «مجالسة».
(٢) فى م: «هى».
(٣) فى م، ص: «الصدق».
(٤) فى م، ص: «الكذب».
(٥ - ٥) سقط من: م، ص.
(٦) فى م، ص: «يغضب».
(٧) فى ا ٦: «الضيف».
(٨) فى الأصل: «عضوا».
(٩) فى م: «أظلت».
(١٠ - ١٠) فى م: «السبقة الجنة والغاية النار».

ألَا وإنَّكم فى أيامِ مَهْلٍ مِن وَرائِها أَجَلٌ حَثِيثٌ[1] عَجِلٌ ، فمَن أخلَص للَّهِ عمَلَه فى أيامِ مَهْلِه قبلَ حضورِ أجلِه ، فقد أحسَن عملَه ونال أَملَه ، ومَن قصَر عن ذلك فقد خسِر عملُه وخاب أملُه ، وضرَّه أملُه ، ألَا[2] فاعمَلوا فى الرغبةِ والرهبةِ ، فإن نزَلتْ بكم رغبةٌ فاشكُروا اللَّهَ واجمَعوا معها رهبةً ، وإن نزَلَتْ بكم رهبةٌ فاذكُروا اللَّهَ واجمَعوا معها رغبةً ؛ فإنَّ اللَّهَ قد تأذَّن المسلمِين بالحسنَى ، ولِمَن شكَر بالزيادةِ ، وإنِّى لـم أرَ مثلَ الجنَّةِ نام طالبُها ، ولا كالنارِ نامَ هاربُها ، ولا [3]أكْيَسَ مِن مُكتسِبٍ يكتسِبُ شيئًا اليومَ يدَّخِرُه ليومٍ تنفَعُ[3] فيه الذَّخائرُ ، وتُبلَى فيه السرائرُ ، [4]يُجمَعُ فيه المؤمِنُ والكافرُ ، ألَا[4] وإنَّه مَن لا ينفَعْه الحقُّ يضرُّه الباطلُ ، ومَن لا يَستقِمْ على[5] الهُدَى يَجُرْ به الضَّلالُ ، ومَن لا ينفَعْه اليقينُ يضرُّه الشكُّ ، ومَن لا ينفَعْه حاضِرُه[6] فغارِبُه[7] عنه أعوزُ[8] ، وغائبُه عنه أعجزُ ، ألَا[9] وإنَّكم قد أُمِرْتم بالظَّعْنِ ودُلِلْتُم على الزادِ [10]فاعمَلوا على المرادِ[10] ، ألَا وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اثنتانِ ؛ طولُ الأملِ واتِّباعُ الهَوى ؛ فطُولُ الأملِ يُنْسِى الآخِرةَ ، و[11]اتِّباعُ الهَوى يصُدُّ[12] عن الحقِّ ، ألَا وإنَّ الدنيا قد ترحَّلَتْ مُدبِرةً ، وإنَّ

---

(١) فى م ، ص : « يحثه » .
(٢) سقط من : م ، ص .
(٣ - ٣) فى م : « أكثر مكتسبا من شىء كسبه ليوم تدخر » .
(٤ - ٤) فى م ، ص : « وتجمع فيه الكبائر » .
(٥) فى م : « به » .
(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « حاضر لبه » .
(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ص : « فعازبه » .
(٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، ص : « أخون » .
(٩) سقط من : م .
(١٠ - ١٠) سقط من : م ، ص .
(١١) بعده فى م : « أما » .
(١٢) فى م : « فيبعد » .

الآخِرةَ قد ترحَّلَتْ مُقبِلةً ، ولهما بنونَ ، فكونوا مِن أبناءِ الآخِرةِ إن استطعْتُم ، ولا تكونوا مِن أبناءِ الدنيا ؛ فإنَّ اليومَ عمَلٌ ولا حسابَ ، وغدًا حسابٌ ولا عمَلَ .

وهذه الخُطبةُ عظيمةٌ[1] بليغةٌ نافعةٌ ، جامعةٌ للخيرِ ناهيةٌ عن الشرِّ . وقد روِى لها شواهدُ مِن وُجوهٍ أُخرَى متصلةٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد ذكَر ابنُ جَرِيرٍ[2] : أنَّ عليًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، لمّا نكَل أهلُ العراقِ عن الذَّهابِ معه[1] إلى الشامِ خطَبهم ، فوَبَّخَهم وأنَّبَهم[3] وتوعَّدَهم وتهَدَّدَهم وتلا عليهم فى الجهادِ آياتٍ مِن القرآنِ مِن سُوَرٍ متفرِّقةٍ ، وحثَّهم على المسيرِ [4]إلى عدوِّهم[4] فتأبَّوْا على ذلك ، وخالَفوه ولم يُوافِقوه ، واستمَرُّوا فى بلادِهم ، وانصرَفوا[5] عنه هـٰهنا . [6]قيلَ : إنَّ ذلك بسببِ قَتْلِه الخوارجَ ؛ لأنهم كانوا قراباتِهم وإخوانَهم ، ويَرَوْنهم أفضلَهم وخيرَهم ؛ لعبادتِهم وقراءتِهم ، فتثاقلوا عنه وهجَروه[6] ، فدخَل علىٌّ[7] الكوفةَ [6]فى حالةٍ اللَّهُ بها عليمٌ[6] .

فصـلٌ

وقد ذكَر [٦/٥٠و] الهيثمُ بنُ عَـدِىٍّ[8] أنَّه خرَج على علىٍّ رضِى اللَّهُ عنه ،

---

(١) سقط من : م .
(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٩٠، ٩١. بنحوه .
(٣) زيادة من : م .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥) فى م : « تفرقوا » .
(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .
(٧) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « عن ذلك » .
(٨) لم نجده ، وانظر تاريخ الطبرى ٥/١٢٦ - ١٢٨. والكامل ٣/ ٣٧٠.

بعدَ [1]قَتْلِه أهلَ[1] النَّهْرَوانِ رجلٌ يقالُ له : الحارثُ بنُ راشدٍ النّاجِيُّ . قدِم مع أهلِ البصرةِ ، فقال لعليٍّ : إنَّك قد قاتَلْتَ أهلَ النَّهروانِ فى كونِهم أنكَروا عليك قضيَّةَ[2] التحكيمِ ، وتزعُمُ أنَّك قد أعطيْتَ أهلَ الشامِ عُهودَك ومَواثيقَك ، وأنَّك لَسْتَ بناقضِها ، وهذانِ الحكَمانِ قد اتَّفقا على خلعِك[3] ، ثم اختلَفا فى وِلايةِ معاويةَ ؛ فولّاه عمرُو بنُ العاصِ ، وامتنَع أبو موسَى مِن وِلايتِه[4] ، فأنتَ مَخلوعٌ باتفاقِهما ، وأنا قد خلعْتُك وخلعْتُ مُعاويةَ معك . واتَّبَعَ الحارثَ [5]على مَقالتِه هذه[5] بَشَرٌ كثيرٌ مِن قومِه - بَنى ناجِيةَ وغيرِهم - وتحيَّزوا ناحيةً ، فبعَث إليهم عليٌّ مَعْقِلَ بنَ قَيْسٍ الرِّياحِيَّ[6] فى جيشٍ كثيفٍ فقتَلَهم مَعقِلٌ قتلًا ذريعًا ، وسبَى مِن بنى ناجيةَ خَمسَمائةِ أهلِ بيتٍ ، فقدِم بهم[7] على عليٍّ ، فتلقَّاه رجلٌ يقالُ له : مَصْقَلَةُ بنُ هُبَيْرَةَ ، أبو[8] المغَلِّسِ - وكان عاملًا لعليٍّ على بعضِ الأقاليمِ - [9]فتضَرَّع السَّبْيُ[9] إليه وشكَوْا ماهم فيه[10] ، فاشتراهم مَصقَلةُ مِن مَعْقِلٍ بخَمسِمائةِ ألفٍ[11] وأعتَقهم ، فطالَبه بالثمنِ فهرَب منه إلى ابنِ عبّاسٍ إلى البصرةِ ، فكتَب مَعْقِلٌ إلى ابنِ عبّاسٍ [1]فى ذلك[1] ، فقال له مَصْقَلةُ : إنِّى إنَّما

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م ، ص : « قصة » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ص : « ذلك » .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « هذا » .

(٦) فى م ، ص : « الرماحى » . وانظر الإصابة ٦/ ٣٠٦.

(٧) بعده فى م ، ص : « ليقدم بهم » .

(٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « وأبو » .

(٩ - ٩) فى م ، ص : « فتضرروا » .

(١٠) بعده فى م ، ص : « من السبى » .

(١١) بعده فى م ، ص : « درهم » .

جئتُ لأدفَعَ ثمنَهم إليك. ثم هرَب [1]مِن ابنِ عبّاسٍ إلى عليٍّ، فطالَبه عليٌّ بالثَّمنِ[1]، فدفع إليه[2] مِن الثَّمنِ مائتى ألفٍ ثم هرَب[3]، فلحِق بمعاويةَ بنِ أبى سفيانَ بالشامِ، فأمضَى عليٌّ عِتقَهم، وقال: ما بَقِى مِن المالِ فى ذِمَّةِ مَصْقَلَةَ؟ وأمَر بدارِه فى الكوفةِ فهُدِمَتْ.

وقد روَى الهيثمُ عن سُفيانَ الثَّوْرِىِّ، وإسرائيلَ، عن عمَّارٍ الدُّهْنىِّ[4]، عن أبى الطُّفَيْلِ أنَّ بنى ناجيةَ ارتدُّوا فبعَث إليهم مَعْقِلَ بنَ قَيْسٍ فسباهم، فاشتراهم مَصْقَلَةُ مِن علىٍّ بثَلاثِمائةِ ألفٍ فأعتَقهم ثم هرَب إلى معاويةَ. قال الهيثمُ: وهذا قولُ الشيعةِ ولم يُسمَعْ بحىٍّ مِن العربِ ارتدُّوا [5]عن الإسلامِ[5] بعدَ الرِّدَّةِ التى كانت فى أيامِ الصِّدِّيقِ. وقال الهيثمُ: حدَّثنى [6]عُبَيْدُ اللَّهِ[6] بنُ تَميمِ بنِ طَرَفةَ الطائىُّ، حدَّثنى أبى، أنَّ عَدِىَّ بنَ حاتمٍ قال مَرَّةً لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ، وهو يخطُبُ: قتلْتَ أهلَ النَّهْروانِ على إنكارِ الحكومةِ، وقتلْتَ الخرِّيتَ[7] بنَ راشدٍ على مسألتِه[8] إياك[9] الحكومةَ، واللَّهِ ما بينَهما مَوضِعُ قَدَمٍ. فقال له علىٌّ:

(١ - ١) فى م، ص: «منه إلى على فكتب ابن عباس ومعقل إلى على فطالبه على».

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى م، ص: «انشمر هاربا».

(٤) فى م: «الذهبى». وفى ص: «الدهبى». وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ١٣٨.

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

(٦ - ٦) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «عبيد». وفى م، ص: «عبد اللّه». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٣٢.

(٧) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «الحرث». وفى م، ص: «الحريث». والصواب من الإصابة ٢/ ٢٧٣. وانظر الاستيعاب ٢/ ٤٥٨. وأسد الغابة ٢/ ١٢٨. وقصة خروجه على علىٍّ انظرها فى الطبرى ٥/ ١١٣. والكامل ٣/ ٣٦٤.

(٨) فى م، ص: «مسألتهم».

(٩) بعده فى م، ص: «أيضا».

اسكُتْ إنَّما كنْتَ أعرابيًّا تأكُلُ الضَّبُعَ بجَبَلَىْ[1] طَيِّئٍ بالأمسِ. فقال له عَدِىٌّ: وأنتَ واللَّهِ قد رأيناك بالأمسِ تأكُلُ البلحَ بالمدينةِ. قال الهيثمُ: ثم خرَج رجلٌ على علىٍّ مِن أهلِ البصرةِ فقُتِلَ، فأمَّر أصحابُه عليهم [٦/٥٠ظ] الأَشْرَسَ بنَ عَوْفٍ الشَّيْبَانِىَّ، فقُتِلَ هو وأصحابُه. قال: ثم خرَج عليه الأَشْهَبُ بنُ بِشْرٍ البَجَلىُّ، ثم أخَذَ عُرَيْنَةَ مِن أهلِ الكوفةِ فقُتِلَ هو وأصحابُه. قال: ثم خرَج [2]على علىٍّ[2] سعيدُ بنُ قُفْلٍ[3] التَّيْمىُّ[4]؛ تَيْمُ[5] ثَعْلَبَةَ، مِن أهلِ الكوفةِ فقُتِلَ بقَنْطَرةِ دَرْزِيجانَ[6] فوقَ المدائنِ. قال الهيثمُ: أخبرَنى بذلك عبدُ اللَّهِ بنُ عَيَّاشٍ عن مَشيخَتِه.

فصـلٌ

ذكَر ابنُ جَريرٍ[7]، عن أبى مِخْنَفٍ لوطِ بنِ يَحْيى - وهو أحدُ أئمةِ هذا الشَّأْنِ - أنَّ قتالَ علىٍّ الخوارجَ [8]يومَ النَّهْروانِ[8] [9]كان فى هذه السنةِ، أعنِى سنةَ سبعٍ وثلاثِين. قال ابنُ جريرٍ: وأكثرُ أهلِ السِّيَرِ[9] على أنَّ ذلك كان فى سنةِ ثمانٍ

---

(١) فى م، ص: «بجبل».

(٢ - ٢) زيادة من: م، ص.

(٣) فى الأصل، ص: «فعل». وفى ا ٨: «قعل». وفى ا ٧: «فغد»، وفى ا ٦: «فغل». وفى م: «نغد». وانظر الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٧٢.

(٤) فى الأصل، ا ٦، م، ص: «التميمى».

(٥) فى م، ص: «ثم من بنى».

(٦) فى الأصل، م: «درربخان». وفى ا ٦: «دررنجان». وفى ا ٨، ص: «درزنجان». وفى ا ٧: «درنجان». والمثبت من معجم البلدان ٢/ ٥٦٦.

(٧) تاريخ الطبرى ٥/ ٩١. بنحوه.

(٨ - ٨) زيادة من: م.

(٩ - ٩) سقط من: الأصل.

وثلاثين. وصحَّحه ابنُ جريرٍ. قلتُ: وهو الأشبهُ كما سنُنَبِّهُ عليه فى السنةِ الآتيةِ، إن شاء اللَّهُ تعالى. قال ابنُ جريرٍ[1]: وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ - أعنِى[2] سنةَ سبعٍ وثلاثين - عبيدُ اللَّهِ بنُ عبَّاسٍ؛ نائبُ علىٍّ على اليمنِ ومَخاليفِها[3]، وكان نائبَ مكةَ قُثَمُ بنُ العبَّاسِ، وعلى المدينةِ تَمَّامُ بنُ عبَّاسٍ. وقيل[4]: سهلُ بنُ حُنَيْفٍ. وعلى البصرةِ عبدُ اللَّهِ بنُ عبَّاسٍ، وعلى قَضائِها أبو الأسودِ الدُّئِلِىُّ، وعلى مصرَ محمدُ بنُ أبى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. وأميرُ المؤمنِين علىٌّ مُقيمٌ بالكوفةِ، ومعاويةُ بنُ أبى سفيانَ بالشامِ مُستحوِذٌ عليها. قلتُ: ومِن نِيَّتِه أن يأخُذَ بلادَ مصرَ مِن محمدِ بنِ أبى بَكْرٍ الصدِّيقِ.

ذِكْرُ مَن تُوفِّىَ (٥فى هذه السَّنةِ٥) مِن الأَعيانِ

خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ بنِ جَنْدَلَةَ بنِ سَعْدِ بنِ خُزَيْمَةَ[6] كان قد أصابَه سِباءٌ فى الجاهليةِ فاشترَتْه أُمُّ[7] أنمارٍ الخُزاعِيَّةُ، التى كانت تَختِنُ النساءَ، وهى أُمُّ سِباعِ بنِ عبدِ العُزَّى الذى قتَله حمزةُ يومَ أُحُدٍ. حالَفَ خَبَّابٌ[7] بنى زُهْرَةَ.

أسلَم خَبَّابٌ قديمًا قبلَ دارِ الأرقمِ، وكان ممَّن يُؤذَى فى اللَّهِ عزَّ وجلَّ فيَصْبِرُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٩٢ - ٩٣.

(٢) فى م، ص: «يعنى».

(٣) فى م، ص: «مخالِفِها».

(٤) تاريخ الطبرى ٥/٩٣.

(٥ - ٥) فى م، ص: «فيها».

(٦) الاستيعاب ٢/٤٣٧، وأسد الغابة ٢/١١٤، والإصابة ٢/٢٥٨.

(٧) سقط من: م، ص.

ويحتَسِبُ ، وهاجَر وشهِد بدرًا وما بعدَها مِن المشاهدِ . قال الشَّعْبِىُّ[1] : دخَل خَبّابٌ[2] يومًا على عمرَ فأكرَم مجلِسَه ، وقال : ما أحدٌ أحقُّ بهذا المجلِسِ منك إلا بلالٌ . فقال : يا أميرَ المؤمنين إنَّ بلالًا كان يُؤذَى وكان له مَن يَمنعُه ، وإنِّى كنتُ لا ناصِرَ لى ، واللَّهِ لقد سلَقونى يومًا فى نارٍ أجَّجوها ، ووضَع رجلٌ منهم[2] رِجلَه على صدرِى فما اتَّقيْتُ الأرضَ إلا بظهرِى ، ثم كشَف عن ظهرِه ؛ فإذا هو قد[2] بَرِص ، رضِى اللَّهُ عنه . ولمّا مرِض[3] دخَل عليه ناسٌ مِن الصحابةِ ، يَعودونه ، فقالوا : أَبْشِرْ ، غدًا تَلقى الأحبَّةَ ؛ محمدًا وحزبَه . فقال : واللَّهِ إخوانى مَضَوْا لم يأكلُوا مِن أجْرِهم شيئًا ، وإنا قد أينَعتْ لنا ثمرتُها فنحن نَهْدِبُها[4] ، [5]يَعْنِى [٦/ ٥١و] الدنيا[5] ، فهذا الذى يهمُّنى . قالوا[6] : وتُوفِّى بالكوفةِ فى هذه السنةِ عن ثلاثٍ وستِّين سنةً ، وهو أوَّلُ مَن دُفِن بظاهرِ الكوفةِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

خُزَيمةُ بنُ ثابتِ بنِ الفاكِهِ بنِ ثعلبةَ بنِ ساعدةَ الأنصارِىُّ[7] ، ذو الشَّهادتيْن ، وكانت رايةُ بنى خَطْمَةَ[8] معه يومَ الفتحِ ، وشهِد صِفِّينَ مع علىٍّ ، وقُتِل يومئذٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

سَفينةُ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قد قدَّمْنا ترجمتَه فى المَوالى المنسوبِين إلى

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٥.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٦. بنحوه .

(٤) أى : نجنيها .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى م ، ص : « قال »

(٧) الاستيعاب ٢/ ٤٤٨. وأسد الغابة ٢/ ١٣٣. والإصابة ٢/ ٢٧٨.

(٨) فى ا ٨، ا ٧، م ، ص : « حطمة » . وانظر مصادر الترجمة .

النبيِّ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه[1] .

عبدُ اللَّهِ بنُ الأَرْقَمِ بنِ أبى الأَرْقَمِ ، أسلَم عامَ الفتحِ وكتَب بين يَدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقد تقدَّم مع كُتَّابِ الوحيِ[2] .

عبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيلِ بنِ وَرْقاءَ الخُزاعِيُّ[3] ، قُتِل يومَ صفِّينَ وكانَ أميرَ مَيْمَنةِ عليٍّ ، فأخَذها بعدَه الأشترُ .

عبدُ اللَّهِ بنُ خَبّابِ بنِ الأَرَتِّ[4] ، وُلِد فى زَمَنِ النبيِّ ﷺ وكان موصوفًا بالخيرِ ، قتَلَه الخوارجُ ، كما قدَّمْنا بالنَّهْروانِ[5] فى هذه السنةِ ، [6]فلما جاء عليٌّ قال لهم : أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون . فقالوا : كلُّنا قتَلَه . فقتلهم[6] .

عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ[7] ، أحدُ كتَّابِ الوحيِ ، أسلَم قديمًا وكتَب الوَحْىَ ، ثم ارتدَّ عن الإسلامِ ثم عاد إلى الإسلامِ [8]عامَ الفتحِ[8] واستأمَن له عثمانُ ابنُ عفّانَ رسولَ اللَّهِ ﷺ - وكان أخاه لأمِّه - وحسُن إسلامُه ، وقد ولَّاه عثمانُ نِيابةَ مِصْرَ بعدَ[9] عمرِو بنِ العاصِ ، فغزَا إفريقيَّةَ وبلادَ النُّوبةِ ، وفتَح الأندَلُسَ ، وغزا ذاتَ الصَّوارِى مع الرومِ فى البحرِ ، فقتَل منهم ما صبَغ وجهَ الماءِ مِن الدماءِ ،

---

(١) تقدم فى ٨/ ٢٦١.

(٢) انظر ٨/٣٤٤ - ٣٤٦.

(٣) الاستيعاب ٣/ ٨٧٢. وأسد الغابة ٣/ ١٨٤. والإصابة ٤/ ٢١.

(٤) فى الأصل، ا ٨، ٧١: «الأرث». وترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ٨٩٤. وأسد الغابة ٣/ ٢٢٢. والإصابة ٤/ ٧٣.

(٥) زيادة من: م، ص. وانظر ما تقدم فى صفحة ٥٨٤ .

(٦ - ٦) زيادة من: م، ص.

(٧) الاستيعاب ٣/ ٩١٨. وأسد الغابة ٣/ ٢٥٩. والإصابة ٤/ ١٠٩.

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) بعده فى م: «موت».

ثم لمّا حُصِر عثمانُ تغلَّب عليه محمدُ بنُ أبى حُذَيْفَةَ وأخرَجه مِن مصرَ ، فمات فى هذه السَّنةِ وهو مُعتزِلٌ عليًّا ومعاويةَ ، فى صلاةِ الفجرِ بينَ التسليمتَين ، رضِى اللَّهُ عنه .

عمّارُ بنُ ياسرٍ أبو اليَقظانِ العَبْسِىُّ[1]

مِن عَبْسِ اليمنِ ، وهو حليفُ بنى مَخزومٍ ، أسلمَ قديمًا وكان ممَّن يُعذَّبُ فى اللَّهِ هو وأبوه وأُمُّه سُميَّةُ ، ويقالُ : إنَّه أولُ مَن اتخَذ مسجدًا فى بيتِه يتعبَّدُ فيه . وقد شهِد بدرًا وما بعدَها . وقد قدَّمنا كيفيةَ مقتَلِه يومَ صِفِّينَ ، [2]وكان مع علىٍّ ، وأخبَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه تقتُلُه الفئةُ الباغيةُ[3][2] .

ورَوى الترمذىُّ[4] مِن حديثِ الحسَنِ ، عن أنسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ الجنَّةَ تَشْتاقُ إلى ثلاثةٍ ؛ علىٍّ وعمّارٍ وسلمانَ » .

[5]وروَى[5] الثَّورِىُّ[6] ، عن أبى إسحاقَ ، عن هانئِ بنِ هانئٍ ، عن علىٍّ أنَّ عمّارًا استأذَن على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « مَرْحَبًا بالطيِّبِ المطيَّبِ » .

وقال إبراهيمُ بنُ الحُسَيْنِ : حدَّثنا يَحْيَى [7]حدَّثنى نصرٌ[7] ، ثنا سفيانُ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٣٥. وأسد الغابة ٤/ ١٢٩. والإصابة ٤/ ٥٧٥.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « وأن رسول اللَّه ﷺ قال تقتلك الفئة الباغية » .

(٣) تقدم تخريجه فى ٨/١٩٣ - ١٩٥.

(٤) الترمذى (٣٧٩٧) . وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح . قال الألبانى : ضعيف . (ضعيف سنن الترمذى ٧٩٣) .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « وفى الحديث الآخر الذى رواه » .

(٦) بعده فى م ، ص : « وقيس بن الربيع وشريك القاضى وغيرهم . والحديث أخرجه الترمذى (٣٧٩٨) . وابن ماجه (١٤٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٨٦) .

(٧ - ٧) بياض فى : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ٦١.

الثَّـوريُّ ، عن الأعمشِ[1] عن أبى عمَّارٍ ، عن عمرِو بنِ شُرَحْبِيلَ[2] ، عن رجلٍ [٦/٥١ظ] مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَقد مُلِئَ عمَّارٌ إيمانًا[3] إلى مُشَاشِه[4] »[5] .

وحدَّثَنا يَحيى بنُ مُعَلَّى[6] ، عن الأعمشِ ، عن مُسلمٍ ، عن مَسروقٍ ، عن عائشةَ أنَّها قالت : ما مِن أحدٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أشاءُ أن أقولَ فيه إلَّا عمَّارَ بنَ ياسرٍ ، فإنَّه[7] حُشِيَ ما بينَ أخمَصِ قدمَيْه إلى شَحْمةِ أُذُنَيْه إيمانًا .

وحَدَّثنا يَحْيَى[8] ، [9]ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ[9] ، أنا هُشَيْمٌ ، عن العوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن سلمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن عَلْقَمةَ قال : أتيتُ أهلَ الشَّامِ فلَقِيتُ خالدَ بنَ الوليدِ فحدَّثَنى ، قال : كان بينِى وبينَ عمَّارِ بنِ ياسرٍ كلامٌ فى شىءٍ فشَكانى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا خالدُ ، لا تُؤذِ عمّارًا ، فإنَّه مَن يَبْغُضْ عمَّارًا يَبْغُضْه اللَّهُ ، ومَن يُعادِ عمّارًا يُعادِه اللَّهُ » . قال : فعرَضْتُ له بعدَ ذلك فسللْتُ ما فى

---

(١) فى م ، ص : « أبى الأعمش » . وفى باقى النسخ بياض ورواية سفيان عن الأعمش ثابتة . وكذا روايته عن أبى عمار الهمدانى ثابتة أيضا . انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٧، ٧/ ٢٣١، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦.

(٢) فى الأصل ، ١ ٨، ١ ٧، ١ ٦: « سفيان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦.

(٣) بعده فى الأصل ، ١ ٨، ١ ٧، ١ ٦: « من قرنه » . وفى م : « من قدمه » . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦.

(٤) المشاش : رءوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين . النهاية ٤/ ٣٣٣.

(٥) أخرجه النسائى (٥٠٢٢) من طريق الثورى به . صحيح سنن النسائى (٤٦٣٤) .

(٦) لم نجده .

(٧) فى م ، ص : « فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن عمار بن ياسر » .

(٨) لم نجده بهذا الطريق ، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٨٩، من طريق يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، عن علقمة ، عن خالد بن الوليد . بنحوه . وأخرجه بسند آخر فى المسند ٤/ ٩٠ عن الأشتر بنحوه أيضا . كما أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٢٦٩) بنحوه .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ١ ٨، ١ ٧: « بن عمرو بن عوف » وفى ١ ٦: « بن عمر بن عوف » . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٧٧، ١٩٨.

نفسِه . وله أحاديثُ كثيرةٌ فى فضائلِه ، [1]رضى اللّه عنه[1] .

قُتِل عَمّارٌ يومَ صِفِّينَ عن إحدى ، وقيل[2] : ثلاثٍ . وقيل : أربع وتسعِين سنةً . طعَنَه أبو الغاديَةِ فسقَط ، ثم أكَبَّ عليه رجلٌ فاحتزَّ رأسَه ، ثم اختصَما إلى معاويةَ أيُّهما قَتَله . فقال لهما عمرُو بنُ العاصِ : اتَّعدا[3] فواللَّهِ إنَّكما لَتَخْتَصِمان فى النارِ . فسمِعها منه معاويةُ فلامَه على تسميعِه إياهما ذلك . فقال له عمرٌو[4] : واللَّهِ إنَّك لتعلَمُ ذلك ، ولودِدْتُ أنّى مِتُّ قبلَ هذا اليومِ بعشرين سنةً .

قال الواقدىُّ[5] : حدَّثنى الحسنُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى إسحاقَ عن عاصمٍ أنَّ عليًّا صلَّى عليه ، ولم يُغَسِّلْه ، وصلَّى معه[6] على هاشمِ بنِ عُتْبةَ ، فكان عمَّارٌ مما يلى عليًّا ، وهاشمٌ إلى نحوِ القبلةِ . قالوا[7] : وقُبِرَ هنالِك[8] . وكان آدمَ اللونِ ، طويلًا بعيدَ ما بَيْنَ المَنْكِبَيْن ، أشهَلَ العينَيْن ، رجلًا لا يُغيِّرُ شيْبَه ، رضى اللَّهُ عنه .

الرُّبَيِّعُ بنتُ[9] مُعَوِّذِ بنِ عَفْرَاءَ[10] أسلمَتْ قديمًا وكانت تخرُجُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الغَزَواتِ فتُداوِى الجَرحَى ، وتَسْقى الماءَ للكَلْمَى وغيرِهم ، وروَت

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « يعنى علقمة » .
(٢) أسد الغابة ٤/ ١٣٤ .
(٣) فى م ، ص : « اندرا » .
(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٩ ، وأسد الغابة ٤/ ١٣٥ .
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٢ .
(٦) زيادة من : م ، ص .
(٧) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٤ .
(٨) يعنى بصفين .
(٩) فى م : « بن » .
(١٠) الاستيعاب ٤/ ١٨٣٧ ، وأسد الغابة ٧/ ١٠٧ ، والإصابة ٧/ ٦٤١ .

أحاديثَ كثيرةً .

وقد قُتِلَ فى هذه السنةِ فى أيامِ صِفِّينَ خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ؛ فقيل[1] : قُتِل مِن أهلِ الشامِ خمسةٌ وأربعون ألفًا ، ومِن أهلِ العراقِ خمسةٌ وعشرون ألفًا . وقيل : قُتِل مِن أهلِ العراقِ أربعون ألفًا مِن مائةٍ وعشرين ألفًا ، وقُتِل مِن أهلِ الشامِ عشرون ألفًا مِن ستِّين ألفًا . وبالجُملةِ فقد كان [2]فى قَتْلَى الفَرِيقَيْن[2] أعيانٌ ومَشاهيرُ يطولُ استقصاؤُهم . وفيما ذكَرْنا كفايةٌ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) تاريخ خليفة ١/ ٢٢٠.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « فيهم » .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين

فيها بعَث معاويةُ عمرَو بنَ العاصِ إلى ديارِ[1] مِصْرَ ليأخُذَها مِن محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصدِّيقِ. واستَناب معاويةُ عمرًا عليها، وذلك كما سنُبَيِّنُه. وقد كان علىٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، استَناب عليها قيسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادَةَ وانتزَعها مِن يدِ محمدِ بنِ أبى حُذيْفَةَ وقد كان أخَذها [٦/٥٢و] مِن ابنِ أبى سَرْحٍ نائبِ عثمانَ عليها، وكان عثمانُ قد عزَل عنها عمرَو بنَ العاصِ، وكان عمرٌو هو الذى افتَتَحها، كما تقدَّم ذلك، ثم إنَّ عليًّا عزَل عنها قيْسَ بنَ سعدٍ وولَّى عليها محمدَ ابنَ أبى بكرٍ، وكان قيسٌ كُفؤًا لمعاويةَ وعمرٍو، فلمَّا وُلِّى محمدُ بنُ أبى بكرٍ لم يكُنْ فيه قوةٌ تُعادِلُ معاويةَ وعمرًا، وحينَ عُزِل قيسُ بنُ سعدٍ عنها رجَع إلى المدينةِ، ثم سار إلى علىٍّ بالعراقِ فكان معه. وكان معاويةُ يقولُ[2]: واللَّهِ لَقَيْسُ ابنُ سعدٍ عندَ علىٍّ أبغَضُ إلىَّ مِن مائةِ ألفِ مُقاتلٍ [3]تكونُ معه بدَلُه[3]. فلمَّا فرَغ علىٌّ مِن صِفِّينَ، وبلَغه أنَّ أهلَ مصرَ قد استخفُّوا بمحمدِ بنِ أبى بكرٍ؛ لكَونِه شابًّا ابنَ ستٍّ وعشرِين سنةً، أو نحوَ ذلك، عزَم علىٌّ على ردِّ قيسِ بن سعدٍ

---

(١) زيادة من: م، ص.

(٢) تاريخ الطبرى ٥/٩٤ بنحوه. والمنتظم ٥/١٤٩ بنحوه أيضا.

(٣ - ٣) فى م، ص: «بدله عنده فشهد معه صفين».

إليها ، وكان عليٌّ[1] قد جعَله على شُرْطَتِه[2] . وقيلَ : إنَّه استمَرَّ بقَيْسٍ عندَه ، وولَّى الأشتَرَ النَّخَعِيَّ مصرَ ، وقد كان نائبَه على المَوْصِلِ ونَصِيبِينَ ، فكتَب إليه[3] فاستقدَمه عليه ، وولَّاه مصرَ . فلما بلَغ معاويةَ توليةُ الأشترِ النَّخَعيِّ مصرَ بذَلَ محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، وعلِم أنَّ الأشترَ سيمنَعُها منه ؛ لجُرْأتِه وشجاعتِه ، فسار الأشترُ إليها ، فلمّا بلَغ القُلْزُمَ استقبلَه الجايسارُ[4] ، وهو مُقَدَّمُ عليٍّ على[1] الخراجِ ، فقدَّم إليهِ طعامًا ، وسقَاه شرابًا مِن عَسَلٍ فمات منه ، فلمّا بلَغ ذلك معاويةَ وعمرًا[5] وأهلَ الشامِ قالوا : إنَّ للَّهِ لجُنودًا مِن عسلٍ .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ فى تاريخِه[6] أنَّ معاويةَ كان تقدَّم إلى هذا الرجلِ فى أن يَحتالَ على الأشترِ ؛ فيقتُلَه ، ووعَده على ذلك بأُمورٍ ، ففعَل ذلك . وفى هذا نظرٌ ، وبتقديرِ صِحَّتِه فإنَّ معاويةَ يستجيزُ قتلَ الأشترِ ؛ لأنَّه مِن قَتَلةِ عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه . والمقصودُ أنَّ معاويةَ وأهلَ الشامِ فرِحوا فرَحًا شديدًا بموتِ الأشترِ النَّخَعِيِّ .

ولمَّا بلَغ ذلك عليًّا تأسَّفَ على شجاعتِه وغَنَائِه[7] ، وكتَب إلى محمدِ بنِ أبى بكرٍ باستقرارِه واستِمرارِه بديارِ مصرَ ، ولكنَّه ضعُف جأْشُه مع ما كان فيه مِن

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى ص : « شرطه » . وبعده فى م ، ص : « أو إلى الأشتر النخعى » .

(٣) بعده فى م ، ص : « بعد صفين » .

(٤) فى النسخ : « الخانسار » : والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ٩٥، ٩٦.

(٥) زيادة من : م ، ص .

(٦) تاريخ الطبرى ٥/ ٩٥.

(٧) فى الأصل ، ٨١، ٧١: « عنائه » .

الخلافِ عليه مِن العثمانيةِ الذين ببلدِ خِربْتَا ، وقد كانوا[1] استفحَل أمرُهم حينَ انصرَف عليٌّ مِن صِفِّينَ وكان مِن أمرِ التحكيمِ ما كان ، وحينَ نكَل أهلُ العراقِ عن قتالِ أهلِ الشامِ معه[2] . وقد كان أهلُ الشامِ لمّا انقضَتِ الحكومةُ بدُومةِ الجَنْدَلِ سلَّموا على معاويةَ بالخلافةِ ، وقَوِى أمرُهم جدًّا .

فعندَ ذلك جمَع معاويةُ أُمراءَه ؛ عمرَو بنَ العاصِ ، وشُرَحْبيلَ بنَ السِّمْطِ ، [3]وحَبِيبَ بنَ مَسلمةَ[3] ، وعبدَ الرحمنِ بنَ خالدِ بنِ الوليدِ ، والضَّحّاكَ بنَ قَيْسٍ ، وبُسْرَ بنَ [4]أبى أَرْطاةَ[4] ، وأبا الأعورِ السُّلَمِيَّ ، وحمزةَ بنَ سِنانٍ[5] الهَمْدانيَّ [6]وغيرَهم[6] ، فاستشارهم فى المسيرِ إلى مصرَ فاستجابوا له ، وقالوا : سِرْ حيثُ شئتَ فنحن معك .

وعيَّنَ معاويةُ نِيابتَها لعمرِو بنِ العاصِ إذا[7] فتَحها ، ففرِح [٦/٥٢ظ] بذلك عمرٌو ، ثم قال لمعاويةَ : أرَى أنْ تبعَثَ إليهم [8]رجلًا معه جُندٌ[8] مأمونٌ عارفٌ بالحربِ ، فإنَّ بها جماعةً ممَّن يُوالى عثمانَ فيُساعِدونه على حربِ مَن خالَفَهم ،

---

(١) زيادة من : م ، ص .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) فى ص : « أرطاة » .

(٥) فى تاريخ الطبرى ٥/ ٩٨ : « مالك » .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

(٧) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « الذى » . وإنما كان عمرو بن العاص قد صالح معاوية حين بايعه على قتال على وأصحابه ، على أن له مصر طُعْمةً ما بقى . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٩٨ .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « رجالا مع رجل » .

فقال معاويةُ : لكنْ أرَى أنْ أبعَث إلى شِيعَتِنا ممَّن هنالك كتابًا نُعْلِمُهم بقُدومِنا[1] عليهم ، ونبعَثُ إلى مُخالِفِينا كتابًا ندعوهم فيه إلى الصلحِ . وقال معاويةُ [2]لعمرِو ابنِ العاصِ[2] : إنَك يا عمرُو رجلٌ بُورِك لك فى العَجَلةِ ، وإنى امرؤٌ بُورِك لى فى التُّؤَدَةِ . فقال عمرٌو : اعمَلْ ما أراك اللَّهُ ، [3]وما أرى[3] أمرَك وأمرَهم إلَّا سيصيرُ إلى الحربِ العَوانِ[4] .

فكتَب عندَ ذلك معاويةُ إلى مَسْلَمةَ بنِ مَخْلَدٍ الأَنْصَارِىِّ ، وإلى معاويةَ بنِ حُدَيْجٍ[5] السَّكُونىِّ - وهما رئيسا العثمانيةِ ببلادِ مصرَ [2]وكانا[2] ممَّن لم يُبايِعْ عليًّا ، ولم يأتمِرْ بأمرِ نُوّابِه بمصرَ فى نحوٍ مِن عَشَرةِ آلافٍ - يُخبِرُهم بقدومِ الجيشِ إليهم سريعًا ، وبعَث به مع مولًى له يقالُ له : سُبَيْعٌ . فلمّا وصَل الكتابُ إلى مَسلَمةَ ومعاويةَ بنَ حُدَيْجٍ فرِحا به وردّا جوابَه بالاستبشارِ والمعاوَنةِ والمناصَرةِ له ، ولمَن يبعَثُه مِن الجيشِ[6] .

فعندَ ذلك جهَّز معاويةُ عمرَو بنَ العاصِ فى ستةِ آلافٍ ، وخرَج معه مودِّعًا وأوصاه بتقوى اللَّهِ والرفقِ والمَهْلِ والتؤَدَةِ ، وأن يقتُلَ مَن قاتَل ويعفوَ عمَّن أدبَر ، وأن يدعُوَ الناسَ إلى الصلحِ والجماعةِ ، فإذا أنتَ ظهرْتَ فليكن أنصارُك آثرَ

---

(١) فى م ، ص : « بقدومهم » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « فوالله ما » .

(٤) يقال : حرب عوان . يعنى قوتل فيها مرة بعد مرة .

(٥) فى الأصل ، ا ٧ ، ا ٦ ، م ، ص : « خديج » وقد اختلفت فروق النسخ فيها فى المواضع القادمة فأثبتنا الصواب دون إشارة . انظر تهذيب الكمال ٢٨/١٦٣ .

(٦) فى م ، ص : « الجيوس والجند والمدد إن شاء الله تعالى » .

الناسِ عندَك .

فسار عمرٌو فلمّا دخَل مصرَ ، اجتمَعتْ عليه العثمانيةُ فقادَهم ، وكتَب إلى محمدِ بنِ أبى بكرٍ[1] : أمّا بعدُ ، فَتنَحَّ [2]عنّى بدمِك[2] ، فإنىّ لا أُحبُّ أن يُصيبَك منّى ظفُرٌ ؛ فإنَّ الناسَ قد اجتمَعوا بهذه البلادِ على خِلافِك ورفْضِ أمرِك ، ونَدِموا على اتِّباعِك ، فهم مُسْلِموك لو قد التقَتْ حَلْقَتا[3] البِطانِ ، فاخرُجْ منها فإنّى لك لَمِن الناصحِين ، والسلامُ . وبعَث إليه عمرٌو أيضًا بكتابِ معاويةَ إليه[1] : أمّا بعدُ ، فإنَّ غِبَّ البغيِ والظلمِ عظيمُ الوَبالِ ، وإنَّ سَفْكَ الدمِ الحرامِ لا يسلَمُ فاعِلُه مِن النِّقْمةِ فى الدنيا والتَّبِعةِ المُوبِقةِ فى الآخِرةِ ، وإنّا لا نعلمُ أحدًا كان أشدَّ خلافًا على عثمانَ منك حينَ تطعَنُ بمَشاقِصِك بينَ حُشاشتِه وأوداجِه ، ثم أنتَ تظنُّ أنّى عنك نائمٌ أو لفعلِك ناسٍ ، حتى تأتىَ فتتأمَّرَ على بلادٍ أنتَ بها جارى ، وجُلُّ أهلِها أنصارِى ، وقد بَعثْتُ إليك بجيوشٍ يتقرَّبون إلى اللَّهِ بجهادِك ولن يُسَلِّمَك اللَّهُ مِن القِصاصِ أينما كنتَ ، والسلامُ .

قال[1] : فطوَى محمدُ بنُ أبى بكرٍ الكتابَيْن ، وبعَث بهما إلى علىٍّ وأعلَمه بقُدومِ عمرٍو إلى مصرَ فى جيشٍ مِن قِبَلِ معاويةَ ؛ فإن كانت لك بأرضِ مصرَ حاجةٌ فابعَثْ إلىَّ بأموالٍ ورجالٍ ، والسلامُ . [٦/٥٣و] فكتَب إليه علىٌّ[4] يأمرُه

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ١٠١.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى م: «خلقتا». وفى ص: «خلفنا».

والبطان للقَتَب هو الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التقتا بلغ الشَّدُّ غايته. وهو مثل يضرب فى تناهى الشر. مجمع الأمثال ٣/ ١٠٢. والمستقصى ١/ ٣٠٦.

(٤) سقط من: م، ص.

بالصبرِ وبمجاهدةِ العدوِّ، وأنَّه سيَبعَثُ إليه الرجالَ والأموالَ، ويُمِدُّه بالجيوشِ[1].

وكتَب محمدُ بنُ أبى بكرٍ إلى معاويةَ كتابًا فى جوابِ ما قال وفيه غِلْظةٌ. وكذلك كتَب إلى عمرِو بنِ العاصِ كتابًا فيه كلامٌ غليظٌ. وقام محمدُ بنُ أبى بكرٍ فى الناسِ فخطَبَهم وحثَّهم على الجهادِ ومُناجزةِ مَن قصَدهم مِن أهلِ الشامِ.

وتَقدَّم عمرُو بنُ العاصِ إلى مصرَ فى جيوشِه، ومَن لحِق به مِن العثمانيَّةِ[2]، والجميعُ فى قريبٍ مِن ستَّةَ عشَرَ ألفًا. وركِب محمدُ بنُ أبى بكرٍ فى [3]قريبٍ مِن[3] ألفىْ فارسٍ، [3]وهم[3] الذين انتَدبوا معه مِن أهلِ مصرَ، وقدَّم بينَ يدَىْ جيشِه كِنانَةَ بنَ بِشْرٍ، فجعَل لا يلقَى أحدًا مِن الشاميِّين إلّا قاتلَهم حتى يُلحِقَهم مَغْلوبِين[4] إلى عمرِو بنِ العاصِ، فبعَث عمرُو بنُ العاصِ إليه[5] معاويةَ بنِ حُدَيْجٍ، فجاءه مِن ورائِه، وأقبَل إليه الشاميُّون حتى أحاطوا به مِن كلِّ جانبٍ؛ فترجَّل عندَ ذلك كِنانةُ وهو يقولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ الآية [آل عمران: ١٤٥]. ثم قاتلَ حتى قُتِل، وتفرَّق أصحابُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ عنه، ورجَع يمشى فرأى خَرِبةً فأوَى إليها، ودخَل عمرُو بنُ العاصِ فُسْطاطَ مصرَ، وذهَب معاويةُ بنُ حُدَيْجٍ فى طلبِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ، فمَّر بعُلُوجٍ فى الطريقِ فقال لهم: هل مرَّ بكم أحدٌ تستنكِرونَه؟ قالوا: لا. فقال رجلٌ منهم: إنِّى رأيتُ رجُلًا جالسًا فى هذه الخَرِبةِ. فقال: هو هو وربِّ الكعبةِ.

---

(١) فى م: «بما أمكنه من الجيوش».

(٢) بعده فى م، ص: «المصريين».

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «مغلولين».

(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «إلى».

فدخَلوا عليه فاستخْرَجوه منها - وقد كاد يموتُ عَطَشًا - فانطَلَق أخوه عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ إلى عمرِو بنِ العاصِ ، وكان قد قدِم معه إلى مصرَ ، فقال : أيُقتَلُ أخى صَبْرًا ؟ فبَعَث عمرُو بنُ العاصِ إلى معاويةَ بنِ حُدَيْجٍ أن يأتيَه بمحمدِ ابنِ أبى بكرٍ ولا يقتُلَه . فقال معاويةُ : كلَّا واللَّهِ ، أيقتُلون كِنانةَ بنَ بِشْرٍ وأترُكُ محمدَ بنَ أبى بكرٍ ، وقد كان فى مَن قتَل عثمانَ ، وقد سألهم عثمانُ الماءَ [1] فلم يَسقُوه [1] ؟ وقد سألهم محمدُ بنُ أبى بكرٍ أن يسقُوه شربةً مِن الماءِ . فقال معاويةُ : لاسَقانى اللَّهُ إن سقيتُك قطرةً مِن الماءِ أبدًا ؛ إنَّكم منعتُم عثمانَ أن يشرَبَ الماءَ حتى قتلْتُموه صائمًا مُحرِمًا ، فتلقّاه اللَّهُ بالرحيقِ المختومِ .

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ [2] ، أنَّ محمدَ بنَ أبى بكرٍ نال مِن معاويةَ بنِ حُدَيْجٍ هذا [1] وشتَمه [1] ، ومِن عمرِو بنِ العاصِ ، ومِن معاويةَ ، ومِن عثمانَ بنِ عَفَّانَ أيضًا ؛ فعندَ ذلك غضِب معاويةُ بنُ حُدَيجٍ فقدَّمه فقتَله ، ثم جعَله فى جِيفةِ حمارٍ فأحرَقه بالنارِ ، فلمّا بلَغ ذلك عائشةَ جزِعتْ عليه جزَعًا شديدًا ، وضمَّت عيالَه إليها ، وكان فيهم ابنُه القاسمُ ، وجعلَتْ تدعو على معاويةَ ، وعمرِو بنِ العاصِ دُبُرَ الصلواتِ .

وذكَر الواقدىُّ [3] أنَّ عمرَو بنَ العاصِ قدِم مصرَ فى أربعةِ آلافٍ ، [٦/٥٣ظ] فيهم أبو الأعورِ السُّلَمىُّ ، فالتَقَوا مع المصريين بالمُسنّاةِ فاقتتلوا قِتالًا شديدًا حتى

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) بعده فى م ، ص : « وغيره » . انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٠٤ .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ١٠٥ .

قُتِل كِنانةُ بنُ بشرِ بنِ غَيّاثٍ[1] التُّجِيبيُّ ، فهرَب عندَ ذلك محمدُ بنُ أبى بكرٍ فاختبأ عندَ رجلٍ يقالُ له : جَبَلةُ بنُ مسروقٍ . فدلَّ عليه ، فجاء معاويةُ بنُ حُدَيْجٍ وأصحابُه فأحاطوا به فخرَج إليهم محمدُ بنُ أبى بكرٍ فقاتَل حتى قُتِل .

قال الواقدىُّ[2] : وكان ذلك فى صَفَرٍ مِن هذه السَّنةِ . قال الواقدىُّ : ولمّا قُتِل محمدُ بنُ أبى بكرٍ بعَث علىٌّ الأشترَ النَّخَعِىَّ إلى مصرَ فمات فى الطريقِ . فاللَّهُ أعلمُ . قال : وكانت أذرُحُ[3] فى شعبانَ فى هذه السَّنةِ أيضًا ، [4]فلمّا قُتِل محمدُ ابنُ أبى بكرٍ[4] ، كتَب عمرُو بنُ العاصِ إلى معاويةَ يُخبِرُه بما كان مِن الأمرِ ، وأنَّ اللَّهَ قد فتَح عليه بلادَ مصرَ ، ورجَعوا إلى السمعِ والطاعةِ[5] . وقد زعَم هشامُ بنُ محمدٍ الكَلْبِىُّ[6] أنّ محمدَ بنَ أبى حُذَيفةَ بنِ عُتبةَ مُسِك [7]فى هذه السَّنةِ[7] بعدَ مقتلِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ - وكان مِن جملةِ المحرِّضِين على قتلِ عثمانَ - فبعَثه عمرُو بنُ العاصِ إلى معاويةَ ، ولم يُبادِرْ إلى قتلِه ؛ لأنَّه ابنُ خالِ معاويةَ ، فحبَسه معاويةُ بفِلَسْطِينَ فهرَب مِن السِّجْنِ - [4]وكان معاويةُ يُحِبُّ نجاتَه فيما يَرْون[4] - فلحِقه رجلٌ [4]مِن خَثْعَمَ[4] يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ ظَلامٍ - [4]وكان عثمانيًّا شجاعًا[4] - بأرضِ البَلْقَاءِ [4]مِن بلادِ حَوْرانَ[4] ، فاختفى محمدُ بنُ أبى حُذَيفةَ فى غارٍ ، فجاءت حُمُرُ وَحْشٍ لتأوِىَ [8]إلى ذلك الغارِ[8] ، فلمَّا رأَتْه فيه نفَرت فتعجَّب

---

(١) فى م ، ص ، وتاريخ الطبرى : « عتاب » . وانظر الإصابة ٥/ ٦٥٤.
(٢) سقط من : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦. انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٠٥.
(٣) فى الأصل : « أدرح » . وفى ا ٧: « أدرخ » . وفى ا ٦: « أدرج » .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .
(٥) بعده فى م ، ص : « واجتماع الجماعة وبما عهد لهم من الأمر » .
(٦) تاريخ الطبرى ٥/ ١٠٦.
(٧ - ٧) سقط من : م .
(٨ - ٨) فى م ، ص : « إليه » .

مِن نَفْرتِها جماعةُ الحصّادِين الذين هناك ، فذَهبوا إلى الغارِ فوجَدوا [1] محمدَ بنَ أبى حُذيفةَ [1] ،فخشِى عبدُ اللَّهِ بنُ [2] ظَلامٍ أَن يَرُدَّه إلى معاويةَ فيعفوَ عنه ، فضرَب عُنُقَه هنالك [3] . ذكَر ذلك ابنُ الكَلْبىِّ . وقد ذكَر الواقدىُّ وغيرُه أنَّ محمدَ بنَ أبى حُذَيفةَ قُتِل فى سنةِ ستٍّ وثلاثِين ، كما قدَّمنا ذلك [4] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال إبراهيمُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ دِيزيلَ فى كتابِه : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى ابنُ لَهِيعَةَ ، عن يَزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، أنَّ عمرَو بنَ العاصِ استحَلَّ مالَ قِبْطِىٍّ مِن قِبْطِ مِصْرَ ؛ لأنَّه استقَرَّ عندَه أنَّه كان يُظهِرُ الرومَ على عوراتِ المسلمينَ - [5] يكتُبُ إليهم بذلك [5] - فاستَخرَجَ مِن مالِه بِضْعًا وخمسينَ إرْدَبًّا دنانيرَ . قال أبو صالحٍ : والإرْدَبُّ ستُّ وَيْباتٍ ، والوَيْبَةُ مثلُ القَفِيزِ ، [6] واعتبرْنا الوَيْبَةَ [6] فوجَدْناها تِسْعًا وثلاثينَ ألفَ دينارٍ . قلتُ : فعلى هذا يكونُ [7] مَبْلَغُ ما أُخِذَ منه [7] ثلاثةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ .

قال أبو مِخْنَفٍ بإسنادِه [8] : ولمّا بلَغ علىَّ بنَ أبى طالبٍ مقتَلُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، وما كان مِن الأمرِ ، وتمَلُّكُ عمرٍو مصرَ ، واجتماعُ النَّاسِ عليه وعلى معاويةَ ، قام فى الناسِ خَطيبًا فحثَّهم على الجهادِ والصبرِ والمسيرِ إلى أعدائِهم

(١ - ١) فى م ، ص : « فوجدوه فيه فجاء أولئك إليه » .

(٢) بعده فى م ، ص : « عمرو بن » .

(٣) فى م ، ص : « هكذا » .

(٤) انظر حوادث ووفيات سنة ٣٦.

(٥ - ٥) زيادة من : م ، ص .

(٦ - ٦) فى ص : « وعيرنا الأوبية » .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « يبلغ ما كان أخذ من القبطى ما يقارب » .

(٨) أخرجه بنحوه ابن جرير فى تاريخه ٥/ ١٠٦، ١٠٨.

(١ مِن الشاميِّين والمصريِّينَ ١) ، وواعَدهم الجَرَعَةَ بينَ الكوفةِ والحيرةِ ، فلمَّا كان الغدُ [٦/٥٤و] خرَج يَمشِى إليها حتى نزَلَها فلم يخرُجْ إليه منهم (٢) أحدٌ (٣) ، فلمَّا كان العَشِيُّ بعَث إلى أشرافِهم ، فدَخلوا عليه وهو حزينٌ كَئيبٌ ، فقام فيهم خَطيبًا فقال : الحمدُ للَّهِ على ما قضَى مِن أمرٍ ، وقدَّر مِن فِعلٍ ، وابتَلانِى بكم ، وبمَن لا يُطيعُ إذا أَمَرْتُ ، ولا يُجيبُ إذا دَعَوْتُ ، أَوَليس عجبًا أنَّ معاويةَ يدعو الجُفاةَ الطَّغامَ فيتَّبِعونَه بغيرِ عطاءٍ ولا معونةٍ ، ويُجيبونه فى السَّنَةِ المرَّتيْن والثلاثَ إلى أىِّ وجهٍ شاء ، وأنا أدْعُوكم - وأنتم أُولو النُّهَى وبقيةُ الناسِ - على المعونةِ (٤ والعطاءِ ٤) ، فتَتَفَرَّقونَ وتَنفِرونَ عنى وتَعْصُونى (٥ وتَختلِفون علىَّ ٥) ؟ فقام إليه (٦ مالكُ بنُ كعبٍ (٧ الهَمْدانىُّ ، ثم الأرْحَبىُّ ٧) ، فندَب الناسَ إلى امتِثالِ أمرِ علىٍّ والسمعِ والطاعةِ له ، فانتدَب ألفانِ فأمَّر عليهم مالكَ بنَ كَعْبٍ هذا ، فسار بهم خمسًا ، ثم قدِم على علىٍّ جماعةٌ ممَّن كان مع محمدِ بنِ أبى بكرٍ بمصرَ فأخبَروه (٨ كيف وقَع الأمرُ ، وكيف قتِل محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، وكيف استقرَّ أمرُ عمرٍو بها ٨) . فبعَث إلى مالكِ بنِ كعبٍ فردَّه (٩ مِن الطريقِ ٩) ؛ وذلك أنَّه خشِى عليهم مِن أهلِ الشَّامِ قبلَ وصولِهم إلى مصرَ .

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) بعده فى م ، ص : « من الجيش » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « وطائفة من العطاء » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٦) زيادة من : م ، ص .

(٧ - ٧) فى م : « الأوسى » . وفى ص : « الأرحبى » .

(٨ - ٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا٦ : « الخبر » .

(٩ - ٩) زيادة من : م ، ص .

واستقرَّ أمْرُ العراقيِّين على مخالفةِ عليٍّ فيما يأمُرهم [1] به ويَنهاهم عنه [1] ، والخروجِ عليه ، وانتِقادِ أحكامِه ، ورَدِّ [2] أقوالِه ، [3] وحَلِّ إبْرامِه [3] ؛ لجهلِهم وقلَّةِ عقلِهم وجفائِهم [4] وغِلْظَتِهم وفُجورِ كثيرٍ منهم . [5] ولمَّا جاءَ عليًّا الخبرُ عن مصرَ وما حَلَّ بها ، وقَتْلُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، حزِن علَى محمدٍ حُزْنًا كثيرًا ، وترحَّم ورُئِىَ الحزنُ والكآبةُ عليه ، مع ما اجتَمع عليه مِن مخالفةِ أهلِ العراقِ له ، ثم قال للنَّاسِ : إنِّى واللَّهِ بمواضعِ الحربِ لجديرٌ خبيرٌ ، وإنِّى لأعرِفُ وجهَ الحزْمِ ، وأقومُ فيكم بالرأْيِ المُصِيبِ فأَستَصْرِخُكم مُعلِنًا ، وأُنادِيكم نداءَ المستغيثِ ، ولا أرَى فيكم مُغِيثًا ، ولا تَسمَعون لى قولًا ، ولا تُطيعون لى أمرًا حتى تَصيرَ بِى الأمورُ إلى عواقبِ المَساءَةِ ، فأنتم واللَّهِ القومُ لا يُدرَكُ بكم ثأرٌ ، دعَوْتُكم إلى غِياثِ إخوانِكم منذُ خَمسين ليلةً فتجَرْجَرْتُم جَرْجَرةَ الجملِ الأشدَقِ ، وتَثاقَلْتُم إلى الأرضِ تَثاقُلَ مَن ليست له نِيَّةٌ فى جهادِ العدوِّ ولا اكتسابِ الأجرِ ، ثم خرَج إلىَّ منكم مَرايبُ كأنَّما يُساقونَ إلى الموتِ وهم يَنظُرون ، فأُفٍّ لكم [5] .

ثم كتَب علىٌّ عندَ ذلك إلى ابنِ عبَّاسٍ - وهو نائبُه على البصرةِ - يشْكُو إليه ما يَلْقاه مِن الناسِ ، مِن المُخالَفةِ [6] ويقولُ : إنِّى دعوْتُهم إلى غَوْثِ إخوانِهم ؛ فمنهم مَن أتى كارِهًا ، ومنهم المعتَذِرُ كاذِبًا ، أسألُ اللَّهَ أن يَجعَلَ لى منهم فرَجًا

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « وينهاهم لا يطيعون له أمرًا ولا يسمعون له قولا ولا يجيبون له دعوة بل كلما لهم فى نأى عنه وبعد منه » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « أفعاله » .

(٤) فى الأصل : « حيائهم » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) من هنا إلى قوله : « والسلام » فى الصفحة الآتية جاء بدلا منه فى م ، ص : « والمعاندة » .

ومخرَجًا ، وأن يُرِيحَنى منهم عاجِلًا ، ولولا ما أُحاولُ مِن الشهادةِ [٦/٥٤ظ] لأَحببْتُ أن لا أبقَى مع هؤلاءِ يومًا واحدًا ، عَزْمُ اللَّهِ لنا ولكم على تَقْواه وهُداه ، إنَّه على كُلِّ شيءٍ قديرٌ . والسلامُ . فردَّ عليه ابنُ عبَّاسٍ يُسلِّيه (١عن الناسِ١) ، ويُعزِّيه فى محمدِ بنِ أبى بَكْرٍ ، ويَحُثُّه على مُلاطَفَةِ الناسِ والصبرِ على مُسيئِهم ، فإنَّ ثوابَ اللَّهِ خيرٌ (٢وأبقَى . وقال له : إنَّ الناسَ رُبَّما تَثاقَلوا ثم نشَطوا ، فارفُقْ بهم يا أميرَ المؤْمنين٢) . ثم ركِب ابنُ عبَّاسٍ مِن البصرةِ إلى علىٍّ ، وهو بالكوفةِ ، واستخلَف (٣ابنُ عبَّاسٍ٣) على البصرةِ زيادًا(٤) .

وفى هذا العامِ بعَث معاويةُ بنُ أبى سفيانَ كتابًا مع عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو الحَضْرَمِىِّ إلى أهلِ البصرةِ يَدعوهم إلى الإقرارِ بما حكَم له به(٥) عمرُو بنُ العاصِ ، فلمَّا قَدِمها نزَل على بَنى تَميمٍ فأجارُوه ، فنهَض إليه زيادٌ وبعَث إليه (٦علىُّ بنُ أبى طالبٍ٦) أَعْيَنَ بنَ ضُبَيْعةَ فى جماعةٍ مِن الناسِ ، فثارُوا(٧) إليهم فاقتتلوا فقُتِلَ أَعْيَنُ ابنُ ضُبَيْعَةَ (٣أميرُ السَّرِيَّةِ التى بعَثها علىٌّ٣) ، فكتَب (٣نائبُ ابنِ عبَّاسٍ٣) زيادٌ إلى علىٍّ يُعلِمُه بما وقَع بالبصرةِ (٣مِن المخالفةِ٣) بعدَ خُروجِ ابنِ عبَّاسٍ منها ، فبعَث (٣عندَ ذلك٣) علىٌّ جاريَةَ بنَ قُدَامَةَ التَّميمِىَّ(٨) فى خمسينَ رجُلًا إلى قومِه بَنى

(١ - ١) فى م ، ص : « فى ذلك » .
(٢ - ٢) فى م ، ص : « من الدنيا » .
(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص .
(٤) سقط من : الأصل .
(٥) سقط من : م ، ص .
(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .
(٧) فى م : « فساروا » .
(٨) فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٥٨٧ : « السعدى » .

تَميم ، وكتَب معه كتابًا إليهم فرجَع أكثرُهم عن ابنِ الحَضْرَميّ ، فقصَده جاريةُ فحصَره فى دارٍ هو وجماعةٌ معه - قيل : كان عددُهم أربعين رجلًا[1] . وقيل : سبعينَ - فحرَقهم بالنَّارِ بعدَ أن أعذَرَ إليهم وأنذَرهم فلم يقبَلوا ولم يرجِعوا عمَّا جاءوا له [2]مِن جهةِ معاويةَ[2] .

فصـــل

وقد صحَّحَ ابنُ جريرٍ[3] أنَّ قتالَ عليٍّ لأهلِ النَّهْرَوانِ كان فى هذه السَّنةِ ، وكذلك خروجُ الخِرِّيتِ[4] بنِ راشدٍ الناجيّ كان فى هذه السَّنةِ أيضًا ، [5]وكان مع الخِرِّيتِ[6] ثلاثُمائةِ رجلٍ مِن قومِه بنى ناجيةَ - وكان مع عليٍّ بالكوفةِ - فجاء إلى عليٍّ فقام بينَ يديْه وقال : واللَّهِ يا عليُّ لا أُطيعُ أمرَك ولا أصلِّى خلفَك ، إنِّى لك غدًا لمُفارِقٌ . فقال له عليٌّ : ثَكِلَتْك أمُّك ، إذًا تَعْصِى ربَّك ، وتنقُضُ عهدَك ، ولا تضرُّ إلَّا نفسَك ، ولِمَ تفعلُ ذلك ؟ قال : لأنَّك حكَّمتَ فى الكتابِ ، وضَعُفْتَ عن قيامِ الحقِّ إذ جَدّ الجِدُّ ، وركَنتَ إلى القومِ الظالِمين ، فأنا عليك زارٍ وعليك ناقِمٌ ، وإنَّا لكم جميعًا مُباينون . ثم رجَع إلى أصحابِه فسار بهم نحوَ بلادِ البصرةِ ، فبعَث إليهم عليٌّ[1] مَعقِلَ بنَ قيسٍ ، ثم أردَفه بخالدِ بنِ مَعْدانَ[5]

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٩١.

(٤) فى الأصل ، ا ٧، م ، ص : « الحريث » . وفى ا ٦: « الحريث » . وانظر الإصابة ٢/٢٧٣ - ٢٧٤. وأما خبر خروجه على علىٍّ فانظره فى تاريخ الطبرى ٥/ ١١٣.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) فى الأصل : « الحريت » . وفى ا ٧: « الحارث » . وفى ا ٦، م : « الحريت » .

(١) الطائيّ - وكان مِن أهلِ الصَّلاحِ والدِّينِ والبأسِ والنَّجدةِ - وأمرَه أن يسمَعَ له ويُطيعَ، فلمّا اجتمَعوا صاروا جيشًا واحدًا، ثم خرجوا فى آثارِ الخِرِّيتِ[٢] وأصحابِه فلحِقوهم، وقد أَخَذوا فى جبالِ رامَهُرْمُزَ قال: فصفَفْنا لهم ثم أقبَلْنا إليهم فجعَل مَعْقِلُ على مَيمنتِه[٣] يزيدَ بنَ مَعقِلٍ، وعلى مَيسرتِه مِنجابَ بنَ راشدٍ الضَّبىَّ[٤]، ووقَف الخِرِّيتُ[٥] فى مَن [٦/٥٥و] معه مِن العرَبِ، فكانوا مَيمنةً، وجعَل مَن اتَّبَعه مِن الأكرادِ والعُلُوجِ ميسرةً. قال[٦]: وسار فينا مَعقِلُ بنُ قيسٍ فقال: عِبادَ اللَّهِ، لا تبدءُوا القومَ وغُضُّوا أبصارَكم، وأقِلُّوا الكلامَ، ووَطِّنوا أنفسَكم على الطَّعْنِ والضربِ، وأبشِروا فى قتالِهم[٧] بالأجرِ، إنَّما تقاتِلون مارقةً مرَقتْ مِن الدِّينِ، وعُلُوجًا كسَروا الخَراجَ، ولُصوصًا وأكرادًا، فإذا حَملْتُ فشُدُّوا شَدَّةَ رجلٍ واحدٍ. ثم تقدَّم فحرَّك دابَّتَه[٨] تحريكتَيْن، ثم حمَل عليهم فى الثالثةِ وحملْنا معه جميعًا[٩]، فواللَّهِ ما صبَروا لنا ساعةً واحدةً حتى وَلَّوْا منهزمِين، وقتَلْنا مِن العُلوجِ والأكرادِ نحوًا مِن ثلاثِمائةٍ، وفَرَّ الخِرِّيتُ[١٠] منهزِمًا حتى لحِق بأسيافَ[١١] - وبها جماعةٌ مِن قومِه كثيرةٌ - فاتَّبعوه فقتَلوه مع جماعةٍ مِن[١]

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى الأصل، ا ٧، م: «الحريث». وفى ا ٦: «الحريت».

(٣) فى ا ٦: «ميمنة».

(٤) فى ا ٦: «الصبى».

(٥) فى الأصل، ا ٦: «الحريت». وفى ا ٧، م: «الحريث».

(٦) تاريخ الطبرى ٥/ ١٢٣.

(٧) فى الأصل: «فبالكم». وفى م: «قتالكم».

(٨) فى الأصل، ا ٦، الطبرى: «رايته».

(٩) فى م: «جميعنا».

(١٠) فى الأصل: «الحريت». وفى ا ٨: «الحرين». وفى ا ٧، ا ٦، م: «الحريث».

(١١) فى م: «بأساف».

[1]أصحابِه بسيفِ البحرِ، قتَله النعمانُ بنُ صُهبـانَ، وقتِل معه فى المعركةِ مائةٌ وسبعون رجلًا[1]. ثم [2] ذكَر [1]ابنُ جريرٍ[1] وَقَعاتٍ كثيرةً كانت فيها[3] بينَ أصحابِ علىٍّ والخوارجِ.

ثم قال[3]: حدَّثَنى عمرُ بنُ شَبَّةَ[4] ثنا أبو الحسنِ - يَعْنِى المَدائنىَّ - علىٌّ[5] ابنُ محمدٍ، عن[6] علىِّ بنِ مجاهدٍ، قال: قال الشعبىُّ: لما قتَل علىٌّ أهلَ النهروانِ[7] خالَفه قومٌ كثيرون وانتقضَتْ أطرافُه وخالَفه بنو ناجيةَ، وقدِم ابنُ الحضرمىِّ إلى البصرةِ، وانتقَض أهلُ الجبالِ، وطمِع أهلُ الخَراجِ فى كَسْرِه وأخرَجوا سهلَ بنَ حُنيفٍ مِن فارسَ - وكان عاملًا عليها لعلىٍّ[8] - فأشار[9] ابنُ عباسٍ بزيادِ بنِ أبيه[10] أن يُوَلِّيَه إيّاها فوَلَّاه إيّاها، فسار إليها فى السَّنةِ الآتيةِ فى جَمعٍ كثيرٍ، فوطِئهم حتى أدَّوُا الخَراجَ.

قال ابنُ جريرٍ وغيرُه[11]: وحجَّ بالناسِ فى هذه السَّنةِ قُثَمُ بنُ العباسِ، نائبُ علىٍّ على مكةَ، [12]وكان[12] أخوه عبيدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ نائبَ اليمنِ، وأخوهما

(١ - ١) سقط من: ص.
(٢) سقط من: ص.
(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ١٢٢.
(٤) فى النسخ: «شيبة». والمثبت من الطبرى. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٨٦، ٣٨٨.
(٥) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «ثنا على». وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠.
(٦) فى م، ص: «بن».
(٧) فى م: «النهر».
(٨) سقط من: م، ص.
(٩) بعده فى م، ص: «عليه».
(١٠) فى الأصل: «أميه».
(١١) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٢.
(١٢ - ١٢) فى م، ص: «و».

عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ نائبَ البصرةِ، وأخوهم تَمّامُ بنُ عباسٍ نائبَ المدينةِ، وعلَى خُراسانَ خالدُ بنُ قُرَّةَ اليَرْبوعىُّ، وقيلَ: ابنُ أبْزَى، واستقرَّت مِصرُ بيدِ معاويةَ فاستناب عليها عمرَو بنَ العاصِ. واللَّهُ أعلمُ.

ذكْرُ مَن تُوفّى فى هذه السَّنةِ مِن الأَعيانِ

سَهْلُ بنُ حُنيفِ[1] **بنِ واهِبِ**[2] **بنِ العُكَيْمِ**[3] **بنِ ثعلبةَ الأنصارىُّ الأوْسىُّ**، شهِد بدرًا، وثبَت يومَ أُحدٍ، وحضَر بقيَّةَ المشاهِدِ، وكان صاحبًا لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ، وقد شهِد معه مشاهِدَه كلَّها أيضًا غيرَ الجَمَلِ، فإنَّه كان قد استخلَفه على المدينةِ. ومات سهلُ بنُ حُنيفٍ فى هذه السنةِ بالكوفةِ، وصلَّى عليه علىٌّ فكَبَّر عليه خمسًا، وقيلَ: ستًّا. وقال[4]: إنَّه مِن أهلِ بدرٍ. رضِى اللَّهُ عنه.

صَفوانُ ابنُ بيضاءَ أخو سُهيلِ ابنِ بيضاءَ[5] شهِد المشاهِدَ كلَّها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، وتُوفِّى فى هذه [٦/٥٥ظ] السنـــةِ فى رمضانَ منـــها، وليس له عقِبٌ.

صُهَيْبُ بنُ سنانِ بنِ مالكٍ[6] [7]**أبو يَحْيَى**[7] **الرومىُّ**، وأصلُه مِن اليمنِ،

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٦٦٢. وأسد الغابة ٢/ ٤٧٠. والإصابة ٣/ ١٩٨.

(٢) فى ا ٦: «وهب».

(٣) فى النسخ: «العليم». والمثبت من مصادر الترجمة. وانظر الإكمال ٦/ ٢٤٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٧٢٣. وأسد الغابة ٣/ ٣١. والإصابة ٣/ ٤٤٢.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٧٢٦. وأسد الغابة ٣/ ٣٦. والإصابة ٣/ ٤٤٩.

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

(١ مِن قاسِطَ ١) ، وكان أبوه أو عمُّه عاملًا لكِسْرَى على الأُبُلَّةِ(٢) ، وكانت منازلُهم على دِجلةَ عندَ المَوْصِلِ - وقيلَ : على الفُراتِ - فأغارت على بلادِهم الرومُ فأسَرتْه وهو صغيرٌ ، فأقام عندَهم حينًا ثم اشتَرَتْه(٣) بنو كلبٍ فحمَلوه إلى مكةَ فابتاعه عبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعانَ فأعتَقَه وأقام بمكةَ حينًا ، فلمَّا بعث رسولُ اللَّهِ ﷺ ، آمَن به قديمًا هو وعمارُ بنُ ياسرٍ فى يومٍ واحدٍ بعدَ بِضعةٍ وثلاثِين رجلًا ، وكان مِن المستضعَفِين الذين يُعذَّبون فى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، ولما هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ هاجَر صُهَيْبٌ بعدَه بأيامٍ فلحِقه قومٌ مِن المشركِين يريدون أن يَصُدُّوه عن الهجرةِ ، فلمّا أحسَّ بهم نثَل كِنانتَه(٤) بينَ يدَيْه وقال لهم(٥) : واللَّهِ لقد علِمتُم أنِّى مِن أرماكم رجلًا(٦) ، وواللَّهِ لا تَصِلون إلىَّ حتى أَقتُلَ بكلِّ سهمٍ (٧مِن هذه٧) رجلًا منكم ، ثم أقاتلَكم بسيفى حتى أُقتَلَ ، وإن كنتم تُريدون المالَ فأنا أدُلُّكم على مالى ، هو مدفونٌ فى مكانِ كذا وكذا ، فانصرَفوا عنه فأخَذوا مالَه ، فلمّا قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال له : « رَبِح البيعُ أبا يَحْيى »(٨) . وأنزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٧ ، ا ٦ : « من واسط » . وفى ا ٨ : « من فاسط » . وفى م ، ص : « بن قاسط » . والمراد أن صهيبًا - رضى اللَّه عنه - من اليمن من نسل النمر بن قاسط النمرى . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٢) فى الأصل ، ا ٧ ، م : « الأيلة » . وانظر مصادر ترجمته المتقدمة قبلًا .

(٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « أسرته » . وانظر أسد الغابة ٣/ ٣٦.

(٤) نثل ما فى كنانته وانتثله : استخرج ما فيها من السهام .

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٢٨.

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) زيادة من : م ، ص .

(٨) تقدم تخريجه ٤/ ٤٣٣، ٤٣٤.

ورواه حمادُ بنُ سَلَمةَ[1] ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : وشهِد صهيبٌ بدرًا وما بعدَها ، ولمَّا طعِن[2] عمرُ ، كان صُهيبٌ هو الذى يصلِّى بالناسِ أيامَ الشورَى حتى تعيَّنَ عثمانُ ، وهو الذى صلَّى[3] على عمرَ ، وكان له صاحبًا وصديقًا .

وكان صُهَيبٌ أحمرَ شديدَ الحُمرةِ ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، أقرنَ الحاجبَيْن كثيرَ الشَّعْرِ ، وكان فى لسانِه عُجمةٌ شديدةٌ ، وكان مع فضلِه ودِينِه فيه دُعابةٌ [4] وفُكاهةٌ وانشراحٌ[4] . رُوِى[5] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رآه يأكُلُ بقِثّاءٍ رُطبًا وهو أرمَدُ إحدى العينَيْن ، فقال : « أتأكُلُ رُطَبًا وأنتَ أرمَدُ ؟ » فقال : إنَّما آكُلُ مِن ناحيةِ عَيْنِى الصحيحةِ . فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن قولِه .

[6] وكانت وفاتُه بالمدينةِ سنةَ ثمانٍ وثلاثِين ، وقِيل[7] : سنةَ تِسْعٍ وثلاثِين . وقد نَيَّف على السبعِين[6] .

محمدُ بنُ أبى بكرٍ الصدِّيقِ[8] ولِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ فى حَجةِ الوداعِ ، [4] تحتَ الشجرةِ عندَ المحَرَّمِ[9][4] . وأمُّه أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ ، ولمَّا احتُضِر الصِّديقُ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢٢٨/٢٤ .

(٢) فى م ، ص : « جعل » .

(٣) فى م ، ص : « ولى الصلاة » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) طبقات ابن سعد ٢٢٨/٣ - ٢٢٩.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ١ ٨ ، ١ ٧ ، ٦١. وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٣٣.

(٧) الاستيعاب ٢/ ٧٣٣.

(٨) الاستيعاب ٣/ ١٣٦٦، وأسد الغابة ٥/ ١٠٢، والاصابة ٦/ ٢٤٥.

(٩) فى م : « الحرم » .

أوصَى أن تغسِّلَه أسماءُ[1] فغسَّلَتْه، ثم لمّا انقَضَت عدَّتُها تزوَّجها عليٌّ فنشَأ محمدٌ[2] فى حَجْرِه، فلمّا صارت إليه الخلافةُ استنابه علَى مصرَ بعدَ قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبادةَ، كما تقدَّم ذلك، فلمّا كانت هذه السَّنةُ [3]قتِل ببلادِ مصرَ[3]، [٦/٥٦ و] وله مِن العُمْرِ دونَ الثلاثِين سَنةً، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه. [4]وحزِنت عليه عائشةُ وعليٌّ وغيرُهما[4].

أسماءُ بنتُ عُمَيسِ[5] بنِ مَعْدِ[6] بنِ الحارثِ، الخَثْعَمِيَّةُ، [7]وهى أُمُّ محمدٍ المذكورِ[7]، أسلمَتْ قديمًا[2] بمكةَ وهاجرَت مع زوجِها جعفرِ بنِ أبى طالبٍ إلى الحبشةِ وقدِمَت معه إلى خيبرَ، ولها منه عبدُ اللَّهِ، ومحمدٌ، وعَوْنٌ. ولمَّا قتِل [8]جعفرٌ بمُؤْتَةَ[9][8]، تزوَّجها بعدَه أبو بكرٍ الصدِّيقُ فولَدَتْ له محمدَ بنَ [10]أبى بكرٍ أميرَ مصرَ[10]. ثم لمَّا مات الصدِّيقُ تزوَّجها بعدَه عليُّ بنُ أبى طالبٍ فولَدَتْ له يَحْيَى وعَوْنًا، وهى أختُ مَيْمونةَ بنتِ الحارثِ أُمِّ المؤمنين

---

(١) سقط من: الأصل، م، ص.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) فى م، ص: «بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبى بكر كما تقدم».

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٧٨٤، وأسد الغابة ٧/ ١٤، والإصابة ٧/ ٤٨٩.

(٦) فى النسخ: «معبد». والمثبت من مصادر التخريج.

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

(٨ - ٨) زيادة من: ا ٦، م.

(٩) فى ا ٦، م: «بموته». وانظر ما تقدم فى ٦/ ٤٢١.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

لأُمِّها . (١ وكذلك هى ١) أُختُ أُمِّ الفَضْلِ امرأَةِ العباسِ لأُمِّها ، وكان لها مِن الأَخَواتِ لأُمِّها تسعُ أَخَواتٍ ، وهى أختُ سَلْمَى بنتِ عُمَيْسٍ امرأَةِ العباسِ[٢] ، التى له منها بنتٌ اسمُها عُمارةُ .

(١ - ١) سقط من : ا ٦.

(٢) كذا فى جميع النسخ . وليس فى ترجمة سلمى بنت عميس أنها كانت زوجا للعباس بن عبد المطلب ، ولا فى ترجمة العباس نفسه ، رضى الله عنه ، ذلك . والصواب أنها كانت تحت حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه . انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٦١، وأسد الغابة ٧/ ١٤٨، ١٩٩، والإصابة ٧/ ٧٠٦، ٨/ ٢٩.

ثم دخلت سنة تسعٍ وثلاثينَ

فيها فَرَّق[1] معاويةُ بنُ أبى سفيانَ جيوشًا كثيرةً فى أطرافِ مُعاملاتِ علىٍّ بن أبى طالبٍ ، وذلك أنَّ معاويةَ رأَى بعدَ أن ولَّاه عمرُو بنُ العاصِ الخلافةَ[2] بعدَ اتفاقِه [3]هو وأبو[3] موسى على [4]خَلْعِ علىٍّ وعزلِه عن الأمرِ[4] - أنَّ وِلايتَه [5]صحيحةٌ ، وقد[5] وقَعتِ الموقعَ ، فهو الذى تجِبُ طاعتُه فيما يعْتَقِدُه ، ولأنَّ [6]أهلَ العراقِ قد خالَفوا عليًّا فلا يطِيعونَه[6] ، ولا يأتمِرون بأمرِه ، فلا يحصُلُ بمباشرتِه [7]مقصودُ الوِلايةِ و[7] الإمارةِ ، والحالةُ هذه ، [8]فأنا أولى منه ؛ إذ كانت كلمةُ أهلِ الشامِ ومصرَ مجموعةً علىَّ ، وهم طائعون لى ، يأْتمِرون بأمرِى ، وكلمتِى نافذةٌ فيهم . فعندَ ذلك جهَّز الجيوشَ إلى أطرافِ مملكةِ علىٍّ[8] ، فكان ممَّن بعَثه فى هذه السنةِ النُّعمانُ بنُ بَشِيرٍ فى ألفَى فارسٍ إلى عينِ التَّمرِ ، وعليها مالكُ بنُ كعبٍ[9] فى ألفِ فارسٍ مَسْلَحَةً[10] لعلىٍّ ، فلمَّا سمِعوا بقُدومِ الشَّاميينَ

---

(١) فى م ، ص : « جهز » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « مع أبى » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « عزل على » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) فى م : « جيوش على من أهل العراق لا تطيعه فى كثير من الأمر » ، وفى ص : « جيوش على لا تطيقه فى كثير من الأمر » .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « المقصود من » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك » .

(٩) بعده فى م ، ص : « الأرحبى » .

(١٠) المسلحة : القوم المسلَّحون فى ثغر أو مخفر للمحافظة .

ارْفَضُّوا عنه فلم يبقَ مع مالكٍ إلَّا مائةُ رجلٍ ، فكتَب عندَ ذلك إلى عليٍّ [(١) يخبرُه بأمرِ النعمانِ (١)] ، فندَب عليٌّ الناسَ إلى إغاثةِ (٢) مالكِ بنِ كعبٍ ، فتثاقَلوا عليه (٢) ونكَلُوا (٣) ، ولم يُجيبُوا إلى الخروجِ ، فخطبَهم عليٌّ [(٤) عندَ ذلك (٤)] ، فقال فى خُطْبَتِه : يا أهلَ الكوفةِ ، كلَّما سمِعتُم بمِنْسَرٍ (٥) مِن مَناسرِ أهلِ الشامِ [(٦) قد أظَلَّكم (٦)] ، انْجَحرَ كلُّ امرئٍ (٢) منكم فى بيتِه ، وغلَق عليه بابَه ، انجحارَ الضَّبِّ فى جُحْرِه ، والضَّبُعِ فى وِجارِه (٧) ، المغْرورُ [(٦) واللَّهِ (٦)] مَن غرَرْتُموه ، [(٨) ومَن فاز بكم (٨)] فاز بالسهمِ الأَخْيَبِ (٩) ، لا أحرارٌ عندَ النداءِ ، ولا إخوانٌ ثقةٌ عندَ النَّجاءِ (١٠) ، إنّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعون ، ماذا مُنِيتُ به منكم ؟ عُمْيٌ لا تبصِرون ، وبُكْمٌ لا تَنطِقون ، وصُمٌّ لا تسمَعون ، إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ودهَمهم النعمانُ بنُ بَشِيرٍ فى ألفَى مقاتلٍ وليس مع مالكِ بنِ كعبٍ إلَّا مائةُ رجلٍ قد كسَرُوا جُفونَ سيوفِهم واستَقتَلوا أولئك ، فاقتَتَلُوا [٦/٥٦ظ] قتالًا شديدًا ، فبينَما هم كذلك إذ جاءهم نجدةٌ مِن جهةِ مِخْنفِ بنِ سُلَيْمٍ مع ابنِه عبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ فى خمسينَ رجلًا ، فلمَّا رآهم الشاميُّون ظنُّوا أنَّهم مَددٌ عظيمٌ ، ففرُّوا هرابًا على وجوهِهم ، فاتَّبَعَهم مالكُ بنُ كَعبٍ فقتَل منهم ثلاثةَ أنفسٍ ، وذهَب الباقون لايَلْوُون على

(١ - ١) فى م ، ص : « يعلمه بما كان من الأمر » .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) بعده فى م ، ص : « عنه » .

(٤ - ٤) زيادة من : م ، ص .

(٥) المنسر : قطعة من الجيش تسير أمامه : الطليعة .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) الوجار : جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « ولمن فارقكم » .

(٩) فى م ، ص : « الأصيب » .

(١٠) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « الالتجاء » .

أحدٍ حتى قدِمُوا الشامَ ولم يتمَّ لهم [1]ما رَجَوْا[1] مِن هذا الوجهِ.

وفيها: بعَث معاويةُ[2] سفيانَ بنَ عوفٍ فى ستةِ آلافٍ إلى[3] هِيتَ فيُغيرُ عليها، ثم يأتى الأنبارَ والمدائنَ. فسار حتى انتهَى إلى هِيتَ فلم يجدْ بها أحدًا، ثم أتَى[4] الأنبارَ وبها مَسْلَحَةٌ لعلىٍّ نحوٌ مِن خمسِمائةٍ، فتفرَّقوا ولم يبقَ فيها[5] إلَّا مائةُ رجلٍ، فقاتَلوا مع قلَّتِهم وصبَروا حتى قُتِلَ أميرُهم - وهو أشرسُ بنُ حسانَ البكرىُّ[6] - فى ثلاثين رجلًا مِن أصحابِه، [7]واحتمَل الشاميُّون[7] ما كان بالأنبارِ مِن الأموالِ وكرُّوا راجعِين إلى الشامِ، فلمَّا بلغَ عليًّا ما جرى لأهلِ الأنبارِ، ركِب بنفسِه فنزَل النُّخَيْلَةَ، فقال له الناسُ: نحن نَكفيك ذلك [8]يا أمير المؤمنين[8]. فقال: واللَّهِ ما تكْفُونَنى ولا أنفسَكم. وسرَّح سعيدَ[9] بنَ قيسٍ فى أثَرِ القومِ، فسار وراءَهم حتى بلَغ هِيتَ فلم يلحقْهم فرجَع.

وفيها: بعَث معاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ مَسْعَدةَ الفَزارىَّ فى ألفٍ وسبعِمائةٍ إلى تَيْماءَ [10]وأمَره أن يُصَدِّقَ أهلَ البوادى، ومَن امتنَع مِن إعطائِه فليقتُلْه ثم يأتى المدينةَ ومكةَ والحجازَ. فسار إلى تَيْماءَ[10] واجتمَع عليه بشرٌ كثيرٌ، فلمَّا بلَغ

(١ - ١) فى م، ص: «أمر».
(٢) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.
(٣) فى م، ص: «وأمره بأن يأتى».
(٤) فى م، ص: «إلى».
(٥) فى م، ص: «فيه».
(٦) فى النسخ: «البلوى». والمثبت من الطبرى ٥/ ١٣٤. وانظر الكامل ٣/ ٣٧٦.
(٧ - ٧) فى م، ص: «واحتملوا».
(٨ - ٨) زيادة من: م، ص.
(٩) فى ا ٨، م، ص: «سعد». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٤.
(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

عليًّا خَبَرُه[1] بعَث المسيَّبَ بنَ نَجَبَةَ[2] الفَزاريَّ فى ألفَى رجلٍ، فالتقَوا بتَيْماءَ فاقتتَلوا قتالًا شديدًا عندَ زَوالِ الشمسِ، وحمَل المسيَّبُ بنُ نَجَبَةَ[3] على ابنِ مَسْعَدَةَ فضرَبه ثلاثَ ضرَباتٍ وهو لا يريدُ قتلَه بل يقولُ له: النَّجاءَ النَّجاءَ. فانحازَ ابنُ مَسْعَدَةَ فى طائفةٍ مِن قومِه إلى حصنٍ هناك فتحصَّنوا به، وهرَب بقيتُهم إلى الشامِ، وانتهبَتِ الأعرابُ ما كان جمَعه ابنُ مَسْعَدَةَ[4] مِن إبلِ الصدقةِ، وحاصرَهم المسيَّبُ ثلاثةَ أيامٍ، ثم ألقَى الحطبَ على البابِ وألهبَ فيه النارَ، فلمَّا أحسُّوا بالهلاكِ أشرَفوا مِن الحصنِ، ومَتُّوا[5] إليه بأنَّهم مِن قومِه، فرَقَّ لهم وأطفأَ النارَ، فلمَّا كان الليلُ فتَح بابَ الحصنِ وخرَجوا منه[1] هِرابًا إلى الشامِ، فقال عبدُ الرحمنِ بنُ شبيبٍ للمسيَّبِ بنِ نَجَبَةَ[3]: سَرِّحْنى[6] ألحقْهم. فقال: لا. فقال: غَشَشتَ أميرَ المؤمنين وداهنتَ فى أمرِهم.

وفيها: وجَّه معاويةُ الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ فى ثلاثةِ آلافٍ، وأمَره أن يُغِيرَ على أطرافِ جيشِ علىٍّ، [8]فبعَث إليه[8] علىٌّ حُجْرَ بنَ عدىٍّ فى أربعةِ آلافٍ وأنفَقَ فيهم [8]كلَّ واحدٍ[8] خمسينَ دِرهمًا خمسينَ دِرهمًا، فالتقَوْا بتَدْمُرَ فقَتلَ حُجْرٌ

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) فى ٧١، ا ٦: «نجية»، وفى م: «نجيبة». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٤، والكامل ٣/ ٣٧٦.

(٣) فى م: «نجية».

(٤) فى م، ص: «نجية».

(٥) مت إليه بقرابة ونحوها، يعنى: توسل.

(٦) فى الأصل، م، ص: «سر حتى»، وفى ا ٨، ا ٧: «سر حتى حتى». وفى ا ٦: «سر حتى متى». وانظر الكامل ٣/ ٣٧٦.

(٧ - ٧) فى م، ص: «فجهز».

(٨ - ٨) سقط من: م، ص.

مِن أصحابِ الضَّحاكِ تسعةَ عشرَ رجلًا، وقتِل[1] مِن أصحابِ حُجْرٍ رجلان، وغَشِيَهم الليلُ فتفرَّقوا، وانشَمَر[2] الضحاكُ بأصحابِه فارًّا إلى الشامِ.

وفيها: سار معاويةُ بنفسِه [٦/٥٧و] فى جيشٍ كثيفٍ حتى بلَغ دِجلةَ ثم كرَّ راجعًا. ذكَره محمدُ بنُ سعدٍ، عن الواقدىِّ بإسنادِه، وأبو مَعْشَرٍ معه[1] أيضًا[3].

وفيها وَلَّى علىُّ بنُ أبى طالبٍ زيادَ بنَ أَبِيه على أرضِ فارسَ، وكانوا قد منَعوا الخراجَ والطاعةَ، وسببُ ذلك [4]ما تقدَّم مِن[4] قتلِ العلاءِ[1] بنِ الحضْرَمىِّ وأصحابِه بالنارِ حينَ حرَقهم جاريةُ بنُ قدامةَ، [5]كما تقدَّم[5]، فلمَّا اشتَهَر هذا الصنيعُ فى البلادِ شَوَّشَ قلوبَ كثيرٍ مِن الناسِ [6]وأنكَروه جدًّا[6]، واختلَفوا على علىٍّ، ومنَع أكثرُ أهلِ تلك النَّواحى الخراجَ، ولا سيما أهلُ فارسَ فإنَّهم تمرَّدوا وأخرَجوا عاملَهم سهلَ بنَ حُنَيْفٍ عنهم[7]، فاستَشار علىٌّ الناسَ فى مَن يُولِّيه عليهم، فأشار ابنُ عباسٍ وجاريةُ بنُ قدامةَ [8]أن يُولِّىَ عليهم زيادَ[8] بنَ أَبِيه، فإنَّه صَليبُ الرأيِ، عالمٌ بالسياسةِ. فقال علىٌّ: هو لها. فولَّاه علىٌّ فارسَ وكَرْمانَ [9]فجَّهزه إليها[9] فى أربعةِ آلافِ فارسٍ، فسار إليها فى هذه السنةِ فدوَّخَ أهلَها

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) فى ا ٧، م: «استمر».

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٦.

(٤ - ٤) فى م، ص: «حين».

(٥ - ٥) فى م، ص: «فى تلك الدار كما قدمنا».

(٦ - ٦) فى م، ص: «على على».

(٧) فى الأصل: «عنه»، وفى م، ص: «كما فى العام الماضى، من بين أظهرهم».

(٨ - ٨) فى ا ٦: «بن» الأصل، ا ٨، ا ٧: «بزياد».

(٩ - ٩) سقط من: الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

وقهَرهم حتى استقاموا وأدَّوُا الخراجَ[1] ، ورجَعوا إلى السمعِ والطاعةِ ، وسار فيهم بالمَعدَلةِ والأمانةِ ، حتى كان أهلُ تلك البلادِ يقولون : ما رأيْنا سيرةً أشبَه بسيرةِ كسرى أنوشِروانَ مِن سيرةِ هذا العربيِّ فى اللينِ والمُداراةِ والعلمِ بما يأتى [2]وما يذرُ[2] ، وصَفَتْ له تلك البلادُ بعدلِه وعلمِه وصرامتِه ، واتخَذ للمالِ قلعةً حصينةً ، فكانت تُعرَفُ بقلعةِ زيادٍ ، ثم لمَّا تحصَّنَ فيها منصورٌ اليَشكُرِىُّ[3] فيما بعدَ ذلك ، عُرِفَتْ به ، فكان يقال لها : قلعةُ منصورٍ .

قال الواقدىُّ[4] : وفى هذه السنةِ بعَث علىُّ بنُ أبى طالبٍ عبيدَ اللَّهِ[5] بنَ عباسٍ على المَوْسمِ ، وبعَث معاويةُ يزيدَ بنَ شجرةَ[6] الرَّهاوىَّ ليقيمَ للناسِ الحجَّ ، فلمّا اجتمَعا بمكةَ تنازعا ، وأبى كلُّ واحدٍ منهما أن يُسَلِّمَ لصاحبِه فاصطلَحا على شيبةَ بنِ عثمانَ بنِ أبى طلحةَ الحَجَبِىِّ فحجَّ بالناسِ ، وصلَّى بهم فى أيامِ الموسمِ .

قال أبو الحسنِ المدائِنىُّ[7] : لم يشهدْ عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ الموسمَ فى أيامِ علىٍّ حتى قتِـل ، والذى نازَعه يزيدُ بنُ شجـرةَ[8] إنَّما هو قُثَمُ بنُ العباسِ ،

---

(١) بعده فى م ، ص : « وما كان عليهم من الحقوق » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . وفى الأصل : « وما يدرى » .

(٣) فى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « البكرى » .

(٤) تاريخ الطبرى ٤/١٣٦ .

(٥) فى النسخ : « عبد اللّه » والمثبت من الطبرى . ويقال : إن الذى حج بالناس هذه السنة عبد اللّه بن عباس . ووهذا قول أبطله ابن الأثير . انظر الكامل ٣/ ٣٧٧.

(٦) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ ، م ، ص : « سخبرة » والمثبت من الطبرى . وانظر الكامل ٣/ ٣٧٨.

(٧) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٦.

(٨) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « سخبرة » .

(١ حتى اصطلَحا على شيبةَ بنِ عثمانَ ١) قال ابنُ جريرٍ (٢) : (٣ وكما قال أبو الحسنِ المدائنىُّ قال ٣) أبو مَعْشَرٍ (٤) .

قال ابن جريرٍ (٥) : وأمّا عُمَّالُ علىٍّ على الأمصارِ فهم الذين ذكَرْنا فى السَّنةِ الماضيةِ ، غيرَ أنَّ ابنَ عباسٍ كان قد سارَ مِن البصرةِ إلى الكوفةِ ، واستَخلَف على البصرةِ زيادَ بنَ أَبِيه ، ثم سار زيادٌ فى هذه السنةِ إلى فارسَ وكَرْمَانَ كما ذكرْنا .

ذكرُ مَن تُوفّىَ فيها مِن الأَعيانِ

سعدُ القَرَظِ (٦) مؤذنُ مسجدِ (٧) قُباءٍ فى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا ولِى عمرُ الخلافةَ ولَّاه أذانَ المسجدِ النبوىِّ ، وكان أصلُه مولًى لعمَّارِ بنِ ياسرٍ ، وهو الذى كان يحمِلُ العَنَزَةَ بينَ يدى [٦/٥٧ظ] أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ (٨) وعلىٍّ إلى المصلَّى يومَ العيدِ ، وبقِى الأذانُ فى ذرِّيَّتِه مدةً طويلةً .

عقبةُ بنُ عمرِو بنِ ثعلبةَ ، أبو مسعودٍ البَدْرِىُّ (٩) سكَن ماءَ بدرٍ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٦ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « وهو كما قال المدائنى و » .

(٤) فى م ، ص : « مصعب » .

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٦ .

(٦) فى م : « القرظى » وانظر الاستيعاب ٢/٥٩٣ ، وأسد الغابة ٢/٣٥٥ ، والإصابة ٣/٦٥ .

(٧) زيادة من : م ، ص .

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩) الاستيعاب ٣/ ١٠٧٤ ، وأسد الغابة ٤/ ٥٧ ، والإصابة ٤/ ٥٢٤ .

(١ فنُسِب إليه ١) ، ولم يَشْهَدِ الوقعةَ ببدرٍ (٢) على الصحيحِ ، وقد شهِد العَقبةَ ، وهو مِن ساداتِ الصحابةِ ، وكان ينوبُ لعليٍّ بالكوفةِ إذا خرَج (٣ منها إلى القتالِ ٣) .

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى م، ص: «بها».

(٣ - ٣) فى م، ص: «لصفين وغيرها».

سنةُ أربعين مِن الهجرةِ [1] النبويةِ

فيها كان مقتلُ أميرِ المؤمنين عليّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، على ما سنذكرُه مُفَصَّلًا إن شاء اللَّهُ تعالى [1] .

قال ابنُ جريرٍ [2] : فمِمَّا كان فى هذه السَّنةِ ، مِن الأمورِ الجليلةِ ، توجيهُ معاويةَ بُسرَ [3] بنَ أبى أرطاةَ فى ثلاثةِ آلافٍ مِن المقاتِلةِ إلى الحجازِ ، فذُكِر عن زيادِ ابنِ عبدِ اللَّهِ البَكَّائىِّ [4] ، عن عَوانةَ قال : أرسَل معاويةُ بعدَ تحكيمِ الحكَمَيْن بُسرَ ابنَ أبى أرطاةَ - وهو رجلٌ [5] مِن بنى عامرِ بنِ لؤَىٍّ - فى جيشٍ ، فساروا مِن الشامِ حتى قَدِموا المدينةَ وعاملُ عليٍّ عليها يومئذٍ أبو أيوبَ الأنصارىُّ ، ففرَّ منهم [6] أبو أيوبَ [6] فأتَى عليًّا بالكوفةِ ، ودخَل بُسرٌ المدينةَ ولم يُقاتِلْه أحدٌ ، فصعِد مِنبرَها ، فنادَى على المنبرِ : يا دينارُ ، ويانجَّارُ ، ويازريقُ [7] ، شيخى شيخى ! عَهدى به هـٰهنا بالأمسِ ، فأينَ هو ؟ يعنى عثمانَ بنَ عفانَ ، ثم قال : يا أهلَ المدينةِ ، واللَّهِ لولا ما عهِد إلىَّ معاويةُ فيكم [8] ما ترَكتُ بها مُحْتلِمًا إلَّا قَتَلْتُه . ثم بايَع أهلُ المدينةِ ، وأرسَل إلى بنى سَلِمةَ ، فقال : واللَّهِ ما لكم عندى مِن أمانٍ ولا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ١٣٩.

(٣) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « بشر » . وهكذا فيما سيأتى من مواضع .

(٤) فى ص : « الكنانى » .

(٥) سقط من : الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٦ - ٦) سقط من : ا ٨، ا ٧، ا ٦.

(٧) فى م : « رزيق » .

(٨) سقط من : م ، ص .

مُبايَعةٍ حتى تَأْتُونى بجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، [1] يعنى حتى يبايعَه [1] ، فانطَلق جابرٌ إلى أمِّ سَلَمةَ فقال لها : ماذا تَرَيْن ؟ إنى خَشِيتُ أن أُقْتَلَ ، وهذه بَيْعةُ ضلالةٍ . فقالت : أَرَى أن تُبَايعَ ، فإنى قد أمَرتُ ابنى عمرَ ، وخَتَنى عبدَ اللَّهِ بنَ زَمْعَةَ ؛ وهو زوجُ ابنتِها زينبَ ، أن يُبايِعَا . فأتاه جابرٌ فَبَايَعَه .

قال [2] : وهدَّم بُسْرٌ دورًا بالمدينةِ ، ثم مضَى حتى أتى مَكَّةَ ، فخافَه أبو موسى الأَشْعرىُّ أن يَقْتُلَه ، فقال له بُسْرٌ : ما كنتُ لأفعلَ بصاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ذلك . فخلَّى عنه ، وكتَب أبو موسى قبلَ ذلك إلى أهلِ اليمنِ أنَّ خيلًا مبعوثةً مِن عندِ معاويةَ تَقْتُلُ مَن أبَى أن [3] يُقِرَّ بالحكومةِ [3] ، ثم مضى بُسْرٌ إلى اليمنِ ، وعليها عبيدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ فَفَرَّ [4] إلى الكوفةِ حتى لحِق بعلىٍّ [4] ، واستخلَف على اليمنِ عبدَ اللَّهِ [5] بنَ عبدِ المَدانِ الحارثىَّ [5] . فلمَّا دخَل بُسْرٌ اليمنَ قتَله ، وقتَل ابنَه ، ولقِى بُسْرٌ ثَقَلَ [6] عبيدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ وفيه ابنان له صغيران فقتَلهما ، وهما ؛ عبدُ الرحمنِ ، وقُثَمُ ، [7] وقيلَ : إنَّه ذَبَحهما بينَ يدى أُمِّهما فزَاغ عقلُها ووَسْوَسَتْ ممّا رأَت ، فكانت بعد ذلك تَقِفُ فى المواسِمِ مبهوتةً زائغةَ العقلِ ، تندبُ ولديها [7] . ويقال [8] : إنَّ بُسْرًا قتَل فى مسيرِه هذا خلقًا مِن شيعةِ علىٍّ . وهذا الخبرُ مشهورٌ عندَ أصحابِ المغازى والسِّيَرِ ، وفى صحتِه عندى [9] نظرٌ .

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ليبايعنى » .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/١٣٩ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٧ ، ا ٦ : « يقر بالكوفة » . وفى ا ٨ : « يفر من الحكومة » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « من بشر إلى الكوفة » .

(٥ - ٥) سقط من الأصل ، وفى ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « ابن عبد الدار الحارثى » . وفى م : « ابن عبد اللَّه بن المدان الحاوى » . وفى ص : « ابن عبد اللَّه بن المدان الحادى » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٦) الثَّقَل : المتاع .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص . وانظر شعرها فى رثاشهما فى مختصر تاريخ ابن عساكر ١٥/ ٣٢٥.

(٨) تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٠.

(٩) سقط من : الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦.

واللَّهُ تعالى أعلمُ . ولمَّا بلغَ عليًّا خبرُ بُسْرٍ وجَّه جاريةَ بنَ قُدامةَ فى ألفين ، ووَهْبَ بنَ مسعودٍ فى ألفين ، فسَار جاريةُ حتى بلَغ [٦/٥٨و] نجرانَ (١فحرَّق بها١) ، وقتَل ناسًا مِن شيعةِ عثمانَ ، وهرَب بُسْرٌ وأصحابُه ، فأتْبَعَهم حتى بلَغ مَكَّةَ . فقال لهم جاريةُ : بايِعُوا . فقالوا : لمَن نَبَايِعُ وقد هلَك أميرُ المؤمنين ! فلِمَن نُبَايِعُ ؟ فقال : بايِعُوا لِمَن بايَع له أصحابُ علىٍّ . فتَثاقَلوا ، ثم بايَعُوا (٢حينَ خافوا٢) . ثم سار حتى أتى المدينةَ وأبو هريرةَ يُصلِّى بهم ، فهرَب منه ، فقال جاريةُ : واللَّهِ ، لو أخَذتُ أبا سِنَّورٍ لضرَبْتُ عُنُقَه . ثم قال لأهلِ المدينةِ : بايِعُوا الحَسَنَ بنَ علىٍّ . فبايَعُوا ، وأقام عندهم يومًا(٣) ، ثم خرَج مُنْصَرِفًا إلى الكوفةِ ، وعاد أبو هريرةَ يُصَلِّى بهم .

قال ابنُ جريرٍ(٤) : وفى هذه السنةِ جرَت بينَ علىٍّ ومعاويةَ المُهادنةُ بعدَ مُكَاتَبَاتٍ يَطُولُ ذِكْرُها ، على وَضْعِ الحربِ بينَهما ، وأن يكونَ مُلْكُ العراقِ لعلىٍّ ، ولمعاويةَ مُلْكُ الشامِ ، ولا يَدْخُلُ أحدُهما على صاحبِه فى عملِه بجيشٍ ولا غارةٍ ولا غَزْوَةٍ(٥) .

ثم ذكَر(٦) عن زيادٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ما هذا مَضْمُونُه ، أنَّ معاويةَ كتَب إلى علىٍّ : أما بعدُ ، فإنَّ الأمةَ قد قتَل بعضُها بعضًا (٧بَيْنِى وبينَك٧) ، فلك العراقُ ولىَ

(١ - ١) فى الأصل : « فحرق بابها » . وفى م : « فخرق بها » .

(٢ - ٢) فى م : « مِن خوفٍ » . وفى ص : « مَن خافوا » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/١٤٠ .

(٥) فى الأصل ، ا ٨ ، ا ٧ ، ا ٦ : « غيرها » .

(٦) أى ابن جرير فى المصدر السابق .

(٧ - ٧) فى م ، ص : « يعنى » .

الشَّامُ . فأقرَّه عليٌّ على ذلك . وأمسَك كلُّ واحدٍ منهما عن قتالِ الآخرِ ، وبعَث الجيوشَ إلى بلادِه ، واستقرَّ الأمرُ على ذلك .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ خرَج ابنُ عباسٍ مِن البَصْرَةِ إلى مَكَّةَ ، وترَك العملَ ، فى قولِ عامَّةِ أهلِ السِّيَرِ ، وقد أنكَر ذلك بعضُهم ، وزعَم أنه لم يَزَلْ عاملًا على البَصْرَةِ حتى صالَح [2]الحسنُ بنُ عليٍّ[2] معاويةَ ، وأنَّه كان شاهدًا الصُّلْحَ ، كما[3] نصَّ على ذلك أبو عُبيدةَ ، [4]وغيرُه[4] .

ثم ذكَر ابنُ جريرٍ[5] سببَ خروجِ ابنِ عباسٍ عن البَصْرَةِ ؛ وذلك أنه كلَّم أبا الأسودِ الدؤليَّ - [6]وكان قاضيًا عليها[6] - بكلامٍ فيه [7]غَضٌّ مِن[7] أبى الأسودِ ، فكتَب أبو الأسودِ إلى عليٍّ يَشْكُو إليه ابنَ عباسٍ ، وينالُ مِن عِرْضِه ؛ بأنه[8] تناوَل شيئًا مِن أموالِ [9]الناسِ مِن[9] بيتِ المالِ ، فبعَث عليٌّ إلى ابنِ عباسٍ ، [10]فعاتَبه فى ذلك ، وحرَّر عليه[10] القَضِيَّةَ[11] ، فغضِب ابنُ عباسٍ مِن ذلك ، وكتَب إلى عليٍّ أن[12] ابعَثْ إلى عملِك مَن أحببْتَ فإنِّى ظاعنٌ عنه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ١٤١.

(٢ - ٢) فى م : « على » ، وفى ص : « الحسن » .

(٣) فى م ، ص : « ممن » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « كما سيأتى » . وانظر المصدر السابق ٥/ ١٤٣، والكامل ٣/ ٣٨٦.

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ١٤١، ١٤٢.

(٦ - ٦) فى م ، ص : « القاضى » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « غض وحط على » .

(٨) فى م : « فإنه » .

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠ - ١٠) فى الأصل ، ا ٨، ا ٧، ا ٦: « يعاتبه على ذلك ويحرر عليه » .

(١١) فى م : « التبعة » .

(١٢) سقط من : م ، ص .

والسلامُ. [1]ثم سار ابنُ عباسٍ[1] إلى مكةَ مع أخوالِه بنى هلالٍ، وتَبِعَتْهم قيسٌ كلُّها، وقد أخذ شيئًا من بيتِ المالِ مِمَّا كان اجتمَع له مِن العِمَالةِ[2] والفَىءِ، ولمَّا سار تَبِعَتْه أقوامٌ أُخَرُ، فلَحِقَهم بنو تميمٍ[3] وأرادوا [4]ردَّهم و[4] مَنعَهم مِن المَسِيرِ، فكان بينَهم بعضُ[5] قِتالٍ، ثم تَحاجَزُوا، ودخَل ابنُ عباسٍ مكةَ.

(١ - ١) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦: «ثم ترك ذلك ابن عباس وسار».

(٢) العمالة - بكسر العين وضمها -: أجرة العامل. الوسيط (ع م ل).

(٣) فى الأصل، ا ٨، ا ٧، ا ٦، م: «غنم». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٢.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) سقط من: م، ص.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكْرُ مَقْتَلِ أمِيرِ المؤمنين علىّ بنِ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنه، وما ورَد فى ذلك وفى فضلِه مِن الأحاديثِ النبويةِ، وما فى ذلك

[٦/٥٨ظ] مِن دلائلِ النبوةِ وآياتِ المعجزةِ

كان أميرُ المؤمنين، رضِى اللَّهُ عنه، قد انتَقَضَت[1] عليه الأمورُ، [2]واضْطَربتْ عليه الأحوالُ، وخالفَه جيشُه من أهلِ العراقِ وغيرِهم[2]، ونكَلوا عن القيامِ معه، واسْتَفْحَل أمرُ أهلِ الشامِ، وصالُوا وجالُوا يمينًا وشِمالًا زاعمين أن الأمرَ لمعاويةَ؛ [3]بمُقْتَضَى حُكْمِ الحَكَمَيْن فى خَلْعِهما عليًّا وتَوْليةِ عمرِو بنِ العاصِ مُعاويةَ عندَ خُلُوِّ الإمْرةِ عن أَحَدٍ[3]، وقد كان أهلُ الشامِ بعدَ التَّحْكيمِ يُسَمُّون مُعاويةَ الأميرَ، وكلما ازداد أهلُ الشامِ قوةً ضَعُف جَأْشُ أهلِ العراقِ ووهَنوا، هذا وأميرُهم علىُّ بنُ أبى طالبٍ خيرُ أهلِ الأرضِ فى ذلك الزمانِ، فهو أعْبَدُهم وأزْهَدُهم، وأعْلَمُهم وأخْشاهم للَّهِ، عز وجل، ومع هذا كلِّه خَذَلوه وتَخَلَّوْا

---

(١) فى م، ص: «تنغصت».

(٢ - ٢) فى م، ص: «واضطرب عليه جيشه وخالفه أهل العراق».

(٣ - ٣) زيادة من: م، ص.

عنه ، [1] وقد كان يُعْطيهم العطاءَ الكثيرَ والمالَ الجزيلَ ، فلا زال هذا دأبَهم معه [1] حتى كرِه الحياةَ وتَمَنَّى الموتَ ؛ وذلك لكثرةِ الفِتَنِ وظُهورِ المِحَنِ ، فكان يُكْثِرُ أن يقولَ : ماذا يَحْبِسُ أَشْقَاها - أى ما يَنْتَظِرُ - ما له لا يَقْتُلُ ؟ ثم يقولُ : واللَّهِ لتُخَضَّبَنَّ هذه - ويُشيرُ إلى لحيتِه - مِن هذه . ويُشِيرُ إلى هامَتِه . كما قال البيهقىُّ [2] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّغانىِّ ، ثنا [3] أبو الجوَّابِ الأحْوَصُ بنُ جوَّابٍ [3] ، ثنا عَمَّارُ بنُ رُزَيْقٍ [4] ، عن الأعْمشِ ، عن حَبيبِ ابنِ أبى ثابتٍ ، عن ثَعْلبةَ بنِ يَزيدَ قال : قال علىٌّ : والذى فلَق الحَبَّةَ وبرَأ النَّسَمةَ لَتُخَضَّبَنَّ هذه [5] مِن هذه [5] - لِلحْيتِه مِن رأسِه - فما يَحْبِسُ أشْقاها ؟ فقال عبدُ اللَّهِ بنُ سَبُعٍ : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لو أن رجلًا فعَل ذلك لأبَرْنا [6] عِتْرَتَه . فقال : أَنْشُدُكم باللَّهِ أن [7] يُقْتَلَ بى [7] غيرُ قاتِلى . فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، ألا تَسْتَخْلِفُ ؟ فقال : لا ولكنى أَتْرُكُكم كما ترَكَكم رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالوا : فما تقولُ لربِّك إذا لقِيتَه وقد ترَكْتَنا هَمَلًا ؟ قال : أقولُ : اللهم اسْتَخْلَفْتَنى فيهم ما بَدا لك ، ثم قبَضْتَنى وترَكْتُك فيهم ، فإن شئتَ أصْلَحْتَهم ، وإن شئتَ أفْسَدْتَهم . [8] فيه ضعفٌ فى بعضِ ألفاظِه [8] .

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ٧١ ، ٦١ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٦ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ ، م : « أبو حراب الأحوص بن حراب » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٨ .

(٤) فى الأصل ، ٧١ ، م : « زريق » . وهو تصحيف ، وانظر الإكمال ٤/ ٥١ ، وتهذيب الكمال ٢١/ ١٨٩ .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) فى م : « لأبدنا » . وهما بمعنىً .

(٧ - ٧) فى ٧١ ، ٦١ : « تقتلوا بى » ، وفى م ، ص : « يقتل » .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص . وفى ٧١ : « فيه ضعف » .

(١ **طريقٌ أُخرَى** ١) : قال أبو داودَ الطيالسيُّ فى « مسندِه »(٢) : ثنا شَريكٌ ، عن عثمانَ بنِ المُغيرةِ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ قال : (٣ جاء رأسُ ٣) الخَوارجِ إلى عليٍّ فقال(٤) له : اتَّقِ اللَّهَ فإنَّك مَيِّتٌ . فقال : لا (٥ والذى فلَق الحَبَّةَ وبرَأ النَّسَمةَ ٥) ، ولكن مَقْتولٌ مِن ضَرْبةٍ على هذه تُخَضِّبُ هذه - وأشار بيدِه إلى لحيتِه - عهدٌ مَعْهودٌ ، وقَضاءٌ مَقْضِيٌّ ، وقد خاب مَن افْتَرَى .

(٦ **طريقٌ أخرَى عنه** : قال الحافظُ أبو يَعْلَى(٧) : ثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، ثنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أسامةَ ، عن عثمانَ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أبيه قال : قال عليٌّ : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أشْقَى الأَوَّلين » ؟ قلتُ : عاقرُ الناقةِ . قال : « صدَقْتَ ، فمَن أشْقَى الآخِرين ؟ » قلتُ : لا عِلْمَ لى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « الذى يَضْرِبُك على هذه » . وأشار بيدِه على يافُوخِه ، قال : فكان يقولُ : وَدِدْتُ أنه قد انْبَعَث أشْقاكم فيُخَضِّبَ هذه مِن هذه . يعنى لحيتَه مِن دمِ رأسِه ٦) .

طريقٌ أخرى عن عليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ(٨) : حدَّثنا وَكيعٌ ، ثنا الأعْمشُ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَبُعٍ قال :

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٥.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م ، ص : « جاءت » ، وفى ٧١، ٦١: « جاء » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) فى النسخ : « قالوا » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٧١.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١.

(٧) مسند أبى يعلى (٤٨٥) .ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦، وقال : رواه الطبرانى وأبو يعلى ، وفيه رشدين بن سعد وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .

(٨) المسند ١/ ١٣٠. (إسناده صحيح) .

سمِعْتُ عليًّا يقولُ : لتُخَضَّبَنَّ هذه مِن هذه فما ينْتَظِرُ بى الأَشْقَى ؟ [1] فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، أخْبِرْنا به نُبيرُ عِتْرَتَه . قال : إذًا تاللَّهِ تَقْتُلون بى غيرَ قاتلى [1] ! [٦/ ٥٩و] قالوا : فاسْتَخْلِفْ علينا . قال : لا ، ولكن أَتْرُكُكم إلى ما ترَكَكم إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالوا : فما تقولُ لربِّك إذا أتَيْتَه [2] ؟ قال : أقولُ : اللهم ترَكْتَنى فيهم ما بَدا لك ، ثم قبَضْتَنى إليك وأنت فيهم ، فإن شئتَ أصْلَحْتَهم ، وإن شئتَ أفْسَدْتَهم .

وقال الإمامُ أحمدُ [3] : حدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا أبو بكرٍ ، عن الأعْمَشِ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَبُعٍ قال : خطَبَنا علىٌّ فقال : والذى فلَق الحَبَّةَ وبرَأ النَّسَمةَ لتُخْضَبَنَّ هذه مِن هذه . قال : فقال الناسُ : فأعْلِمْنا مَن هو ، واللَّهِ [4] لنُبيدَنَّه أو لنُبِيدَنَّ [4] عِتْرَتَه . قال : أنْشُدُكم باللَّهِ أن يُقْتَلَ غيرُ قاتلى . قالوا : إن كنتَ قد عَلِمْتَ ذلك فاسْتَخْلِفْ إذًا . قال : لا ، ولكن أكِلُكم إلى ما وكَلكم إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . تفرَّد به أحمدُ [5] .

طريقٌ أُخْرَى عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ [6] : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا محمدٌ - يعنى ابنَ راشدٍ - عن عبدِ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١.

(٢) فى الأصل ، ٧١، ٦١: «لقيته» . وهو أحد لفظى وكيع فى الرواية .

(٣) المسند ١/ ١٥٦. (إسناده صحيح) .

(٤ - ٤) فى المسند : «لنبيرنه أو لنبيرن» .

(٥) اختلف على الأعمش فى هذا الحديث ؛ ففى الرواية الأولى : سالم بن أبى الجعد عن ابن سبع . وفى الثانية : سلمة بن كهيل عن ابن سبع . وقد رواه النسائى فى مسند على من طريق الأعمش أيضًا عن سلمة ابن كهيل عن سالم بن أبى الجعد عن ابن سبع به بنحوه . والصواب رواية من رواه عن الأعمش عن سلمة عن سالم . قاله الدارقطنى فى العلل ٣/ ٢٦٦ وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٥، ٦.

(٦) المسند ١/ ١٠٢. (إسناده صحيح) .

ابنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن فَضالةَ بنِ أبى فَضالةَ الأنصارىِّ - وكان أبو[1] فَضالةَ مِن أهلِ بدرٍ - قال : خرَجْتُ مع أبى عائدًا لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ مِن مَرَضٍ أصابه ثَقُلَ منه . قال : فقال له أبى : ما يُقِيمُك بمَنْزِلِك هذا ؟ لو أصابك أجَلُك [2]لم يَلِكَ[2] إلا أعْرابُ جُهَيْنةَ[3] ، تُحْمَلُ إلى المدينةِ ، فإن أصابك أجَلُك وَلِيَك أصحابُك وصَلَّوا عليك . فقال علىٌّ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ عهِد إلىَّ ألَّا أموتَ حتى أُؤَمَّرَ ثم تُخْضَبَ هذه - يعنى لحيتَه - مِن دمِ هذه . يعنى هامتَه ، قال : فقُتِل وقُتِل أبو[1] فَضالةَ مع علىٍّ يومَ صِفِّينَ . تفرَّد به أحمدُ أيضًا . وقد رَواه البيهقىُّ فى « الدلائلِ » عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن الحسنِ بنِ مُكْرَمٍ ، عن أبى النَّضْرِ هاشمِ ابنِ القاسمِ به[4] .

طريقٌ أُخْرَى عنه : قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مُسْنَدِه »[5] : حدَّثنا أحمدُ ابنُ أبانٍ القُرَشىُّ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، ثنا كوفىٌّ يقالُ له : عبدُ الملكِ بنُ أَعْيَنَ . عن أبى حربِ بنِ أبى الأسْودِ ، عن أبيه قال : سمِعْتُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ يقولُ : قال لى عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ وقد وَضَعْتُ رِجْلى فى غَرْزِ الرِّكابِ : لا تَأْتِ العراقَ ؛ فإنك إن أتَيْتَها أصابك بها ذُبابُ السَّيفِ . قال : وايْمُ اللَّهِ لقد قالها ، ولقد قالها النبىُّ ﷺ لى قبلَه . قال أبو[6] الأَسودِ : فقلتُ : تاللَّهِ ما رأيْتُ رجلًا مُحارِبًا يُحَدِّثُ بهذا[7] غيرَك . ثم قال البَزَّارُ : لا نَعْلَمُ رَواه إلا علىُّ بنُ أبى طالبٍ بهذا

---

(١) فى النسخ : « ابن » . وهو خطأ . والمثبت من المسند . وانظر أسد الغابة ٦/ ٢٤٧، والإصابة ٧/ ٣٢٢.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . وفى الأصل : « يكلك » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٧١، ٦١: « أو غيرهم » .

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٨.

(٥) كشف الأستار (٢٥٧١) .

(٦) فى ص : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧.

(٧) بعده فى الأصل ، م ، ص : « قبلك » .

الإسْنادِ ، ولا نَعْلَمُ رَواه إلا عبدُ الملكِ بنُ أَعْيَنَ ، عن أبى حربٍ ، ولا رَواه عنه إلا ابنُ عُيَينةَ . هكذا قال ، وقد رأيْتُ مِن الطرقِ المُتَعددةِ خلافَ ذلك . وقال البيهقىُّ بعدَ ذِكْرِه طَرَفًا مِن هذه الطرقِ[1] : وقد رُوِّينا فى كتابِ « السُّننِ » بإسنادٍ صَحيحٍ عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبى سِنانٍ الدُّؤَلىِّ ، عن علىٍّ فى إخْبارِ النبىِّ ﷺ بقتلِه .

حديثٌ آخرُ [٦/ ٥٩ظ] **فى ذلك** : قال الخَطيبُ البَغْدادىُّ[2] : أخْبَرنى علىُّ ابنُ القاسمِ البَصْرىُّ ، ثنا علىُّ بنُ إسحاقَ المادَرائىُّ[3] ، أنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّغانىُّ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ الوَرَّاقُ ، ثنا ناصحٌ ، [4]أبو عبدِ اللَّهِ المُحَلِّمىُّ[4] ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ : « مَن أشْقَى الأَوَّلِين ؟ » قال : عاقرُ الناقةِ . قال : « فمَن أشْقَى الآخِرِين ؟ » قال : اللَّهُ ورسولُه أعْلَمُ . قال : « قاتلُك » .

حديثٌ آخَرُ فى معنى ذلك : روَى البَيْهقىُّ[5] مِن طريقِ فِطْرِ[6] بنِ خَليفةَ وعبدِ العزيزِ بنِ سِياهٍ ، كلاهما عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن ثَعْلبةَ الحِمَّانىِّ قال : سمِعْتُ عَليًّا على المِنْبرِ وهو يقولُ : واللَّهِ إنه لَعَهْدُ النبىِّ الأُمِّىِّ ﷺ إلىَّ : « إن الأُمَّةَ ستَغْدِرُ بك بعدى » . قال البخارىُّ[7] : ثَعْلبةُ بنُ [8]يزيدَ الحِمَّانىُّ[8] فى

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١٣٥.

(٣) فى الأصل، ٧١، ٦١، م: « المارداني » . وانظر الأنساب ٥/ ١٦٠.

(٤ - ٤) فى الأصل، ٦١: « أبو عبد اللّه المحلجى » ، وفى ٧١: « أبو عبد اللّه المحلى » ، وفى م: « بن عبد اللّه المحلمى » . وانظر الأنساب ٥/ ٢١٥، ٢١٦.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٠.

(٦) فى ٧١: « قطر » . وهو تصحيف، انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٢.

(٧) التاريخ الكبير ٢/ ١٧٤. وانظر المصدر السابق.

(٨ - ٨) فى م: « زيد الحمانى » ، وفى ص: « يزيد الجانى » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٩٩.

حديثِه[1] نظرٌ .

قال البيهقيُّ[2] : وقد رُوِّيناه بإسنادٍ آخرَ عن عليٍّ إن كان مَحْفوظًا ؛ أخْبَرنا أبو عليٍّ الرُّوذَباريُّ ، أنا أبو محمدِ بنُ شَوْذَبٍ الواسطيُّ بها ، ثنا شُعَيْبُ بنُ أيوبَ ، ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ ، عن هُشَيْمٍ ، عن إسماعيلَ بنِ سالمٍ ، عن أبى إدْريسَ الأزْديِّ ، عن عليٍّ قال : إنَّ مما عهِد إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الأُمَّةَ ستَغْدِرُ بك بعدى » . قال البيهقيُّ : فإن صَحَّ [3]فيَحْتَمِلُ أن[3] يكونَ المرادُ به ، واللَّهُ أعْلَمُ ، فى خُروجِ مَن خرَج عليه [4]فى إمارتِه[4] ثم فى قَتْلِه .

وقال الأعْمَشُ[5] عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن[6] عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن زُهَيْرِ ابنِ الأقْمَرِ[7] قال : خطَبَنا عليٌّ [8]يومَ جُمُعَةٍ[8] فقال : نُبِّئْتُ أن [9]بُسْرًا قد طلَع اليمنَ[9] ، وإنى واللَّهِ لَأَحْسَبُ[10] أن هؤلاءِ القومَ سيَظْهَرون عليكم ، وما يَظْهَرون عليكم إلا بعِصْيانِكم إمامَكم وطاعتِهم إمامَهم ، وخِيانتِكم وأمانتِهم ، وإفسادِكم

---

(١) بعده فى م ، ص ، والدلائل : « هذا » .

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٠.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٠٤، ٤٠٥ مخطوط ، من طريق الأعمش به نحوه ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٨٤.

(٦) فى م ، ص : « بن » ، وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٠٢.

(٧) فى النسخ : « الأرقم » ، وهو تحريف . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٤٢٨، والجرح والتعديل ٣/ ٥٨٦.

(٨ - ٨) زيادة من : م ، ص .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ٧١، ٦١: « قراكم قد خلعوا الإمام » . وبسر هو ابن أبى أرطاة ، انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٢٧، وتاريخ الطبرى ٥/ ١٣٩.

(١٠) فى مصدر التخريج : « خشيت » .

فى أرضِكم وإصلاحِهم [1] فى أرضِهم [1] ، قد بعَثْتُ فلانًا فخان وغدَر ، وبعَثْتُ فلانًا فخان وغدَر وبعَث المالَ إلى مُعاويةَ ، لو ائْتَمَنْتُ أحدَكم على قَدَحٍ لأخَذ عِلاقتَه ، اللَّهمَّ سَئِمْتُهم وسَئِمونى ، وكرِهْتُهم وكرِهونى ، اللهم فأَرِحْهم منى وأَرِحْنى منهم . قال : فما صلَّى الجُمُعةَ الأُخْرى حتى قُتِل ، رضِى اللَّهُ عنه وأرْضاه .

صفةُ مَقْتَلِه ، رضِى اللَّهُ عنه

ذكَر ابنُ جَريرٍ وغيرُ واحدٍ مِن عُلماءِ التاريخِ والسِّيَرِ وأيَّامِ الناسِ [2] ، أن ثلاثةً مِن الخَوارجِ ؛ وهم عبدُ الرحمنِ بنُ عمرٍو المعروفُ بابنِ مُلْجَمٍ الحِمْيَرىُّ ثم الكِندىُّ [3] حَليفُ بنى جَبَلَةَ [3] مِن كِندةَ ، المِصْرىُّ [4] ، وكان أسْمرَ حسنَ الوجهِ أبْلَجَ ، شعرُه مع شَحْمةِ أُذُنَيْه ، وفى جبهتِه [5] أثرُ السجودِ . والبُرَكُ بنُ عبدِ اللَّهِ التَّميمىُّ . وعمرُو بنُ بكرٍ التَّميمىُّ أيضًا ، اجْتَمعوا فتَذاكَروا قَتْلَ علىٍّ إخْوانَهم مِن أهلِ النَّهْرَوانِ ، فترَحَّموا عليهم وقالوا : ماذا نَصْنَعُ بالبَقاءِ بعدَهم ؟! كانوا مِن خيرِ الناسِ وأكثرَهم صلاةً ، وكانوا دعاةَ الناسِ إلى ربِّهم ، لا يَخافون فى اللَّهِ لَوْمةَ لائمٍ ، فلو شرَيْنا أنفسَنا فأتَيْنا أئمةَ الضَّلالةِ فقتَلْناهم فأَرَحْنا منهم البلادَ [٦/٦٠و] وأخَذْنا منهم ثَأْرَ إخْوانِنا . فقال ابنُ مُلْجَمٍ : أنا أَكْفِيكم علىَّ بنَ أبى

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/١٤٣ - ١٤٦، والطبقات لابن سعد ٣/ ٣٦، ٣٧، والمنتظم ٥/ ١٧٢، ١٧٣، والكامل ٣/ ٣٨٨، ٣٨٩، وتاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٦٠٧، ٦٠٨.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٧١، ٦١: « وليد بنى جبلة » ، وفى م ، ص : « حليف بنى حنيفة » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٢/ ٤١٧، ٤١٨ مخطوط .

(٤) انظر تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٦٥٣.

(٥) فى م ، ص : « وجهه » .

طالبٍ . وقال البُرَكُ بنُ عبدِ اللَّهِ : أنا أكْفِيكُم مُعاويةَ بنَ أبى سفيانَ . وقال عمرُو ابنُ بكرٍ : أنا أكْفِيكُم عمرَو بنَ العاصِ . فتعاهَدوا وتَواثقوا أن لا يَنْكِصَ رجلٌ منهم عن صاحبِه حتى يَقْتُلَه أو يَموتَ دونَه ، فأخَذوا أسْيافَهم فسَمُّوها ، واتَّعَدوا لسبعَ عشْرةَ مِن رَمضانَ أن يُبَيِّتَ كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه فى بلدِه الذى هو فيه . فأمَّا ابنُ مُلْجَمٍ فسار إلى الكوفةِ فدخَلها ، وكتَم أمْرَه حتى عن أصحابِه مِن الخَوارجِ الذين هم بها ، فبينما هو جالسٌ فى قومٍ مِن بنى (١تَيْمِ الرِّبابِ وهم١) يَتذاكرون قَتْلاهم يومَ النَّهْرَوانِ إذ أقْبَلَت امرأةٌ منهم يقالُ لها : قَطامِ بنتُ الشِّجْنةِ . قد قتَل علىٌّ يومَ النَّهْرَوانِ أباها وأخاها ، وكانت فائقةَ الجَمالِ مَشْهورةً به ، وكانت قد انْقَطَعت فى المسجدِ الجامعِ تَتَعَبَّدُ فيه ، فلما رآها ابنُ مُلْجَمٍ سَلَبَت عقلَه ، ونسِيَ حاجتَه التى جاء لها ، وخطَبها إلى نفسِها ، فاشْتَرَطَت عليه ثلاثةَ آلافِ درهمٍ وخادمًا وقَيْنَةً ، وأن يَقْتُلَ لها علىَّ بنَ أبى طالبٍ . قال : فهو لك ، ووالله ما جاء بى إلى هذه البَلْدةِ إلا قَتْلُ علىٍّ . فتزَوَّجها ودخَل بها ، ثم شرَعَت تُحَرِّضُه على ذلك ، وندَبَت له رجلًا مِن قومِها مِن تَيْمِ الرِّبابِ يقالُ له : وَرْدانُ . ليكونَ معه رِدْءًا ، واسْتَمال ابنُ مُلْجَمٍ رجلًا آخرَ يقالُ له : شَبيبُ بنُ بَجَرَةَ(٢) الأشْجَعىُّ الحَرُورىُّ . قال له ابنُ مُلْجَمٍ : هل لك فى شَرَفِ الدنيا والآخرةِ ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : قَتْلُ علىٍّ . فقال : ثَكِلَتْك أمُّك ! لقد جئتَ شيئًا إدًّا(٣) ، كيف تَقْدِرُ عليه ؟ قال : أكْمُنُ له فى المسْجدِ ، فإذا خرَج لصلاةِ الغَداةِ شدَدْنا عليه فقتَلْناه ، فإنْ نَجَوْنا شفَيْنا أنفسَنا وأدْرَكْنا ثَأْرَنا ، وإن قُتِلْنا فما

(١ - ١) فى م ، ص : « الرباب » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٠٠.

(٢) فى النسخ : « نجدة » . والمثبت من مصادر التخريج . وانظر الإكمال ١/ ١٨٩.

(٣) الإد : العجب ، والأمر الفظيع ، والداهية ، والأمر المنكر . تاج العروس (أ د د) .

عندَ اللَّهِ خيرٌ مِن الدنيا . فقال : ويحَك ! لو غيرَ عليٍّ لكان أهْونَ عليَّ ، قد عرَفْتُ سابِقَتَه فى الإسلامِ وقرابتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فما أجِدُنى أَنْشَرِحُ صَدْرًا لقتلِه . فقال : أمَا تَعْلَمُ أنه قتَل أهلَ النَّهْرَوانِ ؟ فقال : بلى . قال : فنَقْتُلُه بمَن قتَل مِن إخْوانِنا . فأجابه إلى ذلك بعدَ لأْيٍ . ودخَل شهرُ رَمضانَ ، فواعَدَهم ابنُ مُلْجَمٍ ليلةَ الجمعةِ لسبعَ عشْرةَ ليلةً خَلَت ، وقال : هذه الليلةُ التى واعَدْتُ أصْحابى [1] يَقْتُلُ كلُّ واحدٍ منا فيها صاحبَه الذى ذهَب إليه . ثم جاءوا إلى قَطَامِ ، وهى امرأةُ ابنِ مُلْجَمٍ ، فدَعَتْ لهم بعِصَبِ الحريرِ فعَصَبَتْهم بها ، وكانت فى المسجدِ [1] ، فجاء هؤلاء الثلاثةُ ؛ وهم ابنُ مُلْجَمٍ ووَرْدانُ وشَبيبٌ ، وهم مُشْتَمِلون [٦/ ٦٠ظ] على سيوفِهم ، فجلَسوا مُقابلَ السُّدَّةِ [2] التى يَخْرُجُ منها عليٌّ ، فلما خرَج جعَل يُنْهِضُ الناسَ مِن النومِ إلى الصلاةِ ويقولُ : الصلاةَ الصلاةَ . فثار إليه شَبيبٌ بالسيفِ فضرَبه فوقَع فى الطاقِ ، فضرَبه ابنُ مُلْجَمٍ بالسيفِ على قَرْنِه [3] ، فسال دمُه على لحيتِه ، رضِى اللَّهُ عنه ، ولما ضرَبه ابنُ مُلْجَمٍ قال : لا حُكْمَ إلَّا للَّهِ ، ليس لك يا عليُّ ولا لأصحابِك . وجعَل يَتْلُو قولَه تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة : ٢٠٧] . ونادَى عليٌّ : عليكم به . وهرَب وَرْدانُ ، فأدْرَكه رجلٌ مِن حَضْرَموتَ فقتَله ، وذهَب شَبيبٌ فنَجا بنفسِه وفات الناسَ ، ومُسِك ابنُ مُلْجَمٍ ، وقدَّم عليٌّ جَعْدةَ بنَ هُبَيْرةَ بنِ أبى وَهْبٍ فصلَّى بالناسِ صلاةَ الفجرِ ، وحُمِل عليٌّ إلى مَنْزِلِه ، وحُمِل إليه ابنُ مُلْجَمٍ ، فأُوقِف بينَ يديه وهو مَكْتوفٌ ،

(١ - ١) فى م ، ص : « فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص » .

(٢) السدة : باب الدار . والظُّلَّة بباب الدار ، والساحة بين يدى الدار . الوسيط (س د د) .

(٣) القَرْن من الإنسان : موضع القرن منه ، أو الجانب الأعلى من الرأس . انظر المحيط (ق ر ن) .

قبَّحه اللَّهُ، فقال له: أى عدوَّ اللَّهِ، ألم أُحسِنْ إليك؟ قال: بلى. قال: فما حمَلك على هذا؟ قال: شحَذْتُه أربعين صَباحًا، وسأَلْتُ اللَّهَ أن يَقْتُلَ به شَرَّ خَلْقِه. فقال له علىٌّ: لا أُراك إلا مَقْتولًا به، ولا أُراك إلا مِن شرِّ خَلْقِه. ثم قال: إن مِتُّ فاقْتُلوه، وإن عِشْتُ فأنا أعْلَمُ كيف أصْنَعُ به.

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)]: حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ، ثنا شَرِيكٌ، عن عِمْرانَ بنِ ظَبْيانَ، عن أبى تِحْيَى[(٢)] قال: لما ضرَب ابنُ مُلْجَمٍ عليًّا [(٣)]قال لهم[(٣)]: افْعَلوا به كما أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَفْعَلَ برجلٍ أراد قَتْلَه فقال: «اقْتُلُوه ثم حَرِّقوه».

وقد رُوِىَ[(٤)] أن أمَّ كُلْثومٍ بنتَ علىٍّ قالت لابنِ مُلْجَمٍ وهو واقفٌ: ويحَك! لِمَ ضرَبْتَ أميرَ المؤمنين؟ قال: إنما ضرَبْتُ أباك. فقالت: إنه لا بأسَ عليه. فقال: فلِمَ تَبْكِين؟ واللَّهِ لقد ضرَبْتُه ضَرْبةً لو أصابَت أهلَ المِصْرِ لَماتوا أجْمَعين، واللَّهِ لقد سمَمْتُ هذا السيفَ شهرًا، ولقد اشْتَرَيْتُه بألفٍ وسمَمْتُه بألفٍ.

فقال[(٥)] جُنْدُبُ بنُ عبدِ اللَّهِ: يا أميرَ المؤمنين، إن مِتُّ نُبايِعُ الحسنَ؟ فقال: لا آمُرُكم ولا أنْهاكم، أنتم أبْصَرُ. ولما احْتُضِر علىٌّ جعلَ يُكْثِرُ مِن قولِ لا إلهَ إلا اللَّهُ، لا يَنْطِقُ بغيرِها - وقد قيل[(٦)]: إن آخرَ ما تكلَّم به: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] - وقد أوْصَى وَلَديه الحسنَ والحسينَ بتَقْوَى اللَّهِ والصلاةِ والزكاةِ، [(٧)]وغَفْرِ الذنْبِ[(٧)]،

---

(١) المسند ١/ ٩٢، ٩٣ (إسناده ضعيف) وانظر المسند (٧١٣) بتحقيق الشيخ شعيب.

(٢) فى النسخ: «يحيى»، والمثبت من المسند، وهو حُكَيم بن سعد، وانظر الإكمال ١/ ٥٠٢، وتهذيب الكمال ٧/ ٢١١.

(٣ - ٣) فى المسند: «الضربة قال على».

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٦ - ١٤٨. وتاريخ دمشق ١٢/ ٤١٧ مخطوط.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٦، ١٤٧.

(٦) عزاه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ١٧٦، إلى أبى الحسن المدائنى.

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

وكَظْمِ الغَيْظِ ، وصِلةِ الرَّحِمِ ، والحِلْمِ عن الجاهلِ ، والتَّفَقُّهِ فى الدينِ ، والتَّثَبُّتِ فى الأمْرِ ، والتَّعاهُدِ للقرآنِ ، وحُسْنِ الجِوارِ ، والأمْرِ بالمعروفِ ، والنَّهْيِ عن المنكرِ ، واجْتنابِ الفَواحشِ ، ووصَّاهما بأخيهما محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ ، ووصَّاه بما وصَّاهما به ، وأن يُعَظِّمَهما ولا [٦/ ٦١و] يَقْطَعَ أمْرًا دونَهما ، وكتَب ذلك كلَّه فى كتابِ وصيتِه ، رضِى اللَّهُ عنه وأرْضاه .

وصورةُ الوَصيةِ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أوْصَى به علىُّ بنُ أبى طالبٍ ؛ أنه يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شَرِيكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرْسَله بالهُدَى ودينِ الحَقِّ ليُظْهِرَه على الدينِ كلِّه ولو كرِه المشركون ، ثم[(١)] إن صلاتى ونُسُكى ومَحْياىَ ومماتى للَّهِ ربِّ العالمين ، لا شريكَ له ، وبذلك أُمِرْتُ وأنا مِن[(٢)] المسلمين ، أُوصِيك يا حسنُ وجميعَ ولدى [(٣)]وأهلى[(٣)] ومَن بلَغه كتابى بتَقْوَى اللَّهِ ربِّكم ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ، واعْتَصِموا بحبلِ اللَّهِ جميعًا ولا تَفَرَّقوا ، فإنى سمِعْتُ أبا القاسمِ ﷺ يقولُ : « إن صلاحَ ذاتِ البَيْنِ أفضلُ مِن عامَّةِ الصلاةِ والصيامِ » . انْظُروا إلى ذَوِى أرْحامِكم فصِلُوهم يُهَوِّنِ اللَّهُ عليكم الحِسابَ ، اللَّهَ اللَّهَ فى الأيْتامِ ؛ فلا تُغْفُوا[(٤)] أفْواهَهم ولا يُضَيَّعُنَّ بحَضْرتِكم ، واللَّهَ اللَّهَ فى جِيرانِكم ؛ فإنهم وَصيةُ نبيِّكم ﷺ ، ما زال يُوصِى بهم حتى ظَنَنَّا أنه سيُوَرِّثُهم ، واللَّهَ اللَّهَ فى القرآنِ ؛ فلا يَسْبِقَنَّكم إلى العملِ به غيرُكم ، واللَّهَ اللَّهَ فى الصلاةِ ؛ فإنها عمودُ دينِكم ، واللَّهَ اللَّهَ فى بيتِ ربِّكم ، فلا يَخْلُوَنَّ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى ٦١ ، م ، ص : « أول » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « تعنوا » . ولا تعفوا أفواههم : أى لا تُخْلُوا أفواههم من الطعام .

منكم ما بقِيتُم ؛ فإنه إن تُرِك لم تُناظروا ، واللَّهَ اللَّهَ فى شهرِ رَمضانَ ؛ فإن صيامَه جُنَّةٌ مِن النارِ ، واللَّهَ اللَّهَ فى الجِهادِ فى سبيلِ اللَّهِ بأمْوالِكم وأنفسِكم ، واللَّهَ اللَّهَ فى الزكاةِ ؛ فإنها تُطْفِئُ غَضَبَ الربِّ ، واللَّهَ اللَّهَ فى ذِمَّةِ نبيِّكم ؛ لا تُظْلَمَنَّ بينَ ظَهْرَانَيكم ، واللَّهَ اللَّهَ فى أصحابِ نبيِّكم ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ أوْصَى بهم ، واللَّهَ اللَّهَ فى الفُقراءِ والمَساكينِ فأَشْرِكوهم فى مَعاشِكم ، واللَّهَ اللَّهَ فيما ملَكَتْ أيمانُكم ، فإن آخرَ ما تكَلَّم به رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قال : « أُوصِيكم بالضَّعِيفَيْن ؛ نسائِكم وما مَلَكَت أيمانُكم » . الصلاةَ الصلاةَ ، لا تَخافُنَّ فى اللَّهِ لَوْمةَ لائمٍ يَكْفِكم مَن أرادَكم وبَغَى عليكم ، وقولوا للناسِ حُسْنًا كما أمَركم اللَّهُ ، ولا تَتْرُكوا الأمْرَ بالمعروفِ والنَّهْىَ عن المنكرِ ، فيُوَلَّى الأمْرَ شرارُكم ثم تَدْعُون فلا يُسْتجابُ لكم ، وعليكم بالتَّواصُلِ والتَّباذُلِ ، وإياكم والتَّدابرَ والتَّقاطُعَ والتَّفَرُّقَ ، وتَعاوَنوا على البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعاوَنوا على الإثْمِ والعُدْوانِ ، واتَّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ شديدُ العِقابِ ، حَفِظَكم اللَّهُ مِن أهلِ بيتٍ ، وحَفِظ فيكم نبيَّكم ، أسْتَودِعُكم اللَّهَ ، وأقْرَأُ عليكم السلامَ ورحمةَ اللَّهِ . ثم لم يَنْطِقْ إلا بلا إلهَ إلا اللَّهُ ، حتى قُبِض فى شهرِ رَمضانَ .

وقد غسَّله ابناه الحسنُ والحسينُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، وصلَّى عليه الحسنُ ، فكبَّر عليه تسعَ تَكْبيراتٍ .

قال الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ[1] : [٦/٦١ظ] حدَّثنى رجلٌ مِن بَجِيلةَ ، عن مَشْيَخةِ قومِه ، أن عبدَ الرحمنِ بنَ مُلْجَمٍ رأَى امرأةً مِن تَيْمِ الرِّبابِ يقالُ لها : قَطامِ . [2]كانت مِن أجملِ النساءِ ، تَرَى رأْىَ الخَوارجِ ، قد قتَل علىٌّ قومَها على هذا[2]

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم / ١٧٤، من طريق الهيثم بن عدى به .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ٧١، ٦١.

[1] الرأيِ[2] ، فلما أبْصَرها[1] عَشِقها فخطَبها ، فقالت : لا أتَزَوَّجُك إلا على ثلاثةِ آلافٍ وعبدٍ وقَيْنَةٍ [3] وقَتْلِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ[3] . فتزَوَّجها على ذلك ، فلما بنَى بها قالت له : يا هذا ، قد [4] فرَغْتَ مِن حاجتِك ، فافرُغْ مِن حاجتى[4] . فخرَج مُلْبَسًا سِلاحُه ، وخرَجَت فضرَبَت له قُبَّةً فى المسجدِ ، وخرَج عليٌّ يقولُ : الصلاةَ الصلاةَ . فأتْبَعه عبدُ الرحمنِ ، فضرَبه بالسيفِ على قَرْنِ رأسِه ، فقال الشاعرُ - قال ابنُ جَريرٍ[5] : هو ابنُ مَيَّاسٍ المُرادىُّ - :

ولم أَرَ مَهْرًا ساقَه ذو سمَاحةٍ ... كمَهْرِ قَطامِ [6] بَيِّنًا غيرَ مُعْجَمِ[6]

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَيْنةٌ ... وقتلُ علىٍّ بالحُسامِ المُصَمَّمِ

فلا مَهْرَ أغلى مِن علىٍّ وإن غَلا ... ولا قَتْلَ[7] إلا دونَ قَتْلِ[7] ابنِ مُلْجَمِ

[8] ولابنِ ميّاسٍ[8] فى قتلِهم عليًّا :

ونحن [9] ضرَبْنا يا لكَ[9] الخيرُ حَيْدَرا ... أبا حَسَنٍ مأمومةً فتَفَطَّرا[10]

ونحن خَلَعْنا مُلْكَه مِن نِظامِه ... بضربةِ سيفٍ إذ علا وتَجَبَّرا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١.

(٢) بعده فى المنتظم : « يوم النهروان » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المنتظم .

(٤ - ٤) فى م ، ص ، والمنتظم : « فرعت فافرع » . قال صاحب التاج : فرَع البِكْرَ : افتَضَّها . وفرَع رأسَه بالعصا والسيف فَرْعا : علاه بها ضربًا . تاج العروس (ف ر ع) .

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ١٥٠. وعنده : ابن أبى مياس المرادى .

(٦ - ٦) فى تاريخ الطبرى : « من فصيح وأعجم » .

(٧) فى م ، ص : « فتك » .

(٨ - ٨) فى م ، ص : « وقد عزا ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادى وأنشد له ابن جرير » . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٥٠.

(٩ - ٩) فى الأصل ، ٧١، ٦١: « قتلنا مالك » ، وفى م ، ص : « ضربنا مالك » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(١٠) فى م : « فتقطرا » . والمأمومة : الضربة تبلغ أم الرأس . انظر المحيط (أ م م) .

ونحن كِرامٌ فى الهَيَاجِ[1] أعِزَّةٌ إذا الموتُ بالموتِ ارْتَدى وتَأَزَّرَا

وقد امْتَدَح ابنَ مُلْجَمٍ بعضُ الخَوارجِ المتأخِّرين فى زمنِ التابعين، وهو عِمرانُ ابنُ حِطَّانَ - وكان أحدَ العُبَّادِ ممَّن يَرْوِى عن عائشةَ فى «صحيحِ البخاريِّ» - فقال فيه[2]:

يا ضربةً مِن تَقيٍّ ما أراد بها إلا لِيَبْلُغَ مِن ذى العرشِ رِضْوانًا

إنى لَأَذْكُرُه يومًا فأَحْسَبُه أوْفَى البَرِيَّةِ عندَ اللَّهِ مِيزانًا

وأمَّا صاحبُ معاويةَ - وهو البُرَكُ - فإنه حمَل عليه وهو خارجٌ إلى صلاةِ الفجرِ فى هذا اليومِ، فضرَبه بالسيفِ، وقيل: بخَنْجَرٍ مَسْمومٍ. فجاءت الضَّرْبةُ فى وَرِكِه فجَرَحَت أَلْيَتَه، ومُسِك الخارجيُّ فقُتِل، وقد قال لمعاويةَ: اتْرُكْنى فإنى أُبَشِّرُك ببِشارةٍ. فقال: وما هى؟ فقال: إن أخى قد قتَل فى [3]هذه الليلةِ[3] علىَّ ابنَ أبى طالبٍ. قال: فلعله لم يَقْدِرْ عليه. قال: بلى، إنه لا حَرَسَ معه. فأمَر به فقُتِل، وجاء الطَّبيبُ إلى معاويةَ فقال: إن جُرْحَك مَسْمومٌ؛ فإما أن أَكْوِيَك وإمَّا أن أَسْقِيَك شَرْبةً فيَذْهَبَ السُّمُّ، ولكن يَنْقَطِعُ نَسْلُك. فقال مُعاويةُ: أمَّا النارُ فلا طاقةَ لى بها، وأما النَّسْلُ ففى يزيدَ وعبدِ اللَّهِ ما تَقَرُّ به عينى. فسَقاه شَرْبةً، فبرَأ مِن ألمِه وجِراحِه، [4]وانقطَع النسلُ وسلِم مِن ذلك[4]، رضِى اللَّهُ عنه. ومِن حِينَئِذٍ عُمِلَت المَقْصورةُ فى المسجدِ الجامعِ، وجُعِل الحَرَسُ حولَها فى حالِ السجودِ، فكان أولَ مَن اتَّخَذها معاويةُ؛ لهذه الحادثةِ.

---

(١) فى تاريخ الطبرى: «الصباح».

(٢) انظر الكامل للمبرد ٣/ ١٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٥.

(٣ - ٣) فى م، ص: «هذا اليوم».

(٤ - ٤) فى م، ص: «واستقل وسلم».

[٦/٦٢و] وأما صاحبُ عمرِو بنِ العاصِ - وهو عمرُو بنُ بكرٍ - فإنه كمَنَ له ليَخْرُجَ إلى الصلاةِ، فاتَّفَق أن عرَض لعمرِو بنِ العاصِ مَغْصٌ شَديدٌ فى (١) تلك الليلةِ (١)، فلم يَخْرُجْ إلا نائبُه إلى الصلاةِ، وهو خارجةُ بنُ أبى حَبيبةَ (٢)، مِن بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ، وكان على شُرَطةِ عمرِو بنِ العاصِ، (٣) فحمَل عليه الخارجىُّ فقتَله، وهو يَعْتَقِدُه عمرَو بنَ العاصِ (٣)، فلما أُخِذَ الخارِجىُّ قال: أرَدْتُ عَمْرًا وأراد اللَّهُ خارجةَ. فأرْسَلها مَثَلًا، ثم قُتِل، قبَّحه اللَّهُ، وقد قيل (٤): إن الذى قالها عمرُو بنُ العاصِ. وذلك حينَ جىء بالخارجىِّ فقال: ما هذا؟ قالوا: قتَل نائبَك خارجةَ. (٥) فقال الخارجىُّ: واللَّهِ ما أردتُّ إلا إياكَ. فقال عمرٌو: أردتَنى وأراد اللَّهُ خارجةَ (٥). ثم أمَر به فضُرِبَت عنقُه.

والمَقْصودُ أن عليًّا، رضِى اللَّهُ عنه، لما مات صلَّى عليه ابنُه الحسنُ، فكبَّر عليه تسعَ تَكْبيراتٍ، ودُفِن بدارِ الإمارةِ بالكُوفةِ؛ خَوْفًا عليه مِن الخَوارجِ أن يَنْبُشوا (٥) عن جُثتِه (٥)، هذا هو المَشْهورُ، ومَن قال: إنه حُمِل على راحلتِه، فذهَبت به فلا يُدْرَى أين ذهَبَت. فقد أخْطَأ وتَكَلَّف ما لا عِلْمَ له به، ولا يُسِيغُه عَقْلٌ ولا شَرْعٌ، وما يَعْتَقِدُه (٥) كثيرٌ مِن جَهَلةِ (٥) الرَّوافضِ مِن أن قبرَه بمَشْهَدِ النَّجَفِ، فلا دليلَ على ذلك ولا أصلَ له، ويقالُ: إنما ذاك قبرُ المُغيرةِ بنِ شعبةَ. حَكاه الخطيبُ البَغْدادىُّ (٦) عن أبى نُعيمٍ الحافظِ، عن أبى بكرٍ الطَّلْحىِّ، عن

(١ - ١) فى م، ص: «ذلك اليوم».

(٢) كذا فى النسخ. وهو خارجة بن حذافة الصحابى. ولم نجد هذه الكنية فى مصادر ترجمته. انظر الاستيعاب ١/ ٤١٨، وأسد الغابة ٢/ ٧١، والإصابة ٢/ ٢٢٢، وتهذيب الكمال ٨/ ٦.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٩.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ٧١، ٦١.

(٦) تاريخ بغداد ١/ ١٣٨.

محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الحَضْرميِّ الحافظِ ، [1]هو مُطَيَّنٌ[1] ، أنه قال : لو عَلِمَت الشِّيعةُ[2] قبرَ هذا الذى يُعَظِّمونه بالنَّجَفِ لرجَموه بالحِجارةِ ، هذا قبرُ المُغيرةِ بنِ شُعبةَ .

قال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوةَ قال : سأَلْتُ أبا جعفرٍ محمدَ بنَ علىٍّ الباقرَ : كم كان سِنُّ علىٍّ يومَ قُتِل ؟ قال : ثلاثًا وستين سنةً . قلتُ : أين دُفِن ؟ قال : دُفِن بالكوفةِ ليلًا ، وقد غُبِّى عنى دَفْنُه . وفى روايةٍ عن جعفرٍ الصادقِ ، أنه كان عمرُه يومَ قُتِل ثمانيةً وخمسين سنةً[4] . وقد قيل : إن عليًّا دُفِن قِبْلىَّ المسجدِ الجامعِ مِن الكوفةِ . قاله الواقدىُّ[5] . والمشهورُ أنه دُفِن بدارِ الإمارةِ . [6]وقيل : بحائطِ جامعِ الكوفةِ[6] . وقد حَكَى الخطيبُ البَغْدادىُّ[7] ، عن أبى نُعيمٍ الفَضْلِ بنِ دُكَيْنٍ ، أن الحسنَ والحسينَ حَوَّلاه فنقَلاه إلى المدينةِ ، فدَفَناه بالبَقيعِ عندَ قبرِ زوجتِه فاطمةَ أمِّهما . وقيل : إنهم لما حمَلوه على البَعيرِ ضَلَّ منهم ، فأَخَذَتْه طَيِّئٌ يَظُنُّونه مالًا ، فلما رَأَوْا أن الذى فى الصُّندوقِ مَيِّتٌ ، ولم يَعْرِفوا مَن هو دفَنوا الصُّنْدوقَ بما فيه ، فلا يَعْلَمُ أحدٌ أين قبرُه . حكَاه الخَطيبُ أيضًا[8] .

(١ - ١) فى الأصل ، ٧١، ٦١: « حطين » ، وفى م ، ص : « عن مطر » . والمثبت من تاريخ بغداد . وهو لقبه . وانظر نزهة الألباب ٢/ ١٨٤.

(٢) فى تاريخ بغداد : « الرافضة » .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه ١/ ١٣٤، ١٣٥، من طريق الواقدى به بزيادة ، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ١٧٦، بلفظه .

(٤) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٣٦، عن جعفر الصادق . وانظر المنتظم ٥/ ١٧٦.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ١٥٢، من طريق الواقدى .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) انظر تاريخ بغداد ١/ ١٣٧، ولكنه ذكر أن الذى نقله هو الحسن .

(٨) المصدر السابق ١/ ١٣٨.

وروَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] ، عن الحسنِ بنِ عليٍّ قال : دَفَنْتُ عليًّا فى حُجْرةٍ مِن دُورِ آلِ جَعْدةَ .

وعن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ قال[2] : لما حفَر خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أساسَ دارِ ابنِه يزيدَ اسْتَخْرجوا شيخًا مَدْفونًا أبْيضَ الرأسِ واللحيةِ ، كأنما دُفِن بالأمسِ ، [٦/ ٦٢ظ] فهَمَّ بإحراقِه ، ثم صرَفه اللَّهُ عن ذلك إلى غيرِه ، فاسْتَدْعَى بقَباطِىَّ فلَفَّه فيها ، وطيَّبه وترَكه مكانَه . قالوا : وذلك المكانُ بحِذاءِ بابِ الوَرَّاقِينَ مما يَلى قِبْلةَ المَسْجدِ فى بيتِ إسْكافٍ ، وما يَكادُ يَقِرُّ فى ذلك الموضعِ أحدٌ إلا انْتَقَل منه .

وعن جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ قال[3] : صُلِّىَ على عليٍّ ليلًا ، ودُفِن بالكُوفةِ ، وعُمِّىَ مَوْضِعُ قبرِه ، ولكنه عندَ قَصْرِ الإمارةِ .

وقال ابنُ الكَلْبىِّ[4] : شَهِد دَفْنَه فى الليلِ الحسنُ والحسينُ وابنُ الحَنَفِيةِ وعبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ وغيرُهم مِن أهلِ بيتِهم ، فدفَنوه فى ظاهرِ الكوفةِ ، وعَمَّوا قبْرَه ؛ خِيفةً عليه مِن الخَوارجِ وغيرِهم .

وحاصلُ الأمْرِ أن عليًّا قُتِل ليلةَ[5] الجُمُعةِ سَحَرًا ، وذلك لسبعَ عشْرةَ خَلَتْ مِن رمضانَ مِن سنةِ أربعين . وقيل[6] : إنه قُتِل فى ربيعِ الأولِ . والأولُ هو الأصَحُّ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢٠ مخطوط . وانظر مختصره ١٨/ ٩٤.

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٣٧، عن عبد الملك بن عمير بنحوه . وانظر تاريخ دمشق الموضع السابق .

(٣) ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٦٥٠، ٦٥١. ولكن ذكره من طريق جعفر الصادق عن أبيه .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢١ مخطوط . وانظر مختصره ١٨/ ٩٤، ٩٥.

(٥) فى م ، ص : « يوم » .

(٦) انظر المنتظم ٥/ ١٧٦، فقد عزا هذا القول إلى المدائنى غير أنه ذكر أنه فى ربيع الآخر . فاللَّه تعالى أعلم .

الأَشْهَرُ. واللَّهُ أعلمُ. ودُفِن بالكوفةِ، عن ثلاثٍ وستين سنةً، وصحَّحه الواقدىُّ وابنُ جَريرٍ وغيرُ واحدٍ[1]، وقيل: عن خمسٍ وستين. وقيل: عن ثمانٍ وخمسين[2] سنةً. رضِى اللَّهُ عنه. وكانت خِلافتُه أربعَ سنين وتسعةَ أشهرٍ.

فلمَّا مات علىٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، اسْتَدْعَى الحسنُ بنُ علىٍّ بابنِ مُلْجَمٍ، فقال له ابنُ مُلْجَمٍ: إنى أَعْرِضُ عليك خَصْلةً. قال: وما هى؟ قال: إنى كنتُ عاهَدْتُ اللَّهَ عندَ الحَطِيمِ أن أَقْتُلَ عليًّا ومعاويةَ أو أموتَ دونَهما، فإن خَلَّيْتَنى ذهَبْتُ إلى معاويةَ، على أنى إن لم أَقْتُلْه أو قتلتُه وبَقِيتُ، [3]فلك علىَّ عهدُ اللَّهِ[3] أن أَرْجِعَ إليك حتى أَضَعَ يدى فى يدِك. فقال له الحسنُ: كلا واللَّهِ حتى تُعايِنَ النارَ. ثم قدَّمه فقتَله، ثم أخَذه الناسُ فأدْرَجوه فى بَوارِىَّ[4]، ثم أحْرَقوه بالنارِ[5]. وقد قيل[6]: إن عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ قطَع يديه ورجليه وكُحِلَت عَيْناه، وهو مع ذلك يَقْرَأُ سورةَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى آخرِها، ثم جاءوا ليَقْطَعوا لسانَه فجَزِع، وقال: إنى أخْشَى أن تَمُرَّ علىَّ ساعةٌ لا أَذْكُرُ اللَّهَ فيها. ثم قطَعوا لسانَه، ثم قتَلوه ثم حرَّقوه فى قَوْصَرَّةٍ[7]. [8]واللَّهُ أعلمُ.

وروَى ابنُ جَريرٍ قال[9]: حدَّثنى الحارثُ، ثنا ابنُ سعدٍ، عن محمدِ بنِ[8]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٥١، والطبقات لابن سعد ٣/ ٣٨، والمنتظم ٥/ ١٧٦.

(٢) فى م، ص: «ستين». وانظر المصادر السابقة.

(٣ - ٣) فى م، ص: «فلله على».

(٤) البوارى: جمع بُورىّ، وهو الحصير المنسوج. تاج العروس (ب و ر).

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٨، ١٤٩.

(٦) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٩، ٤٠، والمنتظم ٥/ ١٧٧.

(٧) القوصرة: وعاء للتمر من قصب. وقيل: من البوارى. تاج العروس (ق ص ر).

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) تاريخ الطبرى ٥/ ١٥٢. وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨.

[1]عمرَ قال : ضُرِب عليٌّ يومَ الجُمُعةِ ، فمكَث يومَ الجُمُعةِ وليلةَ السبتِ ، وتُوُفِّىَ ليلةَ الأحدِ ، لإحْدَى عشْرةَ ليلةً بَقِيَت مِن رمضانَ سنةَ أربعين ، عن ثلاثٍ وستين سنةً . قالَ الواقدىُّ : وهو الثبَتُ عندَنا . واللَّهُ أعْلَمُ بالصوابِ[1] .

فصلٌ فى ذِكْرِ زَوْجاتِه وبَنِيه وبناتِه ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا حجاجٌ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن هانئِ بنِ هانئٍ ، عن علىٍّ قال : لما وُلِد الحسنُ جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ [٦/٦٣و] فقال : « أَرُونى ابنى ، ما سمَّيْتُموه ؟ » فقلتُ : سمَّيْتُه حَرْبًا . فقال : « بل هو حسنٌ » . فلما وُلِد الحسينُ قال : « أَرُونى ابنى ، ما سَمَّيْتُموه ؟ » فقلتُ : سمَّيْتُه حَرْبًا . قال : « بل هو حسينٌ » . فلما وُلِد الثالثُ جاء النبىُّ ﷺ فقال : « أَرُونى ابنى ، ما سَمَّيْتُموه ؟ » فقلتُ : حَرْبًا . فقال : « بل هو مُحَسِّنٌ » . ثم قال : « إنى سمَّيْتُهم باسمِ ولدِ هارونَ ؛ شبَّرُ وشَبِيرٌ ومُشَبِّرٌ » . وقد رَواه محمدُ بنُ سعدٍ[3] ، عن يحيى بنِ عيسى التَّيْمىِّ ،عن الأعْمشِ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ قال : قال علىٌّ : كنتُ رجلًا أُحِبُّ الحَرْبَ ، فلما وُلِد الحسنُ هَمَمْتُ أن أُسَمِّيَه حَرْبًا . فذكَر الحديثَ بنحوِ ما تقَدَّم ، لكن لم يَذْكُرِ الثالثَ . وقد ورَد فى بعضِ الأحاديثِ أن عليًّا سمَّى الحسنَ أولًا بحَمْزَةَ وحُسَيْنًا بجعفرٍ ، فغيَّر اسْمَيْهما

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ١١٨/١ (إسناده صحيح) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٧١، من طريق محمد بن سعد به .

رسولُ اللَّهِ ﷺ[1] .

فأولُ زَوْجةٍ تزَوَّجها عليٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، **فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ** ﷺ ، بنَى بها بعدَ وَقْعةِ بدرٍ ، فوَلَدت له الحسنَ وحُسينًا ، ويقالُ : ومُحَسِّنًا . ومات وهو صغيرٌ ، ووَلَدَت له زينبَ الكُبْرى ، وأمَّ كُلْثومٍ الكُبْرى[2] ، وهى التى تَزَوَّج بها عمرُ بنُ الخَطَّابِ كما تقدَّم[3] ، ولم يتَزَوَّجْ عليٌّ على فاطمةَ حتى تُوُفِّيَت بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بستةِ أشهرٍ ، فلما ماتَتْ تزَوَّج بعدَها بزَوْجاتٍ كثيرةٍ ؛ منهن مَن تُوُفِّيَت فى حياتِه ومنهن مَن طَلَّقها ، وتُوُفِّىَ عن أربعٍ ، كما سيأتى .

فمِن زَوْجاتِه[4] **أمُّ البَنِينَ** بنتُ حِزامٍ وهو أبو المُحِلِّ بنُ خالدِ بنِ رَبيعةَ [5] بنِ الوحيدِ[5] بنِ كعبِ بنِ عامرِ بنِ كِلابٍ ، فولَدَت له العباسَ وجعفرًا وعبدَ اللَّهِ وعثمانَ ، وقد قُتِل هؤلاء مع أخيهم الحسينِ بكَرْبَلاءَ ، ولا عَقِبَ لهم سوى العباسِ .

ومنهن لَيْلَى بنتُ مسعودِ بنِ خالدِ بنِ مالكٍ ، مِن بنى تَميمٍ ، فوَلَدت له عُبَيدَ اللَّهِ وأبا بكرٍ . قال هشامُ بنُ الكَلْبىِّ : وقد قُتِلا بكَرْبَلاءَ أيضًا . وزعَم الواقدىُّ أن عُبَيدَ اللَّهِ قتَله المُخْتارُ بنُ أبى عُبَيدٍ يومَ المَذَارِ[6] .

ومنهن أسْماءُ بنتُ عُمَيْسٍ الخَثْعَميةُ ، فوَلَدت له يحيى ومحمدًا الأصْغَرَ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٣/ ١٦٩، ١٧٠.

(٢) سقط من : م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٥٣.

(٣) تقدم فى ١٠/ ١٩٦.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/١٥٣ - ١٥٥.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٧، والإصابة ٢/ ١٦٩.

(٦) فى النسخ : « الدار » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ١٩.
والمذار : بلدة بين واسط والبصرة . معجم البلدان ٤/ ٤٦٨.

قاله ابنُ الكَلْبيِّ . وقال الواقديُّ : وَلَدت له يحيَى وعَوْنًا . قال الواقديُّ : فأما محمدٌ الأصْغَرُ فمِن أمِّ وَلَدٍ .

ومنهنَّ أمُّ (١ **حَبيبٍ** بنتُ ربيعةَ بنِ بُجَيْرِ بنِ العبدِ ١) بنِ عَلْقمةَ ، وهى أمُّ وَلَدٍ مِن السَّبْيِ الذين سَباهم خالدُ بنُ الوليدِ مِن بنى تَغْلِبَ حين أغار على عَيْنِ التَّمْرِ ، فولَدت له عمرَ - وقد عُمِّر (٢ خمسًا وثمانين ٢) سنةً - ورُقَيَّةَ .

ومنهن أمُّ سعيدٍ بنتُ عروةَ بنِ مسعودِ بنِ مُعَتِّبِ (٣) بنِ مالكٍ الثَّقفيِّ ، فولَدت له أمَّ الحسنِ ورَمْلةَ الكُبْرى .

ومنهن ابنةُ امْرِئِ القيسِ [٦/٦٣ظ] بنِ عَدِيِّ بنِ أوْسِ بنِ جابرِ بنِ كعبِ بنِ عُلَيْمِ بنِ كَلْبِ الكَلْبيةُ ، فولَدت له جاريةً ، فكانت تَخْرُجُ مع عليٍّ إلى المسجدِ وهى صَغيرةٌ ، فيقالُ لها : مَن أخوالُك ؟ فتقولُ : وه وه . تعنى بنى كَلْبٍ .

ومنهن أُمامةُ بنتُ أبى العاصِ بنِ الربيعِ (٤ بنِ عبدِ العُزَّى ٤) بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ ، وأمُّها زَيْنبُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وهى التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُها وهو فى الصلاةِ ؛ إذا قام حمَلها ، وإذا سجَد وَضَعها - فولَدت له محمدًا الأوْسَطَ .

وأما ابنُه محمدٌ الأكْبرُ فهو ابنُ الحَنَفيةِ ، وهى خَوْلةُ بنتُ جعفرِ بنِ قيسِ بنِ

(١ - ١) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ : « حبيب بنت زمعة بن بجير » ، وفى م ، ص : « حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٧ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٠ .

(٢ - ٢) فى النسخ : « خمسًا وثلاثين » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وهو الصواب .

(٣) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ ، م : « مغيث » . وانظر الإكمال ٧/ ٢٨١ ، وتبصير المنتبه ٤/ ١٣٠٩ .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٧٧ .

مَسْلَمةَ بنِ عُبَيدِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ يَرْبوعِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ الدُّئِلِ بنِ حَنيفةَ بنِ لُجَيْمِ بنِ صَعْبِ ابنِ عليِّ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ ، سَباها خالدٌ أيامَ الصِّدِّيقِ أيامَ الرِّدةِ ، مِن بنى حَنيفةَ ، فصارت لعليِّ بنِ أبى طالبٍ ، فولَدت له محمدًا هذا ، ومِن الشِّيعةِ مَن يَدَّعى فيه الإمامةَ والعِصْمةَ ، وقد كان مِن ساداتِ المسلمين ، ولكن ليس بمَعْصومٍ ولا أبوه مَعْصومٌ ، بل ولا مَن هو أفضلُ مِن أبيه مِن الخُلفاءِ الراشدين قبلَه ليسوا بواجبى العِصْمةِ[1] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد كان لعليٍّ أولادٌ كثيرةٌ آخرون مِن أُمَّهاتِ أولادٍ شَتَّى ، فإنه مات عن أربعِ نِسْوةٍ وتسْعَ عشْرةَ سُرِّيَّةً ، رضِى اللَّهُ عنه ، فمِن أولادِه ، رضِى اللَّهُ عنهم ، ممن لا يُعْرَفُ أسماءُ أُمَّهاتِهم ؛ أمُّ هانئٍ ، ومَيْمونةُ ، وزينبُ الصُّغْرَى ، ورَمْلةُ الصغرى[2] ، وأمُّ كُلْثومِ الصغرى ، وفاطمةُ ، وأُمامةُ ، وخَديجةُ ، وأمُّ الكِرَامِ ، وأمُّ جعفرٍ ، وأمُّ سَلَمةَ ، وجُمَانةُ ، [3]ونَفِيسةُ[3] . قال ابنُ جَريرٍ : فجميعُ ولدِ عليٍّ أربعةَ عشَرَ ذكرًا وسبعَ عشْرةَ أُنْثى . قال الواقدىُّ : وإنما كان النَّسْلُ مِن خمسةٍ ؛ وهم الحسنُ والحسينُ ومحمدُ ابنُ الحَنَفيةِ والعباسُ ابنُ الكِلابيةِ وعمرُ ابنُ التَّغْلِبيةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

وقد قال ابنُ جَريرٍ[4] : حدَّثنى ابنُ سِنانٍ القَزَّازُ ، ثنا أبو عاصمٍ ، ثنا سُكَينُ[5] ابنُ عبدِ العزيزِ ، أنا حَفْصُ بنُ خالدٍ ، حدَّثنى أبى خالدُ بنُ جابرٍ قال : سمِعْتُ الحسنَ لما قُتِل عليٌّ قام خَطِيبًا فقال : لقد قتَلْتُم الليلةَ رجلًا فى ليلةٍ نزَل فيها

---

(١) بعده فى م ، ص : « كما هو مقرر فى موضعه » .

(٢) فى م ، ص : « الكبرى » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى وطبقات ابن سعد .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ١٥٧ .

(٥) فى النسخ : « مسكين » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٠٩ .

القرآن ، ورُفِع فيها عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، وفيها قُتِل يُوشَعُ بنُ نونٍ فتى موسى عليهما السلامُ ، واللَّهِ ما سَبَقَه أحدٌ كان قبلَه ، ولا يُدْرِكُه أحدٌ يكونُ بعدَه ، واللَّهِ إن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لَيَبْعَثُه فى السَّرِيَّةِ ، جبريلُ عن يمينِه وميكائِيلُ عن يَسارِه ، واللَّهِ ما ترَكَ صَفْراءَ ولا بَيْضاءَ إلا ثمانَمائةٍ أو سبعَمائةٍ[1] أرْصَدها لخادمٍ[2] . وهذا غريبٌ جدًّا ، وفيه نَكارةٌ . واللَّهُ أعلمُ . وهكذا رَواه أبو يَعْلَى ، عن إبراهيمَ بنِ الحَجَّاجِ ، عن سُكَيْنٍ به[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن شَريكٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن هُبَيرةَ قال : خطَبَنا الحسنُ [٦/٦٤و] بنُ علىٍّ قال : لقد فارَقكم رجلٌ بالأمْسِ لم يَسْبِقْه الأولون بعلمٍ ولا يُدْرِكُه الآخِرون ، كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْعَثُه بالرايةِ ، جبريلُ عن يمينِه ومِيكائيلُ عن شِمالِه ، لا يَنْصَرِفُ حتى يُفْتَحَ له . ورَواه زيدٌ العَمِّىُّ وشُعَيبُ بنُ خالدٍ ، عن أبى إسحاقَ به ، وقال : ما ترَكَ إلا سبعَمائةٍ كان أرْصَدها يَشْتَرى بها خادمًا[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا حجاجٌ ، ثنا شَريكٌ ، عن عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ[7] ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، أن عليًّا قال : لقد رَأَيْتُنى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وإنِّى لأَرْبِطُ الحَجَرَ على بَطْنى مِن الجوعِ ، وإنَّ صَدَقتى اليومَ لَتَبْلُغُ أربعين

---

(١) سقط من : ٧١. وفى الأصل ، ٦١ ، م ، ص : « تسعمائة » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢) فى م ، ص : « لحادثة » . وفى تاريخ الطبرى : « لخادمه » .
(٣) مسند أبى يعلى (٦٧٥٨) .
(٤) المسند ١/١٩٩ (إسناده صحيح) .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢٩، ٤٣٠ مخطوط ، من طريقى زيد وشعيب به .
(٦) المسند ١/١٥٩ (إسناده ضعيف) .
(٧) فى م ، ص : « كريب » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٥٣٧.

ألفًا. ورَواه عن أسْودَ، عن شَريكٍ به، وقال: إنَّ صَدَقتى لَتَبْلُغُ أرْبعين ألفَ دينارٍ[1].

[2]بابُ ذكرِ[2] شىءٍ مِن فَضائلِ أميرِ المؤمنين علىّ بنِ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنه

فمِن ذلك أنه أقْرَبُ العَشَرةِ المَشْهودِ لهم بالجنةِ نَسَبًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فهو علىُّ بنُ أبى طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ، واسمُه شَيْبةُ بنُ هاشمٍ، واسمُه عمرُو ابنُ عبدِ مَنافٍ، واسمُه المُغيرةُ بنُ قُصَىٍّ، واسمُه زيدُ بنُ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيْمةَ بنِ مُدْرِكةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ، أبو الحَسَنِ القُرَشىُّ الهاشمىُّ، ابنُ عَمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، [3]أبوه أخو أبيه[3]، وأمُّه فاطمةُ بنتُ أسدِ ابنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافٍ. قال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[4]: وهى أولُ هاشميةٍ ولَدَت هاشميًّا. وقد أسْلَمت وهاجَرت، وأبوه هو العَمُّ الشَّقيقُ الرَّفِيقُ أبو طالبٍ، واسمُه عبدُ مَنافٍ. كذا نَصَّ عليه الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ، هو وغيرُ واحدٍ مِن علماءِ النَّسَبِ وأيامِ الناسِ[5]، وزعَمَت الرَّوافضُ أن اسمَ أبى طالبٍ عِمرانُ، وأنه المرادُ مِن قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]. وقد أخْطَئوا فى ذلك خَطَأً كبيرًا، ولم يتَأَمَّلوا القُرآنَ

---

(١) المسند ١/١٥٩ (إسناده منقطع).

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) زيادة من: الأصل، ٦١.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨٠.

(٥) فضائل الصحابة للإمام أحمد (٩٢٩ - ٩٣١).

قبلَ أن يقولوا هذا البُهْتانَ مِن القولِ فى تفسيرِهم له على غيرِ مُرادِ اللَّهِ تعالى ، فإنه تعالى قد ذكَر بعدَها قولَه تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران : ٣٥] . [1] فذكر بعدها ميلادَ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرانَ ، عليها السلامُ [1] ، وهذا ظاهرٌ وللَّهِ الحمدُ [2] . وقد كان أبو طالبٍ كثيرَ المحبَّةِ [3] لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم يُؤْمِنْ به بل مات على الكفرِ ، كما ثبَت ذلك فى « صحيحِ البُخارىِّ » [4] مِن روايةِ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه ، فى عَرْضِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، على عمِّه أبى طالبٍ وهو فى السِّياقِ [5] أن يقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فقال له أبو جهلٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى أميةَ : يا أبا طالبٍ أتَرْغَبُ [6] عن مِلَّةِ عبدِ المطلبِ ؟ فقال : كان آخرُ ما قال : هو على مِلَّةِ عبدِ المطلبِ . وأَبَى أن يقولَ : [٦/٦٤ظ] لا إلهَ إلا اللَّهُ . فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ : « أما لأَسْتَغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنه [7] » . فنزَل فى ذلك قولُه تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة ١١٣: ١١٤] . ونزلتْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) انظر منهاج السنة ٣/ ٤٠٢، ٤/ ٣٥١، ٣٥٢، وفتح البارى ٧/ ١٩٣، ١٩٤.

(٣) بعده فى م ، ص : « الطبيعية » .

(٤) تقدم فى ٤/ ٣٠٨.

(٥) السياق : نزع الرُّوح . اللسان (س و ق) .

(٦) فى صحيح البخارى : « ترغب » . والمثبت موافق لإحدى روايات البخارى . انظر صحيح البخارى ٥/ ٦٦، طبعة الشعب .

(٧) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١. وفى م ، ص : « عنك » . والمثبت من صحيح البخارى .

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]. وقد تقدم هذا كلُّه[1] فى أولِ المبعثِ ونبَّهْنا على خَطأ الرافضةِ فى دَعْواهم أنه أسْلَم، وافْتِرائِهم ذلك بلا دليلٍ، وعلى مخالفتِهم النُّصوصَ الصحيحةَ الصَّريحةَ.

وأما عليٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، فإنه أسْلَم قديمًا، وهو دُونَ البُلوغِ على المَشْهورِ، ويقالُ: إنه أولُ مَن أسْلَم. [2]وقد رُوِىَ فى ذلك حديثٌ عنه ولا يَصحُّ[3]، والصحيحُ أنه أولُ مَن أسْلَم[2] مِن الغِلْمانِ. [4]كما أن خديجةَ أولُ مَن أسْلَم مِن النِّساءِ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ أولُ مَن أسْلَم مِن الرجالِ الأحْرارِ، وزيدُ بنُ حارثةَ أولُ مَن أسْلَم مِن المَوالى[4].

وقد روَى التِّرْمذىُّ وأبو يَعْلَى[5] مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ قال: بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنين، وصلَّى عليٌّ يومَ الثلاثاءِ. ورَواه بعضُهم، عن مُسْلمٍ المُلائىِّ، عن حَبَّةَ بنِ جُوَيْنٍ، عن عَلىٍّ[6]. وحديثُ حَبَّةَ لا يُساوِى حَبَّةً.

وقَد روَى سَلَمةُ بنُ كُهَيْلٍ[7]، عن حَبَّةَ، عن علىٍّ قال: عبَدْتُ اللَّهَ مع

---

(١) تقدم فى ٤/٣٠٦ - ٣٠٨. وانظر فتح البارى ٧/ ١٩٥.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) تقدم فى ٤/ ٦٦، ٦٧.

(٤ - ٤) زيادة من: م، ص.

(٥) الترمذى (٣٧٢٨)، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٢٤ مخطوط، من طريق أبى يعلى به.

(٦) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٤٤٦).

(٧) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٤٤٧)، والحاكم فى المستدرك ٣/ ١١٢، كلاهما من طريق سلمة بن كهيل به. قال الحافظ الذهبى فى تلخيص المستدرك: قلت: وهذا باطل؛ لأن النبى ﷺ مِن أول ما أوحى إليه آمن به خديجة وأبو بكر وبلال وزيد مع على قبله بساعات أو بعده بساعات، وعبدوا اللَّه مع نبيه فأين السبع سنين؟! ولعل السمع أخطأ، فيكون أمير المؤمنين قال: عبدت اللَّه ولى سبع سنين. ولم =

رسولِ اللَّهِ سبعَ سنين قبلَ أن يَعْبُدَه أحدٌ . وهذا لا يَصِحُّ أبدًا ، وهو كَذِبٌ .

وروَى سُفيانُ الثوريُّ وشعبةُ ، عن سَلَمةَ ، عن حَبَّةَ ، عن عليٍّ قال[1] : أنا أولُ مَن أسْلَم . وهذا لا يَصِحُّ أيضًا ، وحَبَّةُ ضعيفٌ .

وقال سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ[2] : ثنا نُوحُ بنُ قيسٍ ، ثنا[3] سليمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن مُعاذةَ العَدَويةِ قالت : سمِعْتُ عليَّ بنَ أبى طالبٍ على مِنْبرِ البَصْرةِ يقولُ : أنا الصِّدِّيقُ الأكْبرُ ، آمَنْتُ قبلَ أن يُؤْمِنَ أبو بكرٍ ، وأسْلَمْتُ قبلَ أن يُسْلِمَ . وهذا لا يَصِحُّ . قاله البُخاريُّ[4] .

وقد ثبَت عنه بالتَّواتُرِ أنه قال على مِنْبرِ الكوفةِ[5] : أيُّها الناسُ ، إن خيرَ هذه الأُمَّةِ بعدَ نبيِّها أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ولو شئتُ أن أُسَمِّيَ الثالثَ لسَمَّيْتُ[6] .

قال الإمامُ أحمدُ[7] : [8]حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن أبى بَلْجٍ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ[8] ، عن ابنِ عباسٍ قال : أولُ مَن صلَّى - وفى روايةٍ : مَن أسلم - مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ خَديجةَ عليُّ بنُ أبى طالبٍ . ورَواه الترمذيُّ مِن

= يضبط الراوى ما سمع ، ثم حبة شيعى جَبِل قد قال ما يعلم بطلانه من أن عليا شهد معه صفين ثمانون بدريا ، وذكره أبو إسحاق الجوزجانى فقال : هو غير ثقة . وقال الدارقطنى وغيره : ضعيف .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٢٤ مخطوط ، من طريق سفيان الثورى وشعبة كلاهما عن سلمة به .

(٢) المصدر السابق ١٢/ ١٢٥، من طريق سويد بن سعيد به .

(٣) فى م ، ص : « بن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٨.

(٤) انظر التاريخ الكبير ٤/ ٢٣.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٢/١٩١ مخطوط ، ومعجم الطبرانى الكبير ١/ ٦٤، ٦٥ (١٧٧، ١٧٨) .

(٦) بعده فى م ، ص : « وقد تقدم ذلك فى فضائل الشيخين رضى اللّه عنهما وأرضاهما » .

(٧) المسند ١/ ٣٧٣. (إسناده صحيح) .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١.

حديثِ شُعْبةَ ، عن أبى بَلْجٍ به[1] .

وقد رُوِىَ عن زيدِ بنِ أرْقَمَ وأبى أيوبَ الأنصارىِّ[2] أنه صلَّى قبلَ الناسِ بسبعِ سنينَ . وهذا لا يَصِحُّ مِن أىِّ وجهٍ كان . وقد رُوِىَ فى أنه أولُ مَن أسْلَم مِن هذه الأُمَّةِ أحاديثُ كثيرةٌ ، لا يَصِحُّ منها شىءٌ ، وأجْوَدُ ما فى ذلك ما ذكَرْناه ، على أنه قد خُولِف فيه ، وقد اعْتَنَى الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عَساكرَ فى « تاريخِه »[3] بتَطْريقِ هذه الرواياتِ ، فمَن أراد [٦/٦٥و] كَشْفَ ذلك ، فعليه به ، واللَّهُ الموفِّقُ للصوابِ .

وقد روَى التِّرْمذىُّ والنَّسائىُّ ، [4]من حديثِ شعبةَ[4] ، عن عمرِو بن مُرَّةَ ، عن طَلْحةَ [5]بنِ يزيدَ[5] ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ قال : أولُ مَن أسْلَم علىٌّ . قال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وصَحِب علىٌّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُدَّةَ مُقامِه بمكةَ ، وكان عندَه فى منزِلِه وفى كَفالتِه فى حياةِ أبيه أبى طالبٍ إلى أن هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فتخلَّف علىٌّ بعده ليُؤَدِّىَ ما كان عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن وَدائعِ الناسِ ، فإنه كان يُعْرَفُ فى قومِه بالأمينِ ، فكانوا يُودِعُونه [6]الأموالَ و[6] الأشْياءَ النَّفِيسةَ ، ثم هاجَر علىٌّ بعدَ رسولِ

---

(١) الترمذى (٣٧٣٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٣٦) .

(٢) رواية زيد تقدمت فى ٤/٦٦ دون ذكر السبع سنين ، ورواية أبى أيوب وزيد أيضا أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٢٨ ، ١٢٩ مخطوط .

(٣) تاريخ دمشق ١٢/١٢٢ مخطوط .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . والحديث تقدم فى ٤/٦٦ ، من رواية الترمذى ، وأخرجه النسائى فى الكبرى (٨١٣٧) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٦١ . وفى ٧١ ، م ، ص : « ابن زيد » . وهو خطأ . والمثبت من سنن الترمذى . وانظر تهذيب الكمال ١٣/٤٤٦ .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

اللَّهِ ﷺ ، وصَحِب رسولَ اللَّهِ ﷺ إلى أن تُوُفِّىَ [1] وهو راضٍ عنه ، وحضَر معه مَشاهِدَه كلَّها [1] ، وجرَت له مَواقِفُ شَريفةٌ بينَ يديْه فى مَواطِنِ الحَرْبِ ، [2] كما بيَّنّا ذلك فى السِّيرةِ بما أغْنَى عن إعادتِه هاهنا ، كيومِ بدرٍ وأُحُدٍ والأحْزابِ وخَيْبرَ وغيرِها [2] ، ولما اسْتَخْلفه عامَ تَبوكَ على أهلِه بالمدينةِ قال : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمَنْزِلةِ هارونَ مِن موسى ، غيرَ أنه لا نبىَّ بعدى » [3] . وقد ذكَرْنا تَزْويجَه فاطمةَ [4] بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ودُخولَه بها بعدَ وَقْعةِ بدرٍ بما أغْنى عن إعادتِه ، ولما رجَع عليه الصلاةُ والسلامُ مِن حَجَّةِ الوَداعِ ، فكان بينَ مكةَ والمدينةِ بمكانٍ يقالُ له : غَديرُ خُمٍّ . خطَب الناسَ هنالك فى اليومِ الثامنَ [5] عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ فقال فى خُطْبتِه [6] : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مَوْلاه » . وفى بعضِ الرواياتِ : « اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانْصُرْ مَن نصَره ، واخْذُلْ مَن خَذَله » . والمحفوظُ الأولُ .

وإنما كان سببَ هذه الخُطْبةِ [7] والتَّنْبيهِ على فضلِ علىٍّ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ مِن أن عليًّا لما بَعثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ أميرًا هو وخالدَ بنَ الوليدِ ، ورجَع علىٌّ ، فوافَى [8] رسولَ اللَّهِ ﷺ بمكةَ فى [8] حَجَّةِ الوَداعِ وقد كَثُرت فيه المَقالةُ ، وتكَلَّم فيه بعضُ مَن كان معه بسببِ اسْتِرْجاعِه منهم خُلَعًا كان خَلَعها نائبُه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٧١ ، ٦١ . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٩٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٦/ ٤١ - ٤٥ .

(٣) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٥٥ .

(٤) تقدم فى ٥/ ٣٠٥ .

(٥) فى م ، ص : « الثانى » .

(٦) تقدم فى ٧/ ٦٧٠ - ٦٨٠ .

(٧) انظر ما تقدم فى الموضع السابق و ٧/ ٣٩٠ - ٣٩٧ .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ٧١ ، ٦١ .

عليهم لما تَعَجَّل السَّيْرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حَجَّةِ الوَداعِ أحَبَّ أن يُبَرِّئَ ساحةَ عليٍّ مما نُسِب إليه مِن القولِ فيه[1] ، وقد اتَّخَذت الرَّوافضُ هذا اليومَ عيدًا ، فكانت تَضْرِبُ فيه الطُّبولَ ببغدادَ فى أيامِ بنى بُوَيْهِ فى حدودِ الأربعِمائةِ ، [2]كما سنُنَبِّهُ عليه إذا انْتَهَيْنا إليه إن شاء اللَّهُ[2] ، ثم بعدَ ذلك بنحوٍ مِن عشرين يومًا تُعَلِّقُ المُسُوحَ السُّودَ[3] على أبوابِ الدَّكاكينِ وتُذِرُّ التِّبْنَ والرَّمادَ [4]فى الطرقِ والأسواقِ[4] ، وتدورُ[5] النِّساءُ فى سِكَكِ البلدِ يَنُحْن على الحسينِ بنِ عليٍّ يومَ عاشُوراءَ صَبيحةَ قراءتِهم المَصْرَعَ المَكْذوبَ فى قتلِ الحسينِ ، وسنُبَيِّنُ ذلك كلَّه إذا انتهينا [٦/٦٥ظ] إليه وكيف وقَع الأمْرُ على الجَلِيَّةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى . وقد كان بعضُ بنى أميةَ يَعيبُ على عليٍّ فى تَسْمِيتِه أبا تُرابٍ ، وهو اسمٌ سَمَّاه به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[6] عن سهلِ بنِ سعدٍ ، أن عليًّا غاضَب فاطمةَ ، فراح إلى المسجدِ ، فجاءه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فوجَده نائمًا وقد لصِق التُّرابُ بجِلْدِه ، فجعَل يَنْفُضُ عنه التُّرابَ ويقولُ : « اجْلِسْ أبا تُرابٍ ، [7]اجْلِسْ أبا تُرابٍ[7] » .

---

(١) بعده فى م ، ص : « الذى لا أصل له » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٧١ ، ٦١ .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) بعده فى م ، ص : « الذرارى و » .

(٦) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ : « الصحيح » . والحديث تقدم تخريجه فى ٥/ ٣٢ ، من رواية البخارى ، وهو فى مسلم (٢٤٠٩/٣٨) . وفيهما بلفظ : « قم » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

حديثُ المُؤاخاةِ

قال الحاكمُ[1] : حدَّثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ [2]عبدِ اللَّهِ الجُنَيْدُ ، ثنا[2] الحُسينُ بنُ جعفرٍ القُرَشيُّ ، ثنا العَلاءُ بنُ عمرٍو الحَنَفيُّ ، ثنا أيوبُ بنُ مُدْرِكٍ ، عن مَكْحولٍ ، عن أبى أُمامةَ قال : لمّا آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ الناسِ آخَى بينَه وبينَ عليٍّ . ثم قال الحاكمُ : لم نَكْتُبْه مِن حديثِ مَكْحولٍ إلا مِن هذا الوَجْهِ ، وكان المَشايخُ يُعْجِبُهم هذا الحديثُ ؛ لكَوْنِه مِن روايةِ أهلِ الشامِ .

قلتُ : وفى صحةِ هذا الحديثِ نَظَرٌ ، وورَد مِن حديثِ أنسٍ [3]وابنِ عمرَ[3] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعليٍّ[4] : « أنت أخى فى الدنيا والآخرةِ » . وكذلك مِن طريقِ زيدِ بنِ أبى أَوْفَى ، وابنِ عباسٍ ، ومَحْدوجِ بنِ زيدٍ الذُّهْليِّ ، وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وعامرِ بنِ رَبيعةَ ، وأبى ذَرٍّ ، وعليٍّ نفسِه ، نحوُ ذلك[5] ، وأسانيدُها كلُّها ضَعيفةٌ لا يقومُ بشىءٍ منها حُجَّةٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد جاء مِن غيرِ وَجْهٍ أنه قال[6] : أنا عبدُ اللَّهِ وأخو رسولِه ، لا يقولُها بعدى إلا كَذَّابٌ .

وقال الترمذيُّ[7] : ثنا يوسفُ بنُ موسى القَطَّانُ البَغْداديُّ ، ثنا عليُّ بنُ قادمٍ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٣٥ مخطوط ، من طريق الحاكم به .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى النسخ : « وعمر » . والمثبت من مصدرى التخريج ؛ فقد أخرج الحاكم فى المستدرك ٣/ ١٤، حديث ابن عمر ، وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٣٥ مخطوط ، حديث أنس وابن عمر .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٢/١٣٦ - ١٣٩ مخطوط .

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (٩٩٣) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٩، ١٤٠ مخطوط ، من وجوه متعددة .

(٧) الترمذى (٣٧٢٠) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٢) .

ثنا عليُّ بنُ صالحِ [(١) بنِ حَيٍّ (١)] ، عن حَكيمِ بنِ جُبَيْرٍ [(٢)] ، عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيْرٍ التَّيْمىِّ ، عن ابنِ عمرَ قال : آخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أصْحابِه ، فجاء علىٌّ تَدْمَعُ عَيْناه ، فقال : يارسولَ اللَّهِ ، آخَيْتَ بينَ أصْحابِك ولم تُؤاخِ بينى وبينَ أحدٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنت أخى فى الدنيا والآخرةِ » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ ، وفيه [(٣)] عن زيدِ بنِ أبى أَوْفَى .

وقد شهِد علىٌّ [(٤)] بدرًا ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ : « وما يُدْرِيك لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع على أهلِ بدرٍ فقال : اعْمَلوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لكم » [(٥)] . وبارَز يومَئذٍ كما تقدم [(٦)] . وكانت له اليدُ البَيْضاءُ ، ودفَع إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ الرايةَ يومَئذٍ وهو ابنُ عشرين سنةً . قاله الحكَمُ [(٧)] ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال [(٨)] : وكانت تكونُ معه رايةُ المهاجرين فى المَواقِفِ كلِّها . وكذلك قال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ وقَتادةُ [(٩)] .

وقال خَيْثَمةُ بنُ سُلَيمانَ الأَطْرابُلُسىُّ الحافظُ [(١٠)] : حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ [(١١)]

(١ - ١) سقط من : ص . وفى م : « بن حيى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦٤.

(٢) فى الأصل ، ٦١ : « حسين » . وانظر تهذيب الكمال الموضع السابق .

(٣) أى وفى الباب . وقد تقدم تخريج حديث زيد بن أبى أوفى قريبا .

(٤) زيادة من : الأصل ، ٦١.

(٥) تقدم تخريجه فى ٥/ ٢٥٨.

(٦) تقدم فى ٥/ ٩٥، ٩٦.

(٧) فى الأصل : « الحاكم » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٨٣.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٤٦ مخطوط .

(٩) المصدر السابق ١٢/ ١٤٧، وانظر مختصره ١٧/ ٣٢٠.

(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٤٨ مخطوط ، من طريق خيثمة بن سليمان به .

(١١) بعده فى م ، ص : « عن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣٩.

ابنِ أبى غَرَزَةَ[1] ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ ، ثنا ناصحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الـمُحَلِّمىُّ[2] ، عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : قالوا : يارسولَ اللَّهِ ، مَن يَحْمِلُ رايتَك يومَ القِيامةِ ؟ قال : « ومَن عَسَى أن يَحْمِلَها يومَ القيامةِ إلا مَن كان يَحْمِلُها فى الدنيا ؛ [٦/٦٦و] علىُّ بنُ أبى طالبٍ » . وهذا إسنادٌ ضَعيفٌ . ورَواه ابنُ عَساكرَ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، ولا يَصِحُّ أيضًا[3] .

وقال الحسنُ بنُ عَرَفة[4] : حدَّثنى عَمَّارُ بنُ محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ محمدٍ الحَنْظلىِّ ، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ قال : نادَى مُنادٍ فى السماءِ يومَ بدرٍ :لاسيفَ إلا ذو الفَقارِ ، ولا فَتَى إلا علىٌّ . قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ : وهذا مُرْسَلٌ ، وإنما تَنَفَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ سيفَه ذا الفَقارِ يومَ بدرٍ ، ثم وهَبه لعلىٍّ بعدَ ذلك .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[5] : حدَّثنى علىُّ بنُ المُغيرةِ ، عن مَعْمرِ بنِ الـمُثَنَّى قال : كان لواءُ المشركين يومَ بدرٍ مع طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ ، فقتَله علىُّ بنُ أبى طالبٍ . ففى ذلك يقولُ الحَجَّاجُ بنُ عِلاطٍ السلمىُّ .

لِلَّهِ أىُّ مُذَبِّبٍ[6] عن حُرْمَةٍ[7] أعْنى ابنَ فاطمةَ المُعَمَّ الـمُخْوَلا[8]

---

(١) فى الأصل ، ص : « عروة » ، وفى ا ٦ : « عزره » . وانظر المصدر السابق .
(٢) فى ا ٦ : « المحملى » ، وفى ص : « المحكمى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٦١ .
(٣) تاريخ دمشق ١٢/١٤٨ مخطوط .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٤٦ مخطوط ، من طريق الحسن بن عرفة به .
(٥) المصدر السابق ١٢/ ١٤٨ ، من طريق الزبير بن بكار به .
(٦) فى م : « مدنب » .
(٧) فى الأصل ، ا ٦ ، م : « حربه » .
(٨) المعم المخولا : الكريم الأعمام والأخوال . اللسان (ع م م) ، (خ و ل) .

جادتْ[1] يداكَ لهُ بعاجلِ طَعْنةٍ ... ترَكَتْ طُلَيْحةَ للجَبِينِ مُجَدَّلَا[2]

وشَدَدْتَ شدةَ باسلٍ فكشَفْتَهم ... بالحقِّ إذ يهْوُونَ أخولَ أخْوَلا

وعلَلْت سيفَك بالدماءِ ولم تكنْ ... لِتَرُدَّه حَرّانَ حتى يَنْهَلا

وشَهِد بيعةَ الرِّضْوانِ، وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآيات [الفتح: ١٨]. وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لن يَدْخُلَ أحدٌ بايَع تحتَ الشجرةِ النارَ»[3].

وقد ثبَت فى الصِّحاحِ وغيرِها[4] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ خَيْبرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، ليس بفَرَّارٍ، يَفْتَحُ اللَّهُ على يديه». فبات الناسُ يَدُوكون أيُّهم يُعْطاها، حتى قال عمرُ: ما أحْبَبْتُ الإمارةَ إلا يومَئذٍ. فلما أصْبَح أعْطاها عليًّا، ففتَح اللَّهُ على يديه. ورَواه جماعةٌ، منهم؛ مالكٌ، [5]ويحيى بنُ سعيدٍ[5]، ويَعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ، وجَريرُ بنُ عبدِ الحميدِ، وحَمَّادُ بنُ سَلَمةَ، وعبدُ العزيزِ بنُ[6] المُختارِ، وخالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، عن[7] سُهَيْلٍ[8]، عن أبيه، عن أبى هُرَيْرةَ. وأخْرَجه مسلمٌ[9]. ورَواه ابنُ أبى حازمٍ، عن سهلِ بنِ

---

(١) فى سيرة ابن هشام ٢/ ١٥١: «سبقت».

(٢) فى م: «مجندلا». والمجدَّل: الملقى بالجدالة، وهى الأرض. اللسان (ج د ل).

(٣) تقدم بنحوه فى ٦/ ٢٢٣.

(٤) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٦٠ - ٢٦٦.

(٥ - ٥) فى م، ص: «والحسن».

(٦) سقط من: الأصل. وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٩٥.

(٧) فى الأصل، م، ص: «بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦١.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٥١، ١٥٣ مخطوط، من طريق مالك ويحيى ويعقوب وجرير وحماد وعبد العزيز وخالد كلهم عن سهيل بن أبى صالح به. كما تقدم تخريج رواية يعقوب وجرير كلاهما عن سهيل فى ٦/ ٢٦٢.

(٩) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٦٢.

سعدٍ . أخْرجاه فى « الصحيحَيْن »[1] ، وقال فى حديثِه : فدَعا به رسولُ اللَّهِ وهو أرْمَدُ ، فبصَق فى عَيْنَيْه فبرَأ . ورَواه إياسُ بنُ سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ عن أبيه ، ويَزيدُ بنُ أبى عُبَيدٍ عن مَولاه سَلَمةَ أيضًا ، وحديثُه عنه فى « الصحيحَيْن »[2] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى بُرَيْدةُ بنُ[4] سفيانَ بنِ[4] فَرْوةَ[5] الأسْلمىُّ ، عن أبيه ، عن سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأكْوعِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى بكرٍ الصِّديقِ برايتِه إلى بعضِ حُصونِ خَيْبرَ ، فقاتَل ثم رجَع ولم يَكُنْ فَتْحٌ وقد جهَد ، ثم بعَث الغدَ[6] عمرَ بنَ الخطابِ فقاتَل ثم رجَع ولم يَكُنْ فَتْحٌ [7]وقد جهَد[7] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه [8]ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه[8] ، يَفْتَحُ اللَّهُ على يديه ، ليس بفَرَّارٍ » . [9]قال سَلَمةُ[9] : فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليًّا وهو أرْمَدُ ، فتفَل فى عينيه ، ثم قال : « خُذْ هذه الرايةَ فامْضِ بها حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليك » . قال سَلَمةُ : فخرَج واللَّهِ يُهَرْوِلُ بها هَرْوَلةً ، [٦/٦٦ظ] وإنا لخَلْفَه نَتَّبِعُ أثَرَه حتى ركَز رايتَه فى رَجَمٍ[10] مِن حجارةٍ تحتَ الحصنِ ، فاطَّلع إليه يَهودىٌّ مِن رأسِ الحِصنِ ، فقال : مَن أنت ؟ قال : علىُّ بنُ

---

(١) البخارى (٢٩٤٢، ٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٦) ، وانظر ما تقدم فى ٦/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٦١، ٢٦٧.

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٥.

(٥) فى النسخ : « أبى فروة » . والمثبت مما تقدم .

(٦) زيادة من : ٦١.

(٧ - ٧) زيادة من : م . وانظر سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣٤، وتاريخ الطبرى ٣/ ١٢.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٩ - ٩) سقط من : الأصل .

(١٠) وقع فيما تقدم : « رضم » .

أبى طالبٍ . قال اليهودىُّ : عَلَيْتُم[1] ومَن أنْزَل التَّوْراةَ على موسى . قال : فما رجَع حتى فتَح اللَّهُ على يديه . وقد رَواه عِكْرمةُ بنُ عَمَّارٍ[2] ، عن عطاءٍ مولى السائبِ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ ، وفيه أنه هو الذى جاء به يَقودُه وهو أرْمَدُ ، حتى بصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينيه فبرَأ .

روايةُ بُرَيْدةَ بنِ الحُصَيْبِ : [3]قال الإمامُ أحمدُ[4] : [5]حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبابِ[5] ، ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدةَ ، [6]حدَّثنى بُرَيْدةُ[6] بنُ الحُصَيْبِ[3] قال : حاصَرْنا خيبرَ ، فأخَذ اللواءَ أبو بكرٍ ، فانْصَرف ولم يُفْتَحْ له ، ثم أخَذه مِن الغَدِ عمرُ[7] ، فخرَج فرجَع ولم يُفْتَحْ له ، وأصاب الناسَ يومَئذٍ شِدَّةٌ وجَهْدٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى دافعٌ اللِّواءَ غدًا إلى رجلٍ يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ويُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، لا يَرْجِعُ حتى يُفْتَحَ له » قال : وبِتْنا طَيِّبةً أنفسُنا أن الفَتْحَ غدًا . قال[8] : فلما أصْبَح رسولُ اللَّهِ ﷺ صلَّى الغَداةَ ، ثم قام قائمًا ، فدَعا باللواءِ والناسُ على مَصافِّهم ، فدَعا عليًّا وهو أرْمَدُ ، فتفَل فى عيْنَيْه ، ودفَع إليه اللواءَ ، ففُتِح له . قال بُرَيْدةُ : وأنا فيمَن تَطاوَل لها[9] . ورَواه النسائىُّ[10] من حديثِ الحسينِ بنِ واقدٍ به أطولَ منه ، ثم رَواه أحمدُ[11] عن محمدِ بنِ جعفرٍ

---

(١) فى ٦١، م : « غلبتم » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٧ مخطوط ، من طريق عكرمة بن عمار به .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) المسند ٥/٣٥٣.
(٥ - ٥) سقط من: ٦١، ص .
(٦ - ٦) سقط من : ٧١، ٦١.
(٧) سقط من مطبوعة المسند .
(٨) زيادة من النسخ ليست فى المسند .
(٩) سقط من : الأصل ، ٦١، ٧١.
(١٠) النسائى فى الكبرى (٨٤٠٢) .
(١١) المسند ٥/٣٥٨.

ورَوْحٍ ، كلاهما عن عَوْفٍ ، عن مَيْمونٍ أبى عبدِ اللَّهِ الكُرْدىِّ ، عن [1]عبدِ اللَّهِ[1] ابنِ بُرَيْدةَ ، عن أبيه به نحوَه ، وأخْرَجه النَّسائىُّ عن بُنْدارٍ عن[2] غُنْدَرٍ به[3] ، وفيه الشِّعرُ .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ : ورَواه هُشَيْمٌ[4] عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن حَبِيبِ ابنِ أبى ثابتٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَر سِياقَ حديثِ بُرَيْدَةَ . ورَواه كثيرٌ النَّوَّاءُ[5] عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيْرٍ[6] ، عن ابنِ عمرَ نحوَه ، وفيه قال علىٌّ : فما رَمَدَتْ بعدَ يومِئذٍ . ورَواه أحمدُ[7] عن وَكيعٍ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ[8] ، عن عمرَ بنِ أَسِيدٍ ، عن ابنِ عمرَ كما سيأتى .

روايةُ ابنِ عباسٍ : قال أبو يَعْلَى[9] : حدَّثنا يحيى بنُ عبدِ الحميدِ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن أبى بَلْجٍ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه » . فقال : « أين علىٌّ ؟ » قالوا : يَطْحَنُ . قال : وما أحَدٌ منهم يَرْضَى أن يَطْحَنَ ، فأُتِىَ به ، فدفَع إليه الرايةَ ، فجاء بِصَفِيَّةَ بنتِ حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ . وهذا غريبٌ مِن هذا

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .

(٢) فى م ، ص : « و » . وهو خطأ .

(٣) النسائى فى الكبرى (٨٤٠٣، ٨٦٠٠) .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٩ مخطوط ، من طريق هشيم به .

(٥) المصدر السابق ١٢/ ١٥٩، ١٦٠، من طريق كثير به .

(٦) فى الأصل ، ٧١، ٦١: « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٢٥، ٢٤/ ١٠٣.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٤ مخطوط ، من طريق الإمام أحمد به .

(٨) فى م ، ص : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٠٤.

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٠ مخطوط ، من طريق أبى يعلى به .

الوجهِ ، وهو مُخْتصَرٌ مِن حديثٍ طويلٍ[1] . ورَواه الإمامُ أحمدُ ، عن يحيى بنِ حَمادٍ ، عن أبى عَوانةَ ، عن أبى بَلْجٍ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، فذكَره بتَمامِه ، فقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا[3] يحيى بنُ حَمَّادٍ ، ثنا أبو عَوانةَ ، ثنا أبو بَلْجٍ ، ثنا عمرُو بنُ مَيْمونٍ قال : إنى لجَالسٌ إلى ابنِ عباسٍ [٦/٦٧و] إذ أتاه تِسْعةُ رَهْطٍ ، فقالوا : يا بنَ عباسٍ ، إمَّا أن تقومَ معنا وإما أن يُخلونا هؤلاء . فقال : بل أقومُ معكم . قال : وهو يومَئذٍ صحيحٌ قبلَ أن يَعْمَى ،قال : وابْتَدءوا فتحَدَّثوا فلا نَدْرِى ما قالوا . قال : فجاء يَنْفُضُ ثوبَه ويقولُ : أُفْ وتُفْ ، [4]وقَعوا فى رجلٍ له عَشْرٌ[4] ، وقَعوا فى رجلٍ قال له النبىُّ ﷺ : « لأَبْعَثَنَّ رجلًا لا يُخْزِيه اللَّهُ أبدًا ، يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه » . قال : فاسْتَشْرف لها مَن اسْتَشْرَف ، قال : « أين علىٌّ ؟ » قالوا : هو فى الرَّحَا يَطْحَنُ . قال : وما كان أحدُكم[5] لِيَطْحَنَ قال : فجاء وهو أرْمَدُ لا يكادُ أنْ يُبْصِرَ ، فنفَث[6] فى عينيه ، ثم هَزَّ الرايةَ ثلاثًا ، [7]فأعْطاه إياها[7] ، فجاء بصفيةَ بنتِ حُيَىٍّ بنِ أخْطَبَ . قال : ثم بعَث فلانًا بسُورةِ « التَّوْبةِ » ، فبعَث عليًّا خلفَه ، فأخَذها منه[8] ، قال : « لا يَذْهَبُ بها إلا رجلٌ منى وأنا منه » . قال :

---

(١) أخرجه أيضا ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٠ مخطوط ، من رواية أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس مطولًا .

(٢) المسند ١/ ٣٣٠، ٣٣١. (إسناده صحيح) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٢، ١٦٣ مخطوط ، من طريق الإمام أحمد به .

(٣) فى م ، ص : « عن » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١. وعشر : أى عشر مناقب .

(٥) فى الأصل ، ٦١: « أحدهم » .

(٦) النفث : يكون بالفم ، وهو شبيه بالنفخ ، وهو أقل من التفل ؛ لأن التفل لا يكون إلا ومعه شىء من الريق . انظر النهاية ٥/ ٨٨.

(٧ - ٧) فى م ، ص ، وتاريخ ابن عساكر : « فأعطاها إياه » .

(٨) فى م ، ص : « ثم » .

وقال النبيُّ ﷺ لبنى عمِّه : « أيُّكم يُوالِينى فى الدنيا والآخرةِ ؟ » فأبَوا . [1] قال : وعليٌّ معه جالسٌ [1] ، فقال عليٌّ : أنا أُوالِيك فى الدنيا والآخرةِ . قال : [2] « أنتَ وليِّى فى الدنيا والآخرةِ » . قال [2] : فترَكه ، ثم أقْبَل على رجلٍ منهم ، فقال : « أيُّكُم يُوالِينى فى الدنيا والآخرةِ ؟ » فأبَوا ، فقال عليٌّ : أنا أُواليك فى الدنيا والآخرةِ . فقال : « أنت وَلِيِّى فى الدنيا والآخرةِ » . قال : وكان أولَ مَن أسْلَم مِن الناسِ بعدَ خديجةَ . قال : وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثوبَه ، فوضَعه على عليٍّ وفاطمةَ وحسنٍ وحسينٍ ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . قال : وشرَى عليٌّ نفسَه ؛ لَبِس ثوبَ النبيِّ ﷺ ، ثم نام مكانَه . قال : وكان المشركون يَرُومُون رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فجاء أبو بكرٍ وعليٌّ نائمٌ ، وأبو بكرٍ يَحْسَبُ أنه نبيُّ اللَّهِ ، فقال : يا نبيَّ اللَّهِ . فقال له عليٌّ : إن نبيَّ اللَّهِ قد انطلق نحو بئرِ مَيْمونٍ [3] فأدْرِكْه . قال : فانْطَلَق أبو بكرٍ ، فدخَل معه الغارَ . قال : وجعَل عليٌّ يُرْمَى بالحِجارةِ كما كان يُرْمَى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يَتَضَوَّرُ [4] ، قد لَفَّ رأسَه فى الثوبِ ، لا يُخْرِجُه حتى أصْبَح ، ثم كشَف عن رأسِه ، فقالوا : إنك لَئيمٌ ، كان صاحبُك نَرْميه فلا يَتَضَوَّرُ ، وأنت تَتَضَوَّرُ ، وقد اسْتَنْكَرْنا ذلك . قال : وخرَج ، يعنى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، بالناسِ [5] فى غزوةِ تَبوكَ ، فقال له عليٌّ : أَخْرُجُ معك ؟ فقال له النبيُّ ﷺ : « لا » . فبَكَى عليٌّ ، فقال : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا أنك لسْتَ بنبيٍّ ، إنه لا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٧١ ، ٦١ .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ميمونة » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٧١٩ .

(٤) فى الأصل ، وتاريخ دمشق : « يتصور » ، وفى م ، ص : « يتضرر » . ويتضور : يتلوى ويضج ويتقلب ظهرًا لبطن . وقيل : يتضور : يُظهر الضور بمعنى الضر . انظر النهاية ٣/ ١٠٥ .

(٥) سقط من : م ، ص .

يَنْبَغى أن أَذْهَبَ إلا وأنت خَلِيفتى » . قال : وقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنت وَلِيِّى فى كلِّ مؤمنٍ بعدى » . قال : وسَدَّ أبوابَ المسجدِ غيرَ بابِ علىٍّ . قال : فيَدْخُلُ المسجدَ جُنُبًا ، وهو طريقُه [٦/٦٧ظ] ليس له طريقٌ غيرُه . قال : وقال : « مَن كنتُ مَوْلاه فإنَّ مَوْلاه علىٌّ » . قال : وأخْبَرَنا اللَّهُ فى القرآنِ أنه قد رضِىَ عن أصحابِ الشجرةِ ، فعلِم ما فى قلوبِهم ، فهل حدَّثَنا أنه سَخِط عليهم بعدُ ؟! قال : وقال نبىُّ اللَّهِ ﷺ لعمرَ حينَ قال : ائْذَنْ لى لِأَضْرِبَ عُنُقَه[1] . يعنى حاطبَ بنَ أبى بَلْتَعةَ ، قال : « [2]وكنتَ فاعِلًا[2] ؟ ! وما يُدْرِيك لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع على أهلِ بدرٍ ، فقال : اعْمَلوا ما شئتُم فقد غَفَرْتُ لكم » . وقد روَى الترمذىُّ بعضَه مِن طريقِ شُعْبةَ ، عن أبى بَلْجٍ يحيى بنِ أبى سُلَيْمٍ واسْتَغْرَبه[3] ، وأخْرَج النَّسائىُّ بعضَه أيضًا عن محمدِ بنِ الـمُثَنَّى ، عن يحيى بنِ حَمَّادٍ به[4] .

[5]**روايةُ عِمْرانَ**[5] : قال البخارىُّ فى « التاريخِ »[6] : ثنا عمرُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ الرِّياحىُّ[7] ، ثنا مُعْتَمِرُ[8] بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، عن مَنْصورٍ ، عن[9] رِبْعىٍّ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَأَدْفَعَنَّ الرايةَ إلى رجلٍ يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه » . فبعَث إلى علىٍّ وهو أرْمَدُ ، فتفَل

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عنق هذا المنافق » .
(٢ - ٢) سقط من : م . وفى ص : « وكنت » .
(٣) الترمذى (٣٧٢٢) .
(٤) النسائى فى الكبرى (٨٤٢٧، ٨٤٢٨) .
(٥ - ٥) سقط من : ٦١ ، م ، ص .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٣ مخطوط ، من طريق البخارى به .
(٧) فى م ، ص : « الرماحى » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٥١.
(٨) فى م ، ص : « معمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٥١.
(٩) فى الأصل : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٥، ٥٦.

فى عينَيْه وأعْطاه الرايةَ ، فما رَدَّ وجهَه [1] حتى فتَح اللَّهُ عليه [1] ، وما اشْتَكاهما [2] بعدُ . ورَواه أبو القاسمِ البَغَوىُّ [3] ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ [4] أبى موسى الهَرَوىِّ ، عن علىِّ بنِ هاشمٍ ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، عن منصورٍ ، عن رِبْعىٍّ ، عن عِمْرانَ ، فذكَره ، وأخْرَجه النَّسائىُّ عن عباسٍ العَنْبَرىِّ ، عن عمرَ بنِ عبدِ الوَهَّابِ به [5] .

روايةُ أبى سَعيدٍ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ [6] : حدَّثنا مُصْعَبُ بنُ المِقْدامِ وحُجَيْنُ بنُ المُثَنَّى ، قالا : ثنا إسرائيلُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ قال : سمِعْتُ أبا سَعيدٍ الخُدْرىَّ يقولُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ الرايةَ فهَزَّها ثم قال : « مَن يَأْخُذُها بحقِّها ؟ » فجاء فلانٌ فقال : أنا . فقال : « أمِطْ » [7] . ثم جاء رجلٌ آخرُ ، فقال : أنا . فقال : « أمِطْ » . ثم قال النبىُّ ﷺ : « والذى أكْرَم وَجْهَ محمدٍ لأُعْطِيَنَّها رجلًا لا يَفِرُّ » . [8] فجاء علىٌّ [8] ، فانْطَلق حتى فتَح اللَّهُ عليه خَيْبرَ وفَدَكَ ، وجاء بعَجْوَتِهما وقَديدِهما .

ورَواه أبو يَعْلى [9] عن حسينِ بنِ محمدٍ ، عن إسرائيلَ ، وقال فى سِياقِه :

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) فى ص ، وتاريخ دمشق : « اشتكاها » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٤ مخطوط ، من طريق أبى القاسم به .

(٤) بعده فى م : « عن » .

(٥) سقط من : م ، ص . والطريق عند النسائى فى الكبرى (٨١٥٠، ٨٤٠٧) .

(٦) المسند ٣/ ١٦. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ١٥١: « رواه أحمد ورجاله ثقات » .

(٧) فى الأصل ، ٦١، م ، وما سيأتى : « امض » . وقال فى بلوغ الأمانى ٢٣/ ١٣٠: أمط : أى تنح واذهب .

(٨ - ٨) فى المسند : « ها يا على » .

(٩) مسند أبى يعلى (١٣٤٦) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ١٢٤: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عصمة وهو ثقة يخطئ .

فجاء الزبيرُ فقال : أنا . فقال : « أمِطْ » . ثم جاء آخرُ فقال : « أمِطْ » . وذكَره ، تفرَّد به أحمدُ .

روايةُ عليِّ بنِ أبى طالبٍ فى ذلك : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن ابنِ أبى لَيْلى ، عن المِنهالِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى قال : كان أبى يَسْمُرُ مع عليٍّ ، وكان عليٌّ يَلْبَسُ ثيابَ الصيفِ فى الشتاءِ وثيابَ الشتاءِ فى الصيفِ ، فقيل له : لو سَأَلْتَه . فسَأَله ، فقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث إلىَّ وأنا أرْمَدُ العينِ يومَ خَيْبرَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أرْمَدُ العينِ . فتفَل فى عينى وقال : « اللهم أَذْهِبْ عنه الحرَّ [٦/٦٨و] والبَرْدَ » . فما وَجَدْتُ حرًّا ولا بَرْدًا منذُ يومِئذٍ ، وقال : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ليس بفَرَّارٍ » . فتَشَرَّف لها أصحابُ النبىِّ ﷺ ، فأعْطَانِيها . تفرَّد به أحمدُ . وقد رَواه غيرُ واحدٍ عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلى [2]عن المِنْهالِ ، زاد بعضُهم : والحكمِ بنِ عُتَيْبَةَ . ورواه غيرُ واحدٍ عن عبدِ الرحمنِ بن أبى ليلى[2] عن أبيه ، عن عليٍّ به مُطَوَّلًا[3] .

وقال أبو يَعْلى[4] : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، ثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن أمِّ موسى ، قالت : سمِعْتُ عليًّا يقولُ : ما رَمِدْتُ ولا صُدِّعْتُ منذُ مسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ وجْهى وتفَل فى عينى يومَ خَيْبرَ ، وأعْطانى الرايةَ .

---

(١) المسند ١/ ٩٩، ١٣٣. (إسناده حسن).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م، ص.

(٣) أخرج هذه الطرق ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٤- ١٦٧ مخطوط. وانظر علل الدارقطنى ٣/ ٢٧٧- ٢٧٩.

(٤) مسند أبى يعلى (٥٩٣).

رِوايةُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ فى ذلك : ثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ شُعْبةَ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن أبيه ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى غيرَ أنه لا نبىَّ بعدى ؟ » .

قال أحمدُ ومسلمٌ والتِّرْمذىُّ[2] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن بُكَيْرِ بنِ مِسْمارٍ ، عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن أبيه قال : أمَّر مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ سعدًا ، فقال : ما يَمْنَعُك أن تَسُبَّ أبا تُرابٍ ؟ فقال : أمَّا ما ذكَرْتُ ثلاثًا قالهن له رسولُ اللَّهِ ﷺ فلا ، لَأَن تكونَ لى واحدةٌ منهن أحَبُّ إلىَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ ؛ سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعلىٍّ[3] - وخلَّفَه فى بعضِ مَغازيه فقال له علىٌّ : يا رسولَ اللَّهِ ، تُخَلِّفُنى مع النساءِ والصِّبْيانِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ - : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا أنه لا نُبُوَّةَ[4] بعدى ؟ » وسمِعْتُه يقولُ يومَ خيبرَ : « لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه » . قال : فتَطاوَلْتُ لها . قال : « ادْعُوا لى عليًّا » . فأُتِىَ به أرْمَدَ ، فبصَق فى عيْنَيْه ، ودفَع الرايةَ إليه ، ففتَح اللَّهُ عليه ، ولما نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦١] . دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحَسَنًا وحُسَينًا فقال : « اللهم هؤلاء أهْلى » . ثم قال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . وقد رَواه أحمدُ ومسلمٌ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٥٥.

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٥٦. واللفظ هنا للترمذى .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى .

(٤) فى م ، ص : « نبى » .

والترمذىُّ والنَّسائىُّ[1] مِن حديثِ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن سعدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ : « أنت منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى » . وقال التِّرْمذىُّ : ويُسْتَغْرَبُ مِن روايةِ سعيدٍ عن سعدٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أحمدُ الزُّبَيْرىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن حَمْزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه - يعنى عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ - عن سعدٍ قال : لما خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى تَبوكَ خلَّف عليًّا ، فقال : أتُخَلِّفُنى ؟ قال : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى غيرَ أنه لا نبىَّ بعدى ؟ » وهذا إسنادٌ جيدٌ ، ولم يُخْرِجوه .

[3]وقال أحمدُ[4] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، سمعتُ إبراهيمَ بنَ سعدٍ يُحدِّثُ عن سعدٍ ، عن النبىِّ ﷺ [٦/٦٨ظ] أنه قال لعلىٍّ : « أما تَرْضَى أن تكون منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى ؟ » أخرجاه مِن حديثِ محمدِ بنِ جعفرٍ به[5][3] .

وقال أحمدُ[6] : ثنا أبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ ، ثنا سُليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنا الجُعَيْدُ[7] بنُ عبدِ الرحمنِ الجُعْفىُّ ، عن عائشةَ بنتِ سعدٍ ، عن أبيها ، أن عليًّا

---

(١) المسند ١/ ١٧٩، ومسلم (٢٤٠٤/٣٠)، والترمذى (٣٧٣١)، والنسائى فى الكبرى (٨٤٣٠، ٨٤٣٣، ٨٤٣٥، ٨٤٣٦).

(٢) المسند ١/ ١٨٤. (إسناده حسن).

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) المسند ١/ ١٧٥. (إسناده صحيح).

(٥) البخارى (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤/٠٠٠).

(٦) المسند ١/ ١٧٠. (إسناده صحيح).

(٧) فى م: «الجعد». وهو مما قيل فى اسمه. انظر الجرح والتعديل ٢/ ٥٢٧، ٥٢٩، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٦١.

خرَج مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى جاء ثَنِيَّةَ الوَداعِ ، وعليٌّ يَبْكى يقولُ : تُخَلِّفُنى مع الخَوالفِ ؟ فقال : « أوَ ما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا النبوةَ ؟ » . وهذا إسنادٌ صحيحٌ أيْضًا ، ولم يُخْرِجوه .

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ العَبْدىُّ[(١)] : ثنا محمدُ بنُ خازِمٍ[(٢)] أبو مُعاويةَ الضَّرِيرُ ، عن موسى بنِ مسلمٍ الشَّيْبانىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ[(٣)] . [(٣)]قال[(٤)] : قدِم معاويةُ فى بعضِ حجَّاتِه ، فأتاه سعدُ بنُ أبى وقاصٍ[(٣)] ، فذكَروا عليًّا ، فقال سعدٌ : [(٥)]سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[(٥)] له ثلاثَ خِصالٍ ، لَأن تكونَ لى واحدةٌ منهن أَحَبُّ إلىَّ مِن الدنيا وما فيها ، سمِعْتُه يقولُ : « مَن كنتُ مَوْلاه فعلىٌّ مولاه » . وسمِعْتُه يقولُ : « لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه[(٦)] » وسمِعْتُه يقولُ : « أنت منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا أنه لا نبىَّ بعدى » . إسنادُه حسنٌ ، ولم يُخْرِجوه[(٧)] .

وقال أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ[(٨)] : ثنا أحمدُ بنُ خالدٍ الوَهْبىُّ أبو سعيدٍ ، ثنا محمدُ ابنُ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجِيحٍ ، عن أبيه قال : لما حَجَّ مُعاويةُ أخَذ بيدِ سعدِ ابنِ أبى وَقَّاصٍ فقال : يا أبا إسحاقَ ، إنا قومٌ قد أجْفانا هذا الغزوُ عن الحجِّ حتى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٠ مخطوط ، من طريق الحسن بن عرفة به ، وابن ماجه (١٢١) ، من طريق أبى معاوية به .

(٢) فى النسخ ، وتاريخ دمشق : « حازم » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر الإكمال ٢/ ٢٨٨، وتهذيب الكمال ٢٥/ ١٢٣.

(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص . وهى لفظ رواية ابن ماجه .

(٤) القائل هو عبد الرحمن بن سابط .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م ، ص : « ويحبه اللَّه ورسوله » .

(٧) كذا قال المصنف ، والحديث أخرجه ابن ماجه كما تقدم فى حاشية (١) .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٢ مخطوط ، من طريق أبى زرعة الدمشقى به .

كِدْنا أن نَنْسَى بعضَ سُنَنِه ، فطُفْ نَطُفْ بطَوافِك . قال : فلما فرَغ أدْخَله دارَ النَّدْوةِ ، فأجْلَسه معه على سَريرِه ، ثم ذكَر عليَّ بنَ أبى طالبٍ فوقَع فيه ، فقال : أدْخَلْتَنى دارَك ، وأجْلَسْتَنى على سَريرِك ، ثم وقَعْتَ فى عليٍّ تَشْتُمُه ؟! واللَّهِ لأَن يكونَ فيَّ إحدى خِلالِه الثلاثِ أحَبُّ إلىَّ مِن أن يكونَ لى ما طَلَعت عليه الشمسُ ، ولأَن يكونَ لى ما قال له حينَ غَزا تَبوكَ : « ألا تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدى ؟ » . أحَبُّ إلىَّ مما طلَعَت عليه الشمسُ ، ولأَن يكونَ لى ما قال له يومَ خَيْبرَ : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، يَفْتَحُ اللَّهُ على يديه ، ليس بفَرَّارٍ » . أحَبُّ إلىَّ مما طَلَعَت عليه الشمسُ ، ولأَن أكونَ صِهْرَه على ابنتِه ، ولى منها مِن الولدِ ما له أحَبُّ إلىَّ مِن أن يكونَ لى ما طَلَعت عليه الشمسُ ، لا أدْخُلُ عليك دارًا بعدَ هذا اليومِ . ثم نفَض رداءَه ، ثم خرَج .

[٦٩/٦و] وقال أحمدُ[(١)] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن الحَكَمِ ، عن مُصْعَبِ بنِ سعدٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ قال : خلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ ابنَ أَبى طالبٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تُخَلِّفُنى فى النساءِ والصِّبْيانِ ؟ قال : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى غيرَ أنه لا نبيَّ بعدى ؟ » . إسنادُه على شرطِهما ، ولم يُخْرِجاه . وهكذا رَواه أبو عَوانةَ[(٢)] ، عن الأعمشِ ، عن الحَكَمِ عن مُصْعبٍ ، عن أبيه . ورَواه أبو داودَ الطَّيالسيُّ[(٣)] ، عن شُعبةَ ، عن عاصمٍ ، عن مُصْعَبٍ ، عن أبيه . فاللَّهُ أعلمُ . وقد رَواه غيرُ واحدٍ[(٤)] عن عائشةَ بنتِ سعدٍ ، عن أبيها .

---

(١) المسند ١/ ١٨٢. (إسناده صحيح).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ مخطوط، من طريق أبى عوانة به.

(٣) المصدر السابق من طريق أبى داود الطيالسى به.

(٤) المصدر السابق ١٢/ ١٩٦، ١٩٧، من طرق عن عائشة بنت سعد به.

قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] : وقد روَى هذا الحديثَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ جماعةٌ مِن الصَّحابةِ ؛ منهم عمرُ ، وعليٌّ ، وابنُ عباسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، ومُعاويةُ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وجابرُ بنُ سَمُرةَ ، وأبو سعيدٍ ، والبَراءُ بنُ عازبٍ ، وزيدُ بنُ أرْقَمَ ، وزيدُ بنُ أبى أوْفَى ، ونُبَيْطُ بنُ شُرَيْطٍ ، وحُبْشِيُّ بنُ جُنادةَ ، ومالكُ بنُ الحُوَيْرِثِ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، وأبو الفِيلِ[2] ، وأمُّ سَلَمةَ ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وفاطمةُ بنتُ حمزةَ . وقد تَقَصَّى الحافظُ ابنُ عَساكرَ هذه الأحاديثَ فى ترجمةِ عليٍّ فى « تاريخِه » فأجاد وأفاد ، وبرَز على النُّظَراءِ والأشْباهِ والأنْدادِ ، رحِمه ربُّ العبادِ يومَ التَّنادِ .

روايةُ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى ذلك : قال أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[3] : حدَّثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ ، أخْبَرنى سُهيلُ بنُ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال عمرُ : لقد أُعْطِىَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ثلاثَ خِصالٍ ، لأن تكونَ لى خَصْلةٌ منها أحَبُّ إلىَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ . قيل : وما هُنَّ يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : تَزْويجُه فاطمةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسُكْناه المسجدَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لا يَحِلُّ لى فيه ما يَحِلُّ له ، والرايةُ يومَ خَيْبرَ . وقد رُوِى عن عمرَ مِن غيرِ وجهٍ .

روايةُ ابنِ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما : رَوى الإمامُ أحمدُ[4] عن وَكيعٍ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن عمرَ بنِ أَسِيدٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كنا نقولُ فى زمانِ رسولِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٩٨ مخطوط .

(٢) فى م ، ص : « الفضل » . وانظر الإصابة ٧/ ٣٢٣، وتاج العروس (ف ى ل) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٣ مخطوط ، من طريق أبى يعلى به نحوه .

(٤) المسند ٢/ ٢٦. (إسناده صحيح) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٤ مخطوط ، من طريق الإمام أحمد به .

اللَّهِ ﷺ : (١) رسولُ اللَّهِ خيرُ الناسِ ، ثُم (١) خيرُ الناسِ ، أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ولقد أُوتِىَ ابنُ أبى طالبٍ ثلاثًا لَأن أكونَ أُعْطِيتُهن أحَبُّ إلىَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ . فذكَر هذه الثلاثَ .

وقد روَى أحمدُ والترمذىُّ (٢) مِن [٦/٦٩ظ] حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ : « أمَا تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى غيرَ أنه لا نبىَّ بعدى ؟ » . ورَواه أحمدُ (٣) مِن حديثِ عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أنت منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا أنه لا نبىَّ بعدى » . ورَواه الطَّبرانىُّ (٤) مِن طريقِ عبدِ العزيزِ بنِ حَكيمٍ ، عن ابنِ عمرَ مَرْفوعًا . ورَواه سَلَمةُ بنُ كُهَيْلٍ (٥) ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه وعن أمِّ سَلَمةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ : « أما تَرْضَى أن تكونَ منى بمنزلةِ هارونَ مِن موسى إلا أنه لا نبىَّ بعدى ؟ » . قال سَلَمةُ : وسمِعْتُ مَوْلًى لبنى مَوْهِبةَ يقولُ : سمِعْتُ ابنَ عباسٍ يقولُ : قال النبىُّ ﷺ . مثلَه .

تَزْويـجُ علىٍّ فاطمةَ الزَّهْراءَ ، رضِى اللَّـهُ عنهما

قال سفيانُ الثَّوْرىُّ (٦) ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن أبيه : سمِع رجلٌ عليًّا على مِنْبرِ الكوفةِ يقولُ : أرَدْتُ أن أَخْطُبَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ابنتَه ، ثم ذكَرْتُ أن لا

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) المسند ٣/ ٣٣٨، والترمذى (٣٧٣٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٣٤) .

(٣) المسند ٣/ ٣٢.

(٤) الطبرانى فى الأوسط (١٤٨٨) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢، ١٩٣ مخطوط ، من طرق عن سلمة بن كهيل به .

(٦) المصدر السابق ١٢/ ١٧٥، من طريق سفيان الثورى به بنحوه .

شيءَ لى ، ثم ذكَرْتُ عائدتَه وصِلَتَه ، فخطَبْتُها ، فقال : « هل عندَك شيءٌ ؟ » قلتُ : لا . قال : « فأين دِرْعُك الحُطَمِيةُ التى أَعْطَيْتُك يومَ كذا وكذا ؟ » قلتُ : عندى . قال : « فأَعْطِها » . فأعْطَيْتُها فزوَّجَنى ، فلما كان ليلةُ دخَلْتُ عليها قال : « لا تُحْدِثا شيئًا حتى آتِيَكما » . قال : فأتانا وعلينا قَطِيفةٌ أو كِساءٌ فتَحَشْحَشْنا[1] ، فقال : « مكانَكما » . ثم دَعا بقَدَحٍ مِن ماءٍ ، فدَعا فيه ، ثم رَشَّه علىَّ وعليها ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أحَبُّ إليك أم هى ؟ قال : « هى أحَبُّ إلىَّ ، وأنت أعَزُّ علىَّ منها » . وقد روَى النَّسائىُّ مِن طريقِ عبدِ الكريمِ بنِ سَلِيطٍ ، عن ابنِ بُرَيْدةَ ، عن أبيه[2] ، فذكَره بأبْسَطَ مِن هذا السِّياقِ ، وفيه أنه أوْلَم عليها بكَبْشٍ مِن عندِ سعدٍ ، وآصُعٍ مِن الذُّرةِ مِن عندِ جماعةٍ مِن الأنْصارِ ، وأنه دَعا لهما بعدَ ما صَبَّ عليهما الماءَ ، فقال : « اللهم [3]بارِكْ فيهما ، وبارِكْ عليهما ، و[3] بارِكْ لهما فى شَمْلِهما[4] » . يعنى الجِماعَ .

وروَى محمدُ بنُ كَثيرٍ[5] ، عن الأوْزاعىِّ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هُريرةَ قال : لما خطَب علىٌّ فاطمةَ دخَل عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال لها : « أىْ بُنَيَّةُ ، إن ابنَ عَمِّك عليًّا قد خَطَبك ، فماذا تَقولِين ؟ » فبَكَتْ ثم قالت : كأنك يا أَبَتِ إنَّما دخَرْتَنى لفقيرِ قريشٍ . فقال : « والذى بعَثَنى بالحقِّ ما

---

(١) فى الأصل : « فتحشحنا » ، وفى ا ٧، ص : « فتحششنا » ، وفى م : « فتحثثنا » . وتحشحشنا : تحركنا للنهوض . انظر النهاية ١/ ٣٨٨.

(٢) النسائى فى الكبرى (١٠٠٨٧، ١٠٠٨٨) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) كذا فى النسخ . وفى مصدر التخريج : « شِبْلهما » . وفى النهاية ٢/ ٤٤٠: « جمع اللَّه شملكما ، وبارك فى شَبْرِكما » . قال ابن الأثير : الشبر فى الأصل : العطاء... ثم كُنى به عن النكاح لأن فيه عطاء .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥، ١٧٦ مخطوط ، من طريق محمد بن كثير به .

تكَلَّمْتُ فى هذا حتى أذِن اللَّهُ لى فيه مِن السماءِ » . فقالت فاطمةُ : رَضِيتُ بما رضِىَ اللَّهُ لى ورسولُه . فخرَج مِن عندِها ، واجْتَمَع المسلمون إليه ، ثم قال : « يا علىُّ ، اخْطُبْ لنفسِك » . فقال علىٌّ : الحمدُ للَّهِ الذى لا يَموتُ ، وهذا محمدٌ رسولُ اللَّهِ [٦/٧٠و] زوَّجَنى ابنتَه فاطمةَ على صَداقٍ مَبْلَغُه أربعُمائةِ درهمٍ ، فاسْمَعوا ما يقولُ واشْهَدوا . قالوا : ما تقولُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أُشْهِدُكم أنى قد زَوَّجْتُه » . رَواه ابنُ عَساكرَ ، وهو حديثٌ مُنْكَرٌ . وقد ورَد فى هذا الفصلِ أحاديثُ كثيرةٌ مُنْكَرةٌ ومَوْضوعةٌ أضرَبْنا عنها ؛ لئلا يَطولَ الكتابُ بها ، وقد أوْرَد منها الحافظُ ابنُ عَساكرَ طَرَفًا جيدًا فى « تاريخِه »[(١)] [(٢)]مع ضعْفِها ووضْعِها[(٢)] .

وروَى وَكيعٌ[(٣)] عن أبى خالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ قال : قال علىٌّ : ما كان لنا إلا إهابُ كَبْشٍ نَنامُ على ناحيتِه وتَعْجِنُ فاطمةُ على ناحيتِه . وفى روايةِ مُجالدٍ عن الشعبىِّ[(٤)] : ونَعْلِفُ عليه الناضحَ بالنهارِ ، وما لى خادمٌ عليها غيرَها .

حديثٌ آخرُ : قال أحمدُ[(٥)] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا عوفٌ ، عن مَيْمونٍ أبى عبدِ اللَّهِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ قال : كان لنفرٍ مِن أصْحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أبوابٌ شارعةٌ [(٦)]فى المسجدِ[(٦)] . قال : فقال يومًا : « سُدُّوا هذه الأبوابَ إلا بابَ علىٍّ » . قال : فتَكَلَّم فى ذلك أُناسٌ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فحمِد اللَّهَ تعالى وأثْنَى عليه ، ثم قال : « أما بعدُ ، فإنى أمَرْتُ بسَدِّ هذه الأبوابِ غيرَ بابِ علىٍّ ،

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٧٥ - ١٨٢ مخطوط .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ٧١، ٦١.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣١٥ مخطوط ، من طريق وكيع به .

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٣١٥، ٣١٦، من طريق مجالد به .

(٥) المسند ٤/ ٣٦٩.

(٦ - ٦) سقط من : م .

فقال فيه قائلُكم ، وإنى واللَّهِ ما سَدَدْتُ شيئًا ولا فتَحْتُه ، ولكن أُمِرْتُ بشىءٍ فاتَّبَعْتُه » . وقد رَواه أبو الأَشْهَبِ[1] عن عَوْفٍ ، عن مَيْمونٍ ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ ، فذكَره . وقد تقَدَّم[2] ما رَواه أحمدُ والنَّسائىُّ مِن حديثِ أبى عَوانةَ ، عن أبى بَلْجٍ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، عن ابنِ عباسٍ . الحديثَ الطويلَ ، وفيه سَدُّ الأبوابِ غيرَ بابِ علىٍّ . وكذا رَواه شعبةُ[3] عن أبى بَلْجٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن ابنِ عباسٍ .

ورَواه سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ : [4]قال أحمدُ[5] : ثنا حجاجٌ ، ثنا فِطْرٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَريكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الأَرْقَمِ[6] الكِنانىِّ قال : خرجْنا إلى المدينةِ زمنَ الجملِ فلقِينا سعدَ بنَ مالكٍ بها فقال : أمر رسولُ اللَّهِ ﷺ بسدِّ الأبوابِ الشارعةِ فى المسجدِ وترْكِ بابِ علىٍّ . تفرَّدَ به أحمدُ .

طريقٌ أخرى عن سعدٍ : [4]قال أبو يَعْلَى[7] : ثنا موسى بنُ محمدِ بنِ حَيَّانَ ، ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ الطَّحَّانُ ، ثنا غَسَّانُ بنُ بِشرٍ الكاهلىُّ ، عن مسلمٍ ، عن خَيْثَمةَ ، عن سعدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سَدَّ أبْوابَ الناسِ فى المسجدِ وفتَح بابَ علىٍّ ، فقال الناسُ فى ذلك ، فقال : « مَا أنا فتَحْتُه ، ولكنَّ اللَّهَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٣ مخطوط ، من طريق أبى الأشهب به .

(٢) تقدم فى ٧/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) المصدر السابق ، من طريق شعبة به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) المسند ١/١٧٥ (إسناده ضعيف) .

(٦) فى المسند : « الرقيم » . وقد اختلف فى اسم أبيه ، فقيل فيه : الرُّقَيم ، وأبى الرُّقَيم ، والأرقم . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥٠٥.

(٧) مسند أبى يعلى (٧٠٣) . قال محققه : إسناده ضعيف جدا .

فتَحه » . وهذا لا يُنافى ما ثبَت فى « صحيحِ البُخارىِّ »[1] مِن أمْرِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى مرضِه الذى مات فيه بسَدِّ الأبوابِ الشارعةِ إلى المسجدِ[2] إلا بابَ أبى بكرٍ الصديقِ ؛ لأن نَفْىَ هذا فى حَقِّ علىٍّ كان فى حالِ حياتِه لاحْتياجِ فاطمةَ إلى المُرورِ مِن بيتِها إلى بيتِ أبيها ، فجُعِل هذا رِفْقًا بها ، وأما بعدَ وَفاتِه فزالت هذه العلةُ ، فاحْتِيج إلى فَتْحِ بابِ الصِّدِّيقِ لأجْلِ خُروجِه إلى المسجدِ ليُصَلِّىَ بالناسِ إذ كان الخليفةَ عليهم بعدَ موتِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وفيه إشارةٌ إلى خِلافتِه .

وقال الترمذىُّ[3] : ثنا علىُّ بنُ المنذرِ ، ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن سالمِ بنِ أبى حَفْصةَ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ : « يا علىُّ ، لا يَحِلُّ لأحدٍ يُجْنِبُ فى المسجدِ غيرى وغيرُك » . قال علىُّ بنُ المُنْذرِ : قلتُ لضِرارِ ابنِ صُرَدٍ : ما معنى هذا الحديثِ ؟ قال : لا يَحِلُّ لأحدٍ يَسْتَطْرِقُه[4] جُنُبًا غيرى وغيرُك . ثم قال الترمذىُّ : وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن هذا الوجهِ ، وقد سمِع محمدُ بنُ إسماعيلَ منى هذا الحديثَ فاستغربَه[5] . وقد رَواه ابنُ عَساكرَ[6] مِن طريقِ كثيرِ النَّوّاءِ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ به . ثم أوْرَده مِن طريقِ أبى نُعَيْمٍ[7] ، ثنا عبدُ المَلِكِ بنُ أبى غَنِيَّةَ ، عن أبى الخَطَّابِ عمرَ الهَجَرىِّ ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/٤٣ حاشية (١) ، وأخرجه البخارى أيضا فى (٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤) .
(٢) خرم فى الأصل من هنا إلى قوله : « ثنا الحسن بن حماد الوراق ثنا مسهر بن عبد الملك » فى صفحة ٧٨.
(٣) الترمذى (٣٧٢٧) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٨) .
(٤) يستطرقه : يتخذه طريقًا .
(٥) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى .
(٦) تاريخ دمشق ١٢/١٨٥ مخطوط .
(٧) المصدر السابق .

عن مَحْدوجٍ، عن جَسْرةَ بنتِ دَجاجةَ، أخْبَرَتْنى أمُّ سَلَمةَ قالت: خرَج النبىُّ ﷺ (١ من بيتِه ١) حتى انْتَهى إلى صَرْحَةِ المسجدِ، فنادَى بأعْلَى صوتِه: «إنه لا يَحِلُّ المسجدُ لجُنُبٍ ولا لحائضٍ إلا لمحمدٍ وأزْواجِه وعلىٍّ وفاطمةَ بنتِ محمدٍ، ألا هل بَيَّنْتُ لكم الأسماءَ أن تَضِلُّوا». وهذا إسنادٌ غريبٌ، وفيه ضَعْفٌ، ثم ساقه مِن حديثِ أبى رافعٍ بنحوِه، وفى إسنادِه غَرابةٌ أيضًا.

حديثٌ آخرُ: قال الحاكمُ وغيرُ واحدٍ[٢]، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن بُرَيْدةَ بنِ الحُصَيْبِ قال: غَزَوْتُ مع علىٍّ إلى اليمنِ، فرأيْتُ منه جَفْوةً، فقَدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فذكرتُ عليًّا فتَنقَّصْتُه، فرأيتُ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ، فقال: «يا بُرَيْدةُ، ألستُ أوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسِهم؟» فقلتُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «مَن كنتُ مَوْلاه فعلىٌّ مولاه».

وقال الإمامُ أحمدُ[٣]: حدَّثنا ابنُ نُميْرٍ، ثنا الأجْلَحُ الكِنْدىُّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ، عن أبيه بُرَيْدةَ قال: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثيْن إلى اليمنِ؛ على أحدِهما علىُّ بنُ أبى طالبٍ، وعلى الآخَرِ خالدُ بنُ الوليدِ، وقال: «إذا الْتَقَيْتُما فعلىٌّ على الناسِ، وإن افْتَرَقْتُما فكلُّ واحدٍ منكما على جُنْدِه». قال: فلَقِينا بنى زيدٍ مِن أهلِ اليمنِ، فاقْتَتَلْنا، فظهَر المسلمون على المشركين، فقتَلْنا المُقاتِلةَ وسبَيْنا الذُّريةَ، فاصْطَفَى علىٌّ امرأةً مِن السَّبْىِ لنفسِه. قال بُرَيْدةُ: فكتَب معى خالدُ بنُ الوليدِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُه بذلك، فلما أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ دفَعْتُ إليه

(١ - ١) فى النسخ: «فى مرضه». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٢) المستدرك ٣/ ١١٠، وأحمد فى المسند ٥/ ٣٤٧، وفى الفضائل (٩٨٩)، وابن أبى شيبة فى المصنف ١٢/ ٨٣، والنسائى فى الخصائص (٨٢). وانظر ما تقدم فى ٧/ ٦٦٧.

(٣) المسند ٥/ ٣٥٦.

الكتابَ ، فقُرِئَ عليه ، فرأيْتُ الغَضَبَ فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا مكانُ العائذِ ، بعَثْتَنى مع رجلٍ وأمَرْتَنى أن أُطِيعَه ، فبلَّغْتُ[1] ما أُرْسِلْتُ به . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَقَعْ فى علىٍّ ؛ فإنه منى وأنا منه ، وهو وَلِيُّكم بعدى » . هذه اللفظةُ مُنْكرةٌ والأجْلَحُ شِيعىٌّ ، ومثلُه لا يُقْبَلُ إذا تَفَرَّد بمثلِها ، وقد تابَعه فيها مَن هو أضْعَفُ منه . واللَّهُ أعلمُ . والمحفوظُ فى هذا روايةُ أحمدَ[2] ، عن وَكيعٍ ، عن الأعْمشِ ، عن سعدِ بنِ عُبيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن كنتُ وليَّه[3] فعلىٌّ وَلِيُّه » . ورَواه أحمدُ أيضًا والحسنُ بنُ عَرَفةَ ، [4]عن أبى معاويةَ[4] ، عن الأعْمشِ به[5] . ورَواه النَّسائىُّ ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى مُعاويةَ به[6] .

وقال أحمدُ[7] : حدَّثنا رَوْحٌ ، عن علىِّ بنِ سُوَيْدِ بنِ مَنْجُوفٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ بُرَيْدةَ ، عن أبيه قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عليًّا إلى خالدِ بنِ الوليدِ ليَقْبِضَ[8] الخُمُسَ . قال : فأصْبَح ورأسُه يَقْطُرُ ، فقال خالدٌ لبُرَيْدةَ : ألا تَرَى ما يَصْنَعُ هذا ؟ قال : فلمَّا رجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أخْبَرْتُه ما صنَع علىٌّ . قال : وكنتُ أُبْغِضُ عليًّا ، فقال : « يا بُرَيْدَةُ ، أتُبْغِضُ عليًّا ؟ » فقلتُ : نعم . قال : « لا تُبْغِضْه وأَحِبَّه ؛

---

(١) فى المسند : « ففعلت » .

(٢) المسند ٥/ ٣٥٨، ٣٦١.

(٣) فى م ، ص : « مولاه » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . وانظر أطراف المسند ١/ ٦١٦.

(٥) المسند ٥/ ٣٥٠، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢١١ مخطوط ، من طريق الحسن بن عرفه به .

(٦) النسائى فى الكبرى (٨١٤٤، ٨٤٦٥) .

(٧) المسند ٥/ ٣٥٩.

(٨) فى المسند : « ليقسم » .

فإن له فى الخُمُسِ أكثرَ مِن ذلك » . وقد رَواه البخاريُّ فى « الصحيحِ » عن بُنْدارٍ ، عن رَوْحٍ به مُطَوَّلًا[1] .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، ثنا عبدُ الجَليلِ قال : انْتَهَيْتُ إلى حَلْقةٍ فيها أبو مِجْلَزٍ وابنُ[2] بُرَيْدةَ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدةَ : حدَّثنى أبى بُرَيْدةُ قال : أبْغَضْتُ عليًّا بُغْضًا لم أُبْغِضْه أحدًا . قال : وأحْبَبْتُ رجلًا مِن قريشٍ لم أُحِبَّه إلا على بُغْضِه عليًّا . قال : فبُعِث ذلك الرجلُ على خيلٍ . قال : فصَحِبْتُه ما أصْحَبُه إلا على بُغْضِه عليًّا . قال : فأصَبْنا سَبْيًا . قال : فكتَبَ[3] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ : ابْعَثْ إلينا مَن يُخَمِّسُه . فبعَث إلينا عليًّا . قال : وفى السَّبْيِ وَصيفةٌ هى مِن أفضلِ السَّبْيِ ، فخمَّس وقسَم ، فخرَج ورأسُه يَقْطُرُ ، فقلنا : يا أبا الحسنِ ، ما هذا ؟ قال : ألم تَرَوْا إلى الوَصيفةِ التى كانت فى السَّبْيِ ، فإنى قَسَمْتُ وخَمَّسْتُ فصارت فى الخُمُسِ ، ثم صارت فى أهلِ بيتِ النبىِّ ﷺ ، ثم صارت فى آلِ علىٍّ ، فوقَعْتُ بها . قال : وكتَب الرجلُ إلى نبىِّ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : ابْعَثْنى ؟ فبعَثنى مُصَدِّقًا . قال : فجعَلْتُ أَقْرَأُ الكتابَ وأقولُ : صدَق . قال : فأمْسَك يدىَّ والكتابَ قال : « أتُبْغِضُ عليًّا ؟ » قال : قلتُ : نعم . قال : « فلا تُبْغِضْه ، وإن كنتَ تُحِبُّه فازْدَدْ له حبًّا ، فوالذى نفسى بيدِه لَنَصيبُ آلِ علىٍّ فى الخُمُسِ أفضلُ مِن وَصيفةٍ » . قال : فما كان من الناسِ أحدٌ بعدَ قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحَبَّ إلىَّ مِن علىٍّ . قال عبدُ اللَّهِ : فوالذى لا إلهَ غيرُه ما بينى وبينَ النبىِّ ﷺ فى هذا الحديثِ غيرُ أبى ، بُرَيْدةَ . تفرَّد به أحمدُ . وقد روَى غيرُ واحدٍ هذا الحديثَ عن أبى الجَوَّابِ[4] ، عن

---

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٩١.

(٢) فى م ، ص : « ابنا » .

(٣) فى م ، ص : « فكتبنا » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٤ مخطوط ، من طريقين عن أبى الجواب به .

يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن أبيه ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ نحوَ روايةِ بُرَيْدةَ بنِ الحُصَيْبِ ، وهذا غريبٌ . وقد رَواه الترمذىُّ عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى زيادٍ ، عن أبى الجَوَّابِ الأحْوَصِ بنِ جَوَّابٍ به[1] . وقال : حسنٌ غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، حدَّثنى يزيدُ الرِّشْكُ ، عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً ، وأمَّر عليها[3] علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، فأحْدَث شيئًا فى سفرِه ، فتَعاهَد[4] أربعةٌ مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ أن يَذْكُروا أمْرَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال عِمرانُ : وكنا إذا قدِمْنا مِن سفرٍ بدَأْنا برسولِ اللَّهِ ﷺ فسَلَّمْنا عليه . قال : فدخَلوا عليه ، فقام رجلٌ منهم فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن عليًّا فعَل كذا وكذا . فأعْرَض عنه ، ثم قام الثانى فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن عليًّا فعَل كذا وكذا . فأعْرَض عنه ، ثم قام الثالثُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن عليًّا فعَل كذا وكذا . [5]فأعْرَض عنه[5] ، ثم قام الرابعُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن عليًّا فعَل كذا وكذا . قال : فأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على الرابعِ وقد تغيَّرَ وجهُه ، وقال : « دَعُوا عليًّا ، دَعُوا عليًّا ، إن عليًّا منى وأنا منه ، وهو وَلِىُّ كلِّ مؤمنٍ بعدى » . وقد رَواه الترمذىُّ والنَّسائىُّ[6] ، عن قُتَيبةَ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، وسِياقُ التِّرْمذىِّ

---

(١) الترمذى (١٧٠٤، ٣٧٢٥) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٨٦، ٧٧٦) .

(٢) المسند ٤/ ٤٣٧.

(٣) فى المسند : « عليهم » .

(٤) فى م ، ص : « فتعاقد » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) الترمذى (٣٧١٢) ، والنسائى فى الكبرى (٨١٤٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٢٩) .

مُطَوَّلٌ ، وفيه أنه أصاب جاريةً مِن السَّبْيِ . ثم قال : حسنٌ غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ جعفرِ بنِ سليمانَ . ورَواه أبو يَعْلَى المَوْصلِيُّ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ القَواريريِّ والحسنِ بنِ عمرَ بنِ شَقيقٍ الجَرْمِيِّ والمُعَلَّى بنِ مَهْدِيٍّ ، كلُّهم عن جعفرِ ابنِ سليمانَ به[1] .

وقال خَيْثَمةُ بنُ سليمانَ[2] : حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، أخبرنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، ثنا يوسفُ بنُ صُهَيْبٍ ، عن رُكَيْنٍ[3] ، عن وهبِ بنِ حمزةَ قال : سافَرْتُ مع عليِّ بنِ أبى طالبٍ مِن المدينةِ إلى مكةَ ، فرأيْتُ منه جَفْوةً ، فقلتُ : لَئِن رَجَعْتُ فلَقِيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ لأنالَنَّ منه . قال : فرجَعْتُ فلَقِيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكَرْتُ عليًّا ، فنِلْتُ منه . فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَقولَنَّ هذا لعليٍّ ؛ فإن عليًّا وَلِيُّكم بعدى » .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسيُّ[4] ، عن [5]أبى عَوَانةَ[5] ، عن أبى بَلْجٍ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعليٍّ : « أنت وَلِيُّ كلِّ مؤمنٍ بعدى » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٥، ٢١٦ مخطوط، من طريق أبى يعلى به بنحوه .

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢١٦، من طريق خيثمة بن سليمان به .

(٣) فى ٧١، م : « دكين » ، وهو تحريف ، وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٥٧، والإصابة ٦/ ٦٢٣.

(٤) مسند أبى داود (٢٧٥٢) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، الموضع السابق ، من طريق أبى داود به .

(٥ - ٥) فى ٧١، ٦١، م ، ص : « شعبة » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٦٧.

حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَزْمٍ ، عن سليمانَ بنِ محمدِ بنِ كعبِ بنِ عُجْرةَ ، عن عَمَّتِه زينبَ بنتِ كعبٍ - وكانت عندَ أبى سعيدٍ الخدرىِّ - عن أبى سعيدٍ قال : اشْتَكَى عليًّا الناسُ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا خَطيبًا فسمِعْتُه يقولُ : « أيُّها الناسُ ، لا تَشْكُوا عليًّا ، فواللَّهِ إنه لَأَخْشَنُ فى ذاتِ اللَّهِ » . أو « فى سبيلِ اللَّهِ » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[1] : أخْبَرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضلِ القَطَّانُ ، أنا أبو سهلِ ابنُ زِيادٍ القَطَّانُ ، ثنا أبو إسحاقَ إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضى ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى أُوَيسٍ ، حدَّثنى أخى ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن سعدِ بنِ إسحاقَ بنِ كعبِ ابنِ عُجْرةَ ، عن عمَّتِه زينبَ بنتِ كعبِ بنِ عُجْرةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ إلى اليمنِ . قال أبو سعيدٍ : فكنتُ فيمَن خرَج معه ، فلمَّا أخَذ مِن إبلِ الصَّدَقةِ سأَلْناه أن نَرْكَبَ منها ونُرِيحَ إبلَنا - وكنا قد رَأَيْنا فى إبلِنا خَلَلًا - فأَبَى علينا وقال : إنما لكم منها سَهْمٌ كما للمسلمين . قال : فلما فرَغ علىٌّ وانْصَفَقَ[2] مِن اليمنِ راجعًا أمَّر علينا إنسانًا ، فأسْرَع هو فأدْرَك الحجَّ ، فلمَّا قضَى حَجَّتَه قال له النبىُّ ﷺ : « ارْجِعْ إلى أصحابِك حتى تَقْدَمَ عليهم » . قال أبو سعيدٍ : وقد كنا سَأَلْنا الذى اسْتَخْلَفه ما كان علىٌّ منَعَنا إياه ففعَل ، فلمَّا جاء علىٌّ عرَف فى إبلِ الصدقةِ أنها قد رُكِبت - رَأَى أَثَرَ المَراكبِ - فذَمَّ الذى أمَّره ولَامَه ، فقلتُ : أما إنَّ للَّهِ علىَّ إن قَدِمْتُ المدينةَ لَأَذْكُرَنَّ لرسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٩٤. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٦، ٢١٧ مخطوط ، من طريق البيهقى به .

(٢) فى ٧١، ٦١، م : « انصرف » . وفى الدلائل : « انطلق » . وانصفق بمعنى انصرف . انظر الوسيط (ص ف ق) .

ولَأُخْبِرَنّه ما لَقِينا مِن الغِلْظةِ والتَّضْييقِ . قال : فلما قدِمْنا المدينةَ غدَوْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ أن أَذْكُرَ له ما كنتُ حَلَفْتُ عليه ، فلَقِيتُ أبا بكرٍ خارجًا مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رآنى وقَف معى ورحَّب بى ، وساءَلنى وساءَلْتُه وقال : متى قدِمْتَ ؟ قلتُ : قدِمْتُ البارحةَ . فرجَع معى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدخل[1] فقال : هذا سعدُ بنُ مالكٍ ابنُ الشَّهيدِ . قال : « ائْذَنْ له » . فدخَلْتُ فحَيَّيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وحيَّانى [2]وسلَّم علىَّ[2] ، وساءَلَنى عن نفسى وعن أهْلى فأحْفَى المسألةَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لَقِينا مِن علىٍّ مِن الغِلْظةِ وسُوءِ الصُّحْبةِ والتَّضْييقِ ؟ فانْتَبذ[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وجعَلْتُ أنا أُعَدِّدُ ما لَقِينا منه ، حتى إذا كنتُ فى وسَطِ كلامى ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ على فخِذِى ، وكنتُ منه قريبًا ، وقال : « سعدَ بنَ مالكٍ ابنَ الشَّهيدِ ، مَهْ بعضَ قولِك لأخيك علىٍّ ، فواللَّهِ لقد عَلِمْتُ أنه أخْشنُ فى سبيلِ اللَّهِ » . قال : فقلتُ فى نفسى : ثَكِلَتْك أمُّك سعدَ بنَ مالكٍ ، ألا أُرانى كنتُ فيما يَكْرَهُ منذُ اليومِ وما أدْرِى ، لا جَرَمَ واللَّهِ لا أَذكُرُه بسُوءٍ أبدًا سرًّا ولا عَلانيةً .

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[4] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى أبانُ بنُ صالحٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نِيارٍ الأسْلَمىِّ ، عن خالِه عمرِو بنِ شَأْسٍ الأسْلَمىِّ - وكان مِن أصحابِ الحُدَيْبيةِ - قال : كنتُ مع علىٍّ فى خيلِه التى بعَثَه فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ ، فجَفانى علىٌّ بعضَ الجَفاءِ ، فوَجَدْتُ عليه فى نفسى ، فلما قدِمْتُ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ، وتاريخ دمشق .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « وسلمت عليه » .

(٣) فى ا٧، م: « فابتدر » ، وفى ا٦: « فاتقد » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٩٣.

المدينةَ اشْتَكَيْتُه فى مَجالسِ المدينةِ وعندَ مَن لَقِيتُه ، فأقْبَلْتُ يومًا ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى المسجدِ ، فلما رآنى أَنْظُرُ إلى عَيْنَيْه نظَر إلىَّ حتى جلَسْتُ إليه ، فلمَّا جَلَسْتُ قال : « أمَا إنه واللَّهِ يا عمرُو لقد آذَيْتَنى » . فقلتُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، أَعوذُ باللَّهِ والإسلامِ أن أُوذِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فقال : « مَن آذَى عليًّا فقد آذانى » . وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[1] عن يعقوبَ ، عن أبيه إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن أبانِ بنِ صالحٍ ، عن الفضلِ بنِ مَعْقِلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ نيارٍ ، عن خالِه عمرِو بنِ شأْسٍ ، فذكَره . وكذا رَواه غيرُ واحدٍ عن محمدِ ابنِ إسحاقَ ، عن أبانٍ ، عن الفَضْلِ[2] .

وكذلك رَواه سيفُ بنُ عمرَ[3] عن عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ ، عن أبانِ بنِ صالح به ، ولفظُه : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن آذَى مسلمًا فقد آذانى ، ومَن آذانى[4] فقد آذَى اللَّهَ » . ورَوَى عَبَّادُ بنُ يَعقوبَ الرَّواجِنىُّ[5] عن موسى بنِ عُمَيْرٍ ، عن عَقِيلِ بنِ نَجْدَةَ بنِ هُبَيْرَةَ ، عن عمرِو بنِ شأسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمرُو ، إنَّه مَن آذَى عليًّا فقد آذانى » .

وقال أبو يَعْلَى[6] : ثنا محمودُ بنُ خِداشٍ ، ثنا مَرْوانُ بنُ مُعاويةَ ، ثنا قَنّانُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّهْمِىُّ ، ثنا مصعبُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن أبيه قال : كنتُ جالسًا فى المسجدِ أنا ورجلان معى ، فنِلْنا مِن علىٍّ ، فأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرَفُ فى

---

(١) المسند ٣/ ٤٨٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٧، ٢١٨ مخطوط ، من طرق عن ابن إسحاق به .

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٢١٧، من طريق سيف بن عمر به بنحوه .

(٤) فى ٧١، ٦١، وتاريخ دمشق : «آذى مسلمًا» .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢١٨ مخطوط ، من طريق عباد بن يعقوب به .

(٦) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢١٩ مخطوط ، من طريق أبى يعلى به .

وجهِه الغَضَبُ ، فتَعَوَّذْتُ باللَّهِ مِن غَضَبِه فقال : « ما لكم وما لى ! مَن آذَى عليًّا فقد آذانى » .

حديثُ غَدِيرِ خُمٍّ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ وأبو نُعَيْمٍ ، المَعْنَى[2] ، قالا : ثنا فِطْرٌ ، عن أبى الطُّفَيْلِ قال : جمَع علىٌّ الناسَ فى الرَّحْبةِ ، ثم قال لهم : أَنْشُدُ اللَّهَ كلَّ امرئٍ مسلمٍ سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غَديرِ خُمٍّ ما سمِع لمَّا قام . فقام ثلاثون[3] مِن الناسِ - قال أبو نُعَيْمٍ : فقام ناسٌ كثيرٌ - فشَهِدوا حينَ أخَذ بيدِه ، فقال للناسِ : « أتَعْلَمون أنى أَوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسِهم ؟ » قالوا : نعم يا رسولَ اللَّهِ . قال : « مَن كنتُ مَوْلاه فهذا مَوْلاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » . قال : فخرَجْتُ كأنَّ فى نفسى شيئًا ، فلَقِيتُ زيدَ ابنَ أرْقَمَ ، فقلتُ له : إنى سمِعْتُ عليًّا يقولُ كذا وكذا . قال : فما تُنْكِرُ ؟ قد سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ذلك له . ورَواه النَّسائىُّ مِن حديثِ حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ عنه أتَمَّ مِن ذلك[4] .

وقال أبو بكرٍ الشافعىُّ[5] : ثنا محمدُ بنُ سليمانَ بنِ الحارثِ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، ثنا أبو إسرائيلَ المُلائىُّ ، عن الحكمِ ، عن أبى سليمانَ المُؤَذِّنِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ أن عليًّا انْتَشَد الناسَ : مَن سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مَوْلاه فعلىٌّ مَوْلاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » ؟ فقام ستةَ عشَرَ رجلًا ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٥. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٩/١٢ مخطوط ، من طريق الإمام أحمد به .

(٢) المراد أن روايتى حسين بن محمد وأبى نعيم بمعنى واحد . انظر تبصير المنتبه ٤/ ١٣٧٧.

(٣) فى ا٧، ا٦: « جمع كثير » ، وفى م ، ص : « كثير » . والمثبت من المسند ، وتاريخ دمشق .

(٤) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٦٨.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٩/١٢ مخطوط ، من طريق أبى بكر الشافعى به .

فشهِدوا بذلك ، وكنتُ فيهم .

وقال أبو يَعْلَى وعبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ فى مُسْندِ أبيه[1] : حدَّثنا القَوارِيرىُّ ، ثنا يونُسُ بنُ أرْقَمَ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى قال : شَهِدْتُ عليًّا فى الرَّحْبةِ يُناشِدُ الناسَ : أَنْشُدُ اللَّهَ مَن سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غَديرِ خُمٍّ : « مَن كنتُ مَوْلاه فعلىٌّ مَوْلاه » . لمَا قام فشهِد . قال عبدُ الرحمنِ : فقام اثْنا عشَرَ بَدْرِيًّا ، كأنى أَنْظُرُ إلى أحَدِهم عليه سَراوِيلُ ، فقالوا : نَشْهَدُ أنا سمِعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غَدِيرِ خُمٍّ : « أَلَسْتُ أَوْلَى بالمؤمنين مِن أنفسِهم وأزواجى أُمَّهاتُهم ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فمَن كنتُ مَوْلاه فعلىٌّ مَوْلاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » .

ثم رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[2] ، عن أحمدَ بنِ عمرَ الوَكيعىِّ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، عن الوليدِ بنِ عُقْبةَ بنِ نِزارٍ[3] ، عن سِماكِ بنِ عُبَيدِ بنِ الوَليدِ العَنْسىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، فذكَره ، قال : فقام اثْنا عشَرَ رجلًا فقالوا : قد رَأَيْناه وسمِعْناه حينَ أخَذ بيدِه[4] يقولُ : « اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه ، وانْصُرْ مَن نصَره واخْذُلْ مَن خذَله » . وهكذا رَواه أبو داودَ الطُّهَوىُّ[5] ، واسمُه عيسى بنُ مسلمٍ ، عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هندٍ الجَمَلىِّ وعبدِ الأعْلَى بنِ عامرٍ الثَّعْلَبىِّ ، كلاهما عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، فذكَره بنحوِه . قال الدارَقُطْنىُّ : غريبٌ تفرَّد به عنهما أبو داودَ الطُّهَوىُّ .

---

(١) مسند أبى يعلى (٥٦٧) ، والمسند ١/ ١١٩. والحديث تقدم فى ٧/ ٦٧٢.

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٣.

(٣) فى ا ٧١، ٦١، م : « نيار » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٦٢، وأطراف المسند ٤/ ٤٤٨، ٤٤٩.

(٤) فى م ، ص : « بيدك » .

(٥) تقدم تخريجه فى ٧/٦٧٣ .

وقال الطَّبَرانيُّ[1] : ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كَيْسانَ المَدِينيُّ سنةَ تسعين ومائتين ، حدثنا إسماعيلُ بنُ عمرٍو البَجَلِيُّ ، ثنا مِسْعَرٌ ، عن طَلْحةَ بنِ مُصَرِّفٍ ، عن عَمِيرةَ بنِ سعدٍ قال : شَهِدْتُ عليًّا على المِنْبرِ يُناشِدُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : مَن سَمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ يقولُ ما قال ؟ فقام اثْنا عشَرَ رجلًا ، منهم أبو هُريرةَ وأبو سعيدٍ وأنسُ بنُ مالكٍ ، فشَهِدوا أنهم سمِعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مَوْلاه فعليٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » . ورَواه أبو العباسِ بنُ عُقْدةَ الحافظُ الشِّيعيُّ[2] ، عن الحسنِ بنِ عليِّ بنِ عَفانَ العامريِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن فِطْرٍ ، [3]عن أبى إسحاقَ[3] ، عن عمرٍو ذى مُرٍّ وسعيدِ بنِ وهبٍ وعن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ قالوا : سمِعْنا عليًّا يقولُ فى الرَّحْبةِ . فذكَر نحوَه ، فقام ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، فشَهِدوا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن كنتُ مَولاه فعليٌّ مَولاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه ، وأَحِبَّ مَن أحَبَّه وأَبْغِضْ مَن أبْغَضَه ، وانْصُرْ مَن نصَره واخْذُلْ مَن خَذَله » . قال أبو إسحاقَ حينَ فرَغ مِن هذا الحديثِ : يا أبا بكرٍ ، أىُّ أشياخٍ هم ! وكذلك رَواه عبدُ اللَّهِ ابنُ أحمدَ[4] عن عليِّ بنِ حَكيمٍ الأَوْدىِّ ، عن شريكٍ[5] ، عن أبى إسحاقَ ، فذكَر نحوَه .

وقال عبدُ الرزاقِ[6] ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ وهبٍ

---

(١) المعجم الأوسط (٢٢٧٥) ، والصغير ١/ ٦٤. قال فى المجمع ٩/ ١٠٨: فى إسناده لين.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢١ مخطوط ، من طريق أبى العباس بن عقدة به .

(٣ - ٣) سقط من: م ، ص. وهو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٠٢.

(٤) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٠.

(٥) فى ا ٧، ا ٦، م ، ص: «إسرائيل» . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ٤١٠.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٢ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

وعبدِ خيرٍ قالا : سمِعْنا عليًّا برَحْبةِ الكوفةِ يقولُ : أَنْشُدُ اللَّهَ مَن سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مَوْلاه » . فقام عِدَّةٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فشهِدوا أنهم سمِعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ذلك .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شُعْبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، سمِعْتُ سعيدَ بنَ وهبٍ قال : نشَد عليٌّ الناسَ ، فقام خَمْسةٌ أو سِتةٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فشَهِدوا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن كنتُ مَوْلاه فعليٌّ مولاه » .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ ، ثنا حَنَشُ[3] بنُ الحارثِ بنِ لَقِيطٍ الأَشْجَعيُّ ، عن رِياحِ بنِ الحارثِ قال : جاء رَهْطٌ إلى عليٍّ بالرَّحْبةِ فقالوا : السلامُ عليك يا مَوْلانا . فقال : كيف أكونُ مَوْلاكم وأنتم قومٌ عربٌ ؟ قالوا : سمِعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ يقولُ : « مَن كنتُ مَوْلاه فإن هذا مَوْلاه » . قال رِياحٌ : فلما مَضَوْا اتَّبَعْتُهم فسأَلْتُ : مَن هؤلاء ؟ قالوا : نفرٌ مِن الأَنْصارِ ، فيهم أبو أيوبَ الأَنْصاريُّ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[4] : ثنا شَريكٌ ، عن حَنَشٍ ، عن رِياحِ بنِ الحارثِ قال : بينا نحن جُلوسٌ فى الرَّحْبةِ مع عليٍّ إذ جاء رجلٌ عليه أَثَرُ السَّفرِ فقال : السلامُ عليك يا مَوْلاىَ . فقال[5] : مَن هذا ؟ فقال : أبو أيوبَ ، سمِعْتُ

---

(١) فضائل الصحابة (١٠٢١) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٦.

(٣) فى ا ٧، ٦١: « حسن » ، وفى م : « حسين » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٢٨.

(٤) المصنف (١٢١٢٢) . ومن طريق ابن أبى شيبة أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٣، ٢٢٤ مخطوط .

(٥) فى ا ٧، ٦١، م ، ص : « قالوا » .

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » .

وقال أحمدُ[1] : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا الربيعُ - يعنى ابنَ أبى صالحٍ الأَسْلَمىَّ - حدَّثنى زِيادُ بنُ أبى زِيادٍ الأسْلمىُّ ، سمِعْتُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ يَنْشُدُ الناسَ فقال : أَنْشُدُ اللَّهَ رجلًا مسلمًا سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ غديرِ خُمٍّ ما قال . فقام اثنا عشَرَ بدريًّا فشَهِدوا .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا عبدُ الملكِ ، عن أبى عبدِ الرحيمِ الكِنْدىِّ ، عن زاذانَ [3]أبى عمرَ[3] قال : سمِعْتُ عليًّا فى الرَّحْبةِ وهو يَنْشُدُ الناسَ : مَن شَهِد رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ غَديرِ خُمٍّ وهو يقولُ ما قال ؟ فقام ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، فشَهِدوا أنهم سمِعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن كنتُ مَوْلاه فعليٌّ مولاه » .

وقال [4]عبدُ اللَّهِ بنُ[4] أحمدَ : ثنا حَجَّاجُ بنُ الشاعرِ ، ثنا شَبَابةُ ، ثنا نُعَيْمُ بنُ حَكيمٍ ، حدَّثنى أبو مَرْيَمَ ورجلٌ مِن جُلَساءِ علىٍّ ، عن علىٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ غَديرِ خُمٍّ : « مَن كنتُ مَوْلاه فعليٌّ مولاه » . قال : فزاد الناسُ بعدُ : « اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » . وقد رُوِىَ هذا مِن طرقٍ مُتَعَدِّدةٍ عن علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وله طُرُقٌ مُتَعَدِّدةٌ عن زيدِ بنِ أرْقَمَ .

---

(١) المسند ١/ ٨٨. (إسناده صحيح) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٠.

(٣ - ٣) فى ٧١، ٦١: «أبى عمرو» ، وفى م ، ص : «أن ابن عمر» ، وفى المسند (ميمنية) : «ابن عمر» . والمثبت من المسند (٦٤١) بتحقيق الشيخ شعيب ، وأطراف المسند ٤/ ٤٠٧، وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٦٤.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ٥٠٦. والحديث تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٤. (إسناده صحيح) .

وقال غُنْدَرٌ[1] ، عن شُعْبَةَ ، عن سَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ ، سمِعْتُ أبا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ عن أبى سَرِيحةَ[2] أو زيدِ بنِ أرْقَمَ - شُعْبَةُ الشَّاكُّ - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[3] : وأنا قد سمِعْتُه قبلَ هذا مِن ابنِ عباسٍ . رَواه التِّرْمذىُّ ، عن بُنْدارٍ ، عن غُنْدَرٍ ، وقال : حسنٌ غَريبٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عَفَّانُ ، ثنا أبو عَوانةَ ، عن المُغيرةِ ، عن أبى عُبَيدٍ ، عن مَيْمونٍ أبى عبدِ اللَّهِ قال : قال زيدُ بنُ أرْقَمَ وأنا أَسْمَعُ : نزَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بوادٍ يقالُ له : وادى خُمٍّ . فأمَر بالصلاةِ فصلَّاها بهَجِيرٍ . قال : فخطَبَنا وظُلِّل لرسولِ اللَّهِ ﷺ بثوبٍ على شجرةِ سَمُرٍ مِن الشمسِ ، فقال : « ألسْتُم تَعْلَمون - أو : ألسْتُم تَشْهَدون - أنى أوْلَى بكلِّ مؤمنٍ مِن نفسِه ؟ » قالوا : بلى . قال : « فمَن كنتُ مَوْلاه فإن عليًّا مَوْلاه ، اللهم عادِ مَن عاداه ووالِ مَن والاه » . وكذا رَواه أحمدُ[4] عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن مَيْمونٍ أبى عبدِ اللَّهِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ . وقد رَواه عن زيدِ بنِ أرْقَمَ جماعةٌ ، منهم ؛ أبو إسحاقَ السَّبيعىُّ ، وحَبيبٌ الإسكافُ ، وعَطِيةُ العَوْفىُّ ، وأبو عبدِ اللَّهِ الشامىُّ ، وأبو الطُّفَيْلِ عامرُ بنُ واثلةَ[5] .

وقد رَواه مَعْروفُ بنُ خَرَّبُوذَ[6] ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ قال :

---

(١) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٥.

(٢) فى م ، ص : « مريم » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٩٣.

(٣) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٤ مخطوط ، عقب هذا الحديث .

(٤) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٦.

(٥) تقدم تخريج رواياتهم فى ٧/ ٦٧١، ٦٧٥، ٦٧٦، إلا روايتى حبيب الإسكاف وعطية العوفى ، فقد أخرجهما ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٥ مخطوط ، من طريقَيْهما به .

(٦) المصدر السابق ١٢/ ٢٢٦، من طريق معروف به .

لما قفَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حَجَّةِ الوداعِ نهَى أصحابَه عن شَجَراتٍ بالبَطْحاءِ مُتقارباتٍ أن يَنْزِلوا حولَهن ، ثم بعَث إليهن فصَلَّى تحتَهن ، ثم قام فقال : « أيُّها الناسُ ، قد نَبَّأَنِىَ اللَّطيفُ الخبيرُ أنه لم يُعَمَّرْ نبيٌّ إلا مثلَ نصفِ عُمرِ الذى مِن قبلِه ، وإنى لَأَظُنُّ أن يُوشِكَ أن أُدْعَى فأُجِيبَ ، وإنى مَسْئولٌ وأنتم مسئولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا : نَشْهَدُ أنك قد بَلَّغْتَ ونصَحْتَ وجَهَدْتَ ، فجزاك اللَّهُ خيرًا . قال : « ألستُم تَشْهَدون أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأن جنتَه حقٌّ ، وأن نارَه حقٌّ ، وأن الموتَ حقٌّ ، [1]وأن البعثَ بعد الموتِ حقٌّ[1] ، وأن الساعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها ، وأن اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فى القبورِ ؟ » قالوا : بلى نَشْهَدُ بذلكَ . قال : « اللهم اشْهَدْ » . ثم قال : « يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ مَوْلاىَ وأنا مَوْلَى المؤمنين ، وأنا أَوْلَى بهم مِن أنفسِهم ، مَن كنتُ مولاه فهذا مولاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » . ثم قال : « أيُّها الناسُ ، إنى فَرَطُكم وإنكم وارِدون علىَّ الحوضَ ، حوضٌ أَعْرَضُ مما بينَ بُصْرَى وصَنْعاءَ ، فيه آنيةٌ عَدَدَ النُّجومِ ، قُدْحانٌ مِن فِضَّةٍ ، وإنى سائلُكم حينَ تَرِدون علىَّ عن الثَّقَلَيْن ، فانْظُروا كيف تَخْلُفونى فيهما ؛ الثَّقَلُ الأكبرُ كتابُ اللَّهِ ، سببٌ طَرَفُه بيدِ اللَّهِ عز وجل وطَرَفٌ بأيديكم ، فاسْتَمْسِكوا به لا تَضِلُّوا ولا تُبَدِّلوا ، وعِتْرتى أهلُ بيتى ؛ فإنه قد نَبَّأَنِىَ اللَّطيفُ الخَبيرُ أنهما لن يَفْتَرِقا حتى يَرِدا علىَّ الحوضَ » . رَواه ابنُ عَساكرَ بطولِه مِن طريقِ مَعْروفٍ كما ذكَرْنا .

وقال عبدُ الرزاقِ[2] : أنا مَعْمَرٌ ، عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن عَدِىِّ بنِ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٦٩.

ثابتٍ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى نزَلْنا غَدِيرَ خُمٍّ ، فبعث مُنادِيًا يُنادِى ، فلما اجْتَمَعْنا قال : « ألستُ أوْلَى بكم مِن أنفسِكم ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « ألستُ أَوْلَى بكم مِن أُمَّهاتِكم ؟ » . قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « ألستُ أَوْلَى بكم مِن آبائِكم ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال[1] : « ألستُ ، ألستُ ،ألستُ ؟ » قلنا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « مَن كنتُ مَوْلاه فعلىٌّ مولاه ، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : هَنِيئًا لك يا بنَ أبى طالبٍ ، أصْبَحْتَ اليومَ وَلِىَّ كلِّ مؤمنٍ . وكذا رَواه ابنُ ماجه[2] مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ [3]بنِ جُدْعانَ . ورواه أبو يَعْلى[4] عن هُدْبةَ بنِ خالدٍ وإبراهيمَ بنِ الحجَّاجِ السامى ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ[3] وأبى هارونَ العَبْدىِّ ، عن عَدِىِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَراءِ به . وهكذا رَواه موسى بنُ عُثمانَ الحَضْرمىُّ عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ به[5] .

وقد رُوِى هذا الحديثُ عن سعدٍ وطَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وله طُرُقٌ عنه ، وأبى سعيدٍ الخُدْرىِّ وحُبْشىِّ بنِ جُنادةَ وجَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ وعمرَ بنِ الخطابِ ، وأبى هريرةَ[6] وله عنه طرقٌ ، منها - وهى أغْرَبُها - الطريقُ التى قال الحافظُ أبو بكرٍ الخَطيبُ البَغْدادىُّ[7] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ بِشْرانَ ،

---

(١) بعده فى تاريخ دمشق : « ألست أولى بكم » .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٦٨.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٦٩، من رواية هدبة بن خالد ، أما رواية إبراهيم بن الحجاج فقد أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٨/١٢ مخطوط ، من طريق أبى يعلى ، عنه به .

(٥) تقدم تخريجه فى ٧/ ٦٧٠.

(٦) أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٨/١٢ - ٢٣٧ مخطوط ، طرق هذا الحديث عن هؤلاء الصحابة ، رضى اللَّه عنهم . وقد تقدم تخريج بعض طرقه فى ٦٧٧/٧ - ٦٨١.

(٧) تاريخ بغداد ٨/ ٢٩٠. كما أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٣٤، ٢٣٥ مخطوط ، =

أنا عليُّ بنُ عمرَ الحافظُ ، أنا أبو نَصْرٍ حَبْشونُ بنُ موسى بنِ أيوبَ الخلَّالُ ، ثنا عليُّ ابنُ سَعيدٍ الرَّمْليُّ ، ثنا ضَمْرةُ بنُ ربيعةَ القُرَشيُّ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن مَطَرٍ الوَرَّاقِ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى هريرةَ قال : مَن صام يومَ ثمانِىَ عشْرةَ مِن ذى الحِجَّةِ كُتِب له صيامُ ستين شهرًا ، وهو يومُ غَديرِ خُمٍّ ، لمّا أخَذ النبىُّ ﷺ بيدِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ فقال : « ألستُ وَلِىَّ المؤمنين ؟ » قالوا : بلى يا رسولَ اللَّهِ . قال : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : بَخٍ بَخٍ لك يا بنَ أبى طالبٍ ، أصْبَحْتَ مَولاىَ ومَولَى كلِّ مسلمٍ . فأنْزَل اللَّهُ عز وجل : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] . ومَن صام يومَ سبعةٍ وعشرين مِن رجبٍ كُتِب له صيامُ ستين شهرًا ، وهو أولُ يومٍ نزَل جبريلُ بالرسالةِ . قال الخطيبُ : اشْتَهر هذا الحديثُ بروايةِ حَبْشونَ ، وكان يقالُ : إنه تفرَّد به ، وقد تابَعه عليه أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ سالمِ بنِ مِهْرانَ ، المَعْروفُ بابنِ النِّيرِىِّ[1] ، عن عليِّ بنِ سعيدٍ الشامىِّ . قلتُ : وفيه نَكارةٌ مِن وجُوهٍ ، منها قولُه : نزَل فيه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ - وقد ورَد مثلُه مِن طريقِ أبى هارونَ العَبْدىِّ[2] ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، ولا يَصِحُّ أيضًا - وإنما نزَل ذلك يومَ عَرَفةَ ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْن » عن عمرَ بنِ الخطابِ ، وقد تقَدَّم[3] . وقد رُوِى عن جَماعةٍ مِن الصحابةِ غيرِ مَن ذكَرْنا فى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ : « مَن كنتُ مولاه » . والأسانيدُ إليهم ضَعيفةٌ .

= من طريق الخطيب البغدادى به .

(١) فى ٧١، م : « النبرى » ، وهو تصحيف . انظر الأنساب ٥/ ٥٤٩، ٥٥٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٣٧ مخطوط ، من طريق أبى هارون عن أبى سعيد الخدرى .

(٣) تقدم فى ٧/ ٥٨١، ٥٨٢.

حديثُ الطَّيْرِ : وهذا الحديثُ قد صنَّف الناسُ فيه ، وله طرقٌ مُتَعددةٌ ، وفى كلٍّ منها نَظَرٌ ، ونحن نُشيرُ إلى شيءٍ مِن ذلك .

قال التِّرْمذىُّ[1] : حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن عيسى بنِ عمرَ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أنسٍ قال : كان عندَ النبىِّ ﷺ طيرٌ فقال : « اللهم ائْتِنى بأحَبِّ خَلْقِك إليك يَأْكُلُ معى هذا الطيرَ » . فجاء علىٌّ فأكَل معه . ثم قال الترمذىُّ : غريبٌ ، لا نَعْرِفُه مِن حديثِ السُّدِّىِّ إلا مِن هذا الوجهِ . قال : وقد رُوِىَ مِن غيرِ وَجهٍ عن أنسٍ . وقد رَواه أبو يَعْلَى عن الحسنِ بنِ حمادٍ ، عن مُسْهِرِ بنِ عبدِ الملكِ ، عن عيسى بنِ عمرَ به[2] .

وقال أبو يَعْلَى[3] : ثنا قَطَنُ بنُ بَشيرٍ ، ثنا جعفرُ بنُ سُليمانَ الضُّبَعىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُثَنَّى ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أنسٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : أُهْدِىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ حَجَلٌ مَشْوىٌّ بخُبْزِه وصِنابِه[4] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم ائْتِنى بأحَبِّ خَلْقِك إليك يَأْكُلُ معى مِن هذا الطعامِ » . فقالت عائشةُ : اللهم اجْعَلْه أبى . وقالت حَفْصَةُ : اللهم اجْعَلْه أبى . قال أنسٌ : وقلتُ : اللهم اجْعَلْه سعدَ بنَ عُبادةَ . قال أنسٌ : فسمِعْتُ حركةً بالبابِ ، فخرجتُ[5] ، [6]فإذا علىٌّ[6] ، فقلتُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ على حاجةٍ . فانْصَرَف ، ثم سَمِعْتُ حركةً بالبابِ ، فخرَجْتُ

---

(١) الترمذى (٣٧٢١) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٣) .

(٢) مسند أبى يعلى (٤٠٥٢) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٢، ٢٤٣ مخطوط ، من طريق أبى يعلى به .

(٤) فى ا ٧١، ا ٦١، م : « ضيافة » ، وفى ص : « صابه » . والمثبت من مصدر التخريج . والصناب : الخردل المعمول بالزيت ، وهو صباغ يؤتدم به . النهاية ٣/ ٥٥.

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

فإذا عليٌّ بالبابِ . فقلتُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ على حاجةٍ . فانْصَرَف ، ثم سمِعْتُ حركةً بالبابِ ، فسَلَّم عليٌّ ، فسمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَه ، فقال : « انْظُرْ مَن هذا ؟ » فخرَجْتُ فإذا هو عليٌّ ، فجئتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرْتُه ، فقال : « ائْذَنْ له » . فدخَل عليٌّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ . [1] « اللهمَّ وإليَّ ، اللهمَّ وإليَّ » [1] .

ورَواه الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » [2] ، عن أبى عليٍّ الحافظِ ، عن محمدِ بنِ أحمدَ الصَّفَّارِ وحُمَيْدِ بنِ يونُسَ الزَّيَّاتِ ، كلاهما عن محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عِياضٍ ، عن أبى غَسَّانَ أحمدَ بنِ عِياضِ بنِ أبى طَيْبَةَ [3] ، عن يحيى بنِ حَسَّانَ ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن أنسٍ ، فذكَره . وهذا إسنادٌ غريبٌ . ثم قال الحاكمُ : هذ الحديثُ على شرطِ البخاريِّ ومسلمٍ . وهذا فيه نَظَرٌ ، فإن أبا عُلَاثَةَ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ عِياضٍ هذا غيرُ مَعْروفٍ ، لكن روَى هذا الحديثَ عنه جماعةٌ عن أبيه ، وممَّن رَواه عنه أبو القاسمِ الطَّبَرانيُّ [4] ، ثم قال : تَفَرَّد به عن أبيه . واللَّهُ أعْلَمُ . قال الحاكمُ : وقد رَواه عن أنسٍ أكثرُ مِن ثلاثين نَفْسًا . قال شَيْخُنا الحافظُ الكبيرُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبيُّ : وَصْلُهم [5] بثقةٍ يَصِحُّ الإسنادُ إليه . ثم قال الحاكمُ : وصَحَّت الروايةُ عن عليٍّ وأبى سعيدٍ وسَفينةَ . قال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ : لا واللَّهِ ما صَحَّ شىءٌ مِن ذلك . ثم رَواه الحاكمُ [6] مِن طريقِ

(١ - ١) فى ٧١، ٦١، م : « اللهم وال من والاه » .

(٢) المستدرك ٣/ ١٣٠، ١٣١.

(٣) فى ٧١، ٦١: « ظبية » ، وفى م : « ظبية » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٥٤، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٥.

(٤) المعجم الأوسط (٦٥٥٧) .

(٥) فى م : « فصلهم » .

(٦) المستدرك ٣/ ١٣١، ١٣٢.

إبراهيمَ بنِ ثابتٍ القَصَّارِ - وهو مجهولٌ - عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنسٍ قال: دخَل محمدُ بنُ الحَجَّاجِ، فجعَل يَسُبُّ عليًّا، فقال أنسٌ: اسْكُتْ عن سَبِّ عليٍّ. فذكَر الحديثَ مُطَوَّلًا، وهو مُنْكَرٌ سَنَدًا ومَتْنًا، ثم لم يُورِدِ الحاكمُ فى «مُسْتَدْرَكِه» غيرَ هذيْن الحديثَيْن. وقد رَواه ابنُ أبى حاتمٍ عن عَمَّارِ بنِ خالدٍ الواسطيِّ، عن إسحاقَ الأزْرقِ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ، عن أنسٍ. وهذا أجْوَدُ مِن إسنادِ الحاكمِ. ورَواه عبدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ أبو العَلاءِ[1]، عن علىِّ بنِ زيدٍ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أُهْدِىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ طَيْرٌ مَشْوِىٌّ فقال: «اللهم ائْتِنى بأحَبِّ خَلْقِك إليك يَأْكُلُ معى مِن هذا الطيرِ». فذكَر نحوَه. ورَواه محمدُ بنُ مُصَفًّى[2] عن حَفصِ بنِ عمرَ، عن موسى بنِ مسعودٍ[3]، عن الحسنِ، عن أنسٍ، فذكَره. ورَواه علىُّ بنُ الحسنِ الشامىُّ[4] عن خُلَيْدِ بنِ دَعْلجٍ، عن قَتادةَ، عن أنسٍ بنحوِه. ورَواه أحمدُ بنُ يزيدَ الوَرْتَنِيسىُّ[5] عن زُهَيْرٍ، عن عثمانَ الطَّويلِ، عن أنسٍ، فذكره. ورواه عبيدُ اللَّهِ ابنُ موسى[6]، عن سُكَيْنِ بنِ عبدِ العزيزِ، عن ميمونٍ أبى خَلفٍ، حدثنى أنسُ بنُ مالكٍ. فذكَره. قال الدارَقُطْنىُّ[7]: [8]هذا حديثٌ غريبٌ[8] مِن حديثِ مَيْمونٍ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٣ مخطوط، من طريق عبد اللَّه بن زياد به.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٤٤، من طريق محمد بن مصفى به.

(٣) فى النسخ، وتاريخ دمشق: «سعد». والمثبت من مصادر ترجمته. انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٣٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٤ مخطوط، من طريق على بن الحسن به.

(٥) فى ٧١، ٦١: «الزرتنيسى»، وفى م: «الورتنيس». انظر الأنساب ٥/ ٥٨٧. والحديث أخرجه ابن عساكر فى الموضع السابق من طريق أحمد بن يزيد به.

(٦) المصدر السابق ١٢/ ٢٤٤، ٢٤٥، من طريق عبيد اللَّه بن موسى به.

(٧) المصدر السابق ١٢/ ٢٤٥، عقب الحديث.

(٨ - ٨) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق.

أبى خَلَفٍ ، تفرَّد به سُكَيْنُ بنُ عبدِ العزيزِ . ورَواه الحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ بنِ قُتَيْبَةَ[1] ، عن بِشْرِ بنِ الحسينِ ، عن الزبيرِ بنِ عَدِيٍّ ، عن أنسٍ . ورَواه أبو يعقوبَ إسحاقُ ابنُ الفَيْضِ[2] ، ثنا المَضَاءُ بنُ الجارودِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ زِيادٍ ، أن الحَجَّاجَ بنَ يوسُفَ دَعا أنسَ بنَ مالكٍ مِن البصرةِ ، فسأَله عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، فقال : أُهْدِىَ للنبىِّ ﷺ طائرٌ ، فأمَر به فطُبِخ وصُنِع فقال : « اللهم ائْتِنى بأحَبِّ الخَلْقِ إلىَّ يَأْكُلُ معى » . فذكَره .

وقال الخطيبُ البَغْدادىُّ[3] : أنا الحسنُ بنُ أبى بَكْرٍ ، أنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ العباسِ بنِ نَجِيحٍ ، ثنا محمدُ بنُ القاسمِ النَّحْوىُّ أبو عبدِ اللَّهِ ، ثنا أبو عاصمٍ ، عن أبى الهِنْدىِّ ، عن أنسٍ ، فذكَره . ورَواه الحكَمُ بنُ محمدٍ[4] ، عن محمدِ بنِ سُلَيْمٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، فذكَره .

وقال أبو يَعْلَى[5] : حدَّثنا الحسنُ بنُ حمادٍ الوَرَّاقُ ، ثنا مُسْهِرُ بنُ عبدِ الملكِ ابنِ سَلْعٍ - ثقةٌ - ثنا عيسى بنُ عمرَ ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان [٦/٧٠ظ] عندَه طائرٌ فقال : « اللهم ائْتِنى بأَحَبِّ خَلْقِكَ إليك يَأْكُلُ معى مِن هذا الطيرِ » . فجاء أبو بكرٍ فرَدَّه ، ثم جاء عمرُ فرَدَّه ، ثم جاء عثمانُ فرَدَّه ، ثم جاء علىٌّ فأذِن له .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٥ مخطوط ، من طريق الحجاج بن يوسف به .

(٢) المصدر السابق ، من طريق أبى يعقوب به .

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٧١. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٥ مخطوط ، من طريق الخطيب به .

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٢٤٦، من طريق الحكم به .

(٥) مسند أبى يعلى (٤٠٥٢) . ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٧.

وقال [1]أبو العباسِ[1] بنُ عُقْدةَ : ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ ، ثنا يوسفُ ابنُ عَدِيٍّ ، ثنا حمادُ بنُ المُخْتارِ الكوفيُّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ عُمَيرٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : أُهْدِيَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ طائرٌ ، فوُضِع بينَ يدَيه ، فقال : « اللهم ائْتِنى بأَحَبِّ خَلْقِك إليك يَأْكُلُ معى » . قال : فجاء عليٌّ فدَقَّ البابَ ، فقلتُ : مَن ذا ؟ فقال : أنا عليٌّ . فقلتُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ على حاجةٍ . حتى فعَل ذلك ثلاثًا ، فجاء الرابعةَ فضرَب البابَ برجلِه فدخَل ، فقال النبيُّ ﷺ : « ما حَبَسك ؟ » فقال : قد جِئْتُ ثلاثَ مراتٍ فيَحْبِسُنى أنسٌ . فقال النبيُّ ﷺ : « ما حمَلك على ذلك ؟ » قال : قلتُ : كنتُ أُحِبُّ أن يكونَ رجلًا مِن قومى . وقد رَواه الحاكمُ النَّيْسابوريُّ[2] ، عن عَبْدانَ بنِ يزيدَ ، عن يَعقوبَ الدَّقَّاقِ ، عن إبراهيمَ بنِ الحسينِ الكِسائيِّ[3] عن أبى تَوْبةَ الربيعِ بنِ نافعٍ ، عن حسينِ بنِ سليمانَ ، عن عبدِ الملكِ ابنِ عُمَيْرٍ ، عن أنسٍ ، فذكَره . ثم قال الحاكمُ : لم نَكْتُبْه إلا بهذا الإسنادِ . وساقه ابنُ عَساكرَ[4] مِن حديثِ الحارثِ بنِ نَبْهانَ ، عن إسماعيلَ - رجلٍ مِن أهلِ الكُوفةِ - عن أنسِ بنِ مالكٍ ، فذكَره . ومِن حديثِ حَفصِ بنِ عمرَ المِهْرِقانيِّ[5] ، عن النَّجْمِ بنِ بَشيرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ سليمانَ أخى إسحاقَ بنِ سليمانَ الرازيِّ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن عطاءٍ ، عن أنسٍ ، فذكَره . و مِن حديثِ

(١ - ١) فى م : « أبو القاسم » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٤٠. والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٧ مخطوط. من طريق أبى العباس بن عقدة به.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٤٧، ٢٤٨، من طريق الحاكم به.

(٣) فى الأصل، ٧١، ٦١، م : « الشامى » ، وفى ص : « النسائى » . والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر لسان الميزان ١/ ٤٨.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٨.

(٥) المصدر السابق، من طريق حفص بن عمر به.

سليمانَ بنِ قَرْمٍ[1] ، عن محمدِ بنِ عليٍّ السُّلَميِّ ، عن أبى حُذَيفةَ العقيليِّ ، عن أنسٍ ، فذكَره .

وقال أبو يَعْلَى[2] : ثنا أبو هشامٍ ، ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، ثنا مُسْلمٌ المُلائيُّ ، عن أنسٍ قال : أهْدَتْ أمُّ أيمنَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ طَيْرًا مَشْوِيًّا ، فقال : « اللهم ائْتِنى بمَن تُحِبُّه يَأْكُلُ معى مِن هذا الطيرِ » . قال أنسٌ : فجاء عليٌّ فاسْتَأْذَنَ ، فقلتُ : هو على حاجتِه . فرجَع ، ثم عاد فاسْتَأْذَن فقلتُ : هو على حاجتِه . فرجَع ، ثم عاد فاسْتَأْذَن ، فسمِع النبىُّ ﷺ صوتَه ، فقال : « ائْذَنْ له » . فدخَل وهو مَوْضوعٌ بينَ يديه ، فأكَل منه وحمِد اللَّهَ .

فهذه طرقٌ مُتَعَدِّدةٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، كلٌّ منها فيه ضعفٌ ومَقالٌ . وقال شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ فى جُزْءٍ جمَعه فى هذا الحديثِ بعدَ ما أوْرَد طُرُقًا مُتَعددةً نحوًا مما ذكَرْنا : ويُرْوَى هذا الحديثُ مِن وجوهٍ باطلةٍ أو مُظْلِمةٍ عن حَجَّاجِ بنِ يوسفَ ، وأبى عِصامٍ خالدِ بنِ عُبَيدٍ ، ودينارٍ أبى مِكْيَسٍ[3] ، وزِيادِ بنِ محمدٍ الثَّقَفىِّ ، وزِيادٍ العَبْسىِّ ، وزيادِ بنِ المنذرِ ، وسعيدِ بنِ مَيْسَرةَ البَكْرىِّ ، وسليمانَ التَّيْمىِّ ، وسليمانَ بنِ عليٍّ الأميرِ ، وسَلَمةَ بنِ وَرْدانَ ، وصَبَّاحِ بنِ مُحاربٍ ، وطَلْحةَ بنِ مُصَرِّفٍ ، وأبى الزِّنادِ ، وعبدِ الأعْلَى بنِ عامرٍ ، وعمرَ بنِ راشدٍ ، وعمرَ بنِ أبى حَفْصٍ الثَّقَفىِّ الضَّريرِ ، وعمرَ بنِ سُلَيْمٍ [٦/٧١و] البَجَلىِّ ، وعمرَ بنِ يحيى الثَّقَفىِّ ، وعثمانَ الطَّويلِ ، وعلىِّ بنِ أبى رافعٍ ، وعيسى بنِ طَهْمانَ ، وعَطِيةَ العَوْفىِّ ، وعَبَّادِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ ، وعَمَّارٍ الدُّهْنىِّ ، وعباسِ بنِ علىٍّ ، وفُضَيْلِ بنِ غَزْوانَ ، وقاسمِ بنِ حبيبٍ ، وكُلْثومِ بنِ جَبْرٍ ، ومحمدِ بنِ علىٍّ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٨ مخطوط ، من طريق سليمان بن قرم به .
(٢) المصدر السابق ، من طريق أبى يعلى به .
(٣) فى الأصل ، ٦١ : « نكيس » ، وفى ٧١ ، م : « كيسان » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/٣٧٦ .

الباقرِ، والزهريِّ، ومحمدِ بنِ عمرِو بنِ عَلْقمةَ، ومحمدِ بنِ مالكٍ الثقفيِّ، ومحمدِ بنِ جُحادةَ، ومَيْمونِ بنِ مِهْرانَ، وموسى الطويلِ، ومَيْمونِ بنِ جابرٍ السلميِّ، ومَنْصورِ بنِ عبدِ الحميدِ، ومُعَلَّى بنِ أنسٍ، ومَيْمونٍ أبى خلفٍ الحرّانيِّ[1]، وقيل: أبو خالدٍ. ومَطَرٍ أبى خالدٍ، ومُعاويةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، وموسى بنِ عبدِ اللَّهِ الجُهَنيِّ، ونافعٍ مولى ابنِ عمرَ، والنَّضْرِ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ، ويوسفَ بنِ إبراهيمَ، ويونُسَ بنِ خَبَّابٍ[2]، ويزيدَ بنِ سفيانَ، ويزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ، وأبى المَلِيحِ، وأبى الحكَمِ، وأبى داودَ السَّبيعيِّ، وأبى حَمْزةَ الواسطيِّ، وأبى حُذَيفةَ العقيليِّ وإبراهيمَ بنِ هُدْبةَ. ثم قال بعدَ أن ذكَر الجميعَ: الجميعُ بِضْعةٌ وتسعون[3] نفسًا، أقْرَبُها غرائبُ ضعيفةٌ، وأَرْدَؤُها طرقٌ مختلفةٌ مُفْتَعَلةٌ، وغالبُها طرقٌ واهيةٌ.

وقد رُوِى مِن حديثِ سَفينةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال أبو القاسمِ البَغَويُّ وأبو يَعْلى المَوْصليُّ[4]: حدَّثنا القَوارِيريُّ، ثنا يونُسُ بنُ أرْقَمَ، ثنا مُطَيْرُ بنُ أبى خالدٍ، عن ثابتٍ البَجَليِّ، عن سَفينةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: أَهْدَت امرأةٌ مِن الأنصارِ طائرَيْن بينَ رغيفَيْن إلى النبيِّ ﷺ، ولم يَكُنْ فى البيتِ غيرى وغيرُ أنسٍ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فدَعا بغَدائِه، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، قد أهْدَت لك امرأةٌ مِن الأنصارِ هَدِيةً. فقدَّمْتُ الطائرَيْن إليه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللهم ائْتِنى بأحَبِّ خَلْقِك إليك وإلى رسولِك». فجاء علىُّ بنُ أبى طالبٍ، فضرَب

---

(١) فى م: «الجراف». وقد ذكر الحافظ الذهبى فى المغنى فى الضعفاء ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣ أن ميمون بن جابر هو ميمون أبو خلف وكذلك ذكره فى ميزان الاعتدال ٤/ ٢٣٢.

(٢) فى الأصل، ٧١، ٦١، م: «حيان». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٠٣.

(٣) فى الأصل، ٧١، ٦١: «سبعون».

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٩ مخطوط، من طريق أبى القاسم البغوى وأبى يعلى كلاهما عن القواريرى به.

البابَ ضَرْبًا خَفِيًّا ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : أبو الحسنِ . ثم ضرَب البابَ ورفَع صوتَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن هذا ؟ » قلتُ : عليُّ بنُ أبى طالبٍ . قال : « افْتَحْ له » . ففتَحْتُ له ، فأكَل معه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الطيرَيْن حتى فَنِيا .

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ ، فقال أبو محمدٍ يحيى بنُ محمدِ بنِ صاعدٍ[(١)] : ثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهرىُّ ، ثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، ثنا سليمانُ بنُ قَرْمٍ ، عن محمدِ بنِ شُعَيْبٍ ، عن داودَ بنِ [(٢)] عليِّ بنِ [(٢)] عبدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ابنِ عباسٍ قال : أُتِىَ النبىُّ ﷺ بطائرٍ فقال : « اللهم ائْتِنى برجلٍ يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه » . فجاء علىٌّ ، فقال : « اللهم وإلىَّ » .

ورُوِى عن علىٍّ نفسِه ، فقال عَبَّادُ بنُ يعقوبَ[(٣)] : ثنا عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ علىٍّ ، حدَّثنى أبى ، عن [٦/٧١ظ] أبيه ، عن جَدِّه ، عن علىٍّ قال : أُهْدِىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ طَيْرٌ يقالُ له : الحُبَارَى . فوُضِعت بينَ يديه ، وكان أنسُ بنُ مالكٍ يَحْجُبُه ، فرفَع النبىُّ ﷺ يدَه إلى اللَّهِ ثم قال : « اللهم ائْتِنى بأحَبِّ خَلْقِك إليك يَأْكُلُ معى مِن هذا الطيرِ » . قال : فجاء علىٌّ فاسْتَأْذَن ، فقال له أنسٌ : إن رسولَ اللَّهِ - يَعْنِى - على حاجتِه[(٤)] ، فرجَع ثم أعاد رسولُ اللَّهِ ﷺ الدُّعاءَ ، فرجَع ثم دَعا الثالثةَ ، فجاء علىٌّ فأدْخَله ، فلما رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهم وإلىَّ » . فأكَل معه ، فلمّا أكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وخرَج علىٌّ ، قال أنسٌ : [(٥)] اتَّبَعْتُ عليًّا [(٥)] فقلتُ : يا أبا الحسنِ ، اسْتَغْفِرْ لى فإن لى إليك ذَنْبًا ، وإن عندى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٤٢ مخطوط ، من طريق يحيى بن محمد بن صاعد به .
(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٢١.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤١، ٢٤٢ مخطوط ، من طريق عباد بن يعقوب به .
(٤) كذا فى النسخ . وفى تاريخ دمشق : « حاجة » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٧١، ٦١. وفى م ، ص : « سمعت عليا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

بِشارةً . فأخْبَرْتُه بما كان مِن النبىِّ ﷺ ، فحمِد اللَّهَ واسْتَغْفَر لى ، ورضِى عنى ؛ أَذْهَبَ ذَنْبى عندَه بِشارتى إياه . ومِن حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنْصارىِّ أوْرَده ابنُ عَساكرَ مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ كاتبِ الليثِ[1] ، عن ابنِ لَهيعةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، فذكَره بطولِه . وقد رُوِى أيضًا مِن حديثِ أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ وصحَّحه الحاكمُ[2] ، ولكن إسنادُه مُظْلِمٌ وفيه ضُعَفاءُ . ورُوِى مِن حديثِ حُبْشِىِّ بنِ جُنادةَ ، ولا يَصِحُّ أيضًا ، ومِن حديثِ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ[3] ، والإسنادُ إليه مُظْلِمٌ ، ومِن حديثِ أبى رافعٍ نحوُه وليس بصحيحٍ [4]بل طريقُه مُظلِمٌ[4] .

وقد جمَع الناسُ فى هذا الحديثِ مُصَنَّفاتٍ مُفْرَدةً ، منهم ؛ أبو بكرِ بنُ مَرْدَوَيْهِ ، والحافظُ أبو طاهرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حَمْدانَ ، فيما رَواه شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ ، ورأيْتُ فيه مُجَلَّدًا فى جَمْعِ طُرُقِه وألفاظِه لأبى جعفرِ بنِ جَريرٍ الطبرىِّ المُفَسِّرِ صاحبِ « التاريخِ » ، ثم وقَفْتُ على مُجَلَّدٍ كبيرٍ فى رَدِّه وتَضْعيفِه سَنَدًا ومَتْنًا للقاضى أبى بكرٍ الباقِلّانِىِّ المُتَكَلِّمِ . وبالجملةِ ففى القلبِ مِن صحةِ هذا الحديثِ نَظَرٌ ، وإن كَثُرَت طُرُقُه . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ فى فضلِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال أبو بكرٍ الشافعىُّ[5] : ثنا بِشْرُ بنُ موسى الأسَدىُّ ، ثنا زكريا بنُ عَدِىٍّ ، ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : خرَجْتُ مع رسولِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٢٤١ مخطوط .

(٢) المستدرك ٣/ ١٣١.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٦، من طريق يعلى بن مرة به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٨٢ مخطوط ، من طريق أبى بكر الشافعى به .

اللَّهِ ﷺ إلى امْرأةٍ مِن الأنصارِ فى نَخْلٍ لها يقالُ له : الأسْوافُ[1] . ففرَشَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ تحتَ صَوْرٍ[2] لها مَرْشوشٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الآن يَأْتيكم رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . فجاء أبو بكرٍ ، ثم قال : « الآن يَأْتِيكم رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . فجاء عمرُ ، ثم قال : « الآن يَأْتِيكم رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . قال : فلقد رأيْتُه مُطأْطِئًا رأسَه مِن تحتِ الصَّوْرِ ، ثم يقولُ : « اللهم إن شئتَ [٦/٧٢و] جعَلْتَه عليًّا » . فجاء عليٌّ ، ثم إن الأنصاريةَ ذَبَحَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً وصنَعَتها ، فأكَل وأكَلْنا ، فلما حضَرَت الظهرُ قام يصلِّى وصَلَّيْنا ، ما توَضَّأ ولا توَضَّأْنا ، فلما حضَرَت العصرُ صلَّى ، وما توَضَّأ ولا توَضَّأْنا .

حديثٌ آخرُ : قال أبو يَعْلَى[3] : حدَّثنا الحسنُ بنُ حمادٍ الكُوفىُّ ، ثنا ابنُ أبى غَنِيَّةَ ، عن أبيه ، عن الشَّيْبانىِّ ، عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيرٍ قال : دخَلْتُ مع أُمِّى[4] على عائشةَ ، فسأَلْتُها عن علىٍّ فقالت : ما رأيْتُ رجلًا كان أحَبَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ منه ، ولا امْرأةً كانت أحَبَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن امرأتِه . وقد رَواه غيرُ واحدٍ مِن الشِّيعةِ عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيرٍ به[5] .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا يحيى بنُ أبى بُكَيْرٍ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الجَدَلىِّ[7] قال : دخَلْتُ على أمِّ سَلَمةَ فقالت لى :

---

(١) فى م : « الأسراف » . وهو خطأ طباعى ، وانظر معجم البلدان ١/ ٢٦٩.

(٢) الصور : الجماعة من النخل . النهاية ٣/ ٥٩.

(٣) مسند أبى يعلى (٤٨٥٧) . إسناده ضعيف . ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٥١ مخطوط .

(٤) فى النسخ : « أبى » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٢/٢٥٠ - ٢٥٢ مخطوط .

(٦) المسند ٦/ ٣٢٣. منكر (السلسلة الضعيفة ٢٣١٠) .

(٧) فى م ، ص : « البجلى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٤.

أيُسَبُّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيكم؟ فقلتُ: مَعاذَ اللَّهِ - أو: سُبْحانَ اللَّهِ. أو كلمةً نحوَها - قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَن سَبَّ عليًّا فقد سَبَّنى».

وقد رَواه أبو يَعْلَى[1] [2]عن أبى خَيْثمةَ[2] عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى، عن عيسى ابنِ عبدِ الرحمنِ البَجْلىِّ - مِن بَجْلةَ[3] مِن سُلَيْم - عن السُّدِّىِّ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الجَدَلىِّ قال: قالت أمُّ سَلَمةَ: أيُسَبُّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيكم على المَنابرِ؟ قال: قلتُ: وأَنَّى ذلك؟ قالت: أليس يُسَبُّ علىٌّ ومَن أحَبَّه؟ فأَشْهَدُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُحِبُّه. وقد رُوِى مِن غيرِ هذا الوجهِ عن أمِّ سَلَمةَ[4].

وقد ورَد مِن حديثِها وحديثِ جابرٍ وأبى سعيدٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ[5]: «كذَب مَن زعَم أنه يُحِبُّنى ويُبْغِضُك». ولكن أسانيدُها كلُّها ضعيفةٌ لا يُحْتَجُّ بها.

حديثٌ آخرُ: قال عبدُ الرزاقِ[6]: أنا الثَّوْرىُّ، عن الأعْمشِ، عن عَدِىِّ بنِ ثابتٍ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قال: سمِعْتُ عليًّا يقولُ: والذى فلَق الحَبَّةَ وبرَأ النَّسَمةَ إنه لَعَهْدُ النبىِّ ﷺ إلىَّ: «إنه لا يُحِبُّك إلا مؤمنٌ ولا يُبْغِضُك إلا مُنافقٌ». ورَواه أحمدُ عن ابنِ نُمَيْرٍ ووَكيعٍ، عن الأعْمشِ[7]. وكذلك رَواه أبو مُعاويةَ، ومحمدُ بنُ فُضَيْلٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ داودَ الخُرَيْبىُّ[8]، وعُبَيدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) مسند أبى يعلى (٧٠١٣) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٥٤ مخطوط.
(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج.
(٣) فى الأصل، ٧١، ٦١، م: «بجيلة». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٦٣١. والأنساب ١/ ٢٨٦.
(٤) انظر تاريخ دمشق ١٢/٢٥٣، ٢٥٤ مخطوط.
(٥) المصدر السابق ١٢/٢٥٣، ٢٥٤ مخطوط.
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٥٦ مخطوط، من طريق عبد الرزاق به.
(٧) المسند ١/٨٤ من حديث ابن نمير، و١/ ٩٥، ١٢٨ من حديث وكيع.
(٨) فى الأصل: «الحونى»، وفى ٧١، ٦١، م: «الحربى». وانظر الأنساب ٢/ ٣٥٤.

موسى ، ومُحاضِرُ بنُ المُوَرِّعِ ، ويحيى بنُ عيسى الرَّمْلىُّ ، عن الأعْمشِ به[1] .
وأخْرَجه مسلمٌ فى « صحيحِه »[2] عن [3]وكيعٍ وأبى معاويةَ ، عن الأعمشِ به[3] .
ورَواه حَسَّانُ[4] بنُ حَسَّانَ ، عن شُعْبةَ ، عن عَدِىِّ بنِ ثابتٍ ، عن زِرٍّ ، عن علىٍّ ، فذكَره . وقد رُوِى مِن غيرِ وجهٍ عن علىٍّ . وهذا الذى أوْرَدْناه هو الصحيحُ مِن ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ أبى نَصْرٍ ، حدَّثنى مُساوِرٌ الحِمْيَرِىُّ ، عن [6]أُمِّه [٦/٧٢ظ] قالت[6] : سمِعْتُ أُمَّ سَلَمةَ تقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لعلىٍّ : « لا يُبْغِضُك مؤمنٌ ولا يُحِبُّك مُنافِقٌ » . وقد رُوِى مِن غيرِ هذا الوجهِ عن أمِّ سَلَمةَ بلفظٍ آخرَ ، ولا يَصِحُّ[7] .

وروَى ابنُ عُقْدةَ[8] ، عن الحسنِ بنِ علىِّ بنِ بَزِيعٍ ، ثنا عمرُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا سَوَّارُ بنُ مُصْعبٍ ، عن الحكَمِ ، عن يحيى بنِ الجزَّارِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن زعَم أنه آمَن بى وبما جئتُ به وهو يُبْغِضُ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٢/٢٥٦ - ٢٥٩ مخطوط .
(٢) مسلم (٧٨) .
(٣ - ٣) فى النسخ بياض . والمثبت من صحيح مسلم .
(٤) سقط من : الأصل ، ٧١ ، ٦١ . وفى م ، ص : « غسان » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٢٥ . وقد أخرج الحديث ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٥٩ مخطوط ، من طريق حسان ابن حسان به .
(٥) المسند ٦/ ٢٩٢ . وأخرجه الترمذى من طريق محمد بن فضيل (٣٧١٧ مكرر) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٠) .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ ، م : « أبيه قال » .
(٧) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٦٠ ، ٢٦١ مخطوط .
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٦١ مخطوط ، من طريق ابن عقدة به .

عليًا ، فهو كاذبٌ ليس بمؤمنٍ » . وهذا بهذا الإسنادِ مُخْتَلَقٌ لا يَثْبُتُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[1] : حدَّثنى سعيدُ بنُ محمدٍ الوَرَّاقُ ، عن علىِّ بنِ الحَزَوَّرِ[2] ، سمِعْتُ أبا مَرْيَمَ الثقفىَّ ، سمِعْتُ عَمَّارَ بنَ ياسرٍ يقولُ : سمِعْتُ النبىَّ ﷺ يقولُ لعلىٍّ : « طُوبَى لمن أَحَبَّك وصَدَق فيك ، ووَيْلٌ لمن أبْغَضَك وكذَب فيك » . وقد رُوِى فى هذا المعنى أحاديثُ كثيرةٌ مَوْضوعةٌ لا أصلَ لها .

وقال غيرُ واحدٍ عن أبى الأزْهَرِ أحمدَ بنِ الأزْهرِ[3] ، ثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نظَر إلى علىٍّ فقال : « أنت سيدٌ فى الدنيا ، سيدٌ فى الآخرةِ ، مَن أحَبَّك فقد أحَبَّنى ، وحَبيبُك حَبيبُ اللَّهِ ، ومَن أبْغَضك فقد أبْغَضَنى ، وبَغيضُك بَغيضُ اللَّهِ ، والوَيْلُ لمن أبْغَضك مِن بعدى » .

وروَى غيرُ واحدٍ أيضًا عن الحارثِ بنِ حَصِيرةَ[4] ، عن أبى صادقٍ ، عن رَبيعةَ بنِ ناجذٍ ، عن علىٍّ قال : دعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « إن فيك مِن عيسى مَثَلًا ، أبْغَضَتْه يَهودُ حتى بَهتوا أُمَّه ، وأحبَّتْه النَّصارَى حتى أنْزَلوه بالمَنْزِلِ الذى ليس به » . قال علىٌّ : ألا وإنه يَهْلِكُ فىَّ اثنان ؛ مُحِبٌّ مُطْرٍ يُقَرِّظُنى بما ليس

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٦١، ٢٦٢ مخطوط ، من طريق الحسن بن عرفة به .
(٢) فى الأصل ، ٦١: « الخرار » ، وفى ٧١، م : « الحراز » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٦٦.
(٣) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٠٩٢) ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ١٢٨، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٢/ ٤١، ٤٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٦٧، ٢٦٨ مخطوط ، من طرق عن أبى الأزهر به .
(٤) أخرجه عبد اللَّه بن الإمام أحمد فى زوائده على المسند ١/ ١٦٠، والبخارى فى التاريخ الكبير ٣/ ٢٨١، والنسائى فى خصائص على (١٠٣) ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ١٢٣، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٦٨ - ٢٧٠ مخطوط ، من طرق عن الحارث بن حصيرة به .

فيَّ ، ومُبْغِضٌ يَحْمِلُه شنَآنى على أن يَبْهَتَنى ، ألا وإنى لستُ بنبيٍّ ولا يُوحَى إليَّ ، ولكنى أَعْمَلُ بكتابِ اللَّهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ ما اسْتَطَعْتُ ، فما أمَرْتُكم مِن طاعةِ اللَّهِ فحقٌّ عليكم طاعتى فيما أحْبَبْتُم وكرِهْتُم . لفظُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا يحيى بنُ عبدِ الحميدِ ، ثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن الأعْمشِ ، عن موسى بنِ طَرِيفٍ ، عن عَبايةَ ، عن عليٍّ قال : أنا قَسِيمُ النارِ ، إذا كان يومُ القِيامةِ قلتُ : هذا لكِ وهذا لى . قال يعقوبُ : وموسى بنُ طَرِيفٍ ضَعيفٌ يَحتاجُ إلى مَن يُعَدِّلُه ، وعَبايةُ أقلُّ منه ، ليس حديثُه بشىءٍ . وذكَر أن أبا مُعاويةَ لامَ الأعْمشَ على تَحْدِيثِه بهذا الحديثِ ، فقال له الأعمشُ : إذا [٦/٧٣و] نَسِيتُ فذَكِّرونى . ويقالُ : إن الأعْمشَ إنما رَواه على سبيلِ الاسْتِهْزاءِ بالرَّوافضِ والتَّنْقيصِ لهم فى تَصْديقِهم ذلك[2] .

قلتُ : وما يَتَوَهَّمُه بعضُ العَوَامِّ - بل هو مَشْهورٌ بينَ كثيرٍ منهم - أن عليًّا هو الساقى على الحوضِ ، فليس له أصلٌ ، ولم يَجِئْ مِن طريقٍ مَرْضِيٍّ يُعتَمَدُ عليه ، والذى ثبَت أن رسولَ اللَّهِ ﷺ هو الذى يَسْقِى الناسَ . وهكذا الحديثُ الواردُ فى أنه ليس أحدٌ يأتى يومَ القِيامةِ راكبًا إلا أربعةٌ ؛ رسولُ اللَّهِ على البُراقِ ، وصالحٌ على ناقتِه ، وحَمْزةُ على العَضْباءِ ، وعليٌّ على ناقةٍ مِن نُوقِ الجنةِ رافعًا صوتَه بالتَّهْليلِ[3] . ولا يَصِحُّ شىءٌ مِن هذه الوُجوهِ البتةَ ، وهو مِن وَضْعِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٢ مخطوط ، من طريق يعقوب بن سفيان به . وانظر المعرفة والتاريخ ٣/ ١٩٢.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٢٧١/١٢ - ٢٧٣ مخطوط .

(٣) بعده فى الأصل ، ٧١، ٦١، م : « وكذلك ما فى أفواه الناس من اليمين بعلى يقول أحدهم : خذ بعلى أعطنى بعلى : ونحو ذلك ، كل ذلك لا أصل له ، بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم » .

الرافضةِ[1] .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنى يحيى ، عن شُعْبةَ ، ثنا عمرُو بنُ مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَمةَ ، عن علىٍّ قال : مَرَّ بى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا وَجِعٌ ، وأنا أقولُ : اللهم إن كان أجَلى قد حضَر فأَرِحْنى ، وإن كان آجِلًا فارْفَغْنى[3] ، وإن كان بلاءً فصَبِّرْنى . قال : « ما قلتَ ؟ » فأعَدْتُ عليه ، فضَرَبَنى برجلِه وقال : « ما قلتَ ؟ » فأعَدْتُ عليه ، فقال : « اللهم عافِه » أو : « اشْفِه » . قال : فما اشْتَكَيْتُ ذلك الوَجَعَ بعدُ .

حديثٌ آخرُ : قال محمدُ بنُ مسلمِ بنِ وارةَ[4] : ثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، ثنا أبو عمرَ الأزْدِىُّ ، عن أبى راشدٍ الحُبْرانىِّ[5] ، عن أبى الحَمْراءِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أراد أن يَنْظُرَ إلى آدمَ فى علمِه ، وإلى نوحٍ فى فَهْمِه ، وإلى إبراهيمَ فى حِلْمِه ، وإلى يحيى بنِ زكريا فى زُهْدِه ، وإلى موسى فى بَطْشِه ، فلْيَنْظُرْ إلى علىِّ ابنِ أبى طالبٍ » . وهذا حديثٌ مُنْكَرٌ جدًّا ، ولا يَصِحُّ إسنادُه .

حديثُ رَدِّ الشمسِ له حتى صلَّى العصرَ ، ضعيفٌ لا يَصِحُّ ، قد ذكَرْناه فى دَلائلِ النبوةِ بأسانيدِه وألفاظِه كما تقدَّم[6] فأغْنَى عن إعادتِه .

---

(١) بعده فى الأصل ، ٧١، ٦١، م : « ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك » .

(٢) المسند ١/ ٨٣، ٨٤. (إسناده صحيح) .

(٣) فى الأصل : « فادفع عنى » ، وفى ٧١، ٦١، م : « فارفع عنى » .

(٤) فى الأصل ، ٧١، ٦١: « إدارة » ، وفى م ، ص : « داره » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٢/ ٢٧٩ مخطوط ، فقد أخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن مسلم به . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٤٤.

(٥) فى النسخ : « الحرانى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الأنساب ٢/ ١٦٦، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٢٩٩.

(٦) تقدم فى ٨/ ٥٦٥ - ٥٨٨.

حديثٌ آخرُ: قال أبو عيسى التِّرْمذىُّ[1]: حدَّثنا علىُّ بنُ المنذرِ الكوفىُّ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ، عن الأَجْلَحِ، عن أبى الزبيرِ، عن جابرٍ قال: دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليًّا يومَ الطائفِ فانْتَجاه، فقال الناسُ: لقد طال نَجْواه مع ابنِ عمِّه. فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما انْتَجَيْتُه ولكنَّ اللَّهَ انْتَجاه». ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ الأَجْلَحِ، وقد رَواه غيرُ ابنِ فُضَيْلٍ عن الأَجْلَحِ، ومعنى قولِه: «ولكنَّ اللَّهَ انْتَجاه». أن اللَّهَ أمَرَنى أن أنْتَجِىَ معه.

[٦/٧٣ظ] **حديثٌ آخرُ**: قال التِّرْمذىُّ[2]: ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ وغيرُ واحدٍ، ثنا أبو عاصمٍ، عن أبى الجَرَّاحِ، عن جابرِ بنِ صُبْحٍ، حدَّثَتْنى أُمُّ شَراحِيلَ، حدَّثَتْنى أُمُّ عَطِيةَ قالت: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشًا فيهم علىٌّ. قالت: فسمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو رافعٌ يديه يقولُ: «اللهم لا تُمِتْنى حتى تُرِيَنى عليًّا». ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ [3]غريبٌ، إنَّما نَعْرِفُه مِن هذا الوجهِ[3].

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا علىُّ بنُ عاصمٍ قال: حُصَيْنٌ أخبرنا عن هلالِ بنِ يِسَافٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ظالمٍ المازنىِّ قال: لما خرَج مُعاويةُ مِن الكوفةِ اسْتَعْمل المُغِيرةَ بنَ شُعبةَ. قال: فأقام خُطباءَ يَقَعون فى علىٍّ. قال: وأنا إلى جَنْبِ سعيدِ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ. قال: فغضِب، فقام وأخَذ بيدِى فتبِعْتُه، فقال: ألا تَرَى إلى هذا الرجلِ الظالمِ لنفسِه الذى يَأْمُرُ بلَعْنِ رجلٍ مِن أهلِ الجنةِ[5]! وأَشْهَدُ على التِّسعةِ أنهم مِن أهلِ الجنةِ، ولو شَهِدْتُ على العاشرِ لم

---

(١) الترمذى (٣٧٢٦). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٧).

(٢) الترمذى (٣٧٣٧). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٨١).

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) المسند ١/ ١٨٩. (إسناده صحيح).

(٥) فى م، ص: «الكوفة».

آثَمْ . قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اثْبُتْ حِراءُ ، فليس عليك إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ » . قال : قلتُ : مَن هم ؟ فقال : رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ ، والزبيرُ ، وطلحةُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، وسعدُ بنُ مالكٍ . قال : قلتُ : ومَن العاشرُ ؟ قال : قال : أنا .

ويَنْبَغى أن يُكْتَبَ هـٰهنا حديثُ أمِّ سَلَمةَ المُتَقَدِّمُ قريبًا ، أنها قالت لأبى عبدِ اللَّهِ الجَدَلىِّ : أَيُسَبُّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيكم على المَنابرِ ؟ الحديثَ ، رَواه أحمدُ أيضًا .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ وابنُ أبى بُكَيْرٍ قالا : ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حُبْشىِّ بنِ جُنادةَ السَّلُولىِّ - وكان قد شَهِد حَجَّةَ الوَداعِ - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « علىٌّ منى وأنا منه ، ولا يُؤَدِّى عنى إلا أنا أو علىٌّ » . ثم رَواه أحمدُ ، عن أبى أحمدَ الزُّبَيْرىِّ ، عن إسرائيلَ[2] .

حديثٌ آخرُ : قال أحمدُ[3] : حدَّثنا وَكيعٌ قال : قال إسرائيلُ : قال أبو إسحاقَ ، عن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ ، عن أبى بكرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثه بـ « بَراءةٌ » إلى أهلِ مكةَ : لا يَحُجُّ بعدَ العامِ مُشْركٌ ولا يَطوفُ بالبيتِ عُرْيانٌ ، ولا يَدْخُلُ الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنةٌ ، مَن كان بينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُدَّةٌ فأجَلُه إلى مُدَّتِه ، واللَّهُ برىءٌ مِن المشرِكين ورسولُه . قال : فسار بها ثلاثًا ، ثم قال لعلىٍّ : « الْحَقْه ورُدَّ عَلَىَّ أبا بكرٍ ، وبَلِّغْها أنت » . قال : فلمَّا قدِم أبو بكرٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بَكَى وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، حَدَث فىَّ شىءٌ ؟ [٦/٧٤و] قال : « ما حَدَث فيك إلا

---

(١) المسند ٤/ ١٦٤. وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٨٠) .

(٢) المسند ٤/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) المسند ١/ ٣.

خيرٌ ، ولكن أُمِرْتُ أن لا يُبَلِّغَه إلا أنا أو رجلٌ [1] مِن أهلِ بيتى [1] » .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ [2] : حدَّثنى محمدُ بنُ سليمانَ لُوَيْنٌ ، ثنا محمدُ بنُ جابرٍ ، عن سِماكٍ ، عن حَنَشٍ ، عن علىٍّ قال : لما نزَلَت عَشْرُ آياتٍ مِن « براءةٌ » على النبىِّ ﷺ دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ ، فبعَثه بها ليَقْرَأَها على أهلِ مكةَ ثم دَعانى ، فقال لى : « أَدْرِكْ أبا بكرٍ ، فحيث لَحِقْتَه فُخذِ الكتابَ منه ، فاذْهَبْ به إلى أهلِ مكةَ ، فاقْرَأْه عليهم » . فلحِقْتُه بالجُحْفةِ فأَخَذْتُ الكتابَ منه ، ورجَع أبو بكرٍ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، نزَل فىَّ شىءٌ ؟ قال : « لا ، ولكنَّ جبريلَ جاءَنى فقال : لا يُؤَدِّى عنك إلا أنت أو رجلٌ مِنكَ [3] » . وقد رَواه كَثيرٌ النَّوَّاءُ ، عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيرٍ ، عن ابنِ عمرَ بنحوِه [4] ، وفيه نَكارةٌ مِن جهةِ أمْرِه برَدِّ الصِّدِّيقِ ؛ فإن الصِّدِّيقَ لم يَرْجِعْ ، بل كان هو أميرَ الحَجِّ فى سنةِ تسعٍ ، وكان علىٌّ هو وجماعةٌ معه بَعَثهم الصديقُ يَطوفون برِحابِ مِنًى فى يومِ النَّحْرِ وأيامِ التَّشْريقِ يُنادُون بـ « بَراءةٌ » . وقد قَرَّرْنا ذلك فى حَجَّةِ الصِّديقِ ، وفى أولِ تفسيرِ سورةِ « براءةٌ » [5] .

حديثٌ آخرُ : رُوِىَ مِن حديثِ أبى بكرٍ الصِّديقِ ، وعمرَ ، وعثمانَ بنِ عَفَّانَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ ، ومُعاذِ بنِ جبلٍ ، وعِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، وأنسٍ ، وثَوْبانَ ، وعائشةَ ، وأبى ذَرٍّ ، وجابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « النَّظَرُ إلى وجهِ

(١ - ١) فى المسند : « منى » .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٢٢٧.

(٣) فى م ، ص : « من بيتك » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٠ مخطوط ، من طريق كثير النواء به .

(٥) انظر ما تقدم فى ٧/ ٣٢٣، والتفسير ٤/ ٤٤ - ٥٢.

عليٌّ عِبادةٌ »[1] . وفى حديثٍ عن عائشةَ : « ذِكْرُ عليٍّ عِبادةٌ » . ولكن لا يَصِحُّ شيءٌ منها ؛ فإنه لا يَخْلُو كلُّ سَنَدٍ منها عن كَذَّابٍ أو مَجْهولٍ لا يُعْرَفُ حالُه ، وهو شِيعيٌّ .

حديثُ الصَّدَقةِ بالخاتَمِ وهو راكعٌ : قال الطَّبَرانيُّ[2] : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ [3]محمدِ بنِ سَلْمٍ[3] الرازيُّ ، ثنا محمدُ بنُ يَحْيَى بنِ ضُرَيْسٍ العَبْدىُّ ، ثنا عيسى ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، حدَّثنى أبى عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عليٍّ قال : نزَلَت هذه الآيةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] . فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فدَخَل المسجدَ والناسُ يُصَلُّون بينَ راكعٍ وقائمٍ ، وإذا سائلٌ ، فقال : « يا سائلُ ، هل أعْطاك أحدٌ شيئًا ؟ » فقال : لا ، إلا هاذاك الراكعُ - لعليٍّ - أعْطانى خاتَمه .

وقال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[4] : أنا خالى أبو المَعالى القاضى ، أنا أبو الحسنِ الخِلَعىُّ ، أنا أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدٍ الشاهدُ ، ثنا أبو الفَضْلِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ الرَّمْلىُّ ، ثنا القاضى جُمْلةُ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو سعيدٍ الأشَجُّ ، ثنا أبو نُعَيمٍ الأحْولُ ، عن موسى بنِ قيسٍ ، عن سَلَمةَ قال : تَصَدَّق عليٌّ بخاتَمِه وهو راكعٌ ، فنزَلت : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٢/٣٠١ - ٣٠٤ مخطوط .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٠٥ مخطوط ، من طريق الطبرانى به .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ : « محمد بن مسلم » ، وفى م ، ص : « مسلم » ، وفى تاريخ دمشق : « محمد بن سالم » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٠ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٣٠٠ ، وطبقات المفسرين ١/ ٢٨٢ .

(٤) تاريخ دمشق ١٢/٣٠٥ مخطوط .

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ . وهذا لا يَصِحُّ بوجهٍ مِن الوُجوهِ ؛ لضعفِ أسانيدِه ، ولم يَنْزِلْ فى علىٍّ شىءٌ مِن القرآنِ [٦/٧٤ظ] بخُصوصيَّتِه ، وكلُّ ما يُورِدُونَه فى قولِه تعالى[(١)] : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] ، وقولِه[(٢)] : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] . وقولِه[(٣)] : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٩] . وغيرِ ذلك من الآياتِ والأحاديثِ الواردةِ فى أنها نزَلَت فى علىٍّ لا يَصِحُّ شىءٌ منها .

وأما قولُه تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ الآية . [الحج : ١٩] . فثبَت فى « الصحيحِ »[(٤)] أنها نزَلَت فى علىٍّ وحمزةَ وعُبَيْدةَ مِن المؤمنين ، وفى عُتْبةَ وشَيْبةَ والوليدِ بنِ عُتْبةَ مِن الكافرين .

وما رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال : ما نزَل فى أحدٍ مِن الناسِ ما نزَل فى علىٍّ . وفى روايةٍ عنه أنه قال : نزَل فيه ثلاثُمائةِ آيةٍ[(٥)] . فلا يَصِحُّ ذلك عنه لا هذا ولا هذا . [(٦)] ولا يَصِحُّ أيضًا ما قالوا فيه أنه قال[(٧)] : ما نزَلَت آيةٌ فيها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ إلَّا وعلىٌّ بنُ أبى طالبٍ رأسُها . كلُّ ذلك لا يَصِحُّ ، وإنما هذا مِن غُلُوِّ الرافضةِ[(٦)] .

---

(١) التفسير ٤/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) التفسير ٨/ ٣١٣، ٣١٤.

(٣) التفسير ٤/ ٦٣ - ٦٥.

(٤) تقدم تخريجه فى ٥/ ٩٦.

(٥) أخرج الروايتين ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٩ مخطوط ، بإسناده عن ابن عباس .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) أى ابن عباس . وانظر المصدر السابق ١٢/ ٣٠٨.

حديثٌ آخرُ : قال أبو سعيدِ بنُ الأعْرابيِّ[1] : ثنا محمدُ بنُ زكريا الغَلابيُّ ، ثنا العباسُ بنُ بَكَّارٍ أبو الوليدِ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى الأنْصاريُّ ، عن عمِّه ثُمامةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنسٍ ، عن أنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسًا فى المسجدِ وقد أطاف به أصحابُه ، إذ أقْبَل علىٌّ فسَلَّم ، ثم وقَف ينظُرُ مكانًا يَجْلِسُ فيه ، فنظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى وجوهِ أصحابِه أيُّهم يُوَسِّعُ له ، وكان أبو بكرٍ عن يمينِ رسولِ اللَّهِ ﷺ جالسًا ، فتَزَحْزَح أبو بكرٍ عن مَجْلِسِه وقال : هـٰهنا يا أبا الحسنِ . فجلَس بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ أبى بكرٍ ، فرأَيْنا السُّرورَ فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم أقْبَل على أبى بكرٍ فقال : « يا أبا بكرٍ ، إنما يَعْرِفُ الفَضْلَ لأهلِ الفَضْلِ [2]ذَوو الفَضْلِ[2] » .

فأما الحديثُ الواردُ عن علىٍّ وحذيفةَ مَرْفوعًا[3] : « علىٌّ خيرُ البشرِ ، مَن أَبَى فقد كفَر » . فهو مَوْضوعٌ مِن الطريقَيْن معًا . قبَّحَ اللَّهُ مَن وضَعه واخْتَلَقه .

حديثٌ آخرُ : قال أبو عيسى التِّرْمذىُّ[4] : ثنا إسماعيلُ بنُ موسى ، ثنا محمدُ ابنُ عمرَ بنِ الرُّومىِّ ، ثنا شَريكٌ ، عن سلمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلةَ ، عن الصُّنابِحىِّ ، عن علىٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنا دارُ الحِكْمةِ وعلىٌّ بابُها » . ثم قال : هذا الحديثُ غريبٌ[5] . قال : [6]وروَى بعضُهم هذا الحديثَ[6] عن ابنِ عباسٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٠ مخطوط ، من طريق ابن الأعرابى به ، كما أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٣/ ١٠٥، وابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٣٨٠، ٣٨١. كلاهما من طريق الغلابى به ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١١، ١٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٣ مخطوط ، بإسناده عن على وحذيفة به .

(٤) الترمذى (٣٧٢٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٥) .

(٥) بعده فى سنن الترمذى : « منكر » .

(٦ - ٦) فى الترمذى : « وفى الباب » .

قلتُ : رَواه سُوَيْدُ بنُ سَعيدٍ[1] ، عن شَريكٍ ، عن سَلَمةَ ، عن الصُّنابِحيِّ ، [٦/٧٥و] عن عليٍّ مرفوعًا : « أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها ، فمن أراد العلمَ فلْيَأْتِ بابَ المدينةِ » .

وأمَّا حديثُ ابنِ عباسٍ ، فرَواه ابنُ عَدِيٍّ[2] ، مِن طريقِ أحمدَ بنِ سَلَمةَ أبى عمرٍو الجُرجانيِّ ، ثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنا مَدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها ، فمَن أراد العلمَ فلْيَأْتِها مِن قِبَلِ بابِها » . ثم قال ابنُ عَدِيٍّ : وهذا الحديثُ يُعْرَفُ بأبى الصَّلْتِ الهَرَوىِّ عن أبى مُعاويةَ ، سرَقَه منه أحمدُ بنُ سَلَمةَ هذا ، ومعه جماعةٌ مِن الضُّعفاءِ . هكذا قال ، رحِمه اللَّهُ ، وقد روَى أحمدُ بنُ محمدِ بنِ القاسمِ بنِ مُحْرِزٍ[3] ، عن ابنِ مَعينٍ أنه قال : أخْبَرنى ابنُ أيْمَنَ ، أن أبا مُعاويةَ حدَّث بهذا الحديثِ قديمًا ، ثم كَفَّ عنه . قال : وكان أبو الصَّلْتِ رجلًا مُوسِرًا يُكْرِمُ المَشايخَ ويُحَدِّثونه بهذه الأحاديثِ . وساقه ابنُ عَساكرَ بإسنادٍ مُظْلِمٍ عن جعفرٍ الصادقِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فذكَره مَرْفوعًا ، ومِن طريقٍ أخرى عن جابرٍ[4] . قال ابنُ عَدِيٍّ[5] : وهو مَوْضوعٌ أيضًا . وقال أبو الفتحِ الأزْدىُّ : لا يَصِحُّ فى هذا البابِ شىءٌ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣١٧ مخطوط ، من طريق سويد بن سعيد به .
(٢) الكامل ١/ ١٩٢، ١٩٣.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٨، ٣١٩ مخطوط ، من طريق أحمد بن محمد بن القاسم به .
(٤) المصدر السابق ١٢/ ٣١٩.
(٥) الكامل ١/ ١٩٥.

حديثٌ آخرُ يَقْرُبُ مما قبلَه: قال ابنُ عَدِيٍّ[1]: ثنا أحمدُ بنُ حَمْدونَ[2] النَّيْسابوريُّ، ثنا ابنُ [3]بنتِ أبى[3] أسامةَ - هو جعفرُ بنُ هُذَيْلٍ - ثنا ضِرارُ بنُ صُرَدٍ، ثنا يحيى بنُ عيسى الرَّمْلىُّ، عن الأعْمشِ، عن عَبايةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن النبىِّ ﷺ قال: «علىٌّ عَيْبَةُ عِلْمى».

حديثٌ آخرُ فى معنى ما تقدَّم: قال ابنُ عَدِيٍّ[4]: ثنا أبو يَعْلَى، ثنا كاملُ بنُ طَلْحةَ، ثنا ابنُ لَهِيعةَ، ثنا حُيَيٌّ[5] بنُ عبدِ اللَّهِ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى مرضِه: «ادْعُوا لى أخى». فدَعَوا له أبا بكرٍ، فأعْرَض عنه، ثم قال: «ادْعُوا لى أخى». فدَعَوا له عمرَ، فأعْرَض عنه، ثم قال: «ادْعُوا لى أخى». فدَعَوا له عثمانَ، فأعْرَض عنه، ثم قال: «ادْعُوا لى أخى». فدُعِىَ له علىُّ بنُ أبى طالبٍ، فَسَتَره بثوبٍ وأكَبَّ عليه، فلما خرَج مِن عندِه قيل له: ما قال لك؟ قال: علَّمَنى ألفَ بابٍ، يَفْتَحُ كلُّ بابٍ إلى ألفِ بابٍ. قال ابنُ عَدِيٍّ: هذا حديثٌ مُنْكَرٌ، ولعل البَلاءَ فيه مِن ابنِ لَهِيعةَ، فإنه شديدُ الإفْراطِ فى التَّشَيُّعِ، وقد تَكَلَّم فيه الأئمةُ ونسَبوه إلى الضعفِ. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخرُ: قال ابنُ عَساكرَ[6]: أنبأنا [7]أبو علىٍّ المُقْرِئُ[7]، أنا أبو نُعَيْمٍ

---

(١) الكامل ٤/ ١٤٢١.

(٢) فى الأصل، ٧١، ٦١، م: «حبرون». وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٥٣.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٧١، ٦١، م: «أيوب أبو». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٠١.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٢٠ مخطوط، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٣٤٧)، كلاهما من طريق ابن عدى به.

(٥) فى النسخ: «يحيى». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٨.

(٦) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٢٠ مخطوط.

(٧ - ٧) فى الأصل، ٧١، م: «أبو يعلى ثنا المقرئ»، وفى ٦١: «أبو يعلى المقبرى». وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٠٣.

الحافظُ ، أنا أبو أحمدَ الغِطْرِيفيُّ ، ثنا أبو الحسينِ بنُ أبى مُقاتِلٍ ، ثنا محمدُ بنُ عُبَيدِ بنِ عُتْبةَ ، ثنا محمدُ بنُ عليٍّ الوَهْبيُّ الكوفيُّ ، ثنا أحمدُ [٦/٧٥ظ] بنُ عِمْرانَ ابنِ سلمةَ - وكان ثِقةً عَدْلًا مَرْضِيًّا - ثنا سفيانُ الثَّوْرىُّ ، عن مَنْصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : كنتُ عندَ النبىِّ ﷺ فسُئِل عن علىٍّ ، فقال : « قُسِمَتِ الحِكْمَةُ عشَرةَ أجْزاءٍ ، أُعْطِىَ علىٌّ تِسْعةً والناسُ جُزْءًا واحدًا » . وسكَت الحافظُ ابنُ عَساكرَ على هذا الحديثِ ولم يُنَبِّهْ على أمْرِه ، وهو مُنْكَرٌ بل مَوْضوعٌ ، مُرَكَّبٌ على سفيانَ الثَّوْرىِّ بإسنادِه ، قبَّحَ اللَّهُ واضعَه ومَن افْتَراه واخْتَلَقه .

حديثٌ آخرُ : قال أبو يَعْلَى[1] : ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ القَوارِيرىُّ ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن الأعْمشِ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى البَخْتَرىِّ ، عن علىٍّ قال : بعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليمنِ وأنا حديثُ السِّنِّ ، ليس لى علمٌ بالقَضاءِ . قال : فضرَب فى صَدْرى وقال : « إن اللَّهَ سيَهْدى قلبَك ويُثَبِّتُ لِسانَك » . قال : فما شَكَكْتُ فى قَضاءٍ بينَ اثنين بعدُ .

وقد ثبَت عن عمرَ أنه كان يقولُ[2] : علىٌّ أقْضانا ، وأُبَىٌّ أقْرَؤُنا للقرآنِ . وكان عمرُ يقولُ[2] : أعوذُ باللَّهِ مِن مُعْضِلةٍ ولا أبو حَسنٍ لها .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا جَريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن مُغيرةَ ، عن أُمِّ موسى ، عن أُمِّ سَلَمةَ قالت : والذى أَحْلِفُ به إن كان علىُّ بنُ أبى طالبٍ لَأَقْرَبَ الناسِ عَهْدًا برسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ عُدْنا رسولَ اللَّهِ

---

(١) مسند أبى يعلى (٤٠١) .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/٣٣٩ .
(٣) المسند ٦/ ٣٠٠.

ﷺ غَداةً بعدَ غَداةٍ يقولُ : « جاء عليٌّ ؟ » مِرارًا ، وأَظُنُّه كان بعَثه فى حاجةٍ . قالت : فجاء بعدُ ، فظَنَنْتُ أنَّ له إليه حاجةً ، فخرَجْنا مِن البيتِ فقعَدْنا عندَ البابِ ، فكنْتُ مِن أدْناهم إلى البابِ ، فأكَبَّ عليه عليٌّ ، فجعَل يُسارُّه ويُناجِيه ، ثم قُبِض مِن يومِه ذلك ، فكان أقْرَبَ الناسِ به عهدًا . وهكذا رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ وأبو يَعْلَى ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ به[1] .

حديثٌ آخرُ فى مَعْناه : قال أبو يَعْلَى[2] : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن صَدَقةَ بنِ سعيدٍ ، عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيْرٍ ، أن أُمَّه وخالتَه دَخَلتا على عائشةَ فقالتا : يا أُمَّ المؤمنين ، أَخْبِرينا عن عليٍّ . قالت : أىَّ شىءٍ تَسْأَلْنَ ؟ عن رجلٍ وضَع يدَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مَوْضِعًا ، فسالت نفسُه فى يدِه فمسَح بها وجهَه ، واخْتَلفوا فى دَفنِه فقال : إن أحَبَّ الأماكنِ إلى اللَّهِ مكانٌ قُبِض فيه نبيُّه ﷺ . قالتا : فلِمَ خرَجْتِ عليه ؟ قالت : أمْرٌ قُضِىَ ، لَوَدِدْتُ أنى أَفْديه بما على الأرضِ . وهذا مُنْكَرٌ جدًّا ، وفى « الصحيحِ » ما يَرُدُّ هذا[3] . واللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، حدَّثنى عبدُ الحميدِ ابنُ أبى جعفرٍ - يعنى الفَرَّاءَ - عن إسرائيلَ ، عن [٦/٧٦و] أبى إسحاقَ ، عن زيدِ ابنِ يُثَيْعٍ ، عن عليٍّ قال : قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن نُؤَمِّرُ بعدَك ؟ قال : « إن تُؤَمِّروا أبا بكرٍ تَجِدوه أمينًا زاهدًا فى الدنيا راغِبًا فى الآخرةِ ، وإن تُؤَمِّروا عمرَ تَجِدوه قويًّا أمينًا لا يَخافُ فى اللَّهِ لَوْمةَ لائمٍ ، وإن تُؤَمِّروا عليًّا ، ولا أُراكم فاعِلِين ، تَجِدوه

---

(١) المسند ٦/ ٣٠٠، ومسند أبى يعلى (٦٩٣٤) .

(٢) مسند أبى يعلى (٤٨٦٥) .

(٣) لعله قول عائشة ، رضى اللَّه عنها : توفى رسول اللَّه ﷺ فى بيتى وفى يومى ، وبين سحرى ونحرى ... وقد تقدم تخريجه فى ٨/١٤١ . والله أعلم .

(٤) المسند ١/ ١٠٨، ١٠٩.

هاديًا مَهْدِيًّا يأخُذُ بكم الطريقَ المستقيمَ » . وقد رُوِىَ هذا الحديثُ مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ[1] ، عن النُّعْمانِ بنِ أبى شَيْبةَ ، وعن يحيى بنِ العَلاءِ ، عن الثَّوْرىِّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ ، عن حُذَيْفةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه . ورَواه أبو الصَّلْتِ الهَرَوىُّ عبدُ السلامِ بنُ صالحٍ ، عن ابنِ نُمَيْرٍ ، عن الثورىِّ ، عن شَرِيكٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن زيدِ بنِ يُثَيْعٍ ، عن حُذَيفةَ به[2] .

وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابورىُّ[3] : أنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ علىٍّ الآدَمىُّ بمكةَ ، ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الصَّنْعانىُّ ، أنا عبدُ الرزاقِ بنُ هَمَّامٍ ، عن أبيه ، عن مِيناءَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ قال : كنَّا مع النبىِّ ﷺ ليلةَ وفَدَ الجنُّ . قال : فتَنَفَّسَ فقلتُ : ما شأنُك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نُعِيَتْ إلىَّ نفسى » . قلتُ : فاسْتَخْلِفْ . قال : « مَن ؟ » قلتُ : أبا بكرٍ . قال : فسكَت ، ثم مَضَى ساعةً[4] ، ثم تَنَفَّسَ فقلتُ : ما شأنُك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نُعِيَتْ إلىَّ نفسى يا بنَ مَسْعودٍ » . قلتُ : فاسْتَخْلِفْ . قال : « مَن ؟ » قلتُ : عمرَ . قال : فسَكَت ، ثم مَضَى ساعةً ، ثم تَنَفَّسَ فقلتُ : ما شأْنُك ؟ قال : « نُعِيَتْ إلىَّ نفسى يا بنَ مَسْعودٍ » . قلتُ : فاسْتَخْلِفْ . قال : « مَن ؟ » قلتُ : علىَّ بنَ أبى طالبٍ . قال : « أمَا والذى نفسى بيدِه لَئِن أطاعوه لَيَدْخُلُنَّ الجنةَ أجْمَعين أَكْتَعِين » . قال ابنُ عَساكرَ : هَمامٌ ومِيناءُ مَجْهولان .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ١٤٢، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣/ ٣٠١، ٣٠٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٣٩/١٢ مخطوط ، كلهم من طريق عبد الرزاق به .

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق الموضع السابق ، كلاهما من طريق عبد السلام بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٤٠/١٢ مخطوط ، من طريق الحاكم به . والخبر موضوع . انظر اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٢٥.

(٤) سقط من : م ، ص .

حديثٌ آخرُ: قال أبو يَعْلَى[1]: ثنا أبو موسى - يعنى محمدَ بنَ المُثَنَّى - ثنا سَهْلُ بنُ حَمادٍ أبو عَتَّابٍ الدَّلَّالُ، ثنا مُخْتارُ بنُ نافعٍ التَّيْمِيُّ، ثنا أبو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، عن أبيه، عن عليٍّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِم اللَّهُ أبا بكرٍ، زوَّجَنى ابنتَه، وحمَلنى إلى دارِ الهِجْرةِ، وأعْتَق بلالًا مِن مالِه، رَحِم اللَّهُ عمرَ، يقولُ الحقَّ وإن كان مُرًّا، ترَكه الحقُّ وما له مِن صَديقٍ، رَحِم اللَّهُ عثمانَ، تَسْتَحِيه الملائكةُ، رَحِم اللَّهُ عليًّا، اللهم أَدِرِ الحقَّ معه حيث دار». وقد ورَد عن أبى سعيدٍ وأمِّ سَلَمةَ أن الحقَّ مع عليٍّ، رضِى اللَّهُ عنه، وفى كلٍّ منهما نَظَرٌ[2]. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخرُ، قال أبو يَعْلَى[3]: ثنا عثمانُ، ثنا جريرٌ، عن الأعْمشِ، عن إسماعيلَ بنِ رَجاءٍ، عن أبيه، عن أبى سعيدٍ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إن منكم مَن يُقاتِلُ على تَأْويلِ القرآنِ كما قاتَلْتُ على تَنْزيلِه». فقال أبو بكرٍ: أنا هو يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «لا». فقال عمرُ: أنا هو يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «لا، ولكنه خاصِفُ النَّعْلِ». وكان قد أعْطَى عليًّا نَعْلَه يَخْصِفُه. ورَواه [٦/ ٧٦ظ] البَيْهقيُّ، عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ، عن أبى مُعاويةَ، عن الأعْمشِ به[4]. ورَواه الإمامُ أحمدُ، عن وَكيعٍ وحسينِ بنِ محمدٍ، عن فِطْرِ بنِ خَليفةَ، عن إسماعيلَ بنِ رَجاءٍ به[5]. ورَواه البيهقيُّ أيضًا، مِن

---

(١) مسند أبى يعلى (٥٥٠). كما أخرجه الترمذى (٣٧١٤)، من طريق سهل بن حماد به. ضعيف جدًّا (ضعيف سنن الترمذى ٧٦٧).

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٥٦ مخطوط.

(٣) مسند أبى يعلى (١٠٨٦).

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٦.

(٥) تقدم تخريجه فى ١٠/ ٦٣١، من رواية وكيع، ورواية حسين بن محمد فى المسند ٣/ ٨٢.

حديثِ أبى نُعَيْمٍ ، عن فِطْرِ بنِ خَليفةَ ، عن إسماعيلَ بنِ رَجاءٍ ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ به[1] . ورَواه فُضَيْلُ بنُ مَرْزوقٍ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ[2] . ورُوِىَ مِن حديثِ علىٍّ نفسِه[3] . وقد قدَّمْنا هذا الحديثَ فى مَوْضِعِه فى قِتالِ علىٍّ أهلَ البَغْيِ والخَوارِجَ ، وللَّهِ الحمدُ[4] . وقدَّمْنا أيضًا حديثَ علىٍّ للزبيرِ[5] : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لك إنك تُقاتِلُنى وأنت ظالمٌ . فرجَع الزبيرُ ، وذلك يومَ الجَمَلِ ، ثم قُتِل بعدَ مَرْجِعِه فى وادى السِّباعِ . وقدَّمْنا صبرَه وصَرامتَه وشَجاعتَه فى يومي الجملِ وصِفِّينَ ، وبَسالتَه وفضلَه فى يومِ النَّهْرَوانِ ، وما ورَد فى فَضْلِ طائفتِه الذين قتَلوا الخَوارجَ ، مِن الأحاديثِ ، وذكَرْنا الحديثَ الواردَ مِن غيرِ طريقٍ ، عن علىٍّ وأبى سعيدٍ وأبى أيوبَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمرَه بقتالِ المارِقين والقاسِطِين والناكِثِين ، وفَسَّروا الناكِثِين بأصحابِ الجَمَلِ ، والقاسِطِين بأهلِ الشامِ ، والمارِقِين بالخَوارجِ[6] والحديثُ ضَعيفٌ .

فصلٌ فى ذكرِ شىءٍ من سيرتِه العادلةِ ، وطريقتِه الفاضلةِ ، ومواعظِه وقَضاياه الفاصلةِ ، وخُطَبِه الكاملةِ ، وحِكَمِه التى هى إلى القلوبِ واصلةٌ

قال عبدُ الوارثِ[7] عن أبى عمرِو بنِ العَلاءِ ، عن أبيه قال : خطَب علىٌّ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٥٩ مخطوط ، من طريق فضيل به .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٧١٥) مطولًا . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٧٦٨) .

(٤) تقدم فى ١٠/ ٦٣١.

(٥) تقدم تخريجه فى ١٠/ ٤٥٨، ٤٥٩.

(٦) تقدم فى ١٠/٦٣٢ - ٦٣٨.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٧٣، ٣٧٤ مخطوط ، من طريق عبد الوارث به .

فقال : أيُّها الناسُ ، واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو ما رَزَأْتُ مِن مالِكم قليلًا ولا كثيرًا إلا هذه . وأخْرَج قارُورةً مِن كُمِّ قميصِه فيها طِيبٌ . فقال : أهْداها إلىَّ الدِّهْقانُ[1] . ثم أَتَى بيتَ المالِ فقال : خُذوا . وأنْشَأ يقولُ :

أفْلَح مَن كانت له قَوْصَرَّهْ[2] يَأْكُلُ منها كلَّ يومٍ تَمْرهْ

وفى روايةٍ : مَرَّهْ . وفى روايةٍ :

طُوبَى لمن كانت له قَوْصَرَّهْ .....

وقال حَرْمَلةُ[3] عن ابنِ وَهْبٍ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن ابنِ هُبَيْرةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ زُرَيْرٍ[4] الغافِقىِّ قال : دَخَلْنا مع علىٍّ يومَ الأضْحَى ، فقَرَّب إلينا خَزِيرةً[5] ، فقُلْنا : أصْلَحَك اللَّهُ ، لو قَدَّمْتَ إلينا هذا البَطَّ والإوَزَّ ، فإن اللَّهَ قد أكْثَر الخيرَ . فقال : يا بنَ زُرَيْرٍ ، إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يَحِلُّ للخَليفةِ مِن مالِ اللَّهِ إلا قَصْعَتان ؛ قَصْعةٌ يَأْكُلُها هو وأهلُه ، وقَصْعَةٌ يُطْعِمُها الناسَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا حسنٌ وأبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ ، قالا : ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ هُبَيْرةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زُرَيرٍ أنه قال : دَخَلْتُ على علىٍّ ابنِ أبى طالبٍ - قال حسنٌ : يومَ الأضْحَى - فقَرَّب إلينا خَزِيرةً ، فقلتُ : أصْلَحَك اللَّهُ ، لو [7]قَرَّبْتَ إلينا مِن[7] هذا البَطِّ - يعنى الوَزَّ - فإن اللَّهَ قد أكْثَر

---

(١) بعده فى م ، ص : « وفى رواية بضم الدال وقال » .

(٢) القوصَّرة : وِعاءٌ يُعمل للتمر . النهاية ١٢١/٤ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٤/١٢ مخطوط ، من طريق حرملة به .

(٤) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ : « رزين » ، وفى م : « أبى رزين » . وانظر تهذيب الكمال ٥١٧/٤ .

(٥) الخزيرة : لحم يقطع قطعًا صغارًا ثم يطبخ بماء كثير وملح ، فإذا اكتمل نضجه ذُرَّ عليه الدقيق ، وعُصِد به ثم أُدِم بإدام ما . وهى أيضا : الحساء من الدسم والدقيق . انظر الوسيط (خ ز ر) .

(٦) المسند ٧٨/١ (إسناده صحيح) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٤/١٢ مخطوط ، من طريق الإمام أحمد به .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٧١ ، ٦١ ، م : « أطعمتنا » .

الخيرَ . فقال : يا بنَ زُرَيرٍ ، إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يَحِلُّ للخَليفةِ مِن مالِ اللَّهِ إلا قَصْعَتان ؛ قَصْعةٌ يَأْكُلُها هو وأهلُه ، وقَصْعَةٌ يَضَعُها بينَ يدَيِ الناسِ » .

وقال أبو عُبيدٍ[(١)] : ثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، عن هارونَ[(٢)] بنِ عَنْتَرَةَ ، عن أبيه قال : دَخَلْتُ على عليٍّ بنِ أبى طالبٍ بالخَوَرْنَقِ وعليه قَطِيفةٌ وهو يُرْعِدُ مِن البردِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إن اللَّهَ قد جعَل لك ولأهلِ بيتِك نَصيبًا فى هذا المالِ ، وأنت [(٣)]تَفْعَلُ بنفسِك هذا[(٣)] ؟! فقال : إنى واللَّهِ [٦/٧٧و] لا أَرْزَأُ مِن مالِكم شيئًا ، وهذه القَطِيفةُ [(٤)]هى التى خرَجْتُ بها[(٤)] مِن بيتى . أو قال : مِن المدينةِ .

وقال أبو نُعَيْمٍ[(٥)] : سمِعْتُ سُفيانَ الثَّوْرىَّ يقولُ : ما بَنَى عليٌّ لَبِنةً [(٦)]على لَبِنةٍ[(٦)] ، ولا قَصَبةً على قَصَبةٍ ، وإن كان لَيُؤْتَى بجَبوبِه[(٧)] مِن المدينةِ فى جِرابٍ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[(٨)] : ثنا أبو بكرٍ الحُمَيْدىُّ ، ثنا سفيانُ ، ثنا أبو حَيَّانَ ، عن مُجَمِّعِ بنِ سِمْعانَ التَّيْمىِّ قال : خرَج علىُّ بنُ أبى طالبٍ بسيفِه إلى السوقِ فقال : مَن يَشْتَرى منى سيفى هذا ؟ فلو كان عندى أربعةُ دَراهمَ أشْتَرِى بها إزارًا ما بِعْتُه .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٨٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٤ مخطوط ، كلاهما من طريق أبى عبيد به .

(٢) فى الأصل ، ٧١، م : « مروان » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٠٠.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٧١، ٦١، م : « ترعد من البرد » .

(٤ - ٤) فى ص ، وتاريخ دمشق : « التى أخرجتها » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٥ مخطوط ، من طريق أبى نعيم به .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) الجبوب: المدر المفتت . اللسان (ج ب ب) .

(٨) المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٨٣. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٥ مخطوط ، من طريق يعقوب بن سفيان به .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : حدَّثنى سفيانُ ، عن جعفرٍ - قال : أَظُنُّه عن* أبيه - أن عليًّا كان إذا لبِس قميصًا مَدَّ يدَه فى كُمِّه ، فما فضَل مِن الكُمِّ عن الأصابعِ قطَعه ، وقال : ليس للكُمِّ فَضْلٌ عن الأصابعِ .

وقال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[2] ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : اشْتَرى علىٌّ قميصًا بثلاثةِ دَراهمَ وهو خَليفةٌ ، وقطَع كُمَّه مِن مَوْضِعِ الرُّسْغَين ، وقال : الحمدُ للَّهِ الذى هذا مِن رِياشِه .

وروَى الإمامُ أحمدُ فى « الزُّهْدِ »[3] ، عن عَبَّادِ بنِ العَوَّامِ ، عن هِلالِ بنِ خَبّابٍ ، عن مَولًى لأبى عُصَيْفِيرٍ قال : رأيْتُ عليًّا خرَج فأتى رجلًا من أصحابِ الكَرابِيسِ ، فقال له : عندَك قميصٌ سُنْبُلانىٌّ ؟ قال : فأخْرَج إليه قميصًا فلَبِسه ، فإذا هو إلى نصفِ ساقَيه ، فنظَر عن يمينِه وعن شمالِه فقال : ما أَرَى إلا قَدْرًا حسنًا ، بكَمْ هو ؟ قال : بأربعةِ دَراهمَ يا أميرَ المؤمنين . قال : فحَلَّها مِن إزارِه فدفَعها إليه ، ثم انْطَلَق .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : أنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ ، أنا الحسنُ بنُ جُرْمُوزٍ ، عن أبيه قال : رأيْتُ عليًّا وهو يَخْرُجُ مِن القصرِ وعليه قِطْرِيَّتان[5] ؛ إزارٌ إلى نصفِ الساقِ ، ورِداءٌ مُشَمَّرٌ قريبٌ منه ، ومعه دِرَّةٌ له يمشى بها فى الأسواقِ ، ويأْمُرُ الناسَ بتَقْوَى اللَّهِ وحُسنِ البيعِ ، ويقولُ : أَوْفوا الكيلَ والميزانَ . ويقولُ : لا تَنْفُخوا اللَّحْمَ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٥ مخطوط ، من طريق الزبير به .

* إلى هنا ينتهى الجزء السابع من نسخة أحمد الثالث والمشار إليها بـ (٧أ) .

(٢) المصدر السابق ، من طريق أبى بكر بن عياش به .

(٣) لم نجده فى كتاب الزهد المطبوع . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، الموضع السابق ، من طريق الإمام أحمد به .

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٣٧٦، من طريق محمد بن سعد به .

(٥) فى م : « قبطيتان » . والقطرية : ضرب من البرود حُمْر ، تأتى من قبل البحرين . والقُبطية : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر ، وهى منسوبة إلى القبط . اللسان (ق ط ر) ، (ق ب ط) .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ فى « الزُّهْدِ »[1] : أنا رَجلٌ ، حدَّثنى صالحُ بنُ مِيثَمٍ ، ثنا زيدُ بنُ وهبٍ الجُهَنىُّ قال : خرَج علينا علىُّ بنُ أبى طالبٍ ذاتَ يومٍ وعليه بُرْدان ، مُتَّزِرٌ بأحدِهما مُرْتَدٍ بالآخرِ ، قد أرْخَى جانبَ إزارِه ورفَع جانبًا ، وقد رَقَّع رداءَه[2] بخِرْقَةٍ ، فمَرَّ به أعْرابىٌّ فقال : أيُّها الإنسانُ ، الْبَسْ مِن هذه الثيابِ فإنك مَيِّتٌ أو مَقْتولٌ . فقال : أيُّها الأعْرابىُّ ، إنما أَلْبَسُ هذين الثوبَين ليَكونا أبْعَدَ لى مِن الزَّهْوِ ، وخيرًا لى فى صَلاتى ، وسُنَّةً للمؤمنِ .

وقال عبدُ بنُ حُمَيْدٍ[3] : ثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ ، ثنا المُختارُ بنُ نافعٍ ، عن أبى مَطَرٍ قال : خرَجْتُ مِن المسجدِ [٦/٧٧ظ] فإذا رجلٌ يُنادى مِن خَلْفى : ارْفَعْ إزارَك ؛ فإنه أَنْقَى لثوبِك وأتْقَى لك ، وخُذْ مِن رأسِك إن كنتَ مسلمًا . فمشَيْتُ خلفَه وهو [4]بينَ يَدَىَّ[4] مُؤْتَزِرٌ بإزارٍ مُرْتَدٍ برداءٍ ومعه الدِّرَّةُ ، كأنه أعْرابىٌّ بَدَوىٌّ ، فقلتُ : مَن هذا ؟ فقال لى رجلٌ : أُراك غريبًا بهذا البلدِ . فقلتُ : أجَلْ ، أنا رجلٌ مِن أهلِ البَصْرةِ . فقال : هذا علىُّ بنُ أبى طالبٍ أميرُ المؤمنين . حتى انْتَهى إلى دارِ بنى أبى مُعَيْطٍ وهى سوقُ الإبلِ ، فقال : بِيعوا ولا تَحْلِفوا ؛ فإن اليمينَ تُنْفِقُ السلعةَ وتَمْحَقُ البركةَ . ثم أَتَى أصحابَ التَّمْرِ ، فإذا خادمٌ تَبْكِى فقال : ما يُبْكِيكِ ؟ فقالت : باعنى هذا الرجلُ تمرًا بدرهمٍ فردَّه مَوالىَّ ، فأبى أن يَقْبَلَه . فقال له علىٌّ : خُذْ تمرَك وأعْطِها درهمَها ؛ فإنها ليس لها أمْرٌ . فدفَعه ، فقلتُ : أتَدْرِى مَن هذا ؟ فقال : لا . فقلتُ : هذا علىُّ بنُ أبى طالبٍ أميرُ المؤمنين . فصَبَّتْ تمرَه وأعْطاها درهمَها ، ثم قال الرجلُ : أُحِبُّ أن تَرْضَى عنى يا أميرَ المؤمنين . قال : ما

---

(١) الزهد (٧٥٦) ، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٦ مخطوط ، من طريق ابن المبارك به .
(٢) فى النسخ : « إزاره » . والمثبت موافق لما فى بعض النسخ المخطوطة لكتاب الزهد كما فى هامشه .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٧٦، ٣٧٧ مخطوط ، من طريق عبد بن حميد به .
(٤ - ٤) سقط من : م .

أرْضانى عنك إذا أوْفَيتَ الناسَ حقوقَهم . ثم مرَّ مُجْتازًا بأصحابِ التمرِ فقال : يا أصحابَ التمرِ ، أطْعِموا المساكينَ يَرْبُ كسبُكم . ثم مَرَّ مُجْتازًا ومعه المسلمون ، حتى انْتَهَى إلى أصحابِ السَّمَكِ ، فقال : لا يُباعُ فى سُوقِنا طافٍ . ثم أَتَى دارَ فراتٍ وهى سوقُ الكَرابيسِ ، فأَتَى شيخًا فقال : يا شيخُ ، أَحْسِنْ بَيْعى فى قميصٍ بثلاثةِ دراهمَ . فلما عرَفه لم يَشْتَرِ منه شيئًا ، ثم آخَرَ ، فلمَّا عَرَفه لم يَشْتَرِ منه شيئًا ، فأَتَى غلامًا حَدَثًا فاشْتَرَى منه قميصًا بثلاثةِ دراهمَ ، وكُمُّه ما بينَ الرُّسْغَين إلى الكَفَّين[1] يقولُ فى لُبْسِه : الحمدُ للَّهِ الذى رزَقنى مِن الرِّياشِ ما أَتَجَمَّلُ به فى الناسِ ، وأُوارِى به عَوْرَتِى . فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ، هذا شىءٌ تَرْويه عن نفسِك ، أو شىءٌ سمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : لا ، بل شىءٌ سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُه عندَ الكِسوةِ . فجاء أبو الغلامِ صاحبُ الثوبِ فقيل له : يا فلانُ ، قد باع ابنُك اليومَ مِن أميرِ المؤمنين قميصًا بثلاثةِ دراهمَ . قال : أفلا أخَذْتَ منه درهمين ؟ فأخَذ منه أبوه درهمًا ، ثم جاء به إلى أميرِ المؤمنين وهو جالسٌ مع المسلمين على بابِ الرَّحْبةِ ، فقال : أمْسِكْ هذا الدرهمَ . فقال : ما شأنُ هذا الدرهمِ ؟ فقال : كان قميصًا ثُمِّن درهمين . فقال : باعنى رِضاىَ وأخَذ رِضاه .

وقال عمرُو بنُ شِمْرٍ[2] ، عن جابرٍ الجُعْفىِّ ، عن الشعبىِّ قال : وجَد علىُّ بنُ أبى طالبٍ دِرْعَه عندَ رجلٍ نَصْرانىٍّ ، فأقْبَل به إلى شُرَيْحٍ يُخاصِمُه . قال : فجاء علىٌّ حتى جلَس إلى جَنْبِ شُرَيْحٍ وقال : ياشُرَيْحُ ، لو كان خَصْمى مسلمًا ما جَلَسْتُ إلا معه ، ولكنه نصرانىٌّ ، وقد قال [٦/ ٧٨و] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا كنتم

---

(١) فى النسخ ، وتاريخ دمشق : « الكعبين » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٦٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٧ مخطوط ، من طريق عمرو بن شمر به . قال ابن عساكر فى الكلام على أحاديث (المهذب) : إسناده مجهول . كما فى الإرواء . وقال الألبانى : وهذا إسناد واه جدًّا ؛ عمرو وجابر ، وهو ابن يزيد الجعفى ، متروكان . انظر إرواء الغليل ٨/ ٢٤٣.

وإياهم فى طريقٍ فاضْطَرُّوهم إلى مَضايقِه ، وصَغِّروا بهم كما صَغَّر اللَّهُ بهم مِن غيرِ أن تَطْغَوا » . ثم قال : هذا الدِّرعُ دِرْعى لم أَبِعْ ولم أَهَبْ . فقال شُرَيْحٌ للنصْرانىِّ : ما تقولُ فيما يقولُ أميرُ المؤمنين ؟ فقال النصرانىُّ : ما الدِّرْعُ إلا دِرْعى ، وما أميرُ المؤمنين عندى بكاذبٍ . فالتَفَتَ شُرَيْحٌ إلى علىٍّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هل مِن بَيِّنةٍ ؟ فضحِك علىٌّ وقال : أصاب شُرَيْحٌ ، ما لى بَيِّنةٌ . فقضَى بها شُرَيْحٌ للنصرانىِّ . قال : فأخَذها النصْرانىُّ ، ومشَى خُطًى ثم رجَع فقال : أمَّا أنا فأَشْهَدُ أن هذه أحْكامُ الأنبياءِ ، أميرُ المؤمنين قَدَّمَنى إلى قاضيه ، وقاضِيه يَقْضِى عليه ! أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأَشْهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، الدِّرْعُ واللَّهِ دِرْعُك يا أميرَ المؤمنين ، اتَّبَعْتُ الجيشَ وأنت مُنْطَلِقٌ إلى صِفِّينَ ، فخرجَتْ مِن بَعيرِك الأَوْرَقِ . فقال : أمَا إذ أسْلَمْتَ فهى لك . وحمَله على فرسٍ . قال الشعبىُّ : فأخْبَرنى مَن رآه يُقاتِلُ الخَوارجَ مع علىٍّ يومَ النَّهْرَوان .

وقال سعيدُ بنُ عُبَيدٍ[1] ، عن علىِّ بنِ رَبيعةَ : جاء جَعْدةُ بنُ هُبَيْرةَ إلى علىٍّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، يَأْتيك الرجلان أنت أحَبُّ إلى أحدِهما مِن أهلِه ومالِه ، والآخرُ لو يَسْتَطِيعُ أن يَذْبَحَك لَذَبَحك ، فتَقْضِى لهذا على هذا ! قال : فلَهَزه علىٌّ وقال : إن هذا شىءٌ لو كان لى فَعَلْتُ ، ولكن إنما ذا شىءٌ للَّهِ .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[2] : حدَّثنى جَدِّى ، ثنا علىُّ بنُ هاشمٍ ، عن صالحِ بَيَّاعِ الأَكْسِيةِ ، عن جَدَّتِه قالت : رأيتُ عليًّا اشترَى تَمْرًا بدرهمٍ ، فحمَله فى مِلْحَفتِه ، فقال رجلٌ : يا أميرَ المؤمنين ، ألا نَحْمِلُه عنك . فقال : أبو العِيالِ أحَقُّ بحمْلِه .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٨/١٢ مخطوط ، من طريق سعيد بن عبيد به .
(٢) المصدر السابق ، من طريق أبى القاسم البغوى به .

وعن أبى هاشمٍ[1] ، عن زاذانَ قال : كان علىٌّ يَمْشِى فى الأسواقِ وحدَه وهو خَليفةٌ ، يُرْشِدُ الضالَّ ويُعِينُ الضعيفَ ، ويَمُرُّ بالبَيَّاعِ والبَقَّالِ فيَفْتَحُ عليه القرآنَ ، ويَقْرَأُ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] . ثم يقولُ : نزَلَت هذه الآيةُ فى أهلِ العدلِ والتواضعِ مِن الوُلاةِ وأهلِ القدرةِ مِن سائرِ الناسِ .

وعن عُبادةَ بنِ زيادٍ[2] ، عن صالحِ بنِ أبى الأسْودِ ، عمَّن حدَّثه ، أنه رأَى عليًّا قد ركِب حمارًا ودَلَّى رجلَيْه إلى موضعٍ واحدٍ ، ثم قال : أنا الذى أهَنْتُ الدنيا .

وقال يحيى بنُ مَعينٍ[3] ، عن علىِّ بنِ الجَعْدِ ، عن الحسنِ بنِ صالحٍ قال : تَذاكروا الزُّهَّادَ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقال قائلون : فلانٌ . [٦/٧٨ظ] وقال قائلون : فلانٌ . فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : أَزْهَدُ الناسِ فى الدنيا علىُّ بنُ أبى طالبٍ .

وقال هشامُ بنُ حَسَّانَ[4] : بينا نحن عندَ الحسنِ البَصْرىِّ إذ أقْبَل رجلٌ مِن الأزارِقةِ فقال : يا أبا سعيدٍ ، ما تقولُ فى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ؟ قال : فاحْمَرَّت وَجْنَتا الحسنِ ، وقال : رَحِم اللَّهُ عليًّا ، إن عليًّا كان سَهْمًا للَّهِ صائبًا فى أعدائِه ، وكان فى مَحَلَّةِ العلمِ أشْرَفَها وأقْرَبَها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان رَبَّانىَّ هذه الأمةِ ، لم يَكُنْ لمالِ اللَّهِ بالسَّرُوقةِ ، ولا فى أمْرِ اللَّهِ بالنَّؤُومةِ ، أعْطَى القرآنَ عَزائمَه وعَملَه وعِلْمَه ، فكان منه فى رِياضٍ مُونِقَةٍ ، وأعلامٍ بَيِّنةٍ ، ذاك علىُّ بنُ أبى طالبٍ يا لُكَعُ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٧٨، ٣٧٩ مخطوط ، من طريق أبى هاشم به .

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٣٧٩، من طريق عبادة بن زياد به .

(٣) المصدر السابق ، من طريق يحيى بن معين به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق هشام بن حسان به .

وقال هُشَيْمٌ[1] ، عن سَيّارٍ ، عن عَمّارٍ قال : حَدَّث رجلٌ عليَّ بنَ أبى طالبٍ بحديثٍ فكَذَبه ، فما قام حتى عَمِيَ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[2] : حدَّثنى شُرَيْحُ بنُ يُونُسَ ، ثنا هُشَيْمٌ ، عن إسماعيلَ بنِ سالمٍ ، عن عَمَّارٍ الحَضْرميِّ ، عن زاذانَ أبى عمرَ ، أن رجلًا حَدَّث عليًّا بحديثٍ ، فقال : ما أُراك إلا قد كذَبْتَنى . قال : لم أفْعَلْ . قال : أَدْعُو عليك إن كنتَ كذَبْتَ ؟ قال : ادْعُ . فدَعا فما بَرِح حتى عَمِيَ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[3] : حدَّثنا خَلَفُ بنُ سالمٍ ، ثنا محمدُ بنُ بِشْرٍ ، عن أبى مَكِينٍ قال : مَرَرْتُ أنا وخالى أبو أميَّةَ على دارٍ فى مَحَلٍّ حيٍّ مِن مُرادٍ ، فقال : تَرَى هذه الدارَ ؟ قلتُ : نعم . قال : فإن عليًّا مَرَّ عليها وهم يَبْنونها ، فسَقَطت عليه قِطعةٌ فشَجَّتْه ، فدَعا اللَّهَ أن لا يَكْمُلَ بناؤُها . قال : فما وُضِعَت عليها لَبِنةٌ . قال : فكنتُ أَمُرُّ عليها لا تُشْبِهُ الدُّورَ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[4] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ يونُسَ بنِ بُكَيْرٍ الشَّيْبانيُّ ، عن أبيه ، عن عبدِ الغَفَّارِ بنِ القاسمِ الأنصاريِّ ، عن أبى بَشيرٍ الشَّيْبانيِّ قال : شهِدْتُ الجملَ مع مَوْلاىَ ، فما رأيْتُ يومًا قَطُّ أكثرَ ساعدًا نادرًا[5] وقَدَمًا نادرةً مِن يومِئذٍ ، ولا مَرَرْتُ بدارِ الوليدِ قَطُّ إلا ذكَرْتُ يومَ الجملِ . قال : فحدَّثنى الحكمُ ابنُ عُتَيْبةَ أن عليًّا دَعا يومَ الجملِ فقال : اللهم خُذْ أيديَهم وأقدامَهم .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٧٩ مخطوط ، من طريق هشيم به .
(٢) المصدر السابق ، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٣) المصدر السابق ١٢/ ٣٧٩، ٣٨٠.
(٤) المصدر السابق ١٢/ ٣٨٠.
(٥) نادرًا : ساقطا . ندر الشئ : سقط . انظر اللسان (ن د ر)

ومن كلامِه الحَسَنِ، رضِى اللَّهُ عنه: قال ابنُ أبى الدنيا[1]: حدَّثنا علىُّ بنُ الجَعْدِ، أنا عمرُو بنُ شِمْرٍ، حدَّثنى إسماعيلُ السُّدِّىُّ، سمِعْتُ أبا أَرَاكةَ يقولُ: صلَّيتُ مع علىٍّ صلاةَ الفجرِ، فلما انفَتَل عن يمينِه مكَث كأنَّ عليه كآبةً، حتى إذا كانت الشمسُ على حائطِ المسجدِ قِيدَ رمحٍ صلَّى ركعتين، ثم قَلَّب يدَه، فقال: واللَّهِ لقد رأيتُ أصحابَ محمدٍ ﷺ فما أَرَى اليومَ شيئًا يُشْبِهُهم، لقد كانوا يُصْبِحون صُفْرًا شُعْثًا غُبْرًا، بينَ أعينِهم كأمثالِ رُكَبِ المِعْزَى، قد باتوا للَّهِ سُجَّدًا وقيامًا، [٦/٧٩و] يَتْلون كتابَ اللَّهِ، يُراوِحون بينَ جباهِهم وأقدامِهم، فإذا أصبَحوا فذَكَروا اللَّهَ مادُوا كما يَميدُ الشجرُ فى يومِ الريحِ، وهَمَلَتْ أعينُهم حتى تَبُلَّ ثيابَهم، واللَّهِ لكأنَّ القومَ باتوا غافلِين. ثم نهَض، فما رُئِىَ بعدَ ذلك مُفْتَرًّا يَضْحَكُ، حتى قتَله ابنُ مُلْجَمٍ عدوُّ اللَّهِ الفاسقُ.

وقال وَكيعٌ[2]، عن عمرِو بنِ مُنَبِّهٍ، عن أوْفَى بنِ دَلْهَمٍ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ أنه قال: تَعَلَّموا العلمَ تُعْرَفوا به، واعمَلوا به تكونوا مِن أهلِه، فإنه يأتى مِن بعدِكم زمانٌ يُنْكَرُ فيه مِن الحقِّ تسعةُ أعْشارِه، وإنه لا يَنْجو منه إلا كلُّ [3]نُوَمَةٍ مُنْبَتٍّ الداءِ[3]، أولئك أئمةُ الهدَى ومصابيحُ العلمِ، ليسوا بالعُجُلِ المَذاييعِ البُذُرِ[4]. ثم قال: إن الدنيا قد ارْتَحَلَت مُدْبِرةً، وإنَّ الآخرةَ قد أتَتْ مُقْبِلةً، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بَنونَ، فكونوا مِن أبناءِ الآخرةِ، ولا تكونوا مِن أبناءِ الدنيا، ألا وإن الزاهدِين فى الدنيا اتَّخذوا الأرضَ بِساطًا، والترابَ فِراشًا، والماءَ طِيبًا،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٨٠ مخطوط، من طريق ابن أبى الدنيا به.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٣٨٠، ٣٨١، من طريق وكيع به.

(٣ - ٣) فى م: «أواب منيب». والنومة هنا: الذى يسكت فى الفتنة فلا يبدو منه شىء. اللسان (ن و م).

(٤) المذاييع: جمع مِذْياع؛ مِن أذاع الشئَ إذا أفشاه. والبُذُر: جمع بَذُور، وهو الذى يذيع الأسرار، ولا يكتم سرا. اللسان (ب ذ ر)، (ذ ى ع).

ألا مَن اشتاق إلى الآخرةِ سَلا عن الشهواتِ ، ومَن أشْفَق مِن النارِ رجَع عن الحُرُماتِ ، ومَن طلَب الجنةَ سارَع إلى الطاعاتِ ، ومَن زهِد فى الدنيا هانت عليه المُصِيباتُ ، ألا إن للَّهِ عِبادًا كمَن رأَى أهلَ الجنةِ فى الجنةِ مُخَلَّدِين ، وأهلَ النارِ فى النارِ مُعَذَّبِين ، شُرورُهم مَأْمونةٌ ، وقلوبُهم مَحْزونةٌ ، وأنفسُهم عَفيفةٌ ، وحَوائجُهم خَفيفةٌ ، صبَروا أيامًا قليلةً لعُقْبَى راحةٍ طويلةٍ ، أمَّا اللَّيلُ فصافُّون أقدامَهم ، تَجْرِى دموعُهم على خدودِهم ، يَجْأَرون إلى ربِّهم : ربَّنا ربَّنا . يَطْلُبون فِكاكَ رقابِهم ، وأمَّا النهارُ فعلماءُ حُلَماءُ ، بَرَرَةٌ أتقياءُ ، كأنهم القِداحُ ، يَنْظُرُ إليهم الناظرُ فيقولُ : مرضَى . وما بالقومِ مِن مرضٍ ، و : خُولِطوا[1] . ولقد خالَط القومَ أمْرٌ عظيمٌ .

وعن الأصْبَغِ بنِ نُباتةَ قال[2] : صَعِد علىٌّ ذاتَ يومٍ المنبرَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه وذكَر الموتَ ، فقال : عِبادَ اللَّهِ ، الموتُ ليس منه فَوْتٌ ، إن أقَمْتُم له أخَذكم ، وإن فرَرْتُم منه أدْرَككم ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ ، والوَحاءَ الوَحاءَ[3] ، وراءَكم طالبٌ حَثيثٌ ؛ القبرُ ، فاحْذَروا ضَغْطتَه وظُلْمتَه ووَحْشَتَه ، ألا وإن القبرَ حُفْرةٌ مِن حُفَرِ النارِ ، أو رَوْضةٌ مِن رِياضِ الجنةِ ، ألا وإنه يَتَكَلَّمُ فى كلِّ يومٍ ثلاثَ مراتٍ فيقولُ : أنا بيتُ الظُّلْمةِ ، أنا بيتُ الدُّودِ ، أنا بيتُ الوَحْشةِ . ألا وإن وراءَ ذلك يومًا يَشِيبُ فيه الصغيرُ ، ويَسْكَرُ فيه الكبيرُ ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حملَها ، وتَرَى الناسَ سُكارَى ، وما هم بسكارَى ولكن عذابَ اللَّهِ شديدٌ ، ألا وإن وراءَ ذلك ما هو أشدُّ منه ؛ نارٌ حَرُّها شديدٌ ، وقَعْرُها بعيدٌ ، وحَلْيُها حَديدٌ ، وماؤُها صَديدٌ ،

---

(١) انظر النهاية ٦٤/٢ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨٢/١٢ مخطوط ، بإسناده عن الأصبغ بن نباتة .

(٣) الوَحى والوَحاء ، بالقصر والمدّ : الإسراع . انظر النهاية ١٦٣/٥ .

وخازنُها مَلَكٌ ليس للَّهِ فيه رحمةٌ. قال: ثم بكَى وبكَى المسلمون حولَه، ثم قال: ألا وإن وراءَ ذلك جَنةً، عَرْضُها السماواتُ والأرضُ أُعِدَّت للمُتَّقِين، جعَلَنا اللَّهُ وإياكم مِن المُتَّقِين، وأجارنا وإياكم مِن [٦/٧٩ظ] العذابِ الأليمِ. ورَواه ليثُ ابنُ أبى سُلَيْمٍ، عن مُجاهدٍ، حدَّثنى مَن سمِع عليًّا، فذكَر نحوَه[(١)].

وقال وَكيعٌ[(٢)]، عن عمرِو بنِ مُنَبِّهٍ، عن أَوْفَى بنِ دَلْهَمٍ قال: خطَب علىٌّ فقال: أما بعدُ، فإن الدنيا قد أدْبَرت وآذَنَت بوَداعٍ، وإن الآخرةَ قد أقْبَلَت وأشْرَفت باطِّلاعٍ، وإن المِضْمارَ اليومَ، وغدًا السباقَ، ألا وإنكم فى أيامِ أَمَلٍ مِن ورائِه أجَلٌ، فمَن قصَّر فى أيامِ أملِه قبلَ حُضورِ أجَلِه فقد خُيِّب عملُه، ألا فاعمَلوا للَّهِ فى الرغبةِ كما تَعْمَلون له فى الرهبةِ، ألا وإنى لم أرَ كالجنةِ نام طالبُها، ولم أرَ كالنارِ نام هاربُها، ألا وإنه مَن لم يَنْفَعْه الحقُّ ضَرَّه الباطلُ، ومَن لم يَسْتَقِمْ به الهُدَى حار بِه الضَّلالُ، ألا وإنكم قد أُمِرْتم بالظَّعْنِ، ودُلِلْتُم على الزادِ، ألا أيُّها الناسُ، إنما الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ، يَأْكُلُ منها البَرُّ والفاجرُ، وإن الآخرةَ وعدٌ صادقٌ، يَحْكُمُ فيها مَلِكٌ قادرٌ، ألا إن الشيطانَ يَعِدُكم الفقرَ ويَأْمُرُكم بالفَحْشاءِ، واللَّهُ يَعِدُكم مَغْفرةً منه وفَضْلًا، واللَّهُ واسعٌ عليمٌ، أيُّها الناسُ، أَحْسِنوا فى عُمْرِكم تُحْفَظوا فى عَقِبِكم، فإن اللَّهَ وعَد جنتَه مَن أطاعه، وأوْعَد نارَه مَن عَصاه، إنها نارٌ لا يَهْدَأُ زَفيرُها، ولا يُفَكُّ أسِيرُها، ولا يُجْبَرُ كَسِيرُها، حَرُّها شديدٌ، وقَعْرُها بعيدٌ، وماؤُها صَديدٌ، وإن أخْوفَ ما أخافُ عليكم اتباعُ الهَوَى وطُولُ الأملِ. وفى روايةٍ[(٣)]: فإن اتباعَ الهَوَى يَصُدُّ عن الحقِّ، وطُولَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٨٣ مخطوط، من طريق ليث بن أبى سليم به.
(٢) المصدر السابق، من طريق وكيع به.
(٣) المصدر السابق ١٢/ ٣٨١.

الأمَلِ يُنْسِى الآخرةَ .

وعن عاصمِ بنِ ضَمْرةَ قال[1] : ذَمَّ رجلٌ الدنيا عندَ عليٍّ ، فقال عليٌّ : الدنيا دارُ صِدْقٍ لمن صدَقها ، ودارُ نجاةٍ لمن فَهِم عنها ، ودارُ غِنًى لمن تزوَّد منها ، مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ ، ومُصَلَّى مَلائكتِه ، ومَسْجِدُ أنبيائِه ، ومَتْجَرُ أوليائِه ، رَبِحوا فيها الرحمةَ ، واكْتَسَبوا فيها الجنةَ ، فمن ذا يَذُمُّها وقد آذَنَت ببَيْنِها ، ونادت بفِراقِها ، وشَبَّهَتْ بشُرورِها السرورَ ، وببلائِها إليه[2] تَرْغيبا وتَرْهيبًا ، فيا أيُّها الذامُّ للدنيا المُعَلِّلُ نفسَه ، متى خدَعَتْك الدنيا ، أو متى اسْتَذَمَّتْ إليك ؟ أبمَصارعِ آبائِك فى البِلَى ؟ أم بمَضاجعِ أُمَّهاتِك تحتَ الثَّرَى ؟! كم مَرَّضْتَ بيَدَيْك[3] ، وعَلَّلْتَ بكَفَّيْك[4] ، تَطْلُبُ له الشفاءَ ، وتستَوْصِفُ له الأطباءَ ، لا يُغْنِى عنك دَواؤُك ، ولا يَنْفَعُك بُكاؤُك .

وقال سفيانُ الثوريُّ والأعْمشُ[5] ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى البَخْتَرِىِّ قال : جاء رجلٌ إلى عليٍّ فأطْراه ، وكان يُبْغِضُ عليًّا ، فقال له : لستُ كما تقولُ ، وأنا فوقَ ما فى نفسِك .

وروَى ابنُ عَساكرَ[6] أن رجلًا قال لعليٍّ : ثبَّتَك اللَّهُ . قال : على صَدْرِك .

وقال ابنُ أبى الدنيا[7] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٨٣، ٣٨٤ مخطوط .

(٢) فى الأصل ، ٦١، م : « الرغبة فيها والحرص عليها » .

(٣) فى تاريخ دمشق ومختصره : « بيدنك » .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « ممن » .

(٥) المصدر السابق ١٢/ ٣٩٥، من طريق الثورى والأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق ١٢/ ٣٨٦، من طريق ابن أبى الدنيا به . كما ذكره ابن الأثير فى النهاية ٣/ ٣٧٤.

عن أبى حَمْزةَ ، عن يحيى بنِ عُقَيْلٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ قال : قال عليٌّ : إن الأمرَ يَنْزِلُ من[1] السماءِ كقَطْرِ المَطَرِ ، لكلِّ نفسٍ ما كتَب اللَّهُ لها مِن زيادةٍ أو نقصانٍ ، فى نفسٍ أو أهلٍ أو مالٍ ، فمَن رأَى نقصًا فى نفسِه أو أهلِه أو مالِه ، ورأَى لغيرِه غَفِيرَةً[2] فلا يكونَنَّ ذلك له فتنةً ، فإن المسلمَ ما لم [٦/٨٠و] يَغْشَ دناءةً يُظْهِرُ تَخَشُّعًا لها إذا ذُكِرَت ، وتُغْرِى به لِئامَ الناسِ ، كالياسِرِ[3] الفالجِ يَنْتَظِرُ أولَ فَوْزةٍ مِن قِداحِه تُوجِبُ له المَغْنَمَ وتَدْفَعُ عنه المَغْرَمَ ، فكذلك المسلمُ البرىءُ مِن الخيانةِ بينَ إحدَى الحُسْنَيَيْن إذا ما دَعا اللَّهَ ، فما عندَ اللَّهِ خيرٌ له ، وإمَّا أن يَرْزُقَه اللَّهُ مالًا فإذا هو ذو أهلٍ ومالٍ ، ومعه حَسَبُه ودينُه ، الحَرْثُ حَرْثان ؛ فحرثُ الدنيا المالُ والبنون[4] ، وحرثُ الآخرةِ الباقياتُ الصالحاتُ ، وقد يَجْمَعُهما اللَّهُ تعالى لأقوامٍ . قال سفيانُ : ومَن يُحْسِنُ أن يَتَكَلَّمَ بهذا الكلامِ إلا عليٌّ ؟!

وقال الثَّوْرِىُّ[5] عن زُبَيْدٍ اليامىِّ ، عن مُهاجِرٍ العامرىِّ قال : كتَب علىُّ بنُ أبى طالبٍ عهدًا لبعضِ أصحابِه على بلدٍ ، فيه : أمّا بعدُ ، فلا تُطَوِّلَنَّ حِجابَك على رَعِيَّتِك ، فإنَّ احتجابَ الوُلاةِ عن الرعيَّةِ شُعْبةُ الضِّيقِ ، وقلةُ علمٍ بالأمورِ ، والاحتجابُ يَقْطَعُ عنهم عِلْمَ ما احتُجِبوا دونَه ، فيَضْعُفُ عندَهم الكبيرُ ، ويَعْظُمُ الصغيرُ ، ويَقْبُحُ الحسنُ ، ويَحْسُنُ القَبيحُ ، ويُشابُ الحَقُّ بالباطلِ ، وإنما الوالى بشَرٌ

---

(١) فى ا ٦، م : « إلى » .

(٢) فى النسخ ، وتاريخ دمشق : « عثرة » . والمثبت من النهاية ، كما فى نهج البلاغة ص ٤٨. قال ابن الأثير : الغفيرة : الكثرة والزيادة .

(٣) فى النسخ وتاريخ دمشق : « كالبائس » . والمثبت من نهج البلاغة ص ٤٩. والياسر : من الميسر ، وهو القمار . والفالج : الغالب فى القمار . انظر النهاية ٣/ ٤٦٨، ٥/ ٢٩٦.

(٤) فى الأصل ، ا ٦: « العافية » ، وفى م ، ص : « التقوى » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٩٤ مخطوط ، من طريق الثورى به .

لا يَعْرِفُ ما تَوَارَى عنه الناسُ به مِن الأُمورِ ، وليس على القولِ[1] سِماتٌ يُعْرَفُ بها ضُروبُ الصدقِ مِن الكذبِ ، فتَحَصَّنْ مِن الإدْخالِ فى الحقوقِ بلِينِ الحِجابِ ، فإنما أنت أحدُ الرجلين ؛ إمَّا امرؤٌ سَخَتْ نفسُك بالبَذْلِ فى الحقِّ ، ففيمَ احْتِجابُك مِن حقٍّ واجبٍ أن تُعْطِيَه ، أو خُلُقٍ كريمٍ [2]تُسَدِّدُ به[2] ؟ وإما مُبْتَلًى بالمنعِ والشحِّ ، فما أسْرَعَ[3] كَفَّ الناسِ عن مسألتِك إذا يَئِسوا [4]من خَيْرِك[4] ، مع أن أكثرَ حاجاتِ الناسِ إليك ما لا مُؤْنَةَ فيه عليك ؛ مِن شَكاةِ مَظْلِمةٍ ، أو طَلَبِ إنْصافٍ ، فانتَفِعْ بما وَصَفْتُ لك ، واقْتَصِرْ على حَظِّك ورُشْدِك ، إن شاء اللَّهُ .

وقال المَدائِنىُّ[5] : كتَب علىٌّ إلى بعضِ عُمَّالِه : رُوَيْدًا ، فكأنْ قد بَلَغْتَ المَدَى ، وعُرِضَت عليك أعمالُك بالمَحَلِّ الذى يُنادِى المُغْتَرُّ بالحَسْرةِ ، ويَتَمَنَّى المُضَيِّعُ التوبةَ ، والظالمُ الرَّجْعَةَ .

وقال هُشَيْمٌ[6] : أنا عمرُ بنُ أبى زائدةَ ، عنِ الشَّعْبىِّ قال : كان أبو بكرٍ يقولُ الشِّعرَ ، وكان عمرُ يقولُ الشعرَ ، [7]وكان علىٌّ يقولُ الشِّعرَ[7] ، وكان علىٌّ أَشْعَرَ الثلاثةِ . ورَواه هشامُ بنُ عَمَّارٍ[8] ، عن إبراهيمَ بنِ أَعْيَنَ ، عن عمرَ بنِ أبى زائدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى السَّفَرِ ، عن الشَّعْبىِّ ، فذكَره .

---

(١) فى م ، ص : « القوم » .

(٢ - ٢) فى م ، ص ، وتاريخ دمشق : « تسد به » . وفى مختصر تاريخ دمشق : « تسديه » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ : « زوال دولتك وأسرع » . وبعده فى م : « زوال نعمتك وما أسرع » .

(٤ - ٤) فى ص ، وتاريخ دمشق : « عن ذلك » . وفى م : « من ذلك » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٩٣ مخطوط ، بإسناده عن المدائنى .

(٦) المصدر السابق ١٢/ ٣٩٦، من طريق هشيم به .

(٧ - ٧) زيادة من : م ، ص .

(٨) المصدر السابق ، من طريق هشام بن عمار به .

وقال أبو بكرِ بنُ دُرَيْدٍ[1] : وأُخْبِرنا عن دَمَاذٍ[2] ، عن أبى عُبَيدةَ قال : كتَب مُعاويةُ إلى عليٍّ : يا أبا الحسنِ ، إن لى فَضائلَ كثيرةً ، وكان أبى سَيِّدًا فى الجاهليةِ ، وصِرْتُ مَلِكًا فى الإسلامِ ، وأنا صِهْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخالُ المؤمنين ، وكاتبُ الوَحْيِ . [٦/٨٠ظ] فقال عليٌّ : أبالفَضائلِ يَفْخَرُ عليَّ ابنُ آكَلةِ الأكْبادِ ؟! ثم قال : اكْتُبْ يا غلامُ :

محمدٌ النبيُّ أخى وصِهْرى ... وحمزةُ سَيِّدُ الشُّهداءِ عَمِّى
وجعفرٌ الذى يُمْسى ويُضْحِى ... يَطيرُ مع المَلائكةِ ابنُ أُمِّى
وبنتُ محمدٍ سَكَنى وعِرْسى ... مَسُوطٌ[3] لحمُها بدَمى ولَحْمى
وسِبْطا أحمدٍ وَلَداىَ منها ... فأيُّكُمُ لهُ سَهْمٌ كسَهْمى
سبَقْتُكُمُ إلى الإسلامِ طُرًّا ... صغيرًا ما بَلَغْتُ أوانَ حُلْمى

قال : فقال مُعاويةُ : أَخْفُوا هذا الكتابَ لا يَقْرَأُه أهلُ الشامِ فيَمِيلوا إلى ابنِ أبى طالبٍ . وهذا مُنْقَطِعٌ بينَ أبى عُبَيدةَ وزمانِ عليٍّ ومُعاويةَ .

وقال الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ وغيرُه[4] : حدَّثنى بكرُ بنُ حارثةَ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : سمعْتُ عليًّا يُنْشِدُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ :

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٩٦، ٣٩٧ مخطوط ، من طريق أبى بكر بن دريد به .
(٢) فى الأصل ، ٦١، م : « دماد » . ودماذ لقب أبى غسان رُفَيع بن سلمة ، وكان كاتب أبى عبيدة وأوثق الناس عنه . انظر طبقات اللغويين والنحويين ص ١٨١، وإنباه الرواه ٢/ ٥، ٦، ونزهة الألباب ١/ ٢٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٦٨.
(٣) مسوط : ممزوج ومَخْلوط . اللسان (س و ط) .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٩٧ مخطوط ، من طريق الزبير بن بكار وعمارة بن زيد ، كلاهما عن بكر بن حارثة به .

أنا أخو المُصْطَفَى لا شكَّ فى نَسَبى ... مَعْهُ رَبِيتُ وسِبْطاه هما وَلَدِى
جَدِّى وجَدُّ رسولِ اللَّهِ مُنْفَرِدٌ ... وفاطمٌ زَوْجتى لا قولَ ذِى فَنَدِ
صدَّقْتُه وجميعُ الناسِ فى بُهَمٍ ... مِنَ الضَّلالةِ والإشراكِ والنَّكَدِ
فالحمدُ للَّهِ شُكْرًا لا شريكَ لَهُ ... البَرِّ بالعبدِ والباقى بلا أَمَدِ

قال : فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « صدَقتَ يا علىُّ » . وهذا بهذا الإسْنادِ مُنْكَرٌ ، والشِّعْرُ فيه رَكاكةٌ ، وبَكْرٌ هذا لا يُقْبَلُ منه تَفرُّدُه بهذا السَّندِ والمَتْنِ . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] مِن طريقِ أبى زكريا الرَّمْلىِّ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن نُوحِ بنِ قيسٍ ، عن سَلامةَ الكِندىِّ ، عن الأَصْبَغِ بنِ نُباتةَ ، عن علىٍّ أنه جاءه رجلٌ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لى إليك حاجةً قد رفَعْتُها إلى اللَّهِ قبلَ أن أَرْفَعَها إليك ، فإن أنت قَضَيْتَها حمِدْتُ اللَّهَ وشَكَرْتُك ، وإن أنت لم تَقْضِها حمِدْتُ اللَّهَ وعذَرْتُك . فقال علىٌّ : اكْتُبْ[2] على الأرضِ ؛ فإنى أكْرَهُ أن أَرَى ذُلَّ السؤالِ فى وجهِك . فكتَب : إنى مُحْتاجٌ . فقال علىٌّ : علىَّ بحُلَّةٍ . فأُتِىَ بها ، فأخَذها الرجلُ فلَبِسها ، ثم أنْشَأ يقولُ :

كسَوْتَنى حُلَّةً تَبْلَى مَحاسِنُها ... فسوف أكْسُوك مِن حُسْنِ الثَّنا حُلَلَا
إن نِلْتَ حسنَ ثَنائى نِلْتَ مَكْرُمةً ... ولسْتَ تَبْغِى[3] بما قد قلتُه بَدَلَا
إن الثناءَ لَيُحْيِى ذِكْرَ صاحبِهِ ... كالغَيْثِ يُحْيِى نَداه[4] السَّهْلَ والجَبَلا

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٣٩٨ مخطوط .
(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « حاجتك » .
(٣) فى م ، ص : « أبغى » .
(٤) فى الأصل ، ٦١ : « بماه » .

لا تزهدِ الدهرَ فى خيرٍ[1] تُواقِعُهُ فكلُّ عبدٍ سيُجْزَى بالذى عَمِلا

فقال علىٌّ : علىَّ بالدَّنانيرِ . فأُتِىَ بمائةِ دينارٍ ، فدفَعها إليه . قال الأَصْبَغُ : فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، حُلَّةً ومائةَ دينارٍ ؟! قال : نعم . سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أَنْزِلوا الناسَ مَنازِلَهم » . وهذه مَنْزِلةُ هذا الرجلِ عندى .

وروَى الخَطيبُ البَغْدادىُّ[2] مِن طريقِ أبى جعفرٍ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ابنِ نُبَيْطِ بنِ شَرِيطٍ ، [3]حدَّثنى أبى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ نُبَيطٍ[3] عن أبيه ، عن جَدِّه قال : قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ :

إذا اشْتَمَلَت على اليَأْسِ[4] القلوبُ [٨١/٦و] وضاق بما به الصَّدْرُ الرَّحيبُ

وأَوْطَنَتِ المكارهُ واطْمَأَنَّتْ وأَرْسَتْ فى أماكنِها الخُطوبُ

ولم تَرَ لانْكِشافِ الضُّرِّ وَجْهًا ولا أَغْنَى بحِيلتهِ الأَرِيبُ

أتاكَ على قُنوطٍ منك [5]غَوْثٌ يَجِىءُ[5] بهِ القريبُ المُسْتَجِيبُ

وكلُّ الحادثاتِ إذا تَناهَتْ فمَوْصولٌ بها الفَرَجُ القَريبُ

ومما أنْشَده أبو بكرٍ محمدُ بنُ يَحْيَى الصُّولىُّ[6] لأميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ :

ألا فاصْبِرْ على الحَدَثِ الجَلِيلِ وداوِ جَواك بالصَّبْرِ الجميلِ

---

(١) فى تاريخ دمشق : « زهو » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٣٩٨ مخطوط ، من طريق الخطيب البغدادى به .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر ميزان الاعتدال ١/ ٨٢، ولسان الميزان ١/ ١٣٦.

(٤) فى النسخ : « الناس » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ٦١: « فضل يمن » . وفى م : « غوث يمن » .

(٦) فى ٦١، وتاريخ دمشق : « الصوفى » . وانظر الأنساب ٣/ ٥٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠١. والأبيات ذكرها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٣٩٨، ٣٩٩ مخطوط .

ولا تَجْزَعْ فإن أَعْسَرْتَ يومًا فقد أَيْسَرْتَ فى الدهرِ الطويلِ
ولا تَظْنُنْ بربِّك ظَنَّ سَوْءٍ فإنَّ اللَّهَ أَوْلَى بالجَميلِ
فإنَّ العُسْرَ يَتْبَعُه يَسارٌ وقولُ اللَّهِ أصدَقُ كلِّ قِيلِ
فلو أن العُقولَ تَجُرُّ رزقًا لكان الرزقُ عندَ ذَوِى العُقولِ
فكم مِن مُؤْمنٍ قد جاع (١) يومًا سيُرْوَى (١) مِن رَحيقِ السَّلْسَبِيلِ

(٢) فمِن هوانِ الدنيا على اللَّهِ أنه سبحانَه يُجيعُ المؤمنَ مع نَفاستِه، ويُشْبِعُ الكَلْبَ مع خَساستِه، والكافرُ يَأْكُلُ ويَشْرَبُ، ويَلْبَسُ ويَتَمَتَّعُ، والمؤمنُ يَجوعُ ويَعْرَى، وذلك لحِكْمةٍ اقْتَضَتْها حِكمةُ أحْكَمِ الحاكمين (٢).

ومما أنْشَده علىُّ بنُ جعفرٍ الوَرَّاقُ (٣) لأميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ:

أَجِدِ الثِّيابَ إذا اكْتَسَيْتَ فإنها زَيْنُ الرجالِ بها تُعَزُّ وتُكْرَمُ
ودَعِ التَّواضُعَ فى الثِّيابِ تَخَوُّفًا (٤) فاللَّهُ يَعْلَمُ ما تُجِنُّ وتَكْتُمُ
فرَثاثُ ثَوْبِك لا يَزِيدُك زُلْفةً عندَ الإلهِ وأنت عبدٌ مُجْرِمُ
وبَهاءُ ثَوْبِك لا يَضُرُّك بعدَ أن تَخْشَى الإلهَ وتَتَّقِى ما يَحْرُمُ

(٥) وهذا كما جاء فى الحديثِ (٦): «إن اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكم ولا إلى ثِيابِكم، وإنما يَنْظُرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم». وقال الثورىُّ (٧): ليس الزُّهْدُ فى (٥)

(١ - ١) فى الأصل، ٦١: «دهرا سيسقى».
(٢ - ٢) زيادة من: الأصل، ٦١، م.
(٣) تاريخ دمشق ١٢/٣٩٩ مخطوط.
(٤) فى الأصل، ٦١، م: «تخشعا».
(٥ - ٥) زيادة من: الأصل، ٦١، م.
(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه (٣٣، ٣٤/٢٥٦٤)، وأحمد فى مسنده ٢/ ٢٨٥، ٥٣٩ بنحوه.
(٧) ذكر الذهبى نحوه فى سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

(١ الدنيا بلُبْسِ العَبَاءِ ولا بأَكْلِ الخَشِنِ، إنما الزهدُ فى الدنيا قِصَرُ الأمَلِ ١) .

وقال أبو العباسِ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الأكْبرِ المُبَرِّدُ(٢) : كان مَكْتوبًا على سيفِ عليٍّ :

للناسِ حِرْصٌ على الدنيا وتَدْبيرُ ... (٣وصَفْوُها لك ممزوجٌ بتكديرِ٣)(٤)

لم يُرْزَقوها بعقلٍ عندَما قُسِمَت ... لكنَّهم رُزِقوها بالمَقادِيرِ

كم مِن أَديبٍ لَبيبٍ لا تُساعِدُه ... ومائقٍ(٥) نال دُنْياه بتَقْصيرِ

لو كان عن قُوةٍ أو عن مُغالبةٍ ... طار البُزاةُ بأرْزاقِ العَصافيرِ

[٦/٨١ظ] وقال الأصْمَعيُّ(٦) : ثنا سَلَمةُ بنُ بلالٍ، عن مُجالدٍ، عن الشعبيِّ قال : قال عليُّ بنُ أبى طالبٍ لرجلٍ كرِه له صُحْبةَ رجلٍ :

فلا تَصْحَبْ أخا الجهلِ ... وإيـــاك وإيـــاهُ

فكم مِن جاهلٍ أَرْدَى ... حليمًا حينَ آخاهُ

يُقاسُ المَرْءُ بالمَرْءِ ... إذا ما هوَ(٧) ماشاهُ

وللشيءِ على الشيءِ ... مَقاييسٌ وأشْباهُ

(١ - ١) زيادة من: الأصل، ٦١، م.

(٢) تاريخ دمشق ٣٩٩/١٢ مخطوط.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٦١، م: «وفى مراد الهوى عقل وتشمير».

(٤) بعده فى الأصل، ٦١، م:

«وإن أتوا طاعة للّه ربهم ... فالعقل منهم عن الطاعات مأسور

لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت ... صفاء عيشاتها هم وتكدير»

(٥) المائق: الأحمق. اللسان (م و ق).

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩٩/١٢ مخطوط، من طريق الأصمعى به.

(٧) فى الأصل، م: «المرء».

وللقلبِ على القلبِ دليلٌ حينَ يَلْقاهُ

وعن أبى عمرِو بنِ العلاءِ، عن أبيه قال: وقَف علىٌّ على قبرِ فاطمةَ، فأنْشَأ يقولُ[1]:

ذكَرْتُ أبا أرْوَى فبِتُّ كأننى ... بِرَدِّ الهُمومِ الماضياتِ وَكيلُ
لكلِّ اجْتماعٍ مِن خليلَيْن فُرْقةٌ ... وكلُّ الذى قبلَ المَماتِ قَليلُ
وإنَّ افْتِقادى واحدًا بعدَ واحدٍ ... دليلٌ على أن لا يَدومُ خَليلُ
سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِى وتُنْسَى مَوَدَّتى ... ويَحْدُثُ بعدى للخليلِ خليلُ
إذا انْقَطَعَتْ يومًا مِن العيشِ مُدَّتى ... فإن عناءَ[2] الباكياتِ قليلُ

وأنْشَد بعضُهم لعلىٍّ، رضِى اللَّهُ عنه[3]:

حقيقٌ بالتوَّاضُعِ مَن يموتُ ... ويَكْفِى المَرْءَ مِن دنياه قوتُ
فما للمرءِ يُصْبِحُ ذا هُمُومٍ ... وحِرْصٍ ليس تُدْرِكُه النُّعوتُ
صَنيعُ مَليكِنا حَسَنٌ جَميلٌ ... وما أرزاقُه عنَّا تَفوتُ
فيا هذا ستَرْحَلُ عن قليلٍ[4] ... إلى قومٍ كلامُهمُ السكوتُ

وهذا الفصلُ يطولُ استقصاؤُه، وقد ذكَرْنا منه ما فيه مَقْنَعٌ لمن أراده، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[5] عن أيوبَ السَّخْتِيانىِّ، أنه قال: مَن أحَبَّ أبا بكرٍ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٤٠٠، ٤٠١ مخطوط.
(٢) فى الأصل، ٦١، م: «غناء».
(٣) المصدر السابق ١٢/٤٠١ مخطوط.
(٤) فى الأصل، ٦١: «قريب».
(٥) المصدر السابق ١٢/٤٠٢ مخطوط، من طريق حماد بن سلمة به.

فقد أقام الدينَ ، ومَن أحَبَّ عمرَ فقد أَوْضَح السبيلَ ، ومَن أحَبَّ عثمانَ فقد اسْتَنار بنورِ اللَّهِ ، ومَن أحَبَّ عليًّا فقد اسْتَمْسَك بالعُرْوةِ الوُثْقَى ، ومَن قال الحُسْنَى فى أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقد بَرِئَ مِن النِّفاقِ .

غريبةٌ مِن الغَرائبِ وآبِدَةٌ مِن الأَوابدِ

قال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[1] : ثنا أحمدُ بنُ مَنْصورِ بنِ[2] سَيَّارٍ ، ثنا عبدُ الرزاقِ قال : قال مَعْمَرٌ مَرَّةً وأنا مُسْتَقْبِلُه ، وتَبَسَّم وليس معنا أحدٌ فقلتُ له : ما شأْنُك ؟ قال : عَجِبْتُ مِن أهلِ الكوفةِ ، كأنَّ الكوفةَ إنما بُنِيَت على حُبِّ علىٍّ ، ما كَلَّمْتُ أحدًا منهم إلا وجَدْتُ المُقْتَصِدَ منهم الذى يُفَضِّلُ عليًّا على أبى بكرٍ وعمرَ ، منهم سفيانُ الثَّوْرىُّ . قال : فقلتُ لمَعْمَرٍ : [٨٢/٦و] ورأيتَه ؟ - كأنى أعْظَمْتُ ذاك - فقال مَعْمَرٌ : وما ذاك ؟! لو أن رجلًا قال : علىٌّ أفْضَلُ عندى منهما . ما عنَّفْتُه إذا ذكَر فضْلَهما إذا قال : عندى . ولو أن رجلًا قال : عمرُ عندى أفْضَلُ مِن علىٍّ وأبى بكرٍ . ما عَنَّفْتُه . قال عبدُ الرزاقِ : فذكَرْتُ ذلك لوَكيعِ بنِ الجَرَّاحِ ونحن خالِيان[3] فاشتَهاها أبو سُفْيانَ[3] وضحِك وقال : لم يَكُنْ سُفْيَانُ يَبْلُغُ بنا هذا الحَدَّ ، ولكنه أفْضَى إلى مَعْمَرٍ ما لم يُفْضِ إلينا ، وكنتُ أقولُ لسفيانَ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أرأيْتَ إنْ فضَّلْنا عليًّا على أبى بكرٍ وعمرَ ، ما تقولُ فى ذلك ؟ فيَسْكُتُ ساعةً ثم يقولُ : أخْشَى أن يكون ذلك طَعْنًا على أبى بكرٍ وعمرَ ، ولكنا نَقِفُ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٠٢/١٢ مخطوط ، من طريق ابن أبى خيثمة به .

(٢) فى النسخ : « ثنا » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٩٢ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١ : « فاستهالها » . وفى م : « فاستهالها من سفيان » . وأبو سفيان هو وكيع بن الجراح . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

قال عبدُ الرزاقِ : وأخبَرَنا ابنُ التَّيْمىِّ - يعنى مُعْتَمِرًا - قال : سمِعْتُ أبى يقولُ : فَضَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ (١أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ١) بمائةِ مَنْقَبةٍ ، وشارَكهم فى مَناقِبِهم ، وعثمانُ أحَبُّ إلىَّ منه .

هكذا رَواه ابنُ عَساكرَ فى « تاريخِه » بسندِه ، عن ابنِ أبى خَيْثَمةَ به . وهذا الكلامُ فيه تَخْبِيطٌ كثيرٌ ، ولعله اشْتَبَه على مَعْمَرٍ ، فإن المَشهورَ عن بعضِ الكُوفيِّين تَقْديمُ علىٍّ على عُثْمانَ ، فأما على الشيخَيْن فلا ، ولا يَخْفَى فضلُ الشيخَيْن على سائرِ الصحابةِ إلا على غَبىٍّ ، فكيف يَخْفَى على هؤلاء الأئمةِ ؟! بل قد قال غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ ، كأيوبَ والدارَقُطْنىِّ : مَن قدَّم عليًّا على عثمانَ فقد أَزْرَى بالمهاجرين والأنْصارِ . وهذا الكلامُ حَقٌّ وصِدْقٌ وصحيحٌ ومَليحٌ .

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ[٢] : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ الأُوَيْسىُّ ، ثنا إبراهيمُ ابنُ سعيدٍ ، عن شُعْبةَ ، عن أبى عَوْنٍ محمدِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ الثَّقفىِّ ، عن أبى صالحٍ الحَنَفىِّ قال : رأيْتُ علىَّ بنَ أبى طالبٍ أخَذ المُصْحَفَ فوضَعه على رأسِه ، حتى إنى لأرَى ورَقَه يَتَقَعْقَعُ . قال : ثم قال : اللهم إنهم مَنَعونى ما[٣] فيه ، فأَعْطِنى[٤] ما فيه . ثم قال : اللهم إنى قد مَلَلْتُهم ومَلُّونى وأبْغَضْتُهم وأبْغَضونى ، وحمَلونى على غيرِ طَبيعتى وخُلُقى وأخْلاقٍ لم تَكُنْ تُعْرَفُ لى ، اللهم فأَبْدِلْنى بهم خيرًا منهم ، وأبْدِلْهم بى شرًّا منى ، اللهم (٥أَمِثْ قلوبَهم مَيْثَ٥) المِلْحِ فى الماءِ . قال

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٥١. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٤٠٤ مخطوط ، من طريق يعقوب به .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أن أقوم فى الأمة بما » .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « ثواب » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص ، ومصدرى التخريج : « أمت قلوبهم ميت » ، وفى م : « أمت قلوبهم =

إبراهيمُ : يَعْنى أهلَ الكوفةِ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ ، ثنا عمرُو بنُ هاشمٍ[2] الجَنْبىُّ ، عن أبى جَنَابٍ[3] ، عن أبى عَوْنٍ الثقفىِّ ، عن [٦/٨٢ظ] أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ قال : قال لىَ الحسنُ بنُ علىٍّ : قال لى علىٌّ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ سَنَح لىَ الليلةَ فى مَنامى ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لَقِيتُ مِن أُمَّتِك مِن الأَوَدِ واللَّدَدِ ؟ قال : « ادْعُ عليهم » . فقلتُ : اللهم أَبْدِلْنى بهم مَن هو خيرٌ منهم ، وأَبْدِلْهم بى مَن هو شرٌّ منى . فخرَج فضرَبه الرجلُ . الأَوَدُ : العِوَجُ ، واللَّدَدُ : الخُصُومةُ . وقد قدَّمْنا الحديثَ الواردَ بالإخْبارِ بمقتلِه ، وأنه تُخَضَّبُ لِحْيتُه مِن قَرْنِ رأسِه[4] ، فوقَع كما أخْبرَ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه على رسولِه .

وروَى أبو داودَ فى كتابِ « القَدَرِ »[5] أنه لما كان أيامُ الخَوارجِ كان أصحابُ علىٍّ يَحْرُسونه كلَّ ليلةٍ عشَرَةٌ يَبِيتون فى المسجدِ بالسلاحِ ، فرآهم علىٌّ فقال : ما يُجْلِسُكم ؟ فقالوا : نَحْرُسُك . فقال : مِن أهلِ السماءِ ؟ ثم قال : إنه لا يكونُ فى الأرضِ شىءٌ حتى يُقْضَى فى السماءِ ، وإن عَلَىَّ مِن اللَّهِ جُنَّةً حَصِينةً . وفى روايةٍ : وإن الأجلَ[6] جُنَّةٌ حصينةٌ ، وإنه ليس مِن الناسِ أحدٌ إلا وقد وُكِّل به

= موت » . وماث الملحَ فى الماء يَموثه ويَميثه : أذابه فيه . انظر النهاية ٤/ ٣٧٨، واللسان (م و ث ، م ى ث) .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٤١٥ مخطوط ، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٢) فى النسخ : « هشام » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر التاريخ الكبير ٦/ ٣٨١، والجرح والتعديل ٦/ ٢٦٧.

(٣) فى الأصل ، ٦١: « حباب » ، وانظر الجرح والتعديل ٩/ ١٣٨، والكامل ٧/ ٢٦٦٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٧١.

(٤) تقدم بطرقه وألفاظه فى صفحات ٦- ١١.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤١٣، ٤١٤ مخطوط ، بسنده عن أبى داود بنحوه .

(٦) فى م ، ص : « الرجل » .

ملَكٌ ، فلا تُريدُه دابَّةٌ ولا شيءٌ إلا قال : اتَّقِهِ اتَّقِهِ . فإذا جاء القَدَرُ خَلَّى عنه - وفى روايةٍ : مَلَكان يَدْفَعان عنه ، فإذا جاء القَدَرُ خَلَّيا عنه - وإنه لا يَجِدُ عبدٌ حَلاوةَ الإيمانِ حتى يَعْلَمَ أن ما أصابه لم يَكُنْ لِيُخْطِئَه ، وما أخْطَأه لم يَكُنْ لِيُصِيبَه .

وكان عليٌّ يَدْخُلُ المَسْجِدَ كلَّ ليلةٍ فيُصَلِّى فيه[1] ، فلمَّا كانت الليلةُ التى قُتِل فى صَبِيحتِها قلِق تلك الليلةَ ، وجمَع أهلَه ، فلمَّا خرَج إلى المسجدِ صرَخ الإوَزُّ . فى وَجْهِه ، فسَكَّتُوهن عنه ، فقال : ذَرُوهن فإنهن نَوائحُ . فلما خرَج إلى المسجدِ ضرَبه ابنُ مُلْجَمٍ ، فكان ما ذكَرْنا قبلُ . فقال الناسُ : يا أميرَ المؤمنين ، ألا نَقْتُلُ مُرادًا كلَّها ؟ فقال : لا ، ولكن احْبِسوه وأحْسِنوا إسارَه ، فإن مِتُّ فاقْتُلوه ، وإن عِشْتُ فالجُروحُ قِصاصٌ . وجعَلَت أمُّ كُلْثومٍ بنتُ عليٍّ تقولُ : ما لى ولصلاةِ الغَداةِ ، قُتِل زوجى عمرُ أميرُ المؤمنين صلاةَ الغَداةِ ، وقُتِل أبى أميرُ المؤمنين صَلاةَ الغَداةِ . رضِى اللَّهُ عنها .

وقيل لعليٍّ[2] : ألا تَسْتَخْلِفُ ؟ فقال : لا ، ولكن أَتْرُكُكم كما ترَكَكم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فإن يُرِدِ اللَّهُ بكم خيرًا يَجْمَعْكم على خيرِكم كما جمَعكم على خيرِكم بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فهذا اعْتِرافٌ منه فى آخرِ وقتٍ مِن الدنيا بفَضْلِ الصديقِ . وقد ثبَت عنه بالتَّواتُرِ[3] أنه خطَب بالكوفةِ فى أيامِ خِلافتِه ودارِ إمارتِه ، فقال : أيُّها الناسُ ، [٦/٨٣و] إن خيرَ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ولو

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٢/٤١٥ مخطوط .

(٢) انظر المصدر السابق ١٢/٤١٨.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٣٢.

شِئْتُ أن أُسَمِّيَ الثالثَ لَسَمَّيْتُ . وعنه أنه قال وهو نازلٌ مِن المِنْبرِ : ثم عثمانُ ثم عثمانُ . ولما مات عليٌّ ولِيَ غُسْلَه ودَفْنَه أهلُه ، وصلَّى عليه ابنُه الحسنُ فكبَّر أربعًا ، وقيل[1] : أكثرَ مِن ذلك . ودُفِن عليٌّ بدارِ الخِلافةِ بالكوفةِ[2] . وقيل : تُجاهَ الجامعِ مِن القِبْلةِ ، فى حُجْرةٍ مِن دُورِ آلِ جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ بحِذاءِ بابِ الورَّاقِين . وقيل : بظاهرِ الكوفةِ . وقيل : بالكُناسةِ . وقيل : دُفِن بالثُّوَيَّةِ[3] . وقال شَريكٌ القاضى وأبو نُعَيْمٍ الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ : نقَله الحسنُ بنُ عليٍّ بعدَ صُلْحِه مع معاويةَ إلى المدينةِ ، فدَفَنه بالبَقيعِ إلى جانبِ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال عيسى بنُ دَأْبٍ : بل لما أرادوا أن يَحْمِلوه إلى المدينةِ ليَدْفِنوه بها جعَلوه فى صُنْدوقٍ على بعيرٍ ، فلمَّا مَرُّوا به ببلادِ طَيِّئٍ أضَلُّوا البَعيرَ ، فأخَذَتْ طَيِّئٌ ذلك البعيرَ بما عليه يَحْسَبونه مالًا ، فلمَّا وجَدوا بالصُّنْدوقِ مَيِّتًا دَفَنوه بالصُّنْدوقِ فى بلادِهم ، فلا يُعْرَفُ قبرُه إلى الآنَ .

والمَشْهورُ أن قبرَه إلى الآنَ بالكوفةِ كما ذكَر عبدُ الملكِ بنُ عُمَيْرٍ[4] أن خالدَ ابنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِيَّ[5] نائبَ بنى أميةَ فى زمانِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، لما كان أميرًا على العراقِ هدَم دُورًا لِيَبْنِيَها دارًا[6] وجَد قبرًا فيه شيخٌ أبْيضُ الرأسِ واللِّحْيةِ ، فإذا هو عليُّ بنُ أبى طالبٍ ، فأراد أن يُحَرِّقَه بالنارِ ، فقيل له : أيُّها الأميرُ ، إن بنى أميةَ لا يُريدون منك هذا كلَّه . فلَفَّه فى قَباطِيَّ ودفَنه هناك . قالوا : فلا يَقْدِرُ أحدٌ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٤٨.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١/ ١٣٦ - ١٣٨. وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٠ وما بعدها.

(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « بالبرية » ، وفى ص : « بالتربة » . والمثبت من تاريخ بغداد . والثُّوَيَّة - ويقال : الثُّوَيَّة - موضع قريب من الكوفة ، وقيل : بالكوفة . انظر معجم البلدان ١/ ٩٤٠.

(٤) فى م ، ص : « عمران » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠.

(٥) فى ص : « التسترى » . وانظر الأنساب ٤/ ٤٩٧.

(٦) سقط من : م ، ص .

أن يَسْكُنَ تلك الدارَ التى هو فيها إلا ارْتَحَل منها . كذا ذكَره ابنُ عَساكرَ[1] .

ثم إن الحسنَ بنَ علىٍّ استحْضَر عبدَ الرحمنِ بنَ مُلْجَمٍ مِن السجنِ فأحْضَر الناسُ[2] النِّفْطَ والبَوارِىَّ لِيُحَرِّقوه ، فقال لهم أولادُ علىٍّ : دَعُونا نَشْتَفى منه . فقُطِعَت يداه ورِجْلاه ، فلم يَجْزَعْ ولا فَتَر عن الذِّكْرِ ، ثم كُحِلت عَيْناه ، وهو فى ذلك يَذْكُرُ اللَّهَ وقرأ سورةَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى آخرِها ، وإن عينيه لَتَسِيلان على خَدَّيْه ، ثم حاوَلوا لسانَه ليَقْطَعوه ، فجزِع عندَ ذلك جَزَعًا شديدًا ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى أخافُ أن أَمْكُثَ فى الدنيا فَوَاقًا لا أَذْكُرُ اللَّهَ فيه . فقُتِل عندَ ذلك وحُرِّق بالنارِ ، قبَّحه اللَّهُ .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : كان ابنُ مُلْجَمٍ رجلًا أسْمرَ ، حسنَ الوجهِ ، أبْلَجَ[4] ، شَعْرُه مع شَحْمةِ أذنِه ، فى جَبْهتِه أثرُ السجودِ . [٦/٨٣ظ] قال العلماءُ[5] : ولم يُنْتَظَرْ بقتلِه بلوغُ العباسِ بنِ علىٍّ ؛ فإنه كان صغيرًا يومَ قُتِل أبوه . قالوا : لأنه كان قُتِل مُحارَبةً لا قِصاصًا . واللَّهُ أعلمُ .

وكان طَعْنُ علىٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، يومَ الجمعةِ السابعَ عشَرَ مِن رمضانَ سنةَ أربعين ، بلا خِلافٍ . فقيل : مات مِن يومِه . وقيل : يومَ الأحدِ التاسعَ عشَرَ منه . قال الفَلَّاسُ : وقيل : ضُرِب ليلةَ إحدى وعشرين ، ومات ليلةَ أربعٍ وعشرين عن [6]تسعٍ أو سبعٍ[6] أو ثمانٍ وخمسين سنةً . وقيل : عن ثلاثٍ وستين سنةً . وهو

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٢.

(٢) زيادة من : الأصل ، ٦١.

(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٤٠.

(٤) فى الطبقات : «أفلج» . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ٩٣.

(٥) انظر المصدرين السابقين .

(٦ - ٦) فى ٦١: «بضع أو سبع» ، وفى م ، ص : «بضع» . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٥١.

المشهورُ. قاله محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ، وأبو جعفرٍ الباقرُ، وأبو إسحاقَ السَّبِيعيُّ، وأبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ. وقال بعضُهم: عن ثلاثٍ أو أربعٍ وستين سنةً. وعن أبى جعفرٍ الباقرِ: خمسٍ وستين سنةً. وكانت خِلافتُه خمسَ سنين إلا ثلاثةَ أشهرٍ، [1] وقيل: أربعَ سنين وتسعةَ أشهرٍ وثلاثةَ أيامٍ، وقيل: وستةَ أيامٍ. وقيل: وأربعةَ عشرَ يومًا [1]. وقيل: أربعَ سنين وثَمانيةَ أشْهرٍ وثلاثةً وعشرين يومًا. رضِى اللَّهُ عنه [2].

وقال جَريرٌ [3]، عن مُغيرةَ قال: لما جاء نَعْىُ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ إلى مُعاويةَ، وكان ذلك فى وقتِ القائلةِ، وكان نائمًا مع امرأتِه فاخِتةَ بنتِ قَرَظَةَ [4] فى يومٍ صائفٍ، جلَس وهو يقولُ: إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. وجعَل يَبْكى، فقالت له فاخِتةُ: أنت بالأمْسِ تَطْعَنُ عليه، واليومَ تَبْكى عليه! فقال: وَيْحَكِ! إنما أبْكى لِما فقَد الناسُ مِن حِلْمِه وعِلْمِه وفَضْلِه وسَوابقِه وخيرِه.

وذكَر ابنُ أبى الدنيا فى كتابِ «مَكائدِ الشَّيطانِ» [5] أن رجلًا مِن أهلِ الشامِ مِن أُمراءِ مُعاويةَ غضِب ذاتَ ليلةٍ على ابنِه، فأخْرَجه مِن مَنْزِلِه، فخرَج الغلامُ لا يَدْرى أين يَذْهَبُ، فجلَس وراءَ البابِ مِن خارجٍ، فنام ساعةً ثم اسْتَيْقظ، فإذا هو بهِرٍّ أسودَ بَرِّىٍّ قد جاء إلى البابِ الذى لهم فنادى: يا سُوَيْدُ، يا سُوَيْدُ. فخرَج إليه الهِرُّ الذى فى مَنْزِلِهم، فقال له البَرِّىُّ: وَيْحَكَ! افْتَحْ. فقال: لا أسْتَطِيعُ. فقال: وَيْحَكَ! ائْتِنى بشىءٍ أَتَبَلَّغُ به فإنى جائعٌ وتَعْبانُ، هذا أوانُ مَجِيئى مِن

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٢/٤٢٣ - ٤٢٨ مخطوط.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٣٠، ١٦/٧١٥ مخطوط، من طريق جرير به.

(٤) فى م، ص: «قرطة». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١١٦. وانظر ترجمتها فى تاريخ دمشق جزء تراجم النساء ص ٢٦٨ طبعة دار الفكر.

(٥) أخرج هذا الخبر ابن أبى الدنيا فى كتابه الهواتف (١٧٦).

الكُوفةِ ، وقد حدَثَ الليلةَ حَدَثٌ عَظيمٌ ، قُتِل عليُّ بنُ أبى طالبٍ . قال : فقال له الهِرُّ الأهْليُّ : واللَّهِ إنه ليس هَـٰهنا شيءٌ إلا وقد ذكَروا [٦/ ٨٤و] اسمَ اللَّهِ عليه غيرَ سَفُّودٍ[1] كانوا يَشْوُون عليه اللحمَ . فقال : ائْتِنى به . فجاء به فجعَل يَلْحَسُه حتى أخَذ حاجتَه وانْصَرَف ، وذلك بمَرْأَى مِن الغُلامِ ومَسْمَعٍ ، فقام إلى البابِ فطرَقه ، فخرَج إليه أبوه فقال : مَن ؟ فقال له : افْتَحْ . فقال : وَيْحَكَ ! ما لك ؟ فقال : افْتَحْ . ففتَح ، فقَصَّ عليه خبرَ ما رأَى . فقال له : وَيْحَكَ ! أمَنامٌ هذا ؟ قال : لا واللَّهِ . قال : وَيْحَك ! أفَأَصابك جنونٌ بعدى ؟ قال : لا واللَّهِ ، ولكن الأمرُ كما وصَفْتُ لك ، فاذْهَبْ إلى مُعاويةَ الآنَ فاتَّخِذْ عندَه يدًا بما قلتُ لك . فذهَب الرجلُ فاسْتَأْذَن على مُعاويةَ ، فأخْبَره الخبرَ على ما ذكَر ولدُه ، فأرَّخُوا ذلك عندَهم قبلَ مجيءِ البُرُدِ ، ولما جاءت البُرُدُ وجدوا ما أخْبَروهم به مُطابِقًا لما كان أخْبَر به أبو الغلامِ . هذا مُلَخَّصُ ما ذكَره .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[2] : ثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، ثنا زُهَيْرُ بنُ مُعاويةَ ، عن أبى إسْحاقَ ، عن عمرِو بنِ الأصَمِّ قال : قلتُ للحسنِ[3] بنِ عليٍّ : إن هذه الشِّيعةَ يَزْعُمون أن عليًّا مَبْعوثٌ قبلَ يومِ القيامةِ . فقال : كذَبوا واللَّهِ ، ما هؤلاء بالشِّيعةِ ، لو عَلِمْنا أنه مَبْعوثٌ ما زوَّجْنا نِساءَه ولا قسَمْنا مالَه . ورواه أسْباطُ بنُ محمدٍ[4] ، عن مُطَرِّفٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ الأصَمِّ ، عن الحسنِ بنِ عليٍّ بنحوِه[5] .

---

(١) السَّفُّود والسُّفُّود : حديدة ذات شُعَب مُعَقَّفة ، يشوى به اللحم ، وجمعه سَفَافيد . اللسان (س ف د) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٣٣، ٤٣٤ مخطوط ، من طريق أبى القاسم البغوى به .

(٣) فى النسخ : « للحسين » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الطريق التالية .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٤٣٣ مخطوط ، من طريق أسباط بن محمد به .

(٥) بعده فى الأصل ، ٦١: « فصل نذكر فيه كلمات زيادة على ما كان نص عليه المؤلف ...» وهى زيادة من الناسخ ، ثم ساق هـذا الفصل وأورد فيه كلاما كثيرا وحكما لعلى رضى اللَّه عنه ، وهذه الزيادة استوعبت صفحات نسخة الأصل [٦/٨٤ظ ، ٨٥ و ، ٨٥ظ] .

خِلافةُ الحسنِ بنِ علىّ بنِ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنهما[1]

قد ذكَرْنا أن عليًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، لما ضرَبه ابنُ مُلْجَمٍ قالوا له : اسْتَخْلِفْ يا أميرَ المؤمنين . فقال : لا ، ولكن أَدَعُكم كما ترَكَكم رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى بغيرِ اسْتِخلافٍ - فإن يُرِدِ اللَّهُ بكم خيرًا يَجْمَعْكم على خيرِكم ، كما جَمعكم على خيرِكم بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فلمَّا تُوُفِّىَ وصلَّى عليه ابنُه الحسنُ ؛ لأنه أكْبرُ بَنيه ، رضِى اللَّهُ عنهم ، ودُفِن كما ذكَرْنا بدارِ الإمارةِ بالكوفةِ ، على الصَّحيحِ مِن أقوالِ الناسِ ، فلمَّا فُرِغ مِن شَأْنِه كان أوَّلَ مَن تقَدَّم إلى الحسنِ بنِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ ، فقال له : ابْسُطْ يَدَك أُبايِعْك على كتابِ اللَّهِ [٦/٨٦و] وسُنَّةِ نبيِّه . فسكَت الحسنُ ، فبايَعه ثم بايَعَه الناسُ بعدَه ، وكان ذلك يومَ مات علىٌّ ، وكان موتُه يومَ ضُرِب ، على قولٍ ، وهو يومُ الجُمُعةِ السابعَ عشَرَ مِن رَمضانَ سنةَ أربعين ، وقيل : إنما مات بعدَ الطَّعْنةِ بيومَيْن . وقيل : مات فى العَشْرِ الأخيرِ مِن رَمضانَ ، ومِن يومِئِذٍ وَلِىَ الحسنُ ابنُه .

وكان قيسُ بنُ سعدٍ على إمْرةِ أَذْرَبِيجانَ ، تحتَ يدِه أربعون ألفَ مُقاتِلٍ قد بايَعوا عليًّا على الموتِ ، فلمَّا مات علىٌّ أَلَحَّ قيسُ بنُ سعدٍ على الحسنِ فى النَّفيرِ لِقِتالِ أهلِ الشامِ ، فعزَل قيسًا عن إمْرةِ أَذْرَبِيجانَ ، ووَلَّى عُبَيدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ عليها ، ولم يَكُنْ فى نيةِ الحسنِ أن يُقاتِلَ أحدًا ، ولكن غلَبوه على رأيِه ،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ١٥٨/٥ - ١٦٥.

فاجْتَمَعوا اجْتِماعًا عظيمًا لم يُسْمَعْ بمثلِه، فأمَّر الحسنُ بنُ عليٍّ قيسَ بنَ سعدِ ابنِ عُبادةَ على المُقَدِّمةِ فى اثْنَىْ عشَرَ ألفًا بينَ يديه، وسار هو بالجيوشِ فى إثْرِه قاصدًا بلادَ الشامِ ليُقاتِلَ مُعاويةَ وأهلَ الشامِ، فلما اجْتاز بالمَدائنِ نزَلها وقدَّم المُقَدِّمةَ بينَ يديه، فبينما هو فى المَدائنِ مُعَسْكِرٌ بظاهرِها، إذ صرَخ فى الناسِ صارخٌ: ألا إن قيسَ بنَ سعدِ بنِ عُبادةَ قد قُتِل. فثار الناسُ فانْتَهَب بعضُهم بعضًا، حتى انْتَهَبوا سُرادِقَ الحسنِ، حتى نازَعوه بِساطًا كان جالسًا عليه، وطعَنه بعضُهم حينَ ركِب طَعْنةً أشْوَتْه[1]، فكرِههم الحسنُ كراهيةً شديدةً، ثم ركِب فدخَل القصرَ الأبْيضَ مِن المَدائنِ، فنزَله وهو جَريحٌ، وكان عامِلَه على المَدائنِ سعدُ بنُ مسعودٍ الثَّقفيُّ، أخو أبى عُبيدٍ صاحبِ يومِ الجِسْرِ، فلما اسْتَقَرَّ الحسنُ بالقَصْرِ قال المختارُ بنُ أبى عُبَيدٍ، قبَّحه اللَّهُ، لعمِّه سعدِ بنِ مسعودٍ: هل لك فى الشَّرَفِ والغِنَى؟ قال: وما ذا؟ قال: تَأْخُذُ الحسنَ بنَ عليٍّ فتُقَيِّدُه وتَبْعَثُ به إلى مُعاويةَ. فقال له عمُّه: قَبَّحكَ اللَّهُ وقبَّح ما جِئْتَ به! أَأَغْدِرُ بابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟!

ولما رأى الحسنُ بنُ عليٍّ تَفَرُّقَ جيشِه عليه مقَتهم، وكتَب عندَ ذلك إلى مُعاويةَ - وكان قد ركِب فى أهلِ الشامِ، فنزَل مَسْكِنَ[2] - يُراوِضُه على الصُّلْحِ بينَهما، فبعَث إليه مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ وعبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرَةَ، فقدِما عليه الكوفةَ فبذَلا له ما أراد مِن الأمْوالِ، فاشْتَرط أن يَأْخُذَ [٦/٨٦ظ] مِن بيتِ مالِ الكوفةِ خمسةَ آلافِ ألفِ درهمٍ، وأن يكونَ خَراجُ دَارَابْجِرْدَ له، وأن لا يُسَبَّ

---

(١) أشوته: لم تُصِب مقتله. انظر النهاية ٢/ ٥١١.

(٢) مسكن: أرض بالعراق. معجم ما استعجم ٤/ ١٢٢٧.

عليٌّ وهو يَسْمَعُ ، فإذا فُعِل ذلك نزَل عن الإمْرةِ لمعاويةَ ، ويَحْقِنُ الدِّماءَ بينَ المسلمين . فاصْطَلَحوا على ذلك واجْتَمَعتِ الكَلِمةُ على مُعاويةَ ، على ما سيأتى بيانُه وتفْصيلُه ، وقد لامَ الحسينُ أخاه الحسنَ على هذا الرَّأْيِ ، فلم يَقْبَلْ منه ، والصوابُ مع الحسنِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كما سنذَكُرُ دليلَه قريبًا .

ثم بعَث الحسنُ بنُ عليٍّ إلى أميرِ المُقَدِّمةِ قيسِ بنِ سعدٍ أن يَسْمَعَ ويُطِيعَ لمعاويةَ[1] ، فأَبَى قيسٌ مِن قَبولِ ذلك ، وخرَج عن طاعتِهما جميعًا ، واعْتَزل بمَن أطاعه ، ثم راجَع الأمْرَ فبايَع مُعاويةَ بعدَ أيامٍ قريبةٍ ، كما سنذكُرُه . ثم المَشْهورُ أن مُبايَعةَ الحسنِ لمُعاويةَ كانت فى سنةِ أربعين ، ولهذا يقالُ له : عامُ الجماعةِ . لاجْتماعِ الكَلِمةِ فيه على مُعاويةَ ، والمَشْهورُ عندَ ابنِ جَريرٍ وغيرِه مِن عُلماءِ السِّيرِ أن ذلك كان فى أوائلِ سنةِ إحدى وأربعين كما سنَذْكُرُه ، إن شاء اللَّهُ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ - أعْنى سنةَ أربعين - المُغيرةُ بنُ شُعبةَ .

وزعَم ابنُ جَريرٍ[2] فيما رَواه عن إسماعيلَ بنِ راشدٍ ، أن المُغيرةَ بنَ شُعْبةَ افْتَعل كِتابًا على لسانِ مُعاويةَ أنه قد ولَّاه إمْرةَ الحَجِّ عامَئذٍ ، وبادَر إلى ذلك عُتْبةُ بنُ أبى سفيانَ ، وكان معه كتابٌ مِن أخيه معاويةَ بإمْرةِ الحجِّ ، فتعَجَّل المُغيرةُ فوقَف بالناسِ يومَ الثامنِ ليَسْبِقَ عُتْبةَ إلى الإمْرةِ . وهذا الذى نقَله ابنُ جَريرٍ لا يُقْبَلُ ، ولا يُظَنُّ بالمُغيرةِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ذلك ، وإنما نَبَّهْنا على ذلك ليُعْلَمَ أنه باطلٌ . واللَّهُ أعلمُ . فإن الصَّحابةَ أجَلُّ قَدْرًا مِن هذا ، ولكن هذه نَزْعَةٌ شِيعِيَّةٌ .

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ١٦٠، ١٦١.

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : وفى هذه السنةِ بُويِعَ لمعاويةَ بإيلِياءَ . يعنى لما مات علىٌّ قام أهلُ الشامِ فبايَعوا مُعاويةَ على إمْرةِ المؤمنين ؛ لأنه لم يَبْقَ له عندَهم مُنازِعٌ ، فعندَ ذلك أقام أهلُ العِراقِ الحسنَ بنَ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ليُمانِعوا به أهلَ الشامِ ، فلم يَتِمَّ لهم ما أرادُوه وما حاوَلوه ، وإنما كان خِذْلانُهم مِن قِبَلِ تَدْبيرِهم السَّيِّءِ وآرائِهم المُخْتلفةِ المُخالِفةِ لأُمرائِهم ، [٦/٨٧و] ولو كانوا يَعْلَمون لَعَظَّموا ما أنْعَم اللَّهُ به عليهم مِن مُبايَعتِهم ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسيدَ المسلمين ، وأحَدَ عُلماءِ الصَّحابةِ وحُلَمائِهم وذَوِى آرائِهم . والدليلُ على أنَّه أحَدُ الخُلَفاءِ الراشدين الحديثُ الذى أوْرَدْناه فى دلائلِ النُّبوةِ مِن طُرُقٍ عن سَفينةَ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[2] : « الخِلافةُ بعدى ثلاثون سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا » . وإنما كَمَلَت الثلاثون بخِلافةِ الحسنِ بنِ علىٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، فإنه نزَل عن الخِلافةِ لمُعاويةَ فى ربيعِ الأولِ مِن سنةِ إحدى وأربعين ، وذلك كمالُ ثلاثين سنةً مِن موتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فإنه تُوُفِّىَ فى ربيعِ الأول سنةَ إحدى عشْرةَ مِن الهجرةِ ، وهذا مِن أكبرِ دلائلِ النبوةِ ، وقد مَدَحه رسولُ اللَّهِ ﷺ على صَنِيعِه هذا ، وهو تَرْكُه الدنيا الفانيةَ ، ورَغْبتُه فى الآخرةِ الباقيةِ ، وحَقْنُه دماءَ هذه الأمةِ ، فنزَل عن الخِلافةِ وجعَل المُلْكَ بيدِ مُعاويةَ ، حتى تَجْتَمِعَ الكلمةُ على أميرٍ واحدٍ ، وهذا المَدْحُ قد ذكَرْناه فيما تقدَّم[3] وسنُورِدُه فى حديثِ أبى بَكْرةَ الثَّقفىِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صَعِد المِنْبرَ يومًا ، وجلَس الحسنُ بنُ علىٍّ إلى جانبِه ، فجعَل يَنْظُرُ إلى الناسِ مَرَّةً وإليه أخرى ، ثم قال : « أيُّها الناسُ ، إن ابنى هذا سيِّدٌ ، وسيُصْلِحُ اللَّهُ به بينَ فِئَتَيْن عظيمتَيْن مِن المسلمين » . رَواه البخارىُّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ١٦١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٣، ١٦٩، ٢١٠.

(٣) تقدم فى ٩/ ٢٠٨، ٢٠٩.

[1]ثم دَخَلَتْ سنةُ إحْدى وأرْبعين من الهجرةِ النبويَّةِ[1]

قال ابنُ جَريرٍ[2] : فيها سلَّم الحسنُ بنُ عليٍّ الأمْرَ لمُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ . ثم روَى عن الزهريِّ أنه قال : لما بايَع أهلُ العِراقِ الحسنَ بنَ عليٍّ طفِق يَشْتَرِطُ عليهم : إنكم سامِعون مُطِيعون ، مُسالِمون مَن سالَمْتُ ، مُحارِبون مَن حارَبْتُ . فارْتاب به أهلُ العِراقِ وقالوا : ما هذا لكم بصاحبٍ . فما كان عن قريبٍ حتى طعَنوه فأشْوَوْه ، فازْداد لهم بُغْضًا ، وازْداد منهم ذُعْرًا ، فعندَ ذلك عرَف تَفَرُّقَهم واخْتِلافَهم عليه ، وكتَب إلى مُعاويةَ يُسالِمُه ويُراسِلُه فى الصُّلْحِ بينَه وبينَه على ما يَخْتاران .

وقال البخاريُّ فى كتابِ الصُّلْحِ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا سُفيانُ ، عن أبى موسى قال : سمِعْتُ الحسنَ [٦/٨٧ظ] يقولُ : اسْتَقْبَل واللَّهِ الحسنُ بنُ عليٍّ مُعاويةَ بنَ أبى سُفْيانَ بكَتائِبَ أمثالِ الجِبالِ ، فقال عمرُو بنُ العاصِ : إنى لَأَرَى كَتائِبَ لا تُوَلِّى حتى تَقْتُلَ أقْرانَها . فقال مُعاويةُ ، وكان واللَّهِ خيرَ الرَّجلَيْن : أى عمرُو ، إن قَتَل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، مَن لى بأمورِ الناسِ ؟ مَن لى بضَيْعَتِهم[4] ؟ مَن لى بنِسائِهم ؟ فبَعث إليه رَجُلَيْن مِن قريشٍ مِن بنى

(١ - ١) فى م ، ص : « سنة إحدى وأربعين » .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ١٦٢، ١٦٣.

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٨.

(٤) فى النسخ : « بضعفتهم » . والمثبت من صحيح البخارى . وانظر ما تقدم فى ٩/ ٢٠٩.

عبدِ شمسٍ ؛ عبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرةَ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ ، فقال : اذْهَبا إلى هذا الرجلِ فاعْرِضا عليه ، وقُولا له ، واطْلُبا إليه . فأَتَياه فدَخَلا عليه فتَكَلَّما ، وقالا له ، وطلَبا إليه ، فقال لهما الحسنُ بنُ عليٍّ : إنا بنو عبدِ المطلبِ قد أصَبْنا مِن هذا المالِ ، وإن هذه الأُمَّةَ قد عاثَتْ فى دِمائِها . قالا : فإنه يَعْرِضُ عليك كذا وكذا ، ويَطْلُبُ إليكَ ويَسْأَلُكَ[1] . قال : فمَن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به . فما سأَلَهما شيئًا إلا قالا : نحن لك به . فصالَحَه . قال الحسنُ : ولقد سمِعْتُ أبا بَكْرةَ يقولُ : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على المِنْبرِ والحسنُ بنُ عليٍّ إلى جَنْبِه ، وهو يُقْبِلُ على الناسِ مَرَّةً وعليه أخرى ، ويقولُ : « إنَّ ابْنى هذا سيِّدٌ ، ولعلَّ اللَّهَ أن يُصْلِحَ به بينَ فِئَتَيْن عظيمتَيْن مِن المسلمين » . قال البخاريُّ : قال لى عليُّ بنُ المَدِينىِّ : إنما ثبَت عندَنا سَماعُ الحسنِ مِن أبى بَكْرةَ بهذا الحديثِ .

قلتُ : وقد روَى هذا الحديثَ البخاريُّ فى كتابِ الفِتَنِ ، عن عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وهو ابنُ المَدِينىِّ ، وفى فَضائلِ الحسنِ ، عن صَدَقةَ بنِ الفَضْلِ ، ثلاثتُهم عن سفيانَ[2] . ورَواه أحمدُ عن سُفْيانَ ، وهو ابنُ عُيَينةَ ، عن إسرائيلَ بنِ موسى البَصْرىِّ به[3] . ورَواه أيضًا فى دلائلِ النبوةِ عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، وهو ابنُ أبى شَيْبةَ ، ويحيى بنِ آدمَ ، كلاهما عن حسينِ بنِ عليٍّ الجُعْفىِّ ، عن إسرائيلَ ، عن الحسنِ ، وهو البَصْرىُّ ، به[4] . وأخْرَجه أحمدُ وأبو داودَ والنَّسائىُّ مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن الحسنِ البَصْرىِّ به[5] . وَرَواه أبو داودَ أيضًا

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « يسالمك » .

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٩.

(٣) المسند ٥/ ٣٧، ٣٨.

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٨.

(٥) المسند ٥/ ٤٩، وتقدم تخريجه من رواية أبى داود والنسائى فى ٩/ ٢١٠.

والترمذىُّ مِن طريقِ أشْعَثَ ، عن الحسنِ به[1] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . وقد رَواه النسائىُّ مِن طريقِ عَوْفٍ الأعْرابىِّ وغيرِه ، عن الحسنِ البَصْرىِّ مُرْسلًا[1] .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، أنا مَعْمَرٌ ، أخْبَرنى مَن سمِع الحسنَ يُحَدِّثُ عن أبى بَكْرةَ قال : كان النبىُّ ﷺ يُحَدِّثُنا يومًا والحسنُ بنُ علىٍّ فى حِجْرِه ، فيُقْبِلُ على أصحابِه فيُحَدِّثُهم ، ثم يُقْبِلُ على الحسنِ فيُقَبِّلُه ، ثم قال : « إن ابنى هذا سيِّدٌ ، إن يَعِشْ يُصْلِحْ [٦/ ٨٨و] بينَ طائفتَيْن مِن المسلمين » . قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[3] : كذا رَواه مَعْمَرٌ ، ولم يُسَمِّ الذى حدَّثه به عن الحسنِ ، وقد رَواه جماعةٌ عن الحسنِ ، منهم ؛ أبو موسى إسرائيلُ ، ويونُسُ بنُ عُبَيدٍ ، ومَنْصورُ بنُ زاذانَ ، وعلىُّ بنُ زيدٍ ، وهشامُ بنُ حَسَّانَ ، وأشْعَثُ بن سَوَّارٍ ، والمُبارَكُ بنُ فَضالةَ ، وعمرُو بنُ عُبَيدٍ القَدَرِىُّ . ثم شرَع ابنُ عَساكرَ فى تَطْريقِ هذه الرِّواياتِ كلِّها ، فأفاد وأجاد[4] .

قلتُ : الظاهرُ أن مَعْمَرًا رَواه عن عمرِو بنِ عُبَيْدٍ ، فلم يُفْصِحْ باسمِه ، وقد رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ[5] بنِ يَسارٍ عنه وسَمَّاه . ورَواه أحمدُ[6] ، عن هاشمٍ ، عن مُبارَكِ بنِ فَضالةَ ، عن الحسنِ ، عن أبى بَكْرةَ ، فذكَر الحديثَ . قال الحسنُ : فواللَّهِ واللَّهِ بعدَ أن وَلِىَ[7] لم يُهَرَقْ فى خِلافتِه مِلْءُ مِحْجَمةٍ مِن دمٍ .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٠.
(٢) المسند ٥/ ٤٧.
(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣١.
(٤) انظر تاريخ دمشق ١٣/٢٣١ - ٢٣٨.
(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣٨.
(٦) المسند ٥/ ٤٤.
(٧) فى م، ص: «يولى».

قال شيخُنا أبو الحَجّاجِ المزيُّ فى «أطْرافِه»[1] : وقد رَواه بعضُهم عن الحسنِ، عن أمِّ سَلَمةَ.

وقد رُوِىَ هذا الحديثُ مِن طريقِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنْصارىِّ، رضِى اللَّهُ عنه؛ قال [2]يحيى بنُ مَعِينٍ[3] : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأُمَوىُّ، عن الأعمشِ، عن أبى سفيانَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال[2] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للحسنِ: «إن ابنى هذا سيدٌ، يُصْلِحُ اللَّهُ به بينَ فئتَيْن مِن المسلمين». وكذا رَواه عبدُ الرحمنِ بنُ مَغْراءَ[4]، عن الأعْمشِ به.

[5]وقد رواه غيرُه عن أبى هريرةَ؛ فقال[5] أبو يَعْلَى[6] : ثنا أبو بكرٍ، ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ، ثنا محمدُ بنُ صالحٍ التَّمّارُ المَدَنىُّ، ثنا[7] مسلمُ بنُ أبى مَرْيَمَ، عن سعيدِ ابنِ أبى سعيدٍ المَدَنىِّ قال: كنا مع أبى هريرةَ، إذ جاء الحسنُ بنُ علىٍّ فسَلَّم [2]فرَدَدْنا عليه، ولم يَعْلَمْ به أبو هريرةَ ومضَى، فقُلْنا: يا أبا هريرةَ، هذا الحسنُ بنُ علىٍّ قد سَلَّمَ[2] علينا. قال: فتَبِعَه فلَحِقَه، وقال: وعليك السلامُ يا سيِّدى. وقال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنه سيِّدٌ».

---

(١) تحفة الأشراف ٩/ ٣٩. وانظر ما تقدم فى ٩/ ٢١٠.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣١، من طريق يحيى بن معين به.

(٤) فى الأصل: «معبر»، وفى ٦١: «معبد»، وفى م، ص: «معمر». والمثبت من تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣١. وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤١٨.

(٥ - ٥) فى م، ص: «وقال».

(٦) مسند أبى يعلى (٦٥٦١). كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣٠، من طريق أبى يعلى به.

(٧) بعده فى النسخ، وتاريخ دمشق: «محمد بن». والمثبت من مسند أبى يعلى. وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٧٧، ٢٧/ ٥٤١.

وقال أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدٍ المدائنيُّ[1] : كان تَسْليمُ الحسنِ الأمْرَ لمعاويةَ فى الخامسِ مِن ربيعِ الأولِ سنةَ إحدى وأربعين . وقال غيرُه : فى ربيعِ الآخرِ . ويقالُ : فى غُرَّةِ جُمادَى الأولى[2] . فاللَّهُ أعلمُ . قال : وحينَئذٍ دخَل مُعاويةُ إلى الكوفةِ ، فخطَب الناسَ بها بعدَ البَيْعةِ .

وذكَر ابنُ جَريرٍ[3] أن عمرَو بنَ العاصِ أشار على مُعاويةَ أن يَأْمُرَ الحسنَ بنَ عليٍّ أن يَخْطُبَ الناسَ [٦/٨٨ظ] ويُعْلِمَهم بنُزولِه عن الأمْرِ لمُعاويةَ ، فأمَر مُعاويةُ الحَسَنَ ، فقام فى الناسِ خَطِيبًا ، فقال فى خُطْبتِه بعدَ حَمْدِ اللَّهِ والثَّناءِ عليه والصلاةِ على رسولِه ﷺ : أما بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فإن اللَّهَ هَداكم بأوَّلِنا ، وحَقَن دماءَكم بآخِرِنا ، وإن لهذا الأمْرِ مُدَّةً ، [4]والدنيا دُوَلٌ[4] ، وإن اللَّهَ تعالى قال لنبيِّه ﷺ : ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١] . فلمَّا قالها غَضِب معاويةُ وأمَره بالجُلوسِ ، وعَتَب على عمرِو بنِ العاصِ فى إشارتِه بذلك ، ولم يَزَلْ فى نفسِه منه لذلك . واللَّهُ أعْلمُ .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه التِّرمذيُّ فى « جامعِه »[5] : حدَّثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ ، ثنا أبو داودَ الطَّيالسيُّ ، ثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ الحُدَّانيُّ ، عن يوسفَ بنِ سعدٍ قال : قام رجلٌ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ بعدَما بايَع مُعاويةَ فقال : سوَّدْتَ وُجوهَ المؤمنين - أو : يا مُسَوِّدَ وُجوهِ المؤمنين - فقال : لا تُؤَنِّبْنى رحِمَك اللَّهُ ؛ فإن

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ١٦٣.

(٢) انظر المصدر السابق ٣/ ١٦٤، ١٦٥، والمنتظم ٥/ ١٨٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ١٦٣.

(٤ - ٤) فى الأصل، ٦١، ص: « والدنيا زوال ».

(٥) الترمذى (٣٣٥٠). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٦٣).

النبيَّ ﷺ أُرِىَ بنى أميةَ على مِنْبرِه، فساءه ذلك فنزَلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾. يا محمدُ. يعنى نهرًا فى الجنةِ، ونزَلَت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. يَمْلِكُها بعدَك بنو أميَّةَ يا محمدُ. قال القاسمُ[1]: فعدَدْنا فإذا هى ألفُ شهرٍ، لا تَزيدُ يومًا ولا تَنْقُصُ. ثم قال الترمذىُّ: هذا حديثٌ غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفَضْلِ، وهو ثِقةٌ، وثَّقه يحيى القَطَّانُ وابنُ مَهْدِىٍّ. قال: وشيخُه يوسفُ بنُ سعدٍ - ويقالُ: يوسفُ بنُ مازِنٍ - رجلٌ مجهولٌ. قال: ولا يُعْرَفُ هذا الحديثُ بهذا اللفظِ إلا مِن هذا الوجهِ. فإنه حديثٌ غريبٌ بل مُنْكَرٌ جدًّا، وقد تَكَلَّمْنا عليه فى كتابِ «التَّفْسيرِ»[2] بما فيه كِفايةٌ، وبيَّنّا وَجْهَ نَكارتِه، وناقَشْنا القاسمَ بنَ الفَضْلِ فيما ذكَره، فمَن أراد ذلك فلْيُراجِعِ «التَّفْسيرَ». واللَّهُ أعلمُ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَطيبُ البَغْدادىُّ[3]: ثنا إبراهيمُ بنُ مَخْلَدِ بنِ جَعْفرٍ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحكِيمىُّ[4]، ثنا عباسُ بنُ محمدٍ، ثنا أسودُ بنُ عامرٍ، ثنا زُهَيْرُ بنُ مُعاويةَ، ثنا أبو رَوْقٍ الهَمْدانىُّ[5]، ثنا أبو الغَريفِ قال: كنا فى مُقَدِّمةِ الحسنِ بنِ علىٍّ اثنَىْ عشَرَ ألفًا بمَسْكِنَ مُسْتَمِيتِين، [6]تَقْطُرُ أسيافُنا[6] مِن الجِدِّ

---

(١) فى النسخ: «الفضل». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر التفسير ٨/ ٤٦٢.

(٢) التفسير ٨/ ٤٦٢، ٤٦٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٥.

(٤) فى النسخ: «الحكمى». والمثبت من تاريخ بغداد. وانظر الأنساب ٢/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠٤.

(٥) فى ص، وتاريخ بغداد: «الهزانى». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٤٣، ١٤٤.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ بغداد.

على قِتالِ أهلِ الشامِ ، وعلينا [1]أبو العَمَرَّطَةِ[1] ، فلمَّا جاءنا صُلْحُ الحسنِ بنِ عليٍّ كأنما كُسِرتْ ظُهورُنا مِن الغَيْظِ ، فلما قدِم [٦/٨٩و] الحسنُ بنُ عليٍّ الكوفةَ قال له رجلٌ منا يقالُ له : أبو عامرٍ [2]سفيانُ بنُ اللَّيْلِ[2] : السلامُ عليك يا مُذِلَّ المؤمنين . فقال : لا تَقُلْ هذا يا أبا عامرٍ ، لستُ بمُذِلِّ المؤمنين ، ولكنى كرِهْتُ أن أَقْتُلَهم على الـمُلْكِ .

ولما تَسَلَّم مُعاويةُ البِلادَ ودخَل الكُوفةَ وخطَب بها ، واجْتَمَعتْ عليه الكَلِمةُ فى سائرِ الأقاليمِ والآفاقِ ، ورجَع إليه قيسُ بنُ سعدٍ أحدُ دُهاةِ العربِ ، وقد كان عزَم على الشِّقاقِ ، وحصَل على بَيْعةِ مُعاويةَ عامَئذٍ الإجماعُ والاتِّفاقُ ، ترَحَّل الحسنُ بنُ عليٍّ ، ومعه أخوه الحسينُ وبَقيةُ إخْوتِهم وابنُ عمِّهم عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ مِن أرضِ العراقِ إلى أرضِ المدينةِ النبويةِ ، على ساكِنها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، وجعَل كلَّما مَرَّ بحيٍّ مِن شِيعتِهم يُبَكِّتونه على ما صنَع مِن نزولِه عن الأمْرِ لمُعاويةَ ، وهو فى ذلك مُصِيبٌ بارٌّ راشِدٌ مَمْدوحٌ ، وليس يَجِدُ فى صدرِه حَرَجًا ولا تَلَوُّمًا ولا نَدَمًا ، بل هو راضٍ بذلك مُسْتَبْشِرٌ به ، وإن كان قد ساء هذا خَلْقًا مِن ذَوِيه وأهْلِه وشِيعتِه ، ولا سيَّما بعدَ ذلك بمُدَدٍ ، وهَلُمَّ جرًّا إلى يومِنا هذا . والحقُّ فى ذلك اتِّباعُ السُّنَّةِ ومَدْحُه فيما حقَن به دماءَ الأمةِ ، كما مدَحه على ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما تقَدَّم فى الحديثِ الصحيحِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وسيأتى فَضائلُ الحسنِ عندَ ذِكْرِ وفاتِه ، رضِى اللَّهُ عنه وأرضاه ، وجعَل جَناتِ الفِرْدَوْسِ مُتَقلَّبَه

(١ - ١) كذا فى النسخ . وفى تاريخ بغداد : « أبو العمرطى » . ولعلها كنية قيس بن سعد بن عبادة ؛ فإنه كان على مقدمة جيش الحسن ، وكان أحد دهاة العرب كما سيوضحه السياق . والعَمَرَّط : الداهية ، والشديد الجسور ، وقيل : الخفيف من الفتيان . تاج العروس (عمرط) .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١ : « سفيان بن الكتل » ، وفى م : « سعيد بن النتل » .

ومَثْواه ، وقد فَعَل .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا شَريكٌ ، عن عاصمٍ ، عن أبى رَزِينٍ قال : خطَبَنا الحسنُ بنُ علىٍّ يومَ جُمُعةٍ ، فقرَأ سُورةَ « إبراهيمَ » على المِنْبرِ حتى ختَمها .

وروَى ابنُ عَساكرَ[2] عن الحسنِ ، أنه كان يَقْرَأُ كلَّ ليلةٍ سُورةَ « الكَهْفِ » فى لَوْحٍ مَكْتوبٍ يَدورُ معه حيث دار مِن بيوتِ أزْواجِه قبلَ أن يَنامَ ، وهو فى الفِراشِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥١، من طريق محمد بن سعد به .
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٤.

ذكرُ أيامِ مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ، رضِىَ اللهُ عنه، ومُلْكِه

قد تقدَّم فى الحديثِ أن الخِلافةَ بعدَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ثلاثون سنةً، ثم تَكُونُ مُلْكًا، وقد انْقَضَتِ الثلاثون سنةً بخِلافةِ الحسنِ بنِ علىٍّ، فأيامُ مُعاويةَ أوَّلُ الملكِ، فهو أولُ مُلوكِ الإسْلامِ وخِيارُهم.

(١قال الطَّبَرانىُّ(٢) : حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ، ثنا أحمدُ بنُ يونُسَ، ثنا الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ، عن ليثٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابِطٍ، عن أبى ثَعْلبةَ الخُشَنىِّ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ وأبى عُبَيدةَ قالا : قال [٦/٨٩ظ] رسولُ اللَّهِ ﷺ : «إنَّ هذا الأمْرَ بَدأ رَحْمةً ونُبوَّةً، ثُمَّ يكونُ رَحْمةً وخِلافةً، ثُم كائنٌ مُلْكًا عَضُوضًا(٣)، ثُم كائنٌ عُتُوًّا وجَبْرِيَّةً وفَسادًا فى الأرضِ، يَسْتَحِلُّون الحَريرَ والفُروجَ والخُمورَ، ويُرزَقون على ذلك ويُنْصَرون حتى يَلْقَوُا اللَّهَ عزَّ وجلَّ». إسنادُه جيدٌ١).

وقد ذكَرْنا فى دلائلِ النبوةِ الحديثَ الواردَ مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ مُهاجِرٍ - وفيه ضعفٌ - عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ(٤) قال : قال معاويةُ : واللَّهِ ما حَمَلَنى على الخِلافةِ إلَّا قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لى : «يا مُعاويةُ، إن مَلَكْتَ فأحْسِنْ». رَواه البيهقىُّ، عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، عن العباسِ بنِ محمدٍ، عن

(١ - ١) سقط من : ص.

(٢) المعجم الكبير ١/ ١١٩، ١٢٠ (٣٦٧)، ٢٠/ ٥٣ (٩١). قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٨٩: فيه ليث بن أبى سليم، وهو ثقة ولكنه مدلس، وبقية رجاله ثقات.

(٣) ملك عضوض: أى يصيب الرعية فيه عَسْف وظلم، كأنهم يُعَضُّون فيه عَضًّا. النهاية ٣/ ٢٥٣.

(٤) تقدم فى ٩/ ٢١١.

محمدِ بنِ سابقٍ، عن يحيى بنِ زكريا بنِ أبى زائدةَ، عن إسماعيلَ[1].

ثم قال البيهقىُّ[1]: وله شَواهدُ مِن وُجوهٍ أُخَرَ، منها حديثُ عمرِو بنِ يحيى ابنِ سعيدِ بنِ العاصِ، عن جَدِّه سعيدٍ، أن مُعاويةَ أخَذ الإداوةَ فتَبِع رسولَ اللَّهِ ﷺ، فنَظَر إليه فقال له: «يا مُعاويةُ، إن وُلِّيتَ أمْرًا فاتَّقِ اللَّهَ واعْدِلْ». قال مُعاويةُ: فما زِلْتُ أظُنُّ أنى مُبْتَلًى بعملٍ؛ لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

ومنها[2] حديثُ راشدِ بنِ سعدٍ، عن مُعاويةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّك إنِ اتَّبَعْتَ عَوْراتِ الناسِ أفْسَدْتَهم». قال أبو الدَّرْداءِ: كلمةٌ سَمِعَها مُعاويةُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فنَفَعه اللَّهُ بها.

ثم روَى البَيْهقىُّ، مِن طريقِ هُشَيْمٍ[3]، عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ، عن سُليمانَ ابنِ أبى سُليمانَ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الخِلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشامِ». غريبٌ جدًّا.

وروَى[4] مِن طريقِ أبى إدْريسَ، عن أبى الدَّرْداءِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بينا أنا نائمٌ رأيْتُ عمودَ[5] الكِتابِ احْتُمِل مِن تحتِ رأسى، فظَنَنْتُ أنَّه مَذْهُوبٌ به، فأتْبَعْتُه بَصَرِى فعُمِدَ به إلى الشامِ، ألَا[5] وإنَّ الإيمانَ حينَ تَقَعُ الفِتَنُ[6] بالشامِ». وقد رَواه سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ، عن عَطِيةَ بنِ قيسٍ ويونُسَ بنِ مَيْسَرةَ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١١.

(٢) هذه تتمة كلام البيهقى. وتقدم تخريج الحديث فى ٩/ ٢١٢.

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٢.

(٤) أى البيهقى. وقد تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٢.

(٥) سقط من: م، ص.

(٦) فى م، ص: «الفتنة».

عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[1] . ورَواه الوليدُ بنُ مُسْلمٍ ، عن عُفَيْرِ بنِ مَعْدانَ ، عن سُلَيمِ ابنِ عامرٍ ، عن أبى أُمامةَ[1] .

وروَى يَعقوبُ بنُ سفيانَ[1] عن نصرِ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ السُّلَمىِّ الحِمْصىِّ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قيسٍ ، سمِعْتُ عمرَ بنَ الخَطَّابِ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رأيْتُ عمودًا مِن نورٍ خَرَج مِن تحتِ رأسى [٦/٩٠و] ساطعًا حتى اسْتَقَرَّ بالشامِ » .

وقال عبدُ الرزاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ صَفْوانَ قال : قال رجلٌ يومَ صِفِّينَ : اللَّهُمَّ الْعَنْ أهلَ الشامِ . فقال له علىٌّ : لا تَسُبَّ أهلَ الشامِ [2]جَمًّا غَفِيرًا[2] ؛ فإنَّ بها الأبْدالَ ، فإنَّ بها الأبْدالَ ، فإنَّ بها الأبْدالَ . وقد رُوِى هذا الحديثُ مِن وجهٍ آخرَ مَرْفوعًا[3] .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٣.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٤.

فضلُ مُعاويةَ بنِ
أبى سُفْيانَ، رَضِى اللَّـهُ عنه

هو مُعاويةُ بنُ أبى سُفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ، أبو عبدِ الرحمنِ القُرشىُّ الأُمَوىُّ، خالُ المؤمنين، وكاتِبُ وَحْيِ ربِّ العالمين، أسْلَم هو وأبوه وأُمُّه هندُ بنتُ عُتْبَةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ يومَ الفتحِ. وقد رُوِى عن مُعاويةَ أنه قال: أسْلَمْتُ يومَ عُمْرةِ القَضاءِ، ولكن كَتَمْتُ إسْلامى مِن أبى (١ وأُمِّى ١) إلى يومِ الفَتْحِ (٢). وقد كان أبوه مِن ساداتِ قريشٍ فى الجاهليةِ، وآلَتْ إليه رِياسةُ قريشٍ بعدَ يومِ بدرٍ، فكان هو أميرَ الحُروبِ مِن ذلك الجانبِ، وكان رئيسًا مُطاعًا ذا مالٍ جَزيلٍ، ولمَّا أسْلَم قال: يا رسولَ اللَّهِ، مُرْنى حتى أُقاتِلَ الكُفَّارَ كما كُنْتُ أُقاتِلُ المسلمين. قال: «نعم». قال: ومُعاويةُ تَجْعَلُه كاتبًا بينَ يديك. قال: «نعم». ثُم سأَل أن يُزَوِّجَ رسولَ اللَّهِ ﷺ بابنتِه الأُخْرَى (٣)، وهى عَزَّةُ بنتُ أبى سُفْيانَ، واسْتَعان على ذلك بأُخْتِها أُمِّ حَبيبةَ، فلم يَقَعْ ذلك، وبَيَّنَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ أن ذلك لا يَحِلُّ له. وقد تَكَلَّمْنا على هذا الحديثِ فى غيرِ مَوْضعٍ (٤)، وأفْرَدْنا له مُصَنَّفًا على حِدَةٍ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

والمقْصودُ أن مُعاويةَ كان يَكْتُبُ الوَحْىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ مع غيرِه مِن كُتَّابِ الوَحْيِ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، ولمَّا فُتِحت الشامُ وَلَّاه عمرُ نِيابةَ دِمشقَ بعد أخيه يزيدَ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ٢٠٩.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٤٨، ٨/ ٣٥٤.

ابنِ أبى سُفْيانَ ، وأقَرَّه على ذلك عثمانُ بنُ عَفَّانَ ، وزاده بلادًا أُخْرى ، وهو الذى بَنَى القُبَّةَ الخَضْراءَ بدِمشقَ ، وسَكَنها أربعين سنةً . قاله الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] . ولما وَلِىَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ الخِلافةَ أشار عليه كثيرٌ مِن أُمرائِه ، ممَّن باشَر قتلَ عثمانَ ، أن يَعْزِلَ مُعاويةَ عن الشامِ ، ويُوَلِّىَ عليها سَهْلَ بنَ حُنَيفٍ ، فعزَلَه فلم يَنْتَظِمْ له عَزْلُه ، والْتَفَّ على معاويةَ جماعةٌ مِن أهلِ الشامِ ومانَعَ عليًّا عنها ، وقد قال : لا أُبايِعُه حتى يُسَلِّمَنى قَتَلةَ عُثمانَ ، فإنه قُتِل مَظْلومًا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ [٦/ ٩٠ظ] سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

وروَى الطَّبَرانىُّ[2] عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال : ما زِلْتُ مُوقِنًا أن مُعاويةَ [3]سيَلِى المُلْكَ والسُّلطانَ[3] مِن هذه الآيةِ . وقد أوْرَدْنا سندَه ومَتْنَه عندَ تفسيرِ هذه الآيةِ[4] . فلمَّا امْتَنَع مُعاويةُ مِن البَيْعةِ لعلىٍّ حتى يُسَلِّمَه القَتَلةَ ، كان مِن أمرِ[5] صِفِّينَ ما قَدَّمْنا ذِكْرَه ، ثُم آلَ الأمْرُ إلى التَّحْكيمِ ، فكان مِن أمْرِ عمرِو بنِ العاصِ وأبى موسى ما أسْلَفْناه مِن قوةِ جانبِ أهلِ الشامِ فى الصُّورةِ الظاهرةِ ، واسْتَفْحَل أمْرُ مُعاويةَ جِدًّا ، ولم يَزَلْ أمْرُ علىٍّ فى اخْتِلافٍ مع أصحابِه حتى قَتَلَه ابنُ مُلْجَمٍ ، كما تقَدَّم ، فعندَ ذلك بايَع أهلُ العراقِ الحسنَ بنَ علىٍّ ، وبايَع أهلُ الشامِ معاويةَ ابنَ أبى سُفْيانَ ، ثُم رَكِب الحسنُ فى جُنودِ العراقِ عن غيرِ إرادةٍ منه ، ورَكِب معاويةُ فى أهلِ الشامِ ، فلَمَّا تواجَهَ الجَيْشانِ وتَقابَل الفريقانِ ، سَعَى الناسُ بينَهما

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧١/١٦ مخطوط .

(٢) المعجم الكبير ٣٢٠/١٠ (١٠٦١٣) بنحوه مطولًا . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٣٦: رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفهم .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « يلى الملك » .

(٤) التفسير ٥/ ٧٠، ٧١.

(٥) زيادة من : ٦١.

فى الصُّلْحِ ، فانتَهَى الحالُ إلى أن خَلَع الحسنُ نفسَه مِن الخِلافةِ ، وسلَّم المُلْكَ إلى مُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، وكان ذلك فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ إحْدى وأربعين - ودخَل مُعاويةُ إلى الكوفةِ ، فخطَب الناسَ بها خُطْبةً بَليغةً بعدَما بايَعَه الناسُ ، واسْتَوْسَقَتْ له المَمالِكُ شَرْقًا وغربًا ، وبُعْدًا وقُرْبًا ، وسُمِّى هذا العامُ عامَ الجماعةِ ؛ لاجْتماعِ الكلمةِ فيه على أميرٍ واحدٍ بعدَ الفُرْقةِ ، فولَّى مُعاويةُ قَضاءَ الشامِ لفَضالةَ بنِ عُبَيدٍ ، ثُم بعدَه لأبى إدْرِيسَ الخَوْلانىِّ ، وكان على شُرْطتِه قيسُ ابنُ حَمْزةَ ، وكان كاتبَه وصاحبَ أمْرِه سَرْجُونُ[1] بنُ منصورٍ الرُّومىُّ . ويقالُ : إنَّه أوَلُ مَن اتَّخَذ الحَرَسَ ، وأولُ مَن حَزَم الكُتُبَ وخَتَمَها[2] . وكان أولَ الأحْداثِ فى دولتِه ، رَضِى اللَّهُ عنه :

خُروجُ طائفةٍ مِن الخَوارِجِ عليه

وكان سببَ ذلك أنَّ مُعاويةَ لمَّا دخَل الكُوفةَ[3] ، وخرَج الحسنُ وأهلُه منها قاصِدين إلى الحِجازِ ، قالت فِرْقةٌ مِن الخَوارجِ نحوٌ مِن خمسِمائةٍ : جاء ما لا يُشَكُّ فيه ، فسِيروا إلى مُعاويةَ فجاهِدوه . فساروا حتى قَرُبوا مِن الكوفةِ ، وعليهم فَرْوَةُ بنُ نَوْفَلٍ ، فبَعَث إليهم مُعاويةُ خَيْلًا مِن أهلِ الشامِ ، فطَرَدوا الشامِيِّين ، فقال مُعاويةُ لأهلِ الكُوفةِ : لا أمانَ لكم عندى حتى تَكُفُّوا بَوائِقَكم . فخرَجوا إلى الخَوارجِ ، فقالت لهم الخَوارجُ : ويْلكم ، ما تَبْغُون ؟ أليس مُعاويةُ عَدوَّكم

---

(١) فى م ، ص : « سرحون » . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٢٠/ ١٦١. وانظر أيضا الوزراء والكُتّاب للجهشيارى ص ٢٤، ٣١ - ٣٣.

(٢) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٤٢٠، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٧، عن الزبير بن بكار.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٦٥، ١٦٦.

وعدُوَّنا ؟ [٦/٩١و] فدَعُونا حتى نُقاتِلَه ، فإن أصَبْناهُ كُنّا قد كَفَيْناكموه ، وإن أصابَنا كنتُم قد كُفِيتُمونا . فقالوا : لا واللَّهِ حتى نُقاتِلَكم . فقالت الخَوارِجُ : يَرْحَمُ اللَّهُ إخوانَنا مِن أهلِ النَّهْرِ كانوا أعْلَمَ بكم يا أهلَ الكوفةِ . فاقْتَتلوا فهزَمهم أهلُ الكُوفةِ وطرَدوهم ، ثم إن مُعاويةَ أراد أن يَسْتَخْلِفَ على الكوفةِ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ ، فقال له المُغيرةُ بنُ شُعْبةَ : أتُوَلِّيه الكُوفةَ وأبوه بمصرَ وتَبْقَى أنت بينَ لَحْيَي الأسدِ ؟! فثَناه عن ذلك ، وولَّى عليها المُغيرةَ بنَ شُعبةَ ، فاجْتَمع عمرُو ابنُ العاصِ بمعاويةَ ، فقال : أتَجْعَلُ المُغيرةَ على الخَراجِ ، هَلَّا وَلَّيْتَ الخَراجَ رجلًا آخرَ . فعَزَلَه عن الخَراجِ ووَلَّاه على الصَّلاةِ ، فقال المُغيرةُ لعمرٍو فى ذلك ، فقال له : ألستَ المُشيرَ على أميرِ المؤمنين فى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ؟ قال : بلى . قال : فهذه بتلك .

وفى هذه السنةِ وَثَب حُمْرانُ بنُ أبانٍ على البَصرةِ[1] ، فأخَذها وتَغَلَّب عليها ، فبَعَث مُعاويةُ إليه جيشًا ليَقْتُلوه ومَن معه ، فجاء أبو بَكْرةَ الثَّقَفىُّ إلى مُعاويةَ ، فسأله فى الصَّفْحِ عنهم والعَفْوِ ، فعفَا عنهم وأطْلَقَهم ، ووَلَّى على البَصْرةِ بُسْرَ بنَ أبى أرْطاةَ ، فتَسَلَّط على أوْلادِ زيادٍ يُريدُ قَتْلَهم ؛ وذلك أن مُعاويةَ كَتَب إلى أبيهم ليَحْضُرَ إليه فتَلَبَّثَ ، فكتَب إليه بُسْرٌ : لئن لم تُسْرِعْ إلى أميرِ المؤمنين ، وإلَّا قَتَلْتُ بنيك . فبَعَث أبو بَكْرةَ إلى مُعاويةَ فى ذلك ، [2]فأخَذ لهم أمانًا منه[2] ، وقد قال مُعاويةُ لأبى بَكْرةَ : هل مِن عَهْدٍ تَعْهَدُه إلينا ؟ قال : نعم ، أَعْهَدُ إليك يا أميرَ المؤمنين أن تَنْظُرَ لنفسِك ورَعِيَّتِك وتَعْمَلَ صالحًا ، فإنك قد تَقَلَّدْتَ عظيمًا ؛ خِلافةَ اللَّهِ فى خلقِه ، فاتَّقِ اللَّهَ ، فإنَّ لك غايةً لا تَعْدُوها ، ومِن ورائِك طالبٌ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/١٦٧ - ١٦٩.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

حَثيثٌ ، وأوْشَك أن تبْلُغَ المدَى ، فيَلْحَقَ الطالبُ ، فتَصِيرَ إلى مَن يَسْأَلُك عمَّا كنتَ فيه ، وهو أعْلَمُ به منك ، وإنما هى مُحاسَبةٌ وتَوْقيفٌ ، فلا تُؤْثِرَنَّ على رِضا اللَّهِ شيئًا .

ثم وَلَّى مُعاويةُ فى آخرِ هذه السنةِ البَصْرةَ لعبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ[1] ، وذلك أن مُعاويةَ أراد أن يُوَلِّيَها لعُتْبةَ بنِ أبى سُفيانَ ، فقال له ابنُ عامرٍ : إن لى بها أموالًا ووَدائعَ ، وإن لم تُوَلِّنيها هَلَكَتْ . فوَلَّاه إياها وأجابه إلى سُؤالِه فى ذلك .

قال أبو مَعْشَرٍ[2] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عُتْبةُ بنُ أبى سفيانَ . وقال الواقدىُّ : إنما حَجَّ بهم عَنْبَسةُ بنُ أبى سفيانَ . فاللَّهُ أعلمُ .

ومِن أعْيانِ مَن تُوُفِّىَ فى [٦/ ٩١ظ] هذا العامِ

رِفاعةُ بنُ رافعِ بنِ مالكِ بنِ العَجْلانِ[3] : شهِد العَقَبةَ وبدْرًا وما بعدَها .

رُكانةُ بنُ [4]**عبدِ يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المطلبِ**[4] **القُرَشىُّ** ، وهو الذى صارَعه النبىُّ ﷺ فصرَعه ، وكان ركانةُ مِن أشَدِّ الناسِ ، وكان صَرْعُ رسولِ اللَّهِ ﷺ له مِن المُعْجزاتِ ، كما قدَّمْنا فى دلائلِ النبوةِ[5] . أسْلَم عامَ الفتحِ ، وقيل : قبلَ ذلك

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٧٠.

(٢) المصدر السابق ٥/ ١٧١.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٤٩٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٢٥، والإصابة ٢/ ٤٨٩.

(٤ - ٤) فى م: «عبد العزيز بن هشام بن عبد المطلب». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٧٣، والاستيعاب ٢/ ٥٠٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٦، والإصابة ٢/ ٤٩٧.

(٥) تقدم فى ٤/ ٢٥٥. وهو فى السيرة وليس فى دلائل النبوة كما ذكر المصنف.

بمكةَ [1]لمَّا صَرَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ[1] . فاللَّهُ أعلمُ .

صفوانُ بنُ أُمَيةَ بنِ خَلَفِ بنِ وَهْبِ بنِ حُذافةَ ، أبو وَهْبٍ القرشيُّ[2] ، أحدُ الرؤساءِ ، تقدَّم أنَّه هَرَب يومَ الفتحِ[3] ، ثم جاء فأسْلَم وحَسُن إسلامُه ، وكان الذى اسْتَأْمَن له عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحيُّ ، وكان صاحبَه وصديقَه فى الجاهليةِ كما تقدَّم ، وقَدِمَ به فى وقتِ صَلاةِ العصرِ ، فاسْتَأْمَن له ، فأمَّنه رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعةَ أشْهرٍ ، واسْتَعار منه أَدْرُعًا وسِلاحًا ومالًا ، وحَضَر صَفْوانُ حُنَيْنًا مُشْرِكًا ، ثُم أسْلَم ودخَل الإيمانُ قلبَه ، فكان مِن ساداتِ المسلمين ، كما كان مِن ساداتِ الجاهليةِ . قال الواقديُّ[4] : ثُم لم يَزَلْ صفوانُ مُقيمًا بمكةَ حتى تُوُفِّىَ بها فى أولِ خِلافةِ مُعاويةَ .

عثمانُ بنُ طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ بنِ عبدِ العُزَّى [5]بنِ عثمانَ[5] بنِ عبدِ الدارِ العبْدرَىُّ الحَجَبىُّ ، أسْلَم هو وخالدُ بنُ الوليدِ وعمرُو بنُ العاصِ فى أولِ سنةِ ثَمانٍ قبلَ الفتحِ . وقد روَى الواقديُّ[6] حديثًا طويلًا عنه فى صفةِ إسْلامِه . وهو الذى أخَذ منه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِفْتاحَ الكعبةِ عامَ الفتحِ ، ثم رَدَّه إليه وهو يَتْلو قولَه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] . وقال له :

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٧١٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٣، والإصابة ٣/ ٤٣٢.

(٣) تقدم فى ٦/ ٥٨٦، ٥٨٧.

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ١٨٩، بسنده عن الواقدى .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر جمهرة أنساب العرب ص ١٢٧، والاستيعاب ٣/ ١٠٣٤، وأسد الغابة ٣/ ٥٧٨، والإصابة ٤/ ٤٥٠.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ١٠٦، ١٠٧ مخطوط ، وابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ١٨٩، ١٩٠.

« خُذْها يا عثمانُ خالدةً تالدةً ، لا يَنْزِعُها منكم إلَّا ظالمٌ » . وكان عليٌّ قد طَلَبها مِن النبيِّ ﷺ ، فمنَعه ذلك .

قال الواقديُّ[1] : نزَل المدينةَ حَياةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما مات نزَل بمكةَ ، فلم يَزلْ بها حتى مات فى أولِ خِلافةِ مُعاويةَ .

عمرُو بنُ الأسْودِ العَنْسيُّ[2] : كان مِن العُبَّادِ الزُّهَّادِ ، وكانت له حُلَّةٌ بمائتَىْ درهمٍ يَلْبَسُها إذا قام إلى صلاةِ الليلِ ، وكان إذا خرَج إلى المسجدِ وضَع يمينَه على شِمالِه مخافةَ الخُيَلاءِ ، روَى عن مُعاذٍ ، وعُبادةَ بنِ الصامتِ ، والعِرْباضِ بنِ ساريةَ وغيرِهم .

وقال أحمدُ فى « الزُّهْدِ »[3] : ثنا أبو اليَمانِ ، ثنا أبو[4] بكرٍ ، عن حَكيمِ بنِ عُمَيرٍ وضَمْرةَ بنِ حَبِيبٍ قالا : قال عمرُ بنُ الخطابِ : [٦/٩٢و] مَن سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى هَدْيِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فلْيَنْظُرْ إلى هَدْيِ عمرِو بنِ الأسودِ .

عاتِكَةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزَّى[5] : وهى أختُ سعيدِ بنِ زيدٍ أحدِ العشَرةِ ، أسْلَمَت وهاجَرت ، وكانت مِن حِسانِ النساءِ وعُبَّادِهن ، تزَوَّجها عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، فتَتَيَّم بها ، فلما قُتِل عنها فى غزوةِ الطائفِ آلَتْ أن لا تتزوَّجَ بعدَه ، فبعَث إليها عمرُ بنُ الخطابِ - وهو ابنُ عمِّها - فتزَوَّجها ، فلمَّا

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ١٩٠، بسنده عن الواقدى .

(٢) فى النسخ : « السكونى » . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٤٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٧٩.

(٣) لم نجده فى كتاب الزهد للإمام أحمد ، وقد أخرجه فى المسند ١/ ١٨، ١٩. (إسناده ضعيف لانقطاعه) .

(٤) فى م ، ص : « ابن » . وهو أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبى مريم الغسانى الشامى . انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٠٨، وأطراف المسند ٥/ ٢٤.

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٨٧٧، وأسد الغابة ٧/ ١٨٣، والإصابة ٨/ ١١.

قُتِل عنها خلَف بعدَه عليها الزبيرُ بنُ العَوَّامِ ، فقُتِل عنها بوادى السِّباعِ ، فبَعَث إليها علىُّ بنُ أبى طالبٍ يَخْطُبُها فقالت له : إنِّى أخْشَى عليك أن تُقْتَلَ . فأبَتْ أن تَتَزَوَّجه ، ولو تزَوَّجَتْه لقُتِل عنها أيضًا ، ثُم لم تَزَلْ (1) بلا زوجٍ (1) حتى ماتت فى أولِ خِلافةِ مُعاويةَ فى هذه السنةِ ، رَحِمها اللَّهُ .

(1 - 1) سقط من : م ، ص .

ثُمَّ دَخَلَتْ سنةُ ثِنْتَيْن وأرْبعين

فيها غَزا المسلمون اللَّانَ[1] والرومَ، فقتَلوا مِن أُمرائِهم وبَطارِقتِهم خَلْقًا كثيرًا، وغَنِموا وسَلِموا.

وفيها وَلَّى مُعاويةُ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ نِيابةَ المدينةِ، وعلى مكةَ خالدُ بنُ العاصِ ابنِ هشامٍ، وعلى الكوفةِ المغيرةُ بنُ شُعْبةَ، وعلى قَضائِها شُرَيْحٌ القاضى، وعلى البَصْرةِ عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ، وعلى خُراسانَ قيسُ بنُ الهَيْثَمِ مِن قِبَلِ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ، [2]واستَقْضَى مروانُ على المدينةِ عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ، وعلى قضاءِ البصرةِ عُمَيْرَةُ بنُ يَثْرِبيٍّ[2].

وفى هذه السنةِ تحَرَّكَت الخَوارجُ الذين كانوا قد عفا عنهم عليٌّ يومَ النَّهْرَوانِ، وقد عُوفِىَ جَرْحاهم وثابَتْ إليهم قُواهم، فلما بلَغهم مَقْتَلُ عليٍّ ترَحَّموا على قاتِلِه ابنِ مُلْجَمٍ، وقال قائلُهم: لا يَقْطَعُ اللَّهُ يدًا عَلَت قَذَالَ[3] عليٍّ بالسيفِ. وجعَلوا يَحْمَدون اللَّهَ على قَتْلِ عليٍّ، ثم عزَموا على الخُروجِ على الناسِ، وتَوافَقوا على الأمْرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ فيما يَزْعُمون.

وفى هذه السنةِ قدِم زِيادُ بنُ أَبِيه على مُعاويةَ[4]، وكان قد امْتَنَع عليه قريبًا مِن سنةٍ فى قَلْعةٍ عُرِفت به يقالُ لها: قلعةُ زيادٍ. فكتَب إليه مُعاويةُ: ما يَحْمِلُك على أن تُهْلِكَ نفسَك؟ اقْدَمْ علىَّ فأخْبِرْنى [٦/ ٩٢ظ] بما صار إليك مِن أموالِ فارسَ

---

(١) اللان: بلاد واسعة فى طرف أرمينية. معجم البلدان ٤/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص. وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٧٢، والمنتظم ٥/ ١٩٣.

(٣) القذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان. اللسان (ق ذ ل).

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/١٧٦ - ١٨٠.

وما صرَفْتَ منها وما بقِيَ عندَك ، فائْتِنى به وأنت آمِنٌ ، فإن شئْتَ أن تُقيمَ عندَنا فعَلْتَ ، وإلا ذهَبْتَ حيثما شئْتَ مِن الأرضِ فأنت آمِنٌ . فعندَ ذلك أزْمَع زِيادٌ السَّيْرَ إلى مُعاويةَ ، فبلَغ المُغيرةَ قدومُه ، فخَشِيَ أن يَجْتَمِعَ بمُعاويةَ قبلَه ، فسار نحوَ دمشقَ إلى مُعاويةَ ، فسبَقه زِيادٌ إلى مُعاويةَ بشهرٍ ، فقال مُعاويةُ للمُغيرةِ : ما هذا وهو أبعدُ منك وأنت جئتَ بعدَه بشهرٍ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه يَنْتَظِرُ الزِّيادةَ ، وأنا أَنْتَظِرُ النُّقْصانَ . فأكْرَم مُعاويةُ زِيادًا ، وقبَض ما كان معه مِن الأمْوالِ ، وصدَّقه فيما صرَفه وما بقِيَ عندَه .

ثُمَّ دَخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وأربعين

فيها غَزا بُسْرُ بنُ أبى أَرْطاةَ بلادَ الروم، فوغَل فيها حتى بلَغ مدينةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وشَتَّى ببلادِهم فيما زعَمه الواقدىُّ[1]، وأنْكَر ذلك آخرون، وقالوا: لم يَكُنْ بها مَشْتًى لأحدٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ جَريرٍ[1]: وفيها مات عمرُو بنُ العاصِ بمصرَ، ومحمدُ بنُ مَسْلَمةَ. قلتُ: وسَنَذْكُرُ تَرْجمةَ كلٍّ منهما فى آخرِها.

فولَّى مُعاويةُ بعدَ عمرِو بنِ العاصِ على دِيارِ مصرَ ولدَه عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو. قال الواقدىُّ: فعَمِل له عليها سنتين.

وقد كانت فى هذه السنةِ - أعْنى سنةَ ثلاثٍ وأربعين - وَقْعةٌ عَظيمةٌ بينَ الخَوارجِ وجُنْدِ الكُوفةِ[2]، وذلك أنهم صَمَّموا، كما قدَّمْنا، على الخُروجِ على الناسِ فى هذا الحِينِ، فاجْتَمَعوا فى قريبٍ مِن ثلاثِمائةٍ، عليهم المُسْتَوْرِدُ بنُ عُلَّفَةَ[3]، فجهَّز إليهم المُغيرةُ بنُ شُعْبةَ جُنْدًا عليهم مَعْقِلُ بنُ قيسٍ فى ثلاثةِ آلافٍ، فسار إليهم، وقَدَّم بينَ يديه أبا الرَّوَّاغِ فى طَلِيعةٍ، هى ثلاثُمائةٍ على عِدَّةِ الخَوارجِ، فلَقِيهم أبو الرَّوَّاغِ بمكانٍ يقالُ له: المَذَارُ. فاقْتَتلوا معهم، فهزَمَتْهم الخَوارجُ، ثم كَرُّوا عليهم، فهزَمَتْهم الخَوارِجُ، ولكن لم يُقْتَلْ أحدٌ منهم، فلزِموا

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٨١.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٨١- ٢٠٩، والكامل ٣/٤٢٥ - ٤٣٦، والمنتظم ٥/٢٠١ - ٢٠٦.

(٣) فى النسخ هنا وفيما سيأتى: «علقمة». والمثبت من المصادر السابقة. وانظر الإكمال ٦/ ٢٥٩.

مَكانَهم فى مُقابَلتِهم[1] يَنْتَظرون قُدومَ أميرِ الجيشِ مَعْقِلِ بنِ قيسٍ عليهم ، فما قَدِم عليهم إلا فى آخرِ نَهارٍ بعدَ أن غرَبَت الشمسُ ، فنزَل وصلَّى بأصحابِه ، ثم شرَع فى مَدْحِ أبى الرَّوَّاغِ ، فقال له : أيُّها الأميرُ ، إن لهم شَدَّاتٍ مُنْكَرةً ، فكُنْ أنت رِدْءَ الناسِ ، ومُرِ الفُرْسانَ فلْيُقاتِلوا بينَ يديك . فقال مَعْقِلُ بنُ قيسٍ : نِعْمَ ما رأيْتَ . فما كان إلا رَيْثَما قال له ذلك حتى حمَلَت الخَوارجُ على مَعْقِلٍ وأصحابِه ، فانْجَفل عنه عامَّةُ أصحابِه ، فترَجَّل عندَ ذلك مَعْقِلُ بنُ قيسٍ وقال : يا مَعْشَرَ المسلمين ، الأرضَ الأرضَ . فترَجَّل معه جماعةٌ مِن الفُرْسانِ والشُّجْعانِ قريبٌ مِن مائتَىْ فارسٍ ، منهم أبو الرَّوَّاغِ الشاكرىُّ ، فحمَل عليهم المُسْتَوْرِدُ بنُ عُلَّفَةَ أميرُ الخوارجِ بأصحابِه ، فاسْتَقْبَلوهم بالرِّماحِ والسُّيوفِ ، ولحِق بقيةَ الجيشِ بعضُ الفُرسانِ ، فذمَّرهم وعَيَّرَهم ، [٦/ ٩٣و] وأَنَّبَهم على الفِرارِ ، فرجَع الناسُ إلى مَعْقِلٍ وهو يُقاتِلُ الخَوارجَ بمَن معه[2] قِتالًا شديدًا ، والناسُ يَتَراجَعون فى أثناءِ الليلِ ، فصَفَّهم مَعْقِلُ بنُ قيسٍ مَيْمَنةً ومَيْسَرةً ورَتَّبهم وقال : لا تَبْرَحوا على مَصافِّكم حتى نُصْبِحَ فنَحْمِلَ عليهم . فما أصْبَحوا حتى هُزِمَت الخَوارجُ ، فرجَعوا مِن حيث أتَوا ، فسار مَعْقِلٌ فى طَلَبِهم ، وقدَّم بينَ يديه أبا الرَّوَّاغِ فى ستِّمائةٍ ، فالْتَقَوا بهم عندَ طُلوعِ الشمسِ ، فثار إليهم الخَوارِجُ ، فتَبارَزوا ساعةً ، ثم حمَلوا حَمْلةَ رجلٍ واحدٍ ، فصَبرَ لهم أبو الرَّوَّاغِ بمَن معه ، وجعَل يُذَمِّرُهم [3]ويَنْهاهم عن[3] الفِرارِ ، ويَحُثُّهم على الصَّبْرِ ، فصبَروا وصدَقوا فى الثَّباتِ ، حتى رَدُّوا الخَوارِجَ إلى أماكِنِهم ، فلما رَأَتِ الخَوارجُ ذلك خافوا مِن هجومِ مَعْقِلٍ عليهم ، فما يكونُ دونَ

---

(١) فى م ، ص : « مقاتلتهم » .

(٢) بعده فى م ، ص : « من الأنصار » .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « ويعيرهم ويؤنبهم على » .

قَتْلِهم شيءٌ ، فهرَبوا بينَ أيديهم حتى قطَعوا دِجْلةَ ، ووقَعوا فى أرضِ بَهُرَسِيرَ[1] ، وتَبِعهم أبو الرَّوَّاغِ ، ولَحِقه مَعْقِلُ بنُ قيسٍ ، ووَصَلَت الخوارجُ إلى المدينةِ العَتيقةِ ، فركِب إليهم سِمَاكُ[2] بنُ عُبَيدٍ نائبُ المَدائنِ ، ولَحِقهم أبو الرَّوَّاغِ بمَن معه مِن المُقَدِّمةِ[3] .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مَرْوانُ بنُ الحكَمِ نائبُ المدينةِ .

وممَّن تُوُفِّىَ بها عمرُو بنُ العاصِ ، ومحمدُ بنُ مَسْلَمةَ ، رضِى اللَّهُ عنهما .

أمَّا عمرُو بنُ العاصِ[4] بنِ وائلِ بنِ هاشمِ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عمرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبٍ القرشىُّ السَّهْمىُّ أبو عبدِ اللَّهِ ، ويقالُ : أبو محمدٍ . أحدُ رُؤساءِ قُرَيْشٍ فى الجاهليةِ ، وهو الذى أرْسَلوه إلى النجاشىِّ ليَرُدَّ عليهم مَن هاجَر مِن المسلمين إلى بلادِه ، فلم يُجِبْهم إلى ذلك لعَدْلِه ، ووَعَظ عمرَو ابنَ العاصِ فى ذلك ، فيقالُ : إنه أسْلَم على يديه . والصَّحيحُ أنه إنما أسْلَم قبلَ الفتحِ بستةِ أشهرٍ هو وخالدُ بنُ الوليدِ وعثمانُ بنُ طَلْحةَ العَبْدرىُّ[5] . وكان أحدَ أُمراءِ الإسلامِ ، وهو أميرُ غزوةِ ذاتِ السَّلاسِلِ ، وأمَدَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ بمَدَدٍ ، عليهم أبو عُبَيدةَ ومعه الصِّديقُ وعمرُ الفاروقُ ، واسْتَعْمله رسولُ اللَّهِ ﷺ على عُمَانَ ، فلم يَزَلْ [٦/ ٩٣ظ] عليها مُدَّةَ حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأقَرَّه عليها الصِّديقُ .

---

(١) فى النسخ : « نهرشير » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٣/ ٢٠٣. وانظر معجم البلدان ١/ ٧٦٨.

(٢) فى النسخ : « شريك » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر المؤتلف والمختلف ٣/ ١٢٣٧، والإصابة ٣/ ١٧٥، والمنتظم ٥/ ٢٠٥.

(٣) كذا فى النسخ ، ولعل هناك سقطًا ، فأحداث القتال لم تكتمل ؛ فإن المستورد نادى معقلا ليتقاتلا ، فقتل كل منهما صاحبه ، وتبدد مَن بقى مِن الخوارج فلم ينج منهم غير خمسة أو ستة . انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٠٥، والكامل ٣/ ٤٣٥، ٤٣٦، والمنتظم ٥/ ٢٠٦.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١١٨٤، وأسد الغابة ٤/ ٢٤٤، والإصابة ٤/ ٦٥٠.

(٥) انظر ما تقدم فى ٦/ ٤٠٠، وما بعدها .

وقد قال التِّرمذىُّ[1] : ثنا قُتَيْبةُ ، ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، ثنا مِشْرَحُ بنُ هاعانَ[2] ، عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسْلَم الناسُ وآمَن عمرُو بنُ العاصِ » .

وقال أيضًا[3] : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، ثنا أبو أُسامةَ ، عن نافعِ بنِ عمرَ الجُمَحىِّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ قال : قال طَلْحةُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن عمرَو بنَ العاصِ مِن صالحى قريشٍ » . وفى الحديثِ الآخَرِ : « ابنا العاصِ مُؤْمنانِ »[4] . وفى الحديثِ الآخَرِ : « نِعْمَ أهلُ البيتِ عبدُ اللَّهِ وأبو عبدِ اللَّهِ وأمُّ عبدِ اللَّهِ »[5] . رَوَوْه فى فَضائلِ عمرِو بنِ العاصِ .

ثم إن الصِّديقَ بعَثه فى جُمْلةِ مَن بعَث مِن أُمراءِ الجيشِ إلى الشامِ ، فكان ممَّن شَهِد تلك الحروبَ ، وكانت له الآراءُ السَّديدةُ ، والمَواقِفُ الحَميدةُ ، والأحْوالُ السَّعيدةُ ، ثم بعَثه عمرُ إلى مِصْرَ فافْتَتَحها واسْتَنابه عليها ، وأقَرَّه عليها عُثمانُ بنُ عَفَّانَ أربعَ سنين ، ثم عزَله ، كما قدَّمنا[6] ، ووَلَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ ، فاعْتَزَل عمرٌو بفِلَسْطِينَ ، وبَقِىَ فى نفسِه مِن عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، فلما قُتِل عثمانُ سار إلى مُعاويةَ ، فشهِد مَواقِفَه كلَّها بصِفِّينَ وغيرِها ، وكان هو أحدَ الحَكَمَيْن ، ثم لما أن اسْتَرْجَع مُعاويةُ مِصْرَ وانْتَزَعها مِن يدِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصديقِ اسْتَعْمَل عمرَو بنَ العاصِ عليها ، فلم يَزَلْ نائبَها إلى أن مات فى هذه السنةِ على المَشْهورِ ، وقيل : إنه تُوُفِّىَ سنةَ سبعٍ وأربعين . وقيل : سنةَ ثمانٍ

---

(١) الترمذى (٣٨٤٤) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٣٠٢٠) .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عاهان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٧.

(٣) الترمذى (٣٨٤٥) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٥) .

(٤) المسند ٢/ ٢٥٤، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣. (إسناده صحيح) . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٥٢.

(٥) المسند ١/ ١٦١. (إسناده ضعيف) .

(٦) تقدم فى ١٠/ ٢٢٣، ٢٢٥.

وأربعين. وقيل: سنةَ إحدى وخمسين. رَحِمه اللَّهُ[1].

وَقد كان مَعْدودًا مِن دُهاةِ العربِ وشُجْعانِهم وذَوِى آرائِهم، وله أمثالٌ حَسَنةٌ وأشعارٌ جيدةٌ. وقد رُوِى أنه قال: حَفِظْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ألفَ مَثَلٍ[2]. ومِن شعِره[3]:

إذا المرءُ لم يَتْرُكْ طَعامًا[4] يُحِبُّهُ ... ولم يَنْهَ قَلبًا غاويًا حيث يَمَّمَا

قَضَى وَطَرًا منه وغادَر سُبَّةً ... إذا ذُكرت أمثالُها تملأُ الفَمَا

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا علىُّ بنُ إسحاقَ، ثنا عبدُ اللَّهِ - يعنى ابنَ المُبارَكِ - أنا ابنُ لَهِيعةَ، حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ، أن عبدَ الرحمنِ بنَ شِمَاسَةَ حدَّثه قال: لما حضَرَتْ عمرَو بنَ العاصِ الوَفاةُ بَكَى، فقال له ابنُه عبدُ اللَّهِ: لِمَ تَبْكى؟ أجَزَعًا مِن[6] الموتِ؟ [٦/ ٩٤و] فقال: لا واللَّهِ، ولكن مما بعدَ الموتِ. فقال له: قد كنتَ على خيرٍ. فجعَل يُذَكِّرُه صُحْبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفُتوحَه الشامَ. فقال عمرٌو: تَرَكْتَ أفْضلَ مِن ذلك كلِّه؛ شَهادةَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، إنى كنتُ على ثلاثةِ أطْباقٍ، ليس فيها طَبَقٌ إلا عرَفْتُ نفسى فيه، كنتُ أولَ شىءٍ[7] كافرًا، وكنتُ أشَدَّ الناسِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلو مِتُّ حينَئذٍ وجَبَت لىَ النارُ، فلما بايَعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ كنتُ أشَدَّ الناسِ حَياءً منه، فما ملأْتُ عَيْنىَّ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا راجَعْتُه فيما أُريدُ، حتى لَحِقَ باللَّهِ؛ حَياءً منه، فلو مِتُّ

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٨٣ - ٨٥.

(٢) المسند ٤/ ٢٠٣.

(٣) البيتان فى الأغانى ٩/ ٥٩ ضمن أبيات له. وانظر الاستيعاب ٣/ ١١٨٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥٢.

(٤) فى الأصل: «حراما».

(٥) المسند ٤/ ١٩٩.

(٦) فى م، ص، والمسند: «على».

(٧) فى م، ص: «قريش».

يومَئذٍ قال الناسُ : هَنيئًا لعمرٍو ؛ أسْلَم وكان على خيرٍ فمات عليه[1] ، نَرْجو له الجنةَ . ثم تَلَبَّسْتُ بعدَ ذلك بالسُّلْطانِ وأشْياءَ ، فلا أدْرِى علىَّ أم لى ، فإذا مِتُّ فلا تَبْكِيَنَّ علىَّ باكيةٌ[2] ، ولا تُتْبِعْنى مادحًا ولا نارًا ، وشُدُّوا علىَّ إزارى فإنى مُخاصَمٌ ، [3]وشُنُّوا علىَّ التُّرابَ شَنًّا[3] ، فإن جَنْبى الأيمَنَ ليس بأحَقَّ بالتُّرابِ مِن جَنْبى الأيسرِ ، ولا تَجْعَلُنَّ فى قبرى خَشَبةً ولا حَجَرًا ، وإذا وارَيْتُمونى فاقْعُدوا عندى قَدْرَ نَحْرِ جَزورٍ [4]وتقطيعِها[4] ؛ أَسْتَأْنِسُ بكم . وقد روَى مسلمٌ هذا الحديثَ فى « صحيحِه »[5] مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ بإسنادِه نحوَه ، وفيه زِياداتٌ على هذا السِّياقِ حسنةٌ ، فمنها قولُه : كى أَسْتَأْنِسَ بكم لأَنْظُرَ ماذا أُراجِعُ به رُسُلَ ربى ، عز وجل . [6]وفى روايةٍ[7] أنه بعدَ هذا حَوَّل وَجْهَه إلى الجِدارِ وجعَل يقولُ : اللهم أمَرْتَنا فعصَيْنا ، ونَهَيْتَنا فما انْتَهَيْنا ، ولا يَسَعُنا إلا عَفْوُك . وفى روايةٍ[8] أنه وضَع يدَه على مَوْضِعِ الغُلِّ مِن عُنُقِه ، ورفَع رأسَه إلى السماءِ ، وقال : اللهم لا قَوِىٌّ فأَنْتَصِرَ ، ولا بَرِىءٌ فأعْتَذِرَ ، ولا مُسْتَكْبِرٌ بل مُستَغْفِرٌ ، لا إلهَ إلا أنت . فلم يَزَلْ يُرَدِّدُها حتى مات ، رضِى اللَّهُ عنه[6][9] .

---

(١) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م ، ص .

(٢) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٣ - ٣) فى المسند ، ٦١ : « سنوا على التراب سنا » . وهو بالسين المهملة وبالشين المعجمة . قال القاضى عياض : وهو الصبّ ، وقيل : بالمهملة الصبّ فى سهولة ، وبالمعجمة التفريق . صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٣٨ .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) مسلم (١٢١) .

(٦ - ٦) زيادة من : م ، ص .

(٧) المسند ٤/ ١٩٩ ، ٢٠٠ ، بنحوه .

(٨) ذكرها ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١١٨٩ ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٤/ ٢٤٧ .

(٩) بعده فى ٦١ : « وفى رواية أن ابنه عبد اللهِ ، قال له : قد كنت أسمعك كثيرا تقول : وددنا أن رجلا عاقلا حازما من الأموات يأتينا فيخبرنا عن الموت ، فأنت ذلك الرجل العاقل الحازم فأخبرنا . فقال له عمرو : أجدنى كأن السماء قد وقعت على الأرض ، وكأنى بينهما أتنفس من مثل سم الخياط » . ولعلها زيادة من الناسخ .

وأما محمدُ بنُ مَسْلَمةَ الأنْصاريُّ[1] ، فإنه أسْلَم على يدَىْ مُصْعَبِ بنِ عميرٍ قبلَ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ وسعدِ بنِ مُعاذٍ ، شهِد بدرًا وما بعدَها إلا تبوكَ ؛ فإنَّه اسْتَخْلَفه رسولُ اللَّهِ ﷺ على المدينةِ فى قولٍ ، وقيل : اسْتَخْلَفه فى قَرْقَرَةِ الكُدْرِ . وكان فيمَن قتَل كعبَ بنَ الأشْرَفِ اليهوديَّ[2] ، وقيل : إنه الذى قتَل مَرْحَبًا اليهوديَّ يومَ خيبرَ أيضًا[3] . وقد أمَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ على نحوٍ مِن خمسَ عشْرةَ سَرِيةً ، وكان ممن اعْتَزل تلك الحروبَ بالجملِ وصِفِّينَ وغيرِهما ، واتَّخَذ سيفًا مِن خشبٍ . وقد ورَد فى حديثٍ قدَّمْناه[4] أنه أمَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بذلك ، وخرَج إلى الرَّبَذةِ . وكان مِن ساداتِ الصَّحابةِ ، وكان هو بريدَ عمرَ إلى عُمَّالِه ، وهو الذى شاطَرهم عن أمْره ، وله وَقائعُ عَظيمةٌ وصِيانةٌ وأمانةٌ بَليغةٌ ، رضِى اللَّهُ عنه ، واسْتَعْمله عمرُ عَلَى صَدَقاتِ [٦/ ٩٤ظ] جُهَيْنةَ ، وقيل : إنه تُوُفِّى سنةَ ستٍّ أو سبعٍ وأربعين . وقيل غيرُ ذلك . وقد جاوَز السبعين ، وترَك بعدَه عشَرةَ ذُكورٍ وستَّ بَناتٍ ، وكان أسْمرَ شديدَ السُّمْرةِ طويلًا أصْلَعَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وممن تُوُفِّىَ فيها **عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَام ، أبو يوسُفَ الإسْرائيلىُّ**[5] ، أحدُ أحْبارِ اليَهودِ ، كان حينَ قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ فى نخلٍ له ، قال[6] : لما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ انْجَفل الناسُ إليه ، فكنتُ فيمَن انْجَفل إليه ، فلما رأيْتُ وجهَه

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٧، وأسد الغابة ٥/ ١١٢، والإصابة ٦/ ٣٣.

(٢) انظر ما تقدم فى ٥/٣٢٦ وما بعدها .

(٣) انظر ما تقدم فى ٦/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٤) تقدم فى ٩/١٨١ - ١٨٤.

(٥) الاستيعاب ٣/ ٩٢١، وأسد الغابة ٣/ ٢٦٤، والإصابة ٤/ ١١٨.

(٦) تقدم تخريجه فى ٤/ ٥٢٠.

عرَفْتُ أن وجهَه ليس بوجهِ كَذَّابٍ ، فكان أولَ ما سمِعْتُه يقولُ : « أيُّها الناسُ ، أفْشُوا السلامَ ، وأَطْعِموا الطعامَ ، وصِلُوا الأرْحامَ ، [1]وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ[1] ، تَدْخُلوا الجنةَ بسَلامٍ » . وقد ذكَرْنا صفةَ إسْلامِه أولَ الهجرةِ ، وماذا سأَل عنه رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن الأسْئلةِ النافعةِ الحَسَنةِ ، رضِى اللَّهُ عنه[2] . وهو ممَّن شَهِد له رسولُ اللَّهِ ﷺ بالجنةِ ، وهو ممَّن يُقْطَعُ له بدُخولِها .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت مما تقدم .

(٢) انظر ما تقدم فى ٤/٥٢١ - ٥٢٤.

ثُمَّ دخَلَت سنةُ أربعٍ وأربعين

فيها غَزا عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ بلادَ الرومِ ، ومعه المسلمون ، وشَتَّوا هنالك . وفيها غَزا بُسْرُ بنُ أبى أَرْطاةَ فى البحرِ[(١)] .

وفيها عزَل مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ عن إمْرةِ البَصْرةِ ؛ وذلك أنه ظهَر فيها الفَسادُ بسببِ لينهِ ؛ لأنه كان لَيِّنَ العَريكةِ ، سَهْلًا [(٢)]كريمًا ، وكان لا يأخذُ على أيدى السفهاءِ ، و[(٢)]لا يَقْطَعُ لصًّا ، ويريدُ أن يَتَأَلَّفَ الناسَ [(٣)]ففسَدَتِ البصرةُ بسببِ ذلك .

قال ابنُ جريرٍ[(٤)] : شكى عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ إلى زيادٍ فسادَ الناسِ ، فقال : جرِّدْ فيهم السيفَ . فقال ابنُ عامرٍ : إنى أكرَهُ أن أُصْلِحَهم بفسادِ نفسى . قال[(٣)] : فذهَب عبدُ اللَّهِ بنُ أبى أَوْفَى المعروفُ بابنِ الكَوّاءِ ، فشَكَاه إلى معاويةَ ، فعزَل مُعاويةُ ابنَ عامرٍ عن البَصْرةِ ، وبعَث إليها الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأَزْدىَّ ، ويقالُ[(٥)] : إن مُعاويةَ اسْتَدْعاه إليه لِيزورَه ، فقدِم ابنُ عامرٍ على مُعاويةَ دمشقَ ، فأكْرَمه ورَدَّه على عملِه ، فلما وَدَّعه قال له مُعاويةُ : ثلاثٌ أسْأَلُكَهن فقل : [(٦)]هنَّ لك . قال : هنَّ[(٦)] لك وأنا ابنُ أمِّ حَكيمٍ . [(٧)]قال معاويةُ[(٧)] : تَرُدُّ علىَّ عَمَلى ولا تَغْضَبْ . قال ابنُ عامرٍ : قد فعَلْتُ . قال : وتَهَبُ لى مالَك بعَرَفةَ . قال : قد فعَلْتُ . قال :

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢١٢، والمنتظم ٥/ ٢٠٩، والكامل ٣/ ٤٤٠.

(٢ - ٢) فى م، ص: «يقال: إنه كان».

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٢١٢.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢١٣، ٢١٤.

(٦ - ٦) فى م، ص: «هى».

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

وتَهَبُ لى دُورَك بمكةَ . قال : [٦/ ٩٥و] قد فعَلْتُ . فقال له مُعاويةُ : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ . فقال ابنُ عامرٍ : يا أميرَ المؤمنين ، وإنى سائلُك ثلاثًا فقل : (١) هنَّ لك . قال : هنَّ (١) لك وأنا ابنُ هندٍ . قال : تَرُدُّ علىَّ مالى بعَرَفةَ . قال : قد فعَلْتُ . قال : ولا تُحاسِبْ لى عاملًا ولا (٢) تَتَّبِعْ لى أثرًا (٢) . قال : قد فعَلْتُ . قال : وتُنْكِحُنى ابنتَك هندًا . قال : قد فعَلْتُ . ويُقالُ : إن مُعاويةَ خيَّره بينَ هذه الثلاثِ وبينَ الوِلايةِ على البَصْرةِ ، فاخْتار هذه الثلاثَ ، وانعزَل عن البَصْرةِ .

قال ابنُ جَريرٍ (٣) : وفى هذه السنةِ اسْتَلْحَق مُعاويةُ زِيادَ ابنَ أَبِيه فأَلْحَقه بأبى سفيانَ . وذلك أن رجلًا شَهِد على إقْرارِ أبى سفيانَ أنه عاهَر بسُمَيَّةَ أمِّ زِيادٍ فى الجاهليةِ ، وأنها حمَلَت بزِيادٍ هذا مِن أبى سفيانَ ، فلمَّا اسْتَلْحَقه مُعاويةُ قيل له : زيادُ بنُ أبى سُفْيانَ . وقد كان الحسنُ البَصْرىُّ يُنْكِرُ هذا الاسْتِلْحاقَ ، ويقولُ (٤) : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الولدُ للفِراشِ وللعاهِرِ الحَجَرُ » (٥) .

وقال أحمدُ (٦) : ثنا هُشَيْمٌ ، ثنا خالدٌ ، عن أبى عثمانَ قال : لما ادَّعَى زِيادٌ لَقِيتُ أبا بَكْرةَ ، فقلتُ : ما هذا الذى صنَعْتُم ؟ إنى سمِعْتُ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ يقولُ : سَمْعُ أُذُنى مِن (٧) رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ : « مَن ادَّعَى أبًا فى الإسلامِ غيرَ أبيه وهو يَعْلَمُ أنه غيرُ أبيه ، فالجنةُ عليه حَرامٌ » . فقال أبو بَكْرةَ : وأنا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . أخْرَجاه مِن حديثِ أبى عثمانَ عنهما (٧) . قلتُ : أبو بَكْرةَ

(١ - ١) فى م ، ص : « هى » .
(٢ - ٢) فى م ، ص : « أميرًا » .
(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٢١٤، ٢١٥.
(٤) المنتظم ٥/ ٢١٠.
(٥) تقدم تخريجه فى ٦/ ٦١٢.
(٦) المسند ١/ ١٦٩، ٥/ ٤٦.
(٧) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .
(٨) البخارى (٤٣٢٦، ٤٣٢٧، ٦٧٦٦، ٦٧٦٧) ، ومسلم (٦٣) عن سعد وأبى بكرة .

اسمُه نُفَيْعٌ ، واسمُ[1] أمِّه سُمَيَّةُ أيضًا .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مُعاويةُ . وفيها عمِل مُعاويةُ المَقْصورةَ بالشامِ ، وعَمِل[1] مَرْوانُ مثلَها بالمدينةِ .

وفى هذه السنةِ تُوُفِّيَت **أمُّ حَبيبةَ بنتُ أبى سفيانَ أمُّ المؤمنين** ، واسمُها رَمْلةُ ، أختُ مُعاويةَ . أسْلَمَت قديمًا ، وهاجَرت هى وزوجُها عبيدُ اللَّهِ بنُ جحْشٍ إلى أرضِ الحَبَشةِ ، فتَنَصَّر هناك زوجُها ، وثبَتَتْ هى على دينِها ، رضِى اللَّهُ عنها ، وحَبيبةُ هى أكبرُ أولادِها منه ، ولَدتها بالحَبَشةِ . وقيل : بمكةَ قبلَ الهجرةِ . ومات زوجُها هنالك ، لعَنه اللَّهُ وقبَّحه . ولما تأَيَّمَت بعدَ زوجِها بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ أُميةَ الضَّمْرىَّ إلى النَّجاشىِّ فزوَّجها منه ، ووَلِىَ العقدَ خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وأصْدَقها [٦/ ٩٥ظ] عنه النجاشىُّ أربعَمائةِ دينارٍ ، وحمَلها إليه فى سنةِ سبعٍ ، ولما جاء أبوها عامَ الفتحِ ليَشُدَّ[2] العقدَ ، دخَل عليها ، فثَنَت عنه فِراشَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لها : واللَّهِ يا بُنَيَّةُ ، ما أَدْرى أَرَغِبْتِ بهذا الفراشِ عنى أم بى عنه ؟ ! فقالت : بل هو فِراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنت رجلٌ مُشْرِكٌ . فقال لها : واللَّهِ يا بُنَيَّةُ لقد لَقِيتِ بعدى شرًّا . وقد كانت مِن سيداتِ أُمَّهاتِ المؤمنين ، ومِن العابداتِ الوَرِعاتِ ، رضِى اللَّهُ عنها .

قال محمدُ بنُ عمرَ الواقدىُّ[3] : حدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن عبدِ المجيدِ بنِ سُهَيْلٍ ، عن عوفِ بنِ الحارثِ قال : سَمِعْتُ عائشةَ تقولُ :

---

(١) زيادة من : الأصل ، ٦١.

(٢) فى م : « ليشهد » . ويشد العقد : يؤكده . والعقد هنا عقد الهدنة . انظر ما تقدم فى ٦/ ٥١٣، ٥١٤.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ١٠٠، عن الواقدى به .

دَعَتْنى أمُّ حَبيبةَ عندَ موتِها فقالت : قد يكونُ بينَنا ما يكونُ بينَ الضَّرائرِ . فقلتُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لى ولك ما كان مِن ذلك كلِّه و(١تَجاوَزَ وحَلَّلَكِ١) . فقالت : سَرَرْتِنى سَرَّكِ اللَّهُ . وأرْسَلَت إلى أمِّ سَلَمةَ فقالت لها مثلَ ذلك .

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١: « يتجاوز عنه وحاللتك » ، وفى م : « تجاوزت وحاللتك » .

ثُمَّ دخَلَت سنةُ خمسٍ وأرْبعين

فيها وَلَّى مُعاويةُ البَصْرةَ للحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأزْدىِّ ، ثم عزَله بعدَ أربعةِ أشْهرٍ ، ووَلَّى زيادًا ، فقدِم زِيادٌ الكُوفةَ وعليها المُغيرةُ بنُ شعبةَ ، فأقام بها ليأْتِيَه رسولُ مُعاويةَ بوِلايةِ البَصْرةِ ، فظَنَّ المُغيرةُ أنه قد جاء على إمْرةِ الكُوفةِ ، فبعَث إليه وائلَ بنَ حُجْرٍ ليَعْلَمَ له خبرَه ، فاجْتَمع به فلم يَقْدِرْ منه على شىءٍ ، فجاء البَريدُ إلى زِيادٍ أن يَسيرَ إلى البَصْرةِ ، واسْتَعْمله على خُراسانَ وسِجِسْتانَ ، ثم جمَع له الهندَ والبَحْرَيْن وعُمَانَ[1] . ودخَل زِيادٌ البَصْرةَ فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأُولى ، فقام فى أولِ خُطْبةٍ خطَبها ، وقد وَجَد الفِسْقَ ظاهرًا فى البصرةِ ، فقال فيها : أيُّها الناسُ ، كأنكم لم تَسْمَعوا ما أَعَدَّ اللَّهُ مِن الثوابِ لأهْلِ الطاعةِ ، والعذابِ لأهْلِ المَعْصِيةِ ، أتكونون كمَن [2]طَرَفَت عينَه[2] الدنيا ، وسَدَّتْ مَسامِعَه الشَّهَواتُ فاخْتار الفانيةَ على الباقيةِ . ثم ما زال يُقِيمُ أمْرَ السُّلْطانِ ويُجَرِّدُ السَّيفَ حتى خافه الناسُ خوفًا عظيمًا ، وترَكوا ما كانوا فيه مِن المَعاصى الظاهرةِ ، واسْتَعان بجماعةٍ من الصَّحابةِ ، ووَلَّى عِمْرانَ بنَ حُصَيْنٍ القَضاءَ بالبَصْرةِ ، ووَلَّى الحَكَمَ بنَ عمرٍو الغِفارىَّ نِيابةَ خُراسانَ ، ووَلَّى سَمُرَةَ بنَ جُنْدَبٍ وعبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرَةَ وأنسَ [٦/٩٦و] ابنَ مالكٍ .

وكان زيادٌ حازمَ الرأيِ ، ذا هَيْبةٍ ، داهيةً ، وكان مُفَوَّهًا فَصِيحًا بليغًا[3] ؛ قال

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢١٦، ٢١٧، والمنتظم ٥/ ٢١٢، والكامل ٣/ ٤٤٧.

(٢ - ٢) فى م : «طرقت جبينه» .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٢٢- ٢٢٤، والمنتظم ٥/ ٢١٢، ٢١٣، والكامل ٣/ ٤٥١.

الشعبيُّ[1] : ما سمِعْتُ مُتَكَلِّمًا قطُّ تَكَلَّم فأحْسَن إلا أحْبَبْتُ أن يَسْكُتَ ؛ خوفًا مِن أن يُسِيءَ إلا زيادًا ؛ فإنه كان كلما أكْثَر كان أجْودَ كلامًا . وقد كانت له وَجاهةٌ عندَ عمرَ بنِ الخَطابِ .

وفى هذه السنةِ غَزا الحَكَمُ بنُ عمرٍو نائبُ زيادٍ على خُراسانَ جبلَ الأَشَلِّ[2] عن أمْرِ زِيادٍ[3] ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا ، وغَنِم أموالًا جَمَّةً ، فكتَب إليه زِيادٌ : إنَّ أميرَ المؤمنين قد جاء كِتابُه أن يُصْطَفَى له كلُّ صَفْراءَوبَيْضاءَ - يعنى الذَّهَبَ والفِضةَ - يُجْمَعُ كلُّه مِن هذه الغَنيمةِ لبيتِ المالِ . فكتَب الحَكَمُ بنُ عمرٍو إليه : إنَّ كتابَ اللَّهِ مُقَدَّمٌ على كتابِ أميرِ المؤمنين ، وإنه واللَّهِ لو كانت السماواتُ والأرضُ على عبدٍ فاتَّقَى اللَّهَ ، لجعَل له مَخْرَجًا . ثم نادَى فى الناسِ أنِ اغْدُوا على قَسْمِ غَنِيمتِكم . فقسَمها بينَهم ، وخالَف زِيادًا فيما كتَب إليه عن مُعاويةَ ، وعزَل الخُمُسَ كما أمَر اللَّهُ ورسولُه ﷺ ، ثم قال الحَكَمُ : اللهم إن كان لى عندَك خيرٌ فاقْبِضْنى إليك . فمات بمَرْوٍ مِن خُراسانَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ جَريرٍ[4] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مَرْوانُ بنُ الحَكَمِ ، وكان نائبَ المدينةِ . [5]وكانت الولاةُ والعمالُ هم الذين كانوا فى السنةِ الماضيةِ[5] .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٢١، والمنتظم ٥/ ٢١٢.

(٢) فى النسخ : «الأسل» . وانظر معجم البلدان ١/ ٢٨٢.

(٣) كذا ترجم ابن كثير لهذه الغزوة فى سنة خمس وأربعين ، وقد ترجم لهذه الغزوة كل من الطبرى فى تاريخه ٥/ ٢٥٠ - ٢٥٢، وابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٣٠، وابن الأثير فى الكامل ٣/ ٤٧٠، جميعًا فى سنة خمسين . وانظر ما سيأتى فى صفحتى ٢١٦، ٢١٧، فقد ترجم المصنف للحكم هناك وذكر طرفًا من الغزوة ، واللَّه تعالى أعلم .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٢٦.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

وفى هذه السنةِ تُوُفِّىَ زيدُ بنُ ثابتٍ الأنْصارىُّ[1] أحدُ كُتَّابِ الوَحْيِ ، وقد ذكَرْنا تَرْجمتَه فيهم فى أَواخِرِ السِّيرةِ[2] ، وهو الذى كتَب هذا المُصْحَفَ الإمامَ الذى بالشامِ ، عن أمْرِ عثمانَ بنِ عَفَّانَ ، وهو خَطٌّ جَيدٌ قوىٌّ جدًّا فيما رأيْتُه[3] ، وقد كان زيدُ بنُ ثابتٍ مِن أشَدِّ الناسِ ذَكاءً ، تَعَلَّم لسانَ يَهودَ وكِتابَهم فى خمسةَ عشَرَ يومًا . قال أبو الحسنِ بنُ البَراءِ[4] : تَعَلَّم الفارسيةَ مِن رسولِ كِسْرَى فى ثمانيةَ عشَرَ يومًا ، وتعَلَّم الحَبَشيةَ والرُّوميةَ والقِبْطيةَ مِن خُدَّامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قال الواقدىُّ[5] : وأولُ مَشاهِدِه الخَنْدقُ ، وهو ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً . وفى الحديثِ الذى رَواه أحمدُ والنسائىُّ[6] : « وأعْلَمُهم بالفَرائضِ زيدُ بنُ ثابتٍ » . وقد اسْتَعْمله عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، على القَضاءِ . وقال مَسْروقٌ[7] : كان زيدُ بنُ ثابتٍ مِن الراسخين [8]فى العلمِ[8] .

وقال محمدُ بنُ عمرَ[9] ، عن أبى سَلَمةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنه أخَذ لزيدِ بنِ ثابتٍ بالرِّكابِ فقال له : تَنَحَّ يابنَ عَمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال : لا ، [٦/٩٦ظ] هكذا نَفْعَلُ بعُلَمائِنا وكُبَرائِنا .

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٥٣٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٧٨، والإصابة ٢/ ٥٩٢.

(٢) انظر ما تقدم فى ٨/٣٣٦ - ٣٣٩.

(٣) بعده فى ا٦: « قلت : زيادة ؛ كان المصحف المذكور موجودا فى زمن المؤلف وبعده إلى زماننا ثم عدم فى فتنة تمرلنك إما حريقا وإما أخذا له من مكانه الذى كان بالجامع الأموى فى مشاريق المقصورة » . وهى زيادة من الناسخ ، وكلامه هذا كان فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى . انظر مقدمة الكتاب صفحتى ٥٣، ٥٤.

(٤) المنتظم ٥/ ٢١٤،

(٥) انظر المصدر السابق ، وتاريخ دمشق ١٩/ ٣١٣.

(٦) تقدم فى ٨/ ٣٣٧، ٣٣٨.

(٧) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٥٩.

(٨ - ٨) سقط من : ا٦، م ، ص .

(٩) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٠، من طريق محمد بن عمر به .

وقال الأعْمَشُ[1] ، عن ثابتِ بنِ عُبَيدٍ قال : كان زيدُ بنُ ثابتٍ مِن أَفْكَهِ الناسِ فى بيتِه ، ومِن أزْمَتِه[2] إذا خرَج إلى الرجالِ .

وقال محمدُ بنُ سِيرينَ[3] : خرَج زيدُ بنُ ثابتٍ إلى الصَّلاةِ ، فوجَد الناسَ راجعين منها ، فتَوارَى عنهم وقال : مَن لا يَسْتَحْيِى مِن الناسِ لا يَسْتَحْيِى مِن اللَّهِ .

مات فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ خمسٍ وخمسين . والصحيحُ الأولُ ، وقد قارَب السِّتِّين ، وصلَّى عليه مَرْوانُ [4]بنُ الحكمِ نائبُ المدينةِ[4] . وقال ابنُ عباسٍ : لقد مات اليومَ [5]عِلْمٌ كثيرٌ[5] . وقال أبو هريرةَ : مات حَبْرُ هذه الأمةِ[6] .

وفيها مات **سَلَمةُ بنُ سَلَامةَ بنِ وَقْشٍ** ، عن سبعين سنةً[7] ، وقد شَهِد بدرًا وما بعدَها ، ولا عَقِبَ له .

وعاصمُ بنُ عَدِىٍّ[8] ، وقد اسْتَخْلَفه رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ خرَج إلى بدرٍ على قُبَاءٍ وأهلِ العاليةِ ، وشَهِد أُحُدًا وما بعدَها ، وتُوُفِّىَ عن خمسَ عشْرةَ[9] ومائةٍ ، وقد بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ هو ومالكَ بنَ الدُّخْشُمِ إلى مسجدِ الضِّرارِ فحرَّقاه .

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢١٥، من طريق الأعمش به .

(٢) فى الأصل، ٦١: «أزمة»، وفى م: «أذمها»، وفى ص: «أدمه». والمثبت من تاريخ دمشق. وأزمته: أَزْزَنه وأوقره. يقال: رجل زَمِيت وزِمِّيت. انظر النهاية ٢/ ٣١١.

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٩/ ٣٣٢، والمنتظم ٥/ ٢١٥.

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل، ٦١.

(٥ - ٥) فى م، ص: «عالم كبير».

(٦) انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٢.

(٧) الاستيعاب ٢/ ٦٤٠، وأسد الغابة ٢/ ٤٢٨، والإصابة ٣/ ١٤٨.

(٨) الاستيعاب ٢/ ٧٨١، وأسد الغابة ٣/ ١١٤، والإصابة ٣/ ٥٧٢.

(٩) فى م، ص: «وعشرين». وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٦.

وفيها تُوُفِّيَت **حَفْصةُ بنتُ عمرَ بنِ الخطابِ أمُّ المؤمنين**[1] ، وكانت قبلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ تحتَ خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ السَّهْمىِّ ، وهاجَرت معه إلى المدينةِ ، فتُوُفِّىَ عنها بعدَ بدرٍ ، فلما انْقَضَت عِدَّتُها عرَضَها أبوها على عثمانَ بعدَ وَفاةِ زوجتِه رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأَبَى أن يَتَزَوَّجَها ، فعرَضها على أبى بكرٍ فلم يَرُدَّ عليه شيئًا ، فما كان عن قَريبٍ حتى خطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ فتَزَوَّجها ، فعاتَب عمرُ أبا بكرٍ بعدَ ذلك فى ذلك ، فقال له أبو بكرٍ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قد ذكَرها ، فما كنتُ لِأُفْشِىَ سِرَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولو ترَكها لَتَزَوَّجْتُها[2] .

وقد رُوِّينا فى الحديثِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ طلَّق حَفْصةَ ثم راجَعها . وفى روايةٍ أن جِبْريلَ أمَره بمُراجعتِها ، وقال : إنها صَوَّامةٌ قَوَّامةٌ ، وهى زَوْجتُك فى الجنةِ[3] . وقد أجْمَع الجُمهورُ أنها تُوُفِّيَت فى شَعْبانَ مِن هذه السنةِ عن ستين سنةً . وقيل : إنها تُوُفِّيَت أيامَ عُثمانَ . والأولُ أصَحُّ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٨١١، وأسد الغابة ٧/ ٦٥، والإصابة ٧/ ٥٨١.

(٢) انظر البخارى (٤٠٠٥، ٥١٢٢، ٥١٤٥).

(٣) أخرج الروايتين ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٨٤، ٨٥، من عدة طرق .

ثُمَّ دخَلَت سنةُ سِتٍّ وأرْبعين

[٦/٩٧و] فيها شَتَّى المسلمون ببلادِ الرومِ مع أميرِهم عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ ابنِ الوَليدِ ، وقيل : كان أميرُهم غيرَه . واللَّهُ أعلمُ . وحَجَّ بالناسِ فيها عُتْبةُ بنُ أبى سُفيانَ أخو مُعاويةَ ، والعُمَّالُ على البلادِ هم المُتَقَدِّمُ ذِكْرُهم[١] .

وممن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ **سالمُ بنُ عُميرٍ**[٢] ، أحَدُ البَكَّائين المَذْكورين فى القرآنِ ، شَهِد بدرًا وما بعدَها مِن المَشاهِدِ كلِّها .

سُراقةُ بنُ كعبٍ[٣] ، شَهِد بدرًا وما بعدَها .

عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوَليدِ القُرشىُّ المَخْزومىُّ[٤] ، وكان مِن الشُّجْعانِ المَعْروفين والأبْطالِ المَشْهورين كأبيه ، وكان قد عَظُم ببلادِ الشامِ كذلك حتى خاف منه مُعاويةُ ، ومات وهو مَسْمومٌ ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه . وقال ابنُ مَنْدَه وأبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانىُّ[٥] : أدْرَك النبىَّ ﷺ .

وقد رَوَى ابنُ عَساكرَ[٦] مِن طريقِ أبى عمرَ ، أن عمرَو بنَ قيسٍ روَى عنه ، عن النبىِّ ﷺ فى الحِجامةِ بينَ الكَتِفَيْن . قال البخارىُّ[٧] : وهو مُنْقَطِعٌ . يعنى مُرْسَلًا .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨، والمنتظم ٥/ ٢١٧، والكامل ٣/ ٤٥٣، ٤٥٤.
(٢) الاستيعاب ٢/ ٥٦٧، وأسد الغابة ٢/ ٣١١، والإصابة ٣/ ١٠.
(٣) الاستيعاب ٢/ ٥٨٠، وأسد الغابة ٢/ ٣٣٠، والإصابة ٣/ ٤١.
(٤) الاستيعاب ٢/ ٨٢٩، وأسد الغابة ٣/ ٤٤٠، والإصابة ٥/ ٣٣.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٩٢٧، ٩٢٨ مخطوط، عنهما.
(٦) المصدر السابق ٩/ ٩٢٦، ٩٢٧.
(٧) التاريخ الكبير ٥/ ٢٧٧.

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : كان عَظيمَ القَدْرِ فى أهلِ الشامِ ، شَهِد صِفِّينَ مع مُعاويةَ ، وكان كعبُ بنُ جُعَيْلٍ مدّاحًا له ولأخويه مُهاجِرٍ وعبدِ اللَّهِ .

وقال ابنُ سُمَيْعٍ[2] : كان يَلى الصَّوائفَ[3] زمنَ مُعاويةَ ، وقد حَفِظ عن مُعاويةَ .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ وغيرُه[4] أن رجلًا يقالُ له : ابنُ أُثالٍ - وكان رئيسَ الذِّمَّةِ بأرضِ حِمْصَ - سَقاه شَرْبةً فيها سُمٌّ فمات . وزعَم بعضُهم أن ذلك عن أمْرِ مُعاويةَ له فى ذلك ، ولا يَصِحُّ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد رَثاه بعضُهم فقال[5] :

أبوك الذى قاد الجيوشَ مُغَرِّبًا ... إلى الرومِ لمَّا أعْطَتِ الخَرْجَ فارسُ
وكم مِن فَتًى نَبَّهْتَهُ بعدَ هَجْعَةٍ ... بقَرْعِ اللِّجامِ وهْوَ أكْتَعُ ناعِسُ
وما يَستوى الصَّفَّان صفٌّ لخالدٍ ... وصَفٌّ عليهِ مِن دمشقَ البَرانِسُ

وقد ذكَروا[6] أن خالدَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ قدِم المدينةَ ، فقال له عُرْوةُ بنُ الزبيرِ : ما فعَل ابنُ أُثالٍ ؟ فسكَت خالدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، ثم رجَع إلى حِمْصَ فثار على ابنِ أُثالٍ فقَتله ، [7]فحبَسه معاويةُ ثم أطْلَقه ، ثم قَدِم المدينةَ[7] ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٩٢٧ مخطوط ، بإسناده عن الزبير بن بكار .
(٢) المصدر السابق ٩/ ٩٢٨.
(٣) الصوائف : جمع صائفة ، وهى الغزوة فى الصيف . وبها سميت غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يُغْزون صيفًا اتقاء البرد والثلج . الوسيط (ص ى ف) .
(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٢٧، وانظر تاريخ دمشق ٩/٩٢٨ مخطوط ، والمنتظم ٥/ ٢١٧.
(٥) القائل كعب بن جعيل . والأبيات فى نسب قريش لمصعب الزبيرى ٣٢٦.
(٦) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٢٧، والمنتظم ٥/ ٢١٧، والكامل ٣/ ٤٥٣.
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

(١ فقال له عروةُ : ما فعَل ابنُ أُثالٍ ؟ ١) فقال : قد كَفَيتُك إياه ، ولكن ما فعَل ابنُ جُرمُوزٍ[٢] ؟ فسكَت عروةُ .

وفيها [٦/٩٧ظ] **تُوفِّيَ محمدُ بنُ مَسْلمةَ** ، فى قولٍ ، وقد تَقَدَّم[٣] .

هَرِمُ بنُ حَيّانَ العَبْدىُّ[٤] ، كان أحَدَ عُمَّالِ عمرَ بنِ الخطابِ ، ولقِيَ - أُوَيْسًا القَرَنىَّ ، وكان مِن عُقلاءِ الناسِ وعُلمائِهم ، ويقالُ : إنه لما دُفِن جاءت سَحابةٌ فرَشَّت[٥] قبرَه وحْدَه ، ٦ونبَت العُشْبُ عليه مِن وَقْتِه . فاللَّهُ أعلمِ ٦ .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) وذلك أن ابن جرموز هو قاتل الزبير بن العوام ، والد عروة .

(٣) تقدم فى ص ١٦٢.

(٤) الاستيعاب ٤/ ١٥٣٧، وأسد الغابة ٥/ ٣٩١، والإصابة ٦/ ٥٣٣.

(٥) فى م ، ص : « فروت » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

ثم دخَلت سنةُ سبعٍ وأربعين

فيها شَتَّى المسلمون ببلادِ الرومِ. وفيها عزَل مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ عن دِيارِ مصرَ، ووَلَّى عليها مُعاويةَ بنَ حُدَيْجٍ[1]، وحَجَّ بالناسِ عُتْبةُ بنُ أبى سفيانَ، وقيل: أخوه عَنْبَسةُ بنُ أبى سفيانَ. فاللَّهُ أعلمُ.

وممَّن تُوُفِّىَ فيها قيسُ بنُ عاصمٍ المِنْقَرِىُّ[2]، كان مِن ساداتِ الناسِ فى الجاهليةِ والإسلامِ، وكان ممَّن حَرَّم الخمرَ فى الجاهليةِ[3]، وذلك أنه سَكِر يومًا، فعبَث بذاتِ مَحْرَمٍ منه، فهرَبَت منه، فلما أصْبَح قيل له فى ذلك فحرَّمها، وأَنشَد فى ذلك:

رأيْتُ الخمرَ مَصْلَحةً[4] وفيها ... مَقابحُ تَفْضَحُ الرجلَ الكَرِيمَا

فلا واللَّهِ أَشْرَبُها حياتى ... ولا أَشْفِى بها أبدًا سَقِيمَا

وكان إسلامُه مع وفدِ بنى تَميمٍ، وفى بعضِ الأحاديثِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «هذا سيدُ أهلِ الوَبَرِ»[5]. وكان جَوَادًا مُمَدَّحًا كَريمًا، وهو الذى يقولُ فيه الشاعرُ [6]يومَ مات[6]:

---

(١) فى النسخ: «خديج» وهو تصحيف. والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر الإكمال ٢/ ٣٩٦، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٦٣.

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٢٩٤، وأسد الغابة ٤/ ٤٣٢، والإصابة ٥/ ٤٨٣.

(٣) بعده فى م، ص: «والإسلام».

(٤) فى الأصل، ٦١، م: «منقصة». وفى الاستيعاب والأسد: «صالحة».

(٥) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٩٥٣). حسن لغيره (صحيح الأدب المفرد ٧٣٠).

(٦ - ٦) سقط من: م، ص.

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

وقال الأَصْمَعيُّ[1] : سمِعْتُ أبا عمرِو بنَ العَلاءِ وأبا سُفيانَ بنَ العَلاءِ يقولان : قيل للأَحْنَفِ بنِ قيسٍ : ممَّن تعَلَّمْتَ الحِلْمَ ؟ قال : مِن قيسِ بنِ عاصمٍ المِنْقَرِيِّ ؛ لقد اختَلَفنا إليه فى الحُكْمِ كما يُخْتَلَفُ إلى الفُقهاءِ [2]فى الفقهِ[2] ، فبينما نحن عندَه يومًا وهو قاعدٌ بفِنائِه مُحْتَبٍ بكِسائِه ، إذ أَتَتْه جَماعةٌ فيهم مَقْتولٌ ومَكْتوفٌ ، فقالوا : هذا ابنُك قتَله ابنُ أخيك . قال : فواللَّهِ ما حَلَّ حَبْوتَه حتى فرَغ مِن كلامِه ، ثم الْتَفَت إلى ابنٍ له فى المجلسِ[3] فقال : أَطْلِقْ عن ابنِ عَمِّك ، ووارِ أخاك ، واحْمِلْ إلى أُمِّه مائةً مِن الإبلِ فإنها غريبةٌ . [4]ثم نظَر له فقال : نقَصتَ عددَك ، وقطَعتَ رحِمَك ، وعَصيتَ [٦/ ٩٨و] ربَّك ، وأطعتَ شيطانَك[4] .

ويقالُ[5] : إنه لما حضَرَتْه الوَفاةُ جلس حولَه بنوه ، وكانوا اثنين وثلاثين ذكرًا ، فقال لهم : يا بَنِيَّ ، سَوِّدوا عليكم أكبرَكم تَخْلُفوا أباكم ، ولا تُسَوِّدوا أصْغرَكم فيَزْدَرِىَ بكم أكْفاؤُكم ، وعليكم بالمالِ واصْطِناعِه فإنه [6]مَأْبَهَةٌ للكَريمِ[6] ، ويُسْتَغْنَى به عن اللَّئِيمِ ، وإياكم ومَسْألةَ الناسِ ؛ فإنها مِن أخَسِّ مَكْسَبةِ الرجلِ ، ولا تَنُوحُوا علىَّ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُنَحْ عليه ، ولا تَدْفِنونى حيث يَشْعُرُ بَكْرُ ابنُ وائلٍ ؛ فإنى كنتُ أُعادِيهم فى الجاهليةِ . وفيه يقولُ الشاعرُ[7] :

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٢١، من طريق الأصمعى به . كما أورده ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « المسجد » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٥) ذكره ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٢١.

(٦ - ٦) فى الأصل ، ٦١، م : « نعم ما يهبه الكريم » . والمأبهة من الأُبَّهَة ، وهى العظمة والبهجة . انظر اللسان (أ ب هـ) .

(٧) القائل هو عبدة بن الطيب . وانظر الاستيعاب والإصابة .

عليك سلامُ اللّهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورَحْمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّمَا
تحيةَ مَنْ أَوْلَيْتَه منك مِنّةً إذا ذُكِرَتْ أمثالُها تَمْلَأُ الفما
فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وأربعين

فيها شَتَّى أبو عبدِ الرحمنِ القَيْنِيُّ بالمسلمينَ ببلادِ أنْطاكِيَةَ . وفيها غَزا عُقْبةُ ابنُ عامرٍ بأهلِ مصرَ البَحْرَ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مَرْوانُ بنُ الحكمِ نائبُ المدينةِ[1] .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٣١، والمنتظم ٥/ ٢٢٣، والكامل ٣/ ٤٥٧.

ثم دخلَت سنةُ تسعٍ وأربعين

فيها غَزا يزيدُ بنُ مُعاويةَ بلادَ الرومِ حتى بلَغ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، ومعه جَماعةٌ مِن ساداتِ الصَّحابةِ، منهم؛ ابنُ عمرَ، وابنُ عباسٍ، وابنُ الزبيرِ، وأبو أيوبَ الأنْصاريُّ[1].

وقد ثبَت فى «صَحيحِ البُخاريِّ»[2] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أولُ جيشٍ يَغْزُون مدينةَ قَيْصَرَ مَغْفورٌ لهم». فكان هذا الجيشُ أولَ مَن غَزاها، وما وصَلوا إليها حتى بلَغوا الجَهْدَ.

وفيها تُوُفِّىَ أبو أيوبَ خالدُ بنُ زيدٍ الأنْصاريُّ، وقيل: لم يَمُتْ فى هذه الغزوةِ، بل بعدَها سنةَ إحْدى أو ثِنْتَيْن أو ثلاثٍ وخمسين كما سيأتى[3].

وفيها عزَل مُعاويةُ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ عن المدينةِ ووَلَّى عليها سعيدَ بنَ العاصِ، واسْتَقْضَى سعيدٌ عليها أبا سَلَمةَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ.

وفيها شَتَّى مالكُ بنُ هُبَيْرةَ الفَزَاريُّ بأرضِ الرومِ. وفيها كانت غَزْوةُ فَضالةَ ابنِ عُبَيدٍ، وشَتَّى هنالك، ففتَح البلدَ وغَنِم شيئًا كثيرًا. وفيها كانت صائفةُ عبدِ اللَّهِ بنِ كُرْزٍ [٦/٩٨ظ] البَجَلِيِّ.

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٣٢، والمنتظم ٥/ ٢٢٤، والكامل ٣/ ٤٥٨.

(٢) البخارى (٢٩٢٤).

(٣) لم نجد ذكرًا لوفاته فى سنة ثلاث وخمسين. والثابت أن وفاته كانت فى سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين. وانظر تاريخ دمشق ١٦/٦٣ - ٦٥، والاستيعاب ٢/ ٤٢٥، وأسد الغابة ٢/ ٩٦، والإصابة ٢/ ٢٣٥، وما سيأتى من صفحة ١٥١- ٢٥٥.

وفيها وقَع الطاعونُ بالكُوفةِ ، فخرَج منها المغيرةُ فارًّا ، فلما ارْتَفع الطاعونُ رجَع إليها ، فأصابه الطاعونُ فمات ، والصَّحيحُ أنه مات سنةَ خمسين كما سيأتى .

فجمَع مُعاويةُ لزيادٍ الكوفةَ إلى البَصْرةِ ، فكان أولَ مَن جُمِع له بينَهما ، فكان زيادٌ يُقيمُ فى هذه ستةَ أشْهُرٍ ، وفى هذه ستةَ أشْهرٍ ، وكان يَسْتَخْلِفُ على البَصْرةِ سَمُرَةَ بنَ جُنْدَبٍ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ سعيدُ بنُ العاصِ .

ذِكْرُ مَن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ

الحسنُ بنُ علىّ بنِ أبى طالبٍ[1]

أبو محمدٍ القُرشىُّ الهاشمىُّ ، سِبْطُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ابنُ ابنتِه فاطمةَ الزَّهْراءِ ، ورَيْحانتُه ، وأشْبَهُ خَلْقِ اللَّهِ به فى وَجْهِه ، وُلِد للنِّصفِ مِن رَمضانَ سنةَ ثلاثٍ مِن الهجرةِ ، فحَنَّكه رسولُ اللَّهِ ﷺ بريقِه ، وسَمَّاه حَسَنًا ، وهو أكبرُ ولدِ أبويه ، وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّه حبًّا شديدًا حتى كان يُقَبِّلُ زُبَيْبَتَه وهو صَغيرٌ ، وربما مَصَّ لسانَه واعْتَنَقَه وداعَبَه ، وربما جاء ورسولُ اللَّهِ ﷺ ساجدٌ فى الصَّلاةِ فيرْكَبُ على ظهرِه ، فيُقِرُّه على ذلك ويُطيلُ السُّجودَ مِن أجلِه ، وربما صَعِد معه إلى المِنْبرِ .

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٨٣، وأسد الغابة ٢/ ٩، والإصابة ٢/ ٦٨، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٤١ - ٦٠ ص ٣٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥.

وقد ثبَت فى الحديثِ[1] أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بينما هو يَخْطُبُ إذ رَأَى الحسنَ والحسينَ مُقْبِلَيْنِ ، فنَزلَ إليهما فاحْتَضَنَهما ، وأخَذَهما معه إلى المِنْبرِ ، وقال : « صدَق اللَّهُ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ، إنى رأيْتُ هذَيْن يَمْشِيان ويَعْثُران ، فلم أَمْلِكْ أن نَزَلْتُ إليهما » . ثُم قال[2] : « إنكم لَمن رَوْحِ اللَّهِ ، وإنَّكم [3]لَتُبَخِّلون وتُجَبِّنون[3] » .

وقد ثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[4] عن أبى عاصمٍ ، عن عمرَ بنِ سعيدِ بنِ أبى حُسينٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عُقْبَةَ بنِ الحارثِ ، [٦/ ٩٩و] أن أبا بكرٍ صلَّى بهم العصرَ - بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بليالٍ - ثُم خرَج هو وعلىٌّ يَمْشِيان ، فرأَى الحسنَ يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ فاحتَمَلَه على عُنُقِه[5] ، وجعَل يقولُ : بأبى بأبى [6]شِبْهُ النبى[6] ، ليس شَبيهًا بعلى . قال : وعلىٌّ يَضْحَكُ .

ورَوى سُفيانُ[7] وغيرُ واحدٍ قالوا[8] : ثنا وَكيعٌ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٥/ ٣٥٤، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذى (٣٧٧٤)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائى (١٥٨٤). كلهم من حديث بريدة. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٨١).

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٦/ ٤٠٩، والخطيب فى تاريخ بغداد ٥/ ٣٠٠. كلاهما من حديث خولة بنت حكيم بنحوه.

(٣ - ٣) فى م : « لتبجلون وتحببون ».

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ١٨٩، ٤٥٣.

(٥) فى البخارى : « عاتقه ».

(٦ - ٦) فى صحيح البخارى : « شبيه النبى ».

(٧) بعده فى النسخ : « الثورى ». وإنما الذى روى عن إسماعيل بن أبى خالد هو سفيان ابن عيينة ، والحديث من طريق ابن عيينة عن إسماعيل عن أبى جحيفة فى صحيح مسلم (٢٣٤٣). انظر تحفة الأشراف ٩/ ٩٦، ٩٧.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٨٠ - ١٨٣، من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به ، منها طريقان عن وكيع به.

سمِعْتُ أبا جُحَيفةَ يقولُ : رأيْتُ النبيَّ ﷺ وكان الحسنُ بنُ عليٍّ يُشْبِهُه . ورَواه البخاريُّ ومسلمٌ[1] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ . قال وَكيعٌ[2] : لم يَسْمَعْ إسماعيلُ مِن أبى جُحَيْفةَ إلَّا هذا الحديثَ .

وقال أحمدُ[3] : ثنا أبو داودَ الطَّيالسيُّ ، ثنا زَمْعَةُ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ قال : كانت فاطمةُ [4]تُنَقِّزُ الحسنَ[4] بنَ عليٍّ ، وتقولُ :

يا[5] بأبى شِبْهُ النبى ليس شبيهًا بعلى

وقال عبدُ الرزاقِ وغيرُه[6] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهريِّ ، عن أنسٍ قال : كان الحسنُ بنُ عليٍّ أشْبَهَهم وجْهًا برسولِ اللَّهِ ﷺ . ورَواه أحمدُ عن عبدِ الرزاقِ بنحوِه[7] .

وقال أحمدُ[8] : ثنا حجاجٌ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن هانئٍ ، عن عليٍّ قال : الحسنُ أشْبَهُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ما بينَ الصدرِ إلى الرأسِ ، والحسينُ أشْبَهُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ما أسْفَلَ مِن ذلك . ورَواه الترمذيُّ مِن حديثِ إسْرائيلَ[9] ،

---

(١) البخارى (٣٥٤٣، ٣٥٤٤)، ومسلم (٢٣٤٣).

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ١٨٣.

(٣) المسند ٦/ ٢٨٣.

(٤ - ٤) فى م: «تنقر للحسن». وتُنَقِّزه: تقفزه وتُوَثِّبه. انظر النهاية ٥/ ١٠٥.

(٥) كذا فى النسخ، وليس فى المسند. وهذا التركيب قائم على أن المنادى محذوف، ثم يقدر فعلٌ بعده، فيكون تقدير الكلام هكذا: ياقوم، أفدى بأبى...

(٦) المصنف (٢٠٩٨٤). كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٧٨، ١٧٩، من طريق عبد الرزاق وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وعبد الله بن المبارك، ثلاثتهم عن معمر به. والإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٩٩، من طريق عبد الأعلى عن معمر به.

(٧) المسند ٣/ ١٦٤.

(٨) المسند ١/ ٩٩. (إسناده صحيح).

(٩) الترمذى (٣٧٧٩). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٨٩).

وقال : حسنٌ غريبٌ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : ثنا قيسٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن هانئِ بنِ هانئٍ ، عن عليٍّ قال : كان الحسنُ بنُ عليٍّ أشْبَهَ الناسِ برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن وجهِه إلى سُرَّتِه ، وكان الحسينُ أشْبَهَ الناسِ به ما أسْفَلَ مِن ذلك . وقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ وابنِ الزبيرِ ، أن الحسنَ بنَ عليٍّ كان يُشْبِهُ النبىَّ ﷺ[2] .

وقال أحمدُ[3] : [4]ثنا عارمُ بنُ الفَضْلِ[4] ، ثنا مُعْتَمِرٌ ، عن أبيه قال : سمِعْتُ أبا تَميمةَ يُحَدِّثُ عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، يُحَدِّثُه أبو عثمانَ عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، قال : كان النبىُّ ﷺ يَأْخُذُنى فيُقْعِدُنى على فَخِذِه ، ويُقْعِدُ الحسنَ على فخذِه الأُخْرى ، ثم يَضُمُّنا ثم يقولُ : « اللهم ارْحَمْهما فإنِّى أرْحَمُهما » . وكذا رَواه البخارىُّ ، عن النَّهْدىِّ ، عن محمدِ بنِ الفضلِ عارمٍ به ، وعن علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، عن يحيى القَطَّانِ ، عن سليمانَ التَّيْمىِّ ، عن أبى تَميمةَ ، عن أبى عثمانَ ، عن أسامةَ[5] ، وأخرجه أيضًا عن موسى بنِ إسماعيلَ ومُسَدَّدٍ ، عن معتمرٍ ، عن أبيه ، عن أبى عثمانَ ، عن أسامةَ[6] ، فلم يَذْكُرْ أبا تَميمةَ . واللَّهُ أعلمُ . وفى روايةٍ[7] : « اللَّهُمَّ إنِّى أُحِبُّهما [٦/٩٩ظ] فأَحِبَّهما » .

---

(١) مسند أبى داود (١٣٠) .

(٢) أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٨٣، ١٨٤ أثر ابن عباس ، وأخرج فى ١٣/ ١٧٧، ١٧٨، أثر ابن الزبير .

(٣) المسند ٥/ ٢٠٥.

(٤ - ٤) فى م : « حازم بن الفضيل » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦٥، وأطراف المسند ١/ ٢٤٠.

(٥) البخارى (٦٠٠٣) .

(٦) البخارى (٣٧٣٥، ٣٧٤٧) .

(٧) البخارى (٣٧٤٧) .

وقال شُعْبةُ ، عن عَدِيِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ قال : رأيْتُ النبيَّ ﷺ والحسنُ بنُ عليٍّ على عاتِقِه ، وهو يقولُ : « اللَّهُمَّ إنِّى أُحِبُّه فأَحِبَّه » . أخْرَجاه مِن حديثِ شُعْبةَ[1] . ورَواه عليُّ بنُ الجَعْدِ[2] ، عن فُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ ، عن عَدِيٍّ ، عن البَراءِ ، فزاد : « وأَحِبَّ مَن يُحِبُّه[3] » . وقال الترمذيُّ[4] : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أحمدُ[5] : ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ أبى يَزيدَ ، عن نافعِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال للحسنِ بنِ عليٍّ : « اللَّهُمَّ إنِّى أُحِبُّه فأَحِبَّه ، وأَحِبَّ مَن يُحِبُّه » . ورَواه مسلمٌ ، عن أحمدَ[6] ، وأخْرجاه مِن حديثِ شُعْبةَ[1] .

وقال أحمدُ[7] : ثنا أبو النَّضْرِ ، ثنا وَرْقاءُ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ أبى يزيدَ ، عن نافعِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبى هريرةَ [8]قال : كنتُ مع النبيِّ ﷺ فى سوقٍ مِن أسْواقِ المدينةِ ، فانْصَرَف وانْصَرَفْتُ معه ، فجاء إلى فِناءِ فاطمةَ ، [9]فنادى الحسنَ[9] فقال : « أى لُكَعُ ، أى لُكَعُ ، أى لُكَعُ » . فلم يُجِبْه أحدٌ ، فانْصَرَف وانْصَرَفْتُ[8]

---

(١) البخارى (٣٧٤٩) ، ومسلم (٢٤٢٢) .

(٢) الجعديات (٢٠٢٣) .

(٣) فى م : « أحبه » .

(٤) الترمذى عقب حديث (٣٧٨٢) أخرجه من طريق فضيل عن عدى عن البراء ، وفيه أنه ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال : « اللهم إنى أحبهما فأحبهما » .

(٥) المسند ٢/ ٢٤٩.

(٦) مسلم (٢٤٢١/٥٦) .

(٧) المسند ٢/ ٣٣١.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص . والمثبت من المسند .

[1] معه ، فجاء إلى فِناءِ عائشةَ[2] فقعَد . قال : فجاء الحسنُ بنُ عليٍّ . قال أبو هريرةَ : ظَنَنَّا أن أُمَّه حبَسَتْه لتَجْعَلَ فى عُنُقِه السِّخابَ[3] ، فلمَّا دَخَل الْتَزَمه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، والْتَزَم هو رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ثُم قال : « اللَّهُمَّ[2] إنى أُحِبُّه فأَحِبَّه ، وأَحِبَّ مَن يُحِبُّه » . ثلاثَ مراتٍ . وأخْرجاه مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن عُبيدِ اللَّهِ به[4] .

وقال أحمدُ[5] : ثنا حَمَّادٌ الخَيَّاطُ ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ ، عن نُعَيْمِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُجْمِرِ ، عن أبى هريرةَ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى سُوقِ بنى قَيْنُقاعَ مُتَّكِئًا على يدِى ، فطاف فيها ، ثُم رجَع فاحْتَبَى فى المسجدِ ، وقال : « أين لَكاعِ ؟ ادْعُوا لى لَكاعِ » . فجاء الحسنُ فاشْتَدَّ حتى وَثَب فى حُبْوتِه ، فأدْخَل فمَه فى فمِه ، ثم قال : « اللهم إنى أُحِبُّه فأَحِبَّه ، وأَحِبَّ مَن يُحِبُّه » . ثلاثًا . قال أبو هريرةَ : ما رأيْتُ الحسنَ إلَّا فاضَتْ عينى . أو قال : دَمَعَتْ عينى . أو : بَكَيْتُ[6] . وهذا على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجوه . وقد رَواه الثَّوْرِىُّ[7] ، عن نُعَيْمٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى هُريرةَ ، فذكَر مِثْلَه أو نحوَه . ورَواه مُعاويةُ بنُ أبى مُزَرِّدٍ[8][1] ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٢) سقط من : م ، ص . والمثبت من المسند .

(٣) السخاب : خيط يُنظَم فيه خَرَز ويلبسه الصبيان والجوارى . وقيل : هو قلادة تُتَّخَذ من قَرَنْفُل ونحوه ، وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شىء . انظر النهاية ٢/ ٣٤٩.

(٤) البخارى (٢١٢٢، ٥٨٨٤) ، ومسلم (٥٧/ ٢٤٢١) .

(٥) المسند ٢/ ٥٣٢.

(٦) فى المسند : « بَكَتْ ، شَكَّ الخياط » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٩٤، من طريق الثورى به .

(٨) فى م ، ص : « برود » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٧. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٩٤، ١٩٥، من طريق معاوية بن أبى مزرد به .

(١) عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ بنحوِه ، وفيه زيادةٌ . وروَى أبو إسحاقَ ، عن الحارثِ ، عن عليٍّ نحوًا مِن هذا السِّياقِ[٢] . ورَواه عثمانُ بنُ أبى الكَنَّاتِ[٣] ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ بنحوِه ، وفيه زِيادةٌ .

وقال سفيانُ الثَّوْرىُّ وغيرُه[٤] ، عن سالمِ بنِ أبى حَفْصةَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ[١] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أَحَبَّ الحسنَ والحسينَ فقد أَحَبَّنى ، ومَن أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَنى » . غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ[٥] : ثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا الحَجَّاجُ - يعنى ابنَ دِينارٍ - عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَسْعودٍ ، عن أبى هريرةَ قال : خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ومعه حسنٌ وحسينٌ ، هذا على عاتقِه وهذا على عاتقِه ، وهو يَلْثُمُ هذا مرةً وهذا مرةً ، حتى انْتَهَى إلينا ، فقال له رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّك لَتُحِبُّهما . فقال : « مَن أَحَبَّهما فقد أَحَبَّنى ، ومَن أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَنى » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[٦] ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى ، فجاء الحسنُ والحسينُ ، فجعَلا يَتَوَثَّبان على ظهرِه إذا سجَد ، فأراد الناسُ زَجْرَهما ، فلمَّا سَلَّم قال للناسِ : « هذان ابناىَ ، مَن أَحَبَّهما

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٩٥، من طريق أبى إسحاق به .

(٣) المصدر السابق ١٣/ ١٩٧، من طريق عثمان بن أبى الكنات به .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٢/ ٥٣١، من طريق سفيان به ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٩٨، من طريق سفيان وابن فضيل ، كلاهما عن سالم به .

(٥) المسند ٢/ ٤٤٠. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٧٩: رواه أحمد ورجاله ثقات وفى بعضهم خلاف .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٩٩، من طريق أبى بكر بن عياش به . وأخرجه من نفس الوجه مرسلا فى ١٣/ ٢٠١، ٢٠٢.

فقد أَحَبَّنى » . ورَواه النسائىُّ مِن حديثِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن علىِّ بنِ صَالحٍ ، عن عاصمٍ به[1] .

وقد ورَد عن عائشةَ وأمِّ سَلَمةَ أُمَّيِ المؤمنين[2] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَمَل على الحسنِ والحسينِ وأُمِّهما وأبيهما ، فقال : « اللَّهُمَّ هؤلاء أهْلُ بيتى فأَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطَهِّرْهم تَطْهيرًا » .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأَسَدىُّ ، ثنا شَريكٌ ، عن جابرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابِطٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى سَيِّدِ شبابِ أهلِ الجنةِ ، فلْيَنْظُرْ إلى الحسنِ بنِ علىٍّ » . وقد رَواه وَكيعٌ[4] ، عن الربيعِ بنِ سعدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن جابرٍ ، فذكَر مثلَه ، وإسنادُه لا بأسَ به ، ولم يُخْرِجوه .

وجاء مِن حديثِ علىٍّ [٦/ ١٠٠و] وأبى سعيدٍ وبُرَيْدةَ [٥] وحُذَيفةَ[٥] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ ، وأبوهما خيرٌ منهما » .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[٦] : ثنا داودُ بنُ عمرٍو ، ثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ،

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨١٧٠) . ولفظه : « من أحبنى فليحب هذين » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٠٣ - ٢٠٥ بإسناده عنهما .

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٠٩، من طريق محمد بن سعد به .

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢١٠، من طريق وكيع به .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٠٨ - ٢١٢، من طرق عن على وأبى سعيد وبريدة وحذيفة . صحيح (السلسلة الصحيحة ٣٩٦) .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٢، ٢١٣، من طريق البغوى به . ابن ماجه (٣٦٦٦) من طريق عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم به . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩٥٧) .

حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن سعيدِ بنِ راشدٍ ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ قال : جاء الحسنُ والحسينُ يَسْعَيان إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاء أحدُهما قبلَ الآخرِ ، فجعَل يدَه فى[1] رقبتِه ، ثُم ضَمَّه إلى إبطِه ، ثُم جاء الآخَرُ فجعَل يدَه[2] الأخرى فى رقبتِه ، ثم ضَمَّه إلى إبطِه ، ثُم قَبَّلَ هذا ، ثم قَبَّل هذا ، ثم قال : « اللَّهُمَّ إنى أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » . ثم قال : « أيُّها الناسُ ، إن الولدَ مَبْخَلةٌ مَجْبَنةٌ مجْهَلَةٌ » .

وقد رَواه عبدُ الرزاقِ[3] ، عن مَعْمَرٍ ، عن ابنِ أبى خُثَيْمٍ ، عن محمدِ بنِ الأسْودِ بنِ خَلَفٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ حسنًا فقَبَّله ، ثم أقْبَل عليهم فقال : « إن الولدَ مَبْخَلةٌ مَجْبَنةٌ » .

وقال ابنُ خُزَيْمةَ[4] : ثنا عَبْدةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الخُزاعىُّ ، ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ (ح) وقال أبو يَعْلَى[5] : ثنا أبو خَيْثَمةَ : ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، حدَّثنى حسينُ بنُ واقدٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدةَ ، عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ، فجاء الحسنُ والحسينُ وعليهما قَمِيصانِ أحْمَرانِ ، يَعْثُرانِ ويَقومانِ ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إليهما فأخَذَهما ، فوَضَعَهما فى حِجْرِه على المِنْبرِ ، ثم قال : « صدَق اللَّهُ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ . رأيْتُ هذَيْن الصَّبِيَّيْن فلم أصْبِرْ عنهما » . ثم أخَذ فى خُطْبتِه . وقد رَواه أبو داودَ والتِّرمذىُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ الحسينِ ابنِ واقدٍ به[6] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه . وقد رَواه

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « تحت » .

(٢) بعده فى م ، ص : « إلى » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٣ ، من طريق عبد الرزاق به .

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، من طريق ابن خزيمة به .

(٥) المصدر السابق ، من طريق أبى يعلى به .

(٦) أبو داود (١١٠٩) ، والترمذى (٣٧٧٤) ، وابن ماجه (٣٦٠٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٨١) .

محمدٌ الضَّمْرىُّ[1] ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ ، فذكَر القصةَ للحسنِ وَحْدَه .

وفى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ[2] ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى بهم إحْدَى صلاتَيِ العَشِيِّ ، فسجَد سَجْدةً أطال فيها السُّجودَ ، فلمَّا سَلَّم قال الناسُ له فى ذلك ، قال : « إنَّ ابنى[3] - يعنى الحسنَ - ارْتَحَلَنى فكَرِهْتُ أن أُعْجِلَه حتى يَقْضِىَ حاجتَه » .

وقال الثَّوْرىُّ[4] ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ قال : دَخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو حاملٌ الحسنَ والحسينَ على ظهرِه ، وهو يَمْشى بهما على أربعٍ ، فقلتُ : نِعْمَ [5]الجَمَلُ جَمَلُكما[5] . فقال : « ونِعْم العِدْلان هما » . [٦/١٠٠ظ] إسنادُه على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجوه .

وقال أبو يَعْلَى[6] : ثنا أبو هشامٍ ، ثنا أبو عامرٍ ، ثنا زَمْعةُ بنُ صالحٍ ، عن سَلَمةَ ابنِ وَهْرامٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو حاملٌ الحسنَ على عاتقِه ، فقال له رجلٌ : يا غلامُ ، نِعْمَ المَرْكَبُ رَكِبْتَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ونِعْمَ الراكبُ هو » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا تَلِيدُ بنُ سليمانَ ، ثنا أبو الجَحَّافِ ، عن أبى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٥، من طريق محمد الضمرى به .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٤٩٣، ٤٩٤، والنسائى فى المجتبى (١١٤٠)، والبيهقى فى السنن الكبرى ٢/ ٢٦٣، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٥، ٢١٦.

(٣) بعده فى م : « هذا » .

(٤) فى م ، ص : « الترمذى » . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٦، من طريق الثورى به .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م ، ص : « الحمل حملكما » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٧، من طريق أبى يعلى به .

(٧) المسند ٢/ ٤٤٢.

حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : نظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى علىٍّ وحسنٍ وحسينٍ وفاطمةَ فقال : « أنا حَرْبٌ لمن حارَبْتُم[1] وسِلْمٌ لمن سالَمْتُم[2] » . وقد رَواه النسائىُّ مِن حديثِ أبى نُعَيمٍ ، وابنُ ماجه مِن حديثِ وَكيعٍ[3] ، كلاهما عن سُفيانَ الثَّورىِّ ، عن أبى الجَحَّافِ داودَ بنِ أبى عَوْفٍ - قال وَكيعٌ : وكان مَرْضِيًّا - عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال عن الحسنِ والحسينِ : « مَن أحَبَّهما فقد أحَبَّنى ، ومَن أبْغَضَهما فقد أبْغَضَنى » . وقد رَواه أسْباطٌ ، عن السُّدِّىِّ ، عن صُبَيحٍ مولى أمِّ سَلَمةَ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ ، فذكَره[4] .

وقال بَقِيةُ[5] ، عن [6]بَحِيرِ بنِ سعدٍ[6] ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن المِقْدامِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الحسنُ منى والحسينُ مِن علىٍّ »[7] . فيه نَكارةٌ لفظًا ومَعْنًى .

وقال أحمدُ[8] : ثنا محمدُ بنُ أبى عَدِىٍّ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، عن عُمَيْرِ بنِ

---

(١) فى المسند : « حاربكم » .

(٢) فى المسند : « سالمكم » .

(٣) النسائى فى الكبرى (٨١٦٨) ، وابن ماجه (١٤٣) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١١٧) .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٨، من طريق أسباط ، بلفظ : « أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢١٩، من طريق بقية به . وقد أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ١٣٢، وأبو داود (٤١٣١) كلاهما من طريق بقية به مطولا . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٧٩) .

(٦ - ٦) فى الأصل، ٦١: « بجير بن سعد » ، وفى م : « بجير بن سعيد » ، وفى ص : « يحيى بن سعيد » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الإكمال ١/ ١٩٧، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٠.

(٧) قال الحافظ المناوى فى فيض القدير ٣/ ٤١٥: قال الديلمى : معناه : الحسن يشبهنى والحسين يشبه عليا . قال المناوى : وكان الغالب على الحسن الحلم والأناة ، وعلى الحسين الجرأة وشدة البأس كعلى ، فالشبه معنوى ، وقيل : صورى .

(٨) المسند ٢/ ٢٥٥. (إسناده صحيح) .

إسحاقَ قال : كنتُ مع الحسنِ بنِ عليٍّ ، فلَقِيَنا أبو هريرةَ فقال : أَرِنى أُقَبِّلْ منك حيث رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ . فقال بقَمِيصِه[1] . قَالَ : فقَبَّل سُرَّتَه . تفرَّد به أحمدُ . ثم رَواه عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ عَوْنٍ[2] .

وقال أحمدُ[3] : ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، عن حَرِيزٍ[4] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَوْفٍ الجُرَشىِّ ، عن معاويةَ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَمَصُّ لسانَه - أو قال : شَفَتَه . يعنى الحسنَ بنَ عليٍّ - وإنَّه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شَفَتان مَصَّهما رسولُ اللَّهِ ﷺ . تَفَرَّد به أحمدُ .

وقدثَبَت فى « الصحيحِ » عن أبى بَكْرةَ ، ورواه أحمدُ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ ابنى هذا سَيِّدٌ ، ولعلَّ اللَّهَ أن يُصْلِحَ به بينَ فِئَتَيْن عظيمتَيْن مِن المسلمين » . وقد تقَدَّم هذا الحديثُ فى دلائلِ النبوةِ[5] ، وتقَدَّم قريبًا عندَ نُزولِ الحسنِ لمعاويةَ عن الخِلافةِ[6] ، ووقَع ذلك تَصْديقًا لقولِه ﷺ هذا ، وكذلك ذَكَرْناه فى كتابِ دلائلِ النبوةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقد كان الصِّدِّيقُ يُجِلُّه ويُعَظِّمُه ويُكْرِمُه ويُحِبُّه ويَتَفَدَّاه ، وكذلك عمرُ ابنُ الخطابِ ؛ فرَوَى الواقدىُّ[7] عن موسى بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ : « فرفعه » . وهو معنى قوله : فقال بقميصه .

(٢) المسند ٢/ ٤٢٧.

(٣) المسند ٤/ ٩٣.

(٤) فى النسخ ، والمسند : « جرير » ، وهو تصحيف . والمثبت من أطراف المسند ٥/ ٣٤٢. وحريز هو ابن عثمان بن جبر . انظر الإكمال ٢/ ٨٥، وتهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨.

(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٨، من حديث أبى بكرة .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحات ١٣٥ - ١٣٨.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣٨، من طريق الواقدى به .

[١٠١/٦و] التَّيْمىِّ ، عن أبيه ، أن عمرَ لما عمِل الدِّيوانَ فرَض للحسنِ والحسينِ مع أهلِ بدرٍ فى خمسةِ آلافٍ[١] . وكذلك كان عثمانُ بنُ عفانَ يُكْرِمُ الحسنَ والحسينَ ويُحِبُّهما . وقد كان الحسنُ بنُ علىٍّ يومَ الدارِ - وعثمانُ بنُ عفانَ مَحْصورٌ - عنده ومعه السيفُ مُتَقَلِّدًا به يُجاحِفُ[٢] عن عثمانَ ، فخشِىَ عثمانُ عليه ، فأقْسَم عليه لَيَرْجِعَنَّ إلى منزلِهم تَطْيِيبًا لقلبِ علىٍّ ، وخوفًا عليه ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وكان علىٌّ يُكْرِمُ الحسنَ إكْرامًا زائدًا ، ويُعَظِّمُه ويُبَجِّلُه ، وقد قال له يومًا[٣] : يا بنىَّ ، ألا تَخْطُبُ حتى أَسْمَعَك ؟ فقال : إنى أَسْتَحْيى أن أَخْطُبَ وأنا أراك . فذهَب علىٌّ فجلَس حيث لا يَراه الحسنُ ، ثم قام الحسنُ فى الناسِ خَطيبًا وعلىٌّ يَسْمَعُ ، فأدَّى خُطْبةً بَليغةً فَصِيحةً ، فلمَّا انْصَرَف جَعَل علىٌّ يقولُ : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣٤] . وقد كان ابنُ عباسٍ يَأْخُذُ الرِّكابَ للحسنِ والحسينِ إذا ركِبا ، ويَرَى هذا مِن نِعَمِ اللَّهِ عليه . وكانا إذا طافا بالبيتِ يَكادُ الناسُ يَحْطِمونهما مما يَزْدَحِمون عليهما للسلامِ عليهما ، رضِى اللَّهُ عنهما وأَرْضاهما .

وكان ابنُ الزُّبَيْرِ يقولُ[٤] : واللَّهِ ما قامت النساءُ عن مثلِ الحسنِ بنِ علىٍّ .

وقال غيرُه[٥] : كان الحسنُ إذا صَلَّى الغَداةَ فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ فى مُصَلَّاه يَذْكُرُ اللَّهَ حتى تَرْتَفِعَ الشمسُ ، ويَجْلِسُ إليه مَن يَجْلِسُ مِن

---

(١) بعده فى ا٦، م، ص : « خمسة آلاف » .
(٢) فى الأصل، م، ص : « يحاجف » . ويجاحف : يدافع . اللسان (ج ح ف) .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٤٤ بنحوه .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣٩، ٢٤٠.
(٥) المصدر السابق ١٣/ ٢٤١.

ساداتِ الناسِ يَتَحَدَّثون عندَه، ثم يقومُ فيَدْخُلُ على أُمَّهاتِ المؤمنين فيُسَلِّمُ عليهن، وربما أَتْحَفْنَه، ثم يَنْصَرِفُ إلى مَنْزِله.

ولما نزَل لمُعاويةَ عن الخِلافةِ مِن وَرَعِه صِيانةً لدِماءِ المسلمين، كان له على مُعاويةَ فى كلِّ عامٍ جائزةٌ، وكان يَفِدُ إليه، فربما أجازه بأربعِمائةِ ألفِ درهمٍ، وراتِبُه فى كلِّ سنةٍ مائةُ ألفٍ، فانْقَطَع سنةً عن الذَّهابِ، وجاء وَقْتُ الجائزةِ، فاحْتاج الحسنُ إليها - وكان مِن أكْرمِ الناسِ - فأراد أن يَكْتُبَ إلى مُعاويةَ ليَبْعَثَ بها إليه، فلما نام تلك الليلةَ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ، فقال له: «يا بنىَّ، أتَكْتُبُ إلى مَخْلوقٍ بحاجتِك؟!» وعَلَّمه دُعاءً يَدْعو به، فترَك الحسنُ ما كان هَمَّ به مِن الكِتابةِ، فذَكَره مُعاويةُ وافْتَقَده، وقال: ابْعَثوا إليه بمائتَىْ ألفٍ، فلعلَّ له ضَرُورةً فى تَرْكِه القُدومَ علينا. فحُمِلت إليه مِن غيرِ سؤالٍ[1].

قال صالحُ بنُ أحمدَ[2]: سَمِعْتُ أبى يقولُ: الحسنُ بنُ علىٍّ مَدَنىٌّ ثقةٌ. حَكاه ابنُ عَساكرَ فى «تاريخِه». قالوا[3]: وقاسَم اللَّهَ مالَه ثلاثَ مراتٍ، وخرَج مِن مالِه مرتين، وحَجَّ خمسًا وعشرين مرةً ماشيًا وإن الجَنائبَ[4] لَتُقادُ بينَ [٦/١٠١ظ] يدَيه. وروَى ذلك البيهقىُّ[5] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ [6]بنِ عُبَيدِ[6] بنِ عُميرٍ، عن ابنِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ١٦٦.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٢، ٢٤٣ بسنده عن صالح.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) كذا فى النسخ. وفى تاريخ دمشق وغيره من المصادر: «النجائب». والجنائب: جمع الجَنِيبة وهى الدابة تقاد. والنجائب جمع النجيبة: وهى القوية الخفيفة السريعة من الإبل. انظر اللسان (ج ن ب)، (ن ج ب).

(٥) السنن الكبرى ٤/ ٣٣١.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من السنن الكبرى. وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٥٩.

عباسٍ . وقاله عليُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ[1] . وقد عَلَّق البخاريُّ في « صحيحِه »[2] أنه حَجَّ ماشيًا والجَنائبُ تُقادُ بينَ يديه .

ورَوَى داودُ بنُ رُشَيْدٍ[3] ، عن حَفْصٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه قال : حَجَّ الحسنُ بنُ عليٍّ ماشيًا ، والجنائبُ تُقادُ بينَ يديه ، ونَجائبُه تُقادُ إلى جَنْبِه .

وقال العباسُ بنُ الفَضْلِ[4] ، عن القاسمِ ، عن محمدِ بنِ عليٍّ قال : قال الحسنُ بنُ عليٍّ : إنى لأَسْتَحْيِي مِن ربى ، عزَّ وجلَّ ، أن أَلْقاه ولم أَمْشِ إلى بيتِه . فمشَى عشرين مرةً مِن المدينةِ على رجليه .

قالوا : وكان يَقْرَأُ فى بعضِ خُطَبِه سورةَ « إبراهيمَ »[5] . وكان يَقْرَأُ كلَّ ليلةٍ سورةَ « الكهفِ » قبلَ أن ينامَ ، يَقْرؤُها مِن لوحٍ يَدورُ معه حيث كان مِن بيوتِ نِسائِه ، فيَقْرَؤُه بعدَما يَدْخُلُ فى الفراشِ قبلَ أن يَنامَ ، رَضِى اللَّهُ عنه[5] .

وقد كان مِن الكرمِ على جانبٍ عظيمٍ . قال محمدُ بنُ سِيرينَ[6] : ربما أجاز الحسنُ بنُ عليٍّ الرجلَ الواحدَ بمائةِ ألفٍ .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ[7] : سمِع الحسنُ بنُ عليٍّ إلى جانبِه رجلًا يَدْعُو اللَّهَ أن يُمَلِّكَه عشَرةَ آلافِ درهمٍ ، فقام إلى منزلِه فبَعَث بها إليه .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٣، بإسناده عن على بن زيد بن جدعان . وفيه أن الحسن حج خمس عشرة مرة ماشيا .

(٢) لم نجده فى صحيح البخارى . ولم يذكره الحافظ فى تغليق التعليق .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٢، من طريق داود بن رشيد به . وليس فيه قوله : « والجنائب تقاد بين يديه » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٢، من طريق العباس به .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٢ .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٥، بإسناده عن ابن سيرين .

(٧) المصدر السابق .

وذكَروا[1] أن الحسنَ رأَى غلامًا أسودَ يَأْكُلُ مِن رَغيفِ لُقْمةً ، ويُطْعِمُ كلبًا هناك لُقْمةً ، فقال له : ما حمَلك على هذا ؟! فقال : إنى أسْتَحِى منه أن آكُلَ ولا أُطْعِمُه . فقال له الحسنُ : لا تَبْرَحْ مِن مكانِك حتى آتِيَك . فذهَب إلى سيدِه ، فاشْتراه واشْتَرى الحائطَ الذى هو فيه ، فأعْتَقه ومَلَّكه الحائطَ ، فقال الغلامُ : يا مولاىَ ، قد وهَبْتُ الحائطَ للذى وَهَبْتَنى له .

قالوا[2] : وكان كثيرَ التَّزَوُّجِ ، وكان لا يُفارِقُه أربعُ حَرائرَ ، وكان مِطْلاقًا مِصْداقًا . يقالُ : إنه أحْصَن بسبعين امرأةً . وذكَروا[3] أنه طَلَّق امرأتين فى يومٍ ؛ واحدةً مِن بنى أسَدٍ وأخرى فَزاريَّةً ، وبعَث إلى كلٍّ واحدةٍ منهما بعشَرةِ آلافٍ وبزِقاقٍ مِن عَسَلٍ ، وقال للغلامِ : اسْمَع ما تقولُ كلُّ واحدةٍ منهما . فأمَّا الفَزاريَّةُ فقالت : جَزاه اللَّهُ خيرًا . ودَعَت له ، وأمَّا الأَسَديَّةُ فقالت :

مَتاعٌ قليلٌ مِن حَبيبٍ مُفارِقِ

فرجَع الغلامُ إليه بذلك ، فارْتَجع الأَسَديَّةَ وترَك الفَزاريَّةَ . وقد كان علىٌّ يقولُ لأهلِ الكوفةِ[3] [٦/١٠٢و] : لا تُزَوِّجوه فإنه مِطْلاقٌ . فيقولون : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لو خطَب إلينا كلَّ يومٍ لزَوَّجْناه منا مَن شاء ؛ ابْتغاءَ فى صِهْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وذكَروا[4] أنه نام مع امرأتِه خَوْلَةَ بنتِ مَنْظورٍ الفَزاريِّ - وقيل : هندَ بنتِ سهيلٍ - فوقَ إجَّارٍ[5] ، فعمَدَت المرأةُ فربَطَت رجلَه بخِمارِها إلى خَلْخالِها ، فلما

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) الإجّار: السطح الذى ليس حواليه ما يرد الساقط عنه. النهاية ١/ ٢٦.

اسْتَيْقَظ قال لها : ما هذا ؟ فقالت : خِفْتُ أن تَقومَ مِن وَسَنِ النومِ[1] فتَسْقُطَ ، فأكونَ أشْأَمَ سَخْلةٍ على العربِ . فأعْجَبه ذلك منها ، واسْتَمَرَّ بها سبعةَ أيامٍ بعدَ ذلك .

وقال أبو جعفرٍ الباقرُ[2] : جاء رجلٌ إلى الحسينِ بنِ عليٍّ ، فاسْتَعان به فى حاجةٍ ، فوجَده مُعْتَكِفًا ، فاعْتَذَر إليه ، فذهَب إلى الحسنِ فاسْتَعان به ، فقضَى حاجتَه وقال : لَقَضاءُ حاجةِ أخٍ لى فى اللَّهِ أَحَبُّ إلىَّ مِن اعْتِكافِ شهرٍ .

وقال هُشَيْمٌ[3] ، عن منصورٍ ، عن ابنِ سِيرينَ قال : كان الحسنُ بنُ عليٍّ لا يَدْعو إلى طَعامِه أحدًا ؛ يقولُ : هو أهْونُ مِن أن يُدْعَى إليه أحدٌ .

وقال أبو جعفرٍ[4] : قال عليٌّ : يا أهلَ الكوفةِ ، لاتُزَوِّجوا الحسنَ بنَ عليٍّ فإنه مِطْلاقٌ . فقال رجلٌ مِن هَمْدانَ : واللَّهِ لَنُزَوِّجَنَّه ، فما رضِىَ أمْسَك ، وما كَرِه طَلَّق .

وقال أبو بكرٍ الخَرائطىُّ فى كتابِ « مَكارِمِ الأخْلاقِ »[5] : ثنا إبراهيمُ بنُ الجُنَيْدِ ، ثنا القَوارِيرىُّ ، ثنا عبدُ الأعْلَى ، عن هشامٍ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ قال : تَزَوَّج الحسنُ بنُ عليٍّ امرأةً ، فبعَث إليها بمائةِ جاريةٍ ، مع كلِّ جاريةٍ ألفُ درهمٍ .

وقال عبدُ الرزاقِ[6] ، عن الثورىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه ،

---

(١) وَسَن النوم : أوله .

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٤٧.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٥١، من طريق هشيم به .

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٩، من طريق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين به .

(٥) المنتقى من مكارم الأخلاق (٣٠٦) .

(٦) المصنف (١٢٢٥٧) . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٠، من طريق عبد الرزاق به .

عن الحسنِ بنِ سعدٍ، عن أبيه قال: مَتَّع الحسنُ بنُ عليٍّ امرأتَيْن بعشرين ألفًا وزِقاقٍ مِن عسلٍ، فقالت إحداهما وأُراها الحَنَفيةَ:

مَتاعٌ قليلٌ مِن حَبيبٍ مُفارِقِ

وقال الواقديُّ[1]: حدَّثني عليُّ بنُ عمرَ، عن أبيه، عن عليِّ بن الحسينِ قال: كان الحسنُ بنُ عليٍّ مِطْلاقًا للنساءِ، وكان لا يُفارِقُ امرأةً إلا وهي تُحِبُّه.

وقال جُوَيْرِيَةُ بنُ أسماءَ[2]: لما مات الحسنُ بَكَى عليه مَرْوانُ في جِنازتِه، فقال له الحسينُ: أتَبْكِيه وقد كنتَ تُجَرِّعُه ما تُجَرِّعُه؟! فقال: إني كنتُ أفْعَلُ ذلك إلى أحْلَمَ مِن هذا [٦/١٠٢ظ]. وأشار بيدِه إلى الجبلِ.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3]: أنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ الأسَديُّ، عن ابنِ عَوْنٍ، عن عُمَيْرِ[4] بنِ إسحاقَ قال: ما تَكَلَّم عندي أحدٌ كان أحَبَّ إليَّ إذا تَكَلَّم ألَّا يَسْكُتَ مِن الحسنِ بنِ عليٍّ، وما سَمِعْتُ منه كلمةَ فُحْشٍ قطُّ إلا مرةً؛ فإنه كان [5]بين الحسينِ بنِ عليٍّ[5] وبينَ عمرِو بنِ عثمانَ خُصومةٌ، فقال الحسنُ: ليس له عندَنا إلا ما رَغِم أنفُه. فهذه أشَدُّ كلمةِ فُحْشٍ سِمعْتُها منه قطُّ.

قال محمدُ بنُ سعدٍ[6]: وأنا الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ، أنا مُسافِرٌ الجَصَّاصُ، عن رُزَيْقِ بنِ سَوّارٍ قال: كان بينَ الحسنِ وبينَ مَرْوانَ خُصومةٌ، فجعَل مَرْوانُ يُغْلِظُ للحسنِ، وحسنٌ ساكتٌ، فامْتَخَط مَرْوانُ بيمينِه، فقال له الحسنُ: ويحَك! أما

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥١، من طريق الواقدي به.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٥٢، من طريق جويرية بن أسماء به.

(٣) المصدر السابق، من طريق محمد بن سعد به.

(٤) في م، ص: «محمد». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦٩.

(٥) في النسخ: «بينه». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٢٣٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٢، ٢٥٣، من طريق محمد بن سعد به.

عَلِمْتَ أنَّ اليمينَ للوجهِ والشمالَ للفرجِ ؟! أُفٍّ لك . فسكَت مَرْوانُ .

وقال أبو العباسِ محمدُ بنُ يزيدَ المُبَرِّدُ[1] : قيل للحسنِ بنِ عليٍّ : إن أبا ذَرٍّ يقولُ : الفقرُ أحَبُّ إليَّ مِن الغنَى ، والسَّقَمُ أحَبُّ إليَّ مِن الصحةِ . فقال : رَحِم اللَّهُ أباذَرٍّ ، أمَّا أنا فأقولُ : مَن اتَّكَل على حُسْنِ اختيارِ اللَّهِ له لم يَتَمَنَّ أن يكونَ فى غيرِ الحالةِ التى اختار اللَّهُ له ، وهذا حدُّ الوُقوفِ على الرِّضا بما تَصَرَّفَ به القضاءُ .

وقال أبو بكرٍ محمدُ بنُ كَيْسانَ الأصَمُّ[2] : قال الحسنُ ذاتَ يومٍ لأصحابِه : إنى أُخْبِرُكم عن أخٍ لى كان مِن أعظمِ الناسِ فى عَيْنى ، وكان عظيمَ ما عَظَّمه فى عينى صِغَرُ الدنيا فى عينِه ، كان خارجًا من سلطانِ بطنِه ، فلا يَشْتَهى ما لا يَجِدُ ، ولا يُكْثِرُ إذا وجَد ، وكان خارجًا من سلطان فرجِه ، فلا يَسْتَخِفُّ له عقلُه ولا رأيُه ، وكان خارجًا من سلطانِ الجهلةِ ، فلا يَمُدُّ يدًا إلَّا على ثقةِ المَنْفعةِ[3] ، كان لا يَسْخَطُ ولا يَتَبَرَّمُ ، كان إذا جامَع العلماءَ يكونُ على أن يَسْمَعَ أحرَصَ منه على أن يَتَكَلَّمَ ، وكان إذا غُلِب على الكلامِ لم يُغْلَبْ على الصمتِ ، كان أكثرَ دهرِه صامتًا ، فإذا قال بَذَّ القائلين ، كان لا يُشارِكُ فى دَعْوَى ، ولا يَدْخُلُ فى مِراءٍ ، ولا يُدْلِى بحُجَّةٍ حتى يُرَى قاضيًا ، يقولُ ما[4] يَفْعَلُ ، ويَفْعَلُ ما لا يقولُ تَفَضُّلًا وتَكَرُّمًا ، كان لا يَغْفُلُ عن إخوانِه ، ولا يَستَخِصُّ بشىءٍ [٦/١٠٣و] دونَهم ، كان لا يَلُومُ[5] أحدًا فيما يَقَعُ العُذْرُ بمثلِه ، كان إذا ابْتَدأه أمْران لا يَرَى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٣، بإسناده عن محمد بن يزيد به .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥، بإسناده عن محمد بن كيسان به . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٣، ٢٥٤، من طريق الخطيب به .

(٣) بعده فى الأصل، ٦١: « ولا يخطو خطوة إلا بحسبة » ، وفى م : « ولا يخطو خطوة إلا لحسنة » .

(٤) بعده فى النسخ : « لا » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) فى النسخ : « يكرم » . والمثبت من مصدرى التخريج .

أيُّهما أقْرَبُ إلى الحقِّ ، نظَر فيما هو أقربُ إلى هَواه فخالَفه . رواه ابنُ عَساكرَ والخَطيبُ .

وقال أبو الفرجِ المُعافَى بنُ زكريا الجَرِيرىُّ[1] : ثنا بدرُ بنُ الهَيْثمِ الحَضْرمىُّ ، ثنا علىُّ بنُ المنذِرِ الطَّرِيقىُّ ، ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارِمىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أبو رَجاءٍ مِن أهلِ تُسْتَرَ ، ثنا شُعبةُ بنُ الحَجّاجِ الواسطىُّ ، عن أبى إسحاقَ الهَمْدانىِّ ، عن الحارثِ الأعْورِ ، أن عليًّا سأَل ابنَه - يعنى الحسنَ - عن أشياءَ مِن المُروءةِ ، فقال : يا بُنىَّ ، ما السَّدادُ ؟ قال : يا أبَةِ ، السَّدادُ دَفْعُ المنكرِ بالمعروفِ . قال : فما الشرفُ ؟ قال : اصطِناعُ العَشيرةِ وحَمْلُ الجَرِيرةِ . قال : فما المروءةُ ؟ قال : العفافُ وإصلاحُ المرءِ مالَه . قال : فما الدِّقَّةُ[2] ؟ قال : النظرُ فى اليَسيرِ ومنعُ الحقيرِ[3] . قال : فما اللُّؤْمُ ؟ قال : إحرازُ المرءِ نفسَه وبَذْلُه عِرْسَه . قال : فما السماحةُ ؟ قال : البَذْلُ فى العُسرِ واليُسرِ . قال : فما الشحُّ ؟ قال : أن تَرَى ما فى يديك شَرَفًا[4] وما أنْفَقْتَه تَلَفًا . قال : فما الإخاءُ ؟ قال : الوفاءُ فى الشِّدةِ والرخاءِ . قال : فما الجبنُ ؟ قال : الجرأةُ على الصديقِ والنُّكولُ عن العَدُوِّ . قال : فما الغَنيمةُ ؟ قال : الرغبةُ فى التقوَى ، والزَّهادةُ فى الدنيا [5]هى الغنيمةُ الباردةُ[5] . قال : فما الحِلْمُ ؟ قال : كَظْمُ الغيظِ ومَلْكُ النفسِ . قال : فما الغِنَى ؟ قال : رِضا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٥٥ - ٢٥٧، من طريق المعافى بن زكريا به . وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/٦٦ - ٦٨ (٢٦٨٨) ، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٣٥، ٣٦، كلاهما من طريق على بن المنذر به . قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٤٣: فيه أبو رجاء الحبطى واسمه محمد بن عبد اللّه ، وهو كذاب .

(٢) فى الأصل، ٦١، م: «الدنيئة» . والدقة: الحقارة . انظر النهاية ٢/ ١٢٧، واللسان (د ق ق) .

(٣) الحقير هنا : الشىء اليسير .

(٤) فى م، ص: «سرفا» .

(٥ - ٥) سقط من: م، ص .

النفسِ بما قسَم اللَّهُ لها وإن قلَّ ، فإنما الغِنَى غِنَى النفسِ . قال : فما الفقرُ ؟ قال : شَرَهُ النفسِ فى كلِّ شىءٍ . قال : فما المَنَعةُ ؟ قال : شدَّةُ الباسِ ومُقارَعةُ أشدِّ الناسِ . قال : فما الذلُّ ؟ قال : الفَزَعُ عندَ المَصْدوقةِ[1] . قال : فما الجرأةُ ؟ قال : موافقةُ الأقْرانِ . قال : فما الكُلْفَةُ ؟ قال : كلامُك فيما لا يَعْنِيك . قال : فما المجْدُ ؟ قال : أن تُعْطِىَ فى الغُرْمِ وأن تَعْفُوَ عن الجُرْمِ . قال : فما العقلُ ؟ قال : حِفْظُ القلبِ كلَّ ما استَوْعَيْتَه[2] . قال : فما الخُرْقُ[3] ؟ قال : مُعاداتُك إمامَك ورَفْعُك عليه كلامَك . قال : فما الثناءُ ؟ قال : إتيانُ الجَميلِ وتركُ القبيحِ . قال : فما الحَزْمُ ؟ قال : طولُ الأناةِ ، والرِّفْقُ بالوُلاةِ ، والاحتراسُ مِن الناسِ بسوءِ الظنِّ ، هو الحَزْمُ . قال : فما الشَّرَفُ ؟ قال : موافقةُ الإخوانِ ، وحفظُ الجيرانِ . قال : فما السَّفَهُ ؟ قال : اتباعُ [٦/١٠٣ظ] الدُّناةِ ، ومصاحبةُ الغُواةِ . قال : فما الغَفْلةُ ؟ قال : تَرْكُك المسجدَ وطاعتُك المُفْسِدَ . قال : فما الحِرْمانُ ؟ قال : تَرْكُك حَظَّك وقد عُرِض عليك . قال : فما السَّيِّدُ ؟ قال : الأحْمقُ فى المالِ ، المُتهاوِنُ بعِرْضِه ؛ يُشْتَمُ فلا يُجِيبُ ، المُتَحَزِّنُ بأمْرِ العَشيرةِ[4] ، هو السيدُ . قال : ثم قال علىٌّ : يا بنىَّ ، سمعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا فَقْرَ أشدُّ مِن الجهلِ ، ولا مالَ أَعودُ مِن العقلِ ، ولا وَحْدةَ أوحَشُ مِن العُجْبِ ، ولا مُظاهرةَ أوثَقُ مِن المشاوَرةِ ، ولا عَقْلَ كالتدبيرِ ، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُقِ ، ولا وَرَعَ كالكَفِّ ، ولا عبادةَ كالتَّفَكُّرِ ،

---

(١) فى الأصل : « الصدوقية » ، وفى ٦١ ، م : « المصدوقية » . والمصدوقة : الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة . اللسان (ص د ق) .

(٢) فى معجم الطبرانى وحلية الأولياء : « استوعيته » . وهو أشبه .

(٣) الخرق : الجهل والحُمق . اللسان (خ ر ق) .

(٤) المتحزن بأمر العشيرة: المهتم بأمرهم .

ولا إيمانَ كالحياءِ، ورأسُ الإيمانِ الصبرُ، وآفةُ الحديثِ الكذبُ، وآفةُ العلمِ النسيانُ، وآفةُ الحِلْمِ السَّفَهُ، وآفةُ العِبادةِ الفَتْرةُ، وآفةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ، وآفةُ الشجاعةِ البَغْيُ، وآفةُ السماحةِ المَنُّ، وآفةُ الجَمالِ الخُيَلاءُ، وآفةُ الحسبِ الفَخْرُ».

ثم قال عليٌّ: يا بُنَيَّ، لا تَسْتَخِفَّنَّ برجلٍ تَراه أبدًا، فإن كان أكبرَ منك فعُدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلَك فهو أخوك، وإن كان أصغرَ منك فاحْسَبْ أنه ابنُك. فهذا ما ساءَلَ عليٌّ ابنَه عن أشياءَ من المُروءةِ. قال القاضى أبو الفرجِ: ففى هذا الخبرِ مِن الحكمةِ وجَزيلِ الفائدةِ ما يَنْتَفِعُ به مَن راعاه وحَفِظه ووَعَاه، وعمِل به، وأَدَّب نفسَه بالعملِ عليه، وهَذَّبها بالرجوعِ إليه، وتَتَوَفَّرُ فائدتُه بالوقوفِ عندَه، وفيما رَواه أميرُ المؤمنين وأضعافِه عن النبيِّ ﷺ ما لا غِنًى لكلِّ لَبيبٍ عليم، (١) ومِدْرَهٍ حكيمٍ (١) عن حِفْظِه وتَأَمُّلِه، والمَسْعودُ مَن هُدِىَ لتَقَبُّلِه، والمَجْدودُ (٢) مَن وُفِّق لامتثالِه وتَقَبُّلِه.

قلتُ: ولكنَّ إسنادَ هذا الأَثَرِ وما فيه مِن الحديثِ المرفوعِ ضَعيفٌ، ومِثْلُ هذه الألفاظِ فى عِبارتِها ما يَدُلُّ ما فى بعضِها مِن النَّكارةِ على أنه ليس بمَحْفوظٍ. واللَّهُ أعلمُ. وقد ذكَر الأَصْمَعىُّ والعُتْبىُّ والمَدائنىُّ وغيرُهم (٣) أن مُعاويةَ سأَل الحسنَ عن أشْياءَ تُشْبِهُ هذا، فأجابه بنحوِ ما تقَدَّم، لكنَّ هذا السِّياقَ أطولُ بكثيرٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال عليُّ بنُ العَبَّاسِ الطَّبرانىُّ (٤): كان على خاتَمِ الحسنِ بنِ عليٍّ مَكْتوبٌ:

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٦١. وفى م، ص: «قدرة حكيم». والمثبت من تاريخ دمشق. والمدره: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم، والذى يرجعون إليه. اللسان (د ر هـ).

(٢) المجدود: المحظوظ. اللسان (ج د د).

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٣/ ٣٥٧، ٣٥٨.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٩، ٢٦٠، بإسناده عن على بن العباس به. وفيه: «الطبرى».

قَدِّمْ لنفسِكَ ما اسْتَطَعْتَ مِن التُّقَى إن المَنِيَّةَ نازِلٌ بك يا فَتَى

[٦/١٠٤و]أصْبَحْتَ ذا فَرَحٍ كأنك لا تَرَى أحبابَ قَلْبِك فى المقابِرِ والبِلَى

وقال الإمامُ أحمدُ : حدَّثنا مُطَّلِبُ بنُ زِيادٍ أبو محمدٍ ، ثنا محمدُ بنُ أَبانٍ قال : قال الحسنُ بنُ علىٍّ لبَنِيه وبنى أخيه : تَعَلَّموا فإنكم صِغارُ قومٍ اليومَ ، وتَكونون كِبارَهم غدًا ، فمَن لم يَحْفَظْ منكم فلْيَكْتُبْ . رَواه البيهقىُّ عن الحاكمِ ، (١عن الأَصَمِّ١) ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، عن أبيه(٢) .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ(٣) : ثنا الحسنُ بنُ موسى وأحمدُ بنُ يونُسَ قالا : ثنا زُهَيْرُ بنُ مُعاويةَ ، ثنا أبو إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ الأَصَمِّ قال : قلتُ للحسنِ بنِ علىٍّ : إن هذه الشِّيعةَ تَزْعُمُ أن عليًّا مَبْعوثٌ قبلَ يومِ القيامةِ . قال : كذَبوا واللَّهِ ، ما هؤلاء بالشِّيعةِ ، لو عَلِمْنا أنه مَبْعوثٌ ما زَوَّجْنا نساءَه ولا اقْتَسَمْنا مالَه .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ(٤) : حدَّثنى أبو علىٍّ سُوَيْدٌ الطَّحَّانُ ، ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا أبو رَيْحانةَ ، عن سَفِينةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « الخِلافةُ من بعدى ثلاثون سنةً » . فقال رجلٌ كان حاضرًا فى المجْلِسِ : قد دَخَلَت مِن هذه الثلاثين ستةُ شُهورٍ فى خِلافةِ مُعاويةَ . فقال : مِن هـٰهنا أُتِيتَ ، تلك الشهورَ كانت البَيْعةُ للحسنِ بنِ علىٍّ ، بايَعه أربعون ألفًا أو اثنان وأربعون ألفًا .

وقال صالحُ بنُ أحمدَ(٥) : سمِعْتُ أبى يقولُ : بايَع الحسنَ تسعون ألفًا ، فزَهِد

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٩، من طريق البيهقى به .

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٦٠، من طريق محمد بن سعد به . كما تقدم تخريجه فى صفحة ١٣٠ من طريق زهير بن معاوية به .

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٦١، من طريق عبد الله بن أحمد به .

(٥) المصدر السابق ١٣/ ٢٧٣، من طريق صالح بن أحمد به .

فى الخِلافةِ وصالَح مُعاويةَ ، ولم يُسْفَكْ فى أيامِه مِحْجَمَةٌ مِن دمٍ .

وقال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[1] : حدَّثنا أبى ، ثنا وَهْبُ بنُ جَريرٍ قال : قال أبى : فلمَّا قُتِل علىٌّ بايَع أهلُ الكوفةِ الحسنَ بنَ علىٍّ ، وأطاعوه وأَحَبُّوه أشَدَّ مِن حُبِّهم لأبيه .

وقال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[1] : ثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ ، ثنا ضَمْرةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ قال : لما قُتِل علىٌّ سار الحسنُ فى أهلِ العراقِ ، وسار مُعاويةُ فى أهلِ الشامِ فالْتَقَوا ، فكَرِه الحسنُ القِتالَ ، وبايَع مُعاويةَ على أن يَجْعَلَ العَهْدَ للحسنِ مِن بعدِه . قال : فكان أصحابُ الحسنِ يقولون : يا عارَ المؤمنين . قال : فيقولُ لهم : العارُ خيرٌ مِن النارِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنا العباسُ بنُ هشامٍ ، عن أبيه قال : لما قُتِل علىٌّ بايَع الناسُ الحسنَ بنَ علىٍّ ، فوَلِيَها سبعةَ أشهُرٍ وأحدَ عشَرَ يومًا . وقال غيرُ عباسٍ[3] : بايَع الحسنَ أهلُ الكوفةِ ، وبايَع أهلُ الشامِ مُعاويةَ بإيلِياءَ بعدَ قَتْلِ علىٍّ ، [٦/١٠٤ظ] وبُويِعَ بَيْعةَ العامَّةِ ببيتِ المَقْدِسِ يومَ الجُمُعةِ مِن آخِرِ سنةِ أربعين ، ثم لَقِيَ الحسنُ مُعاويةَ بمَسْكِنَ - مِن سَوَادِ الكوفةِ - فى سنةِ إحدى وأربعين ، فاصْطَلَحا وبايَع الحسنُ مُعاويةَ . وقال غيرُه[4] : كان صُلْحُهما ودُخولُ مُعاويةَ الكوفةَ فى ربيعِ الأولِ مِن سنةِ إحدى وأربعين . وقد تَكَلَّمْنا على تَفْصيلِ ذلك فيما تقَدَّم بما أغْنَى عن إعادتِه هـٰهنا[5] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٦١، من طريق ابن أبى خيثمة به .
(٢) المصدر السابق ، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٦١، ٢٦٢.
(٤) انظر المصدر السابق ١٣/ ٢٦٢.
(٥) تقدم فى صفحات ١٣١ - ١٤٢.

وحاصلُ ذلك أنه اصْطَلَح مع مُعاويةَ على أن يَأْخُذَ ما فى بيتِ المالِ الذى بالكوفةِ ، فوَفَّى له مُعاويةُ بذلك ، فإذا فيه خمسةُ آلافِ ألفٍ ، وقيل : سبعةُ آلافِ ألفٍ . وعلى أن يكونَ خَراجُ البصرةِ[1] - وقيل : دَارابْجِرْدَ - له فى كلِّ عامٍ . فامْتَنَع أهلُ تلك الناحيةِ عن أداءِ الخَراجِ إليه ، فعوَّضه مُعاويةُ عن ذلك ستةَ آلافِ ألفِ درهمٍ فى كلِّ عامٍ ، فلم يَزَلْ يَتناوَلُها مع ما لَه فى كلِّ عامٍ فى وِفادتِه ؛ مِن الجَوائزِ والتُّحَفِ والهَدايا ، إلى أن تُوُفِّىَ فى هذا العامِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] ، عن هَوْذَةَ بنِ خَليفةَ ، عن عَوْفٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ قال : لمّا دخَل مُعاويةُ الكوفةَ وبايَعه الحسنُ بنُ علىٍّ قال أصحابُ مُعاويةَ لمعاويةَ : مُرِ الحسنَ بنَ علىٍّ أن يَخْطُبَ ؛ فإنه حديثُ السِّنِّ عَيِىٌّ ، فلعله يَتَلَعْثَمُ فيَتَّضِعَ فى قُلوبِ الناسِ . فأمَره ، فقام فاخْتَطَب ، فقال فى خُطْبتِه : أيُّها الناسُ ، [3]واللَّهِ لو ابْتَغَيْتُم[3] بينَ جابَلْقَ وجابَرْسَ[4] رجلًا جَدُّه نبىٌّ غيرى وغيرَ أخى لم تَجِدوه ، وإنا قد أَعْطَيْنا بَيْعَتَنا مُعاويةَ ، ورَأَيْنا أن حَقْنَ دِماءِ المسلمين خيرٌ مِن إهْراقِها ، واللَّهِ ما أدْرِى لعلَّه فِتْنةٌ لكم ومَتاعٌ إلى حينٍ . وأشار إلى مُعاويةَ ، فغضِب مِن ذلك وقال : ما أرَدْتَ مِن هذه ؟ قال : أرَدْتُ منها ما أراد اللَّهُ منها . فصعِد مُعاويةُ وخطَب بعدَه . وقد رَواه غيرُ واحدٍ ، وقدَّمْنا أن مُعاويةَ عتَب على أصحابِه[5] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[6] : ثنا أبو داودَ الطَّيالسىُّ ، ثنا شُعْبةُ ، عن يزيدَ بنِ

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٥، من طريق محمد بن سعد به .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « لو اتبعتم » .

(٤) جابلق : مدينة بأقصى المغرب . وجابرس : مدينة بأقصى المشرق . انظر معجم البلدان ٢/ ٢، ٣.

(٥) تقدم فى صفحة ١٣٩.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٠، ٢٨١.

خُمَيْرٍ قال : سمِعْتُ [1]عبدَ الرحمنِ بنَ[1] جُبَيرِ بنِ نُفَيْرٍ الحَضْرميَّ يُحَدِّثُ عن أبيه قال : قلتُ للحسنِ بنِ عليٍّ : إن الناسَ يَزْعُمون أنك تُريدُ الخِلافةَ . فقال : كانت جَماجِمُ العربِ بيدى ، يُسالِمون مَن سالَمْتُ ويُحارِبون مَن حارَبْتُ ، فترَكْتُها ابْتغاءَ وجهِ اللَّهِ ، ثم أُثيرُها بأتْياسِ[2] أهلِ الحِجازِ ؟!

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : أنا عليُّ بنُ محمدٍ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ قال : دخَل رجلٌ على الحسنِ [٦/١٠٥و] بنِ عليٍّ المدينةَ وفى يدِه صَحيفةٌ ، فقال : ما هذه ؟ فقال : مِن مُعاويةَ يَعِدُ فيها ويَتَوَعَّدُ . قال : قد كنتَ على النَّصَفِ منه . قال : أجَلْ ، ولكن خَشِيتُ أن يَجِيءَ يومَ القيامةِ سبعون ألفًا ، أو ثمانون ألفًا ، أو أكثرُ أو أقلُّ ، كُلُّهم تَنْضَحُ أَوْداجُهم دمًا ، كلُّهم يَسْتَعْدِى اللَّهَ فِيمَ هُرِيقَ دمُه ؟ .

وقال الأصْمَعيُّ[4] ، عن سَلَّامِ بنِ مِسْكينٍ ، عن عِمْرانَ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : رأَى الحسنُ بنُ عليٍّ فى مَنامِه أنه مَكْتوبٌ بينَ عينيه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . ففرِح بذلك ، فبلَغ ذلك سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ ، فقال : إن كان رأَى هذه الرُّؤْيا فقلَّ ما بَقِىَ مِن أجَلِه . قال : فلم يَلْبَثِ الحسنُ بعدَ ذلك إلا أيامًا حتى مات .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[5] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ العَتَكيُّ ومحمدُ

(١ - ١) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦، ٢٧.

(٢) فى الأصل ، ٦١: « ثانيا بين » ، وفى م ، ص : « ثانيا من » . والمثبت من تاريخ دمشق . والأتياس : جمع تَيْس .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨١، من طريق محمد بن سعد به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق الأصمعى به .

(٥) المصدر السابق ١٣/ ٢٨١، ٢٨٢، من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا .

ابنُ عثمانَ العِجْليُّ ، قالا : ثنا أبو أسامةَ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، عن عُميرِ بنِ إسحاقَ قال : دخَلْتُ أنا ورجلٌ مِن قريشٍ على الحسنِ بنِ عليٍّ ، فقام فدخَل المَخْرَجَ[1] ، ثم خرَج فقال : لقد لَفَظْتُ طائفةً مِن كَبِدى أُقَلِّبُها بهذا العُودِ ، ولقد سُقِيتُ السُّمَّ مِرارًا ، وما سُقِيتُ مَرَّةً هى أشَدُّ مِن هذه . قال : وجعَل يقولُ لذلك الرجلِ : سَلْنى قبلَ أن لا تَسْأَلَنى . قال : ما أسْأَلُك شيئًا ، يُعافِيك اللَّهُ . قال : فخرَجْنا مِن عندِه ، ثم عُدْنا إليه مِن الغدِ وقد أخَذ فى السَّوْقِ[2] ، فجاء حسينٌ حتى قعَد عندَ رأسِه ، فقال : أى أخى ، مَن صاحبُك ؟ قال : تُريدُ قَتْلَه ؟ قال : نعم . قال : لَئن كان صاحبى الذى أَظُنُّ ، لَلَّهُ أشَدُّ نِقْمةً - وفى روايةٍ[3] : فاللَّهُ أشَدُّ بأْسًا وأشَدُّ تَنْكيلًا - وإن لم يَكُنْه ما أُحِبُّ أن تَقْتُلَ بى بَريئًا . ورَواه محمدُ بنُ سعدٍ عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ عَوْنٍ[4] .

وقال محمدُ بنُ عمرَ الواقدىُّ[5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن أمِّ بكرٍ بنتِ المِسْوَرِ قالت : كان[6] الحسنُ سُقِىَ مِرارًا ، كلُّ ذلك يُفْلِتُ منه ، حتى كانت المرةُ الآخرةُ التى مات فيها ، فإنه كان يَخْتَلِفُ كَبِدُه ، فلما مات أقام نساءُ بنى هاشمٍ عليه النَّوْحَ شهرًا .

---

(١) المخرج : المَخْرَأة والمَخْرُوءة ، وهو المكان الذى يُتَخَلَّى فيه . وهو ما وضحته رواية أخرى فى تاريخ دمشق ٢٨٢/١٣ وفيها أن الحسن دخل كنيفا له . وانظر اللسان (خ ر أ) .

(٢) فى ص : « السياق » ، وهما بمعنًى . قال ابن الأثير : « وهو فى السوق : أى فى النَّزْع ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه ، ويقال له السِّياق أيضًا » . النهاية ٢/ ٤٢٤ .

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٢، من طريق محمد بن سعد به .

(٥) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٣، من طريق الواقدى به .

(٦) سقط من : م ، ص .

وقال الواقدىُّ[1] : [2]حدَّثَتْنا [3]عُبَيْدةُ بنتُ نابلٍ[3] ، عن عائشةَ[4] قالت : حَدَّ نساءُ بنى هاشمٍ على الحسنِ بنِ علىٍّ سَنَةً .

قال الواقدىُّ[2][5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ قال : كان الحسنُ بنُ علىٍّ كثيرَ نِكاحِ النِّساءِ ، وكان قلَّ ما يَحْظَين عندَه ، وكان قَلَّ امرأةٌ يَتزَوَّجُها إلا أحَبَّتْه [6]وصَبَتْ[6] به ، فيقالُ : إنه كان سُقِىَ ، ثم أَفْلَت ، ثم سُقِىَ فأفْلَت ، ثم كانت الآخِرةُ تُوُفِّىَ فيها ، فلما حَضَرَتْه الوَفاةُ قال الطَّبيبُ وهو يَخْتَلِفُ إليه : هذا رجلٌ قد [٦/١٠٥ظ] قَطَّع السُّمُّ أمعاءَه . فقال الحسينُ : يا أبا محمدٍ ، أَخْبِرْنى مَن سَقاك ؟ قال : ولِمَ يا أخى ؟ قال : أَقْتُلُه واللَّهِ قبلَ أن أَدْفِنَك ، أو لا أَقْدِرَ عليه ، أو يكونَ بأرضٍ أَتَكَلَّفُ الشُّخوصَ إليه . فقال : يا أخى ، إنما هذه الدنيا ليالٍ فانيةٌ ، دَعْه حتى أَلْتَقِىَ أنا وهو عندَ اللَّهِ . وأَبَى أن يُسَمِّيَه . وقد سَمِعْتُ بعضَ مَن يقولُ : كان مُعاويةُ قد تَلَطَّف لبعضِ خَدَمِه أن يَسْقِيَه سُمًّا .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[7] : أنا يحيى بنُ حمادٍ ، أنا أبو عَوانةَ ، عن المُغيرةِ ، عن أمِّ موسى ، أن جَعْدةَ بنتَ الأَشْعَثِ بنِ قيسٍ سَقَتِ الحسنَ السُّمَّ ، فاشْتَكى منه شَكاةً . قال : فكان يُوضَعُ تحتَه طَسْتٌ ويُرْفَعُ آخَرُ نحوًا مِن أربعين يومًا .

ورَوَى بعضُهم[8] أن يزيدَ بنَ مُعاويةَ بَعَث إلى جَعْدةَ بنتِ الأَشْعَثِ أن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٩٥، من طريق الواقدى به .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ٦١.

(٣ - ٣) فى م، ص : «عبدة بنت نائل» ، وفى تاريخ دمشق : «عبيدة بنت نائل» . والمثبت من الإكمال ٦/ ٣٩، ٧/ ٣٢٥. وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٣٩.

(٤) هى عائشة بنت سعد بن أبى وقاص .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٣، من طريق الواقدى به .

(٦ - ٦) فى النسخ ، وتاريخ دمشق : « وضنت » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٧٤ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٤، من طريق ابن سعد به .

(٨) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٤.

سُمِّى الحسنَ وأنا أَتَزَوَّجُكِ بعدَه. ففعَلَت، فلما مات الحسنُ بعَثَت إليه، فقال: إنا واللَّهِ لم نَرْضَكِ للحسنِ أفنَرْضاكِ لأنفسِنا؟ وعندى أن هذا ليس بصحيحٍ، وعدمُ صحتِه عن أبيه مُعاويةَ بطريقِ الأَوْلَى والأحْرَى، وقد قال كُثَيِّرُ عَزَّةَ فى ذلك[1]:

يا جَعْدُ بَكِّيه ولا تَسْأَمى ... بُكاءَ حَقٍّ ليس بالباطلِ
لن تَسْتُرى البيتَ على مثلِه ... فى الناسِ مِن حافٍ ولا ناعلِ
أعْنى الذى أَسْلَمه أهلُهُ ... للزمنِ المُسْتَخْرَجِ الماحلِ
كان إذا شَبَّت له نارُهُ ... يَرْفَعُها بالنَّسَبِ الماثلِ
كيما يراها بائسٌ مُرْمِلٌ ... أو فردُ قومٍ ليس بالآهلِ
يَغْلِى بِنِىِّ اللحمِ حتى إذا ... أُنْضِجَ لم يغْلُ على آكلِ

قال سفيانُ بنُ عُيَينةَ[2]، عن رَقَبةَ بنِ مَصْقَلةَ قال: لما حُضِر الحسنُ بنُ علىٍّ قال: أخْرِجونى إلى الصَّحْنِ حتى أَنْظُرَ فى مَلَكوتِ السماواتِ. فأخْرَجوا فِراشَه، فرفَع رأسَه، فنظَر فقال: اللهم إنى أَحْتَسِبُ نفسى عندَك، فإنها أعَزُّ الأنْفُسِ علىَّ. قال: فكان مما صنَع اللَّهُ له أنه احْتَسَب نفسَه عندَه.

وقال عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ[3]: لما اشْتَدَّ بسُفيانَ الثورىِّ المَرَضُ جَزِع جَزَعًا شديدًا، فدخَل عليه مَرْحومُ بنُ عبدِ العزيزِ فقال: ما هذا الجَزَعُ يا أبا عبدِ اللَّهِ؟ تَقْدَمُ على ربٍّ عبَدْتَه ستين سنةً، صُمْتَ له، صَلَّيْتَ له، حَجَجْتَ له. قال:

---

(١) ديوان كثير عزة ص ٤٩٣، وفيه البيتان الأول والثانى فقط. وفى مروج الذهب ٢/ ٤٢٧، ٤٢٨ أنها للنجاشى الشاعر. ونسبها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٤ لكثير، وقال: وقد يروى للنجاشى.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٥، من طريق سفيان بن عيينة به.
(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٦.

فسُرِّىَ عن الثورىِّ . قال أبو نُعَيْمٍ[1] : لما اشتَدَّ بالحسنِ بنِ علىٍّ الوَجَعُ جَزِع ، فدخَل عليه [٦/١٠٦و] رجلٌ فقال له : يا أبا محمدٍ ، ما هذا الجَزَعُ ؟ ما هو إلا أن تُفارِقَ رُوحُك جسدَك فتَقْدَمَ على أبويك علىٍّ وفاطمةَ ، وعلى جَدَّيْك النبىِّ ﷺ وخَديجةَ ، وعلى أعمامِك حمزةَ وجعفرٍ ، وعلى أخوالِك القاسمِ والطَّيِّبِ ومُطَهَّرٍ وإبراهيمَ ، وعلى خالاتِك رُقَيَّةَ وأمِّ كُلْثومٍ وزَيْنبَ . قال : فسُرِّىَ عنه . وفى روايةٍ[2] أن القائلَ له ذلك الحسينُ ، وأن الحسنَ قال له : يا أخى ، إنى أَدْخُلُ فى أمْرٍ مِن أمْرِ اللَّهِ لم أَدْخُلْ فى مثلِه ، وأَرَى خَلْقًا مِن خَلْقِ اللَّهِ لم أرَ مثلَه قطُّ . قال : فبَكَى الحسينُ . رضِى اللَّهُ عنهما . ورَواه عباسٌ الدُّورىُّ ، عن ابنِ مَعِينٍ به[3] . ورَواه بعضُهم عن جَعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، فذكَر نحوَهما[4] .

وقال الواقدىُّ[5] : ثنا إبراهيمُ بنُ الفَضْلِ ، عن أبى عَتِيقٍ قال : سمِعْتُ جابرَ ابنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : شَهِدْنا حسنَ بنَ علىٍّ يومَ مات ، فكادت الفتنةُ تَقَعُ بينَ الحسينِ بنِ علىٍّ ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، وكان الحسنُ قد عَهِد إلى أخيه أن يُدْفَنَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن خاف أن يكونَ فى ذلك قِتالٌ أو شَرٌّ فلْيُدْفَن بالبَقيعِ . فأَبَى مَرْوانُ أن يَدَعَه ، ومَرْوانُ يَومَئذٍ مَعْزولٌ يُريدُ أن يُرْضِىَ مُعاويةَ بذلك ، فلم يَزَلْ مَرْوانُ عَدُوًّا لبنى هاشمٍ حتى مات . قال جابرٌ : فكَلَّمْتُ يومَئذٍ حسينَ بنَ علىٍّ فقلتُ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، اتَّقِ اللَّهَ ؛ فإن أخاك كان لا يُحِبُّ ما تَرَى ، فادْفِنْه بالبَقيعِ مع أُمِّه . ففَعَل .

---

(١) هو الفضل بن دكين . وقد قال ذلك عندما ذُكِر عنده ما قاله عبد الرحمن بن مهدى لسفيان .
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٦.
(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٧.
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق ، من طريق الواقدى به .

ثم رَوَى الواقدىُّ[1] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ قال : حضَرْتُ موتَ الحسنِ بنِ علىٍّ ، فقلتُ للحسينِ : اتَّقِ اللَّهَ ولا تُثِرْ فِتنَةً ولا تَسْفِكِ الدماءَ ، وادْفِنْ أخاك إلى جنبِ أُمِّه ؛ فإن أخاك قد عَهِد بذلك إليك . قال : ففعَل الحسينُ . وقد رَوَى الواقدىُّ عن أبى هريرةَ نحوًا مِن هذا[1] .

وفى روايةٍ[2] أن الحسنَ بعَث يَسْتَأْذِنُ عائشةَ فى ذلك ، فأَذِنَتْ له ، فلمَّا مات لَبِس الحسينُ السلاحَ وتَسَلَّح بنو أُمَيةَ ، وقالوا : لا نَدَعُه يُدْفَنُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أيُدْفَنُ عثمانُ بالبَقيعِ ، ويُدْفَنُ الحسنُ بنُ علىٍّ فى الحُجْرةِ ؟ فلمَّا خاف الناسُ وُقوعَ الفِتْنةِ أشار سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ وأبو هريرةَ وجابرٌ وابنُ عمرَ على الحسينِ أن لا يُقاتِلَ ، فامْتَثَل ودفَن أخاه قريبًا مِن قبرِ أُمِّه بالبَقيعِ ، رضِىَ اللَّهُ عنه .

وقال سفيانُ الثورىُّ[3] ، عن سالمِ بنِ أبى حَفْصةَ ، عن أبى حازمٍ قال : رأيْتُ الحسينَ بنَ علىٍّ قَدَّم يومَئذٍ سعيدَ بنَ العاصِ فصلَّى على الحسنِ . [٦/١٠٦ظ] وقال : لولا أنها سُنَّةٌ ما قَدَّمْتُه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى مُساوِرٌ مولى بنى سعدِ بنِ بكرٍ قال : رأيْتُ أبا هريرةَ قائمًا على مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ مات الحسنُ بنُ علىٍّ وهو يُنادِى بأعْلى صوتِه : يا أيُّها الناسُ ، مات اليومَ حِبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فابْكُوا .

وقد اجْتَمع الناسُ لجِنازتِه ، حتى ما كان البَقِيعُ يَسَعُ أحدًا مِن الزِّحامِ ، وقد بَكاه الرجالُ والنساءُ سَبْعًا ، واستَمَرَّ نساءُ بنى هاشمٍ يَنُحْنَ عليه شهرًا ، وحَدَّثْ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٨، من طريق الواقدى به .

(٢) المصدر السابق ١٣/٢٨٩ - ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٤، من طريق الثورى به .

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٥، من طريق ابن إسحاق به .

نساءُ بنى هاشمٍ عليه سنةً .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ يحيى ، ثنا سفيانُ ، عن جعفرِ ابنِ محمدٍ ، عن أبيه قال : قُتِل عليٌّ وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنةً ، ومات لها حسنٌ ، وقُتِل لها الحسينُ . رضِى اللَّهُ عنهم .

وقال شُعْبةُ[2] ، عن أبى بكرِ بنِ حَفْصٍ قال : تُوُفِّىَ سعدٌ[3] والحسنُ بنُ عليٍّ فى أيامٍ بعدَ ما مضَى مِن إمارةِ مُعاويةَ عَشْرُ سنينَ .

وقال ابنُ عُلَيَّةَ[4] ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه قال : تُوُفِّىَ الحسنُ وهو ابنُ سبعٍ وأربعين . وكذا قال غيرُ واحدٍ ، وهو أصَحُّ .

والمَشْهورُ أنه مات سنةَ تسعٍ وأربعين كما ذكَرْنا ، وقال آخَرون : مات سنةَ خمسين . وقيل : سنةَ إحدى وخمسين أو ثمانٍ وخمسين[5] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٩٨، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٩، من طريق شعبة به .

(٣) أى سعد بن أبى وقاص ، كما فى تاريخ دمشق .

(٤) المصدر السابق ، من طريق ابن علية به .

(٥) انظر المصدر السابق ١٣/٣٠٢ - ٣٠٥.

سنةُ خمسين مِن الهجرةِ

فى هذه السنةِ تُوُفِّىَ أبو موسى الأشْعَرىُّ ، فى قولٍ[1] ، والصحيحُ أنه مات سنةَ ثِنْتَيْن وخمسين كما سيأْتى . وفيها حَجَّ بالناسِ مُعاويةُ ، وقيل : ابنُه يزيدُ . وكان نائبَ المدينةِ فى هذه السنةِ سعيدُ بنُ العاصِ ، وعلى الكوفةِ والبَصْرةِ والمَشْرِقِ[2] وسِجِسْتانَ وفارسَ والسِّنْدِ والهِنْدِ زِيادٌ[3] .

وفى هذه السنةِ استعدى بنو نَهْشَلٍ على الفَرَزْدَقِ زِيادًا ، فهَرَب الفَرزدقُ منه إلى المدينةِ ، وكان سببَ ذلك أنه عرَّض بمعاويةَ فى قصيدةٍ له ، فطَلبه زِيادٌ أَشدَّ الطَّلَبِ ، ففَرَّ منه إلى المدينةِ ، فاسْتَجار بسعيدِ بنِ العاصِ ، [4]ومدحه بأشعارٍ فأجاره[4] ، ولم يَزَل [5]الفرزدقُ يَتردَّدُ[5] فيما بينَ مكةَ والمدينةِ حتى تُوُفِّىَ زِيادٌ ، فرجَع إلى بلادِه ، وقد طَوَّل ابنُ جَريرٍ هذه القصةَ[6] .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ فى هذه السنةِ مِن الحَوادثِ ما رَواه مِن طريقِ الواقدىِّ[7] : حدَّثنى يَحْيى بنُ سَعيدِ بنِ دِينارٍ ، عن أبيه ، أن مُعاويةَ كان قد [٦/١٠٧و] عزَم[8] على تَحْويلِ المِنْبرِ النَّبوىِّ مِن المدينةِ إلى دمشقَ ، وأن يَأْخُذَ العصا [5]التى كان[5]

---

(١) انظر طبقات خليفة ١/ ١٥٦.

(٢) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٤ - ٤) فى م ، ص : « وقال فى ذلك أشعارا » .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل ، ٦١.

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٤١ - ٢٥٠.

(٧) المصدر السابق ٥/ ٢٣٩.

(٨) بعده فى الأصل : « لما حج فى هذه السنة » .

(١ النبىُّ ﷺ يُمْسِكُها فى يدِه إذا خطَب ١) ، فيَقِفَ على المنبرِ وهو مُمْسِكُها(٢) ، فقال له أبو هريرةَ وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ : يا أميرَ المؤمنين ، نُذَكِّرُك اللَّهَ أن تَفْعَلَ هذا ، فإن هذا لا يَصْلُحُ أَنْ تُخْرِجَ المِنْبرَ مِن مَوْضِعٍ وضَعه فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأن تُخْرِجَ عَصاه مِن المدينةِ . فترَك ذلك مُعاويةُ ، ولكن زاد فى المِنْبرِ سِتَّ دَرَجاتٍ ، واعْتَذَر إلى الناسِ .

ثم روَى الواقدىُّ(٣) أن عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ فى أيامِ خلافتِه همَّ بذلك وعزَم عليه فقيل له : إن مُعاويةَ كان قد عزَم على هذا ثم ترَكه ، وإنه لما حَرَّك المنبرَ ، كسَفَتِ الشمسُ ؛ فترَك ذلك . ثُم لما حَجَّ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ أراد ذلك أيضًا ، فقيل له : إن مُعاويةَ وأباك أرادا ذلك ثم ترَكاه . وكان السَبَبَ فى تَرْكِه أن سعيدَ ابنَ المُسَيَّبِ كلَّم(٤) عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أن يُكَلِّمَه فى ذلك ويَعِظَه ، فترَك . ثم لما حَجَّ سُليمانُ أخْبَره عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بما كان عزَم عليه الوليدُ ، وأن سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ نهاه عن ذلك ، فقال : ما أُحِبُّ أن يُذْكَرَ هذا عن عبدِ الملكِ (٥ ولا عن الوليدِ ٥) ، وما يكونُ لنا أن نَفْعَلَ هذا ، مالنا ولهذا ، وقد أخَذْنا الدنيا فهى فى أيدينا فنُرِيدُ أن نَعْمِدَ إلى عَلَمٍ مِن أعْلامِ الإسلامِ يُوفدُ إليه ، فنَحْمِلَه إلى ما قِبَلَنا ، هذا ما لا يَصْلُحُ . رَحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ٦١.

(٢) فى تاريخ الطبرى أن معاوية ، رضى اللَّه عنه ، قال : إنى رأيت أن منبر رسول اللَّه ﷺ وعصاه لا يُتركان بالمدينة ، وهم قتلة عثمان وأعداؤه .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٣٩.

(٤) فى الأصل ، ٦١: «أمره» .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٦١.

وفى هذه السنةِ[1] عزَل مُعاويةُ عن مصرَ مُعاويةَ بنَ حُدَيجٍ[2] ، ووَلَّى عليها و[3] إفْرِيقِيَّةَ مَسْلَمةَ بنَ مُخَلَّدٍ .

وفيها افْتَتَح عُقْبةُ بنُ نافعٍ الفِهْرىُّ عن أمْرِ مُعاويةَ ، بلادَ إفْرِيقِيَّةَ ، واخْتَطَّ القَيْرَوانَ - وكان مكانُها غَيْضَةً تَأْوِى إليها السِّباعُ [4]والوُحوشُ والحيَّاتُ العِظامُ[4] - فدَعا اللَّهَ تعالى ، فلم يَبْقَ فيها شىءٌ مِن ذلك حتى إن السِّباعَ صارت تَخْرُجُ منها تَحْمِلُ أولادَها ، والحيَّاتُ يَخْرُجْنَ مِن أجْحارِهن هَوارِبَ ، فعندَ ذلك أسْلَم خَلْقٌ كثيرٌ مِن البَرْبَرِ .

وفى هذه السنةِ غَزا بُسْرُ بنُ أبى أَرْطاةَ وسُفيانُ بنُ عَوْفٍ أرضَ الرومِ ، وفيها غَزا فَضالةُ بنُ عُبَيْدٍ البَحْرَ[5] .

وفيها تُوُفِّىَ مِدْلاجُ بنُ عمرٍو السُّلَمىُّ[6] ، صَحابىٌّ جَليلٌ ، شَهِد المَشاهِدَ كلَّها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم أَرَ له ذِكْرًا فى الصَّحابةِ[7] .

وذكَر أبو الفرجِ [٦/١٠٧ظ] بنُ الجَوْزىِّ فى كتابِه « المُنْتَظَمِ »[8] ، أن فى هذه السنةِ تُوُفِّىَ جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ ، وحَسَّانُ بنُ ثابتٍ ، والحَكَمُ بنُ عمرٍو الغِفارىُّ ،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٤٠.

(٢) فى النسخ : « خديج » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الإكمال ٢/ ٣٩٦، والإصابة ٦/ ١٤٧.

(٣) فى النسخ : « من » . والمثبت من تاريخ الطبرى . ومسلمة بن مخلد أنصارى خزرجى ، وليس إفريقيًا . انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢٤.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٣٤.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٤٦٨، وأسد الغابة ٥/ ١٣٢، والإصابة ٦/ ٦١.

(٧) كذا قال المصنف ، رحمه اللَّه ، ولعله يقصد أنه لم ير له ذكرًا فى الصحابة الذين يروون عن النبى ﷺ .

(٨) المنتظم ٥/ ٢٣٠ - ٢٤٠.

ودِحْيةُ بنُ خَليفةَ الكَلْبىُّ ، وعَقيلُ بنُ أبى طالبٍ ، وعمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرىُّ[1] ، وكعبُ بنُ مالكٍ ، والمُغيرةُ بنُ شُعْبةَ ، وجُوَيْرِيَةُ [2]بنتُ الحارثِ ، وصفيةُ بنتُ حُيَىٍّ ، وأمُّ شَرِيكٍ الأنصاريةُ . رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين[2] .

أمَّا جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمِ بنِ عَدِىِّ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ القُرَشىُّ النَّوْفلىُّ أبو محمدٍ ، وقيل : أبو عَدِىٍّ[3] المَدَنىُّ ، فإنه قدِم وهو مُشْرِكٌ فى فِداءِ أُسارَى بدرٍ ، فلمَّا سمِع قراءةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سورةِ « الطُّورِ »[4] : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] . دخَل فى قلبِه الإسلامُ ، ثم أسْلَم عامَ خَيْبرَ ، وقيل : زمنَ الفتحِ . والأولُ أصَحُّ ، وكان مِن ساداتِ قريشٍ وأعْلَمِها بالأنسابِ ، أخَذ ذلك عن الصِّدِّيقِ ، والمَشْهورُ أنه تُوُفِّىَ سنةَ ثمانٍ وخمسين ، وقيل[5] : سنةَ تسعٍ وخمسين ، كما سيأتى .

وأمَّا حسّانُ بنُ ثابتٍ ، شاعرُ الإسلامِ ، فالصَّحيحُ أنَّه تُوُفِّىَ سنةَ أربعٍ وخمسين ، كما سيأتى[6] .

وأمَّا الحَكَمُ [7]بنُ عمرٍو[7] بنِ مُجَدَّعٍ الغِفارىُّ[8] ، أخو رافعِ بنِ عمرٍو

---

(١) بعده فى النسخ : « بدرى » . والصحيح أنه أسلم بعد أحد ، وأول مشاهده بئر معونة ، وقد شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين ، وهذا ما سيقرره المصنف فى ترجمته صفحة ٢١٩. وانظر أسد الغابة ٤/ ١٩٤، والإصابة ٤/ ٦٠٢.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١: « أم المؤمنين رضى اللَّه عنهم » .

(٣) فى الأصل ، ٦١: « عيسى » . وانظر . الاستيعاب ١/ ٢٣٢، وأسد الغابة ١/ ٣٢٣، والإصابة ١/ ٤٦٢.

(٤) التفسير ٧/ ٤١٢.

(٥) انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٧٢.

(٦) لم يذكره المصنف فى وفيات سنة أربع وخمسين . وانظر ترجمته فى الاستيعاب ١/ ٣٤، وأسد الغابة ٢/ ٥، والإصابة ٢/ ٦٢.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٨) الاستيعاب ١/ ٣٥٦، وأسد الغابة ٢/ ٤٠، والإصابة ٢/ ١٠٧.

الغِفارىِّ ، ويُقالُ له : الحكَمُ بنُ الأقْرعِ . [1] فصحابىٌّ جليلٌ [1] ، له عند البخارىِّ حديثٌ واحدٌ فى النَّهْيِ عن لُحومِ الحُمُرِ الإنْسيةِ [2] ، وقد اسْتَنابه زيادُ ابنُ أبيه على غَزْوِ جبلِ الأَشَلِّ ، فغَنِم شيئًا كثيرًا من الذهبِ والفضَّةِ وغيرِ ذلك ، فجاءه كتابُ زِيادٍ عن أمْرِ مُعاويةَ أن يَصْطَفِىَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ من الغنيمةِ لبيتِ المالِ ، فرَدَّ عليه الحَكَمُ : إنَّ كتابَ اللَّهِ [3] أوْلى أنْ يُتَّبَعَ مِن كتابِ معاويةَ ، وقد سَبق كتابُ اللَّهِ كتابَ معاويةَ ، وقد قال [3] عليه الصلاةُ والسلامُ : « لا طاعةَ لمخلوقٍ فى [4] مَعْصيةِ الخالقِ [4] » [5] . [6] ثم نادَى فى الناسِ أن اغْدوا على غنائمِكم ، فَقَسَمها فى الناسِ ولم يَتْرُكْ إلّا الخُمُسَ [6] ، فَيُقالُ : إنه حُبِسَ إلى أن ماتَ بمَرْوَ فى هذه السنةِ . وقيل : فى سنةِ إحدى وخمسين . رَحِمه اللَّهُ .

وأمَّا دِحْيَةُ بنُ خَليفةَ الكَلْبىُّ [7] ، فصحابىٌّ جَليلٌ ، كان جَميلَ الصُّورَةِ ، فلهذا كان جِبْرِيلُ يأتى على صُورتِه كثيرًا . وأرْسَله رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى قَيْصَرَ . أسْلَم قديمًا ، ولكن لم يَشْهَدْ بدرًا ، وشَهِد ما بعدَها ، ثم شَهِد اليَرْموكَ ، وأقام بالمِزَّةِ [8] غَرْبىَّ دمشقَ إلى أن مات فى خِلافةِ مُعاويةَ .

وفيها تُوُفِّىَ عبدُ الرحمنِ بنُ سَمُرَةَ بنِ حَبيبِ بنِ عبدِ شمسٍ القُرَشىُّ أبو سعيدٍ العَبْشَمىُّ [9] ، أسْلَم يومَ الفتحِ ، وقيل : [٦/١٠٨و] شَهِد مُؤْتةَ ، وغَزا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٢) البخارى (٥٥٢٩) .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « قبل كتاب أمير المؤمنين ، أو لم يسمع لقوله » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « معصية الله » . وبهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ١٣١ . (إسناده صحيح) .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٥٥٦٤) .

(٦ - ٦) فى م ، ص : « وقسم فى الناس غنائمهم » .

(٧) الاستيعاب ٢/ ٤٦١ ، وأسد الغابة ٢/ ١٥٨ ، والإصابة ٢/ ٣٨٤ .

(٨) فى م ، ص : « بالمرة » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٥٢٢ .

(٩) الاستيعاب ٢/ ٨٣٥ ، وأسد الغابة ٣/ ٤٥٤ ، والإصابة ٤/ ٣١٠ .

خُراسانَ ، وفتَح سِجِسْتانَ وكابُلَ وغيرَهما ، وكانت له دارٌ بدمشقَ ، وأقام بالبصرةِ ، وقيل : بمَرْوَ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ وغيرُ واحدٍ[1] : مات بالبصرةِ سنةَ خمسين . وقيل : سنةَ إحدى وخمسين . وصلَّى عليه زيادٌ ، وترَك عِدَّةً مِن الذُّكورِ ، وكان اسمُه فى الجاهليةِ عبدَ كُلالٍ ، وقيل : عبدُ كلوبٍ . وقيل : عبدُ الكعبةِ . فسَمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ الرحمنِ ، وكان أحدَ السَّفِيرَيْن بين مُعاويةَ والحَسَنِ ، رضِى اللَّهُ عنهما . [2]وقد قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عبدَ الرحمنِ بنَ سَمُرَةَ ، لا تسألِ الإمارةَ ؛ فإنَّك إن أُعْطِيتَها[3] عن مَسْأَلةٍ وُكِلْتَ إليها ، وإن أُعطِيتَها[3] عن غيرِ مسْأَلةٍ أُعِنْتَ عليها[2] » .

وفيها تُوُفِّىَ **عثمانُ بنُ أبى العاصِ الثَّقفىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ الطَّائفىُّ**[4] ، له ولأخيه الحَكَمِ صُحْبةٌ ، قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى وَفْدِ ثَقِيفٍ ، فاسْتَعْمله رسولُ اللَّهِ ﷺ على الطَّائفِ ، وأمَّره عليها أبو بكرٍ وعمرُ ، فكان أميرَهم وإمامَهم مُدَّةً طويلةً حتى مات سنةَ خمسين . وقيل : سنةَ إحْدى وخمسين . رضِى اللَّهُ عنه .

وأما عَقيلُ بنُ أبى طالبٍ[5] ، أخو علىٍّ ، فكان أكبرَ مِن جعفرٍ بعَشْرِ سِنينَ ، وجَعْفرٌ أكبرُ مِن علىٍّ بعَشْرِ سِنينَ ، كما أن طالبًا أكْبرُ مِن عَقيلٍ بعَشْرِ سِنِينَ ، وكلُّهم أسْلَم إلا طالبًا ، أسْلَم عقِيلٌ قبلَ الحُدَيْبيةِ ، وشَهِد مُؤْتةَ ، وكان مِن أنْسَبِ قريشٍ ، وكان قد وَرِث أقاربَه الذين هاجَروا وترَكوا أمْوالَهم وديارَهم بمكةَ ،

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٧، وتاريخ خليفة ١/ ٢٤٨، والمنتظم ٥/ ٢٣٤.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص . والحديث فى سنن الترمذى (١٥٢٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٣٥) .

(٣) فى سنن الترمذى : « أتتك » .

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٠٣٥، وأسد الغابة ٣/ ٥٧٩، والإصابة ٤/ ٤٥١.

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٠٧٨، وأسد الغابة ٤/ ٦٣، والإصابة ٤/ ٥٣١.

ومات فى خِلافةِ مُعاويةَ .

وأما عمرُو بنُ أُميةَ الضَّمْرىُّ[1] ، فصحابىٌّ جليلٌ أسْلَم بعدَ أُحدٍ ، وأولُ مَشاهِدِه بئرُ مَعونةَ ، وكان ساعىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بعَثه[2] إلى النَّجاشىِّ فى تَزْويجِ أمِّ حَبيبةَ ، وأن يَأْتىَ بمَن بَقِىَ مِن المسلمين هناك ، وله أفْعالٌ حَسَنَةٌ ، وآثارٌ مَحْمودةٌ ، رضِى اللَّهُ عنه ، تُوُفِّىَ فى خِلافةِ مُعاويةَ . [3]وكان لا يُلْحَقُ ولا يُسْبَقُ بالخيلِ[3] .

وفيها كانت وفاةُ عمرِو بنِ الحَمِقِ بنِ الكاهنِ الخُزاعىِّ[4] ، أسْلَم قبلَ الفتحِ وهاجَر ، وقيل : إنه إنما أسْلَم عامَ حَجَّةِ الوَداعِ . وقد ورَد فى حديثٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا له أن يُمَتِّعَه اللَّهُ بشبابِه ؛ فبَقِىَ ثمانين سنةً لا يُرَى فى لحيتِه شَعْرةٌ بَيْضاءُ[5] ، ومع هذا كان أحدَ الأربعةِ الذين دَخَلوا على عثمانَ ، ثم صار بعد ذلك [٦/١٠٨ظ] مِن شيعةِ علىٍّ ، فشَهِد معه الجملَ وصِفِّينَ ، وكان مِن جُمْلةِ الذينَ قامُوا معَ حُجْرِ بنِ عَدِىٍّ ، فتَطَلَّبه زِيادٌ ، فهرَب إلى المَوْصِلِ ، فبعَث مُعاويةُ إلى نائبِها ، فطلَبوه فوجَدوه قد اخْتَفى فى غارٍ فنهَشَتْه حَيَّةٌ ، فمات فقَطَع رأسَه ، فبعَث به إلى مُعاويةَ ، فطِيف به فى الشامِ وغيرِها ، فكان أولَ رأسٍ طِيف به ، ثم بعَث مُعاويةُ برأسِه إلى زوجتِه آمنةَ بنتِ الشَّرِيدِ - وكانت فى سِجْنِه - فأُلْقِىَ فى حِجْرِها ، فوضَعَت كفَّها على جَبينِه ولَثَمَت فمَه ، وقالت : غَيَّبْتُموه عنِّى طويلًا ، ثم أهْدَيْتُموه إلىَّ قَتِيلًا ، فأهلًا بها مِن هديةٍ غيرَ قالِيَةٍ ولا مَقْلِيَّةٍ .

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٦٢، وأسد الغابة ٤/ ١٩٣، والإصابة ٤/ ٦٠٢.

(٢) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل ، ٦١. وانظر تاريخ دمشق ١٣/ ٣٩٨ مخطوط.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١١٧٣، وأسد الغابة ٤/ ٢١٧، والإصابة ٤/ ٦٢٣.

(٥) سقط من : ص. والحديث ذكره ابن حجر فى المطالب العالية (٤٤٩٢)، وعزاه لأبى بكر بن أبى شيبة.

وأما كَعْبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ السَّلَمِيُّ[1] ، شاعرُ الإسلامِ ، فإنه أسْلَم قديمًا ، وشَهِد العَقَبةَ ، ولم يَشْهَدْ بدرًا ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[2] فى سِياقِ تَوْبةِ اللَّهِ عليه ، فإنه كان أحَدَ الثلاثةِ الذين تِيبَ عليهم مِن تَخَلُّفِهم عن غَزْوةِ تَبوكَ ، كما ذكَرْنا ذلك مُفَصَّلًا فى « التفسيرِ » ، وكما تقدم فى غزوةِ تَبوكَ[3] ، وغَلِط ابنُ الكَلْبىِّ فى قولِه : إنه شَهِد بدرًا . وفى قولِه : إنه تُوُفِّىَ قبلَ الأرْبَعِينَ[4] . فإن الواقدىَّ - وهو أعلمُ منه - قال[5] : تُوُفِّىَ سنةَ خمسينَ . وقال الهَيْثَمُ[6] بنُ عَدِىٍّ : سنةَ إحدى وخمسين . رضِى اللَّهُ عنه .

وأما المغيرةُ بنُ شُعْبةَ بنِ أبى عامرِ بنِ مَسْعودٍ ، أبو عيسى[7] ، **ويُقالُ : أبو عبدِ اللَّهِ . الثَّقفىُّ**[8] . [9]وعُرْوةُ بنُ مَسْعودٍ الثَّقفىُّ[9] عَمُّ أبيه ، كان المُغيرةُ مِن دُهاةِ العَربِ ، وذَوِى آرائِها ، أسْلَم عام الخَنْدقِ بعدَما قتَل ثلاثةَ عشَرَ رجلًا مِن ثَقيفٍ مَرْجِعَهُم مِن عندِ المُقَوْقِسِ ، وأخَذ أمْوالَهم ، فغرِم دِيَاتِهم عروةُ بنُ مسعودٍ ، وشَهِد الحُدَيْبيةَ ، وكان واقفًا يومَ الصُّلْحِ على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالسيفِ صَلْتًا[10] ،

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٣٢٣، وأسد الغابة ٤/ ٤٨٧، والإصابة ٥/ ٦١٠.

(٢) تقدم فى ٧/ ١٩١ - ١٩٨.

(٣) انظر التفسير ٤/ ١٦٥ - ١٧٠، وما تقدم فى ٧/ ١٩١ - ٢٠٠.

(٤) فى م : « إحدى وأربعين » . وانظر قول الكلبى فى طبقات خليفة ١/ ٢٢٥، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٩٤، ١٩٥.

(٥) انظر المصدرين السابقين .

(٦) فى النسخ : « القاسم » . وهو خطأ . والمثبت من تاريخ دمشق ، فإن الحافظ ابن عساكر أخرج قول الهيثم فى تاريخه ١٤/ ٥٨٦ مخطوط . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٠٣، ٢٤/ ١٩٤، ١٩٥.

(٧) بعده فى الأصل ، ٦١ : « ويقال أبو محمد » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١، والإصابة ٦/ ١٩٧.

(٨) الاستيعاب ٤/ ١٤٤٥، وأسد الغابة ٥/ ٢٤٧، والإصابة ٦/ ١٩٧.

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، ٦١.

(١٠) صَلْتًا : مجردًا من غمده ، وصقيلًا ماضيًا . انظر الوسيط (ص ل ت) .

وبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ إسلامِ أهلِ الطائفِ هو وأبا سفيانَ بنَ حربٍ ، فهدَما اللَّاتَ ، وقد قدَّمْنا[1] كيفيةَ ذلك ، وبعَثه[2] الصديقُ إلى البَحْرَيْن ، وشَهِد اليَمامةَ واليَرْموكَ ، فأُصِيبَت عينُه يومَئذٍ ، وقيل[3] : بل نظَر إلى الشمسِ وهى كاسفةٌ ، فذهَب ضوءُ عينِه . وشَهِد القادسيةَ ، ووَلَّاه عمرُ فُتوحًا كثيرةً ، منها [4]هَمَذانُ ومَيْسانُ[4] ، وهو الذى كان رسولَ سعدٍ إلى رُسْتُمَ ، فكَلَّمه بذلك الكلامِ البَليغِ ، فاسْتَنابه عمرُ على البَصْرةِ ، فلمَّا شُهِد عليه بالزِّنَا ولم يَثْبُتْ عليه ، عزَله عنها ، ووَلَّاه الكُوفةَ ، [٦/١٠٩و] واسْتَمَرَّ به عثمانُ حِينًا ، ثم عزَله ، فبَقِىَ مَعْزولًا حتى كان أَمْرُ الحَكَمَيْن ، فلَحِق بمُعاويةَ ، فلما قُتِل علىٌّ وصالَحَ الحَسَنُ مُعاويةَ ودخَل الكوفةَ ، وَلَّاه معاويةُ عليها ، فلم يَزَل أميرَها حتى مات فى هذه السنةِ على المَشْهورِ . قاله محمدُ بنُ سعدٍ وغيرُه[5] .

وقال الخَطيبُ[6] : أجْمَعَ الناسُ على ذلك ، وذلك فى رمضانَ منها ، عن سبعين سنةً .

وقال أبو عُبَيدٍ[7] : مات سنة تسعٍ وأربعين .

وقال ابنُ عبدِ البَرِّ : سنةَ إحْدى وخمسين[8] . وقيل : سنةَ ثمانٍ وخمسين .

---

(١) تقدم فى ٧/ ٢١٣، ٢١٤.

(٢) انظر المنتظم ٥/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١، ٢٤، والتاريخ الكبير ٧/ ٣١٦.

(٤ - ٤) فى المنتظم : « همدان وبيسان » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٧١٤.

(٥) الطبقات الكبرى ٦/ ٢٠. وانظر طبقات خليفة ١/ ١٢٣، والمنتظم ٥/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٦) تاريخ بغداد ١/ ١٩١.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٩٠ مخطوط .

(٨) الاستيعاب ٤/ ١٤٤٦.

وقيل: سنةَ ستٍّ وثلاثين. وهو غَلَطٌ.

قال محمدُ بنُ سعدٍ[1]: وكان المغيرةُ أصْهَبَ الشَّعرِ[2] جِدًّا، أكْشَفَ[3]، مُقَلَّصَ الشَّفَتَيْن، أهْتَمَ، ضَخْمَ الهامةِ، عَبْلَ الذِّراعَيْن[4]، بعيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، وكان يَفرُقُ رأسَه أربعةَ قُرونٍ.

وقال الشعبيُّ[5]: القُضاةُ أربعةٌ؛ [6]عمرُ، وعليٌّ[6]، وابنُ مسعودٍ، وأبو موسى، والدُّهاةُ أربعةٌ؛ معاويةُ، وعمرُو بنُ العاصِ، والمُغيرةُ، وزِيادٌ.

وقال الزهريُّ[7]: الدُّهاةُ فى الفِتْنةِ خَمْسةٌ؛ مُعاويةُ، وعمرُو بنُ العاصِ، والمُغيرةُ بنُ شُعْبةَ، وكان مُعْتَزِلًا، وقيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ، وكانا مع عليٍّ.

قلتُ: والشِّيعةُ يقولون: الأشْياخُ خمسةٌ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وعليٌّ، وفاطمةُ، والحسنُ، والحسينُ، والأضْدادُ خَمْسةٌ؛ أبو بكرٍ، وعمرُ، ومُعاويةُ، وعمرُو بنُ العاصِ، والمُغيرةُ بنُ شُعْبةَ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٩/١٧ مخطوط. وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٧٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٢.

(٢) أصهب الشعر: أى فى شعره حمرة يعلوها سواد. انظر النهاية ٣/ ٦٢.

(٣) بعده فى الأصل، ٦١: «اللون». والأكشف: الذى تنبت له شَعَرات فى قُصاص ناصيته ثائرة، لا تكاد تَشتَرْسِل، والعرب تتشاءم به. النهاية ٤/ ١٧٦.

(٤) عَبْلُ الذراعين: ضخمُ الذراعين. الوسيط (ع ب ل).

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٤/١٧ مخطوط.

(٦ - ٦) فى النسخ: «أبو بكر وعمر». والمثبت من مصدر التخريج.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٤/١٧ مخطوط.

وقال الشعبيُّ[1] : سَمِعْتُ المُغيرةَ يقولُ : ما غَلَبنى أحدٌ [2]إلا فَتًى مرةً ، أرَدْتُ أن أَتَزَوَّجَ امرأةً فاسْتَشَرْتُه فيها ، فقال : أيُّها الأميرُ ، لا أَرَى لك أن تَتَزَوَّجَها . فقلت له : لمَ ؟ فقال : إنى رأيْتُ رجلًا يُقَبِّلُها . ثم بلَغَنى عنه أنه قد تَزَوَّجها ، فقلتُ له : ألم تَزْعُمْ أنك رأيْتَ رجلًا يُقَبِّلُها ؟ فقال : نعم رأيْتُ أباها يُقَبِّلُها وهى صغيرةٌ[2] .

[3]وقال أيضًا[1] : سَمِعْتُ قَبيصةَ بنَ جابرٍ يقولُ : صَحِبْتُ المُغيرةَ بنَ شعبةَ ، فلو أن مدينةً لها ثَمانيةُ أبوابٍ لا يُخْرَجُ مِن بابٍ منها إلا بمَكْرٍ لخَرَج المُغيرةُ مِن أبوابِها كلِّها .

وقال ابنُ وَهْبٍ[4] : سمِعْتُ مالكًا يقولُ[3] : كان المغيرةُ بنُ شُعْبةَ يقولُ : صاحبُ المرأةِ الواحدةِ يَحيضُ معها ويَمْرَضُ معها ، وصاحبُ المرأتين بينَ نارَيْن تَشْتَعِلان[5] . وكان يَتَزَوَّجُ أربعةً معًا ويُطَلِّقُهن معًا ، وقال عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ الصائغُ[6] : أَحْصَن المغيرةُ ثلاثَمائةِ امرأةٍ . وقال غيرُه : ألفَ امرأةٍ . وقيل[7] : مائةَ امرأةٍ . وقيل : ثمانين امرأةً . فاللَّهُ أعلمُ .

وأما جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ بنِ أبى ضِرارٍ الخُزاعيةُ المُصْطَلِقِيَّةُ ، [٦/ ١٠٩ظ] **أمُّ**

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٥/١٧ مخطوط .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٧/١٧ مخطوط ، من طريق ابن وهب به بنحوه .

(٥) بعده فى الأصل ، ا ٦ ، م : « وصاحب الأربعة قرير العين » .

(٦) أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/ ١٤٤٦ . وانظر أسد الغابة ٥/ ٢٤٨ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣٧٣ .

(٧) فى الأصل ، ٦١ : « وقال قتادة » .

المؤمنين[1] ، فسباها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى غَزوةِ المُرَيْسِيعِ ، وهى غزوةُ بنى المُصْطَلِقِ ، وكان أبوها مَلِكَهم فأسْلَمَت ، فأعْتقها رسولُ اللَّهِ ﷺ وتَزَوَّجها ، وكانت قد وَقَعَت فى سَهْمِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ وكاتَبها ، فأتَت رسولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُه فى كِتابتِها فقال[2] : « أوَ خيرٌ مِن ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أشْتَرِيك وأُعْتِقُك وأتَزَوَّجُك » . فأعْتَقها فقال الناسُ : أصْهارُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأعْتَقوا ما بأيديهم مِن سَبْيِ بنى المُصْطَلِقِ ، وكانوا نحوًا مِن مائةِ أهلِ بيتٍ . فقالت عائشةُ : لا أَعْلَمُ امرأةً أعْظَمَ بَرَكةً على أهلِها منها . وكان اسْمُها بَرَّةَ ، فسَمَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ جُوَيْرِيَةَ[3] . وكانت امرأةً مُلَّاحةً - أى حُلْوةَ الكلامِ - تُوُفِّيَت فى هذا العامِ سنةَ خمسين ، كما ذكَره ابنُ الجَوْزىِّ وغيرُه[4] عن خمسٍ وستين سنةً ، وقال الواقدىُّ[5] : سنةَ ستٍّ وخمسين . رضِى اللَّهُ عنها وأرْضاها . واللَّهُ أعلمُ .

وأما صفيةُ بنتُ حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ[6] بنِ سَعْيةَ[7] بنِ ثَعْلبةَ بنِ عُبيدِ بنِ كعبِ ابنِ الخَزْرجِ[8] بنِ أبى حَبيبِ بنِ النَّضِيرِ بنِ النَّحَّامِ[9] بنِ يَنْحومَ[10] ، أمُّ المؤمنين

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٨٠٤، وأسد الغابة ٧/ ٥٦، والإصابة ٧/ ٥٦٥.

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٨٩.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ١١٨، ١١٩.

(٤) المنتظم ٥/ ٢٣١.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٠.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٨٧١، وأسد الغابة ٧/ ١٦٩، والإصابة ٧/ ٧٣٨.

(٧) فى م، ص: « شعبة » . وانظر الإكمال ٥/ ٦٧، وتبصير المنتبه ٢/ ٧٨٣.

(٨) فى الأصل: « الجراح » .

(٩) فى الأصل: « النجام » . وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢١٠.

(١٠) فى م: « تحوم » . وانظر المصدر السابق.

النَّضَرِيةُ، فمِن سُلالةِ هارونَ أخى موسى، عليهما السلامُ، وكانت مع أبيها [(١)] وعمِّها جُدَىِّ بنِ [(١)] أخْطبَ بالمدينةِ، فلمَّا أجْلَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بنى النَّضيرِ ساروا إلى خَيْبرَ، وقُتِل أبوها مع بنى قُرَيْظةَ صَبْرًا، كما قدَّمْنا ذلك [(٢)]، فلمَّا فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبرَ كانت فى جُمْلةِ السَّبْيِ، فوقَعَتْ فى سَهْمِ دِحْيةَ بنِ خَليفةَ الكَلْبىِّ، فذُكِر لرسولِ اللَّهِ ﷺ جمالُها وأنها بنتُ مَلِكِهم، فاصْطَفاها لنفسِه وعَوَّض دِحيةَ عنها، وأسْلَمت فأعْتَقها وتَزَوَّجها، فلمَّا حَلَّتْ بالصَّهْباءِ بنَى بها، وكانت ماشِطتَها أُمُّ سُلَيْمٍ، وقد كانت تحتَ ابنِ عَمٍّ لها، يقال له: كِنانةُ بنُ أبى الحُقَيْقِ. فقُتِل فى المعركةِ ووجَد رسولُ اللَّهِ ﷺ بخَدِّها لَطْمةً، فقال: «ما هذه؟» فقالت: إنى رأيْتُ كأن القمرَ أقْبَل مِن يَثْرِبَ، فسقَط فى حِجْرى، فقَصَصْتُ المَنامَ على ابنِ عمِّى، فلَطَمنى وقال: تَتَمَنَّيْن أن يَتَزَوَّجَك مَلِكُ يَثْرِبَ؟ فهذه مِن لَطْمتِه. وكانت مِن سيداتِ النساءِ عِبادةً ووَرَعًا وزَهادةً وبِرًّا وصَدَقَةً، [٦/ ١١٠و] رضِى اللَّهُ عنها وأرْضَاها. قال الواقدىُّ [(٣)]: تُوُفِّيَت سنةَ خمسين. وقال غيرُه [(٤)]: سنةَ سِتٍّ وثلاثين. والأولُ أصَحُّ.

وأمَّا أُمُّ شَريكٍ الأنْصاريةُ [(٥)]، **ويقالُ: العامريةُ**، فهى التى وَهَبَت نفسَها للنبىِّ ﷺ، فقيل: قَبِلها. وقيل: لم يَقْبَلْها. ولم تَتَزَوَّجْ حتى [(٦)] ماتتْ؛ ترجو بذلك أن تكون من أزواجِه [(٦)]، وهى التى سُقِيَت بدَلْوٍ مِن السماءِ لَمَّا مَنَعها

(١ - ١) فى الأصل: «وعمها حيى بن»، وفى م: «وابن عمها»، وفى ص: «وعمها ابن». وانظر الإكمال ٢/ ٦٢.

(٢) تقدم فى ٦/ ٩٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٨.

(٤) قاله ابن الأثير فى أسد الغابة ٧/ ١٦٩، ١٧٠.

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٩٤٢، ١٩٤٣، وأسد الغابة ٧/ ٣٥٢، والإصابة ٨/ ٢٣٨.

(٦ - ٦) فى م، ص: «مات، رضى الله عنها».

المشركون الماءَ ، فأسْلَموا عند ذلك ، واسْمُها غُزَيَّةُ ، وقيل : غُزَيْلةُ . [1] بنتُ دُودانَ ابنِ عمروِ بنِ عامرِ بنِ رواحةَ بنِ مُنْقِذِ بنِ عمرِو بنِ مُعَيْصِ بنِ عامرِ بنِ لؤيٍّ ، أسلمتْ قديمًا ماتتْ فى هذه السنةِ [1] على الصَّحيحِ ، قال ابنُ الجَوْزىِّ [2] : ماتَتْ سنةَ خمسين . ولم أَرَهُ لغيرِه .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) المنتظم ٥/ ٢٢٧، ٢٣٦.

[1] ثم دخلَت [1] سنةُ إحْدى وخمسين

فيها كان مَقْتَلُ حُجْرِ بنِ عَدِىٍّ [2] وأصحابِه، وهو حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ [3] بنِ جَبَلَةَ [4] بنِ عَدِىِّ بنِ رَبيعةَ بنِ مُعاويةَ الأكْرمين [5] بنِ الحارثِ بنِ مُعاويةَ بنِ ثَوْرِ ابنِ مُرْتِعٍ [6] بنِ كِنْدىٍّ الكوفىُّ. ويُقالُ له: حُجْرُ الخَيْرِ. ويُقالُ له: حُجْرُ بنُ الأدْبَرِ. لأن أباه عَدِيًّا طُعِن مُولِّيًا فسُمِّىَ الأدْبَرَ، [7] ويُكَنَّى حُجْرٌ بأبى عبدِ الرحمنِ [7]، وهو مِن كِنْدةَ مِن رُؤساءِ أهلِ الكوفةِ.

قال ابنُ عَساكرَ [8]: وفَد إلى النبىِّ ﷺ وسمِع عليًّا وعَمَّارًا وشَراحيلَ بنَ مُرَّةَ. ويُقالُ: شُرَحْبيلُ بنُ مُرَّةَ. ورَوَى عنه أبو لَيْلَى مَوْلاه، وعبدُ الرحمنِ بنُ عابسٍ [9]، وأبو البَخْتَرِىِّ الطَّائىُّ. وغَزا الشامَ فى الجيشِ الذين افْتَتحوا عَذْراءَ، وشَهِد صِفِّينَ مع علىٍّ أميرًا، وقُتِل [10] بعَذراءَ مِن قُرَى دِمَشْقَ. ومسجدُ قبرِه بها

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) الاستيعاب ١/ ٣٢٩، وأسد الغابة ١/ ٤٦١، والإصابة ٢/ ٣٧.

(٣) بعده فى المصادر السابقة: «بن معاوية». وانظر الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٢.

(٤) فى م، ص: «جبل». وانظر المصادر السابقة.

(٥) فى الأصل، ٦١: «الكرم». وفى م، ص: «الأكبر». والمثبت من الطبقات الكبرى، وأسد الغابة، وسير أعلام النبلاء، والإصابة.

(٦) فى الأصل: «مريع»، وفى ٦١: «مربع»، وفى م: «بزيغ»، وفى ص: «مربع». والمثبت من الطبقات الكبرى، وأسد الغابة.

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

(٨) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٩) فى الأصل، م: «عباس». وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٧٢، ٧٣.

(١٠) فى الأصل، م، ص: «قيل». وهو تصحيف.

مَعْروفٌ . ثُم ساق ابنُ عَساكرَ[1] بأسانيدِه إلى حُجْرٍ ، فذكَر طَرَفًا صالحًا مِن روايتِه عن عليٍّ وغيرِه .

وقد ذكَره محمدُ بنُ سعدٍ فى الطَّبَقةِ الرابعةِ مِن الصَّحابةِ[2] ، وذكَر له وِفادةً ، ثم ذكَره فى الأُولَى مِن تابِعِى أهلِ الكوفةِ ، قال[3] : وكان ثِقَةً مَعْروفًا ، ولم يَرْوِ عن غيرِ عليٍّ شيئًا . قال ابنُ عَساكرَ[4] : بل قد روَى عن عَمَّارٍ وشَراحيلَ ابنِ مُرَّةَ .

وقال أبو أحمدَ العَسْكرىُّ[5] : أكثرُ المُحَدِّثِين لا يُصَحِّحون له صُحْبةً ، شَهِد القادسيةَ ، وافْتَتَح مَرْجَ[6] عذْراءَ ، [٦/ ١١٠ظ] وشَهِد الجملَ وصِفِّينَ ، وكان مع عليٍّ حُجْرُ الخيرِ ، وهو حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ هذا ، وحُجْرُ الشَّرِّ[7] ، وهو حُجْرُ بنُ يزيدَ ابنِ سَلَمةَ بنِ مُرَّةَ .

وقال المَرْزُبانىُّ[8] : قد رُوِىَ أن حُجْرَ بنَ عَدِىٍّ وَفَد إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مع أخيه هانئِ بنِ عَدِىٍّ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٠، بسنده عن ابن سعد . وأما فى الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٧ فقد ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة ، ولم يذكره ضمن الصحابة ، قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٣٨: ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من أهل الكوفة ؛ فإما أن يكون ظَنَّه آخَرَ ، وإما أن يكون ذَهِل .

(٣) أى ابن سعد . الطبقات الكبرى ٦/ ٢٢٠.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٠.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١١، بسنده عن أبى أحمد العسكرى ، بنحوه .

(٦) فى الأصل ، ٦١، م : « برج » . وانظر معجم ما استعجم ٣/ ٩٢٦، ٩٢٧.

(٧) فى الأصل ، ٦١، م : « الشرف » . وانظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٧.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٢.

وكان هذا الرجلُ مِن عُبَّادِ الناسِ وزُهَّادِهم، وكان بارًّا بأُمِّه، وكان كثيرَ الصلاةِ والصِّيامِ. قال أبو مَعْشَرٍ[1]: ما أحْدَث قطُّ إلا تَوَضَّأ، ولا تَوَضَّأ إلا صلَّى ركعتين. هكذا قال غيرُ واحدٍ مِن الناسِ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا يَعْلَى بنُ عُبَيدٍ، حدَّثنى الأعْمَشُ، عن أبى إسْحاقَ قال: قال سَلْمانُ لحُجْرٍ: يا بن أمِّ حُجْرٍ[3]، لو تَقَطَّعْتَ أعْضاءً[4] ما بَلَغْتَ الإيمانَ[5]. وكان[6]، إذ كان المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ على الكوفةِ إذا ذكَر عليًّا فى خُطْبتِه يَتَنَقَّصُه بعدَ مَدْحِ عثمانَ وشِيعتِه، فيَغْضَبُ حُجْرٌ هذا، ويُظْهِرُ الإنكارَ عليه، ولكن كان المُغيرةُ فيه حِلْمٌ وأناةٌ، فكان يَصْفَحُ عنه ويَعِظُه فيما بينَه وبينَه، ويُحَذِّرُه غِبَّ هذا الصَّنيعِ، فإنَّ مُعارضةَ السلطانِ شديدٌ وَبالُها، فلم يَرْجِعْ حُجْرٌ عن ذلك. فلمَّا كان فى آخرِ أيامِ المغيرةِ قام حُجْرٌ يومًا، فأنْكَر عليه فى الخُطْبةِ وصاح به، وذَمَّه بتَأْخيرِه العَطاءَ عن الناسِ، وقام معه فِئامٌ من الناسِ لقِيامِه، يُصَدِّقونه ويُشَنِّعون على المُغيرةِ، ودخَل المُغيرةُ بعدَ الصلاةِ قَصْرَ الإمارةِ، ودخَل معه جُمهورُ (7 الناسِ من الأمراءِ وغيرِهم 7)، فأشاروا على المغيرةِ بأن يردَّ حُجْرًا عمَّا يتَعاطاه مِن (8 الجرأةِ على السلطانِ و 8) شَقِّ العَصَا والقِيامِ على الأميرِ، وذَمَروه[9]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٢.

(٢) المصدر السابق، من طريق أحمد بن حنبل به.

(٣) فى تاريخ دمشق: «حجية».

(٤) فى م: «أعضاؤك».

(٥) فى الأصل: «الإيمان منتهى»، وفى ا ٦: «منتهى الإيمان».

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٧ - ٧) فى م، ص: «الأمراء».

(٨ - ٨) سقط من: م، ص.

(٩) الذَّمْر: اللَّوْم والحَضُّ معًا. انظر اللسان (ذ م ر).

وحَثُّوه على التَّنْكيلِ به ، فصفَح عنه وحَلُم .

وذكَر يونسُ بنُ عُبَيدٍ[1] أن مُعاويةَ كتَب إلى المُغيرةِ يَسْتَمِدُّه بمالٍ يَبْعَثُه مِن بيتِ المالِ ، فبعَث عِيرًا تَحْمِلُ مالًا فاعْتَرض لها حُجْرٌ ، فأمْسَك بزِمامِ أوَّلِها ، وقال : لا واللَّهِ حتى يُوَفِّىَ كلَّ ذى حَقٍّ حقَّه . فقال شبابُ ثَقيفٍ للمُغيرةِ : ألا نأتيك برأسِه ؟ فقال : ما كنتُ لِأفْعَلَ ذلك بحُجْرٍ . فترَكه ، فلمَّا بلَغ مُعاويةَ ذلك عزَل المُغيرةَ ووَلَّى زيادًا . والصَّحيحُ أنه لم يَعْزِلِ المُغيرةَ حتى مات[2] ، فلما تُوُفِّىَ المُغيرةُ بنُ شُعْبةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وجُمِعت الكوفةُ مع البَصْرةِ لزِيادٍ دخَلها ، وقد الْتَفَّ على حُجْرٍ جَماعاتٌ مِن [٦/ ١١١و] شِيعةِ علىٍّ يُقَوُّونه ويَشُدُّون أَمْرَه على يدِه ، ويَسُبُّون مُعاويةَ ويَتَبَرَّءُون منه ، فلما كان أولُ خُطْبةٍ خطَبها زِيادٌ بالكوفةِ ، ذكَر فى آخرِها فَضْلَ عُثمانَ ، وذَمَّ مَن قتَله أو أعان على قَتْلِه . فقام حُجْرٌ كما كان يقومُ فى أيامِ المُغيرةِ ، وتَكَلَّم بنحوٍ مما قال للمغيرةِ ، فلم يَعْرِضْ له زيادٌ ، ثم ركِب زِيادٌ إلى البَصْرةِ ، وأراد أن يَأْخُذَ حُجْرًا معه إلى البَصْرةِ لئلا يُحْدِثَ حَدَثًا ، فقال : إنى مَريضٌ . فقال : واللَّهِ إنك لَمريضُ الدينِ والقلبِ والعقلِ ، واللَّهِ لئن أحْدَثْت شيئًا لأَسْعَيَنَّ فى قتلِك . ثم سار زِيادٌ إلى البَصْرةِ فبلَغه أن حُجْرًا وأصحابَه أنْكَروا على نائبِه بالكوفةِ ، وهو عمرُو بنُ حُرَيْثٍ ، وحَصَبوه وهو على المِنْبرِ يومَ الجُمُعةِ ، فركِب زيادٌ إلى الكوفةِ ، فنزَل القصرَ ، ثم خرَج إلى المنبرِ وعليه قَبَاءُ سُنْدُسٍ ، ومِطْرَفُ خَزٍّ أحْمرُ ، قد فرَق شَعْرَه ، وحُجْرٌ جالسٌ وحولَه أصحابُه أكثرَ ما كانوا[3] يومَئذٍ ، وكان مَن لَبِس[4] مِن أصحابِه يومَئذٍ نحوًا مِن ثلاثةِ آلافٍ[3] ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٣.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٥، ٢٥٦؛ وتاريخ دمشق ١٢/ ٢١٤ - ٢١٧.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل، ٦١. وانظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٤.

(٤) أى لبس السلاح.

وجلَسوا حولَه فى المسجدِ فى الحَديدِ والسِّلاحِ ، فخطَب زِيادٌ ، فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أما بعدُ ، فإنَّ غِبَّ البَغْيِ والغَيِّ وَخِيمٌ ، وإن هؤلاء [1] القومَ جَمُّوا فأشِروا و [1] أَمِنونى فاجْتَرَءُوا علىَّ ، وايْمُ اللَّهِ لئن لم تَسْتَقِيموا لأُداوِيَنَّكم بدَوائِكم . ثم قال : ما أنا بشىءٍ إن لم أَمْنَعْ ساحةَ الكُوفةِ مِن حُجْرٍ [2] ، وأَدَعْهُ نَكالًا لمن بعدَه ، ويلُ امِّك يا حُجْرُ ، سقَط بك العَشاءُ على سِرْحانٍ . ثم قال :

أَبْلِغْ نُصَيْحةَ أنَّ راعِىَ إبْلِها سَقَط العَشاءُ به على سِرْحانِ [3]

وجعَل زِيادٌ يقولُ فى خُطْبتِه : إن مِن حقِّ أميرِ المؤمنين ، [4] إن مِن حقِّ أميرِ المؤمنين . فقال حُجْرٌ : كذَبْتَ . فسكَت زيادٌ ونظَر إليه ، ثم عاد زيادٌ : إن مِن حقِّ أميرِ المؤمنين ، إن مِن حقِّ أميرِ المؤمنين [4] . يَعْنى كذا وكذا ، فأخَذ حُجْرٌ كفًّا مِن حصًا فحصَبَه ، وقال : كذَبْتَ عليك لعَنْةُ اللَّهِ . فانْحَدر زِيادٌ فصلَّى ، ثم دخَل القَصْرَ ، واسْتَحْضَر حُجْرًا ، ويقالُ [5] : إن زيادًا لما خطَب طَوَّل الخُطْبةَ وأخَّر الصلاةَ ، فقال له حُجْرٌ : الصلاةَ . فمضَى فى خُطْبتِه ، [6] ثُم قال له : الصلاةَ . فمضَى فى خطبتِه [6] فلمَّا خَشِىَ حُجْرٌ فَوْتَ الصَّلاةِ عمَد إلى كَفٍّ مِن حصًا ، [7] وثار إلى الصلاةِ [7] ، وثار الناسُ معه ، فلمَّا رأى ذلك زِيادٌ نزَل ، فصلَّى بالناسِ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) بعده فى م ، ص : « وأصحابه » .

(٣) الشطر الثانى من البيت مَثَل ، وأصله أن رجلًا خرج يلتمس العَشاء ، فوقع عَلى سرحان ، وهو الذئب . انظر جمهرة الأمثال ١/ ٥١٤.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٦ - ٢٧٠.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٦١ : « ونادى الصلاة بصوت عال وصيحة عظيمة حتى سمعها أهل المسجد ومن هو [٦/ ١١١ظ] خارج منه » ، وفى م ، ص : « ونادى الصلاة » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

فلمَّا انْصَرف مِن صلاتِه كتَب إلى مُعاويةَ فى أمْرِه وكَثَّر عليه ، فكتَب إليه مُعاويةُ أَنْ شُدَّه فى الحَديدِ واحْمِلْه إلىَّ . فبعَث إليه زِيادٌ والىَ الشُّرْطةِ ، وهو شَدَّادُ بنُ الهَيْثَمِ ومعه أعوانُه فقال له : إن الأميرَ يَطْلُبُك . فامْتَنع مِن الحُضورِ إلى زيادٍ ، وقام دونَه أصحابُه ، فرجَع الوالى إلى زيادٍ فأعْلَمه ، فاسْتَنْهَض زيادٌ جَماعاتٍ مِن القَبائلِ ، فركِبوا مع الوالى إلى حُجْرٍ وأصحابِه ، فكان بينَهم قِتالٌ بالحِجارةِ والعِصِىِّ ، فعَجَزوا عنه ، فندَب له محمدَ بنَ الأشْعَثِ ، وأمْهَله ثلاثًا ، وجَهَّز معه جيشًا[1] ، فركِبوا فى طلَبِه ولم يَزالوا حتى أحْضَروه إلى زيادٍ ، وما أغْنَى عنه قومُه ولا مَن كان يَظُنُّ أنَّه يَنْصُرُه ، فعندَ ذلك قيَّده زِيادٌ وسجَنه عَشَرةَ أيامٍ ، ثم بعَث به إلى مُعاويةَ ، وبعَث معه جَماعةً يَشْهَدون عليه أنه سَبَّ الخَليفةَ ، وأنه حارَب الأميرَ ، وأنه يقولُ : إن هذا الأمْرَ لا يَصْلُحُ إلا فى آلِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ . وكان مِن جُمْلةِ الشهودِ عليه ؛ أبو بُرْدَة بنُ أبى موسى ، ووائلُ بنُ حُجْرٍ ، وعمرُ بنُ سعدِ ابنِ أبى وَقَّاصٍ ، وإسحاقُ وإسماعيلُ وموسى بنو طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، والمنذرُ بنُ الزبيرِ ، وكَثِيرُ بنُ شِهابٍ ، وشَبَثُ[2] بنُ رِبْعىٍّ ، فى سبعين رجلًا ، ويقالُ : إنه كُتِبَت شَهادةُ شُرَيْحٍ القاضى فيهم ، وإنه أنْكَر ذلك وقال : إنما قلتُ لزِيادٍ : إنه كان صَوَّامًا قَوَّامًا . ثم بعَث زِيادٌ حُجْرًا وأصْحابَه مع وائلِ بنِ حُجْرٍ وكثيرِ بنِ شِهابٍ إلى الشامِ . وكان مع حُجْرِ بنِ عدِىٍّ بنِ جَبَلة الكِندىِّ مِن أصحابِه جَماعةٌ ، قيل[3] : عشرون رجلًا . وقيل[4] : أرْبعةَ عشَرَ رجلًا . منهم ؛ الأرْقَمُ بنُ

---

(١) الذى فى تاريخ الطبرى ٥/٢٦٤ أن حُجرًا أرسل غلامًا إلى محمد بن الأشعث يخبره أنه ، أى حجر ، سوف يأتى إلى محمدٍ بنفسه ثم يذهب مع نفرٍ من قوم محمدٍ فيدخل بهم على زيادٍ كى يُؤمّن حجرًا ويرسله إلى معاوية فيرى فيه رأيه .

(٢) فى م ، ص : « ثابت » . وانظر الإكمال ٥/ ٩٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٠.

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٤، ٢١٥.

(٤) تاريخ الطبرى ٥/٢٧١ - ٢٧٢.

عبدِ اللَّهِ الكِندىُّ ، وشَريكُ بنُ شَدَّادٍ الحَضْرمىُّ ، وصَيْفىُّ بنُ فَسيلٍ ، وقَبيصةُ بنُ ضُبَيْعةَ بنِ حَرْملةَ العَبْسىُّ ، وكَرِيمُ بنُ عفيفٍ الخَثْعمىُّ ، وعاصمُ بنُ عَوْفٍ البَجَلىُّ ، ووَرْقاءُ بنُ سُمَىٍّ البَجَلىُّ ، وكِدامُ بنُ حَيَّانَ[1] وعبدُ الرحمنِ بنُ حَسَّانَ العنَزِيَّان[2] [3]من بنى تَميمٍ[3] ، ومُحْرِزُ بنُ شِهابٍ التَّميمىُّ ، [4]وعبدُ اللَّهِ[4] بنُ حَوِيَّةَ السَّعْدىُّ التَّمِيمىُّ أيضًا . فهؤلاء أصْحابُه الذين وَصَلوا معه ، فساروا بهم إلى الشامِ ، ثم إن زيادًا أَتْبَعهم برجلين آخَرَيْن ؛ عُتْبةَ بنِ الأَخْنَسِ مِن بنى سعدٍ ، وسعدِ[5] بنِ نِمْرانَ[6] الهَمْدانىِّ ، فكمَلوا أرْبعةَ عشَرَ رجلًا . فيُقالُ[7] : إن حُجْرًا لما دخَل على مُعاويةَ قال : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين . فغضِب مُعاويةُ غَضَبًا شديدًا ، وأمَر بضَرْبِ عُنُقِه هو ومَن معه . ويقال[8] : [٦/ ١١٢و] إن مُعاويةَ ركِب فتَلَقَّاهم إلى مَرْجِ[9] عَذْراءَ . ويُقالُ[10] : بل بعَث إليهم مَن تَلَقَّاهم إلى عَذْراءَ تحتَ الثَّنِيَّةِ ؛ ثَنِيَّةِ العُقَابِ[11] ، فقُتِلوا هناك ، وكان الذين بعَث إليهم ثلاثةَ نفرٍ ، وهم ؛ هُدْبَةُ بنُ فَيَّاضٍ القُضاعىُّ ، والحُصينُ[12] بنُ عبدِ اللَّهِ الكِلابىُّ ، وأبو شَريفٍ

---

(١) فى م : « حبان » . وانظر الكامل ٣/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات ٤١ - ٦٠ ، ص ٢٩٣.

(٢) فى الأصل ، ٦١: « الغنوى » ، وفى م ، ص : « العريان » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الكامل ٣/ ٤٨٣.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١. وفى تاريخ الطبرى : « بنى هميم » . وانظر نهاية الأرب ٢٠/ ٣٣٥.

(٤ - ٤) فى م : « عبيد الله » .

(٥) فى تاريخ الطبرى : « سعيد » . وانظر الكامل ٣/ ٤٨٤، ونهاية الأرب ٢٠/ ٣٣٦.

(٦) فى م ، ص : « عمران » .

(٧) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٦، ٢٥٧، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢١٣، ٢١٤.

(٨) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٢.

(٩) فى م : « برج » .

(١٠) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٧٤، ٢٧٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢١٦، ٢١٧.

(١١) ثنية العقاب : فُرْجة فى الجبل الذى يطل على غُوطة دمشق من ناحية حمص . معجم البلدان ٣/ ٦٩١.

(١٢) فى م ، ص : « حضير » . وانظر الكامل ٣/ ٤٨٥، ونهاية الأرب ٢٠/ ٣٣٧.

البَدِّىُّ[1] ، فجاءُوا إليهم عِشاءً[2] فبات حُجْرٌ وأصحابُه يُصَلُّون طُولَ الليلِ ، فلما صَلَّوُا الصُّبْحَ قتَلوهم ، وهذا هو الأشْهَرُ . واللَّهُ أعلمُ . وذكَر محمدُ بنُ سعدٍ[3] أنهم دخَلوا عليه ، ثم رَدَّهم ، فقُتِلوا بعَذْراءَ . وكان مُعاويةُ قد اسْتَشار الناسَ فيهم[4] حين وصَلوا إلى مَرْجِ[5] عَذْراءَ ، [6]وقيل : إنهم حُبِسوا بها[6] . فمِن مُشِيرٍ بقَتْلِهم ، ومِن مُشيرٍ بتَفْريقِهم فى البلادِ ، فكتَب[7] مُعاويةُ إلى زِيادٍ كتابًا آخرَ فى أمْرِهم ، فأشار عليه بقَتْلِهم إن كان له حاجةٌ فى ملكِ العِراقِ ، فعندَ ذلك أمَر بقَتْلِهم ، فاسْتَوْهَب منه الأمراءُ واحدًا بعدَ واحدٍ ، حتى اسْتَوْهَبوا منه ستةً ، وقتَل منهم ستةً ، أولُهم حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ ، ورجَع[8] آخرُ ، فعفَا عنه مُعاويةُ ، وبعَث بآخرَ نال مِن عثمانَ وزعَم أنه أولُ مَن جار فى الحُكْمِ ، ومدَح عليًّا ، فبعَث به مُعاويةُ إلى زِيادٍ ، وقال له : لم تَبْعَثْ إلىَّ فيهم أرْدَى مِن هذا . فلما وصَل إلى زِيادٍ دفَنه فى قُسٍّ[9] الناطفِ حَيًّا ، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ حَسَّانَ العَنَزِىُّ[10] .

وهذه تَسْميةُ الذين قُتِلوا بعذراءَ[11] ؛ حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ ، وشَريكُ بنُ شَدَّادٍ ،

---

(١) فى النسخ : « البدوى » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الكامل ونهاية الأرب .
(٢) سقط من : م ، ص .
(٣) الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٩.
(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٧٢، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.
(٥) فى م : « برج » .
(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .
(٧) انظر تاريخ الطبرى ٥/٢٧٢ - ٢٧٧.
(٨) أى : رجع عن رأيه . وهو كريم بن عفيف الخثعمى .
(٩) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى . وقس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى . معجم البلدان ٤/ ٩٧.
(١٠) فى الأصل ، ٦١: « العنبرى » ، وفى م ، ص : « الفرى » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(١١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٧٧.

وصَيْفيُّ بنُ فَسِيلٍ الشيبانيُّ ، وقَبيصةُ بنُ ضُبَيْعةَ العَبْسيُّ ، ومُحْرِزُ بنُ شِهابٍ المِنْقَرِيُّ السَّعْديُّ ، وكِدامُ بنُ حَيَّانَ[1] [2]وعبدُ الرحمنِ بنُ حسانَ العَنَزيُّ المبعوثُ إلى زيادٍ المدفونُ فى قُسِّ الناطفِ ، فلما قُتِلوا صُلِّىَ عليهم ودُفِنوا[2] . ومِن الناسِ مَن يَزْعُمُ أنَّهم مَدْفونون بمسجدِ القصبِ ، [3]- ومنهم مَن يَزْعُمُ أنهم مدفونون بمسجدِ السبعةِ خارجَ بابِ تُوماءَ - وإنما نُسِبَت السبعةُ إليهم ؛ لأنهم سبعةٌ - فى شَرْقيِّه ، وقيل : هم فى غربيِّ مسجدِ القصبِ[3] . والصَّحيحُ أنهم مدفونون بعذراءَ مِن غُوطةِ دِمَشْقَ ، رحِمهم اللَّهُ .

ويُذْكَرُ[4] أن حُجْرًا لما أرادوا قَتْلَه قال : دَعونى حتى أَتَوَضَّأَ . فقالوا : تَوَضَّأْ . فقال : دَعونى حتى أُصلِّىَ ركعتين . فصَلَّاهما وخَفَّف فيهما . ثم قال : [2]واللَّهِ ما صلَّيْتُ صلاةً قطُّ أخفَّ منهما[2] ، ولولا أن يقولوا : إن[5] ما بى جَزَعٌ مِن الموتِ . لطَوَّلْتُهما . [٦/١١٢ظ] ثم قال : قد تَقَدَّم لهما صَلَواتٌ كثيرةٌ . ثم قدَّموه للقتلِ وقد حُفِرت قُبورُهم ونُشِرت أكْفانُهم ، فلما تقَدَّم إليه السَّيَّافُ ارْتَعَدت فَرائصُه ، فقيل له : إنك قلتَ : لستُ بجازعٍ [2]مِن القتلِ[2] . فقال : وما لىَ لا أَجْزَعُ وأنا أَرَى قبرًا مَحْفورًا وكَفَنًا مَنْشورًا وسَيْفًا مَشْهورًا . فأرْسَلها مَثَلًا . ثم تقَدَّم إليه [6]الأعورُ هُدْبَةُ بنُ فيَّاضٍ بالسيفِ[6] ، فقال له : امْدُدْ عُنُقَك . فقال : لا أُعِينُ على

---

(١) فى م : « حبان » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) فى م : « فى غرفة » ، وفى ص : « فى عرية » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٧، ٢٧٥، ٢٧٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢١٨، ٢١٩.

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ٦١: « السياف وهو أبو شريف البدوى وقيل: ورجل آخر » ، وفى م ، ص : « السياف وهو أبو شريف البدوى وقيل: تقدم إليه رجل أعور » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الكامل ٣/ ٤٨٥، ونهاية الأرب ٢٠/ ٣٣٧.

قَتْلِ نفسى . فضرَبه فقتَله . وكان قد أوْصَى أن يُدْفَنَ فى قُيودِه ، ففعَلوا به ذلك ، وقيل[1] : بل غَسَّلوه وصَلَّوْا عليه .

ورُوِىَ أن الحسنَ بنَ علىٍّ قال[2] : أصَلَّوا عليه ودفَنوه فى قيودِه ؟! قالوا : نعم . قال : حجَّهم واللهِ .

والظاهرُ أن قائلَ هذا إنما هو الحسينُ بنُ علىٍّ[3] ، فإن حُجْرًا إنما قُتِل فى سنةِ إحْدى وخمسين ، [4]وقيل : سنةَ ثلاثٍ وخمسين[4] . وعلى كلِّ تَقْديرٍ فالحسنُ كان قد مات قبلَه . واللَّهُ أعلمُ . رضِى اللَّهُ عن الحسنِ ، ورحِم اللَّهُ حُجْرًا وأصحابَه .

ورُوِّينا[5] أن مُعاويةَ لما دخَل على أمِّ المؤمنين عائشةَ ، فسَلَّم عليها مِن وراءِ الحِجابِ ، وذلك بعدَ مَقْتَلِ حُجْرٍ وأصحابِه ، قالت له : أين ذهَب عنك حِلْمُك يا مُعاويةُ حينَ قَتَلْتَ حُجْرًا وأصحابَه ؟ فقال لها : فقَدْتُه حينَ غاب عنى مِن قومى مِثْلُكِ يا أُمَّاه . ثم قال لها : فكيف بِرِّى بكِ يا أُمَّهْ ؟ فقالت : إنك بى لبَارٌّ . فقال : يَكْفِينى هذا عندَ اللَّهِ ، وغدًا لى ولحُجْرٍ مَوْقِفٌ بينَ يدىِ اللَّهِ عز وجل . وفى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٧٧، والكامل ٣/ ٤٨٦. وفيهما ذكْر الصلاة عليهم وتكفينهم ودفنهم - وحجر من جملتهم - وليس فيهما ذكر التغسيل.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٢٢٦ ، عن الحسن بن على بنحوه.

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ : « أو الحسن البصرى » . وقد ذكر ابن جرير الخبر عن الحسن دون ذكر أبيه ، كما ذكره أيضًا ابن الأثير فى الكامل ٣/ ٤٨٦، والنويرى فى نهاية الأرب ٢٠/٣٣٩ ، عن الحسن البصرى.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ٦١. وانظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٣٢.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢١٩، ٢٢٩.

روايةٍ[1] أنه قال لها : إنما قَتَله الذين شَهِدوا عليه .

ورَوَى ابنُ جَريرٍ أن مُعاويةَ لَمَّا حَضَره الموتُ جعَل يُغَرْغِرُ بروحِه[2] وهو يقولُ : إن يومى بك يا حُجْرَ بنَ عَدِىٍّ لَطويلٌ . قالها ثلاثًا[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ فى « الطَّبَقاتِ »[4] : ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ أن حُجْرًا وفَد إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مع أخيه هانئِ بنِ عَدِىٍّ ، وكان مِن أصحابِ علىٍّ ، فلمَّا قَدِم زِيادُ بنُ أبى سفيانَ واليًا على الكوفةِ دَعا بحُجْرِ بنِ عَدِىٍّ ، فقال : تَعَلَّمْ أنى أَعْرِفُك ، وقد كنتُ أنا وإيَّاك[5] على ما قد عَلِمْتَ - يعنى مِن حُبِّ علىٍّ - وإنه قد جاء غيرُ ذلك ، وإنى أَنْشُدُك اللَّهَ أن [٦/١١٣و] تُقْطِرَ لى مِن دمِك قَطْرةً فأَسْتَفْرِغَه كلَّه ، امْلِكْ عليك لسانَك ، ولْيَسَعْك مَنْزِلُك ، وهذا سَريرى فهو مَجْلِسُك ، وحَوائجُك مَقْضِيةٌ لَدَىَّ ، فاكْفِنى نفسَك فإنى أَعْرِفُ عَجَلتَك ، فأَنْشُدُك اللَّهَ فى نفسِك ، وإياك وهذه السَّفِلةَ[6] وهؤلاء السُّفهاءَ أن يَسْتَزِلُّوك عن رأيِك . فقال حُجْرٌ : قد فهِمْتُ . ثم انْصَرف إلى منزلِه ، فأتاه الشِّيعةُ فقالوا : ما قال لك ؟ قال : قال لى كذا وكذا . [7]فقالوا : ما نصَح لك[7] . وسار زِيادٌ إلى البَصْرةِ ، ثم جعَلوا يَتَرَدَّدون إليه يقولون له : أنت شَيْخُنا . وإذا جاء إلى المسجدِ مَشَوْا معه ، فأَرْسَل إليه عمرُو بنُ حُرَيْثٍ نائبُ زيادٍ على الكوفةِ ، يقولُ : ما هذه

---

(١) انظر الاستيعاب ١/ ٣٣١.

(٢) فى م ، ص : « بالموت » ، وفى تاريخ الطبرى : « بصوت » .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٧. ولم يذكر تكرارها ثلاثًا .

(٤) الطبقات الكبرى ٦/٢١٧ - ٢٢٠.

(٥) فى م ، ص : « أباك » . وهو تصحيف .

(٦) فى م ، ص : « السقطة » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

الجَماعةُ وقد أَعْطَيْتَ الأميرَ ما قد عَلِمْتَ ؟ فقال للرسولِ : إنهم يُنْكِرون ما أنتم عليه ، إليك وراءَك أوْسَعَ لك . فكتَب عمرُو بنُ حُرَيْثٍ إلى زيادٍ : إن كانت لك حاجةٌ بالكوفةِ فالعَجَلَ . فأعْجَل زِيادٌ السَّيْرَ إلى الكوفةِ ، فلما وصَل بعَث إليه عَدِيَّ بنَ حاتمٍ ، وجَريرَ بنَ عبدِ اللَّهِ البَجَليَّ ، وخالدَ بنَ عُرْفُطةَ فى جماعةٍ مِن أشْرافِ أهلِ الكوفةِ ليَنْهَوْه عن هذه الجماعةِ ، فأتَوْه فجعَلوا يُحَدِّثُونه ولا يرُدُّ عليهم شيئًا ، بل جعَل يقولُ : يا غلامُ ، اعْلِف البَكْرَ . لبَكْرٍ مَرْبوطٍ فى الدارِ . فقال له عَدِيُّ بنُ حاتمٍ : أمَجْنونٌ أنت ؟ نُكَلِّمُك وأنت تقولُ : يا غلامُ ، اعْلِف البَكْرَ ! ثم قال عديٌّ لأصحابِه : ما كنتُ أَظُنُّ هذا البائسَ بلَغ به الضعفُ كلَّ ما أَرَى . ثم نهَضوا فأخْبَروا زيادًا ببعضِ الخبرِ وكتَموه بَعْضًا ، وحَسَّنوا أمْرَه ، وسأَلوه الرِّفْقَ به ، فلم يَقْبَلْ ، بل بعَث إليه الشُّرَطَ والبُخاريَّةَ[1] ، فأُتِيَ به وبأصحابِه ، فقال له زيادٌ : وَيْلَك ما لك ؟ قال : إنى على بَيْعتى لمُعاويةَ . فجمَع زيادٌ سبعين مِن وجوهِ[2] أهلِ الكوفةِ ، فقال : اكْتُبوا شَهادتَكم على حُجْرٍ وأصحابِه . ففعَلوا ، ثم أوْفَدهم إلى مُعاويةَ ، وبلَغ الخبرُ عائشةَ ، فأرْسَلَت عبدَ الرحمنِ بنَ الحارثِ بنِ هشامٍ إلى مُعاويةَ تَسْأَلُه أن يُخَلِّىَ سبيلَهم ، فلمَّا دَخلوا على مُعاويةَ قرَأ كتابَ زِيادٍ ، [3]وشهِد الشهودُ[3] فقال مُعاويةُ : اخْرُجوا بهم إلى عَذْراءَ ، فاقْتُلوهم هناك . فذَهَبوا بهم ، ثم قَتَلوا منهم سَبْعةً ، [٦/١١٣ظ] ثم جاء رسولُ مُعاويةَ بالتَّخْلِيةِ عنهم ، وأن يُطْلِقوهم كلَّهم ، فوجدهم قد قَتَلوا منهم سبعةً فأطْلَقوا السبعةَ

---

(١) فى م : « المحاربة » . والبخارية : قوم ينتسبون إلى سِكَّة بالبصرة أسكنها زيادُ بن أبيه ألفَ عبد من بُخاراءَ ، فسمِّيت بهم ، ولم تُسَمَّ به ، وكلهم جَيِّدو الرمى بالنُّشّاب . انظر تاج العروس (ب خ ر) .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

الباقِين ، ولكن كان حُجْرٌ فيمَن قُتِل ، وكان قد سَأَلهم أن يُصَلِّيَ ركعتَيْن قبلَ أن يَقْتُلوه ، فصَلَّى ركعتَيْن فطَوَّل فيهما ، وقال : إنهما لَأَخَفُّ صَلاةٍ صَلَّيْتُها . وجاء رسولُ عائشةَ بعدَما فُرِغ مِن شأنِهم ، فلما حَجَّ مُعاويةُ قالت له عائشةُ[1] : أين عَزَب عنك حِلْمُك حينَ قتَلْتَ حُجْرًا ؟ فقال : حينَ غاب عنى مِثْلُكِ مِن قومى .

ويُرْوَى[2] أن عبدَ الرحمنِ بنَ الحارثِ قال لمُعاويةَ : أقَتَلْتَ حُجْرَ بنَ الأدْبَرِ ؟ فقال مُعاويةُ : قتْلُه أحَبُّ إلىَّ مِن أن أَقْتُلَ معه مائةَ ألفٍ . وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ وغيرُه[3] عن حُجْرِ بنِ عَدِىٍّ وأصحابِه أنهم كانوا يَنالون مِن عُثْمانَ ، ويقولون فيه مَقالةَ الجَوْرِ ، ويَنْتَقِدون على الأُمراءِ ، ويُسارِعون فى الإنْكارِ عليهم ، ويُبالِغون فى ذلك ، ويَتَوَلَّوْن شِيعةَ علىٍّ ، ويَتَشَدَّدون فى الدِّينِ .

ويُرْوَى[4] أنه لما أُخِذ فى قُيودِه سائرًا مِن الكوفةِ إلى الشامِ ، تلَقَّتْه بَناتُه فى الطَّريقِ وهن يَبْكِين ، فمال نحوَهن [5]فسكَت ساعةً[5] ثم قال : إن الذى يُطْعِمُكنَّ ويسقيكنَّ ويَكْسُوكنَّ هو اللَّهُ ، وهو باقٍ لَكُنَّ بعدى ، فعليكن بتَقْوَى اللَّهِ وعِبادتِه ، والصبرِ ابتغاءَ وجهِه ، والتوكُّلِ عليه ، فإنه حىٌّ لا يموتُ أبدًا ، فاتَّقِين اللَّهَ واصْبِرْن ، فإنى لأرجو مِن ربى ، عزَّ وجلَّ ، فى وجهى هذا إحدى الحُسْنَيَين ؛ إمَّا

---

(١) الذى فى الطبقات ، أن قائل هذا الكلام لمعاوية هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، حين قدم على معاوية برسالة عائشة فوجد القوم قد قُتِلوا .

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٢.

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥٤، ٢٥٥، وانظر الكامل ٣/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(٤) كذا ذكر المصنف هذه القصة هنا على أنها لحجر بن عدى ، والذى ذُكرتْ له هذه القصة فى تاريخ الطبرى ٥/ ٢٧٠، ٢٧١، والأغانى ١٧/ ١٤٧، هو قبيصة بن ضبيعة العبسى ، وليس حجر بن عدى .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

الشهادةَ وهى السعادةُ الكبرى ، وإمَّا الانصرافَ إليكُنَّ فى عافيةٍ ، وإنى لأرجو مِن اللَّهِ الـذى كان يكفينى مُؤْنَتَكُنَّ أن لا يُضَيِّعَكن وأن يحفَظَنى فيكن . ثم انصرف (١) فمرَّ بقومِه فجعَلوا يدعون اللَّهَ له بالعافيةِ ، فأتَوا به وبأصحابِه مَرْجَ عذراءَ فقُتِلوا (١) ودفنوهم مستقبلى القبلةِ ، رحِمهم اللَّهُ وعفا عنهم . وقد قالت امرأةٌ مِن المُتَشَيِّعاتِ تَرْثِى حُجْرًا (٢) ، وهى هندُ بنتُ زيدِ بنِ مَخْرَمةَ الأنْصاريةُ - ويقالُ : إنها لِهِندَ أخْتِ حُجْرٍ . فاللَّهُ أعلمُ - :

تَرَفَّعْ أيُّها القمرُ المُنِيرُ ... تَبَصَّرْ هل تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
يَسِيرُ إلى مُعاويةَ بنِ حَرْبٍ ... ليَقْتُلَه كما زعَم الأميرُ
[٦/١١٤و] يَرَى قَتْلَ الخيارِ عليه حَقًّا ... لـه مِـن شَـرِّ أُمَّـتِـه وَزيـرُ
ألَا يا لَيْتَ حُجْرًا مات موتًا (٣) ... ولم يُنْحَرْ كما نُحِر البَعيرُ
تَجَبَّرَت الجَبابرُ بعدَ حُجْرٍ ... وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسَّديرُ
وأصْبَحَتِ البلادُ لهُ مُحولًا (٤) ... كأنْ لم يُحْيِها مُزْنٌ مَطِيرُ
ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بنى (٥) عَدِىٍّ ... تَلَقَّتْك السَّلامةُ والسُّرورُ

(١ - ١) فى م ، ص : « مع أصحابه فى قيوده ويقال : إنه أوصى أن يُدفن فى قيوده ففعل به ذلك ولكن صلوا عليهم » .

(٢) انظر الطبقات الكبرى ٦/ ٢٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٥/ ٢٨٠ ، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢١٩ ، ٢٢٠ ، وبغية الطلب ٥/ ١١٥ .

(٣) فى م ، ص : « يومًا » .

(٤) المحول : جمع محل ؛ أى الجدب وهو انقطاع المطر ويُبس الأرض من الكلأ . انظر اللسان (م ح ل) .

(٥) فى م ، ص : « بن » .

أخافُ عليك ما أَرْدَى عَدِيًّا وشَيْخًا فى دِمشقَ لهُ زئيرُ[1]
فإن تَهْلِكْ فكلُّ زَعيمِ قومٍ مِن الدنيا إلى هُلْكٍ يَصِيرُ[2]

وقد ذكر ابنُ عَساكرَ له مَراثىَ كَثيرةً[3] .

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ[4] : حدَّثنى حَرْملةُ ، أنا ابنُ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الأَسْودِ قال : دَخَل مُعاويةُ على عائشةَ ، فقالت : ما حمَلك على قَتْلِ أهلِ عذْراءَ حُجْرٍ وأصحابِه ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين ، إنى رأيْتُ فى قَتْلِهم صَلاحًا للأُمَّةِ ، وفى بَقائِهم فَسادًا للأُمَّةِ . فقالت : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سيُقْتَلُ بعَذْراءَ أُناسٌ يَغْضَبُ اللَّهُ لهم وأهلُ السَّماءِ » . وهذا إسنادٌ ضَعيفٌ مُنْقَطِعٌ .

وقد رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[5] ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن أبى الأَسْودِ ، أن عائشةَ قالت : بلَغنى أنه سَيُقْتَلُ بعَذْراءَ أُناسٌ يَغْضَبُ اللَّهُ لهم وأهلُ السماءِ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] : حدَّثنى [7]ابنُ بُكيرٍ ، حدثنى[7] ابنُ لَهِيعةَ ،

---

(١) فى النسخ : « زبير » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م :
« فرضوان الإله عليك ميتا وجنات بها نعم وحور »
(٣) انظر تاريخ دمشق ١٢/٢٣٢ - ٢٣٤.
(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٧، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٦، كلاهما من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٥) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٦.
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٥٦، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٧، كلاهما من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ص . وابن بكير هو يحيى بن عبد اللّه بن بكير ، وقد نُسب إلى جده كما جاء هنا ، انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٠١.

حدَّثنى الحارثُ بنُ يزيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زُرَيرٍ[1] الغافِقىِّ قال : سمِعْتُ عليًّا يقولُ : يا أهلَ العراقِ ، سيُقْتَلُ منكم سَبْعةُ نَفَرٍ بعَذْراءَ ، مَثَلُهم كمَثَلِ أصحابِ الأُخْدودِ . قال : فقُتِل[2] حُجْرٌ وأصحابُه . ابنُ لَهِيعةَ ضَعيفٌ .

وروَى الإمام أحمدُ[3] عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، عن نافعٍ قال : كان ابنُ عمرَ فى السُّوقِ ، فنُعِىَ له حُجْرٌ ، فأَطْلَق حُبْوَتَه[4] ، وقام وَغلَب عليه النَّحِيبُ .

وروَى الإمامُ أحمدُ أيضًا[5] ، عن عَفَّانَ ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكةَ أو غيرِه قال : لما قَدِم مُعاويةُ المدينةَ دَخَل على عائشةَ فقالت : أقَتَلْتَ حُجْرًا ؟ فقال : يا أمَّ المؤمنين[6] ، إنى وجَدْتُ قَتْلَ رجلٍ فى صَلاحِ الناسِ خيرًا مِن اسْتِحْيائِه فى فَسادِهم .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[7] ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن مَرْوانَ بنِ الحكمِ قال : دَخَلْتُ مع مُعاويةَ على أمِّ المؤمنين عائشةَ فقالت : يا مُعاويةُ ، قَتَلْتَ حُجْرًا وأصحابَه وفعَلْتَ الذى فعَلْتَ ، أمَا خَشِيتَ أن أُخَبِّئَ لك رجلًا يَقْتُلُك ؟ فقال : لا ، إنى فى بيتِ الأمانِ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ :

---

(١) فى الأصل ، م : « رزين » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥١٧.

(٢) فى م ، ص : « يقتل » .

(٣) أخرجه ابن العديم فى بغية الطلب ٥/ ١٢٠، من طريق الإمام أحمد به .

(٤) الحُبْوة : الاسم من الاحتباء ، وهو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشده عليهما . وقد يكون الاحتباء باليدين عِوَضَ الثوب . انظر النهاية ١/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٩، من طريق الإمام أحمد به .

(٦) بعده فى الأصل ، ٦١: « إنى وجدت قتل حجر فيه صلاح [٦/ ١١٤ظ] للأمة أو قال : صلاح الناس وفى رواية » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٢٨، ٢٢٩، من طريق حماد بن سلمة به .

« الإيمانُ قيَّد[1] الفَتْكَ ، لا يَفْتِكُ مُؤْمنٌ » . يا أمَّ المؤمنين ، كيف أنا فيما سِوى ذلك مِن حاجاتِك وأمْرِك ؟ قالت : صالحٌ . قال : فدَعِينى وحُجْرًا حتى نَلْتَقِىَ عند ربِّنا ، عز وجل .

وفى روايةٍ[2] أنها حَجَبَتْه وقالت : لا يَدْخُلُ علىَّ أبدًا . فلم يَزَلْ يَتَلَطَّفُ حتى دخَل ، فلامَته فى قَتْلِه حُجْرًا ، فلم يَزَلْ يَعْتَذِرُ حتى عذَرَته .

وفى روايةٍ[3] أنها كانت تَتَوَعَّدُه وتقولُ : لولا يغْلِبُنا سُفهاؤُنا لكان لى ولمعاويةَ فى قَتْلِه حُجْرًا شأنٌ . فلما اعْتَذَر إليها عذَرَتْه .

قال ابنُ جَريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ وَلَّى زِيادٌ على خُراسانَ بعد موتِ الحكَمِ ابنِ عمرٍو ، الربيعَ بنَ زِيادٍ الحارثىَّ ، ففتَح بَلْخَ صُلْحًا ، وكانوا قد أغلقوها بعدَما صالَحَهم الأحْنَفُ بنُ قيسٍ ، وفتَح قُوهِسْتانَ عَنْوةً ، وكان عندَها أتْراكٌ فقتَلهم ، ولم يَبْقَ منهم إلا نيزكُ[5] طَرْخانَ ، فقتَله قُتَيْبةُ بنُ مسلمٍ بعدَ ذلك ، كما سيأتى . وفيها غَزا الرَّبيعُ ما وراءَ النهرِ ، فغَنِم وسَلِم ، وكان قد قطَع ما وراءَ النهرِ قبلَه الحكَمُ بنُ عمرٍو ، وكان أولَ مَن شرِب مِن النهرِ غلامٌ للحَكَمِ ، فسَقَى سيدَه ، وتَوَضَّأ الحكَمُ وصَلَّى وراءَ النهرِ ركعتَيْن ، ثم رجَع ، فلمَّا كان الربيعُ هذا غَزا ما وراءَ النهرِ ، فغَنِم وسَلِم . وفيها حَجَّ بالناسِ يَزيدُ بنُ مُعاويةَ ، فيما قاله أبو مَعْشَرٍ والواقدىُّ .

---

(١) فى النسخ : « ضد » . والمثبت من تاريخ دمشق . والمعنى أن الإيمان يمنع عن الفتك ، كما يمنع القيد عن التصرف ، فكأنه جعل الفتك مُقَيَّدًا . انظر النهاية ٤/ ١٣٠.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٣٠.

(٣) انظر المصدر السابق ١٢/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٥) فى م ، ص : « ترك » .

وذكَر ابنُ الجَوْزىِّ فى « المُنْتَظَم »[1] أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ مِن الأكابرِ جَريرُ ابنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ ، وجعفرُ بنُ أبى سفيانَ بنِ الحارثِ ، وحارثةُ بنُ النعمانِ ، وحُجْرُ بنُ عدِىٍّ ، وسعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ ، وأبو بَكْرَةَ [٦/ ١١٥و] نُفَيْعُ بنُ الحارثِ الثَّقفىُّ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

فأمَّا جَريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جابرٍ البَجَلىُّ[2] ، فأسْلَم بعدَ نُزولِ المائدةِ ، وكان إسْلامُه فى رَمَضانَ سنةَ عشْرٍ ، وكان قدومُه ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ، وكان قد قال فى خُطْبتِه[3] : « إنه يَقْدَمُ عليكم مِن هذا الفَجِّ مِن خيرِ ذى يَمَنٍ ، وإن على وجْهِه مَسْحَةَ مَلَكٍ » . فلمَّا دخَل [4]جَرِيرٌ رماه الناسُ بأبصارِهم ينظرون[4] . وأخْبَروه بما قال النبىُّ ﷺ ، فحمِد اللَّهَ تعالى .

ويُرْوَى[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما جالَسه بسَط له رِداءَه وقال : « إذا جاءكم كريمُ قومٍ فأكْرِموه » . وبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى ذى الخَلَصةِ[6] - وهو بيتٌ كانت تُعَظِّمُه دَوْسٌ فى الجاهليةِ - فذكَر للنبىِّ ﷺ أنه لا يَثْبُتُ على الخيلِ ، فضرَب فى صدرِه وقال : « اللهم ثَبِّتْه واجْعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا » . فذهَب إليه فهدَمه . وفى « الصحيحَيْن » عنه[7] أنه قال : ما حجَبَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ منذ أسْلَمْتُ ، ولا رآنى إلا تَبَسَّم . وكان عمرُ بنُ الخطابِ يقولُ[8] : جَريرٌ يوسُفُ هذه الأمةِ .

---

(١) المنتظم ٥/ ٢٤٤ - ٢٤٧.

(٢) الاستيعاب ١/ ٢٣٦، وأسد الغابة ١/ ٣٣٣، والإصابة ١/ ٤٧٥.

(٣) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٢٤.

(٤ - ٤) فى م ، ص : « نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول اللَّه ﷺ » .

(٥) تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٢٦.

(٦) تقدم تخريجه فى ٧/ ١٤٣.

(٧) زيادة من : الأصل ، ٦١ . وقوله تقدم تخريجه فى ٧/ ٣٢٥.

(٨) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٣٥، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٣٨.

وقال عبدُ الملكِ بنُ عُمَيْرٍ[1] : رأيْتُ جَريرًا كأن وجهَه شِقَّةُ قمرٍ .

وقال الشعبىُّ[2] : كان جَريرٌ هو وجَماعةٌ مع عمرَ فى بيتٍ ، فاشْتَمَّ عمرُ مِن بعضِهم رِيحًا ، فقال : عزَمْتُ على صاحبِ هذه الريحِ لَما قام فتَوَضَّأ . فقال جَريرٌ : أوَ نَقومُ كلُّنا فنَتَوَضَّأَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال عمرُ : نِعْمَ السيدُ كنتَ فى الجاهليةِ ، ونِعْمَ السيدُ أنت فى الإسلامِ .

وقد كان عاملًا لعثمانَ على هَمَذانَ[3] ، ويقالُ[4] : إنه أُصِيبَت عينُه هناك . فلما قُتِل عثمانُ اعْتَزل عليًّا ومُعاويةَ ، ولم يَزَلْ مُقيمًا بالجَزيرةِ حتى تُوُفِّىَ بالسَّرَاةِ[5] سنةَ إحدى وخمسين . قاله الواقدىُّ ، وقيل : سنةَ أربعٍ وقيل[6] : سنةَ ستٍّ وخمسين .

وأما جعفرُ بنُ أبى سُفيانَ بنِ [7]الحارثِ بنِ[7] عبدِ المُطَّلِبِ[8] فأسْلَم مع أبيه حينَ تَلَقَّياه[9] بينَ مكةَ والمدينةِ عامَ الفتحِ ، فلمَّا رَدَّهما قال أبو سفيانَ : واللَّهِ لئن

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٣٥، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٣٨.

(٢) انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٣٩.

(٣) فى الأصل، ٦١، م : « همدان » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٣٦، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٤٠، ومعجم البلدان ٤/ ٩٨١.

(٤) انظر مختصر تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، الموضعين السابقين.

(٥) فى الأصل، ٦١: « الشراة » . والسراة : أعظم جبال بلاد العرب، وهو اسم يجمع جبالًا كثيرة مسماة بهذا الاسم . والشراة : أرض من ناحية الشام . انظر معجم ما استعجم ٣/ ٧٣٠، ٧٨٩. وقد جاء ذكر وفاته بالسراة فى الطبقات الكبرى ٦/ ٢٢، والاستيعاب ١/ ٢٣٨، وأسد الغابة ١/ ٣٣٣، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٣٥. وجاء ذكره بالشراة فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٦.

(٦) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٣٦، ٣٧.

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) الاستيعاب ١/ ٢٤٥، وأسد الغابة ١/ ٣٤١، والإصابة ١/ ٤٨٥.

(٩) أى تلقَّى جعفرٌ وأبوه أبو سفيان النبىَّ ﷺ . انظر أسد الغابة ٦/ ١٤٥.

لم يَأْذَنْ لى لآخُذَنَّ بيدِ بُنَىَّ[1] هذا فأذْهَبَنَّ فى الأرضِ، فلا يُدْرَى أين أَذْهَبُ. فلمَّا بلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ رَقَّ له وأذِن له، وقَبِل إسلامَهما، فأسْلَما إسلامًا حَسَنًا، بعدَما كان أبو سفيانَ هذا يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ أذًى كثيرًا، وشَهِد حُنَيْنًا، وكان ممَّن ثبَت يومَئذٍ. رَضِىَ اللَّهُ عنهما.

[٦/ ١١٥ظ] **وأما حارثةُ بنُ النُّعمانِ الأنْصارىُّ النَّجَّارىُّ**[2]، فشَهِد بدرًا وأُحُدًا والخَنْدقَ والمَشاهدَ كلَّها، وكان مِن فُضلاءِ الصَّحابةِ، ورُوِىَ أنه رَأَى جِبْريلَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمَقاعِدِ يتحَدَّثان بعدَ خَيْبرَ[3]. وأنه رآه يومَ بنى قُرَيْظةَ فى صُورةِ دِحْيةَ[4]. وفى الحديثِ[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سمِع قراءتَه فى الجنةِ.

قال محمدُ بنُ سعدٍ[6]: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ يونُسَ، ثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبى فُدَيْكٍ، ثنا محمدُ بنُ عثمانَ، عن أبيه أن حارثةَ بنَ النعمانِ كان قد كُفَّ بصرُه، فجعَل خيطًا مِن مُصَلَّاه إلى بابِ حُجْرتِه، [7]وكان يَضَعُ عندَه مِكْتَلًا فيه تمرٌ وغيرُه[7]، فإذا جاءه المِسْكينُ أخَذ مِن ذلك التَّمْرِ، ثم أخَذ يُمْسِكُ

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) الاستيعاب ١/ ٣٠٦، وأسد الغابة ١/ ٤٢٩، والإصابة ١/ ٦١٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٤٣٣، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣/ ٢٥٧ (٣٢٢٦)، كلاهما من حديث حارثة بن النعمان. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣١٤: رواه أحمد والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح. وقال الحافظ فى الإصابة ١/ ٦١٨: إسناده صحيح. وليس في هذه المصادر ذكر توقيته بما بعد خيبر.

(٤) انظر الطبقات الكبرى ٣/ ٤٨٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ١٥١، ١٥٢، ١٦٦، ١٦٧، والنسائى فى الكبرى (٨٢٣٣)، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٠٨، كلهم من حديث عائشة رضى الله عنها، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩١٣).

(٦) الطبقات الكبرى ٣/ ٤٨٨.

(٧ - ٧) سقط من: م.

بذلك الخيطِ حتى يَضَعَ ذلك فى يدِ المِسْكينِ، وكان أهلُه يقولون له: نحن نَكْفِيك ذلك. فيقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ مُناولةَ المِسْكينِ تَقِى مِيتةَ السُّوءِ». وأما حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ فقد تقدَّمت قصتُه مَبْسوطةً.

وأما سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ القُرَشىُّ [1]أبو الأعورِ العَدَوىُّ[1]، فهو أحَدُ العَشَرةِ المَشْهودِ لهم بالجنةِ، وهو ابنُ عمِّ عمرَ بنِ الخطابِ، وأخْتُه عاتكةُ زوجةُ عمرَ، وأختُ عمرَ فاطمةُ زَوْجةُ سعيدٍ. أسْلَم قبلَ عمرَ هو وزوجتُه فاطمةُ، وهاجَرا، وكان مِن ساداتِ الصحابةِ.

قال عُرْوةُ والزُّهرىُّ وموسى بنُ عُقْبةَ ومحمدُ بنُ إسحاقَ والواقدىُّ وغيرُ واحدٍ[2]: لم يَشْهَدْ بدرًا؛ لأنه كان قد بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ هو وطَلْحةُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ بينَ يديه يتَجَسَّسان أخْبارَ قريشٍ، فلم يَرْجِعا حتى فرَغ مِن بدرٍ، فضرَب لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ بسهمِهما وأجْرِهما.

ولم يَذْكُرْه عمرُ فى أهلِ الشُّورَى لئلا يُحابَى بسببِ قَرابتِه مِن عمرَ فيُوَلِّى، فترَكه لذلك[3]، وإلا فهو ممَّن شَهِد له رسولُ اللَّهِ ﷺ بالجنةِ فى جملةِ العشَرةِ، كما صحَّتْ بذلك الأحاديثُ المُتَعَدِّدةُ الصَّحيحةُ[4]، ولم يَتَوَلَّ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وِلايةً[5]، ومازال كذلك حتى مات بالكوفةِ، وقيلَ[6]: بالمدينةِ. وهو الأصَحُّ.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر الاستيعاب ٢/ ٦١٤، وأسد الغابة ٢/ ٣٨٧، والإصابة ٣/ ١٠٣.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٢١/ ٦٣ - ٦٥.

(٣) تقدم فى ١٠/ ٢٠٨.

(٤) تقدم تخريجها فى ٩/ ١٣٣.

(٥) أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٦٣ بسنده عن إسحاق بن بشر، أن أبا عبيدة بن الجراح خرج من حمص فمرَّ بدمشق فولَّاها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. فاللّه أعلم.

(٦) انظر تاريخ دمشق ٢١/ ٦٨.

قال الفَلَّاسُ وغيرُه[1] : سنةَ إحدى وخمسين . وقيل[2] : سنةَ ثنتين وخمسين . واللَّهُ أعلمُ .

وكان رجلًا طُوالًا أشْعَرَ ، وقد غسَّله سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ ، وحُمِل مِن العَقيقِ على رقابِ الرجالِ إلى المدينةِ ، وكان عمرُه يومَئذٍ بضعًاوسبعين سنةً[3] .

وأما عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ الجُهَنىُّ أبو يَحْيَى المَدَنىُّ[4] فصحابىٌّ جليلٌ ، شَهِد العقبةَ ، ولم يَشْهَدْ بدرًا ، وشَهِد ما بعدَها ، وكان [٦/ ١١٦و] هو ومُعاذٌ يَكْسِران أصْنامَ الأنصارِ . له فى « الصَّحيحِ »[5] حديثٌ أن ليلةَ القَدْرِ ليلةُ ثلاثٍ وعشرين . وهو الذى بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى خالدِ بنِ سفيانَ الهُذَلىِّ ، فقتَله بعُرَنَةَ[6] ، وأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِخْصَرَةً[7] ، وقال : « هذه آيةٌ ما بينى وبينَك يومَ القيامةِ » . فأمَر بها ، فدُفِنَت معه فى أكْفانِه[8] . وقد ذكَر ابنُ الجَوْزىِّ[9] أنه تُوُفِّىَ سنةَ إحدى وخمسين . وقال غيرُه[10] : سنةَ أربعٍ وخمسين[11] . وقيل[12] : سنةَ ثمانين .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢١/ ٦٨، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) انظر تاريخ دمشق الموضع السابق، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٥٤.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٢١/ ٩١ - ٩٣.

(٤) الاستيعاب ٣/ ٨٦٩، وأسد الغابة ٣/ ١٧٩، والإصابة ٤/ ١٥.

(٥) أخرجه مسلم (١١٦٨).

(٦) فى الأصل، ٦١، ص: «بعرفة». وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦١٩، ومغازى الواقدى ٢/ ٥٣١، والمحبر ص ١١٩، وتاريخ الطبرى ٣/ ١٥٦.

(٧) المخصرة: العصا. انظر النهاية ٢/ ٣٦.

(٨) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٣٦ - ١٣٨.

(٩) المنتظم ٥/ ٢٤٧.

(١٠) انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٤١ - ٦٠، ص ١٥٧، ٢٥٥.

(١١) بعده فى الأصل، ٦١: «وقيل: سنة ثمان وخمسين».

(١٢) ذكر هذا القول الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ١٤/ ٣١٥، وعزاه لأبى سعيد بن يونس. قال =

وأما أبو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بنُ الحارثِ بنِ كَلَدَةَ بنِ عمرِو بنِ عِلاجِ بنِ أبى سَلَمةَ الثَّقفىُّ[1] ، فصحابىٌّ جليلٌ كبيرُ القَدْرِ ، ويقالُ : كان اسمَه مَسْروحٌ . وإنما قيل له : أبو بَكْرةَ . لأنه تَدَلَّى فى بَكْرةٍ يومَ الطائفِ ، فأعْتَقه رسولُ اللَّهِ ﷺ وكلَّ مَن نزَل مِن مَوالِيهم يومَئذٍ . وأمُّه سُمَيَّةُ هى أمُّ زِيادٍ ، وكان ممَّن شَهِد على المغيرةِ بنِ شُعْبَةَ بالزِّنى [2]هو وأخوه زِيادٌ[2] ، ومعهما شِبْلُ[3] بنُ مَعْبَدٍ ، ونافعُ بنُ الحارثِ ، فلمَّا تَلكَّأَ زِيادٌ فى الشَّهادةِ جَلَد عمرُ الثلاثةَ الباقِين ، ثم اسْتَتابَهم فتابوا إلا أبا بَكْرةَ فإنه صَمَّم [4]على الشَّهادةِ ، وقال المغيرةُ : يا أميرَ المؤمنين ، اشْفِنى مِن هذا العبدِ . فنهَره عمرُ وقال له : اسْكُتْ لو كَمَلَت الشَّهادةُ لرَجَمْتُك بأحْجارِك[4] . وكان أبو بَكْرةَ خيرَ هؤلاء الشُّهودِ ، وكان ممَّن اعْتَزل الفِتَنَ ، فلم [5]يحضُرْ شيئًا منها[5] ، ومات فى هذه السنةِ ، وقيل[6] : قبلَها بسنةٍ . وقيل[6] : بعدَها بسنةٍ . وصلَّى عليه أبو بَرْزَةَ الأسْلمىُّ[7] ، وكان قد آخَى بينَهما رسولُ اللَّهِ ﷺ .

= الحافظ فى الإصابة ٤/١٦ معلِّقا على عزو المزى هذا : وتُعُقِّب - أى المزىُّ - بأن الذى فى تاريخ ابن يونس أنه مات فى هذه السنة أو غيره ، وهو مذكور بعد عبد اللَّه بن أُنيس بترجمتين ، فكأنه دخلتْ للمزى ترجمة فى ترجمة ، والمعروف أنه مات بالشام سنة أربع وخمسين .

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥٣٠، وأسد الغابة ٥/ ٣٥٤، والإصابة ٦/ ٤٦٧.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى م ، ص : « سهل » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٥٠٣.

(٤ - ٤) سقط من : ص . والحديث أخرجه البخارى معلقا ؛ انظر فتح البارى ٥/ ٢٥٥، وأخرجه موصولًا الطبرى فى تفسيره ١٨/ ٧٦، والطبرانى فى الكبير ٧/ ٣٧٢، ٣٧٣ (٧٢٢٧) ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٤٨، ٤٤٩، مطولًا عنده .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « يكن فى خيرهما » .

(٦) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ١٨٠.

(٧) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ١٨٤، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٨، ٩.

وفيها **تُوُفِّيَت أمُّ المؤمنين مَيْمونةُ بنتُ الحارثِ الهِلالية**[1] ، تَزَوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عُمْرةِ القَضاءِ سنةَ سبعٍ . قال ابنُ عباسٍ ، وكان ابنَ أختِها أمِّ الفضلِ لُبابةَ بنتِ الحارثِ : تَزَوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو مُحْرِمٌ . أخرجاه[2] . وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ[3] » عنها أنهما كانا حَلالَيْن . وقولُها مُقَدَّمٌ عندَ الأكْثرِين على قولِ ابنِ عباسٍ .

وروَى الترمذىُّ عن أبى رافعٍ[3] - وكان هو السَّفيرَ بينَهما - أنهما كانا حلالَيْن . ويقالُ[4] : كان اسمُها بَرَّةَ ، فسَمَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمونةَ . وتُوُفِّيَت بسَرِفٍ بينَ مكةَ والمدينةِ حيث بنَى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى هذه السنةِ . وقيل : [٦/١١٦ظ] فى سنةِ ثلاثٍ وستين . وقيل : سنةَ ستٍّ وستين . والمَشْهورُ الأولُ ، وصَلَّى عليها ابنُ أختِها عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما .

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٩١٤، وأسد الغابة ٧/ ٢٧٢، والإصابة ٨/ ١٢٦.

(٢) سقط من: م، ص. وقد تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٩٠. وهو عند مسلم فى الصحيح (١٤١٠).

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٩١.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٤٣.

ثم دخَلَت سنةُ ثِنْتَيْن وخمسين

فيها غَزا بلادَ الرومِ وشَتَّى بها سفيانُ بنُ عوفٍ الأَزْدىُّ ، فَمات هنالك ، واسْتَخْلَف على الجُنْدِ بعدَه عبدَ اللَّهِ بنَ مَسْعَدَةَ الفَزارىَّ ، وقيل : إن الذى كان أميرَ الغَزْوِ ببلادِ الرومِ فى هذه السنةِ بُسْرُ بنُ أبى أرْطاةَ ، ومعه سفيانُ بنُ عوفٍ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ سعيدُ بنُ العاصِ نائبُ المدينةِ . قاله أبو مَعْشَرٍ والواقدىُّ وغيرُهما[1] . وغَزا الصائفةَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الثقفىُّ . وعمَّالُ الأمْصارِ فى هذه السنةِ عُمَّالُها فى السنةِ الماضيةِ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ

خالدُ بنُ زيدِ بنِ كُلَيْبٍ ، أبو أيوبَ الأنْصارىُّ الخَزْرجىُّ[2] ، شَهِد بدرًا والعَقَبةَ والمَشاهدَ كلَّها ، وشَهِد مع علىٍّ قتالَ الحَروريَّةِ ، وفى دارِه كان نُزولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ قَدِم المدينةَ مهاجرًا مِن مكةَ ، فأقام عندَه شهرًا حتى بنَى المسجدَ ومَساكنَه حولَه ، ثم تَحَوَّل إليها ، وقد كان أبو أيوبَ أنْزَل رسولَ اللَّهِ ﷺ فى سُفْلِ الدارِ ، ثم تَحَرَّج مِن أن يَعْلُوَ فوقَه ، فسأَل مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يَصْعَدَ إلى العُلْوِ ، ويكونَ هو وأمُّ أيوبَ فى السُّفْلِ ، فأجابه إلى ذلك .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٨٧، والمنتظم ٥/ ٢٤٩، والكامل ٣/ ٤٩١، ٤٩٢.
(٢) الاستيعاب ٢/ ٤٢٤، وأسد الغابة ٢/ ٩٤، والإصابة ٢/ ٢٣٤.

وقد رُوِّينا عن ابنِ عباسٍ[1] أنه قَدِم عليه أبو أيوبَ البَصْرةَ وكان ابنُ عباسٍ نائبَها ، فخرَج له عن دارِه وأنْزَله بها ، فلمَّا أراد الانْصِرافَ خرَج له عن كلِّ شيءٍ بها ، وزاده تُحَفًا وخَدَمًا كثيرًا ، وأعطاه أرْبعين[2] ألفًا وأربعين عبدًا ؛ إكْرامًا له لِما كان أنْزَل رسولَ اللَّهِ ﷺ فى دارِه ، وقد كان مِن أكْبرِ الشَّرَفِ له . وهو القائلُ لزوجتِه أمِّ أيوبَ حينَ قالت له : أما تَسْمَعُ ما يقولُ الناسُ فى عائشةَ ؟ فقال لها : أكنتِ فاعلةً ذلك يا أمَّ أيوبَ ؟ فقالت : لا واللَّهِ . فقال : واللَّهِ لَهى خيرٌ منكِ . فأنْزَل اللَّهُ[3] : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ الآية [النور : ١٢] . وكانت [٦/١١٧و] وَفاتُه ببلادِ الرومِ قريبًا مِن سُورِ قُسْطَنْطِينيَّةَ مِن هذه السنةِ ، وقيل : فى التى قبلَها . وقيل : فى التى بعدَها . وكان فى جيشِ يزيدَ ابنِ مُعاويةَ ، وإليه أوْصَى ، وهو الذى صلَّى عليه .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا هَمَّامٌ ، ثنا عاصمٌ ، عن رجلٍ مِن أهلِ مكةَ ، أنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ كان أميرًا على الجيشِ الذى غَزا فيه أبو أيوبَ ، فدخَل عليه عندَ الموتِ ، فقال له : إذا أنا مِتُّ فاقْرَءُوا على الناسِ منى السلامَ ، وأخْبِروهم أنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن مات لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا جَعَله اللَّهُ فى الجنةِ » . ولْيَنْطَلِقوا بى فلْيَبْعُدوا بى فى أرضِ الرومِ ما اسْتَطاعوا . قال : فحدَّث الناسَ لما مات أبو أيوبَ ، فاستَلْأَم[5] الناسُ وانْطَلقوا بجِنازتِه .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٤/ ١٤٨، ١٤٩ (٣٨٧٦، ٣٨٧٧)، والمستدرك ٣/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٢) فى مصدرى التخريج : « عشرين » .

(٣) التفسير ٦/ ٢٦، ٢٧. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٢، ومغازى الواقدى ٢/ ٤٣٤.

(٤) المسند ٥/ ٤١٦.

(٥) فى الأصل ، ٦١: « بهذا الحديث فاحتملوا » ، وفى م ، ص : « فأسلم » . والمثبت من المسند . واستلأم الناس : أى لبس كل منهم لأمَته ، واللأمة : الدرع .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا أبو بكرٍ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى ظَبْيانَ قال : غَزا أبو أيوبَ مع يزيدَ بنِ مُعاويةَ . قال : فقال : إذا مِتُّ فأدْخِلونى فى أرضِ العدوِّ ، فادْفِنونى تحتَ أقْدامِكم حيث تَلْقَون العدوَّ . قال : ثم قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن مات لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دخَل الجنةَ » . ورَواه أحمدُ[2] عن ابنِ نُمَيْرٍ ويَعْلَى بنِ عُبَيْدٍ ، عن الأعْمشِ ، سمِعْتُ أبا ظَبْيانَ ، فذكَره ، وقال فيه : وسأُحَدِّثُكم حديثًا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لولا حالى هذا ما حَدَّثْتُكموه ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن مات لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دخَل الجنةَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى ، حدَّثنى محمدُ بنُ قيسٍ قاصٌّ[4] عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن أبى صِرْمةَ ، عن أبى أيوبَ الأنصارىِّ ، أنه قال حينَ حضَرَتْه الوفاةُ : قد كنتُ كتَمْتُ عنكم شيئًا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يقولُ : « لولا أنكم تُذْنِبون لَخَلَق اللَّهُ قومًا يُذْنِبون فيَغْفِرُ لهم » . وعندى أن هذا الحديثَ والذى قبلَه هو الذى حمَل يزيدَ بنَ مُعاويةَ على طَرَفٍ مِن الإرْجاءِ ، ورِكب بسببِه أفعالًا كثيرةً أُنْكِرت عليه كما سنَذْكُرُه فى ترجمتِه . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

قال الواقدىُّ[5] : مات أبو أيوبَ بأرضِ الرومِ سنةَ ثنتين وخمسين ، ودُفِن عندَ

---

(١) المسند ٥/ ٤٢٣.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٤١٩.
(٣) المصدر السابق ٥/ ٤١٤.
(٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « قاضى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٢٣.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٨٥.

القُسْطَنْطِينيةِ ، وقبرُه هنالك يَسْتَسْقِى به الرومُ إذا قَحَطوا . [1] وقيل : إنه مَدْفونٌ فى حائطِ القُسْطَنْطِينيةِ ، وعلى قبرِه مَزارٌ ومسجدٌ ، [٦/١١٧ظ] وهم يُعَظِّمونه [1] . وقال أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ [2] : تُوُفِّىَ سنةَ خمسٍ وخمسين . والأولُ أثْبَتُ ، واللَّهُ أعلمُ .

[3] وقال أبو بكرِ بنُ خَلَّادٍ [4] : حدَّثنا الحارثُ بنُ أبى أسامةَ ، ثنا داودُ بنُ المُحَبَّرِ ، ثنا مَيْسَرةُ بنُ عبدِ رَبِّه ، عن موسى بنِ عُبَيدةَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عَطاءِ ابنِ يزيدَ ، عن أبى أيوبَ الأنصارىِّ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إن الرجلين لَيَتَوَجَّهان إلى المسجدِ فيُصَلِّيان ، فيَنْصَرِفُ أحدُهما وصلاتُه أوْزَنُ مِن أُحُدٍ [5] ، ويَنْصَرِفُ الآخرُ وما تَعْدِلُ صلاتُه مِثْقالَ ذَرَّةٍ » . [6] فقال أبو حُمَيدٍ الساعدىُّ : وكيف يكونُ ذلك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « إذا كان أحسنَهما عقلًا » . قال : وكيف يكونُ ذلك ؟ قال [6] : « إذا كان أوْرَعَهما عن مَحارمِ اللَّهِ وأحْرَصَهما على المُسارَعةِ إلى الخيرِ ، [6] وإن كان دونَه فى التَّطَوُّعِ [6] » .

وعن أبى أيوبَ قال [7] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لرجلٍ سأَله أن يُعَلِّمَه ويُوجِزَ [3] ،

(١ - ١) سقط من : ص . وانظر تاريخ دمشق ١٦/ ٦٠، ٦١.

(٢) تاريخ أبى زرعة ١/ ١٨٨.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/٣٦٢ عن أبى بكر بن خلاد به . وهو فى بغية الباحث (٨٢٩) . قال الحافظ فى المطالب العالية ٧/ ٢٦٦: موضوع .

(٥) فى الأصل ، ا ٦، م : « صلاة الآخر » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا ٦، م . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٧) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٤١٧١) ، والإمام أحمد فى المسند ٥/ ٤١٢. حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٦٣) .

(١) فقال له : « إذا (٢) صلَّيْتَ صلاةً (٢) فصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ ، ولا تَكَلَّمَنَّ (٣) بكلامٍ تَعْتَذِرُ منه ، وأجْمِعِ اليأسَ مما فى أيدى الناسِ » (١) .

وفيها كانت وفاةُ **أبى موسى عبدِ اللَّهِ بنِ قيسِ بنِ سُلَيْمِ بنِ حَضّارِ بنِ حربِ بنِ عامرِ بنِ عَنْزِ بنِ بكرِ بنِ عامرِ بنِ عَذَرِ بنِ وائلِ بنِ ناجيةَ بنِ جُماهِرِ ابنِ الأشْعرِ الأشْعرىِّ اليمانِىِّ** (٤) ، أسْلَم ببلادِه ، وقَدِم مع جعفرٍ وأصحابِه عامَ خَيْبَرَ (٥) . وذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ أنه هاجَر أولًا إلى مكةَ ، ثم هاجَر إلى الحَبَشةِ (٦) ، وليس هذا بالمشهورِ . وقد اسْتَعْمَله رسولُ اللَّهِ ﷺ مع مُعاذٍ على اليمنِ ، واسْتَنابه عمرُ على البَصْرةِ ، وفَتَح تُسْتَرَ ، وشهِد خُطْبةَ عمرَ بالجابيةِ ، ووَلَّاه عثمانُ الكوفةَ ، وكان أحدَ الحَكَمَيْن بينَ علىٍّ ومُعاويةَ ، فلمَّا اجْتَمَعا خدَع عمرٌو أبا موسى .

وكان مِن قُرَّاءِ الصَّحابةِ وفُقهائِهم ، وكان أحسنَ الصَّحابةِ صَوْتًا فى زَمانِه . قال أبو عثمانَ النَّهْدىُّ (٧) : ما سَمِعْتُ صوتَ صَنْجٍ ولا بَرْبَطٍ ولا مِزْمارٍ أطيبَ مِن صوتِ أبى موسى . وثبَت فى الحديثِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لقد أُوتىَ هذا مِزْمارًا مِن مَزامِيرِ آلِ داودَ » (٨) . وكان عمرُ يقولُ له (٩) : ذَكِّرْنا ربَّنا يا أبا موسى .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى سنن ابن ماجه والمسند : « قمت فى صلاتك » .

(٣) فى سنن ابن ماجه ، والمسند : « تكلم » .

(٤) الاستيعاب ٣/ ٩٧٩، ٤/ ١٧٦٢، وأسد الغابة ٣/ ٣٦٧، ٦/ ٣٠٦، والإصابة ٤/ ٢١١.

(٥) انظر ما تقدم فى ٦/ ٣١٥.

(٦) فى النسخ : « اليمن » . والمثبت مما تقدم فى ٤/ ١٦٩، ١٧٢. فلعله سبق قلم من المصنف . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٤.

(٧) تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٧٣، طبعة مجمع اللغة العربية . وانظر ما تقدم فى ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٨) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٠٥.

(٩) تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٣٩ طبعة مجمع اللغة العربية .

فيَقْرَأُ وهم يَسْمَعون . وقال الشعبيُّ[1] : كتَب عمرُ فى وصيتِه أن لا يُقَرَّ لى عاملٌ أكثرَ مِن سنةٍ إلا أبا موسى ، فلْيُقَرَّ أربعَ سنين .

وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[2] أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ ، وهو قولُ بعضِهم . وقيل : إنه تُوُفِّىَ قبلَها بسنةٍ . وقيل : فى سنةِ ثِنْتَيْن وأربعين . وقيل غيرُ ذلك[3] . واللَّهُ أعلمُ . وكانت وَفاتُه بمكةَ لما اعتزل الناسَ بعدَ التَّحْكيمِ ، وقيل : بمكانٍ يقالُ له : الثَّوِيَّةُ . على مِيلَيْن مِن الكوفةِ . وكان قصيرًا [٦/ ١١٨و] نَحيفَ الجِسْمِ ، أَثَطَّ[4] ، أى لا لحْيَةَ له ، رضِى اللَّهُ عنه .

وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ[2] أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ أيضًا مِن الصَّحابةِ **عبدُ اللَّهِ بنُ المُغَفَّلِ المُزَنىُّ**[5] ، وكان أحَدَ البَكَّائِين ، وأحَدَ العَشَرةِ الذين بعَثهم عمرُ إلى البَصْرةِ ليُفَقِّهوا الناسَ ، وهو أولُ مَن دخَل تُسْتَرَ مِن المسلمين حينَ فتْحِها . لكن الصَّحيحُ ما حكاه البخارىُّ[6] عن مُسَدَّدٍ أنه تُوُفِّىَ سنةَ سبعٍ وخمسين . وقال ابنُ عبدِ البَرِّ[7] : تُوُفِّىَ سنةَ ستين . وقال غيرُه[8] : سنةَ إحدى وستين . فاللَّهُ أعلمُ .

ويُرْوَى عنه[9] أنه رَأَى فى مَنامِه كأنَّ القِيامةَ قد قامت ، وكان هناك مَكانٌ مَن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٣٩١.

(٢) المنتظم ٥/ ٢٥٢.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٣٨٨/٣٧ - ٣٩١، طبعة مجمع اللغة العربية .

(٤) فى ٦١، م : « أسبط » .

(٥) الاستيعاب ٣/ ٩٩٦، وأسد الغابة ٣/ ٣٩٨، والإصابة ٤/ ٢٤٢.

(٦) التاريخ الكبير ٥/ ٢٣.

(٧) الاستيعاب ، الموضع السابق .

(٨) انظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٧٥.

(٩) انظر المنتظم ٥/ ٢٥٣.

وَصَل إليه نَجا ، فجعَل يُحاولُ الوُصولَ إليه ، فقيل له : أتُريدُ أن تَصِلَ إليه وعندَك ما عندَك[1] ؟ فاسْتَيْقَظ ، فعمَد إلى عَيْبةٍ[2] عندَه فيها ذَهَبٌ كثيرٌ ، فلم يُصْبِحْ عليه الصَّباحُ إلا وقد فَرَّقها فى المَساكِينِ والمَحاويجِ والأقاربِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وفيها **تُوُفِّىَ عِمْرانُ بنُ حُصَيْنِ بنِ عُبَيدِ بنِ خَلَفٍ ، أبو نُجَيْدٍ الخُزاعىُّ**[3] ، أسْلَم هو وأبو هريرةَ عامَ خَيْبرَ ، وشَهِد غَزَواتٍ ، وكان مِن ساداتِ الصَّحابةِ ، اسْتَقْضاه عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ على البَصْرةِ فحكَم بها ، ثم اسْتَعْفاه فأعْفاه ، ولم يَزَلْ بها حتى مات فى هذه السنةِ . قال الحسنُ وابنُ سِيرينَ[4] : ما قَدِم البَصْرةَ راكبٌ خيرٌ منه .

وقد كانت المَلائكةُ تُسَلِّمُ عليه ، فلما اكْتَوَى انْقَطَع عنه سَلامُهم ، ثم عادوا فسلَّموا عليه قبلَ موتِه بقليلٍ[5] ، رضِى اللَّهُ عنه وعن أبيه أيضًا .

كعبُ بنُ عُجْرَةَ الأنصارىُّ ، أبو محمدٍ المَدَنىُّ[6] ، صحابىٌّ جَليلٌ ، وهو الذى نَزَلَت فيه آيةُ الفِدْيةِ فى الحَجِّ[7] . مات فى هذه السنةِ ، وقيل : قبلَها بسنةٍ . عن خمسٍ أو سبعٍ وسبعين سنةً .

مُعاويةُ بنُ حُدَيْجٍ[8] **بنِ جَفْنةَ بنِ قَتِيرةَ الكِنْدىُّ الخَوْلانىُّ المِصْرىُّ** ، صَحابىٌّ

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « من الدنيا » .

(٢) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع . تاج العروس (ع ى ب) .

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٢٠٨ ، وأسد الغابة ٤/ ٢٨١ ، والإصابة ٤/ ٧٠٥ .

(٤) علل الإمام أحمد ٢/ ٢٣ .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦٧/١٢٢٦) .

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٣٢١ ، وأسد الغابة ٤/ ٤٨١ ، والإصابة ٥/ ٥٩٩ .

(٧) انظر التفسير ١/ ٣٣٧ .

(٨) فى النسخ : « خديج » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٤١٣ ، وأسد الغابة ٥/ ٢٠٦ ، والإصابة ٦/ ١٤٧ .

على قولِ الأكْثرين ، وذكَره ابنُ حِبَّانَ فى التابعين مِن « الثِّقاتِ »[1] ، والصَّحيحُ الأولُ ، شَهِد فَتْحَ مِصْرَ ، وهو الذى وفَد إلى عمرَ بفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وشَهِد مع عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ قِتالَ البَرْبَرِ ، وذهَبت عينُه يومَئذٍ ، ووَلِىَ حُروبًا كثيرةً فى بلادِ المغربِ ، وكان عُثْمانيًّا فى أيامِ علىٍّ ببلادِ مصرَ ، ولم يُبايِعْ عليًّا بالكُلِّيةِ ، فلمَّا أخَذ مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ مِصْرَ أكْرَمه ، ثم اسْتَنابه بها بعدَ عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرِو بنِ العاصِ ، [٦/١١٨ظ] فإنه ناب بها بعدَ أبيه سنتين ، ثم عزَله مُعاويةُ ووَلَّى مُعاويةَ بنَ حُدَيْجٍ هذا ، فلم يَزلْ بمِصْرَ حتى مات بها فى هذه السنةِ[2] .

هانئُ بنُ نِيَارٍ ، أبو بُرْدةَ البَلَوىُّ[3] ، [4]**وهو خالُ البراءِ بنِ عازبٍ**[4] ، المخصوصُ بذبحِ العَناقِ وإجزائِها عن غيرِها مِن الأضاحى[5] ، وشَهِد العَقَبةَ وبدرًا والمَشاهِدَ كلَّها ، وكانت رايةُ بنى حارثةَ معه يومَ الفتحِ ، رضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) الثقات ٥/ ٤١٥.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٨١، ٢٢٩.

(٣) الاستيعاب ٤/ ٥٣٥، وأسد الغابة ٥/ ٣٨٢، والإصابة ٦/ ٥٢٣.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) أى خصه النبى ﷺ بأن يذبح العناق - وهى الأنثى من المعز التى لها سنة - وأنها تجزئه عن غيرها. والحديث أخرجه البخارى (٩٥٥، ٩٦٥، ٩٦٨، ٩٧٦، ٩٨٣، ٥٥٤٥، ٥٥٤٩، ٥٥٥٦، ٥٥٥٧، ٥٥٦٠، ٥٥٦١، ٥٥٦٣)، ومسلم (١٩٦١/٥)، وأبو داود (٢٨٠٠)، والإمام أحمد فى المسند ٤/ ٢٨٢، ٢٩٨، ٣٠٣.

ثم دَخَلَت سنةُ ثلاثٍ وخمسين

فيها غَزا عبدُ الرحمنِ بنُ أمِّ الحَكَمِ الثَّقَفيُّ بلادَ الرومِ وشَتَّى بها . وفيها افْتَتح المسلمون - وعليهم جُنادةُ بنُ أبى أُمَيَّةَ - جَزيرةَ رُودِسَ ، فأقام بها طائفةٌ مِن المسلمين كانوا أشَدَّ شيءٍ على الكُفارِ ، يَعْتَرِضون لهم فى البَحْرِ ، ويَقْطَعون سبيلَهم ، وكان مُعاويةُ يُدِرُّ عليهم الأرْزاقَ والأَعْطِياتِ الجَزيلةَ ، وكانوا على حَذَرٍ شديدٍ مِن الفِرِنْجِ ، يَبِيتون فى حِصْنٍ عظيمٍ عندَهم فيه حوائجُهم ودَوابُّهم وحَواصِلُهم ، ولهم نَواطِيرُ على البحرِ يُنْذِرونهم إن قَدِم عدوٌّ أو كادَهم أحدٌ ، وما زالوا كذلك حتى كانت إمارةُ يَزيدَ بنِ معاويةَ بعدَ أبيه ، فأقْفَلَهم مِن تلك الجَزيرةِ ، وقد كانت للمسلمين بها أموالٌ كَثيرةٌ وزِراعاتٌ غَزيرةٌ .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ سعيدُ بنُ العاصِ والى المدينةِ . قاله أبو مَعْشَرٍ والواقدىُّ[1] .

وفى هذه السنةِ تُوُفِّىَ جَبَلةُ بنُ الأيْهَمِ الغَسَّانىُّ ، كما ستأتى تَرْجَمتُه فى آخرِ هذه التَّراجِمِ .

وفيها **تُوُفِّىَ الربيعُ بنُ زِيادٍ الحارثىُّ**[2] ، اخْتُلِف فى صُحْبتِه ، وكان نائبَ زِيادٍ على خُراسانَ ، وكان قد ذَكَر حُجْرَ بنَ عَدِىٍّ فتأَسَّف عليه ، وقال : واللَّهِ لو ثارت العربُ له لَمَا قُتِل صَبْرًا ، ولكن أقَرَّت العربُ فذَلَّت . ثم لما كان يومُ الجمعةِ دَعا اللَّهَ على المِنْبرِ أن يَقْبِضَه إليه ، فما عاش إلى الجُمُعةِ الأخرى ، واسْتَخْلَفَ على

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٢٩٢، وتاريخ دمشق ٢١/ ١٢٨.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٤٨٨، وأسد الغابة ٢/ ٢٠٦، والإصابة ٢/ ٤٥٦.

عملِه ابنَه عبدَ اللَّهِ بنَ الربيعِ ، فأقَرَّه زِيادٌ على ذلك ، فمات بعدَ ذلك بشهرَيْن ، واسْتَخْلفَ على عملِه بخُراسانَ خُليدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحَنَفيَّ ، فأقَرَّه زِيادٌ .

ورُوَيْفِعُ بنُ ثابتٍ[1] ، صحابيٌّ جَليلٌ ، شَهِد فتحَ مصرَ ، [٦/ ١١٩و] وله آثارٌ جَيدةٌ فى فَتْحِ بلادِ المغربِ ، ومات ببَرْقَةَ واليًا مِن جهةِ مَسْلَمةَ بنِ مُخَلَّدٍ نائبِ مصرَ .

وفيها **تُوُفِّيَ زيادُ بنُ أبى سفيانَ**[2] - ويقالُ له : زيادُ بنُ أَبِيه . و : زيادُ ابنُ سُمَيَّةَ . وهى أُمُّه - فى رَمضانَ مِن هذه السنةِ مَطْعونًا[3] ، وكان سببَ ذلك أنه كتَب إلى مُعاويةَ يقولُ له[4] : إنى قد ضَبَطْتُ لك العراقَ بشمالى ، ويَمينى فارغةٌ[5] . وهو يُعَرِّضُ له أن يَسْتَنِيبَه على بلادِ الحِجازِ أيضًا ، فلمَّا بلَغ أهلَ الحِجازِ ذلك جاءوا إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، فشَكَوا إليه ذلك ، وخافوا أن يَلِيَ عليهم زيادٌ ، فيَعْسِفَهم كما عسَف أهلَ العراقِ ، فقام ابنُ عمرَ فاسْتَقْبَل القِبْلةَ ، فدَعا على زيادٍ والناسُ يُؤَمِّنون ، فطُعِن زيادٌ بالعراقِ فى يدِه فضاق ذَرْعًا بذلك ، واسْتَشار شُرَيْحًا القاضىَ فى قَطْعِ يدِه ، فقال له شُرَيْحٌ : إنى لا أَرَى لك أن تَفْعَلَ ذلك بنفسِك ، فإنه إن لم يكُنْ فى الأجلِ فُسْحةٌ لَقِيتَ اللَّهَ أجْذَمَ قد قَطَعْتَ يدَك جَزعًا مِن لِقائِه ، وإن كان لك أجلٌ بَقِيت فى الناسِ أجْذَمَ فيُعَيِّرُ وَلَدُك بذلك . فصَرَفه عن ذلك ، فلمَّا خرَج شُرَيْحٌ مِن عندِه عاتَبه بعضُ الناسِ وقالوا : هلَّا ترَكْتَه فقطَع يدَه ؟ فقال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « المُسْتَشارُ مُؤْتَمَنٌ »[6] . ويقالُ : إنّ

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٥٠٤، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٩، والإصابة ٢/ ٥٠١.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٥٢٣، وأسد الغابة ٢/ ٢٧١، والإصابة ٢/ ٦٣٩.

(٣) أى مات بالطاعون .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/٢٨٩ .

(٥) بعده فى الأصل، ٦١، م : « فارع لى ذلك » .

(٦) أخرجه أبو داود (٥١٢٨) ، وابن ماجه (٣٧٤٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٢٧٧) .

زِيادًا جعَل يقولُ : أأنامُ أنا والطاعونُ فى فِراشٍ واحدٍ ؟ فعزَم على قَطْعِ يدِه ، فلما جِىء بالمكاوِى والحديدِ خاف مِن ذلك ، فترَك ذلك . وذُكِر[1] أنه جمَع مائةً وخمسين طَبيبًا عنده ليُداوُوه مما يَجِدُ مِن الحَرِّ فى باطنِه ، منهم ثلاثةُ أطِبَّاءَ ممن كان يَطِبُّ كِسْرَى بنَ هُرْمُزَ ، فعجَزوا عن رَدِّ القَدَرِ المَحْتومِ والأمْرِ المَحْمومِ ، فمات فى ثالثِ شهرِ رمضانَ فى هذه السنةِ . وقد قام فى إمْرةِ العراقِ خمسَ سنين . ودُفِن بالثَّوِيَّةِ خارجَ الكوفةِ ، وقد كان بَرَز منها قاصدًا الحِجازَ أميرًا عليها ، فلمَّا بلَغ خبرُ موتِه عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال : اذْهَبْ إليك يا بن سُمَيَّةَ ، فلا الدنيا بَقِيَت لك ، ولا الآخرةَ أدْرَكْتَ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنى أبى ، عن هشام [٦/ ١١٩ظ] بنِ محمدٍ ، حدَّثنى يحيى بنُ ثَعْلبةَ أبو المُقَوَّمِ الأنصارىُّ ، عن [3]أُمِّه عائشةَ ، عن أبيها[3] عبدِ الرحمنِ بنِ السائبِ الأنْصارىِّ ، قال : جمَع زِيادٌ أهلَ الكوفةِ ، فمَلأ منهم المسجدَ والرَّحْبةَ والقَصْرَ ؛ [4]لِيَعْرِضَهم على[4] البَراءةِ مِن علىِّ بنِ أبى طالبٍ . قال عبدُ الرحمنِ : فإنى لَمَع نَفَرٍ مِن أصحابى مِن الأنْصارِ ، [5]والناسُ فى أمْرٍ عظيمٍ مِن ذلك وفى حَصْرٍ . قال[5] : فهَوَّمْتُ تَهْويمةً - [5]أى نَعَسْتُ نَعْسةً - فرأيْتُ شيئًا أقْبَل طَويلَ العُنُقِ ، له عُنُقٌ مثلُ عُنُقِ البَعيرِ ، أهْدَبَ أهْدَلَ[6][5] فقلتُ : ما أنت ؟

---

(١) انظر المنتظم ٥/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٠٣، وابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، كلاهما من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١: « عائشة عن أمها عن » ، وفى م ، ص : « أمه عن عائشة وعن أبيها » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ليعرض عليهم » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) الأهدب : طويل شعر الأجفان . والأهدل : المُسْتَرخى الشفة السفلى الغليظُها . النهاية ٥/ ٢٤٩، ٢٥١.

فقال : أنا النَّقَّادُ ذو الرَّقَبةِ ، بُعِثْتُ إلى صاحبِ هذا القَصْرِ . فاسْتَيْقَظْتُ فَزِعًا ، فقلتُ لأصْحابى : هل رأيْتُم ما رأيْتُ ؟ قالوا : لا . فأخْبَرْتُهم ، وخرَج علينا خارجٌ مِن القَصْرِ فقال : إن الأميرَ يقولُ لكم : انْصَرِفوا عنى ، فإنى عنكم مَشْغولٌ . وإذا الطاعونُ قد أصابه .

وروَى ابنُ أبى الدُّنْيا[1] أن زِيادًا لما وَلِىَ الكُوفةَ سأَل عن أَعْبدِ أهلِها ، فدُلَّ على رجـلٍ يقالُ له : [2]أبو المُغيرةِ[2] الحِمْيَرىُّ . فجاء به فقال له : الْزَمْ بيتَك ولا تَخْرُجْ منه وأنا أُعْطِيك مِن المالِ ما شئتَ . فقال: لو أعْطَيْتَنى مُلْكَ الأرضِ ما ترَكْتُ خُروجى لصلاةِ الجَماعةِ . فقال : الْزَمِ الجماعةَ ولا تَتَكَلَّمْ بشَىءٍ . فقال : لا أسْتَطِيعُ تَرْكَ الأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ . فأمَر به فضُرِبت عُنُقُه . وهذا غريبٌ جدًّا .

[3]ولما احْتُضِر قال له ابنُه[4] : يا أَبَةِ ، قد هَيَّأْتُ لك ستين ثوبًا أُكَفِّنُك فيها . فقال : يا بُنىَّ ، قد دَنا مِن أبيك أمْرٌ ؛ إما لِباسٌ خيرٌ مِن لِباسِه وإما سَلْبٌ سَريعٌ[3] .

وصَعْصَعةُ بنُ ناجيةَ بنِ عِقالِ بنِ محمدِ بنِ سفيانَ بنِ مُجاشِعِ بنِ دارِمٍ الدارمىُّ[5] ، كان سيدًا فى الجاهليةِ وفى الإسلامِ ، يقالُ : إنه أحْيَا فى الجاهليةِ ثلاثَمائةٍ وستين مَوْءودَةً . وقيل : أربعَمائةٍ . وقيل : ستًّا وتسعين مَوْءودَةً . فلمَّا أسْلَم قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لك أجْرُ ذلك إذ مَنَّ اللَّهُ عليك بالإسلامِ »[6] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٠٦، وابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٦٣، كلاهما من طريق ابن أبى الدنيا بنحوه مطولا .

(٢ - ٢) فى مصدرى التخريج : « فلان » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٨٩، وتاريخ دمشق ١٩/ ٢٠٥.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٧١٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٢، والإصابة ٣/ ٤٢٩.

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٩١ (٧٤١٢)، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٢٢. بنحوه .

ويُرْوَى[1] عنه أنه أولَ ما أُحْيِيَ المَوْءودةَ أنه ذهَب فى طَلَبِ ناقتيْن شَرَدَتا له . قال : فبينما أنا فى الليلِ أَسِيرُ إذا أنا بنارٍ تُضِيءُ مَرَّةً وتَخْبُو أُخْرَى ، فجعَلْتُ لا أَهْتَدِى إليها ، فقلتُ : اللهم لك علىَّ إن أَوْصَلْتَنى إليها أن أَدْفَعَ عن أهلِها [٦/ ١٢٠و] ضَيْمًا إن وَجَدْتُه بهم . قال : فوصَلْتُ إليها ، وإذا شيخٌ كبيرٌ يُوقِدُ نارًا ، وعندَه نِسوةٌ مُجْتَمِعاتٌ ، فقلتُ : ما أنتن ؟ فقلْنَ : إن هذه امرأةٌ قد حبَسَتْنا منذُ ثَلاثٍ ، تَطْلَقُ ولم تَخْلُصْ . فقال الشيخُ صاحبُ المنزلِ : وما خبرُك ؟ فقلتُ : إنى فى طَلَبِ ناقتَيْن شَرَدَتا لى . فقال : قد وجَدْتُهما ، إنهما لفى إبِلِنا . قال : فنزَلْتُ عندَه . قال : فما هو إلا أن نَزَلْتُ إذ قُلْنَ : وَضَعَتْ . فقال الشيخُ : إن كان ذَكَرًا فارْتَحِلوا ، وإن كان أُنْثَى فلا تُسْمِعْنَنى صوتَها . فقلتُ : عَلامَ تَقْتُلُ ولدَك ورِزْقُه على اللَّهِ ؟ فقال : لا حاجةَ لى بها . فقلتُ : أنا أَفْتَدِيها منك وأَتْرُكُها عندَك حتى تَبِينَ عنك أو تَموتَ . قال : بكم ؟ قلتُ . بإحْدى ناقتَىَّ . قال : لا . قلتُ : فبهما . قال : لا إلا أن تَزِيدَنى بعيرَك هذا ، فإنى أَراه شابًّا حسنَ اللونِ . قلتُ : نعم ، على أن تَرُدَّنى إلى أهْلى . قال : نعم . فلما خرَجْتُ مِن عندِهم ، رأيْتُ أن الذى صنَعْتُه نِعْمةٌ مِن اللَّهِ مَنَّ بها علىَّ هَدانى إليها ، فجعَلْتُ للَّهِ علىَّ أن لا أَجِدَ مَوْءودةً إلا افْتَدَيْتُها كما افْتَدَيْتُ هذه . قال : فما جاء الإسلامُ حتى أَحْيَيْتُ مائةَ مَوْءُودةٍ إلا أربعًا ، ونزَل القرآنُ بتَحْريمِ ذلك على المسلمين .

وممَّن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ مِن المَشاهِيرِ المَذْكورين **جَبَلةُ بنُ الأَيْهَمِ الغَسَّانىُّ**[2] مَلِكُ نَصارَى العربِ ، وهو جَبَلةُ بنُ الأَيْهَمِ بنِ جَبَلةَ بنِ الحارثِ بنِ أبى شِمْرٍ ،

---

(١) المنتظم ٥/ ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) المحبر ص ٣٧٢، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٧٢، ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٦٨، والمنتظم ٥/ ٢٥٦، وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٤١ - ٦٠ ص ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٢.

واسمُه المنذرُ بنُ الحارثِ ، وهو ابنُ مارِيَةَ ذاتِ القُرْطَيْن ، وهو ابنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عمرِو ابنِ جَفْنَةَ ، واسمُه كعبُ بنُ عامرِ بنِ حارثةَ بنِ امْرِئِ القيسِ ، ومارِيَةُ هى بنتُ أَرْقَمَ بنِ ثعلبةَ بنِ عمرِو بنِ جَفْنةَ ، ويقالُ غيرُ ذلك فى نَسَبِه ، وكُنْيةُ جَبَلَةَ أبو المنذرِ الغَسَّانىُّ الجَفْنىُّ ، وكان مَلِكَ غَسَّانَ ، وهم نَصارَى العربِ أيامَ هِرَقْلَ ، وغَسَّانُ أولادُ عَمِّ الأنْصارِ ؛ أوْسِها وخَزْرَجِها ، وكان جَبَلةُ آخِرَ ملوكِ غَسَّانَ ، فكتَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ كتابًا مع شُجاعِ بنِ وَهْبٍ يَدْعوه إلى الإسلامِ ، فأسْلَم وكتَب بإسلامِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال ابنُ عَساكرَ[1] : قيل : إنه لم يُسْلِمْ قَطُّ . وقد صَرَّح به الواقدىُّ وسعيدُ ابنُ عبدِ العزيزِ[2] .

وقال الواقدىُّ[3] : شَهِد اليَرْموكَ مع الرومِ أيامَ عمرَ [٦/ ١٢٠ظ] بنِ الخَطَّابِ ، ثم أسْلَم بعد ذلك فى أيامِ عمرَ ، فاتَّفَق أنه وَطِئَ رجلًا مِن مُزَيْنةَ بدمشقَ ، فلَطَمه ذلك المُزَنىُّ ، فرفَعه أصحابُ جَبَلةَ إلى أبى عُبَيدةَ فقالوا : هذا لَطَم جَبَلَةَ . قال أبو عُبَيْدةَ : فلْيَلْطِمْه جَبَلةُ . فقالوا : أو ما يُقْتَلُ ؟! قال : لا . قالوا : فما تُقْطَعُ يدُه ؟! قال : لا ، إنما أَمَر اللَّهُ بالقَوَدِ . فقال جَبَلةُ : أتَرَوْن أنى جاعلٌ وَجْهى بَدَلًا لوجهِ مُزَنِىٍّ جاء مِن ناحيةِ المدينةِ ؟ بئس الدِّينُ هذا . ثم ارْتَدَّ نَصْرانيًّا ، وتَرَحَّل بأهلِه حتى دخَل أرضَ الرومِ ، فبلَغ ذلك عمرَ فشَقَّ عليه ، وقال لحَسَّانَ : إن صديقَك جَبَلةَ ارْتَدَّ عن الإسلامِ . فقال : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . ثم قال : ولِمَ ؟ قال : لَطَمه رجلٌ مِن مُزَيْنةَ . فقال : وحُقَّ له . فقام إليه عمرُ بالدِّرَّةِ فضَرَبه بها . ورَواه

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٦٨.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٥، ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ٢٦٩.

الواقدىُّ ، عن مَعْمَرٍ وغيرِه ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، وساق ذلك بأسانيدِه إلى جَماعةٍ مِن الصَّحابةِ . وهذا القولُ هو أشْهَرُ الأقْوالِ .

وقد رَوَى ابنُ الكَلْبىِّ وغيرُه[1] أن عمرَ لما بلَغه إسلامُ جَبَلةَ فرِح بإسلامِه ، ثم بعَث يَسْتَدْعِيه ليَراه بالمدينةِ ، وقيل : بل اسْتَأْذَنه جَبَلةُ فى القُدومِ عليه ، فأذِن له ، فركِب فى خَلْقٍ كثيرٍ مِن قومِه ، قيل : مائةٌ وخمسون راكبًا . وقيل : خمسُمائةٍ . وتَلَقَّتْه هَدايا عمرَ ونُزُلُه قبلَ أن يَصِل إلى المدينةِ بمَراحلَ ، وكان يومُ دُخولِه يومًا مَشْهودًا ، دَخَلها وقد أَلْبَس خُيولَه قَلائدَ الذَّهَبِ والفِضةِ ، ولبِس هو تاجًا على رأسِه ، مُرَصَّعًا باللآلئِ والجَواهرِ ، وفيه قُرْطَا ماريَةَ جَدَّتِه ، وخرَج أهلُ المدينةِ رِجالُهم ونِساؤُهم يَنْظُرون إليه ، فلما سَلَّم على عمرَ رَحَّب به عمرُ وأدْنَى مَجْلِسَه ، وشَهِد الحَجَّ مع عمرَ فى هذه السنةِ ، فبينما هو يَطوفُ بالكعبةِ إذ وَطِئَ إزارَه رجلٌ مِن بنى فَزارةَ فانْحَلَّ ، فرفَع جَبَلةُ يدَه فهشَم أنفَ ذلك الرجلِ ، ومِن الناسِ مَن يقولُ : إنه قلَع عينَه . فاسْتَعْدى عليه الفَزارىُّ عمرَ ، ومعه خَلْقٌ كثيرٌ مِن بنى فَزارةَ ، فاسْتَحْضَره عمرُ ، فاعْتَرف جَبَلةُ ، فقال له عمرُ : أَقِدْه[2] . فقال جَبَلةُ : كيف وأنا مَلِكٌ وهو سُوقةٌ ؟ فقال : إن الإسلامَ جمَعك وإياه ، فلستَ تَفْضُلُه إلا بالتَّقْوى . فقال جَبَلةُ : قد كنتُ أَظُنُّ أن أكونَ فى الإسلامِ أعَزَّ منى فى الجاهليةِ . فقال عمرُ : دَعْ ذا عَنْك ، فإنك إن لم تُرْضِ الرجلَ أَقَدْتُه منك . فقال : إذن أَتَنَصَّرَ . فقال : إن تَنَصَّرْتَ ضَرَبْتُ عُنُقَك . فلما رأَى الجِدَّ قال : سأَنْظُرُ [٦/ ١٢١و] فى أمْرى هذه الليلةَ . فانْصَرف مِن عندِ عمرَ ، فلمَّا ادْلَهَمَّ الليلُ ركِب

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٥/٣٦٩ - ٣٧٤، والمنتظم ٥/٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) فى م، ص: «أقدته منك».

فى قومِه ومَن أطاعه ، فسار إلى الشامِ ، ثم دخَل بلادَ الرومِ ، ودخَل على هِرَقْلَ فى مدينةِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فرَحَّب به هِرَقْلُ وأقْطَعه بلادًا كثيرةً ، وأجْرَى عليه أرْزاقًا جَزيلةً ، وأهْدَى إليه هدايا جميلةً ، وجعَله مِن سُمَّارِه ، فمكَث عندَه دَهْرًا ؛ ثم إن عمرَ كتَب كِتابًا إلى هِرَقْلَ مع رجلٍ يقالُ له : جَثَّامةُ بنُ مُساحِقٍ الكِنانىُّ . فلمَّا بلَغ هِرَقْلَ كتابُ عمرَ بنِ الخطابِ قال له هِرَقْلُ : هل لقِيتَ ابنَ عَمِّك جَبَلةَ ؟ قال : لا . قال : فالْقَه . فذكَر اجْتماعَه به ، وما هو فيه مِن النِّعْمةِ والسُّرورِ والحُبورِ الدُّنْيوىِّ ، فى لِباسِه وفُرُشِه ومَجْلسِه وطِيبِه ، وجَوارِيه حَوالَيْهِ الحِسانِ مِن الخَدَمِ والقِيانِ ، ومَطْعَمِه وشَرابِه وسُرُرِه ودارِه التى تَعَوَّضَ بها عن دار الإسلامِ ، وذكَر أنه دَعاه إلى الإسلامِ والعَوْدِ إلى الشامِ ، فقال : أَبَعْدَ ما كان منى مِن الارْتِدادِ ؟ فقال : نعم ، إن الأشْعَثَ بنَ قيسٍ ارْتَدَّ وقاتَلهم بالسَّيفِ ، ثم لما رجَع إلى الحَقِّ قَبِلوه منه ، وزَوَّجه الصِّدِّيقُ بأختِه أمِّ فَرْوةَ . قال : فالْتَهَى عنه بالطعامِ والشَّرابِ ، وعرَض عليه الخَمْرَ فأَبَى عليه ، وشَرِب جَبَلَةُ مِن الخمرِ شيئًا كثيرًا حتى سَكِر ، ثم أمَر جَوارِيَه القِيانَ ، فغَنَّيْنَه بالعِيدانِ مِن قولِ حَسَّانَ[1] ، يَمْدَحُ بنى عمِّه مِن غَسَّانَ ، والشِّعْرُ فى والدِ جَبَلَةَ [2]هذا الحيوانِ[2] .

لِلَّهِ دَرُّ عِصابةٍ نادَمْتُهم ... يومًا بجِلَّقَ[3] فى الزمانِ الأوَّلِ
أولادِ جَفْنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفْضِلِ

---

(١) ديوان حسان ص ١٢٢، ١٢٣.
(٢ - ٢) كذا فى الأصل، ٦١، م. وفى ص: «هو الجبران».
(٣) جلق: اسم لكُورة الغُوطة كلها، وقيل: بل هى دمشق نفسها. وقيل: موضع بقرية من قرى دمشق. انظر معجم البلدان ٢/ ١٠٤.

يَسقُون مَنْ ورَد البَرِيصَ عليهمُ ... صَهْبا[1] تُصَفَّقُ بالرحيقِ السلسلِ[2]
بيضِ الوجوهِ كريمةٍ أحسابُهُم ... شُمِّ الأُنوفِ مِن الطِّرازِ الأَوَّلِ
يُغْشَون حتى ما تَهِرُّ كلابُهم[3] ... لا يَسألون عن السوادِ المُقْبِلِ

قال : فأعْجَبه قولُهن ذلك ، ثم قال : هذا شِعْرُ حَسَّانَ بنِ ثابتٍ الأنْصاريِّ فينا وفى مُلْكِنا ، ثم قال لى : كيف حالُ حسانَ ؟ قلتُ له : تَرَكْتُه ضَريرًا شيخًا كبيرًا . ثم قال لهن : أَطْرِبْنَنى . فانْدَفَعْنَ يُغَنِّين بقولِ حسانَ أيضًا[4] :

لمن الدارُ أقْفَرتْ بمَعَانِ ... بين فرعِ اليرموكِ فالصَّمَّانِ
[٦/ ١٢١ظ] فالقُرَيَّاتِ من بَلَاسَ فَدارَيَّا ... فسَكَّاءَ فالقصورِ الدَّوَانى
(٥فحِمَى جاسمٍ إلى مَرْجِ ذى٥) الصُّفَّرِ مَغْنَى قبائلٍ وهِجَانِ[6]
تلك دارُ العزيزِ بعد أَلُوفٍ[7] ... وحُلولٍ[8] عظيمةِ الأركانِ
صلواتُ المسيحِ فى ذلك الدَّيْـ ... ـرِ دعاءُ القسِّيسِ والرهبانِ
ذاك مَغْنًى لآلِ جَفْنةَ فى الدّهْـ ... ـرِ مَحاهُ تعاقبُ الأزمانِ
فأُرانى هناك حَقَّ مَكِينٍ ... عندَ ذى التاجِ مجلسى ومكانى
ثَكِلَتْ أمُّهم وقد ثَكِلَتْهم ... يومَ حَلُّوا بحارثِ الجَوْلانِ

---

(١) فى م ، وديوان حسان : « بَرَدَى » وهو أعظم نهر فى دمشق . والصَّهْباء : اسم للخمر . معجم البلدان ١/ ٥٥٦، والوسيط (ص هـ ب) .
(٢) البريص : اسم نهر دمشق . وتصفق : تمزج . معجم البلدان ١/ ٦٠٠، والوسيط (ص ف ق) .
(٣) هرّ الكلب : نبح وكشّر عن أنيابه . الوسيط (هـ ر ر) .
(٤) ديوان حسان ص ٣٢٢.
(٥ - ٥) فى م ، والديوان : « فقفا جاسم فأودية » .
(٦) الهِجان من الناس : الخالص الكريم .
(٧) فى م ، والديوان : « أنيس » . والألوف : هو كثير الألفة .
(٨) فى الأصل ، ٦١: « ملوك » ، وفى م : « حلوك » ، وفى تاريخ دمشق : « حليل » .

قد دنا الفِصْحُ فالوَلائِدُ يَنْظِمْـ ـنَ سِراعًا أَكِلَّةَ المَرْجانِ[1]

قال : هذا لابنِ القُرَيْعةِ حسانَ بنِ ثابتٍ ، فينا وفى مُلْكِنا وفى مَنازِلِنا بأكْنافِ غُوطةِ دمشقَ . قال : ثم سكَت طويلًا ، ثم قال لهن : بَكِّيننى . فوضَعْنَ عِيدانَهن ونَكَّسْنَ رُءوسَهن وقُلْنَ :

تَنَصَّرتِ الأشرافُ مِن عارِ لَطْمةٍ ... وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ
تكنَّفَنى فيها لَجَاجٌ ونَخْوةٌ ... وبعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ
فيا ليتَ أمى لم تلدْنى وليتنى ... رجعتُ إلى القولِ الذى قاله عُمَرْ
ويا ليتنى أَرْعَى المخاضَ بقفرةٍ ... وكنتُ أسيرًا فى ربيعةَ أو مُضَرْ
ويا ليتَ لى بالشامِ أدنى معيشةٍ ... أُجالسُ[2] قومى ذاهبَ السمعِ والبَصَرْ
أَدِينُ بما دانوا به من شريعةٍ ... وقد يَصْبِرُ العَوْدُ الكبيرُ على الدَّبَرْ[3]

قال : فوضَع يدَه على وجهِه ، فبكَى حتى بَلَّ لحيتَه بدُموعِه ، وبكَيْتُ معه ، ثم اسْتَدْعَى بخمسِمائةِ دينارٍ هِرَقْلِيَّةٍ ، فقال : خُذْ هذه فأَوْصِلْها إلى حسانَ بنِ ثابتٍ . وجاء بأُخْرى فقال : خُذْ هذه لك . فقلتُ : لا حاجةَ لى فيها ، ولا أَقْبَلُ منك شيئًا وقد ارْتَدَدْتَ عن الإسلام . فيُقالُ : إنه أضافها إلى التى لحَسَّانَ ، فبعَث إليه بألفِ دِينارٍ هِرَقْلِيَّةٍ ، ثم قال لى[4] : أَبْلِغْ عمرَ بنَ الخطابِ منىَ السَّلامَ وسائرَ المسلمين . فلمَّا قَدِمْتُ على عمرَ أخْبَرْتُه خبرَه ، فقال : ورأيْتَه يَشْرَبُ الخمرَ ؟ قلتُ : نعم . قال : أبْعَده اللَّهُ ، تَعَجَّلَ فانيةً بباقيةٍ ، فما رَبِحت تجارتُه . ثم قال : وما الذى وَجَّه به لحسانَ ؟ قلتُ :

---

(١) فى الأصل : « التيجان » . والأكلة : جمع الإكليل ، وهو التاج . انظر اللسان (ك ل ل) .
(٢) فى الأصل ، ٦١ : « أجاور » .
(٣) العَوْد : المُسِنُّ من الإبل . والدَّبَر : قُرْحة الدابّة . الوسيط (ع و د) ، (د ب ر) .
(٤) فى م ، ص : « له » .

خمسُمائةِ[1] دينارٍ هِرَقْليةٌ ، فدَعا حَسَّانَ فدَفَعها [٦/ ١٢٢و] إليه ، فأخَذها وولّى وهو يقولُ[2] :

إن ابنَ جَفْنَةَ مِن بقيةِ مَعْشَرٍ ... لم يَغْذُهُم آباؤهم باللُّومِ
لم يَنْسَنى بالشامِ إذ[3] هو ربُّها[3] ... كلّا ولا متنصِّرًا بالرومِ
يُعْطِى الجزيلَ ولا يَراه عندَه ... إلا كبعضِ عطيَّةِ المحرومِ
وأتيته يومًا فقرَّب مجلسى ... وسقى فروَّانى من الخُرْطومِ[4]

ثم لما كان فى هذه السنةِ مِن أيامِ مُعاويةَ بعَث مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ مَسْعَدَةَ الفزارىَّ رَسولًا إلى مَلِكِ الرومِ ، فاجْتَمع بجَبَلةَ بنِ الأيْهَمِ ، فرَأَى ما هو فيه مِن السَّعادةِ الدُّنْيَويةِ والأمْوالِ ؛ مِن الخَدَمِ والحَشَمِ والذَّهَبِ والخُيولِ ، فقال له جَبَلةُ : لو أعْلَمُ أن مُعاويةَ يُقْطِعُنى أرضَ البَثْنِيَّةِ فإنها مَنازِلُنا ، وعشرين قريةً مِن غُوطةِ دِمشقَ ويَفْرِضُ لجَماعتِنا ، ويُحْسِنُ جَوائزَنا ، لَرَجَعْتُ إلى الشامِ . فأخْبَر عبدُ اللَّهِ ابنُ مَسْعَدَةَ مُعاويةَ بقولِه ، فقال معاويةُ : أنا أُعْطِيه ذلك . وكتَب إليه كتابًا مع البَريدِ بذلك ، فما أدْرَكه البَريدُ إلا وقد مات فى هذه السنةِ[5] ، قَبَّحه اللَّهُ .

وذكَر أكثرَ هذه الأخْبارِ الشيخُ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[6] ، وأرَّخ وفاتَه هذه السنةَ ، أعْنِى سنةَ ثلاثٍ وخمسين ، وقد تَرْجَمه الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى « تاريخِه »[7] فأطال التَّرْجمةَ وأفاد ، ثم قال فى آخرِها : بلَغنى أن جَبَلةَ تُوُفِّىَ فى خِلافةِ مُعاويةَ بأرضِ الرومِ ، بعدَ سنةِ أربعين مِن الهجرةِ .

---

(١) فى الأصل ، ٦١ : « ألف » .
(٢) ديوان حسان ص ٣٦٣ ، ولم يرد فيه البيت الثالث .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١ : « كانوا بها » .
(٤) فى م : « المذموم » . والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار . الوسيط (خرطم) .
(٥) انظر المنتظم ٥/ ٢٦٠ .
(٦) المنتظم ٥/٢٥٦ - ٢٦٠ .
(٧) سقطت ترجمته ضمن مجموعة من التراجم من تاريخ دمشق المخطوط لدينا والمطبوع . وانظر ترجمته فى مختصر تاريخ دمشق ٥/٣٦٨ - ٣٧٤ .

ثم دخلت سنةُ أرْبعٍ وخمسين

وفيها شَتَّى محمدُ بنُ مالكٍ بأرضِ الرومِ، وغَزا الصائِفةَ مَعْنُ بنُ يَزيدَ السُّلَمىُّ. وفيها عزَل مُعاويةُ سعيدَ بنَ العاصِ عن إمْرةِ المدينةِ، ورَدَّ إليها مَرْوانَ بنَ الحكَمِ، وكتَب إليه أن يَهْدِمَ دارَ سعيدِ بنِ العاصِ، ويَصْطَفِيَ أموالَه التى بأرضِ الحِجازِ، فجاء مَرْوانُ إلى دارِ سعيدٍ ليَهْدِمَها، فقال سعيدٌ: ما كنتَ لِتَفْعَلَ ذلك. فقال: إن أميرَ المؤمنين كتَب إلىَّ بذلك، ولو كتَب إليك فى دارى لَفَعَلْتَه. فقام سعيدٌ، فأخْرَج إليه كتابَ مُعاويةَ إليه حينَ وَلَّاه المدينةَ أن [٦/ ١٢٢ظ] يَهْدِمَ دارَ مَرْوانَ ويَصْطَفِيَ أموالَه، وذُكِر أنه لم يَزَلْ يُجاحِفُ دونَه حتى صرَف ذلك عنه، فلمَّا رأَى مَرْوانُ الكُتُبَ إلى سعيدٍ بذلك، ثَناه ذلك عن دارِ سعيدٍ، (١)وعن أخذِ مالِه(١)، ولم يَزَلْ يُدافِعُ عنه حتى ترَكه معاويةُ فى دارِه وأقَرَّ عليه أموالَه.

وفيها عزَل مُعاويةُ سَمُرَةَ بنَ جُنْدُبٍ عن البَصْرةِ، وكان زِيادٌ قد اسْتَخْلَفه عليها، فأقَرَّه مُعاويةُ ستةَ أشْهرٍ، ثم عزلَه ووَلَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ غَيْلانَ.

ورَوَى ابنُ جَريرٍ وغيرُه(٢)، عن سَمُرَةَ أنه قال(٣): لو أطَعْتُ اللَّهَ كما أطَعْتُ مُعاويةَ لَمَا عذَّبَنى أبدًا. وهذا لا يَصِحُّ عنه. وأقَرَّ مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ خالدِ بنِ أَسِيدٍ

(١ - ١) زيادة من: الأصل، ٦١.

(٢) لم نجد رواية ابن جرير. والخبر فى المنتظم ٥/ ٢٦٧.

(٣) بعده فى الأصل، ٦١، م: «لما عزله معاوية لعن اللَّه معاوية».

على نِيابةِ الكُوفةِ ، وكان زِيادٌ قد اسْتَخْلَفه عليها[1] . وقَدِم فى هذه السنةِ عُبَيدُ اللَّهِ ابنُ زِيادٍ على مُعاويةَ ، فأكْرَمه وسأَله عن نُوَّابِ أبيه على البلادِ ، فأخْبَره عنهم ، ثم وَلَّاه إمْرةَ خُراسانَ وهو ابنُ خَمْسٍ وعشرين سنةً ، فسار إلى مُقاطَعتِه ، وتَجَهَّز مِن فَوْرِه [2]غاديًا إليها[2] ، فقطَع النهرَ إلى جبالِ بُخارَى ، ففتَح رامِيثَنَ[3] ونصفَ بَيكَنْدَ - وهما مِن مُعامَلةِ بُخارى - ولقِيَ التُّرْكَ هناك ، فقاتَلهم قِتالًا شديدًا ، وهزَمهم هَزِيمةً فَظِيعةً ، بحيث إن المسلمين أعْجَلوا امرأةَ المَلِكِ أن تَلْبَسَ خُفَّيْها ، فلَبِست واحدةً وترَكتِ الأُخْرى ، فأخَذها المسلمون فقَوَّموا جَوْرَبَها[4] بمائتَىْ ألفِ درهمٍ ، وغَنِموا مع ذلك غَنائمَ كَثيرةً ، وأقام عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ بخُراسانَ سنتَيْن .

وفى هذه السنةِ حَجَّ بالناسِ مَرْوانُ بنُ الحكمِ نائبُ المدينةِ . وكان على الكوفةِ عبدُ اللَّهِ بنُ خالدِ بنِ أَسِيدٍ ، وقيل : بل كان عليها الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ . وكان على البَصْرةِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمْرِو بنِ غَيْلانَ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ

أسامةُ بنُ زيدِ بنِ حارثةَ الكَلْبىُّ ، أبو محمدٍ المَدَنىُّ[5] ، مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ وابنُ مَوْلاه ، وحِبُّه وابنُ حِبِّه ، وأُمُّه بَرَكةُ أُمُّ أيْمَنَ مَوْلاةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحاضِنَتُه ، وَلَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ الإمْرَةَ بعدَ مَقْتَلِ أبيه ، فطعَن بعضُ الناسِ فى إمْرتِه ، فقال

---

(١) بعده فى م : « فأبقاه معاوية » وبعده فى ص : « فأقصاه معاوية » .

(٢ - ٢) فى ص : « غازيًا » .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « رامس » . وانظر معجم البلدان ٢/ ٧٣٩.

(٤) فى م : « جواهرها » .

(٥) الاستيعاب ١/ ٧٥، وأسد الغابة ١/ ٧٩، والإصابة ١/ ٤٩.

رسـولُ اللَّهِ ﷺ : « إن تَطْعَنوا فى إمارتِه فقد طعَنْتُم فى إمْرةِ أبيه مِن قَبلِه ، وايْمُ اللَّهِ [٦/ ١٢٣و] إن كان لَخَلِيقًا بالإمارةِ ، وإن كان لَـمِن أحَبِّ الناسِ إلىَّ [1] وإنَّ هذا لَـمِن أحبِّ الناسِ إلىَّ [1] بعدَه »[2] .

وثبَت فى « صحيحِ البُخارىِّ »[3] عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُجْلِسُ الحسنَ علَى فخِذِه ، ويُجْلِسُ أُسامةَ على فخِذِه الأُخْرى ويقولُ : « اللهم إنى أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » . وفَضائلُه كثيرةٌ جدًّا ، تُوُفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وعمرُه تسعَ عشْرةَ سنةً ، وكان عُمَرُ إذا لقِيَه يقولُ : السلامُ عليك أيُّها الأميرُ[4] . وصَحَّح أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ . وقال غيرُه : سنةَ ثَمانٍ أو تسعٍ وخمسين[5] . وقيل : تُوُفِّىَ بعدَ مَقْتَلِ عُثمانَ[6] . فاللَّهُ أعلمُ .

ثَوْبانُ بنُ بُجْدُدٍ[7] ، مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تقَدَّمت تَرْجمتُه فى الموالى ، ومَن كان يَخْدُمُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ[8] . أصْلُ ثَوبان مِن العربِ ، فأصابه سِباءٌ ، فاشْتَراه رسولُ اللَّهِ ﷺ وأعْتَقه ، فلزِم رسولَ اللَّهِ ﷺ سَفَرًا وحَضَرًا ، فلما مات أقام بالرَّمْلةِ ، ثم انْتقل منها إلى حِمْصَ ، فابْتَنى بها دارًا ، ولم يَزَلْ بها حتى مات فى هذه السنةِ ، على الصحيحِ . وقيل : سنةَ أربعٍ وأربعين . وهو غَلَطٌ .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٥٠، ٨/ ٢٢٣، ٢٥٢.

(٣) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٥٢، وانظر البخارى أيضا (٣٧٤٧، ٦٠٠٣) .

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٦٩، ٧٠.

(٥) انظر الطبقات الكبرى ٤/ ٧٢، والمنتظم ٥/ ٣٠٦.

(٦) انظر تاريخ دمشق ٨/ ٥٢، وأسد الغابة ١/ ٨١.

(٧) الاستيعاب ١/ ٢١٨، وأسد الغابة ١/ ٢٩٦، والإصابة ١/ ٤١٣.

(٨) تقدم فى ٨/ ٢٥٧، ٢٥٨. وسقط هناك رقم جزء تاريخ دمشق، وهو الجزء الحادى عشر ١٧٦.

ويقالُ : إنه تُوُفِّىَ بمصرَ . والصحيحُ بحِمْصَ[1] .

جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ ، تَقَدَّم أنه تُوُفِّىَ . سنةَ خمسين[2] .

الحارثُ بنُ رِبْعىٍّ ، أبو قَتادةَ الأنْصارىُّ[3] ، وقال الواقدىُّ[4] : اسمُه النُّعْمانُ ابنُ رِبْعىٍّ . وقال غيرُه : عمرُو بنُ رِبْعىٍّ . وهو أبو قَتادةَ الأنْصارىُّ السَّلَمىُّ المَدَنىُّ ، فارسُ الإسلامِ ، شَهِد أُحُدًا وما بعدَها ، وكان له يومَ ذى قَرَدٍ سَعْىٌ مَشْكورٌ كما تقدَّم ذلك[5] ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَئِذٍ[6] : « خيرُ فُرْسانِنا اليومَ أبو قتادةَ ، وخيرُ رَجَّالتِنا سَلَمةُ بنُ الأكْوعِ » . وزعَم أبو أحْمدَ الحاكمُ أنه شَهِد بدرًا ، وليس هذا بمَعْروفٍ . وقال أبو سعيدٍ الخُدْرىُّ : أخْبَرنى مَن هو خيرٌ مِنّى أبو قَتادةَ الأنْصارىُّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعَمَّارٍ : « تَقْتُلُك الفِئةُ الباغيةُ »[7] .

قال الواقدىُّ وغيرُه : تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ - يعنى سنةَ أربعٍ وخمسين - بالمدينةِ عن سبعين سنةً . وزعَم الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ وغيرُه أنه تُوُفِّىَ بالكُوفةِ سنةَ ثمانٍ وثلاثين ، وصَلَّى عليه علىٌّ [٦/١٢٣ظ] بنُ أبى طالبٍ . وهذا غريبٌ[8] .

حَكيمُ بنُ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىِّ بنِ كِلابٍ القُرَشىُّ الأسَدىُّ أبو خالدٍ المكِّىُّ[9] ، وأُمُّه فاخِتةُ بنتُ زُهَيْرِ بنِ الحارثِ بنِ أسَدِ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١١/ ١٧٦.

(٢) تقدم فى صفحتى ٢١٥، ٢١٦

(٣) الاستيعاب ١/ ٢٨٩، ٤/ ١٧٣١، وأسد الغابة ١/ ٣٩١، ٦/ ٢٥٠، والإصابة ٧/ ٣٢٧.

(٤) ذكره ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٦٨.

(٥) تقدم فى ٦/١٦٨ - ١٧٣.

(٦) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٧٤.

(٧) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٩٣. وانظر مقتل عمار فيما تقدم فى ١٠/ ٥٢٦.

(٨) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١١٧.

(٩) الاستيعاب ١/ ٣٦٢، وأسد الغابة ٢/ ٤٥، والإصابة ٢/ ١١٢.

ابنِ عبدِ العُزَّى ، وعَمَّتُه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ زوجةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأمُّ أولادِه سوى إبراهيمَ . وَلَدَته[1] أُمُّه فى جَوْفِ الكَعْبةِ قبلَ الفيلِ بثلاثَ عشْرةَ سنةً ؛ وذلك أنها دَخَلت الكعبةَ تَزورُ ، فضَرَبها الطَّلْقُ ، فوَضَعَتْه على نِطْعٍ[2] .

وكان شديدَ المَحَبَّةِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولَمَّا كان بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبِ فى الشِّعْبِ لا يُبايَعون ولا يُناكَحون ، كان حَكيمٌ يُقْبِلُ بالعِيرِ تَقْدَمُ مِن الشام فيَشْتَريها مَكانَها ، ثم يَذْهَبُ بها ، فيَضْرِبُ أدْبارَها حتى [3]تَلِجَ الشِّعْبَ تَحْمِلُ[3] الطَّعامَ والكِسوةَ ؛ تَكْرِمةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولعَمَّتِه خَديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، وهو الذى اشْتَرى زيدَ بنَ حارثةَ أوّلًا ، فابْتاعَتْه منه عمَّتُه خَديجةُ ، فوَهَبَتْه لرسولِ اللَّهِ ﷺ فأعْتَقه . وهو الذى اشْتَرى حُلَّةَ ذى يَزَنَ ، فأهْداها [4]لرسولِ اللَّهِ ﷺ فلَبِسها . قال : فما رأَيْتُ شيئًا أحْسَنَ منه فيها . ومع هذا ما أسْلَم إلا يومَ الفتحِ[4] هو وأولادُه كلُّهم .

قال البخاريُّ وغيرُه[5] : عاش فى الجاهليةِ ستين سنةً ، وفى الإسلامِ ستين سنةً . وكان مِن ساداتِ قُرَيشٍ وكُرمائِهم وأعْلَمِهم بالنَّسَبِ ، وكان كَثيرَ الصَّدَقةِ والبِرِّ والعَتاقةِ ، فلما أسْلَم سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ، فقال[7] : « أسْلَمْتَ على ما أسْلَفْتَ[6] مِن خيرٍ » . وقد كان حَكيمٌ شَهِد مع المشركين بَدْرًا ، وتقَدَّم إلى

---

(١) أى حكيم بن حزام .

(٢) النطع : بساط من الجلد .

(٣ - ٣) فى ص : « بلغ الشعب فيها » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) التاريخ الكبير ٣/ ١١، والمعارف ص ٣١٠، وتاريخ دمشق ١٥/ ٩٨، والمنتظم ٥/ ٢٧١.

(٦) فى م : « أسلمت » .

(٧) البخارى (١٤٣٦) ، ومسلم (١٢٣) ، والمسند ٣/ ٤٠٢، ٤٣٤.

الحَوْضِ ، فكاد حمزةُ أن يَقْتُلَه ، فما سُحِب إلا سَحْبًا من بينِ يديه ، فلهذا كان إذا اجْتَهد فى اليَمينِ يقولُ : لا والذى نَجَّانى يومَ بدرٍ . ولما نزَل[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الفتحِ بمَرِّ الظَّهْرانِ ومعه الجُنودُ خرَج حَكيمٌ وأبو سُفيانَ يَتَجَسَّسان الأخْبارَ ، فلَقِيَهما العباسُ ، فأخَذ أبا سفيانَ فأجاره ، وأخَذ له أمانًا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأسْلَم أبو سُفيانَ ليلَتئذٍ كُرْهًا ، ومِن صَبيحةِ ذلك اليومِ أسْلَم حَكيمٌ ، وشَهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا ، وأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ مائةً مِن الإبلِ ، ثم سأَله فأعْطاه ، ثم سأَله فأعْطاه ، ثم قال له[2] : « يا حَكيمُ ، إن هذا المالَ حُلْوَةٌ خَضِرةٌ ، وإنه [٦/١٢٤و] مَن أخَذه بسَخاوةِ نفسٍ[3] بُورِك له فيه ، ومَن أخَذه بإشْرافِ نَفْسٍ لم يُبارَكْ له فيه ، وكان كالذى يَأْكُلُ ولا يشْبَعُ » . فقال حَكيمٌ : والذى بعَثك بالحَقِّ لا أَرْزَأُ أحدًا بعدَك شيئًا . فلم يَرْزَأْ أحدًا بعدَه ، فكان أبو بكرٍ يَعْرِضُ عليه العَطاءَ فيَأْبَى ، وكذلك عمرُ يَعْرِضُ عليه العَطاءَ فيَأْبَى ، فكان عمرُ يُشهِدُ عليه المسلمين . ومع هذا كان مِن أغْنَى الناسِ ؛ مات الزبيرُ يومَ مات ولحَكِيمٍ عليه مائةُ ألفٍ .

وقد كان بيدِه ، حينَ أسْلَم ، الرِّفادةُ ودارُ النَّدْوةِ[4] ، فباعها بعدُ مِن مُعاويةَ بمائةِ ألفٍ ، وفى روايةٍ[5] : بأربعين ألفَ دينارٍ . فقال له ابنُ الزُّبَيرِ : بِعْتَ مَكْرُمةَ قريشٍ ؟ فقال له حَكيمٌ : ذهَبَتِ المكارِمُ إلا التَّقْوَى ، يا بنَ أخى ، إنى اشْتَرَيْتُها فى الجاهليةِ بزِقِّ خَمْرٍ ، ولأشْتَرِيَنَّ بها دارًا فى الجنةِ ، أُشْهِدُك أنى قد جعَلْتُها فى

---

(١) فى م ، ص : « ركب » .

(٢) البخارى (٢٧٥٠ ، ٣١٤٣) ، والترمذى (٢٤٦٣) .

(٣) سقط من : م ، ص . وفى الأصل ، ٦١ : « نفسه » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤) انظر جمهرة نسب قريش وأخبارها ١/ ٣٥٤ . وما تقدم فى ٣/ ٢٣٨ ، وفيه أن الذى لامه على بيعها معاوية .

(٥) المنتظم ٥/ ٢٧٢ .

سبيلِ اللَّهِ . وهذه الدارُ كانت لقريشٍ بمَنْزلةِ دارِ العَدْلِ ، وكان لا يَدْخُلُها أحدٌ إلا وقد صار سنُّه أربعين سنةً ، إلا حَكيمُ بنُ حِزامٍ ، فإنه دَخَلها وهو ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً . ذكَره الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ .

وذكَر الزبيرُ[1] أن حَكيمًا حَجَّ عامًا ، فأهْدَى مائةَ بَدَنةٍ مُجَلَّلةٍ ، وألفَ شاةٍ ، وأوْقَف معه بعَرَفاتٍ مائةَ وَصِيفٍ فى أعْناقِهم أَطْوِقةُ الفِضَّةِ ، وقد نقَش فيها : هؤلاء عُتقاءُ اللَّهِ عن حَكيمِ بنِ حِزامٍ . فأعْتَقهم وأهْدَى جميعَ تلك الأنْعامِ . رَضِى اللَّهُ عنه . تُوُفِّىَ حَكيمٌ فى هذه السنةِ على الصَّحيحِ ، وقيل غيرُ ذلك ، وله من العُمْرِ مائةٌ وعشرون سنةً . واللَّهُ أعلمُ .

حُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى العامرىُّ[2] ، صحابىٌّ جَليلٌ ، أسْلَم عامَ الفتحِ ، وكان قد عُمِّر دَهْرًا طَويلًا ، ولهذا جعَله عمرُ فى النَّفَرِ الذين جَدَّدوا أنْصابَ الحَرَمِ[3] ، وقد شَهِد بدرًا مع المشركين ، ورَأَى المَلائكةَ يومَئذٍ بينَ السماءِ والأرْضِ ، وشَهِد الحُدَيْبيةَ وسَعَى فى الصُّلْحِ ، فلمَّا كان عُمْرةُ القَضاءِ كان هو وسُهَيْلٌ هما اللذَان أمَرا رسولَ اللَّهِ ﷺ بالخُروجِ مِن مكةَ ، فأمَر بلالًا أن لا تَغْرُبَ الشمسُ وبمكةَ أحدٌ مِن أصحابِه . قال[4] : وفى كلِّ هذه المَواطنِ أَهُمُّ بالإسلامِ ، ويَأْبَى اللَّهُ إلا ما يُريدُ ، فلمَّا كان زمنُ الفَتْحِ خِفْتُ خَوفًا شديدًا وهرَبْتُ ، فلحِقنى أبو ذَرٍّ ، [٦/ ١٢٤ظ] وكان لى خليلًا فى الجاهليةِ ، فقال : يا حُوَيْطِبُ ، ما لك ؟ فقلتُ : خائفٌ . فقال : لا تَخَفْ ؛ فإنه أبَرُّ الناسِ وأوْصَلُ الناسِ ، وأنا جارٌ لك ،

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها ١/ ٣٥٦.

(٢) الاستيعاب ١/ ٣٩٩، وأسد الغابة ٢/ ٧٥، والإصابة ٢/ ١٤٣.

(٣) أنصاب الحرم : حدوده .

(٤) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٥٨، ٣٥٩، والمنتظم ٥/ ٢٧٤، ٢٧٥ مطولا .

فاقْدَمْ معى . فرَجَعْتُ معه ، فوقَف بى على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بالبَطْحاءِ ، ومعه أبو بكرٍ وعمرُ ، وقد عَلَّمنى أبو ذَرٍّ أن أقولَ : السلامُ عليك أيُّها النبىُّ ورَحْمةُ اللَّهِ وبَركاتُه . فلما قلتُ ذلك قال : « حُوَيْطِبٌ ؟ » قلتُ : نعم ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنّك رسولُ اللَّهِ . فقال : « الحمدُ للَّهِ الذى هَداك » . وسُرَّ بذلك واسْتَقْرَضَنى مالًا ، فأقْرَضْتُه أربعين ألفًا ، وشَهِدْتُ معه حُنَيْنًا والطائفَ ، وأعْطانى مِن غَنائمِ حُنَيْنٍ مائةَ بعيرٍ ، ثم قَدِم حُوَيْطِبٌ بعدَ ذلك المدينةَ فنزَلها ، وله بها دارٌ . ولما وَلِىَ عليها مَرْوانُ بنُ الحكَمِ[1] جاءه حُوَيْطِبٌ وحَكيمُ بنُ حِزامٍ ومَخْرَمةُ بنُ نَوْفَلٍ ، فسَلَّموا عليه ، وجلسوا يتَحَدَّثون عندَه ، ثم تفرَّقوا ، ثم اجْتَمع حُوَيْطِبٌ بمَرْوانَ يومًا آخرَ ، فسأَله مَرْوانُ عن عُمْرِه فأَخْبَرَه ، فقال له : تأَخَّر إسْلامُك أيُّها الشيخُ حتى سبَقك الأحْداثُ . فقال حُوَيْطِبٌ : اللَّهُ المستعانُ ، واللَّهِ لقد هممْتُ بالإسلامِ غيرَ مَرَّةٍ ، كلُّ ذلك يَعوقُنى أبوك يقولُ : تَضَعُ شَرَفَك وتَدَعُ دينَ آبائِك لِدِينٍ مُحْدَثٍ وتَصِيرُ تابعًا ؟ قال : فأَسْكَت مَرْوانُ ونَدِم على ما كان قال له . ثم قال حُوَيْطِبٌ : أمَا كان أخْبَرَك عثمانُ ما كان لَقِىَ مِن أبيك حين أسْلَم ؟ قال : فازْداد مرْوانُ غَمًّا . وكان حُوَيْطِبٌ ممن شَهِد دَفْنَ عُثْمانَ . واشْتَرى منه مُعاويةُ دارَه بمكةَ[2] بأربعين ألفَ دينارٍ ، فاسْتَكْثَرها الناسُ ، فقال حُوَيْطِبٌ[3] : وما هى فى رجلٍ له خمسةٌ مِن العِيالِ ؟ قال الشافعىُّ[4] : كان حُوَيْطِبٌ حَمِيدَ[5]

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٦١.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ٣٦٣، والمنتظم ٥/ ٢٧٥.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) المصدر السابق ١٥/ ٣٦٣.

(٥) فى الأصل، ٦١: «جميل». وفى م، ص: «جيد». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٤١.

الإسلامِ ، وكان أكثرَ قريشٍ بمكةَ رَبْعًا جاهليًّا . وقال الواقدىُّ[1] : عاش حُوَيْطِبٌ فى الجاهليةِ ستين سنةً ، وفى الإسلامِ ستين سنةً ، ومات فى هذه السنةِ بالمدينةِ وله مائةٌ وعشرون سنةً . وقال غيرُه[2] : تُوُفِّى بالشامِ . له حديثٌ واحدٌ ، رَواه البخارىُّ ومُسْلمٌ والنَّسائىُّ[3] ، مِن حديثِ السائبِ بنِ يَزيدَ عنه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السَّعْدىِّ ، [٦/١٢٥و] عن عمرَ فى العُمالةِ[4] ، وهو مِن عزيزِ الحديثِ ؛ لأنه اجْتَمع فيه أربعةٌ مِن الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

سعيدُ[5] بنُ يَرْبوعِ بنِ عنكثةَ بنِ عامرِ بنِ مَخْزومٍ ، أسْلَم عامَ الفَتْحِ ، وشَهِد حُنَيْنًا ، وأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ خمسين مِن الإبلِ ، وكان اسمُه صُرْمًا ، وفى روايةٍ : أصْرَمَ ، فسَمَّاه سعيدًا[6] ، وكان فى جُمْلةِ النَّفَرِ الذين أمَرهم عمرُ بتَجْديدِ أنْصابِ الحَرَمِ ، وقد أُصِيب بصَرُه بعدَ ذلك ، فأتاه عمرُ يُعَزِّيه فيه . رَواه البخارىُّ[7] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٦١.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ٣٦٢.

(٣) البخارى (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥/٠٠٠)، والنسائى (٢٦٠٤ - ٢٦٠٦). وقد سقط ذكر حويطب من الإسناد عند مسلم. لكن لم ينبه الحافظ المزى فى تحفة الأشراف ٨/ ٣٩، ٤٠ على ذلك، ولعل المصنف تابع الحافظ المزى على ذلك. قال الحافظ ابن حجر فى النكت كما فى التحفة ٨/ ٣٩، ٤٠. قلت: لم يقع فى رواية مسلم: «عن حويطب» وإنما عنده: «عن السائب عن ابن السعدى»... والسبب فى عدم تنبيه المزى على ذلك أنه وقع فى سياق مسلم: «عن عمرو بن الحارث، عن ابن شهاب، عن السائب بن يزيد، عن ابن السعدى، عن عمر بمثل ذلك» ونقل المزى قوله: «بمثل ذلك» ويوهم أن المثلية للسند وليس كذلك، بل هى للمتن، قصد به الحوالة على رواية ابن شهاب عن سالم عن أبيه عن عمر. وانظر فتح البارى ١٣/ ١٥١، ١٥٢.

(٤) العُمالة: أجرة العمل. الفتح ١٣/ ١٥٢.

(٥) فى م: «معبد». وانظر الاستيعاب ٢/ ٦٢٦، وأسد الغابة ٢/ ٤٠١، والإصابة ٣/ ١١٦.

(٦) فى ا ٦، م: «معبدًا».

(٧) التاريخ الكبير ٣/ ٤٥٣.

وقال الواقدىُّ وخَليفةُ وغيرُ واحدٍ[1] : مات فى هذه السنةِ بالمدينةِ - وقيل : بمكةَ - وهو ابنُ مائةٍ وعشرين سنةً . وقيل أكثرُ مِن ذلك .

مُرَّةُ بنُ شَراحيلَ الهَمْدانىُّ[2] ، ويقالُ له : مُرَّةُ الطَّيِّبُ ، ومُرَّةُ الخَيْرِ . روَى عن أبى بكرٍ وعمرَ وعلىٍّ وابنِ مَسْعودٍ وغيرِهم . كان يُصَلِّى كلَّ يومٍ وليلةٍ ألفَ رَكْعةٍ ، فلمَّا كَبِر صلَّى أربَعَمائةِ رَكْعةٍ ، ويقالُ : إنه سجَد حتى أكَل التُّرابُ جَبْهتَه ، فلمَّا مات رُئِىَ فى المَنامِ وقد صار ذلك المكانُ نُورًا ، فقيل له : أين مَنْزِلُك ؟ فقال : بدارٍ لا يَظْعَنُ أهلُها ولا يموتون .

النُّعَيْمانُ بنُ عمرِو بنِ رِفاعةَ بنِ الحارثِ[3] ، شَهِد بدرًا وما بعدَها ، ويقالُ : إنه هو الذى كان يُؤْتَى به فى الشَّرابِ فيجلدُه النبىُّ ﷺ ، فقال رجلٌ : لعَنه اللَّهُ ، ما أكثرَ ما يُؤْتَى به . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَلْعَنْه فإنه يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه »[4] .

سَوْدَةُ بنتُ زمْعةَ القُرَشِيةُ العامريةُ ، أمُّ المؤمنين[5] ، تَزَوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ خَديجةَ ، وكانت قبلَه عندَ السَّكْرانِ بنِ عمرٍو أخى سُهَيْلِ بنِ عمرٍو ، فلمَّا كَبِرت هَمَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بطَلاقِها ، ويُقالُ : إنه طَلَّقها . فسألَتْه أن يُبْقِيَها فى نسائِه وتَهَبَ يومَها لعائشةَ ، فقَبِل ذلك منها وأبقاها ، فأنْزَل اللَّهُ[6] : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ

---

(١) تاريخ خليفة ١/ ٢٦٦، وتاريخ دمشق ٢١/ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٩٧، وأسد الغابة ٢/ ٥١١، والإصابة ٣/ ٣٢٥، ٦/ ٣٥٥. ووقع فى هذه المصادر : « شراحيل بن مرة » . إلا فى الإصابة ٦/ ٧٨. وانظر طبقات ابن سعد ٦/ ١١٦، وتاريخ خليفة ١/ ٣٥٣، وطبقاته ١/ ٣٣٩، والتاريخ الكبير ٨/ ٥، والمنتظم ٥/ ٢٧٦، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٧٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٧٤.

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٥٢٦. وأسد الغابة ٥/ ٣٥١، والإصابة ٦/ ٤٦٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩٤، ومصنف عبد الرزاق (١٣٥٥٢، ١٧٠٨٢) .

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٨٦٧، وأسد الغابة ٧/ ١٥٧، والإصابة ٧/ ٧٢٠.

(٦) التفسير ٢/٣٧٨ - ٣٨٢.

خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ الآيةَ [النساء: ١٢٨]. وكانت ذاتَ عِبادةٍ ووَرَعٍ وزَهادةٍ. قالت عائشةُ: ما مِن امرأةٍ أُحِبُّ أن أكونَ فى مِسْلاخِها إلا سَوْدةَ[١]، إلّا أنّ فيها حِدَّةً تُسْرِعُ منها الفِيئَةَ[٢]. ذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ وفاتَها فى هذه السنةِ[٣]. وقال [٦/١٢٥ظ] ابنُ أبى خَيْثَمةَ: تُوُفِّيتْ فى آخرِ خِلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ[٤]. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم (١٤٦٣/٤٧)، والنسائى فى الكبرى (٨٩٣٤). والمسلاخ: الجِلْد. ومسلاخ الحية: جلدها. كأنها تمنت أن تكون فى مثل هديها وطريقتها. النهاية ٢٠/ ٣٨٩.

(٢) وهذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ١٥٠، ١٥١ عن عائشة، وقالت هذا الكلام فى زينب بنت جحش. وليس فى سودة. والفيئة: الحالة من الرجوع عن الشىء الذى يكون قد لابسه الإنسانُ وباشره. النهاية ٣/ ٤٨٣.

(٣) المنتظم ٥/ ٢٧٦.

(٤) انظر تهذيب التهذيب ٣٥/ ٢٠١. وانظر ما تقدم فى ١٠/ ٢٠٧.

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ وخمسين

فيها عزَل مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ [1] بنَ عمرِو [1] بنِ غَيْلانَ عن البَصْرةِ ، ووَلَّى عليها عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ ، وكان سَبَبَ عَزْلِه عنها أنه كان يَخْطُبُ الناسَ ، فحَصَبه رجلٌ مِن بنى ضَبَّةَ ، فأمَر بقَطْعِ يدِه ، فجاء قومُه إليه فقالوا له : إنه متى بَلَغ أميرَ المؤمنين أنك قطَعْتَ يدَه فى هذا الصُّنْعِ ، فَعَل به وبقومِه نَظيرَ ما فَعَل بحُجْرِ بنِ عَدِىٍّ ، فاكْتُبْ لنا كتابًا أنك قطَعْتَ يدَه فى شُبْهةٍ . فكَتَب لهم ، فترَكوه عندَهم حِينًا ، ثم جاءُوا مُعاويةَ ، فقالوا له : إن نائبَك قطَع يدَ صاحبِنا فى شُبْهةٍ فأَقِدْنا منه . فقال : لا سَبِيلَ إلى القَوَدِ مِن نُوَّابى ولكنِ الدِّيةُ . فأعْطاهم الديةَ [2] مِن بيتِ المالِ [2] وعزَل ابنَ غَيْلانَ ، وقال لهم : اخْتاروا مَن تُرِيدون [2] أُوَلِّيه عليكم [2] . فذكَروا رجالًا ، فقال : لا ، ولكن أُوَلِّى عليكم ابنَ أخى عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ . فوَلَّاه ، فاسْتَخْلَف ابنُ زِيادٍ على خُراسانَ أسْلَمَ بنَ زُرْعَةَ ، فلم يَغْزُ ولم يَفْتَحْ شَيئًا ، ووَلَّى قَضاءَ البَصْرةِ لزُرارةَ بنِ أوْفَى ، ثُم عَزَله ووَلَّى ابنَ أُذَيْنةَ العَبْدِىَّ [3] ، ووَلَّى شُرْطَتَها عبدَ اللَّهِ بنَ حصنٍ [4] .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مَرْوانُ بنُ الحكَمِ نائبُ المدينةِ . وفيها عزَل مُعاويةُ عبدَ اللَّهِ بنَ خالدِ بنِ أَسِيدٍ عن الكوفةِ ، ووَلَّى عليها الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ الفِهْرىَّ [5] ، رَضِى اللَّهُ عنه .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٩٩، والمنتظم ٥/ ٢٧٨.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) سقط من : م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٠، والمنتظم ٥/ ٢٧٩.

(٤) فى م ، ص : «الحصين» . وانظر المصدرين السابقين .

(٥) زيادة من الأصل ، ٦١. وانظر المصدرين السابقين .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ مِن الأعْيانِ فى هذه السنةِ

الأرْقَمُ بنُ أبى الأَرْقَمِ عبدِ مَنافِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزومٍ[1] ، أسْلَم قديمًا ، يقالُ : سابعُ سَبْعةٍ[2] . وكانت دارُه كَهْفًا للمسلمين ، يَأْوِى إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ومَن أسْلَم مِن قريشٍ ، وكانت عندَ الصَّفا ، وقد صارت فيما بعدَ ذلك للمَهْدِىِّ ، فوهَبها لامرأتِه الخَيْزُرانِ أُمِّ موسى الهادى وهارونَ الرَّشيدِ ، فبَنَتْها وجَدَّدَتْها ، فعُرِفَتْ بها ، ثُم صارتْ لغيرِها . وقد شَهِد الأرْقَمُ بدرًا وما بعدَها مِن المَشاهِدِ ، ومات بالمدينةِ فى هذه السنةِ ، وصلَّى عليه [٦/ ١٢٦و] سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، أوْصَى به ، رضِى اللَّهُ عنهما ، وله بِضْعٌ وثمانون سنةً .

سَحْبانُ بنُ زُفَرَ بنِ إياسِ بنِ عبدِ شمسِ بنِ الأحَبِّ[3] **الباهِلِىُّ الوائلىُّ** ، الذى يُضْرَبُ بفَصاحتِه المَثَلُ ، فيُقالُ : أفْصَحُ مِن سَحْبانِ وائلٍ . ووائلٌ هو ابنُ مَعْنِ[4] بنِ مالكِ بنِ أعْصُرَ بنِ سعدِ بنِ قيسِ [5]عَيْلانَ[5] بنِ مُضَرَ بنِ نِزارٍ ، وباهِلةُ امرأةُ مالكِ بنِ أعْصُرَ ، يُنْسَبُ إليها ولدُها ، وهى باهِلةُ بنتُ صَعْبِ بنِ سعدِ العَشيرةِ .

---

(١) الاستيعاب ١/ ١٣١، ١٣٢، وأسد الغابة ١/ ٧٤، ٧٥، والإصابة ١/ ٤٣ - ٤٥.

(٢) أخرج ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٧٩، ٢٨٠ خبر كونه رضى اللَّه عنه ، أسلم سابع سبعة ، بسنده عن عثمان بن الأرقم بن أبى الأرقم .

(٣) فى م ، ص : « الأجب » . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٢٠/ ١٤٣، والمنتظم ٥/ ٢٨٣.

(٤) فى م ، ص : « معد » . وانظر المصدرين السابقين ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٤٥.

(٥ - ٥) فى النسخ : « بن غيلان » . والمثبت من جمهرة أنساب العرب وتاريخ دمشق ، وجاءت عبارته فى التاريخ هكذا : « عيلان ، ويقال : ابن عيلان » . وانظر المعارف ص ٦١١.

قال ابنُ عَساكرَ[1] : سَحْبانُ المَعْروفُ بسَحْبانِ وائلٍ ، بَلَغَنى أنه وفَد إلى مُعاويةَ فتَكَلَّم فقال مُعاويةُ : أنت الشيخُ ؟ فقال : إى واللَّهِ وغيرُ ذلك . ولم يَزِدِ ابنُ عساكرَ على هذا . وقد نَسَبَه ابنُ الجَوْزِىِّ فى كتابِه « المُنْتَظَمِ »[2] ، كما ذكَرْنا ، ثم قال : وكان بَليغًا يُضْرَبُ المَثَلُ بفَصاحتِه ، دخَل يومًا على مُعاويةَ وعندَه خُطَباءُ القَبائلِ ، فلمَّا رَأَوْه خَرَجوا ؛ لِعِلْمِهم بقُصورِهم عنه ، فقال سَحْبانُ :

لقد عَلِمَ الحَىُّ اليَمانُونَ أنَّنى ... إذا قلتُ أمَّا بعدُ أنِّى خَطِيبُها

فقال له مُعاويةُ : اخْطُبْ . فقال : انْظُروا لى عَصًا تُقِيمُ مِن أَوَدِى . فقالوا : وما تَصْنَعُ بها وأنت بحَضْرةِ أميرِ المؤمنين ؟ فقال : ما كان يَصْنَعُ بها موسى وهو يُخاطِبُ رَبَّه . فأخَذها وتَكَلَّم مِن الظُّهرِ إلى أن قارَبَتِ العصرُ ، ما تَنَحْنَح ولا سعَل ولا تَوَقَّف ولا ابْتَدَأ فى مَعْنًى فخرَج عنه وقد بَقِيَتْ عليه بَقِيَّةٌ فيه ، فقال مُعاويةُ : الصلاةُ . فقال : الصلاةُ أمامَك ، أَلَسْنا فى تَحْميدٍ وتَمْجيدٍ ، وعِظَةٍ وتَنْبيهٍ وتَذْكيرٍ ، ووَعْدٍ ووَعِيدٍ ؟ فقال معاويةُ : أنتَ أخْطَبُ العَربِ . قال : العربُ وحدَها ؟ بل أخْطَبُ الجِنِّ والإنْسِ . قال : كذلك أنت .

سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ[3] ، واسمُه مالكُ بنُ أُهَيْبِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلابٍ ، أبو إسحاقَ القُرَشىُّ الزُّهْرىُّ ، أحدُ العشَرةِ المَشْهودِ لهم بالجنةِ ، وأحَدُ الستةِ أصحابِ الشُّورَى الذين تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ ، أسْلَم قديمًا . قالوا : وكان يومَ أسْلَم عمرُه سبعَ عشْرةَ سنةً[4] .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠/ ١٤٣.

(٢) المنتظم ٥/ ٢٨٣.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٦٠٦ - ٦١٠، وأسد الغابة ٢/ ٣٦٦ - ٣٧٠، والإصابة ٣/ ٧٣ - ٧٧.

(٤) انظر المنتظم ٥/ ٢٨١، وأسد الغابة ٢/ ٣٦٦.

وثبَت عنه فى « الصحيحِ »[1] أنه قال : ما أسْلَم أحدٌ فى اليومِ الذى أسْلَمْتُ فيه ، ولقد مَكَثْتُ سَبْعةَ أيامٍ وإنى لَثُلُثُ الإسلامِ[2] . وهو الذى كَوَّف الكُوفةَ ونفَى عنها الأَعاجمَ ، وكان مُجابَ الدَّعْوةِ ، وهاجَر وشَهِد بدرًا وما بعدَها ، وهو أولُ مَن رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، وكان فارسًا شُجاعًا من أُمراءِ [٦/١٢٦ظ] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان فى أيامِ الصِّديقِ مُعَظَّمًا جَليلَ القَدْرِ ، وكذلك فى أيامِ عمرَ ، وقد اسْتَنابه على الكُوفةِ ، وهو الذى فتَح المَدائنَ ، وكانت بينَ يديه وَقْعةُ جَلُولاءَ ، وكان سيدًا مُطاعًا ، وعزَله عمرُ عن الكُوفةِ عن غيرِ عَجْزٍ ولا خِيانةٍ ، ولكن لمصلحةٍ ظَهَرَتْ لعمرَ فى ذلك ، وقد ذكَره فى الستةِ أصحابِ الشُّورَى ، ثم وَلَّاه عُثمانُ الكوفةَ[3] بعدَها ، ثم عزَله عنها .

وقال الحُمَيْدىُّ[4] ، عن سُفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ قال : شَهِد سعدُ ابنُ أبى وَقَّاصٍ وابنُ عمرَ دُومةَ الجَنْدلِ يومَ الحكَمَيْن .

وثبَت فى « صحيحِ مُسْلِمٍ »[5] أن ابنَه عمرَ جاء إليه وهو مُعْتَزِلٌ فى إبلِه فقال : الناسُ يَتنازَعون الإمارةَ وأنت هـٰهنا ؟ فقال : يا بنىَّ ، إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العبدَ الغَنِىَّ الخَفِىَّ التَّقِىَّ » .

قال ابنُ عساكرَ[6] : ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ أن ابنَ أخيه هاشمَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبى وَقَّاصٍ جاءه ، فقال له : يا عمُّ ، هـٰهنا مائةُ ألفِ سيفٍ يَرَوْنك أحَقَّ الناسِ بهذا

---

(١) البخارى (٣٧٢٧) .

(٢) بعده فى النسخ : « سابع سبعة » .

(٣) سقط من : م ، ص . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٦٧، والإصابة ٣/ ٧٤.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٨٤، من طريق الحميدى به .

(٥) مسلم (٢٩٦٥) . بنحوه .

(٦) تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٨٧.

الأمْرِ . فقال : أُريدُ مِن مائةِ ألفٍ سيفًا واحدًا ؛ إذا ضرَبْتُ به المؤمنَ لم يَصْنَعْ شيئًا ، وإذا ضرَبْتُ به الكافرَ قطَع .

وقال عبدُ الرزاقِ[1] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، حدَّثنى زكريا بنُ عمرٍو ، أن سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ وفَد على مُعاويةَ ، فأقام عندَه شهرَ رَمَضانَ يَقْصُرُ الصلاةَ ويُفْطِرُ . وقال غيرُه[2] : فبايَعَه ، وما سأَله سعدٌ شيئًا إلَّا أعْطاه إياه .

قال أبو يَعْلَى[3] : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ قال : قال سعدٌ : إنى لَأولُ رجلٍ رمَى بسهمٍ فى المشركين ، وما جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ أبويْه لأحدٍ قَبْلى ، ولقد سَمِعْتُه يقولُ : « ارْمِ فِداكَ أبى وأمى » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا إسماعيلُ ، عن[5] قيسٍ ، سمِعْتُ سعدَ بنَ مالكٍ يقولُ : واللَّهِ إنى لأولُ العربِ رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، ولقد كنا نَغْزو مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وما لنا طَعامٌ نَأْكُلُه إلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ[6] وهذا السَّمُرُ ، حتى إنَّ أحدَنا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ ما له خِلْطٌ[7] ، ثم أصْبَحَت بنو

---

(١) المصنف (٤٣٥١) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٨٤، من طريق عبد الرزاق به . ولفظ عبد الرزاق : « فأقام عنده شهرا يقصره ، أو شهر رمضان فأفطره » . وبنحو ما عند عبد الرزاق جاء فى تاريخ دمشق .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٨٥، بسنده عن حفص بن عاصم به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٠٥، من طريق أبى يعلى به .

(٤) المسند ١/ ١٨٦. (إسناده صحيح) .

(٥) فى المسند : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩، ٧٠.

(٦) الحُبلة : ثمر السَّمُر يُشبه اللُّوبياء ، وقيل : هو ثمر العِضاه . النهاية ١/ ٣٣٤.

(٧) ليضع كما تضع الشاة ما له خلط : أى لا يختلط نَجْوُهم بعضُه ببعضٍ - والنجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط - لجفافه ويُبْسِه ، فإنهم كانوا يأكلون خبز الشعير وورق الشجر ؛ لفقرهم وحاجتهم . انظر النهاية ٢/ ٦٤.

أسدٍ تُعَزِّرُنى[1] على الدِّينِ، لقد [٦/١٢٧و] خِبْتُ إذًا وضَلَّ عَمَلى. وقد رَواه شعبةُ ووَكِيعٌ وغيرُ واحدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[2].

وقال أحمدُ[3]: حدَّثنا ابنُ سعيدٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنْصارىِّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن سعدٍ قال: جمَع لى رسولُ اللَّهِ ﷺ أبويْه يومَ أُحدٍ. ورَواه أحمدُ أيضًا عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبةَ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأنْصارىِّ[4]، وقد رَواه الليثُ وغيرُ واحدٍ عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنْصارىِّ[5]. ورَواه غيرُ واحدٍ عن سعيدِ ابنِ المُسَيَّبِ، عن سعدٍ[6]. ورَواه الناسُ مِن حديثِ عامرِ بنِ سعدٍ، عن أبيه[7]. وفى بعضِ الرواياتِ[8]: «فِداكَ أبى وأمى». وفى روايةٍ[9]: فقال: «ارْمِ وأنت

---

(١) فى الأصل: «تعزنى»، وفى ا ٦: «تعربى»، وفى ص: «يعزونى»، وفى المسند: «تغزرونى». وأثبتها الشيخ أحمد شاكر فى المسند ٣/ ١٠٢: «يعزرونى». وقد ذكرها كما أثبتناها من م، ابنُ الأثير فى النهاية ٣/ ٢٢٨، وقال: أى تُوَقِّفُنى عليه، وقيل: تُوَبِّخُنى على التقصير فيه.

(٢) أخرجه البخارى (٣٧٢٨، ٥٤١٢، ٦٤٥٣)، ومسلم (٢٩٦٦)، والترمذى (٢٣٦٦)، والنسائى فى الكبرى (٢٨١٨) إلا أنه فى النسائى اقتصر على أول الحديث، وابن ماجه (١٣١) بأوله. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/٣٠١ - ٣٠٥، من طريق شعبة ووكيع وغيرهما عن إسماعيل به.

(٣) المسند ١/ ١٨٠. (إسناده صحيح).

(٤) المسند ١/ ١٧٤. (إسناده صحيح).

(٥) أخرجه البخارى (٣٧٢٥، ٤٠٥٦، ٤٠٥٧)، ومسلم (٤٢، ٠٠٠/٢٤١٢)، والترمذى (٢٨٣٠، ٣٧٥٤)، والنسائى فى الكبرى (٨٢١٦، ١٠٠٢٤)، وابن ماجه (١٣٠)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٦) أخرجه البخارى (٣٧٢٥، ٤٠٥٥)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/٣١١ - ٣١٣.

(٧) أخرجه مسلم (٠٠٠/٢٤١٢)، والنسائى فى الكبرى (١٠٠٣١، ١٠٠٣٢)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٣، ٣١٤.

(٨) فى الأصل، ا ٦: «روايته». والحديث فى البخارى (٤٠٥٥، ٤٠٥٧، ٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١، ٠٠٠/٢٤١٢)، والترمذى (٢٨٢٩، ٣٧٥٣، ٣٧٥٥)، والنسائى فى الكبرى (٨٢١٦، ١٠٠١٩ - ١٠٠٢١، ١٠٠٢٣ - ١٠٠٢٦، ١٠٠٣١، ١٠٠٣٢)، وابن ماجه (١٢٩، ١٣٠).

(٩) الترمذى (٢٨٢٩، ٣٧٥٣).

الغلامُ الحَزَوَّرُ[1] » . قال سعيدٌ[2] : وكان سعدٌ جَيِّدَ الرَّمْيِ .

وقال الأعْمشُ[3] ، عن أبى خالدٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : أولُ الناسِ رمَى بسهمٍ فى سبيلِ اللَّهِ سعدٌ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا وَكيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، سمِعْتُ عليًّا يقولُ : ما سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُفدِّى أحدًا بأبويه إلَّا سعدَ بنَ مالكٍ ، وإنِّى سَمِعْتُه يقولُ له يومَ أُحُدٍ : « ارْمِ سعدُ ، فِداكَ أبى وأمى » . ورَواه البخارىُّ[5] ، عن أبى نُعَيْمٍ ، عن مِسْعَرٍ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ به . ورَواه شعبةُ[6] ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ . ورَواه سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ وغيرُ واحدٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنْصارىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ[7] فذكَره .

وقال عبدُ الرزاقِ[8] : أنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ ، أنه سمِع عائشةَ بنتَ سعدٍ تقولُ : أنا ابنةُ المُهاجِرِ الذى فَدّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ [9] يوم أُحُدٍ[9] بالأبَوَيْن .

---

(١) الحزوَّر لغة فى الحَزْوَر ، وهو الغلام الذى قد شبَّ وقَوِى . تاج العروس (ح ز ر) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٠٩، ٣١٠ .

(٣) المصدر السابق ٢٠/ ٣٠٦، من طريق الأعمش به .

(٤) المسند ١/ ١٢٤. (إسناده صحيح) .

(٥) البخارى (٤٠٥٨) .

(٦) أخرجه مسلم (٢٤١١/٠٠٠) ، والنسائى فى الكبرى (١٠٠١٩) ، وأحمد فى المسند ١/ ١٣٦، ١٣٧، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٥، كلهم من طريق شعبة به .

(٧) أخرجه الترمذى (٢٨٢٩، ٣٧٥٣) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٧. كلاهما من طريق سفيان عن يحيى به . كما أخرجه النسائى من نفس الطريق فى الكبرى (١٠٠٢٢) بشطره الأول فقط .

(٨) المصنف (٢٠٤١٩) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٨، من طريق عبد الرزاق به .

(٩ - ٩) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

وقال الواقدىُّ[1] : [2]حَدَّثَتْنى عُبَيدةُ بنتُ[2] نابِلٍ ، عن عائشةَ بنتِ سعدٍ ، عن أبيها قال : لقد رأيْتُنى أَرْمِى بالسَّهْمِ يومَ أُحُدٍ ، فيَرُدُّه علىَّ رَجلٌ أبْيَضُ حَسَنُ الوَجْهِ لا أعْرِفُه ، حتى كان بعدُ ، فظَنَنْتُ أنَّه مَلَكٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا سُليمانُ بنُ داودَ الهاشمىُّ ، ثنا إبراهيمُ ، عن سعدٍ ، عن أبيه ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ قال : لقد رأيْتُ عن يَمينِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وعن يَسارِه يومَ أُحُدٍ رجلَيْن عليهما ثِيابٌ بِيضٌ ، يُقاتِلان عنه كأَشَدِّ القِتالِ ، ما رأيْتُهما قبلُ ولا بعدُ .

ورَواه الواقدىُّ[4] : حدَّثنى أبو[5] إسحاقَ بنُ أبى [6]عبدِ اللَّهِ[6] ، عن [7]عبدِ الواحدِ[7] بنِ أبى عَوْنٍ ، عن زِيادٍ مَوْلى سعدٍ ، عن سعدٍ قال : رأيْتُ رجلَيْن يومَ بدرٍ يُقاتِلان عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أحدُهما عن يَمينِه والآخرُ عن [٦/ ١٢٧ظ] يَسارِه ، وإنى لَأراه يَنْظُرُ إلى ذا مَرَّةً وإلى ذا مَرَّةً ؛ سُرورًا بما ظَفَّرَه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ .

وقال سفيانُ[8] ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبَيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ[9]

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٢٣٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، ٦١، م: «حدثنى عبيدة بن»، وفى ص: «حدثتنى عبيدة بن». والمثبت من مغازى الواقدى، وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٣٩.

(٣) المسند ١/ ١٧١. (إسناده صحيح).

(٤) مغازى الواقدى ١/ ٧٨، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٠، ٣٢١، من طريق الواقدى به.

(٥) سقط من: م، ص.

(٦ - ٦) فى الأصل: «عبد الرحمن».

(٧ - ٧) فى الأصل، ٦١: «عبد الواحد عن»، وفى م، ص: «عبد العزيز جد». والمثبت من مصدرى التخريج، وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٦٣.

(٨) أخرجه أبو داود (٣٣٨٨)، والنسائى (٣٩٤٧)، وابن ماجه (٢٢٨٨)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢١، كلهم من طريق سفيان به. ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٧٣٥).

(٩) بعده فى النسخ: «عن أبيه». وهو خطأ.

قال : اشْتَرَكْتُ أنا وسعدٌ وعَمَّارٌ يومَ بدرٍ فيما أصَبْنا مِن الغَنيمةِ ، فجاء سعدٌ بأسيرَيْن ، ولم أَجِئْ أنا وعَمَّارٌ بشيءٍ .

وقال الأعْمشُ[1] ، عن إبراهيمَ ، عن[2] عَلْقمةَ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : لقد رأيْتُ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ يومَ بدرٍ يُقاتِلُ قتالَ الفارسِ للراجلِ[3] .

وقال مالكٌ[4] ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، أنه سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ عامرِ[5] بنِ ربيعةَ[5] يقولُ : قالت عائشةُ : بات رسولُ اللَّهِ ﷺ أَرِقًا ذاتَ ليلةٍ ، ثم قال : « ليت رجلًا صالحًا يَحْرُسُنى الليلةَ » . قالت : إذ سَمِعْنا صوتَ السلاحِ ، فقال : « من هذا ؟ » قال : أنا سعدُ بنُ أبى وَقاصٍ ، أنا أَحْرُسُك يا رسولَ اللَّهِ . قالت : فنام رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى سَمِعْتُ غَطِيطَه . أخْرَجاه مِن حديثِ يحيى بنِ سعيدٍ[6] . وفى روايةٍ[7] : فدَعا له رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم نام .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، ثنا رِشْدِينُ بنُ سَعدٍ ، عن[9] الحَجَّاجِ ابنِ شَدَّادٍ ، عن أبى صالحٍ الغِفارِىِّ[10] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ ، أن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٠، من طريق الأعمش به .

(٢) فى م ، ص : « بن » . وإبراهيم هو ابن يزيد النخعى ، وعلقمة هو ابن قيس النخعى . انظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٣، ٢٠/ ٣٠٠.

(٣) فى تاريخ دمشق : « فى الرجال » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٣، من طريق مالك به .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) البخارى (٢٨٨٥، ٧٢٣١) ، ومسلم (٢٤١٠) .

(٧) الترمذى (٣٧٥٦) ، والنسائى فى الكبرى (٨٨٦٧) ، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٣.

(٨) المسند ٢/ ٢٢٢. (إسناده ضعيف) .

(٩) بعده فى م : « يحيى بن » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٤٠، وأطراف المسند ٤/ ١٠٧.

(١٠) سقط من : م ، ص . وهو سعيد بن عبد الرحمن ، أبو صالح الغفارى . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥٣٨.

رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أولُ مَن يَدْخُلُ مِن هذا البابِ رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . فدَخَل سعدُ ابنُ أبى وَقَّاصٍ .

وقال أبو يَعْلَى[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ قيسٍ الرَّقاشِيُّ الخَرَّازُ ، بَصْرِيٌّ ، ثنا أيوبُ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كُنَّا جُلوسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « يَدْخُلُ عليكم مِن ذا البابِ رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . قال : فليس منا أحدٌ إلَّا وهو يَتَمَنَّى أن يكونَ مِن أهلِ بيتِه ، فإذا سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ قد طلَع .

وقال حَرْمَلةُ[2] ، عن ابنِ وَهْبٍ ، أخْبَرنى حَيْوةُ ، أخبرنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، حدَّثنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : بينا نحن جُلوسٌ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « يَطْلُعُ عليكم الآن رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . فاطَّلَع سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، حتى إذا كان الغدُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَ ذلك . قال : فاطَّلَع[3] سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ على [4]تَرْتِيبِه الأولِ[4] ، حتى إذا كان الغدُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ مثلَ [٦/١٢٨و] ذلك ، فطَلَع على تَرْتِيبِه[5] ، فلمَّا قام رسولُ اللَّهِ ﷺ ثار عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرِو بنِ العاصِ فقال : إنى غاضَبْتُ أبى ، فأَقْسَمْتُ أن لا أَدْخُلَ عليه ثلاثَ ليالٍ ، فإن رأيْتَ أن تُؤْوِيَنى إليك حتى تَنْحَلَّ[6] يمينى ، فعَلْتَ . قال أنسٌ : فزعَم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو أنه بات معه ليلةً ، حتى إذا كان مع الفجرِ فلم يَقُمْ تلك الليلةَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٥، من طريق أبى يعلى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٦، من طريق حرملة به . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٠.

(٣) فى تاريخ دمشق والمختصر : « فطلع » . واطَّلَع : طلع ونظر . الوسيط (ط ل ع) .

(٤ - ٤) فى تاريخ دمشق : « مرتبة الأول » ، وفى مختصره : « مرتبته الأولى » .

(٥) فى تاريخ دمشق والمختصر : « مرتبته » .

(٦) فى تاريخ دمشق والمختصر : « تحل » .

شيئًا ، غيرَ أنه كان إذا انْقَلَب على فِراشِه ذكَر اللَّهَ ، وكبَّره حتى يَقومَ مع الفَجْرِ ، فإذا صلَّى المكْتوبةَ أسْبَغ الوُضوءَ وأتَمَّه ، ثم يُصْبِحُ مُفْطِرًا . قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : فرَمَقْتُه ثلاثَ ليالٍ وأيامَهُنَّ ، لا يَزيدُ على ذلك ، غيرَ أنى لا أَسْمَعُه يقولُ إلَّا خيرًا ، فلمَّا مَضَتِ الليالى الثلاثُ وكِدْتُ أَحْتَقِرُ عملَه قلتُ : إنه لم يَكُنْ بينى وبين أبى غَضَبٌ ولا هِجْرةٌ ، ولكنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [1] قال ذلك قَبْلُ [1] ثلاثَ مراتٍ فى ثلاثةِ مَجالسَ : « يَطْلُعُ عليكم رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ » . فاطَّلَعْتَ أنت أولئك المراتِ الثلاثَ ، فأرَدْتُ أن آوِىَ إليك حتى أنْظُرَ ما عملُك فأَقْتَدِىَ بك [2] ، فلم أَرَك تَعْمَلُ كثيرَ عملٍ ، فما الذى بلَغ بك ما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : ما هو إلَّا الذى رأيْتَ . قال : فلمَّا رأيْتُ ذلك انْصَرَفْتُ عنه ، فدَعانى حينَ وَلَّيْتُ ، فقال : ما هو إلَّا ما رَأَيْتَ ، غيرَ أنِّى لا أَجِدُ فى نفسى سُوءًا لأحدٍ مِن المسلمين ، ولا أنْوِى له شرًّا ولا أَقولُه . قال : هذه التى بَلَغَتْ بك ، وهى التى لا أُطِيقُ . وهكذا رَواه صالحٌ المُرِّىُّ [3] ، عن عمرِو بنِ دينارٍ مَوْلَى آلِ الزبيرِ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، فذكَر مثلَ رِوايةِ أنسِ بنِ مالكٍ .

وثبَت فى « صحيحِ مُسْلمٍ » [4] مِن طريقِ سُفيانَ الثَّوْرِىِّ ، عن المِقْدامِ بنِ

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١: « قبل ذلك يقول » ، وفى م : « قال ذلك » . وفى المختصر : « قال ذلك فيك » . وفى تاريخ دمشق مثلما أثبتناها هنا ، وذكر ذلك محققه فى الحاشية ولكنه غيَّر « قبل » إلى « فيك » لرأيه أن ذلك يقتضيه السياق . وما أثبتناه - وهو الموافق لأصل ما فى تاريخ دمشق - صحيح لا يختلُّ به المعنى .

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « لأنال ما نلت » .

(٣) فى م : « المزى » ، وفى ص : « الحدنى » . وهو صالح بن بشير ، أبو بشر البصرى . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٦. وقد أخرج هذه الرواية ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٢٦، من طريق صالح هذا بالإسناد المذكور .

(٤) مسلم (٢٤١٣/٤٥) .

شُرَيْحٍ ، عن أبيه ، عن سعدٍ ، فى قولِه تعالى[1] : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢] : نَزَلَتْ فى ستةٍ ، أنا وابنُ مسعودٍ منهم . وفى روايةٍ[2] : أنْزَل اللَّهُ فىَّ[3] : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ [العنكبوت: ٨] . وذلك أنَّه لمَّا أسْلَم امْتَنَعَت أُمُّه مِن الطعامِ والشَّرابِ أيامًا ، فقال لها : تَعْلَمِين واللَّهِ لو كانت لكِ مائةُ نَفْسٍ ، فخرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا ، ما ترَكْتُ دِينى هذا لشىءٍ ، إن شئتِ فكُلِى ، وإن شِئْتِ فلا تَأْكُلى . فنزَلَت هذه الآيةُ .

وأمَّا حديثُ الشَّهادةِ للعَشَرةِ بالجنةِ ، فثبَت فى الصَّحيحِ ، [4]مِن حديثِ[4] سعيدِ بنِ [٦/ ١٢٨ظ] زيدٍ ، وجاء مِن حديثِ سُهَيْلٍ[5] ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ فى قصةِ حِراءَ ، ذِكْرُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ منهم .

وقال هُشَيْمٌ وغيرُ واحدٍ[6] ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، عن جابرٍ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فأقْبَل سعدٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا خالى ، فلْيُرِنى امْرُؤٌ خالَه » . رواه التِّرمذىُّ .

---

(١) التفسير ٣/ ٢٥٥.

(٢) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣١ .

(٣) التفسير ٦/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤ - ٤) فى م ، ص : « عن » . والحديث تقدم تخريجه فى ٩/ ١٣٣.

(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٧.

(٦) أخرجه الترمذى (٣٧٥٢) ، والطبرانى فى الكبير ١/ ١٠٧ (٣٢٣) . كلاهما من طريق أبى أسامة عن مجالد به . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣١، ٣٣٢، من طريق هشيم وأبى أسامة عن مجالد به . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٥١) .

وقال الطَّبرانيُّ[1] : حدَّثنا الحسينُ بنُ إسحاقَ التُّسْتَرِيُّ ، ثنا عبدُ الوَهَّابِ بنُ الضَّحَّاكِ[2] ، ثنا إسماعيلُ بنُ[3] عَيَّاشٍ ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو ، عن ماعزٍ التَّميميِّ ، عن جابرٍ قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ أقْبَل سعدٌ فقال : « هذا خالى » .

وثبَت فى الصحيحَيْن[4] مِن حديثِ مالكٍ وغيرِه ، عن الزهريِّ ، عن عامرِ ابنِ سعدٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جاءَه يَعُودُه عامَ حَجَّةِ الوَداعِ مِن وَجَعٍ اشْتَدَّ به ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى ذو مالٍ ولا يَرِثُنى إلا ابنةٌ ، أفأَتَصَدَّقُ بثُلُثَىْ مالى ؟ قال : « لا » . قلتُ : فالشَّطْرُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لا » . قلتُ : فالثُّلُثُ ؟ قال : « الثُّلُثُ والثُّلُثُ كثيرٌ ، إنَّك أن تَذَرَ ورثتَك أغْنياءَ خيرٌ مِن أن تَذَرَهم عالةً يَتَكَفَّفون الناسَ ، وإنَّك لن تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغى بها وجهَ اللَّهِ إلَّا أُجِرْتَ بها ، [5]حتى ما تَجْعَلُ فى فِى امْرَأَتِكَ »[5] - وفى رِوايةٍ[6] : « حتى اللقمةَ تَضَعُها فى فمِ امرأتِك » - قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أُخَلَّفُ بعدَ أصحابى ؟ فقال : « إنك لن تُخَلَّفَ فتَعْمَلَ عملًا تَبْتَغى به وجهَ اللَّهِ ، إلَّا ازْدَدْتَ به دَرَجةً ورِفْعةً ، ولعلك أن تُخَلَّفَ حتى يَنْتَفِعَ بك أقوامٌ ويُضَرَّ بك آخرون » . ثُم قال : « اللهمَّ أَمْضِ لأصحابى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣٣، من طريق الطبرانى به .

(٢) فى تاريخ دمشق : « الصحابى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٩٤.

(٣) فى تاريخ دمشق : « أنا » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦٣.

(٤) فى م ، ص : « الصحيح » . والحديث فى البخارى (٥٦، ١٢٩٥، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٥٦٦٨، ٦٣٧٣، ٦٧٣٣) ، ومسلم (٥، ٠٠٠/١٦٢٨) .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) البخارى (٦٧٣٣) ، والترمذى (٢١١٦) . ولكن لفظه عندهما : « حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك » .

هجْرتَهم ، ولا تَرُدَّهم على أعْقابِهم ، لكنِ البائسُ سعدُ بنُ خَوْلَةَ » . يَرْثِى له رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ مات بمكةَ[1] . ورَواه أحمدُ[2] ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن الجَعْدِ بنِ أوْسٍ ، عن عائشةَ بنتِ سعدٍ ، عن أبيها ، فذكَر نحوَه ، وفيه : قال : فوَضَع يدَه على جَبْهتِه ، فمَسَح وجهَه وصدْرَه وبطنَه ، وقال : « اللَّهمَّ اشْفِ سعدًا وأَتِمَّ له هجرتَه » . قال سعدٌ : فما زِلْتُ يُخَيَّلُ إلىَّ أنى أَجِدُ [3]بَرْدَ يدِه[3] على كَبِدى حتى الساعةِ .

وقال ابنُ وَهْبٍ : حدَّثنى موسى بنُ عُلىِّ بنِ رباحٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ عاد سعدًا فقال : « اللهم أَذْهِبْ عنه الباسَ ، إلهَ الناسِ ، مَلِكَ الناسِ ، أنت الشافى لا شافىَ له إلَّا أنت ، بسمِ اللَّهِ أَرْقِيك مِن كلِّ شىءٍ يُؤْذِيك ، [٦/ ١٢٩و] مِن حَسَدٍ وعَيْنٍ ، اللهم أَصِحَّ قلبَه وجِسْمَه ، واكْشِفْ سَقَمَه وأَجِبْ دَعْوتَه » .

وقال ابنُ وَهْبٍ[4] : أخْبَرنى عمرٌو ، عن بُكَيرِ[5] بنِ الأشَجِّ قال : سألْتُ عامرَ ابنَ سعدٍ عن قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لسعدٍ : « وعسى أن تَبْقَى يَنْتَفِعُ بك أقوامٌ ويُضَرُّ بك آخرون » . فقال[6] : أُمِّر سعدٌ على العراقِ ، فقَتَل قومًا على الرِّدَّةِ فضَرَّهم ،

---

(١) جاء فى آخر حديث البخارى (٦٣٧٣) : قال سعد : رثى له النبى ﷺ من أن توفى بمكة . قال الحافظ فى فتح البارى ١١/ ١٨٠ معقِّبًا على ذلك : يردُّ قول من زعم أن فى الحديث إدراجًا ، وأن قوله : « يرثى له ... إلخ » . من قول الزهرى ، متمسِّكًا بما ورد فى بعض طرقه ، وفيه : قال الزهرى ... إلخ ؛ فإن ذلك يرجع إلى اختلاف الرواة عن الزهرى ، هل وصل هذا القدر عن سعد ، أو قال من قِبَل نفسه ، والحكم للوصل ؛ لأن مع رواته زيادة علم وهو حافظ .

(٢) المسند ١/ ١٧١ ، (إسناده صحيح) .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « برده » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣٧ ، من طريق ابن وهب به .

(٥) فى النسخ : « بكر » . والمثبت من تاريخ دمشق . وهو بكير بن عبد اللَّه بن الأشج القرشى . وقد ذُكر هنا منسوبًا إلى جده . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٤٢ ، ٢٤٤ .

(٦) أى قال عامر . كما فى تاريخ دمشق .

واسْتَتاب قومًا كانوا سَجَعوا[1] سَجْعَ مُسَيْلِمةَ الكَذَّابِ ، فتابوا فانْتَفَعوا به .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو المُغيرةِ ، ثنا مُعانُ[3] بنُ رِفاعةَ ، حدَّثنى علىُّ ابنُ يزيدَ[4] ، عن القاسمِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن أبى أُمامةَ قال : جَلَسْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فذَكَّرَنا ورَقَّقَنا ، فبَكَى سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، فأكْثَرَ البُكاءَ ، وقال : يا ليْتَنى مِتُّ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [5] « يا سعدُ ، أعِندِى تَتَمَنَّى الموتَ ! » فرَدَّدَ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ ثُم قال : [5] « يا سعدُ ، إن كنتَ للجنةِ خُلِقْتَ ، فما طال عُمْرُك أو حَسُنَ مِن عملِك ، فهو خيرٌ لك » .

وقال موسى بنُ عُقْبةَ وغيرُه[6] ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن سعدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَه وأَجِبْ دَعْوتَه » .

ورَواه [7] بَيانُ بنُ بِشرٍ[7] ، عن قيسٍ ، عن أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لسعدٍ : « اللَّهُمَّ سَدِّدْ سَهْمَه وأَجِبْ دعْوتَه ، وحَبِّبْه [8] إلى عِبادِك[8] » .

---

(١) سقط من : الأصل . وفى تاريخ دمشق : « سمعوا » .

(٢) المسند ٥/ ٢٦٧. وذكره الهيثمى فى المجمع ١٠/٢٠٣ وقال : رواه أحمد والطبرانى ... وفيه يزيد بن على الألهانى ، وهو ضعيف .

(٣) فى م ، ص : « معاذ » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ١٥٧.

(٤) فى م ، ص : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٧٨.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) أخرجه الحاكم فى مستدركه ٣/ ٥٠٠، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٩٢، ٩٣، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣٨، كلهم من طريق موسى بن عقبة به ، كما أخرجه ابن عساكر فى الموضع السابق من حديث يحيى بن سعيد عن موسى به ببعضه .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٦١، م : « سيار بن بشير » ، وفى ص : « بشار بن بشر » . والمثبت من مصدر تخريجه الذى سنذكره . وبيان هو ابن بشر الأحمسى البجلى ، أبو بشر الكوفى المعلم . كما فى تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٣. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣٧، ٣٣٨، من طريق بيان به .

(٨ - ٨) سقط من : ص . وليست فى تاريخ دمشق .

ورُوِىَ مِن حديثِ ابنِ عباسٍ[1] . وفى روايةِ محمدِ بنِ عائذٍ الدِّمشقىِّ[2] ، عن الهَيْثم بنِ حُمَيْدٍ ، عن مُطْعِمِ بنِ[3] المِقْدامِ وغيرِه ، أن سعدًا قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يُجِيبَ دَعْوتى . فقال : « إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دَعْوةَ عبدٍ حتى [4]يُطَيِّبَ مَطْعَمَه[4] » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يُطَيِّبَ طُعْمَتى . فدَعا له . قالوا : فكان سعدٌ يَتَوَرَّعُ مِن السُّنْبلةِ يَجِدُها فى زَرْعِه ، فيَرُدُّها مِن حيث أُخِذَتْ .

وقد كان كذلك مُجابَ الدَّعْوةِ ، لا يَكادُ يَدْعو بدُعاءٍ إلَّا اسْتُجِيب له ، فمِن أشْهَرِ ذلك ما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[5] مِن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ ، عن جابرِ ابنِ سَمُرةَ[6] ، أن أهلَ الكوفةِ شَكَوْا سعدًا إلى عمرَ فى كلِّ شىءٍ حتى قالوا : لا يُحْسِنُ يُصَلِّى . فقال سعدٌ : أما إنى لا آلُو أن أُصَلِّىَ بهم صلاةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أُطِيلُ الأُولَيَيْن ، وأَحْذِفُ فى الأُخْرَيَيْن[7] . فقال : ذاك[8] الظَّنُّ بك يا أبا إسحاقَ . وكان قد بعَث مَن يسْأَلُ عنه بمَحالٍّ [٦/ ١٢٩ظ] الكوفةِ ، فجعَلوا لا يَسْأَلون أهلَ مسجدٍ إلا أثْنَوا خيرًا ، حتى مَرُّوا بمسجدٍ لبنى عَبْسٍ ، فقام رجلٌ منهم يُقالُ له : أبو سَعْدَةَ أُسامةُ بنُ قَتادةَ . فقال : إن سعدًا كان لا يَسِيرُ[9] فى السَّرِيَّةِ[9] ،

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣٩.

(٢) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٣٩، ٣٤٠، من طريق محمد بن عائذ به ، بنحوه .

(٣) فى م ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٧٤.

(٤ - ٤) فى تاريخ دمشق : « تطيب طعمته » .

(٥) البخارى (٧٥٥، ٧٥٨) ، ومسلم (١٥٨، ٠٠٠/٤٥٣) .

(٦) فى م : « سلمة » .

(٧) قال الحافظ فى فتح البارى ٢/ ٢٣٩: المراد بالحَذف حذف التطويل لا حذف أصل القراءة .

(٨) سقط من : م ، ص .

(٩ - ٩) فى البخارى : « بالسرية » . قال الحافظ فى الفتح ٢/ ٢٣٩: السرية قطعة من الجيش ، ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف ؛ أى لا يسير بالطريقة السرية ، أى : العادلة ، والأول أولى ؛ لقوله بعد ذلك : ولا يعدل . والأصل عدم التكرار .

ولا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ ، ولا يَعْدِلُ فى[1] القَضِيَّةِ . فبلَغ سعدًا قولُه فقال : اللَّهُمَّ إن كان عبدُك هذا قام مَقامَ رِياءٍ وسُمْعةٍ ، فأَطِلْ عُمْرَه وأَدِمْ[2] فقرَه[3] ، وعرِّضْه للفتنِ . قال[4] : فأنا رَأَيْتُه بعدَ ذلك شيخًا كبيرًا ، قد سقَط[5] حاجباه على عيْنَيْه ، يَقِفُ فى الطريقِ ، فيَغْمِزُ الجَوارىَ ، فيقالُ له [6]فى ذلك[6] ، فيقولُ : شيخٌ مَفْتونٌ أصابَتْه دَعْوةُ سعدٍ . وفى روايةٍ غريبةٍ ، أنه أدْرَك فِتْنةَ المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيْدٍ فقُتِل فيها[7] .

وقال الطبَرانىُّ[8] : ثنا يوسفُ القاضى ، ثنا عمرُو بنُ مَرْزوقٍ ، ثنا شُعْبةُ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : خَرَجَتْ جاريةٌ لسعدٍ يُقالُ لها : زَبْراءُ . وعليها قَمِيصٌ جَديدٌ ، فكَشَفَتْها الريحُ ، فشَدَّ عليها عمرُ بالدِّرَّةِ ، وجاء سعدٌ ليَمْنَعَه ، فتَناوَلَه عمرُ بالدِّرَّةِ ، فذهَب سعدٌ يَدْعو على عمرَ ، فناوَله الدِّرَّةَ وقال : اقْتَصَّ . فعفا عن عمرَ .

وروَى[9] أيضًا أنه كان بينَ سعدٍ وابنِ مسعودٍ كلامٌ ، فهَمَّ سعدٌ أن يَدْعُوَ

---

(١) بعده فى م ، ص : « الرعية » .

(٢) فى صحيح البخارى : « أطل » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وأعم بصره » . وهو لفظ رواية عبد الملك بن عمير - أيضًا - عند ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤١.

(٤) القائل هو عبد الملك بن عمير ، كما فى صحيح البخارى .

(٥) فى النسخ : « سقطت » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) أخرج هذه الرواية ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٢، ٣٤٣، بسنده عن الزبير بن عدى ، عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه . وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ١١٣، ١١٤.

(٨) المعجم الكبير ١/ ١٠٢، ١٠٣ (٣٠٩) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٣، من طريق الطبرانى به . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٥٤: رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٩) المعجم الكبير ١/ ١٠١ (٣٠٦) ، مطولًا . ومن طريق الطبرانى أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق =

عليه ، فخاف ابنُ مسعودٍ ، وجعَل يَشْتَدُّ فى الهَرَبِ .

وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ[1] : لما كان يومُ القادسيةِ كان سعدٌ على الناسِ ، وقد أصابَتْه جِراحٌ[2] ، فلم يَشْهَدْ يومَ الفتحِ ، [3]يعنى فتحَ القادسيةِ[3] ، فقال رجلٌ مِن بَجِيلةَ :

ألم تَرَ أن اللَّهَ أظْهَر دِينَه ... وسعدٌ ببابِ القادسيةِ مُعْصَمُ
فأُبْنا وقد آمَتْ[4] نساءٌ كثيرةٌ ... ونِسوةُ سعدٍ ليس فيهنَّ أَيِّمُ

فقال سعدٌ : اللهمَّ اكْفِنا يدَه ولسانَه . فجاءه سَهْمٌ غَرْبٌ ، فأصابه فخَرِس ويَبِسَتْ يداه جميعًا .

وقد أسْنَد زِيادٌ البَكَّائىُّ وسيفُ بنُ عمرَ[5] ، عن عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ ، عن قَبِيصةَ بنِ جابرٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَر مثلَه ، وفيه : ثُم خرَج سعدٌ ، فأَرَى الناسَ ما به مِن القُروحِ فى ظَهْرِه ؛ ليُعْذِرَ[6] إليهم .

= ٢٠/ ٣٤٣، ٣٤٤. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٥٤: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير أسد ابن موسى ، وهو ثقة مأمون . وليس فى الحديث أنه جعل يشتد فى الهرب ، بل أنه قال لسعد : قل قولًا ولا تلعن .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) فى الأصل ، ٦١: « جراحة » . وفى تاريخ دمشق : « خراج » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى م : « أيمت » ، وفى ص : « آبت » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٥، من طريق زياد البكائى وسيف كلاهما عن عبد الملك به ، قال قبيصة فى حديث زياد : قال ابن عمٍّ لنا . وفى حديث سيف : قال رجل منا يوم القادسية . وليس عن ابن عمر كما هنا فى النسخ . والخبر فى تاريخ الطبرى ٣/ ٥٧٩، ٥٨٠ من حديث سيف عن عبد الملك عن قبيصة بنحوه .

(٦) فى م ، ص : « ليعتذر » . وأعذر : أبدى عذره .

وقال هُشيْمٌ[1] ، عن أبى بَلْجٍ[2] ، عن مُصْعبِ بنِ سعدٍ ، أن رجلًا نال مِن عليٍّ ، فنَهاه سَعْدٌ فلم يَنْتَهِ ، فقال سعدٌ : أدْعُو عليك . فلم يَنْتَهِ ، فدَعا اللَّهَ عليه [3]فما بَرِح[3] حتى جاء [٦/ ١٣٠و] بعيرٌ نادٌّ فتَخَبَّطه .

وجاء مِن وجهٍ آخرَ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ[4] ، أن سعدًا رأَى جماعةً عُكوفًا على رجلٍ ، فأدْخَل رأسَه مِن بينِ اثنين ، فإذا هو يَسُبُّ عليًّا وطَلْحةَ والزُّبيرَ ، فنَهاه عن ذلك ، فلم يَنْتَهِ ، فقال : أدْعو عليك . فقال الرجلُ : تَتَهَدَّدُنى كأنك نبيٌّ ! فانْصَرَف سعدٌ ، فدخَل دارَ آلِ فلانٍ ، فتَوَضَّأ ، وصلَّى ركعتَيْن ، ثم رفَع يديْه ، فقال : اللهمَّ إن كنتَ تَعْلَمُ أن هذا الرجلَ قد سَبَّ أقْوامًا قد سبَق لهم منك سابقةُ الحُسْنَى ، وأنه قد أسْخَطك سَبُّه إياهم ، فاجْعَلْه اليومَ آيةً وعِبْرةً . قال : فخرَجَتْ بُخْتِيَّةٌ نادَّةٌ مِن دارِ آلِ فلانٍ لا يَرُدُّها شىءٌ حتى دَخَلَت بينَ أضْعافِ الناسِ ، فافْتَرق الناسُ ، فأخَذَتْه بينَ قَوائِمِها ، فلم تَزَلْ تَتَخَبَّطُه حتى مات . قال : فلقد رأيْتُ الناسَ يَشْتَدُّون وراءَ سعدٍ يقولون : اسْتَجاب اللَّهُ دُعاءَك يا أبا إسحاقَ . ورَواه حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، فذكَر نحوَه[5] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[6] : حدَّثنى الحسنُ بنُ داودَ بنِ[7] محمدِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٥، ٣٤٦، من طريق هشيم به .

(٢) فى النسخ : « بلح » . وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الإكمال ١/ ٣٥١، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٦٢.

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/٣٤٦ - ٣٤٨.

(٥) المصدر السابق ٢٠/ ٣٤٨، ٣٤٩، من طريق حماد بن سلمة به .

(٦) مجابو الدعوة (٣٤) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٤٩، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٧) فى تاريخ دمشق : « عن » . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٦/ ١٤٣.

المُنْكَدِرِ القرشيُّ ، ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن أبيه ، عن مِينا مولى عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، أن امرأةً كانت تَطَّلِعُ على سعدٍ ، فنَهاها فلم تَنْتَهِ ، فاطَّلَعَت يومًا وهو يَتَوَضَّأُ ، فقال : شاهَ وجهُكِ . فعاد وجهُها فى قَفاها .

وقال كَثيرٌ النَّوّاءُ[1] عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُليلٍ[2] قال : دخَل سعدٌ على مُعاويةَ فقال له : ما لك لم تُقاتِلْ معنا ؟ فقال : إنى مَرَّت بى رِيحٌ مُظْلِمةٌ فقلتُ : أخْ أخْ . فأنَخْتُ راحلتى حتى انْجلَت عنى ، ثم عرَفْتُ الطريقَ فسِرْتُ . فقال مُعاويةُ : ليس فى كتابِ اللَّهِ أَخْ أَخْ ، ولكن قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات : ٩] . فواللَّهِ ما كنتَ مع الباغيةِ على العادلةِ ، ولا مع العادلةِ على الباغيةِ . فقال سعدٌ : ما كنتُ لِأُقاتلَ رجلًا قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنت منى بمَنْزِلةِ هارونَ مِن موسى غيرَ أنه لا نبيَّ بعدى » . فقال مُعاويةُ : مَن سمِع هذا معك ؟ فقال : فلانٌ وفلانٌ وأمُّ سَلَمةَ . فقال مُعاويةُ : أما إنى لو سمِعْتُه منه ﷺ لَمَا قاتَلْتُ عليًّا . وفى روايةٍ[3] مِن وجهٍ آخرَ أن هذا الكلامَ كان بينَهما وهما بالمدينةِ فى حَجَّةٍ حَجَّها مُعاويةُ ، [٦/ ١٣٠ظ] وأنهما قاما إلى أمِّ سَلَمةَ فسألاها فحَدَّثَتْهما بما حَدَّث به سعدٌ ، فقال مُعاويةُ : لو سمِعْتُ هذا قبلَ هذا اليومِ لكنتُ خادِمًا لعليٍّ حتى يموتَ أو أموتَ . وفى إسنادِ هذا ضَعْفٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « النورى » ، وفى ٦١ : « النوى » ، وفى تاريخ دمشق : « النزا » . وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٣١٩ ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٠٣ . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، من طريق كثير به .

(٢) فى الأصل ، ٦١ : « بلبل » ، وفى م : « بديل » ، وفى ص : « مالك » ، وفى تاريخ دمشق : « مليك » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر تبصير المنتبه الموضع السابق ، والجرح والتعديل ٥/ ١٦٨ .

(٣) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، بسنده عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه المدينى .

وقد رُوِىَ[1] عن سعدٍ، أنه سمِع رجلًا يَتَكلَّمُ فى علىٍّ وفى خالدٍ فقال: إنه لم يَبْلُغْ ما بينَنا دينَنا.

وقال محمدُ بنُ سِيرينَ[2]: طاف سعدٌ على تسعِ جَوارٍ فى ليلةٍ، فلما انْتَهَى إلى العاشرةِ أخَذه النومُ، فاسْتَحْيَتْ أن تُوقِظَه.

ومِن كلامِه الحسنِ أنه قال لابنِه مُصْعَبٍ[2]: يا بنىَّ، إذا طلَبْتَ شيئًا فاطْلُبْه بالقَناعةِ، فإنه مَن لا قَناعةَ له لم يُغْنِه المالُ.

وقال حَمادُ بنُ سَلَمةَ[3]، عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ، عن مُصْعبِ بنِ سعدٍ قال: كان رأسُ أبى فى حِجْرى وهو يَقْضى فبَكَيْتُ، فقال: ما يُبْكِيك يا بنىَّ؟ واللَّهِ إنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُنى أبدًا، وإنى مِن أهلِ الجنةِ، إن اللَّهَ يَدينُ للمؤمنين بحَسَناتِهم فاعْمَلوا للَّهِ، وأمَّا الكفارُ فيُخَفَّفُ عنهم بحَسَناتِهم، فإذا نَفِدَت قال: لِيَطْلُبْ كلُّ عاملٍ ثوابَ عملِه ممَّن عَمِل له.

وقال الزهرىُّ[4]: لمَّا حَضَرَت سعدًا الوفاةُ دَعا بخَلَقِ جُبَّةٍ فقال: كَفِّنونى فيها، فإنى لَقِيتُ فيها المشركين يومَ بدرٍ، وإنما كنتُ أُخبِّئُها لهذا اليومِ[5].

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٥٨.

(٢) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٣.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٤، من طريق حماد بن سلمة به.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٩٦، والطبرانى فى الكبير ١/ ١٠٥ (٣١٦)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٤. وذكره الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٥، وقال: ورجاله ثقات إلا أن الزهرى لم يدرك سعدًا.

(٥) بعده فى الأصل، ٦١: «وقال سعد: كنا مع رسول اللَّه ﷺ بمكة يصيبنا شدة العيش، فخرجت ليلة أبول، فإذا شىء يقعقع تحت بولى، فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها، ثم وضعتها بين حجرين فسحقتها، ثم استفيتها وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثًا».

وكانت وفاةُ سعدٍ بالعَقيقِ خارجَ المدينةِ، فحُمِل إلى المدينةِ على أعْناقِ الرجالِ، فصَلَّى عليه مَرْوانُ، وصَلَّى بصلاتِه أُمَّهاتُ المؤمنين الباقياتُ الصالحاتُ، ودُفِن بالبَقيعِ، وكان ذلك فى هذه السنةِ - سنةِ خمسٍ وخمسين - على المشهورِ الذى عليه الأكْثرون، وقد جاوَز الثمانين، على الصحيحِ[1].

قال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[2]: وهو آخرُ العشَرةِ وفاةً. وقال غيرُه[2]: كان آخرَ المهاجرين وَفاةً. رضِى اللَّهُ عنه وعنهم أجْمَعين.

وقال الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ[2]: سنةَ خمسين.

وقال أبو مَعْشَرٍ وأبو نُعَيمٍ [3]وقَعْنَبُ[3] بنُ المحَرَّرِ[4]: تُوُفِّىَ سعدٌ سنةَ ثمانٍ وخمسين.

وقال قَعْنَبٌ[5]: وفيها تُوُفِّىَ الحسنُ بنُ علىٍّ وعائشةُ [٦/ ١٣١و] وأمُّ سَلَمةَ. والصحيحُ الأولُ؛ خمسٍ وخمسين.

قالوا[6]: وكان سعدٌ قَصيرًا غَليظًا شَثْنَ الأصابعِ[7] أفْطَسَ[8] أشْعَرَ الجسدِ،

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٣/١٤٧ - ١٤٩، وتاريخ دمشق ٢٠/٣٦٧ - ٣٧٠، وتاريخ الإسلام جزء حوادث ووفيات ٤١- ٦٠ ص ٢٢١.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٨.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٦١، ص: «ومغيث»، وفى م: «مغيث»، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) المصدر السابق ٢٠/ ٣٧١.

(٥) فى النسخ: «مغيث». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) انظر المعجم الكبير ١/٢٩٣ - ٢٩٦ (٢٩٤)، وأسد الغابة ٣/ ٣٦٩، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٤٩.

(٧) شثن الأصابع: هو الذى فى أنامله غِلظ بلا قِصر، ويحمد ذلك فى الرجال؛ لأنه أشد لقبضهم. اللسان (ش ث ن).

(٨) رجل أفطس، من الفَطَس: وهو انخفاض قصبة الأنف وانفراشها. وانظر اللسان (ف ط س).

يَخْضِبُ بالسَّوادِ ، وكان مِيراثُه مائتَىْ ألفٍ وخمسين ألفًا .

فَضالةُ بنُ عُبَيدٍ الأنْصارىُّ الأوْسىُّ[1] ، أولُ مَشاهدِه أُحُدٌ ، وشَهِد بيعةَ الرِّضْوانِ ، ودخَل الشامَ ، وتَوَلَّى القَضاءَ بدمشقَ فى أيامِ مُعاويةَ بعدَ أبى الدَّرْداءِ .

قال أبو عُبَيْدٍ[2] : مات سنةَ ثلاثٍ وخمسين . وقال غيرُه[3] : سنةَ سبعٍ وستين .

وقال ابنُ الجَوْزىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[4] : تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ . واللَّهُ أعلمُ .

قُثَمُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ[5] ، كان أشْبَهَ الناسِ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، تَوَلَّى نِيابةَ المدينةِ فى أيامِ علىٍّ ، وشَهِد فَتْحَ سَمَرْقَنْدَ [6]مِمَّا وراءَ النهرِ[6] ، فاسْتُشْهِد بها ، رحمه اللَّه .

كعبُ بنُ عمرٍو أبو اليَسَرِ الأنصارىُّ السَّلَمىُّ[7] ، شَهِد العَقَبةَ وبدرًا ، وأَسَر يومَئِذٍ العباسَ بنَ عبدِ المطلبِ ، وشَهِد ما بعدَ ذلك مِن المَشاهِدِ كلِّها مع رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قال أبو حاتمٍ وغيرُه[8] : مات سنةَ خمسٍ وخمسين . زاد غيرُه[9] : وهو آخرُ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٢٦٢، وأسد الغابة ٤/ ٣٦٣، والإصابة ٥/ ٣٧١.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٢٢٨ مخطوط، عن أبى عبيد.
(٣) تهذيب الكمال ٢٣/ ١٨٩.
(٤) المنتظم ٥/ ٢٨٣.
(٥) الاستيعاب ٣/ ١٣٠٤، وأسد الغابة ٤/ ٣٩٢، والإصابة ٥/ ٤٢٠.
(٦ - ٦) زيادة من : الأصل ، ٦١ .
(٧) الاستيعاب ٣/ ١٣٢٢، وأسد الغابة ٤/ ٤٨٤، والإصابة ٧/ ٤٦٨.
(٨) ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٧/١٦٠ عن أبيه.
(٩) انظر أسد الغابة ٣/ ٤٨٤.

مَن مات مِن أهلِ بدرٍ[1] .

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ : « قال أبو اليسر : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسرًا أو وضع له ، أظله الله يوم لا ظِل إلا ظله » .

ثم دَخلت سنةُ ستٍّ وخمسين

وذلك فى أيامِ مُعاويةَ . ففيها شَتَّى جُنادةُ بنُ أبى أُمَيةَ بأرضِ الرومِ ، وقيل : عبدُ الرحمنِ بنُ مسعودٍ[1] . وقيل : فيها غَزا فى البحرِ يزيدُ بنُ شَجَرةَ[2] ، وفى البَرِّ عِياضُ بنُ الحارثِ . وفيها اعْتَمَر مُعاويةُ فى رَجبٍ ، وحَجَّ بالناسِ فيها الوليدُ بنُ عُتْبةَ بنِ أبى سُفيانَ . وفيها وَلَّى مُعاويةُ سعيدَ بنَ عثمانَ بلادَ خُراسانَ ، وعزَل عنها عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ ، فسار سعيدٌ إلى خُراسانَ ، والْتَقَى مع التُّرْكِ عندَ صُغْدِ سَمَرْقَنْدَ ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا ، واسْتُشْهِد معه جَماعةٌ ، منهم - فيما قيل - قُثَمُ بنُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ[3] .

[4]قال ابنُ جَريرٍ[5] : سأَل سعيدُ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ مُعاويةَ[6] أن يُوَلِّيَه خُراسانَ ، فقال : إن بها عُبيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ . فقال [7]سعيدٌ لمعاويةَ[7] : أما واللَّهِ لقد اصْطَنَعك أبى ورَقَّاك ، حتى بَلغْتَ باصْطِناعِه المَدَى الذى لا يُجارَى إليه ولا يُسامَى ، فما شَكَرْتَ بلاءَه ولا جازَيْتَه [٦/ ١٣١ظ] بآلائِه ، وقدَّمْتَ علىَّ هذا - يعنى يزيدَ بنَ مُعاويةَ - وبايَعْتَ له[8] ، وواللَّهِ لَأنا خيرٌ منه أبًا وأُمًّا ونَفْسًا . فقال[4]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠١، والمنتظم ٥/ ٢٨٥.

(٢) فى م، ص: «سمرة». وانظر المصدرين السابقين، والإصابة ٦/ ٦٦٢.

(٣) انظر المنتظم ٥/ ٢٨٧، والإصابة ٥/ ٤٢٠، ٤٢١.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) تاريخ الطبرى ٥/٣٠٤ - ٣٠٦.

(٦) سقط من: الأصل، ٦١.

(٧ - ٧) سقط من: م.

(٨) بعده فى الأصل، ٦١: «من بعدك».

(١) له مُعاويةُ : أما بلاءُ أبيك عندى فقد يَحِقُّ علىَّ الجَزاءُ به ، وقد كان مِن شُكْرى لذلك أنى طلَبْتُ بدمِه حتى تَكَشَّفَتِ الأمورُ ، ولسْتُ بلائمٍ لنفسى فى التَّشْمِيرِ ، وأما فَضْلُ أبيك على أبيه ، فأبوك واللَّهِ خيرٌ منى وأقْرَبُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأما فَضْلُ أُمِّك على أُمِّه فما لا يُنْكَرُ ، فإن امرأةً مِن قريشٍ خيرٌ مِن امرأةٍ مِن كَلْبٍ ، وأما فَضْلُك عليه فواللَّهِ ما أُحِبُّ أن الغُوطةَ دُحِسَت ليزيدَ رجالًا مثلَك . يعنى أن الغُوطةَ لو مُلِئَت رجالًا مثلَ سعيدِ بنِ عثمانَ كان يزيدُ خيرًا وأَحَبَّ إلىَّ منهم . فقال له يَزيدُ : يا أميرَ المؤمنين ، ابنُ عَمِّك وأنت أحَقُّ مَن نظَر فى أمْرِه ، وقد عتَب عليك فىَّ فأَعْتِبْه[٢] . قال : فوَلَّاه حربَ خُراسانَ ، فأتَى سَمَرْقَنْدَ فخرَج إليه أهلُ الصُّغْدِ مِن التُّرْكِ ، فقاتَلَهم وهزَمهم وحصَرهم فى مدينتِهم ، فصالَحوه وأعْطَوْه رَهْنًا خمسين غلامًا يكونون فى يدِه مِن أبناءِ عُظمائِهم ، فأقام بالتِّرْمِذِ ، ولم يَفِ لهم ، وجاء بالغِلْمانِ الرُّهُنِ معه إلى المدينةِ[١] .

وفيها[٢] دَعا مُعاويةُ الناسَ إلى البَيْعةِ ليزيدَ ولدِه أن يكونَ وَلِىَّ عهدِه مِن بعدِه ، وكان قد عزَم قبلَ ذلك على هذا فى حياةِ المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ ؛ فروَى ابنُ جَريرٍ مِن طريقِ الشَّعْبىِّ[٣] ، أن المغيرةَ كان قد قدِم على مُعاويةَ ، واسْتَعْفاه مِن إمْرةِ الكوفةِ ، فأعْفاه لكِبَرِه وضعفِه ، وعزَم على تَوْلِيتِها سعيدَ بنَ العاصِ ، فلمَّا بلَغ ذلك المغيرةَ كأنه نَدِم ، فجاء إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فأشار عليه بأن يَسْأَلَ مِن أبيه أن يكونَ وَلِىَّ العَهْدِ مِن بعدِه ، فسأَل ذلك يزيدُ مِن أبيه فقال : مَن أمَرك بهذا ؟ قال : المغيرةُ . فأعْجَب ذلك مُعاويةَ مِن المغيرةِ ورَدَّه إلى عملِ الكوفةِ ، وأمَره أن يَسْعَى

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠١، والمنتظم ٥/ ٢٨٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٥/٣٠١ - ٣٠٤.

فى ذلك ، فعندَ ذلك سعَى المُغيرةُ فى تَوْطيدِ ذلك ، وكتَب مُعاويةُ إلى زيادٍ يَسْتَشِيرُه فى ذلك ، فكَرِه زيادٌ ذلك ؛ لِما يَعْلَمُ مِن لَعِبِ يزيدَ وإقْبالِه على اللَّعِبِ والصَّيْدِ ، فبعَث زيادٌ إليه مَن يَثْنِى رأيَه عن ذلك ، وهو عُبَيدُ بنُ كعبٍ[1] النُّمَيْرِىُّ - وكان صاحبًا أَكِيدًا لزِيادٍ - فسار إلى دمشقَ ، فاجْتَمع بيزيدَ أولًا ، [٦/ ١٣٢و] فكَلَّمه عن زيادٍ ، وأشار عليه بأن لا يَطْلُبَ ذلك ، فإنَّ تَرْكَه خيرٌ له مِن السَّعْيِ فيه ، فانْزَجَر يزيدُ عما يُريدُ مِن ذلك ، واجْتَمع بأبيه واتَّفَقا على تَرْكِ ذلك فى هذا الوقتِ ، فلما مات زِيادٌ ، وكانت هذه السنةُ ، شرَع مُعاويةُ فى نَظْمِ البيعةِ ليزيدَ والدعاءِ إليها ، وعقَد البَيْعةَ لولدِه يزيدَ ، وكتَب إلى الآفاقِ بذلك ، فبايَع له الناسُ فى سائرِ الأقاليمِ ، إلَّا عبدَ الرحمنِ بنَ أبى بكرٍ وعبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ والحسينَ ابنَ علىٍّ وعبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ وابنَ عباسٍ ، فركِب مُعاويةُ إلى مكةَ مُعْتَمِرًا ، فلما اجْتاز بالمدينةِ مَرْجِعَه مِن مكةَ اسْتَدْعَى كلَّ واحدٍ مِن هؤلاء الخمسةِ ، فأوْعَده وتَهَدَّده بانْفرادِه ، فكان مِن أشَدِّهم عليه رَدًّا وأجْلَدِهم فى الكلامِ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ الصديقِ ، وكان أَلْيَنَهم كلامًا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ ، ثم خطَب مُعاويةُ وهؤلاء حُضورٌ تحتَ مِنْبرِه ، وبايَع الناسُ ليزيدَ وهم قُعودٌ ، ولم يُوافِقوا ولم يُظْهِروا خِلافًا ؛ لِما تَهَدَّدهم وتوعَّدَهم ، فاتَّسَقَتِ البَيْعةُ ليزيدَ فى سائرِ البلادِ ، ووفَدَتِ الوفودُ مِن سائرِ الأقاليمِ إلى يَزيدَ . فكان فيمَن قَدِم الأحْنَفُ بنُ قيسٍ[2] ، فأمَره مُعاويةُ أن يُحادِثَ يزيدَ ، فجَلَسا ثم خرَج الأحْنَفُ ، فقال له مُعاويةُ : ماذا رأيْتَ مِن ابنِ أخيك ؟ فقال : إنا نَخافُ اللَّهَ إن كذَبْنا ونَخافُكم إن صدَقْنا ، وأنت

---

(١) بعده فى م ، ص : « بن » .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٢٧.

أعلمُ به فى ليلِه ونهارِه ، وسِرِّه وعَلانيتِه ، ومَدْخَلِه ومَخْرَجِه ، وأنت أعلمُ به بما أرَدْتَ ، وإنما علينا أن نَسْمَعَ ونُطِيعَ ، وعليك أن تَنْصَحَ للأُمَّةِ . وقد كان مُعاويةُ[1] لما صالَح الحسنَ بنَ علىٍّ عهِد للحسنِ بالأمْرِ مِن بعدِه ، فلما مات الحسنُ قَوِىَ أمْرُ يزيدَ عندَ مُعاويةَ ، ورَأَى أنه لذلك أهْلٌ ، وذاك مِن شِدَّةِ مَحَبةِ الوالدِ لولدِه ، ولِمَا كان يَتَوَسَّمُ فيه مِن النَّجابةِ الدُّنْيويةِ ، وسيَّما أولادِ الملوكِ ومَعْرِفتِهم بالحروبِ وتَرْتيبِ المُلْكِ والقيامِ بأُبَّهَتِه ، وكان يَظُنُّ أنه لا يَقومُ أحدٌ مِن أبناءِ الصَّحابةِ فى [2]الملكِ مقامَه[2] ، ولهذا قال لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ فيما خاطَبه به : إنى خِفْتُ أن أَذَرَ الرَّعِيَّةَ مِن بعدى كالغَنَمِ المَطِيرةِ ليس لها راعٍ . فقال له ابنُ عمرَ : إذا بايَعه الناسُ كلُّهم بايَعْتُه ، ولو كان عبدًا حبشيًّا[3] مُجَدَّعَ الأطْرافِ . وقد عاتَب[4] مُعاويةَ فى وِلايتِه [٦/ ١٣٢ظ] يَزيدَ سعيدُ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ ، وطَلَب منه أن يُوَلِّيَه مكانَه ، فقال له : واللَّهِ لو مُلِئَت الغُوطةُ رجالًا مثلَك لكان يَزيدُ أحَبَّ منكم كلِّكم .

ورُوِّينا عن مُعاويةَ أنه قال يومًا فى خُطْبتِه : اللهم إن كنتَ تَعْلَمُ أنى ولَّيْتُه لأنه فيما أُراه أَهْلٌ لذلك فأَتْمِمْ له ما وَلَّيْتُه ، وإن كنتَ تعلمُ أنى إنما وَلَّيْتُه لأنى أُحِبُّه فلا تُتْمِمْ له ما وَلَّيْتُه .

وذكَر الحافظُ ابنُ عساكرَ[5] أن مُعاويةَ كان قد سمَر ليلةً ، فتَكَلَّم أصْحابُه فى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٤، والمنتظم ٥/ ٢٨٦.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « هذا المعنى » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى الأصل ، ٦١: « كاتب » .

(٥) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩٢ مخطوط ، وانظر مختصره ٢٨/ ٢٠.

المرأةِ التى يكونُ ولدُها نَجيبًا ، فذكَروا صفةَ المرأةِ التى يكونُ ولدُها نَجيبًا . فقال مُعاويةُ : وَدِدْتُ لو عُرِّفْتُ بامرأةٍ تكونُ بهذه المَثابةِ . فقال أحَدُ جُلَسائِه : قد وجَدْتُ ذلك يا أميرَ المؤمنين . قال : ومَن ؟ قال : ابْنتى يا أميرَ المؤمنين . فتَزَوَّجها مُعاويةُ ، فولَدت له يزيدَ بنَ مُعاويةَ ، فجاء نَجيبًا ذَكِيًّا حاذقًا . ثم خطَب امرأةً أخْرى فحظِيَتْ عندَه ، ووَلَدَت له غلامًا آخرَ ، وهجَر أمَّ يزيدَ ، فكانت عندَه فى جَنْبِ دارِه ، فبينما هو يومًا فى النِّظَّارةِ ، ومعه امرأتُه الأخرى ، إذ نظَر إلى أمِّ يزيدَ وهى تُسَرِّحُه ، فقالت امرأتُه : قبَّحَها اللَّهُ وقبَّح ما تُسَرِّحُ . فقال : ولِمَ ؟ فواللَّهِ إنَّ ولدَها لأنْجَبُ مِن ولدِك ، وإن أحْبَبْتِ بيَّنْتُ لكِ ذلك . ثم اسْتَدْعَى ولدَها ، فقال له : إن أميرَ المؤمنين قد عَنَّ له أن يُطْلِقَ لك ما تَتَمَنَّاه عليه ، فاطْلُبْ منى ما شئتَ . فقال : أسْأَلُ مِن أميرِ المؤمنين أن يُطْلِقَ لى كلابًا للصيدِ ، وخيلًا ورِجالًا يكونون معى فى الصيدِ . فقال معاويةُ : قد أمَرْنا لك بذلك . ثم اسْتَدْعَى يزيدَ ، فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيدُ : أوَ يُعْفِينى أميرُ المؤمنين فى هذا الوقتِ عن هذا ؟ فقال : لابُدَّ أن تَسْأَلَ حاجتَك . فقال : أسْأَلُ - وأطال اللَّهُ عمرَ أميرِ المؤمنين - أن أكونَ وَلِيَّ عهدِه مِن بعدِه ، فإنه بلَغَنى أن عَدْلَ يومٍ فى الرَّعِيةِ كعِبادةِ خمسِمائةِ عامٍ . فقال : قد أجَبْتُك إلى ذلك . ثم قال لامرأتِه : كيف رأيْتِ ؟ فعلِمَت وتحقَّقَتْ فضلَ يزيدَ على ولدِها .

وقد ذكَر ابنُ الجَوْزىِّ[1] فى هذه السنةِ وَفاةَ أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلْحانَ الأنصاريةِ امرأةِ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ ، والصحيحُ الذى لم يَذْكُرِ العلماءُ غيرَه أنها تُوُفِّيَت سنةَ

---

(١) المنتظم ٥/ ٢٨٨.

(١ سبعٍ وعشرين ١) (٢ فى خِلافةِ عثمانَ ، وكانت هى وزوجُها ٢) مع مُعاوية [٦/ ١٣٣و] حينَ دخَل قُبْرُسَ ، وَقَصَتْها بَغْلَتُها فماتت هناك وقبرُها بقُبْرُسَ ، والعَجَبُ أن ابنَ الجَوْزِىِّ أوْرَد فى ترجمتِها حديثَها المُخَرَّجَ فى « الصحيحَيْن »(٣) فى قَيْلُولةِ النبىِّ ﷺ فى بيتِها ، ورُؤْياه فى مَنامِه قومًا مِن أمتِه يَرْكَبون ثَبَجَ البحرِ مثلَ الملوكِ على الأَسِرَّةِ (٤ غُزاةً فى سبيلِ اللَّهِ ٤) ، وأنها سألَتْه أن يَدْعُوَ لها (٤ أن تكونَ منهم ٤) ، فدعا لها ، ثم نام فرأَى كذلك ، فقالت : ادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنى منهم ، فقال(٥) : « أنت مِن الأَوَّلِين » . وهم الذين فتَحوا قُبْرُسَ ، فكانت معهم ، وذلك فى سنةِ (٦ سبعٍ وعشرين ٦) ، ولم تَكُنْ مِن الآخِرِين الذين غَزَوْا بلادَ الرومِ سنةَ إحدى وخمسين مع يزيدَ بنِ مُعاويةَ ! (٧ ومعهم أبو أيوبَ ، وقد تُوُفِّىَ هناك ، فقبرُه قريبٌ مِن سُورِ قُسْطَنْطِينيَّةَ(٨) . وقد ذكَرْنا هذا مقرَّرًا فى دلائلِ النبوةِ(٩)٧) .

(١ - ١) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب أن وفاتها - رضى اللَّه عنها - كانت فى سنة ثمان وعشرين ، فإن المصنف - رحمه اللَّه - أورد ذكر وفاتها فى حوادث سنة ثمان وعشرين . وهو ما رجحه أيضا الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١١/ ٧٥.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٥.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٥) بعده فى م ، ص : « لا » .

(٦ - ٦) فى ص : « تسع وعشرين وتوفيت هنالك » . وانظر ما تقدم فى الصفحة السابقة .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٦١: « وقد تقدم هذا كله » .

(٨) انظر تهذيب الكمال ٨/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤١٢.

(٩) انظر ما تقدم فى ٩/ ٢١٥ - ٢١٧.

[1]ثم دخلت[1] سنةُ سبعٍ وخمسين

فيها كان مَشْتَى عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ بأرضِ الرومِ[2].

قال الواقديُّ[3]: وفى شَوَّالِها عزَل مُعاويةُ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ عن المدينةِ، ووَلَّى عليها الوليدَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبى سُفْيانَ، وهو الذى حَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ؛ لأنه صارت إليه إمْرةُ المدينةِ، وكان على الكوفةِ الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ، وعلى البَصْرةِ [4]عُبَيدُ اللَّهِ[4] بنُ زِيادٍ، وعلى خُراسانَ سعيدُ بنُ عثمانَ.

قال ابنُ الجَوْزىِّ[5]: وفيها تُوُفِّىَ **عثمانُ بنُ حُنَيْفٍ الأنصارىُّ الأوْسىُّ**، وهو أخو عُبادةَ وسهلِ ابنَىْ حُنَيْفٍ، بعَثه عمرُ لمساحةِ خَراجِ السَّوادِ بالعراقِ، واسْتَنابه عمرُ على الكوفةِ، فلمَّا قَدِم طَلْحةُ والزبيرُ صُحْبةَ عائشةَ، وامْتَنع مِن تَسْليمِ دارِ الإمارةِ نُتِفَت لحيتُه وحَواجبُه وأشْفارُ عينيه ومُثِّل به، فلمَّا جاء علىٌّ وسَلَّمه البلدَ قال له: يا أميرَ المؤمنين، فارَقْتُك ذا لحيةٍ، واجْتَمَعْتُ بك أمْرَدَ. فتَبَسَّم علىٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، وقال: لك أجْرُ ذلك عندَ اللَّهِ.

وله فى «المسندِ» و«السُّننِ» حديثُ الأعْمَى الذى سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ أن

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٦٩، وتاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٨، والمنتظم ٥/ ٥٧، والكامل ٣/ ٥١٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، ٦١، ص: «عبد الله». وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥.

(٥) المنتظم ٥/ ٢٨٩، ٨٣ - ٨٥. وانظر نهاية الأرب ٢٠/ ٤٥.

يَدْعُوَ له لِيَرُدَّ اللَّهُ عليه ضَوءَ بَصَرِه ، فرَدَّه اللَّهُ عليه[1] . وله حديثٌ آخرُ عند النَّسائيِّ[2] ، ولم أَرَ أحدًا أَرَّخ وفاتَه بهذه السنةِ سِوَى ابنِ الجَوْزيِّ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/٦٥ - ٦٧.

(٢) النسائى فى الكبرى (٩٧٦٥) .

(١ثم دخَلَت١) سنةُ ثمانٍ وخمسين

فيها غَزا مالكُ بنُ عبدِ اللَّهِ الخثْعَميُّ أرضَ الرومِ[٢] .

قال الواقديُّ[٣] : وفيها قُتِلَ[٤] يزيدُ بنُ شَجَرةَ فى البحرِ . وقيل : بل غَزا البَحْرَ وبلادَ الرومِ جُنادةُ بنُ أبى أُمَيةَ . وقيل : إنما شَتَّى بأرضِ الرومِ عمرُو بنُ يزيدَ الجُهَنىُّ .

قال أبو مَعْشَرٍ والواقديُّ[٥] : وحَجَّ بالناسِ فيها الوليدُ بنُ عُتبةَ بنِ أبى سفيانَ .

[٦/ ١٣٣ظ] وفيها وَلَّى مُعاويةُ الكُوفةَ لعبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ رَبيعةَ الثَّقفىِّ[٦] ، وهو ابنُ أمِّ الحكَمِ ، وأمُّ الحكَمِ هى أختُ مُعاويةَ ، وعزَل عنها الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ ، فوَلَّى ابنُ أمِّ الحكمِ على شُرْطتِه زائدةَ بنَ قُدامةَ ، وخرَجَت الخوارجُ فى أيامِ ابنِ أمِّ الحكمِ ، وكان رَئيسَهم فى هذه الوَقْعةِ حَيَّانُ بنُ ظِبْيانَ السُّلَمىُّ ، فبعَث إليهم جيشًا فقَتَلوا الخَوارِجَ جميعًا ، ثم إنَّ ابنَ أمِّ الحكَمِ أساء السِّيرةَ فى أهلِ الكوفةِ ، فأخْرَجوه مِن بينِ أظْهُرِهم طَرِيدًا ، فرجَع إلى خالِه مُعاويةَ ، فذكَر له ذلك ، فقال : لأُوَلِّيَنَّك مِصْرًا هو خيرٌ لك . فوَلَّاه مِصْرَ ، فلما

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٧٠، ٢٧١، وتاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٩، والمنتظم ٥/ ٢٩٠، والكامل ٣/ ٥١٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٩. وفيه أن يزيد بن شجرة قُتل لا شتَّى .

(٤) فى ا ٦، م، ص : « قيل » . وبعده فى النسخ : « شتى » . والمثبت موافق لما فى تاريخ خليفة ، وتاريخ الطبرى ، والمنتظم .

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٠٩.

(٦) المصدر السابق ٥/٣٠٩ - ٣١٢.

سار إليها تَلَقَّاه مُعاويةُ بنُ حُدَيجٍ[1] على مَرْحَلَتَيْن مِن مصرَ ، فقال له : ارْجِعْ إلى خالِك مُعاويةَ ، فلَعَمْرِى لا تسيرُ فينا سِيرتَك فى إخْوانِنا مِن أهلِ الكوفةِ . فرجَع ابنُ أمِّ الحكَمِ إلى مُعاويةَ ، ولحِقه مُعاويةُ بنُ حُدَيْجٍ وافدًا على مُعاويةَ ، فلمَّا دخَل عليه وجَد عندَه أُختَه أمَّ الحكَمِ ، وهى أمُّ عبدِ الرحمنِ الذى طَرَده أهلُ الكوفةِ وأهلُ مِصْرَ ، فلمَّا رآه مُعاويةُ قال : بَخٍ بَخٍ ، هذا مُعاويةُ بنُ حُدَيجٍ . فقالت أمُّ الحكَمِ : لا مَرْحَبًا به ، تَسْمَعَ بالمُعَيْدِىِّ خيرٌ مِن أن تَراه . فقال مُعاويةُ بنُ حُديجٍ : على رِسْلِكِ يا أمَّ الحكمِ ، أما واللَّهِ لقد تَزَوَّجْتِ فما أَكْرَمْتِ ، ووَلَدْتِ فما أَنْجَبْتِ ، أرَدْتِ أن يَلِىَ ابنُكِ الفاسقُ علينا ، فيَسِيرَ فينا كما سار فى إخوانِنا مِن أهلِ الكوفةِ ، فما كان اللَّهُ لِيُرِيَه ذلك ، ولو فعَل ذلك لضرَبْناه ضَرْبًا يُطَأْطِئُ منه[2] ، وإن كَرِه ذلك الجالسُ . يعنى مُعاويةَ ، فالْتَفَت إليها مُعاويةُ فقال : كُفِّى .

قصةٌ غَرِيبَةٌ

ذكَرها ابنُ الجَوْزىِّ فى كتابِه « المُنْتَظَمِ »[3] بسندِه ، ومُلَخَّصُها أن مُعاويةَ بينَما هو يومًا على السِّماطِ إذا شابٌّ مِن بنى عُذْرةَ قد مثَل بين يَدَيْه ، فأنْشَده شعرًا مَضْمونُه التَّشَوُّقُ إلى زوجتِه سُعادَ ، فاسْتَدْناه مُعاويةُ ، واسْتَحْكاه عن أمْرِه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنى كنتُ مُزَوَّجًا بابنةِ عَمٍّ لى ، وكان لى إبلٌ وغَنَمٌ ، فأنْفَقْتُ ذلك عليها ، فلما قَلَّ ما بيدى رَغِب عنى أبوها وشَكانى إلى عامِلِك

---

(١) هنا وفيما يأتى فى النسخ : « خديج » . وهو تصحيف . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٩، والإصابة ٦/ ١٤٧.

(٢) بعده فى الأصل، ٦١، م : « رأسه أو قال : لضربنا ما صأصأ منه » .

(٣) المنتظم ٥/ ٢٩٢ - ٢٩٥.

بالكوفةِ [٦/ ١٣٤و] ابنِ أمِّ الحكَمِ ، وبَلَغه جمالُها فحبَسنى فى الحَديدِ ، وحمَلنى على أن أُطَلِّقَها ، فلمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُها أعْطاه عاملُك عَشَرةَ آلافِ درهمٍ ، فزَوَّجه إياها ، وقد أتَيْتُك يا أميرَ المؤمنين ، وأنت غِياثُ المحروبِ ، وسَنَدُ المَسْلوبِ ، فهل مِن فَرَجٍ ؟ ثم بكَى وأنْشَأ يقولُ :

فى القلبِ منى نارٌ ... والنارُ فيها شَرارُ
والجِسْمُ منى نَحيلٌ ... واللونُ فيه اصْفِرارُ
والعينُ تَبْكى بشَجْوٍ ... فدَمْعُها مِدْرارُ
والحُبُّ (١ داءٌ عسيرٌ ١) ... فيه الطَّبيبُ يَحارُ
حَمَلْتُ فيه عَظيمًا ... فما عليه اصْطِبارُ
فليس ليْلِى بليلٍ ... ولا نَهارى نَهارُ

قال : فرَقَّ له مُعاويةُ ، وكتَب إلى ابنِ أمِّ الحكَمِ يُؤَنِّبُه على ذلك ويَعِيبُه عليه ، ويَأْمُرُه بطَلاقِها قولًا واحدًا ، فلمَّا جاءه كتابُ مُعاويةَ تنَفَّس الصُّعَداءَ ، وقال : وَدِدْتُ أن أميرَ المؤمنين خَلَّى بينى وبينَها سنةً ، ثم عرَضَنى على السيفِ . وجعَل يُؤامِرُ نفسَه على طَلاقِها ، فلا يَقْدِرُ على ذلك ، ولا تُجِيبُه نفسُه ، وجعَل البَريدُ الذى ورَد عليه بالكِتابِ يَسْتَحِثُّه ، فطلَّقها وأخْرَجها عنه وسَيَّرها مع الوَفْدِ إلى مُعاويةَ ، فلمَّا وقَفَت بينَ يديْه رأَى مَنْظرًا جميلًا ، فلما اسْتَنْطَقها ، فإذا هى (٢) أفْصَحُ الناسِ وأحْلاهم كلامًا ، وأكْمَلُهم جَمالًا ودَلالًا ، فقال لابنِ عَمِّها : يا أعْرابىُّ ، هل مِن سُلُوٍّ عنها بأفضلِ الرَّغْبةِ ؟ قال : نعم إذا فرَّقْتَ بينَ رأسى وجَسَدى . ثم أنْشَأ يقولُ :

(١ - ١) فى م : « ذا عبر » .
(٢) سقط من النسخ . والمثبت من المنتظم .

لا تَجْعَلَنِّى والأمْثالُ تُضْرَبُ بى كالمُسْتَغِيثِ مِن الرَّمْضاءِ بالنارِ
ارْدُدْ سُعادَ على حَيْرانَ مُكْتَئِبٍ يُمْسِى ويُصْبِحُ فى هَمٍّ وتَذْكارِ
قَدْ شَفَّه قَلَقٌ ما مِثْلُه قَلَقٌ وأَسْعَر القلبُ منه أَىَّ إسْعارِ
واللَّهِ واللَّهِ لا أنْسَى مَحَبَّتَها حتى أُغَيَّبَ فى رَمْسٍ وأحْجارِ
كيف السُّلُوُّ وقد هام الفؤادُ بها وأصْبَح القلبُ عنها غيرَ صَبَّارِ

فقال مُعاويةُ : فإنا نُخَيِّرُها بينى وبينَك وبينَ ابنِ أمِّ الحكَمِ . فأنْشَأتْ تقولُ :

هذا وإن أصْبَح فى أطمارِ[1] وكان فى نَقْصٍ مِن اليَسارِ
أكثرُ[2] عندى مِن أبى وجارى وصاحبِ الدِّرْهمِ والدِّينارِ
أخْشَى إذا غَدَرْتُ حرَّ النارِ

قال : فضَحِك مُعاويةُ ، وأمَر له بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ومَرْكَبٍ ووِطاءٍ . ولما [٦/ ١٣٤ظ] انْقَضَت عِدَّتُها زوَّجه بها وسَلَّمها إليه . حذَفْنا منها أشعارًا كثيرةً مُطَوَّلةً .

وجَرَت فى هذه السنةِ فُصولٌ طَويلةٌ بينَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ والخَوارجِ[3] ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا وجَمًّا غَفيرًا ، وحبَس منهم آخَرين ، وكان صارمًا كأبيه ، مِقْدامًا فى أمْرِهم .

---

(١) فى م : «إطار» ، وفى المنتظم : «الخمار» . والأطمار : جمع طِمْر ، وهو الثوب الخلق البالى . انظر اللسان (ط م ر) .
(٢) فى م : «أحب» .
(٣) انظر المنتظم ٥/ ٢٩٥، ٢٩٦.

ذِكْرُ مَن تُوُفِّـىَ فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ

تُوُفِّىَ فى هذا العامِ سعيدُ[1] بنُ العاصِ بنِ [2]سعيدِ بنِ العاصِ بنِ[2] أُمَيةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ القرشىُّ الأُمَوىُّ، قُتِل أبوه يومَ بدرٍ كافرًا، قَتَله علىُّ ابنُ أبى طالبٍ، ونشَأ سعيدٌ فى حِجْرِ عثمانَ بنِ عفانَ، رضِى اللَّهُ عنه، وكان عُمْرُ سعيدٍ يومَ مات رسولُ اللَّهِ ﷺ تسعَ سنين، وكان مِن ساداتِ المسلمين والأجْوادِ المشهورين، وكان جَدُّه سعيدُ بنُ العاصِ - ويُكَنَّى بأبى أُحَيْحةَ[3] - رئيسًا فى قريشٍ، يقالُ له: ذو التاجِ. لأنه كان إذا اعْتَمَّ لا يَعْتَمُّ أحَدٌ يومَئذٍ[4]؛ إعْظامًا له، وكان سعيدٌ هذا مِن عُمَّالِ عمرَ على السَّوادِ، وجعَله عثمانُ فيمَن يَكْتُبُ المَصاحِفَ؛ لفَصاحتِه، قالوا[5]: وكان أشْبَهَ الناسِ [6]لهجةً برسولِ اللَّهِ ﷺ[6]، وكان فى جُمْلةِ الاثْنَىْ عشَرَ رجلًا الذين يسْتَخْرِجون القرآنَ ويُعَلِّمونه ويَكْتُبونه، منهم أُبَىُّ بنُ كعبٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ. واسْتَنابه عثمانُ على الكوفةِ بعدَ عَزْلِه الوليدَ بنَ عُقْبةَ، فافْتَتح طَبَرِسْتانَ وجُرْجانَ، ونقَض العهدَ أهلُ أَذْرَبِيجانَ فغَزاهم ففتَحها، فلما مات عثمانُ اعْتَزل الفِتْنةَ، فلم يَشْهَدِ الجملَ ولا صِفِّينَ، فلما اسْتَقَرَّ الأمْرُ لمعاويةَ وفَد إليه، فعتَب عليه، فاعْتَذَر إليه فعذَره، فى كلامٍ طويلٍ

---

(١) الاستيعاب ٢/٦٢١ - ٦٢٤، وأسد الغابة ٢/٣٩١ - ٣٩٣، والإصابة ٣/١٠٧ - ١٠٩.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ٦١، م. وانظر المصادر السابقة.

(٣) فى النسخ: «أجنحة». والمثبت من المصادر السابقة.

(٤) كذا فى النسخ. وفى أسد الغابة ٢/ ٣٩٢: «بلون عمامته».

(٥) سقط من: م. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١١٩، من طرق عن سعيد بن عبد العزيز.

(٦ - ٦) فى الأصل، ٦١: «لحية بلحية رسول الله ﷺ»، وفى م: «لحية برسول الله ﷺ»، وفى ص: «برسول الله ﷺ». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٤٨، ٤٤٩، =

جدًّا ، ووَلَّاه المدينةَ مرتين ، وعزَله عنها مرتين بمَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، وكان سعيدٌ هذا لا يَسُبُّ عليًّا ، ومَرْوانُ يَسُبُّه ، وروَى عن النبيِّ ﷺ ، وعن عمرَ بنِ الخطابِ ، وعُثمانَ ، وعائشةَ ، وعنه ابناه عمرُو بنُ سعيدٍ الأشْدقُ ، و[1] يحيى بنُ[1] سعيدٍ ، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وعُروةُ بنُ الزبيرِ ، وغيرُهم[2] ، وليس له فى « المُسْندِ » ولا فى الكُتُبِ الستةِ شىءٌ . وقد كان حَسَنَ السِّيرةِ ، جيدَ السَّريرةِ ، وكان كثيرًا ما يَجْمَعُ أصحابَه فى كلِّ جُمُعةٍ فيُطْعِمُهم ويَكْسُوهم الحُلَلَ ، ويُرْسِلُ إلى بيوتِهم بالهَدايا والتُّحَفِ والبِرِّ الكثيرِ ، وكان يَصِرُّ الصُّرَرَ فيَضَعُها بينَ يَدَى المُصَلِّين مِن ذَوِى الحاجاتِ فى المسجدِ .

قال ابنُ عساكرَ[3] : وقد كانت له دارٌ بدمشقَ تُعْرَفُ بعدَه بدارِ نعيمٍ ، وحَمَّامِ نعيمٍ ، بنواحى الدِّيماسِ[4] ، ثم [٦/ ١٣٥و] رجَع إلى المدينةِ ، فأقام بها إلى أن مات ، وكان كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا .

ثم أوْرَد[5] شيئًا مِن حديثِه مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، حدَّثنا أبو سعيدٍ الجُعْفىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الأجْلَحِ ، ثنا هشامُ بنُ عُروةَ ، عن أبيه ، أن سعيدَ بنَ العاصِ قال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خِيارُكم فى الإسلامِ خِيارُكم فى الجاهليةِ » .

= والإصابة ٣/ ١٠٧.

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أبو » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥٠١ - ٥١٠.

(٣) تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) الديماس : زقاق نافذ إلى سوق الأساكفة العُتُق بدمشق . انظر تاريخ دمشق ٤٤/ ٢١١، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٥) أى ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٨.

ومِن طريقِ الزبيرِ بنِ بَكَّارٍ[1] ، حدَّثنى رجلٌ عن عبدِ العزيزِ بنِ أبانٍ ، حدَّثنى خالدُ بنُ سعيدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ قال : جاءت امرأةٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ببُرْدٍ ، فقالت : إنى نَوَيْتُ[2] أن أُعْطِيَ هذا الثوبَ أَكْرمَ العربِ . فقال : « أَعْطِيه هذا الغلامَ » ، يعنى سعيدَ بنَ العاصِ وهو واقفٌ ، فلذلك سُمِّيَت الثيابَ السَّعِيدية .

وأَنْشَد الفَرَزْدَقُ[3] قولَه فيه :

تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ مِن قريشٍ ... إذا ما الخَطْبُ فى الحَدَثانِ عَالَا[4]

قيامًا يَنْظُرون إلى سعيدٍ ... كأنهمُ يَرَوْن به هِلالَا

وذكَر[5] أن عثمانَ عزَل عن الكوفةِ المُغيرةَ ، ووَلَّاها سعدَ[6] بنَ [7]أبى وَقَّاصٍ[7] ، ثم عزَله وولَّى الوليدَ بنَ عُقْبةَ[8] ، ثم عزَله ووَلَّى سعيدَ بنَ العاصِ ، فأقام بها حِينًا ، ولم تُحْمَدْ سِيرتُه فيهم ولم يُحِبُّوه ، ثم ركِب مالكُ بنُ الحارثِ - وهو الأَشْتَرُ النَّخَعىُّ - فى جماعةٍ إلى عثمانَ ، وسأَلوه أن يَعْزِلَ عنهم سعيدًا ، فلم يَعْزِلْه ، وكان عندَه بالمدينةِ فبعَثه إليهم ، وسبَق الأَشْتَرُ إلى الكوفةِ ، فخطَب الناسَ ، وحَثَّهم على مَنْعِه مِن الدخولِ إليهم ، ورَكِب الأَشْتَرُ فى جيشٍ يَمْنَعونه مِن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٠٨، ١٠٩، من طريق الزبير بن بكار به .

(٢) فى م ، ص : « نذرت » .

(٣) ديوان الفرزدق ص ٦١٨. والبيتان من قصيدة طويلة يمدح فيها الفرزدق سعيد بن العاص .

(٤) الجحاجح : جمع جَحْجاحٍ ، وهو السيد السمح الكريم . وعال : اشتد وتفاقم . انظر اللسان (جحجح) ، والقاموس المحيط (ع و ل) .

(٥) أى ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١١٤ - ١١٧، ١٢٤، ١٢٥.

(٦) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٦١: « العاص » .

(٨) فى م ، ص : « عتبة » .

الدخولِ ، قيل : تَلَقَّوْه إلى العُذَيْبِ - وقد نزَل سعيدٌ بالعُذَيبِ[1] - فمنَعوه مِن الدخولِ إليهم ، ولم يَزالوا به حتى رَدُّوه إلى عثمانَ ، ووَلَّى الأَشْتَرُ أبا موسى الأَشْعريَّ على الصَّلاةِ والثَّغْرِ ، وحُذَيْفةَ بنَ اليَمانِ على الفَيْءِ ، فأجاز ذلك أهلُ الكوفةِ ، وبعَثوا إلى عثمانَ فى ذلك فأمْضاه ، وسَرَّه ذلك فيما أظْهَره ، ولكن كان هذا أولَ وَهَنٍ دخَل على عثمانَ .

وأقام سعيدُ بنُ العاصِ بالمدينةِ حتى كان زَمَنُ حَصْرِ عثمانَ ، فكان عندَه بالدارِ ، ثم لما رَكِب طَلْحةُ والزبيرُ مع عائشةَ مِن مكةَ يُريدون قَتَلَةَ عُثمانَ رَكِب معهم ، ثم انْفَرد عنهم هو والمُغيرةُ بنُ شعبةَ وغيرُهما ، فأقام بالطائفِ[2] حتى انْقَضَت تلك [٦/ ١٣٥ظ] الحروبُ كلُّها ، ثم وَلَّاه مُعاويةُ إمْرةَ المدينةِ سنةَ تسعٍ[3] وأربعين ، وعزَل مَرْوانَ ، فأقام سبعًا ، ثم رَدَّ مَرْوانَ .

وقال عبدُ الملكِ بنُ عميرٍ[4] ، عن قَبِيصةَ بنِ جابرٍ قال : بَعَثنى زيادٌ فى شُغُلٍ إلى مُعاويةَ ، فلمَّا فرَغْتُ مِن أُمورى قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، لِمَن يَكونُ الأمْرُ مِن بعدِك ؟ فسَكَت ساعةً ، ثم قال : يَكونُ بينَ جماعةٍ ، أمَّا كريمةُ قريشٍ فسعيدُ بنُ العاصِ ، وأمَّا فَتَى قريشٍ حَياءً ودَهاءً وسَخاءً فعبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ ، وأمَّا الحسنُ بنُ علىٍّ فرجلٌ سيدٌ كريمٌ ، وأمَّا القارئُ لكتابِ اللَّهِ الفقيهُ فى دينِ اللَّهِ ، الشديدُ فى حُدودِ اللَّهِ فمَرْوانُ بنُ الحكمِ ، وأمَّا رجلُ نفسِه[5] فعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، وأمَّا رجلٌ

---

(١) فى النسخ : « بالرعثة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) كذا فى النسخ . وفى تاريخ دمشق : « بمكة » . هذا والذى أقام بالطائف هو المغيرة كما فى تاريخ دمشق .

(٣) فى الأصل ، ٦١ : « سبع » . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٣٢ ، والمنتظم ٥/ ٢٢٤ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١١٨ ، من طريق عبد الملك بن عمير به .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، ص : « فقه » ، وفى م : « فقيه » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وهو موافق لما فى مختصره ٩/ ٣٠٩ ، وتهذيب الكمال ١٠/ ٥٠٥ ، وتاريخ أبى زرعة الدمشقى ١/ ٥٩٢ .

يَرِدُ الشَّريعةَ مع دَواهى السِّباعِ ويَروغُ رَوَغانَ الثَّعْلبِ فعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ .

ورُوِّينا[1] أنه اسْتَسْقَى يومًا فى بعضِ طرقِ المدينةِ ، فأخْرَج له رجلٌ مِن دارِه ماءً فشَرِب ، ثم بعدَ حِينٍ رَأَى ذلك الرجلَ[2] يَعْرِضُ دارَه للبيعِ ، فسأَل عنه : لمَ يَبيعُ دارَه ؟ فقالوا : عليه دَيْنٌ ؛ أرْبعةُ آلافِ دينارٍ ، فبعَث إلى غَريمِه فقال : هى لك علىَّ . وأرْسَل إلى صاحبِ الدارِ فقال : اسْتَمْتِعْ بدارِك .

وكان[3] رجلٌ مِن القُرَّاءِ الذين يُجالِسونه قد افْتَقَر وأصابَتْه فاقةٌ شديدةٌ ، فقالت له امرأتُه : إنَّ أميرَنا هذا يُوصَفُ بكرمٍ ، فلو ذَكَرْتَ له حالَك فلعله يَسْمَحُ لك بشىءٍ . فقال : وَيْحَكِ ، لا تُخْلِقى وَجْهى . فألَحَّت عليه فى ذلك ، فجاء فجلَس إليه ، فلمَّا انْصَرف الناسُ عنه مكَث الرجلُ جالسًا فى مكانِه ، فقال له سعيدٌ : أَظُنُّ جُلوسَك لحاجةٍ . فسَكَت الرجلُ ، فقال سعيدٌ لغِلْمانِه : انْصَرِفوا . ثم قال له سعيدٌ : لم يَبْقَ غيرى وغيرُك . فسَكَت ، فأَطْفَأ المِصْباحَ ، ثم قال له : رَحِمك اللَّهُ ، لسْتَ تَرَى وَجْهى ، فاذْكُرْ حاجتَك . فقال : أصْلَح اللَّهُ الأميرَ ، أصابَتْنا فاقةٌ وحاجةٌ فأحْبَبْتُ ذِكْرَها لك فاسْتَحْيَيْتُ . فقال له : إذا أصْبَحْتَ فالْقَ فلانًا وَكِيلى . فلما أصْبَح الرجلُ لقِىَ الوَكيلَ ، فقال له الوكيلُ : إن الأميرَ قد أمَر لك بشىءٍ فأْتِ بمَن يَحْمِلُه معك . فقال : ما عندى مَن يَحْمِلُه . ثم انْصَرَف الرجلُ إلى امرأتِه فلامَها ، وقال : حمَلْتِينى على بَذْلِ وَجْهى للأميرِ ، فقد أمَر لى بشىءٍ يَحْتاجُ إلى مَن يَحْمِلُه ، وما أُراه أمَر لى إلا بدَقيقٍ أو طَعامٍ ، ولو كان مالًا لَما احْتاج إلى مَن يَحْمِلُه ، وَلأعْطانِيه . فقالت له المرأةُ : فمهما أعْطاك فإنه يَقوتُنا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٢. وانظر المنتظم ٥/ ٢٩٦.

(٢) سقط من: الأصل، ٦١، م.

(٣) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٢٩٦، ٢٩٧.

فخُذْه . فرجَع الرجلُ إلى الوكيلِ ، [٦/١٣٦و] فقال له الوكيلُ : إنى أخْبَرْتُ الأميرَ أنه ليس لك أحدٌ يَحْمِلُه ، وقد أرْسَل بهؤلاء الثلاثةِ السُّودانِ يَحْمِلونه معك . فذهَب الرجلُ ، فلمَّا وصَل إلى منزلِه إذا على رأسِ كلِّ واحدٍ منهم عشَرةُ آلافِ درهمٍ ، فقال للغِلْمانِ : ضَعوا ما معكم وانْصَرِفوا . فقالوا : إن الأميرَ قد أطْلَقَنا لك ، فإنه ما بعَث مع خادِمٍ هَديَّةً إلى أحدٍ إلا كان الخادِمُ الذى يَحْمِلُها مِن جُمْلتِها . قال : فحسُن حالُ ذلك الرجلِ .

وذكَر ابنُ عَساكرَ[1] أن زِيادَ بنَ أبى سفيانَ بعَث إلى سعيدِ بنِ العاصِ بهَدايا وأموالٍ وكِتابٍ ذكَر فيه أنه يَخْطُبُ إليه ابنتَه أمَّ عثمانَ [2]مِن أُمَيَّةَ بنتِ جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ[2] البَجَلىِّ ، فلمَّا وَصَلَت الهَدايا والأمْوالُ والكِتابُ قرأَه ، ثم فرَّق الهَدايا فى جُلَسائِه ، ثم كتَب إليه كِتابًا لطيفًا فيه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ قال اللَّهُ تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦، ٧] . والسلامُ .

ورُوِّينا[3] أن سعيدًا خطَب أمَّ كُلْثومٍ بنتَ علىٍّ مِن فاطمةَ ، التى كانت تحتَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فأجابت إلى ذلك وشاوَرَت أخَوَيْها فكرِها ذلك - وفى روايةٍ[4] : إنما كرِه ذلك الحسينُ وأجاب الحسنُ - فهَيَّأت دارَها ونصَبَت سَريرًا وتَواعَدوا للكِتابِ ، وأمَرَت ابنَها زيدَ بنَ عمرَ أن يُزَوِّجَها منه ، فبعَث إليها بمائةِ ألفٍ - وفى روايةٍ : بمائتَىْ ألفٍ - مَهْرًا . واجْتَمع عندَه أصحابُه ليَذْهَبوا معه ،

---

(١) تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٠.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١، م : « من آمنة بنت جرير بن عبد اللّه » ، وفى ص : « بن أمية بن حرب » ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٠، ١٣١.

(٤) أخرج هذه الرواية أيضًا ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٠.

فقال : إنى أَكْرَهُ أن (١أُحْرِجَ ابنَىْ١) فاطمةَ . فترَك التَّزْويجَ ، وأطْلَق جميعَ ذلك المالِ لها .

وقال ابنُ مَعينٍ وعبدُ الأعْلَى بنُ حَمَّادٍ(٢) : سأَل أعْرابيٌّ سعيدَ بنَ العاصِ فأمَر له بخمسِمائةٍ ، فقال الخادِمُ : خمسُمائةِ درهمٍ أو دينارٍ ؟ فقال : إنما أمَرْتُك بخمسِمائةِ درهمٍ ، وإذ قد جاش فى نفسِك أنها دَنانيرُ ، فادْفَعْ إليه خمسَمائةِ دينارٍ . فلمَّا قبَضها الأعْرابيُّ جلَس يَبْكى ، فقال له : مالك ؟ ألم تَقْبِضْ نَوالَك ؟ قال : بلى واللَّهِ ، ولكن أبْكى على الأرضِ كيف تَأْكُلُ مثلَك .

وقال عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ(٣) : جاء رجلٌ فى حَمَالةِ أربعِ دِيَاتٍ سأَل فيها أهلَ المدينةِ ، فقيل له : عليك بالحسنِ بنِ علىٍّ ، أو عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، أو سعيدِ بنِ العاصِ ، أو (٤عُبيدِ اللَّهِ٤) بنِ عباسٍ . فانْطَلَق إلى المسجدِ ، فإذا سعيدٌ داخلٌ إليه ، فقال : مَن هـذا ؟ فقيل : سعيدُ بنُ العاصِ . فقصَده فذكَر له ما أقْدَمه ، فترَكه [٦/ ١٣٦ظ] حتى انْصَرف مِن المسجدِ إلى المنزلِ ، فقال للأعرابىِّ : ائْتِ بمَن يَحْمِلُ معك ؟ فقال : رَحِمك اللَّهُ ، إنما سَأَلْتُك مالًا لا تمرًا . فقال : أَعْرِفُ ، ائْتِ بمَن يَحْمِلُ معك ؟ فأعْطاه أربعين ألفًا ، فأخَذها الأعرابىُّ ، وانْصَرف ولم يَسْأَلْ غيرَه .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ لابنِه(٥) : يا بنىَّ ، (٦أخزى اللَّهُ٦) المَعْروفَ إذا لم يَكُنِ

(١ - ١) فى م ، ص : «أخرج أمى» .

(٢) أخرج ابن عساكر رواية ابن معين فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٣، ورواية عبد الأعلى بن حماد فى ٢١/ ١٣٢.

(٣) تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٣.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١، م : «عبد الله» .

(٥) تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٥.

(٦ - ٦) فى م : «أجر لله» .

ابتداءً مِن غيرِ مسألةٍ ، فأمَّا إذا أتاك الرجلُ تَكادُ تَرَى دمَه فى وجهِه ، أو جاءك مُخاطِرًا لا يَدْرِى أتُعْطِيه أم تَمْنَعُه ، فواللَّهِ لو خرَجْتَ له مِن جميعِ مالِك ما كافَأْتَه .

وقال سعيدٌ[1] : لِجَلِيسى علىَّ ثلاثٌ ؛ إذا دَنا رحَّبْتُ به ، وإذا جلَس أوْسَعْتُ له ، وإذا حَدَّث أقْبَلْتُ عليه .

وقال أيضًا[1] : يا بنىَّ ، لا تُمازِحِ الشَّريفَ فيَحْقِدَ عليك ، ولا الدَّنِىءَ فتَهُونَ عليه . وفى روايةٍ[1] : فيَجْتَرِئَ عليك .

وخطَب يومًا فقال[2] : مَن رزَقه اللَّهُ رزقًا حسنًا فلْيَكُنْ أسعدَ الناسِ به ، إنما يَتْرُكُه لأحدِ رجلين ؛ إمَّا مُصْلِحٍ فيَسْعَدُ بما جَمَعْتَ له وتَخِيبُ أنت ، والمُصْلِحُ لا يَقِلُّ عليه شىءٌ ، وإمَّا مُفْسِدٍ فلا يَبْقَى له شىءٌ . فقال مُعاويةُ[3] : جمَع أبو عثمانَ طُرَفَ الكلامِ .

وروَى الأصْمَعىُّ[4] ، عن حكيمِ بنِ قيسٍ قال : قال سعيدُ بنُ العاصِ : مَوْطِنان لا أَسْتَحْيِى مِن رِفْقى فيهما والتَّأنِّى عندَهما ، مُخاطَبَتى جاهلًا أو سَفِيهًا ، وعندَ مَسْأَلتى حاجةً لنفسى .

ودخَلَتْ[5] عليه امرأةٌ مِن العابداتِ ، وهو أميرُ الكوفةِ ، فأكْرَمها وأحْسَن إليها ، فقالت : لا جعَل اللَّهُ لك إلى لَئيمٍ حاجةً ، ولا زالت المِنَّةُ لك فى أعْناقِ الكِرامِ ، وإذا أزال عن كريمٍ نعمةً جعَلك سببًا لرَدِّها عليه . وقد كان له عشَرةٌ مِن

---

(١) تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٧.
(٢) المصدر السابق ٢١/ ١٣٨.
(٣) فى م : «أبو معاوية» .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ١٣٨، من طريق الأصمعى به .
(٥) انظر المصدر السابق ٢١/ ١٣٤، ١٣٨ - ١٤٣.

الولدِ ذُكورًا وإناثًا ، وكانت إحدى زَوْجاتِه أُمَّ البَنينَ بنتَ الحكمِ بنِ أبى العاصِ أختَ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ . ولما حضَرَت سعيدًا الوَفاةُ جمَع بَنيه ، وقال لهم[1] : لا يَفْقِدَنَّ أصْحابى غيرَ وَجْهى ، وصِلُوهم بما كنتُ أَصِلُهم به ، وأَجْرُوا عليهم ما كنتُ أُجْرِى عليهم ، واكْفُوهم مُؤْنةَ الطَّلَبِ ؛ فإنَّ الرجلَ إذا طلَب الحاجةَ اضْطَرَبت أرْكانُه ، وارْتَعَدَت فَرائِصُه ؛ مَخافةَ أن يُرَدَّ ، فواللَّهِ لَرجلٌ يَتَمَلْمَلُ على فِراشِه يَراكم مَوْضِعًا لحاجتِه ، أعْظَمُ مِنَّةً عليكم مما تُعْطُونه . ثم أوْصاهم بوَصايا كثيرةٍ ، منها أن يُوفُوا ما عليه مِن الدَّيْنِ والوُعودِ ، وأن لا يُزَوِّجوا أَخَواتِهم إلا مِن الأكْفاءِ ، وأن يُسَوِّدوا أكْبرَهم . فتَكَفَّل بذلك كلِّه ابنُه عمرُو بنُ سعيدٍ [٦/١٣٧و] الأشْدقُ ، فلمَّا مات دفَنه بالبَقيعِ ، ثم ركِب عمرٌو إلى مُعاويةَ ، فعزَّاه فيه ، واسْتَرْجَع مُعاويةُ وحَزِن عليه ، وقال : هل ترَك مِن دَيْنٍ عليه ؟ قال : نعم . قال : وكَمْ ؟ قال : ثلاثُمائةِ ألفِ درهمٍ . وفى روايةٍ : ثلاثةُ آلافِ ألفِ درهمٍ . فقال مُعاويةُ : هى علىَّ . فقال ابنُه : لا يا أميرَ المؤمنين ، إنه أوْصانى أن لا أَقْضِىَ دَينَه إلا مِن ثمنِ أراضيه . فاشْتَرى منه مُعاويةُ أراضىَ بمَبْلَغِ الدَّيْنِ ، وسأَل منه عمرٌو أن يَحْمِلَها له إلى المدينةِ فحمَلها له ، ثم شرَع عمرٌو يَقْضِى ما على أبيه مِن الدَّيْنِ حتى لم يَبْقَ أحدٌ ، فكان مِن جملةِ مَن طالَبه شابٌّ معه رُقْعَةٌ مِن أَدِيمٍ فيها عشرون ألفًا ، فقال له عمرٌو : كيف اسْتَحْقَقْتَ هذه على أبى ؟ فقال الشابُّ : إنه كان يومًا يَمْشِى وحدَه ، فأحْبَبْتُ أن أكونَ معه حتى يَصِلَ إلى منزلِه[2] فلما وصَل قال : هل من حاجةٍ ؟ فقلتُ : لا إلا أنى رأيتُ الأميرَ يَمْشِى وحدَه فاخترْتُ أن أكونَ معه حتى يصلَ إلى منزلِه[2] ، فقال : أبْغِنى رُقْعةً مِن أَدِيمٍ . فذَهَبْتُ إلى الخَرَّازِين

---

(١) انظر المنتظم ٥/ ٢٩٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ٦١، م.

فأتَيْتُه بهذه ، فكتَب لى فيها هذا المبلغَ ، واعْتَذر بأنه ليس عندَه اليومَ شىءٌ . فدفَع إليه عمرٌو ذلك المالَ ، وزاده شيئًا كثيرًا . ويُرْوَى[1] أن مُعاويةَ قال لعمرِو بنِ سعيدٍ : مَن ترَك مثلَك لم يَمُتْ . ثم قال[2] : رَحِم اللَّهُ أبا عثمانَ . ثم قال : قد مات مَن هو أكبرُ منى ومَن هو أصغرُ منى ، ثم أنْشَد قولَ الشاعرِ[3] :

إذا سار مَنْ دونَ امْرِئٍ وأمامَه وأَوْحَش مِن إخوانِه فهْو سائرُ

وكانت وَفاةُ سعيدِ بنِ العاصِ فى هذه السنةِ[4] ، وقيل : فى التى قبلَها . وقيل : فى التى بعدَها . وقال بعضُهم : كانت وَفاتُه قبلَ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ بجُمُعةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

شَدَّادُ بنُ أوسِ بنِ ثابتِ بنِ المنذرِ بنِ حَرامٍ ، أبو يَعْلى الأنصاريُّ الخَزْرجيُّ[5] ، صحابيٌّ جَليلٌ ، وهو ابنُ أخى حَسَّانَ بنِ ثابتٍ .

وحكَى ابنُ مَنْدَه ، عن موسى بنِ عُقْبةَ أنه قال : شَهِد بدرًا . قال ابنُ مَنْدَه : وهو وَهْمٌ . وكان مِن الاجْتهادِ فى العِبادةِ على جانبٍ عظيمٍ[6] ، كان إذا أخَذ مَضْجَعَه يَعْلَقُ على فِراشِه ، ويَتَقَلَّبُ عليه ويَتَلَوَّى كما تَتَلَوَّى الحيَةُ ، ويقولُ : اللهم إنَّ خَوْفَ النارِ قد أقْلَقَنى . ثم يقومُ إلى صلاتِه .

قال عُبادةُ بنُ الصامتِ[7] : كان شَدَّادٌ مِن الذين أُوتوا العلمَ والحِلْمَ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢١/ ١٤٢.
(٢) انظر المصدر السابق ٢١/ ١٣٤.
(٣) البيت فى الكامل للمبرد ٤/ ٢٧، وعيون الأخبار ٣/ ٦١.
(٤) انظر تاريخ دمشق ٢١/ ١٤٢، ١٤٣.
(٥) الاستيعاب ٢/ ٦٩٤، وأسد الغابة ٢/ ٥٠٧، والإصابة ٣/ ٣١٩.
(٦) انظر حلية الأولياء ١/ ٢٦٤.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢/ ٤١٠، ٤١١.

نزَل شَدَّادٌ فِلَسْطِينَ وبيتَ المَقْدِسِ، ومات فى هذه السنةِ عن خمسٍ وسبعين سنةً، وقيل: مات سنةَ أربعٍ وستين. وقيل: سنةَ إحدى وأربعين[1]. فاللَّهُ أعلمُ.

عبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ كُرَيْزِ بنِ رَبيعةَ [٦/١٣٧ظ] **بنِ حَبيبِ بنِ عبدِ شمسِ ابنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ القرشيُّ العَبْشميُّ، ابنُ خالِ عثمانَ بنِ عفانَ**[2]، وُلِد فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وتَفَل فى فيه، فجعَل يَبْتَلِعُ رِيقَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال[3]: «إنه لَمِشقاءٌ». فكان لا يُعالِجُ أرضًا إلا ظهَر له الماءُ، وكان كريمًا مُمَدَّحًا مَيْمونَ النَّقِيبةِ، اسْتَنابه عثمانُ على البَصْرةِ بعدَ أبى موسى، ووَلَّاه بلادَ فارسَ بعدَ عثمانَ بنِ أبى العاصِ، وعمرُه إذ ذاك خمسٌ وعشرون سنةً، ففتَح خُراسانَ كلَّها وأطْرافَ فارسَ وسِجِسْتانَ وكَرْمانَ وبلادَ غَزْنَةَ، وقُتِل كِسْرَى ملكُ الملوكِ فى أيامِه - وهو يَزْدَجِرْدُ - ثم أحْرَم عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ بحَجَّةٍ - وقيل: بعمرةٍ[4] - مِن تلك البلادِ، شُكْرًا للَّهِ، عز وجل، وفرَّق فى أهلِ المدينةِ أمْوالًا كثيرةً جَزيلةً، وهو أولُ مَن لَبِس الخَزَّ بالبَصْرةِ. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

وهو أولُ مَن اتَّخَذ الحياضَ بعَرَفةَ وأَجْرَى إليها الماءَ المَعِينَ والعينَ، ولم يَزَلْ على البَصْرةِ حتى قُتِل عثمانُ، فأخَذ أموالَ بيتِ المالِ وتَلَقَّى بها طَلْحةَ والزبيرَ، وحضَر معهم الجملَ، ثم سار إلى دمشقَ، ولم يُسْمَعْ له بذكرٍ فى صِفِّينَ، ولكن

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢٢/ ٤١٧، ٤١٨، وأسد الغابة ٢/ ٥٠٧، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦٦.

(٢) الاستيعاب ٣/ ٩٣١، وأسد الغابة ٣/ ٢٨٨، والإصابة ٥/ ١٦.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٥٢، ٢٥٣، من حديث عامر بن كريز.

(٤) فى أسد الغابة ٣/٢٨٩ أنه أحرم بعمرة وحجة. وفى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠، أنه أحرم بعمرة.

وَلَّاه مُعاويةُ البَصْرةَ بعدَ صُلْحِه مع الحسنِ ، وتُوُفِّىَ فى هذه السنةِ بأرضِه بعَرَفاتٍ ، وأوْصَى إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ . له حديثٌ واحدٌ ، وليس له فى الكتبِ شىءٌ[1] .

روَى مُصْعَبٌ الزُّبَيرىُّ[2] ، عن أبيه ، [3]عن جدِّه[3] ، عن حَنْظلةَ بنِ قيسٍ ، عن عبدِ اللَّهِ [3]بنِ الزبيرِ وعبدِ اللَّهِ[3] بنِ عامرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن قُتِل دونَ مالِه فهو شَهيدٌ » .

وقد زَوَّجه مُعاويةُ بابنتِه هندَ ، وكانت جميلةً ، فكانت تَلى خِدْمتَه بنفسِها مِن مَحَبتِها له ، فنظَر يومًا فى المِرْآةِ ، فرأَى صَباحةَ وجهِها وشَيْبةً فى لحْيتِه فطَلَّقها ، وبعَث إلى أبيها أن يُزَوِّجَها بشابٍّ كأن وجهَه وَرَقةُ مُصْحَفٍ[4] . تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ ، وقيل : بعدَها بسنةٍ[5] .

عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ الصدِّيقِ[6] ، وهو أكبرُ ولدِ أبى بكرٍ الصِّديقِ . قاله الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ ، قال : وكانت فيه دُعابةٌ . وأُمُّه أُمُّ رُومانَ أمُّ عائشةَ فهو شَقِيقُها ، بارَز يومَ بدرٍ وأُحُدٍ مع المشركين ، وأراد قَتْلَ أبيه أبى بكرٍ ، فتَقَدَّم إليه أبوه أبو بكرٍ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ[7] : « أَمْتِعْنا بنفسِك » . ثم أسْلَم عبدُ الرحمنِ

---

(١) انظر الإصابة ٥/ ١٧.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦٣٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٤٧، ٢٤٨، كلاهما من طريق مصعب الزبيرى به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرج هذه القصة مطولة ابن عساكر فى تاريخ دمشق - جزء تراجم النساء ص ٤٦٢. وانظر المستدرك ٣/ ٦٣٩، ٦٤٠.

(٥) انظر تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢١.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٨٢٤، وأسد الغابة ٣/ ٤٦٦، والإصابة ٤/ ٣٢٥.

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٧٤، والبيهقى فى السنن الكبرى ٨/ ١٨٦.

بعدَ ذلك فى الهُدْنةِ[1] ، وهاجَر قبلَ الفتحِ ، [٦/ ١٣٨و] ورَزَقَه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خَيْبرَ كلَّ سنةٍ أربعين وَسْقًا ، وكان مِن ساداتِ المسلمين .

وهو الذى دَخَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ مات ، وعائشةُ مُسْنِدَتُه إلى صدرِها ، ومع عبدِ الرحمنِ سِواكٌ رَطْبٌ ، فأَمَدَّه[2] [3] رسولُ اللهِ ﷺ[3] بصرَه ، فأَخَذَت عائشةُ ذلك السِّواكَ ، فقضَمَتْه وطَيَّبَتْه ، ثم دَفَعَتْه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَنَّ به أحْسنَ اسْتِنانٍ ، ثم قال : « اللهم فى الرَّفيقِ الأعْلَى » . ثم قَضَى .

قالت[4] : فجمَع اللَّهُ بينَ رِيقى ورِيقِه ، ومات بين سَحْرى ونَحْرى ، فى بيتى ويومى ، لم أَظْلِمْ فيه أحدًا .

وقد شَهِد عبدُ الرحمنِ فَتْحَ اليَمامةِ ، وقتَل يومَئذٍ سَبعةً ، وهو الذى قتَل مُحَكَّمَ بنَ الطُّفَيْلِ صديقَ مُسَيْلِمةَ على باطلِه ، كان مُحَكَّمٌ واقفًا فى ثُلْمَةِ حائطٍ ، فرَماه عبدُ الرحمنِ ، فسقَط مُحَكَّمٌ ، فدخَل المسلمون مِن تلك الثُّلْمةِ فخلَصوا إلى مُسَيْلِمةَ فقتَلوه . وقد شَهِد فتحَ الشامِ ، وكان مُعَظَّمًا بينَ أهلِ الإسلامِ ، ونُفِل ليلى بنتَ الجُودِىِّ ملكِ عربِ الشامِ ، نفَله إياها خالدُ بنُ الوليدِ عن أمْرِ عمرَ بنِ الخطابِ ، كما سنَذْكُرُه مُفَصَّلًا .

---

(١) أى هدنة الحديبية .

(٢) فى م : « فأخذه » ، وفى ص : « فأحده » . والحديث فى صحيح البخارى (٤٤٣٨) ، وفيه : « فأبده » . والمثبت موافق لإحدى روايات البخارى . انظر البخارى ٦/ ١٣ طبعة الشعب . وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٨/ ١٣٨ : فأبده . بتشديد الدال ، أى مَدَّ نظره إليه ، يقال : أبددتُ فلانًا النظر . إذا طوَّلْته إليه .

(٣ - ٣) زيادة من صحيح البخارى .

(٤) أى السيدة عائشة . والحديث فى مسند أحمد ٦/ ٢٧٤ ، وصحيح البخارى (٣١٠٠) .

وقد قال عبدُ الرزاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهريِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ - ولم يُجَرَّبْ عليه كَذْبةٌ قَطُّ - ذكَر عنه حِكايةً ؛ أنه لما جاءت بَيْعةُ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ إلى المدينةِ ، قال عبدُ الرحمنِ لمَرْوانَ : جعَلْتُموها واللَّهِ هِرَقْلِيَّةً وكِسْرَوِيَّةً . يعنى جعَلْتُم مُلْكَ المَلِكِ لمَن بعدَه مِن ولدِه . فقال له مَرْوانُ : اسْكُتْ فإنك أنت الذى أنْزَل اللَّهُ فيك : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ [الأحقاف : ١٧] . فقالت عائشةُ : واللَّهِ ما أنْزَل اللَّهُ فينا شيئًا مِن القرآنِ ، إلا أنه أنْزَل عُذْرى . ويُرْوَى[2] أنها بعَثَتْ إلى مَرْوانَ تَعْتِبُه وتُؤَنِّبُه وتُخْبِرُه بخبرٍ [3]فيه ذَمٌّ له ولأبيه لا يَصِحُّ عنها .

قال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[4] : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ[3] عبدِ العزيزِ الزُّهرىُّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه قال : بعَث مُعاويةُ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ بمائةِ ألفِ درهمٍ بعدَ أن أبَى البَيْعةَ ليَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فرَدَّها عبدُ الرحمنِ [3]وأَبَى أن يَأْخُذَها ، وقال : أَبِيعُ دينى بدُنْياىَ ؟! وخرَج إلى مَكةَ فمات بها .

وقال[3] أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ[5] : ثنا أبو مُسْهِرٍ ، ثنا مالكٌ قال : تُوُفِّىَ

---

(١) ذكر ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/١٧ ، ١٨ مخطوط هذا الإسناد دون ذكر الحكاية . ومتن الخبر أخرجه البخارى (٤٨٢٧) وغيره من وجه آخر .

(٢) ذكره المصنف فى تفسيره ٧/ ٢٦٦، ٢٦٧. وعزاه لابن أبى حاتم . وانظر سنن النسائى الكبرى (١١٤٩١) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/١٨ مخطوط ، من طريق الزبير بن بكار به .

(٥) المصدر السابق ، من طريق أبى زرعة به .

عبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ فى نَوْمةٍ نامها . ورَواه أبو مُصْعَبٍ[1] عن مالكٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، فذكَره وزاد : فأعْتَقَت عنه عائشةُ رِقابًا . ورَواه الثورىُّ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ ، فذكَره[2] .

ولما تُوُفِّىَ كانت وَفاتُه[3] بمكانٍ يقالُ له : الحُبْشِىُّ - على ستةِ أميالٍ مِن مَكةَ . وقيل[4] : اثنَىْ عشَر مِيلًا - فحمَله الرجالُ على أعْناقِهم حتى دُفِن بأعْلَى مكةَ ، فلمَّا قَدِمَت عائشةُ مكةَ زارته ، وقالت : أما واللَّهِ لو شَهِدْتُك لم أبْكِ عليك ، ولو كنتُ عندَك لم أَنْقُلْك مِن موضعِك الذى مِتَّ فيه . ثم تمَثَّلَت بشعرِ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرةَ فى أخيه مالكٍ :

[٦/١٣٨ظ] وكنا كنَدْمَانَىْ جَذِيمةَ حِقْبةً[5] مِن الدَّهْرِ حتى قيل لن يَتَصَدَّعَا

فلمَّا تفَرَّقْنا كأنى ومالكًا لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معَا

رَواه الترمذىُّ وغيرُه .

ورَوَى ابنُ سعدٍ[6] أن ابنَ عمرَ رَأَى فُسْطاطًا مَضْروبًا على قبرِ عبدِ الرحمنِ - ضرَبَتْه عائشةُ بعدَما ارْتَحَلَتْ - فأمَر ابنُ عمرَ بنَزْعِه وقال : إنما يُظِلُّه عملُه . وكانت وفاتُه فى هذا العامِ فى قولِ كثيرٍ مِن عُلماءِ التاريخِ[7] ، ويقالُ : إن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/١٨ مخطوط ، من طريق أبى مصعب به .

(٢) المصدر السابق ١٠/ ١٩، من طريق الثورى به .

(٣) أخرجه الترمذى (١٠٥٥) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٢٠ مخطوط ، كلاهما من طريق عيسى بن يونس عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ١٧٧) .

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٠/٢٠ مخطوط .

(٥) فى النسخ : « برهة » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٢٠ مخطوط ، من طريق ابن سعد ، عن معاذ بن معاذ ، عن عون بن عون ، عن رجل ، فذكره .

(٧) انظر المنتظم ٥/ ٣٠٢، والإصابة ٤/ ٣٢٨.

عبدَ الرحمنِ تُوُفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين. قاله الواقديُّ وكاتبُه محمدُ بنُ سعدٍ وأبو عُبَيدٍ وغيرُ واحدٍ[1]. وقيل: سنةَ أربعٍ وخمسين[1]. فاللَّهُ أعلمُ.

قصتُه مع ليلى بنتِ الجُودِيّ ملكِ عربِ الشامِ

قال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[2]: حدَّثنى محمدُ بنُ الضَّحَّاكِ الحِزامىُّ[3]، عن أبيه، [4]عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه[4]، أن عبدَ الرحمنِ بنَ أبى بكرٍ الصديقِ، رضِى اللَّهُ عنهما، قَدِم الشامَ فى تجارةٍ - يعنى فى زمانِ جاهلِيَّتِه - فرَأَى هنالك امرأةً يقالُ لها: ليلى ابنةُ الجُودِيِّ. على طُنْفُسةٍ، حولَها وَلائدُها[5]، فأعْجَبَتْه - قال ابنُ عَساكرَ: رآها بأرضِ بُصْرَى[6]، فقال فيها:

تذَكَّرْتُ ليلى والسَّمَاوَةُ دونَها ... فما لابنةِ الجُودِيِّ ليلى وما لِيَا
وأنَّى تَعاطَى قلبُه حارِثِيَّةً ... تُدَمِّنُ[7] بُصْرَى أو تَحُلُّ الجوابيَا

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٠/٢١ مخطوط.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/١٧ مخطوط، من طريق الزبير بن بكار به.
(٣) فى الأصل، وتاريخ دمشق: «الحرامى». وهو تصحيف وانظر المشتبه ١/٢٢٣.
(٤ - ٤) سقط من: النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق.
(٥) الولائد: جمع وليدة، وهى الأَمة والصَّبِيَّة بيِّنة الولادة. والولائد أيضا: الشَّوابُّ من الجوارى. انظر اللسان (و ل د). والمراد هنا جواريها من الإماء اللائى يخدمنها.
(٦) تاريخ دمشق، جزء تراجم النساء ص ٣٢٥. وفيه: «بقناة بصرى».
(٧) فى الأصل، ٦١، م: «تؤمن». وتدمن بصرى: تلزمها. انظر اللسان (د م ن).

وأنَّى تُلاقيها بَلَى ولعلَّها إنِ الناسُ حَجُّوا قابِلًا أن تُوافِيَا

قال : فلمَّا بعَث عمرُ بنُ الخطابِ جيشَه إلى الشامِ قال للأميرِ على الجيشِ : إن ظَفِرْتَ بليلى بنتِ الجُودِيِّ عَنْوةً فادْفَعْها إلى عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ . فظفِر بها فدفَعها إليه ، فأُعْجِب بها وآثَرها على نِسائِه ، حتى جعَلْنَ يَشْكُونه[1] إلى عائشةَ ، فعاتَبَتْه عائشةُ على ذلك ، فقال : واللَّهِ كأنى أَرْشُفُ بأنيابِها حَبَّ الرُّمَّانِ . فأصابها وَجَعٌ سقَط له فُوها ، فجَفاها حتى شَكَتْه إلى عائشةَ ، فقالت له عائشةُ : يا عبدَ الرحمنِ ، لقد أحْبَبْتَ ليلى فأفْرَطْتَ ، وأبْغَضْتَها فأفْرَطْتَ ، فإما أن تُنْصِفَها ، وإما أن تُجَهِّزَها إلى أهلِها . [2]فجَهَّزَها إلى أهلِها[2] .

قال الزُّبَيرُ[3] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه قال : إن عمرَ بنَ الخطابِ نفَل عبدَ الرحمنِ بنَ أبى بكرٍ ليلى بنتَ الجُودِيِّ حينَ فتَح دمشقَ ، وكانت ابنةَ ملكِ دمشقَ . يعنى ابنةَ ملكِ العربِ الذين هم حولَ دمشقَ [4]فى زمنِ الرومِ[4] . واللَّهُ أعلمُ .

عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ القرشيُّ الهاشميُّ[5] ، ابنُ عَمِّ [٦/ ١٣٩و] النبيِّ ﷺ ، وكان أصغرَ مِن أخيه عبدِ اللَّهِ بسنةٍ . وأمُّهما أمُّ الفَضْلِ لُبابةُ بنتُ الحارثِ الهِلاليةُ . وكان عُبَيدُ اللَّهِ كريمًا جَميلًا وَسيمًا ، يُشْبِهُ أباه فى الجَمالِ .

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « يشكونها » .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « الزبيرى » . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/١٧ مخطوط ، من طريق الزبير به . وهو أيضا فى جزء تراجم النساء ص ٣٢٥ ، من نفس الطريق .

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٠٠٩ ، وأسد الغابة ٣/ ٥٢٤ ، والإصابة ٤/ ٣٩٦ .

رُوِّينا[1] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَصُفُّ عبدَ اللَّهِ وعُبَيدَ اللَّهِ وكَثِيرًا ثم[2] يقولُ : « مَن سبَق إلىَّ فله كذا » . فيَسْتَبِقون إليه فيَقَعون على ظهرِه وصَدْرِه ، فيُقَبِّلُهم ويَلْتَزِمُهم .

وقد اسْتَنابه علىُّ بنُ أبى طالبٍ فى أيامِ خِلافتِه على اليمنِ ، وحَجَّ بالناسِ فى سنةِ سِتٍّ وثلاثين وسنةِ سبعٍ وثلاثين ، فلمَّا كان سنةُ ثمانٍ وثلاثين اخْتَلَف هو ويزيدُ بنُ [3]شَجَرَةَ الرَّهاوِىُّ[3] الذى قَدِم على الحَجِّ مِن جهةِ مُعاويةَ ، ثم اصْطَلَحا على شَيْبَةَ بنِ عثمانَ الحَجَبىِّ ، فأقام للناسِ الحَجَّ عامَئذٍ ، ثم لَمَّا صارت الشَّوْكَةُ لمُعاويةَ تَسَلَّط على عُبَيدِ اللَّهِ بُسْرُ بنُ أبى أَرْطاةَ ، فقتَل له وَلَدَيْن ، وجَرَت أمورٌ باليمنِ قد ذكَرْنا بعضَها . وكان يَقْدَمُ هو وأخوه عبدُ اللَّهِ المدينةَ فيُوسِعُهم عبدُ اللَّهِ علمًا ، ويُوسِعُهم عُبَيْدُ اللَّهِ كَرَمًا .

وقد رُوِى[4] أنه نزَل فى مَسيرٍ له ، مع مَوْلًى له على خَيْمةِ رجلٍ مِن الأعْرابِ ، فلمَّا رآه الأعرابىُّ أعْظَمه وأجَلَّه ، ورأى حُسْنَه وشَكْلَه ، فقال لامرأتِه : ويحكِ ! ماذا عندَكِ لضيفِنا هذا ؟ فقالت : ليس عندَنا إلا هذه الشُّوَيْهَةُ التى حَياةُ ابنتِك مِن لبنِها . فقال : إنه لابد مِن ذبْحِها . فقالت : أتَقْتُلُ ابنتَك ؟ فقال : وإنْ . فأخَذ الشَّفْرةَ والشاةَ ، وجعَل يَذْبَحُها ويَسْلُخُها ، وهو يقولُ مُرْتَجِزًا :

يا جارتى لا تُوقِظى البُنَيَّهْ

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٢١٤، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٥٢٤. (إسناده ضعيف) .
(٢) فى الأصل، ٦١، م: « صفًّا و » .
(٣ - ٣) فى الأصل، ٦١، م: « سمرة الرهاوى » . وفى ص: « شجرة الرمادى » . والمثبت من مصادر ترجمته، انظر الجرح والتعديل ٩/ ٢٧٠.
(٤) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/٥٢٥ .

إن تُوقِظيها تَنْتَحِبْ عَلَيَّهْ

وتَنْـزِعِ الشَّفْرةَ مِن يَدَيَّهْ

ثم هَيَّأَها طَعامًا ، فوضَعها بينَ يدَىْ عُبَيدِ اللَّهِ ومَوْلاه فعشَّاهما ، وكان عُبَيدُ اللَّهِ قد سَمِع مُحاوَرتَه لامرأتِه فى الشاةِ ، فلمَّا أراد الارْتحالَ قال لمَوْلاه : ويلَك ! ماذا معك مِن المالِ ؟ فقال : معى خَمسُمائةِ دينارٍ فَضَلَتْ مِن نفقتِك . فقال : ادْفَعْها إلى الأعرابىِّ . فقال : سبحانَ اللَّهِ ، تُعْطِيه خمسَمائةِ دينارٍ ، وإنما ذبحَ لك شاةً واحدةً تُساوِى خمسةَ دراهمَ ؟! فقال : ويحك ! واللَّهِ لَهو أسْخَى منا وأجْوَدُ ؛ لأنا إنما أعْطَيْناه بعضَ ما نَمْلِكُ ، وجاد هو علينا بجميعِ ما يَمْلِكُ ، وآثَرَنا على مُهْجَةِ نفسِه وولدِه . فبلَغ ذلك مُعاويةَ فقال : للَّهِ دَرُّ عُبَيدِ اللَّهِ ! مِن أىِّ بَيْضةٍ خرَج ؟! ومِن أىِّ شىءٍ دَرَج ؟!

[٦/١٣٩ظ] قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[(١)] : تُوُفِّىَ سنةَ ثمانٍ وخمسين . وقال غيرُه[(٢)] : تُوُفِّىَ فى أيامِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ . وقال أبو عُبَيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ[(٣)] : تُوُفِّىَ فى سنةِ سبعٍ وثمانين . وكانت وفاتُه بالمدينةِ ، وقيل : باليمنِ . وله حديثٌ واحدٌ[(٤)] .

قال أحمدُ[(٥)] : ثنا هُشَيْمٌ ، ثنا يحيى بنُ أبى[(٦)] إسحاقَ ، عن سليمانَ بنِ

---

(١) تاريخ خليفة ١/ ٢٧٠.

(٢) انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٦١، ٦٣، والإصابة ٤/ ٣٩٩.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٦٨٤ مخطوط .

(٤) انظر الاستيعاب ٣/ ١٠١٠، وأسد الغابة ٣/ ٥٢٦، وتهذيب الكمال ١٩/ ٦٤.

(٥) المسند ١/ ٢١٤. (إسناده صحيح).

(٦) سقط من: الأصل، ٦١، م. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٩٩، وأطراف المسند ٤/ ٢٨٢.

يَسارٍ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال: جاءت الغُمَيْصاءُ[1] - أو الرُّمَيْصاءُ - إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ تَشْكو زَوْجَها؛ تَزْعُمُ أنه لا يَصِلُ إليها، فما كان إلا يَسِيرًا حتى جاء زوجُها، فزعَم أنها كاذبةٌ، وأنها تُرِيدُ أن تَرْجِعَ إلى زوجِها الأولِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ليس لكِ ذلك حتى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ رجلٌ غيرُه». وأخْرَجه النَّسائيُّ، عن عليِّ بن حُجْرٍ[2]، عن هُشَيْمٍ به[3].

وممن تُوُفِّيَ فى هذه السنةِ أمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ[4]، زوجةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأحَبُّ أزواجِه إليه، المُبَرَّأةُ مِن فوقِ سبعِ سَماواتٍ، رضِى اللَّهُ عنها، وأمُّها هى أُمُّ رُومانَ بنتُ عامرِ بنِ عُوَيْمِرٍ الكِنانيةُ، تُكَنَّى عائشةُ بأمِّ عبدِ اللَّهِ، قيل: كنَّاها بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ بابنِ أختِها عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ. وقيل: إنها أسْقَطَت مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ سُقْطًا[5]، فسَمَّاه عبدَ اللَّهِ.

ولم يَتَزَوَّجْ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِكْرًا غيرَها، ولم يَنْزِلْ عليه الوحْىُ فى لحافِ امرأةٍ غيرِها، ولم يَكُنْ فى أزواجِه أَحَبُّ إليه منها، تَزَوَّجها بمكةَ بعدَ وَفاةِ خَديجةَ، وقد أتاه المَلَكُ بها فى المَنامِ فى سَرَقةٍ مِن حَريرٍ، مرتين أو ثلاثًا، فيقولُ: هذه زوْجتُك. قال: «فأَكْشِفُ عنكِ فإذا هى أنتِ». فأقولُ: «إن يَكُنْ هذا مِن عندِ

---

(١) فى الأصل، ٦١، م: «العميصا». والغميصاء أو الرميصاء: امرأةٌ أخرى غيرُ أمِّ سليم بنت ملحان. انظر الإصابة ٨/ ٤٥، وشرح المسند للشيخ أحمد شاكر ٣/ ٢٥١.

(٢) فى الأصل، م: «حجرة».

(٣) النسائى (٣٤١٣). صحيح (صحيح سنن النسائى ٣١٩٥). وقد وقع فى سنن النسائى: «عبد اللَّه ابن عباس» وهو خطأ. انظر تحفة الأشراف ٧/ ٢٢٠، وشرح المسند ٣/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٤) الاستيعاب ٤/ ١٨٨١، وأسد الغابة ٧/ ١٨٨، والإصابة ٨/ ١٦.

(٥) قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٨/ ١٨: لم يثبت هذا.

اللَّهِ يُمْضِه » . فخطبَها مِن أبيها فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أوَ تَحِلُّ لك ؟ قال : « نعم » . قال : أو لسْتُ أخاك ؟ قال : « بلى ، فى الإسلامِ ، وهى لى حَلالٌ » . فتَزَوَّجَها رسولُ اللَّهِ ﷺ فحَظِيَتْ عندَه . وقد قدَّمْنا ذلك فى أولِ السِّيرةِ[1] ، وكان ذلك قبلَ الهجرةِ بسنتَيْن ، وقيل : بسنةٍ ونصفٍ . وقيل : بثلاثِ سنين[2] . وكان عمرُها إذ ذاك سِتَّ سنين ، ثم دخَل بها وهى بنتُ تسعِ سنين بعدَ بدرٍ ، فى شَوَّالٍ مِن سنةِ ثِنْتَيْن مِن الهجرةِ فأحَبَّها . ولما تَكَلَّم فيها أهْلُ الإفْكِ بالزُّورِ والبُهْتانِ غار اللَّهُ لها ، فأنْزَل بَراءتَها فى عشْرِ آياتٍ مِن القرآنِ [٦/ ١٤٠و] تُتْلَى على تَعاقُبِ الأزمانِ . وقد ذكَرْنا ذلك مُفَصَّلًا فيما سَلَف[3] ، وشَرَحْنا الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ فى ذلك فى غَزْوةِ المُرَيْسِيعِ ، وبسَطْنا ذلك أيضًا فى كتابِ « التفسيرِ »[4] بما فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وقد أجْمَع العلماءُ على تَكْفيرِ مَن قذَفها بعدَ براءتِها ، واخْتَلفوا فى بقيةِ أُمَّهاتِ المؤمنين ، هل يَكْفُرُ مَن قذَفَهن أم لا ؟ على قولَيْن ، وأَصَحُّهما أنه يَكْفُرُ ؛ لأن المَقْذُوفةَ زَوْجةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهُ تعالى إنما غَضِب لها ؛ لأنها زَوْجةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فهى وغيرُها منهن سَواءٌ .

ومِن خَصائصِها ، رضِى اللَّهُ عنها ، أنها كان لها فى القَسْمِ يومان ؛ يومُها ويومُ سَوْدَةَ حينَ وَهَبَتْها ذلك تَقَرُّبًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنه مات فى يومِها وفى بيتِها ، وبينَ سَحْرِها ونَحْرِها ، وجَمَع اللَّهُ بينَ رِيقِه ورِيقِها فى آخرِ ساعةٍ مِن ساعاتِه مِن الدنيا ، وأولِ ساعةٍ مِن الآخرةِ ، ودُفِن فى بيتِها .

---

(١) تقدم فى ٤/٣٢٤ - ٣٢٦.
(٢) انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٢٧.
(٣) تقدم فى ٦/١٩٢ - ٢٠٥.
(٤) التفسير ٦/١٧ - ٣٥.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا وَكِيعٌ ، عن إسماعيلَ ، عن مُصْعَبِ بنِ إسْحاقَ بنِ طَلْحةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إنه لَيُهَوِّنُ عليَّ أنى رأيْتُ بَياضَ كَفِّ عائشةَ فى الجنةِ » . تفرَّد به أحمدُ . وهذا فى غايةِ ما يكونُ مِن المحَبَّةِ العَظيمةِ ؛ أنه يَرْتاحُ لأنه رَأَى بَياضَ كَفِّها أمامَه فى الجنةِ .

ومِن خَصائصِها أنها أعْلَمُ نساءِ النبيِّ ﷺ ، بل هى أعْلَمُ النِّساءِ على الإطْلاقِ ؛ قال الزُهْرىُّ[2] : لو جُمِع عِلْمُ عائشةَ إلى عِلْمِ جَميعِ أزواجِ النبيِّ ﷺ ، وعِلْمِ جَميعِ النِّساءِ ، لَكان عِلْمُ عائشةَ أفْضَلَ . وقال عَطاءُ بنُ أبى رَباحٍ[3] : كانت عائشةُ أفقهَ الناسِ ، وأعْلَمَ الناسِ ، وأحْسَنَ الناسِ رَأْيًا فى العامَّةِ . وقال عروةُ[4] : ما رأيْتُ أحدًا أعْلَمَ بفقهٍ ولا طِبٍّ ولا شِعْرٍ مِن عائشةَ . ولم تَرْوِ امرأةٌ ولا رجلٌ ، غيرَ أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الأحاديثِ بقَدْرِ رِوايتِها ، رضِى اللَّهُ عنها .

وقال أبو موسى الأشْعَرىُّ : ما أشْكَل علينا أصحابَ محمدٍ ﷺ حديثٌ قَطُّ فسأَلْنا عائشةَ ، إلَّا وجَدْنا عندَها منه علمًا . رَواه الترمذىُّ[5] .

وقال أبو الضُّحَى[6] عن مَسروقٍ : رأيْتُ مَشْيَخةَ أصحابِ محمدٍ الأكابرَ يَسْألونها عن الفَرائضِ .

---

(١) المسند ٦/ ١٣٨.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ١١. وعنده : « علم الناس كلهم » ، بدل « علم جميع النساء » . وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٣٥.

(٣) تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٣٤.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ١١.

(٥) الترمذى (٣٨٨٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٤٤) .

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٦٦، والحاكم فى المستدرك ٤/ ١١، كلاهما من طريق أبى الضحى به .

فأمَّا ما يَلْهَجُ به كثيرٌ مِن الفُقهاءِ وعُلماءِ الأُصولِ مِن إيرادِ حديثِ : « خُذوا شَطْرَ دِينِكم عن الحُمَيْراءِ »[1] . فإنه ليس له أصلٌ ، ولا هو مُثْبَتٌ فى شىءٍ مِن أُصولِ الإسلامِ ، وسأَلْتُ عنه شيْخَنا أبا الحجاجِ المِزِّىَّ فقال : لا أصلَ له .

ثم لم يَكُنْ فى النساءِ أعْلَمُ مِن تِلْمِيذاتِها ؛ عَمْرةَ بنتِ عبدِ الرحمنِ ، و[2] حَفْصةَ بنتِ سِيرينَ[2] ، وعائشةَ بنتِ طَلْحةَ ، وقد تَفَرَّدت أمُّ المؤمنين عائشةُ ، رضى اللَّهُ عنها ، بمَسائلَ مِن بينِ الصَّحابةِ لم تُوجَدْ إلا عندَها ، وانْفَرَدَت باخْتِياراتٍ أيضًا ، ورَدَّت أخْبارًا بخِلافِها بنوعٍ مِن التَّأْويلِ . وقد جمَع ذلك غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ . [٦/ ١٤٠ظ] وقال الشعبىُّ[3] : كان مَسْروقٌ إذا حَدَّث عن عائشةَ قال : حدَّثَتْنى الصِّدِّيقةُ بنتُ الصِّديقِ ، حَبِيبةُ حبيبِ[4] اللَّهِ ، المُبَرَّأَةُ مِن فوقِ سبعِ سَماواتٍ .

وثبَت فى « صحيحِ البُخارىِّ »[5] مِن حديثِ أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن عمرِو ابنِ العاصِ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ الناسِ أحَبُّ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : مِن الرجالِ ؟ قال : « أبوها » .

وفى « صحيحِ البخارىِّ » أيضًا[6] ، عن أبى موسى قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) تقدم فى ٤/ ٣٢٢.

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . ولعلها : « حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر » ، فهى التى روت عن أم المؤمنين عائشة . أما بنت سيرين فلم ترو عنها ، انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ١٥١، ١٥٣، ٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٦٦، وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٣٤.

(٤) فى م : « رسول » .

(٥) البخارى (٣٦٦٢، ٤٣٥٨) .

(٦) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٣١، ٤/ ٣٢٣، من حديث أبى موسى ، وليس فيه ذكر لخديجة رضى اللَّه عنها ، كما تقدم تخريجه من حديث قرة بن إياس بلفظه فى ٢/ ٤٣٠، ٤/ ٣٢٣، ولم يخرج البخارى هذا الحديث بهذا اللفظ .

« كَمَلَ مِن الرجالِ كثيرٌ، ولم يَكْمُلْ مِن النِّساءِ إلا مَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ، وخَديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وآسِيَةُ امْرأةُ فِرْعونَ، وفَضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطعامِ ». وقد اسْتَدَلَّ كثيرٌ مِن العلماءِ ممَّن ذهَب إلى تَفْضيلِ عائشةَ على خَديجةَ، بهذا الحديثِ، فإنه دخَل فيه سائرُ النِّساءِ الثَّلاثِ المَذْكوراتِ وغيرُهن.

ويَعْضُدُ ذلك أيضًا الحديثُ الذى رَواه البخاريُّ[1]: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ خَليلٍ، ثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: اسْتَأْذَنَتْ هالَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ أختُ خَديجةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فعرَف اسْتِئْذانَ خَديجةَ، فارْتاع لذلك، فقال: « اللهم هالَةَ ». قالت عائشةُ: فغِرْتُ، فقلتُ: ما تَذْكُرُ مِن عَجوزٍ مِن عَجائزِ قريشٍ، حَمْراءِ الشِّدْقَيْن، هلَكَتْ فى الدَّهْرِ، قد أبْدَلك اللَّهُ خيرًا منها؟ هكذا رَواه البخاريُّ. فأمَّا ما يُرْوَى فيه مِن الزِّيادةِ[2]: « ما أبْدَلَنى اللَّهُ[3] خيرًا منها ». فليس يَصِحُّ سندُها. وقد ذكَرْنا ذلك مُطَوَّلًا عندَ وَفاةِ خَديجةَ[4]، وذكَرْنا حُجَّةَ مَن ذهَب إلى تَفْضيلِها على عائشةَ بما أغْنَى عن إعادتِه هـٰهنا.

[5]وقال البخاريُّ: حدثنا يحيى بنُ بُكيرٍ[6]، ثنا الليثُ، عن يونسَ، عن ابنِ شهابٍ، قال أبو سلمةَ: إنَّ[5] عائشةَ، رضى اللَّهُ عنها، قالت: قال رسولُ اللَّهِ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣١٨.

(٢) تقدم تخريجه فى ٤/ ٣٢٠. وبعده فى النسخ: « والله ». والمثبت كما تقدم.

(٣) سقط لفظ الجلالة من: م.

(٤) تقدم فى ٤/٣١٥ - ٣٢٤. وقد قال الحافظ ابن كثير هناك: وإسناده لا بأس به، ومجالد - أحد رجال الإسناد - روى له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور.

(٥ - ٥) فى الأصل، ٦١، م: « وروى البخارى عن ». والحديث فى صحيح البخارى (٣٧٦٨).

(٦) فى ص: « بكر ». والمثبت من صحيح البخارى.

ﷺ يومًا : « يا عائشُ ، هذا جبريلُ يُقْرِئُكِ السلامَ » . فقلتُ : وعليه السلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، تَرَى ما لا أَرَى .

وثبَت فى « صَحيحِ البُخارىِّ »[1] أن الناسَ كانوا يَتَحَرَّوْن بهَداياهم يومَ عائشةَ ، فاجْتَمع أزواجُ النبىِّ ﷺ إلى أُمِّ سَلَمةَ ، وقُلْنَ لها : قُولى له يَأْمُرُ الناسَ أن يُهْدُوا إليه حيث كان . فقالت أُمُّ سَلَمةَ : فلمَّا دَخَل علىَّ قلتُ له ذلك ، فأَعْرَض عنِّى . ثم قُلْنَ لها ذلك ، فقالت له ، فأعْرَض عنها ، ثم لما دار إليها قالت له ، فقال : « يا أُمَّ سَلَمةَ ، لا تُؤْذِينى فى عائشةَ ، فإنه واللَّهِ ما نزَل علىَّ الوَحْىُ[2] وأنا فى لحافِ امرأةٍ منكن غيرِها » . وذكَر[3] أنهن بَعَثْنَ فاطمةَ ابنتَه إليه ، فقالت : إن نساءَك يَنْشُدْنَك العَدْلَ فى ابنةِ أبى بكرٍ [٦/ ١٤١و] بنِ أبى قُحافةَ . فقال : « يا بُنَيَّةُ ، ألا تُحِبِّين مَن أُحِبُّ ؟ » قالت : قلتُ : بلى . قال : « فأَحِبِّى هذه » . ثم بعَثْنَ زينبَ بنتَ جَحْشٍ ، فدَخَلَت على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعندَه عائشةُ ، فتَكَلَّمَتْ زينبُ ، ونالت مِن عائشةَ ، فانْتَصَرت عائشةُ منها ، وكلَّمَتها حتى أفْحَمَتْها ، فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إلى عائشةَ ، ويقولُ : « إنها ابنةُ أبى بكرٍ » . وذكَرْنا[4] أن عمَّارًا لما جاء يَسْتَصْرِخُ الناسَ ويَسْتَنْفِرُهم إلى قِتالِ طَلْحةَ والزُّبيرِ أيامَ الجملِ ، صَعِد هو والحسنُ بنُ علىٍّ على مِنْبرِ الكُوفةِ ، فسمِع عمَّارٌ رجلًا ينالُ مِن عائشةَ فقال له : اسْكُتْ مقْبوحًا مَنْبوحًا[5] ، واللَّهِ إنها لَزوجةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الدنيا

---

(١) البخارى (٣٧٧٥) .

(٢) بعده فى م : « فى بيت » .

(٣) البخارى (٢٥٨١) .

(٤) تقدم فى ١٠/ ٤٤٧.

(٥) فى الأصل ، ٦١ : « متبرا » ، وفى م ، ص : « منبوذا » . والمثبت مما تقدم ، وانظر أسد الغابة ٧/ ١٩١ ، والإصابة ٨/ ١٩.

والآخرةِ ، ولكنَّ اللَّهَ ابْتَلاكم لِيَعْلَمَ إياه تُطِيعون أو إياها .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، ثنا زائدةُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ خُثَيْمٍ ، حَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى مُلَيْكةَ ، أنه حدَّثه ذَكْوانُ حاجبُ عائشةَ ، أنه جاء عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ يَسْتَأْذِنُ على عائشةَ ، فجئتُ وعندَ رأسِها ابنُ أخيها عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ ، فقلتُ : هذا ابنُ عباسٍ يَسْتَأْذِنُ . فأكَبَّ عليها ابنُ أخيها عبدُ اللَّهِ فقال : هذا عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ يسْتَأْذِنُ . وهى تَموتُ ، فقالت : دَعْنى مِن ابنِ عباسٍ . فقال : يا أُمَّتاه ، إن ابنَ عباسٍ مِن صالحِ بَنِيكِ يُسَلِّمُ عليكِ ويُوَدِّعُكِ . فقالت : ائْذَنْ له إن شئتَ . قال : فأدْخَلْتُه ، فلمَّا جلَس قال : أَبْشِرى . فقالت : بماذا ؟ فقال : ما بينَك وبين أن تَلْقَىْ محمدًا ﷺ والأَحِبَّةَ إلَّا أن تَخْرُجَ الرُّوحُ مِن الجسدِ ، كنتِ أحَبَّ نساءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليه ، ولم يَكُنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ إلَّا طَيِّبًا ، وسَقَطَتْ قِلادتُكِ ليلةَ الأَبْواءِ ، فأصْبَح رسولُ اللَّهِ ﷺ [2] حتى يُصْبِحَ فى المنزلِ[2] ، وأصْبَح الناسُ وليس معهم ماءٌ ، فأنْزَل اللَّهُ آيةَ التَّيَمُّمِ ، فكان ذلك فى سببِكِ وما أنْزَل اللَّهُ مِن الرُّخْصةِ لهذه الأمةِ ، وأنْزَل اللَّهُ بَراءَتَكِ مِن فوقِ سبعِ سَماواتٍ ، جاء بها الرُّوحُ الأَمِينُ ، فأصْبَح ليس للَّهِ مسجدٌ مِن مساجدِ اللَّهِ إلا يُتْلَى فيه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ . فقالت : دَعْنى منك يا بنَ عباسٍ ، والذى نَفْسى بيدِه لَوَدِدْتُ أنى كنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا . والأحاديثُ فى فَضائلِها ومَناقِبِها كثيرةٌ جدًّا . وقد كانت وَفاتُها فى هذا العامِ سنةَ ثمانٍ وخمسين ، وقيل : قبلَه بسنةٍ . وقيل : بعدَه بسنةٍ[3] . والمشهورُ فى رَمضانَ منه ، [٦/ ١٤١ظ] وقيل : فى

---

(١) المسند ١/ ٢٧٦. (إسناده صحيح) .

(٢ - ٢) زيادة من المسند .

(٣) انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٣٥.

شوالٍ[1] . والأشهرُ ليلةَ الثلاثاءِ السابعَ عشَرَ مِن رمضانَ ، وأوْصَت أن تُدْفَنَ بالبَقيعِ ليلًا ، وصلَّى عليها أبو هريرةَ بعدَ صلاةِ الوِتْرِ ، ونزَل فى قبرِها خمسةٌ ، وهم ؛ عبدُ اللَّهِ وعروةُ ابنا الزبيرِ بنِ العَوَّامِ مِن أُختِها أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، والقاسمُ وعبدُ اللَّهِ ابنا أخيها محمدِ بنِ أبى بكرٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ ، وكان عمرُها يومَئذٍ سبعًا وستين سنةً ؛ لأنه تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعمرُها ثمانىَ عشْرةَ سنةً ، وكان عمرُها عامَ الهجرةِ ثمانَ سنين أو تسعَ سِنينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٠/٢٠ مخطوط .

ثم دَخَلَت سنةُ تسعٍ وخمسينَ

فيها شَتَّى عمرُو بنُ مُرَّةَ الجُهَنىُّ فى أرضِ الرومِ فى البَرِّ . قال الواقدىُّ[1] : ولم يَكُنْ فيها غَزْوٌ فى البحرِ . وقال غيرُه : بل غَزا فى البحرِ عامَئذٍ جُنادةُ بنُ أبى أميةَ .

وفيها عزَل معاويةُ ابنَ أُمِّ الحكَمِ عن الكوفةِ ؛ لسُوءِ سِيرتِه فيهم ، ووَلَّى عليها النُّعمانَ بنَ بَشيرٍ .

وفيها وَلَّى مُعاويةُ عبدَ الرحمنِ بنَ زيادٍ وِلايةَ خُراسانَ ، وعزَل عنها سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفانَ ، فصار عُبَيدُ اللَّهِ على البَصْرةِ ، وعَبَّادُ بنُ زِيادٍ على سِجِسْتانَ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ زيادٍ على خراسانَ ، ولم يَزَلْ عليها إلى زمَنِ يزيدَ ، فقَدِم عليه بعدَ مَقْتَلِ الحُسَيْنِ ، فقال له : كم قَدِمْتَ به مِن المالِ ؟ قال : عشرون ألفَ ألفٍ . فقال له : إن شئتَ حاسَبْناك ، وإن شئتَ سَوَّغْناكها وعزَلْناك عنها ، على أن تُعْطِىَ عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ [2]خمسَمائةِ ألفِ درهم . قال : بل تُسَوِّغُنِيها ، وأما عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ فأُعْطِيه ما قلتَ ، ومثلَها معها[2] . فعزَله ووَلَّى غيرَه ، وبعَث عبدُ الرحمنِ بنُ زيادٍ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ بألفِ ألفِ درهمٍ ، وقال : خمسُمائةِ ألفٍ مِن جهةِ أميرِ المؤمنين ، وخمسُمائةِ ألفٍ مِن قِبَلى .

وفى هذه السنةِ وفَد عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ على مُعاويةَ ، ومعه أشْرافُ أهلِ البَصْرةِ والعراقِ ، فاسْتَأْذَن لهم عُبَيْدُ اللَّهِ عليه على مَنازِلِهم منه ، فكان آخرَ مَن أدْخَلَه

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٣١٥.

(٢ - ٢) فى ص : « ما قلت » .

على مُعاويةَ الأحْنَفُ بنُ قيسٍ، ولم يَكُنْ عُبَيدُ اللَّهِ يُجِلُّه، فلمَّا رأَى مُعاويةُ الأحْنَفَ رَحَّب به وعَظَّمه وأجَلَّه وأجْلَسَه معه على السَّريرِ، ثم تَكَلَّم القومُ فأثْنَوْا على عُبَيدِ اللَّهِ، والأحْنَفُ ساكتٌ، فقال له مُعاويةُ: ما لك يا أبا بَحْرٍ لا تَتَكَلَّمُ؟ فقال: إن تَكلَّمْتُ [٦/١٤٢و] خالَفْتُ القومَ. فقال معاويةُ: انْهَضوا فقد عزَلْتُه عنكم، فاطْلُبوا واليًا تَرْضَوْنه. فمَكَثوا أيامًا يَتَرَدَّدُون إلى أشْرافِ بنى أميةَ، يَسْأَلون كلَّ واحدٍ منهم أن يَتولَّى عليهم، فلم يَقْبَلْ أحدٌ منهم ذلك، ثم جمَعهم مُعاويةُ فقال: مَن اخْتَرْتُم؟ فاخْتَلفوا عليه والأحْنَفُ ساكتٌ، فقال له مُعاويةُ: ما لك لا تَتَكَلَّمُ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن كنتَ تُرِيدُ غيرَ أهلِ بيتِك فَرَاءٍ رأيَك. فقال معاويةُ: قد أَعَدتُه إليكم. وقال ابنُ جريرٍ[1]: قال الأحْنَفُ: يا أَميرَ المؤمنينَ، إن وَلَّيْتَ علينا أحدًا مِن أهلِ بيتِك فإنا لا نَعْدِلُ بعُبَيْدِ اللَّهِ أحدًا، وإن وَلَّيْتَ علينا مِن غيرِهم فانْظُرْ لنا فى ذلك. فقال مُعاويةُ: قد أعَدْتُه إليكم. ثم إن مُعاويةَ أوْصَى عُبَيدَ اللَّهِ بالأحْنَفِ خيرًا، وقَبَّح رأيَه فى مُباعدَتِه، فكان الأحْنَفُ بعدَ ذلك أخَصَّ أصحابِ عُبَيدِ اللَّهِ، ولما وَقَعَت الفِتْنةُ لم يَفِ لعُبَيدِ اللَّهِ غيرُ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ.

قصةُ يزيدَ بنِ رَبيعةَ بنِ مُفرِّغٍ الحِمْيَرِىّ مع ابنَىْ زِيادٍ عُبَيْدِ اللَّهِ وعَبَّادٍ

ذَكَر ابنُ جَريرٍ عن أبى عُبَيدةَ مَعْمَرِ بنِ المُثَنَّى وغيرِه[2]، أن هذا الرجلَ كان شاعرًا، وكان مع عَبَّادِ بنِ زِيادٍ بسِجِسْتانَ، فاشْتَغَل عنه بحربِ التُّرْكِ، وضاق

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٣١٧.

(٢) انظر المصدر السابق ٥/٣١٧ - ٣٢١.

على الناسِ عَلَفُ الدَّوابِّ ، فقال ابنُ مُفَرِّغٍ شعرًا يَهْجُو به عبّادَ بنَ زيادٍ على ما كان منه فقال :

ألا ليت اللِّحَى كانت[1] حَشِيشًا ... فنَعْلِفَها خيولَ المُسْلِمِينا

وكان عَبَّادُ بنُ زِيادٍ عظيمَ اللِّحْيةِ كبيرَها جدًّا ، فبلَغه ذلك فغضِب ، وتَطَلَّبَه فهرَب منه ، وقال فيه قَصائدَ يَهْجُوه بها كثيرةً ، فمِن ذلك قولُه :

إذا أَوْدَى مُعاويةُ بنُ حَرْبٍ ... فبَشِّرْ شِعْبَ قَعْبِك[2] بانْصِداعِ
فأَشْهَدُ أن أُمَّك لم تُباشِرْ ... أبا سفيانَ واضعةَ القِناعِ
ولكن كان أمرًا فيه لَبْسٌ ... على وَجَلٍ شديدٍ وارْتِياعِ

وقال أيضًا :

ألا أبْلِغْ مُعاويةَ بنَ حربٍ ... مُغَلْغَلةً مِن الرجلِ اليمانِى
أتَغْضَبُ أن يُقالَ أبوك عَفٌّ ... وتَرْضَى أن يُقالَ أبوك زانِى
فأَشْهَدُ أن رَحْمَك مِن زيادٍ ... كرَحْمِ الفِيلِ مِن وَلَدِ الأَتانِ

فكتَب عَبَّادُ بنُ زيادٍ إلى أخيه عُبَيْدِ اللَّهِ وهو وافدٌ على مُعاويةَ بهذه الأبياتِ ، [٦/ ١٤٢ظ] فقرَأها عُبَيدُ اللَّهِ على مُعاويةَ ، واسْتَأْذَنه فى قتلِه ، فقال : لا تَقْتُلْه ، ولكن أدِّبْه ولا تَبْلُغْ به القَتْلَ . فلما رجَع عُبَيدُ اللَّهِ إلى البَصْرةِ اسْتَحْضَره ، وكان قد اسْتَجار بوالدِ زوجةِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، وهو المنذرُ بنُ الجارودِ ، وكانت ابنتُه بَحْرِيّةُ عندَ عُبَيدِ اللَّهِ ، فأجاره وآواه إلى دارِه ، وجاء المُنْذِرُ مُسلِّمًا على عُبَيدِ اللَّهِ ، وبعَث عُبَيدُ اللَّهِ الشُّرَطَ إلى دارِ المُنْذِرِ ، فجاءُوا بابنِ مُفَرِّغٍ ، فأُوقِف بينَ

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « عادت » .
(٢) القعب : القدح الضخم .

يديه ، فقال المُنْذِرُ : إنى قد أجَرْتُه . فقال : يَمْدَحُك ويَمْدَحُ أباك فتَرْضَى عنه ، ويَهْجونى ويَهْجُو أبى ثم تُجِيرُه علىَّ ؟! ثم أمَر عُبَيدُ اللَّهِ بابنِ مُفَرِّغٍ فسُقِىَ دواءً مُسْهِلًا ، وحمَلوه على حمارٍ عليه إكافٌ[1] ، وجعَلوا يَطوفون به فى الأسْواقِ وهو يَسْلَحُ[2] ، والناسُ يَنْظُرون إليه ، ثم أمَر به فنُفِىَ إلى سِجِسْتانَ ، إلى عندِ أخيه عَبَّادٍ ، فقال ابنُ مُفَرِّغٍ لعُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ :

يَغْسِلُ الماءُ ما صنَعْتَ وقولى ... راسخٌ منك فى العِظامِ البَوالى

وكلَّم اليَمانِيُّون مُعاويةَ فى أمْرِ ابنِ مُفَرِّغٍ ، وأنه إنما بعَث به إلى أخيه ليَقْتُلَه ، فبعَث مُعاويةُ إلى ابنِ مفرِّغٍ فأحْضَره ، فلما وقَف بينَ يديه بَكَى وشَكَى إلى مُعاويةَ ما فعَل به عبيدُ اللَّهِ ، فقال له مُعاويةُ : إنك هَجَوْتَه ، ألسْتَ القائلَ كذا ؟ ألسْتَ القائلَ كذا ؟ فأنْكَر أن يكونَ قال مِن ذلك شيئًا ، وذكَر أن القائلَ ذلك هو عبدُ الرحمنِ بنُ الحكَمِ أخو مَرْوانَ ، وأَحَبَّ أن يُسْنِدَها إلىَّ ، فغَضِب مُعاويةُ على عبدِ الرحمنِ بنِ الحكَمِ ، ومنَعه العَطاءَ حتى يَرْضَى عنه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، وأنْشَد ابنُ مُفَرِّغٍ ما قاله فى الطَّريقِ فى مُعاويةَ يُخاطِبُ راحلتَه :

عَدَسْ[3] ما لعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ ... نَجَوْتِ وهذا تحْمِلين طَلِيقُ

لَعَمْرِى لقد نَجَّاكِ مِن هُوَّةِ الرَّدَى ... إمامٌ وحَبْلٌ للأنامِ وَثِيقُ

سأَشْكُرُ ما أَوْلَيْتَ مِن حُسْنِ نِعمةٍ ... ومِثْلى بشُكْرِ المُنْعِمِين حَقِيقُ

فقال له مُعاويةُ : أمَا لو كنا نحن الذين هَجَوْتَنا لم يَكُنْ مِن ذلك شىءٌ .

---

(١) الإكاف : البرذعة . تاج العروس (أ ك ف) .

(٢) يسلح : يتغوط . انظر المصباح المنير (س ل ح) .

(٣) عدس : كلمة تستخدم لزجر البغال . انظر تاج العروس (ع د س) .

(١ ثم خيَّره أىُّ البلادِ أعجبُ إليه يقيمُ بها ١) ، فاخْتار المَوْصِلَ ، فأرْسَله إليها ، ثم اسْتَأْذَن عُبَيدَ اللَّهِ فى القُدومِ إلى البَصْرةِ والمُقامِ بها ، فأذِن له .

ثم إن عبدَ الرحمنِ بنَ الحكَمِ ركِب إلى عُبَيدِ اللَّهِ فاسْتَرْضاه ، فرضِى عنه ، وأنْشَده عبدُ الرحمنِ :

لَأنت زِيادةٌ فى آلِ حربٍ ... أحَبُّ إلىَّ مِن إحْدى بنانِى
أراك أخًا وعَمًّا وابنَ عَمٍّ ... ولا أَدْرِى بغَيْبٍ ما تَرانى

فقال له عُبَيدُ اللَّهِ : أَراك واللَّهِ شاعرَ سَوْءٍ . ثم رضِى عنه ، وأُعِيد إليه ما كان مُنِع مِن العَطاءِ .

قال أبو مَعْشَرٍ والواقدىُّ (٢) : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عثمانُ بنُ محمدِ بنِ أبى سُفْيانَ ، وكان نائبَ المدينةِ الوليدُ بنُ عُتبةَ بنِ أبى سفيانَ ، وعلى الكوفةِ النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ وقاضيها شُرَيْحٌ ، وعلى البَصْرةِ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ (٣ وقاضِيها هشامُ بنُ هُبَيْرةَ ، وعلى خُراسانَ عبدُ الرحمنِ بنُ زيادٍ ٣) ، وعلى سِجِسْتانَ عَبَّادُ بنُ زِيادٍ ، وعلى كَرْمانَ شَرِيكُ بنُ الأَعْورِ الحارثىُّ ، مِن قِبَلِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ .

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « يصل إليك ولم نتعرض لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ارتكب منى ما لم يرتكب مسلم من مسلم على غير حدث ولا جرم قال : ألست القائل [٦/ ١٤٣و] كذا ؟ ألست القائل كذا ؟ فقد عفونا عن جرمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شىء فانظر الآن من تخاطب ومن تشاكل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ولا تعامل أحدا إلا بالحسنى ، وانظر لنفسك أى البلاد أحب إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها » .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢١.

(٣ - ٣) سقط من : م .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ مِن المَشاهيرِ والأعْيانِ

ذكر ابنُ الجَوْزىِّ[1] أنه تُوُفِّىَ فيها أُسامةُ بنُ زيدٍ. والصحيحُ قبلَها كما تَقَدَّم[2].

الحُطَيئَةُ الشاعرُ[3]، واسْمُه **جَرْوَلُ بنُ** [4]**أوْسِ بنِ**[4] **مالكِ بنِ**[5] **جُؤَيَّةَ بنِ مَخْزومِ بنِ مالكِ بنِ قُطَيْعةَ بنِ عَبْسٍ، أبو مُلَيْكةَ**، الشاعرُ المُلَقَّبُ بالحُطَيئةِ لِقِصَرِه، أدْرَك الجاهليةَ، وأسْلَم فى زمَنِ الصِّدِّيقِ، وكان كثيرَ الهِجاءِ، حتى يُقالُ: إنه هَجا أباه وأُمَّه، وخالَه وعَمَّه، ونفسَه وعِرْسَه. فممَّا قال فى أُمِّه قولُه[6]:

تَنَحَّىْ فاقْعُدى عنى بعيدًا ... أراح اللَّهُ منكِ العَالَمينا
أغِرْبالًا إذا اسْتُودِعْتِ سِرًّا ... وكانونًا على المُتَحَدِّثِينا
جزاكِ اللَّهُ شرًّا مِن عَجوزٍ ... ولَقّاكِ العُقوقَ مِن البَنِينَا

وقال فى أبيه وعمِّه وخالِه[7]:

لَحاكَ[8] اللَّهُ ثم لحاك حقًّا ... أبًا ولحاك مِن عَمٍّ وخالِ

---

(١) المنتظم ٥/ ٣٠٦.
(٢) تقدم فى صفحة ٢٧١.
(٣) الإصابة ٢/ ١٧٦، وجمهرة النسب ص ٤٤٩، والأغانى ٢/ ١٥٧، ١٧/ ٢٢٥، والشعر والشعراء ١/ ٣٢٢، والمنتظم ٥/ ٣٠٧، والوافى بالوفيات ١١/ ٦٩.
(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من جمهرة النسب والأغانى والإصابة.
(٥) بعده فى الأصل، ٦١، م: «جرول بن مالك بن».
(٦) ديوان الحطيئة، ص ٢٧٧. والأبيات فى الأغانى ٢/ ١٨٦ والشعر والشعراء والمنتظم.
(٧) ديوان الحطيئة ص ٢٧٦.
(٨) لحاك: قَبَّحك ولعنك. انظر اللسان (ل ح و).

فنِعْمَ الشيخُ أنت لَدَى المخازِى وبِئْسَ الشيخُ أنت لَدَى المَعالى

[٦/١٤٣ظ] ومما قاله فى نفسِه يَذُمُّها[1] :

أَبَتْ شَفَتاىَ اليومَ [2]إلّا تَكَلُّمًا[2] بشرٍّ فما أدْرِى لمن أنا قائلُهْ

أَرَى لىَ وجهًا شَوَّه اللَّهُ خلقَهُ فقُبِّحَ مِن وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

وقد شَكاه الناسُ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ، فأحْضَره وحَبَسه ، وكان سببَ ذلك أن الزِّبْرِقانَ بنَ بدرٍ شَكاه لعمرَ أنه قال له يَهْجُوه[3] :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتِها واقْعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى

فقال له عمرُ : ما أَراه هَجاك ، أما تَرْضَى أن تكونَ طاعمًا كاسِيًا ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه لا يَكونُ هِجاءٌ أَشَدَّ مِن هذا . فبَعَث عمرُ إلى حسانَ بنِ ثابتٍ ، فسأَله عن ذلك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما هَجاه ولكن سَلَح عليه . فعندَ ذلك حَبَسَه عمرُ ، وقال : يا خَبيثُ ، لأَشْغَلَنَّك عن أعْراضِ المسلمين . ثم شَفَع فيه عمرُو بنُ العاصِ ، فأخْرَجه ، وأخَذ عليه العهدَ أن لا يَهْجُوَ الناسَ واسْتَتابه . ويقالُ : إنه أراد أن يَقْطَعَ لسانَه ، فشَفَعوا فيه حتى أطْلَقه .

وقال الزبيرُ بنُ بَكّارٍ[4] : حدَّثنى محمدُ بنُ الضَّحّاكِ بنِ عُثمانَ الخِزامىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُصْعَبٍ حدَّثنى عن رَبيعةَ بنِ عثمانَ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه قال : أمَر عمرُ بإخْراجِ الحُطَيْئةِ مِن الحَبْسِ ، وقد كلَّمه فيه عمرُو بنُ العاصِ

---

(١) ديوان الحطيئة ص ٢٨٢.

(٢ - ٢) فى النسخ : «أن تتكلما» . والمثبت من الديوان والأغانى والشعر والشعراء والمنتظم .

(٣) ديوان الحطيئة ص ٢٨٤.

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٣٠٩، من طريق الزبير بن بكار به . والخبر فى الأغانى ٢/ ١٨٨.

وغيرُه ، فأُخْرِج وأنا حاضرٌ ، فأَنْشَأ يَقولُ :

ماذا تقولُ لأفْراخٍ بذى مَرَخٍ[1] زُغْبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
غادرتَ كاسبَهم فى قعرِ مُظلِمةٍ فارْحَمْ هَداك مَليكُ الناسِ يا عمرُ
أنت الإمامُ الذى مِن بعدِ صاحبِه أَلْقَى إليك مَقاليدَ النُّهَى البَشَرُ
لم يُؤْثِروك بها إذ قَدَّموك لها لكنْ لأنفسِهمْ كانت بك الإِثَرُ
فامْنُنْ على صِبْيَةٍ بالرملِ مَسْكَنُهم بينَ الأباطحِ يَغْشاهم بها القدرُ[2]
نفسى فِداؤُك كم بينى وبينهمُ مِن عَرْضِ داويّةٍ[3] يَعْمَى بها الخَبُرُ

قال : فلمَّا قال الحُطَيْئةُ :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ

بكَى عمرُ ، فقال عمرُو بنُ العاصِ : ما أظَلَّت الخَضْراءُ ولا أقَلَّت الغَبْراءُ أعْدَل مِن رجلٍ يَبْكِى على تَرْكِه الحُطَيْئةَ . ثم ذكَر أنه أراد قَطْعَ لِسانِ الحُطَيْئةِ لئلا يَهْجُوَ به الناسَ ، فأجْلَسه على كُرسىٍّ ، وجِىء بالمُوسَى ، فقال الناسُ : لا يَعودُ يا أميرَ المؤمنين . [٦/ ١٤٤و] وأشاروا إليه قُلْ : لا أعودُ . فقال له عمرُ : النَّجاءَ . فلمَّا وَلَّى قال له عمرُ : ارْجِعْ يا حُطَيْئةُ . فرجَع ، فقال له : كأنى بك عندَ شابٍّ مِن قريشٍ قد كَسَر لك نُمْرُقةً ، وبسَط لك أُخْرى ، وقال : يا حُطَيْئةُ ، غَنِّنا . فانْدَفَعْتَ تُغَنِّيه بأعْراضِ الناسِ . قال أسْلَمُ : فرَأَيْتُ الحُطَيْئةَ بعدَ ذلك عندَ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وقد كسَر له نُمْرُقةً ، وبسَط له أخرى ، وقال : يا حُطَيْئةُ ، غَنِّنا . فانْدَفَع حُطَيْئةُ يُغَنِّى ،

---

(١) فى النسخ : « مرح » . والمثبت من المنتظم والأغانى . وذو مرخ : واد بين فَدَك والوابشية . معجم البلدان ٤/ ٤٩٢.

(٢) فى الأصل ، ٦١: « القتز » ، وفى الأغانى : « القرر » .

(٣) فى الأصل ، ٦١: « واد به » ، وفى م : « واديه » . والداوِيَّة : الفلاة . اللسان (د و و) .

فقلتُ له : يا حُطَيئةُ ، أتَذْكُرُ يومَ عمرَ حينَ قال لك ما قال ؟ ففزِع وقال : رَحِم اللَّهُ ذلك المَرْءَ ، لو كان حيًّا ما فعَلْنا هذا . فقلتُ لعُبَيدِ اللَّهِ : إنى سمِعْتُ أباك يقولُ كذا وكذا ، فكنتَ أنت ذلك الرجلَ .

وقال الزبيرُ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ الضَّحَّاكِ ، عن أبيه قال : قال عمرُ للحُطَيئةِ : دَعْ قولَ الشعرِ . قال : لا أَسْتَطِيعُ . قال : لِمَ ؟ قال : هو مَأْكَلةُ عِيالى ، [2]ونملَةٌ على لِسانى[2] . قال : فدَعِ المِدْحةَ المُجْحِفةَ . قال : وما هى يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : تقولُ : بنو فلانٍ أفْضلُ مِن بنى فلانٍ . امْدَحْ ولا تُفَضِّلْ . فقال : أنت أشْعَرُ منى يا أميرَ المؤمنين .

ومِن مَديحِه الجيدِ المَشْهورِ قولُه[3] :

أَقِلُّوا عليهم لا أبَا لأبيكمُ ... مِن اللَّوْمِ أوْ سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أولئك قومى[4] إن بَنَوْا أحْسَنوا البِنا ... وإن عاهدوا أوْفَوا وإن عقَدوا شَدُّوا
وإن كانت النَّعْماءُ فيهم جَزَوا بها ... وإن أنْعَموا لا كَدَّروها ولا كدُّوا

قالوا : ولما احْتُضِر الحُطَيئةُ قيل له : أَوْصِ . فقال : أُوصِيكم بالشعرِ . ثم قال :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ ... إذا ارْتَقَى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ
زلَّت به إلى الحَضِيضِ قدمُهْ ... والشعرُ لا يَسْطِيعُه مَن يَظْلِمُهْ

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٣١٠، من طريق الزبير بن بكار به .

(٢ - ٢) فى الأصل، ٦١، ص: «ونملة لسانى»، وفى م: «وعلة لسانى». والمثبت من مصدر التخريج .

قال ابن الأنبارى: ضرب النملة مثلا لما يتردد من قول الشعر فى قلبه ويطالب به لسانه . المنتظم ٥/ ٣١٠.

(٣) ديوان الحطيئة ص ١٤٠.

(٤) فى الديوان، والمنتظم، والأغانى ٢/ ١٩٨: «قوم».

يريـــدُ أن يُعْـــرِبَهُ فيُعْجِـمُه

قال أبو الفرجِ بنُ الجَوْزىِّ فى «المُنْتَظَم»[1] : تُوُفِّى الحُطَيْئةُ فى هذه السنةِ . وذكَر أيضًا فيها وفاةَ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ . وقد تقَدَّم فى التى قبلَها[2] .

عبدُ اللَّهِ بنُ مالكِ بنِ القِشْبِ ، واسمُه **جُنْدَبُ بنُ نَضْلةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ الأَزْدىُّ ، أبو محمدٍ**[3] ، حَليفُ بنى المطَّلِبِ ، المعروفُ بابنِ بُحَيْنةَ ، وهى أمُّه بُحَيْنةُ بنتُ الأَرَتِّ ، واسمُه الحارثُ بنُ المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، أسْلَم قديمًا ، وصَحِب رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وكان ناسكًا صوَّامًا قوَّامًا ، وكان ممَّن يَسْرُدُ صَوْمَ الدَّهْرِ كلِّه .

قال ابنُ سعدٍ[4] : كان يَنْزِلُ بَطْنَ رِيمٍ على ثلاثين مِيلًا مِن المدينةِ . ومات فى عملِ مَرْوانَ فى المرةِ الثانيةِ ، ما بينَ [٦/ ١٤٤ظ] سنةِ أربعٍ وخمسين إلى ثمانٍ وخمسين ، والعَجَبُ أن ابنَ الجَوْزىِّ نقَل مِن كلامِ محمدِ بنِ سعدٍ ، ثم إنه ذكَر وفاتَه فى هذه السنةِ ، يعنى سنةَ تسعٍ وخمسين[5] . فاللَّهُ أعلمُ .

قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادَةَ الأنصارىُّ الخَزْرَجىُّ[6] ، صحابىٌّ جَليلٌ كأبيه ، له فى «الصحيحَيْن» حديثٌ[7] ، وهو القِيامُ للجِنازةِ ، وله فى «المُسْنَدِ» حديثٌ فى

---

(١) المنتظم ٥/ ٣٠٧، ٣١١.
(٢) تقدم فى صفحة ٣٢٧.
(٣) الاستيعاب ٣/ ٩٨٢، وأسد الغابة ٣/ ٣٧٥، والإصابة ٤/ ٢٢٢.
(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٤٢.
(٥) انظر المنتظم ٥/ ٣١٦.
(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٨٩، وأسد الغابة ٤/ ٤٢٤، والإصابة ٥/ ٤٧٣.
(٧) البخارى (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١/٨١).

صومِ عاشوراءَ[1] ، وحديثُ غُسْلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى دارِهم ، وغيرُ ذلك[2] ، وخدَم رسولَ اللَّهِ ﷺ عشْرَ سنين .

وثبَت فى « صحيحِ البُخارىِّ »[3] عن أنسٍ قال : كان قيسُ بنُ سعدٍ مِن النبىِّ ﷺ بمنزلةِ صاحبِ الشُّرْطةِ مِن الأميرِ . وحَمَل لواءَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بعضِ الغَزَواتِ ، واسْتَعْمله على الصَّدقةِ . ولمَّا بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا عُبَيدةَ بنَ الجراحِ ، ومعه ثلاثُمائةٍ مِن المهاجرين والأنْصارِ ، فأصابهم ذلك الجَهْدُ الكثيرُ ، فنحَر لهم قيسُ بنُ سعدٍ تِسْعَ جَزائرَ ، حتى وجَدوا تلك الدابةَ على سِيفِ البحرِ ، فأكَلوا منها ، وأقاموا عليها شهرًا حتى سَمِنوا[4] .

وكان قيسٌ سيدًا مُطاعًا كَريمًا مُمَدَّحًا شُجاعًا ، وَلَّاه علىٌّ نِيابةَ مِصْرَ ، وكان يُقاوِمُ بدَهائِه وخَديعتِه وسِياستِه لمُعاويةَ وعمرِو بنِ العاصِ ، ولم يَزَلْ مُعاويةُ يَعْمَلُ عليه حتى عَزَله علىٌّ عن مِصْرَ[5] ، ووَلَّى عليها محمدَ بنَ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، فاسْتَخَفَّه مُعاويةُ ، ولم يَزَلْ به حتى أخَذ منه مِصْرَ كما قَدَّمْنا ذِكْرَه[6] . وأقام قيسٌ عندَ علىٍّ ، فشَهِد معه صِفِّينَ والنَّهْرَوانَ ، ولزِمه حتى قُتِل ، ثم صار إلى المَدينةِ ، فلما اجْتَمَعت الكلمةُ على مُعاويةَ جاءه ليُبايِعَه ، كما بايَعه أصحابُه .

قال عبدُ الرزاقِ[7] ، عن ابنِ عُيَيْنةَ قال : قَدِم قيسُ بنُ سعدٍ على مُعاويةَ ؛

---

(١) المسند ٣/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٢) المسند ٣/ ٤٢٦، ٦/ ٦، ٧.

(٣) انظر أطراف المسند ٥/ ٢٠٧ - ٢١٠.

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣١٤.

(٥) تقدم فى ٦/ ٥٠٢.

(٦) تقدم فى ١٠/ ٤٨٤ - ٤٩٠.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٤٤٨ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

(١ ليبايِعَه كما بايعَ أصحابُه ١) ، فقال له مُعاويةُ : وأنت يا قيسُ تُلْجِمُ عليَّ مع مَن ألْجَم ؟ أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أن لا تَأْتِيَ هذا اليومَ إلا وقد ظفَر بك ظُفْرٌ مِن أظْفارى مُوجِعٌ . فقال له قيسٌ : وأنا واللَّهِ قد كنتُ كارهًا أن أَقُومَ فى هذا المَقامِ فأُحَيِّيَك بهذه التَّحِيةِ . فقال له مُعاويةُ : ولِمَ ؟ وهل أنت إلا حَبْرٌ مِن أحْبارِ يَهودَ ؟ فقال له قيسٌ : وأنت يا مُعاويةُ كنتَ صنمًا مِن أصْنامِ الجاهليةِ ، دخَلْتَ فى الإسلامِ كارهًا ، وخرَجْتَ منه طائعًا . فقال مُعاويةُ : اللهم غَفْرًا ، مُدَّ يَدَك . فقال له قيسُ بنُ سعدٍ : إن شئتَ زِدْتَ وزِدْتُ .

وقال موسى بنُ عُقْبةَ[٢] : قالت عَجوزٌ لقيسٍ : أشْكُو إليك قِلَّةَ الجِرذانِ[٣] . [٦/١٤٥و] فقال قيسٌ : ما أحْسَن هذه الكِناية ! امْلَئُوا بيتَها خُبْزًا ولَحْمًا وسَمْنًا وتَمْرًا .

وقال غيرُه[٤] : وكانت له صَحْفةٌ يُدارُ بها حيث دار ، وكان يُنادِى له مُنادٍ : هَلُمُّوا إلى اللَّحْمِ والثَّرِيدِ . وكان أبوه وجَدُّه مِن قَبْلِه يَفْعَلان كفِعْلِه .

وقال عُرْوةُ بنُ الزبيرِ[٥] : باع قيسُ بنُ سعدٍ مِن مُعاويةَ أرضًا بتسعين ألفًا ، فقدِم المدينةَ ، فنادَى مُناديه : مَن أراد القَرْضَ فلْيَأْتِ . فأقْرَض منها خمسين ألفًا وأطْلَق الباقىَ ، ثم مَرِض بعدَ ذلك فقَلَّ عُوَّادُه ، فقال لزوجتِه قُرَيْبةَ بنتِ أبى عَتيقٍ أختِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ : إنى أَرَى قِلةَ عُوَّادِى فى مَرَضى هذا ، وإنى لأَرَى ذلك

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٤٥٦ مخطوط ، من طريق موسى بن عقبة به .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « فأر بيتى » .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق ١٤/٤٥٧ .

مِن أَجْلِ ما لى على الناسِ مِن القَرْضِ . فبَعَث إلى كلِّ رجلٍ ممَّن كان له عليه دَيْنٌ بصَكِّه المكْتوبِ عليه ، فوَهَبهم ما له عليهم ، [1] وقيل [2] : إنه أمَر مُنادِيَه فنادَى : مَن كان لقيسِ بنِ سعدٍ عليه دَيْنٌ فهو منه فى حِلٍّ . فما أمْسَى حتى كُسِرَت عَتَبةُ بابِه مِن كَثْرةِ العُوَّادِ [1] ، وكان يقولُ : اللهم ارْزُقْنى مالًا وفَعالًا ، فإنه لا يَصْلُحُ الفَعالُ إلا بالمالِ .

وقال سفيانُ الثَّوْرىُّ [3] : اقْتَرَض رجلٌ مِن قيسِ بنِ سعدٍ ثلاثين ألفًا ، فلمَّا جاء ليُوفِيَه إياها قال له قيسٌ : إنا قومٌ إذا أعْطَيْنا أحدًا شيئًا لا نَرْجِعُ فيه .

وقال الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ [4] : اخْتَلَف ثلاثةٌ عندَ الكعبةِ فى أكْرمِ أهلِ زمانِهم ، فقال أحدُهم : عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ . وقال الآخرُ : قيسُ بنُ سعدٍ . وقال الآخرُ : عَرَابةُ الأَوْسىُّ . فتَمارَوْا فى ذلك حتى ارْتَفع ضَجِيجُهم عندَ الكعبةِ ، فقال لهم رجلٌ : فلْيَذْهَبْ كلُّ رجلٍ منكم إلى صاحبِه الذى يَزْعُمُ أنه أكْرمُ مِن غيرِه ، فلْيَنْظُرْ ما يُعْطِيه ولْيُحْكَمْ على العَيانِ . فذهَب صاحبُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ إليه ، فوجَده قد وضَع رجلَه فى الغَرْزِ لِيَذْهَبَ إلى ضَيْعةٍ له ، فقال له : يا بنَ عَمِّ رسولِ اللَّهِ ، ابنُ سَبيلٍ ومُنْقَطَعٌ به . قال : فأخْرَج رِجْلَه مِن الغرْزِ وقال : ضَعْ رِجْلَك واسْتَوِ عليها ، فهى لك بما عليها ، وخُذْ ما فى الحَقِيبةِ ولا تُخْدَعَنَّ عن السَّيفِ ، فإنه مِن سُيوفِ علىٍّ . فرجَع إلى أصْحابِه بناقةٍ عَظيمةٍ ، وإذا فى الحَقيبةِ أربعةُ آلافِ دِينارٍ ، ومَطارِفُ مِن خَزٍّ وغيرُ ذلك ، وأَجَلُّ ذلك سيفُ علىِّ بنِ أبى

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المنتظم ٥/ ٣١٧، ٣١٨.

(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٤٥٧ مخطوط ، بإسناده عن سفيان الثورى به .

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٤٥٧، ٤٥٨ مخطوط ، بإسناده عن الهيثم بن عدى .

طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . ومَضَى صاحبُ قيسِ بنِ سعدٍ إليه ، فوجَده نائمًا ، فقالت له الجاريةُ : ما حاجتُك إليه ؟ قال : ابنُ سَبيلٍ ومُنْقَطَعٌ به . قالت : فحاجتُك أيْسَرُ مِن إيقاظِـه ، هذا كِيسٌ فيه سبعُمائةِ دِينارٍ ما فى دارِ قيسٍ مالٌ غيرُه [٦/١٤٥ظ] اليومَ ، واذْهَبْ إلى مَوْلانا فى مَعاطِنِ الإبلِ ، فخُذْ لك ناقةً وعبدًا ، واذْهَبْ راشدًا . فلما اسْتَيْقَظ قيسٌ مِن رقْدَتِه أخْبَرَتْه الجاريةُ بما صنَعَت ، فأعْتَقَها شكرًا على صَنِيعِها ذلك ، وقال : هلَّا أيْقَظْتِنى حتى أُعْطِيَه ما يَكْفِيه ، فلعلَّ الذى أَعْطيْتِه لا يَقَعُ منه مَوْقِعَ حاجتِه . وذهَب صاحبُ عَرَابةَ الأوْسىِّ إليه ، فوجَده وقد خرَج مِن منزلِه يُريدُ الصَّلاةَ ، وهو يَتَوَكَّأُ على عبدَيْن ، وقد كُفَّ بصرُه ، فقال له : يا عَرَابةُ . فقال : قُلْ . فقال : ابنُ سَبيلٍ ومُنْقَطَعٌ به . قال : فخلَّى عن العَبْدَيْن ثم صَفَّق بيده اليُمْنَى على اليُسْرَى ، ثم قال : أَوَّهْ أَوَّهْ ، واللَّهِ ما أصْبَحْتُ ولا أَمْسَيْتُ وقد تَرَكَتِ الحُقوقُ مِن مالِ عَرَابةَ شيئًا ، ولكن خُذْهما . يعنى العبدَيْن . فقال : ما كنتُ لِأفعلَ . فقال : إن لم تَأْخُذْهما فهما حُرَّان ، فإن شئتَ فأَعْتِقْ ، وإن شئتَ فخُذْ . وأقْبَل يلْتَمِسُ الحائطَ بيدِه ، قال : فأخَذهما وجاء بهما . قال : فحكَم الناسُ على أن ابنَ جَعْفرٍ قد جاد بمالٍ عظيمٍ ، وأن ذلك ليس بمُسْتَنْكَرٍ له ، إلا أن السيفَ أجَلُّها ، وأن قَيْسًا أحَدُ الأجْوادِ ؛ حَكَّم مَمْلوكَتَه فى مالِه بغيرِ عِلْمِه ، واستِحسانُه ما فعَلتْه ، (١) وعِتْقُه لها وما تكلَّمَ به (١) ، وأجْمَعوا على أن أسْخَى الثَّلاثةِ عَرابةُ الأوْسىُّ ؛ لأنه جُهْدٌ مِن مُقِلٍّ .

وقال سُفيانُ الثورىُّ (٢) ، عن عمرٍو ، عن أبى صالحٍ قال : قسَم سعدُ بنُ عُبادةَ مالَه بينَ أولادِه ، وخرَج إلى الشامِ فمات بها ، فوُلِد له ولدٌ بعدَ وفاتِه ، فجاء

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « وعتقها شكرا لها على ما فعلت » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٥٨/١٤ مخطوط ، من طريق سفيان الثورى به .

أبو بكرٍ وعمرُ إلى قيسِ بنِ سعدٍ فقالا : إن أباك قسَم مالَه ، ولم يَعْلَمْ بحالِ هذا الولدِ إذ كان حَمْلًا ، فاقْسِموا له معكم . فقال قيسٌ : إنى لا أُغَيِّرُ ما فعَله سعدٌ ، ولكن نَصِيبى له . ورَواه عبدُ الرزاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، فذكَره . ورَواه عبدُ الرزاقِ[2] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخْبَرنى عَطاءٌ ، فذكَره .

وقال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[3] : ثنا أبو نُعَيْم ، ثنا مِسْعَرٌ ، عن مَعْبَدِ بنِ خالدٍ قال : كان قيسُ بنُ سعدٍ لا يَزالُ هكذا رافعًا أُصْبُعَه المُسَبِّحَةَ . يعنى يَدْعُو .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ[4] : ثنا الجَرَّاحُ بنُ مَليحٍ ، ثنا أبو رافعٍ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ قال : لولا أنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « المَكْرُ والخَدِيعةُ فى النارِ » . لكنتُ مِن أمْكَرِ هذه الأمةِ .

وقال الزُّهْرِىُّ[5] : دُهاةُ العربِ حينَ ثارت الفِتْنةُ خمسةٌ ؛ معاويةُ وعمرُو بنُ العاصِ ، والمُغيرةُ بنُ شُعْبةَ ، وقيسُ بنُ سعدٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيْلٍ ، وكانا [٦/١٤٦و] مع علىٍّ ، وكان المُغيرةُ مُعْتَزِلًا بالطائفِ حتى حكَم الحكمان[6] ، فصار إلى مُعاويةَ .

وقد تَقَدَّم[7] أن محمدَ بنَ أبى حُذَيْفةَ كان قد تَغَلَّب على مِصْرَ ، وأخْرَج منها عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ نائبَ عثمانَ بعدَ عمرِو بنِ العاصِ ، فأقَرَّه عليها

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٥٩/١٤ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ، من طريق ابن أبى خيثمة به .
(٤) المصدر السابق ، من طريق هشام بن عمار به .
(٥) المصدر السابق ، بنحوه .
(٦) فى م : « الخصمان » .
(٧) تقدم فى ٤٨٥/١٠ - ٤٨٩.

عليٌّ مُدَّةً يَسيرةً ، ثم عَزَله بقيسِ بنِ سعدٍ ، فلما دَخَلَها سار فيها سِيرةً حَسَنةً وضَبَطها ، وذلك فى سنةِ سِتٍّ وثلاثين ، فثَقُل أمْرُه على مُعاويةَ وعمرِو بنِ العاصِ ، فكاتَباه ليكونَ معهما على عليٍّ فامْتَنع ، وأظْهَر للناسِ مُناصَحتَه لهما ، فشاع الخبرُ حتى بلَغ عليًّا فعزَله ، وبعَث إلى مِصْرَ الأَشْتَرَ النَّخَعيَّ ، فمات الأَشْتَرُ فى الرَّمْلةِ قبلَ أن يَصِلَ إليها ، فبَعَث عليٌّ محمدَ بنَ أبى بكرٍ ، فخَفَّ أمْرُه على مُعاويةَ وعمرٍو ، فلم يَزالا حتى أخَذا منه الدِّيارَ المِصْريةَ ، وقُتِل محمدُ بنُ أبى بكرٍ وأُحْرِق فى جِيفةِ حمارٍ ، وسار قيسٌ إلى المَدينةِ ، ثم سار إلى عليٍّ بالكوفةِ ، فكان معه فى حُروبِه حتى قُتِل عليٌّ ، ثم على مُقَدِّمةِ الحسنِ ، فلمَّا بايَع الحسنُ مُعاويةَ ساء قَيْسًا ذلك ، وامْتَنع مِن طاعَةِ مُعاويةَ ، ثم ارْتَحل إلى المَدينةِ ، ثم قَدِم على مُعاويةَ فى وَفْدٍ مِن الأنصارِ ، فبايَع مُعاويةَ بعدَ مُعاتَبةٍ ، وكلامٍ فيه غِلْظةٌ ، ثم أكْرَمه مُعاويةُ وقدَّمه وحَظِىَ عندَه ، فبينما هو مع الوُفودِ عندَ مُعاويةَ إذ قَدِم كتابُ ملكِ الرومِ على مُعاويةَ ، وفيه أن ابْعَثْ إلىَّ بسَراوِيلِ أطْوَلِ رجلٍ مِن العربِ . فقال مُعاويةُ لقَيْسٍ : ما أظُنُّنا إلا قد احْتَجْنا إلى سَراوِيلِك . وكان قيسٌ مَديدَ القامةِ جدًّا ، (١)لا يَصِلُ أطْولُ الرجالِ إلى صَدْرِه(١) ، فقام قيسٌ فتَنَحَّى ، ثم خَلَع سَراوِيلَه ، فألْقاها إلى مُعاويةَ ، فقال له مُعاويةُ : يرحمُك اللَّهُ ، ما أردتُ إلى هذا ، هلَّا ذهَبْتَ إلى مَنْزِلِك ثم أرْسَلْتَ بها إلينا . فأنْشَأ قيسٌ يقولُ عندَ ذلك :

أرَدْتُ بها كى يَعْلَمَ الناسُ أنها ... سَراوِيلُ قيسٍ والوُفودُ شُهودُ
وأن لا يَقُولُوا غاب قيسٌ وهذه ... سَراوِيلُ عادىٍّ نَمَتْه ثَمودُ
وإنى مِن الحىِّ اليَمانِى لَسَيِّدٌ ... وما الناسُ إلا سيِّدٌ ومَسُودُ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

[٦/١٤٦ظ] فكِدْهم بمِثْلى إنَّ مِثْلى عليهمُ شديدٌ وخَلْقى فى الرجالِ مَزيدُ
وفضَّلنى فى الناسِ أصلى ووالدى وباعٌ به أَغْلُو الرجالَ مَديدُ

قال: فأمَر مُعاويةُ أطْولَ رجلٍ فى الوَفْدِ، فوضَعها على أنْفِه فوقَعت بالأرضِ[(١)].

وفى روايةٍ[(٢)] أن مَلِكَ الرومِ بعَث إلى مُعاويةَ برجلين مِن جيشِه يَزْعُمُ أن أحدَهما أقْوَى الرومِ، والآخرَ أطولُ الرُّومِ، فإن كان فى جَيْشِك مَن يَفوقُهما فى قوةِ هذا وطولِ هذا بعَثْتُ إليك مِن الأُسارَى كذا وكذا ومِن التُّحَفِ كذا وكذا، وإن لم يَكُنْ فى جَيشِك مَن يُشْبِهُهما فهادِنِّى ثلاثَ سنينَ. فلمَّا حَضَرا عندَ مُعاويةَ قال: مَن لهذا القوىِّ؟ فقالوا: ما له إلا أحدُ رجلَيْن؛ إمَّا محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ، أو عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ. فجِىءَ بمحمدِ ابنِ الحَنَفيةِ، وهو ابنُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، فلمَّا اجْتَمَع الناسُ عندَ مُعاويةَ قال له مُعاويةُ: أتَعْلَمُ فيمَ أَرْسَلْتُ إليك؟ قال: لا. فذكَر له أمْرَ الرُّومىِّ وشِدَّةَ بَأْسِه. فقال [(٣)]له: ما تريدُ؟ فقال[(٣)]: تَجْلِسُ لى أو أَجْلِسُ لك، وتُناوِلُنى يدَك أو أُناوِلُك يدى، فأيُّنا قدَر على أن يُقِيمَ الآخَرَ مِن مكانِه غَلَبه، وإلا فقد غُلِب. فقال له: ماذا تريدُ؛ تَجْلِسُ أو أَجْلِسُ؟ فقال له الرُّومىُّ: بلِ اجْلِسْ أنت. فجلَس محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ، وأعْطَى الرُّومىَّ يدَه، فاجْتَهَد الرُّومىُّ بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه مِن القُوَّةِ أن يُزيلَه مِن مكانِه أو يُحَرِّكَه ليُقيمَه، فلم يَقْدِرْ على ذلك، ولا وجَد إليه سَبيلًا، فغُلِب الرُّومىُّ عندَ ذلك، وظهَر لمن معه مِن الوُفودِ مِن بلادِ الرُّومِ أنه قد غُلِب، ثم قام محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ، فقال

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ٤٦٣، ٤٦٤ مخطوط، ومختصره ٢١/ ١١٣، وما تقدم فى ٨/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٤٦٤.

(٣ - ٣) فى الأصل، ا ٦، م: «للرومى إما أن».

للرُّومىِّ : اجْلِسْ لى . فجلَس وأعْطَى محمدًا يدَه ، فما لبِث أن أقامه سَريعًا ، ورَفَعه فى الهواءِ ، ثم ألْقاه على الأرضِ ، فسُرَّ بذلك مُعاويةُ سُرورًا عَظيمًا ، ونهَض قيسُ بنُ سعدٍ ، فتَنَحَّى عن الناسِ ، ثم خَلَع سَراوِيلَه ، وأعْطاها لذلك الرُّومىِّ الطويلِ ، فلَبِسها فبَلَغَت إلى ثَدْيَيْه وأطْرافُها تَخُطُّ بالأرْضِ ، فاعْتَرف الرُّومُ بالغَلَبِ ، وبعَث مَلِكُهم ما كان الْتَزَمه لمُعاويةَ ، وعاتَب الأنْصارُ قيسَ بنَ سعدٍ فى خَلْعِه سَراوِيلَه بحَضْرةِ الناسِ ، فقال ذلك الشعرَ المتقدمَ مُعْتَذِرًا به إليهم ، وليكونَ ذلك [٦/١٤٧و] ألْزَمَ للحُجَّةِ التى تقومُ على الرُّومِ ، وأقْطَعَ لما حاوَلوه .

وروى الحُمَيْدىُّ[(١)] ، عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ قال : كان قيسُ بنُ سعدٍ رجلًا ضَخْمًا جَسِيمًا صغيرَ الرأسِ ، له لحيةٌ [(٢)] فى ذَقَنِه [(٢)] ، وكان إذا رَكِب الحمارَ خَطَّت رِجْلاه فى الأرضِ .

وقال الواقدىُّ وخَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وغيرُ واحدٍ[(٣)] : تُوُفِّىَ بالمدينةِ فى آخرِ خِلافةِ مُعاويةَ . وذكَر ابنُ الجَوْزىِّ وَفاتَه فى هذه السنةِ[(٤)] ، فتَبِعْناه فى ذلك .

مَعقِلُ بنُ يَسارٍ المُزَنىُّ[(٥)] ، صحابىٌّ جَليلٌ ، شَهِد الحُدَيْبيةَ ، وكان هو الذى يَرْفَعُ أغْصانَ الشجرةِ عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُبايِعُ الناسَ تحتَها ، وكانت مِن السَّمُرِ[(٦)] ، وهى المَذْكورةُ فى القرآنِ فى قولِه تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٤٥٠ مخطوط ، من طريق الحميدى به .

(٢ - ٢) فى تاريخ دمشق : « وأشار سفيان إلى ذقنه » . والمعنى أن لحيته كانت خفيفة جدا ، لم يكن له شعر لحية إلا فى ذقنه .

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٣، وطبقات خليفة ١/ ٢١٦، وتاريخ دمشق ١٤/ ٤٦٤، مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٦.

(٤) المنتظم ٥/ ٣١٨.

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٤٣٢، وأسد الغابة ٥/ ٢٣٢، والإصابة ٦/ ١٨٤.

(٦) تقدم فى ٦/ ٢٢٧.

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]. وقد وَلَّاه عمرُ إمْرةَ البَصْرةِ، فحفَر بها النهر المنسوبَ إليه، فيُقالُ: نهرُ مَعْقِلٍ. وله بها دارٌ.

قال الحسنُ البَصْرىُّ[(١)]: دخَل عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ على مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ يَعودُه فى مَرَضِه الذى مات فيه، فقال له مَعْقِلٌ: إنى مُحَدِّثُك حديثًا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، لو لم أَكُنْ على حالتى هذه لم أُحَدِّثْك به، سمِعْتُه يقولُ: «مَن اسْتَرْعاه اللَّهُ رَعِيَّةً فلم يُحِطْها بنَصيحةٍ، لم يَجِدْ رائحةَ الجنةِ، وإن ريحَها لَيُوجَدُ مِن مَسيرةِ مائةِ عامٍ».

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ:

أبو هريرةَ الدَّوْسىُّ، رضِى اللَّهُ عنه[(٢)]، وقد اخْتُلِف فى اسمِه فى الجاهليةِ والإسلامِ واسمِ أبيه على أقوالٍ مُتَعَدِّدةٍ قد بسَطْنا أكثرَها فى كتابِنا «التَّكْمِيلِ»، وقد بَسَط ذلك الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى «تاريخِه»[(٣)]، والأَشْهَرُ أن اسمَه عبدُ الرحمنِ بنُ صَخْرٍ، وهو مِن الأَزْدِ، ثم مِن دَوْسٍ. ويُقالُ: كان اسمُه فى الجاهليةِ عبدَ شمسٍ. وقيل: عبدَ نِهْمٍ. وقيل: عبدَ غَنْمٍ. ويُكَنَّى بأبى الأَسْودِ، فسَمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ. وقيل: عبدَ الرحمنِ. وكَنَّاه بأبى هُريرةَ.

ورُوِى عنه أنه قال[(٤)]: وجَدْتُ هُرَيْرةً وَحْشِيةً، فأَخَذْتُ أَوْلادَها، فقال لى أبى: ما هذه فى حِجْرِك؟ فأَخْبَرْتُه، فقال: أنت أبو هُرَيرةَ.

---

(١) البخارى (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢/٢٢٧)، (١٤٢/٢١) باب فضيلة الإمام العادل، من كتاب الطهارة، والمسند ٥/ ٢٧.

(٢) الاستيعاب ٤/ ١٧٦٨، وأسد الغابة ٦/ ٣١٨، والإصابة ٧/ ٤٢٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٠٦ مخطوط.

(٤) المصدر السابق ١٩/ ٢٠٧ مخطوط.

وثبَت فى « الصحيحِ » أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « يا أبا هِرٍّ » . وثبَت أنه [٦/١٤٧ظ] قال له : « يا أبا هُريرةَ » .

قال محمدُ بنُ سعدٍ وابنُ الكَلْبىِّ والطَّبَرانىُّ[(١)] : واسمُ أُمِّه مَيْمونةُ بنتُ صَبِيحٍ[(٢)] بنِ الحارثِ بنِ أبى صَعْبِ بنِ هُنَيَّةَ بنِ سعدِ بنِ ثَعْلبةَ . أسْلَمَت وماتت مُسْلِمةً .

وروَى أبو هريرةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الكَثيرَ الطَّيِّبَ ، وكان مِن حُفَّاظِ الصَّحابةِ ، وروَى عن أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وأُبَىِّ بنِ كعبٍ ، وأُسامةَ بنِ زيدٍ ، و[(٣)] بَصْرةَ بنِ أبى بَصْرةَ[(٣)] ، والفَضْلِ بنِ العَبَّاسِ ، وكَعْبِ الأحْبارِ ، وعائشةَ أمِّ المؤمنين . وحَدَّث عنه خَلائقُ مِن أهلِ العلمِ ، قد ذَكَرْناهم مُرَتَّبِين على حُروفِ المُعْجَمِ فى « التَّكْمِيلِ » ، كما ذكَرهم شيخُنا فى « تَهْذيبِه »[(٤)] .

قال البُخارىُّ[(٥)] : روَى عنه نحوٌ مِن ثَمانِمائةِ رجلٍ أو أكثرُ مِن أهلِ العلمِ ، مِن الصحابةِ والتابعين وغيرِهم . وقال عمرُو بنُ علىٍّ الفَلَّاسُ : كان يَنْزِلُ المدينةَ ، وكان إسلامُه سنةَ خَيْبرَ . قال الواقدىُّ : وكان له بذى الحُلَيفةِ دارٌ . وقال غيرُه : كان آدَمَ اللونِ ، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، ذا ضَفيرَتَيْن ، أَفْرَقَ الثَّنِيَّتَيْن[(٦)] .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[(٧)] وغيرُ واحدٍ ، عن أبى خَلْدَةَ خالدِ بنِ دِينارٍ ، عن

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٢٥، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٩.

(٢) فى ٦١، م : « صفيح » . ويقال فيه : صفيح وصبيح . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٢.

(٣ - ٣) فى النسخ : « نضرة بن أبى نضرة » ، وهو تصحيف . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٤) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٦٦.

(٥) التاريخ الكبير ١٢/ ٢٦٥.

(٦) تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٥.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٦/١٩ مخطوط ، من طريق أبى داود به .

أبى العاليةِ ، عن أبى هريرةَ قال : لَمَّا أسْلَمْتُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ممَّن أنت ؟ » فقلتُ : مِن دَوْسٍ . فوضَع يدَه على جَبْهتِه وقال : « ما كنتُ أَرَى أنّ فى دَوْسٍ رجلًا فيه خيرٌ » .

وقال الزهرىُّ[1] ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : شَهِدْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ خيبرَ .

ورَوَى عبدُ الرزاقِ[2] ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ قال : قال أبو هُرَيْرةَ : جئتُ يومَ خَيْبرَ بعدَما فرَغوا مِن القتالِ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، ثنا الدَّراوَرْدِىُّ قال : حدَّثنى خُثَيْمُ بنُ عِراكِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فاسْتَخْلف على المدينةِ سِباعَ بنَ عُرْفُطةَ . قال أبو هريرةَ : وقدِمْتُ المدينةَ مُهاجِرًا فصَلَّيْتُ الصُّبحَ وراءَ سِباعٍ ، فقرأ فى السَّجْدةِ الأولى سورةَ « مَرْيَمَ » ، وفى الثانيةِ « وَيْلٌ للمطففين » . قال أبو هُريرةَ : فقلتُ فى نفسى : ويلٌ لأبى فلانٍ . لرجلٍ كان بأرضِ الأَزْدِ ، كان له مِكْيالان ؛ مِكْيالٌ يَكْتالُ به لنفسِه ، ومِكْيالٌ يَبْخَسُ به الناسَ .

وقد ثبَت فى « صحيحِ البُخارىِّ »[4] أنه ضَلَّ غلامٌ له فى الليلةِ التى [٦/ ١٤٨و] اجْتَمَع فى صَبيحتِها برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنه جعَل يُنْشِدُ :

يا ليلةً مِن طُولِها وعَنائِها ... على أنها مِن دارَةِ الكفرِ نَجَّتِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٦/١٩ مخطوط ، من طريق الزهرى به .
(٢) المصدر السابق ، من طريق عبد الرزاق به .
(٣) المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٣٩.
(٤) البخارى (٢٥٣٠، ٢٥٣١، ٤٣٩٣) .

فلمَّا قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال له : « هذا غُلامُك » . فقال : هو حُرٌّ لوجهِ اللَّهِ عز وجل .

وقد لزِم أبو هريرةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعدَ إسلامِه ، فلم يُفارِقْه فى حَضَرٍ ولا سَفَرٍ ، وكان أحْرَصَ شيءٍ على سَماعِ الحديثِ منه ، وتَفَقَّه عنه ، وكان يَلْزَمُه على شِبَعِ بطنِه .

وقال أبو هريرةَ - وقد تَمَخَّط يومًا فى قميصٍ له من كَتَّانٍ -[1] : بَخٍ بَخٍ ، أبو هريرةَ يتَمَخَّطُ فى الكَتَّانِ ! لقد رَأَيْتُنى أَخِرُّ فيما بين المِنْبرِ والحُجَرِ مِن الجُوعِ ، فيَمُرُّ المارُّ فيقولُ : به جُنونٌ . وما بى إلا الجُوعُ ، واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو لقد كنتُ أَعْتَمِدُ بكَبِدى على الأرضِ مِن الجُوعِ ، وأَشُدُّ الحَجَرَ على بَطْنى مِن الجوعِ ، ولقد كنتُ أَسْتَقْرِئُ أحدَهم الآيةَ وأنا أَعْلَمُ بها منه ، وما بى إلا أن يَسْتَتْبِعَنى إلى مَنْزِلِه فيُطْعِمَنى شيئًا . وذكَر حديثَ اللَّبنِ مع أهلِ الصُّفَّةِ ، كما قدَّمْناه فى ذِكْرِ دلائلِ النبوةِ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عبدُ الرحمنِ ، ثنا عِكْرِمةُ بنُ عَمَّارٍ ، حدَّثنى أبو كثيرٍ ، وهو يَزيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أُذَيْنةَ السُّحَيْمىُّ الأعْمَى ، حدَّثنى أبو هريرةَ وقال لنا : واللَّهِ ما خَلَق اللَّهُ مُؤْمنًا يَسْمَعُ بى ولا يَرانى إلا أَحَبَّنى . قلتُ : وما عِلْمُك بذلك يا أبا هريرةَ ؟ قال : إن أمى كانت امرأةً مُشْرِكةً ، وإنى كنتُ أَدْعُوها إلى الإسلامِ وكانت تأْبَى علىَّ ، فدَعَوْتُها يومًا ، فأَسْمَعَتْنى فى رسولِ اللَّهِ ﷺ ما أَكْرَهُ ، فأَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنا أَبْكى ، فقلتُ : يارسولَ اللَّهِ ، إنى

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٨.

(٢) تقدم فى ٨/ ٦٢٤.

(٣) المسند ٢/ ٣١٩، ٣٢٠.

كنتُ أَدْعو أُمِّى إلى الإسلامِ فكانت تَأْبَى علىَّ ، وإنى دَعَوْتُها اليومَ فأَسْمَعَتْنى فيك ما أَكْرَهُ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَهْدِىَ أُمَّ أبى هريرةَ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم اهْدِ أُمَّ أبى هريرةَ » . فخرَجْتُ أَعْدُو أُبَشِّرُها بدُعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلَمَّا أَتَيْتُ البابَ إذا هو مُجافٌ[1] ، وسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الماءِ ، وسَمِعَتْ خَشْفَ رِجْلٍ - يعنى وَقْعَها - فقالت : يا أبا هُريرةَ ، كما أنت . ثم فَتَحَت البابَ ، وقد لَبِسَت دِرْعَها ، وعَجِلَت عن خِمارِها[2] ، فقالت : إنى أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه . فرَجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ، صلى اللَّهُ [٦/١٤٨ظ] عليه وسلم ، أَبْكى مِن الفَرَحِ كما بَكَيْتُ مِن الحُزْنِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَبْشِرْ ، فقد اسْتَجاب اللَّهُ دُعاءَك ، وقد هَدَى أُمَّ أبى هريرةَ . وقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يُحَبِّبَنى وأُمِّى إلى عِبادِه المؤمنين [3]ويُحَبِّبَهم إلينا[3] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم حَبِّبْ عُبَيْدَك هذا وأُمَّه إلى عِبادِك المؤمنين ، وحَبِّبْهم إليهما » . قال أبو هريرةَ : فما خَلَق اللَّهُ مِن مؤمنٍ يَسْمَعُ بى ولا يَرانى أو يَرَى أُمِّى إلا وهو يُحِبُّنى . وقد رَواه مسلمٌ ، مِن حديثِ عِكْرِمةَ بنِ عَمَّارٍ بإسنادِه نحوَه[4] .

وهذا الحديثُ مِن دلائلِ النبوةِ ، فإن أبا هريرةَ مُحَبَّبٌ إلى جميعِ الناسِ ، وقد شَهَر اللَّهُ ذِكْرَه بما قَدَّره مِن إيرادِ هذا الخبرِ عنه ، الذى رواه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الإنْصاتِ يومَ الجُمُعةِ عندَ الخُطْبةِ[5] ، على رُءوسِ الناسِ فى المحافلِ الكثيرةِ المتعددةِ فى سائرِ الأقاليمِ ، وهذا قَدَّرَه اللَّهُ ويَسَّرَه مِن شَهْرِ ذِكْرِه ، ومَحَبَّةِ الناسِ له ، رضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) مجاف : مغلق .

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « أن تلبسه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٤) مسلم (٢٤٩١/١٥٨) .

(٥) أخرجه البخارى (٩٣٤) ، ومسلم (٨٥١) وغيرهما مرفوعا بلفظ : « إذا قلت لصاحبك : أنصت . يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت » . وقد ورد بألفاظ أخرى كثيرة . انظر المسند الجامع ٧٧٩/١٦ - ٧٨٤ .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ[1] : ثنا سعيدٌ ، ثنا عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ ، عن المَقْبُرِيِّ ، عن سالمٍ مَوْلَى النَّصْرِيِّين ، أنه سَمِع أبا هريرةَ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنما محمدٌ بَشَرٌ ، أَغْضَبُ كما يَغْضَبُ البَشَرُ ، وإنى قد اتَّخَذْتُ عندَك عَهْدًا لن تُخْلِفَنِيهِ ، فأَيُّما رجلٍ مِن المسلمين آذَيْتُه أو شَتَمْتُه أو جلَدْتُه فاجْعَلْها له قُرْبةً تُقَرِّبُه بها عندَك يومَ القِيامةِ » . قال أبو هريرةَ : لقد رَفَع علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا الدِّرَّةَ ليَضْرِبَنى بها ، لأن يكونَ ضَرَبَنى بها أَحَبُّ إلىَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ ؛ ذلك بأنى أَرْجُو أن أكونَ مُؤْمِنًا ، وأن يُسْتَجابَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ دَعْوتُه .

وقال ابنُ أبى ذِئبٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِيِّ ، عن أبى هريرةَ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أَسْمَعُ منك حَديثًا كثيرًا أَنْساه . فقال : « ابْسُطْ رِداءَك » . فبسَطْتُه ، ثم قال : « ضُمَّه » . فضَمَمْتُه ، فما نَسِيتُ حديثًا بعدُ . رَواه البُخارىُّ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا سفيانُ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ الأعْرجِ قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : إنكم تَزْعُمون أن أبا هريرةَ يُكْثِرُ الحديثَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [4]واللَّهُ المَوْعِدُ[5] ، إنى كنتُ امْرَأً مِسْكينًا ، أَصْحَبُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[4] على مِلْءِ بَطْنى ، وكان المُهاجِرون يَشْغَلُهم الصَّفْقُ[6] بالأسْواقِ ، وكانت

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٢٢ مخطوط ، من طريق هشام بن عمار به .

(٢) البخارى (١١٩) .

(٣) المسند ٢/ ٢٤٠.

(٤ - ٤) ليس فى المسند .

(٥) واللَّه الموعد : قال النووى : معناه فيحاسبنى إن تعمدت كذبًا ، ويحاسب من ظن بى السوء . صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٥٤.

(٦) الصفق : التبايع . النهاية ٣/ ٣٨.

الأنْصارُ يَشْغَلُهم القِيامُ على أمْوالِـهم ، فحضَرْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا ، [٦/ ١٤٩و] فقال : « مَن بسَط رِداءَه حتى أَقْضِيَ مَقالتى ثم يَقْبِضُه إليه ، فلن يَنْسَى شيئًا سمِعَه منى » . فبسَطْتُ بُرْدَةً علىَّ حتى قَضَى حديثَه ، ثم قَبَضْتُها إلىَّ ، فوالذى نفسى بيدِه ما نَسِيتُ شيئًا سمِعْتُه منه . وقد رَواه ابنُ وَهْبٍ[(١)] ، عن يونسَ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، وله طرقٌ أُخَرُ عنه[(٢)] . وقد قيل : إن هذا كان خاصًّا بتلك المَقالةِ المعيَّنةِ[(٣)] لم يَنْسَ منها شيئًا ، بدليلِ أنه نَسِيَ بعضَ الأحاديثِ كما هو مُصَرَّحٌ به فى « الصَّحيحِ »[(٤)] ، حيث نَسِيَ حديثَ : « لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ » . مع حديثِه : « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » . وقيل : إن هذا كان عامًّا فى تلك المَقالةِ وغيرِها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الدَّراوَرْدِىُّ[(٥)] ، عن عمرِو بنِ أبى عَمْرٍو ، عن سعيدِ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ أنه قال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أسْعَدُ الناسِ بشَفاعتِك يومَ القيامةِ ؟ فقال : « لقد ظَنَنْتُ يا أبا هريرةَ ألَّا يَسْأَلَنى عن هذا الحديثِ أحدٌ أوَّلُ منك ؛ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِك على الحديثِ[(٦)] ، إن أسْعَدَ الناسِ بشَفاعتى يومَ القيامةِ مَن قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، خالصًا مِن قِبَلِ نفسِه » . ورَواه البخارىُّ مِن حديثِ عمرِو بنِ أبى عمرٍو به[(٧)] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٢) ، من طريق ابن وهب به .

(٢) البخارى (١١٨، ١١٩، ٢٠٤٧، ٢٣٥٠، ٣٦٤٨، ٧٣٥٤) ، وتاريخ دمشق ٢٢٦/١٩ مخطوط ، وانظر تحفة الأشراف ١٠/ ١٨، ٢١٧.

(٣) زيادة من : ص .

(٤) البخارى (٥٧٧١) . وانظر فتح البارى ١٠/ ٢٤٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٧/١٩ مخطوط .

(٦) فى م : « الناس » .

(٧) البخارى (٦٥٧٠) .

وقال ابنُ أبى ذِئبٍ[1] ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ ، أنه قال : حَفِظْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وِعاءَيْن ، فأمَّا أحدُهما فبَثَثْتُه فى الناسِ ، وأمَّا الآخرُ فلو بَثَثْتُه لَقُطِع هذا البُلْعُومُ . ورَواه البخارىُّ[2] مِن حديثِ ابنِ أبى ذِئبٍ ، ورَواه غيرُ واحدٍ ، عن أبى هريرةَ[3] .

وهذا الوِعاءُ الذى كان لا يَتَظاهَرُ به هو الفِتَنُ والمَلاحِمُ ، وما وقَع بينَ الناسِ مِن الحُروبِ والقِتالِ وما سيَقَعُ ، التى لو أخْبَر بها قبلَ كونِها لَبادَر كثيرٌ مِن الناسِ إلى تَكْذيبِه ، ورَدُّوا ما أخْبَر به مِن الحَقِّ ، كما قال : لو أخْبَرْتُكم أنكم تَقْتُلون إمامَكم وتَقْتَتِلون فيما بينَكم بالسُّيوفِ لَما صَدَّقْتُمونى . وقد يَتَمَسَّكُ بهذا الحديثِ طَوائفُ مِن أهلِ الأهْواءِ والبِدَعِ الباطلةِ ، والأعْمالِ الفاسدةِ ، ويُسْنِدون ذلك إلى هذا الجِرابِ الذى لم يَقُلْه أبو هريرةَ ، ويَعْتَقِدون أن ما هم عليه كان فى هذا الجِرابِ الذى لم يُخْبِرْ به أبو هريرةَ ، وما مِن مُبْطِلٍ - مع تَضادِّ أقْوالِهم وأعمالِهم - إلا و[٦/ ١٤٩ظ] يَدَّعى شيئًا من هذا ، وكلُّهم يَكْذِبون ، فإذا لم يَكُنْ أبو هريرةَ قد أخْبَر به فمَن عَلِمه من بعدِه ؟! وإنما كان الذى فيه شىءٌ مِن الفِتَنِ والمَلاحِمِ قد أخْبَر بها هو وغيرُه مِن الصَّحابةِ ، ممَّا ذَكَرْناه ومما سنَذْكُرُه فى كتابِ « الفِتَنِ والمَلاحِمِ » .

وقال حمادُ بنُ زيدٍ[4] : ثنا عمرُو بنُ عُبَيدٍ الأنْصارىُّ ، ثنا أبو الزُّعَيْزِعةِ كاتبُ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، أن مَرْوانَ دَعا أبا هريرةَ - وأقْعَده[5] خلفَ السَّريرِ - وجعَل

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٨/١٩ مخطوط ، من طريق ابن أبى ذئب به .

(٢) البخارى (١٢٠) .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٢٢٨/١٩ مخطوط .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٥١٠/٣ وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٩/١٩ مخطوط ، كلاهما من طريق حماد ابن زيد به .

(٥) أى أقعد أبا الزعيزعة ، فقد جاء فى المستدرك بلفظ « أقعدنى » .

مَرْوانُ يَسْأَلُه وجعَلْتُ أَكْتُبُ ، حتى إذا كان عندَ رأسِ الحَوْلِ دَعا به - وأقْعَده[1] مِن وراءِ الحِجابِ - فجعَل يَسْأَلُه عن ذلك الكتابِ ، فما زاد ولا نَقَص ، ولا قَدَّم ولا أَخَّر .

وروَى أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ وغيرُه[2] ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ قال : كان أبو هريرةَ مِن أحْفَظِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم يَكُنْ بأفْضَلِهم . وقال الرَّبيعُ[3] : قال الشَّافعيُّ : أبو هريرةَ أحْفَظُ مَن رَوَى الحديثَ فى دَهْرِه .

وقال أبو القاسمِ البَغويُّ[4] : ثنا أبو خَيْثَمةَ ، ثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ العَزيزِ ، عن مَكْحولٍ قال : تَواعَد الناسُ ليلةً مِن الليالى إلى قُبَّةٍ مِن قِبابِ مُعاويةَ ، فاجْتَمَعوا فيها ، فقام أبو هُريرةَ ، فحدَّثهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أصْبَح .

وقال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ[5] ، عن عمرٍو ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أخيه هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : ما مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدٌ أكْثَرُ حديثًا عنه منِّى ، إلا ما كان مِن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، فإنه كان يَكْتُبُ ولا أَكْتُبُ .

وقال أبو زُرْعةَ الدِّمشقيُّ[6] : حدَّثنى محمدُ بنُ زُرْعةَ الرُّعَيْنيُّ ، ثنا مَرْوانُ بنُ محمدٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن إسماعيلَ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، عن السائبِ بنِ يزيدَ قال : سمِعْتُ عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ لأبى هريرةَ : لَتَتْرُكَنَّ الحديثَ عن

---

(١) أى أقعد أبا الزعيزعة .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٢٩ مخطوط ، من طريق أبى بكر بن عياش ووكيع كلاهما عن أبى صالح به .

(٣) المصدر السابق ١٩/ ٢٣٠، من طريق الربيع به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق أبى القاسم البغوى به .

(٥) أخرجه البخارى (١١٣) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣٠، كلاهما من طريق سفيان بن عيينة به .

(٦) تاريخ أبى زرعة ١/ ٥٤٤، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣١، من طريق أبى زرعة به .

رسولِ اللَّهِ ﷺ أو لَأُلْحِقَنَّك بأرضِ دَوْسٍ. وقال لكعبِ الأحْبارِ: لَتَتْرُكَنَّ الحديثَ[1] أو لَأُلْحِقَنَّك بأرضِ القِرَدَةِ. وقال أبو زُرْعةَ: وقد سمِعْتُ أبا مُسْهِرٍ يَذْكُرُه عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ نحوًا منه، ولم يُسْنِدْه. وهذا مَحْمولٌ مِن عمرَ على أنه خَشِيَ مِن الأحاديثِ التى يَضَعُها الناسُ على غيرِ مَواضِعِها، [2]وأنهم يَتَّكِلون على ما فيها مِن أحاديثِ الرُّخَصِ، أو أن الرجلَ إذا أكْثَر مِن الحديثِ ربما وقَع فى أحاديثِه بعضُ الغَلَطِ أو الخَطَأِ فيَحْمِلُها الناسُ عنه، أو نحوُ ذلك[2].

[٦/ ١٥٠و] وقد جاء أن عُمرَ أَذِن له بعدَ ذلك فى الحديثِ، فقال مُسَدَّدٌ[3]: ثنا خالدٌ الطَّحَّانُ، ثنا يحيى بنُ عبيدِ اللَّهِ، عن أبيه، عن أبى هُريرةَ قال: بلَغ عمرَ حَديثى، فأرْسَل إلىَّ فقال: [4]كنتَ معنا يومَ[4] كُنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى بيتِ فلانٍ؟ قال: قلتُ: نعم، وقد علِمْتُ لمَ سأَلْتَنى عن ذاك. قال: ولمَ سَأَلْتُك؟ قلتُ: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَئذٍ: «مَن كذَب [5]علىَّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النارِ». قال: إمّا لَىْ[6] فاذْهَبْ فحَدِّثْ.

وقال[5] الإمامُ أحمدُ[7]: ثنا عفّانُ، ثنا عبدُ الواحدِ - يعنى ابنَ زِيادٍ - ثنا عاصمُ بنُ كُلَيْبٍ، حدَّثنى أبى قال: سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ - وكان يَتَّدِئُ

---

(١) بعده فى ٦١، م: «عن الأول».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣١ مخطوط، من طريق مسدد به.

(٤ - ٤) فى ص: «أتذكر يوما».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) كذا فى ص، وتاريخ دمشق. وفى ٦١، م: «إذا». قال ابن الأثير فى النهاية ١/ ٧٢: وقد أمالت العرب «لا» إمالة خفيفة، والعوامُّ يشبعون إمالتها، فتصير ألِفها ياء، وهو خطأ. وانظر ما تقدم فى ٦/ ٢٩ حاشية (١).

(٧) المسند ٢/ ٤١٣.

حديثَه بأن يقولَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ أبو القاسمِ الصادقُ المَصْدوقُ - : « من كذَب عليَّ متعمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه من النارِ » . ورُوِىَ مثلُه مِن وجهٍ آخرَ عنه[1] .

وقال ابنُ وَهْبٍ[2] : حدَّثنى يحيى بنُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، أن أبا هريرةَ كان يقولُ : إنى لَأُحَدِّثُ أحاديثَ لو تَكَلَّمْتُ بها فى زمانِ عمرَ - أو عندَ عمرَ - لَشَجَّ رَأْسى .

وقال صالحُ بنُ أبى الأَخْضَرِ[3] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : ما كنا نَستَطِيعُ أن نقولَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ . حتى قُبِض عمرُ .

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلىُّ[4] : ثنا عبدُ الرزاقِ ،عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ قال : قال عمرُ : أَقِلُّوا الرِّوايةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا فيما يُعْمَلُ به . قال : ثم يَقولُ أبو هريرةَ : أفَكُنْتُ مُحَدِّثَكم بهذه الأحاديثِ وعمرُ حىٌّ ؟! أمَا واللَّهِ إذًا لَأَيْقَنْتُ أن المِخْفقةَ سَتُباشِرُ ظهرى .

(٥) فإن عمرَ كان يقولُ : اشْتَغِلوا بالقرآنِ ، فإن القرآنَ كلامُ اللَّهِ . ولهذا لما بعَث أبا موسى إلى العراقِ قال له : إنك تأتى قومًا لهم فى مَساجِدِهم دَوِىٌّ بالقرآنِ كدَوِىِّ النحلِ ، فدَعْهم على ما هم عليه ، ولا تَشْغَلْهم بالأحاديثِ ، وأنا شَرِيكُك فى ذلك . وهذا مَعْروفٌ عن عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه(٥) .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا هُشَيْمٌ ، عن يَعْلَى بنِ عَطاءٍ ، عن الوليدِ بنِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/٢٣٢ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٩/ ٢٣١، من طريق ابن وهب به .

(٣) المصدر السابق ، من طريق صالح بن أبى الأخضر به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق محمد بن يحيى الذهلى به .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل ، ٦١، م .

(٦) المسند ٢/ ٢، ٣. (إسناده صحيح) .

عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه مَرَّ بأبى هريرةَ وهو يُحَدِّثُ عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « مَن تَبِع جِنازةً فصَلَّى عليها فله قِيراطٌ ، فإن شَهِد دَفْنَها فله قِيراطان [٦/١٥٠ ظ] ، القِيراطُ أعْظَمُ مِن أُحُدٍ » . فقال له ابنُ عمرَ : أبا هِرٍّ ، انْظُرْ ما تُحَدِّثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقام إليه أبو هريرةَ حتى انْطَلَق به إلى عائشةَ ، فقال لها : يا أُمَّ المؤمنين ، أَنْشُدُك باللَّهِ أسَمِعْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن تَبِع جِنازةً فصَلَّى عليها فله قِيراطٌ ، فإن شَهِد دَفْنَها فله قِيراطان » ؟ فقالت : اللهم نعم . فقال أبو هريرةَ : إنه لم يَكُنْ يَشْغَلُنى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ [1] غَرْسُ الوَدِىِّ [2] ولا صَفْقٌ بالأسْواقِ ، إنى إنما كنتُ أَطْلُبُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ [1] كلمةً يُعَلِّمُنيها ، أو أَكْلةً يُطْعِمُنيها . فقال له ابنُ عمرَ : أنت يا أبا هِرٍّ كنتَ أَلْزَمَنا لرسولِ اللَّهِ ﷺ وأعْلَمَنا بحديثِه .

وقال الواقدىُّ [3] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ ، عن أبيه قال : كنتُ مع ابنِ عمرَ فى جِنازةِ أبى هريرةَ وهو يَمْشِى أمامَها ويُكْثِرُ التَّرَحُّمَ عليه ، ويقولُ : كان مِمَّن يَحْفَظُ حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ على المسلمين .

وقد رُوِىَ أن عائشةَ تَأَوَّلَت أحاديثَ كثيرةً مِن أبى هريرةَ ، ووَهَّمَتْه فى بعضِها . وفى « الصحيحِ » [4] أنها عابَت عليه سَرْدَ الحديثِ . أى الإكْثارَ منه فى الساعةِ الواحدةِ .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ [5] : ثنا بِشْرُ بنُ الوليدِ الكِندىُّ ، ثنا إسحاقُ بنُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ٦، ص : « الوادى » ، وفى م : « بالوادى » . والمثبت من المسند . والوَدِىّ : صغار النخل ، الواحدة وَدِيّة . النهاية ٥/ ١٧٠ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٤/١٩ مخطوط ، من طريق الواقدى به .

(٤) البخارى (٣٥٦٨) ، ومسلم (٢٤٩٣/١٦٠) ، وأُبْهِم ذكر أبى هريرة فى رواية البخارى . واستشهد الحافظ فى الفتح ٥٧٨/٦ برواية مسلم وأبى داود بأنه أبو هريرة .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٦/١٩ مخطوط ، من طريق أبى القاسم به .

سعيدٍ ، عن سعيدٍ ، أن عائشةَ قالت لأبى هريرةَ : أكْثَرْتَ الحديثَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ يا أبا هريرةَ . قال : إنى واللَّهِ ما كانت تَشْغَلُنى عنه المُكْحُلَةُ والخِضابُ ، ولكنى أَرَى ذلك شَغَلَكِ عمَّا اسْتَكْثَرْتُ مِن حديثى . قالت : لعله .

وقال أبو يَعْلَى[1] : ثنا إبراهيمُ الشاميُّ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أبى رافعٍ ، أن رجلًا مِن قريشٍ أَتَى أبا هريرةَ فى حُلَّةٍ يَتَبَخْتَرُ فيها ، فقال : يا أبا هريرةَ ، إنك تُكْثِرُ الحديثَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فهل سمِعْتَه يقولُ فى حُلَّتى هذه شيئًا ؟ قال : واللَّهِ إنكم لَتُؤْذُونَنا ، ولولا ما أخَذ اللَّهُ على أهلِ الكتابِ لَيُبَيِّنُنَّه للناسِ ولا يَكْتمُونه ما حَدَّثْتُكم بشىءٍ ، سمِعْتُ أبا القاسمِ ﷺ يقولُ : « إن رجلًا ممن كان قَبْلكم بينما هو يَتَبَخْتَرُ فى حُلَّةٍ إذ خسَف اللَّهُ به الأرضَ ، فهو يَتَجَلْجَلُ فيها حتى تقومَ الساعةُ » . فواللَّهِ ما أَدْرِى لعله كان مِن قومِك . أو : مِن رَهْطِك . شَكَّ أبو يَعْلَى .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : ثنا محمدُ بنُ عمرَ ، حدَّثنى كثيرُ بنُ زيدٍ ، عن الوليدِ بنِ رَباحٍ [٦/١٥١و] قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ لمَرْوانَ : واللَّهِ ما أنت والٍ ، وإن الوالىَ لَغيرُك فدَعْه - يعنى حينَ أرادوا أنْ يَدْفِنوا الحسنَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ - ولكنك تَدَخَّلُ فيما لا يَعْنِيك ، إنما تُرِيدُ بهذا إرْضاءَ مَن هو غائبٌ عنك . يعنى مُعاويةَ . قال : فأَقْبَل عليه مَرْوانُ مُغْضَبًا ، فقال : يا أبا هريرةَ ، إن الناسَ قد قالوا : إنك أكْثَرْتَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الحديثَ . وإنما قدِمتَ قبلَ وفاةِ النبىِّ ﷺ بيَسيرٍ . فقال أبو هريرةَ : نعم ، قدِمْتُ واللَّهِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ بخيبرَ سنةَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣٦، من طريق أبى يعلى به .
(٢) المصدر السابق ١٩/ ٢٣٧، من طريق ابن سعد به .

سبعٍ ، وأنا يومَئذٍ قد زِدْتُ على الثلاثين سَنةً سَنَواتٍ ، وأقَمْتُ معه حتى تُوُفِّيَ ، أَدُورُ معه فى بُيوتِ نِسائِه وأَخْدُمُه ، وأنا واللَّهِ يومَئذٍ مُقِلٌّ ، وأُصَلِّى خلفَه وأَغْزُو وأَحُجُّ معه ، فكنتُ واللَّهِ أعْلَمَ الناسِ بحديثِه ، قد واللَّهِ سبَقنى قومٌ - بصُحْبتِه والهجرةِ - مِن قريشٍ والأنصارِ ، فكانوا يَعْرِفون لُزومى له ، فيَسْأَلونى عن حديثِه ، منهم عمرُ وعثمانُ وعلىٌّ وطَلْحةُ والزُّبَيرُ ، فلا واللَّهِ ما يَخْفَى علىَّ كلُّ حَدثٍ كان بالمدينةِ ، وكلُّ مَن أَحَبَّ اللَّهَ ورسولَه ، وكلُّ مَن كانت له عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلةٌ ، وكلُّ صاحبٍ له ، فكان أبو بكرٍ صاحبَه فى الغارِ ، وغيرُه قد أخْرَجه رسولُ اللَّهِ ﷺ من المدينةِ أن يُساكِنَه . يُعَرِّضُ بأبى مَرْوانَ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ[1] . ثم قال أبو هريرةَ : لِيَسْأَلْنى أبو عبدِ الملكِ عن هذا وأشْباهِه ، فإنه يَجِدُ عندى منه عِلْمًا جَمًّا ومَقالًا . قال : فواللَّهِ مازال مَرْوانُ يَقْصُرُ عن أبى هريرةَ ويَتَّقِيه بعدَ ذلك ويَخافُه ويَخافُ جَوابَه .

[2]وفى روايةٍ أن أبا هريرةَ قال لمَرْوانَ : إنى أسْلَمْتُ وهاجَرْتُ اخْتِيارًا وطَوْعًا ، وأحْبَبْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ حُبًّا شديدًا ، وأنتم أهلَ الدارِ ومَوْضِعَ الدَّعْوةِ ، أخْرَجْتُم الداعىَ مِن أرضِه ، وآذَيْتُموه وأصحابَه ، وتأَخَّر إسْلامُكم عن إسْلامى إلى الوقتِ المَكْروهِ إليكم . فندِم مَرْوانُ على كلامِه له واتَّقاه[2] .

وقال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[3] : ثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ ، ثنا محمدُ بنُ سَلَمةَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن عمرَ أو عثمانَ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه - يعنى عُروةَ بنَ الزبيرِ

---

(١) نفى رسول الله ﷺ الحكم بن أبى العاص إلى الطائف . انظر الاستيعاب ١/ ٣٥٩، وأسد الغابة ٢/ ٣٧، والإصابة ٢/ ١٠٤.

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ٦١.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣٧، ٢٣٨ مخطوط ، من طريق ابن أبى خيثمة به .

ابنِ العَوَّامِ - قال : قال لى أبى الزبيرُ : أَدْنِنى مِن [١٥١/٦ ظ] هذا اليَمانِىِّ - يعنى أبا هريرةَ - فإنه يُكْثِرُ الحَديثَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فأَدْنَيْتُه منه ، فجعَل أبو هريرةَ يُحَدِّثُ ، وجعَل الزبيرُ يقولُ : صدَق ، كذَب ، صدَق ، كذَب . قال : قلتُ : يا أَبَهْ ، ما قولُك : صدَق ، كذَب ؟ قال : يا بنىَّ ، أمَّا أن يكونَ سَمِع هذه الأحاديثَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فلا أَشُكُّ ، ولكن منها ما وضعَه على مَواضِعِه ، ومنها ما وَضَعه على غيرِ مَواضِعِه .

وقال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[1] ، عن وَهْبِ بنِ جَريرٍ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبى أنسِ بنِ أبى عامرٍ قال : كنتُ عندَ طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ إذ دخَل رجلٌ فقال : يا أبا محمدٍ ، واللَّهِ ما نَدْرى هذا اليَمانىُّ أعْلَمُ برسولِ اللَّهِ ﷺ منكم ، أم هو يَقولُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لم يَقُلْ ؟ فقال طَلْحةُ : واللَّهِ ما نَشُكُّ أنه سَمِع مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لم نَسْمَعْ ، وعَلِم ما لم نَعْلَمْ ، إنا كنا قومًا أغْنياءَ ، لنا بُيوتاتٌ وأَهْلُون ، وكنا نَأْتى رسولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَىِ النهارِ ، ثم نَرْجِعُ ، وكان مِسْكينًا لا مالَ له ولا أهلَ ، إنما كانت يدُه مع يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان يَدورُ معه حيثما دار ، فما نَشُكُّ أنه قد عَلِم ما لم نَعْلَمْ ، وسمِع ما لم نَسْمَعْ . وقد رَواه الترمذىُّ بنحوِه[2] .

وقال شعبةُ[3] ، عن أَشْعَثَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن أبيه قال : سَمِعْتُ أبا أيوبَ يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ ، فقيل له : أنت صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وتُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ ؟! فقال : إن أبا هريرةَ قد سمِع ما لم نَسْمَعْ ، وإنى أن أُحَدِّثَ عنه أَحَبُّ إلىَّ مِن أن أُحَدِّثَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . يعنى : ما لم أَسْمَعْه منه .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٨/١٩ مخطوط ، من طريق على بن المدينى به .

(٢) الترمذى (٣٨٣٧) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٤) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٩/١٩ مخطوط ، من طريق شعبة به .

وقال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ[1] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارمىُّ ، ثنا مَرْوانُ الدِّمشقىُّ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ، حدَّثنى بُكَيْرُ بنُ الأَشَجِّ قال : قال لنا بُسْرُ بنُ سَعيدٍ : اتَّقوا اللَّهَ وتَحَفَّظوا مِن الحديثِ ، فواللَّهِ لقد رأيْتُنا نُجالِسُ أبا هريرةَ ، فيُحَدِّثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ويُحَدِّثُنا عن كعبِ الأحْبارِ ، ثم يَقومُ فأَسْمَعُ بعضَ من كان معنا يَجْعَلُ حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عن كعبٍ ، وحديثَ كعبٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . [2]وفى روايةٍ : يَجْعَلُ ما قاله كعبٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وما قاله رسولُ اللَّهِ ﷺ [٦/١٥٢و] عن كعبٍ ، فاتَّقوا اللَّهَ وتحَفَّظوا فى الحديثِ[2] .

وقال يزيدُ بنُ هارونَ : سَمِعْتُ شُعْبةَ يقولُ : أبو هريرةَ كان يُدَلِّسُ . رواه ابنُ عَساكرَ[3] . وكان شُعبةُ يُشِيرُ بهذا إلى حديثِه : « مَن أصْبَح جُنُبًا فلا صِيامَ له »[4] . فإنه لما حُوقِق عليه قال : أخْبَرَنيه مُخْبِرٌ ، ولم أَسْمَعْه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال شَرِيكٌ[5] ، عن مُغيرةَ ، عن إبراهيمَ قال : كان أصحابُنا يَدَعُون مِن حديثِ أبى هريرةَ . وروَى الأعْمشُ[6] ، عن إبراهيمَ قال : ما كانوا يَأْخُذون بكلِّ حديثِ أبى هريرةَ .

قال الثورىُّ[7] ، عن مَنْصورٍ ، عن إبراهيمَ قال : كانوا يَرَوْن فى أحاديثِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣٩، من طريق مسلم به .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ٦١، م .

(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٠، وأورده الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٠٨، وعلق عليه بأن تدليس الصحابة كثير ، ولا عيب فيه ؛ فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم والصحابة كلهم عدول .

(٤) المسند ٢/ ٢٤٨. (إسناده صحيح) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٠ مخطوط ، من طريق الثورى به ، من طريق شريك به .

(٦) المصدر السابق ، من طريق الأعمش به .

(٧) المصدر السابق ، من طريق الثورى به .

أبى هريرةَ شيئًا ، وما كانوا يَأْخُذون من حديثِه إلا ما كان مِن حديثِ جنةٍ أو نارٍ[1] . وقد انْتَصَر ابنُ عَساكرَ لأبى هريرةَ ، ورَدَّ هذا الذى قاله إبراهيمُ النَّخَعىُّ . وقد قال ما قاله إبراهيمُ طائفةٌ مِن الكوفيين ، والجمهورُ على خِلافِهم .

وقد كان أبو هريرةَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، مِن الصدقِ والحِفْظِ والدِّيانةِ والعِبادةِ والزَّهادةِ والعملِ الصالحِ على جانبٍ عظيمٍ .

قال حمادُ بنُ زيدٍ[2] ، عن عباسٍ الجُرَيْرىِّ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ قال : كان أبو هريرةَ يقومُ ثُلُثَ الليلِ ، وامرأتُه ثُلُثَه ، وابنتُه ثُلُثَه ، يقومُ هذا ، ثم يُوقِظُ هذا ، ثم يُوقِظُ هذا هذا .

وفى « الصحيحَيْن »[3] عنه أنه قال : أوْصانى خَليلى ﷺ بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ مِن كلِّ شهرٍ ، ورَكْعَتَيِ الضُّحَى ، وأن أُوتِرَ قبلَ أن أنامَ .

وقال ابنُ جُرَيْجٍ[4] ، عمَّن حَدَّثه قال : قال أبو هريرةَ : إنى أُجَزِّئُ الليلَ ثلاثةَ أجْزاءٍ ، فجزءٌ لقراءةِ القرآنِ ، وجُزْءٌ أنامُ فيه ، وجزءٌ أَتَذَكَّرُ فيه حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5] : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا إسحاقُ بنُ عثمانَ القرشىُّ ، ثنا أبو أيوبَ قال : كان لأبى هريرةَ مَسْجِدٌ فى مُخْدَعِه ، ومَسْجِدٌ فى بيتِه ، ومَسْجدٌ فى حُجرتِه ، ومَسجدٌ على بابِ دارِه ، إذا خرَج صَلَّى فيها

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « أو حث على عمل صالح ، أو نهى عن شر جاء القرآن به » .
(٢) المصدر السابق ١٩/ ٢٤١ ، من طريق حماد به .
(٣) البخارى (١١٧٨ ، ١٩٨١) ، ومسلم (٨٥/ ٧٢١ ، ٧٢٢) .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٤١ مخطوط ، من طريق ابن جريج به .
(٥) المصدر السابق ، من طريق محمد بن سعد به .

جميعِها ، وإذا دخَل صَلَّى فيها جميعِها .

وقال عكرمةُ[1] : كان أبو هريرةَ يُسَبِّحُ كلَّ يومٍ ثنتَيْ عشْرةَ ألفَ تَسْبيحةٍ ، ويقولُ : أُسَبِّحُ على قَدْرِ دِيَتى[2] .

وقال هُشَيْمٌ[3] ، عن يَعْلَى بنِ عَطاءٍ ، عن مَيْمونِ بنِ أبى مَيْسَرةَ قال : كانت لأبى هريرةَ [٦/١٥٢ظ] صَيْحتان فى كلِّ يومٍ ، أولَ النهارِ يقولُ : ذهَب الليلُ وجاء النهارُ ، وعُرِض آلُ فرعونَ على النارِ . وإذا كان العَشِيُّ يقولُ : ذهَب النهارُ وجاء الليلُ ، وعُرِض آلُ فرعونَ على النارِ . فلا يَسْمَعُ أحدٌ صوتَه إلا اسْتَعاذ باللَّهِ مِن النارِ[4] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[5] : ثنا موسى بنُ عُبَيدةَ ، عن زيادِ بنِ ثَوْبانَ ، عن أبى هريرةَ قال : لا تَغْبِطَنَّ فاجرًا بنعِمْةٍ ، فإن مِن ورائِه طالبًا حَثِيثًا طَلَبُه ؛ ﴿ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء ٩٧] .

وقال ابنُ لَهِيعةَ[6] ، عن أبى يونسَ ، عن أبى هريرةَ أنه صَلَّى بالناسِ يومًا ، فلمَّا سلَّم رفَع صوتَه فقال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَل الدِّينَ قَوَامًا ، وجعَل أبا هريرةَ إمامًا ، بعدما كان أَجِيرًا لابنةِ غَزْوانَ على شِبَعِ بَطنِه وحُمولةِ رِجْلِه . ثم يقولُ : واللَّهِ يا أهلَ الإسلامِ ، إن كانت إجارتى معهم إلا على كِسْرةٍ يابسةٍ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٤١ مخطوط .

(٢) فى الأصل : « دينى » .

(٣) المصدر السابق ، من طريق هشيم به .

(٤) بعده فى تاريخ دمشق : « كذا قال والصواب ابن ميسرة » . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٥.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٢، من طريق ابن المبارك به .

(٦) المصدر السابق ، من طريق ابن لهيعة به .

وعُقْبةٍ[1] فى ليلةٍ غَبْراءَ مُظْلِمةٍ، ثم زَوَّجَنيها اللَّهُ، فكنتُ أَرْكَبُ إذا رَكِبوا، وأُخْدَمُ إذا نزَلوا.

قال إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الحربىُّ[2]: ثنا عفانُ، ثنا سُلَيمُ بنُ حَيّانَ، قال: سَمِعتُ أبى يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ قال: نشَأْتُ يتيمًا، وهاجرتُ مسكينًا، وكنتُ أجيرًا لابنةِ غَزْوانَ بطعامِ بَطْنِى وعُقْبةِ رِجْلى، أَحْدُو بهم إذا رَكِبوا، وأَحْتَطِبُ إذا نزَلوا، فالحمدُ للَّهِ الذى جعَل الدينَ قَوامًا، وجعَل أبا هريرةَ إمامًا.

وقال إبراهيمُ بنُ يعقوبَ الجُوزْجانىُّ[3]: ثنا الحَجَّاجُ بنُ نُصَيْرٍ[4]، ثنا هلالُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحَنَفىُّ، عن عطاءِ بنِ أبى مَيْمونةَ، عن أبى سَلَمةَ قال: قال أبو هريرةَ وأبو ذَرٍّ: بابٌ مِن العلمِ نَتَعَلَّمُه أَحَبُّ إلينا مِن ألفِ رَكْعةٍ تَطَوُّعًا، وبابٌ نُعَلِّمُه - عَمِلْنا به أو لم نَعْمَلْ به - أحَبُّ إلينا مِن مائةِ ركعةٍ تَطَوُّعًا. وقالا: سَمِعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إذا جاء طالبَ العلمِ الموتُ وهو على هذه الحالِ، مات وهو شَهِيدٌ». وهذا حديثٌ غَريبٌ مِن هذا الوجهِ.

وروَى غيرُ واحدٍ[5] عن أبى هريرةَ، أنه كان يَتَعَوَّذُ فى سُجودِه أن يَزْنِىَ أو يَسْرِقَ أو يَكْفُرَ أو يَعْمَلَ بكَبيرةٍ. فقيل له: أَتَخافُ ذلك؟ فقال: ما يُؤَمِّنُنى وإبليسُ حَىٌّ، ومُصَرِّفُ القُلوبِ يُصَرِّفُها كيف يَشاءُ؟

---

(١) العقبة: النوبة. يقال: دارت عقبة فلان. أى جاءت نوبته ووقت ركوبه. النهاية ٣/ ٢٦٨. والوسيط (ع ق ب).

(٢) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٧٩، من طريق إبراهيم بن إسحاق به.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٤٣ مخطوط، من طريق إبراهيم بن يعقوب به.

(٤) فى النسخ: «نصر». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٦١.

(٥) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٤.

وقالت له ابنتُه[1] : يا أبَتِ ، إن البَناتِ يُعَيِّرْنَنى يَقُلْنَ : لمَ لا يَحْلِيكِ أبوكِ بالذهبِ ؟ فقال : [٦/١٥٣و] يا بُنَيةُ ، قولى لهن : إن أبى يَخْشَى علىَّ حَرَّ اللَّهَبِ .

[2]وقال أبو هريرةَ[3] : أتَيْتُ عمرَ بنَ الخطابِ ، فقمتُ له وهو يُسَبِّحُ بعدَ الصلاةِ ، فانْتَظَرْتُه ، فلمَّا انْصَرَف دَنَوْتُ منه ، فقلتُ : أَقْرِئْنى آياتٍ مِن كتابِ اللَّهِ - قال : وما أُريدُ إلا الطَّعامَ - قال : فأقْرَأَنى آياتٍ مِن سورةِ « آلِ عِمْرانَ » ، فلمَّا بلَغ أهلَه دَخَل وترَكنى على البابِ فأبْطَأ ، فقلْتُ : يَنْزِعُ ثيابَه ثم يَأْمُرُ لى بطَعامٍ . فلم أرَ شيئًا ، فلما طال علىَّ قُمتُ فمَشَيْتُ ، فاسْتَقْبَلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فكَلَّمنى فقال : « يا أبا هريرةَ ، إن خُلوفَ فمِك الليلةَ لَشديدٌ » . فقلتُ : أَجَلْ يا رسولَ اللَّهِ ، لقد ظَلَلْتُ صائمًا وما أفْطَرْتُ بعدُ ، وما أَجِدُ ما أُفْطِرُ عليه . قال : « فانْطَلِقْ » . فانْطَلَقْت معه حتى أَتَى بيتَه ، فدَعا جاريةً له سَوداءَ ، فقال : « ائتينا بتلك القَصْعةِ » . فأَتَتْنا بقَصْعةٍ فيها وَضَرٌ[4] مِن طَعامٍ ، أُراه شَعيرًا قد أُكِل وبَقِىَ فى جَوانبِها بعضُه وهو يَسيرٌ ، فسَمَّيْتُ وجعَلْتُ أَتَتَبَّعُه ، فأكَلْتُ حتى شَبِعْتُ .

وقال الطَّبرانىُّ[5] : ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، أن أبا هريرةَ قال لابنتِه : لا تَلْبَسى الذهبَ ، فإنى أَخْشَى عليكِ حَرَّ اللَّهَبِ . وقد رُوِىَ هذا عن أبى هريرةَ مِن طرقٍ[6] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/٢٤٥ مخطوط .

(٢) من هنا حتى قوله : والحزمة عليه . فى صفحة ٣٨٦ سقط من : ص .

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٧٨.

(٤) الوضر : الدسم وأثر الطعام . النهاية ٥/ ١٩٦.

(٥) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٠، عن الطبرانى به .

(٦) تاريخ دمشق ١٩/٢٤٥ مخطوط .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، ثنا شعبةُ ، عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ ، عن أبى الرَّبيعِ ، عن أبى هريرةَ ، أنه قال : إن هذه الكُناسةَ مَهْلَكَةُ دُنْياكم وآخِرتِكم . يَعْنى الشَّهواتِ وما يَأْكُلونه .

وروَى الطَّبرانىُّ[2] ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ دَعاه ليَسْتَعْمِلَه ، فأَبَى أن يَعْمَلَ له ، فقال : أتَكْرَهُ العملَ ، وقد عَمِل مَن هو خيرٌ منك - أو قال : قد طَلَبه مَن هو خيرٌ منك ؟ - قال : مَن ؟ قال : يُوسُفُ عليه السلامُ . فقال أبو هريرةَ : يوسُفُ نبىٌّ ابنُ نبىٍّ ، وأنا أبو هريرةَ بنُ أُمَيْمَةَ ، فأَخْشَى ثلاثًا و[3] اثْنَتَيْن . فقال عمرُ : أفلا قلتَ خمسًا ؟ قال : أَخْشَى أن أقولَ بغيرِ علمٍ ، وأَقْضِىَ بغيرِ حُكْمٍ ، وأن يُضْرَبَ ظَهْرى ، ويُنْتَزَعَ مالى ، ويُشْتَمَ عِرْضى .

وقال سعيدُ بنُ أبى هندٍ[4] ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « ألا تَسْأَلُنى مِن هذه الغَنائمِ التى يسأَلُنى أصحابُك ؟ » فقلتُ : أسْأَلُك أن تُعَلِّمَنى مما عَلَّمك اللَّهُ . قال : فنزَعتُ نَمِرةً على ظهرى ، فبسَطتُها بينى وبينَه [٦/١٥٣ظ] حتى كأنى أَنظرُ إلى القَمْلِ يَدِبُّ عليها ، فحدَّثنى حتى إذا اسْتَوْعَب حديثَه قال : « اجْمَعْها إليك فصُرَّها » . فأَصْبَحْتُ لا أُسْقِطُ حَرْفًا مما حدَّثَنى .

وقال أبو عثمانَ النَّهْدىُّ[5] : قلتُ لأبى هريرةَ : كيف تَصومُ ؟ قال : أَصُومُ أولَ الشهرِ ثلاثًا ، فإن حدَث بى حَدَثٌ كان لى أجْرُ شَهْرِى .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٠، من طريق الإمام أحمد به .
(٢) المصدر السابق ، عن الطبرانى به . وسيأتى الخبر مطولا فى صفحة ٣٨٧.
(٣) فى الأصل ، م : « أو » .
(٤) المصدر السابق ١/ ٣٨١، من طريق سعيد بن أبى هند به .
(٥) حلية الأولياء ١/ ٣٨٢، وتاريخ دمشق ١٩/ ٢٤١ مخطوط .

وقال حَمادُ بنُ سَلَمةَ[1] ، عن ثابتٍ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، أن أبا هريرةَ كان فى سَفَرٍ ومعه قومٌ ، فلمَّا نزَلوا وضَعوا السُّفْرةَ وبَعَثوا إليه لِيَأْكُلَ معهم فقال : إنى صائمٌ . فلما كادوا أن يَفْرَغوا من أكْلِهم جاء فجعَل يَأْكُلُ ، فجعَل القومُ يَنْظُرون إلى رسولِهم الذى أرْسَلوه إليه ، فقال لهم : أَراكم تَنْظُرون إلىَّ ، قد واللَّهِ أخْبَرنى أنه صائمٌ . فقال أبو هريرةَ : صدَق ، إنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « صومُ شهرِ الصبرِ وصومُ ثلاثةِ أيامٍ مِن كلِّ شهرٍ صومُ الدَّهْرِ » . وقد صُمْتُ ثلاثةَ أيامٍ مِن أولِ الشهرِ ، فأنا مُفْطِرٌ فى تَخْفيفِ اللَّهِ ، صائمٌ فى تَضْعيفِ اللَّهِ عز وجل .

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[2] ، حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ عمرٍو ، ثنا إسماعيلُ ، عن أبى المُتَوَكِّلِ ، عن أبى هريرةَ ، أنه كان هو وأصحابٌ له إذا صاموا يَجْلِسون فى المسجدِ[3] ، وقالوا : نُطَهِّرُ صِيامَنا .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو عُبَيدةَ الحَدَّادُ ، حدَّثنا عثمانُ الشَّحَّامُ أبو سَلَمةَ ، ثنا فَرْقَدٌ السَّبَخِىُّ قال : كان أبو هريرةَ يَطوفُ بالبيتِ ، وهو يَقولُ : ويلٌ لى مِن بَطْنى ، إن أشْبَعْتُه كظَّنِى[4] ، وإن أجَعْتُه أضْعَفَنى .

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[5] عن عكرمةَ قال : قال أبو هريرةَ : إنى لَأَستَغْفِرُ اللَّهَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٢، من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) الزهد ص ١٧٨. كما أخرجه أبو نعيم فى المصدر السابق ، من طريق الإمام أحمد به .

(٣) فى الزهد : « السحر » .

(٤) فى الأصل ، ا ٦، م : « كهظنى » ، وفى الزهد : « كضنى » . والمثبت من الحلية . وكظنى : امتلأتُ من الطعام وأثقلنى . انظر النهاية ٤/ ١٧٧.

(٥) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٣، من طريق الإمام أحمد به .

عز وجل وأَتوبُ إليه كلَّ يومٍ اثنتَيْ عشْرةَ ألفَ مرةٍ ، وذلك على قَدْرِ دِيَتى[1] .

ورَوَى عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ ، عن أبى هريرةَ ، أنه كان له خَيْطٌ فيه اثنا عشَرَ ألفَ عُقْدةٍ يُسَبِّحُ به قبلَ أن يَنامَ . وفى روايةٍ[2] : ألفا عُقْدةٍ ، فلا يَنامُ حتى يُسَبِّحَ به . وهو أصَحُّ مِن الذى قبلَه .

ولما حضَره الموتُ بَكَى فقيل له[3] : ما يُبْكِيك ؟ فقال : ما أبْكى على دُنْياكم هذه ، ولكن أَبْكى على بُعْدِ سَفَرى وقِلَّةِ زادِى ، وإنى أصْبَحْتُ فى صُعودٍ مُهْبِطٍ على جنةٍ ونارٍ ، لا أَدْرِى إلى أيِّهما يُؤْخَذُ بى .

ورَوَى قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ[4] ، ثنا الفَرَجُ بنُ فَضالةَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : إذا زَوَّقْتُم مَساجِدَكم وحَلَّيْتُم مَصاحِفَكم فالدَّمارُ عليكم .

ورَوَى الطَّبرانىُّ[5] عن مَعْمَرٍ قال : بَلَغَنى عن أبى هريرةَ ، أنه كان إذا مَرَّ بجِنازةٍ قال : رُوحوا فإنا [٦/١٥٤و] غادون ، أو اغْدُوا فإنا رائحون ، مَوْعِظةٌ بَلِيغةٌ ، وغَفْلةٌ سَريعةٌ ، يَذْهَبُ الأولُ ويَبْقى الآخِرُ لا عَقْلَ له .

وقال الحافظُ أبو بكرِ بنُ مالكٍ[6] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، حدَّثنى أبو بكرٍ ليثُ بنُ خالدٍ البَلْخِىُّ[7] ، ثنا عبدُ المؤمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ السَّدوسىُّ

---

(١) فى الأصل ، والحلية : « دينى » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣٧٩ .

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٨٣.

(٣) الزهد للإمام أحمد ص ١٥٣، وحلية الأولياء ١/ ٣٨٣.

(٤) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٣، من طريق قتيبة بن سعيد به .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى المصدر السابق ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٩ مخطوط ، كلاهما من طريق الطبرانى به .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٣، ٣٨٤، من طريق أبى بكر بن مالك به .

(٧) فى الأصل ، ٦١، م : « البجلى » . وهو تصحيف ، والمثبت من الحلية . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٧.

قال : سَمِعْتُ أبا يزيدَ المَدِينيَّ يقولُ : قام أبو هُريرةَ على مِنْبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ دونَ مَقامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعَتَبةٍ ، فقال : وَيْلٌ للعربِ مِن شَرٍّ قد اقْتَرَب ، ويْلٌ لهم مِن إمارةِ الصِّبْيانِ ؛ يَحْكُمون فيهم بالهَوَى ويَقْتُلون بالغَضَبِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عليُّ بنُ ثابتٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن أبى زِيادٍ مَوْلَى ابنِ عباسٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كانت لى خمسَ عشْرةَ تَمْرةً ، فأفْطَرْتُ على خمسٍ ، وتَسَحَّرْتُ بخمسٍ ، وأبْقَيْتُ خمسًا لِفِطْرى .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ عمرٍو ، ثنا إسماعيلُ - يعنى العَبْدىَّ - عن أبى المُتَوَكِّلِ ، أن أبا هريرةَ كانت لهم زِنْجِيَّةٌ قد غَمَّتْهم بعملِها ، فرفَع عليها يومًا السَّوْطَ ، ثم قال : لولا القِصاصُ يومَ القيامةِ لَأَغْشَيْتُكِ به ، ولكن سأَبِيعُكِ ممَّن يُوَفِّينى ثمنَكِ [3]أحْوَجَ ما أكونُ إليه[3] ، اذْهَبى فأنت حُرَّةٌ للَّهِ عز وجل .

ورَوَى حمادُ بنُ سَلَمةَ[4] ، عن أيوبَ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، أن أبا هريرةَ مَرِض ، فدَخَلْتُ عليه أَعودُه ، فقلتُ : اللهم اشْفِ أبا هريرةَ . فقال : اللهم لا تَرْجِعْها . ثم قال : يا أبا سَلَمةَ ، يُوشِكُ أن يَأْتىَ على الناسِ زَمانٌ يكونُ الموتُ أَحَبَّ إلى أحدِهم مِن الذهبِ الأحْمرِ .

ورَوَى عَطاءٌ[5] عن أبى هريرةَ قال : إذا رأيْتُم ستًّا ، فإن كانت نفسُ أحدِكم في يدِه فلْيُرْسِلْها ، فلذلك أَتَمَنَّى الموتَ أَخافُ أن تُدْرِكَنى ؛ إذا أُمِّرَت السُّفهاءُ ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٤، من طريق الإمام أحمد به .

(٢) الزهد ص ١٧٧، ومن طريق الإمام أحمد أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٤.

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى مصدرى التخريج .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٤، من طريق حماد بن سلمة به .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الموضع السابق، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٤٩ مخطوط، كلاهما من طريق عطاء به .

وبِيعَ الحُكْمُ ، وتُهُوِّنَ بالدمِ ، وقُطِعَت الأرْحامُ ، وكَثُرت الجَلاوِزةُ[1] ، ونَشَأ نَشْءٌ يَتَّخِذون القرآنَ مَزامِيرَ .

وقال ابنُ وَهْبٍ[2] : حَدَّثنا عمرُو بنُ الحارثِ ، عن يزيدَ بنِ زيادٍ القُرَظيِّ ، أن ثَعْلبةَ بنَ أبى مالكٍ القُرَظيَّ ، حَدَّثه أن أبا هريرةَ أقْبَل فى السُّوقِ يَحْمِلُ حُزْمةَ[3] حَطَبٍ - وهو يومَئذٍ أميرٌ لمَرْوانَ بنِ الحكَمِ - فقال : أَوْسِعِ الطَّريقَ للأميرِ يا بنَ أبى مالكٍ . فقلتُ : يَرْحَمُك اللَّهُ يَكْفِى هذا . فقال : أَوْسِعِ الطَّريقَ للأميرِ والحُزْمةُ عليه .

وله فَضائلُ ومَناقِبُ ومآثِرُ وكلامٌ حَسَنٌ [٦/١٥٤ظ] ومَواعِظُ جَمَّةٌ ، أسْلَم كما قدَّمْنا عامَ خَيْبرَ ، فلزِم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ولم يُفارِقْه إلا حينَ بعَثه مع العَلاءِ ابنِ الحَضْرميِّ إلى البَحْرَيْنِ ، ووَصَّاه به ، فجعَله العَلاءُ مُؤَذِّنًا بينَ يدَيه ، وقال له أبو هريرةَ : لا تَسْبِقْنى بآمينَ أيُّها الأميرُ . وقد اسْتَعْمَله عمرُ بنُ الخَطَّابِ عليها فى أيامِ إمارتِه ، وقاسَمه مع جُمْلةِ العُمَّالِ .

قال عبدُ الرزاقِ[4] : حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ سِيرينَ ، أن عمرَ اسْتَعْمَل أبا هريرةَ على البَحْرَيْن ، فقَدِم بعشَرةِ آلافٍ ، فقال له عمرُ : اسْتأْثَرْتَ بهذه الأموالِ أىْ عدُوَّ اللَّهِ وعدُوِّ كِتابِه ؟ فقال أبو هريرةَ : لسْتُ بعدوِّ اللَّهِ ولا عدوِّ كتابِه ، ولكنِّى عدُوُّ مَن عاداهما . فقال : فمِن أين هى لك ؟ قال : خيلٌ

---

(١) الجلاوزة : جمع الجِلْواز ، وهو الشرطى . اللسان (ج ل ز) .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٣٨٤، ٣٨٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٦ مخطوط ، كلاهما من طريق ابن وهب به .

(٣) فى م : « حزمتى » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٥ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

نُتِجَت ، وغَلَّةٌ ورَقِيقٌ لى ، وأَعْطِيةٌ تَتابَعَت علىَّ . فنَظَروا فوَجَدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمرُ ليَسْتَعْمِلَه ، فأَبَى أن يَعْمَلَ له ، فقال له : تَكْرَهُ العمَلَ ، وقد طَلَبه مَن كان خيرًا منك ؟ طلَبه يوسُفُ عليه السلامُ . فقال : إن يوسُفَ نبىٌّ ابنُ نبِىٍّ ابنِ نبىٍّ ابنِ نبىٍّ ، وأنا أبو هريرةَ بنُ أُمَيْمَةَ[1] وأَخْشَى ثلاثًا واثنتين . قال عمرُ : فهَلَّا قلتَ خمسةً ؟ قال : أَخْشَى أن أقولَ بغيرِ علمٍ ، وأَقْضِىَ بغيرِ حُكمٍ[2] ، أو يُضْرَبَ ظَهْرى ، ويُنْتَزَعَ مالى ، ويُشْتَمَ عِرْضِى .

وذكَر غيرُه[3] أن عمرَ أغْرَمه فى العِمالةِ الأولى اثْنَىْ عشَرَ ألفًا ، فلهذا امْتَنع فى الثانيةِ .

وقال عبدُ الرزاقِ[4] ، عن مَعْمَرٍ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ قال : كان مُعاويةُ يَبْعَثُ أبا هريرةَ على المدينةِ ، فإذا غضِب عليه عَزَله ووَلَّى مَرْوانَ بنَ الحكَمِ ، فإذا جاء أبو هريرةَ إلى مَرْوانَ حَجَبه عنه ، فعزَل مَرْوانَ ورَجَع أبو هريرةَ ، فقال لمَوْلاه : مَن جاءك فلا تَرُدَّه ، واحْجُبْ مَرْوانَ . فلما جاء مَرْوانُ دَفَع الغلامُ فى صَدْرِه ، فما دخَل إلا بعدَ جَهْدٍ ، فلمَّا دخَل قال : إن الغلامَ حَجَبَنا عنك . فقال له أبو هريرةَ : إنك أَحَقُّ الناسِ أن لا تَغْضَبَ مِن ذلك . والمَعْروفُ أن مَرْوانَ هو الذى كان يَسْتَنِيبُ أبا هريرةَ فى إمْرةِ المدينةِ ، ولكن كان يَكونُ عن إذْنِ مُعاويةَ فى ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[5] ، عن ثابتٍ ، عن أبى رافعٍ : كان مَرْوانُ ربما

---

(١) فى ٦١، م، ص : « أمية » . وانظر أسد الغابة ٧/ ٣٠، والإصابة ٧/ ٥١٧.

(٢) فى م : « حلم » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣٨٢ .

(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٤٦.

(٤) أخرجه ابن عساكر ١٩/٢٤٦ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به نحوه .

(٥) المصدر السابق ، من طريق حماد بن سلمة به .

اسْتَخْلَف أبا هريرةَ على المدينةِ ، فيَرْكَبُ الحِمارَ ويَلْقَى الرجلَ فيقولُ : الطَّريقَ ، قد جاء [٦/١٥٥و] الأميرُ . يعنى نفسَه ، وكان يَمُرُّ بالصِّبْيانِ وهم يَلْعَبون بالليلِ لُعْبَةَ الأعْرابِ ، فلا يَشْعُرون به حتى يُلْقِيَ نفسَه بينَهم ويَضْرِبَ برِجْلَيْه كأنه مَجْنونٌ ، فيَفْزَعُ الصِّبْيانُ منه ويَفِرُّون[1] . قال أبو رافعٍ : وربما دَعانى أبو هريرةَ إلى عَشائِه بالليلِ ، فيقولُ : دَعِ العُراقَ للأميرِ - يعنى قِطَعَ اللَّحْمِ - قال : فأَنْظُرُ فإذا هو ثَرِيدٌ بزَيْتٍ .

وقال أبو الزُّعَيْزِعةِ كاتِبُ مَرْوانَ[2] : بعَث مَرْوانُ إلى أبى هريرةَ بمائةِ دينارٍ ، فلمَّا كان الغدُ بعَث إليه : إنى غَلِطْتُ ولم أُرِدْك بها ، وإنى إنما أَرَدْتُ غيرَك . فقال أبو هريرةَ : قد أخْرَجْتُها ، فإذا خرَج عَطائى فخُذْها منه . وكان قد تَصَدَّق بها . وإنما أراد مَرْوانُ اخْتِبارَه .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا العَلاءُ بنُ عبدِ الجَبَّارِ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن يَحْيَى بنِ سَعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال : كان مُعاويةُ إذا أعْطَى أبا هريرةَ سَكَت ، وإذا أَمْسَك عنه تَكَلَّم .

ورَوَى غيرُ واحدٍ عن أبى هريرةَ[4] ، أنه جاءه شابٌّ فقال : يا أبا هريرةَ ، إنى أصْبَحْتُ صائمًا ، فدَخَلْتُ على أبى ، فجاءنى بخُبْزٍ ولَحْمٍ ، فأكَلْتُ ناسيًا . فقال : طُعْمةٌ أَطْعَمَكها اللَّهُ ، لا عليك . قال : ثم دَخَلْتُ دارًا لأهْلى فجِيءَ بلبنِ لَقْحةٍ ، فشَرِبْتُه ناسيًا . قال : لا عليك . قال : ثم نِمْتُ ، فاسْتَيْقَظْتُ ، فشَرِبْتُ ماءً - وفى

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « عنه ههنا وههنا يتضاحكون » .
(٢) تاريخ دمشق ١٩/٢٤٧ مخطوط .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق الإمام أحمد به .
(٤) المصدر السابق ١٩/ ٢٤٨، ٢٤٩ مخطوط .

روايةٍ : وجامَعْتُ ناسيًا - فقال أبو هريرةَ : إنك يا بنَ أخى لم تَعَوَّدِ الصِّيامَ .

ورَوَى غيرُ واحدٍ[1] ، أنه لما حَضَرَتْه الوفاةُ بَكَى ، فقيل له : ما يُبْكِيك ؟ قال : على قِلَّةِ الزادِ وشِدَّةِ المَفازَةِ ، وأنا على عَقَبةِ هُبوطٍ ؛ إمَّا إلى جنةٍ أو إلى نارٍ ، فما أدْرِى إلى أيِّهما أَصِيرُ .

وقال مالكٌ[2] ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرِىِّ قال : دَخَل مَرْوانُ على أبى هريرةَ فى شَكْواه الذى مات فيه فقال : شَفاك اللَّهُ يا أبا هريرةَ . فقال أبو هريرةَ : اللهم إنى أُحِبُّ لِقاءَك فأَحِبَّ لِقائى . قال : فمَا بَلَغ مَرْوانُ أصْحابَ القَطَا حتى مات أبو هريرةَ .

وقال يَعقوبُ بنُ سفيانَ[3] ، عن دُحَيْمٍ ، عن الوَليدِ ، عن ابنِ جابرٍ ، عن عُمَيرِ ابنِ هانئٍ قال : قال أبو هريرةَ : اللهم لا تُدْرِكْنى سنةَ ستين . قال : فتُوُفِّىَ فيها [٦/ ١٥٥ظ] أو قبلَها بسنةٍ . وهكذا قال الواقدىُّ أنه تُوُفِّىَ سنةَ تسعٍ وخمسين عن ثمانٍ وسبعين سنةً .

قال الواقدىُّ[4] : وهو الذى صَلَّى على عائشةَ فى رَمضانَ ، وعلى أُمِّ سَلَمةَ فى شَوَّالٍ سنةَ تسعٍ وخمسين ، ثم تُوُفِّىَ أبو هريرةَ بعدَهما فيها . كذا قال ، والصَّوابُ أن أُمَّ سَلَمةَ تأَخَّرَت بعدَ أبى هريرةَ . وقد قال غيرُ واحدٍ : إنه تُوُفِّىَ سنةَ تسعٍ وخمسين . وقيل : ثمانٍ - وقيل : سبعٍ - وخمسين . والمشهورُ تسعٌ

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥١ مخطوط .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٤/ ٣٣٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥٢ مخطوط ، كلاهما من طريق مالك بن أنس به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥٣ مخطوط ، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٤٠، ٣٤١، وتاريخ دمشق ، الموضع السابق .

وخمسون . قالوا : وصَلَّى عليه الوليدُ بنُ عُتْبَةَ بنِ أبى سفيانَ نائبُ المدينةِ ، وفى القومِ ابنُ عمرَ وأبو سعيدٍ وخَلْقٌ ، وكان ذلك عندَ صَلاةِ العَصْرِ ، وكانت وَفاتُه فى دارِه بالعَقيقِ ، فحُمِل إلى المدينةِ ، فصُلِّىَ عليه ، ثم دُفِن بالبَقيعِ ، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه[1] . وكتَب الوليدُ بنُ عتبةَ إلى مُعاويةَ بوَفاةِ أبى هريرةَ ، فكتَب إليه مُعاويةُ أنِ انْظُرْ وَرَثتَه فأحْسِنْ إليهم ، واصْرِفْ إليهم عشَرةَ آلافِ درهمٍ ، وأحْسِنْ جِوارَهم ، واعْمَلْ إليهم مَعْروفًا ؛ فإنه كان ممن نصَر عُثمانَ ، وكان معه فى الدارِ ، رَحِمه اللَّهُ تعالى[2] .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٩/٢٥٣ - ٢٥٥ مخطوط .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٤٠، والمستدرك ٣/ ٥٠٨، وتاريخ دمشق ١٩/٢٥٥ مخطوط .

سنةُ ستين مِن الهجرةِ النبويةِ

فيها كانت غزوةُ مالكِ بنِ عبدِ اللَّهِ مدينةَ سُورِيَّةَ . قال الواقدىُّ[1] : وفيها دخَل جُنادةُ بنُ أبى أُمَيَّةَ جَزيرةَ رُودِسَ وهدَمَ مدينتَها . وفيها أخَذ مُعاويةُ البَيْعةَ ليزيدَ مِن الوَفْدِ الذين قدِموا صُحْبةَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ إلى دمشقَ . وفيها مَرِض مُعاويةُ مَرَضَه الذى تُوُفِّىَ فيه فى رَجَبٍ منها ، كما سنُبَيِّنُه .

فروَى ابنُ جَريرٍ[2] مِن طريقِ أبى مِخْنَفٍ ، حدَّثنى عبدُ الملكِ بنُ نَوْفَلِ بنِ مُساحِقِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَخْرَمةَ ، أن مُعاويةَ لَمَّا مَرِض مَرْضَتَه التى هَلَك فيها ، دَعا ابنَه يَزيدَ فقال : يا بنىَّ ، إنى قد كَفَيْتُك الرِّحْلةَ والرِّجالَ[3] ، ووَطَّأْتُ لك الأشْياءَ ، وذلَّلْتُ لك الأعداءَ ، وأَخْضَعْتُ لك أعْناقَ العربِ ، وإنى لا أَتَخَوَّفُ أن يُنازِعَك هذا الأمْرَ الذى [4]اسْتَتَبَّ لك[4] إلا أربعةُ نَفَرٍ ؛ الحُسَيْنُ بنُ علىٍّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ - كذا قال ، والصَّحيحُ أن عبدَ الرحمنِ كان قد تُوُفِّىَ [٦/١٥٦و] قبلَ موتِ مُعاويةَ بسنتَيْن كما قدَّمْنا[5] - فأمَّا ابنُ عمرَ فرجلٌ[6] قد وَقَذَتْه العِبادةُ[7] ، وإذا لم يَبْقَ أحدٌ غيرُه بايَعك ، وأمَّا الحسينُ فإن أهلَ العراقِ لا يَدَعُونه حتى يُخْرِجوه ، فإن

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٢.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٢٢.

(٣) فى تاريخ الطبرى : « الرحال » . والمثبت موافق لإحدى مخطوطات تاريخ الطبرى كما فى ٥/٣٢٢ حاشية (٣) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أسسته » ، وفى ص : « استتب » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) تقدم فى صفحة ٣٢٨.

(٦) بعده فى م : « ثقة » .

(٧) وقذته العبادة : غلَبَتْه وسكَّنَتْه . انظر اللسان (و ق ذ) ، والنهاية ٥/ ٢١٢.

خرَج عليك فظَفِرْتَ به فاصْفَحْ عنه ، فإن له رَحِمًا ماسّةً ، وحقًّا عظيمًا ، وأما ابنُ أبى بكرٍ فرجلٌ إن رَأَى أصحابَه صَنَعوا شيئًا صنَع مثلَه ، ليس له هِمَّةٌ إلا فى النِّساءِ واللَّهْوِ ، وأمَّا الذى يَجْثُمُ لك جُثومَ الأسدِ[1] ، ويُراوِغُك رَوَغانَ الثَّعْلبِ ، وإذا أَمْكَنَتْه فُرْصةٌ وَثَب ، فذاك ابنُ الزبيرِ ، فإن هو فعَلها بك فقدَرْتَ عليه فقَطِّعْه إرْبًا إرْبًا .

قال غيرُ واحدٍ[2] : فحينَ حضَرَت مُعاويةَ الوَفاةُ كان يزيدُ فى الصيدِ ، فاسْتَدْعَى مُعاويةُ الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ الفِهْرىَّ - وكان على شُرْطةِ دمشقَ - ومسلمَ ابنَ عُقْبةَ ، فأوْصَى إليهما أن يُبلِّغا يزيدَ السلامَ ويقولا له يَتَوَصَّى بأهلِ الحِجازِ ، وإن سأَله أهلُ العراقِ فى كلِّ يومٍ أن يَعْزِلَ عنهم عاملًا ويُوَلِّىَ عليهم آخرَ فلْيَفْعَلْ ، فعَزْلُ واحدٍ أَحَبُّ إليك مِن أن يُسَلَّ عليك مائةُ ألفِ سيفٍ ، وأن يَتَوَصَّى بأهلِ الشامِ خيرًا ، وأن يَجْعَلَهم أنْصارَه ، وأن يَعْرِفَ لهم حقَّهم ، ولستُ أَخافُ عليه مِن قريشٍ سوى ثلاثةٍ ؛ الحسينِ ، وابنِ عمرَ ، وابنِ الزبيرِ - ولم يَذْكُرْ عبدَ الرحمنِ بنَ أبى بكرٍ ، وهذا أصَحُّ - فأمَّا ابنُ عمرَ فقد وَقَذَتْه العبادةُ ، وأمَّا الحسينُ فرجلٌ خَفيفٌ[3] ، وأرْجو أن يَكْفِيَكه اللَّهُ تعالى بمَن قتَل أباه وخَذَل أخاه ، وإنَّ له رَحِمًا ماسَّةً وحَقًّا عظيمًا ، وقَرابةً مِن محمدٍ ﷺ ، ولا أَظُنُّ أهلَ العراقِ تاركيه حتى يُخْرِجوه ، فإن قدَرْتَ عليه فاصْفَحْ عنه ، فإنى لو أنى صاحِبُه عفَوْتُ عنه ، وأما ابنُ الزبيرِ فإنه خَبٌّ ضَبٌّ[4] ، فإن شَخَص لك (٥ فالْبَدْ له ٥) إلا

---

(١) الجثوم : لزوم المكان وعدم تركه . اللسان (ج ث م) .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٣، والمنتظم ٥/ ٣٢١.

(٣) فى م ، ص : « ضعيف » .

(٤) رجل خَبٌّ ضَبٌّ : خدَّاع مراوغ . اللسان (خ ب ب) ، (ض ب ب) .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « فانبذ إليه » .

أن يلْتَمِسَ منك صُلْحًا ، فإن فعَل فاقْبَلْ منه ، واصْفَحْ عن دِماءِ قَومِك ما اسْتَطَعْتَ .

وكان موتُ مُعاويةَ لاسْتِهلالِ رَجَبٍ مِن هذه السنةِ . قاله هشامُ بنُ الكَلْبيِّ . وقيل : للنِّصفِ منه . قاله الواقديُّ . وقيل : يومَ الخميسِ لثمانٍ بَقِين منه . قاله المَدائِنيُّ[1] .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وأجْمَعوا على أنه هَلَكَ فى رَجَبٍ منها . وكان مُدَّةُ مُلْكِه اسْتِقْلالًا مِن جُمادَى سنةَ إحدى وأربعين حينَ بايَعه الحسنُ بنُ عليٍّ بأذْرُحَ ، فذلك تِسْعَ عشْرةَ سنةً وثلاثةُ أشهرٍ ، وكان نائبًا فى الشامِ عشرين سنةً[3] ، وقيل غيرُ ذلك ، وكان عمرُه ثلاثًا وسبعين سنةً ، وقيل : خمسًا وسبعين سنةً . وقيل : [٦/١٥٦ظ] ثمانيًا وسبعين سنةً . وقيل : خمسًا وثمانين سنةً[4] . وسيأتى بقيةُ الكَلامِ فى ذلك فى آخرِ ترجمتِه .

وقال أبو السُّكَيْنِ زكريا بنُ يَحْيَى[5] : حدَّثنى عَمُّ أبى زَحْرُ بنُ حِصْنٍ ، عن جَدِّه حُمَيْدِ بنِ مُنْهِبٍ قال : كانت هندُ بنتُ عُتْبةَ عندَ الفاكهِ بنِ المُغيرةِ المَخْزوميِّ ، وكان الفاكهُ مِن فِتْيانِ قُريشٍ ، وكان له بيتٌ للضِّيافةِ يَغْشاه الناسُ مِن غيرِ إذْنٍ ، فخَلا ذلك البيتُ يومًا ، فاضْطَجَع الفاكهُ وهندُ فيه فى وقتِ القائلةِ ، ثم خرَج الفاكهُ لبعضِ شأنِه ، وأقْبَل رجلٌ ممَّن كان يَغْشاه ، فوَلَج البيتَ ، فلما رَأَى المرأةَ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٣) بعده فى ٦١، م، ص: «تقريبًا».

(٤) انظر المصدر السابق ٥/ ٣٢٤، وأسد الغابة ٥/ ٢١١، والإصابة ٦/ ١٥١.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٦٦، ٥٦٧ مخطوط، وجزء تراجم النساء، ص ٤٣٩-٤٤١. من طريق أبى السكين به.

وَلَّى هاربًا ، وأبصَره الفاكهُ وهو خارجٌ مِن البيتِ ، فأقْبَل إلى هندَ[1] فضرَبها برجلِه ، وقال : مَن هذا الذى كان عندَك ؟ قالت : ما رأيْتُ أحدًا ، ولا انْتَبَهْتُ حتى أنْبَهْتَنى أنت . فقال لها : الْحَقى بأبيك . وتَكَلَّم فيها الناسُ ، فقال لها أبوها : يا بُنيةُ ، إن الناسَ قد أكْثَروا فيك[2] ، فأَنْبِئينى نَبَأَك ، فإن يَكُنِ الرجلُ عليكِ صادقًا دَسَسْتُ إليه مَن يَقْتُلُه فيَنْقَطِعُ عنك القالةُ ، وإن يَكُ كاذبًا حاكَمْتُه إلى بعضِ كُهَّانِ اليمنِ . فحَلَفَتْ له بما كانوا يَحْلِفون فى الجاهليةِ إنه لكاذبٌ عليها . فقال عتبةُ للفاكهِ : يا هذا ، إنك قد رمَيْتَ ابنتى بأمرٍ عظيمٍ[3] ، فحاكِمْنى إلى بعضِ كُهَّانِ اليمنِ . فخرَج الفاكهُ فى بعضِ جماعةٍ مِن بنى مَخْزومٍ ، وخرَج عُتْبةُ فى جماعةٍ مِن بنى عبدِ مَنافٍ ، وخرَجوا معهم بهندَ ونِسوةٍ معها[4] ، فلما شارَفوا البلادَ وقالوا : غدًا نَرِدُ على الكاهنِ . تنَكَّرَت حالُ هندَ وتَغَيَّر وجهُها[5] ، فقال لها أبوها : يا بُنَيَّةُ ، قد أَرَى ما بكِ مِن تَنَكُّرِ الحالِ ، وما ذاك عندَك إلا لمَكْروهٍ فأَلَّا كان هذا قبلَ أن يَشْتَهِرَ فى الناسِ مَسِيرُنا ؟ فقالت : واللَّهِ يا أبتاه ما هذا الذى تَراه منى لمَكْروهٍ وقَع منى ، وإنى لَبَرِيئةٌ ، ولكن هذا الذى تَراه [٦/١٥٧و] مِن الحُزْنِ وتَغَيُّرِ الحالِ هو أنى أَعْلَمُ أنكم تَأْتون هذا الكاهنَ ، وهو بَشَرٌ يُخْطِئُ ويُصِيبُ[6] ، ولا آمَنُه أن يَسِمَنى مِيسَمًا يكونُ علىَّ سُبَّةً فى

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وهى مضطجعة » .

(٢) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وعار كبير لا يغسله الماء وقد جعلتها - فى الأصل ، م : جعلتنا - فى العرب بمكان ذلة ومنقصة ولولا أنك منى ذو قرابة لقتلتك ولكن سأحاكمك إلى كاهن اليمن » .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « من أقاربهم ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن » .

(٥) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وأخذت فى البكاء » .

(٦) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وأخاف أن يخطئ فى أمرى بشىء يكون عاره على إلى آخر الدهر » .

العربِ . [1] فقال لها أبوها : لا تَخافى فإنى سوف أَخْتَبِرُه وأَمْتَحِنُه قبلَ أن يَتَكَلَّمَ فى شأنِك وأمْرِكِ ، فإن أَخْطأ فيما أَمْتَحِنُه به لم أَدَعْه يَتَكَلَّمُ فى أمْرِكِ . ثم إنه انْفَرد عن القومِ - وكان راكبًا مُهْرًا - حتى تَوارَى عنهم خلفَ رابيةٍ ، فنزَل عن فرسِه ، ثم صَفَّر له حتى أَدْلَى [2][1] ، ثم أخَذ حَبَّةَ بُرٍّ ، فأدْخَلها فى إحْليلِ المُهْرِ ، وأوْكَى عليها بسَيْرٍ ، فلمَّا وردوا على الكاهنِ أكْرَمهم ونَحَر لهم ، فلما تَغَدَّوا قال له عُتْبةُ : إنا قد جِئْناك فى أمْرٍ ، [3] ولكن لا أَدَعُك تَتَكَلَّمُ فيه حتى تُبَيِّنَ لنا ما خَبَّأْتُ لك ، فإنى قد خَبَّأْتُ لك خَبيئًا [3] ، فانْظُرْ ما هو . قال الكاهنُ : ثَمَرةٌ فى كَمَرةٍ . قال : أُريدُ أبْيَنَ مِن هذا . قال : حبةٌ مِن بُرٍّ فى إحْليلِ مُهْرٍ . قال : صدَقْتَ ، فخذْ لما جِئْناك له ، انْظُرْ فى أمْرِ هؤلاء النِّسْوةِ . فأجْلَس النِّساءَ خلفَه ، وهندُ معهم لا يَعْرِفُها ، ثم جعَل يدْنو مِن إحْداهن فيَضْرِبُ كَتِفَها ويقولُ : انْهَضى . حتى دَنا مِن هندَ ، فضرَب كَتِفَها وقال : انْهَضى [4] ، غيرَ رسحاءَ [5] ، ولا زانيةٍ ، ولَتَلِدِنَّ مَلِكًا يقالُ له : مُعاويةُ . فوَثَب إليها الفاكهُ فأخَذ بيدِها ، فنتَرَت يدَها مِن يدِه ، وقالت له : إليك عنى ، واللَّهِ لا يَجْمَعُ رأسى ورَأْسَك وِسادةٌ ، واللَّهِ لَأَحْرِصَنَّ على أن يكونَ هذا المَلِكُ مِن غيرِك . فتزَوَّجها أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، فجاءت منه بمُعاويةَ .

(١ - ١) فى ص ، تاريخ دمشق : « قال إنى سوف أختبره قبل أن ينظر فى أمرك فصفر لفرسه حتى أدلى » .

(٢) أدلى الفرس وغيره : أخرج جُرْدانه - أى ذكره - ليبول أو يَضْرِب - من الضِّراب - اللسان (د ل ا) .

(٣ - ٣) فى ص ، تاريخ دمشق : « وإنى قد خبأت لك خبأ أختبرك به » .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ٦ ، م : « حصان رزان » .

(٥) فى الأصل ، م : « رسخا » ، وفى ا ٦ : « رسخا ولا وسخاء » . والرسحاء : القبيحة من النساء . اللسان (ر س ح) .

وهذه ترجمةُ مُعاويةَ، رضى اللَّهُ عنه، وذِكْرُ شىءٍ مِن أيامِه، ودولتِه، وما ورَد فى مَناقبِه وفَضائلِه

هو مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ صَخْرِ بنِ حربِ بنِ أُمَيةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ القرشىُّ الأُمَوىُّ، أبو عبدِ الرحمنِ[1]، خالُ المؤمنين، وكاتبُ وَحْيِ رسولِ ربِّ العالمين. وأُمُّه هندُ بنتُ عتبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ.

أسْلَم مُعاويةُ عامَ الفتحِ، ورُوِىَ عنه [٦/١٥٧ظ] أنه قال[2]: أَسْلَمْتُ يومَ القَضِيةِ، ولكن كتَمْتُ إسْلامى مِن أبى، ثم عَلِم بذلك فقال لى: هذا أخوك يَزيدُ، وهو خيرٌ منك على دينِ قومِه. فقلتُ له: لم آلُ نَفْسى جُهْدًا. قال مُعاويةُ: ولقد دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ فى عُمْرةِ القَضاءِ وإنى لَمُصَدِّقٌ به، ثم لَمَّا دخَل عامَ الفتحِ أظْهَرْتُ إسْلامى، فجِئْتُه فرَحَّب بى، وكتَبْتُ بينَ يدَيه.

قال الواقدىُّ[3]: وشَهِد معه حُنَيْنًا، وأعْطاه مائةً مِن الإبلِ، وأربعين أُوقِيَّةً مِن ذهبٍ، وَزَنَها له بِلالٌ.

وشَهِد اليَمامةَ، وزعَم بعضُهم أنه هو الذى قَتَل مُسَيْلِمةَ الكذَّابَ، حَكاه ابنُ عَساكرَ[4]. وقد يكونُ له شِرْكٌ فى قتلِه، وإنما الذى طعَنه وَحْشىٌّ، وجَلَّله أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ بالسَّيفِ.

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٤١٦، وأسد الغابة ٥/ ٢٠٩، والإصابة ٦/ ١٥١.

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ٦٧٦، ٦٧٧ مخطوط.

(٣) المصدر السابق ١٦/٦٧٧ مخطوط.

(٤) المصدر السابق ١٦/٦٩٨ مخطوط.

وكان أبوه مِن ساداتِ قريشٍ [1] في الجاهليةِ [1] ، وتفرَّد فيهم بالسُّؤْدُدِ بعدَ يومِ بدرٍ ، ثم لما أسْلَم حَسُن بعدَ ذلك إسْلامُه ، وكانت له مَواقِفُ شَريفةٌ ، وآثارٌ مَحمودةٌ في يومِ اليَرْموكِ وما قبلَه وما بعدَه .

وصحِب مُعاويةُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وكتَب الوَحْيَ بينَ يدَيه مع الكُتَّابِ ، ورَوَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ كثيرةً في « الصَّحيحَيْن » ، وغيرِهما مِن « السُّنَنِ » و « المَسانيدِ » ، ورَوَى عنه جَماعةٌ مِن الصَّحابةِ والتابعين .

قال أبو بكرِ بنُ أبي الدنيا : كان مُعاويةُ طَويلًا أبيضَ جميلًا ، إذا ضَحِك انْقَلَبَتْ شَفَتُه العُلْيا ، وكان يَخْضِبُ . حدَّثني [2] محمدُ بنُ يزيدَ الأدَميُّ [3] ، ثنا أبو مُسْهِرٍ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن أبي عبدِ ربٍّ قال : رأيْتُ مُعاويةَ يُصَفِّرُ لحيتَه كأنها الذَّهَبُ .

وقال غيرُه [4] : كان أبيضَ طويلًا ، أجْلَحَ أبيضَ الرأسِ واللِّحْيةِ ، يَخْضِبُهما بالحِنَّاءِ والكَتَمِ ، وقد أصابَتْه لَقْوَةٌ [5] في آخرِ عمرِه ، فكان [6] يَسْتُرُ وجهَه ، و [6] يقولُ : رَحِم اللَّهُ عبدًا دَعا لي بالعافيةِ ، فقد رُمِيتُ في أحْسَني وما يبْدو مني ، ولولا هَوايَ في يَزيدَ لأبْصَرْتُ رُشْدي . وكان حَليمًا وَقورًا رَئيسًا سَيِّدًا في الناسِ ، كريمًا عادلًا شَهْمًا .

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ٦١ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق الموضع السابق ، من طريق ابن أبي الدنيا به ، كما أخرجه أبو زرعة في تاريخه ١/ ٣٤٩ ، من طريق أبي مسهر به .

(٣) في الأصل ، ٦١ ، م : « الأزدي » .

(٤) هو قول أبي نعيم . وقد أخرجه ابن عساكر بسنده عنه في تاريخ دمشق ١٦/ ٦٧٣ ، ٦٧٤ مخطوط .

(٥) في الأصل ، ٦١ ، م : « لوقة » . واللَّقْوَة : داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منه الشدق . اللسان (ل ق و) .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

وقال المَدائنيُّ[1] ، عن صالحِ بنِ حسانَ[2] قال : رَأَى بعضُ مُتَفَرِّسى العربِ مُعاويةَ وهو صبيٌّ صغيرٌ ، فقال : إنى لَأَظُنُّ هذا الغلامَ سيَسودُ قومَه . فقالت هندُ : ثَكِلْتُه إن كان لا يَسودُ إلا قومَه .

وقال الشافعيُّ[3] : قال أبو هريرةَ : رأيْتُ هندَ [٦/١٥٨و] بمكةَ كأن وجهَها فِلْقةُ قمرٍ ، وخلفَها مِن عَجِيزتِها مثلُ الرجلِ الجالسِ ، ومعها صبيٌّ يَلْعَبُ ، فمرَّ رجلٌ ، فنظَر إليه فقال : إنى لَأَرَى غلامًا إن عاش لَيَسُودَنَّ قومَه . فقالت هندُ : إن لم يَسُدْ إلا قومَه فأماته اللَّهُ . وهو مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : أنْبَأَنا علىُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سيفٍ قال : نظَر أبو سفيانَ يومًا إلى مُعاويةَ وهو غلامٌ ، فقال لهندَ : إن ابنى هذا لَعظيمُ الرأسِ ، وإنه لَخَلِيقٌ أن يَسودَ قومَه . فقالت هندُ : قومَه فقط ؟! ثَكِلْتُه إن لم يَسُدِ العربَ قاطبةً . وكانت هندُ تَحْمِلُه وهو صغيرٌ ، وتقولُ :

إن بُنَىَّ مُعْرِقٌ كريمُ ... مُحَبَّبٌ فى أهلِه حَليمُ
ليس بفَحَّاشٍ ولا لَئِيمُ ... ولا بطُخْرُورٍ[5] ولا سَئومُ
صَخْرُ بنى فِهْرٍ به زَعيمُ ... لا يُخْلِفُ الظنَّ ولا يَخِيمُ[6]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٧٦/١٦ مخطوط ، من طريق المدائنى به . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٤٠٢/٢٤ .
(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « كيسان » .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، من طريق الشافعى به .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٧٦/١٦ مخطوط ، من طريق محمد بن سعد به .
(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ضجور » . وفى م ، ص ، وتاريخ دمشق : « بطحرور » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والطخرور : الرجل لا يكون جلدًا ولا كثيفًا . انظر اللسان (ط خ ر) .
(٦) يخيم : يجبُن ويتراجع . انظر الوسيط (خ ى م) .

قال : فلَمَّا وَلَّى عمرُ يزيدَ بنَ أبى سفيانَ ما وَلَّاه مِن الشامِ ، خرَج إليه مُعاويةُ ، فقال أبو سفيانَ لهندَ : كيف رأيْتِ صار ابنُك تابعًا لابنى ؟ فقالت : إن [1]اضْطَرَب حبلُ[1] العربِ فستَعْلَمُ أين يَقَعُ ابنُك مما يكونُ فيه ابنى .

فلمَّا مات يزيدُ بنُ أبى سفيانَ سنةَ بضعَ عشْرةَ[2] ، وجاء البَريدُ إلى عمرَ بموتِه ، رَدَّ عمرُ البَريدَ إلى الشامِ بوِلايةِ مُعاويةَ مكانَ أخيه يزيدَ ، ثم عَزَّى أبا سفيانَ فى ابنِه يزيدَ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، مَن وَلَّيْتَ مكانَه ؟ قال : أخاه مُعاويةَ . قال : [3]وصَلَتْكَ رَحِمٌ[3] يا أميرَ المؤمنين . وقالت هندُ لمُعاويةَ فيما كتَبَت به إليه : واللَّهِ يا بُنىَّ ، إنه قَلَّ أن تَلِدَ حُرَّةٌ مثلَك ، وإن هذا الرجلَ قد اسْتَنْهَضَك فى هذا الأمْرِ ، فاعْمَلْ بطاعتِه فيما أحْبَبْتَ وكرِهْتَ . وقال له أبوه : يا بنىَّ ، إن هؤلاء الرَّهْطَ مِن المهاجرين سبَقونا وتأَخَّرْنا ، فرفَعهم سَبْقُهم[4] ، وقَصَّر بنا تأَخُّرُنا ، فصاروا قادةً[5] ، وصِرْنا أتْباعًا ، وقد وَلَّوْك جَسيمًا مِن أُمورِهم فلا تُخالِفْهم ، فإنك تَجْرِى إلى أَمَدٍ فنافِسْ فيه ، فإن بلَغْتَه أوْرَثْتَه عَقِبَك .

فلم يَزَلْ مُعاويةُ نائبًا على الشامِ فى الدولةِ العُمَريةِ والعُثْمانيةِ مدةَ خِلافةِ عثمانَ ، وافْتَتَح[6] فى سنةِ سبعٍ وعشرين جزيرةَ قُبْرُسَ ، وسَكَنها المسلمون قريبًا

(١ - ١) فى م ، ص : « اضطربت خيل » .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٥٧٦/١٩ مخطوط ، ومختصره ١٩٢/٢٧ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « وصلت رحما » .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وقدمهم عند اللَّه وعند رسوله » .

(٥) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وسادة » .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٢٥٨/٤ حوادث السنة الثامنة والعشرين ، وتاريخ الإسلام ، جزء الخلفاء الراشدين ص ٣١٧ .

مِن ستين سنةً فى أيامِه ومِن بعدِه ، ولم تَزَلِ الفُتوحاتُ والجهادُ قائمًا على ساقِه فى أيامِه فى بلادِ الرومِ والفِرِنْـجِ وغيرِها ، فلمَّا كان مِن أمْرِه وأمْرِ أميرِ المؤمنين علىٍّ [٦/١٥٨ظ] ما كان ، لم يَقَعْ فى تلك الأيامِ فَتْحٌ بالكُلِّيةِ ، لا على يدَيه ولا على يَدَى علىٍّ ، وطَمِع فى مُعاويةَ مَلِكُ الرومِ بعدَ أن كان قد أَخْسَأَه وأَذَلَّه ، وقهَر جُنْدَه ودَحاهم ، فلمَّا رَأَى ملكُ الرومِ اشْتِغالَ مُعاويةَ بحربِ علىٍّ تَدانَى إلى بعضِ البلادِ فى جُنودٍ عَظيمةٍ ، وطَمِع فيه ، فكتَب إليه مُعاويةُ : واللَّهِ لئن لم تَنْتَهِ وتَرْجِعْ إلى بلادِك يا لَعينُ لَأَصْطَلِحَنَّ أنا وابنُ عمى عليك ولَأُخْرِجَنَّك مِن جميعِ بلادِك ، ولَأُضَيِّقَنَّ عليك الأرضَ بما رَحُبَت . فعندَ ذلك خاف مَلِكُ الرومِ وانْكَفَّ ، وبعَث يَطْلُبُ الهُدْنةَ .

ثم كان مِن أمْرِ التَّحْكيمِ ما كان ، وكذلك ما بعدَه إلى وقتِ اصْطِلاحِه مع الحسنِ بنِ علىٍّ كما تقدَّم ، فانْعَقَدَتِ الكَلمةُ على مُعاويةَ ، واجتمَعَت الرَّعايا على بيْعتِه فى سنةِ إحدى وأربعين كما قدَّمْنا ، فلم يَزَلْ مُسْتَقِلًّا بالأمْرِ فى هذه المدةِ إلى هذه السنةِ التى كانت فيها وفاتُه ، والجِهادُ فى بلادِ العدوِّ قائمٌ ، وكلمةُ اللَّهِ عاليةٌ ، والغَنائمُ تَرِدُ إليه مِن أطْرافِ الأرضِ ، والمسلمون معه فى راحةٍ وعدلٍ ، وصَفْحٍ وعَفْوٍ .

وقد ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[1] مِن طريقِ عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن أبى زُمَيْلٍ سِماكِ بنِ الوَليدِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال أبو سفيانَ : يا رسولَ اللَّهِ ، ثلاثٌ أَعْطِنِيهن . قال : « نعم » . قال : تُؤَمِّرُنى حتى أُقاتِلَ الكُفارَ كما كنتُ أُقاتِلُ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٤٨، ٨/ ٣٥٤. والذى فى صحيح مسلم طَلَب أبى سفيان من النبى ﷺ تزويجه بأم حبيبة . وانظر تعقيب المصنف على ذلك فى الموضعين المذكورين .

المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومُعاويةُ تَجْعَلُه كاتبًا بينَ يديك . قال : « نعم » . وذكَر الثالثةَ ، وهو أنه أراد أن يُزَوِّجَ رسولَ اللَّهِ ﷺ بابنتِه الأُخْرَى عَزَّةَ بنتِ أبى سُفيانَ . واسْتَعان على ذلك بأُختِها أمِّ حَبيبةَ ، فقال[1] : « إن ذلك لا يَحِلُّ لى » . وقد تكَلَّمْنا على ذلك فى جُزْءٍ مُفْرَدٍ ، وذكَرْنا أقوالَ الأئمةِ واعْتِذارَهم عنه ، وللَّهِ الحمدُ . والمَقْصودُ منه أن مُعاويةَ كان مِن جُملةِ الكُتَّابِ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذين يَكْتُبون الوَحْىَ .

ورَوَى الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ والحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[2] مِن طريقِ أبى عَوانةَ الوَضَّاحِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَشْكُرىِّ ، عن أبى حَمزةَ عِمْرانَ بنِ أبى عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كنتُ أَلْعَبُ مع الغِلْمانِ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قد جاء فقلتُ : ما جاء إلَّا إلىَّ . فاخْتَبَأْتُ على بابٍ ، فجاءنى [3]فَحَطَأنى حَطْأَةً[3] ثم قال : « اذْهَبْ فادْعُ لى مُعاويةَ » . وكان [٦/١٥٩و] يَكْتُبُ الوَحْىَ . قال : فذهَبْتُ فدَعَوْتُه له ، فقيل : إنه يَأْكُلُ . فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : إنه يَأْكُلُ . فقال : « اذْهَبْ فادْعُه » . فأتَيْتُه الثانيةَ فقيل : إنه يَأْكُلُ . فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخْبَرْتُه ، فقال فى الثالثةِ : « لا أَشْبَعَ اللَّهُ بطنَه » . قال : فما شَبِعتُ بعدَها .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٤٩.

(٢) المسند ١/ ٢٩١، ٣٣٥. ومسلم (٢٦٠٤) ولكن من طريق شعبة عن أبى حمزة به، انظر تحفة الأشراف ٥/ ١٩٣، وتقدم تخريجه فى ٩/ ٨٥. وتقدم إيراد المصنف للحديث فى ٩/٨٦ من طريق أبى عوانة، فى دلائل النبوة للبيهقى عن الحاكم - واللفظ له هنا - ولم يخرجه الحاكم فى المستدرك.

(٣ - ٣) فى النسخ : « فخطانى خطاة أو خطاتين » . والمثبت مما تقدم ومن مصادر التخريج . والحطأة : الضرب باليد مبسوطةً بين الكتفين ، وإنما فَعَل هذا بابن عباس ملاطفةً وتأنيسًا . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٥٦.

وقد انْتَفَع مُعاويةُ بهذه الدعوةِ فى دُنْياه وأُخْراه . أما فى الدنيا فإنه لما صار فى الشامِ أميرًا ، كان يَأْكُلُ فى اليومِ سبعَ مراتٍ ، يُجاءُ بقَصْعةٍ فيها لَحْمٌ كَثيرٌ وبَصَلٌ فيَأْكُلُ منها ، ويَأْكُلُ فى اليومِ سبعَ أَكَلاتٍ بلحمٍ ، ومِن الحَلْوَى والفاكهةِ شيئًا كثيرًا ، ويقولُ : واللَّهِ ما أَشْبَعُ ، وإنما أَعْيَى . وهذه نِعْمةٌ ومَعِدةٌ يَرْغَبُ فيها كلُّ المُلوكِ .

وأمَّا فى الآخِرةِ فقد أتْبَع مسلمٌ هذا الحديثَ بالحديثِ الذى رَواه هو والبُخارىُّ وغيرُهما ، مِن غيرِ وجهٍ[1] عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهم إنما أنا بشرٌ ، فأيُّما عبدٍ سبَبْتُه أو جَلَدْتُه أو دَعَوْتُ عليه ، وليس لذلك أهلًا ، فاجْعَلْ ذلك كَفَّارةً وقُرْبَةً تُقَرِّبُه بها عندَك يومَ القِيامةِ » . فرَكَّب مسلمٌ مِن الحديثِ الأولِ وهذا الحديثِ فَضيلةً لمُعاويةَ ، ولم يُورِدْ له غيرَ ذلك .

وقال المُسَيَّبُ بنُ واضحٍ ، عن أبى إسحاقَ الفَزارىِّ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، عن عَطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أتى جبْريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا محمدُ ، أَقْرِئْ مُعاويةَ السَّلامَ ، واسْتَوْصِ به خيرًا ؛ فإنه أمينُ اللَّهِ على كِتابِه ووحْيِه ، ونِعْمَ الأمينُ .

ثُم أوْرَده ابنُ عساكرَ مِن وجهٍ آخرَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سليمانَ ، ثم أوْرَده أيضًا مِن روايةِ علىٍّ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَشار جبريلَ فى اسْتِكْتابِه مُعاويةَ ، فقال : اسْتَكْتِبْه فإنه أمينٌ . ولكن فى الأَسانيدِ إليهما غَرابةٌ .

---

(١) تقدم تخريجه على الصحيحين فى ٩/ ٨٧، كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢/ ٤٨٨، ٤٩٣، ٣/ ٤٠٠، وابن أبى شيبة فى المصنف (٩٥٩٩ - ٩٦٠١) .

ثم أوْرَد عن عليٍّ فى ذلك غَرائبَ كثيرةً ، [1] وكذا [1] عن غيرِه أيضًا [2] .

وقال أبو عَوانةَ ، عن سليمانَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ [3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن زُهَيْرِ بنِ الأَقْمَرِ الزُّبَيْدىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : كان مُعاويةُ يَكْتُبُ للنبىِّ ﷺ .

وقال أبو القاسم الطَّبَرانىُّ [4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدٍ الصَّيْدَلانىُّ ، ثنا السَّرِىُّ ابنُ [5] عاصم ، ثنا [6] عبدُ اللَّهِ [6] بنُ يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن أبيه ، عن [7] هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن [8] أبيه ، عن [8] عائشةَ قالت : لمَّا كان يومُ أُمِّ حَبيبةَ مِن النبىِّ [٦/١٥٩ظ] ﷺ دقَّ البابَ داقٌّ ، فقال النبىُّ ﷺ : « انْظُروا مَن هذا » . قالوا : مُعاويةُ . قال : « ائْذَنوا له » . فدَخَل وعلى أُذُنِه قلمٌ لم [9] يُخَطَّ به ، فقال : « ما هذا القلمُ على أُذُنِك يا مُعاويةُ ؟ » قال : قلمٌ أعْدَدْتُه للَّهِ ولرسولِه . فقال : « جَزاك اللَّهُ عن نبيِّك خيرًا ، واللَّهِ ما اسْتَكْتَبْتُك إلَّا بوَحْيٍ مِن اللَّهِ ، وما أَفْعَلُ مِن صغيرةٍ ولا كبيرةٍ إلَّا بوَحْيٍ مِن اللَّهِ ، كيف بك لو قَمَّصَك اللَّهُ قَميصًا ؟ » . يعنى الخِلافةَ . فقامت أُمُّ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٦/٦٧٧ - ٦٨٠ مخطوط .

(٣) ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/١٢٣ عن عمرو بن مرة به .

(٤) المعجم الأوسط (١٨٥٩) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٦٧٧، ٦٧٨ مخطوط ، من طريق الطبرانى به . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٥٦: رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه السرى بن عاصم وهو ضعيف .

(٥) فى م : « عن » . وانظر الحاشية السابقة .

(٦ - ٦) فى المعجم : « محمد » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢٩٢. وقد ذكره الطبرانى عقب الحديث على الصواب فقال : عبد الله بن يحيى .

(٧) سقط من : م .

(٨ - ٨) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٣٢.

(٩) سقط من : م . وفى المعجم الأوسط : « له » .

حَبيبةَ ، فجَلَسَتْ بينَ يدَيه وقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، وإنَّ اللَّهَ مُقَمِّصُه قَمِيصًا ؟! قال : « نعم ، ولكن فيه هَناتٌ وهَناتٌ [1] وهَناتٌ [1] » . فقالت : يارسولَ اللَّهِ ، فادْعُ اللَّهَ له . فقال : « اللَّهمَّ اهْدِه بالهُدَى ، وجَنِّبْه الرَّدَى ، واغْفِرْ له فى الآخِرةِ والأُولَى » . قال الطَّبَرانىُّ : تفرَّد به السَّرِىُّ بنُ عاصمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن هشامٍ . وقد أوْرَد ابنُ عَساكرَ [2] مِن طريقِ شُعَيبِ بنِ إسحاقَ وغيرِه ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، فذَكَر بإسنادِه نحوَه [3] . وقد أوْرَد ابنُ عساكرَ [2] بعدَ هذا أحادِيثَ كثيرةً مَوْضوعةً [4] ، والعَجَبُ منه مع حِفْظِه واطِّلاعِه كيف لا يُنَبِّهُ عليها وعلى نَكارتِها وضَعْفِ رِجالِها . واللَّهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ . وقد أورَدَ [5] مِن طريقِ أبى هريرةَ وأنسٍ وواثلةَ بنِ الأسْقَعِ مَرْفوعًا [6] : « الأُمَناءُ ثلاثةٌ ؛ جبريلُ ، وأنا ، ومُعاويةُ » . ولا يَصِحُّ مِن جَميعِ وُجوهِه . ومِن روايةِ ابنِ عباسٍ [7] : « الأُمَناءُ سبعةٌ ؛ القَلَمُ ، واللَّوْحُ ، وإسْرافِيلُ ، ومِيكائِيلُ ، وجبريلُ ، وأنا ، ومُعاويةُ » . وهذا أنْكَرُ مِن الأحاديثِ التى قبلَه ، وأضْعَفُ إسْنادًا .

وقال الإمامُ أحمدُ [8] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن مُعاويةَ ، يعنى ابنَ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ٦٧٨/١٦ مخطوط .

(٤) المصدر السابق ٦٧٨/١٦ - ٦٩٨ .

(٥) فى م : « أوردنا » .

(٦) لم نجد هذه الأحاديث فى ترجمة معاوية بن أبى سفيان من تاريخ دمشق المخطوط ، ولا فى ترجمته أيضا من مختصر ابن منظور . ولعل هذه الطرق وقعت فى الجزء الذى فيه بياض من تاريخ دمشق ١٦/ ٦٨٠ ، ٦٨١ مخطوط .

وقد ذكر حديث أبى هريرة وواثلة الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ١٣٠ .

(٧) لم نجده فى تاريخ دمشق كسابقه وقد ذكره ابن منظور مطولًا فى مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٦ .

(٨) المسند ٤/ ١٢٧ . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٨٢/١٦ مخطوط ، من طريق =

صالحٍ ، عن يونسَ بنِ سيفٍ ، عن الحارثِ بنِ زِيادٍ ، عن أبى رُهْمٍ ، عن العِرْباضِ ابنِ ساريةَ السُّلَمىِّ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعونا إلى السَّحورِ فى شهرِ رَمضانَ : « هَلُمَّ إلى الغَداءِ[1] المُبارَكِ » . ثُم سَمِعْتُه يقولُ : « اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعاويةَ الكِتابَ والحِسابَ ، وقِهِ العَذابَ » . تفرَّد به أحمدُ ، ورَواه ابنُ جَريرٍ مِن حديثِ ابنِ مَهْدىٍّ ، وكذلك رَواه أَسَدُ بنُ موسى ، وبِشْرُ بنُ السَّرِىِّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ ، بإسنادِه مثلَه[2] . وفى روايةِ بِشْرِ بنِ السَّرِىِّ : « وأَدْخِلْه الجنةَ » .

ورَواه ابنُ عَدِىٍّ وغيرُه[3] ، مِن حديثِ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الجُمَحىِّ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعاويةَ الكتابَ والحسابَ ، وقِهِ العَذابَ » .

[٦/١٦٠و] وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : ثنا سليمانُ بنُ حربٍ والحسنُ[5] بنُ موسى الأَشْيَبُ قالا[6] : ثنا أبو هِلالٍ محمدُ بنُ سُلَيْمٍ ، ثنا جَبَلةُ بنُ عَطِيةَ ، عن

= عبد الرحمن بن مهدى به . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٥٦: رواه البزار وأحمد فى حديث طويل والطبرانى ، وفيه الحارث بن زياد ، ولم أجد من وثَّقه ، ولم يروِ عنه غير يونس بن سيف ، وبقية رجاله ثقات وفى بعضهم خلاف .

(١) فى المسند : « الغذاء » . قال ابن الأثير فى النهاية ٣/ ٣٤٦: الغداء : الطعام الذى يُؤكل أول النهار ، فسمى السحور غداء ؛ لأنه للصائم بمنزلته للمُفطِر .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٨٣/١٦ مخطوط ، من طريق أسد بن موسى وعبد اللَّه بن صالح ، كلاهما عن معاوية بن صالح به ، وأخرجه فى نفس الموضع من طريق بشر بن السرى عن الحارث ابن زياد ، وقد سقط من الإسناد بعد بشر معاوية بن صالح ويونس بن سيف .

(٣) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٥/ ١٨١٠، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق الموضع السابق ، من طريق ابن عدى وغيره .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٨٤/١٦ مخطوط ، من طريق محمد بن سعد به .

(٥) فى م : « الحسين » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٢٨.

(٦) فى م : « قال » .

مَسْلَمةَ بنِ مُخَلَّدٍ ، وقال الأَشْيَبُ[1] : قال أبو هِلالٍ : أو عن رجلٍ ، عن مَسْلَمةَ ابنِ مُخَلَّدٍ . وقال سليمانُ بنُ حَرْبٍ : أو حَدَّثه مَسْلَمةُ عن رجلٍ ، أنه رأَى مُعاويةَ يَأْكُلُ ، فقال لعمرِو بنِ العاصِ : إن ابنَ عَمِّك هذا لَمِخْضَدٌ[2] . قال : أما إنِّى أَقولُ لك هذا ، وقد سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اللهمَّ عَلِّمْه الكِتابَ ، ومَكِّنْ له فى البلادِ ، وقِهِ العذابَ » . وقد أرْسَله غيرُ واحدٍ مِن التابِعِين ، منهم ؛ الزُّهْرِىُّ وعُرْوةُ بنُ رُوَيْمٍ وحَرِيزُ[3] بنُ عثمانَ الرَّحَبِىُّ الحِمْصِىُّ ، ويُونسُ بنُ مَيْسَرةَ ابنِ حَلْبَسٍ .

وقال الطَّبَرانىُّ[4] : ثنا أبو زُرْعةَ وأحمدُ بنُ محمدِ بنِ يحيى بنِ حَمْزةَ الدِّمشقيان قالا : ثنا أبو مُسْهِرٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن رَبيعةَ بنِ يزيدَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عُمَيْرةَ المُزَنىِّ ، وكان مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لمُعاويةَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمْه الكتابَ والحسابَ ، وقِهِ العذابَ » . قال ابنُ عَساكرَ[5] : وهذا غريبٌ ، والمَحْفوظُ بهذا الإسنادِ حديثُ العِرْباضِ الذى تقَدَّم .

ثُم روَى[6] مِن طريقِ الطَّبَرانىِّ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى مُسْهِرٍ ، عن سعيدٍ ، عن رَبيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عُمَيْرةَ المُزَنىِّ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى م : « الأشهب » .

(٢) لمخضد : قال فى النهاية ٢/ ٤٠ : الخَضْد : شدَّةُ الأكل وسرعته . ومخضد : مِفْعَل منه ، كأنه آلة للأكل .

(٣) فى النسخ : « جرير » . والمثبت من تاريخ دمشق ، والحديث أخرجه ابن عساكر فى ٦٨٤/١٦ مخطوط ، بسنده عن الزهرى وعروة وحريز هذا . كما أخرج أيضًا فى ٦٨٧/١٦ مخطوط ، حديث يونس بن ميسرة . وانظر ترجمة حريز بن عثمان فى تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٨٤/١٦ مخطوط ، من طريق الطبرانى به .

(٥) تاريخ دمشق ٦٨٤/١٦ مخطوط .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٢٨٥ .

يَقولُ لمُعاويةَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا ، واهْدِه واهْدِ به » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا عليُّ بنُ بحرٍ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، ثنا سعيدُ ابنُ عبدِ العزيزِ ، عن رَبيعةَ بنِ يزيدَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عُمَيْرةَ الأَزْدِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنه ذكَر مُعاويةَ فقال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا واهْدِ به » . وهكذا رَواه التِّرْمذىُّ ، عن محمدِ بنِ يحيى ، عن أبى مُسْهِرٍ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ به[2] ، وقال : حسنٌ غريبٌ . وقد رَواه عمرُ بنُ عبدِ الواحدِ ومحمدُ بنُ سليمانَ الحرَّانىُّ ، كما رَواه الوليدُ بنُ مسلمٍ وأبو مُسْهِرٍ ، عن سعيدٍ ، عن رَبيعةَ ابنِ يزيدَ ، [٦/١٦٠ظ] عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عُمَيْرةَ[3] . ورَواه محمدُ بنُ المُصَفَّى[4] ، عن مَرْوانَ بنِ محمدٍ الطَّاطَرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن رَبيعةَ بنِ يزيدَ ، عن أبى إدْريسَ ، عن ابنِ أبى عُمَيْرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا لمُعاويةَ فقال : « اللهم عَلِّمْه العِلْمَ ، واجْعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا ، واهْدِه واهْدِ به » . وقد رَواه سَلَمةُ بنُ شَبيبٍ وصَفْوانُ بنُ صالحٍ وعيسى بنُ هِلالٍ وأبو الأَزْهَرِ ، عن مَرْوانَ الطَّاطَرِىِّ ، ولم يَذْكُروا أبا إدْريسَ فى إسنادِه[5] . ورَواه الطَّبَرانىُّ[6] عن عَبْدانَ بنِ أحمدَ ، عن علىِّ بنِ سهلٍ الرَّمْلىِّ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن سعيدِ ابنِ عبدِ العزيزِ ، عن يونسَ ابنِ مَيْسَرةَ بنِ حَلْبَسٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى

---

(١) المسند ٤/ ٢١٦.

(٢) الترمذى (٣٨٤٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠١٨) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٦٨٥، ٦٨٦ مخطوط ، من طريق عمر ومحمد والوليد وأبى مسهر به .

(٤) المصدر السابق ١٦/ ٦٨٥، من طريق محمد بن المصفى به .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٦٨٦، من طريق الطبرانى به .

عُمَيْرَةَ المُزَنىِّ ، أنه سَمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ وذكَر مُعاويةَ فقال : « اللهم اجْعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا [(١)] واهْدِ به [(١)] » . قال ابنُ عَساكرَ [(٢)] : وقولُ الجماعةِ هو الصَّوابُ . وقد اعْتَنى ابنُ عَساكرَ بهذا الحديثِ ، وأطْنَب فيه وأَطْيَب وأطْرَب ، وأفاد وأجاد ، وأحْسَن الانْتِقادَ ، فرَحِمه اللَّهُ ، كم له مِن مَوْطِنٍ قد بَرَّز [(٣)] فيه على غيرِه مِن الحُفَّاظِ والنُّقَّادِ .

وقال التِّرْمذىُّ [(٤)] : حدَّثنا محمدُ بنُ يحيى ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ النُّفَيْلىُّ ، ثنا عمرُو بنُ واقدٍ ، عن يونُسَ بنِ حَلْبَسٍ ، عن أبى إدْريسَ الخَوْلانىِّ قال : لمَّا عزَل عمرُ بنُ الخطابِ عُمَيرَ بنَ سعدٍ عن الشامِ ، ووَلَّى مُعاويةَ ، قال الناسُ : عزَل عُمَيْرًا ووَلَّى مُعاويةَ . فقال عُميرٌ [(٥)] : لا تَذْكُروا مُعاويةَ إلَّا بخيرٍ ، فإنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اللهم اهْدِ به » . تفرَّد به التِّرْمذىُّ ، وقال : غريبٌ ، وعمرُو بنُ واقدٍ ضَعيفٌ . هكذا ذكَره أصحابُ الأطْرافِ [(٦)] فى مُسندِ عُمَيْرِ بنِ سعدٍ الأنْصارىِّ . وعندى أنه يَنْبَغى أن يكونَ مِن روايةِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ ، ويَكونُ الصَّوابُ : فقال عمرُ : لا تَذْكُروا مُعاويةَ إلَّا بخيرٍ . ليكونَ عُذْرًا له فى تَوْلِيَتِه له . ومما يُقَوِّى هذا أن هِشامَ بنَ عَمَّارٍ قال [(٧)] : حدَّثنا ابنُ أبى السائبِ ، وهو عبدُ العزيزِ

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « واهده » .

(٢) تاريخ دمشق ٦٨٦/١٦ مخطوط .

(٣) فى الأصل ، م : « تبرز » ، وفى ٦١ : « يبرز » . وبرَّز الرجل : فاق أصحابه فَضْلًا . ويقال : برز عليهم . انظر الوسيط (ب ر ز) .

(٤) الترمذى (٣٨٤٣) . وصححه الشيخ الألبانى (صحيح سنن الترمذى ٣٠١٩) بالحديث الذى قبله ؛ وهو الذى ذكره المصنف فى الصفحة السابقة .

(٥) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من سنن الترمذى ، وإنما تعيَّن إثبات « عمير » هنا ؛ لكى يستقيم السياق مع الكلام الآتى بعدُ للمصنف .

(٦) تحفة الأشراف ٨/ ٢٠٥ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٨٧/١٦ مخطوط ، من طريق هشام بن عمار به .

ابـنُ الوليدِ بنِ سُليمانَ ، قال : وسَمعْتُ أبى يَذْكُرُ أن عمرَ بنَ الخطابِ وَلَّى مُعاويةَ [٦/١٦١و] ابنَ أبى سفيانَ ، فقالوا : ولَّى حَدَثَ السِّنِّ . فقال : تَلُومُوننى فى وِلايتِه ، وأنا سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اللهم اجْعَلْه هاديًا[1] ، واهْدِ به » . وهذا مُنْقَطِعٌ يُقَوِّيه ما قبلَه .

قال الطَّبَرانىُّ[2] : حدَّثنا يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ ، ثنا نُعيمُ بنُ حَمَّادٍ ، ثنا محمدُ بنُ شُعَيْبِ بنِ سابورَ ، ثنا مَرْوانُ بنُ جَناحٍ ، عن يونُسَ بنِ مَيْسَرةَ بنِ حَلْبَسٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ[3] ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استشار أبا بكرٍ وعمرَ فى أمْرٍ ، فقال : « أَشِيرَا علىَّ » . فقالا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . فقال : « ادْعُوَا مُعاويةَ » . فقال أبو بكرٍ وعمرُ : أمَا كان فى رسولِ اللَّهِ ﷺ ورجُلَيْن مِن رجالِ قريشٍ ما يُتْقِنون أمْرَهم حتى يَبْعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى غُلامٍ مِن غِلْمانِ قريشٍ ؟! فقال : « ادْعُوَا لى مُعاويةَ » . [4]فَدُعِىَ له[4] ، فلما وقَف بينَ يدَيه قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أحْضِروه أمْرَكم وأشْهِدوه أمْركم ، فإنه قوىٌّ أمينٌ » . ورَواه بعضُهم عن نعيمٍ[5] ، وزاد : « وحَمِّلوه أمْرَكم » . ثم ساق ابنُ عساكرَ أحاديثَ كثيرةً مَوْضوعةً ، بلا شَكٍّ ، فى فَضْلِ مُعاويةَ ، أضْرَبْنا عنها صَفْحًا ، واكْتَفَيْنا بما أوْرَدْناه مِن الأحاديثِ الصِّحاحِ والحِسانِ والمُسْتَجاداتِ ، عمَّا سواها مِن المَوْضوعاتِ والمُنْكَراتِ .

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « مهديا » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٦٨٧، ٦٨٨ مخطوط ، من طريق الطبرانى به .

(٣) فى تاريخ دمشق : « بشر » . وهو تصحيف ، وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٣٣.

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى تاريخ دمشق .

(٥) تاريخ دمشق ٦٨٨/١٦ مخطوط .

ثم قال ابنُ عساكرَ[1] : وأصَحُّ مارُوِىَ فى فَضْلِ مُعاويةَ حديثُ أبى حَمْزةَ[2] ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان كاتِبَ النبىِّ ﷺ منذ أسْلَم . أخْرَجه مُسْلمٌ[3] فى « صَحيحِه » . وبعدَه حديثُ العِرْباضِ : « اللهم عَلِّمْ مُعاويةَ الكتابَ » . وبعدَه حديثُ ابنِ أبى عُميرةَ : « اللهم اجْعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا »[4] .

قلتُ : وقد قال البُخارىُّ فى كتابِ المَناقِبِ[5] : ذِكْرُ مُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ : حدَّثنا الحسنُ بنُ بِشرٍ ، ثنا المُعافَى ، عن عثمانَ بنِ الأسْودِ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ قال : أوْتَر مُعاويةُ بعدَ العِشاءِ بركعةٍ ، وعندَه مَوْلًى لابنِ عباسٍ ، فأتَى ابنَ عباسٍ ، فقال : دَعْه فإنه قد صَحِب رسولَ اللَّهِ ﷺ .

حدَّثنا[6] ابنُ أبى مَرْيَمَ ، ثنا نافعُ بنُ عمرَ ، ثنا ابنُ أبى مُلَيْكةَ قال : قيل لابنِ عباسٍ : هل لك فى أميرِ المؤمنين مُعاويةَ ؟ ما أوْتَر إلَّا بواحدةٍ ! قال : أصاب ، إنه فَقيهٌ .

ثنا[7] عمرُو بنُ عباسٍ ، ثنا ابنُ[8] جَعْفرٍ ، ثنا شُعْبةُ ، عن أبى التَّيَّاحِ قال :

---

(١) تاريخ دمشق ٦٨٨/١٦ مخطوط .

(٢) فى الأصل : « جمزة » ، وفى ا ٦، م ، ص : « جمرة » . والمثبت من تاريخ دمشق . وهو عمران بن أبى عطاء . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٤٢.

(٣) مسلم (٩٦، ٢٦٠٤/٩٧) ، مختصرًا دون الشاهد المذكور ، وأخرجه بلفظه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٩١، ٣٣٥. (إسناده صحيح) .

(٤) إلى هنا آخر كلام الحافظ ابن عساكر . وتقدم تخريج حديث العرباض فى صفحة ٤٠٤ حاشية (٨) ، وحديث ابن أبى عميرة فى صفحة ٤٠٦ حاشية (٤) .

(٥) فتح البارى ٧/ ١٠٣. حديث (٣٧٦٤) .

(٦) البخارى (٣٧٦٥) .

(٧) البخارى (٣٧٦٦) .

(٨) سقط من : م ، ص . وابن جعفر هو محمد بن جعفر .

سَمِعْتُ [٦/١٦١ظ] (١ حُمْرانَ بنَ ١) أبانٍ، عن مُعاويةَ قال: إنكم لَتُصَلُّون صَلاةً لقد صَحِبْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ فما رَأَيْناه يُصَلِّيهما(٢)، ولقد نَهَى عنهما. يعنى الركعتَيْن بعدَ العصرِ.

ثم قال البخاريُّ بعدَ ذلك(٣): ذِكْرُ هندَ بنتِ عُتْبَةَ بنِ رَبيعةَ: (٤ وقال ٤) عَبْدانُ، (٥ ثنا عبدُ اللَّهِ ٥)، ثنا يونسُ، عن الزُّهْرِيِّ، حدَّثنى عُروةُ، أن عائشةَ قالت: جاءتْ هندُ بنتُ عُتْبَةَ، فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، ما كان على ظَهْرِ الأرضِ مِن أهلِ خِباءٍ أَحَبُّ إلىَّ(٦) أن يَذِلُّوا مِن أهلِ خِبائِك، (٧ ثُم ما أصْبَح اليومَ على ظهرِ الأرضِ أهلُ خِباءٍ أحَبُّ إلىَّ أن يَعِزُّوا مِن أهلِ خِبائِك ٧). فقال: «وأيضًا والذى نفسى بيدِه». فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، إن أبا سفيانَ رجلٌ مِسِّيكٌ، فهل علىَّ(٨) حَرَجٌ أن أُطْعِمَ مِن الذى له عِيالَنا؟ قال: «(٩ لا، بالمَعْروفِ ٩)». فالمِدْحَةُ فى قولِه: «وأيضًا والذى نفسى بيدِه». وهو أنه كان يَوَدُّ أن هندَ وأهلَها وكلَّ

(١ - ١) فى الأصل، ٦١: «حمران عن»، وفى م: «حمدان عن».

(٢) فى البخارى: «يصليها». والمثبت من النسخ موافق لبعض روايات البخارى، انظر صحيح البخارى ٣٦/٥ طبعة الشعب.

(٣) فتح البارى ١٤١/٧ حديث (٣٨٢٥).

(٤ - ٤) فى النسخ: «حدثنا». والمثبت من صحيح البخارى. قال الحافظ فى فتح البارى ٧/ ١٤١: «قوله: وقال عبدان. كذا للجميع بصيغة التعليق، وكلام أبى نعيم فى «المستخرج» يقتضى أن البخارى أخرجه موصولًا عن عبدان، وقد وصله البيهقى أيضا من طريق أبى الموجه عن عبدان». انظر دلائل النبوة للبيهقى ٥/ ١٠١.

(٥ - ٥) سقط من نسخة فتح البارى، وعبد الله هو ابن المبارك. وانظر صحيح البخارى ٤٩/٥ طبعة الشعب. وتحفة الأشراف ١٢/ ١١١.

(٦) بعده فى النسخ: «من». والمثبت من صحيح البخارى. وهو مناسب للسياق.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ٦١، م.

(٨) بعده فى الأصل، ٦١، م: «من».

(٩ - ٩) فى الأصل، ٦١، م: «لا إلا بالمعروف». وفى البخارى: «لا أراه إلا بالمعروف». والمثبت من ص موافق لإحدى روايات البخارى. انظر صحيح البخارى ٥٠/٥ طبعة الشعب.

كافرٍ يَذِلُّوا فى حالِ كُفْرِهم ، فلمَّا أسْلَموا كان يُحِبُّ أن يَعِزُّوا ، فأعَزَّهم اللَّهُ . يعنى أهلَ خِبائِها .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثنا رَوْحٌ ، ثنا أبو أُميةَ عمرُو بنُ يحيى بنِ سعيدٍ قال : سمِعْتُ جَدِّى يُحَدِّثُ أن مُعاويةَ أخَذ الإداوةَ بعدَ أبى هريرةَ ، فتَبِع رسولَ اللَّهِ ﷺ بها - وكان أبو هريرةَ قد اشْتَكَى - فبينما هو يُوَضِّئُ رسولَ اللَّهِ ﷺ إذ رفَع رأسَه إليه مَرَّةً أو مرَّتَيْن وهو يتَوَضَّأُ ، فقال : « يا مُعاويةُ ، إن وُلِّيتَ أمْرًا فاتَّقِ اللَّهَ واعْدِلْ » . قال معاويةُ : فما زِلْتُ أَظُنُّ أنى سأُبْتَلَى بعملٍ ؛ لقولِ النبىِّ ﷺ حتى ابْتُلِيتُ . تفرَّد به أحمدُ . ورَواه أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[2] ، عن أبى إسْحاقَ الهَمْدَانىِّ سعيدِ بنِ زُنْبورِ بنِ ثابتٍ ، عن عمرِو بنِ يحيى بنِ سعيدٍ . ورَواه ابنُ مَنْدَه[3] مِن حديثِ بشرِ بنِ الحكَمِ ، عن عمرِو بنِ يحيى به .

وقال أبو يَعْلَى[4] : حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، ثنا عمرُو بنُ يحيى بنِ سعيدٍ ، عن جَدِّه ، عن مُعاويةَ قال : اتَّبَعْتُ رسولَ اللَّهِ [٦/١٦٢و] ﷺ بوَضوءٍ ، فلمَّا تَوَضَّأ نظَر إلىَّ فقال : « يا مُعاويةُ ، إن وُلِّيتَ أمْرًا فاتَّقِ اللَّهَ واعْدِلْ » . فما زِلْتُ أَظُنُّ أنى مُبْتَلًى بعملٍ ؛ (٥لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ٥) ، حتى وُلِّيتُ .

ورَواه غالبٌ القَطَّانُ[6] عن الحسنِ قال : سَمِعْتُ مُعاويةَ يَخْطُبُ وهو يقولُ :

---

(١) المسند ٤/ ١٠١.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٩٨/١٦ مخطوط ، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣) المصدر السابق ، من طريق ابن منده به .

(٤) مسند أبى يعلى (٧٣٨٠) . ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٦٩٨، ٦٩٩ مخطوط ، واللفظ له .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٩٩/١٦ مخطوط ، من طريق غالب القطان به .

صَبَبْتُ يومًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ وَضوءَه ، فرفَع رأسَه إليَّ فقال : « أمَا إنك ستَلِى أمْرَ أُمَّتى بعدى ، فإذا كان ذلك فاقْبَلْ مِن مُحْسِنِهم وتَجاوَزْ عن مُسيئِهم » . وقال : فما زلْتُ أرْجو حتى قُمْتُ مَقامى هذا .

وروى البيهقىُّ[1] عن الحاكمِ بسندِه إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ مُهاجِرٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ قال : قال مُعاويةُ : واللَّهِ ما حمَلنى على الخِلافةِ إلا قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « [2]يا معاويةُ[2] ، إن مَلَكْتَ فأحْسِنْ » . قال البيهقىُّ : إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ هذا ضعيفٌ ، إلا أن للحديثِ شَواهِدَ .

وروَى ابنُ عساكرَ[3] بإسنادِه عن نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ : ثنا محمدُ بنُ حربٍ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، ثنا محمدُ بنُ زيادٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجَعىِّ قال : بينما أنا راقدٌ فى كَنيسةِ يُوحَنَّا - وهى يومَئذٍ مَسْجدٌ يُصَلَّى فيها - إذِ انْتَبَهْتُ مِن نَوْمى ، فإذا أنا بأسَدٍ يَمْشِى بينَ يدىَّ ، فوَثَبْتُ إلى سِلاحى ، فقال الأسدُ : مَهْ ، إنما أُرْسِلْتُ إليك برسالةٍ لتُبَلِّغَها . قلتُ : ومَن أرْسَلَك ؟ قال : اللَّهُ أرْسَلنى إليك لتُبَلِّغَ مُعاويةَ السَّلامَ ، وتُعْلِمَه أنه مِن أهلِ الجنةِ . فقلتُ له : ومَن مُعاويةُ ؟ قال : مُعاويةُ ابنُ أبى سفيانَ . ورَواه الطَّبرانىُّ[4] ، عن أبى يزيدَ القَراطِيسِىِّ ، عن المُعَلَّى بنِ الوليدِ القَعْقاعىِّ ، عن محمدِ بنِ حربٍ[5] الخَوْلانىِّ ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مَرْيَمَ الغَسَّانىِّ . وفيه ضَعْفٌ ، وهذا غريبٌ جدًّا ، ولعل الجميعَ مَنامٌ ، ويكونُ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٦٩٧، ٦٩٨ مخطوط .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٦٩٨ مخطوط ، من طريق الطبرانى به .

(٥) فى النسخ : « حبيب » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الجرح والتعديل ٧/ ٢٣٧.

قولُه : إذِ انْتَبَهْتُ مِن نومى . مُدْرجًا[1] لم يَضْبِطْه ابنُ أبى مَرْيَمَ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[3] ، عن الوليدِ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن يونُسَ ، عن الزُّهْرىِّ ، قال : قَدِم عمرُ الجابيةَ فنزَع شُرَحْبِيلَ ، وأمَر عمرَو بنَ العاصِ بالمَسِيرِ إلى مِصْرَ ، وبَقِىَ الشامُ على أمِيرَيْن ؛ أبى عُبَيدةَ ويَزيدَ ، ثم تُوُفِّىَ أبو عُبَيدةَ ، فاسْتَخْلَف عياضَ بنَ غَنْمٍ ، ثم تُوُفِّىَ يَزيدُ ، فأمَّر مُعاويةَ مكانَه ، ثم نَعاه عمرُ لأبى سفيانَ ، فقال : يا أبا سفيانَ ، احْتَسِبْ يزيدَ بنَ أبى سفيانَ . قال : مَن أَمَّرْتَ مكانَه ؟ قال : مُعاويةَ . فقال : وصَلَتْك يا أميرَ المؤمنين رَحِمٌ . فكان على الشامِ مُعاويةُ ، وعُمَيْرُ بنُ سعدٍ ، حتى قُتِل عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : مات أبو عُبَيدةَ فى طاعونِ عَمْواسَ ، واسْتَخْلَف مُعاذًا ، فمات معاذٌ ، واسْتَخْلَف يزيدَ بنَ أبى سُفيانَ فمات ، واسْتَخْلَف أخاه مُعاويةَ ، فأقَرَّه عمرُ ، ووَلَّى عمرَو بنَ العاصِ فِلَسْطِينَ والأُرْدُنَّ ، ومُعاويةَ دِمشقَ وبَعْلَبَكَّ والبَلْقاءَ ، ووَلَّى سعيدَ[5] بنَ عامرٍ [٦/١٦٢ظ] بنِ حِذْيَمٍ[6] حِمْصَ ، ثم جمَع الشامَ كلَّها لمعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، ثم استَمرَّ به عثمانُ بنُ عفانَ على الشامِ .

وقال إسماعيلُ بنُ أُميةَ[7] : أفْرَد عمرُ مُعاويةَ بإمْرةِ الشامِ ، وجعَل له فى كلِّ

---

(١) فى ٦١، ص : « مقحما » .

(٢) ضعفه أحمد وغيره من قبل حفظه . انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٦٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٩٩/١٦ مخطوط ، من طريق محمد بن عائذ به .

(٤) تاريخ دمشق ٦٩٩/١٦ مخطوط .

(٥) فى م : « سعد » . وانظر الإصابة ٣/ ١١١.

(٦) فى الأصل ، ٦١: « خديم » ، وفى م : « جذيم » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٦٣، والإكمال ٦/ ١٨١.

(٧) تاريخ دمشق ٧٠٠/١٦ مخطوط .

شهرٍ ثمانين دينارًا . والصوابُ أن الذى جمَع لمُعاويةَ الشامَ كلَّها عثمانُ بنُ عفانَ ، وأما عمرُ إنما وَلَّاه بعضَ أعْمالِها[1] . وقال بعضُهم[2] : لما عُزِّيَت هندُ فى يزيدَ بنِ أبى سفيانَ - ولم يَكُنْ منها - قيل لها : إنه قد جعَل مُعاويةَ أميرًا مكانَه . فقالت : أوَ مثلُ مُعاويةَ يُجْعَلُ خَلَفًا مِن أحدٍ ؟! فواللَّهِ لو أن العربَ اجْتَمَعَت مُتَوافِرةً ، ثم رُمِىَ به فيها لخَرَج مِن أىِّ أعْراضِها شاء . وقال آخرون[3] : ذُكِر مُعاويةُ عندَ عمرَ ، فقال : دَعُوا فَتَى قريشٍ وابنَ سيدِها ، إنه لَمَن يَضْحَكُ فى الغَضَبِ ولا يُنالُ منه إلا على الرِّضا ، ومَن لا يَأْخُذُ مِن فوقِ رأسِه إلا مَن تحتَ قدَمَيْه .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[4] : حدَّثنى محمدُ بنُ قُدامةَ الجَوْهرىُّ ، حدَّثنى عبدُ العزيزِ بنُ بَحْرٍ[5] ، عن شيخٍ له قال : لما قَدِم عمرُ بنُ الخَطَّابِ الشامَ تَلَقَّاه مُعاويةُ فى مَوْكِبٍ عَظيمٍ ، فلما دَنا مِن عمرَ قال له : أنت صاحبُ المَوْكِبِ العظيمِ[6] ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين . قال[7] : مع ما بَلَغَنى مِن طولِ وُقوفِ ذَوِى الحاجاتِ ببابِك ؟ قال : مع ما بَلَغَك مِن ذلك . قال : ولِمَ تَفْعَلُ هذا[8] ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنا بأرضٍ جَواسِيسُ العدوِّ فيها كثيرةٌ ، فيَجِبُ أن يَظْهرَ مِنْ عِزِّ السُّلْطانِ ما[9] يُرْهِبُهم به ، فإن أمَرْتَنى فعَلْتُ ، وإن نَهَيْتَنى انْتَهَيْتُ . فقال له عمرُ : يا

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٠٠ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٦٩٩، ٧٠٠ .

(٣) المصدر السابق ١٦/٧٠٠ .

(٤) المصدر السابق، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٥) فى النسخ : « يحيى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٣١٠.

(٦) سقط من : الأصل، ٦١، م .

(٧) بعده فى الأصل، ٦١، م : « هذا حالك » .

(٨) بعده فى الأصل، ٦١، م : « لقد هممت أن آمرك بالمشى حافيا إلى بلاد الحجاز » .

(٩) بعده فى الأصل، ٦١، م : « يكون فيه عز للإسلام وأهله و » .

مُعاويةُ ، ما سَأَلْتُك عن شيءٍ إلا تَرَكْتَنى فى مثلِ رَواجِبِ[1] الضِّرْسِ ، لَئِن كان ما قلتَ حَقًّا ، إنه لَرَأْىُ أَرِيبٍ[2] ، ولئن كان باطلًا إنه لَخَدِيعةُ أَدِيبٍ[3] . قال : فمُرْنى يا أميرَ المؤمنين . قال : لا آمُرُك ولا أنْهاك . فقال رجلٌ : يا أميرَ المؤمنين ، ما أحْسَنَ ما صَدَر الفَتَى عما أوْرَدْتَه فيه ! فقال عمرُ : لحُسْنِ مَصادِرِه ومَوارِدِه جَشَّمْناه ما جَشَّمْناه .

وفى روايةٍ[4] أن مُعاويةَ تَلَقَّى عمرَ حينَ قَدِم الشامَ ومُعاويةُ فى مَوْكِبٍ كَثيفٍ ، فاجْتاز بعمرَ وهو وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ راكبان على حمارٍ ، ولم يَشْعُرْ بهما ، فقيل له : إنك جاوَزْتَ أميرَ المؤمنين . فرجَع ، فلمَّا رَأَى عمرَ تَرَجَّل ، وجعَل[5] يقولُ له ماذكَرْنا ، فقال عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ : ما أحْسَن ما صَدَر عما أوْرَدْتَه فيه يا أميرَ المؤمنين ! فقال : مِن أجلِ ذلك جَشَّمْناه ما جَشَّمْناه .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ فى كتابِ « الزُّهْدِ »[6] : أخْبَرَنا محمدُ بنُ أبى ذِئبٍ ، عن مسلمِ بنِ جُنْدُبٍ ، عن أسْلَمَ مَوْلى عُمرَ قال : قَدِم علينا مُعاويةُ ، وهو أبْيضُ أو أَبَضُّ الناسِ وأجْمَلُهم ، فخرَج إلى الحَجِّ مع عمرَ ، فكان عمرُ يَنْظُرُ إليه فيَعْجَبُ له ، ثم يَضَعُ أُصْبُعَه على مَتْنِه ، ثم يَرْفَعُها عن مثلِ الشِّراكِ ، فيقولُ : بَخٍ بَخٍ ، نحن إذًا خيرُ الناسِ ؛ أن جُمِع لنا خيرُ الدنيا والآخِرةِ . فقال مُعاويةُ : يا أميرَ

---

(١) الرواجب : جمع راجبة . وهى ما بين عقد الأصابع من داخل ، والبراجم : العقد المتشنجة فى ظاهر الأصابع . النهاية ٢/ ١٩٧. والمراد أنه يُجْعل فى أضيق ما يكون .

(٢) فى الأصل ، ٦١، م : « أريت » .

(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « أديت » .

(٤) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٠٠، ٧٠١ مخطوط ، عن العتبى .

(٥) بعده فى الأصل ، ٦١: « يمشى وعمر يحدثه حتى ابهار عرقه [٦/ ١٦٣و] وكثر اصفرار لونه وجعل » .

(٦) الزهد (٥٧٦) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٠١ مخطوط ، من طريق ابن المبارك به .

المؤمنين ،سأُحَدِّثُك ؛ إنا بأرضِ الحَمَّاماتِ والرِّيفِ[1] . فقال عمرُ : سأُحَدِّثُك ؛ ما بك[2] إلْطافُك نفسَك بأطْيَبِ الطعامِ وتَصَبُّحُك حتى تَضْرِبَ الشمسُ مَتْنَيْك ، وذَوُو الحاجاتِ وراءَ البابِ[3] . قال : فلمَّا جِئْنا ذا طَوًى أخْرَج مُعاويةُ حُلَّةً فلَبِسها ، فوجَد عمرُ منها رِيحًا كأنه رِيحُ طِيبٍ ، فقال : يَعْمِدُ أحدُكم فيَخْرُجُ حاجًّا تَفِلًا ، حتى إذا جاء أعْظَمَ بُلْدانِ اللَّهِ حُرْمةً أخْرَج ثوبَيْه كأنهما كانا فى الطيبِ فلَبِسهما ! فقال معاويةُ : إنما لَبِسْتُهما لأَدْخُلَ فيهما على عَشِيرتى أو قَوْمى . واللَّهِ لقد بَلَغَنى أذاك هـٰهنا وبالشامِ ، واللَّهُ يَعْلَمُ إنى لقد عَرَفْتُ الحَياءَ فيه . ثم نزَع مُعاويةُ ثوبَيْه ، ولَبِس ثوبَيْه اللذين أحْرَم فيهما .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[4] : حدَّثنى أبى ، عن هشامِ بنِ محمدٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ المدنىِّ قال : كان عمرُ بنُ الخَطَّابِ إذا رأَى مُعاويةَ قال : هذا كِسْرَى العربِ . وهكذا حكَى المَدائنىُّ[5] عن عمرَ أنه قال ذلك .

وقال عمرُو بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأُمَوىُّ[6] ، عن جَدِّه قال : دخَل مُعاويةُ على عمرَ وعليه حُلَّةٌ خَضْراءُ ، فنظَر إليها الصَّحابةُ ، فلمَّا رَأَى ذلك عمرُ وَثَب إليه بالدِّرَّةِ ، فجعَل يَضْرِبُه بها ، وجعَل مُعاويةُ يقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، اللَّهَ اللَّهَ فىَّ . فرَجَع عمرُ إلى مَجْلِسِه ، فقال له القومُ : لِمَ ضَرَبْتَه يا أميرَ المؤمنين وما فى قومِك

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « والشهوات » .
(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « إلا » .
(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « فقال : يا أمير المؤمنين علمنى أمتثل » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٠١ مخطوط ، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٥) المصدر السابق .
(٦) المصدر السابق ١٦/ ٧٠١، ٧٠٢ ، من طريق عمرو بن يحيى بن سعيد به .

مثلُه ؟! فقال : واللَّهِ ما رأيْتُ إلا خيرًا ، وما بَلَغَنى إلا خيرٌ[1] ، ولكنِّى رَأَيْتُه - وأشار بيدِه[2] - فأحْبَبْتُ أن أَضَعَ منه[3] .

وقد قال أبو داودَ[4] : حدثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ الدِّمشقىُّ ، ثنا يحيى بنُ حمزةَ ، ثنا ابنُ أبى مَرْيَمَ ، أن القاسمَ بنَ مُخَيْمِرَةَ أخْبَره أن أبا مَرْيَمَ [٦/١٦٣ظ] الأزْدىَّ أخْبَره قال : دَخَلْتُ على مُعاويةَ فقال : ما أنْعَمَنا بك[5] أبا فلانٍ ؟- وهى كلمةٌ تقولُها العربُ - فقلتُ : حديثٌ سَمِعْتُه أُخْبِرُك به ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن وَلَّاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، شيئًا مِن أمْرِ المسلمين ، فاحْتَجَب دونَ حاجتِهم وخَلَّتِهم[6] وفَقْرِهم ، احْتَجَب اللَّهُ دونَ حاجتِه وخَلَّتِه وفَقْرِه » . قال : فجعَل[7] رجلًا على حَوائجِ الناسِ . ورَواه التِّرْمذىُّ وغيرُه[8] .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حَدَّثنا مَرْوانُ بنُ مُعاويةَ الفَزارىُّ ، ثنا حَبيبُ بنُ الشَّهيدِ ، عن أبى مِجْلَزٍ قال : خرَج مُعاويةُ على الناسِ ، فقاموا له فقال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أحَبَّ أن يَتَمَثَّلَ له الرجالُ قِيامًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النارِ » .

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « ولو بلغنى غير ذلك لكان منى إليه غير ما رأيتم » .
(٢) يعنى : أشار بيده إلى فوق .
(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « ما شمخ » .
(٤) أبو داود (٢٩٤٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٥٥) .
(٥) ما أنعمنا بك ؟ : أى ما الذى أعملك إلينا ، وأقدمك علينا ، وإنما يقال ذلك لمن يُفرَح بلقائه ، كأنه قال : ما الذى أسرنا وأفرحنا وأقر أعيننا بلقائك ورؤيتك ؟ النهاية ٥/ ٨٤.
(٦) الخلة : الحاجة والفقر . النهاية ٢/ ٧٢.
(٧) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « معاوية حين سمع هذا الحديث » .
(٨) الترمذى (١٣٣٣) . والحاكم فى المستدرك ٤/ ٩٣، ٩٤. صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٠٧١) .
(٩) المسند ٤/ ١٠٠، بنحوه . صحيح (السلسلة الصحيحة ٣٥٧) .

وفى روايةٍ[1] قال : خرَج مُعاويةُ على ابنِ عامرٍ وابنِ الزبيرِ ، فقام له ابنُ عامرٍ ، ولم يَقُمْ له ابنُ الزبيرِ ، فقال مُعاويةُ لابنِ عامرٍ : اجْلِسْ ، فإنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أَحَبَّ أن يَتَمَثَّلَ له العِبادُ قِيامًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النارِ » . ورَواه أبو داودَ والتِّرْمذىُّ[2] مِن حديثِ حَبيبِ بنِ الشَّهيدِ ، وقال التِّرْمذىُّ : حَديثٌ حسنٌ .

وروَى أبو داودَ[3] مِن حديثِ الثورىِّ ، عن ثَوْرِ بنِ يَزيدَ ، عن راشدِ بنِ سعدٍ المُقْرائىِّ[4] الحِمْصىِّ ، عن مُعاويةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنك إن تَتَبَّعْتَ عَوْراتِ الناسِ أفْسَدْتَهم . أو : كِدْتَ أن تُفْسِدَهم » . قال : [5]أبو الدرداءِ[5] : كلمةٌ سَمِعها مُعاويةُ نفَعه اللَّهُ بها . تفرَّد به [6]أبو داودَ[6] . يعنى أنه كان جيدَ السِّيرةِ ، حَسَنَ التَّجاوُزِ ، جميلَ العَفْوِ ، كَثيرَ السَّتْرِ ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

وثبَت فى « الصحيحين »[7] مِن حديثِ الزُّهْرىِّ ، عن حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن معاويةَ أنه قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن يُرِدِ اللَّهُ به خيرًا يُفَقِّهْه فى الدِّينِ ، وإنما أنا قاسمٌ واللَّهُ يُعْطِى ، ولا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتى ظاهِرِين على الحقِّ لا يَضُرُّهم مَن خَذَلهم ولا مَن خالَفهم حتى يأتىَ أمْرُ اللَّهِ وهم ظاهرون » . وفى روايةٍ[8] : « وهم على ذلك » . وقد خطَب مُعاويةُ بهذا الحديثِ

---

(١) المسند ٤/ ٩٣، بنحوه .

(٢) أبو داود (٥٢٢٩) ، والترمذى (٢٧٥٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٥٧) .

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٢.

(٤) فى م : « المقرى » . وانظر الأنساب ٥/ ٣٦٦، ٣٦٧، وتهذيب الكمال ٩/ ٨.

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من سنن أبى داود .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ٦١، م : « أحمد » . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٤٣٩، والمسند الجامع ١٥/ ٣٢٦.

(٧) البخارى (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢) ، ومسلم (١٠٠/١٠٣٧) .

(٨) البخارى (٣٦٤١، ٧٤٦٠) .

مَرَّةً ، ثم قال[1] : وهذا مالكُ بنُ يُخامِرَ يُخْبِرُ عن مُعاذٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « وهم بالشامِ » . فحثَّ بهذا أهلَ الشامِ على مُناجَزةِ أهلِ العراقِ - وإن أهلَ الشامِ هم الطَّائفةُ المَنْصورةُ على مَن خالَفها . وهذا مما كان يَحْتَجُّ به [٦/١٦٤و] مُعاويةُ لأهلِ الشامِ فى قِتالِهم أهلَ العراقِ .

وقال الليثُ بنُ سعدٍ[2] : فتَح مُعاويةُ قَيْسارِيَّةَ سنةَ تسعَ عَشْرةَ فى دولةِ عمَر ابنِ الخطابِ . وقال غيرُه[3] : وفتَح قُبْرُسَ سنةَ خمسٍ . وقيل : سنةَ سبعٍ . وقيل : ثمانٍ وعشرين . فى أيامِ عثمانَ . قالوا[4] : وكان عامَ غزوةِ المَضيقِ - يعنى مَضيقَ القُسْطَنْطِينيةِ - فى سنةِ ثِنْتَيْن وثلاثين الأميرُ على الناسِ يومَئذٍ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ ، رضى اللَّهُ عنه ، وجمَع عثمانُ لمُعاويةَ جميعَ الشامِ[5] ، وقد اسْتَقْضَى مُعاويةُ فَضالةَ بنَ عُبَيدٍ بعدَ أبى الدَّرْداءِ ، ثم كان ما كان بينَه وبينَ علىٍّ بعدَ قَتْلِ عُثمانَ ، على سبيلِ الاجْتِهادِ والرَّأْيِ ، فجرَى بينَهما قِتالٌ عظيمٌ ، كما قدَّمْنا[6] ، وكان الحقُّ والصوابُ مع علىٍّ ، ومُعاويةُ مَعْذورٌ عندَ جمهورِ العُلماءِ سَلَفًا وخَلَفًا ، وقد شَهِدَت الأحاديثُ الصحيحةُ بالإسْلامِ للفريقَيْن مِن الطرَفَيْن ؛ أهلِ العراقِ وأهلِ الشامِ .

كما ثبَت فى الحديثِ « الصحيحِ »[7] : « تَمْرُقُ مارِقةٌ على [8]حينِ فُرْقةٍ[8] مِن

---

(١) القائل : عمير بن هانئ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٠٢ مخطوط .

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) انظر المصدر السابق ١٦/ ٧٠٢، ٧٠٣.

(٥) بعده فى م ، ص : « وقيل إن عمر هو الذى جمعها له والصحيح عثمان » .

(٦) تقدم فى ١٠/٤٩٠ وما بعدها .

(٧) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٨ - ٨) فى م : « خير فرقة » . وقد ضبط بالوجهين ؛ أحدهما « حين فُرْقَة » أى وقت افتراق الناس ، والثانى « خير فِرقة » أى أفضل الفرقتين . والأول أشهر . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ١٦٦.

المسلمين ، فيَقْتُلُها أدْنَى الطائفتَيْن إلى الحقِّ » . فكانت المارِقةُ الخَوارِجَ ، وقَتَلهم عليٌّ وأصحابُه ، ثم قُتِل عليٌّ ، فاسْتَقَلَّ مُعاويةُ بالأمْرِ سنةَ إحْدى وأربعين ، وكان يَغْزو الرومَ فى كلِّ سنةٍ مرَّتَيْن ؛ مَرَّةً فى الصيفِ ، ومَرَّةً فى الشِّتاءِ ، ويَأْمُرُ رجلًا مِن قومِه فيَحُجُّ بالناسِ .

وحَجَّ بالناسِ معاويةُ سنةَ خمسين ، وحَجَّ ابنُه يزيدُ سنةَ إحدى وخمسين ، وفيها أو فى التى بعدَها أغْزاه بلادَ الرومِ ، [1]فسار معه خَلْقٌ كثيرٌ مِن كُبَراءِ الصَّحابةِ حتى حاصَر القُسْطَنْطِينيةَ ، وقد ثبَت فى « الصَّحيحِ » : « أولُ جيشٍ يَغْزُو القُسْطَنْطِينيةَ مَغْفورٌ لهم »[1] . وقد تقدَّم هذا كلُّه[2] .

وقال وَكيعٌ[3] ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى صالحٍ قال : كان الحادى يَحْدُو بعثمانَ فيقولُ :

إن الأمـيـرَ بـعـدَه عـلـيٌّ وفى الزبيرِ خَلَفٌ مَرْضِيُّ

فقال كعبٌ : بل هو صاحبُ البَغْلةِ الشَّهْباءِ . يعنى مُعاويةَ . فأتاه معاويةُ فقال : يا أبا إسحاقَ ، تقولُ هذا ، وههنا عليٌّ والزبيرُ وأصحابُ محمدٍ ﷺ ؟ فقال : أنت صاحبُها . ورَواه سَيْفٌ[4] ، عن بدرِ بنِ الخَليلِ ، عن عثمانَ بنِ عَطِيةَ الأسَدىِّ ، عن رجلٍ مِن بنى أسَدٍ قال : مازال مُعاويةُ يَطْمَعُ فيها منذ سَمِع الحادىَ فى أيامِ عثمانَ يقولُ :

إن الأمـيـرَ بـعـدَه عـلـيٌّ وفى الزبيرِ خَلَفٌ مَرْضِيُّ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٢) تقدم فى ٩/ ٢١٦، ٢١٧.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٠٥ مخطوط ، من طريق وكيع به . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ١٣٥، ١٣٦.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى الموضع السابق ، من طريق سيف به .

فقال كعبٌ : كذَبْتَ ، بل صاحبُ البَغْلةِ الشَّهْباءِ بعدَه . يعنى مُعاويةَ . فقال له مُعاويةُ فى ذلك ، فقال : نعم ، أنت الأميرُ بعدَه ، ولكنها واللَّهِ لا تَصِلُ إليك حتى تُكَذِّبَ بحَدِيثى هذا . فوقَعَت فى نَفْسِ مُعاويةَ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[1] : ثنا محمدُ بنُ عَبَّادٍ المكِّىُّ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن [٦/١٦٤ظ] أبى هارونَ قال : قال عمرُ : إياكم والفُرْقةَ بعدى ، فإن فعَلْتُم فإن مُعاويةَ بالشامِ ، وستَعْلَمون إذا وُكِلْتُم إلى رأيِكم كيف يَسْتَبِزُّها دونَكم . ورَواه الواقدىُّ[2] مِن وجهٍ آخرَ ، عن عمرَ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

وقد روَى ابنُ عَساكرَ[3] ، عن عامرٍ الشَّعْبىِّ ، أن عليًّا حينَ بعَث جَريرَ بنَ عبدِ اللَّهِ البَجَلىَّ إلى مُعاويةَ قبلَ وَقْعةِ صِفِّينَ - وذلك حينَ عزَم علىٌّ على قَصْدِ الشامِ ، وجمَع الجيوشَ لذلك - وكتَب معه كتابًا إلى مُعاويةَ يَذْكُرُ له فيه أنه قد لزِمَتْه بَيْعتُه ؛ لأنه قد بايَعه المهاجرون والأنْصارُ ، فإن لم تُبايِعِ اسْتَعَنْتُ باللَّهِ عليك وقاتَلْتُك . وقد أكْثَرْتَ القولَ فى قَتَلةِ عُثمانَ ، فادْخُلْ فيما دخَل فيه الناسُ ، ثم حاكِمِ القومَ إلىَّ أَحْمِلْك وإياهم على كتابِ اللَّهِ . فى كلامٍ طويلٍ ، وقد قدَّمْنا أكثرَه فيما سلف - فقرَأه مُعاويةُ على الناسِ ، وقام جَريرٌ ، فخطَب الناسَ ، وأمَر فى خُطْبتِه مُعاويةَ بالسَّمْعِ والطاعةِ ، وحَذَّره مِن المُخالفةِ والمُعاندةِ ، ونهاه عن إيقاعِ الفِتْنةِ بينَ الناسِ ، وأن يَضْرِبَ بعضُهم بعضًا بالسُّيوفِ . فقال له مُعاويةُ : انْتَظِرْ حتى آخُذَ رَأْىَ أهلِ الشامِ . فلمَّا كان بعدَ ذلك أمَر مُعاويةُ مُنادِيًا ، فنادَى فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . فلمَّا اجْتَمع الناسُ صَعِد المِنْبرَ ، فخطَب فقال : الحمدُ للَّهِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٠٦/١٦ مخطوط ، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٢) المصدر السابق ، من طريق الواقدى به .
(٣) المصدر السابق ٧٠٧/١٦.

الذى جعَل الدَّعائمَ للإسلامِ أرْكانًا ، والشَّرائعَ للإيمانِ بُرْهانًا ، يَتَوَقَّدُ مِصْباحُه بالسُّنَّةِ فى الأرضِ المُقَدَّسةِ التى جَعَلها اللَّهُ مَحِلَّ الأنْبياءِ والصالحين مِن عِبادِه ، فأحَلَّها[1] أهلَ الشامِ ورَضِيهَم لها ، ورَضِيَها لهم ؛ لِمَا سَبَق من مَكْنونِ عِلْمِه مِن طاعتِهم ومُناصَحتِهم أوْلياءَه فيها ، والقُوَّامَ بأمْرِه ، الذابِّين عن دِينِه وحُرُماتِه ، ثم جَعَلهم لهذه الأُمَّةِ نِظامًا ، وفى أعْلامِ الخيرِ عِظامًا ، يَرْدَعُ اللَّهُ بهم الناكِثِين ، ويَجْمَعُ بهم أُلْفةَ المؤمنين ، واللَّهَ نَسْتَعِينُ على[2] ما تَشَعَّث مِن أُمورِ المسلِمِين ، وتَباعَد بينَهم بعدَ القُرْبِ والأُلْفةِ ، اللهم انْصُرْنا على قومٍ يُوقِظون نائِمَنا ، ويُخِيفون آمِنَنا ، ويُرِيدون هِراقةَ دِمائِنا ، وإخافةَ سَبيلِنا ، وقد يَعْلَمُ اللَّهُ أنا لا نُرِيدُ لهم عِقابًا ، ولا نَهْتِكُ لهم حِجابًا ، غيرَ أن اللَّهَ الحميدَ كَسانا مِن الكَرامةِ ثوبًا لن نَنْزِعَه طَوْعًا ما جاوَب الصَّدَى ، وسقَط النَّدَى ، وعُرِف الهُدَى ، [3]وقد عَلِمْنا أن الذى[3] حمَلهم على خِلافِنا البَغْىُ والحَسَدُ لنا ، فاللَّهَ نَسْتَعِينُ عليهم ، أيُّها الناسُ ، قد عَلِمْتُم أنى خَليفةُ [٦/١٦٥و] أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ، وأنى خليفةُ أميرِ المؤمنين عثمانَ عليكم ، وأنى لم أُقِمْ رجلًا منكم على خِزايةٍ قَطُّ ، وأنى وَلِىُّ عثمانَ وابنُ عمِّه ، قال اللَّهُ تعالى فى كتابِه : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء ٣٣] . وقد عَلِمْتُم أنه قُتِل مَظْلومًا ، وأنا أُحِبُّ أن تُعْلِمونى ذاتَ أنفسِكم فى قتلِ عثمانَ . فقال أهلُ الشامِ بأجْمعِهم : بل نَطْلُبُ بدمِه . فأجابوه إلى ذلك وبايَعوه ، ووَثَّقوا له أن يَبْذُلوا فى ذلك أنْفُسَهم وأمْوالَهم ، أو يُدْرِكوا بثَأْرِه ، أو يُفْنِىَ اللَّهُ أرْواحَهم قبلَ ذلك . فلمَّا رأى جَريرٌ مِن طاعةِ أهلِ

---

(١) فى الأصل ، ٦١ : « أهلها » .

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « إصلاح » .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، وليست فى مصدر التخريج .

الشامِ لمُعاويةَ ما رَأى ، أفْزَعه ذلك ، وعَجِب منه . وقال مُعاويةُ لجَرِيرٍ : إن وَلَّانى على الشامِ ومِصْرَ بايَعْتُه على ألَّا يكونَ لأحدٍ بعدَه عليٌّ بَيْعةٌ . فقال : اكْتُبْ إلى عليٍّ بما شئتَ ، وأنا أَكْتُبُ معك . فلمَّا بلَغ عليًّا الكتابُ قال : هذه خَديعةٌ ، وقد سأَلنى المُغيرةُ بنُ شُعبةَ أن أُوَلِّىَ مُعاويةَ الشامَ وأنا بالمدينةِ ، فأبَيْتُ ذلك وما كنتُ مُتَّخِذَ المضلِّين عَضُدًا . ثم كتَب إلى جَريرٍ بالقدُومِ عليه ، فما قَدِم إلا وقد اجْتَمَعت العَساكرُ إلى عليٍّ ، وكتَب مُعاويةُ إلى عمرِو بنِ العاصِ - وكان مُعْتَزِلًا بفِلَسْطِينَ حينَ قُتِل عُثمانُ - وكان عثمانُ قد عَزَله عن مِصْرَ ، فكتَب إليه مُعاويةُ يَسْتَدْعِيه ليَسْتَشِيرَه فى أُمورِه ، فركِب إليه ، فاجْتَمَعا على حربِ عليٍّ .

وقد قال الوليدُ بنُ عُقْبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ ، فى كتابِ مُعاويةَ إلى عليٍّ حينَ سَأَله نِيابةَ الشامِ ومصرَ ، فكتَب إلى مُعاويةَ يُؤَنِّبُه ويَلُومُه على ذلك ويُعَرِّضُ بأشياءَ فيه :

معاوىَ إنَّ الشامَ شامُك فاعْتَصِمْ ... بشامِك لا تُدْخِلْ عليك الأفاعِيَا
وحامِ عليها (١بالقبائلِ والقَنا١) ... ولا تكُ مخشوشَ(٢) الذراعين وانيا
فإن عليًّا ناظرٌ ما تُجيبُهُ ... فأَهدِ له حرْبًا تُشيبُ النواصيا
وإلا فسَلِّمْ إنَّ فى الأمْنِ راحةً ... لمن لا يُرِيدُ الحربَ فاخْتَرْ مُعاوِيَا
وإنَّ كتابًا يا بنَ حربٍ كتَبْتَهُ ... على طَمَعٍ جانٍ عليك الدَّواهِيَا
سأَلْتَ عليًّا فيه ما لا تَنالُهُ ... ولو نِلْتَه لم يَبْقَ إلا لياليَا
إلى أن تَرَى منه التى(٣) ليس بعدَها ... بقاءٌ فلا تُكْثِرْ عليك الأمانِيَا

(١ - ١) فى الأصل، ا ٦، م: «بالقتال وبالقنا».
(٢) فى ص، والمصدر: «محسوس». ومخشوش: مقيد. يقال: خش البعيرَ إذا جعل فى أنفه الخشاش وهو عود يجعل فى أنف البعير يشد به الزمام. انظر الوسيط (خ ش ش).
(٣) فى ص، والمصدر: «الذى».

[٦/١٦٥ظ] ومثلُ عليٍّ تَغْتَرِرْه بخَدْعةٍ وقد كان ما جَرَّبْتَ[(١)] مِن قبلُ كافيا[(٢)]

ولو نَشِبَت أظفارُهُ فيك مَرَّةً حذاكَ[(٣)] ابنَ هندٍ بعدَ ما كنتَ حاذيا[(٤)]

وقد وَرَد مِن غيرِ وجهٍ أن أبا مسلمٍ الخَوْلانيَّ وجماعةً معه دَخَلوا على مُعاويةَ، فقالوا له: أنت تُنازِعُ عليًّا أم أنت مثلُه؟ فقال: واللَّهِ إنى لَأَعْلَمُ أنه خيرٌ منى وأفْضَلُ، وأحَقُّ بالأمْرِ منى، ولكن أَلَسْتُم تَعْلَمون أن عثمانَ قُتِل مظلومًا، وأنا ابنُ عمِّه، وأنا أَطْلُبُ بدمِه، وأمْرُه إلىَّ؟ فقولوا له فلْيُسَلِّمْ إلىَّ قَتَلةَ عثمانَ، وأنا أُسَلِّمُ له أمْرَه. فأَتَوْا عليًّا، فكَلَّموه فى ذلك، فلم يَدْفَعْ إليهم أحدًا، فعندَ ذلك صَمَّم أهلُ الشامِ على القِتالِ مع مُعاويةَ[(٥)].

وعن عمرِو بنِ شَمِرٍ[(٦)]، عن جابرٍ الجُعْفىِّ، عن عامرٍ الشَّعْبىِّ أو أبى جعفرٍ الباقرِ، قال: بعَث علىٌّ رجلًا إلى دِمشقَ يُنْذِرُهم أن عليًّا قد نَهَد فى أهلِ العراقِ إليكم؛ ليَسْتَعْلِمَ طاعتَهم لمُعاويةَ، فلمَّا قَدِم، أمَر مُعاويةُ فنُودِىَ فى الناسِ: الصلاةَ جامعةً. فمَلَئُوا المسجدَ، ثم صَعِد المِنْبرَ، فقال فى خطبتِه: إن عليًّا قد نَهَد إليكم فى أهلِ العراقِ، فما الرأىُ؟ فضرَب كلٌّ منهم على صَدْرِه، ولم يَتَكَلَّمْ أحدٌ منهم، ولا رَفَعوا إليه أبْصارَهم، وقام ذو الكَلاعِ فقال: يا أميرَ المؤمنين، عليك الرأىُ وعلينا [(٧)]امْفِعالُ. يعنى[(٧)]: الفِعالَ. ثم نادَى مُعاويةُ فى الناسِ أنِ اخْرُجوا

---

(١) فى م: «خربت».

(٢) فى الأصل، ٦١، م: «بانيا».

(٣) فى الأصل، ٦١، م: «فراك». والحذو: القطع. النهاية ١/ ٣٥٧.

(٤) فى الأصل، ٦١، م: «فاريا».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧١٠ مخطوط.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧١٢، ٧١٣ مخطوط، من طريق عمرو بن شمر به، نحوه مطولًا.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ٦١، م.

إلى مُعَسكرِكم فى ثلاثٍ ، فمَن تَخَلَّف فقد أحَلَّ بنفسِه . فاجْتَمَعوا كلُّهم ، فركِب ذلك الرجلُ إلى علىٍّ فأخْبَره ، فأمَر علىٌّ مُنادِيًا فنادَى : الصلاةَ جامعةً . فاجْتَمعوا ، فصَعِد المِنْبرَ فقال : إن مُعاويةَ قد جمَع الناسَ لحربِكم ، فما الرأىُ ؟ فقال كلُّ فريقٍ منهم مَقالةً ، واخْتَلَط كلامُ بعضِهم فى بعضٍ ، فلم يَدْرِ علىٌّ مما قالوا شيئًا ، فنزَل عن المنبرِ وهو يقولُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ذهَب واللَّهِ بها ابنُ آكِلةِ الأكْبادِ . ثم كان مِن أمْرِ الفريقَيْن بصِفِّينَ ما كان ، كما ذكرْناه مَبْسوطًا فى سنةِ ستٍّ وثلاثين .

وقد قال أبو بكرِ بنُ دُرَيْدٍ[1] : أنبأنا أبو حاتمٍ ، عن أبى عُبَيدةَ قال : قال مُعاويةُ : لقد وضَعْتُ رِجْلى فى الرِّكابِ ، وهَمَمْتُ يومَ صِفِّينَ بالهَزيمةِ ، فما منَعنى إلا قولُ ابنِ الإطْنابَةِ حيث يقولُ :

[٦/١٦٦و] أبَتْ لى عِفَّتى وأَبَى بَلائى ... وأخْذى الحَمْدَ بالثمنِ الرَّبيحِ
وإكْراهى على المَكْروهِ نَفْسى ... وضَرْبى هامَةَ البطلِ المُشِيحِ
وقَوْلى كلما جَشَأَت وجاشَتْ ... مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْتَرِيحى

ورَوَى البيهقىُّ[2] عن الإمامِ أحمدَ أنه قال : الخُلفاءُ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ . فقيل له : فمُعاويةُ ؟ قال : لم يَكُنْ أحدٌ أحَقَّ بالخِلافةِ فى زمانِ علىٍّ مِن علىٍّ ، ورَحِم اللَّهُ مُعاويةَ .

وقال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[3] : سمِعْتُ سفيانَ بنَ عُيَينةَ يقولُ : ما كانت فى علىٍّ خَصْلةٌ تَقْصُرُ به عن الخِلافةِ ، ولم يَكُنْ فى مُعاويةَ خَصْلةٌ يُنازِعُ عليًّا بها .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧١٣ مخطوط ، من طريق أبى بكر بن دريد به . وانظر ما تقدم فى ١٠/٥٢٣.

(٢) المصدر السابق ١٦/٧١٤ ، من طريق البيهقى به .

(٣) المصدر السابق ١٦/٧١٣، ٧١٤، من طريق على بن المدينى به .

وقيل لشَرِيكٍ القاضى : كان مُعاويةُ حَليمًا ؟ فقال : ليس بحَليمٍ مَن سَفِه الحَقَّ وقاتَل عليًّا . رَواه ابنُ عَساكرَ[1] .

وقال سُفيانُ الثَّوْرىُّ[2] ، عن حَبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه ذكَر مُعاويةَ وأنه لَبَّى عَشِيةَ عَرَفةَ ، فقال فيه قولًا شديدًا ، ثم بَلَغه أن عليًّا لَبَّى عَشِيةَ عَرَفةَ ، فترَكه .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[3] : حدَّثنى عَبَّادُ بنُ موسى ، ثنا علىُّ بنُ ثابتٍ الجزَرىُّ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن عمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ وأبو بكرٍ وعمرُ جالسان عندَه ، فسَلَّمْتُ وجَلَسْتُ ، فبينا أنا جالسٌ إذ أُتِىَ بعلىٍّ ومُعاويةَ ، فأُدْخِلا بيتًا وأُجِيف البابُ[4] وأنا أَنْظُرُ ، فما كان بأسْرَعَ مِن أن خرَج علىٌّ وهو يقولُ : قُضِى لى وربِّ الكَعْبةِ . ثم ما كان بأسْرَعَ مِن أن خَرَج مُعاويةُ وهو يَقولُ : غُفِر لى وربِّ الكعبةِ .

ورَوَى ابنُ عَساكرَ[5] ، عن أبى زُرْعةَ الرازىِّ ، أنه قال له رجلٌ : إنى أُبْغِضُ مُعاويةَ . فقال له : ولِمَ ؟ قال : لأنه قاتَل عليًّا . فقال له أبو زُرْعةَ : ويْحَك ! إن ربَّ مُعاويةَ ربٌّ رَحيمٌ ، وخَصْمَ مُعاويةَ خَصْمٌ كَريمٌ ، فأَيْشِ دُخولُك أنت بينَهما ؟! رضِىَ اللَّهُ عنهما .

وسُئِل الإمامُ أحمدُ[6] عما جَرَى بينَ علىٍّ ومُعاويةَ ، فقرَأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٧١٤ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٧١٣، من طريق الثورى به .

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧١٥، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٤) أجيف الباب : أغلق .

(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧١٥.

(٦) المصدر السابق .

خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤]. وكذا قال غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ.

وقال الأوْزاعيُّ[(١)]: سُئِل الحسنُ عمَّا جَرَى بينَ عليٍّ وعثمانَ فقال: كانتْ لهذا سابقةٌ ولهذا سابقةٌ، ولهذا قَرابةٌ ولهذا قرابةٌ، فابْتُلِيَ هذا وعُوفِيَ هذا. وسُئِل عما جَرَى بينَ عليٍّ ومُعاويةَ فقال: كانت لهذا قَرابةٌ ولهذا قَرابةٌ، ولهذا سابقةٌ، ولم يكنْ لهذا سابقةٌ، [٦/١٦٦ظ] فابْتُلِيا جميعًا.

وقال كُلْثومُ بنُ جَوْشَنٍ[(٢)]: سأَل النَّضْرُ أبو عمرَ الحسنَ البَصْريَّ فقال: أبو بكرٍ أفضلُ أم عليٌّ؟ فقال: سبحانَ اللَّهِ! ولا سَواءَ، سبَقَت لعليٍّ سَوابقُ شَرِكَه فيها أبو بكرٍ، وأحْدَث عليٌّ أحْداثًا لم يَشْرَكْه فيها أبو بكرٍ، أبو بكرٍ أفضلُ. فقال: فعمرُ أفضلُ أم عليٌّ؟ فقال مثلَ قولِه الأولِ، ثم قال: عمرُ أفضلُ. ثم قال: عثمانُ أفضلُ أم عليٌّ؟ فقال مثلَ قولِه الأولِ، ثم قال: عثمانُ أفضلُ. قال: فعليٌّ أفضلُ أم مُعاويةُ؟ فقال: سبحانَ اللَّهِ! ولا سَواءَ، سبَقَت لعليٍّ سَوابقُ لم يَشْرَكْه فيها مُعاويةُ، وأحْدَث عليٌّ أحْداثًا شَرِكه فيها مُعاويةُ، عليٌّ أفضلُ مِن مُعاويةَ.

وقد رُوِيَ عن الحسنِ البَصْريِّ أنه كان يَنْقِمُ على مُعاويةَ أربعةَ أشْياءَ؛ قِتالَه عليًّا، وقَتْلَه حُجْرَ بنَ عَدِيٍّ، واسْتِلْحاقَه زِيادَ ابنَ أبيه، ومُبايَعتَه ليزيدَ ابنِه.

وقال جَريرُ بنُ عبدِ الحَميدِ[(٣)]، عن مُغيرةَ قال: لَمَّا جاء خبرُ قتلِ عليٍّ إلى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧١٥ مخطوط.
(٢) المصدر السابق.
(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ١٢٩.

مُعاويةَ جعَل يَبْكى ، فقالت له امرأتُه : أتَبْكِيه وقد قاتَلْتَه ؟ فقال : ويحَكِ ! إنكِ لا تَدْرِين ما فقَد الناسُ مِن الفَضْلِ والفِقْهِ والعِلْمِ . وفى روايةٍ[1] أنها قالت له : بالأمْسِ تُقاتِلُه واليومَ تَبْكِيه ؟!

قلتُ : وقد كان مَقْتَلُ علىٍّ فى رَمضانَ سنةَ أربعين كما قدمنا[2] . ولهذا قال الليثُ بنُ سعدٍ[3] : إن مُعاويةَ بُويِع له بإيلِيَاءَ بَيْعةَ الجَماعةِ ، ودَخَل الكُوفةَ سنةَ أربعين . والصَّحيحُ الذى قاله ابنُ إسحاقَ[4] والجمهورُ[5] ؛ أنه بُويع له بإيلِيَاءَ فى رَمضانَ سنةَ أربعين ، حينَ بَلَغ أهلَ الشامِ مَقْتَلُ علىٍّ ، ولكنه إنما دَخَل الكُوفةَ بعد مُصالحةِ الحسنِ له فى شهرِ ربيعٍ الأولِ ، سنةَ إحْدى وأربعين ، وهو عامُ الجَماعةِ ، وذلك بمَكانٍ يقالُ له : أَذْرُحُ . وقيل : بمَسْكِنَ . مِن أرضِ سَوادِ العِراقِ مِن ناحيةِ الأنْبارِ ، فاسْتَقَلَّ مُعاويةُ بالأمْرِ إلى أن مات سنةَ ستين . وقد قال بعضُهم[5] : كان نَقْشُ خاتَمِ مُعاويةَ : لكلِّ عملٍ ثَوابٌ . وقيل : بل كان : لا قوةَ إلا باللَّهِ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ وسعيدُ بنُ منصورٍ ، قالا : ثنا أبو مُعاويةَ ، ثنا الأعْمشُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ قال : صَلَّى بنا مُعاويةُ بالنُّخَيْلةِ - يعنى خارجَ الكُوفةِ - الجُمعةَ فى الضُّحَى ، ثم خَطَبَنا فقال : ما قاتَلْتُكم لِتَصُوموا ، ولا لتُصَلُّوا ، ولا لتَحُجُّوا ، ولا لتُزَكُّوا ، قد عرَفْتُ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٤٣٠، ٤٣١ مخطوط .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٣.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧١٧.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٦/ ٧١٧، ٧١٨، مخطوط . وانظر ما تقدم فى صفحات ١٣٢ - ١٣٤.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ٧١٨ مخطوط .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٧١٩، من طريق يعقوب بن سفيان به .

أنكم تَفْعَلون ذلك ، ولكن إنما قاتَلْتُكم لأَتَأَمَّرَ عليكم ، فقد أعْطانى اللَّهُ ذلك وأنتم كارِهون . ورَواه محمدُ [٦/١٦٧و] بنُ سعدٍ ، عن يَعْلَى بنِ عُبَيدٍ ، عن الأعْمشِ به[(١)] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[(١)] : حدَّثنا عارِمٌ ، ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهرىِّ ، أن مُعاويةَ عَمِل سنتَيْن عَمَلَ عمرَ ما يَخْرِمُ فيه ، ثم إنه بَعِدَ .

وقال نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ[(٢)] : حدَّثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن السَّرِىِّ بنِ إسماعيلَ ، عن الشَّعْبىِّ ، حدَّثنى سفيانُ بنُ اللَّيْلِ قال : قلتُ للحسنِ بنِ علىٍّ لمّا قَدِم مِن الكُوفةِ إلى المدينةِ : يا مُذِلَّ المؤمنين . قال : لا تَقُلْ ذلك ، فإنى سمعتُ أبى[(٣)] يَقولُ : لا تَذْهَبُ الأيامُ والليالى حتى يَمْلِكَ مُعاويةُ . فعَلِمْتُ أن أمْرَ اللَّهِ واقعٌ ، فكَرِهْتُ أن تُهَراقَ بينى وبينَه دِماءُ المسلمين .

وقال مُجالِدٌ[(٤)] ، عن الشَّعْبىِّ ، عن الحارثِ الأعْورِ قال : قال علىٌّ بعدَما رجَع مِن صِفِّينَ : أيُّها الناسُ ، لا تَكْرَهوا إمارةَ مُعاويةَ ، فإنكم لو فَقَدْتُموه رأيْتُم الرءوسَ تَنْدُرُ عن كَواهِلِها كأنها الحَنْظَلُ .

وقال ابنُ عَساكرَ بإسنادِه عن أبى داودَ الطَّيالسىِّ[(٥)] ، ثنا أيوبُ بنُ جابرٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن الأسْودِ بنِ يزيدَ قال : قلتُ لعائشةَ : ألا تَعْجَبين لرجلٍ مِن الطُّلَقاءِ يُنازِعُ أصحابَ محمدٍ ﷺ فى الخِلافةِ ؟ فقالت : وما تَعْجَبُ مِن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧١٩ مخطوط ، من طريق محمد بن سعد به .
(٢) المصدر السابق ١٦/ ٢١٩، ٢٢٠، من طريق نعيم بن حماد به . والخبر فى الفتن لنعيم (٢٦٧، ٤٢٢) مرفوعا بنحوه . وانظر ما تقدم فى ٩/ ٢١٠.
(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « رسول الله ﷺ » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٢٠ مخطوط ، من طريق مجالد به .
(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧١٧.

ذلك ؟ هو سلطانُ اللَّهِ يُؤْتِيه البَرَّ والفاجرَ ، وقد مَلَك فِرْعونُ أهلَ مصرَ أربعَمائةِ سنةٍ[1] .

وقال الزهريُّ[2] : حدَّثنى القاسمُ بنُ محمدٍ ، أن مُعاويةَ حينَ قَدِم المدينةَ يُرِيدُ الحَجَّ دَخَل على عائشةَ ، فكَلَّمها خالِيَيْن لم يَشْهَدْ كلامَهما أحدٌ إلا ذَكْوانُ أبو عمرٍو مَوْلى عائشةَ ، فقالت : أَمِنْتَ أن أُخَبِّئَ لك رجلًا يَقْتُلُك بقَتْلِك أخى محمدًا ؟ فقال : صَدقتِ . [3]فكَلَّمها مُعاويةُ[3] ، فلما قَضَى كلامَه معها تَشَهَّدَت عائشةُ ، ثم ذكَرَت ما بعَث اللَّهُ به نبيَّه ﷺ من الهُدَى ودينِ الحَقِّ ، والذى سَنَّ الخُلفاءُ بعدَه ، وحَضَّت مُعاويةَ على اتِّباعِ أمْرِهم ، فقالت فى ذلك فلم تَتْرُكْ[4] ، فلمَّا قَضَت مَقالتَها قال لها مُعاويةُ : أنت واللَّهِ العالمةُ بأمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، الناصحةُ المُشْفِقةُ البَليغةُ المَوْعِظةِ ، حَضَضْتِ على الخيرِ وأمَرْتِ به ، ولم تَأْمُرِينا إلا بالذى هو لنا ، وأنتِ أهلٌ أن تُطاعى . وتَكَلَّمَت هى ومُعاويةُ كلامًا كثيرًا . فلمَّا قام مُعاويةُ اتَّكأ على ذَكْوانَ وقال : واللَّهِ ما سَمِعْتُ خَطيبًا ليس رسولَ اللَّهِ ﷺ أبْلَغَ مِن عائشةَ . [٦/١٦٧ظ]

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5] : حدَّثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ البَجَلىُّ ، ثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنى عَلْقمةُ بنُ أبى عَلْقمةَ ، عن أُمِّه قالت : قَدِم مُعاويةُ بنُ أبى سُفيانَ المَدينةَ ، فأرْسَل إلى عائشةَ أن أرْسِلى إلىَّ بأنْبِجانِيَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وشَعْرِه ، فأرْسَلَت به معى أَحْمِلُه ، حتى دَخَلْتُ به عليه ، فأخَذ الأنْبِجانِيَّةَ ، فلَبِسها ، وأخَذ

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وكذلك غيره من الكفار » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٢٠ ، من طريق الزهرى به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « له عذرا » . يقال : قال فيه فما اتَّرك . أى ما ترك شيئا . اللسان (ت ر ك) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٢١ مخطوط ، من طريق محمد بن سعد به .

شَعْرَه فدَعا بماءٍ ، فغسَله وشَرِبه ، وأفاض على جِلْدِه .

وقال الأصْمَعيُّ[1] ، عن الهُذَليِّ ، عن الشعبيِّ قال : لما قَدِم مُعاويةُ المَدينةَ عامَ الجَماعةِ تَلَقَّتْه رجالٌ مِن وُجوهِ قريشٍ فقالوا : الحمدُ للَّهِ الذى أعَزَّ نَصْرَك ، وأعْلَى أمْرَك . فما رَدَّ عليهم جَوابًا حتى دَخَل المدينةَ ، فقصَد المسجدَ وعَلا المِنْبرَ ، فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أما بعدُ ، فإنى واللَّهِ ما وَلِيتُ أمْرَكم حينَ وَلِيتُه وأنا أعْلَمُ أنكم لا تُسَرُّون بوِلايتى ولاتُحِبُّونها ، وإنى لَعالمٌ بما فى نُفوسِكم[2] ، ولكنى خالَسْتُكم بسَيفى هذا مُخالَسةً ، ولقد رُمْتُ نَفْسى على عملِ ابنِ أبى قُحافَةَ فلم أَجِدْها تَقومُ بذلك[3] ، وأَرَدْتُها على عملِ ابنِ الخطابِ ، فكانت أشَدَّ نُفورًا[4] ، وحاوَلْتُها على مثلِ سُنَيَّاتِ عثمانَ ، فأبَتَ علىَّ ، وأين مثلُ هؤلاء[5] ؟! هَيْهاتَ أن يُدْرِكَ فَضْلَهم أحدٌ ممَّن بعدَهم ، رَحْمةُ اللَّهِ ورِضْوانُه عليهم ، غيرَ أنى سَلَكْتُ بها طريقًا لى فيه مَنْفعةٌ ، ولكم فيه مثلُ ذلك ، ولكلٍّ فيه مُؤاكَلةٌ حَسَنةٌ ، ومُشارَبةٌ جَميلةٌ ، ما اسْتَقامت السِّيرةُ وحَسُنَت الطاعةُ ، فإن لم تَجِدوني خيرَكم فأنا خيرٌ لكم ، واللَّهِ لا أَحْمِلُ السيفَ على مَن لا سيفَ معه ، ومهما تقَدَّم مما قد عَلِمْتُموه فقد جعَلْتُه دَبْرَ أُذُنى ، وإن لم تَجِدونى أَقومُ بحقِّكم كلِّه فارْضَوْا منى ببعضِه ، فإنها ليستْ بقائِبةِ قُوبِها ، وإنَّ السَّيْلَ إذا جاء تَتْرَى - وإن قلَّ - أَغْنَى[6] ، وإياكم والفتنةَ فلا تَهُمُّوا بها ، فإنها تُفْسِدُ المَعِيشةَ ، وتُكَدِّرُ النِّعْمةَ ، وتُورِثُ الاسْتِئْصالَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لى ولكم . ثم نزَل . قال أهلُ اللغةِ : القائبةُ : البَيْضةُ ، والقُوبُ : الفَرْخُ ، قابَتِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢١/١٦ مخطوط ، من طريق الأصمعى به .

(٢) بعده فى الأصل ، ا ٦، م : « من ذلك » .

(٣) بعده فى الأصل ، ا ٦، م : « ولا تقدر عليه » .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ٦، م : « وأعظم هربًا من ذلك » .

(٥) بعده فى الأصل ، ا ٦، م : « ومن يقدر على أعمالهم » .

(٦) فى النسخ ومصدر التخريج : « أغثى » ، والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٤٨/٣، وجاء فى العقد الفريد ٨٢/٤: « فإن السيل إذا زاد عنَّى ، وإن قلَّ أغنى » .

البيضةُ تَقُوبُ إذا انْفَلَقَت عن الفَرْخِ[1] .

والظاهرُ أنَّ هذه الخُطْبةَ كانتْ عامَ حَجَّ فى سنةِ أربعٍ وأربعين ، أو فى سنةِ خمسين ، لا فى [٦/١٦٨و] عامِ الجَماعةِ .

وقال الليثُ[2] : حدَّثنى عُلْوانُ بنُ داودَ ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ ، أن معاويةَ قَدِم المدينةَ أولَ حَجَّةٍ حَجَّها بعدَ اجْتماعِ الناسِ عليه ، فلَقِيَه الحسنُ والحسينُ ورجالٌ مِن قريشٍ ، فتَوَجَّه إلى دارِ عثمانَ بنِ عفانَ ، فلمَّا دَنا إلى بابِ الدارِ صاحتْ عائشةُ بنتُ عثمانَ ، وندَبَت أباها ، فقال مُعاويةُ لمَن معه : انْصَرِفوا إلى مَنازِلِكم فإنَّ لى حاجةً فى هذه الدارِ . فانْصَرَفوا ودخَل ، فسَكَّن عائشةَ ، وأمَرها بالكَفِّ ، وقال لها : يا بنتَ أخى ، إن الناسَ أعْطَوْنا سُلْطانًا فأظْهَرْنا لهم حِلْمًا تحتَه غَضَبٌ ، وأظْهَروا لنا طاعةً تحتَها حِقْدٌ ، فبِعْناهم هذا ، وباعونا هذا ، فإن أعْطَيْناهم غيرَ ما اشْتَرَوْا شَحُّوا [3]على حقِّهم[3] ، ومع كلِّ إنسانٍ منهم شِيعةٌ ، وهو يَرَى مكانَ شِيعتِهم ، فإن نَكَثْناهم نَكَثوا بنا ، ثم لا نَدْرِى أتَكونُ لنا الدائرةُ أم علينا ؟ وأن تَكُونى ابنةَ عثمانَ أميرِ المؤمنين خيرٌ مِن أن تَكونى أَمَةً مِن إماءِ المسلمين ، ونِعْمَ الخَلَفُ أنا لكِ بعدَ أبيكِ .

وقد رَوَى ابنُ عَدِىٍّ[4] ، مِن طريقِ علىِّ بنِ زيدٍ ، وهو ضعيفٌ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ ، ومِن حديثِ مُجالِدٍ[5] ، وهو ضَعيفٌ أيضًا ، عن

---

(١) والمعنى : أن الفرخ إذا فارق بيضته لم يعد إليها . النهاية ٤/ ١١٨. أى أن الأمر سيظل على ما هو عليه ولن يعود كما كان .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢١/١٦ مخطوط ، من طريق الليث به .

(٣ - ٣) فى الأصل : «على حقهم علينا بحقهم» . وفى م : «علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم» .

(٤) الكامل ٥/ ١٨٤٤.

(٥) المصدر السابق ٦/ ٢٤١٦.

أبى الوَدَّاكِ ، عن أبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا رأيْتُم مُعاويةَ على مِنْبرى فاقْتُلوه » . أسنده أيضًا مِن طريق الحكَمِ بنِ ظُهَيْرٍ[1] ، وهو مَتْروكٌ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن ابنِ مَسْعودٍ مرفوعًا . وهذا الحديثُ كَذِبٌ بلا شكٍّ ، ولو كان صحيحًا لَبادَر الصَّحابةُ إلى فِعْلِ ذلك ؛ لأنَّهم كانوا لا تَأْخُذُهم فى اللَّهِ لَوْمَةُ لائمٍ . وأرْسَله عمرُو بنُ عُبَيدٍ عن الحسنِ البَصْرىِّ[2] . قال أيوبُ : وهو كَذِبٌ . ورَواه الخَطِيبُ البَغْدادىُّ[3] بإسنادٍ مجهولٍ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ مَرْفوعًا : « إذا رأيْتُم مُعاويةَ يَخْطُبُ على مِنْبرى فاقْتلوه[4] فإنه أمينٌ مَأْمونٌ » .

وقد قال أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ[5] ، عن دُحَيْمٍ ، عن الوليدِ ، عن الأوْزاعىِّ قال : أدْرَكَتْ خِلافةَ مُعاويةَ عِدَّةٌ مِن الصَّحابةِ ؛ منهم أُسامةُ ، وسعدٌ ، وجابرٌ ، وابنُ عمرَ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، ومَسْلَمةُ بنُ مُخَلَّدٍ ، وأبو سعيدٍ ، ورافعُ بنُ خَديجٍ ، وأبو أُمامةَ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، ورجالٌ أكْثَرُ ممَّن سَمَّيْنا بأضْعافٍ مُضاعَفةٍ ، كانوا مَصابِيحَ الهُدَى ، وأوْعِيةَ العِلْمِ ، حَضَروا مِن الكتابِ تَنْزِيلَه[6] ، وأخَذوا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ تَأْويلَه ؛ ومِن التابعين لهم بإحسانٍ إن شاء اللَّهُ ، منهم المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ ، [٦/١٦٨ظ] وعبدُ الرحمنِ بنُ الأسْودِ بنِ عبدِ يَغُوثَ ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، وعروةُ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مُحَيْرِيزٍ ، فى أشْباهٍ لهم لم يَنْزِعوا يدًا عن

---

(١) الكامل ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٢٢، مخطوط .

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٥٩، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٣/١٦ مخطوط ، من طريق الخطيب البغدادى به .

(٤) فى النسخ : « فاقتلوه » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) تاريخ أبى زرعة ١/ ١٨٩، ١٩٠، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٣/١٦ مخطوط ، من طريق أبى زرعة به ، واللفظ له .

(٦) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « ومن الدين جديده ، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم » .

مُجامَعةٍ فى أمَّةِ محمدٍ ﷺ .

وقال أبو زُرْعةَ[1] ، عن دُحَيْم ، عن الوَليدِ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ قال : لما قُتِل عثمانُ لم يَكُنْ للناسِ غازيةٌ تَغْزو ، حتى كان عامُ الجَماعةِ فأغْزا مُعاويةُ أرضَ الرُّومِ سِتَّ عشْرةَ غَزْوةً ، تَذْهَبُ سَرِيَّةٌ فى الصيفِ وتَشْتو بأرضِ الرُّومِ ، ثم تَقْفِلُ وتَعْقُبُها أُخْرى ، وكان فى جملةِ مَن أغْزَا ابنُه يزيدُ ، ومعه خَلْقٌ مِن الصَّحابةِ ، فجاز بهم الخَليجَ ، وقاتَلوا أهلَ القُسْطَنْطِينيةِ على بابِها ، ثم قَفَل بهم ، وكان آخرَ ما أوْصَى به مُعاويةُ أن قال : شُدُّوا خِناقَ الرومِ .

وقال ابنُ وَهْبٍ[2] ، عن يونُسَ ، عن الزهريِّ قال : حَجَّ بالناسِ مُعاويةُ فى أيامِ خِلافتِه مرتين ، وكانت أيامُه عشرين سنةً إلا أَشْهُرًا .

وقال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[3] : حَجَّ بالناسِ مُعاويةُ سنةَ أربعٍ وأربعين ، وسنةَ خمسين . وقال غيرُه[4] : سنةَ إحدى وخمسين . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الليثُ بنُ سعدٍ[5] : حدَّثنا بُكَيْرٌ ، عن بُسْرِ بنِ سعيدٍ ، أن سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ قال : ما رأيْتُ أحدًا بعدَ عُثمانَ أقْضَى بحقٍّ مِن صاحبِ هذا البابِ . يعنى مُعاويةَ .

وقال عبدُ الرزاقِ[6] : حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ،

---

(١) تاريخ أبى زرعة ١/ ١٨٨. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٣/١٦ من طريق أبى زرعة به .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٣/١٦ مخطوط ، من طريق ابن وهب به .
(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٢٤.
(٤) المصدر السابق عن خليفة بن خياط ، وانظر تاريخ خليفة ١/ ٢٥٨.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٢٤، من طريق الليث بن سعد به .
(٦) مصنف عبد الرزاق (٢٠٧١٧) ، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٤/١٦ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

ثنا المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ أنه وَفَد على مُعاويةَ ، قال : فلمَّا دَخَلْتُ عليه - حَسِبْتُ أنه قال : سَلَّمْتُ عليه - فقال : ما فعَل طَعْنُك على الأئمةِ يا مِسْوَرُ ؟ قال : قلتُ : ارْفُضْنا مِن هذا وأحْسِنْ فيما قدِمْنا له . فقال : لَتُكَلِّمَنِّى بذاتِ نفسِك . قال : فلم أَدَعْ شيئًا أَعِيبُه عليه إلا أخْبَرْتُه به . فقال : لا براءَ مِن الذُّنوبِ ، فهل لك مِن ذُنوبٍ تَخافُ أن تُهْلِكَك إن لم يَغْفِرْها اللَّهُ لك ؟ قال : قلتُ : نعم[1] . قال : فما يَجْعَلُك أحَقَّ بأن تَرْجُوَ المَغْفِرةَ منى ، فواللَّهِ لَمَا أَلِى مِن[2] الإصلاحِ بين الناسِ وإقامةِ الحُدودِ والجِهادِ فى سبيلِ اللَّهِ والأُمورِ العِظامِ التى نُحْصِيها والتى لا نُحْصِيها أكثرُ مما تَلِى ، وإنى لعلى دِينٍ يَقْبَلُ اللَّهُ فيه الحَسَناتِ ويَعْفو عن السَّيئاتِ ، وواللَّهِ على ذلك ما كنتُ لأُخَيَّرَ بينَ اللَّهِ وغيرِه إلا اخْتَرْتُ اللَّهَ على ما سِواه . قال : ففكَّرْتُ حينَ [٦/ ١٦٩و] قال لى ما قال ، فعرَفْتُ أنه قد خَصَمنى . قال : فكان المِسْوَرُ إذا ذكَره بعدَ ذلك دَعا له بخيرٍ . وقد رَواه شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عروةَ ، عن المِسْوَرِ بنحوِه[3] .

وقال ابنُ دُرَيْدٍ[4] ، عن أبى حاتمٍ ، عن العُتْبىِّ قال : قال مُعاويةُ : يأيُّها الناسُ ، ما أنا بخيرِكم ، وإنَّ منكم لَمَن هو خيرٌ منى ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، وغيرُهما مِن الأفاضِلِ ، ولكن عَسَى أن أَكونَ أنْفَعَكم وِلايةً ، وأنْكاكم فى عدوِّكم ، وأَدَرَّكُم حَلْبًا . وقد رَواه محمدُ بنُ سعدٍ[5] ، عن محمدِ بنِ

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : «إن لى ذنوبا إن لم يغفرها هلكت بسببها» .

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : «إصلاح الرعايا و» .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٢٤ ، ٧٢٥ مخطوط ، من طريق شعيب به .

(٤) المصدر السابق ١٦/ ٧٢٥ ، من طريق ابن دريد به .

(٥) المصدر السابق ، من طريق محمد بن سعد به .

مُصْعبٍ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، عن ثابتٍ مَوْلَى سفيانَ[1] ، أنه سَمِع مُعاويةَ يقولُ نحوَ ذلك .

وقال هِشامُ بنُ عَمَّارٍ خَطيبُ دِمشقَ[2] : حَدَّثنا عمرُو بنُ واقدٍ ، ثنا يونسُ بنُ حَلْبَسٍ قال : سَمِعْتُ مُعاويةَ على مِنْبرِ دمشقَ يومَ جُمُعةٍ يقولُ : أيُّها الناسُ ، اعْقِلوا قَوْلى ، فلن تَجِدوا أعْلَمَ بأمورِ الدنيا والآخِرةِ منى ، أَقِيموا وُجوهَكم وصُفوفَكم فى الصَّلاةِ ، [3]فلَتُقيمُنَّ وجوهَكم وصفوفَكم[3] ، أو لَيُخالِفَنَّ اللَّهُ بينَ قُلوبِكم ، خُذوا على أيدى سُفَهائِكم ، [4]أو لَيُسَلِّطَنَّهم اللَّهُ عليكم[4] فلَيَسومُنَّكم سُوءَ العَذابِ ، تَصَدَّقوا ولا يَقولَنَّ الرجلُ : إنى مُقِلٌّ . فإنَّ صدَقةَ المُقِلِّ أفْضلُ مِن صَدَقةِ الغَنىِّ ، إياكم وقَذْفَ المُحْصَناتِ ، وأن يقولَ الرجلُ : سَمِعْتُ . و : بَلَغَنى . فلو قَذَف أحدُكم امرأةً على عهدِ نُوحٍ لسُئِل عنها يومَ القِيامةِ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسىُّ[5] : حدَّثنا يزيدُ بنُ طَهْمانَ الرَّقاشىُّ ، ثنا محمدُ بنُ سِيرينَ قال : كان مُعاويةُ إذا حَدَّث عن رسولِ اللَّهِ ﷺ لم يُتَّهَمْ .

ورَوى أبو القاسمِ البَغَوىُّ[6] ، عن سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ ، عن ضِمَامِ[7] بنِ إسماعيلَ ، عن أبى قَبِيلٍ قال : كان مُعاويةُ يَبْعَثُ رجلًا يقالُ له : أبو الجَيْشِ . فى

---

(١) فى النسخ : « معاوية » . والمثبت من تاريخ دمشق . وسفيان هو ابن أبى مريم . انظر التاريخ الكبير ٤/ ٩٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٢٥ مخطوط ، من طريق هشام بن عمار به .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أو ليسلطن الله عليكم عدوكم » ، وفى تاريخ دمشق : « أو ليسلطن الله عليكم » .

(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧٢٧، من طريق أبى داود به .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٧٢٩، من طريق البغوى به .

(٧) فى النسخ : « همام » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الإكمال ٥/ ٢٢٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٣١١.

كلِّ يومٍ ، فيَدُورُ على المجَالِسِ يَسْأَلُ هل وُلِد لأحدٍ مَوْلودٌ ، أو قَدِم أحدٌ مِن الوُفودِ ، فإذا أُخْبِر بذلك أَثْبَت فى الدِّيوانِ . يعنى لِيُجْرِىَ عليه الرِّزْقَ .

وقال غيرُه[1] : كان مُعاويةُ مُتواضِعًا ، ليس له مَجالِدُ إلا كمَجالِدِ الصِّبْيانِ التى يُسَمُّونها المَخارِيقَ[2] ، فيَضْرِبُ بها الناسَ .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ[3] ، عن عمرِو بنِ واقدٍ ، عن يونُسَ بنِ مَيْسَرةَ بنِ حَلْبَسٍ قال : رأيْتُ مُعاويةَ فى سُوقِ دمشقَ وهو مُرْدِفٌ وراءَه وَصَيفًا ، عليه قميصٌ مَرْقوعُ الجَيْبِ ، وهو يَسِيرُ فى أسْواقِ دِمشقَ .

وقال الأعمشُ[4] ، عن مُجاهِدٍ أنه قال : لو رَأَيْتُم مُعاويةَ لقُلْتُم : هذا المَهْدىُّ .

وقال هُشَيْمٌ[5] ، عن العَوَّامِ ، عن جَبَلَةَ بنِ سُحَيْمٍ ، عن ابنِ عُمرَ قال : ما رأيْتُ أحدًا أسْوَدَ مِن مُعاويةَ . قال : قلتُ : ولا عمرَ ؟ قال : كان عمرُ خيرًا منه ، وكان مُعاويةُ أسْودَ منه . ورَواه أبو سفيانَ الحِمْيَرِىُّ ، عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ به ، قال : [٦/ ١٦٩ظ] ما رأيْتُ أحدًا بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أسْودَ مِن مُعاويةَ . قيل : ولا أبا بكرٍ ؟ قال : كان أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ خيرًا منه ، وهو أَسْوَدُ منهم . ورُوِى مِن طرقٍ عن ابنِ عمرَ مثلَه[6] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٩/١٦ مخطوط .

(٢) المجالد : جمع مِجْلاد ، وهو السوط . والمخاريق : جمع مخراق ، وهو منديل أو نحوه يُلوى فيُضرب به أو يفرَّع به فى لُعبة للصبيان . الوسيط (ج ل د) ، (خ ر ق) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٢٩/١٦ مخطوط ، من طريق هشام بن عمار به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق الأعمش به .

(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٠، من طريق هشيم به .

(٦) انظر المصدر السابق .

وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامٍ ، سَمِعْتُ ابنَ عَبَّاسٍ يقولُ : ما رأيْتُ رجلًا كان أخْلَقَ بالمُلْكِ مِن مُعاويةَ .

وقال حَنْبَلُ بنُ إسْحاقَ[2] : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، حَدَّثنا ابنُ أبى عُتْبَةَ ، عن شيخٍ مِن أهلِ المَدينةِ قال : قال مُعاويةُ : أنا أولُ المُلوكِ .

وقال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[3] : حَدَّثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ ، حَدَّثنا ضَمْرةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ قال : كان مُعاويةُ يَقولُ : أنا أولُ المُلوكِ وآخِرُ خَليفةٍ .

قلتُ : والسُّنَّةُ أن يُقالَ لمُعاويةَ : مَلِكٌ . ولا يُقالُ له : خَليفةٌ . لحَديثِ سَفِينةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[4] : « الخِلافةُ بعدى ثلاثون سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا عَضُوضًا » .

وقال عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوانَ يومًا ، وذكَر مُعاويةَ فقال[5] : ما رأيْتُ مثلَه فى حِلْمِه واحْتِمالِه وكَرَمِه .

وقال قَبِيصةُ بنُ جابرٍ[6] : ما رأيْتُ أحدًا أعْظَمَ حِلْمًا ، ولا أكْثَرَ سُؤْدُدًا ، ولا أبْعَدَ أَناةً ، ولا أَلْيَنَ مَخْرَجًا ، [7]ولا أَرْحَبَ باعًا بالمَعْروفِ[7] مِن مُعاويةَ .

---

(١) المصنف (٢٠٩٨٥) مطولًا . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٠، ٧٣١ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به ، واللفظ له .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٣١/١٦ مخطوط ، من طريق حنبل بن إسحاق به .

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٢، من طريق ابن أبى خيثمة به .

(٤) تقدم تخريجه فى ٨/ ٢٦١.

(٥) المصدر السابق ، بإسناده عن عبد الملك به .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٣٢/١٦ مخطوط .

(٧ - ٧) فى تاريخ دمشق : « فى أمر » .

وقال بعضُهم[1] : أَسْمَعَ رجلٌ معاويةَ كلامًا شديدًا ، فقيل له : لو سَطَوْتَ عليه ! فقال : إنى لَأَسْتَحيى أن يَضِيقَ حِلْمى عن أحدٍ مِن رَعِيتى . وفى روايةٍ[2] : قال له رجلٌ : يا أميرَ المؤمنين ، ما أحْلَمَك ! فقال : إنى لَأَسْتَحيى أن يكونَ جُرْمُ رجلٍ أعْظَمَ مِن حِلْمى .

وقال الأصْمَعىُّ[3] ، عن الثَّوْرىِّ قال : قال مُعاويةُ : إنى لَأَسْتَحى أن يكونَ ذَنْبٌ أعْظَمَ مِن عَفْوى ، أو جَهْلٌ أكبرَ مِن حِلْمى ، أو تكونَ عَوْرَةٌ لا أُوارِيها بسَتْرى .

وقال الشَّعْبىُّ - والأصْمَعىُّ ، عن أبيه - قالا[4] : جَرَى بينَ رجلٍ يقالُ له : أبو الجَهْمِ . وبينَ مُعاويةَ كلامٌ ، فتَكَلَّم أبو الجَهْمِ بكلامٍ فيه غَمٌّ لمُعاويةَ ، فأطْرَق ، ثم رَفَع رأسَه فقال : يا أبا الجَهْمِ ، إياك والسُّلْطانَ ، فإنه يَغْضَبُ غَضَبَ الصِّبْيانِ ، ويَأْخُذُ أخْذَ الأسدِ ، وإنَّ قليلَه يَغْلِبُ كثيرَ الناسِ . ثم أمَر له بمالٍ ، فقال أبو الجَهْمِ فى ذلك يَمْدَحُ مُعاويةَ :

نَميلُ على جَوانبِه كأنَّا ... (٥إذا مِلْنا٥) نَميلُ على أَبِينا
نُقَلِّبُه لنَخْبُرَ حالَتَيْه ... فنخبُرُ منهما كَرَمًا وَلِينا

[٦/١٧٠و] وقال الأعْمشُ[6] : طاف الحسنُ بنُ علىٍّ مع مُعاويةَ ، فكان معاويةُ

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٢، ٧٣٣ مخطوط .
(٢) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٣.
(٣) المصدر السابق، من طريق الأصمعى به .
(٤) المصدر السابق ١٦/٧٣٤ .
(٥ - ٥) فى ا٦، م: «نميل إذا» .
(٦) المصدر السابق .

يَمْشِى بينَ يدَيه ، فقال الحسنُ : ما أشْبَهَ أَلْيَتَيْه بأَلْيَتَىْ هندَ . فالْتَفَت إليه مُعاويةُ فقال : أمَا إنَّه كان يُعْجِبُ أبا سفيانَ .

وقال ابنُ أختِه عبدُ الرحمنِ بنُ أمِّ الحكَمِ لمُعاويةَ[1] : إن فلانًا يَشْتُمُنى . فقال له : تَطأْطأْ لها تَمُرَّ فتُجاوزَك .

وقال ابنُ الأعْرابىِّ[2] : قال رجلٌ لمُعاويةَ : ما رأيْتُ أنْذَلَ منك . فقال مُعاويةُ : بلى ، مَن واجَه الرجالَ بمثلِ هذا .

وقال أبو عمرِو بنُ العَلاءِ[3] : قال مُعاويةُ : ما يَسُرُّنى بَذَلَ[4] الكَرَمِ حُمْرُ النَّعَمِ[5] . وقال بعضُهم[6] : قال مُعاويةُ : يا بنى أُمَيةَ ، قارِبوا قريشًا بالحِلْمِ ، فواللَّهِ لقد كنتُ أَلْقَى الرجلَ فى الجاهليةِ فيُوسِعُنى شَتْمًا وأُوسِعُه حِلْمًا ، فأَرْجِعُ وهو لى صَديقٌ ، أستَنْجِدُه فيَنْجُدُنى ، وأَثورُ به فيَثورُ معى ، وما رفَع الحِلْمُ عن شريفٍ شَرَفَه ، ولا زاده إلا كَرَمًا . وقال[7] : آفةُ الحِلْمِ الذُّلُّ . وقال أيضًا[7] : لا يَبْلُغُ الرجلُ مَبْلَغَ الرَّأيِ حتى يَغْلِبَ حِلْمُه جَهْلَه ، وصَبْرُه شَهْوتَه ، ولا يَبْلُغُ ذلك إلا بقوةِ الحِلْمِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٣٤ مخطوط .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) فى ا ٦، م ، وتاريخ دمشق : « بذل » .

(٥) بعده فى الأصل ، ا ٦، م : « وقال : ما يسرنى بدل الحلم عز النصر » .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٤، ٧٣٥.

(٧) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٥.

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ[1] : للَّهِ دَرُّ ابنِ هندَ ، واللَّهِ إن كنا لَنُفْرِقُه[2] - وما الليثُ على بَراثِنِه بأجْرَأَ منه - فيَتَفارَقُ لنا ، وإن كنا لَنَخْدَعُه - وما ابنُ ليلةٍ[3] مِن أهلِ الأرضِ بأدْهَى منه - فيَتَخادَعُ لنا ، واللَّهِ لوَدِدْتُ أنا مُتِّعْنا به مادام فى هذا الجبلِ حَجَرٌ . وأشار إلى أبى قُبَيْسٍ . وقال رجلٌ لمعاويةَ[4] : مَن أسودُ الناسِ ؟ فقال : أسخاهم نفسًا حينَ يُسألُ ، وأحسنُهم فى المجَالِسِ خُلُقًا ، وأحْلَمُهم حينَ يُسْتَجْهَلُ .

وقال أبو عُبَيْدةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[5] : كان مُعاويةُ يَتَمَثَّلُ بهذه الأبياتِ كثيرًا :

فما قَتَل السَّفاهةَ مثلُ حِلْمٍ ... يَعودُ به على الجَهِلِ الحَلِيمُ
فلا تَسْفَهْ وإن مُلِّئْتَ غَيْظًا ... على أحدٍ فإن الفُحْشَ لُومُ
ولا تَقْطَعْ أخًا لك عندَ ذنبٍ ... فإن الذنبَ يَغْفِرُه الكَريمُ[6]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٥، ٧٣٦.
(٢) نفرقه : نُخَوِّفه .
(٣) ابن ليلة : كناية عن أى إنسان .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٣٦/١٦ مخطوط .
(٥) المصدر السابق .
(٦) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وقال القاضى الماوردى فى « الأحكام السلطانية » : وحكى أن معاوية أتى بلصوصٍ فقطعهم ، حتى بقى واحد من بينهم ، فقال :

يمينى أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى نكالًا يبينها
يدى كانت الحسناء لو تم سترها ... ولا تعدم الحسناء عيبًا يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبة ... إذا ما شمالى فارقتها يمينها

[٦/١٧٠ظ] فقال معاوية : كيف أصنع بك وقد قطعنا أصحابك ؟ فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين ، اجعلها فى ذنوبك التى تتوب منها . فخلى سبيله ، فكان أول حد ترك فى الإسلام » .

وعن ابنِ عباسٍ أنه قال[1] : قد عَلِمْتُ بمَ غَلَب مُعاويةُ الناسَ ، كانوا إذا طاروا وَقَع ، وإذا وقَعوا طار .

وقال غيرُه[2] : كتَب مُعاويةُ إلى نائبِه زِيادٍ : إنه لا يَنْبَغِى أن نَسُوسَ الناسَ سِياسةً واحدةً ؛ باللِّينِ فيَمْرَحوا ، ولا بالشِّدةِ فنَحْمِلَ الناسَ على المَهالِكِ ، ولكن كُنْ أنت للشِّدةِ والفَظاظةِ والغِلْظةِ ، أكونُ أنا للِّينِ والأُلْفةِ والرحمةِ ، فإذا خاف خائفٌ وجَد بابًا يَدْخُلُه .

وقال أبو مُسْهِرٍ[3] ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ قال : قَضَى مُعاويةُ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ثمانيةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ كانت عليها .

وقال هشامُ بنُ عروةَ[4] ، عن أبيه قال : بَعث مُعاويةُ إلى أمِّ المؤمنين عائشةَ بمائةِ ألفٍ ، ففرَّقَتْها مِن يومِها ، فلم يَبْقَ منها درهمٌ ، فقالت لها خادِمتُها : هلَّا أبْقَيْتِ لنا درهمًا نَشْتَرِى به لحمًا . فقالت : لو أَذْكَرْتِنِى لَفَعَلْتُ .

وقال عَطاءٌ[5] : بَعَث مُعاويةُ إلى عائشةَ - وهى بمكةَ - بطَوْقٍ قيمتُه مائةُ ألفٍ ، فقَبِلَتْه .

وقال زيدُ بنُ الحُبابِ[6] ، عن الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ قال :

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٧٣٦ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٦، ٧٣٧ بنحوه .

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٨، من طريق أبى مسهر بنحوه .

(٤) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٨، ٧٣٩، من طريق هشام به .

(٥) المصدر السابق ١٦/٧٣٩ .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٩، من طريق زيد بن الحباب به .

قَدِم الحسنُ بنُ عليٍّ على مُعاويةَ فقال : لَأُجِيزَنَّك بجائزةٍ لم يُجِزْ بها أحدٌ كان قبلى . فأعْطاه أربعَمائةِ ألفِ ألفٍ .

ووفَد إليه مرةً الحسنُ والحُسَينُ[1] فأجازهما على الفَوْرِ بمائتَىْ ألفٍ ، وقال لهما : ما أجاز بها أحدٌ قبلى . فقال له الحسينُ : ولم تُعْطِ أحدًا أفضلَ منا .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنا يوسُفُ بنُ موسى ، ثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ قال : أرْسَل الحسنُ بنُ عليٍّ وعبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ إلى مُعاويةَ يَسْأَلانِه المالَ ، فبَعَث إليهما أو إلى كلٍّ منهما بمائةِ ألفٍ ، فبلَغ ذلك عليًّا ، فقال لهما : ألا تَسْتَحِيان ؛ رجلٌ نَطْعَنُ فى عينِه غُدْوةً وعَشِيةً تَسْأَلانه المالَ ؟! فقالا : بل حَرَمْتَنا وجاد لنا .

ورَوَى الأصْمَعىُّ قال[3] : وفَد الحسنُ وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ على مُعاويةَ ، فقال للحسنِ : مَرْحبًا وأهلًا بابنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وأمَر له بثلاثِمائةِ ألفٍ ، وقال لابنِ الزبيرِ : مرحبًا وأهلًا بابنِ عَمَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وأمَر له بمائةِ ألفٍ .

وقال أبو مَرْوانَ المَرْوانىُّ[4] : بَعَث مُعاويةُ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ بمائةِ ألفٍ ، [5]فقال لجُلَسائِه : مَن أخَذ شيئًا فهو له . وبعَث إلى الحسينِ بمائةِ ألفٍ[5] ، فقسَمها على جُلَسائِه ، وكانوا عشَرةً ، فأصاب كلُّ واحدٍ عشَرةَ آلافٍ . وبَعَث إلى

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٣٩ مخطوط .
(٢) المصدر السابق ، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٩، ٧٤٠.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

عبدِ اللَّهِ [٦/١٧١و] بنِ جعفرٍ بمائةِ ألفٍ ، فاسْتَوْهَبَتْها منه امرأتُه ، فأطْلَقَها لها . وبَعَث إلى مَرْوانَ بنِ الحكَمِ بمائةِ ألفٍ ، فقسَم منها خمسين ألفًا ، وحَبَس خمسين ألفًا ، وبَعَث إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بمائةِ ألفٍ ، ففرَّق منها تسعين ألفًا ، واسْتَبْقَى عشَرةَ آلافٍ . فقال مُعاويةُ : إنه لَمُقْتَصِدٌ يُحِبُّ الاقْتِصادَ ، وبعَث إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بمائةِ ألفٍ فقال للرسولِ : لمَ جئْتَ بها بالنَّهارِ؟ هَلَّا جِئْتَ بها بالليلِ . ثم حَبَسها عندَه ، ولم يُعْطِ منها أحدًا شيئًا ، فقال معاويةُ : إنه لخَبٌّ ضَبٌّ ، كأنك به قد رَفَع ذَنَبَه وقُطِع .

وقال ابنُ دَابٍ[1] : كان لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ على مُعاويةَ فى كلِّ سنةٍ ألفُ ألفٍ ، ويَقْضِى له معها مائةَ حاجةٍ ، فقَدِم عليه عامًا ، فأعْطاه المالَ ، وقَضَى له الحاجاتِ ، وبَقِيَت منها حاجَةٌ واحدةٌ ، فبينَما هو عندَه إذ قَدِم أَصْبَهْبَذُ[2] سِجِسْتانَ يَطْلُبُ مِن مُعاويةَ أن يُمَلِّكَه تلك البلادَ ، ووَعَد مَن قَضَى له هذه الحاجةَ مِن مالِه ألفَ ألفٍ ، فطاف على رُءوسِ الأُمراءِ مِن أهلِ الشامِ وأُمراءِ العراقِ ، ممن قَدِم مع الأحْنفِ بنِ قيسٍ ، فكلُّهم يقولون له : عليك بعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ . فقصَده الدِّهْقانُ ، فكَلَّم فيه ابنُ جعفرٍ مُعاويةَ ، فقَضَى حاجتَه تَكْمِلةَ المائةِ حاجةٍ ، وأمَر الكاتبَ فكتَب له عَهْدَه ، وخرَج به ابنُ جعفرٍ إلى الدِّهْقانِ ، فسجَد له وحمَل إليه ألفَ ألفِ درهمٍ ، فقال له ابنُ جعفرٍ : اسْجُدْ للَّهِ ، واحْمِلْ مالَك إلى منزلِك ، فإنا أهلُ بيتٍ لا نُتْبِعُ المعروفَ بالمَنِّ . فبلَغ ذلك مُعاويةَ فقال : لأَن يكونَ يَزيدُ قالها أحَبُّ إلىَّ مِن خَراجِ العراقِ ، أَبَتْ بنو هاشمٍ إلا كَرَمًا .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٤٠ مخطوط بنحوه .

(٢) فى الأصل ، ٦١ : « أصفهند » ، وفى م : « أصبفهند » ، وفى ص : « أصعهذ » . والمثبت من تاريخ دمشق . والأصبهبذ - مُعَرَّب - : الأمير . تاج العروس (صبهبذ) . وانظر المعرب ص ٢١٨ .

وقال غيرُه[1] : كان لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ على مُعاويةَ فى كلِّ سنةٍ ألفُ ألفٍ ، فاجْتَمع عليه فى بعضِ الأوْقاتِ دَيْنٌ خمسُمائةِ ألفٍ ، فألحَّ عليه غُرماؤُه ، فاسْتَنْظَرهم حتى يَقْدَمَ على مُعاويةَ ، فيَسْأَلَه أن يُسْلِفَه شيئًا مِن العَطاءِ ، فركِب إليه ، فقال له : ما أَقْدَمك يا بنَ جعفرٍ ؟ فقال : دَيْنٌ أَلَحَّ علىَّ غُرماؤُه . فقال : وكم هو : قال : خمسُمائةِ ألفٍ . فقَضاها عنه ، وقال له : إن الألفَ ألفٍ ستَأْتِيك فى وقتِها .

وقال ابنُ سعدٍ[2] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو هِلالٍ ، عن قَتادةَ قال : قال مُعاويةُ : يا عَجَبًا للحسنِ بنِ علىٍّ ! شَرِب شَرْبةَ عَسَلٍ يَمانِيَةً بماءِ رُومةَ فقَضَى نَحْبَه . ثم قال لابنِ عباسٍ : لا يَسُوءُك اللَّهُ ولا يُخْزِيك فى الحسنِ بنِ علىٍّ . فقال ابنُ عباسٍ لمُعاويةَ : لا يُخْزِينى اللَّهُ ولا يَسُوءُنى ما أبْقَى اللَّهُ أميرَ المؤمنين . قال : فأعْطاه ألفَ ألفِ درهمٍ وعُروضًا وأشْياءَ ، وقال : خُذْها فاقْسِمْها فى أهلِك .

وقال أبو الحسنِ المَدائنىُّ[3] ، عن مَسْلَمَةَ بنِ مُحارِبٍ قال : قيل لمُعاويةَ : أيُّكم كان أشْرَفَ ؛ أنتم أو بنو هاشمٍ ؟ قال : كنا أكثرَ أشْرافًا وكانوا أشْرَفَ واحدًا ؛ لم يكُنْ فى عبدِ مَنافٍ مثلُ هاشمٍ ، [٦/١٧١ظ] فلما هَلَك كنا أكثرَ عَددًا وأكثرَ أشْرافًا ، وكان فيهم عبدُ المطلبِ ، ولم يَكُنْ فينا مِثْلُهم ، فصِرْنا أكثَرَ عددًا وأكثرَ أشرافًا ولم يَكُنْ فيهم واحدٌ كواحدِنا ، فلم يكنْ إلا كقَرارِ العينِ حتى [4]جاء شىءٌ[4] لم يَسْمَعِ الأَوَّلون بمثلِه ، ولا يَسمَعُ الآخِرون بمثلِه ؛ محمدٌ ﷺ[5] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٤٠ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٧٤١، من طريق ابن سعد به بنحوه .

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٢، من طريق أبى الحسن المدائنى به .

(٤ - ٤) فى الأصل، ٦١، م: «قالوا: منا نبى فجاء»، وفى ص: «جاء نبى» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) بعده فى الأصل، ٦١، م: «فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف» .

ورَوَى ابنُ أبى خَيْثَمةَ[1] عن موسى بنِ إسماعيلَ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن يوسُفَ بنِ مِهْرانَ، عن ابنِ عباسٍ، أن عمرَو بنَ العاصِ قَصَّ على مُعاويةَ مَنامًا رَأَى فيه أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ، وهم يُحاسَبون على ما وُلُّوه فى أيامِهم، ورَأَى مُعاويةَ وهو مُوكَلٌ به رجلان يُحاسِبانه على ما عَمِل فى أيامِه، فقال له مُعاويةُ: ما رأَيْتَ ثَمَّ دَنانيرَ مِصْرَ؟!

وقال ابنُ دُرَيْدٍ[2]، عن أبى حاتمٍ، عن العُتْبىِّ قال: دَخَل عمرٌو على مُعاويةَ وقد وَرَد عليه كتابٌ فيه تَعْزِيةٌ له فى بعضِ الصَّحابةِ، فاسْتَرْجَع مُعاويةُ، فقال عمرُو بنُ العاصِ:

يَموتُ الصالحون وأنت حَىٌّ تـخَـطَّـاك المَنـايـا لا تَمـوتُ[3]

فقال له مُعاويةُ:

أَتَرْجو أن أَموتَ وأنت حَىٌّ فلستُ بميِّتٍ حتى تَموتَ

وقال ابنُ السَّمَّاكِ[4]: قال مُعاويةُ: كلُّ الناسِ أَسْتَطِيعُ أن أُرْضِيَه إلا حاسدَ نِعْمةٍ؛ فإنه لا يُرْضِيه إلا زَوالُها.

وقال الزُّهْرىُّ[5]، عن عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، عن أبى بَحْرِيَّةَ قال: قال مُعاويةُ: المُروءةُ فى أربعٍ؛ العَفافِ فى الإسلامِ، واسْتِصْلاحِ المالِ، وحِفْظِ الإخْوانِ، وحِفْظِ[6] الجارِ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٤٢، من طريق ابن أبى خيثمة به نحوه.

(٢) المصدر السابق، من طريق ابن دريد به نحوه.

(٣) انظر كتاب الشعر لأبى على الفارسى ص ٤٧٤.

(٤) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٢، ٧٤٣.

(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٣، من طريق الزهرى به.

(٦) كذا فى النسخ. وفى تاريخ دمشق: «عون».

وقال أبو بكرٍ الهُذَلىُّ[1] : كان مُعاويةُ يقولُ الشِّعرَ ، فلمَّا وَلِىَ الخِلافةَ قال له أهلُه : قد بَلَغْتَ الغايةَ ، فماذا تَصْنَعُ بالشعرِ ؟ فارْتاح يومًا فقال :

سرَحْتُ سَفاهتى وأَرَحْتُ حِلْمى وفىَّ على تَحَلُّمِىَ اعتراضُ
على أنى أُجيبُ إذا دَعَتْنى إلى حاجاتِها الحَدَقُ المِراضُ

وقال مُغيرةُ[2] ، عن الشَّعبىِّ : أولُ مَن خطَب جالسًا مُعاويةُ حينَ كَثُر شَحْمُه وعَظُم بطْنُه . وكذا رَوى مُغيرةُ[2] ، عن إبراهيمَ أنه قال : أولُ مَن خَطَب جالسًا يومَ الجُمُعةِ مُعاويةُ . وقال أبو المَلِيحِ[3] ، عن مَيْمونٍ : أولُ مَن جَلَس على المِنْبرِ مُعاويةُ ، واسْتَأْذن الناسَ فى الجُلوسِ .

وقال قَتادةُ[4] ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ : أولُ مَن أَذَّن وأقام يومَ الفِطْرِ والنَّحْرِ مُعاويةُ .

وقال أبو جعفرٍ الباقرُ[5] : كانت أبوابُ مَكةَ لا أغْلاقَ لها ، وأولُ مَن اتَّخذ لها الأبْوابَ مُعاويةُ .

وقال أبو اليَمانِ[6] ، عن شُعيبٍ ، عن الزُّهرىِّ : مَضَت السُّنَّةُ أن لا يَرِثَ الكافرُ المسلمَ ، ولا المسلمُ [٦/١٧٢و] الكافرَ ، وأولُ مَن وَرَّث المسلمَ مِن الكافرِ مُعاويةُ ، وقَضَى بذلك بنو أُمَيةَ بعدَه ، حتى كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فراجَع السُّنَّةَ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٤٣ مخطوط .
(٢) المصدر السابق ، من طريق مغيرة به .
(٣) المصدر السابق ، من طريق أبى المليح به .
(٤) المصدر السابق ، من طريق قتادة به .
(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٤، بإسناده عن أبى جعفر به .
(٦) المصدر السابق ، من طريق أبى اليمان به نحوه .

وأعاد هشامٌ ما قَضَى به مُعاويةُ وبنو أميةَ مِن بعدِه . وبه[1] قال الزهريُّ : ومَضَت السُّنَّةُ أن دِيَةَ المُعاهَدِ كدِيَةِ المسلمِ ، وكان مُعاويةُ أولَ مَن قَصَرها إلى النِّصْفِ ، وأخَذ النصفَ لنَفسِه .

وقال ابنُ وَهْبٍ[2] ، عن مالكٍ ، عن الزُّهريِّ قال : سألْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال لى : اسْمَعْ يا زُهْرِيُّ ، مَن مات مُحِبًّا لأبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ، وشَهِد للعشَرةِ بالجنةِ ، وتَرَحَّم على مُعاويةَ ، كان حَقيقًا على اللَّهِ أن لا يُناقِشَه الحِسابَ .

وقال سعيدُ بنُ يعقوبَ الطَّالْقانيُّ[3] : سِمعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ المُبارَكِ يقولُ : تُرابٌ فى أنفِ مُعاويةَ أفْضلُ مِن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

وقال محمدُ بنُ يحيى بنِ سعيدٍ[4] : سُئِلِ ابنُ المُبارَكِ عن مُعاويةَ فقال : ما أقولُ فى رجلٍ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَمِع اللَّهُ لمن حَمِده » . فقال خلفَه : ربَّنا ولك الحمدُ ؟! فقيل له : أيُّما أفضلُ ؟ هو أَمْ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؟ فقال : لَتُرابٌ فى مَنْخَرَىْ مُعاويةَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ خيرٌ وأفضلُ مِن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

وقال غيرُه[5] عن ابنِ المُبارَكِ قال : مُعاويةُ عندَنا مِحْنَةٌ ، فمَن رأَيْناه يَنْظُرُ إليه شَزْرًا[6] اتَّهَمْناه على القومِ . يعنى الصحابةَ .

---

(١) أى بالإسناد السابق .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٤٥ مخطوط ، من طريق ابن وهب به .

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٦، من طريق سعيد بن يعقوب به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق محمد بن يحيى به .

(٥) المصدر السابق ، من طريق على بن حميد ، عن عبد اللَّه بن المبارك نحوه .

(٦) الشزر : النظر عن اليمين والشمال ، وقيل : هو النظر بمؤخر العين . وأكثر ما يكون النظر الشزر فى حال الغضب وإلى الأعداء . انظر النهاية ٢/ ٤٧٠ .

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمَّارٍ المَوْصِلِيُّ وغيرُه[1] : سُئِل المُعافَى بنُ عِمْرانَ أيُّما أفضلُ مُعاويةُ أَمْ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؟ فغَضِب وقال للسائلِ : تَجْعَلُ رجلًا مِن الصَّحابةِ مثلَ رجلٍ مِن التابعين ؟! مُعاويةُ صاحِبُه وصِهْرُه وكاتِبُه وأَمِينُه على وَحْيِ اللَّهِ ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوا لى أصْحابى وأَصْهارى ، فمَن سَبَّهم فعليه لَعْنةُ اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين » . وكذا قال الفَضْلُ بنُ عَنْبَسَةَ[2] .

وقال أبو تَوْبةَ الربيعُ بنُ نافعٍ الحَلَبِيُّ[3] : مُعاويةُ سِتْرٌ لأصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإذا كَشَف الرجلُ السِّتْرَ اجْتَرَأ على ما وراءَه .

وقال المَيْمونيُّ[4] : قال لى أحمدُ بنُ حَنْبلٍ : يا أبا الحسنِ ، إذا رأيْتَ رجلًا يَذْكُرُ أحدًا مِن الصَّحابةِ بسُوءٍ فاتَّهِمْه على الإسْلامِ .

وقال الفَضْلُ بنُ زيادٍ[5] : سَمِعْتُ أبا عبدِ اللَّهِ سُئِل عن رجلٍ تَنَقَّص مُعاويةَ وعمرَو بنَ العاصِ : أيُقالُ له رافِضِيٌّ ؟ فقال : إنه لم يَجْتَرِ[6] عليهما إلا وله خَبِيئةُ سُوءٍ ، ما انْتَقَص أحدٌ أحدًا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا وله داخلةُ سُوءٍ .

وقال ابنُ المُبارَكِ[7] ، عن [٦/١٧٢ظ] محمدِ بنِ مُسْلمٍ ، عن إبراهيمَ بنِ مَيْسَرةَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٤٦ مخطوط ، من طريق محمد بن عبد اللَّه ، ورباح بن الجراح الموصلى ، كلاهما عن المعافى بن عمران بنحوه .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عتيبة » . وانظر التاريخ الكبير ٧/ ١١٧ ، والجرح والتعديل ٧/ ٦٥ . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٤٦ ، عنه .

(٣) تاريخ دمشق ١٦/٧٤٧ مخطوط .

(٤) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٧ ، والميمونى هو عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون ، صاحب أحمد بن حنبل .

(٥) المصدر السابق ١٦/٧٤٧ ، من طريق الفضل بن زياد به .

(٦) كذا فى النسخ ، وتاريخ دمشق . ولعل الصواب : « يجترئ » ، أو أنها لغة فى التسهيل ثم الحذف .

(٧) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، من طريق ابن المبارك به .

قال : ما رأيْتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ضرَب إنسانًا قَطُّ إلا إنسانًا شَتَم مُعاويةَ ، فإنه ضرَبه أسْواطًا .

وقال بعضُ السَّلَفِ[1] : بينا أنا على جَبلٍ بالشامِ إذ سمِعْتُ هاتفًا يقولُ : مَن أبْغَض الصِّدِّيق فذاك زِنْديق ، ومَن أبْغَض عمر فإلى جهنمَ زُمَر ، ومَن أبْغَض عثمان فذاك خَصْمُه الرحمن ، ومَن أبْغَض عليّ فذاك خَصْمُه النبيّ ، ومَن أبْغَض مُعاويه ، سَحَبَته الزَّبانيه ، إلى جهنمَ الحاميه ، ويُرْمَى به فى الهاويه .

وقال بعضُهم[2] : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [3]فى المنامِ[3] وعندَه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ ومُعاويةُ ، إذ جاء رجلٌ فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا يَنْتقِصُنا . فَكَأَنَّه انْتَهَرَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى لا أنتقصُ هؤلاء ، ولكن أنتقصُ هذا . يعنى مُعاويةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : ويلَك ! أَوَ ليس هو مِن أصْحابى ؟! قالها ثلاثًا ، ثم أخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ حَرْبةً ، فناوَلها مُعاويةَ فقال : جَأْ بِها فى لَبَّتِه[4] . فضرَبه بها ، وانْتَبَهْتُ فبَكَّرْتُ إلى منزلِه[5] ، فإذا ذلك الرجلُ قد أصابتْه الذُّبْحةُ مِن الليلِ ومات . وهو راشدٌ الكِنْدىُّ .

ورَوَى ابنُ عَساكرَ[6] عن الفُضَيْلِ بنِ عِياضٍ ، أنه كان يقولُ : مُعاويةُ مِن الصَّحابةِ ، مِن العُلماءِ الكِبارِ ، ولكن ابْتُلِىَ بحُبِّ الدنيا .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٧٤٨ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٨.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الوَجْء : اللَّكْز ، ووجأه باليد والسكين : ضربه . واللبَّة : موضع الذبح ، وموضع القلادة من الصدر . انظر اللسان والقاموس المحيط (و ج أ) ، (ل ب ب) .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « منزلى » .

(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٤٨، ٧٤٩ مخطوط .

وقال العُتْبىُّ[1] : قيل لمُعاويةَ : أسْرَعَ إليك الشَّيْبُ . فقال : كيف لا ولا أزالُ أَرَى رجلًا مِن العربِ قائمًا على رأسى يُلْقِحُ لى كلامًا يُلْزِمُنى جوابَه ، فإن أَصَبْتُ لم أُحْمَدْ ، وإن أَخْطَأْتُ سارت بها البُرُدُ .

وقال الشعبىُّ وغيرُه[2] : أصابت مُعاويةَ فى آخرِ عُمرِه لَقْوةٌ[3] .

[4]وذكَر ابنُ جَريرٍ[5] أن عمرَو بنَ العاصِ قَدِم فى وفدِ أهلِ مِصْرَ إلى مُعاويةَ ، فقال لهم فى الطَّريقِ : إذا دَخَلْتُم على مُعاويةَ فلا تُسَلِّموا عليه بالخِلافةِ ؛ فإنه [6]لا يُحِبُّ ذلك[6] . فلمَّا دَخَل عليه عمرٌو قبلَهم قال مُعاويةُ لحاجبِه : أَدْخِلْهم . وأَوْعَزَ إليه أن يُخَوِّفَهم فى الدُّخولِ ويُرْعِبَهم ، وقال : إنى لَأَظُنُّ عَمْرًا قد تقَدَّم إليهم فى شىءٍ . فلما أدْخَلوهم عليه - وقد أهانوهم - جعَل أحَدُهم إذا دَخَل يقولُ : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . فلمَّا نهَض عمرٌو مِن عندِه قال : قَبَّحكم اللَّهُ[4] !

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٧٤٩ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٩.

(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « لوقة » . واللقوة : داء يكون فى الوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدْق . انظر اللسان (ل ق و) .

وبعده فى الأصل ، ٦١، م : « وروى ابن عساكر فى ترجمة حديج الخصى مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة ، فأدخلتها عليه مجردة وبيده قضيب ، فجعل يهوى به إلى متاعها - يعنى فرجها - ويقول : هذا المتاع لو كان متاع ! اذهب بها إلى يزيد بن معاوية . ثم قال : لا ، ادع لى ربيعة بن عمرو الجرشى - وكان فقيها - فلما دخل عليه قال : إن هذه أُتيت بها مجردة ، فرأيت منها ذاك وذاك ، وإنى أردت أن أبعث بها إلى يزيد . فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ؛ فإنها لا تصلح له . فقال : نعم ما رأيت . قال : ثم وهبها لعبد اللَّه بن مسعدة الفزارى مولى فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ ، وكان أسود ، فقال له : بيِّض بها ولدك . وهذا من فقه معاوية وتحريه ، [٦/ ١٧٣و] حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنه استضعف نفسه عنها ، فتحرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ . وقد وافقه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الجرشى الدمشقى » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٦ - ٦) فى تاريخ الطبرى : « أعظم لكم فى عينه » .

(١) نَهَيْتُكم عن أن تُسَلِّموا عليه بالخِلافةِ فسَلَّمْتُم عليه بالنُّبوةِ !

وذكَر[٢] أن رجلًا سأَل مِن مُعاويةَ أن يُساعِدَه فى بِناءِ دارٍ باثنَىْ عشَرَ ألفَ جِذْعٍ مِن الخشبِ . فقال له مُعاويةُ : أين دارُك ؟ قال : بالبَصْرةِ . قال : وكم اتِّساعُها ؟ قال : فَرْسَخان فى فَرْسَخَيْن . قال : لا تَقُلْ دارى بالبَصْرةِ ، ولكن قُل : البَصْرةُ فى دارى .

وذكَر[٣] أن رجلًا دخَل بابنٍ معه ، فجلَسا على سِماطِ مُعاويةَ ، فجعَل ولدُه يَأْكُلُ أكْلًا ذَريعًا ، فجعَل مُعاويةُ يُلاحِظُه ، وجعَل أبوه يُرِيدُ أن يَنْهاه عن ذلك فلا يَفْطِنُ ، فلمَّا خرَجا لامَه أبوه ، وقطَعه عن الدُّخولِ ، فقال له مُعاويةُ : أين ابنُك التِّلْقامةُ[٤] ؟ قال : اشْتَكَى . قال : قد عَلِمْتُ أن أكْلَه سيُورِثُه داءً .

قال[٥] : ونظَر مُعاويةُ إلى رجلٍ وقَف بينَ يديه يُخاطِبُه وعليه عَباءةٌ ، فجعَل يَزْدَرِيه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنك لا تُخاطِبُ العَباءةَ ، إنما يخاطِبُك مَن فيها .

وقال مُعاويةُ[٥] : أفْضلُ الناسِ من عقَلَ وحَلُمَ ؛ مَن إذا أُعْطِىَ شَكَر ، وإذا ابْتُلِىَ صَبَرَ ، وإذا غَضِب كَظَمَ ، وإذا قَدَرَ غَفَرَ ، وإذا وَعَد أَنْجَز ، وإذا أساء اسْتَغْفَر .

وكتَب رجلٌ[٦] مِن أهلِ المَدينةِ إلى مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه :

إذا الرجالُ وَلَدت أولادُها ... واضْطَرَبَت مِن كِبَرٍ أعْضادُها[١]

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٣٣.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٣٢.

(٤) التلقام والتلقامة : كبير اللُّقَم . اللسان (ل ق م) .

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٣٦.

(٦) المصدر السابق ٥/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(١) وجعَلَت أسْقامُها تَعْتادُها فهْيَ زُروعٌ قد دَنا حَصادُها

فقال مُعاويةُ : نَعَى إلىَّ نَفْسى (١) .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا (٢) : حدَّثنى هارونُ بنُ سُفيانَ ، عن عبدِ اللَّهِ السَّهْمىِّ ، حدَّثنى ثُمامةُ بنُ كُلْثومٍ ، أن آخرَ خُطْبةٍ خَطَبها مُعاويةُ أن قال : أيُّها الناسُ ، إنى مِن زَرْعٍ قد اسْتَحْصَد ، وإنى قد وَلِيتُكم ، ولن يَلِيَكم أحدٌ بعدى إلا (٣) مَن هو شرٌّ منى ، كما كان مَن وَلِيَكم (٤) قبلى خيرًا منى ، ويا يزيدُ ، إذا وفَى (٥) أَجَلى فوَلِّ غُسْلى رَجلًا لَبِيبًا ؛ فإن اللَّبيبَ مِن اللَّهِ بمكانٍ ، فلْيُنْعِمِ الغُسْلَ وليَجْهَرْ بالتَّكْبيرِ ، ثم اعْمِدْ إلى مِنْديلٍ فى الخِزانةِ فيه ثوبٌ مِن ثيابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقُراضةٌ مِن شعْرِه وأظْفارِه ، فاسْتَوْدِعِ القُراضةَ أنْفى وفمى وأُذُنىَّ وعَيْنىَّ ، واجْعَل الثوبَ يلى جِلْدى دونَ أكفانى ، ويا يزيدُ ، احْفَظْ وَصيةَ اللَّهِ فى الوالدَيْن ، فإذا أدْرَجْتُمونى فى جَرِيدتى ، ووَضَعْتُمونى فى حُفْرتى فخلُّوا مُعاويةَ وأرْحَمَ الراحِمِين .

وقال بعضُهم (٦) : لما احْتُضِر مُعاويةُ جعَل يقولُ :

لَعَمْرى لقد عُمِّرْتُ فى الدَّهْرِ (٧) بُرْهَةً ودانَتْ لىَ الدُّنيا بوَقْعِ البَواتِرِ

وأُعْطِيتُ حُمْرَ (٨) المالِ والحُكْمَ والنُّهَى (٩) وسِلْمَ قماقِيمِ (٩) المُلوكِ الجَبابِرِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٥٠/١٦ مخطوط ، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « خير منى ، وإنما يليكم » .

(٤) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « دنا » . ووفى : تمَّ . اللسان (و ف ى) .

(٦) تاريخ دمشق ٧٥١/١٦ مخطوط .

(٧) فى تاريخ دمشق : « الملك » .

(٨) فى تاريخ دمشق : « جم » .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ولى سلمت كل » . والقَمْقام والقُماقِم من الرجال : السيد الكثير =

فأضْحَى الذى قد كان مما يَسُرُّنى كحُلْمٍ مَضَى فى المُزْمِناتِ الغَوابِرِ
فياليتَنى لم أُغْنَ[1] فى المُلْكِ ساعةً ولم أُغْنَ[2] فى لَذَّاتِ عيشٍ نَواضِرِ
[3]وكنتُ كذى طِمْرَيْن عاش ببُلْغَةٍ [4]مِن العَيشِ[4] حتى زار ضِيقَ[5] المَقابِرِ[3]

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[6] : أنا علىُّ بنُ محمدٍ ، عن محمدِ بنِ الحكَمِ ، عمَّن حَدَّثه ، أن مُعاويةَ لما احْتُضِر أوْصَى بنصفِ مالِه أن يُرَدَّ إلى بيتِ المالِ ، كأنه أراد أن يُطَيِّب له ؛ لأن عمرَ بنَ الخَطَّابِ قاسَم عُمَّالَه .

وذكَروا[7] أنه فى آخرِ عُمْرِه اشْتَدَّ به البَرْدُ ، فكان إذا لَبِس أو تَغَطَّى بشىءٍ ثَقِيلٍ يَغُمُّه ، فاتُّخِذ له ثوبٌ مِن حَواصِلِ الطيرِ[8] ، ثم ثَقُل عليه بعدَ ذلك ، فقال : تبًّا لكِ مِن دارٍ ، مَلَكْتُكِ أربعين سنةً ؛ عِشْرين أميرًا ، وعِشْرين خَليفةً ، ثم هذا حالى فيكِ ، ومَصِيرى منكِ ، تبًّا للدنيا ومُحِبِّيها .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[9] : أنا [10]أبو عُبيدٍ[10] ، عن أبى يعقوبَ الثَّقَفىِّ ، عن

= الخير ، الواسع الفضل . ويُجمع قياسًا على قماقيم . انظر اللسان (ق م م) .

(١) فى ص : « أغن » .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أسع » ، وفى ص : « أغن » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) فى م : « فلم يك » ، وفى تاريخ دمشق : « من الدهر » .

(٥) فى ٦١ : « أهل » ، وفى تاريخ دمشق : « ضنك » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٥٢/١٦ مخطوط ، من طريق محمد بن سعد به .

(٧) انظر المصدر السابق .

(٨) الحواصل : جمع حَوْصلة . وحوصلة الطائر بمنزلة المعدة للإنسان . والحَوْصل : طائر كبير له حوصلة عظيمة يُتخذ منها الفرو . انظر حياة الحيوان الكبرى للدَّمِيرى ١/ ٣٨٨.

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٥٣/١٦ مخطوط ، من طريق ابن سعد به .

(١٠ - ١٠) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أبو عبيدة » ، وفى ص : « أبو عبد الله » . والمثبت من تاريخ دمشق .

عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ قال : لما ثَقُل مُعاويةُ وتَحَدَّث الناسُ أنه بالموتِ قال لأهلِه : احْشُوا عَيْنيَّ إثْمِدًا ، وأوْسِعوا رأسى دُهْنًا . [٦/ ١٧٣ظ] ففعَلوا وبرَّقوا[١] وَجْهَه بالدُّهْنِ ، ثم مُهِّد له فجلَس وقال : أسْنِدونى . ثم قال : ائْذَنوا للناسِ فلْيُسَلِّموا علىَّ قِيامًا ولا يَجْلِسْ أحدٌ . فجعَل الرجلُ يَدْخُلُ فيُسَلِّمُ قائمًا فيَراه مُتَكَحِّلًا مُتَدَهِّنًا ، فيقولُ مُتَقَوِّلُ الناسِ : هو لَمَّا به[٢] ، وهو أصَحُّ الناسِ . فلما خرَجوا مِن عندِه قال معاويةُ :

وتَجَلُّدى للشامِتِين أُرِيهمُ ... أنِّى لرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ
وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمةٍ لا تَنْفَعُ[٣]

قال : وكان به التفاتةٌ ، يعنى لَقْوةً ، فمات مِن يومِه ذلك ، رَحِمه اللَّهُ ورضى عنه .

وقال محمدُ[٤] بنُ عُقْبةَ : لما نزَل بمُعاويةَ الموتُ قال : يا ليْتنى كنتُ رجلًا مِن قريشٍ بذى طَوًى ولم أَلِ مِن هذا الأمْرِ شيئًا .

وقال أبو السائبِ المَخْزومىُّ[٥] : لما حَضَرت مُعاويةَ الوَفاةُ تَمَثَّل بقولِ الشاعرِ :

إن تُناقِشْ يَكُنْ نِقاشُكَ ياربِّ ... عَذابًا لا طَوْقَ لى بالعذابِ
أو تُجاوِزْ تَجاوُزَ العَفْوِ فاصْفَحْ ... عن مُسِيءٍ ذُنُوبُه كالتُّرابِ

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « غرقوا » . وبرَّقوا : لمَّعوا . اللسان (ب ر ق) .
(٢) لما به : بمعنى اقترب أجله . انظر اللسان (ل م م) .
(٣) البيتان لأبى ذؤيب الهذلى من قصيدة يرثى بها أولاده الخمسة الذين هلكوا بالطاعون فى عامٍ واحد ، وهما فى شرح أشعار الهذليين ١/ ٨ ، ١٠ ، والمفضليات بشرح أبى محمد الأنبارى ص ٨٥٥ ، ٨٥٧ .
(٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « موسى » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ١٢١ ، ١٢٢ . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٥٣ مخطوط ، بسنده عن محمد بن عقبة .
(٥) تاريخ دمشق ١٦/٧٥٤ مخطوط .

وقال بعضُهم[1] : لما احْتُضِر مُعاويةُ جعَل أهلُه يُقَلِّبونه فقال لهم : أىَّ شيخٍ تُقَلِّبون ؟ إن نجَّاه اللَّهُ مِن النارِ غدًا .

وقال محمدُ بنُ سِيرينَ[2] : جعَل معاويةُ لما احْتُضِر يَضَعُ خَدًّا على الأرضِ ، ثم يُقَلِّبُ وَجْهَه ، ويَضَعُ الخَدَّ الآخرَ ، ويَبْكى ويقولُ : اللهمَّ إنك قلتَ فى كتابِك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] . اللهم فاجْعَلْنى مِمَّن تَشاءُ أن تَغْفِرَ له .

وقال العُتْبىُّ عن أبيه[3] : تَمَثَّل معاويةُ عندَ موتِه بقولِ بعضِهم وهو فى السِّياقِ :

هو الموتُ لا مَنْجَى مِن الموتِ والذى ... نُحاذِرُ بعدَ الموتِ أدْهَى وأفْظَعُ

ثم قال : اللَّهمَّ أَقِلِ العَثْرةَ ، واعْفُ عن الزَّلَّةِ ، وتَجاوَزْ بحِلْمِك عن جَهْلِ مَن لم يَرْجُ غيرَك ، فإنك واسعُ المَغْفِرةِ ، ليس لِذى خَطِيئةٍ مِن خَطيئتِه مَهْرَبٌ إلا إليك . ورَواه ابنُ دُرَيْدٍ[4] ، عن أبى حاتمٍ ، عن أبى عُبَيدةَ ، عن أبى عمرِو بنِ العَلاءِ ، فذكَر مثلَه ، وزاد : ثم مات .

وقال غيرُه[5] : أُغْمِىَ عليه ثم أفاق ، فقال لأهلِه : اتَّقوا اللَّهَ ، فإن اللَّهَ يَقِى مَن اتَّقاه ، ولا يَقِى مَن لا يَتَّقى . ثم مات رَحِمه اللَّهُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٧٥٤ مخطوط .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٥٤، ٧٥٥ مخطوط .

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٥٥، من طريق محمد بن زكريا العتبى به .

(٤) المصدر السابق ، من طريق ابن دريد به .

(٥) انظر المصدر السابق .

وقد رَوَى أبو مِخْنَفٍ[1] ، عن عبدِ الملكِ بنِ نوفلٍ قال : لما مات مُعاويةُ صَعِد الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ المِنْبرَ ، فخطَب الناسَ وأكْفانُ مُعاويةَ على يدَيه ، فقال بعدَ حَمْدِ اللَّهِ والثَّناءِ عليه : إن مُعاويةَ الذى كان عَوْدَ[2] العربِ [3]وحدَّ العربِ[3] ، قطَع اللَّهُ به الفِتْنةَ ، ومَلَّكه على العِبادِ ، [٦/ ١٧٤و] وفتَح به البِلادَ ، ألا إنه قد مات وهذه أكْفانُه ، فنحن مُدْرِجوه فيها ، ومُدْخِلوه قبرَه ومُخَلُّون بينَه وبينَ عملِه ، ثم هو[4] البَرْزَخُ إلى يومِ القِيامةِ ، فمن كان منكم يُرِيدُ أن يَشْهَدَه فلْيَحْضُرْ عندَ الأُولى . ثم نزَل وبَعَث البَريدَ إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ يُعْلِمُه ويَسْتَحِثُّه على المَجِيءِ .

ولا خِلافَ أنه ، رضى اللَّهُ عنه ، تُوُفِّىَ بدِمَشْقَ فى رجبٍ سنةَ ستين . فقال جماعةٌ : ليلةَ الخَميسِ للنصفِ مِن رجبٍ سنةَ ستين . وقيل : ليلةَ الخَميسِ لثمانٍ بَقِين مِن رجبٍ سنةَ ستين . قاله ابنُ إسحاقَ وغيرُ واحدٍ . وقيل : لأربعٍ خَلَت مِن رجبٍ . قاله الليثُ . وقال سعدُ بنُ إبراهيمَ : لمُسْتَهَلِّ رجبٍ[5] .

وقال محمدُ بنُ إسْحاقَ والشافعىُّ[6] : صَلَّى عليه ابنُه يَزيدُ . وقد ورَد مِن غيرِ وجهٍ[7] أنه أوْصَى إليه أن يُكَفَّنَ فى ثوبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى كَساه إياه ، وكان مُدَّخَرًا عندَه لهذا اليومِ ، وأن يُجْعَلَ ما عندَه مِن شعرِه وقُلامةِ أظْفارِه فى فمِه وأنفِه

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٣٢٧، ٣٢٨، من طريق أبى مخنف به .

(٢) فى الأصل، ٦١: «صور»، وفى م: «سور». والعود: الجمل الكبير المسن المدرَّب، فشبه معاوية به . قال صاحب اللسان : وفى المثل : زاحمْ بعَود أو دع ، أى استعن على حربك بأهل السِّن والمعرفة ، فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام . انظر النهاية ٣/ ٣١٧، واللسان (ع و د) .

(٣ - ٣) فى الأصل، ٦١، م: «وجدهم».

(٤) فى ٦١، م: «هول».

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٦١ - ٧٦٣ مخطوط .

(٦) أخرجهما ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٦٢ - ٧٦٤ مخطوط . والشافعى هو أبو بكر محمد ابن عبد الله البغدادى الشافعى . انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٩.

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٥٦ - ٧٥٩.

وعينَيْه وأُذُنيه . وقال آخرون[1] : بل كان ابنُه يزيدُ غائبًا ، فصَلَّى عليه الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ بعدَ صلاةِ الظهرِ بمسجدِ دمشقَ ، ثم دُفِن فقيل : بدارِ الإمارةِ . وهى الخَضْراءُ ، وقيل : بمَقابرِ بابِ الصَّغيرِ . وعليه الجُمهورُ . واللَّهُ أعلمُ . وكان عمرُه إذ ذاك ثمانيًا وسبعين سنةً . وقيل[2] : جاوَز الثمانين . وهو الأشْهَرُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم رَكِب الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ فى جيشٍ[3] ، وخرَج ليَتَلَقَّى يزيدَ بنَ مُعاويةَ ، وكان يزيدُ بحُوَّارِينَ[4] ، فلمَّا وَصَلوا إلى ثَنِيَّةِ العُقابِ تَلَقَّتْهم أثْقالُ يَزيدَ ، وإذا يزيدُ راكبٌ على بُخْتِيٍّ وعليه الحُزْنُ ظاهرٌ ، فسَلَّم عليه الناسُ بالإمارةِ ، وعزَّوْه فى أبيه ، وهو يَخْفِضُ صوتَه فى رَدِّه عليهم ، والناسُ صامِتون لا يَتَكَلَّمُ معه إلا الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ ، فانْتَهَى إلى بابِ تُومَاءَ ، فظَنَّ الناسُ أنه يَدْخُلُ منه إلى المَدِينةِ ، فأجازه مع السُّورِ حتى انْتَهَى إلى البابِ الشَّرْقِيِّ ، فقيل : يَدْخُلُ منه . لأنه بابُ خالدٍ ، فجازه حتى أَتَى البابَ الصغيرَ ، فعرَف الناسُ أنه قاصدٌ قبرَ أبيه ، فلمَّا وَصَل إلى بابِ الصَّغيرِ ترَجَّل عندَ المَقْبَرةِ ، ثم دخَل ، فصَلَّى على أبيه بعدَما دُفِن ، ثم انْفَتل[5] ، فلمَّا خرَج مِن المَقْبَرةِ أُتِىَ بمَراكِبِ الخِلافةِ ، فرَكِب ، ثم دخَل البلدَ ، وأمَر فنُودِىَ فى الناسِ أنِ الصلاةُ جامعةٌ . ودخَل الخضْراءَ ، فاغْتَسل ولَبِس ثيابًا حَسَنةً ، ثم خرَج فخطَب الناسَ أولَ خُطْبةٍ خَطَبها وهو أميرُ المؤمنين ، فقال بعدَ حَمْدِ اللَّهِ والثَّناءِ عليه : أيُّها الناسُ ، إن مُعاويةَ كان عبدًا مِن عَبيدِ اللَّهِ ، [٦/ ١٧٤ظ] أنْعَم اللَّهُ عليه ، ثم قَبَضه إليه ، وهو خيرٌ ممَّن بعدَه ، ودونَ مَن قبلَه ، ولا أُزَكِّيه على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، هو أعْلَمُ به ، إن عَفَا عنه فبرحمتِه ، وإن عاقَبه

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٥٧ مخطوط .

(٢) انظر المصدر السابق ١٦/ ٧٦١.

(٣) انظر المصدر السابق ١٦/ ٧٥٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٦١، ١٦٢.

(٤) حُوَّارين : قرية من قرى حلب ، وهى على بعد مرحلتين من تدمر . انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥٥.

(٥) فى ص : « انتقل » . وانفتل : انصرف . اللسان (ف ت ل) .

فبذنبِه ، وقد وَلِيتُ الأمْرَ مِن بعدِه ، ولستُ آسَى على طَلَبٍ ، ولا أَعْتَذِرُ مِن تَفْريطٍ ، وإذا أراد اللَّهُ شيئًا كان . وقال لهم فى خُطْبتِه هذه : وإن مُعاويةَ كان يُغْزِيكم فى البرِّ والبحرِ ، وإنى لستُ حاملًا أحدًا مِن المسلمين فى البَحْرِ ، وإن مُعاويةَ كان يُشَتِّيكم بأرضِ الرومِ ، ولستُ مُشَتِّيًا أحدًا بأرضِ الرومِ ، وإن مُعاويةَ كان يُخْرِجُ لكم العَطاءَ أثْلاثًا ، وأنا أجْمَعُه لكم كلَّه . قال : فافْتَرق الناسُ عنه وهم لا يُفَضِّلون عليه أحدًا .

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكَمِ[1] : سَمِعْتُ الشافعيَّ يقولُ : بعَث مُعاويةُ وهو مَرِيضٌ إلى ابنِه يَزيدَ ، فلمَّا جاءه البَرِيدُ ركِب وهو يقولُ :

جاء البَرِيدُ بقِرْطاسٍ يَخُبُّ بهِ ... فأوْجَس القلبُ مِن قِرْطاسِه فَزَعَا
قُلْنا لك الويلُ ماذا فى صَحيفتِكم ... قال الخَليفةُ أمْسَى مُثْبَتًا[2] وَجِعَا
فمادَتِ الأرضُ أو كادَت تَميدُ بنا ... كأنَّ أغْبَرَ مِن أرْكانِها انْقَلَعا
ثم انْبَعَثْنا إلى خُوصٍ[3] مُضَمَّرةٍ ... نَرْمِى الفِجاجَ بها ما نَأْتَلِى سُرَعَا
فما نُبالى إذا بَلَّغْنَ أرْحُلَنا ... ما مات منهنَّ بالمَوْماةِ[4] أو ظَلَعا[5]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٧٥٦، ٧٥٧ مخطوط ، من طريق محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم به . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٤١٩، والكامل ٤/ ٩، وتاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٨.

(٢) فى الأصل ، ٦١، م : « مثقلا » . والمثبت : الذى ثَقُل فلم يبرح الفراش . اللسان (ث ب ت) .

(٣) الخُوص : جمع خوصاء ، من الخَوَصِ ، وهو ضيق العين وصِغرها وغُئُورها . وهذا وصف للناقة . انظر الوسيط (خ و ص) .

(٤) فى النسخ وتاريخ دمشق : « بالمرمات » ولم يرد البيت فى مصادر التخريج الأخرى ، ولم نجد فى المعاجم للفظة « المرمات » معنى يستقيم به معنى البيت ، فلفظة « المرمات » تصحفت من « المومات » وهى المفازة الواسعة ، وقد وردت فى تاريخ دمشق ١٦/٧٥٧ رواية أخرى لهذا الخبر وفيها :

وما أبالى إذا أدركن مهجته ... ما مات منهن بالبيداء أو ظلعا

وهو شاهد قوى لما أثبتناه . واللّه أعلم .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « طلعا » . وهو تصحيف . وظلع الرجل والدابة فى مشيته : عرج وغمز . انظر اللسان (ظ ل ع) .

(١)(٢) وزاد غيرُه(٢) :

لمَّا انْتَهَيْنا وبابُ الدارِ مُنْصَفِقٌ ... بصوتِ رَمْلَةَ رِيعَ القلبُ فانصدعا
مَن لا تَزَلْ نفسُه تُوفِى على شَرَفٍ ... تُوشكْ مقاديرُ(٣) تلك النفسِ أن تقعا(١)
أوْدَى ابنُ هندٍ وأوْدَى المجدُ يَتْبَعُهُ ... كانا جميعًا خَلِيطًا سالمَيْن معًا
أغَرُّ أبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بهِ ... لو قارَعَ الناسَ عن أحْلامِهم قرَعَا
لا يَرْقَعُ(٤) الناسُ ما أَوْهَى وإن جَهِدوا ... أن يَرْقَعوه ولا يُوهُون ما رَقَعَا

قال الشافعىُّ(٥) : سرَق يزيدُ هذين البيتَيْن(٦) مِن الأعْشَى . ثم ذكَر أنه دَخَل قبلَ موتِ أبيه دمشقَ ، وأنه أوْصَى إليه . وهذا قد قاله ابنُ إسحاقَ وغيرُ واحدٍ ، ولكن الجُمهورُ على أن يزيدَ لم يَدْخُلْ دمشقَ إلا بعدَ موتِ أبيه ، وأنه صلَّى على قبرِه بالناسِ ، كما قدَّمْنا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال أبو الوَرْدِ العنْبَرىُّ يَرْثِى مُعاويةَ ، رَضِى اللَّهُ عنه(٧) :

ألا أَنْعَى مُعاويةَ بنَ حربٍ ... نعاه الحِلُّ للشهرِ الحرامِ
نعاه الناعجاتُ(٨) بكلِّ فجٍّ ... خَواضِعَ فى الأَزِمَّةِ كالسِّهامِ
فهَاتِيكَ النجومُ وهنَّ خُرْسٌ ... يَنُحْنَ على مُعاويةَ الشآمِ(٩)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.
(٢ - ٢) سقط من : م . والزيادة رواية عند ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٧٥٧ مخطوط .
(٣) فى م : « مقاليد » . وهو لفظ رواية الطبرى ، والكامل .
(٤) يرقع : يُصْلح .
(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٥٧.
(٦) يريد البيتين الأخيرين .
(٧) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٥٨ مخطوط ، وأنساب الأشراف ٥/ ١٦٣.
(٨) الناعجات : جمع ناعجة ، وهى المرأة حسنة اللون . اللسان (ن ع ج) .
(٩) فى الأصل ، ٦١، م : « الهمام » . والشآم : المنسوب إلى الشام . انظر اللسان (ش أ م) .

[٦/ ١٧٥و] وقال أيمنُ بنُ خُرَيْمٍ يَرْثِيه أيضًا[١] :

رَمَى الحِدْثانُ نِسْوةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودَا[٢]

فرَدَّ شُعورَهنَّ السُّودَ بِيضًا ... ورَدَّ وُجوهَهنَّ البِيضَ سُودَا

فإنك لو شَهِدْتَ بُكاءَ هندٍ ... ورَمْلةَ إذ يُصَفِّقْنَ الخُدودَا

بكَيْتَ بُكاءَ مُعْوِلَةٍ قَرِيحٍ[٣] ... أصاب الدهرُ واحدَها الفَرِيدَا

ذِكْرُ مَن تَزَوَّج مِن النّساءِ ومَن وُلِد له [٤]مِن الأولادِ الذكورِ والإناثِ[٤]

كان[٥] له عبدُ الرحمنِ، وبه كان يُكَنَّى، وعبدُ اللَّهِ، وكان ضعيفَ العقلِ، وأُمُّهما فاخِتةُ بنتُ قَرَظَةَ بنِ عبدِ[٦] عمرِو بنِ نوفلِ بنِ عبدِ مَنافٍ، وقد تَزَوَّج بأختِها مُنْفَردةً عنها بعدَها، [٧]وهى كَنُودُ[٨] بنتُ قَرَظةَ[٧]، وهى التى كانت معه حينَ افْتَتح قُبْرُسَ، وتَزَوَّج[٩] نائلةَ بنتَ عُمارةَ الكَلْبيةَ، فأعْجَبَتْه، وقال لَيْسونَ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/٧٥٨ مخطوط، وأنساب الأشراف ٥/ ١٦٣.

(٢) السمود يكون حزنا وسرورًا، وهو هنا بمعنى الحزن. انظر اللسان (س م د).

(٣) المعولة: الرافعة صوتها بالبكاء والصياح. والقريح: الجريح. اللسان (ع و ل)، والوسيط (ق ر ح).

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٩، والكامل ٤/ ١٠.

(٦) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١١٦، والإصابة ٨/ ٤٧.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ٦١.

(٨) فى م، ص: «كنوة»، وفى تاريخ الطبرى والكامل: «كتوة». والمثبت من نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٠٤، وتاريخ دمشق، جزء تراجم النساء، ص ٣١٨، والإصابة ٨/ ٩٥.

(٩) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق، جزء تراجم النساء ص ٤٠٣.

بنتِ بحْدَلٍ : ادْخُلى فانْظُرى إلى ابنةِ عَمِّك . فدَخَلت فسألَها عنها ، فقالت : إنها لكاملةُ الجَمالِ ، ولكن رأيْتُ تحتَ سُرَّتِها خالًا[1] ، وإنى لأُرَى هذه يُقتَلُ زوجُها ، ويُوضَعُ رأسُه فى حِجْرِها . فطَلَّقها مُعاويةُ فتزَوَّجها بعدَه حَبيبُ بنُ مَسْلَمةَ[2] الفِهْرىُّ ، ثم خَلَف عليها بعدَه النُّعْمانُ بنُ بَشيرٍ ، فقُتِل ووُضِع رأسُه فى حِجْرِها .

ومِن أشْهرِ أوْلادِه يزيدُ ، وأُمُّه مَيْسونُ بنتُ بَحْدَلِ بنِ أُنَيْفِ بنِ دُلْجَةَ بنِ قُنافةَ الكَلْبىِّ ، وهى التى دَخَلت على نائلةَ ، فأخْبَرت مُعاويةَ عنها بما أخْبَرَتْه ، وكانت[3] حازمةً عَظيمةَ الشأنِ جَمالًا ورِياسةً وعقلًا ودِينًا ، دَخَل عليها مُعاويةُ يومًا ومعه خادمٌ خَصِىٌّ ، فاسْتَتَرَتْ منه ، وقالت : ما هذا الرجلُ معك ؟ فقال : إنه خَصِىٌّ ، فاظْهَرى عليه . فقالت : ما كانت المُثْلَةُ لِتُحِلَّ له ما حَرَّم اللَّهُ عليه . وحَجَبَتْه عنها . وفى روايةٍ أنها قالت له : إن مُجَرَّدَ مُثْلَتِك له لن تُحِلَّ ما حَرَّمه اللَّهُ عليه . [4]وقد وَلِىَ[4] ابنُها يزيدُ الخِلافةَ بعدَ أبيه . وذكَر ابنُ جَرِيرٍ[5] أن مَيْسُونَ هذه وَلَدت لمُعاويةَ بنتًا أخرى يُقالُ لها : أَمَةُ رَبِّ المَشارِقِ . ماتَتْ صَغيرةً .

ورَمْلةُ ، تَزَوَّجها عمرُو بنُ عثمانَ بنِ عفانَ ، كانت دارُها بدِمشقَ عندَ عَقَبةِ السَّمَكِ تُجاهَ زُقاقِ الرُّمَّانِ . قاله ابنُ عَساكرَ[6] ، قال : ولها طاحونٌ مَعْروفةٌ إلى الآن .

---

(١) الخال : شامة أو نُكْتة سوداء بالبدن . انظر اللسان (خ ى ل) .
(٢) فى م : «سلمة» . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٨.
(٣) انظر تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ص ٣٩٧.
(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١، م : «فلهذا ولى اللّه» .
(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٩.
(٦) تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ص ٩٥.

وهندُ[1] بنتُ مُعاويةَ ، تزَوَّجها عبدُ اللَّهِ [٦/١٧٥ظ] بنُ عامرٍ ، فلمَّا أُدْخِلَت عليه بالخَضْراءِ ، أرادها عن نفسِها فتمَنَّعَت عليه ، وأَبَتْ أشَدَّ الإباءِ ، فضَرَبها فصَرَخَت ، فلمَّا سَمِع الجَوارى صوتَها صَرَخْنَ وعَلَتْ أصواتُهن ، فسَمِع مُعاويةُ ، فنهَض إليهن ، فاسْتَعْلَمَهن ما الخبرُ ، فقُلْن : سَمِعْنا صوتَ سيدتِنا فصِحْنا . فدَخَل فإذا بها تَبْكى مِن ضَرْبِه ، فقال لابنِ عامرٍ : وَيْحَكَ ! مثلُ هذه تُضْرَبُ فى مثلِ هذه الليلةِ ؟! ثم قال له : اخْرُجْ مِن هاهنا . فخرَج وخَلا بها مُعاويةُ فقال لها : يا بُنيَّةُ ، إنه زوجُك الذى أَحَلَّه اللَّهُ لكِ ، أو ما سَمِعْتِ قولَ الشاعرِ :

مِن الخَفِراتِ[2] البِيضِ أمَّا حَرامُها فصعْبٌ وأمَّا حِلُّها فذَلُولُ

ثم خرَج مُعاويةُ مِن عندِها ، وقال لزوجِها : ادْخُلْ فقد مَهَّدْتُ لك خُلُقَها ووَطَّأْتُه . فدَخَل ابنُ عامرٍ ، فوجَدها قد طابَت أخْلاقُها ، فقَضَى حاجتَه منها ، رَحِمهم اللَّهُ تعالى .

فصلٌ[3]

وكان[4] على قضاءِ مُعاويةَ [5] فَضالةُ بنُ عُبَيدٍ ، ثم مات فَضالةُ فوَلَّى أبا إدريسَ الخَوْلانىَّ .

---

(١) تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ص ٤٦٠، ٤٦١.

(٢) الخفرات : جمع خَفِرة ، من الخفر وهو شدة الحياء . انظر اللسان (خ ف ر) .

(٣) سقط من : م .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٢٩، ٣٣٠، والكامل ٤/ ١١.

(٥) بعده فى الأصل ٦١، م : «أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب فلما حضره الموت أشار على معاوية بتولية» .

وكان على حَرَسِه رجلٌ مِن المَوالى يقالُ له : المُخْتارُ . وقيل : مالكٌ . ويُكَنَّى أبا المُخارِقِ ، مَوْلًى لحِمْيَرَ ، وكان مُعاويةُ أولَ مَن اتَّخَذ الحَرَسَ ، وكان على حُجَّابِهِ سعدٌ مَوْلاه ، وعلى الشُّرْطةِ قيسُ بنُ حَمْزةَ ، ثم زِمْلُ[1] بنُ عمرٍو العُذْرِىُّ ، ثم الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ الفِهْرِىُّ ، وكان صاحبَ أمْرِه سَرْجونُ بنُ منصورٍ الرُّومىُّ . وكان مُعاويةُ أولَ مَن اتَّخَذ دِيوانَ الخاتمِ وخَزْمِ[2] الكتبِ .

فَصْلٌ[3]

وممَّن ذُكِر أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ - أعْنى سنةَ ستين - **صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ بنِ رَحَضَةَ[4] بنِ المُؤَمَّلِ بنِ خُزاعىٍّ ، أبو عمرٍو[5]** ، وأولُ مَشاهِدِه المُرَيْسِيعُ ، وكان فى الساقةِ يومَئذٍ ، وهو الذى رَماه أهلُ الإفْكِ بأمِّ المؤمنين ، رضِى اللَّهُ عنهما ، فبَرَّأه اللَّهُ وإياها مما قالوا ، وكان مِن ساداتِ المسلمين ، وكان يَنامُ نَوْمًا شديدًا حتى إنه كان ربما طلَعَت عليه الشمسُ وهو نائمٌ لا يَسْتَيْقِظُ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا اسْتَيْقَظْتَ فصَلِّ »[6] . وقد قُتِل صَفوانُ شَهيدًا .

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « زميل » . وهو مما يقال فى اسمه . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٩ ، والإصابة ٢/ ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ختم » . وخزم الكتب : ثقْبها . اللسان (خ ز م) .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، م : « رخصة » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٤ .

(٥) الاستيعاب ٢/ ٧٢٥ ، وأسد الغابة ٣/ ٣٠ ، والإصابة ٣/ ٤٤٠ .

(٦) أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٨٠ ، والحاكم فى المستدرك ١/ ٤٣٦ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى . كما أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٣٠٣ ، مطولًا .

وأبو مُسلمٍ عبدُ اللَّهِ بنُ ثُوَبٍ الخَوْلانيُّ اليمنيُّ[1] ، مِن خَوْلانَ ببلادِ اليمنِ . دَعاه الأسْودُ العَنْسيُّ إلى أن يَشْهَدَ أنه رسولُ اللَّهِ ، فقال له : أتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ فقال : لا أسْمَعُ ، أَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ . فأَجَّجَ له نارًا ، وألْقاه فيها ، فلم تَضُرَّه ، وأنْجاه اللَّهُ من النارِ ، [٦/١٧٦و] فكان يُشَبَّهُ بإبراهيمَ الخَليلِ ، ثم هاجَر فوجَد رسولَ اللَّهِ ﷺ قد مات ، فقَدِم على الصِّديقِ ، فأجْلَسه بينَه وبينَ عمرَ ، وقال له عمرُ : الحمدُ للَّهِ الذى لم يُمِتْنى حتى أَرَانى فى أُمَّةِ محمدٍ ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ الخَليلِ . وقبَّله بينَ عَيْنَيه ، وكانت له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ .

ويُقالُ : إنه تُوُفِّىَ فيها النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ ، رضى اللَّهُ عنه . والأظْهَرُ أنه مات بعدَ ذلك ، كما سيأتى إن شاء اللَّهُ تعالى .

إمارةُ[2] يَزيدَ بنِ مُعاويةَ وما جرَى فى أيَّامِه [3]مِن الحوادثِ والفتنِ[3]

بُويِـع له بالخِلافةِ بعدَ أبيه فى رجبٍ سنةَ ستين[4] ، وكان مولدُه سنةَ سِتٍّ وعِشْرين[5] ، فكان يومَ بُويِـع ابنَ أربعٍ وثلاثين سنةً ، فأقَرَّ نُوَّابَ أبيه على الأقاليمِ ، لم يَعْزِلْ أحدًا منهم ، وهذا مِن ذَكائِه .

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٧٥٧، وأسد الغابة ٦/ ٢٨٨، والإصابة ٧/ ٣٩٧.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٣٨.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٨/٣٩٣ مخطوط .

قال هشامُ بنُ محمدٍ الكَلْبىُّ[1] عن أبى مِخْنَفٍ لوطِ بنِ يحيى الكوفىِّ الأخْبارىِّ : وَلِىَ يزيدُ فى هِلالِ رجبٍ سنةَ ستين ، وأميرُ المدينةِ الوليدُ بنُ عُتْبةَ بنِ أبى سُفْيانَ ، وأميرُ الكوفةِ النُّعْمانُ بنُ بَشيرٍ ، وأميرُ البَصْرةِ عُبيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ ، وأميرُ مكةَ عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، ولم يَكُنْ ليَزيدَ هِمَّةٌ حينَ وَلِىَ إلَّا بَيْعةُ النَّفَرِ الذين أَبَوْا على مُعاويةَ البَيْعةَ ليَزيدَ ، فكتَب إلى نائبِ المدينةِ الوليدِ بنِ عُتْبةَ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن يزيدَ أميرِ المؤمنين إلى الوليدِ بنِ عُتْبةَ ، أمَّا بعدُ ، فإن مُعاويةَ كان عبدًا مِن عبادِ اللَّهِ ، أكْرَمه اللَّهُ واسْتَخْلَفَه وخَوَّلَه ومَكَّن له ، فعاش بقَدَرٍ ، ومات بأجَلٍ ، فرَحِمَه اللَّهُ ، فقد عاش مَحْمودًا ، ومات بَرًّا تَقِيًّا ، والسلامُ .

وكتَب إليه فى صَحِيفةٍ كأنها أُذُنُ الفَأْرةِ : أمّا بعدُ ، فخذْ حُسَيْنًا وعبدَ اللَّهِ ابنَ عمرَ وعبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبيرِ بالبَيْعةِ أخْذًا شديدًا ليْسَت فيه رُخْصةٌ حتى يُبايِعوا ، والسلامُ . فلمَّا أتاه نَعْىُ مُعاويةَ فَظِع به[2] وكَبُر عليه ، فبَعَث إلى مَرْوانَ ، فقَرَأ عليه الكِتابَ ، واسْتَشاره فى أمْرِ هؤلاء النَّفَرِ ، فقال : أَرَى أن تَدْعُوَهم قبلَ أن يَعْلَموا بموتِ مُعاويةَ إلى البَيْعةِ ، فإن أَبَوْا ضُرِبَتْ أعْناقُهم . فأرْسَل مِن فَوْرِه عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفانَ إلى الحُسَينِ وابنِ الزبيرِ وهما فى المسجدِ ، فقال لهما : أَجِيبا الأميرَ . فقالا : انْصَرِفْ ، الآن نَأْتِيه . فلمَّا انْصَرَف عنهما قال الحسينُ لابنِ الزُّبيرِ : إنى أَرَى طاغِيَتَهم قد هَلَك . قال ابنُ الزُّبيرِ : وأنا ما أَظُنُّ غيرَه . قال : ثُم نهَض حسينٌ فأَخَذ معه مَوالِيَه ، وجاء بابَ الأميرِ ، فاسْتَأْذَن فأَذِن له ، فدَخَل وحدَه ، وأَجْلَس مَواليَه على البابِ ، وقال : إن سَمِعْتُم أمْرًا يَرِيبُكم فادْخُلوا . فسَلَّم وجَلَس [٦/١٧٦ظ] ومَرْوانُ عندَه ، فناوَله الوليدُ بنُ عُتْبةَ الكِتابَ ، ونعَى إليه

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٣٣٨ - ٣٤٢ من طريق هشام به .

(٢) فظع به : اشتدَّ عليه . انظر النهاية ٣/ ٤٥٩.

مُعاويةَ ، فاسْتَرْجَع وقال : رَحِم اللَّهُ مُعاويةَ ، وعَظَّم لك الأجرَ . فدَعاه الأميرُ إلى البَيْعةِ ، فقال له الحسينُ : إن مِثْلى لا يُبايِعُ سرًّا ، وما أُراك تَجْتَزِئُ منى بهذا ، ولكنْ إذا اجْتَمع الناسُ دَعَوْتَنا معهم ، فكان أمْرًا واحدًا . فقال له الوليدُ وكان يُحِبُّ العافيةَ : فانْصَرِفْ على اسمِ اللَّهِ حتى تأْتِيَنا فى جَماعةِ الناسِ . فقال مَرْوانُ للوليدِ : واللَّهِ لَئِنْ فارَقَك ولم يُبايِعِ الساعةَ ، لَيَكْثُرَنَّ القتلُ بينَكم وبينَه ، فاحْبِسْه ولا تُخْرِجْه حتى يُبايِعَ ، وإلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَه . فنهَض الحسينُ وقال : يا بنَ الزَّرْقاءِ ، أنت تَقْتُلُنى ؟! كَذَبْتَ واللَّهِ وأَثِمْتَ . ثم انْصَرَف إلى دارِه ، فقال مَرْوانُ للوَليدِ : واللَّهِ لا تَراه بعدَها أبدًا . فقال الوليدُ : واللَّهِ يا مَرْوانُ ما أُحِبُّ أن لىَ الدُّنْيا وما فيها وأنى قَتَلْتُ الحُسينَ ، سبحانَ اللَّهِ ! أَقْتُلُ حسينًا أن قال : لا أُبايِعُ ؟! واللَّهِ إنى لَأَظُنُّ أنَّ مَن يَقْتُلُ الحسينَ يكونُ خَفيفَ الميزانِ يومَ القيامةِ . وبعَث الوليدُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ ، فامْتَنع عليه وماطَلَه يومًا وليلةً ، ثم إنَّ ابنَ الزبيرِ رَكِب فى مَواليه واسْتَصْحَب معه أخاه جعفرًا ، وسار إلى مكةَ على طريقِ الفُرْعِ ، وبعَث الوليدُ خلفَ ابنِ الزُّبيرِ الرجالَ والفُرْسانَ ، فلم يَقْدِروا على رَدِّه ، وقد قال جعفرٌ لأخيه عبدِ اللَّهِ وهما سائران ، مُتَمَثِّلًا بقولِ صَبِرةَ الحَنْظَلىِّ :

وكلُّ بنى أمٍّ سيُمْسُون ليلةً ... ولم يَبْقَ مِن أعْقابِهم غيرُ واحدِ

فقال : سبحانَ اللَّهِ ! ما أرَدْتَ إلى هذا ؟ فقال : واللَّهِ ما أرَدْتُ به شيئًا يَسوءُك . فقال : إن كان إنما جَرَى على لسانِك فهو أَكْرَهُ إلىَّ . قالوا[1] : وتَطَيَّر به . وأمَّا الحسينُ بنُ علىٍّ فإن الوليدَ تَشاغَل عنه بابنِ الزبيرِ ، وجَعَل كلَّما بَعَث

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « قال » .

إليه يقولُ : حتى تَنْظُرَ وتَنْظُرَ . ثم جمَع أهلَه وبَنِيه ، ورَكِب ليلةَ الأحدِ ، لِلَيْلَتَيْن بَقِيتا مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ، بعدَ خُروجِ ابنِ الزبيرِ بليلةٍ ، ولم يَتَخَلَّفْ عنه أحدٌ مِن أهلِه سوى محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ ، فإنَّه قال له : واللَّهِ يا أخى ، لَأنت أَعَزُّ أهلِ الأرضِ علىَّ ، وإنى ناصحٌ لك ؛ لا تَدْخُلَنَّ مِصْرًا مِن هذه الأمْصارِ ، ولكن اسْكُن البَوادىَ والرِّمالَ ، وابْعَثْ إلى الناسِ ، فإذا بايَعوك واجْتَمَعوا عليك فادْخُلِ المِصْرَ ، وإن أبَيْتَ إلَّا سُكْنَى المِصْرِ فاذْهَبْ إلى مكةَ ، فإن رأيْتَ ما تُحِبُّ ، وإلَّا تَرَفَّعْتَ إلى الرمالِ والجبالِ . فقال له : جَزاك اللَّهُ خيرًا ، فقد نَصَحْتَ وأشْفَقْتَ . وسار الحسينُ إلى مكةَ ، فاجْتَمَع هو وابنُ الزبيرِ بها ، [٦/١٧٧و] وبعَث الوليدُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، فقال : بايِعْ ليزيدَ . فقال : إذا بايَع الناسُ بايَعْتُ . فقال رجلٌ : إنما تُرِيدُ أن يَخْتَلِفَ الناسُ ويَقْتَتِلوا حتى يَتَفانَوْا ، فإذا لم يَبْقَ غيرُك بايَعوك ! فقال ابنُ عمرَ : لا أُحِبُّ شيئًا ممَّا قلتَ ، ولكن إذا بايَع الناسُ فلم يَبْقَ غيرى بايَعْتُ . [1]قال : فتَرَكوه[1] ، وكانوا لا[2] يَتَخَوَّفونه .

وقال الواقدىُّ[3] : لم يَكُنِ ابنُ عمرَ بالمدينةِ حينَ قدِم نَعْىُ مُعاويةَ ، وإنما كان هو وابنُ عباسٍ بمكةَ ، فلَقِيَهما وهما مُقْبِلان منها ، الحسينُ وابنُ الزبيرِ ، فقالا[4] : ما وراءَكما ؟ قالا : مَوتُ مُعاويةَ والبَيْعةُ ليَزيدَ . فقال لهما ابنُ عمرَ : اتَّقِيا اللَّهَ ، ولا تُفَرِّقا جَماعةَ المسلمين . وقَدِم ابنُ عمرَ وابنُ عباسٍ إلى المدينةِ ، فلما جاءت البَيْعةُ مِن الأمْصارِ بايَعَا[5] مع الناسِ ، وأمَّا الحسينُ وابنُ الزبيرِ ، فإنهما قَدِما مكةَ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) ذكره الطبرى فى تاريخه ٥/٣٤٣.

(٤) فى م ، ص : « فقال » . والقائلان هما ابن عمر وابن عباس .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « بايع ابن عمر » .

فوجَدا بها عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ ، فخافاه وقالا : إنا جِئْنا عُوَّاذًا بهذا البيتِ .

وفى هذه السنةِ ، فى رَمضانَ منها ، عَزَل يزيدُ بنُ مُعاويةَ الوليدَ بنَ عُتْبةَ[1] عن إمْرةِ المدينةِ ؛ لتَفْرِيطِه ، وأضافها إلى عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ نائبِ مكةَ ، فقَدِم المدينةَ فى رَمضانَ - وقيل : فى ذى القَعْدةِ - وكان مُفَوَّهًا[2] مُتَكَبِّرًا ، وسَلَّط عمرَو بنَ الزبيرِ - وكان عدُوًّا لأخيه عبدِ اللَّهِ - على حَرْبِه وجَرَّدَه له ، وجَعَل عمرُو بنُ سعيدٍ يَبْعَثُ البُعوثَ إلى مكةَ لحربِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] أن أبا شُرَيْحٍ الخُزاعىَّ[4] قال لعمرِو بنِ سعيدٍ ، وهو يَبْعَثُ البُعوثَ إلى مكةَ : ائْذَنْ لى أيُّها الأميرُ أن أُحَدِّثَك حَديثًا قام به رسولُ اللَّهِ ﷺ الغدَ مِن يومِ الفتحِ ، سَمِعَتْه أُذُناىَ ووَعاه قلبى [5]وأبْصَرَتْه عَيْناىَ[5] حينَ تَكَلَّم به ؛ أنَّه حَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثُم قال : « إنَّ مكةَ حَرَّمها اللَّهُ ولم يُحَرِّمْها الناسُ ، [6]وإنه لم يَحِلَّ القِتالُ فيها لأحدٍ كان قبلى ، ولم يَحِلَّ لأحدٍ بعدى[6] ، ولم تَحِلَّ لى إلَّا ساعةً مِن نَهارٍ ، ثم قد عادت حُرْمتُها اليومَ كحُرْمتِها بالأمسِ ، فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ » . وفى روايةٍ[7] : « فإنْ أحدٌ تَرَخَّص بقِتالِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيها فقولوا : إن اللَّهَ أَذِن لرسولِه ، ولم يَأْذَنْ لكم » . فقيل لأبى شُرَيْحٍ : ما قال لك ؟ فقال : قال لى : نحن أعْلَمُ بذلك منك يا أبا شُرَيحٍ ، إن الحَرَمَ لا يُعيذُ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) فى الأصل، ٦١: « متوالها »، وفى م : « متآلها » .

(٣) البخارى (١٠٤، ١٨٣٢، ٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤)، مطولًا عندهما .

(٤) فى الصحيحين : « العدوى » . وهو مما يقال فى نسبته ، انظر أسد الغابة ٦/ ١٦٤.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ٦١، م .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ، وهى بنحو لفظ رواية مسلم (١٣٥٥) .

(٧) البخارى (١٠٤، ١٨٣٢، ٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤) .

عاصِيًا ولا فارًّا بدمٍ، ولا فارًّا بخَرْبَةٍ[1].

قال الواقدىُّ[2]: وَلَّى عمرُو بنُ سعيدٍ شُرْطةَ المَدينةِ عمرَو بنَ الزبيرِ؛ فتَتَبَّع أصحابَ أخيه ومَن يَهْوَى هَواه، فضرَبهم ضَرْبًا شَديدًا، حتى ضرَب مِن جُمْلةِ مَن ضَرَب أخاه المنذرَ بنَ الزُّبَيرِ، [3]وجَماعةً من الأعيانِ[3] ثم جاء العَزْمُ مِن يَزيدَ إلى عمرِو بنِ سعيدٍ فى تَطَلُّبِ ابنِ الزبيرِ، وأنه لا يَقْبَلُ منه وإن بايَع، حتى يُؤْتَى به إلىَّ فى جامعةٍ[4] مِن ذهبٍ أو مِن فضةٍ تحتَ بُرْنُسِه، فلا تُرَى إلَّا أنه يُسْمَعُ صوتُها[5]، وكان ابنُ الزبيرِ قد منَع الحارثَ بنَ خالدٍ المَخْزومىَّ[6] مِن أن يُصَلِّىَ بأهلِ مكةَ، وكان نائبَ عمرِو بنِ سعيدٍ عليها، فحينئذٍ صَمَّم عمرُو على تَجْهيزِ سَرِيَّةٍ إلى مكةَ بسببِ ابنِ الزبيرِ، فاسْتَشار عمرُو بنُ سعيدٍ عمرَو بنَ الزبيرِ: مَن يَصْلُحُ أن نَبْعَثَه إلى مكةَ لأجْلِ قِتالِه؟ فقال له عمرُو بنُ الزبيرِ: إنك لا تَبْعَثُ إليه

---

(١) قال الحافظ فى فتح البارى ١/ ١٩٨، ١٩٩: قوله: «بخربة» بفتح المعجمة وإسكان الراء ثم موحدة، يعنى السرقة، كذا ثبت تفسيرها فى رواية المستملى، قال ابن بطال: الخربة بالضم: الفساد، وبالفتح: السرقة. وقد تشدَّق عمرو - أى عمرو بن سعيد - فى الجواب، وأتى بكلام ظاهره حق، لكن أراد به الباطل؛ فإن الصحابى أنكر عليه نصب الحرب على مكة، فأجابه بأنها لا تمنع من إقامة القصاص، وهو صحيح إلَّا أن ابن الزبير لم يرتكب أمرًا يجب عليه فيه شىء من ذلك.

(٢) ذكره الطبرى فى تاريخه ٥/ ٣٤٤ بنحوه.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٦١، م: «وأنه [٦/ ١٧٧ظ] لابد أن يأخذ أخاه عبد اللَّه فى جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة فضرب المنذر بن الزبير، وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد اللَّه بن حكيم بن حزام وخبيب بن عبد اللَّه بن الزبير ومحمد بن الزبير ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جلدة، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان التيمى وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل فى أناس من مكة»، وهو لفظ رواية أخرى عن محمد بن عمر. والمثبت من ص موافق لما فى تاريخ الطبرى وأنسب للسياق. انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٤٤.

(٤) الجامعة: الغُلُّ يجمع اليدين إلى العنق. الوسيط (ج م ع).

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٤٦.

(٦) انظر المصدر السابق ٥/ ٣٤٤.

مَن هو أنْكَى له منى . فعَيَّنَه على تلك السَّرِيةِ ، وجعَل على مُقَدِّمَتِه أُنَيْسَ بنَ عمرٍو الأسْلَمىَّ فى سبعِمائةِ مُقاتلٍ .

وقال الواقدىُّ[1] : إنما عيَّنهما يزيدُ بنُ مُعاويةَ نفسُه ، وبعَث بذلك إلى عمرٍو ابنِ سعيدٍ [2]فى كتابٍ[2] ، فعَسْكَر أُنَيْسٌ بالجُرْفِ ، وأشار مَرْوانُ بنُ الحَكَمِ على عمرِو بنِ سعيدٍ أن لا يَغْزُوَ مكةَ ، وأن يَتْرُكَ ابنَ الزبيرِ بها ، فإنه عما قليلٍ إن لم يُقْتَلْ يَمُتْ ، فقال أخوه عمرُو بنُ الزبيرِ : واللَّهِ لَنَغْزُوَنَّه ولو فى جَوْفِ الكعبةِ ، على رَغْمِ أنفِ مَن رَغِم . فقال مَرْوانُ : واللَّهِ إن ذلك ليَسُوءُنى[3] . فسار أُنَيْسٌ واتَّبعه عمرُو بنُ الزبيرِ فى بقيةِ الجيشِ ، وكانوا ألفَيْن ، حتى نزَل بالأبْطحِ ، وقيل[4] : بدارِه عندَ الصَّفا . ونزَل أُنَيْسٌ بذى طَوًى ، فكان عمرُو بنُ الزُّبيرِ يُصَلِّى بالناسِ[5] ، ويُصَلِّى وراءَه أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وأرْسَل عمرٌو إلى أخيه يقولُ له : بَرَّ يَمِينَ الخَليفةِ ، وأْتِه وفى عُنُقِك جامِعةٌ مِن ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ ، ولا تَدَعِ الناسَ يَضْرِبُ بعضُهم بعضًا ، واتَّقِ اللَّهَ فإنك فى بلدٍ حَرامٍ . فأرْسَل عبدُ اللَّهِ يقولُ لأخيه : مَوْعِدُك المسجدُ . وبَعَث عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ عبدَ اللَّهِ بنَ صَفْوانَ بنِ أُميةَ فى سَرِيَّةٍ ، فاقْتَتَلوا مع أُنَيْسِ بنِ عمرٍو الأسْلمىِّ ، فهزَموا أُنَيْسًا هزيمةً قَبيحةً ، وتَفَرَّق عن عمرٍو ابنِ الزبيرِ أصحابُه ، وهرَب [٦/١٧٨و] عمرٌو إلى دارِ ابنِ عَلْقَمةَ ، فأجاره أخوه عُبيدةُ بنُ الزبيرِ ، فلامَه أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وقال : تُجِيرُ مَن فى عُنُقِه حقوقُ الناسِ ! ثُم ضرَبه بكلِّ مَن ضرَبه بالمدينةِ إلَّا المنذرَ بنَ الزبيرِ وابنَه ؛ فإنهما أَبَيا أن

---

(١) ذكره الطبرى فى تاريخه ٥/٣٤٤ - ٣٤٧. وقد ساق الواقدى الخبر بأكثر من إسناد وبألفاظ متقاربة ، وقال : قد اختلفوا علينا فى حديث عمرو بن الزبير . وقد لفقهم المصنف هنا فى سياق واحد .

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) فى م : « ليسرنى » .

(٤) هذا القول لفظ إحدى روايات الواقدى عن غيره ، كما فى تاريخ الطبرى .

(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٠٥.

يَسْتَقِيدا مِن عمرٍو، وسَجَنه ومعه عارمٌ، فسُمِّىَ سجنَ عارمٍ[1]، وقد قيل[2]: إن عمرَو بنَ الزبيرِ مات تحتَ السِّياطِ. واللَّهُ أعلمُ.

قصةُ الحُسينِ بنِ علىّ بنِ أبى طالبٍ، رَضِى اللَّهُ عنهما، وسببُ خروجِه [3]بأهْلِه مِن مكةَ إلى العراقِ[3] فى طَلَبِ الإمارةِ وكيفيةُ مَقْتَلِه، رَضِى اللَّهُ عنه

ولْنَبْدَأْ قبلَ ذلك بشىءٍ مِن تَرْجمتِه[4]، ثم نُتْبِع الجَميعَ بذِكْرِ مَناقبِه وفَضائلِه.

هو الحسينُ بنُ علىٍّ بنِ أبى طالبِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ، أبو عبدِ اللَّهِ القُرَشىُّ الهاشمىُّ، السِّبْطُ الشهيدُ بكَرْبَلاءَ، ابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فاطمةَ الزَّهْراءِ ورَيْحانتُه مِن الدنيا، وُلِد بعدَ أخيه الحسنِ، وكان مَوْلِدُ الحسنِ فى سنةِ ثلاثٍ مِن الهجرةِ. وقال بعضُهم[5]: إنما كان بينَهما طُهْرٌ واحدٌ ومُدَّةُ الحَملِ. ووُلِد لخمسٍ ليالٍ خَلَوْن مِن شَعْبانَ سنةَ أربعٍ[6].

---

(١) الذى فى تاريخ الطبرى أنه سُمِّى سجن عارم، لعبدٍ كان يقال له: زيد عارم. فسمِّى السجن به.

(٢) هذا القول أيضا لفظ إحدى روايات الواقدى، كما فى تاريخ الطبرى، وليس قولًا خارجًا عن رواية الواقدى.

(٣ - ٣) فى م، ص: «من مكة».

(٤) الاستيعاب ١/٣٩٢ - ٣٩٩، وأسد الغابة ٢/١٨ - ٢٣، والإصابة ٢/٧٦ - ٨١.

(٥) هذا قول جعفر بن محمد. انظر الاستيعاب ١/ ٣٩٣، وأسد الغابة ٢/ ١٩. وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، عن جعفر.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١١٥، عن الزبير، وانظر أسد الغابة ٢/ ١٩.

وقال قَتادةُ[1] : وُلِد الحسينُ لستٍّ سِنينَ وخمسةِ أشهرٍ ونصفٍ مِن التاريخِ ، وقُتِل يومَ الجُمُعةِ يومَ عاشوراءَ مِن المُحَرَّمِ سنةَ إحدى وستين ، وله أربعٌ وخمسون سنةً وستةُ أشْهرٍ ونصفٌ ، رضِى اللَّهُ عنه .

ورُوىَ عن النبىِّ ﷺ أنه حَنَّكه ، وتَفَل فى فِيه[2] ، ودَعا له ، وسَمَّاه حُسَينًا ، وقد كان سَمَّاه أبوه قبلَ ذلك حَرْبًا ، وقيل : جَعْفرًا[3] . وقيل[4] : إنما سَمَّاه يومَ سابعِه وعَقَّ عنه .

وقال جماعةٌ[5] ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسْحاقَ ، عن هانئِ بنِ هانئٍ ، عن علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه قال : الحسنُ أشْبَهُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ما بينَ الصَّدْرِ إلى الرأسِ ، والحسينُ أشْبَهُ به ما [6]كان أسفلَ[6] مِن ذلك .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[7] : حدَّثنى محمدُ بنُ الضَّحَّاكِ الحِزامىُّ قال : كان وَجهُ الحسنِ يُشْبِهُ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان جَسَدُ الحسينِ يُشْبِهُ جَسدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١١٦. وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٩٩، ٤٤٥.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/ ٩٨ (٢٧٦٧) مطولًا ، وذكر فيه التفل دون التحنيك . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٨٥: رواه الطبرانى وفيه ضرار بن صرد وهو متروك .

(٣) انظر فى تسميته حسينا ، تاريخ دمشق ١٤/ ١١٦ - ١١٨.

(٤) أخرج حديث العقّ ، ابن العديم فى بغية الطلب ٦/ ٧٥، عن جابر بن عبد اللَّه .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ١٨٣، حاشية ٨، ٩ من طريق حجاج وعبيد اللَّه بن موسى . وقد أخرجه أيضا الإمام أحمد فى المسند ١/ ١٠٨، من طريق أسود بن عامر (إسناده صحيح) ، وابن حبان كما فى الإحسان (٦٩٧٤) ، من طريق شبابة كلهم عن إسرائيل به .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ٦١، م : « بين أسفل » ، وفى ص : « كان » . والمثبت مما تقدم .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٢٧، من طريق الزبير به .

وروَى محمدُ بنُ سِيرينَ وأختُه حَفْصةُ، عن أنسٍ[1] قال: كنتُ عندَ ابنِ زِيادٍ، فجِيء برأسِ الحسينِ، فجعَل يقولُ بقَضِيبٍ فى أنفِه ويقولُ: ما رأيْتُ مثلَ هذا حُسْنًا. فقلتُ له: إنه كان مِن أشْبَهِهم برسولِ اللَّهِ ﷺ.

وقال سفيانُ[2]: قلتُ لعُبَيدِ اللَّهِ [٦/١٧٨ظ] بنِ أبى يَزيدَ[3]: رأيْتَ الحُسَينَ؟ قال: نعم، أسْودُ الرأسِ واللِّحْيةِ إلّا شَعَراتٍ هـٰهنا فى مُقَدَّمِ لحيتِه، فلا أدْرِى أَخَضَب وتَرَك ذلك المكانَ تَشَبُّهًا برسولِ اللَّهِ ﷺ، أو لم يَكُنْ شابَ منه غيرُ ذلك؟

وقال ابنُ جُرَيْجٍ[4]: سَمِعْتُ عمرَ بنَ عَطاءٍ قال: رأيْتُ الحسينَ بنَ علىٍّ يَصْبُغُ بالوَسْمةِ[5]، أما هو فكان ابنَ ستين، وكان رأسُه ولحيتُه شَديدَيِ السَّوادِ.

فأما الحديثُ الذى رُوِىَ مِن طريقَيْن ضَعيفَيْن[6]، أن فاطمةَ سألَت رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَرَضِ الموتِ أن يَنْحَلَ وَلَدَيْها شيئًا، فقال: «أمَّا الحسنُ فله هَيْبَتى وسُؤْدُدى، وأمَّا الحُسينُ فله جُرْأَتى وجُودِى». فليس بصحيحٍ، ولم يُخْرِجْه

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه (٣٧٤٨) حديث محمد عن أنس. وأخرج الترمذى فى جامعه (٣٧٧٨) حديث حفصة عن أنس. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٧٣).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/١٢٧، وانظر مختصره ٧/١١٧، ١١٨، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٠٠.

(٣) فى النسخ: «زياد». والمثبت من مصادر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٨.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/١٠٤ (٢٧٩٢)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٢٧، ١٢٨، كلاهما من طريق ابن جريج به. واللفظ عند الطبرانى إلى قوله: «بالوسمة».

(٥) فى الأصل، م: «بالوشمة». والوسمة، بفتح الواو - وأخطأ من ضمها - وبسكون المهملة، ويجوز فتحها: نبت يُختضب به يميل إلى السواد. وقد أجاز الخضاب بالسواد بعض العلماء. انظر فتح البارى ٧/ ٩٦، ١٠/ ٣٥٤- ٣٥٦.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٢٨، ١٢٩.

أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ المُعْتَبَرةِ ، وقد أدْرَك الحسينُ مِن حياةِ النبىِّ ﷺ خمسَ سنين أو نحوَها ، ورَوَى عنه أحاديثَ .

وقال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ[1] : له رُؤْيةٌ مِن النبىِّ ﷺ .

وقد رَوَى صالحُ[2] بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، عن أبيه ، أنه قال فى الحسنِ بنِ علىٍّ : إنه تابعىٌّ ثقةٌ . وهذا غريبٌ ، فلأَن يقولَ فى الحسينِ : إنه تابعىٌّ . بطَريقِ الأَوْلَى .

وسنَذْكُرُ ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْرِمُهما به ، وما كان يُظْهِرُ مِن مَحَبَّتِهما والحُنُوِّ عليهما .

والمقصودُ أن الحسينَ عاصَر رسولَ اللَّهِ ﷺ وصَحِبَه إلى أن تُوُفِّىَ وهو عنه راضٍ ، ولكنَّه كان صَغيرًا ، ثم كان الصِّدِّيقُ يُكْرِمُه ويُعَظِّمُه ، وكذلك عمرُ وعثمانُ ، وصَحِب أباه وروَى عنه ، وكان معه فى مَغازِيه كلِّها ؛ فى الجَملِ وصِفِّينَ ، وكان مُعَظَّمًا مُوَقَّرًا ، ولم يَزَلْ فى طاعةِ أبيه حتى قُتِل ، فلمَّا آلَتِ الخِلافةُ إلى أخيه ، وأراد أن يُصالحَ معاويةَ[3] شَقَّ ذلك عليه ، ولم يُسَدِّدْ رَأْىَ أخيه فى ذلك ، بل حَثَّه على قِتالِ أهلِ الشامِ ، فقال له أخوه : واللَّهِ لقد هَمَمْتُ أن أَسْجُنَك فى بيتٍ ، وأُطْبِقَ عليك بابَه حتى أَفْرُغَ مِن هذا الشَّأْنِ ، ثم أُخْرِجَك . فلمَّا رأَى الحسينُ ذلك سَكَت وسَلَّم ، فلمَّا اسْتَقَرَّت الخِلافةُ لمُعاويةَ كان الحسينُ يَتَرَدَّدُ إليه مع أخيه الحسنِ ، فكان مُعاويةُ يُكْرِمُهما إكْرامًا زائدًا ، ويقولُ لهما : مَرْحبًا وأهلًا . ويُعْطِيهما عَطاءً جَزِيلًا ، وقد أطْلَق لهما فى يومٍ واحدٍ مائتَىْ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/١٢٢ .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٩٤.

(٣) سقط من : م .

ألفٍ[1] ، وقال : خُذاها وأنا ابنُ هندَ ، واللَّهِ لا يُعْطِيكماها أحدٌ قبلى ولا أحدٌ بعدى . فقال الحسينُ : واللَّهِ لن تُعْطِيَ أنت ولا أحدٌ قبلَك ولا بعدَك رَجُلَيْن[2] أفْضَلَ مِنّا . ولمَّا تُوُفِّيَ الحسنُ كان الحسينُ يَفِدُ إلى [٦/١٧٩و] مُعاويةَ فى كلِّ عامٍ فيُعْطِيه ويُكْرِمُه ، وقد كان فى الجيشِ الذين غَزَوُا القُسْطَنْطِينِيَّةَ مع ابنِ مُعاويةَ يزيدَ ، فى سنةِ إحدى وخمسين . ولَمَّا أُخِذَتِ البَيْعةُ ليَزيدَ فى حَياةِ مُعاويةَ ، كان الحسينُ مِمَّن امْتَنَع مِن مُبايَعَتِه هو وابنُ الزبيرِ وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى بكرٍ وابنُ عمرَ وابنُ عباسٍ ، ثُم مات ابنُ أبى بكرٍ وهو مُصَمِّمٌ على ذلك[3] ، فلمَّا مات مُعاويةُ سنةَ ستين وبُويع ليَزيدَ ، بايَع ابنُ عمرَ وابنُ عباسٍ ، وصَمَّم على المُخالفةِ الحسينُ وابنُ الزبيرِ ، وخرجا مِن المدينةِ فارَّين إلى مكةَ فأقاما بها ، فعكَف الناسُ على الحُسينِ يَفِدون إليه ويَقْدَمون عليه ، ويَجْلِسون حَوالَيْه ويَسْتَمِعون كلامَه ، حينَ سَمِعوا بموتِ مُعاويةَ وخِلافةِ يزيدَ ، وأمّا ابنُ الزُّبيرِ فإنه لَزِم مُصَلَّاه عندَ الكَعْبةِ ، وجَعَل يَتَرَدَّدُ فى غُبُونِ ذلك[4] إلى الحسينِ فى جُمْلةِ الناسِ ، ولا يُمْكِنُه أن يَتَحَرَّكَ بشىءٍ مِمَّا فى نفسِه مع وُجودِ الحُسَيْنِ ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِن تَعْظيمِ الناسِ له وتَقْدِيمِهم إيَّاه عليه ، غيرَ أنه قد تَعَيَّنَتِ السَّرايا والبُعوثُ إلى مَكةَ بسببِه ، ولكنْ أظْفَرَه اللَّهُ بهم ، كما تقَدَّم ذلك آنفًا ، فانْقَشَعَتِ السَّرايا عن مكةَ مَفْلولِين ، وانْتَصَر عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ على مَن أراد هَلاكَه مِن اليَزيدِيِّين ، وضَرَب أخاه عَمْرًا وسَجَنَه ، واقْتَصَّ منه وأهانَه ، وعَظُم شأنُ ابنِ الزُّبيْرِ عندَ ذلك ببلادِ الحِجازِ ، واشْتَهر أمْرُه وبَعُد صِيتُه ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٧٣٩/١٦ مخطوط ، من حديث عبد اللَّه بن بريدة .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « رجلا » .

(٣) انظر فى شأن وفاة عبد الرحمن بن أبى بكر وهو مصمم على عدم المبايعة ليزيد ، ما ساقه ابن عساكر من روايات فى تاريخ دمشق ١٧/١٠ ، ١٨ مخطوط .

(٤) غبون ذلك : أثناء ذلك . مِن الغَبْن : وهو ثَنْى الشىء . انظر اللسان (غ ب ن) .

ومع هذا كلِّه ليس هو مُعَظَّمًا عندَ الناسِ مثلَ الحُسَينِ، بل الناسُ إنما مَيْلُهم إلى الحسينِ؛ لأنه السَّيِّدُ الكَبيرُ، وابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فليس على وجهِ الأرضِ يومَئذٍ أحدٌ يُسامِيه ولا يُساوِيه، ولكن الدولةُ اليَزِيديةُ كلُّها تُناوِئُه.

وقد كَثُر وُرودُ الكُتُبِ عليه مِن بلادِ العِراقِ يَدْعُونه إليهم[1]، وذلك حينَ بَلَغهم موتُ مُعاويةَ ووِلايةُ يَزيدَ، ومَصيرُ الحسينِ إلى مَكةَ فِرارًا مِن بَيْعةِ يَزيدَ، فكان أولَ مَن قَدِم عليه عبدُ اللَّهِ بنُ سَبُعٍ الهَمْدانيُّ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ والٍ، معهما كتابٌ فيه السلامُ والتَّهْنِئةُ بموتِ مُعاويةَ، فقَدِما على الحسينِ لعَشْرٍ مَضَيْن مِن رَمضانَ مِن هذه السنةِ، ثُم بَعَثوا بعدَهما نَفَرًا؛ منهم قيسُ ابنُ مُسْهِرٍ الصَّيْداويُّ[2]، وعبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ [3]بنِ الكَوَّاءِ[4] الأَرْحَبيُّ، وعُمارَةُ بنُ [5]عبدِ اللَّهِ[5] السَّلُوليُّ، ومعهم نحوٌ مِن مائةٍ وخمسين كتابًا إلى الحسينِ[6]، ثم بعَثوا هانئَ بنَ هانئٍ[3] السَّبيعيَّ وسعيدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحَنَفيَّ، [١٧٩/٦ظ] ومعهما كتابٌ فيه الاسْتِعْجالُ في السَّيْرِ إليهم، وكَتَب إليه شَبَثُ بنُ رِبْعيٍّ، وحَجَّارُ بنُ أَبْجَرَ، [7]ويزيدُ بنُ الحارثِ بنِ رُوَيمٍ[7]،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٣٤٧ - ٣٥٦، بنحوه.

(٢) فى النسخ: «الصدائى». والمثبت من تاريخ الطبرى. وهى نسبة إلى صيدا؛ بلدة على ساحل بحر الشام، قريبة من صور. وقد ينسب أيضا إلى أحد جدوده - واسمه الصَّيْداء - فيقال: الصَّيْدائى. انظر جمهرة أنساب العرب ص ١٩٥، والأنساب ٣/ ٥٧١، ٥٧٢.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى تاريخ الطبرى: «الكدن».

(٥ - ٥) فى تاريخ الطبرى: «عبيد».

(٦) فى تاريخ الطبرى أنهم حملوا معهم نحوًا من ثلاثة وخمسين صحيفة؛ الصحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

(٧ - ٧) فى تاريخ الطبرى: «يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم»، وفى الكامل لابن الأثير ٤/ ٢٠، ٢١: «ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم». ولعل المثبت من النسخ هو الصواب، فقد ذكر صاحب=

(١) وعَزْرَةُ بنُ قيسٍ (١) ، وعمرُو بنُ حَجَّاجٍ الزُّبَيْدىُّ ، ومحمدُ بنُ عُمَيرِ (٢) (٣) بنِ يَحْيى (٣) التَّميمىُّ : أمّا بعدُ ، فقد (٤) اخْضَرَّ الجَنابُ (٤) وأيْنَعَت الثِّمارُ وطَمَّتِ (٥) الجِمامُ ، فإذا شئتَ فاقْدَمْ على جُنْدٍ لك مُجَنَّدٍ ، والسلامُ عليك . فاجْتَمَعَتِ الرسلُ كلُّها بكُتُبِها عندَ الحسينِ ، وجَعَلوا يَسْتَحِثُّونه ويَسْتَقْدِمونه عليهم ، ليُبايِعوه عِوَضًا عن يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، ويَذْكُرون فى كتبِهم أنهم فَرِحوا بموتِ مُعاويةَ ، ويَنالون منه ويَتَكَلَّمون فى دَوْلتِه ، وأنهم لم يُبايِعوا أحدًا إلى الآن ، وأنهم يَنْتَظِرون قُدومَك إليهم ليُقَدِّموك عليهم . فعندَ ذلك بَعَث ابنَ عمِّه مسلمَ بنَ عَقيلِ بنِ أبى طالبٍ إلى العراقِ ، ليَكْشِفَ له حقيقةَ هذا الأمرِ والاتِّفاقِ ، فإن كان مُتَحَتِّمًا وأمْرًا حازمًا مُحْكَمًا ، بَعَث إليه ليَرْكَبَ فى أهلِه وذَوِيه ، ويَأْتىَ الكُوفةَ ليَظْفَرَ بمَن يُعادِيه ، وكَتَب معه كتابًا إلى أهلِ العراقِ بذلك ، فلمَّا سار مسلمٌ مِن مكةَ اجْتاز بالمدينةِ ، فأخَذ منها دَلِيلَيْن ، فسارا به على بَرارِىَّ مَهْجورةِ المَسالِكِ ، فكان أحدُ الدليلَيْن منهما أولَ هالكٍ ، وذلك مِن شدةِ العطشِ ، وقد أضَلُّوا الطَّريقَ ، فهلَك الدليلُ الواحدُ بمكانٍ يقالُ له : المَضِيقُ . مِن بطنِ خُبَيْتٍ ، فتَطَيَّر به مسلمُ بنُ

= جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٥ ممَّن ولاهم علىُّ بن أبى طالب : عدى بن الحارث بن رويم . فلعل يزيد هذا هو أخوه .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م ، وفى ص : « عروة بن قيس » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، والكامل ٤/ ٢١ .

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى تاريخ الطبرى والكامل .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « اخضرت الجنان » . والجناب : يقال : أخْصَب جناب القوم : وهو ما حولهم . والجناب أيضًا : الناحية والفِناء وما قرُب من مَحِلَّة القوم . انظر اللسان (ج ن ب) .

(٥) فى الأصل : « فطمت » ، وفى ٦١ : « قطمت » ، وفى م : « لطمت » . ويقال للشىء الذى يكثر حتى يعلو : طَمَّ . والجمام : مِن اسْتَجَمَّتِ الأرض ، إذا خرج نبتها . والمعنى جملةً أن النبات كثر حتى علا . وجملة قوله فى العبارات الثلاث يعنى أنه قد تهيَّأت الظروف تمامًا لقدوم الحسين عليهم . انظر اللسان (ط م م) ، (ج م م) .

عَقِيلٍ ، فتَلَبَّث مسلمٌ على ما هنالك ، ومات الدليلُ الآخرُ ، فكَتَب إلى الحسينِ يَسْتَشِيرُه فى أمْرِه ، فكَتَب إليه يَعْزِمُ عليه أن يَدْخُلَ العِراقَ ، وأن يَجْتَمِعَ بأهلِ الكُوفةِ ؛ ليَسْتَعْلِمَ أمْرَهم ويَسْتَخْبِرَ خبرَهم ، فلمَّا دَخَل الكُوفةَ نَزَل على رجلٍ يقالُ له : مسلمُ بنُ عَوْسَجَةَ الأَسَدىُّ . وقيل : نَزَل فى دارِ المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ الثَّقفىِّ . فاللَّهُ أعلمُ . فتَسامَع أهلُ الكُوفةِ بقُدومِه فجاءوا إليه فبايَعوه على إمْرةِ الحسينِ ، وحَلَفوا له ليَنْصُرُنَّه بأنفسِهم وأمْوالِهم ، فاجْتَمع على بَيْعتِه مِن أهلِها اثنا عشَرَ ألفًا ، ثم تَكاثروا حتى بلَغوا ثمانيةَ عشَر ألفًا[1] ، فكَتَب مسلمٌ إلى الحسينِ ليَقْدَمَ عليهم فقد تَمَهَّدَتْ له البَيْعةُ والأمورُ ، فتَجَهَّز الحسينُ مِن مكةَ قاصدًا الكوفةَ ، كما سنَذْكُرُه ، وانْتَشَر خَبَرُهم حتى بَلَغ أميرَ الكُوفةِ النُّعمانَ بنَ بَشيرٍ ، أخْبَرَه رجلٌ بذلك ، فجعَل يَضْرِبُ عن ذلك [٦/١٨٠و] صَفْحًا ولا يَعْبَأُ به ولكنَّه خطَب الناسَ ، ونَهاهم عن الاخْتِلافِ والفِتْنةِ ، وأمَرهم بالائْتِلافِ والسُّنَّةِ ، وقال : إنى لا أُقاتِلُ مَن لا يُقاتِلُنى ، ولا أَثِبُ على مَن لا يَثِبُ علىَّ ، ولا آخُذُكم بالظِّنَّةِ ، ولكن واللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو لَئِنْ فارَقْتُم إمامَكم ونَكَثْتُم بيعتَه ، لأُقاتِلَنَّكم ما دام فى يدِى مِن سيفى قائمتُه . فقام إليه رجلٌ يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمِ بنِ سعيدٍ[2] الحَضْرمىُّ . فقال له : إن هذا الأمْرَ لا يَصْلُحُ إلَّا بالغَشْمِ[3] ، وإن الذى سَلَكْتَه أيُّها الأميرُ مَسْلَكُ المُسْتَضْعَفِين . فقال له النُّعمانُ : لَأَنْ أَكونَ مِن المُسْتَضْعَفين فى طاعةِ اللَّهِ ، أَحَبُّ إلىَّ مِن أن أَكونَ مِن[4] الأعَزِّينَ فى مَعْصِيةِ اللَّهِ . ثُم نَزَل ،

---

(١) لم يذكر الطبرى فى تاريخه زيادتهم إلى ثمانية عشر ألفًا .

(٢) فى النسخ : « شعبة » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، والكامل ٤/ ٢٢.

(٣) فى م : « الغشمة » . والغشم : الظلم . المحيط (غ ش م) .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « الأقوياء » .

فكتَب ذلك الرجلُ إلى يَزيدَ يُعْلِمُه بذلك ، وكتَب إلى يَزيدَ عُمارَةُ بنُ عقبةَ وعمرُ[1] بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، فبعَث يَزيدُ ، فعزَل النُّعمانَ عن الكوفةِ ، وضَمَّها إلى عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ مع البَصْرةِ ، وذلك بإشارةِ سَرْجونَ مولى يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وكان يزيدُ يَسْتَشِيرُه ، فقال سَرْجونُ : أَكُنتَ قابلًا مِن مُعاويةَ ما أشار به لو كان حيًّا ؟ قال : نعم . قال : فاقْبَلْ منى ، فإنه ليس للكوفةِ إلَّا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، فوَلِّه إياها . وكان يَزيدُ يُبْغِضُ عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ ، وكان يُريدُ أن يَعْزِلَه عن البَصْرةِ ، فوَلَّاه البَصْرةَ والكُوفةَ معًا لما يُرِيدُه اللَّهُ به وبغيرِه .

ثم كتَب يزيدُ إلى ابنِ زيادٍ : إذا قَدِمْتَ الكُوفةَ فتطلَّبْ مُسلمَ بنَ عَقِيلٍ ، فإن قدَرتَ عليه فاقتلْه أو انْفِه . وبعَث الكتابَ مع العَهْدِ مع مسلمِ بنِ عمرٍو الباهلىِّ ، فسار ابنُ زِيادٍ مِن البَصْرةِ إلى الكوفةِ ، فلمَّا دَخلها دَخلها مُتَلَثِّمًا بعِمامةٍ سَوْداءَ ، فجعَل لا يَمُرُّ بملأٍ مِن الناسِ إلا قال : سَلامٌ عليكم . فيقولون : وعليك السلامُ ، مَرْحبًا يابنَ رسولِ اللَّهِ . يَظُنُّون أنه الحسينُ ، وقد كانوا يَنْتَظِرون قُدومَه ، وتَكاثَر الناسُ عليه ، ودَخلها فى سبعةَ عشَرَ راكبًا ، فقال لهم مُسلمُ بنُ عمرٍو الذى مِن جهةِ يزيدَ : تَأَخَّروا ، هذا الأميرُ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ . فلمَّا عَلِموا ذلك عَلَتْهم كآبَةٌ وحُزْنٌ شَديدٌ ، فتَحقَّق عُبَيدُ اللَّهِ الخبرَ ، ونَزَل قَصْرَ الإمارةِ مِن الكوفةِ .

[2]ولما انْتَهَى ابنُ زِيادٍ إلى بابِ القصرِ وهو مُتَلَثِّمٌ ظَنَّه النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ الحسينَ قد قَدِم ، فأغْلَق بابَ القصرِ ، وقال : ما أنا بمُسَلِّمٍ إليك أمانتى . فقال له عُبَيدُ اللَّهِ : افْتَحْ لا فتَحْتَ . ففتَح وهو يَظُنُّه الحسينَ ، فلمَّا تحقَّق أنه عُبَيدُ اللَّهِ أُسْقِط فى يدِه ، فدخَل [٦/١٨١و] عُبَيدُ اللَّهِ إلى قَصْرِ الإمارةِ ، وأمَر مُنادِيًا فنادَى

---

(١) فى م ، ص : « عمرو » .

(٢) من هنا حدث تقديم وتأخير فى مخطوطة الأصل حتى صفحة ٤٨٦ .

أَنِ الصلاةَ جامعةً . فاجْتَمَع الناسُ ، فخرَج إليهم ، فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أما بعدُ فإن أميرَ المؤمنين ، أصْلَحه اللَّهُ ، وَلَّانى مِصرَكم[1] وثَغْرَكم وفَيْئَكم ، وأَمَرنى بإنْصافِ مَظْلومِكم ، وإعْطاءِ مَحْرومِكم ، وبالإحسانِ إلى سامِعِكم ومُطِيعِكم ، وبالشِّدَّةِ على مُرِيبِكم وعاصِيكم ، وأنا مُمْتَثِلٌ فيكم أمْرَه ومُنَفِّذٌ عَهْدَه . ثم نزَل وأمَر العُرَفاءَ أن يَكْتُبوا مَن عندَهم مِن الحَرُورِيَّةِ[2] وأهلِ الرِّيَبِ والخِلافِ والشِّقاقِ ، وأيُّما عَرِيفٍ لم يُطْلِعْنا على ذلك صُلِبَ ونُفِيَ وأُسْقِطَتْ عِرافَتُه مِن الديوانِ .

فلمَّا اسْتَقَرَّ أمْرُه أرْسَل مولًى [3]لبنى تَمِيمٍ[3] - وقيل : كان مَوْلًى له اسمُه مَعْقِلٌ - ومعه ثلاثةُ آلافِ درهمٍ فى صُورةِ قاصدٍ مِن بلادِ حِمْصَ ، وأنه إنما جاء لهذه البَيْعةِ [٦/١٨٠ظ] ، فذَهَب ذلك المَوْلَى ، فلم يَزَلْ يَتَلَطَّفُ ويَسْتَدِلُّ على الدارِ التى يُبايِعون بها مُسلمَ بنَ عَقيلٍ ، حتى دَخَلها ، وهى دارُ هانئِ بنِ عُرْوةَ التى تَحَوَّل إليها مِن الدارِ الأُولى ، فبايَع وأَدْخَلوه على مسلمِ بنِ عَقيلٍ ، فلَزِمهم أيامًا حتى اطَّلَع على جَلِيَّةِ أمْرِهم ، فدفَع المالَ إلى أبى ثُمامةَ الصائدىِّ[4] بأمْرِ مسلمِ بنِ عَقِيلٍ وكان هو الذى يَقْبِضُ ما يُؤْتَى به مِن الأموالِ ويَشْتَرى السِّلاحَ وكان مِن فُرْسانِ العربِ - فرجَع ذلك المَوْلَى ، وأعْلَم عُبَيدَ اللَّهِ بالدارِ وصاحِبِها ، وقد تَحَوَّل مُسلمُ بنُ عَقِيلٍ مِن دارِ هانئِ بنِ عُروةَ المُرادىِّ ، إلى دارِ شَرِيكِ بنِ الأعْورِ ،

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أمركم » .

(٢) فى النسخ : « الزورية » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والحرورية : جماعة من الخوارج خالفوا عليا ، رضى اللَّه عنه ، نزلوا بحَروراء - موضع بنواحى الكوفة على ميلين منها - فنُسبوا إليها ، ومن يعتقد اعتقادهم يقال له : الحرورىّ . انظر الأنساب ٢/٢٠٧ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أبى رهم » .

(٤) فى الأصل : « الغامدى » . وفى ٦١ ، م : « العامرى » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٥ .

وكان مِن الأُمراءِ الأَكابرِ ، وبلَغه أن عُبَيدَ اللَّهِ يُريدُ عِيادَتَه ، فبَعَث إلى هانئٍ يقولُ له : ابْعَثْ مُسلمَ بنَ عَقيلٍ حتى يكونَ فى دارى[1] ليَقْتُلَ عُبَيدَ اللَّهِ إذا جاء يَعودُنى . فبَعَثه إليه ، فقال له شَرِيكٌ : كنْ أنت فى الخِباءِ ، فإذا جلَس عُبَيدُ اللَّهِ فإنى أَطْلُبُ الماءَ ، وهى إشارتى إليك ، فاخْرُجْ فاقْتُلْه . فلما جاء عُبَيدُ اللَّهِ جَلَس على فِراشِ شَرِيكٍ وعندَه هانئُ بنُ عروةَ ، وقام مِن بينِ يدَيه غُلامٌ يقالُ له : مِهْرانُ . فتَحدَّث عندَه ساعةً ، ثم قال شَرِيكٌ : اسْقُونى ماءً . فتَجَبَّن مسلمٌ عن قتلِه ، وخرَجَت جاريةٌ بكُوزٍ مِن ماءٍ ، فوجَدت مسلمًا فى الخِباءِ فاسْتَحْيَت ورَجعت . قالها[2] ثلاثًا ، ثم قال : اسْقونى ولو كان فيه ذَهابُ نَفْسى ، أَتَحْمونَنى مِن الماءِ ؟ ففَهِم مِهْرانُ الغَدْرَ ، فغمَز مَوْلاه ، فنهَض سريعًا وخرَج ، فقال شَرِيكٌ : أيُّها الأميرُ ، إنى أُرِيدُ أن أُوصِىَ إليك . فقال : إنِّى سأَعودُ إليك . فخرَج به مَوْلاه ، فأذهبه وجعَل يَطَّرِدُ به يقولُ له : إن القومَ أرادوا قَتْلَك . فقال : ويحَك ! إنى بهم لَرَفيقٌ ، فما بالُهم ؟! وقال شَرِيكٌ لمُسْلمٍ : ما منَعك أن تَخْرُجَ فتَقْتُلَه ؟ قال : حديثٌ بَلَغنى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « الإيمانُ قَيَّد[3] الفَتْكَ ، لا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ »[4] . وكَرِهْتُ أن أَقْتُلَه فى بيتِك . فقال : أما لو قتَلْتَه لجَلَسْتَ فى القَصْرِ لم يَسْتَعِدَّ منه أحدٌ ، ولَتُكْفَيَنَّ أمرَ البصرةِ ، ولو قتَلْتَه لَقَتَلْتَ ظالمًا فاجرًا[5] . ومات شَرِيكٌ بعدَ ثلاثٍ .

---

(١) فى تاريخ الطبرى أن عبيد اللَّه عاد شريك بن الأعور فى دار هانئ بن عروة ، وليس فيه أن مسلم بن عقيل تحول من دار هانئ إلى دار شريك .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « بالماء » .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ضد » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/٢٢٦ ، كما أخرجه أحمد فى المسند ١/ ١٦٦. (إسناده صحيح) .

(٥) فى تاريخ الطبرى أن هانئ بن عروة - لا شريك بن الأعور - قال لمسلم بن عقيل : أما واللَّه لو قتلته لقتلت فاسقًا فاجرًا كافرًا غادرًا ، ولكن كرهت أن يقتل فى دارى . وقد تقدم التنبيه أن ابن زياد إنما عاد=

وكان هانئٌ أحدَ الأمراءِ الكبارِ ولم يسلِّمْ على عُبَيدِ اللَّهِ منذ قَدِم وتَمارَض، فذكَره عُبَيدُ اللَّهِ، وقال: ما بالُ هانئٍ لم يَأْتِنى مع الأُمراءِ؟ فقالوا: أيُّها الأميرُ، إنه يَشْتَكى. فقال: قد بَلَغَنى أنه يَجْلِسُ على بابِ دارِه.

وزعَم بعضُهم[1] أنه عادَه قبلَ شَرِيكِ بنِ الأعْورِ ومُسْلمُ بنُ عَقِيلٍ عندَه، وقد هَمُّوا بقتلِه، فلم يُمَكِّنْهم هانئٌ لكونِه فى دارِه، فجاء الأُمراءُ إلى هانئِ بنِ عُرْوةَ، فلم يَزالوا به حتى أَدْخَلوه على عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ، فالْتَفَت عُبَيدُ اللَّهِ إلى القاضى شُرَيْحٍ، فقال مُتَمَثِّلًا بقولِ الشاعرِ[2]:

أُرِيدُ حياتَه[3] ويُرِيدُ قَتْلى عَذِيرُك مِن خليلِك مِن مُرادِ

فلمَّا سَلَّم هانئٌ على عُبَيدِ اللَّهِ قال: يا هانئُ، أين مُسلمُ بنُ عَقِيلٍ؟ قال: لا أدْرِى. فقام ذلك المَوْلَى التَّمِيمىُّ - الذى دَخَل دارَ هانئٍ فى صُورةِ قاصِدٍ مِن حِمْصَ، فبايَع فى دارِه، ودَفَع الدَّراهمَ بحَضْرةِ هانئٍ إلى مسلمٍ - فقال: أتَعْرِفُ هذا؟ قال: نعم. فلمَّا رآه هانئٌ قُطِع به وأُسْقِط فى يدِه، فقال: أصْلَح اللَّهُ الأميرَ، واللَّهِ ما دَعَوْتُه إلى مَنْزِلى، ولكنه جاء فطَرَح نفسَه علىَّ. فقال عُبَيدُ اللَّهِ: فأْتِنى به. فقال: واللَّهِ لو كان تحتَ قَدَمىَّ ما رفَعْتُهما عنه. فقال: أَدْنُوه منى. فأدْنَوْه فضَرَبه بحَرْبةٍ على وجهِه، فشَجَّه على حاجبِه، وكَسَر أنفَه، وتَناوَل هانئٌ سيفَ شُرْطىٍّ لِيَسُلَّه، فدُفِع عن ذلك، وقال عُبَيدُ اللَّهِ: قد أَحَلَّ اللَّهُ لى دمَك؛ لأنك حَرُورىٌّ. ثم أَمَر به، فحبَسه فى جانبِ الدارِ، وجاء قومُه مِن بنى

= شريكا فى دار هانئ لا فى داره هو.

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٣٦٣ - ٣٧٥.

(٢) البيت لعمرو بن معديكرب. وانظر سمط اللآلئ ١/ ١٣٨.

(٣) فى تاريخ الطبرى، وسمط اللآلئ: «حباءه». والمثبت من النسخ موافق لما فى الكامل ٤/ ٢٨. والحِباء: العطاء. اللسان (ح ب و).

مَذْحِجٍ مع عمرِو بنِ الحَجَّاجِ ، فوَقَفوا على بابِ القَصْرِ ، يَظُنُّون أنه قد قُتِل ، فسَمِع عُبَيدُ اللَّهِ لهم جَلَبَةً ، فقال لشُرَيْحٍ القاضى وهو عندَه : اخْرُجْ إليهم فقلْ لهم : [٦/١٨١ظ] إن الأميرَ لم يَحْبِسْه إلا لِيَسْأَلَه عن مسلمِ بنِ عَقِيلٍ . (١) فقال لهم : إن صاحبَكم حَىٌّ ، وقد ضرَبه سُلْطانُنا ضَرْبًا لم يَبْلُغْ نفسَه ، فانْصَرِفوا ولا تُحِلُّوا بأنفسِكم ولا بصاحبِكم . فتَفَرَّقوا إلى مَنازِلِهم ، وسَمِع مسلمُ بنُ عَقيلٍ (١) الخبرَ ، فركِب ونادَى بشِعارِه : يامَنْصورُ أَمِتْ . فاجْتَمع إليه أربعةُ آلافٍ مِن أهلِ الكوفةِ ، وكان معه المُخْتارُ بنُ أبى عُبَيدٍ ، (١) ومعه رايةٌ خَضْراءُ (١) ، وعبدُ اللَّهِ بنُ (٢) الحارثِ بنِ نوفلٍ (٢) برايةٍ حَمْراءَ ، فرَتَّبهم مَيْمَنةً ومَيْسَرةً ، وسار هو فى القَلْبِ إلى عُبَيدِ اللَّهِ وهو يَخْطُبُ الناسَ فى أمْرِ هانئٍ ، ويُحَذِّرُهم مِن الاخْتِلافِ ، وأشْرافُ الناسِ وأُمَراؤُهم تحتَ مِنْبرِه ، فبينَما هو كذلك إذ جاءت النَّظَّارةُ يقولون : جاء مسلمُ بنُ عَقيلٍ . فبادَر عُبَيدُ اللَّهِ فدَخَل القَصْرَ ومَن معه ، وأغْلَقوا عليهم البابَ ، فلمَّا انْتَهَى مُسلمٌ إلى بابِ القصرِ وقَف بجيشِه هناك ، فأشْرَف أُمَراءُ القَبائلِ الذين عندَ عُبَيدِ اللَّهِ فى القَصْرِ ، فأشاروا إلى قومِهم الذين مع مُسْلمٍ بالانْصِرافِ ، وتَهَدَّدوهم ووعَدوهم وتَوَعَّدُوهم ، وأخْرَج عُبَيدُ اللَّهِ بعضَ الأُمراءِ ، وأمَرهم أن يَرْكَبوا فى الكُوفةِ يُخَذِّلون الناسَ عن مُسْلمِ بنِ عَقِيلٍ ، ففعَلو ذلك ، فجعَلَت المرأةُ تَجِىءُ إلى ابنِها وأخيها فتَقولُ : ارْجِعْ ، الناسُ يَكْفونك . ويقولُ الرجلُ لابنِه وأخيه : كأنك غدًا بجنودِ الشامِ قد أقْبَلَت ، فماذا تَصْنَعُ معهم ؟ فتَخاذَل الناسُ وقَصَّروا وتَصَرَّموا وانْصَرَفوا عن مُسلمِ بنِ عَقيلٍ ، فما أَمْسَى إلا وهو فى

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى النسخ : « نوفل بن الحارث » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٥/ ٣٨١. وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢٠٠.

خمسِمائةِ نفسٍ ، ثم بَقِىَ فى ثلاثِمائةٍ ، ثم لم يَبْقَ معه إلا ثلاثون رجلًا ، فصَلَّى بهم المغربَ ، وقَصَد أبوابَ كِنْدةَ ، فخرَج منها فى عشَرةٍ ، ثم انْصَرفوا عنه ، فبَقِىَ وحدَه ، ليس معه مَن يَدُلُّه على الطَّريقِ ، ولا مَن يُواسِيه بنفسِه ، ولا مَن يَأْوِيه إلى منزِلِه ، فذَهَب على وجهِه ، واخْتَلَط الظَّلامُ وهو وحدَه يَتَرَدَّدُ فى الطَّريقِ لا يَدْرِى أين يَذْهَبُ ، فأَتَى بابًا فنزَل عندَه وطَرَقه ، فخرَجَت منه امرأةٌ يقالُ لها : طَوْعَةُ - كانت أمَّ ولدٍ للأشْعَثِ بنِ قيسٍ ، وقد كان لها ابنٌ مِن غيرِه يقالُ له : بلالُ بنُ أَسِيدٍ . خرَج مع الناسِ ، وأمُّه قائمةٌ بالبابِ تَنْتَظِرُه - فقال لها مسلمُ بنُ عَقيلٍ : اسْقِنى ماءً . فسَقَتْه ، ثم دَخَلَت وخرَجَتْ فوَجَدَته ، فقالتْ : ألم تَشْرَبْ ؟ قال : بلى . قالتْ : فاذْهَبْ إلى أهلِك . (١) فسَكَت ، فقالتْ له ذلك ثلاثًا وهو ساكتٌ ، فقالتْ : سبحانَ اللَّهِ ياعبدَ اللَّهِ ! قُمْ إلى أهلِك (١) ، عافاك اللَّهُ ، فإنه لا يَصْلُحُ لك الجُلُوسُ على بابى ، ولا أُحِلُّه لك . [٦/١٨٢و] فقام فقال : يا أَمَةَ اللَّهِ ، ليس لى فى هذا البلدِ مَنْزِلٌ ولا عَشِيرةٌ ، فهل لكِ إلى أجْرٍ ومَعْروفٍ وفِعْلٍ نُكافِئُك به بعدَ اليومِ . فقالتْ : يا عبدَ اللَّهِ ، وما ذاك ؟ قال : أنا مُسلمُ بنُ عَقيلٍ ، كذَبَنى هؤلاء القومُ وغَرُّونى . فقالتْ : أنت مسلمٌ ؟ قال : نعم . قالت : ادْخُلْ . فأدْخَلَتْه بيتًا مِن دارِها غيرَ البيتِ الذى تكونُ فيه ، وفَرَشَت له ، وعَرَضَت عليه العَشاءَ فلم يَتَعَشَّ ، فلم يَكُنْ بأسْرعَ مِن أن جاء ابنُها فرآها تُكْثِرُ الدُّخولَ والخُروجَ ، فسأَلها عن شأنِها فقالتْ : يابنىَّ ، الْهُ عن هذا . فألَحَّ عليها ، فأخَذَت عليه أن لا يُحَدِّثَ أحدًا ، فأخْبَرَتْه خبرَ مُسْلمٍ ، فاضْطَجع وسَكَت إلى الصَّباحِ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

وأما عُبيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ فإنه نزَل مِن القصرِ بمَن معه مِن الأمراءِ والأشْرافِ بعدَ عِشاءِ الآخِرةِ ، فصَلَّى بهم العِشاءَ فى المسجدِ الجامعِ ، ثم خطَبهم ، وطَلب منهم مُسلمَ بنَ عَقِيلٍ ، وحَثَّ على طَلَبِه ، ومَن وُجِد عندَه ولم يُعْلِمْ به فدمُه هَدَرٌ ، ومَن جاء به فله دِيَتُه ، وطَلَب الشُّرَطَ ، وحرَّضهم على تطلُّبِه وتَهَدَّدهم وتوعَّدهم ، فلمَّا أصْبَح ابنُ تلك العَجوزِ ذهَب إلى عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ الأشْعَثِ ، فأعْلَمه بأن مسلمَ بنَ عَقيلٍ فى دارِهم ، فجاء عبدُ الرحمنِ ، فسارَّ أباه بذلك وهو عندَ ابنِ زِيادٍ ، فقال ابنُ زيادٍ : ما سارَّك به ؟ فقال : أخبرنى أن مسلمًا فى بعضِ دورِنا . فنَخَس بقَضِيبٍ فى جَنْبِه ، وقال : قُمْ فأْتِنى به الساعةَ .

وبعَث ابنُ زِيادٍ عمرَو بنَ حُرَيْثٍ المَخْزومىَّ - وكان صاحبَ شُرْطتِه[1] - ومعه عبدُ الرحمنِ و[2] محمدُ بنُ الأشْعَثِ فى سبعين أو ثمانين فارسًا ، فلم يَشْعُرْ مُسْلمٌ إلا وقد أُحِيط بالدارِ التى هو فيها ، فدَخلوا عليه ، فقام إليهم بالسيفِ فأخْرَجهم مِن الدارِ ثلاثَ مراتٍ ، وأُصِيبَت شَفَتُه العُلْيا والسُّفْلى ، ثم جَعَلوا يَرْمونه بالحِجارةِ ويُلْهِبون النارَ فى أطْنانِ[3] القَصَبِ ويُلْقُونها عليه ، فضاق بهم ذَرْعًا ، فخرَج إليهم بسيفِه فقاتَلهم ، فأعْطاه عبدُ الرحمنِ[4] الأمانَ ، فأمْكَنه مِن يدِه ، وجاءُوا ببَغْلةٍ ، فأرْكَبوه عليها ، وسَلَبوا منه سيفَه ، فلم يَبْقَ يَملِكُ مِن نفسِه شيئًا ، فبَكَى عندَ ذلك ، وعَرَف أنه مَقْتولٌ ، فيَئِس مِن نَفْسِه ، وقال : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . فقال

---

(١) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى أن الذى كان على شرطة ابن زياد هو حصين بن نمير . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٨.

(٢) فى ص : « ابن » . وفى تاريخ الطبرى أن ابن زياد بعث إلى عمرو بن حريث وهو فى المسجد خليفته على الناس ؛ أن ابعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلًا كلهم من قيس .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « أطناب » . وأطناب الشجر : عروق تتشعَّب من أرُومتها . والأطنان : جمع طُنٍّ ، والطن : الحُزْمة من الحطَب والقصَب . اللسان (ط ن ب) ، (ط ن ن) .

(٤) كذا فى النسخ ، وفى تاريخ الطبرى : « محمد بن الأشعث » .

له بعضُ مَن حولَه : إن مَن يَطْلُبُ مثلَ الذى تَطْلُبُ لا يَبْكى إذا نَزَل به هذا . فقال : أمَا واللَّهِ لستُ أبْكى على نَفْسى ، ولكن أَبْكى على الحُسَينِ وآلِ الحسينِ ، إنه قد خرَج إليكم [٦/١٨٢ظ] اليومَ أو غدًا[١] مِن مكةَ . ثم الْتَفَت إلى محمدِ بنِ الأشْعَثِ فقال : إن اسْتَطَعْتَ أن تَبْعَثَ إلى الحسينِ على لِسانى تَأْمُرُه بالرُّجوعِ فافْعَلْ . فبعَث محمدُ بنُ الأشْعَثِ إلى الحُسَيْنِ يَأْمُرُه بالرُّجوعِ ، فلم يُصَدِّقِ الرسولَ فى ذلك ، وقال : كلُّ ما حُمَّ واقعٌ .

قالوا[٢] : ولما انْتَهَى مسلمُ بنُ عَقيلٍ إلى بابِ القصرِ إذا على بابِه جَماعةٌ مِن الأُمراءِ مِن أبْناءِ الصَّحابةِ ممن يَعْرِفُهم ويَعْرِفونه ، يَنْتَظِرون أن يُؤْذَنَ لهم على ابنِ زيادٍ ، ومُسلمٌ مُخَضَّبٌ بالدِّماءِ وجهُه وثيابُه ، وهو مُثْخَنٌ بالجِراحِ ، فى غايةِ العَطَشِ ، وإذا قُلَّةٌ مِن ماءٍ باردٍ هنالك ، فأراد أن يَتَناوَلَها ليَشْرَبَ منها ، فقال له رجلٌ مِن أولئك : واللَّهِ لا تَشْرَبُ منها حتى تَشْرَبَ مِن الحَمِيمِ . فقال له : ويلَك يا بنَ باهلةَ ! أنت أوْلَى بالحَميمِ والخُلودِ فى نارِ جَهَنمَ منى . ثم جَلَس مُتَسانِدًا إلى الحائطِ مِن التَّعبِ والكَلالِ والعَطَشِ ، فبعَث عُمارةُ بنُ عُقْبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ مَوْلًى له إلى دارِه ، فجاءه بقُلَّةٍ عليها مِنْديلٌ ومعه قَدَحٌ ، فجعَل يُفْرِغُ له فى القَدَحِ ، ويُعْطِيه فيَشْرَبُ ، فلا يَسْتَطِيعُ مِن كثرةِ الدِّماءِ التى تَعْلو على الماءِ ، مرتين أو ثلاثًا ، فلما شَرِب سقَطَت ثَنِيَّتاه مع الماءِ ، فقال : الحمدُ للَّهِ ، [٣]لقد كان لى مِن الرِّزْقِ المَقْسومِ شَرْبةُ ماءٍ[٣] .

ثم أُدْخِل على ابنِ زِيادٍ ، فلمَّا أُوقِف بينَ يديه لم يُسَلِّمْ عليه ، فقال له

---

(١) فى النسخ : «أمس» . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/٣٧٥ - ٣٨٠.

(٣ - ٣) فى تاريخ الطبرى : «لو كان لى من الرزق المقسوم شربته» .

الحَرَسيُّ : ألا تُسَلِّمُ على الأميرِ ؟! فقال : لا ، إن كان يُرِيدُ قَتْلى فلا حاجةَ لى بالسلامِ عليه ، وإن لم يُرِدْ قَتْلى فسأُسَلِّمُ عليه كثيرًا . فأقْبَل ابنُ زِيادٍ عليه فقال : إيهِ يا بنَ عَقيلٍ ، أتَيْتَ الناسَ وأمْرُهم جَميعٌ وكَلِمتُهم واحدةٌ ؛ لتُشَتِّتَهم ، وتُفَرِّقَ كلمتَهم ، وتَحْمِلَ بعضَهم على بعضٍ ؟! قال : كلَّا لستُ لذلك أتَيْتُ ، ولكن أهلُ المِصْرِ زَعَموا أن أباك قتَل خِيارَهم ، وسَفَك دماءَهم ، وعَمِل فيهم أعمالَ كِسْرَى وقَيْصَرَ ، فأتَيْناهم لنَأْمُرَ بالعَدْلِ ونَدْعُوَ إلى حكمِ الكِتابِ . قال : وما أنت وذاك يا فاسقُ ، أوَلَمْ نكُنْ نَعْمَلُ بذلك فيهم إذ أنت بالمدينةِ تَشْرَبُ الخمرَ ؟ فقال : أنا أَشْرَبُ الخمرَ ! واللَّهِ إنَّ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أنك غيرُ صادقٍ ، وأنك قلتَ بغيرِ علمٍ ، وأنت أحَقُّ بذلك منى ، (1) فإنى لستُ كما ذَكَرْتَ ، وإنَّ أوْلَى بها منى مَن يَلَغُ فى دِماءِ المسلمين وَلْغًا ، ويَقْتُلُ النفسَ التى حَرَّم اللَّهُ بغيرِ نَفْسٍ ، ويَقْتُلُ على الغَضَبِ والظَّنِّ ، وهو [٦/١٨٣و] يَلْهو ويَلْعَبُ كأنه لم يَصْنَعْ شيئًا . فقال له ابنُ زِيادٍ : يا فاسقُ ، إن نفسَك تُمَنِّيك ما حالَ اللَّهُ دونَك ودونَه ، ولم يَرَك أهلَه . قال : فمَن أهلُه يا بنَ زيادٍ ؟ قال : أميرُ المؤمنين يَزيدُ . قال : الحمدُ للَّهِ على كلِّ حالٍ ، رَضِينا باللَّهِ حَكَمًا بينَنا وبينَكم . قال : كأنك تَظُنُّ أن لكم فى الأمْرِ شيئًا ؟ قال : لا واللَّهِ ما هو بالظَّنِّ ، ولكنَّه اليَقينُ . قال له : قتَلنى اللَّهُ إن لم أَقْتُلْك قِتْلةً لم يُقْتَلْها أحدٌ فى الإسلامِ مِن الناسِ . قال : أما إنك أحَقُّ مَن أحْدَث فى الإسلامِ ما لم يَكُنْ فيه ، أما إنك لا تَدَعُ سُوءَ القِتْلةِ ، وقُبْحَ المُثْلَةِ ، وخُبْثَ السِّيرةِ المُكْتَسَبةِ عن آبائِكم (2) وجُهَّالِكم (1) . وأقْبَل ابنُ زِيادٍ يَشْتُمُه ويَشْتُمُ حُسَينًا وعليًّا ، ومُسْلمٌ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل : « كباركم » ، وفى م : « كتابكم » .

ساكتٌ لا يُكَلِّمُه . ذكَره ابنُ جَرِيرٍ[1] عن أبي مِخْنَفٍ وغيرِه مِن رُواةِ الشِّيعةِ .

ثم قال له ابنُ زِيادٍ : إني قاتلُك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدَعْنى أُوصِى إلى بعضِ قَوْمى . قال : أَوْصِ . فنظَر فى جُلَسائِه وفيهم عمرُ بنُ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ . فقال : يا عمرُ ، إنَّ بينى وبينَك قَرابةً ، ولى إليك حاجةٌ ، وهو سرٌّ . فأَبَى أن يقومَ معه حتى أَذِن له ابنُ زِيادٍ ، فقام فتَنَحَّى قريبًا مِن ابنِ زِيادٍ ، فقال له مسلمٌ : إنَّ عليَّ دَيْنًا فى الكوفةِ ؛ سبعَمائةِ درهمٍ فاقْضِها عني ، واسْتَوْهِبْ جُثَّتى مِن ابنِ زِيادٍ فوارِها ، وابْعَثْ إلى الحُسَينِ ، فإني قد كتَبْتُ إليه أُعلِمُه أنَّ الناس معه ، ولا أُراه إلا مُقْبِلاً . فقام عمرُ فعرَض على ابنِ زيادٍ ما قال له ، فأجاز له ذلك كلَّه ، وقال : وأمَّا الحسينُ فإنه إن لم يُرِدْنا لا نُرِدْه ، وإن أرادنا لم نَكُفَّ عنه . ثم أمَر ابنُ زِيادٍ بمسلمِ بنِ عَقيلٍ ، فأُصْعِد إلى أعْلى القَصْر ، وهو يُكَبِّرُ ويَسْتَغْفِرُ ويُصَلِّى على مَلائكةِ اللَّهِ ، ويقولُ : اللهم احْكُمْ بينَنا وبينَ قومٍ غَرُّونا وخَذَلونا . ثم ضَرَب عنقَه رجلٌ يقالُ له : بُكَيْرُ بنُ حُمْرانَ . [2]ثم ألقى رأسَه إلى أسفلِ القصرِ ، وأَتْبَعَ رأسَه بجسدِه[2] .

ثم أمَر بهانئِ بنِ عروةَ المَذْحِجيِّ ، فضُرِبت عنقُه بسُوقِ الغَنَمِ ، وصُلِب بمكانٍ مِن الكوفةِ يقالُ له : الكُناسةُ . فقال رجلٌ شاعرٌ فى ذلك قصيدةً ، ويقالُ : إنها للفَرَزْدقِ :

فإن كنتِ لا تَدْرِين ما الموتُ فانْظُرى ... إلى هانئٍ فى السُّوقِ وابنِ عَقِيلِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٧٧.

(٢ - ٢) فى ص : «ثم ألقى رأسه بجسده» .

[٦/١٨٣ظ] أصابهما أمْرُ الإمامِ فأصْبَحا ... أحاديثَ مَن يَسْعَى[1] بكلِّ سَبيلِ

[2]إلى بطلٍ قد هَشَّم السيفُ وجهَهُ ... وآخرَ يَهْوِى مِن[3] طَمارِ قَتيلِ

تَرَىْ جسدًا قد غَيَّر الموتُ لونَه ... ونَضْحَ دمٍ قد سال كلَّ مَسِيلِ

فإن أنتمُ لم تَثْأَروا بأخِيكمُ ... فكونوا بغايا[4] أُرْضِيَت بقَليلِ[2]

ثم بعَث برُءوسِهما إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ إلى الشامِ، وكتَب له كِتابًا بصورةِ ما وقَع مِن أمْرِهما.

وقد كان عُبَيدُ اللَّهِ قبلَ أن يَخْرُجَ مِن البصرةِ بيومٍ خطَب أهلَها خُطْبةً بَليغةً، ووَعَظهم فيها وحَذَّرهم وأنْذَرهم مِن الاخْتِلافِ والفِتْنةِ والتَّفَرُّقِ.

وذلك كما رَواه هِشامُ بنُ الكَلْبيِّ وأبو مِخْنَفٍ[5]، عن الصَّقْعَبِ بنِ زُهَيْرٍ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ قال: وكتَب الحسينُ مع مَوْلًى له يقالُ له: سليمانُ[6]. كتابًا إلى أشْرافِ أهلِ البَصْرةِ فيه: أما بعدُ، فإن اللَّهَ اصْطَفى محمدًا ﷺ على خَلْقِه، وأكْرَمه بنُبوتِه، واخْتارَه لرسالتِه، ثم قبَضه إليه وقد نصَح لعِبادِه وبَلَّغ ما أُرْسِل به، وكنا أهلَه وأوْلياءَه وأوْصِياءَه ووَرَثتَه، وأحَقَّ الناسِ بمَقامِه فى الناسِ، فاسْتَأْثَر علينا قومُنا بذلك، فرَضِينا وكَرِهْنا الفُرْقةَ، وأحْبَبْنا العافيةَ، ونحن نَعْلَمُ أنَّا أحَقُّ بذلك الحَقِّ المسْتَحَقِّ علينا ممَّن تَوَلاَّه، وقد أحْسَنوا وأصْلَحوا، وتَحَرَّوُا الحَقَّ،

---

(١) فى الأصل، ٦١، م: «يغشى».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى الأصل، ٦١، م: «فى». والمثبت من تاريخ الطبرى. وطَمَارِ: المكان العالى المرتفع. الوسيط (ط م ر).

(٤) فى الأصل، ٦١، م: «بغيا». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٣٥٧، عن هشام بن الكلبى، عن أبى مخنف به.

(٦) فى النسخ: «سلمان». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر مجمع الزوائد ٩/ ١٩٧.

فرَحِمهم اللَّهُ ، وغَفَر لنا ولهم ، وقد بَعَثْتُ إليكم بهذا الكِتاب ، وأنا أَدْعُوكم إلى كتابِ اللَّهِ وسنةِ نبيِّه ، فإن السنةَ قد أُمِيتَت ، وإن البِدْعةَ قد أُحْيِيَت ، فإن تَسْمَعوا قَوْلى وتُطِيعوا أمْرى أَهْدِكم سبيلَ الرَّشادِ ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ - وعندى في صحةِ هذا عن الحسينِ نَظَرٌ ، والظاهرُ أنه مُطَرَّزٌ بكلامٍ مَزِيدٍ من بعضِ رُواةِ الشِّيعةِ - قال : فكلُّ مَن قَرَأَ الكتابَ مِن الأَشْرافِ كَتَمه إلا المنذرَ بن الجارُودِ فإنه ظَنَّ أنه دَسِيسةٌ مِن ابنِ زِيادٍ ، فجاء به إليه ، فبعَث خلفَ الرسولِ الذى جاء به[1] ، فضرَب عُنقَه . وصَعِد عُبَيدُ اللَّهِ المنبرَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أمَّا بعدُ فواللَّهِ ما بى تُقْرَنُ الصَّعْبةُ ، وما يُقَعْقَعُ لى بالشِّنانِ[2] ، وإنى لَنِكْلٌ لِمَن عادانى ، وسِمامٌ لمن حارَبَنى ، أَنْصَف القارَةَ مَن رَاماها[3] ، يا أهلَ البَصْرةِ ، إن أميرَ المؤمنين وَلاَّنِيَ الكُوفةَ ، وأنا غادٍ إليها [٦/١٨٤و] الغَداةَ ، وقد اسْتَخْلفْتُ عليكم عثمانَ بنَ زيادِ بنِ أبي سفيانَ ، وإياكم والخِلافَ والإرْجافَ ، فوالذى لا إلهَ غيرُه لَئِن بَلَغني عن رجلٍ منكم خِلافٌ لأَقْتُلَنَّه وعَرِيفَه ووَلِيَّه ، ولآخُذَنَّ الأَدْنَى بالأَقْصَى ، حتى تستقيموا لى ، ولا يَكُونَ فيكم مُخالِفٌ ولا مُشاقٌّ ، أنا ابنُ زيادٍ ، أَشْبَهْتُه مِن بينِ مَن وَطِئَ الحَصَى ، ولم يَنْتَزِعْنى شَبَهُ خالٍ ولا عَمٍّ[4] . [5]ثم خرَج مِن البَصْرةِ ، ومعه مسلمُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، فكان مِن أمْرِه ما تقَدَّم[5] .

---

(١) فى تاريخ الطبرى أن المنذر بن الجارود جاء ابن زياد بالرسول .

(٢) يقال : فلان لا يقعقع له بالشنان : لا يُخْدَع ولا يُرَوَّع . الوسيط (قعقع) .

(٣) قال بعض أهل اللغة : إنما قيل : أنصف القارة من راماها . لحرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة ، قال : وكانت القارة مع قريش فلمَّا التقى الفريقان راماهم الآخرون حين رمتهم القارة ، فقيل : قد أنصفكم هؤلاء الذين ساوَوكم فى العمل الذى هو صناعتكم . وقد ذُكر غير ذلك فى أصل هذا المثل . انظر مجمع الأمثال ٢/ ٤٨٩، ٤٩٠، واللسان (ق و ر) .

(٤) فى ص ، وتاريخ الطبرى : « ابن عم » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

قال أبو مِخْنَفٍ[1] ، عن الصَّقْعَبِ بنِ زُهَيرٍ ، عن عونِ بنِ أبي جُحَيْفةَ قال : كان مَخْرَجُ[2] مُسلمِ بنِ عَقيلٍ بالكوفةِ يومَ الثُّلاثاءِ لثمانٍ مَضَيْن مِن ذي الحِجَّةِ ، وقيل : يومَ الأربعاء لتسعٍ[3] مَضَيْن مِن ذي الحِجَّةِ وذلك يومَ عَرَفَةَ سنةَ ستين ، وكان ذلك بعدَ مَخْرَجِ الحسينِ مِن مكةَ قاصدًا أرضَ العِراق بيومٍ واحدٍ ، وكان خُروجُ الحسينِ مِن المدينةِ إلى مكةَ يومَ الأحدِ لليلتَيْن بَقِيتا مِن رجبٍ سنةَ ستين ، ودخَل مكةَ ليلةَ الجمعةِ لثلاثٍ مَضَيْن مِن شَعْبانَ ، فأقامَ بمكةَ بقيةَ شعبانَ ورَمَضانَ وشَوَّالًا وذا القَعْدةِ ، ثم خرَج منها لثمانٍ مَضَيْن مِن ذى الحِجَّةِ يومَ الثلاثاءِ يومَ التَّرْوِيةِ[4] .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٣٨١، من طريق أبى مخنف به .

(٢) أى خروجه ووصوله إلى قصر ابن زياد .

(٣) فى الأصل ، ٦١، وتاريخ الطبرى : « لسبع » . وهو تحريف .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « وفى رواية ذكرها ابن جرير أن مسلم بن عقيل لما بكى قال له عبيد اللَّه ابن عباس السلمى : إن من يطلب مثل ما تطلب لا يبكى إذا نزل به مثل الذى نزل بك . قال : إنى واللَّه ما لنفسى أبكى ، ومالها من القتل أرثى ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفًا ، ولكننى أبكى لأهلى المقبلين إلى الكوفة ؛ أبكى الحسين وآل حسين . ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد اللَّه ، إنى أراك واللَّه ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلًا على لسانى يبلغ حسينا عنى رسالة ؛ فإنى لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غدًا هو وأهل بيته ، وإن ما تراه من جزعى لذلك ، فيقول له : إن ابن عقيل بعثنى إليك ، وهو فى أيدى القوم أسير لا يدرى أيصبح أم يمسى حتى يقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة ؛ فإنهم أصحاب أبيك الذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبونى ، وليس لكاذب رأى . فقال ابن الأشعث : واللَّه لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أنى قد أمنتك .

قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث [٦/ ١٨٤ظ] إياس بن العثل الطائى من بنى مالك بن عمرو بن ثمامة - وكان شاعرًا - فقال له : اذهب فالق حسينًا فأبلغه هذا الكتاب . وكتب فيه الذى أمره به ابن عقيل ، ثم أعطاه راحلة ، وتكفل له بالقيام بأهله وداره ، فخرج حتى لقى الحسين بزبالة ، لأربع ليال من الكوفة ، فأخبره الخبر ، وأبلغه الرسالة ، فقال الحسين : كل ما حُم نازل ، عند اللَّه نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا . ولما انتهى مسلم إلى باب القصر ، وأراد شرب الماء قال له مسلم بن عمرو الباهلى : أتراها ما أبردها ! واللَّه لا تذوقها أبدًا حتى تذوق الحميم فى نار جهنم . فقال له ابن عقيل : ويحك ! من =

صفةُ مَخْرَجِ الحُسينِ [1] وما جرَى له بعدَ ذلك [1]

لما تَواتَرت الكتبُ إلى الحسينِ مِن جهةِ أهلِ العراقِ وتَكَرَّرت الرسلُ بينَهم وبينَه ، وجاءه كتابُ مسلمِ بنِ عَقيلٍ بالقُدومِ عليه بأهلِه ، ثم وَقَع فى غُبونِ ذلك ما وَقَع مِن مَقْتلِ مسلمِ بنِ عَقيلٍ ، والحسينُ لا يَعْلَمُ بشىءٍ مِن ذلك ، بل قد عزَم على المَسِيرِ إليهم والقُدومِ عليهم ، فاتَّفَق خُروجُه مِن مكةَ يومَ التَّرْوِيةِ قبلَ مَقْتَلِ مسلمِ بنِ عَقيلٍ بيومٍ واحدٍ - فإن مسلمًا قُتِل يومَ عَرَفَةَ - ولما اسْتَشْعَر الناسُ خُروجَه أشْفَقوا عليه مِن ذلك ، وحَذَّرُوه منه ، وأشار عليه ذَوُو الرأيِ منهم والـمَحَبَّةِ له بعدمِ الخروجِ إلى العراقِ ، وأمَروه بالمُقامِ بمكةَ ، وذكَّروه ما جَرَى لأبيه وأخيه معهم .

قال سفيانُ بنُ عُيَينةَ [2] ، عن إبراهيمَ بنِ مَيْسَرَةَ ، عن طاوسٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : اسْتَشارنى الحسينُ بنُ علىٍّ فى الخُروجِ فقلتُ : لولا أن يُزْرَى بى وبك [3] لشَبِثْتُ [4] يدى فى رأسِك [5] . فكان الذى رَدَّ علىَّ أن قال : لأَن أُقْتَلَ فى

= أنت ؟ قال : أنا من عرف الحق إذ أنكرته ، ونصح لإمامه إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلى . فقال له مسلم : لأمك الويل ، ما أجفاك ، وأفظك وأقساك وأغلظك يا بن باهلة ! أنت والله أولى بالحميم ونار الجحيم » . وهى زيادة مكررة فى غير موضعها .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٢٨/٣ (٢٨٥٩) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٠، ٢٠١، كلاهما من طريق سفيان به . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٩٢: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « الناس » .

(٤) فى المعجم الكبير والمجمع : « لشبكت » ، وفى تاريخ دمشق : « لنشبت » . وشَبِث الشىءَ وبالشىء : تعلَّق به ولَزِمه . انظر الوسيط (ش ب ث) .

(٥) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « فلم أتركك تذهب » .

مكانِ كذا وكذا أَحَبُّ إلىَّ مِن أن أُقْتَلَ بمكةَ . قال : فكان هذا الذى سَلَا نَفْسى عنه .

ورَوَى أبو مِخْنَفٍ[1] ، عن الحارثِ بنِ كعبٍ [٦/١٨٥و] الوالِبىِّ ، عن عُقْبةَ بنِ سِمْعانَ ، أن حسينًا لما أجْمَعَ المَسِيرَ إلى الكُوفةِ أتاه عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ فقال : يا بنَ عَمٍّ ، إنَّه قد أَرْجَف الناسُ أنك سائرٌ إلى العراقِ ، فبَيِّنْ لى ما أنت صانعٌ . فقال : إنى قد أجْمَعْتُ المَسِيرَ فى أحدِ يومىَّ هذين ، إن شاء اللَّهُ تعالى . فقال له ابنُ عباسٍ : أخْبِرْنى إن كان قد دَعَوْك بعدَما قتَلوا أميرَهم ونَفَوْا عدوَّهم وضبَطوا بلادَهم ، فسِرْ إليهم ، وإن كان أميرُهم[2] عليهم قاهِرًا لهم ، وعُمَّالُه تَجْبِى بلادَهم ، فإنهم إنما دَعَوْك للفِتْنةِ و القِتالِ ، ولا آمَنُ عليك أن يَستَنْفِروا إليك الناسَ[3] ، فيكونَ الذين دَعَوْك أشَدَّ الناسِ عليك . فقال الحسينُ : إنى أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وأَنْظُرُ ما يَكونُ . فخرَج ابنُ عباسٍ مِن عِندِه ، ودخَل ابنُ الزبيرِ ، فقال له : ما أَدْرِى ما تَرْكُنا لهؤلاء القومِ ، ونحن أبْناءُ المُهاجِرين ، ووُلاةُ هذا الأمْرِ دونَهم ، أخْبِرْنى ما تُريدُ أن تَصْنَعَ . فقال الحسينُ : واللَّهِ لقد حَدَّثْتُ نَفْسى بإتْيانِ الكُوفةِ ، ولقد كتب إلىَّ شِيعتى بها [4]وأشْرافُ أهلِها[4] ، وأَسْتَخِيرُ اللَّهَ . فقال ابنُ الزبيرِ : أما لو كان لى بها مثلُ شِيعتِك ما عَدَلْتُ عنها . فلمَّا خرَج مِن عندِه قال الحسينُ : قد عَلِم أنه ليس له مِن الأمْرِ معى شىءٌ ، وأن الناسَ لم [5]يَعْدلوه بى[5] ،

---

(١) أخرجه ابن جرير فى تاريخه ٥/ ٣٨٣، ٣٨٤، من طريق أبى مخنف به نحوه .

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « حى وهو مقيم » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « ويقلبوا قلوبهم عليك » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١، م : « وأشرافها بالقدوم عليهم » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ٦١، م : « يعدلوا بى غيرى » ، وفى ص : « يعدلوا بى » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

فوَدَّ أنى خَرَجْتُ لتَخْلُوَ له . فلما كان مِن العَشِيِّ أو مِن الغَدِ جاء ابنُ عباسٍ إلى الحسينِ فقال له : يا بنَ عمٍّ ، إنى أَتَصَبَّرُ ولا أَصْبِرُ ، إنى أَتَخَوَّفُ عليك فى هذا الوجهِ الهَلاكَ ، إن أهلَ العراقِ قومٌ غُدُرٌ فلا تَغْتَرَّنَّ بهم ، أَقِمْ فى هذا البلدِ حتى يَنْفِيَ أهلُ العراقِ عدوَّهم ، ثم اقْدَمْ عليهم ، وإلا فسِرْ إلى اليمنِ فإن به حُصونًا وشِعابًا ، ولأبيك به شِيعةٌ ، وكُنْ عن الناسِ فى مَعْزِلٍ ، واكْتُبْ إليهم ، وبُثَّ دُعاتَك فيهم ، فإنى أرْجو إذا فَعَلْتَ ذلك أن يكونَ ما تُحِبُّ . فقال الحسينُ : يا بنَ عَمٍّ ، واللَّهِ إنى لأَعْلمُ أنك ناصِحٌ شَفِيقٌ ، ولكنى قد أزْمَعْتُ المَسِيرَ . فقال له : فإن كنتَ ولابدَّ سائرًا فلا تَسِرْ بنسائِك وصِبْيَتِك ، فواللَّهِ إنى لخائفٌ أن تُقْتَلَ كما قُتِل عثمانُ ونِساؤُه وولَدُه يَنْظرُون إليه . ثم قال ابنُ عباسٍ : أَقْرَرْتَ عينَ ابنِ الزبيرِ بتَخْلِيَتِك إياه بالحِجاز ، واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، لو أَعْلَمُ أنك إذا أَخَذْتُ بشعرِك وناصيتِك حتى يجْتَمِع علىَّ وعليك الناسُ أَطَعْتَنى وأَقَمْتَ ، لفَعَلْتُ ذلك . قال : ثم خرَج مِن عندِه فلقِيَ ابنَ [٦/١٨٥ظ] الزُّبيرِ فقال : قَرَّتْ عينُك يا بنَ الزبيرِ . ثم قال[1] :

يالكِ مِن قُنْبَرةٍ[2] بمَعْمَرِ ... خَلا لكِ الجوُّ فبِيضى واصْفِرِى
ونَقِّرى ما شِئْتِ أن تُنَقِّرِى[3]

---

(١) ينسب هذا الرجز لطرفة بن العبد ، انظر ديوانه ص ١٥٧، ١٥٨. ويضرب مثلا فى الحاجة يتمكن منها صاحبها . انظر جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ١/ ٤٢٢، ومجمع الأمثال ١/ ٤٢٣، وخزانة الأدب ٢/ ٤٢٤.

(٢) فى تاريخ الطبرى وديوان طرفة : « قبرة » . والقُبَّر والقُبَّرة والقُنْبَر والقُنْبَرة والقُنْبَراء : طائر يُشبه الحُمَّرة . انظر اللسان (ق ب ر) .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « صيادك اليوم قتيل فابشرى » . وهذا الشطر فى ديوان طرفة ومجمع الأمثال بلفظ : « قد رحل الصياد عنك فابشرى » . وبنحوه فى اللسان .

ثم قال ابنُ عباسٍ : هذا حسينٌ يَخْرُجُ إلى العراقِ [1] ويُخَلِّيك والحِجازَ [1] .

وقال غيرُ واحدٍ ، عن شَبَابةَ بنِ سَوَّارٍ [2] قال : حدَّثنا يحيى [3] بنُ إسماعيلَ [3] ابنِ سالمٍ الأَسَديُّ قال : سَمِعْتُ الشَّعْبيَّ يُحَدِّثُ عن ابنِ عمرَ ، أنه كان [4] بماءٍ له [4] ، فبَلَغه أن الحسينَ بنَ عليٍّ قد تَوَجَّه إلى العراقِ ، فلَحِقه على مَسيرةِ ثلاثِ لَيالٍ ، فقال له : أين تُرِيدُ ؟ فقال له : العراقَ . وإذا معه طَوامِيرُ وكُتُبٌ . فقال : هذه كُتُبُهم وبَيْعَتُهم . فقال : لا تَأْتِهم . فأَبَى ، فقال ابنُ عمرَ : إنى مُحَدِّثُك حديثًا ؛ إن جبريلَ أَتَى النبيَّ ﷺ فخيَّره بينَ الدنيا والآخِرةِ ، فاخْتار الآخِرةَ ، ولم يُرِدِ الدُّنيا ، وإنكم بَضْعةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهِ لا يَلِيها أحدٌ منكم أبدًا ، وما صَرَفها اللَّهُ عنكم إلَّا للذى هو خيرٌ لكم . فأَبَى أن يَرْجِعَ . قال : فاعْتَنَقه ابنُ عمرَ ، وبَكى وقال : أَسْتَوْدِعُك اللَّهَ مِن قَتيلٍ .

وقال يحيى بنُ مَعِينٍ [5] : حدَّثنا أبو عُبَيدةَ ، ثنا سُلَيمُ بنُ حَيَّانَ ، [6] عن سعيدِ ابنِ مِينا [6] قال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو [7] يقولُ : عَجَّل حسينٌ قَدَرَه ، [8] عَجَّل حسينٌ قَدَره [8] ، واللَّهِ لو أدْرَكْتُه ما كان ليخرُجَ إلا أن يَغْلِبَنى ؛ ببنى هاشمٍ فُتِح [9] ،

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى : « وعليك بالحجاز » . وما هنا أشبه بموافقة السياق .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٧٠، ٤٧١، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٢، كلاهما من طريق شبابة بن سوار به نحوه .

(٣ - ٣) سقط من الدلائل . وانظر الجرح والتعديل ٩/ ١٢٦.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١، م : « بمكة » ، وفى الدلائل : « قدم المدينة » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٢، ٢٠٣، من طريق يحيى بن معين به .

(٦ - ٦) فى تاريخ دمشق : « قال الحرانى : سليمان بن سعيد بن مينا » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٨٤.

(٧) فى الأصل ، ٦١، وتاريخ دمشق : « عمر » . وذكر محقق تاريخ دمشق فى الحاشية أنها جاءت بالأصل عنده : « عمرو » ، وأن ما أثبته هو عن الترجمة المطبوعة - يعنى نسخة المجمع العلمى بدمشق - وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٨٤، ١٥/ ٣٥٧.

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

(٩) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « هذا الأمر » .

وبنى هاشمٍ خُتِم ، فإذا رأيْتَ الهاشميَّ قد مَلَك فقد ذَهَب الزمانُ . قلتُ : وهذا مع حديثِ ابنِ عمرَ يَدُلُّ على أن الفاطِميِّين أَدْعِياءُ ، لم يكونوا مِن سُلالةِ فاطمةَ ، كما زعمُوا ، وإنَّما كانوا كذَبةً فيما ادَّعَوه ، كما نصَّ على ذلك غَيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ[1] ، على ما سَنَذْكُرُه فى مَوْضِعِه ، إن شاء اللَّهُ .

وقال يَعْقوبُ بنُ سُفيانَ[2] : حَدَّثنا أبو بكرٍ الحُمَيْدىُّ ، ثنا سفيانُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ شَريكٍ ، عن بِشْرِ بنِ غالبٍ قال : قال ابنُ الزبيرِ للحُسينِ : أين تَذْهبُ ؟! إلى قومٍ قَتَلوا أباك وطَعَنوا أخاك ؟ فقال : لأَن أُقْتَلَ بمكانِ كذا وكذا أَحَبُّ إلىَّ مِن أن تُسْتَحَلَّ بى . يَعْنى مكةَ .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[3] : حَدَّثنى عَمِّى مُصْعبُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أخْبَرنى مَن سَمِع هِشامَ بنَ يوسُفَ يقولُ ، عن مَعْمَرٍ قال : سَمِعْتُ رجلًا يُحَدِّثُ عن الحسينِ بنِ علىٍّ قال : [4]سمِعتُه يقولُ[4] لعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ : أَتَتْنى بَيْعةُ أربعين ألفًا يَحْلِفون بالطَّلاقِ والعَتاقِ [5]مِن أهلِ الكوفةِ أو[6] مِن أهلِ العراقِ[5] . [٦/١٨٦و] فقال له ابنُ الزُّبَيرِ : أتَخْرُجُ إلى قومٍ قَتَلوا أباك وأَخْرَجوا أخاك ؟ قال هِشامٌ : فسَأَلْتُ مَعْمَرًا عن

---

(١) منهم : ابن الأثير فى الكامل ٨/ ٢٤ - ٣١، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ٣/ ١١٧، ١١٨، وابن تيمية فى منهاج السنة ٦/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٨/ ١١، ١٢، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢١٣.

(٢) المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٥٣، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٣، من طريق يعقوب ابن سفيان به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٣، وابن العديم فى بغية الطلب ٦/ ١١٣، كلاهما من طريق الزبير بن بكار به . والخبر أيضا فى كتاب نسب قريش لمصعب بن عبد اللَّه ص ٢٣٩، بنحوه .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ٦١، م .

(٥ - ٥) فى الأصل، ٦١، م : «أنهم معى» .

(٦) بعده فى مصدرى التخريج : «قال» .

الرجلِ فقال : هو ثِقَةٌ . قال الزبير : وقال عمى : وزَعم بعضُ الناسِ أن ابنَ عَبَّاسٍ هو الذى قال هذا .

وقد ساق محمدُ بنُ سعدٍ كاتبُ الواقدىِّ هذا سِياقًا حَسَنًا مَبْسوطًا ، فقال[1] : أخبَرنا علىُّ بنُ محمدٍ ، عن يحيى بنِ إسماعيلَ بنِ أبى المُهاجِرِ ، عن أبيه ، وعن لُوطِ بنِ يحيى الغامِدىِّ[2] ، عن محمدِ بنِ نَشْرٍ[3] الهَمْدانىِّ وغيرِه ، وعن محمدِ بنِ الحَجَّاجِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، و[4] عن هارونَ بنِ عيسى ، عن يونُسَ بنِ أبى[5] إسْحاقَ ، عن أبيه ، وعن يحْيَى بنِ زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ . قال محمدُ بنُ سعدٍ : وغيرُ هؤلاء قد حَدَّثنى أيضًا فى هذا الحديثِ بطائفةٍ ، فكتَبْتُ جَوامِعَ حديثِهم فى مَقْتَلِ الحسينِ ، رَضِى اللَّهُ عنه وأرْضاه ، قالوا : لمَّا بايَع الناسُ مُعاويةَ ليزيدَ كان الحسينُ ممن لم يُبايِعْ له ، وكان أهلُ الكُوفةِ يَكْتُبون إلى الحسينِ يَدْعونه إلى الخُروجِ إليهم فى خِلافةِ مُعاويةَ ، كلُّ ذلك يَأْبى ، فقَدِم منهم قومٌ إلى محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ يَطْلُبون إليه أن يَخْرُجَ معهم ، فأَبى وجاء إلى الحسينِ فأخبَره بما عَرضُوا عليه وقال : إن القومَ إنما يُريدون أن يَأْكُلوا بنا ، ويُشِيطوا[6] دِماءَنا . فأقام حسينٌ على ما هو عليه مِن الهُمومِ ، مَرَّةً

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٢٠٤ - ٢١٢، وابن العديم فى بغية الطلب ٦/١١٥ - ١٢٤، كلاهما من طريق محمد بن سعد به .

(٢) فى النسخ : « العامرى » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٢، ٢٦/ ٥٥١، ٥٥٢.

(٣) فى النسخ ومصدرى التخريج : « بشير » . وهو تحريف ، والمثبت من تهذيب الكمال . وانظر تبصير المنتبه ١/٨٨ .

(٤) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

(٥) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٢، ٣٢/ ٤٨٨.

(٦) فى الأصل ، ٦١: « ويستطيلوا بنا ويسيطوا دماء الناس و » . وفى م : « ويستطيلوا بنا ويستنبطوا دماء الناس و » . ويشيطوا دماءنا : يُعَرِّضوننا للقتل . انظر اللسان ، وتاج العروس (ش ى ط) .

يُريدُ أن يَسِيرَ إليهم ، ومَرَّةً يُجْمِعُ الإقامةَ . فجاءه أبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ فقال : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، إنى لكم ناصِحٌ ، وإنى عليكم مُشْفِقٌ ، وقد بَلَغنى أنه كاتَبَك قومٌ مِن شِيعتِكم بالكُوفةِ يَدْعُونك إلى الخُروجِ إليهم ، فلا تَخْرُجْ ، فإنى سَمِعْتُ أباك يَقولُ بالكُوفةِ : واللَّهِ لقد مَلِلْتُهم وأبْغَضْتُهم ، ومَلُّونى وأبْغَضونى ، وما بَلَوتُ[1] منهم وَفاءً ، ومَن فاز بهم فاز بالسَّهمِ الأَخْيَبِ ، واللَّهِ ما لهم ثَباتٌ[2] ولا عَزْمٌ على أمْرٍ ، ولا صَبْرٌ على السيفِ . قال : وقَدِم المُسَيَّبُ بنُ نَجَبَةَ[3] الفَزارىُّ فى عِدَّةٍ معه إلى الحسينِ بعدَ وَفاةِ الحسنِ ، فدَعَوْه إلى خَلْعِ مُعاويةَ وقالوا : قد عَلِمْنا رأيَك ورأىَ أخيك . فقال : إنى لأَرْجو أن يُعْطِىَ اللَّهُ أخى على نيتِه فى حُبِّه الكَفَّ ، وأن يُعْطِيَنى على نِيَّتى فى حُبِّى جِهادَ الظالمين . وكتَب مَرْوانُ إلى مُعاويةَ : إنى لسْتُ آمَنُ أن [٦/١٨٦ظ] يَكونَ حُسينٌ مَرْصَدًا للفِتْنةِ ، وأَظُنُّ يومَكم مِن حسينٍ طويلًا . فكتَب مُعاويةُ إلى الحسينِ : إن مَن أعْطَى اللَّهَ صَفْقةَ يمينِه وعَهْدِه لجَديرٌ بالوَفاءِ ،وقد أُنْبِئْتُ أن قومًا مِن أهلِ الكُوفةِ قد دَعَوْك إلى الشِّقاقِ ، وأهلُ العراقِ مَن قد جَرَّبْتَ ؛ قد أفْسَدوا على أبيك وأخيك ، فاتَّقِ اللَّهَ واذْكُرِ الميثاقَ ، فإنك متى تَكِدْنى أَكِدْك . فكتَب إليه الحسينُ : أتانى كِتابُك وأنا بغير الذى بَلَغَك عنى جَديرٌ ، والحَسَناتُ لا يَهْدِى لها إلا اللَّهُ ، وما أَرَدْتُ لك مُحارَبةً ولا عليك خِلافًا ، وما أَظُنُّ لى عندَ اللَّهِ عُذْرًا فى تَرْكِ جِهادِك ، وما أَعْلَمُ فِتنةً أعْظَمَ مِن وِلايتِك أمْرَ هذه الأُمَّةِ . فقال مُعاويةُ : إنْ أَثَرْنا بأبى عبدِ اللَّهِ إلا أسدًا[4] . وكتَب

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « يكون » .

(٢) فى الأصل : « نبات » ، وفى ٦١ ، م ، ص ، وبغية الطلب : « نيات » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٩٤ .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عتبة » ، وفى ص : « نحبة » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٨٩ ، وسير أعلام النبلاء الموضع السابق .

(٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « شرا » .

إليه مُعاويةُ أيضًا فى بعضِ ما بَلَغه عنه : إنى لَأَظُنُّ أنَّ فى رأسِك نَزْوَةً[1] ، فوَدِدْتُ أنى أُدْرِكُها فأغْفِرَها لك . قالوا : فلما حُضِر مُعاويةُ دَعا يزيدَ فأوْصاه بما أوْصاه به ، وقال له : انْظُرْ حسينَ بنَ علىٍّ ، ابنَ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنه أحَبُّ الناسِ إلى الناسِ ، فصِلْ رَحِمَه ، وارْفُقْ به ، يَصْلُحْ لك أمْرُه ، فإن يَكُنْ منه شىءٌ فإنى أرْجو أن يَكْفِيَكه اللَّهُ بمَن قتَل أباه وخذَل أخاه . وتُوُفِّىَ مُعاويةُ ليلةَ النِّصْفِ مِن رجبٍ سنةَ ستين ، وبايَع الناسُ يَزيدَ ، فكتَب يزيدُ مع عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ أُوَيْسٍ[2] العامرىِّ - عامرِ بنِ لُؤَىٍّ - إلى الوليدِ بنِ عُتْبةَ بنِ أبى سفيانَ وهو على المَدينةِ ؛ أنِ ادْعُ الناسَ فبايِعْهم ، وابْدَأْ بوُجوهِ قريشٍ ، ولْيَكُنْ أولَ مَن تَبْدَأُ به الحسينُ بنُ علىٍّ ، فإن أميرَ المؤمنين عَهِد إلىَّ فى أمْرِه الرِّفْقَ به واسْتِصْلاحَه . فبعَث الوليدُ مِن ساعتِه نصفَ الليل إلى الحسينِ بنِ علىٍّ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فأخْبَرَهما بوَفاةِ مُعاويةَ ، ودَعاهما إلى البَيْعةِ ليَزيدَ ، فقالا[3] : نُصْبِحُ ونَنْظُرُ ما يَصْنَعُ الناسُ . ووَثَب الحسينُ ، فخرَج وخرَج معه ابنُ الزبيرِ وهو يقولُ : هو يَزيدُ الذى نَعْرِفُ ، واللَّهِ ما حَدَث له حَزْمٌ ولا مُروءةٌ . وقد كان الوَليدُ أغْلَظ للحسينِ ، فشَتَمه الحسينُ ، وأخَذ بعِمامتِه ،ونزَعها مِن رأسِه ، فقال الوليدُ : إن هِجْنا بأبى عبدِ اللَّهِ إلا أسدًا[4] . فقال له مَرْوانُ أو بعضُ جُلَسائِه : اقْتُلْه . فقال : إن ذلك لَدمٌ مَضْنونٌ به فى بنى عبدِ مَنافٍ . قالوا : وخرَج [٦/١٨٧و] الحسينُ وابنُ الزبيرِ مِن ليلتِهما إلى مكةَ ، وأصْبَح الناسُ فغَدَوْا على البَيْعةِ ليزيدَ ، وطُلِب الحسينُ وابنُ

---

(١) فى الأصل ، ٦١ : « نزرة » ، وفى تاريخ دمشق : « فروة » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٤.

(٢) فى تاريخ دمشق : « إدريس » ، وأشار محققه فى الحاشية أنها فى النسخة المطبوعة : « أويس » . وفى بغية الطلب : « أوس » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٤.

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « إلى أن » .

(٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « شرا » .

الزبيرِ ، فلم يُوجَدَا ، فقال المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ : عجِل الحسينُ ، وابنُ الزبيرِ يَلْفِتُه[1] ويُزجِيه[2] [3]إلى العراقِ[3] ليَخْلُوَ بمكةَ . فقدِما مكةَ ، فنزَل الحسينُ دارَ العباسِ ، ولزِم ابنُ الزبيرِ الحِجْرَ ، ولبِس المَعَافِرِيَّ[4] ، وجَعَل يُحَرِّضُ الناسَ على بنى أُمَيةَ ، وكان يَغْدو ويَروحُ إلى الحسينِ ، ويُشِيرُ عليه أن يَقْدَمَ العِراقَ ، ويقولُ : هم شِيعتُك وشِيعةُ أبيك . فكان عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ يَنْهاه عن ذلك [3]ويقولُ : لا تفعلْ[3] . وقال له عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ : إنى فداؤُك وأبى وأمى ، فأَمْتِعْنا بنفسِك ولا تَسِرْ إلى العراقِ ، فواللَّهِ لئن قتَلك هؤلاء القومُ لَيَتَّخِذونا عَبيدًا وخَوَلًا . قالوا : ولَقِيَهما عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ وعبدُ اللَّهِ بنُ [5]عَيّاشِ بنِ[5] أبى رَبيعةَ بالأَبْواءِ مُنْصَرِفَيْن مِن العُمْرةِ ، فقال لهما ابنُ عمرَ : أُذَكِّرُكما اللَّهَ إلَّا رَجَعْتُما فدَخَلْتُما فى صالحِ ما يَدْخُلُ فيه الناسُ ، وتَنْظُرا ، فإن اجْتَمع الناسُ عليه لمْ تَشِذَّا ، وإن افْتُرِقَ عليه كان الذى تُرِيدان . وقال ابنُ عمرَ للحسينِ : لا تَخْرُجْ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ خيَّره اللَّهُ بينَ الدنيا والآخرةِ ، فاخْتارَ الآخِرةَ ، وإنك بَضْعةٌ منه ولا تَنالُها. يعنى الدُّنيا ، واعْتَنَقَه وبَكَى ووَدَّعه ، فكان ابنُ عمرَ يقولُ : غَلَبَنا حسينُ بنُ علىٍّ بالخُروجِ ، ولَعَمْرى لقد رَأَى فى أبيه وأخيه عِبْرةً ، ورَأَى مِن الفتْنةِ وخُذْلانِ الناسِ لهما ما كان يَنْبَغى له ألَّا يَتَحَرَّكَ ما عاش ، وأن يَدْخُلَ فى صالحِ ما دخَل فيه الناسُ ، فإن الجَماعةَ خيرٌ . وقال له ابنُ عباسٍ : أين تُريدُ يا بنَ فاطمةَ ؟ فقال : العراقَ وشِيعَتى . فقال : إنى لَكرِهٌ لوجْهِك هذا ؛ تَخْرُجُ إلى قومٍ قتَلوا أباك وطَعَنوا أخاك

---

(١) فى ص ، وتاريخ دمشق : « يلقيه » . ويلفته : يصرفه . انظر اللسان (ل ف ت) .

(٢) فى م : « يرجيه » . ويزجيه : يدفعه . انظر المحيط (ز ج و) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٤) المعافرى : برود باليمن منسوبة إلى معافر ، وهى قبيلة باليمن ، والميم زائدة . النهاية ٣/ ٢٦٢ .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عباس وابن » ، وفى ص : « عباس بن » . والمثبت من تاريخ دمشق وبغية الطلب ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٩٦ .

حتى تَرَكَهم سَخْطةً ومَلالةً لهم ؟! أُذَكِّرُك اللَّهَ أن تَغْرُرَ بنفسِك . وقال أبو سعيدٍ الخدرىُّ :غَلَبنى الحسينُ بنُ علىٍّ على الخروجِ ، وقد قلتُ له : اتَّقِ اللَّهَ فى نفسِك والْزَمْ بيتَك ، ولا تَخْرُجْ على إمامِك . وقال أبو واقدٍ اللَّيْثىُّ : بَلَغنى خروجُ الحسينِ بنِ علىٍّ ، فأدْرَكْتُه بمَلَلٍ[1] ، فناشَدْتُه اللَّهَ أن لا يَخْرُجَ ، فإنه يَخْرُجُ فى غيرِ وجهِ خُروجٍ ، إنما خرَج يَقْتُلُ نفسَه . فقال : لا أَرْجِعُ . وقال جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ : كلَّمْتُ حُسينًا فقلتُ : اتَّقِ اللَّهَ ولا تَضْرِبِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ ، فواللَّهِ ما حُمِدْتُم ما صنَعْتُم . فعَصانى . وقال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ : لو أن حسينًا لم يَخْرُجْ لكان خيرًا له . وقال أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ : قد كان يَنْبَغى لحسينٍ أن يَعْرِفَ [٦/١٨٧ظ] أهلَ العراقِ ولا يَخْرُجَ إليهم ، ولكن شَجَّعه على ذلك ابنُ الزبيرِ . وكتَب إليه المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ : إياك أن تَغْتَرَّ بكُتُبِ أهلِ العراقِ وبقولِ ابنِ الزبيرِ : الْحَقْ بهم فإنهم ناصِروك[2] . إيّاك أن تَبْرَحَ الحَرَمَ ، فإنهم إن كانت لهم بك حاجةٌ فسَيَضْرِبون إليك آباطَ الإبلِ حتى يُوافُوك فتَخْرُجَ فى قوةٍ وعُدَّةٍ . فجزاه خيرًا وقال : أَسْتَخِيرُ اللَّهَ فى ذلك . وكتَبَتْ إليه عَمْرةُ بنتُ عبدِ الرحمنِ تُعَظِّمُ عليه ما يُرِيدُ أن يَصْنَعَ ، وتَأْمُرُه بالطاعةِ ولُزومِ الجَماعةِ ، وتُخْبِرُه أنه[3] إنما يُساقُ إلى مَصْرعِه ، وتقولُ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ عائشةَ تقولُ أنها سَمِعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُقْتَلُ الحسينُ بأرضِ بابِلَ » . فلما قرَأ كِتابَها قال : فلابدَّ لى إذًا مِن مَصْرَعى . ومَضَى . وأتاه أبو[4] بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ

---

(١) ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكة عن ثمانية وعشرين ميلًا من المدينة . معجم البلدان ٤/ ٦٣٧.

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « وقال له ابن عباس » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « إن لم يفعل » .

(٤) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٦.

هشامٍ فقال: يا بنَ عَمٍّ، (١)إنَّ الرَّحِمَ تَظْأَرُنى(٢) عليك، وما أدرى كيف أنا عندَك فى النصيحةِ لك؟ قال: يا أبا بكرٍ، ما أنت مِمَّنْ يُسْتَغَشُّ ولا يُتَّهَمُ، فقُلْ. قال(١): قد رأيْتَ ما صَنَع أهلُ العراقِ بأبيك وأخيك، وأنت تُرِيدُ أن تَسِيرَ إليهم، وهم عَبِيدُ الدنيا، فيُقاتِلُك مَن قد وَعَدك أن يَنْصُرَك، ويَخْذُلُك مَن أنت أَحَبُّ إليه ممن يَنْصُرُه، فأُذَكِّرُك اللَّهَ فى نفسِك. فقال: جَزاك اللَّهُ يا بنَ عَمٍّ خيرًا، ومهما يَقْضِ اللَّهُ مِن أمْرٍ يَكُنْ. فقال أبو بكرٍ: إنا للَّهِ، عند اللَّهِ نَحْتَسِبُ أبا عبدِ اللَّهِ. وكتَب إليه عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ كتابًا يُحَذِّرُه أهلَ الكوفةِ، ويُناشِدُه اللَّهَ أن يَشْخَصَ إليهم، فكتَب إليه الحسينُ: إنِّى رَأَيْتُ رُؤْيا، ورأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأَمَرَنى بأمْرٍ، وأنا ماضٍ له، ولسْتُ بمُخْبِرٍ بها أحدًا حتى أُلاقِىَ عَمَلى. وكتَب إليه عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ (٣)نائبُ الحَرَمَيْن(٣): إنى أَسْأَلُ اللَّهَ أن يُلْهِمَك رُشْدَك، وأن يَصْرِفَك عما يُرْدِيك، بَلَغَنى أنك قد عَزَمْتَ على الشُّخوصِ إلى العراقِ، وإنى أُعِيذُك باللَّهِ مِن الشِّقاقِ، فإن كنتَ خائفًا فأقْبِلْ إلىَّ، فلك عندى الأمانُ والبِرُّ والصِّلَةُ. فكتَب إليه الحسينُ: إن كنتَ أَرَدْتَ بكتابِك بِرِّى وصِلَتى فجُزِيتَ خيرًا فى الدنيا والآخِرةِ، وإنه لم يُشاقِقْ مَن دَعا إلى اللَّهِ وعَمِل صالحًا، وقال: إننى مِن المسلمين. وخيرُ الأمانِ أَمانُ اللَّهِ، ولم يُؤْمِنْ باللَّهِ مَن لم يَخَفْه فى الدنيا، فنَسْأَلُ اللَّهَ مَخافةً فى الدنيا تُوجِبُ لنا أَمانَ الآخرةِ عندَه.

وقالوا: وكتَب يزيدُ بنُ مُعاويةَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ يُخْبِرُه بخُروجِ الحسينِ

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق وبغية الطلب، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤١٨.

(٢) تظأرنى: تَعْطِفنى. انظر اللسان (ظ أ ر).

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى مصدرى التخريج.

إلى مكةَ ، و يحْسَبُه قد جاءه رجالٌ مِن أهلِ هذا المَشْرِقِ فمنَّوْه الخِلافةَ ، وعندَك منهم [٦/١٨٨و] خِبرةٌ وتَجْرِبةٌ ، فإن كان فعل فقد قَطَع واشِجَ القَرابةِ ، وأنت كَبيرُ أهلِ بَيتِك والمَنْظورُ إليه ، فاكْفُفْه عن السَّعْيِ فى الفُرْقةِ . وكتَب بهذه الأبياتِ إليه وإلى مَن بمكةَ والمدينةِ مِن قريشٍ :

يا أيُّها الراكبُ الغادى لِطِيَّتِه[1] ... على عُذافرةٍ[2] فى سيرِها قُحَمُ[3]
أَبْلِغْ قريشًا على نَأْيِ المزارِ بها ... بينى وبينَ حسينِ اللَّهُ والرَّحِمُ
وموقفٌ بفناءِ البيتِ أَنْشُدُه ... عهدَ الإلهِ وما تُوفَى به الذِّمَمُ
عَنَّيتُمُ قومَكمْ فخرًا بأُمِّكمُ ... أمٌّ لَعَمْرِى حَصانٌ برّةٌ كَرَمُ
هى التى لا يُدانِى فضلَها أحدٌ ... بنتُ الرسولِ و خيرِ الناسِ قد عَلِموا
وفَضْلُها لكمُ فَضْلٌ وغيرُكمُ ... مِن قومِكمْ لهمُ فى فَضْلِها قِسَمُ
إنى لأَعْلَمُ أو ظَنًّا كعالِمِه ... والظَّنُّ يَصْدُقُ أحيانًا فيَنْتَظِمُ
أن سوف يَتْرُكُكمْ ما تَدَّعونَ بها ... قَتْلى تهاداكمُ العِقْبانُ والرَّخَمُ[4]
يا قومَنا لا تُشبُّوا الحربَ إذ سكنَتْ[5] ... وأمْسِكوا بحِبالِ السِّلْمِ واعْتَصِموا
قد غرَّتِ الحربُ مَنْ قدْ كان قبلَكمُ ... مِن القُرونِ وقد بادتْ بها الأُمَمُ

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م ، وتاريخ دمشق : « مطيته » . والغادى لطيته : الغادى لوجهه وقَصْده . انظر اللسان (ط و ى) .
(٢) فى م ، وتاريخ دمشق : « غدافرة » . والعذافرة : الناقة الصُّلْبة القوية . انظر اللسان (عذفر) .
(٣) فى الأصل ، م : « فحم » . والقحم : الإقدام والجرأة . انظر اللسان (ق ح م) .
(٤) الرّخم : جمع رَخَمَة ، وهو طائر أبْقَع على شكل النسر خِلْقَةً . إلا أنه مبقع بسواد وبياض . انظر اللسان (ر خ م) .
(٥) فى م : « مسكت » .

فأنْصِفوا قومَكمْ لا تَهلِكوا بذَخًا[1] فربَّ ذى بذخٍ[2] زَلَّت به القَدَمُ

قال : فكَتَب إليه ابنُ عباسٍ : إنى لَأَرْجُو أن لا يكونَ خُروجُ الحسينِ لأَمْرٍ تَكْرَهُه ، ولسْتُ أَدَعُ النَّصيحةَ له فى كلِّ ما يجمعُ اللَّهُ به الأُلْفةَ وتُطْفَى به النائرةُ[3] . ودَخَل عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ على الحسينِ ، فكَلَّمه ليلًا طويلًا ، وقال : أَنْشُدُك اللَّهَ أن تَهْلِكَ غدًا بحالِ مَضِيعةٍ ، لا تَأْتِ العراقَ ، وإن كنتَ لابد فاعلًا فأَقِمْ حتى يَنْقَضِىَ المَوْسِمُ ، وتَلْقَى الناسَ وتَعْلَمَ ما يَصْدُرون ، ثم تَرَى رأيَك . وذلك فى عشْرِ ذى الحِجَّةِ . فأَبَى الحسينُ إلا أن يَمْضِىَ إلى العراقِ ، فقال له ابنُ عباسٍ : واللَّهِ إنى لَأَظُنُّك ستُقْتَلُ غدًا بينَ نِسائِك وبَناتِك ، كما قُتِل عُثمانُ بينَ نسائِه وبَناتِه ، واللَّهِ إنى لَأخافُ أن تَكونَ الذى يُقادُ به عُثمانُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . فقال : أبا العباسِ ، إنك شيخٌ قد كَبِرْتَ . فقال ابنُ عباسٍ : لولا أن يُزْرِىَ ذلك بى أو بك لَنَشِبْتُ يدِى فى رأسِك ، ولو أَعْلَمُ أنا إذا تَناصَيْنا[4] أَقَمْتَ لَفَعَلْتُ ، ولكن لا إخالُ ذلك نافِعى[5] . فقال له الحسينُ : لَأَن أُقْتَلَ بمكانِ كذا وكذا [٦/١٨٨ظ] أَحَبُّ إلىَّ من أن تُسْتَحَلَّ بى . يعنى مكة ، قال : فبَكَى ابنُ عباسٍ ، وقال : أَقْرَرْتَ عينَ ابنِ الزبيرِ بذلك ، وذلك الذى سَلَا نَفْسى عنه . قال : ثم خرَج عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ عنه وهو مُغْضَبٌ ، وابنُ الزبيرِ على البابِ ، فلمَّا رآه قال : يا بنَ الزبيرِ ، قد أَتَى ما أَحْبَبْتَ ، قَرَّتْ عينُك ، هذا أبو عبدِ اللَّهِ يخرجُ

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « برحا » . والبذخ : الفخر والتطاول . انظر اللسان (ب ذ خ) .

(٢) فى م : « برح » .

(٣) النائرة : العداوة والشحناء . الوسيط (ن و ر) .

(٤) فى م : « تباصينا » . وتناصينا أى : تَواخَذْنا بالنواصى . انظر النهاية ٥/ ٦٨ .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « مانعك » .

ويَتْرُكُك والحجازَ. ثم قال[1] :

يالكِ مِن قُنْبَرَةٍ بمَعْمَرِ خَلَا لكِ الجَوُّ فبيضِى واصْفِرى
ونقِّرى ما شئتِ أن تنقِّرى

قال : وبعَث الحسينُ إلى المدينةِ فقَدِم[2] عليه مَن خَفَّ معه مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، وهم تِسْعةَ عشَرَ رجلًا ونساءٌ وصِبْيانٌ مِن إخوانِه وبَناتِه ونِسائِهم ، وتَبعهم محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ ، فأدْرَك حُسينًا بمكةَ ، فأعْلَمه أن الخروجَ ليس له برأيِ يومِه هذا ، فأَبَى الحسينُ أن يَقْبَلَ ، فَحبَس محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ ولدَه ، فلم يَبْعَثْ معه أحدًا منهم حتى وَجَد الحسينُ فى نفسِه على محمدٍ ، وقال : تَرْغَبُ بولدِك عن مَوْضِعٍ أُصابُ فيه ؟ فقال محمدٌ : وما حاجتى أن تُصابَ ، ويُصابون معك ؟ وإن كانت مُصِيبتُك أعْظَمَ عندَنا منهم . قالوا : وبعَث أهلُ العراقِ إلى الحسينِ الرُّسلَ والكُتُبَ يَدْعونه إليهم ، فخرَج مُتَوَجِّهًا إلى العراقِ فى أهلِ بيتِه وستين شَيخًا[3] مِن أهلِ الكوفةِ ، وذلك يومَ الاثنين فى عَشْرِ ذى الحِجَّةِ [4]سنةَ ستين[4] . فكتَب مَرْوانُ إلى عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ : أما بعدُ ، فإن الحسينَ بنَ علىٍّ قد تَوَجَّهَ إليك ، وهو الحسينُ ابنُ فاطمةَ ، وفاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وباللَّهِ ما أَحَدٌ يُسَلِّمُه اللَّهُ أَحَبَّ إلينا مِن الحسينِ ، فإياك أن تُهَيِّجَ على نفسِك ما لا يَسُدُّه شىءٌ ، ولا تَنْساه العامةُ ولا تَدَعُ ذِكْرَه[5] ، والسلامُ . وكتَب إليه عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ : أما بعدُ فقد تَوَجَّه إليك الحسينُ ، وفى مثلِها تُعْتَقُ أو تكونُ عبدًا تُسْتَرَقُّ

---

(١) تقدمت نسبة الرجز فى صفحة ٤٩٦.
(٢) فى النسخ : « يقدم » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وبغية الطلب .
(٣) فى م : « شخصًا » .
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) بعده فى الأصل ، ا ٦ ، م : « آخر الدهر » .

كما تُسْتَرَقُّ العَبيدُ .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ الضَّحَّاكِ ، عن أبيه قال : كتَب يَزيدُ إلى ابنِ زِيادٍ ، أنه قد بَلَغَنى أن حسينًا قد سار إلى الكوفةِ ، وقد ابْتُلِىَ به زمانُك مِن بينِ الأزْمانِ ، وبَلَدُك مِن بينِ البُلْدانِ ، وابْتُلِيتَ به أنتَ مِن بينِ العُمَّالِ ، وعندَها تُعْتَقُ أو تَعودُ عبدًا كما [2]تُعْتَبدُ العَبيدُ[2] . فقتَله ابنُ زيادٍ ، وبَعَث برأسِه إليه .

قلتُ : والصَّحيحُ أنه لم يَبْعَثْ برأسِ الحسينِ إلى الشامِ ، كما سيأتى .[3] وفى روايةٍ[4] : أن يَزيدَ كتَب إلى ابنِ زيادٍ : قد بَلَغنى أن [٦/١٨٩و] الحسينَ قد تَوَجَّه نحوَ العراقِ ، فضَعِ المناظِرَ والمَسالحَ[5] ، واحْتَرِسْ واحْبِسْ على الظِّنَّةِ وخُذْ على التهمةِ ، غيرَ أن لا تَقْتُلَ إلا مَن قاتَلك ، واكْتُبْ إلىَّ فى كلِّ ما يَحْدُثُ مِن خَبَرٍ ، والسلامُ[3] .

قال الزبيرُ[6] : وحَدَّثنى محمدُ بنُ الضَّحَّاكِ قال : خرج الحُسينُ مِن مكةَ إلى العراقِ فلما مَرَّ ببابِ المسجدِ الحَرامِ قال[7] :

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٤، من طريق الزبير به .

(٢ - ٢) فى الأصل، ٦١، م : «ترق العبيد وتعبد» .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٨١.

(٥) المناظر جمع مَنْظَرة ، وهى موضع فى رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو . والمسالح : جمع مَسْلَحَة ، وهى كالثغر والمَرْقَب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة . انظر اللسان (ن ظ ر) ، (س ل ح) .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٤، من طريق الزبير بن بكار به .

(٧) البيتان لابن مفرغ الحميرى . انظر الأغانى ١٨/ ٢٨٨، والشعر والشعراء ١/ ٣٦٢، وخزانة الأدب ٨/ ٣٦٧.

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ فى فَلَقِ الصُّبْـ ـحِ مُغِيرًا ولا دُعِيتُ يَزِيدَا
يومَ أُعْطَى مخافةَ الموتِ ضَيْمًا والمَنَايَا تَرْصُدْنَنى أن أَحِيدَا

وقال أبو مِخْنَفٍ[1] : قال أبو جَنابٍ يحيى بنُ أبى حيَّةَ ، عن عدىِّ بنِ حَرْملةَ الأسَدىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سُلَيْمٍ والمَذْرِىِّ[2] بنِ المُشْمَعِلِّ الأسَدِيَّيْن قالا : خرَجْنا حاجَّيْن مِن الكوفةِ حتى قَدِمنا مكةَ فَدَخَلْنا يومَ التَّرْوِيةِ ، فإذا نحن بالحسينِ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ قائمَيْن عندَ ارتفاعِ الضُّحَى فيما بينَ الحِجْرِ والبابِ ، فسَمِعْنا ابنَ الزبيرِ وهو يقولُ للحسينِ : إن شئتَ أن تُقيمَ أقَمْتَ فوُلِّيتَ هذا الأمرَ ، فآزرْناك وساعَدْناك ونصَحْنا لك وبايَعْناك . فقال الحسينُ : إن أبى حَدَّثنى أنَّ لها[3] كبشًا يَسْتَحِلُّ حُرْمتَها[4] ، فما أُحِبُّ أن أكونَ أنا ذلك الكَبْشَ . فقال له ابنُ الزبيرِ : فأَقِمْ إن شئتَ ووَلِّنى أنا الأمْرَ فتُطاعَ ولا تُعْصَى . فقال : وما أُريدُ هذا أيضًا . قالا : ثم إنهما أَخْفَيا كلامَهما دونَنا ، فما زالا يَتَناجَيانِ ، حتى سَمِعْنا دُعاءَ الناسِ رائحِين مُتَوَجِّهِين إلى مِنًى عندَ الظَّهيرةِ . قالا : فطاف الحسينُ بالبيتِ وبينَ الصَّفا والمَرْوةِ ، وقَصَّر مِن شعرِه ، وحَلَّ مِن عمرتِه ، ثم تَوَجَّهَ نحوَ الكوفةِ ، وتَوَجَّهْنا نحن مع الناسِ إلى مِنًى .

وقال أبو مِخْنَفٍ[5] : حدَّثنى الحارثُ بنُ كعبٍ الوالِبىُّ ، عن عقبةَ بنِ سِمْعانَ قال : لما خرَج الحسينُ مِن مكةَ اعْتَرضه رسلُ عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاص - يعنى نائبَ مكةَ - عليهم أخوه يحيى بنُ سعيدٍ ، فقالوا له : انْصَرِفْ ، أين تَذْهَبُ ؟

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٨٤.
(٢) فى الأصل ، ٦١، م : « المنذر » .
(٣) فى تاريخ الطبرى : « بها » .
(٤) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « يقتل » .
(٥) المصدر السابق ٥/ ٣٨٥، ٣٨٦.

فأَبَى عليهم ومَضَى ، وتَدافَع الفَرِيقان فاضطربوا بالسِّياطِ ، ثم إن حسينًا وأصحابَه امْتَنعوا منهم امْتِناعًا قويًّا ، ومَضَى الحسينُ على وجهِه ، فنادَاه : يا حسينُ ، ألا تَتَّقِى اللَّهَ ! تَخْرُجُ مِن الجماعةِ وتُفَرِّقُ بينَ هذه الأُمَّةِ ؟! قال : فتَأَوَّل الحسينُ قولَه تعالى : ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس : ٤١] . قال : ثم إن الحسينَ [٦/١٨٩ظ] مَرَّ بالتَّنْعِيمِ ، فلَقِىَ بها عِيرًا قد بعَث بها (١) بَحِيرُ بنُ رَيْسانَ (١) الحِمْيرىُّ نائبُ اليمنِ ، قد أرْسَلها مِن اليمنِ إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، عليها وَرْسٌ وحُلَلٌ كثيرةٌ ، فأخَذها الحسينُ وانْطَلَق بها ، واسْتَأْجَر أصحابَ الجِمالِ عليها إلى الكوفةِ ، ودَفَع إليهم أُجْرتَهم .

ثم ساق أبو مِخْنَفٍ (٢) بإسنادِه الأولِ أن الفَرَزْدقَ لَقِىَ الحسينَ فى الطريقِ ، فسَلَّم عليه ، وقال له : أعْطاك اللَّهُ سُؤْلَك وأَمَلَك فيما تُحِبُّ . فسأله الحسينُ عن أمْرِ الناسِ وما وراءَه ، فقال له : قلوبُ الناسِ معك ، وسيوفُهم مع بنى أُمَيَّةَ ، والقَضاءُ يَنْزِلُ مِن السماءِ ، واللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ . فقال له : صَدَقْتَ ، للَّهِ الأمْرُ ، يَفْعَلُ ما يَشاءُ ، وكلَّ يومٍ رَبُّنا فى شَأْنٍ ، إن نزَل القَضاءُ بما نُحِبُّ فنَحْمَدُ اللَّهَ على نَعْمائِه ، وهو المُسْتعانُ على أَداءِ الشُّكْرِ ، وإن حال القَضاءُ دونَ الرَّجاءِ ، فلم يَعْتَدِ مَن كان الحقُّ نِيَّتَه ، والتَّقْوى سَريرتَه . ثم حَرَّكَ الحسينُ راحلتَه ، فقال : السلامُ عليك . ثم افْتَرَقا .

وقال هشامُ بنُ الكَلْبىِّ (٣) ، عن عَوانةَ بنِ الحكَمِ ، عن لَبَطَةَ بنِ الفَرَزْدَقِ ، عن

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « بجير بن زياد » ، وفى ص : « بجير بن رومان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر الإكمال ١/ ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٤/ ٦٩ .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٨٦ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

أبيه قال : حَجَجْتُ بأُمِّى ، فبينَما أنا أَسُوقُ بَعيرَها حينَ دَخَلْتُ الحَرَمَ فى أيامِ الحَجِّ ، وذلك سنةَ ستين ، إذ لَقِيتُ الحُسينَ خارجًا مِن مكةَ معه أَسْيافُه وتِراسُه ، فقلتُ له : بأبى وأمى يا بنَ رسولِ اللَّهِ ، ما أَعْجَلك عن الحَجِّ ؟ فقال : لو لم أَعْجَلْ لأُخِذْتُ . ثم سَأَلنى : مِمَّن أنت ؟ فقلتُ : امْرُؤٌ مِن العراقِ . فسأَلنى عن الناسِ . فذكَر نحوَ ما تقَدَّم .

ثم ذكَر الفَرَزْدَقُ اجتماعَه بعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، وقولَه له : إن الحسينَ لا يَحِيكُ فيه السلاحُ . فنَدِم الفَرَزْدَقُ أن لا يكونَ تابَعَ الحسينَ ، فلمّا بَلَغَه قتلُه ، جعَل يَتَذَكَّرُ قولَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو : لا يَحِيكُ فيه السلاحُ . ولم يَفْهَمْ عنه ، إنما أراد أن السلاحَ لا يَضُرُّه فى آخِرَتِه . وكذا قال بعضُ السلفِ . ذكَرَه ابنُ عساكرَ[1] ، وفى هذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقيل غيرُ ذلك ، [٦/ ١٩٠و] وقيل : أراد الهَزْلَ بالفَرَزْدَقِ . قالوا : ثم سار الحسينُ لا يَلْوِى على شىءٍ حتى نَزَل ذاتَ عِرْقٍ .

قال أبو مِخْنَفٍ[2] : فحدَّثنى الحارثُ بنُ كعبٍ الوالبىُّ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ ابنِ علىٍّ قال : لما خرَجْنا مِن مكةَ كتَب عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ إلى الحسينِ مع ابْنَيْه عَوْنٍ ومحمدٍ : أما بعدُ ، فإنى أَسْأَلُك باللَّهِ لَمّا انْصَرَفْتَ حين تَنْظُرُ فى كِتابى هذا ، فإنى مُشْفِقٌ عليك مِن الوجهِ الذى تَوَجَّهْتَ له أن يَكونَ فيه هَلاكُك واسْتِئْصالُ أهلِ بيتِك ، إن هَلَكْتَ اليومَ طَفِئَ نورُ الأرضِ[3] ، فإنك عَلَمُ المُهْتَدِين ، ورَجاءُ المؤمنين ، فلا تَعْجَلْ بالسَّيرِ ، فإنى فى إثْرِ كِتابى ، والسلامُ . ثم نهَض عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٨٧، ٣٨٨.

(٣) فى الأصل، ٦١، م: «الإسلام».

جعفرٍ إلى عمرِو بنِ سعيدٍ نائبِ مكةَ ، فقال : اكْتُبْ إلى الحسينِ كِتابًا تَجْعَلُ له فيه الأَمانَ ، وتُمَنِّيه فيه البِرَّ والصِّلَةَ ، وتُوثِّقُ له فى كِتابِك ، وتَسْأَلُه الرجوعَ ؛ عله يَطْمَئِنُّ إلى ذلك فيَرْجِعَ . فقال له عمروٌ : اكْتُبْ عنى ما شئتَ وأْتِنى به حتى أَخْتِمَه . فكتَب عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ عن عمرِو بنِ سعيدٍ ما أراد ، ثم جاء بالكِتابِ إلى عمرٍو ، فختَمه بخاتَمِه ، وقال له : ابْعَثْ معى أَخاك . فبَعَث معه أخاه يحيى ، فانْصَرفا حتى لَحِقا الحسينَ ، فقرآ عليه الكِتابَ ، فأَبَى أن يَرْجِعَ ، وقال : إنى رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ ، وقد أمَرَنى بأمْرٍ ، وأنا ماضٍ له . فقالا : ما تلك الرُّؤْيا ؟ فقال : ما حَدّثْتُ بها أحدًا ولا أُحَدِّثُه حتى أَلْقَى ربى ، عز وجل .

قال أبو مِخْنَفٍ[1] : وحدَّثنى محمدُ بنُ قيسٍ أن الحسينَ أقْبَل حتى إذا بَلَغ الحاجرَ مِن بَطْنِ الرُّمَّةِ ، بعَث قيسَ بنَ مُسْهِرٍ الصَّيْداوِىَّ إلى أهلِ الكُوفةِ ، وكتَب معه إليهم : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن الحسينِ بنِ علىٍّ إلى إخْوانِه مِن المؤمنين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإنى أَحْمَدُ إليكم اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أمَّا بعدُ فإن كتابَ مسلمِ بنِ عَقيلٍ جاءنى يُخْبِرُنى فيه بحُسْنِ رَأْيِكم ، واجْتِماعِ مَلَئِكم على نَصْرِنا ، والطَّلَبِ بحَقِّنا ، فنَسْأَلُ اللَّهَ أن يُحْسِنَ لنا الصَّنيعَ ، وأن يُثِيبَكم على ذلك أعْظَمَ الأجْرِ ، وقد شَخَصْتُ إليكم مِن مكةَ يومَ الثلاثاءِ لثمانٍ مَضَيْن مِن ذى الحِجَّةِ يومَ التَّرْوِيةِ ، فإذا قَدِم عليكم رَسولى فاكْمِشُوا[2] أمْرَكم وجِدُّوا فإنى قادمٌ عليكم فى أيامى هذه ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، والسلامُ عليكم ورَحْمةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه .

قال : وكان كتابُ مسلمٍ إليه قبلَ أن يُقْتَلَ بسبعٍ وعشرين ليلةً ، ومَضْمونُه :

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٤، ٣٩٥.

(٢) فى م : « فاكتموا » . واكمشوا : أسرِعوا . انظر اللسان (ك م ش) .

أما بعدُ [٦/١٩٠ظ] فإن الرائدَ لا يَكْذِبُ أهلَه[١] ، وإنَّ جَمعَ أهلِ الكوفةِ معك ، فأَقْبِلْ حينَ تَقْرأُ كِتابى هذا ، والسلامُ عليك . قال : وأَقْبَل قيسُ بنُ مُسْهِرٍ الصَّيْداوىُّ إلى الكُوفةِ بكتابِ الحسينِ ، حتى إذا انْتَهَى إلى القادسيةِ أَخَذَه الحُصَينُ بنُ نُمَيْرٍ[٢] ، فبعَث به إلى عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ ، فقال له ابنُ زِيادٍ : اصْعَدْ إلى أعْلَى القَصْرِ فسُبَّ الكَذَّابَ ابنَ الكَذَّابِ . فصَعِد فحَمِد اللَّهَ وأَثْنَى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، إن هذا الحسينَ بنَ علىٍّ خيرُ خَلْقِ اللَّهِ ، ابنُ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا رسولُه إليكم ، وقد فارَقْتُه بالحاجِرِ مِن بَطْنِ الرُّمَّةِ ، فأَجِيبوه . ثم لَعَن عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ وأباه ، واسْتَغْفَر لعلىٍّ والحسينِ . فأمَر به ابنُ زِيادٍ ، فأُلْقِىَ مِن رأسِ القَصْرِ فتَقَطَّع ، ويُقالُ : بل تَكَسَّرَت عِظامُه وبَقِىَ فيه بَقِيَّةُ رَمَقٍ ، فقام إليه عبدُ الملكِ بنُ عُمَيرٍ اللَّخْمِىُّ فذَبَحه ، وقال : إنما أَرَدْتُ إراحتَه مِن الألمِ . وقيل : إنه رجلٌ يُشْبِهُ عبدَ الملكِ بنَ عُمَيْرٍ وليس به . وفى روايةٍ أن الذى قَدِم بكتابِ الحسينِ إنما هو عبدُ اللَّهِ بنُ بُقْطُرٍ أخو الحسينِ مِن الرَّضاعةِ ، فأُلْقِىَ مِن أعْلَى القَصْرِ . واللَّهُ أعلمُ . ثم أَقْبَل الحسينُ يَسيرُ نحوَ الكوفةِ ، ولا يَعْلَمُ بشىءٍ مما وَقَع مِن الأخْبارِ[٣] .

قال أبو مِخْنَفٍ[٤] ، عن أبى علىٍّ الأنصارىِّ ، عن بكرِ بنِ مُصْعَبٍ المُزَنىِّ قال : وكان الحسينُ لا يَمُرُّ بماءٍ مِن مِياهِ العَرَبِ إلا اتَّبَعوه .

قال أبو مِخْنَفٍ[٥] ، عن أبى جَنابٍ ، عن عَدِىِّ بن حَرْمَلةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) يضرب هذا القول مثلًا للنصيح غير المتهم على من تنصَّح له . ويضرب كذلك مثلًا للذى لا يكذب إذا حدَّث . وانظر جمهرة الأمثال ١/ ٤٧٤. واللسان (ر و د) .

(٢) هنا وفيما سيأتى فى تاريخ الطبرى : « تميم » . والمثبت هو الصواب ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٨.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٨.

(٤) المصدر السابق مطولًا .

(٥) المصدر السابق ٥/ ٣٩٧.

سُلَيْم والمُنْذِرِىّ بنِ المُشْمَعِلِّ الأَسَدِيَّيْن قالا : لما قَضَيْنا حَجَّنا لم يَكُنْ لنا هِمَّةٌ إلا اللَّحاقُ بالحُسينِ - فذكرا أنهما اتبعاه - فأدْرَكْناه وقد مَرَّ برجلٍ مِن بنى أسَدٍ ، فهَمَّ الحسينُ أن يُكَلِّمَه ويَسْأَلَه فترَك ذلك ، فجِئْنا ذلك الرجلَ فسَأَلْناه عن أخْبارِ الناسِ ، فقال : واللَّهِ لم أَخْرُجْ مِن الكوفةِ حتى قُتِل مُسْلمُ بنُ عَقيلٍ وهانئُ بنُ عروةَ ، ورأيْتُهما يُجَرَّان بأرْجُلِهما فى السُّوقِ . قالا : فلَحِقْنا الحسينَ فأخْبَرْناه ، فجعَل يقولُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . مراراً . فقلْنا له : اللَّهَ اللَّهَ فى نفسِك . فقال : لا خيرَ فى العيشِ بعدَهما . فقلنا : خارَ اللَّهُ لك . وقال له بعضُ أصحابِه : واللَّهِ ما أنت مثلَ [٦/١٩١و] مسلمِ بنِ عَقيلٍ ، ولو قَدِمْتَ الكوفةَ لكان الناسُ إليك أسْرَعَ . وقال غيرُهما[١] : لمَّا سَمِع أصحابُ الحسينِ بمَقْتَلِ مسلمِ بنِ عَقِيلٍ وَثَب عندَ ذلك بنو عَقِيلِ بنِ أبى طالبٍ وقالوا : لا واللَّهِ لا نَرْجِعُ حتى نُدْرِكَ ثَأْرَنا ، أونَذوقَ ما ذاق أخونا . فسار الحسينُ حتى إذا كان بزَرُودَ[٢] بَلَغه خبرُ مَقْتَلِ الذى بعَثه بكتابِه إلى أهلِ الكوفةِ بعدَ أن خَرج مِن مكةَ ووَصَل إلى حاجِرٍ ، فقال : قد خَذَلَتْنا شِيعَتُنا ، فمَن أحَبَّ منكم الانْصِرافَ فلْيَنْصَرِفْ مِن غيرِ حَرَجٍ عليه ، وليس عليه منا ذِمامٌ . قال : فتَفَرَّق الناسُ عنه أَيادىَ سَبَا[٣] يَمينًا وشِمالًا ، حتى بَقِىَ فى أصحابِه الذين جاءُوا معه [٤]من مكةَ[٥] وإنما فَعَل ذلك ؛ لأنه ظَنَّ أنَّ مَن اتَّبعه مِن الأعْرابِ إنما اتَّبعوه لأنه يَأْتى بلدًا قد اسْتَقامت له طاعةُ أهْلِها ، فكَرِه أن يَسِيروا معه إلا وهم يَعْلَمون علامَ يُقْدِمون ، وقد عَلِم أنه إذا بَيَّنَ لهم الأمْرَ لم يَصْحَبْه إلا مَن يُرِيدُ مُواساتَه فى الموتِ معه . قال :[٤] فلما كان من السَّحَرِ أمَر فِتْيانَه أن يَسْتَقُوا

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) زرود : قرية على أربعة فراسخ من سمرقند . معجم البلدان ٢/ ٩٢٨.

(٣) يقال : تفرقوا أيادى سبا . أى ؛ فى كل وجه . اللسان (ى د ى) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى تاريخ الطبرى : « المدينة » .

مِن الماءِ فأَكْثَروا منه ، ثم سار حتى مَرَّ ببَطْنِ العَقَبةِ ، فنزَل بها .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن يزيدَ الرِّشْكِ قال : حدَّثَنى مَن شافَهَ الحسينَ قال : رأيْتُ أَبْنيةً مَضْروبةً بفَلاةٍ مِن الأرضِ ، فقلتُ : لمن هذه ؟ قالوا : هذه لحسينٍ . قال : فأَتَيْتُه فإذا شيخٌ يَقْرَأُ القُرآنَ والدُّموعُ تَسِيلُ على خَدَّيْه ولحيتِه . قال : قلتُ : بأبى وأمى يا بنَ رسولِ اللَّهِ ! ما أنْزَلك هذه البلادَ والفَلاةَ التى ليس بها أحدٌ ؟ فقال : هذه كتبُ أهلِ الكوفةِ إلىَّ ولا أُراهم إلا قاتِلِىَّ ، فإذا فعَلوا ذلك لم يَدَعُوا للَّهِ حُرْمةً إلا انْتَهَكوها ، فيُسَلِّطُ اللَّهُ عليهم مَن يُذِلُّهم حتى يَكونوا أَذَلَّ مِن فَرَمِ[2] الأَمَةِ . يعنى مِقْنَعَتَها[3] .

وأخْبَرَنا[4] علىُّ بنُ محمدٍ ، عن الحسنِ بنِ دِينارٍ ، عن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ قال : قال الحسينُ : واللَّهِ لَيُعْتَدَنَّ علىَّ كما اعْتَدَت بنو إسرائيلَ فى السَّبْتِ .

وحدَّثنا[4] علىُّ بنُ محمدٍ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ الضُّبَعىِّ قال : قال الحسينُ : واللَّهِ لا يَدَعونى حتى يَسْتَخْرِجوا هذه العَلَقَةَ مِن جَوْفى ، فإذا فعَلوا ذلك سَلَّط اللَّهُ عليهم مَن يُذِلُّهم حتى يَكونوا أَذَلَّ مِن فَرَمِ الأَمَةِ . فقُتِل بنِينَوَى يومَ عاشوراءَ سنةَ إحدى وستين .

وقال يَعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : [٥/١٩١ظ] حدَّثنا أبو بكرٍ الحُمَيْدىُّ ، ثنا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٦، من طريق محمد بن سعد به .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « قرم » . والخبر فى بغية الطلب ٦/ ١٢٨، ١٢٩، وقال فى آخره عن معنى الفرم : قال جعفر - أى ابن سليمان - : فسألت الأصمعى عن ذلك ، قال : هى خرقة الحيضة إذا ألقتها النساء . وانظر النهاية ٣/ ٤٤١ .

(٣) فى تاريخ دمشق : « منفعتها » .

(٤) القائل محمد بن سعد . انظر تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٥، من طريق يعقوب بن سفيان به .

سفيانُ، ثنا شِهابُ بنُ خِراشٍ، عن رجلٍ مِن قومِه قال: كنتُ فى الجيشِ الذى بَعَثهم ابنُ زِيادٍ إلى الحسينِ، وكانوا أربعةَ آلافٍ يُرِيدون قِتالَ الدَّيْلَمِ، فصرَفَهم عبيدُ اللَّهِ إلى الحسينِ، فلَقِيتُ حسينًا، فرأيْتُه أسْودَ الرأسِ واللِّحْيةِ، فقلتُ له: السلامُ عليك أبا عبدِ اللَّهِ. فقال: وعليك السلامُ. وكانتْ فيه غُنَّةٌ، فقال: لقد باتَتْ منكم فينا سَلَّةٌ منذ الليلةِ. يعنى: سَرَقٌ. قال شِهابٌ: فحدَّثْتُ به زيدَ بنَ علىٍّ فأعْجَبه، وكانت فيه غُنَّةٌ. قال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: وهى فى الحُسَيْنِيِّين.

وقال أبو مِخْنَفٍ[1]، [2]عن بعضِ أصحابِه[2]، عن أبى خالدٍ الكاهلىِّ قال: لما صَبَّحَت الخيلُ الحسينَ بنَ علىٍّ رَفَع يديه فقال: اللهم أنت ثِقَتى فى كلِّ كَرْبٍ، ورَجائى فى كلِّ شِدَّةٍ، وأنت لى فى كلِّ أمْرٍ نَزَل بى ثِقَةٌ وعُدَّةٌ، فكم مِن هَمٍّ يَضْعُفُ فيه الفُؤادُ، وتَقِلُّ فيه الحيلةُ، ويَخْذُلُ فيه الصَّديقُ، ويَشْمَتُ فيه العَدُوُّ، فأنْزَلْتُه بك وشَكَوْتُه إليك، رَغْبةً فيك إليك عمن سِواك، ففَرَّجْتَه وكَشَفْتَه وكفَيْتَنِيه، فأنت وَلِىُّ كلِّ نِعْمةٍ، وصاحبُ كلِّ حَسَنةٍ، ومُنْتَهَى كلِّ غايةٍ.

وقال أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ[3]: حدَّثنى حَجَّاجُ بنُ محمدٍ، عن أبى مَعْشَرٍ، عن بعضِ مَشْيَخَتِه قال: قال الحسينُ حينَ نَزلوا كَرْبَلاءَ: ما اسمُ هذه الأرضِ؟ قالوا: كَرْبَلاءُ. قال: كَرْبٌ وبَلاءٌ. وبعَث عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ عمرَ بنَ سعدٍ يُقاتِلُهم، فقال الحسينُ: يا عمرُ، اخْتَرْ منى إحْدَى ثلاثِ خِصالٍ؛ إما أن تَتْرُكَنى أَرْجِعُ كما جئتُ، فإن أَبَيْتَ هذه فسَيِّرْنى إلى يزيدَ فأَضَعَ يَدى فى يدِه

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٢٣. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٧، من طريق أبى مخنف به.
(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٢٠، من طريق أبى عبيد به.

فيَحْكُمَ فيَّ ما رَأَى ، فإن أَبَيْتَ هذه فسَيِّرْنى إلى التُّرْكِ فأُقاتِلَهم حتى أَموتَ . فأرْسَل إلى ابنِ زِيادٍ بذلك ، فهَمَّ أن يُسَيِّرَه إلى يَزيدَ ، فقال شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ : لا ، إلا أن يَنْزِلَ على حُكْمِك . فأرْسَل إليه بذلك ، فقال الحسينُ : واللَّهِ لا أَفْعَلُ . وأبْطَأ عمرُ عن قِتالِه ، فأرْسَل إليه ابنُ زيادٍ شَمِرَ بنَ ذى الجَوْشَنِ فقال له : إن تَقَدَّمَ عمرُ فقاتَلَ ، وإلا فاقْتُلْه وكُنْ أنت مَكانَه . وكان مع عمرَ قريبٌ مِن ثلاثين رجلًا مِن أهلِ الكُوفةِ ، فقالوا لهم : يَعْرِضُ عليكم ابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ خِصالٍ ، فلا تَقْبَلوا منها شيئًا ؟! فتَحَوَّلوا مع الحسينِ فقاتَلُوا معه .

وقال أبو زُرْعَةَ[1] : حدَّثنا سعيدُ بنُ سُلَيمانَ ، ثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، عن حصينٍ قال : [٦/١٩٢و] أدْرَكْتُ ذاك - يعنى مَقْتَلَ الحسينِ - قال : فحدَّثنى سعدُ بنُ عُبَيْدةَ قال : فرَأَيْتُ الحسينَ وعليه جُبَّةٌ بَرودٌ[2] ، ورَماه رجلٌ يقالُ له : عمرُو بنُ خالدٍ الطُّهَوىُّ . بسهمٍ ، فنَظَرْتُ إلى السَّهْمِ مُعَلَّقًا بجُبَّتِه .

وقال ابنُ جَريرٍ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ عَمَّارٍ الرازىُّ ، حدَّثنى سعيدُ بنُ سليمانَ ، ثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، ثنا حصينٌ ، أن الحسينَ بعَث إليه أهلُ الكُوفةِ : إن معك مائةَ ألفٍ . فبعَث إليهم مسلمَ بنَ عَقِيلٍ . فذكَر قصةَ مَقْتَلِ مسلمٍ ، كما تَقَدَّم .

قال حُصَينٌ[4] : فحدَّثنى هِلالُ بنُ يِسافٍ ، أن ابنَ زِيادٍ أَمَر بأَخْذِ ما بينَ واقِصةَ إلى طريقِ الشامِ إلى طريقِ البَصْرةِ ، فلا يَدَعون أحدًا يَلِجُ ولا أحدًا يَخْرُجُ ،

---

(١) تاريخ أبى زرعة ١/ ٦٢٦، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٢١، من طريق أبى زرعة به .
(٢) البرود من الثياب : ما لم يكن دفيئا ولا لينا . تاج العروس (ب ر د) .
(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩١.
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٣٩٢ ، من طريق حصين به .

وأقْبَل الحسينُ ولا يَشْعُرُ بشيءٍ حتى أَتَى الأعْرابَ فسأَلهم عن الناسِ ، فقالوا : واللَّهِ لا نَدْرِى ، غيرَ [1]أنك لا تَسْتَطِيعُ أن تَلِجَ ولا تَخْرُجَ[1] . قال : فانْطَلَقَ يَسِيرُ نحوَ يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فتَلَقَّتْه الخُيولُ بكَرْبَلاءَ ، فنزَل يُناشِدُهم اللَّهَ والإسْلامَ . قال : وكان بعَث إليه ابنُ زِيادٍ عمرَ بنَ سعدٍ وشَمِرَ بنَ ذى الجَوْشَنِ وحُصَيْنَ بنَ نُمَيْرٍ ، فناشَدهم الحسينُ اللَّهَ والإسْلامَ أن يُسَيِّروه إلى أميرِ المؤمنين يزيدَ ، فيَضَعَ يدَه فى يدِه . فقالوا له : لا ، إلا على حُكْمِ ابنِ زِيادٍ . وكان فى جُمْلةِ مَن بعثهم إليه الحرُّ ابنُ يَزيدَ الحَنْظلىُّ ثم النَّهْشلىُّ على خَيلٍ ، فلمَّا سَمِع ما يقولُ الحسينُ قال لهم : ألا تَقْبَلون مِن هؤلاء ما يَعْرِضون عليكم ، واللَّهِ لو سَأَلكم هذا التُّرْكُ والدَّيْلَمُ ما حَلَّ لكم أن تَرُدُّوهم . فأبَوْا إلا على حُكْمِ ابنِ زِيادٍ ، فضرَب الحرُّ وَجْهَ فرسِه ، وانْطَلَق إلى الحسينِ وأصحابِه ، فظَنُّوا أنه إنما جاء ليُقاتِلَهم ، فلمَّا دَنا منهم قَلَب تُرْسَه ، وسَلَّم عليهم ، ثم كَرَّ على أصحابِ ابنِ زِيادٍ فقاتلهم ، فقَتَل منهم رجلَيْن ثم قُتِل ، رَحِمه اللَّه .

وذكر[2] أن زُهَيْرَ بنَ القَيْنِ البَجَلىَّ لَقِىَ الحسينَ ، وكان حاجًّا ، فأقْبَل معه ، وخَرَج إليه ابنُ أبى بَحْرِيَّةَ المُرادىُّ ورَجلان آخَرانِ ؛ [3]وهما عمرُو[3] بنُ الحَجَّاجِ ومَعْنٌ السلمىُّ ، [4]قال الحُصَيْنُ : وقد رأيتُهما . قال[4] : وأقْبَل الحسينُ يُكَلِّمُ مَن بعَث إليه ابنُ زِيادٍ ، وعليه جُبَّةٌ مِن بَرودٍ ، فلمَّا كَلَّمهم انْصَرف ، فرَماه رجلٌ مِن بنى تَمِيمٍ يقالُ له : عمرٌو الطُّهَوىُّ . بسهمٍ ، فإنى لَأَنْظُرُ إلى السَّهمِ بينَ كَتِفيه

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى : «أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج» .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : «وعمرو» . فعلى هذا فهم فى النسخ ثلاثة ، وفى تاريخ الطبرى خمسة .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

مُتَعَلِّقًا بجُبَّتِه ، فلمَّا أَبَوْا عليه رَجَع إلى مَصافِّه ، وإنى لَأَنْظُرُ إليهم وهم قريبٌ مِن مائةِ رجلٍ ، فيهم لصُلْبِ علىٍّ خمسةٌ ، ومِن بنى هاشمٍ ستةَ عشَرَ ، ورجلٌ مِن بنى سُلَيْمٍ حَليفٌ لهم ، ورَجلٌ مِن بنى كِنانةَ حَليفٌ لهم ، [٦/١٩٢ظ] وابنُ عَمٍّ[1] ابنِ زِيادٍ .

وقال حُصَيْنٌ[2] : وحدَّثنى سعدُ بنُ عُبَيدةَ قال : إنَّا لَمُسْتَنْقِعون فى الماءِ مع عمرَ بنِ سعدٍ ، إذ أتاه رجلٌ فسارَّه فقال له : قد بعَث إليك ابنُ زِيادٍ جُوَيْرِيةَ بنَ بدرٍ التَّميمىَّ ، وأمَره إن لم تُقاتِلِ القَومَ أن يَضْرِبَ عُنُقَك . قال : فَوَثَب إلى فرسِه فرَكِبه ، ثم دَعا بسِلاحِه فلَبِسه وإنه لَعلى فرسِه ، ونَهَض بالناسِ إليهم فقاتَلوهم ، فجِىء برأسِ الحسينِ إلى ابنِ زِيادٍ ، فوُضِع بينَ يدَيه ، فجعَل يقولُ بقَضِيبِه فى أنفِه ، ويقولُ : إن أبا عبدِ اللَّهِ قد كان شَمِط[3] . قال : وجِىءَ بنسائِه وبَناتِه وأهلِه . قال : وكان أحْسنَ شىءٍ صَنَعه أن أَمَر لهم بمَنْزِلٍ فى مكانٍ مُعْتَزِلٍ ، وأجْرَى عليهم رِزْقًا ، وأمَر لهم بنَفَقةٍ وكِسْوةٍ . قال : وانْطَلَقَ غُلامان منهم لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ - أو ابنِ ابنِ جعفرٍ - فأتَيا رجلًا مِن طَيِّئٍ فلَجآ إليه ، فضَرَب أعْناقَهما ، وجاء برأسَيْهما حتى وَضَعهما بينَ يدى ابنِ زِيادٍ . قال : فهَمَّ ابنُ زِيادٍ بضَرْبِ عُنُقِه ، وأمَر بدارِه فهُدِمت . قال : وحَدَّثنى مَوْلًى لمُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ قال : لما أُتِىَ يزيدُ برأسِ الحسينِ ، فوُضِع بينَ يديه رأيْتُه يَبْكى ويقولُ : لو كان بينَه وبينَه رَحِمٌ ما فعَل هذا . يعنى ابنَ زِيادٍ . قال الحُصَيْنُ : ولما قُتِل الحسينُ لَبِثوا

---

(١) فى تاريخ الطبرى : «عمر» .

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٣.

(٣) شمط : اختلط بياض شعره بسواده .

شهرَيْن أو ثلاثةً ، كأنما تَلَطَّخُ الحَوائِطُ بالدِّماءِ ساعةَ تَطْلُعُ الشَّمسُ حتى تَرْتَفِعَ[1] .

وقد حَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وكان عاملَ المدينةِ ومكةَ ليزيدَ ، وقد عَزَل يزيدُ عن إمْرةِ المدينةِ الوليدَ بنَ عتبةَ ، ووَلَّاها [٦/١٩٣و] عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ فى شهرِ رَمضانَ منها . وكان عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ على البَصْرَةِ والكُوفةِ[2] .

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « قال أبو مخنف : حدثنى لوذان ، حدثنى عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدثه ، فقال له : أنشدك باللَّه لما انصرفت راجعا ، فواللَّه ما بين يديك أحد يذب عنك ولا يقاتل معك ، وإنما واللَّه أنت قادم على الأسنة والسيوف ، فإن هؤلاء الذين بَعَثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء ، ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأيا ، فأما على هذه الصفة فإنى لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس يخفى علىَّ ما قلت وما رأيت ، ولكن اللَّه لا يغلب على أمره ، ثم ارتحل قاصدا الكوفة .

وقال خالد بن سعيد بن العاص :

رب مستنصح يغش ويردى وظنين بالغيب يلقى نصيحا »

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٩.

ثم دَخَلَت سنةُ إحْدَى وستّين

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ والحسينُ بنُ عليٍّ سائرٌ إلى الكوفةِ فيما بينَ مكةَ والعراقِ ، ومعه أصحابُه وقَراباتُه ، فقُتِل فى يومِ عاشوراءَ مِن شهرِ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، على المشهورِ الذى صَحَّحه الواقدىُّ وغيرُ واحدٍ ، وزعَم بعضُهم أنه قُتِل فى صَفَرٍ منها[1] . والأولُ أصَحُّ .

وهذه صفةُ مَقْتَلِه ، رضى اللَّهُ عنه ، مَأْخوذةً مِن كلامِ أئمةِ هذا الشأنِ ، لا كما يَزْعُمُه أهلُ التَّشَيُّعِ مِن الكَذِبِ [2]الصريحِ والبهتانِ[2]

قال أبو مِخْنَفٍ[3] ، عن أبى جَنابٍ ، عن عَدِىِّ بنِ حَرْمَلةَ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سُلَيْمٍ والمُنْذِرِىِّ بنِ المُشْمَعِلِّ الأسَدِيَّيْن قالا : أقْبَل الحسينُ ، فلمَّا نَزَل شَرافَ[5] قال لغِلْمانِه وقْتَ السَّحَرِ : اسْتَقُوا مِن الماءِ . فأكْثَروا ثم ساروا إلى صَدْرِ النهارِ ، فسَمِع الحسينُ رجلًا يُكَبِّرُ فقال له : مِمَّ كَبَّرْتَ ؟ فقال : رأيْتُ النَّخْلَ . فقال له الأسَدِيَّان : إن هذا المكانَ لم يَرَ أحدٌ منه نَخْلةً . فقال الحسينُ : فماذا تَرَيانه رَأَى ؟

---

(١) انظر هذه الأقوال فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر تعليق المصنف فيما يأتى صفحة ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٠٠، ٤٠١، من طريق أبى مخنف به .

(٤) بعده فى الأصل، ٦١، م : «عن عبد اللَّه بن حرملة» .

(٥) فى م : «شرف» . وانظر معجم البلدان ٣/ ٢٧٠.

فقالا : هذه الخيلُ قد أقْبَلَتْ . فقال الحسينُ : أمَا لنا مَلْجَأٌ نَجْعَلُه فى ظُهورِنا ونَسْتَقْبِلُ القومَ مِن وجهٍ واحدٍ ؟ فقالا : بلى ، ذو حُسُمٍ . فأخَذ ذاتَ اليَسارِ إلى ذى حُسُمٍ فنزَل ، وأمَر بأبْنِيَتِه فضُرِبَت ، وجاء القومُ وهم ألفُ فارسٍ مع الحُرِّ بنِ يَزيدَ التَّميمىِّ ، وهم مُقَدِّمةُ الجيشِ الذين بَعَثهم ابنُ زِيادٍ ، حتى وقَفوا فى مُقابَلَتِه فى نَحْرِ[1] الظَّهيرةِ ، والحسينُ وأصحابُه مُعْتَمُّون مُتَقَلِّدون سُيوفَهم ، فأمَر الحسينُ أصحابَه أن يَتَرَوَّوْا مِن الماءِ ويَسْقُوا خُيولَهم ، وأن يَسْقُوا خيولَ أعْدائِهم أيضًا .

ورَوَى هو وغيرُه قالوا[2] : لما دخَل وقتُ الظهرِ أمَر الحسينُ الحَجَّاجَ بنَ مَسْروقٍ الجُعْفىَّ فأذَّن ، ثم خرَج الحسينُ فى إزارٍ ورِداءٍ ونعْلَيْن ، فخطب الناسَ مِن أصحابِه وأعْدائِه واعْتَذر إليهم فى مَجيئِه هذا إلى هـٰهنا ، بأنه قد كتَب إليه أهلُ الكُوفةِ أنهم ليس لهم إمامٌ ، وإن أنت قدِمْتَ علينا بايَعْناك وقاتَلْنا معك . ثم أُقِيمت الصَّلاةُ فقال الحسينُ للحُرِّ : تُرِيدُ أن تُصَلِّىَ بأصحابِك ؟ قال : لا ، ولكن صَلِّ أنت ونُصَلِّى نحن وراءَك . فصَلَّى بهم الحسينُ ، ثم دَخَل إلى خَيْمتِه ، واجْتَمع به أصحابُه ، [٦/١٩٣ظ] وانْصَرفَ الحُرُّ إلى جيشِه ، وكلٌّ على أُهْبَتِه ، فلمَّا كان وقتُ العصرِ صَلَّى بهم الحسينُ ، ثم انْصَرف فخطَبَهم وحَثَّهم على السَّمْعِ والطاعةِ له وخَلْعِ مَن عليهم مِن الأدْعِياءِ السائِرِين بالجَوْرِ فى الرعيةِ . فقال له الحُرُّ : إنا لا نَدْرى ما هذه الكُتبُ ، ولا مَن كَتَبها . فأحْضَر الحسينُ خُرْجَيْن مَمْلوأَيْن كُتُبًا ، فنَثَرها بينَ يديه ، وقرَأ منها طائفةً ، فقال الحُرُّ : لسنا مِن هؤلاء الذين كتَبوا إليك[3] ، وقد أُمِرْنا إذا نحن لَقِيناك أن لا نُفارِقَك حتى نُقْدِمَك على

---

(١) فى م : « نحو » . ونحر الظهيرة : حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع ، كأنها وصلت إلى النحر ، وهو أعلى الصدر . اللسان (ن ح ر) .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٠١ - ٤١٤ .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « فى شىء » .

عُبيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ . فقال الحسينُ : الموتُ أدْنَى إليك[1] مِن ذلك . ثم قال الحسينُ لأصحابِه : ارْكَبوا ، فرَكِبوا ورَكِب النِّساءُ ، فلمَّا أراد الانْصِرافَ حال القومُ بينَه وبينَ الانْصِرافِ ، فقال الحسينُ للحُرِّ : ثَكِلَتْك أُمُّك ، ما تُرِيدُ ؟ فقال له الحُرُّ : أمَا واللَّهِ لو غيرُك يَقولُها لى مِن العربِ وهو على مثلِ الحالِ التى أنت عليها لأَقْتَصَّنَّ منه ، ولَمَا تَرَكْتُ ذِكْرَ أُمِّه ، ولكن لا سَبيلَ إلى ذِكْرِ أُمِّك إلا بأحْسَنِ ما نَقْدِرُ عليه . وتَقاوَل القومُ وتَراجَعوا ، فقال له الحُرُّ : إنى لم أُؤْمَرْ بقِتالِك ، وإنما أُمِرْتُ أن لا أُفارِقَك حتى أُقْدِمَك الكوفةَ على ابنِ زِيادٍ ، فإذا أبَيْتَ فخُذْ طَريقًا لا تُقْدِمُك الكوفةَ ولا تَرُدُّك إلى المدينةِ ، [2]وأَكْتُبُ أنا إلى ابنِ زِيادٍ ، واكْتُبْ أنت إلى يَزيدَ ، أو إلى ابنِ زِيادٍ[2] إن شئتَ ، فلعل اللَّهَ أن يَأْتِيَ بأمْرٍ يَرْزُقُنى فيه العافيةَ مِن أن أُبْتَلَى بشىءٍ مِن أمْرِك . قال : فأخَذ الحسينُ يَسارًا عن طريقِ العُذَيْبِ والقادسيةِ ، والحُرُّ بنُ يَزيدَ يُسايِرُه وهو يقولُ له : يا حسينُ ، إنى أُذَكِّرُك اللَّهَ فى نفسِك ، فإنى أَشْهَدُ لئن قاتَلْتَ لَتُقْتَلَنَّ ، ولئن قُوتِلْتَ لتَهْلِكَنَّ فيما أُرَى . فقال له الحسينُ : أفبالموتِ تُخَوِّفُنى ؟ ولكن أقولُ كما قال أخو الأَوْسِ لابنِ عَمِّه وقد لَقِيَه وهو يُرِيدُ نُصْرةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : أين تَذْهَبُ فإنك مَقْتولٌ ؟ فقال :

سأَمْضِى وما بالموتِ عارٌ على الفَتَى ... إذا ما نَوَى حَقًّا وجاهَد مُسْلِمَا
وآسَى الرجالَ الصالِحِين بنفسِه ... [3]وفارَقَ خوفًا أن يَعِيشَ ويُرْغَمَا[3]

ويُرْوَى على صفةٍ أخرى[4] :

---

(١) سقط من : م . وفى ص : « إلى » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « واكتب أنت إلى من تريد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد » ، وفى ا ٦ ، م : « واكتب أنت إلى يزيد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد » .

(٣ - ٣) فى تاريخ الطبرى : « وفارق مثبورًا يَغُشُّ ويُرْغِمَا » .

(٤) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٣٨٢، والكامل ٤/ ٤٩، مع بعض اختلاف عما هنا .

سأمْضِى وما بالموتِ عارٌ على امْرِئٍ إذا ما نَوَى حَقًّا ولم يُلْفَ مُجْرِمَا
فإن مِتُّ لم أَنْدَمْ وإن عِشْتُ لم أُلَمْ كَفَى بك موتًا أن تُذَلَّ وتُرْغَمَا

[٦/١٩٤و] فلمَّا سَمِع ذلك الحُرُّ منه تَنَحَّى عنه وجَعَل يَسِيرُ بأصحابِه ناحيةً عنه، فانْتَهَوْا إلى عُذَيْبِ الهِجَاناتِ، (١) وكان بها هجائنُ النُّعمانِ تَرْعَى هنالك (١)، وإذا سَفْرٌ أربعةٌ - أى أرْبعةُ نَفَرٍ - قد أقْبَلوا مِن الكوفةِ على رَواحِلِهم يَخُبُّون ويَجْنُبون فرسًا لنافعِ بنِ هلالٍ يُقالُ له: الكاملُ. يَقْصِدون الحسينَ، ودَليلُهم رجلٌ يقالُ له: الطِّرِمَّاحُ بنُ عدىٍّ. راكبٌ على فرسٍ وهو يقولُ:

يا ناقتى لا تُذْعَرِى مِن زَجْرِى وشَمِّرى قبلَ طُلوعِ الفَجْرِ
بخيرِ رُكْبانٍ وخيرِ سَفْرِ حتى تَحَلِّى بكَريمِ النَّجْرِ
الماجدِ الحُرِّ رَحِيبِ الصَّدْرِ أَتَى به اللَّهُ لخيرِ أمْرِ
ثُمَّتَ أبقاهُ بقاءَ الدَّهْرِ

فأراد الحُرُّ أن يَحُولَ بينَهم وبينَ الحسينِ، فمنَعه الحسينُ مِن ذلك، فلمَّا خَلَصوا إليه قال لهم: أخْبِرونى عن الناسِ وراءَكم. فقال له مُجَمِّعُ بنُ عبدِ اللَّهِ العائذىُّ (٢) أحدُ النَّفَرِ الأربعةِ: أمَّا أشْرافُ الناسِ فهم أَلْبٌ واحدٌ عليك (٣)؛ لأنهم قد عُظِّمَت رِشْوتُهم ومُلِئت غَرائرُهم (٤)، يُسْتَمالُ بذلك وُدُّهم ويُسْتَخْلَصُ به نَصِيحتُهم، وأما سائرُ الناسِ فأفْئِدتُهم تَهْوِى إليك، وسُيوفُهم غدًا مَشْهورةٌ عليك. قال لهم: فهل لكم برسولى عِلْمٌ؟ قالوا: ومَن رَسولُك؟ قال: قيسُ بنُ

(١ - ١) سقط من: م، ص.
(٢) فى الأصل، ا ٦، م: «العامرى»، وفى ص: «العابدى». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر أنساب الأشراف، والكامل.
(٣) الألب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان. يقال: هم عليه ألبٌ واحد. انظر الوسيط (أ ل ب).
(٤) الغرائر: جمع غِرارة، وهى وعاء من الخَيْشِ ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. انظر الوسيط (غ ر ر).

مُسْهِرِ الصَّيْداوىُّ . قالوا : نعم ، أخَذه الحُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ ، فبعَث به إلى ابنِ زِيادٍ ، فأمَره ابنُ زِيادٍ أن يَلْعَنَك ويَلْعَنَ أباك ، فصَلَّى عليك وعلى أبيك ، ولَعَن ابنَ زِيادٍ وأباه ، ودَعا الناسَ إلى نُصْرتِك وأَخْبَرهم بقُدومِك ، فأُمِر به ، فأُلْقِىَ مِن رأسِ القَصْرِ فمات . فتَرَقْرَقَتْ عَينا الحسينِ ، وقَرَأ قولَه تعالى[1] : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . اللهم اجْعَلْ مَنازِلَهم الجنةَ ، واجْمَعْ بيننا وبينَهم فى مُسْتَقَرٍّ مِن رحمتِك ، ورَغائِبِ مَذْخورِ ثَوابِك . ثم إن الطِّرِمَّاحَ بنَ عَدِىٍّ قال للحسينِ : أنْظُرْ فما أَرَى معك أحدًا إلا هذه الشِّرْذِمةَ اليَسِيرةَ ، وإنى لأَرَى هؤلاء القومَ الذين يُسايِرونك أَكْفاءً لمن معك ، فكيف وظاهرُ الكوفةِ مَملوءٌ بالخُيولِ والجُيوشِ يُعْرَضون ليَقْصِدوك ؟! فأَنْشُدُك اللَّهَ إن قَدَرْتَ أن لا تُقْدِمَ إليهم شِبْرًا إلَّا فَعَلْتَ ، فإن أرَدْتَ أن تَنْزِلَ بلدًا يَمْنَعُك اللَّهُ به [2] حتى ترى رأْيَك ، فسِرْ معى حتى أُنْزِلَك مناعَ جبلِنا ، وهو أَجَأُ مَنَعَنا اللَّهُ به [2] [٦/١٩٤ظ] مِن مُلوكِ غَسَّانَ وحِمْيَرَ ، ومِن النُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ ، ومِن الأسْودِ والأحْمرِ ، واللَّهِ إن دَخَل علينا ذُلٌّ قَطُّ ؛ فأَسِيرُ معك حتى أُنْزِلَكَ القُرَيَّةَ[3] ، ثم نَبْعَثُ إلى الرجالِ مِن أَجَأَ وسَلْمَى مِن طَيِّئٍ ، ثم أَقِمْ فينا ما بدا لك ، فأنا زَعيمٌ [4] بعشَرةِ آلافِ طائِىٍّ [4] يَضْرِبون بينَ يَدَيْك بأسْيافِهم ، واللَّهِ لا يُوصَلُ إليك أبدًا ومنهم عينٌ تَطْرِفُ . فقال له الحسينُ : جَزاك اللَّهُ خيرًا . ولم يَرْجِعْ عمَّا هو بصَدَدِه ، فودَّعه الطِّرِمَّاحُ ، ومَضَى الحسينُ ، فلمَّا كان مِن الليلِ أمَر فِتْيانَه أن يَسْتَقوا مِن الماءِ كِفايتَهم ، ثم سَرَى ، فنَعَس فى مَسيرِه حتى خَفَق برأسِه ،

---

(١) التفسير ٦/٣٩٣ - ٣٩٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) القُرَيَّة ، تصغير قرية : مكان فى جَبلَىْ طَيِّئ مشهور . انظر معجم البلدان ٤/ ٨٤، ٨٥.

(٤ - ٤) فى تاريخ الطبرى ، والكامل ٤/ ٥٠: « بعشرين ألف طائى » .

واسْتَيْقَظ وهو يقولُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين . ثم قال : رأيْتُ فارسًا على فرسٍ وهو يقولُ : القومُ يَسِيرون والمَنايا تَسْرِى إليهم . فعَلِمْتُ أنها أنْفُسُنا نُعِيَت إلينا . فلمَّا طَلَع الفجرُ صَلَّى بأصحابِه وعَجَّل الرُّكوبَ ، ثم تَياسَر فى مَسِيرِه حتى انْتَهَى إلى نِينَوَى ، فإذا راكبٌ مُتَنَكِّبٌ قوسًا قد قَدِم مِن الكوفةِ ، فسَلَّم على الحُرِّ بنِ يزيدَ ، ولم يُسَلِّمْ على الحسينِ ، ودَفَع إلى الحُرِّ كتابًا مِن ابنِ زِيادٍ ، ومَضْمونُه أن يَعْدِلَ بالحسينِ فى السَّيْرِ إلى العراقِ فى غيرِ قريةٍ ولا حِصْنٍ ، حتى تَأْتِيَه رسلُه وجنودُه ، وذلك يومَ الخميسِ الثانىَ مِن المُحَرَّمِ سنةَ إحدى وسِتِّين ، فلمَّا كان مِن الغدِ قَدِم عمرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ فى أربعةِ آلافٍ ، وكان قد جَهَّزه ابنُ زِيادٍ فى هؤلاء إلى الدَّيْلَم ، وخيَّم بظاهرِ الكوفةِ ، فلمَّا قَدِمَ عليهم أَمْرُ الحسينِ قال له : سِرْ إليه ، فإذا فَرَغْتَ منه فسِرْ إلى الدَّيْلَم . فاسْتَعْفاه عمرُ بنُ سعدٍ مِن ذلك . فقال له ابنُ زِيادٍ : إن شئتَ أَعْفَيْتُك وعَزَلْتُك عن وِلايةِ هذه البِلادِ التى قد اسْتَنَبْتُك عليها . فقال : حتى أَنْظُرَ فى أمْرى . فجعَل لا يَسْتَشِيرُ أحدًا إلا نَهاه عن المَسِيرِ إلى الحسينِ ، حتى قال له ابنُ أختِه حمزةُ بنُ المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ : إياك أن تَسِيرَ إلى الحسينِ فتَعْصِىَ ربَّك وتُقَطِّعَ رَحِمَك ، فواللَّهِ لَأَنْ تَخْرُجَ مِن سُلْطانِ الأرضِ كلِّها أَحَبُّ إليك مِن أن تَلْقَى اللَّهَ بدمِ الحسينِ . فقال : إنى أَفْعَلُ إن شاء اللَّهُ تعالى . ثم إن عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ تَهَدَّده وتَوَعَّده بالعَزْلِ والقَتْلِ ، فسار إلى الحسينِ ، فنازَله فى المكانِ الذى ذَكَرْنا ، ثم بَعَث إلى الحسينِ الرُّسُلَ : ما الذى أَقْدَمَك ؟ فقال : كتَب إلىَّ أهلُ الكوفةِ أن أَقدَمَ عليهم ، فإذ قد كَرِهونى فأنا أَرْجِعُ إلى مَكةَ وأَذَرُكم . فلمَّا بلَغ عمرَ بنَ سعدٍ هذا قال : أَرْجُو أن يُعافِيَنى اللَّهُ مِن حربِه. [٦/١٩٥و] وكتَب إلى ابنِ زِيادٍ بذلك ، فرَدَّ عليه ابنُ زِيادٍ أن حُلْ بينَهم وبينَ الماءِ ، كما فُعِل بالتَّقِىِّ الزَّكِىِّ

المَظْلومِ أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عَفانَ ، واعْرِضْ على الحسينِ أن يُبايعَ هو ومَن معه لأميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فإذا فعَلوا ذلك رَأَيْنا رَأْيَنا . وجعَل أصحابُ عمرَ ابنِ سعدٍ يَمْنَعون أصحابَ الحسينِ مِن الماءِ ، وعلى سَرِيةٍ منهم عمرُو بنُ الحَجَّاجِ ، فدَعا عليه الحسينُ بالعَطَشِ[1] ، فمات هذا الرجلُ مِن شدةِ العَطَشِ . ثم إن الحسينَ طَلَب مِن عمرَ بنِ سعدٍ أن يَجْتَمِعَ به بينَ العَسْكَرَيْن ، فجاء كلُّ واحدٍ منهما فى نحوٍ مِن عشرين فارسًا ، فتَكَلَّما طويلًا حتى ذهَب هَزِيعٌ مِن الليلِ ، ولم يَدْرِ أحدٌ ما قالا ، ولكن ظَنَّ بعضُ الناسِ أنه سَأَله أن يَذْهَبَ معه إلى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ[2] ويَتْرُكا العَسْكَرَين مُتواقِفَيْن ، فقال عمرُ : إذن يَهْدِمَ ابنُ زِيادٍ دارى . فقال الحسينُ : أنا أَبْنيها لك[3] . قال : إذن يَأْخُذَ ضِياعى . قال : أنا أُعْطِيك خيرًا منها مِن مالى بالحِجازِ . قال : فتَكَرَّهَ عمرُ بنُ سعدٍ مِن ذلك . وقال بعضُهم : بل سأَل منه إما أن يَذْهَبا إلى يَزيدَ ، أو يَتْرُكَه يَرْجِعُ إلى الحِجازِ ، أو يَذْهَبَ إلى بعضِ الثُّغورِ فيُقاتِلَ التُّرْكَ . فكتَب عمرُ إلى عُبَيدِ اللَّهِ بذلك ، فقال : نعم ، قد قَبِلْتُ . فقام شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ فقال : لا واللَّهِ حتى يَنْزِلَ على حُكْمِك هو وأصحابُه . ثم قال : واللَّهِ لقد بَلَغنى أن حسينًا وعُمرَ بنَ سعدٍ يَجْلِسان بينَ العَسْكَرَيْن فيَتَحَدَّثان عامَّةَ الليلِ . فقال له ابنُ زِيادٍ : فنِعْمَ ما رأَيْتَ . وقد روَى أبو مِخْنَفٍ[4] : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ جُنْدُبٍ ، عن عُقْبَةَ بنِ سِمْعانَ قال : لقد صَحِبْتُ الحسينَ مِن مكةَ إلى حينَ قُتِل ، واللَّهِ ما مِن كلمةٍ قالها فى مَوْطِنٍ

---

(١) سقط من : م . وفى تاريخ الطبرى أن الحسين إنما دعا على عبد اللَّه بن أبى حصين الأزدى - وعداده فى بجيلة كما عند الطبرى - وليس على عمرو بن الحجاج .

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « إلى الشام » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « أحسن مما كانت » .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٤١٣ - ٤٢٠ ، من طريق أبى مخنف بهذا الإسناد وبأسانيد أُخَر .

إلَّاوقد سَمِعْتُها ، وإنه لم يَسْأَلْ أن يَذْهَبَ إلى يزيدَ فيَضَعَ يدَه فى يدِه ، ولا أنْ يَذْهَبَ إلى ثَغْرٍ مِن الثُّغورِ ، ولكن طلَب منهم أحدَ أَمْرَيْن ؛ إما أن يَرْجِعَ مِن حيث جاء ، وإمَّا أن يَدَعُوه يَذْهَبُ فى الأرضِ العَرِيضةِ حتى يَنْظُرَ ما يَصِيرُ أمْرُ الناسِ إليه . ثم إن عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ بَعَث شَمِرَ بنَ ذى الجَوْشَنِ فقال : اذْهَبْ فإن جاء حسينٌ وأصحابُه على حُكْمى ، وإلَّا فمُرْ عمرَ بنَ سعدٍ أن يُقاتِلَهم ، فإن تَباطَأ عن ذلك فاضْرِبْ عُنُقَه ، ثُم أنت الأمِيرُ على الناسِ . وكَتَب إلى عمرَ بنِ سعدٍ يَتَهَدَّدُه على تَوانِيه فى قِتالِ الحسينِ ، وأمَرَه إن لم يَجِئِ الحُسينُ إليه أن يُقاتِلَه ومَن معه ، فإنهم مُشاقُّون . فاسْتَأْمَن عبدُ اللَّهِ بنُ أبى المحُلِّ لبنى عَمَّتِه أمِّ [٦/١٩٥ظ] البَنِينَ بنتِ حِزامٍ[1] مِن علىٍّ ؛ وهم العباسُ وعبدُ اللَّهِ وجعفرٌ وعثمانُ . فكَتَب لهم ابنُ زِيادٍ كتابَ أمانٍ ، وبعَثه عبدُ اللَّهِ بنُ أبى المحُلِّ مع مَوْلًى له يقالُ له : كُرْمانُ . فلمَّا بَلَغهم ذلك قالوا : أمَّا أمانُ ابنِ سُمَيَّةَ فلا نُرِيدُه ، وإنا لَنَرْجوا أمانًا خيرًا مِن أمانِ ابنِ سُمَيَّةَ . ولَمَّا قَدِم شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ على عمرَ بنِ سعدٍ بكِتابِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ قال له عمرُ : أبْعَدَ اللَّهُ دارَك ، وقَبَّح ما جئْتَ به ، واللَّهِ إنى لَأَظُنُّك الذى صَرَفْتَه عن الذى عَرَضْتُ عليه مِن الأمورِ الثلاثةِ التى طَلَبها الحسينُ . فقال له شَمِرٌ : فأخْبِرْنى ما أنت صانعٌ ؛ أتُقاتِلُهم أنت أو تاركى وإياهم ؟ فقال له عمرُ : لا ، ولا كَرامةَ لك ، أنا أَتَوَلَّى ذلك . وجَعَله على الرَّجَّالةِ ،ونَهَضوا إليهم عَشِيَّةَ يومِ الخَميسِ التاسعَ مِن المحَرَّمِ ، فقام شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ فقال : أين بنو أُخْتِنا ؟ فقام إليه العباسُ وعبدُ اللَّهِ وجعفرٌ وعثمانُ بنو علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فقال : أنتم آمِنون . فقالوا : إن أَمَّنْتَنا وابنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإلَّا فلا حاجةَ لنا بأمانِك . قال : ثُم نادَى عمرُ بنُ سعدٍ فى الجيشِ : يا خيلَ اللَّهِ ارْكبِى وأبْشِرى . فرَكِبوا وزَحَفوا

---

(١) فى النسخ : « حرام » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٥.

إليهم بعدَ صلاةِ العصرِ مِن يومِئذٍ، هذا وحسينٌ جالسٌ أمامَ خَيْمتِه مُحْتَبِيًا بسيفِه، ونَعَس فخَفقَ برأسِه، وسَمِعَت أختُه زينبُ[1] الضَّجَّةَ فدَنَتْ منه فأيْقَظَتْه، فرَجَع برأسِه كما هو، وقال: إنى رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ، فقال لى: «إنك تَروحُ إلينا». فلَطَمَتْ وجْهَها، وقالت: يا وَيْلَتا. فقال: ليس لكِ الويلُ يا أُخَيَّةُ، اسْكُنى رَحِمَكِ الرحمنُ. وقال له أخوه العباسُ بنُ علىٍّ: يا أخى، جاءك القومُ. فقال: اذْهَبْ إليهم فسَلْهم ما بَدا لهم. فذَهَب إليهم فى نحوٍ مِن عشرين فارسًا فقال: ما لكم؟ فقالوا: جاء أمْرُ الأميرِ؛ إمَّا أن تَأْتُوا على حُكْمِه، وإمَّا أن نُقاتِلَكم. فقال: مَكانَكم حتى أَذْهَبَ إلى أبى عبدِ اللَّهِ فأُعْلِمَه. فرجَع ووَقَف أصحابُه، فجعَلوا يَتَراجَعون القَولَ ويُؤَنِّبُ بعضُهم بعضًا، يقولُ أصحابُ الحسينِ: بِئْس القومُ أنتم، تُرِيدون قَتْلَ ذُرِّيَّةِ نبيِّكم ﷺ وخِيارِ الناسِ فى زَمانِهم؟! ثم رَجَع العباسُ بنُ علىٍّ مِن عندِ الحسينِ إليهم، فقال لهم: يقولُ لكم أبو عبدِ اللَّهِ: انْصَرِفوا عَشِيَّتَكم هـذه حتى يَنْظُرَ فى أمْرِه الليلةَ. فقال عمرُ ابنُ سعدٍ [٦/١٩٦و] لشَمِرِ بنِ ذى الجَوْشَنِ: ما تقولُ؟ فقال: أنت الأميرُ والرَّأْىُ رأيُك. فقال عمرُو بنُ الحَجَّاجِ بنِ سَلَمَةَ الزُّبَيْدىُّ: سبحانَ اللَّهِ! واللَّهِ لو سَأَلكم ذلك رجلٌ مِن الدَّيْلَمِ لكانَ يَنْبَغى إجابتُه.[2] وقال قيسُ بنُ الأشْعَثِ: أَجِبْهم إلى ما سَأَلوك، فلَعَمْرِى لَيُصَبِّحُنَّك بالقِتالِ غُدْوةً. وهكذا جَرَى الأمْرُ، فإن الحسينَ لمَّا رَجَع العباسُ قال له: ارْجِعْ فارْدُدْهم هذه العَشِيَّةَ، لَعَلَّنا نُصَلِّى لربِّنا هذه الليلةَ ونَدْعُوه ونَسْتَغْفِرُه، فقد عَلِم اللَّهُ منى أنى أُحِبُّ الصَّلاةَ له، وتِلاوةَ كِتابِه، والاسْتِغْفارَ والدُّعاءَ. وأَوْصَى الحسينُ فى هذه الليلةِ إلى أهلِه، وخَطَب[2]

---

(١) سقط من: الأصل، ٦١، م.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(١) أصحابَه فى أولِ الليلِ ، فحمِد اللَّهَ تعالى وأثْنَى عليه ، وصَلَّى على رسولِه ﷺ بعِبارةٍ فَصِيحةٍ بَليغةٍ ، وقال لأصْحابِه : مَن أحَبَّ أن يَنْصَرِفَ إلى أهلِه فى ليلتِه هذه ، فقد أَذِنْتُ له ، فإن القومَ إنَّما يُرِيدُوننى . فقال مالكُ بنُ النَّضْرِ : علىَّ دَيْنٌ ولى عِيالٌ . فقال : هذا الليلُ قد غَشِيَكم فاتَّخِذوه جَمَلًا ، لِيأْخُذْ كلُّ رَجُلٍ منكم بيدِ رجلٍ مِن أهلِ بيتى ، ثم اذْهَبوا فى بَسِيطِ الأرضِ فى سَوادِ هذا الليلِ إلى بلادِكم ومَدائِنِكم ، فإن القومَ إنما يُرِيدُوننى ، فلو قد أصابونى لَهَوْا عن طَلَبِ غيرى ، فاذْهَبوا حتى يُفَرِّجَ اللَّهُ عز وجل . فقال له إخْوتُه وأبْناؤُه وبنو أخيه : لا بَقاءَ لنا بعدَك ، ولا أَرانا اللَّهُ فيك ما نَكْرَهُ . فقال الحسينُ : يا بنى عَقِيلٍ ، حسبُكم بمسلمٍ أخيكم ، اذْهَبوا فقد أَذِنْتُ لكم . قالوا : فما يَقولُ الناسُ ! أنَّا تَرَكْنا شيخَنا وسَيِّدَنا وبنى عُمُومَتِنا خيرَ الأعْمامِ ، لم نَرْمِ معهم بسهمٍ ، ولم نَطعُنْ معهم برُمْحٍ ، ولم نَضْرِبْ معهم بسيفٍ ، رَغْبةً فى الحياةِ الدنيا ؟! لا واللَّهِ لا نَفْعَلُ ، ولكنْ نَفْدِيك بأنفسِنا وأموالِنا وأهْلِينا ، ونُقاتِلُ معك حتى نَرِدَ مَوْرِدَك ، فقَبَّح اللَّهُ العيشَ بعدَك . وقال نحوَ ذلك مسلمُ بنُ عَوْسَجةَ الأسَدىُّ ، وكذلك قال سعيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَنَفىُّ : واللَّهِ لا نُخَلِّيك حتى يَعْلَمَ اللَّهُ أنَّا قد حَفِظْنا غَيْبةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيك ، واللَّهِ لو عَلِمْتُ أنى أُقْتَلُ دونَك ألفَ قَتْلَةٍ ، وأن اللَّهَ يَدْفَعُ بذلك القَتْلَ عنك وعن أنْفُسِ هؤلاء الفِتْيةِ مِن أهلِ بيتِك ، لَأَحْبَبْتُ ذلك ، فكيف(٢) وإنما هى قَتْلةٌ واحدةٌ . وتَكَلَّم جَماعةُ أصحابِه بكلامٍ يُشْبِهُ بعضُه بعضًا مِن [٦/١٩٦ظ] وجهٍ واحدٍ ، فقالوا : واللَّهِ لا نُفارِقُك ، وأنْفُسُنا الفِداءُ لك ، نَقِيك بنُحُورِنا وجِباهِنا ، وأيدينا وأَبْدانِنا ، فإذا نحن قُتِلْنا وَفَّيْنا وقَضَيْنا ما علينا(١) . وقال

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : م .

أخوه العباسُ : لا أَرانا اللَّهُ يومَ فَقْدِك ، ولا حاجةَ لنا فى الحياةِ بعدَك . وتَتابَع أصحابُه على ذلك .

وقال أبو مِخْنَفٍ[1] : حدَّثنى الحارثُ بنُ كعبٍ وأبو الضَّحَّاكِ ، عن علىِّ ابنِ الحسينِ زَيْنِ العابدِين قال : إنى لجَالسٌ تلك العَشِيةَ التى قُتِل أبى فى صَبِيحتِها ،وعَمَّتى زينبُ تُمَرِّضُنى ، إذ اعْتَزَل أبى فى خِبائِه ، ومعه أصحابُه ، وعندَه حُوَىٌّ مَوْلى أبى ذَرٍّ الغِفارِىِّ ، وهو يُعالِجُ سيفَه ويُصْلِحُه ، وأبى يقولُ :

يا دَهْرُ أُفٍّ لك مِن خَليلِ ... كم لكَ بالإشْراقِ والأصِيلِ
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قَتِيلِ ... والدَّهْرُ لا يَقْنَعُ بالبَدِيلِ
وإنَّما الأمْرُ إلى الجَليلِ ... وكلُّ حَىٍّ سالكُ السبيلِ

قال : فأعادها مرتَيْن أو ثلاثًا ، ففَهِمْتُ ما أراد ، فخَنَقَتْنى العَبْرةُ ، فرَدَدْتُها[2] ولَزِمْتُ السُّكوتَ ، و عَلِمْتُ أن البَلاءَ قد نَزَل ، وأمَّا عَمَّتى فقامت حاسِرةً حتى انْتَهَت إليه ، فقالت : واثُكْلاه ، ليت الموتَ أعْدَمَنى الحياةَ اليومَ ، ماتَتْ أمى فاطمةُ ، وعلىٌّ أبى ، وحسنٌ أخى ، يا خَليفةَ الماضى وثِمالَ الباقى[3] . فنظَر إليها وقال : يا أُخَيَّةُ ، لا يُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشَّيطانُ . فقالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبدِ اللَّهِ ، اسْتُقْتِلْتَ . ولَطَمَتْ وجهَها ، وشَقَّتْ جَيْبَها ، وخَرَّتْ مَغْشِيًّا عليها ، فقام إليها فصَبَّ على وجهِها الماءَ ، وقال : يا أُخَيَّةُ ، اتَّقِى اللَّهَ وتَعَزَّىْ بعَزاءِ اللَّهِ ، واعْلَمى أنَّ أهلَ الأرضِ يَموتون ، وأن أهلَ السماءِ لا يَبْقَون ، وأن كلَّ شىءٍ هالكٌ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٤٢٠ - ٤٢٩، من طريق أبى مخنف بهذا الإسناد وبأسانيد أُخَر .

(٢) أى العبرة . وعبارة الطبرى : « فرددت دمعى » .

(٣) الثمال: العِماد والغِياث . اللسان (ث م ل) .

إلَّا وجْهَ اللَّهِ الذى خَلَق الخَلْقَ بقُدْرَتِه ، ويُمِيتُهم بقَهْرِه وعِزَّتِه ، ويُعِيدُهم فيَعُودُون ، وهو فَرْدٌ وحدَه ، واعْلَمى أن أبى خيرٌ منى ، وأمى خيرٌ منى ، وأخى خيرٌ منى ، ولى ولهم ولكلِّ مسلمٍ برسولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوةٌ حَسَنةٌ . ثُم حَرَّج عليها ألَّا تَفْعَلَ شيئًا مِن هذا بعدَ مَهْلِكِه ، ثم أخَذ بيدِها فرَدَّها إلى عندى ، ثُم خرَج إلى أصحابِه فأمَرهم أن يُقَرِّبوا بُيوتَهم بعضَها مِن بعضٍ ، حتى تَدْخُلَ الأطْنابُ بعضُها فى بعضٍ ، وألَّا يَجْعَلوا للعدوِّ مَخْلَصًا إليهم إلَّا مِن وجهٍ واحدٍ ، وتَكونَ البُيوتُ عن أيمانِهم وعن شَمائِلهم ومِن ورائِهم .

وبات الحسينُ وأصحابُه طُولَ ليلِهم يُصَلُّون ويَسْتَغْفِرون ويَدْعُون ويَتَضَرَّعون ، وخُيولُ حَرَسِ عدوِّهم تَدورُ مِن ورائِهم ، عليها عَزْرَةُ بنُ قيسٍ الأَحْمَسِيُّ [٦/١٩٧و] (١) والحسينُ يَقْرَأُ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٨، ١٧٩] . فسَمِعها رجلٌ مِن تلك الخيلِ التى كانت تَحْرُسُ مِن أصحابِ ابنِ زِيادٍ ، فقال : نحن ورَبِّ الكَعْبةِ الطَّيِّبون ، مَيَّزَنا اللَّهُ منكم . قال : فَعَرَفْتُه ، فقلتُ (٢) لبُرَيرِ بنِ خُضَيرٍ (٢) : أتَدْرى مَن هذا ؟ قال : لا . فقلتُ : هذا أبو حربٍ السَّبيعىُّ (٣) عبدُ اللَّهِ بنُ شهرٍ (٣) ، وكان مِضْحاكًا بَطَّالًا ، وكان شَرِيفًا شُجاعًا فاتِكًا ، وكان سعيدُ بنُ قيسٍ ربما حَبَسه فى جِنايَةٍ (٤) . فقال له بُرَيرُ بنُ خُضَيرٍ : (١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لزيد بن حين » ، وفى ٦١ : « لزيد بن حصين » ، وفى م : « لزيد بن حضير » . وفى تاريخ الطبرى : « برير بن حضير » . والمثبت من المؤتلف والمختلف للدارقطنى ١/ ١٨٦، ٢/ ٥٥٧، والإكمال ٢/ ٢٥٧.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١، م : « عبيد الله بن شمير » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأصل ، م : « خبائه » .

(١) يا فاسقُ ، متى كنتَ مِن الطَّيِّبين ؟! فقال : مَن أنت ، ويَلَك ؟! قال : أنا بُرَيرُ بنُ خُضَيرٍ . قال : إنا للَّهِ ، هَلَكْتَ واللَّهِ ، عَزَّ واللَّهِ عليَّ يا بُرَيرُ قَتْلُك . قال : فقلتُ له : يا أبا حربٍ ، هل لك أن تَتوبَ إلى اللَّهِ مِن ذُنوبِك العِظامِ ؟ فواللَّهِ إنَّا لَنحن الطَّيِّبون وإنَّكم لأنتم الخَبِيثون . قال : نعم ، وأنا على ذلك مِن الشاهدِين . قال : وَيْحَك ! أفلا تَنْفَعُك مَعْرِفتُك ؟! قال : (٢) فانْتَهَره عَزْرَةُ بنُ قيسٍ أميرُ السَّرِيَّةِ التى تَحْرُسُنا (٢) ، فانْصَرَف عنا (١) . قال (٣) : فلمَّا صَلَّى عمرُ بنُ سعدٍ الصُّبحَ بأصحابِه يومَ الجُمُعةِ ، وقيل : يومَ السبتِ - وكان يومَ عاشوراءَ - انْتَصَب للقِتالِ ، وصَلَّى الحُسَينُ أيضًا بأصحابِه ، وهم اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلًا ، ثم انْصَرف فصَفَّهم ، فجعَل على مَيْمَنتِه زُهَيرَ بنَ القَيْنِ ، وعلى المَيْسَرةِ حَبيبَ بنَ مُظَهِّرٍ (٤) ، وأَعْطَى رايتَه العباسَ بنَ عليٍّ أخاه ، وجَعَلوا البُيوتَ بما فيها مِن الحُرَمِ وراءَ ظُهورِهم ، وقد أمَر الحسينُ مِن الليلِ ، فحفَروا وراءَ بيوتِهم خَنْدَقًا ، وقَذَفوا فيه حَطَبًا وخَشَبًا وقَصَبًا ، ثم أُضْرِمَت فيه النارُ ؛ لِئَلَّا يَخْلُصَ أحدٌ إلى بُيوتِهم مِن ورائِها . وجعلَ عمرُ بنُ سعدٍ على مَيْمَنتِه عمرَو بنَ الحَجَّاجِ الزُّبَيْدىَّ ، وعلى المَيْسَرةِ شَمِرَ بنَ ذى الجَوْشَنِ - (٥) واسمُ ذى الجَوْشَنِ (٥) شُرَحْبِيلُ بنُ الأعْورِ بنِ عمرٍو (٦) بنِ مُعاويةَ (٧) وهو (٧) الضِّبابُ بنُ كِلابٍ - وعلى الخيلِ عَزْرَةَ بنَ قيسٍ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م . ليست فى تاريخ الطبرى .

(٣) فى النسخ : « قالوا » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى النسخ هنا وفيما سيأتى : « المطهر » ، وفى تاريخ الطبرى : « مظاهر » . والمثبت من المؤتلف والمختلف ٤/ ٢٠٥٥ ، والإكمال ٧/ ٢٦٢ ، وتبصير المنتبه ٤/ ١٢٩٦ .

(٥ - ٥) فى تاريخ الطبرى : « بن » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٧ . وترجمة ذى الجوشن فى الاستيعاب ٢/ ٤٦٧ ، وأسد الغابة ٢/ ١٧١ ، والإصابة ٢/ ٤١٠ .

(٦) فى تاريخ الطبرى : « عمر » . وانظر المصدر السابق .

(٧ - ٧) فى النسخ : « من بنى » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر المصادر السابقة .

الأحْمَسِيَّ ، وعلى الرَّجَّالةِ شَبَثَ بنَ رِبْعِيٍّ ، وأعْطَى الرايةَ ذُوَيْدًا[1] مَوْلاه ، وتَواقَف الناسُ فى ذلك المَوْضِعِ ، فعدَل الحسينُ إلى خَيْمةٍ قد نُصِبَت له ، فاغْتَسل فيها ، واطَّلَى بالنُّورَةِ ، وتَطَيَّب بمِسْكٍ كثيرٍ ، ودَخل بعدَه بعضُ الأُمراءِ ، ففَعَلوا كما فَعَل ، فقال بعضُهم لبعضٍ : ما هذا فى هذه الساعةِ ؟! فقال [2] بعضُهم : [٦/ ١٩٧ظ] دَعْنا منك ، واللَّهِ ما هذه بساعةِ باطلٍ . فقال بُرَيْرُ بنُ خُضَيرٍ : واللَّهِ لقد عَلِم قومى أنى ما أَحْبَبْتُ الباطلَ شابًّا ولا كَهْلًا ، ولكن واللَّهِ إنى لمُسْتَبْشِرٌ بما نحن لاقُون[2] ، واللَّهِ ما بيننا وبينَ الحُورِ العِينِ إلَّا أن يَميلَ علينا هؤلاء فيَقْتُلونا . ثُم رَكِب الحسينُ على فرسِه ، وأخَذ مُصْحَفًا فوضَعه بينَ يديه ، ثُم اسْتَقْبَل القومَ رافعًا يديه يَدْعو بما تقَدَّم ذِكْرُه[3] : اللَّهُمَّ أنت ثِقَتى فى كلِّ كَرْبٍ ، ورَجائى فى كلِّ شِدَّةٍ . إلى آخِرِه . وأرْكَب ابنَه علىَّ بنَ الحُسينِ - وكان ضَعِيفًا مَرِيضًا - فرسًا يقالُ له : لاحِقٌ[4] . ونادَى الحسينُ : أيُّها الناسُ ، اسْمَعوا منى نَصِيحةً أَقولُها لكم . فأَنْصَت الناسُ كلُّهم ، فقال بعدَ حَمْدِ اللَّهِ والثَّناءِ عليه : أيُّها الناسُ ، إن قَبِلْتُم منى وأَنْصَفْتُمونى ، كنتم بذلك أسْعَدَ ، ولم يَكُنْ لكم علىَّ سَبيلٌ ، وإن لم تَقْبَلوا منى ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] ، ﴿ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الأعراف : ١٩٦] . فلمَّا سَمِع ذلك أَخَواتُه وبَناتُه ارْتَفَعَتْ أصْواتُهن بالبُكاءِ ، فقال عندَ ذلك : لا يَبْعَدُ ابنُ عَباسٍ . يعنى حينَ أشار عليه ألَّا يَخْرُجَ بالنِّساءِ معه ، ويَدَعَهُنَّ بمكةَ إلى أن يَنْتَظِمَ له الأمْرُ . ثم بعَث أخاه العباسَ [5] وابنَه عليًّا[5] فسَكَّتاهن ، ثم شَرَع يَذْكُرُ للناسِ فَضْلَه وعَظَمَةَ نَسَبِه ، وعُلُوَّ قَدْرِه ،

---

(١) فى الأصل ، ٦١، م : «لوردان» ، وفى ص : «رويدا» . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢ - ٢) فى ص : «قائل ويحكم» .
(٣) تقدم فى صفحة ٥١٦.
(٤) فى م : «الأحمق» .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

وشَرَفه ، ويقولُ : راجِعوا أنْفُسَكم ، هل يَصْلُحُ لكم قِتالُ مثلى ، وأنا ابنُ بنتِ نبيِّكم ﷺ ، وليس على وجهِ الأرضِ ابنُ بنتِ نبيٍّ غيرى ، وعليٌّ أبى ، وجَعْفرٌ ذو الجَناحَيْن عمِّى ، وحَمْزةُ سيدُ الشُّهداءِ عَمُّ أبى ، وقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ ولأخى : « هذان سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجنةِ » . فإن صَدَّقْتُمونى بما أقولُ فهو الحَقُّ ، واللَّهِ ما تَعَمَّدْتُ كَذْبةً منذ عَلِمْتُ أن اللَّهَ يَمْقُتُ على الكَذِبِ ، وإلَّا فاسْألوا أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ؛ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، وأبا سعيدٍ ، وسهلَ بنَ سعدٍ ، وزيدَ بنَ أَرْقَمَ ، وأنسَ بنَ مالكٍ ، يُخْبِروكم بذلك ، ويحَكم ! أمَا تَتَّقون اللَّهَ ؟! أمَا فى هذا حاجزٌ لكم عن سَفْكِ دمى ؟! فقال عندَ ذلك شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ : هو يَعْبُدُ اللَّهَ على حَرْفٍ ، إن [1]كنتُ أَدْرِى ما يَقولُ[1] . فقال له حَبيبُ بنُ مُظَهِّرٍ : واللَّهِ يا شَمِرُ ، إنك لَتَعْبُدُ اللَّهَ على سبعين حَرْفًا ، [2]وإنَّك لا تَدْرى ما يقولُ ؛ لأنَّ اللَّهَ[2] قد طَبَع على قلبِك . [٦/١٩٨و] ثم قال : أيُّها الناسُ ، ذَرُونى أَرْجِعْ إلى مَأْمَنى مِن الأرضِ . فقالوا : وما يَمْنَعُك أن تَنْزِلَ على حُكمِ بنى عمِّك ؟ فقال : مَعاذَ اللَّهِ أن أُعْطِيَهم بيدى إعطاءَ الذليلِ وأُقِرَّ إقْرارَ العبيدِ ، عبادَ اللَّهِ ، ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر : ٢٧] . ثم أناخ راحلتَه ، وأمَر عُقْبةَ بنَ سِمْعانَ فعقَلها ، [3]ثم قال : أخْبِرونى ، أتَطْلُبونى بقَتيلٍ لكم قتَلْتُه ؟ أو مالٍ لكم أكَلْتُه ؟ أو بقِصاصٍ مِن جِراحةٍ ؟ قال : فأخَذوا لا يُكَلِّمونه . قال : فنادَى : يا شَبَثَ بنَ رِبْعيٍّ ، يا حَجَّارَ بنَ أَبْجَرَ[3] ،

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، ص : « كنت أدرى ما تقول » ، وفى تاريخ الطبرى : « كان يدرى ما يقول » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « وأما نحن فوالله إنا لندرى ما يقول وإنه » ، وفى تاريخ الطبرى : « وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(١) يا قيسَ بنَ الأَشْعَثِ ، يا زيدَ بنَ الحارثِ ، ألم تَكْتُبوا إليَّ أنه قد أَيْنَعَت الثِّمارُ واخْضَرَّ الجَنابُ ، فاقْدَمْ علينا ، فإنك إنما تَقْدَمُ على جُنْدٍ مُجَنَّدٍ . فقالوا له : لم نَفْعَلْ . فقال : سبحانَ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد فعَلْتُم . ثم قال : يا أيُّها الناسُ ، إذ قد كَرِهْتُمونى فدَعُونى أَنْصَرِفْ عنكم . فقال له قيسُ بنُ الأَشْعَثِ : ألا تَنْزِلُ على حُكمِ بنى عمِّك ؟ فإنهم لن يُؤْذُوك ، ولا تَرَى منهم إلَّا ما تُحِبُّ . فقال له الحسينُ : أنت أخو أخيك ، أتُرِيدُ أن تَطْلُبَك بنو هاشمٍ بأكثرَ مِن دمِ مسلمِ بنِ عَقيلٍ ؟ لا واللَّهِ لا أُعْطِيهم بيدى إعْطاءَ الذَّلِيلِ ، ولا أُقِرُّ لهم إقْرارَ العَبيدِ(١) . قال : وأقْبَلوا يَزْحَفون نحوَه ، وقد تَحَيَّرَ إلى جيشِ الحسينِ مِن أولئك طائفةٌ قريبٌ مِن ثلاثين فارسًا فيما قيل ، منهم الحُرُّ بنُ يَزيدَ أميرُ مُقَدِّمةِ الكُوفِيِّين(٢) ، فاعْتَذر إلى الحسينِ ممَّا كان منهم . قال : ولو أعْلَمُ أنهم على هذه النِّيَّةِ لَسِرْتُ معك إلى يَزِيدَ . فقَبِل منه الحسينُ ، ثم تَقَدَّم بينَ يدَىْ أصحابِ الحسينِ ، فخاطَب عمرَ بنَ سعدٍ ، فقال : ويحَكم ! ألا تَقْبَلون مِن ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما يَعْرِضُ عليكم مِن الخِصالِ الثَّلاثِ واحدةً منها ؟ فقال : لو كان ذلك إلىَّ قَبِلْتُ(٣) ، ولكنْ أبَى علىَّ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « جيش ابن زياد » . وانظر تاريخ دمشق ١٤/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك فى السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب اللَّه نذار ، إن حقًّا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أُمةً وأنتم أُمة ، إن اللَّه قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية ؛ عبيد اللَّه بن زياد ، فإنكم لم تدركوا منهما إلا سوء عموم سلطانهما يسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم [٦/١٩٨ظ] وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم ، أمثال حجر بن عدىٍّ وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه . قال : فسبُّوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له ، وقالوا : لا ننزع حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحقُّ بالود والنصر من ابن سمية ، فإن أنتم لم تنصروهم فأُعيذكم باللَّه أن تقتلوهم ، خلُّوا بين هذا =

ابنُ زيادٍ . ثم خاطَب أهلَ الكوفةِ ، فسَبَّهم وأَنَّبَهم وقال : وَيْحَكُم ! دَعَوْتُموه ، حتى إذا جاء خَذَلتموه ، وما كَفاكم ذلك حتى جِئْتم لِتُقاتِلوه ، وقد مَنَعْتموه ونساءَه الماءَ من الفراتِ ؛ الذى يَشْرَبُ منه اليهودىُّ والنصرانىُّ والمجوسىُّ ، وتَتَمَرَّغُ فيه خَنازِيرُ السَّوادِ وكِلابُه ، فهو كالأَسيرِ فى أيديكم لا يَمْلِكُ لنفسِه نَفْعًا ولا ضَرًّا .

قال : فتَقَدَّم عمرُ بنُ سعدٍ ، وقال لمَوْلاه : يا ذُوَيْدُ[1] ، أَدْنِ رايتَك . فأَدْناها ، ثم شَمَّر عمرُ عن ساعِدِه ، ورَمَى بسهمٍ ، وقال : اشْهَدوا أنى أولُ مَن رَمَى القومَ . قال : فتَرامَى الناسُ بالنِّبالِ ، وخرَج يَسارٌ مَوْلى زيادٍ وسالمٌ مولى عُبَيدِ اللَّهِ فقالا :

= الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، يذهب حيث شاء ، فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم ، وقال له : اسكت ، أَسكت اللَّه نأمتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك . فقال له زهير : يا بن البوال على عقبيه ، إياك أُخاطب ؟! إنما أنت بهيمة ، واللَّه ما أَظنُّك تحكم من كتاب اللَّه آيتين ، فأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شمر : إن اللَّه قاتلك وصاحبك بعد ساعة . فقال له زهير : أبالموت تخوفنى ؟ فواللَّه للموت معه أَحبُّ إلى من الخلد معكم . ثم إن زهيرًا أقبل على الناس رافعًا صوته يقول : عباد اللَّه ، لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافى وأشباهه ، فواللَّه لا ينال شفاعة محمد ﷺ قوم أَهرقوا دماء ذريته ، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم . وقال الحرُّ ابن يزيد لعمر بن سعد : أَصلحك اللَّه ، أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إى واللَّه ، قتالًا أَيسره أن تسقط الرُّءوس وتطيح الأيدى . وكان الحرُّ من أشجع أهل الكوفةِ ، فلامه بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : واللَّه إنى أُخير نفسى بين الجنة والنار ، وواللَّه لا أَختار على الجنة غيرها ، ولو قطعت وحرقت . ثم ضرب فرسه ، فلحق بالحسين فاعتذر إليه بما تقدم ، ثم قال : يا أهل الكوفة ، لأُمكم الهبل ، أدعوتم الحسين إليكم ، حتى إذا أتاكم أسلمتموه ؟! وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ؟! ومنعتموه التوجُّه فى بلاد اللَّه العريضة الوسيعة التى لا يمنع منها الكلب والخنزير ، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجارى الذى يشرب منه الكلب والخنزير ، وقد صرعهم العطش ؟ بئس ما خلفتم محمدًا ﷺ فى ذريته ، لا سقاكم اللَّه يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا [٦/١٩٩و] عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين . وقال لهم عمر بن سعد : لو كان الأمر إلى لأَجبت الحسين إلى ما طلب » .

(١) فى الأصل : « ذريد » ، وفى ٦١ ، م ، ص : « دريد » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

مَن يُبارِزُ ؟ فبَرَز لهما عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَيرٍ الكَلْبيُّ بعدَ اسْتِئْذانِه الحسينَ ، فقتَل يَسارًا أولًا ، ثم قتَل سالمًا بعدَه ، وقد ضرَبه سالمٌ ضَرْبةً أطار أصابعَ يدِه اليُسْرى ، وحمَل رجلٌ يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ حَوْزَةَ . حتى وقَف بينَ يدَيِ الحسينِ ، فقال له : يا حسينُ ، أَبْشِرْ بالنارِ . فقال له الحسينُ : كلَّا ، ويحَك ! إنى أَقْدَمُ على ربٍّ رَحيمٍ ، وشَفِيعٍ مُطاعٍ ، بل أنت أَوْلَى بالنارِ . قالوا : فانْصَرف فوَقَصَتْه فَرَسُه فسَقَط ، وتعَلَّقَت رِجْلُه اليُسْرى بالرِّكابِ[1] .

وشَدَّ عليه مُسلمُ بنُ عَوْسَجَةَ ، فضَرَبه فأطار رِجْلَه اليُمْنى[2] ، وغارَتْ به فرسُه ، فلم يَبْقَ حَجَرٌ يَمُرُّ به إلَّا ضَرَبه فى رأسِه حتى مات .

[3]ورَوَى أبو مِخْنَفٍ[4] عن أبى جَنابٍ قال : كان منا رجلٌ يُدْعَى عبدَ اللَّهِ بنَ عُمَيْرٍ[5] مِن بنى عُلَيْمٍ ، كان قد نزَل الكُوفةَ ، واتَّخَذ دارًا عندَ بئرِ الجَعْدِ مِن هَمْدانَ ، وكانت معه امرأةٌ له مِن النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ ، فرَأَى الناسَ يَتَهَيَّئون للخُروجِ إلى قِتالِ الحسينِ ، فقال : واللَّهِ لقد كنتُ على قِتالِ أهلِ الشِّرْكِ حَرِيصًا ، وإنى لَأَرْجو أن يكونَ جِهادى مع ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ [٦/١٩٩ظ] ﷺ لهؤلاء أفْضَلَ مِن جِهادِ المشْرِكينِ ، وأيْسَرَ ثوابًا عندَ اللَّهِ . فدخَل إلى امرأتِه ، فأخْبَرها بما هو عازِمٌ عليه ، فقالت : أَصَبْتَ - أصاب اللَّهُ بك - أَرْشَدَ أُمورِك ، افْعَلْ[3]

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وكان الحسين قد سأل عنه ، فقال : أنا ابن حوزة . فرفع الحسين يديه ، وقال : اللهم حزه إلى النار . فغضب ابن حوزة ، وأراد أن يقحم عليه الفرس ، وبينه وبينه نهر ، فجالت به الفرس ، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه ، وبقى جانبه الآخر متعلقًا بالركاب » .

(٢) لم يذكر الطبرى شدَّ مسلم بن عوسجة على ابن حوزة . وذكر ذلك البلاذرى فى أنساب الأشراف ٣/ ٣٩٩.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٢٩، ٤٣٠، من طريق أبى مخنف به .

(٥) فى م : « نمير » .

(١ وأَخْرِجْنى معك . قال : فخرَج بها ليلًا حتى أتَى الحسينَ . ثم ذكَر قصةَ رَمْيِ عمرَ بنِ سعدٍ بالسهمِ ، وقصةَ قَتْلِه يَسارًا مولى زِيادٍ ، وسالِمًا مَوْلَى ابنِ زِيادٍ ، وأن عبدَ اللَّهِ بنَ عُمَيْرٍ اسْتَأْذَن الحسينَ فى الخُروجِ إليهما ، فنَظَر إليه الحسينُ ، فرَأَى رجلًا آدَمَ طويلًا شديدَ الساعدَيْن ، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، فقال الحسينُ : إنى لَأَحْسَبُه للأَقْرانِ قَتَّالًا ، اخْرُجْ إن شئتَ . فخرَج فقالا له : مَن أنت ؟ فانْتَسَب لهما . فقالا : لا نَعْرِفُك . ٢) فقال لهما : يا أولادَ الزانيةِ ، أَوَ بكم رغبةٌ عن مُبارزةِ أحدٍ مِن الناسِ ؟! وهل يَخْرُجُ إليكما أحدٌ ٢) إلا وهو خيرٌ منكما ؟ ثم شَدَّ على يَسارٍ ، فكان كأمسِ الذَّاهبِ ، فإنه لمُشْتَغِلٌ به إذ حمَل عليه سالمٌ مَوْلَى ابنِ زِيادٍ ، فصاح به (٣) : قد رَهِقك العبدُ . قال : فلم يَنْتَبِهْ (٤) له حتى غَشِيَه ، فضرَبه على يدِه اليُسْرَى ، فأطار أصابعَه ، ثم مال عليه (٥) الكَلْبِىُّ ، فضرَبه حتى قتَله وأَقْبَل يَرْتَجِزُ ويَقولُ :

إن تُنْكِرانى فأنا ابنُ كَلْبِ ... حَسْبِىَ (٦) بَيْتى فى عُلَيْمٍ حَسْبى

إنى امرُؤٌ ذو (٧ مِرَّةٍ وعَصْبِ ٧) ... ولستُ بالخَوَّارِ عندَ الكَرْبِ ١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ا ٦، م : « به صائح » . والذى صاح هو سالم . وانظر الحاشية التالية .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « يأبه » . والذى لم ينتبه هو عبدُ اللَّه بن عمير الكلبىُّ - كما عند الطبرى - ومن ثَم غشيه سالمٌ وضربه .

(٥) فى الأصل ، ا ٦، م : « على » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وهو ما يتعينُّ إثباته ليستقيم السياق ، ويؤيده انتساب الكلبى فى شعره الآتى بعدُ .

(٦) فى م : « نسبى » .

(٧ - ٧) فى الأصل : « مرة وعضب » ، وفى ا ٦: « مرة وغضب » ، وفى م : « مروءة وغضب » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والمرة : القوة . والعَصْب : الطَّىُّ الشديد . انظر اللسان (م ر ر) ، (ع ص ب) .

(١) إنى زَعيمٌ لكِ أُمَّ وَهْبِ بالطَّعْنِ فيهم مُقْدِمًا والضَّرْبِ
ضَرْبِ غلامٍ مُؤْمِنٍ بالرَّبِّ

فأخَذَتْ أمُّ وَهْبٍ عمودًا ، ثم أقْبَلت نحوَ زوجِها تقولُ له : فِداؤُك أبى وأمى ، قاتِلْ دونَ الطَّيِّبِين ذُرِّيَّةِ محمدٍ ، عليه الصلاةُ والسلامُ . فأقْبَل إليها يَرُدُّها نحوَ النِّساءِ ، فأقْبَلت تُجاذِبُه ثوبَه . قالت : دَعْنى أكونُ معك . فناداها الحسينُ : انْصَرِفى إلى النِّساءِ فاجْلِسى معهن ، فإنه ليس على النِّساءِ قِتالٌ . فانصَرَفَتْ إليهن .

قال(٢) : وكثُرَتِ المُبارَزَةُ يومَئذٍ بينَ الفريقَيْن ، والنَّصْرُ فى ذلك لأصحابِ الحسينِ ؛ لقُوةِ بَأْسِهم ، وأنهم مُسْتَمِيتون ، لا عاصمَ لهم إلَّا سيوفُهم ، فأشار بعضُ الأُمراءِ على عمرَ بنِ سعدٍ بعدمِ المُبارَزةِ ، وحمَل عمرُو بنُ الحَجَّاجِ أميرُ المَيْمَنةِ ، وجعَل يقولُ : قاتِلوا مَن مَرَق مِن الدِّينِ ، وفارَق الإمامَ والجماعةَ . فقال له الحسينُ : وَيْحَك يا حَجَّاجُ ! أعلىَّ تُحَرِّضُ الناسَ ؟! أنحن مَرَقْنا مِن الدِّينِ وأنتم ثبَتُّم عليه ؟! ستَعْلَمون إذا فارَقَتْ أرواحُكم [٦/٢٠٠و] أجْسادَكم مَن أَوْلَى بصِلِيِّ النارِ . وقد قُتِل فى هذه الحَمْلةِ مُسْلمُ بنُ عَوْسَجةَ ، فكان أولَ مَن قُتِل مِن أصحابِ الحسينِ ، فمشَى إليه الحسينُ ، فترَحَّم عليه ، وهو على آخرِ رَمَقٍ ، وقال له حَبيبُ بنُ مُظَهِّرٍ : أبْشِرْ بالجنةِ . فقال له بصوتٍ ضَعيفٍ : بَشَّرك اللَّهُ بالخيرِ . ثم قال له حَبيبٌ : لولا أنى أَعْلَمُ أنى على إثْرِك لاحِقُك ، لكنتُ أَقضِى ما تُوصينى به . فقال له مسلمُ بنُ عَوْسَجةَ : أُوصِيك بهذا - وأشار إلى الحسينِ - أن تَموتَ

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٣٥ - ٤٣٧ .

دونَه . قالوا : ثم حملَ شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ بالمَيْسَرةِ ، وقَصَدوا نحوَ الحسينِ ، فدافَعَت عنه الفُرْسانُ مِن أصحابِه دِفاعًا عظيمًا ، وكافَحوا دونَه مُكافحةً بَليغةً ، فأرْسَلوا يَطْلُبون مِن عمرَ بنِ سعدٍ طائفةً مِن الرُّماةِ الرَّجّالةِ ، فبعَث إليهم نحوًا مِن خمسِمائةٍ ، فجعَلوا يَرْمُون خُيولَ أصحابِ الحسينِ ، فعقَروها كلَّها حتى بَقِىَ جميعُهم رَجّالةً ، ولما عَقَروا جَوادَ الحُرِّ بنِ يَزيدَ نزَل عنه وفى يدِه السيفُ كأنه ليثٌ وهو يَقولُ :

إن تَعْقِروا بى فأنا ابنُ الحُرِّ أَشْجَعُ مِن ذى لِبْدَةٍ[1] هِزَبْرِ

ويقالُ[2] : إن عمرَ بنَ سعدٍ أمَر بتَقْويضِ تلك الأبْنيةِ التى تَمْنَعُ مِن القِتالِ مَن أَتَى مِنْ ناحيتِها ، فجعَل أصحابُ الحُسَيْنِ يَقْتُلون مَن يَتَعاطَى ذلك ، فأمرَ بتَحْرِيقِها ، فقال الحسينُ : دَعُوهم يُحَرِّقونها ، فإنهم لا يَسْتَطيعون أن يَجوزوا منها وقد أُحْرِقَت . وجاء شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ ، قَبَّحه اللَّهُ ، إلى فسْطاطِ الحسينِ ، فطَعَنه برُمْحِه - يعنى الفسْطاطَ - وقال : ائْتُونى بالنارِ لأُحَرِّقَه على مَن فيه . فصاحَتِ النِّسْوةُ وخَرَجْنَ منه ، فقال له الحسينُ : [3]أنت تريدُ أن تَحْرِقَ أهلى؟![3] أَحْرَقك اللَّهُ بالنارِ . وجاء شَبَثُ بنُ رِبْعىٍّ إلى شَمِرٍ ، قَبَّحه اللَّهُ ، فقال له : ما رأيْتُ أَقْبَحَ مِن قولِك[4] ومَوْقِفِك هذا ، أتُرِيدُ أن تُرْعِبَ النِّساءَ؟! فاسْتَحْيا ، وهمَّ بالرُّجوعِ .

---

(١) فى م ، وتاريخ الطبرى : «لبد» . واللبدة : الشعر المتراكب بين كتفى الأسد . والهزبر : الأسد الكاسر . انظر الوسيط (ل ب د) ، (هزبر) .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٣٨ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : «ولا من فعلك» .

وقال حُمَيْدُ بنُ مسلمٍ[1] : قلتُ لشَمِرٍ : سبحانَ اللَّهِ ! إن هذا لا يَصْلُحُ لك ، أتُرِيدُ أن تَجْمَعَ على نفسِك خَصْلَتَيْن ؛ تُعَذِّبُ بعذابِ اللَّهِ ، وتَقْتُلُ الوِلْدانَ والنِّساءَ ! واللَّهِ إنَّ فى قَتْلِك الرِّجالَ لَما تُرْضِى به أميرَك . قال : فقال لى : مَن أنت ؟ قلتُ : لا أُخْبِرُك مَن أنا . وخَشِيتُ أنى إن أخْبَرْتُه فعرَفنى ، أن يَسُوءَنى عند السُّلْطانِ . وشَدَّ زُهَيْرُ بنُ القَيْنِ فى رجالٍ مِن أصحابِ [٦/٢٠٠ظ] الحسينِ على شَمِرِ بنِ ذى الجَوْشَنِ ، فأزالوه عن مَوْقِفِه ، وقتَلوا أبا عَزَّةَ الضِّبابىَّ وكان مِن أصحابِ شَمِرٍ ، وكان الرجلُ مِن أصحابِ الحسينِ إذا قُتِل بان فيهم الخَلَلُ ، وإذا قُتِل مِن أصحابِ ابنِ زِيادٍ الجَماعةُ الكَثيرةُ لم يَتَبَيَّنْ ذلك فيهم لكَثْرتِهم ، ودَخَل عليهم وقتُ الظهرِ ، فقال الحسينُ : مُرُوهم فلْيَكُفُّوا عن القِتالِ حتى نُصَلِّىَ . فقال رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ : إنها لا تُقْبَلُ منكم . فقال له حَبيبُ بنُ مُظَهِّرٍ : وَيْحَك ! أتُقْبَلُ منكم الصلاةُ ولا تُقْبَلُ مِن آلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟! وقاتَل حَبيبٌ قِتالًا شَديدًا حتى [2]قُتِل ، رحمه اللَّهُ ، وحُمِل رأسُه إلى ابنِ زيادٍ[2] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٤٣٨ - ٤٤٠.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « رجلا يقال له : بديل بن صريم . من بنى عقفان ، وجعل يقول :

أنا حبيب وأبى مظهر ... فارس هيجاء وحرب تسعر

أنتم أعد عدة وأكثر ... ونحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حجة وأظهر ... حقا وأتقى منكم وأطهر

ثم حمل على حبيب هذا رجل من بنى تميم ، فطعنه فوقع ، ثم ذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمى ، فاحتز رأسه ، وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه ، فعرفه فقال لحامله : أعطنى رأس أبى حتى أدفنه . ثم بكى وقال لقاتله : أما واللَّه لقد قتلته وهو خير منك . فمكث الغلام إلى أن بلغ أشده ، ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه . قال : فلما كان زمن مصعب بن الزبير دخل الغلام عسكر مصعب ، فإذا قاتل أبيه فى فسطاطه ، فدخل عليه وهو قائل ، فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مخنف : حدثنى محمد بن قيس قال : لما قتل حبيب بن مظهر هد ذلك الحسين ، وقال =

ثم صَلَّى الحسينُ بأصحابِه الظهرَ صَلاةَ الخوفِ، ثم اقْتَتلوا بعدَها قِتالًا شـديدًا، (١)ووُصِل إلى الحُسينِ، رَضِى اللَّهُ عنه(١)، ودافع عنه صَنادِيدُ أصحابِـه، فقُتِل(٢) زُهَيْرُ بنُ القَيْـنِ بيـنَ يَدَيِ الحسينِ، (٣)وقاتل دونَه نافعُ بنُ هلالٍ الجَمَلِيُّ(٣)، فقتَل اثنَىْ عشَرَ مِن أصْحابِ عمرَ بنِ سعدٍ سِوَى مَن جَرَح، ثم

= عند ذلك: أحتسب نفسى. وأخذ الحر يرتجز ويقول للحسين:

آليت لا تقتل حتى أقتلا ... ولن أصاب اليوم إلا مقبلا

أضربهم بالسيف ضربًا مقصلا ... لا ناكلًا عنهم ولا مهللا

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالًا شديدًا، فكان إذا شد أحدهما فإذا استلحم شد الآخر حتى يخلصه، فعلا ذلك ساعةً، ثم إن رجالًا شدوا على الحر بن يزيد فقتلوه، وقتل أبو ثمامة الصائدى ابن عمٍ له [٦/٢٠١و] كان عدوًا له».

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٦١، م.

(٢) فى الأصل، ٦١، م: «وقاتل».

(٣ - ٣) فى الأصل، ٦١، م: «قتالًا شديدًا، ورمى بعض أصحابه بالنّبل حتى سقط بين يدى الحسين، وجعل زهيرٌ يرتجز ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين ... أذودكم بالسيف عن حسين

قال: وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول:

أقدم هديت هاديًا مهديا ... فاليوم تلقى جدك النبيا

وحسنًا والمرتضى عليا ... وذا الجناحين الفتى الكميا

وأسد اللّه الشهيد الحيا

قال: فشد عليه كثير بن عبد اللّه الشعبى ومهاجر بن أوسٍ، فقتلاه. قال: وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلالٍ الجملى، وكان قد كتب اسمه على فوق نبله، فجعل يرمى بها مسومةً وهو يقول:

أرمى بها معلمًا أفواقها ... والنفس لا ينفعها إشفاقها

أنا الجملى، أنا على دين على».

(١أُسِر وكُسِرتْ عَضداه ومع هذا ضرَب عُنقَه بين يدى عمرَ بنِ سعدٍ شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ ، ثم حمَل شَمِرٌ على أصحابِ الحسينِ وهو يقولُ :

خَلُّوا عُداةَ اللهِ خَلُّوا عن شَمِرْ يَضْرِبْهُمُ بسيفِه ولا يَفِرّْ

وصَمَّم عليهم الأعداءُ من كلِّ جانبٍ وتكاثَروا عليهم ، وتَفانَى١) أصْحابُ

(١ - ١) فى الأصل ، ٦ا ، م : « ضرب حتى كسرت عضداه ، ثم أسروه ، فأتوا به عمر بن سعدٍ ، فقال له : ويحك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إن ربى يعلم ما أردت . والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ، ثم قال : واللّه لقد قتلت من جندكم اثنى عشر سوى من جرحت ، وما ألوم نفسى على الجهد ، ولو بقيت لى عضدٌ وساعدٌ ما أسرتمونى . فقال شمرٌ لعمر : اقتله . قال : أنت جئت به ، فإن شئت فاقتله . فقام شمرٌ فانتضى سيفه ، فقال له نافعٌ : أما واللّه يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى اللّه بدمائنا ، فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدى شرار خلقه . ثم قتله . وتكاثر معه الناس ، حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ، فجاءه عبد الرحمن وعبد اللّه ابنا عزرة الغفارى ، فقالا : أبا عبد اللّه ، عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحبًا بكما ، ادنوا منى . فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريبًا منه وهما يقولان :

[٦/٢٠١ظ] قد علمت حقًا بنو غفار وخندفٌ بعد بنى نزار

لنضربن معشر الفجار بكل عضبٍ قاطعٍ بتار

يا قوم ذودوا عن بنى الأخيار بالمشرفى والقنا الخطار

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعُو لهم ويقول : جزاكم اللّه أحسن جزاء المتقين . فجعلوا يسلمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا ، ثم جاء عابس بن أبى شبيبٍ فقال : يا أبا عبد اللّه ، أما واللّه ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعز على منك ولا أحب إلى منك ، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشىءٍ أعز على من نفسى ودمى لفعلته ، السلام عليك يا أبا عبد اللّه ، اشهد لى أنى على هديك . ثم مشى بسيفه صلتًا وبه ضربةٌ على جبينه ، وكان أشجع الناس ، فنادى : ألا رجلٌ لرجلٍ ؟ ألا ابرزوا إلى . فعرفوه فنكلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعدٍ : ارضخوه بالحجارة . فرمى بالحجارة من كل جانبٍ ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثم شد على الناس ، واللّه لقد رأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانبٍ ، فقتل رحمه اللّه ، فرأيت رأسه فى أيدى رجالٍ ذوى عدد ، كل يدعى قتله ، فأتوا به عمر بن سعد ، فقال لهم : لا تختصموا فيه ، فإنه لم يقتله إنسان واحد . ففرق بينهم بهذا القول ثم قاتل » .

الحسينِ بينَ يَدَيْه ، حتى لم يَبْقَ معه أحدٌ إلا سُوَيْدُ بنُ عمرِو بنِ أبى المُطاعِ الخَثْعَمِيُّ .

وكان أولَ قَتيلٍ قُتِل مِن بنى أبى طالبٍ يومَئذٍ علىٌّ الأكْبرُ ابنُ الحسينِ بنِ علىٍّ ، وأُمُّه ليلى بنتُ أبى مُرَّةَ بنِ عُروةَ بنِ مسعودٍ الثَّقفىِّ ، طَعَنه مُرَّةُ بنُ مُنْقِذِ بنِ النُّعمانِ العَبْدِىُّ فقتلَه ، ويُرْوَى أنه جعَل يقاتلُ عن أبيه وهو يقولُ :

أنا علىُّ بنُ حسينِ بنِ عَلِى نحن (١ وربِّ البيتِ ١) أوْلَى بالنَّبِى
تاللَّهِ لا يَحْكُمُ فينا ابنُ الدَّعِى (٢ كيفَ تَرَوْنَ اليومَ سَتْرِى عن أَبِى ٢)

فلمَّا طعَنه مُرَّةُ احْتَوَشَتْه الرِّجالُ ، فقَطَّعوه بأسْيافِهم ، فقال الحسينُ : قَتَل اللَّهُ قومًا قَتَلوك يا بُنَىَّ ، ما أجْرَأَهم على اللَّهِ وعلى انْتِهاكِ مَحارمِه (٣) ! فعلى الدنيا بعدَك العَفاءُ . قال : وخرَجَت [٢٠٢/٦و] جاريةٌ كأنها الشمسُ حُسْنًا ، فقالت : يا أُخَيَّاهْ ويا بنَ أُخَيَّاهْ . فإذا هى زينبُ بنتُ علىٍّ مِن فاطمةَ ، فأكَبَّتْ عليه وهو صَريعٌ . قال : فجاء الحسينُ فأخَذ بيدِها ، فأدْخَلها الفُسْطاطَ ، وأمَر به الحسينُ فحُوِّل مِن هناك إلى بينِ يَدَيْهِ عندَ فُسْطاطِه ، ثم قُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمِ بنِ عَقيلٍ ، ثم قُتِل عَوْنٌ ومحمدٌ ابنا عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، ثم قُتِل عبدُ الرحمنِ وجعفرٌ ابنا عَقِيلِ ابنِ أبى طالبٍ ، ثم قُتِل القاسمُ بنُ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ .

(٤ قال أبو مِخْنَفٍ (٥) : وحَدَّثنى فُضَيْلُ بنُ خديجٍ الكِنْدىُّ أن يزيدَ بنَ ٤)

(١ - ١) فى النسخ : « بيت الله » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى تاريخ الطبرى .
(٣) فى تاريخ الطبرى : « حرمة الرسول » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٤٥، عن أبى مخنف .

(١) زِيادٍ - وكان راميًا ، وهو أبو الشَّعْثاءِ الكِندىُّ(٢) مِن بنى بَهْدَلةَ - جَثَا على رُكْبَتَيه بينَ يَدَيِ الحسينِ ، فرَمَى بمائةِ سهمٍ ما سقَط منها على الأرضِ خمسةُ أسهمٍ ، فلمَّا فرَغ مِن الرَّمْيِ قال : قد تَبَيَّنَ لى أنى قَتَلْتُ خمسةَ نفرٍ ، (٣) وكان فى أولِ مَن قُتِل ، وكان رَجَزُه يومَئذٍ(٣) :

أنا يزيدٌ (٤) وأبى مُهاصِرْ (٤) أشْجَعُ مِن لَيْثٍ بِغِيلٍ(٥) خادِرْ

يا ربِّ إنى للحسينِ ناصرْ ولابنِ سعدٍ تاركٌ وهاجِرْ(١)

قالوا(٦) :ومَكَث الحسينُ نَهارًا طويلًا لا يَأْتى إليه رجلٌ إلا رَجَع عنه ؛ لا يُحِبُّ أن يَلِىَ قتلَه ، حتى جاءه رجلٌ مِن بنى بَدَّاءَ يُقالُ له : مالكُ بنُ النُّسيرِ . فَضَرَب الحسينَ بالسيفِ على رأسِه فجرَحه ، وكان عليه بُرْنُسٌ ، فامْتلأ دمًا ، فقال له الحسينُ : لا أكَلْتَ بها ولا شَرِبْتَ ، وحَشَرك اللَّهُ مع الظالِمين . ثم أَلْقَى الحسينُ ذلك البُرْنُسَ ، ودَعا بعِمامةٍ فاعتمَّ بها(٧) . قال : ثم إن الحسينَ أَعْيَا ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « الكنانى » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر أنساب الأشراف ٣/ ٤٠٥ ، والكامل ٤/ ٧٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م . والمثبت من تاريخ الطبرى ؛ ليستقيم السياق .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١ ، م : « وأنا المهاجر » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « قوى » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والغيل : الشجر الكثير الملتف . وخادر : مقيم . انظر اللسان (غ ى ل) ، (خ د ر) .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٤٨ .

(٧) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وقال أبو مخنف : حدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد قال : خرج إلينا غلام كأن وجهه فلقة قمر ، فى يده السيف ، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمرو بن سعد بن نفيل الأزدى : واللّه لأشدن عليه . فقلت له : سبحان اللّه ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم . فقال : واللّه لأشدن عليه . فشد عليه فضربه ، وصاح الغلام : يا عماه . قال : فشد الحسين شدة ليث غضب ، فضرب عمرا بالسيف ،=

فقعَد على بابِ فُسْطاطِه ، وأُتِىَ بصبىٍّ صغيرٍ مِن أولادِه ، فأجْلَسه فى حِجْرِه ، ثم جعَل يُقَبِّلُه ويَشُمُّه ويُوَدِّعُه ويُوصِى أهلَه ، فرَماه رجلٌ مِن بنى أسدٍ يقالُ له : ابنُ مُوقِدِ النارِ . بسهمٍ فذَبَح ذلك الغلامَ ، فتَلَقَّى حسينٌ دمَه [1] فى يدِه ، وألْقاه نحوَ السماءِ [1] ، وقال : ربِّ إن تَكُ قد حَبَسْتَ عنا النَّصْرَ مِن السماءِ فاجْعَلْه لمَا هو خيرٌ ، وانْتَقِمْ لنا مِن الظالمين . ورَمَى عبدُ اللَّهِ بنُ عُقْبةَ الغَنَوىُّ أبا بكرِ بنَ الحسينِ بسهمٍ فقتَله أيضًا ، ثم قُتِل عبدُ اللَّهِ والعباسُ وعثمانُ وجعفرٌ ومحمدٌ بنو علىِّ بنِ أبى طالبٍ إخْوةُ الحسينِ لأبيه ، رضى اللَّهُ عنهم أجمعين ، وقد اشْتَدَّ عَطَشُ الحسينِ ، فحاوَل أن يَصِلَ إلى ماءِ الفُراتِ فمانَعوه دونَه ، فخلَص إلى شَرْبةٍ منه ، فلما أَهْوَى إليها رَماه حُصَينُ بنُ نُمَيْرٍ بسهمٍ فى حَنَكِه فأثْبتَه ، فانْتَزَعه الحسينُ مِن حَنَكِه ، ففار الدمُ فتَلَقَّاه بيدَيْه ، ثم رَفَعَهما إلى السماءِ وهما مَمْلُوأَتان دمًا ، ثم رَمَى به إلى السماءِ ، وقال : اللهُمَّ أَحْصِهم عَدَدًا واقْتُلْهم بِدَدًا ، ولا تَذَرْ على الأرضِ

= فاتقاه بالساعد ، فأطنها من لدن المرفق ، فصاح ثم تنحى عنه ، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمرا من الحسين ، فاستقبلت عمرا بصدورها وحركت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة ، فإذا أنا بالحسين [٦/ ٢٠٢ظ] قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله ، والحسين يقول : بعدا لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك . ثم قال : عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفعك ، صوت والله كثر واتره ، وقل ناصره . ثم احتمله ، فكأنى أنظر إلى رجلى الغلام يخطان فى الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه علىٍّ الأكبر ، ومع من قتل من أهل بيته ، فسألت عن الغلام فقيل لى : هو القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب .

وقال هانئ بن ثبيت الحضرمى : إنى لواقف يوم مقتل الحسين عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مذعور ، يلتفت يمينا وشمالا ، فكأنى أنظر إلى درتين فى أُذنيه تذبذبان كلما التفت ، إذ أقبل رجل يركض فرسه ، حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ، ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام : قال السكونى : هانئ ابن ثبيت هو الذى قتل الغلام ، خاف أن يعاب ذلك عليه ، فكنى عن نفسه » .

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى : « فلما ملأ كفيه صبه فى الأرض » .

منهم أحدًا . ودَعا عليهم دعاءً بَلِيغًا[1] .

ثم جاء شَمِرٌ[2] ومعه جَماعةٌ مِن الشُّجْعانِ حتى أحاطوا بالحسينِ وهو عندَ فُسْطاطِه ، ولم يَبْقَ معه أحدٌ يَحولُ بينَهم وبينَه ، فجاء غلامٌ يَشْتَدُّ مِن الخيامِ كأنه البَدْرُ فى أُذُنيه دُرَّتان تَذَبْذَبان ، فخرَجَت زينبُ بنتُ علىٍّ لتَرُدَّه فامْتَنع عليها ، وجاء يُحاجِفُ عن عمِّه ، فضرَبه رجلٌ منهم بالسيفِ ، فاتَّقاه بيدِه ، فأَطَنَّها سِوَى جِلْدَةٍ ، فقال : يا أبَتاه . فقال له الحسينُ : يا بنىَّ ، احْتَسِبْ أجْرَك عندَ اللَّهِ ، فإنك تَلْحَقُ بآبائِك الصالِحين . ثم حمَل على الحسينِ الرجالُ مِن كلِّ جانبٍ وهو يَجولُ فيهم بالسيفِ يَمينًا وشِمالًا ، فيَتَنافَرون عنه كتَنافُرِ المِعْزَى عن السَّبُعِ ، وخرَجَت أختُه زينبُ بنتُ فاطمةَ إليه ، فجعَلَت تقولُ : ليت السماءَ تَقَعُ على الأرضِ . وجاء عمرُ بنُ سعدٍ ، فقالت : يا عمرُ ، أرَضِيتَ أن يُقْتَلَ أبو عبدِ اللَّهِ وأنت تَنْظُرُ ؟ فتَحادَرَت الدموعُ على لحيتِه ، وصَرَف وجهَه عنها ، ثم جَعَل لا يُقْدِمُ أحدٌ على قتلِه ، حتى نادَى شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ : وَيْحَكم ! ماذا تَنْتَظِرون بالرجلِ ؟ اقْتُلوه ثَكِلَتْكم أُمَّهاتُكم . فحمَلت الرجالُ مِن كلِّ جانبٍ على الحسينِ ، وضرَبه زُرْعةُ

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، ص : « قال : فواللّه إن مكث الرجل الرامى له إلا يسيرًا حتى صب اللّه عليه الظمأ ، فجعل لا يروى ، ويسقى الماء مبردًا وتارةً يبرد له اللبن والماء جميعًا ، ويسقى فلا يروى ، بل يقول : ويلكم اسقونى [٦/ ٢٠٣و] قتلنى الظمأُ . قال : فواللّه ما لبث إلا يسيرًا حتى انقد بطنه انقداد بطن البعير .

ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل فى نحوٍ من عشرةٍ من رجالة الكوفة قبل منزل الحسين الذى فيه ثقله وعياله ، فمشى نحوه ، فحالوا بينه وبين رحله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا فى دنياكم أحرارًا وذوى أحسابٍ ، امنعوا رحلى وأهلى من طغامكم وجهالكم ، فقال ابن ذى الجوشن : ذلك لك يابن فاطمة . ثم أحاطوا به فجعل شمر يحرضهم على قتله ، فقال له أبو الجنوب : وما يمنعك أنت من قتله ؟ فقال له شمر : ألى تقول ذا ؟! فقال أبو الجنوب : وأنت لى تقول ذا ؟! فاستبا ساعةً ، فقال له أبو الجنوب ، وكان شجاعًا : واللّه لقد هممت أن أُخضخض هذا السنان فى عينك . فانصرف عنه شمر » .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٥٠ .

ابنُ شَريكٍ التَّميميُّ على كَفِّه اليُسْرى ، وضُرِب على عاتِقِه ، ثم انْصَرفوا عنه وهو يَنوءُ ويَكْبُو ، ثم جاء إليه سِنانُ بنُ [1]أنسِ بنِ عمرٍو[1] النَّخَعيُّ ، فطَعَنه بالرُّمْحِ فوقَع ، ثم نزَل فذَبَحه وحَزَّ رأسَه ، ثم دَفَع رأسَه إلى خَوَلِيِّ بنِ يَزيدَ . وقيل : إن الذى قتَله شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ . وقيل : رجلٌ مِن مَذْحِجٍ . وقيل : عمرُ بنُ سعدِ ابنِ أبى وَقَّاصٍ . وليس بشىءٍ ، وإنما كان عمرُ أميرَ السَّريةِ التى قتَلَت الحسينَ فقط[2] .

(١ - ١) فى الأصل : «أبى أنس» ، وفى ٦١ ، م : «أبى عمرو بن أنس» . وانظر أنساب الأشراف ٣/ ٤٠٧ ، والكامل ٤/ ٧٨.

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : «والأول [٦/ ٢٠٣ظ] أشهر . وقال عبد الله بن عمارٍ : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من عن يمينه حتى ابذعروا عنه وعلى من عن شماله حتى ابذعروا عنه ، فوالله ما رأيت مكثورًا قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشًا منه ، ولا أمضى جنانًا منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله . وقال : ودنا عمر بن سعدٍ من الحسين ، فقالت له زينب : يا عمر ، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟ فبكى وصرف وجهه عنها .

وقال أبو مخنفٍ : حدثنى الصقعب بن زهيرٍ ، عن حميد بن مسلمٍ قال : جعل الحسين يشد على الرجال وهو يقول : أعلىَ قتلى تحاثون؟ أما والله لا تقتلون بعدى عبدًا من عباد الله الله أسخط عليكم بقتله منى ، وايم الله إنى أرجو أن يكرمنى الله بهوانكم ، ثم ينتقم الله لى منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتمونى لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلًا من النهار ، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكن كان يتقى بعضهم ببعضٍ دمه ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن ، ماذا تنتظرون بقتله؟ فتقدم إليه زرعة بن شريكٍ التميمى ، فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرٍو النخعى بالرمح ، ثم نزل فاحتز رأسه ، ودفعه إلى خولىٍّ .

وقد روى ابن عساكر - فى ترجمة شمر بن ذى الجوشن ، وذو الجوشن صحابىٌّ جليل ، قيل : اسمه شرحبيل . وقيل : عثمان بن نوفلٍ . ويقال : أوس بن الأعور العامرى الضبابى . بطن من كلابٍ ، ويكنى شمر بأبى السابغة - من طريق عمر بن شبة ، ثنا أبو أحمد ، حدثنى عمى فضيل بن الزبير ، عن عبد الرحيم بن ميمونٍ ، عن محمد بن عمرو بن حسنٍ قال : كنا مع الحسين بنهرى كربلاء ، فنظر إلى شمر ابن ذى الجوشن ، فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : «كأنى أنظر إلى كلبٍ أبقع يلغ فى دماء أهل بيتى» . وكان شمر ، قبحه الله ، أبرص» .

وأخَذ سِنانٌ وغيرُه سَلَبَه ، وتَقاسَم الناسُ ما كان مِن أموالِه وحَواصِلِه ، وما في خِبائِه ، حتى ما على النِّساءِ مِن الثِّيابِ الظاهرةِ .

وقال أبو مِخْنَفٍ[1] عن جعفرِ بنِ محمدٍ قال : وُجِدَ بالحسينِ حينَ قُتِل ثلاثٌ وثلاثون طَعْنةً ، وأرْبعٌ وثلاثون ضَرْبةً . وهَمَّ شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ بقَتْلِ عليٍّ بنِ الحسينِ الأصْغَرِ [٦/٢٠٤و] زَيْنِ العابدِين ، وهو صغيرٌ مَريضٌ ، حتى صرَفه عن ذلك حُمَيْدُ بنُ مسلمٍ أحدُ أصحابِه . وجاء عمرُ بنُ سعدٍ ، فقال : ألا لا يَدْخُلَنَّ على هذه النِّسْوةِ أحدٌ ، ولا يَقْتُلْ هذا الغلامَ أحدٌ ، ومَن أخَذ مِن مَتاعِهم شيئًا فلْيَرُدَّه عليهم . قال : فواللَّهِ ما رَدَّ أحدٌ شيئًا . فقال له عليُّ بنُ الحسينِ : جُزِيتَ خيرًا ، فقد دَفَع اللَّهُ عنى بمَقالتِك شرًّا . [٦/٢٠٤ظ] قالوا : ثم جاء سِنانُ بنُ أنسٍ إلى بابِ فُسْطاطِ عمرَ بنِ سعدٍ ، فنادَى بأعْلَى صوتِه :

أَوْقِرْ رِكابى فِضةً وذهبَا ... أنا قتَلْتُ المَلِكَ المُحَجَّبَا
قتَلْتُ خيرَالناسِ أُمًّا وأبَا ... وخيرَهم إذ يُنْسَبون نَسَبَا

فقال عمرُ بنُ سعدٍ : أَدْخِلوه عليَّ . فلما دَخَل رَماه بالسَّوْطِ ، وقال : وَيْحَك أنت مجنونٌ ! واللَّهِ لو سَمِعك ابنُ زِيادٍ تَقولُ هذا لَضَرَب عنقَك . ومَنَّ عمرُ بنُ سعدٍ على عُقْبةَ بنِ سِمْعانَ حينَ أخْبَره أنه مَوْلًى ، فلم يَنْجُ منهم غيرُه ، والمُرَقَّعُ بنُ ثُمامةَ[2] أُسِر ، فمَنَّ عليه ابنُ زِيادٍ .

وقُتِل مِن أصحابِ الحسينِ اثنان وسبعون نَفْسًا ، فدَفَنهم أهلُ الغاضِرِيَّةِ[3] مِن

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٥٣، ٤٥٤، من طريق أبى مخنف بهذا الإسناد وبأسانيد أُخر.
(٢) فى الأصل، ٦١، م: «يمانة». وانظر الكامل ٤/ ٨٠.
(٣) الغاضرية: قرية من نواحى الكوفة قريبة من كربلاء. معجم البلدان ٣/ ٧٦٨.

بنى أسَدٍ بعدَما قُتِلوا بيومٍ [1] رحِمهم اللَّهُ وأكرمهم [1] .

ورُوِىَ عن محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ أنه قال [2] : قُتِل مع الحسينِ سبْعةَ عشَرَ رجلًا ، كلُّهم مِن أولادِ فاطمةَ .

وعن الحسنِ البَصْرىِّ أنه قال [3] : قُتِل مع الحسينِ ستةَ عشَرَ رجلًا ، كلُّهم مِن أهلِ بيتِه ، ما على وجهِ الأرضِ يومَئذٍ لهم شِبْهٌ .

وقال غيرُه [4] : قُتِل معه مِن ولدِه وإخْوتِه وأهلِ بيتِه ثلاثةٌ وعشرون رجلًا ، فمِن أولادِ علىٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ؛ جعفرٌ ، والحسينُ ، والعباسُ ، ومحمدٌ [5] ، وعثمانُ ، وأبو بكرٍ . ومِن أولادِ الحسينِ علىٌّ الأكبرُ وعبدُ اللَّهِ . ومِن أولادِ أخيه الحسنِ ثلاثةٌ ؛ عبدُ اللَّهِ ، والقاسمُ ، وأبو بكرٍ بنو الحسنِ بنِ علىِّ بن أبى طالبٍ . ومِن أولادِ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ اثنان ؛ عونٌ ومحمدٌ . ومِن أولادِ عَقِيلٍ ؛ جعفرٌ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الرحمنِ ، ومُسْلمٌ قُتِل قبلَ ذلك كما قدَّمْنا . فهؤلاء أربعةٌ لصُلْبِه ، واثنان آخَران ؛ هما عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمِ بنِ عَقِيلٍ ، ومحمدُ بنُ أبى سعيدِ

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « واحد ، قال : ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل . ولا يصح ذلك . والله أعلم . وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسًا » .

(٢) أخرجه خليفة بن خياط فى تاريخه ١/ ٢٨٥ ، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣/ ١٠٩ ، ١٢٧ (٢٨٠٥ ، ٢٨٥٥) ، كلاهما من طريق فطر بن خليفة ، عن منذر الثورى عن ابن الحنفية بنحوه .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط فى الموضع السابق ، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣/ ١٢٧ (٢٨٥٤) ، كلاهما من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبى موسى ، عن الحسن بنحوه .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٦٨ ، ونهاية الأرب ٢٠/ ٤٦١ ، ٤٦٢ . ذكر ابن كثير ، رحمه الله ، أن الذين قتلوا مع الحسين ، رضى الله عنه ، من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلًا ، والمذكور - مع عدّ الحسين - عشرون رجلًا . واستكمالًا للعدد نضيف - من تاريخ الطبرى ، ونهاية الأرب - عبدَ الله ابن على بن أبى طالب ، وسليمان ومُنجِحًا وهما موليان للحسين رضى الله عنه .

(٥) محمد هذا ليس ابن الحنفية ؛ فابن الحنفية لم يخرج مع الحسين .

ابنِ عَقِيلٍ ، فكَمَلوا ستةً مِن ولدِ عَقِيلٍ ، وفيهم يَقولُ الشاعرُ[1] :

وانْدُبى تسعةً لصُلْبِ علىٍّ قد أُصِيبوا وستةً لعَقِيلِ
وسَمِىُّ النبىِّ غُودِر فيهم قد عَلَوْه بصارمٍ مَصْقُولِ

وممن قُتِل مع الحسينِ بكَرْبَلاءَ أخوه لأُمِّه من الرَّضاعةِ - عبدُ اللَّهِ بنُ بُقْطُرٍ ، وقد قيل[2] : إنه إنما قُتِل قبلَ ذلك حين بعَث معه كتابًا إلى أهلِ الكوفةِ ، فحُمِل إلى ابنِ زِيادٍ فقتَله . وقُتِل[3] مِن أهلِ الكوفةِ مِن أصحابِ عمرَ بنِ سعدٍ ثمانيةٌ وثمانون رجلًا سِوَى الجَرْحَى ، فصَلَّى عليهم عمرُ بنُ سعدٍ ودَفَنهم . ويُقالُ[4] : إن عمرَ بنَ سعدٍ ندَب عشَرةَ [٦/ ٢٠٥و] فُرْسانٍ ، فداسُوا الحسينَ بأفراسِهم حتى ألْصَقُوه بالأرضِ يومَ المعركةِ ، وسُرِّح برأسِه مِن يومِه إلى ابنِ زِيادٍ مع خَوَلِىِّ بنِ يَزيدَ الأصْبَحىِّ ، فلمَّا انْتَهَى به إلى القصرِ وَجَده مُغْلَقًا ، فرجَع إلى منزِلِه ، فوضَعه تحتَ إجَّانةٍ[5] ، وقال لامرأتِه نَوَارَ بنتِ مالكٍ : جئتُكِ بعِزِّ الدَّهْرِ . فقالت : وما هو ؟ فقال : هذا رأسُ الحسينِ . فقالت : جاء الناسُ بالذهبِ والفضةِ ، وجئتَ أنت برأسِ ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟! واللَّهِ لا يَجْمَعُنى وإياك فِراشٌ أبدًا. ثم نَهَضَت عنه مِن الفِراشِ ، واسْتَدْعَى بامرأةٍ له أخرى مِن بنى أَسَدٍ ، فنامَتْ عندَه . قالت الثانيةُ[6] : فواللَّهِ ما زِلْتُ [7]أَرَى النورَ ساطعًا مِن تلك الإجَّانةِ إلى السماءِ[7] ،

---

(١) البيتان من قصيدة لسليمان بن قتة يرثى فيها أهل البيت الذين قتلوا مع الحسين . ويريد بسمى النبى ﷺ هنا محمد بن عبد اللَّه بن جعفر . انظر مقاتل الطالبيين ص ٩١، ٩٢.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٣٩٨.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٤٥٥.

(٤) المصدر السابق ٥/ ٤٥٤، ٤٥٥.

(٥) الإجانة : إناء تُغسلُ فيه الثياب .

(٦) فى تاريخ الطبرى أن النَّوار هى القائلة .

(٧ - ٧) فى تاريخ الطبرى : « أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة » .

وطُيورًا بِيضًا تُرَفْرِفُ حولَها . فلمَّا أصْبَح غَدا به إلى ابنِ زِيادٍ ، فأحْضَره بينَ يدَيْه ، ويُقالُ[1] : إنه كان معه رُءوسُ بقيةِ أصحابِه ، وهو المشهورُ . ومجموعُها اثنان وسبعون رأسًا ، وذلك أنه ما قُتِل قَتيلٌ إلا احْتَزُّوا رأسَه ، وحمَلوه إلى ابنِ زِيادٍ ، ثم بعَث بها ابنُ زِيادٍ إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ إلى الشامِ .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا حسينٌ ، ثنا جَريرٌ ، عن محمدٍ ، عن أنسٍ قال : أُتِيَ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ برأسِ الحسينِ ، فجُعِل فى طَسْتٍ ، فجعَل يَنْكُتُ عليه ، وقال فى حُسْنِه شيئًا ، فقال أنسٌ : إنه كان أشْبَهَهم برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان مَخْضوبًا بالوَسْمةِ . ورَواه البخاريُّ[3] فى المَناقِبِ عن محمدِ بنِ الحسينِ[4] بنِ إبراهيمَ ، هو ابنُ إشْكابٍ ، عن حسينِ بنِ محمدٍ ، عن جَريرِ بنِ حازمٍ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أنسٍ ، فذكَره . وقد رَواه التِّرْمذيُّ[5] مِن حديثِ حَفْصةَ بنتِ سِيرينَ ، عن أنسٍ ، وقال : حسنٌ صحيحٌ[6] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[7] : حَدَّثنا مُفَرِّجُ بنُ شُجاعِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ المَوْصِلىُّ ، ثنا غَسَّانُ بنُ الرَّبيعِ ، ثنا [8]يوسفُ بنُ عَبْدةَ[8] ، عن ثابتٍ وحُمَيْدٍ ، عن أنسٍ قال : لَمَّا أُتِيَ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ برأسِ الحسينِ جعَل يَنْكُتُ بالقَضِيبِ ثَناياه ،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٥٦ - ٤٥٩.

(٢) المسند ٣/ ٢٦١.

(٣) البخارى (٣٧٤٨) .

(٤) فى م : «الحسن» . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٧٩.

(٥) الترمذى (٣٧٧٨) .

(٦) بعده فى الأصل، ٦١، م : «وفيه فجعل ينكت بقضيب فى أنفه ويقول ما رأيت مثل هذا حسنا» .

(٧) كشف الأستار (٢٦٤٩) . قال فى المجمع ٩/ ١٩٥: رواه البزار والطبرانى بأسانيد، ورجاله وثقوا .

(٨ - ٨) فى الأصل، ٦١، م : «يونس بن عبيدة» . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٣٧.

يقولُ : لقد كان - أَحْسَبُه قال - جميلًا . فقلتُ : واللَّهِ لَأَسُوءَنَّك ، إنى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَلْثَمُ[1] حيث يَقَعُ قَضِيبُك . قال : فانْقَبَض . تفرَّد به البَزّارُ مِن هذا الوجهِ ، وقال : لا نَعْلَمُ رَواه عن حُمَيْدٍ غيرُ[2] يوسفَ[3] بنِ عَبْدةَ ، وهو [٦/ ٢٠٥ظ] رجلٌ مِن أهلِ البَصْرةِ مَشْهورٌ ، وليس به بأسٌ . ورَواه أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ ، عن إبراهيمَ بنِ الحَجَّاجِ ، عن حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أنسٍ ، فذكَره[4] . ورَواه قُرَّةُ بنُ خالدٍ ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ ، فذكَره[5] .

وقال أبو مِخْنَفٍ[6] ، عن سليمانَ بنِ أبى راشدٍ ، عن حُميدِ بنِ مسلمٍ قال : دَعانى عمرُ بنُ سعدٍ فسَرَّحَنى إلى أهلِه لأُبَشِّرَهم بفتْحِ اللَّهِ عليه وبعافِيتِه ، [7]فأقبلتُ حتى أتيتُ أهلَه ، فأعلمتُهم ذلك ، ثم أقبلت حتى أدخلَ[7] ، فأَجِدُ ابنَ زِيادٍ قد جَلَس للناسِ ، وقد دَخَل عليه الوفدُ الذين قَدِموا عليه ، فدَخَلْتُ فيمَن دَخَل ، فإذا رأسُ الحسينِ مَوْضوعٌ بينَ يديه ، وإذا هو يَنْكُتُ بقَضِيبٍ بينَ ثَنِيَّتَيه ساعةً ، فقال له زيدُ بنُ أَرْقَمَ : اعْلُ بهذا القَضِيبِ عن هاتين الثَّنِيَّتَيْن ، فواللَّهِ الذى لا إلهَ غيرُه ، لقد رأيتُ شَفَتَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ على هاتين الشَّفتين يُقَبِّلُهما . ثم انْفَضَخَ الشيخُ يَبْكى ، فقال له ابنُ زِيادٍ : أبْكَى اللَّهُ عينَيك ، فواللَّهِ لولا أنك شيخٌ

---

(١) يلثم : يُقَبِّل .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، ص : «عن» .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : «يونس» .

(٤) مسند أبى يعلى (٣٩٨١) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٦ ، من طريق قرة بن خالد عن الحسن . وساق الرواية ولم يذكر أن الحسن رواها عن أنس .

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٥٦ ، من طريق أبى مخنف به .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

قد خَرِفْتَ ، وذَهَب عقلُك لَضَرَبْتُ عُنُقَك . قال : فنهَض فخرَج ، [1] فلمَّا خرَج قال الناسُ : واللَّهِ لقد قال زيدُ بنُ أَرْقَمَ كلامًا لو سَمِعه ابنُ زِيادٍ لقتَله . قال : فقلتُ : ما قال ؟ قالوا : مَرَّ بنا وهو يَقولُ : مَلَك عبدٌ عُبْدَا[2] ، فاتَّخذهم تُلَدَا[3] ، أنتم يا معشرَ العربِ العبيدُ بعدَ اليومِ ، قتَلْتُم ابنَ فاطمةَ ، وأَمَّرْتُم ابنَ مَرْجانةَ ، فهو يَقْتُلُ خِيارَكم ، ويسْتَعبدُ شِرارَكم ، [4] فرضيتم بالذُّلِّ[4] ، فبُعْدًا لمن رَضِى بالذُّلِّ[1] . وقد رُوِىَ مِن طريقِ أبى داودَ السَّبِيعىِّ ، عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ بنحوِه[5] . ورَواه الطبرانىُّ مِن طريقِ ثابتٍ ، عن زيدٍ[6] .

وقد قال التِّرمذىُّ[7] : حَدَّثنا واصِلُ بنُ عبدِ الأَعْلَى ، ثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن عُمارَةَ بنِ عُميرٍ قال : لما جِىء برأسِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ وأصحابِه ، نُصِبَت[8] فى المسجدِ فى الرَّحْبَةِ ، فانْتَهَيْتُ إليهم ، وهم يقولون : قد جاءَتْ ، قد جاءَتْ . فإذا حَيَّةٌ قد جاءَتْ تَخَلَّلُ الرُّءوسَ حتى دَخَلَت فى مِنْخَرَىْ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ ، فمكَثَت هُنَيْهةً ، ثم خرَجَت ، فذَهَبَت حتى تغَيَّبت ، ثم قالوا : قد جاءَتْ ، قد جاءَتْ . ففعَلَت ذلك مرَّتَيْن أو ثلاثًا . ثم قال التِّرمذىُّ : حسنٌ صَحيحٌ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عبيدا » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « تليدا » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والتليد : الذى ولد ببلاد العجم ثم حُمل صغيرًا فنبت فى بلاد الإسلام . وجمع تليد : تُلَداء . انظر اللسان (ت ل د) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٦ ، من طريق أبى داود عن زيد بن أرقم .

(٦) معجم الطبرانى الكبير ٥/ ٢٣٤ ، ٢٣٨ (٥١٠٧ ، ٥١٢١) . قال فى المجمع ٩/ ١٩٥ : وفيه حرام بن عثمان ، وهو متروك .

(٧) سنن الترمذى (٣٧٨٠) . صحيح الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٩٧٤) . وقد ساق المصنف ، رحمه الله ، هذا الأثر هنا للاتعاظ والعبرة .

(٨) فى مصدر التخريج : « نضدت » .

وأمَر[1] ابنُ زِيادٍ أنِ الصلاةَ جامعةً ، فاجْتَمَع الناسُ ، فصَعِد المنبرَ فحمِد اللَّهَ وأثنى عليه ، ثم ذكَر ما فتَح اللَّهُ عليه مِن قَتْلِ الحسينِ الذى أراد أن يَسْلُبَهم المُلْكَ ، ويُفَرِّقَ الكَلِمةَ عليهم ، فقام إليه عبدُ اللَّهِ [٦/٢٠٦و] بنُ عَفِيفٍ الأزديُّ ، فقال : ويْحَك يا بنَ زِيادٍ ! تَقْتلُون أولادَ النَّبيِّين وتَتَكَلَّمون بكلامِ الصِّدِّيقِين . فأمَر به ابنُ زِيادٍ ، فقُتِل وصُلِب . ثم أَمَر برأسِ الحسينِ ، فنُصِب بالكوفةِ وطِيف به فى أَزِقَّتِها ، ثم سَيَّره مع زَحْرِ بنِ قيسٍ ومعه رُءوسُ أصحابِه ، إلى يزيدَ بنِ مُعاويةَ بالشامِ ، وكان مع زَحْرٍ جَماعةٌ مِن الفُرْسانِ ؛ منهم أبو بُرْدَةَ بنُ عوفٍ الأزْديُّ ، وطارقُ بنُ أبى ظَبْيانَ الأزْديُّ ، فخرَجوا حتى قَدِموا بالرُّءوسِ كلِّها على يزيدَ بنِ مُعاويةِ .

قال هشامٌ[2] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ بنِ رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ الجُذاميُّ ، عن أبيه ، عن الغازِ بنِ رَبيعةَ الجُرَشيِّ ؛ مِن حِمْيَرَ قال : واللَّهِ إنى لَعندَ يزيدَ بنِ مُعاويةَ بدِمشقَ ، إذ أقْبَل زَحْرُ بنُ قيسٍ ، فدَخَل على يَزيدَ ، فقال له يزيدُ : ويْلَك ! ما وراءَك ؟ [3] فقال : أبْشِرْ يا أميرَ المؤمنين بفَتْحِ اللَّهِ عليك ونَصْرِه ، وَرَد علينا الحسينُ ابنُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ وثمانيةَ عشَرَ مِن أهلِ بيتِه ، وستون رجلًا مِن شِيعتِه ، فسِرْنا إليهم ، فسَأَلْناهم أن يَسْتَسلِموا ويَنْزِلوا على حُكْمِ الأميرِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ أو القِتالَ ، فاخْتاروا القِتالَ ، فغَدَوْنا عليهم مع شُروقِ الشمسِ ، فأحَطْنا بهم مِن كلِّ ناحيةٍ حتى أخَذَت السُّيوفُ مَأْخَذَها مِن هامِ القومِ ، فجعَلوا يَهْرُبون إلى غيرِ مَهْرَبٍ ولا وَزَرٍ[4] ، ويَلُوذون منا بالآكامِ والحُفَرِ لِواذًا كما لاذ الحمامُ مِن صَقْرٍ ،[3]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٥٩، ٤٦٠، من طريق هشام به .

(٣ - ٣) فى ص : «فذكر له الحسين وما كان من أمره بكربلاء» .

(٤) الوزر : الملجأ . اللسان (و ز ر) .

(١ فواللَّهِ ما كان(٢) إلا جَزْرُ جَزورٍ أو نَوْمةُ قائلٍ ، حتى أتَيْنا على آخِرِهم ، فهاتِيك أجْسادُهم مُجَرَّدةٌ ، وثِيابُهم مُرَمَّلةٌ(٣) ، وخُدودُهم مُعَفَّرةٌ ، تَصْهَرُهم الشمسُ وتَسْفِى عليهم الريحُ ، زُوَّارُهم العِقْبانُ والرَّخَمُ . قال :١) فدَمَعَت عَيْنا يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وقال : قد كنتُ أرْضَى مِن طاعتِكم بدونِ قتلِ الحسينِ ، لعَن اللَّهُ ابنَ مَرْجانةَ(٤) ، أمَا واللَّهِ لو أنى صاحبُه لَعَفَوْتُ عنه ، ورَحِم اللَّهُ الحسينَ . ولم يَصِلْ زحْرَ بنَ قيسٍ بشىءٍ .

ولما وُضِع الحسينُ بينَ يَدَىْ يَزيدَ قال(٥) : أمَا واللَّهِ لو أنى صاحبُك ما قَتَلْتُك . ثم أنْشَد قولَ الحُصَينِ بنِ الحُمَامِ المُرِّىِّ(٦) الشاعرِ :

يُفَلِّقْنَ هامًا مِن رجالٍ أَعِزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظْلَمَا

قال أبو مِخْنَفٍ(٧) : فحدَّثنى أبو جعفرٍ (٨العَبْسىُّ ، عن أبى عُمارةَ٨) العَبْسىِّ قال : وقام يَحْيى بنُ الحَكَمِ أخو مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ فقال :

لَهامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أدْنَى قَرابةً ... مِن ابنِ زِيادِ العبدِ ذى الحَسَبِ الوَغْلِ
سُمَيَّةُ أَضْحَى نَسْلُها عَدَدَ الحَصَى ... (٩وبنتُ رسولِ اللَّهِ ليس لها نَسْلُ٩)

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « كانوا » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٣) مرملة : مُلَطَّخة بالدم . انظر اللسان (ر م ل) .
(٤) فى الأصل ، ٦١ ، م ، وتاريخ الطبرى : « سمية » . ومعروف أن ابن سمية هو زياد أبو عبيد اللَّه . وانظر ما سيأتى فى صفحة ٥٦٢ .
(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٦٠ .
(٦) فى الأصل ، ٦١ : « المزنى » ، وفى ص : « المازنى » . وانظر المفضليات ص ١٠٠ ، ١٠٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥٤ .
(٧) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٦٠ ، ٤٦١ ، من طريق أبى مخنف .
(٨ - ٨) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٩ - ٩) فى م : « وليس لآل المصطفى اليوم من نسل » ، وكذا فى هامش المخطوطة (ص) . وهو موافق لرواية الكامل ٤/ ٩٠ . وفى البيت إقواء .

[٦/٢٠٦ظ] قال : فضرَب يزيدُ فى صدرِ يحْيَى بنِ الحكَمِ ، وقال : اسْكُتْ .

وقال محمدُ بنُ حُمَيدٍ الرازىُّ[(١)] ، وهو شِيعىٌّ : ثنا محمدُ بنُ يحيى الأَحْمَرىُّ ، ثنا ليثٌ ، عن مُجاهدٍ قال : لما جِىءَ برأسِ الحسينِ ، فوُضِع بينَ يدَىْ يَزيدَ تَمَثَّل بهذه الأبْياتِ[(٢)] :

ليتَ أشْياخى ببدرٍ شَهِدوا ... جَزَعَ الخَزْرَجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ
[(٣)]فأهَلُّوا واسْتَهَلُّوا فَرَحًا ... ثم قالوا لى [(٤)]هَنِيًّا لا تَسَلْ[(٤)]
حينَ حَكَّت بقُباءٍ[(٥)] بَرْكَها ... واستحرَّ القتلُ فى عبدِ الأَشَلْ[(٣)]
قد قَتَلْنا [(٦)]الضِّعفَ مِن أشْرافِهم[(٦)] ... [(٧)]وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ[(٧)] فاعتَدَلْ

قال مجاهدٌ : نافَق فيها ، واللَّهِ ثم واللَّهِ ما بَقِىَ فى جيشِه أحدٌ إلا تَرَكه[(٨)] .

وقد اخْتَلف العلماءُ بعدَ هذا فى الرأسِ هل سَيَّره ابنُ زِيادٍ مِن الكوفةِ إلى يزيدَ بالشامِ أم لا ؟ على قولَيْن ، والأولُ أشبهُ وقد وَرَد فى ذلك آثارٌ كثيرةٌ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٥/ ٣٤٣، من طريق محمد بن يحيى به ، ولم يذكر البيتين الأخيرين .
(٢) الأبيات - غير البيت الثانى - من قصيدة لعبد اللَّه بن الزبعرى قالها بعد أحدٍ وهو مشرك ، وتقدمت فى ٥/٤٧٤ - ٤٧٦.
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤ - ٤) فى المنتظم : « بقيت لأتمثل » .
(٥) فى الأصل ، ٦١، م : « بفناء » . والمثبت مما تقدم فى ٥/ ٤٧٥. وتأمل هناك تصحيح الشيخ محمود شاكر لهذه الرواية .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ٦١، م : « الضعف من أشرافكم » ، وفى ص : « القرم من ساداتهم » . والمثبت مما تقدم . والقرم : السيد المعظَّم .
(٧ - ٧) فى ص : « وعدلناه ببدر » .
(٨) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « أى ذمه وعابه » . وفى ص : « مر له آفة وعاهة » . والمثبت من المنتظم .

قال أبو مِخْنَفٍ[1] عن أبى حَمْزةَ الثُّمالىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ الثُّمالىِّ[2] ، عن القاسمِ بنِ بُخَيْتٍ قال : لما وُضِع رأسُ الحسينِ بينَ يدَىْ يزيدَ بنِ مُعاويةَ جعَل يَنْكُتُ بقَضِيبٍ كان فى يدِه فى ثَغْرِه ، ثم قال : إن هذا وإيانا كما قال الحُصَيْنُ ابنُ الحُمَامِ المُرِّىُّ :

يُفَلِّقْنَ هامًا مِن رجالٍ [3]أَعِزَّةٍ علينا[3] وهم كانوا أعَقَّ وأظْلَمَا

فقال له أبو بَرْزَةَ الأسْلَمىُّ : أما واللَّهِ لقد أخَذ قَضِيبُك هذا مَأْخَذًا ، لقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَرْشُفُه . ثم قال له : أمَا إنَّ هذا سيَجِىءُ يومَ القِيامةِ وشَفيعُه محمدٌ ﷺ ، وتَجِىءُ وشفيعُك ابنُ زِيادٍ . ثم قام فوَلَّى .

وقد رَواه ابنُ أبى الدُّنيا ، عن أبى الوَليدِ ، عن خالدِ بنِ يَزيدَ بنِ أَسَدٍ ، عن عَمّارٍ الدُّهْنىِّ ، عن أبى[4] جعفرٍ قال : لما وُضِع رأسُ الحسينِ بينَ يدَىْ يزيدَ ، وعندَه أبو بَرْزَةَ جعَل يَنْكُتُ بالقَضِيبِ [5]على لثَتِه ويقولُ : يُفَلِّقْن هامًا[5] . فقال له أبو بَرْزَةَ : ارْفَعْ قَضِيبَك ، فلقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَلْثَمُه .

قال ابنُ أبى الدنيا : وحدَّثنى مَسْلَمةُ بنُ شَبيبٍ ، عن الحُمَيْدىِّ ، عن سفيانَ ، سَمِعْتُ سالمَ بنَ أبى حَفْصةَ قال : قال الحسنُ : لمَّا جِىءَ برأسِ الحسينِ جعَل يَزيدُ يَطْعُنُ بالقَضِيبِ . قال سفيانُ : وأُخْبِرْتُ أن الحسنَ كان يُنْشِدُ على إثْرِ هذا :

سُمَيَّةُ أمْسَى نَسْلُها عدَدَ الحَصَى وبنتُ رسولِ اللَّهِ ليس لها نَسْلُ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٦٥، من طريق أبى مخنف به .

(٢) فى النسخ : « اليمانى » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣ - ٣) فى تاريخ الطبرى : « أحبة إلينا » .

(٤) سقط من : الأصل ، ٦١، م . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٠٩.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

[٦/٢٠٧و] وأما[1] بَقِيةُ أهلِه ونِساؤه وحُرَمُه فإن عمرَ بنَ سعدٍ وَكَل بهم مَن يَحْرُسُهم ويَكْلَؤُهم، فأرْكَبوهم على الرَّواحِلِ فى الهَوادِجِ، فلمَّا مَرُّوا بمكانِ المعركةِ رَأَوا الحسينَ وأصحابَه مُجَدَّلين، هنالك بَكَتْه النِّساءُ، وصَرَخْنَ، ونَدَبَت زينبُ أخاها الحسينَ وأهلَها، فقالت وهى تَبْكى: يا مُحَمداه، يا محمداه، صلَّى عليك ملائكَةُ السَّماء، هذا حسينٌ بالعَراء، مُزَمَّلٌ بالدِّماء، مُقَطَّعُ الأعْضاء، يا مُحمداه، وبَناتُك سَبايا، وذُرِّيَّتُك مُقَتَّلةٌ تَسْفِى عليها الصَّبا. قال: فأبْكَت واللَّهِ كلَّ عدوٍّ وصَديقٍ[2].

قال[3]: ثم ساروا بهم فى الهَوادِجِ مِن كَرْبَلاءَ حتى دَخَلوا الكوفةَ، فأكْرَمهم ابنُ زِيادٍ[4]، وأجْرَى عليهم النَّفَقاتِ والكَساوِىَ والصِّلاتِ.

[5]ثم سيَّرهم فردَّهم عبيدُ اللَّهِ إلى الشامِ مع شَمِر بنِ ذى الجَوْشَنِ ومُحَفِّزِ بنِ ثعلبةَ العائذىِّ من قريشٍ، ومعهم علىُّ بنُ الحسينِ زينُ العابدين، وكان أراد ابنُ زيادٍ قَتْلَه، فصرَفه اللَّهُ عنه، فلمَّا بعثَهم سيَّره مع أهلِه، ولكنه مَغْلولٌ إلى عنقِه، وبقيةُ الأهلِ فى حالٍ سيئةٍ على ما ذكَر بعضُهم[5].

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٥٥ - ٤٥٧.

(٢) بعده فى الأصل، ٦١، م: «قال قرة بن قيس: لما مرت النسوة بالقتلى صحن ولطمن وجوههن، قال: فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظرٍ رأيته منهن ذلك اليوم، واللَّه إنهن لأحسن من مَهَا يَبرين. وذكر الحديث كما تقدم، ثم».

(٣) القائل هو حميد بن مسلم. انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٥٦، ٤٥٧.

(٤) لم نجد فى تاريخ الطبرى ما يدل على أن ابن زياد أكرمهم، وأجرى عليهم النفقات، والذى وجدناه أن يزيد بن معاوية هو الذى أكرمهم. انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٦٢، ٤٦٤.

(٥ - ٥) فى الأصل، ٦١، م: «قال: ودخلت زينب ابنة فاطمة فى أَرذل ثيابها، قد تنكرت وحفت بها إماؤها، فلما دخلت على عبيد اللَّه بن زيادٍ قال: من هذه؟ فلم تكلمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال ابن زيادٍ: الحمد للَّه الذى فضحكم وقتّلكم وكذب أُحدوثتكم. فقالت: بل الحمد =

فلَمَّا[1] دخَلوا على يَزيدَ بنِ معاويةَ قال لعليِّ بنِ الحسينِ : يا عليُّ ، أبوك الذى قَطَع رَحِمى ، وجَهِل حقى ، ونازَعَنى سُلْطانى ، فصَنَع اللَّهُ به ما قد رأَيْتَ . فقال عليٌّ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد : ٢٢] . فقال يَزيدُ لابنِه خالدٍ : ارْدُدْ عليه . قال : فما

= للَّه الذى أكرمنا بمحمدٍ ، وطهرنا تطهيرًا لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر . قال : كيف رأيت صنع اللَّه بأهل بيتكم ؟ فقالت : كتب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع اللَّه بينك وبينهم فيحاجونك إلى اللَّه . قال : فغضب ابن زيادٍ واستشاط ، فقال له عمرو بن حريث : أصلح اللَّه الأمير ، إنما هى امرأةٌ ، وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ولا تلام على خطلٍ .

وقال أبو مخنفٍ ، عن المجالد ، عن سعيدٍ : إن ابن زيادٍ لما نظر إلى على بن الحسين زين العابدين قال لشرطىٍّ : انظر أأدرك هذا الغلام ؟ فإن كان أدرك فانطلقوا به ، فاضربوا عنقه . فكشف إزاره عنه فقال : نعم . فقال : اذهب به فاضرب عنقه . فقال له على بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة ، فابعث معهن رجلًا يحافظ عليهن . فقال له ابن زيادٍ : تعال أنت . فبعثه معهن .

قال أبو مخنفٍ : وأما سليمان [٦/٢٠٧ظ] بن أبى راشدٍ ، فحدثنى عن حميد بن مسلمٍ قال : إنى لقائم عند ابن زيادٍ حين عرض عليه على بن الحسين ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا على بن الحسين . قال : أو لم يقتل اللَّه على بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زيادٍ : ما لك لا تتكلم ؟ قال : كان لى أخ يقال له : عليٌّ أيضًا ، قتله الناس . قال : إن اللَّه قتله . فسكت ، فقال : ما لك لا تتكلم ؟ فقال : ﴿ اللَّه يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ [الزمر : ٤٢] ، ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللَّه ﴾ [آل عمران : ١٤٥] . قال : أنت واللَّه منهم ، ويحك ، انظروا هذا أدرك ؟ واللَّه إنى لأحسبه رجلًا ، فكشف عنه مرى ابن معاذٍ الأحمرى ، فقال : نعم قد أدرك . فقال : اقتله . فقال على بن الحسين : من توكل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا بن زيادٍ ، حسبك منا ما فعلت بنا ، أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحدًا ؟! قال : واعتنقته وقالت : أسألك باللَّه إن كنت مؤمنًا إن قتلته لما قتلتنى معه . وناداه عليٌّ فقال : يا بن زيادٍ ، إن كانت بينك وبينهن قرابة ، فابعث معهن رجلًا تقيًّا يصحبهن بصحبة الإسلام . قال : فنظر إليهن ساعةً ، ثم نظر إلى القوم فقال : عجبًا للرحم ، واللَّه إنى لأظن أنها ودت لو أنى قتلته أن أقتلها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

قال : ثم إن ابن زيادٍ أمر بنساء الحسين وصبيانه وبناته ، فجهزن إلى يزيد ، وأمر بعلى بن الحسين ، فغل بغلٍّ إلى عنقه ، وأرسلهم مع محفز بن ثعلبة العائذى ، من عائذة قريشٍ ، ومع شمر بن ذى الجوشن ، قبحه اللَّه ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية ، رفع محفز بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفز بن ثعلبة ، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة . فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم محفزٍ شرٌّ وألأم » .

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٦١.

دَرَى خالدٌ ما يَرُدُّ عليه . فقال له يزيدُ : قل : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ [٦/٢٠٨و] وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] . فسَكَت عنه ساعةً ، ثُم دَعا بالنِّساءِ والصِّبْيانِ ، فرَأَى هَيْئةً قَبِيحةً ، فقال : قَبَّح اللَّهُ ابنَ مَرْجانةَ ، لو كانت بينَكم وبينَه قَرابةٌ ورَحِمٌ ما فعَل هذا بكم ، ولا بَعَث بكم هكذا .

ورَوَى أبو مِخْنَفٍ[1] ، عن الحارثِ بنِ كعبٍ ، عن فاطمةَ بنتِ عليٍّ قالت : لَمَّا أُجْلِسْنا بينَ يدَىْ يَزيدَ ، رَقَّ لنا وأمَرَ لنا بشىءٍ وألْطَفَنا ، ثُم إن رجلًا مِن أهلِ الشامِ أحْمَرَ قام إلى يَزيدَ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَبْ لى هذه . يَعْنِينى ، وكنتُ جاريةً وَضِيئةً ، فارْتَعَدْتُ فَزِعةً مِن قولِه ، وظَنَنْتُ أنَّ ذلك جائزٌ لهم ، فأخَذْتُ بثِيابِ أختى زينبَ ، وكانت أكْبَرَ منى وأعْقَلَ ، وكانت تَعْلَمُ أن ذلك لا يَجوزُ ، فقالت لذلك الرجلِ : كَذَبْتَ واللَّهِ ولَؤُمْتَ ، ما ذلك لك ولا له . فغَضِب يَزيدُ ، فقال لها : كذَبْتِ ، واللَّهِ إن ذلك لى ، ولو شئتُ أن أفْعَلَه لَفعَلْتُ . قالت : كلا واللَّهِ ، ما جَعَل اللَّهُ ذلك لك ، إلَّا أن تَخْرُجَ مِن مِلَّتِنا وتَدِينَ بغيرِ دِينِنا . قالت : فغَضِب يَزيدُ واسْتَطار ، ثُم قال : إياىَ تَسْتَقْبِلين بهذا ؟ إنَّما خَرَج مِن الدينِ أبوكِ وأخوكِ . فقالت زينبُ : بدِينِ اللَّهِ ودِين أبى ودِين أخى وجَدِّى ، اهْتَدَيْتَ أنت وأبوك وجَدُّك . قال : كَذَبْتِ يا عدُوَّةَ اللَّهِ . قالت : أنت [2]أميرٌ مُسَلَّطٌ[2] ، تَشْتُمُ ظالمًا وتَقْهَرُ بسُلْطانِك . قالت : فواللَّهِ لكأنَّه اسْتَحْيا فسَكَت ، ثم قام الشامىُّ[3] فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَبْ لى هذه . فقال له يَزيدُ : اعْزُبْ وَهَب اللَّهُ لك حَتْفًا قاضيًا .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٤٦١ - ٤٦٣، من طريق أبى مخنف به .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١: « أمير المؤمنين » ، وفى م : « أمير المؤمنين مسلط » ، وفى ص : « أمر » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « ذلك الرجل » .

ثم أمَر يَزيدُ النُّعْمانَ بنَ بَشيرٍ أن يَبْعَثَ معهم إلى المَدينةِ رجلًا أمينًا ، معه رجالٌ وخيلٌ ، ويكونَ عليُّ بنُ الحسينِ معهم ، ثم أنْزَل النِّساءَ عندَ حَرَمِه فى دارِ الخِلافةِ ، فاسْتَقْبَلَهن نِساءُ آلِ مُعاويةَ يَبْكِين ويَنُحْنَ على الحسينِ ، ثم أَقَمْنَ المَناحةَ ثلاثةَ أيامٍ ، وكان يَزيدُ لا يَتَغَدَّى ولا يَتَعَشَّى إلَّا ومعه عليُّ بنُ الحسينِ[1] وعَمرُو بنُ الحسنِ[1] ، فقال يَزيدُ يومًا لعمرٍو[2] ، وهو صغيرٌ جدًّا : أتُقاتِلُ هذا ؟ يعنى ابنَه خالدَ بنَ يَزيدَ[3] ، فقال : أعْطِنى سِكِّينًا وأعْطِه سِكِّينًا حتى نَتقاتَلَ . فأخَذه يَزيدُ فضَمَّه إليه ، وقال : شِنْشِنةٌ أَعْرِفُها مِن أخْزَمَ[4] ، هل تَلِدُ الحَيَّةُ إلَّا حيةً ؟!

ولَمَّا وَدَّعهم يَزيدُ قال لعليِّ بنِ الحسينِ : قَبَّح اللَّهُ ابنَ مَرْجانَةَ[5] ، أمَا واللَّهِ لو أنى صاحبُه ، ما سألَنى خَصْلةً إلَّا أعْطَيْتُه [٦/٢٠٨ظ] إيَّاها ، ولَدَفَعْتُ الحَتْفَ عنه بكلِّ ما اسْتَطَعْتُ ، ولو بهَلاكِ بعضِ وَلَدى ، ولكنَّ اللَّهَ قَضَى ما رأيْتَ . ثُم جَهَّزه وأعْطاه مالًا جزيلًا ، وقال له : كاتِبْنى بكلِّ حاجةٍ تكونُ لك ، وكَساهم وأوْصَى بهم ذلك الرسولَ . فكان ذلك الرسولُ الذى أرْسَله معهن يَسِيرُ بمَعْزِلٍ عنهن مِن الطريقِ ، ويَبْعُدُ عنهن بحيث يُدْرِكُهن طَرْفُه ، وهو فى خِدْمتِهن حتى وَصَلن

(١ - ١) فى الأصل ، ٦١ ، م : « وأخوه عمر بن الحسين » ، وفى ص : « وأخوه عمرو بن الحسين » ، وفى تاريخ الطبرى : « وعمر بن الحسن » . والمثبت من الكامل ٤/ ٨٧. وانظر نسب قريش ص ٥٠ ، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٠٥، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٨.

(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « لعمر بن الحسين » ، وفى تاريخ الطبرى : « لعمر بن الحسن » .

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « يريد بذلك ممازحته وملاعبته » .

(٤) هذا مثل يضرب فى قرب الشبه ، تمثل به يزيد ، وأصله أن رجلا من طيئ يسمى أخزم كان عاقا لوالده ، فلما مات ترك بنين يشبهونه فى العقوق ، فوثبوا يوما على جدهم أبى أخزم وضربوه وأدموه ، فقال :

إن بنى ضرجونى بالدم شنشنة أعرفها من أخزم

والشنشنة : الطبيعة والعادة . وقد قيل فى أصله غير ذلك . انظر مجمع الأمثال ٢/ ١٥٥، ١٥٦.

(٥) فى النسخ : « سمية » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ص ٥٥٧ حاشية (٤) .

المَدينةَ ، فجمَعن شيئًا من حُلِيِّهن ، فدفَعْنه إلى ذلك الرجلِ فأبى أن يَقْبَله ، وقال : إنما فعلتُ ذلك للَّهِ ولقرابتِكم من رسولِ اللَّهِ ﷺ[1] .

وهذا يَرُدُّ قولَ الرافضةِ : إنهم حُمِلوا على جَنائِبِ[2] الإبلِ سَبايا عَرايا . حتى كَذَب مَن زَعَم منهم أن الإبلَ البَخاتِيَّ إنما نَبَتَتْ لها الأَسْنِمةُ مِن ذلك اليومِ

---

(١) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « وقيل : إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أُتى ابن فاطمة ، وما الحامل له على ما فعل ، وما الذى أوقعه فيما وقع فيه ؟ قالوا : لا . قال : يزعم أن أباه خير من أبى ، وأُمه فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ خير من أُمى ، وجده رسول اللَّه ﷺ خير من جدى ، وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى ؛ فأما قوله : أبوه خير من أبى . فقد حاج أبى أباه إلى اللَّه ، عز وجل ، وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله : أُمى خير من أُمه . فلعمرى إن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ خير من أُمى ، وأما قوله : جدى رسول اللَّه ﷺ خير من جده . فلعمرى ما أحد يؤمن باللَّه واليوم الآخر يرى أن لرسول اللَّه ﷺ فينا عدلًا ولا ندًّا ، ولكنه إنما أُتى من قبل فقهه ، لم يقرأ : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ الآية [آل عمران : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة : ٢٤٧] . فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين ، وكانت أكبر من سكينة : يا يزيد ، بنات رسول اللَّه ﷺ سبايا ! فقال يزيد : يا بنت أخى ، أنا لهذا كنت أكره . قالت : قلت : واللَّه ما تركوا لنا خرصًا . فقال : ابنة أخى ، ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أَدخلهن دارًا ، [٦/٢٠٩و] ثم أرسل إلى كل امرأةٍ منهن : ماذا أُخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدعى شيئًا بالغًا ما بلغ إلا أضعفه لها .

وقال هشام ، عن أبى مخنفٍ ، حدثنى أبو حمزة الثمالى ، عن عبد اللَّه الثمالى ، عن القاسم بن بخيتٍ قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلًا ، فأتينا واللَّه على آخرهم ، وهذه الرءوس والسبايا . فوثب مروان ، وانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم ، فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حجبتم عن محمدٍ ﷺ يوم القيامة ، لن أُجامعكم على أمرٍ أبدًا . ثم قام فانصرف .

قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بنى هاشم ونحن عليه .

وروى أن يزيد استشار الناس فى أمرهم ، فقال رجال ممن قبحهم اللَّه : يا أمير المؤمنين ، لا تتخذن من كلب سوءٍ جروًا ، اقتل على بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد . فسكت يزيد ، فقال النعمان ابن بشيرٍ : يا أمير المؤمنين ، اعمل معهم ما كان يعمل معهم رسول اللَّه ﷺ لو رآهم على هذه الحال . فرق عليهم يزيد ، وبعث بهم إلى الحمام ، وأَجرى عليهم الكساوى والعطايا والأطعمة ، وأنزلهم فى داره » .

(٢) الجنائب : جمع جَنِيبة ، وهى الدابة تُقاد . انظر اللسان (ج ن ب) .

لتَسْتُرَ عَوْراتِهن .

وكتَب ابنُ زِيادٍ[1] إلى عمرِو بنِ سعيدٍ أميرِ الحَرَمَيْن يُبَشِّرُه بمَقْتَلِ الحسينِ ، فأمَر مُنادِيًا فنادَى بذلك فى المدينة . فلما سَمِع نساءُ بنى هاشمٍ ارْتَفَعت أصْواتُهن بالبُكاءِ والنَّوْحِ ، فجعَل عمرُو بنُ سعيدٍ يقولُ : هذا بِبُكاءِ نِساءِ عثمانَ بنِ عَفانَ[2] .

قال أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ الطَّبَرىُّ فى « تاريخِه »[3] : فحَدَّثنى زكريا بنُ يَحْيَى الضَّرِيرُ ، ثنا أحمدُ بنُ جَنَابٍ[4] المِصِّيصِىُّ ، ثنا خالدُ بنُ يَزيدَ بنِ[5] عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ، ثنا عمَّارٌ الدُّهْنىُّ قال : قلتُ لأبى جعفرٍ : حَدِّثْنى عن مَقْتَلِ الحسينِ كأنِّى حَضَرْتُه . فقال : أقْبَل الحسينُ بكتابِ مسلمِ بنِ عَقِيلٍ الذى كان قد كَتَبه إليه يَأْمُرُه فيه بالقُدومِ عليه ، حتى إذا كان بينَه وبينَ القادسيةِ ثلاثةُ أمْيالٍ ، لَقِيَه الحُرُّ بنُ يَزيدَ التَّمِيمىُّ فقال له : أين تُرِيدُ ؟ فقال : أُرِيدُ هذا المِصْرَ . فقال له : ارْجِعْ ، فإنى لم أَدَعْ لك خَلْفى خيرًا أَرْجُوه . فهَمَّ الحسينُ أن يَرْجِعَ ، وكان معه إخْوةُ مسلمِ بنِ عَقِيلٍ ، فقالوا : واللَّهِ لا نَرْجِعُ حتى نَأْخُذَ بثَأْرِنا مِمَّن قَتَل أخانا أو

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٦٥.

(٢) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « وقال عبد الملك بن عمير : دخلت على عبيد اللَّه بن زيادٍ ، وإذا رأس الحسين بن على بين يديه على ترسٍ ، فواللَّه ما لبثت إلا قليلًا حتى دخلت على المختار بن أبى عبيدٍ ، وإذا رأس عبيد اللَّه بن زياد بين يدى المختار على ترسٍ ، وواللَّه ما لبثت إلا قليلًا حتى دخلت على مصعب بن الزبير ، وإذا رأس المختار بين يديه على ترسٍ ، وواللَّه ما لبثت إلا قليلًا حتى دخلت على عبد الملك بن مروان ، وإذا رأس مصعب [٦/٢٠٩ظ] بن الزبير على ترسٍ بين يديه » .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٣٨٩، ٣٩٠، بنحوه .

(٤) فى الأصل ، ص : « حباب » ، وفى م : « خباب » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٢٨٣.

(٥) فى الأصل ، ٦١، م : « عن » . وانظر المصدر السابق .

نُقْتَلَ . فقال : لا خيرَ فى الحياةِ بعدَكم . فسار فلَقِيَه أَوائلُ خيلِ ابنِ زِيادٍ ، فلمَّا رَأَى ذلك عاد إلى كَرْبَلاءَ ، فأسْنَد ظهرَه إلى (1) قَصْباءٍ وخَلًا (1) ؛ لِئَلَّا يُقاتِلَ إلَّا مِن وجهٍ واحدٍ ، فنَزَل وضَرَب أبْنِيَتَه ، وكان أصحابُه خمسةً وأرْبعين فارسًا ومائةَ راجلٍ ، وكان عمرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ قد وَلَّاه ابنُ زِيادٍ الرَّىَّ ، وعَهِد إليه عَهْدَه ، فقال : اكْفِنى هذا الرجلَ . فقال : أعْفِنى . فأَبَى أن يُعْفِيَه . فقال : أنْظِرْنى الليلةَ . فأَخَّره فنَظَر فى أمْرِه ، فلمَّا أصْبَح غَدا عليه راضيًا بما أمَره به ، فتَوَجَّهَ إليه عمرُ بنُ سعدٍ ، فلمَّا أتاه قال له الحسينُ : اخْتَرْ واحدةً مِن ثلاثٍ ؛ إما أن تَدَعونى فأنْصَرِفَ مِن حيثُ جِئتُ ، وإمَّا أن تَدَعونى فأذْهَبَ إلى يَزيدَ ، وإمَّا أن تَدَعونى فأَلْحَقَ بالثُّغورِ . فقَبِل ذلك عمرُ ، فكَتَب إليه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ : لا ولا كَرامةَ حتى يَضَعَ يدَه فى يدى . فقال الحسينُ : لا واللَّهِ لا يكونُ ذلك أبدًا . فقاتَلَه ، فقُتِل أصحابُ الحسينِ كلُّهم ، وفيهم بِضْعَةَ عشَرَ شابًّا مِن أهلِ بيتِه ، وجاءه سَهْمٌ ، فأصاب ابنًا له معه فى حِجْرِه ، فجعَل يَمْسَحُ الدمَ عنه ويَقولُ : اللهم احْكُمْ بينَنا وبينَ قومٍ دَعَوْنا ليَنْصُرونا ، فقَتَلونا . ثم أمَر بحِبَرَةٍ فشَقَّها ، ثُم لَبِسَها وخَرَج بسيفِه ، فقاتَل حتى قُتِل ، قَتَله رجلٌ مِن مَذْحِجٍ ، وحَزَّ رأسَه ، فانْطَلَق به إلى عُبيدِ اللَّهِ ، وقال فى ذلك :

أَوْقِرْ رِكابى فِضَّةً وَذَهَبا ... فقد قتَلْتُ المَلِكَ المُحَجَّبا
قَتَلْتُ خيرَ الناسِ أُمًّا وأبَا ... وخيرَهم إذ يُنْسَبون نَسَبا

قال : فأوْفَدَه إلى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فوَضَع رأسَه بينَ يدَيْه ، وعندَه أبو بَرْزَةَ

(1 - 1) فى الأصل : « فصيتا وجلا » ، وفى ا ٦ : « قصيتا وحلافا » ، وفى م : « قصيتا وحلفا » ، وفى ص : « قصبا وحلافى » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والقصباء : جماعة القصب . والخلا : الرطب من الحشيش . اللسان (ق ص ب) ، (خ ل ى) .

الأسْلَمىُّ ، [٦/٢١٠و] فجعَل يَزيدُ يَنْكُتُ بالقَضِيبِ على فِيه ، ويقولُ :

يُفَلِّقْنَ هامًا مِن رجالٍ أَعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظْلَما

فقال له أبو بَرْزَةَ : ارْفَعْ قَضِيبَك ، فواللَّهِ لَربما رأيْتُ فا رسولِ اللَّهِ ﷺ على فِيهِ يَلْثَمُه . قال : وسَرَّح عمرُ بنُ سعدٍ بحَرَمِه وعِيالِه إلى عُبيدِ اللَّهِ ، ولم يَكُنْ بَقِىَ مِن آلِ بيتِ الحسينِ إلَّا غلامٌ كان مَريضًا مع النساءِ ، فأمَر به ابنُ زِيادٍ ليُقْتَلَ ، فطَرَحَت زينبُ نفسَها عليه وقالت : واللَّهِ لا يُقْتَلُ حتى تَقْتُلونى . فرَقَّ لها فتَرَكَه وكَفَّ عنه . قال : وجَهَّزَهم وحَمَلَهم إلى يزيدَ ، فلمَّا قَدِموا عليه جَمَع مَن كان بحَضْرَتِه مِن أهلِ الشامِ ، ثُم أدْخَلُوهم فهَنَّئُوه بالفَتْحِ ، فقال[1] رجلٌ منهم أحمرُ أزْرَقُ ، ونظرَ إلى وَصِيفَةٍ مِن بناتِهم[2] فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هَبْ لى هذه . فقالت زينبُ : لا واللَّهِ ولا كَرامةَ لك ولا له ، إلَّا أن يَخْرُجَ[3] مِن دينِ اللَّهِ . قال : فأعادها الأزْرَقُ ، فقال له يَزيدُ : كُفَّ عن هذا . ثم أدْخَلَهم على عِيالِه ، فجَهَّزهم[4] وحُمِلوا إلى المدينةِ ، فلمَّا دَخَلوها خَرَجَتِ امرأةٌ مِن بنى عبدِ المطلبِ ، ناشِرةً شَعْرَها واضعةً كُمَّها على رأسِها ، تَتَلَقَّاهم وهى تَبْكى وتقولُ :

ماذا تَقولون إن قال النبىُّ لكمْ ماذا فَعَلْتُم وأنتمُ آخِرُ الأُمَمِ
بعِتْرَتى وبأهْلى بعدَ مُفْتَقَدِى منهم أُسارَى وقَتْلى ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هذا جَزائى إذ نَصَحْتُ لكم أنْ تَخْلُفونى بسُوءٍ فى ذَوِى رَحِمى

وقد رَوَى أبو مِخْنَفٍ[5] ، عن سليمانَ بنِ أبى راشدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ

---

(١) فى م : « فقام » .
(٢) فى الأصل ، ٦١ ، م : « بناته » .
(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « تخرجا » .
(٤) سقط من : الأصل ، ٦١ ، م .
(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، من طريق أبى مخنف به مطولًا .

عُبَيدِ أبى الكَنُودِ ، أن بنتَ عَقِيلٍ هى التى قالت هذا الشعرَ . وهكذا حَكَى الزبيرُ ابنُ بَكَّارٍ أن زينبَ الصُّغْرى بنتَ عَقِيلِ بنِ أبى طالبٍ هى التى قالت ذلك حينَ دَخَل آلُ الحسينِ المدينةَ النبويةَ .

ورَوَى أبو بكرِ بنُ الأنْبارىِّ بإسنادِه ، أن زينبَ بنتَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ مِن فاطمةَ ، وهى زوجُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ أمُّ بَنِيهِ ، رَفَعَتْ سِجْفَ[1] خِبائِها يومَ كَرْبَلاءَ يومَ قُتِل الحسينُ ، وقالت هذه الأبياتَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال هشامُ بنُ الكَلْبىِّ[2] : حدَّثنى بعضُ أصْحابِنا ، عن عمرِو بنِ أبى[3] المِقْدامِ قال : حدَّثنى عمرُ بنُ عِكْرِمةَ قال : أصْبَحْنا صَبِيحةَ قُتِل الحسينُ بالمدينةِ ، فإذا [4]مَوْلاةٌ لنا تُحَدِّثُنا[4] قالت : سَمِعْتُ البارحةَ مُنادِيًا يُنادِى وهو يَقولُ :

أيها القاتِلون جَهْلًا[5] حُسَينًا ... أَبْشِروا بالعَذابِ والتَّنْكِيلِ
كلُّ أهلِ السماءِ يَدْعُو عليكم ... مِن نبىٍّ ومَلْأَكٍ[6] وقَبِيلِ
[٦/ ٢١٠ظ] قد لُعِنْتُم على لسانِ ابنِ داو ... دَ وموسى وحاملِ الإنْجِيلِ

قال هشامٌ[7] : حدَّثنى عمرُو بنُ حَيْزومٍ الكَلْبىُّ ، عن أُمِّه[8] قالت : سَمِعْتُ هذا الصوتَ .

---

(١) السجف : أحد السِّترين المقرونين بينهما فرجة . الوسيط (س ج ف) .
(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤٦٧/٥ من طريق هشام به .
(٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) فى تاريخ الطبرى : « مولى لنا يحدثنا » .
(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « ظلما » .
(٦) فى النسخ : « مالك » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٧) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤٦٧/٥ من طريق هشام به .
(٨) فى تاريخ الطبرى : « أبيه » .

ومما أنْشَده الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابوريُّ[1] وغيرُه لبعضِ المُتَقَدِّمين فى مَقْتَلِ الحُسَينِ :

جاءُوا برأسِك يا بنَ بنتِ محمدٍ ... مُتَزَمِّلًا بدِمائِه تَزْمِيلَا
وكأنَّما بك يا بنَ بنتِ محمدٍ ... قَتَلوا جَهارًا عامِدِين رَسولَا
قتَلوك عَطْشانًا ولم يَتَرَقَّبوا[2] ... فى قَتْلِك [3]التَّنْزِيلَ والتَّأْوِيلا[3]
ويُكَبِّرون بأن قُتِلْتَ وإنما ... قَتَلوا بك التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَا

فصلٌ

وكان مَقْتَلُ الحسينِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، يومَ الجُمُعةِ - وقال اللَّيْثُ وأبو نُعَيمٍ : يومَ السَّبتِ - يومَ عاشُوراءَ مِن المُحَرَّمِ سنةَ إحدى وستِّينَ . وقال هشامُ بنُ الكَلْبِىِّ : سنةَ ثِنْتَيْن وستين . وبه قال علىُّ بنُ المَدِينىِّ . وقال ابنُ لهِيعةَ : سنةَ ثِنْتَيْن أو ثلاثٍ وستين . وقال غيرُه : سنةَ ستين[4] . والصحيحُ الأولُ ، بمكانٍ [5]يُقالُ له : الطَّفُّ . بكَرْبَلاءَ[5] مِن أرضِ العِراقِ ، وله مِن العُمْرِ ثمانٍ وخمسون سنةً أو نحوُها، وأخْطَأ أبو نُعَيْمٍ فى قولِه : إنه قُتِل وله مِن العمرِ خمسٌ أو ستٌّ وستون سنةً .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٤٣.
(٢) فى الأصل ، ٦١، م : « يتدبروا » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ٦١، م : « القرآن والتنزيلا » .
(٤) أخرج هذه الأقوال ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٥٥ - ٢٥٧.
(٥ - ٥) فى ٦١، م : « من الطف يقال له كربلاء » .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا عبدُ الصَّمَدِ بنُ حَسَّانَ ، ثنا عُمارةُ ، يعنى ابنَ زاذانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : اسْتَأْذَن مَلَكُ القَطْرِ أن يَأْتىَ النبىَّ ﷺ فأَذِن له ، فقال لأُمِّ سَلَمةَ : « احْفَظى علينا البابَ لا يَدْخُلْ[2] أحدٌ » . فجاء الحسينُ بنُ علىٍّ فوَثَب حتى دَخَل ، فجعَل يَصْعَدُ على مَنْكِبِ النبىِّ ﷺ ، فقال له المَلَكُ : أتُحِبُّه ؟ قال النبىُّ ﷺ : « نعم » . قال : فإن أُمَّتَك تَقْتُلُه ، وإن شِئْتَ أَرَيْتُك المكانَ الذى يُقْتَلُ فيه . قال : فضرَب بيدِه ، فأَراه تُرابًا أحمرَ ، فأخَذَتْ أُمُّ سَلَمةَ ذلك التُّرابَ ، فصَرَّتْه فى طَرَفِ ثوبِها . قال : فكنا نَسْمَعُ : يُقْتَلُ بكَرْبَلاءَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثنا وَكِيعٌ ، حَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ أو أُمِّ سَلَمةَ ، أن رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال لإحداهما[4] : « لقد دَخَل علىَّ البيتَ مَلَكٌ لم يَدْخُلْ علَىَّ[5] قبلَها ، فقال لى : إن ابنَك هذا حسينٌ مَقْتولٌ ، وإن شئتَ أَرَيْتُك الأرضَ التى يُقْتَلُ بها » . قال : « فأخْرَج تُرْبةً حَمْراءَ » . وقد رُوِىَ هذا الحديثُ مِن غيرِ وجهٍ ، عن أمِّ سَلَمةَ[6] . ورَواه الطَّبَرانىُّ[7] ، عن [٦/٢١١و] أبى أُمامةَ ، وفيه قصةُ أُمِّ سَلَمةَ . ورَواه محمدُ بنُ سعدٍ[8] ، عن عائشةَ بنحوِ رِوايةِ أُمِّ سَلَمةَ . فاللَّهُ أعلمُ . ورُوِىَ ذلك مِن حديثِ زينبَ بنتِ جَحْشٍ ولُبابةَ أمِّ الفَضْلِ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٣٤.

(٢) بعده فى م ، ص : « علينا » .

(٣) المسند ٦/ ٢٩٤. إسناده صحيح (السلسلة الصحيحة ٨٢٢) .

(٤) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٥) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

(٦) تاريخ دمشق ١٤/١٩١ - ١٩٤.

(٧) المعجم الكبير ٨/٣٤٢ (٨٠٩٦) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ١٨٩: ورجاله موثقون وفى بعضهم ضعف .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٩٤، ١٩٥، من طريق محمد بن سعد .

امرأةِ العباسِ[1] . وأرْسَله غيرُ واحدٍ مِن التابِعين[2] .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ[3] : حَدَّثنا محمدُ بنُ هارونَ أبو بكرٍ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ الرَّقِّىُّ وعلىُّ بنُ الحُسينِ الرازىُّ قالا : ثنا سعيدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ واقدٍ الحَرَّانىُّ ، ثنا عَطاءُ بنُ مسلمٍ ، ثنا أَشْعَثُ بنُ سُحَيْمٍ ، عن أبيه قال : سَمِعْتُ أنسَ بنَ الحارثِ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن ابنى هذا - يعنى الحسينَ - يُقْتَلُ بأرضٍ يقالُ لها : كَرْبَلاءُ . فمَن شَهِد منكم ذلك فلْيَنْصُرْه » . قال : فخرَج أنسُ بنُ الحارثِ إلى كَرْبَلاءَ ، فقُتِل مع الحسينِ . ثمَّ قال : ولا أَعْلَمُ رَوَى[4] غيرَه .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حَدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ ، ثنا شُرَحْبيلُ بنُ مُدْرِكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُجَىٍّ[6] ، عن أبيه ، أنه سار مع علىٍّ - وكان صاحبَ مَطْهَرَتِه - فلمَّا حاذَى[7] نِينَوَى وهو مُنْطَلِقٌ إلى صفِّينَ ، فنادَى علىٌّ : اصْبِرْ أبا عبدِ اللَّهِ ، اصْبِرْ أبا عبدِ اللَّهِ بشَطِّ الفُراتِ . قلتُ : وماذا[8] ؟ قال : دَخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ وعَيْناه تَفِيضان ، قلتُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، أَغْضَبَك أحدٌ ؟ وما شأنُ عَيْنَيْك تَفِيضان ؟ قال : « بل[9] قام مِن عندى جِبْرِيلُ قبلُ ، فحَدَّثنى أن الحسينَ يُقْتَلُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٩٥، ١٩٦.

(٢) المصدر السابق ١٤/ ١٩٧.

(٣) المصدر السابق ١٤/ ٢٢٣، ٢٢٤، من طريق أبى القاسم البغوى به .

(٤) فى الأصل، ٦١، م : « رواه » . ومعنى العبارة أن أنس بن الحارث لم يرو غير هذا الحديث . وانظر أسد الغابة ١/ ١٤٦.

(٥) المسند ١/ ٨٥. (إسناده صحيح) .

(٦) فى الأصل، ٦١، م : « يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢١٩.

(٧) فى الأصل، ٦١، م : « جاءوا » .

(٨) بعده فى الأصل، ٦١، م : « تريد » .

(٩ - ٩) سقط من : ص . وفى الأصل، ٦١، م : « تفيضان فقلت ما أبكاك يا رسول الله قال بلى » . والمثبت من المسند .

بشَطِّ الفُراتِ » . قال : « فقال : هل لك أن أُشِمَّك مِن تُرْبتِه ؟ قلتُ : نعم . فمدَّ يدَه ، فقَبَض قُبْضةً مِن تُرابٍ فأعْطانيها ، فلم أَمْلِكْ عَيْنيَّ أن فاضَتا » . تفرَّد به أحمدُ . ورَوَى محمدُ بنُ سعدٍ[1] ، عن عليِّ بنِ محمدٍ ، عن يحيى بنِ زكريا ، عن رجلٍ ، عن عامرٍ الشَّعْبيِّ ، عن عليٍّ مثلَه .

وقد رَوَى محمدُ بنُ سعدٍ وغيرُه[2] مِن غيرِ وجهٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، أنه مَرَّ بكَرْبَلاءَ ، عندَ أشْجارِ الحَنْظَلِ ، وهو ذاهبٌ إلى صِفِّينَ ، فسأَل عن اسْمِها فقيل : كَرْبَلاءُ . فقال : كَرْبٌ وبَلاءٌ . فنزَل وصَلَّى عندَ شجرةٍ هناك ، ثم قال : يُقْتَلُ ههنا شهداءُ هم خيرُ الشُّهداءِ غيرَ الصَّحابةِ ، يَدْخُلون الجنةَ بغيرِ حِسابٍ . وأشار إلى مكانٍ هنالك ، فعَلَّموه بشيءٍ ، فقُتِل فيه الحُسَينُ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقد رُوِى عن كَعْبِ الأحْبارِ آثارٌ فى كَرْبَلاءَ[3] . وقد حَكَى أبو الجَنابِ الكَلْبيُّ وغيرُه[4] أن أهلَ كَرْبَلاءَ لا يَزالون يَسْمَعون نَوْحَ الجِنِّ على الحسينِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وهُنَّ يَقُلْنَ :

[٦/٢١١ظ] مسَح الرسولُ جَبينَه ... فلـه بَـرِيـقٌ فـى الخُدودِ

أبَـواه مِـن عَـلْـيَـا قـريـ ... ـشٍ جَـدُّه خـيـرُ الجُدودِ

وقد أجابَهم بعضُ الناسِ فقال :

خـرَجـوا بـه وَفْـدًا إلـيـ ... ـه فـهـم لـه شـرُّ الـوُفـودِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٩، من طريق محمد بن سعد به .

(٢) المصدر السابق ١٤/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق ١٤/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٤) المصدر السابق ١٤/٢٤٠ - ٢٤٢.

قَتَلوا ابنَ بنتِ نبيِّهِمْ سَكَنوا به نارَ الخلودِ

ورَوَى ابنُ عَساكرَ[1] أن طائفةً مِن الناسِ ذَهَبوا فى غَزْوةٍ إلى بلادِ الرومِ، فوجَدوا فى كَنيسةٍ مَكْتوبًا:

أَتَرْجُو أُمَّةٌ قتَلَت حُسينًا شَفاعةَ جَدِّه يومَ الحِسابِ

فسَأَلوهم: مَن كتَب هذا؟ فقالوا: إن هذا مَكْتوبٌ ههنا مِن قبلِ مَبْعَثِ نبيِّكم بثلاثِمائةِ سنةٍ.

ورُوِىَ[2] أن الذين قَتَلوه رَجَعوا، فباتوا وهم يَشْرَبون الخَمْرَ، والرأسُ معهم، فبرَز لهم قَلَمٌ مِن حَديدٍ، فرَسَم لهم فى الحائطِ بدمٍ هذا البيتَ:

أَتَرْجُو أُمَّةٌ قَتَلَت حسينًا شَفاعةَ جَدِّه يومَ الحِسابِ

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ وعَفّانُ، ثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ، عن عَمَّارِ بنِ أبى عَمَّارٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: رأيْتُ النبىَّ ﷺ فى المَنامِ بنِصفِ النَّهارِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، معه قارُورةٌ فيها دمٌ، فقلتُ: بأبى أنتَ وأمى يا رسولَ اللَّهِ، ما هذا؟! قال: «هذا دَمُ الحسينِ وأصحابِه، لم أَزَلْ أَلْتَقِطُه منذ اليومِ». قال عَمَّارٌ: فأَحْصَيْنا ذلك اليومَ فوَجَدْناه قد قُتِل فى ذلك اليومِ. تفرَّد به أحمدُ، وإسنادُه قوىٌّ.

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[4]: حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ هانئٍ أبو عبدِ الرحمنِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق ١٤/ ٢٤٤.

(٣) المسند ١/ ٢٤٢، ٢٨٣. (إسناده صحيح).

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٧، من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا به.

النَّحْوىُّ ، ثنا مَعْدِىُّ[1] بنُ سليمانَ ، ثنا علىُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ قال : اسْتَيْقَظ ابنُ عباسٍ مِن نومِه فاسْتَرْجَع ، وقال : قُتِل الحسينُ واللَّهِ . فقال له أصحابُه : كلَّا[2] يا ابنَ عباسٍ كلَّا[3] ! قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ومعه زُجاجةٌ مِن دمٍ ، فقال : ألا تَعْلَمُ ما صَنَعَت أُمَّتى مِن بعدى ؟ قَتَلوا ابنِى الحسينَ ، وهذا دمُه ودمُ أصحابِه أَرْفَعُهما إلى اللَّهِ . قال : فكُتِب ذلك اليومُ الذى قال فيه وتلك الساعةُ ، فما لَبِثوا إلا أربعةً وعشْرِين يومًا حتى جاءهم الخبرُ بالمَدينةِ أنه قُتِلِ فى ذلك اليومِ وتلك الساعةِ .

ورَوَى التِّرْمذىُّ[4] ، عن أبى سعيدٍ الأَشَجِّ ، عن أبى خالدٍ الأحْمَرِ ، عن رَزِينٍ ، عن سَلْمَى قالت : دَخَلْتُ على أُمِّ سَلَمةَ [٦/٢١٢و] وهى تَبْكى ، فقلتُ : ما يُبْكِيك ؟ فقالت : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [5]فى المنامِ[5] وعلى رأسِه ولحيتِه التُّرابُ ، فقلتُ : ما لك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : شَهِدْتُ قَتْلَ الحسينِ آنفًا .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[6] : أخْبَرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنْصارىُّ ، أنْبأَنا قُرَّةُ بنُ خالدٍ ، أخْبَرنى عامرُ بنُ عبدِ الواحدِ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ قال : إنا لَعندَ أُمِّ سَلَمةَ زوجِ النبىِّ ﷺ ، فسَمِعْنا صارخةً ، فأَقْبَلَتْ حتى انتَهَتْ إلى أمِّ سلمةَ ، فقالت : قُتِل الحسينُ . فقالَتْ : قد فَعَلوها ، ملأَ اللَّهُ قبورَهم - أو بُيوتَهم -عليهم نارًا .

---

(١) فى م ، ص : « مهدى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٥٨.

(٢) فى م : « لم » .

(٣) سقط من : الأصل ، ٦١، م .

(٤) الترمذى (٣٧٧١) . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٨، من طريق الترمذى به . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٨٧) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ٦١، م . وفى سنن الترمذى : « تعنى فى المنام » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٨، من طريق محمد بن سعد به .

ووَقَعَت مَغْشِيًّا عليها ، وقُمْنا .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، ثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن عَمَّارٍ قال : سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمةَ قالت : سَمِعْتُ الجِنَّ يَبْكِين على حسينٍ ، وسَمِعْتُ الجِنَّ تَنُوحُ على حسينٍ .

ورَواه الحسينُ بنُ إدْرِيسَ[2] ، عن هاشمِ بنِ هاشمٍ ، عن أُمِّه ، عن أُمِّ سَلَمةَ قالت : سَمِعْتُ الجِنَّ تَنُوحُ على الحسينِ ، وهن يَقُلْنَ :

أيها القاتِلون ظُلْمًا[3] حسينًا ... أَبْشِروا بالعذابِ والتَّنْكِيلِ
كلُّ أهلِ السماءِ يَدْعو عليكم ... من نبىٍّ ومُرْسَلٍ وقَبِيلِ
قد لُعِنْتُم على لسانِ ابنِ داو ... دَ وموسى وصاحبِ الإنْجِيلِ

وقد رُوِى مِن طريقٍ أُخْرَى ، عن أمِّ سَلَمةَ بشعرٍ آخَرَ غيرِ هذا[4] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الخَطِيبُ[5] : أنْبَأَنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ مَيّاحٍ[6] السُّكَّرِىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ الشافعىُّ ، ثنا محمدُ بنُ شَدَّادٍ المِسْمَعىُّ ، ثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أَوْحَى اللَّهُ تعالى إلى محمدٍ ﷺ : إنى قد قتَلْتُ بيَحْيَى بنِ زكريا سبعين ألفًا ، وأنا قاتلٌ بابنِ ابنتِك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، وقد

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٩، من طريق الإمام أحمد به .
(٢) المصدر السابق ١٤/ ٢٤٠، من طريق الحسين بن إدريس به .
(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « جهلا » .
(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٤١.
(٥) تاريخ بغداد ١/ ١٤١، ١٤٢.
(٦) فى الأصل ، ٦١، م : « ساج » . وانظر الإكمال ٧/ ٣٠٦، ٣٠٧.

رَواه الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[1] . وقد ذكَر الطَّبرانىُّ ههنا آثارًا غَريبةً جدًّا[2] .

ولقد بالَغ الشِّيعةُ فى يومِ عاشوراءَ ، فوَضَعوا أحاديثَ كثيرةً وكَذِبًا فاحشًا ؛ مِن كونِ الشمسِ كَسَفَت يومَئذٍ حتى بَدَت النُّجومُ ، وما رُفِع يومَئذٍ حَجَرٌ إلا وُجِد تحتَه دمٌ ، وأن أرْجاءَ السَّماءِ احْمَرَّت ، وأن الشمسَ كانت تَطْلُعُ وشُعاعُها كأنه الدمُ ، وصارت السماءُ كأنها عَلَقةٌ ، وأن الكَواكبَ صار يضربُ بعضُها بعضًا ، وأمْطَرت السماءُ دمًا أحمرَ ، وأن الحُمْرةَ لم تَكُنْ فى السماءِ قبْل يومِئذٍ . ورَوَى ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى قَبِيلٍ المَعَافِرىِّ ، أن الشمسَ كسَفَت يومَئذٍ حتى بَدَت النُّجومُ وقتَ [٦/٢١٢ظ] الظُّهْرِ . وأن رأسَ الحسينِ لما دَخَلوا به قصرَ الإمارةِ جَعَلت الحيطانُ تسيلُ دمًا . وأن الأرضَ أظْلَمَت ثلاثةَ أيامٍ . ولم يُمَسَّ زَعْفرانٌ ولا وَرْسٌ مما كان معه يومَئذٍ إلا احْتَرق مَن مَسَّه . ولم يُرْفَعْ حَجَرٌ مِن حِجارةِ بيتِ المَقْدِسِ إلا ظَهَر تحتَه دمٌ عَبِيطٌ . وأن الإبلَ التى غَنِموها مِن إبلِ الحسينِ حينَ طَبَخوها صار لَحْمُها مثلَ العَلْقَمِ . إلى غيرِ ذلك مِن الأكاذيبِ والأحاديثِ المَوْضوعةِ التى لا يَصِحُّ منها شىءٌ[3] .

وأما ما رُوِىَ مِن الأُمورِ والفِتَنِ التى أصابَت مَن قَتَله فأكثرُها صحيحٌ ، فإنه قَلَّ مَن نَجا [4]منهم فى الدنيا إلا[4] أُصِيب بمَرَضٍ ، وأكثرُهم أصابه الجُنونُ .

وللشِّيعةِ والرافِضةِ فى صفةِ مَصْرَعِ الحسينِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كَذِبٌ كثيرٌ وأخبارٌ طويلةٌ[5] ، وفيما ذَكَرْناه كِفايةٌ ، وفى بعضِ ما أوْرَدْناه نَظَرٌ ، ولولا أن ابنَ

---

(١) المستدرك ٢/ ٥٩٢.

(٢) المعجم الكبير ٣/١١٩ - ١٢٢ (٢٨٣١، ٢٨٣٣ - ٢٨٤٠) .

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٤/٢٢٦ - ٢٣١.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ٦١، م : « من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة فى الدنيا ، فلم يخرج منها حتى » .

(٥) فى الأصل ، ٦١، م : « باطلة » .

جَريرٍ وغيرَه مِن الحُفَّاظِ الأئمةِ ذَكَروه ما سُقْتُه ، وأكْثرُه مِن روايةِ أبى مِخْنَفٍ لوطِ ابنِ يحيى ، وقد كان شِيعيًّا ، وهو ضَعيفُ الحديثِ عندَ الأئمةِ ، ولكنه أَخْبارىٌّ حافظٌ ، عندَه مِن هذه الأشْياءِ ما ليس عندَ غيرِه ، ولهذا يَتَرامَى عليه كثيرٌ مِن المُصَنِّفِين ممَّن بعدَه . واللَّهُ أعلمُ .

وقد أسْرَف الرافِضةُ فى دولةِ بنى بُوَيْهِ فى حدودِ الأربعِمائةِ وما حولَها ، فكانَتِ الدَّبادِبُ[1] تُضْرَبُ ببَغْدادَ ونحوِها مِن البلادِ فى يومِ عاشوراءَ ، ويُذَرُّ الرَّمادُ والتِّبْنُ فى الطُّرُقاتِ والأسواقِ ، وتُعَلَّقُ المُسوحُ على الدَّكاكِينِ ، ويُظْهِرُ الناسُ الحزنَ والبُكاءَ ، وكثيرٌ منهم لا يَشْرَبُ الماءَ لَيْلَتَئذٍ مُوافقةً للحسينِ ؛ لأنه قُتِل عَطْشانَ ، [2]ثم تَخْرُجُ النِّساءُ حاسِراتٍ عن وُجوهِهن يَنُحْنَ ويَلْطِمْنَ وُجوهَهن وصُدورَهن ، حافياتٍ فى الأسْواقِ ، إلى غيرِ ذلك[2] مِن البِدَعِ الشَّنِيعةِ ، والأهْواءِ الفَظِيعةِ ، والهَتائِكِ المخترَعةِ ، وإنما يُريدون بهذا وأشْباهِه أن يُشَنِّعوا على دولةِ بنى أُمَيةَ ؛ لأنه قُتِل فى أيامِهم[3] .

[4]وقد عاكَس الرافضةَ والشِّيعةَ يومَ عاشوراءَ النَّواصِبُ مِن أهلِ الشامِ ، فكانوا فى يومِ عاشوراءَ يَطْبُخون الحُبوبَ ويَغْتَسِلون ويَتَطَيَّبون ويَلْبَسون أفْخرَ ثِيابِهم ، ويَتَّخِذون ذلك اليومَ عيدًا ، يَصْنَعون فيه أنواعَ الأطْعِمةِ ، ويُظْهِرون السُّرورَ والفَرَحَ ؛ يُرِيدون بذلك عِنادَ الرَّوافضِ ومُعاكَستَهم[4] .

[٦/٢١٣و] وقد تَأَوَّل عليه مَن قتَله أنه جاء لِيُفَرِّقَ كَلمةَ المسلمين بعدَ

---

(١) الدبادب : جمع الدَّبداب ، وهو الطبل . انظر تاج العروس (د ب ب) .

(٢ - ٢) فى ص : « وهذا كله » .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، م : « دولتهم » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

اجتماعِها ، ولِيَخْلَعَ مَن بايَعه الناسُ واجْتَمَعوا عليه ، وقد وَرَد فى « صحيحِ مسلمٍ »[1] الحديثُ بالزَّجْرِ عن ذلك ، والتَّحْذيرِ منه ، والتَّوَعُّدِ عليه ، وبتَقْديرِ أن تَكونَ طائفةٌ مِن الجَهَلةِ قد تَأَوَّلوا عليه وقَتَلوه ، ولم يَكُنْ لهم قَتْلُه ، بل كان يَجِبُ عليهم إجابتُه إلى ما سأَل مِن تلك الخِصالِ الثلاثةِ المُتَقَدِّمِ ذِكرُها ، فإذا ذُمَّتْ طائفةٌ مِن الجَبَّارِين لم[2] تُذَمَّ الأُمَّةُ بكمالِها وتُتَّهَمْ على نبيِّها ﷺ ، فليس الأمْرُ كما ذهَبوا إليه ، ولا كما سَلَكوه ، بل أكثرُ الأُمَّةِ[3] قديمًا وحديثًا كارهٌ ما وَقَع مِن قَتْلِه وقَتْلِ أصحابِه سوى شِرْذِمةٍ قَليلةٍ مِن أهلِ الكوفةِ ، قَبَّحهم اللَّهُ ، وأكثرُهم كانوا قد كاتَبوه ليَتَوَصَّلوا به إلى أغْراضِهم ومَقاصِدِهم الفاسدةِ ، [4]فلمَّا عَلِم ذلك ابنُ زِيادٍ منهم بَلَّغهم ما يُرِيدون مِن الدنيا ، وأخَذهم على ذلك ، وحمَلَهم عليه بالرَّغْبةِ والرَّهْبةِ ، فانْكَفُّوا عن الحسينِ وخَذَلوه ثم قَتَلوه[4] ، وليس كلُّ ذلك الجيشِ كان راضيًا بما وَقَع مِن قَتْلِه ، بل ولا يَزيدُ بنُ مُعاويةَ [5]رَضِىَ بذلك[5] - واللَّهُ أعلمُ - ولا كَرِهه ، والذى يَكادُ يَغْلِبُ على الظَّنِّ أن يَزيدَ لو قَدَر عليه قبلَ أن يُقْتَلَ لَعَفا عنه ، كما أوْصاه بذلك أبوه ، وكما صَرَّح هو به مُخْبِرًا عن نفسِه بذلك . [6]وقد لَعَن ابنَ زِيادٍ على فِعْلِه ذلك وشَتَمه فيما يَظْهَر ويَبْدو ، ولكن لم يَعْزِلْه على ذلك ولا عاقَبه ولا أرْسَل يَعِيبُ عليه ذلك . واللَّهُ أعلمُ[6] .

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٢) .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « الأئمة » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٥ - ٥) فى ص : « أمير المؤمنين فى ذلك العصر رضى بقتله » .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

فكلُّ مسلمٍ يَنْبَغى له أن يُحْزِنَه [1] هذا الذى وقَع مِن [1] قتلِه ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فإنه مِن ساداتِ المسلمين وعُلَماءِ الصَّحابةِ ، وابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ التى هى أفْضلُ بَناتِه ، وقد كان عابدًا وشُجاعًا وسَخِيًّا ، ولكن لا يَحسُنُ ما يَفْعَلُه الشِّيعةُ مِن إظْهارِ الجزَعِ والحُزْنِ الذى لعل أكثرَه تَصَنُّعٌ ورِياءٌ ، وقد كان أبوه أفضلَ منه ، وهم لا يَتَّخِذون مَقْتَلَه مَأْتَمًا كيومِ مَقْتَلِ الحسينِ ، فإن أباه قُتِل يومَ الجُمُعةِ وهو خارجٌ إلى صلاةِ الفجرِ فى السابعَ عشَرَ مِن رَمضانَ [2] سنةَ أربعين [2] ، وكذلك عثمانُ كان أفْضَلَ مِن علىٍّ ، عندَ أهلِ السنةِ والجَماعةِ ، وقد قُتِل وهو مَحْصورٌ فى دارِه فى أيامِ التَّشْريقِ مِن شهرِ ذى الحِجَّةِ سنةَ سِتٍّ وثلاثين ، وقد ذُبِح مِن الوَرِيدِ إلى الوَرِيدِ ، ولم يَتَّخِذِ الناسُ يومَ مَقْتَلِه مَأْتَمًا ، وكذلك عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، وهو أفضلُ مِن عثمانَ وعلىٍّ ، قُتِل وهو قائمٌ يُصَلِّى فى المِحْرابِ صلاةَ الفَجرِ ، [٦/٢١٣ظ] وهو يَقْرَأُ القُرآنَ ، ولم يَتَّخِذِ الناسُ يومَ قَتْلِه مَأْتَمًا ، وكذلك الصِّديقُ كان أفضلَ منه ، ولم يَتَّخِذِ الناسُ يومَ وَفاتِه مَأْتَمًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، سيدُ ولدِ آدمَ فى الدنيا والآخِرةِ ، وقد قَبَضه اللَّهُ إليه كما مات الأنبياءُ قبلَه ، ولم يَتَّخِذْ أحدٌ يومَ موتِه مَأْتَمًا يَفْعَلون فيه ما يَفْعَلُه هؤلاء الجَهَلةُ مِن الرافِضةِ يومَ مَصْرَعِ الحسينِ ، [3] ولا ذَكَر أحدٌ أنه ظَهَر يومَ موتِهم وقِبَلَهم شىءٌ مما ادَّعاه هؤلاء يومَ مَقْتَلِ الحسينِ مِن الأمورِ المُتَقَدِّمةِ ، مثلَ كُسوفِ الشمسِ والحُمْرةِ التى تَطلُعُ فى السماءِ وغيرِ ذلك [3] .

وأحْسَنُ ما يُقالُ عندَ ذِكْرِ هذه المَصائِبِ وأمْثالِها ما رَواه الحسينُ بنُ علىٍّ ،

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

عن جَدِّه رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « ما مِن مُسْلمٍ يُصابُ بمُصيبةٍ فيَتَذَكَّرُها وإن تَقادَم عَهْدُها ، فيُحْدِثُ لها اسْتِرْجاعًا ، إلا أعْطاه اللَّهُ مِن الأجْرِ مثلَ يومَ أُصِيب بها » . رواه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجه[1] .

وأما قبرُ الحسينِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فقد اشْتَهر عندَ أكثرِ المُتَأخِّرين أنه فى مَشْهَدِ عليٍّ بمكانٍ مِن الطَّفِّ عندَ نهرِ كَرْبَلاءَ ، فيُقالُ : إن ذلك المَشْهَدَ مَبْنيٌّ على قبرِه . فاللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ وغيرُه أن مَوْضعَ مقتلِه عَفَا أثَرُه ، حتى لم يَطَّلِعْ أحدٌ على تَعْيينِه بخبرٍ . وقد كان أبو نُعَيْمٍ الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ يُنْكِرُ على مَن يَزْعُمُ أنه يَعرِفُ قبرَ الحسينِ رضى اللَّه عنه[2] .

وذكَر هشامُ بنُ الكَلْبيِّ[3] أن الماءَ لما أُجْرِىَ على قبرِ الحسينِ ليُمْحَى أثَرُه نَضَب الماءُ بعدَ أربعين يومًا ، فجاء أعرابيٌّ مِن بنى أسَدٍ ، فجعَل يَأْخُذُ قَبْضةً قَبْضةً ، ويَشُمُّها حتى وَقَع على قبرِ الحسينِ ، فبَكَى وقال : بأبى أنت وأمى ، ما كان أَطْيَبَك وأَطْيَبَ تُرْبتَك ! ثم أنْشَأ يقولُ[4] :

أرادوا ليُخْفُوا قبرَه عن عدوِّه ... فطِيبُ تُرابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ

وأما رأسُه رَضِى اللَّهُ عنه ، فالمشهورُ بين أهلِ التاريخِ وعلماءِ السِّيَرِ أنه بعث به ابنُ زيادٍ إلى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، ومِن الناسِ مَن أنْكَر ذلك ، وعندى أن الأولَ أشْهَرُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم اخْتَلفوا بعدَ ذلك فى المكانِ الذى دُفِن فيه الرأسُ ؛ فرَوَى محمدُ بنُ

---

(١) المسند ١/ ٢٠١، وابن ماجه (١٦٠٠) . ضعيف جدًّا (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٤٩) .
(٢) انظر تاريخ بغداد ١/ ١٤٣، ١٤٤.
(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٤٥.
(٤) البيت لمسلم بن الوليد « صريع الغوانى » ديوانه ص ٣٢٠.

سعدٍ[1] أن يَزيدَ بعَث برأسِ الحسينِ إلى عمرِو بنِ سعيدٍ نائبِ المدينةِ ، فدَفَنه عندَ أُمِّه بالبَقيعِ .

وذكَر ابنُ أبى الدنيا[2] مِن طريقِ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن محمدِ بنِ عمرَ ابنِ صالحٍ - وهما ضعيفان - أن الرأسَ [٦/٢١٤و] لم يَزَلْ فى خِزانةِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ حتى تُوُفِّىَ ، فأُخِذ مِن خِزانتِه ، فكُفِّن ودُفِن داخلَ بابِ الفَرادِيسِ مِن مدينةِ دمشقَ . [3]قلتُ : ويُعْرَفُ مكانُه بمسجدِ الرأسِ اليومَ داخلَ بابِ الفَرادِيسِ الثانى[3] .

وذَكَر الحافِظُ ابنُ عَساكرَ فى « تاريخِه »[4] فى ترجمةِ رَيَّا حاضِنةِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، أن يَزيدَ حينَ وَضَع رأسَ الحسينِ بينَ يدَيْه تَمَثَّل بشعرِ ابنِ الزِّبَعْرَى ، يعنى قولَه[5] :

ليتَ أشْياخى ببدرٍ شَهِدوا جَزَعَ الخَزْرجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ

قالت : ثم نصَبه بدِمشقَ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم وُضِع فى خَزائنِ السلاحِ ، حتى كان زمانُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فجِىء به إليه ، وقد بَقِىَ عَظمًا أبْيضَ ، فكَفَّنه وطَيَّبه وصَلَّى عليه ، ودَفَنه فى مَقابرِ المسلمين ، فلمَّا جاءت المسوِّدَةُ - يعنى بنى العباسِ[6] - نَبَشوا عن رأسِ الحسينِ وأخَذوه معهم . وذَكَر ابنُ عَساكرَ أن هذه المرأةَ بَقِيَت بعدَ دولةِ بنى أُمَيةَ وقد جاوَزَت المائةَ سنةٍ . فاللَّهُ أعْلمُ .

---

(١) انظر المنتظم ٥/ ٣٤٤.

(٢) المصدر السابق .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .

(٤) تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ، ص ١٠٢ ، ١٠٣.

(٥) تقدم فى ٥/ ٤٧٥.

(٦) سموا بذلك لأنهم اتخذوا السواد شعارا لهم . وانظر ما تقدم فى ٩/ ٢٧٦.

وادَّعَت الطائفةُ المُسَمَّوْن بالفاطِميِّين، الذين مَلَكوا الدِّيارَ المِصْريةَ قبلَ سنةِ أربعِمائةٍ إلى ما بعدَ سنةِ سِتِّين وستِّمائةٍ، أن رأسَ الحسينِ وَصَل إلى الدِّيارِ المصريةِ، ودَفَنوه بها وبَنَوْا عليه المَشْهَدَ المَشْهورَ به بمِصْرَ، الذى يُقالُ له: تاجُ الحسينِ. بعدَ سنةِ خمسِمِائةٍ. وقد نَصَّ غيرُ واحدٍ مِن أئمةِ أهلِ العلمِ على أنه لا أصلَ لذلك، وإنما أرادوا أن يُرَوِّجوا بذلك بُطلانَ ما ادَّعَوْه مِن النَّسَبِ الشَّريفِ، وهم فى ذلك كَذَبةٌ خَوَنةٌ، وقد نَصَّ على ذلك القاضى الباقِلَّانىُّ وغيرُ واحدٍ مِن أئمةِ العُلماءِ فى دَوْلتِهم فى حدودِ سنةِ أربعِمائةٍ[1]، كما سنُبَيِّنُ ذلك كلَّه إذا انْتَهَيْنا إليه فى مَواضِعِه إن شاء اللَّهُ تعالى[2].

فصلٌ فى ذكرِ شىءٍ مِن فَضائلِه

رَوَى البخارىُّ[3]، مِن حديثِ شُعبةَ ومَهْدىِّ بنِ مَيْمونٍ، عن محمدِ بنِ أبى يَعْقوبَ، سَمِعْتُ ابنَ أبى نُعْمٍ[4] قال: سَمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ، وسأَله رجلٌ مِن أهلِ العراقِ عن المُحْرِمِ يَقْتُلُ الذُّبابَ، فقال: أهلُ العراقِ يَسْأَلون عن قَتْلِ الذُّبابِ،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٧/٤٥٠ - ٤٨٩.

(٢) بعده فى الأصل، ٦١، م: «قلت: والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا، فإنهم جاءوا برأس، فوضعوه فى مكان هذا المسجد المذكور، وقالوا: هذا رأس الحسين. فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك. واللَّه أعلم». ولعل هذا زيادة من وضع الناسخ.

(٣) البخارى (٣٧٥٣) من حديث شعبة، (٥٩٩٤) من حديث مهدى.

(٤) فى النسخ: «نعيم». والمثبت من صحيح البخارى. واسم ابن أبى نعم عبد الرحمن. وانظر تهذيب الكمال ١٧/٤٥٦.

وقد قَتَلوا ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هما رَيْحانَتاىَ مِن الدنيا » ؟! ورَواه التِّرْمذىُّ[1] عن عُقْبةَ بنِ مُكْرَمٍ ، عن وَهْبِ بنِ جَريرٍ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ أبى يَعْقوبَ به نحوَه ، أن رجلًا مِن أهلِ العراقِ [٦/٢١٤ظ] سأَل ابنَ عمرَ عن دمِ البَعوضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ ، فقال ابنُ عمرَ : انْظُروا إلى أهلِ العراقِ يَسْأَلون عن دمِ البَعوضِ ، وقد قَتَلوا ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! وذكَر تَمامَ الحَديثِ . ثم قال : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا أبو أحمدَ ، ثنا سفيانُ ، عن أبى الجَحَّافِ[3] ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أحَبَّهما فقد أَحَبَّنى ، ومَن أبْغَضَهما فقد أبْغَضَنى » . يعنى حسنًا وحسينًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] . ثنا تَلِيدُ بنُ سليمانَ ، كُوفىٌّ ، ثنا أبو الجحَّافِ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : نَظَر النبىُّ ﷺ إلى علىٍّ والحسنِ والحسينِ وفاطمةَ فقال : « أنا حَرْبٌ لمن حارَبَكم ، سِلْمٌ لمن سالمَكم » . تفرَّد بهما الإمامُ أحمدُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حَدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، ثنا حَجَّاجٌ ، يعنى ابنَ دِينارٍ ، عن جَعْفرِ بنِ إياسٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَسْعودٍ ، عن أبى هريرةَ قال : خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ومعه حسنٌ وحسينٌ ، هذا على عاتقِه[6] ، وهذا على عاتقِه[7] ،

---

(١) الترمذى (٣٧٧٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٦٧) .

(٢) المسند ٢/٢٨٨ (إسناده صحيح) .

(٣) فى ٦١، م ، والمسند : « الحجاف » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٣٤.

(٤) المسند ٢/ ٤٤٢. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٦٩: فيه تليد بن سليمان وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٥) المسند ٢/ ٤٤٠. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٧٩: رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(٦) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « الواحد » .

(٧) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « الآخر » .

وهو يَلْثَمُ هذا مرةً وهذا مرةً ، حتى انْتَهَى إلينا ، فقال له رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ إنك لَتُحِبُّهما . فقال : « مَن أحَبَّهما فقد أحَبَّنى ، ومَن أبْغَضهما فقد أبْغَضَنى » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال الحافِظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[1] : حدَّثنا أبو سعيدٍ الأَشَجُّ ، حدثنى عُقْبةُ بنُ خالدٍ ، حدَّثنى يوسُفُ بنُ إبراهيمَ التَّمِيمىُّ ، أنه سَمِع أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ : أىُّ أهلِ بيتِك أحَبُّ إليك ؟ قال : « الحسنُ والحسينُ » . قال : وكان يقولُ : « ادْعُ لىَ ابنىَّ » . فيَشَمُّهما ويَضُمُّهما إليه . وكذا رَواه التِّرْمذىُّ عن أبى سعيدٍ الأشَجِّ به[2] ، وقال : حسنٌ غريبٌ مِن حديثِ أنسٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثنا أسْودُ بنُ عامرٍ وعَفَّانُ ، عن حَمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَمُرُّ ببيتِ فاطمةَ ستةَ أشهرٍ إذا خرَج إلى صلاةِ الفجرِ ، فيقولُ : « الصلاةَ يا أهلَ البيتِ ، إنما يريدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تطهيرًا » . ورَواه الترمذىُّ فى التفسيرِ عن عبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن عَفَّانَ به[4] ، وقال : غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ .

وقال الترمذىُّ[5] : حَدَّثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ ، ثنا أبو أسامةَ ، عن فُضَيْلِ بنِ مَرْزوقٍ ، عن عَدِىِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَراءِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أبْصَر حسنًا وحسينًا

---

(١) مسند أبى يعلى (٤٢٩٤) .
(٢) الترمذى (٣٧٧٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٨٨) .
(٣) المسند ٢٥٩/٣ من حديث أسود ، و٢٨٥/٣ من حديث عفان .
(٤) الترمذى (٣٢٠٦) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٢٧) .
(٥) الترمذى (٣٧٨٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٧٦) .

فقال : « اللهم إنى أُحِبُّها فأَحِبَّهما » . ثم قال : حسنٌ صَحيحٌ .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ ، عن زيدِ بنِ الحُبابِ ، عن الحسينِ بنِ واقدٍ ، وأهلُ السننِ الأربعةِ[1] مِن حديثِ الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن [2]عبدِ اللَّهِ بنِ[2] بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ [٦/ ٢١٥و] يَخْطُبُنا ، إذ جاء الحسنُ والحسينُ وعليهما قَمِيصان أحْمَران ، يَمْشِيان ويَعْثُران ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن المِنْبرِ فحمَلَهما ، فوَضَعهما بينَ يدَيه ، ثم قال : « صدَق اللَّهُ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فنظرتُ إلى هذين الصَّبِيَّيْن يَمْشِيان ويَعْثُران ، فلم أَصْبِرْ حتى قطَعْتُ حَديثى ورَفَعْتُهما » . وهذا لفظُ التِّرْمذىِّ ، وقال : غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ الحسينِ ابنِ واقدٍ .

ثم قال[3] : حدَّثنا الحسنُ بنُ عَرَفةَ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن سعيدِ بن راشدٍ ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حسينٌ منى وأنا مِن حسينٍ ، أَحَبَّ اللَّهُ مَن أَحَبَّ حسينًا ، حسينٌ سِبْطٌ مِن الأَسْباطِ » . ثم قال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ . ورَواه أحمدُ[4] ، عن عَفَّانَ ، عن وُهَيْبٍ[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ به . ورَواه الطَّبَرانىُّ[6] ، عن بكرِ بنِ سهلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ ، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ ، عن راشدِ بنِ

---

(١) المسند ٥/ ٣٥٤، وأبو داود (١١٠٩) . والترمذى (٣٧٧٤) ، والنسائى (١٤١٢، ١٥٨٤) ، وابن ماجه (٣٦٠٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٨١) .

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٨.

(٣) الترمذى (٣٧٧٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٧٠) .

(٤) المسند ٤/ ١٧٢.

(٥) فى النسخ : « وهب » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤، وأطراف المسند ٥/ ٤٦٨.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/٢٧٣ (٧٠١) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٨١: رواه الطبرانى وإسناده حسن .

سعدٍ ، عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الحسنُ والحسينُ سِبْطانِ مِن الأسْباطِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا سفيانُ ، عن يَزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن ابنِ أبى نُعْمٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ » . ورَواه الترمذىُّ[2] مِن حديثِ سفيانَ الثورىِّ وغيرِه ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

وقد رَواه أبو القاسمِ البغَوىُّ[3] ، عن داودَ بنِ رُشَيْدٍ ، عن مَرْوانَ الفَزارىِّ ، عن الحكمِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى نُعْمٍ[4] ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ ، إلا ابنَي الخالةِ يحيى وعيسى ، عليهما السلامُ » . وأخْرَجه [5]النَّسائىُّ مِن حديثِ مَرْوانَ بنِ مُعاويةَ الفَزارىِّ به[6] . ورَواه سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، عن محمدِ بنِ خازمٍ ، عن الأعمشِ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ[7] .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حَدَّثنا وَكيعٌ ، عن ربيعِ بنِ سعدٍ ، عن ابنِ سابطٍ قال : دَخَل حسينُ بنُ علىٍّ المسجدَ ، فقال جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ : « مَن أَحَبَّ أن يَنْظُرَ[5]

---

(١) المسند ٣/ ٦٢.

(٢) الترمذى (٣٧٦٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٦٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٣٥، من طريق البغوى به .

(٤) فى النسخ : « نعيم » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) النسائى فى الكبرى (٨١٦٩) .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٣٥، ٢٣٦، من طريق سويد بن سعيد به .

(٨) المصدر السابق ١٤/ ١٣٦، من طريق الإمام أحمد به .

[1] إلى سيِّدِ شبابِ أهلِ الجنةِ فلْيَنْظُرْ إلى هذا » . سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . تفرَّد به أحمدُ .

ورَوَى الترمذيُّ و[1] النَّسائيُّ[2] مِن حديثِ إسرائيلَ ، عن مَيْسَرةَ بنِ حَبيبٍ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن حذيفةَ ، أن أُمَّه بعَثَتْه ليَسْتَغْفِرَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ ولها . قال : فأتَيْتُه فصَلَّيْتُ [٦/٢١٥ظ] معه المغربَ ، ثم صَلَّى حتى صَلَّى العِشاءَ ، ثم انْفَتل فتَبِعْتُه ، فسَمِع صوتى فقال : « مَن هذا ؟ حذيفةُ ؟ » قلتُ : نعم . قال : « ما حاجتُك ؟ غفَر اللَّهُ لك ولأمِّك ، إن هذا مَلَكٌ لم يَنْزِلْ إلى الأرضِ قبلَ هذه الليلةِ ، اسْتَأْذن ربَّه بأن يُسَلِّمَ علىَّ ويُبَشِّرَنى بأن فاطمةَ سيدةُ نِساءِ أهلِ الجنةِ ، وأن الحسنَ والحسينَ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ » . ثم قال الترمذيُّ : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ ، ولا يُعْرَفُ إلا مِن حديثِ إسْرائيلَ . وقد رُوِىَ مثلُ هذا مِن حديثِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، ومِن حديثِ الحسينِ نفسِه ، وعمرَ وابنِه عبدِ اللَّهِ وعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ وأنسٍ وغيرِهم[3] ، وفى أسانيدِه كلِّها ضعفٌ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسيُّ[4] : حَدَّثنا موسى بنُ مُطَيْرٍ[5] ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى الحسنِ والحسينِ : « مَن أَحَبَّنى فلْيُحِبَّ هذين » .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الترمذى (٣٧٨١) ، والنسائى فى الكبرى (٨٢٩٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٧٥) .

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٤/١٣٠ - ١٣٧ .

(٤) مسند أبى داود (٢٥٠٢) .

(٥) فى الأصل ، ٦١ ، م : « عطية » . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ١٦٢ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٣ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا سليمانُ بنُ داودَ ، ثنا إسماعيلُ ، يعنى ابنَ جَعْفرٍ ، أخْبَرنى محمدٌ ، يعنى ابنَ أبى حَرْمَلةَ ، عن عَطاءٍ ، أن رجلًا أخْبَره أنه رَأَى النبىَّ ﷺ يَضُمُّ إليه حسنًا وحسينًا ويقولُ : « اللهم إنى أُحِبُّهما فأَحِبَّهما » . وقد رُوِىَ عن أُسامةَ بنِ زيدٍ وسلمانَ الفارسىِّ شىءٌ يُشْبِهُ هذا[2] ، وفيه ضَعْفٌ وسَقَمٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا أسودُ بنُ عامرٍ ، ثنا كاملٌ ، وأبو المُنْذرِ أنا كاملٌ - قال أسودُ : أنا المَعْنى - عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : كنا نُصَلِّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ العِشاءَ ، فإذا سَجَد وَثب الحسنُ والحسينُ على ظهرِه ، فإذا رَفَع رأسَه أخَذهما أخْذًا رَفيقًا ، فيَضَعُهما على الأرضِ ، فإذا عاد عادا ، حتى قَضَى صلاتَه أقْعَدهما على فَخِذيه . قال : فقمْتُ إليه فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَرُدُّهما[4] ؟ فبَرَقت بَرْقةٌ ، فقال لهما : « الْحَقا بأُمِّكما » . قال : فمكَث ضَوْءُها حتى دَخَلا[4] .

وقد رَوَى موسى بنُ عثمانَ الحَضْرمىُّ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ نحوَه[5] . وقد رُوِى عن أبى سعيدٍ وعمرَ[6] قريبٌ مِن هذا[7] .

---

(١) المسند ٥/ ٣٦٩. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٧٩: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وفى بعضهم خلاف.

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ١٥٥، ١٥٦.

(٣) المسند ٢/ ٥١٣.

(٤) بعده فى الأصل، ٦١، م: «على أمهما».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٥٩، من طريق موسى بن عثمان به.

(٦) فى ٦١، م، ص: «ابن عمر».

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ١٦٢.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عفانُ ، ثنا مُعاذُ بنُ مُعاذٍ ، ثنا قيسُ بنُ الربيعِ ، عن أبى المِقْدامِ ، عن[2] عبدِ الرحمنِ الأزْرَقِ ، عن علىٍّ قال : دَخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا نائمٌ [3]على المنامةِ[3] ، فاسْتَسقَى الحسنُ أو الحسينُ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى شاةٍ لنا [4]بَكِئٍ ، فحَلَبها[4] فدَرَّت ، فجاءه الآخرُ فنَحَّاه النبىُّ ﷺ ، فقالت فاطمةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كأنه أَحَبُّهما إليك ؟ قال : « لا ، ولكنه اسْتَسْقَى قبلَه » . ثم قال : « إنى وإياكِ وهذين وهذا الراقدَ فى مكانٍ واحدٍ يومَ القِيامةِ » . تفرَّد به أحمدُ ، [٦/٢١٦و] ورَواه أبو داودَ الطَّيالسىُّ ، عن عمرِو بنِ ثابتٍ ، عن أبيه ، عن أبى فاخِتةَ ، عن علىٍّ ، فذكَر نحوَه[5] . [3]وقد رُوىَ عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ وعن ميمونةَ وأمِّ سلمةَ أمَّىِ المؤمنين مثلُه أو نحوُه[6][3] .

وقد ثبَت أن عمرَ بنَ الخطابِ كان يُحبُّهما ويُكْرِمُهما ويَحْمِلُهما ويُعْطِيهما فى الديوانِ كما يُعْطِى أباهما ، وجِىء مَرَّةً بحُلَلٍ مِن اليمنِ ، فقَسَمها بينَ أبناءِ الصَّحابةِ ، ولم يُعْطِهما منها شيئًا ، وقال : ليس فيها شىءٌ يَصْلُحُ لهما . ثم بَعَث إلى نائبِ اليمنِ ، فاسْتَعْمل لهما حُلَّتَيْن تُناسِبُهما[7] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[8] : أنا قَبِيصةُ بنُ عُقْبةَ ، ثنا يونُسُ بنُ أبى إسحاقَ ، عن

---

(١) المسند ١/ ١٠١. (إسناده صحيح).

(٢) سقط من: الأصل، ٦١، م. وانظر أطراف المسند ٤/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ٦١، م.

(٤ - ٤) فى الأصل، ٦١، م: «كى يحلبها». يقال: بكأَتِ الناقة والشاة. إذا قلَّ لبنها. النهاية ١/ ١٤٨.

(٥) مسند أبى داود (١٩٠). كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٦٢، ١٦٣، من طريق أبى داود الطيالسى به.

(٦) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ١٦٤.

(٧) المصدر السابق ١٤/ ١٧٧.

(٨) المصدر السابق ١٤/ ١٧٩، من طريق محمد بن سعد به.

العَيْزارِ بنِ حُرَيْثٍ قال : بينَما عمرُو بنُ العاصِ جالسٌ فى ظِلِّ الكعبةِ إذ رَأَى الحسينَ بنَ علىٍّ مُقْبِلًا ، فقال : هذا أحَبُّ أهلِ الأرضِ إلى أهلِ السماءِ .

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : حَدَّثنى [2]أحمد بنُ سلمانَ ، عن الدَّراوَرْدىِّ[2] ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بايَع الحسنَ والحسينَ وعبدَ اللَّهِ ابنَ عباسٍ وعبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ ، وهم صِغارٌ لم يَبْلُغوا ، ولم يُبايِعْ صغيرًا إلا منا . وهذا مُرْسَلٌ غريبٌ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : أنا يَعْلَى بنُ عُبيدٍ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ الوليدِ الوصَّافىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدِ بنِ عُميرٍ قال : حَجَّ الحسينُ بنُ علىٍّ خمسًا وعشرين حَجَّةً ماشيًا ، ونَجائبُه تُقادُ بينَ يدَيْه .

وحَدَّثنا[4] أبو نُعَيْمٍ الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ ، ثنا حَفْصُ بنُ غِياثٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، أن الحسينَ بنَ علىٍّ حَجَّ ماشيًا ، وإن نَجائبَه تُقادُ وراءَه . والصوابُ أن ذلك إنما هو الحسنُ أخوه ، كما حَكاه البخارىُّ[5] .

وقال المَدائنىُّ[6] : جَرَى بينَ الحسنِ والحسينِ كلامٌ فتَهاجَرا ، فلما كان بعدَ ذلك أقْبَل الحسنُ إلى الحسينِ ، فأكَبَّ على رأسِه فقَبَّلَه[7] ، وقال : إن الذى

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٠، من طريق الزبير بن بكار به .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ٦١، م : « سليمان بن الدراوردى » ، وفى ص : « سليمان عن الدراوردى » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) المصدر السابق ، من طريق محمد بن سعد به .

(٤) القائل هو محمد بن سعد . انظر المصدر السابق .

(٥) لم نجده فى أى مصنف من مصنفات البخارى التى بين أيدينا .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٨١.

(٧) بعده فى الأصل ، ٦١، م : « فقام الحسين فقبله أيضا » .

منَعَنى مِن ابتدائِك بهذا أنى رَأَيْتُ أنك أحَقُّ بالفَضْلِ منى ، فكَرِهْتُ أن أُنازِعَك ما أنت أحَقُّ به .

وحَكَى الأصْمَعىُّ[1] ، عن ابنِ عَوْنٍ ، أن الحسنَ كتَب إلى الحسينِ يَعِيبُ عليه إعْطاءَ الشُّعراءِ ، فقال الحسينُ : إن خيرَ المالِ ما وَقَى العِرْضَ .

[2]وقد رَوَى الطَّبرَانىُّ[3] : حَدَّثنا أبو حَنيفةَ محمدُ بنُ حَنيفةَ الواسِطىُّ ، ثنا يزيدُ[4] بنُ عمرِو بنِ البَراءِ الغَنَوىُّ ، ثنا سليمانُ بنُ الهَيْثمِ قال : كان الحسينُ بنُ علىٍّ يَطوفُ بالبيتِ ، فأراد أن يَسْتَلِمَ ، فأَوْسَعَ[5] له الناسُ ، [6]والفَرَزْدَقُ بنُ غالبٍ يَنْظُرُ إليه[6] ، فقال رجلٌ : يا أبا فِراسٍ ، مَن هذا ؟ فقال الفَرَزْدَقُ[7] :

هذا الذى تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَه ... والبيتُ يَعْرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عِبادِ اللَّهِ كلِّهِمُ ... هذا التَّقِىُّ النَّقِىُّ الطاهِرُ العَلَمُ
[٦/٢١٦ظ] يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحتِه ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يَسْتَلِمُ
إذا رَأَتْه قريشٌ قال قائلُها ... إلى مَكارِمِ هذا يَنْتَهى الكَرَمُ
يُغضِى حَياءً ويُغضَى مِن مَهابتِه ... فما يُكلَّمُ إلا حينَ يَبْتَسِمُ[2]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٨١، من طريق الأصمعى به .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل، ٦١، م .

(٣) المعجم الكبير ٣/١٠٦ (٢٨٠٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٠٠: رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه .

(٤) بعده فى الأصل، ٦١، م : «ابن البراء» . وانظر الثقات ٩/ ٢٧٧.

(٥) فى م : «فما وسع» .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ٦١، م . والمثبت من المعجم الكبير .

(٧) ديوان الفرزدق ص ٨٤٨، ٨٤٩، وفيه أن الأبيات قيلت فى على بن الحسين كما سيرجحه المصنف عقب الأبيات . والخبر فى الأغانى ١٥/٣٢٥ - ٣٢٧.

[1] فى كفِّه خَيْزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ ... بكفِّ أرْوَعَ فى عِرنينِه شَمَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِن رسولِ اللَّهِ نِسْبتُه ... طابتْ عَناصِرُه والخِيمُ والشِّيَمُ
لا يَسْتَطِيعُ جَوادٌ بُعْدَ غايتِه ... ولا يُدانيه قومٌ إن هُمُ كَرُموا
أىُّ العشائرِ ليست فى رِقابِهمُ[2] ... لأوَّلِيَّةِ هذا أو لَه نِعَمُ
مَن يَعْرِفِ اللَّهَ يعرفْ أَوَّلِيَّةَ ذا ... فالدينُ مِن بيتِ هذا ناله الأُمَمُ

هكذا أوْرَدها الطَّبرانىُّ فى ترجمةِ الحسينِ فى « مُعْجَمِه الكبيرِ » وهو غريبٌ ، فإن المَشْهورَ أنها مِن قِيلِ الفَرَزْدَقِ فى علىِّ بنِ الحسينِ ، لا فى أبيه ، وهو أشْبَهُ ؛ فإن الفَرَزْدَقَ لم يَرَ الحسينَ إلا وهو مُقْبِلٌ إلى الحَجِّ والحسينُ ذاهبٌ إلى العراقِ ، فسَأَل الحسينُ الفَرَزْدَقَ عن الناسِ ، فذكَر له ما تقَدَّم[3] ، ثم إن الحُسَينَ قُتِل بعدَ مُفارَقتِه له بأيامٍ يَسِيرةٍ ، فمتى رآه يَطوفُ بالبيتِ ؟! واللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى هشامٌ عن عَوانةَ قال[4] : قال عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ لعمرَ بنِ سعدٍ : أين الكِتابُ الذى كتَبْتُه إليك فى قتلِ الحسينِ ؟ فقال : مَضَيْتُ لأمْرِك وضَاع الكتابُ . فقال له ابنُ زِيادٍ : لَتَجِيئَنَّ به . قال : ضاع . قال : واللَّهِ لَتَجِيئَنَّ به . قال : تُرِك واللَّهِ يُقْرَأُ على عَجائزِ قريشٍ أَعْتَذِرُ إليهنَّ بالمدينةِ ، أمَا واللَّهِ لقد نَصَحْتُك فى حسينٍ نَصيحةً لو نَصَحتُها أبى سعدَ بنَ أبى وقاصٍ لكنتُ قد أدَّيْتُ حقَّه . فقال عثمانُ بنُ زيادٍ أخو عُبَيدِ اللَّهِ : صدق عمرُ واللَّهِ ، ولَوَدِدْتُ واللَّهِ أنه ليس مِن بنى زِيادٍ رجلٌ إلا وفى أنفِه خِزَامةٌ إلى يومِ القِيامةِ وأن حسينًا لم يُقْتَلْ . قال : فواللَّهِ ما أنْكَر ذلك عليه عُبَيدُ اللَّهِ[1] .

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ٦١ ، م .
(٢) فى النسخ : أى العشائر هم ليست رقابهم . والمثبت من الديوان والأغانى ، وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٩٣.
(٣) تقدم فى صفحة ٥١٠، ٥١١.
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٦٧، عن هشام به .

فصلٌ فى ذِكْرِ شىءٍ مِن أشْعارِه التى رُوِيَت عنه

فمِن ذلك ما أنْشَده أبو بكرِ بنُ كاملٍ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ ، وذكَر أنه للحسينِ بنِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما :

اغْنَ عن المخلوقِ بالخالقِ ... [2]تَغْنَ عن[2] الكاذبِ والصادقِ
واسْتَرْزِقِ الرحمنَ مِن فَضْلِهِ ... فليس غيرَ اللَّهِ مِن رازقِ
[٦/٢١٧و] مَن ظَنَّ أن الناسَ يُغْنُونهُ ... فليس بالرحمنِ بالواثِقِ
أَوْ ظَنَّ أن المالَ مِن كَسْبِه ... زَلَّتْ به النَّعْلان مِن حالِقِ[3]

وعن الأعْمَشِ أن الحسينَ بنَ علىٍّ قال[4] :

كلَّما زِيدَ صاحبُ المالِ مالًا ... زِيدَ فى هَمِّه وفى الاشْتِغالِ
قد عَرَفْناكِ يا مُنَغِّصَةَ العَيـ ... ـشِ ويا دارَ كلِّ فانٍ وبالِ
ليس يَصْفو لزاهدٍ [5]طَلَبُ الزُّهْـ ... ـدِ[5] إذا كان مُثْقَلًا بالعِيالِ

وعن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ[6] قال : بَلَغَنى أن الحسينَ زار مَقابرَ الشُّهداءِ بالبَقيعِ فقال :

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٦، من طريق أبى بكر بن كامل به .
(٢ - ٢) فى الأصل، ٦١، م : « تسد على » .
(٣) الحالق : الجبل المُنِيف المُشْرِف . اللسان (ح ل ق) .
(٤) تاريخ دمشق، الموضع السابق .
(٥ - ٥) فى الأصل، ٦١: « فيك زهد » .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٦، ١٨٧. وانظر مختصره ٧/ ١٣٢.

نادَيْتُ سُكَّانَ القُبورِ فأَسْكَتوا وأجابَنِى عن صَمْتِهم (١نَدْبُ الجُثَى١)
قالت أتَدْرِى ما صنَعْتُ بساكِنىْ مَزَّقْتُ أَلْحُمَهم وخَرَّقْتُ الكُسَا
وحَشَوْتُ أعْيُنَهم تُرابًا بعدَ ما كانت تَأَذَّى باليَسيرِ مِن القَذَى
أمَّا العِظامُ فإننى مَزَّقْتُها(٢) حتى تَبايَنَتِ المَفاصِلُ والشَّوَى(٣)
قطَّعْتُ ذا (٤مِنْ ذا و٤) مِنْ هذا كذا فتَرَكْتُها رِمَمًا يَطولُ(٥) بها البِلَى

وأنْشَد بعضُهم للحسينِ، رَضِى اللَّهُ عنه أيضًا(٦) :

لئن كانَتِ الدنيا تُعَدُّ نَفيسةً فدارُ ثوابِ اللَّهِ أعْلَى وأَنْبَلُ
وإن كانتِ الأبْدانُ للموتِ أُنْشِئَت فقَتْلُ (٧سبيلِ اللَّهِ بالسيفِ٧) أفْضَلُ
وإن كانتِ الأرْزاقُ شيئًا مُقَدَّرًا فَقِلَّةُ سَعْيِ المَرْءِ فى الكَسْبِ(٨) أجْملُ
وإن كانتِ الأموالُ للتَّرْكِ جُمِّعَتْ(٩) فما بالُ مَتْروكٍ به المَرْءُ يَبْخَلُ

ومما أنْشَد الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ مِن شعرِه(١٠) فى امرأتِه الرَّبابِ بنتِ أُنَيْفٍ(١١)، ويقالُ :

(١ - ١) فى الأصل، ٦١، م: «ترب الحصا»، وفى ص: «ترب الجثا». والمثبت من تاريخ دمشق. والجُثى: جمع جُثوة، وهى القبر. انظر اللسان (ج ث و).
(٢) فى تاريخ دمشق: «فرقتها».
(٣) الشوى: جماعة الأطراف، وقيل: اليدان والرِّجْلان والرأس من الآدميِّين وكل ما ليس مَقْتَلًا. جمع شَواةٍ. انظر اللسان (ش و ى).
(٤ - ٤) فى م: «زاد».
(٥) فى الأصل، ٦١، م: «يطوف».
(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٧.
(٧ - ٧) فى الأصل، ٦١، م: «امرئ بالسيف فى اللّه».
(٨) فى الأصل، ٦١، م: «الرزق».
(٩) فى الأصل، ٦١، م: «جمعها».
(١٠) الأغانى ١٦/١٣٦ - ١٣٨، والمنتظم ٦/ ٩، وبغية الطلب ٦/ ١٠١، ١٠٢ عن غير الزبير بن بكار.
(١١) كذا فى النسخ، ولم نجد من قال بأن الرباب بنت أنيف كانت زوجة للحسين بل كانت =

بنتُ امْرِئِ القيسِ بنِ عَدِيِّ بنِ أوْسٍ الكَلْبِيِّ ، أمِّ ابنتِه سُكَيْنةَ بنتِ الحسينِ :

لَعَمْرُك إننى لأُحِبُّ دارًا ... تَحُلُّ بها سُكَيْنةُ والرَّبابُ
أُحِبُّهما وأَبْذُلُ جُلَّ مالى ... وليس للائِمى فيها عِتابُ
ولستُ لهم وإن عَتَبوا مُطيعًا ... حَياتىَ أو يُغَيِّبَنى[1] الترابُ

وقد أسْلَم أبوها على يَدَىْ عمرَ بنِ الخطابِ[2] ، وأمَّره عمرُ على قومِه ، فلمَّا خرَج مِن عندِه خطَب إليه علىُّ بنُ أبى طالبٍ أن يُزَوِّجَ ابنَه الحسنَ أو الحسينَ مِن بناتِه ، فزَوَّج الحسنَ ابنتَه سَلْمَى ، والحسينَ ابنتَه الرَّبابَ ، وزَوَّج عليًّا ابنتَه الثالثةَ ، [٦/٢١٧ظ] وهى المُحَيَّاةُ بنتُ امْرِئِ القيسِ فى ساعةٍ واحدةٍ ، فأَحَبَّ الحسينُ زوجتَه الرَّبابَ حُبًّا شديدًا ، وكان بها مُعْجَبًا ، يقولُ فيها الشعرَ ، ولما قُتِل بكَرْبَلاءَ كانت معه ، فوَجَدَت عليه وَجْدًا شديدًا ، وذُكِر أنها أقامت على قبرِه سنةً ، ثم انْصَرَفت وهى تقولُ :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ[3] السلامِ عليكما ... ومَن يَبْكِ حَوْلًا كاملًا فقدِ اعْتَذَرْ

وقد خَطَبَها[4] بعدَه خَلْقٌ كثيرٌ مِن أشْرافِ قريشٍ ، فقالت : ما كنتُ لِأَتَّخِذَ حَمًى بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وواللَّهِ لا يُؤْوِينى ورجلًا بعدَ الحسينِ سَقْفٌ أبدًا . ولم

= زوجة الزبير بن العوام ، ومعروف أن زوجة الحسين هى الرباب بنت امرئ القيس ، وهو ما سيوضحه السياق قريبا . انظر المحبر ص ٣٩٦، ٣٩٧، وتاريخ الطبرى ٥/ ٤٦٨، والمؤتلف والمختلف للدارقطنى ٢/ ١٠٤٨، والإكمال ٤/ ٢، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٥٧، والمنتظم ٦/ ٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٠، ١٤١.

(١) فى م : « يعلينى » .

(٢) انظر الأغانى ١٦/١٣٩ - ١٤١، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٥٧.

(٣) سقط من : ص . وفى الأصل ، ٦١: « أقرأ » . والبيت من شعرٍ للبيد بن ربيعة يخاطب فيه بنتيه لما حضرته الوفاة . انظر شرح ديوان لبيد ص ٢١٣، ٢١٤.

(٤) انظر المنتظم ٦/ ٩، وبغية الطلب ٦/ ١٠٢.

تَزَلْ عليه كَمِدةً حتى ماتت ، ويقالُ : إنها إنما عاشَت بعدَه أيامًا يَسِيرةً . فاللَّهُ أعلمُ . وابنتُها سُكَيْنةُ بنتُ الحسينِ كانت مِن أجْمَلِ النِّساءِ ، حتى إنه لم يَكُنْ فى زَمانِها أحْسَنُ منها . فاللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى أبو مِخْنَفٍ[1] عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُنْدُبٍ أن عُبيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ بعدَ مَقْتَلِ الحسينِ تَفَقَّد أشْرافَ أهلِ الكُوفةِ ، فلم يَرَ عُبَيدَ اللَّهِ بنَ الحُرِّ بنِ يَزيدَ ، فتَطَلَّبه حتى [2]جاءه بعدَ أيامٍ فقال : أين كنتَ يا بنَ الحُرِّ ؟ قال : كنتُ مَريضًا . قال : مَريضُ القلبِ أم مَريضُ البَدَنِ ؟ قال : أمَّا قَلْبى فلم يَمْرَضْ ، وأمَّا بَدَنى فقد مَنَّ اللَّهُ عليه بالعافيةِ . فقال له ابنُ زِيادٍ : كذَبْتَ ، ولكنك كنتَ مع عَدُوِّنا . قال : لو كنتُ مع عدوِّك لم يَخْفَ مكانُ مثلى ، ولَكان الناسُ شاهَدوا ذلك . قال : وغفَل عنه ابنُ زِيادٍ غفْلَةً ، فخرَج ابنُ الحُرِّ ، فقعَد على فرسِه ، ثم قال : أبْلِغوه أنى لا آتِيه واللَّهِ طائعًا . فقال ابنُ زِيادٍ : أين ابنُ الحُرِّ ؟ قالوا[3] : خرَج . فقال : علىَّ به . فخرَج الشُّرَطُ فى طلبِه ، فأسْمَعهم غَليظَ ما يَكْرَهون ، وتَرَضَّى عن الحسينِ وأخيه وأبيه ، ثم أسْمَعهم فى ابنِ زيادٍ غَليظًا مِن القولِ[2] ، ثم امْتَنع منهم ، وقال فى الحسينِ وأصحابِه شعرًا :

يقولُ أميرٌ غادِرٌ حَقَّ غادِرٍ ... ألا كنتَ قاتَلْتَ الشَّهيدَ ابنَ فاطِمهْ[4]

فيانَدَمى أن لا أكونَ نصرتُهُ ... [5]ألا كلُّ نفسٍ لا تُسَدِّدُ نادمَهْ[5]

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٦٩، ٤٧٠، من طريق أبى مخنف به .

(٢ - ٢) فى ص : « جاء إليه فأسمع ابن الحر لابن زياد كلاما غليظا فأنكره ثم خرج من عنده فامتنع عليه » .

(٣) فى الأصل ، ٦١، م : « قال » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) بعده فى ص :

« ونفسى على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمه » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(١ وإنِّى لأَنِّى لم أكُنْ مِن حُماتِهِ١) لذو حَسْرةٍ ما إن تُفارقُ لازِمَهْ
سَقَى اللَّهُ أرْواحَ الذين تأزَّروا(٢) على نَصْرِه سُقْيَا مِن الغَيْثِ دائمَهْ
وقَفْتُ على أجْداثِهِمْ ومَجالِهم(٣) فكاد الحَشَا يَنْفَضُّ والعينُ ساجِمَهْ
لَعَمْرى لقد كانوا مَصالِيتَ فى الوَغَى سِراعًا إلى الهَيْجا حُماةً خَضارِمَهْ(٤)
تَآسَوْا على نَصْرِ ابنِ بنتِ نبيِّهم بأسْيافِهم آسادَ غِيلٍ ضَراغِمَهْ
[٦/٢١٨و] فإن يُقْتَلوا(٥ فكلُّ نفسٍ تقِيَّةٍ٥) على الأرضِ قد أضْحَتْ لذلك واجِمَهْ
وما إن رَأَى الرَّاءُون أفْضَلَ منهُمُ لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْرًا قماقِمَه
أتَقْتُلُهم ظُلْمًا وتَرْجو وِدادَنا فِدَعْ خُطَّةً ليسَتْ لنا بمُلائمَهْ
لَعَمْرِى لقد راغَمتُمونا بقتلِهِمْ فكم ناقمٍ منا عليكم وناقمَهْ
أهُمُّ مِرارًا أن أَسيرَ بجَحْفَلٍ إلى فئةٍ زاغَتْ عن الحقِّ ظالِمَهْ
(٦فيا بنَ زيادٍ اسْتَعِدَّ لحربِنا ومَوْقفِ ضَنْكٍ يَقْصِمُ الظهرَ قاصِمَهْ٦)

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ: قال سليمانُ ابنُ قَتَّةَ(٧) يَرْثِى الحسينَ، رضِى اللَّهُ عنه:

وإن قَتيلَ الطَّفِّ مِن آلِ هاشمٍ أذَلَّ رِقابًا مِن قريشٍ فذَلَّتِ

(١ - ١) سقط من: م.
(٢) فى الأصل، ٦١، م: «تبارزوا».
(٣) فى الأصل، ٦١، م: «قبورهم». والمجال: موضع جَوَلان المتحاربين بعضهم على بعض. انظر المحيط (ج و ل).
(٤) المصاليت: جمع المِصْلات، ورجل مصلات: إذا كان ماضيا فى الأمور. والخضارمة: جمع خِضْرِم، وهو: الجواد الكثير العطية. انظر اللسان (ص ل ت)، (خضرم).
(٥ - ٥) فى الأصل، ٦١، م: «تلك النفوس التقية».
(٦ - ٦) سقط من: ص. وفى تاريخ الطبرى:
«فكفُّوا وإلَّا زُرْتُكم فى كتائبٍ أشدَّ عليكمْ من زُحوفِ الدَّيالِمِ»
(٧) فى الأصل، ٦١، م: «قتيبة». وقتة هى أم سليمان. انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٦، والأبيات فى تاريخ دمشق ١٤/ ٢٥٩، ٢٦١.

فإن تُتْبِعُوهُ عائذَ البيتِ تُصْبِحوا كعادٍ تَعَمَّت عن هُداها فضَلَّتِ[1]
مَرَرْتُ على أبياتِ آلِ محمدٍ فألفَيْتُها أمثالَها حيث حَلَّتِ
وكانوا لنا غُنْمًا فعادوا رَزِيَّةً لقد عَظُمَت تلك الرَّزايا وجَلَّتِ
فلا يُبْعِدِ اللَّهُ الديارَ وأهلَها وإن أصْبَحَت منهم برَغْمِى تَخَلَّتِ
إذا افْتَقَرَتْ قيسٌ جَبَرْنا فقيرَها وتَقْتُلُنا قيسٌ إذا النعلُ زَلَّتِ
وعندَ غَنِيٍّ[2] قَطْرةٌ مِن دمائِنا سنَجْزِيهمُ يومًا بها حيث حَلَّتِ
ألم تَرَ أن الأرضَ أضْحَتْ مَرِيضةً لقتلِ حسينٍ والبلادَ اقْشَعَرَّتِ

ومما وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ - أعْنى سنةَ إحدى وسِتّين - بعدَ مَقْتَلِ الحسينِ؛ ففيها وَلَّى يَزيدُ بنُ مُعاويةَ سَلْمَ بنَ زيادٍ سِجِسْتانَ وخُراسانَ حينَ وَفَد عليه[3] وله مِن العُمرِ أربعةٌ وعشرون سنةً، وعَزَل عنها أخَوَيْه عَبّادًا وعبدَ الرحمنِ، وسار سَلْمٌ إلى عملِه، فجعَل يَنْتَخِبُ الوُجوهَ والفُرْسانَ، ويُحَرِّضُ الناسَ على الجِهادِ، ثم خرَج فى جَحْفلٍ عظيمٍ ليَغْزُوَ بلادَ التُّرْكِ ومعه امرأتُه أمُّ محمدٍ بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ أبى العاصِ، فكانت أولَ امْرأةٍ من العربِ قُطِع بها النهرُ، ووَلَدَت هنالك وَلَدًا أسْمَوْه صُغْدِيًّا، وبعَثَت إليها امْرأةُ صاحبِ الصُّغْدِ[4] بتاجِها مِن ذَهَبٍ ولآلئَ، وكان المسلمون قبلَ ذلك لا يُشَتُّون فى تلك البلادِ، فشَتَّى بها سَلْمُ بنُ زِيادٍ،

---

(١) قال ابن عساكر: يريد أنهم لا يرعوون عن قتل قرشى بعد الحسين، وعائذُ البيت عبد اللَّه بن الزبير.
(٢) فى الأصل، ٦١، م: «يزيد». وغنى: قبيلة من قيس. وانظر تاج العروس (غ ن ى).
(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٧١ - ٤٧٤.
(٤) فى م: «صغدى». وصغد: مُتَنَزَّهٌ بسمرقند ذو أنهار وبساتين. تاج العروس (ص غ د).

(١) وبَعَث المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ إلى تلك المدينةِ التى هى للتُّرْكِ ، وهى خُوارِزْمُ ، فحاصَرهم حتى صالَحوه على نَيِّفٍ وعِشْرين ألفَ ألفٍ ، وكان يَأْخُذُ منهم عُروضًا عِوَضًا ، فيَأْخُذُ الشىءَ بنصفِ قيمتِه ، فبلَغَت قيمةُ ما أخَذ منهم خمسين ألفَ ألفٍ ، فحَظِىَ بذلك المُهَلَّبُ عندَ سَلْمِ بنِ زِيادٍ(١) . ثم بعَث مِن ذلك ما اصْطَفاه ليَزيدَ بنِ مُعاويةَ مع مَرْزُبانٍ ، ومعه وفدٌ ، وصالَحَ سَلْمٌ أهلَ سَمَرْقَنْدَ فى هذه [٦/٢١٨ظ] الغزوةِ على مالٍ جَزيلٍ .

وفيها عَزَل يَزيدُ عن إمْرةِ الحَرَمَيْنِ عمرَو بنَ سعيدٍ(٢) ، وأعاد الوليدَ بنَ عُتْبةَ ابنِ أبى سفيانَ ، فوَلَّاه المدينةَ ؛ وذلك أن ابنَ الزبيرِ لما بَلَغه مَقْتَلُ الحسينِ شَرَع يَخْطُبُ الناسَ ، ويُعَظِّمُ قَتلَ الحسينِ وأصحابِه جدًّا ، ويَعِيبُ على أهلِ الكوفةِ وأهلِ العراقِ ما صَنَعوه مِن خِذْلانِهم الحسينَ ، ويَتَرَحَّمُ على الحسينِ ويَلْعَنُ مَن قتَله ، ويقولُ : أمَا واللَّهِ لقد قتَلوه ، طَويلًا بالليلِ قيامُه ، كَثيرًا فى النَّهارِ صيامُه ، أمَا واللَّهِ ما كان يَسْتَبْدِلُ بالقُرآنِ الغِنَاءَ والمَلاهىَ ، ولا بالبُكاءِ مِن خَشْيةِ اللَّهِ(٣) الحُدَاءَ ، ولا بالصِّيامِ شُرْبَ(٤) الحَرامِ ، ولا بالجُلوسِ فى حِلَقِ الذِّكْرِ تَطْلابَ الصَّيدِ - يُعَرِّضُ فى ذلك بيزيدَ بنِ مُعاويةَ - فسوف يَلْقَوْن غَيًّا . ويُؤَلِّبُ الناسَ على بنى أُمَيةَ ، ويَحُثُّهم على مُخالفتِهم وخَلْعِ يَزيدَ ، فبايَعه خَلْقٌ كثيرٌ فى الباطنِ ، وسَأَلوه أن يُظْهِرَها ، فلم يُمْكِنْه ذلك مع وُجودِ عمرِو بنِ سعيدٍ ، وكان شَديدًا عليه ولكن فيه رِفْقٌ ، وقد كان كاتَبه أهلُ المدينةِ وغيرُهم ، وقال الناسُ : أمّا إذ قُتِل الحسينُ فليس أحدٌ يُنازِعُ ابنَ الزُّبيرِ . وبلَغ ذلك يَزيدَ ، وقيل له : إن عمرَو بنَ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٧٤ - ٤٧٧.

(٣) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « اللغو و » .

(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، م : « المدام وأكل » .

سعيدٍ لو شاء لَبَعَث إليك برأسِ ابنِ الزبيرِ ، أو يُحاصِرُه حتى يُخْرِجَه مِن الحَرَمِ . فبعَث فعزَله ، ووَلَّى الوليدَ بنَ عُتْبةَ فى هذه السنةِ ، وقال بعضُهم : فى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ . فأقام للناسِ الحَجَّ فى هذه السنةِ ، وحَلَف يَزيدُ لَيَبْعَثَنَّ إلى ابنِ الزبيرِ فلَيُؤْتَيَنَّ به فى سِلْسِلةٍ مِن فضةٍ ، وبعَث بها مع البَريدِ ومعه بُرْنُسٌ مِن خَزٍّ ؛ لِتَبَرَّ يَمينُه ، فلمَّا مَرَّ البَريدُ على مَرْوانَ وهو بالمدينةِ ، وأخْبَره بما هو قاصِدٌ له وما معه مِن الغُلِّ أنْشَأ مَرْوانُ يَقولُ :

فخُذْها فما هىَ للعَزيزِ بخُطَّةٍ ... وفيها مَقالٌ لامْرئٍ مُتَذَلِّلِ[1]

أعامِرَ إن القومَ سامُوك خُطَّةً ... وذلك فى الجِيرانِ غَزْلٌ بمِغْزَلِ

أَراكَ إذا ما كنتَ فى القومِ ناصحًا ... يُقالُ له بالدَّلْوِ أَدْبِرْ وأَقْبِلِ

فلمَّا انْتَهَت الرُّسُلُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، بعَث مَرْوانُ ابنَيه عبدَ الملكِ وعبدَ العزيزِ ليَحْضُرَا مُراجَعتَه فى ذلك ، وقال : أسْمِعاه قَوْلى فى ذلك . قال عبدُ العزيزِ : فلمَّا جَلَس الرسلُ بينَ يديه جَعَلْتُ أُنْشِدُه ذلك وهو يَسْمَعُ ولا أُشْعِرُه ، فالْتَفَت إلىَّ فقال : أخْبِرا أباكما أنى أَقولُ :

إنى لَمِن نَبْعةٍ صُمٍّ مَكاسِرُها ... إذا تَناوَحَت القَصْباءُ والعُشَرُ[2]

ولا أَلِينُ لغيرِ الحَقِّ أَسْأَلُه ... حتى يَلِينَ لِضِرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ[3]

قال عبدُ العزيزِ : فما أدْرِى أيُّهما كان أعْجَبَ !

قال أبو مَعْشَرٍ[4] : لا خِلافَ بينَ أهلِ السِّيَرِ [٦/٢١٩و] أن الوليدَ بنَ عُتْبةَ حَجَّ

---

(١) الأبيات للعباس بن مرداس . انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٧٦.

(٢) النبع : شجر تتخذ منه القِسِىّ . وتناوحت : تقابلت . والقصباء : جماعة القصب ، وهو كل نبات ذى أنابيب . والعشر : شجر له صمغ ، وفيه حُرّاق مثل القطن يُقتدح به . انظر اللسان (ن و ح) ، (ق ص ب) ، (ع ش ر) .

(٣) عجز هذا البيت من شعر الفرزدق . ديوانه ص ٢٤٥.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٧٧، بإسناده عن أبى معشر .

بالناسِ فى هذه السنةِ وهو أميرُ الحَرَمَيْنِ، وعلى البَصْرةِ والكُوفةِ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ، وعلى خُراسانَ وسِجِسْتانَ سَلْمُ بنُ زيادٍ أخو عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ، وعلى قَضاءِ الكُوفةِ شُرَيْحٌ، وعلى قَضاءِ البَصْرةِ هِشامُ بنُ هُبَيرةَ.

ذكرُ[1] مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأَعْيانِ

الحسينُ بنُ علىٍّ، رَضِى اللَّهُ عنهما، ومعه بِضْعةَ عشَرَ مِن أهلِ بيتِه، قُتِلوا جميعًا بكَرْبَلاءَ، وقيل: بِضْعَةٌ وعشرون كما تقَدَّم. وقُتِل معهم جَماعةٌ مِن الأبْطالِ والفُرْسانِ.

جابرُ بنُ عَتيكِ بنِ قيسٍ[2]، **أبو عبدِ اللَّهِ الأنْصارىُّ**[3]، شَهِد بدرًا وما بعدها، وكان حاملَ رايةِ [4]بنى معاويةَ[4] يومَ الفتحِ. كذا قال ابنُ الجَوْزىِّ[5]. قال: وتُوُفِّىَ فى هذه السنةِ عن إحدى وسبعين سنةً.

حمزةُ بنُ عمرٍو الأسْلَمىُّ[6]، صحابىٌّ جَليلُ القَدْرِ، ثبَت فى «الصحيحَيْن»[7] عن عائشةَ، أنها قالت: سأَل حَمْزةُ بنُ عمرٍو رسولَ اللَّهِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) الاستيعاب ١/ ٢٢٢، وأسد الغابة ١/ ٣٠٩، والإصابة ١/ ٤٣٧.

(٣) بعده فى النسخ: «السلمى».

(٤ - ٤) فى النسخ: «الأنصار». والمثبت من المنتظم. وانظر مصادر ترجمته المتقدمة، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦.

(٥) كذا قال المصنف، وليس فى المنتظم نسبة «السلمى»، ولا فى مصادر ترجمته.

(٦) الاستيعاب ١/ ٣٧٥، وأسد الغابة ٢/ ٥٥.

(٧) البخارى (١٩٤٢، ١٩٤٣)، ومسلم (١٠٣ - ١٠٦/١١٢١).

ﷺ فقال : إنى كَثيرُ الصِّيامِ ، أفأَصُومُ فى السَّفَرِ ؟ فقال له : « إن شئتَ فصُمْ ، وإن شئتَ فأَفْطِرْ » . وقد شَهِد فتحَ الشامِ ، وكان هو البَشيرَ للصِّدِّيقِ يومَ أَجْنادِينَ[1] .

قال الواقدىُّ[2] : وهو الذى بَشَّر كعبَ بنَ مالكٍ بتَوْبةِ اللَّهِ عليه ، فأعْطاه ثوبَيْه .

ورَوَى البُخارىُّ فى « التاريخِ »[3] بإسنادٍ جيدٍ عنه ، أنه قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ليلةٍ مُظْلِمةٍ ، فأضاءَتْ لى أصابِعى حتى جَمَعْتُ عليها كلَّ مَتاعٍ كان للقومِ .

اتَّفَقوا على أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ ، أَعْنِى سنةَ إحدى وسِتِّين .

شَيْبةُ بنُ عثمانَ بنِ أبى طَلْحةَ العَبْدرىُّ الحَجَبىُّ[4] ، صاحبُ مِفْتاحِ الكَعْبةِ ، كان أبوه ممَّن قَتَله علىُّ بنُ أبى طالبٍ يومَ أحدٍ كافرًا ، وأظْهَر شَيْبةُ الإسْلامَ يومَ الفتحِ ، وشَهِد حُنَينًا وفى قلبِه شىءٌ مِن الشَّكِّ ، وقد هَمَّ بالفَتْكِ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأطْلَع اللَّهُ على ذلك رسولَه ﷺ ، فأخْبَره بما هَمَّ به ، فأسْلَم باطنًا ، وجاد إسلامُه ، وقاتَل يومَئذٍ وصَبَر فيمَن صَبَر .

قال الواقدىُّ ، عن أشياخِه[5] : إن شَيْبةَ قال : كنتُ أقولُ : واللَّهِ لو آمَن

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٣٤.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٤/ ٣١٥، عن الواقدى . وانظر مغازى الواقدى ٣/ ١٠٥٤.

(٣) التاريخ الكبير ٣/ ٤٦، بنحوه .

(٤) الاستيعاب ٢/ ٧١٢، وأسد الغابة ٢/ ٥٣٤، والإصابة ٣/ ٣٧٠.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٥٥، ٢٥٦، وابن الجوزى فى المنتظم ٦/ ٣، ٤٤، كلاهما من طريق الواقدى به . وانظر مغازى الواقدى ٣/ ٩٠٩، ٩١٠.

بمحمدٍ جميعُ الناسِ ما آمَنْتُ به . فلما فتَح مكةَ ، وخرَج إلى هَوازِنَ خَرَجْتُ معه ؛ رَجاءَ أن أَجِدَ فُرْصةً آخُذُ بثَأْرِ قريشٍ كلِّها منه . قال : فاخْتَلَط الناسُ ذاتَ يومٍ ، ونَزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن بَغْلتِه ، فدَنَوْتُ منه ، وانْتَضَيْتُ سيفى لأَضْرِبَه به ، فرُفِع لى شُواظٌ مِن نارٍ كاد يَمْحَشُنى[1] ، فالْتَفَتَ إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « يا شَيْبةُ ، ادْنُ منى » . فدَنَوْتُ منه ، فوَضَع يدَه على صَدْرى ، وقال : « اللهمَّ أَعِذْه مِن الشَّيطانِ » . قال : فواللَّهِ ما رَفَع يدَه [٦/٢١٩ظ] حتى لَهو يومَئذٍ أحَبُّ إلىَّ مِن سَمْعى وبَصَرى ، ثم قال : « اذْهَبْ فقاتِلْ » . قال : فتقَدَّمْتُ إلى العدوِّ ، واللَّهِ لو لَقِيتُ أبى لَقَتَلْتُه لو كان حيًّا ، فلما تَراجَع الناسُ قال لى : « يا شَيْبةُ ، الذى أراد اللَّهُ بك خيرٌ مما أرَدْتَ لنفسِك » . ثم حَدَّثنى بكلِّ ما كان فى نَفْسى مما لم يَطَّلِعْ عليه أحدٌ إلا اللَّهُ عز وجل ، فتَشَهَّدْتُ وقلتُ : أسْتَغْفِرُ اللَّهَ . فقال : « غَفَر اللَّهُ لك » .

وَلِىَ الحِجابةَ بعدَ عثمانَ بنِ طَلْحةَ[2] ، واسْتَقَرَّت الحِجابةُ فى بَنيه وبيتِه إلى اليومِ ، وإليه يُنْسَبُ بنو شَيْبةَ ، وهم حَجَبةُ الكَعْبةِ .

قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وغيرُ واحدٍ[3] : تُوُفِّىَ سنةَ تسعٍ وخمسين .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : بَقِىَ إلى أيامِ يزيدَ بنِ معاويةَ .

وقال ابنُ الجوزىِّ فى « المنتظَمِ »[5] : مات فى هذه السنةِ .

---

(١) الشواظ : اللهب لا دخان له . ويمحشنى : يحرقنى . انظر الوسيط (ش و ظ) ، (م ح ش) .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٥٩.

(٣) تاريخ خليفة ١/ ٢٧٢. وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٢٤١، وتاريخ دمشق ٢٣/ ٢٦٣، وتهذيب الكمال ١٢/ ٦٠٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٥/ ٤٤٨.

(٥) المنتظم ٦/ ٣.

(*) **عبدُ المُطَّلِبِ بنُ رَبيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ**[1] ، صحابيٌّ جليلٌ ، ممن انْتقل إلى دِمَشقَ ، وله بها دارٌ ، ولما مات أَوْصَى إلى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ وهو أميرُ المؤمنين .

الوليدُ بنُ عُقْبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ[2] ، **أَبانِ بنِ أبى عمرٍو ذَكْوانَ بنِ أُمَيةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ ، أبو وَهْبٍ القُرَشيُّ العَبْشَميُّ** ، وهو أخو عثمانَ ابنِ عَفانَ لأُمِّه أَرْوَى بنتِ كُرَيْزِ بنِ رَبيعةَ بنِ حَبيبِ بنِ عبدِ شمسٍ ، وأُمُّها أمُّ حَكيمٍ البَيْضاءُ بنتُ عبدِ المطلبِ ، وللوليدِ مِن الإخْوةِ خالدٌ وعُمارةُ وأمُّ كُلْثوم ، وقد قتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ أباه بعدَ وَقْعةِ بدرٍ مِن بينِ الأسْرَى صَبْرًا بينَ يدَيْه[3] ، فقال : يا محمدُ ، مَن للصِّبْيةِ ؟ فقال : « لهم النارُ » . وكذلك فعَل بالنَّضْرِ بنِ الحارثِ[3] .

وأسْلَم الوليدُ هذا يومَ الفتحِ ، وقد بَعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ على صَدَقاتِ بنى المُصْطَلِقِ ، فخرَجوا يَتَلَقَّوْنه ، فظَنَّ أنهم إنما خَرَجوا لِقِتالِه ، فرجَع فأخْبَر بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأراد أن يُجَهِّزَ إليهم جيشًا ، فبلَغهم ذلك ، فجاء مَن جاء منهم ليَعْتَذِروا إليه ويُخبِروه بصورةِ ما وَقَع ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى فى الوليدِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ الآيةَ [الحجرات : ٦] . ذَكَر ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفَسِّرين[4] . واللَّهُ أعلمُ بصحةِ ذلك . وقد حَكَى

(*) من هنا يبدأ الجزء العاشر من نسخة أحمد الثالث ، ويشار له بـ (٣١) .

(١) الاستيعاب ٣/ ١٠٠٦، وأسد الغابة ٣/ ٥٠٨، والإصابة ٤/ ٣٨٠.

(٢) بعده فى الأصل، ٦١، ٣١، م: « بن ». وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٥٢، وأسد الغابة ٥/ ٤٥١، والإصابة ٦/ ٦١٤.

(٣) تقدم فى ٥/ ١٨٨.

(٤) التفسير ٧/ ٣٥٠ - ٣٥٢. وانظر تفسير الطبرى ٢٦/ ١٢٣ - ١٢٥، والقرطبى ١٦/ ٣١١، والدر المنثور ٦/ ٨٧ - ٨٩.

أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ على ذلك الإجماعَ[1] .

وقد وَلَّاه عمرُ صَدَقاتِ بنى تَغْلِبَ ، ووَلَّاه عثمانُ نِيابةَ الكُوفةِ بعدَ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ سنةَ خمسٍ وعشرين ، ثم شَرِب الخَمْرَ وصَلَّى بأصحابِه ، ثم الْتَفَت إليهم فقال : أَزِيدُكم ؟ ووَقَع منه تَخْبيطٌ ، ثم إن عثمانَ جَلَده وعَزَله عن الكوفةِ بعدَ أربعِ سِنينَ [٦/٢٢٠و] فأقام بها ، فلمَّا جاء علىٌّ إلى العراقِ سار إلى الرَّقَّةِ ، واشْتَرى له عندَها ضَيْعةً ، وأقام بها مُعْتَزِلًا جميعَ الحُروبِ التى كانت أيامَ علىٍّ ومُعاويةَ وما بعدَها إلى أن تُوُفِّىَ بضَيْعتِه هذه ، ودُفِن بها فى هذه السنةِ ، وهى على خَمْسةَ عشَرَ مِيلًا مِن الرَّقَّةِ ، ويقالُ[2] : إنه تُوُفِّىَ فى أيامِ مُعاويةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

رَوَى له الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ[3] حديثًا واحدًا فى فَتْحِ مَكةَ ، وقد ذَكَر ابنُ الجَوْزىِّ[4] وَفاتَه فى هذه السنةِ ، وذَكَر[4] أيضًا وَفاةَ أمِّ المؤمنين مَيْمونةَ بنتِ الحارثِ الهِلاليةِ ، وقد تَقَدَّم ذِكْرُ وَفاتِها فى سنةِ إحدى وخمسين[5] ، وقيل[5] : إنها تُوُفِّيَت سنةَ ثلاثٍ وسِتِّين . وقيل[5] : سنةَ سِتٍّ وستين . والصوابُ ما ذكَرْناه .

أمُّ سَلَمةَ أُمُّ المؤمنين هندُ بنتُ أبى أُمَيةَ حُذَيفةَ[6] - وقيل : سُهَيْلٌ[7] - بنِ المُغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزومٍ القُرشيةُ المَخْزُوميةُ ، كانت أوَّلًا تحتَ ابنِ عَمِّها أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الأسَدِ ، فمات عنها ، فتزَوَّجَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ودخَل

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥٥٣.

(٢) انظر الإصابة ٦/ ٦١٨.

(٣) المسند ٤/ ٣٢، وأبو داود (٤١٨١) . منكر (ضعيف سنن أبى داود ٨٩٧) .

(٤) المنتظم ٦/ ٤.

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٥٠.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٩٣٩، وأسد الغابة ٧/ ٣٤٠، والإصابة ٨/ ٢٢١.

(٧) فى الأصل، ٦١، ٣١، م: «سهل» . وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣١٧، والإصابة ٨/ ٢٢١.

بها فى شَوَّالٍ سنةَ ثِنْتَيْن بعدَ وَقْعةِ بدرٍ[1] ، وقد كانت سَمِعَت مِن زوجِها أبى سَلَمةَ حديثًا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه قال[2] : « ما مِن مُسلمٍ يُصابُ بمُصيبةٍ فيقولُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، اللهمَّ أْجُرْنى فى مُصِيبتى واخْلُفْ لى خيرًا منها . إلا أَبْدَلَه اللَّهُ خيرًا منها » . قالت : فلَّما مات أبو سَلَمةَ قلتُ ذلك ، ثم قلتُ : ومَن هو خيرٌ مِن أبى سَلَمةَ أولِ رجلٍ هاجَر ؟! . ثم عَزَم اللَّهُ لى فقُلْتُها ، فأبْدَلَنى اللَّهُ خيرًا منه ، رسولَ اللَّهِ ﷺ . وكانت مِن حِسانِ النِّساءِ وعابِداتِهن .

قال الواقدىُّ[3] : تُوفِّيَت سنةَ تسعٍ وخمسين ، وصَلَّى عليها أبو هريرةَ .

وقال ابنُ أبى خَيْثَمةَ[4] : تُوُفِّيَت فى أيامِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ . قلتُ : والأحاديثُ المُتَقَدِّمةُ فى مَقْتَلِ الحسينِ تَدُلُّ على أنها عاشَت إلى ما بعدَ مَقْتَلِه . واللَّهُ أعلمُ . رَضِى اللَّهُ عنها وأرضاها .

---

(١) كذا ذكر المصنف . وتقدم فى ٥/٥٨١ أن النبى ﷺ تزوج أم سلمة سنة أربع ، وهو قول الجمهور ، ولعل المصنف تابع الحافظ المزى حيث ذكر فى تهذيب الكمال (ترجمة أبى سلمة) ١٥/١٨٨ أنه مات سنة اثنتين مرجعه من غزوة بدر ، وذكر فى ترجمة أم سلمة ٣٥/٣١٧ أن النبى ﷺ تزوج أم سلمة سنة اثنتين بعد وفاة أبى سلمة .

وقد تقدم فى ٥/٢٣٤ ، ٢٣٥ أن أبا سلمة شهد بدرا وقتل يومئذ ، طبقا لما نقله المصنف من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى فى سرد أسماء من شهد بدرا ، وانظر ما تقدم فى ٥/ ٤٩٥.

(٢) تقدم تخريجه فى ٥/ ٥٨٣، ٥٨٤.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٨/٩٦ ، عن الواقدى .

(٤) انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٢٠.

ثم دَخَلَت سنةُ ثِنْتَيْن وسِتّين

يُقالُ[1] : فيها قَدِم وفدُ أهلِ المدينةِ على يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فأكْرَمهم وأجازهم بجَوائِزَ سَنِيَّةٍ ، ثم عادوا مِن عندِه بالجَوائزِ فخلَعوه ، ووَلَّوا عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ حَنْظَلةَ الغَسِيلِ ، فبعَث إليهم يَزيدُ جُنْدًا فى السنةِ الآتيةِ [2]إلى المدينةِ ، فكانت وَقْعةُ الحَرَّةِ على ما سنُبَيِّنُه فى التى بعدَها ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وقد كان يَزيدُ عَزَل عن الحِجازِ عمرَو بنَ سعيدِ بن العاصِ ، ووَلَّى عليهم الوَليدَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبى سُفيانَ ، فلمَّا دَخَل المدينةَ[2] احْتاط على الأمْوالِ والحَواصِلِ والأمْلاكِ ، وأخَذ العَبيدَ الذين لعمرِو بنِ سعيدٍ فحبَسَهم ، وكانوا نحوًا مِن ثلاثِمائةِ عبدٍ ، فتجَهَّز عمرُو بنُ سعيدٍ إلى يَزيدَ فركِب[3] وبَعَث إلى عَبيدِه أن يَخْرُجوا مِن السجنِ ويَلْحَقوا به ، [٦/٢٢٠ظ] وأعَدَّ لهم إبلًا يَرْكَبونها ، ففَعَلوا ذلك ، فما لَحِقوه حتى وَصَل إلى يَزيدَ ، فلمَّا دخَل عليه أكْرَمه واحْتَرمه ورَحَّب به يَزيدُ ، وأدْنَى مَجْلِسَه ، ثم إنه عاتَبَه فى تَقْصِيرِه فى شَأْنِ ابنِ الزبيرِ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، الشاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائبُ ، وإن جُلَّ أهلِ مكةَ والحِجازِ[4] مالئوه علينا وأَحَبُّوه ، ولم يَكُنْ لى جُنْدٌ أقْوَى بهم عليه لو ناهَضْتُه ، وقد كان يَحْذَرُنى ويَحْتَرِسُ منى ، وكنتُ أَرْفُقُ به كثيرًا ، وأُدارِيه لأَسْتَمْكِنَ منه فأَثِبَ عليه ، مع أنى قد ضَيَّقْتُ عليه ومَنَعْتُه مِن أشْياءَ كثيرةٍ ، وجعَلْتُ على مكةَ وطُرُقِها وشِعابِها

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٧٨، ٤٧٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ٦١، ٣١.

(٣) زيادة من : ص.

(٤) فى تاريخ الطبرى : «أهل المدينة».

رجالًا لا يَدَعون أحدًا يَدْخُلُها حتى يَكْتُبوا إلىَّ[1] اسمَه واسْمَ أبيه ، ومِن أىِّ بلادِ اللَّهِ هو وما جاء له ، وماذا يُرِيدُ ، فإن كان مِن أصْحابِه أو ممن أرَى أنه يُرِيدُه رَدَدْتُه صاغِرًا ، وإلَّا خَلَّيْتُ سبيلَه ، وقد وَلَّيْتَ الوَليدَ ، وسيَأْتِيك مِن عملِه وأمْرِه ما لعلك تَعْرِفُ به فَضْلَ مُبالغتى فى أمْرِك ومُناصَحتى لك ، إن شاء اللَّهُ ، واللَّهُ يَصْنَعُ لك ويَكْبِتُ عدوَّك . فقال له يَزيدُ : أنت أصْدَقُ ممن رَماك وحَمَلنى عليك ، وأنت ممَّن أَثِقُ به وأرْجو مَعونتَه وأَدَّخِرُه لرَأْبِ[2] الصَّدْعِ ، وكفايةِ المُهِمِّ وكَشْفِ نَوازِلِ الأُمورِ العِظامِ . فى كلامٍ طويلٍ .

وأما الوليدُ بنُ عُتْبةَ فإنه أقام بالحِجازِ[3] ، وقد هَمَّ مِرارًا أن يَبْطِشَ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فلا يَجِدُه إلَّا مُتَحَذِّرًا مُمْتَنِعًا ، قد أعَدَّ للأُمورِ أقْرانَها ، وثار باليَمامةِ رَجلٌ آخرُ يقالُ له : نَجْدَةُ بنُ عامرٍ الحَنفىُّ . حينَ قُتِل الحُسينُ ، وخالَف يزيدَ بنَ مُعاويةَ ، ولم يُخالِفِ ابنَ الزبيرِ بل بَقِىَ على حِدَةٍ ، له أصحابٌ يَتَّبِعونه ، فإذا كان ليلةُ عَرَفةَ دَفَع الوليدُ بنُ عتبةَ بالجُمْهورِ ، وتَخَلَّف عنه أصحابُ[4] ابنِ الزبيرِ وأصحابُ نَجْدةَ ، ثم يَدْفَعُ كلُّ فريقٍ وحدَهم . ثم كتَب نَجْدةُ[5] إلى يَزيدَ : إنك بعَثْتَ إلينا رجلًا أخْرَقَ ، لا يَتَّجِهُ لأمْرِ رُشْدٍ ولا يَرْعَوِى لعِظَةِ الحكيمِ ، فلو بَعَثْتَ إلينا رجلًا سَهْلَ الخُلُقِ ، لَيِّنَ الكَنَفِ ، رَجَوْتُ أن يَسْهُلَ مِن الأمورِ ما استَوْعَر منها ، وأن يَجْتَمِعَ ما تَفَرَّق ، فانْظُرْ فى ذلك ، فإن فيه صَلاحَ خَواصِّنا وعَوامِّنا ،

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) فى النسخ : « لذات » . وهو تحريف ، والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٧٩، والكامل ٤/ ١٠٢.

(٤) سقط من : م .

(٥) الذى كتب ذلك هو ابن الزبير ، لا نجدة ، كما فى تاريخ الطبرى ، والكامل .

إن شاء اللَّهُ تعالى .

قالوا[1] : فعزَل يَزيدُ الوَليدَ ، ووَلَّى عثمانَ بنَ[2] محمدِ بنِ أبى سُفيانَ ، فسار إلى الحِجازِ ، وإذا هو فَتًى غِرٌّ حَدَثٌ غُمْرٌ ، لم يُمارِسِ الأُمورَ ، فطَمِعوا فيه ، ولما دَخَل المَدينةَ بعَث إلى يَزيدَ منها وفدًا ، فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظلةَ الغَسِيلِ الأنْصارىُّ ، [٦/٢٢١و] وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى عمرِو بنِ حفصِ بنِ المُغيرةِ المخزومىُّ[3] ، والمُنْذِرُ بنُ الزبيرِ ، ورجالٌ كثيرٌ مِن أشْرافِ أهلِ المدينةِ ، فقَدِموا على يَزيدَ ، فأكْرَمهم وأحْسَن إليهم وأعْظَم جَوائزَهم ، ثم انْصَرفوا راجِعِين إلى المدينةِ ، إلا المنذرَ بنَ الزبيرِ ، فإنه سار إلى صاحبِه عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ بالبَصْرةِ ، وكان يَزيدُ قد أجازه بمائةِ ألفٍ نَظيرَ أصحابِه مِن أولئك الوفدِ ، ولما رَجَع وَفدُ المدينةِ إليها أظْهَروا شَتْمَ يَزيدَ وعَيْبَه ، وقالوا : قَدِمْنا مِن عندِ رجلٍ ليس له دِينٌ ، يَشْرَبُ الخمرَ ، وتَعْزِفُ عندَه القَيْناتُ بالمَعازِفِ ، وإنا نُشْهِدُكم أنا قد خَلَعْناه . فتابَعهم الناسُ على خَلْعِه ، وبايَعوا عبدَ اللَّهِ بنَ حَنْظلةَ الغَسِيلِ على الموتِ ، وأنْكَر عليهم عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرَ بنِ الخَطَّابِ ، ورَجَع المُنْذرُ بنُ الزبيرِ مِن البَصْرةِ إلى المدينةِ ، فوافقَ أولئك على خَلْعِ يَزيدَ ، وأخْبَرهم عنه أنه يَشْرَبُ الخمرَ ويَسْكَرُ حتى يترُكَ الصَّلاةَ ، وعابه أكثرَ ممَّا عابه أولئك ، فلما بَلَغ ذلك يزيدَ قال : اللهم إنى آثَرْتُه وأكْرَمْتُه ففعَل ما قد رَأَيْتَ ، فأدْرِكْه وانْتَقِمْ منه . ثم إنَّ يَزيدَ بعَث إلى أهلِ المدينةِ النُّعْمانَ بنَ بَشيرٍ يَنْهاهم عما صَنَعوا ، ويُحَذِّرُهم غِبَّ ذلك ، ويَأْمُرُهم بالرُّجوعِ إلى السَّمْعِ والطاعةِ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤٧٩/٥ - ٤٨١، والكامل ١٠٢/٤ - ١٠٤.

(٢) سقط من : م . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١١١.

(٣) فى الأصل ، ٦١، ٣١، م : « الحضرمى » .

ولُزومِ الجَماعةِ ، فسار إليهم ففعَل ما أمَره يَزيدُ وخَوَّفهم الفِتْنةَ ، وقال لهم : إن الفِتْنةَ وَخِيمةٌ . وقال : لا طاقةَ لكم بأهلِ الشامِ . فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ العدويُّ[1] : ما يَحْمِلُك يا نُعمانُ على تَفْريقِ جَماعتِنا وفَسادِ ما أصْلَح اللَّهُ مِن أمْرِنا ؟ فقال له النُّعْمانُ : أمَا واللَّهِ لكأنى بك لو قد نزَلَتْ[2] تلك التى تَدْعو إليها ، وقامَت الرجالُ على الرُّكَبِ تَضْرِبُ مَفارِقَ القومِ وجِباهَهم بالسيوفِ ، ودارت رَحَا الموتِ بينَ الفريقَيْن ، وكأنى بك قد ضرَبْتَ جَنْبَ بَغْلَتِك إلى مكةَ[3] وخَلَّفْتَ هؤلاء المَساكينَ - يعنى الأنْصارَ - يُقْتَلون فى سِكَكِهم ومَساجِدِهم ، وعلى أبوابِ دُورِهم . فعَصاه الناسُ ، فلم يَسْمَعوا منه ، فانْصَرف وكان الأمْرُ واللَّهِ كما قال سواءً .

قال ابنُ جَريرٍ[4] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الوليدُ بنُ عُتْبةَ . كذا قال ، وفيه نَظَرٌ ، فإنه إن كان وفَد أهلُ المدينةِ - وقد رَجَعوا مِن عندِ يَزيدَ - فإنما وفَّدهم عثمانُ بنُ محمدِ بنِ أبى سفيانَ ، وإن [٦/٢٢١ظ] كان قد حَجَّ بالناسِ فيها الوليدُ فما قَدِم وفدُ المدينةِ إلى يَزيدَ إلا فى أولِ سنةِ ثلاثٍ وستين ، وهو أشْبَهُ . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ

بُرَيْدةُ بنُ الحُصَيْبِ الأسْلَمىُّ[5] ، كان إسلامُه حينَ اجْتاز به رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سقط من : الأصل ، ٦١ ، ٣١ ، م .

(٢) فى النسخ : « تركت » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٨١ .

(٥) الاستيعاب ١/ ١٨٥ ، وأسد الغابة ١/ ٢٠٩ ، والإصابة ١/ ٢٨٦ .

وهو مُهاجِرٌ إلى المدينةِ عندَ كُراعِ الغَميمِ ، فلمَّا كان هناك تَلَقَّاه بُرَيْدةُ فى ثمانين نَفْسًا مِن أهلِه ، فأسْلَموا ، وصَلَّى بهم صَلاةَ العِشاءِ ، وعَلَّمه ليلتَئذٍ صَدْرًا مِن سورةِ « مَرْيَمَ » ، ثم قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ بعدَ أُحُدٍ ، فشَهِد بقيةَ المَشاهِدِ كلَّها ، وأقام بالمدينةِ ، فلمَّا فُتِحَتِ البَصْرةُ نَزَلها واخْتَطَّ بها دارًا ، ثم خَرَج إلى غَزْوِ خُراسانَ ، فمات بمَرْوَ فى خِلافةِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ . ذكَر موتَه غيرُ واحدٍ فى هذه السنةِ[1] .

الرَّبيعُ بنُ خُثَيْمٍ أبو يزيدَ الثَّوْرىُّ الكُوفىُّ[2] ، أحدُ أصحابِ ابنِ مَسْعودٍ . قال له عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ[3] : ما رَأَيْتُك إلا ذَكَرْتُ المُخْبِتِين ، ولو رآك رسولُ اللَّهِ ﷺ لَأَحَبَّك . وكان ابنُ مَسْعودٍ يُجِلُّه كَثيرًا .

وقال الشَّعبىُّ[4] : كان الرَّبيعُ مِن مَعادنِ الصِّدْقِ ، وكان أوْرَعَ أصحابِ ابنِ مَسْعودٍ . وقال ابنُ مَعِينٍ[5] : لا يُسْأَلُ عن مثلِه .

وله مَناقِبُ كثيرةٌ جدًّا ، أرَّخ ابنُ الجَوْزىِّ وفاتَه فى هذه السنةِ[6] .

عَلْقَمةُ بنُ قيسٍ أبو شِبْلٍ النَّخَعىُّ الكوفىُّ[7] ، كان مِن أَكابرِ أصحابِ ابنِ

---

(١) انظر المنتظم ٦/ ٧، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ ص ٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧٠.

(٢) تهذيب الكمال ٩/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام جزء حوادث ووفيات سنة ٦١ - ٨٠ ص ١١٥.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٦/١٨٢ ، ١٨٣ ، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ١٠٥، ١٠٦.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٣/٤٥٩ ، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ١٠٧.

(٥) الجرح والتعديل ٣/ ٤٥٩، وتهذيب الكمال ٩/ ٧٢.

(٦) المنتظم ٦/ ٨.

(٧) المنتظم ٦/ ٩، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٠٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات سنة ٦١ - ٨٠ ص ١٩٠.

مسعودٍ وعُلمائِهم ، وكان يُشَبَّهُ بابنِ مسعودٍ . وقد رَوَى عَلْقَمةُ عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، وعنه خَلْقٌ مِن التابِعِين .

عُقبةُ بنُ نافعٍ الفِهْرىُّ[1] ، بعَثه مُعاويةُ إلى إفْرِيقِيَّةَ فى عشَرةِ آلافٍ ، فافْتَتَحها ، واخْتَطَّ القَيْرَوانَ ، وكان مَوْضِعُها غَيْضَةً لا تُرامُ ؛ مِن السِّباعِ والحيَّاتِ والحَشَراتِ ، فدَعا اللَّهَ تعالى ، فجعَلْنَ يَخْرُجْن بأوْلادِهن مِن الأوْكارِ والجِحارِ[2] ، فبَناها ولم يَزَلْ بها حتى هذه السنةِ .

غَزا أقْوامًا مِن البَرْبَرِ والرومِ ، فقُتِل شهيدًا ، رَضِى اللَّهُ عنه[3] .

عمرُو بنُ حَزْمٍ[4] ، صَحابىٌّ جَليلٌ ، اسْتَعْمله رسولُ اللَّهِ ﷺ على نَجْرانَ وعمرُه سبعَ عشْرةَ سنةً ، وأقام بها مدةً ، وأدْرَك أيامَ يزيدَ بنِ مُعاويةَ[5] .

مَسْلمةُ[6] **بنُ مُخَلَّدٍ الأنْصارىُّ الزُّرَقىُّ** ، وُلِد عامَ الهجرةِ ، وسَمِع مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وشَهِد فتحَ مِصْرَ ، ووَلِىَ الجُنْدَ بها لمُعاويةَ ويَزيدَ ، [٦/٢٢٢و] ومات فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ[7] .

نوفلُ[8] **بنُ مُعاويةَ الدِّيلىُّ**[9] ، صحابىٌّ جَليلٌ ، شَهِد بدرًا وأُحدًا والخَنْدقَ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١٠٧٥، وأسد الغابة ٤/ ٥٩، والإصابة ٥/ ٦٤. ولا تصحّ له صحبة .

(٢) فى الأصل : « الححار » ، وفى ٦١، ٣١: « الحجار » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٢١٥.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٢٤٠، والمنتظم ٦/ ١٠.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١١٧٢، وأسد الغابة ٤/ ٢١٤، والإصابة ٤/ ٦٢١.

(٥) انظر المنتظم ٦/ ٩، ١٠.

(٦) فى الأصل ، ٦١، ٣١، م : « مسلم » . وانظر الاستيعاب ٣/ ١٣٩٧، وأسد الغابة ٥/ ١٧٤، والإصابة ٦/ ١١٦.

(٧) انظر المنتظم ٦/ ١٠.

(٨) فى م : « مسلم » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥١٣، وأسد الغابة ٥/ ٣٧١، والإصابة ٦/ ٤٨١.

(٩) فى م ، ص : « الديلمى » . وانظر المصادر السابقة ، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٧٠.

مع المشركين، وكانت له فى المسلمين نِكايةٌ، ثم أسْلَم وحَسُن إسْلامُه، وشَهِد فتحَ مكةَ وحُنَينًا، وحَجَّ مع أبى بكرٍ سنةَ تسعٍ، وشَهِد حَجَّةَ الوَداعِ، وعُمِّرَ ستين سنةً فى الجاهليةِ ومثلَها فى الإسْلامِ. قاله الواقدىُّ[1]. قال: وأدْرَك أيامَ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ[2]. وقال ابنُ الجَوْزىِّ[3]: مات فى هذه السنةِ.

وفيها تُوفِّيَت الرَّبابُ بنتُ [4]امْرِئِ القَيْسِ[4] امرأةُ الحسينِ بنِ علىٍّ التى كانت حاضرةً أهلَ العراقِ إذ هم يَعْدُون فى السَّبْتِ أو فى الجُمُعةِ على زوجِها الحسينِ بنِ علىٍّ ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) انظر الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٧١.

(٢) انظر الإصابة ٦/ ٤٨٢.

(٣) المنتظم ٦/ ١٠.

(٤ - ٤) فى النسخ: «أنيف». والمثبت مما تقدم فى صفحة.

[٧/١ظ] (*) ثم دَخلت سنةُ ثلاثٍ وستين

ففيها(١) كانت وَقْعةُ الحَرَّةِ ، وكان سببَها أن أهلَ المدينةِ لمَّا خَلَعوا يَزيدَ ، ووَلَّوا على قريشٍ عبدَ اللَّهِ بنَ مُطيعٍ ، وعلى الأنْصارِ عبدَ اللَّهِ بنَ حَنْظَلةَ بنِ أبى عامرٍ (٢) وعلى قبائلِ المهاجرين مَعْقِلَ بنَ سِنانٍ الأشْجَعِيَّ (٢) ، فلمَّا كان فى أولِ هذه السنةِ أظْهَروا ذلك ، واجْتَمعوا عندَ المِنْبرِ ، وجعَل الرجلُ منهم يقولُ : قد خَلَعْتُ يزيدَ كما خَلَعْتُ عِمامتى هذه . ويُلْقِيها عن رأسِه ، ويقولُ الآخَرُ : قد خَلَعْتُه كما خَلَعْتُ نَعْلِى هذه . حتى اجْتَمع شىءٌ كثيرٌ مِن العَمائمِ والنِّعالِ هنالك ، ثم اجْتَمعوا على إخْراجِ عاملِ يَزيدَ مِن بينِ أظْهُرِهم ، وهو عثمانُ بنُ محمدِ بنِ أبى سفيانَ ابنُ عَمِّ يزيدَ ، وعلى إجْلاءِ بنى أُمَيةَ مِن المدينةِ ، فاجْتَمَعت بنو أميةَ (٣) وهم قريبٌ من ألفِ رجلٍ (٣) فى دارِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ ، وأحاط بهم أهلُ المَدينةِ يُحاصِرونهم ، واعْتَزل الناسَ علىُّ بنُ الحسينِ زَيْنُ العابِدِين ، وكذلك عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرَ بنِ الخَطَّابِ لم يَخْلَعْ يَزيدَ ، ولا أحدٌ مِن أهلِ بَيْتِه ، وقد قال ابنُ عمرَ لأهلِه : لايَخْلَعَنَّ أحدٌ منكم يَزيدَ فيَكونَ الفَيْصلُ - ويُرْوَى : الصَّيْلَمُ(٤) - بينى وبينَه . وسيأتى هذا الحديثُ بلفظِه وإسنادِه فى ترجمةِ يزيدَ ، وأنْكَر على أهلِ المدينةِ فى مُبايَعتِهم لابنِ مُطِيعٍ وابنِ حَنْظَلةَ على الموتِ ، وقال : إنما كنا نُبايعُ

(*) من هنا يبدأ الجزء السابع من النسخة الأحمدية والمشار إليها بـ (الأصل) .

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٨٢ - ٤٩٥، والمنتظم ٦/١٢ - ١٧، والكامل ٤/١١١ - ١٢١.

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ خليفة ١/ ٢٨٩، ٢٩٠، وتاريخ الطبرى ٥/ ٤٨٧، والمنتظم ٦/ ١٤.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الصيلم : القطيعة المنكرة . والياء زائدة . النهاية ٣/ ٤٩.

رسولَ اللَّهِ ﷺ على أن لا نَفِرَّ. وكذلك لم يَخْلَعْ يَزيدَ أحدٌ مِن بنى عبدِ المطلبِ، وقد سُئِل محمدُ ابنُ الحَنَفيةِ فى ذلك، فامْتَنع مِن ذلك وأبَى أشَدَّ الإباءِ، وناظَرهم وجادَلهم فى يَزيدَ وَردَّ عليهم ما اتَّهَموه به مِن شُرْبِه الخمرَ وتَرْكِه بعضَ الصَّلواتِ، كما سيأتى مَبْسوطًا فى ترجمةِ يَزيدَ قريبًا، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وكتَب بنو أميةَ إلى يَزيدَ بما هم فيه مِن الحَصْرِ والإهانةِ، والجُوعِ والعَطَشِ، وأنه إن لم يَبْعَثْ إليهم مَن يُنْقِذُهم مما هم فيه وإلا اسْتُؤْصِلوا عن آخرِهم، وبَعَثوا ذلك مع البَريدِ، فلما قَدِم بذلك على يَزيدَ وَجَده جالسًا على سَريرِه ورِجْلاه فى ماءٍ يَتَبَرَّدُ مما به مِن النِّقْرِسِ[1] فى رِجْلَيه، فلمَّا قَرَأ الكِتابَ انْزَعَج لذلك، وقال: ويلَك! أمَا فيهم ألفُ رجلٍ؟ قال: بلى. قال: أفلا قاتَلوا ولو ساعةً مِن نهارٍ؟ ثم بعَث إلى عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ، فقَرَأ عليه الكِتابَ، واسْتَشاره فيمَن يَبْعَثُه إليهم، وعَرَض عليه ذلك، فأَبَى وقال: إن أميرَ المؤمنين عَزَلنى عنها وهى مَضْبوطةٌ، وأُمورُها مُحْكَمةٌ، فأمَّا الآن فإنما هى دِماءُ قريشٍ تُراقُ بالصَّعيدِ، فلا أُحِبُّ أن أَتَوَلَّى ذلك منهم، لِيَتَوَلَّ ذلك مَن هو أبْعَدُ منهم منى. قال[2]: [٢/٧و] فبعَث البَريدَ إلى مسلمِ بنِ عُقْبةَ المُرِّىِّ[3] وهو شيخٌ كبيرٌ ضَعيفٌ، فانْتَدَب لذلك، وأرْسَل معه يزيدُ عشَرةَ آلافِ فارسٍ، وقيل: اثنى عشَرَ ألفًا[4][5] ونادى منادى يزيدَ بدمشقَ أن سيروا على أخذِ أَعْطِيَاتِكم كاملًا ومعونةِ أربعين دينارًا[5]. قال[4]

---

(١) النقرس: مرض مؤلم يحدث فى مفاصل القدم وفى إبهامها أكثر، وهو ما كان يسمى داء الملوك. الوسيط (ن ق ر).

(٢) القائل: حبيب بن كُرَة. فالخبر مخرج فى تاريخ الطبرى عن حبيب بن كرة.

(٣) هنا وفيما يأتى فى ٦١، ٣١، م، ص: «المزنى». وهو تصحيف. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٩.

(٤ - ٤) سقط من: ٦١، ٣١، م.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(١) المدائنيُّ(٢) : ويقال : فى سبعةٍ وعشرين ألفًا ؛ اثنا عشرَ ألفَ فارسٍ(١) وخمسةَ عشَرَ ألفَ راجلٍ ، وأعْطَى كلَّ واحدٍ مائةَ دينارٍ . وقيل : (٣)أربعين دينارًا(٣) . ثم اسْتَعْرَضهم يزيدُ وهو على فرسٍ له .

قال المَدائِنيُّ(٤) : وجَعَل على أهْلِ دِمشقَ عبدَ اللَّهِ بنَ مَسْعَدَةَ الفَزاريَّ ، وعلى أهلِ حِمْصَ حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ السَّكُونيُّ ، وعلى أهلِ الأُرْدُنِّ حُبَيْشُ بنُ دُلَجَةَ القَيْنيُّ ، وعلى أهلِ فِلَسْطِينَ رَوْحُ بنُ زِنباعٍ الجُذاميُّ وشَرِيكٌ الكِنانيّ(٥) ، وعلى أهلِ قِنَّسْرِينَ طَرِيفُ بنُ الحَسْحاسِ(٦) الهِلالِيُّ ، وعليهم جميعًا مسلمُ بنُ عُقْبَةَ المُرِّيُّ ، مُرَّةَ غَطَفانَ(٧) ، فقال النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ : يا أميرَ المؤمنين ، وَلِّنى عليهم أَكْفِكَ - وكان النُّعمانُ أخا عبدِ اللَّهِ بنِ حَنْظلةَ لأُمِّه عَمْرةَ بنتِ رَواحةَ - فقال يَزيدُ : لا ، ليس لهم إلا هذا العَشَمةُ(٨) ، واللَّهِ (٩)لا أَقْبَلُهم(٩) بعدَ إحْسانى إليهم وعَفْوى عنهم مَرَّةً بعدَ مرةٍ . فقال النُّعْمانُ : أَنْشُدُك اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين فى عَشيرتِك وأنصارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال له عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ : أرَأَيْتَ إن رَجَعوا إلى طاعتِك أتَقْبَلُ ذلك منهم ؟ قال : إن فَعَلوا فلا سَبيلَ عليهم . وقال يَزيدُ لمسلم بنِ عُقْبَةَ : (١٠)إذا قدِمْتَ(١٠)

(١ - ١) سقط من : ٦١، ٣١، م .

(٢) تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ ص ٢٥.

(٣ - ٣) فى ٦١، ٣١، م ، ص : « أربعة دنانير » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٤/ ٤٧٨.

(٥) فى تاريخ دمشق : « الكتانى » .

(٦) فى تاريخ دمشق : « الخشخاش » . وانظر تاريخ خليفة ١/ ٢٢٢.

(٧) بعده فى ٦١، ٣١، م : « وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة » .

(٨) شيخ عشمة : كبير هرِم يابس . انظر اللسان (ع ش م) .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ٦١، ٣١، م : « لأقتلنهم » .

(١٠ - ١٠) فى ٦١، ٣١، م ، ص : « ادع القوم » .

(١) المدينةَ ولم تُصدَّ عنها ، وسمِعُوا وأطاعوا فلا تتعرضْ لأحدٍ منهم ، وامضِ إلى الملحِدِ[٢] ابنِ الزبيرِ ، وإن صدُّوكَ عن المدينةِ فادعُهم[١] ثلاثًا[٣] ، فإن رَجَعوا إلى الطاعةِ فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم ، وإلا فاسْتَعِنْ باللَّهِ وقاتِلْهم ، وإذا ظَهَرْتَ عليهم فأبِحْها ثلاثًا ، ثم اكْفُفْ عن الناسِ ، (٤)وقيل : إنه قال لمسلمِ بنِ عقبةَ : إذا ظهرتَ عليهم فإن كان قُتِلَ من بنى أميَّةَ أحدٌ فجرِّد السيفَ ، واقتل المقبِلَ والمدبِرَ ، وأجهِزْ على الجريحِ وانهبْها ثلاثًا(٤) ، وانْظُرْ إلى عليِّ بنِ الحسينِ فاكْفُفْ عنه واسْتَوْصِ به خيرًا ، وأدْنِ مَجْلِسَه ؛ فإنه لم يَدْخُلْ فى شيءٍ مما دَخَلوا فيه . وأمَره إذا فَرَغ مِن المدينةِ أن يَذْهَبَ إلى مكةَ لحِصارِ ابنِ الزبيرِ وقال له : إن حَدَث بك أمْرٌ فعلى الناسِ حُصَيْنُ بنُ نُميرٍ السَّكونيُّ .

وقد كان يَزيدُ كتَب إلى عبيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ أن يَسيرَ إلى ابنِ الزبيرِ ، فيُحاصِرَه بمكةَ ، فأبَى عليه وقال : واللَّهِ لا أَجْمَعُهما للفاسقِ أبدًا ، أَقْتُلُ ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ(٥) ، وأَغْزُو البيتَ الحرامَ ؟! وقد كانت أُمُّه مَرْجانةُ قالت له حينَ قَتَل الحسينَ : ويحَك ! ماذا صَنَعْتَ ؟! وماذا رَكِبْتَ(٦) ؟!

قالوا : وقد بَلَغ يزيدَ أن ابنَ الزُّبيرِ يَقولُ فى خُطْبتِه : يزيدُ القُرودِ ، شاربُ الخمرِ(٧) .

فلمَّا جَهَّز مسلمَ بنَ عُقْبةَ واسْتَعْرَض الجيشَ بدِمشقَ ، جعَل يَقولُ :

(١ - ١) سقط من : ٦١، ٣١، م، ص .

(٢) الملحد هنا : التارك القصدَ فيما أُمِر به ، والمائل إلى الظلم . انظر اللسان (ل ح د) .

(٣) أى أياما ثلاثا .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) بعده فى الأصل : « وابن حواريه » .

(٦) بعده فى ٦١، ٣١، م : « وعنفته تعنيفا شديدا » . والخبر أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(٧) بعده فى ٦١، ٣١، م : « تارك الصلوات ، منعكف على القينات » .

[٢/٧ظ] أبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الجيشُ سَرَى وأشرف الجيشُ على وادى القُرَى
أجَمْعَ سكرانٍ مِن القومِ تَرَى يا عَجَبًا مِن مُلْحِدٍ (١) يا عجبا (١)
مُخادِعٍ للدِّينِ يَقْفو (٢) بالفِرَى

وفى روايةٍ (٣) :

أبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الأمْرُ انْبَرى ونَزَل الجيشُ على وادى القُرَى
عشرون ألفًا بينَ كَهْلٍ وفَتَى أجَمْعَ سَكرانٍ مِن القومِ تَرَى (٤)

قالوا (٥) : وسار مسلمٌ بمَن معه مِن الجُيوشِ إلى المدينةِ ، فلمَّا اقْتَرب منها اجْتَهد أهلُ المدينةِ فى حِصارِ بنى أُمَيةَ ، وقالوا لهم : واللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكم عن آخِرِكم أو لتُعْطونا مَوْثِقًا أن لا تَدُلُّوا علينا أحدًا مِن هؤلاء الشامِيِّين ، ولا تُمالِئوهم علينا . فأعْطَوْهم العُهودَ بذلك ، فلما وَصَل الجيشُ تَلَقَّاهم بنو أُميةَ ، فجعَل مسلمٌ يَسْأَلُهم عن الأخْبارِ ، فلا يُخْبِرُه أحدٌ ، فانْحَصَر لذلك ، وجاءه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ فقال له : إن كنتَ تُرِيدُ النَّصْرَ فانْزِلْ شَرْقِيَّ المَدينةِ فى الحَرَّةِ ، فإذا خَرَجوا إليك كانت الشمسُ فى أقْفِيَتِكم وفى وُجوهِهم ، فادْعُهم إلى الطاعةِ ، فإن أجابوك وإلا فاسْتَعِنْ باللَّهِ وقاتِلْهم ، فإن اللَّهَ ناصِرُك عليهم ؛ إذ خالَفوا الإمامَ ، وخرَجوا مِن الطاعةِ . فشَكَره مسلمُ بنُ عُقْبةَ على ذلك ، وامْتَثل ما أشار عليه به ، فنَزَل شَرْقِيَّ

(١ - ١) فى ٦١، ٣١، م : « فى أم القرى » . وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٨٤.

(٢) فى النسخ : « يقضى » . والمثبت من تاريخ دمشق . ويقفو : يرمى . والفرى : جمع فِرْية ، والفرية : الكذب . انظر اللسان (ق ف و) ، (ف ر ى) .

(٣) انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٩٠.

(٤) بعده فى الأصل : « قال الواقدى : ولما بلغ أهل المدينة قدوم أهل الشام إليهم أرسلوا إلى مياه الطريق فصبوا فى كل منهل زق قطران فأرسل اللَّه تعالى السماء عليهم بالمطر فما استقوا بدلو واحد . قال : وكتب عبد اللَّه بن جعفر إلى أهل المدينة يحذرهم وينهاهم أن يتعرضوا له » .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/٤٨٥ - ٤٩٥، والكامل ٤/١١٥ - ١٢١، والمنتظم ٦/١٣ - ١٧.

المدينةِ فى الحَرَّةِ ، ودَعا أهلَها ثلاثةَ أيامٍ ، كلُّ ذلك يَأْبَوْن إلا المُحارَبةَ والمُقاتَلةَ ، فلمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ قال لهم فى اليومِ الرابعِ - وهو يومُ الأرْبعاءِ لليلَتَيْن بَقِيتا مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وستين - قال لهم : يا أهلَ المدينةِ ، مَضَتِ الثَّلاثُ ، وإن أميرَ المؤمنين قال لى : إنكم أصْلُه وعَشيرَتُه ، وإنه يَكْرَهُ إراقةَ دمائِكم ، وإنه أمَرنى أن أُؤَجِّلَكم ثلاثًا ، فقد مَضَت فما أنتم صانِعون ؟ أتُسالِمون أم تُحارِبون ؟ فقالوا : بل نُحارِبُ . فقال : لا تَفْعَلوا ، بل سالِموا ونَجْعَلُ جِدَّنا[1] وقُوَّتَنا على هذا المُلْحِدِ . يعنى ابنَ الزبيرِ . فقالوا له : ياعدُوَّ اللَّهِ ، لو أرَدْتَ ذلك لَما مَكَّنَّاك منه ، أنحن نَذَرُكم تَذْهَبون فتُلْحِدون فى بيتِ اللَّهِ الحرامِ ؟! ثم تَهَيَّئُوا للقِتالِ ، وقد كانوا اتَّخَذوا خَنْدقًا بينَهم وبينَ مسلمِ بنِ عُقْبةَ ، وجعَلوا جيشَهم أربعةَ أَرْباعٍ ، على كلِّ رُبُعٍ أميرٌ ، وجعَلوا أجَلَّ الأرْباعِ الرُّبُعَ الذى فيه عبدُ اللَّهِ بنُ حَنظلةَ الغَسِيلِ ، ثم اقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، ثم انْهَزم أهلُ [٣/٧و] المدينةِ إليها ، وقد قُتِل مِن الفريقَيْن خَلْقٌ مِن الساداتِ والأعْيانِ ، منهم ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ ، وبَنونَ له سَبعةٌ بينَ يديه ، وعبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظلةَ الغَسِيلِ ، وأخوه لأُمِّه محمدُ بنُ ثابتِ بنِ شَمَّاسٍ ، ومحمدُ بنُ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، وقد مَرَّ به مَرْوانُ بنُ الحكمِ وهو مُجَدَّلٌ ، فقال : رَحِمك اللَّهُ ، فكم مِن سارِيةٍ قد رَأَيْتُك تُطِيلُ عندَها القِيامَ والسُّجودَ[2] .

ثم أباح مسلمُ بنُ عُقْبةَ الذى يقولُ فيه السَّلَفُ : مُسْرِفُ بنُ عُقْبةَ . قَبَّحه

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « حدنا » . والمثبت موافق لما فى الكامل .

(٢) بعده فى الأصل : « وممن قتل أيضا فى وقعة الحرة ربيعة بن كعب أبو فراس الأسلمى ، خدم النبى ﷺ ، وكان من أصحاب الصفة . جرهد الأسلمى له صحبة وكان من أصحاب الصفة أيضا . أبو بشير الأنصارى واسمه قيس ، جرح يوم الحرة ثم مات بعدها بقليل . مالك بن عياض المزنى كان خازنا لعمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه . عمرو بن عنبسة وهو أخو أبى دلامة ، قدم على النبى ﷺ فكان رابع من أسلم ورجع ثم هاجر إلى المدينة ، وكان أحد الأمراء يوم اليرموك ، قتل بالوقعة . واللَّه أعلم » .

اللَّهُ ، المدينةَ ثلاثةَ أيامٍ كما أمَره يزيدُ ، لا جَزاه اللَّهُ خيرًا ، وقَتَل خَلْقًا مِن أشْرافِها وقُرَّائِها ، وانْتَهَب أموالًا كثيرةً منها ، ووقَع شرٌّ عَظيمٌ وفَسادٌ عَرِيضٌ ، على ما ذَكَره غيرُ واحدٍ ، فكان ممن قُتِل بينَ يدَيْه صَبْرًا مَعْقِلُ بنُ سِنانٍ الأشجعيُّ ، وقد كان صَديقَه قبلَ ذلك ، ولكن أَسْمَعه فى يَزيدَ كلامًا غَلِيظًا ، فنقَم عليه بسببِه .

واسْتَدْعَى بعليِّ بنِ الحسينِ ، فجاء يَمْشِى بينَ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ وابنِه عبدِ الملكِ ، ليَأْخُذَ له بِهِما عندَه أمانًا ، ولم يَشْعُرْ أن يَزيدَ قد أوْصاه به ، فلمَّا جَلَس بينَ يدَيْه اسْتَدْعَى مَرْوانُ بشَرابٍ - وقد كان مسلمُ بنُ عُقْبةَ قد حمَل معه مِن الشامِ ثَلْجًا إلى المدينةِ ، فكان يُشابُ له بشَرابِه - فلمَّا جىء بالشَّرابِ ، شَرِب مَرْوانُ قليلًا ، ثم أعْطَى الباقىَ لعليِّ بنِ الحسينِ ليَأْخُذَ له بذلك أمانًا ، وكان مَرْوانُ مُوادًّا لعليِّ بنِ الحسينِ ، فلمَّا نَظَر إليه مُسلمُ بنُ عُقْبةَ قد أخَذ الإناءَ فى يدِه قال له : لا تَشْرَبْ مِن شَرابِنا . ثم قال له : إنما جئتَ مع هذين لتَأْمَنَ بهما . فأُرْعدت يدُ عليِّ بنِ الحسينِ ، وجعَل لا يَضَعُ الإناءَ مِن يدِه ولا يَشْرَبُه ، ثم قال له : لولا أن أميرَ المؤمنين أوْصانى بك لضرَبْتُ عُنُقَك . ثم قال له : إن شئتَ أن تَشْرَبَ فاشْرَبْ ، وإن شئتَ دَعَوْنا لك بغيرِها . فقال : هذه التى فى كَفِّى أُرِيدُ . فشَرِب ثم قال له مسلمُ بنُ عُقْبةَ : إلىَّ ، هـلهنا . فأجْلَسه معه على السَّريرِ ، وقال له : إن أميرَ المؤمنين أوْصانى بك ، وإن هؤلاء شَغَلونى عنك . ثم قال : لعلَّ أهلَك فَزِعوا . قال : إى واللَّهِ . فأمَر بدابَّتِه[1] فأُسْرِجَت ، ثم حمَله عليها حتى رَدَّه إلى منزِله مُكَرَّمًا ، ثم اسْتَدْعَى بعمرِو بنِ عثمانَ بنِ [٣/٧ظ] عفانَ - ولم يَكُنْ خرَج مع بنى أميةَ - فقال له : إنك إن ظهَر أهلُ المدينةِ قلتَ : أنا كنتُ معكم . وإن ظهَر أهلُ

---

(١) فى ا ٣: « بدابة » . وهو موافق لما فى الكامل .

الشامِ قلتَ : أنا ابنُ أميرِ المؤمنين . ثم أمَر به ، فنُتِفَت لحيتُه بينَ يديه[1] .

قال المَدائنىُّ[2] : وأباح مسلمُ بنُ عقبةَ المَدينةَ ثلاثًا ، يَقْتُلون[3] الناسَ ، ويَأْخُذون الأمْوالَ . فأرْسَلَت سُعْدَى بنتُ عَوْفٍ المُرِّيَّةُ[4] إلى مسلمِ بنِ عُقْبةَ تقولُ : أنا بنتُ عَمِّك ، فمُرْ أصحابَك أن لا يَتَعَرَّضوا لإبلٍ لنا بمكانِ كذا وكذا . فقال لأصحابِه : لا تَبْدءُوا إلا بإبلِها . وجاءتِ امرأةٌ فقالت : أنا مَوْلاتُك ، وابْنى فى الأُسارَى . فقال : عَجِّلوه لها . فضُرِبَت عنقُه ، وقال : أَعْطُوها رأسَه ، أمَا تَرْضَيْن أن لا تُقْتَلِى[5] حتى تَتَكَلَّمى فى ابنِك ؟ ووَقَعوا على النِّساءِ حتى قيل : إنه حَبِلَت ألفُ امرأةٍ فى تلك الأيامِ [6]مِن غيرِ زوجٍ[6] .

قال المَدائنىُّ[7] ، عن أبى قُرَّةَ قال : قال هشامُ بنُ حَسَّانَ : وَلَدَت ألفُ امرأةٍ مِن أهلِ المدينةِ بعدَ الحَرَّةِ مِن غيرِ زوجٍ .

وقد اخْتَفى جماعةٌ مِن ساداتِ الصَّحابةِ ، منهم جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وخرَج أبو سعيدٍ الخُدْرىُّ ، فلجَأ إلى غارٍ فى جبلٍ ، فلَحِقه رجلٌ مِن أهلِ الشامِ . قال[8] : فلمَّا رأيْتُه انْتَضَيْتُ سيفى فقَصَدنى ، فلمَّا رآنى صَمَّم على قَتْلى ، فشِمْتُ سَيْفى ، ثم قلتُ : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ

---

(١) بعده فى ٦١، ٣١، م : « وكان ذا لحية كبيرة » .

(٢) المنتظم ٦/ ١٤.

(٣) بعده فى ٦١، ٣١، م : « من وجدوا من » .

(٤) فى ٦١: « المزنية » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٣٨.

(٥) فى الأصل، ٦١، ٣١، م : « يقتل » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ص.

(٧) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٦/ ١٥، من طريق المدائنى به .

(٨) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩١.

جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] [المائدة: ٢٩]. فلمَّا رَأَى ذلك قال: مَن أنت؟ قلتُ: أنا أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ. قال: صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قلتُ: نعم. فمَضَى وتَرَكنى.

قال المَدائنيُّ[2]: وجِيءَ إلى مسلمٍ بسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، فقال له: بايِعْ. فقال: أُبايِعُ على سِيرةِ أبى بكرٍ وعمرَ. فأمَر بضَرْبِ عُنُقِه، فشَهِد رجلٌ أنه مجنونٌ، فخلَّى سَبيلَه.

وقال المَدائنيُّ[3] عن [4]علىِّ بنِ[4] عبدِ اللَّهِ القرشىِّ وأبى إسحاقَ التَّميمىِّ قالا: لمّا انْهَزم أهلُ المدينةِ يومَ الحَرةِ صاح النِّساءُ والصِّبْيانُ، فقال ابنُ عمرَ: بعثمانَ ورَبِّ الكعبةِ[5].

---

(١) فى تاريخ الطبرى أن أبا سعيد الخدرى، رضى اللَّه عنه، قال: ﴿لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف اللَّه رب العالمين﴾.

(٢) المنتظم ٦/ ١٥، ١٦.

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٦/ ١٦، من طريق المدائنى به.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من المنتظم. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥.

(٥) بعده فى الأصل: «قال الواقدى: ومن أعيان من استشهد فى وقعة الحرة، إبراهيم بن نعيم النحام العدوى من أهل المدينة، كان أحد الرءوس يوم الحرة، فقتل فمر عليه مروان ويده على فرجه فقال: واللَّه لئن حفظته فى الممات فلطالما حفظته فى الحياة، وكان له عدة أولادٍ، وأمهم رقية بنت عمر بن الخطاب وأُمها أم كلثوم بنت على بن أبى طالبٍ.

وكثير بن أَفلح مولى أبى أيوب الأنصارى، وهو من سبى عين التمر وهو أحد كتاب المصاحف التى أرسلها عثمان إلى الأمصار. ومحمد بن أبى الجهم بن حذيفة ومحمد بن أبى حذيفة قتلا صبرًا بين يدى مسلم مع معقل بن سنان ومحمد بن أُبى بن كعبٍ، وعبد الرحمن بن قتادة ويزيد ووهب ابنا عبد اللَّه ابن زمعة وكان يزيد هذا صديقًا ليزيد بن معاوية وصفيًّا له فلما أراد مسلم قتله وثب مروان فضمه إليه فقال مسلم: إن تنحى مروان عنه وإلا فاقتلوهما معًا. فتركه [٧/٤و] مروان فضرب عنقه.

وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصارى، الذى أقامه عمر بن الخطاب يصلّى بالناس التراويح.

ويزيد بن عبد الرحمن بن عوف، ومحمد بن عمرو بن حزم، وأبو بكر بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب وأبو بكر بن عبد اللَّه بن أبى طالبٍ قتل صبرًا بين يدى مسلم. والفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقتل يومئذ ولدان لزينب بنت أم سلمة فأُتى بهما فوضعا بين يديها فقالت: =

قال المدائنيُّ عن شيخٍ من أهلِ المدينةِ قال[1] : سألتُ الزهريَّ : كم كان القتلى يومَ الحرةِ؟ قال : [٧/ ٤ظ] سبعُمائةٍ من وجوهِ الناسِ من المهاجرين والأنصارِ ، ووجوهِ الموالى ، وممن لا يُعرفُ من حُرٍّ وعبدٍ وغيرِهم عشَرةُ آلافٍ . قال : وكانت الوقعةُ لثلاثٍ بَقِينَ من ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وستِّين ، وانتهَبُوا المدينةَ ثلاثةَ أيامٍ .

قال الواقديُّ وأبو مَعْشرٍ[2] : كانت وقعةُ الحرَّةِ يومَ الأربعاءِ لِليْلَتين بَقِيَتا من

= واللَّه إن المصيبة علىّ بكما لعظيمة وهى علىّ من هذا أعظم . وأشارت إلى أحدهم ؛ لأن هذا بسط يده وهذا قعد فى بيته فدخلوا عليه فقتلوه .

وذكوان مولى عائشة ، كانت تصلى خلفه ، وربيعة بن كعب وكنيته أبو فراس من المهاجرين ، كان يخدم النبى ﷺ ، وزيد بن محمد بن مسلمة الأنصارى .

وكان أول دور نهبت يوم الحرة دور بنى عبد الأشهل فما تركوا فيها من حلى ولا ثياب ولا أثاث ولا قماش على امرأة ، ولا فراش ، ولا دجاجة ، ولا حمام إلا ذبحوهما ، وجعلوا يخرجون من بيت ويدخلون إلى غيره ، فلما دخلوا دار زيد بن محمد تصايح الناس فأقبل زيد نحو الصوت ومعه جماعة ، فقاتلوا الشاميين فكثروا عليهم ، فقتل زيد بن محمدٍ على بابه وقتل معه سلمة بن عباد بن وقش وجعفر بن يزيد ابن سلمان، ووجد فى زيد أربعة وعشرون ضربة منها أربعة فى وجهه .

وسعيد بن زيد بن ثابت الأنصارى ، قتل يومئذ ، وقتل معه سبعة من إخوته ، وهم سلمان ويحيى وسليط وزيد وعبد اللَّه وعبد الرحمن وسعيد ، وكلهم أولاد زيد بن ثابت لأمهات شتى .

وعبد الله بن عبد الرحمن بن سهلٍ الأنصارى وعبد الله بن أبى نملة قتل هو وأخوه محمد وعمرو ابن ثابت بن قيس بن شماس، وأخوه محمد بن ثابتٍ ، ولد على عهد النبى ﷺ وحنّكه بريقه ، وقتل معهم إخوانهم يحيى وعبد اللَّه بنو ثابتٍ . ومحمد بن أبى الجهم أُتى به أسيرًا إلى مسلم بن عقبة ، فقال له : بايع أمير المؤمنين على أنك عبد له ، إن شاء عتقك ، وإن شاء استرقك . فقال : إن الجور استرقاق الأحرار . فقال : أنت الوافد على أمير المؤمنين ومن معك . ثم عدت إلى المدينة فشهدت عليه بشرب الخمر . ثم أمر به فضربت عنقه ، وبعث برأسه إلى أبيه ، وقال له : أتعرف هذا؟ قال : نعم ، هذا رأس سيد فتيان العرب .

وقد اختصرنا ذكر كثير ممن قتل يوم الحرة من أولاد الصحابة ، رضى اللَّه عنهم » .

(١) انظر المنتظم ٦/ ١٦.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩٤.

ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ وستينَ .

قال الواقدىُّ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، عن ابنِ عَوْفٍ[2] قال : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ ، وكانوا يُسَمُّونه العائِذَ[3] ، ويَرَوْن الأمْرَ شُورَى . وجاء الخبرُ إلى أهلِ مكةَ بما حصَل لأهلِ المدينةِ ليلةَ مُسْتَهَلِّ المُحَرَّمِ ، مع سعيدِ مَوْلى المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ، فحزِنوا حُزْنًا شَديدًا ، وتَأَهَّبوا لِقتالِ أهلِ الشامِ .

قال ابنُ جَريرٍ[4] : وقد رُوِيَت قصةُ الحَرَّةِ على غيرِ ما رَواه أبو مِخْنفٍ ، فحدَّثنى أحمدُ بنُ زُهَيْرٍ ، ثنا أبى ، سَمِعْتُ وهبَ بنَ جَريرٍ ، ثنا جُوَيْرِيَةُ بنُ أسماءَ قال : سَمِعْتُ أشْياخَ أهلِ المدينةِ يُحَدِّثون أن مُعاويةَ لما حَضَرَته الوَفاةُ دَعا ابنَه يَزيدَ فقال له : إن لك مِن أهلِ المدينةِ يومًا ، فإن فعَلوا فارْمِهم بمسلمِ بنِ عقبةَ فإنه رجلٌ قد عَرَفْتُ نَصيحتَه . فلما هَلَكَ مُعاويةُ وَفَد إليه وَفْدٌ مِن أهلِ المدينةِ[5] ، وكان ممَّن وَفَد عليه عبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظلةَ بنِ أبى عامرٍ - وكان شَريفًا فاضلًا سيدًا عابدًا - معه ثمانيةُ بَنينَ له ، فأعْطاه مائةَ ألفِ درهمٍ ، وأعْطَى بَنيه ، كلَّ واحدٍ منهم عشَرةَ آلافٍ سِوَى كِسْوتِهم وحُمْلانِهم ، فلمَّا قدِم المدينةَ عبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظَلةَ أتاه الناسُ فقالوا : ما وراءَك ؟ قال : جئتُكم مِن عندِ رجلٍ واللَّهِ لو لم أَجِدْ إلا بَنىَّ هؤلاء

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٤٩٤، من طريق الواقدى به .

(٢) فى الأصل، ٦١، م، ص: «عون» . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٧٢.

(٣) بعده فى ٦١، ٣١، م: «يعنى العائذ بالبيت» .

(٤) تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩٥.

(٥) بعده فى الأصل: «منهم عبد اللَّه بن أبى عمر بن حفص المخزومى والمنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ورجال من أهل الشرف فلما دخلوا على يزيد أكرمهم وأعظم جوائزهم، وأمر لكل واحد منهم بمائة ألف فلما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير والقيان، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه فتواثب الناس يخلعونه ويبايعون ابن حنظلة على الموت، وكان دعواهم ومبايعتهم له على الرضى والشورى» .

لجاهَدْتُه بهم . قالوا : قد بَلَغَنا أنه أعْطاك وأحْذاك[1] وأكْرَمك . قال : قد فَعَل ، وما قَبِلْتُ منه إلا لأَتَقَوَّى به[2] . فحَضَّ الناسَ فبايَعوه ، فبَلَغ ذلك يَزيدَ ، فبَعَث إليهم[3] مسلمَ بنَ عُقْبةَ ، وقد بَعَث أهلُ المدينةِ إلى كُلِّ ماءٍ بينَهم وبينَ الشامِ فصَبُّوا فيه زِقًّا مِن قَطِرانٍ وعَوَّرُوه ، [٥/٧و] فأرْسَل اللَّهُ على جيشِ الشامِ السماءَ مِدْرارًا ، فلم يَسْتَقوا بدَلْوٍ حتى وَرَدوا المدينةَ[4] ، فخرَج إليهم أهلُ المدينةِ بجُموعٍ كثيرةٍ وهَيئةٍ لم يُرَ مثلُها ، فلما رَآهم أهلُ الشامِ هابوهم وكَرِهوا قِتالَهم ، ومسلمٌ شديدُ الوَجَعِ ، فبينَما الناسُ فى قِتالِهم إذ سَمِعوا التَّكْبيرَ مِن خلفِهم فى جوفِ المدينةِ ، وأَقْحَم عليهم بنو حارثةَ مِن أهلِ الشامِ ، وهم على الجَدَدِ[5] ، فانْهَزم الناسُ ، فكان مَن أُصِيب فى الخَنْدقِ أكثرَ ممن قُتِل مِن الناسِ ، فدَخَلوا المدينةَ ،

---

(١) فى ٦١، وتاريخ الطبرى : «أجداك» . وهما بمعنى . والمثبت موافق لإحدى نسخ تاريخ الطبرى . انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩٥، حاشية (٢) .

(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م : «على قتاله» .

(٣) بعده فى الأصل : «النعمان بن بشير ، وأمره أن يدعوهم إلى الطاعة ، ويخوفهم الفتنة والفرقة ، فقدم النعمان المدينة فدعا الناس وخوفهم الفتنة . وقال : لا طاقة لكم بأهل الشام . فلم يلتفتوا إلى قوله فانصرف إلى يزيد ، وأخبره الخبر فبعث» .

(٤) بعده فى الأصل : «وقد كان عبد اللَّه بن حنظلة لما قرب أهل الشام إلى المدينة خطب الناس ، وحرضهم على القتال وأمرهم بالصدق عند اللقاء وقال : يا قوم ، اتقوا اللَّه فواللَّه ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بحجارة من السماء إن رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، ويلعب بالملاهى لحقيق بالقتال والقتل . ثم قال : اللهم إنا بك واثقون ، وكان يبيت تلك الليالى فى المسجد ، ويصوم الدهر ، ويفطر على شربة سويق ، وما رئى رافعا رأسه إلى السماء حياء من اللَّه عز وجل ، وصَبَّحَ أهل الشام المدينة فقاتلوا أهلها قتالا شديدا حتى غلبهم أهل الشام ودخلوا المدينة من نواحيها كلها ، وأهل المدينة كالنعام الشريد ، وأهل الشام يقتلون فيهم ، وعبد اللَّه بن حنظلة يحض أصحابه على القتال وهو مستند إلى بعض بنيه يغط نوما فنبهه ابنه فأمر بأولاده وكانوا ثمانية فقاتلوا دونه حتى قتلوا واحدا بعد واحد حتى قتلوا جميعهم واللواء فى يده قائم ما حوله خمسة أنفس ثم قال لمولى له : احم لى ظهرى حتى أصلى الظهر . فلما صلى قال له مولاه : ما بقى أحد . فقال : ويحك إنما خرجنا على الموت ثم طرح الدرع ، وكسر جفن سيفه ، وقاتلهم حاسرا حتى قتل وهو ماد أصبعه السبابة» .

(٥) فى تاريخ الطبرى : «الجد» . والجَدَد والجَد : وجه الأرض .

(١ وهُزم الناسُ ١) وعبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظلةَ مُسْتَنِدٌ إلى الجِدارِ[٢] يَغِطُّ نومًا ، فنبَّهه ابنُه ، فلمَّا فتَح عَيْنَيْه ، ورَأَى ما صنَع الناسُ ، أمَر أكبرَ بَنيه فتقَدَّم حتى قُتِل ، فدخَل مسلمُ بنُ عُقْبةَ المدينةَ ، فدَعا الناسَ للبَيْعةِ على أنهم خَوَلٌ ليزيدَ بنِ مُعاويةَ ، يَحْكُمُ فى دِمائِهم وأمْوالِهم وأهْلِيهم ما شاء .

وقد رَوَى ابنُ عَساكرَ[٣] فى ترجمةِ أحمدَ بنِ عبدِ الصَّمَدِ مِن « تاريخِه » مِن كتابِ المُجالَسةِ لأحمدَ بنِ مَرْوانَ المالكىِّ ، ثنا الحسينُ بنُ الحسنِ اليَشْكُرِىُّ ، ثنا الزِّيادىُّ ، عن الأَصْمَعىِّ (ح) وحَدَّثنى محمدُ بنُ الحارثِ ، عن المَدائنىِّ قال : لما قُتِل أهلُ الحَرَّةِ هَتَف هاتِفٌ بمكةَ على أبى قُبَيْسٍ مساءَ تلك الليلةِ ، وابنُ الزبيرِ جالسٌ يَسْمَعُ :

قُتِل الخِيارُ بنو الخيا ... رِ ذَوُو المَهابةِ والسَّماحِ
والصائِمون القائمو ... ن القانِتونَ أولُو[٤] الصَّلاحِ
[٧/٥ظ] المُهْتَدون المتقو ... ن[٥] السابقون إلى الفَلاحِ
ماذا بواقِمَ[٦] والبَقِيـ ... ـعِ مِن الجَحاجِحةِ الصِّباحِ
وبِقاعُ يَثْرِبَ وَيْحَهُنَّ ... مِن النَّوادِبِ والصِّياحِ

(١ - ١) سقط من : ٦١، ٣١، م .
(٢) فى تاريخ الطبرى : « أحد بنيه » .
(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٥٦.
(٤) بعده فى ٦١، ٣١، م : « العبادة و » .
(٥) فى ٦١، ٣١، م : « المحسنون » .
(٦) واقم : أُطْم من آطام المدينة ، سُمِّى بذلك لحَصانَتِه ، وحرَّةُ واقم إلى جانبه نُسِبت إليه . انظر معجم البلدان ٤/ ٨٩٣.

فقال ابنُ الزبيرِ لأصحابِه[1] : يا هؤلاء، قُتِل أصحابُكم، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وقد أخْطأ يزيدُ خَطأً فاحشًا فى قولِه لمسلمِ بنِ عُقْبةَ أن يُبِيحَ المَدينةَ ثلاثةَ أيامٍ، وهذا خطأٌ كبيرٌ[2]، فإنه وَقَع فى هذه الثلاثةِ أيامٍ مِن المَفاسِدِ العَظيمةِ فى المدينةِ النَّبويةِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، مما لا يَعْلَمُه إلا اللَّهُ عز وجل.

وقد أراد بإرْسالِ مسلمِ بنِ عقبةَ تَوْطِيدَ سُلْطانِه ومُلْكِه، ودَوامَ أيامِه، فعاقَبه اللَّهُ بنَقيضِ قَصْدِه، فقَصَمه اللَّهُ قاصِمُ الجَبابِرةِ، وأخَذَه أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ.

قال البُخارِىُّ فى «صَحيحِه»[3]: حدَّثنا الحسينُ بنُ حُريثٍ[4]، ثنا الفَضْلُ ابنُ موسى، ثنا الجُعَيْدُ[5]، عن عائشةَ بنتِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ، عن أبيها قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لا يَكِيدُ أهلَ المَدينةِ أحدٌ[6] إلا انْماع كما يَنْماعُ المِلْحُ فى الماءِ».

وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ أبى عبدِ اللَّهِ القَرَّاظِ المَدنىِّ - واسمُه

---

(١) سقط من: م.

(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م: «فاحش، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم له قتل الحسين وأصحابه على يدى عبيد الله بن زياد».

(٣) البخارى (١٨٧٧).

(٤) فى ٦١، ٣١، م: «الحارث». وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٣٢٥، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.

(٥) فى م: «الجعد».

(٦) سقط من: ص.

دِينارٌ - عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يُرِيدُ أحدٌ أهلَ المدينةِ بسُوءٍ إلا أذابه اللَّهُ فى النارِ ذَوْبَ الرَّصاصِ» أو: «ذَوْبَ المِلْحِ فى الماءِ»[1].

وفى روايةٍ لمسلمٍ[2] مِن طريقِ أبى عبدِ اللَّهِ القَرَّاظِ، عن سعدٍ وأبى هُريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَن أراد أهلَ المدينةِ بسُوءٍ أَذابه اللَّهُ كما يَذُوبُ المِلْحُ فى الماءِ».

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حَدَّثنا أنسُ بنُ عِياضٍ، ثنا يزيدُ بنُ خُصَيْفةَ، [4]عن [5]عبدِ الرحمنِ بنِ[5] عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ[4]، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن السائبِ بنِ خَلَّادٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَن أخاف أهلَ المدينةِ ظُلْمًا أخافه اللَّهُ، وعليه لَعْنةُ اللَّهِ والمَلائكةِ والناسِ أجْمَعين، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه يومَ القِيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلًا». ورَواه النَّسائىُّ[6] مِن غيرِ وجهٍ، عن علىِّ بنِ حُجْرٍ، عن إسماعيلَ بنِ جَعْفرٍ، عن يَزيدَ بنِ خُصَيْفةَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى صَعْصَعةَ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ، عن ابنِ[7]

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (١٣٦٣/٤٦٠) ولكن من طريق عامر بن سعد عن أبيه. والطريق التى ذكرها المصنف جاءت بلفظ: «من أراد أهل المدينة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء».

(٢) مسلم (١٣٨٧/٤٩٥).

(٣) المسند ٤/ ٥٥.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من المسند، وانظر أطراف المسند ٢/ ٤١٩.

(٥ - ٥) زيادة لازمة أثبتناها من تهذيب الكمال ١٧/ ٢١٦؛ ليصبح الاسم على ترتيبه الصحيح؛ قال الحافظ المزى: منهم من يقول فيه: عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة فيقلب اسمه.

(٦) السنن الكبرى (٤٢٦٦).

(٧) سقط من: م. وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٢٥٥، ٢٥٦.

خَلَّادٍ [1] مِن بَلْحارثِ [1] ابنِ الخَزْرجِ ، أخْبرَه ، فذَكَره . وكذلك رَواه الحُمَيْدىُّ [2] عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى حازِمٍ ، عن يزيدَ بنِ خُصَيْفةَ . ورَواه النَّسائىُّ أيضًا [3] ، عن يحيى بنِ حَبيبِ بنِ عَربىٍّ ، عن حَمَّادٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن مسلمِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ خَلَّادٍ ، وكان مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، فذكَره .

وقال ابنُ وَهْبٍ [4] : أخْبَرنى حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ ، عن ابنِ الهادِ ، عن أبى بكرٍ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن السائبِ بنِ خَلَّادٍ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أَخاف أهلَ المدينةِ [٦/٧و] أَخافه اللَّهُ ، وعليه لَعْنةُ اللَّهِ والمَلائكةِ والناسِ أَجْمَعين » .

وقال الدارَقُطْنىُّ [5] : ثنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ الهَيْثمِ [6] ، ثنا أبى ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، ثنا أبو زكريا يَحْيَى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يَزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ الأنْصارىُّ ، عن محمدٍ وعبدِ الرحمنِ ابْنَىْ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قالا : خرَجْنا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٦١. وفى ٣١: « بن منجون » ، وفى م : « بن منجوف » ، وفى سنن النسائى : « أخا بلحارث » . وانظر التاريخ الكبير ٤/ ١٥٠.

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٧/ ١٧٠ (٦٦٣٣) من طريق الحميدى به ، ولكن فيه : يزيد بن عبد اللّه بن الهاد ، بدل يزيد بن خصيف .

(٣) السنن الكبرى (٤٢٦٥) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٧/ ١٦٩ (٦٦٣٢) ، من طريق ابن الهاد به .

(٥) أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط (١٠٩٣) ، من طريق يحيى بن عبد اللّه بن يزيد عن محمد بن جابر بنحوه .

(٦) فى ٦١، ٣١، م : « القاسم » .

مع أَبينا يومَ الحَرَّةِ ، وقد كُفَّ بصرُه فقال : تَعِس مَن أَخافَ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فقُلْنا : يا أَبَتِ ، وهل أحَدٌ يُخِيفُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟! فقال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أَخافَ[2] هذا الحَيَّ مِن الأنْصارِ فقد أَخافَ ما بينَ هذين » . ووَضَع كَفَّيْه[2] على جَنبَيْه[3] . قال الدارَقُطْنىُّ : تفرَّد به [4]سعيدُ بنُ عبدِ الحميدِ[4] لفظًا وإسْنادًا . وقد اسْتَدَلَّ بهذا الحديثِ وأمْثالِه مَن ذَهَب إلى التَّرْخيصِ فى لَعْنةِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وهو رِوايةٌ عن أحمدَ بنِ حَنْبلٍ اخْتارها الخَلَّالُ ، وأبو بكرٍ عبدُ العزيزِ ، والقاضى أبو يَعْلَى ، وابنُه القاضى أبو الحُسَينِ ، وانْتَصر لذلك الشيخُ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزىِّ فى مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ وجَوَّز لَعْنَه ، ومنَع مِن ذلك آخرون - وصَنَّفوا فيه أيضًا - لئلا يُجْعَلَ لعنُه وَسيلةً إلى أبيه أو أحدٍ مِن الصَّحابةِ ، وحمَلوا ما صَدَر عنه مِن سُوءِ التَّصَرُّفاتِ على أنه تَأَوَّل وأخْطَأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إمامًا فاسقًا ، والإمامُ إذا فَسَق لا يُعْزَلُ بمجردِ ذلك ، على أصَحِّ قولَيِ العُلماءِ ، بل ولا يَجوزُ الخُروجُ عليه ؛ لِما فى ذلك مِن إثارةِ الفِتْنةِ ، ووُقوعِ الهَرْجِ[5] ، كما جَرَى[6] .

وأمَّا ما يَذْكُرُه بعضُ الناسِ مِن أن يَزيدَ بنَ معاويةَ لمَّا بَلَغه خبرُ أهلِ المدينةِ ،

---

(١) بعده فى ٦١ ، ٣١ ، م : « أهل » .

(٢) فى النسخ : « يده » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) فى الأصل ، ٦١ ، ٣١ ، م : « جبينه » .

(٤ - ٤) فى م : « سعد بن عبد العزيز » .

(٥) بعده فى ٦١ ، ٣١ ، م : « وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه » .

(٦) بعده فى ٦١ ، ٣١ ، م : « مما تقدم إلى يومنا هذا » .

وما جَرَى عليهم عندَ الحَرَّةِ مِن مسلمِ بنِ عُقْبةَ وجَيشِه ، فرِح بذلك فَرَحًا شَديدًا ، فإنه كان يَرَى أنه الإمامُ ، وقد خَرَجوا عن طاعتِه ، وأَمَّروا عليهم غيرَه ، فله قِتالُهم حتى يَرْجِعوا إلى الطاعةِ ، ولُزومِ الجَماعةِ ، كما أنْذَرهم بذلك على لسانِ النُّعْمانِ ابنِ بَشيرٍ ومُسلمِ بنِ عُقْبةَ (١ثلاثةَ أيامٍ١) كما تَقَدَّم ، وقد جاء فى الحديثِ الصَّحيحِ[٢] : « مَن جاءكم وأمْرُكم جَمِيعٌ يُرِيدُ أن يُفَرِّقَ بينَكم فاقْتُلوه كائنًا مَن كان » . وأما ما يُورِدونه عنه مِن الشعرِ فى ذلك ، واسْتِشْهادِه بشعرِ ابنِ الزِّبَعْرَى فى وَقْعةِ أُحُدٍ التى يَقولُ فيها[٣] :

لَيتَ أشْياخى ببدرٍ شَهِدوا ... جَزَعَ الخَزْرَجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ
حينَ حَكَّت بقُباءٍ بَرْكَها ... واسْتَحَرَّ القتلُ فى عبدِ الأَشَلْ
قد قتَلْنا الضِّعْفَ مِن أشْرافِهم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بدرٍ فاعْتَدَلْ

وقد زاد بعضُ الرَّوافِضِ فيها فقال :

لَعِبَت هاشمُ بالمُلْكِ فلا ... مَلَكٌ جاءَ ولا وَحْىٌ نَزَلْ

فهذا إن قاله يَزيدُ بنُ مُعاويةَ فلَعْنةُ اللَّهِ عليه ولعْنةُ اللَّاعِنين ، وإن لم يَكُنْ قاله [٦/٧ظ] فلَعْنةُ اللَّهِ على مَن وضَعه عليه ليُشَنِّعَ عليه به وعلى مُلوكِ المسلمين ، وسنذْكرُ ترجمةَ يزيدَ بنِ مُعاويةَ قريبًا ، وما ذُكِر عنه ، وما قيل فيه ، وما كان يُعانِيه مِن الأفْعالِ والقَبائحِ والأقْوالِ ، فى السَّنَةِ الآتيةِ ، فإنه لم يُمْهَلْ بعدَ وَقْعةِ الحَرَّةِ وقَتْلِ الحسينِ إلا يَسيرًا حتى قَصَمه اللَّهُ الذى قَصَم الجَبابرةَ قبلَه

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) مسلم (١٨٥٢) . وانظر المسند الجامع ١٢/ ٥٤٤.
(٣) تقدم فى ٥/ ٤٧٥.

وبعدَه ، إنه كان عَليمًا قَديرًا .

وقد تُوُفِّىَ فى هذه السَّنَةِ خَلْقٌ مِن المَشاهِيرِ والأعْيانِ مِن الصَّحابةِ وغيرِهم فى وَقْعةِ الحَرَّةِ مما يَطولُ ذِكْرُهم ؛ فمِن مَشاهِيرِهم مِن الصَّحابةِ عبدُ اللَّهِ بنُ حَنْظَلةَ[1] أميرُ المدينةِ ، [2]الذى بايعَه أهلُ[2] الحَرَّةِ ، ومَعْقِلُ بنُ سِنانٍ[3] ، و[4]عبدُ اللَّهِ[4] بنُ زيدِ ابنِ عاصمٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم ، ومَسْروقُ بنُ الأجْدَعِ[5] .

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٨٩٢، وأسد الغابة ٣/ ٢١٨، والإصابة ٤/ ٦٥.

(٢ - ٢) فى ٦١، ٣١، م: «فى وقعة».

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٤٣١، وأسد الغابة ٥/ ٢٣٠، والإصابة ٦/ ١٨١.

(٤ - ٤) فى ٣١، م: «عبيد اللَّه». وانظر الاستيعاب ٣/ ٩١٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٥٠، والإصابة ٤/ ٩٨.

(٥) أسد الغابة ٥/ ١٥٦، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٥١، والإصابة ٦/ ٢٩١.

ثم دَخَلت سنةُ أربعٍ وستّين

ففيها[1] فى أولِ المُحَرَّمِ منها سار مسلمُ بنُ عُقْبةَ - [2]بعد فراغِه من حربِ أهلِ المدينةِ[2] - إلى مكةَ قاصِدًا قِتالَ ابنِ الزبيرِ ومَن الْتَفَّ عليه مِن الأعْرابِ على مُخالفةِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ، واسْتَخْلَف عليها رَوْحَ بنَ زِنْباعٍ، فلما بَلَغ ثَنِيَّةَ هَرْشَى[3] بعَثَ إلى رُءوسِ الأجْنادِ فجمَعَهم، فقال: إنَّ أميرَ المؤمنين عَهِد إلىَّ إن حَدَث بى حَدَثُ الموتِ أن أَسْتَخْلِفَ عليكم حُصَيْنَ بنَ نُمَيْرٍ السَّكُونىَّ، وواللَّهِ لو كان الأمْرُ لى ما فعَلْتُ. ثم دَعا به فقال: انْظُرْ يا بنَ بَرْدَعَةِ الحِمارِ فاحْفَظْ ما أُوصِيك به. ثم أَمَره إذا وَصَل مكةَ أن يُناجِزَ ابنَ الزبيرِ قبلَ ثلاثٍ[4]، ثم قال: اللهم إنى لم أَعْمَلْ عملًا قطُّ بعدَ شَهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه أَحَبَّ إلىَّ مِن قَتْلى أهلَ المدينةِ [5]ولا أَرجى[5] عندى فى الآخِرةِ، وإن دَخَلْتُ النارَ بعدَ ذلك إنى لَشَقِىٌّ. ثم مات، قَبَّحه اللَّهُ، ودُفِن بالمُشَلَّلِ[6]. فيما قاله

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩٦.

(٢ - ٢) سقط من: ٦١، ٣١، م.

(٣) ثنية هَرْشى: مكان مرتفع فى طريق مكة، قرية من الجُحفة. معجم البلدان ٤/ ٩٦٠.

(٤) بعده فى الأصل: «وقال له: قد دعوتك استخلفك على الجيش أو أقدمك أضرب عنقك فقال: أصلحك اللَّه أيها الأمير أنا سهمك فارم بى حيث شئت. فقال: لا ترع سمعك قريشا ولا ترد أهل الشام عن عدوهم ولا تقم إلا ثلاثًا حتى تناجز ابن الزبير الفاسق فأنت أعرابى جلف جاف وإن قريشا قوم مكرة لا يمكنهم أحد من أذنه إلا غلبوه على رأيه فسر بهذا الجيش فإذا لقيت القوم فاحذرهم ولا يكون إلا الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف».

(٥ - ٥) فى ٦١، ٣١: «وأحمد»، وفى م: «وأجزى»، وفى ص: «ولا أجزى».

(٦) فى م، ص: «بالمسلك». وبعده فى الأصل: «بين مكة والمدينة، لسبع بقين من المحرم، وكنيته أبو عقبة المرى، وداره بدمشق موضع فندق الخشب - يعنى الكشك - قبلى مسجد السّلالين وقيل: إنه شرب دواء ثم دعا بالغداء، فقال له الطبيب: لا تعجل. فقال: ويحك! إنما كنت أحب البقاء فى =

الواقدىُّ[1] .

وسار حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ بالجيشِ نحوَ مكةَ ، فانْتَهَى إليها [2]لأربعٍ بَقِين مِن المحَرَّمِ فيما قاله الواقدىُّ . وقيل[2] : لسبعٍ مَضَيْن منه . وقد تَلاحَق بابنِ الزبيرِ جَماعاتٌ ممَّن بَقِىَ مِن أشْرافِ أهلِ المدينةِ ، وانْضاف إليه أيضًا نَجْدةُ بنُ عامرٍ الحَنَفىُّ مِن أهلِ اليَمامةِ فى طائفةٍ مِن أهلِها ؛ ليَمْنَعوا البيتَ مِن أهلِ الشامِ ، فنزَل حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ ظاهِرَ مكةَ ، وخَرَج إليه ابنُ الزبيرِ فى أهلِ مكةَ ومَن الْتَفَّ معه ، فاقْتَتَلوا ذلك اليومَ قِتالًا شَديدًا ، وتَبارَز المُنْذِرُ بنُ الزبيرِ ورجلٌ مِن أهلِ الشامِ ، فقَتَل كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، وحمَل أهلُ الشامِ حَمْلةً صادقةً ، فانْكَشَف أهلُ مكةَ ، وعَثَرت بَغْلةُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ به ، فكَرَّ عليه المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ ومُصْعَبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ وطائفةٌ ، فقاتَلوا دونَه حتى قُتِلوا جميعًا ، وصابَرهم ابنُ الزبيرِ حتى الليلِ ، فانْصَرفوا عنه ، ثم اقْتَتلوا فى بقيةِ شهرِ المُحَرَّمِ وصَفَرًا بكمالِه ، فلمَّا كان يومُ السبتِ ثالثُ ربيعٍ الأولِ سنةَ أربعٍ وستين ، نَصَبوا المَجانِيقَ على الكعبةِ ، ورَمَوْها حتى بالنارِ ، فاحْتَرَق جِدارُ البيتِ فى يومِ السبتِ - هكذا قال الواقدىُّ - وهم يقولون :

= هذه الدنيا حتى أشفى نفسى من قتلة عثمان ، فقد أدركت ما أردت ، فليس شىء أحب إلى من الموت على طهارتى ، فإنى لا أشك أن اللَّه قد طهرنى من ذنوبى بقتل هؤلاء الأرجاس . وقيل : إنه لما دفن نبشته أم يزيد بن ربيعة ثم صلبته [٧/ ٧و] وقيل : إنها وجدت ثعبانا يمص أنفه ، وإنها أحرقته . واللَّه أعلم » .

(١) انظر تاريخ دمشق ٤٨١/١٦ مخطوط .

وبعده فى ٦١، ٣١، م : « ثم أتبعه اللَّه بيزيد بن معاوية فمات بعده فى ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه فما متعهما اللَّه بشىء مما رجوه وأمَّلوه بل قهرهم القاهر فوق عباده وسلبهم الملك ونزعه منهم مَن ينزع الملك ممن يشاء » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

خَطَّارةٌ مِثْلُ الفَنِيقِ المُزْبِدِ[1] نَرْمِى بها أعوادَ[2] هذا المسجدِ

وجعَل عمرُو بنُ حَوْطَةَ السَّدوسىُّ يقولُ :

كيف تَرَى صَنيعَ أُمِّ فَرْوَهْ تَأْخُذُهم بينَ الصَّفَا والمَرْوَهْ

وأُمُّ فَرْوَةَ اسمُ المَنْجَنِيقِ ، وقيل[3] : إنما احْتَرَقت ؛ لأن أهلَ المسجدِ جَعَلوا يُوقِدون النارَ وهم حولَ الكعبةِ ، فعَلِقت النارُ فى بعضِ أسْتارِ الكعبةِ ، فسَرَت إلى أخْشابها وسُقوفِها فاحْتَرَقت . وقيل[3] : إنما احْتَرَقَت لأنَّ ابنَ الزبيرِ سَمِع التَّكْبيرَ على بعضِ جِبالِ مَكةَ فى ليلةٍ ظَلْماءَ ، فظَنَّ أنهم أهلُ الشامِ ، فرُفِعَت نارٌ على رُمْحٍ ليَنْظُروا مَن هؤلاء الذين على الجبلِ ، فأطارت الريحُ شَرَرةً مِن رأسِ الرُّمْحِ إلى ما بينَ الرُّكْنِ اليَمانى والأسْودِ مِن الكعبةِ ، فعَلِقَت فى أسْتارِها وأخْشابِها ، فاحْتَرَقت واسْوَدَّ الرُّكْنُ ، وانْصَدَع فى ثلاثةِ أمْكِنةٍ منه .

واسْتَمَرَّ الحِصارُ إلى مُسْتَهَلِّ ربيعِ الآخِرِ ، وجاء الناسَ نَعْىُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وأنه قد مات لأربعَ عشْرةَ ليلةً خَلَت مِن ربيعِ الأولِ سنةَ أربعٍ وستين ، وهو ابنُ خمسٍ أو ثمانٍ أو تسعٍ وثلاثين سنةً ، فكانت وِلايتُه ثلاثَ سنين وستةً أو ثمانيةَ أشهرٍ[4] ، فحينَئذٍ خَمَدَت الحربُ وطَفِئت نارُ الفِتْنةِ ، ويُقالُ[5] : إنهم مَكثوا يُحاصِرون ابنَ الزبيرِ بعدَ موتِ يزيدَ أربعين ليلةً[6] . [٧/٧ظ] ويُذْكَرُ أنَّ ابنَ الزبيرِ

---

(١) الخَطْرُ : مصدر خطر الفحل بذَنَبه ... رفعه مرة بعد مرة . وقيل : ضربه يمينا وشمالا . وناقة خطَّارة : تخطر بذَنَبها . والفنيق : الفحل المكرَّم من الإبل الذى لا يُركب ولا يُهان لكرامته عليهم . وهنا شبَّه رمى المنجنيق بخَطَران الفحل . انظر اللسان (خ ط ر) ، (ف ن ق) .

(٢) فى ا ٦: « أخشاب » ، وفى ا ٣، م : « جدران » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٤٩٨.

(٤) بعده فى ا ٦، ا ٣، م : « فغلب أهل الشام هنالك وانقلبوا صاغرين » .

(٥) انظر المنتظم ٦/ ٢٣.

(٦) بعده فى الأصل : « فكان مدة حصارهم مكة سبعة وتسعين يوما » .

عَلِم بموتِ يزيدَ قبلَ أهلِ الشامِ ، فنادَى فيهم : يا أهلَ الشامِ ، قد أهْلَك اللَّهُ طاغِيتَكم ، فمَن أحَبَّ منكم أن يَدْخُلَ فيما دَخَل فيه الناسُ فلْيَفْعَلْ ، ومَن أحَبَّ أن يَرْجِعَ إلى شامِه فلْيَرْجِعْ . فلم يُصَدِّقِ الشاميُّون أهلَ مكةَ فيما أخْبَروهم به ، حتى جاء ثابتُ بنُ قيسِ بنِ المُنَقَّعِ[1] بالخبرِ اليَقينِ . ويُذْكَرُ[2] أن حُصَينَ بنَ نُميرٍ دَعاه ابنُ الزبيرِ ليُحَدِّثَه بينَ الصَّفَّيْن ، فاجْتَمعا حتى اخْتَلَفت رُءوسُ فَرَسَيْهما ، وجَعَلَت فرسُ حُصَينٍ تَنْفِرُ ويَكُفُّها ، فقال له ابنُ الزبيرِ : ما لك ؟ فقال : إن الحَمامَ تحتَ رِجْلَىْ فَرَسى تَأْكُلُ مِن الرَّوْثِ ، فأَكْرَهُ أن أَطَأَ حَمامَ الحَرَمِ . فقال له : تَفْعَلُ هذا وأنت تَقْتُلُ المسلمين ؟! فقال له حُصَيْنٌ : فأْذَنْ لنا فلْنَطُفْ بالكعبةِ ثم نَرْجِعْ إلى بلادِنا . فأَذِن لهم فطافوا .

وذكَر ابنُ جَريرٍ[3] أن حُصَيْنًا وابنَ الزبيرِ اتَّعَدَا ليلةً أن يَجْتَمِعا ، فاجْتَمَعا بظاهرِ مكةَ ، فقال له حُصَينٌ : إن كان هذا الرجلُ قد هَلَك فأنت أحَقُّ الناسِ بهذا الأمْرِ بعدَه ، فهلمَّ فارْحَلْ معى إلى الشامِ ، فواللَّهِ لا يَخْتَلِفُ عليك اثنان[4] .

---

(١) فى الأصل ، ص : « المقفع » ، وفى ٦١ ، ٣١ ، م : « القيقع » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٧١.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٠١.

(٣) المصدر السابق ٥/٥٠١ - ٥٠٣.

(٤) بعده فى الأصل : « وتؤمن الناس وتهدر الدماء التى كانت بيننا وبينك ، والتى بيننا وبين أهل الحرة . فقال ابن الزبير : واللَّه لا أفعل حتى أقتل بكل واحدٍ عشرةً منهم . فقال له حصين : إن هؤلاء هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فدعنى آخذ لك البيعة منهم أولًا ، ثم اخرج معى إلى الشام ، فواللَّه لا يختلف عليك اثنان . وجعل يكلم ابن الزبير سرًّا ، وابن الزبير يجهر جهرًا ويقول : لا أفعل ، إنى أكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا أهل الشام . فقال حصين : كنت أظن أن لك رأيًا ؛ ألا أرانى أكلمك سرًّا وتكلمنى جهرًا ، وأدعوك إلى الخلافة وتعدنى بالقتل . ثم أصبح فسار بجيشه راجعًا إلى الشام ، وقد قل عليه العلف ، وطمع فيهم أهل الحجاز والمدينة وذلوا ، وجعلوا يتخطفونهم . وقال الواقدى : لما كلمه حصين بما عليه من خروجه إلى الشام » .

فيُقالُ : إن ابنَ الزبيرِ لم يَثِقْ منه بذلك ، وأغْلَظ له فى المقالِ ، فنَفَر منه ابنُ نُمَيْرٍ ، وقال : أنا أَدْعُوه إلى الخِلافةِ ، وهو يُغْلِظُ لى فى المَقالِ ؟! ثم كَرَّ بالجيشِ راجعًا إلى الشامِ ، وقال : أَعِدُه بالمُلْكِ ويَتَواعَدُنى بالقَتْلِ ؟! ثم نَدِم ابنُ الزبيرِ على ما كان منه إليه مِن الغِلْظةِ ، فبَعَث إليه يقولُ له : أما الشامُ فلستُ آتِيهِ ، ولكن خُذْ لىَ البَيْعةَ على مَن هناك ، فإنى أُؤَمِّنُكم وأَعْدِلُ فيكم . فبَعَث إليه يقولُ له : إن مَن يَبْتَغِيها مِن أهلِ هذا البيتِ بالشامِ لكثيرٌ . فرَجَع فاجْتاز بالمدينةِ ، فطَمِع فيه أهلُها وأهانوهم إهانةً بالغةً ، وأكْرَمَهم علىٌّ بنُ الحسينِ ، وأَهْدَى لحُصَيْنِ بنِ نُمَيْرٍ [٧/ ٨و] قتًّا[1] وعَلَفًا ، وارْتَحَلت بنو أُميةَ مع الجيشِ إلى الشامِ ، فرَجَعوا إليه وقد اسْتُخْلِف بدمشقَ مُعاويةُ بنُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ عن وَصِيةٍ مِن أبيه له بذلك .[2] واللَّهُ سبحانَه أعلمُ بالصَّوابِ[2] .

وهذه ترجمةُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ[3]

هو يزيدُ بنُ مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ صَخْرِ بنِ حربِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، أميرُ المؤمنين أبو خالدٍ الأُمَوىُّ ، وُلِد سنةَ خمسٍ أو ستٍّ أو سبعٍ وعشرين[4] بالماطِرونِ ، وقيل : ببيتِ رأسٍ[4] . وبُويِع له بالخِلافةِ فى حياةِ أبيه أن يَكونَ وَلِىَّ

---

(١) القتّ : الرَّطْب من علف الدواب . اللسان (ق ت ت) .

(٢ - ٢) سقط من : ص . وفى الأصل : « ولما انصرف أهل الشام عن مكة أمن الناس ودعا ابن الزبير من يومه ذلك إلى نفسه وسمى أمير المؤمنين وترك الشعار الذى كان يدعى به عائذ البيت ولا حكم إلا للّه وفارقته الخوارج وبايعه أهل مكة فى رجب من هذه السنة » .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٣٨٩/١٨ مخطوط ، ومختصره ٢٨/ ١٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥. وترجمته فى تاريخ دمشق غير تامة .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل . والماطرون : موضع بالشام قرب دمشق . وبيت رأس : اسم لقريتين =

العَهْدِ مِن بعدِه ، ثم أكَّدَ ذلك بعدَ موتِ أبيه فى النِّصْفِ مِن رجبٍ سنةَ ستين ، فاسْتَمَرَّ مُتَوَلِّيًا إلى أن تُوُفِّىَ فى الرابعَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ سنةَ أربعٍ وستين . وأُمُّه مَيْسونُ بنتُ بَحْدَلِ بنِ أُنَيْفِ بنِ دُلْجَةَ بنِ قُنافةَ بنِ عَدِىِّ بنِ زُهَيْرِ بنِ حارثةَ الكَلْبِىِّ .

رَوَى عن أبيه مُعاويةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن يُرِدِ اللَّهُ به خيرًا يُفَقِّهْه فى الدِّينِ »[(١)] . وحديثًا آخرَ فى الوُضوءِ[(٢)] . وعنه ابنُه خالدٌ وعبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، وقد ذَكَره أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ فى الطَّبَقةِ التى تَلِى الصَّحابةَ ، وهى العُلْيا ، وقال : له أَحادِيثُ . وكان كثيرَ اللَّحْمِ ، عظيمَ الجسمِ ، كثيرَ الشَّعرِ ، جَميلًا طَويلًا ، ضَخْمَ الهامَةِ ، مُخَدَّدَ الأَصابعِ غَلِيظَها ، مُجَدَّرًا[(٣)] .

وكان أبوه قد طَلَّق أُمَّه وهى حاملٌ به ، فرَأَتْ فى المَنامِ أنه خَرَج مِن قُبُلِها قَمَرٌ ، فقَصَّت رُؤْياها على أُمِّها فقالَتْ : إن صَدَقَت رُؤْياك لَتَلِدِنَّ مَن يُبايَعُ له بالخِلافةِ . وجَلَسَت أمُّه مَيْسونُ يومًا تُمَشِّطُه وهو صبىٌّ صغيرٌ ، وأبوه مُعاويةُ مع زوجتِه الحَظِيَّةِ عندَه فى المَنْظَرةِ ، وهى فاخِتةُ بنتُ قَرَظةَ ، فلمَّا فَرَغَت مِن مَشْطِه نَظَرَت إليه ، فأعْجَبها فقَبَّلَتْ بين عينَيْه ، فقال مُعاويةُ عندَ ذلك :

= إحداهما ببيت المقدس ، وقيل : بيت رأس كُورة بالأردنّ . والأخرى من نواحى حلب . انظر معجم البلدان ٤/ ٣٩٥، ١/ ٧٧٦.

(١) الحديث فى كتب السنة بأسانيد كثيرة . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨٩/١٨ مخطوط ، من طريق يزيد عن أبيه معاوية به .

(٢) ذكر ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨٩/١٨ مخطوط ، أن لعبد الملك عن يزيد حديثا فى الوضوء ، وأنه سيأتى فى ترجمة أبى حميلة فى باب الكنى . وبالرجوع إلى باب الكنى وجدنا أن ترجمة أبى حميلة ساقطة ضمن مجموعة من التراجم . وفى ترجمة أبى حملة - وليس حميلة - فى مختصر تاريخ دمشق ٢٤٦/٢٨ لم يذكر فيها سوى أنه - أى أبا حملة - أدرك معاوية .

(٣) المُجَدَّر : المصاب بالجُدَرِىِّ .

إذا مات لم تُفْلِحْ مُزَيْنةُ بعدَه فنُوطِى[1] عليه يا مُزَيْنُ التَّمائِمَا

وانْطَلَق يزيدُ يَمْشِى وفاخِتَةُ تُتْبِعُه بَصَرَها ، ثم قالت : لعَن اللَّهُ سَوادَ ساقَىْ أُمِّك . فقال مُعاويةُ : أمَا واللَّهِ إنه لَخيرٌ مِن ابنِك عبدِ اللَّهِ - وهو ولدُه منها ، وكان أحْمقَ - فقالتْ فاخِتةُ : لا واللَّهِ ، ولكنك تُؤْثِرُ هذا عليه . فقال : سوف أُبيِّنُ لكِ ذلك حتى تَعْرِفِيه قبلَ أن تَقُومى [٧/٨ظ] مِن مَجْلِسِك هذا . ثم اسْتَدْعَى بابنِها عبدِ اللَّهِ فقال له : إنه قد بَدَا لى أن أُعْطِيَك كلَّ ما تَسْأَلُنى فى هذا المَجْلِسِ . فقال : حاجتى أن تَشْتَرِىَ لى كلبًا فارِهًا وحمارًا[2] . فقال : يا بنىَّ ، أنت حِمارٌ ويُشْتَرَى لك حِمارٌ ؟! قُمْ فاخْرُجْ . ثم قال لأُمِّه : كيف رَأَيْتِ ؟ ثم اسْتَدْعَى بيزيدَ فقال : إنى قد بَدَا لى أن أُعْطِيَك كلَّ ما تَسْأَلُنى فى مَجْلِسِك[3] هذا ، فسَلْنى ما بَدَا لك . فَخَرَّ يَزيدُ ساجِدًا ، ثم قال حينَ رَفَع رأسَه : الحمدُ للَّهِ الذى بَلَّغ أميرَ المؤمنين هذه المدةَ ، وأَراه فىَّ هذا الرأْىَ ، حاجتى أن تَعْقِدَ لىَ العَهْدَ مِن بعدِك ، وتُوَلِّينى العامَ صائفةَ المسلمين ، وتَأْذَنَ لى فى الحجِّ إذا رَجَعْتُ ، وتُوَلِّيَنى المَوْسِمَ ، وتَزِيدَ أهلَ الشامِ عشَرةَ دَنانِيرَ لكلِّ رجلٍ[4] ، وتَجْعَلَ ذلك بشَفاعَتى ، وتَفْرِضَ لأيْتامِ بنى جُمَحَ ، وأيْتامِ بنى سَهْمٍ ، وأيْتامِ بنى عَدِىٍّ . فقال : ما لك ولأيتامِ بنى عَدِىٍّ ؟ فقال : لأنهم حالَفونى وانْتَقلوا إلى دارى . فقال مُعاويةُ : قد فَعَلْتُ ذلك كلَّه . وقبَّل وجهَه . ثم قال لابنةِ قَرَظَةَ : كيف رأيْتِ ؟ فقالَتْ : يا أميرَ المؤمنين ، أَوْصِه بى فأنت أعْلَمُ به منى . ففعَل . وفى روايةٍ[5] أن يزيدَ لما قال له أبوه : سَلْنى

---

(١) ناط الشىءَ : علقه . انظر اللسان (ن و ط) .

(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م : « فارها » .

(٣) فى ٦١، ٣١، م : « مجلسى » .

(٤) بعده فى ٦١، ٣١، م : « فى عطائه » .

(٥) تاريخ دمشق ٣٩٢/١٨ مخطوط .

حاجتَك . قال له يَزيدُ : أَعْتِقْنى مِن النارِ أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَك منها . قال : وكيف ؟ قال : لأنى وَجَدْتُ فى الأثرِ أنه مَن تَقَلَّد أمْرَ الأُمَّةِ ثلاثةَ أيامٍ حَرَّمه اللَّهُ على النارِ ، فاعْهَدْ إلىَّ بالأمْرِ مِن بعدِك . ففَعَل .

وقال العُتْبىُّ[1] : رَأَى مُعاويةُ ابنَه يَزيدَ يَضْرِبُ غلامًا له ، فقال له[2] : سَوْأَةً لك ، أتَضْرِبُ مَن لا يَسْتَطِيعُ أن يَمْتَنِعَ عليك ؟! واللَّهِ لقد مَنَعَتْنى القُدْرةُ[3] مِن ذَوِى الإحَنِ ، وإنَّ أَحقَّ[4] مَن عَفَا لَمَن قَدَر .

قلتُ : وقد ثَبَت فى « الصحيحِ »[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى أبا مَسْعودٍ يَضْرِبُ غلامًا له ، فقال له : « اعْلَمْ أبا مسعودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عليك منك عليه » .

قال العُتْبىُّ[1] : وقَدِم زِيادٌ بأمْوالٍ عظيمةٍ وبسَفَطٍ مَمْلوءٍ جَوْهرًا على مُعاويةَ ، فسُرَّ بذلك مُعاويةُ ، فقام زِيادٌ فصَعِد المِنْبرَ ، ثم افْتَخَر بما يَفْعَلُه بأرضِ العراقِ مِن تَمْهيدِ المَمالِكِ لمُعاويةَ ، فقام يَزيدُ فقال : إن تَفْعَلْ ذلك يا زِيادُ فنحن نَقَلْناك مِن وَلاءِ ثَقيفٍ إلى قريشٍ ، ومِن القَلَمِ إلى المَنابِرِ ، ومِن زِيادِ بنِ عُبَيدٍ إلى حربِ بنِ[6] أُمَيةَ . فقال له مُعاويةُ : اجْلِسْ فِداك أبى وأمى .

وعن عَطاءِ بنِ السّائبِ [7]وغيرِه[7] قال : غَضِب مُعاويةُ على ابنِه يَزيدَ فهَجَره ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩٣/١٨ مخطوط .

(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م : « اعلم أن اللَّه أقدر عليك منك عليه » .

(٣) بعده فى ٦١، ٣١، م : « من الانتقام » .

(٤) فى ٦١، ٣١، م : « أحسن » .

(٥) مسلم (١٦٥٩) .

(٦) فى النسخ : « بنى » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧ - ٧) سقط من : ٦١، ٣١، م . وانظر تاريخ دمشق ٣٩٤/١٨ مخطوط .

فقال له الأحْنَفُ بنُ قيسٍ : يا أميرَ المؤمنين ، أوْلادُنا ثِمارُ قُلوبِنا ، وعِمادُ ظُهورِنا ، ونحن لهم سَماءٌ ظَليلةٌ ، وأرْضٌ ذَليلةٌ ، إن غَضِبوا فأَرْضِهم ، وإن طَلَبوا فأعْطِهم ، ولا تَكُنْ عليهم ثِقْلًا فيَمَلُّوا حَياتَك ويَتَمَنَّوْا موتَك . [٧/ ٩و] فقال مُعاويةُ : لِلَّهِ دَرُّك يا أبا بَحْرٍ ، يا غلامُ ، ائْتِ يَزيدَ فأَقْرِئْهُ منِّى السَّلامَ ، وقُلْ له : إن أميرَ المؤمنين قد أمَر لك بمائةِ ألفِ درهمٍ ، ومائةِ ثوبٍ . فقال يَزيدُ : مَن عندَ أميرِ المؤمنين ؟ فقال : الأحْنَفُ . فقال يَزيدُ : لا جَرَمَ ، لأُقاسِمَنَّه . فبَعَث إلى الأحْنَفِ بخمسين ألفًا وخمسين ثوبًا .

وقال الطَّبَرانىُّ[1] : حَدَّثنا محمدُ بنُ زكريا الغَلَابىُّ ، ثنا ابنُ عائشةَ ، عن أبيه قال : كان يَزيدُ فى حَداثتِه صاحبَ شَرابٍ يَأْخُذُ مَأْخَذَ الأحْداثِ ، فأحسَّ مُعاويةُ بذلك ، فأحَبَّ أن يَعِظَه فى رِفْقٍ ، فقال : يا بنىَّ ، ما أَقْدَرَك على أن تَصِير إلى حاجتِك مِن غيرِ تَهَتُّكٍ يَذْهَبُ بمُروءتِك وقَدْرِك[2] . ثم قال : يا بنىَّ ، إنى مُنْشِدُك أبياتًا ، فتَأَدَّبْ بها واحْفَظْها . فأنْشَدَه :

انْصَبْ نهارًا فى طِلابِ العُلَا ... واصْبِرْ على هَجْرِ الحَبيبِ القريبْ
حتى إذا الليلُ أَتَى بالدُّجَى ... واكْتَحَلَتْ بالغُمْضِ[3] عينُ الرَّقيبْ
فباشِرِ الليلَ بما تَشْتَهى ... فإنما الليلُ نَهارُ الأَرِيبْ
كم فاسقٍ نَحْسَبُه ناسِكًا ... قد باشَر الليلَ بأمْرٍ عَجِيبْ
غَطَّى عليه الليلُ أسْتارَه ... فبات فى أمْنٍ وعيشٍ خَصِيبْ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩٤/١٨ مخطوط ، من طريق الطبرانى به .
(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م : « ويشمت بك عدوك ويسىء بك صديقك » .
(٣) الغُمْض : النوم . اللسان (غ م ض) .

ولَـذَّةُ الأحْـمـقِ مَـكْـشـوفـةٌ يَشْفَى[1] بها كلُّ عدوٍّ غَرِيبْ[2]

قلتُ : وهذا كما جاء فى الحديثِ : « مَن ابْتُلِـىَ بشىءٍ مِن هذه القاذُوراتِ فلْيَسْتَتِرْ بسِتْرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ »[3] .

ورَوَى الواقدىُّ و المَدائِنىُّ[4] أن عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ وَفَد إلى مُعاويةَ ، فأمَر مُعاويةُ ابنَه يزيدَ أن يَأْتِيَه فيُعَزِّيَه فى الحسنِ بنِ علىٍّ ، فلمَّا دَخَل على ابنِ عباسٍ رَحَّب به وأكْرَمه ، وجَلَس بينَ يدَيه ، فأراد ابنُ عباسٍ أن يَرْفَعَ مَجْلِسَه ، فأَبَى وقال : إنما أَجْلِسُ مَجْلِسَ المُعَزِّى لا المُهَنِّى . ثم ذَكر الحسنَ ، فقال : رَحِم اللَّهُ أبا محمدٍ أوْسَعَ الرَّحْمةِ وأفْسَحَها ، وأعْظَم اللَّهُ أجْرَك وأحْسَن عَزاءَك ، وعَوَّضك مِن مُصابِك ما هو خيرٌ لك ثوابًا وخيرٌ عُقْبَى . فلمَّا نَهَض يَزِيدُ مِن عندِه قال ابنُ عباسٍ : إذا ذَهَب بنو حربٍ ذَهَب حُلماءُ الناسِ . ثم أنْشَد مُتَمَثِّلًا :

مَغَاضٍ عن العَوْراءِ لا يَنْطِقونها وأهلُ وِراثاتِ الحُلومِ الأوائلِ

وقد كان يَزِيدُ أولَ مَن غَزا مدينةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فى سنةِ تسعٍ وأربعين ، فى قولِ يَعْقوبَ بنِ سفيانَ[5] . وقال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[6] : سنةَ خمسين . ثم حَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ بعدَ [٧/ ٩ظ] مَرْجِعِه مِن أرضِ الرومِ .

وقد ثَبَت فى الصحيحِ[7] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أولُ جيشٍ يغْزو مدينةَ

---

(١) فى ٦١، م : « يسعى » .
(٢) فى الأصل : « قريب » ، وفى ٦١، ٣١، م : « مريب » .
(٣) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ ٢/٨٢٥ مطولا .
(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩٤، ٣٩٥ مخطوط .
(٥) المصدر السابق ١٨/ ٣٩٥.
(٦) تاريخ خليفة ١/ ٢٤٨، وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩٥.
(٧) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٦.

قَيْصَرَ مَغْفورٌ لهم » . وهو الجيشُ الثانى الذين رآهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَنامِه عندَ أمِّ حَرامٍ [1] بنتِ مِلْحانَ ، مثلَ الملوكِ على الأسرَّةِ [1] ، فقالت : ادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنى منهم . فقال : « أنتِ مِن الأَوَّلِين » . يعنى [2] من الجيشِ الأولِ الذين رآهم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الملوكِ على الأسِرَّةِ ، يَرْكَبون ثَبَجَ البحرِ ، فكان أميرَ الأُولى أبوه معاويةُ [2] . حينَ غَزا قُبْرُسَ ، ففَتَحها فى سنةِ سبعٍ وعشرين أيامَ عثمانَ بنِ عفانَ ، وكانت معهم أمُّ حَرامٍ ، فماتتْ هنالك بقُبْرُسَ ، ثم كان أميرَ الجيشِ الثانى ابنُه يزيدُ بنُ مُعاويةَ ، ولم تُدْرِكْ أمُّ حَرامٍ جيشَ يَزيدَ هذا . وذلك مِن أكبرِ دَلائلِ النُّبوةِ ، كما تقدَّم بيانُه .

وقد أوْرَد الحافظُ ابنُ عَساكرَ [3] هـٰهنا الحديثَ الذى رَواه مُحاضِرٌ ، عن الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن [4] عَبِيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خيرُ الناسِ قَرْنى ، ثم الذين يَلُونَهم ، ثم الذين يلُونهم » . الحديثَ . وكذلك رَواه عبدُ اللَّهِ بنُ شَقِيقٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه [5] .

ثم أوْرَد [6] مِن طريقِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن أبى محمدٍ ، عن زُرارةَ بنِ أوْفَى قال : القَرْنُ عشرون ومائةُ سنةٍ ، فبُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قَرْنٍ فكان آخِرَه موتُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ .

(١ - ١) سقط من : ٦١، ٣١، م . وانظر ما تقدم فى ٩/٢١٥ - ٢١٧.

(٢ - ٢) فى ٦١، ٣١، م : « جيش معاوية » .

(٣) تاريخ دمشق ١٨/٣٩٦ مخطوط .

(٤) فى ٦١، ٣١، م، ص : « بن » . وإبراهيم هو ابن يزيد بن قيس النخعى . وعبيدة هو ابن عمرو السلمانى . انظر تهذيب الكمال ٢/٢٣٣، ١٩/٢٦٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/٣٩٦، ٣٩٧ مخطوط ، من طريق عبد اللَّه بن شقيق به .

(٦) أى ابن عساكر . المصدر السابق ١٨/٣٩٧.

قال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[1] : ثمَّ حَجَّ بالناسِ يَزيدُ بنُ مُعاويةَ فى سنةِ إحْدى وخمسين وثِنْتَيْن وخمسين وثلاثٍ وخمسين .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[2] : حَدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، ثنا [3]رِشْدِينُ ، عن[3] عمرِو بنِ الحارثِ ، عن بُكَيْرِ بنِ الأَشَجِّ ، أن مُعاويةَ قال ليَزيدَ ابنِه : كيف تُراك فاعلًا إن وُلِّيتَ ؟ قال : يُمْتِعُ اللَّهُ بك . قال : لَتُخْبِرَنِّى . قال : كنتُ واللَّهِ يا أَبَهْ عاملًا فيهم عَمَلَ عمرَ بنِ الخطابِ . فقال مُعاويةُ : سبحانَ اللَّهِ ! يا سبحانَ اللَّهِ !! واللَّهِ يا بُنىَّ لقد جَهَدْتُ على سِيرةِ عثمانَ بنِ عَفانَ ، فما أَطَقْتُها[4] .

وقال الواقدىُّ[5] : حَدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن مَرْوانَ بنِ أبى سعيدِ بنِ المُعَلَّى قال : قال مُعاويةُ ليَزيدَ وهو يُوصِيه عندَ الموتِ : يا يَزيدُ ، اتَّقِ اللَّهَ فقد وَطَّأْتُ لك هذا الأمْرَ ، ووُلِّيتَ مِن ذلك ما وُلِّيتَ ، فإن يَكُ خيرًا فأنا أسْعَدُ به ، وإن كان غيرَ ذلك شَقِيتَ به ، فارْفُقْ بالناسِ ، وأَغْمِضْ عما بَلَغك مِن قولٍ تُؤْذَى به وتُنْتَقَصُ به ، وَطَأْ عليه يَهْنِكَ عيشُك ، وتَصْلُحْ لك رَعِيَّتُك ، وإياك والمُناقشةَ وحَمْلَ الغَضَبِ ، فإنك تُهْلِكُ نَفْسَك ورَعِيَّتَك ، وإياك وجفوةَ[6] أهلِ الشَّرفِ ، واسْتِهانتَهم ، والتَّكَبُّرَ عليهم ، لِنْ لهم لِينًا بحيث لا يَرَوْن [٧/ ١٠و]

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩٦/١٨ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ٣٩٨/١٨، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣ - ٣) فى م : « رشد بن » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٩١، ١٩٢.

(٤) بعده فى ٦١، ٣١، م : « فكيف بك وسيرة عمر » .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٢٨.

(٦) فى الأصل، ص : « جَبَه » ، وفى م : « خيرة » . والجبه : الردُّ عن الحاجة ، والاستقبال بكلام فيه غلظة . انظر اللسان (ج ب هـ) .

منك ضَعْفًا ولا خَوَرًا ، وأَوْطِئْهم فِراشَك ، وقَرِّبْهم إليك ، وأَدْنِهم منك ، فإنهم يَعْلَمون لك حَقَّك ، ولا تُهِنْهم ولا تَسْتَخِفَّ بحَقِّهم فيُهِينوك ويَسْتَخِفُّوا بحقِّك ويَقَعُوا فيك ، فإذا أَرَدْتَ أمْرًا فادْعُ أهلَ السِّنِّ والتَّجْرِبةِ مِن أهلِ الخيرِ مِن المَشايخِ وأهلِ التَّقْوَى ، فشاوِرْهم ولا تُخالِفْهم ، وإياك والاسْتِبْدادَ برأيِك ؛ فإن الرأىَ ليس فى صَدْرِ واحدٍ ، وصَدِّقْ مَن أشار عليك إذا حمَلَك على ما تَعْرِفُ ، [1]ثم أَطِعْه فيما أَشار به[1] ، واخْزُنْ ذلك عن نِسائِك وخَدَمِك ، وشَمِّرْ إزارَك ، وتَعاهَدْ جُنْدَك ، وأَصْلِحْ نفسَك يَصْلُحْ لك الناسُ ، لا تَدَعْ لهم فيك مَقالًا ؛ فإن الناسَ نُزّاعٌ[2] إلى الشَّرِّ ، واحْضُرِ الصلاةَ ، فإنك إذا فعَلْتَ ما أُوصِيك به عَرَف الناسُ لك حَقَّك ، وعَظُمَت مَمْلَكتُك ، وعَظُمْتَ فى أعْيُنِ الناسِ ، واعْرِفْ شَرَفَ أهلِ المدينةِ ومكةَ ؛ فإنهم أصْلُك وعَشِيرتُك ، واحْفَظْ لأهلِ الشامِ شَرَفَهم ؛ فإنهم [3]أنصارُك وحُماتُك وجندُك الذين بهم تصولُ ، وتنتصرُ على أعدائِك ، وتصلُ إلى[3] أهلِ طاعتِك ، واكْتُبْ إلى أهلِ الأمْصارِ بكتابٍ تَعِدُهم فيه منك المعْروفَ ؛ فإن ذلك يُنَشِّطُ آمالَهم ، وإن وَفَد عليك وافدٌ مِن الكُوَرِ كلِّها فأحْسِنْ إليهم وأكْرِمْهم ؛ فإنهم لِمَن وراءَهم ، ولا تَسْمَعَنَّ قولَ قاذِفٍ ولا ماحِلٍ ؛ فإنى رأيْتُهم وُزراءَ سَوْءٍ .

ومِن وجهٍ آخرَ[4] أن مُعاويةَ قال ليَزيدَ : إن لى خَليلًا مِن أهلِ المدينةِ فأكْرِمْه . قال : ومَن هو ؟ قال : عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ . فلمَّا وَفَد بعدَ موتِ مُعاويةَ على يزيدَ أضْعَف جائزتَه التى كان مُعاويةُ يُعْطِيه إياها ، وكانت جائزتُه على مُعاويةَ ستَّمائةِ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ص .

(٢) فى ٦١ ، ٣١ ، م ، ص : « سراع » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦ ، ٢٧ .

ألفٍ ، فأعْطاه يزيدُ ألفَ ألفٍ ، فقال له : بأبى أنت وأمى . فأعْطاه ألفَ ألفٍ أخرى . فقال له ابنُ جعفرٍ : واللَّهِ لا أَجْمَعُ أَبَوىَّ لأحدٍ بعدَك . ولمَّا خَرَج ابنُ جعفرٍ مِن عندِ يَزيدَ - وقد أعْطاه ألفَىْ ألفٍ - رَأَى على بابِ يزيدَ بَخاتىَّ مُبَرَّكاتٍ ، قد [1]قَدِم عليها هديةٌ[1] مِن خُراسانَ ، فرجَع عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ إلى يَزيدَ ، فسَأَله منها ثلاثَ بَخَاتىَّ ليَرْكَبَ عليها إلى الحَجِّ والعمرةِ ، وإذا وَفَد إلى الشامِ على يَزيدَ . فقال يَزيدُ للحاجِبِ : ما هذه البَخاتىُّ التى على البابِ ؟ - ولم يَكُنْ شَعَر بها - فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه أربعُمائةِ بُخْتِيَّةٍ جاءتْنا مِن خُراسانَ تَحْمِلُ أنْواعَ الأَلْطافِ - وكان عليها أنْواعٌ مِن الأمْوالِ كلِّها - فقال : اصْرِفْها إلى أبى جعفرٍ بما عليها . فكان عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ يقولُ : أتلُومُوننى على حُسْنِ الرأيِ فى هذا ؟! يَعْنى يزيدَ .

وقد كان يَزيدُ فيه خِصالٌ مَحْمودةٌ مِن الكَرَمِ والحِلْمِ والفَصاحةِ والشِّعْرِ والشَّجاعةِ وحُسْنِ الرأيِ فى المُلْكِ ، وكان ذا جَمالٍ ، حَسَنَ المُعاشَرةِ ، وكان فيه أيضًا إقْبالٌ على الشَّهَواتِ وتَرْكُ بعضِ الصَّلَواتِ فى بعضِ الأوْقاتِ[2] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حَدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ ، ثنا حَيْوةُ ، حَدَّثنى بَشيرُ ابنُ أبى عمرٍو الخَوْلانىُّ ، أن الوَليدَ بنَ قيسٍ حَدَّثه ، أنه سَمِع أبا سعيدٍ الخُدْرىَّ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يكونُ [٧/ ١٠ظ] خَلْفٌ مِن بعدِ ستين سنةً أضاعوا الصَّلاةَ واتَّبَعوا الشَّهَواتِ ، فسوف يَلْقَوْن غَيًّا ، ثم يكونُ خَلْفٌ يَقْرَءُون القرآنَ لا يُجاوزُ[4] تَراقِيَهم ، ويَقْرَأُ القُرآنَ ثلاثةٌ ؛ مُؤْمِنٌ ومُنافِقٌ وفاجرٌ » .

(١ - ١) فى مختصر تاريخ دمشق : « قدمن عليه هدية » .

(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م : « وإماتتها فى غالب الأوقات » . وانظر المصدر السابق ٢٨/ ٢٧.

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٣٢.

(٤) فى المسند : « يعدو » .

قال بشيرٌ : فقلتُ للوَليدِ : ما هؤلاء الثلاثةُ ؟ قال : المُنافِقُ كافرٌ به ، والفاجِرُ يَتَأَكَّلُ به ، والمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ به . تفرَّد به أحمدُ .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[1] : حَدَّثنا زُهَيْرُ بنُ حربٍ ، ثنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ ، ثنا كاملٌ أبو العَلاءِ ، سَمِعْتُ أبا صالحٍ ، سَمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَعَوَّذوا باللَّهِ مِن سَنَةِ سبعين ، ومِن إمارةِ الصِّبْيانِ » .

ورَوَى الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ عن عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدِ بنِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، أنه قال فى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ :

لسْتَ منا وليس خالُك منا ... يا مُضِيعَ الصَّلاةِ للشَّهَواتِ

قال : وزَعَم بعضُ الناسِ أن هذا الشعرَ لموسى بنِ يَسارٍ ، ويُعْرَفُ بموسى شَهَواتٍ[2] . ورُوِىَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، أنه سَمِع جاريةً له تُغَنِّى بهذا البيتِ فضَرَبها ، وقال : قُولى :

أنت منا وليسَ خالُك منا ... يا مُضِيعَ الصَّلاةِ للشَّهَواتِ

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[3] : حَدَّثنا الحكَمُ بنُ موسَى ، ثنا يَحْيَى بنُ حَمْزةَ ، عن هشامِ بنِ الغازِ ، عن مَكْحولٍ ، عن أبى عُبَيدةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : [4]« لا يزالُ هذا الأمرُ قائمًا بالقسطِ حتى يَثْلَمَه رجلٌ من بنى أميةَ » .

وحدثنا[5] الحكمُ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن الأوزاعىِّ ، عن مكحولٍ ، عن[4]

---

(١) لم نجده فى مسند أبى يعلى ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٢٠ ، وعزاه إلى أحمد والبزار ، كما تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٤٦، ٢٤٧، من رواية الإمام أحمد والترمذى .

(٢) انظر أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، وخزانة الأدب ١/ ٢٩٨.

(٣) مسند أبى يعلى (٨٧٠) .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) مسند أبى يعلى (٨٧١) .

(١) أبى عُبيدةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ (١) : « لا يَزالُ أمْرُ أُمَّتى قائمًا بالقِسْطِ حتى يَثْلَمَه رجلٌ مِن بنى أُمَيةَ يُقالُ له : يَزيدُ » . وهذا مُنْقَطِعٌ بينَ مَكْحولٍ وأبى عُبَيدةَ ، بل مُعْضَلٌ .

وقد رَواه ابنُ عَساكرَ (٢) مِن طريقِ صَدَقةَ بنِ عبدِ اللَّهِ الدِّمشقىِّ ، عن هشامِ ابنِ الغازِ ، عن مَكْحولٍ ، عن أبى ثَعْلَبةَ الخُشَنىِّ ، عن أبى عُبَيدةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يَزالُ أمْرُ هذه الأمةِ قائمًا بالقِسْطِ حتى يكونَ أولَ مَن يَثْلَمَه رجلٌ مِن بنى أُميةَ يُقالُ له : يَزيدُ » . ثم قال : وهو مُنْقَطِعٌ أيضًا بينَ مَكْحولٍ وأبى ثَعْلَبةَ .

وقال أبو يَعْلَى (٣) : حَدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا مُعاويةُ بنُ هشامٍ ، عن سفيانَ ، عن عوفٍ ، عن خالدِ بنِ أبى المُهاجِرِ ، عن أبى العاليةِ قال : كنا مع أبى ذَرٍّ بالشامِ ، فقال أبو ذَرٍّ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أولُ مَن يُغَيِّرُ سُنَّتى رجلٌ مِن بنى أُمَيةَ » .

ورَواه ابنُ خُزَيْمةَ عن بُنْدارٍ (٤) ، عن عبدِ الوَهَّابِ [٧/ ١١و] بنِ عبدِ المَجيدِ ، عن عوفٍ ، حَدَّثنا مُهاجِرُ بنُ أبى مَخْلَدٍ ، حَدَّثنى أبو العاليةِ ، حَدَّثنى أبو مُسلمٍ ، عن أبى ذَرٍّ ، فذَكَر نحوَه ، وفيه قصةٌ ، وهى أنَّ أبا ذَرٍّ كان فى غَزاةٍ ، عليهم يَزيدُ بنُ أبى سفيانَ ، فاغْتَصَب يَزيدُ مِن رجلٍ جاريةً ، فاسْتَعان الرجلُ بأبى ذَرٍّ على يَزيدَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٣٠/١٧ مخطوط ، من طريق صدقة به دون قوله : يقال له : يزيد . وتقدم تخريجه فى ٢٣٣/٩ من رواية يعقوب بن سفيان ، من طريق هشام بن الغاز به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/ ١٦٠، فى ترجمة أبى العالية رفيع بن مهران الرياحى ، من طريق سفيان بنحوه .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٢/١٨ مخطوط ، فى ترجمة يزيد بن أبى سفيان صخر بن حرب ، من طريق بندار - محمد بن بشار - به .

أن يَرُدَّها عليه ، فأمَره أبو ذَرٍّ أن يَرُدَّها عليه ، فتَلَكَّأ ، فذكَر أبو ذَرٍّ له الحَديثَ فرَدَّها ، وقال يَزيدُ لأبى ذرٍّ : نَشَدْتُك باللَّهِ أهو أنا ؟ قال : لا . وكذا رَواه البُخارىُّ فى « التاريخ » وأبو يَعْلَى[1] عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن عبدِ الوَهَّابِ . ثم قال البُخارىُّ : [2]والحديثُ مَعْلولٌ[2] ، ولا يُعْرَفُ أنَّ أبا ذَرٍّ قَدِم الشامَ زمنَ عمرَ بنِ الخطابِ . قال[3] : وقد مات يَزيدُ بنُ أبى سفيانَ زمنَ عمرَ ، فوَلَّى مكانَه أخاه مُعاويةَ .

وقال عباسٌ الدُّورىُّ[4] : سَأَلْتُ ابنَ مَعينٍ : أسَمِع أبو العاليةِ مِن أبى ذَرٍّ ؟ قال : لا ، إنما يَرْوِى عن أبى مسلمٍ عنه . قلتُ : فمَن أبو مسلمٍ هذا ؟ قال : لا أدْرِى .

وقد أوْرَد ابنُ عَساكرَ أحاديثَ فى ذَمِّ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، كلُّها مَوْضوعةٌ ، لا يَصِحُّ شَىءٌ منها ، وأجْوَدُ ما وَرَد ما ذَكَرْناه ؛ على ضَعْفِ أَسانيدِه وانْقِطاعِ بعضِه . واللَّهُ أعْلَمُ .

[5]وقال الحسنُ بنُ أبى الحسنِ[6] : ما أفسدَ أمرَ الناسِ إلا اثنان ؛ عمرُو بنُ العاصِ يومَ أشار على معاويةَ برفعِ المصاحفِ يومَ صِفِّينَ ، فحُمِلَتْ على رءوسِ الأسنَّةِ ، فحكَم الخوارجُ ، وقالوا : لا حكمَ إلَّا للَّهِ . فلا يزالُ هذا التحكيمُ إلى[5]

---

(١) التاريخ الصغير ١/ ٧٠، وأورده الحافظ فى المطالب العالية (٥٠٠٠)، من طريق عبد الوهاب به، وعزاه لأبى يعلى.

(٢ - ٢) فى الأصل: « والحلول معلول »، وفى ص: « والحلول معروف ».

(٣) التاريخ الكبير ٨/ ٣١٧.

(٤) تاريخ يحيى بن معين ٢/ ١٦٦.

(٥ - ٥) زيادة من: الأصل.

(٦) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥، ٢٠٦. وهو فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩ مختصرا.

(١) يومِ القيامةِ ، والآخرُ المغيرةُ بنُ شعبةَ ؛ فإنه كان عاملَ معاويةَ على الكوفةِ فكتَب إليه معاويةُ يقولُ : إذا قرأتَ كتابى فأَقْبِلْ معزولًا . فأبطأ على معاويةَ فى القدومِ ، فلما قدِم عليه قال له معاويةُ : ما أبطأك عنى ؟ قال : أمرٌ كنتُ أُوَطِّئُه وأُهَيِّئُه . قال : وما هو ؟ قال : البيعةُ ليزيدَ مِن بعدِك . قال : وقد فعلتَ ذلك ؟ قال : نعم . فقال : ارجعْ إلى عملِك . فلما خرَج المغيرةُ مِن عندِه ، قال له أصحابُه : ما وراءَك ؟ قال : وضعتُ رِجْلَ معاويةَ فى غَرْزٍ غَىٍّ لا يزالُ فيه إلى يومِ القيامةِ . (٢) قال الحسنُ (٢) : فمِن أجْلِ ذلك بايع هؤلاء أبناءَهم ، ولولا ذلك لكانت شورى بين المسلمين إلى يومِ القيامةِ .

وقيل (٣) : إن معاويةَ قيل له : نَنْشُدُك اللَّهَ فيمن نستخلفُ على المسلمين . فقال : لم يبقَ إلا ابنى وأبناؤُهم (٤) وابنى أحقُّ (٤)(١) .

قال الحارثُ بنُ مِسْكِينٍ ، عن مِسْكِينٍ ، عن سفيانَ ، عن شَبِيبِ بنِ غَرْقَدَةَ ، عن المُسْتَظِلِّ قال : سَمِعْتُ عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ : قد عَلِمْتُ ورَبِّ الكَعْبةِ متى تَهْلِكُ العَرَبُ ؛ إذا ساسَهم مَن لم يُدْرِكِ الجاهليةَ ولم يَكُنْ له قَدَمٌ فى الإسْلامِ .

قلتُ : يزيدُ بنُ مُعاويةَ أكثرُ ما نُقِم عليه فى عملِه شُرْبُ الخمرِ وإتْيانُ بعضِ الفَواحِشِ ، فأمَّا قَتْلُ الحُسَينِ فإنه - كما قال جَدُّه أبو سفيانَ يومَ أُحُدٍ (٥) - لم يَأْمُرْ بذلك ، ولم يَسُؤْه . وقد قَدَّمنا أنه قال (٦) : [٧/ ١١ظ] لو كنتُ أنا لم أفْعَلْ معه ما

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥.

(٤ - ٤) فى الأصل : «وابن أختى» . والمثبت من تاريخ الخلفاء .

(٥) تقدم فى ٥/ ٣٨٢، ٣٨٤.

(٦) تقدم فى صفحة ٥٥٧، ٥٦٢.

فَعَله ابنُ مَرْجانةَ . يعنى عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ ، وقال للرُّسُلِ الذين جاءُوا برأسِه : قد كان يَكْفِيكم مِن الطاعةِ دونَ هذا . ولم يُعْطِهم شيئًا ، وأكْرَم آلَ بيتِ الحسينِ ، ورَدَّ عليهم جَميعَ ما فُقِد لهم وأضْعافَه ، ورَدَّهم إلى المدينةِ النبويةِ فى تَجَمُّلٍ وأُبَّهَةٍ عَظيمةٍ ، وقد ناح أهلُه فى منزلِه على الحسينِ مع آلِه - حينَ كانوا عندَهم - ثلاثةَ أيامٍ .

وقيل[1] : إن يَزيدَ فَرِح بقتلِ الحسينِ أولَ ما بَلَغه ، ثم نَدِم على ذلك . فقال أبو عُبَيدةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى : إن يونُسَ بنَ حبيبٍ الجَرْمىَّ حَدَّثه قال : لما قتَل ابنُ زِيادٍ الحسينَ [2]وبنى أَبِيه[2] ، بَعَث برُءوسِهم إلى يَزيدَ ، فسُرَّ بقتلِهم أولًا ، وحَسُنَت بذلك مَنْزِلةُ ابنِ زِيادٍ عندَه ، ثم لم يَلْبَثْ إلا قليلًا حتى نَدِم ، فكان يقولُ : وما كان علىَّ لو احْتَمَلْتُ الأَذَى وأنْزَلْتُه فى دارى وحَكَّمْتُه فيما يُرِيدُه ، وإن كان علىَّ فى ذلك وَكَفٌ[3] ووَهْنٌ فى سُلْطانى ؛ حِفْظًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورِعايةً لحقِّه وقَرابتِه . ثم يقولُ : لعَن اللَّهُ ابنَ مَرْجانةَ فإنه أحرَجه واضْطَرَّه ، وقد كان سَأَلَه أن يُخَلِّىَ سبيلَه أو يَأْتِيَنى أو يكونَ بثَغْرٍ مِن ثُغورِ المسلمين حتى يَتَوَفَّاه اللَّهُ تعالى ، فلم يَفْعَلْ ، وأَبَى عليه وقَتَله ، فبَغَّضَنى بقتلِه إلى المسلمين ، وزَرَع لى فى قلوبِهم العَداوةَ ، فأبْغَضَنى البَرُّ والفاجرُ بما اسْتَعْظَم الناسُ مِن قَتْلى حُسينًا ، ما لى ولابنِ مَرْجانةَ[4] ، لعَنه اللَّهُ ، وغَضِب عليه[5] .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٠٦.

(٢ - ٢) فى ٦١، ٣١، م : « ومن معه » ، وفى ص : « وبنى أمية » .

(٣) الوكف : النقص . انظر النهاية ٥/ ٢٢٠.

(٤) بعده فى ص : « مالى ولابن مرجانة » .

(٥) بعده فى الأصل : « وقد ذكر سبط ابن الجوزى فى كتابه « مرآة الزمان » ، قال : إن يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الخمر ، والاستهتار ؛ بالغناء والصيد ، واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والقرود والديوك المناقرة ، واللعب بالملاهى وما يضحك منه المترفون ، وإنه كان له قرد يقال له : أبو قيس . فكان=

ولما خَرَج أهلُ المدينةِ عن طاعتِه وخَلَعوه ، ووَلَّوا عليهم ابنَ مُطِيعٍ وابنَ حَنْظَلةَ لم يَذْكُروا عنه - وهم أشَدُّ الناسِ عَداوةً له - إلا ما ذَكَروه عنه مِن شُرْبِه الخمرَ وإتْيانِه بعضَ القاذوراتِ ، لم يَتَّهِموه بزَنْدَقةٍ كما يَقْذِفُه بذلك بعضُ الرَّوافِضِ ، بل قد كان فاسِقًا ، والفاسِقُ لا يَجُوزُ خَلْعُه ؛ لِمَا يُؤَدِّى ذلك إليه مِن الفِتْنةِ ووُقوعِ الهَرْجِ ، كما وَقَع زمنَ الحَرَّةِ ، فإنه بَعَث إليهم مَن يَرُدُّهم إلى الطاعةِ ، وأنْظَرَهم ثلاثةَ أيامٍ ، فلمَّا لم يَرْجِعوا قاتَلهم ، وقد كان فى هذا كِفايةٌ ، ولكنّه تَجاوَز الحَدَّ فى أمرِه أميرَ الحربِ أن يُبيحَ المدينةَ ثلاثةَ أيامٍ ، حتى وقع بسببِ ذلك خطأٌ كبيرٌ وفسادٌ عريضٌ .

وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ وجماعاتُ أهلِ بيتِ النبوةِ ممن لم يَنْقُضِ العَهْدَ ، ولا بايَع أحدًا بعدَ بَيْعتِه ليزيدَ ؛ كما قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، حَدَّثنى صَخْرُ بنُ جُوَيْرِيَةَ ، عن نافعٍ قال : لما خَلَع الناسُ يزيدَ ابنَ مُعاويةَ جَمَع ابنُ عمرَ بَنيه وأهلَه ، ثم تَشَهَّد ، ثم قال : أما بعدُ ، فإنا بايَعْنا هذا الرجلَ على بَيْعِ اللَّهِ ورسولِه ، وإنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن الغادِرَ يُنْصَبُ له لِواءٌ يومَ القِيامةِ يقالُ : هذه غَدْرَةُ فلانٍ » . وإن مِن أعْظَمِ الغَدْرِ - إلا أن

= اليوم الذى يصبح فيه مخمورًا يشد القرد على فرسٍ مسرجةٍ بحبال إبريسم ، والناس يمشون بين يديه ، ومراكب الملك تقاد بين يديه ، وكان يزيد ينادم هذا القرد ويسقيه الخمر ويلبسه الأقبية الملونة وقلانس الذهب ، وكان يسابق بين الخيل والقرد عليها ، وأركب القرد يومًا أتانًا وحشيةً ، وأرسلها فى حلبة السباق ، فسبقت الأتان الوحشية الخيل كلها وسقطت ميتةً ومات القرد معها ؛ فحزن عليه يزيد حزنًا كثيرًا وكفنه ودفنه ، وأمر الناس أن يعزوه فيه ، وكان ينشد فيه الأشعار يمدحه بها ، ويقول : هذا شيخ من بنى إسرائيل أصاب خطيئةً فمسخ . وقيل : إن سبب موته أنه حمل قرده على أتانٍ وهو سكران ، [٧/ ١٢و] وركض خلفه فسقط يزيد فاندقت عنقه فمات . وما هم بشىءٍ إلا ارتكبه . ولم يحج فى خلافته ؛ شغلًا بما كان فيه من اللهو . واللَّه أعلم بصحة ذلك » .

(١) المسند ٢/ ٤٨ . (إسناده صحيح) .

يكونَ الإشْراكَ باللَّهِ - أن يُبايِعَ رجلٌ رجلًا على بَيْعِ اللَّهِ ورسولِه ثم يَنْكُثَ بَيْعتَه ، فلا يَخْلَعَنَّ أحدٌ منكم يزيدَ ، ولا يُشرِفَنَّ أحدٌ منكم فى هذا الأمْرِ ، فيكونَ الصَّيْلَمُ[1] بينى وبينَه .

[2]وقد رَواه مسلمٌ والتِّرمذىُّ[3] ، مِن حديثِ صَخْرِ بنِ جُوَيْرِيَةَ ، وقال التِّرمذىُّ : حسنٌ صَحيحٌ[2] . وقد رَواه أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سيفٍ المَدائنىُّ ، عن صَخْرِ بنِ جُوَيْرِيَةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَر مثلَه .

[4]قال : و[4]مَشَى عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ وأصحابُه إلى محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ ، فأرادوه على خَلْعِ يَزيدَ ، فأَبَى ، فقال ابنُ مُطِيعٍ : إن يَزيدَ يَشْرَبُ الخمرَ ويَتْرُكُ الصَّلاةَ ويَتَعَدَّى حُكْمَ الكِتابِ . فقال لهم : ما رأيْتُ منه ما تَذْكُرون ، وقد حَضَرْتُه وأقَمْتُ عندَه ، فرَأيْتُه مُواظِبًا على الصلاةِ ، مُتَحَرِّيًا للخيرِ ، يَسْأَلُ عن الفِقْهِ ، مُلازمًا للسُّنةِ . قالوا : فإن ذلك كان منه تَصَنُّعًا لك . فقال : وما الذى خاف منى أو رَجا حتى يُظْهِرَ إلىَّ الخُشوعَ ؟! أفأَطْلَعَكم على ما تَذْكُرون مِن شُرْبِ الخمرِ ؟ فلئن كان أطْلَعكم على ذلك إنكم لَشُركاؤُه ، وإن لم يَكُنْ أَطْلَعكم فما يَحِلُّ لكم أن تَشْهَدوا بما لم تَعْلَموا . قالوا : إنه عندَنا لَحَقٌّ وإن لم يَكُنْ رأَيْناه . فقال لهم : قد أبَى اللَّهُ ذلك على أهلِ الشَّهادةِ ، فقال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ، ولسْتُ مِن أَمْرِكم فى شىءٍ . قالوا : فلعلك [٧/ ١٢ظ] تَكْرَهُ أن يَتَوَلَّى الأمْرَ غيرُك ، فنحن نُوَلِّيك أمْرَنا . قال : ما أَسْتَحِلُّ القِتالَ على ما تُرِيدُوننى

---

(١) فى الأصل ، م : « الفيصل » . والصيلم : القطيعة المنكرة . النهاية ٣/ ٤٩ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) مسلم (١٧٣٥/٠٠٠) ، والترمذى (١٥٨١) .

(٤ - ٤) فى ٦١ ، ٣١ ، م : « ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد » . وانظر الخبر فى أنساب الأشراف ٣/ ٤٧١ .

عليه تابعًا ولا مَتْبوعًا . قالوا : فقد قاتَلْتَ مع أبيك . قال : جِيئونى بمثلِ أبى أُقاتِلْ على مثلِ ما قاتَل عليه . فقالوا : فمُرِ ابْنَيْك أبا هاشمٍ والقاسمَ بالقِتالِ معنا . قال : لو أمَرْتُهما قاتَلْتُ . قالوا : فقُمْ معنا مَقامًا تَحُضُّ الناسَ فيه على القِتالِ . قال : سبحانَ اللَّهِ ! آمُرُ الناسَ بما لا أَفْعَلُه ولا أرْضاه ؟! إذًا ما نَصَحْتُ للَّهِ فى عِبادِه . قالوا : إذًا نُكْرِهَك . قال : إذًا آمُرَ الناسَ بتَقْوَى اللَّهِ ، وألّا يُرْضُوا المَخْلوقَ بسَخَطِ الخالقِ . وخرَج إلى مكةَ .

وقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ : ثنا مُصْعَبٌ الزُّبيرىُّ ، ثنا ابنُ أبى حازمٍ ، عن هشامٍ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه ، أن ابنَ عمرَ دَخَل وهو معه على ابنِ مُطِيعٍ ، فلما دَخَل عليه قال : مَرْحَبًا بأبى عبدِ الرحمنِ ، ضَعُوا له وِسادةً . فقال : إنما جِئْتُك لأُحَدِّثَك حَديثًا سَمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن نَزَع يدًا مِن طاعةٍ فإنه يَأْتى يومَ القِيامةِ لا حُجَّةَ له ، ومَن مات مُفارِقَ الجماعةِ فإنه يَموتُ مِيتةً جاهِلِيَّةً » . وهكذا رَواه مسلمٌ مِن حديثِ هشامِ بنِ سعدٍ ، عن زيدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ به[1] ، وتابَعَه إسْحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه . وقد رَواه الليثُ عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَره[2] .

وقال أبو جَعْفرٍ الباقرُ : لم يَخْرُجْ أحدٌ مِن آلِ أبى طالبٍ ولا من بنى عبدِ المُطَّلِبِ أيامَ الحَرَّةِ ، ولما قَدِم مُسلمُ بنُ عُقْبةَ المدينةَ أكرم أبى وأَدْنَى مَجْلِسَه ، وأعْطاه كِتابَ أمانٍ .

ورَوَى المَدائنىُّ ، أن مُسلمَ بنَ عُقْبةَ بعَث رَوْحَ بنَ زِنْباعٍ إلى يزيدَ ببِشارةِ

---

(١) مسلم (١٨٥١/٠٠٠) .
(٢) المسند ٢/٩٧ .

الحَرَّةِ ، فلمَّا أخْبَره بما وَقَع قال : واقَوْماه . ثم دَعا الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ الفِهْرىَّ فقال له : تَرَى ما لَقِىَ أهلُ المدينةِ ، فما الرأىُ الذى يَجْبُرُهم ؟ قال : الطعامُ والأَعْطِيةُ . فأمَر بحَمْلِ الطَّعامِ إليهم ، وأفاض عليهم أَعْطِيتَه . وهذا خِلافُ ما ذكَره كَذَبةُ الرَّوافِضِ عنه مِن أنه شَمِت بهم وشفَى بقتْلِهم ، وأنه أنْشَد - إمَّا ذِكْرًا وإمَّا أَثَرًا - شعرَ ابنِ الزِّبَعْرَى المُتَقَدِّمَ ذِكرُه[1] .

وقال أبو بكرٍ محمدُ بنُ خَلَفِ بنِ المَرْزُبانِ بنِ بَسَّامٍ : حَدَّثنى محمدُ بنُ القاسمِ ، سَمِعْتُ الأصْمَعىَّ يقولُ : سَمِعْتُ هارونَ الرَّشيدَ يُنْشِدُ ليَزيدَ بنِ مُعاويةَ :

إنـهـا بـيـنَ عـامـرِ بـنِ لُـؤَىٍّ ... حيـنَ تَنْمِى[2] وبيـنَ عبدِ مَنافِ
ولـهـا فـى المُطَيَّبِـين[3] جُـدودٌ ... ثـم نـالَـتْ مَـكـارِمَ الأخْـلافِ
بنتُ عمِّ النبىِّ أكْرَمُ مَن يَمْـ ... ـشِى بنَعْلٍ على التُّرابِ وحافى
لن تَراها على التَّبَذُّلِ والغِلْـ ... ـظـةِ إلا كـدُرَّةِ الأصْـدافِ

[٧/١٣و] وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ : أنْشَدنى عمى مُصْعَبٌ ليَزيدَ بنِ مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ[4] :

آبَ هـذا الـهَـمُّ فـاكْـتنَعـا[5] ... [6]وأمَـرَّ[6] الـنـومُ فـامْـتَنَعـا
راعِـيًـا لـلـنَّـجْـمِ أَرْقُـبُـه ... فـإذا مـا كَـوْكَـبٌ طَـلَـعـا

---

(١) تقدم فى ص ٦٣١.
(٢) فى الأصل، ٣١، م، ص: «تمنى».
(٣) فى الأصل، ٦١، ٣١، م: «الطيبين».
(٤) اختلف فى نسبة هذه الأبيات لقائلها، فنسبت إلى يزيد، وبعضهم ينسبها إلى الأحوص، كما نسبت أيضًا لأبى دَهْبَل الجُمَحى. وانظر الكامل للمبرد ١/ ٣٨٤، وديوان أبى دهبل ٨٤، ٨٥.
(٥) اكتنع: حضر ودنا. اللسان (ك ن ع).
(٦ - ٦) فى ٦١، ٣١، م: «ثم مر».

حـامَ حـتـى إنـنـى لَأَرَى أنـه بـالـغَـوْرِ قـد وَقَـعـا
ولـهـا بـالماطِـرونِ إذا أكَـل النـملُ الذى جَمَعا
نُـزْهَـةٌ حـتـى إذا بَـلـغَـتْ نـزلـتْ مـن جِـلَّـقٍ[1] بِيَعا
فى قِبابٍ وَسْطَ دَسْكَرةٍ[2] حَـوْلَـهـا الـزيـتـونُ قـد يَـنَـعا

[3]ومِن شِعْرِه أيضًا :

وقائلةٍ لى حينَ شَبَّهْتُ وَجْهَها بيَدْرِ الدُّجَى يومًا وقد ضاق مَنْهَجِى
تُشَبِّهُنِى بالبدرِ هذا تناقصٌ بقدرى ولكن لستُ أولَ مَن هُجِى
أَلم تَرَ أنَّ البدرَ عندَ كمالِه إذا بَلَغَ التَّشْبيهَ عاد كدُمْلُجِ[4]
فلا فَخرَ إن شَبَّهْتَ بالبدرِ مَبْسَمى وبالسِّحْرِ أجْفانى وبالليلِ مَدْعَجِى[5][3]

وذَكَر الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[6] ، عن أبى محمدٍ الجَزَرىِّ قال : كانتْ بالمدينةِ جاريةٌ

---

(١) جلَّق : موضع بقرية من قرى دمشق . معجم البلدان ٢/ ١٠٤.
(٢) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست بعربية محضة . اللسان (دسكر) .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) الدُّمْلُج : سوار يحيط بالعضد . الوسيط (دملج) .
(٥) الدَّعَج : شدة سواد سواد العين . وشدة بياض بياضها . وقيل : شدة سوادها مع سعتها . اللسان (د ع ج) . وبعده فى الأصل :

« فقلت لها لا تنكرى ضعف خاطرى وكثرة إفراطى وعظم تلجلجى
فلم يبق لى عقل من الحب ثابت أقايس بين المستوى والمعوج

وله أيضًا :

ومدامة صفراء فى قارورةٍ زرقاء تحملها يد بيضاء
فالخمر شمس والحباب كواكب والكف قطب والزجاج سماء »

(٦) أورد هذا الخبر مطولًا أبو الفرج فى الأغانى ٩/ ١٣٤، ١٣٥. وعنه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ص ١٨٣، ١٨٤.

مُغَنِّيَةٌ يُقالُ لها : سَلَّامةُ . مِن أحسنِ النِّساءِ وجْهًا ، وأَتَمِّهِنَّ عقلًا وأَحْسَنِهن حديثًا ، قد قَرَأَت القُرآنَ ، ورَوَت الشِّعرَ وقالَتْه ، وكان عبدُ الرحمنِ بنُ حَسَّانَ والأَحْوصُ بنُ محمدٍ يَجْلِسان إليها ، فعَلِقَت الأَحْوَصَ ، وصَدَّت عن عبدِ الرحمنِ ، فتَرَحَّل ابنُ حَسَّانَ إلى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ فامْتَدَحه ، ودلَّه على سَلَّامةَ وجَمالِها وحُسْنِها وفَصاحتِها ، وقال : لا تَصْلُحُ إلا لك يا أميرَ المؤمنين ، وأن تكونَ مِن سُمَّارِك . فأرْسَل يزيدُ ، فاشْتُرِيَت له ، وحُمِلَت إليه ، فوَقَعت منه مَوْقِعًا عظيمًا ، وفَضَّلها على جميعِ مَن عندَه ، ورَجَع عبدُ الرحمنِ إلى المدينةِ ، فمَرَّ بالأَحْوصِ ، فوَجَده مَهْمومًا ، فأراد أن يَزِيدَه إلى ما به فقال :

يا مُبْتَلًى بالحُبِّ مَفدوحَا[1] ... لَاقَى مِن الحُبِّ تباريحا[2]
أَفْحَمَه الحُبُّ فما يَنْثَنى ... إلا بكأسِ الحُبِّ مَصْبوحا[3]
[٧/١٣ظ] وصار ما يُعْجِبُه مُغْلَقًا ... عنه وما يَكْرَهُ مَفْتوحَا
قد حازها مَن أَصْبَحَتْ عندَه ... يَنالُ منها الشَّمَّ والرِّيحَا
خَليفةُ اللَّهِ فسَلِّ الهَوَى ... وعَزِّ قلبًا منك مجْروحَا

قال : فأمْسَك الأَحْوَصُ عن جَوابِه ، ثم غَلَبه وَجْدُه عليها ، فرحل إلى يَزيدَ ، فامْتَدَحه ، فلما قدِم عليه أكرمه وقرَّبه وحَظِيَ عندَه ، فدَسَّت إليه سَلَّامةُ خادمًا ، وأَعْطَتْه مالًا على أن يُدْخِلَه عليها ، فأَخْبَر الخادمُ يَزيدَ بذلك ، فقال : امْضِ لِرسالتِها . ففعَل وأَدْخَل الأَحْوَصَ عليها ، وجَلَس يَزيدُ فى مكانٍ يَراهما ولا

---

(١) فى الأصل ، ٦١ ، ٣١ ، م : « مقروحا » .
(٢) انظر شعر الأحوص (الشعر المصنوع) ص ٢٣٠.
(٣) فى الأصل : « مطروحا » .

يَرَيانِه ، فلمَّا بَصُرَت الجاريةُ بالأحْوَصِ بَكَت إليه وبَكَى إليها ، وأمَرَت فأُلْقِيَ له كُرْسيٌّ ، فقَعَد عليه ، وجَعَل كلُّ واحدٍ منهما يَشْكُو إلى صاحبِه شِدَّةَ الشوقِ ، فلم يَزالا يَتَحَدَّثان إلى السَّحَرِ ، ويَزيدُ يَسْمَعُ كلامَهما مِن غيرِ أن يَكونَ بينَهما رِيبةٌ ، حتى إذا هَمَّ الأحْوصُ بالخُروجِ قال :

أمْسَى فُؤادىَ فى هَمٍّ وبَلْبَالِ ... مِن حُبِّ مَن لم أَزَلْ منه على بالِ

فقالت :

صَحا المحِبُّون بعدَ النَّأْيِ إذ يَئِسوا ... وقد يَئِسْتُ وما أَصْحُو على حالِ

فقال :

مَن كان يَسْلو بيَأْسٍ عن أخى ثِقَةٍ ... فعنكِ سَلّامَ مَا أَمْسَيْتُ بالسَّالى

فقالتْ :

واللَّهِ واللَّهِ لا أَنْساكَ يا شَجَنى ... حتى تُفارِقَ منى الرُّوحُ أوْصالى

فقال :

واللَّهِ ما خاب مَن أمْسَى وأنتِ له ... يا قُرَّةَ العَيْنِ فى أَهْلٍ وفى مالِ

قال : ثم وَدَّعها وخرَج ، فأخذَه يَزيدُ ، ودَعا بها فقال : أخْبِرانى عما كان فى ليلتِكما واصْدُقانى . فأخْبَراه وأنْشَداه ما قالا ، فلم يَخرِما حَرْفًا ، ولا غَيَّرا شيئًا مما سَمِعه . فقال لها يَزيدُ : أتُحِبِّينه ؟ قالتْ : إىْ واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين :

حبًّا شديدًا جرَى كالرُّوحِ فى جسدى ... فهل يُفَرَّقُ بين الروحِ والجسدِ

فقال له : أَتُحِبُّها ؟ فقال : إى واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين :

حبًّا شَديدًا تَليدًا غيرَ مُطَّرِفٍ ... بينَ الجَوانحِ مثلَ النارِ يَضْطَرِمُ

فقال يَزيدُ : إنكما لَتَصِفان حُبًّا شديدًا ، خُذْها يا أحْوَصُ فهى لك . ووَصَله صِلَةً سَنِيَّةً . فرجَع بها الأحْوَصُ إلى الحِجازِ وهو قَرِيرُ العَيْنِ .

(١) وقد رُوِىَ أن يَزيدَ كان قد اشْتَهر بالمَعازِفِ وشُرْبِ الخَمرِ والغِناء والصَّيدِ واتِّخاذِ الغِلْمانِ والقِيانِ والكِلابِ والنِّطاحِ بينَ الكِباشِ والدِّبابِ والقُرودِ ، وما مِن يومٍ إلا يُصْبِحُ فيه مَخْمورًا ، وكان يَشُدُّ القِرْدَ على فرسٍ مُسَرَّجةٍ بحِبالٍ ويَسُوقُ به ، ويُلْبِسُ القِرْدَ قَلانِسَ الذهَبِ ، وكذلك الغِلْمانُ ، وكان يُسابِقُ بينَ الخيلِ ، وكان إذا مات القِرْدُ حَزِن عليه . وقيل : إن سببَ مَوْتِه أنه حَمَل قِرْدةً وجَعَل يُنَقِّزُها فعَضَّتْه . وذَكَروا عنه غيرَ ذلك . واللَّهُ أعلمُ بصحةِ ذلك(١) .

وقال عبدُ الرحمنِ بنُ أبى مَذْعورٍ(٢) : حَدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ قال : آخرُ ما تَكَلَّم به يَزيدُ بنُ مُعاويةَ : اللهم لا تُؤاخِذْنى بما لم أُحِبَّه ، ولم أُرِدْه ، واحْكُمْ بينى وبينَ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ . وكان نَقْشُ خاتَمِه : آمَنْتُ باللَّهِ العظيمِ .

مات يزيدُ بحُوَّارِينَ مِن قُرَى دِمشقَ فى رابعَ عشَرَ ربيعٍ الأولِ ، وقيل : يومَ الخميسِ للنِّصفِ [٧/ ١٤و] منه . سنةَ أربعٍ وستين ، وكانت وِلايتُه بعدَ موتِ أبيه فى مُنْتَصَفِ رجبٍ سنةَ ستين ، وكان مَوْلِدُه فى سنةِ خمسٍ - وقيل : سنةِ سِتٍّ . وقيل : سبعٍ - وعشرين . ومع هذا فقد اخْتُلِف فى سِنِّه ومَبْلَغِ أيامِه فى الإمارةِ على أقوالٍ كثيرةٍ ، وإذا تَأَمَّلْتَ ما ذَكَرْتُه لك مِن هذه التَّحْديداتِ انْزاح عنك الإشْكالُ مِن هذا الخِلافِ ، فإن منهم مَن قال : جاوَز الأرْبعين حينَ مات . فاللَّهُ أعلمُ . وقد حُمِل إلى دِمشقَ وصَلَّى عليه ابنُه مُعاويةُ بنُ يَزيدَ أميرُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص . وانظر مروج الذهب ٣/ ٦٧، ٦٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٨/ ٢٩.

المؤمنين، ودُفِن بمَقابِرِ البابِ الصَّغيرِ، وفى أيامِه وُسِّع النهرُ المُسَمَّى بيَزيدَ، [1]فى ذَيْلِ جبلِ قاسِيُونَ[1]، وكان جَدْولًا صَغيرًا، فوَسَّعه أضْعافَ ما كان يَجْرى فيه مِن الماءِ.

وقال الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عَساكرَ: حَدَّثنا أبو الفَضْلِ محمدُ بنُ محمدِ ابنِ الفَضْلِ بنِ المُظَفَّرِ العَبْدىُّ قاضى البَحْرَيْنِ مِن لَفْظِه وكَتَبه لى بخَطِّه قال: رأيْتُ يَزيدَ بنَ مُعاويةَ فى النومِ، فقلتُ له: أنت قتَلْتَ الحسينَ؟ فقال: لا. فقلتُ له: هل غَفَر اللَّهُ لك؟ قال: نعم، وأدْخَلنى الجنةَ. قلتُ: فالحديثُ الذى يُرْوَى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى مُعاويةَ يَحْمِلُ يزيدَ فقال: «رجلٌ مِن أهلِ الجنةِ يَحْمِلُ رجلًا مِن أهلِ النارِ»؟ فقال: ليس بصَحيحٍ. قال ابنُ عَساكرَ: وهو كما قال، فإن يَزيدَ بنَ مُعاويةَ لم يُولَدْ فى حَياةِ النبىِّ ﷺ. وإنما وُلِد بعدَ العِشْرين مِن الهجرةِ.

وقال أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ[2]:

ذِكْرُ[3] أوْلادِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ وعَدَدِهم

فمنهم مُعاويةُ بنُ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ يُكَنَّى أبا ليلى، وهو الذى يَقولُ فيه الشاعرُ[4]:

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٥٠٠.

(٣) سقط من: م.

(٤) انظر ما يأتى ص ٦٦٤.

إنى أَرَى فِتْنةً قد حان أوَّلُها والمُلْكُ بعدَ أبى ليلى لِمَن غَلَبا

وخالدُ بنُ يَزيدَ ، يُكَنَّى أبا هاشمٍ ، كان يُقالُ : إنه أصاب علمَ[1] الكِيمياءِ . وأبو سُفيانَ ، وأمُّهم[2] أُمُّ هاشمِ بنتُ أبى هاشمِ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، وقد تَزَوَّجها بعدَ يزيدَ مَرْوانُ بنُ الحكَمِ ، وهى التى يقولُ فيها الشاعرُ :

انْعَمِى أمَّ خالدِ رُبَّ ساعٍ لقاعدِ[3]

[4]وعبدُ اللَّهِ[4] بنُ يَزيدَ ، ويُقالُ له : الأُسْوارُ[5] . وكان مِن أَرْمَى العربِ ، وأُمُّه أُمُّ كُلْثومٍ بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ ، وهو الذى يقولُ فيه الشاعرُ :

زَعَم الناسُ أن خيرَ قريشٍ كلِّهم حينَ [6]يُذكرُ الأُسوارُ[6]

وعبدُ اللَّهِ الأصْغرُ ، وأبو بكرٍ ، وعُتْبةُ ، وعبدُ الرحمنِ ، والربيعُ ، ومحمدٌ ، لأُمَّهاتِ أوْلادٍ شَتَّى[7] .

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « عمل » .

(٢) فى النسخ وتاريخ الطبرى : « أمهما » . والمثبت من نسب قريش ص ١٢٨. وانظر تاريخ دمشق ٣٠٣/١٦ ترجمة خالد بن يزيد ، ٧٨٩/١٦ مخطوط ، ترجمة معاوية بن يزيد ، ٦٧/١٩ مخطوط ، ترجمة أبى سفيان بن يزيد .

(٣) فى النسخ « كقاعد » والمثبت من تاريخ الطبرى ، وهو المحفوظ .

(٤ - ٤) فى م : « وعبد العزيز » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ١٣٤.

(٥) الأسوار ، بالضم والكسر : هو الجيد الرمى بالسهام . انظر تاج العروس (س و ر) .

(٦ - ٦) فى ٦١ ، ٣١ ، م : « يذكرون الأساور » .

(٧) بعده فى ٦١ ، ٣١ ، م : « ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان . فهؤلاء خمسة عشر ذكرا ، وكان له من البنات ؛ عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد . فهؤلاء خمس بنات . وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب ، والله سبحانه أعلم » .

[1]إمارةُ مُعاويةَ بنِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ[1]

[2]أبو عبدِ الرحمنِ[2] ، ويُقالُ : أبو يَزيدَ . ويُقالُ : أبو ليلى[3] القرشيُّ الأُمَويُّ . وأُمُّه أُمُّ هاشمِ بنتُ أبى هاشمِ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ ، بُويع له بعدَ موتِ أبيه ، وكان وليَّ عَهْدِه مِن بعدِه فى رابعَ عشَرَ ربيعِ الأولِ [٧/ ١٤ظ] سنةَ أربعٍ وستين ، وكان رجلًا صالحًا ناسِكًا ، ولم تَطُلْ مُدَّتُه . قيل : إنه مَكَث فى المُلْكِ أربعين يومًا . وقيل : عشرين يومًا . وقيل : شهرَيْن . وقيل : شهرًا ونصفَ شهرٍ . وقيل : ثلاثةَ أشهرٍ وقيل : وعشرينَ يومًا . وقيل : أربعةَ أشهرٍ . فاللَّهُ أعْلَمُ .

وكان فى مدةِ وِلايتِه مَريضًا ، لم يَخْرُجْ إلى الناسِ ، وكان الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ هو الذى يُصَلِّى بالناسِ ، ويَسُدُّ الأُمورَ . ومات مُعاويةُ بنُ يَزيدَ هذا عن إحْدى وعشرين سنةً وقيل : ثلاثٍ وعشرين سنةً وثمانيةَ عشَرَ يومًا . وقيل : تسعَ عشْرةَ سنةً . وقيل : عشرين سنةً . وقيل : ثلاثٍ وعشرين سنةً . وقيل : إنما عاش ثمانىَ عشْرةَ سنةً . وقيل : [4]خمسَ عَشْرةَ سنةً[4] . فاللَّهُ أعلمُ . وصَلَّى عليه أخوه خالدٌ ، وقيل : عثمانُ بنُ عَنْبَسةَ . وقيل : الوليدُ بنُ عُتْبةَ . وهذا هو الصَّحيحُ ، فإنه أوْصَى إليه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وانظر أنساب الأشراف ٥/ ٣٧٩، وتاريخ دمشق ٧٨٩/١٦ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٩.

(٣) فى م : « يعلى » .

(٤ - ٤) فى ا٦، ا٣، م : « خمس وعشرون » . وانظر تاريخ دمشق ٧٩٣/١٦ مخطوط .

بذلك ، وشَهِد دفنَه مَرْوانُ بنُ الحكَمِ ، وكان الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ هو الذى يُصَلِّى بالناسِ بعدَه حتى اسْتَقَرَّ الأمْرُ لمَرْوانَ بالشامِ ، ودُفِن بمَقابرِ بابِ الصغيرِ بدِمشقَ[1] . ولما حَضَرَته الوفاةُ قيل له : ألا تُوصِى ؟ فقال : لا أَتَزَوَّدُ مَرارتَها[2] وأَتْرُكُ حَلاوتَها لبنى أُمَيةَ . وكان ، رَحِمه اللَّهُ ، أبيضَ شديدَ البَياضِ ، كثيرَ الشَّعرِ ، كبيرَ العينَيْن ، جَعْدَ الشعرِ ، أقْنَى الأنفِ ، مُدَوَّرَ الرأسِ ، جَميلَ الوجهِ[3] دقيقَه ، حسنَ الجسمِ .

قال أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ[4] : مُعاويةُ وعبدُ الرحمنِ وخالدٌ إخوةٌ ، وكانوا مِن صالحى القومِ . وقال فيه بعضُ الشعراءِ ، وهو عبدُ اللَّهِ بنُ هَمَّامٍ السَّلُولِىُّ[5] :

تَلَقَّاها يَزيدٌ عن أبيه ... فدُونَكَها مُعاوىَ عن يَزيدَا

أديروها بنى حربٍ عليكم ... ولا تَرْموا بها الغَرَضَ البَعيدَا

ويُرْوَى[6] أن مُعاويةَ بنَ يَزيدَ هذا نادَى فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . ذاتَ يومٍ ، فاجْتَمَع الناسُ ، فقال لهم فيما قال : يا أيُّها الناسُ ، إنى قد وُلِّيتُ أمْرَكم وأنا ضعيفٌ عنه ، فإن أحْبَبْتُم ترَكْتُها لرجلٍ قوىٍّ ، كما ترَكها الصِّديقُ لعمرَ ، وإن شئْتُم ترَكْتُها شُورَى فى ستةٍ منكم كما تَرَكها عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، وليس فيكم مَن هو صالحٌ لذلك ، وقد تَرَكْتُ لكم أمْرَكم ، فوَلُّوا عليكم مَن يَصْلُحُ لكم . ثم نَزَل

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٥/٣٨١ .

(٢) بعده فى ٦١، ٣١، م : «إلى آخرتى» .

(٣) بعده فى م : «كثير شعر الوجه» .

(٤) تاريخ أبى زرعة ١/ ٣٥٨.

(٥) فى النسخ : «البلوى» . والمثبت من تاريخ دمشق ١٦/٧٩١ مخطوط ، وانظر ترجمة عبد اللّه السلولى هذا وقصيدته التى منها هذان البيتان ، فى طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٢٥.

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٣٠، ٥٣١.

ودَخَل مَنْزلَه ، فلم يَخْرُجْ منه حتى مات ، رَحِمه اللَّهُ تعالى . ويُقالُ[1] : إنه سُقِىَ . ويقال[1] : إنه طُعِن .

وقد حضَر مَرْوانُ دَفْنَه[2] ، فلمَّا فُرِغ منه قال مَرْوانُ : أتَدْرون مَن دَفَنْتُم ؟ قالوا : نعم ، مُعاويةَ بنَ يزيدَ . فقال مَرْوانُ : هو أبو ليلى الذى قال فيه أَزْنَمُ الفَزارىُّ :

إنى أرى فِتْنةً تَغْلِى مَراجِلُها والمُلْكُ بعدَ أبى ليلى لِمَن غَلَبا

قالوا : كان الأمْرُ كما قال . وذلك أن أبا ليلى تُوُفِّىَ عن غيرِ عهدٍ منه إلى أحدٍ ، فتَغَلَّب على الحِجازِ عبدُ اللَّهِ بنُ [٧/ ١٥و] الزبيرِ ، وعلى دِمشقَ وأعْمالِها مَرْوانُ بنُ الحكمِ ، وبايَع أهلُ خُراسانَ سَلْمَ بنَ زِيادٍ حتى يَتَوَلَّى على الناسِ خَليفةٌ ، فسار فيهم سَلْمٌ سِيرةً حَسَنةً أحَبُّوه عليها ، ثم أخْرَجوه مِن بينِ أظْهُرِهم ، وخرَج القُرَّاءُ والخَوارِجُ بالبَصْرةِ ، وعليهم نافعُ بنُ الأزْرَقِ ، وطَرَدوا عنهم عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زِيادٍ - بعدَما كانوا بايَعوه عليهم - حتى يَصِيرَ للناسِ إمامٌ ، فذَهَب إلى الشامِ بعدَ فُصولٍ يَطولُ ذِكْرُها ، وقد بايَعوا بعدَه عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ بنِ نوفلٍ المَعْروفَ بِبَبَّةَ ، وأُمُّه هندُ بنتُ أبى سفيانَ ، وقد جَعَل على شُرْطةِ البَصْرةِ هِمْيانَ بنَ عَدِىٍّ السَّدوسىَّ ، فبايَعه الناسُ فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ ، سنةَ أربعٍ وستين ، وقد قال الفَرَزْدَقُ[3] :

وبايَعْتُ أقوامًا وَفَيْتُ بعهدِهم وبَبَّةُ قد بايَعْتُه غيرَ نادمِ

---

(١) انظر هذين القولين فى تاريخ الطبرى ٥/ ٥٣١.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٧٩٢/١٦ مخطوط.

(٣) انظر الكامل ١٣٦/٤ . والبيت فى لسان العرب (ب ب ب) قال : الببة : السَّمين . وبه لُقِّب عبد اللَّه بن الحارث ؛ لكثرة لحمه فى صغره.

فأقام فيهم أربعةَ أشهرٍ، ثم لَزِم بيتَه، فكتَب أهلُ البَصْرةِ إلى ابنِ الزبيرِ، فكتَب ابنُ الزبيرِ إلى أنسِ بنِ مالكٍ يَأْمُرُه أن يُصَلِّيَ بالناسِ، فصَلَّى بهم شهرين، ثم كان ما سَنَذْكُرُه. وخَرَج نَجْدةُ بنُ عامرٍ الحَنَفيُّ باليَمامةِ، وخَرَج بنو ماحُوزَ فى الأهْوازِ وفارسَ وغيرِ ذلك، على ما سيأتى تَفْصيلُه قريبًا، إن شاء اللَّهُ تعالى(*).

(*) إلى هنا ينتهى الجزء السادس من نسخة أحمد الثالث والمشار إليها بـ (ا ٦).

(*)إمارةُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، رضِى اللَّهُ عنه، وعندَ ابنِ حَزْمٍ وطائفةٍ أنه أميرُ المؤمنين آنذاك(١)

قد قَدَّمْنا(٢) أنه لَما مات يزيدُ أقْلَع الجيشُ عن مكةَ، وهم الذين كانوا يُحاصِرون ابنَ الزبيرِ وهو عائِذٌ بالبيتِ، مع أميرِهم حُصَينِ بنِ نُميرٍ السَّكونىِّ ورجعوا عن مكةَ إلى الشامِ واسْتَفْحَل أمرُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بالحِجازِ وما والاها، وبايَعه الناسُ بعدَ يزيدَ بَيْعةً عامةً هناك(٣)، واسْتَناب على المدينةِ أخاه عُبَيدَةَ(٤) بنَ الزبيرِ، وأمَره بإجْلاءِ بنى أُمَيةَ عن المدينةِ، فأجْلاهم فرَحَلوا إلى الشامِ، وفيهم مَرْوانُ وابنُه عبدُ الملكِ، ثم بَعَث أهلُ البَصْرةِ إلى ابنِ الزبيرِ بعدَ حُروبٍ جَرَتْ بينَهم وفتنٍ كثيرةٍ يَطولُ اسْتِقْصاؤُها، غيرَ أنهم فى أقلَّ مِن ستةِ أشهرٍ أقاموا عليهم نحوًا مِن أربعةِ أُمراءَ(٥) مِن بينِهم، ثم اضْطَربتْ أُمورُهم، ثم بَعَثوا إلى ابنِ الزبيرِ، وهو بمكةَ يَجلُبونه إلى أنْفُسِهم، فكتَب إلى أنسِ بنِ مالكٍ ليُصَلِّىَ بهم(٦).

(*) من هنا يبدأ الجزء الثامن من نسخة أحمد الثالث، ويشار إليه بـ (٢١).

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٧، ١٢٢.

(٢) تقدم فى صفحتى ٦٣٥، ٦٣٦.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٠١، والمنتظم ٦/ ٢٣، والكامل ٤/ ١٤٥.

(٤) فى النسخ: «عبيد الله». والمثبت مما تقدم، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٢٢.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٢٧.

(٦) انظر المصدر السابق ٥/ ٥٢٨. وبعده فى ٣١، ٢١، م: «ويقال: إن أول من بايع ابن الزبير =

وبَعَث ابنُ الزبيرِ إلى أهلِ الكوفةِ (١عبدَ اللَّهِ١) بنَ يزيدَ الأنصاريَّ على الصَّلاةِ، وإبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ على الخَراجِ، واسْتَوْثَق له المِصْران جَميعًا، وأرْسَل إلى أهلِ مِصْرَ فبايَعوه. واسْتَناب عليها عبدَ الرحمنِ ابنَ جَحْدَمٍ(٢)، وأطاعَتْ له الجَزيرةُ. وبعَث على البَصْرةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى رَبيعةَ، وبَعَث إلى اليمنِ فبايَعوه، وإلى خُراسانَ فبايَعوه، وإلى الضَّحَّاكِ ابنِ قيسٍ بالشامِ فبايَع، وقيل: إن أهلَ دمشقَ وأعْمالَها مِن بلادِ الأُرْدُنِّ لم يُبايِعوه؛ لأنَّهم بايَعوا مَرْوانَ بنَ الحكَمِ لما رَجَع الحُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ مِن مكةَ إلى الشامِ، وكان قد الْتَفَّ على عبدِ اللَّهِ [٧/ ١٥ظ] بنِ الزبيرِ جَماعةٌ مِن الخَوارِجِ يُدافِعون عنه؛ منهم نافعُ بنُ الأزْرَقِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ إباضٍ، وجَماعةٌ مِن رُءوسِهم، فلما اسْتَقَرَّ أمْرُه فى الخِلافةِ قالوا فيما بينَهم: إنكم قد أخْطَأْتُم؛ لأنكم قاتَلْتُم مع هذا الرجلِ، ولم تَعْلَموا رأيَه فى عثمانَ بنِ عفانَ. وكانوا يَنْتَقِصون عثمانَ، فاجْتَمَعوا إليه فسألَوه عن عثمانَ، فأجابهم فيه بما يَسوءُهم، وذَكَر لهم ما كان مُتَّصِفًا به مِن الإيمانِ والتَّصْديقِ، والعَدْلِ والإحْسانِ والسِّيرةِ الحَسَنةِ، والرُّجوعِ إلى الحَقِّ إذا تَبَيَّنَ له، فعندَ ذلك نَفَروا عنه، وفارَقوه، وقَصَدوا بلادَ العراقِ وخُراسانَ، فتَفَرَّقوا فيها بأبْدانِهم وأدْيانِهم ومَذاهِبِهم

= مصعب بن عبد الرحمن، فقال الناس: هذا أمر فيه صعوبة. وبايعه عبد اللَّه بن جعفرٍ وعبيد اللَّه بن على بن أبى طالب، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباسٍ ليبايِعوا فأبوا عليه. وبويع فى رجبٍ بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام».

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م: «عبد الرحمن». وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٣٠١.

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص: «جحدر». وانظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٣٠.

ومَسالِكِهم المُخْتلفةِ المُنْتَشِرةِ، التى لا تَنْضَبِطُ ولا تَنْحَصِرُ؛ لأنها مُفَرَّعةٌ على الجهلِ وقُوةِ النُّفوسِ، والاعْتِقادِ الفاسدِ، ومع هذا اسْتَحْوَذوا على كثيرٍ مِن البُلْدانِ والكُوَرِ، حتى انْتُزِعت منهم بعد ذلك، على ما سَنَذْكُرُه فيما بعدُ إن شاء اللَّهُ.

ذكْرُ بَيْعةِ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ[1]

وكان سببَ ذلك أن حُصَيْنَ بنَ نُميرٍ لمّا رَجَع مِن أرضِ الحِجازِ، وارْتَحَل عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ مِن البَصْرةِ إلى الشامِ، وانْتَقَلت بنو أميةَ مِن المدينةِ إلى الشامِ، اجْتَمَعوا إلى مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ بعدَ مَوتِ مُعاويةَ بنِ يَزيدَ بنِ معاويةَ، وقد كان[2] عَزَم على أن يُبايِعَ لابنِ الزبيرِ بدِمشقَ، وقد بايَع أهلُها الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ على أن يُصْلِحَ بينَهم ويُقِيمَ لهم أمْرَهم حتى تَجْتَمِعَ أمةُ محمدٍ ﷺ، والضَّحَّاكُ يُرِيدُ أن يُبايِعَ لابنِ الزبيرِ، وقد بايَع لابنِ الزبيرِ النُّعْمانُ بنُ بَشيرٍ بحِمْصَ، وبايَع له زُفَرُ بنُ الحارثِ[3] الكِلابيُّ بقِنَّسْرِينَ، وبايَع له ناتِلُ[4] بنُ قيسٍ بفِلَسْطِينَ، وأخْرَج منها رَوْحَ بنَ زِنْباعٍ الجُذاميَّ، فلم يَزَلْ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ والحُصَيْنُ بنُ نُميرٍ بمَرْوانَ بنِ الحَكَمِ[5]، حتى ثَنَوه عن رأيِه، وحَذَّروه مِن دُخولِ سُلْطانِ ابنِ الزبيرِ ومُلْكِه إلى

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢٤/٢٩٢ - ٢٩٦.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م: «معاوية بن يزيد قد». والذى عزم على ذلك هو مروان.

(٣) فى النسخ: «عبد الله». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٢٦، والاشتقاق ص ٢٩٧.

(٤) فى الأصل، ٣١، ٢١، م: «نائل». وانظر المؤتلف والمختلف ٤/ ٢٢٦٣، والإكمال ٧/ ٣٢٦، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٢١.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م: «يحسنون له أن يتولى».

الشامِ ، وقالوا له : أنت شيخُ قريشٍ وسيِّدُها ، فأنت أحَقُّ بهذا الأمْرِ[1] . والْتَفَّ عليه هؤلاء كلُّهم مع قومِه بنى أميةَ ومع أهْلِ اليمنِ ، فوافَقَهم ، وجعَل يقولُ : ما فات شيءٌ . وكتَب حَسَّانُ بنُ مالكِ بنِ بَحْدَلٍ الكَلْبىُّ إلى الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ يَثْنِيهِ عن المُبايَعَةِ لابنِ الزبيرِ ، ويُعَرِّفُه أيادىَ بنى أُمَيةَ عندَه وإحْسانَهم إليه ، ويَذْكُرُ فضلَهم وشَرَفَهم ، وقد بايَع حَسَّانُ بنُ مالكٍ أهلَ الأُرْدُنِّ لبنى أميةَ ، وهو يَدْعُو إلى ابنِ أختِه خالدِ بنِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وبَعَث إلى الضَّحَّاكِ بذلك ، وأمَره أن يَقْرَأَ كتابَه على أهلِ دِمشقَ يومَ الجُمُعةِ على المِنْبرِ ، وبَعَث بالكِتابِ مع رجلٍ يقالُ له : ناغِضةُ بنُ كُرَيْبٍ الطابِخِىُّ . وقيل : هو من بنى كَلْبٍ . [٧/ ١٦و] وقال له : إن لم يَقْرَأْه هو على الناسِ فاقْرَأْه أنت . وأَعْطاه نسخةً به ، فسار إلى الضَّحَّاكِ ، فأمَره بقِراءةِ الكتابِ ، فلم يَقْبَلْ ، فقام ناغِضَةُ فقَرَأَه على الناسِ ، فصَدَّقه جَماعةٌ مِن أُمراءِ الناسِ ، وكَذَّبه آخرون ، وثارت فِتنةٌ عَظيمةٌ بينَ الناسِ ، فقام خالدُ بنُ يَزيدَ ابنِ مُعاويةَ - وهو شابٌّ حَدَثٌ - على درجتَيْن مِن المنبرِ ، فسَكَّن الناسَ ، ونَزَل الضَّحَّاكُ فصَلَّى بالناسِ الجمُعةَ ، وأمَر الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ بأولئك الذين صَدَّقوا ناغِضةَ أن يُسْجَنوا ، فثارتْ قبائلُهم ، فأخْرَجوهم مِن السجنِ ، واضْطَرَب أهلُ دِمشقَ فى ابنِ الزبيرِ وبنى أميةَ ، وكان اجْتِماعُ الناسِ ووُقوفُهم بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ ببابِ الجَيْرُونِ ، فسُمِّىَ هذا اليومُ يومَ جَيْرونَ .

قال المَدائنىُّ : وقد أَراد الناسُ الوليدَ بنَ عُتْبةَ بنِ أبى سفيانَ على أن يَتَوَلَّى

---

(١) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فرجع عن البيعة لابن الزبير ، وخاف ابن زياد الهلاك إن تولى غير بنى أمية ، فعند ذلك » .

عليهم فأَبَى ، وهَلَك فى تلك الليالى ، ثم إن الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ صَعِد مِنْبرَ المسجدِ الجامعِ ، فخطَبهم به ، ونال مِن يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فقام إليه شابٌّ مِن بنى كَلْبٍ ، فضَرَبه بعَصًا كانتْ معه والناسُ جُلوسٌ مُتَقَلِّدِى سُيوفِهم ، فقام بعضُهم إلى بعضٍ ، فاقْتَتلوا فى المسجدِ قِتالًا شَديدًا ؛ فقيسٌ ومَن لَفَّ لَفيفَها يَدْعُون إلى ابنِ الزبيرِ ويَنْصُرون الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ ، وبنو كَلْبٍ يَدْعون إلى بنى أُمَيةَ وإلى البَيْعةِ لخالدِ بنِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، ويَتَعَصَّبون ليزيدَ وأهلِ بيتِه ، فنهَض الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ ، فدَخَل دارَ الإمارةِ وأغْلَق البابَ ، ولم يَخْرُجْ إلى الناسِ من[1] يومِ السبتِ لصلاةِ الفجرِ ، ثم أرْسَل إلى بنى أُمَيةَ ، فجمعَهم إليه فدَخَلوا عليه ، وفيهم مَرْوانُ بنُ الحكمِ ، وعمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وخالدٌ وعبدُ اللَّهِ ابنا يَزيدَ بنِ مُعاويةَ .

قال المَدائنىُّ : فاعْتَذر إليهم مما كان منه ، واتَّفَق معهم أن يَرْكَبَ معهم إلى حَسَّانَ بنِ مالكٍ الكَلْبىِّ ، فيَتَّفِقوا على رجلٍ يَرْتَضُونه مِن بنى أميةَ للإمارةِ ، فرَكِبوا جميعًا إليه ، فبينما هم يَسِيرون إلى الجابِيةِ لقَصْدِ حَسَّانَ ، إذ جاء [2]ثَوْرُ بنُ مَعْنِ[2] بنِ الأخْنَسِ فى قومِه قيسٍ ، فقال له : إنك دَعَوْتَنا إلى بَيْعةِ ابنِ الزبيرِ فأجَبْناك ، وأنت ذاهبٌ إلى هذا الأعْرابىِّ ليَسْتَخْلِفَ ابنَ أخْتِه خالدَ بنَ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، فقال له الضَّحَّاكُ : فما الرأىُ ؟ قال : الرأىُ أن نُظْهِرَ ما كنا نُسِرُّ ، وأن نَدْعُوَ إلى طاعةِ ابنِ الزبيرِ ونُقاتِلَ عليها . فمال الضَّحَّاكُ بمَن معه ، فرَجَع إلى دِمشقَ ، فأقام بها بمَن معه مِن الجيشِ مِن قيسٍ ومَن لَفَّ لَفِيفَها ، وبعَث إلى أُمراءِ الأجْنادِ ، وبايَع الناسَ لابنِ الزبيرِ ، وكتَب بذلك إلى ابنِ الزبيرِ يُعْلِمُه بذلك ،

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : «إلا» .

(٢ - ٢) فى النسخ : «معن بن ثور» . والمثبت من أنساب الأشراف ٦/٢٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٥/ ٥٣٣. وانظر تاريخ دمشق ١١/١٨٢ .

فذَكَره ابنُ الزبيرِ لأهلِ [٧/١٦ظ] مكةَ وشَكَره على صَنيعِه ، وكتَب إليه بنِيابةِ الشامِ ، وقيل : بل بايَع الناسَ لنَفْسِه بالخِلافةِ . فاللَّهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان .

والذى ذَكَره المَدائنيُّ أنه إنما دَعا إلى بَيْعةِ ابنِ الزبيرِ أولًا ، ثم حَسَّن له عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ أن يدْعُوَ إلى نفسِه ، وذلك مَكْرٌ منه به ، فدَعا الضَّحَّاكُ إلى نفسِه ثلاثةَ أيامٍ ، فنَقَم الناسُ عليه ذلك ، وقالوا : دَعَوْتَنا إلى البَيْعةِ لرجلٍ فبايَعْناه ، ثم خَلَعْتَه من غيرِ سببٍ ولا عُذْرٍ ، ودعوتَ إلى نفسِك ! فرَجَع إلى البَيْعةِ لابنِ الزبيرِ ، فسَقَط بذلك عندَ الناسِ ، وذلك الذى أراد عبيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ .

وكان اجْتماعُ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ به بعد اجْتِماعِه بمَرْوانَ وتَحْسِينِه له أن يَدْعُوَ إلى نفسِه ، ثم فارَقه ليَخْدَعَ له الضَّحَّاكَ ، فنزَل عندَه بدِمشقَ ، وجعَل يَرْكَبُ إليه فى كلِّ يومٍ ، ثم أشار ابنُ زِيادٍ على الضَّحَّاكِ أن يَخْرُجَ مِن دمشقَ إلى الصَّحْراءِ ويَدْعُوَ بالجُيوشِ إليه ليكونَ أمْكَنَ له ، فرَكِب الضَّحَّاكُ إلى مَرْجِ راهِطٍ ، فنزَل بمَن معه مِن الجُنودِ ، وعندَ ذلك اجْتَمَعت بنو أُميةَ ومَن تَبِعها بالأُرْدُنِّ ، واجْتَمع إليهم مَن هنالك مِن قومِ حَسَّانَ بنِ مالكٍ مِن بنى كَلْبٍ .

ولما رَأَى مَرْوانُ بنُ الحكَمِ ما انْتَظم مِن البَيْعةِ لابنِ الزبيرِ ، وما اسْتَوْسَق له مِن المُلْكِ ، عزَم على الرَّحيلِ إليه ليُبايعَه وليَأْخُذَ منه أمانًا لبنى أُميةَ ، فسار حتى بَلَغ أَذْرِعاتٍ ، فلَقِيَه عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ مُقْبِلًا مِن العراقِ ، فصَدَّه عن ذلك ، وهَجَّن رأيَه ، واجْتَمَع إليه عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وحُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ ، وابنُ زِيادٍ ، وأهلُ اليمنِ وخَلْقٌ ، فقالوا لمَرْوانَ : أنت كبيرُ قريشٍ ورئيسُها ، وخالدُ بنُ يَزيدَ غُلامٌ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ كَهْلٌ ، وإنما يُقْرَعُ الحَديدُ بعضُه ببعضٍ ، فلا تُبارِهِ بهذا الغُلامِ ، وارْمِ بنَحْرِك فى نَحْرِه ، ونحن نُبايِعُك ، ابْسُطْ يدَك . فبَسَط يدَه ، فبايَعوه

بالجابيةِ فى يومِ الأرْبعاءِ لثلاثٍ خَلَوْن مِن ذى القَعْدةِ، سنةَ أربعٍ وستين. قاله الواقدىُّ[1].

فلمَّا تَمَهَّد له الأمْرُ سار بمَن معه نحوَ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ، فالْتَقَيا بمرجِ راهطٍ، فغَلَبه مَرْوانُ بنُ الحكمِ، وقَتَله وقَتَل مِن قيسٍ مَقْتَلةً لم يُسْمَعْ بمثلِها، على ما سيأتى تَفْصِيلُه فى أولِ سنةِ خمسٍ وستين. فإن الواقدىَّ وغيرَه قالوا[2]: إنما كانت هذه الوَقْعةُ فى المُحَرَّمِ مِن أولِ سنةِ خمسٍ وستين.

وفى روايةِ محمدِ بنِ سعدٍ، [3]عن الواقدىِّ وغيرِه قالوا[4]: إنما كانت فى أَواخِرِ هذه السنةِ.

وقال الليثُ بنُ سعدٍ[3]، والواقدىُّ، والمَدائِنىُّ، وأبو سليمانَ بنُ زَبْرٍ[5]، وأبو عُبَيدٍ وغيرُ واحدٍ: كانت وَقْعةُ مَرْجِ راهِطٍ للنصفِ مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ أربعٍ وستين[6]. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعْلَمُ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) المصدر السابق ٥/ ٥٣٤. وانظر المنتظم ٦/ ٢٨.

(٥) فى م: «يزيد». وانظر الإكمال ٤/ ١٦٢، ١٦٣.

(٦) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨.

وقعةُ مَرْجِ راهِطٍ ومَقْتَلُ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ الفِهْرىّ، رَضِى اللَّهُ عنه[1]

قد تَقَدَّم أن الضَّحَّاكَ كان نائبَ دِمشقَ لمُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، وكان يُصَلِّى عنه إذا [٧/١٧و] اشتغل أو غاب ، ويُقِيمُ الحُدودَ ، ويَسُدُّ الأُمورَ ، فلمَّا مات مُعاويةُ قام بأعْباءِ بَيْعةِ يَزيدَ ابنِه ، ثم لما مات يَزيدُ بايَع الناسَ لمُعاويةَ بنِ يَزيدَ ، فلمَّا مات مُعاويةُ بنُ يَزيدَ بايَعه أهلُ دِمشقَ حتى يجْتَمِعَ الناسُ على إمامٍ ، فلمَّا اتَّسَعَت البَيْعةُ لابنِ الزبيرِ عَزَم على المُبايَعةِ له ، فخطَب الناسَ يومًا وتَكَلَّم فى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ وذَمَّه ، فقامت فِتْنةٌ فى المسجدِ الجامعِ ، حتى اقْتَتل الناسُ فيه بالسُّيوفِ ، فسَكَن الناسُ ، ثم دَخَل دارَ الإمارةِ مِن الخَضْراءِ ، وأغْلَق عليه البابَ ، ثم اتَّفَق مع بنى أُمَيةَ على أن يَرْكَبوا إلى حَسَّانَ بنِ مالكِ بنِ بَحْدَلٍ وهو بالأُرْدُنِّ ، فيَجْتَمِعوا عندَه على مَن يَراه أهْلًا للإمارةِ على الناسِ ، وكان حَسَّانُ يُرِيدُ أن يُبايِعَ لابنِ أُخْتِه خالدِ بنِ يَزيدَ ، ويَزيدُ ابنُ مَيْسونَ ، ومَيْسونُ بنتُ بَحْدلٍ ، فلما رَكِب الضَّحَّاكُ معهم انْخَذل بأكْثَرِ الجيشِ ، فرَجَع إلى دِمشقَ ، فامْتَنع بها ، وبَعَث إلى أُمراءِ الأجْنادِ ، فبايَعهم لابنِ الزبيرِ ، وسار بنو أُمَيةَ ومعهم مَرْوانُ بنُ الحَكَمِ ، وعمرُو بنُ سعيدٍ ، وخالدٌ وعبدُ اللَّهِ ابنا يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، حتى اجْتَمَعوا بحَسَّانَ بنِ مالكِ بنِ بَحْدَلٍ بالجابيةِ ، وليس لهم قُوةٌ طائلةٌ بالنسبةِ إلى الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ ، فعزَم مَرْوانُ على الرَّحيلِ إلى ابنِ الزبيرِ ليُبايِعَه ، ويَأْخُذَ أمانًا منه لبنى أُمَيةَ ، فإنه كان قد أمَر

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٢٥٨ - ٢٨٤، وتاريخ الطبرى ٥/٥٣٠ - ٥٤٤، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٢- ٢٩٨، والكامل ٤/١٤٥ - ١٥٣.

بإجْلائِهم عن المدينةِ[1] ، فسار حتى وَصَل إلى أَذْرِعاتٍ ، فلَقِيَه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ مُقْبِلًا مِن العراقِ ، فاجْتَمَع به ، ومعه حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ ، وعمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، فحسَّنوا له أن يَدْعُوَ إلى نفسِه ؛ فإنه أحَقُّ بذلك مِن ابنِ الزبيرِ الذى قد فارَق الجَماعةَ ، وخَلَع ثلاثةً مِن الخُلَفاءِ[2] ، فلم يَزالوا بمَرْوانَ حتى أجابَهم إلى ذلك ، وقال له عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ : وأنا أَذْهَبُ لك إلى الضَّحَّاكِ إلى دِمشقَ ، فأَخْدَعُه لك وأَخْذُلُ أمْرَه . فسار إليه وجَعَل يَرْكَبُ إليه كلَّ يومٍ ، ويُظْهِرُ له الوُدَّ والنَّصيحةَ والمَحَبةَ ، ثم حَسَّن له أن يَدْعُوَ إلى نفسِه ، ويَخْلَعَ ابنَ الزبيرِ ، فإنك أحَقُّ بالأمْرِ منه ؛ لأنك لم تَزَلْ فى الطاعةِ مَشْهورًا بالأمانةِ ، وابنُ الزبيرِ خارجٌ عن الناسِ . فدَعا الضَّحَّاكُ الناسَ إلى نفسِه ثلاثةَ أيامٍ ، فلم يَصْعَدْ[3] معه ، فرَجَع إلى الدَّعْوةِ لابنِ الزبيرِ ، ولكن انْحَطَّ بها عندَ الناسِ ، ثم قال له ابنُ زِيادٍ : إنَّ مَن يَطْلُبُ ما تَطْلُبُ لا يَنْزِلُ المُدُنَ والحُصونَ ، وإنما يَنْزِلُ الصَّحْراءَ ، ويَدْعو بالجنودِ . فبَرَز الضَّحَّاكُ إلى مَرْجِ راهِطٍ فنزَله ، وأقام عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ بدِمشقَ [4]ومَرْوانُ[4] وبنو أُميةَ بتَدْمُرَ ، وخالدٌ وعبدُ اللَّهِ عندَ خالِهم حَسَّانَ بالجابِيةِ ، فكتَب ابنُ زيادٍ إلى مَرْوانَ يَأْمُرُه أن يُظْهِرَ دَعْوتَه ، فدَعا إلى نَفْسِه ، وتَزَوَّج [٧/ ١٧ظ] بأمِّ خالدِ بنِ يَزيدَ بنِ معاويةَ ، وهى أمُّ هاشمِ بنتُ أبى[5] هاشمِ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعةَ ، فعَظُم أمْرُه

---

(١) فى الأصل ، ص : « مكة » . وقد أمر ابن الزبير ، رضى اللَّه عنه ، بإجلاء بنى أمية عن المدينة وعن مكة أيضا . انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٣.

(٢) كذا فى النسخ ، والمعروف أن ابن الزبير ، رضى اللَّه عنه ، خلع خليفتين ؛ وهما يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد . انظر أنساب الأشراف ٦/ ٢٦٧، وتاريخ الطبرى ٥/ ٥٣٦.

(٣) فى م : « يصمد » . ويصعد : يعلو ويرتفع . والمراد أن دعوته لم تجد قبولا عند الناس ولم ترتفع بينهم .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من: م . وانظر نسب قريش ص ١٢٨، وجمهرة أنساب العرب ص ٧٧.

وبايَعه الناسُ ، واجْتَمعوا عليه ، وسار إلى مَرْجِ راهِطٍ نحوَ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ ، ورَكِب إليه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ وأخوه عَبَّادُ بنُ زيادٍ ، حتى اجْتَمع مع مَرْوانَ ثلاثةَ عشَرَ ألفًا ، وبدِمشقَ مِن جهتِه يَزيدُ بنُ أبى النِّمْسِ[1] ، وقد أخْرَجَ عاملَ الضَّحَّاكِ منها ، وهو يَمُدُّ مَرْوانَ بالسِّلاحِ والرجالِ وغيرِ ذلك - ويُقالُ[2] : كان نائبَه على دمشقَ يومَئذٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أمِّ الحكَمِ - وجَعَل مَرْوانُ على مَيْمنتِه عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ ، وعلى مَيْسَرتِه عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ ، وبَعَث الضَّحَّاكُ إلى النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ ، فأمَدَّه النُّعمانُ بأهلِ حِمْصَ عليهم شُرَحْبيلُ بنُ ذى الكَلاعِ ، ورَكِب إليه زُفَرُ بنُ الحارثِ الكِلابيُّ فى أهلِ قِنَّسْرِينَ ، فكان الضَّحَّاكُ فى ثلاثين ألفًا ، على مَيْمَنتِه زِيادُ بنُ عمرٍو العُقَيْليُّ ، وعلى مَيْسَرتِه [3]زكريا بنُ شمرٍ[3] الهِلاليُّ ، فتَصافُّوا ، وتَقاتَلوا بالمَرْجِ عشرين يومًا ، يَلْتَقون فى كلِّ يومٍ فيَقْتَتلون قِتالًا شديدًا ، ثم أشار عُبَيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ على مَرْوانَ أن يَدْعُوَهم إلى المُوادَعةِ خَديعةً ؛ فإن الحربَ خَدْعةٌ ، وأنت وأصحابُك على الحقِّ ، وهم على الباطلِ . فنُودِىَ فى الناسِ بذلك ، ثم غَدَر أصحابُ مَرْوانَ ، فمالوا يَقْتُلونهم قَتْلًا شَديدًا ، وصَبَر أصحابُ الضَّحَّاكِ صَبْرًا بَليغًا ، فقُتِل الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ فى المعركةِ ، قتَله رجلٌ يُقالُ له : زُحْمَةُ[4] بنُ عبدِ اللَّهِ . مِن بنى كَلْبٍ ، طَعَنه بحربةٍ ، فأنْفَذه ولم يَعْرِفْه . وصَبَر

---

(١) فى ا ٣، م : « النمر » ، وفى تاريخ دمشق : « النمش » . قال ابن الأثير فى الكامل ٤/ ١٥٣: يزيد بن أبى النمس ، بالسين المهملة ، وقيل : بالشين المعجمة . وكان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ، ثم عاود الإسلام وشهد صفين مع معاوية ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٦.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « زكريا بن شبل » ، وفى أنساب الأشراف ٦/ ٢٦٩: « زحر بن أبى شمر » ، وفى تاريخ دمشق : « بكر بن أبى بشر » ، وفى تاريخ الطبرى ٥/٥٣٧ قال عوانة بن الحكم ، وهو راوى الخبر : « وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه » .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « زُحنة » . وقد اختلف فى اسمه . انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٤٤٦، ٤٤٧.

مَرْوانُ وأصحابُه صَبْرًا شَديدًا حتى فَرَّ أولئك بينَ يدَيْه ، فنادَى: لا يُتْبَعُ مُدْبِرٌ . ثم جِيءَ برأسِ الضَّحَّاكِ ، ويُقالُ[1] : إن أولَ مَن بَشَّره بقتلِه رَوْحُ بنُ زِنْباعٍ الجُذاميُّ . واسْتَقَرَّ مُلْكُ الشامِ بيدِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ . ورُوِىَ[2] أنه بَكَى على نفسِه يومَ مَرْجِ راهِطٍ ، فقال : أبعدَما كَبِرْتُ وضَعُفْتُ صِرْتُ إلى أن أَقْتُلَ الناسَ بالسُّيوفِ على المُـلْكِ ؟!

قلتُ : ولم تَطُلْ مدتُه فى المُـلْكِ إلا تسعةَ أشهرٍ على ما سَنَذْكُرُه .

وقد كان الضَّحَّاكُ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ الأكْبرِ بنِ وَهْبِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ وائلةَ بنِ عمرِو بنِ شَيْبانَ بنِ مُحارِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكٍ ، أبو أُنَيْسٍ الفِهْرىُّ ، أحدَ الصَّحابةِ على الصَّحيحِ[3] ، وقد سَمِع مِن النبىِّ ﷺ ، ورَوَى عنه أحاديثَ عِدَّةً ، ورَوَى عنه جَماعةٌ مِن التابِعين ، وهو أخو فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، وكانت أكبرَ منه بعشْرِ سنين ، وكان أبو عُبَيدةَ بنُ الجَرَّاحِ عمَّه . حَكاه ابنُ أبى حاتمٍ[4] . وزَعَم بعضُهم أنه لا صُحْبةَ له ، وقال الواقدىُّ[5] : أدْرَك [٧/ ١٨و] النبىَّ ﷺ وسَمِع منه قبلَ البُلوغِ . وفى روايةٍ عن الواقدىِّ[6] أنه قال : وُلِد الضَّحَّاكُ قبلَ وَفاةِ النبىِّ ﷺ بسنتَيْن .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٦.

(٢) انظر أنساب الأشراف ٦/ ٢٦٩، وتاريخ الطبرى ٥/ ٥٣٨، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٦.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٧٤٤، وأسد الغابة ٣/ ٤٩، والإصابة ٣/ ٤٧٨.

(٤) الجرح والتعديل ٤/ ٤٥٧.

(٥) انظر الطبقات لابن سعد ٧/ ٤١٠، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٢٨٤. وفيهما أن الواقدى قال : فى روايتنا أن رسول الله ﷺ قبض والضحاك بن قيس غلام لم يبلغ ، وفى رواية غيرنا أنه أدرك النبى ﷺ وسمع منه .

(٦) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٨٤ .

وقد شَهِد فتحَ دِمشقَ ، وسَكَنها وله بها دارٌ عندَ حجرِ الذهبِ ، مما يَلى نهرَ بَرَدَى ، وكان على أهلِ دِمشقَ يومَ صِفِّينَ مع مُعاوية . ولما أخَذ مُعاويةُ الكوفةَ اسْتَنابه بها فى سنةِ أربعٍ وخمسين[1] .

وقد رَوَى البُخارىُّ فى « التاريخِ »[2] أن الضَّحَّاكَ قَرَأ سُورةَ « ص » فى الصَّلاةِ بالناسِ بالكوفةِ ، فسَجَد فيها فلم يُتابِعْه عَلْقَمةُ وأصحابُ ابنِ مَسْعودٍ فى السُّجودِ .

ثم اسْتَنابه مُعاويةُ عندَه على دِمشقَ[3] ، فلم يَزَلْ عندَه حتى مات مُعاويةُ ، وتَوَلَّى ابنُه يَزيدُ ، ثم ابنُ ابنِه مُعاويةُ بنُ يَزيدَ ، ثم صار أمْرُه إلى ما ذكَرْنا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا عَفَّانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أنبأنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن الحسنِ ، أن الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ كتَب إلى قَيْسِ بنِ الهَيْثَمِ حينَ مات يزيدُ بنُ مُعاويةَ : سلامٌ عليك ، أما بعدُ ، فإنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن بينَ يدَيِ الساعةِ فِتَنًا كقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ ، فِتَنًا كقِطَعِ الدُّخانِ ، يَموتُ فيها قَلْبُ الرجلِ كما يَمُوتُ بَدَنُه ، يُصْبِحُ الرجلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِى كافرًا ، ويُمْسِى مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافرًا ، يَبِيعُ أقوامٌ خَلاقَهم ودِينَهم بعَرَضٍ مِن الدنيا قليلٍ » . وإن يزيدَ بنَ مُعاويةَ قد مات ، وأنتم إخْوانُنا وأشِقَّاؤُنا فلا تَسْبِقونا حتى نَخْتارَ[5] لأنْفُسِنا .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٨٠، ٢٨٤.

(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٢.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٨٩.

(٤) المسند ٣/ ٤٥٣، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٨٣، من طريق أحمد به . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٠٨: رواه أحمد والطبرانى من طرق فيها على بن زيد وهو سيِّئ الحفظ وقد وثق ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٥) فى النسخ : « نحتال » . والمثبت من مصدرى التخريج .

وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] مِن طريقِ ابنِ قُتَيْبةَ، عن العباسِ بنِ الفَرَجِ الرِّياشيِّ، عن يَعْقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ بُوَيْهِ[2]، عن حمادِ بنِ زيدٍ قال: دَخَل الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ على مُعاويةَ فقال مُعاويةُ:

تَطاوَلْتُ للضَّحَّاكِ حتى رَدَدْتُه ... إلى حَسَبٍ فى قومِه مُتقاصِرِ

فقال الضَّحَّاكُ: قد عَلِم قومُنا أنَّنا أحْلاسُ الخيلِ. فقال: صَدَقْتَ، أنتم أحْلاسُها ونحن فُرْسانُها. يُرِيدُ: أنتم راضَةٌ وساسَةٌ، ونحن الفُرْسانُ. وأرى أصلَه مِن الحِلْسِ، وهو كِساءٌ يَكونُ تحتَ البَرْدَعةِ، أى يَلْزَمُ ظُهورَها، كما يَلْزَمُ الحِلْسُ ظهرَ البعيرِ.

ورَوَى أيضًا[3] أن مُؤَذِّنَ دِمشقَ قال للضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ: واللَّهِ أيُّها الأميرُ إنى لَأُحِبُّك فى اللَّهِ. فقال له الضَّحَّاكُ: ولكنى واللَّهِ أُبْغِضُك فى اللَّهِ. قال: ولِمَ؟ أصْلَحك اللَّهُ. قال: لأنك تَتراءَى فى أذانِك، وتَأْخُذُ أجرًا على تَعْليمِك.

قُتِل الضَّحَّاكُ، رَحِمه اللَّهُ، يومَ مَرْجِ راهطٍ، وذلك للنصفِ [٧/١٨ظ] مِن ذى الحِجَّةِ، سنةَ أربعٍ وستين. قاله الليثُ بنُ سعدٍ، وأبو عُبَيدٍ، والواقدىُّ، وابنُ زَبْرٍ، والمَدائنىُّ[4].

وفيها قُتِلَ **النُّعْمانُ**[5] **بنُ بَشيرِ بنِ سعدٍ الأنْصارىُّ**[6]، وأُمُّه عَمْرةُ بنتُ

---

(١) تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩١.

(٢) فى الأصل، ٢١، ص: «توبة»، وفى ٣١، م: «ثوبة». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٣) تاريخ دمشق ٢٤/ ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق ٢٤/ ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٨.

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٧/٥٨٥ - ٥٩٤ مخطوط.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٤٩٦، وأسد الغابة ٥/ ٣٢٦، والإصابة ٦/ ٤٤٠.

رَواحةَ ، وكان أولَ مَوْلودٍ وُلِد بالمدينةِ بعدَ الهِجرةِ للأنْصارِ ، فى جُمادَى الأولى سنةَ ثِنْتَيْن مِن الهجرةِ ، فأتَت به أُمُّه تَحْمِلُه إلى النبىِّ ﷺ فحَنَّكه وبَشَّرها بأنه يَعيشُ حَمِيدًا ، ويُقْتَلُ شَهِيدًا ، ويَدْخُلُ الجنةَ ، فعاش فى خيرٍ وسَعَةٍ ، ووَلِىَ نِيابةَ الكُوفةِ لمُعاويةَ تسعةَ أشهرٍ ، ثم سَكَن الشامَ ، ووَلِىَ قَضاءَها بعدَ فَضالةَ بنِ عُبَيدٍ ، وفَضالةُ بعدَ أبى الدَّرْداءِ . وناب بحِمْصَ لمُعاويةَ ، وهو الذى رَدَّ آلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ بأمْرِ يزيدَ له فى ذلك ، وهو الذى أشار على يَزيدَ بالإحْسانِ إليهم وقال : عاملْهم بما كان يعاملُهم به رسولُ اللَّهِ ﷺ لو رآهم على هذه الحالةِ . فرَقَّ لهم يَزيدُ ، وأحْسَن إليهم وأكْرَمهم ، وأمَرَ بإكرامِهم ، ثم لما كانت وَقْعةُ مَرْجِ راهطٍ وقَتْلُ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ ، وكان النُّعمانُ قد أمَدَّه بأهلِ حِمْصَ ، [1]عدا عليه أهلُ حِمْصَ[1] فقَتَلوه بقريةٍ يُقالُ لها : يَبرِينُ . قَتَله رجلٌ يُقالُ له : خالدُ بنُ خَلِىٍّ الكَلاعىُّ[2] . وقيل : خَلِىُّ بنُ داودَ . وهو جَدُّ خالدِ بنِ خَلِىٍّ ، وقد رَثَتْه ابنتُه حُميدةُ بنتُ النعمانِ فقالتْ[3] :

لـيـت ابـنَ مُـزْنَـةَ وابـنَـهُ ... كـانـوا لـقَـتْـلِـك واقـيـهْ
وبـنـى أُمَـيـةَ كـلَّـهـم ... لم تَـبْـقَ مـنـهـم بـاقِـيَـهْ
جـاء الـبَـريـدُ بـقـتْـلِـهِ ... يـا لَـلْـكِـلابِ الـعـاوِيـهْ
يَـسْـتَـفْـتِـحـون بـرأسِـهِ ... دارتْ عـلـيـهـم ثـانـيـهْ
فـلأَبْـكِـيَـنَّ مُـسِـرَّةً ... ولأَبْـكِـيَـنَّ عَـلانِـيـهْ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى النسخ : «المازنى» . والمثبت من تاريخ دمشق ٥٩٣/١٧ مخطوط . وانظر تهذيب الكمال ٤١٦/٢٩ .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٥٨٧/١٧ مخطوط .

ولَأَبْكِيَنَّكَ ما حَيِيـ ـتُ مع السِّباعِ العادِيَهْ

(١) وقيل(٢) : إن أعْشَى هَمْدانَ قَدِم على النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ وهو على حِمْصَ ، وهو مَرِيضٌ ، فقال له النُّعْمانُ : ما أقْدَمك ؟ قال : لِتَصِلَنى وتَحْفَظَ قَرابتى وتَقْضِيَ دَيْنى . فقال : واللَّهِ ما عندى ، ولكنى سائِلُهم لك شيئًا . ثم قام فصَعِد المنبرَ ، ثم قال : يا أهلَ حِمْصَ ، إن هذا ابنُ عَمِّكم مِن العراقِ ، وهو يَسْتَرْفِدُكم شيئًا فما تَرَوْن ؟ فقالوا : احْتَكِمْ فى أموالِنا . فأَبَى عليهم ، فقالوا : قد حَكَمْنا مِن أموالِنا ، كلُّ رجلٍ دينارَيْن - وكانوا فى الدِّيوان عشرين ألفَ رجلٍ - فعَجَّلها له النُّعْمانُ مِن بيتِ المالِ أرْبَعين ألفَ دينارٍ ، فلمَّا خَرَجَت أَعْطِياتُهم أسْقَط مِن عَطاءِ كلِّ رجلٍ منهم دِينارَيْن(٣)(١) .

ومِن كلامِ النُّعْمانِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قولُه(٤) : إن الهَلَكةَ كلَّ الهَلَكةِ أن تَعْمَلَ بالسَّيِّئاتِ فى زمانِ البَلاءِ .

وقال يَعقوبُ بنُ سفيانَ(٤) : حَدَّثنا أبو اليَمانِ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن أبى رَواحةَ يَزيدَ بنِ أَيْهَمَ ، عن الهَيْثَمِ بنِ مالكٍ الطائىِّ ، سَمِعْتُ النُّعْمانَ بنَ بَشيرٍ على المِنْبرِ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن للشَّيطانِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) تاريخ دمشق ٥٩١/١٧ مخطوط ، بنحوه .

(٣) فى تاريخ دمشق أن أعشى همدان قال مادحا صنيع النعمان ، رضى اللَّه عنه :

فلم أر للحاجات عند انكماشها ... كنعمان أَغْنى ذا النَّدى ابنَ بشير

إذا قال أَوْفى بالمقال ولم يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقوامِ حبلَ غُرور

متى أَكْفُرِ النعمانَ لا أكُ شاكرا ... وما خير من لا يقتدى بشكور

(٤) تاريخ دمشق ٥٩٢/١٧ مخطوط .

(٥) المعرفة والتاريخ ٤٤٦/٢ ، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق الموضع السابق ، من طريق يعقوب بن سفيان به .

مَصالىَ[1] وفُخوخًا ، وإن مِن مَصاليه وفُخوخِه البَطَرَ بِنِعَمِ اللَّهِ ، والفَخْرَ بعَطاءِ اللَّهِ ، والكِبْرَ على عِبادِ اللَّهِ ، واتِّباعَ الهَوَى [٧/ ١٩و] فى غيرِ ذاتِ اللَّهِ » .

ومِن أحاديثِه الصِّحاحِ الحِسانِ ما سَمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن الحَلالَ بَيِّنٌ ، وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ ، وبينَ ذلك أُمورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهن كثيرٌ مِن الناسِ ، فمَن اتَّقَى الشُّبُهاتِ فقد اسْتَبْرَأ لدِينِه وعِرْضِه ، ومَن وَقَع فى الشُّبُهاتِ وَقَع فى الحَرامِ ، كالراعى يَرْعَى حولَ الحِمَى يُوشِكُ أن يَرْتَعَ فيه ، ألا وإن لكلِّ ملكٍ حِمًى ، ألا وإن حِمَى اللَّهِ تعالى مَحارِمُه ، ألا وإن فى الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَت صَلَح لها سائرُ الجسدِ ، وإذا فَسَدَت فَسَد لها سائرُ الجسدِ ، ألا وهى القلبُ » . رَواه البخاريُّ ومسلمٌ[2] .

وقال أبو مُسْهِرٍ[3] : كان النُّعْمانُ بنُ بَشيرٍ على حِمْصَ عاملًا لابنِ الزبيرِ ، فلمَّا [4]تَمَرْوَن أهلُ حِمْصٍ[4] خَرَج النُّعْمانُ هاربًا ، فاتَّبعه خالدُ بنُ خَلِيٍّ الكَلاعيُّ فقتَله .

قال أبو عُبَيدٍ وغيرُ واحدٍ[5] : فى هذه السنةِ .

وقد رَوَى محمدُ بنُ سعدٍ[6] بأَسانيدِه أن مُعاويةَ تَزَوَّج امرأةً جَميلةً جدًّا ، فبَعَث إحْدى امرأتَيْه مَيسونَ أو فاخِتةَ ؛ لتَنْظُرَ إليها . فلما رَأَتْها أعْجَبَتْها جدًّا ، ثم

---

(١) المصالى : شبيهة بالشَّرَك - وهو حِبَالة الصيد - واحدتها مِصْلاة : أراد ما يستفزُّ به الناسَ من زينة الدنيا وشهواتها ، النهاية ٣/ ٥١ .

(٢) البخارى (٥٢، ٢٠٥١) ، ومسلم (١٠٧، ١٠٨/ ١٥٩٩) ، بنحوه .

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٥٩٣ مخطوط .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « تملك مروان » . وهما بمعنًى .

(٥) المصدر السابق ١٧/ ٥٩٣.

(٦) المصدر السابق ١٧/ ٥٩٣، من طريق محمد بن سعد بنحوه .

رَجَعَت إليه فقال : كيف رأَيْتِيها ؟ قالت : بَديعةَ الجَمالِ ، غيرَ أنى رَأَيْتُ تحتَ سُرَّتِها خالًا أسْودَ ، وإنى أَحْسَبُ أن زوجَها يُقْتَلُ ويُلْقَى رأسُه فى حِجْرِها . فطَلَّقها مُعاويةُ ، وتَزَوَّجها النُّعْمانُ بنُ بشيرٍ[1] ، فلما قُتِل أُلْقِىَ رأسُه فى حِجْرِ امرأتِه هذه .

وقال أبو سليمانَ بنُ زَبْرٍ : قُتِل بسَلَمْيَةَ[2] سنةَ ستٍّ وستين . وقال غيرُه : سنةَ خمسٍ وستين . وقيل : سنةَ ستين[3] . والصَّحيحُ ما ذكَرْناه .

وفيها تُوُفِّىَ **المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمةَ بنِ نوفلٍ**[4] ، صحابىٌّ صَغيرٌ ، أصابه حَجَرُ المَنْجَنِيقِ بمكةَ ، وهو قائمٌ يُصَلِّى فى الحِجْرِ[5] .

---

(١) فى تاريخ دمشق أن حبيب بن مسلمة تزوجها بعد أن طلقها معاوية ، ثم تزوجها النعمان ، رضى اللّه عنهم جميعا . وانظر ما تقدم فى صفحتى ٤٦٢، ٤٦٣.

(٢) سلمية : بليدة فى ناحية البَرِّيَّة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين . معجم البلدان ٣/ ١٢٣.

(٣) فى م ، ص : « خمسين » . وانظر لهذه الأقوال تاريخ دمشق ١٧/ ٥٩٣، ٥٩٤ مخطوط . وقد قال ابن عساكر بعد أن ساق قول من قال : إنه مات سنة ستين . قال : كذا قال وهو وهم .

(٤) الاستيعاب ٣/ ١٣٩٩، وأسد الغابة ٥/ ١٧٥، والإصابة ٦/ ١١٩.

(٥) بعده فى ا ٣، ا ٢، م : « وهو من أعيان من قتل فى حصار مكة ، وهو المسور بن مخرمة بن نوفلٍ أبو عبد الرحمن الزهرى ، أُمه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوفٍ ، له صحبة ورواية ، ووفد على معاوية ، وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب ، وقيل : إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يومٍ غاب عنها سبعًا ، وصلى ركعتين . وقيل : إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهبٍ مرصعًا بالياقوت ، فلم يدر ما هو ، فلقيه رجل من الفرس ، فقال له : بعنيه بعشرة آلافٍ . فعلم أنه شىء له قيمة . فبعث به إلى سعد بن أبى وقاصٍ ، فنفله إياه ، فباعه بمائة ألفٍ .

ولما توفى معاوية قدم مكة فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير ، لما رموا به الكعبة ، فمات منه بعد خمسة أيامٍ ، وغسله عبد اللّه بن الزبير ، وحمله فى جملة من حمل إلى الحجون ، وكانوا يطئون به القتلى ، ويمشون به بين أهل الشام ، وصلوا معهم عليه .

واحتكر المسور بن مخرمة طعامًا فى زمن عمر بن الخطاب ، فرأَى سحابًا فكرهه ، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال : من جاءنى أَعطيته . فقال عمر : أجننت يا بن مخرمة ؟! فقال : لا واللّه يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت سحابًا ، فكرهت ما ينفع الناس ، فكرهت أن أربح فيه شيئًا . فقال له عمر : جزاك اللّه خيرًا . ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين . =

وفى هذه السنةِ[1] - أعْنِى سنةَ أربعٍ وستين - جَرَتْ حُروبٌ كَثيرةٌ وفِتَنٌ مُنْتَشِرةٌ ببلادِ المَشْرِقِ ، واسْتَحْوَذ على بلادِ خُراسانَ رجلٌ يُقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ خازِمٍ . وقَهَر عُمَّالَها وأخْرَجهم منها ، وذلك بعدَ موتِ يزيدَ وابنِه مُعاويةَ ، قبلَ أن يسْتَقِرَّ ملكُ ابنِ الزبيرِ على تلك النَّواحى ، وجَرَتْ بينَ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ هذا وبينَ عمرِو بنِ مَرْثَدٍ حروبٌ يَطولُ ذِكْرُها وتَفْصِيلُها ، اكْتَفَيْنا بذكرِها إجْمالًا ؛ إذ لا يَتَعَلَّقُ بتفصيلِها كبيرُ فائدةٍ ، وهى حروبُ فِتْنةٍ وقِتالُ بُغاةٍ بعضِهم فى بعضٍ ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

[2]وقال الواقدىُّ : وفى هذه السنةِ - بعدَ موتِ مُعاويةَ بنِ يَزيدَ - بايَع أهلُ خُراسانَ سَلْمَ بنَ زيادِ ابنِ أبيه ، وأحَبُّوه حتى إنهم سَمَّوا باسمِه فى تلك السنةِ أكثرَ مِن ألفِ[3] غلامٍ مَوْلودٍ ، ثم نَكَثوا واخْتَلَفوا ، فخرَج عنهم سَلْمٌ ، وتَرَك عليهم المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ[2] .

= المنذر بن الزبير بن العوام ، ولد فى خلافة عمر بن الخطاب ، وأُمه أسماء بنت أبى بكرٍ الصديق ، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية ، فأجازه بمائة ألفٍ ، وأقطعه أرضًا ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال .

وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد اللَّه بن حكيم بنِ حِزامٍ يقاتِلان أهل الشامِ بالنهارِ ، ويطعِمانِهم بالليلِ . قتِل المنذِر بمكة فى حِصارِها مع أخيه ، ولما مات معاويةُ أوصى إلى المنذرِ أن ينزِل فى قبرِه .

مصعب بن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، كان شابًّا دينًا فاضِلًا ، قتِل مصعب أيضًا فى حِصارِ مكة مع ابنِ الزبيرِ .

وممن قتِل فى وقعةِ الحرةِ محمد بن أُبى بنِ كعبٍ ، وعبد الرحمنِ بن أبى قتادة ، وأبو حكيمٍ معاذ بن الحارثِ الأنصارِى الذى أقامه عمر يصلى بالناسِ ، وقتِل يومئذٍ ولدان لزينب بنتِ أُم سلمة ، وزيد بن محمدِ بنِ سلمة وسعيد بن زيدِ بنِ ثابتٍ الأنصارى قتِل يومئذٍ ، وقتِل معه سبعة مِن إخوتِه وغير هؤلاء ، رحِمهم اللَّه ، ورضِى عنهم أجمعين .

وفيها توفى الأخنس بن شرِيقٍ ، شهِد فتح مكة ، وكان مع علىٍّ يوم صِفين » .

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٥٤٥ - ٥٥١، والمنتظم ٦/٢٨، والكامل ١٥٤ - ١٥٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٥/٥٤٤ - ٥٤٦.

(٣) فى تاريخ الطبرى : « عشرين ألف » .

وفيها اجْتَمَع مَلأُ الشِّيعةِ على سليمانَ بنِ صُرَدٍ بالكوفةِ[1] ، وتَواعَدوا النُّخَيْلةَ ؛ ليَأْخُذوا بثَأْرِ الحسينِ بنِ عليٍّ ، رضى اللَّهُ عنه ، وما زالوا فى ذلك مُجِدِّين ، وعليه عازِمين ، مِن بعدِ[2] مَقْتَلِ الحسينِ بكَرْبَلاءَ فى العاشرِ [٧/ ١٩ظ] مِن المُحَرَّمِ سنةَ إحدى وسِتِّين ، وقد نَدِموا على ما كان منهم مِن بَعْثِهم إليه ، فلما حصَل ببلادِهم خَذَلوه وتَخَلَّوْا عنه ولم يَنْصُروه .

فجادَت بوَصْلٍ حينَ لا يَنْفَعُ الوَصْلُ

فاجْتَمَعوا فى دارِ سليمانَ بنِ صُرَدٍ وهو صحابيٌّ جَليلٌ ، وكان رُءوسُ القائمين فى ذلك خمسةً ؛ سليمانَ بنَ صُرَدٍ الصَّحابيَّ ، والمُسَيَّبَ بنَ نَجَبَةَ الفَزاريَّ أحدَ كبارِ أصحابِ عليٍّ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ نُفَيْلٍ الأَزْديَّ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ والٍ التَّيْميَّ ، ورِفاعةَ بنَ شَدَّادٍ البَجَليَّ ، وكلُّهم مِن أصحابِ عليٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فاجْتَمَعوا كلُّهم بعدَ خُطَبٍ ومَواعِظَ على تَأْمِيرِ سليمانَ بنِ صُرَدٍ عليهم ، فتَعاهَدوا وتَعاقَدوا ، وتَواعدوا النُّخَيْلةَ ؛ أن يَجْتَمِعَ مَن يَسْتَجِيبُ لهم إلى ذلك الموضعِ بها فى سنةِ خمسٍ وستين ، ثم جَمَعوا مِن أمْوالِهم وأسْلِحتِهم شيئًا كثيرًا وأَعَدُّوه لذلك[3] .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٥٥١ - ٥٦٣.

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ١ ٣، ١ ٢، م : « وقام المسيب بن نجبة خطيبًا فيهم ، فحمد اللَّه وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، فقد ابتلينا بطول العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا اللَّه ، فوجدنا كاذبين فى نصرة ابن بنت رسول اللَّه ﷺ ، بعد أن كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعًا فى نصرتنا إياه ، فخذلناه وأخلفناه ، وأتينا به إلى من قتله وقتل أولاده وذريته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذلنا عنهم بألسنتنا ، ولا قويناهم بأموالنا ، فالويل لنا جميعًا ويلًا متصلًا أبدًا لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتله والممالئين عليه ، أو نقتل دون ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا ، أيها الناس ، قوموا فى ذلك قومة رجلٍ واحدٍ ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ الآية [البقرة : ٥٤] . وذكر كلامًا طويلًا . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن يجتمعوا بالنخيلة فى السنة الآتية » .

وكتَب سليمانُ بنُ صُرَدٍ إلى سعدِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ اليَمانِ، وهو بالمَدائنِ[1] يَدْعوه إلى ذلك، فاسْتَجاب له، ودَعا إليه سعدٌ مَن أطاعه مِن أهلِ المَدائنِ، فبادَروا إليه بالاسْتِجابةِ والقَبولِ، وتَمالَئُوا عليه[2] وتَواعَدوا النُّخَيْلةَ فى التاريخِ المَذْكورِ. وكتَب سعدٌ إلى سليمانَ بذلك، ففَرِح أهلُ الكوفةِ مِن مُوافقةِ أهلِ المَدائنِ لهم على ذلك، وتَنَشَّطوا لأمرِهم الذى تَمالَئُوا عليه، فلما مات يزيدُ بنُ مُعاويةَ وابنُه مُعاويةُ بعدَه بقليلٍ، طَمِعوا فى الأمْرِ، واعْتَقَدوا أن أهلَ الشامِ قد ضَعُفوا، ولم يَبْقَ مَن يُقِيمُ لهم أمْرًا، فغَدَوا إلى سليمانَ، واستشاروه فى الظُّهورِ وأن يَخْرُجوا إلى النُّخَيْلةِ قبلَ الأَجَلِ، فمنَعهم مِن ذلك حتى يَأْتِىَ الأجَلُ الذى واعَدوا إخْوانَهم فيه. ثم هم فى الباطنِ يُعِدُّون السلاحَ والقوةَ، ولا يَشْعُرُ بهم جُمهورُ الناسِ، وحينَئذٍ عَمَد جمُهورُ أهلِ الكوفةِ إلى عمرِو بنِ حُرَيْثٍ نائبِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ على الكُوفةِ، فأخْرَجوه مِن القَصْرِ، واصْطَلحوا على عامرِ بنِ مَسْعودِ بنِ أميةَ بنِ خَلَفٍ المُلَقَّبِ دُحْروجةَ[3]، فبايَع لعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، فهو يَسُدُّ الأُمورَ حتى تَأْتِىَ نُوَّابُ ابنِ الزبيرِ، فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ لثمانٍ بَقِين مِن رمَضانَ مِن هذه السنةِ - أَعْنِى سنةَ أربعٍ وستين - قَدِم أميران إلى الكوفةِ مِن جهةِ ابنِ الزبيرِ؛ أحدُهما عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ الخَطْمىُّ على الحَرْبِ والثَّغْرِ، والآخرُ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ التَّيْمىُّ على الخَراجِ[4]، وقد كان قَدِم قبلَهما إلى

---

(١) فى ٣١، ٢١، م: «أمير على المدائن». والثابت أن سعد بن حذيفة بن اليمان ولى قضاء المدائن، ولم يلِ إمرتها، وقد وليها أبوه حذيفة، رضى اللَّه عنه. انظر تاريخ بغداد ٩/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٤.

(٢) أى اجتمعوا عليه.

(٣) فى تاريخ الطبرى: «دحروجة الجعل». والدحروجة: ما يُدَحْرِجه الجُعَل من البنادِق. اللسان (دحرج).

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «والأموال».

الكوفةِ بجُمُعةٍ واحدةٍ للنصفِ مِن هذا الشهرِ المُخْتارُ بنُ أبى عُبَيدٍ - وهو المختارُ الثَّقَفىُّ الكَذَّابُ - فوَجَد الشِّيعةَ قد الْتَفَّت على سليمانَ بنِ صُرَدٍ، وعَظَّموه تَعْظيمًا زائدًا، وهم مُعِدُّون للحربِ، فلمَّا [٢٠/٧و] اسْتَقَرَّ المُخْتارُ عندَهم، دَعا فى الباطنِ إلى إمامةِ محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ، ولَقَّبه المَهْدىَّ، فاتَّبَعه كثيرٌ مِن الشِّيعةِ، وفارَقوا سُليمانَ بنَ صُرَدٍ، وصارتِ الشِّيعةُ فِرْقتَيْن؛ الجُمهورُ منهم مع سُلَيمانَ يُرِيدون الخُروجَ على الناسِ للأخذِ بثَأْرِ الحسينِ، وفِرْقةُ أصحابِ المُخْتارِ يُرِيدون الخُروجَ للدَّعوةِ إلى إمامةِ محمدِ ابنِ الحَنفيةِ، وذلك عن غيرِ أمْرِ ابنِ الحَنفيةِ ورِضاه، وإنما يَتَقَوَّلون عليه ليُرَوِّجوا على الناسِ به، وليَتَوَصَّلوا إلى أغْراضِهم الفاسِدةِ، وجاءتِ العينُ[1] الصافيةُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ يَزيدَ الخَطْمىِّ نائبِ ابنِ الزبيرِ بما تَمالأ عليه فِرْقَتا الشِّيعةِ على اخْتِلافِهما؛ مِن الخروجِ على الناسِ والدَّعْوةِ إلى ما يُريدون، وأشار مَن أشار عليه بأن يُبادِرَ إليهم، ويَحْتاطَ عليهم، ويَبْعَثَ الشُّرَطَ والمُقاتِلةَ فيَقْمَعَهم عمَّا هم مُجْمِعون عليه مِن إرادةِ الشَّرِّ والفِتْنةِ، فقام خَطِيبًا فى الناسِ، وذَكَر فى خُطْبتِه ما بَلَغه عن هؤلاءِ القومِ، وما أجْمَعوا عليه مِن الأمْرِ، وأنَّ منهم مَن يُرِيدُ الأخْذَ بثَأْرِ الحسينِ، ولقد عَلِموا أنِّى لَسْتُ ممَّن قَتَله، وإنى واللَّهِ لَمِمَّن أُصِيب بقَتْلِه، رحِمه اللَّهُ ولَعَن قاتلَه، وإنى لا أَتَعَرَّضُ لأحدٍ قبلَ أن يَبْدَأَنى بالشَّرِّ، وإن كان هؤلاءِ يُرِيدون الأَخْذَ بثَأْرِ الحسينِ، فلْيَعْمِدوا إلى عُبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ، فإنه هو الذى قتَل الحسينَ وخِيارَ أهلِه، فلْيَأْخُذوا منه بالثَّأْرِ، ولا يَخْرُجوا بسيوفِهم على أهلِ بلدِهم، فيكونَ فيه حَتْفُهم واسْتِئْصالُهم. فقام إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طَلْحةَ الأميرُ الآخَرُ فقال: أيُّها الناسُ، لا يَغُرَّنَّكم مِن أنْفُسِكم كلامُ هذا المُداهِنِ، إنا واللَّهِ قد اسْتَيْقَنَّا أن قومًا يُرِيدون الخُروجَ علينا،

---

(١) العين: الذى يُبعث ليتجسس الأخبار. اللسان (ع ى ن).

ولَتَأْخُذَنَّ الوالدَ بالولدِ والولدَ بالوالدِ ، والحَميمَ بالحَميمِ ، والعَرِيفَ بما فى عِرافتِه ، حتى يَدِينوا بالحَقِّ ويَذِلُّوا للطاعةِ . فوَثَب إليه المُسَيَّبُ بنُ نَجَبَةَ الفَزارىُّ فقطَع عليه كلامَه ، فقال : يا بنَ الناكِثِين أَتُهَدِّدُنا بسيفِك وغَشْمِك ؟! أنت واللَّهِ أَذَلُّ مِن ذلك ، إنا لا نَلُومُك على بُغْضِنا وقد قَتَلْنا أباك وجَدَّك ، وإنا لَنَرْجُو أن نُلْحِقَك بهما قبلَ أن تَخْرُجَ مِن هذا القصرِ . وساعَد المُسَيَّبَ بنَ نَجَبَةَ [1] بعضُ أصحابِه ، وردَّ عن [1] إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طَلْحةَ جماعةٌ مِن العُمَّالِ ، وجَرَتْ فِتْنةٌ وشرٌّ [2] كثيرٌ فى المسجدِ ، فنَزَل عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ الخَطْمىُّ عن المِنْبرِ ، وحاوَلوا أن يُوقِعوا [3] بينَ الأميرَيْن ، فلم يَتَّفِقْ لهم ذلك ، ثم ظهَرَتِ الشِّيعةُ أصحابُ سليمانَ بنِ صُرَدٍ [٧/٢٠ظ] بالسِّلاحِ ، وأظْهَروا ما كان فى أنْفُسِهم مِن الخُروجِ على الناسِ ، ورَكِبوا مع سليمانَ بنِ صُرَدٍ ، فقصَدوا نحوَ الجَزيرةِ ، فكان مِن أمْرِهم ما سنَذْكُرُه .

وأما المُخْتارُ بنُ أبى عُبَيدٍ الثَّقَفىُّ الكَذَّابُ فإنه قد كان بَغِيضًا إلى الشِّيعةِ مِن يومَ طُعِن الحسنُ [4] ، وهو ذاهبٌ إلى الشامِ بأهلِ العراقِ ، فلَجَأ إلى المَدائنِ ، فأشار المُخْتارُ على عمِّه ، وهو نائبُ المَدائنِ بأن يَقْبِضَ على الحسنِ ويَبْعَثَه إلى مُعاويةَ ، فيتَّخِذَ بذلك عندَه اليدَ البَيْضاءَ ، فامْتَنع عمُّه مِن ذلك [5] ، فأبْغَضَتْه الشِّيعةُ بسببِ ذلك ، فلمَّا كان مِن أمرِ مسلمِ بنِ عَقيلٍ ما كان ، وقَتَله ابنُ زِيادٍ ، كان المُخْتارُ يومَئذٍ بالكوفةِ ، فبلَغ ابنَ زِيادٍ أنه يَقولُ : لأَقومَنَّ بنُصْرةِ مُسْلمٍ ، ولآخُذَنَّ بثأْرِه .

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٢) فى م : « شىء » .

(٣) فى م : « يوفقوا » .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/٥٦٩ - ٥٨١ .

(٥) انظر ما تقدم فى صفحة ١٣٢ .

فأَحْضَره بينَ يديه ، وضَرَب عينَه بقَضِيبٍ كان بيدِه فشَتَرها[1] ، وأمَر بسَجْنِه ، فلَّما بَلَغ أختَه سَجْنُه بَكَتْ وجَزِعَتْ عليه ، وكانت تحتَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، فكتَب ابنُ عمرَ إلى يَزيدَ بنِ مُعاويةَ يَشْفَعُ عندَه فى إخْراجِ المُخْتارِ مِن السجنِ ، فبَعَث يَزيدُ إلى ابنِ زيادٍ أَنْ سَاعةَ وُقوفِك على هذا الكتابِ تُخْرِجُ المُخْتارَ ابنَ أبى عُبَيدٍ مِن السِّجْنِ ، فلم يُمْكِنِ ابنَ زِيادٍ غيرُ ذلك ، فأَخْرَجه وقال له : إن وَجَدْتُك بالكوفةِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ضَرَبْتُ عُنُقَك . فخرَج المُخْتارُ إلى الحِجازِ وهو يَقولُ : واللَّهِ لأَقْطَعَنَّ أَنامِلَ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، ولأَقْتُلَنَّ بالحسينِ بنِ علىٍّ عَدَدَ مَن قُتِل على دمِ يَحْيَى بنِ زكريا . فلما اسْتَفْحَل أمْرُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بمكةَ بايَعه المُخْتارُ ابنُ أبى عُبَيدٍ ، وكان مِن كِبارِ الأُمَراءِ عندَه ، ولما حاصَره الحُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ وأهلُ الشامِ قاتَل المُخْتارُ دونَه أشَدَّ القِتالِ ، فلمَّا بَلَغه موتُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ واضْطرابُ أهلِ العراقِ ، نَقَم على ابنِ الزبيرِ فى بعضِ الأمْرِ ، وخَرَج مِن الحِجازِ ، فقَصَد الكُوفةَ ، فدَخَلها فى يومِ جُمُعةٍ ، والناسُ يَتَهَيَّئون للصلاةِ ، فجعَل لا يَمُرُّ بمَلأٍ من الناسِ إلا سَلَّم ، وقال : أبْشِروا بالنَّصْرِ [2]والظَّفَرِ بالأعداءِ[2] . ودَخَل المسجدَ فصَلَّى إلى ساريةٍ هنالك ، حتى أُقِيمت الصَّلاةُ ، ثم صَلَّى مِن بعدِ الصَّلاةِ حتى صُلِّيَت العَصْرُ ، ثم انْصَرف فسَلَّم عليه الناسُ ، وأقْبَلوا إليه وعليه وعَظَّموه ، وجعَل يَدْعُو إلى إمامةِ المَهْدِىِّ محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ ، ويُظْهِرُ الانْتِصارَ لأهلِ البيتِ ، وأنه بصَدَدِ أن يُقِيمَ شِعارَهم ، ويُظْهِرَ مَنارَهم ، ويَسْتَوْفِىَ ثَأْرَهم ، ويَقولُ للناسِ الذين قد اجْتَمعوا على سليمانَ بنِ صُرَدٍ مِن الشِّيعةِ ، وقد خَشِىَ أن يُبادِروا إلى الخُروجِ مع سليمانَ ، فجعَل يُخَذِّلُهم [٧/٢١و] ويَسْتَمِيلُهم إليه ، ويقولُ لهم : إنى

---

(١) الشَّتَر : قطع الجفن الأسفل . والأصل انقلابه إلى أسفل . النهاية ٢/ ٤٤٣.

(٢ - ٢) سقط من : م .

قد جِئْتُكم مِن قِبَلِ وَلِيِّ الأمْرِ، ومَعْدِنِ الفَضْلِ، ووَصِيِّ الوصيِّ[1]، والإمامِ المَهْدِيِّ، بأمْرٍ فيه الشِّفاءُ، وكَشْفُ الغِطاءِ، وقَتْلُ الأعْداءِ، وتَمامُ النَّعْماءِ، وأن سليمانَ بنَ صُرَدٍ، يَرْحَمُنا اللَّهُ وإياه، إنما هو [2]عَشَمةٌ مِن العَشَمِ[2]، وشَنٌّ[3] بالٍ، ليس بذى تَجْرِبةٍ للأُمورِ، ولا له عِلْمٌ بالحُروبِ، إنما يُرِيدُ أن يُخْرِجَكم فيَقْتُلَ نفسَه ويَقْتُلَكم، وإنى إنما أَعْمَلُ على مَثَلٍ قد مُثِّل لى، وأمْرٍ قد بُيِّنَ لى، فيه عِزُّ وَلِيِّكم، وقَتْلُ عَدُوِّكم، وشِفاءُ صُدورِكم، فاسْمَعوا منى وأَطِيعوا أمْرى، ثم أَبْشِروا وتَباشَروا، فإنى لكم بكلِّ ما تَأْمَلُون وتُحِبُّون كَفِيلٌ. فالْتَفَّ عليه خَلْقٌ كثيرٌ مِن الشِّيعةِ، ولكنَّ الجُمهورَ منهم مع سليمانَ بنِ صُرَدٍ، فلمَّا خَرَجوا مع سليمانَ إلى النُّخَيْلةِ قال عمرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ وشَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ وغيرُهما لعبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ[4] نائبِ الكوفةِ: إن المُخْتارَ بنَ أبى عُبَيدٍ أشَدُّ عليكم مِن سليمانَ بنِ صُرَدٍ. فبعَث إليه الشُّرَطَ فأحاطوا بدارِه، فأُخِذ فذُهِب به إلى السجنِ مُقَيَّدًا. وقيل: بغيرِ قَيْدٍ. فأقام به مُدَّةً ومَرِض فيه.

قال أبو مِخْنَفٍ[5]: فحدَّثنى يَحْيَى بنُ أبى عيسى أنه قال: دَخَلْتُ إليه مع حُمَيْدِ بنِ مسلمٍ الأزْدِيِّ نَعودُه ونتعَاهَدُه، فسَمِعْتُه يقولُ: أمَا ورَبِّ البِحار، والنَّخيلِ والأشْجار، والمَهامِهِ والقِفار، والمَلائكةِ الأبْرار، والمُصْطَفَيْن[6] الأخْيار،

---

(١) فى الأصل، ٣١، ٢١، م: «الرضى».

(٢ - ٢) فى الأصل، ٣١، ٢١، م: «غشمة من الغشم»، وفى ص: «عنثمة من العنثم». والمثبت من تاريخ الطبرى. وشيخ عشَمة: كبير هرم يابس. والعشَم: الشيوخ. انظر اللسان (ع ش م).

(٣) فى تاريخ الطبرى: «حفش». والشن: الخَلَق من كل آنية صُنِعت من جلدٍ، وجمعها: شِنان. والحِفْش: ما كان من أسقاط الأوانى التى تكون أوعية فى البيت للطِّيب ونحوه. انظر اللسان (ش ن ن)، (ح ف ش).

(٤) فى م: «زياد».

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥/ ٥٨١، ٥٨٢، من طريق أبى مخنف به.

(٦) فى النسخ: «المصلين». والمثبت من تاريخ الطبرى.

لَأَقْتُلَنَّ كلَّ جَبَّار، بكلِّ لَدْنٍ خطَّار[1]، ومُهَنَّدٍ بَتَّار[2]، وجُموعٍ مِن الأنْصار، ليسوا [3]بمِيلٍ أغمار[3]، ولا بعُزَّلٍ أشْرار، حتى إذا أقَمْتُ عمودَ الدِّين، وجَبَرْتُ صَدْعَ المسلِمين، وشَفَيْتُ غَليلَ صُدورِ المؤمنين، وأدْرَكْتُ ثَأْرَ أولادِ النَّبيِّين، لم أَبْكِ على زَوالِ الدنيا، ولم أَحْفِلْ بالموتِ إذا دَنا. قال: وكان كُلَّما أتَيْناه وهو فى السِّجْنِ يُرَدِّدُ علينا هذا القولَ حتى خرَج.

---

(١) أى: بكل رمحٍ لَدْنٍ خطّار. ورمح لدن: ليِّن المهزَّة، وخطَّار: ذو اهتزاز شديد. انظر اللسان (ل د ن)، (خ ط ر).

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م: «بجند من الأخيار».

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «بمثل أغمار»، وفى ٣١، ٢١: «كمثل الأغمار»، وفى م: «بميل الأغمار». والمثبت من تاريخ الطبرى. والميل: جمع أَمْيل، والأميل الذى يميل على السرج فى جانب، ولا يستوى عليه، وقيل: هو الذى لا سلاح معه. وقيل: هو الجبان. والأغمار: جمع غُمْرٍ، وهو الجاهل الغِرُّ الذى لم يجرِّب الأمور. انظر اللسان (م ى ل)، (غ م ر).

ذكرُ هَدْمِ الكَعْبةِ وبِنائِها فى أيامِ ابنِ الزبيرِ

قال أبو جَعْفرِ بنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ هَدَم ابنُ الزبيرِ الكعبةَ ؛ وذلك لأنه مال جِدارُها مما رُمِيَت به مِن حِجارةِ المَنْجَنيقِ ، فهدَم الجُدْرانَ[2] حتى وَصَل إلى أساسِ إبراهيمَ ، وكان الناسُ يَطوفون ويُصَلُّون مِن وراءِ ذلك ، وجَعَل الحَجَرَ الأسْودَ فى تابوتٍ فى سَرَقةٍ مِن حَريرٍ[3] ، وادَّخَر ما كان فى الكعبةِ مِن حُلِيٍّ وثِيابٍ وطِيبٍ عندَ الخزَّانِ ، حتى أعاد ابنُ الزبيرِ بناءَها على ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أن يَبْنِيَها عليه مِن الشَّكْلِ .

[4]وقال الواقدىُّ[5] : لما أراد ابنُ الزبيرِ هَدْمَ البيتِ شاوَر الناسَ فى هَدْمِها ، فأشار عليه جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ وعُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ [٧/ ٢١ظ] بذلك ، وقال ابنُ عباسٍ : أخْشَى أن يَأْتِىَ بعدَك مَن يَهْدِمُها ، فلا تَزالُ تُهْدَمُ حتى يَتهاوَنَ الناسُ بحُرْمتِها ، ولكن أَرَى أن تُصْلِحَ [6]ما وهَى منها ، وتَدَعَ بيتًا أَسْلَمَ الناسُ عليه ، وأحجارًا بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ عليها . فقال ابنُ الزبيرِ : لو احترَق بيتُ أحدِكم ما رَضِى حتى يُجَدِّدَه ، فكيف ببيتِ ربِّكم ؟![6] ثم إن ابنَ الزبيرِ اسْتَخار اللَّهَ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم غَدا فى اليومِ الرابعِ ، فبَدَأ يَنْقُضُ الرُّكْنَ إلى الأساسِ ، فلمَّا وَصَلوا إلى الأساسِ[4]

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/ ٥٨٢.

(٢) فى ٣١، ٢١، م: «الجدار».

(٣) السرقة: قطعة من جيِّد الحرير، وجمعها سَرَقٌ. النهاية ٢/ ٣٦٢.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) ذكره البلاذرى عن الواقدى فى أنساب الأشراف ٥/ ٣٦٩، ٣٧٠. وانظر أخبار مكة ١/ ١٤٠ - ١٤٥.

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م: «ما يتهدم من بنيانها».

[1] وَجَدوا أصلًا بالحِجْرِ مُشَبَّكًا كأصابعِ اليَدَيْن ، فدَعا ابنُ الزبيرِ خمسين رجلا [2] وأشهدهم على ذلك ، ثم بنى البيتَ وأدخل الحِجْرَ فيه [2] ، وجَعَل للكعبةِ بابَيْن مَوْضُوعَيْن بالأرضِ ؛ بابٌ يُدْخَلُ منه وبابٌ يُخْرَجُ منه ، ووضَعَ الحَجَرَ الأسْودَ بيدِه ، وشَدَّه بفِضةٍ ؛ لأنه كان قد تَصَدَّع ، [3] وجعَل طولَ الكعبةِ سبعةً وعشرين ذِراعًا ، وكان طولُها سبعةَ عشَرَ ذراعًا فاستَقْصَره [3] ، وزاد فى وُسْعِ الكعبةِ عشَرةَ أذْرُعٍ ، ولَطَّخ جُدْرانَها بالمِسْكِ ، وسَتَرها بالدِّيباجِ ، ثم اعْتَمر مِن مَساجدِ عائشةَ [4] ، وطاف بالبيتِ ، وصَلَّى وسَعَى ، وأزال ما كان حولَ البيتِ وفى المسجدِ مِن الحجارةِ والزُّبالةِ ، وما كان حولَها مِن الدماءِ ، وكانَتِ الكعبةُ قد وَهَتْ مِن أعْلاها إلى أسْفَلِها مِن حِجارةِ المَنْجَنِيقِ ، واسْوَدَّ الرُّكْنُ ، وانْصَدَع الحَجَرُ الأسْودُ مِن النارِ التى كانت حولَ الكعبةِ .

وكان سَبَبَ تَجْديدِ ابنِ الزبيرِ لها [1] ما ثَبَت فى « الصَّحيحَيْن » وغيرِهما مِن المَسانيدِ والسُّننِ ، مِن طرقٍ ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال [5] : « لولا حِدْثانُ قَوْمِك بكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الكعبةَ ولَأَدْخَلْتُ فيها الحِجْرَ ، فإنَّ قومَكِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « فأمرهم أن يحفروا فلما ضربوا بالمعاول فى تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة ، فتركه على حاله ثم أسس عليه البناء » .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٤) مساجد عائشة المقصود بها التنعيم . انظر معجم البلدان ١/ ٨٧٩.

(٥) البخارى (١٢٦، ١٥٨٣ - ١٥٨٦، ٣٣٦٨، ٤٤٨٤)، ومسلم (٣٩٨ - ١٣٣٣/٤٠٦)، والموطأ ١/ ٣٦٣، ومسند الإمام أحمد ٦/ ٥٧، ٦٧، ٩٢، ١٠٢، ١١٣، ١٣٦، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٢، وأبو داود (٢٠٢٨، ٢٠٢٩)، والترمذى (٨٧٥، ٨٧٦)، والنسائى (٢٩٠٠ - ٢٩٠٣، ٢٩١٠)، وابن ماجه (٢٩٥٥)، والدارمى ٢/ ٥٤. وانظر ما تقدم فى ١/ ٣٨٢، ٣٨٣، ٤/ ٤٨٩، ٤٩٠.

قَصَّرَتْ بهم النَّفَقةُ، ولَجَعَلْتُ لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، يَدْخُلُ الناسُ مِن أحدِهما ويَخْرُجون مِن الآخرِ، ولَأَلْصَقْتُ بابَها بالأرضِ، فإن قومَكِ رَفَعوا بابَها لِيُدْخِلوا مَن شاءُوا ويَمْنَعوا مَن شاءُوا». فبَناها ابنُ الزبيرِ على ذلك كما أَخْبَرَتْه به خالتُه عائشةُ أمُّ المؤمنين، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجَزاه اللَّهُ خيرًا. ثم لما غَلَبه الحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين، كما سيأتى، (١)وقتَله وصلَبه(١) هَدَمَ الحائطَ الشَّماليَّ وأخْرَجَ الحِجْرَ كما كان أولًا، وأدْخَل الحِجارةَ التى هَدَمها إلى جوفِ الكعبةِ فرَضَّها فيها، فارْتَفع البابُ، وسَدَّ الغَرْبيَّ، وتلك آثارُه إلى الآنَ، وذلك بأمْرِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ له فى ذلك، ولم يَكُنْ بَلَغه الحديثُ، فلمَّا بَلَغه الحديثُ بعد ذلك قال: وَدِدْنا أنّا تَرَكْناه [٧/٢٢و] وما تَوَلَّى مِن ذلك.

وقد هَمَّ المهديُّ بنُ المَنْصورِ العَبّاسيُّ(٢) أن يُعِيدَها على ما بَناها ابنُ الزبيرِ، واسْتَشار الإمامَ مالكَ بنَ أنسٍ فى ذلك، فقال: إنى أَكْرَهُ أن يَتَّخِذَها المُلوكُ(٣) مَلْعَبَةً. يَعْنى يَتَلاعَبون فى بنائِها بحسَبِ آرائِهم، فهذا يَرَى رَأْىَ ابنِ الزبيرِ، وهذا يَرَى رَأْىَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ(٤). واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعْلَمُ.

قال ابنُ جَريرٍ(٥): وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ، وكان

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢) سقط من: ٣١، ٢١، م. والخبر ذكره ابن سيد الناس فى عيون الأثر ١/ ٥٣، وفيه أن الذى استشار مالكا هو أبو جعفر المنصور. وليس كما ذكر المصنف رحمه اللَّه.

(٣) فى الأصل، ص: «الخلفاء».

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «وهذا يرى رأيا آخر».

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٥٨٢.

عاملَه على المدينةِ أخوه عُبَيْدَةُ[1] ، وعلى الكوفةِ عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ الخَطْمىُّ ، وعلى قَضائِها سعيدُ بنُ نِمْرانَ[2] ، وامْتَنع شُرَيْحٌ أن يَحْكُمَ فى زَمانِ الفِتْنةِ ، وعلى البَصْرةِ عمرُ بنُ [3]عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مَعْمرٍ[3] التَّيْمىُّ ، وعلى قَضائِها هشامُ بنُ هُبَيرةَ ، وعلى خُراسانَ عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ . وكان فى أَواخرِ هذه السنةِ وَقْعةُ مَرْجِ راهطٍ ، كما قَدَّمْنا ، وقد اسْتَقَرَّ مُلْكُ الشامِ لمَرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ ، وذلك بعدَ ظَفَرِه بالضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ وقَتْلِه له فى الوَقْعةِ ، كما ذكرنا . وقيل[4] : إن فيها دَخَل مَرْوانُ مِصْرَ وأخَذها مِن نائِبها الذى مِن جهةِ ابنِ الزبيرِ ، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ جَحْدَمٍ[5] . واسْتَقَرَّت يدُ مَرْوانَ على الشامِ ومِصْرَ وأعْمالِها .

---

(١) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « عبيد اللَّه » . وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٦ ، وجمهرة نسب قريش ص ٣٤٩ .

(٢) فى النسخ : « المرزبان » . وهو خطأ . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٢١/ ٣١٦ .

(٣ - ٣) سقط من : م . وفى الأصل : « عبد اللَّه » ، وفى ٣١ ، ٢١ : « عبد اللَّه بن معمر » . وانظر التاريخ الكبير ٦/ ١٧٥ ، والجرح والتعديل ٦/ ١٢٠ .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٤٠ .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « جحدر » .

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ وستين

ففيها[1] اجْتَمع إلى سليمانَ بنِ صُرَدٍ نحوٌ مِن سبعةَ عشَرَ ألفًا ، كلُّهم يَطْلُبون الأَخْذَ بثَأْرِ الحسينِ ممَّن قَتَله .

[2]وقد خطَبهم سليمانُ بنُ صُرَدٍ حينَ خرَجوا من الكوفةِ فى ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ بالنُّخَيْلةِ ، فحَرَّضَهُم على الجهادِ فى ذلك ، فقال : مَن كان خَرَج منكم لطَلَبِ الدنيا ذَهَبِها وحريرِها فليس معنا مِن ذلك شىءٌ ، وإنما معنا سُيوفٌ على عَواتِقِنا ، ورِماحٌ فى أَكُفِّنا ، وزادٌ يَكْفِينا حتى نَلْقَى عدوَّنا . فأجابوه إلى السَّمعِ والطاعةِ والحالةُ هذه ، ثم أشار عليهم سليمانُ بنُ صُرَدٍ بقَصْدِ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فأشار بعضُهم بمقاتَلةِ مَن بالكوفةِ مِن رُءوسِ القبائلِ مِن قَتَلَةِ الحسينِ كعمرَ ابنِ سعدِ بن أبى وقاصٍ وأضرابِه ، فامْتَنَع سليمانُ بن صُرَدٍ إلا أن يذهبوا إلى عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ؛ فإنه هو الذى جهَّز إليه الجيوشَ ، وألَّب الناسَ عليه ، وامتَنع مِن قَبولِ ما طلَبه منه ، وقال : ليس[2] له إلا السيفُ ، وها هو قد أقْبَل مِن الشامِ قاصِدًا

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٥٨٣- ٥٩٦.

(٢ - ٢) فى ا ٣، ا ٢، م : « قال الواقدى : لما خرج الناس إلى النخيلة كانوا قليلًا ، فلم تعجب سليمان قلتهم ، فأرسل حكيم بن منقذٍ فنادى فى الكوفة بأعلى صوته : يا ثارات الحسين . فلم يزل ينادى حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس ، فخرجوا إلى النخيلة ، وخرج أشراف الكوفة ، فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا أو يزيدون ، فى ديوان سليمان بن صردٍ ، فلما عزم على المسير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلافٍ ، فقال المسيب بن نجبة لسليمان : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، وباع نفسه للَّه عز وجل ، فلا تنتظرن أحدًا وامض لأمرك فى جهاد عدوك ، واستعن باللَّه عليهم . فقام سليمان فى أصحابه وقال : أيها الناس ، من كان إنما خرج لوجه اللَّه وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقون معه : ما للدنيا خرجنا ، ولا لها =

العِراقَ . فصَمَّم الناسُ معه[1] على هذا الرأيِ .

فلمَّا أزْمَعوا على ذلك بَعَث عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ وإبراهيمُ بنُ محمدٍ أُمراءُ الكوفةِ مِن جهةِ ابنِ الزبيرِ إلى سليمانَ بنِ صُرَدٍ يقولان له : إنا نُحِبُّ أن تكونَ أيدينا واحدةً على ابنِ زيادٍ . وأنهم يُريدونَ [٢٢/٧ظ] أن يَبْعَثوا معهم جيشًا ليُقَوِّيَهم على ما قَصَدوا له ، وبَعَثوا إليه البَرِيدَ أن يَنْتَظِرَهم حتى يَقْدَموا عليه ، فتَهَيَّأ سليمانُ بنُ صُرَدٍ لقدُومِهم عليه فى رُءوسِ الأُمَراءِ ، وجلَس فى أُبَّهَتِه ، والجيوشُ مُحْدِقةٌ به ، وأقْبَل عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ وإبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طَلْحةَ فى أشْرافِ أهلِ الكوفةِ مِن غيرِ قَتَلةِ الحسينِ ؛ لئلا يَطْمَعوا فيهم ، وكان عمرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ فى هذه الأيامِ كلِّها لا يَبِيتُ إلا فى قَصْرِ الإمارةِ عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ يَزيدَ خَوفًا على نَفْسِه ، فلمَّا اجْتَمع الأمِيران عندَ سليمانَ بنِ صُرَدٍ قالا له وأشارا عليه أن لا يَذْهَبوا حتى تَكونَ أَيدِيهِم كلِّهم واحدةً على قِتالِ عدُوِّهم ابنِ زيادٍ ، ويُجَهِّزوا معهم جيشًا آخرَ ؛ فإن أهلَ الشامِ جَمْعٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ ، وهم يُحاجِفون عن ابنِ زيادٍ ، فامْتَنع سليمانُ بنُ صُرَدٍ مِن قَبولِ قولِهما وقال : إنا قد

= طلبنا . فقيل له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلته عندنا بالكوفة كلهم ، مثل عمر بن سعدٍ وغيره ؟ فقال سليمان : إن ابن زيادٍ هو الذى جهز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فإذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلتموهم أولًا ، وهم أهل مصركم ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلًا قد قتل أباه ، قد قتل أخاه أو حميمه ، فيقع التخاذل ، فإذا فرغتم من الفاسق ابن زيادٍ حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت . فنادى فيهم : سيروا على اسم اللَّه تعالى . فساروا عشية الجمعة لخمسٍ مضين من ربيعٍ الأول ، وقال فى خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزبرجدها فليس معنا مما يطلب شىء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح فى أكفنا ، وزاد يكفينا حتى نلقى عدونا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه ، وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولًا ، فليس » .

(١) فى الأصل ، ص : « معهم » .

خَرَجْنا لأمْرٍ لا نَرْجِعُ عنه، ولا نَتَأَخَّرُ فيه. فانْصَرف الأمِيران راجعَيْن إلى الكوفةِ، وانْتَظَر سليمانُ بنُ صُرَدٍ وأصحابُه أصحابَهم الذين كانوا قد واعَدُوهم مِن أهلِ البصرةِ وأهلِ المَدائِنِ (1أن يَقْدَموا عليهم النُّخَيْلَةَ فى هذه السنةِ1)، فلم يَقْدَموا عليهم ولا أحدٌ منهم، فقام سليمانُ بنُ صُرَدٍ فى أصحابِه خَطِيبًا، وحَرَّضَهم على الذَّهابِ لِما خرَجوا له، وقال: لو قد سَمِع إخوانُكم بمسيرِكم لَلَحِقوكم سِراعًا. فخرَج سليمانُ وأصحابُه مِن النُّخَيْلةِ يومَ الجُمُعةِ لخمسٍ مَضَيْن مِن رَبيعٍ الأولِ، سنةَ خمسٍ وستين، فسار بهم مَراحلَ، ما يَتَقَدَّمون مَرْحلةً إلى نحوِ الشامِ إلا تَخَلَّف عنه طائفةٌ مِن الناسِ الذين معه، فلمَّا مَرُّوا بقبرِ الحسينِ صاحوا صَيْحةَ رجلٍ واحدٍ وتَباكَوْا، وباتوا عندَه ليلةً، وظَلُّوا يومًا يدعون ويَتَرحَّمون عليه، ويَسْتَغْفِرون له ويَتَرَضَّوْن عنه، ويَتَمَنَّوْن أن لو كانوا ماتُوا معه شُهداءَ.

قلتُ: لو كان هذا العَزْمُ والاجتماعُ قبلَ وُصولِ الحسينِ إلى تلك المَنْزِلةِ لكان أنْفَعَ له وأنْصَرَ مِن اجْتماعِهم لنُصْرَتِه بعدَ أربعِ سنين.

ولما أرادوا الانْصِرافَ جعَل لايسيرُ(2) أحدٌ منهم حتى يَأتىَ القبرَ فيَتَرَحَّمَ عليه، ويَسْتَغْفِرَ له، حتى جَعَلوا يَزْدَحِمون عليه أشَدَّ مِن ازْدِحامِهم عندَ الحَجَرِ الأسْودِ، ثم ساروا قاصِدِين الشامَ، فلمَّا اجْتازوا بقَرْقِيسِيَا تَحَصَّن منهم زُفَرُ بنُ الحارثِ، فبَعَث إليه سليمانُ بنُ صُرَدٍ: إنا لم نَأْتِ لقِتالِكم فأخْرِجْ إلينا سُوقًا، فإنا إنما نُقِيمُ عندَكم يومًا أو بعضَ يومٍ. فأمَر زُفَرُ بنُ الحارثِ أن يُخْرَجَ السُّوقُ إليهم،

(1 - 1) سقط من: 31، 21، م.

(2) فى 31، 21، م: «يريم». ويريم: يبرح. اللسان (ر ى م).

وأمَر للرسولِ إليه - وهو المُسَيَّبُ بنُ نَجَبَةَ الفزاريُّ - بفرسٍ وألفِ درهمٍ . فقال : أما المالُ فلا ، وأمَّا الفرسُ فنعم . [٢٣/٧و] وبعَث زُفَرُ بنُ الحارثِ إلى سليمانَ بنِ صُرَدٍ ورءوسِ الأُمَراءِ الذين معه ، إلى كلِّ واحدٍ عشرين جَزورًا وطَعامًا وعَلَفًا كثيرًا ، ثم خَرَج زُفَرُ بنُ الحارثِ فشَيَّعهم ، وساير سليمانَ بنَ صُرَدٍ ، وقال له : إنه قد بَلَغنى أن أهلَ الشامِ قد (١ وجَّهوا إليكم ١) جيشًا كَثيفًا وعَدَدًا كثيرًا مع حُصَيْنِ ابنِ نُمَيْرٍ ، وشُرَحْبيلَ بنِ ذى الكَلاعِ ، وأَدْهَمَ بنِ مُحْرِزٍ الباهليِّ ، ورَبيعةَ بنِ المُخارِقِ الغَنَويِّ ، وجَبَلَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ الخَثْعَميِّ . فقال سليمانُ بنُ صُرَدٍ : على اللَّهِ تَوَكَّلْنا ، وعليه فلْيَتَوَكَّلِ المتوكلون . ثم عَرَض عليهم زُفَرُ بنُ الحارثِ أن يَدْخُلوا مَدينتَه أو يَكونوا عندَ بابِها ، فإن جاءهم أحدٌ كان معهم عليه ، فأَبَوْا أن يَقْبَلوا شيئًا مِن ذلك ، وقالوا : قد عَرَض علينا أهلُ بلدِنا مثلَ ذلك فامْتَنَعْنا . قال : فإذا أبَيْتُم ذلك فبادِروهم إلى عَيْنِ الوَرْدةِ ، فيكونَ الماءُ والمدينةُ والأسواقُ خلفَ ظُهورِكم ، وما بينَنا وبينَكم فأنتم آمِنون منه . ثم أشار عليهم بما يَعْتَمِدونه فى حالِ القِتالِ[٢] ، فأثْنَى عليه سليمانُ بنُ صُرَدٍ والناسُ خيرًا ، ثم رَجَع عنهم ، وسار سليمانُ بنُ صُرَدٍ فبادَر إلى عَيْنِ الوَرْدةِ ، فنَزَل غَرْبِيَّها ، وأقام هناك خمسًا[٣] قبلَ وُصولِ أعْدائِه إليه .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « جهزوا » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م « فقال : ولا تقاتلوهم فى فضاء فإنهم أكثر منكم عددا فيحيطون بكم ، فإنى لا أرى معكم رجالا ، والقوم ذوو رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم » .

(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م .

وَقْعةُ عينِ وَرْدةَ

واسْتَراح سليمانُ وأصحابُه واطْمَأَنوا ، فلما اقْتَرب قدومُ أهلِ الشامِ إليهم خَطَب سليمانُ[1] أصحابَه ، فرَغَّبهم فى الآخِرةِ ، وزَهَّدهم فى الدنيا ، وحَثَّهم على الجِهادِ ، وقال : إن قُتِلْتُ فالأميرُ عليكم المُسَيَّبُ بنُ نَجَبَةَ ، فإن قُتِل فعبدُ اللَّهِ ابنُ سعدِ بنِ نُفَيْلٍ ، فإن قُتِل فعبدُ اللَّهِ بنُ والٍ ، فإن قُتِل فرِفاعةُ بنُ شَدَّادٍ . ثم بَعَث بينَ يدَيه المُسَيَّبَ بنَ نَجَبَةَ فى أربعِمائةِ[2] فارسٍ ، فأغاروا على جيشِ شُرَحْبيلَ بنِ ذى الكَلاعِ وهم غارُّون[3] ، فقَتَلوا منهم جَماعةً وجَرَحوا آخَرِين ، واسْتاقوا نَعَمًا ، وأَتَى الخبرُ إلى عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ ، فأرْسَل بينَ يدَيه الحُصَيْنَ بنَ نُمَيْرٍ ، فصَبَّح سليمانَ بنَ صُرَدٍ وجيشَه فتَواقَفوا فى يومِ الأربعاءِ لثمانٍ بَقِين مِن جُمادَى الأولى ، وحُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ قائمٌ فى اثْنَىْ عشَرَ ألفًا ، وقد تهَيَّأ كلٌّ مِن الفريقَيْن لصاحبِه ، فدَعا الشامِيُّون أصحابَ سليمانَ إلى الدُّخولِ فى طاعةِ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، ودَعا أصحابُ سليمانَ الشامِيِّين إلى أن يُسَلِّموا إليهم عُبَيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ فيَقْتُلوه عن الحسينِ ، وامْتَنع كلٌّ مِن الفريقَيْن أن يُجِيبَ إلى ما دَعا إليه الآخَرُ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا عامَّةَ يومِهم إلى الليلِ ، وكانت الدائرةُ فيه للعِراقيِّين على الشامِيِّين ، فلمَّا أصْبَحوا أصْبَح ابنُ ذى الكَلاعِ ، وقد وَصَل إلى الشامِيِّين فى [4]ثمانيةِ [٧/٢٣ظ] آلافِ[4] فارسٍ ، وقد أنَّبه وشَتَمه عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، فاقْتَتل الناسُ فى هذا اليومِ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/٥٩٦ - ٦٠٦، والكامل ٤/١٨١ - ١٨٦، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ ص ٤٧، ٤٨.

(٢) فى ٣١، ٢١، م : « خمسمائة » .

(٣) غارّون : غافلون . انظر النهاية ٣/ ٣٥٥.

(٤ - ٤) فى م : « ثمانية عشرة ألف » .

قِتالًا لم يَرَ الشِّيبُ والمُرْدُ مثلَه قَطُّ ، لا يَحْجِزُ بينَهم إلا أَوْقاتُ الصَّلواتِ إلى الليلِ ، فلمَّا أصْبَح الناسُ مِن اليومِ الثالثِ وَصَل إلى الشامِيِّين أدْهَمُ بنُ مُحْرِزٍ فى عشَرةِ آلافٍ ، وذلك فى يومِ الجُمُعةِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا إلى حينِ ارْتفاعِ الضُّحَى ، ثم اسْتدار أهلُ الشامِ بأهلِ العراقِ وأحاطوا بهم مِن كلِّ جانبٍ ، فخطَب سُليمانُ بنُ صُرَدٍ الناسَ ، وحَرَّضهم على الجِهادِ ، فاقْتَتل الناسُ قِتالًا عظيمًا جدًّا ، (١)ثم تَرَجَّل سليمانُ بنُ صُرَدٍ ، وكَسَر جَفْنَ سيفِه(٢) ، ونادَى : يا عبادَ اللَّهِ ، مَن أراد الرَّواحَ إلى الجنةِ ، والتوبةَ مِن ذنبِه ، والوَفاءَ بعهدِه فلْيَأْتِ إلىَّ . فتَرَجَّل معه ناسٌ كثيرون وكسَروا جُفونَ سيوفِهم ، وحَمَلوا حتى صاروا فى وَسَطِ القومِ ، وقَتَلوا مِن أهلِ الشامِ مَقْتَلةً عظيمةً حتى خاضوا فى الدِّماءِ(١) ، وقُتِل سليمانُ بنُ صُرَدٍ ، رَماه يزيدُ بنُ الحُصَينِ بسهمٍ فوقَع ، ثم وَثَب ، ثم وَقَع ، (٣)ثم وَثَب ، ثم وَقَع(٤)(٣) ، فأخَذ الرايةَ المُسَيَّبُ بنُ نَجَبَةَ ، فقاتَل بها قِتالًا شديدًا ، وهو يقولُ :

قد عَلِمَت مَيّالةُ الذَّوائبِ ... واضِحةُ اللَّبَّاتِ والتَّرائِبِ
أنى غَداةَ الرَّوْعِ والتَّغالُبِ ... أَشْجَعُ مِن ذى لِبْدةٍ مُواثِبِ
قَطَّاعُ أقْرانٍ مَخُوفُ الجانِبِ

ثم قُتل ، رَحِمه اللَّهُ ، فقَضَى فى ذلك المَوْقفِ نَحْبَه ، ولَحِق صَحْبَه ، فأخَذ الرايةَ عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ نُفَيْلٍ ، فقاتَل قِتالًا شديـــدًا أيضًا (٥)وهو يقولُ :(٥)

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) جفن السيف : غمده . اللسان (ج ف ن) .
(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى مصادر التخريج .
(٤) بعده فى الأصل ، ٦١ ، ٣١ ، م : «وهو يقول فزت ورب الكعبة» .
(٥ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(١ رحِمَ اللَّهُ أَخَوَىَّ(٢) ، مِنهم مَن قَضَى نَحْبَه ، ومِنهم مَن يَنتَظِرُ ، وما بَدَّلوا تَبْديلا ١) . وحَمَل حينَئذٍ رَبيعةُ بنُ المُخارِقِ على أهلِ العراقِ حَمْلةً مُنْكَرةً ، وتَبارَز هو وعبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ نُفَيْلٍ ، ثم اتَّحَدا فحمَل ابنُ أخى رَبيعةَ على عبدِ اللَّهِ بنِ سعدٍ فقتَله ، ثم احْتَمَل عمَّه ، فأَخَذ الرايةَ عبدُ اللَّهِ بنُ والٍ ، فحرَّض الناسَ على الجِهادِ ، وجعَل يقولُ : الرَّواحَ إلى الجنةِ . وذلك بعدَ العصرِ ، وحمَل بالناسِ ففرَّق مَن كان حَولَه ، ثم قُتِل ، وكان مِن الفُقهاءِ المُفْتِين ، قتَله أدْهَمُ بنُ مُحْرِزٍ الباهليُّ أميرُ الحربِ ساعتَئذٍ من جهةِ الشاميِّين ، فأَخَذ الرايةَ رِفاعةُ بنُ شَدَّادٍ ، فانْحاز بالناسِ ، وقد دَخَل الظَّلامُ ، ورَجَع الشاميُّون إلى رِحالِهم ، وانْشَمَر رِفاعةُ بمن بَقِىَ معه راجعًا إلى بلادِه ، فلمَّا أَصْبَح الشاميُّون إذا العراقيُّون قد [٢٤/٧و] كَرُّوا راجِعِين إلى بلادِهم ، فلم يَبْعَثوا وراءَهم طالبا ولا أحَدًا ، (٣ فقَطَع رفاعةُ بمن معه الخابورَ ومَرَّ على قَرْقِيسِيا ، فبَعَث إليهم زُفَرُ بنُ الحارثِ الطعامَ والعَلَفَ والأطبَّاءَ فأقاموا ثلاثًا حتى استراحوا ثم رحلوا ٣) ، فلمَّا وَصَلوا إلى هِيتَ(٤) إذا سعدُ بنُ حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ قد أقْبَل بمَن معه(٥) مِن أهلِ المَدائِنِ قاصِدِين إلى نُصْرتِهم ، فلمَّا أخْبَروه بما كان مِن أمْرِهم ، وما حَلَّ بهم ، ونَعَوْا إليه أصحابَهم تَرَحَّموا عليهم واسْتَغْفروا لهم وتَباكَوْا على إخْوانِهم ، وانْصَرف أهلُ المَدائنِ إليها ، ورَجَع راجعةُ أهلِ الكوفةِ إليها ، وقد قُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ ، وإذا المُخْتارُ بنُ أبى عُبَيدٍ كما هو فى السِّجْنِ لم يَخْرُجْ منه بعدُ ، فكتَب إلى رِفاعةَ بنِ شَدَّادٍ يُعَزِّيه فيمَن قُتِل

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) فى الأصل : « إخوتى » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣ - ٣) سقط من : ص . وفى ٣١، ٢١، م : « لما لقوا منهم من القتل والجراح » .

(٤) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . انظر معجم البلدان ٤/ ٩٩٧.

(٥) فى الأصل، ص : « أطاعه » .

منهم، ويَتَرَحَّمُ عليهم، ويَغْبِطُهم بما نالوا مِن الشَّهادةِ، وجَزِيلِ الثَّوابِ، [1] ويقولُ: مَرْحَبًا بالذين أعْظَم اللَّهُ أُجورَهم، ورَضِىَ عنهم، واللَّهِ ما خَطَا منهم أحدٌ خُطْوةً إلا كان ثوابُ اللَّهِ له فيها أعْظَمَ مِن الدنيا وما فيها، وإن سليمانَ قد قَضَى ما عليه، وتَوَفَّاه اللَّهُ وجَعَل رُوحَه فى أرْواحِ النَّبِيِّين والشُّهداءِ والصَّالحين، وبعدُ فأنا [2] الأميرُ المأْمونُ [2]، قاتلُ الجبَّارِين والمُفْسِدِين إن شاء اللَّهُ، فأَعِدُّوا واسْتَعِدُّوا وأَبْشِروا، وأنا أَدْعُوكم إلى كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه، والطَّلَبِ بدِماءِ أهلِ البيتِ. وذَكَر كلامًا كثيرًا فى هذا المعنى [1]، وقد كان قبلَ قُدومِهم أخْبَرَ الناسَ بهَلاكِهم عن رَبِّيِّه الذى كان يَأْتى إليه مِن الشَّياطِينِ، فإنه قد كان يَأْتيه شيطانٌ فيُوحِى إليه قريبًا مما كان يُوحِى شيطانُ مُسَيْلِمةَ إليه. وكان جيشُ سليمانَ بنِ صُرَدٍ وأصحابِه يُسَمَّى بجيشِ التَّوَّابِين [3].

وقد كان **سليمانُ بنُ صُرَدٍ** [4] **الخُزاعىُّ أبو مُطَرِّفٍ الكوفىُّ** [4] صحابيًّا جَليلًا نَبِيلًا عابدًا زاهدًا، رَوَى عن النبىِّ ﷺ أحاديثَ فى «الصحيحَيْن» وغيرِهما، وشَهِد مع علىٍّ صِفِّينَ، وكان أحدَ مَن كان يَجْتَمِعُ الشِّيعةُ فى دارِه لبَيْعةِ الحسينِ، وكتَب إلى الحسينِ فيمَن كتَب بالقُدومِ إلى العراقِ، فلمَّا قَدِمها تَخَلَّوْا عنه، وقُتِل بكَرْبَلاءَ، ورَأَى هؤلاء [1] أنهم كانوا سببًا فى قُدومِه، و [1] أنهم خَذَلوه [1] حتى قُتِل هو وأهلُ بيتِه [1]، فَندِموا على ما فَعَلوا، ثم اجْتَمَعوا فى هذا الجيشِ،

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) فى مصادر التخريج: «الأمير المأمور والأمين المأمون».

(٣) انظر أنساب الأشراف ٦/ ٣٦٣، والكامل ٤/ ١٥٨.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: «الخزرجى». وانظر الاستيعاب ٢/ ٦٤٩، وأسد الغابة ٢/ ٤٤٩، والإصابة ٣/ ١٧٢.

وسَمَّوْا جيشَهم جيشَ التَّوَّابِين، وسَمَّوا سليمانَ بنَ صُرَدٍ أميرَ التَّوَّابِين، فقُتِل سليمانُ، رَضِى اللَّهُ عنه، فى هذه الوَقْعةِ بعينِ وَرْدةَ، سنةَ خمسٍ وستين. وقيل: سنةَ سبعٍ وستين. والأوَّلُ أصَحُّ. وكان عمرُه يومَ قُتِل ثلاثًا وتسعين سنةً، رَحِمه اللَّهُ.

(١) وأمّا المسيَّبُ بنُ نَجَبَةَ بنِ رَبيعَةَ الفزاريُّ(٢)، فإنه قدِم مع خالدِ بنِ الوليدِ من العِراقِ وشهِدَ فتحَ دِمَشقَ، ثم عاد إلى العراقِ وشِهدَ مع علىٍّ صفِّينَ وغيرَها، وكان أحدَ الكبارِ الذين خرجوا يطلُبون بدمِ الحسينِ، رضِى اللَّهُ عنه(١)، وحُمِل رأسُه ورأسُ سليمانَ بنِ صُرَدٍ إلى مَرْوانَ بنِ الحكمِ بعدَ الوَقْعةِ(٣)، وكتَب أُمراءُ الشامِيِّين إلى عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بما فَتَح اللَّهُ عليهم، وأظْفَرهم مِن عدُوِّهم، فخطَب الناسَ، وأعْلَمَهم بما كان مِن أمْرِ الجُنودِ ومَن قُتِل مِن أهلِ العراقِ [٧/ ٢٤ظ]، (٤)وقد قال: أهْلَكَ اللَّهُ رُءوسَ الضَّلالِ؛ سليمانَ بنَ صُرَدٍ وأصحابَه. وعَلَّق الرُّءوسَ بدِمشقَ(٤). وكان مَرْوانُ بنُ الحكَمِ قد عَهِد بالأمْرِ مِن بعدِه إلى ولدَيه؛ عبدِ الملكِ، ثم عبدِ العزيزِ، وأخَذ بَيْعةَ الأُمراءِ على ذلك فى هذه السنةِ. قاله ابنُ جَريرٍ وغيرُه(٥).

وفيها دَخَل مَرْوانُ بنُ الحكمِ وعمرُو بنُ سعيدٍ الأشْدَقُ إلى الدِّيارِ المِصْريةِ(٦)،

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٦، وتاريخ دمشق ١٦/٥١٧ مخطوط، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ ص ٢٤٨.

(٣) انظر أنساب الأشراف ٦/ ٣٧٣، وتاريخ الطبرى ٥/ ٦٠٥، والكامل ٤/ ١٨٦.

(٤ - ٤) زيادة من: ٣١، ٢١، م.

(٥) تاريخ الطبرى ٥/ ٦١٠، والكامل ٤/ ١٨٩.

(٦) تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ ص ٤٢. وأورد هذه الحادثة الطبرى فى تاريخه ٥/ ٥٤٠، وابن الأثير فى الكامل ٤/ ١٥٤، ضمن حوادث سنة أربع وستين عند كليهما.

فأَخَذاها مِن يدِ نائبِها [1] الذى كان لعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، [2] وهو [1] عبدُ الرحمنِ بنُ جَحْدَمٍ [2] ، [1] وكان سببَ ذلك أن مَرْوانَ قَصَدها ، فخرَج إليه نائبُها ابنُ جَحْدَمٍ [1] ، فقابَله مَرْوانُ ليُقاتِلَه ، فاشْتَغل به ، وخَلَص عمرُو بنُ سعيدٍ بطائفةٍ مِن الجيشِ مِن وراءِ عبدِ الرحمنِ بنِ جَحْدَمٍ ، فدَخَل مصرَ ، فمَلَكها ، وهَرَب عبدُ الرحمنِ ، ودَخَل مَرْوانُ إلى مصرَ ، فمَلَكها وجعَل عليها ولدَه عبدَ العزيزِ بنَ مرْوانَ .

وفيها بَعَث ابنُ الزبيرِ أخاه مُصْعَبًا ليَفْتَحَ له الشامَ [3] ، فبَعَث إليه مَرْوانُ عمرَو ابنَ سعيدٍ ، فتَلَقَّاه إلى فِلَسْطينَ ، فهرَب منه مُصْعَبُ بنُ الزُّبيرِ ، وكَرَّ راجعًا ، ولم يَظْفَرْ بشىءٍ ، واسْتَقَرَّ مُلْكُ الشامِ ومِصْرَ لمَرْوانَ [4] .

وفيها جَهَّز مَرْوانُ جيشَيْن [5] ؛ أحدُهما مع حُبَيْشِ بنِ دُلَجَةَ القَيْنىِّ [6] ليَأْخُذَ له المدينةَ ، وكان مِن أمْرِه ما سنَذْكُرُه ، والآخرُ مع عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ إلى العراقِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠، ص ٤٤. وأورد هذه الحادثة الطبرى فى تاريخه ٥/ ٥٤٠، وابن الأثير فى الكامل ٤/ ١٥٤، ضمن حوادث سنة أربع وستين .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وقال الواقدى : إن مروان حاصر مصر ، فخندق عبد الرحمن بن جحدم على البلد خندقا ، وخرج فى أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل فى خواص أهل البلد ، فقتل منهم خلق كثير ، وقتل يومئذ عبد اللّه بن يزيد بن معديكرب الكلاعى أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرق الناس ، وأخذوا فى دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلًا تخلفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأكيدر بن حملة اللخمى - وكان من قتلة عثمان - وذلك فى نصف جمادى الآخرة يوم توفى عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته ، فدفنوه فى داره ، واستولى مروان على مصر ، وأقام بها شهرين ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصيرٍ وزيرًا له ، وأوصاه بالإحسان إلى الأكابر ، ورجع إلى الشام » .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٦١١، والمنتظم ٦/ ٣٧، ٣٨، والكامل ٤/ ١٩٠.

(٦) فى ٢١ : « القتيى » ، وفى م : « العتيبى » .

لِيَنْتَزِعَه مِن نُوَّابِ ابنِ الزبيرِ ، فلمَّا كانوا ببعضِ الطريقِ لَقُوا جيشَ التَّوَّابين مع سليمانَ بنِ صُرَدٍ ، وكان مِن أمْرِهم ما ذكرْناه عند عينِ الوردةِ ؛ قتلوا أَكْثَرَ أصحابِ سليمانَ بنِ صُرَدٍ معه واستمروا ذاهبينَ فلمَّا كانوا بالجَزيرةِ بَلَغهم موتُ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، وكانت وَفاتُه فى شهرِ رَمَضانَ مِن هذه السنةِ ، وكان سببَ موتِه[1] أنه تَزَوَّج بأمِّ خالدٍ امرأةِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وهى أمُّ هاشمِ بنتُ هاشمِ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبيعَةَ ، وإنما أراد مَرْوانُ بتَزْويجِه إياها ليُصَغِّرَ ابنَها خالدًا فى أعْيُنِ الناسِ ، فإنه قد كان فى نُفوسِ كثيرٍ مِن الناسِ منه أن يُمَلِّكوه بعدَ أخيه معاويةَ ، فتَزَوَّج أُمَّه ليُصَغِّرَ أمْرَه ، فبينَما هو ذاتَ يومٍ داخلٌ إلى عندِ مَرْوانَ ، إذ جَعَل مَرْوانُ يَتَكَلَّمُ فيه عندَ جُلَسائِه ، فلمَّا جَلَس قال له فيما خاطَبه به : يا بنَ الرَّطْبةِ الاسْتِ . فذَهَب خالدٌ إلى أُمِّه ، فأخْبَرها بما قال له ، فقالَت : اكْتُمْ ذلك ، ولا تُعْلِمْه أنك أعْلَمْتَنى بذلك . فلما دَخَل عليها مَرْوانُ قال لها : هل ذَكَرنى خالدٌ عندَك بسُوءٍ ؟ فقالت له : وما عَساه يقولُ لك وهو يُحِبُّك ويُعَظِّمُك . ثم إن مَرْوانَ رَقَد عندَها ، فلمَّا أخَذه النومُ عَمَدَت إلى وِسادةٍ ، فوَضَعَتْها على وجهِه ، وتَحامَلَتْ عليها هى وجَوارِيها حتى مات غَمًّا[2] ، وكان ذلك فى ثالثِ شهرِ رَمضانَ سنةَ خمسٍ وستين بدِمشقَ ، وله مِن العمرِ ثلاثٌ [٧/٢٥و] وستون سنةً . [3]وقيل : إحدى وستون[3] وقيل : إحدى وثمانون سنةً . وكانت إمارتُه تسعةَ أشهرٍ . وقيل : عشَرةَ أشهرٍ إلا ثلاثةَ أيامٍ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٦١٠، ٦١١، والمنتظم ٦/ ٤٩، ٥٠، والكامل ٤/ ١٩١، ١٩٢.

(٢) مات غمًّا : من غمَّ الشىءَ ، إذا غَطّاه . فقد مات إثر تغطية وجهه والتحامل عليه . انظر المحيط (غ م م) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

وهذه تَرْجمةُ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ [1] جدّ خلفاءِ بنى أميةَ الذين كانوا بعدَه [1]

هو مَرْوانُ بنُ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافٍ القُرشىُّ الأُمَوىُّ [2] ، أبو عبدِ الملكِ ، ويقالُ [3] : أبو الحكَمِ . ويُقالُ [3] : أبو القاسمِ . صَحابىٌّ عندَ طائفةٍ كثيرةٍ ؛ لأنه وُلِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، ورَوَى عنه فى حديثِ صُلْحِ الحُدَيْبيةِ ، وفى روايةٍ فى « صحيحِ البُخارىِّ » [4] ، عن مَرْوانَ والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ، الحديثُ بطولِه . ورَوَى عن عمرَ ، وعثمانَ ، وكان كاتبَه ، وعلىٍّ ، وزيدِ بنِ ثابتٍ ، وبُسْرةَ [5] بنتِ صَفْوانَ الأَسَديةِ [6] ، وكانت حَماتَه . وقال الحاكمُ أبو أحمدَ [7] : كانَت خالتَه . ولا مُنافاةَ بينَ كونِها حَماتَه وخالتَه . ورَوَى عنه ابنُه عبدُ الملكِ ، وسهلُ بنُ سعدٍ ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، وعُروةُ بنُ الزُّبيرِ ، وعلىُّ بنُ الحسينِ زَيْنُ العابِدِين ، ومُجاهِدٌ وغيرُهم .

قال الواقدىُّ ومحمدُ بنُ سعدٍ [8] : أدْرَك النبىَّ ﷺ ، ولم يَحْفَظْ عنه شيئًا ، وكان عمرُه ثمانِىَ سنينَ حينَ تُوُفِّىَ النبىُّ ﷺ . وذكَره ابنُ سعدٍ [9] فى الطَّبَقةِ الأُولى مِن التابعِين . وقد كان مَرْوانُ مِن ساداتِ قُريشٍ وفُضلائِها .

(١ - ١) سقط من : م . وفى ٣١، ٢١: « أحد خلفاء بنى أمية » .

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٣٨٧، وأسد الغابة ٥/ ١٤٤، والإصابة ٦/ ٢٥٧.

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٣٨ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٨٧، ٣٨٨.

(٤) البخارى (٤١٧٨ - ٤١٨١) .

(٥) فى م : « بسيرة » . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٧٩٦، وأسد الغابة ٧/ ٤٠، والإصابة ٧/ ٥٣٦، وتبصير المنتبه ٤/ ١٤٩٣.

(٦) فى م : « الأزدية » .

(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٤٤ مخطوط .

(٨) الطبقات الكبرى ٥/ ٣٦، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٤٢، ٣٤٣ مخطوط .

(٩) الطبقات الكبرى ٥/ ٣٥.

رَوَى ابنُ عَساكرَ[1] وغيرُه أن عمرَ بنَ الخَطَّابِ خَطَب امرأةً إلى أُمِّها، فقال: [2]إن جريرًا البجَليَّ يخطُبُ إليكم أسْلَمَ[2]، وهو سيدُ شبابِ المَشْرِقِ، ومَرْوانُ بنُ الحكَم، وهو سيدُ شبابِ قريشٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، وهو مَن قد عَلِمْتُم، [3]وعمرُ[3]. فقالَت المرأة: أجادٌّ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم. قالت: قد زَوَّجْناك يا أميرَ المؤمنين.

وقد كان عثمانُ بنُ عَفَّانَ يُكْرِمُه ويُعَظِّمُه، وكان كاتبَ الحُكْمِ بينَ يَدَيْه، ومِن تحتِ رأسِه جَرَت قَضيةُ الدارِ، وبسببِه حُصِر عثمانُ فيها، وألَحَّ عليه أولئك أن يُسَلِّمَه إليهم، فامْتَنع عثمانُ أشَدَّ الامْتِناعِ، وقد قاتَل مَرْوانُ يومَ الدارِ قِتالًا شديدًا، وقتَل بعضَ أولئك الخَوارِجِ، وكان على المَيْسَرةِ يومَ الجَمَلِ، ويُقالُ[4]: إنه رَمَى طَلْحةَ بسهمٍ فى رُكْبتِه، فقَتَله. فاللَّهُ أعْلَمُ.

وقال [5]ابنُ عبدِ الحَكَمِ[5]: سَمِعْتُ الشافعيَّ يقولُ: كان عليٌّ يومَ الجَمَلِ حينَ انْهَزم الناسُ يُكْثِرُ السُّؤالَ عن مَرْوانَ، فقيل له فى ذلك، فقال: إنه تَعْطِفُنى عليه رَحِمٌ ماسَّةٌ، وهو سيدٌ مِن شبابِ قريشٍ.

وقال ابنُ المُبارَكِ[6]، عن جَريرِ بنِ حازمٍ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ، عن قَبِيصةَ بنِ جابرٍ، أنه قال لمُعاويةَ: مَن ترى[7] لهذا الأمْرِ مِن بعدِك؟ فقال: وأمَّا القارِئُ لكتابِ اللَّهِ، [٧/٢٥ظ] الفَقِيهُ فى دِينِ اللَّهِ، الشَّديدُ فى حُدودِ اللَّهِ،

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٣٤٤ مخطوط.

(٢ - ٢) فى النسخ: «فقالت: قد خطبها جرير بن عبد الله البجلى».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «أبو الحكم». وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وكنيته أبو عبد الله. انظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٧. والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٤٤ مخطوط، من طريق ابن عبد الحكم به. وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٧.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٤٤ مخطوط، من طريق ابن المبارك به.

(٧) فى ٣١، ٢١، م: «تركت».

فمَرْوانُ بنُ الحكَمِ . وقد اسْتَنابه على المدينةِ غيرَ مرةٍ ، يَعْزِلُه ثم يُعِيدُه إليها ، وأقام للناسِ الحَجَّ فى سنينَ مُتَعَدِّدةٍ .

وقال حَنْبلٌ[1] عن الإمامِ أحمدَ قال : يُقالُ : إنه كان عندَ مَرْوانَ قَضاءٌ ، وكان يَتَّبِعُ قَضاءَ عمرَ بنِ الخَطَّابِ .

وقال ابنُ وَهْبٍ[2] : سَمِعْتُ مالكًا يقولُ وذَكَر مَرْوانَ يومًا ، فقال : [3]قال مَرْوانُ[3] : قَرَأْتُ كِتابَ اللَّهِ منذُ أربعين سنةً ، ثم أَصْبَحْتُ فيما أنا فيه مِن هِراقةِ الدِّماءِ وهذا الشَّأْنِ .

وقال إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ[4] ، عن صَفْوانَ بنِ عَمْرٍو[5] ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيدٍ وغيرِه قال : كان مَرْوانُ إذا ذُكِر الإسْلامُ قال :

بنِعْمةِ رَبِّى لا بما قَدَّمَت يَدِى ... ولا ببَرَاتى إننى كنتُ خاطِئًا

وقال الليثُ[6] ، عن[7] يَزيدَ بنِ أبى[8] حَبيبٍ ، عن سالمٍ أبى[9] النَّضْرِ ، أنه قال : شَهِد مَرْوانُ جِنازةً ، فلما صَلَّى عليها انْصَرف ، فقال أبو هُريرةَ : أصاب قِيراطًا وحُرِم قِيراطًا . فأُخْبِر بذلك مَرْوانُ ، فأقْبل يَجْرِى قد بَدَت رُكْبتاه ، فقعَد

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٤٥ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٦/٣٥٦ مخطوط .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) المصدر السابق ١٦/٣٤٥ ، من طريق ابن عياش به .

(٥) فى م : « عمرة » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٠١.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٤٥ مخطوط ، من طريق الليث به .

(٧) فى مصدر التخريج : « بن » . وهو الليث بن سعد ، انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥، ٣٢/ ١٠٢.

(٨) سقط من : م .

(٩) فى تاريخ دمشق : « وهو » . وسالم هو سالمُ بنُ أبى أمية القرشى التيمىُّ أبو النضر ، مشهور باسمه وكنيته . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٢٧، ٣٤/ ٣٤٨.

حتى أَذِن له[1] .

ورَوَى المَدائنىُّ[2] عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ ، عن جَعْفرِ[3] بنِ محمدٍ ، أن مَرْوانَ كان أسْلَف علىَّ بنَ الحسينِ [4] حين رَجَع[4] إلى المَدينةِ بعدَ مَقْتَلِ أبيه ستةَ آلافِ دِينارٍ ، فلما حَضَرَتْه الوَفاةُ أوْصَى إلى ابنِه عبدِ الملكِ أن لا يَسْتَرْجِعَ مِن علىٍّ بنِ الحسينِ شيئًا ، فبَعَث إليه عبدُ الملكِ بذلك ، فامْتَنع مِن قَبولِها ، فألَحَّ عليه فقَبِلها .

وقال الشافعىُّ[5] : أنْبَأَنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، أن الحسنَ والحسينَ كانا يُصَلِّيانِ خَلْفَ مَرْوانَ ولا يُعِيدانِها ، ويَعْتَدَّان بها .

وقد رَوَى عبدُ الرَّزَّاقِ[6] عن الثَّوْرىِّ ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ قال : أوَّلُ مَن قَدَّم الخُطْبَةَ على الصَّلاةِ يومَ العِيدِ مَرْوانُ ، فقال له رجلٌ : خالَفْتَ السُّنَّةَ . فقال له مَرْوانُ : إنه قد تُرِك ما هنالك . فقال أبو سعيدٍ : أمَّا هذا فقد قَضَى ما عليه ، سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن رَأَى منكم مُنْكَرًا فلْيُغَيِّرْه بيدِه ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبِلسانِه ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبقلبِه ، وذلك أضعفُ الإيمانِ » .

قالوا[7] : ولَمَّا كان نائبًا بالمدينةِ كان إذا وَقَعَت مُعْضِلةٌ جمَع مَن عندَه مِن الصَّحابةِ ، فاسْتَشارهم فيها . قالوا : وهو الذى جَمَع الصِّيعانَ ، فأخَذ بأعْدَلِها ، فنُسِب إليه الصَّاعُ ، فقيل : صاعُ مَرْوانَ .

---

(١) أى حتى أذن له أبو هريرة فى الانصراف .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٤٨/١٦ مخطوط ، من طريق المدائنى به .

(٣) فى الأصل : « خضر » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٧٤.

(٤ - ٤) فى م : « حتى يرجع » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٤٩/١٦ مخطوط ، من طريق الشافعى به .

(٦) المصنف (٥٦٤٩) .

(٧) انظر الطبقات الكبرى ٥/ ٤٣، وتاريخ دمشق ٣٥٦/١٦ مخطوط .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ حَمْزةَ ، حَدَّثنى علىُّ بنُ أبى علىٍّ اللَّهَبىُّ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، عن أبيه قال : خَرَج أبو هريرةَ مِن عندِ مَرْوانَ ، فلَقِيَه قومٌ قد خَرَجوا مِن عندِه فقالوا : إنه أَشْهَدَنا الآنَ على مائةِ رَقَبةٍ أعْتَقها الساعةَ . قال : فغَمَز أبو هريرةَ [٧/٢٦و] يدى ، وقال : يا أبا سعيدٍ ، يكٌّ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ خيرٌ مِن مائةِ رَقَبةٍ . قال الزبيرُ : اليَكُّ : الواحدُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حَدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا جَريرٌ ، عن الأعْمشِ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا بَلَغ بنو أبى فلانٍ ثلاثين رجلًا اتَّخَذوا مالَ اللَّهِ دُوَلًا ، ودِينَ اللَّهِ دَخَلًا ، وعبادَ اللَّهِ خَوَلًا » .

ورَواه أبو يَعْلَى[3] ، عن زكريا بنِ [4]يحيى زَحْمُوَيْهِ[4] ، عن صالحِ بنِ عمرَ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا بَلَغ بنو الحَكَمِ ثلاثين اتَّخَذوا دِينَ اللَّهِ دَخَلًا ، وعِبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، ومالَ اللَّهِ دُوَلًا » . وقد رَواه الطَّبَرانىُّ[5] ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الوَهَّابِ ، عن أبى المُغيرةِ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، عن راشدِ بنِ سعدٍ ، عن أبى ذَرٍّ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذا بَلَغ بنو أُمَيَّةَ أربعين رجلًا » . وذَكَره ، وهذا مُنْقَطِعٌ . ورَواه العَلاءُ بنُ عبدِ الرحمنِ[6] ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ مِن قولِه : « إذا بَلَغ بنو أبى العاصِ ثلاثين رجلًا » . فذكَره .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٣٥٠، من طريق الزبير بن بكار به .

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٨.

(٣) مسند أبى يعلى (١١٥٢) .

(٤ - ٤) فى الأصل : « يحيى بن حمويه » ، وفى ٣١، ٢١: « رحمويه » ، وفى م : « زحمويه » . وانظر نزهة الألباب ١/ ٣٣٩.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٥١ مخطوط ، من طريق الطبرانى به .

(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٧. ولفظه هناك : « ثلاثين رجلًا » .

ورَواه البَيهقىُّ وغيرُه[1] مِن حديثِ ابنِ لَهِيعةَ ، عن أبى قَبِيلٍ ، عن ابنِ مَوْهَبٍ ، عن مُعاويةَ وعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « إذا بَلَغ بنو الحكَمِ ثلاثين اتَّخذوا مالَ اللَّهِ بينَهم دُوَلًا ، وعِبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، وكتابَ اللَّهِ دَغَلًا ، فإذا بَلَغوا ستةً[2] وتسعين وأربعَمائةٍ كان هَلاكُهم أسْرَعَ مِن لَوْكِ تمرةٍ » . وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَر عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ فقال[1] : « أبو الجَبابِرةِ الأرْبعةِ » . وهذه الطُّرقُ كلُّها ضَعيفةٌ .

ورَوَى أبو يَعْلَى وغيرُه[3] ، مِن غيرِ وجهٍ عن العَلاءِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فى المَنامِ أن بنى الحكَمِ يَنزُون على مِنْبرِه ويرقَون ، فأصْبَح كالمُتَغَيِّظِ ، وقال : « رأيْتُ بنى الحكَمِ يَنْزُون على مِنْبرى نَزْوَ القِرَدةِ » . فما رُئِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضاحكًا بعدَ ذلك حتى مات . ورَواه الثَّوْرىُّ[4] ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ مُرْسَلًا ، وفيه : فأُوحِىَ إليه : إنما هى دُنْيا أُعْطُوها . فقَرَّت عينُه . وهى قولُه[5] : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] . يَعْنى بَلاءً للناسِ . وهذا مُرْسَلٌ ، وسَنَدُه إلى سعيدٍ ضَعيفٌ . وقد وَرَد فى هذا المعنى أحاديثُ كثيرةٌ مَوْضوعةٌ ، فلهذا أضْرَبْنا صَفْحًا عن إيرادِها لعدمِ صحتِها .

[6]وقد كان أبوه الحكَمُ مِن أكْبرِ أعْداءِ النبىِّ ﷺ ، وإنما أسْلَم يومَ الفتحِ[6][7] ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٨.

(٢) وقع فيما تقدم : « سبعة » ، وفى دلائل البيهقى : « تسعة » .

(٣) مسند أبى يعلى (٦٤٦١) كما تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٠ ، من وجه آخر عن العلاء به .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٠.

(٥) التفسير ٥/ ٨٩، ٩٠.

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٧) انظر الاستيعاب ١/ ٣٥٩، وأسد الغابة ٢/ ٣٧، والكامل ٤/ ١٩٣، والإصابة ٢/ ١٠٤.

[1] وقَدِم الحكَمُ المدينةَ ، ثم طَرَده النبيُّ ﷺ إلى الطَّائفِ ، ومات بها ، ومَرْوانُ كان أكبرَ الأسْبابِ فى حِصارِ عثمانَ ، لأنه زَوَّر على لسانِه كتابًا إلى مِصْرَ بقتلِ أولئك الوَفْدِ ، ولما كان مُتَوَلِّيًا على المدينةِ لمُعاويةَ كان يَسُبُّ عليًّا كلَّ جُمُعةٍ على المِنْبرِ ، وقال له الحسنُ بنُ عليٍّ[2] : لقد لعَن اللَّهُ أباك الحكَمَ وأنت فى صُلْبِه على لسانِ نبيِّه ، فقال : « لعَن اللَّهُ الحكَمَ وما وَلَد » واللَّهُ أعلمُ[1] .

وقد تقَدَّم[3] أن حَسَّانَ بنَ مالكِ بنِ بَحْدَلٍ لما قَدِم عليه مَرْوانُ أرضَ الجابيةِ ، أعْجَبه إتْيانُه إليه ، فبايعَه ، [٧/٢٦ظ] وبايَع له أهلَ الأُرْدُنِّ على أنه إذا انْتَظم له الأمْرُ نَزَل عن الإمْرةِ لخالدِ بنِ يَزيدَ ، ويَكونُ لمَرْوانَ إمْرةُ حِمْصَ ، ولعمرِو بنِ سعيدٍ نِيابةُ دِمشقَ .

وكانتِ البَيْعةُ لمَرْوانَ يومَ الاثنين للنصفِ مِن ذى القَعْدةِ سنةَ أربعٍ وستين . قاله اللَّيْثُ بنُ سعدٍ وغيرُه[4] .

قال اللَّيْثُ[5] : وكانت وَقْعةُ مَرْجِ راهطٍ فى ذى الحِجَّةِ ، مِن هذه السنةِ بعدَ عيدِ النَّحْرِ بيومين .

قالوا[6] : فغَلَب الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ ، واسْتَوْسَق له مُلْكُ الشامِ ومِصْرَ ، فلما

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) قول الحسن ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٤٧/١٦ مخطوط . وأخرج البزار كما فى كشف الأستار (١٦٢٣) قول النبى ﷺ من حديث ابن الزبير . وانظر مجمع الزوائد ٥/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) تقدم فى صفحة ٦٦٩، ولكن لم يذكر المصنف هناك أن يكون لمروان إمرة حمص ولعمرو نيابة دمشق . وانظر الطبقات الكبرى ٥/ ٤١، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٥١، ٣٥٢ مخطوط .

(٤) انظر تاريخ دمشق ٣٥٢/١٦ مخطوط .

(٥) انظر المصدر السابق .

(٦) انظر الطبقات الكبرى ٤١/٥ - ٤٣، ومروج الذهب ٣/ ٨٩.

اسْتَقَرَّ مُلْكُه فى هذه البلادِ بايَع مِن بعدِه لولدِه عبدِ الملكِ ، ثم مِن بعدِه لولدِه عبدِ العزيزِ - والدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ - وتَرَك البَيْعةَ لخالدِ بنِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ ؛ لأنه كان لا يَراه أهْلًا للخِلافةِ ، ووافَقَه على ذلك حسَّانُ بنُ مالكٍ ، وإن كان خالًا لخالدِ بنِ يَزيدَ ، وهو الذى قام بأعْباءِ بَيْعةِ عبدِ الملكِ ، ثم إن أمَّ خالدٍ دَبَّرت أمْرَ مَرْوانَ فسَمَّتْه ، ويُقالُ[1] : بل وَضَعَت على وجهِه وهو نائمٌ وِسادةً ، فمات مَخْنوقًا ، ثم إنها أعْلَنَت الصُّراخَ هى وجَوارِيها وصِحْنَ : مات أميرُ المؤمنين فَجْأةً . فقام مِن بعدِه ولدُه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ فى الخلافةِ ، كما سَنَذْكُرُه .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أبى مَذْعورٍ[2] : حَدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ قال : كان آخرَ ما تَكَلَّم به مَرْوانُ : وَجَبَت الجنةُ لمن خاف النارَ . وكان نقشُ خاتَمِه : العِزَّةُ للَّهِ .

وقال الأصْمَعِىُّ[3] : حَدَّثنا عَدِىُّ بنُ أبى عُمارةَ[4] ، عن أبيه ، عن حَرْبِ بنِ زِيادٍ قال : كان نَقْشُ خاتَمِ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ : آمَنْتُ بالعزيزِ الرحيمِ .

وكانت وَفاتُه[5] بدِمشقَ عن إحْدى - وقيل : ثلاثٍ - وستين سنةً .

وقال أبو مَعْشَرٍ [6]وغيرُ واحدٍ[6] : كان عمرُه يومَ تُوُفِّىَ إحْدى وثمانين سنةً .

وقال خَليفةُ[7] : حَدَّثنى الوَليدُ بنُ هِشامٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه قال : مات

---

(١) انظر المصدرين السابقين .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٣٥٧/١٦ مخطوط .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥٧/١٦ مخطوط ، من طريق الأصمعى به .

(٤) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : «عمار» . وانظر الجرح والتعديل ٧/ ٤ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٦٢ .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٦١١ ، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٦٢ ، ٣٦٣ مخطوط ، والكامل ٤/ ١٩٢ .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر تاريخ دمشق ٣٦٢/١٦ مخطوط .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٢/١٦ مخطوط ، من طريق خليفة به .

مَرْوانُ بدِمشقَ لثلاثٍ خَلَوْنَ مِن شهرِ رَمَضانَ سنةَ خمسٍ وستين، وهو ابنُ ثلاثٍ وستين، وصَلَّى عليه ابنُه عبدُ الملكِ، وكانَتْ وِلايتُه تسعةَ أشهرٍ وثمانيةَ عشَرَ يومًا. وقال غيرُه[1]: عشَرةَ أشهرٍ.

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا وغيرُه[1]: كان قَصيرًا، أحْمرَ الوجهِ، أوْقَصَ[2]، دَقيقَ العُنُقِ، كبيرَ الرأسِ واللِّحْيةِ، وكان يُلَقَّبُ: خيطَ باطلٍ[3].

قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[4]: وذَكَر سعيدُ بنُ كَثيرِ بنِ عُفَيْرٍ، أن مَرْوانَ مات حينَ انْصَرف مِن مِصْرَ بالصِّنَّبْرَةِ[5]، ويُقالُ: بِلُدٍّ[6]. وقد قيل: إنه مات بدِمشقَ، ودُفِن بينَ بابِ الجابيةِ وبابِ الصغيرِ[7].

---

(١) انظر المصدر السابق ١٦/ ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) الأوقص: القصير العنق. انظر اللسان (و ق ص).

(٣) خيط باطل: كان يقال له ذلك لأنه كان طويلا مضطربًا. انظر ثمار القلوب للثعالبى ص ٧٦.

(٤) تاريخ دمشق ٣٦٣/١٦ مخطوط.

(٥) الصنبرة: موضع بالأردنّ مقابل لعَقَبَة أَفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. انظر معجم البلدان ٣/ ٤١٩.

(٦) لُدّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٥٤.

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م: «وكان كاتبه عبيد بن أوس وحاجبه المنهال مولاه وقاضيه أبو إدريس الخولانى وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغسانى، وكان له من الولد عبد الملك وعبد العزيز ومعاوية وغير هؤلاء، وكان له عدة بنات من أمهات شتى».

خِلافةُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ

بُويع له بالخِلافةِ فى حَياةِ أبيه ، فلما مات أبوه فى ثالثِ رَمضانَ من هذه السنةِ ، أعنى سنةَ خمسٍ [٢٧/٧و] وستين ، جُدِّدت له البَيْعةُ بدِمشقَ ومِصْرَ وأعْمالِها ، فاسْتَقَرَّت يدُه على ما كانتْ يدُ أبيه عليه ، وقد كان أبوه قبلَ وَفاتِه بَعَث بعْثَيْن ؛ أحدُهما مع عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ إلى العِراقِ ليَنْتَزِعَها مِن نُوَّابِ ابنِ الزبيرِ ، فلَقِىَ فى طَريقِه جيشَ التَّوَّابين مع سليمانَ بنِ صُرَدٍ عندَ عينِ الوَرْدةِ ، فكان مِن أمْرِهم ما تَقَدَّم ، مِن ظَفَرِه بهم ، وقَتْلِه أمِيرَهم وأكْثرَهم . والبَعْثُ الآخَرُ مع حُبَيْشِ بنِ دُلَجَةَ إلى المدينةِ ليَرْتَجِعَها مِن نائبِ ابنِ الزبيرِ ، فسار نحوَها ، فلما انْتَهَى إليها هَرَب نائبُها جابرُ بنُ الأسْودِ بنِ عوفٍ ، وهو ابنُ أخى عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، فجَهَّز نائبُ البَصْرةِ مِن قِبَلِ ابنِ الزبيرِ ، وهو الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبيعةَ ، جيشًا مِن البَصْرةِ إلى ابنِ دُلَجَةَ لِيُخرِجوه من المدينةِ فلما سَمِع بذلك حُبَيْشُ بنُ دُلَجَةَ سار إليهم ، وبَعَث ابنُ الزبيرِ عباسَ بنَ سهلِ بنِ سعدٍ نائبًا على المدينةِ ، وأمَره أن يَسِيرَ فى طَلَبِ حُبَيْشٍ ، فسار فى طَلَبِهم حتى لَحقهم بالرَّبَذةِ ، فرَمَى يزيدُ بنُ سِيَاهٍ حُبَيْشًا بسهمٍ فقتَله ، وقُتِل بعضُ أصحابِه ، وهُزِم الباقون ، وتَحَصَّن منهم خَمسُمائةٍ فى المَدينةِ ، ثم نَزَلوا على حُكْمِ عباسِ بنِ سهلٍ ، فقتَلهم صَبْرًا ، ورَجَع فَلُّهم إلى الشامِ[1] .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : ولما دَخَل يزيدُ بنُ سِيَاهٍ الأَسْوارىُّ قاتلُ حُبَيْشِ بنِ دُلَجَةَ إلى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٥/ ٦١١، ٦١٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٥/ ٦١٢.

المَدينةِ مع عباسِ بنِ سهلٍ كان عليه ثِيابُ بَياضٍ وهو راكبٌ بِرْذَوْنًا أشْهَبَ ، فما لَبِث أن اسْوَدَّت ثِيابُه ودابَّتُه مِمَّا يَتَمَسَّحُ الناسُ به ومِن كثرةِ ماصَبُّوا عليه مِن الطِّيبِ .

وقال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ اشتدَّت شَوْكةُ الخَوارِجِ بالبَصْرةِ .

وفيها قتَل نافعَ بنَ الأزْرَقِ ، [2]وهو رأسُ الخَوارِجِ ورأسُ أهلِ البَصْرةِ ، مسلمُ ابنُ عُبَيْسٍ فارسُ أهلِ البَصْرةِ ، ثم قتَله رَبيعةُ السَّلِيطىُّ[3] ، وقُتِل بينَهما نحوُ خمسةِ أُمراءَ ، وقُتِل فى وَقْعةِ الخَوارِجِ قُرَّةُ بنُ إياسٍ المُزَنىُّ أبو مُعاويةَ ، وهو مِن الصَّحابةِ[4] . ولمَّا قُتِل نافعُ بنُ الأزْرَقِ رَأَّسَت الخَوارِجُ عليهم عُبَيدَ اللَّهِ بنَ ماحوزَ[5] ، فسار بهم إلى المَدائِنِ ، فقتَلوا أهْلَها ، ثم غَلَبوا على الأهْوازِ وغيرِها ، وجَبَوُا الأمْوالَ وأَتَتْهم الأمْدادُ مِن اليَمامةِ والبحْرَيْن ، ثم ساروا إلى أصْفَهانَ ، وعليها عَتَّابُ بنُ وَرْقاءَ الرِّياحىُّ ، فالْتَقاهم فهزَمهم ، ولمَّا قُتِل أميرُ الخَوارِجِ ابنُ ماحوزَ[5] ، كما سنَذْكُرُ ، أقاموا عليهم قَطَرِىَّ بنَ الفُجاءَةِ أميرًا[2] .

ثم أوْرَد ابنُ جَريرٍ[6] قصةَ قِتالِهم مع أهلِ البَصْرةِ بمكانٍ يُقالُ له : دُولَابُ[7] . وكانَت الدَّوْلةُ للخَوارِجِ على أهلِ البَصْرةِ ، وخاف أهلُ البَصْرةِ مِن الخَوارِجِ أن

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٦١٣ - ٦١٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ خليفة ١/ ٣٢٢، ٣٢٣، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠، ص ٣١، ٤٣.

(٣) فى ا ٣، ا ٢، م : « السلوطى » . والمثبت من تاريخ خليفة .

(٤) انظر الاستيعاب ٢/ ١٢٨٠، وأسد الغابة ٤/ ٤٠٠، ٤٠١، والإصابة ٥/ ٤٣٣، ٤٣٤.

(٥) فى م : « ماجور » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٥.

(٦) تاريخ الطبرى ٥/٦١٣ - ٦١٩.

(٧) فى ا ٢: « دولاف » . ودولاب ، بضم أوله وقد يفتح : موضع بقرب الأهواز . انظر معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٣.

يَدْخُلوا البَصْرةَ ، فبَعَث ابنُ الزبيرِ ، فعزَل نائبَها عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ ، المَعْروفَ ببَبَّةَ ، بالحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبيعةَ المَعْروفِ بالقُباعِ ، وأرْسَل ابنُ الزبيرِ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ الأزْدىَّ على عَمَلِ خُراسانَ ، فلمَّا وَصَل إلى البَصْرةِ قالوا له : إن قِتالَ الخَوارِجِ لا يَصْلُحُ إلا لك . فقال : إن أميرَ المؤمنين قد بَعَثنى على خُراسانَ ، ولستُ أَعْصِى أمْرَه . فاتَّفَق أهلُ البَصْرةِ مع أميرِهم الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى رَبيعةَ على أن كتَبوا كتابًا على لِسانِ ابنِ الزبيرِ إلى المُهَلَّبِ يَأْمُرُه فيه بالمَسِيرِ للخَوارِجِ ليَكُفَّهم عن الدُّخولِ إلى البَصْرةِ ، فلما قُرِئَ عليه الكِتابُ [٢٧/٧ظ] اشْتَرط على أهلِ البَصْرةِ أن يُقَوِّىَ جيشَه مِن بيتِ مالِهم ، وأن يكونَ له ما غَلَب عليه مِن أمْوالِ الخَوارِجِ ، فأجابوه إلى ذلك ، ويُقالُ : إنهم كَتَبوا بذلك إلى ابنِ الزبيرِ ، فأمْضَى لهم ذلك وسَوَّغه . فسار إليهم المُهَلَّبُ ، وكان شُجاعًا بطَلًا صِنْديدًا ، فلما التقى هو والخَوارِجُ أقْبَلوا إليه يَزِفُّون فى عُدَّةٍ لم يُرَ مثلُها مِن الدُّروعِ والزُّرُودِ والخُيولِ والسِّلاحِ ، وذلك أن لهم مُدَّةً يَأْكُلون تلك النَّواحىَ ، وقد صار لهم تَحَمُّلٌ عَظيمٌ مع شَجاعةٍ لا تُدانَى ، وإقْدامٍ لا يُسامَى ، وقوةٍ لا تُبارَى ، وسَبْقٍ إلى حَوْمةِ الوَغَى لا يُجارى ، فلما تَواقَف الناسُ بمكانٍ يُقالُ له : سِلَّى وسِلِّبْرَى . اقْتَتلوا قتالًا شديدًا ، وصَبَر كلٌّ مِن الفريقَيْن صَبْرًا باهِرًا ، وكان المُهَلَّبُ فى نحوِ مِن ثلاثين ألفًا ، ثم إن الخَوارِجَ حَمَلوا حَمْلةً مُنْكَرةً ، فانْهَزم أصحابُ المُهَلَّبِ لا يَلْوِى والدٌ على وَلَدٍ ، ولا يَلْتَفِتُ أحدٌ إلى أحدٍ ، ووَصَل إلى البَصْرةِ فُلَّالُهم ، وأما المُهَلَّبُ فإنه سَبَق المُنْهَزِمين ، فوقَف لهم بمكانٍ مُرْتَفِعٍ من الأرضِ ، وجَعَل يُنادِى : إلىَّ عِبادَ اللَّهِ . فاجْتَمع إليه مِن جيشِه ثلاثةُ آلافٍ مِن الفُرْسانِ الشُّجْعانِ ، فقام فيهم خَطيبًا ، فقال فى خُطْبتِه : أما بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فإن اللَّهَ تعالى ربما يَكِلُ الجَمْعَ الكثيرَ إلى أنفسِهم فيُهْزَمون ، ويُنْزِلُ النَّصرَ على الجَمْعِ اليَسيرِ فيَظْهَرون ،

ولعَمْرى ما بكم الآن مِن قِلَّةٍ ، وأنتم فُرْسانُ أهلِ المصرِ وأهلُ النَّصْرِ ، وما أُحِبُّ أن أحدًا ممن انْهَزم معكم الآن ، ولو كانوا فيكم مازادوكم إلَّا خَبالًا . ثم قال : عَزَمْتُ على كلِّ رجلٍ منكم إلا أخَذ عشَرةَ أحْجارٍ معه ، ثم امْشُوا بنا إلى عَسْكرِهم ؛ فإنهم الآن آمِنون ، وقد خَرَجَت خيولُهم فى طَلَبِ إخْوانِكم ، فواللَّهِ إنى لَأَرْجو أن لا تَرْجِعَ إليهم خيلُهم حتى تَستَبيحوا عَسْكرَهم ، وتَقْتُلوا أميرَهم . ففعَل الناسُ ذلك ، فزَحَف بهم المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرةَ على عَسكرِ الخَوارِجِ ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا نحوًا مِن سبعةِ آلافٍ ، وقَتَل عُبَيدَ اللَّهِ بنَ الماحوزِ فى جماعةٍ كثيرةٍ مِن الأزارِقةِ ، واحْتاز مِن أمْوالِهم شيئًا كثيرًا ، وقد أرْصَد المُهَلَّبُ خُيولًا بينَه وبينَ الذين يَرْجِعون مِن طَلَبِ أهلِ البَصْرةِ ، فجعَلوا يُقْتَطَعون دونَ قومِهم ، وانْهَزم فَلُّهم إلى كَرْمانَ وأرضِ أصْبَهانَ ، وأقام المُهَلَّبُ بالأهوازِ حتى قَدِم مُصْعَبُ ابنُ الزبيرِ إلى البَصْرةِ ، وعزَل عنها الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبيعةَ ، كما سيأتى قريبًا .

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ وَجَّه مَرْوانُ بنُ الحكمِ قبلَ مَهْلِكِه ابنَه محمدًا إلى الجَزيرةِ ، وذلك قبلَ مَسيرِه [٧/٢٨و] إلى مِصْرَ . قلتُ : محمدُ بنُ مَرْوانَ هذا هو والدُ مَرْوانَ الحِمارِ ، وهو مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ ، وهو آخرُ خَلَفاءِ بنى أميةَ ، ومِن يدِه اسْتَلَبَ الخِلافةَ العَبَّاسيون كما سيأتى .

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ عَزَل ابنُ الزبيرِ أخاه عُبَيدةَ[2] عن إمْرةِ المدينةِ ، ووَلَّاها أخاه مُصْعَبًا ، وذلك أن عُبَيدةَ[2] خَطَب الناسَ ، فقال فى خُطْبتِه :

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٦٢٢ .

(٢) فى النسخ : « عبيد اللَّه » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٩٦، حاشية (١) .

وقد رَأَيْتُم ما صَنَع اللَّهُ بقومٍ صالحٍ فى ناقةٍ قيمتُها خمسُمائةِ درهمٍ . فلما بَلَغَت أخاه قال : إن هذا لَهو التَّكَلُّفُ وعزله ، فسُمِّىَ مُقَوِّمَ الناقةِ .

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى آخِرِها عَزَل ابنُ الزبيرِ عن الكُوفةِ عبدَ اللَّهِ بنَ يَزيدَ الخَطْمىَّ ، ووَلَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ مُطِيعٍ الذى كان أميرَ المهاجِرين[2] يومَ الحَرَّةِ ، لمَّا خَلَعوا يَزيدَ .

قال ابنُ جَريرٍ[3] : فى هذه السنةِ كان الطاعونُ الجارِفُ بالبَصْرةِ .

وقال ابنُ الجَوْزىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[4] : كان فى سنةِ أربعٍ وستين ، وقد قيل : إنما كان فى سنةِ تسعٍ وستين . وهذا هو المَشْهورُ الذى ذَكَره شيخُنا الذَّهَبىُّ وغيرُه[5] ، وكان مُعْظَمُ ذلك بالبَصْرةِ ، وكان ذلك فى ثلاثةِ[6] أيامٍ ، فمات فى أولِ يومٍ منه مِن أهلِ البَصْرةِ سبعون ألفًا ، وفى اليومِ الثانى منه أحدٌ وسبعون ألفًا ، وفى اليومِ الثالثِ منه ثلاثةٌ وسبعون ألفًا ، وأصْبَح الناسُ فى اليومِ الرابعِ مَوْتَى إلا قليلًا مِن آحادِ الناسِ ، حتى ذُكِر أنَّ أُمَّ الأميرِ بها ماتَتْ ، فلم يُوجَدْ لها مَن يَحْمِلُها ، حتى اسْتَأْجروا لها أربعةَ أنفسٍ .

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ الأَصْبَهانىُّ[7] : حَدَّثنا عُبَيدُ اللَّهِ ، ثنا أحمدُ بنُ عِصامٍ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٥/٦٢٢ .

(٢) كذا فى النسخ . وقد تقدم فى صفحة ٦١٤ أن عبد اللَّه بن مطيع كان على قريش ، وأن معقل بن سنان الأشجعى هو الذى كان على المهاجرين .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٦١٢، ٦١٣.

(٤) المنتظم ٦/ ٢٥، ٢٦.

(٥) تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠، ص ٦٦، ٦٧، وتاريخ خليفة ١/ ٣٣٦.

(٦) فى المنتظم : « أربعة » .

(٧) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٦/ ٢٥، ٢٦، من طريق أبى نعيم به .

حَدَّثنى مَعْدِىٌّ ، عن رجلٍ يُكَنَّى أبا النُّفيلِ[1] ، وكان قد أدْرَكَ زمنَ الطاعونِ ، قال : كنا نَطوفُ فى القَبائلِ ونَدْفِنُ المَوْتَى ، فلمَّا كَثُروا لم نَقْوَ على الدَّفْنِ ، فكنا نَدْخُلُ الدَّارَ ، وقد مات أهْلُها ، فنَسُدُّ بابَها . قال : فدَخَلْنا دارًا ففَتَّشْناها ، فلم نَجِدْ فيها أحدًا حيًّا فسَدَدْنا بابَها ، فلما مَضَت الطَّواعِينُ كنا نَطوفُ نَنْزِعُ تلك السُّدَدَ عن الأبْوابِ ، ففَتَحْنا سُدَّةَ البابِ الذى كنا فَتَّشْناه[2] ، فإذا نحن بغلامٍ فى وسَطِ الدارِ طَرِىٍّ دَهِينٍ ، كأنما أُخِذَ ساعتَئذٍ مِن حِجْرِ أُمِّه . قال : ونحن وُقوفٌ على الغُلامِ نَتَعَجَّبُ منه فدَخَلَت كَلْبَةٌ مِن شَقٍّ فى الحائطِ ، فجعَلَت تَلُوذُ بالغلامِ ، والغلامُ يَحْبُو إليها حتى مَصَّ مِن لبنِها . قال مَعْدِىٌّ : وأنا رأيْتُ ذلك الغلامَ فى مسجدِ البَصْرةِ ، وقد قَبَض على لحيتِه .

قال ابنُ جَريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ بَنَى عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ الكعبةَ البيتَ الحَرامَ - يَعْنى أكْمَل بِناءَها - وأدْخَل فيها الحِجْرَ ، وجعَل لها بابَيْن ، يُدْخَلُ مِن أحدِهما ، ويُخْرَجُ مِن الآخَرِ .

قال ابنُ جَريرٍ[3] : حَدَّثنا إسحاقُ بنُ أبى إسْرائيلَ ، حَدَّثنى عبدُ العزيزِ بنُ خالدِ بنِ رُسْتُمَ الصَّنْعانىُّ أبو محمدٍ ، حَدَّثنى زِيادُ بنُ جِيلٍ[4] ، أنه كان بمكةَ يومَ كان عليها ابنُ الزبيرِ ، فسمِعه[5] يقولُ : حَدَّثَتْنى أُمِّى أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعائشةَ : « لولا قُرْبُ عهدِ قَوْمِك بالكفرِ لَرَدَدْتُ الكعبةَ على

---

(١) فى م ، والمنتظم : « النفيد » ، وفى ص : « الفضل » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « أو قال الدار التى كنا سددناها وفتشناها » .

(٣) تاريخ الطبرى ٥/ ٦٢٢.

(٤) فى الأصل ، ٢١: « حبل » ، وفى ٣١، م : « جبل » ، وفى ص : « حنبل » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الجرح والتعديل ٣/ ٥٢٧، والإكمال ٢/ ٤٨.

(٥) فى النسخ : « فسمعته » . والمثبت من تاريخ الطبرى ليستقيم السياق .

أساسِ إبراهيمَ ، فأَزِيدُ فى الكعبةِ مِن الحِجْرِ » . قال : فأمَر ابنُ الزبيرِ فحَفَروا فوجَدوا قِلاعًا أمْثالَ الإبلِ ، فحَرَّكوا منها صخرةً ، فبرَقَت بَرْقةٌ[1] فقال : أَقِرُّوها على أساسِها . فبَناها ابنُ الزُّبيرِ ، وجعَل لها بابَيْن ، يُدْخَلُ مِن أحدِهما ، ويُخْرَجُ مِن الآخَرِ .

قلتُ : هذا الحديثُ له طُرُقٌ مُتَعَدِّدةٌ عن عائشةَ فى الصِّحاحِ والحِسانِ والمَسانِيدِ[2] ، ومَوْضوعُ سِياقِ طُرقِ ذلك فى كتابِ « الأحْكامِ » إن شاء اللَّهُ تعالى .

وذكَر ابنُ جَريرٍ[3] فى هذه السنةِ حُروبًا جَرَت بينَ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ بخُراسانَ ، وبينَ الحَريشِ بنِ هِلالٍ القُرَيْعِيِّ ، يَطولُ تَفْصيلُها .

قال[4] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وكان على المدينةِ مُصْعَبُ بنُ الزُّبيرِ ، وعلى الكوفةِ عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ ، وعلى البَصْرةِ الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبيعةَ المَخْزومىُّ[5] .

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « بارقة » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٩٢.

(٣) تاريخ الطبرى ٥/٦٢٣ - ٦٢٦.

(٤) المصدر السابق ٥/ ٦٢٢.

(٥) بعده فى الأصل، ٣١، ٢١، م : « وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ابن وائلٍ أبو محمدٍ السهمى ، كان من نجباء الصحابة وعلمائهم وعبادهم ، وكتب عن النبى ﷺ كثيرًا ، أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر منه إلا باثنى عشرة سنةً ، وكان واسع العلم مجتهدًا فى العبادة عاقلًا ، وكان يلوم أباه على القيام مع معاوية ، وكان رجلًا سمينًا ، وكان يقرأ الكتابين ؛ التوراة والفرقان ، وقيل : إنه بكى حتى زاغت عيناه .

وروى عنه أنه قال : دخلت على النبى ﷺ فقال لى : « يا عبد اللَّه ، ألم أُخبر أنك تكلفت قيام الليل وصيام النهار ؟ » قلت : إنى أَفعل ذلك . فقال : « حسبك أن تصوم من كل شهرٍ ثلاثة أيامٍ » . وذكر =

.....

= الحديث إلى قوله : « لا أَفضل من ذلك - يعنى صيام داود - كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، وكان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه » .

وقد ولاه معاوية مصر بعد موت أبيه . وقيل : إنه ولاه الكوفة ، ثم عزله بالمغيرة بن شعبة .

توفى هذه السنة بمصر . وقيل : بمكة . وقيل : بالشام .

أُسيد بن ظهير بن رافعٍ الأنصارى ، شهد الخندق وغيرها ، توفى بالمدينة .

عبد اللَّه بن مسعدة الفزارى له صحبة ، نزل دمشق ، وكان يدعى صاحب الجيوش ؛ لأنه كان أميرًا على غزو الروم ، وقد بعثه يزيد مقدمًا على جند دمشق فى جيش الحرة . وقيل : إنه من سبى فزارة . وأوهبه النبى ﷺ لفاطمة فأعتقته .

سعيد بن مالك بن بحدلٍ ، أخو حسان ، ولى إمرة الجزيرة وقنسرين ليزيد بن معاوية .

وكان شريفًا مطاعًا فى قومه ، وإليه ينسب دير بحدلٍ ، من عمل بيت الآبار خارج دمشق » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ستٍّ وستين

وفيها[1] وثَب المختارُ بنُ أبى عُبيدٍ الثَّقفِيُّ الكذَّابُ بالكوفةِ؛ ليأخذَ بثأرِ الحُسينِ بنِ عليٍّ - فيما يَزعُمُ - وأخْرَج منها عامِلَها عبدَ اللَّهِ بنَ مُطيعٍ؛ وكان سببَ ذلك أنَّه لمَّا رجَع أصحابُ سليمانَ بنِ صُرَدَ مَغلوبين[2] إلى الكوفةِ، وجَدوا المختارَ بنَ أبى عُبيدٍ الكذّابَ مسجونًا، فكتَب إليهم يُعزِّيهم[3] ويعِدُهم ويُمنِّيهم، وما يَعِدُهم الشيطانُ[4] إلا غُرورًا، وقال لهم فيما كتَب إليهم خِفْيَةً[5]: أبشِروا فإنِّى لو قد خرَجتُ إليكم[6] جرَّدْتُ فيما بينَ المشرقِ والمغربِ مِن أعدائِكم السيفَ، فجعَلتُهم بإذنِ اللَّهِ رُكامًا، وقتَلْتُهم فَذًّا[7] وتوْأَمًا، فرَحَّب اللَّهُ بمَن قارَب منكم[8] واهتدَى، ولا يُبعِدُ اللَّهُ إلَّا مَن أبَى وعصَى. فلمَّا وصلَهم الكتابُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٧، والكامل ٤/ ٢١١، والمنتظم ٦/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٠.

(٢) فى الأصل، ا٣١، ٢١، ص: «فعلولين».

(٣) فى ص: «يغرهم». وبعده فى م، ا٣١، ا٢: «فى سليمان بن صرد ويقول: أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين. فكتب إليه رفاعة بن شداد وهو الذى رجع بمن بقى من جيش التوابين: نحن على ما تحب فشرع المختار». وانظر ما تقدم فى ١١/ ٧٠١، ٧٠٢.

(٤) فى الأصل، ص: «الكذاب».

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٧.

(٦) فى م: «إليهم».

(٧) فى ا٣١: «أقدادا»، وفى ا٢١، م: «أفرادا».

(٨) فى م: «منهم».

قرءُوه سرًّا وردُّوا إليه : إنا كما تُحِبُّ ، فمتى أحبَبْتَ أخرَجناك مِن مَحْبِسِك[1] . فكرِه أن يُخرِجوه مِن مكانِه على وجهِ القهرِ لنُوَّابِ الكوفةِ ، فتلطَّف فكتَب إلى زوجِ أختِه صفيَّةَ - وكانتِ امرأةً صالحةً - وهو عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ ، يسألُه أن يَشفَعَ فى خروجِه مِن مَحْبِسِه عندَ نائِبَي الكوفةِ ؛ عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ[2] ، وإبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طلحةَ ، فكتَب ابنُ عمرَ إليهما يَشْفَعُ عندَهما فيه [3] فلم يُمكِنْهما ردُّه ، وكان فيما كتَب إليهما ابنُ عمرَ : قد علِمتُما ما بينى وبينَكما مِن الوُدِّ ، وما بينى وبينَ المختارِ مِن القرابةِ والصِّهْرِ ، وأنا أُقسِمُ عليكما لمَا خلَّيتُما سبيلَه ، والسلامُ[3] . فاستدعيَا به فضمِنه جماعةٌ مِن أصحابِه ، واستحْلَفه عبدُ اللَّهِ ابنُ يزيدَ إن هو بغَى للمسلمين غائلةً فعليه ألفُ بدنةٍ يَنحَرُها تُجاهَ الكعبةِ ، وكلُّ مملوكٍ له - مِن عبدٍ وأمةٍ - حرٌّ ، فالتزَم لهما بذلك ، ولزِم منزلَه ، وجعَل يقولُ : قاتلَهما اللَّهُ ، أمَّا حَلِفِى[4] باللَّهِ ، فإنِّى لا أحلِفُ على يمينٍ فأرَى غيرَها خيرًا منها إلَّا كفَّرْتُ عن يَمِينى ، وأتيتُ الذى هو خيرٌ ، وأمَّا إهدائى ألفَ بدنةٍ فيسيرٌ ، وأمَّا عِتقى مماليكى فودِدْتُ أنّه قد استتمَّ لى هذا الأمرُ ولا أملِكُ مملوكًا واحدًا .

واجتمَعَتِ الشيعةُ عليه ، وكثُر أصحابُه وبايَعوه فى السرِّ . وكان الذى يأخُذُ البيعةَ له ويُحرِّضُ الناسَ عليه خمسةً ؛ وهم السائبُ بنُ مالكٍ الأشعرىُّ ، ويزيدُ ابنُ أنسٍ ، وأحمرُ بنُ شُمَيطٍ ، ورفاعةُ بنُ [٧/ ٢٩ظ] شَدَّادٍ ، [5] وعبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادٍ[5] الجُشَمِىُّ . ولم يزَلْ أمرُه يَقْوَى ويَشتدُّ ويَستفحِلُ ويرتفِعُ ، حتى عزَل

---

(١) فى الأصل : « مجلسك » . وفى م : « محسبك » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « الخطمى » .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٤) فى م : « حلفانى » .

(٥ - ٥) سقط من : ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٩.

عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ عن الكوفةِ عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ ، وإبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طلحةَ ، وبعَث عبدَ اللَّهِ بنَ مُطِيعٍ نائبًا عليها ، وبعَث الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ نائبًا على البصرةِ .

فلمَّا دخَل عبدُ اللَّهِ بنُ مُطيعٍ المخزوميُّ إلى الكوفةِ ، فى رمضانَ سنةَ خمسٍ وستين ، خطَب الناسَ ، وقال فى خُطبتِه[1] : إنَّ أميرَ المؤْمنين عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ أمَرنى أن أسيرَ فيكم[2] بسيرةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعثمانَ بنِ عفانَ . فقام إليه السائبُ[3] بنُ مالكٍ الأشْعَرِىُّ[4] فقال[5] : لا نَرْضَى إلَّا بسيرةِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ التى سار بها فى بلادِنا ، ولا نريدُ سيرةَ عثمانَ - وتكلَّم فيه - ولا سيرةَ عمرَ ، وإن كان لا يريدُ للناسِ إلَّا خيرًا . وصدَّقه على ما قال بعضُ أمراءِ الشيعةِ ، فسكَت الأميرُ وقال : إنِّى سأسيرُ فيكم بما تُحِبُّون مِن ذلك .

وجاء صاحبُ الشُّرْطَةِ ، وهو إياسُ بنُ مُضَارِبٍ العِجْلِىُّ[6] إلى ابنِ مُطِيعٍ فقال له[7] : إنَّ هذا الذى ردَّ عليك مِن رُءوسِ أصحابِ المختارِ ، ولستُ آمَنُ[8] المختارَ ، فابعَثْ إليه فاردُدْه إلى السِّجْنِ ؛ فإنَّ عيونى قد أخبَرونى أنَّ أمرَه قد استجمَع له ، وكأنَّك به وقد وثَب بالمِصْرِ . فبعَث إليه عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعٍ زائدةَ بنَ قُدامةَ ، وأميرًا آخرَ معه ، فدخَلا على المختارِ فقالا له : أجبِ الأميرَ . فدعا بثيابِه وأمَر بإسراجِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ١٠، ١١، والكامل ٤/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) فى م، ص: «فى فيئكم».

(٣) فى الأصل: «ثابت».

(٤) فى الأصل، م، ص: «الشيعى». وفى ٣١، ٢١: «السبيعى». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ١١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) فى م: «البجلى». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٠.

(٧) الطبرى ٦/ ١١.

(٨) بعده فى م: «من».

دابَّتِه ، وتهيَّأ للذَّهابِ معهما ، فقرأ زائدةُ بنُ قُدامةَ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الآية [الأنفال : ٣٠] . فألقَى المختارُ نفسَه وأمَر بقطيفةٍ أن تُلْقَى عليه ، وأظهَر أنَّه مريضٌ ، وقال : أخْبِرَا الأميرَ بحالى ، فرجَعا إلى ابنِ مُطِيعٍ فاعتذَرا عنه ، فصدَّقهما ولَهَا عنه .

فلمَّا كان المحرَّمُ مِن هذه السنةِ عزَم المختارُ على الخروجِ لطلبِ ثأرِ[1] الحُسَينِ ، فيما يَزعُمُ . فلمَّا صمَّم[2] على ذلك اجتمعَتْ عليه[3] الشيعةُ وثبَّطُوه عنِ الخروجِ الآنَ إلى وقتٍ آخرَ ، ثم أنفَذوا طائفةً منهم إلى محمدِ ابنِ الحنَفِيَّةِ يسألونَه عن أمرِ المختارِ وما دعاهم[4] إليه ، فلمّا اجتمَعوا به كان مُلَخَّصُ ما قال لهم[5] : إنا لا نكرَهُ أنْ يَنصُرَنا اللَّهُ بمَن شاء مِن خلقِه . وقد كان المختارُ بلَغه مخرَجُهم إلى محمدِ ابنِ الحَنَفِيَّةِ ، [6]فكرِه ذلك ، وخَشِى أن يُكذِّبَه فيما أَخبَر به عنه ؛ فإنَّه لم يكُنْ بإذنِ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ[6] ، وهَمَّ بالخروجِ قبلَ رجوعِ أولئك ، وجعَل يَسْجَعُ لهم سَجْعًا مِن سَجْعِ الكُهّانِ بذلك ، ثم كان الأمرُ على مَا سجَع به . فلمَّا رجَعوا أخبَروه بما قال ابنُ الحنفيَّةِ ، فعندَ ذلك قوِى عَزْمُ[7] الشيعةِ على الخروجِ [٧/ ٣٠و] مع المختارِ ابنِ أبى عُبيدٍ .

وقد روَى أبو مِخْنَفٍ[8] أنَّ أمراءَ الشيعةِ قالوا للمختارِ : اعلَمْ أنَّ جميعَ أمراءِ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : «الأخذ بثأر» .
(٢) فى ص : «حثهم» .
(٣) فى الأصل، ص : «إليه» .
(٤) فى ٣١، ٢١، م: «دعا» .
(٥) انظر : تاريخ الطبرى ٦/١٢ - ١٥، والكامل ٤/ ٢١٤، ٢١٥.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ٣١، ٢١.
(٧) فى ٣١، ٢١، م : «أمر» .
(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/١٥ من طريق أبى مخنف بنحوه، وانظر الكامل ٤/ ٢١٥، ٢١٦.

الكوفةِ مع عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ وهم أَلْبٌ[1] علينا ، وإنَّه إنْ بايعَك إبراهيمُ بنُ الأشترِ النَّخَعيُّ وحدَه أغْنانا عن جميعِ مَن سِواه . فبعَث إليه المختارُ جماعةً مِن أصحابِه يدعُونَه إلى الدُّخولِ معهم فى الأخذِ بثأرِ الحُسَينِ ، وذكَّروه سابقةَ أبيه مع عليٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فقال : قد أجبتُكم إلى ما سألتُم ، على أن أكونَ أنا وَلِيَّ أمرِكم . فقالوا : إنَّ هذا لا يُمكِنُ ؛ لأنَّ المهْدِيَّ قد بعَث المختارَ إلينا وزيرًا له وداعيًا إليه . فسكَت عنهم إبراهيمُ بنُ الأشترِ ، فرجَعوا إلى المختارِ فأخبَروه ، فمكَث ثلاثًا ثم خرَج فى جماعةٍ مِن رءوسِ أصحابِه إليه ، فدخَل على ابنِ الأشترِ فقام له واحترَمه وأكرَمه وجلَس إليه ، فدعاه المختارُ إلى الدخولِ معهم ، وأخرَج له كتابًا على لسانِ ابنِ الحنفيَّةِ يدعوه إلى الدُّخولِ مع أصحابِه مِن الشيعةِ ، فيما قاموا فيه مِن نُصرةِ آلِ بيتِ النبيِّ ﷺ ، والأخذِ [2]بثأرِ الحسينِ[2] . فقال إبراهيمُ بنُ الأشترِ : إنَّه قد جاءتْنى كتبُ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ بغيرِ هذا النظامِ . فقال المختارُ : إنَّ هذا زمانٌ وذاك زمانٌ . فقال إبراهيمُ بنُ الأشترِ : فمَن يَشهَدُ أنَّ هذا كتابُه . فتقدَّم جماعةٌ مِن أصحابِ المختارِ فشهِدوا بذلك . فقام ابنُ الأشترِ مِن مجلسِه وأجلَس المختارَ فيه وبايَعه ، ودعا لهم بفاكِهةٍ وشرابٍ مِن عَسَلٍ .

قال الشعبيُّ[3] - [4]وكان حاضِرًا ذلك مِن أمرِهم هو وأبوه[4] : فلمَّا انصرَف المختارُ ، قال لى إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ : يا شَعْبيُّ ، وماذا ترَى فيما شهِد به هؤلاءِ ؟ فقلتُ : إنَّهم قرَّاءٌ وأمراءٌ ووجوهُ الناسِ ، ولا أراهم يشهَدون إلَّا بما يعلَمون . قال :

---

(١) الألْب ، والإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « بثأرهم » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١٧/٦ من طريق الشعبى بنحوه .

(٤ - ٤) فى م : « وكنت حاضرًا أنا وأبى أمر إبراهيم بن الأشتر ذلك المجلس » .

وكتمتُه ما فى نفسِى مِن اتِّهامِهم ، ولكنِّى كنتُ أُحِبُّ أن يَخْرُجوا للأخذِ بثأرِ الحُسَينِ ، وكنتُ على رأيِ القومِ .

ثم جعَل إبراهيمُ[1] يختلِفُ إلى المختارِ فى منزلِه هو ومَن أطاعه مِن قومِه ، ثم اتَّفق رأىُ الشيعةِ على أن يكونَ خروجُهم ليلةَ الخميسِ لأربعَ عشْرةَ ليلةً خلَت [2]مِن ربيعٍ الأولِ[2] مِن هذه السنةِ ؛ سنةِ سِتٍّ وستِّينَ .

وقد بلَغ ابنَ مُطِيعٍ أمرُ القومِ وما اشتوَروا عليه ، فبعَث الشُّرَطَ فى كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ الكوفةِ ، وألزَم كلَّ أميرٍ بحفْظِ ناحيتِه مِن أن يخرُجَ منها أحدٌ ، فلمّا كان ليلةُ الثلاثاءِ خرَج إبراهيمُ بنُ الأشترِ قاصدًا إلى دارِ المختارِ فى مائةِ رجلٍ مِن قومِه ، وعليهم الدروعُ تحتَ الأَقْبِيَةِ [٧/ ٣٠ظ] فلقِيَه إياسُ بنُ مُضاربٍ فقال له[3] : أين تريدُ يا ابنَ الأشتَرِ فى هذه الساعةِ ؟ إنَّ أمرَك لَمُريبٌ ، فواللَّهِ لا أدَعُك حتى أُحضِرَك إلى الأميرِ فيرَى فيك رأيَه . فتناوَل إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ رُمْحًا مِن يدِ رجلٍ فطعَنه به فى ثُغْرةِ نَحْرِه ، فسقَط ، وأمَر رجُلًا فاحتَزَّ رأسَه ، وذهَب به إلى المختارِ فألقاه بينَ يديْهِ ، فقال له المختارُ : بشَّرَك اللَّهُ بخيرٍ ، فهذا طائرٌ صالحٌ . ثم طلَب إبراهيمُ مِن المختارِ أن يخرُجَ فى هذه الليلةِ ، فأمَر المختارُ بالنارِ أن تُرفَعَ ، وأن يُنادَى بشعارِ أصحابِه : يا منصورُ أمِتْ ، يا ثاراتِ الحُسينِ . ثم نهَض المختارُ فجعَل يَلْبَسُ درعَه وسلاحَه وهو يقولُ[4] :

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩، ٢٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠.

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضَاءُ حَسْنَاءُ الطَّلَلْ

وَاضِحَـةُ الـخَدَّيْـنِ عَجْزَاءُ الكَفَلْ

أَنِّـى غَـدَاةَ الـرَّوْعِ مِقْـدَامٌ بطَـلْ

وخرَج بيـنَ يدَيه إبراهيمُ بنُ الأشترِ ، فجعَل يتقصَّدُ الأمراءَ الموكَّلين بنواحِى البلدِ ؛ فيطرُدُهم عن أماكنِهم واحدًا واحدًا ، ويُنادِى بشعارِ المختارِ . وبعَث المختارُ أبا عثمانَ النَّهْدِىَّ فنادَى بشعارِ المختارِ : يا ثاراتِ الحُسينِ . فاجتمَع الناسُ إليه مِن هـٰهنا وهـٰهنا ، وجاء شَبَثُ[1] بنُ رِبْعىٍّ فاقتتَل هو والمختارُ عند دارِه وحصَره حتى جاء إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ فطرَده عنه .

فرجَع شَبَثٌ إلى ابنِ مُطيعٍ ، وأشار عليه بأن يجمَعَ الأمراءَ إليه ، وأن ينهَضَ بنفسِه ؛ فإنَّ أمرَ المختارِ قد قَوِى واستفحَل ، وجاءتِ الشيعةُ مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ إلى المختارِ ، فاجتَمَع إليه فى أثناءِ الليلِ قريبٌ مِن أربعةِ آلافٍ ، فأصبَح وقد عبَّى جيشَه وصلَّى بهم الصبحَ ، فقرأ فيها : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾[2] و﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[3] فى الثانيةِ . قال بعضُ مَن سمِعه[4] : فما سمِعْتُ إمامًا أفصَحَ لهجَةً منه . وقد جهَّز ابنُ مُطيعٍ جيشًا ؛ ثلاثةَ آلافٍ عليهم شَبَثُ بنُ رِبْعىٍّ ، وأربعةَ آلافٍ أخْرَى مع راشدِ بنِ إياسَ بنِ مُضاربٍ ، فوجَّه المختارُ إبراهيمَ بنَ الأشتَرِ فى ستِّمائةِ فارسٍ وستِّمائةِ راجلٍ إلى (٥) راشدِ بنِ إياسَ ، وبعَث نُعَيمَ بنَ هُبَيرةَ فى ثلاثِمائةِ فارسٍ وستِّمائةِ راجلٍ إلى (٥) شَبَثِ بنِ رِبعىٍّ . فأمَّا إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ فإنَّه هزَم قِرنَه راشدَ

---

(١) فى الأصل ، ٢١ : « شيث » . وكذا فيما يأتى من مواضع . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠ ، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٥١ .

(٢) أى : سورة النازعات .

(٣) أى : سورة عبس .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

ابنَ إياسَ ، وقتَله وأرسَل إلى المختارِ يُبشِّرُه ، وأمَّا نعيمُ بنُ هُبَيرةَ فإنه لَقِى شَبَثَ بنَ رِبْعىٍّ فهزَمه شَبَثُ بنُ رِبعىٍّ وقتَله ، وجاء فأحاط بالمختارِ بنِ أبى عبيدٍ وحصَره ، وأقبَل إبراهيمُ بنُ الأشترِ (١ نحوَ المختارِ بنِ أبى عبيدٍ ١) ، فاعترَض له حسَّانُ بنُ فائدٍ العَبْسىُّ(٢) فى نحوٍ مِن ألفىْ فارسٍ مِن جهةِ ابنِ مُطيعٍ ، فاقتَتَلوا ساعةً ، فهزَمه إبراهيمُ ، ثم أقبَل نحوَ المختارِ ، فوجَد شَبَثَ بنَ رِبْعىٍّ قد حصَر [٧/ ٣١و] المختارَ وجيشَه ، فما زال حتى طرَدهم عنه(٣) وكَرُّوا راجعين . وخلَص إبراهيمُ إلى المختارِ ، وارتحَلوا مِن مكانِهم ذلك إلى غيرِه فى ظاهرِ الكوفةِ ، فقال له إبراهيمُ بنُ الأشترِ : اعمِدْ بنا إلى قصرِ الإمارةِ ؛ فليس دونَه أحدٌ (٤ يرُدُّ عنه ٤) . فوضَعوا ما معهم مِن الأثقالِ ، وأجلَسوا هنالك ضعَفَةَ المشايخِ والرجالِ .

واستخلَف المختارُ(٥) علَى مَن هنالك أبا عثمانَ النَّهْدِىَّ ، وبعَث بينَ يديْهِ إبراهيمَ بنَ الأشترِ ، وعبَّأ المختارُ جيشَه كما كان ، وسار نحوَ القصرِ ، فبعَث ابنُ مُطيعٍ عمرَو بنَ الحَجَّاجِ فى ألْفَىْ رجلٍ ، فبعَث إليه المختارُ يزيدَ بنَ أنسٍ ، وسار هو وابنُ الأشترِ أمامَه حتى دخَل الكوفةَ مِن بابِ الكُناسَةِ(٦) ، وأرسَل ابنُ مُطيعٍ شَمِرَ ابنَ ذى الجَوْشَنِ - (٧ الذى قتَل الحُسَينَ ٧) - فى ألفيْنِ آخريْنِ ، فبعَث إليه المختارُ سعيدَ(٨) بنَ مُنْقِذٍ الهَمَدانىَّ(٩) ، وسار المختارُ حتى انتهى إلى سِكَّةِ شَبَثٍ ، وإذا

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « نحوه » .
(٢) فى ٣١، ٢١، م : « بن العبس » . انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٧.
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .
(٥) سقط من : م .
(٦) فى ٣١: « الكباسة » . والكناسة : محلة بالكوفة . معجم البلدان ٤/ ٣٠٧.
(٧ - ٧) زيادة من : ٣١، ٢١، م .
(٨) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٢٩.
(٩) فى الأصل ، ٣١، م ، ص : « الهمدانى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٩.

نَوْفَلُ بنُ مُسَاحِقِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَخْرَمَةَ فى خمسةِ آلافٍ ، وخرَج ابنُ مُطيعٍ مِن القصرِ فى النَّاسِ ، واستخلَف عليه شَبَثَ بنَ رِبْعىٍّ ، فتقدَّم إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ إلى الجيشِ الذى مع نَوْفَلِ بنِ مُسَاحِقٍ . فهزَمهم ، وأخَذ بلِجامِ دابَّةِ ابنِ مُساحِقٍ[1] فمَتَّ إليه بالقرابةِ ، فأطلَقه ، فكان لا يَنْساها بعدُ لابنِ الأشترِ .

ثم تقدَّم المختارُ بجيشِه إلى الكُنَاسَةِ وحصَروا ابنَ مُطيعٍ بقصرِه ثلاثًا ، ومعه أشرافُ الناسِ سِوى عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، فإنَّه لزِم دارَه ، فلمّا ضاق الحالُ على ابنِ مُطيعٍ وأصحابِه استَشارَهم فأشار عليه شَبَثُ بنُ رِبْعىٍّ أن يأخُذَ له ولهم مِن المختارِ أمانًا ، فقال : ما كنتُ لأفعَلَ هذا وأميرُ المؤمنين مطاعٌ بالحجازِ وبالبصرةِ . فقال له : فإن رأيتَ أن تذهَب بنفسِك مختَفيًا حتى تلحَقَ بصاحبِك فتُخبرَه بما كان مِن الأمرِ ، وبما كان منّا فى نَصرِه وإقامةِ دولتِه . فلمّا كان الليلُ خرَج ابنُ مُطِيعٍ مختَفِيًا حتى دخَل دارَ أبى موسى الأشعرىِّ ، فلمّا أصبَح الناسُ أخَذ الأمراءُ لهم أمانًا مِن أميرِهم ابنِ الأشترِ فأمَّنهم ، فخرَجوا مِن القصرِ وجاءوا إلى المختارِ فبايَعُوه . وجاء المختارُ فدَخَل القصرَ فبات فيه ، وأصبَح أشرافُ الناسِ فى المسجدِ وعلى بابِ القصرِ ، فخرَج المختارُ إلى المسجدِ فصعِد المنبرَ فخطَب الناسَ خُطبةً بليغةً ، ثم دعا الناسَ إلى البيعةِ وقال[2] : فوالذى جعَل السماءَ سَقْفًا مكفُوفًا والأرضَ فِجَاجًا سُبُلًا ، ما بايعتُم بعدَ بيعةِ علىٍّ أهدَى منها . ثم نزَل فدخَل ودخَل الناسُ يُبايعونَه على كتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رسولِه ، والطلبِ بثأْرِ[3] الحسينِ و[3]أهلِ البيتِ ، وجاء رجُلٌ إلى المختارِ فأخبرَه أنَّ ابنَ مُطيعٍ فى دارِ [٧/ ٣١ظ] أبى موسى ،

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فكان بينهم قتال شديد قتل فيه رفاعة بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم عبد اللَّه بن سعد بن قيس وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢.

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م.

فأَراه أنَّه لا يَسمَعُ قولَه ، [1]حتى كرَّر[1] ذلك ثلاثًا [2]كلُّ ذلك يُريه أنه لا يسمعُ قولَه[2] . فسَكَت الرجلُ ، فلمَّا كان الليلُ بعَث المختارُ إلى ابنِ مُطيعٍ بمائةِ ألفِ درهمٍ وقال له : اذهَبْ فقد أُخبِرْتُ[3] بمكانِك - وكان له صديقًا قبلَ ذلك - فذهَب ابنُ مُطيعٍ إلى البصرةِ وكرِه أن يرجِعَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ وهو مغلوبٌ[4] . وشرَع المختارُ يتَحبَّبُ إلى الناسِ بحُسْنِ السِّيرةِ . ووجَد فى بيتِ المالِ تسعةَ آلافِ ألفٍ ، فأَعْطَى الجيشَ الذين حضَروا معه القتالَ نفقاتٍ كثيرةً . واستعمَل على شُرْطتِه عبدَ اللَّهِ بنَ كاملٍ الشاكرىَّ[5] ، وقرَّبَ أشرافَ الناسِ فكانوا جُلساءَه ، فشقَّ ذلك على الموالى الذين قاموا بنَصْرِه ، وقالوا لأبى عَمْرَةَ كَيْسانَ مولى عُرَيْنَةَ[6] ، وكان على حرسِه : قدَّم واللَّهِ أبو إسحاقَ العربَ وترَكَنا . فأَنْهَى ذلك أبو عَمْرةَ إليه ، فقال : بل هم مِنِّى وأنا منهم . ثم قال : ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] . فقال لهم أبو عَمْرةَ : أبشِروا فإنَّه سيَقْتُلُهم[7] ويُقرِّبُكم . فأعجبَهم ذلك وسكَتوا .

ثم إنَّ المختارَ بعَث الأمراءَ إلى النواحى والبُلدانِ [8]والأقاليمِ[8] والرَّساتيقِ ، مِن أرضِ العراقِ وخُراسانَ ، وعقَد الألويَةَ والراياتِ . وقرَّر الإمارةَ والولاياتِ ، وجعَل يجلِسُ للناسِ غُدوةً وعَشيَّةً يحكُمُ بينَهم ، فلمّا طال ذلك عليه استَقْضَى شُرَيْحًا

(١ - ١) فى م : « فكرر » .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٣) فى م : « أخذت » .

(٤) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « مغلول » .

(٥) فى النسخ : « اليشكرى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣، والكامل ٤/ ٢٧٧.

(٦) فى م : « غزينة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣.

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « سيدنيكم » .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م .

فتكلَّم فى شُرَيحٍ طائفةٌ مِن الشيعةِ ، وقالوا : إنَّه شهِد على[1] حُجْرِ بنِ عدِىٍّ ، وإنَّه لم يُبلِّغْ عن هانئِ بنِ عُرْوةَ ما[2] أرسَله به ، وقد كان علىُّ بنُ أبى طالبٍ عزَله عن القضاءِ . فلمَّا بلَغ شُرَيْحًا ذلك تمارَض ولزِم بيتَه ، فجعَل المختارُ مكانَه عبدَ اللَّهِ بنَ عُتْبَةَ بنِ مسعودٍ ، ثم عزَله وجعَل مكانَه عبدَ اللَّهِ بنَ مالكٍ الطَّائىَّ قاضيًا .

فصـلٌ

ثم شرَع المختارُ يتتبَّعُ قتَلَةَ الحسينِ مِن شريفٍ ووَضيعٍ فيقتُلُه ، وكان سببَ ذلك أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ كان قد جهَّزه مَرْوانُ بنُ الحكَمِ مِن دمشقَ ليدخُلَ الكوفةَ ، فإنْ هو ظَفِر بها فلْيُبِحْها ثلاثةَ أيامٍ ، [3]وجَعَل له ما غلَب عليه مِن البلادِ[3] ، فسار ابنُ زيادٍ قاصدًا الكوفةَ فلقِى جيشَ التوَّابين [4]بعَيْنِ الوَردةِ - كما ذكَرْنا - ثم سار[4] حتى انتهَى إلى الجزيرةِ فوجَد بها قيسَ عَيْلانَ[5] ، وهو مِن أنصارِ ابنِ الزبيرِ ، وقد كان مَرْوانُ أصاب منهم قتلَى كثيرةً يومَ مرجِ راهطٍ ، وهم أَلْبٌ عليه ، وعلى ابنِه عبدِ الملكِ مِن بعدِه ، فتعوَّق عن المسيرِ سنةً وهو محاصِرٌ[6] قيسَ عَيْلانَ[7] بالجزيرةِ ، ثم وصَل إلى الموصلِ ، فانحازَ نائبُها عنه إلى تَكْريتَ ، وكتَب

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « كما » .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « فكان من أمرهم ما تقدم ثم سار من عين وردة » .

(٥) فى الأصل ، ص : « بن غيلان » . وفى ٣١، ٢١، م : « غيلان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨، والكامل ٤/ ٢٢٨.

(٦) فى م : « فى حرب » .

(٧) فى النسخ : « غيلان » .

إلى المختارِ يعلِمُه بذلك ، فندَب المختارُ يزيدَ بنَ [٧/ ٣٢و] أنسٍ فى ثلاثةِ آلافٍ اختارها ، وقال له : إنِّى سأُمِدُّك بالرجالِ بعدَ الرجالِ . فقال له : لا تُمِدَّنى إلَّا بالدعاءِ . وخرَج معه المختارُ إلى ظاهرِ الكوفةِ فودَّعه ودعا له ، وقال له : لِيكُنْ خبرُك فى كلِّ يومٍ عندِى ، وإذا لَقِيتَ عدوَّك فناجِزْهم[(١)] ، ولا تؤخِّرْ فرصَةً .

ولمَّا بلَغ خبرُ مخرجِهم مِن الكوفةِ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ جهَّز بينَ يدَيْه سَرِيَّتَين ؛ إحداهما مع ربيعةَ بنِ مُخارقٍ ثلاثةُ آلافٍ ، والأخرى مع عبدِ اللَّهِ بنِ حَمْلةَ ثلاثةُ آلافٍ ، وقال : أيُّكم سبَق فهو الأميرُ ، وإن سبَقتما معًا فالأميرُ [(٢)]على الناسِ[(٢)] أسَنُّكما . فسبَق ربيعةُ بنُ مُخارقٍ إلى يزيدَ بنِ أنسٍ فالتَقيا فى طرَفِ أرضِ المَوْصِلِ ممَّا يلِى الكوفةَ ، فتواقَفا هنالك ، ويزيدُ بنُ أنسٍ مريضٌ مُدْنَفٌ ، وهو مع ذلك يُحرِّضُ قومَه على الجهادِ ويدُورُ على الأَرباعِ وهو محمولٌ مضْنًى [(٣)]راكبٌ على حمارٍ ، وهو يقولُ لقومِه : يا شُرْطةَ اللَّهِ ، اصبِروا تُؤْجَروا ، وقاتِلوا عدوَّكم تَظْفَروا ، ثم نزَل فوُضِع له سريرُه بينَ الصفَّينِ ، وقال لقومِه : قاتِلوا عن أميرِكم إن شئتُم أو فِرُّوا عنه[(٣)] . وقال للناسِ : إن هلَكتُ فالأميرُ على الناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ ضَمْرةَ العُذْرِىُّ[(٤)] رأسُ[(٥)] الميمنةِ ، فإن هلَك [(٦)]فسِعْرُ بنُ أبى سِعْرٍ[(٦)] رأسُ الميسرةِ . وكان وَرْقاءُ بنُ عازبٍ[(٧)] الأسَدىُّ على الخيلِ ، وهو وهؤلاء ، الثلاثةُ أمراءُ

---

(١) فى م : « فناجزك فناجزه » .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « عليكم » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١.

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « الفزارى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١.

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « وهو رأس » .

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م، ص : « فمسعر بن أبى مسعر » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١.

(٧) فى الأصل، ص : « عامر » . وفى ٣١، ٢١، م : « خالد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١.

الأَرباعِ ، وكان ذلك فى يومِ عرفةَ مِن سنةِ ستٍّ وستِّين عندَ إضاءةِ الصبحِ ، فاقتتَلوا هم والشاميون قتالًا شديدًا ، واضطرَبت كلٌّ مِن الميمنَتيْن والميسرَتيْن ، ثم حمَل وَرْقاءُ على الخيلِ فهزَمها ، وفرَّ الشاميون وقُتِل أميرُهم ربيعةُ بنُ مخارقٍ ، واحتازَ جيشُ المختارِ ما فى عسكرِهم[1] ، ورجَع فُرّارُهم فلَقَوُا الأميرَ الآخَرَ عبدَ اللَّهِ بنَ حَمْلَةَ ، فقال : ما خبرُكم ؟ فأخْبَروه ، فرجَع بهم معه وسار بهم نحوَ يَزيدَ ابنِ أنسٍ ، فانتهَى إليهم عِشاءً ، فبات الناسُ مُتَحاجِزين ، فلمَّا أصبَحوا تواقَفوا على تعبئَتِهم ، وذلك يومَ الأضحى مِن سنةِ ستٍّ وستين ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا ، فهزَم جيشُ المختارِ جيشَ الشاميين أيضًا ، وقتَلوا أميرَهم عبدَ اللَّهِ بنَ حَمْلَةَ ، واحتوَوْا على ما فى معسكرِهم ، وأسَروا منهم ثلاثَمائةِ أسيرٍ ، فجاءوا بهم إلى يزيدَ بنِ أنسٍ وهو على آخرِ رمَقٍ ، فأمَر بضَرْبِ أعناقِهم .

ومات يزيدُ بنُ أنسٍ مِن يومِه ذلك ، وصلَّى عليه خليفتُه ورقاءُ بنُ عامرٍ ودفَنه ، وسُقِط فى أيدى أصحابِه وجعَلوا يتسلَّلون راجعين إلى الكوفةِ ، فقال لهم ورقاءُ : يا قومُ ماذا تَرَوْن ؟ إنَّه قد بلَغنى أنَّ ابنَ زيادٍ قد أقبَل فى ثمانين ألفًا مِن الشامِ ، ولا أرَى لكم بهم طاقةً ، وقد هلَك [٧/ ٣٢ظ] أميرُنا وتفرَّق عنا طائفةٌ مِن الجيشِ مِن أصحابِنا ، فلو انصرَفنا راجعين إلى بلادِنا ونُظْهِرُ أنَّا إنَّما انصرَفنا حَزَنًا منَّا على أميرِنا ، لكان خيرًا لنا مِن أن نَلْقاهم فيهزمِونا ونرجعَ مغلوبين . فاتفَق رأىُ الأمراءِ على ذلك ، فرَجعوا إلى الكوفةِ .

فلمَّا بلَغ خبرُهم أهلَ الكوفةِ [2]وأنَّهم قد كرُّوا راجعين ، وبلَغهم[2] أنَّ يزيدَ بنَ أنسٍ قد هلَك ، أرجَف أهلُ الكوفةِ بالمختارِ وقالوا : قُتِل يزيدُ بنُ أنسٍ فى المعركةِ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « معسكر الشاميين » .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .

وانهزَم جيشُه ، وعمَّا قليلٍ يقدَمُ عليكم عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ فيستأْصِلُكم ويَشْتَفُّ خَضْراءَكم . ثم تمالَئوا على الخروجِ على المختارِ [1] وقالوا : هو كذابٌ ، واتفَقوا على حربِه [1] وقتالِه وإخراجِه مِن بينِ أظهُرِهم ، وقالوا : هو كذّابٌ قد قدَّم موالِيَنا على أشرافِنا ، وزعَم أنَّ محمَّدَ ابنَ الحنفيَّةِ قد أمَره بالأَخذِ بثأرِ الحسينِ ، وهو لم يأمُرْه بشيءٍ ، وإنَّما هو مُتَقَوِّلٌ عليه . وانتظَروا بخروجِهم عليه أن يخرُجَ مِن الكوفةِ إبراهيمُ بنُ الأَشترِ فإنَّه قد عيَّنه المختارُ أن يخرُجَ فى سبعةِ آلافٍ للقاءِ ابنِ زيادٍ [2] ، فلمَّا خرَج إبراهيمُ بنُ الأشترِ اجتمَع أشرافُ الناسِ ممَّن كان فى جيشِ قتلةِ الحسينِ وغيرِهم فى دارِ شَبَثِ بنِ رِبْعِيٍّ ، وأجْمَعوا أمرَهم على قتالِ المختارِ ، ثم وثَبوا فركِبتْ كلُّ قبيلةٍ مع أميرِها فى ناحيةٍ مِن نواحى الكوفةِ ، وقصَدوا قصرَ الإمارةِ ، وبعَث المختارُ عمرَو بنَ توبةَ [3] بريدًا إلى إبراهيمَ بنِ الأَشترِ ليرجِعَ إليه سريعًا ، وبعَث المختارُ إلى أولئك يقولُ لهم : ماذا تنقِمون ؟ فإنِّى أُجيبُكم إلى جميعِ ما تطلُبون . وإنَّما يُريدُ أن يثبِّطَهم عن مناهضتِه حتى يقدَمَ إبراهيمُ بنُ الأَشترِ ، وقال : إنْ كنتم لا تُصدِّقونى فى أمرِ محمدِ ابنِ الحنفيةِ فابعَثوا مِن جهتِكم وأبعَثُ مِن جهتى مَن يسأَلُه عن ذلك . ولم يزَلْ يُطاوِلُهم حتى قدِم إبراهيمُ بنُ الأَشترِ بعدَ ثلاثٍ ، فانقسَم هو والناسُ فِرْقَتين ، فتكفَّل المختارُ بأهلِ اليمنِ ، وتكفَّل إبراهيمُ بنُ

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) بعده فى الأصل : « وقال له سر حتى تلقى جيش ابن أنس فردهم معك وسر بهم حتى تلقى عدوك عبيد الله بن زياد فناجزه فخرج بن الأشتر بمجموعه فلما بلغ ساباط جاءه كتاب المختار يأمره بالرجوع فرجع وكان المختار قد حصن قصر الإمارة واستعد للقتال وخرج أولئك الذين اتفقوا على قتاله فعسكروا بجبانة السبيع وهم شبث بن ربعى وشمر بن ذى جوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب الخثعمى وزحر بن قيس الجعفى وإسحاق بن محمد بن الأشعث وبشر بن جرير وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج الزبيدى وغيرهم » .

(٣) فى الأصل ، ص : « ثوبة » ، وفى ص : « بويه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٦ .

الأَشترِ بمُضَرَ[1] وعليهم شَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ ، وكان ذلك بإشارةِ [٧/ ٣٣و] المختارِ ، حتى لا يتولَّى ابنُ الأَشترِ النَّخَعِيُّ قتالَ[2] قومِه مِن أهلِ اليمنِ فيحنُوَ عليهم ، وكان المختارُ شديدًا عليهم .

ثم اقتتَل الناسُ فى نواحى الكوفةِ قتالًا عظيمًا ، وكثُرتِ القتلَى بينَهم مِن الفريقَين ، وجرَت فصولٌ وأحوالٌ حربيةٌ يطولُ استقصاؤُها ، وقُتِل جماعةٌ مِن الأشرافِ ؛ منهم عبدُ الرحمنِ بنُ سعيدِ بنِ قيسٍ الكندىُّ[3] ، وسبعُمائةٍ وثمانون رجلًا مِن قومِه ، وقُتِل مِن مُضَرَ بضعةَ عَشَرَ رجلًا ، ويُعرَفُ هذا اليومُ بجَبّانةِ السَّبِيعِ . وكان ذلك يومَ الأربعاءِ لستٍّ بقِين مِن ذى الحِجةِ سنةَ ستٍّ وستِّين ، ثم كانتِ النُّصرةُ للمختارِ عليهم ، وأسَر منهم خمسَمائةِ أسيرٍ ، فعُرِضوا على المختارِ فقال : انظُروا مَن كان منهم شهِد مقتلَ الحسينِ فاقتُلوه . فقُتِل منهم مائتان وأربعون رجلًا ، وقتَل أصحابُه منهم مَن كان يُؤْذِيهم ويُسىءُ إليهم بغيرِ أمرِ المختارِ ، ثم أطلَق الباقين ، وهرَب عمرُو بنُ الحجّاجِ الزُّبيدىُّ ، وكان ممَّن شهِد قتلَ الحسينِ فلا يُدرَى أين ذهَب مِن الأرضِ .

ذكرُ مقتلِ شَمِرِ بنِ ذى الجَوْشَنِ، أميرِ السَّرِيَّةِ التى قتَلتْ حُسينًا

وهَرَبِ أشرافِ الكوفةِ إلى البصرةِ إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ . وكان ممَّن هرَب

---

(١) فى ٣١، ٢١، ص : « بمصر » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧.

(٢) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٣) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦: « الهمدانى » .

لقصدِه شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ - قبَّحه اللَّهُ - فبعَث المختارُ[1] فى أَثَرِه غلامًا له يُقالُ له : زَرْبىٌّ[2] . فلمَّا دنا منه قال شَمِرٌ لأصحابِه : تقدَّموا وذرونى وراءَكم بصفةِ أنَّكم قد هرَبتُم[3] وترَكْتمونى حتى يطمَعَ فىَّ هذا العِلْجُ . فساقوا وتأخَّر شَمِرٌ ، فأدرَكَه زَرْبىٌّ فعطَف عليه شَمِرٌ ، فدقَّ ظهرَه فقتَلَه ، وسار شَمِرٌ وترَكه ، وكتَب كتابًا إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ وهو بالبصرةِ يُنذِرُه بقُدومِه عليه ، ووِفادتِه إليه ، وكان كلُّ مَن فرَّ مِن هذه الوقعةِ يهرُبُ إلى مصعبٍ بالبصرةِ ، وبعَث شَمِرٌ الكتابَ مع عِلْجٍ مِن علوجِ قريةٍ قد نزَل عندَها يُقالُ لها : الكَلْتانِيَّةُ[4] . عند نَهْرٍ إلى جانبِ تلٍّ هناك ، فذهَب ذلك العِلْجُ فلقِيَه عِلْجٌ آخَرُ فقال له : إلى أين تذهَبُ ؟ قال : إلى مصعبٍ . قال : ممَّن ؟ قال : مِن شَمِرٍ . فقال : اذهَبْ معى إلى سيِّدى . وإذا سيِّدُه أبو عَمْرةَ أميرُ حرسِ المختارِ ، وهو قد ركِب فى طلبِ شَمِرٍ ، فدلَّه العِلْجُ على مكانِه فقصَده أبو عَمْرةَ . وقد أشارَ أصحابُ شَمِرٍ عليه أن يتحوَّلَ مِن مكانِه ذلك فقال لهم : هذا كلُّه فَرَقٌ مِن الكذّابِ ، واللَّهِ لا أرتحِلُ مِن هـٰهنا إلى ثلاثةِ أيامٍ حتى أَمْلَأَ قُلوبَهم رُعْبًا ، فلمَّا [٥/ ٣٣ظ] كان الليلُ كابَسهم أبو عَمْرةَ فى الخيلِ ، فأعْجَلهم أن يَرْكَبوا أو يَلْبَسوا أسْلِحتَهم ، وثار إليهم شَمِرُ بنُ ذى الجَوْشَنِ فطاعَنَهم برُمْحِه وهو عُرْيانٌ ، ثم دخَل خيمتَه ، فاسْتَخْرَج منها سيفًا ، وهو يقولُ[5] :

---

(١) انظر الخبر فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢ وما بعدها ، والكامل ٤/ ٢٣٦.

(٢) فى الأصل ، ٣١، م : « زرنب » ، وفى ا ٢: « زربن » ، وفى ص : « دزيب » ، وكذا فيما يأتى من مواضع . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢. وانظر الكامل ٤/ ٢٣٦.

(٣) فى الأصل : « ذهبتم » .

(٤) فى م ، ص : « الكلبانية » . والكلتانية: ما بين السوس والصيمرة . انظر معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.

(٥) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤، والكامل ٤/ ٢٣٧.

نَبَّهْتُمُ لَيثَ عَرِينٍ باسِلا جَهْمًا مُحيَّاهُ يدُقُّ الكاهِلا
لم يُرَ يومًا عن عدُوٍّ ناكِلا إلا كذا[1] مقاتِلًا أو قاتِلا
* يُرْحِهُمُ[2] ضربًا ويُرْوِى العامِلا[3] *

ثم ما زال يُناضِلُ عن نفسِه حتى قُتِل ، فلمَّا سَمِع أصحابُه ، وهم مُنْهَزِمون ، صوتَ التَّكْبيرِ وقولَ أصحابِ المُخْتارِ : اللَّهُ أكبرُ ، قُتِل الخَبِيثُ . عَرَفوا أنه قد قُتِل ، قَبَّحه اللَّهُ .

قال أبو مِخْنَفٍ ، عن يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ قال[4] : ولمّا خرَج المُخْتارُ مِن جَبَّانةِ السَّبيعِ ، وأقْبَل إلى القَصْرِ - يعنى[5] مُنْصَرَفَه مِن القِتالِ - ناداه سُراقةُ بنُ مِرْداسٍ بأعْلى صوتِه ، وكان فى الأسْرَى :

امْنُنْ علىَّ اليومَ يا خيرَ مَعَدّْ وخيرَ مَن حَلَّ بِشِحْرٍ[6] والجَنَدْ[7]
* وخيرَ مَن [8]لَبَّى وصام[8] وسَجَدْ *

قال : فبعَثه إلى السجنِ ، فاعْتَقَله ليلةً ، ثم أطْلَقَه مِن الغدِ ، فأقْبَل إلى المُخْتارِ ، وهو يقولُ :

---

(١) فى ٣١، م : « أنحر » ، وفى ٢١ : « فكن » .
(٢) فى النسخ : « يزعجهم » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٣) فى ٣١، ٢١ : « الكاهلا » .
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٥٤/٦ من طريق أبى مخنف به .
(٥) فى الأصل : « بعد » .
(٦) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « بسبح » . والشِّحْر : ساحل اليمن . تاج العروس (ش ح ر) .
(٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١ : « بالجند » . وفى ص : « فالحيد » . والجند : مدينة باليمن بين عدن وتعز . تاج العروس (ج ن د) .
(٨ - ٨) فى تاريخ الطبرى : « حيا ولبى » .

أَلَا أخبِرْ[1] أبا إسحاقَ أنَّا نَزَوْنا نَزْوةً كانت علينا
خرَجْنا لا نَرَى الضُّعفاءَ شيئًا وكان خُروجُنا بَطَرًا وحَيْنَا[2]
نَراهم فى مَصافِهِمُ[3] قليلًا وهم مثلُ الدَّبا[4] حينَ الْتَقَيْنا
برَزْنا إذ رأَيْناهم فلمَّا رَأَيْنا القومَ قد بَرَزوا إلينا
رَأَيْنا منهمُ ضَرْبًا وطَحْنًا[5] وطَعْنًا صائبًا حتى انْثَنَيْنا[6]
نُصِرْتَ على عدوِّكَ كلَّ يومٍ بكلِّ كَتيبةٍ تَنْعَى حُسينَا
كنصرِ محمدٍ فى يومِ بدرٍ ويومِ الشِّعْبِ إذ لاقَى حُنينَا
فأَسْجِحْ إذ مَلَكْتَ فلو مَلَكْنا لجُرْنا فى الحُكومةِ واعْتَدَيْنا
تقَبَّلْ تَوْبةً منى فإنِّى سأَشْكُرُ إذ جَعَلْتَ النقدَ[7] دَيْنَا

وجعَل سُراقةُ بنُ مِرْداسٍ يَحْلِفُ أنه رأَى المَلائكةَ تقاتِلُ[8] على الخُيولِ البُلْقِ[9] بينَ السماءِ والأرضِ ، وأنه لم يَأْسِرْه إلا واحدٌ مِن أولئك المَلائكةِ ، فأمَره المُخْتارُ أن يَصْعَدَ المِنْبرَ فيُخْبِرَ الناسَ بذلك . فصَعِد المنبرَ فأَخْبَر الناسَ بذلك ، فلمَّا نَزَل خَلا به المُخْتارُ ، فقال له[10] : [٧/ ٣٤و] إنى قد عَرَفْتُ أنك لم تَرَ المَلائكةَ ، وإنما أرَدْتَ

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤: «أبلغ».
(٢) فى م: «شينا». والحين: الهلاك.
(٣) المصاف؛ بفتح الميم وتشديد الفاء: جمع مصف؛ وهو موضع الحرب الذى يكون فيه الصفوف. وتخفف الفاء هنا لضرورة الشعر. ويجوز أن تقرأ على الإفراد «فى مصفِّهم» وحينئذ لا ضرورة.
(٤) فى ا ٣: «الثرا»، وفى ا ٢، م: «الربا»، وفى ص: «الدياجير». والدبى: أصغر الجراد والنمل. القاموس المحيط (د ب ى).
(٥) فى الأصل، ا ٣، ا ٢، ص: «طلحنا»، وفى تاريخ الطبرى: «طلحفا».
(٦) فى الأصل، ا ٣، ا ٢، ص: «انتهينا».
(٧) فى الأصل، ا ٣، ا ٢، ص: «العقد»، وفى م: «العفو». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤، والكامل ٤/ ٢٣٨.
(٨) سقط من: م، ص.
(٩) البُلْق، واحدتها أبلق: وهو الفرس فيه سواد وبياض.
(١٠) بعده فى الأصل، ص: «فيما بينه وبينه». انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥.

بقولِك هذا أنِّى لا أَقْتُلُك ، [1]ولسْتُ أَقْتُلُك فاذْهَبْ[1] حيث شئتَ ؛ لا[2] تُفْسِدْ علىَّ أصْحابى . فذَهَب سُراقةُ إلى البَصْرةِ إلى مُصْعَبِ بنِ الزبيرِ ، وجعَل يقولُ :

أَلَا أبلِغْ[3] أبا إسحاقَ أنِّى ... رأيْتُ البُلْقَ دُهْمًا مُصْمِتاتِ
كَفَرْتُ بوَحْيِكم وجعَلْتُ نَذْرًا ... علىَّ قتالَكم حتى المَماتِ
رأَت عيناىَ ما لم تُبْصِراه[4] ... كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا أقولُ لهم كذَبْتُم ... وإن خَرَجوا لَبِسْتُ لهم أَداتى

قالوا[5] : ثم خَطَب المُخْتارُ أصحابَه ، فحرَّضهم فى خُطْبتِه تلك على تَتَبُّعِ[6] مَن قتَل الحسينَ مِن أهلِ الكوفةِ المُقِيمين بها ، فقال[7] : [8]ما دِينُنا ترْكُ قومٍ[8] قَتَلوا حُسينًا يَمْشون فى الدنيا أحْياءً آمِنين ، بئس ناصرُ آلِ محمدٍ ، إنى إذًا كَذَّابٌ كما سَمَّيْتُمونى أنتم ، فإنى باللَّهِ أَسْتَعِينُ عليهم ، فالحمدُ للَّهِ الذى جَعَلنى سيفًا أَضْرِبُهم[9] ، ورُمْحًا أَطْعَنُهم[9] ، وطالبَ وَتْرِهم[10] ، والقائمَ بحقِّهم ، وإنه كان حَقًّا على اللَّهِ أن يَقْتُلَ مَن قَتَلهم ، وأن يُذِلَّ مَن جَهِل حقَّهم ، فسَمُّوهم ثم اتَّبِعوهم حتى تَقْتُلوهم ، فإنه لا يَسوغُ لىَ الطَّعامُ والشَّرابُ حتى أُطَهِّرَ الأرضَ

(١ - ١) فى ص : « ولكن اذهب » .
(٢) فى ٣١، ٢١، م : « لئلا » .
(٣) فى ٣١، ٢١، م : « أخبر » .
(٤) يرويه النحويون : أُرِى عينىَّ مالَم تَرأَياهُ . انظر الخصائص ٣/ ١٥٣، وديوانه سراقة ص ٧٨.
(٥) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٧، والكامل ٤/ ٢٣٩.
(٦) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٧) فى م : « فقالوا » .
(٨ - ٨) فى م ، ص : « ما ذنبنا نترك أقواما » .
(٩) بعده فى الأصل ، ص : « به » .
(١٠) الوَتْر : الجناية التى يجنيها الرجل على غيره من قتل وغيره .

منهم ، وأنْفِىَ مَن فى المِصْرِ منهم . ثم جعَل يَتَتَبَّعُ مَن [1] فى الكوفةِ منهم [2] وكانوا يَأْتون بهم [1] حتى يُوقَفوا بينَ يدَيه فيَأْمُرَ بقَتْلِهم على أنْواعٍ مِن القِتْلاتِ مما يُناسِبُ ما فعَلوا ؛ ومنهم مَن حَرَّقه بالنارِ ، ومنهم مَن قَطَّع أطْرافَه وترَكه حتى مات ، ومنهم مَن يُرْمَى بالنِّبالِ حتى يَموتَ ، فأتَوْه بمالكِ بنِ بَشيرٍ [3] ، فقال له المُخْتارُ : أنت الذى نَزَعْتَ بُرنُسَ الحسينِ عنه ؟ فقال : خرَجْنا ونحن كارهون ، فامْنُنْ علينا . فقال : اقْطَعوا يدَيه ورجلَيه . ففعَلوا به ذلك ، ثم ترَكوه يَضْطَرِبُ حتى مات ، وقَتَل عبدَ اللَّهِ بنَ أَسِيدٍ الجُهَنىَّ وغيرَه شَرَّ قِتْلةٍ .

مَقْتَلُ خَوْلىّ بنِ يزيدَ الأَصْبَحىّ الذى احْتَزَّ رأسَ الحسينِ ، رَضِى اللَّهُ عنه

بعَث [4] إليه المُخْتارُ أبا عَمْرةَ صاحبَ حَرَسِه ، فكبَس بيتَه ، فخرَجَت إليهم امرأتُه ، فسألَوها عنه ، فقالت : لا أدْرِى أين هو . وأشارَتْ بيدِها إلى المكانِ الذى هو مُختَفٍ فيه ، وكانت تُبْغِضُه مِن ليلةِ قَدِم برأسِ الحسينِ معه إليها ، وكانت تَلومُه على ذلك ، واسمُها العَيُوفُ [5] بنتُ مالكِ بنِ نهارِ بنِ عَقْرَبٍ الحضرمىِّ ، فدَخَلوا عليه فوجَدوه قد وَضَع على رأسِه قَوْصَرَّةً [6] ، فحمَلوه إلى المُخْتارِ ، فأمَر بقتلِه قريبًا مِن دارِه ، وأن يُحْرَقَ بعد ذلك .

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « ذكر له منهم وهو بالكوفة فيؤتون » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ا ٢ : « شير » ، وفى م : « بشر » ، وفى تاريخ الطبرى ٦/ ٥٧ : « النسير » . انظر الكامل ٤/ ٢٣٩.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٩، ٦٠.

(٥) فى ا ٣، م : « العبوق » .

(٦) القوصرة : وعاء للتمر من قصَب . الوسيط (ق ص ر) .

وبعَث المُخْتارُ إلى حَكيمِ بنِ فُضَيْلٍ السِّنْبِسِيِّ - وكان قد سَلَب العباسَ بنَ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ يومَ قُتِل الحسينُ - فأُخِذ، فذَهَب أهلُه إلى عَدِيِّ بنِ حاتمٍ، فرَكِب ليَشْفَعَ فيه عندَ المُخْتارِ، فخشِى [٧/ ٣٤ظ] أولئك (١الذين أخَذوه١) أن يَسْبِقَهم عَدِيٌّ إلى المُخْتارِ فيُشَفِّعَه فيه، فقتَلوا حَكِيمًا قبلَ أن يَصِلَ إلى المختارِ، فدَخَل عديٌّ، فشَفَع فيه فشَفَّعه فيه، فلمَّا رَجَعوا وقد قَتَلوه شَتَمهم عديٌّ، وقام مُتَغَضِّبًا عليهم، وقد تَقَلَّد مِنَّةَ المُخْتارِ. وبعَث المُخْتارُ إلى (٢زيدِ بنِ رُقَادٍ٢)، وكان قد قَتَل عبدَ اللَّهِ بنَ مسلمِ بنِ عَقيلٍ، فلمَّا أحاط الطَّلَبُ بدارِه خرَج فقاتَلهم فرَمَوْه بالنَّبْلِ والحِجارةِ حتى سَقَط، ثم حَرَّقوه وبه رَمَقُ الحَياةِ، وطَلَب المُخْتارُ سِنانَ بنَ أنسٍ، الذى كان يَدَّعى أنه قَتَل الحسينَ، فوَجَدوه قد هَرَب إلى البَصْرةِ، (٣فأمَر بدارِه فهُدِمت. فهكذا صنَع بكلِّ مَن هرَب مِن هؤلاء إلى البصرةِ٣) أو الجزيرةِ، فهُدِمَت دارُه. وكان محمدُ بنُ الأشْعَثِ بنِ قيسٍ ممّن هَرَب إلى مُصْعَبٍ، فأمَر المُخْتارُ بهَدْمِ دارِه، وأن يُبْنَى بها دارُ حُجْرِ بنِ عَدِيٍّ التى كان زِيادٌ هدَمها.

مَقْتَلُ عمرَ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ أميرِ الجيشِ الذين قَتَلوا الحسينَ

(٤قال الواقدىُّ(٥) : كان سعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، جالسًا ذاتَ يومٍ؛٤)

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) فى م: «يزيد بن ورقاء».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) لم نجده عن الواقدى، وقد أخرجه بنحوه، عن أبى المنذر، ابن أبى الدنيا فى كتابه «مجابو الدعوة» ٧٣، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٣/ ٢٢٠ - ٢٢١ (مخطوط)، والمزى فى تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥٨.

(١) إذ جاء غُلامٌ له ، ودَمُه يَسِيلُ على عَقِبَيْه ، فقال له سعدٌ : مَن فعَل بك هذا ؟ فقال : ابنُك عمرُ . فقال سعدٌ : اللهم اقْتُلْه وأَسِلْ دمَه . وكان سعدٌ مُسْتَجابَ الدَّعْوةِ ، فلمَّا ظهَر[٢] المُخْتارُ على الكوفةِ اسْتَجار عمرُ بنُ سعدٍ بعبدِ اللَّهِ بنِ جَعْدةَ ابنِ هُبَيْرةَ ، وكان صَديقًا للمُخْتارِ مِن قَرابتِه مِن عليٍّ ، فأَتَى المُخْتارَ فأخَذ منه لعمرَ ابنِ سعدٍ أمانًا ؛ مَضْمونُه أنه آمِنٌ على نَفْسِه وأهلِه ومالِه ما أطاع ولَزِم رَحْلَه ومِصْرَه ، ما لم يُحْدِثْ حَدَثًا ، وأراد المُخْتارُ ما لم يَأْتِ الخَلاءَ فيَبولَ أو يَغوطَ . ولمَّا بَلَغ عمرَ بنَ سعدٍ أن المختارَ يُرِيدُ قَتْلَه خرَج مِن مَنْزِلِه ليلًا يُرِيدُ السفرَ نحوَ مُصْعَبٍ أو عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فنَمَى للمُخْتارِ بعضُ مَواليه ذلك . فقال المُخْتارُ : وأيُّ حَدَثٍ أعْظَمُ مِن هذا ؟ وقيل : إن مَوْلاه قال له ذلك ، وقال له : تَخْرُجُ مِن منزِلِك ورَحْلِك ؟ ارْجِعْ . فرَجَع . ولمَّا أصْبَح بعَثَ إلى المُخْتارِ يقولُ له : هل أنت مُقِيمٌ على أمانِك ؟ وقيل : إنه أتَى المُخْتارَ يَتَعَرَّفُ منه ذلك ، فقال له المُخْتارُ : اجْلِسْ . وقيل : إنه أرْسَل عبدَ اللَّهِ بنَ جَعْدةَ إلى المختارِ يقولُ له : هل أنت مُقيمٌ على أمانِك له ؟ فقال له المُخْتارُ : اجْلِسْ . فلما جَلَس قال المختارُ لصاحبِ حرسِه : اذْهَبْ فأْتِنى برأسِه . فذَهَب إليه فقَتَله ، وأتاه برأسِه[١] .

(٣) وفى روايةٍ[٤] أن المختارَ قال[٣] ليلةً : لأَقْتُلَنَّ غدًا رجلًا عَظيمَ القدَمَيْن ، غائرَ العَيْنَيْن ، مُشْرِفَ الحاجبَيْن ، يُسَرُّ بقتلِه المؤمنون والمَلائكةُ المُقَرَّبون . وكان الهَيْثَمُ ابنُ الأسْودِ حاضرًا ، فوَقَع فى نفسِه أنه أراد عمرَ بنَ سعدٍ ، فبعَث إليه ابنَه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « خرج » .

(٣ - ٣) فى ص : « قال المختار » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠، والكامل ٤/ ٢٤١.

العُريانَ[1] ، فأنْذَره ، فقال : كيف يكونُ هذا بعدَما أعْطانى مِن العُهودِ والمَواثِيقِ ؟ وكان المُخْتارُ حينَ قَدِم الكوفةَ أحْسَنَ [٧/ ٣٥و] السِّيرةَ إلى أهلِها أولًا ، وكتَب لعمرَ بنِ سعدٍ كتابَ أمانٍ إلَّا أن يُحْدِثَ حَدَثًا . قال أبو مِخْنَفٍ[2] : وكان أبو جعفرٍ الباقرُ يقولُ : إنما أراد المُخْتارُ إلَّا أن يَدْخُلَ الكَنيفَ فيُحْدِثَ فيه . ثم إنَّ عمرَ ابنَ سعدٍ قَلِق أيضًا ، ثم جعَل يَتَنَقَّلُ مِن مَحَلَّةٍ إلى مَحَلَّةٍ ، ثم صار أمْرُه أنه رَجَع إلى دارِه ، وقد بَلَغ المُختارَ انتقالُه مِن مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ فقال : كلَّا واللَّهِ إن فى عُنُقِه سِلْسِلةً تَرُدُّه لو جهِد[3] [4]أن يَنْطَلِقَ ما اسْتطَاع . ثمَّ أصبَح فبعَث إليه أبا عَمْرةَ فدَخل عليه ، فقال : أَجِبِ الأَميرَ . فقَام عُمَرُ[4] ، فعثَر فى جُبَّتِه ، فضرَبه أبو عَمْرةَ بالسيفِ حتى قَتَله ، وجاء برأسِه فى أسفلِ قَبائِه حتى وَضَعه بينَ يدَيِ المُخْتارِ ، فقال المُخْتارُ لابنِه حفصِ بنِ عمرَ - وكان جالسًا عندَ المُخْتارِ[5] : أتَعْرِفُ هذا الرأسَ ؟ فاسْتَرْجَع وقال : نعم ولا خيرَ فى العيشِ بعدَه . فقال : صَدَقْتَ ، ثم أمَر به[6] فضُرِبَت عنقُه ، ووُضِع رأسُه مع رأسِ أبيه ، ثم قال المُخْتارُ : هذا بالحسينِ ، وهذا بعلىِّ بنِ الحسينِ الأكبرِ ، ولا سَواءَ ، واللَّهِ لو قتَلْتُ به ثلاثةَ أرْباعِ قريشٍ ما وَفَّوْا أُنْمُلةً مِن أناملِه . ثم بَعَث المختارُ برأسَيْهما إلى محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ ، وكتَب إليه كتابًا فى ذلك[7] :

---

(١) فى م : « الغرثان » .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ٦١ به .

(٣) فى م ، ص : « لوجهه » .

(٤ - ٤) فى ا ٣، ا ٢، م : « إن يطير لأدركه دم الحسين فآخذ برجله ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه » .

(٥) بعده فى م : « فقال » .

(٦) سقط من : ا ٣، م .

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٢.

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، للمهدىِّ محمدِ بنِ علىٍّ مِن المخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ ، سَلامٌ عليك أيُّها المَهْدىُّ ، فإنى أَحْمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أمّا بعدُ : فإن اللَّهَ بَعَثنى نقمةً على أعدائِكم ، فهم بينَ قَتيلٍ وأَسيرٍ وطَريدٍ وشَريدٍ ، فالحمدُ للَّهِ الذى قتَل قاتِلَكم ، ونصَر مُؤازِرَكم ، وقد بَعَثْتُ إليك برأسِ عمرَ بنِ سعدٍ وابنِه ، وقد قتَلْنا مَن شرَك فى دمِ الحسينِ وأهلِ بيتِه كلَّ مَن قَدَرْنا عليه ، ولن يُعْجِزَ اللَّهَ مَن بَقِى ، ولسْتُ بمُنْحَجِمٍ عنهم حتى لا يَبْلُغَنى أنَّ على أديمِ الأرضِ منهم إرَمِيًّا[1] [٧/ ٣٥ظ] فاكْتُبْ إلىَّ أيُّها المَهْدىُّ برأيِك أَتَّبِعْه وأَكنْ عليه ، والسلامُ عليك أيُّها المَهْدىُّ ورَحمةُ اللَّهِ وبركاتُه .

ولم يَذْكُرِ ابنُ جَريرٍ أن محمدَ ابنَ الحَنَفيةِ رَدَّ جَوابَه ، مع أن ابنَ جَريرٍ قد تَقَصَّى هذا الفصلَ وأطال شَرْحَه ، ويَظْهَرُ مِن غُبونِ كلامِه [2]ونظامِه[2] قوةُ وَجْدِه به وغَرامِه ، ولهذا تَوَسَّع فى إيرادِه برِواياتِ أبى مِخْنَفٍ لُوطِ بنِ يَحْيَى ، وهو مُتَّهَمٌ فيما يَرْوِيه ، ولاسيما فى بابِ التَّشَيُّعِ ، وهذا المَقامُ للشِّيعةِ فيه غَرامٌ وأىُّ غَرامٍ ؛ إذ فيه الأَخْذُ بثأْرِ الحسينِ [3]وأهلِه مِن قَتَلَتِهم ، والانْتقامُ منهم[3] . ولاشَكَّ أن قَتْلَ قَتَلَتِه كان مُتَحَتِّمًا ، والمُبادَرةُ إليه كان مَغْنَمًا ، ولكن إنَّما قَدَّره اللَّهُ على يدِ المخْتارِ الكَذَّابِ الذى صار بدَعْواه إتيانَ الوَحْيِ إليه كافرًا ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرَّجلِ الفاجرِ »[4] . وقال تعالى فى كتابِه الذى هو أفضلُ ما يَكْتُبُه الكاتبون : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

---

(١) فى الأصل : « أديما » ، وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « أحد » ، وفى ص : « آدميا » . والمثبت من مصدر التخريج . وإرميًّا : يعنى أحدًا . وانظر لسان العرب (أ ر م) .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « والانتقام » .

(٤) تقدم فى ٦/ ٢٧٥ .

[الأنعام: ١٢٩] . وقال بعضُ الشُّعراءِ :

وما مِن يدٍ إلا يدُ اللَّهِ فوقَها ولا ظالمٍ إلا سيُبْلَى بظالمِ

وسيأْتى فى تَرْجَمةِ المُخْتارِ ما يَدُلُّ على كَذِبِه وافْتِرائِه ، وادِّعائِه نُصْرةَ أهلِ البيتِ ، وهو فى نفسِ الأمْرِ مُتَسَتِّرٌ بذلك ليَجْمَعَ عليه رَعاعًا مِن الشِّيعةِ الذين بالكوفةِ ؛ ليُقيمَ لهم دَوْلةً ويَصولَ بهم ويَجُولَ على مُخالفِيه صَوْلةً .

ثم إنَّ اللَّهَ تعالى سَلَّط عليه مَن انْتَقَم منه ، وهذا هو الكَذَّابُ الذى قال فيه الرسولُ ﷺ فى حديثِ أسْماءَ بنتِ الصديقِ : « إنه سَيَكونُ فى ثَقِيفٍ كَذَّابٌ ومُبيرٌ »[1] . فهذا هو الكَذابُ ، وهو يُظْهِرُ التَّشَيُّعَ ، وأمَّا المُبِيرُ فهو الحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ الثَّقَفىُّ ، وقد وُلِّى الكُوفةَ مِن جهةِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، كما سيأتى . وكان الحَجَّاجُ عكسَ هذا ؛ كان ناصِبيًّا[2] جَلْدًا ظالمًا غاشمًا ، ولكن لم يَكُنْ فى طبقةِ هذا ، يُتَّهَمُ على دينِ الإسْلامِ ودَعْوى النُّبوةِ ، وأنه يَأْتِيه الوَحْىُ مِن العلىِّ العَلَّامِ .

قال ابنُ جَريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ بَعَث المُخْتارُ المُثَنَّى بنَ مُخرِّبةَ[4] العَبْدىَّ إلى البَصْرةِ يَدْعو إليه مَن اسْتَطاع مِن أهْلِها ، فدَخَلها وابْتَنى بها مسجدًا يَجْتَمِعُ إليه فيه قومُه ، فجعَل يَدْعو إلى المُخْتارِ ، ثم أَتَى مدينةَ الرِّزقِ[5] ، فعَسْكَر عندَها ، فبعَث إليه الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى[6] رَبيعةَ القُباعُ - وهو أميرُ البَصْرةِ قبلَ أن يُعْزَلَ

---

(١) تقدم فى ٩/ ٢٥١.

(٢) الناصبيَّة وأهل النَّصْب : المتدينون ببِغْضَة علىٍّ ؛ لأنهم نَصَبوا له الخلاف ، وهم طائفة من الخوارج . تاج العروس (ن ص ب) .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٦.

(٤) فى النسخ : « مخرمة » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٦٦، والكامل ٤/ ١٦١، وانظر أنساب الأشراف « دار الفكر » ٦/ ٤١٥، والإكمال ٧/ ٢١١.

(٥) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م : « الورق » ، وفى ص : « المورق » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
والرزق : هى إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يختطها المسلمون . معجم البلدان ٢/ ٥٧٥.

(٦) سقط من : م . وانظر نزهة الألباب ٢/ ٨٤.

بمُصْعَبٍ - جيشًا مع عَبَّادِ بنِ الحُصَينِ [٧/ ٣٦و] أميرِ الشُّرْطةِ ، وقيسِ بنِ الهَيْثَمِ . فقاتَلوه وأخَذوا منه المَدينةَ ، وانْهَزم أصحابُه ، وكان قد قام بنُصْرتِهم بنو عبدِ القيسِ ، فبعَث إليهم الجيشَ ، فبعَثوا إليه ، فأرْسَل الأحْنَفَ بنَ قيسٍ وعمرَو بنَ عبدِ الرحمنِ المَخْزوميَّ ليُصْلِحا بينَ الناسِ ، وساعَدهما مالكُ بنُ مِسْمَعٍ ، فانْحَجَز الناسُ بعضُهم عن بعضٍ ، ورجَع إلى المُخْتارِ فى نَفَرٍ يَسيرٍ مِن أصحابِه مَغْلولًا مَغْلوبًا مَسْلوبًا ، وأخْبَر المُخْتارَ بما وقَع مِن الصُّلْحِ على يدَيِ الأحْنَفِ وغيرِه مِن أولئك الأُمراءِ ، وطمِع المُخْتارُ فيهم ، وكاتَبَهم فى أن يَدْخُلوا معه فيما هو فيه مِن الأمْرِ .

وكان كِتابُه إلى الأحْنَفِ بنِ قيسٍ : مِن المُخْتارِ إلى الأحْنَفِ بنِ قيسٍ ومَن قِبَلَه ، فسِلْمٌ[(١)] أنتم ، أمَّا بعدُ فوَيْلُ أمِّ[(٢)] رَبيعةَ مِن مُضَرَ ، وإن الأحْنَفَ يُورِدُ قومَه سَقَرَ ، حيث لا يَسْتَطِيعُ لهم الصَّدَرَ ، وإنى لا أمْلِكُ لكم ما قد خُطَّ فى القَدَرِ ، وقد بَلَغنى أنكم [(٣)]تسمُّونى كذابًا[(٣)] ، وقد كُذِّب الأنْبياءُ مِن قَبْلى ولستُ بخيرٍ منهم .

وقال ابنُ جَريرٍ[(٤)] : حَدَّثنى أبو السائبِ سَلْمُ بنُ جُنادةَ ، ثنا الحسنُ بنُ حَمَّادٍ ، عن حِبَّانَ[(٥)] بنِ عليٍّ ، عن مُجالِدٍ ، عن الشعبيِّ قال : دَخَلْتُ البَصْرةَ ، فقَعَدْتُ إلى حَلْقةٍ ، فيها الأحْنَفُ بنُ قيسٍ ، فقال بعضُ القومِ : مَن أنت ؟ فقلتُ : رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ . فقال : أنتم مَوالٍ لنا . قلتُ : وكيف ؟ قال : قد[(٦)]

---

(١) فى ا ٣، ا ٢، م : « من الأمراء أفسلم » .
(٢) فى النسخ : « لبنى » ، والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٣ - ٣) فى ا٣، ا٢، م : « سميتمونى الكذاب » .
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٩.
(٥) فى النسخ : « حماد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٩.
(٦) سقط من : م .

أنْقَذْناكم مِن أيدى عَبيدِكم مِن أصحابِ المُخْتارِ. قلتُ: تَدْرِى ما قال شيخٌ مِن هَمْدانَ فينا وفيكم؟ فقال الأحْنَفُ: وما قال؟ قلتُ: قال:

أفَخَرْتُم أنْ قَتَلْتُم أعْبُدًا ... وهزَمْتُم مَرةً آلَ عَزَلْ[1]

فإذا فاخَرْتُمونا فاذْكُروا ... ما فعَلْنا بكمُ يومَ الجَمَلْ

بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنُونَه[2] ... وفتًى أبيضَ[3] وضَّاحٍ[4] رِفَلْ[5]

جاءنا[6] يَهدِجُ فى سابغةٍ ... فذَبَحْناه ضُحًى ذَبْحَ الحَمَلْ[7]

وعَفَوْنا فنَسِيتُمْ عَفْوَنا ... وكفَرْتُم نعمةَ اللَّهِ الأجَلْ

وقتَلْتُمْ [8]بحُسَينٍ منهمُ[8] ... بدلًا مِن قومِكم شَرَّ بَدَلْ

قال: فغَضِب الأحْنَفُ، وقال: يا غلامُ، هاتِ الصَّحيفةَ. فأُتِى بصَحِيفةٍ فيها: بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، مِن المُخْتارِ بنِ أبى عُبَيدٍ إلى الأحْنَفِ بنِ قيسٍ، أمّا بعدُ فوَيْلُ أمِّ[9] رَبيعةَ مِن مُضَرَ، فإن الأحْنَفَ يُورِدُ قومَه سَقَرَ، حيث لا يَقْدِرون على الصَّدَرِ، [٧/٣٦ظ] وقد بَلَغَنى أنكم تُكَذِّبونى، فإن كُذِّبْتُ فقد كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبْلى، ولسْتُ بخيرٍ منهم. ثم قال الأحْنَفُ: هذا منَّا أو منكم.

---

(١) فى النسخ: «عدل». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٢) فى م: «عثبونه».

(٣) فى م: «البيضاء».

(٤) فى م: «وضاحا».

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «وقل»، وفى م: «دقل». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٦) فى م: «جاء».

(٧) فى النسخ: «الجمل». والمثبت من تاريخ الطبرى.

(٨ - ٨) فى تاريخ الطبرى: «خشبيين بهم».

(٩) فى م: «لبنى».

فصـلٌ

ولمّا علِم المختارُ أنَّ ابنَ الزبيرِ لا ينامُ عنهم ، وأنّ جيشَ الشامِ مِن قِبَلِ عبدِ الملك ابنِ مروانَ يقصِدونه مع عبيدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ فى جمعٍ كثيرٍ لا يُرامُ ، شرَع يُصانِعُ ابنَ الزبيرِ ، يريدُ خِداعَه والمكرَ به[1] ، فكتَب إليه : إنِّى كُنتُ بايعتُك على السمعِ والطاعةِ والنصحِ لك ، فلمّا رأيتُك قد أعرضْتَ عنى تباعدْتُ عنك ، فإن كنْتَ على ما أعهَدُ منك فأنا على السمعِ والطاعةِ لك . والمختارُ يُخفِى هذا كلَّ الإخفاءِ عن الشيعةِ ، فإذا ذكَر له أحدٌ شيئًا مِن ذلك أظهَر لهم أنه أبعدُ الناسِ مِن ذلك . فلمَّا وصَل كتابُه إلى ابنِ الزبيرِ أراد أنْ يعلَمَ أصادقٌ هو أم كاذبٌ ؟ فدعا عمرَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ المخْزُومىَّ ، فقال له : تجهَّزْ إلى الكوفةِ فقد ولَّيتُكها . فقال : وكيف وبها المُختارُ ؟ فقال : إنَّه يزعُمُ أنَّه سامعٌ لنا مُطيعٌ . وأعطاه قريبًا مِن أربعين ألفًا يتجهَّزُ بها ، فسار فلمّا كان ببعضِ الطريقِ لَقِيه زائدةُ بنُ قُدامةَ مِن جهةِ المختارِ فى خَمسِمائةِ فارسٍ مُلبِسةٍ ، ومعه سبعون ألفًا مِن المالِ ، وقد تقدَّمَ إليه المختارُ فقال له : أعطِه المالَ ، فإنْ هو انصرفَ وإلَّا فأَرِهِ الرجالَ فقاتِلْه حتى ينصرِفَ . فلمَّا رَأَى عمرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجِدَّ قبَض المالَ وسار إلى البصرةِ فاجتمَع هو وابنُ مُطيعٍ بها عند أميرِها الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى رَبيعةَ ، وذلك قبلَ وُثوبِ المُثنَّى بنِ مُخَرِّبَةَ - كما تقدَّم - وقبلَ وصولِ مُصعبِ بنِ الزبيرِ إليها .

وبعَث عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ابنَ عمِّه عبدَ الملكِ بنَ الحارثِ بنِ الحكَمِ فى جيشٍ إلى وادى القُرى ؛ ليأخُذوا المدينةَ مِن نوَّابِ ابنِ الزبيرِ . وكتَب المختارُ إلى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٧١، والكامل ٤/ ٢٤٦.

ابنِ الزبيرِ[1] : إنْ أحببْتَ أنْ أمُدَّك بمدَدٍ . وإنَّما يُريدُ المختارُ خديعتَه ومُكايدَتَه ، فكتَب إليه ابنُ الزبيرِ : إنْ كنْتَ على طاعتى فلَستُ أكرَهُ ذلك ، فابعَثْ بجُندٍ إلى وادى القُرَى ؛ ليكونوا مدَدًا لنا على قتالِ الشاميِّين . فجهَّزَ المختارُ ثلاثةَ آلافٍ عليهم شُرَحْبيلُ بنُ وَرْسٍ الهَمْدانىُّ ، ليس فيهم مِن العربِ إلَّا سَبعُمائةٍ ، وقال له : سِرْ حتى تدخُلَ المدينةَ ، فإذا دخَلْتَها فاكتُبْ إلىَّ حتى يأتيَك أمرى . وإنَّما يُريدُ أخذَ المدينةِ مِن ابنِ الزبيرِ ، ثم يركَبُ بعدَ ذلك إلى مكَّةَ ليحاصِرَ ابنَ الزبيرِ بها . وخَشِى ابنُ الزبيرِ [٧/ ٣٧و] أنْ يكونَ المختارُ بعَث ذلك الجيشَ مكْرًا ، فبعَث العبَّاسَ بنَ سَهْلِ بنِ سعدٍ السّاعِدِىَّ فى ألفيْنِ ، وأمَره أنْ يستعينَ بالأعرابِ ، وقال لهم : إنْ رأيتُموهم فى طاعتى وإلا فكايدوهم حتى نُهلِكَهم[2] .

فأقبَل العبَّاسُ بنُ سهلٍ حتى لَقِى ابنَ وَرْسٍ بالرَّقِيمِ ، وقد تَعَبَّى[3] ابنُ وَرْسٍ فى جيشِه ، فاجتَمعا على ماءٍ هنالك ، فقال له العبَّاسُ : ألستُم فى طاعةِ ابنِ الزبيرِ ؟ فقال : بلى . قال : فإنَّه قد أمَرنى أنْ نذهَبَ إلى وادى القُرى فنقاتِلَ مَن به مِن الشاميِّين . فقال له ابنُ وَرْسٍ : فإنِّى لم أُومرْ بطاعتِك ، وإنَّما أُمِرتُ[4] أنْ أدخُلَ المدينةَ ، ثم أكتُبَ إلى صاحبى فيأمُرَنى[5] بأمرِه . ففهِم عبَّاسٌ مَغْزاه ، ولم يُظْهِرْ له أنه فطِن لذلك ، فقال له : رأيُك أفضَلُ ، فاعْمَلْ ما بَدا لك . ثم نهَض العبَّاسُ مِن عندِه ، وبعَث إليهم الجُزُرَ والغنمَ والدَّقيقَ ، وقد كان عندَهم حاجةٌ أكيدةٌ[6] إلى

---

(١) انظر هذه المكاتبات فى تاريخ الطبرى ٦/ ٧١، ٧٢. والكامل ٤/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) فى ا ٢، م : « يهلكهم الله » .

(٣) فى م : « بقى » ، وفى ص : « تعد » .

(٤) فى م : « أمرنى » .

(٥) فى م : « فإنه يأمرنى » .

(٦) فى م : « شديدة » .

ذلك ، وجوعٌ كثيرٌ ، فجعَلوا يذبَحون ويطبُخون ويختَبِزون ويأكُلون على ذلك الماءِ ، فلمّا كان الليلُ بيَّتَهم عبَّاسُ بنُ سهلٍ فقتَل أميرَهم وطائفةً منهم نحوًا مِن سبعين ، وأسَر منهم خَلْقًا كثيرًا ، فقتَل أكثرَهم ، ورجَع القليلُ منهم [1] إلى المختارِ ، و [1] إلى بلادِهم خائبين .

قال أبو مِخْنَفٍ [2] : فحدَّثنى أبو [3] يوسُفَ أنَّ عبَّاسَ بنَ سهلٍ انتهى إليهم وهو يقولُ :

أنا ابنُ سهلٍ فارسٌ غيرُ وَكَلْ ... أرْوَعُ مِقدَامٌ إذا الكَبْشُ نَكَلْ
وَأَعْتَلى رأسَ الطِّرِمَّاحِ البَطَلْ ... بالسَّيْفِ يومَ الرَّوْعِ حتَّى يُنْخَزَلْ [4]

فلمَّا بلَغ خبرُهم المختارَ قام فى أصحابِه خَطيبًا فقال : إنَّ الفُجَّارَ الأشرارَ قتَلوا الأبرارَ الأخيارَ ، ألَا إنَّه كان أمرًا مأتيًّا ، وقضاءً مقضيًّا . ثم كتَب إلى محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ مع صالحِ بنِ مسعودٍ الخَثْعَمِيِّ كتابًا يذكُرُ فيه أنَّه بعَث إلى المدينةِ جيشًا لنُصرتِه فغدَر بهم جيشُ ابنِ الزبيرِ ، فإنْ رأيتَ أنْ أبعَثَ جيشًا آخرَ إلى المدينةِ وتبعثَ مِن قِبَلِك رُسلًا إليهم فافعَلْ . فكتَب إليه ابنُ الحنفيَّةِ : أمَّا بعدُ فإنَّ أحبَّ الأمورِ كلِّها إلىَّ ما أُطيعَ اللَّهُ فيه ، فأطعِ اللَّهَ فيما أعلنتَ وأسررتَ ، واعلَمْ أنِّى لو أردْتُ القتالَ لوجدْتُ الناسَ إلىَّ سراعًا ، والأعوانَ لى كثيرةً ، ولكنِّى أعتزلُهم وأصبِرُ حتى يحكُمَ اللَّهُ لى وهو خيرُ الحاكمين . وقال لصالحِ بنِ مسعودٍ : قلْ للمختارِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وليكفُفْ عنِ الدماءِ . فلمّا انتهى إليه كتابُ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/٧٤ من طريق أبى مخنف به .

(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٤) فى النسخ : « ينجدل » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

قال : إنِّى قد أُمِرْتُ بجمعِ البِرِّ واليُسْرِ ، وبطرحِ الكفرِ والغدرِ .

وذكَر [٧/ ٣٧ظ] ابنُ جريرٍ[(١)] ، مِن طريقِ المدائنىِّ وأبى مِخْنَفٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ عمَد إلى ابنِ الحنفيةِ وسبعةَ عشرَ رجلًا مِن أشرافِ أهلِ الكوفةِ فحبَسهم حتى يُبايعوه ، فكرِهوا أنْ يُبايعوا إلّا مَن اجتَمعتْ عليه الأُمَّةُ ، فتهدَّدَهم وتوعَّدَهم واعتقَلهم بزمزمَ ، فكتَبوا إلى المختارِ بنِ أبى عبيدٍ يستصرِخونه ويستنصِرونه ، ويقولون له : إن ابنَ الزبيرِ قد توعَّدنا بالقتلِ والحريقِ ، فلا تخذُلونا كما خذَلتُم الحسينَ وأهلَ بيتِه . فجمَع المختارُ الشيعةَ وقرأَ عليهم الكتابَ وقال : هذا كتابُ المهدىِّ وصريخُ أهلِ البيتِ ، [(٢)] قد أصبحوا محصورِين ينتظِرون القتلَ والحريقَ[(٢)] ، وقال : لستُ أبا[(٣)] إسحاقَ إن لم أنصُرْهم[(٤)] نصرًا مُؤَزَّرًا ، وإن لم أسرِّبْ[(٥)] إليهم الخيلَ كالسيلِ يتلوه السيلُ ، حتى يَحُلَّ بابنِ الكاهليَّةِ الويلُ . ثم وجَّه أبا عبدِ اللَّهِ الجَدَلىَّ فى سبعينَ راكبًا مِن أهلِ القوةِ ، وظَبْيانَ بنَ عُمارةَ[(٦)] التميمىَّ[(٧)] فى أربعِمائةٍ ، وأبا المعتمرِ فى مائةٍ ، وهانئَ بنَ قيسٍ فى مائةٍ ، وعُمَيرَ بنَ طارقٍ فى أربعين ، [(٨)] ويونسَ[(٩)] بنَ عِمرانَ فى أربعين[(٨)] ، وكتَب إلى محمدِ ابنِ الحنفيةِ مع

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٧٥.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « يستصرخكم ويستنصركم فقام فى الناس بذلك » ، وفى ص : « فقام فى الناس بذلك » .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « أنا بأبى » .

(٤) فى م : « أنصركم » .

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « أرسل » .

(٦) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « عمران » ، وفى م : « عمر » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل ٤/ ٢٥٠. وانظر التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٨، والجرح والتعديل ٤/ ٥٠٢.

(٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م : « التيمى » .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) فى النسخ : « فارس » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .

الطُّفيلِ بنِ عامرٍ بتوجيهِ الجنودِ إليه ، فنزَلَ أبو عبدِ اللَّهِ الجَدَليُّ بذاتِ عِرقٍ حتى تلاحقَ به نحوٌ مِن مائةٍ وخمسينَ فارسًا ، ثم سارَ بهم حتى دخَل المسجدَ الحرامَ نهارًا جِهارًا ، وهم يقولون : يا ثاراتِ الحسينِ . وقد أعدَّ ابنُ الزبيرِ الحطبَ [1] لابنِ الحنفيَّةِ وأصحابِه [1] ليحرقَهم به إن لم يبايعوا ، وقد بَقِيَ مِن الأجلِ يومان ، فعمدوا - يعنى أصحابَ المختارِ - إلى محمدِ ابنِ الحنفيةِ فأطلقوه مِن سجنِ ابنِ الزبيرِ ، وقالوا : إن أذِنتَ لنا قاتلْنا ابنَ الزبيرِ . فقال : إنِّى لا أرَى القتالَ فى المسجدِ الحرامِ . فقال لهم ابنُ الزبيرِ : ليس يبرحُ وتبرَحون حتى يُبايعَ وتُبايعوا معه . فامتَنعوا عليه ثم لحِقَهم بقيةُ أصحابِهم ، فجعَلوا يقولون وهم داخلون الحرمَ : يا ثاراتِ الحسينِ . فلمَّا رأى ابنُ الزبيرِ ذلك مِنهم خافهم وكفَّ عنهم ، ثم أخَذوا محمدَ ابنَ الحنفيةِ ، وأخَذوا مِن الحجيجِ مالًا كثيرًا فسار بهم حتى دخَل شِعبَ عليٍّ ، واجتمَع معه أربعةُ آلافِ رجلٍ ، فقسَم بينَهم ذلك المالَ .

هكذا أورَد ذلك ابنُ جريرٍ ، وفى صحتِها نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ جريرٍ [2] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وكان نائبُه بالمدينةِ أخاه مصعبَ بنَ الزبيرِ ، ونائبُه على البصرةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ ، وقد استحوذ المختارُ على الكوفةِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ [3] على بلادِ خراسانَ . [٧/ ٣٨و] وذكَر حروبًا جرَت فيها لعبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ [4] يطولُ ذكرُها [5] .

(١ - ١) زيادة من : ا٣، ا٢، م .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٠ - ٨١.

(٣) بعده فى الأصل : « وعبد الملك بن مروان على الشام وأخوه محمد بن مروان على الجزيرة وأرمينية وأخوه عبد العزيز على مصر » .

(٤) فى ا٣، ا٢، ص : « حازم » .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٧٧ - ٨٠.

فصـلٌ

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ شخَص[2] إبراهيمُ بنُ الأَشترِ إلى عبيدِ اللَّهِ ابنِ زيادٍ ، وذلك لثمانٍ بقِين مِن ذى الحِجةِ . وقال أبو مِخْنَفٍ عن مشايخِه[3] : ما هو إلَّا أن فرَغ المختارُ مِن جَبّانةِ السَّبيعِ وأهلِ الكُناسةِ ، فما نزَل[4] إبراهيمُ بنُ الأشترِ إلَّا يومين حتى أشْخَصه إلى الوجهِ الذى كان وجَّهه له لقتالِ أهلِ الشامِ ؛ فخرَج يومَ السبتِ لثمانٍ بقِين مِن ذى الحِجةِ سنةَ ستٍّ وستين ، وخرَج معه المختارُ يودِّعُه فى وجوهِ أصحابِه ، وخرَج معهم خاصةُ المختارِ ، ومعهم كرسيُّ المختارِ على بغلٍ أَشْهَبَ ليستَنصِروا به على الأعداءِ ، وهم حافّون به يدْعون ويستصرِخون ويستنصِرون ويتضرَّعون ، فرجَع المختارُ بعدَ أن وصّاه بثلاثٍ ؛ قال : يا ابنَ الأَشترِ ، اتقِ اللَّهَ فى سرِّك وعلانيتِك ، وأَسْرِع السَّيْرَ ، وعاجِلْ عدوَّك بالقتالِ . واستمرَّ أصحابُ الكرسيِّ سائرين مع ابنِ الأَشترِ ، فجعَل ابنُ الأَشترِ يقولُ : اللهمَّ لا تؤاخِذْنا بما فعَل السفهاءُ منَّا ، سُنَّةُ بنى إسرائيلَ ، والذى نفسى بيدِه ، إذ عكَفوا على عِجلِهم . فلمَّا جاوَز القنطرةَ إبراهيمُ وأصحابُه انصرَف[5] أصحابُ الكرسيِّ .

قال ابنُ جريرٍ[6] : وكان سببُ اتخاذِ هذا الكرسيِّ ما حدَّثنى به عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٨١.

(٢) فى ٣١، ٢١، م : « سار » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/٨١ من طريق أبى مخنف به بنحوه .

(٤) فى النسخ : « ترك » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « رجع » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٢.

أحمدَ بنِ شَبُّوَيْهِ[1] ، حدَّثنى أبى ، ثنا سليمانُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن إسحاقَ بنِ يحيى بنِ طلحةَ ، حدَّثنى مَعْبَدُ[2] بنُ خالدٍ ، حدَّثنى طُفَيْلُ بنُ جَعْدَةَ ابنِ هُبيرةَ قال : أَعْدَمْتُ مَرَّةً مِن الوَرِقِ فإنِّى لكذلك إذ مررتُ ببابِ[3] جارٍ لى له كرسىٌّ قد ركِبه وَسَخٌ شديدٌ ، فخطَر على بالى أنْ لو قلتُ فى هذا ، فرجَعتُ فأرسَلتُ إليه أن أرْسِلْ إلىَّ بالكرسىِّ . فأرسَلَ به ، فأتيتُ المختارَ فقلتُ له : إنِّى كنتُ أكتُمُك شيئًا وقد بدا لى أنْ أذكُرَه لك . قال : وما هو ؟ قال : قلتُ : كرسىٌّ كان جَعْدةُ بنُ هبيرةَ يجلِسُ عليه كأنَّه[4] يرَى أنَّ فيه أَثَرَةً مِن علمٍ[5] . قال : سبحانَ اللَّهِ ! فأخَّرتَ[6] هذا إلى اليومِ ؟ [7]ابعَثْ إليه[7] . قال : فجِئْتُ به وقد غُسِل فخرَج عُودًا نُضارًا وقد تشرَّب الزيتَ ، فأمَر لى باثنَىْ عشَر ألفًا ، ثم نودِى فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . قال : فخطَب المختارُ الناسَ فقال : إنَّه لم يكُنْ فى الأممِ الخاليةِ أمرٌ إلَّا وهو كائنٌ فى هذه الأمةِ مثلُه ، وإنَّه قد كان فى بنى إسرائيلَ التابوتُ [8]يُنْصَرون به[8] ، وإنَّ هذا مثلُه . ثم أمَر فكُشِف عنه أثوابُه ، وقامتِ السبئيَّةُ[9] فرفَعوا أيدِيَهم وكبَّروا ثلاثًا ، فقام شَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ فأنكَر على الناسِ وكاد أن يُكفِّر مَن يصنَعُ [٧/ ٣٨ظ] بهذا التابوتِ هذا التعظيمَ ، وأشار بأنْ يُكْسَرَ

---

(١) فى ا٣: « شنويه » ، وفى ا٢: « سيبويه » ، وفى م : « شيبويه » . وانظر الإكمال ٥/ ٢٢.

(٢) فى م : « معد » .

(٣) بعده فى م ، ص : « رجل هو » .

(٤) بعده فى ا٣، ا٢، م : « كان » .

(٥) بعده فى ا٢: « ويذكر أن على بن أبى طالب كان يجلس عليه » .

(٦) فى ا٣، ا٢، م : « فلم أخرت » .

(٧ - ٧) فى ا٣، ا٢، م : « ابعثه إلى » . والمثبت كما فى الطبرى ٦/ ٨٢.

(٨ - ٨) زيادة من : ا٣، ا٢، م .

(٩) فى الأصل ، ا٣: « الشباشية » ، وفى م : « السبائية » ، وفى ص : « السائية » . والسبئية : أتباع عبد اللَّه بن سبأ الذى غَلَا فى على ، رضى اللَّه عنه ، وزعم أنه كان نبيًّا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قومًا من غُواة الكوفة . الفرق بين الفرق ، صفحة ٢٣٣.

ويُخْرَجَ مِن المسجدِ ويُرْمَى به فى الحُشِّ . فشكَرها الناسُ لشَبَثِ بنِ ربعىٍّ ، فلمَّا قيل : هذا عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ قد أقبَلَ . وبعَث المختارُ إبراهيمَ بنَ الأشترِ ، بعَث معه بالكرسىِّ يُحْمَلُ على بغلٍ أَشْهَبَ قد غُشِّى بأثوابِ الحريرِ ، عن يمينِه سبعةٌ وعن يسارِه سبعةٌ ، فلمَّا تواجَهوا مع الشاميِّين - كما سيأتى - وغلَبوا الشاميِّين وقتَلوا ابنَ زيادٍ ، ازداد تعظيمُهم لهذا الكرسىِّ حتى بلَغوا به الكفْرَ ، قال الطُّفيلُ بنُ جَعْدةَ : فقلتُ : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . وندِمتُ على ما صنَعتُ . وتكلَّم الناسُ فى هذا الكرسىِّ ، وكثُر عيبُ الناسِ له ، فغُيِّبَ حتى لا يُرَى بعدَ ذلك .

وذكَر ابنُ الكلبىِّ[1] أنَّ المختارَ طلَب مِن آلِ جَعْدةَ بنِ هُبَيْرَةَ الكرسىَّ الذى كان علىٌّ يجلِسُ عليه ، فقالوا : ما عندَنا شىءٌ ممَّا يقولُ الأميرُ . فألحَّ عليهم حتى علِموا أنَّهم لو جاءوا بأىِّ كرسىٍّ كانَ لقَبِلَه منهم ، فحمَلوا إليه كرسيًّا مِن بعضِ الدُّورِ ، فقالوا : هذا هو . فخرَجتْ شِبامٌ[2] وشاكرٌ وسائرُ رءوسِ المختارِ به وقد عصَّبوه بالحريرِ والدِّيباجِ .

وحكَى أبو مِخْنَفٍ[3] أنَّ أولَ مَن سَدَنَ هذا الكرسىَّ موسى بنُ أبى موسى الأشعرىُّ ، ثم إنَّه عُتِب عليه فى ذلك ، فدفَعه[4] إلى حَوْشَبٍ البُرْسُمِىِّ ، فكان صاحبَه حتى هلَك المختارُ ، قبَّحه اللَّهُ .

ويروَى أنَّ المختارَ كان يُظْهِرُ أنَّه لا يعلَمُ بما يعظِّمُ أصحابُه هذا الكرسىَّ[5] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٨٤ ، ٨٥.

(٢) فى ٣١، ٢١: «سبا»، وفى م: «شيام».

(٣) تاريخ الطبرى ٦/٨٤ ، ٨٥ ولكن من قول أبى الأشعر لا أبى مخنف.

(٤) فى م: «فرفعه».

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٨٥.

وقد قال فى هذا الكرسىِّ أعْشَى هَمْدانَ[1] :

شَهِدتُ عليكم أنكم سَبَئِيَّةٌ[2] وإنِّى بكُمْ يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارِفُ
وأُقْسِمُ ما كرسيُّكم بسَكينَةٍ وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللفائفُ
وأنْ ليس كالتابوتِ فينا وإن سعتْ شِبامٌ حَوالَيه ونَهدٌ وخارِفُ
وإنِّى امرُؤٌ أحببتُ آلَ محمدٍ وتابَعتُ وحيًا ضُمِّنَتْهُ المصاحفُ
وتابَعْتُ عبدَ اللَّهِ لمَّا تتابَعَتْ عليه قُرَيشٌ شُمطُها والغطارِفُ

وقال المتوكِّلُ اللَّيثىُّ[3] :

أَبْلِغْ أبا إسحاقَ إن جئتَه أنِّى بكرسيِّكمُ كافِرُ
تَنزُوا شِبامٌ حولَ أعوادِه وتحمِلُ الوحْىَ لهُ شاكرُ
مُحْمَرَّةً أعينُهم حولَه كأنَّهُنَّ الحِمَّصُ الحادِرُ

[٧/ ٣٩و] **قلتُ** : وهذا وأمثالُه ممَّا يدلُّ على قلةِ عقلِ المختارِ وأتباعِه ، وضعفِه وقلةِ علمِه وكثرةِ جهلِه ، ورداءةِ فهمِه ، وترويجِه الباطلَ على أتباعِه ، وتشبيهِه الباطلَ بالحقِّ ليُضِلَّ به الطَّغامَ ، ويجْمَعَ عليه جُهّالَ العوامِّ .

(*)قال الواقدىُّ[4] : وفى هذه السنةِ وقَع فى مصرَ طاعونٌ هلَك فيه خلقٌ كثيرٌ مِن أهلِها . وفيها ضرَب الدنانيرَ عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ بمصرَ ، وهو أولُ مَن ضرَبها بها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٨٣ ، ٨٤.
(٢) فى ا ٢، م، ص : « سبائية » .
(٣) المصدر السابق ٦/ ٨٤.
(*) من هنا إلى ما قبل سنة سبع وستين سقط من : ص .
(٤) انظر تاريخ خليفة ١/ ٣٣٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٣. ولم ينسب إلى أحد .

قال صاحبُ مرآةِ الزمانِ : وفيها ابتدأَ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ببناءِ[1] القبةِ على صخرةِ بيتِ المقدسِ ، وعمارةِ الجامعِ الأقصَى ، وكمَلتْ عمارتُه فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين ، وكان السببَ فى ذلك أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ كان قد استولَى على مكةَ ، وكان يخطُبُ فى أيامِ منًى وعرفةَ ، ومُقامَ الناسِ بمكةَ ، وينالُ مِن عبدِ الملكِ ويَذْكُرُ مساوِئَ بنى مَرْوانَ ، ويقولُ : إنَّ النبىَّ ﷺ لعَن الحكَمَ وما نسَل ، وأنه طريدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولعينُه . وكان يدعو إلى نفسِه ، وكان فصيحًا ، فمال معظمُ أهلِ الشامِ إليه ، وبلَغ ذلك عبدَ الملِكِ فمنَع الناسَ مِن الحجِّ فضجّوا ، فبنَى لهم[2] القبةَ على الصخرةِ والجامعَ الأقصَى ؛ ليشغَلَهم بذلك عن الحجِّ ويستعطِفَ قلوبَهم ، وكانوا يقِفون عندَ الصخرةِ ويطُوفون حولَها كما يطُوفون حولَ الكعبةِ ، ويَنْحَرُون يومَ العيدِ ويحلِقُون رءُوسَهم . ففتَح بذلك على نفسِه [3]بابَ تشنيعِ[3] ابنِ الزبيرِ عليه ، فكان يُشَنِّعُ عليه بمكةَ ويقولُ : ضاهَى بها فعلَ الأكاسرةِ فى إيوانِ كسرَى ، والخضراءَ كما فعَل معاويةُ ، ونقَل الطوافَ مِن بيتِ اللَّهِ إلى قبلةِ بنى إسرائيلَ . ونحوَ ذلك .

ولمّا أراد عبدُ الملكِ [4]بناءها سار مِن دمشقَ إلى[4] بيتِ المقدسِ ومعه[5] الأموالُ والعمالُ ، ووكَّل بالعملِ رجاءَ بنَ حَيْوةَ ، ويزيدَ بنَ سلامٍ مولاه ، وجمَع الصُّنّاعَ [6]والمهندسين فأمرَهم فصوَّروا له القبةَ فى صحنِ المسجدِ فأعجبَه ، وبنى للمالِ بيتًا شَرقىَّ القبةِ ، وشحَنه بالمالِ[6] ، وأمَر رجاءَ بنَ حيوةَ ، ويزيدَ أنْ يُفْرِغا

---

(١) فى الأصل : « فى عمارة » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى م : « بأن شنع » .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « عمارة » .

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « وجه إليه » .

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م : « من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة » .

المالَ[1] إفراغًا ولا يتوقَّفا فيه ، فبثّوا النفقاتِ وأكثَروا ، فبنَوُا القبةَ [2]التى هى اليومَ قائمةٌ ، وبنَوْا مِن ناحيةِ القبلةِ سبعَ قِبابٍ ، والقُبَّةُ التى باقيةٌ اليومَ على المحرابِ هى أوسطُها ، ولمّا تمَّ بناءُ القبَّةِ عمِل لها[2] جلالينِ ؛ أحدَهما مِن [3]لبُّودٍ أحمرَ[3] للشتاءِ ، والآخرَ مِن أُدُمٍ للصيفِ ، [4]وحفّ [٧/ ٣٩ظ] الصخرةَ بدرابزينَ من الساجِ المُطَعَّمِ باليَشْمِ[5] ، وخلفَ الدرابزين ستورٌ من الديباجِ مرخاةٌ بينَ العُمُدِ ، وكانت السدنةُ كلَّ خميسٍ واثنين يذوِّبون المسكَ[4] والعنبرَ والماوردَ والزعفرانَ ، ويعمَلون منه غاليةً[6] ويُخمِّرونَها مِن الليلِ ، ثم يدخُلُ الخدمُ الحمَّامَ مِن الليلِ

---

(١) فى م : « الأموال » .

(٢ - ٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فجاءت من أحسن البناء وفرشاها بالرخام الملون وعملا للقبة » .

(٣ - ٣) فى م : « اليود الأحمر » .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « وحفا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك » .

(٥) اليشم : نوع من الأحجار الكريمة الشبيهة بالعقيق . المعجم الذهبى ٦٢٠.

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ويبخرون القبة والمسجدَ مِن الليلِ ، وجعَل فيها مِن قناديلِ الذهبِ والفضةِ والسلاسلِ الذهبِ والفضةِ شيئًا كثيرًا ، وجعَل فيها العودَ القَمَارِىَّ المغلف بالمسكِ وفرَشها والمسجدَ بأنواعِ البُسُطِ الملونةِ ، وكانوا إذا أطلقوا البخورَ يُشَم مِن مسافةٍ بعيدةٍ ، وكان إذا رجَع الرجلُ مِن بيتِ المقدسِ إلى بلادِه توجدُ منه رائحةُ المسكِ والطيبِ والبخورِ بعدَ أيامٍ ، ويُعْرَفُ أنه قد أقبَلَ مِن بيتِ المقدسِ ، وأنَّه دخَل الصخرةَ ، وكان فيه مِن السَّدَنَةِ والقومِ القائمين بأمورِه خلقٌ كثيرٌ ، ولم يكنْ يومئذٍ على وجهِ الأرضِ بناءٌ أحسنُ ولا أبهى مِن قبةِ صخرةِ بيتِ المقدسِ ، بحيث إنَّ الناسَ التهَوْا بها عن الكعبةِ والحجِّ ، بحيث كانوا لا يلتفِتون فى مواسمِ الحجِّ وغيرِه إلى غيرِ المسيرِ إلى بيتِ المقدسِ ، وافتتَن الناسُ بذلك افتتانًا عظيمًا ، وأتَوْه مِن كلِّ مكانٍ ، وقد عمِلوا فيه مِن الإشاراتِ والعلاماتِ المكذوبةِ شيئًا كثيرًا مما فى الآخرةِ ؛ فصوَّروا فيه صورةَ الصراطِ وبابَ الجنةِ ، وقَدَمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ووادِى جهنمَ ، وكذلك فى أبوابِه ومواضعَ منه ، فاغترَّ الناسُ بذلك ، وإلى زمانِنا ، وبالجملةِ أن صخرة بيتِ المقدسِ لمَّا فُرِغ مِن بنائِها لم يكنْ لها نظيرٌ على وجهِ الأرضِ بهجةً ومنظرًا ، وقد كان فيها مِن الفصوصِ والجواهرِ والفسيفساءِ وغيرِ ذلك شىءٌ كثيرٌ ، وأنواعٌ باهرةٌ . ولما فرغَ رجاءُ بنُ حيوةَ ويزيدُ بنُ سلامٍ مِن عمارتِها على أكملِ الوجوهِ فضَل مِن المالِ الذى أنفقاه على ذلك ستُّمائةِ ألفِ مثقالٍ ، وقيل : ثلاثُمائةِ ألفِ مثقالٍ . فكتَبا إلى عبدِ الملكِ يُخْبِرانه بذلك ، فكتَب إليهما : قد وهبته منكما . فكتبا إليه : إنا لو استطَعْنا لزدْنا فى عمارةِ هذا المسجدِ مِن حَلْيِ نسائِنا . فكتَب إليهما : إذ أبيتُما أن تقبلاه فأفرِغاه على القبةِ والأبوابِ . فما كان أحدٌ يستطيعُ أن يتأمَّلَ القبةَ مما عليها مِن الذهبِ =

فيغتسِلونَ ويتطيَّبونَ ، ويلبَسُون ثيابَ الوشْيِ ، ويشُدُّون أوساطَهم بالمناطِقِ المُحلَّاةِ بالذَّهبِ ، ويُخلِّقونَ الصَّخرةَ ثم يضَعُون البَخُورَ فى مجامرِ الذَّهبِ والفضَّةِ ، وفيها العودُ القمارىُّ المغلىُّ بالمسكِ ويرخِى السَّدنةُ الستورَ فتخرُجُ تلك الرائحةُ فتملأُ المدينةَ كلَّها ، ثم ينادِى منادٍ : أَلَا إنَّ الصّخرةَ قد فُتِحتْ فمن أراد الزيارةَ فليأتِ ، فيقبِلُ الناسُ مبادرين ، فيصلُّون ويخرُجون ، فمَن وُجِدتْ منه رائحةُ البَخورِ قال الناسُ : هذا كان اليومَ فى الصخرةِ .

وأبوابُ الصَّخرةِ أربعةٌ ؛ على كلِّ بابٍ عشَرةٌ مِن الحَجَبَةِ ، البابُ الشَّماليُّ يُسمَّى بابَ الجنَّةِ ، والشَّرقىُّ بابَ إسرائيلَ ، والغربىُّ بابَ جبريلَ ، والقبلىُّ بابَ الأَقْصَى . وكانوا يشعِلونها بدُهْنِ البانِ ، ولا يدخُلُها أحدٌ غيرَ أيامِ الزيارةِ سوى الخدَمِ ، وكان للحرمِ عشرون بابًا ، وكان فيه ألفُ عمودٍ مِن الرُّخامِ ، وفى السُّقُوفِ ستون ألفَ خشبةٍ مِن السَّاجِ المنقوشِ ، ومِن القناديلِ خمسةُ آلافِ قنديلٍ ، وكان فيه أربعُمائةِ سلسلةٍ ، كلُّ سلسلةٍ ألفُ رطلٍ شاميٍّ ، طولُ السلاسلِ ثلاثون ألفَ ذراعٍ ، وكان يُوقَدُ فى الصّخرةِ كلَّ ليلةٍ مائةُ شمعةٍ ، وكذا فى الأَقْصى ، وكان يُوقَدُ فى القناديلِ كلَّ ليلةٍ مِن الزَّيتِ المفتولِ قنطارٌ ، وكان فى الحرمِ خمسون قُبَّةً ، ومِن ألواحِ الرَّصاصِ سبعون ألفَ لوحٍ ، وكان فى الحرمِ ثلاثُمائةِ خادمٍ ابتاعوا مِن بيتِ المالِ من الخُمْسِ ، كُلَّما مات واحدٌ قام ولدُه بعدَه مقامَه ، ويقبِضُون أرزاقَهم مِن بيتِ المالِ شهرًا بشهرٍ ، وكان فى الحرمِ مائةُ

= القديمِ والحديثِ . فلمَّا كان فى خلافةِ أبى جعفرٍ المنصورِ قدِم بيتَ المقدسِ سنة أربعين ومائةٍ ، فوجَد المسجدَ خرابًا ، فأمر أن يُقلعَ ذلك الذهبُ والصفائح التى على القبةِ والأبوابِ ، وأن يعمروا بها ما تشعَّث فى المسجدِ ، ففعَلوا ذلك . وكان المسجدُ طويلًا فأمَر أن يُؤخذَ مِن طولِه ويُزادَ فى عرضِه ، ولما كمَل البناءُ كتَب على القبةِ مما يلى البابَ القبلىَّ : أمَر ببنائِه بعد تشعيثِه أميرُ المؤمنين عبدُ الملكِ سنةَ اثنتين وسبعين مِن الهجرةِ النبويةِ ، وكان طولُ المسجدِ مِن القبلةِ إلى الشمالِ سبعمائةٍ وخمسة وستين ذراعًا ، وعرضُه أربعمائةٍ وستين ذراعًا ، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر » .

صِهْريجٍ ، وكانت صفائحُ القُبَّةِ ، وسقفُ الأَقْصى مِن صفائحِ الذَّهبِ عوضَ الرَّصاصِ ، وكذلك أبوابُ القُبّةِ صفائحُها ، وذلك أنه لما كمَل البناءُ فَضَل مِن المالِ ثلاثُمائةِ ألفِ دينارٍ ، وقِيل : ستُّمائةِ ألفٍ . وكتَب رجاءُ بنُ حَيْوةَ ويزيدُ إلى عبدِ الملكِ يُعرِّفانِه بذلك ، فكتَب إليهما : قد جعلتُه لكُما عِوضًا عن تعبِكما . فكتَبا إليه : إنّما قُمْنا بهذا البيتِ للَّه تعالى ، فلا نَقْبَلُ على ذلك عرَضَ الدُّنيا ولوَدِدْنا أنْ نزيدَ فيه مِن حَلْيِ نسائِنا . فكتَب إليهم : [٧/ ٤٠و] إذا أبيتُم ذلك فأَفْرِغاه على القبَّةِ والأبوابِ . فما كان أحدٌ يستطيعُ أنْ يتأمَّلَ القبةَ مما عليها مِن الذّهبِ . فلمَّا كان فى خلافةِ أبى جعفرٍ المنصورِ قدِم القدسَ سنةَ أربعين ومائةٍ فوجَد الأَقْصى وقِبابُه تشكو إليه الخرابَ ، فأمَر بقَلْعِ الصفائحِ التى على القُبّةِ والأبوابِ ، وأنْ يُعمَّرَ بها ما تشعَّثَ فى الحرمِ . ففعلوا ذلك . وكان المسجدُ طويلًا ، فأمَر أنْ يؤخَذَ مِن طولِه ويُزادَ فى عرضِه ، ولما كمَل البناءُ كتَبوا على القُبَّةِ مِمَّا يلِى البابَ القبلىَّ مِن جهةِ الأَقْصى بالنصِّ بعدَ البسملةِ : بنَى هذه القُبّةَ عبدُ اللَّهِ عبدُ الملكِ أميرُ المؤمنين سنةَ اثْنَتيْن وسبعينَ مِن الهجرةِ النبويةِ . وكان طولُ المسجدِ مِن القبلةِ إلى الشّمالِ سبعَمائةٍ وخمسةً وستين ذِراعًا ، وعرضُه أربعَمائةٍ وستينَ ذِراعًا . وكان فتحُ القدسِ سنةَ ستَّ عشْرةَ واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ(*) .

(*) إلى هنا نهاية السقط فى : ص .

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وستين

ففيها كان مقتلُ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ على يدَىْ إبراهيمَ بنِ الأشترِ النَّخَعِيِّ ؛ وذلك أنَّ إبراهيمَ بنَ الأشترِ خرَج مِن الكوفةِ يومَ السبتِ لثمانٍ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ فى السنةِ الماضيةِ ، ثم استهلَّتْ هذه السنةُ وهو سائرٌ لقصدِ ابنِ زيادٍ فى أرضِ الموصلِ ، فكان اجتماعُهما بمكانٍ يقالُ له : الخازِرُ[1] . بينَه وبينَ الموصلِ خمسةُ فراسِخَ[2] ، فبات ابنُ الأشترِ تلك الليلةَ ساهرًا لا يغتمِضُ بنومٍ ، فلمَّا كان قريبَ الصبحِ نهَض فعَبَّأَ جيشَه وكتَّب كتائبَه ، وصلَّى بأصحابِه الفجرَ فى أولِ وقتٍ ، ثم ركِب فناهَض جيشَ ابنِ زيادٍ ، وزحَف بجيشِه رويدًا وهو ماشٍ فى الرَّجّالةِ حتى أشرَفَ مِن فوقِ تلٍّ على جيشِ ابنِ زيادٍ ، فإذا هم لم يتحرَّكْ منهم أحدٌ ، فلمَّا رأَوْهم نهَضوا إلى خيلِهم وسلاحِهم مَدهوشين ، فركِب ابنُ الأشترِ فرسَه وجعَل يقِفُ على راياتِ القبائلِ فيحرِّضُهم على [٧/ ٤٠ظ] قتالِ ابنِ زيادٍ ويقولُ : هذا قاتلُ ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قد جاءكم اللَّهُ به وأمكَنكم اللَّهُ منه اليوم ، فعليكم به ؛ فإنه قد فعَل فى ابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لم يفعَلْه فرعونُ فى بنى إسرائيلَ ! هذا ابنُ زيادٍ قاتلُ الحسينِ الذى حالَ بينَه وبينَ الفُراتِ[3] أن يشرَبَ منه هو وأولادُه ونِساؤُه ، ومنَعه أن ينصرِفَ إلى بلدِه ، أو يأتِىَ يزيدَ بنَ

---

(١) فى الأصل : « الجاور » ، وفى ٣١، ص : « الحازر » ، وفى ٢١: « الجازر » .
وخازرٌ نهر بين إرْبِل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل . معجم البلدان ٢/ ٣٨٨.

(٢) بعده فى الأصل : « وكان ابن الأشتر فى ثمانية آلاف وابن زياد فى أربعين ألفا من أهل الشام وكان ابن الأشتر لا يسير إلا على نفسه فلما قاربوا أرسل عمير بن الحباب السلمى أنى معك وأتى إلى ابن الأشتر ليلًا فبايعه وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد ووعده أنه ينهزم بالناس وقال له لا تطاول القوم فإنهم أضعافكم ولكن ناجزهم فإنهم قد ملئوا منكم رعبا فقال ابن الأشتر الآن علمت أنك ناصح ثم انصرف » .

(٣) فى ٣١، ٢١: « الماء الفرات » . وفى م : « ماء الفرات » .

معاويةَ حتى قتَلَه ! [1] ويحَكم ، اشْفُوا صدورَكم منه ، وارْوُوا رماحَكم وسيوفَكم مِن دمِه ، هذا الذى فعَل فى آلِ نبيِّكم ما فعَل ، قد جاءَكم اللَّهُ به . ثم أكثَر مِن هذا القولِ وأمثالِه [1] ، ثم نزَل تحتَ رايتِه .

وأقبَلَ ابنُ زيادٍ [2] فى جيشٍ كثيفٍ قد جعَل على ميمنتِه حُصَينَ بنَ نُمَيرٍ ، وعلى الميسرةِ عُمَيرَ بنَ الحُبابِ السُّلَمىَّ - وكان قد اجتمَع بابنِ الأشترِ ووعَده أنه معه وأنه سينهزِمُ بالناسِ غدًا - وعلى خيلِ ابنِ زيادٍ شُرَحْبِيلُ بنُ ذِى [3] الكَلاعِ ، وابنُ زيادٍ فى الرَّجّالةِ يمشِى معهم ، فما كان إلّا أن تواقَفَ الفريقان حتى حمَل حصينُ بنُ نميرٍ بالميمنةِ على ميسرةِ أهلِ الكوفةِ [4] فهزَمها ، وقُتِل أميرُها علىُّ بنُ مالكٍ الجُشَمِىُّ ، فأخَذ رايتَه مِن بعدِه ولدُه قُرَّةُ [5] بنُ علىٍّ فقُتِل أيضًا ، واستمَرَّتِ [6] الميسرةُ ذاهبةً ، فجعَل ابنُ [7] الأشترِ يُنادِيهم : إلىَّ يا شرطةَ اللَّهِ ، أنا ابنُ الأشترِ . وقد كشَف عن رأسِه ليعرِفوه ، فالْتاثُوا به وانعطَفوا عليه ، واجتمَعوا إليه ، ثم حمَلتْ ميمنةُ أهلِ الكوفةِ على ميسرةِ أهلِ الشامِ . وقيل : بل انهزَمتْ ميسرةُ أهلِ الشامِ وانحازَتْ إلى ابنِ الأشترِ . ثم حمَل ابنُ الأشترِ بمَن معه وجعَل يقولُ لصاحبِ رايتِه : ادخُلْ برايتِك فيهم . وقاتَلَ ابنُ الأشترِ يومَئذٍ قتالًا عظيمًا ، وكان لا يضرِبُ بسيفِه رجلًا إلا صرَعه ، وكثُرتِ القتلَى بينَهم ، وقيل : إن

(١ - ١) فى الأصل : « فواللَّه ما عمل فرعون فعاله وقد جاءكم اللَّه به وإنى لأرجو أن يشفى صدوركم ويسفك دمه على يديكم » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فى خيله ورجله » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « العراق » .

(٥) فى النسخ : « محمد » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٨٩، والكامل ٤/ ٢٦٣. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٥٦.

(٦) فى الأصل : « انغمرت » ، وفى ٣١: « انتشرت » ، وفى ٢١: « انشمرت » .

(٧) سقط من : الأصل، ٢١ ، م .

ميسرةَ أهلِ الشامِ ثبتوا وقاتَلوا قتالًا شديدًا بالرماحِ ثم بالسيوفِ . ثم أردَفَ الحَمْلَةَ ابنُ الأشترِ ، فانهزَم جيشُ الشامِ بينَ يدَيه ، فجعَل يقتُلُهم كما تُقتَلُ الحُملانُ ، وأتْبَعهم بنفسِه ومَن معه مِن الشجعانِ ، وثبَت عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ فى موقفِه حتى اجتازَ به ابنُ الأشترِ فقتَله وهو لا يعرِفُه ، لكن قال لأصحابِه : التمِسُوا فى القتلَى رجلًا ضرَبتُه بالسيفِ فنفَحنى منه ريحُ المسكِ ، شرَّقتْ يداه وغرَّبتْ رجلاه ، وهو واقفٌ عندَ رايةٍ منفردةٍ على شاطئِ نهرِ خازِرَ[1] . فالتَمسُوه فإذا هو عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، وإذا هو قد ضرَبه ابنُ الأشترِ فقطَعه نصفَين ، [٧/ ٤١و] فاحتَزُّوا رأسَه وبعَثوه إلى المختارِ إلى الكوفةِ مع البِشارةِ بالنصرِ والظفرِ بأهلِ الشامِ . وقُتِل مِن رءوسِ أهلِ الشامِ أيضًا حصينُ بنُ نميرٍ وشرحبيلُ بنُ ذِى الكَلاعِ[2] ، وأتبَعَ الكوفيون أهلَ الشامِ فقتَلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وغرِق منهم أكثرُ ممَّن قُتِل ، واحْتازُوا ما كان فى معسكرِهم مِن الأموالِ والخيولِ .

وقد كان المختارُ بشَّر أصحابَه بالنصرِ قبل أن يجىءَ الخبرُ ، فما ندرِى أكان ذلك تفاؤلًا منه أو اتفاقًا وقَع له ، أو كهانةً - وأمَّا على ما كان يزعُمُ أصحابُه مِن أنه أُوحِى إليه بذلك فلا ، فإنَّ مَن اعْتقَد ذلك كفَر ، ومَن أقَرَّهم على ذلك كفَر - لكن قال : إنَّ الوقعةَ كانت بنَصِيبينَ . فأخطَأ مكانَها ، فإنَّها إنَّما كانت بأرضِ الموْصلِ ، وهذا ممَّا انتقَدَه عامرٌ الشعبىُّ على أصحابِ المختارِ حينَ جاءَه الخبرُ بالفتحِ[3] ، وقد خرَج المختارُ[4] مِن الكوفةِ ليتلَقَّى البِشارةَ ، فأتَى المدائنَ فصعِد

---

(١) فى الأصل ، ص : « حازر » ، وفى ٣١ ، ٢١ : « جار » .
(٢) بعده فى الأصل : « فأرسلها المختار إلى ابن الزبير فنصبت بمكة » .
(٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٤) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/٩١ .

منبرَها ، فبينما هو يخطُبُ إذ جاءَتْه البِشارةُ وهو هنالك . قال الشعبىُّ[1] : فقال لى بعضُ أصحابِه : أمَا سمِعتَه بالأمسِ يخبِرُنا بهذا ؟ فقلتُ له : [2]إنَّه زعَم أنَّ الوقعةَ كانتْ[2] بنصيبينَ مِن أرضِ الجزيرةِ ، وإنَّما قال البشيرُ : إنَّهم كانوا بالخازِرِ[3] مِن أرضِ الموصلِ . فقال : واللَّهِ لا تؤمِنُ يا شعبىُّ حتى ترَى العذابَ الأليمَ .

ثم رجَع المختارُ إلى الكوفةِ ، وفى غيبتِه هذه تمكَّن جماعةٌ ممَّن كان قاتَله يومَ جَبّانةِ السَّبِيعِ والكُناسةِ مِن الخروجِ إلى البصرةِ ؛ ليجتَمِعوا بمصعبِ بنِ الزبيرِ ، وكان منهم شَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ . وأمَّا ابنُ الأشترِ فإنَّه بعَث بالبشارةِ ورأسِ [4]عبيدِ اللَّهِ إلى المختارِ ، واستقَلَّ هو فى تلك البلادِ فبعَث أخاه لأمِّه عبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ اللَّهِ على نيابةِ نصيبينَ[4] ، وبعَث عمالًا إلى الموصلِ ، وأخَذ سِنْجارَ[5] ودارا[6] وما والاها[7] مِن الجزيرةِ .

وقال أبو أحمدَ الحاكمُ[8] : كان مقتلُ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ يومَ عاشوراءَ [9]سنةَ ستٍّ وستين . والصوابُ سنةَ سبعٍ وستين[9] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٩٢.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « أما سمعته يقول : إنهم قتلوا الشاميين » .

(٣) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « بالجازر » . وفى ص : « بالحازر » .

(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « ابن زياد وبعث رجلا على نيابة نصيبين واستمر مقيما فى تلك البلاد » .

(٥) مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .

(٦) بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين .

(٧) فى م : « ولاها » .

(٨) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٣.

(٩ - ٩) فى الأصل : « سنة ست وستين » . وفى ٣١ ، ٢١ : « سنة سبع وستين » . وفى حاشية الأصل فوق كلمة (ست) : (كذا والصواب سنة سبع وسبعين) .

وقد قال سراقةُ بنُ مِرداسٍ البارقيُّ يمدَحُ[1] ابنُ الأشترِ على قتلِه ابنَ زيادٍ[2] :

أَتاكمْ غُلامٌ مِنْ عَرانِينِ مَذحِجٍ ... جَرِيٌّ على الأَعداءِ غَيرُ نَكولِ
فَيا ابنَ زيادٍ بُؤْ بأَعْظمِ مالِكٍ[3] ... وذُقْ حَدَّ ماضى الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ
[٧/٤١ظ] ضَرَبْناك بالعَضْبِ الحُسامِ بحَدِّه[4] ... إذا ما أَبَأْنا[5] [6]قاتِلًا بِقَتيلِ[6]
جَزَى اللَّهُ خيرًا شُرْطَةَ اللَّهِ إنَّهم ... شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْسِ غَلِيلى

وهذه ترجمةُ ابنِ زيادٍ

هو عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادِ بنِ عبيدٍ ، المعروفُ بابنِ زيادِ بنِ أبى سفيانَ ، ويُقالُ له : زيادُ بنُ أبيه ، وابنُ سُمَيَّةَ[7] . أميرُ العراقِ بعدَ أبيه زيادٍ . وقال ابنُ معينٍ[8] : ويُقالُ له : عبيدُ اللَّهِ ابنُ مَرْجانةَ - وهى أمُّه . وقال غيرُه[9] : وكانت مجوسيةً . وكنيتُه [10]أبو حفصٍ[10] ، وقد سكَن دمشقَ بعدَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، وكانت له دارٌ عندَ

---

(١) بعده فى الأصل : « مروان » .
(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/٩٢ . وديوان سراقة ص ٨١، ٨٢.
(٣) فى ٣١، ٢١ ، م : « هالك » . وفى الديوان : مَأْبَأً .
(٤) فى تاريخ الطبرى : « بحِدَّةٍ » .
(٥) فى النسخ : « أتانا » . والمثبت من تاريخ الطبرى والديوان . والبواء : القصاص .
(٦ - ٦) فى م : « قتيلا بقتيل » . وفى ص : « قتيلا يقتل » .
(٧) ترجمته فى : التاريخ الكبير ٥/ ٣٨١، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ١٧٥.
(٨) تاريخ يحيى بن معين ٢/٣٨٢ بنحوه .
(٩) ذكر ابن عساكر بسنده عن المرزبانى أن أمه مرجانة سبية من أصبهان . ونقل الخطابى أنها كانت بنت بعض ملوك فارس . انظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٤، ٢١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ١٧٨.
(١٠ - ١٠) فى ص : « عبيد اللَّه أبو جعفر » .

الديماسِ[1] تُعْرَفُ بعدَه بدارِ ابنِ عجلانَ ، وكان مولدُه سنةَ تسعٍ وثلاثين فيما حَكاه ابنُ عساكرَ عن أبى العباسِ أحمدَ بنِ يونسَ الضبىِّ[2] .

قال ابنُ عساكرَ[3] : وروَى الحديثَ عن معاويةَ وسعدِ بنِ أبى وقاصٍ ومَعْقِلِ ابنِ يسارٍ . وحدَّث عنه[4] الحسنُ البصرىُّ وأبو المُليحِ بنُ أسامةَ . وقال أبو نعيمٍ الفضلُ بنُ دُكَينٍ[5] : ذكَروا أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ حينَ قتَل الحسينَ كان عمرُه ثمانيًا وعشرين سنةً . قلتُ : فعلى هذا يكونُ مولدُه سنةَ ثلاثٍ وثلاثين . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى ابنُ عساكرَ[6] أنَّ معاويةَ كتَب إلى زيادٍ أنْ أوفِدْ إلىَّ ابنَك . فلمَّا قدِم عليه لم يسأَلْه معاويةُ عن شىءٍ إلَّا نفَذ منه ، حتى سأَله عن الشِّعْرِ فلم يعرِفْ منه شيئًا ، فقال : ما منَعك مِن تعلُّمِ الشعرِ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنِّى كرِهْتُ أن أجْمَعَ فى صدْرِى مع كلامِ اللَّهِ[7] كلامَ الشيطانِ . فقال[8] : اغرُبْ[9] ، فواللَّهِ ما منعَنى مِن الفِرارِ يومَ صِفينَ إلَّا قولُ ابنِ الإطْنابةِ حيثُ يقولُ[10] :

---

(١) زقاق الديماس النافذ إلى سوق الأساكفة العُتُق . تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١١.

(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٢.

(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٢، بدون ذكر (معقل بن يسار) . لكنه ذكر بأسانيده سماع عبيد اللّه بن زياد معقلا . انظر ٤٤/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٤٤/٢١٣ (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) .

(٥) فى ٣١ : «ذكين» . والخبر بنحوه فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٢.

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤/ ٢١٤، ٢١٥ بنحوه .

(٧) فى ٣١ ، ٢١ ، م : «الرحمن» .

(٨) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : «معاوية» .

(٩) فى ٢١ : «اغربت» . وفى ص : «اعزب» .

(١٠) الأبيات تقدمت فى ١٠/ ٥٢٣، ٥٢٤.

أبتْ لى عِفَّتى وأَبَى بَلائى وأخذِى الحمدَ بالثَّمنِ الرَّبيحِ
وإعطائِى على الإعدامِ مالى وإِقْدامِى على البطلِ المُشِيحِ
وقَولِى كُلَّما جشَأَتْ وجاشَتْ مكانَكِ تُعْذَرِى[1] أو تَسْتَرِيحى
لأَدْفَعَ عنْ مآثِرَ صالحاتٍ وأحْمِىَ[2] بَعْدُ عن أَنْفٍ صَحِيحِ

ثم كتَب إلى أبيه : أنْ رَوِّه مِن الشعرِ ، فرَوّاه حتى كان لا يَسْقُطُ عنه منه شىءٌ[3] .

ومِن شعرِه بعدَ ذلك[4] :

سَيَعْلمُ مَرْوانُ ابنُ نسوةِ أَنَّنى إذا التَقَتِ الخَيلانِ أَطْعَنُها شَزْرا[5]
وأَنِّى إذا حَلَّ الضيوفُ ولم أجِدْ سوى فَرَسِى أوسَعْتُه لهمُ نَحْرا

وقد سأَل معاويةُ يومًا أهلَ البصرةِ عن ابنِ زيادٍ فقالوا[6] : إنَّه لظريفٌ ولكنَّه يَلْحَنُ . فقال : أَوَليسَ اللحنُ أظرفَ له ؟ قال ابنُ قتيبةَ وغيرُه[7] : إنَّما أرادوا أنَّه يَلْحَنُ فى كلامِه ، أى يُلْغِزُ . وهو ألْحَنُ بحجَّتِه كما قال الشاعرُ :

منطقٌ رائعٌ وتَلْحَنُ أحيا نًا وخيرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنَا

---

(١) فى ٢١ ، م : « تحمدى » .
(٢) فى الأصل : « أجمى » .
(٣) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « بعد ذلك » .
(٤) البيتان فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٤.
(٥) فى ٣١ : « شررا » . والطعن الشَّزْر : ما طَعَنْتَ بيمينك وشمالك . تاج العروس (ش ز ر)
(٦) الخبر مطولاً فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٦.
(٧) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٤١٧ -٤١٩ بنحوه . وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢١٦.

وقيلَ : إنَّهم إنَّما[1] أرادوا أنه يلحَنُ [2]فى قولِه لحنًا وهو ضدُّ الإعرابِ . وقيل : أرادوا اللحنَ الذى هو ضدُّ الصوابِ . وهو الأشْبهُ واللَّهُ أعلمُ[2] . فاستحسَنَ معاويةُ منه السهولةَ فى الكلامِ وأنَّه لم يكنْ ممَّن يَتَغَنَّى[3] فى كلامِه ويفخِّمُه ، ويتشدَّقُ فيه ، وقيل : أرادوا أنَّه كانت فيه لُكْنةٌ مِن كلامِ العجمِ ؛ فإنَّ أمَّه مَرْجانةَ كانت سُرِّيَّةً[4] ، وكانت بنتَ بعضِ ملوكِ الأعاجمِ ؛ يَزْدَجِردَ أو غيرِه . قالوا : وكان فى كلامِه شىءٌ مِن كلامِ العجمِ ؛ قال يومًا لبعضِ الخوارجِ : أَهَرُورِىٌّ أنت ؟ يعنى : أَحَرُورِىٌّ أنت ؟ وقال يومًا : مَن كاتَلَنا كاتَلْناه . أى : مَن قاتَلَنا قاتَلْناه . وقولُ معاويةَ : ذاك أظرفُ له . أى أجودُ له حيثُ نزَع إلى أخوالِه ، وقد كانوا يوصَفون بحسنِ السياسةِ وجودةِ الرعايةِ ومحاسنِ الشيمِ .

ثمَّ لمَّا ماتَ زيادٌ سنةَ ثلاثٍ وخمسين ولَّى معاويةُ على البصرةِ سَمُرَةَ بنَ جُنْدُبٍ سنةً ونصفًا ، ثمَّ عزَله وولَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ غَيْلانَ بنِ سلمةَ ستةَ أشهرٍ ، ثم عزَله وولَّى [٧/ ٤٢و] عليها ابنَ زيادٍ سنةَ خمسٍ وخمسين . فلمَّا تولَّى يزيدُ الخلافةَ جَمَع له بينَ البصرةِ والكوفةِ ، فبنَى فى إمارةِ يزيدَ البيضاءَ[5] ، وجعَل بابَ القصرِ الأبيضِ الذى كان لكسرَى عليها ، وبنَى الحمراءَ وهى على سكةِ المِرْبَدِ ، فكان يشتُو فى الحمراءِ ويصيفُ فى البيضاءِ .

قالوا[6] : وجاءَ رجلٌ إلى ابنِ زيادٍ فقال : أصلَحَ اللَّهُ الأميرَ ، إنَّ امرأتى ماتَتْ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « فى كلامه اللحن الذى هو ضد الإعراب » .

(٣) فى م ، ص : « يتعمق » .

(٤) فى م ، ص : « سيرويه » . والسُّرِّيَّة : الأمة التى بوأتها بيتًا منسوبة إلى السر بالكسر للجماع من تغيير النسب . القاموس المحيط (س ر ر) .

(٥) البيضاء : دار عمّرها عبيد اللّه بن زياد بن أبيه بالبصرة . معجم البلدان ١/ ٧٩٢.

(٦) انظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٤.

وإنِّى أُريدُ أن أتزوَّجَ أمَّها[1] . فقال له : كم عطاؤُك فى الديوانِ ؟ فقال : سبعُمائةٍ . فقال : يا غلامُ حُطَّه مِن عطائِه أربعَمائةٍ . ثم قال له : يكفِيك مِن فِقْهِك هذا ثلاثُمائةٍ ! .

قالوا : وتخاصَمَتْ أمُّ الفُجَيْعِ[2] وزوجُها إليه وقد أحبَّتِ المرأةُ أن تفارِقَ زوجَها ، فقال أبو الفُجَيْعِ[2] : أصلَحَ اللَّهُ الأميرَ ، إنَّ خيرَ شطرِي الرجلِ آخرُه ، وإنَّ شرَّ شطرِي المرأةِ آخرُها . فقال له : وكيف ذاك ؟ فقال : إنَّ الرجلَ إذا أسنَّ اشتدَّ عقلُه ، واستحكَمَ رأيُه ، وذهَب جهلُه ، وإنَّ [٧/ ٤٢ظ] المرأةَ إذا أسنَّتْ ساءَ خلقُها[3] ، وعقِم رحمُها ، واحتَدَّ لسانُها . فقال : صدقْتَ ، خُذْ بيدِها وانصرِفْ .

وقال يحيى بنُ معينٍ[4] : أمَر ابنُ زيادٍ لصفوانَ بنِ مُحْرِزٍ بألفَىْ درهمٍ فسُرِقَتْ ، فقال : عسَى أن يكونَ خيرًا . فقال أهلُه : كيف يكونُ هذا خيرًا ؟ فبلَغ ذلك ابنَ زيادٍ ، فأمَر له بألفينِ آخَرين ، ثم وجَد الألفين[5] فصارَتْ أربعةَ آلافٍ فكان خيرًا .

وقيل لهندَ بنتِ أسماءَ بنِ خارجةَ - وكانتْ قد تزوَّجَتْ [6]بعدَّةِ أزواجٍ[6] مِن نوّابِ العراقِ : مَن أعزُّ أزواجِك عندَكِ وأكرمُهم عليكِ ؟ فقالَتْ[4] : ما أُكرِم النساءُ[7] إكرامَ بشرِ[8] بنِ مروانَ ، ولا هابَ النساءُ هيبةَ الحجاجِ بنِ يوسفَ ،

---

(١) بعد هذا فى تاريخ دمشق : « وليس عندى تمام صداقها فأعِنِّى » .
(٢) فى م : « الفجيج » . انظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٣.
(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وقل عقلها » .
(٤) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٤.
(٥) أى اللذين سُرِقا .
(٦ - ٦) فى ٢١ ، م : « بعده أزواجا » . وفى ص : « بعده بأزواج » .
(٧) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « أحد » .
(٨) فى م : « بشير » .

ووَدِدْتُ أنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، فأرَى عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ وأشتَفِى مِن حديثِه والنظرِ إليه . وكان [1]أبا عُذْرِها[1] . وقد تزوَّجَتْ بالآخَرَينِ أيضًا .

وقال عثمانُ بنُ أبى شيبةَ ، عن جريرٍ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ قال[2] : أولُ مَن جهَر بالْمُعَوِّذتين فى المكتوبةِ ابنُ زيادٍ . قلتُ : يعنى - واللَّهُ أعلمُ - فى الكوفةِ ، فإنَّ ابنَ مسعودٍ كان لا يكتبُهما فى مصحفِه ، وكان فقهاءُ الكوفةِ عن كبراءِ[3] أصحابِ ابنِ مسعودٍ يأخُذون . واللَّهُ أعلمُ .

وقد كان فى ابنِ زيادٍ جرأةٌ وإقدامٌ [4]ومبادرةٌ إلى ما لا يجوزُ ، وما لا حاجةَ له به[4] . ثبَت فى الحديثِ الذى رَواه أبو يعلَى ومسلمٌ ، كلاهما عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن جريرٍ ، عن الحسنِ[5] ، أنَّ عائِذَ[6] بنَ عمرٍو دخَل على عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ فقال : أىْ بُنَىَّ ، إنِّى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ شَرَّ الرِّعاءِ الْحُطَمَةُ ، فإيَّاكَ أنْ تكونَ منهم » . فقالَ له : اجْلِسْ ، فإنَّما أنت مِن نُخالَةِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقالَ : وهَلْ كانَتْ فيهم نُخالةٌ ؟ إنَّما كانتِ النُّخالةُ بعدَهم وفى غيرِهم . وقد روَى غيرُ واحدٍ ، عن الحسنِ[7] ، أنَّ عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ دخَل على مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ يعودُه فقال : إنِّى محدِّثُك بحديثٍ سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛

(١ - ١) فى م : « أتى عذارتها » . والمراد أنه تزوجها بكرًا .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٢٥.

(٣) فى الأصل : « كثير من » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « على سفك الدماء قتل خلقا كثيرًا صبرا وكان سفيها شديدا وكان فيه مبادرة إلى ما لا حاجة له به » . وفى ص : « ومبادرة إلى ما لا حاجة له به » .

(٥) مسلم (٢٣/ ١٨٣٠) . وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٣١، ٢٣٢ من طريق أبى يعلى .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) أخرجه بنحوه البخارى (٧١٥٠، ٧١٥١) ، ومسلم (٢٢٧/ ١٤٢، ٢١/١٤٢ باب فضيلة الإمام العادل ...، من كتاب الإمارة) ، وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٢٣٠.

أنَّه قال : « ما مِن رجلٍ استرعاه اللَّهُ رعيَّةً ، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لهم ، إلَّا حرَّم اللَّهُ عليه الجنةَ » . فذكَر غيرُ واحدٍ أنَّه لمَّا ماتَ مَعْقِلٌ صلَّى عليه عبيدُ اللَّهِ بنُ [٧/ ٤٣و] زيادٍ ولم يشهَدْ دفنَه ، واعتذَرَ بما ليس يُجْدِى شيئًا وركِب إلى قصرِه .

ومِن جراءَتِه إقدامُه على الأمرِ بإحضارِ الحسينِ إلى بينِ يدَيْه وإنْ قُتِل دونَ ذلك . وكان الواجبُ عليه أن يُجِيبَه إلى سؤالِه الذى سألَه فيما طلَب مِن ذَهابِه إلى يزيدَ ، أو إلى مكةَ ، أو إلى أحدِ الثغورِ ، فلمَّا أشارَ عليه شَمِرُ بنُ ذى الجوشنِ بأنَّ الحزمَ أنْ يُحْضَرَ عندَك وأنت تسيِّرُه بعدَ ذلك إلى حيثُ شئتَ مِن هذه الخصالِ أو غيرِها ، فوافَقَ شمرًا على [(١)] ما أشارَ به مِن إحضارِه بينَ يدَيْه ، فأبَى الحسينُ أن يحضُرَ عندَه ليقضِىَ فيه بما يراه ابنُ مَرْجانةَ ، وقد تعِس وخابَ وخسِر ، فليسَ لابنِ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يحضُرَ بينَ يدَيِ ابنِ مَرْجانةَ الخبيثِ .

وقد قالَ [(١)] محمدُ بنُ سعدٍ [(٢)] : أنا الفضلُ بنُ دُكَيْنٍ ومالكُ بنُ إسماعيلَ قالا : [(٣)] حدَّثَنا عبدُ السلامِ بنُ حَرْبٍ ، عن عبدِ الملكِ [(٣)] بنِ كُرْدُوسٍ ، عن حاجبِ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ قال : دخَلْتُ معه القصرَ حينَ قُتِل الحسينُ ، قال : فاضْطَرَم فى وجْهِه نارًا - أو كلمةً نحوَها - فقال بكُمِّه هكذا على وجهِه ، وقال : لا تحدِّثَنَّ بهذا [(٤)] أحدًا .

وقال شريكٌ ، عن مغيرةَ قال [(٥)] : قالتْ مَرجانةُ لابنِها عبيدِ اللَّهِ : يا خبيثُ ، قتَلْتَ ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لا ترَى الجنةَ أبدًا .

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « ذلك وبعثه به فقتل الحسين كما قدمنا فقال » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٣٢ من طريق محمد بن سعد به .

(٣ - ٣) فى ص : « ثنا عبد اللَّه بن سلام بن حرب عن عبد اللَّه » .

(٤) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « بها » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٣٢ .

وقد قدَّمْنا[1] أنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ لمَّا مات بايعَ الناسُ فى المِصرَينِ لعبيدِ اللَّهِ حتى يجتمعَ الناسُ على إمامٍ، ثم خرَجوا عليه فأخرَجوه مِن بينِ أظْهُرِهم، فسارَ إلى الشامِ فاجْتمَعَ بمروانَ، وحسَّن له أنْ يتولَّى الخلافةَ ويدعو إلى نفسِه، ففعَل ذلك، فكان مِن أمرِه ما تقدَّم مع الضحاكِ بنِ قيسٍ. ثم سيَّره مروانُ فى جيشٍ إلى العراقِ، فالتقَى بعينِ الوردةِ مع سليمانَ بنِ صُردَ ومَن كان معه مِن الجيشِ الذين يُسمَّون جيشَ التوَّابين فكسَرهم، واستمَرَّ قاصدًا الكوفةَ فى ذلك الجيشِ، فتعوَّقَ فى الطريقِ بسببِ مَن كان يمانِعُه [2]فى أرضِ[2] الجزيرةِ مِن الأعداءِ ممَّن بايَعَ لابنِ الزبيرِ. ثم اتَّفَق خروجُ ابنِ الأشترِ إليه فى سبعةِ آلافٍ، وكان مع ابنِ زيادٍ أضعافُ ذلك، ولكن ظفِر به ابنُ الأشترِ، فقتَله شرَّ قِتلةٍ، على شاطئِ نهرِ الخازِرَ[3] قريبًا مِن الموصلِ بخمسِ مراحلَ.

[٧/٤٣ظ] قال أبو أحمدَ الحاكمُ[4]: وكان ذلك يومَ عاشوراءَ. قلتُ: وهو اليومُ الذى قُتِل فيه الحسينُ.

ثم بعَث ابنُ الأشترِ برأسِه إلى المختارِ ومعه رأسُ حصينِ بنِ نميرٍ وشرحبيلِ بنِ ذى الكَلاعِ وجماعةٍ مِن رؤساءِ أصحابِهم، فسُرَّ بذلك المختارُ.

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5]: حدَّثنى يوسفُ بنُ موسى، حدَّثنا[6] جريرٌ، عن

---

(١) تقدم فى ١١/ ٦٧٠، ٦٧١.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «من أهل».

(٣) فى الأصل، ٣١، ٢١: «الجازر».

(٤) تاريخ دمشق ٤٤/ ٢١٣.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٢٨.

(٦) فى م: «بن». وهو جرير بن عبد الحميد بن قُرْط الضَّبِّىُّ، روى عن يزيد بن أبى زياد، وروى عنه يوسف بن موسى. انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٤٢، ٥٤٣، ٣٢/ ١٣٧.

يزيدَ بنِ أبى زيادٍ قال : لمَّا جِىءَ برأسِ ابنِ مَرجانةَ وأصحابِه ، طُرِحَتْ بينَ يدَيِ المختارِ ، فجاءَتْ حَيَّةٌ دقيقةٌ[1] تخلَّلتِ الرءُوسَ حتى دخَلَتْ فى فمِ ابنِ مَرجانةَ وخرَجَتْ مِن مِنْخَرِه ، ودخَلَتْ فى منخرِه وخرَجَتْ مِن فمِه ، وجعَلَتْ تدخُلُ وتخرُجُ مِن رأسِه مِن بينِ الرءوسِ . ورَواه الترمذىُّ[2] مِن وجهٍ آخرَ بلفظٍ آخرَ ؛ فقال : حدَّثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعلى ، [3]حدَّثنا أبو[3] معاويةَ عن الأعمشِ ، عن عُمارةَ بنِ عميرٍ ، قال : لمَّا جىءَ برأسِ عبيدِ اللَّهِ وأصحابِه نُضِّدَتْ[4] فى المسجدِ فى الرَّحَبَةِ ، فانْتَهَيْتُ إليهم[5] وهم يقولون : قد جاءَتْ ، قد جاءَتْ . فإذا حَيَّةٌ قد جاءَتْ تَخَلَّلُ الرءوسَ حتى دخَلَتْ فى مِنْخَرَىْ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فمكَثَتْ هُنَيْهَةً ثم خرَجَتْ فذهَبَتْ حتى تغيَّبَتْ ، ثم قالوا : قد جاءَتْ ، قد جاءَتْ . ففعَلَتْ ذلك مرَّتين أو ثلاثًا . قال الترمذىُّ : وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو سليمانَ بنُ زَبْرٍ[6] : وفى سنةِ ستٍّ وستين قالوا : فيها قُتِل عبيدُ اللَّهِ ابنُ زيادٍ والحُصينُ بنُ نُميرٍ ، وَلِىَ قتْلَهما إبراهيمُ بنُ الأشترِ ، وبعَث برءوسِهما[7] إلى المختارِ فبعَث بهما إلى ابنِ الزبيرِ ، فنُصِبَتْ بمكةَ والمدينةِ . وهكذا حكَى ابنُ عساكرَ ، عن أبى أحمدَ الحاكمِ وغيرِه[8] ، أنَّ ذلك كان فى سنةِ ستٍّ وستين - زاد أبو أحمدَ : فى يومِ عاشوراءَ - وسكَت ابنُ عساكرَ عن ذلك ، والمشهورُ أنَّ

---

(١) فى ٣١، ٢١: «دقيقة ثم». وفى م: «رقيقة ثم».

(٢) الترمذى (٣٧٨٠).

(٣ - ٣) فى م: «بن أبى». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٨٣.

(٤) فى الأصل: «نصبت». وفى م: «فنصبت». وفى ص: «فصبت».

(٥) فى م: «إليها». والمثبت كما فى الترمذى.

(٦) فى الأصل، ٣١، م، ص: «زيد» وفى ٢١: «يزيد». والمثبت من تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٧.

(٧) فى تاريخ دمشق: «برءوسهم».

(٨) تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٧.

ذلك كان فى سنةِ سبعٍ وستين، كما ذكَره ابنُ جريرٍ وغيرُه[1]. ولكنَّ بعْثَ الرءُوسِ إلى ابنِ الزبيرِ فى هذه السنةِ متعذِّرٌ؛ لأن العداوةَ كانت قد قَوِيَتْ وتحقَّقَتْ بينَ المختارِ وابنِ الزبيرِ فى هذه السنةِ [2]كما ذكَرنا[2]، وعمَّا قليلٍ [3]أَمَر ابنُ الزبيرِ أخاه مصعبًا أن يسيرَ[3] مِن البصرةِ إلى الكوفةِ لحصارِ المختارِ وقتالِه. واللَّهُ أعلمُ.

مقتلُ المختارِ بنِ أبى عبيدٍ الثقفىِّ الكذابِ[4] على يَدَىْ مصعبِ بنِ الزبيرِ [5]وأهلِ البصرةِ[5]

كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ قد عزَل فى هذه السنةِ عن نيابةِ البصرةِ الحارثَ بنَ [6]عبدِ اللَّهِ[6] بنِ أبى ربيعةَ المخزومىَّ المعروفَ بالقُبَاعِ، وولّاها لأخيه مصعبِ بنِ الزبيرِ؛ ليكونَ رِدْءًا وقِرْنًا وكُفُؤًا للمختارِ، فلمَّا قدِم مصعبٌ البصرةَ دخَلها مُتَلَثِّمًا [٤٤/٧و] فيمَّمَ المنبرَ، فلمَّا صعِده قال الناسُ: أميرٌ أميرٌ. فلمَّا كشَف اللِّثامَ عرَفَه الناسُ فأَقْبَلوا إليه، وجاء القُبَاعُ فجلَس تحتَه بدرجةٍ، فلمَّا اجتَمَع الناسُ قامَ مصعبٌ خطيبًا، فاستفْتَح «القصصَ» حتى بلَغ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]. وأشارَ بيدِه نحوَ الشامِ أو الكوفةِ، ثم قال:

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٧٩.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٣ - ٣) فى الأصل: «سير مصعب». وفى ص: «فسير مصعب».

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٩٣، والكامل ٤/ ٢٦٧، والمنتظم ٦/ ٦٤.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦ - ٦) فى ٢١: «عبيد اللَّه». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨١.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥] . وأشارَ إلى الحجازِ ، وقال[١] : يا أهلَ البصرةِ ، إنّكم تُلَقِّبون أُمراءَكم ، وقد سمَّيتُ نفسى الجزّارَ . فاجتَمَع عليه الناسُ وفرِحوا به . ولمَّا انهزَمَ أهلُ الكوفةِ حينَ خرَجوا على المختارِ فقهَرهم وقتَل منهم مَن قتَل ، كان لا ينهزِمُ أحدٌ مِن أهلِها إلَّا قصَد البصرةَ ، ثم لمَّا[٢] خرَج المختارُ [٣]لتلَقِّى ابنِ الأشترِ حينَ بلَغه أنه قتَل ابنَ زيادٍ[٣] ، اغتنَم مَن بقِى بالكوفةِ مِن أعداءِ المختارِ غَيبتَه ، فذهَبوا إلى البصرةِ فِرارًا مِن المختارِ ؛ لقلَّةِ دِينهِ وكفرِه ودَعْواه أنَّه يأتِيه الوحىُ ، وأنَّه قدَّم الموالىَ على الأشرافِ . واتَّفَق أنَّ ابنَ الأشترِ حينَ قتَل ابنَ زيادٍ اشتَغَل[٤] بتلك النواحِى ، فأَحْرَز بلادًا وأقاليمَ ورَساتيقَ[٥] لنفسِه ، واستهانَ بالمختارِ ، فطمِع مصعبٌ فيه وبعَث محمدَ بنَ الأشعثِ بنِ قيسٍ على البريدِ إلى المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ ، وهو نائبُهم على خراسانَ ، فقدِم فى تجملٍ عظيمٍ ومالٍ ورجالٍ وعَدَدٍ وعُدَدٍ وجيشٍ كثيفٍ ، ففرِح به أهلُ البصرةِ وتقوَّى به مصعبٌ ، فركِب فى أهلِ البصرةِ ومَن اتَّبعهم مِن أهلِ الكوفةِ فركِبوا [٦]فى البحرِ والبرِّ[٦] قاصدِين الكوفةَ .

[٧]وقدَّم مصعبٌ بينَ يدَيه عَبّادَ بنَ الحُصَيْنِ ، وجعَل على ميمنتِه عمرَ بنَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ ، وعلى الميسرةِ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ ، ورتَّب الأمراءَ[٧]

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٩٣.

(٢) سقط من: م .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م: «ليلتقى بالذى جاء بالرءوس والبشارة» .

(٤) فى الأصل: «واشتغل» . وفى م: «واستقل» .

(٥) جمع (رُسْتاق)، وهو السَّواد والقُرَى . تاج العروس (ر س ت ق) و (ر ز د ق) .

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: فى البر وساروا» .

(٧ - ٧) فى الأصل، ص: «فسمع المختار بأمرهم» .

(١) على راياتِها وقبائِلِها ؛ كمالكِ بنِ مِسْمَعٍ ، والأحنفِ بنِ قيسٍ ، وزيادِ بنِ عمرَ ، وقيسِ بنِ الهيثمِ وغيرِهم . وخرَج المختارُ بعسكَرِه فنزَل المَذارَ[٢] ، وقد جعَل على مقدَّمَتِه أبا كاملٍ الشَّاكِرِيَّ[٣] ، وعلى ميمنتِه عبدَ اللَّهِ بنَ كاملٍ ، وعلى ميسرتِه عبدَ اللَّهِ بنَ وهبٍ الجُشَمِيَّ ، وعلى الخيلِ وزيرَ بنَ عبدِ اللَّهِ السَّلُولِيَّ ، وعلى الموالى أبا عَمْرَةَ صاحبَ شرطتِه(١) . ثم خطَب الناسَ وحثَّهم على الخروجِ ، وبعَث بينَ يدَيه الجيوشَ ، وركِب هو وخَلْقٌ مِن أصحابِه وهو يبشِّرُهم بالنصرِ . فلمَّا انتهَى مصعبٌ إلى قريبِ[٤] الكوفةِ لقِيَتْهم الكتائبُ المختاريةُ ، فحمَلتْ عليهم الفرسانُ الزبيريةُ ، فما لبِثتِ المختاريةُ إلَّا يسيرًا حتى هرَبوا على حِمْيَةٍ ، وقد قُتِل منهم جماعةٌ مِن الأمراءِ ، وخَلْقٌ مِن القُرّاءِ ، وطائفةٌ كثيرةٌ مِن الشيعةِ الأغبياءِ[٥] ، ثم انتهَتِ الهزيمةُ إلى المختارِ .

وقال الواقدىُّ[٦] : لمَّا انتهَتْ مقدَّمةُ المختارِ إليه ، جاءَ مصعبٌ فقطَع الدجلةَ إلى الكوفةِ وقد حصَّن المختارُ القصرَ واستعمَلَ عليه عبدَ اللَّهِ بنَ شَدّادٍ ، وخرَج المختارُ بمَن بقِى معه فنزَل حَرُوراءَ ، فلمَّا قرُب جيشُ مصعبٍ منه جهَّز إلى كلِّ قبيلةٍ كُرْدوسًا ، فبعَث إلى بكرِ بنِ وائلٍ سعيدَ بنَ مُنْقِذٍ ، وإلى عبدِ القيسِ مالكَ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « فسمع المختار بأمرهم » .

(٢) فى النسخ : « المدار » . والمثبت من الطبرى ٦/ ٩٦، والكامل ٤/ ٢٦٨.

والمذار فى مَيْسان بين واسط والبصرة وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . (معجم البلدان ٤/ ٤٦٨) .

(٣) نصَّ السمعانى فى الأنساب على ضم الكاف ، وقال : هكذا رأيت ضم الكاف من كتاب « الجرح والتعديل » لابن أبى حاتم مقيَّدًا مضبوطًا . ٧/ ٢٥٨. وقال ابن الأثير : الصحيح كسر الكاف من « شاكر » ومن ضمه فقد أخطأ . اللباب ٢/ ٦. وانظر لب اللباب ٢/ ٤٥.

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « وثلة من أصحاب المختار ذى القول الفراء » .

(٦) أورده الطبرى فى تاريخه ٦/ ١١٤، ١١٥. وانظر الكامل ٤/ ٢٧٧.

ابنَ المنذرِ[1] ، وإلى العاليةِ عبدَ اللَّهِ بنَ جَعْدَةَ ، وإلى الأزدِ مسافرَ بنَ سعيدٍ ، وإلى بنى تميمٍ سُلَيْمَ بنَ يزيدَ الكِنْدىَّ ، وإلى محمدِ بنِ الأشعثِ السائبَ بنَ مالكٍ ، ووقَف المختارُ فى بقيةِ أصحابِه ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا إلى الليلِ ؛ فقُتِل أعيانُ أصحابِ المختارِ ، وقُتِل تلك الليلةَ محمدُ بنُ الأشعثِ ، [2]وعبيدُ اللَّهِ[2] بنُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ .

وتفرَّقَ عن المختارِ باقى أصحابِه ، فقيل له : القصرَ القصرَ . فقال[3] : واللَّهِ ما خرَجتُ منه وأنا أريدُ أن أعودَ إليه ، ولكنَّ هذا حكمُ اللَّهِ . ثم سارَ إلى القصرِ فدخَله ، وجاءَه مصعبٌ ففرَّق القبائلَ فى نواحِى الكوفةِ ، واقتسَموا المحَالَّ ، وخلَصوا إلى القصرِ . وقد منَعوا المختارَ المادةَ والماءَ ، وكان المختارُ يخرُجُ فيُقَاتِلُهم ثم يَعودُ إلى القصرِ . ولمَّا اشتَدَّ عليه الحصارُ قال لأصحابِه[4] : إنَّ الحصارَ لا يَزيدُنا إلا ضَعْفًا ، فانزِلُوا بنا حتى نقاتِلَ حتى الليلِ حتى نموتَ كرامًا . فوَهَنوا ، فقال : أمَّا أنا[5] ، فواللَّهِ لا أُعْطِى بيدِى . ثم اغتَسَل وتطيَّبَ وتحنَّطَ وخرَج ، فقاتَل هو ومَن معه حتى قُتِلوا .

وقيل : بل أشارَ عليه جماعةٌ مِن أساورتِه بأن يدخُلَ القصرَ دارَ إمارتِه ، فدخَله وهو ملومٌ مذمومٌ ، [٧/ ٤٤ظ] وعن قريبٍ ينفُذُ فيه القدَرُ المحتومُ ، فحاصَرَه مصعبٌ فيه وجميعَ أصحابِه ، حتى أصابَهم مِن جهدِ العطشِ ما اللَّهُ به عليمٌ ،

---

(١) فى م : « منذر » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « وعمير » . والمثبت من الطبرى ٦/ ١٠٤، والكامل ٤/ ٢٧٢. وانظر نسب قريش ٤٣، ٤٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١٠١.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥) سقط من : م .

وضيَّق عليهم المسالكَ والمقاصدَ، وانسَدَّتْ عليهم أبوابُ الحيلِ، وليس فيهم رجلٌ رشيدٌ ولا حليمٌ، ثم جعَل المختارُ يُجيلُ فكرتَه ويكرِّرُ رَوِيَّتَه فى الأمرِ الذى قد حلَّ به[1]، واستشارَ مَن عندَه [2]مِن الموالى والعبيدِ[2]، ولسانُ القدَرِ والشرعِ يُنادِيه ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. ثم قوَّى عزمَه قوةُ الشجاعةِ المركبةِ فيه على أن أَخْرَجَتْه مِن بينِ أَظْهُرِ[3] مَن كان يُحالِفُه ويُوَاليه، ورأَى أن يموتَ على فرسِه، حتى يكونَ عليها انقضاءُ آخرِ نَفَسِه، فنزَل حَمِيَّةً وغضبًا، وشجاعةً وكَلَبًا، وهو مع ذلك لا يجِدُ مناصًا ولا مفرًّا ولا مهربًا، وليس معه مِن أصحابِه سوى تسعةَ عشرَ. ولعلَّه إن كان قد استمَرَّ على ما عاش عليه أن لا يُفارقَه التسعةَ عشرَ الموكَّلون بسَقَرَ. [4]ولمَّا خَرَج مِن القصرِ قالَ لأصحابِ مصعبٍ: أتُؤَمِّنونى؟ قالوا: لا، إلَّا على حُكْمِ الأميرِ. فقالَ: إلَّا حُكْمَ نفسى أبدًا. ثم قاتَلَ قتالًا شديدًا، وتقدَّم[4] إليه رجلان شقيقان أخوان؛ وهما طَرَفةُ وطرّافٌ[5] ابنا عبدِ اللَّهِ بنِ دَجاجةَ مِن بنى حَنِيفةَ، فقتَلاه بمكانِ الزّيّاتين مِن الكوفةِ، واحتَزّا رأسَه وأتَيا به إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ، وقد دخَل قصرَ الإمارةِ[6]، فوُضِع بينَ يدَيه، كما وُضِع رأسُ ابنِ زيادٍ بينَ[7] يدَيِ المختارِ، [8]وكما وُضِع[8]

---

(١) بعده فى ص: «والأمر الجلل الذى قد اتصل سببه السيئ بسببه».

(٢ - ٢) فى الأصل: «من جهة الموالى والعبيد». وفى ٣١، ٢١: «فى هذا السبب السيئ الذى قد اتصل سببه بسببه من الموالى والعبيد».

(٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: ولما خرج من القصر سأل أن يخلى سبيله فيذهب فى أرض اللَّه فقالوا له إلا على حكم الأمير والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم». وفى ص: «والمقصود أنه تقدم».

(٥) فى الأصل: «طرافة». وانظر الطبرى ٦/ ١٠٨.

(٦) بعده فى الأصل، ص: «من الكوفة».

(٧) فى م: «بنى».

(٨ - ٨) فى الأصل، ص: «قبل ذلك قريبا».

(١) رأسُ الحسينِ بينَ يدَيِ ابنِ زيادٍ - وكما سيُوضَعُ رأسُ مصعبٍ بينَ يدَىْ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ - فلمَّا وُضِع رأسُ المختارِ بينَ يدَىْ مصعبٍ أمَر لهما بثلاثين ألفًا(١) .

وقد قتَل مصعبٌ جماعةً مِن المختاريةِ فى المعركةِ وأسَر منهم خمسَمائةِ أسيرٍ ، فضُرِبَتْ أعناقُهم عن آخِرِهم فى يومٍ واحدٍ . وقد قُتِل مِن(٢) أصحابِ مصعبٍ فى الوقعةِ محمدُ بنُ الأشعثِ بنِ قيسٍ .

وأمَر مصعبٌ بكفِّ المختارِ فقُطِعَتْ وسُمِرَتْ إلى جانبِ المسجدِ ، فلم يزلْ هنالك حتى قدِم الحجاجُ ، فسأَلَ عنها فقيل له : هى كفُّ المختارِ . فأمَر بها فرُفِعَتْ وانتُزِعَتْ مِن هنالك ؛ لأنَّ المختارَ كان مِن قبيلةِ الحجاجِ - فالمختارُ هو الكذّابُ ، والمبيرُ الحجاجُ - ولهذا أخَذ الحجاجُ بثأرِه مِن ابنِ الزبيرِ فقتَله وصلَبه شهورًا .

وقد سأَل مصعبٌ أمَّ ثابتٍ بنتَ سَمُرَةَ بنِ جُندبٍ امرأةَ المختارِ عنه فقالت(٣) : ما عسى أن أقولَ فيه إلَّا ما تقولون أنتم فيه ؟ فترَكها واستَدْعَى بزوجتِه الأُخرى ؛ وهى عَمْرَةُ بنتُ النعمانِ بنِ بشيرٍ ، فقالَ لها : ما تقولين فيه ؟ فقالَتْ(٣) : رَحِمَه اللَّهُ ، لقد كانَ عبدًا مِن عبادِ اللَّهِ الصالحين . فسَجَنَها وكتَب إلى أخيه : إنَّها [٧/ ٤٥و] تقولُ إنَّه نبىٌّ . فكتَب إليه أن أَخْرِجْها فاقْتُلْها . فأَخْرَجَها إلى ظاهرِ البلدِ فضُرِبَتْ ضَرَباتٍ حتى ماتَتْ ، فقال فى ذلك عمرُ بنُ أبى ربيعةَ(٤) المخزومىُّ :

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « قبل ذلك قريبا » .

(٢) بعده فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « عيون » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١١٢ ، والكامل ٤/ ٢٧٥ .

(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « رمثة » . والأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/ ١١٢ ، والكامل ٤/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ . وانظر ديوانه ٤٩٨ ، مع اختلاف فى الرواية .

إنَّ مِنْ أَعْجَبِ العجائبِ عندِى قَتْلَ بَيْضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ[1]

قُتِلَتْ هكذا على غيرِ جُرْمٍ إنَّ للَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ

كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ عَلَيْنَا وعَلَى الغانياتِ[2] جَرُّ الذُّيُولِ

وقال أبو مِخْنَفٍ[3] : حدَّثنى محمدُ بنُ يوسفَ أنَّ مصعبًا لقِى عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ[4] فسلَّم عليه ، (٥فقال ابنُ عمرَ : من أنت٥) ؟ فقال له : أنا ابنُ أخيك ، مصعبُ بنُ الزبيرِ . فقالَ له ابنُ عمرَ : نعم ، أنت القاتلُ سبعةَ آلافٍ مِن أهلِ القبلةِ فى غداةٍ واحدةٍ ؟ عِشْ ما استَطَعْتَ ! فقال[6] مصعبٌ : إنَّهم كانوا كفرةً سَحَرةً . فقال ابنُ عمرَ : واللَّهِ لو قَتَلْتَ عِدَّتَهم[7] غَنَمًا مِن تُراثِ أبيك لكان ذلك سَرَفًا .

وهذه ترجمةُ المختارِ بنِ أبى عُبيدِ الكذابِ

هو المختارُ بنُ أبى عبيدِ بنِ مسعودِ بنِ عمرِو بنِ عُميرِ بنِ عوفِ بنِ عُقْدةَ[8] بنِ غِيَرَةَ[9] بنِ عوفِ بنِ ثقيفٍ الثقفىُّ[10] ، أسلمَ أبوه فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، ولكن لم يرَه ، فلهذا لم يذكرْه أكثرُ الناسِ فى الصحابةِ ، وإنما ذكَره ابنُ الأثيرِ فى الغابةِ[11] ،

---

(١) العُطْبُولُ من النساء : الحسنةُ التامَّة . الصحاح (ع ط ب ل) .

(٢) فى الطبرى ، والكامل ، والديوان : « المحصنات » .

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ١١٢، ١١٣ من طريق أبى مخنف به .

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م : « بن الخطاب » .

(٥ - ٥) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « له » .

(٧) فى م : « عدلهم » .

(٨) فى الأصل ، ص : « عبدة » ، وفى م : « غفرة » . وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٦٨، وأسد الغابة ٦/ ٢٠٥.

(٩) فى الأصل : « عنزة » ، وفى ٣١، ٢١، م : « عميرة » . وانظر المصدرين السابقين ، وتبصير المنتبه ٣/ ١٠٤٠.

(١٠) الاستيعاب ٤/ ١٤٦٥، وأسد الغابة ٥/ ١٢٢، والإصابة ٦/ ٣٤٩.

(١١) أسد الغابة ٦/ ٢٠٥.

وقد كان عمرُ بعَثه فى جيشٍ كثيفٍ فى قتالِ الفرسِ سنةَ ثلاثَ عشرةَ ، فقُتِل يومَئذٍ شهيدًا ، وقُتِل معه نحوٌ مِن أربعةِ آلافٍ مِنَ المسلمين - كما قدَّمنا - وعُرِف ذلك الجسرُ به ، وهو جِسرٌ على دجلةَ ، فيقالُ له إلى اليومِ : جسرُ أبى عبيدٍ . وكان له مِن الولدِ صفيةُ بنتُ أبى عبيدٍ ، وكانت مِن الصالحاتِ العابداتِ ، وهى زوجةُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وكان عبدُ اللَّهِ لها مكرِمًا ومحِبًّا ، وماتت فى حياتِه . وأمَّا أخوها المختارُ هذا ، فإنه كان أولًا ناصِبيًّا يُبْغِضُ عليًّا بُغضًا شديدًا ، وكان عند عمِّه بالمدائنِ ، وكان عمُّه نائبَها ، فلمَّا دخَلَها الحسنُ بنُ علىٍّ يومَ[1] خَذَله[2] أهلُ العراقِ وهو سائرٌ إلى الشامِ لقتالِ معاويةَ بعدَ مقتلِ أبيه علىٍّ ، فلمَّا أحسَّ الحسنُ منهم بالغدرِ ، فرَّ منهم إلى المدائنِ فى جيشٍ قليلٍ ، فقال المختارُ لعمِّه : لو أخذتَ الحسنَ فبعَثتَه إلى معاويةَ لاتَّخَذْتَ عندَه بذلك[3] اليدَ البيضاءَ أبدًا . فقال له عمُّه : بئسَ ما تأمُرُنى به يا بن أخى .

فمازالتِ الشيعةُ تُبْغِضُه حتى كان مِن أمرِ [٧/ ٤٥ظ] مسلمِ بنِ عقيلٍ بالكوفةِ[4] ما كان ، وكان المختارُ مِن الأمراءِ بالكوفةِ ، فجعَلَ يقولُ : أمَا لأنصُرَنَّه . فبلَغ ابنَ زيادٍ ذلك فحبَسه بعدَما[5] ضرَبه مائةَ جلدةٍ ، [6]فأرسلَ ابنُ عمرَ[6] إلى يزيدَ بنِ معاويةَ [7]يشفَعُ فيه ، فأرسَل يزيدُ[7] إلى ابنِ زيادٍ فأطلَقه[8] وسيَّرَه إلى

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل : « ظعنه » وفى ص : « طعنة » .
(٣) سقط من الأصل ، ص ، م .
(٤) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « بن أبى طالب » .
(٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ص : « فسألت أخته زوجها فكتب » .
(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « فأرسل » .
(٨) فى الأصل ، ص : « ليخرجه فأخرجه » .

الحجازِ فى عباءةٍ ، فضَوَى[1] إلى ابنِ الزبيرِ بمكةَ ، فقاتَل معه حينَ حصَره [2]أهلُ الشامِ[2] قتالًا شديدًا ، ثم بلَغ المختارَ ما[3] أهلُ العراقِ فيه مِن التخبيطِ ، فسارَ إليهم وترَكَ ابنَ الزبيرِ ، ويقالُ : إنَّه سألَ [4]ابنَ الزبيرِ[4] أن يكتُبَ له كتابًا إلى ابنِ مُطيعٍ نائبِ الكوفةِ ففعَلَ ، فسار إليها .

وكان يُظهِرُ مدحَ ابنِ الزبيرِ فى العلانيةِ ويَسبُّه فى السرِّ ، ويمدَحُ محمدَ ابنَ الحنفيةِ ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوذَ على الكوفةِ بطريقِ التَّشَيُّعِ وإظهارِ الأخذِ بثأرِ الحسينِ ، وبسببِ ذلك التفَّتْ عليه جماعاتٌ كثيرةٌ مِن الشيعةِ [5]حتى قاومَ نوابَ ابنِ الزبيرِ على الكوفةِ[5] ، وأخرجَ عاملَ ابنِ الزبيرِ منها ، واستقرَّ مُلكُ المختارِ بها ، ثم كتَب إلى ابنِ الزبيرِ يعتذِرُ إليه ويخبِرُه أنَّ ابنَ مُطيعٍ كان مُداهِنًا لبنى أُميةَ ، وقد خرَج مِن الكوفةِ ، وأنا ومَن بها فى طاعتِك ، فصدَّقه ابنُ الزبيرِ ؛ لأنَّه كان يدعو له على المنبرِ يومَ الجمعةِ على رءُوسِ الناسِ ، ويُظْهِرُ طاعتَه .

ثم شرَع فى تتبُّعِ قتلةِ الحسينِ ومَن شهِد الوقعةَ بكربلاءَ مِن ناحيةِ ابنِ زيادٍ ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وظفِر برءُوسِ كبارٍ منهم ؛ كعمرَ بنِ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ أميرِ الجيشِ الذين قتَلوا الحسينَ ، وشَمِرِ بنِ ذى الجَوْشَنِ أميرِ الألفِ الذين وَلُوا قتلَ الحسينِ ، وسنانِ بنِ أبى أنسٍ ، وخَوْلىِّ بنِ يزيدَ الأصبحىِّ ، وخلقًا غيرَ هؤلاءِ ، وما زال حتى بعَث سيفَ نِقْمَتِه إبراهيمَ بنَ الأشترِ النخعىَّ فى عشرين ألفًا

---

(١) فى م ، ص : « فصار » . وضَوَى : مال وانضم .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « حصين بن نمير » .

(٣) بعده فى م ، ص : « قال » .

(٤ - ٤) فى ص : « من مروان » .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

إلى ابنِ زيادٍ ، [1]وهو[1] فى جيشٍ أعظمَ مِن [2]جيشِ المختارِ بأضعافٍ[2] ، كانوا سِتِّين ألفًا ، وقيلَ : ثمانين ألفًا . فقتَل ابنُ الأشترِ ابنَ زيادٍ وكسَر جيشَه ، واحتازَ ما فى مُعسكَرِه - [3]واتفَق ذلك فى يومِ عاشوراءَ سنةَ سبعٍ وسِتِّين[3] - ثم بعَث برأسِ ابنِ زيادٍ ورءوسِ أصحابِه مع البشارةِ إلى المختارِ ، ففرِح بذلك فرحًا شديدًا . ثم إنَّ المختارَ بعَث [٧/٤٦و] برأسِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ورأسِ حصينِ بنِ نُمَيرٍ ومَن معهما إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بمكةَ فأمَر ابنُ الزبيرِ بها فنُصِبَتْ على عَقَبةِ الحَجُونِ ، وقد كانوا نصَبوها بالمدينةِ .

وطابت نفسُ المختارِ بالمُلكِ ، وظنَّ أنَّه لم يَبْقَ له عدوٌّ ولا مُنازِعٌ .

ثم إنَّ ابنَ الزبيرِ تبينَّ خداعَه ومكرَه وسوءَ مذهَبِه ، فبعَث أخاه مصعبًا أميرًا على العراقِ ، فسار إلى البصرةِ فاجتَمع إليه أهلُها ، ووفَد إليه جماعاتٌ مِن الكوفةِ ، فلم يَتمَّ سُرورُ المختارِ حتى ركِب إليه مصعبُ بنُ الزبيرِ مِن البصرةِ فى جيشٍ هائلٍ فحاصَرَه بالكوفةِ وضيَّق عليه ، ومازال حتى أمكَن اللَّهُ منه ، فقتَله [4]واحتزَّ رأسَه[4] ، وأمَر بصلبِ كفِّه على بابِ المسجدِ ، وبعَث مصعبٌ برأسِ المختارِ مع رجلٍ مِن الشُّرَطِ على البريدِ إلى أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فوصَل مكةَ بعدَ العشاءِ فوجَد [5]عبدَ اللَّهِ[5] يَتنفَّلُ ، فما زال يصلِّى حتى أسحَر ولم يَلتفِتْ إلى البريدِ الذى جاء بالرأسِ ، فلمّا كان قَرِيبَ الفجرِ قال : ما جاء بك ؟ فألقَى إليه الكتابَ فقرَأه ، فقال[6] : يا أميرَ المؤمنين ، معى الرأسُ . فقال : ألقِهْ على بابِ

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « وكان ابن زياد حين التقاه » .
(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « جيشه بأضعاف مضاعفة » .
(٣ - ٣) سقط من : ٣١، م .
(٤ - ٤) فى الأصل : « وأحضر رأسه إلى بين يديه » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « عبيد الله » .
(٦) الأخبار الطوال ٣٠٨.

المسجدِ . فألقاه ثم جاء فقال : جائزتى يا أميرَ المؤمنين . فقال : جائزتُك الرأسُ الذى جئتَ به تأخذُه معك إلى العراقِ .

ثم زالت دولةُ المختارِ كأنْ لم تكنْ ، وكذلك سائرُ الدُّوَلِ ، وفرِح المسلمون بزوالِها ؛ وذلك لأنَّ الرجلَ لم يكنْ فى نفسِه صادقًا ، بل كان كاذبًا [1] وكاهنًا ، وكان [1] يزعُمُ أنَّ الوحىَ ينزِلُ عليه على يدِ جبريلَ يأتى إليه .

قال الإمامُ أحمدُ [2] : حدَّثَنا ابنُ نميرٍ ، حدَّثنا عيسى القارئُ [3] أبو [4] عمرَ بنُ عمرَ ، ثنا [4] السُّدِّىُّ ، عن رفاعةَ القِتْبانىِّ [5] قال : دخَلتُ على المختارِ فألقَى لى وسادةً وقال : لولا أنَّ أخى جبريلَ قام عن هذه لألقَيتُها لك . قال : فأردتُ أن أضرِبَ عُنقَه . قال : فذكَرتُ حديثًا حدَّثَنِيه أخى عمرُو [6] بنُ الحَمِقِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أيما مؤمنٍ أمَّن مؤمنًا على دمِه فقتَلَه ، فأنا مِن القاتلِ برىءٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ [7] : حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ القطانُ ، عن حمادِ بنِ سَلمةَ ، حدَّثَنى عبدُ الملكِ بنُ عميرٍ ، عن رفاعةَ بنِ شدّادٍ ، قال : كنتُ أقومُ على رأسِ المختارِ ، فلمّا عرَفتُ كَذِبَه هَمَمتُ أن أسُلَّ سَيْفى فأضرِبَ عُنُقَه ، فذكَرتُ حديثًا حدَّثَناه عمرُو بنُ الحَمِقِ قال سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَن أمَّن رجلًا على نفسِه فقتَله ، أُعطِى لواءَ غدرٍ يومَ [٧/ ٤٦ظ] القيامةِ » . ورَواه النسائىُّ وابنُ ماجه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المسند ٥/ ٢٢٣.

(٣) بعده فى ص : « ثنا » .

(٤ - ٤) فى م : « عمير بن » .

(٥) فى النسخ : « القبانى » . والمثبت من المسند ، وانظر تقريب التهذيب ١/ ٢٥١.

(٦) فى م : « عمر » .

(٧) المسند ٥/ ٢٢٤.

مِن غيرِ وجهٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ به[1] . وفى لفظٍ لهما[2] : « مَن أمَّن رجلًا على دمِه[3] فقتَله ، فأنا برىءٌ مِن القاتلِ ، وإن كان المقتولُ كافرًا » . وفى سندِ هذا الحديثِ اختلافٌ . وقد قيلَ لابنِ عمرَ[4] : إنَّ المختارَ يزعُمُ أنَّ الوحىَ يأتيه . فقال : صدَق ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] . وروَى ابنُ أبى حاتمٍ[5] ، عن عكرمةَ قال : قدِمْتُ على المختارِ فأكرَمنى وأنزَلنى حتى[6] كان يتعاهَدُ مَبِيتى بالليلِ ، قال : فقال لى : اخرُجْ فحدِّثِ الناسَ . قال : فخرَجتُ فجاء رجلٌ فقال : ما تقولُ فى الوحيِ ؟ فقلت : الوحىُ وَحْيانِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف : ٣] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . قال : فهَمُّوا بى أن يأخُذُونى ، فقلتُ : ما لكم وذاك ، إنِّى مُفتِيكم وضَيْفُكم ، فترَكونى . وإنَّما أراد عكرمةُ أن يُعَرِّضَ بالمختارِ وكذبِه فى ادِّعائِه أنَّ الوحىَ ينزِلُ عليه .

[7]وروَى الطبرانىُّ[8] ، مِن طريقِ أُنَيْسةَ بنتِ زيدِ بنِ أرقمَ ، أنَّ أباها دخَل[7]

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨٧٣٩، ٨٧٤٠، ٨٧٤١) ، ابن ماجه (٢٦٨٨) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه) .

(٢) لم نجد هذا اللفظ عندهما . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ١٤٩.

(٣) فى م : « دم » .

(٤) لم أجده . وقد ذكره المصنف فى كتاب التفسير ٣/ ٣٢٠ وعزاه لابن أبى حاتم فى تفسيره -وتفسيره غير كامل- وقد أورده القرطبى فى تفسيره ٧/ ٧٧، وعزاه لعبد اللَّه بن الزبير . وأخرجه أيضا السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٣.

(٥) لم أجده عند ابن أبى حاتم . وقد ذكره المصنف فى تفسيره ٣/ ٣١٤.

(٦) فى م « عنده » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) المعجم الكبير ٥/ ٢٤١ (٥١٢٧) .

(١) على المختارِ بنِ أبى عبيدٍ فقال له : يا أبا عامرٍ لو سبَقتَ[٢] رأيتَ[٣] جبريلَ ومِيكائيلَ . فقال له زيدٌ : حُقِرتَ[٤] وتَعِستَ[٥] ، أنت أهونُ على اللَّهِ مِن[٦] ذلك ، كذابٌ مُفْترٍ على اللَّهِ ورسولِه(١) .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدَّثَنا إسحاقُ[٨] بنُ يوسفَ ، ثنا ابنُ عوفٍ ، (٩)عن أبى(٩) الصِّدِّيقِ الناجىِّ ، أنَّ الحجّاجَ بنَ يوسفَ دخَل على أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، بعدَما قتِل ابنُها عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، فقال : إنَّ ابنَكِ ألْحَدَ فى هذا البيتِ ، وإنَّ اللَّهَ أذاقَه مِن عذابٍ أليمٍ ، وفعَل به وفعَل . فقالت : كذَبْتَ ، كان بَرًّا بالوالدَين ، صَوَّامًا قَوّامًا ، واللَّهِ لقد أخبرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه سيَخْرُجُ مِن ثَقيفٍ كَذّابان ؛ الآخِرُ منهما شَرٌّ مِن الأوَّلِ ، وهو مُبيرٌ . هكذا رَواه أحمدُ بهذا السَّندِ واللَّفظِ .

وقد أخرَجه مسلمٌ[١٠] فى « صحيحِه » ، فى كتابِ الفضائلِ ، عن عُقبةَ بنِ مُكْرَمٍ العَمِّىِّ البصرىِّ ، عن يعقوبَ بنِ إسحاقَ الحضرَمىِّ ، عن الأسودِ بنِ شيبانَ ، عن أبى نوفلٍ ، عن أبى عَقربٍ - واسمُه معاويةُ بنُ مُسلمٍ[١١] - عن

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « شفت » .

(٣) فى ا ٣١: « راية » . وفى م : « رأى » .

(٤) فى م : « خسرت » . وفى الطبرانى : « حفرت » .

(٥) فى الطبرانى : « نقرت » .

(٦) فى الطبرانى « منى » .

(٧) المسند ٦/ ٣٥١.

(٨) فى م : « ابن إسحاق » .

(٩ - ٩) سقط من : م .

(١٠) مسلم (٢٥٤٥) .

(١١) فى ا ٣١، ا ٢، م : « سلم » . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٣٧٩.

أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ فى ثَقيفٍ كذّابًا ومُبيرًا». وفى الحديثِ قصةٌ طويلةٌ فى مقتَلِ الحَجّاجِ ولدَها عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعِين، كما سيأتى. وقد ذكَر البيهقىُّ هذا الحديثَ فى دلائلِ النُّبوةِ[1].

وذكَر العلماءُ أنَّ الكَذّابَ هو المختارُ بنُ أبى عبيدٍ، وكان يُظهِرُ التشيُّعَ ويُبطِنُ الكَهانةَ، ويُسِرُّ إلى أخِصّائِه [٧/٤٧و] أنَّه يوحَى إليه. ولكنْ ما أدرِى هل كان يدَّعِى النُّبوةَ أم لا؟ وكان قد وضِع له كرسىٌّ يُعَظَّمُ ويُحَفُّ بالرجالِ ويُستَرُ بالحريرِ، ويُحمَلُ على البغالِ، وكان يُضاهِى به تابوتَ بنى إسرائيلَ المذكورَ فى القرآنِ، ولا شَكَّ أنَّه كان ضالًّا مُضِلًّا، أراح اللَّهُ المسلمين منه بعدَما انتقَم به مِن قومٍ آخَرِين مِن الظالِمِين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. وأمَّا المُبِيرُ فهو القَتّالُ وهو الحَجّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفىُّ، نائبُ العراقِ لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، الذى انْتزَع العراقَ مِن يدِ مصعبِ بنِ الزبيرِ، كما سيأتى بيانُه قريبًا.

وذكَر الواقدىُّ[3] أنَّ المختارَ لم يزَلْ مظهِرًا موافقةَ ابنِ الزبيرِ حتى قدِم مصعبٌ إلى البصرةِ فى أوَّلِ سنةِ سبعٍ وستِّين، وأظهَر مخالفتَه، فسار إليه مصعبٌ فقاتَله، وكان المختارُ فى نحوٍ مِن عشرِين ألفًا، وقد حَمَل عليه المختارُ مرَّةً فهزَمه، ولكنْ لم يَثبُتْ جيشُ المختارِ حتى جعَلوا ينصرِفون إلى مصعبٍ ويَدَعون المختارَ،

---

(١) الدلائل ٦/٤٨٦.

(٢) بعده فى م: «به».

(٣) تاريخ الطبرى ٦/١١٤ - ١١٥، الكامل ٤/٢٧٧.

ويَنقِمون عليه ما هو فيه مِن الكَهانةِ والكذِبِ . فلمّا رأى المختارُ ذلك انصرَف إلى قصرِ الإمارةِ ، فحاصَره مصعبٌ فيه أربعةَ أشهرٍ ، ثم قتَله فى رابعَ عشَرَ رمضانَ سنةَ سبعٍ وستِّين ، وله مِن العُمُرِ سبعٌ وستُّون سنةً فيما قِيل .

فصلٌ

ولمّا استقرَّ مصعبُ بنُ الزبيرِ بالكوفةِ بعَث إلى إبراهيمَ بنِ الأشتَرِ ليَقدَمَ عليه ، وبعَث عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ إليه ليَقدَمَ عليه ، فحار ابنُ الأشتَرِ فى أمرِه ، وشاوَر أصحابَه إلى أيِّهما يذهَبُ ، ثم اتفَق رأيُهم على الذَّهابِ إلى بلدِهم الكوفةِ ، فقدِم ابنُ الأشتَرِ على مصعبِ بنِ الزبيرِ فأكرَمه وعظَّمه واحترَمه كثيرًا ، وبعَث مصعبٌ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ على المَوْصِلِ والجزيرةِ وأذْرَبِيجانَ [1] وأرمِينِيَةَ - وكان قد استَخلف على البصرةِ حينَ خرَج منها عبيدَ اللَّهِ بنَ [1] [2] عبدِ اللَّهِ [2] بنِ مَعْمَرٍ - وأقام هو بالكوفةِ . ثم لم تنسلِخْ هذه السنةُ حتى عزَله أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ عن البصرةِ ووَلَّى عليها ابنَه حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وكان شجاعًا جَوَادًا مُخلِّطاً ؛ يُعطِى أحيانًا حتى لا يَدَعَ شيئًا ، ويمنَعُ أحيانًا ما لا يُمنَعُ مثلُه ، وظهَرتْ خِفَّتُه وطَيْشٌ فى عقلِه وسرعةٌ فى أمرِه ، فبعَث الأحنفُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فعزَله وأعاد إلى وِلايتِها أخاه مصعبًا مُضافًا إلى ما بيدِه مِن وِلايةِ الكوفةِ ، قالوا [3] : وخرَج حمزةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ مِن البصرةِ بمالٍ كثيرٍ مِن بيتِ مالِها ، فعرَض له مالكُ [٧/٤٧ظ] بنُ مِسْمَعٍ ، فقال : لا ندَعُك تذهَبُ بأَعطياتِنا . فضَمِن له

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى تاريخ الطبرى ٦/١١٧ « عبيد الله » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١١٨، والكامل ٤/ ٢٧٩.

عبيدُ اللَّهِ بنُ (١عبدِ اللَّهِ بنِ١) معمرٍ العطاءَ، فكَفَّ عنه، فلمّا انصرَف حمزةُ لم يَقدَمْ على أبيه مكةَ، بل عدَل إلى المدينةِ، فأودَع ذلك المالَ رجالًا، فكُلُّهم غلَّ ما أودَعه وجَحَده، سِوى رجلٍ مِن أهلِ الكتابِ، فأدَّى إليه أمانتَه، فلمّا بلَغ أباه ما صنَع، قال: أبعدَه اللَّهُ، أردتُ أن أُباهيَ به بنى مَرْوانَ فنكَص.

وذكَر أبو مخنفٍ[٢] أنَّ حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ وَلِى البصرةَ سنةً كاملةً. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ جريرٍ[٣]: وحجَّ بالناسِ فى هذه السَّنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ، وكان عامِلُه على الكوفةِ أخاه مصعبًا، وعلى البصرةِ ابنَه حمزةَ، وقِيل: بل كان رجَع إليها أخوه. وعلى خُراسانَ وتلك البلادِ عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ[٤] السُّلَمِيُّ (٥مِن جهةِ ابنِ الزبيرِ. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الوليدُ بنُ عقبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ[٦]، **وأبو الجَهْمِ**[٧]، وهو صاحبُ الأنبَجانيَّةِ[٨] المذكورةِ فى الحديثِ الصحيحِ[٩].

وفيها قُتِل خلقٌ كثيرٌ يَطُولُ ذِكرُهم٥.

(١ - ١) سقط من: م.
(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/١١٨ به.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١١٨.
(٤) فى الأصل، ٣١، ص: «حازم».
(٥ - ٥) سقط من الأصل، ص. وليس فى الطبرى.
(٦) الاستيعاب ٤/١٥٥٢، وأسد الغابة ٥/٤٥١، والإصابة ٦/ ٦١٤.
(٧) الاستيعاب ٤/١٦٦٢، وأسد الغابة ٦/٥٧، والإصابة ٧/ ٧١.
(٨) الأنبجانية: بفتح الباء وكسرها، نسبة إلى منبج على غير القياس، وقيل: نسبتها إلى أنبجان، وهى كساء من الصوف له خَمْل ولا عَلَم له، وهى من أدون الثياب الغليظة. التاج (ن ب ج).
(٩) البخارى (٣٧٣، ٧٥٢، ٥٨١٧)، مسلم (٦١، ٦٢، ٦٣ / ٥٥٦).

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وستّين

ففيها رَدَّ عبدُ اللَّهِ أخاه مصعبًا إلى إمرَةِ البصرةِ ، فأتاها فأقام بها . واستخلَف على الكوفةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ المخزومىَّ ؛ قُباعًا[1] ، واستعمَل على المدينةِ جابرَ بنَ الأسودِ الزُّهْرىَّ ، وعزَل عنها عبدَ الرحمنِ بنَ الأشعثِ ؛ لكَوْنِه ضرَب سعيدَ بنَ المسيَّبِ ستِّين سَوْطًا ، فإنَّه أراد منه أن يُبايِعَ لابنِ الزبيرِ فامتنَع مِن ذلك فضرَبه ، فعزَله ابنُ الزبيرِ .

وفيها هلَك ملكُ الرومِ قُسطَنْطِينُ بنُ قُسْطَنْطِينَ ببلدِه ، لعنَه اللَّهُ .

وفيها كانت وَقْعةُ الأزارقةِ . وذلك أنَّ مصعبًا كان قد عزَل عن ناحيةِ فارسَ المهلبَ بنَ أبى صُفرةَ ، وكان قاهرًا لهم ، ووَلَّاه الجزيرةَ[2] ، ووَلَّى على فارسَ عمرَ ابنَ عبيدِ اللَّهِ بنِ معمرٍ ، فثاروا عليه ، فقاتَلهم عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ فقهَرَهم وكسَرهم ، وكانوا مع أميرِهم الزبيرِ بنِ الماحوزِ[3] ، ففرُّوا بينَ يدَيْه إلى إصْطَخْرَ ، فاتَّبَعهم فقتَل منهم مَقتَلةً عظيمةً ، وقتَلوا ابنَه ، ثم ظفِر بهم مرةً أُخرَى ، ثم هرَبوا إلى بلادِ أصبهانَ ونواحِيها ، فتَقَوَّوْا[4] هنالِك وكثُر عَدَدُهم وعُدَدُهم ، ثم أقبَلوا يريدون البصرةَ ، فمَرُّوا ببعضِ بلادِ فارسَ وترَكوا عمرَ بنَ عبيدِ اللَّهِ بنِ معمرٍ[5] وراءَ ظهورِهم ، فلمّا سمِع مصعبٌ بقُدومِهم ركِب فى الناسِ ، وجعَل يلومُ عمرَ بنَ عبيدِ اللَّهِ بتركِه هؤلاء يجتازون ببلادِه إلى البصرةِ ، وقد ركِب عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ

---

(١) القباع : هو لقب للحارث . الكامل ٢٨٣/٤ .

(٢) بعده فى الأصل : « وأذْرَبيجان » .

(٣) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « الماحور » . وفى م : « الماجور » . وانظر تاريخ الطبرى ١١٩/٥ ، والكامل ٢٨٢/٤ .

(٤) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « فتفرقوا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٢٠ .

(٥) فى الأصل : « عمر » .

ابنِ معمرٍ فى آثارِهم ، فبلَغ الخوارجَ أنَّ مصعبًا أمامَهم وعمرَ بنَ عبيدِ اللَّهِ وراءَهم ، فعدَلوا إلى المدائنِ فجعَلوا يقتُلون النساءَ والوِلدانَ ، [٧/٤٨و] ويبقُرون بطونَ الحَبالَى ، ويفعَلون أفعالًا لم يفعَلْها غيرُهم ، فقصَدَهم نائبُ الكوفةِ الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ ومعه أهلُها وجماعاتٌ مِن أشرافِها ؛ منهم ابنُ الأشتَرِ ، وشَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ ، فلمّا وصَلوا (١إليهم عندَ١) جسرِ الصَّراةِ ، قطَعه الخوارجُ بينَهم وبينَ الناسِ ، فأمَر الأميرُ بإعادتِه ، فأُعيدَ(٢) ، ففرَّتِ الخوارجُ هاربين بينَ يدَيْه ، فاتَّبَعهم عبدُ الرحمنِ بنُ مِخْنَفٍ فى سِتَّةِ آلافٍ فمَرُّوا على الكوفةِ ، ثم صاروا إلى أرضِ أصبهانَ ، فانصرَف عنهم ولم يقاتِلْهم ، ثم أقبَلوا فحاصَروا عَتّابَ بنَ وَرقاءَ شهرًا ، بمدينةِ جُبّا(٣) حتى ضيَّقوا على الناسِ ، فنزَلوا إليهم فقاتَلوهم فكشَفوهم وقتَلوا أميرَهم الزبيرَ بنَ الماحُوزِ(٤) وغنِموا ما فى معسكَرِهم ، وأمَّرَتِ الخوارجُ عليهم قَطَرِىَّ بنَ الفُجاءَةِ ، ثم ساروا إلى بلادِ الأهوازِ ، فكتَب مصعبُ بنُ الزبيرِ إلى المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفرةَ - وهو على المَوْصِلِ - أن يسيرَ إلى قتالِ الخوارجِ ، وكان أبصَرَ الناسِ بقتالِهم ، وبعَث مكانَه إلى المَوْصِلِ إبراهيمَ بنَ الأشتَرِ ، فانصرَف المهلبُ إلى الأهوازِ فقاتَل فيها الخوارجَ ثمانيةَ أشهرٍ قتالًا لم يُسمَعْ بمثلِه .

قال ابنُ جريرٍ(٥) : وفى هذه السنةِ كان القحطُ الشديدُ ببلادِ الشامِ ؛ بحيثُ لم يتمَكَّنوا معه مِن الغزوِ لضعفِهم وقلَّةِ طعامِهم ومِيرتِهم .

(١ - ١) فى ا٣، ا٢، م : « إلى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل، ا٢: « حبا » . وبعده فى ا٢: « عتاب » .

وجبّا بالضم ثم التشديد والقصر بلد أو كورة من عمل خوزستان . وجبا أيضا قرية من أعمال النهروان . معجم البلدان ٢/ ١٢، ١٣.

(٤) فى ا٢: « الماجون » . فى م : « الماجور » . وفى ص : « الماجوز » .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ١٢٧.

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفيها قتِل عبيدُ اللَّهِ بنُ الحُرِّ ؛ وكان مِن خبرِه أنَّه كان رجلًا شجاعًا تنقَّلَتْ به الأحوالُ والأيامُ والآراءُ ، حتى صار مِن أمرِه أنَّه لا ينطاعُ لأحدٍ مِن بنى أميةَ ولا لآلِ الزبيرِ ، وكان يمُرُّ على عاملِ الكُورةِ مِن العراقِ وغيرِه ، فيأخُذُ منه جميعَ ما فى بيتِ مالِه [2]مِن الحواصلِ[2] قهرًا ويكتُبُ له براءةً ويذهَبُ فيُنفِقُه على أصحابِه ، وكان الخلفاءُ والأُمراءُ يبعَثُون إليه الجيوشَ فيطرُدُها ويكسِرُها ، قلَّتْ أو كثُرَتْ ، حتى كاع[3] فيه مصعبُ بنُ الزبيرِ وعُمّالُه ببلادِ العراقِ ، ثم إنَّه وفَد على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ فبعَثه فى عَشَرَةِ نفرٍ ، وقال : ادخُلِ الكوفةَ فأعلِمْهم أنَّ الجنودَ ستصِلُ إليهم سريعًا . فبعَث فى السِّرِّ إلى جماعةٍ مِن إخوانِه فظهرَ على أمرِه ، فأعلَم به أميرَ الكوفةِ الحارثَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، فبعَث إليه جيشًا فقتَلوه فى المكانِ الذى هو فيه ، وحمِل رأسُه إلى الكوفةِ ، ثم إلى البصرةِ ، واستراح الناسُ منه .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وفيها شهِد موقِفَ عرفةَ أربعُ راياتٍ متباينةٌ ، كلُّ واحدةٍ منها لا تأتَمُّ بالأُخرَى ؛ الواحدةُ لمحمدِ ابنِ الحنفيةِ [٧/ ٤٨ظ] فى أصحابِه ، والثانيةُ لنَجْدةَ الحرُورىِّ[5] وأصحابِه ، والثالثةُ لبنى أميةَ ، والرابعةُ لعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وكان أولَ مَن دفَع رايةً ابنُ الحنفيةِ ، ثم نَجْدَةُ ، ثم بنو أميةَ ، ثم دفَع ابنُ الزبيرِ فدَفَع الناسُ معه ، وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ فى مَن انتظَر دَفْعَ ابنِ الزبيرِ ، ولكنَّه تأخَّر دفعُه ، فقال ابنُ عمرَ : أشبهَ بتأخيرِه دَفْعَ الجاهليةِ . فدفَع ابنُ عمرَ فدفَع ابنُ الزبيرِ ، وتحاجَز الناسُ فى هذا العامِ فلم يكنْ بينَهم قتالٌ . وكان على نيابةِ المدينةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ١٢٧- ١٣٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) كاع كَوْعا . إذا عُقر فمشَى على كوعه لأنه لا يقدر على القيام . الوسيط (ك و ع) .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٣٨.

(٥) فى م : « الجرورى » .

لابنِ الزبيرِ جابرُ بنُ الأسودِ بنِ عوفٍ الزُّهْرىُّ، وعلى الكوفةِ والبصرةِ أخوه مصعبٌ، وعلى مُلكِ الشامِ[1] عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ. واللَّهُ أعلمُ.

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ

[2]عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ الأوسىُّ[3]، شهِد الحُدَيْبِيَةَ.

وعبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ بنِ عبدِ يغوثَ[4].

وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ الخطّابِ العدوىُّ[5]، ابنُ أخى عمرَ بنِ الخطابِ، أدرَك النَّبىَّ ﷺ. وتوفِّىَ بالمدينةِ عن نحوِ سبعينَ سنةً.

عبدُ الرحمنِ بنُ حسّانَ بنِ ثابتٍ الأنصارىُّ[6].

عدىُّ بنُ حاتمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ امرئِ القَيْسِ[7]، صحابىٌّ جليلٌ، سكَن الكُوفَةَ ثم سكَن قَرْقِيسْياءَ[8].

زيدُ بنُ أرقمَ بنِ زيدٍ[9]، صحابىٌّ جليلٌ[2].

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م: «ومصر».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٠٠١، وأسد الغابة ٣/ ٤١٦، والإصابة ٤/ ٢٦٧.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٨٥٦، وأسد الغابة ٣/ ٤٢٧، والإصابة ٤/ ٢٨٦.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٨٣٣، وتهذيب الكمال ١٧/ ١١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) صفحة ١٧٤.

(٦) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال ١٧/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٦٤، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) صفحة ١٧٠، الإصابة ٥/ ٣١.

(٧) الاستيعاب ٣/ ١٠٧٥، وأسد الغابة ٤/ ٨، والإصابة ٤/ ٤٦٩.

(٨) فى م: «قوميسيا».

(٩) الاستيعاب ٢/ ٥٣٥، وأسد الغابة ٢/ ٢٧٦، والإصابة ٢/ ٥٨٩.

وفيها تُوفىّ عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ[1] ، تُرْجُمانُ القرآنِ ، [2]وابنُ عمّ رسولِ الملِكِ الديّانِ[2]

هو عبدُ اللَّهِ بنُ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَىٍّ ، أبو العباسِ الهاشمىُّ ، ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حَبْرُ هذه الأُمَّةِ ، ومفَسِّرُ كتابِ اللَّهِ وتُرْجُمانُه ، وكان يقالُ له : الحَبْرُ ، والبَحْرُ . روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا كثيرًا ، وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، وأخَذ عنه خَلْقٌ مِن الصحابةِ وأُمَمٌ مِن التابعينَ ، وله مفرداتٌ ليست لغيرِه مِن الصحابةِ ؛ لاتِّساعِ علْمِه ، وكَثْرَةِ فَهْمِه ، وكمالِ عقلِه ، وسَعَةِ فَضلِه ، ونُبلِ أصلِه ، رضِى اللَّهُ عنه وأرْضَاه .

وأُمُّه أُمُّ الفَضْلِ لُبابةُ بنتُ الحارثِ الهلاليَّةُ ، أختُ مَيْمونةَ بنتِ الحارثِ أُمِّ المؤْمنينَ ، وهو والدُ الخُلَفاءِ العباسيِّينَ ، وهو أحدُ[3] إخوةٍ عَشَرَةٍ ذكورٍ للعباسِ مِن أمِّ الفَضْلِ ، [4]وهو آخرُهم مولدًا[4] ، وقد مات كلُّ واحدٍ منهم فى بلدٍ بعيدٍ مِن الآخرِ جدًّا ، كما سيأتى ذلك .

قال مسلمُ بنُ خالدٍ الزَّنْجىُّ المكِّىُّ ، عن ابنِ أبى[5] نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال[6] : لمّا كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشِّعْبِ جاء أَبى إلى رسولِ اللَّهِ

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٣٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٩٠، والإصابة ٤/ ١٤١.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «آخر». وفى ٣١، ٢١، م: «أخو».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) سقط من: م، ص، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢١٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٨ به.

ﷺ فقال : يا محمدُ ، أرَى[1] أمَّ الفضلِ قد اشتَمَلَتْ على حَمْلٍ ، فقال : « لعلَّ اللَّهَ أن يُقِرَّ أعيُنَكم »[2] . قال : فأَتى[3] بى رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنا فى خِرْقةٍ فحنَّكَنى[4] بريقِه . قال مجاهدٌ : فلا نعلَمُ أحدًا حنَّكه رسولُ اللَّهِ ﷺ بريقِه غيرَه . وفى روايةٍ أُخرَى[5] : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « [6]لعلَّ اللَّهَ[6] أن يُبيِّضَ وجوهَنا بغلامٍ » . فولَدتْ عبدَ اللَّهِ [٧/ ٤٩و] بنَ عبّاسٍ . وعن عمرِو بنِ دينارٍ قال[7] : ولِد ابنُ عباسٍ عامَ الهجرةِ .

وروَى الواقدىُّ ، مِن طريقِ شعبةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال[8] : وُلِدتُ قبلَ الهجرةِ بثلاثِ سنينَ ونحنُ فى الشِّعْبِ ، وتُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنُ ثلاثَ عَشْرةَ سنةً . ثم قال الواقدىُّ[9] : وهذا ما لا خِلافَ فيه بينَ أهلِ العلْمِ . واحتَجَّ الواقدىُّ بأنَّه كان قد ناهَز الحُلُمَ عامَ حَجَّةِ الوَداعِ .

وفى « صحيحِ البخارىِّ » عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال[10] : تُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا مختونٌ ، وكانوا لا يَختِنون الغلامَ حتى يحتَلِمَ . وقال شعبةُ وهُشَيْمٌ[11]

---

(١) فى ص : « إنى أرى » .
(٢) فى الأصل : « عينك » ، وفى ص : « عينكما » .
(٣) فى ٣١، ٢١، م : « فلما ولدتنى أتى » .
(٤) فى تاريخ دمشق : « يحنكنى » .
(٥) أخرجها يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤١. ومن طريقه أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٨، ٢٨٩.
(٦ - ٦) فى ص : « لعل » . وفى المعرفة والتاريخ ، وتاريخ دمشق : « عسى » .
(٧) تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٩.
(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٤ .
(٩) المصدر السابق .
(١٠) البخارى (٦٢٩٩) .
(١١) فى م : « هشام » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢، ٢٧٣.

وأبو[1] عَوانةَ، عن أبى بشرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال[2]: تُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنُ عشْرِ سنينَ، مختونٌ. زاد هُشَيْمٌ[3]: وقد جمَعتُ المُحْكَمَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قلتُ: وما المحكَمُ؟ قال: المفصَّلُ.

وقال أبو داودَ الطَّيالِسىُّ[4]، عن شعبةَ، عن أبى إسحاقَ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً مختونٌ. وهذا هو الأصحُّ، ويؤيِّدُه[5] صحةُ ما ثبَت فى «الصحيحيْنِ»[6]، ورَواه مالكٌ[7]، عن الزُّهرىِّ، عن [8]عبيدِ اللَّهِ[8] [9]بنِ عبدِ اللَّهِ[9]، عن ابنِ عبَّاسٍ قال: أقبَلْتُ راكبًا على حمارٍ[10] أتانٍ، وأنا يومَئذٍ قد ناهَزْتُ الاحتلامَ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى بالناسِ بمِنًى إلى غيرِ جِدارٍ، فمرَرْتُ بينَ يدَى بعضِ الصفِّ، فنزَلتُ وأَرسَلتُ الأتانَ ترتَعُ ودخَلتُ فى الصفِّ، فلم يُنكِرْ ذلك علىَّ أحدٌ. وثبَت عنه فى «الصحيحِ»[11] أنَّه قال: كنتُ أنا وأمِّى مِن المُستضعَفِين؛

---

(١) فى م: «ابن»، وانظر أطراف المسند ٣/ ٦٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٥٣، ٢٨٧، ٣٣٧ (إسناده صحيح).

(٣) فى م: «هشام»، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) مسند أبى داود الطيالسى (٢٦٤٠).

(٥) فى الأصل: «يزيده».

(٦) البخارى (٧٦، ٤٩٣، ٨٦١، ١٨٥٧، ٤٤١٢)، ومسلم (٢٥٤/ ٢٥٥/ ٥٠٤).

(٧) الموطأ ١/ ١٥٥.

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١: «عبد الله».

(٩ - ٩) سقط من: م.

(١٠) سقط من: م.

(١١) البخارى (٤٥٨٧)، وليس فيه: «كانت أمى من النساء وكنت أنا من الولدان». قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٥٥: أخرجه الإسماعيلى من طريق إسحاق بن موسى عن ابن عيينة بهذا اللفظ.

كانت أمِّى مِن النساءِ، وكنتُ أنا مِن الوِلدانِ. وهاجَر مع أبيه قبلَ الفتحِ، فاتَّفَقَ لُقْياهما النبىَّ ﷺ بالجُحفةِ وهو ذاهبٌ لفتحِ مكَّةَ، فشهِد الفتحَ وحُنينًا والطائفَ عامَ ثمانٍ، وقيل: كان فى سنةِ تسعٍ وحَجَّةُ الوَداعِ سنةَ عشْرٍ. وصحِبَ النبىَّ ﷺ مِن[1] حينئذٍ ولزِمَه، وأخَذ عنه وحفِظ، وضبَط الأقوالَ والأفعالَ والأحوالَ، وأخَذ عن الصحابةِ عِلْمًا عظيمًا مع الفَهمِ الثاقبِ والبلاغةِ والفصاحةِ والجمالِ والملاحةِ والأصالةِ والبيانِ، ودعا له رسولُ الرحمنِ ﷺ، [2]وذلك[2] كما ورَدَتْ به الأحاديثُ الثابتةُ الأركانِ [2]عندَ الأئمةِ الحفّاظِ المرضيِّين[2]؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له [3]بأن يُعلِّمَه اللَّهُ[3] التأويلَ، وأن يُفقِّهَه فى الدِّينِ.

وقال الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ[4]: حدَّثنى ساعدةُ بنُ عبيدِ اللَّهِ المُزَنىُّ، عن داودَ [٧/ ٤٩ظ] بنِ عطَاءٍ، عن زيدِ بنِ أسلمَ، عن ابنِ عمرَ أنَّه قال: إنَّ عمرَ كان يدعو عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ فيُقرِّبُه ويقولُ: إنِّى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعاك يومًا فمسَح رأسَك، وتفَل فى فِيك وقال: «اللهمَّ فقِّهْه فى الدِّينِ، وعلِّمْه التأويلَ». وبه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اللهمَّ باركْ فيه وانشُرْ منه»[5].

وقال حمَّادُ بنُ سلَمةَ[6]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ[7]، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: بتُّ فى بيتِ خالتى ميمونةَ فوَضَعْتُ للنبىِّ ﷺ

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «بعلم»، وفى م: «بأن يعلمه».

(٤) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٧.

(٥) أورده ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٩ عن ابن عمر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٢٨، ٣٣٥ (إسناده صحيح).

(٧) فى م، ص: «خيثم». (وكذا فى المواضع التالية)، وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٩.

غُسْلًا ، فقال : « مَن وضَع هذا ؟ » قالوا : عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ . فقال : « اللهمَّ علِّمْه التأويلَ ، وفقِّهْه فى الدينِ » . وقد رَواه غيرُ واحدٍ ، عن ابنِ خُثَيْمٍ بنحوِه[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ[3] بكرٍ ، [4]ثنا حاتمُ بنُ أبى صَغِيرةَ[4] أبو يونُسَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ أنَّ كُرَيْبًا أخبَره أنَّ ابنَ عبّاسٍ قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن آخرِ الليلِ فصلَّيتُ خلفَه ، فأخَذ بيدِى فجرَّنى حتى جعَلنى حِذاءَه ، فلمَّا أقبلَ رسولُ اللَّه ﷺ على صلاتِه خَنَسْتُ ، فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا انصرَف[5] قال لى : « ما شأنى أجعَلُك[6] حِذائى فتَخْنِسُ ؟ » فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ أوينبغى لأحدٍ أنْ يُصلِّىَ[6] حذاءَك وأنتَ رسولُ اللَّهِ الذى أعطاك اللَّهُ عزَّ وجلَّ ؟ قال : فأعجبتْه ، فدعا اللَّهَ لى أنْ يَزيدَنى عِلمًا وفَهمًا ، قال : ثم رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ نام حتى سمِعتُه يَنفُخُ ، ثم أتاه بلالٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، الصلاةُ . فقام فصلَّى ما أعاد وُضوءًا .

وقال الإمامُ أحمدُ وغيرُه[7] : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا وَرقاءُ ، سمِعتُ عبيدَ اللَّهِ بنَ أبى يزيدَ يُحدِّثُ عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : أتَى رسولُ اللَّهِ ﷺ الخلاءَ فوَضَعْتُ له وَضوءًا ، فلمَّا خرَج قال : « مَن وضَع ذا ؟ » فقيل : ابنُ عبّاسٍ . فقال : « اللهمَّ فقِّهْه فى الدينِ ، وعلِّمْه التأويلَ » .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٦٦، ٣١٤ (إسناده صحيح) .

(٢) المسند ١/ ٣٣٠ (إسناده صحيح) .

(٣) فى ص : « بن أبى » .

(٤ - ٤) فى م : « بن أبى صفرة » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٩٤، ١٩٥ .

(٥) بعده فى ا ٣١، ا ٢، م : « من صلاته » .

(٦) بعده فى م : « فى » .

(٧) المسند ١/ ٣٢٧، والبخارى (١٤٣)، وليس عندهما : « وعلمه التأويل » . ومسلم (٢٤٧٧) بلفظ : « اللهم فقهه » فقط .

وقال الثَّوْرِيُّ وغيرُه[1] ، عن لَيْثٍ ، عن أبى جَهْضَمٍ موسى بنِ سالمٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، أنَّه رأَى جبريلَ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له بالحِكْمةِ - وفى روايةٍ بالعلمِ - مرّتين .

وقال الدارقطنىُّ : حدّثنا حمزةُ بنُ القاسمِ الهاشمىُّ وآخَرون ، قالوا : حدَّثنا العباسُ بنُ محمدٍ ، حدّثنا محمدُ بنُ مُصعبٍ ، [2]حدّثنا أبو مالكٍ[2] النَّخَعىُّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : رأيتُ جبريلَ مرَّتين ، [٧/ ٥٠و] ودعا لى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحكمةِ مرَّتين . ثم قال : غريبٌ مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبيعىِّ ، عن عكرمةَ . تفرَّد به عنه أبو مالكٍ النَّخَعِىُّ عبدُ الملكِ بنُ حُسيْنٍ[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا هشيمٌ[5] ، عن خالدٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ قال : ضمَّنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « اللهمَّ علِّمْه الحكمةَ » . ورَواه أحمدُ[6] أيضًا ، عن إسماعيلَ ابنِ عُليَّةَ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن عكرمةَ عنه ، قال : ضمَّنى إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « اللهمَّ علِّمْه الكتابَ » . وقد رَواه البخارىُّ[7] ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجه[8] ، من حديثِ خالدٍ - وهو ابنُ مِهرانَ

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٢٢) ، والإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٥٦١) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠١) .

(٢ - ٢) فى م : « بن أبى مالك » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٦٠.

(٣) أخرجه الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٥٣.

(٤) المسند ٢١٤/١ (إسناده صحيح) .

(٥) فى م : « هاشم » .

(٦) المسند ٣٥٩/١ (إسناده صحيح) .

(٧) سقط من : ٣١، ٢١.

(٨) البخارى (٧٥، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠) ، والترمذى (٣٨٢٤) ، والنسائى فى الكبرى (٨١٧٩) ، وابن ماجه (١٦٦) .

الحذَّاءُ - عن عكرمةَ عنه به . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدّثنا أبو سعيدٍ ، ثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، ثنا حسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[2] عكرمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهمَّ أعطِ ابنَ عبّاسٍ الحكمةَ وعلِّمْه التأويلَ » . تفرَّد به أحمدُ .

وقد روَى هذا الحديثَ غيرُ واحدٍ عن عكرمةَ بنحوِ هذا . ومنهم مَن أرسَله عن عكرمةَ ، والمتَّصلُ هو الصحيحُ ؛ فقد رواه غيرُ واحدٍ مِن التابعين عن ابنِ عبَّاسٍ ، وروِى مِن طريقِ أميرِ المؤمنين المَهدىِّ ، عن أبيه[3] ؛ أبى جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللهمَّ علِّمْه الكتابَ وفقِّهْه فى الدِّينِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدّثنا أبو كاملٍ وعفَّانُ ، المعْنَى[5] ، قالا : ثنا حمادٌ ، ثنا عمارُ بنُ أبى عمَّارٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : « كنتُ مع أبى عندَ النبىِّ ﷺ وعندَه رجلٌ يُناجيه ، قال عفَّانُ : وهو كالمُعْرِضِ عن العبَّاسِ ، فخرَجنا مِن عندِه فقال العبَّاسُ[5] : ألم [6]ترَ إلى[6] ابنِ عمِّك كالمُعرِضِ عنِّى ؟ فقلتُ : إنَّه كان عندَه رجلٌ

---

(١) المسند ١/٢٦٩ (ضعيف) .

(٢) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٨٣.

(٣) بعده فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « عن » وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠.

(٤) المسند ١/٣١٢ (إسناده صحيح) .

(٥) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م . وهى ليست فى المسند .

(٦ - ٦) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « أر » .

يُناجيه . قال عفَّانُ : قال[1] : أوَكان عندَه أحدٌ ؟ قلتُ : نعم . قال[2] : فرجَع إليه فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل كان عندَك أحدٌ[3] ؛ فإنَّ عبدَ اللَّهِ أخبَرنى أنّه كان عندَك رجلٌ تُناجيه[4] ؟ قال : « هل رأيتَه يا عبدَ اللَّهِ ؟ » قال[5] : نعم . قال : « ذاك جبريلُ عليه السلامُ » . وقد روِى مِن حديثِ المهدِىِّ عن آبائِه ، وفيه أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « أمَا إنّك ستُصابُ فى بصرِك » . فكان كذلك . وقد روِى مِن وجهٍ آخرَ أيضًا[6] . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكرُ صفةٍ أُخرَى لرُؤْيتِه جبريلَ[7] ، رَواها قتيبةُ ، عن الدراوَردىِّ ، عن ثَوْرِ ابنِ زيدٍ[8] ، [٧/٥٠ظ] عن موسى بنِ مَيْسرةَ أنَّ العبَّاسَ بعَث ابنَه عبدَ اللَّهِ فى حاجةٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فوجَد عندَه رجلًا ، فرجَع ولم يُكلِّمْه مِن أجلِ مكانِ ذلك الرجلِ ، فلَقِى العباسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعدَ ذلك ، فقال العبَّاسُ[9] : أرسلْتُ إليك ابنى فوجَد عندَك رجلًا فلم يستطِعْ أن يُكلِّمَك فرجَع وراءَه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمِّ ، تدرى مَن ذاك الرجلُ ؟ » قال : لا . قال : « ذاك[10] جبريلُ ،

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م : « عباس » .
(٢) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « آنفًا » .
(٤) فى ٣١، ٢١، م : « يناجيك » .
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « قلت » .
(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٠/٢٩٢ (١٠٥٨٦) من طريق على بن عبد العزيز مطولًا . وأورده الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٧٦، وعزاه للطبرانى ، وقال : وفيه من لم أعرفه .
(٧) أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٠.
(٨) فى م ، ص : « يزيد » وانظر تهذيب الكمال ٤/٤١٦.
(٩) بعده فى ٣١، ٢١، م : « يا رسول الله » .
(١٠) سقط من الأصل .

ولن يموتَ ابنُك حتى يذهَبَ بصرُه ويُؤتَى عِلمًا » . ورواه سليمانُ بنُ بلالٍ ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ[1] كذلك[2] ، وله [3]طريقٌ أخرَى[3] . وقد ورَد فى فضائلِ ابنِ عبّاسٍ أحاديثُ كثيرةٌ منها ما هو منكَرٌ جدًّا ، أضرَبْنا عن كثيرٍ منها صفحًا ، وذكَرْنا ما فيه مَقنعٌ وكِفايةٌ عمَّا سواه .

وقال أبو بكرٍ البيهقىُّ[5] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ القاضِى بمَرْوَ ، ثنا الحارثُ بنُ محمدٍ ، أخبرَنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أخبرَنا جريرُ بنُ حازمٍ ، عن يَعْلَى بنِ حكيمٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال : لمَّا قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ قلتُ لرجلٍ مِن الأنصارِ : هلمَّ فلنسأَلْ أصحابَ رسولِ اللَّهِ فإنَّهم[6] اليومَ كثيرٌ . فقال : يا عجبًا لك يا ابنَ عبَّاسٍ ! أترَى الناسَ يفتقِرون إليك وفى النّاسِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ مَن فيهم ؟ قال : فترَك ذلك ، وأقبلْتُ أنا أسألُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن كان لَيَبلُغُنى الحديثُ عنِ الرجلِ فآتِى بابَه وهو قائِلٌ ، فأتوَسَّدُ ردائى على بابِه يَسفِى الريحُ علىَّ مِن الترابِ ، فيخرُجُ فيرانى فيقولُ : يا ابنَ عمِّ رسولِ اللَّهِ ، ما جاء بك ؟ هلَّا أرسلْتَ إلىَّ فآتِيَكَ ؟ فأقولُ : لا[7] ، أنا أحقُّ أنْ آتيَك . قال : فأسألُه عن الحديثِ . قال :

---

(١) فى م ، ص : « يزيد » .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « طرق أخر » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤١.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٨، من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه . كما أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٩٢٥) .

(٥) فى الأصل ، ص : « فأنتم » .

(٦) سقط من : الأصل .

فعاش هذا الرجلُ الأنصاريُّ حتى رآنى وقد اجتمَع الناسُ حولى يسألونى، فيقولُ: هذا الفتى كان أعقلَ منى.

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ[1]: ثنا محمدُ [2]بنُ عمرٍو[2] بنِ علقمةَ، ثنا أبو سلمةَ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: وجَدتُ عامَّةَ[3] عِلْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَ هذا الحىِّ مِن الأنصارِ، إنْ كنتُ لأَقيلُ ببابِ أحدِهم، ولو شِئْتُ أن يُؤذَنَ لى عليه لأَذِن[4]، ولكنْ أبتَغِى بذلك طِيبَ نفسِه.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5]: أخبرَنا محمدُ بنُ عمرَ، حدَّثنى قُدامةُ بنُ موسى، عن أبى سَلَمةَ الحضْرَمىِّ قال: سمِعْتُ ابنَ عبّاسٍ يقولُ: كنتُ ألزَمُ الأكابرَ [٧/ ٥١و] مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ مِن المهاجرين والأنصارِ، فأسألُهم عن مَغازى رسولِ اللَّهِ ﷺ وما نزَل مِن القرآنِ فى ذلك، وكنتُ لا آتِى أحدًا منهم إلا سُرَّ بإتيانِى[6]؛ لقُربى مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجعَلتُ أسألُ أُبىَّ بنَ كَعْبٍ يومًا - وكان مِن الرّاسخينَ فى العلمِ - عمَّا نزَل مِن القرآنِ بالمدينةِ. فقال: نزَل سبعٌ وعشرون سورةً وسائرُها بمكَّةَ[7].

وقال أحمدُ[8]: عن عبدِ الرزّاقِ، عن مَعْمَرٍ قال: عامَّةُ علمِ ابنِ عبّاسٍ مِن

---

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٠، عن محمد بن عبد اللَّه الانصارى بنحوه.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م «لى».

(٥) الطبقات ٢/ ٣٧١.

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م: «إليه».

(٧) فى ٣١، م: «مكى»، وفى ٢١: «نزل بمكة».

(٨) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤١. وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠١.

ثلاثةٍ ؛ مِن عمرَ وعليٍّ وأُبيِّ بنِ كعبٍ . وقال طاوسٌ[1] عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال : إنْ كنتُ لأسألُ عن الأمرِ الواحدِ[2] ثلاثينَ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال مغيرةُ ، عن الشعبيِّ قال[3] : قيل لابنِ عبَّاسٍ : أنَّى أصبتَ هذا العِلمَ ؟ قال : بلسانٍ سئولٍ ، وقلبٍ عقولٍ . وثبَت عن عمرَ بنِ الخطّابِ[4] أنّه كان يُجلِسُ ابنَ عبَّاسٍ مع مشايخِ الصحابةِ ، ويقولُ : نِعْمَ تُرجمانُ القرآنِ عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ . وكان إذا أقبَل يقولُ عمرُ[5] : جاء فتَى الكُهولِ ، وذو اللسانِ السَّئولِ والقلبِ العَقولِ . وثبَت فى « الصحيحِ »[6] أنّ عمرَ سأل الصحابةَ عن تفسيرِ ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] . فسكَت بعضٌ وأجاب بعضٌ بجوابٍ لم يرتَضِه عمرُ ، ثم سأَل ابنَ عبَّاسٍ عنها فقال : أجَلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ نُعِى إليه . فقال : لا أعلمُ منها إلّا ما تعلَمُ .[7] وأراد عمرُ بذلك أن يُقرِّرَ عندَهم جلالةَ قَدْرِه ، وكبيرَ منزلتِه فى العلمِ والفَهْمِ[7][8] . وسأَله مرَّةً عن ليلةِ القَدْرِ ، فاستنبَط أنّها فى الليلةِ[9] السابعةِ مِن العَشْرِ الأخيرِ ، فاستحسَنه عمرُ واستجاده ، كما ذكَرنا

---

(١) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٤.

(٢) بعده فى م : « من » .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة ١٨٧٧ (إسناده ضعيف) .

(٤) الجزء الأول من الأثر أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣٦٥/٢ من طريق ابن عباس ، وأخرج الجزء الثانى ابن سعد أيضًا فى الطبقات ٣٦٦/٢ من طريق عبد اللّه بن مسعود ، كما أخرجه أيضًا - الجزء الثانى - الحاكم فى المستدرك ٥٣٨/٣ مرفوعًا . وقال : حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه .

(٥) أخرجه عبد الرّزاق فى المصنف (٨١٢٣) مطولًا ، والطبرانى فى الكبير ٣٢٣/١٠ (١٠٦٢٠) ، كلاهما من طريق أبى بكر الهذلى ، وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٧٧: رواه الطبرانى ، وأبو بكر الهذلى ضعيف .

(٦) تقدم تخريجه فى ٦/ ٦٢٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سقط من : ص .

(٩) سقط من : ٣١، ٢١، م .

فى التفسيرِ[1] .

وقد قال الحسنُ بنُ عرَفةَ[2] : حدَّثنا يحيى بنُ اليَمانِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سُليمانَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ [3]قال : قال[3] عمرُ[4] لابنِ عبَّاسٍ : لقد علِمْتَ علمًا ما علِمناه . وقال الأوزاعىُّ[5] : قال عمرُ لابنِ عبّاسٍ : إنك لأصبحُ فتيانِنا وجهًا ، وأحسنُهم عقلًا ، وأفقَهُهم فى كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وقال مجالدٌ ، عن الشعبىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قال[6] : قال لى أبى : إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ يُدنِيك ويُجلِسُك مع أكابرِ الصحابةِ ، فاحفَظْ عنِّى ثلاثًا ؛ لا تُفشيَنَّ له سرًّا ، ولا تغتابَنَّ عندَه أحدًا ، ولا يُجرِّبَنَّ عليك كذِبًا . قال الشعبىُّ : قلتُ لابنِ عبَّاسٍ : كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن ألفٍ . فقال [7]ابنُ عبّاسٍ[7] : بل كُلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن عشَرةِ آلافٍ .

وقال الواقـدىُّ[8] : حدَّثنا [٧/ ٥١ظ] عبدُ اللَّهِ بنُ الفَضْلِ[9] بنِ أبى عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، أنَّ عمرَ وعثمانَ كانا يَدْعُوان ابنَ عبّاسٍ

---

(١) التفسير ٨/ ٤٦٩.

(٢) أخرجه الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٥٥.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م: «عن».

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أنه قال».

(٥) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٦٢) ، والطبرانى فى الكبير ١٠/٣٢٢ (١٠٦١٩) ، قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٢٢١: فيه مجالد بن سعيد وثقه النسائى وغيره وضعفه جماعة ، وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٣٦١.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٩) فى الطبقات: «الفضيل».

فيُشيرُ[1] مع أهلِ بدرٍ، وكان يُفتِى فى عهدِ عمرَ وعثمانَ إلى يومِ مات. قلتُ: وشهِد فتحَ إفريقيَّةَ سنةَ سبعٍ وعشرين مع ابنِ أبى سَرْحٍ[2]. وقال الزُّهرىُّ، عن علىِّ بنِ الحُسَيْنِ، عن أبيه قال: نظَر أبى إلى ابنِ عبَّاسٍ يومَ الجملِ يمشى بينَ الصفَّيْن، فقال: أقرَّ اللَّهُ عينَ مَن له ابنُ عمٍّ مثلُ هذا. وقد شهِد مع علىٍّ أيضًا[3] صِفِّينَ، وكان أميرًا على الميسرةِ، وشهِد معه قتالَ الخوارجِ، وكان ممَّن أشار على علىٍّ بأن يستَنيبَ معاويةَ على الشامِ، وأن لا يعزِلَه عنها فى بادئِ الأمرِ، حتى قال له فيما قال: إن أحببْتَ عزْلَه فولِّه شهرًا واعزِلْه دهرًا. فأبَى عليه[4] علىٌّ إلَّا أن يُقاتِلَه، فكان ما كان ممّا قد سبَق بيانُه[5]. ولمَّا تراوَض الفريقان على تحكيمِ الحكَميْن، طلَب ابنُ عباسٍ أن يكونَ مِن جهةِ علىٍّ؛ ليُكافئَ عمرَو ابنَ العاصِ، فامتَنعَتْ مَذْحِجُ وأهلُ اليمنِ إلَّا أن يكونَ مِن جهةِ علىٍّ أبو موسى الأشعرىُّ، فكان مِن أمرِ الحكَمَيْن ما سلَف أيضًا[6].

وقد استنابه علىٌّ على البصرةِ، وأقام للناسِ الحجَّ فى بعضِ السنينَ، فخطَب بهم فى عرفاتٍ خُطبَةً، وفسَّر فيها سورةَ البقرةِ، وفى روايةٍ: سورةَ النورِ. قال مَن سمِعه: فسَّرَ ذلك تفسيرًا لو سمِعَتْه الرومُ والتُّركُ والدَّيْلَمُ لأسلَموا.

وهو أوَّلُ مَن عرَّف بالناسِ بالبصرةِ، فكان يصعَدُ المِنبرَ ليلةَ عرَفةَ، ويجتمِعُ أهلُ البصرةِ[7] حولَه فيُفسِّرُ شيئًا مِن القرآنِ، ويُذكِّرُ الناسَ مِن بعدِ العصرِ إلى

---

(١) فى م: «فيسير».

(٢) انظر ما تقدم فى ١٠/ ٢٢٦. ولم يذكر هناك من العبادلة الذين شهدوا فتح إفريقية مع ابن أبى السرح غير عبد اللَّه بن عمر، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وعبد اللَّه بن الزبير.

(٣) فى ٣١، ٢١، م: «الجمل و».

(٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥) زيادة من: ٣١، ٢١، م. وانظر ما تقدم فى ١٠/ ٤٩٠ وما بعدها.

(٦) زيادة من: الأصل، ص. وانظر ما تقدم فى ١٠/ ٥٥٤. وما بعدها.

(٧) فى ص: «المصر».

الغروبِ ، ثم ينزِلُ فيصلِّى بهم المغربَ . وقد اختلَف العلماءُ بعدَه فى ذلك ؛ [1] فمنهم مَن كرِه ذلك وقال : هو بدعةٌ لم يعمَلْها رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا أحدٌ مِن الصحابةِ إلَّا ابنَ عبَّاسٍ ، ومنهم مَن استحبَّ ذلك لأجلِ ذكرِ اللَّهِ وموافقةِ الحُجَّاجِ [1] .

وقد كان ابنُ عبَّاسٍ ينتقِدُ على علىٍّ فى بعضِ أحكامِه فيرجِعُ إليه علىٌّ فى ذلك ، كما قال الإمامُ أحمدُ [2] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنا أيوبُ ، عن عكرمةَ ، أنَّ عليًّا حرَّق ناسًا ارتدُّوا عن الإسلامِ ، فبلَغ ذلك ابنَ عبَّاسٍ فقال : [3] لم أكنْ لأُحرِّقُهم [3] بالنَّارِ ؛ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تُعذِّبوا بعذابِ اللَّهِ » . [4] وكنتُ [4] قاتِلَهم ؛ لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ بدَّلَ دِينَه فَاقْتُلُوه » . فبلَغ ذلك عليًّا فقال : ويحَ ابنِ عبَّاسٍ ! وفى روايةٍ [5] : [1] ويحَ ابنِ عباسٍ [1] ، إنَّه لغوَّاصٌ [6] على الهَنَاتِ . وقد كافأَه علىٌّ ، فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان يرى إباحةَ المُتعةِ [7] ، وتحليلَ الحُمُرِ [8] الإنْسيَّةِ ، فقال له علىٌّ : إنَّك امرؤٌ تائهٌ [9] ؛ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن نِكاحِ المتعةِ ، وعن لحومِ الحُمُرِ الإنْسيَّةِ [٧/٥٢و] يومَ خَيْبرَ . وهذا الحديثُ مُخرَّجٌ فى « الصحيحيْنِ » وغيرِهما [10] ، وله ألفاظٌ هذا مِن أحسنِها . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) المسند ١/ ٢١٧، ٢٨٢، ٢٨٣ (إسناده صحيح) .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م : « لو كنت أنا لم أحرقهم » .

(٤ - ٤) فى م : « بل كنت » .

(٥) أخرجها يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥١٦.

(٦) فى الأصل : « تعراض » .

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وأنها باقية » .

(٨) فى الأصل : « الخمر » .

(٩) أى متكبِّر ، أو ضالٌّ متحيِّر . النهاية ١/ ٢٠٣.

(١٠) تقدم تخريجه فى ٦/ ٢٨٢ - ٢٨٤.

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأَ أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ قال : سمِعتُ أبا بكرِ بنَ المُؤَمِّلِ يقولُ : سمِعتُ أبا نصرِ بنَ أبى ربيعةَ يقولُ : ورَد صَعْصَعةُ بنُ صُوْحانَ[2] على عليٍّ بنِ أبى طالبٍ مِن البصرةِ ، فسأَله عن ابنِ عبَّاسٍ - وكان على خلافتِه بها - فقال صَعْصَعةُ : يا أميرَ المؤْمنين ، إنَّه آخِذٌ بثلاثٍ وتاركٌ لثلاثٍ ؛ آخذٌ بقلوبِ الرجالِ إذا حَدَّثَ ، وبحُسنِ الاستماعِ إذا حُدِّثَ ، وبأيسرِ الأمريْنِ إذا خُولِف . وترْك المِراءِ[3] ومقارنةِ اللئيمِ ، وما يُعتَذَرُ منه .

وقال الواقديُّ[4] : ثنا أبو بكرِ بنُ أبى سَبْرَةَ ، عن موسى بنِ سعدٍ[5] ، عن عامرِ ابنِ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ عن أبيه قال : ما رأيتُ أحدًا أحضَرَ فَهمًا ولا أَلَبَّ لُبًّا ، ولا أكثَرَ عِلْمًا ، ولا أوسَعَ حِلمًا مِن ابنِ عبَّاسٍ ، ولقد رأيتُ عمرَ يدعوه للمعضِلاتِ ثم يقولُ : عندَك ، قد جاءَتك معضِلةٌ . ثم لا يُجاوِزُ قولَه ، وإنَّ حولَه لأهلُ بدرٍ مِن المهاجِرين والأنصارِ . وقال الأعمشُ[6] ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : لو أدرَك ابنُ عبَّاسٍ أسنانَنا ما عشَّرَه[7] منَّا أحدٌ . وكان يقولُ : نِعمَ تُرْجمانِ القرآنِ ابنُ عبَّاسٍ . وعن ابنِ عمرَ أنَّه قال[8] : ابنُ عبّاسٍ أعلمُ

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٣.

(٢) فى الأصل ، ٣١، م : « صوجان » ، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٦٧.

(٣) فى ص : « المرآة » .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٩.

(٥) فى م : « سعيد » .

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٧، والإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٦٣) ، وابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، ويعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٥.

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٧) فى المستدرك : « عاشره » . والمعنى : ما بلغ أحدٌ منا عشر عِلمه . النهاية ٣/ ٢٤٠.

(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٦.

النَّاسِ بما أنزَل اللَّهُ على محمدٍ ﷺ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عمرَ ، حدَّثنى يحيى بنُ العلاءِ ، عن يعقوبَ بنِ زيدٍ ، عن أبيه قال : سمِعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ حينَ بلَغه موتُ ابنِ عبَّاسٍ ، وصفَّق بإحدَى يدَيه على الأخرى : ماتَ اليومَ أعلمُ النّاسِ وأحلمُ الناسِ ، ولقد أصيبَتْ به هذه الأمةُ مصيبةً لا تُرْتَقُ . وبه[1] إلى يحيى بنِ العلاءِ ، عن عمرَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، قال : لمّا مات ابنُ عبَّاسٍ قال رافعُ بنُ خَديجٍ : مات اليومَ مَن كان يحتاجُ إليه مَن بينَ المشرقِ والمغربِ فى العلمِ .

قال الواقدىُّ[2] : وحدَّثنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَبْرةَ ، عن عمرِو بنِ أبى عمرٍو ، عن عكرمةَ قال : سمِعتُ معاويةَ يقولُ : مَوْلاك[3] واللَّهِ أفقهُ مَن مات ومَن عاش .

وروَى ابنُ عساكرَ[4] ، عن ابنِ عباسٍ قال : دخَلتُ على معاويةَ حينَ كان الصُّلحُ [5]وأولَ[5] ما التقَيتُ أنا وهو ، فإذا عندَه أناسٌ ، فقال : مرحبًا يا ابنَ عبَّاسٍ ، ما تحاكَتِ الفتنةُ بينى وبينَ أحدٍ كان أعزَّ علىَّ بُعدًا ولا أحبَّ إلىَّ قُربًا ، الحمدُ للَّهِ الذى أمات عليًّا . فقلتُ له : [٧/ ٥٢ظ] إنَّ اللَّهَ لا يُذَمُّ فى قضائِه ، وغيرُ هذا

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٢.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) فى م : « مات » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م : « وهو أول » .

الحديثِ أحسنُ منه ، ثم قلت له : إنِّى أُحِبُّ أن تُعفيَنى مِن ابنِ عمِّى وأُعفيَك مِن ابنِ عمِّك . قال : ذلك لك . وقالتْ عائشةُ وأمُّ سلَمةَ[1] حينَ حجَّ [2]ابنُ عباسٍ[2] بالنَّاسِ : هو أعلمُ النَّاسِ بالمناسِكِ . وقال ابنُ المباركِ[3] ، عن داودَ بنِ أبى هِنْدٍ ، عن الشَّعبىِّ قال : ركِب زيدُ بنُ ثابتٍ فأخَذ ابنُ عبَّاسٍ بركابِه ، فقال : لا تفعَلْ يا ابنَ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : هكذا أُمِرْنا أنْ نفعَلَ بعلمائِنا . فقال له زيدٌ : [4]أرِنى يديك . فأخرَج يدَيه ، فقبَّلَهما[4] ، وقال : هكذا أُمِرْنا أنْ نفعَلَ بأهلِ بيتِ نبيِّنا .

وقال الواقدىُّ[5] : حدَّثنى [6]داودُ بنُ جُبَيْرٍ[6] ، سمِعتُ ابنَ المسيَّبِ يقولُ : ابنُ عبّاسٍ أعلمُ الناسِ . وحدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه ، عن عبيدِ اللَّهِ [7]ابنِ عبدِ اللَّهِ[7] بنِ عُتْبَةَ قال : كان ابنُ عبّاسٍ قد فات[8] الناسَ بخِصالٍ ؛ بعلمِ ما سبَقه[9] ، وفقهٍ فيما احتيجَ إليه مِن رأيِه ، وحِلمٍ ونسَبٍ ونائلٍ[10] ، وما رأيتُ أحدًا كان أعلمَ بما سبَقَه مِن حديثِ النبىِّ ﷺ منه ، ولا بقضاءِ أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، ص.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٧.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١: «أرنى يدك فأخذ يده فقبلها».

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٦ - ٦) فى الأصل: «داود بن حرب»، وفى ٢١: «داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير»، وفى م: «داود بن هند عن سعيد بن جبير». وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٢٣٩، والجرح والتعديل ٣/ ٤٠٨.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨) فى الأصل: «فاق».

(٩) فى الأصل، ٣١، ٢١: «سبق إليه».

(١٠) فى الأصل: «تأويل».

منه ، ولا أفقهَ فى رأيٍ منه ، ولا أعلمَ بشعرٍ ولا عربيَّةٍ ، ولا بتفسيرِ القرآنِ ولا بحسابٍ ، ولا بفريضةٍ منه ، ولا أعلمَ بما مضَى ، ولا أثبَتَ[1] رأيًا فيما احتيجَ إليه منه ، ولقد كان يَجلِسُ يومًا ما يذكُرُ فيه إلَّا الفقهَ ، ويومًا[2] التأويلَ ، ويومًا[3] المغازِىَ ، ويومًا الشعرَ ، ويومًا أيامَ العربِ ، وما رأيتُ عالمًا قطُّ جلَس إليه إلَّا خضَع له ، وما رأيتُ[4] سائلًا قطُّ[5] سأَله إلَّا وجَد عندَه علمًا . قال : وربَّما حفِظتُ القصيدةَ مِن فيه يُنشِدُها[6] ثلاثين بيتًا . وقال هشامُ بنُ عُروةَ ، عن أبيه[7] : ما رأيتُ مثلَ ابنِ عبّاسٍ قطُّ . وقال عَطاءٌ[8] : ما رأيتُ مجلسًا قطُّ[9] أكرمَ مِن مجلسِ ابنِ عبّاسٍ ، أكثرَ فقهًا ، ولا أعظمَ هَيْبَةً[10] ؛ أصحابُ القرآنِ يَسألونَه ، وأصحابُ العربيةِ يَسألونَه ، وأصحابُ الشعرِ عندَه[11] يَسألونه ، فكلُّهم يصدُرُ فى وادٍ واسعٍ .

وقال الواقدىُّ[12] : حدّثنى بشرُ بنُ أبى سُلَيمٍ ، عن ابنِ طاوُسٍ ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عبّاسٍ قد بسَق[13] على الناسِ فى العلمِ كما تَبْسُقُ[14] النخْلةُ

---

(١) فى م : « أثقب » ، وفى الطبقات : « أثقف » .
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ما يذكر فيه إلا » .
(٣) بعده فى م : « ما يذكر فيه إلا » .
(٤) فى م : « وجدت » .
(٥) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٦) فى الأصل، ٣١: «ينشدناها» . وفى ٢١: « ينشدنا » .
(٧) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٩.
(٨) المعرفة والتاريخ ١/ ٥١٢، ٥٢٠.
(٩) زيادة من : ص . وانظر المصدر السابق .
(١٠) سقط من : الأصل، وفى ٣١، ٢١: « حفدة » .
(١١) فى م : « عنه » .
(١٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٧٠.
(١٣) فى م، ص : « يسبق » .
(١٤) فى م : « تسبق » ، وفى ص : « يسبق » .

السَّحُوقُ[1] على الوَدِيِّ الصِّغارِ. وقال ليثُ بنُ أبى سُلَيمٍ[2] : قلتُ لطاوسٍ : لِمَ لَزِمتَ هذا الغلامَ - [3]يعنى ابنَ عبَّاسٍ[3] - وتركْتَ الأكابرَ مِن الصحابةِ ؟ فقال : إنِّى رأيتُ سبعين مِن الصحابةِ إذا تَدارءُوا[4] فى شىءٍ صاروا إلى قولِه. وقال طاوُسٌ أيضًا[5] : ما رأيتُ [٧/ ٥٣و] أفقهَ منه. قال[6] : وما خالَفه أحدٌ قطُّ فترَكه حتى يُقرِّرَه.

وقال علىُّ بنُ المدينىِّ، ويَحيى بنُ معينٍ، وأبو نُعَيْمٍ، وغيرُهم[7]، عن سفيانَ ابنِ عُيَيْنةَ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال : ما رأيتُ مثلَه قطُّ، ولقد مات يومَ مات وإنَّه لحَبرُ[8] هذه الأمةِ. يَعنى ابنَ عبّاسٍ.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ وغيرُه[9]، عن أبى أسامةَ، عن الأعمشِ، عن مجاهدٍ. قال : كان ابنُ عبَّاسٍ [10]يُسمَّى البحرَ لكثرةِ علمِه[10].

---

(١) فى ص : «البسوق». والسحوق : النخلة الطويلة. الوسيط (س ح ق).

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٣ - ٣) سقط من : ص.

(٤) فى م : «تماروا».

(٥) أخرجه بنحوه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٤٨).

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٧٢.

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٥، وسكت عنه، ووافقه الذهبى، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٣١٦، والذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ١٥٧.

(٨) فى ا ٣١، ا ٢١: «لحيز».

(٩) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، والإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٩٢٠، ١٩٢٧)، ويعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٦، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٥. وسكت عنه الحاكم ووافقه الذهبى، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٣١٦.

(١٠ - ١٠) سقط من : م.

[1]وروَى الواقدىُّ، والزبيرُ بنُ بكّارٍ[2]، عن مجاهدٍ أنَّه قال: كان ابنُ عبّاسٍ[1] أَمَدَّهم قامةً، وأعظمَهم جَفْنةً، وأوسعَهم علمًا. وقال مجاهدٌ أيضًا[3]: ما رأيتُ [4]أحدًا قطُّ[4] أعربَ لسانًا مِن ابنِ عبّاسٍ؛ وعن عمرِو بنِ دينارٍ، قال[5]: ما رأيتُ مجلِسًا قَطُّ[6] أجمعَ لكلِّ خيرٍ مِن مجلسِ[7] ابنِ عبّاسٍ؛ الحلالُ والحرامُ وتفسيرُ القرآنِ، والعربيةُ والشعرُ، والطعامُ.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[8]: ثنا عفَّانُ بنُ مُسلمٍ، ثنا سُلَيمُ[9] بنُ أَخْضَرَ، عن سليمانَ التَّيْميِّ، [10]قال: أنبأنى مَن[10] أرسَله الحكمُ بنُ أيوبَ[11] إلى الحسنِ يسألُه: مَن أوَّلُ مَن جمَّع بالنَّاسِ فى هذا المسجدِ يومَ عرَفةَ؟ فقال: [12]إنَّ أولَ مَن جمَّع[12] ابنُ عبَّاسٍ[13]. وكان رجلًا مِثَجًّا[14] - أحسَبُ فى الحديثِ - كثيرَ العلمِ[15]، وكان يصعَدُ المِنبرَ فيقرأُ سورةَ البقرةِ ويُفسِّرُها آيةً آيةً. وقد

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٩.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٣١٠.

(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى فضائل الصحابة (١٨٥٢)، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٠.

(٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٧) سقط من: الأصل، وفى ٣١، ٢١، م: «مجلسه يعنى».

(٨) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١، مختصرًا.

(٩) فى ٢١: «سليمان».

(١٠ - ١٠) فى ٣١، ٢١، م: «وهو ممن».

(١١) فى م: «أديب».

(١٢ - ١٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(١٣) بعده فى ص: «قال».

(١٤) رجل مثج، بالكسر: يعنى يصب الكلام صبًّا، وشبه فصاحته وغزارة منطقه بالماء المثجوج. النهاية ١/ ٢٠٧.

(١٥) بعده فى الأصل، ص: «قال».

روِى مِن وجهٍ آخرَ عن الحسنِ البصريِّ نحوَه[1] . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمِ بنِ قُتَيْبَةَ[2] الدِّينَورِيُّ[3] : روَى سفيانُ ، عن أبى بكرٍ الهُذليِّ عن الحسنِ قال : كان ابنُ عبّاسٍ أوَّلَ مَن عرَّف بالبصرةِ ؛ صعِد المنبرَ فقرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ ففسَّرهما حرفًا حرفًا ، [4]وكان[4] مِثَجًّا . قال ابنُ قُتيبةَ : مِثَجًّا ، [5]مِن الثَّجِّ[5] ، وهو السَّيَلانُ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٤] . [6]وقيل : كثيرًا بسرعةٍ[6] .

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[7] : حدَّثنا أبو حمزةَ الثُّمالىُّ[8] ، عن أبى صالحٍ ، قال : لقد رأيتُ مِن ابنِ عبَّاسٍ مجلسًا لو أنّ جميعَ قريشٍ فخَرَتْ به لكان لها فخرًا[9] ؛ لقد رأيتُ الناسَ اجتمَعوا[10] حتى ضاق بهم الطريقُ ، فما كان أحدٌ يقدِرُ على[11] أن يجيءَ ، ولا أن يذهَبَ . قال : فدخَلتُ عليه فأخبَرتُه بمكانِهم[12] على بابِه . فقال لى : ضعْ لى وَضوءًا . قال : فتوضأَ وجلَس ، وقال : اخرُجْ فقلْ لهم : مَن كان يريدُ أن يسألَ عن القرآنِ وحروفِه وما أراد منه فليدخُلْ . قال : فخرَجْتُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١١.
(٢) فى الأصل : «عيينة» .
(٣) أخرجه ابن قتيبة فى غريب الحديث ٢/٣٥٤ من طريق سفيان به .
(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٥ - ٥) سقط من : ٣١، ٢١.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ص .
(٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٢٠، ٣٢١ من طريق يونس بن بكير به .
(٨) فى ٣١: «اليمانى» .
(٩) فى ٣١، ٢١، م : «به الفخر» .
(١٠) بعده فى ٣١، ٢١، م : «على بابه» .
(١١) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(١٢) فى ص : «فكلهم» .

فآذنتُهم فدخَلوا حتى ملَئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرَهم عنه وزادَهم مثلَ ما سألوا عنه أو أكثرَ . ثم قال : إخوانَكم[1] . فخرَجوا . ثم قال : اخرُجْ فقلْ : [2]مَن كان يريدُ أن يسألَ عن تفسيرِ القرآنِ أو تأويلِه فليدخُلْ . قال : فخرجْتُ فآذنْتُهم . قال : فدَخَلوا حتى ملَئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرهم به ، وزادهم مثلَ ما سألوا وأكثرَ . ثم قال : إخوانَكم . فخرَجوا . ثم قال : اخرُجْ فقل :[2] مَن أراد أن يسألَ [٧/٥٣ظ] عن الحلالِ والحرامِ والفقهِ فليَدْخُلْ[3] . فخرَجْتُ [4]فقلتُ لهم[4] ، فدخَلوا حتى مَلَئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرهم به وزادَهم مثلَه[5] ، ثم قال : إخوانَكم[6] . فخرَجوا ، ثم قال : اخرُجْ ، فقلْ : مَن أراد أنْ يسألَ عن الفرائضِ وما أشبَهَها فليدخُلْ . قال[7] : فخرَجتُ فآذنتُهم ، فدَخَلوا حتى مَلَئُوا البيتَ والحُجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرَهم به وزادَهم مثلَه[8] . ثم قال : إخوانَكم . فخرَجوا ، ثم قال : اخرُجْ فقُلْ : مَن أراد أنْ يسألَ عن العربيةِ والشعرِ والغريبِ مِن الكلامِ فليدخُلْ . قال[9] : فدخَلوا حتى ملئُوا البيتَ والحجرةَ ، فما سألوه عن شيءٍ إلَّا أخبَرَهم به وزادَهم مثلَه[10] . قال أبو صالحٍ : فلو أنَّ قريشًا كلَّها فخَرَتْ بذلك لكان فخرًا ،

---

(١) بعده فى الأصل، ٢١، ص: «قال».
(٢ - ٢) زيادة من: ٢١. وانظر حلية الأولياء ١/ ٣٢١.
(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م: «قال».
(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: «فآذنتهم».
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أو أكثر».
(٦) بعده فى الأصل: «قال».
(٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.
(٨) سقط من: ٣١، ٢١. وبعده فى م: «أو أكثر».
(٩) فى ٣١، ٢١، م: «فخرجت فآذنتهم».
(١٠) بعده فى ٣١، ٢١، م: «ثم قال إخوانكم فخرجوا».

فما رأيتُ مثلَ هذا لأحدٍ مِن النّاسِ .

وقال طاوسٌ وميمونُ بنُ مِهرانَ[1] : ما رأَيْنا أوْرَعَ مِن ابنِ عمرَ ، ولا أفقهَ مِن ابنِ عبّاسٍ . [2]قال ميمونٌ[2] : وكان ابنُ عبّاسٍ أفقهَهما . وقال شَريكٌ القاضِى[3] ، عن الأعمشِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ قال : كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عبّاسٍ قلتُ : أجملُ الناسِ . فإذا نطَق قلتُ : أفصَحُ النّاسِ . فإذا تحدَّثَ قلتُ : أعلمُ النّاسِ .

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ[4] : ثنا أبو النُّعمانِ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن الزبيرِ بنِ الخِرِّيتِ[5] ، عن عكرمةَ قال : كان ابنُ عباسٍ أعلمَهما[6] بالقرآنِ ، وكان علىٌّ[7] أعلمَهما[8] بالمُبْهَماتِ . وقال إسحاقُ بنُ راهويهِ[9] : إنما كان كذلك[10] ؛ لأنَّ ابنَ عبّاسٍ كان قد أخَذ ما عندَ علىٍّ مِن التفسيرِ ، وضمَّ إلى ذلك ما أخَذه عن أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وأُبىِّ بنِ كعبٍ ، [11]وغيرِهم مِن[11] كبارِ الصحابةِ ، مع

---

(١) لم نجده عن ميمون بن مهران . وأخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/٤٩٦ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٠ . كلاهما من طريق ابن جريج عن طاوس .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) أخرجه البلاذرى فى أنساب الأشراف ٤/٤٣ عنه به . وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٥.

(٥) فى ا٣، ا٢، م، ص : «الحارث» . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٠١.

(٦) فى ص : «أعلمهم» . والمقصود أعلم من علىّ بالقرآن .

(٧) فى ص : «ابن عباس» .

(٨) فى ص : «أعلم» .

(٩) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٢.

(١٠) فى ا٣: «لذلك» .

(١١ - ١١) فى الأصل، ص : «و» .

دعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ له أن يُعلِّمَه اللَّهُ الكتابَ .

وقال أبو مُعاويةَ[1] ، عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ شقيقِ بنِ سَلَمةَ[2] قال : خطَب ابنُ عبَّاسٍ وهو على المَوْسمِ فافتتَح سورةَ البقرةِ فجعَل يقرَؤها ويُفسِّرُ ، فجعَلْتُ أقولُ : ما رأيتُ ولا سمِعتُ كلامَ رجلٍ مثلَه ، لو سمِعَتْه فارسُ والرومُ لأسلَمتْ . وقد روَى أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ[3] ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن أبى وائلٍ ، أنَّ ابنَ عباسٍ حجَّ بالناسِ عامَ قَتْلِ عثمانَ ، فقرَأ سورةَ النورِ ففسَّرها[4] . وذكَر نحوَ ما تقدَّم . فلعلَّ الأولَ كان فى زمانِ علىٍّ ، فقرَأ فى تلك الحَجَّةِ سورةَ البقرةِ ، [5]وفى فِتْنةِ عثمانَ سورةَ النورِ[5] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رُوِّينا عن ابنِ عباسٍ أنّه قال[6] : أنا مِن الراسخين [7]فى العلمِ[7] الذين يعلَمون تأويلَه . وقال مجاهدٌ[8] : عرَضْتُ القرآنَ [٧/ ٥٤و] على ابنِ عبَّاسٍ مرَّتينِ ، [9]مِن أولِه إلى آخرِه[9] ، أقِفُ[10] عندَ كُلِّ آيةٍ فأسألُه عنها . وروِى عنه أنَّه قال[11] :

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٢٤، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٢.

(٢) فى ص : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٨ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٧ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ويعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٣٢٥ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١. وانظر الإصابة ٤/ ١٤٩ .

(٤) سقط من : ٣١، ٢١، م ، وفى الأصل : « يفسرها » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) لم نجده بهذا اللفظ ، وأورد السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٧ عزوًا إلى ابن جرير - ولم نجده عنده - وغيره ، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : أنا ممن يعلم تأويله .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨) فضائل الصحابة (١٨٦٧ ، ١٨٦٨) .

(٩ - ٩) سقط ٣١، ٢١، م .

(١٠) فى ٣١، ٢١: « أقفه » .

(١١) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣١٣.

أربعٌ مِن القرآنِ لا أدرى ما هى[1] ؛ الأوّاهُ ، والحنَانُ ، والرَّقيمُ ، والغِسلينُ ، وكلُّ القرآنِ أعلَمُه إلَّا هذه الأربعَ . وقال ابنُ وهبٍ وغيرُه[2] ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن [3]عبيدِ اللَّهِ[3] بنِ أبى يزيدَ ، قال : كان ابنُ عباسٍ إذا سُئِل عن مسألةٍ ؛ فإنْ كانت فى كتابِ اللَّهِ قال بها ، وإن لم تكُنْ وهى فى السُّنَّةِ قال بها ، فإنْ لم يقُلْها رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]ووجَدَها[4] عن أبى بكرٍ وعمرَ قال بها ، وإلَّا اجتهَد رأيَه .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : ثنا أبو عاصمٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ حمّادٍ[6] الشُّعَيْثِىُّ[7] ، عن كَهْمَسِ بنِ الحسنِ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، قال : شتَم رجلٌ ابنَ عبَّاسٍ فقال : إنّك لتشتُمُنى وفىَّ[9] ثلاثُ خِصالٍ ، إنِّى لآتى على الآيةِ مِن كتابِ اللَّهِ فلَوَدِدتُ أنَّ الناسَ علِموا منها مثلَ الذى أَعلَمُ ، وإنِّى لأسمَعُ بالحاكم مِن حكَّامِ المسلمينَ يَقضِى بالعدلِ[10] ، فأفرَحُ به[11] ، ولعلِّى لا أقاضِى إليه[12] أبدًا ، وإنِّى لأسمَعُ بالغيثِ يُصيبُ [13]الأرضَ مِن[13] أرضِ المسلمينَ فأفرَحُ به ،

---

(١) فى م : « به جىء » .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/ ٣٦٦، سنن الدارمى ١/ ٥٩، وصحح إسناده ابن حجر فى الإصابة ٤/ ١٤٩.

(٣ - ٣) فى ٣١: « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص : « فإن وجدها » .

(٥) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٢٦.

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ٣١، ٢١: « الشعبثى » ، وفى م، ص : « الشعبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٦٩.

(٨) فى ٣١: « الحسين » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٣٢.

(٩) فى الأصل، ص : « أنا فى » .

(١٠) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ويحكم بالقسط » .

(١١) بعده فى ٣١، ٢١: « وأدعو له » ، وبعده فى م : « وادعوا إليه » .

(١٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ولا أحاكم » .

(١٣ - ١٣) سقط من : ص .

وما لى بها مِن سائمةٍ أبدًا . ورَواه البيهقىُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأصمِّ ، عن الحسنِ بنِ مَكْرمٍ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن كَهْمَسٍ به . وقال [2]الواقدىُّ[3] : سأَل رجلٌ ابنَ عبّاسٍ عن قولِه تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . فقال : كانتِ السماءُ رَتْقًا لا تَمطُرُ ، والأرضُ رَتْقًا لا تُنْبِتُ ، ففتَق هذه بالمطرِ وهذه بالنباتِ . وقال[2] ابنُ أبى مُلَيْكَةَ[4] : صحِبتُ ابنَ عبّاسٍ مِن المدينةِ إلى مكّةَ ، وكان يُصلِّى ركعتيْن ، فإذا نزَل قام شَطْرَ الليلِ ويُرتِّلُ القرآنَ ؛ يقرأُ[5] حرفًا حرفًا ، ويُكثِرُ فى ذلك مِن النشيجِ[6] والنَّحيبِ ، ويقرأُ : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩] .

وقال الأصمعىُّ[7] ، عن المعتمرِ بنِ سليمانَ ، عن شُعَيْبِ بنِ درهمٍ ، قال : كان فى هذا المكانِ - وأومأَ إلى مجرَى الدموعِ مِن خدَّيْه - مِن[8] خدَّيِ ابنِ عبّاسٍ - مثلُ الشِّراكِ البالى مِن البكاءِ . وقال غيرُه[9] : كان يصومُ يومَ الاثنيْنِ والخميسِ ، ويقولُ : أُحِبُّ أن يُرفَعَ عَمَلى وأنا صائمٌ . ورَوَى هشيمٌ[10]

---

(١) أخرجه ابن حجر فى الإصابة ١٥٠/٤ من طريق البيهقى .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) حلية الأولياء ٣٢٠/١ عن ابن عمر .

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ٥٣٤/١ ، وأبو نعيم فى الحلية ٣٢٧/١ . كلاهما بنحوه .

(٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، وفى ص : « يقراوها » .

(٦) فى ٢١ : « التسبيح » . والنشيج : الصوت المتردد فى الصدر من غير انتحاب .

(٧) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣٢٩/١ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٣ ، كلاهما من طريق شعيب بن درهم بنحوه .

(٨) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « يعنى » .

(٩) سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٣ .

(١٠) فى م : « هاشم » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٧٢/٣٠ .

وغيرُه[1] ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن يُوسُفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عبّاسٍ أنَّ مَلِكَ الرومِ كتَب إلى معاويةَ يسألُه عن أحبِّ الكلامِ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ومَن أكرمُ العبادِ على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ومَن أكرمُ الإماءِ على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وعن [٧/ ٥٤ظ] أربعةٍ فيهم الروحُ لم يركُضُوا فى رَحِمٍ ، وعن قبرٍ سار بصاحبِه ، وعن مكانٍ مِن الأرضِ لم تطلُعْ عليه[2] الشمسُ إلا مرَّةً واحدةً ، وعن قوسِ قُزَحَ ما هو؟ وعن المجَرَّةِ . فبعَث معاويةُ فسأل ابنَ عبَّاسٍ عنهن ، فكتَب [3]ابنُ عباسٍ إليه[3] : أمّا أحبُّ الكلامِ إلى اللَّهِ فسبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ، [3]ولا إلهَ إلا اللَّهُ[3] ، واللَّهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ ، وأكرَمُ العبادِ على اللَّهِ آدمُ ؛ خلَقه بيدِه ، ونفَخ فيه مِن روحِه ، وأسجَد له ملائكتَه ، وعلَّمه أسماءَ كُلِّ شيءٍ ، وأكرمُ الإماءِ على اللَّهِ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وأمَّا الأربعةُ الذيـن لم يركُضوا فى رَحِمٍ ؛ فآدمُ وحواءُ ، وعصَا موسَى ، وكبشُ إبراهيمَ [3]الذى فدَى به إسماعيلَ[3] - وفى روايةٍ : وناقةُ صالحٍ[4] - وأمّا القبرُ الذى سار بصاحبِه فهو حوتُ يونُسَ ، وأمّا المكانُ الذى لم تُصبْهُ الشمسُ إلّا مرَّةً واحدةً فهو البحرُ الذى[5] انفلَق لموسى حتى جاز بنو إسرائيلَ فيه ، وأما قَوسُ قُزَحَ فأمانٌ لأهلِ الأرضِ مِن الغرقِ ، والمجَرَّةُ بابُ[6] السماءِ ، وفى روايةٍ : الذى تنشَقُّ منه . فلمَّا قرَأ مَلِكُ الرومِ ذلك أعجبَه وقال : واللَّهِ ما هى مِن عندِ معاويةَ [7]ولا مِن قولِه[7] ، وإنَّما هى مِن عندِ أهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ . وقد ورَد فى هذه

---

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٠ ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٥٣٠ . وقد تقدم عن الطبرانى فى ١/ ٨٥ .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فيه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى الأصل ، ص : « ثمود » .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ : « حين » ، وفى م : « لما » .

(٦) بعده فى م : « فى » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

الأَسئلَةِ رواياتٌ كثيرةٌ ، (١وزياداتٌ كثيرةٌ١) فيها ، وفى بعضِها نظَرٌ ؛ (٢أنَّه سأَله عن مَن لا قَبْلَ له ، وعن مَن لا عشيرةَ له ، وعن مَن لا أبَ له ، وعن شىءٍ ، ونصفِ شىءٍ ، ولا شىءٍ ، وأرسَل قارورةً ؛ فقال : ابعَثْ إلىَّ فى هذه ببَزْرِ كلِّ شىءٍ . فكتَب إليه يقولُ : أمّا الذى لا قَبْلَ له فاللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وأمّا مَن لا عشيرةَ له فآدمُ عليه السلامُ ، وأمّا مَن لا أبَ له فعيسى عليه السلامُ ، وأمّا عن شىءٍ ، فهو العاقِلُ يعمَلُ بعقْلِه ، وأمّا نصفُ شىءٍ ، فالذى له عَقْلٌ ويعمَلُ برأْيِ غيرِه ، وأمّا لا شىءَ ، فالذى لا عقْلَ له ولا يعمَلُ بعقْلِ غيرِه . وملأَ القارورةَ ماءً وقال : هذا بَزْرُ كلِّ شىءٍ . فأعْجَب ذلك ملكَ الرُّومِ جدًّا٢) . واللَّهُ أعلمُ .

فصـلٌ

تولَّى ابنُ عبَّاسٍ إمامةَ(٣) الحجِّ سنةَ خمسٍ وثلاثين ، بأمرِ عثمانَ بنِ عفَّانَ له وهو محصورٌ ، وفى غيبتِه هذه قُتِلَ عثمانُ . وحضَر مع علىٍّ يومَ الجملِ ، وكان على الميسرةِ يومَ صِفِّينَ ، وشهِد قتالَ الخوارجِ ، وتأمَّر على البصرةِ مِن جهةِ علىٍّ ، فكان إذا خرَج منها يَستخلِفُ أبا الأسودِ الدُّئِلِىَّ على الصلاةِ ، وزيادَ بنَ أبى سُفيانَ على الخَراجِ ، وكان أهلُ البصرةِ مَغْبوطينَ به ؛ يُفقِّهُهم ويُعلِّمُ جاهِلَهم ، (٤ويَعِظُ مُجرِمَهم٤) ، ويُعطِى فقيرَهم ، فلم يزَلْ [٧/ ٥٥و] عليها حتى مات علىٌّ ، ويُقالُ : إنّ عليًّا عزَله عنها قبلَ موتِه ، ثم وفَد على معاويةَ ، فأكرَمه وقرَّبه واحترَمه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « إقامة » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

وعظَّمه ، وكان يُلْقِى عليه المسائلَ المعضِلَةَ فيُجيبُ فيها سريعًا ؛ فكان معاويةُ يقولُ[1] : ما رأيتُ أحدًا أحضَرَ جوابًا مِن ابنِ عبّاسٍ . ولمّا جاء الكتابُ بموتِ الحسنِ بنِ عليٍّ اتَّفَق كونُ ابنِ عبَّاسٍ عند معاويةَ فعزَّاه فيه بأحسنِ تعزيةٍ ، وردَّ عليه ابنُ عبَّاسٍ ردًّا حسنًا كما قدَّمنا ، وبعَث معاويةُ ابنَه يزيدَ فجلَس بينَ يدَيِ ابنِ عبَّاسٍ ، فعزّاه فيه بعبارةٍ فصيحةٍ بليغةٍ وجيزةٍ ، شكَره عليها ابنُ عباسٍ [2]وقد تقدَّم ذلك أيضًا[2] . ولمَّا مات معاويةُ ورام الحسينُ بنُ عليٍّ الخروجَ إلى العراقِ ، نهاه ابنُ عبَّاسٍ أشدَّ النَّهْيِ ، [3]ولامَه على عزمِه ذلك آكَدَ اللَّوْمِ[3] ، وأرادَ ابنُ عباسٍ أن يتعلَّقَ بثيابِ الحُسيْنِ - لأنَّ ابنَ عبَّاسٍ كان قد أَضَرَّ فى آخرِ عمرِه - [4]فلم يقبَلْ منه ، فلمّا بلَغه موتُه[4] حزِن عليه حُزنًا شديدًا ولزِم بيتَه ، وكان يقولُ[5] : يا لسانُ ، قلْ خيرًا تغنَمْ ، واسكُتْ عن شرٍّ تسلَمْ ، فإنَّك إنْ لا تفعَلْ تندَمْ . وجاء إليه رجلٌ يقالُ له : جُندَبٌ . فقال له[6] : أَوْصِنى . فقال : أُوصيكَ بتوحيدِ اللَّهِ والعملِ له ، وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ، فإنَّ كلَّ خيرٍ أنت آتيه بعدَ ذلك[7] مقبولٌ ، وإلى اللَّهِ مرفوعٌ ، يا جُنْدَبُ ، إنَّك لن تزدَادَ مِن يومِك[8] إلَّا قُربًا ، فصَلِّ صلاةَ مُودِّعٍ ، وأصبِحْ فى الدنيا كأنَّك غريبٌ مسافرٌ ؛ فإنّك مِن أهلِ القبورِ ، وابكِ على [9]ذنبِك ، وتُبْ مِن[9] خطيئتِك ، ولْتكُنِ الدنيا أهونَ عليك مِن شِسْعِ

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ١٢/٣٢٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م . وانظر ما تقدم فى ١١/ ٦٤٤.

(٣ - ٣) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « فلما قتل الحسين » .

(٥) أورده بنحوه الإمام أحمد فى « الزهد » ص ١٨٨ .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٢/٣٢٦ .

(٧) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « منك » .

(٨) فى الأصل : « نومك » . وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « موتك » .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

نعلِك ، وكأن قد فارقتَها وصِرْتَ إلى عدلِ اللَّهِ ، ولن تَنتَفِعَ بما خلّفْتَ ، ولن ينفعَك إلَّا عملُك . وقال بعضُهم[1] : أوصى ابنُ عبَّاسٍ بكلماتٍ خيرٍ مِن الخيلِ الدُّهْمِ[2] ، قال : لا تَكلَّمَنَّ فيما لا يَعنيك حتى ترَى له موضِعًا ، ولا تُمارِيَنَّ سفيهًا ولا حليمًا ؛ فإنَّ الحليمَ يَغلِبُك والسفيهَ يَزدرِيك ، ولا تذكُرَنَّ أخاك إذا توارَى عنك إلَّا بمثلِ الذى تُحِبُّ أنْ يتكلَّمَ فيك إذا توارَيْتَ عنه ، واعمَلْ عملَ رَجُلٍ[3] يعلَمُ أنّه مَجْزِىٌّ بالإحسانِ مأخوذٌ بالإجرامِ . فقال رجلٌ عندَه : يا ابنَ عبَّاسٍ ، هذا خيرٌ مِن عشَرةِ آلافٍ . فقال ابنُ عبَّاسٍ : كلمةٌ منه خيرٌ مِن عشَرةِ آلافٍ .

وقال ابنُ عبَّاسٍ[4] : تمامُ المعروفِ تعجيلُه وتصغيرُه وسترُه . يعنى أنْ [5]تُعجَّلَ العطِيَّةُ للمُعطَى[5] ، وأن تصْغُرَ فى عينِ المُعْطِى ، وأن تستُرَها عنِ النّاسِ فلا تُظهِرَها ؛ [6]فإنَّ فى إظهارِها فتحَ بابِ الرياءِ وكسرَ قلبِ المُعطَى ، واستحياءَه مِن النَّاسِ[6] .

وقال [٧/ ٥٥ظ] ابنُ عبَّاسٍ[4] : أعزُّ النَّاسِ علىَّ جليسى ؛ لو استطعتُ أنْ لا يقعَ الذُّبابُ على وجهِه لفعَلتُ . وقال أيضًا : لا يُكافِئُ مَن أتانى يطلُبُ حاجةً فرآنى لها موضِعًا إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وكذا رجلٌ بدأَنى بالسلامِ ، [7]أو أوسعَ لى فى مجلسٍ ، أو قام لى[7] عن المجلسِ ، أو رجلٌ سقانى شَرْبةَ ماءٍ على ظمأٍ ،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٢٦/١٢ .
(٢) خيل دهم وجيش دهم : يعنى كثير .
(٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « من » .
(٤) المصدر السابق ٣٢٧/١٢ .
(٥ - ٥) فى الأصل : « يعجل عليه المعطى » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .
(٧ - ٧) فى الأصل : « وأوسع » . وفى ص : « أو أوسع لى » .

أورجلٌ حَفِظنى بظَهْرِ الغيبِ . والمأثورُ عنه مِن هذه المكارمِ كثيرٌ جدًّا ، وفيما ذكَرْنا إشارةٌ إلى ما لم نذكُرْه .

وقد عدَّه الهيثمُ بنُ عَدِىٍّ فى العُمْيانِ مِن الأشرافِ[1] ، وفى بعضِ الأحاديثِ الواردةِ عنه ما يدلُّ على ذلك . وقد[2] أُصيبتْ إحدَى عينيْهِ فنحَل جسمُه ، فلمّا أُصيبَتِ الأُخرى عاد إليه لحمُه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أصابنى ما رأيتُم فى الأُولى شفقةً على الأخرى ، فلمّا ذهَبتا اطمأنَّ قلبى . وقال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[3] : ثنا علىُّ بنُ الجَعْدِ ، ثنا شَريكٌ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، أنَّه وقَع فى عينِه الماءُ [4]فقيل له : ننزِعُ مِن عينِك[4] الماءَ ، على أنّك لا تصلِّى سبعةَ أيامٍ ؟ فقال : لا ، إنّه مَن ترَك الصلاةَ وهو يقدِرُ عليها لقِى اللَّهَ وهو عليه غضبانُ . وفى روايةٍ أنّه قِيل له : نُزيلُ هذا الماءَ مِن عينِك على أن تَبْقَى خمسةَ أيامٍ لا تصلِّى إلَّا على عُودٍ ؟ وفى روايةٍ[5] : إلَّا مستلْقِيًا ؟ فقال : لا ، واللَّهِ ولا ركعةً واحدةً ، إنَّه مَن ترَك صلاةً واحدةً متعمِّدًا ، لَقِى اللَّهَ وهو عليه غضبانُ .

وقد أنشَد المدائنىُّ لابنِ عبَّاسٍ حينَ عمِى[6] :

إنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنىَّ نورَهما ... ففى لِسانى وسَمْعى منهما نورُ
قَلبى ذَكِىٌّ وعقلى غيرُ ذى دَخَلٍ ... وَفى فَمى صَارِمٌ كالسَّيْفِ مأثورُ

---

(١) ذكره ابن حبيب فى المحبّر ص ٢٩٦ .
(٢) فى الأصل ، ص : « قال بعضهم » . وانظر ذلك فى مختصر تاريخ دمشق ١٢/٣٣٧ .
(٣) الجعديات (٢٣٥٦) .
(٤ - ٤) فى ٣١ ، ٢١ : « فقال له الطبيب : تنزع من عينيك » ، وفى م : « فقال له الطبيب : تنزعك من عينيك » .
(٥) البيهقى فى الكبرى ٢/٣٠٩ .
(٦) أوردهما ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٢/٨٥٤ . وابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ٩٣٨، وقد عزاهما لابن عباس .

ولمّا وقَع الخُلْفُ[1] بينَ ابنِ الزبيرِ وبينَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، اعتزَل ابنُ عبّاسٍ ومحمدُ ابنُ الحنفيَّةِ الناسَ ، فدعاهما ابنُ الزُّبيرِ ؛ ليُبايِعاه فأبَيا عليه ، وقال كلٌّ منهما : لا نبايِعُك ولا نخالِفُك . فهَمَّ بهما ، فبعثا أبا الطُّفيلِ عامرَ بنَ واثِلةَ فاستنجَد لهما مَن بالعراقِ مِن شيعتِهما ، فقدِم أربعةُ آلافٍ فكبَّروا بمكَّةَ تكبيرةً واحدةً ، وهمُّوا بابنِ الزبيرِ ، [2]فانطلَق ابنُ الزبيرِ هاربًا وتعلَّقَ بأستارِ الكعبةِ ، وقال : أنا عائذٌ باللَّهِ[2] . فكفُّوهم[3] عنه ، [4]ثم مالوا إلى ابنِ عبّاسٍ وابنِ الحنفيَّةِ وقد حمَل[5] ابنُ الزبيرِ حولَ دُورِهم الحطبَ ليحرِقَهم ، فخرَجوا بهما حتى نزَلوا الطائفَ ، وأقام ابنُ عبّاسٍ سنتينِ لم يُبايِعْ أحدًا[4] ، كما تقدَّمَ[6] .

فلمّا كان فى سنةِ ثمانٍ وستِّين تُوفِّى عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ بالطائفِ ، وصلَّى عليه محمدُ ابنُ الحنفيَّةِ ، [7]وقال[8] : مات اليومَ حَبرُ هذه الأُمَّةِ[7] . فلمّا وضَعوه ليُدخِلوه فى قبرِه جاء طائرٌ أبيضُ لم يُرَ مثلُ خِلقتِه ، فدخَل[9] فى أكفانِه [10]والتفَّ فيها[10] حتى دُفِن معه[11] . قال [٧/٥٦و] عفَّانُ[12] : فكانوا يَرَوْنه

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٢/٣٢٨ ، ٣٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٥٦ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى ص : « فكفوهما » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ : « عمل » .

(٦) تقدم فى صفحة ٣٥، ٣٦.

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢/٣٦٨ ، والبلاذرى فى أنساب الأشراف ٤/ ٧٢، والحاكم فى المستدرك ٣/٥٤٣ . كلهم بنحوه . وسكت عليه الحاكم والذهبى .

(٩) فى الأصل ، ص : « فالتف » .

(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل ، ص .

(١١) فى ص : « عمله » . وانظر الخبر فى أنساب الأشراف ٤/٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٥٧ ، ٣٥٨.

(١٢) فى ٣١ : « عثمان » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١٦١ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/٣٢٩ .

علْمَه[1] ، فلمَّا وُضِع فى اللَّحدِ تلا تالٍ لا يُعرَفُ مَن هو - وفى روايةٍ[2] : أنَّهم سمِعوا من قبرِه - ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠] . هذا القولُ فى وفاتِه هو الذى صحَّحه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، ونصَّ عليه أحمدُ بنُ حنبلٍ والواقدىُّ وابنُ عساكرَ ، وهو المشهورُ عندَ الحفَّاظِ . وقيل : إنّه تُوفِّى سنةَ ثلاثٍ وستِّين . وقيل[3] : سنةَ ثلاثٍ وسبعين . وقيل[4] : سنَةَ سبعٍ وستِّين . وقيل[5] : سنةَ تسعٍ وستِّين . وقيل[6] : سنةَ سبعين . والصحيحُ الأولُ ، وهذه الأقوالُ كلُّها شاذَّةٌ غريبةٌ مردودةٌ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ . وكان عمُرُه يومَ ماتَ ثنتيْن وسبعين سنةً . وقيل[7] : إحدى وسبعين . وقيل[8] : أربعًا وسبعين . والأوَّلُ أصحُّ ، واللَّهُ أعلمُ .

صِفةُ ابنِ عبَّاسٍ رضِى اللَّهُ عنه

كان جسيمًا ، إذا قعَد يأخُذُ مكانَ رجُليْن ، جميلًا له وَفْرةٌ ، قد شاب مُقدَّمُ رأسِه ، وشابَتْ لِمَّتُه[9] ، وكان يخضِبُ بالحِنَّاءِ ، وقيل : بالسَّوادِ . حسَنَ الوجهِ ،

---

(١) فى ٣١ ، ٢١ : « عمله وعلمه » . وبعده فى م : « عمله » .
(٢) فضائل الصحابة (١٨٧٩) ، والطبرانى فى الكبير (١٠٥٨١) .
(٣) أسد الغابة ٢٩٤/٣ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٣٥٩/٣ .
(٥) تهذيب الكمال ١٦٢/١٤ .
(٦) التاريخ الصغير ١٥٣/١ ، وتهذيب الكمال ١٦٢/١٤ .
(٧) أسد الغابة ٢٩٤/٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ٣٣٠/١٢ .
(٨) مختصر تاريخ دمشق ٣٣٠/١٢ ، والإصابة ١٥٢/٤ .
(٩) اللِّمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

يلبَسُ حسنًا ويُكثِرُ مِن التطَيُّبِ ، بحيثُ إنَّه كان إذا مرَّ فى الطريقِ تقولُ النساءُ : هذا ابنُ عباسٍ . أو : رجلٌ معه مِسكٌ . وكان وسيمًا أبيضَ طويلًا ، صَبيحًا[1] فصيحًا ، ولمَّا عمِى اعترَى لونَه صُفرةٌ يسيرةٌ . وقد كان بنو العباسِ عشَرةً ؛ وهم الفضلُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبيدُ اللَّهِ ، ومعبَدٌ ، وقُثَمُ ، وعبدُ الرحمنِ ، وكَثِيرٌ ، والحارثُ ، وعَوْنٌ ، وتَمّامٌ . وكان أصغرَهم تَمّامٌ ، ولهذا كان العباسُ[2] يحمِلُه ويقولُ[3] :

تَمُّوا بِتَمّامٍ فصَاروا عَشَرَهْ يارَبِّ فاجعَلْهم كِرامًا بَرَرَهْ
* واجعَلْهمُ ذِكْرًا وأَتْمِ الثَّمَرَهْ *

فأمّا الفضلُ فمات بأَجنادِينَ شَهيدًا ، وعبدُ اللَّهِ بالطَّائفِ ، وعبيدُ اللَّهِ باليمنِ ، ومعبَدٌ وعبدُ الرحمنِ بإفريقيَّةَ ، وقُثَمُ وكَثِيرٌ بِيَنْبُعَ ، وقيل : إنَّ قُثَمَ مات بسَمَرْقَنْدَ .

وقد قال مسلمُ بنُ قمادِينَ[4] المكِّىُّ مولَى بنى مخزومٍ : ما رأيتُ مثلَ بنى أمِّ واحدةٍ أشرافًا[5] ، وُلِدوا فى دارٍ واحدةٍ ، أبعدَ قُبورًا مِن بنى أمِّ الفضلِ . ثم ذكَر [٧/ ٥٦ظ] مواضِعَ قُبورِهم ، كما تقدَّمَ . إلَّا أنَّه قال : الفضلُ مات بالمدينةِ ، وعبيدُ اللَّهِ بالشامِ .

وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ يلبَسُ الحلَّةَ بألفِ درهمٍ ، وكان له مِن الولدِ

---

(١) فى م : « جسيما » .
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٥.
(٤) فى الأصل : « حمادين » ، وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « حماد » . وفى ص : «وادى » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٦.
(٥) فى مختصر تاريخ دمشق : « إشراقة » .

العباسُ وعليٌّ ، ويُدعَى السَّجّادَ ؛ لكثرةِ صلاتِه ، وكان أجملَ قُرشيٍّ على وجهِ الأرضِ ، وقد قيلَ : إنَّه كان يُصلِّى كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ[1] . وقيل[2] : فى الليلِ والنهارِ مع الجمالِ التامِّ . وعلى هذا فهو أبو الخلفاءِ العباسيِّين ، ففى ولدِه كانتِ الخلافةُ العباسيَّةُ ، كما سيأتى . وكان لابنِ عبَّاسٍ أيضًا محمدٌ والفضلُ وعبدُ اللَّهِ ولُبابةُ ، وأمُّهم زرْعةُ بنتُ مُسَرِّحِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ . وأسماءُ وهى لأمِّ ولدٍ . وكان له مِن الموالى عكرمةُ وكُرَيْبٌ وأبو مَعْبَدٍ وشُعبةُ ودَقيقٌ وأبو عَمْرَةَ وأبو عبيدٍ [3]ومِقسَمٌ[3] .

وقد أسنَد ألفًا وستَّمائةٍ وسبعين حديثًا . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

وفيها تُوفِّى أبو[4] **شُرَيْحٍ الخُزاعىُّ العَدَوِىُّ الكَعْبىُّ**[5] ، اختُلِف فى اسمِه على أقوالٍ ؛ أصحُّها **خويلدُ بنُ عمرٍو** ، أسلَم عامَ الفتحِ ، وكان معه أحدُ ألويةِ بنى كعبٍ الثلاثةِ . قال محمدُ بنُ سعدٍ[6] : مات فى هذه السنةِ ، وله أحاديثُ .

وأبو واقدٍ الليثىُّ[7] ، صحابىٌّ جليلٌ مختلَفٌ فى اسمِه وفى شهودِه بدرًا ، قال الواقدىُّ[8] : تُوفِّى سنةَ ثمانٍ وستين ، عن خمسٍ وستِّين سنةً . وكذا قال غيرُ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١١٩، وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٣١٣ ، وتاريخ أبى زرعة ٧١٣، ٧١٤، ومختصر تاريخ دمشق ١٨/ ١٢٠.

(٣ - ٣) سقط من ٣١، ٢١، م . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٤) فى الأصل : «ابن» .

(٥) الاستيعاب ٤/ ١٦٨٨، وأسد الغابة ٦/ ١٦٤، والإصابة ٧/ ٢٠٤.

(٦) الطبقات ٤/ ٢٩٥.

(٧) الاستيعاب ٤/ ١٧٧٤، وأسد الغابة ٦/ ٣٢٥، والإصابة ٧/ ٤٥٥.

(٨) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٧، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٠. ولكن ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٤٠٩، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٦، كلاهما عن الواقدى، أنه توفى سنة خمس وستين.

واحدٍ[1] فى تاريخِ وفاتِه . وزعَم بعضُهم أنَّه عاش سبعين سنةً[2] .

وكانت وفاتُه بمكَّةَ بعدَ ما جاوَر بها سنةً ودفِن فى مقابرِ المهاجِرين . واللَّهُ أعلمُ .

[3]حميدُ بنُ ثورٍ الهِلالىُّ[4] الشاعرُ المشهورُ ، قال الشعرَ فى أيامِ عمرَ ، وهو من فحولِ الشعراءِ[3] .

---

(١) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٧.

(٢) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٧، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٠.

(٣ - ٣) زيادة من: الأصل .

(٤) فى الأصل: «النزلى» . والمثبت كما فى طبقات فحول الشعراء ٢/٥٨٣ . وحميد بن ثور الهلالى ترجمته فى الاستيعاب ١/ ٣٧٧، وأسد الغابة ٢/ ٥٩، والإصابة ٢/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ١١٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٩٢. وذكر أنه تُوفِّى فى خلافة عثمان ، وقد ذكره الذهبى فى وفيات الطبقة السابعة .

ثم دخلت سنة تسعٍ وستّين

ففيها كان مقتلُ عمرِو بنِ سعيدٍ الأُمَوىِّ الأشدقِ، قتَله عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ؛ وكان سببَ ذلك أنَّ عبدَ الملكِ ركِب فى أوَّلِ هذه السنةِ فى جنودِه قاصدًا قَرْقِيسِياءَ؛ ليحاصِرَ زُفَرَ بنَ الحارثِ الكِلابىَّ الذى أعان سليمانَ بنَ صُرَدَ على جيشِ مَرْوانَ حينَ قاتَلوهم بعَيْنِ وَرْدةَ، ومِن عَزمِه إذا فرَغ مِن ذلك أن يقصِدَ مُصعبَ بنَ الزبيرِ بعدَ ذلك، فلمّا سار إليها استخلَف على دمشقَ عمرَو ابنَ سعيدٍ الأَشدقَ، فتحصَّن بها وأخَذ أموالَ بيتِ المالِ. وقيل: بل كان مع عبدِ الملكِ، ولكنَّه انخذَل عنه فى طائفةٍ مِن الجيشِ وكَرَّ راجعًا إلى دمشقَ فى الليلِ، ومعه حميدُ بنُ حُرَيْثٍ[1] بنِ بَحْدَلٍ الكلبىُّ، وزهيرُ بنُ الأبردِ[2] الكلبىُّ، فانتهَوْا إلى دمشقَ، وعليها عبدُ الرحمنِ بنُ أمِّ الحكمِ نائبًا مِن جهةِ عبدِ الملكِ ابنِ مَرْوانَ، فلمّا أحسَّ بهم هرَب وترَكَ[3] البلدَ، فدخَلها عمرُو [٧/٥٥و] بنُ سعيدٍ الأشدقُ[4]، فاستحْوَذ على ما فيها مِن الخزائنِ، وخطَب الناسَ فوعَدهم العدلَ والنَّصَفَ والعطاءَ الجزيلَ والثناءَ الجميلَ. ولمّا علِم عبدُ الملكِ بما فعَله الأشدقُ، كرَّ راجعًا مِن فورِه فوجَد الأشدقَ قد حصَّنَ دمشقَ وعلَّق عليها الستائرَ والمُسوحَ، وانحازَ الأشدقُ إلى حصنٍ رومىٍّ منيعٍ كان بدمشقَ فنزَله،

---

(١) فى ص: «حارث». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٠.

(٢) فى ا ٢: «الأبراد». وانظر تاريخ الطبرى الموضع السابق.

(٣) فى ص: «نزل».

(٤) بعده فى الأصل، ص: «وزهير بن الأبرد الكلبى فانتهوا إلى دمشق».

فحاصَره عبدُ الملكِ وقاتَله عمرُو بنُ سعيدٍ الأشدقُ مدةَ ستةَ عشَرَ يومًا، [1]وراسَله عبدُ الملكِ، وقال له[2]: أَنشُدُك اللَّهَ والرَّحِمَ أن تفسِدَ أمرَ بيتِكَ وما هم عليه مِن اجتماعِ الكلمةِ، وإنَّ فيما صنَعتَ قوةً لابنِ الزبيرِ، فارجِعْ إلى بيعتِك، ولك عليَّ عهدُ اللَّهِ وميثاقُه. وحلَف له بالأيمانِ المؤكَّدةِ أنَّك وليُّ عهدِى مِن بعدِى، وكتَبا بينَهما كتابًا، فانخدَع له عمرٌو[3] وفتَح أبوابَ دمشقَ[1]، ثم اصطَلَحا على تركِ القتالِ، وعلى أن يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عبدِ الملكِ، وعلى أن يكونَ مع كلِّ عامَلٍ لعبدِ الملكِ عاملٌ له، وكتَبا بينَهما كتابَ أمانٍ، وذلك عَشِيَّةَ الخميسِ. ودخَل عبدُ الملكِ دمشقَ إلى دارِ الإمارةِ على عادتِه، وبعَث إلى عمرِو بنِ سعيدٍ الأشدقِ يقولُ له: رُدَّ على الناسِ أَعْطِياتِهم التى أخذتَها لهم مِن بيتِ المالِ. فبعَث إليه عمرٌو يقولُ له: إنَّ هذا ليس إليك، وليس هذا البلدُ لك، فاخرُجْ منه. فلمَّا كان يومُ الاثنينِ بعَث عبدُ الملكِ إلى عمرِو بنِ سعيدٍ يأمُرُه بالإتيانِ إلى منزلِه بدارِ الإمارةِ الخضراءِ، فلمّا جاءَه الرسولُ صادَف عندَه عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ وهو زوجُ ابنتِه أمِّ موسى بنتِ عمرِو بنِ سعيدٍ، فاستشارَه عمرٌو فى الذَّهابِ إلى عبدِ الملكِ فقال له: يا أبا سعيدٍ، واللَّهِ لأنتَ أحبُّ إلىَّ مِن سمعِى وبصـرِى، وأرَى أنْ لا تأتيَه؛ فإنَّ تُبَيْعًا[4] الحِمْيَرِىَّ ابنَ امرأةِ كعبِ الأحبارِ قال: إنَّ عظيمًا مِن عُظماءِ بنى إسماعيلَ يُغلِقُ أبوابَ دمشقَ فلا يلبَثُ أنْ يُقتَلَ. فقال عمرٌو: واللَّهِ لو كنتُ نائمًا ما تخوَّفْتُ أنْ ينبِّهَنى ابنُ الزرقاءِ، وما كان ليَجترِئَ على ذلك منِّى، مع أنَّ عثمانَ بنَ عفانَ أتانى البارحةَ فى المنامِ

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) مروج الذهب ٣/ ١٠٢.

(٣) فى الأصل: «عمر». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ١٤١. وانظر الكامل ٤/ ٢٩٨.

(٤) فى ٣١، ٢١: «تبعا». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٢.

فألبسَنى قميصَه . وقال عمرُو بنُ سعيدٍ للرسولِ[1] : أبلِغْه السلامَ ، وقلْ له : أنا رائحٌ إليك العشيَّةَ إن شاءَ اللَّهُ . فلمّا كان العَشِيُّ - يَعنى بعدَ الظُّهرِ - لبِس عمرٌو درعًا بينَ ثيابِه وتقلَّد سيفًا ونهَض فعثَر بالبُساطِ ، فقالتِ امرأتُه وبعضُ مَن حضَره : إنّا نرَى[2] [٧/٥٧ظ] أن لا تأتيَه . فلم يلتفِتْ إلى ذلك ومضَى فى مائةٍ مِن مَوالِيه ، وعبدُ الملكِ قد أمَر بنى مَرْوانَ فاجتمَعوا كلُّهم عندَه ، فلمّا انتهَى عمرُو بنُ سعيدٍ إلى البابِ أمَرَ عبدُ الملكِ أن يدخُلَ وأن يُحبَسَ مَن معه ؛ عندَ كلِّ بابٍ طائفةٌ منهم ، فدخَل كذلك حتى انتهَى إلى صَرْحةِ المكانِ الذى فيه عبدُ الملكِ ، ولم يبقَ معه مِن مواليه سِوى وصيفٍ واحدٍ ، فرَمَى ببصرِه فإذا بنو[1] مروانَ عن بَكْرةِ أبيهم مُجتَمِعون عندَ عبدِ الملكِ ، فأحسَّ بالشرِّ فالتفَت إلى وصيفِه ، فقال له همسًا : وَيْلَك ! انطلِقْ إلى أخى يحيى بنِ سعيدٍ فقُلْ له فليأتِنى . فلم يفهَمْ عنه ، وقال له : لبَّيك . فأعادَ عليه ذلك ، فلم يفهَمْ أيضًا ، وقال : لبَّيك . فقال : وَيْلَك ! اغرُبْ عنِّى فى حَرَقِ اللَّهِ ونارِه . وكان عندَ عبدِ الملكِ حسَّانُ بنُ مالكِ بنِ بحدلٍ[3] ، وقَبيصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ ، فأَذِن لهما عبدُ الملكِ بالانصرافِ ، فلمَّا خرَجا غُلِّقَتِ الأبوابُ واقترَب عمرٌو مِن عبدِ الملكِ ، فرحَّبَ به وأجلَسه معه على السَّريرِ ، ثم جعَل يُحدِّثُه طويلًا . ثم إنَّ عبدَ الملكِ قال : يا غلامُ ، خُذِ السيفَ عنه . فقال عمرٌو : إنا للَّهِ يا أميرَ المؤمنين ! فقال له عبدُ الملكِ : أوَتطمَعُ أنْ تتحدَّثَ معى متقلِّدًا سيفَك ؟ فأخَذ الغلامُ السيفَ عنه ، ثم تحدَّثا ساعةً ، ثم قال له عبدُ الملكِ : يا أبا أميةَ . قال : لبَّيك يا أميرَ المؤمنين .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « لا نرى » .

(٣) فى ا ٢ : « بجدل » .

قال : إنَّك حيثُ خلعْتَنى آليتُ بيمِينى إن ملأتُ عينى منك وأنا مالكٌ لك أن أجمَعَك فى جامعةٍ[1] . فقالت بنو مَرْوانَ : ثم تُطلِقُه يا أميرَ المؤمنين؟ قال : ثم أُطلِقُه ، وما عسَيتُ أن أفعلَ بأبى أميَّةَ ؟ فقال بنو مَرْوانَ : أبِرَّ قَسَمَ أميرِ المؤمنين . فقال عمرٌو : فأبِرَّ قسَمَك يا أميرَ المؤمنين . فأخرَج عبدُ الملكِ مِن تحتِ فِراشِه جامعةً فطرَحها إليه ، ثم قال : يا غلامُ ، قمْ فاجْمَعْه فيها . فقام الغلامُ فجمَعَه فيها ، فقال عمرٌو : أُذكِّرُك اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين أنْ تُخرِجَنى فيها على رءوسِ الناسِ . فقال عبدُ الملكِ : أمَكْرًا يا أبا أميةَ عندَ الموتِ ؟ لاها اللَّهِ إذًا ، ما كنَّا لنُخرِجَك فى جامعةٍ على رءوسِ الناسِ ولمّا نُخْرِجْها منك إلّا صَعَدًا[2] . ثم اجتَبذه اجتباذةً أصاب فمَه السَّريرُ فكسَر ثَنيَّتَه ، فقال عمرٌو : أُذكِّرُك اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين أنْ يدعُوَك كَسْرُ عَظمِى إلى ما هو أعظمُ مِن ذلك . فقال عبدُ الملكِ : واللَّهِ لو أعلمُ أنَّك [3]إذا بقِيتَ[3] تفِى لى وتَصلُحُ قريشٌ لأطلقتُك ، ولكنْ ما اجتمَع رجلانِ قطُّ فى [٧/ ٥٨و] بلدٍ على ما نحن عليه إلّا أخَرج أحدُهما صاحبَه .

وفى روايةٍ أنَّه قال له[4] : أمَا علِمتَ يا عمرُو أنَّه لا يجتمِعُ فحلانِ فى شَوْلٍ[5] ؟ فلمَّا تحقَّق عمرٌو ما يريدُ مِن قتلِه قال له : أغَدْرًا[6] يا ابنَ الزَّرقاءِ ؟ وبينَما هما كذلك إذ أُذِّن للعصرِ ، فقام عبدُ الملك ليخرُجَ إلى الصلاةِ ، وأمَر أخاه عبدَ العزيزِ بنَ مروانَ بقتلِه ، وخرَج عبدُ الملكِ وقام إليه عبدُ العزيزِ بالسيفِ ، فقال له

---

(١) الجامعة : الغُلُّ ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق . الصحاح (ج م ع) .

(٢) الصَّعَد : المشقة . وعذاب صَعَدٌ : شديد .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « تبقى على أن » .

(٤) تاريخ خليفة ٣٣٧، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨.

(٥) فى م : « شرك » . والشول : بقية الماء .

(٦) فى م : « أعذرا » .

عمرٌو : أُذكِّرُك اللَّهَ والرَّحِمَ أن لا تلىَ ذلك منِّى ، وليتولَّ ذلك غيرُك . فكفَّ عنه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ . ولمَّا رأَى الناسُ عبدَ الملكِ قد خرَج وليس معه عمرٌو أرجَف[1] الناسُ بعمرٍو ، وأقبَل أخوه يَحيى بنُ سعيدٍ فى ألفِ عبدٍ لعمرٍو بنِ سعيدٍ وأناسٍ معه كثيرٍ ، وأسرَع عبدُ الملكِ الدخولَ إلى [2]دارِ الإمارةِ[2] ، وجاءَ أولئك فجعَلوا يدقُّونَ بابَ الإمارةِ ويقولون : أسمِعْنا صوتَك يا أبا أميَّةَ . وضرَب رجلٌ منهم [3]الوليدَ بنَ[3] عبدِ الملكِ فى رأسِه بالسيفِ فجرَحه ، فأدخَله إبراهيمُ بنُ عَربىٍّ[4] صاحبُ الديوانِ بيتًا ، وأحرَزه فيه ، ووقَعَتْ خبطةٌ عظيمةٌ فى المسجدِ ، وضجَّتِ الأصواتُ . ولمَّا رجَع عبدُ الملكِ وجَد أخاه لم يقتُلْه ، فلامَه وسبَّه وسبَّ أمَّه - ولم تكُنْ أمُّ عبدِ العزيزِ أمَّ عبدِ الملكِ - فقال : إنَّه ناشَدنى اللَّهَ والرَّحِمَ . وكان ابنَ عمةِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ثم إنَّ عبدَ الملكِ قال : يا غلامُ ، ائتنى بالحَربةِ . فأتاه بها فهزَّها وضرَبه بها فلم تُغنِ شيئًا ، ثم ثنَّى فلم تُغْنِ[5] شيئًا ، فضرَب بيدِه إلى عَضُدِ عمرٍو فوجَد مسَّ الدرعِ فضحِك وقال : ودارعٌ أيضًا ! إن كنت لمُعِدًّا ، يا غلامُ ، ائتنى بالصَّمصامةِ . فأتاه بسيفِه ثم أمَر بعمرٍو فصُرِعَ فجلَس على صدرِه فذبَحه ، وهو يقولُ[6] :

يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقَصَتِى ... أَضْرِبْكَ حيثُ[7] تقولُ الهامةُ اسقُونى

---

(١) فى ص : « أزحف » . وأرجف القوم بفلان يعنى أكثروا الأخبار السيئة فيه .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « الخضراء » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى النسخ : « عدى » . والمثبت من الطبرى ٦/ ١٤٦ ، والكامل ٤/ ٣٠٦ . وكذا فيما يأتى من مواضع .

(٥) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « تجز » .

(٦) البيت لذى الإصبع العَدْوانى ، وهو ضمن المفضلية ٣١ . المفضليات ١٦٠ .

(٧) فى م : « حتى » .

قالوا : وانتفَض عبدُ الملكِ بعدَ ما ذبَحه كما تنتفِضُ القصبةُ برِعدةٍ شديدةٍ جدًّا ، بحيثُ إنّهم ما رفَعوه عن صدرِه إلّا محمولًا ، فوضَعوه على سريرِه وهو يقولُ : ما رأيتُ مثلَ هذا قطُّ قِتْلَةً[1] ، صاحبُ دنيا ولا طالبُ[2] آخرةٍ . ودفَع الرأسَ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ أمِّ الحكمِ ، فخرَج به للناسِ فألقاه بينَ أظهُرِهم ، وخرَج عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ ومعه البِدَرُ[3] مِن الأموالِ تُحمَلُ ، فأُلقِيَتْ بينَ النّاسِ فجعَلوا يختطِفونها ، ويقالُ : إنها استُرجِعتْ بعدَ ذلك مِن الناسِ إلى بيتِ المالِ .

ويقالُ[4] : إنَّ الذى ولِى قتلَ عمرِو بنِ سعيدٍ مولى عبدِ الملكِ أبو الزُّعَيْزِعَةِ بعدَ ما خرَج عبدُ الملكِ إلى الصلاةِ[5] ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد دخَل يحيى بنُ سعيدٍ [٧/٥٨ظ] أخو عمرِو بنِ سعيدٍ دارَ الإمارةِ ، بعدَ مقتَلِ أخيه ، بمَن معه ، فقام إليهم بنو مَرْوانَ فاقتتَلوا ، وجرِح جماعاتٌ مِن الطائفتيْنِ ، وجاءت يَحيى بنَ سعيدٍ صخرةٌ فى رأسِه أشغلَتْه عن نفسِه وعنِ القتالِ ، ثم إنَّ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ خرَج إلى المسجدِ الجامعِ فصعِد المِنبرَ فجعَل يقولُ[6] : وَيْحَكم ، أين[7] الوليدُ ؟ وأبيهِمْ لَئن كانوا قتَلوه لقد أدرَكوا ثأرَهم . فأتاه إبراهيمُ بنُ عربيٍّ الكِنانيُّ فقال : هذا الوليدُ عندِى ، قد أصابَتْه جِراحةٌ ، وليس عليه بأسٌ . ثم أمَر عبدُ الملكِ بيَحيى بنِ سعيدٍ أن يُقتلَ ، فشفَع فيه أخوه

---

(١) فى م : « قبله » . وفى تاريخ الطبرى والكامل : « قَتَلَهُ » .

(٢) زيادة من الطبرى يتطلبها السياق .

(٣) فى ٢١ : « البندر » ، وفى تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٥ : « البدور » . والبدر جمع بَدْرة : وهى كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم فى العطايا .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٥، والكامل ٤/ ٣٠١.

(٥) بعده فى الأصل : « ولم يقتله عبد العزيز بن مروان » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٦، والكامل ٤/ ٣٠١.

(٧) فى ٣١، ٢١، ص : « إنى » .

عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ وفى جماعاتٍ آخَرين معه ، كان عبدُ الملكِ قد أمَر بقتلِهم يومَئذٍ ، فشفَّعه فيهم وأمَر بحبسِه فسُجِن شهرًا ، ثم سيَّره وبنى عمرِو بنِ سعيدٍ وأهلِيهم إلى العراقِ فدخَلوا على مُصعبِ بنِ الزُّبيرِ فأكرَمهم وأحسنَ إليهم .

ثم لمَّا انعقَدتِ الجماعةُ لعبدِ الملكِ بعدَ مقتَلِ ابنِ الزُّبيرِ - كما سيأتى - وفَدوا عليه فكادَ يقتُلُهم ، فتلطَّف بعضُهم فى العبارةِ حتى رقَّ لهم رِقَّةً شديدةً ، وقال : إنَّ أباكم خيَّرنى بينَ أن يقتُلَنى أو أقتُلَه ، فاختَرتُ قتلَه على قتلِى ، وأمَّا أنتم فما أرْغَبنى فيكم وأوصَلنى لقرابتِكم وأرعانى لحقِّكم ! فأحسنَ جائزتَهم وقرَّبَهم . وقد كان عبدُ الملكِ بعَث إلى امرأةِ عمرِو بنِ سعيدٍ أنِ ابعثى إلىَّ بكتابِ الأمانِ الذى كنتُ كتبتُه لعمرٍو . فقالتْ : إنِّى دفنتُه معه ليُحاكمَك به يومَ القيامةِ عندَ اللَّهِ .

وقد كان مَرْوانُ بنُ الحكمِ وعَد عمرَو بنَ سعيدٍ هذا[1] أن يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِ ولدِه عبدِ الملكِ ، كلامًا مجرَّدًا ، فطمِع فى ذلك وقوِيَتْ نفسُه بسببِ ذلك . وكان عبدُ الملكِ يُبْغِضُه بُغضًا شديدًا مِن الصِّغرِ ، ثم كان هذا صنيعَه إليه فى الكِبَرِ .

قال ابنُ جريرٍ[2] : وذُكِر أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ قال لعبدِ الملكِ ذاتَ يومٍ : عجبٌ مِنك ومِن عمرِو بنِ سعيدٍ ، كيف أصبْتَ غِرَّتَه حتى قتلْتَه ؟ فقال :

أَدْنَيْتُه منى لِيَسْكُنَ رَوعُه ... فأَصُولَ صَوْلَةَ حازمٍ مُسْتَمْكِنِ
غَضَبًا ومحمِيَةً لدينى إنَّه ... ليسَ المُسِىءُ سبيلُه كالمُحسِنِ

---

(١) بعده فى الأصل : «أولا» .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٨.

قال خليفةُ بنُ خيَّاطٍ[1] : وهذا الشعرُ للصَّبىِّ[2] بنِ أبى رافعٍ، تمثَّل به عبدُ الملكِ .

وروَى ابنُ دُرَيْدٍ[3] ، عن أبى حاتمٍ عن العُتْبىِّ[4] أنَّ عبدَ الملكِ قال : لقد كان عمرُو بنُ سعيدٍ أحبَّ إلىَّ [٧/ ٥٩و] مِن دمِ النَّواظرِ ، ولكنْ واللَّهِ لا يجتمِعُ فحلانِ فى الإبلِ إلّا أخرَج أحدُهما الآخرَ ، وإنَّا لَكَمَا قال أخو بنى يربوعٍ :

أُجازِى مَن جزانى الخيرَ خيرًا ... وجازِى الخيرِ يُجْزَى بالنَّوالِ
وأَجْزِى مَن جَزانى الشرَّ شَرًّا ... كما تُحْذى النِّعالُ على النِّعالِ

قال خليفةُ بنُ خياطٍ[5] : وأنشَد أبو اليقظانِ لعبدِ الملكِ فى قتلِه عمرَو بنَ سعيدٍ :

صحَّتْ ولا تَشْلَلْ وضرَّتْ عَدُوَّها ... يمينٌ أراقتْ مُهجةَ ابنِ سعيدِ
[6]وجَدْتُ ابنَ مَرْوانَ [7]ولا تَبْلَ نفسُه[7] ... شَديدًا ضريرَ البأسِ[8] غيرَ بَليدِ
هو ابنُ أبى العاصِى لمَرْوَانَ ينتَمِى[9] ... إلى أُسْرَةٍ طابَتْ له وجُدُودِ[6]

قال الواقدىُّ[10] : أمّا حِصارُ عبدِ الملكِ لعمرِو بنِ سعيدٍ الأشدقِ فكان فى

---

(١) تاريخ خليفة ٣٣٨، وفيه أن هذا الشعر للبهبى ، وفى تاريخ دمشق ٤٥٨/١٣ (مخطوط) ، وعزا فيه القول إلى خليفة عن أبى اليقظان أنه للصبى بن أبى رافع .
(٢) فى م : « للضبى » .
(٣) تهذيب الكمال ٣٨/٢٢ ، ٣٩.
(٤) فى الأصل : « العتبى » . وفى م : « الشعبى » .
(٥) تاريخ دمشق ٤٥٨/١٣ (مخطوط) .
(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١.
(٧ - ٧) فى م : « ولا نبل عنده » .
(٨) فى الأصل ، م : « الناس » .
(٩) فى م : « ينتهى » .
(١٠) تاريخ الطبرى ١٤٨/٦.

سنةِ تسعٍ وستِّين، رجَع إليه مِن بُطْنانَ[1] فحاصَره بدمشقَ، وأمّا قتلُه إيّاه فكان في سنةِ سبعين، واللَّهُ أعلمُ.

وهذه ترجمةُ عمرِو بنِ سعيدِ الأشدقِ[2]

هو عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُميةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ، أبو أميةَ القرشيُّ الأُمويُّ، المعروفُ بالأشدقِ، يقالُ[3]: إنَّه رأَى النبيَّ ﷺ، وروَى عنه أنَّه قال[4]: «ما نحَل وَالِدٌ ولدًا أحسنَ مِن أدبٍ حَسَنٍ». وحديثًا آخَرَ في العِتْقِ[5].

وروَى عن عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وعائشةَ، وحدَّث عنه بنوه[6]؛ أميةُ وسعيدٌ وموسى وغيرُهم. واستنابَه معاويةُ على المدينةِ، وكذلك يزيدُ بنُ معاويةَ بعدَ أبيه، كما تقدَّم[7]. وكان مِن ساداتِ المسلمين، ومِن الكُرماءِ المشهورين، يُعطِي الكثيرَ، ويتحمَّلُ العَظائمَ، وكان وَصِيَّ أبيه مِن بينِ بنِيه، وكان أبوه - كما

---

(١) بطنان: واد بين منبج وحلب. معجم البلدان ١/ ٦٦٤.

(٢) ترجمته في الطبقات ٥/ ٢٣٧، ٢٣٨، والمراسيل ٩٣، تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥، تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥١ (مخطوط)، والسير ٣/ ٤٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٠٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٥، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦. وخطأ ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥/ ٢٩٤.

(٤) الترمذي (١٩٥٢)، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٧٧.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز وأيوب بن موسى وهو ابن عمرو بن سعيد بن العاص، وهو عندي حديث مرسل. وقال الألباني: ضعيف. (ضعيف سنن الترمذي ٣٣٣).

(٥) أخرجه عبد الرازق في المصنف (١٦٧٠٥).

(٦) في ا٣، ا٢، ص: «بنو». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٦.

(٧) انظر ما تقدم في ١١/ ٤٧٠.

قدَّمنا[1] - مِن المشاهيرِ الكرماءِ، والسادةِ النُّجباءِ. قال عمرٌو[2]: ما شتَمْتُ رجلًا منذُ كنتُ رجلًا، ولا كَلَّفْتُ مَن قصَدنى أن يسألَنى؛ لَهو أَمَنُّ علىَّ منِّى عليه.

وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[3]: خطباءُ الناسِ فى الجاهليةِ: الأسودُ بنُ المطَّلبِ[4]، وسُهَيلُ بنُ عمرٍو، وخطباءُ الناسِ فى الإسلامِ: معاويةُ وابنُه، وسعيدُ ابنُ العاصِ وابنُه، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيرِ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا عبدُ الصمدِ، ثنا حمَّادٌ، ثنا علىُّ بنُ زيدٍ، أخبرَنى مَن سمِع أبا هريرةَ يقولُ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لَيُرْعَفَنَّ على مِنْبرِى جَبَّارٌ مِن جبابرةِ بنى أُمَيَّةَ حتى يسيلَ رُعافُه». قال: فأخبَرنى مَن رأَى عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ رعَف على منبرِ رسولِ اللَّه ﷺ حتى سال رُعافُه.

وهو الذى كان [٧/٥٩ظ] يبعَثُ البعوثَ إلى مكةَ بعدَ وَقعةِ الحَرَّةِ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ لقتالِ ابنِ الزُّبيرِ، فنهاه أبو شُريحٍ الخُزاعىُّ، وذكَر له الحديثَ الذى سمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى تحريمِ مكةَ، فقال: نحنُ أعلمُ بذلك منك يا [6]أبا شُريحٍ[6]، إنَّ الحَرَمَ لا يُعيذُ عاصيًا ولا فارًّا بدمٍ ولا فارًّا بخَرْبةٍ[7]. الحديثَ كما تقـدَّم[8] وهو فى الصحيحيْنِ. ثم إنَّ مروانَ دخَل إلى مصرَ بعدَ ما دعا إلى

---

(١) انظر ما تقدم فى ١١/ ٣١٧.

(٢) كذا فى النسخ. والقول أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٤ (مخطوط)، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨. والقول فيهما منسوب إلى سعيد بن العاص، لا لعمرو.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٤ (مخطوط).

(٤) فى ا ٣١، ا ٢، م: «عبد المطلب».

(٥) المسند ٢/ ٥٢٢. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٤٠: رواه أحمد، فيه راو ولم يسمَّ.

(٦ - ٦) فى م: «شريح».

(٧) فى ا ٢، م: «بجزية». انظر فتح البارى ١/ ١٩٨.

(٨) تقدم تخريجه فى ٦/ ٥٧٩. وهو أيضا فى البخارى (١٠٤، ٤٢٩٥).

بَيْعةِ نفسِه واستقرَّ له الشامُ، ودخَل معه عمرُو بنُ سعيدٍ ففتَح مصرَ، وقد كان وعَد عمرًا أن يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عبدِ الملكِ، وأن يكونَ قبلَ ذلك نائبًا بدمشقَ، فلمَّا قَوِيت شوكةُ مروانَ رجَع عن ذلك، وجعَل الأمرَ مِن بعدِ [1]عبدِ الملكِ[1] لولدِه عبدِ العزيزِ، وخلَع عمرَو بنَ سعيدٍ مِن ذلك، فما زال ذلك فى نفسِه، حتى كانت هذه السَّنةُ وعزَم عبدُ الملكِ على الدخولِ إلى العراقِ لقتالِ مصعبِ بنِ الزبيرِ، فرجَع مِن جيشِه ودخَل عمرٌو دمشقَ وتحصَّن بها وأجابه أهلُها، فاتَّبَعه عبدُ الملكِ فحاصَره، ثم استنزَله على أمانٍ صوريٍّ، ثم قتَله كما قدَّمنا[2].

وكان ذلك فى هذه السنةِ على المشهورِ عندَ الأكثرِين. وقال الواقدىُّ وأبو سعيدِ بنُ يونُسَ[3]: سنةَ سبعين. فاللَّهُ أعلمُ. ومِن الغريبِ ما ذكَره هشامُ [4]بنُ محمدٍ الكلبىُّ[5] بسندٍ له: أنَّ رجلًا[4] سمِع فى المنامِ قائلًا يقولُ على سُورِ دمشقَ قبلَ أن يخرُجَ عمرُو بنُ سعيدٍ بالكُلِّيَّةِ، وقبلَ قتلِه بمدةٍ هذه الأبياتَ:

أَلَا يا لَقَوْمِى[6] لِلسَّفاهةِ والوَهْنِ ... وللفاجرِ الموهونِ[7] والرأيِ ذِى[8] الأفْنِ[9]

ولابنِ سعيدٍ بينَما هُوَ قائمٌ ... على قدميْهِ خرَّ للوجهِ والبَطْنِ

(١ - ١) فى م: «ذلك».

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ١١٤، ١١٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ١٤٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٩.

(٤ - ٤) فى ص: «بن عبد الملك».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٧ (مخطوط).

(٦) فى ٣١، ٢١، م: «قوم».

(٧) فى الأصل، ٣١: «المرهون».

(٨) سقط من: م.

(٩) فى الأصل، ٢١، ص: «الأفن». والأفن: الناقص العقل.

رأى الحِصْنَ منجاةً مِن الموتِ فالْتَجا إليهِ فزارتْه المنيَّةُ فى الحِصْنِ

قال : فأتَى الرجلُ عبدَ الملكِ فأخبَره فقال : وَيْحَك ، سمِعها منك أحدٌ ؟ قال : لا . قال : ضَعْها تحتَ قدمَيْك[1] . ثم بعدَ ذلك خلَع عمرٌو الطاعةَ وقَتَله عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ[2] .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأَعيانِ أيضًا

[3]أبو الأَسودِ الدُّؤَلِىّ[3]

ويُقالُ : الدِّيلِىُّ . قاضى البصرةِ[4] ، تابعىٌّ جليلٌ ، واسمُه ظالمُ بنُ عمرِو بنِ سفيانَ بنِ جَنْدَلِ بنِ يَعمَرَ بنِ حِلْسِ[5] بنِ نُفَاثَةَ[6] بنِ عَدِىِّ بنِ الدُّئِلِ بنِ بكرٍ ، أبو

---

(١) بعده فى م : « قال » .

(٢) بعده فى ا ٣، ا ٢، م : « وقد قيل : إن عبد الملك لما حاصره راسله ، وقال له : أنشدك اللّه والرحم أن تفسد أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة ، فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك علىّ عهد اللّه وميثاقه . وحلف له بالأيمان المؤكدة أنك ولى عهدى من بعدى ، وكتبا بينهما كتابا ، فانخدع له عمرو ، وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم » . وقد تقدم ذلك فى ص ١١٥.

(٣ - ٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٩٩، وطبقات فحول الشعراء ١٢، والأغانى ١٢/ ٢٩٧- ٣٣٤، وتاريخ دمشق ٢٥/ ١٧٦- ٢١١، وإنباه الرواة ١/ ١٣- ٢٣، وأسد الغابة ٣/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥- ٥٣٩، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧، ٣٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٨١- ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ٢٧٦- ٢٨٠، والإصابة ٣/٥٦١ - ٥٦٣، وروضات الجنات ٤/١٦٢ - ١٨٦.

(٤) فى النسخ : « الكوفة » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٥) فى الأصل ، ا ٢: « حلسس » ، غير معجمة . وفى ا ٣: « حليس » . وفى م : « جلس » . وانظر وفيات الأعيان ٢ / ٥٣٩، وطبقات فحول الشعراء ١٢، وجمهرة أنساب العرب ١٨٥، ومعجم الأدباء ١٢/ ٣٤، وتاج العروس (دأل) .

(٦) فى الأصل : « سباثة » . وفى ا ٣، م : « شباثة » . وفى ا ٢: « شبابه » .

الأسودِ ، الذى نُسِب إليه علمُ النَّحوِ ، ويُقالُ : إنَّه أوَّلُ مَن تكلَّم فيه ، وإنَّما أخَذه عن [٧/ ٦٠و] أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ .

وقد اختلِف فى اسمِه على أقوالٍ ؛ أشهرها أنّ اسمَه ظالمُ بنُ عمرٍو . وقيلَ عكسُه[(١)] . وقال الواقدىُّ[(٢)] : اسمُه عُويمِرُ بنُ ظُوَيلِمٍ . قال[(٣)] : وقد أسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ[(٤)] وشهِد الجملَ [(٥)]مع علىٍّ[(٥)] وهلَك فى ولايةِ [(٦)]عبيدِ اللَّهِ[(٦)] بنِ زيادٍ . وقال يحيى بنُ معينٍ وأحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلىُّ[(٧)] : كان ثقةً ، وهو أوَّلُ مَن تكلَّمَ فى النحوِ . وقال ابنُ معينٍ وغيرُه[(٨)] : مات [(٩)]فى طاعونِ[(٩)] الجارفِ سنةَ تسعٍ وستين . قال ابنُ خَلِّكانَ[(١٠)] : وقيل : إنَّه تُوفِّى فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقد كان ابتداؤُها فى سنةِ تسعٍ وتسعين[(١١)] . قلتُ : وهذا غريبٌ جدًّا .

قال ابنُ خَلِّكانَ[(١٢)] وغيرُه : كان أوَّلَ مَن ألقَى إليه علمَ النحوِ علىُّ بنُ أبى

---

(١) اسمه فى رواية دعبل ، وعمر بن شبة : (عمرو) بن ظالم . وفى رواية أبى عبيدة ومحمد بن سلام وابن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم : ظالم بن عمرو . معجم الشعراء ٦٧ . وانظر تاريخ دمشق ٢٥/ ١٨٠ وما بعدها .

(٢) تاريخ دمشق ٢٥/ ١٨٤، وتهذيب الكمال ٣٣ / ٣٧.

(٣) تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٨. وأخرجه مطولا فى تاريخ دمشق ٢٥ / ١٨٤.

(٤) بعده فى م : « ولم يره » .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص . وفى الأصل : « مع على وكان من وجوه شيعته ومن أكملهم رأيا وعقلا وقد أمره على بوضع النحو فلما رآه على قال له ما أحسن هذا النحو الذى نحوت » .

(٦ - ٦) فى م : « عبد الله » .

(٧) انظر تاريخ الثقات ٢٣٨، والجرح والتعديل ٤ / ٥٠٣.

(٨) تاريخ دمشق ٢٥ / ٢١٠، وتهذيب الكمال ٣٣ / ٣٨.

(٩ - ٩) فى م : « بالطاعون » . وهو سابع طاعون فى الإسلام ، وفيه قلَّ الناس بالبصرة جدا حتى إنه ماتت أم أمير البصرة ، فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد . النجوم الزاهرة ١ / ١٨٢، ١٨٣.

(١٠) وفيات الأعيان ٢ /٥٣٩ بنحوه .

(١١) فى ص : « ستين » .

(١٢) وفيات الأعيان ٢ /٥٣٥ ، ٥٣٧ بنحوه .

طالبٍ ، وذكَر له أنَّ الكلامَ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ ، ثم إنَّ أبا الأسودِ نحَا نحوَه وفرَّع على قولِه ، وسلَك طريقَه ؛ فسُمِّى هذا العلمُ النحوَ لذلك . وكان الباعثَ لأبى الأسودِ على بسطِ[1] ذلك تغيُّرُ لغةِ الناسِ ، ودخولُ اللحنِ فى كلامِ بعضِهم أيامَ ولايةِ زيادٍ على العراقِ ، وكان أبو الأسودِ مؤدِّبَ بنيه[2] ؛ فإنَّه جاء رجلٌ يومًا إلى[3] زيادٍ فقالَ : تُوفِّى أبانا وترَك بنون . فأمَره زيادٌ أنْ يضَعَ للناسِ شيئًا يهتدون به إلى معرفةِ كلامِ العربِ . ويقالُ : إنَّ أوَّلَ ما وضَع منه بابُ التعجُّبِ ؛ مِن أجلِ أنَّ ابنتَه قالتْ له ليلةً : يا أبَه ما أحسنُ السماءِ ! [4]فقال : نجومُها . فقالَتْ : إنِّى لم أسأْل عن أحسنِها ، إنَّما تعجَّبْتُ مِن حسنِها[4] . فقالَ قُولِى : ما أحسنَ السماءَ !

قال ابنُ خَلِّكانَ[5] : وقد كان أبو الأسودِ يُبَخَّلُ وكان يقولُ : لو[1] أطَعْنا المساكينَ فى أموالِنا لَكُنَّا[6] مثلَهم . وعشَّى ليلةً مِسكينًا ثم قيَّده [7]وبيَّته[7] عندَه [4]ومنَعه أن يخرُجَ ليلَتَه تلك[4] ؛ لِئَلَّا يُؤذِىَ المسلمين بسؤَالِه ، [7]فقال له المسكينُ : أَطْلِقْنى . فقال : هيهاتَ ، إنَّما عشَّيتُك لِأُريحَ منك المسلمين الليلةَ . فلمّا أصبَح أَطْلَقه[7] . وله شعرٌ حسَنٌ . رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « ابنيه » .

(٣) بعده فى ا ٢ : « ابن » . وذكر أبو الفرج فى الأغانى ١٢ /٢٩٩ أن هذه القصة كانت بين أبى الأسود وعبيد اللّه بن زياد .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) وفيات الأعيان ٢ /٥٣٨، ٥٣٩ بنحوه .

(٦) فى الأصل : « لبقينا » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وقد أظهَر خارجيٌّ التحكيمَ بمنًى فقُتِل عندَ الجمرةِ[2] .

والنوَّابُ فيها هم الذين كانوا فى السنةِ التى قبلَها .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

جابرُ[3] بنُ سَمُرةَ بنِ جنادةَ[4] ، له صحبةٌ وروايةٌ ، ولأبيه أيضًا صحبةٌ وروايةٌ . نزَل الكوفةَ وبها توفِّى هذه السنةَ[5] ، وقيل : سنةَ ستٍّ وستِّين[6] . فاللَّهُ أعلمُ .

أسماءُ بنتُ يزيدَ بنِ السَّكَنِ الأنصاريَّةُ[7] ، بايعَتِ النبىَّ ﷺ[8] ، [٧/ ٦٠ظ] وقتَلَتْ بعمودِ خيمتِها يومَ اليرموكِ تسعةً مِن الرومِ[9] ، وسكَنتْ دمشقَ ، وقبرُها[10] ببابِ الصَّغيرِ .

حسَّانُ بنُ مالكِ [11]بنِ بحْدَلٍ ، الأميرُ[11] أبو سليمانَ البَحْدَلىُّ[12]

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ١٤٨، ١٤٩ بنحوه .

(٢) فى م : « الحجرة » .

(٣) فى الأصل : « حسان » .

(٤) الاستيعاب ١ / ٢٢٤، وأسد الغابة ١ / ٣٠٤، والإصابة ١ / ٤٣١.

(٥) لم نقف فى ترجمته فى المصادر السابقة وغيرها على أن وفاته - رضى اللَّه عنه - كانت فى هذه السنة ، وإنما الذى صححه غير واحد أن وفاته كانت فى ولاية بشر بن مروان . ومن المعروف أن بشر بن مروان توفى سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين . انظر طبقات خليفة ١ / ٣٢، ٢٩٦، وتهذيب الكمال ٤ /٤٣٩ وسير أعلام النبلاء ٣ / ١٨٧، وتاريخ الطبرى ٦/ ١٩٣.

(٦) تهذيب الكمال ٤ / ٤٣٩.

(٧) الاستيعاب ٤ / ١٧٨٧، وأسد الغابة ٧ / ١٨، ١٩، والإصابة ٧ / ٤٩٨.

(٨) بعده فى الأصل : « ويقال لها أم سليم » .

(٩) بعده فى ٣١، ٢١، م : « ليلة عرسها » .

(١٠) فى ٣١، ٢١، م : « دفنت » .

(١١ - ١١) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(١٢) سقط من : الأصل ، وفى ٣١: « البجلى » .

[1]الكلبيُّ[2] . وهو الذى[1] قامَ ببيعةِ مروانَ . [3]وقيلَ : إنَّهم سلَّموا عليه بالخلافةِ أربعين يومًا ، ثم سلَّمها لمروانَ .

وقصرُ حسانَ بدمشقَ ، ويُعرفُ بقصرِ ابنِ أبى الحديدِ ، وهو قصرُ البَحادِلَةِ[3] .

[4]ماتَ فى هذه السنةِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ[4] .

[1]**يوسفُ بنُ الحكَمِ الثَّقَفِيُّ**[5] ، والدُ الحجاجِ . قدِم مِن الطائفِ إلى الشامِ ثم ذهَب إلى مصرَ والمدينةِ ، وكان يلزَمُ مروانَ .

عبدُ الرحمنِ بنُ الحكمِ[6] أخو مروانَ ، شهِد الدارَ مع عثمانَ بنِ عفانَ . وكان شاعرًا محسنًا . وله منزلةٌ عندَ معاويةَ وابنِه[1] .

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٢) ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٢ / ٤٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٩٢، ٩٣، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٥٣٧.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م : « لما تولى الخلافة » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) ترجمته فى : مختصر تاريخ دمشق ٢٨ /٧٨ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٧٥.

(٦) ترجمته فى : مختصر تاريخ دمشق ١٤ /٢٣٩ - ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ١٧٣، ١٧٤.

ثم دخَلَت سنةُ سبعين مِن الهجرةِ

فيها ثارتِ الرومُ واستجَاشُوا[1] على مَن بالشامِ، واستضْعَفوهم لِما يرَوْنَ مِن الاختلافِ الواقعِ بينَ [2]عبدِ الملكِ بنِ[2] مرْوانَ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، فصالَح عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ملكَ الرومِ، وهادَنه على أن يدفَعَ إليه عبدُ الملكِ فى كلِّ جُمُعةٍ ألفَ دينارٍ خوفًا منه على الشّامِ.

[3]وفيها وقَع الوباءُ بمصرَ، فهرَب منه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ إلى الشرقيةِ، فنزَل حُلْوانَ وهى على[4] مرحلةٍ مِن القاهرةِ، واتخَذها منزلًا واشتَراها مِن القبطِ بعشَرةِ آلافِ دِينارٍ، وبنَى بها دارًا للإمارةِ وجامعًا، وأنزَلها الجندَ[3].

وفيها ركِب مصعبُ بنُ الزبيرِ مِن البصرةِ إلى مكَّةَ ومعه أموالٌ جزيلةٌ، فأعطَى وفرَّقَ، [5]ونحَر عندَ الكعبةِ ألفَ بَدَنةٍ وعشرين ألفَ شاةٍ، وأغنَى ساكنِى مكةَ، ثم عادَ إلى العراقِ، وأنعَم[5] وأطلَقَ لجماعةٍ مِن رؤساءِ النّاسِ بالحجازِ [6]أموالًا كثيرةً[6].

[7]وحجَّ بالناسِ فيها ابنُ الزبيرِ.

والعمالُ على الأمصارِ هم المذكورون فيما قبلُ[7].

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

---

(١) سقط من: الأصل.
(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «بنى».
(٣ - ٣) سقط من: ص.
(٤) سقط من: الأصل، ٣١، ٢١.
(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١، م. وفى ص: «وأنعم».
(٦ - ٦) سقط من: الأصل.
(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

عاصمُ بنُ عمرَ بنِ الخطّابِ القرشيُّ العَدَوِيُّ[1] ، وأمُّه جميلةُ بنتُ ثابتِ بنِ أبى الأَقْلَحِ[2] . وُلِد فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولم يروِ إلَّا عن أبيه حديثًا واحدًا : « إذا أقبَل الليلُ مِن هـٰهنا »[3] الحديث[4] . وعنه ابناه حَفْصٌ [5]وعبَيدُ اللَّهِ[5] ، وعُروةُ بنُ الزبيرِ . وقد طلَّق أبوه أمَّه فأخذَتْه جدَّتُه الشَّموسُ بنتُ أبى عامرٍ ، [6]حكَم له بها[6] الصِّدِّيقُ ، وقال[7] : شَمُّها ولُطْفُها أحبُّ إليه منك . ثم لمّا زوَّجه أبوه فى أيامِه[8] أنفَقَ عليه مِن بيتِ المالِ شهرًا ، ثم كفَّ عن الإنفاقِ عليه وأعطاه ثُمُنَ مالِه ، وأمَره أنْ يتَّجِرَ ويُنفِقَ على عيالِه . وذكَر غيرُ واحدٍ[9] أنَّه كان بين عاصمٍ وبينَ الحسنِ [10]أو الحسينِ[10] منازعةٌ فى أرضٍ ، فلمّا [٧/ ٦١و] تبيَّن عاصمٌ مِن الحسنِ الغضبَ قال[11] : هى لك . فقال له : بَلْ هى لك . فتركاها ولم يتعرَّضا لها ، ولا أحدٌ مِن ذُرِّيَّتِهما حتى أخَذها الناسُ مِن كلِّ جانبٍ . وكان عاصمٌ رئيسًا وقورًا ، كريمًا[12] فاضلًا .

قال الواقدىُّ[13] : مات سنةَ سبعين[14] .

---

(١) ترجمته فى : الاستيعاب ٢ / ٧٨٢، وأسد الغابة ٣ / ١١٥، والإصابة ٥ / ٣.

(٢) فى م : « الأفلح » .

(٣) بعده فى ٣١: « والنهار من هاهنا » ، وفى ٢١: « وأدبر النهار من هاهنا » .

(٤) البخارى (١٩٥٤) ، ومسلم (٥١ / ١١٠٠) .

(٥ - ٥) فى ص : « عبد الله » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٩٧.

(٦ - ٦) فى ٣١: « أتابه » . وفى ٢١: « لها به » . وفى م : « أتى به » .

(٧) لم أجده بهذا اللفظ . وذكر حكم أبى بكر للجدة فى تهذيب الكمال ١٣ /٥٢١ عن الزبير بن بكار.

(٨) فى ٣١، ٢١، م : « أيام إمارته » .وفى ص : « إمارته » .

(٩) تهذيب الكمال ١٣ /٥٢٣ بنحوه .

(١٠ - ١٠) فى م : « والحسين » .

(١١) فى ص : « فقال » .

(١٢) سقط من : ٣١، ٢١.

(١٣) تهذيب الكمال ١٣ / ٥٢٤، والإصابة ٥ / ٤.

(١٤) بعده فى الأصل ٣١، ٢١، م : « بالمدينة » .

(١ قَبيصةُ ٢) بنُ جابرِ بنِ وهبٍ الأَسَديُّ الكوفيُّ ٢) أبو العلاءِ (٣) ، مِن كبارِ التابعين. (٤ شهِد خطبةَ عمرَ بالجابيةِ، وكان أخا ٤) معاويةَ مِن الرَّضاعةِ. (٥ وكان مِن الفصحاءِ البلغاءِ ٥).

قيسُ بنُ ذَرِيحٍ، (٦ أبو يزيدَ، الليثيُّ، الشاعرُ ٦) المشهورُ (٧)، مِن باديةِ الحجازِ، (٨ وقيل: إنَّه أخو الحُسينِ بنِ عليٍّ مِن الرَّضاعةِ.

وكان قد تزوَّج لُبْنَى بنتَ الحُبَابِ ٨)، ثم طلَّقها، فلمّا طلَّقها، (٩ هامَ لِمَا ٩) به مِن الغَرامِ، (١٠ وسكَن الباديةَ ١٠)، وجعَل يقولُ فيها الأشعارَ ونحُل جسمُه، فلمّا زاد ما به أتاه ابنُ أبي عَتيقٍ، فأخَذه ومضَى به إلى عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، فقال له: فِداك أبي وأمي، اركَبْ معي في حاجةٍ. فركِب، واستنهَض معه أربعةَ نفرٍ مِن وجوهِ قُرَيشٍ، فذهَبوا معه، وهم لا يدرون ما يريدُ، حتى أتَى بهم بابَ ١)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) في ٣١، ٢١، م: «بن ذؤيب الخزاعي الكلبي».

(٣) ترجمته في: التاريخ الكبير ٧ /١٧٥ والثقات ٥ /٣١٨، ومختصر تاريخ دمشق ٢١ /٦١ - ٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤ - ٤) في ٣١، ٢١، م: «وهو أخو».

(٥ - ٥) في ٣١، ٢١، م: «كان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم، انتقل إلى الشام، وكان معلم كتاب».

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٧) بعده في ٣١، ٢١، م، ص: «أنه». وانظر ترجمته في: الشعر والشعراء ٢ /٦٢٨، والأغاني ٩/ ١٨٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢١ /٩٦، ووفيات الأعيان ٦ /٣٧١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٤، والنجوم الزاهرة ١ /١٨٢.

(٨ - ٨) في الأصل: «وكان يهوى أم معمر لُبنى بنت الحباب الكعبية، ثم تزوج بها، وقيل: إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة». وانظر الأغاني ٩ /١٨٠، ١٨١، ومختصر تاريخ دمشق ٢١ /٩٦.

(٩ - ٩) في الأصل: «زاد ما».

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

[1] زوجِ لُبْنى ، فخرَج إليهم ، فإذا وجوهُ قُرَيشٍ ، فقال : جعَلنى اللَّهُ فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجةٌ لابنِ أبى عَتيقٍ . فقال الرجلُ : اشهَدوا على[2] أنَّ حاجتَه مقضيَّةٌ ، وحكمَه جائزٌ . فقالوا : أخبِرْه بحاجتِك . فقال ابنُ أبى عَتيقٍ : اشهَدوا على أنَّ زوجتَه لُبْنى منه طالقٌ . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ : قبَّحك اللَّهُ ، ألهذا جئتَ بنا ؟ فقال : جُعِلْتُ فِداكم ، يُطَلِّقُ هذا زوجتَه ويتزوَّجُ بغيرِها ، خيرٌ مِن أنْ يموتَ رجلٌ مسلمٌ[3] فى هواها صبابةً ، واللَّهِ لا أبرَحُ حتى ينتقِلَ مَتاعُها [4]إلى بيتِ قيسٍ[4] ، ففعَلتْ ، وأقاموا مدَّةً فى أَرْغَدِ عيشٍ وأطيبِه ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

يزيدُ بنُ زيادِ بنِ ربيعةَ الحِمْيَرِىُّ الشاعرُ[5] . كان كثيرَ الشرِّ[6] والهَجْوِ . وقد أرادَ عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ قتلَه ؛ لكونِه هجا أباه زيادًا ، فمنَعه معاويةُ مِن قتلِه ، وقال : أدِّبْه . فسقاه دواءً مُسْهِلًا وأركَبه على حمارٍ ، وطافَ به فى الأسواقِ ، وهو يَسْلَحُ على الحمارِ ، فقال فى ذلك[7] :

يَغْسِلُ الماءُ ما صنعتَ [8]وشِعْرِى[8] راسخٌ منك فى العظامِ البَوالِى[1]

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « منكم » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) ترجمته فى : الشعر والشعراء ١ /٣٦٠ - ٣٦٤، والأغانى ١٨ /٢٥٤ - ٢٩٨، ومعجم الأدباء ٢٠ /٤٣ - ٤٦ ، ووفيات الأعيان ٦ /٣٤٢ - ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٢٢، ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٦) فى م : « الشعر » .

(٧) البيت فى الشعر والشعراء ١ / ٣٦١، والأغانى ١٨ / ٢٦٤.

(٨ - ٨) فى الشعر والشعراء ، والأغانى : « وقولى » .

(١ **بُشيرُ بنُ النَّضْرِ**[٢] قاضى مصرَ، كان رِزقُه فى العامِ ألفَ دينارٍ. تُوفِّى بمصرَ، ووَلِى بعدَه عبدُ الرحمنِ بنُ حمزةَ الخَوْلانىُّ. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ ١).

مالكُ بنُ يَخامِرَ السَّكْسَكىُّ الأَلْهانىُّ الحِمْصىُّ[٣]، تابعىٌّ جليلٌ، ويقالُ: له صحبةٌ. فاللَّهُ أعلمُ. روَى البخارىُّ[٤] مِن طريقِ معاويةَ عنه عن مُعاذِ بنِ جبلٍ فى حديثِ الطائفةِ [٧/ ٦١ظ] الظاهرةِ على الحقِّ أنَّهم بالشامِ، وهذا مِن بابِ روايةِ الأكابرِ عن الأصاغرِ، إلّا أنْ يُقالَ: له صحبةٌ. والصحيحُ أنَّه تابعىٌّ وليس بصحابىٍّ، وكان مِن أخصِّ أصحابِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ، رضِى اللَّهُ عنه. قال غيرُ واحدٍ[٥]: مات فى هذه السنةِ. وقيل[٦]: سنةَ اثنتيْنِ وسبعين، واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) ترجمته فى: أخبار القضاة لوكيع ٣ / ٢٢٤، ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠) ص ٧٨.

(٣) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧ / ٤٤١، والمعرفة والتاريخ ٢ / ٢٩٧، ٣١٢، وأسد الغابة ٥/ ٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠) ص ٢٢٥، وتهذيب الكمال ٢٧ / ١٦٦، والإصابة ٥/ ٧٠٨.

(٤) البخارى (٣٦٤١، ٧٤٦٠).

(٥) نقل المزى عن أبى بكر بن أبى عاصم أنه مات سنة سبعين. تهذيب الكمال ٢٧ /١٦٧.

(٦) تهذيب الكمال ٢٧ / ١٦٧.

ثم دخلَتْ سنةُ إحدى وسبعين

وفيها كان مقتلُ مُصعبِ بنِ الزبيرِ ، وذلك أنّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ سار فى جنودٍ هائلةٍ مِن الشامِ قاصدًا مصعبَ بنَ الزبيرِ بالعراقِ[1] ، فالتقَيا فى هذه السنةِ ، وقد كانا قبلَها يركَبُ كلُّ واحدٍ لملتقَى الآخَرِ ، فيحولُ بينهما الشتاءُ والبردُ والوحْلُ[2] ، فيرجِعُ كلُّ واحدٍ منهما إلى بلدِه ، فلمّا كان فى هذا العامِ سار إليه[2] عبدُ الملكِ ، وبعَث بين يديْه السَّرايا ، ودخَل بعضُ مَن أرسَله إلى البصرةِ فدعا أهلَها إلى عبدِ الملكِ فى السرِّ ، فاستجاب له بعضُهم ، وقد كان مُصعبٌ [3]سار إلى الحجازِ ، فجاء ودخَل البصرةَ[3] على إثرِ ذلك ، فأنَّب الكُبراءَ مِن الناسِ ، وشتَمهم ولامَهم على دخولِ أولئك إليهم ، وإقرارِهم لهم على ذلك ، وهَدَمَ دُورَ بعضِهم ، ثم شخَص إلى الكوفةِ ، ثم بلَغه قصدُ عبدِ الملكِ له بجنودِ الشّامِ فخرَج إليه .

ووصَل عبدُ الملكِ إلى مَسْكِنٍ ، وكتَب[4] إلى المَرْوانيَّةِ الذين استجابوا لمَن بعَثه إليهم فأجابوه ، واشترطوا عليه أن يولِّيَهم أَصْبَهانَ ، فقال : نعم . وهم جماعةٌ كثيرةٌ مِن الأُمراءِ ، وقد جعَل عبدُ الملكِ على مُقَدَّمتِه أخاه محمدَ بنَ مَرْوانَ بنِ الحكمِ ، وعلى ميمنتِه عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، وعلى ميسرتِه خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .
(٤) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.

وخرَج مصعبُ بنُ الزبيرِ، وقد اختلَف عليه أهلُ العراقِ، وخذَلوه وجعَل يتأمَّلُ مَن معه فلا يجِدُهم يُقاومون أعداءَه، فاستقتَل وطمَّن[1] نفسَه على ذلك، وقال[2]: لى بالحُسيْنِ بنِ علىٍّ أسوةٌ حين امتنَع من إلقائِه يدَه، ومِن الذِّلةِ لعبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ، وجعَل يُنشِدُ ويقولُ مُسَلِّيًا نفسَه[3]:

وإنَّ الأُلى[4] بالطَّفِّ[5] مِن آلِ هاشمٍ تأَسَّوْا فسَنُّوا للكرامِ التَّأَسِّيَا

وكان عبدُ الملِك قد أشار عليه بعضُ أمرائِه[6] أن يقيمَ بالشامِ، [7]وأن يبعَثَ إلى مُصعبٍ جيشًا[7]، فأبَى وقال[8]: لعلِّى أبعَثُ[9] رجلًا شجاعًا لا رأىَ له، أو مَن له رأىٌ ولا شجاعةَ له، وإنِّى أجدُ مِن نفسى بصَرًا[10] بالحربِ وشجاعةً، وإنَّ مصعبًا فى بيتِ شجاعةٍ؛ أبوه أشجعُ قريشٍ، وأخوه لا تُجهَلُ شجاعتُه، وهو شجاعٌ[11] لا عِلْمَ له بالحربِ، وهو يُحِبُّ الدَّعةَ والخفضَ[12]، [13]ومعه مَن يخالِفُه[13]، ومعى [٧/٦٢و] مَن ينصَحُ لى[14]. فسار بنفسِه، فلمّا تقارَب

---

(١) فى ٣١: «ظن».

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ١٥٦، وأنساب الأشراف ٧/ ٩٢، ٩٨، وتاريخ دمشق ١٦/٥٣٩ (مخطوط)، وفيهم أن مصعب سأل عروة بن المغيرة فأخبره عروة بالخبر.

(٣) البيت لسليمان بن قتة، انظر الأغانى ١٩ /١٢٩ والمصادر السابقة.

(٤) فى م: «الأولى».

(٥) الطف: أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية كان فيها مقتل الحسين. معجم البلدان ٣ / ٥٣٩.

(٦) فى م: «أصحابة».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧.

(٩) فى ٣١، ٢١، م: «إن بعثت».

(١٠) فى م: «بصيرا».

(١١) بعده فى ٣١، ٢١، م: «ومعه من يخالفه».

(١٢) فى م: «الصفح».

(١٣ - ١٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(١٤) بعده فى ٣١، ٢١، م: «ويوافقنى على ما أريد».

الجيشانِ بعَث عبدُ الملكِ إلى أمراءِ مصعبٍ بكتبٍ[1] يَدعوهم إلى نفسِه ويَعِدُهم الولاياتِ، فجاء إبراهيمُ بنُ الأشتَرِ إلى مُصعبٍ فألقَى إليه كتابًا مختومًا، وقال: هذا جاءنى من عبدِ الملكِ. ففتَحه فإذا هو يدعوه إلى الإتيانِ إليه، وله نيابةُ العراقِ. وقال لمصعبٍ: أيها الأميرُ، إنّه لم يبقَ أحدٌ مِن أمرائِك إلّا وقد جاءَه كتابٌ مثلُ هذا، فإن أطعتَنى ضرَبتُ أعناقَهم[2]. فقال له مصعبٌ: إنِّى لو فعَلتُ ذلك لم تنصَحْنا عشائرُهم بعدَهم. فقال: [3]فأَوْقِرْهم[4] فى الحديدِ وابعَثْهم[3] إلى أبيضِ كِسْرَى فاسجُنْهم فيه، [5]ووكِّلْ بهم مَن إن غُلِبتَ ضرَب أعنُقَهم، وإن غلَبتَ منَنتَ بهم على عشائرِهم[5]. فقال له: يا أبا النعمانِ، إنِّى لَفى شُغلٍ عن هذا. ثم قال مُصعبٌ: رحِم اللَّهُ أبا بَحْرٍ - يعنى[6] الأحنفَ بنَ قيسٍ - إنْ كان ليُحذِّرُنى غـدرَ أهـلِ العراقِ، وكأنَّه كان ينظُرُ إلى ما نحنُ فيه الآنَ.

ثم تواجَه الجيشانِ بدَيْرِ الجَاثَلِيقِ مِن مَسكِنٍ، فحمَل إبراهيمُ بنُ الأشترِ - وهو أميرُ المقدَّمَةِ العراقيةِ لجَيشِ مُصعبٍ - على محمدِ بنِ مَرْوانَ - وهو أميرُ مقدَّمةِ الشامِ - فأزاله عن موضعِه، فأردَفه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ بعبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ ابنِ معاويةَ، فحمَلوا على إبراهيمَ بنِ الأشترِ، ومَن معه فطحَنوهم، وقتِل إبراهيمُ

---

(١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) بعده فى ص: «وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك».

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «ابعثهم».

(٤) فى الأصل: «فأقرهم». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧، وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٩٤.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «فإن كانت لك النصرة ضربت أعناقهم، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك»، وفى الأصل، ص: «فإن كانت لك ضربت أعناقهم وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٧. وانظر الكامل ٤ / ٣٢٥.

(٦) بعده فى الأصل: «ابن». وانظر ما سيأتى فى صفحة ١٦٩.

ابنُ الأشترِ ، رحِمه اللَّهُ وعفا عنه ، وقتِل معه جماعةٌ مِن الأمراءِ ، وكان عتَّابُ بنُ وَرقاءَ على خيلِ مصعبٍ فهَرَب أيضًا ولـجَأَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ . [1]وجعَل[1] مصعبُ بنُ الزبيرِ وهو واقفٌ فى القلبِ يُنهِضُ[2] أصحابَ الراياتِ ، ويَحُثُّ[3] الشُّجعانَ والأبطالَ أن يتقدَّموا إلى أمامِ القومِ ، فلا يتحرَّكَ أحدٌ ، فجعَل يقولُ : يا إبراهيمُ ولا إبراهيمَ لى اليومَ ! وتفاقَم الأمرُ ، واشتدَّ القتالُ ، وتخاذَلتِ الرجالُ ، وضاق الحالُ ، وكثُر النِّزالُ .

قال المدائنىُّ [4]عن يَحيى بنِ إسماعيلَ[5] بنِ المُهاجرِ عن أبيه قال[6][4] : أرسَل عبدُ الملكِ أخاه محمدَ بنَ مروانَ إلى مُصعبٍ يُعطيه الأمانَ فأبَى ، وقال : إنَّ مثلى لا ينصرِفُ عن هذا الموضِعِ إلا غالبًا أو مغلوبًا .

قالوا[7] : فنادَى محمدُ بنُ مَروانَ عيسى بنَ مصعبٍ فقال : يا ابنَ أخى ، لا تقتُلْ نفسَك ، لك الأمانُ . فقال له مصعبٌ : قد آمَنك عمُّك فامضِ إليه . فقال : لا تتحدَّثُ نساءُ قُريشٍ أنِّى أسلمتُك للقتلِ . فقال له : يا بُنىَّ ، فاركَبْ خيلَ السبَقِ فالحَقْ بعمِّك ، فأخبِرْه بمَا صنَع أهلُ العِراقِ فإنِّى مقتولٌ هـٰهنا . فقال : واللَّهِ إنِّى لا أخبِرُ عنك أحدًا أبدًا ، ولا [٦٢/٧ظ] أخبِرُ نساءَ قُريشٍ بمصرعِك أبدًا ، ولا أُقْتَلُ إلَّا معَك ، ولكن إنْ شئتَ ركِبتَ خيلَك ، وسِرنا إلى البصرةِ ؛ فإنّهم على

(١ - ١) فى الأصل : « وأرسل عبد الملك الأمان إلى » .

(٢) فى الأصل : « وهو فيهم » ، وفى ص « وهو » وبعده بياض .

(٣) فى الأصل : ص : « يستنهض » .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٥) فى الأصل : « المعتل » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٣٩، ٥٤٠ (مخطوط) ، بنحوه .

(٧) تاريخ الطبرى ٦ / ١٥٩ بنحوه ، وانظر أنساب الأشراف ٧ / ٩٢.

الجماعةِ . فقال مصعبٌ : [1]لا واللَّهِ ، ما الفرارُ لى بعادةٍ ، ولكن أقاتِلُ ، فإن قتِلتُ فما السيفُ لى بعارٍ[1] ، واللَّهِ لا تتحدَّثُ قريشٌ عنى أنِّى فرَرتُ مِن القتالِ . ثم قال لابنِه : تقدَّمْ بين يدَىَّ حتى أحتسِبَك . فتقدَّم ابنُه ، فقاتَل حتى قُتِل ، وأُثخِن مصعبٌ بالرمىِ ، فنظَر إليه زائدةُ بنُ قدامةَ ، وهو كذلك فحمَل عليه فطعَنه ، وهو يقولُ : يا ثاراتِ المختارِ ! فصرَعه[2] ونزَل إليه رجلٌ يُقالُ له : عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادِ بنِ ظَبيانَ التميمىُّ . فقتَله وحزَّ رأسَه ، وأتَى به عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ ، فسجَد عبدُ الملكِ ، وأطلَق له ألفَ دينارٍ فأبَى أنْ يقبَلَها ، وقال : لم أقتُلْه على طاعتِك ، ولكن بثأرٍ كان لى عنده . وكان قد وَلِى له عملًا قبلَ ذلك فعزَله عنه وأهانَه .

قالوا[3] : ولمَّا وُضِع رأسُ مُصعبٍ بينَ يدىْ عبدِ الملكِ ، قال عبدُ الملكِ : لقد كان بينى وبين مُصعبٍ صحبةٌ قديمةٌ ، وكان مِن أحبِّ الناسِ إلىَّ ، ولكنَّ هذا المُلكَ عقيمٌ .

[4]وقال[5] : لمَّا تفرَّق عن مُصعبٍ جموعُه قال له ابنُه عيسى : لو اعتصمْتَ ببعضِ القِلاعِ ، وكاتبتَ مَن بعُدَ عنك مثلَ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ وغيرِه فقدِموا عليك ، فإذا اجتمَع لك ما تُريدُ منهم لقِيتَ القومَ ؛ فإنَّك قد ضعُفتَ جدًّا . فلم يردَّ عليه جوابًا . ثم ذكَر ما جرى للحُسيْنِ بنِ علىٍّ ، وكيف قُتِل كريمًا ، ولم يُلْقِ بيدِه ، ولم يجِدْ مِن أهلِ العراقِ وفاءً ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحنُ ما وجَدْنا لهم وفاءً[4] .

[1]ثم انهزَم أصحابُه ، وبقِى فى قليلٍ مِن خواصِّه ، ومالَ الجميعُ إلى

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٦ (مخطوط) ، بنحوه ، وانظر تاريخ بغداد ١٣ /١٠٧ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ص .

(٥) أى : مصعب الزبيرى . تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٤ (مخطوط) ، بنحوه .

عبدِ الملكِ ، وقد كان عبدُ الملِكِ يُحِبُّ مُصعبًا حبًّا شديدًا ، وكان خليلًا له قبلَ الخلافةِ ، فقال لأخيه محمدٍ : اذهَب إليه فآمِنْه . فجاءه ، فقال له : يا مصعبُ ، قد آمَنك ابنُ عمِّك على نفسِك وولدِك ومالِك وأهلِك ، فاذهَبْ حيثُ شئتَ مِن البلادِ ، ولو أرادَ بك غيرَ ذلك لكان . فقال مُصعبٌ : قُضِى الأمرُ ، إنَّ مثلى لا ينصرِفُ عن مثلِ هذاالموقفِ إلَّا غالبًا أو مغلوبًا . فتقدَّم ابنُه عيسى فقاتَل ، فقال محمدُ بنُ مروانَ : يا ابنَ أخى ، لا تقتُلْ نفسَك . ثم ذكَر مِن قولِه ما تقدَّم ، ثم قاتَلَ حتى قُتِل ، رحِمه اللَّه ، ثم ذكَر مِن قَتْلِ أبيه[2] بعدَه ، كما تقدَّم .

قال[3] : ولمَّا وُضِع رأسُ مُصعبٍ بين يدَىْ عبدِ الملكِ بكَى وقال : واللَّهِ ما كنتُ أقدِرُ أنْ أصبِرَ عليه ساعةً واحدةً مِن حبِّى له حتى دخَل السيفُ بيننا ، ولكنَّ المُلكَ عقيمٌ ! ولقد كانتِ المحبةُ والحرمةُ بيننا قديمةً ، متى تلِدُ النِّساءُ مثلَ مُصعبٍ ؟ ثم أمَر بمُواراتِه ، ودفَنه هو وابنَه وإبراهيمَ بنَ الأشترِ فى قبورٍ بمسكِنٍ بالقربِ مِن الكوفةِ[1] .

قال المدائنىُّ[4] : وكان مقتلُ مُصعبِ بنِ الزبيرِ يومَ الثلاثاءِ الثالثَ عشَرَ مِن جُمادى الأولى أو الآخرةِ مِن سنةِ إحدى وسبعين فى قولِ الجمهورِ ، وقال المدائنىُّ : سنةَ ثنتينِ وسبعين . واللَّهُ أعلمُ .

قالوا[5] : ولما قتَل عبدُ الملكِ مُصعبًا ارتحَل إلى الكوفةِ فنزَل النُّخَيْلَةَ فوفَدتْ عليه الوفودُ بها[6] مِن رؤساءِ القبائلِ وساداتِ العربِ ، وجعَل يُخاطِبُهم بفصاحةٍ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « منهم » .

(٣) أى : سعيد بن يزيد . تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٤ (مخطوط) ، بنحوه .

(٤) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٢، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ ، ٥٤٤ (مخطوط) ، مختصرا بنحوه .

(٥) تاريخ الطبرى ٦ /١٦٢ بنحوه ، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٠ (مخطوط) ، مختصرا بنحوه .

(٦) سقط من : م .

وبلاغةٍ واستشهادٍ بأشعارٍ حسَنةٍ، وبايَعه أهلُ العراقِ وفرَّق العِمالاتِ[1] فى الناسِ، وولَّى الكوفةَ قَطَنَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحارثىَّ[2] أربعين يومًا، ثم عزَله وولَّى أخاه بشرَ بنَ مروانَ عليها. وخطَب عبدُ الملِكِ يومًا بالكوفةِ فقال فى خُطبتِه: إنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبيرِ لو كان خليفةً كما يزعُمُ[3] لخَرَج فآسى بنفسِه، ولم يغرِزْ ذَنَبَه فى الحرمِ. ثم قال لهم: إنِّى قد استخلَفتُ عليكم أخى بشرَ بنَ مَروانَ، وأمَرْتُه بالإحسانِ إلى أهلِ الطّاعةِ، وبالشدَّةِ على أهلِ المعصيَةِ، فاسمَعوا له وأطيعوا.

وأمّا أهلُ البصرةِ فإنهم لمَّا بلَغهم مقتلُ مُصعبٍ تنازَع فى إمارتِها [4]حُمْرانُ بنُ أبانٍ مولى عثمانَ بنِ عفّانَ[4]، وعبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرَةَ، فغلَبه [5]حُمرانُ بنُ أبانٍ[5] عليها، فبايَعه أهلُها فكان أشرفَ الرجليْن. قال أعرابىٌّ[6]: واللَّهِ لقد رأيتُ رداءَ [7]ابنِ أبانٍ[7] مالَ عن عاتقِه يومًا، فابتدَره مَرْوانُ، وسعيدُ بنُ العاصِ، أيُّهما يُسوِّيه [٧/ ٦٣و] على مَنكِبَيه. وقال غيرُه[8]: مدَّ حُمرانُ[9] يومًا رجلَه فابتدَر[10] معاويةُ وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ [11]أيُّهما يغمِزُها[11]. قال: فبعَث عبدُ الملكِ بنُ مروانَ

---

(١) فى الأصل: «العمال»، وفى ص: «العمالة».

(٢) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «الحربى»، وفى م: «الحرى». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٤، والكامل ٤ / ٣٣١، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٨٧.

(٣) فى الأصل، ص: «زعم».

(٤ - ٤) فى الأصل: «حمران بن أبان بن عثمان بن عفان»، وفى ٣١، ٢١، م، ص: «أبان بن عثمان بن عفان». وفى تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، والكامل ٤ / ٣٣٦: «حمران بن أبان» وانظر تاريخ دمشق ١٥ / ١٧٨.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: «أبان».

(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٧٧.

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م: «أبان»، وفى ص: «حمران».

(٨) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥، وتاريخ دمشق ١٥ / ١٧٧.

(٩) فى ٢١، م: «أبان».

(١٠) فى ٣١، م: «فابتدرها»، وفى ٢١: «فابتذرها».

(١١ - ١١) فى الأصل: «أنهما يغمران رجل حمران»، وفى ص: «أيهما يغمز رجل مروان».

خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسِيدٍ واليًا عليها - يعنى على البصرةِ - فأخَذها مِن [1] حُمْرانَ بنِ أبانٍ [1] واستنابَ فيها [2] عُبيدَ اللَّهِ [2] بنَ أبى بَكْرةَ ، وعزَل [1] حُمْرانَ ابنَ أبانٍ [1] عنها .

قالوا [3] : وقد أمَر عبدُ الملكِ بطعامٍ كثيرٍ فعُمِل لأهلِ الكوفةِ فأكَلوا مِن سِماطِه ، ومعه يومَئذٍ على السَّريرِ عمرُو بنُ حُرَيْثٍ ، فقال له عبدُ الملكِ : ما ألذَّ عيشَنا لو أنّ شيئًا يدومُ ، ولكنْ نحن كما قال الأولُ :

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيمَ إلى بِلَى [4] وكُلُّ امرئٍ يومًا يَصيرُ إلى كانْ

فلمَّا فرَغ الناسُ مِن الطعامِ نهَض فدار فى القصرِ ، وجعَل يسألُ عمرَو بنَ حُرَيْثٍ عن أحوالِ القصرِ ومَن بنَى أماكنَه وبيوتَه ، فيخبرُه [5] ، ثم جاء مجلسَه فاستلقَى وهو يقولُ [6] :

اعْمَلْ على مَهَلٍ فإنَّكَ مَيِّتٌ واكدَحْ لنفسِكَ أيُّها الإنسانْ
فكأنَّ ما قَدْ كانَ لم يكُ إذْ مضَى وكأنَّ مَا هو كائِنٌ قدْ كانْ

قال ابنُ جريرٍ [7] : وفيها رجَع عبدُ الملكِ - فيما [8] زعَم الواقدىُّ - إلى الشامِ .

(١ - ١) فى ٣١، م : «أبان» .
(٢ - ٢) فى ٢١: «عبد اللَّه» . وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.
(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٠ /٥١٣ (مخطوط)، والكامل ٤ / ٣٣٢.
(٤) فى ٣١، ٢١، م : «البلى» .
(٥) سقط من : م .
(٦) البيتان فى تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٠ /٥١٢ ، ٥١٣ (مخطوط) .
(٧) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٥.
(٨) فى م : «كما» .

قال[1] : وفيها عزَل ابنُ الزُّبيرِ جابرَ بنَ الأسودِ عن المدينةِ ، وولَّى عليها طلحةَ ابنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْفٍ ، وكان هو آخرَ أُمرائِه عليها ،حتى قدِم عليها طارقُ بنُ عمرٍو مولى عثمانَ ، من جهةِ عبدِ الملِكِ بنِ مروانَ .

وفيها حجَّ بالناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، ولم يبقَ له ولايةٌ على العراقِ .

[2]قال الواقديُّ : وفيها عقَد عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ نائبُ مصرَ لحسَّانَ الغسّانيِّ[3] على غزوِ إفريقيَّةَ ، فسار إليها فى عددٍ كثيرٍ ، فافتتَح قَرْطَاجَنَّةَ[4] وكان أهلُها رومًا عُبَّادَ أصنامٍ .

وفيها قُتِل نَجْدةُ الحَروريُّ الذى تغلَّب على اليمامةِ . وفيها خرَج عبدُ اللَّهِ بنُ ثَوْرٍ فى اليمامةِ[2] .

وهذه ترجمةُ مصعبِ بنِ الزبيرِ[5] ، رحِمه اللَّهُ

وهو مصعبُ بنُ الزبيرِ بنِ العوَّامِ بنِ خُوَيْلدِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيِّ ابنِ كِلابٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ القرشيُّ - ويُقالُ له : أبو عيسى أيضًا - الأَسَديُّ . وأمُّه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى م : « العانى » .

(٤) فى ٣١، ٢١: « قرطاخية » .

(٥) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥ /١٨٢ ، ١٨٣، وأنساب الأشراف ٧ /٨٣ - ١١٢، والأغانى ١٩/ ٢٢، وتاريخ بغداد ١٣ / ١٠٥، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٢٤ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٤.

الرَّبَابُ[1] بنتُ أُنَيْفٍ الكلبيةُ . كان من أحسنِ الناسِ وجهًا ، وأشجعِهم قلبًا ، وأسخاهم كفًّا .

وقد حكَى عن عمرَ بنِ الخطّابِ ، وروَى عن أبيه الزبيرِ بنِ العوَّامِ ، وسعدٍ ، وأبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ . وروَى عنه الحكمُ بنُ عُتيبةَ[2] ، وعمرُو بنُ دينارٍ الجُمَحىُّ ، وإسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ . ووفَد على معاويةَ ، وكان مِمَّن يُجالِسُ أبا هريرةَ ، وكان مِن أحسنِ الناسِ وجهًا .

حكَى الزبيرُ بنُ بكّارٍ[3] أنّ جميلًا نظَر إليه وهو واقفٌ بعرفةَ ، فقال : إنَّ هـٰهنا فتًى أكرَهُ أنْ تراه بثينةُ . وقال الشعبىُّ[3] : ما رأيتُ أميرًا قطُّ على مِنبرٍ أحسنَ منه . وكذا قال إسماعيلُ بنُ أبى[4] خالدٍ[5] . وقال الحسنُ[6] : هو أجملُ أهلِ البصرةِ .

وقال الخطيبُ البغدادىُّ[7] : ولِى إمرةَ العراقيْنِ [٧/ ٦٣ظ] لأخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، حتى قتَله عبدُ الملِكِ بنُ مروانَ بمسكِنَ فى موضعٍ قريبٍ مِن أَوَانا على نهرِ دُجَيْلٍ عند دَيْرِ الجاثَليقِ ، وقبرُه إلى الآنَ معروفٌ هناك . وقد ذكرْنا[8] صفةَ قتلِه المختارَ بنَ أبى عُبيدٍ ، وأنه قتَل فى غداةٍ واحدةٍ مِن أصحابِ المختارِ سبعةَ[9]

---

(١) فى ٣١، م : « كرمان » ، وفى ٢١ : « الريان » . وانظر جمهرة أنساب العرب ٤٥٧ .
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « عيينة » ، وفى ٣١ : « عثنية » ، وانظر تاريخ دمشق ٥٢٢/١٦ (مخطوط) .
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٥٢٧ (مخطوط) .
(٤) سقط من : م .
(٥) طبقات ابن سعد ٥ / ١٨٣، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٢٧ (مخطوط) .
(٦) تاريخ دمشق ١٦ /٥٢٨ (مخطوط) ، بنحوه .
(٧) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٥ .
(٨) انظر ما تقدم فى صفحة ٥٨ .
(٩) فى الأصل : « ستة » .

آلافٍ . قال الواقدىُّ[1] : لمّا قتَل مُصعبٌ المختارَ ، طلَب أهلُ القصرِ مِن أصحابِ المختارِ مِن مُصعبٍ الأمانَ فأمَّنَهم ، ثم بعَث إليهم عبَّادَ بنَ الحُصينِ فجعَل يُخرِجُهم مُلتفِّين ، فقال له رجلٌ : الحمدُ للَّهِ الذى نصَركم علينا ، وابتلانا بالأسرِ ، يا ابنَ الزبيرِ مَن عفا عفا اللَّهُ عنه ، ومَن عاقَب لا يأمَنُ القِصاصَ ، نحن أهلُ قِبلتِكم وعلى ملَّتِكم وقد قدَرْتَ فاسمَحْ واعفُ عنّا . قال : فرقَّ لهم مُصعبٌ وأرادَ أنْ يُخلِّىَ سبيلَهم ، فقامَ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ الأشعثِ وغيرُه مِن كلِّ قبيلةٍ ، فقالوا : قد قتَلوا أولادَنا وعشائرَنا ، وجَرَحوا منّا خلقًا ، [2]اختَرْنا أو اختَرْهم[2] . فأمَر حينئذٍ بقتلِهم ، فنادَوْا بأجمعِهم : لا تقتُلْنا واجعَلْنا مُقدَّمتَك فى قتالِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فإنْ ظفِرنا فلكم ، وإنْ قُتِلْنا لا نُقتَلُ حتى نقتُلَ منهم طائفةً وكان الذى تريدُ . فأبَى ذلك مصعبٌ ، فقال له مُسافرٌ : اتقِ اللَّهَ يا مصعبُ ، فإنّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أمَرك أنْ لا تقتُلَ نفسًا مسلمةً بغيرِ نفسٍ ، وإنّ ﴿ مَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] . فلم يسمَعْ له ، بل أمَر بضربِ أعناقِهم جميعِهم ، وكانوا سبعةَ آلافِ نفسٍ ، ثم كتَب مُصعبٌ إلى ابنِ الأشترِ : إنْ أجَبْتنى فلَكَ الشامُ ، وأعنَّةُ الخيلِ . فسار ابنُ الأشترِ إلى مُصعبٍ . وقيل : إنَّ مصعبًا لمّا قدِم مكّةَ أتَى عبدَ اللَّهِ بنَ عُمرَ فقال : أىْ عمِّ ، إنِّى أسألُك عن قومٍ خلَعوا الطاعةَ ، وقاتَلوا حتى إذا[3] غُلِبوا تحصَّنوا ، وسألوا الأمانَ فأُعطُوه ، ثم قُتِلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم؟ قال : خمسةُ

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٦ - ٥٣٨ (مخطوط) ، مطولا بنحوه .

(٢ - ٢) فى ٣١: «اخترنا أو اختارهم» ، وفى ٢١: «اختارنا أو اختارهم» .

(٣) سقط من : م .

آلافٍ . فسبَّح ابنُ عمرَ واسترجَع ، وقال : لو أنّ رجلًا أتى ماشيةَ الزبيرِ فذبَح منها خمسةَ آلافِ شاةٍ[1] فى غداةٍ واحدةٍ ألستَ تعُدُّه مُسرفًا ؟ قال : نعم . قال : أفتراه إسرافًا فى البهائمِ ولا تراه إسرافًا فى مَن ترجو توبتَه ؟ يا ابنَ أخى أَصِبْ مِن الماءِ الباردِ ما استطعْتَ فى دُنياك .

ثم إنَّ مُصعبًا بعَث برأسِ المختارِ إلى أخيه بمكّةَ[2] ، وتمكَّن مُصعبٌ فى العراقِ تمكُّنًا زائدًا ، فقرَّر بها الوِلاياتِ والعمَّالَ ، وحظِى عندَه إبراهيمُ بنُ الأشترِ فجعَله على الوِفادةِ ، ثم رحَل مصعبٌ إلى أخيه بمكَّةَ فأعلمَه بما فعَل فأقرَّه على ما صنَع ، إلّا إبراهيمَ بنَ الأشترِ [3]لم يُمضِ له ما جعَله عليه[3] . [4]فقال له : أعمَدتَ إلى رايةٍ خفَضها اللّهُ تُريدُ أنْ ترفعَها ؟ ثم كشَف عن ظهرِه فإذا ضربةٌ قد أصابته[4] ، وقال له : أتُرانى أحِبُّ ابنَ الأشترِ وهو الذى جرَحنى هذه الجِراحةَ . ثم استدعَى بمَن قدِم [3]مع مصعبٍ[3] مِن أهلِ العراقِ فقال لهم : واللّهِ لوددتُ أنّ لى بكلِّ رَجُلينِ منكم رجلًا مِن أهلِ الشامِ . فقال له [5]أبو حاضرٍ الأُسَيْدِىُّ[5] - وكان قاضىَ الجماعةِ بالبصرةِ : إنّ لنا ولكم مثَلًا قد مضَى يا أميرَ المؤمنين ، وهو ما قال الأعشى[6] :

عُلِّقتُها عَرَضًا[7] وعُلِّقَتْ رَجُلًا غَيْرِى وعُلِّقَ أُخْرى غَيْرَها الرَّجلُ

---

(١) فى م : « ماشية » .

(٢) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٥ - ٥) فى م : « أبو حاجز الأسدى » ، وفى تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٨ (مخطوط) : « أبو خاصر الأسدى » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٢/ ٢٢٠.

(٦) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٧.

(٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « غرصا » .

(١ قلتُ : كما قيلَ أيضًا(٢) :

جُنِنّا بِلَيْلَى وَهْى جُنَّتْ بغيرِنا وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدُها ١)

عُلِّقناك يا أميرَ المؤمنين ، وعُلِّقتَ أهلَ الشامِ ، وعُلِّق أهلُ الشامِ إلى مَرْوانَ ، فما عسَيْنا أنْ نصنَعَ ؟ قال الشعبىُّ(٣) : فما سمِعتُ جوابًا أحسنَ منه . وقال غيرُه : كان مُصعبٌ مِن أشدِّ الناسِ محبةً للنساءِ . وقد (٤أعطاه اللَّهُ٤) مِن ذلك شيئًا كثيرًا ؛ كما رُوِى(٥) أنَّه اجتمَع عند الحجَرِ الأَسودِ جماعةٌ(٦) ، فقالوا فيما بينَهم : ليقُمْ كُلُّ واحدٍ منكم فليسأَلْ عندَ الحجرِ الأسودِ مِن اللَّهِ شيئًا يُحِبُّه . فقام كلٌّ يسأَلُ حاجتَه منهم ، وكان منهم مصعبُ بنُ الزبيرِ ؛ سأل اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنْ يزوِّجَه سُكَينَةَ بنتَ الحُسينِ ، وعائشةَ بنتَ طلحةَ - وكانتا أحسنَ النساءِ فى ذلك العصرِ - وأن يُعطيَه اللَّهُ إمرةَ العراقيْنِ . فأعطاه اللَّهُ ذلك كلَّه(٧) ؛ تزوَّج بعائشةَ بنتِ طلحةَ ، وكان صَداقُها عليه مائةَ ألفِ دينارٍ ، وكانت باهرةَ الجمالِ جدًّا ، وكان مصعبٌ أيضًا جميلًا جدًّا ، وكذلك بقيةُ زوجاتِه . قال الأصمعىُّ(٨) ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن أبيه قال : اجتمَع فى الحِجْرِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) البيت فى سمط اللآلى ١ / ١٤٠، وفيه : جننا على ليلى وجنت بغيرنا

(٣) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٨ (مخطوط).

(٤ - ٤) فى م : «أمضى».

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، بنحوه، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤١، بنحوه.

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : «منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير».

(٧) سقط من : ٣١، ٢١، م.

(٨) حلية الأولياء ٢ / ١٧٦.

مصعبٌ وعروةُ [1]وعبدُ اللَّهِ، بنو الزبيرِ[1]، و[2]عبدُ اللَّهِ[2] بنُ عمَرَ، [3]فقالوا: تَمَنَّوا[3]. فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ: أمّا أنا فأتمنَّى الخلافةَ. وقال عروةُ: أمّا أنا فأتمنَّى أنْ يُؤخذَ عنى العلمُ. وقال مصعبٌ: أمّا أنا فأتمنَّى إمرةَ العراقِ، والجمعَ بينَ عائشةَ بنتِ طلحةَ وسُكَيْنةَ [٧/ ٦٤و] بنتِ الحُسينِ. وقال عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرَ: أمّا أنا فأتمنَّى المغفرةَ. قال: فنالوا كلُّهم ما تمنَّوْا، ولعلَّ ابنَ عمرَ قد غفِر له.

وقال عامرٌ الشَّعبيُّ[4]: بينما أنا جالسٌ يومًا[5] إذ دعانى الأميرُ مصعبُ بنُ الزُّبيرِ فأدخَلَنى دارَ الإمارةِ، ثم كشَف [6]عن سِترٍ[6] فإذا وراءَه عائشةُ بنتُ طلحةَ، فلم أرَ منظرًا أبهَى، ولا أحسنَ منها. فقال: أتدرى مَن هذه؟ فقلتُ: لا. فقال: هذه عائشةُ بنتُ طلحةَ. ثم خرجْتُ، فقالَتْ عائشةُ: مَن هذا الذى أظهَرْتنى عليه؟ قال: هذا عامرٌ الشَّعبيُّ. قالت: فأطلِقْ له شيئًا. فوهَبنى[7] عشَرةَ آلافِ درهمٍ. قال الشَّعبيُّ: فكان أوّلَ مالٍ ملكتُه.

وحكَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[8] أنّ عائشةَ بنتَ طلحةَ تغضَّبَتْ مرّةً على مُصعبٍ فترَضَّاها بأربعِمائةِ ألفِ درهمٍ، فأطلَقَتْها هى للمرأةِ التى أصلَحتْ

(١ - ١) فى الأصل: «عبد الله بن الزبير»، وفى ٣١، ٢١، م: «ابن الزبير».
(٢ - ٢) سقط من ٣١، ٢١، م.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) تاريخ بغداد ١٣ /١٠٥ - ١٠٦ بنحوه، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٣١ بنحوه.
(٥) سقط من: م، وفى ٣١، ٢١: «ذات يوم».
(٦ - ٦) سقط من: م.
(٧) فى ٣١، ٢١: «فأطلق له». وفى م: «فأطلق لى».
(٨) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ٢١٨.

بينهما . وقيل[1] : إنّه أُهْدِيَتْ له نخلةٌ مِن ذهبٍ ، ثمارُها مِن صنوفِ الجواهرِ المُثمِنةِ ، فقوِّمتْ بألفيْ ألفِ دينارٍ ، وكانت مِن متاعِ الفُرسِ فأعطاها [2]لعبدِ اللَّهِ ابنِ أبى فَرْوةَ[3] . وقيل[4] : إنَّ أخاه عبدَ اللَّهِ كان إذا كتَب لأحدٍ جائزةً بألفِ درهمٍ جعَلها مصعبٌ مائةَ ألفِ درهمٍ[2] .

[5]وقد كان مُصعبٌ مِن أجودِ الناسِ وأكثرِهم عطاءً ، لا يستكثِرُ ما يُعطِى ولو كان ما عسَاه أنْ يكونَ ؛ فكانَتْ عطاياه للقوىِّ والضعيفِ والوضيعِ والشريفِ مُتقارِبةً ، وكان أخوه عبدُ اللَّهِ يُبَخَّلُ[5] .

وروَى الخطيبُ البغدادىُّ فى تاريخه[6] أنَّ مُصعبًا غضِب مرَّةً على رجُلٍ فأمَر بضربِ عنقِه ، فقال له الرجلُ : أعزَّ اللَّهُ الأَميرَ ، ما أقبَحَ بمثلِى أن يقومَ يومَ القيامةِ فيتعلَّقَ بأطرافِك الحسنةِ ، وبوجهِك الذى يُستضاءُ به ، فأقولَ : ياربِّ ، سَلْ مُصعبًا فيمَ قتَلنى ؟ فعفا عنه ، فقال الرجلُ : أعزَّ اللَّهُ الأميرَ ، إنْ رأيتَ [7]أن تجعلَ[7] ما [8]وهبتَ لى[8] مِن حياتى فى عيشٍ رَخِىٍّ[9] . فأطلَق له مائةَ ألفٍ ، فقال الرجلُ :

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٢ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٢.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٣) فى الأصل : « وفرة » ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٢ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤٢.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٦. وفيه البيت الأول فقط .

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١، م : « وهبنى » .

(٩) فى م : « رضى » .

إنِّى أُشهِدُك أنَّ نصفَها لابنِ قيسِ الرُّقيَّاتِ ؛ حيثُ يقولُ فيك[1] :

إنما[2] مصعبٌ شِهابٌ مِن اللَّهِ ... تجلَّتْ عنْ وجهِهِ الظَّلماءُ

مُلكُهُ مُلْكُ [3]عِزَّةٍ ليسَ فيهِ[3] ... جَبَروتٌ منهُ ولا كِبرياءُ

يتَّقى اللَّهَ فى الأمورِ وقدْ أفـ ... ـلَح مَن كان همَّهُ الاتِّقاءُ

[4]وفى روايةٍ أنّه قال له : أيُّها الأميرُ ، قد وهَبتَنى حياةً ، فإنِ استطعْتَ أنْ تجعَلَ ما قد وهَبتَنى مِن الحياةِ فى عيشٍ رَخِيٍّ[5] وسَعةٍ فافعَلْ . فأمَر له بمائةِ ألفٍ[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدّثنا [7]مُؤَمَّلٌ ، حدثنا[7] حمادُ بنُ سلَمةَ ، ثنا علىُّ بنُ زيدٍ[8] قال : بلَغ مُصعبًا عن عريفِ الأَنصارِ[9] شىءٌ فهَمَّ به ، فدخَل عليه أنسُ بنُ مالكٍ ، فقال له : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « استَوْصُوا بالأنصارِ خيرًا - أو قال : معروفًا - اقبَلوا مِن مُحسنِهم وتجاوزوا عن مُسيئِهم » . فألقَى مصعبٌ نفسَه عن سريرِه ، وألزَقَ خدَّه بالبِساطِ ، [٧/ ٦٤ظ] وقال : أمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ على

---

(١) الأبيات فى ديوان عبيد اللَّه بن قيس الرقيات : ٩١، ٩٢، والشعر والشعراء ١/ ٥٣٩، والأغانى ٥/٧٩ وفيه البيتان الأولان فقط ، وسمط اللآلى ١ / ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٤٩.

(٢) فى م : « إن » .

(٣ - ٣) فى م ، والشعر والشعراء ، وسمط اللآلى : « رحمة ليس فيه » . وفى الديوان : « قوة ليس فيه » ، وانظر تاريخ الإسلام .

(٤ - ٤) زيادة من : ا٣١، ا٢١، م ، ص .

(٥) فى م : « رضى » .

(٦) المسند ٣ /٢٤٠ - ٢٤١.

(٧ - ٧) سقط من : م ، وانظر أطراف المسند ١ / ٤٥٠.

(٨) فى م : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٣٤- ٤٣٦.

(٩) فى م : « الأنصارى » .

الرأسِ والعَيْنِ . فترَكه .

ومِن كلامِ مُصعبٍ فى التواضُعِ أنّه قال[1] : العجبُ مِن ابنِ آدمَ كيف يتكبَّرُ ، وقد جرَى فى مَجرى البولِ مرَّتيْنِ ؟!

وقال محمدُ بنُ يزيدَ المبرِّدُ[2] : سُئِل القاسمُ بنُ محمدٍ عن مُصعبٍ فقال : كان نبيلًا رئيسًا نفيسًا[3] أنيسًا .

وقد تقدَّم[4] أنّه لمّا ظهَر على المختارِ قتَل مِن أصحابِه فى غداةٍ واحدةٍ خمسةَ آلافٍ ، وقيل : سبعةَ آلافٍ . فلمّا كان بعدَ ذلك لقِى ابنَ عمرَ فسلَّم عليه فلم يعرِفْه ابنُ عمَرَ ؛ لأنّه كان قد انضرَّ فى عينيْه ، فتعرَّف له [5]حتى عرَفه ، فقال[5] : أنت الذى قتَلتَ فى غداةٍ واحدةٍ خمسةَ آلافٍ ممَّن يُوحِّدُ اللَّهَ ؟ فاعتذَر إليه بأنَّهم بايَعوا المختارَ ، فقال : أمَا كان فيهم مَن هو مستكرَهٌ أو جاهلٌ فيُنظَرَ حتى يتوبَ ؟ أرأيتَ لو أنّ رجلًا جاء إلى غنَمِ الزُّبيرِ فنحَر منها خمسةَ آلافٍ فى غداةٍ واحدةٍ ، أمَا كان مُسرِفًا ؟ قال : بلى . قال : وهى لا تعبُدُ اللَّهَ ولا تعرِفُه كما يعرِفُه الآدَميُّ ويعبدُه ، فكيفَ بمَن هو موحِّدٌ ؟ ثم قال له : يا بُنَىَّ تمتَّعْ مِن الماءِ الباردِ [6]فى الدنيا[6] ما استطعْتَ . وفى روايةٍ أنّه قال له[7] : عِشْ ما استطعْتَ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣٠ (مخطوط) .
(٢) تاريخ دمشق ١٦ /٥٣١ (مخطوط) .
(٣) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « تقيا » .
(٤) تقدم فى ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٥ - ٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فعرفه قال » .
(٦ - ٦) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م .
(٧) تاريخ الطبرى ٦ /١١٣ .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ الحسنِ ، عن زافرِ بنِ قُتيبَةَ ، عن الكلبيِّ قال : قال عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ يومًا لجُلسائِه : مَن أشجعُ العربِ[2] ؟ قالوا : شَبِيبٌ[3] ، قَطَرِيُّ بنُ الفُجاءَةِ ، فلانٌ ، فلانٌ . فقال عبدُ الملكِ : إنَّ أشجعَ العربِ[4] لَرَجُلٌ جمَع بين سُكَيْنةَ بنتِ الحُسينِ ، وعائشةَ بنتِ طلحةَ ، وأمَةِ الحَميدِ بنتِ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ ، [5]وأمُّه ربابُ بنتُ[5] أُنَيْفٍ الكلبيُّ ، سيِّدُ ضاحيةِ العربِ ، وولِى العراقَين خمسَ سنينَ فأصاب ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ[6] ، وأُعْطِى الأمانَ ، فأبَى[7] ، ومشَى بسيفِه حتَّى مات ؛ ذلك مُصْعَبُ ابنُ الزُّبيرِ ، لا مَن قطَع الجسورَ مرَّةً هـٰهنا ومرَّةً هـٰهنا[8] .

قالوا[9] : وكان مَقْتَلُه يومَ الخميسِ النصفِ مِن جُمادَى الأُولى سنةَ اثنتيْنِ وسبعين .

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[10] : حدَّثَنى فُلَيْحُ بنُ إسماعيلَ وجَعْفَرُ بنُ أبى

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ /١٠٦ - ١٠٧، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤١ (مخطوط) .

(٢) بعده فى الأصل : « وأكرم العرب » . وفى ٣١، ٢١، م : « والروم » .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وقال آخر » .

(٤) فى الأصل : « الناس وأكرم العرب » ، وفى ٣١، ٢١، م ، ص : « الناس » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص ، وتاريخ دمشق : « ابنة زبان بن » ، وفى ٣١، ٢١، م : « وابنه ريان بن » . والمثبت من تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٤١.

(٦) بعده فى الأصل : « ففرقها فى الناس وهؤلاء الأربع نسوة أعظم أهل زمانهن حسبا وجمالا » ، وبعده فى ٣١، ٢١: « مع ما لنفسه من الأموال وغير ذلك وملك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى » ، وبعده فى م : « مع ما لنفسه من الأموال وملك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال ما لا يحصى » .

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « وأن يسلم هذا له جميعه مع الحياة فزهد فى هذا كله وأبى واختار القتل على مقام ذل ومفارقة هذا كله » .

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فهذا هو الرجل وهذا هو الزهد » .

(٩) تاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ (مخطوط) .

(١٠) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٣٦ (مخطوط) ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٢٨.

كَثيرٍ[1] ، عن أبيه ، قال : لمّا وُضِع رأسُ مُصْعبِ بنِ الزبيرِ بين يَدَى عبدِ الملكِ قال :

لقد أردَى الفوارسَ يومَ عَبْسٍ غلامًا[2] غيرَ منّاعِ المتاعِ
ولا فَرِحٍ لخيرٍ[3] إنْ أتاهُ ولا هَلِعٍ مِن الحَدَثانِ لاعِ[4]
[٦٥/٧و] ولا وقّافةٍ[5] والخيلُ تَعدُو ولا خالٍ كأُنبوبِ اليراعِ

فقال الرجلُ الذى جاء برأسِه : واللّهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيتَه والرمحُ فى يدِه تارةً ، والسيفُ تارةً ؛ يَفْرِى بهذا ، ويطعَنُ بهذا ، لرأَيتَ رجلًا يملأُ القلبَ والعينَ شجاعةً [6]وإقدامًا ، و[6] لكنّه لمّا تفرّقَتْ[7] رجالُه ، وكثُر مَن قصَده وبقِى وحدَه ما زال يُنشِدُ :

وإنّى على المكروهِ عندَ حضورِهِ أُكذِّبُ نَفْسِى والجُفونُ له[8] تُغضِى[9]
وما ذاك مِن ذُلٍّ ولكنْ حفيظةً أذُبُّ بها عندَ المكارمِ عن عِرضِى
وإنّى لأهلِ الشَّرِّ بالشَّرِّ مَرصَدٌ وإنّى لِذى سِلْمٍ أَذَلُّ مِن الأرضِ

فقال عبدُ الملكِ : كان واللّهِ كما وصَف به نفسَه وصدَق ، ولقد كان مِن أحبِّ النّاسِ إلىَّ ، وأشَدِّهم لى إلْفًا ومودّةً ، ولكنَّ المُلْكَ عقيمٌ .

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « بشير » .
(٢) فى الأصل، م : « غلام » .
(٣) فى ٣١، ٢١، م : « بخير » .
(٤) يقال : رجل هالعٌ لاعٌ، ولاعٍ . يعنى : جبان ضعيف . التاج (ل و ع) .
(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، م : « رقابة » . والوقاف : المحجم عن القتال . اللسان (و ق ف) .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م : « عنه » .
(٨) فى م : « فلم » .
(٩) فى تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، ومختصر تاريخ دمشق : « تنضى » .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] ، عن سليمانَ بنِ حربٍ ، عن غسّانَ بنِ مُضَرَ ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ ، أن عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادِ بنِ ظَبيانَ قتَل مُصْعبًا عندَ دَيرِ الجاثليقِ على شاطئِ نهرٍ يُقالُ له : دُجَيلٌ . مِن أرضِ مَسْكِنَ ، واحتَزَّ رأسَه فذهَب به إلى عبدِ الملكِ فسجَد شكرًا للَّهِ ، وكان ابنُ ظَبيانَ فاتكًا ردِيًّا[2] ، وكان يقولُ : لَيْتنى قتَلتُ عبدَ الملكِ حينَ سجَد يومئذٍ ، فأكونَ قد قتَلتُ مَلِكَي العربِ .

قال يعقوبُ[3] : وكان ذلك سنةَ ثِنْتينِ وسبعينَ . [4]قلتُ : وكذا قال علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ[5] . والذى رجَّحه ابنُ جريرٍ وغيرُه[6] أنَّه سنةَ إحدى وسبعين[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وحكى الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[7] فى عُمرِه يومَ قتِل ثلاثةَ أقوالٍ ؛ أحدُها خمسٌ وثلاثون سنةً ، والثانى أربعونَ سنةً ، والثالثُ خمسٌ وأربعون سنةً . فاللَّهُ أعلمُ .

وروى الخطيبُ البغدَادِىُّ[8] ، أنَّ امرأتَه سُكينةَ بنتَ الحسينِ كانت معه فى هذه الوقعةِ[9] فلمّا قُتِل تطلَّبتْه فى القَتْلى حتى عرَفتْه بشامةٍ فى فَخِذِه[10]

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٧، ١٠٨ مختصرا، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٠ (مخطوط)، مختصرا.
(٢) فى ص: «رديئا».
(٣) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ (مخطوط).
(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.
(٥) تاريخ دمشق ١٦ /٥٤٤ (مخطوط)، وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٢.
(٦) تاريخ دمشق ١٦ /٥٤٣ (مخطوط).
(٧) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤.
(٨) تاريخ بغداد ١٣ / ١٠٨، وانظر تاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٠.
(٩) بعده فى الأصل: «فلما أيقنت أنه مقتول نادت وامصعباه فقال مصعب لو سمعت منك هذا الكلام قبل هذا اليوم ما قمت هذا المقام يعنى أنها ما كانت تظهر له محبتها فلما علم بحبها إياه ندم على إقدامه على الموت».
(١٠) فى م: «خده».

فقالتْ : نِعمَ بعلُ المرأةِ المسلمةِ كنتَ ، أدركَكَ واللَّهِ ما قال عنترةُ[1] :

وحليلِ[2] غانيةٍ تركتُ مُجدَّلًا[3] بالقاعِ لم يعهَدْ ولم يتثلَّمِ

[٧/٦٥ظ] فهتَكتُ بالرُّمحِ الطويلِ إهابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ

قال الزبيرُ[4] : وقال عبيدُ[5] اللَّه بنُ قيسِ الرقياتِ يَرْثِى مصعبًا :

لقدْ أورثَ المِصْرَينِ خِزْيًا[6] وذِلَّةً قتيلٌ بدَيرِ الجاثَليقِ مُقيمُ

فما نصَحَتْ للَّهِ بكرُ بنُ وائلٍ ولا صدَقَتْ يومَ اللقاءِ تَميمُ

ولو كان بَكْريًّا تَعطّفَ[7] حولَهُ كتائبُ [8]يَغْلى حَمْيُها[8] ويدومُ

ولكنَّهُ ضاعَ الذِّمامُ ولم يكُنْ بها مُضَرِىٌّ يومَ ذاكَ كريمُ

جزَى اللَّهُ كوفيًّا هناكَ ملامةً وبَصْرِيَّهم[9] إنَّ الملومَ مَلومُ

وإنَّ بَنِى العَلَّاتِ أَخْلَوْا ظُهُورَنا ونحنُ صَرِيحٌ بينهمْ[10] وصميمُ

فإنْ [11]نَفْنَ لا يَبقَى[11] أولئك بعدَنا لِذِى حُرْمةٍ فى المسلمينَ حريمُ

---

(١) البيتان فى الديوان ١٠٢، وجمهرة أشعار العرب ٢ /٤٩٤ - ٤٩٦.

(٢) فى ٣١، ٢١، م : « خليل » .

(٣) فى م : « مجندلًا » .

(٤) الأخبار الموفقيات ٥٣٣ بنحوه ، وانظر تاريخ بغداد ١٣ /١٠٨، وتاريخ دمشق ١٦ / ٥٤٤.

(٥) فى النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج ، والأبيات فى ديوان عبيد اللَّه بن قيس ١٩٦.

(٦) فى النسخ : « حزنًا » ، والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٣١.

(٧) فى م : « يعطف » .

(١ - ١) فى ٣١: « قد جرونها » ، وفى ٢١: « حرها » ، وفى حاشيتها : « يحدرها » ، وفى م : « يبقى حرها » .

(٩) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « نصرتهم » .

(١٠) سقط من : الأصل ، وفى ٣١، ٢١، ص : « منهم » .

(١١ - ١١) فى الأصل : « تبقين لا تبق » ، وفى ٣١: « تفن لا تبقى » .

وقال [1]عبيدُ[2] اللَّهِ بنُ قيسِ الرقياتُ يرثِى مصعبًا أيضًا[1] :

نَعَتِ السَّحائبُ والغَمامُ بأسرِها ... جسدًا بمسكِنَ عارِىَ الأوصالِ
تُمسِى عوائذَه السِّباعُ ودارُهُ ... بمنازِلٍ أطلالُهُنَّ بَوَالِى
رحَلَ الرِّفاقُ وغادَروهُ ثاويًا ... للرِّيحِ بينَ صَبًا وبينَ شَمالِ

وقد قال أبو حاتمٍ الرَّازىُّ[3] : ثنا يَحيى بنُ مصعبٍ الكلبىُّ ، ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ قال : دخَلتُ القصرَ بالكوفةِ فإذا رأسُ الحسينِ بنِ علىٍّ علَى تُرْسٍ بينَ يَدَى عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، وعبيدُ اللَّهِ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ القصرَ بعد ذلك بحينٍ فرأيتُ رأسَ عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ على تُرْسٍ بينَ يَدَىِ المختارِ ، والمختارُ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ القصرَ بعدَ ذلك بحينٍ فرأيتُ رأسَ المختارِ [4]على تُرْسٍ[4] بينَ يَدَىْ مصعبٍ ، ومصعبٌ على السَّريرِ ، ثم دخلتُ [5]بعدَ ذلك بحينٍ[5] فرأيتُ رأسَ مصعبِ بنِ الزبيرِ على تُرسٍ بينَ يَدَىْ[6] عبدِ الملكِ ، وعبدُ الملكِ على السَّريرِ . وقد حكاها الإمامُ أحمدُ ، وغيرُ واحدٍ[7] ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ رحِمه اللَّهُ[8] .

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .
(٢) فى ٣١، ٢١، م : « عبد » ، وانظر الديوان ١٩١.
(٣) تاريخ دمشق ٥٤١/١٦ (مخطوط) .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥ - ٥) فى الأصل : « القصر بعد ذلك بحين » ، وفى ٣١، ٢١، م : « القصر بعد حين » .
(٦) سقط من : م .
(٧) انظر تاريخ دمشق ١٦ /٥٤١ (مخطوط) .
(٨) بعده فى : ٣١، ٢١، م : « فصل : وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذى قتل معه ، وسكينة ، وأمهم فاطمة بنت عبد اللَّه بن السائب ، وعبد اللَّه ، ومحمد وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر ، والمنذر لأمهات شتَّى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه وعنهم » .
قلت : وفى هذا الكلام خطأ وتخليط فى أسماء أولاد مصعب وأمهاتهم ، وهو كلام مخالف لمصادر ترجمته .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وذكر أبو زيدٍ ، عن أبى غسَّانَ محمدِ بنِ يحيى ، حدَّثنى مصعبُ بنُ عثمانَ قال : لَمَّا انتهَى إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ قَتْلُ أخيهِ مصعبٍ ، قام فى الناسِ خطيبًا فقال : الحمدُ للَّهِ الذى له الخلقُ والأمرُ ، يؤتِى المُلْكَ مَن يَشاءُ وينزِعُ المُلْكَ مِمَّن يَشاءُ ، ويُعِزُّ مَن يشاءُ ويُذِلُّ مَن يشاءُ[2] ، ألا وإنَّه لم يُذِلَّ اللَّهُ مَن كان الحقُّ معه ، وإنْ كان فردًا وحدَه ، ولن يُفلِحَ مَن كان وليَّه الشيطانُ وحزبُه ، ولو كان معه الأنامُ طُرًّا[3] ، ألا وإنَّه أتانا مِن العراقِ [٧/٦٦و] خبرٌ أحزَننا وأفرحَنا ؛ أتانا قَتْلُ مصعبٍ رحِمه اللَّهُ[4] ، فأمّا الذى أفرَحَنا فعِلمُنا أنَّ قَتْلَه له شهادةٌ ، وأمّا الذى أحزَننا فإنَّ لِفراقِ الحميمِ لوعةً يجِدُها حميمُه عندَ المصيبةِ به ، ثُمَّ يرعَوِى مِن بَعْدِها ، وذو الرأْيِ جميلُ الصبرِ كريمُ العزاءِ ، ولئن أصِبتُ بمصعبٍ فلقد أصِبتُ بالزبيرِ قبلَه ، وما أنا مِن عثمانَ بخِلْوِ مصيبةٍ ، وما مصعبٌ إلا عبدٌ مِن عَبيدِ اللَّهِ ، وعونٌ مِن أعوانى ، ألا وإنَّ أهلَ العراقِ أهلُ الغدرِ والنِّفاقِ ؛ أسلَمُوه وباعُوه بأقلِّ الثمنِ ، فإنْ يُقتَلْ فإنَّا واللَّهِ ما نموتُ على مَضاجِعِنا كما تموتُ بنو أبى العاصِ ؛ واللَّهِ ما قُتِل منهم رجلٌ فى زحفٍ فى الجاهليةِ ولا فى الإسلامِ ، وما نموتُ إلَّا بأطرافِ الرِّماحِ أو تحتَ ظلِّ السيوفِ[5] ، أَلَا وإنَّ الدنيا عاريةٌ مِن المِلكِ الأعلَى الذى لا يَزولُ سلطانُه ولا يَبيدُ مُلْكُه ، فإنْ تُقْبِلِ الدُّنيا لا آخُذْها أخْذَ الأشِرِ البَطِرِ ، وإنْ تُدبِرْ لا أَبْكِ عليها بكاءَ الحزينِ[6] المَهينِ ، أقولُ قولى هذا وأستغفرُ اللَّهَ لى ولكم .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦ / ١٦٦، من طريق يزيد به ، بنحوه .

(٢) بعده فى الأصل : « بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فأحزننا » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فإن بنى أبى العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات ، ثم يقاتلون بهم أعداءهم ممن خير منهم وأكرم ، ولا يقاتلون بأنفسهم زحفًا » .

(٦) فى تاريخ الطبرى : « الحرِق » . وبعده فى ٣١، ٢١، م : « الأسف » .

وممَّن تُوفِّى فى هذه السَّنةِ مِن الأَعيانِ :

إبراهيمُ بنُ الأشترِ[1] ، [2]واسمُ الأشتَرِ مالكُ بنُ الحارثِ النَّخَعِيُّ . كان أبوه الأشترُ مِن كبارِ أُمراءِ عليٍّ ، واستعمَله عليٌّ على خراسانَ ، وهو ممَّن[2] قام على عثمانَ وقتَله ، وكان إبراهيمُ هذا مِن الأمراءِ[3] المعروفينَ بالشجاعةِ وله شرفٌ ، وهو الذى قتَل عبيدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ كما ذكرْنا[4] ، [5]ثم صار إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ ، وقتِل معه هذه السَّنةَ كما ذكرْنا[6] .

عبدُ الرحمنِ بنُ أبزَى الخُزاعىُّ[7] ، له صحبةٌ وروايةٌ ، واستعمَله عليٌّ على خراسانَ ، وسكَن الكوفةَ ووليها مرةً . تُوفى بالكوفةِ[5] .

عبدُ الرحمنِ بنُ عُسَيلةَ[8] **أبو عبدِ اللَّهِ المرادىُّ**[9] **الصُّنابحىُّ**[10] ، كان مِن الصُّلحاءِ ، وكان عبدُ الملكِ يُجلِسُه معه على السَّريرِ ، وكان عالمًا فاضلًا ، تُوفى بدمشقَ .

---

(١) ترجمته فى : جمهرة أنساب العرب ٤١٥، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٤٤، العبر ١ / ٨١، الوافى بالوفيات ٦ / ٩٩، مرآة الجنان ١ / ١٤٨.

(٢ - ٢) سقط من : ا١ ، ا٢ ، م ، ص .

(٣) زيادة من : الأصل.

(٤) انظر ما تقدم فى ص ٤٧.

(٥ - ٥) سقط من : ا١، ا٢، م، ص.

(٦) انظر ما تقدم فى ص ١٣٩.

(٧) الاستيعاب ٢ / ٨٢٢، وأسد الغابة ٣ /٤٢٢ - ٤٢٣، والإصابة ٤ /٢٨٢ - ٢٨٣.

(٨) فى م : «غسيلة». وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢ / ٨٤١، وأسد الغابة ٣ / ٤٧٥، والإصابة ٥/ ١٠٥.

(٩) فى ا٢: «ابن المرادى».

(١٠) بعده فى الأصل : «نزيل الشام هاجر إلى المدينة فتوفى قبل قدوم النبى ﷺ». والذى فى ترجمته أنه هاجر إلى المدينة ،فلما وصل إلى الجحفه لقية الخبر بوفاة النبى ﷺ قبله بخمسة أيام .

(١ **عمرُ بنُ أبى سلمةَ** ١) **المخزوميُّ المدنيُّ**، ربيبُ النبيِّ ﷺ، ولِد بأرضِ الحبشةِ (٢ وكان عندَ أُمِّه؛ أُمِّ سَلَمةَ. وله رواياتٌ عن النبيِّ ﷺ، وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ رضِى اللَّهُ عنهم ٢).

سَفينةُ مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، أبو عبدِ الرحمنِ (٣)، كان عبدًا لأمِّ سَلَمةَ فأعتقَتْه وشرَطَتْ عليه أنْ يخدِمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ (٤)، (٥ فقال: أنا لا أزالُ أخدِمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، لو لم تُعتقِينى ما عشتُ. وقد كان سفينةُ بآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أليفًا، وبِهم خليطًا. وروَى الطبرانيُّ (٦) أنَّ سفينةَ سُئِل عن اسمِه؛ لِمَ سُمِّى سفينةَ؟ قال: سمَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ سفينةَ؛ خرَج مرَّةً ومعه أصحابُه فثقُل عليهم متاعُهم، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ابسُطْ كساءَك». فبسطتُه (٧)، (٨ فجعَل فيه متاعَهم، ثم قال لى: «احمِلْ، ما أنتَ إلّا سفينةٌ ٨)». قال: فلو حملتُ يومئذٍ وِقْرَ بعيرٍ أو بعيرَيْنِ أو خمسةٍ أو ستةٍ ما ثقُل علىَّ.

وروَى محمدُ بنُ المنكَدِرِ (٩)، عن سفينةَ قال: ركِبتُ مرَّةً سفينةً فى البحرِ ٥)

(١ - ١) فى م: «عمر بن سلمة». وترجمته فى: الاستيعاب ٣ / ١١٥٩، وأسد الغابة ٤ / ١٨٣، والإصابة ٤ / ٥٩٢.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل.

(٣) الاستيعاب ٢ / ٦٨٤، وأسد الغابة ٢ / ٤١١، والإصابة ٣ / ١٣٢. وتقدم ذكره فى باب ذكر عبيد الرسول وخدمه ﷺ، فى ٨ / ٢٦١.

(٤) بعده فى الأصل: «ما عاش وله روايات توفى بالمدينة».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

(٦) المعجم الكبير ٧ /٩٦ - ٩٧ (٦٤٣٩). وقد تقدم تخريج الحديث - عند غير الطبرانى - فى ٨/٢٦١ - ٢٦٢.

(٧) فى ا ٢: «فبسطه».

(٨ - ٨) سقط من: ا ٢.

(٩) تقدم تخريجه فى ٨ / ٢٦٣.

(١) فانكسَرتْ بنا فركِبتُ لوحًا منها فطرَحنى البحرُ إلى غَيْضةٍ فيها الأسدُ ، فجاءنى فقلتُ : يا أبا الحارثِ ، أنا سفينةُ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فطَأْطأ رأسَه وجعَل يدفَعُنى بجنبِه أو بكفِّه ، حتى وضَعَنى على الطريقِ ، ثم هَمهَم هَمهمةً فظننتُ أنَّه يُودِّعُنى .

وقال حمادُ بنُ سلمةَ(٢) : ثنا سعيدُ بنُ جُمْهانَ ، عن سفينةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل بيتَ فاطمةَ فرأى فى ناحيةِ البيتِ قِرامًا(٣) مضروبًا فرجَع ولم يدخُلْ ، فقالتْ فاطمةُ لعلىٍّ : سَلْ رسولَ اللَّهِ ﷺ ما الذى رَدَّه ؟ فسأَلَه فقال : « ليس لى ولا لنبىٍّ أنْ يَدخُلَ بيتًا مزوَّقًا »(١) .

عمرُو(٤) بنُ أخطَبَ أبو زيدٍ الأنصارىُّ الأعرجُ(٥) ، غزا مع النبىِّ [٧/٦٦ظ] ﷺ ثلاثَ عشْرةَ غزوةً ، (٦)ومسَح رأسَه وقال(٧) : « اللهمَّ جمِّلْه » . فبَلغ مائةَ سنةٍ ولم يَبْيَضَّ شَعْرُه . توفِّى بالبصرةِ(٦) .

(٨)**غُضَيفُ بنُ الحارثِ بنِ زُنَيْمٍ السَّكُونىُّ(٩)** ، مختلَفٌ فى صحبتِه ، له(٨)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٥٥) ، وابن ماجه (٣٣٦٠) ، والإمام أحمد فى المسند ٥ /٢٢٠ - ٢٢١، ٢٢٢. حسن (صحيح سنن أبى داود ٣١٩٤) .

(٣) القرام : ستر فيه رقم أو نقوش .

(٤) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من مصادر ترجمته المذكورة فى الحاشية التالية .

(٥) الاستيعاب ٤ /١٦٦٤، وأسد الغابة ٦ /١٢٨، والإصابة ٤ /٥٩٩، ٧ /١٥٨.

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل .

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥ /٧٧، ٣٤١، والترمذى (٣٦٢٩) . وفى الموضع الثانى عند أحمد ، وكذا عند الترمذى القصة فقط دون اللفظ . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . قال الألبانى : صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٩) .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٩) الاستيعاب ٣ /٢٥٤، وأسد الغابة ٤ /٣٤٠، والإصابة ٥ /٣٢٣.

[1] رواياتٌ عن الصحابةِ ، قيل : هو مِن تابِعى أهلِ الشامِ . سكَن حِمصَ ، وكان يتولَّى صلاةَ الجمعةِ نيابةً عن خالدِ بنِ يزيدَ . وكان مِن الصالحين[1] .

يزيدُ بنُ الأسودِ الجُرَشىُّ السَّكونىُّ[2] ، كان عابدًا زاهدًا صالحًا ، سكَن الشامَ بقريةِ زبدِينَ[3] ، وقيل : بقريةِ جِسْرينَ[4] . وكانت له دارٌ داخلَ بابِ شَرقىٍّ . وهو مُختلَفٌ فى صُحبتِه ، وله رواياتٌ عن الصحابةِ ، وكان أهلُ الشامِ يَستسقُون به إذا قحَطوا ، وقد استسقَى به معاويةُ ، والضحاكُ بنُ قيسٍ ، وكان يُجلِسُه معه على المِنبرِ ، [5]فإذا اجتمَع الناسُ[5] قال معاويةُ : قُمْ يزيدُ ، اللهمَّ إنّا نَتوسَّلُ إليك بخِيارِنا وصُلحائِنا . فيَستسقِى اللَّهَ فيُسقَون ، وكان يصلِّى الصلواتِ فى الجامعِ بدمشقَ ، وكان إذا خرَج مِن القريةِ يريدُ الصلاةَ بالجامعِ فى الليلةِ المظلمةِ يُضىءُ له إبهامُ قدمِه - وقِيل : أصابعُ رجليه كُلُّها - حتى يدخلَ الجامعَ ، فإذا رجَع أضاءت له حتى يدخلَ القريةَ . وذكَروا أنَّه لم يَدَعْ شجرةً فى قريةِ زبدينَ[6] إلَّا صلَّى عندَها ركعتينِ ، وكان يمشى فى ضوءِ إبهامِه فى الليلةِ المظلمةِ ذاهبًا إلى صلاةِ العشاءِ بالجامعِ بدمشقَ ، وآيبًا إلى قريتِه ، وكان يَشهدُ الصلواتِ بالجامعِ بدمشقَ لا تفوتُه به صلاةٌ .

مات بقريةِ زبدينَ[6] أو جِسْرينَ[7] مِن غُوطةِ دمشقَ ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) سقط من الأصل . وترجمته فى : الاستيعاب ٤ / ١٥٧٠، وأسد الغابة ٥ / ٤٧٦، والإصابة ٦/ ٦٩٧.

(٣) فى الأصل ، ٣١، م : « زيد بن » . وزبدين : قرية فى الغوطة الشرقية شرق دمشق ، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٦، حاشية (٤) .

(٤) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « جزين » . وفى ٣١، م : « جرين » . وجسرين - بكسر الجيم - : من قرى غوطة دمشق . مرصد الأطلاع ١/ ٣٣٤ .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى ٢١: « زيدين » .

(٧) فى ٢١، م : « جرين » .

[1] **عمرُو بنُ الأسودِ ، أبو عياضٍ العَنْسيُّ الحِمصيُّ** ، مِن كبارِ علماءِ التابعين بالشامِ ، صاحبُ زهدٍ وعبادةٍ واجتهادٍ ، قليلُ التشيُّعِ . توفِّي بحمصَ [1] .

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص . وانظر ترجمته في : تاريخ دمشق ١٣ /٣٩٠ (مخطوط) ، وأسد الغابة ٤ / ١٩٢، والإصابة ٥ /١٥٩ وسير أعلام النبلاء ٤ /٧٩ ، ٨٠ ، وتاريخ الاسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٩٠.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعةٌ عظيمةٌ بينَ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ وبينَ الأزارقةِ مِن الخوارجِ بمكانٍ يُقالُ له : سُولَافُ[1] . مكَثوا نحوًا مِن ثمانيةِ أشهرٍ متواقفِين[2] ، وجرَت بينَهم حروبٌ يَطولُ بسطُها ، وقد استقصاها ابنُ جريرٍ[3] . وقتِل فى أثناءِ ذلك مِن هذه المدَّةِ مصعبُ بنُ الزبيرِ ، [4]وبايَع الناسُ عبدَ[4] الملكِ بنَ مَرْوانَ ، وأمَّرَ عبدُ الملكِ المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ على الأهوازِ وما معها ، وشكَر سعيَه ، وأثنَى عليه ثناءً كثيرًا ، ثم تواقَع الناسُ فى دولةِ عبدِ الملكِ بالأهوازِ ، فكسَر الناسُ الخوارجَ كَسْرةً عظيمةً ، وهرَبُوا فى البلادِ لا يَلوُونَ [5]بل يُولوِلون[5] ، واتَّبَعهم خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أميرُ الناسِ ، وداودُ بنُ قَحْذَمَ[6] ليَطرُدوهم[7] ، وأرسَل عبدُ الملكِ إلى أخيه بشرِ بنِ مَرْوانَ أن يُمِدَّهم[8] بأربعةِ آلافٍ ، [9]فبعَث إليه أربعةَ آلافٍ[9] عليهم عتَّابُ ابنُ ورقاءَ ، فطرَدوا الخوارجَ كُلَّ مَطردٍ ، ولكنْ لقِى الجيشُ جَهْدًا عظيمًا وماتتْ

---

(١) فى م : « سولاق » . وسولاف : قرية غربى دجيل من أرض خوزستان . معجم البلدان ٣ / ١٩٦.

(٢) فى ا ٢ : « متوافقين » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٦٨.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٣، ا ٢، م ، ص .

(٥ - ٥) فى ا ٣، ا ٢، م : « على أحد » .

(٦) فى الأصل : « مجدم » . وفى ا ٣، م : « محتدم » . وفى ا ٢ : « محيدم » . وفى ص : « مخدم » . والمثبت من الطبرى ٦ / ١٧٣، وانظر الكامل ٤ / ٣٤٤.

(٧) فى ا ٣، ا ٢، م : « فطردوهم » . وفى ص : « ليطردهم » .

(٨) فى الأصل، ص : « يمده » .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

خيولُهم ولم يرجِعْ أكثرُهم[1] إلّا مشاةً إلى أهلِيهم.

قال ابنُ جريرٍ[2]: وفى هذه السنةِ كان خروجُ أبى فُدَيْكٍ الحارثىِّ، وهو مِن بنى[3] قيسِ بنِ ثعلبةَ، وغلَب على البحرَيْن، وقتَل نجدةَ بنَ عامرٍ الحارثىَّ، فبعَث إليه خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أميرُ البصرةِ أخاه أميةَ بنَ عبدِ اللَّهِ[4] فى جيشٍ كثيفٍ، فهزَمهم أبو فُدَيْكٍ وأخَذ جاريةً لأميَّةَ واصطفاها لنفسِه، وكتَب [٦٧/٧و] خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أميرُ البصرةِ إلى عبدِ الملكِ يُعلِمُه بما وقَع، واجتمَع على خالدٍ حربُ[5] أبى فُدَيْكٍ، وحربُ[5] الأزارقةِ أصحابِ قَطَرِىِّ بنِ الفُجاءَةِ بالأهوازِ.

قال ابنُ جريرٍ[6]: وفيها بعَث عبدُ الملكِ بنُ مروانَ الحجاجَ بنَ يوسفَ الثقفىَّ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ليحاصِرَه بمكةَ، قال: وكان السببَ فى بعثِه له دونَ غيرِه، أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ لمّا أراد الرجوعَ إلى الشامِ بعدَ قتلِه مصعبًا وأَخْذِه العراقَ، ندَب الناسَ إلى قتالِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بمكةَ فلم يُجِبْه أحدٌ إلى ذلك، فقام الحجاجُ، وقال: يا أميرَ المؤمنينَ، أنا له. وقَصَّ الحجاجُ على عبدِ الملكِ منامًا زعَم أنَّه رآه؛ قال: رأيتُ يا أميرَ المؤمنينَ كأنِّى أخذتُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ فسلختُه، فابعَثْ بى إليه فإنِّى قاتلُه. فبعَثه فى جيشٍ كثيفٍ مِن أهلِ الشامِ وكتَب معه أمانًا لأهلِ مكةَ إن هم أطاعوا.

---

(١) فى ص: «إلا أكثرهم».
(٢) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٤.
(٣) سقط من: م.
(٤) بعده فى ٢١: «أمير البصرة».
(٥) فى ٣١، : «حزب».
(٦) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٤.

قالوا : فخرَج الحجاجُ فى جُمادَى مِن هذه السنةِ ومعه ألفَا فارسٍ مِن أهلِ الشامِ ، فسلَك طريقَ العراقِ ولم يعرِضْ للمدينةِ حتى نزَل الطائفَ ، وجعَل يبعَثُ البعوثَ إلى عرفةَ ، ويرسِلُ ابنُ الزبيرِ الخيولَ فيلتقِيان فتُهزَمُ خيلُ ابنِ الزبيرِ ، وتظفَرُ خيلُ الحجاجِ ، ثم كتَب الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ يستأذِنُه فى دخولِ الحرمِ ومحاصرةِ ابنِ الزبيرِ ؛ فإنَّه قد كَلَّتْ شوكتُه[1] ، وتفرَّقَ عنه عامَّةُ أصحابِه ، وسأَلَه أن يَمُدَّه برجالٍ أيضًا ، فكتَب عبدُ الملكِ إلى طارقِ بنِ عمرٍو يأمُرُه أن يَلحَقَ بمَنْ معه بالحجاجِ - [2] وكان طارقٌ يتولَّى المدينةَ لعبدِ الملكِ ، وكان قد أمَرَه عبدُ الملكِ أن يكونَ مقيمًا بوادِى القرَى بمَن معه مِن جيشِ المدينةِ وغيرِها ، وكان فى نحوِ خمسةِ آلافٍ ، مِن الشامِ منهم ثلاثةُ آلافٍ [2] - وارتحَل الحجاجُ مِن الطائفِ فنزَل بئرَ ميمونٍ[3] ، وحصَر ابنَ الزبيرِ بالمسجدِ ، فلمّا دخَل ذو الحِجَّةِ حجَّ بالناسِ الحجاجُ فى هذه السنةِ ، وعليه وعلى أصحابِه السلاحُ وهم وقوفٌ بعرفاتٍ ، وكذا فيما بعدَها [4] مِن المشاعرِ [4] ، وابنُ الزبيرِ مَحصورٌ لم يتمكَّنْ مِن الحجِّ هذه السنةَ ، بل نحَر بُدْنًا يومَ النحرِ ، وهكذا لم يتمكَّنْ كثيرٌ [5] ممَّن معه مِن الحجِّ ، وكذا لم يتمكَّنْ كثيرٌ [5] ممَّن مع الحجاجِ وطارقِ بنِ عمرٍو أن يَطوفوا بالبيتِ ، فبقُوا على إحرامِهم لم يحصُلْ لهم التحلُّلُ الثانى ، والحجاجُ وأصحابُه نُزولٌ بينَ الحَجونِ [6] وبئرِ ميمونٍ [6] ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وملت جماعته » .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « ميمونة » . وميمون : بئر بمكة . معجم البلدان ٤ / ٧١٩.

(٤ - ٤) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ص .

(٦ - ٦) فى ٣١ : « بين ميمون » ، وفى ٢١ : « بين ميمونة » . وانظر حاشية (٣) .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ كتَب عبدُ الملكِ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[2] أميرِ خُراسانَ يدعوه إلى بيعتِه ويُقْطِعُه خُراسانَ سبعَ سنينَ ، فلمَّا وصَل إليه [٧/٦٧ظ] الكتابُ قال للرسـولِ : بعَثك أبو الذِّبّانِ[3] ؟ واللَّهِ لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقتَلُ لقتلتُكَ ، ولكنْ كُلْ كتابَه . فأكَله ، وبعَث عبدُ الملكِ إلى بُكيرِ[4] بنِ وِشاحٍ نائبِ ابنِ خازمٍ على مروَ يعِدُه[5] بإمرةِ خُراسانَ إن هو خلَع عبدَ اللَّهِ بنَ خازمٍ ، فخلَعه ، فجاءه ابنُ خازمٍ فقاتَله فقتِل فى المعركةِ عبدُ اللَّهِ بنُ خازمٍ[6] ؛ قتَله رجلٌ يُقال له : وَكِيعُ بنُ عُميرةَ . لكنْ كان قد ساعَده غيرُه ، فجلَس وكيعٌ على صدرِه وفيه رَمَقٌ[7] ، فذهَب ليـنُوءَ[8] فلم يتمكَّنْ مِن ذلك ، وجعَل وكيعٌ يقولُ : يا ثاراتِ دُوَيلةَ - يعنى أخاه - وكان دُوَيلةُ قد قتَله ابنُ خازمٍ ، ثم إنَّ ابنَ خازمٍ تنخَّم فى وجهِ وَكِيعٍ ، قال وكيعٌ : لم أرَ أحدًا أكثرَ رِيقًا منه فى تلك الحالِ . وكان [9]أبو هُبيرةَ[9] إذا ذكَر هذا يقولُ : هـذه واللَّهِ البسالةُ . وقال له ابنُ خازمٍ : ويحَك ، أتقتُلُنـى بأخيكَ ؟ لعَنكَ اللَّهُ ، [10]أتقتُلُ كبشَ مضَرَ بأخيكَ[10] العلجِ[11] وكان لا

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٦.

(٢) فى ٢١: «حازم».

(٣) فى الأصل، ٢١، م، ص: «الدبان». وانظر تاريخ الطبرى ٦ /١٧٦ ، والكامل ٤ / ٣٤٥.

(٤) فى ٣١: «بكر».

(٥) فى الأصل، ٢١: «بعده».

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أمير خراسان».

(٧) بعده فى ٢١: «فمتكه». والعبارة فى الطبرى: «فقعد وكيع على صدره فقتله».

(٨) فى الأصل: «ليثور».

(٩ - ٩) فى النسخ «أبو هريرة». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٧.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل.

(١١) سقط من: الأصل، ص.

يساوى كفًّا مِن ترابٍ ؟ أو قال : مِن نَوًى . قالوا[1] : فاحتزَّ رأسَه وأقبَل بُكيرُ[2] ابنُ وِشاحٍ فأراد أخْذَ الرأسِ فمنَعه منه بَجِيرُ[3] بنُ ورقاءَ [4]فضرَبه بُكيرُ بنُ وِشاحٍ[4] بعمودٍ وقيَّده ، ثم أخَذ الرأسَ ثم بعَثه إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وكتَب إليه بالنصرِ والظَّفَرِ [5]ومقتَلِ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[6][5] ، فسُرَّ بذلك سرورًا كثيرًا ، وكتَب إلى بُكيرِ[2] بنِ وِشاحٍ فأقَرَّه على نيابةِ خُراسانَ .

وفى هذه السنةِ أُخِذتِ المدينةُ مِن نُوّابِ[7] ابنِ الزبيرِ ، واستناب فيها عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ طارقَ بنَ عمرٍو[8] الذى كان بعَثه مددًا للحجاجِ [9]على ابنِ الزبيرِ[9] .

وهذه ترجمةُ ابنِ خازِمٍ[10]

هو عبدُ اللَّهِ بنُ خازمِ بنِ أسماءَ السُّلَمىُّ ، أبو صالحٍ البَصرىُّ ، أميرُ خراسانَ ، أحدُ الشجعانِ المذكورينَ ، والفرسانِ المشكورينَ . قال شيخُنا الحافظُ أبو

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « قال » .

(٢) فى ٣١ : « بكر » .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « بجير » . وانظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٧.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل ، ص : « ورأسه » .

(٧) سقط من : م ، ص .

(٨) فى ٣١، ٢١ : « عمير » .

(٩ - ٩) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(١٠) الاستيعاب ٣ / ٨٨٦، وأسد الغابة ٣ / ٢٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٤. والإصابة ٤ / ٦٩.

الحجاجِ المزِّىُّ فى «تهذيبِه»[1] : يُقالُ : له صحبةٌ . روَى عن النبىِّ ﷺ فى العِمامةِ السوداءِ ، وهو عندَ أبى داودَ والترمذىِّ والنسائىِّ ، لكنْ لم يُسمُّوه[2] . روَى عنه سعدُ بنُ عثمانَ الرازىُّ ، وسعيدُ بنُ الأزرقِ . روَى أبو بشرٍ[3] الدُّولابىُّ أنّه قُتِل فى سنةِ إحدى وسبعين . وقيل : فى سنةِ سبعٍ وثمانينَ . وليس هذا القولُ بشىءٍ . انتهَى ما ذكَره شيخُنا فى «التهذيبِ» . وقد ذكَره الحافظُ[4] أبو الحسنِ[5] ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ فى أسماءِ الصحابةِ»[6] ، فقال : عبدُ اللَّهِ بنُ خازمِ ابنِ أسماءَ بنِ الصلتِ بنِ حبيبِ بنِ حارثةَ بنِ هلالِ بنِ سِماكِ بنِ عَوفِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ بُهْثَةَ[7] [٦٨/٧و] بنِ سُليمِ بنِ منصورٍ ، أبو صالحٍ السُّلَمِىُّ ، أميرُ خراسانَ ، شجاعٌ مشهورٌ ، وبطلٌ مذكورٌ ، روَى عنه سعيدُ بنُ الأزرقِ ، وسعدُ ابنُ عثمانَ ، قيل : إنَّ له صحبةً . وفتَح سَرْخَسَ ، وكان أميرًا على خُراسانَ أيامَ فتنةِ ابنِ الزبيرِ ، وأوَّلَ ما وَلِيها سنةَ أربعٍ وستين بعدَ موتِ يزيدَ بنِ معاويةَ وابنِه معاويةَ ، وجرَى له فيها حروبٌ كثيرةٌ حتى تَمَّ أمرُه بها ، وقد استقصَينا أخبارَه فى كتابِ «الكاملِ فى التاريخِ»[8] ، وقُتِل سنةَ إحدى وسبعين [9]بخراسانَ . هكذا قال : إنه قتِل سنةَ إحدى وسبعين[9] . وهكذا حكى شيخُنا[10] عن الدُّولَابىِّ ،

---

(١) تهذيب الكمال ١٤ / ٤٤٢.

(٢) أبو داود (٤٠٣٨) ، والترمذى (٣٣٢١) ، والنسائى فى الكبرى ٥ / ٤٧٦. ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٨٧٣) .

(٣) فى م : «بشير» .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ٢١ : «الحسين» .

(٦) أسد الغابة ٣ / ٢٢٠، ٢٢١.

(٧) فى ٣١، ٢١: «نهبة» .

(٨) فى الكامل لابن الأثير ٤ / ١٥٤.

(٩ - ٩) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(١٠) يعنى المزى ، انظر حاشية (١) .

وكذا رأيتُ فى « التاريخِ » لشيخِنا الحافظِ أبى عبدِ اللَّهِ الذَّهبىِّ[1] ، والذى ذكَره ابنُ جريرٍ فى سياقِ[2] « تاريخِه »[3] ، أنَّه قُتِل فى سنةِ ثنتينِ وسبعينَ . قال ابنُ جريرٍ[4] : وزعَم بعضُهم أنَّه إنَّما قُتل بعدَ مَقتلِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وأنَّ عبدَ الملكِ بعَث برأسِ ابنِ الزبيرِ إلى ابنِ خازمٍ[5] ، ويدعوه إلى طاعتِه وله خُراسانُ عشْرَ سنينَ ، وأنَّ ابنَ خازمٍ لمَّا رأى رأسَ ابنِ الزبيرِ حلَف لا يُعطيه طاعةً أبدًا ، ودعا بطَسْتٍ فغسَل رأسَ ابنِ الزبيرِ وكفَّنه وطيَّبه وبعَث به إلى أهلِه بالمدينةِ - ويُقالُ : بل دفَنه عندَه بخُراسانَ . واللَّهُ أعلَمُ - وأطعَم الكتابَ للرسولِ[6] الذى جاء به ، وقال : لولا أنَّك رسولٌ لضرَبتُ عُنُقَكَ . وقال بعضُهم : بل قطَع يَدَيْه ورِجْلَيْه وضرَب عُنقَه .

وممَّن تُوفى فيها من الأعيانِ : الأَحْنَفُ بنُ قَيْسِ بنِ[7] معاويةَ بنِ حُصينٍ[8] التميمىُّ السعدىُّ ، أبو بَحْرٍ البصرىُّ ، ابنُ أخى صعصعةَ بنِ معاويةَ . والأحنفُ لَقَبٌ له ، وإنَّما اسمُه الضحَّاكُ ، وقِيل : صَخْرٌ . أسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ ولم يَرَه ، وجاء فى حديثٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا له[9] .

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٠٠.

(٢) سقط من : ٣١، ٢١، م.

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٧٦، ١٧٧.

(٤) المصدر السابق ٦ / ١٧٨.

(٥) بعده فى الأصل، ص : « وبعث يدعوه » .

(٦) فى ٣١، ٢١، م : « للبريدى » .

(٧) فى ٣١، ٢١، م : « أبو » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧ / ٩٣، والاستيعاب ١ / ١٢٦، وأسد الغابة ١ / ٥٥، والإصابة ١ / ١٨٧.

(٨) فى الأصل، ٣١، ٢١: « حصن » .

(٩) المسند ٥ / ٣٧٢، المستدرك ٣ / ٦١٤. وهو ضعيف، لضعف على بن زيد بن جدعان . انظر تهذيب الكمال ٢٠ /٤٣٧ - ٤٤٠.

وكان سيِّدًا شريفًا مطاعًا مؤمنًا، عليمَ اللسانِ، وكان يُضرَبُ بحلمِه المَثَلُ، وله أخبارٌ فى حِلْمِه سارتْ بها الركبانُ. قال عنه عمرُ بنُ الخطابِ[1]: هو مؤمنٌ عليمُ اللسانِ. وقال الحسنُ البصرىُّ[2]: ما رأيتُ شريفَ قومٍ أفضلَ منه. وقال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّه العِجْلىُّ[3]: هو بصرىٌّ تابعِىٌّ ثقةٌ، وكان سيدَ قومِه، وكان أعورَ أحنفَ[4] الرِّجلين دميمًا قصيرًا كَوْسجًا[5]، له بيضةٌ واحدةٌ، احتبَسه[6] عمرُ[7] سنةً[8] يختبِرُه[9]، ثم قال: هذا واللَّهِ السيِّدُ[10]. وقيل: إنَّه خطَب عندَ عمرَ فأعجَبه مَنطِقُه. قيل: ذهَبتْ عينُه بالجُدَرِىِّ. وقيل: فى فتحِ سَمَرْقندَ. وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[11]: كان الأحنفُ جَوادًا حليمًا، وكـان رجلًا صالحًا، أدرَك الجاهليةَ ثم أسلَم، وذكِر للنبىِّ ﷺ [٦٨/٧ظ] فاستغفَر له.

وقال [12]محمدُ بنُ سعدٍ[12]: كان ثقةً مأمونًا قليلَ الحديثِ. وكان كثيرَ

---

(١) تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٩٥.

(٣) ثقات العجلى ص ٥٧.

(٤) فى م: «أجيف». والحنف: اعوجاج فى الرجل إلى داخل.

(٥) الكوسج: الذى لا شعر على عارضيه، والناقص الأسنان.

(٦) فى الأصل: «أجلسه».

(٧) سقط من ٢١، وبعده فى ٣١، ٢١، م: «عن قومه».

(٨) بعده فى الأصل: «قدومه».

(٩) سقط من: الأصل، ص.

(١٠) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أو قال السؤدد».

(١١) تهذيب الكمال ٢ / ٢٨٦.

(١٢ - ١٢) سقط من: ٣١، ٢١، م. وانظر طبقات ابن سعد ٧ / ٩٣.

الصلاةِ بالليلِ، وكان يُسرِجُ المِصباحَ[1]، وكان يضعُ إصبَعَه فيه[2]، ثم يقولُ لنفسِه: إذا لم تصبِرْ على المصباحِ، فكيف تَصبرُ على نارِ جهنمَ؟ وقِيل له: بأيِّ شيءٍ سوَّدَك قومُكَ[3]؟ قال: لو عاب [4]الماءَ الناسُ[4] ما شرِبتُه. وكان الأحنفُ [5]لا يحسُدُ، ولا يجهَلُ، ولا يدفَعُ الحقَّ. وقال: إنَّ مِن السؤْدَدِ الصبرَ على الذلِّ، وكفَى بالحلمِ ناصرًا. وقال: ما نازَعنى أحدٌ إلّا أخَذتُ مِن أمرى إحدى ثلاثٍ؛ إن كان فوقى عرَفتُ قدرَه، وإن كان دُونى رفَعتُ نفسى عنه، وإنْ كان مِثلى تفضَّلتُ. وقال: ما ذكَرتُ أحدًا بسوءٍ بعدَ أنْ يقومَ مِن عندى، ولا سمِعتُ كلمةً تسوءُنى إلا طأْطأْتُ رأسى لِما هو أعظمُ منها. وأغلَظ له رجلٌ فى الكلامِ، فلمَّا وصَل إلى نادِى قومِه وقَف وقال: إن كان عندك شيءٌ آخرُ، فقُلْ؛ لئلّا يسمعَك قومى فيُؤْذوك. وقيل: إن عبدَ الملكِ بنَ مروانَ كتَب إليه يدعوه لنفسِه ويعِدُه بوِلايةِ الشامِ، فقال: يدعونى ابنُ الزرقاءِ إلى وِلايةِ الشامِ، واللَّهِ ودِدتُ أنَّ بينى وبينَهم جبلًا مِن نارٍ. وكان زيادُ بنُ أبيه يقولُ: قد بلَغ الأحنفُ مِن السؤدَدِ والشرفِ ما لا ينفعُه معه وِلايةٌ ولا يضرُّه عزلٌ. وإنَّه ليفرُّ مِن الشرفِ وهو يتبعُه[5].

وقال الحاكمُ: وهو الذى افتتَح مروَ الرُّوذِ، وكان الحسنُ وابنُ سيرينَ فى

---

(١) فى ٢١: «المصابيح»، وبعده فى ٣١، ٢١، م: «ويصلى ويبكى حتى الصباح».

(٢) فى ٣١، ٢١، م: «فى المصباح ويقول: حس يا أحنف ما حملك على كذا؟ ما حملك على كذا».

(٣) بعده فى م: «وأنت أرذلهم خلقة».

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م: «قومى الماء».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «من أمراء على يوم صفين وهو الذى صالح أهل بلخ على أربعمائة ألف دينار فى كل سنة وله وقائع مشهودة مشهورة وقتل من أهل خراسان خلقا كثيرا فى القتال بينهما وانتصر عليهم».

جيشِه[1] . وقِيل : إنه مات سنةَ سبعٍ وستينَ - وقيل غيرُ ذلك - عن سبعين سنةً . وقيل : عن أكثرَ مِن ذلك .

ومِن كلامِه وقد سُئل عن الحِلْمِ ما هو ؟ فقال : الذُّلُّ مع الصبرِ . وكان إذا تعجَّب الناسُ مِن حِلمِه يقولُ : واللَّهِ إنِّى لأجِدُ ما تجدون ، ولكنِّى صَبورٌ . [2]وقال : وجدتُ الحِلمَ أنصرَ لى مِن الرجالِ[2] .

وقد انتهَى إليه الحِلمُ والسُّؤدَدُ . وقال : أَحْيِ معروفَك بإماتةِ ذِكْرِه . وقال : عجِبتُ لِمَن يجرى فى مَجْرى البولِ مَرتينِ كيف يتكبَّرُ ؟! وقال : ما أتيتُ بابَ أحدٍ مِن هؤلاءِ إلّا أنْ أُدعَى ، ولا دخلتُ بينَ اثنينِ إلا أنْ يُدخِلانى بينَهما . وقال له رجلٌ : بمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : بتركِى مِن أمرِك[3] ما لا يَعْنينى ، كما عناك مِن أمرى ما لا يَعنيكَ . وأغلَظ له رجلٌ فى الكلامِ ، وقال له : واللَّهِ يا أحنفُ ، لَئِن قُلتَ لى واحدةً لتسمعَنَّ بدلَها عشْرًا . فقال له : إنَّك إنْ قلتَ لى عشْرًا لا تسمعُ منِّى واحدةً . وكان يقولُ فى دعائِه : اللهمَّ إنْ تُعذِّبْنى ، فأنا أهلٌ لذلك ، وإنْ [٦٩/٧و] تغفِرْ لى فأنتَ أهلٌ لذلك .

وقد كان زيادُ بنُ أبِيه يُقَرِّبُه [4]ويعظِّمُه[4] ويُدْنيه ، فلمّا مات زيادٌ ، وولِى ابنُه عبيدُ اللَّهِ [5]لم يرفَعْ به رأسًا[5] ، فتأخرتْ عندَه منزلتُه [6]لقبحِ منظرِه ، وصار يقدِّمُ عليه مَن هو دونَه[6] ، فلمّا وفَد برؤساءِ أهلِ العراقِ على معاويةَ ، أدخَلهم

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وهو الذى افتتح سمرقند وغيرها من البلاد » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٧. وقال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤ / ٨٧: هذا فيه نظر ، هما يصغران عن ذلك .

(٢ - ٢) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « الأمر » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « لم يعرف ما هو » .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١، م .

عليه على مراتبِهم عندَه ، فكان الأحنفُ آخِرَ مَن أدخَله عليه ، فلمّا رآه معاويةُ أجَلَّه وعظَّمَه ، وأدناه وكرَّمه ، وأجلَسه معه على الفِراشِ ، ثم أقبَل عليه يحادثُه دونَهم ، ثم شرَع الحاضرون فى الثناءِ على عبيدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، والأحنفُ ساكتٌ ، فقال له معاويةُ : ما لَكَ لا تتكلَّمُ ؟ قال : إنْ تكَلمتُ خالفتُهم . فقال معاويةُ : اشهَدوا علىَّ أنِّى قد (١عزَلتُ عبيدَ اللَّهِ١) عن العراقِ . ثم قال لهم : انظُروا لكم نائبًا عليكم . وأجَّلَهم ثلاثةَ أيامٍ فاختلَفُوا بينَهم اختلافًا كثيرًا ، ولم يذكُرْ أحدٌ منهم بعدَ ذلك عبيدَ اللَّهِ ، ولا طلَبَه أحدٌ منهم ، ولم يتكلَّمِ الأحنفُ فى (٢هذه الأيامِ فى٢) ذلك كلمةً واحدةً مع أحدٍ منهم ، فلمّا اجتمَعوا بعدَ ثلاثٍ أفاضُوا فى ذلك ، وكثُر اللَّغَطُ وارتفعتِ الأصواتُ ، والأحنفُ ساكتٌ ، فقال له معاويةُ : تكلَّمْ . فقال له : إنْ كنتَ تريدُ أنْ تولِّىَ فيها أحدًا مِن أهلِ بيتِك فليس فيهم مَن هو مِثلُ عُبيدِ اللَّهِ فإنَّه رجلٌ حازمٌ ، ولا يَسُدُّ (٣أحدٌ منهم٣) مَسدَّه ، وإن كنتَ تريدُ (٤غيرَه فأنت أعلمُ٤) بنُوّابِك(٥) . فرَدَّه معاويةُ إلى الوِلايةِ ، ثم قال له بينَه وبينَه : كيف جهِلتَ مثلَ الأحنفِ ؟ إنه(٦) عزَلك وولّاك وهو ساكتٌ . فعظُمتْ منزِلةُ الأحنفِ بعدَ ذلك عندَ ابنِ زيادٍ .

تُوفِّى الأحنفُ بالكوفةِ ، وصلَّى عليه مصعبُ بنُ الزبيرِ ومشَى فى

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « عزلته » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .
(٤ - ٤) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .
(٥) فى ٣١، ٢١، م : « بقرابتك » .
(٦) فى ٣١، ٢١، م : « هو الذى » .

جِنازتِه[1] . [2]ذكَر الواقِدىُّ أنَّه قدِم على معاويةَ فوجَده غضبانَ على ابنِه يزيدَ ، وأنَّه أصلَح بينَهما بكلامٍ ، قال : فبعَث معاويةُ إلى يزيدَ بمالٍ جزيلٍ وقُماشٍ كثيرٍ ، فأعطَى يزيدُ نصفَه للأحنفِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ[2] .

البراءُ بنُ عازِبِ بنِ الحارثِ بنِ عَدِىِّ بنِ [٦٩/٧ظ] **مَجْدعةَ بنِ حارثةَ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرجِ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ الأوْسِ الأنصارىُّ ، الحارثىُّ ، الأوسىُّ**[3] ، صحابىٌّ جليلٌ ، وأبوه أيضًا صحابىٌّ . روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ كثيرةً ، وحدَّث عن أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلىٍّ وغيرِهم . وعنه جماعةٌ مِن التابعينَ ، وبعضُ الصَّحابةِ . وقِيل : إنه مات بالكوفةِ فى أيامِ مصعبٍ على العراقِ .

عَبيدةُ السَّلمانىُّ القاضى[4] ، وهو عَبيدةُ بنُ عمرٍو - ويقالُ : ابنُ قَيْسِ بنِ عمرٍو - السَّلمانىُّ ، المرادىُّ ، أبو عمرٍو الكوفىُّ . وسلمانُ بطنٌ مِن مرادٍ . أسلَم عَبيدةُ فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، وروَى عن ابنِ مسعودٍ وعلىٍّ وابنِ الزبيرِ ، وحدَّث عنه جماعةٌ مِن التابعينَ . وقال الشعبىُّ : كان يوازِى شُريحًا فى القضاءِ . وقال ابنُ

---

(١) بعده فى م : « وقد تقدمت له حكاية » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « وحكى الواقدى أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية بعد أن سلم الحسن الأمر إلى معاوية ورحل بأهله إلى المدينة فقال معاوية للأحنف : أنت الشاهر علينا سيوفك يوم صفين والمخذل عن عائشة أم المؤمنين ؟ فقال : يا معاوية ، لا توبخنا بما مضى منا ولا ترد الأمور على أدبارها ؛ فإن القلوب التى أبغضناك بها بين جوانحنا ، والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا فى كلام غير ذلك فلما خرج ، قالت أخت معاوية : من هذا الذى يتهدد ؟ قال : هذا الذى إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم لايدرون فيما غضب ثم صلحت منزلة الأحنف عند معاوية بعد ذلك » .

(٣) الاستيعاب ١ / ١٥٥، وأسد الغابة ١ / ٢٠٥، والإصابة ١ / ٢٧٨.

(٤) الاستيعاب ٣ / ١٠٢٣، وأسد الغابة ٣ / ٣٥٦، والإصابة ٥ / ١١٨.

نُميرٍ: كان شُريحٌ إذا أشكَل عليه أمرٌ كتَب إلى عَبيدةَ فيه وانتهَى إلى قولِه. وقد أَثْنى عليه غيرُ واحدٍ. وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ، وقيل: سنةَ ثلاثٍ. وقيل: أربعٍ وسبعين. فاللَّهُ أعلمُ. وقد قيل: إنَّ مصعبَ بنَ الزبيرِ قُتِل فى هذه السنةِ. فاللَّهُ أعلمُ.

وممَّن تُوفى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ:

عبدُ اللَّهِ بنُ السَّائِبِ بنِ صَيفىٍّ المخزومىُّ[1]، [2]قارئُ أهلِ مكةَ[2]، له صُحبةٌ وروايةٌ، وقرَأ على أُبَىِّ بنِ كعبٍ، وقرَأ عليه مجاهدٌ وغيرُه.

عطيةُ بنُ بُسرٍ المازنىُّ[3]، له صحبةٌ وروايةٌ. [2]توفِّى بالمدينةِ[2].

عُبيدُ[4] **بنُ نَضْلةَ، أبو معاويةَ الخُزَاعىُّ الكوفىُّ**[5]، مُقْرِئُ أهلِ الكوفةِ، مشهورٌ بالخيرِ والعبادةِ. تُوفِّى بالكوفةِ فى هذه السنةِ.

[6]**عبيدُ اللَّهِ**[6] **بنُ قَيسِ الرُّقيّاتِ القرشىُّ العامرىُّ**[7]، أحدُ الشعراءِ، مدَح

---

(١) الاستيعاب ٣ / ٩١٥، وأسد الغابة ٣ / ٢٥٤، والإصابة ٤ / ١٠٢.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) فى النسخ: «بشر». وترجمته فى: الاستيعاب ٣ / ١٠٧٠، وأسد الغابة ٤ / ٤٣، والإصابة ٤ / ٥٠٩.

(٤) فى م: «عبيدة».

(٥) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٦ / ١١٧، ٢١١، التاريخ الكبير ٦ / ٥، ثقات العجلى ٣٢٣، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) صفحة ٤٨٠، وفيه أنه «عبيد بن نضيلة»، غاية النهاية فى طبقات القراء ١ / ٤٩٧.

(٦ - ٦) فى النسخ: «عبد اللَّه». وانظر مصادر الحاشية التالية.

(٧) اختلف فى اسم عبيد اللَّه هذا؛ ففى طبقات ابن سلام ٢ / ٦٤٧، وكذا فى مخطوطتيه: «عبد اللَّه». والذى عليه إجماع أصحاب نسب قريش وكتب النسب «عبيد اللَّه». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سلام ٢ / ٦٤٧، ونسب قريش ٤٣٥، والأخبار الموفقيات ٥٣٣، والشعر والشعراء ١/ ٥٣٩، وجمهرة أنساب العرب ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٩، وخزانة الأدب ٧ / ٢٨٠ - ٢٨٧.

مصعبَ بنَ الزبيرِ وعبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ[1] .

عبدُ اللَّهِ بنُ همَّامٍ[2] **أبو عبدِ الرحمنِ الشاعرُ، السلوليُّ**[3] ، [4]أحدُ الشعراءِ الفصحاءِ، مدَح يزيدَ بنَ معاويةَ، بعدَ أن هَجاه[4] بقولِه[5] :

شرِبْنا الغَيْضَ حتى لو سُقِينا ... دماءَ بنى أميةَ ما رَوِينا
ولو جاءوا برَمْلَةَ أو بهندٍ ... لَبَايَعْنا أميرَ المؤمنينا[6]

---

(١) بعده فى الأصل: «وإنما سمى قيس الرقيات؛ لأن له عدة أخوات يسمين رقية».
(٢) فى النسخ: «حمام». وانظر مصادر ترجمته فى الحاشية التالية.
(٣) انظر ترجمته فى: الشعر والشعراء ٢/ ٦٥١، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٤٧٠، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٦٤.
(٤) فى ٣١، ٢١، م: «هجا بنى أمية».
(٥) البيتان فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٤٧٠، باختلاف يسير.
(٦) بعده فى م: «وكان عبيدة السلمانى أعور وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتون الناس توفى بالكوفة».

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وسبعين[1]

فيها كان مقتلُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، رضِى اللَّهُ عنه، على يدَيِ الحجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثقفىِّ المُبيرِ[2]، قبَّحه اللَّهُ وأخزاه.

قال الواقدىُّ[3]: حدَّثنى مُصعبُ بنُ ثابتٍ[4]، عن نافعٍ مولى بنى أسَدٍ - وكان عالمًا بفتنةِ ابنِ الزُّبيرِ - قال: حصِر [٧/٧٠و] ابنُ الزبيرِ ليلةَ هلالِ ذِى[5] الحِجَّةِ[6] سنةَ ثنتين[7] وسبعين، [8]وقُتِل[9] لسبعَ عشْرةَ ليلةً خلتْ مِن جُمادَى الأُولَى، سنةَ ثلاثٍ وسبعين[8]، فكان حصرُ الحجّاجِ له خمسةَ أشهرٍ وسبعَ عشْرةَ ليلةً.

وقد ذكَرْنا فيما تقدَّم أنّ الحجّاجَ حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الخارجةِ، وكان فى الحجِّ ابنُ عمرَ، وقد كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجّاجِ أنْ يَأْتَمَّ بابنِ عمرَ فى المناسكِ، كما ثبَت ذلك فى «الصحيحينِ»[10].

فلمّا استَهلَّت هذه السنةُ، استهَلَّت وأهلُ الشامِ مُحاصِرون أهلَ مكةَ، وقد

---

(١) فى الأصل: «تسعين».

(٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) تاريخ الطبرى ٦ / ١٨٧.

(٤) فى م: «نائب». وانظر تهذيب الكمال ٢٨ / ١٨.

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٦) فى تاريخ الطبرى: «القعدة». وعليه تكون مدة الحصر ستة أشهر وسبع عشر ليلة، لكنه عاد فقال - يعنى ابن جرير -: وكان حصر الحجاج... ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة.

(٧) فى الأصل: «ثلاث».

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٩) فى ٢١، ص: «وقيل».

(١٠) البخارى (١٦٦٠، ١٦٦٣)، كما أخرجه معلقًا (١٦٦٢)، ولم يذكر فيه أن عبد الملك كتب إلى الحجاج بذلك. ولم يعزه المزى فى تحفة الأشراف ٥/٣٨٨، إلا إلى البخارى والنسائى.

نصَب الحجّاجُ المنجَنيقَ على مكةَ ليحصُرَ أهلَها، حتى يخرُجوا إلى الأمانِ والطاعةِ لعبدِ الملكِ.

وكان مع الحجّاجِ (١خَلقٌ قدِموا عليه مِن أرضِ١) الحبشةِ، فجعَلوا يرمون بالمنجَنيقِ فقتَلوا خلقًا كثيرًا، وكان معه خمسُ مجانيقَ، فألحَّ عليها بالرمي مِن كلِّ مكانٍ، وحبَس عنهم المِيرةَ فجاعوا[٢]، وكانوا يشرَبون مِن ماءِ زمزمَ[٣]، وجعَلتِ الحجارةُ تقَعُ فى الكعبةِ، والحجّاجُ يَصيحُ بأصحابِه: يا أهلَ الشامِ، اللَّهَ اللَّهَ فى الطاعةِ! (٤فكانوا يحمِلون على ابنِ الزبيرِ حتى يقالَ: إنهم آخِذوه فى هذه الشَّدةِ٤). فيشُدُّ عليهم ابنُ الزبيرِ، وليس معه أحدٌ (٥حتى يُخرِجَهم مِن٥) بابِ بنى شَيْبةَ، ثم يكُرُّون عليه، (٦فيشُدُّ عليهم٦)، فعَل ذلك مِرارًا، وقتَل يومئذٍ جماعةً منهم وهو يقولُ: خُذْها[٧]، وأنا ابنُ الحَوارىِّ. وقيل لابنِ الزبيرِ: ألَا تُكلِّمُهم فى الصُّلحِ؟ فقال: واللَّهِ لو وجَدوكم فى جَوْفِ الكعبةِ لذبَحوكم جميعًا، واللَّهِ لا أسألُهم صلحًا[٨] أبدًا.

وذكَر غيرُ واحدٍ[٩] أنّهم لمّا رُموا بالمنجَنيقِ، جاءتِ الصواعقُ والبُروقُ

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص: «والماء».

(٣) بعده فى الأصل: «فيعصمهم».

(٤ - ٤) فى الأصل: «فيشدون الشدة الواحدة حتى يقال قد اشتملوا عليه».

(٥ - ٥) فى الأصل: «فيبلغ بهم».

(٦ - ٦) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) فى م، ص: «هذا».

(٨) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٩) انظر تاريخ الطبرى ٦ / ١٨٧، والكامل ٤ / ٣٥١، كلاهما بنحوه.

والرُّعودُ حتى جعَلتْ تعلو أصواتُها[1] على صوتِ المنجَنيقِ، ونزَلتْ صاعقةٌ، فأصابت مِن الشاميِّين اثنَى عشَرَ رجلًا، فضَعُفَتْ عندَ ذلك قلوبُهم عن المحاصرةِ، فلم يَزلِ الحجَّاجُ يُشَجِّعُهم، ويقولُ: إنِّى خبيرٌ بهذه البلادِ، هذه بُروقُ تِهامةَ ورُعودُها وصواعِقُها، وإنَّ القومَ يُصيبُهم مثلُ الذى يُصيبُكم. وجاءتْ صاعقةٌ مِن الغَدِ، فقتَلتْ مِن أصحابِ ابنِ الزبيرِ جماعةً كثيرةً أيضًا، فجعَل الحجَّاجُ يقولُ: ألم أقُلْ لكم: إنَّهم يُصابون مثلَكم، وأنتم على الطاعةِ وهم على المخالفةِ؟

وكان أهلُ الشامِ يَرْتجِزون وهم يَرمون بالمنجَنيقِ؛ يقولون[2]:

خطَّارةٌ[3] مثلُ[4] الفَنيقِ المُزْبِدِ نَرمِى بها عُوَّاذَ[5] هذا المسجدِ

فنزلَت صاعقةٌ على المنجَنيقِ فأحرَقتْه، فتوقَّف أهلُ الشامِ عن الرمي والمحاصرةِ، فخطَبَهم الحجَّاجُ، فقال: ويحَكم، ألم تعلَموا أنّ النارَ كانت تنزِلُ على مَن كان قَبْلَنا فتأكُلَ [6]قُربانَهم إذا تُقبِّل منهم؟ فلولا أنّ عملَكم مقبولٌ ما نزَلتِ النارُ فأكَلتْه[6]. فعادوا إلى المُحاصَرةِ.

وما زال أهلُ مكَّةَ [٧/٧٠ظ] يخرُجون إلى الحجّاجِ بالأمانِ، ويترُكون ابنَ الزبيرِ، حتى خرَج إليه قَريبٌ مِن عشَرةِ آلافٍ، فأمَّنَهم، وقلَّ أصحابُ ابنِ الزبيرِ جدًّا، حتى خرَج إلى الحجاجِ حمزةُ وخُبَيْبٌ؛ ابنا عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، فأخَذا

---

(١) فى ٣١، ٢١: «أهل الشام بأصواتها».

(٢) الرجز فى تاريخ دمشق ١٢ / ١٢٠، وبغية الطلب ٥ /١٣ (مخطوط)، باختلاف يسير.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى النسخ: «أعواد». والعَواذ: العائذ، يعنى ابن الزبير المتحصن بالمسجد، والعواذ، جمع عائذ: وهم ابن الزبير وأصحابه.

(٦ - ٦) فى الأصل: «ممن تقبل منه، ثم جاء الحجاج، ورفع الحجر ورمى معهم».

لأنفسِهما أمانًا مِن الحجّاجِ ، فأمَّنهما ، ودخَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ على أمِّه ، فشكَا إليها خِذلانَ الناسِ له ، وخروجَهم إلى الحجاجِ حتى أولادِه وأهلِه ، وأنّه لم يبقَ معه إلّا اليسيرُ ، ولم يبقَ لهم صبرُ ساعةٍ ، والقومُ يُعطوننى ما شِئتُ مِن الدنيا ، فما رأيُكِ ؟ فقالت[1] : يا بُنىَّ ، أنت أعلمُ بنفسِك ، إن كنتَ تعلَمُ أنّك على حقٍّ وتدعو إلى حقٍّ فاصبِرْ عليه ، فقد قُتِل عليه أصحابُك ، ولا تُمكِّنْ مِن رقبتِك يلعَبْ بها غلمانُ بنى أُميَّةَ ، وإن كنتَ[2] إنما أردتَ الدُّنيا ، فلَبِئسَ العبدُ أنت ؛ أهلكتَ نفسَك وأهلكتَ مَن قُتِل معَك ، وإن كنتَ على حقٍّ فما وهَن الدينُ ، وإلى كم خلودُك فى الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ . فدَنا منها فقبَّل رأسَها ، وقال : هذا واللَّهِ رأيى . ثم قال : واللَّهِ[3] ما ركَنتُ إلى الدنيا ولا أحبَبتُ الحياةَ فيها ، وما دعانى إلى الخروجِ إلا الغضبُ للَّهِ أن تُستحَلَّ حرمتُه ، ولكنِّى أحببتُ أن أعلمَ رأيَكِ ، فزِدتِنى بصيرةً مع بصيرتى ، فانظرى يا أمّاه فإنِّى مقتولٌ مِن يومى هذا ، فلا يشتدَّ حزنُكِ ، وسلِّمى لأمرِ اللَّهِ ، فإنَّ ابنَك لم يتعمَّدْ إتيانَ منكَرٍ ، ولا عمِل بفاحشةٍ قطُّ ، ولم يجُرْ فى حكمِ اللَّهِ ، ولم يغدُرْ فى أمانٍ ، ولم يتعمَّدْ ظلمَ مسلمٍ ولا مُعاهَدٍ ، ولم يبلُغْنى ظلمٌ عن عاملٍ فرضِيتُه ، بل أنكَرتُه ، ولم يكنْ عندى آثَرُ مِن رِضا ربِّى عزَّ وجلَّ ، اللهمَّ إنِّى لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسى ، اللهم أنتَ أعلمُ بى مِنّى ومِن غيرِى ، ولكنّى أقولُ ذلك تعزيةً لأمِّى لتسلُوَ عنِّى . فقالت أمُّه : إنّى لأرجو مِن اللَّهِ أنْ يكونَ عَزائِى فيك حسَنًا إنْ تقدَّمتَنى ، أو تقدمتُك ففى نفسى ، اخرُجْ يابنىَّ حتى أنظُرَ ما يصيرُ إليه أمرُك . فقال : جزاكِ اللَّهُ يا أمَّهْ خيرًا فلا تدَعِى الدعاءَ قبلُ وبعدُ لى . فقالت : لا أدَعُه أبدًا ، فمَن قتِل على باطلٍ فلقد قتِلتَ على

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ /١٨٨ - ١٨٩، وتاريخ دمشق ٢٢٦/٢٨ - ٢٢٧.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « تعلم أنك » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

حقٌّ. ثم قالت: اللهمَّ ارحَمْ طولَ ذلك القيامِ [1]فى الليلِ الطويلِ[1]، وذلك النحيبِ والظمأ فى هواجرِ المدينةِ ومكَّةَ، وبرَّه بأبيه وبى، اللهم إنِّى قد سلَّمتُه لأمرِك فيه، ورضِيتُ بما قضَيتَ، فقابِلْنى فى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بثوابِ الصابرين الشاكرين. ثم [2]قالت له: ادنُ منى أودِّعْكَ. فدَنا منها فقبَّلتْه، ثم[2] أخَذته إليها، فاحتضَنتْه لتودِّعَه، واعتنَقها ليودِّعَها - وكانت قد أضرَّت فى آخرِ عمرِها - فوجَدته لابسًا دِرعًا مِن حديدٍ، فقالت: يا بُنىَّ، ما هذا لباسَ مَن يُريدُ [٧/٧١و] ما تريدُ مِن الشَّهادةِ. فقال: يا أمَّاه، إنّما لبِستُه لأطيِّبَ خاطِرَكِ وأُسكِّنَ قلبَكِ به. فقالت: لا يا بنىَّ، ولكنِ انزِعْه. فنزَعه، وجعَل يلبَسُ بقيةَ ثيابِه ويتشدَّدُ، وهى تقولُ: شمِّرْ ثيابَك. وجعَل يتحفَّظُ مِن أسفلِ ثيابِه؛ لِئَلَّا تبدوَ عورتُه إذا قُتِل، وجعَلتْ تذكِّرُه بأبيه الزبيرِ، وجدِّه أبى بكرٍ الصدِّيقِ، وجدَّتِه صفيةَ بنتِ عبدِ المطلبِ، [3]وخالتِه عائشةَ زوجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3]، وتُرجِّيه القدومَ عليهم[4] إذا هو قُتِل شهيدًا، ثم خرَج مِن عندِها فكان ذلك آخرَ عهدِه بها، رضِى اللَّهُ عنهما، وعن أبيه وأبيها، [2]ثم قالت له: امضِ على بَصيرتِك. فودَّعها، وخرَج وهو يقولُ[5]:

ولستُ بمُبْتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ[6] ولا مُرتَقٍ[7] مِن خَشيةِ الموتِ سُلَّما[2]

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) فى ٢١، ص: «عليهما».

(٥) البيت للحصين بن الحمام المرى، وهو ضمن قصيدة له فى المفضليات ص ٦٩ (ط. شاكر وهارون). ذكره الطبرى وبيتًا قبله من القصيدة نفسها، ولكنه ذكره فى سياق خطبة ابن الزبير لآل الزبير يوم موته.

(٦) فى الأصل: «نسبه».

(٧) فى المفضليات: «مُبتغ».

قالوا: وكان يخرُجُ مِن بابِ المسجدِ الحرامِ، وهناك خمسُمائةِ فارسٍ وراجلٍ، فيحمِلُ عليهم، فيتفرَّقون عنه يمينًا وشِمالًا، ولا يثبُتُ له أحدٌ وهو يقولُ:

إنِّى إذا أعرِفُ يومِى أصبِرْ إذْ بعضُهم يعرِفُ ثمَّ ينكِرْ

(١) ويقولُ أيضا:

الموتُ أكرمُ مِن إعطاءِ منقصةٍ مَن لم يمُت غِبطةً فالغايةُ الهَرَمُ (١)

وكانت أبوابُ الحرمِ قد قلَّ مَن يحرُسُها مِن أصحابِ ابنِ الزبيرِ، وكان لأهلِ حِمْصَ حصارُ البابِ الذى يواجِهُ بابَ الكعبةِ، ولأهلِ (٢) دِمشقَ بابُ بنى شَيْبَةَ، ولأهلِ الأُردُنِّ بابُ الصَّفا، ولأهلِ فِلَسْطينَ بابُ بنى جُمَحَ، ولأهلِ قِنَّسرينَ بابُ بنى سَهْمٍ، (٣) وعلى كلِّ بابٍ قائدٌ ومعه أهلُ تلك البلادِ (٣)، وكان الحجَّاجُ وطارقُ بنُ عمرٍو فى ناحيةِ الأَبطَحِ.

وكان ابنُ الزبيرِ لا يخرُجُ على أهلِ بابٍ إلا فرَّقهم وبدَّد شمْلَهم، وهو غيرُ مُلبسٍ، حتى يُخرِجَهم إلى الأبطَحِ، ثم يصيحُ (٤):

* لو كان قِرنِى واحدًا كَفيتُه *

فيقولُ ابنُ صَفْوانَ وأهلُ الشامِ أيضًا: إىْ واللَّهِ، وألفُ رجلٍ. ولقد كان حجرُ المنجَنيقِ يقعُ على طرَفِ ثوبِه فلا ينزعِجُ لذلك، ثم يخرُجُ إليهم فيقاتِلُهم

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١: «الشام».

(٣ - ٣) سقط من الأصل، ص.

(٤) الرجز لدويد بن زيد بن نهد القضاعى. انظر طبقات ابن سلام ١/ ٣١، والشعر والشعراء ١/ ١٠٤.

كأنّه أسدٌ ضارٍ، حتى جعَل الناسُ يتعجَّبون مِن إقدامِه وشجاعتِه، فلمّا كان ليلةُ الثلاثاءِ السابعَ عشَرَ[1] مِن جُمادَى الأُولى مِن هذه السنةِ، بات ابنُ الزبيرِ يُصلِّى طولَ ليلتِه، ثم جلَس فاحتبَى بحَميلةِ سيفِه فأغْفَى ثم انتبَه مع الفجرِ [2]على عادتِه، ثم[2] قال: أذِّنْ يا سعدُ. فأذَّن عندَ المَقامِ، وتوضَّأ ابنُ الزبيرِ ثم صلَّى ركعتَيِ الفجرِ، ثم أقيمتِ الصلاةُ فصلَّى الفجرَ، فقرَأ سورةَ «ن» حرفًا حرفًا، ثم سلَّم فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه، ثم قال [3]لأصحابِه: ما أُرانى اليومَ إلا مقتولًا؛ فإنى رأيتُ فى منامى كأنَّ السماءَ فُرِجت لى، فدخَلتُها، وإنى واللَّهِ قد مَلِلتُ الحياةَ [٧/٧١ظ] وجاوَزتْ سنِّى اثنتين وسبعين سنةً، اللهمَّ إنِّى أحِبُّ لقاءَك فأَحِبَّ لقائى. ثم قال[3]: اكشِفوا عن وجوهِكم حتى أنظُرَ إليكم. فكشَفوا عن وجوهِهم، وعليهم المَغافرُ، فحرَّضهم وحثَّهم على القتالِ والصبرِ، ثم نهَض بهم، فحَمَل وحمَلوا حتى كشَفوهم[4] إلى الحَجونِ، فجاءتْه آجُرَّةٌ فأصابتْه فى وجهِه، فارتعَش لها، فلمّا وجَد سُخونةَ الدمِ يسيلُ على وجهِه تمثَّل بقولِ بعضِهم[5]:

فلَسنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تقطُرُ الدِّما

[6]ثم رجَع، فجاءه حجرُ منجَنيقٍ مِن ورائِه فأصابه فى قَفاه فوقَذه[7]، ثم[6]

---

(١) فى ص: «وعشرين».

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) فى الأصل: «وصلوا».

(٥) البيت للحصين بن الحمام المرى. خزانة الأدب ٧ / ٤٩٠، وفيه: «الدِّما». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٥.

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م، ص: «ثم سقط إلى الأرض، فأسرعوا إليه».

(٧) الوقذ: أصله الضرب المثخن والكسر. النهاية ٥ / ٢١٢.

(١) وقَع إلى الأرضِ على وجهِه ، ثم انتَهض فلم يقدِرْ على القيامِ ، وابتدَره الناسُ ، فشَدَّ عليه رجلٌ مِن أهلِ الشامِ ، فضَرَب الرجلَ فقطَع رِجليه ، وهو متَّكِئٌ على مرفقِه الأيسرِ ، وجعَل يضرِبُ وما يقدِرُ أن ينتهِضَ حتى كثُروا عليه ، فابتدَروه بالسيوفِ (١) فقتَلوه ، رضِى اللَّهُ عنه .

وجاءوا إلى الحجَّاجِ فأخبَروه فخرَّ ساجدًا ، قبَّحه اللَّهُ ، ثم قام هو وطارقُ بنُ عمرٍو حتى وقَفا عليه ، وهو صريعٌ ، فقال طارقٌ : ماولَدتِ النساءُ أذكرَ مِن هذا . فقال الحجَّاجُ : تمدَحُ مَن يخالِفُ طاعةَ أميرِ المؤمنين ؟ قال : نعم ، هو أعذَرُ لنا ؛ إنّا محاصِروه ، وليس هو فى حصنٍ ولا خندقٍ ولا مَنَعَةٍ (٢) ينتصِفُ مِنّا (٢) ، بل يُفضَّلُ علينا فى كلِّ موقِفٍ . فلمّا بلَغ ذلك عبدَ الملكِ صوَّب (٣) طارقًا .

وروَى ابنُ عساكرَ (٤) فى ترجمةِ الحجّاجِ أنّه لمّا قتَل ابنَ الزبيرِ ارتجَّتْ مكَّةُ بُكاءً على عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، رحِمه اللَّهُ ، فخطَب الحجّاجُ الناسَ فقال : أيُّها الناسُ ، إنّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ كان مِن خيارِ هذه الأمَّةِ حتى رغِب فى الخلافةِ ونازَعها أهلَها وألحَد فى الحَرَمِ ، فأذاقه اللَّهُ مِن عذابٍ أليمٍ ، وإنّ آدمَ كان أكرمَ على اللَّهِ مِن ابنِ الزبيرِ ، وكان فى الجنةِ ، وهى أشرفُ مِن مكَّةَ ، فلما خالَف أمْرَ اللَّهِ وأكَل مِن الشجرةِ التى نهِى عنها ، أخرَجه اللَّهُ مِن الجنَّةِ ، قوموا إلى صلاتِكم يرحَمْكم اللَّهُ .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « ثم سقط إلى الأرض ، فأسرعوا إليه » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « ننتصف منه » .
(٣) فى النسخ : « ضرب » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦ / ١٩٢، وانظر الكامل ٤ / ٣٥٦.
(٤) تاريخ دمشق ١٢ / ١٢٠، بنحوه .

(١ وقِيل : إنّه قال : يا أهلَ مكّةَ ، بلَغنى (٢) إكبارُكم واستعظامُكم قتلَ ابنِ الزبيرِ ، فإنّ ابنَ الزبيرِ كان مِن خيارِ هذه الأُمّةِ حتى رغِب فى الدنيا ونازَع الخلافةَ أهلَها ، فخلَع طاعةَ اللّهِ وألحَد فى حرمِ اللّهِ ، ولو كانت مكةُ شيئًا يمنَعُ القضاءَ لمَنعت آدمَ حُرمةُ الجنّةِ ، وقد خلَقه اللّهُ بيدِه ونفَخ فيه مِن رُوحِه وأسجَد له ملائكتَه وعلّمه أسماءَ كلِّ شىءٍ ، فلمّا عصاه أخرَجه مِن الجنّةِ وأهبَطه إلى الأرضِ ، وآدمُ أكرمُ على اللّهِ مِن ابنِ الزبيرِ ، وإنّ ابنَ الزبيرِ غيّر كتابَ اللّهِ . فقال له عبدُ اللّهِ بنُ عمرَ : لو شئتَ أن أقولَ لك : كذَبتَ لقلتُ ، واللّهِ إنّ ابنَ الزبيرِ لم يغيِّرْ كتابَ اللّهِ ، بل كان قوّامًا به صوّامًا عاملًا بالحقِّ ١) .

وكتَب الحجّاجُ إلى عبدِ الملكِ بما وقَع ، وبعَث برأسِ عبدِ اللّهِ بنِ الزبيرِ مع رأسِ عبدِ اللّهِ بنِ صفوانَ وعُمارةَ بنِ حَزمٍ إلى عبدِ الملكِ ، وأمَرهم إذا مرُّوا بالمدينةِ أنْ يَنصِبوا الرءوسَ بها ، ثم يسيروا بها إلى الشامِ ، ففعَلوا ما أمرَهم به (٣) .

ثم أمَر الحجّاجُ بجثةِ ابنِ الزبيرِ فصلِبتْ على ثنيّةِ كَدَاءٍ عندَ الحَجونِ - يقالُ : مُنكَّسةً - فما زالت مصلوبةً ، حتى مرّ به عبدُ اللّهِ بنُ عمرَ فقال (٤) : رحمةُ اللّهِ عليك يا أبا خُبيبٍ ، أمَا واللّهِ لقد كنتَ صوّامًا قوّامًا . ثم قال : أمَا آنَ لهذا الراكبِ أن ينزِلَ ؟ فبعَث الحجّاجُ ، فأُنزِل عن الجِذْعِ ودفِن هناك .

[٧٢/٧و] ودخَل الحجّاجُ إلى مكّةَ فأخَذ البيعةَ مِن أهلِها لأميرِ المؤمنين

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصى أولاده فرحًا بمقتل ابن الزبير ، عليهم من اللّه ما يستحقون » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٨ /٢٣٩ - ٢٤٢.

عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ولم يزَلِ الحجَّاجُ مقيمًا بمكَّةَ حتى أقام للناسِ الحجَّ عامَه هذا أيضًا ، وهو على مكَّةَ واليَمامةِ واليمنِ .

وهذه ترجمةُ أميرِ المؤمنين عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ[1] رضِى اللَّهُ عنه

هو عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ بنِ العوّامِ بنِ خُويلدِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصىِّ بنِ كِلابٍ ، أبو بكرٍ ، ويقالُ له : أبو خُبَيْبٍ . القرشىُّ الأسَدىُّ ، أوَّلُ مولودٍ وُلد بعدَ الهجرةِ بالمدينةِ مِن المُهاجرين . وأمُّه أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ الصديقِ ، ذاتُ النِّطاقيْنِ ، هاجرَتْ به - وهى حاملٌ به مُتِمٌّ - فولَدتْه بقُباءٍ أوَّلَ مَقدَمِهم المدينةَ ، وقيل : إنَّما ولَدتْه فى شَوَّالٍ سنةَ ثنتين مِن الهجرةِ . قاله الواقدىُّ ، ومصعبُ بنُ الزُّبيرِ وغيرُهما[2] ، والأوَّلُ أصحُّ ؛ لِمَا رواه أحمدُ[3] عن أبى أسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن أسماءَ ، أنَّها حمَلتْ بعبدِ اللَّهِ بمكَّةَ ، قالت : فخرَجتُ وأنا مُتِمٌّ ، فأتيتُ المدينةَ فنزلْتُ فولَدتُه ، ثم أتيتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فوضَعتُه فى حِجرِه ، ثم دَعا بتمرةٍ فمضَغها[4] ثم تفَل فى فيه ، فكان أوَّلَ ما دخَل فى جوفِه ريقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قالت : ثم حنَّكه بتمرةٍ[5] ، ثم دعا له وبرَّك عليه ، وكان أوَّلَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسلامِ . وهو صحابىٌّ جليلٌ ، روَى عن النبىِّ ﷺ أحاديثَ ، وروَى عن

---

(١) الاستيعاب ٣ / ٩٠٥، وأسد الغابة ٣ / ٢٤٢، والإصابة ٤ / ٨٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٤٩، ١٥٩، ١٦٠.

(٣) المسند ٦ / ٣٤٧.

(٤) فى ٢١: «فوضعها».

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م.

أبيه وعمرَ وعثمانَ وغيرِهم . وعنه جماعةٌ مِن التابعينَ . وشهِد اليرموكَ[1] مع أبيه وهو صغيرٌ ، وحضَر خُطبةَ عمرَ بالجابيةِ ، ورواها عنه بطولِها ، [2]ثبَت ذلك مِنْ غيرِ وجهٍ[2] . وقدِم دمشقَ لغزوِ القسطنطينيةِ ، [3]ثم قدِمها مرَّةً أخرى[3] ، وبُويع بالخلافةِ أيامَ يزيدَ بنِ معاويةَ ، ولمّا مات يزيدُ غلَب[4] على الحجازِ واليمنِ والعراقيْنِ ومصرَ وخُراسانَ [5]وسائرِ بلادِ الشامِ إلا دمشقَ[5] ، وتمّتِ البيعةُ له سنةَ أربعٍ وستين ، وكان [6]الناسُ بخيرٍ[6] في زمانِه .

وثبَت مِن غيرِ وجهٍ [7]عن هشامٍ ، عن أبيه[7] ، عن أسماءَ[8] ، أنّها خرَجتْ بعبدِ اللَّهِ مِن مكّةَ مهاجرةً وهي حُبْلَى به فولَدتْه بقُباءٍ أوّلَ مَقدَمِهم المدينةَ ، فأتَتْ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فحنّكه وسمّاه عبدَ اللَّهِ ودعا له . وفرِح المسلمون بمولدِه ؛ لأنّه كانتِ اليهودُ قد زعَموا أنّهم قد سحَروا المهاجرِينَ ؛ فلا يولَدُ لهم في المدينةِ ، فلمّا وُلِد ابنُ الزبيرِ كبَّر المسلمون . وقد سمِع عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ جيشَ الشامِ حينَ كبَّروا عندَ قتلِه ، [9]فقال : أمَا واللَّهِ لَلَّذين كبَّروا عندَ مولدِه خيرٌ مِن هؤلاء الذين كبَّروا عندَ قتلِه[9] . [٧/٧٢ظ] وأذَّنَ الصديقُ في أُذنيه حين وُلِد ، رَضِي اللَّهُ عنهما .

---

(١) في ٣١، ٢١، م : «الجمل» ، وانظر الكامل ٢ / ٤١٤، الإصابة ٤ / ٩٤.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وقد أخرجها عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/ ١٤٢- ١٤٤.

(٣ - ٣) في الأصل : «أيام معاوية» . في ٣١، ٢١، م : «معاوية بن يزيد» .

(٤) في ٣١، ٢١، م : «فكان» .

(٥ - ٥) في الأصل : «ولم يبق إلا الشام» .

(٦ - ٦) في الأصل : «فارس قريش» .

(٧ - ٧) سقط من : ٢١.

(٨) البخاري (٣٩٠٩، ٥٤٦٩) ، ومسلم (٢٥ / ٢١٤٦).

(٩ - ٩) سقط من : ص . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٤، ١٥٥، ٢٢٧، والمستدرك ٣ / ٥٤٨.

ومَن قال : إنّ الصديقَ طاف به حولَ الكعبةِ ، [1]وهو فى خِرقةٍ[1] . فهو واهمٌ[2] ، واللَّهُ أعلمُ ، وإنَّما طاف الصديقُ به فى المدينةِ ليشتهِرَ أمرُ ميلادِه على خلافِ ما زعَمتِ اليهودُ .

وقال مصعبٌ الزبيرىُّ[3] : كان عارِضا عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ خفيفيْنِ ، وما اتصلَتْ لحيتُه حتى بلَغ ستِّين سنةً .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[4] : حدّثنى علىُّ بنُ صالحٍ ، عن عامرِ بنِ صالحٍ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كُلِّم فى غِلْمةٍ ترَعرَعوا ؛ منهم عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وعمرُ بنُ أبى سلَمةَ ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، لو بايعتَهم فتصيبَهم برَكتُك ويكونَ لهم ذِكْرٌ . فأُتِى [5]بهم إليه[5] ، فكأنَّهم تكَعْكعوا[6] واقتحَم عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، فتبسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقال : « إنَّه ابنُ أبيه » . وبايَعَه[7] .

وقد رُوِى مِن غيرِ وجهٍ[8] أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ شرِب مِن دمِ النبىِّ ﷺ ؛ كان

(١ - ١) فى الأصل : « وهاجر به أبوه » .

(٢) أخرج عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٢٦) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٧، أن أبا بكر طاف بابن الزبير فى خرقة . وهذا مما يحتج له الفقهاء فى عمل الولى فى الحج ما يعجز عنه الصبى فى حجه . انظر المغنى لابن قدامة ٥/ ٥٢، الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف ٨/ ٢١.

(٣) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٥٩، ١٦٠.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦١، ١٦٢، من طريق الزبير بن بكار به .

(٥ - ٥) فى الأصل : « إليهم » .

(٦) فى ٣١، « تكفكفوا » . وتكعكع القوم : هابوا الشىء وتراجعوا بعد إقدام .

(٧) سقط من : ص . وفى ابن عساكر : « بايعوه » .

(٨) المستدرك ٣ / ٥٥٤، حلية الأولياء ١ / ٣٣٠، تاريخ دمشق ٢٨ /١٦٢ - ١٦٤. وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٧٠ إلى الطبرانى والبزار ، قال : ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة .

النبيُّ ﷺ قد احتجَم فى طَسْتٍ فأعطاه عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ [1] ليُريقَه فشرِبه ، فقال له : « لا تَمَسُّكَ النارُ إلّا تحِلَّةَ القسَمِ ، وويلٌ لكَ مِن الناسِ ، وويلٌ للناسِ منك » . وفى روايةٍ أنَّه [1] قال له [2] : « يا عبدَ اللَّهِ ، اذهَبْ بهذا الدَّمِ فأهرِقْه حيثُ لا يراك أحدٌ » . فلمَّا بعُدَ عمَد إلى ذلك الدمِ فشرِبه ، فلمّا رجَع قال : « ماصنعتَ بالدمِ ؟ » قال : [3] عمَدتُ إلى أخفَى موضعٍ عَلِمتُ فجعَلتُه فيه . قال : « فلعلك شربتَه » . قال : نعم . فقال [3] : « لاتَمَسُّكَ النارُ إلّا تحِلَّةَ القسَمِ ، ويلٌ للناسِ منك ، وويلٌ لك مِن الناسِ » . [4] فكانت تلك القوةُ التى به مِن ذلك الدمِ [4] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ [5] : أنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا الحارثُ بنُ عُبيدٍ ، ثنا أبو عِمرانَ الجَوْنىُّ ، أنَّ نَوْفًا البِكالىَّ [6] كان يقولُ : إنِّى لأجدُ فى كتابِ اللَّهِ المنزّلِ أنّ ابنَ الزُّبيرِ فارسُ الخلفاءِ . وقال حمادُ بنُ زَيدٍ [7] ، عن ثابتٍ البُنانىِّ قال : كنتُ أَمُرُّ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ وهو يصلِّى خلفَ المَقامِ كأنَّه خشبةٌ منصوبةٌ لا يتحرَّكُ . وقال الأعمشُ ، عن يَحيى بنِ وثَّابٍ [7] : كان ابنُ الزبيرِ إذا سجَد وقعَتِ العصافيرُ على ظهرِه تصعَدُ وتنزِلُ لا تراه إلَّا جِذْمَ حائطٍ [8] . وقال غيرُه [9] : كان ابنُ الزبيرِ يقومُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٣، بنحوه .

(٣ - ٣) فى ا ٣، ا ٢، م : « إنى شربته لأزداد به علمًا وإيمانًا وليكون شىء من جسد رسول اللَّه ﷺ فى جسدى وجسدى أولى به من الأرض فقال : أبشر » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٣.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٦٥، ١٦٦، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٧.

(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص . وهو نوف بن فضالة الحميرى البكالى ، ابن امرأة كعب الأحبار ، شامى مستور ، من الثانية . التقريب ٢ / ٣٠٩.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٠، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩.

(٨) يعنى بقيّته .

(٩) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٩.

ليلَه حتى يُصبحَ ، ويركَعُ ليلَه حتى يُصبحَ ، [1]ويسجُدُ ليلَه حتى يُصبحَ[1] . وقال بعضُهم[2] : ركَع ابنُ الزبيرِ يومًا فقرَأتُ البقرةَ وآلَ عِمرانَ والنساءَ والمائدةَ وما رفَع رأسَه . وقال عبدُ الرزّاقِ[3] ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ قال : كنتُ إذا رأيتُ ابنَ الزبيرِ يصلِّى كأنَّه كعبٌ راتبٌ[4] . وفى روايةٍ[5] : ثابتٌ . وقال أحمدُ[6] : تعلَّم عبدُ الرَّزّاقِ الصلاةَ مِن ابنِ جُريجٍ ، وابنُ جريجٍ مِن عطاءٍ ، وعطاءٌ مِن ابنِ الزبيرِ ، وابنُ الزبيرِ مِن الصدّيقِ ، [٧٣/٧و] والصدِّيقُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال الحُميديُّ[7] ، عن سفيانَ بنِ عُيينَةَ ، عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن ابنِ المُنكَدِرِ ، قال : لو رأيتَ ابنَ الزبيرِ يُصلِّى كأنَّه غُصنُ شجرةٍ تصفِقُها الريحُ ، والمنجَنيقُ يقَعُ هـٰهنا وهـٰهنا . قال سفيانُ : كأنَّه لا يُبالى[8] . وحكَى بعضُهم لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ[9] ، أنَّ حجرًا مِن المنجَنيقِ وقَع على شُرّافةِ المسجدِ فطارتْ فِلقةٌ منها فمرَّت بين لحيةِ ابنِ الزبيرِ وحلْقِه ، فما زال عن مَقامِه ولا عُرِف ذلك فى صوتِه[10] ، فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، جاد[11] ما وصفْتَ . وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١.

(٢) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١ / ٣٣٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١، كلاهما من طريق عبد الرزاق به .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « راسب » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧١.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١ /٦٣٦ (مخطوط)، من طريق عبد الرزاق .

(٧) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١ / ٣٣٥، من طريق سفيان به، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧١، من طريق الحميدى به .

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م : « به لا يعده شيئًا » .

(٩) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٢.

(١٠) فى ٣١، ٢١، م : « صورته » .

(١١) فى م : « جاء » .

لابنِ أبى مُليْكَةَ[1] : صِفْ لنا عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ . فقال : واللَّهِ ما رأيتُ جِلدًا قطُّ رُكِّب على لحمٍ ، ولا لحمًا على عصَبٍ ، ولا عصبًا على عظمٍ مثلَه ، ولا رأيتُ نفْسًا رُكِّبتْ بينَ جنبَيْنِ مثلَ نفسِه ، ولقد مرَّتْ آجُرَّةٌ مِن رَمْيِ المنجَنيقِ بينَ لحيتِه وصدرِه ، فواللَّهِ ما جشِع[2] ولا قطَع لها قراءتَه ، ولا ركَع دونَ ما كان يركَعُ ، وكان إذا دخَل فى الصلاةِ خرَج مِن كلِّ شىءٍ إليها ، ولقد كان يركَعُ فيكادُ يقعُ الرَّخَمُ[3] على ظهرِه ، ويسجُدُ فكأنَّه ثوبٌ مطروحٌ .

وقال أبو القاسمِ البغوىُّ[4] ، عن علىِّ بنِ الجعدِ ، عن شُعبةَ ، عن منصورِ بنِ زَاذانَ[5] قال : أخبَرنى مَن رأَى ابنَ الزبيرِ يشرَبُ فى صلاتِه ، وكان ابنُ الزبيرِ مِن المصلِّين . [6]وسُئِل ابنُ عبّاسٍ عن ابنِ الزُّبيرِ فقال[7] : كان قارئًا لكتابِ اللَّهِ ، متَّبعًا لسنَّةِ رسولِ اللَّهِ ، قانتًا للَّهِ ، صائمًا فى الهواجرِ مِن مخافةِ اللَّهِ ، ابنُ حوارىِّ رسولِ اللَّهِ ، وأمُّه بنتُ الصديقِ ، وخالتُه عائشةُ ؛ حبيبةُ حبيبِ اللَّهِ ، زوجةُ رسولِ اللَّهِ ، فلا يجهَلُ حقَّه إلا مَن أعماه اللَّهُ[6] .

ورُوِى[8] أنّ ابنَ الزبيرِ كان يومًا يُصلِّى فسقَطتْ حيَّةٌ مِن السقفِ تطوَّقتْ على بطنِ ابنِه هاشمٍ ، فصرَخ النسوةُ وانزعَج أهلُ المنزلِ ، واجتمَعوا على قتلِ تلك

---

(١) تاريخ دمشق ٢٨ / ١٧٢، ١٧٣ بنحوه .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « خشع » . والجشع : الفزع .

(٣) الرخم ، جمع رخمة : طائر أبقع على شكل النسر . اللسان (ر خ م) .

(٤) الجعديات (١٣٤٢) ، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٤/٢٨.

(٥) فى الأصل ، ٣١، ٢١ : « زادان » ، وانظر تهذيب الكمال ٥٢٣/٢٨.

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٧) البخارى (٤٦٦٤، ٤٦٦٥، ٤٦٦٦) بنحوه ، والمستدرك ٥٤٩/٣. وحلية الأولياء ١/ ٣٣٤.

(٨) تاريخ دمشق ١٧٤/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٣ مختصرًا .

الحيةِ ، فقتَلوها وسَلِمَ الوَلدُ ؛ فعَلوا هذا كلَّه وابنُ الزبيرِ فى الصلاةِ لم يلتَفِتْ ، ولا درَى بما جرَى لابنِه[1] حتى سلَّم .

وقال الزبيرُ بنُ بكّارٍ[2] : حدّثنى محمدُ بنُ الضحَّاكِ الحِزامىُّ[3] ، وعبدُ الملكِ ابنُ عبدِ العزيزِ ، ومَن لا أُحصِى كثرةً مِن أصحابِنا ، أنّ ابنَ الزبيرِ كان يواصِلُ الصومَ سبْعًا ؛ يصومُ يومَ الجُمعةِ ولا يُفطِرُ إلّا [4]ليلةَ الجُمعةِ الأخرى ، ويصومُ بالمدينةِ ، ولا يُفطِرُ إلّا[4] بمكَّةَ ، ويصومُ بمكَّةَ فلا يُفْطِرُ إلّا بالمدينةِ ، وكان إذا أفطَر أوَّلَ ما يُفطِرُ على لبنِ لِقْحةٍ[5] ، وسمْنٍ ، وصَبِرٍ . وفى روايةٍ أخرى[6] : فأمّا اللبنُ فيَعصِمُه ، وأمَّا السمْنُ فيقطَعُ عنه العطَشَ ، وأمّا الصَّبِرُ فيُفتِّقُ الأمعاءَ . وقال ابنُ معينٍ[7] ، عن رَوْحٍ ، عن حَبيبِ بنِ الشّهيدِ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، قال : كان ابنُ الزبيرِ يواصِلُ سبعةَ أيامٍ ، ويُصبِحُ فى اليومِ الثامنِ وهو أَلْيَثُنا[8] . ورُوِى مثلُه مِن غيرِ وجهٍ[9] . وقال [٧/٧٣ظ] بعضُهم[10] : لم يكنْ يأكلُ فى شهرِ رمضانَ سِوى مرّةٍ واحدةٍ فى وسَطِه . وقال خالدُ بنُ أبى عِمرانَ[11] : كان ابنُ الزبيرِ لا يُفطِرُ مِن الشهرِ إلّا ثلاثةَ أيامٍ ، ومكَث أربعين سنةً لم يَنزِعْ ثوبَه عن ظهرِه . وقال ليثٌ عن

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/١٧٥.

(٣) فى م : « الخزامى » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/٢٧٥.

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١.

(٥) اللقحة : الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن .

(٦) تاريخ دمشق ٢٨/١٧٦.

(٧) تاريخ ابن معين ٢/٣٠٧ ، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/١٧٧، ١٧٨.

(٨) يعنى : أقوانا .

(٩) حلية الأولياء ١/٣٣٥، وتاريخ دمشق ٢٨/١٧٧، ١٧٨.

(١٠) تاريخ دمشق ٢٨/١٧٨.

(١١) تاريخ دمشق ٢٨/١٧٧.

مجاهدٍ[1] : لم يكُنْ أحدٌ يُطِيقُ ما يُطِيقُه ابنُ الزبيرِ مِن العبادةِ ، رضِى اللَّهُ عنه . ولقد جاء سَيلٌ مرّةً فطبَّقَ البيتَ فجعَل ابنُ الزبيرِ يطوفُ بالبيتِ[2] سِباحةً . وقال بعضُهم[3] : كان ابنُ الزبيرِ لا يُنازَعُ فى ثلاثٍ ؛ فى العبادةِ ، والشجاعةِ ، والفصاحةِ . وقد ثبَت[3] أنَّ عثمانَ جعَله فى النَّفَرِ الذين نسَخوا المصاحِفَ مع زيدِ ابنِ ثابتٍ ، وسعيدِ بنِ العاصِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ . وذكَره سعيدُ ابنُ المسيَّبِ فى خُطباءِ الإسلامِ مع معاويةَ وابنِه ، وسعيدِ بنِ العاصِ وابنِه[4] . وقال عبدُ الواحدِ بنُ أيمنَ : رأيتُ علَى ابنِ الزبيرِ رداءً يمانيًّا عَدَنيًّا يُصلِّى فيه ، وكان صَيِّتًا ؛ إذا خطَب يُجاوبُه الجبلانِ أبو قُبَيْسٍ ، وزَرُودُ[5] .

وكان آدمَ نحِيفًا ليس بالطويلِ ، وكان بينَ عينيه أثرُ السجودِ ، كثيرَ العبادةِ مجتهدًا شهْمًا فصِيحًا ، صوّامًا قوّامًا ، شديدَ البأسِ ذا أَنَفَةٍ ، له نَفْسٌ شريفةٌ وهِمّةٌ عاليةٌ ، وكان خفيفَ اللِّحيَةِ ليس فى وجهِه مِن الشَّعْرِ إلّا قليلًا ، وكانت له جُمّةٌ ، وكان له لِحيَةٌ صفراءُ .

وقد ذكَرْنا[6] أنَّه شهِد مع عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ قتالَ البرْبَرِ ؛ وكانوا فى عشرين ومائةِ ألفٍ ، والمسلمون عشرين ألفًا ، فأحاطوا بهم مِن كلِّ جانبٍ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠، بنحوه .

(٢) زيادة من ٣١، ٢١، م . وانظر تاريخ دمشق ١٧٨/٢٨.

(٣) تاريخ دمشق ١٧٩/٢٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٣.

(٤) تاريخ دمشق ١٧٩/٢٨.

(٥) فى الأصل : « زررود » . وفى ٢١: « زروز » . وفى م : « زروراء » . وفى تاريخ دمشق : « زرزر » . وانظر معجم البلدان ٩٢٨/٢.

(٦) انظر ما تقدم فى ٢٢٦/١٠، ٢٢٧.

فما زال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ يحتالُ حتى ركِب فى ثلاثين فارسًا ، وسار نحوَ ملكِ البربرِ ، وهو مُنفردٌ وراءَ الجيشِ ، وجواريه يُظَلِّلْنَه بريشِ النعامِ ، فساق حتى انتهَى إليه ، والناسُ يَظُنونَ أنَّه ذاهبٌ فى رسالةٍ إليه ، فلمّا فهِمه الملكُ وَلَّى مدبرًا ، فلحِقه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ فقتَلَه واحتَزّ رأسَه ، وجعَله فوقَ رُمْحِه ، وكبَّر وكبَّر المسلمونَ ، وحمَلوا على البَرْبرِ ، فانهزَمتِ البربرُ بينَ أيديهم فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِموا مغانمَ[1] كثيرةً جدًّا ، وبعَث ابنُ أبى سَرحٍ بالبشارةِ مع عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ ، فقَصّ على عثمانَ الخبرَ وكيف جرَى ، فقال له عثمانُ[2] : أتستطيعُ أن تُؤدِّىَ هذا للناسِ فوقَ المنبرِ؟ قال : نعم . فأمَره[3] ، فصعِد ابنُ الزبيرِ فوقَ المنبرِ فخطَب الناسَ ، وذكَر لهم كيفيَّةَ ما جرَى . قال عبدُ اللَّهِ : فالتفَتُّ فإذا أَبِى - الزبيرُ - فى جملةِ مَن حضَر ، فلمّا تبيَّنتُ وجهَه كاد أن يُرتِجَ علىَّ فى الكلامِ مِن هيبتِه فى قلبى ، فزبَرَنى بعينِه وأشار إلىَّ ليَحصِبَنى ، فمضَيتُ [٧/٧٤و] فى الخُطبةِ كما كنتُ ، فلمّا نزَلتُ ، قال : واللَّهِ لكأنِّى أسمَعُ خطبةَ أبى بكرٍ الصديقِ حينَ سمِعتُ خُطبتَك يا بُنىَّ .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحوارىِّ[4] : سمِعتُ أبا سُليمانَ الدارانىَّ يقولُ : خرَج ابنُ الزبيرِ فى ليلةٍ مُقمِرةٍ على راحلةٍ له فنزَل يَبُولُ[5] ، فالتفتَ فإذا على الراحلةِ شيخٌ أبيضُ الرأسِ واللِّحيةِ ، قال : فشَدَّ عليه ابنُ الزبيرِ فتنَحّى عنها فركِب ابنُ الزبيرِ راحلتَه ومضَى ، قال : فناداه : واللَّهِ يا ابنَ الزبيرِ لو دخَل قلبَك الليلةَ منّى شعْرةٌ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « أموالًا وغنائم » .
(٢) تاريخ دمشق ٢٨/١٨٠، ١٨١، ١٨٢.
(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/١٨٣، من طريق أحمد بن أبى الحوارى به .
(٥) فى م : « فى تبوك » ، وفى ص : « تبوك » .

لخبَلْتُك . قال : ومِنك أنت يا لعينُ يَدخُلُ قلبى شىءٌ ! وقد رُوِى لهذه الحكايةِ شواهدُ مِن وجوهٍ أُخرَى جيدةٍ[1] . وروَى عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن إسحاقَ بنِ يحيى ، عن عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ قال[2] : أقبَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ مِن العُمْرةِ فى رَكْبٍ مِن قريشٍ ، فلمّا كانوا عندَ التَّناضِبِ[3] أبصَرُوا رجلًا عندَ شجرةٍ ، فتقدَّمهمُ ابنُ الزبيرِ ، فلمّا انتهَى إليه سلَّم عليه فلم يعبَأْ به ، وردَّ ردًّا ضعيفًا ، ونزَل ابنُ الزبيرِ فلم يتحرَّكْ له الرجلُ ، فقال له ابنُ الزبيرِ : تنحَّ عن الظِّلِّ . فانحاز مُتكارِهًا ، قال ابنُ الزبيرِ : فجلَستُ وأخذتُ بيدِه وقلتُ : مَن أنت ؟ فقال : رجلٌ مِن الجنِّ . فما عدا أنْ قالها حتى قامتْ كُلُّ شعْرةٍ منّى فاجتذبتُه ، وقلتُ : أنت رجلٌ مِن الجنِّ وتبدو لى هكذا ؟ وإذ ليس[4] له سُفْلةٌ وانكسَر ونهَرْتُه ، وقلتُ : إلىَّ تتبدَّى وأنتَ من أهلِ الأرضِ ، فذهَب هارِبًا وجاء أصحابى ، فقالوا : أين الرجلُ الذى كان عندَك ؟ فقلتُ : إنَّه كان مِن الجنِّ فهرَب . قال : فما منهم رجلٌ إلّا سقَط إلى الأرضِ عن راحلتِه ، فأخذتُ كُلَّ رجُلٍ منهم فشددتُه على راحلتِه حتى أتيتُ بهم أَمَجَ[5] وما يعقِلون .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[6] : قال ابنُ الزبيرِ : دخَلتُ المسجدَ ذاتَ ليلةٍ فإذا نِسوةٌ يطُفْنَ بالبيتِ فأعجبْنَنى ، فلمّا قضَيْنَ طوافَهُنَّ خرَجْنَ فخرَجتُ فى إثرِهنَّ لأعلَمَ أين منزلُهن ، فخرَجْنَ مِن مكةَ حتى أتيْنَ العقَبةَ ، ثم انحدَرْنَ حتى أتيْنَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٨٣/٢٨ - ١٨٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٤/٢٨، ١٨٥ .

(٣) فى الأصل ، ص : « التناصب » ، وفى ٣١ ، ٢١، م : « الينَاصب » ، وانظر معجم البلدان ٨٧٥/١.

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « الحج » ، وأمج : بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان ٣٥٧/١.

(٦) تاريخ دمشق ١٨٥/٢٨، ١٨٦.

فجًّا ، فدخَلْنَ فى خَربةٍ ، فدخَلتُ فى إثْرِهِنَّ ، فإذا مشيخةٌ جُلوسٌ ، فقالوا : ما جاء بك يا ابنَ الزبيرِ ؟ [1] فقلتُ لهم : مَن أنتم ؟ قالوا : الجِنُّ ، وتلك النسوةُ نساؤنا ، فما تشتَهِى يا ابنَ الزبيرِ ؟ [1] فقلتُ : أشتهِى رُطَبًا ، وما بمكةَ يومئذٍ مِن رُطَبةٍ ، فأَتَوْنى برُطَبٍ فأكَلتُ ، ثم قالوا : احمِلْ ما بقِى معك . فجئتُ به المنزلَ فوضَعتُه فى سَفَطٍ ووضَعتُ السَّفَطَ فى صُندوقٍ ، ثم وضَعتُ رأسى لأنامَ ، فبينَما أنا بينَ النائمِ واليقْظانِ إذ سمِعتُ جَلَبةً فى البيتِ ، فقال بعضُهم لبعضٍ : أين وضعَه ؟ قالوا : فى [٧/٧٤ظ] الصُّندوقِ . ففتَحوه فإذا هو فى السَّفَطِ داخلَه ، فهمُّوا بفتحِه فقال بعضُهم : إنَّه ذكَر اسمَ اللَّهِ عليه ، فأخذُوا السَّفَطَ بما فيه فذهَبوا به ، قال : فلم آسَفْ على شىءٍ أسَفِى كيف لم أَثِبْ عليهم ، وهم فى البيتِ .

وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ممَّن حاجفَ عن عثمانَ يومَ الدَّارِ ، وجُرِح يومئذٍ بضعَ عشْرةَ جِراحةً . [2] وكان على الرجّالةِ يومَ الجمَلِ وجُرِح يومئذٍ تسعَ [3] عشْرةَ جِراحةً [2] أيضًا . وقد تبارَز يومئذٍ هو ومالكُ بنُ الحارثِ بنِ الأشترِ ، فاتَّحَدا فصرَع الأشترُ ابنَ الزبيرِ فلم يتمكَّنِ الأشترُ [4] مِن القيامِ عنه ، بل احتضنَه ابنُ الزبيرِ وجعَل يُنادِى ويقولُ :

اقتلونى ومالكًا واقتلوا مالكًا معى

فأرسَلها مثلًا . ثم تفرَّقا ولم يَقْدِرْ عليه الأشترُ . وقد قِيل [5] : إنَّه جُرِح يومئذٍ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ا ٣.

(٣) فى ٢١ : « سبعة » .

(٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٥) تاريخ دمشق ٢٨/١٨٨، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٧١.

بضعًا وأربعينَ جِراحةً ، ولم يُوجَدْ إلَّا بينَ القَتلى وبه رَمَقٌ ، وقد أعطَتْ عائشةُ لمَن بشَّرَها أنَّه لم يُقتَلْ عشرةَ آلافِ درهمٍ وسجَدَتْ للَّهِ شُكرًا ، وقد كانت تُحِبُّه حُبًّا شديدًا ؛ لأنَّه ابنُ أختِها ، وكان عزيزًا عليها . وقد رُوِى عن عُروةَ أنَّه قال[1] : لم تكُنْ عائشةُ تُحِبُّ أحدًا بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ مثلَ حُبِّها عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ . وقال : وما رأيتُ أبى وعائشةَ يدعوان لأحدٍ مِن الخلقِ مثلَ دعائِهما لابنِ الزبيرِ .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[2] : حدَّثنى أخى هارونُ بنُ أبى بكرٍ ، عن يحيى بنِ إبراهيمَ ، عن سليمانَ بنِ محمدِ بنِ[3] يحيى بنِ عروةَ ، [4]عن أبيه[4] ، عن عمِّه[5] عبدِ اللَّهِ بنِ عروةَ[6] قال : أَقْحمت السَّنَةُ[7] نابغةَ بَنى جَعْدةَ فدخَل على عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ المسجدَ الحرامَ ، فأنشدَه هذه الأبياتَ[8] :

حكَيْتَ[9] لنا الصِّدِّيقَ لمَّا وليتَنا[10] وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعدِمُ
وسوَّيتَ بين الناسِ فى الحقِّ فاستَوَوْا فعاد صباحًا حالِكُ الليلِ[11] مُظلِمُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٩/٢٨.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٠/٢٨، ١٩١، والحافظ فى الإصابة ٣٩٧/٦ من هذا الطريق وغيره. وأورده الهيثمى فى المجمع ٢٥/١٠، وقال: رواه الطبرانى، وفيه راو لم أعرفه ورجال مختلف فيهم.
(٣) فى ٣١، ٢١، م : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٦١/١٢.
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « عن » .
(٦) بعده فى ٣١، ٢١: « عن عرورة » .
(٧) أى أخرجته من البادية وأدخلته الحضر. النهاية ١٩/٤.
(٨) ديوان النابغة الجعدى ص ٢٠٤، ٢٠٥. والأبيات أيضا فى الاستيعاب ١٥١٨/٤ ، ١٥١٩، والإصابة ٣٩٧/٦.
(٩) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « فكنت » .
(١٠) فى م : « وليتها » .
(١١) فى الأصل : « اللوم » ، وفى ٣١، ٢١، م : « اللون » .

أتاكَ أبو لَيْلى يَجوبُ به الدُّجَى ... دُجَى الليلِ جَوّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ[1]

لتَجبُرَ[2] منهُ جانبًا[3] ذَعْذَعَتْ[4] به ... صروفُ الليالى والزمانُ المصَمِّمُ

فقال له ابنُ الزبيرِ : هوِّنْ عليك أبا ليلى ، فإنَّ الشعرَ أهونُ وسائِلكَ[5] عندَنا ، أمَّا صِفْوةُ[6] مالِنا فلآلِ الزبيرِ ، وأمّا عَفْوُه فإنَّ بنى أسدٍ يشغَلُها عنك وتيمًا ، ولكنْ لك فى مالِ اللَّهِ حقّانِ ؛ حقٌّ برؤيتِك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وحقٌّ لشرِكَتِكَ أهلَ الإسلامِ فى فَيْئِهم . ثم أخَذ بيدِه فأدخَله دارَ النَّعَمِ فأعطاه قلائِصَ سبعًا وجملًا رحيلًا[7] ، وأوقَر له [٧/٧٥و] الرِّكابَ بُرًّا وتمرًا وثيابًا ، فجعَل النابغةُ يستعجِلُ ويأكلُ الحَبَّ صِرْفًا ، فقال له ابنُ الزبيرِ : وَيْحَ أبى لَيْلى ، لقد بلَغ الجَهْدُ . فقال النابغةُ : أشهَدُ لَسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما وَلِيتْ قريشٌ فعدَلتْ ، واسترْحِمتْ فرَحِمتْ ، وحدَّثَتْ فصدَقَتْ ، ووعَدَتْ خيرًا فأنجزَتْ ، فأنا والنبيُّون فُرّاطُ[8] القاصِفِينَ[9] » .

---

(١) فى م : « غشمشم » . والعثمثم : الجمل القوى الشديد .

(٢) فى م : « لتجير » .

(٣) فى م : « جائيًا » .

(٤) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ : « وعدت » ، وفى م : « غدرت » . والمثبت كما فى الديوان ص ٢٠٥.

(٥) فى ٣١، ٢١، م : « رسائلك » .

(٦) الصفوة بكسر الصاد : خيار الشىء وخلاصته . النهاية ٣/ ٤٠.

(٧) فى النسخ : « دخيلًا » ، والمثبت من الديوان ص ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٩١/٢٨، والرحيل من الإبل : التى تقوى على السير .

(٨) فى م : « فرط » .

(٩) فى الأصل ، ص : « لقاصفين » ، وهو كذلك فى الشعر والشعراء ٢٩٠، واللسان (ق ص ف) . وفى ٣١: « العاصبين » ، وفى ٢١، م : « العاصفين » . وفى الاستيعاب ١٥١٩/٤: « القادمين » ، وفى الإصابة ٣٩٧/٦: « التابعين » . والتصويب من النهاية ٤٣٤/٣، ٧٣/٤. والفراط المتقدمون ، والقاصفون المزدحمون ، وأصل القصف الكسر والدفع الشديد ، يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة وهم على أثرهم بدارًا متدافعين مزدحمين .

وقال محمدُ بنُ مرْوانَ[1] صاحبُ كتابِ «المجالسةِ» : أخبرَنى [2]حَبيبُ بنُ نَصرٍ[2] الأزديُّ ، ثنا محمدُ بنُ دينارٍ ، [3]ثنا محمدُ بنُ زيادٍ[3] الضَّبىُّ ، ثنا هشامُ بنُ سليمانَ المخزوميُّ ، [4]عن أبيه[4] ، قال : أَذِن معاويةُ للناسِ يومًا فدخَلُوا عليه فاحْتفَل المجلسُ ، وهو على سَريرِه ، فأجال بصرَه فيهم ثم قال : أنْشِدُونى لقدماءِ العربِ ثلاثةَ أبياتٍ جامعةٍ مِن أجمعِ ما قالَتْها العربُ[5] . ثم قال : يا أبا خُبَيبٍ . فقال : مَهْيَمْ[6] ؟ قال : أنشِدْنى ذلك . فقال : نعمْ يا أميرَ المؤْمنينَ ، بثلاثِمائةِ ألفٍ ؛ [7]كلُّ بيتٍ بمائةِ ألفٍ[7] . قال : نعمْ ، إنْ ساوَتْ . قال : أنتَ بالخيارِ ، وأنت وافٍ كافٍ . [8]قال : نعم[8] . فأنشَده للأَفْوهِ الأوَدِىِّ[9] :

بلوتُ النَّاسَ قَرْنًا بعدَ قَرْنٍ ... فلَمْ أرَ غيرَ ختّالٍ وقالِ

فقال[10] : صدَق .

ولم أرَ فى الخُطُوبِ أشدَّ وَقْعًا ... وكيدًا مِن معاداةِ الرجالِ

فقال[10] : صدَق .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٨/٢٨، ١٩٩ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « بن نصر » ، وفى م : « خبيب بن نصير » ، وانظر مصدر التخريج .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى ص : « أنه » .

(٥) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٦) يعنى : ما شأنك .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٩) فى الأصل م ، ص : « الأزدى » ، وانظر الشعر والشعراء ٢٢٣/١، والأبيات فى تاريخ دمشق ١٩٨/٢٨، ومختصر تاريخ دمشق ١٨٦/١٢، ١٨٧.

(١٠) فى ٣١، ٢١، م : « فقال معاوية » .

وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرًّا فما شيءٌ أمرَّ مِن السُّؤالِ

فقال[1] : صدَق . ثم قال معاويةُ : هِيهِ يا أبا خُبيبٍ . قال : إلى هَـٰهُنا انتهَى .

قال : فدعا معاويةُ بثلاثين عبدًا ، على عُنقِ كلِّ واحدٍ منهم بَدْرةٌ ، وهى عشَرةُ آلافِ درهمٍ ، فمرُّوا بينَ يَدَيِ ابنِ الزبيرِ حتى انتهَوْا إلى دارِه . وروَى ابنُ أبى الدُّنيا[2] ، عن أبى زَيدٍ[3] النُّمَيْرِىِّ ، عن أبى عاصمٍ النبيلِ ، عن جويريةَ بنِ أسماءَ أنَّ معاويةَ لمَّا حجَّ تلقّاه الناسُ وتخلَّف ابنُ الزبيرِ ، ثم جاءَه وقد حلَق رأسَه ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، ما أكثرَ جِحَرَةَ[4] رأسِك ؟ فقال له : اتَّقِ[5] ؛ لا تخرُجْ عليك منها حيَّةٌ فتقتُلَك . فلمّا أفاضَ معاويةُ طاف معه ابنُ الزبيرِ وهو آخذٌ بيدِه ثم استَدْعاه إلى دارِه ومنازِله بقُعَيْقِعانَ ، فذهَب معه إليها ، فلمّا خرَجا ، قال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنَّ الناسَ يَقولونَ : جاء معه أميرُ المؤمنينَ إلى دُورِه ومنازِله ففعَل[6] ماذا ؟ لا واللَّهِ لا أدَعُك حتى تُعطِيَنى مائةَ ألفٍ . فأعطاه ، فجاء مَرْوانُ فقال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ما رأيتُ مثلَك ؛ جاءك رجلٌ قد سمَّى بيتَ مالِ الديوانِ ، وبيتَ الخلافةِ ، [٧/٧٥ظ] وبيتَ كذا وبيتَ كذا ، فأعطيتَه مائةَ ألفٍ . فقال له : ويلَك ، فكيف أصنعُ بابنِ الزبيرِ ؟

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[7] : أخبـــرَنى عمرُ بنُ بُكيرٍ ، عن علىِّ بنِ[8] مجاهدٍ ،

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « فقال معاوية » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨.

(٣) فى م : « يزيد » .

(٤) فى م : « حجرة » .

(٥) بعده فى م : « أن » .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « معه » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩٩/٢٨، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٨) فى الأصل : « عن » .

(١ عن هشامِ ١) بنِ عُروةَ ، قال : سأل عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ معاويةَ شيئًا فمنَعه ، فقال : واللَّهِ ما أجهلُ أنْ أَلزَمَ هذه البَنِيَّةَ(٢) فلا أشتُمُ لك عِرْضًا ولا أَقصِبُ(٣) لك حَسَبًا ، ولكنِّى أَسدُلُ عِمامَتى مِنْ بينِ يَدَىَّ ذراعًا ، ومِن خَلْفِى ذِراعًا فى طريقِ أهلِ الشامِ ، وأذكُرُ(٤) سيرةَ أبى بكرٍ الصديقِ وعمرَ ، فيقولُ الناسُ : مَن هذا ؟ فيقولون : ابنُ حَوارِىِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ وابنُ بنتِ الصِّدِّيقِ . فقال معاويةُ : حَسْبُك بهذا شرًّا(٥) . ثم قال : هاتِ حوائجَك .

وقال الأَصمعىُّ(٦) : ثنا غسّانُ بنُ مُضرَ ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ ، قال : دخَل ابنُ الزبيرِ على معاويةَ فأمَر ابنًا له صغيرًا فلطَمه لَطْمةً دوَّخ منها رأسَه ، فلمّا أفاقَ ابنُ الزبيرِ قال للصبىِّ : ادْنُ منِّى . فدَنا منه ، فقال له : الْطِمْ معاويةَ . قال : لا أفعَلُ . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّه أبى . فرفَع ابنُ الزبيرِ يدَه فلطَم الصبىَّ لطمةً جعَل يدُورُ منها كما تدورُ الدُّوَّامةُ ، فقال له معاويةُ : تفعَلُ هذا بغلامٍ لم تَجْرِ(٧) عليه الأحكامُ ؟ قال : إنَّه واللَّهِ قد عرَف ما يَضُرُّه مِمَّا ينفَعُه ، فأحبَبتُ أنْ أُحسِنَ أدبَه .

وقال أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، قال(٨) : لحِق ابنُ الزبيرِ معاويةَ وهو سائرٌ إلى الشامِ (٩مِن المدينةِ٩) ، فوجَده وهو يَنعَسُ على

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ دمشق ٢٨/١٩٩، وانظر تهذيب الكمال ٢٠/١١- ١٥، ٣٠/٢٣٢- ٢٣٤.

(٢) فى ٣١ : « الثنية » . والبنيَّة : من أسماء الكعبة . النهاية ١/ ١٥٨.

(٣) فى م : « أقصم » . وقصبه إذا عابه وشتمه .

(٤) فى الأصل ، ص : « أذر » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « شرفًا » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/٢٠٠.

(٧) فى م « تجز » .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/٢٠٠، ٢٠١.

(٩ - ٩) سقط من : ٣١، ٢١، م .

راحلتِه ، فقال له : أتنعَسُ وأنا معك ؟ أمَا تخافُ مِنّى أنْ أقتُلَك ؟ فقال : إنَّك لستَ مِن قُتَّالِ الملوكِ ، إنَّما يصِيدُ كُلَّ طائرٍ قدْرَه[1] . فقال : أمَا لقد سِرْتُ تحتَ [2]لواءِ أبى[2] إلى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وهو مَن تعلَمُ . فقال : لا جَرَمَ ، قتَلكُم واللَّهِ بشِمَالِه . فقال : أمَا إنَّ ذلك كان فى نُصرَةِ عثمانَ ، ثم لم يُجْزَ[3] بها . فقال : إنما كان لبُغضِ علىٍّ لا لنُصرةِ عثمانَ . فقال له ابنُ الزبيرِ : إنّا قد أعطينَاك عَهْدًا فنحنُ وافُونَ لك به ما عِشتَ ، [4]فإذا مِتَّ[4] فسيَعلَمُ مَن بعدَك . فقال : أمَا واللَّهِ ما أخافُك إلّا على نفسِك ، ولكأنِّى بكَ قد خُبِطتَ فى الحِبَالةِ واستُحكِمَتْ عليك[5] الأُنْشُوطةُ ، فذكَرْتَنى وأنتَ[6] فيها ، فقلتَ : ليتَ[7] أبا عبدِ الرحمنِ لها ، لَيْتَنِى واللَّهِ لها ، أمَا واللَّهِ لأحْلُلَنَّكَ[8] رُويدًا ، ولأُطْلِقَنَّكَ[9] سريعًا ، ولبِئس الولىُّ أنتَ تِلك الساعةَ . وحكَى [10]ابنُ عُيَيْنَةَ[10] نحوَ هذا . وقد تقَدّم[11] أنَّ معاويةَ لمَّا مات وجاءتْ بيعةُ يزيدَ بنِ معاويةَ إلى [٧٦/٧و] المدينةِ انشمَر منها ابنُ الزبيرِ والحسينُ بنُ علىٍّ فقصَدَا مكةَ فأقاما بها ، ثم خرَج الحسينُ إلى العراقِ فكان مِن [12]أمرِ مقتلِه بأرضِ كربلاءَ[12] ما تقدَّم[13] . وتفرَّد بالرياسةِ والسُّؤْدَدِ

---

(١) مثل يضرب فى إقدام المرء على ما يقدم عليه ، المستقصى ٢٢٨/٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « لوائى » .

(٣) فى تاريخ دمشق : « نجز » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى ٣١، ٢١: « عليه » .

(٦) فى ص : « أنا » .

(٧) فى الأصل : « أنت » .

(٨) فى م : لأحللتك » ، وفى تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٠١، ونسختين من نسخه : « لحلفتك » .

(٩) فى م : « لأطلقتك » .

(١٠ - ١٠) فى الأصل : « ابن قتيبة » ، وفى ٣١، ٢١، م : « أبو عبد اللّه » . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٠١/٢٨.

(١١) انظر ما تقدم فى ٤٦٧/١١ .

(١٢ - ١٢) فى ٣١، ٢١، م : « أمره » .

(١٣) انظر ما تقدم فى ٤٧٣/١١ .

بمكةَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ؛ ولهذا كان ابنُ عباسٍ يُنشِدُ [1]بعدَ مَخْرجِ الحسينِ[1] :

يا لَكِ مِن قُنْبَرَةٍ بمَعْمَرِ خلا لكِ الجوُّ[2] فَبِيضِى واصْفِرِى

* ونَقِّرى ما شِئتِ أنْ تُنَقِّرِى *

يُعرِّضُ بابنِ الزبيرِ .

[3]وقيل[4] : إنَّ يزيدَ بنَ معاويةَ كتَب إلى ابنِ الزبيرِ ؛ يقولُ : إنِّى قد بعَثتُ إليك بسِلْسِلةٍ مِن فِضَّةٍ ، وقَيْدٍ مِن ذهَبٍ ، وجامعةٍ مِن فِضةٍ وحلَفْتُ لَتأتيَنِّى فى ذلك ، فأبِرَّ قسَمى ، ولا تشُقَّ العصا . فلمّا قرَأ كتابَه ألقاه مِن يدِه ، وقال :

ولا ألِينُ لغيرِ الحقِّ أسألُه حتى[5] يَلِينَ لضِرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ[3]

فلمّا مات يزيدُ بنُ معاويةَ ، وابنُه معاويةُ [6]بنُ يزيدَ[6] مِن بعدِه قريبًا ، استفحَل أمرُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ جدًّا ، وبُويع له [7]بالحجازِ والعراقِ ومصرَ[7] ، وبايَع له الضّحاكُ بنُ قيسٍ بدمشقَ وأعمالِها ، ولكنْ عارضَه مرْوانُ بنُ الحكمِ فى ذلك ، [8]وما زال حتى قتَله وجماعةً بمَرْجِ راهطٍ ، كما تقدَّم[9] . فبايَع له أهلُ الشامِ ، ثم دخَل مصرَ فانتزَعها[8] مِن نوَّابِ ابنِ الزبيرِ ، ثم جهَّز السَّرايا إلى العراقِ ، ومات

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م . والرجز لطرفه بن العبد ، وتقدم فى ١١/٤٩٦.

(٢) فى ٣١، ٢١: « البر » .

(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م .

(٤) انظر المستدرك ٣/٥٥٠، حلية الأولياء ١/٣٣١، وتاريخ دمشق ٢٨/٢٠٩.

(٥) فى ٣١ : « حين » . والبيت للفرزدق فى ديوانه ص ٢٤٥.

(٦ - ٦) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م : « بالخلافة فى جميع البلاد الإسلامية » .

(٨ - ٨) فى ٣١ ، ٢١، م : « وأخذ الشام ومصر » .

(٩) تقدم فى ١/٦٧٥ .

واستخلَف بعدَه ابنَه عبدَ الملكِ بنَ مرْوانَ ، فما زال حتى قتَل مُصعبَ بنَ الزبيرِ وأخَذ العراقَ منه ، ثم بعَث الحجّاجَ بنَ يوسفَ ، فحاصَر ابنَ الزبيرِ بمكةَ قريبًا مِن سبعةِ أشهرٍ ، حتى ظفِر به فى يومِ الثلاثاءِ سابعَ عشرَ مِن جُمادَى الأُولى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ .

وكانت وِلايةُ ابنِ الزبيرِ فى سنةِ أربعٍ وستِّين ، وحجَّ بالناسِ فيها كلِّها ، وبنَى الكعبةَ فى (١أيامِه ، كما أشار إليه الرسولُ ﷺ١) (٢) . ورَدَّ بناءَها كما كانت عليه ، كما أخبرَتْه بذلك عائشةُ أُمُّ المؤمنين١) ، وكسَا الكعبةَ الحريرَ ، وكانت كُسوتُها قبلَ ذلك الأنطاعَ والمُسُوحَ (٣) .

وكان ابنُ الزبيرِ عالمًا عابدًا مهيبًا وقورًا ، كثيرَ الصيامِ والصّلاةِ ، شديدَ الخُشُوعِ قوِىَّ السياسةِ . قال أبو نُعيمٍ الأصبهانىُّ (٤) : حدَّثنا أبو حامدِ بنُ جَبَلةَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ الثقفىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدَّارِمىُّ ، ثنا أبو عاصمٍ ، عن عمرَ بنِ قَيْسٍ . قال : كان لابنِ الزبيرِ مائةُ غلامٍ يتكلَّمُ كلُّ غلامٍ منهم بلغةٍ غيرِ لغةِ الآخَرِ ، وكان ابنُ الزبيرِ يُكلِّمُ كلَّ واحدٍ منهم بلغتِه ، وكنتَ إذا نظَرتَ إليه فى أمرِ دُنياه قلتَ : هذا رجُلٌ لم يُردِ اللَّهَ (٥) طَرْفةَ عينٍ ، (٦وإذا نظَرتَ إليه فى أَمرِ آخرتِه قلتَ : هذا رجلٌ لم يُردِ الدنيا طرفةَ عينٍ٦) .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « أيام ولايته كما تقدم » .

(٢) البخارى (١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦)، مسلم (١٣٣٣/٣٩٨) .

(٣) بعده فى الأصل : « وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من ظاهر الحرم ، وكان مكتوب على كسوته عبد اللَّه بن أبى بكر أمير المؤمنين » .

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٣٤، ومن طريق أبى نعيم أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٥/٢٨.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « والدار الآخرة » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

وقال الثوريُّ[1] ، عن الأعمشِ ، عن أبى الضُّحَى قال : رأيتُ على رأسِ ابنِ الزبيرِ مِن المِسكِ ما لو [2]كان لى[2] كان رأسَ مالٍ . وكان يُطيِّبُ الكعبةَ حتى كان يُوجَدُ رِيحُها مِن مسافةٍ بعيدةٍ .

وقال ابنُ المُبَارِكِ[3] ، عن مَعمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه قال : دخَل ابنُ الزبيرِ [٧/٧٦ظ] على امرأتِه بنتِ الحسنِ[4] ، فرأى ثلاثةَ مُثُلٍ - يعنى أفرِشة - فقال : هذا لى ، وهذا لابنةِ الحسنِ[5] ، وهذا للشيطانِ . فأخرَجوه .

وقال الثّوريُّ[6] ، عن [7]عبدِ الملكِ[7] بنِ أبى بشيرٍ[8] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُساورٍ ، قال : سمِعتُ ابنَ عباسٍ يُعاتِبُ ابنَ الزبيرِ على البُخلِ ، ويقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس بالمؤمنِ مَن يَبِيتُ شبعانَ ، وجارُه إلى جنبِه جائعٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ الورّاقُ ، ثنا يعقوبُ ، عن جعفرِ بنِ أبى المُغِيرةِ ، عن ابنِ أبزَى ، عن عثمانَ بنِ عفانَ قال : قال له عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ حينَ[10] حصِر : إنَّ عندِى نجائبَ قد أعددتُها لك ، فهل لك أن تَحَوَّلَ إلى

---

(١) تاريخ دمشق ٢١٥/٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) ص ٤٤٤.
(٢ - ٢) سقط من : ٣١ .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١٥/٢٨ .
(٤) فى ٣١، ٢١ : « الحسين » .
(٥) فى ٣١: « الحسين » .
(٦) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢) ، والحاكم فى المستدرك ١٦٧/٤ ، كلاهما بنحوه . وصححه الحاكم وأقره الذهبى . وصححه الألبانى (صحيح الأدب المفرد ٨٢) .
(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م : « عبد الله » . وانظر مصدر التخريج .
(٨) فى ص : « بشر » .
(٩) المسند ٦٤/١ . إسناده ضعيف .
(١٠) فى الأصل : « حيث » .

مكةَ فيأتِيَك مَن أراد أن يأتيَك ؟ قال : لا ، إنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُلحِدُ بمكةَ[1] كَبشٌ مِن قريشٍ اسمُه عبدُ اللَّهِ ، عليه مِثلُ أوزارِ النّاسِ » . وهذا الحديثُ مُنكَرٌ جدًّا ، وفى إسنادِه ضعفٌ ، ويعقوبُ هذا هو القُمِّىُّ ، وفيه تَشيُّعٌ [2]وضعفٌ[2] . ومثلُ هذا لا يُقبلُ تفرُّدُه به ، وبتقديرِ صِحَّتِه فليس هو بعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فإنَّه كان على صفاتٍ حميدةٍ ، وقيامُه فى الإمارةِ إنَّما كان للَّهِ عزَّ وجلَّ ، ثم هو كان [3]له الأمرُ[3] بعدَ موتِ معاويةَ بنِ يزيدَ لا محالةَ ، وهو أَرشَدُ مِن مروانَ ابنِ الحكمِ ، حيثُ نازَعه [4]بعدَ أنِ اجتمعتِ الكلمةُ عليه ، وقامتِ البيعةُ له فى الآفاقِ وانتظَم له الأمرُ[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو النَّضرِ هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ ، ثنا سعيدُ بنُ عمرٍو قال : أتَى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو[6] عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ ، وهو جالسٌ فى الحِجْرِ ، فقال : يا ابنَ الزبيرِ ، إيّاك والإلحادَ فى حَرمِ اللَّهِ ، فإنِّى أَشهدُ لَسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « [7]يُحِلُّها ويَحُلُّ به[7][8] رجلٌ مِن قُريشٍ ، لو وُزِنَتْ ذُنوبُه بذُنوبِ[9] الثَّقلَيْنِ لوزنَتْها » . قال[10] : فانظُرْ أن[11] لا

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من ٣١، ٢١، م ، ويعقوب هو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن الأشعرى ، أبو الحسن القمى ، قال الحافظ فى التقريب ٢/ ٣٧٦: صدوق يهم .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م ، ص « الإمام » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « فإن البيعة كانت قد انتظمت له » .

(٥) المسند ٢/١٩٦ ، ٢/٢١٩ . وهو فى الموضع الأول دون القصة . إسناده صحيح .

(٦) فى الأصل ، ٣١، م ، ص : « عمر » . وانظر مصدر التخريج ، وأطراف المسند ٤/٢٢، ٢٣.

(٧ - ٧) فى ٣١: « تحلها وتحل بها » .

(٨) فى ٢١: « بها » .

(٩) فى ص : « مثل » .

(١٠) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(١١) سقط من: الأصل .

تكونَه[1] . [2]يا ابنَ[2] عمرٍو[3] ، فإنَّك قد قرأتَ الكتبَ وصحِبتَ النبيَّ ﷺ . قال : فإنِّى أشهِدُك[4] أنَّ هذا وَجْهى إلى الشامِ مُجاهِدًا .

وهذا[5] قد يكونُ رَفْعُه غلطًا ، وإنَّما هو مِن كلامِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[6] ، ممّا[7] أصابه مِن الزّامِلتَيْن مِن علومِ[8] أهلِ الكتابِ يومَ اليرموكِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال وكيعٌ[9] ، عن الثَّوْرِىِّ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهيلٍ ، عن أبى صادقٍ ، عن حنشٍ[10] الكِنانىِّ ، [11]عن عُلَيْمٍ[12] الكِندىِّ[11] ، عن سلمانَ الفارسىِّ ، قال : ليُحرَقَنَّ [13]هذا البيتُ[13] على يَدَى[14] رجلٍ مِن آلِ الزُّبيرِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[15] ، عن يحيى بنِ [٧/٧٧و] مَعينٍ ، عن ابنِ[16] فُضَيْلٍ ، ثنا سالمُ بنُ أبى حَفْصَةَ ، عن مُنذرٍ الثَّورِىِّ قال : قال ابنُ الحنفيَّةِ :

---

(١) فى المسند : « تكون هو » .
(٢ - ٢) فى ٣١، م : « فقال له : يا ابن عمر » .
(٣) فى ٢١، م : « عمر » .
(٤) فى م : « أشهد » .
(٥) فى الأصل : « هكذا » .
(٦) فى م : « عمر » .
(٧) فى م : « وما » .
(٨) فى ٣١، ٢١، م : « كلام » .
(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٢٨، وهو فى المختصر ١٩٦/١٢.
(١٠) فى الأصل : « حسين » ، وفى ٢١: « حنيش » ، وفى م : « حبيش » ، وفى ص : « حبس » . وانظر تهذيب الكمال ٤٣٢/٧.
(١١ - ١١) سقط من : ٢١.
(١٢) فى ص : « عكيم » . وعليم - بالتصغير - هو عليم الكندى الكوفى . تعجيل المنفعة ٢٩٣.
(١٣ - ١٣) سقط من : ٣١.
(١٤) سقط من : ٣١.
(١٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٢٨، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٩٦/١٢.
(١٦) فى م : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩٣/٢٦.

اللهمَّ[1] إنَّك تعلمُ أنِّى كنتُ أعلمُ مما علَّمتَنى أنَّ ابنَ الزُّبيرِ لا يخرُجُ منها إلّا قتيلًا يُطافُ برأسِه فى الأسواقِ .

وقد روَى الزبيرُ بنُ بكّارٍ[2] ، عن هشامِ بنِ عُروةَ قال : إنَّ أوَّلَ ما أفصَح به عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وهو صغيرٌ السيفُ[3] ، فكان لا يضعُه مِن فيه . وكان الزبيرُ إذا سمِع ذلك منه يقولُ له : أمَا واللَّهِ ليَكونَنَّ لك منه يومٌ ويومٌ وأيامٌ . وقد تقدَّم[4] كيفيةُ مقتَلِه ، وأنَّ الحجاجَ صلَبه على جِذْعٍ فوقَ الثَّنيَّةِ ، [5]وأنَّه ربَط إلى جانبِه هِرَّةً ميِّتةً ، فكان ريحُ المسكِ يغلُبُ على ريحِها ، وأنَّ أمَّه أرسلَت إلى الحجاجِ تقولُ له[6] : قاتلَك اللَّهُ ، علامَ تصلُبُ ولدِى ؟ فقال : إنِّى استبقتُ أنا وإيّاه إلى هذه الخشبةِ فسبقَنى إليها[5] . وأنَّ أمَّه جاءت حتى وقَفتْ عليه فدَعَتْ له طويلًا ولا يقطُرُ مِن عينِها دمعةٌ ، ثم انصرَفتْ . وكذلك وقَف عليه ابنُ عمرَ فدعا له ، وأثْنَى عليه ثناءً كثيرًا جدًّا .

وقال الواقدىُّ[7] : حدَّثنى نافعُ بنُ ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ مولَى أسماءَ قال : لمّا قتِل عبدُ اللَّهِ خرجَتْ إليه أمُّه حتى وقفَتْ عليه ، وهى على دابَّةٍ ، فأقبَل الحجاجُ فى أصحابِه فسأل عنها فأُخبِر بها ، فأقبَل حتى وقَف عليها فقال : كيف رأيتِ

---

(١) بعده فى ص : « إنى أعلم » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢٢/٢٨، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٩٦/١٢.

(٣) بعده فى ٢١، م : « السيف » . ومكانه فى ٣١: « السيف الشريف » .

(٤) تقدم فى صفحة ١٧٧ وما بعدها .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل . والخبر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٠.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٧ /٤٢٠ بلفظه ، وتاريخ دمشق ٢٨ /٢٢٨ - ٢٢٩، ومختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٠، كلاهما بنحوه .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٧. وانظر مختصر ابن منظور ١٢ /١٩٩ - ٢٠٠.

نصَر اللَّهُ الحقَّ وأظهَره؟ قالت: ربَّما أُديلَ الباطلُ على الحقِّ[1]، وإنَّك بينَ فرثِها والجيَّةِ[2]. فقال إنَّ ابنَك ألْحَد فى هذا البيتِ، وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. وقد أذاقَهُ اللَّهُ ذلك العذابَ الأليمَ؛ [3]قَطْعَ السُّبُلِ[3]. قالت: كذَبْتَ، كان أوَّلَ مولودٍ ولِد فى الإسلامِ بالمدينةِ، وسُرَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ، وحنَّكه بيدِه وكبَّر المسلمون يومَئذٍ حتى ارتَجَّتِ المدينةُ فرَحًا به، وقد فرِحْتَ أنتَ وأصحابُك بمقتلِه، فمَن كان فرِح يومئذٍ خيرٌ منك ومِن أصحابِك، وكان مع ذلك بَرًّا بالوالدينِ صوَّامًا، قوّامًا بكتابِ اللَّهِ، معظِّمًا لحُرُمِ اللَّهِ، يُبغِضُ أن[4] يُعصَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ، أشهَدُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ لَسمِعتُه يقولُ[5]: «سيخرُجُ مِن ثَقيفٍ كذابانِ؛ الآخِرُ منهما شَرٌّ مِن الأوّلِ وهو مُبيرٌ». فانكسَر الحجاجُ وانصَرَف، فبلَغ ذلك عبدَ الملكِ فكتَب إليه يلُومُه فى مخاطبتِه أسماءَ، وقال: ما لَكَ ولابنةِ الرجلِ الصالحِ؟

وقال مسلمُ بنُ الحجاجِ فى «صحيحِه»[6]: ثنا عُقبةُ بنُ مُكْرَمٍ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ [٧/٧٧ظ] الحضرميُّ، أنا الأسودُ بنُ[7] شيبانَ[8]، عن أبى

---

(١) بعده فى ٣١، م: «وأهله».

(٢) فى الأصل: «الجنه». وفى ٣١، ص: «الجيفة». وفى ٢١: «الحية». وفى م: «الجنة». والمثبت من مصدرى التخريج. والجية بوزن النِّية، وبوزن المرَّة: مستنقع الماء. اللسان (ج ى ا).

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) فى م: «من».

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير وفى رواية».

(٦) تقدم تخريجه فى ٩ / ٢٥٢.

(٧) فى ص: «عن».

(٨) سقط من: ص. وفى الأصل: «سليمان».

نوفلٍ ، قال : رأيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ على عَقَبةِ[1] المدينةِ[2] ، قال[3] فجعَلتْ قريشٌ تمُرُّ عليه والناسُ ، حتى مرَّ عليه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ فوقَف عليه فقال : السلامُ عليك أبا خُبَيبٍ ، السلامُ عليك أبا خُبَيبٍ ، السّلامُ عليك أبا خُبَيبٍ ، أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أمَا واللَّهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا ، أمَا واللَّهِ إن كنتَ ما علمتُ صوّامًا قوّامًا وَصولًا للرّحمِ ، أمَا واللَّهِ لأُمَّةٌ أنت شرُّها لأُمَّةٌ خيرٍ . ثم نفَذ[4] عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، فبلَغ الحجاجَ وُقوفُ ابنِ عمرَ عليه وقولُه ، فأرسَل إليه فأُنزِل[5] عن جِذْعِه وأُلقِى فى قبورِ اليهودِ ، ثم أرسَل إلى أمِّه أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ فأبَت أن تأتِيَه فأعاد عليها الرسولَ : لَتأتِيَنِّى أو لأبعَثَنَّ إليك مَن يسحَبُكِ بقُرونِك . فأبَتْ وقالت : واللَّهِ لا آتِيه حتى يبعَثَ إلىَّ مَن يَسحبُنى بقرونى . قال[6] : فقال[7] : أَرُونِى سِبْتَىَّ[8] . فأخَذ نَعْلَيه ثم انطلَق يَتوذَّفُ[9] حتى دخَل عليها فقال : كيف رأيتِينى صنعتُ بعدُوِّ اللَّهِ ؟ قالتْ : رأيتُكَ أفسدتَ عليه دُنياه ، وأفسَد[10] عليكَ آخِرتَك ، بلغَنى أنَّك تقولُ : يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَينِ ، أنا واللَّهِ

---

(١) فى م : « ثنية » .

(٢) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م . « الحجون » .

(٣) فى الأصل : « مصلوبا قال » . وفى ٣١ ، ٢١ ، م : « مصلوبا » .

(٤) فى ٢١ : « ففر » . وفى م : « بعد » .

(٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « فأنزله » .

(٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « سبيتيتى » ، والمثبت من صحيح مسلم . والسبت النعل لا شعر عليها .

(٩) فى الأصل : ٣١ ، ٢١ ، ص : « يتودف » . والتوذف مقاربة الخطو والتبختر فى المشى ، وقيل : الإسراع فيه . اللسان (و ذ ف) .

(١٠) فى م : « أفسدت » .

ذاتُ النطاقَين ؛ أمّا أحدُهما فكنتُ أرفَعُ به طعامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وطعامَ أبى بكرٍ[1] ، وأمَّا الآخَرُ فنطاقُ المرأةِ الذى[2] لا تَسْتغنى عنه ، أَمَا إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حدَّثنا أنَّ فى ثقيفٍ كذّابًا ومُبيرًا ، فأمَّا الكذّابُ فرَأيناه ، وأمّا المُبيرُ فلا إخالُكَ إلّا إياه . قال : فقام عنها ولم يُراجِعْها . انفرَد به مسلمٌ .

وروَى الواقدىُّ[3] أنَّ الحجاجَ لما صلَب ابنَ الزبيرِ على ثَنيَّةِ الحَجُونِ بعثَتْ إليه أسماءُ تدعو عليه ، وطلَبتْ منه أن يُدفَنَ ، فأَبَى عليها ، حتى كتَب إلى عبدِ الملكِ فى ذلك ، فكتَب إليه أن يُدفَنَ ، فدُفِن بالحَجُونِ ، وذكَروا أنَّه كان يُشتَمُّ مِن عندِ قبرِه رِيحُ المسكِ .

وكان الحجاجُ قد قدِم مِن الشّامِ فى أَلفىْ فارسٍ وانْضافَ إليه طارقُ بنُ عمرٍو فى خمسةِ آلافٍ . وروَى محمدُ بنُ سعدٍ[4] ، وغيرُه ، بسندِه أنَّ الحجاجَ حاصَر ابنَ الزبيرِ ، وأنَّه اجتمَع معه أربعونَ ألفًا ، وأنَّه نصَب المَنجَنِيقَ على أبى قُبَيسٍ لِيرمِيَ به المسجدَ الحرامَ ، [5]الذى فيه عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، وأنَّه جعَل يؤمِّنُ[5] ، وأنه أمَّنَ مَن خرَج إليه مِن أهلِ مكةَ ، ونادَى فيهم بذلك ، وقال : [٧/٧٨و] إنّا لم نأتِ لقتالِ أحدٍ سوَى ابنِ الزبيرِ ، وأنَّه خيَّر ابنَ الزبيرِ بينَ ثلاثٍ ؛ إمّا أن يذهبَ فى الأرضِ حيثُ شاء ، أو يبعثَه إلى الشامِ مقيَّدًا بالحديدِ ، أو يُقاتِلَ حتى يُقتلَ . فشاوَر أمَّه فى ذلك فأشارتْ عليه بالثالثِ فقط . ويروَى[6] أنَّها استدْعَتْ بكَفنٍ له

---

(١) بعده فى الأصل ، ص : « من الدواب » .

(٢) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، م : « التى » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ /٢٢٨ - ٢٢٩. وتقدم بعض لفظه فى ص ٢٠٨.

(٤) تاريخ دمشق ٢٨ /٢٣٥ - ٢٣٦، بنحوه .

(٥ - ٥) فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وأنه أمن » .

(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٧.

وبخَّرتْه وشجَّعَتْه على القتلِ ، فخرَج بهذه النيةِ فقاتَل يومَ الثلاثاءِ السابعَ عشرَ مِن جُمادَى الأُولى سنةَ ثلاثٍ وسبعين قِتالًا شديدًا ، فجاءتْه آجُرَّةٌ ففلَقتْ رأسَه فسقَط على وجهِه إلى الأرضِ ، ثم أراد أن ينهَضَ فلم يَقدِرْ ، فاتَّكأ على مَرفِقِه الأيسرِ وجعَل يَحذِمُ[1] بالسيفِ مَن جاءه ، فأقبَل إليه رجلٌ مِن أهلِ الشامِ فضرَبه فقطَع رجلَيْه[2] ، ثم تكاثَروا عليه حتى قتلُوه واحتَزُّوا رأسَه ، وكان مَقتَلُه قريبًا مِن الحَجُونِ ، ويُقالُ[3] : بل قُتِل وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ . فاللَّهُ أعلمُ . ثم صَلَبه الحجاجُ مُنكَّسًا على ثَنيةِ كَداءَ عندَ الحَجونِ ، ثم لمّا أنزَله دفَنَه فى مقابرِ اليهودِ كما رواه مسلمٌ[4] ، وقِيل : دُفِن بالحَجُونِ [5]بالمكانِ الذى صُلِب فيه[5] . فاللَّهُ أعلمُ . وقيل[6] : إنَّ والدتَه أسماءَ غسَّلَتْه بعدَما تَقطَّعَت أوصالُه ، وخيَّطتْه وكفَّنَتْه ، وصَلَّتْ عليه ، وحمَلَتْه إلى المدينةِ فدفنَتْه فى دارِ صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ ، وأنَّ هذه الدارَ زِيدَتْ فى المسجدِ ، فهو مدفونٌ فى المسجدِ مع أبى بكرٍ وعمرَ .

وقال عبدُ الرزاقِ[7] ، عن مَعمرٍ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ سيرينَ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ لمّا جِيء برأسِ المختارِ : ما كان يُحدِّثُنا كعبُ الأحبارِ شيئًا إلّا وجَدْناه [8]كما قال[8] ، إلّا قولَه : إنَّ فتى ثَقيفٍ يَقتُلُنى ، وهذا رأسُه بينَ يَدَىَّ . قال ابنُ سيرينَ : ولم يَشعُرْ أنَّه قد خُبِّئَ[9] له الحجاجُ . ورُوِى هذا مِن وجهٍ آخرَ .

---

(١) فى الأصل : ٢١، م : « يحدم » . وفى ٣١: « يحدف » .
(٢) فى م : « رجله » .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٠٧.
(٤) فى ص : « مسلمة » ، وانظر ما تقدم فى ص ٢٠٩.
(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « تحت المكان الذى كان مصلوبا فيه » . وانظر تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٢٩.
(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٥٤، تاريخ دمشق - تراجم النساء ص ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٢٩٥.
(٧) المصنف (٢٠٧٥٥) .
(٨ - ٨) زيادة من : الأصل ، ص .
(٩) فى الأصل : « عنى » . وفى ص : « حني » .

قلتُ : والمشهورُ أنَّ مقتَلَ ابنِ الزبيرِ كان فى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ فى يومِ الثلاثاءِ السابعَ عشرَ مِن جُمادَى الأُولى ، وقِيل[1] : الآخرةِ منها . وعن مالكٍ وغيرِه[2] أنَّ مقتَلَه كان على رأسِ اثنتين وسبعينَ . والصّحيحُ المشهورُ هو الأوّلُ ، وكانت بيعتُه فى سابعِ رجبٍ سنةَ أربعٍ وستِّين ، وكان مولدُه فى أوَّلِ سنةِ إحدى مِن الهجرةِ ، وقِيل : فى شوّالٍ مِن سنةِ ثنتينِ مِن الهجرةِ . فجاوَز السبعين قطعًا ، واللَّهُ أعلمُ .

وأمّا أُمُّه فإنَّها لم تَعِشْ بعدَه إلّا مائةَ يومٍ ، وقِيل : إنَّما عاشت بعدَه عشرةَ أيامٍ . وقيل : خمسةً . والأوَّلُ هو المشهورُ . وستأتى ترجمتُها قريبًا ، رضِى اللَّهُ عنها .

[3]وكان له مِن الولدِ خُبَيْبٌ وحمزةُ وعبّادٌ وثابتٌ ، [٧٨/٧ظ] وأُمُّهم تُماضِرُ بنتُ منظورٍ الفَزارىِّ ، وهاشمٌ وقيسٌ وعروةُ - قتِل مع أبيه - والزبيرُ ، وأُمُّهم أُمُّ هاشمٍ بنتُ حلّةَ بنِ منظورٍ ، وعامرٌ وموسَى وأُمُّ حكيمٍ وفاطمةُ وفاختةُ ، وأُمُّهم جثيمةُ بنتُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وبكرٌ ورقيَّةُ ، وأُمُّهم عائشةُ بنتُ عثمانَ بنِ عفانَ ، وعبدُ اللَّهِ ومصعبٌ مِن أمِّ ولدٍ .

وقد أسنَد ثلاثةً وثلاثين حديثًا[3] .

وقد رثى ابنُ الزبيرِ وأخوه مصعبٌ بمراثٍ كثيرةٍ حسنةٍ بليغةٍ ، رحِمهما اللَّهُ ؛ مِن ذلك قولُ [4]عمرِو بنِ مَعمرٍ[4] الذُّهْلىِّ يرثيهما بأبياتٍ[5] :

لعمرُكَ ما أبقيتُ فى الناسِ حاجةً ... ولا كنتُ مَلبوسَ الهُدَى مُتذَبذِبا

---

(١) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٤٦، ٢٤٧.
(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .
(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « معمر بن معمر » . والمثبت من تاريخ دمشق الموضع الآتى .
(٥) زيادة من : ٣١، ٢١، م . والأبيات فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٥٦.

غداةَ دعانى مُصعبٌ فأجبتُه ... وقلتُ له أهلًا وسهلًا ومرحبا
أبوكَ حوارِىُّ الرسولِ وسيفُه ... فأنتَ بحمدِ اللَّهِ مِن خيرِنا أبا
وذاكَ أخوكَ المهتدَى بضيائِه ... بمكَّةَ يَدعونا دعاءً مثوِّبا[1]
ولم أَكُ ذا وَجْهينِ وجهٍ لمصعبٍ ... مريضٍ ووجهٍ لابنِ مروانَ إذْ صَبا
وكنتُ امرأً ناصَحْتُه غيرَ مُؤْثرٍ ... عليه ابنَ مَرْوانَ ولا مُتقرِّبا
إليه بما تُقذَى به عينُ مصعبٍ ... ولكنَّنى ناصَحْتُ[2] فى اللَّهِ مُصعبا
إلى أَن رمَتْهُ الحادثاتُ بسهمِها ... فللهِ[3] سهمًا ما أسدَّ وأصوبا
فإن يَكُ هذا الدَّهرُ أَوْدَى[4] بمصعبٍ ... وأصبحَ عبدُ اللَّهِ شِلوًا[5] مُلَحَّبا[6]
فكُلُّ امرئٍ حاسٍ مِن الموتِ جُرْعةً ... وإن حادَ عنها جُهدَه وتَهَيَّبا

وقد[7] روَى الطَّبرانىُّ[8]، عن عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ أنَّ أباه حدَّثه أنَّ النبىَّ ﷺ أعطاه دمَ مَحاجِمِه يُهَرِيقُه فحساه، فلمَّا رجَع إلى النبىِّ ﷺ، قال: «ما صنَعتَ يا عبدَ اللَّهِ بالدَّمِ؟» قلتُ: جعَلتُه فى مكانٍ ظنَنْتُ أنه خافٍ على الناسِ. قال: «فلعَلّك شرِبْتَه». قلتُ: نعم. قال: «ومَن أَمَرك أن تشرَبَ الدَّمَ؟ ويلٌ لك مِن الناسِ، وويلٌ للناسِ منك».

---

(١) فى ٢١: «متوبا».
(٢) فى ص: «ناصحته».
(٣) فى م: «فياللَّه».
(٤) فى ٣١، ٢١، م: «أردى».
(٥) الشلو: أعضاء الإنسان بعد التفرق والبلى.
(٦) فى ٣١: «ملجبا». والملحَّب: الشىء الذى فيه أثر الضرب والقطع.
(٧) من هنا حتى قوله «وممن قتل مع ابن الزبير ...» فى صفحة ٢٢٠، زيادة من ٣١، م.
(٨) تقدم تخريجة فى ص ١٨٨.

ودخَل سلمانُ الفارسىُّ مرَّةً على النبىِّ ﷺ ، فإذا عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ قائمٌ فى الدِّهليزِ ومعه طَسْتٌ يشرَبُ منه ، فدخَل سلمانُ ودخَل عبدُ اللَّهِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال له : « فرَغتَ ؟ » . قال : نعم . قال سلمانُ : وما ذاك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أعطَيتُه غُسَالةَ محاجِمى يُهَرِيقُ ما فيها » . قال سلمانُ : شرِبها والذى بعَثك بالحقِّ . قال : « شرِبتَه ؟ » . قال : نعم . قال : « لِمَ ؟ » . قال : أحبَبتُ أن يكونَ دَمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى جَوْفى . فقال بيدِه على رأسِ ابنِ الزبيرِ ، وقال : « وَيلٌ لك مِن الناسِ ، وَوَيلٌ للناسِ منك ، لا تَمَسُّك النارُ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ »[1] .

ولمَّا بعَث يزيدُ بنُ معاويةَ إلى ابنِ الزبيرِ ذلك القيدَ مِن ذهبٍ ، وسلسلةً مِن فِضَّةٍ ، وجامعةً مِن فضَّةٍ ، وأقسَم لَتَأْتِيَنِّى فيها ، فقالوا له : بِرَّ قسَمَ أميرِ المؤمنين . فقال[2] :

ولا أَلِينُ لغيرِ الحقِّ أسألُه ... حتى يَلينَ لضِرْسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال : واللَّهِ لَضَربةٌ بسيفٍ فى عزٍّ أحبُّ إلىَّ مِن ضربةٍ بسَوطٍ فى ذُلٍّ . ثم دعا إلى نفسِه ، وأظهَر الخلافَ ليزيدَ بنِ معاويةَ .

وروَى الطبرانىُّ[3] أنَّ ابنَ الزبيرِ دخَل على أمِّه ، فقال : إنَّ فى الموتِ لراحةً . وكانت أُمُّه قد أتَتْ عليها مائةُ سنةٍ لم يسقُطْ لها سِنٌّ ، ولم يفسُدْ لها بصرٌ ، فقالت له : ما أُحِبُّ أن أموتَ حتى آتِىَ على أحدِ طرفَيكَ ؛ إمَّا أن تملِكَ فتقَرَّ عينى ، وإمَّا أن تُقتَلَ فأحتَسِبَك . ثم خرَج عنها ، وهو يقولُ :

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ١٨٩.

(٢) تقدم فى ص ٢٠٣.

(٣) المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) صفحة ٩٤ (٢٣٠).

ولستُ بمُبْتَاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ[1] مِن خَشْيةِ الموتِ سُلَّما

ثم أقبَل على آلِ الزبيرِ يعِظُهم، ويقولُ: لِيُكِنَّ أحدُكم سيفَه [2]كما يُكِنُّ وجهَه[2]، فيدفَعَ عن نفسِه بيدِه كأنَّه امرأةٌ، واللَّهِ ما لَقِيتُ[3] زَحْفًا قطُّ إلا فى الرَّعيلِ الأولِ، وما أَلِمْتُ جُرْحًا إلا أَلَمَ الدَّواءِ. ثم حمَل عليهم ومعه سَيْفان[4]، فأوَّلُ مَن لقِيه الأسودُ، فضرَبه بسيفِه حتى أطَنَّ رِجلَه[5]، فقال له الأسودُ: أَخٌ يا ابنَ الزانيةِ. فقال له ابنُ الزبيرِ: اخسَأْ يا ابنَ حامٍ، أسماءُ زانيةٌ؟! ثم أخرَجهم مِن المسجدِ، وكان على ظهرِ المسجدِ جماعةٌ مِن أعوانِه يَرمُون أعداءَه بالآجُرِّ، فأصابَتْه آجُرَّةٌ مِن أعوانِه مِن غيرِ قَصْدٍ فى مَفْرِقِ رأسِه ففلَقتْ رأسَه، فوقَف قائمًا، وهو يقولُ[6]:

لو كان قِرْنى واحدًا كَفَيتُه

ويقولُ[7]:

ولَسْنا على الأعقابِ تدْمَى كلومُنا ولكنْ على أقدامِنا تقْطُرُ[8] الدِّما[9]

ثم وقَع فأكَبَّ عليه مَوليان له، وهما يقولان:

---

(١) فى م: «بمريق».

(٢ - ٢) فى ا٣١: «كماء وجهه» وفى م: «كما وجهه». وانظر المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩٢، ٩٣ (٢٣٠)، والحلية ١ / ٣٣١، ٣٣٢.

(٣) فى م: «بقين».

(٤) فى م: «سفيان». وانظر الطبرانى الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩٥.

(٥) يعنى جعلها تطن من صوت القطع، وأصله من الطنين وهو صوت الشىء الصلب. النهاية ٣/ ١٤٠.

(٦) جزء من الحديث الطويل المتقدم قبل قليل عند الطبرانى وأبى نعيم، وتقدم الرجز فى ص ١٨٢.

(٧) تقدم فى ص ١٨٣.

(٨) فى ا٣، م: «يقطر». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٩) فى م: «الدم».

ثم أرسَلوا إليه فحزُّوا رأسَه .

وروَى الطبرانىُّ[1] أيضًا ، عن إسحاقَ بنِ أبى إسحاقَ قال : أنا حاضرٌ مَقتلَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ فى المسجدِ الحرامِ ؛ يومَ قُتِل جعَلتِ الجيوشُ تدخُلُ مِن أبوابِ المسجدِ ، وكلَّما دخَل قومٌ مِن بابٍ ، حمَل عليهم حتى يُخرِجَهم ، فبينَما هو على تلك الحالِ إذ جاءت شُرفةٌ مِن شُرُفاتِ المسجدِ ، فوقَعتْ على رأسِه فصرَعتْه ، وهو يتمَثَّلُ بهذه الأبياتِ :

أسماءُ يا[2] أسماءُ لا تَبْكِينى ... لم يبْقَ إلّا حَسَبى ودِينى

وصارمٌ لانَتْ بهِ يَمينى

وقد روِى[3] أنَّ أمَّه قالت للحجاجِ : أمَا آنَ لهذا الرّاكبِ أنْ يَنْزِلَ ؟ فقال الحجاجُ : ابنُكِ المنافقُ ؟ فقالت : واللَّهِ ما كان منافِقًا ، إن كان لَصوَّامًا قوّامًا وَصولًا للرّحمِ . فقال : انْصَرِفى يا عجوزُ ، فإنَّك قد خَرِفْتِ . فقالت : واللَّهِ ما خَرِفْتُ منذُ سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَخرُجُ مِن ثقيفٍ كذّابٌ ومُبيرٌ »[4] . فأمَّا الكذّابُ فقد رأيناه ، وأمّا المبيرُ فأنتَ .

وقال مجاهدٌ[5] : كنتُ مع ابنِ عمرَ فمرَّ علَى ابنِ الزبيرِ فوقَف فترَحَّم عليه

---

(١) المعجم الكبير (قطعة من الجزء ١٣) ص ٩١ - ٩٢ (٢٢٨).

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٤.

(٤) تقدم هذا اللفظ فى ٩ / ٢٥١.

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٣٩، كلاهما بنحوه مطولًا .

(١ وأثْنَى عليه ١) ، ثم التفتَ إلىَّ وقال : أخبرَنى أبو بكرٍ الصديقُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن يَعمَلْ سُوءًا يُجْزَ به » .

وروَى سفيانُ(٢) ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن ابنِ(٣) أبى مُليكةَ قال : ذكَرتُ ابنَ الزبيرِ عندَ ابنِ عباسٍ ، فقال : كان عفيفًا فى الإسلامِ ، قارِئًا للقرآنِ ، صوَّامًا قوَّامًا ، أبوه الزبيرُ ، وأُمُّه أسماءُ ، وجَدُّه أبو بكرٍ ، وعمَّتُه خديجةُ ، وجَدَّتُه صفيةُ ، وخالتُه عائشةُ ، واللَّهِ لأُحاسِبَنَّ له بنفسِى محاسبةً لم أحاسِبْها لأبى بكرٍ ولا لعمرَ .

وقال الطبرانىُّ(٤) : حدَّثنا زكريا السَّاجِىُّ(٥) ، ثنا حَوْثَرةُ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو أسامةَ ، ثنا سعيدُ بنُ المَرْزُبانِ أبو سعيدٍ العَبْسىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الثَّقَفِىُّ ، قال : شهِدتُ خُطبةَ ابنِ الزبيرِ بالمَوْسمِ ، خرَج علينا قبلَ التروِيةِ بيومٍ وهو مُحْرِمٌ ، فلَبَّى بأحسنِ تلبيةٍ سمِعْتُها قَطُّ ، ثم حمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ، فإنَّكم جِئتُمْ مِن آفاقٍ شَتَّى وُفُودًا إلى اللَّهِ عزّ وجلّ ، فحَقٌّ على اللَّهِ أن يُكرِمَ وَفْدَه ، فمَن كان منكم يَطلُبُ ما عندَ اللَّهِ فإنَّ طالبَ ما عندَ اللَّهِ لا يَخيبُ ، فصَدِّقوا قولكم بفعلٍ ، فإنَّ مِلاكَ القولِ الفعلُ ، والنيةَ النيةَ ، والقلوبَ القلوبَ ، اللَّهَ اللَّهَ فى أيامِكم هذه ؛ فإنَّها أيامٌ تُغفَرُ فيها الذُّنوبُ ، جِئتُم مِن آفاقٍ شَتَّى فى غيرِ تجارةٍ ولا طلبِ مالٍ ولا دُنيا تَرجونها هـٰهنا . ثم لَبَّى ولَبَّى النّاسُ ، فما رأيتُ باكيًا أكثرَ مِن يومِئذٍ .

(١ - ١) زيادة من : ٣١.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ /٣٣٤ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ /١٦٦.

(٣) سقط من : م . وانظر مصدرى التخريج .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ /٣٣٥ - ٣٣٦.

(٥) فى م : « الناجى » . وانظر التقريب ١ /٢٦٢، والأنساب ٣ /١٩٦.

وروَى الحسنُ بنُ سفيانَ[1] قال : ثنا حِبَّانُ[2] بنُ موسى ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارِكِ ، ثنا مالكُ بنُ أنسٍ ، عن وهبِ بنِ كَيسانَ قال : كُتِب إلى عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بموعظةٍ : أمّا بعدُ ، فإنَّ لأهلِ التَّقوى علاماتٍ يُعرَفون بها ويَعرفونها مِن أنفسِهم ؛ صِدْقُ الحديثِ ، وأداءُ الأمانةِ ، وكَظْمُ الغيظِ ، وصَبْرٌ على البلاءِ ، ورِضًا بالقضاءِ ، وشكرٌ للنَّعماءِ ، وذُلٌّ لحُكْمِ القرآنِ ، وإنَّما الإمامُ[3] كالسُّوقِ ما نفَق فيها حمِل إليها ، إن نفَق الحقُّ عندَه حمِل إليه وجاءه أهلُه ، وإن نفَق الباطلُ عندَه حمِل إليه وجاءه أهلُه .

وقال أبو معاويةَ[4] : ثنا هشامُ بنُ عروةَ ، عن وهبِ بنِ كيسانَ قال : ما رأيتُ ابنَ الزبيرِ يعطِى سَلَمَه قطُّ لرغبةٍ ولا لرهبةِ سلطانٍ ولا غيرِه .

[5]وبهذه الإسناداتِ[5] أهلُ الشامِ كانوا يُعَيِّرُونَ ابنَ الزبيرِ ويقولون له : يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَين . فقالت له أسماءُ : يا بُنيَّ ، إنَّهم يُعيِّرونك بالنِّطاقَين ، وإنَّما كان لى نِطاقٌ واحدٌ شقَقْتُه نصفَين ؛ فجعَلتُ فى سُفرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدَهما ، وأوكَيتُ قِربتَه بالآخرِ لمَّا خرَج هو وأبو بكرٍ يريدان الهجرةَ إلى المدينةِ . فكان ابنُ الزبيرِ بعدَ ذلك إذا عَيَّروه بالنِّطاقَين يقولُ : إيهًا[6] واللَّهِ :

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٦، وعنده « الحسين بن سفيان » ، وانظر تهذيب الكمال ٦ / ٣٤٥.

(٢) فى م : « حيان » . وفى الحلية « حبيب » . وانظر تهذيب الكمال ٥ /٣٤٤ - ٣٤٥، وتاريخ دمشق ١٣ / ٩٩.

(٣) فى م : « الأيام » .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٣٣٦، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨ / ١٨٦.

(٥ - ٥) فى ٣١: « بهذا الإسنادان » . وانظر طبقات ابن سعد ٨ / ٢٥٠، والحلية ١ / ٣٣٦.

(٦) فى م : « إنها » .

وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها[1]

واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وممّن قُتل مع ابنِ الزبيرِ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ بمكةَ مِن الأعيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ صَفْوانَ بنِ أميةَ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيُّ أبو صفوانَ المكِّيُّ[2] ، وكان أكبرَ ولدِ أبيه ، أدرَك حياةَ النبىِّ ﷺ وروَى عن عمرَ وجماعةٍ مِن الصحابةِ ، وحدَّث عنه خَلْقٌ مِن التابعين ، وكان سيّدًا شريفًا مطاعًا حليمًا [3] يحتمِلُ الأَذى ؛ لو سبَّه عبدٌ أسودُ ما استنكَف عنه ، ولم يَقصِدْه أحدٌ فى شىءٍ فردَّه خائبًا ، ولا سَمِع بمفازةٍ إلّا حفَر فيها جُبًّا أو عمِل فيها بِرْكةً ، ولا عقَبةٍ إلا سَهَّلها . وقِيل[4] : إنَّ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ قدِم على ابنِ الزبيرِ مِن العراقِ فأطال الخَلوةَ معه ، فجاء ابنُ صَفْوانَ فقال : مَن هذا الذى شغَلك منذُ اليومِ ؟ قال : هذا سيِّدُ العربِ مِن أهلِ العراقِ . فقال : يَنْبغِى أنّ يكونَ المُهَلَّبَ . فقال المُهَلَّبُ لابنِ الزبيرِ : ومَن هذا الذى يَسألُ عنِّى يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قال : هذا سيّدُ قريشٍ بمكَّةَ . فقال : ينبغِى أن يكونَ عبدَ اللَّهِ بنَ صفوانَ . وكان ابنُ صفوانَ[3] كريمًا جدًّا .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ بسندِه[5] : إنَّ معاويةَ قدِم مكَّةَ حاجًّا فتلقّاه النّاسُ ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ صَفْوانَ فى جملةِ مَن تلَقّاه فجعَل يسايرُ معاويةَ ، وجعَل أهلُ

---

(١) عجز بيت لأبى ذؤيب الهذلى وصدره :

* وعيَّرها الواشون أنى أحبها *

والبيت بتمامه فى ديوان الهذليين ١ / ٢١.

(٢) الاستيعاب ٣ /٩٢٧ - ٩٢٨، وأسد الغابة ٣ / ٢٧٩، والإصابة ٥ / ١٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل، ص.

(٤) تاريخ دمشق ٢٩ /٢١٣ - ٢١٤ بنحوه.

(٥) تاريخ دمشق ٢٩ /٢٠٩ بنحوه.

الشّامِ يقولون : مَن هذا الذى يُسايرُ أميرَ المؤمنينَ ؟ فلمّا انتهَى[1] إلى مكةَ إذا الجبلُ أبيضُ مِن الغَنَم ، فقال : يا أميرَ [٧٩/٧و] المؤمنين ، هذه غنَمٌ [2]أجزَرْتُكها[3] تُقسِّمُها بينَ الجندِ[2] ؛ فإذا هى ألفا شاةٍ ، فقالوا[4] : ما رأَينا أكرمَ مِن ابنِ عمِّ أميرِ المؤمنينَ .

ثم كان ابنُ صَفوانَ مِن جملةِ مَن صبَر مع ابنِ الزبيرِ حين حصَره الحجّاجُ ، فقال له ابنُ الزبيرِ : إنِّى قد أقلتُك بيعَتِى ، فاذهَبْ حيثُ شئتَ . فقال : إنِّى إنما قاتَلْتُ عن دِينى . ثم صبَّر نفسَه حتى قُتِل ، وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ وأكرَم مثواه .

عبدُ اللَّهِ بنُ مُطِيعِ بنِ الأسودِ بنِ حارثةَ القُرَشِىُّ العَدَوِىُّ المَدَنىُّ[5] ، ولِد فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحنَّكه ، ودعا له بالبركةِ[6] ، وروَى عن أبيه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال[7] : « لا يُقتَلُ قُرَشِىٌّ بعدَ اليومِ صبرًا إلى يومِ القيامةِ » .

وعنه ابناه ؛ إبراهيمُ ومحمدٌ ، والشّعبىُّ ، وعيسى بنُ طلحةَ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، ومحمدُ بنُ أبى موسى .

قال الزبيرُ بنُ بكّارٍ[8] : كان ابنُ مُطيعٍ مِن كبارِ رِجالِ قريشٍ جَلَدًا وشجاعةً ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « انتهوا » .
(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « أجزتكها » ، وفى ص ، وتاريخ دمشق : « أجزرتكها » .
(٣) بعده فى الأصل ، م : « لك » .
(٤) فى ٣١، ٢١، م : « فقال أهل الشام » .
(٥) الاستيعاب ٣ / ٩٩٤، وأسد الغابة ٣ / ٣٩٣، والإصابة ٤ / ٢٣٩، ٥ / ٢٥ .
(٦) التاريخ الصغير ١ / ١٥٩.
(٧) تقدم تخريجه فى ٦ / ٥٨٢.
(٨) الاستيعاب ٣ / ٩٩٥، وتهذيب الكمال ١٦ /١٥٣ - ١٥٤.

وأخبرنى عمّى[1] مصعبٌ أنه كان على قريشٍ[2] يومَ الحرَّةِ، وقُتلِ مع ابنِ الزبيرِ بمكَّةَ، وهو الذى يقولُ:

أنا الذى فرَرتُ يومَ الحَرَّهْ * والشَّيخُ لا يَفِرُّ غيرَ[3] مرَّهْ * لأجبُرَنَّ[4] [5]كرَّةً بفرَّهْ[5]

رحِمه اللَّهُ.

عَوْفُ بنُ مالكِ بنِ أبى عَوفٍ الأَشْجعىُّ الغَطَفانىُّ[6]، صحابىٌّ جليلٌ، شهِد مُؤْتةَ مع خالدِ بنِ الوليدِ والأمراءِ قبلَه، وشهِد الفتحَ، وكانت معه رايةُ قومِه يومئذٍ، وشهِد فتحَ الشامِ، وروَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ، وروَى عنه جماعةٌ مِن التابعين، وأبو هريرةَ، وقد مات قبلَه، وقال الواقدِىُّ[7]، وخليفةُ بنُ خَيّاطٍ[8]، وأبو عبيدٍ[9]، وغيرُ واحدٍ[10]: تُوفى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ بالشَّامِ.

أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ الصِّدّيقِ[11] والدةُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، يقالُ لها: ذاتُ النِّطاقينِ. وإنما سُمِّيتْ بذلك عامَ الهجرةِ حين شقَّتْ نِطاقَها فربَطتْ به سُفرةَ

---

(١) فى ص: «عن».

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م: «أميرًا».

(٣) فى م: «إلا».

(٤) فى م: «ولا جبرت».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «فزة بكره».

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٢٦، وأسد الغابة ٤/ ٣١٢، والإصابة ٤/ ٧٤٢. وبعده فى ٣١، ٢١، م: «رضى اللَّه عنه وهو عوف بن مالك».

(٧) الطبقات ٤/ ٢٨١، وتاريخ دمشق ١٣/ ٧٠٥، ٧٠٦، ٧١١ (مخطوط).

(٨) تاريخ خليفة ١/ ٣٤٢.

(٩) تاريخ دمشق ١٣/٧١٢ (مخطوط).

(١٠) تاريخ دمشق ١٣/٧٠٥ (مخطوط).

(١١) الاستيعاب ٤/ ١٧٨١، وأسد الغابة ٧/ ٩، والإصابة ٧/ ٤٨٦.

النبىِّ ﷺ وأبى بكرٍ حينَ خرَجا [1]إلى غارِ ثَورٍ للهجرةِ[1] . وأمُّها : قَيلةُ[2] ، وقِيلَ : قُتَيْلَةُ[3] بنتُ عبدِ العُزَّى مِن بنى عامرِ بنِ لُؤىٍّ .

أسلَمتْ أسماءُ قديمًا ، وهم بمكّةَ فى أوّلِ الإسلامِ ، وهاجَرتْ هى وزوجُها الزبيرُ ، وهى حاملٌ مُتِمٌّ بولدِها عبدِ اللَّهِ فوضَعتْه بقُبَاءٍ أوَّلَ مَقدَمِهم المدينةَ ، ثم ولَدتْ للزبيرِ بعدَ ذلك عُروةَ ، والمُنذرَ[4] ، ثم لمّا كبِرتْ طلَّقها الزبيرُ ؛ وقيل[5] : بل قال له عبدُ اللَّهِ ابنُه : إنَّ مِثْلى لا تُوطَأُ أُمُّه . فطلَّقها الزبيرُ . وقِيل[6] : بل اختصمَت هى والزبيرُ فجاء عبدُ اللَّهِ ليُصلِحَ بينَهما ، فقال الزبيرُ : إنْ [7]دخَلتَ فهى طالقٌ . فدخَلتُ فبانَت[7] . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « عامدين إلى المدينة » .

(٢) فى ص : « قتلة » .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « قبيلة » .

(٤) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م : « وهى آخر المهاجرين والمهاجرات موتا ، وكانت هى وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابيين ، رضى الله عنهم . وقد شهِدت اليرموك مع ابنها وزوجها . وهى أكبر من أختها عائشة بعشر سنين . وقيل : إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال : يا أماه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، إنما أنا أم المصلوب على الثنية ، وما لى من حاجة ، ولكن أحدثك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » . فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك إلا إياه . فقال : أنا مبير المنافقين . وقيل : إن ابن عمر دخل معه عليها ، وابنها مصلوب فقال لها : إن هذا الجسد ليس بشىء ، وإنما الأرواح عند الله ؛ فاتقى الله واصبرى . فقالت : وما يمنعنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل ! وقيل : إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ثم دفنته ، ثم ماتت بعده بأيام فى آخر جمادى الآخرة » .

(٥) أسد الغابة ٧/٩ - ١٠.

(٦) أسد الغابة ٧/ ١٠، وتاريخ دمشق - تراجم النساء ص ١٨.

(٧ - ٧) فى الأصل : « حبلت فهى طالق فإذا هى حبلت فبانت منه » .

وقد عُمِّرتْ [٧/٧٩ظ] أسماءُ دهرًا صالحًا وأضَرَّتْ فى آخرِ عمرِها. (١)وقِيل(٢) : بل كانت صحيحةَ البصرِ لم يَسقُطْ لها سِنٌّ(١) . وأدرَكتْ قَتْلَ ولدِها فى هذه السنةِ ، كما ذكَرنا ، ثم ماتَتْ بعدَه بخمسةِ أيامٍ . وقِيل : بعشَرةٍ . وقِيل : بعشرينَ . وقيل : ببضعةٍ وعشرينَ يومًا . وقيل : عاشَتْ بعدَه مائةَ يومٍ . وهو الأشهرُ . وبلغَت مِن العمرِ مائةَ سنةٍ ، ولم يسقُطْ لها سِنٌّ ، (٣)ولم يُنكَرْ لها عقلٌ ، رحِمها اللَّهُ ، ورضِى عنها(٣) . (١)وقد روَت عن النبىِّ ﷺ عدَّةَ أحاديثَ طيبةٍ مباركةٍ ، رضِى اللَّهُ عنها ، ورحِمها(١) .

قال ابنُ جريرٍ(٤) : وفى هذه السنةِ - يعنى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ - عزَل عبدُ الملكِ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ عن البصرةِ ، وأضافها إلى أخيه بشرِ بنِ مروانَ مع الكوفةِ ، فارتحَل إليها بشرٌ واستَخْلَف(٥) على الكوفةِ(٦) عمرَو بنَ حُريثٍ .

وفيها غزَا محمدُ بنُ مروانَ الصَّائفَةَ فهزَم الرومَ .

وقِيل(٤) : إنه كان فى هذه السّنةِ وَقْعةُ عثمانَ بنِ الوليدِ بالرومِ مِن ناحيةِ أرمينِيَّةَ ، وهو فى أربعةِ آلافٍ ، والرومُ فى سِتّين ألفًا فهزَمهم ، وأكْثرَ القتلَ فيهم .

وأقام للنّاسِ الحجَّ فى هذه السنةِ الحجّاجُ بنُ يوسفَ الثقفىُّ أيضًا ، وهو على

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م.

(٢) تاريخ دمشق - تراجم النساء صفحة ٢٨.

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٤.

(٥) يعنى بشرا.

(٦) فى الأصل : «المدينة».

مكّةَ واليمنِ واليمامةِ. وعلى الكوفةِ والبصرةِ بشرُ بنُ مروانَ، [1]فى قولِ الواقدىِّ. وفى قولِ غيرِه؛ على الكوفةِ بشرُ بنُ مروانَ، وعلى البصرةِ خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ[1]. وعلى قضاءِ الكوفةِ شُرَيحُ بنُ الحارثِ. وعلى قضاءِ البصرةِ هشامُ بنُ هُبَيْرَةَ. وعلى إمرةِ خراسانَ بُكَيرُ بنُ وِشاحٍ، يعنى الذى كان نائبًا لعبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[2]، واللَّهُ أعلمُ.

و[3]ممّن تُوفى فيها غيرُ مَن تقدّمَ ذِكْرُه مع ابنِ الزبيرِ:

عبدُ اللَّهِ بنُ[4] سعدِ بنِ خَيْثمةَ[5] الأنصاريُّ، له صُحبةٌ، وشهِد اليرموكَ، وكان كثيرَ العبادةِ والغَزْوِ.

[6]عبدُ اللَّهِ[6] بنُ أبى حَدْردٍ الأَسْلمِىُّ، أبو محمدٍ، له صحبةٌ وروايةٌ، تُوفِّى بالمدينةِ.

مالكُ بنُ مِسمَعِ بنِ غسّانَ البصرىُّ[7]، كان شديدَ الاجتهادِ فى العبادةِ والزَّهادةِ.

ثابتُ بنُ الضّحّاكِ الأنصاريُّ[8]، له صُحبةٌ وروايةٌ، تُوفِّى بالمدينةِ، يقالُ

(١ - ١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢) فى الأصل، ٣١، ص: «حازم».

(٣) من هنا إلى ما قبل قوله: ثم دخلت سنة أربع وسبعين، زيادة من ٣١، ٢١، م.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى ٣١، ٢١: «خيثم». وفى م: «حيثم». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ٩١٧، وأسد الغابة ٣/ ٢٥٨، والإصابة ٤/ ١٠٨.

(٦ - ٦) فى ٣١: «عبيد اللَّه». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ٨٨٧، وأسد الغابة ٣/ ٢١٠، والإصابة ٤/ ٥٤.

(٧) الإصابة ٦/ ٢٧٥، والمعارف ٤١٩، ٥٨٧، وجمهرة ابن حزم ٣٢٠، ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٢١.

(٨) الاستيعاب ١/ ٢٠٥، وأسد الغابة ١/ ٢٧١، والإصابة ١/ ٣٩١.

له : أبو زيدٍ الأشْهَلِيُّ . وهو مِن أهلِ البيعةِ تحتَ الشّجرةِ . قال يحيى بنُ أبى كثيرٍ : أخبرَنى أبو قِلابةَ ، أنّ ثابتَ بنَ الضّحّاكِ أخبرَه أنّه بايَع رسولَ اللّهِ ﷺ تحتَ الشَّجرةِ ، وأنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال[1] : «مَن قذَف مؤمنًا بكُفْرٍ فهو كقتلِه[2]» .

زينبُ بنتُ أبى [3]سلمةَ المخزوميةُ[3] ، ربيبةُ النبىِّ ﷺ ، وَلَدَتْها أمُّها بالحبشةِ ، ولها روايةٌ وصُحبةٌ .

توبةُ بنُ[4] الحُمَيِّرِ[5] ، وهو الذى يُقالُ له : مجنونُ ليلى . كان توبةُ يَشُنُّ الغاراتِ على بنى الحارثِ بنِ كعبٍ ، فرأى ليلى فهواها ، وتَهتَّك فيها ، وهام بها محبّةً وعِشْقًا ، وقال فيها الأشعارَ الكثيرةَ القويّةَ الرائقةَ التى لم يُسبَقْ إليها ولا يُلْحَقُ فيها ؛ لكثرةِ ما فيها مِن المعانى والحِكَمِ ، وقد قِيل له مرّةً : هل كان بينَك وبينَ ليلى رِيبةٌ قَطُّ ؟ فقال : بَرِئتُ مِن شفاعةِ محمدٍ ﷺ إنْ كنتُ قطُّ حلَلْتُ سَراوِيلى على محرَّمٍ . وقد دخَلتْ ليلى على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ تَشكُو ظُلامةً ، فقال لها : ماذا رأى مِنك توبةُ حتى عشِقكِ هذا العِشْقَ كلَّه ؟ فقالت : واللّهِ يا أميرَ المؤمنينَ لم يكُنْ بينى وبينَه قَطُّ ريبةٌ ولا خَنا ، وإنما العربُ تعشَقُ وتعِفُّ ،

---

(١) البخارى (٤١٧١، ٦٠٤٧) .

(٢) فى م : « كفيله » .

(٣ - ٣) فى م : « سلمى المخزومى » . وترجمتها فى الاستيعاب ٤/ ١٨٥٤، وأسد الغابة ٧/ ١٣١، والإصابة ٧/ ٦٧٥.

(٤) فى م : « بنت » .

(٥) فى النسخ : « الصمة » . وانظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١/ ٤٤٥، والأغانى ١١/ ٢٤٠، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ٩١، وفوات الوفيات ١/ ٢٥٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٧٣.

وتقولُ الأشعارَ فى مَن تهوَى وتُحِبُّ مع العِفَّةِ والصيانةِ لأنفسِها عن الدّناءاتِ . فأزال ظُلامتَها وأجازها . تُوفى توبةُ فى هذه السنةِ ، وقِيل : إنّ ليلى جاءتْ إلى قَبْرِه فبكَتْ عليه حتى ماتَتْ . واللَّهُ أعلَمُ .

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وسبعين

فيها عزَل عبدُ الملكِ طارقَ بنَ عمرٍو عن إمرةِ المدينةِ وأضافها إلى الحَجّاجِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ ، فقدِمها الحجّاجُ فأقام بها شهرًا[1] ، ثم خرَج معتمِرًا ، ثم عاد إلى المدينةِ فى صَفَرٍ فأقام بها ثلاثةَ[2] أشهرٍ ، وبنَى فى بنِى سَلِمة مسجدًا ، وهو الذى يُنسَبُ إليه اليومَ . ويقالُ : إنَّ الحجّاجَ فى هذه السَّنةِ وهذه المدةِ ختَم[3] جابرًا وسهْلَ بنَ سعدٍ ، وقرَّعهما ؛ لِمَ لا نصَرا عثمانَ بنَ عفانَ ، وخاطَبهما خطابًا غليظًا - قبَّحه اللَّهُ وأخزاه - وقد استقضَى[4] أبا إدريسَ[5] الخَوْلانىَّ - أظُنُّه - على اليمنِ . واللَّهُ أعلمُ .

[6]وقال الواقدىُّ[7] : إنَّ الحجّاجَ لما قدِم المدينةَ صعِد مِنبَرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فخطَب الناسَ وقال : يا أهلَ خَبيثةَ - يعنى طَيْبَةَ - أنتم شرُّ أُمَّةٍ وأخَسُّ ، ولولا أنَّ أميرَ المؤمنين أوصانى بكم لجعلتُها مثلَ جوفِ حمارٍ ، يا أهلَ خَبيثةَ ، تَمَنَّوْن ، هل تَعَوّذون إلّا بأعوادٍ يابسةٍ - يَعْنِى المنبرَ - ورُمَّةٍ باليةٍ ، وأشار إلى قبرِ النبىِّ ﷺ ، ثم نزَل وأرسَل إلى سهلِ بنِ سعدٍ الساعدىِّ ، فقال : ما منَعك أن تنصُرَ أميرَ المؤمنين عثمانَ ؟ فقال : قد فعَلتُ . فقال : كذَبْتَ . [٧/٨٠و] ثم أمَر به فخُتِم فى عنُقِه[6]

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « أشهرا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥.

(٢) فى الأصل : « ثمانية » .

(٣) فى الأصل، ٢١: « حتم » . وفى م : « شتم » . وفى الطبرى « فختنم فى أعناقهم » .

(٤) يعنى عبد الملك بن مروان . تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥.

(٥) فى ص : « مسلم » .

(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥. بنحوه مختصرًا . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٨.

(١) برَصاصٍ ، وكذلك فعَل بجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ؛ ختَمه فى يدِه ، وأنسِ بنِ مالكٍ فى عنُقِه ، وكان قصدُه يُذِلُّهم بذلك ، فقال أنسٌ : إنَّ أهلَ الذِّمَّةِ لا يجوزُ أن يُفعَلَ بهم هذا(١) .

قال ابنُ جريرٍ(٢) : وفيها نقَض الحجّاجُ بنيانَ الكعبةِ الذى كان ابنُ الزبيرِ بناه ، وأعادها على بنيانِها الأولِ .

قلتُ : الحجّاجُ لم ينقُضْ بنيانَ الكعبةِ جميعَه ، بل إنَّما هدَم الحائطَ الشاميَّ حتى أخرَج الحِجْرَ (٣)من البيتِ(٣) ثم سدَّه وأَدخَل فى جوفِ الكعبةِ ما فضَل مِن الأحجارِ ، وبَقِيتِ الحيطانُ الثلاثةُ بحالِها ؛ ولهذا بقِى البابانِ(٤) الشرقىُّ والغربىُّ وهما ملصَقان بالأرضِ ، كما هو المشاهَدُ إلى يومِنا هذا ، ولكنْ سَدَّ الغربىَّ بالكُلِّيةِ وردَم أسفلَ الشرقىِّ حتى جعَله مرتفعًا كما كان فى الجاهليةِ ، ولم يبلُغِ الحجّاجَ ولا عبدَ الملكِ ما كان بلَغ ابنَ الزبيرِ مِن العلمِ النبوىِّ الذى كانت أخبرَتْه به خالتُه أُمُّ المؤمنين عائشَةُ بنتُ الصدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنها ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ - كما تَقدَّم ذلك - مِن قولِه(٥) : « لولا أَنَّ قومَكِ حديثٌ عهدُهم (٦)بكفرٍ - وفى روايةٍ : بجاهليَّةٍ(٦) - لنقَضتُ الكعبةَ وأدخَلتُ فيها الحِجْرَ ، وجَعلتُ لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا ، ولألصَقْتُهما بالأرضِ ، فإنَّ قومَكِ قصُرَتْ بهم النفقةُ فلم يُدْخِلوا فيها الحِجْرَ ولم يُتَمِّمُوها على قواعدِ إبراهيمَ ، ورفَعوا بابَها ليُدخِلوا مَن شاءُوا

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٥.

(٣ - ٣) زيادة من ٣١، ٢١، م .

(٤) فى م : « البنيان » .

(٥) أصل الحديث عند البخارى (١٥٨٤، ١٥٨٦، ٧٢٤٣)، مسلم (١٣٣٣)، وفى بعض ألفاظه اختلاف عما أورده المصنف . وتقدم فى ١/٣٨٢ - ٣٨٣.

(٦ - ٦) فى الأصل : « وفى رواية بكفر » .

ويمنَعوا مَن شاءُوا » . فلمّا تمكَّنَ ابنُ الزبيرِ بناها كذلك . ولمّا بلَغ عبدَ الملكِ هذا الحديثُ بعدَ ذلك قال : ودِدْنا أنّا تركناه وما تَوَلَّى مِن ذلك .

وفى هذه السنةِ ولِى المُهلَّبُ بنُ أبى صُفرةَ حربَ الأزارقةِ عن أمرِ عبدِ الملكِ لأخيه بشرِ بنِ مَرْوانَ أن يُجهِّزَ المُهَلَّبَ إلى الخوارجِ الأزارقةِ[1] فى جيوشٍ مِن أهلِ البصرةِ والكوفةِ ، ووجَد بشرٌ على المهلَّبِ فى نفسِه ، حيثُ عيَّنه عبدُ الملكِ فى كتابِه ، فلم يجِدْ بدًّا مِن طاعتِه فى تأميرِه على الناسِ فى هذه الغزوةِ ، وما كان له مِن الأمرِ شىءٌ ، غيرَ أنَّه أوصَى أميرَ الكوفيِّين[2] [3]عبدَ الرحمنِ[3] بنَ مِخْنَفٍ أن يَستبِدَّ بالأمرِ دونَه ، وأن لا يَقبَلَ له رأيًا ولا مشورةً ، فسار المهلَّبُ بأهلِ البصرةِ وأمراءِ الأرباعِ معه على منازِلِهم حتى نزَل برامَهُرمُزَ ، فلم يَلبَثْ عليها إلا عَشْرًا حتى جاء نَعْىُ بشرِ بنِ مَرْوانَ ، وأنَّه مات بالبصرةِ ، واستَخلَف عليها خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، فارفَضَّ[4] بعضُ الجيشِ ورجَعوا إلى البصرةِ ، فبعَثوا فى آثارِهم مَن يرُدُّهم ، وكتَب [٧/٨٠ظ] خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ إلى الفارِّينَ يتوعَّدُهم إن لم يرجِعوا إلى أميرِهم ، ويتوعَّدُهم بسَطْوةِ عبدِ الملكِ ، فعدَلوا يستأذِنون عمرَو بنَ حُريثٍ فى المصيرِ إلى الكوفةِ ، فكتَب إليهم : إنَّكم ترَكتُم أميرَكم وأقبلتُم عاصِين مخالِفين ، فليس لكم إذنٌ ولا إمامٌ ولا أمانٌ . فلمّا جاءهم ذلك أقبَلوا إلى رحالِهم [5]فركِبوها ثم ساروا إلى بعضِ البلادِ[5] ، فلم يزالوا مختفِين بها حتى قدِم الحجّاجُ واليًا على العراقِ مكانَ بشرِ بنِ مَرْوانَ ، كما سيأتى بيانُه قريبًا .

---

(١) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٢) فى الأصل : « المؤمنين » .

(٣ - ٣) فى م : « عبد اللّه » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٦.

(٤) فى م : « فأرخى » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

وفى هذه السنةِ عزَل عبدُ الملكِ بُكَيْرَ بنَ وِشاحٍ التميميَّ عن إمرةِ خُراسانَ وولَّاها أُمَيَّةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسِيدٍ القرشيَّ[1] ؛ ليجتَمِعَ عليه الناسُ ، فإنَّه قد كادتِ الفتنةُ تتفاقَمُ بخُراسانَ بعدَ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[2] ، فلمّا قدِم أميةُ ابنُ عبدِ اللَّهِ خُراسانَ عرَض على بكيرِ بنِ وِشاحٍ أن يكونَ على شُرْطتِه ، فأبَى وطلَب منه أن يولِّيَه طُخارِستانَ ، فخوَّفوه منه أن يخلَعَه هنالِك ، فترَكه مقيمًا عندَه .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وحجَّ بالناسِ فيها الحجّاجُ وهو على إمرةِ المدينةِ ومكةَ واليمنِ واليمامةِ . قال ابنُ جريرٍ[4] : وقد قيلَ : إنَّ عبدَ الملكِ اعتمَر فى هذه السنةِ ، ولا نعلمُ صحةَ ذلك .

ذِكرُ مَن تُوفى فى هذه السَّنةِ مِن الأعيانِ

رافعُ بنُ خَديجِ بنِ رافعٍ الأنصاريُّ[5] ، صحابيٌّ جليلٌ ، شهِد أُحُدًا وما بعدَها ، [6]وشهِد[7] صِفِّينَ مع عليٍّ ، وكان يَتعانَى المزارعَ والفِلاحةَ . توفِّى وهو ابنُ ستٍّ وثمانين سنةً ، وأسنَد ثمانيةً وسبعِين حديثًا[6] ، وأحاديثُه جيدةٌ . وقد أصابه يومَ أُحدٍ سهمٌ فى تَرقُوتِه ، فخيَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أن ينزِعَه منه وبينَ أن

---

(١) انظر : تاريخ الطبرى ٦/ ١٩٩، والمنتظم ٦/ ١٤٣.

(٢) فى الأصل ، ٣١: « حازم » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠١. ولم يذكر أن الحجاج كان على إمرة اليمن واليمامة .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠١.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٤٧٩، وأسد الغابة ٢/ ١٩٠، والإصابة ٢/ ٤٣٦.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

(٧) سقط من : م .

يترُكَ فيه القُطْبةَ[1] ويشهَدَ له يومَ القيامةِ، فاختار هذه، وانتقَض عليه فى هذه السنةِ فمات منه، رضِى اللَّهُ عنه.

أبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ سعدُ بنُ مالكِ بنِ سِنانٍ الأنصارىُّ الخزرجىُّ[2]، صحابىٌّ جليلٌ مِن فقهاءِ الصحابةِ، اسْتُصْغِر يومَ أُحدٍ، ثم كان أولَ مشاهِدِه الخندقُ، وشهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ غزوةً، وروَى عنه أحاديثَ كثيرةً، وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ[3]، وحدَّث عنه خلقٌ مِن التابعِين وجماعةٌ مِن الصحابةِ. وكان مِن نُجباءِ الصحابةِ وفُضلائِهم وعلمائِهم، رضِى اللَّهُ عنه.

قال الواقدىُّ[4] وغيرُه[5]: مات سنةَ أربعٍ وسبعِين. وقِيل[6]: قبلَها بعشرِ سنِين. فاللَّهُ أعلمُ.

[7]قال الطبرانىُّ[8]: حدَّثَنا المِقدامُ بنُ داودَ، ثنا خالدُ بنُ نِزارٍ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ[9]، عن زيدِ بنِ أسلمَ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أىُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ فقال: «النبيُّون». قلتُ: ثم أىٌّ؟[7]

---

(١) فى الأصل، ٣١، ٢١: «القطنة». وفى م، ص: «العطبة». وفى الإصابة: «القطيفة». والمثبت من النهاية ٤/ ٧٩.

والحديث أورده ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٤٣٧، وعزاه لابن شاهين من طريق محمد بن يزيد عن رجاله. والقطبة: نصل السيف. انظر النهاية ٤/ ٧٩.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٠٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٦٥، والإصابة ٣/ ٧٨.

(٣) بعده فى حاشية الأصل: «وأسند أبو سعيد ألفا ومائة وسبعين حديثا».

(٤) عزاه ابن حجر فى الإصابة ٣/ ٨٠ إلى الواقدى.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٦٠٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٦٥.

(٦) تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٩٨.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) المعجم الأوسط (٩٠٤٣)، بنحوه.

(٩) فى م: «سعيد».

[1] قال : « ثم الصالحون ، إن كان أحدُهم ليُبتَلَى بالفقرِ حتى ما يجِدُ إلّا السُّترةَ - وفى روايةٍ : إلّا العَباءةَ - أو نحوَها ، وإن أحدَهم ليُبتلَى فيَقْمَلُ حتى يَنبِذَ القَمْلَ ، وكان أحدُهم بالبلاءِ أشدَّ فرحًا منه بالرخاءِ » .

وقال قتيبةُ بنُ سعيدٍ[2] : ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، عن ابنِ عَجْلانَ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، أنَّ أهلَه شكَوْا إليه الحاجةَ فخرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يسألُ لهم شيئًا ، فوافَقه على المِنبرِ وهو يقولُ : « أيُّها الناسُ ، قد آنَ لكم أن تستغنُوا عن المسألةِ ، فإنَّه مَن يَستعِفَّ يُعِفَّه اللَّهُ ، ومَن يَستغنِ يُغنِه اللَّهُ ، والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، ما رزَق اللَّهُ عبدًا مِن رزقٍ أوسَعَ له مِن الصبرِ ، ولئن أبيتُم إلّا أن تسألونى لأُعطيَنَّكم ما وجَدتُ » . وقد رواه الطبرانىُّ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أبى سعيدٍ ، نحوَه[3][1] .

عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ ، القرشىُّ العَدَوىُّ ، أبو عبدِ الرحمنِ المكىُّ ثم المدنىُّ[4]

أسلَم قديمًا مع أبيه ولم يبلُغِ الحُلُمَ ، وهاجَر[5] وعمرُه عَشْرُ سنِين ، وقد استُصغِر يومَ أُحدٍ [6] وكان ابنَ أربعَ عشرةَ[6] ، فلمّا كان يومُ الخندقِ أجازه وهو ابنُ خمسَ عَشْرةَ سنةً فشهِدها وما بعدَها . [٧/٨١و] وهو شقيقُ حفصةَ أمِّ المؤمنين ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/٣٧٠ من طريق قتيبة بن سعيد به .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/٣٧٠ من طريق الطبرانى عن عطاء بن يسار به .

(٤) الاستيعاب ٣/ ٩٥٠، وأسد الغابة ٣/ ٣٤٠، والإصابة ٤/ ١٨١.

(٥) فى ٣١، م، ص : « هاجرا » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ٣١، ٢١، م . وانظر طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٣.

أُمُّهما زينبُ بنتُ مظعونٍ أختُ عثمانَ بنِ مظعونٍ .

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ رَبْعةً مِن الرجالِ آدمَ ، له جُمَّةٌ تضرِبُ إلى مَنكِبَيْه ، جَسيمًا يَخضِبُ بالصُّفرةِ ويُحفِى شاربَه ، وكان يتَوضَّأُ لكلِّ صلاةٍ ويُدخِلُ الماءَ فى أُصولِ عينَيْه ، وقد أراده عثمانُ على القضاءِ فأبَى ذلك ، وكذلك أبوه . وشهِد اليرموكَ والقادسيةَ وجَلُولاءَ وما بينَهما مِن وقائعِ الفرسِ ، وشهِد فتحَ مصرَ ، واختَطَّ بها دارًا ، وقدِم البصرةَ ، وشهِد غزوَ فارسَ وورَد المدائنَ مِرارًا ، وكان عمْرُه يومَ مات النبىُّ ﷺ ثِنْتين وعشرِين سنةً ، وكان إذا أعجَبه شىءٌ مِن مالِه تَقرَّب به إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكان عبيدُه قد عرَفوا ذلك منه ، فرُبَّما لزِم أحدُهم المسجدَ فإذا رآه ابنُ عمرَ على تلك الحالِ أعتقَه ، فيقالُ له : إنَّهم يخدعُونك . فيقولُ[(1)] : مَن خدَعنا باللَّهِ انخدَعْنا له . وكان له جاريةٌ يحِبُّها كثيرًا فأعتَقها وزوَّجها لمولاه نافعٍ ، وقال : إنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] . [(2)]وكان له نَجِيبٌ اشتراه بمالٍ[(2)] فأعجَبه لمَّا ركِبه ، فقال : يا نافعُ أدخِلْه فى إبلِ الصدقةِ . وأعطاه ابنُ جعفرٍ فى نافعٍ عشرةَ آلافِ دينارٍ ، فقيل له : ما تنتظِرُ ببَيْعِه ؟ فقال : ما هو خيرٌ مِن ذلك ، هو حُرٌّ لوجهِ اللَّهِ . واشترَى مرةً غلامًا بأربعِين ألفًا وأعتَقه ، فقال الغلامُ : [(3)]يا مولاى قد أعتقتَنى فهَبْ لى شيئًا أعيشُ به . فأعطاه أربعِين ألفًا . واشترَى مرةً خمسةَ عبيدٍ فقام يصلِّى فقاموا خلفَه يصلُّون فقال : لمن صلَّيتُم هذه الصلاةَ ؟ فقالوا : للَّهِ ! فقال : فأنتم أحرارٌ لمن صلَّيتُم له . فأعتقَهم . والمقصودُ أنَّه[(3)] ما مات حتى أعتَق ألفَ رقبةٍ ، ورُبَّما تصدَّقَ

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٩٤، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٥٢، ٥٣ (ط. الرسالة)، وأسد الغابة ٣/ ٣٤٣.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «واشترى مرة بعيرا». والنجيب: الخفيف السريع القوى من الإبل.

(٣ - ٣) فى الأصل: «قد أحسنت إلى فأحسن إلى ولدى. فقال: هما حران. قال: فأميهما. قال: هما حران. فأعتق الخمسة كانوا بمبلغ مال و».

فى المجلسِ الواحدِ بثلاثين ألفًا، وكانت تمضِى عليه الأيامُ الكثيرةُ والشهرُ لا يذوقُ فيه لحمًا، (١وما كان يأكُلُ طعامًا١) إلَّا وعلى مائدتِه يتيمٌ.

وبعَث إليه معاويةُ بمائةِ ألفٍ لمّا أراد أن يبايِعَ ليزيدَ، فما حال عليه الحولُ وعندَه منها شىءٌ، وكان يقولُ: إنِّى لا أسألُ أحدًا شيئًا، فما رزقَنى اللَّهُ فلا أرُدُّه. وكان فى مدةِ الفتنةِ لا يأتى أميرٌ إلّا صلَّى خلفَه، وأدَّى إليه زكاةَ مالِه، وكان أعلمَ الناسِ بمناسكِ الحجِّ، وكان يتتبَّعُ آثارَ رسولِ اللَّهِ ﷺ (٢كلَّ مكانٍ صلَّى فيه أو قعَد فيه٢)، حتى إنَّ النبىَّ ﷺ نزَل تحتَ شجرةٍ، فكان ابنُ عمرَ يتعاهَدُها ويَصُبُّ فى أصلِها الماءَ (١حتى لا تيبَسَ١). وكان إذا فاتَتْه العشاءُ فى جماعةٍ أحيا تلك الليلةَ، وكان يقومُ أكثرَ الليلِ، وقيلَ: إنَّه مات وهو فى الفَضْلِ مِثلَ أبيه، وكان يومَ مات خيرَ مَن بقِى. ومكَث ستِّين سنةً يُفتِى الناسَ مِن سائرِ البلادِ.

وروَى عن النبىِّ ﷺ [٨١/٧ظ] أحاديثَ كثيرةً، وروَى عن الصدِّيقِ وعن عمرَ وعثمانَ وسعدٍ وابنِ مسعودٍ وحفصةَ وعائشةَ أمَّىِ المؤمنين وغيرِهم. وعنه خلقٌ (٣من التابعين٣)؛ منهم بنوه حمزةُ وبلالٌ وزيدٌ وسالمٌ وعبدُ اللَّهِ وعبيدُ اللَّهِ وعمرُ - إن كان محفوظًا - وأسلَمُ - مولى أبيه - وأنسُ (٤بنُ سِيرينَ٤) والحسنُ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ وطاوسٌ وعروةُ وعطاءٌ وعكرمةُ ومجاهدُ وابنُ سِيرينَ والزهرىُّ ومولاه نافعٌ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م: «يصلى فيها».

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤ - ٤) فى ٣١: «وابن سيرين». وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٣٤.

وثبَت فى « الصحيحِ »[1] عن حفصةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ عبدَ اللَّهِ رجلٌ صالحٌ لو كان يقومُ الليلَ » . فكان بعدُ يقومُ الليلَ . وقال ابنُ مسعودٍ[2] : إنَّ مِن أملَكِ شبابِ قريشٍ لنفسِه عن الدنيا ابنَ عمرَ . وقال جابرٌ[3] : ما مِنّا أحدٌ أدرَك الدنيا إلّا مالت به ومال بها ، إلّا ابنَ عمرَ ، [4]وما أصاب أحدٌ مِن الدنيا شيئًا إلّا نقَص مِن درجاتِه عندَ اللَّهِ وإن كان عليه كريمًا[4] . وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[5] : مات ابنُ عمرَ يومَ مات وما مِن الدنيا أحدٌ أَحَبَّ أن أَلْقَى اللَّهَ بمثلِ عَمَلِه منه . وقال الزُّهْرِىُّ[6] : لا يُعدَلُ برأيِه ، فإنَّه أقام بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ستِّين سنةً ، فلم يَخْفَ عليه شىءٌ مِن أمرِه ولا مِن أمرِ أصحابِه ، رضِى اللَّهُ عنهم . وقال مالكٌ[7] : بلَغ ابنُ عمرَ ستًّا وثمانين سنةً ، وأفتَى فى الإسلامِ ستين سنةً ، يَقدَمُ عليه وُفودُ الناسِ مِن أقطارِ الأرضِ . وقال الواقدىُّ[8] وجماعةٌ[9] : توفِّى ابنُ عمرَ سنةَ أربعٍ

---

(١) فى ٣١، ص : « الصحيحين » . والحديث عند البخارى (٧٠٢٩) ، وبنحوه (١١١٢، ١١٥٨، ٣٧٣٩، ٣٧٤١، ٧٠١٦، ٧٠٣١) .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٤/ ١٤٤، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٩٤. وانظر تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٩- ٣٠ (ط . الرسالة) .

(٣) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٠، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٩٤. كلاهما مختصرًا بنحوه .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٠٤، ٣٠٥. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٦ (ط . الرسالة) .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧/ ٨٠ (ط . الرسالة) .

(٧) أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير ١/ ١٨٣، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٧٥، والخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٧٣. وفى هذه المصادر أنه بلغ سبعا وستين سنة .

وأما قوله : وأفتى فى الإسلام ستين سنة . فقد أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩١، والخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ١٧٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧/ ٨٠ (ط . الرسالة) . كلهم بنحوه .

(٨) تاريخ دمشق ٣٧/ ١١٣ (ط . الرسالة) .

(٩) منهم خليفة فى تاريخه ١/ ٣٤٦، وعزاه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧/ ١١٣ (ط . الرسالة) ، =

وسبعين . وقال الزبيرُ بنُ بكّارٍ وآخَرون[1] : توفِّى سنةَ ثلاثٍ وسبعين[2] . والأوَّلُ أثبَتُ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

[3]وقال ابنُ سعدٍ[4] : لمّا قُتِل عثمانُ واستُخلِف عليٌّ ، أتاهُ ابنُ عمرَ ، فقال له عليٌّ : إنَّك محبوبٌ إلى الناسِ ، فسِرْ إلى الشّامِ ، فقد وليتُكَها . فقال : أُذكِّرُك اللَّهَ وقرابَتى وصُحبَتى لرسولِ اللَّهِ والرحمَ إلا ما ولَّيتَ غيرِى وأعفَيْتَنى ، فأبى عليه ، فاستعانَ بحفصةَ أختِه فكلَّمته ، ثم سار مِن ليلتِه إلى مكةَ هاربًا منه . وقيل : إنَّ مَرْوانَ قال لابنِ عمرَ[5] : أَلَا تخرُجُ إلى الشامِ فيُبايعوكَ ؟ قال : فكيف أصنعُ بأهلِ العراقِ ؟ قال : تقاتِلُهم بأهلِ الشامِ . فقال : واللَّهِ ما يسُرُّنى أنَّ لى مُلكَ الأرضِ وأنَّ الناسَ كلَّهم بايَعونى وقد قُتِل منهم رجلٌ واحدٌ ، وما أحِبُّ أنّها أتَتْنى ورجلٌ يقولُ : لا وآخرُ يقولُ : نعم . وقيل[6] : إنَّه دخَل عليه الحجاجُ وهو مريضٌ فغمَّض عينَيهِ فكلَّمه فلم يُجِبْهُ .

تُوفِّىَ[7] بمكةَ بعدَ مُنْصرَفِ الناسِ مِن الحجِّ فى آخرِ السنةِ وعمْرُه أربعٌ وثمانونَ سنةً . ودُفِن بالمُحصَّبِ وهو آخرُ مَن مات مِن الصَّحابةِ بمكةَ[3] .

= وابن حجر فى الإصابة ١٨٨/٤ إلى الفلاس . كما عزاه ابن حجر فى الموضع نفسه إلى سعيد بن جبير وابن زَبْر .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١٠/٣٧ - ١١٣ (ط . الرسالة) من وجوه ، ولم يعزه إلى الزبير بن بكار .

(٢) بعده فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : «قال الزبير» .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٤) أخرجه الذهبى فى السير من طريق ليث بن أبى سليم عن نافع بنحوه ، ولم يعزه إلى ابن سعد . سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٣ - ٢٢٤.

(٥) تاريخ دمشق ٩٨/٣٧ (ط . الرسالة) .

(٦) المصدر السابق ص ١٠٧.

(٧) المصدر السابق ص ١٠٩.

(١ وكان له مِن الولدِ[٢] ؛ أبو بكرٍ وأبو عبيدةَ[٣] وواقدٌ [٧/ ٨٢و] وعبدُ اللَّهِ وعمرُ وحفصةُ وسوْدةُ ، أمُّهم صفيةُ بنتُ أبى عبيدٍ أختُ المختارِ ، وعبدُ الرحمنِ وسالمٌ وعبيدُ اللَّهِ وحمزةُ ، وأمُّهم أمُّ ولدٍ ، وزيدٌ وعائشةُ ، لأمِّ ولدٍ . وأسنَد ألفينِ وستَّمائةٍ وثلاثين حديثًا١) .

عبيدُ بنُ عُميرِ بنِ قَتادةَ بنِ سعدِ بنِ عامرِ بنِ جُنْدَعِ[٤] بنِ ليثٍ ، الليثىُّ ثم الجندَعىُّ[٥] ، أبو عاصمٍ المكىُّ ، قاصٌّ[٦] أهلِ مكةَ .

قال مسلمُ بنُ الحجّاجِ[٧] : ولِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ . وقال غيرُه[٨] : ورآه أيضًا . روَى عن أبيه[٩] - وله صحبةٌ[١٠] - وعن عمرَ وعلىٍّ وأبى هريرةَ وابنِ عباسٍ وابنِ عمرَ وعبدِ اللَّهِ بن عمرٍو[١١] وأُمِّ سَلَمةَ ، وغيرِهم .

وعنه جماعةٌ مِن التابعِين وغيرِهم ، ووَثَّقه ابنُ معينٍ وأبو زُرعةَ وغيرُ واحدٍ[١٢] .

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) الطبقات لابن سعد ٤/ ١٤٢.

(٣) فى الأصل : « عبدة » .

(٤) فى الأصل، ٢١، م : « خندع » . وترجمته فى : الاستيعاب ٣/ ١٠١٨، وأسد الغابة ٣/ ٥٤٥، والإصابة ٥/ ٦٠، ووقع بها تصحيف ، ففيه أن ابن حبان قال : إنه توفى سنة أربع وستين . والصواب أنه توفى هذه السنة ، وبه قال ابن حبان فى مشاهير علماء الأمصار، ص ٤٦.

(٥) فى الأصل، م : « الخندعى » .

(٦) فى ٣١، م، ص : « قاضى » .

(٧) تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٣. وانظر المصادر السابقة .

(٨) تهذيب الكمال الموضع السابق .

(٩) تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦.

(١٠) فى صحبته اختلاف ؛ سئل ابن معين، أَلِعبيد بن عمير صحبة ؟ قال : هكذا يقولون . تاريخ ابن معين ٢/ ٣٨٦. وقال العجلى فى تاريخ الثقات ٣٢١: مكى تابعى ثقة . وكذا ذكر الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/١٥٧ أنه من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة .

(١١) فى م : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٤.

(١٢) تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٤.

وكان ابنُ عمرَ يجلِسُ فى حلْقتِه ويبكِى ، وكان يُعجِبُه تذكِيرُه . وكان بليغًا ، وكان يبكِى حتى يَبُلَّ الحَصَى بدُموعِه .

قال مهدىُّ بنُ ميمونٍ ، عن غَيْلانَ بنِ جريرٍ ، قال[1] : كان عبيدُ بنُ عميرٍ إذا آخَى أحدًا فى اللَّهِ استقبَل به القِبلةَ فقال : اللَّهمَّ اجعَلْنا سعداءَ بما جاء به نبيُّك ، واجعَلْ محمدًا شهيدًا علينا بالإيمانِ ، وقد سبقَتْ لنا منك الحسنَى ، غيرَ متطاوِلٍ علينا الأمدُ ، ولا قاسيةٍ قلوبُنا ولا قائلِين ما ليس لنا بحقٍّ ، ولا سائلين ما ليس لنا به علمٌ .

وحكَى البخارىُّ[2] عن ابنِ جُريجٍ أنَّ عبيدَ بنَ عميرٍ مات قبلَ ابنِ عمرَ رضِى اللَّهُ عنه[3] .

أبو جُحَيْفةَ وهبُ بنُ عبدِ اللَّهِ السُّوائىُّ[4] ، صحابىٌّ رأى النبىَّ ﷺ ، وكان دونَ البلوغِ عندَ وفاةِ النبىِّ ﷺ ، لكنْ روَى عنه عدةَ أحاديثَ ، وعن علىٍّ والبراءِ بنِ عازبٍ . وعنه جماعةٌ مِن التابعِين ؛ منهم إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، والحكَمُ وسَلَمةُ[5] بنُ كُهَيْلٍ والشعبىُّ وأبو إسحاقَ السَّبيعىُّ . وكان قد نزَل الكوفةَ وابتنَى بها دارًا . وتُوفِّى فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ أربعٍ وتسعين . فاللَّهُ أعلمُ . [6]وكان صاحبَ شُرْطةِ علىٍّ ، وكان علىٌّ إذا خطَب يقومُ أبو جُحيفةَ تحت مِنبرِه[6] .

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٧٥، بنحوه .

(٢) التاريخ الكبير ٥/ ٤٥٥.

(٣) فى ٣١، ٢١: «عنها» .

(٤) الاستيعاب ٤/ ١٥٦١، وأسد الغابة ٥/ ٤٦٠، والإصابة ٦/ ٦٢٦.

(٥) فى ٣١: «مسلمة» . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٣٣.

(٦ - ٦) زيادة من: ٣١، ٢١، م . وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٦٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٣.

(١ **سَلَمةُ بنُ الأكوعِ بنِ عمرِو بنِ سنانٍ الأنصاريُّ**[٢] ، وهو أحدُ مَن بايَع تحتَ الشجرةِ ، وكان مِن فرسانِ الصحابةِ وعلمائِهم ، كان يُفتِى بالمدينةِ ، وله مشاهِدُ معروفةٌ فى حياةِ النبىِّ ﷺ وبعدَه ، توفِّى بالمدينةِ وقد جاوَز السبعين[٣] سنةً .

مالكُ بنُ أبى عامرٍ الأصبَحِىُّ المدنىُّ[٤] ، وهو جَدُّ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، روَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ وغيرِهم ، وكان فاضلًا عالمًا ، توفِّى بالمدينةِ .

أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمىُّ[٥] ، مقرئُ أهلِ الكوفةِ بلا مدافعةٍ ، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ حبيبٍ ، قرَأ القرآنَ على عثمانَ بنِ عفانَ وابنِ مسعودٍ ، وسمِع مِن جماعةٍ مِن الصحابةِ وغيرِهم ، وأقرَأ الناسَ القرآنَ بالكوفةِ مِن خلافةِ عثمانَ إلى إمْرةِ الحجّاجِ ، قرَأ عليه عاصمُ بنُ أبى النَّجودِ وخلقٌ غيرُه ، توفِّى بالكوفةِ[٦] .

أبو مُعْرِضٍ الأسدىُّ ، اسمُه مغيرةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الكوفىُّ[٧] ، ولِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ ، ووفَد على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ وامتدَحه ، وله شعرٌ جيِّدٌ ، ويُعرَفُ ١)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٣٩، وأسد الغابة ٢/ ٤٢٣، والإصابة ٣/ ١٥١.

(٣) فى ٣١، ٢١: « التسعين » .

(٤) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٦٣، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٠٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٥٢١، ومرآة الجنان ١/ ١٥٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٢، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، وغاية النهاية لابن الجزرى ١/ ٤١٣، وطبقات الحفاظ ٢٧.

(٦) بعده فى ٣١: « وكان أبو عبد الرحمن السلمى إذا قرأ عليه الرجل القرآن يقول له : لقد أوتيت علم اللَّه فليس أحد أعلم منك » .

(٧) ترجمته فى : الإصابة ٦/ ٣٠٩، والشعر والشعراء ٢/ ٥٥٩، والأغانى ١١/ ٢٥١، ومعجم الشعراء ٢٧٣، وخزانة الأدب ٤/ ٤٨٧.

واسمه فى الشعر والشعراء ومعجم الشعراء : مغيرة بن الأسود .

[1] بالأُقَيْشِرِ[2] ، وكان أحمرَ الوجهِ كثيرَ الشعْرِ ، توفِّى بالكوفةِ فى هذه السَّنةِ ، وقد قارَب الثمانين سنةً .

بشرُ بنُ مروانَ الأُمويُّ[3] ، أخو عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، ولِى إمْرةَ العراقَيْن لأخيه عبدِ الملكِ ، وله دارٌ بدمشقَ عندَ عَقبةِ الكتّانِ[4] ، وكان سَمْحًا جَوادًا ، وإليه يُنسبُ دَيْرُ مَرْوانَ عندَ حَجِيرا[5] ، وهو الذى قتَل خالدَ بنَ حُصينٍ الكلابيَّ يومَ مَرجِ راهِطٍ ، وكان لا تُغلَقُ دونَه الأبوابُ ، ويقولُ : إنَّما تَحتجِبُ النِّساءُ . وكان طليقَ الوجهِ ، وكان يُجيزُ على الشِّعرِ بأُلوفٍ ، وقد امتدَحه الفرزدقُ والأخطلُ . والجَهميَّةُ تستدِلُّ على الاستواءِ على العرشِ بأنَّه الاستيلاءُ ببيتِ الأخطلِ ، [6]فيما مدَح به بشرَ بنَ مَرْوانَ ، وهو قولُه[6] :

قد استوَى بشرٌ على العراقِ ... مِن غيرِ سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

وليس فيه دليلٌ ، فإنَّ هذا استدلالٌ باطلٌ مِن وُجوهٍ كثيرةٍ[7] ، وقد كان الأخطلُ نَصرانيًّا .

وكان سببَ موتِ بشرٍ أنَّه وقَعتِ القُرحةُ فى يَمينِه[8] ، فقيلَ له : نقطَعُها[1]

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ٣١، م : « بالأقطشى » . وفى ٢١: « بالأفطسى » .
وإنما غلب عليه لقب الأقيشر لأنه كان أحمر الوجه .

(٣) ترجمته فى : تاريخ دمشق ٣/٣٥١ (مخطوط) ، وفيه أنه توفى سنة ثلاث وسبعين ، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ، ص ٣٧٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٥٢، وفيها أنه توفى سنة خمس وسبعين .

(٤) فى ٣١: « الكتاب » . وفى م : « اللباب » . انظر الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ٢٣٧.

(٥) فى م : « حجير » . وحجيرا بالقصر ، من قرى غوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٢١٦.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) انظر ما ورد فى ذلك فى مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ١٢٧.

(٨) فى م : « عينه » .

(١) مِن المِفصَلِ. فجزِع، فما أمسَى[٢] حتى خالطَت الكتِفَ، ثم أصبَح وقد خالَطتِ الجوفَ، ثم مات، ولمّا احتُضر جعَل يبكِى ويقولُ[٣]: واللَّهِ لَوددتُ أنِّى كنتُ عبدًا أرعَى الغنمَ فى الباديةِ لبعضِ الأعرابِ ولم ألِ ما ولِيتُ. فذُكِر قولُه لأبى حازمٍ - أو لسعيدِ بنِ المسيَّبِ - فقال[٤]: الحمدُ للَّهِ الذى جعَلَهم عندَ الموتِ يفِرُّون إلينا ولم يجعَلْنا نفِرُّ إليهم، إنّا لنَرَى فيهم عِبَرًا. وقال الحسنُ[٥]: دخَلتُ عليه فإذا هو يتمَلْمَلُ على سريرِه، ثم نزَل عنه إلى صَحْنِ الدارِ، والأطِبّاءُ حولَه.

مات بالبصرةِ فى هذه السَّنةِ وهو أوَّلُ أميرٍ مات بها. ولمّا بلَغ عبدَ الملكِ موتُه حزِن عليه وأمَر الشعراءَ أن يَرثُوه. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ(١).

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) فى م: «أحس».

(٣) تاريخ دمشق ١٠/٢٦٥ (مخطوط).

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٢٦٥ بنحوه، وعزا القول فيه إلى شقيق.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/٢٦١ بنحوه، وسير أعلام النبلاء ٤/١٤٦.

ثم دخلَت سنةُ خمسٍ وسبعين

ففيها غزا محمدُ بنُ مَرْوانَ - أخو عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وهو والدُ مَرْوانَ الحِمارِ - صائفةَ الرومِ[1] حينَ خرَجوا مِن عندِ مَرْعَشٍ[2] . وفيها ولّى عبدُ الملكِ ابنُ مَرْوانَ نيابةَ المدينةِ ليَحْيَى بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ ، وهو عمُّه ، وعزَل عنها الحجّاجَ .

وفيها ولَّى عبدُ الملكِ الحجّاجَ بنَ يوسفَ نيابةَ العراقِ ؛ البصرةِ والكوفةِ وما يَتبَعُ ذلك مِن الأقاليمِ الكبارِ ، وذلك بعدَ موتِ أخيه بشرِ بنِ مَرْوانَ ، فرأى عبدُ الملكِ أنَّه لا يَسُدُّ عنه أهلَ العراقِ غيرُ الحجّاجِ لسَطْوتِه وقهرِه وقسوتِه وشهامتِه ، فكتَب إليه ، وهو بالمدينةِ ، [٨٢/٧ظ] بولايةِ العراقِ ، فسار مِن المدينةِ إلى العراقِ فى اثنَىْ عشَرَ راكبًا علَى النجائبِ ، فنزَل قَريبَ الكوفةِ فاغتَسل واختضَب ولبِس ثيابَه وتَقلَّد سيفَه وألقَى عَذَبةَ[3] العِمامةِ بينَ كَتِفَيْه ، ثم سار فنزَل دارَ الإمارةِ ، وذلك يومَ الجمُعةِ وقد أذَّن المؤذِّنُ الأولُ ، فخرَج عليهم وهم لا يعلَمون ، فصعِد المِنبرَ وجلَس عليه وأمسَك عن الكلامِ طويلًا ، وقد شخَصوا إليه بأبصارِهم وجَثَوْا على الرُّكَبِ وتناوَلوا الحَصْباءَ ليَقذِفوه بها ، وقد كانوا حصَبوا [4]الذى كان[4] قبلَه ، فلمّا سكَت أبهَتَهم وأحَبُّوا أن يسمَعوا كلامَه ، فكان أولَ ما تَكلَّم به أن قال[5] :

---

(١) الصائفة غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفا ، لمكان البرد والثلج . القاموس (ص ى ف) .

(٢) مرعش : ثغر من ثغور إرمينية . معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٥.

(٣) عذَبَة العمامة : طرفها .

(٤ - ٤) فى الأصل : « عاملا » .

(٥) انظر خطبة الحجاج فى عيون الأخبار ٢/ ٢٤٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٢ فما بعدها ، والعقد الفريد =

يا أهلَ العراقِ يا أهلَ الشِّقاقِ ويا أهلَ النفاقِ ، ومَساوئَ الأخلاقِ ، واللَّهِ إن كان أمرُكم لَيَهُمُّنى قبلَ أن آتِىَ إليكم ، ولقد كنتُ أدعو اللَّهَ أن يَبتلِيَكم بى ، [1] فأجاب دعوتى ، إلّا أنِّى سِرتُ [1] البارحةَ فسقَط منِّى سوطِى الذى أُؤذيكم به ، فاتخَذتُ هذا مكانَه - وأشار إلى سيفِه - ثم قال : واللَّهِ [2] لأجُرَّنَّه فيكم جرَّ المرأةِ ذيلَها ، ولأفعلَنَّ بكم ولأصنَعنَّ [2] . فلمّا سمِعوا كلامَه جعَل الحَصَى يتساقَطُ مِن أيدِيهم ، وقيلَ : إنَّه دخَل الكوفةَ [1] على حينِ غَفْلةٍ مِن أهلِها [1] فى شهرِ رمضانَ [1] مِن هذه السَّنةِ [1] ظهرًا ، فأتَى المسجدَ ، وصعِد المِنبرَ ، وهو معتَجِرٌ بعِمامةٍ حمراءَ ، متلثِّمٌ بطرَفِها ، ثم قال : علىَّ بالناسِ . فحسِبه الناسُ وأصحابَه مِن الخوارجِ ، فهَمُّوا به حتى إذا اجتمَع الناسُ قام وكشَف عن وجهِه ، وقال [3] :

أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثَّنايا متى أضَعِ العِمامةَ تعرفونى

ثم قال : أمَا واللَّهِ إنِّى لأحمِلُ الشرَّ [4] بحَمْلِه ، وأحذُوه [5] بنَعْلِه [6] ،

= ٤/١١٥ فما بعدها ، والكامل فى التاريخ ٤/٣٧٤ فما بعدها ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٠، وصبح الأعشى ١/٢١٨.

(١ - ١) سقط من ا٣، ا٢، م، ص.

(٢ - ٢) فى ا٣، ا٢، م: « لآخذن صغيركم بكبيركم وحركم بعبدكم ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدة والخباز العجينة ».

(٣) البيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات ، ص ١٧ (ط. شاكر ، هارون) ، وهو فى عيون الأخبار ٢/٢٤٣، وتاريخ الطبرى ٦/٢٠٢، والعقد الفريد ٤/١٢٠، ٥/١٧.

(٤) فى النسخ : « الشىء ». والمثبت من الطبرى ٦/٢٠٣.

(٥) فى الأصل : « واحده ». وفى ا٣، ا٢: « أخذوه ».

(٦) فى ا٣: « بفعله ».

وأَجزِيه[1] بمثلِه[2] ، وإنِّى لأرَى رءوسًا قد أينعَت وحان قِطافُها ، وإنِّى لأنظُرُ إلى الدماءِ تَترقرَقُ بينَ العمائمِ واللِّحَى :

شمَّرتْ عن ساقِها فشَمِّرى[3]

ثم أنشَد أيضًا[4] :

هذا أوانُ الشدِّ[5] فاشتَدِّى زِيَمْ[6] قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ[5]

ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزَّارٍ[7] على ظَهْرِ وَضَمْ[8]

قد لفَّها الليلُ بعَصْلَبىٍّ[9] أروَعَ خَرّاجٍ مِن الدَّوِّىِّ[10]

مهاجرٍ[11] ليس بأعرابىٍّ

---

(١) فى الأصل : «آخره» . وفى ٣١، ٢١، م : «أحزمه» .

(٢) فى النسخ : «بقتله» . والمثبت من الطبرى .

(٣) فى الأصل : «فشرى» . وانظر العقد الفريد ٤/ ١٢٠، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٣.

(٤) العقد الفريد ٤/ ١٢٠، ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢١، ٣٢٢. وانظر اللسان (ح ط م، ز ى م) . والأبيات لرشيد بن رميض يقولها فى الحطم، وهو شريح بن ضبيعة، وكان شريح قد غزا اليمن فى جموع من ربيعة، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة هلك فيها ناس كثير، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجا بمن بقى من أصحابه .

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١: «الليل» .

(٦) فى الأصل، ٣١، ٢١: «ريم» . وزيم : اسم فرس أو ناقة .

(٧) فى الأصل، ٣١، ٢١: «بخوار» .

(٨) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٩) فى الأصل، ٢١: «بعضلبى» . وفى ٣١: «بعضلى» . والعصلبى : الشديد القوى . والرجز فى اللسان (ع ص ل ب) .

(١٠) الأروع : الذكى أو من يعجبك بشجاعته . والدوى : جمع دوية وهى الفلاة الواسعة، يريد بها الشدائد .

(١١) فى الأصل : «فانقبها» . وفى ٣١، ٢١: «مهاجرى» .

ثم قال: إنِّى واللَّهِ يا أهلَ العراقِ ما [(١)]أُغمَزُ بغِمازٍ[(١)]، ولا يُقعقَعُ لى بالشِّنانِ[(٢)]، ولقد فُرِزْتُ عن ذكاءٍ، وجرَيتُ[(٣)] إلى الغايةِ القُصوَى، وإنَّ أميرَ المؤمنين عبدَ الملِكِ بنَ مَرْوانَ نثَر كِنانتَه [٧/٨٣و] ثم عجَم عِيدانَها عُودًا عُودًا[(٤)] فوجَدَنى أمَرَّها عُودًا وأصلَبَها مَغمِزًا، فوَجَّهنى إليكم، فإنّكم طالما أوضَعْتم[(٥)] فى أوديةِ الفِتَنِ، وسنَنتُم[(٦)] سُنَنَ[(٧)] الغَىِّ[(٨)]، أمَا واللَّهِ لأحْوُنَّكم[(٩)] لَحْىَ العُودِ، ولأعصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمَةِ[(١٠)]، ولأضرِبَنَّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ[(١١)]، إنِّى واللَّهِ لا أعِدُ إلّا وَفَيْتُ، ولا أخلُقُ[(١٢)] إلّا فرَيْتُ، فإيايَ وهذه الجماعاتِ وقيلًا وقالًا، واللَّهِ لتَستقيمُنَّ على سبيلِ الحقِّ أو لأدَعَنَّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغلًا فى جسدِه. ثم قال: مَن وجَدتُ بعدَ ثالثةٍ مِن بَعْثِ المُهلَّبِ - يعنى الذين كانوا قد رجَعوا عنه لمّا سمِعوا بموتِ بشرِ بنِ مَرْوانَ، كما تقدّم[(١٣)] - سفكتُ دمَه وانتهَبتُ مالَه. ثم نزَل

(١ - ١) فى الأصل: «أغمر بغمار». وفى ص: «أغمر بغمارة». وفى الطبرى ٦/ ٢٠٣: «ما أغمز كتغماز التين»، والعقد الفريد ٤/ ١٢١: «لا يغمز جانبى كتغماز التين». وغمز التين ونحوه جسّه ليعرف أناضج هو أم فج.

(٢) فى ا٣: «بالشان». وهو مثل يضرب للرجل الصعب الذى لا يهدد ولا يفزّع بالوعيد. وتقدم الكلام عليه فى ١٠/ ٥٠٣.

(٣) فى الأصل: «جررت». وفى ا٣، م: «جربت».

(٤) بعده فى الأصل: «أى عضضها بأسنانه».

(٥) فى م: «ارتعتم». والإيضاع ضرب من السير.

(٦) فى ا٣، ٢١، م: «سلكتم».

(٧) فى ا٣، ٢١، م: «سبيل».

(٨) بعده فى ا٣، ٢١، م: «واخترتم جدد الضلال».

(٩) فى الأصل: «لأجردنكم».

(١٠) السلمة: شجر كثير الشوك.

(١١) غرائب الإبل: الإبل الغريبة إذا دخلت بين الإبل التى ترد الماء، فتضرب هذه الإبل وتطرد.

(١٢) فى الأصل، ٢١، م، ص: «أحلق». وفى ا٣: «أحلف». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٤، وانظر العقد الفريد ٤/ ١٢١. والمعنى: ولا أقدر إلا قطعت.

(١٣) انظر ما تقدم فى ص ٢٤١، ٢٤٢.

فدخَل منزلَه ولم يَزِدْ على ذلك .

ويقالُ[1] : إنَّه لمّا صعِد المِنبرَ واجتمَع الناسُ تحتَه أطال السكوتَ حتى إنَّ محمدَ بنَ عميرٍ[2] أخَذ كفًّا مِن حصًى وأراد أن يحصِبَه بها ، وقال : قبَّحه اللَّهُ ، ما أعياه وأذَمَّه ! فلمّا نهَض الحجّاجُ وتكلَّم بما تكلَّم به جعَل الحصَى يتناثَرُ مِن يدِه ، وهو لا يشعُرُ به ؛ لما يَرَى مِن فصاحتِه وبلاغتِه . ويقالُ : إنَّ الحجّاج قال فى خطبتِه هذه : شاهتِ الوجوهُ ، إنَّ اللَّهَ ضرَب مثلًا ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : ١١٢] . وأنتم أولئك فاستوثِقوا[3] واستقِيموا ، فواللَّهِ لأُذيقَنَّكم الهوانَ حتى تَدِرُّوا[4] ، ولأعصِبنَّكم عَصْبَ السَّلَمةِ حتى تنقادوا ، وأُقسِمُ باللَّهِ لتُقْبِلُنَّ[5] على الإنصافِ ولتَدَعُنَّ الإرجافَ وكان وكان ، وأخبرَنى فلانٌ عن فلانٍ ، والخبَرُ[6] وما الخبرُ ، [7]أو لأَهبُرَنَّكم[7] بالسيف هَبْرًا يدَعُ النساءَ أيامَى والأولادَ يتامَى ، حتى تَمشُوا السُّمَّهَى[8] وتُقلِعوا عن [9]ها وهَا[9] . فى كلامٍ طويلٍ بليغٍ غريبٍ مُشتمِلٍ على وعيدٍ شديدٍ ، ليس فيه وعدٌ بخيرٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٥.

(٢) فى ص : « عمر » .

(٣) فى ٣١، ٢١، م : « فاستووا » .

(٤) فى ٣١: « تدووا » . وفى ٢١: « تذووا » . وفى ص : « يدوروا » .

(٥) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « لتقتلن » . وفى ص : « لتقيلن » .

(٦) فى ٣١، ٢١، م : « إيش الخبر » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : « لأهبرنكم » . وفى ٣١: « ولأهبرنكم » . والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٠٤.

(٨) فى الأصل ، ٣١، ٢١: « السيمى » .

ويقال جرى فلان السمهى : أى جرى إلى غير أمر يعرفه . لسان العرب (س م هـ) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « ها ولا » . وفى ٣١، ٢١: « هؤلاء » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٤.

فلمّا كان فى اليومِ الثالثِ سمِع تكبيرًا فى السوقِ فخرَج حتى جلَس على المِنبرِ فقال[1] : يا أهلَ العراقِ يا أهلَ الشِّقاقِ والنفاقِ ، ومساوئ الأخلاقِ ، إنِّى سمِعتُ تكبيرًا فى السُّوقِ ليس بالتكبيرِ الذى يرادُ به الترغيبُ ، ولكنَّه تكبيرٌ يرادُ به الترهيبُ ، وقد عَصَفت[2] عَجاجةٌ[3] تحتَها قَصْفٌ ، يا بنى اللَّكيعةِ وعبيدَ العصا وأبناءَ الإماءِ[4] والأيامَى ، ألا يربَعُ[5] كلُّ رجلٍ منكم على[6] ظَلْعِه[7] ، [8]ويحسِنُ حَقْنَ دمِه[8] ويبصِرُ موضِعَ قَدمِه ، وأقسِمُ باللَّهِ لأُوشِكُ أن أوقِعَ بكم وقعةً تكونُ نَكالًا لما قبلَها وأدبًا لما بعدَها . [٧/٨٣ظ] قال : فقام إليه عميرُ بنُ ضابئٍ التميمىُّ ثم الحنظلىُّ فقال[9] : أصلَح اللَّهُ الأميرَ أنا فى هذا البعثِ وأنا شيخٌ كبيرٌ وعليلٌ ، وهذا ابنى وهو أشَبُّ منِّى . قال : ومَن أنتَ ؟ قال : أنا عميرُ بنُ ضابئٍ التميمىُّ . قال : أسمِعتَ كلامَنا بالأمسِ ؟ قال : نعم . قال : ألستَ الذى غزا عثمانَ بنَ عفانَ ؟ قال : بلَى . قال : وما حَمَلك على ذلك ؟ قال : كان حبَس أبى وكان شيخًا كبيرًا . قال : أو ليس هو الذى يقولُ[10] :

همَمتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ وليتَنى ... فعَلتُ وولّيتُ البُكاءَ حَلائلَه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٦. وانظر العقد الفريد ٤/ ١١٥.

(٢) فى الأصل، ص: «عرفت».

(٣) فى م: «غجاجة».

(٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «يرجع». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٦.

(٦) فى ٣١، ٢١، م، ص: «إلى».

(٧) فى الأصل، ٣١، ٢١: «طلعه». والظَّلْع: الضعف والوهن من شدة السير.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل، ٣١، ٢١، ص.

(٩) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٧. وانظر الكامل ٤/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٤.

(١٠) سقط من: م. والخبر فى تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٧. والرواية عنده: تركتُ على عثمان تبكى حلائلُهْ.

ثم قال الحجاجُ : إنِّى لأحسَبُ أنَّ فى قتلِك صلاحَ المِصْرَين . ثم قال : قُمْ إليه يا حرَسىُّ فاضرِبْ عنُقَه . فقام إليه رجلٌ فضرَب عنقَه وانتهَب مالَه ، وأمَر مناديًا فنادَى فى الناسِ : أَلا إنَّ عميرَ بنَ ضابئٍ تأخَّر بعدَ سماعِ النداءِ . ثلاثًا ، فأُمِر بقتلِه .

قال[1] : فخرَج الناسُ حتى ازدحَموا على الجسرِ فعبَر عليه فى ساعةٍ واحدةٍ أربعةُ آلافٍ مِن مَذْحِجٍ ، وخرَجتْ معهم العُرَفاءُ[2] حتى وصَلوا بهم إلى المهلَّبِ ، وأخَذوا منه كتابًا بوصولِهِم إليه ، فقال المهلَّبُ : قدِم العراقَ واللَّهِ رجلٌ ذَكَرٌ ، اليومَ قوتِل العدوُّ .

ويروَى أنَّ الحجاجَ لم يعرِفْ عميرَ بنَ ضابئٍ حتى قال له عنبسةُ بنُ سعيدٍ : أيُّها الأميرُ ، إنَّ هذا جاء إلى عثمانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقد قُتِل فلطَم وجهَه . فأمَر الحجاجُ عندَ ذلك بقتلِه .

وبعَث الحجاجُ الحكمَ بنَ أيوبَ الثقفىَّ نائبًا على البصرةِ مِن جهتِه ، وأمَره أن يشتَدَّ على خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ . وأقَرَّ على قضاءِ الكوفةِ شُريحًا ، ثم ركِب الحجّاجُ إلى البصرةِ ، واستخلَف على الكوفةِ أبا يَعْفورٍ ، ووَلَّى قضاءَ البصرةِ لزُرارةَ بنِ أوْفَى ، ثم عاد إلى الكوفةِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، وأقَرَّ عمَّه يَحْيَى على نيابةِ المدينةِ ، وعلى بلادِ خراسانَ أُميَّةَ بنَ عبدِ اللَّهِ .

وفى هذه السَّنةِ وثَب الناسُ بالبصرةِ على الحجاجِ ، وذلك أنَّه لمّا ركِب مِن

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٠٧، والكامل ٤/ ٣٧٨.

(٢) العرفاء : جمع عريف ، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة ، يتعرف الأمير منه أحوالهم . النهاية ٣/ ٢١٨.

الكوفةِ بعدَ قتلِ عميرِ بنِ ضابئٍ، وقام فى أهلِ البصرةِ بخُطبةٍ[1] نظيرَ ما قام فى أهلِ الكوفةِ مِن الوعيدِ الشديدِ والتهديدِ الأكيدِ، ثم أُتِى برجلٍ مِن بنى يَشْكُرَ، فقيلَ: هذا عاصٍ. فقال الرجلُ: إنَّ بى فَتْقًا وقد عَذَرنى بشرُ بنُ مَرْوانَ، وهذا عطائى مردودٌ على بيتِ المالِ. فلم يَقبَلْ منه، وأمَر [٨٤/٧و] بقتلِه فقتِل، ففزِع أهلُ البصرةِ وخرَجوا مِن البصرةِ حتى اجتمَعوا عندَ قنطرةِ رامَهُرْمُزَ، وعليهم عبدُ اللَّهِ بنُ الجارودِ، وخرَج إليهم الحجاجُ - وذلك فى شعبانَ مِن هذه السَّنةِ - فى أمراءِ الجيشِ مِن المِصرَيْن، فاقتَتلوا هنالِك قتالًا شديدًا [2]فهزَمهم الحجاجُ[2]، وقتَل أميرَهم عبدَ اللَّهِ بنَ الجارودِ فى رءوسٍ مِن القبائلِ معه، وأمَر برءوسِهم فنُصِبت عندَ الجسرِ مِن رامَهُرمُزَ، ثم بعَث بها إلى المهلَّبِ فقَوِى بذلك، وضعُفَ أمرُ[3] الخوارجِ، وأرسَل الحجاجُ إلى المهلَّبِ وعبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ، فأمَرهما بمناهضةِ الأزارقةِ، فنهَضا بمَن معهما إلى الخوارجِ الأزارقةِ فأجلَوْهم عن أماكنِهم مِن رامَهُرمُزَ بأيسرِ قتالٍ، فهرَبوا إلى أرضِ كازَرُونَ مِن إقليمِ سابُورَ، وسار الناسُ وراءَهم فالتقَوْا فى العَشرِ الآخِرِ مِن رمضانَ.

فلمّا كان الليلُ بيَّتَ الخوارجُ المهلَّبَ مِن الليلِ فوجَدوه قد تَحصَّن بخَندقٍ حولَ معسكَرِه، فجاءوا إلى عبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ فوجَدوه غيرَ مُحترِزٍ - وكان المهلَّبُ قد أمَره بالاحترازِ بخندَقٍ حولَه فلم يفعَلْ - فاقتتَلوا فى الليلِ فقتَلتِ الخوارجُ عبدَ الرحمنِ بنَ مِخْنَفٍ، وطائفةً مِن جيشِه، وهزَموهم هزيمةً منكَرةً. ويُقالُ: إنَّ الخوارجَ لـمّا التقَوْا مع الناسِ فى هذه الوقعةِ كان ذلك فى يومِ الأربعاءِ لعَشرٍ[4] بقِين

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٠.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «أمير».

(٤) فى الأصل، ص: «لعشرين». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٢.

مِن رمضانَ ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا لم يُعهَدْ مثلُه مِن الخوارجِ ، وحمَلتِ الخوارجُ على جيشِ المهلَّبِ فاضطَرُّوه إلى مُعَسْكَرِه ، فجعَل عبدُ الرحمنِ بنُ مِخْنَفٍ يُمِدُّه بالخيلِ بعدَ الخيلِ ، والرجالِ بعدَ الرجالِ ، فمالتِ الخوارجُ إلى مُعَسْكَرِ عبدِ الرحمنِ بنِ مِخْنَفٍ بعدَ العصرِ ، فاقتتَلوا معه إلى الليلِ ، فقتِل عبدُ الرحمنِ فى أثناءِ الليلِ ، وقتِل معه طائفةٌ كثيرةٌ مِن أصحابِه الذين ثبتوا معه ، فلمّا كان الصباحُ جاء المهلَّبُ فصلَّى عليه ودفنَه ، وكتَب إلى الحجاجِ بمهلِكِه ، فكتَب الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ يُعَزِّيه فيه ، فنَعاه عبدُ الملكِ إلى الناسِ بمِنًى ، وأمَّر الحجاجُ مكانَه عتّابَ بنَ وَرقاءَ ، وكتَب إليه أن يطيعَ المهلَّبَ ، فكَرِه ذلك ، ولم يجِد بُدًّا مِن طاعةِ الحجاجِ ، و[1] لم يُمكِنْه مخالفتُه[1] ، فسار إلى المهلَّبِ فجعَل لا يطيعُه إلّا ظاهرًا ويَعصِيه كثيرًا ، ثم تقاوَلا ، فهَمَّ المهلَّبُ أن يوقِعَ بعَتّابٍ ، ثم حجَز بينَهما الناسُ ، فكتَب عتّابٌ إلى الحجاجِ يشكو المهلَّبَ ، فكتَب إليه أن يَقدَمَ عليه ، وأعفاه مِن ذلك ، وجعَل المهلَّبُ [٧/ ٨٤و] مكانَه ابنَه حَبيبَ بنَ المهلَّبِ .

[2] وفيها خرجَ داودُ بنُ النعمانِ المازنيُّ بنواحى البصرةِ ، فوجَّه إليه الحجّاجُ أميرًا على سريَّةٍ فقتَله[2] .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وفى هذه السَّنةِ تحرَّك صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ[4] أحدُ بنى[5] امرئِ القيسِ - وكان يرَى رأىَ الصُّفريَّةِ ، وقِيل : إنَّه أولُ مَن خرَج مِن الصُّفريةِ - وكان سببَ ذلك أنَّه كان حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ ، ومعه شبيبُ بنُ يَزيدَ ، والبَطِينُ ،

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « كره أن يخالفه » .
(٢ - ٢) سقط من الأصل . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٥.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٥.
(٤) فى الأصل ، ٢١ : « مشرح » .
(٥) سقط من : الأصل .

وأشباهُهم مِن رءوسِ الخوارجِ ، واتفَقَ حجُّ أميرِ المؤمنِين عبدِ الملكِ ، فهَمَّ شبيبٌ بالفَتْكِ به ، فبلَغ عبدَ الملكِ ذلك مِن خبرِه ، فكتَب إلى الحجّاجِ بعدَ انصرافِه مِن الحجِّ أن يتطَلَّبَهم ، وكان صالحُ بنُ مُسرِّحٍ[1] هذا يُكثِرُ الدخولَ إلى الكوفةِ والإقامةَ بها ، وكان له جماعةٌ[2] ، مِن أهلِ دَارَا وأهلِ[3] المَوْصِلِ ، يُعلِّمُهم القرآنَ [4]ويُفَقِّهُهم[4] ويَقُصُّ عليهم ، وكان مُصْفَرًّا كثيرَ العبادةِ ، وكان إذا قصَّ يحمَدُ اللَّهَ ، ويُثنِى عليه ، ويصلِّى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم يأمُرُ بالزُّهدِ فى الدنيا والرغبةِ فى الآخِرةِ ، ويَحُثُّ على ذكرِ الموتِ ، ثم يترحَّمُ على الشيخَيْن أبى بكرٍ وعمرَ ، ويُثنِى عليهما ثناءً حسنًا ، ولكنْ بعدَ ذلك يذكُرُ عثمانَ بنَ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فيَسُبُّه وينالُ منه ، ويُنكِرُ عليه أشياءَ مِن جنسِ ما كان يُنكِرُ عليه الذين خرَجوا عليه وقتَلوه مِن فَجَرَةِ أهلِ الأمصارِ ، ثم يَحُضُّ أصحابَه على الخروجِ مع الخوارجِ للأمرِ بالمعروفِ ولإنكارِ المنكَرِ الذى قد شاع فى الناسِ وذاع ، ويُهَوِّنُ عليهم القتلَ ، ويَذُمُّ الدنيا وأمرَها ويُصغِّرُها ، فالْتَفَّ[5] عليه جماعةٌ مِن الناسِ ، وكتَب إليه شبيبُ بنُ يزيدَ الخارجىُّ يستبطِئُه فى الخروجِ ، ويَحُثُّه عليه ، ويندُبُه إليه ، ثم قدِم شبيبٌ على صالحٍ وهو بدَارَا فتواعَدوا ، وتوافَقوا على الخروجِ فى مُستَهَلِّ صَفَرٍ مِن السَّنةِ[6] الآتيةِ - وهى سنةُ ستٍّ وسبعين - [7]وقدِم على صالحٍ شبيبٌ ، وأخوه مُصادٌ ، والمُحَلَّلُ[8] ، والفضلُ بنُ عامرٍ ، فاجتمَع عليه مِن الأبطالِ وهو بدارا نحوُ[7]

---

(١) فى الأصل ، ٢١: « مشرح » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « يلوذون به ويعتقدونه » .

(٣) فى م ، ص : « أرض » .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(٥) فى م : « فالتفت » .

(٦) فى ٣١، ٢١، م : « هذه السنة » .

(٧ - ٧) زيادة من ٣١، ٢١، م .

(٨) فى ٢١، م : « المجلل » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢١٩، والكامل ٤/ ٣٩٣.

(١) مائةٍ وعَشَرةِ أنفسٍ ، ثم وثَبوا على خيلِ لمحمدِ بنِ مَرْوانَ فأخَذوها وتَقَوَّوْا[٢] بها[١] ، ثم كان مِن أمرِهم بعدَ ذلك ما سنذكُرُه فى التى بعدَها ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وكان ممَّن توفِّى فى هذه السَّنةِ فى قولِ أبى[٣] مُسهِرٍ ، وأبى عبيدٍ[٤] :

العِرباضُ بنُ ساريةَ السُّلَمىُّ أبو نَجيحٍ[٥] ، سكَن حِمْصَ ، وهو صحابىٌّ جليلٌ ، أسلَم قديمًا هو وعمرُو بنُ عَبَسَةَ[٦] ، رضِى اللَّهُ عنهما ، ونزَل الصُّفَّةَ ، وكان مِن البَكّائين المذكورِينَ فى سورةِ براءةٍ ، كما قد ذَكَرْنا أسماءَهم عندَ قولِه تعالى[٧] : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ الآية[٨] [التوبة : ٩٢] .

وهو راوِى حديثِ : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ خطبةً وَجِلت منها القلوبُ وذَرَفت منها العيونُ [٩] حتى قُلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، كأنَّها موعظةُ مودِّعٍ [٧/ ٨٥و] فأَوْصِنا . قال : « أُوصِيكم بتقوَى اللَّهِ والسَّمعِ والطاعةِ ، وإنْ تأمَّر عليكم عبدٌ حَبَشِىٌّ كأنَّ رأسَه زبيبةٌ ، عليكم بسُنَّتى وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين مِن بعدِى ، عَضُّوا عليها بالنواجِذِ ، وإيّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ ، فإنَّ كلَّ محدَثةٍ بدعةٌ »[٩] . رواه

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م .

(٢) فى م : « نفروا » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى ص : « عبيدة » .

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٢٣٨، وأسد الغابة ٤/ ١٩، والإصابة ٤/٤٨٢ - ٤٨٣.

(٦) فى م : « عنبسه » .

(٧) التفسير ٤/١٣٨ - ١٣٩.

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وكانوا تسعة » . والصحيح أنهم سبعة ، راجع التفسير الموضع السابق .

(٩ - ٩) فى ٣١، ٢١، م : « الحديث إلى آخره » .

أحمدُ[1] وأهلُ السُّننِ[2] ، وصحَّحه الترمذيُّ ، وغيرُه . [3]وروَى أيضًا[4] أنَّ النبيَّ ﷺ كان يصلِّى على الصفِّ المقدَّمِ ثلاثًا ، وعلى الثانى واحدةً . وقد كان العِرباضُ شيخًا كبيرًا ، وكان يُحِبُّ أن يقبِضَه اللَّهُ إليه ، وكان يدعو[5] : اللهمَّ كبِرتْ سِنِّى ، ووهَن عظمِى ، فاقبِضْنِى إليك . وروَى أحاديثَ[3] .

أبو ثعلَبةَ الخُشَنىُّ[6] ، صحابىٌّ جليلٌ ، شهِد بيعةَ الرِّضوانِ ، وغزَا حُنينًا . وكان ممَّن نزَل الشامَ بدَارَيّا غربىِّ دمشقَ إلى جهةِ القبلةِ ، وقيل : ببلاط - قريةٍ شرقىِّ دمشقَ - فاللَّهُ أعلمُ . وقد اختُلِف فى اسمِه ، واسمِ أبيه على أقوالٍ كثيرةٍ ، والأشهرُ منها : جُرثومُ بنُ ناشرٍ[7] .

وقد روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ ، [8]وعن جماعةٍ مِن الصحابةِ[8] . وعنه جماعةٌ مِن التابعِين ؛ منهم سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، ومكحولٌ الشامىُّ ، وأبو إدريسَ الخولانىُّ ، وأبو قِلابةَ الجَرْمىُّ .

وكان ممَّن يجالِسُ كعبَ الأحبارِ ، وكان فى كلِّ ليلةٍ يخرُجُ ، فينظُرُ إلى السماءِ فيتفكَّرُ ، ثم يَرجِعُ فيسجُدُ للَّهِ ، عزَّ وجلَّ . وكان يقولُ[9] : إنِّى لأرجو أن

---

(١) المسند ٤/ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) الترمذى (٢٦٧٦) ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الألبانى : صحيح . صحيح سنن الترمذى (٢١٥٧) .

(٣ - ٣) زيادة من ٣١، ٢١، م .

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦، ١٢٧.

(٥) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢١.

(٦) الاستيعاب ٤/ ١٦١٨، وأسد الغابة ٦/ ٤٤، والإصابة ٧/ ٥٨.

(٧) فى الأصل : « ناشز » ، وفى ٣١ : « ماشر » . وانظر طبقات خليفة ٧٨٢، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٦٩- ١٧٣.

(٨ - ٨) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٩) تهذيب الكمال ٣٣/ ١٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٠ بنحوه .

لا يخنُقَنى اللَّهُ عندَ الموتِ كما أراكمُ تُخنَقون . فبينَما هو ليلةً يصلِّى مِن الليلِ إذ قبِضت روحُه وهو ساجدٌ ، ورأتِ ابنتُه فِى المنامِ كأنَّ أباها قد مات فانتبَهَت مذعورةً ، فقالت لأُمِّها : أينَ أبى ؟ قالت : هو فى مُصلّاه . فنادَتْه فلم يُجِبْها ، فجاءته فحَرَّكَتْه فسقَط لجَنْبِه فإذا هو ميتٌ ، رحِمه اللَّهُ .

قال أبو عبيدٍ[1] ، ومحمدُ بنُ سعدٍ ، وخليفةُ ، وغيرُ واحدٍ[2] : كانت وفاتُه سنةَ خمسٍ وسبعِين . وقال غيرُهم : كانت وفاتُه فى أوَّلِ إمْرَةِ معاويةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد توفِّى فى هذه السَّنةِ الأسودُ بنُ يزيدَ[3] صاحبُ ابنِ مسعودٍ ، [4]وهو الأسودُ بنُ يزيدَ النَّخَعىُّ ، مِن كبارِ التابعِين ، ومِن أعيانِ أصحابِ ابنِ مسعودٍ ، ومِن كبارِ أهلِ الكوفةِ ، وكان يصومُ الدهرَ ، وقد ذهَبتْ عينُه مِن كثرةِ الصومِ ، وقد حجَّ البيتَ ثمانِين حَجَّةً وعمرةً ، وكان يُهِلُّ مِن الكوفةِ ، توفِّى فى هذه السنةِ ، وكان يصومُ حتى يخضَرَّ ويصفَرَّ ، فلمّا احتُضِر بكَى ، فقِيل له : ما هذا الجزَعُ ؟ فقال[5] : ما لى لا أجزَعُ ؟ ومَن أحقُّ بذلك منِّى ؟ واللَّهِ لو أُنبِئتُ بالمغفرةِ مِن اللَّهِ لأهمَّنى[6] الحياءُ منه ممّا قد صنعتُ ، إنَّ الرجلَ ليَكونُ بينَه وبينَ الرجلِ الذنبُ الصغيرُ فيَعفو عنه ، فلا يزالُ مُستحيِيًا منه[4] .

---

(١) فى م : « عبيدة » . وانظر تهذيب الكمال ٣٥٤/٢٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤١٦/٧ ، وطبقات خليفة ٧٨٢، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٧٤.

(٣) الاستيعاب ١/ ٩٢، وأسد الغابة ١/ ١٠٧، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٥٩، والإصابة ١/ ١٩٩.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ص.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢.

(٦) فى م : « لأهابن » .

(١ **حُمْرانُ**(٢) **بنُ أبانٍ ، مولَى عثمانَ بنِ عفانَ** ، كان مِن سَبْيِ عينِ التَّمْر ، اشتراه عثمانُ ، وهو الذى كان يأذَنُ للناسِ على عثمانَ . توفِّى فى هذه السَّنةِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ا ٢: « حمزان » . وترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٨، وطبقات خليفة ١/ ٤٧٦، ٤٨٦، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٩٥، والإصابة ٢/ ١٨٠.

ثم دخلت سنةُ ستٍّ وسبعين

وكان فى أوَّلِها فى مستهَلِّ صفَرٍ منها ليلةَ الأربعاءِ اجتماعُ صالحِ بنِ مُسَرِّحٍ أميرِ الصُّفريةِ، وشبيبِ بنِ يزيدَ[1] أحدِ شُجعانِ الخوارجِ، فقام فيهم صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ فأمَرهم بتقوى اللَّهِ، وحثَّهم على الجهادِ، وأن لا يُقاتِلوا أحدًا حتى يدْعوه إلى الدخولِ معهم.

ثم مالوا إلى دوابِّ محمدِ بنِ مَرْوانَ نائبِ الجزيرةِ [2]لأخيه عبدِ الملكِ[2]، فأخَذوها فتقَوَّوْا[3] بها، وأقاموا بأرضِ دَارَا ثلاثَ عشْرةَ ليلةً، وتَحصَّن منهم أهلُ دَارَا ونَصيبِينَ وسِنجارَ، فبعَث إليهم محمدُ بنُ مروانَ نائبُ الجزيرةِ خمسَمائةِ فارسٍ، عليهم عَدِيُّ بنُ عدِيِّ بنِ عُميرةَ، ثم زادَه خمسَمائةٍ أخرى، فسار فى ألفٍ مِن حَرّانَ إليهم، وكأنما يُساقُ[4] إلى الموتِ، [5]وهو ينظرُ[5]؛ لمَا يعلَمُ[6] مِن جلَدِ الخوارجِ وقوَّتِهم وشدَّةِ بأسِهم، فلمّا [٨٥/٧ظ] التقَى[7] مع الخوارجِ هزَموه هزيمةً شنيعةً بالغةً، واحتوَوْا على ما فى مُعسَكرِه[8]، ورجَع فَلُّهم[9] إلى

---

(١) فى ص: «زيد». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٦.

(٢ - ٢) زيادة: من الأصل، ص.

(٣) فى م: «فنفروا».

(٤) فى ٣١، ٢١، م: «يساقون».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م: «وهم ينظرون».

(٦) فى ٣١، ٢١، م: «يعلمون».

(٧) فى ٣١، ٢١، م: «التقوا».

(٨) فى ٣١، ٢١، م، ص: «معسكرهم».

(٩) الفلّ: القوم المنهزمون. النهاية ٣/ ٤٧٣.

محمدِ بنِ مَرْوانَ فغضِب، وبعَث إليهم ألفًا وخمسَمائةٍ مع [1]الحارثِ بنِ جَعْونَةَ[2]، وألفًا وخمسَمائةٍ مع[1] خالدِ بنِ جَزْءٍ[3] السُّلَمِيِّ[4]، وقال لهما: أيُّكما سبَق إليهم[5] فهو الأميرُ على الناسِ. فساروا إليهم فى ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، والخوارجُ فى نحوٍ مِن مائةِ نفسٍ، وعشَرةِ أنفُسٍ، فلمّا انتهَوْا إلى آمِدَ توجَّه[6] صالحٌ إلى خالدِ بنِ جَزْءٍ فى شَطرِ الناسِ، ووجَّه شبيبًا إلى الحارثِ بنِ جَعْونَةَ[2] فى الباقِين، فاقتتَل الناسُ [7]فى هذا اليومِ[7] قتالًا شديدًا إلى الليلِ، فلمّا كان المساءُ انكفَّ[8] كلٌّ مِن الفريقيْن عن الآخرِ، وقد قتِل مِن الخوارجِ نحوُ السبعين، وقتِل مِن [9]أصحابِ ابنِ مَرْوانَ[9] نحوُ الثلاثين، وهرَبتِ[10] الخوارجُ فى الليلِ فخرَجوا مِن الجزيرةِ، وأخَذوا فى أرضِ المَوْصِلِ، [11]ومضَوا حتى قطَعوا الدَّسْكَرَةَ[12]، فبعَث إليهم الحجاجُ ثلاثةَ آلافٍ مع الحارثِ بنِ عُميرةَ[13]، فسار نحوَهم حتى لحِقهم بأرضِ المَوصِلِ[11]، وليس مع صالحٍ سوَى تسعين رجُلًا، فالتقَى معهم،

(١ - ١) سقط من: «الأصل».

(٢) فى ص: «معونة». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٢١.

(٣) فى النسخ: «الحر» وكذا فى المواضع الآتية. والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٢١، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٨.

(٤) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٥) فى الأصل، ص: «إليه».

(٦) بلد تقع فى تركيا، وهى أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا. انظر معجم البلدان ١/ ٦٦.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨) فى ٣١، ٢١، م: «انكشف».

(٩ - ٩) فى الأصل، ص: «الناس».

(١٠) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «هزمت».

(١١ - ١١) سقط من: ص.

(١٢) الدسكرة: بناء كالقصر يكون للملوك، وهو قرية بين بغداد وواسط. المسالك والممالك للإصطخرى ص ٦١، التاج (د س ك ر).

(١٣) فى ٣١: «عمير». وانظر الطبرى ٦/ ٢٢٢، والكامل ٤/ ٣٩٥.

وقد جعَل صالحٌ أصحابَه ثلاثةَ كَراديسَ ؛ فهو فى كُرْدُوسٍ ، [1]وشبيبٌ عن يمينِه فى كُردوسٍ ، وسُوَيْدُ بنُ سليمانَ عن يسارِه فى كُردوسٍ[1] ، وحمَل عليهم الحارثُ بنُ عُميرةَ ، وعلى ميمنتِه أبو الرَّوّاغِ[2] الشاكِرىُّ ، وعلى ميسرتِه الزبيرُ بنُ الأروَحِ التميمىُّ ، فصبَرتِ الخوارجُ على قلَّتِهم صبرًا شديدًا ، ثم انكشَف سويدُ ابنُ سليمانَ ، ثم قتِل صالحُ بنُ مُسَرِّحٍ أميرُهم ، وصرِع شبيبٌ عن فرسِه ، فالتفّ عليه بقيةُ الخوارجِ حتى احتمَلوه فدخَلوا به حصنًا هنالك ، وقد بقِى منهم سبعون رجلًا ، فأحاط بهم الحارثُ بن عُميرةَ[3] ، وأمَر أصحابَه أن يحرِقوا[4] البابَ ففعَلوا ، ورجَع الناسُ إلى معسكرِهم ينتظِرون حريقَ[5] البابِ فيأخُذون الخوارجَ قهرًا ، فلمّا[6] رجَع الناسُ واطمأنّوا خرَجَتْ عليهم الخوارجُ مِن البابِ على الصَّعبِ والذَّلولِ ، فبيَّتوا جيشَ الحارثِ بنِ عُميرةَ ، فقتَلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهرَب الناسُ سِراعًا إلى المدائنِ ، واحتازَ شبيبٌ وأصحابُه ما فى معسكرِهم ، فكان جيشُ الحارثِ بنِ عُميرةَ أوّلَ جيشٍ هزَمه شبيبٌ ، وكان مقتَلُ صالحِ بنِ مُسَرِّحٍ فى يومِ الثلاثاءِ لثلاثَ عشْرةَ ليلةً بقِيتْ مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ .

وفيها دخَل شبيبٌ الكوفةَ ومعه زوجتُه غَزَالةُ ، وذلك أن شبيبًا جرَتْ له

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسخ : « الرواع » . والمثبت من الطبرى ٦/ ٢٢٢.

(٣) فى ا ٣١: « عمير » .

(٤) فى ا ٣١، ٢١: « يكسروا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « أن يحرقوا » .

(٦) فى م : « ما » .

فصولٌ يطولُ تفصيلُها بعد مَقتلِ صالحِ بنِ مُسَرِّحٍ ، واجتمعَتْ عليه الخوارجُ وبايَعوه ، وبعَث إليه الحجَّاجُ جيشًا آخَرَ فقاتَلوه فهزَموه ، ثم هزَمهم بعدَ ذلك ، ثم سار فحاصَر[1] المدائنَ فلم ينلْ منها شيئًا ، [٨٦/٧و] فسار فأَخَذ دَوابَّ للحجّاجِ مِن كَلْواذا[2] ، ومِن عزمِه أنْ يُبيِّتَ أهلَ المدائنِ ، فهرَب مَن فيها مِن الجندِ إلى الكوفةِ ، فلمّا وصَل الفَلُّ إلى الحجّاجِ جهّز جيشًا أربعةَ آلافِ مُقاتلٍ إلى شبيبٍ ، فمرُّوا على المدائنِ ، ثم ساروا فى طلبِ شبيبٍ ، فجعَل شَبيبٌ[3] يسيرُ بينَ أيديهم قليلًا قليلًا ، وهو يُريهم أنَّه خائفٌ منهم ، ثم يكُرُّ فى كلِّ وقتٍ على المقدِّمةِ فيكسِرُها وينهَبُ ما فيها ، ولا يواجِهُ أحدًا إلَّا هزَمه ، والحجَّاجُ يُلِحُّ فى طلبِه ويجهِّزُ إليه السَّرايا والبعوثَ والمَدَدَ ، وشبيبٌ لا يُبالى بأحدٍ ، وإنَّ ما معه مائةٌ وستُّونَ فارسًا ، وهذا مِن أعجبِ العجبِ ، ثم سار مِن طريقٍ أخرى حتى واجَه الكوفةَ وهو يريدُ أن يحاصِرَها ، فخرَج الجيشُ بكمالِه إلى السَّبَخَةِ[4] لقتالِه ، وبلَغه ذلك فلم يبالِ بهم ، وانزعَج الناسُ ، وخافوا منه وفرِقوا ، [5]وهمُّوا أن يدخُلوا[5] الكوفةَ خوفًا منه فيتحصَّنوا فيها منه ، حتى قيلَ لهم : إنَّ سُوَيْدَ بنَ عبدِ الرحمنِ فى آثارِهم وقد اقترَب منهم ، وشَبيبٌ نازلٌ بالكوفةِ[6] بالدَّيْرِ ، [7]ليس عندَه خبرٌ منهم ولا خوفٌ[7] ، وقد أمَر بطعامٍ وشِـواءٍ أن يُصنعَ له ، فقيل له : قد جاءك الجندُ [7]فأدرِكْ نفسَك[7] . فجعَل [7]لا يَلتفِتُ إلى ذلك ، و[7]لا يكترِثُ بهم ، ويقولُ للدِّهقانِ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م : « فجاز » .

(٢) فى ٣١: « كلوذ » ، وفى ٢١، م : « كلوذا » . وكلواذا : ناحية قرب بغداد . معجم البلدان ٤/ ٣٠١.

(٣) سقط من : م .

(٤) موضع بالبصرة . معجم البلدان ٣/ ٣٠.

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م : « وهم الجيش أن يدخل » .

(٦) سقط من : الأصل ، وفى ٣١، ٢١، م : « المدائن » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٣٧.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

الذى يصنَعُ له الطعامَ : عجِّلْ به . فلمّا استوَى أكَله ، ثم توضَّأ وصلَّى بأصحابِه [1]صلاةً تامةً بتطويلٍ وطمأنينةٍ[1] ، ثم لبِس درعَه وتقلّد سيفين ، وأخَذ عمودَ حديدٍ ، ثم قال : أسرِجوا لى البغلةَ[2] . فقال له أخوه مصادٌ[3] : أفى هذا اليومِ تركَبُ البغلةَ وقد أحاط بك الأعداءُ من كلِّ جانبٍ ؟ قال : نعم[4] . فركِبها ، ثم فتَح بابَ الدَّيرِ الذى هو فيه وخرَج[5] وهو[6] يقولُ : [1]أنا أبو المدلَّهِ[1] ، لا حُكْمَ إلّا للَّهِ . وتقدَّم إلى أميرِ الجيشِ [7]الذين تقدَّموا إليه[7] ، فضَرَبه[5] بالعمودِ الحديدِ فقتَله ، وهو سعيدُ بنُ المجالدِ ، وحمَل على الجيشِ الآخَرِ الكثيفِ فصرَع أميرَه ، وهرَب الناسُ مِن بينِ يديهِ ، ولجئُوا إلى الكوفةِ ، ومضَى شبيبٌ [8]حتى أغار على[8] أسفلِ الفراتِ ، وقتَل جماعةً هناك ، وخرَج الحجّاجُ مِن الكوفةِ إلى البصرةِ ، واستخلَف على الكوفةِ عُروةَ بنَ المُغيرةِ بنِ شُعبَةَ ، ثم اقترَب شبيبٌ مِن الكوفةِ يُريدُ دخولَها ، فأعلَم الدَّهاقينُ عُروةَ بنَ المغيرةِ بذلك فكتَب إلى الحجّاجِ يعلِمُه بذلك ، فأسرَع الحجَّاجُ الخُروجَ مِن البصرةِ ، وقصَد الكوفةَ فأسرَع السَّيرَ ، وبادَره شبيبٌ إلى الكوفةِ فسبَقه الحجّاجُ إليها فدخَلها العصرَ ، ووصَل شبيبٌ إلى المِربَدِ عندَ الغروبِ ، فلمّا كان آخِرُ الليلِ دخَل شبيبٌ الكوفةَ [٧/٨٦ظ] ، وقصَد

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « فركبها » .

(٣) فى الأصل ، ص : « معاذ » ، وفى ٣١: « مضاد » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٣٧.

(٤) بعده فى ٣١، ٢١: « فقال له أخوه مصاد : اركب فرسا فقال لا حارس كل أمر أجله » ، وبعده فى م : « اركب فرسا فقال لا حارس كل أمر أجله » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل : « يحكم » .

(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م : « الذى يليه » .

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١، م : « إلى الكوفة من » .

قصرَ الإمارةِ ، فضرَب بابَه بعمودِه الحديدِ فأثَّرت ضربتُه فى البابِ ، فكانت تُعرَفُ بعدَ ذلك ؛ يقالُ : هذه ضربةُ شبيبٍ . وسلَك فى طرقِ المدينةِ[1] ، وتقصَّدَ مَحالَّ القبائلِ[2] ، وقتَل رجالًا مِن رؤساءِ أهلِ الكوفةِ وأشرافِهم ؛ [3]منهم أبو سُليمٍ والدُ لَيْثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ[4] ، وعَدِىُّ بنُ عَمْرٍو ، وأَزْهَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ العامرىُّ ، فى طائفةٍ كثيرةٍ مِن أهلِ الكوفةِ ، وكان مع شبيبٍ امرأتُه غَزالةُ ، وكانت معروفةً بالشجاعةِ ، فدخَلتْ مسجِدَ الكوفةِ ، وجلَستْ على مِنبرِه ، وجعَلت تذُمُّ بنى مَرْوانَ[3] .

ونادَى الحجّاجُ فى الناسِ : يا خيلَ اللَّهِ اركبِى وأَبشرِى[5] . فخرَج شبيبٌ مِن الكوفةِ[6] ، فجهَّز الحجّاجُ فى إثرِه ستةَ آلافِ مقاتلٍ ، فساروا وراءَه [7]وهو بينَ أيدِيهم ينعَسُ ، ويهُزُّ رأسَه[7] ، وفى أوقاتٍ كثيرةٍ يكُرُّ عليهم شبيبٌ[5] [7]فيقتُلُ منهم جماعةً ، حتى[7] قتَل مِن جيشِ الحجّاجِ خلقًا كثيرًا ، وقتَل جماعةً مِن الأمراءِ ؛ منهم زائدةُ بنُ قُدامةَ - قتَله شبيبٌ ، [7]وهو ابنُ عمِّ المختارِ - فوجَّه الحجّاجُ مكانَه لحربِه عبدَ الرحمنِ بنَ الأشعثِ ، فلم يُقابِلْ شبيبًا ورجَع ، فوجَّه مكانَه عثمانَ بنَ قَطَنٍ الحارثىَّ ، فالتقَوْا فى آخِرِ السَّنةِ ، فقُتِل عثمانُ بنُ قَطَنٍ ، وانهزَمتْ جموعُه بعدَ أن قُتِل مِن أصحابِه ستُّمائةِ نَفْسٍ ؛ فمِن أعيانِهم عَقِيلُ بنُ شدَّادٍ السَّلُولىُّ[7] ،

---

(١) يعنى : الكوفة .

(٢) فى ٣١، م : « القتال » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٤) محدّث الكوفة ، وأحد علمائها الأعيان ، توفى سنة ١٣٨. سير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٩.

(٥) سقط من ٣١، ٢١، م .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « إلى محال الطعن والضرب » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .

(١) وخالدُ بنُ نَهيكٍ الكِندىُّ ، والأَسودُ بنُ ربيعةَ .

واستفحَل أمرُ شبيبٍ وتزلزَل له عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، والحجاجُ ، وسائرُ الأمراءِ ، وخاف عبدُ الملكِ منه خوفًا شديدًا ، فبعَث له جيشًا مِن أهلِ الشامِ فقدِموا فى السنةِ الآتيةِ ، وإنَّ ما مع شبيبٍ شِرذمةٌ قليلةٌ ، وقد ملأَ قلوبَ الناسِ رعبًا[١] . وجرَت خطوبٌ كثيرةٌ له معهم ، ولم يزَل ذلك دأْبَه ودأْبَهم حتى استهلَّت هذه السنةُ .

قال ابنُ جريرٍ[٢] : وفى هذه السنةِ نقَش عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ على الدراهمِ والدنانيرِ ، وهو أوّلُ مَن نقَشها .

وقال القاضى الماوَرْدىُّ فى كتـابِ « الأحكامِ السلطانيَّةِ »[٣] : اختُلِف فى أوّلِ مَن ضرَبها بالعربيةِ فى الإسلامِ ؛ فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ : أوَّلُ مَن ضرَب الدراهمَ المنقوشةَ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، وكانتِ الدنانيرُ (٤) رومية ، والدراهمُ (٤) كِسرويةً . قال أبو الزِّنادِ[٣] : وكان نقشُه لها فى سنةِ أربعٍ وسبعين . وقال المدائنىُّ[٣] : خمسٍ وسبعين ، وضُرِبتْ فى الآفاقِ سنةَ ستٍ وسبعين . وذكَر أنَّه ضرِب على الجانبِ الواحدِ منها (اللَّهُ أحدٌ) ، وعلى الوجهِ الآخَرِ (اللَّهُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٦.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٣٩.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م : « والدراهم رومية و » .

الصمدُ)[1] . قال : وحكَى يحيى بنُ النُّعمانِ الغفاريُّ . عن أبيه أنَّ أوَّلَ مَن ضرَب الدراهمَ مصعبُ بنُ الزبيرِ عن أمرِ أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، سنةَ سبعين ، على ضرْبِ الأكاسرةِ ، وعليها (المُلْكُ بركةٌ)[2] مِن جانبٍ ، و(للَّهِ) مِن جانبٍ ، ثم غيَّرها الحجّاجُ ، وكتَب اسمَه عليها مِن جانبٍ ، ثم خَلَّصها بعدَه يوسفُ بنُ هُبيرةَ فى أيامِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم خلَّصها أجودَ منها خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرِيُّ[3] فى أيامِ هشامٍ ، ثم يوسفُ بنُ عمرَ أجودَ منهم كلِّهم . ولهذا كان المنصورُ لا يقبَلُ منها إلا الهُبيْرِيَّةَ والخالديَّةَ واليوسفيَّةَ .

وذكَر أنَّه قد كان للناسِ نقودٌ مختلفةٌ ؛ منها الدرْهمُ البغليُّ ، وكان ثمانيةَ دوانقَ ، والطبريُّ[4] وكان أربعةَ دوانقَ ، [5]والمصريُّ ثلاثةَ دوانقَ[5] ، واليمنيُّ دانقًا ، فجمَع عمرُ بنُ الخطّابِ بينَ البغليِّ والطبريِّ ، ثم أخَذ نصفَها فجعَله الدرهمَ الشرعيَّ ، وهو نصفُ مثقالٍ وخُمسُ مثقالٍ . وذكَروا أنَّ المثقالَ لم يغيِّروا وزنَه فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ ، وفى هذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

[٨٧/٧و] وفيها ولِد مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ[6] ، وهو مَروانُ

---

(١) فى حاشية الأصل : « وثبت ذلك أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمائة سنة مكتوب عليها اسم الأب والابن وروح القدس ، فأمر عبد الملك بنسخها ونقش عليها اسم اللَّه وقيل إنه كتب على الوجه الواحد لا إله إلا اللَّه وعلى الآخر محمد رسول اللَّه ﷺ » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ا ٢: « القشيرى » ، وفى م : « القسيرى » . وانظر الأحكام السلطانية ص ١٣٩.

(٤) فى م : « الطبرية » . وبعده فى ا ٣: « وهو مما ضرب بطبرية الشام » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٦.

الحِمَارُ، آخرُ مَن تولَّى الخلافةَ مِن بنى أميةَ بالشامِ[1]، [2]ومنه أخَذَها بنو العبّاسِ[2]

[3]وفيها ولَّى عبدُ الملكِ بنُ مَروانَ نيابةَ المدينةِ لأبانِ بنِ عثمانَ، [4]وعزَل عنها[4] يَحيى بنَ مروانَ عمَّه، واستدعاه إلى الشامِ[3].

وفيها حجَّ بالناسِ أبانُ بنُ عُثمانَ بنِ عفَّانَ نائبُ المدينةِ. وكان على إمرةِ العراقِ الحجَّاجُ، وعلى خُراسانَ أميةُ بنُ عبدِ اللَّهِ، واللَّهُ أعلمُ.

و[5]ممَّن تُوفى فيها مِن الأعيانِ:

أبو عثمانَ النَّهْدىُّ القُضَاعىُّ[6]، اسمُه عبدُ الرحمنِ بنُ مُلٍّ، أسلَم على عهدِ النبىِّ ﷺ، وغزا جَلُولاءَ والقادسيَّةَ وتُسْتَرَ ونَهاوَنْدَ وأَذْرَبِيجانَ، وغيرَها، وكان كثيرَ العبادةِ زاهدًا عالمًا يصومُ النهارَ، ويقومُ الليلَ. تُوفِّى وعمرُه مائةٌ وثلاثون سنةً بالكوفةِ.

صِلَةُ بنُ أَشْيَمَ العَدَوِىُّ[7]: مِن كبارِ التابِعين مِن أهلِ البصرةِ، وكان ذا فضلٍ ووَرَعٍ وعِبادةٍ وزهدٍ، كنيتُه أبو الصَّهْباءِ[8]، كان يصلِّى حتى ما يستطيعُ أن يأتىَ الفِراشَ إلَّا حَبْوًا، وله مَناقِبُ كَثيرةٌ جِدًّا؛ منها أنَّه كان يَمُرُّ عليه شبابٌ يَلهُون

---

(١) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٤ - ٤) فى ص: «وولّى عليها». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٦.

(٥) من هنا يبدأ سقط من الأصل، ٢١، ص، وينتهى عند قوله: ثم دخلت سنة سبع وسبعين.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٨٥٣، وأسد الغابة ٣/ ٤٩٧، والإصابة ٥/ ١٠٨.

(٧) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٤، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٧، وأسد الغابة ٣/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ١٢٧، والإصابة ٣/ ٤٦٣.

(٨) فى ٣١، م: «الصبهاء». والمثبت من مصادر الترجمة.

ويَلعَبون ، فيقولُ : أخبِرونى عن قومٍ أرادوا سَفَرًا ، فحادُوا فى النهارِ عن الطريقِ ، وناموا الليلَ ، فمتى يَقطعُون سفرَهم ؟ فقال لهم يومًا هذه المقالةَ ، فقال شابٌّ منهم : واللَّهِ يا قومِ ، إنَّه ما يَعنى بهذا غيرَنا ، نحن بالنهارِ نلهُو ، وبالليلِ ننامُ . ثم تبع صِلةَ فلم يَزَلْ يتعبَّدُ معه حتى مات . ومرَّ عليه فتًى يَجُرُّ ثوبَه ، فهَمَّ أصحابُه أن يأخُذوه بألسنتِهم ، فقال[1] : دَعُونى أكفِكُم أمرَه . ثم دعاه فقال : يا ابنَ أخِى ، لى إليك حاجةٌ . قال : وما حاجتُك ؟ قال : أن تَرفعَ إزارَك . قال : نعم ، ونِعْمَتْ عَيْنٌ . فرَفَع إزارَه ، فقال صِلةُ : هذا أمثَلُ ممّا أردتُم ، لو شَتَمتموه لَشتَمَكم .

ومنها ما حكَاه جعفرُ بنُ زيدٍ ، قَال[2] : خرَجْنا فى غَزاةٍ ، وفى الجيشِ صِلَةُ ابنُ أَشْيَمَ ، فنزَل الناسُ عندَ العَتَمةِ ، فقلتُ : لأَرمُقَنَّ عَمَلَه الليلةَ. فدخَل غَيْضةً ، ودخَلتُ فى أَثَرِه ، فقام يصلِّى ، وجاء الأَسَدُ حتى دنا منه ، وصعِدتُ أنا فى شجرةٍ . قال : فتُراه التفَتَ ، أو عَدَّه جِرْوًا حتى سجَد ؟ فقلتُ : الآنَ يفترِسُه ، فجلَس ثم سلَّم ، فقال : أَيُّها السَّبُعُ ، إن كنتَ أُمِرتَ بشىءٍ فافعَلْ ، وإلّا فاطلُبِ الرزقَ مِن مكانٍ آخَرَ . فَولَّى الأسدُ وإنَّ له لَزَئِيرًا تَصَدَّعُ منه الجِبالُ ، فلمّا كان عندَ الصباحِ جلَس فحمِد اللَّهَ بمَحامدَ لم أسمَعْ بمِثْلِها ، ثم قال : اللهمَّ إنِّى أسألُك أن تُجِيرَنى مِن النارِ ، أَوَ مثْلِى يَجتَرِئُ أن يسألَك الجنَّةَ ؟ ثم رجَع إلى الجيشِ ، فأصبَح كأنَّه بات على الحَشايا[3] ، وأصبحتُ وبى مِن الفَتْرةِ شىءٌ اللَّهُ به عَلِيمٌ .

قال : وذهَبتْ بَغلَتُه بثِقَلِها ، فقال : اللهمَّ إنِّى أسألُك أن تَرُدَّ علىَّ بغلتِى

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٥.

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٨٦٣) ، بنحوه .

(٣) أى على فراشه . النهاية ١/ ٣٩٣.

بِثِقَلِها . فجاءت حتى قامتْ بينَ يَدَيْه ، قال : فلمّا التقينا العدُوَّ ، حمَل هو وهشامُ ابنُ عامرٍ فصنَعا[1] بهم طعنًا[2] وضَرْبًا ، فقال العدُوُّ : رجُلانِ مِن العربِ صنَعا بنا هذا ، فكيف لو قاتَلونا كُلُّهم ؟ أَعطُوا المسلمينَ حاجتَهم . يعنى انزِلوا على حُكمِهم .

وقال صِلةُ[3] : جُعتُ مَرةً فى غَزاةٍ جوعًا شديدًا ، فبينَما أنا أَسيرُ أدعو ربِّى وأستطعِمُه ، إذ سمِعتُ وَجْبةً[4] مِن خَلْفى ، فالتفتُّ فإذا أنا بمِنْديلٍ أبيضَ ، فإذا فيه دَوْخَلَةٌ[5] ملآنةٌ رُطبًا ، فأكَلتُ منه حتى شَبِعتُ ، وأدرَكنى المساءُ فمِلتُ إلى دَيْرِ راهبٍ ، فحدَّثتُه الحديثَ ، فاستطعَمنى مِن الرُّطبِ فأطعَمتُه ، ثم إنِّى مرَرتُ على ذلك الراهبِ بعدَ زمانٍ ، فإذا نَخَلاتٌ حِسانٌ ، فقال : إنهنّ لمِن الرُّطَباتِ التى أطعمتَنى . وجاء بذلك المِنديلِ إلى امرأتِه فكانت تُرِيه للناسِ .

ولما أُهدِيتْ مُعاذةُ إلى صِلةَ ، أدخَله ابنُ أخِيه الحمّامَ ، ثم أدخَله بيتَ العَروسِ ؛ بيتًا مُطيَّبًا ، فقام يُصلِّى ، فقامتْ تُصلِّى معه ، فلم يزالا يُصلِّيانِ حتى بَرَق الصبحُ ، قال : فأَتيتُه فقلتُ له : أَى عَمِّ ، أَهديتُ إليك ابنةَ عمِّكَ الليلةَ ، فقُمتَ تُصلِّى وتركتَها ! قال : إنَّك أدخلْتَنى بيتًا أوَّلَ النهارِ أذكَرتَنى به النارَ ، وأدخَلْتَنى بيتًا آخِرَ النهارِ أذكَرتَنى به الجنةَ ، فلم تَزَلْ فِكْرتى فيهما حتى أصبحتُ . البيتُ الذى أَذكَره به النّارَ هو الحمّامُ ، والبيتُ الذى أَذكَره به الجنةَ هو بيتُ العَروسِ .

---

(١) فى م : « فصنعنا » .

(٢) فى ٣١ : « صنعًا » .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٨٦٥) ، وابن سعد فى الطبقات ٧/ ١٣٥ ، كلاهما بنحوه .

(٤) الوجبة : صوت السقوط . النهاية ٥/ ١٥٤ .

(٥) فى ٣١ : « دوحلة » . والدوخلة : زبيل من خوص يجعل فيه التمر . الوسيط (د خ ل) .

وقال له رَجُلٌ : ادعُ اللَّهَ لى . فقال : رَغَّبك اللَّهُ فيما يبقَى ، وزَهَّدك فيما يَفنَى ، ورَزَقك اليَقينَ الذى لا تَركَنُ إلَّا إليه ، ولا تُعوِّلُ فى الدِّينِ إلّا عليه .

وكان صِلةُ فى غَزاةٍ ومعه ابنُه فقال له[1] : أى بُنَىَّ ، تقدَّمْ فقاتِلْ حتى أَحتسِبَك . فحمَل فقاتَل حتى قتِل ، ثم تقدَّم صِلَةُ فقاتَل حتى قتِل ، فاجتمَع النساءُ عندَ امرأتِه مُعاذةَ العَدَوِيَّةِ ، فقالت : إن كُنتنَّ جِئتُنَّ لتُهَنِّئْنَنى فمَرْحبًا بكنَّ ، وإن كنتنَّ جِئتُنَّ [2]لغيرِ ذلك[2] فارجِعنَ .

تُوفِّى صِلةُ فى غَزاةٍ هو وابنُه نحوَ بلادِ فارِسَ ، فى هذه السنةِ .

زُهَيرُ بنُ قَيْسٍ البَلَوِىُّ[3] : شهِد فَتْحَ مِصرَ وسَكَنها ، له صُحْبةٌ . قَتَلتْه الرومُ ببَرْقَةَ مِن بلادِ المغرِبِ ، وذلك أنَّ الصريخَ أَتَى الحاكِمَ بمصرَ ، وهو عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ ، أنَّ الرُّومَ نزَلُوا[4] بَرْقةَ ، فأَمَره بالنهوضِ إليهم ، فساق زهيرٌ ومعه أربعون نَفْسًا ، فوجَد الرُّومَ ، فأراد أن يَكُفَّ عن القتالِ حتى يَلحَقَه العسكَرُ ، فقالوا : يا أبا شَدّادٍ ، احمِلْ بنا عليهم . فحمَلوا فقُتِلوا جميعًا .

المُنْذِرُ بنُ الجارودِ[5] : مات فى هذه السنةِ . تولَّى بيتَ المالِ ، ووفَد على معاويةَ . واللَّهُ سُبحانَه أَعْلمُ[6] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٣٧، بنحوه .

(٢ - ٢) فى م : « لتعزيننى » .

(٣) ترجمته فى : أسد الغابة ٢/ ٢٦٧، والإصابة ٢/ ٥٧٩، وتاريخ دمشق ١٩/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٤٠٤.

(٤) فى ٣١: « تركوا » .

(٥) ترجمته فى : المعارف ٣٣٩، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٠ مخطوط ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ) ص ٢٥٦، ٥٢٩، والإصابة ٦/ ٢٦٤.

(٦) نهاية السقط من : الأصل ، ٢١ ، ص .

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وسبعين

فيها أخرَج الحجاجُ مقاتِلةَ أهلِ الكوفةِ وكانوا أربعين ألفًا ، وانضافَ إليهم عشَرةُ آلافٍ ، فصاروا خمسين ألفًا ، وأمَّر عليهم عتَّابَ بنَ وَرقاءَ ، وأمَره أنْ يقصِدَ لشبيبِ بنِ يزيدَ أين كان ، وأن يُصمِّمَ [1]عليه وعلى مَن معه[1] - [2]وكانوا قد تجمَّعوا[2] ألفَ رجلٍ - وأن لا يفعَلوا كما كانوا يفعَلون قبلَها مِن الفرارِ والهَزيمةِ .

ولـمّا بلَغ شبيبًا ما بعَث به الحجاجُ إليه مِن الجنودِ ، [3]لم يعبَأْ بهم شيئًا ، بل[3] قام فى أصحابِه خطيبًا ؛ فوعَظَهم ، وذكَّرهم ، وحثَّهم على الصبرِ عندَ اللقاءِ ومناجزةِ الأعداءِ ، سار شبيبٌ بأصحابِه نحوَ عتّابِ بنِ وَرقاءَ ، فالتقَيا فى آخرِ النهارِ عندَ غروبِ الشمسِ ، فأمَر شبيبٌ مُؤَذِّنَه سلّامَ بنَ سَيّارٍ[4] الشَّيْبانىَّ فأذَّن المغربَ ، ثم صلَّى شبيبٌ بأصحابِه المغربَ ، وصفَّ عتابٌ أصحابَه - وكان قد خَنْدَقَ حولَ جيشِه مِن أولِ النهارِ - فلما صلَّى شبيبٌ بأصحابِه المغربَ ، انْتَظَرَ حتى إذا طلَع القمرُ وأضاء ، تأمَّل[5] الميمنةَ والميسرةَ ، ثم حمَل على أصحابِ راياتِ عتّابٍ وهو يقولُ : أنا شبيبٌ أبو المدلّه ، لا حُكمَ إلَّا للَّهِ . فهزَمهم ، وقُتِل أميرُهم قَبيصةُ بنُ والقٍ ، وجماعةٌ مِن الأمراءِ معه ، ثم كرَّ على المَيْمَنةِ وعلى الميسرةِ ، ففرّق شملَ كلِّ واحدةٍ منهما ، ثم قصَد القلبَ فما زال حتى قُتِل الأميرُ عتّابُ بنُ وَرقاءَ ،

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « على قتاله » .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « وكان قد اجتمع على شبيب » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « يسار » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٦٣.

(٥) فى الأصل : « قاتل » . وفى تاريخ الطبرى ٦/ ٢٦٥: « فقاتل » .

وزُهرةُ بنُ حَوِيَّةَ[1] ، [2]ووَلَّى عامَّةُ الجيشِ مدْبِرين ، وداسُوا الأميرَ عَتّابًا ، وزُهرةُ ، فوطِئَتْه الخيلُ ، وقتِل فى المعركةِ عَمّارُ بنُ يزيدَ الكلبىُّ ، ثم قال شبيبٌ لأصحابه: لا تَتَبَّعوا منهزِمًا[2] ، وانهزَم جيشُ الحجاجِ عن بَكْرَةِ أبيهم راجعين إلى الكوفةِ .

وكان شبيبٌ لمَّا احتوَى على المعسكرِ ، أخَذ ممَّن بقِى منهم البيعةَ له بالإمارةِ فبايَعوه[3] ، وقال لهم : إلى ساعةٍ تهْرُبون . ثم احْتَوى على ما فى المعسكرِ مِن الأموالِ والحواصلِ ، واستدعى بأخيه مصادٍ[4] مِن المدائنِ ، ثم قصَد نحوَ الكوفةِ ، وقد وفَد إلى الحجاجِ سفيانُ بنُ الأبْردِ الكلبىُّ ، وحبيبُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحكَمىُّ - مِن مَذْحِجٍ - فى ستةِ آلافِ فارسٍ ، ومعهما خلقٌ مِن أهلِ الشامِ ، فاستَغْنى الحجاجُ بهم عن نُصرةِ أهلِ الكوفةِ ، وقامَ فى الناسِ خطيبًا ، فحمِد اللَّهَ وأثْنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعدُ يا أهلَ الكوفةِ ، لا أعزَّ [٧/٨٧ظ] اللَّهُ مَن أراد بكم العزَّ ، ولا نصَر مَن أراد بكم النصرَ ، اخرُجوا عنَّا فلا تشهَدوا معنا قتالَ عدُوِّنا ، الحَقوا بالحِيرةِ فانزِلوا مع اليهودِ والنصارى ، فلا يقاتِلَنَّ معنا إلَّا مَن كان لنا عاملًا ، ومَن لم يشهَدْ قتالَ عتَّابِ بنِ وَرقاءَ . وعزَم الحجاجُ على قتالِ شبيبٍ بنفسِه ، وسار شبيبٌ حتى بلَغ الصَّراةَ[5] ، وخرَج إليه الحجاجُ بمَن معه مِن الشاميِّين ، وغيرِهم ، فلمّا تَواجَه الفريقان نظَر الحجاجُ إلى شبيبٍ وهو فى ستِّمائةٍ [6]مِن أصحابِه[6] ، فخطَب الحجاجُ أهلَ الشامِ وقال : [7]يا أهلَ الشامِ[7] ،

---

(١) فى ٣١، ٢١، م: «جونة». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٧.

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) سقط من: م.

(٤) فى ٣١، ٢١: «مضاد»، وفى ص: «معاذ».

(٥) الصراة: نهران ببغداد؛ الصراة الكبرى والصغرى. معجم البلدان ٣/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٦ - ٦) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٧ - ٧) زيادة من ٣١، ٢١، م.

أنتم أهلُ السمعِ والطاعةِ والصبرِ واليقينِ ، لا يَغْلِبَنَّ باطلُ هؤلاءِ الأرجاسِ حقَّكم ، غُضُّوا الأبصارَ ، واجْثُوا على الرُّكَبِ ، واستقْبِلوا بأطرافِ الأسِنَّةِ . ففعَلوا ذلك ، وأقبَل شبيبٌ وقد عَبَّأ أصحابَه ثلاثَ فرقٍ ؛ واحدةٌ معه ، وأخرى مع سُوَيدِ بنِ سُلَيمٍ ، وأخرى مع المجلَّلِ بنِ وائلٍ ، وأمَر شبيبٌ سُويدًا أن يحمِلَ ، فحمَل [1] على جيشِ الحجّاجِ [1] ، فصبَروا له حتى إذا دنا منهم ، وثَبوا إليه وثبةً واحدةً ، فانهَزَم عنهم ، فنادَى الحجاجُ : يا أهلَ السمعِ والطاعةِ ، هكذا فافْعَلوا . ثم أمَر الحجاجُ ، فقُدِّمَ كرسيُّه الذى هو جالسٌ عليه إلى الأمامِ ، ثم أمَر شبيبٌ المجلَّلَ أن يحمِلَ ، [2] ففعَلوا به كما فعَلوا بسُويدٍ ، وقال لهم الحجاجُ كما قال لأولئك ، وقدَّم [2] كرسيَّه إلى أمامٍ ، ثم إن شبيبًا حمَل عليهم فى كتيبتِه ، فثبتوا له حتى إذا غَشَّى أطرافَ الرِّماحِ وثَبوا فى وجهِه فقاتَلَهم طويلًا ، ثم إنَّ أهلَ الشامِ طاعَنوه قُدُمًا [3] حتى ألحَقوه بأصحابِه ، فلمَّا رأى صبرَهم نادَى : ياسويدُ ، احمِلْ فى خَيْلِك على أهلِ هذه السِّكَّةِ [4] ، لعلَّك تُزيلُ أهلَها عنها ، فأتِ الحجاجَ من ورائِه ، ونحمِلُ نحن عليه من أمامِه . فحمَل فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ؛ وذلك أنَّ الحجاجَ كان قد جعَل عروةَ بنَ المغيرةِ بنِ شعبةَ فى ثلاثِمائةِ فارسٍ رِدْءًا له مِن ورائِه لئلا يُؤْتَوا مِن خلفِهم ، وكان الحجاجُ بصيرًا بالحربِ أيضًا ، فعندَ ذلك حرَّض شبيبٌ أصحابَه على الحملةِ ، وأمرَهم بها ، ففهِم ذلك الحجاجُ ، فنادَى : يا أهلَ السمعِ والطاعةِ ، اصبِروا لهذه الشدةِ الواحدةِ ، ثم وربِّ السماءِ والأرضِ ، ما شىءٌ دونَ الفتحِ . فجَثَوا على الرُّكَبِ ، وحمَل عليهم شبيبٌ بجميعِ أصحابِه ، فلما غَشِيَهم نادَى

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج » .

(٣) سقط من ٣١، وفى الأصل : « فدنا » .

(٤) فى م : « السرية » .

الحجاجُ بجماعةِ الناسِ فوثَبوا فى وجهِه ، فما زالوا يَطْعَنون ويُطعَنون ، وهم مُسْتَظْهِرون على شبيبٍ وأصحابِه حتى ردُّوهم عن مواقِفِهم إلى ما وراءَها ، فنادَى شبيبٌ فى أصحابِه : يا أولياءَ اللَّهِ ، الأرضَ الأرضَ . ثم نزَل [٧/٨٨و] ونزَل أصحابُه ، وجاء الحجاجُ فنادَى : يا أهلَ الشامِ ، يا أهلَ السمعِ والطاعةِ ، هذا أولُ النصرِ والذى نفسى بيدِه . وصعِد مسجدًا هنالك [١] لِشبيبٍ ، ومعه [١] نحوٌ مِن عشرين رجلًا معهم النَّبلُ ، واقْتَتَل الناسُ قتالًا شديدًا عامةَ النهارِ ، مِن أشدِّ قتالٍ فى الأرضِ ، حتى أقرَّ كلُّ واحدٍ مِن الفريقين لصاحبِه ، والحجاجُ ينظُرُ إلى الفريقين مِن مكانِه ، ثم إنَّ خالدَ بنَ عتابٍ استأْذَن الحجاجَ فى أن يركبَ فى جماعةٍ فيأتىَ الخوارجَ مِن ورائِهم ، فأذِن له ، فانْطَلَق فى جماعةٍ معه ؛ نحوٍ مِن أربعةِ آلافٍ ، فدخَل عَسْكَرَ الخوارجِ مِن ورائِهم فقتَل مصادًا [٢] أخا شبيبٍ ، وغزالةَ امرأةَ شبيبٍ ؛ قَتَلَها رجلٌ يقالُ له : فروةُ بنُ دفّانَ [٣] الكلبىُّ . وخرَق فى جيشِ شبيبٍ ، ففرِح بذلك الحجاجُ وأصحابُه وكبَّروا ، وانصَرَف شبيبٌ وأصحابُه كلٌّ منهم على فرسٍ ، فأمَر الحجاجُ الناسَ أنْ يَنْطَلِقوا فى تَطَلُّبِهم ، فشَدُّوا عليهم فهزَموهم ، وتَخَلَّفَ شبيبٌ فى حاميةِ النّاسِ ، ثم انْطَلَق واتَّبَعه الطَّلَبُ ، فجعَل يَنْعَسُ وهو على فرسِه حتى يَخْفِقَ برأسِه ، ودنا [٤] منه الطلبُ ، فجعَل بعضُ أصحابِه ينهاه عن النُّعاسِ فى هذه الساعةِ ، فجعَل لا يَكْتَرِثُ بهم ، ويعودُ فتَخْفِقُ رأسُه ، فلمّا طال ذلك ، بعَث الحجاجُ إلى أصحابِه يقولُ : دَعُوه فى

(١ - ١) فى ا٣، ا٢، م : « وجعل ينظر إلى الفريقين ومع شبيب » .

(٢) فى ص : « معاذا » .

(٣) فى ا٢، م، ص : « دقاق » .

(٤) فى ص : « رأى » .

حَرَقِ النارِ . فترَكوه ورجَعوا .

ثم دخَل الحجاجُ الكوفةَ فخطَب الناسَ فقال فى خطبتِه : إن شبيبًا لم يُهْزَمْ قبلَها . ثم قصَد شبيبٌ الكوفةَ ، فخرَجت إليه سَرِيَّةٌ مِن جيشِ الحجاجِ ، فالتقَوا معه يومَ الأربعاءِ ، [1] فهُزِم الخوارجُ يومَ الجمعةِ ، وسارتِ الخوارجُ هاربين [1] . [2] وكان على سريةِ الحجاجِ الحارثُ بنُ معاويةَ الثَّقفىُّ فى ألفِ فارسٍ معه ، فحمَل شبيبٌ على الحارثِ بنِ معاويةَ ، فكسَره ومَن معه ، وقتَل منهم طائفةً ، ودخَل الناسُ الكوفةَ هاربين ، وحصَّن الناسُ السككَ ، فخرَج إليه أبو الوردِ مولى الحجاجِ فى طائفةٍ من الجيشِ ، فقاتل حتى قتِل ، ثم هرَب أصحابُه ودخَلوا الكوفةَ ، ثم خرَج إليه أميرٌ آخرُ فانكسَر أيضًا ، ثم سار شبيبٌ بأصحابِه نحوَ السوادِ ، فمرُّوا بعاملِ الحجاجِ على تلك البلادِ فقتَلوه ، ثم خطَب أصحابَه وقال : اشْتَغَلْتُم بالدُّنيا عن الآخرةِ . ثم رمَى بالمالِ فى الفراتِ ، ثم سار بهم حتى افْتَتَح بلادًا كثيرةً ، ولا يبرُزُ له أحدٌ إلا قتَلَه ، ثم خرَج إليه بعضُ الأمراءِ الذين على بعضِ المدنِ ، فقال له : يا شبيبُ ، ابرُزْ إلىَّ وأبرُزُ إليك - وكان صديقَه - فقال له شبيبٌ : إنِّى لا أُحِبُّ قتْلَك . فقال له : لكنِّى أُحبُّ قتْلَك ، فلا تَغُرَّنَّك نفسُك ، وما تَقَدَّمَ مِن الوقائعِ . ثم حمَل عليه فضرَبه شبيبٌ على رأسِه ، فهمَس رأسَه [3] حتى اختلَط دماغُه بلحمِه وعظمِه ، ثم كفَّنه ودفَنه ، ثم إنَّ الحجاجَ أنفَق أموالًا كثيرةً على الجيوشِ والعساكرِ فى طلبِ شبيبٍ فلم يُطِيقُوه ولم يَقْدِروا عليه ، وإنما سلَّط اللَّهُ عليه موتًا قدَرًا [2] ،

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم الجمعة » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) يعنى كسرها .

[1] مِن غيرِ صُنْعِهم ، ولا صُنْعِه فى هذه السنةِ[1] .

ذِكرُ مقتلِ شبيبٍ فى هذه السنةِ عندَ ابنِ الكلبىّ

وكان سببَ ذلك أنَّ الحجاجَ كتَب إلى نائِبِه على البصرةِ ؛ الحكمِ بنِ أيوبَ ابنِ الحكمِ بنِ أبى عقيلٍ ، وهو زوجُ ابنةِ الحجاجِ ، يأمُرُه أن يجَهِّزَ جيشًا أربعةَ آلافٍ يتطلَّبون شبيبًا ، ويكونون تبعًا لسفيانَ بنِ الأبردِ ، ففعَل[2] فالتقَوا[3] فاقتتَلوا قِتالًا شديدًا ، وصبَر كلٌّ مِن الفَريقينْ لصاحبِه[4] ، ثم عزَم أصحابُ الحجاجِ فحمَلوا على الخوارجِ[5] ، ففرُّوا بينَ أيديهم ذاهبين حتى اضْطَرُّوهم إلى جسرٍ هناك ، فوقَف عندَه شبيبٌ ، فى مائةٍ مِن أصحابِه ، وعجَز سفيانُ بنُ الأبردِ عن مقاومتِه ، وردِّه[6] عن موقفِه هذا بعدَما تقاتَلوا نهارًا كاملًا[7] أشدَّ قتالٍ يكونُ ، ثم أمَر سفيانُ بنُ الأبردِ [8]الرُّماةَ مِن[8] أصحابِه ، فرَشَقُوهم بالنَّبْلِ رَشْقًا واحدًا ، ففرَّتِ الخوارجُ ، ثم كرَّتْ على الرُّماةِ ، فقتَلوا منهم نحوًا مِن ثلاثين رجلًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « وانطلقوا فى طلبه » .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م : « معه وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل الشام فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه وصاروا جيشا واحدا هم وأهل الشام ثم ساروا إلى شبيب فالتقوا به » .

(٤) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م : « حملة منكرة والخوارج قليلون » .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م : « شبيب » .

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م : « عند أول الجسر » .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م .

(١ من أصحابِ ابنِ الأبردِ ١) ، [٧/٨٨ظ] وجاء الليلُ بظلامِه ، فكَفَّ الناسُ بعضُهم عن بعضٍ ، وبات كلٌّ مِن الفريقين مُصِرًّا على مناهضَةِ الآخرِ ، فلمّا طلَع الفجرُ ، عبَر شبيبٌ وأصحابُه على الجسرِ ، فبينَما شبيبٌ على متنِ الجسرِ ، وهو على حصانٍ له وبينَ يديه فرسٌ أنثى ، فنزا فرسُه وهو على الجسرِ ، ونزَل حافرُ رِجْلِ فرسِ شبيبٍ على حَرْفِ السفينةِ فسقَط فى الماءِ ، فقال : ليَقْضِيَ اللَّهُ أمرًا كان مفعولًا . ثم انغمَر فى الماءِ ، ثم ارتفَع وهو يقولُ : ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ . فغرِق .

ولمَّا تحقَّقَتِ الخوارجُ سقوطَه فى الماءِ كَرُّوا (٢) ، وانصرَفوا ذاهبين مُفَرَّقين فى البلادِ ، وجاء أميرُ (٣ جيشِ الحجّاج ٣) فاستخرَج شبيبًا مِن الماءِ ، وعليه دِرْعُه ، ثم أمَر به فشُقَّ صدرُه ، فاستُخرِج قلبُه ، فإذا هو مجتمِعٌ صُلْبٌ كأنَّه صخرةٌ ، وكانوا يضرِبون به الأرضَ فيَثِبُ (٤) قامةَ الإنسانِ . (٥ وقيل : إنَّه كان معه رجالٌ قد أبْغَضُوه لِما أصابَ من عشائرِهم ، فلمَّا تَخَلَّف فى السَّاقَةِ ، اشْتَوَرُوا وقالوا : نَقْطَعُ الجسرَ به . ففعَلوا ذلك ، فمالَتِ السفنُ بالجسرِ ، ونفَر فرسُه ، فسقَط فى الماءِ فغرِق ، فنادَوا : غرِق أميرُ المؤمنين . فعرَف جيشُ الحجاجِ ذلك فجاءُوا فاستخرَجوه ٥) .

ولمّا نُعِى شبيبٌ إلى أمِّه ، قالت : صدَقْتُم ، إنِّى كنْتُ رأَيتُ فى المنامِ ، وأنا حاملٌ به أنَّه قد خرَج منِّى شهابٌ مِن نارٍ ، فعلِمتُ أنَّه لا يُطْفِئُه إلَّا الماءُ .

وكانت أمُّه جاريةً اسمُها جَهيزَةُ (٦) ، وكانَت جميلةً ، وكانت مِن أشجعِ

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٢) فى ٣١، م : « كبروا » .

(٣ - ٣) فى الأصل، ص : « السرية » .

(٤) فى ٣١، ٢١، م : « فيرتفع » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٢٨١، والكامل ٤/ ٤٣٢.

(٦) فى الأصل، ٣١، ٢١: « جهيرة »، وفى م، ص : « جهبرة » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥.

النساءِ، تقاتِلُ مع ابنِها فى الحروبِ.

وذكَر القاضى ابنُ خَلكانَ[1] أنَّها قُتِلَت فى هذه الغزوةِ. وكذلك قُتِلَت زوجتُه غزالةُ. وكانت شديدةَ البأسِ خارجيةً[2]، وكان الحجاجُ مع هَيْبتِه يخافُ منها أشدَّ خوفٍ، حتى قال فيه بعضُ الشعراءِ[3]:

أسدٌ علىَّ وفى الحروبِ نعامةٌ فَتْخَاءُ[4] تَنْفِرُ مِن صَفيرِ الصافرِ
هلَّا بَرَزْتَ إلى غزالةَ فى الوَغَى بل كان قلبُكَ فى جناحَىْ طائرِ

قال[5]: وقد كان شبيبُ بنُ يزيدَ بنِ نعيمِ بنِ قيسِ بنِ عمرِو بنِ الصَّلتِ بنِ قيسِ بنِ شراحيلَ بنِ مُرَّةَ[6] بنِ ذُهْلِ بنِ شيْبانَ الشَّيْبانىُّ - يَدَّعِى الخلافةَ، ويَتَسَمَّى بأميرِ المؤمنـين، ولولا أنَّ اللَّهَ تعالى قهَرَه بما قهَرَه به مِن الغرَقِ لنال الخلافةَ إن شاءَ اللَّهُ، ولَمَا قدَر علـيه أحدٌ، وإنَّما قهَره اللَّهُ على يدَىِ الحجاجِ لمَّا أرْسَل إليه [7]أميرُ المؤمنينَ[7] عبدُ الملكِ بعسـاكرَ[8] لقتالِه، [7]فهرَب غيرَ مرةٍ[7]، ولمَّا ألقاه جوادُه عن الجسرِ فى نَهْرِ دُجَيلٍ[9] قال له رجلٌ: أغَرَقًا يا أميرَ المؤمنين؟

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥.

(٢) فى ٣١، ٢١، م: «تقاتل قتالا شديدا يعجز عنه الأبطال من الرجال».

(٣) البيتان لعمران بن حطان، وهما فى الأغانى ١٨/ ١١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥.

(٤) الفتخاء: الناقة ونحوها ترتفع أخلافها قِبَلَ بطنها.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٤.

(٦) فى ٣١، ٢١، م: «صبرة». وانظر وفيات الأعيان الموضع السابق.

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٨) بعده فى ٣١، ٢١، م: «الشام».

(٩) دجيل: نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك، أحد ملوك الفرس، ومخرجه من أرض إصبهان، ومصبه فى بحر فارس (الخليج العربى). معجم البلدان ٢/ ٥٥٥.

قال : ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ . قال : ثم أُخْرِج ، وحُمِل إلى الحجاجِ ، فأمَر فنُزِع قلبُه مِن صدرِه . فإذا هو مثلُ الحجرِ .

وكان رجلًا طويلًا أشْمَطَ جَعْدًا . وكان مولدُه فى يومِ عيدِ النحرِ سنةَ سِتٍّ وعشرين . وقد أُمْسِك رجلٌ مِن أصحابِه فحُمِل إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فقال له : أَلَسْتَ القائلَ[1] :

فإن يَكُ منكم كانَ مروانُ وابنُه ... وعمرٌو ومنكم هاشمٌ وحبيبُ

[٨٩/٧و] فمِنّا حُصَينٌ والبَطينُ وقَعْنبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ

فقال : إنَّما قلتُ : ومنا[2] أميرَ المؤْمِنين شبيبُ . فأعجبَه اعتذارُه وأطلقَه .

وفى هذه السنةِ كانَت حروبٌ كثيرةٌ جدًّا بينَ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ نائبِ الحجاجِ ، وبينَ [3]الخوارجِ مِن[3] الأزارقةِ ، وأميرُهم قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ ، وكان أيضًا مِن الفرسانِ الشُّجعانِ المَذْكورين المَشْهورين ، وقد تَفَرَّق عنه أصحابُه ، ونفَروا[4] فى هذه السنةِ ، وأمَّا هو فشرَد فى الأرضِ لا يُدْرَى أين ذهَب ، وقد جرَت بينَهم مناوشاتٌ ومجاولاتٌ يطولُ بَسْطُها واستِقْصَاؤها ، وقد بالَغ ابنُ جريرٍ فى ذكرِها[5] .

قال[6] : وفى هذه السنةِ ثارَ بُكَيرُ بنُ وِشاحٍ ، الذى كان نائبَ خُراسانَ ، على

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٦.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م : « يا » . وهذا على تقدير حرف نداءٍ محذوف ، أى : يا أميرَ المؤمنين .

(٣ - ٣) زيادة من : ٣١، ٢١، م .

(٤) فى الأصل ، ص : « بعد هذا التفرق » .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٠١.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/٣١١ بنحوه .

نائِبِها أُمَيَّةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ - كما سيأتى - وذلك أنَّ بكيرًا اسْتَجَاشَ عليه الناسَ، وغَدَر به وقتَله، وقد جَرَت بينَهما خُطوبٌ طويلةٌ قد اسْتَقْصَاها أبو جعفرٍ، رحِمه اللَّهُ، فى تاريخِه[1].

وفى هذه السنةِ كانت وفاةُ شبيبِ بنِ يزيدَ الخارجىِّ - كما قَدَّمْنا - وقد كان مِن الشَّجاعةِ والفرُوسيَّةِ على جانبٍ كبيرٍ لم أرَ بعدَ عصرِ[2] الصحابةِ مثلَه، ومثلَ [3]الأشترِ وابنِه إبراهيمَ[3]، ومُصْعَبِ بنِ الزُّبَيرِ وأخيه عبدِ اللَّهِ، وممَّن يُناطُ بهؤلاءِ فى الشجاعةِ؛ مثلَ قَطَرِىِّ بنِ الفُجاءةِ مِن الأزارقةِ الخوارج. واللَّهُ أعلمُ.

[4]وفيها تُوُفِّىَ مِن الأعيانِ:

كَثيرُ بنُ الصَّلْتِ بنِ مَعْدِى كَرِبَ الكِنْدىُّ[5]، كان كبيرًا مطاعًا فى قومِه، وله بالمدينةِ دارٌ كبيرةٌ بالمصَلَّى، وقيل: إنَّه كان كاتِبَ عبدِ الملكِ على الرسائلِ. تُوفِّىَ بالشامِ.

محمدُ بنُ موسى بنِ طلحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ[6]، كانت أختُه تحتَ عبدِ الملكِ ووَلَّاه سِجِسْتانَ، فلما سَار إليها قيل له: إنَّ شبيبًا فى طريقِك وقد أعْيا الناسَ[4]،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٣١١.

(٢) سقط من: ٣١، ٢١، م.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «إبراهيم بن الأشتر».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) الاستيعاب ٣/١٣٠٨، وأسد الغابة ٤/٤٦٠، والإصابة ٥/٦٣٢.

(٦) خبره فى نسب قريش ٢٨٦، تاريخ الطبرى ٦/٢٤٥- ٢٤٨، والكامل ٤/٤٠٨- ٤١٢، وورد ذكره عرضا فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣١٥، ٣٣٣.

[1] فاعدِلْ إليه لعلّك أن تَقْتُلَه ، فيكونَ ذِكرُ ذلك وشهرتُه لك إلى الأبدِ ، فلمّا سار لقِيه شبيبٌ ، فاقْتَتَل معه فقتله شبيبٌ . وقيل غيرُ ذلك ، واللَّهُ أعلمُ .

[2] **عِياضُ بنُ عمْرٍو الأشْعَرِيُّ** [2] : شهِد اليرموكَ ، وحدَّث عن جماعةٍ مِن الصحابةِ وغيرِهم ، تُوُفِّى بالبصرةِ ، رحمَه اللَّهُ .

مُطَرِّفُ [3] **بنُ المُغيرةِ بنِ شُعبةَ** [3] : وقد كانوا إخوةً ؛ عُرْوةُ ومُطَرِّفٌ وحمزةُ ، وقد كانوا يميلُون إلى بنى أُميَّةَ ، فاستعمَلَهم الحجاجُ على أقاليمَ ؛ فاستعمَل عُروةَ على الكوفةِ ، ومطَرِّفًا على المدائنِ ، وحمزةَ على همْدانَ [1] .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : « عياض بن غنم الأشعرى » . والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٥٠٤، فقد ذكره الحافظ الذهبى ضمن وفيات الطبقة الثامنة - وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبى فى كثير مما نقله عنه من تراجم أعيان الوفيات - ويؤيد ما أثبتناه ما أورده الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٣٤، عن ابن المدينى ، أن الأشعرى هو عياض بن عمرو .

وعياض بن عمرو هذا هو الذى شهد اليرموك كما ذكر ابن عبد البر ، وابن عساكر ، وابن الأثير ، والذهبى ، وابن حجر ، وغير واحد . وأما عياض بن غنم فلم يذكر عنه ابن قانع فى معجم الصحابة ٢/ ٢٧٧، ولا ابن حجر فى الإصابة ٧٥٨/٤ أنه شهد اليرموك . وانظر ترجمة عياض بن عمرو الأشعرى فى : الاستيعاب ٣/ ١٢٣٤، وتاريخ دمشق ٨٠٦/١٣ مخطوط ، وأسد الغابة ٤/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٥٠٤ والإصابة ٤/ ٧٥٦.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م : « بن عبد اللَّه » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٢٥٧، وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٦٧، وتاريخ الطبرى ٦/ ٢٨٤- ٢٨٩، والكامل ٤/ ٤١٩- ٤٢٢.

ثم دخَلت سنةُ ثمانٍ وسبعين

(١) ففيها كانت غزوةٌ عظيمةٌ للمسلمين ببلادِ الرُّومِ ففتَحُوا إرقيليَّةَ ، فلمّا رجَعوا أصابَهم مطرٌ عظيمٌ وثلجٌ وبَرَدٌ ؛ فأُصيبَ بسببِه ناسٌ كثيرٌ .

وفيها ولّى عبدُ الملكِ موسى بنَ نصيرٍ غزوَ بلادِ المغربِ جميعِه ، فسار إلى طَنْجَةَ ، وقدَّم(٢) على مُقَدِّمتِه طارقًا ، فقتَلوا ملوكَ تلك البلادِ ، وبعضُهم قطَعوا أنفَه ونفَوه(١) .

وفيها عزَل عبدُ الملكِ أميةَ بنَ عبدِ اللَّهِ عن إمرَةِ خُراسانَ ، وأضافها إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ مع سِجِسْتانَ أيضًا ، وركِب الحجاجُ بعدَ فراغِه مِن شأنِ شبيبٍ مِن(٣) الكوفةِ إلى البصرةِ ، وقد استخْلَف على الكوفةِ المغيرةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ الحضرميَّ ، فقدِم المهلَّبُ على الحجاجِ وهو بالبصرةِ ، وقد فرَغ مِن شأنِ الأزارقةِ أيضًا ، فأجلَسه معه على السَّريرِ ، واستدعَى بأصحابِ البلاءِ مِن جيشِه ، فمَن أثنَى عليه المهلَّبُ أجزَل الحجاجُ له العطيَّةَ ، ثم ولّى الحجاجُ المهلَّبَ إمرةَ سِجِسْتانَ ، وولَّى (٤عُبيدَ اللَّهِ٤) بنَ أبى بَكْرَةَ إمرةَ خراسانَ ، ثم ناقَل بينَهما قبلَ خُروجِهما مِن عندِه ، فقيل : كان ذلك بإشارةِ المهلَّبِ . وقيل : إنَّه استعان بصاحبِ الشُّرطةِ ، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ عبيدِ بنِ طارقٍ العَبْشَمِيُّ ، حتى

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « قد جعل » .

(٣) بعده فى م : « إمرة » .

(٤ - ٤) فى م : « عبد اللَّه » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨.

أشار على الحجاجِ بذلك ، فأجابَه الحجّاجُ إلى ذلك ، وألزَم المهلَّبَ بألفِ ألفِ درهمٍ ؛ لكونِه اعترَض على ذلك .

[٧/ ٨٩ظ] قال أبو معشرٍ[(١)] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، وكان أميرُ المدينةِ أبانَ بنَ عثمانَ ، وأميرُ العراقِ وخراسانَ وسِجِستانَ وتلكَ النواحى كلِّها الحجاجَ ، ونائبُه على خراسانَ المهلَّبَ بنَ أبى صُفرةَ ، ونائبُه على سِجِسْتانَ [(٢)]عبيدَ اللَّهِ[(٢)] بنَ أبى بَكْرَةَ الثقفىَّ ، وعلى قضاءِ الكوفةِ شُريحٌ ، وعلى قضاءِ البصرةِ موسى بنُ أنسِ بنِ مالكٍ الأنصارىُّ .

وقد تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ [(٣)]بنِ عمرٍو[(٣)] بنِ حرامٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ [(٤)]السَّلَمِىُّ ، صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وله رواياتٌ كثيرةٌ ، وشهِد العقبةَ ، وأراد أنْ يشهَدَ بدرًا فمنَعه أبوه ، وخلَّفه على أخواتِه وإخوتِه ، وكانوا تسعةً ، وقيل : إنَّه ذهَب بصرُه قبلَ موتِه . توفِّى جابرٌ بالمدينةِ وعمرُه أربعٌ وتسعون سنةً ، وأسندَ ألْفًا وخمسَمائةٍ وأربعين حديثًا[(٥)(٤)] .

شُرَيحُ بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ أبو أُمَيةَ الكِندىُّ[(٦)] ، وهو قاضى الكوفةِ ، وقد

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢١.

(٢ - ٢) فى م : «عبد اللَّه» .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وترجمته فى الاستيعاب ١/ ٢١٩، وأسد الغابة ١/ ٣٠٧، والإصابة ١/ ٤٣٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : «وشريح القاضى وعبد الرحمن بن غنم وقد ذكرنا تراجمهم فى التكميل» . وما بعده ساقط من الأصل إلى قوله : «ثم دخلت سنة تسع وسبعين» .

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٤.

(٦) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٦/ ١٣١، وأخبار القضاة ٢/ ١٨٩ وطبقات الفقهاء ٨٠، =

تولّى القضاءَ لعمرَ بنِ الخطابِ وعثمانَ بنِ عفانَ وعليٍّ بنِ أبى طالبٍ، ثم عزَله عليٌّ، ثـم ولاه معاويةُ، ثم استقلَّ فى القضاءِ إلى أنْ مات فى هذه السنةِ. وكان رزقُه على القضاءِ فى كلِّ شهرٍ مائةَ درهمٍ، وقيل: خمسَمائةِ درهمٍ. وكان إذا خرَج إلى القضاءِ، يقولُ: سيعلَمُ الظالمُ حظَّ مَن نقَص. وقيل: إنه كان إذا جلَس للقضاءِ قرَأ هذه الآيةَ: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ الآية. [ص: ٢٦] وكان يقولُ: إنَّ الظالمَ ينتظِرُ العقابَ والمظلومَ ينتظِرُ النصرَ، أو المثوبةَ. وقيل له: كيف أصبَحْتَ؟ فقال: كيف يُصبِحُ حالُ مَن شَطْرُ الناسِ عليه غضبانُ؟ وقيل: إنَّه مكَث قاضيًا نحوَ سبعين سنةً. وقيل: إنَّه استُعفى مِن القضاءِ قبلَ موتِه بسنةٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وأصلُه مِن أولادِ الفُرسِ الذين كانوا باليمنِ، وقدِم المدينةَ بعد موتِ النبيِّ ﷺ، وتُوفِّى بالكوفةِ وعمرُه مائةٌ وثمانِ سنينَ[1].

= ووفيات الأعيان ٢/ ٤٦٠، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠.

(١) بعده فى ٣١، م، ص: «زيادة: وقد روى الطبرانى: ...» وهى زيادة من الناسخ وقد صرح بها الناسخ فى ٣١، ص، وآثرنا حذفها هنا وفيما يأتى من مواضع مع الإشارة إلى ذلك، وذلك ليبقى الكتاب كما صنفه الحافظ ابن كثير بلفظه وطريقته.

والذى حمل النساخ على ذلك فقدان كتاب التكميل الذى أحال عليه المصنف فى أكثر تراجم رواة الحديث وغيرهم، فأرادوا أن يسهبوا فيما أوجزه المصنف اعتمادا على ذكرهم فى كتابه التكميل فأدخلوا فى الكتاب - البداية والنهاية - ماليس منه ولا سيما فى المواضع التى لم يشيروا فيها بأنها زيادة منهم.

فرأينا وضع تلك الزيادات فى الحواشى والإشارة إليها فى موضعها، كما أحلنا فى جميع التراجم المطولة والمختصرة إلى مصادرها الموسعة والمحققة تحقيقا علميا جيدًا، كتهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء وغيرهما وذلك فى حواشى الكتاب دون المساس بأصل لفظ وطريقة المصنف - رحمه الله.

وبهذا يتم المراد من تحقيق النص على أقرب صورة أرادها المصنف.

(١) عبدُ الرحمن[١] بنُ غَنْمٍ الأشعريُّ، نزيلُ فلسطينَ، وقد روَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ، وقِيل: إنَّ له صُحبةً. وقد بعثَه عمرُ بنُ الخطابِ إلى الشامِ ليفقِّهَ أهلَها فى الدينِ، وكان مِن العُبّادِ الصالحين.

جُنادةُ بنُ أبى[٢] أميةَ الأزديُّ، شهِد فتْحَ مصرَ، وكان أميرًا على غزوِ البحر[٣] لمعاويةَ، وكان موصوفًا بالشجاعةِ والخيرِ، توفِّى بالشامِ وقد قارَب الثمانين.

العلَاء بنُ زيادٍ البصريُّ[٤]، كان مِن الصالحين العبّادِ، مِن أهلِ البصرةِ، وكان كثيرَ الخوفِ والوَرَعِ، وكان يعتزِلُ فى بيتِه، ولا يخالطُ[٥] الناسَ، وكان كثيرَ البكاءِ، لم يزَلْ يبكى حتى عمِىَ، وله مناقبُ كثيرةٌ، توفِّى بالبصرةِ فى هذه السنةِ[٦].

سُراقةُ بنُ مِرداسٍ الأزْديُّ[٧]، كان شاعرًا مطبقًا[٨]، هجا الحجاجَ فنفاه إلى

(١ - ١) فى م: «عبد اللَّه». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٢/ ٨٥٠، وأسد الغابة ٣/ ٤٨٧، والإصابة ٤/ ٣٥٠

(٢) سقط من: النسخ، وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٣٩، والاستيعاب ١/ ٢٤٩، وأسد الغابة ١/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١هـ- ٨٠ هـ) ص ٣٨٣.

(٣) فى ا ٣١: «البحرين».

(٤) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٢١٧، وطبقات خليفة ١/ ٤٨٢، وتاريخ البخارى ٦/ ٥٠٧، والحلية ٢/ ٢٤٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٩٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٢.

(٥) فى ا ٢١: «يخالطه».

(٦) بعده فى ا ٣١، ص: زيادة وهى من زيادات الناسخ.

(٧) ترجمته فى: العقد الفريد ٢/ ١٧٠، وتاريخ دمشق ٢٠/ ١٥٦، واللباب ١/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٤٠٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٣٢.

(٨) فى الأصل، ا ٣١، ا ٢١، ص: «مطيقا».

الشامِ ، فتُوفِّى بها .

النابغةُ الجعدىُّ[1] الشاعرُ[2] .

السائبُ بنُ يزيدَ الكندىُّ[3] ، توفِّىَ فى هذه السنةِ .

سفيانُ بنُ سلمةَ الأسدىُّ[4] .

معاويةُ بنُ قُرَّةَ[5] **البصرىُّ**[6] .

زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ[7] .

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥١٤، وأسد الغابة ٥/ ٢٩١، والإصابة ٦/ ٣٩١، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) ص ٢٥٨.

(٢) بعده زيادة من ا٣١، ص.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٥٧٦، وأسد الغابة ٢/ ٣٢١، والإصابة ٣/ ٢٦، والسير ٣/ ٤٣٧.

(٤) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٦٨، ٣٨٩، والثقات لابن حبان ٤/ ٣١٩. ولعله وقع به تحريف، ويكون صوابه «شقيق بن سلمة الأسدى أبو وائل» سيأتى فى وفيات سنة ثنتين وثمانين.

(٥) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١، والحلية ٢/ ٢٩٨، والسير ٥/ ١٥٣، وتاريخ دمشق (مخطوط) ١٦/ ٧٧٣، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٤٧٢.

(٦) بعده فى ا٣١، ص زيادة من زيادات الناسخ.

(٧) الاستيعاب ٢/ ٥٦٣، وأسد الغابة ٢/ ٢٥٣، والإصابة ٢/ ٦٣٣.

ثم دخَلت سنةُ تسعٍ وسبعين

ففِيها وقع طاعونٌ عظيمٌ بالشامِ حتى كادوا يَفنَون مِن شدّتِه ، ولم يغزُ فيها أحدٌ من أهلِ الشامِ لضَعفِهم وقِلّتِهم ، ووصَلتِ الرومُ فيها إلى أنطاكِيَّةَ ، فأَصابوا خَلْقًا من أهلِها ؛ لعِلمِهم بضَعفِ الجُنودِ والمُقاتِلةِ .

وفيها غزا عُبيدُ[1] اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ رُتْبِيلَ[2] ملكَ التُّركِ [3]حتى أوغَل فى بلادِه ، ثم صالَحه على مالٍ يحمِلُه إليه فى كلِّ سنةٍ[3] .

وفيها قتَل عبدُ الملكِ بنُ مروانَ الحارثَ بنَ سَعيدٍ المُتنبِّئَ الكذّابَ ، ويُقالُ له : الحارثُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ الدمشقىُّ ، مَولَى أَبى الجُلَاسِ العَبْدَرِىِّ . ويُقالُ : مولَى الحكَمِ بنِ مروانَ . كان أصلُه من الحُولَةِ[4] فنزَل دمشقَ ، وتعبَّد بها ، وتنسَّك وتزهَّد ، ثم مُكِر به ، ورجَع القَهقَرى على عَقِبِه ، وانسلَخ مِن آياتِ اللَّهِ تعالى ، وفارَق حِزبَ اللَّهِ المُفلِحين ، وأَتبَعه الشيطانُ فكان مِنَ الغاوين ، ولم يزَلِ الشيطانُ يزُخُّ[5] فى قَفاه حتى أخسَره دينَه ودنياه ، وأخزاه فيهما وأشقاه ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، وحَسبُنا اللَّهُ ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّهِ .

---

(١) فى ا ٣، ا ٢، ص : « عبد » . وانظر الطبرى ٦/ ٣٢٢، والكامل ٤/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨.

(٢) فى ا ٣: « روبيل » . وفى ا ٢، ص : « روبيل » .

(٣ - ٣) زيادة من : ا ٣، ا ٢، م، ص .

(٤) فى م : « الجولة » . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٦٦.

(٥) فى ا ٢، م : « يزج » . ويقال : زخه فى قفاه : دفعه . الوسيط (ز خ خ) .

قال أبو بَكرِ بنُ أَبى خيثَمةَ[1] : ثنا عبدُ الوَهّابِ بنُ[2] نَجدةَ الحَوْطِىُّ[3] ، حدّثنا محمدُ بنُ مُباركٍ ، ثنا الوَليدُ بنُ مُسلمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَسّانَ ، قال : كان الحارثُ الكذّابُ من أهلِ دمشقَ ، وكان مولًى لأبى الجُلَاسِ ، وكان له أبٌ بالحُولَةِ ، فعرَض له إبليسُ ، وكان رجلًا متعبِّدًا زاهِدًا ، لو لبِس جُبَّةً من ذهَبٍ لرُئِيت عليه الزَّهادةُ والعِبادةُ ، وكان إذا أخَذ فى التحميدِ ، لم يسمَعِ السامِعون مِثلَ تحميدِه ، ولا أحسنَ من كَلامِه ، فكتَب إلى أبيه ، وكان بالحُولَةِ : يا أبتاه ، أَعجِلْ علىَّ ؛ فإنِّى قد رأَيتُ أشياءَ أتخوَّفُ أن يكونَ الشيطانُ قد عرَض لى . قال : فزاده أبوه غَيًّا على غَيِّه ، فكتَب إليه أبوه : يا بُنىَّ ، أقبِلْ على ما أُمِرتَ به ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ، يقولُ : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ [٧/ ٩٠و] تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] . ولستَ بأفّاكٍ ولا أثيمٍ ، فامضِ لِما أُمِرتَ به . فكان يَجىءُ إلى أهلِ المسجدِ ، رجلًا رجلًا ، فيذاكِرُهم أمرَه ، ويأخُذُ عليهم العهدَ والميثاقَ ، إنْ هو يرَى ما يرضَى قَبِلَ[4] وإلّا كتَم عليه .

قال : وكان يُريهم الأعاجيبَ ؛ كان يأتِى إلى رُخامةٍ فى المسجدِ ، فينقُرُها بيدِه ، فتسبِّحُ تسبيحًا بليغًا حتى يَضِجَّ مِن ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمِعتُ شيخَنا العَلَّامةَ أبا العبّاسِ ابنَ تَيْميَةَ ، رحِمه اللَّهُ ، يقولُ : كان ينقُرُ هذه الرُّخامةَ الحمراءَ التى فى المقصورةِ ، فتسبِّحُ ، وكان زِنديقًا[5] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٨، بنحوه . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٥١.

(٢) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥١٩.

(٣) فى م : « الجولى » . وانظر مصدر التخريج .

(٤) زيادة من مصدر التخريج .

(٥) بعده فى : ص : « قال كاتبُه : وهذا بعيدٌ ؛ إن هذه الرخامة المذكورة مع زخرفة الجامع ، إنما فعَل ذلك الوليد بن عبد الملك فى أيام خلافته ، وذلك بعد موتِ الحارث وقاتله عبد الملك بمدة معروفة ، وقد كان نصفُ الجامع الغربى بأيدى النصارى كنيسة حتى أخذه الوليد منهم ، وأضافه إلى الجامع ، كما ذكره =

قال ابنُ أبى[1] خيثمةَ فى روايةٍ[2] : وكان الحارثُ يُطعِمُهم فاكِهةَ الشتاءِ فى الصيفِ ، وفاكِهةَ الصيفِ فى الشتاءِ ، وكان يقولُ لهم : اخرُجوا حتى أُريكم الملائكةَ . فيخرُجُ بهم إلى دَيرِ المُرَّانِ[3] ، فيُريهم رِجالًا على خيلٍ ، فتَبِعه على ذلك بشَرٌ كثيرٌ ، وفشا أمرُه فى المسجِدِ ، وكثُر أصحابُه وأتباعُه ، حتى وصَل الأمرُ إلى القاسمِ بنِ مُخَيمِرةَ ، قال : فعرَض علَى القاسمِ أمرَه ، وأخَذ عليه العهدَ والميثاقَ ؛ إن هو رضِى أمرًا قبِله ، وإن كرِهه كتَم عليه . قال : فقال له : إنى نَبِىٌّ . فقال القاسمُ : كذَبتَ يا عدوَّ اللَّهِ ، ما أنت بنبىٍّ .

وفى روايةٍ[4] : ولكنَّك أحدُ الكذّابين الدجّالين الذين أخبَرَ عنهم رسولُ اللَّهِ

= المؤلف فيما بعد ، وهاتان الرخامتان الحمراوتان اللتان كانتا بالمقصورة قبل حريق الجامع فى فتنة تمرلنك إنما أتى بهما الوليد ، كما قيل من قصر ما باليمن يقال له غمدان كان يُرى ظاهره من باطنه ، وباطنه من ظاهره ، كما قيل ، ولما كان نصف الجامع مع المسلمين ، والنصف الآخر بأيدى النصارى كان نصف المقصورة داخلا فيما بأيدى النصارى ، ولم تكن المقصورة ثم وإن كان قد روى أن معاوية كان قد اتخذ مقصورة فى الجامع يصلى فيها ، فلم تكن فى هذا المكان الآن ، وإنما كانت فى مكان آخر من الجامع . والله أعلم . اللهم إلا أن يقال : إن الجامع إنما كان بين المسلمين والنصارى قبليا وشماليا ، فكان للنصارى الجهة الشمالية ، وللمسلمين الجهة القبلية فكانت المقصورة مكانها الآن على ما هى عليه ، وقد كان الخلفاء يخرجون من دار المارة بالخضراء إلى الجامع فى دهليز له باب فى المقصورة ، كان موجودًا قبل فتنة تمرلنك ، ثم أحرق فزال ، والظاهر أن الجامع لما كان بعضه بأيدى النصارى كان لهم الجهة الشمالية ، وكان لهم صومعة بالجهة الشرقية مكان الحلبية اليوم . وأما الزخرفة والرخام الملون إنما فعله الوليد اللهم إلا أن يقال : إن الرخامة المذكورة كانت موجودة مع غيرها فى الزخرفة القديمة قبل بناء الوليد له ، ويقال : إن هاتين الرخامتين إنما حملتا له من قصر بلقيس بغمدان . وقيل : إنهما من كنيسة الرها . وقيل : من بلد الفرنج . والله أعلم .

(١) سقط من الأصل ، وفى ص : « عطية » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٨.

(٣) فى النسخ : « المراق » . والمثبت من معجم البلدان ٢/ ٦٩٦. ودير المران بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة . وقال فى معجم البلدان : مُرّان بالضم على لفظ تثنية المُرّ ، والذى بالحجاز بالفتح . وانظر معجم البلدان أيضا ٢/ ٣٦٧.

(٤) تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٧.

ﷺ : « إنَّ الساعةَ لا تقومُ حتى يخرُجَ ثلاثون [1] دجّالون كذّابون [1] ، كلُّهم يزعُمُ أنّه نَبيٌّ » [2] . وأنت أحدُهم ولا عهدَ لك . قال [3] : ثم قام ، فخرَج إلى أَبى إدريسَ - وكان على القضاءِ بدمشقَ - فأعلَمَه بما سمِع مِن الحارثِ ، فقال أبو إدريسَ : نعرِفُه . ثم أعلَم أبو إدريسَ عبدَ الملكِ بذلك .

وفى روايةٍ أخرى أَنَّ مَكْحُولًا ، وعبدَ اللَّهِ بنَ أبى زكريا [4] دخَلا على الحارثِ ، فدعاهما إلى نبوَّتِه ، فكذَّباه وردّا عليه ما قال ، ودخَلا على عبدِ الملكِ فأعلَماه بأمرِه ، فتطلَّبه عبدُ الملكِ طَلَبًا حثيثًا ، [5] واختفَى [5] الحارثُ ، وصار إلى دارِ ببيتِ [6] المقدسِ يدعو إلى نفسِه سرًّا ، واهتَمَّ عبدُ الملكِ بشأنِه حتى ركِب إلى الصِّنَّبْرةِ [7] ، فنزَلها فورَد عليه هناك رجلٌ [8] من المسلمين [8] من أهلِ البصرةِ [9] مِمَّن كان يدخُلُ على الحارثِ ، وهو ببيتِ المقدسِ ، فأعلَمه بأمرِه وأين هو ، وسأَل مِن عبدِ الملكِ أن يبعَثَ معه بطائفةٍ من الجندِ الأتراكِ ليحتاطَ عليه ، فأرسلَ معه طائفةً ، وكتَب إلى نائبِ القدسِ ؛ ليكونَ فى طاعةِ هذا الرجُلِ ، ويفعَلَ ما يأمُرُه

(١ - ١) فى الأصل : « دجالًا » .

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٥٠.

(٣) تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٨.

(٤) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « زائدة » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥٢٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٦.

(٥ - ٥) فى الأصل : « فهرب منه » .

(٦) فى م : « بيت » .

(٧) فى الأصل : « الصبره » غير منقوطة ، وفى ا ٣: « الضبره » ، وفى م : « النصرية » وفى ص : « النصيرة » . وانظر تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٨. والصنَّبرة موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق ، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال . قال : ووردت محرفة فى معجم البلدان هنا فى الخبر ٢/ ٣٦٧: « الصبيرة » . انظر معجم البلدان ٣/ ٣٦٧، ٤١٩.

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) فى الأصل ، ص : « النصيرة » ، وفى ا ٣، ا ٢: « الناصرة » ، وفى م : « النصرية » . والمثبت من تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٩.

به ، فلما وصَل الرجلُ إلى بيتِ[1] المقدسِ بمَن معه انتدَب نائبُ القدسِ لخدمتِه ، فأمَره أن يجمَعَ ما يقدِرُ عليه من الشموعِ ، ويَجعَلَ مع كلِّ رجلٍ شمعةً ، فإذا أمَرهم بإشعالِها فى الليلِ أشعَلوها كلُّهم فى سائرِ الطرقِ [٧/ ٩٠ظ] والأزِقَّةِ ، حتى لا يخفَى أمرُه ، وذهَب الرجلُ بنفسِه ، فدخَل الدارَ التى فيها الحارثُ ، فقال لبوابِه : استأذِن لى على نبىِّ اللَّهِ . فقال : فى هذه الساعةِ لا يُؤذَنُ عليه حتى يُصبِحَ . فصاح البصرِىُّ : أَسرِجوا . فأسرَجَ الناسُ شموعَهم حتى صار الليلُ كأنَّه النهارُ ، [2]وهجَم البصرِىُّ[2] على الحارثِ ، فاختَفَى منه فى سَرَبٍ هناك ، فقال أصحابُه : هَيْهاتَ ، تُريدون أن تصِلوا إلى نبىِّ اللَّهِ ! إنه قد رُفِع إلى السماءِ .

قال : فأدخَل البصرىُّ يدَه فى ذلك السَّرَبِ ، فإذا بثوبِه ، فاجترَّه فأخرَجه ، ثم قال للفَرْغانيِّين[3] مِن أتراكِ الخليفةِ : تسلَّموا . قال : فأخَذوه فربَطوه وقيَّدوه . فيقالُ : إن القيودَ والجامعةَ سقَطت من عنُقِه مِرارًا ، ويعيدونها . وجعَل يقرَأُ : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ : ٥٠] . وقال لأولئك الأتراكِ : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] . فقالوا له بلسانِهم ولغتِهم : هذا كُرانُنا فهاتِ كُرانَك . أى : هذا قرآنُنا فهاتِ قرآنَك ، فلمّا انتهَوا به إلى عبدِ الملكِ ، أمَر بصَلبِه على خشَبةٍ ، وأمَر رجلًا فطعَنه بحربةٍ ، فانثَنت فى ضِلَعٍ من أضلاعِه ، فقال له عبدُ الملكِ : ويْحَك ، أذكَرتَ اسمَ اللَّهِ حين طعَنْتَه ؟ فقال : نسِيتُ . فقال : ويحَك ، سمِّ اللَّهَ ، ثم اطعَنْه . قال : فذكَر اسمَ اللَّهِ ثم طعَنه ، فأنفَذه . وقد كان عبدُ الملكِ

---

(١) فى م : « النصرية ببيت » .

(٢ - ٢) فى م : « وهم النصرى » .

(٣) فى الأصل ، ا ٣ ، م : « للفرعانين » ، وفى ا ٢ : « للقزعانين » . وانظر تاريخ دمشق ١١/ ٤٣٠ .

حبَسه قبلَ صلبِه ، وأمَر رجالًا مِن أهلِ العلمِ والفِقْهِ أنْ يعِظُوه ويُعلِمُوه ؛ أنَّ هذا الذى به مِن الشّيطانِ ، فأبَى أنْ يَقْبَلَ منهم ، فصَلَبه بعدَ ذلك ، وهذا مِن تمامِ العَدْلِ والدِّينِ .

وقد قال الوليدُ بنُ مسلمٍ[1] ، عن ابنِ جابرٍ ، فحدّثنى مَن سمِع عُتْبةَ[2] الأعورَ يقولُ : سمِعتُ العلاءَ بنَ زيادٍ العَدَوِىَّ يقولُ : ما غَبَطتُ عبدَ الملكِ بشىءٍ مِن وِلايتِه إلّا بقَتْلِه حارثًا ، حُدِّثتُ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تقومُ السّاعةُ حتى يَخْرُجَ ثلاثونَ دجّالونَ كذّابونَ كلُّهم يَزْعُمُ أنَّه نبىٌّ ، فمَن قاله فاقْتُلوه ، ومَن قتَل منهم أحدًا فله الجنةُ » .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[3] : بلَغَنى أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ قال لعبدِ الملكِ : لو حضَرْتُك ما أمرْتُك بقتلِه . قال : ولِمَ ؟ قال : إنَّه إنَّما كان به المُذْهِبُ ، فلو جوَّعتَه لذهَبَ ذلك عنه . وقال الوليدُ[3] ، عن المنذرِ بنِ نافعٍ : سمِعتُ خالدَ بنَ اللَّجْلاجِ[4] يقولُ لغَيْلانَ : ويحَك يا غَيْلانُ ، ألم يَأْخُذْك فى شَبيبَتِك تُرامِى النِّساءَ فى شهرِ رمضانَ بالتُّفّاحِ ، ثم صِرْتَ حارثيًّا يَحْجُبُ امرأتَه ، ويَزْعُمُ أنّها [٧/٩١و] أمُّ المؤمنينَ ، ثم تَحوَّلْتَ فصِرْتَ قَدَرِيًّا زِنْديقًا .

وفيها غزَا عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ رُتْبِيلَ[5] - ملكَ التُّرْكِ الأعظمَ فيهم - وقد كان يُصانعُ المسلمينَ تارةً ، ويَتمَرَّدُ أُخرَى ، فكتَب الحجّاجُ إلى ابنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/٤٢٧ من طريق الوليد بن مسلم به .

(٢) سقط من : م . وانظر مصدر التخريج .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٤٣٠، من طريق الوليد بن مسلم به .

(٤) فى ا ٣، ا ٢، ص : « الجلح » . وفى م : « الجلخ » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ١٦٠.

(٥) فى ا ٣: « زنبيل » ، وكذا فى المواضع التالية ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٢.

أبى بكرةَ (١أنْ ناجِزْه١) بمَن معك مِن المسلمين حتى تَسْتَبِيحَ أرضَه ، وتَهدِمَ قِلاعَه ، وتَقْتُلَ مُقاتِلتَه . فخرَج فى جَمْعٍ مِن الجنودِ مِن بلادِه وخَلْقٍ مِن أهلِ البصرةِ والكوفةِ ، (٢ثم التقَى مع رُتْبِيلَ - ملكِ التُّرْكِ - فكسَره٢) وهدَم أركانَه بسَطْوةٍ بَتَّارةٍ ، وجاسَ ابنُ أبى بكرةَ وجُندُه خلالَ ديارِهم ، واستَحْوَذ على كثيرٍ مِن أقاليمِه ومُدُنِه وأمصارِه ، وتَبَّرَ ما هُنالِكَ تَتْبيرًا ، ثم إنَّ رُتْبيلَ تقَهْقر منه مُنْشمِرًا(٣) ، وما زال يَتْبعُه حتى اقتَرَبَ مِن مدينتِه العُظْمَى ، حتى كانوا منها على ثمانيةَ عشَرَ فَرْسخًا ، وخافتِ الأتراكُ منهم خوفًا شديدًا ، ثم إنَّ التركَ أخذَتْ عليهم الطُّرُقَ والشِّعابَ ، وضَيَّقوا عليهم المسالكَ حتى ظَنَّ كُلٌّ مِن المسلمينَ أنه لا محالةَ هالكٌ ، فعندَ ذلك طلَب عبيدُ اللَّهِ أنْ يُصالِحَ رُتْبيلَ على أن (٤يدفَعَ إليه٤) سبعَمائةِ ألفٍ ، ويَفْتحُوا للمسلمينَ طريقًا يَخْرُجونَ منه ، (٥ويرجِعُونَ عنهم إلى بلادِهم٥) . فانتدَب شُرَيحُ بنُ هانى الحارثىُّ - وكان صحابيًّا ، وكان مِن أكبرِ أصحابِ علىٍّ ، وهو المُقَدَّمُ على أهلِ الكوفةِ - فندَب الناسَ إلى القتالِ والمُصابرةِ والنِّزالِ والجلادِ بالسُّيوفِ والرِّماحِ والنِّبالِ ، فنهاه عُبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرةَ ، فلم يَنْتَهِ ، وأجابَه شِرْذِمةٌ مِن النّاسِ مِن الشُّجعانِ وأهلِ الحفائظِ ، فما زال يُقاتِلُ بهم التركَ حتى فَنِى أكثرُ المسلمين ، (٦فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون٦) . قالوا(٧) : وجعَل شُرَيحُ بنُ هانئٍ يَرْتجِزُ ، ويقولُ :

(١ - ١) فى م : « تأخذه » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « وما انفك حتى » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « يأخذ منه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٣.

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٣، ا ٢، م ، ص .

(٦ - ٦) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « رضى الله عنهم » .

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٣.

أصبَحتُ ذَا بثٍّ أُقاسِى الكِبَرَا قَد عِشتُ بينَ المشرِكينَ أَعْصُرَا
ثُمَّتَ أدرَكْتُ النبىَّ المُنْذِرا وبعدَه صِدِّيقَه وعُمَرا
ويومَ مِهْرانَ ويومَ تُسْتَرَا والجَمْعَ فى صِفِّينِهِم والنَّهَرَا
هَيْهاتَ ما أطولَ هذا عُمُرا

ثم قاتَل حتى قُتِل رضِى اللَّهُ عنه، وقُتِل معه خَلْقٌ مِن أصحابِه، ثم خرَج مَن خرَج مِن النّاسِ صُحبةَ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى بكْرةَ مِن أرضِ رُتْبِيلَ، وهم قليلٌ، وبلَغ ذلك الحجّاجَ، فأخَذه ما تقدَّم، وما تأخَّر. وكتَب إلى عبدِ الملكِ يُعلِمُه بذلك، ويَسْتشيرُه فى بعثِ جيشٍ كثيفٍ إلى بلادِ رُتْبيلَ؛ لِيَنْتقِموا منه بسببِ ما حلَّ بالمسلمينَ فى بلادِه، فحينَ وصَل البريدُ إلى عبدِ الملكِ كتَب إلى الحجّاجِ بالموافقةِ على ما رأَى مِن المصلحةِ فى ذلك، (١وأنْ يُعجِّلَ ذلك سَريعًا، فحين وصَل البريدُ إلى الحجّاجِ بذلك أخَذ فى جَمْعِ الجيوشِ١)، فجهَّز جيشًا كثيفًا لذلك. على ما سيأتى تفصيلُه فى السنةِ الآتيةِ بعدَها. (١وقِيل: إنه قُتِل مِن المسلمينَ مع شُرَيحِ بنِ هانئٍ ثلاثونَ ألفًا، وابْتِيعَ الرَّغيفُ مع المسلمينَ بدينارٍ، وقاسَوا شدائدَ، ومات بسببِ الجوعِ منهم خَلْقٌ كثيرٌ أيضًا. فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون. وقد قتَل المسلِمون مِن التركِ خلقًا كثيرًا أيضًا؛ قتَلوا أضعافَهم١).

ويُقالُ(٢): إنَّه فى هذه السنةِ اسْتَعْفَى شُريحٌ مِن القضاءِ [٧/ ٩١ظ] فأعفاه الحجاجُ من ذلك، وولّى مكانَه أبا بُرْدةَ بنَ أبى موسى الأشعرىَّ. (٣وقد تقدّمتْ٣)

(١ - ١) زيادة من: ا ٣، ا ٢، م، ص.
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٤، والكامل ٤/ ٤٥٢.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(١ ترجمةُ شُريحٍ عندَ وفاتِه فى السنةِ الماضيةِ[٢] . واللَّهُ أعلمُ ١) .

قال الواقدىُّ ، وأبو مَعْشَرٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أهلِ السِّيَرِ[٣] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أَبَانُ بنُ عثمانَ أميرُ المدينةِ النبويةِ .

وفى هذه السنةِ قُتِل **قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءةِ التميمىُّ ، أبو نَعامةَ الخارجىُّ**[٤] ، وكان مِن الشُّجْعانِ المشاهيرِ . ويقالُ : إنه مكَث عشرينَ سنةً يُسلِّمُ عليه أصحابُه مِن الخوارجِ بالخلافةِ ، وقد جرَت له خُطوبٌ وحروبٌ مع جيشِ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ مِن جهةِ الحجَّاجِ وغيرِه . وقد قدَّمنا منها طرَفًا صالحًا فى أماكنِه .

وكان خروجُه فى زمنِ مُصعبِ بنِ الزبيرِ ، وتغلَّب على قِلاعٍ كثيرةٍ وأقاليمَ وغيرِها ، ووقائعُه مشْهورةٌ ، وقد أرسَل إليه الحجّاجُ جيوشًا كثيرةً فهزَمها . وقِيل[٥] : إنَّه برَز إليه رجلٌ مِن بعضِ الحَرُوريّةِ ، وهو علَى فرسٍ أعجَفَ ، وبيدِه عمودُ حديدٍ ، فلمّا قرُب منه كشَف قَطَرِىٌّ عن وَجْهِه ، فولَّى الرجلُ هارِبًا ، فقال له قَطَرِىٌّ : إلى أينَ ؟ أَمَا تسْتَحِى أنْ تَفِرَّ ولم ترَ طَعْنًا ولا ضربًا ؟ فقال : إنَّ الإنسانَ لا يَسْتَحِى أنْ يَفِرَّ مِن مِثْلِك . ثم إنّه[٦] فى آخرِ أَمْرِه توجّه إليه سفيانُ بنُ الأبردِ الكلبىُّ فى جيشٍ فاقتتلُوا بطَبَرِسْتانَ ، فعثَر بقَطَرِىٍّ فرسُه فوقَع إلى الأرضِ ، فتكَاثَرُوا عليه فقتَلُوه وحمَلوا رأسَه إلى الحجّاجِ . وقِيل[٧] : إنّ الذى قتَله سَوْدةُ بنُ الحُرِّ الدَّارِمىُّ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٢٨١.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٤.

(٤) انظر ترجمته فى : المعارف ٤١١، ووفيات الأعيان ٤/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٥١٠.

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٣٩.

(٦) زيادة من : م .

(٧) وفيات الأعيان ٤/ ٩٣، ٩٤، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠هـ) ص ٣٤٠.

وكان قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ - مع شجاعتِه المُفْرِطَةِ وإقدامِه - مِن خطباءِ العربِ المشهورينَ بالفصاحةِ والبلاغةِ وجَوْدةِ الكلامِ والشِّعرِ الحَسَنِ، فمِن مُستجادِ شِعْرِه قولُه يُشَجِّعُ نفسَه وغيرَه، ومَن سمِعها انتفَع بها:

أقولُ لها وَقَدْ طارَتْ شَعَاعًا ... مِن الأَبْطَالِ ويْحَكِ لنْ تُراعِى
فإنَّكِ لَوْ سألتِ بَقَاءَ يومٍ ... على الأجَلِ الذى لكِ لم تُطَاعِى
فَصَبْرًا فى مجالِ الموتِ صَبْرًا ... فما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ
ولا ثَوْبُ الحياةِ بثَوْبِ عِزٍّ ... فيُطْوَى عن أخِى الخَنَعِ اليَرَاعِ
سَبيلُ المَوْتِ غايةُ كُلِّ حَىٍّ ... وداعِيهِ لأَهْلِ الأرضِ داعِى
ومَنْ لا يَغْتَبِطْ يَسْأَمْ ويَهْرَمْ ... وتُسْلِمْه المنونُ إلى انقطاعِ
وما للمَرْءِ خَيْرٌ فى حَياةٍ ... إذا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ المتاعِ

ذكَرها صاحبُ الحَماسةِ، واسْتَحْسَنَها ابنُ خَلِّكانَ فى تاريخِه كثيرًا[1].

وفيها تُوفِّى **عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ**[2]، رَحِمه اللَّهُ، وهو أميرُ الجيشِ الذى دخَل بلادَ التُّركِ، وقاتَلوا رُتْبِيلَ - مَلِكَ التُّركِ - وقد قُتِل مِن جيشِه خَلْقٌ كثيرٌ مع شُرَيحِ بنِ هانئٍ، كما تقدَّم ذلك. وقد دخَل عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ على الحجّاجِ مرَّةً وفى يدِه خاتَمٌ، فقال له الحجّاجُ[3]: كم ختَمْتَ بخاتَمِك هذا؟ قال: على أربعينَ ألفِ ألفِ دينارٍ. قال: فَفِيمَ أَنْفَقْتَها؟ قال: فى اصْطِناعِ المعروفِ، ورَدِّ المَلْهوفِ والمكافأةِ بالصنائعِ، وتزويجِ العقائلِ. وقيل[4]: إنَّ عبيدَ اللَّهِ عطِشَ يومًا

---

(١) الحماسة لأبى تمام ١/ ١٦١، ووفيات الأعيان ٤/ ٩٤، وانظر نهاية الأرب ٣/ ٢٢٧.
(٢) ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٠، وطبقات خليفة ١/ ٤٨٤ وتاريخ دمشق ٤٤/ ٤٣٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٤٧٧، ومرآة الجنان ١/ ١٦١.
(٣) تاريخ دمشق (ط مجمع اللغة العربية) ٤٤/ ٤٣٨ بنحوه.
(٤) المصدر السابق ٤٤/ ٤٤٥، ٤٤٦ مطولا.

فأخرَجَتْ له امرأةٌ كوزَ ماءٍ باردٍ فأعطاها ثلاثينَ ألفًا . وقِيلَ[1] : إنه أُهْدِى إليه وَصيفٌ ووصيفةٌ ، وهو جالسٌ بين أصحابِه ، فقال لبعضِ أصحابِه : خُذْهُما لك . ثم فكَّر ، وقال : واللَّهِ إنَّ إيثارَ بعضِ الجُلساءِ على بعضٍ لشُحٌّ قبيحٌ ودناءةٌ رديئةٌ . ثم قال : يا غلامُ ، ادفَعْ إلى كلِّ واحدٍ مِن جُلسائى وَصيفًا ووَصِيفةً . فأُحصِىَ ذلك فكانوا ثمانينَ وَصيفًا ووَصيفةً .

تُوفى عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ ببُسْتَ[2] . وقِيل : بذَرِيحَ[3] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ٦/ ٢٢٠، ٢٢١ بنحوه .

(٢) بُسْتُ : مدينة بين سجستان وغزنين . معجم البلدان ١/ ٦١٢ .

(٣) فى م : « بذرخ » .

ثم دخلت سنةُ ثمانيـنَ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ

فيها كان السَّيلُ الجُحافُ بمكَّةَ ؛ لأنَّه جحَف على كلِّ شيءٍ مَرَّ به ، وحمَل الحُجَّاجَ مِن بطنِ مكَّةَ والجِمالَ بما عليها ، والرجالَ والنِّساءَ لا يستطيعُ أحدٌ أن يُنقِذَهم منه ، وبلَغ الماءُ إلى الحَجُونِ[1] ، وغرِق خلقٌ كثيرٌ ، وقِيل[2] : إنّه ارتفَع حتى كاد أن يُغطِّيَ البيتَ . واللَّهُ أعلمُ .

وحكَى ابنُ جريرٍ عن الواقديِّ أنَّه قال[3] : كان بالبصرةِ فى هذه السنةِ الطاعونُ الجارفُ . فاللَّهُ أعلَمُ . والمشهورُ أنّه كان فى سنةِ تسعٍ وستين ،كما تقدَّم[4] .

وفيها قطَع المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرةَ نهْرَ بَلْخَ[5] ، وأقام بكَشَّ سَنتَين صابرًا مُصابِرًا للأعداءِ مِن الأتراكِ ، وجرَتْ له معهم هناك فصولٌ يطولُ ذِكرُها . وقَدِم عليه فى غُبونِ[6] هذه المدَّةِ كتابُ ابنِ الأشعَثِ بخَلْعِه الحجّاجَ ، فبعَثه المهلَّبُ برُمَّتِه إلى الحجّاجِ حتى قرأه ، ثم كان ما سيأتى بيانُه وتفصيلُه فيما بعدُ مِن حروبِ ابنِ الأشعثِ .

وفى هذه السنةِ جهَّز الحجّاجُ الجيوشَ مِن البصرةِ والكوفةِ وغيرِهما ، لقتالِ

---

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة . معجم البلدان ٢/ ٢١٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٥، والكامل ٤/ ٤٣٥، والمنتظم ٦/ ٢١١.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٥.

(٤) تقدم فى صفحة ١٢٦.

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « غضون » .

رُتْبِيلَ مَلِكِ التركِ ؛ ليقتصُّوا منه ما كان مِن قَتْلِ جيشِ عبيدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرةَ فى السَّنةِ الماضيةِ ، فجهَّز أربعينَ ألفًا ، مِن كلٍّ مِن المصرَيْنِ [٧/٩٢و] عشرينَ ألفًا ، وأمَّر على الجميعِ عبدَ الرحمنِ بنَ محمدِ بنِ الأشعَثِ مع أنّه كان الحجَّاجُ يُبْغِضُه جدًّا ، حتى إنَّه كان يقولُ[١] : ما رأيتُه قطُّ إلّا همَمْتُ بقتلِه .

ودخَل ابنُ الأشعثِ يومًا على الحجَّاجِ وعندَه عامرٌ الشعبىُّ ، فقال[٢] : انظُر إلى مِشيتِه ، واللَّهِ لقد هَمَمتُ أن أضرِبَ عُنُقَه . فأسرَّها الشعبىُّ إلى ابنِ الأشعثِ ، فقال ابنُ الأشعثِ : وأنا واللَّهِ لأجهَدَنَّ أنْ أُزيلَه عن سلطانِه إن طال بى وبه البقاءُ .

والمقصودُ أنّ الحجّاجَ أخَذ فى استعراضِ هذه الجيوشِ ، وبذَل فيهم العطاءَ ، ثم اختلَف رأيُه فى مَن يؤمِّرُ عليهم ، ثم وقَع اختيارُه على عبدِ الرحمنِ ابنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ، فقدَّمه عليهم ، فأتى[٣] عمُّه إسماعيلُ بنُ الأشعثِ ، فقال للحجّاجِ : إنِّى أخافُ أنْ تؤمِّرَه فلا يرَى لك طاعةً إذا جاوَز جِسْرَ الفُراتِ[٤] . فقال : ليس هو هنالك ، هو لى أهيَبُ[٥] ومنى أرهَبُ[٦] أنْ يُخالِفَ أمْرى أو يخرُجَ عن طاعتى . فأمضَاه عليهم ، فسار ابنُ الأشعثِ بالجيوشِ نحوَ أرضِ رُتْبِيلَ ، فلمّا بلَغ رُتْبِيلَ مجِىءُ ابنِ الأشعثِ بالجنودِ إليه كتَب إليه رُتْبِيلُ يَعتذِرُ ممّا أصاب المسلمينَ فى بلادِه فى السنةِ الماضيةِ ، وأنّه كان لذلك كارهًا ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٧.

(٢) المصدر السابق .

(٣) فى الأصل : « أبى » .

(٤) فى ا ٣، ص، م : « الصراه » ، وفى ا ٢: « القراه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٨.

(٥) فى م : « حبيب » .

(٦) فى الأصل : « أرغب » .

وأنّهم[1] ألجئوه إلى قتالِهم، وسأَل مِن ابنِ الأشعثِ أن يُصالحَه، وأن يَبذُلَ للمسلمينَ الخَراجَ، فلم يُجِبْه ابنُ الأشعثِ إلى ذلك، وصمَّم على دخولِ بلادِه، وجمَع رُتْبِيلُ جنودَه وتهيَّأ له ولحربِه، وجعَل ابنُ الأشعثِ كلّما دخَل بلدًا، أو مدينةً، أو أخَذ قَلْعةً مِن بلادِ رُتْبِيلَ استعمَل عليها نائبًا مِن جهتِه، [2]وجعَل معه مَن[2] يحفَظُها له، وجعَل المسالحَ[3] على كلِّ أرضٍ ومكانٍ مَخُوفٍ، فاستحوَذَ على بلادٍ، ومُدُنٍ كثيرةٍ مِن بلادِ رُتْبِيلَ، وغَنِم أموالًا كثيرةً جزيلةً، وسبَى خلْقًا كثيرةً، ثم حبَس الناسَ عن التوغُّلِ فى بلادِ رُتْبِيلَ حتى يُصلِحوا ما بأيدِيهم مِن البلادِ، ويتقوَّوْا بما فيها مِن المُغَلّاتِ والحَواصلِ، ثم يتقدّموا فى العامِ المقبلِ إلى أعدائِهم فلا يزالون يجوزون الأراضىَ والأقاليمَ حتى يُحاصِروهم فى مدينتِهم - مدينةِ العُظماءِ - على الكنوزِ والأموالِ والذرارِى حتى يَغنَموها ثم يقتُلون مُقاتِلَتَهم، وعزَموا على ذلك؛ وكان هذا هو الرأىَ.

وكتَب ابنُ الأشعثِ إلى الحجّاجِ يُخبِرُه بما وقَع مِن الفتحِ وما صنَع اللَّهُ لهم، وبهذا الرأيِ الذى رآه لهم. وقال بعضُهم[4]: كان الحجّاجُ قد وجَّه هِمْيانَ بنَ عَدِىٍّ السدُوسىَّ إلى [5]كَرْمانَ، مَسْلَحةً[5] لأهلِها، لِيمُدَّ عاملَ سِجِستانَ والسِّندِ إن احتاجا إلى ذلك، فعصَى هِمْيانُ ومَن معه[6]، فوجّه الحجّاجُ إليه ابنَ الأشعثِ، فهزَمه وأقام[7] بمَن معه.

(١) فى ا ٣، ا ٢، م: «أن المسلمين هم الذين».
(٢ - ٢) سقط من: ا ٣، ا ٢، م.
(٣) فى م: «المشايخ».
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٩.
(٥ - ٥) فى م: «كرما مسلحا». والمَسْلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدّو، وسُمّوا مسلحة؛ لأنهم يكونون ذوى سلاح. النهاية ٢/ ٣٨٨.
(٦) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص: «على الحجاج».
(٧) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص: «ابن الأشعث».

ومات عبيدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرَةَ ، فكتَب الحجَّاجُ إلى ابنِ الأشعثِ بإمْرَةِ سِجِسْتانَ مكانَ ابنِ أبى بَكْرَةَ ، وجهَّز إلى ابنِ الأشعثِ جيشًا أنفَق عليهم ألفَىْ ألفٍ سِوى أَعطِياتِهم ، [٧/٩٢ظ] وكان يُدْعَى هذا الجيشُ جيشَ الطَّواويسِ ، وأمَره بالإقدامِ على رُتْبِيلَ ، فكان مِن أمرِه معه ما تقدَّم .

قال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ[1] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبانُ بنُ عُثمانَ . وقال غيرُهما : بل حجَّ بهم سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ . وكان على الصَّائفةِ فى هذه السنةِ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، وعلى المدينةِ أبانُ بنُ عثمانَ ، وعلى المشرقِ بكمالِه الحجَّاجُ ، وعلى قضاءِ الكوفةِ أبو بُرْدَةَ بنُ أبى موسى ، وعلى قضاءِ البصرةِ موسى ابنُ أنسِ بنِ مالكٍ .

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأَعيانِ :

أسْلَمُ[2] مولى عمرَ[3] بنِ[4] الخطَّابِ : وهو أبو زيدِ بنُ أسلمَ ، أصلُه مِن سبيِ عينِ التمرِ ، اشتراه عمرُ بمكَّةَ لمَّا حجَّ سنةَ إحدى عَشْرةَ ، وتُوفِّى وعمرُه مائةٌ وأربعَ عشْرةَ سنةً ، وروَى عن عمرَ عدةَ أحاديثَ ، وروَى عن غيرِه مِن أصحابِه أيضًا ، وله مناقبُ كثيرةٌ ، رحِمه اللَّهُ .

جُبَيْرُ بنُ نُفيرِ بنِ مالكٍ الحَضرمىُّ[5] ، له صحبةٌ[6] وروايةٌ ، وكان مِن علماءِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ١٠، وتهذيب الكمال ٢/ ٥٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٦١.

(٣) بعده فى الأصل : «وجبير بن نفير وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب صحابى جليل وأبو إدريس الخولانى قاضى دمشق. وقد ترجمتهم فى كتابنا التكميل. ولله الحمد».

(٤) من هنا حتى نهاية ترجمة أبى إدريس الخولانى زيادة من : ا ٣، ا ٢، م، ص.

(٥) الاستيعاب ١/ ٢٣٤، وأسد الغابة ١/ ٣٢٤، والإصابة ١/ ٥٣١.

(٦) كذا فى النسخ، وفى هذا نظر، فقد اتفق على أن جبيرًا أدرك النبى ﷺ ولكنه لم يره فعلى ذلك =

أهلِ الشامِ، وكان مشهورًا بالعبادةِ والعلمِ، توفِّى بالشامِ وعمرُه مائةٌ وعشرونَ سنةً، وقيل أكثرُ، وقيل، أقلُّ.

عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ[1]: وُلِد بأرضِ الحبشةِ، وأمُّه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وهو آخِرُ مَن رأى النبىَّ ﷺ مِن بنى هاشمٍ وفاةً، سكَن المدينةَ، ولمّا استُشْهِد أبوه جعفرٌ بمُؤتةَ أتى النبىُّ ﷺ إلى أمِّهم فقال: «ائْتونى ببَنِى أخِى». فأُتِى بهم كأنَّهم أفرُخٌ، فدعا بالحلاقِ فحلَق رءوسَهم، ثم قال: «اللهم اخلُفْ جعفرًا فى أهلِه، وبارِكْ لعبدِ اللَّهِ فى صفقتِه». فجاءتْ أمُّهم فذكَرت للنبىِّ ﷺ أنّه ليس لهم شىءٌ، فقال: «أنا لهم عوضًا مِن أبيهم»[2]. وقد بايَع النبىَّ ﷺ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وعمرُهما سبعُ سنين، وهذا لم يتفِقْ لغيرِهما.

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ مِن أسخَى الناسِ، يُعطِى الجزيلَ الكثيرَ ويستقِلُّه، وقد تصدَّقَ مرةً بألفىْ ألفٍ، وأعطَى مرّةً رجلًا ستين ألفًا، ومرّةً أعطَى رجُلًا أربعةَ آلافِ دينارٍ، وقيل[3]: إنَّ رجلًا جلَب مرّةً سُكَّرًا إلى المدينةِ فكسَد عليه، فلم يشترِه أحدٌ، فأمَر ابنُ جعفرٍ قيِّمَه أنْ يشتريَه، وأنْ يَهَبَه للناسِ. وقيل[4]: إنّ معاويةَ لمّا حجَّ ونزَل المدينةَ[5] فى دارِ مَروانَ قال يومًا لحاجبِه: انظرْ هل ترى بالبابِ الحسنَ أو الحسينَ أو ابنَ جعفرٍ أو فلانًا - وعدَّ جماعةً - فخرَج فلم يرَ

= لا يعد صحابيًا. وانظر المصادر السابقة. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١- ٨٠ هـ) ص ٣٨١.

(١) الاستيعاب ٣/ ٨٨٠، وأسد الغابة ٣/ ١٩٨، والإصابة ٤/ ٤٠.

(٢) تقدم تخريجه فى ٦/ ٤٤٦، بنحوه، وانظر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٥٤- ٢٥٧.

(٣) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٤) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٧٥- ٢٧٦.

(٥) سقط من: م.

أحدًا ، فقيل له : هم مجتمِعون عند عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ يتغدَّون . فأتى معاويةَ فأخبَره ، فقال : ما أنا إلّا كأحدِهم . ثم أخَذ عصًا فتوكَّأ عليها ثم أتى بابَ ابنِ جعفرٍ ، فاستأذَن عليه ، ودخَل فأجلَسه فى صدرِ فراشِه ، فقال له معاويةُ : أين غدَاؤُك يا ابنَ جعفرٍ؟ فقال : وما تشتَهى مِن شىءٍ فادْعُ به . فقال معاويةُ : أطْعِمْنا مُخًّا . فقال : يا غلامُ ، هاتِ مخًّا . فأتى بصَحْفَةٍ[1] فأكَل معاويةُ ، ثم قال ابنُ جعفرٍ لغلامِه : هاتِ مخًّا . فجاء بصَحفةٍ[1] أخرى ملآنةٍ مخًّا إلى أنْ فعَل ذلك ثلاثَ مرّاتٍ . فتعجَّب معاويةُ وقال : يا ابنَ جعفرٍ ، ما يَسعُك[2] إلا الكثيرُ مِن العطاءِ . فلمّا خرَج معاويةُ أمَر له بخمسين ألفَ دينارٍ . وكان ابنُ جعفرٍ صديقًا لمعاويةَ ، وكان يفِدُ عليه كلَّ سنةٍ فيُعطيه ألفَ ألفِ درهمٍ ، ويقضِى له مائةَ حاجةٍ . ولمّا حضَرتْ معاويةَ الوفاةُ أوصَى ابنَه يزيدَ به[3] . فلمّا قدِم ابنُ جعفرٍ على يزيدَ قال له : كم كان أميرُ المؤمنين يُعطيك كلَّ سنةٍ؟ قال : ألفَ ألفٍ . فقال له : قد أضعفْناها لك . وكان يُعطيه ألفَىْ ألفٍ كلَّ سنةٍ . فقال له [4]عبدُ اللَّهِ[4] بنُ جعفرٍ : بأبى أنت وأمِّى ، ما قلتُها لأحدٍ قبلَك ، ولا أقولُها لأحدٍ بعدَك . فقال له يزيدُ : ولا أَعطاكها أحدٌ قبلى ولا يُعطيكَها أحدٌ بعدى .

وقيل[5] : إنه كان عندَ ابنِ جعفرٍ جاريةٌ تغنِّيه تُسمَّى عمَّارةَ ، وكان يحبُّها محبةً عظيمةً ، فحضَر عنده يزيدُ بنُ معاويةَ يومًا ، فغنَّتِ الجاريةُ ، فلمَّا سمِعها يزيدُ

---

(١) فى م : « بصحيفة » .

(٢) فى م : « يشبعك » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى م : « عبد الملك » .

(٥) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٨٦- ٢٩٠ مطولًا .

افتتَن بها ولم يجسُرْ على ابنِ جعفرٍ أنْ يطلُبَها منه ، (١ خوفًا أنْ يمنعَه إياها ١) ، فلم يزَلْ في نفسِ يزيدَ منها حتى مات أبوه معاويةُ ، فبعَث يزيدُ رجلًا مِن أهلِ العراقِ (١ ودفَع إليه تجارةً ١) وأمَره أن يتلطَّفَ[٢] في أمرِ هذه الجاريةِ ، فقدِم الرجلُ المدينةَ ، ونزَل جِوارَ ابنِ جعفرٍ وأهدَى إليه هدايا وتُحفًا كثيرةً ، وأنَس به ، ولا زال حتى أخَذ الجاريةَ وأتَى بها[٣] يزيدَ . وكان الحسنُ البصريُّ يذُمُّ (١ عبدَ اللَّهِ ١) بنَ جعفرٍ على سماعِه الغِناءَ واللهوَ ، وبشرائه المولَّداتِ ، ويقولُ : أمَا يكفيه هذا الأمرُ القبيحُ الذى هو متلبسٌ به مِن هذه الأشياءِ وغيرِها ؟ حتى زوَّج الحجاجَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان الحجّاجُ يقولُ : إنما تزوَّجتُها لأذِلَّ بها آلَ أبى طالبٍ . وقيل : إنه لم يصِلْ إليها . وقد كتَب عبدُ الملكِ إليه أنْ يطلِّقَها فطلَّقها . أسنَدَ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ثلاثةَ عشَرَ حديثًا .

أبو إدريسَ الخَوْلانىُّ[٤] : اسمُه عائذُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، له أحوالٌ ومناقبُ ، كان يقولُ[٥] : قلبٌ نقىٌّ فى ثيابٍ دنِسةٍ خيرٌ مِن قلبٍ دنِسٍ فى ثيابٍ نقيَّةٍ . وقد تولَّى القضاءَ بدمشقَ ، وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى كتابِنا « التكميلِ »[٦] .

مَعْبدٌ الجُهَنىُّ القَدَرىُّ[٧] : يقالُ : إنّه معبدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُكَيْمٍ[٨] ، راوى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « يتطلع » .

(٣) سقط من : م .

(٤) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤٨، وحلية الأولياء ٥/ ١٢٢، وتهذيب الكمال ١٤/ ٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٢.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٢٢.

(٦) تقدمت الإشارة إليه فى ١/ ٢٩.

(٧) ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٦/٧٩٧ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٥.

(٨) فى الأصل : « عويمر » . وهو قول فى اسم جده كما فى تهذيب الكمال . وفى ا ٣، ا ٢، ص،=

حديثِ : « لا تنتَفِعوا مِن المَيْتةِ بإهابٍ ولا عَصَبٍ »[1] . وقيل غيرُ ذلك فى نسبِه . سمِع الحديثَ مِن ابنِ عبّاسٍ ، وابنِ عمرَ ، ومعاويةَ ، وعِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، وغيرِهم . وشهِد يومَ التحكيمِ ، وسأَل أبا موسى فى ذلك ووصَّاه ، ثم اجتَمع بعمرِو بنِ العاصِ فوصَّاه فى ذلك ، فقال له[2] : إيهًا يا تَيْسَ[3] جُهَيْنَةَ[4] ، ما أنت من أهلِ السرِّ ولا[5] العلانيةِ ، وإنّه لا ينفعُك الحقُّ ولا يضرُّك الباطلُ . وهذا توسُّمٌ فيه مِن عمرِو بن العاصِ ، ولهذا كان هو أولَّ مَن تكلَّم فى القَدَرِ ، ويقال[6] : إنّه أخَذ ذلك عن رجلٍ مِن النّصارى مِن أهلِ العراقِ يقال له : سُوسنُ[7] . وأخَذ غَيْلانُ القَدَرَ مِن مَعبدٍ .

وقد كانت لمَعبدٍ عبادةٌ ، وفيه زَهادةٌ ، ووثَّقه ابنُ معينٍ وغيرُه فى حديثِه[8] . وقال الحسنُ البصرىُّ[9] : إياكم ومَعبدًا ؛ فإنّه ضالٌّ مُضِلٌّ . وكان ممَّن خرَج مع ابنِ الأشعثِ فعاقَبه الحجّاجُ عقوبةً عظيمةً بأنواعِ العذابِ ثم قتَله ، وقال سعيدُ بنُ عُفَيْرٍ[10] : بل صلَبه عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ فى سنةِ ثمانين بدِمشقَ ثم قتَله . وقال

= م : « عليم » . وكذا فى الكامل . والمثبت من مصادر الترجمة .

(١) أخرجه أبو داود (٤١٢٧، ٤١٢٨) ، والترمذى (١٧٢٩) ، والنسائى (٤٢٦٠، ٤٢٦١) ، وابن ماجه (١٦١٣) ، والإمام أحمد فى المسند ٤/ ٣١١. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٧٥، ٣٤٧٦) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ١١٦.

(٣) فى ص : « أنيس » .

(٤) فى م : « جهنة » .

(٥) سقط من : م .

(٦) تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٧) فى م : « سوس » .

(٨) سقط من : الأصل .

(٩) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٩٩، وميزان الاعتدال ٤/ ١٤١، وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٥. وقال ابن معين فى معرفة الرجال ١/ ١٦٦: « ... قال لنا طاوس : أخروا معبدا . قال : يعنى معبدا الجهنى » .

(١٠) تاريخ دمشق ١٦/ ٨٠٣، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٨.

خليفةُ بنُ خيّاطٍ[1] : مات قبلَ التسعينَ . فاللَّهُ أعلمُ[2] .

(١) تاريخ خليفة٢/ ٤٠١.

(٢) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص : «وقيل : إن الأقرب قتل عبد الملك له . والله سبحانه وتعالى أعلم» .

ثم دخلَت سنةُ إحدى وثمانين

ففيها : فتَح عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ مدينةَ قالِيقَلا[1] ، وغنِم المسلمون منها غنائمَ كثيرةً . وفيها قُتِل بُكَيرُ بنُ وِشَاحٍ ؛ قتَله بَحيرُ[2] بنُ ورقاءَ الصُّرَيْمِيُّ ، وكان بُكيرٌ مِن الأمراءِ الشُّجعانِ ، ثم ثار لبُكَيرِ بنِ وِشَاحٍ رجلٌ مِن قومِه يقالُ له : صعصعةُ بنُ حربٍ العَوْفيُّ الصُّرَيْمِيُّ . فقَتل بَحيرَ[2] بنَ وَرْقاءَ الذى قتَل بُكيرًا ؛ طعَنه بخَنْجَرٍ ، وهو جالسٌ عند المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ ، فحُمِل إلى منزلِه وهو بآخرِ رَمقٍ ، فبعَث المهلَّبُ [٧/٩٣و] بصعصعةَ إليه ، فلما تمكَّن منه بَحيرُ ابنُ ورقاءَ قال : ضعوا رأسَه عند رِجلى . فوضَعوه فطعَنه بَحِيرٌ بحربتِه حتى قتَله ومات على إثرِه . وقد قال له أنسُ بنُ طارقٍ : اعفُ عنه فقد قتَلتَ بُكيرَ بنَ وِشاحٍ . فقال : لا واللَّهِ لا أموتُ وهذا حيٌّ . ثم قتَله ، وقد قيل : إنّه إنما قُتِل بعد موتِه . فاللَّهُ أعلمُ .

فتنةُ ابنِ الأشعَثِ

قال أبو مِخنَفٍ[3] : كان ابتداؤُها فى هذه السنةِ . وقال الواقدىُّ[3] : فى سنةِ

---

(١) فى ا ٣، ا ٢، ص : « فاليقلا » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣١، والكامل ٤/ ٤٥٧، والمنتظم ٦/ ٢٢٤. وقاليقلا : مدينة مداخلة لبلد الروم وهى ثغر إرمينية وأذربيجان . مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٢/ ٦٦.

(٢) فى ا ٣، ا ٢، م : « بجير » . وكذا فيما يأتى من مواضع . وانظر الإكمال ١/ ١٩٨، وتبصير المنتبه ١/ ٦١.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٤.

ثنتَينِ وثمانين . وقد ساقها ابنُ جريرٍ فى هذه السنةِ[1] فوافقْناه فى ذلك . وكان سببَ هذه الفتنةِ أنّ ابنَ الأشعثِ كان الحجّاجُ يُبْغِضُه ، وكان هو يفهَمُ ذلك ويُضمِرُ له السوءَ وزوالَ الملكِ عنه ، فلمّا أمَّره الحجّاجُ على ذلك الجيشِ المتقدِّمِ ذكرُه ، وأمَره بدخولِ بلادِ رُتْبيلَ ملكِ الترك ، فمضَى وصنَع ما قدَّمْناه مِن أخذِه بعضَ بلادِ الترك ، ثم رأَى لأصحابِه أنْ يُقيموا حتى يتقوَّوْا إلى العامِ المقبِلِ ، فكتَب إلى الحجّاجِ بذلك ، فكتَب إليه الحجّاجُ يستهجِنُ رأيَه فى ذلك ، ويستضعِفُ عقلَه ويُقرِّعُه بالجبنِ والنُّكولِ عن الحربِ ، ويأمُرُه حتمًا بدخولِ بلادِ رُتْبيلَ ، ثم أردَف ذلك بكتابٍ ثانٍ ثم ثالثٍ [2] فلمّا تواردت كتبُ الحجاجِ إليه يحثُّه على التوغلِ فى بلادِ رُتبيلَ ، جمَع من معه ، وقام فيهم ، فأعلمهم بما كان رأى من الرأى فى ذلك ، وبما[2] كتَب إليه الحجّاجُ مِن الأمرِ بمعاجلةِ رُتْبيلَ ، فثار

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٤.

(٢ - ٢) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « مع البريد ، فكتب إليه فى جملة ذلك يقول : يا ابن الحائك الغادر المرتد ، امض لما أمرتك به من الإيغال فى أرض العدو ، وإلّا حل بك ما لا يطاق . وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث ، ويقول : هو أهوج أحمق حسود ، وأبوه الذى سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام ، وما رأيته قط إلّا هممت بقتله . ولما كتب الحجاج بذلك إلى ابن الأشعث وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث ، وقال : يكتب إلى بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندى ولا من بعض خدمى ؛ لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف ، هذا الجبانَ صاحبَ غزالة . يعنى أن غزالة ، وهى زوجة شبيب ، حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها ، وهى امرأةٌ ، لما دخلت الكوفة .

ثم إن ابن الأشعث جمع رءوس أهل العراق ، وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم فى الإيغال فى بلد العدو ، وهى البلد التى هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا فى أمركم أما أنا فإنى لست بمطيعه ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس . ثم قام فيهم خطيبا فأعلمهم بما كان رأى من الرأى له ولهم فى ذلك من إصلاح البلد التى فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقووا بغلّاتِها وأموالها ، ويخرج عنهم فصل البرد ، ثم يسيرون فى بلاد العدو فيفتحونها بلدا بلدا إلى أن يحصروا رتبيل ملك الترك فى مدينته العظماء ، ثم أعلمهم بما » .

إليه الناسُ ، وقالوا : لا بل نأبى على عدوِّ اللَّهِ الحجّاجِ[1] ، ولا نسمَعُ له ولا نُطيعُ .

قال أبو مِخنَفٍ[2] : فحدّثنى مُطَرِّفُ بنُ عامرِ بنِ واثلةَ[3] الكِنانىُّ ، أنَّ أباه كان أوَّلَ مَن تكلَّم فى ذلك ، وكان شاعرًا خطيبًا ؛ وكان ممَّا قال : إنَّ مثلَ الحجّاجِ فى هذا الرأيِ ومثلَنا كما قال الأولُ لأخيه : احمِل عبدَك على الفرَسِ فإنْ هلَك هلَك ، وإنْ نجا فلك . [4]إنكم إن[4] ظفِرتم كان ذلك زيادةً فى سلطانِه ، وإن هلَكتُم كنتُمُ الأعداءَ البُغضاءَ . ثم قال : اخلَعوا عدوَّ اللَّهِ الحجّاجَ - [5]ولم يذكُرْ خلعَ عبدِ الملكِ[5] - وبايِعوا لأميرِكم عبدِ الرحمنِ بنِ الأشعثِ ، فإنى أُشهِدُكم أنِّى أولُ خالعٍ للحجَّاجِ . فقال الناسُ مِن كلِّ جانبٍ : خلَعْنا عدوَّ اللَّهِ . ووثَبوا إلى عبدِ الرحمنِ بنِ الأشعثِ فبايَعوه عِوضًا عن الحجّاجِ ، ولم يذكُروا خلعَ عبدِ الملكِ ابنِ مَروانَ .

وبعَث ابنُ الأشعثِ إلى رُتْبيلَ فصالحَه على أنَّه إنْ ظفِر بالحجّاجِ فلا خَراجَ على رُتْبيلَ أبدًا . ثم سار ابنُ الأشعثِ بالجنودِ الذين معه مُقبِلًا مِن سِجِستانَ إلى الحجَّاجِ ؛ ليقاتِلَه ويأخذَ منه العراقَ ، [٧/٩٣ظ] ثم لمّا توسّطوا الطريقَ قالوا : إنَّ خَلْعَنا للحجّاجِ خَلْعٌ لابنِ مَروانَ . فخلَعوهما جميعًا[6] وجدَّدوا البيعةَ لابنِ الأشعثِ ، فبايَعهم على كتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رسولِه وخلعِ أئمةِ الضلالةِ وجهادِ المُحِلِّين[7] . فإذا قالوا : نعم . بايعَهم . فلما بلَغ الحجّاجَ ما صنَعوا مِن خَلْعِه وخَلْعِ

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٦/ ٣٣٥، من طريق أبى مخنف به .

(٣) فى ا ٢، م : « وائلة » .

(٤ - ٤) فى ا ٢: « إن » . وفى م : « أنتم إذا » .

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٣، ا٢، م، ص .

(٦) سقط من : ا ٢، م .

(٧) فى ا ٣، ا ٢، ص : « المنحلين » . وفى م : « الملحدين » . وانظر الكامل ٤/ ٤٦٤ .

ابنِ مروانَ ، كتَب إلى عبدِ الملكِ يُعلِمُه بذلك ويستعجِلُه فى بعثِه الجنودَ إليه ، وجاء الحجّاجُ حتى نزَل البصرةَ ، وبلَغ المهلَّبَ خبرُ ابنِ الأشعثِ ، وكتَب إليه يدعوه إلى ذلك فأبَى عليه ، وبعَث بكتابِه إلى الحجّاجِ . وكتَب المهلَّبُ إلى ابنِ الأشعثِ يقولُ[1] له : إنك يا ابنَ الأشعثِ قد وضَعْتَ رجلَك فى ركابٍ طويلٍ ، أبْقِ[2] على أمَّةِ محمدٍ ﷺ ، [3]اللَّهَ اللَّهَ[3] ، انظُرْ لنفسِك فلا تُهلِكْها ، ودماءِ المسلمين فلا تسفِكْها ، والجماعةِ فلا تفرِّقْها ، والبيعةِ فلا تَنكُثْها ، فإن قلتَ : أخافُ الناسَ على نفسى . فاللَّهُ أحقُّ أن تخافَه[4] مِن الناسِ ، فلا تُعرِّضْها للَّهِ فى سفكِ دمٍ[5] ، أو استحلالِ مُحرَّمٍ ، والسلامُ عليك .

وكتَب المهلَّبُ إلى الحجّاجِ[6] : أمّا بعدُ ، فإنَّ أهلَ العراقِ قد أقبَلوا إليك مثلَ السيلِ المنحدرِ من عَلُ ليس شىءٌ يَردُّه حتى ينتهىَ إلى قرارِه ، وإنّ لأهلِ العراقِ شِرَّةً[7] فى أولِ مخرَجِهم ، وصَبابةً إلى أبنائِهم ونسائِهم ، فليس شىءٌ يردُّهم حتى يَصِلوا إلى أهليهم[8] ، ويشمُّوا أولادَهم ، ثم واقِعْهم[9] عندَها فإنّ اللَّهَ ناصرُك عليهم إن شاء اللَّهُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٨.

(٢) فى الطبرى : « الغى » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى الطبرى : « عليها » .

(٥) فى م : « الدماء » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٩.

(٧) فى م : « شدة » .

(٨) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « وينبسطوا إلى نسائهم » .

(٩) فى الأصل، والطبرى : « واقفهم » .

فلما قرأ الحجّاجُ كتابَه قال : فعَل اللَّهُ به وفعَل ، لا واللَّهِ ما لى نظَرَ ، ولكنْ لابنِ عمِّه نصَح . ولما [1] وقَع كتابُ [1] الحجّاجِ إلى عبدِ الملكِ هاله ذلك ثم نزَل عن سَريرِه ، وبعَث إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ فأقرَأَه كتابَ الحجّاجِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ كان هذا الحدثُ مِن قِبَلِ خُراسانَ فخَفْه ، وإن كان من قِبَل سِجِسْتانَ فلا تخَفْه .

ثم أَخَذ عبدُ الملكِ فى تجهيزِ الجنودِ مِن الشامِ إلى العراقِ فى نُصرةِ الحجّاجِ ، وتجهَّز الحجاجُ للخروجِ إلى ابنِ الأشعثِ ، وعصَى رأْىَ المهلَّبِ فيما أشار به عليه ، وكان فيه [2] النصحُ والصدقُ ، وجعَلتْ كتبُ الحجّاجِ لا تنقطِعُ عن عبدِ الملكِ بخبرِ ابنِ الأشعثِ صباحًا ومساءً ؛ أين نزَل ومِن أين ارتحَل ، وأىُّ الناسِ إليه أسرعُ ، وجعَل الناسُ يلتفُّون على ابنِ الأشعثِ [٧/٩٤و] مِن كلِّ جانبٍ ، حتى قيل : إنه سار معه ثلاثةٌ وثلاثون ألفَ فارسٍ ومائةٌ وعشرون ألفَ راجلٍ . وخرَج الحجّاجُ فى جنودِ الشامِ من البصرةِ نحوَ ابنِ الأشعثِ ، فنزَل تُستَرَ ، وقدَّم بين يديْه مُطهِّرَ بنَ حَيٍّ العَكِّىَّ [3] أميرًا على المقدِّمةِ [4] ، ومعه عبدُ اللَّهِ بنُ زميت [5] أميرًا آخرَ ، فانتهَوا إلى دُجيلٍ ، فإذا مقدِّمةُ ابنِ الأشعثِ فى ثلاثِمائةِ فارسٍ عليها عبدُ اللَّهِ بنُ أَبَانٍ الحارثىُّ ، فالتقَوا فى يومِ الأضحى عند نَهْرِ دُجَيْلٍ ، فهُزِمتْ مقدِّمةُ الحجاجِ ، وقَتَل أصحابُ ابنِ الأشعثِ منهم خلقًا كثيرًا نحوَ ألفٍ وخمسِمائةٍ ،

(١ - ١) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « وصل البريد بكتاب » .

(٢) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « فى شوره » .

(٣) فى الأصل، ا ٣، ا ٢، م : « مطهر بن حى الكعبى » . وفى ص : « مطهر بن خير الكعبى » ، وفى تاريخ الطبرى : « مطهر بن حر العكى » . والمثبت من الأنساب ٤/ ٢٢٥.

(٤) فى الأصل : « المدينة » .

(٥) فى الأصل، ا ٣، ا ٢: « رميث » . وفى الطبرى : « رميثة » . وانظر أنساب الأشراف ٧/ ٣٢٢.

واحتازوا ما فى مُعَسْكرِهم مِن خيولٍ وقماشٍ وأموالٍ ، وجاء الخبرُ إلى الحجّاجِ بهزيمةِ أصحابِه ، [1] فأخذه ما دبَّ ودرَج . وقد كان قائمًا [1] يخطُبُ ، فقال [2] : أيها الناسُ ارجعوا إلى البصرةِ ، فإنّه أرفقُ بالجندِ . فرجَع بالنّاسِ واتَّبَعَتهم خيولُ ابنِ الأشْعثِ لا يُدرِكون منهم شاذًّا إلا قتَلوه ، ولا فاذًّا إلا أهلَكوه ، ومضَى الحجاجُ هاربًا لا يَلْوِى على شىءٍ حتى أتى الزاويةَ فعسكَر عندَها ، وجعَل يقولُ : للَّهِ دَرُّ المُهَلَّبِ ! أىُّ صاحبِ حَرْبٍ هو ؟! قد أشار علينا بالرأيِ ، ولكنَّا لم نقْبَلْ .

وأنفَق الحجّاجُ على جيشِه - وهو بهذا المكانِ - مائةً وخمسين ألفَ ألفِ درهمٍ ، وخندَقَ حولَ جيشِه خَنْدقًا ، وجاءَ أهلُ العراقِ فدخَلوا البصرةَ واجتمَعوا بأهالِيهم وشمُّوا أولادَهم ، ودخَل ابنُ الأشعثِ البصرةَ فخطَب الناسَ بها [3] وبايعَهم وبايعُوه على خَلْعِ عبدِ الملكِ ونائبِه الحجاجِ بنِ يوسفَ ، وقال لهم ابنُ الأشعثِ : ليس الحجّاجُ بشىءٍ ، ولكن اذْهَبوا بنا إلى عبدِ الملكِ لنقاتِلَه . ووافَقه على خَلْعِهما جميعُ مَن بالبصرةِ مِن الفقهاءِ ، والقرّاءِ ، والشُّيوخِ ، والشَّبابِ ، ثم أمَرَ ابنُ الأشعثِ بخندقٍ حولَ البصرةِ فعمِل ذلك ، وكان ذلك فى أواخرِ ذى الحجّةِ من هذه السنةِ .

وحجّ بالناسِ فيها [4] سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ [4] فيما ذكره الواقدِىُّ وأبو

(١ - ١) سقط من : الأصل .

ودب : مشى . ودرج : مات وانقضى عقبه . ويقال : أكذب من دب ودرج . أى أكذب الأحياء والأموات . وانظر تاج العروس (د ب ب) .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٠.

(٣) سقط من : الأصل ، وفى م : « بهم » .

(٤ - ٤) فى النسخ : « إسحاق بن عيسى » . وهو خطأ فهو أحد رجال سند الطبرى ، يروى عن أبى معشر هذا القول ، والمثبت هو الصواب .

مَعْشَرٍ[1] . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعلمُ .

وفيها غزا موسى بنُ نُصيرٍ أميرُ بلادِ المغربِ مِن جهةِ عبدِ الملكِ بلادَ الأندلسِ ، فافْتَتح مُدنًا كثيرةً ، وأراضِيَ عامرةً ، وأوغَل فى بلادِ المغربِ إلى أنْ وصَل إلى الزقاقِ المنبثقِ مِن البحرِ الأخضرِ المحيطِ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

وممّن تُوفى فيها مِن الأعيانِ :

بَحيرُ بنُ وَرْقاءَ الصُّرَيمِيُّ البصريُّ[3] أحدُ الأشرافِ بخراسانَ ، والقوّادِ والأمراءِ ، وهو[4] الذى حاربَ ابنَ خازمٍ وقتَله ، وقَتَل بُكيرَ بنَ وِشاحٍ .

ثم قُتِل فى هذه السنةِ :

سُويدُ بنُ غَفَلَةَ بنِ عَوْسجةَ بنِ عامرٍ[5] : أبو أميَّةَ الجعفىُّ الكوفىُّ ، شهِد اليرموكَ وحدَّث عن جماعةٍ من الصحابةِ ، وكان مِن كبارِ المخضرمين ، ويقالُ : إنه رأى النبىَّ ﷺ وصلَّى معه . والصحيحُ أنَّه لم يَرَه ، وكان مولدُه عامَ ولِد النبىُّ ﷺ . وقِيل : إنه وُلد بعدَه بسنتين . وعاش مائةً وعشرين سنةً ، لم يُرَ يومًا محتبيًا[6] ولا متساندًا ، وافتضَّ بِكرًا عامَ وفاتِه [٧/٩٤ظ] ، وكانت وفاتُه فى سنةِ إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيدٍ ، وغيرُ واحدٍ[7] . وقِيل : إنه تُوفى فى سنةِ ثنتينِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤١.

(٢) انظر معجم البلدان ١/ ٥٠٤.

(٣) ترجمته فى : تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ٤٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٨٤. وانظر نهاية الأرب ٢١/ ٢٢٩، ٢٣٢.

(٤) سقط من : م .

(٥) الاستيعاب ٢/ ٦٧٩، وأسد الغابة ٢/ ٤٩٢، والإصابة ٣/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ٥.

(٦) فى م : « محتنيا » .

(٧) تهذيب الكمال ١٢/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٧٢.

وثمانينَ . فاللَّهُ أعلم[1] .

عبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادِ بنِ الهادِ[2] : [3]كان مِن العُبّادِ الزُّهّادِ العلماءِ ، وله وصايا وكلماتٌ حِسانٌ ، وقد روى عدَّةَ أحاديثَ عن الصحابةِ ، وعنه[4] خلقٌ مِن التابعين[3] .

---

(١) بعده فى ا ٣، ص : « قال الشعبى : قال سويد بن غفلة : أنا أصغر من النبى ﷺ سنة . وقال عثمان ابن أبى شيبة : حدثنا أبى وعمى أبو بكر قال : حدثنا هشيم عن هلال بن حبان عن ميسرة أبى صالح عن سويد بن غفلة قال : أتانا مصدق النبى ﷺ وصليت معه ولم ألقه عليه السلام . وقال أبو حاتم : حدثنا أبو نعيم حدثنا حنش بن الحارث النخعى قال : رأيت سويد بن غفلة يمر بنا فى المسجد إلى امرأة له من بنى أسد وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة . وقال سفيان : عاصم قال : تزوج سويد بن غفلة وهو ابن ست عشرة ومائة سنة فكان يمشى يأتى الجمعة يؤمنا . وفى رواية : كان يؤمنا فى شهر رمضان فى قيام الليل وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة . وقال أبو نعيم : حدثنا زهير عن عمران بن مسلم قال : كان سويد بن غفلة جل ما يصنع أن يكبر قبل أن يقول المؤذن : قد قامت الصلاة وقد كان سويد بن غفلة الصلاة والأذان عمله . وقال : لو استطعت أن أكون مؤذن الحى لفعلت . وقال أبو نعيم بن دكين : حدثنا حنش بن الحارث عن على بن مدرك قال : كان سويد بن غفلة يؤذن بالهاجرة فسمعه الحجاج وهو بالدير فقال : ائتونى بهذا المؤذن . فأتوا به إلى الحجاج فقال له : ما حملك على الصلاة بالهاجرة . فقال : صليتها فى هذا الوقت مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ولسويد بن غفلة مناقب كثيرة وقد رحل سويد إلى رسول الله ﷺ فوجده قد قبض وتولى أبو بكر فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليا . وروى عنهم وعن خلق من الصحابة وكان إذا قيل له : أعطى فلان وولى فلان يقول : حسبى كسرى وملحى . وقال : إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتا من نار على قدره ثم أقفل عليه بأقفال من نار فلا يبقى فيه عرق إلا وفيه مسمار من نار ثم يجعل ذلك التابوت فى تابوت آخر من نار ثم يقفل عليه بأقفال من نار ثم يضرم بينهما نار فلا يرى أحد منهم أن فى النار غيره . وقال : إن الملائكة تمشى أمام الجنازة فيقولون : ماذا قدم . ويقول الناس : ماذا ترك » . ولعلها زيادة من الناسخ منقولة عن ترجمته من حلية الأولياء ٤/ ١٧٤.

(٢) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ١/ ٣٤٨، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٧٣، وتهذيب الكمال ١٥/ ٨١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١١١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢١٠.

(٣ - ٣) زيادة من : ا ٣، ا ٢، م، ص.

(٤) فى م : « عن ».

محمدُ بنُ عليِّ بنِ أبى طالبٍ[1] : أبو القاسمِ وأبو عبدِ اللَّهِ أيضًا ، وهو المعروفُ **بابنِ الحنفيَّةِ** ، وكانت أُمُّه أَمَةً سوداءَ سِنْدِيَّةً مِن سَبْيِ[2] بنى حنيفةَ ، اسمُها خَوْلَةُ . وُلِد محمدٌ فى خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، ووفَد على معاويةَ ، وعلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ وقد صرَع مروانَ يومَ الجملِ وقعَد على صَدْرِه وأراد قتلَه فناشَده مروانُ باللَّهِ ، وتذَلّل له فأطلَقه ، فلَمَّا وفَد على عبدِ الملكِ ذكَّره بذلك ، فقال : عفوًا يا أميرَ المؤمنين . فعفا عنه وأجزَل له الجائزةَ . وكان محمدُ بنُ عليٍّ مِن ساداتِ قريشٍ ومِن الشُّجعانِ المشهورينَ ، ومِن الأقوياءِ المذكورينَ ، ولمّا بُويِع لابنِ الزبيرِ لم يُبايِعْه ، فجرَى بينهما شرٌّ عظيمٌ حتى هَمَّ ابنُ الزبيرِ به وبأهلِه ، كما تقدَّم ذلك . فلمّا قُتِل ابنُ الزبيرِ واستقرَّ أمرُ عبدِ الملكِ وبايعَه ابنُ عمرَ ، تابَعه ابنُ الحنفيّةِ ، وقدِم المدينةَ فماتَ بها فى هذه السنةِ ، وقِيل : فى التى قبلَها ، أو فى التى بعدَها . ودُفِن بالبقيعِ . والرّافضةُ يَزعمونَ أنه بجبلِ رَضْوى ، وأنه حيٌّ يُرزقُ ، وهُمْ يَنْتظِرونه ، وقد قال كُثَيِّرُ عزةَ[3] فى ذلك :

أَلَا إنَّ الأئمةَ مِن قريشٍ ... وُلاةَ الحقِّ أربعةٌ سَواءُ
علىٌّ والثلاثةُ مِنْ بَنيهِ ... [4]هُمُ الأسْباطُ ليس بهم خَفاءُ[4]
فسِبطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبرٍّ[5] ... وسِبْطٌ غيَّبتهُ كربلاءُ

---

(١) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٩١، وطبقات خليفة ٢/ ٥٨٠، وتاريخ دمشق ٧٢٢/١٥ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٨١، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٩.

(٢) سقط من : م .

(٣) ديوان كثير عزة ص ٥٢١، والأغانى ٩/ ١٤، ١٥.

(٤ - ٤) فى الديوان : « هم أسباطه والأوصياء » .

(٥) فى الديوان : « وحلم » .

وسبطٌ [1]لا تَرَاهُ العينُ[1] حتى يقودَ[2] الخيلَ يَقْدُمُها لواءُ
[3]تَغيَّبَ لا يُرى عنهم زمانًا برَضْوَى عنده عسلٌ وماءُ[3]

(١ - ١) فى الديوان : « لا يذوق الموت » .

(٢) فى م : « تعود » .

(٣ - ٣) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبى الطفيل واثلة بن الأسقع ، وعلى الكوفة المختار بن أبى عبيد ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطبا كثيرا على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ، ويسميه المهدى ، فبعث المختار أبا عبد الله الجدلى فى أربعة آلاف فاستنقذوا بنى هاشم من يدى ابن الزبير . وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف ، وبقى ابن الحنفية فى شيعتهم ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه ، فخرج إلى أرض الشام بأصحابه ، وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى ايلة كتب إليه عبد الملك يقول : إما أن تبايعنى وإما أن تخرج من أرضى . فكتب إليه ابن الحنفية : أبايعك على أن تؤمن أصحابى ؟ قال : نعم . فقام ابن الحنفية فى أصحابه ، فحمد الله واثنى عليه ، وقال : الحمد لله الذى حقن دماءكم ، وأحرز دينكم ، فمن أحب منكم أن يأتى مأمنه إلى بلده محفوظا فليفعل . فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقى فى سبعمائة رجل ، فأحرم بعمرة ، وقلد هديا وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلًا فمنعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنا لم نأت لحرب ولا لقتال ، ولكن دعنا ندخل حتى نقضى نسكنا ، ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدنٌ قد قلدها ، فرجع إلى المدينة فأقام بها محرما حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية فى تلك المدة محرما ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه ، وذلك بعد عدة سنين ، وكان القمل يتناثر منه فى تلك المدة كلها ، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة فأقام بها حتى مات ، وقيل : إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية يقول : قد قتل عدو الله فبايع . فكتب إليه : إذا بايع الناس كلهم بايعت . فقال الحجاج : والله لأقتلنك . فقال ابن الحنفية : إن لله فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة فى اللوح المحفوظ ، فى كل نظرة منها ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجعلنى فى قضية منها فيكفينيك . فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك فأعجبه قوله ، وكتب إليه : قد عرفنا أن محمدا ليس عنده خلاف فارفق به فهو يأتيك ويبايعك . وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بجموع من الجنود لا يطيقها أحدٌ ، فكتب بكلام ابن الحنفية ، فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة . ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقى شىءٌ فبايع . فكتب بيعته إلى عبد الملك ، ووفد عليه بعد ذلك .

توفى ابن الحنفية فى المحرم بالمدينة ، وعمره خمسٌ وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحمزة وعلىّ وجعفرٌ الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفرٌ الأصغر وعونٌ ورقية ، وكلهم لأمهات شتى » .

وقال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ[1] : كانتْ شيعتُه تزعُمُ أنه لم يَمُتْ ، وفيه يقولُ السّيدُ[2] :

أَلَا قلْ للوصيِّ فدَتْكَ نَفْسى ... أَطَلْتَ بذلكَ الجبلِ المُقاما
أضرَّ بمَعْشَرٍ والَوْكَ مِنّا ... وسمَّوكَ الخليفةَ والإمَاما
وعادَوا فيكَ أهلَ الأرضِ طُرًّا ... مُقامُكَ عنهمُ[2] ستِّينَ عاما[7/95و]
وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ... ولا وارثْ لهُ أرضٌ عِظاما
لقدْ أمْسى بمُورِقِ شِعبِ رَضْوى ... تراجعُهُ الملائكةُ الكلاما
وإنَّ لهُ بهِ لمَقِيلَ صِدْقٍ ... وأنديةً تحدِّثُهُ كِراما
هدانا اللَّهُ [3]إذْ حُزتُم[3] لأمرٍ ... بهِ وعليهِ نلتمسُ التَّماما
تمامَ مودةِ[4] المهديِّ حتى ... تَرَوْا راياتِه تَترى نظاما

وقد ذهَب طائفةٌ مِن الرافضةِ إلى إمامتِه ، وأنه يُنْتظَرُ خروجُه فى آخرِ الزمانِ ، كما يَنتظِرُ طائفةٌ أخرى منهم الحسنَ بنَ محمدٍ العسكريَّ ، الذى يخرُجُ فى زعمِهم مِن سِردابِ سامَرَّا ، وهذا مِن خُرافاتِهم وهذيانِهم وجهلِهم وضلالِهم وبهتانِهم[5] ، وسنزيدُ ذلك وضوحًا فى موضعِه إن شاء اللَّه[6] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ١١٣. وانظر نسب قريش ص ٤٢، والأغانى ٩/ ١٤. وأيضا تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١٨٣.

(٢) هو السيّد الحميرىّ الشاعر الشيعىّ .

(٣) فى م : « منهم » .

(٤ - ٤) فى الأصل، ص : « إذ خرتم » وفى م : « ادخرتم » .

(٥) فى م : « نوره » .

(٦) فى م : « ترهاتهم » .

(٧) بعده زيادة فى : ص . وهى من زيادات الناسخ .

ثم دخلتْ سنةُ ثِنتينِ وثمانيـنَ

ففى المحَرَّمِ منها كانت وقعةُ الزاويةِ بيـنَ ابنِ الأَشعثِ والحجاجِ ، فى آخرِه . وكان أوّلُ يومٍ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشّامِ ، ثم تواقَعوا يومًا آخَرَ ، فحمَل سفيانُ ابنُ الأبردِ أحدُ أمراءِ أهلِ الشّامِ على ميمنةِ ابنِ الأشعثِ [1] فهزَمها ، وقتَل خلقًا[2] مِن القُرَّاءِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ [1] فى هذا اليومِ ، وخرَّ الحجاجُ للّهِ ساجدًا بعدَ ما كان جَثَا على رُكْبتيهِ وسَلَّ شيئًا مِن سيفِه[3] ، وجعَل يترحَّمُ على مصعبِ بنِ الزبيرِ ، ويقولُ : ما كان أكرمَه حينَ[4] صبَر نفسَه للقتلِ .

وكان مِن جملةِ مَن قُتِل مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ : الطُّفَيلُ[5] بنُ عامرِ بنِ واثلةَ[6] الليثىُّ . ولما فرَّ أصحابُ ابنِ الأشعثِ رجَع ابنُ الأشعثِ بمَن بقِى معه ومَن اتَّبَعه مِن أهلِ البصرةِ ، فسار حتى دخَل الكوفةَ ، فعمَد أهلُ البصرةِ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عباسِ[7] بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ فبايعوه ، فقاتلَ الحجاجَ خمسَ ليالٍ أشدَّ القتالِ ، ثم انصرَف فلحِق بابنِ الأشعثِ ، وتبِعه طائفةٌ مِن أهلِ البصرةِ ، فاسْتَنابَ الحجاجُ على البصرةِ أيوبَ بنَ الحكمِ بنِ أبى عقيلٍ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى م : « كثيرا » .

(٣) بعده فى الأصل : « واستقبل » .

(٤) فى م : « حتى » .

(٥) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « أبو الطفيل » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٣.

(٦) فى م : « وائلة » .

(٧) فى ا ٢، م : « عياش » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٣.

ودخَل ابنُ الأشعثِ الكوفةَ، فبايعه أهلُها على خَلْعِ الحجاجِ وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ، وتفاقَم الأمرُ، وكثُر متابعو ابنِ الأشعثِ على ذلك، واشتَدَّ الحالُ، وتفرَّقتِ الكلمةُ جدًّا، وعظُم الخَطْبُ، واتَّسعَ الخَرْقُ[1].

[2]قال الواقديُّ[3]: لما التقَى جيشُ الحجاجِ وجيشُ ابنِ الأشعثِ بالزاويةِ، جعَل جيشُ الحجاجِ يحمِلُ عليهم مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، فقال القُرَّاءُ - وكان عليهم جَبَلَةُ ابنُ زَحْرٍ: أيها النّاسُ ليس الفرارُ مِن أحدٍ بأقبحَ منه[4] منكم، فقاتِلوا عن دينِكم ودُنياكم. وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ نحوَ ذلك[5]، وقال الشّعبيُّ[6]: قاتِلُوهم على جَوْرِهم واستذلالِهم الضعفاءَ، وإماتتِهم الصلاةَ. ثم حمَلتِ القرّاءُ - وهم العلماءُ - على جيشِ الحجّاجِ حملةً صادقةً فبدَعوا[7] فيهم، ثم رجَعوا فإذا هم بمُقدَّمِهم جبلةُ بنُ زَحْرٍ[8] صريعًا، فهدَّهم ذلك، فناداهم جيشُ الحجاجِ: يا أعداءَ اللَّهِ، قد قتَلنا طاغيتَكم. ثم حمَل سفيانُ بنُ الأبردِ - وهو على خيلِ الحجاجِ على ميسرةِ ابنِ الأشعثِ - وعليها الأبردُ بنُ قرةَ التميميُّ - فانهزَمُوا ولم يُقاتِلوا كثيرَ قتالٍ، فأنكَر الناسُ منهم ذلك. وكان أميرُ ميسرةِ ابنِ الأشعثِ الأبردُ شجاعًا لا يَفِرُّ، وظَنوا أنه قد خامر، فنُقِضتِ الصفوفُ وركِب الناسُ[2]

---

(١) بعده فى م: «على الراقع».

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) لم نجد هذا السياق معزوا للواقدى. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٠- ١٢.

(٤) سقط من: م.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٨.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٧.

(٧) فى م: «فبرعوا».

(٨) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٧: «زحل».

(١) بعضُهم بعضًا ، وكان ابنُ الأشعثِ يحرِّضُ الناسَ على القتالِ ، فلمّا رأى ما الناسُ فيه أخَذ مَن اتَّبعه وذهَب إلى الكوفةِ فبايعَه أهلُها (١) .

ثم كانت **وقعةُ دَيْرِ الجماجمِ** فى شعبانَ مِن هذه السنةِ . قاله (٢) الواقدىُّ .

وذلك أنَّ ابنَ الأشعثِ لما قصَد الكوفةَ [٧/٩٥ظ] خرَج إليه أهلُها ، فتلقَّوه وحَفَوا به ودخَلوا بيـنَ يدَيه ، غيرَ أنَّ شِرْذمةً قليلةً أرادتْ أنْ تقاتِلَه دونَ مطرِ بنِ ناجيةَ نائبِ الحجاجِ ، فلم يُمكِنْهم ذلك ، فعدَلوا إلى القصرِ ، فلمّا وصَل ابنُ الأشعثِ (١) إلى الكوفـةِ (١) أمَر بالسلاليمِ فنُصِبتْ على قصرِ الإمارةِ فأخَذه واستنزَلَ مطرَ بنَ ناجيةَ وأراد قَتْلَه ، فقال له : اسْتبقِنى فإنِّى خيرٌ مِن فرسانِك . فحبَسه ، ثم استدعاه فأطلَقه وبايَعه ، واستوثَق لابنِ الأشعثِ أمْرُ الكوفةِ ، وانضَمَّ إليه مَن جاء مِن أهلِ البصرةِ ، وكان مِمَّن قدِم عليه عبدُ الرحمنِ بنُ العباسِ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ المطلبِ ، وأمَر بالمسالحِ مِن كلِّ جانبٍ ، وحُفِظتِ الثغورُ والطرقُ والمسالكُ .

ثم إنَّ الحجاجَ ركِب فى مَن معه مِن الجيوشِ الشّاميةِ مِن البصرةِ فى البرِّ ، حتى مرَّ بيـنَ القادسيةِ والعُذَيبِ ، وبعَث إليه ابنُ الأشعثِ عبدَ الرحمنِ بنَ العباسِ فى خيلٍ عظيمةٍ مِن المِصرين فمنَعُوا الحجاجَ مِن نزولِ (٣) القادسيةِ ، فسار الحجاجُ حتى نزَل دَيْرَ قُرّةَ ، وجاء ابنُ الأشعثِ بمَن معه مِن الجيوشِ البصريةِ والكوفيةِ حتى نزَل دَيْرَ الجماجمِ ، ومعه جنودٌ كثيرةٌ ، وفيهم القرَّاءُ (٤) مِن المِصرَيْـن (٤) وخَلْقٌ مِن

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) فى م : « قال » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٦.

(٣) فى م : « دخول » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

الصالحينَ، وكان الحجاجُ بعدَ ذلك يقولُ: قاتَلَ اللَّهُ ابنَ الأشعثِ، أَمَا كان يزجُرُ الطيرَ حيثُ رآنى قد نزَلتُ دَيْرَ قُرَّةَ ونزَل هو بدَيْرِ الجماجمِ. وكان جملةُ مَن اجتَمع مع ابنِ الأشعثِ مائةَ ألفِ مقاتلٍ ممَّن يأخُذُ العطاءَ، ومعهم مِثلُهم مِن مَواليهم، وقدِم على الحجـــاجِ فى غُبونِ ذلك أمدادٌ كثيرةٌ مِن الشّامِ[1]، وخَندَقَ كلٌّ مِن الطائفتينِ [2]على نفسِه وحولَ جيشِه[2] خندقًا [3]يمتنِعُ به[3] مِن الوصولِ إليهم، غيرَ أنَّ الناسَ كان يبْرُزُ بعضُهم لبعضٍ فى كلِّ يومٍ فيقتَتِلونَ قتالًا شديدًا فى كلِّ يومٍ، حتى أُصِيب مِن رُءوسِ الناسِ خَلْقٌ مِن قريشٍ وغيرُهم، واستمرَّ هذا الحالُ مدَّةً طويلةً، واجتمَع الأمراءُ مِن أهلِ المشورةِ عندَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، فقالوا له: إنْ كان أهلُ العراقِ يرضِيهم منك أنْ تَعْزِلَ عنهم الحجاجَ فهو أَيْسرُ مِن قتالِهم وسفكِ دمائِهم. فاستحضَر عبدُ الملكِ عندَ ذلك أخاه محمدَ بنَ مروانَ، وابنَه عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، ومعهما جنودٌ كثيرةٌ جدًّا، وكتَب معهما كتابًا إلى أهلِ العراقِ يقولُ لهم: إنْ كان يرضِيكم منّى عَزْلُ الحجاجِ عنكم، عزلتُه، وأبقيتُ[4] عليكم أَعطياتِكم مثلَ أهلِ الشّامِ، وَلْيَخْتَرِ ابنُ الأشعثِ أىَّ [٩٦/٧و] بلدٍ شاء، يكونُ عليه أميرًا ما عاش وعِشتُ، وتكونُ إمرةُ العراقِ لمحمدِ بنِ مروانَ. وقال فى عهدِه هذا: فإنْ لم يُجِبْ أهلُ العراقِ إلى ذلك فالحجاجُ على ما هو عليه، وإليه إمرةُ الحربِ، ومحمدُ بنُ مَرْوانَ وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الملكِ فى طاعتِه وتحتَ أَمْرِه لا يخرُجونَ

---

(١) بعده فى الأصل: «ومن عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان».

(٢ - ٢) فى الأصل: «حولهم».

(٣ - ٣) فى الأصل: «يمنع».

(٤) فى م: «بعثت».

عن رأْيِه فى الحربِ وغيرِه .

ولما بلَغ الحجاجَ ما كتَب به عبدُ الملكِ إلى أهلِ العراقِ مِن عَزْلِه إنْ رضُوا به ، شَقَّ عليه ذلك مشقةً عظيمةً جدًّا ، وعظُم شأنُ هذا الرأيِ عندَه ، وكتَب إلى عبدِ الملكِ : يا أميرَ المؤمنينَ ، واللَّهِ لئن أعطيتَ أهلَ العراقِ نَزْعى عنهم[1] لا يلبثون إلا قليلًا حتى يُخالِفُوكَ ويَسيرُوا إليك ، ولا يزيدُهم ذلك إلا جُرْأةً عليك ، ألم تَرَ وتسمَعْ بوُثوبِ أهلِ العراقِ مع الأشْترِ النَّخَعىِّ على ابنِ عفّانَ ، فلمّا سألَهم : ما يُريدونَ ؟ قالوا : نَزْعَ سعيدِ بنِ العاصِ . فلمّا نزَعه لم تَتِمَّ[2] لهم السَّنةُ حتى ساروا إليه فقتلَوه ؟ وإنَّ الحديدِ بالحديدِ يُفْلَحُ[3] ، كان اللَّهُ لك فيما ارتأيتَ ، والسلامُ عليك .

قال[4] : فأبَى عبدُ الملكِ إلا عرْضَ هذه الخصالِ على[5] أهلِ العراقِ كما أمَر ، فتقدَّم عبدُ اللَّهِ ومحمدٌ ، فنادَى عبدُ اللَّهِ : يا معشرَ أهلِ العراقِ ، أنا عبدُ اللَّهِ ابنُ أميرِ المؤمنينَ عبدِ الملك بنِ مروانَ ، وإنه يَعرِضُ عليكم كَيتَ وكَيتَ . فذكَر[6] ما كتَب به أبوه معه إليهم مِن[6] هذه الخصالِ . وقال محمدُ بنُ مروانَ : وأنا رسولُ أخى أميرِ المؤمنين إليكم بذلك . فقالوا : ننظُرُ فى أمرِنا غدًا ونرُدُّ عليكم الخبرَ عشيةً . ثم انصرَفُوا ، فاجتمَع جميعُ الأمراءِ إلى ابنِ الأشعثِ ، فقام فيهم خطيبًا

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « تقم » .

(٣) فى الأصل ، ا ٣ ، ا ٢ ، ص : « يقرع » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٨. وفلح الحديدَ فلحا إذا شقه وقطعه .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/٣٤٨ وما بعدها .

(٥) بعده فى الأصل : « العراق إرادة العافية من الحرب وكتب إلى جنده فعرض ذلك على » .

(٦ - ٦) زيادة من : ا ٣ ، ا ٢ ، م ، ص .

وندَبهم إلى قبولِ ما عُرِض عليهم مِن عَزْل الحجاجِ عنهم ، وبيعةِ عبدِ الملك وإبقاءِ الأَعْطِياتِ ، (١) وإمْرةِ محمدِ بنِ مروانَ على العراقِ بدَلَ الحجاجِ (١) . فنفَر الناسُ مِن كلِّ جانبٍ ، وقالوا : لا واللَّهِ لا نَقبَلُ ذلك ، نحن أكثرُ عَددًا وعِددًا ، وهم فى ضِيقٍ مِن الحالِ ، وقد حكَمنا عليهم وذَلُّوا لنا ، واللَّهِ لا نُجيبُ إلى ذلك أبدًا . ثم جدَّدوا خَلْعَ عبدِ الملكِ (٢) بنِ مروانَ (٢) ثانيةً ، واتَّفقوا على ذلك كلُّهم .

فلمّا بلَغ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الملكِ وعمَّه محمدَ بنَ مروانَ الخبرُ ، قالا للحجَّاجِ : شأنَك بهم إذًا ، فنحنُ فى طاعتِك كما أمَرَنا أميرُ المؤمنينَ . فكانا إذا لقياه سلَّما عليه بالإمرةِ ، ويُسلِّمُ هو أيضًا عليهم بالإمرةِ ، وتولَّى الحجاجُ أمرَ الحربِ وتدبيرَها كما كان قبلَ ذلك ، فعندَ [٩٦/٧ظ] ذلك برَز كُلٌّ مِن الفريقينِ للقتالِ والحربِ ، فجعَل الحجاجُ على ميمنتِه عبدَ الرحمنِ بنَ (٣) سُليمٍ الكلبىَّ (٣) ، وعلى ميسرتِه عُمارةَ بنَ تميمٍ اللخمىَّ ، وعلى الخيلِ سفيانَ بنَ الأبردِ ، وعلى الرَّجّالةِ عبدَ الرحمنِ بنَ حبيبٍ الحكَمِىَّ ، وجعَل ابنُ الأشعثِ على ميمنتِه الحجاجَ بنَ حارثةَ الخثعمىَّ (٤) ، وعلى الميسرةِ الأبردَ بنَ قُرَّةَ التميمىَّ ، وعلى الخيَّالةِ عبدَ الرحمنِ بنَ عبَّاسِ بنِ ربيعةَ (٥) ، وعلى الرَّجّالةِ محمدَ بنَ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ الزُّهرىَّ ، وعلى القُرَّاءِ جبلةَ بنَ زَحْرِ بنِ قيسٍ الجُعْفِىَّ ، وكان فى القرّاءِ سعيدُ بنُ جبيرٍ وعامرٌ الشعبىُّ وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى وكُميلُ بنُ زيادٍ - وكان شجاعًا فاتكًا على

(١ - ١) فى الأصل : « وإبقاء إمرة محمد بن مروان على العراق » .

(٢ - ٢) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « ونائبه » .

(٣ - ٣) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « سليمان » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٩.

(٤) فى م : « الجشم » .

(٥) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « أبو ربيعة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤٩.

كِبرِ سنِّه - وأبو البَخْتَرِىِّ الطائىُّ ، وغيرُهم .

وجعَلوا يقتَتلون فى كلِّ يومٍ ، وأهلُ العراقِ تأتيهم الميرَةُ ، مِن الرساتيقِ والأقاليمِ ؛ مِن العَلَفِ والطّعامِ وغيرِه[1] ، وأما أهلُ الشَّامِ الذينِ مع الحجاجِ [2]ففى ضيقٍ[2] مِن العيشِ ، وقِلَّةٍ مِن الطَّعامِ ، وقد فقَدُوا اللحمَ بالكُلِّيةِ فلا يَجِدونه ، وما زالتِ الحربُ بينَهم فى هذه المدَّةِ كلِّها حتى انسلَخَتْ هذه السنةُ ، وهم على حالِهم وقتالِهم فى كلِّ يومٍ أو يومٍ بعدَ يومٍ ، والدائرةُ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشَّامِ فى أكثرِ الأيامِ . [3]وقد قُتِل مِن أصحابِ الحجاجِ زيادُ بنُ غَنْمٍ ، وكسَر بِسطامُ بنُ مَصقلةَ فى أربعةِ آلافٍ جفونَ سيوفِهم ، واستقتَلوا ، وكانوا مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ[3] .

وفى هذه السنةِ كانت وفاةُ **المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ** ، [4]**وهو المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرةَ ظالمٌ أبو سعيدٍ الأَزْدِىُّ**[5] ، أحدُ أشرافِ أهلِ البصرةِ ووجوهِهم ودُهاتِهم وأجوادِهم وكرمائِهم . وُلِد عامَ الفتحِ ، وكانوا ينزِلون فيما بينَ عُمانَ والبحرينِ ، وقد ارتَدَّ قومُه فقاتلَهم عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ فظفِر بهم ، وبعَث بهم إلى[4]

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ا ٣، ٢١، م ، ص : « فهم فى أضيق حال » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٤ - ٤) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٥) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٢٩، والمعارف ٣٩٩، وتاريخ دمشق ١٧/ ٤٤١ (مخطوط) وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٢٠٦، والإصابة ٦/ ٣٨٦.

(١) الصِّدِّيقِ وفيهم أبو صُفْرَةَ وابنُه المُهَلَّبُ غلامٌ لم يبلُغِ الحِنْثَ ، ثم نزَل المُهَلَّبُ البصرةَ وقد غزا فى أيامِ معاويةَ أرضَ الهندِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ ، وولِى الجزيرةَ لابنِ الزبيرِ سنةَ ثمانٍ وستينَ ، ثم ولِى حربَ الخوارجِ أوَّلَ دولةِ الحجاجِ ، وقَتل منهم فى وقعةٍ واحدةٍ أربعةَ آلافٍ وثمانِمائةٍ ، فعظُمَتْ منزلتُه عندَ الحجاجِ . وكان فاضلًا شجاعًا كريمًا يُحِبُّ المدحَ ، وله كلامٌ حسنٌ ؛ فمِنه : نِعمَ الخَصلةُ السّخاءُ ، تسترُ عورةَ الشريفِ وتلحَقُ خَسيسَةَ[٢] الوضيعِ ، وتُحبِّبُ المزهودَ فيه[٣] . وقال[٤] : يُعجِبُنى فى الرَّجلِ خَصْلتانِ ؛ أن أرى عقلَه زائدًا على لسانِه ، ولا أرى لسانَه زائدًا على عقلِه .

تُوفِّى المُهَلَّبُ غازيًا بمَرْوِ الرُّوذِ ، وعمرُه ستةٌ وسبعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ . وكان له عشَرةٌ مِن الولدِ ، وهم : يزيدُ ، وزيادٌ ، والمفضَّلُ ، ومُدْرِكٌ ، وحبيبٌ ، والمغيرةُ ، وقَبيصةُ ، ومحمدٌ ، وهندُ ، وفاطمةُ . تُوفى المُهَلَّبُ[١] فى ذى الحجةِ منها ، وكان مِن الشُّجعانِ ، وله مواقفُ حميدةٌ وغزواتٌ مشهورةٌ فى التركِ والأزارقةِ وغيرِهم مِن أنواعِ الخوارجِ[٥] ، وجعَل الأمرَ مِن بعدِه لولدِه يزيدَ بنِ المهلبِ على إمرةِ خُراسانَ ، فأمضَى ذلك الحجاجُ وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ .

(٦) وفى جمادَى الآخِرةِ منها عزَل أميرُ المؤمنين عبدُ الملكِ بنُ مروانَ عن[٦]

(١ - ١) زيادة من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٢) فى الأصل ، ٣١ ، ٢١ ، ص : « خسيسته » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٤٥ .

(٣) تاريخ دمشق ١٧/٤٥١ (مخطوط) .

(٤) تاريخ دمشق ١٧/٤٥٠ (مخطوط) .

(٥) بعده فى الأصل : « وأصناف الكفرة وقد أوصى عند موته بكلمات تشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن القيم ومعالى الهمم » .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٣، ا ٢، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(١) إمْرَةِ المدينةِ أبانَ بنَ(٢) عثمانَ وولَّى عليها هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزوميَّ ، وكانت ولايةُ أبانَ على المدينةِ سبعَ سنين وثلاثةَ أشهُرٍ وثلاثةَ عشَرَ يومًا ، وكان على إمرةِ بلادِ المشرقِ بكمالِه الحجاجُ بنُ يوسفَ ، والنوّابُ فى الأقاليمِ مِن تحتِ يدِه ، وهو مشغولٌ عن تدبيرِ الممالكِ بحربِ ابنِ الأشعثِ فى هذه المدةِ كلِّها .

قال أبو معشرٍ(٣) : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبانُ بنُ عثمانَ الذى كان نائبَ المدينةِ .

[٧/٩٧و] **وفيها تُوفِّى** (١) (٤) **أسماءُ بنُ خارجةَ الفَزاريُّ الكوفيُّ**(٥) ، كان جوادًا مُمدَّحًا ، حُكى عنه أنه رأى يومًا شابًّا على بابِ دارِه جالسًا ، فسألَه عن قعودِه على بابِه فقال : حاجةٌ لا أستطيعُ ذِكْرَها . فألَحّ عليه ، فقال : جاريةٌ رأيتُها دخلَتْ هذه الدارَ ، لم أَرَ أحسنَ منها وقد خطَفتْ قلبى معها . فأخَذ بيدِه وأدخَله دارَه ،وعرَض عليه كُلَّ جاريةٍ عندَه حتى مرَّتْ تلك الجاريةُ فقال : هذه ؟ فقال له : اخْرُجْ فاجلِسْ على البابِ مكانَك . فخرَج الشّابُّ فجلَس مكانَه ، ثم خرَج إليه بعدَ ساعةٍ والجاريةُ معه قد ألبَسها أنواعَ الحُلىِّ ، وقال له : ما منعَنى أنْ أدفَعَها إليك وأنت داخلَ الدارِ إلا أنَّ الجاريةَ كانت لأُختى ، وكانت ضنينةً بها ، فاشتريتُها لك منها بثلاثةِ آلافٍ ، وألْبستُها هذا الحُلىَّ ، فهى لك بما عليها . فأخَذها الشّابُّ وانصرَف(٤) .

(١ - ١) سقط من : ا ٣، ا ٢، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٥٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) انظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٩/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٥، وفوات الوفيات ١/ ١٦٨، ١٦٩، والوافى بالوفيات ٩/ ٥٩، والإصابة ١/ ١٩٥.

(١) **المغيرةُ بنُ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ**(٢) ، كان جوادًا مُمدَّحًا شجاعًا ، له مواقفُ مشهورةٌ .

الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى(٣) **ربيعةَ المخزومىُّ**(٤) ، المعروفُ بقُبَاعٍ ، ولى إمْرةَ البصرةِ لابنِ الزبيرِ .

محمدُ بنُ أسامةَ بنِ زيدِ بنِ حارثةَ(٥) ، كان مِن فضلاءِ أبناءِ الصحابةِ وأعقلِهم . تُوفى بالمدينةِ ، ودُفن بالبقيعِ .

عبدُ اللَّه بنُ أبى طلحةَ بنِ الأسودِ(٦) ، والدُ الفقيهِ إسحاقَ . حمَلتْ به أُمُّه أمُّ سليمٍ ليلةَ ماتَ ابنُها ، فأصبَح أبو طلحةَ فأعلَم النبىَّ ﷺ ، فقال ﷺ : « أعرَسْتُم ؟ بارَكَ اللَّهُ لكما فى ليلتِكما »(٧) . ولمَّا وُلِد حنَّكَه بتَمَراتٍ .

عبدُ اللَّهِ بنُ كعبِ بنِ مالكٍ(٨) ، كان قائدَ كعبٍ حينَ عمِى ، له رواياتٌ . تُوفِّى بالمدينةِ هذه السنةَ(١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٥/ ٣٥٤، وفوات الوفيات ٢/ ٣٠، ٣١، وخزانة الأدب ١٠/ ٤، وانظر الكامل فى التاريخ ٤/ ٤٧٢.

(٣) سقط من النسخ . وانظر مصادر ترجمته التالية .

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨، ٤٦٤، وأسد الغابة ١/ ٤٠٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٤٨، والإصابة ٢/ ١٩٥.

(٥) سقط من النسخ . انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٤٦، والثقات لابن حبان ٥/ ٣٥٣، ومشاهير علماء الأمصار ٥/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٧٩.

(٦) فى م : « أبى الأسود » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٧٤، والاستيعاب ٣/ ٩٢٩، وأسد الغابة ٣/ ٢٨٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ١١٣، والإصابة ٥/ ١٥.

(٧) البخارى (٥٤٧٠)، ومسلم (٢٣/ ٢١٤٤) .

(٨) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٧٢، والجرح والتعديل ٥/ ١٤٢، وتهذيب الكمال =

(١) سفيانُ(٢) بنُ وَهْبٍ أبو أيمنَ الخَوْلَانِيُّ المصريُّ، له صُحبةٌ وروايةٌ، وغزا المغربَ، وسكَن مصرَ وبها مات(١).

جَميلُ بنُ عبدِ اللَّهِ(٣) بنِ مَعْمرِ بنِ صُبَاحِ(٤) بنِ ظَبْيانَ بنِ حُنٍّ(٥) بنِ ربيعةَ بنِ حَرامِ بنِ ضِنَّةَ(٦) بنِ عبدِ(٧) بنِ كَثِيرِ(٨) بنِ عُذْرةَ بنِ سعدِ بنِ(٩) هُذَيمِ بنِ زيدِ بنِ ليثِ بنِ سُودِ(١٠) بنِ أَسْلَمَ بنِ الحافِ بنِ قُضَاعةَ، أبو عمرٍو الشّاعرُ، صاحبُ بُثينةَ، كان قد خطَبها فمنِعتْ منه، فتغزَّل فيها، واشتُهِر بها، وكان أحدَ عشّاقِ العربِ(١١)، كانت إقامتُه بوادى القُرى (١٢)وما حولَه(١٢)، وكان عفيفًا صيِّنًا(١٣)

= ١٥/ ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٧٤٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤١١.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تحرفت فى ا ٣، ا ٢، م، ص إلى: «عفان». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٢/ ٦٣١، وأسد الغابة ٢/ ٤١٠، والإصابة ٣/ ١٣١.

(٣) انظر ترجمته فى: طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٦٩، ، والشعر والشُعراء ١/ ٤٣٤، والأغانى ٨/ ٩٠، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٥، ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠ هـ) ص ٣١١، والوافى بالوفيات ١١/ ١٨٢.

(٤) فى الأغانى ٨/ ٩٠: «الحارث».

(٥) فى ا ٣، ص: «سحن». وفى م: «الحسن». وضبطه ابن خلكان هكذا؛ بضم الحاء المهملة وتشديد النون.

(٦) فى النسخ، ووفيات الأعيان: «ضبة» والمثبت من الأغانى، وتاريخ دمشق. وانظر التاج (ض ن ن).

(٧) فى م: «عبيد». وفى ص: «عبد الله».

(٨) فى تاريخ دمشق: «كبير».

(٩) سقط من: الأصل. وتوقف نسبه فى تاريخ دمشق عند «سعد». وفى الأغانى: «بن سعد، وهو هذيم؛ وسمى بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له: هذيم. كان يحضنه فغلب عليه».

(١٠) فى ا ٣، ا ٢، م: «سرهد». وفى ص: «سرمد». وانظر الأغانى.

(١١) فى الأصل: «العراق».

(١٢ - ١٢) سقط من: م.

(١٣) فى م: «حييا».

دينًا شاعرًا إسلاميًّا ، مِن أفصحِ الشعراءِ فى زمانِه .

وكان كُثيِّرُ عزَّةَ راويتَه ، وهو يَرْوى عن هُدْبةَ بنِ خَشرَمٍ[1] ، عن الحطيئةِ ، عن زهيرِ بنِ أبى سُلْمى وابنِه كعبٍ . قال كثيِّرُ عزةَ[2] : كان جَميلٌ أشعرَ العربِ ، حيثُ يقولُ[3] :

وخبَّرتُمانِى[4] أنَّ تيماءَ منزلٌ ... لليْلَى إذا ما الصّيفُ ألقَى المَراسِيا
فهذِى شهورُ الصّيفِ عنَّا قد انقضَت ... فما للنَّوى تَرْمى بلَيلَى[5] المَرامِيا

ومنها قولُه :

وما [6]زِلتِ بِى يا بَثْنُ[6] حتى لوَ اننى ... مِن الشّوقِ أستَبْكِى الحمامَ بكَى ليا
وما زادَنى الواشونَ إلا صَبابةً ... ولا كثرةُ النَّاهينَ إلا تمادِيا
وما أحدثَ النّأىُ المفرِّقُ بينَنا ... سُلُوًّا ولا طولُ الليالى[7] تَقَالِيا
ألم تَعْلمِى يا عَذْبةَ الرِّيقِ أنَّنى ... أظَلُّ إذا لم ألقَ وجهَكِ صاديا
لقد خِفتُ أن ألقَى المنِيةَ بغتةً ... وفى النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

ومما أورد له القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ[8] قولَه :

---

(١) فى م : « خثرم » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٦٦، ٣٦٧.
(٢) الأغانى ٨/ ١٢٥، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٧.
(٣) الأبيات فى ديوانه ص ١٣٩، والأغانى ٨/ ١٢٥، ١٢٦، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٧.
(٤) فى م : « وأخبرتمانى » . وانظر ديوانه ص ١٣٩.
(٥) فى الأصل ، ا ٣، ا ٢: « بنيل » .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ٣، ا ٢، ص : « زلتم نائين » . وانظر الديوان ١٣٩.
(٧) فى م : « اجتماع » . وهى كذلك فى الديوان ، وفى الأغانى : « التلقى » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٦٧.
(٨) وفيات الأعيان ١/٣٦٧ ، وانظر ديوانه ص ٦٠ ، والأغانى ٨/١٠٢ ، وتاريخ دمشق ١١/٢٧٦ .

إنِّى لأحفظُ سِرَّكم[1] ويسرُّنى [2]لو تعلمينَ[2] بصالحٍ[3] أن تُذْكَرى

إلى أن قال[4] :

ما أنتِ والوعدُ الذى تَعدِينَنِى إلّا كبرقِ سحابةٍ لم تُمْطِرِ

وقولُه[5] - ورُوى لعُمرَ بنِ أبى ربيعةَ ، فيما نقَله ابنُ عساكرَ - : [٧/٩٧ظ]

مازلتُ أَبغِى الحىَّ أتبعُ فَلَّهم حتى دُفعتُ[6] إلى ربيبةِ هَوْدَجِ

فدنوتُ مُختفيًا أُلِمُّ ببيتِها حتى ولَجتُ إلى خَفىِّ المَولِجِ[7]

[8]قالتْ وعيشِ أخى [9]ونعمةِ[9] والدِى[8] لأَنبِّهنَّ الحىَّ إنْ لم تَخرُجِ

فتناولتْ رأسى [10]لِتعرفَ مسَّه[10] بمُخضَّبِ الأطرافِ غيرِ مشنَّجِ

فخرَجتُ خِيفةَ أهلِها فتبسَّمتْ فعلِمتُ أنَّ يمينَها [11]لم تَحرَجِ[11]

---

(١) فى م : « غيبكم » . وانظر مصادر التخريج .

(٢ - ٢) فى الأغانى : « إذ تذكرين » .

(٣) فى ا ٣، ا ٢، ص : « مصالحا » .

(٤) الديوان ٦١، والأغانى ٨/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٨.

(٥) الأبيات ليست فى ديوان جميل (ط. صادر). وبعضها فى الشعر والشعراء ١/ ٤٤١ منسوبا لجميل. والأبيات ضمنها الأستاذ / محيى الدين عبد الحميد شارح ديوان عمر بن أبى ربيعة القسمَ الثالث، من شرح الديوان؛ فيما نسب إلى عمر بن أبى ربيعة وليس فى أصول الديوان. وما أورده المصنف عزاه ابن خلكان فى وفيات الأعيان ١/ ٣٦٩- ٣٧٠ إلى ابن عساكر فى تاريخه. وهو بنحوه فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٨٣- ٣٧٤، لجميل أو غيره.

(٦) فى الأصل : « رفعت » . وهو فى شرح ديوان ابن أبى ربيعة ٤٨٨:

مازلت أتبعهم اسمع حدوهم حتى دخلت على ربيبة هودج.

(٧) فى النسخ : « المدلج » . وانظر مصادر التخريج .

(٨ - ٨) فى شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : « قالت وعيش أبى وحرمة إخوتى » .

(٩ - ٩) فى الشعر والشعراء : « ونقمة » .

(١٠ - ١٠) فى الأصل : « مسه » . وفى ا ٣، ا ٢، ص: « بجيد » .

(١١ - ١١) فى الأصل، والشعر والشعراء، وتاريخ دمشق، ووفيات الأعيان : « لم تلجج » وفى ا ٣، =

فلثمتُ فاها آخِذًا بقرونِها (١) شُربَ (٢) النزيفِ ببردِ ماءِ الحَشْرجِ (١)

قال كثيِّرُ عزَّةَ (٣) : لقِينى جَميلُ بثينةَ ، فقال : مِن أين أقبلتَ ؟ فقلتُ : مِن عندِ (٤) هذه الحبيبةِ (٤) . فقال : وإلى أين ؟ فقلتُ : إلى هذه الحبيبةِ - يعنى عزَّةَ - فقال : أقسمتُ عليكَ لمَا (٥) رجعتَ إلى بثينةَ فواعَدتَها لى ؛ فإن لى مِن أوَّلِ الصّيفِ (٦) ما رأيتُها ، وكان آخرُ عهدِى بها بوادِى الدَّوْمِ (٧) ، وهى تغسِلُ هى (٨) وأمُّها (٨) ثوبًا ، فَتحادَثنا إلى الغُروبِ . قال كثيِّرٌ : فرجَعتُ حتى أَنختُ بهم . فقال أبو بثينةَ : ما ردَّكَ يا ابنَ أخِى ؟ فقُلتُ : أبياتٌ قلتُها ، فرجَعتُ لأعرِضَها عليك . فقال : وما هى ؟ فأنشدتُه ، وبثينةُ تسمعُ مِن وراءِ الحجابِ :

فقلتُ لها يا عزُّ أُرسِلُ صاحبى إليكِ رسولًا والرسولُ مُوَكَّلُ (٩)

بأن تجعَلى بينِى وبينَكِ موعدًا وأنْ تأمُرِينى (١٠)(١١) ماالذى (١١) فيه أفعَلُ

= ص : « بتلجج » . وفى ا ٢ : « تلجج » . وانظر شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٨٨ . وأحرج فى يمينه : حنث فيها .

(١ - ١) فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « فرشفت ريقًا باردًا متثلج » .

(٢) فى الشعر والشعراء : « فعل » .

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٤٣٥، ٤٣٦، والأغانى ٨/ ١٠٦، ١٠٧، باختلاف يسير، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٦٥، ٢٦٦- ٢٦٧. بروايتين مختلفتين، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٨- ٣٦٩.

(٤ - ٤) فى المصادر : « أبى الحبيبة - يعنى بثينة » .

(٥) فى الأصل : « ألا » .

(٦) فى الأغانى : « الصيد » .

(٧) فى النسخ : « القرى » . والمثبت من مصادر التخريج . ووادى الدوم : واد معترض من شمالى خيبر إلى قبليها ، يفصل بين خيبر والعوارض . ووادى القرى : واد بين المدينة والشام . معجم البلدان ٤/ ٨٧٥، ٨٧٨.

(٨ - ٨) كذا فى النسخ . وفى الشعر والشعراء ، والأغانى ، ووفيات الأعيان أنها كانت معها جارية لها .

(٩) فى الأغانى : « مرسل » .

(١٠) فى ابن عساكر : « تخبرينى » .

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق، ووفيات الأعيان : « بالذى » .

وآخِرُ عهدِى منكِ يومَ لقِيتِنى بأَسفلِ وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغسلُ

(١) قال : فضرَبتْ بثينةُ جانبَ خِدرِها ، وقالت : اخسَأْ ، اخسَأْ . فقال أبوها : مَهْيَمْ(٢) ؟ فقالت : كَلبٌ يأتينا إذا نام الناسُ ، مِن وراءِ الرابيةِ . ثم قالت لجاريتِها : ابغِينا مِن الدَّوْماتِ حطَبًا ليُشوَى به لكثيِّرٍ شاةٌ . فقلتُ : أنا أعجَلُ مِن ذلك . وانطلقتُ إلى جميلٍ ، فقلْتُ : موعدُك الدَّوْماتُ . قال(١) : فلمَّا كان الليلُ أقبَلتْ بُثَينةُ (٣)إلى المكانِ الذى واعدَتْه إليه(٣) ، وجاء جميلٌ ، وكنتُ معهم فما رأيتُ ليلةً أعجبَ منها ولا أحسنَ (٤)مُنادَماتٍ ، وانفَضَّ(٤) ذلك المجلسُ وما أدرى أيُّهما أفهمُ لِما فى ضميرِصاحبِه منه .

وذكَر الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ(٥) عن عبّاسِ(٦) بنِ سَهْلٍ السَّاعدىِّ أنَّه دخَل على جميلٍ ، وهو يموتُ ، فقال له : ما تقولُ فى رجلٍ لم يشربِ الخمرَ قطُّ ، ولم يَزْنِ قطُّ ولم يسرِقْ ، ولم يقتُلِ النفسَ ، وهو(٧) يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ قال : أظنُّه [٩٨/٧و] قد نجا وأرجو له الجنةَ ، فمَن هذا ؟ قال : أنا . فقلْتُ : واللَّهِ ما أظنُّك سلِمتَ وأنت تُشبِّبُ(٨) منذُ عشرين سنةً ببُثينةَ . فقال : لا نالَتنى شفاعةُ محمدٍ ﷺ - وإنِّى لَفِى أوَّلِ يومٍ مِن أيامِ الآخرةِ وآخرِ يومٍ مِن أيامِ الدنيا - إن كنتُ

(١ - ١) سقط من : ا ٣، ا ٢، م، ص .

(٢) مهيم : كلمة يمنية ، يستفهم بها ، معناها : ما أمرك أو شأنك ، ونحو هذا .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) فى الأصل : « من » .

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٤٤٠، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٨٠، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٠.

(٦) فى ا ٣: « عياش » .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) بعده فى ا ٣، ا ٢، م، ص : « بالنساء » .

وضعتُ يدِى عليها بريبةٍ . قال : فما برِحنا[1] حتى مات .

قلتُ : كانت وفاتُه بمصرَ ؛ لأنه كان قد قدِم على عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ فأكرَمه ، وسأَله عن حُبِّه بثينةَ ، فقال : شديدٌ . واستنشدَه مِن أشعارِه ومدائحِه فأنشَده ، فوَعده أن يجمَعَ بينَه وبينَها فعاجَلتْه المنيةُ فى سنةِ ثِنْتينِ وثمانينَ ، رحِمه اللَّهُ ، آمين[2] .

وقد ذكَر الأصمعىُّ[3] ، عن رجلٍ ، أنَّ جميلًا قال له : هل أنتَ مُبلغٌ عنى رسالةً إلى حىٍّ بثينةَ ، ولك ما عندى ؟ قال : نعم . قال : إذا أنا مِتُّ فاركَبْ ناقتى ، والبَسْ حُلَّتى هذه . وأمرَه أن يقولَ أبياتًا[4] ؛ منها قولُه :

قومِى بُثينةُ فانْدُبِى بعويلِ وابكِى خليلَك[5] دونَ كلِّ خليلِ

فلمّا انتهى إلى حيِّهم أنشَد الأبياتَ ، قال : فخرَجتْ بثينةُ كأنَّها بدرٌ[6] بدا فى دُجْنَةٍ[6] ، وهى تتثنَّى فى مِرْطِها فقالت له : ويحَكَ ، إن كنتَ صادقًا فقد قتَلْتنى ، وإن كنتَ كاذبًا فقد فضَحتَنى . فقلتُ : بل واللَّهِ صادقٌ ، [7]وهذه حُلَّتُه وناقتُه[7] . فلمَّا تحقَّقتْ ذلك صاحت[8] بأعلى صوتِها ، وصكَّت وجهَها ، واجتَمع نساءُ الحىِّ إليها ، يبكين معها ، ثم صُعِقت مغشيًّا عليها ، ثم أفاقت ، وهى تقولُ :

---

(١) فى ص : « برحت » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه أبو الفرج فى الأغانى ١٥٣/٨ بسنده عن الأصمعى ، وعزاه فى وفيات الأعيان ٣٧٠/١ إلى صاحب الأغانى .

(٤) الأبيات فى ديوانه ١١٩ ، والشعر والشعراء ١/ ٤٤٢ .

(٥) فى الأصل : « جميلًا » . وفى ا ٣ ، ا ٢ ، م ، ص : « خليلًا » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ٢ : « مردای حية » . وفى م : « سرى فى جنة » . وفى ص : « سرادى حبة » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) من هنا وحتى قوله : « لينها » - فى الصفحة التالية - فى ا ٣ ، ا ٢ ، م ، ص : « أنشدت أبياتا ترثيه بها =

وإنّ سُلُوّى عن جميلٍ لساعةٌ[1] من الدهرِ ما حانت[2] ولا حان[3] حينُها

سواءٌ علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ إذا مِتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها

قال الرجلُ: فما رأيتُ أكثرَ باكيًا ولا باكيةً مِن يومِئذٍ.

وروَى ابنُ عساكرَ[4] عنه أنه قِيل له بدمشقَ: لو تركتَ الشعرَ وحفِظْتَ القرآنَ؟ فقال: هذا أنسُ بنُ مالكٍ يخبرُنى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال: «إنَّ مِن الشِّعرِ حكمةً».

عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمرِ بنِ عثمانَ، أبو حفصٍ القُرَشِيُّ التيمىُّ[5]، أحدُ الأجوادِ والأمراءِ الأمجادِ، فُتحَتْ على يديه بلدانٌ كثيرةٌ، وكان نائبًا لابنِ الزبيرِ على البصرةِ، [6]وقد فتَح كابُلَ مع عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ. وهو الذى قتَل قَطَرِىَّ بنَ الفُجَاءةِ[6].

روَى عن ابنِ عمرَ وجابرٍ وغيرِهما، وعنه[7] عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ، وابنُ عَونٍ. ووفَد على عبدِ الملكِ، فتُوفِّى بدمشقَ سنةَ ثِنتينِ وثمانينَ، قاله المدائنىُّ[8].

= وتتأسف عليه فيها، وأنه لا يطيب لها العيش بعده، ولا خير فى الحياة بعد فقده. ثم ماتت من ساعتها».

(١) فى الأصل: «ساعة».

(٢) فى الشعر والشعراء: «جاءت».

(٣) فى الأصل: «كان». والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) تاريخ دمشق ١١/ ٢٥٦، وعزاه ابن خلكان فى الوفيات ٣٦٦/١ إلى ابن عساكر.

(٥) فى م: «التميمى». وانظر ترجمته فى: نسب قريش ٢٨٨، والجرح والتعديل ٦/ ١٢٠، والثقات ٧/ ١٧٧، وجمهرة أنساب العرب ١٤٥، وتاريخ دمشق ٣٣٥/١٣ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٢- ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٦١.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى م: «عن».

(٨) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٦٣.

(١ وحكِى (٢) أن رجلًا ١) اشترى جاريةً (٣ كانت تُحسِنُ القرآنَ والشِّعرَ وغيرَه ، فأحبَّها حُبًّا شديدًا ، وأنفَق عليها مالَه كُلَّه حتى أفلَس ولم يبقَ له شىءٌ سوى هذه الجاريةِ ، فقالت له الجاريةُ : قد أرى ما بك مِن قلَّةِ الشىءِ ، فلو بِعتنى وانتفَعتَ بثَمَنى صلَح حالُكَ . فباعَها لعمرَ بنِ عبيدِ اللَّهِ هذا - وهو يومئذٍ أميرُ البصرةِ - بمائةِ ألفِ درهمٍ ، فلمّا قبَض المالَ ندِم وندِمتِ الجاريةُ ، فأنشَأت ٣) تخاطبُ (٤ مولاها الذى باعها ٤) :

[٧/٩٨ظ] هنيئًا لكَ المالُ الذى قد أخذتَهُ ... ولم يبقَ فى كفَّىَّ إلّا تفكُّرى

أقولُ لنَفسى وهْىَ فى كَرْبِ غَشْيةٍ (٥) ... أقِلِّى فقد بانَ الخليطُ أو اكْثِرى

إذا لم يَكُنْ فى الأمرِ عندَكِ حيلةٌ ... ولم تجِدى بُدًّا مِنَ الصَّبرِ فاصبِرِى

فأجابها سيِّدُها ، فقال :

ولولا قعودُ الدَّهرِ بى عنكِ لم يكُنْ ... لفُرْقَتِنا شىءٌ سوى الموتِ فاعذُرى (٦)

أَعُوبُ بحُزْنٍ مِن فِراقِكِ مُوجِعٍ ... أناجى به قلبًا طويلَ التَّذَكُّرِ

عليكِ سلامٌ (٧) لا زيارةَ بيننا ... ولا وصلَ إلا أنْ يشاءَ ابنُ مَعْمرِ

(٨ فلمّا سمِعها ابنُ معمَرٍ قد شَبَّبتْ ، قال : واللَّهِ لا فرَّقتُ بينَ مُحبَّينِ أبدًا ٨) .

(١ - ١) فى الأصل : « ومن مكارمه أنه » .

(٢) أخرج هذه القصة ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٣٩/١٣ (مخطوط) ، وذكرها الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٦٣، باختصار .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بمائة ألف فتوجعت على فراق سيدها ، وقالت » .

(٤ - ٤) فى ا ٣، ا ٢، م ، ص : « سيدها بأبيات شعر هى » .

(٥) فى الأصل ، ا ٣، م : « عيشة » . والمثبت كما فى تاريخ الإسلام .

(٦) فى ا ٢، م ، ص : « فاصبرى » .

(٧) بعده فى ص : « الله » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « فقال ابن معمر : خذها وثمنها » .

[1] ثم أعطاه المالَ - وهو مائةُ ألفٍ - والجاريةَ ، لِما رأى مِن توجُّعِهما على فِراقِ كلٍّ منهما صاحبَه ، فأخَذ الرجلُ الجاريةَ وثمنَها وانطلَق .

تُوفى عمرُ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ مَعْمرٍ هذا بدمشقَ ، بالطَّاعونِ ، وصلَّى عليه عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ، ومشَى فى جنازتِه وحضَر دفنَه ، وأثنىَ عليه بعدَ موتِه ، وكان له مِن الولدِ طلحةُ ، وهو مِن ساداتِ قريشٍ ، تزوَّج فاطمةَ بنتَ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ جعفرٍ ، على صَداقٍ أربعين ألفَ دينارٍ ، فأَولدَها إبراهيمَ ورملةَ ، فتزوَّج رملةَ إسماعيلُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، على صداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، رحِمهم اللَّهُ[1] .

كُمَيْلُ بنُ زيادِ [2]بنِ نَهِيكٍ[2] بنِ الهيثمِ[3] النَّخَعِىُّ الكوفىُّ[4] . روَى عن عمرَ وعثمانَ وعلىٍّ وابنِ مسعودٍ وأبى هريرةَ . وشهِد مع علىٍّ صِفينَ ، وكان شجاعًا فاتكًا ، وزاهدًا عابدًا ، قتَله الحجاجُ فى هذه السنةِ - [5]وقد عاش مائةَ سنةٍ - قتلَه صبرًا بينَ يَدَيهِ ، وإنما نقَم عليه لأنه طلَب مِن عثمانَ بنِ عفّانَ القصاصَ مِن لَطْمةٍ لطمَها إياه . فلما أمكَنَه عثمانُ مِن نفسِه عفا عنه ، فقال له الحجاجُ : أَوَ مثلُكَ يسألُ مِن أميرِ المؤمنين القصاصَ[5] ؟ ثم أمَر فضُرِبتْ عنقُه ، قالوا[6] :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ا ٣، ا ٢، ص .

(٣) فى م : « خيثم ». وفى تاريخ الإسلام : « هيثم » . والمثبت موافق لما فى تهذيب الكمال .

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٩، وجمهرة أنساب العرب ٥/ ٤، والكامل ٣/ ١٣٨، ١٤٤، ٤/ ٤٧٢، ٤٨١، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ١٧٦، والإصابة ٥/ ٦٥٣.

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٣١، ا ٢١، م ، ص .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٦٠٧، ٦٠٨ (مخطوط)، والذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٧٧.

[1]وذكَر الحجاجُ عليًّا فى غبونِ ذلك فنالَ منه، وصلَّى عليه كُميلٌ، فقال له الحجاجُ: واللَّهِ لأبعثَنَّ إليك مَن يُبْغِضُ عليًّا أكثرَ مما تحبُّه أنتَ. فأرسَل إليه ابنَ أدهمَ، وكان مِن أهلِ حِمصَ، ويقالُ: أبا الجَهْمِ بنَ كنانةَ. فضَرب عنقَه.

وقد روَى عن كُميلٍ جماعةٌ كثيرةٌ مِن التّابعينَ، وله الأثرُ المشهورُ عن علىٍّ ابنِ أبى طالبٍ، الذى أوَّلُه[2]: القلوبُ أوعيةٌ؛ فخيرُها أوعاها. وهو طويلٌ، قد رواه جماعةٌ مِن الحفَّاظِ الثقاتِ، وفيه مواعظُ وكلامٌ حسَنٌ، رضِى اللَّهُ عن قائِلِه[1].

زاذانُ أبو عمرَ الكِندىُّ[3]، أحدُ التّابعينَ، كان أوّلًا يشرَبُ المُسْكِرَ ويضرِبُ بالطنبورِ، فرزَقه اللَّهُ التوبةَ على يدِ عبدِ اللَّه بنِ مسعودٍ، وحصَلت له إنابةٌ ورجوعٌ إلى الحقِّ وخشيةٌ شديدةٌ، حتى إذا كان فى الصَّلاةِ كأنَّه خشبةٌ.

وقال مرَّةً: إنِّى جائعٌ. فنزَل عليه مِن الرَّوزَنةِ رغيفٌ مثلُ الرَّحا.

وهو ثقةٌ عند ابنِ معينٍ وغيرِه. قال خليفةُ[4]: توفِّى سنةَ ثِنتين وثمانين.

قال خليفةُ[5]: وفيها تُوفى **زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ** أحدُ أصحابِ ابنِ مسعودٍ وعائشةَ،

(١ - ١) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٦٠٥ - ٦٠٧ (مخطوط)، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٤/٢٢٠ - ٢٢٢.

(٣) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٨، وطبقات خليفة ١/ ٣٦٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٠٤، وحلية الأولياء ٤/ ٤٣٠، وتاريخ بغداد ٤٦٣، وصفة الصفوة ٣/ ٥٩، وتهذيب الكمال ٩/ ٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٠، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٦٤، الوافى بالوفيات ١٤/ ١٦٢.

(٤) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٣.

(٥) المصدر السابق.

وقد أتَت عليه مائةٌ وعشرونَ سنةً . وقال أبو عبيدٍ : مات سنةَ إحدى وثمانين ، وقد تقدَّمت له ترجَمةٌ[1] .

وشقيقُ بنُ سلمةَ أبو وائلٍ[2] ، أدرَك مِن زمنِ الجاهليةِ سَبْعَ سنين ، وأسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ .

أمُّ الدَّرداءِ الصُّغْرَى[3] ، اسمُها هُجَيمَةُ ، ويقالُ : جُهَيمَةُ . تابعيّةٌ عابدةٌ عالمةٌ فقيهةٌ ، كان الرجالُ يَقْرءُونَ عليها ويتفقَّهون فى الحائطِ الشَّمالىِّ بجامعِ دمشقَ ، وكان عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يجلِسُ فى حلقتِها مع المتفقِّهةِ ، يشتغِلُ عليها وهو خليفةٌ ، رضِى اللَّهُ عنها .

---

(١) تقدمت ترجمته فى ٧/ ٢٩.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٧١٠، وأسد الغابة ٢/ ٥٢٧، والإصابة ٣/ ٣٨٦.

(٣) انظر ترجمتها فى : اللباب فى تهذيب الأنساب ١/ ٧٦، وتهذيب الكمال ٣٥/ ٣٥٢، والعبر ١/ ٩٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٧، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٢/ ٣٥٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٢٥.

ثم دخلتْ سنةُ ثلاثٍ وثمانينَ

اسْتُهِلَّتْ هذه السنةُ والناسُ مُتواقِفون لقتالِ الحجّاجِ وأصحابِه بدَيْرِ قُرةَ ، وابنُ الأشعثِ وأصحابُه بدَيرِ الجَماجمِ ، والمبارزةُ فى كلِّ يومٍ بينَهم واقعةٌ ، وفى غالبِ الأيامِ تكونُ النُّصرةُ لأهلِ العراقِ على أهلِ الشَّامِ ، حتى قيل[1] : إنَّ أصحابَ ابنِ الأشعثِ - وهم أهلُ العراقِ - كسَروا أهلَ الشّامِ - وهم أصحابُ الحجاجِ - بضعًا وثمانينَ مرةً ينتصِرون عليهم . ومع هذا [٧/٩٩و] فالحجاجُ ثابتٌ مكانَه صابرٌ ومُصابرٌ ، لا يتزحزَحُ عن موضِعه الذى هو فيه ، بل إذا حصَل له ظفَرٌ فى يومٍ مِن الأيامِ تقدَّم بجيشِه إلى نحرِ[2] عدوِّه - وكان له خبرةٌ بالحربِ - ومازال ذلكَ دأبَه ودأبَهم حتى أمرَ بالحملةِ على كتيبةِ القُرَّاءِ - لأنَّ الناسَ كانوا تبعًا لهم ، وهم الذين يحرِّضونَهم على القتالِ ، والناسُ يقتَدونَ بهم - فصَبَر القُرَّاءُ لحملةِ جيشِه ، ثم جمَع الرُّماةَ مِن جيشِه ، وحمَل بهم ، وما انفكَّ حتى قتَل منهم خلقًا كثيرًا[3] ، ثم حمَل على جيشِ ابنِ الأشعثِ ، فانهزَم أصحابُ ابنِ الأشعثِ وذهَبوا فى كلِّ وجهٍ ، وهرَب ابنُ الأشعثِ بينَ أيديهم ، ومعه فَلٌّ قليلٌ مِن الناسِ ، فأتبعَه الحجاجُ جيشًا كثيفًا مع عمارةَ بنِ تميمٍ[4] اللخميِّ ومعه محمدُ بنُ الحجاجِ ، والإمرةُ لعمارةَ ، فساقوا وراءَهم يَطْرُدونَهم لعلهم يظفَرون به قتلًا أو

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٤.

(٢) فى م : « نحو » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص : « غنم » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٧.

أسرًا ، فما زال يسوقُ ويخترِقُ الأقاليمَ والكُورَ والرساتيقَ ، وهم فى أثرِه حتى وصَل إلى كَرْمانَ ، واتَّبعه الشَّاميون فنزَلوا فى قصرٍ كان فيه أهلُ العراقِ قبلَهم ، فإذا فيه كتابٌ قد كتَبه بعضُ أهلِ الكوفةِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ الذين فرُّوا معه ، مِن شعرِ أبى جَلدةَ[1] اليَشْكُرىِّ ، يقولُ[2] :

أيا لَهَفًا وياحَزَنًا جميعًا ... ويا حَرَّ الفُؤادِ لِمَا لَقِينا
تركْنا الدينَ والدُّنيا جميعًا ... وأَسْلَمْنا الحلائلَ والبَنِينا
فما كُنَّا أُناسًا أهلَ دُنيا ... فنمنعَها ولو لم نَرْجُ دِينا
تركْنا دورَنا لطَغامِ عكٍّ ... وأنباطِ القُرى والأشْعَرينا[3]

ثم إنَّ ابنَ الأشعثِ دخَل هو ومَن معه مِن الفَلِّ إلى بلادِ رُتْبيلَ ملكِ التُّرْكِ ، فأكرَمه رُتْبيلُ وأنزلَه عندَه وأمَّنه وعظَّمه .

قال الواقدىُّ[4] : ومرَّ ابنُ الأشعثِ وهو ذاهبٌ إلى بلادِ رُتْبيلَ على عاملٍ له فى بعضِ المدنِ ، كان ابنُ الأشعثِ قد استعمَله على ذلك عندَ رجوعِه إلى العراقِ ، فأكرَمه ذلك العاملُ وأَهْدَى إليه هدايا وأنزلَه ؛ فعَل ذلك خديعةً به ومكرًا ، وقال له : ادخُلْ إلى عندِى إلى البلدِ لتتحصَّنَ بها مِن عدُوِّك ، ولكنْ لا تَدَعْ أحدًا ممَّن معك يدخُلُ المدينةَ . فأجابه إلى ذلك - وإنَّما أراد المكرَ به - فمنَعه أصحابُه فلم يَقبَلْ منهم ، فتفرَّقَ عنه أصحابُه . فلمّا دخَل المدينةَ وثَب عليه العاملُ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « خلدة » ، وهى غير معجمة فى الأصل . وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٧٣٣، والمؤتلف والمختلف ١٠٦، والأغانى ١١/ ٣١٠.

(٢) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٨، والأغانى ١١/٣١٢ - ٣١٣، كلاهما باختلاف يسير .

(٣) الأنباط والنبط والنبيط جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقين . والأشعرون جمع أشعرى ، نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة باليمن ، وحذفت ياء النسب فى الجمع تخفيفا .

(٤) أورده الطبرى فى تاريخه ٦/ ٣٦٩، عن أبى مخنف ، وليس عن الواقدى .

فمسَكه وأوثَقه بالحديدِ ، وأراد أنْ يتَّخِذَ به يدًا عندَ الحجاجِ ، وقد كان الملكُ رُتْبيلُ سُرَّ بقدومِ ابنِ الأشعثِ ، فلمّا بلَغه ما حدَث له مِن جهةِ ذلك العاملِ بمدينةِ بُسْتَ ، سار حتى أحاط ببُسْتَ ، وأرسَل إلى عاملِها يقولُ له : واللَّهِ لَئِنْ آذيتَ ابنَ الأشعثِ لا أبرحُ حتى أستنزِلَك وأقتُلَ جميعَ مَن فى بلدِك . فخافه ذلك العاملُ وسيَّرَ إليه ابنَ الأشعثِ فأكْرَمه رُتْبيلُ ، فقال ابنُ الأشعثِ لرُتْبيلَ : إنَّ هذا العاملَ كان عامِلى ومِن جِهتى فغدَر بى وفعَل ما رأيتَ ، فَأْذَنْ لى فى قتلِه . فقال : قد أَمَّنتُه . وكان مع ابنِ الأشعثِ عبدُ الرحمنِ بنُ عباسِ بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ ، وكان هو الذى يُصلِّى بالنّاسِ هنالك فى بلادِ رُتْبيلَ ، ثم إنَّ جماعةً مِن الفَلِّ الذين هرَبوا مِن الحجاجِ اجتمعوا وسارُوا وراءَ ابنِ الأشعثِ لِيُدْرِكوه فيكونوا معه - وهم قريبٌ مِن ستينَ ألفًا - فلما وصَلوا إلى سِجِسْتانَ وجَدوا ابنَ الأشعثِ قد دخَل إلى عندِ رُتْبيلَ فتغَلَّبوا على سِجِستانَ وعذَّبوا عاملَها عبدَ اللَّهِ بنَ عامرٍ البعّارَ[1] وإخوتَه وقرائبَه ، واسْتحوَذُوا على ما فيها مِن الأموالِ ، وانتشَرُوا فى تلك البلادِ وأخَذُوها ، ثم كتَبوا إلى ابنِ الأشعثِ : أنِ اخْرُجْ إلَيْنا حتى نكونَ معك ؛ ننصُرُك على مَن يُخالِفُكَ ، ونأخُذُ بلادَ خُراسانَ ، فإنَّ بها جندًا عظيمًا[2] منا ، فنكونُ بها حتى يُهلِكَ اللَّهُ الحجاجَ أو عبدَ الملكِ ، فنَرى بعدَ ذلك رأيَنا . فخرَج إليهم ابنُ الأشعثِ وسارَ بهم قليلًا إلى نحوِ خُراسانَ فاعتزَله[3] شِرْذمةٌ مِن أهلِ العراقِ مع عبيدِ اللَّهِ [4]بنِ عبدِ الرحمنِ[4] [٧/٩٩ظ] بنِ سَمُرةَ ، فقام فيهم ابنُ

---

(١) فى النسخ : « النعار » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٩.

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص : « ومنعة كثيرة » .

(٣) فى الأصل : « فانخزل عنه » .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١، م، ص، وفى ٢١: « عبد الله » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٠.

الأشعثِ خطيبًا ، فذكَر غدرَهم ونُكولَهم عن الحربِ ، وقال : لا حاجةَ لى بكم ، وأنا ذاهبٌ إلى صاحبى رُتْبيلَ فأكونُ عندَه . ثم انصَرَف عنهم وتبِعه طائفةٌ منهم وبقِى معظمُ الجيشِ . فلَمّا انفصَل عنهم ابنُ الأشعثِ بايعوا عبدَ الرحمنِ بنَ [1]عباسِ بنِ ربيعةَ[1] الهاشمىَّ ، وساروا معه إلى خُراسانَ ، فخرَج إليهم أميرُها يزيدُ ابنُ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ ليمنعَهم[2] مِن دخولِ بلادِه ، وكتَب يزيدُ إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عباسٍ يقولُ له : إنَّ فى البلادِ مُتَّسعًا ، فاذهَبْ إلى أرضٍ ليس بها سلطانٌ فإنِّى أكرهُ قتالَكَ ، وإنْ كنتَ تريدُ مالًا بعَثْتُ إليك . فقال له : إنّا لم نجئْ لقتالِ أحدٍ ، وإنَّما جِئنا نَسْتريحُ ونُرِيحُ خيلَنا ثم نَذْهبُ وليسَتْ بنا حاجةٌ إلى حاجةٍ مما عرَضتَ . ثم أقبَلَ عبدُ الرحمنِ على أخذِ الخراجِ مِمَّا حَوْلَه مِن البلادِ مِن كورِ خُراسانَ ، فخرَج إليه يزيدُ بنُ المُهلَّبِ ومعه أخوه المفضَّلُ[3] فى جيوشٍ كثيفةٍ ، فلمّا صافُّوهم[4] اقْتتَلُوا غيرَ كثيرٍ ، ثم انهَزم أصحابُ عبدِ الرحمنِ بنِ عباسٍ ، وقتَل يزيدُ منهم مَقْتلةً عظيمةً ، وأسَر منهم أسرى كثيرةً ، واحتاز ما فى معسكرِهم[5] ، وبعَث بالأُسارى - وفيهم محمدُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ - إلى الحجاجِ ، ويقالُ : إنَّ محمدَ بنَ سعدٍ قال ليزيدَ بنِ المُهَلَّبِ : أسألُكَ بدعوةِ أبى لأبيك لَمَا أطْلقتَنى . فأطلَقه ، قال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ[6] : ولهذا الكلامِ خبرٌ فيه طولٌ .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م : « عياش بن أبى ربيعة » ، وفى ص : « عباس بن أبى ربيعة » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٠.

(٢) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « فمنعهم » .

(٣) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « الفضل » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٢.

(٤) فى م : « صادفوهم » .

(٥) فى م : « معسكره » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٤.

ولما قَدِمتِ الأُسارى على الحجاجِ قتَل أكثرَهم وعفا عن بعضِهم ، وقد كان الحجاجُ يومَ ظهَر على ابنِ الأشعثِ بدَيرِ الجماجمِ نادَى منادِيه فى الناسِ : مَن رجَع فهو آمنٌ ، ومَن لحِق [(١) بقتيبةَ بنِ مسلمٍ (١)] بالرَّىِّ فهو آمنٌ . فلحِق به[(٢)] خلقٌ كثيرٌ مِمَّن كان مع ابنِ الأشعثِ ، فأمَّنهم الحجاجُ ، ومَن لم يَلْحَقْ به شرَع الحجاجُ فى تتبُّعِهم فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، حتى كان آخِرَ مَن قَتَل منهم سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، على ما سيأتى بيانُه .

وكان الشَّعبىُّ مِن جملةِ مَن صار إلى [(٣) قتيبةَ بنِ مسلمٍ (٣)] ، فذكَره يومًا الحجاجُ ، فقيل له : إنه سار إلى[(٤)] قتيبةَ . فكتَب إليه[(٥)] : أن ابْعَثْ إلىَّ بالشَّعبىِّ . قال الشعبىُّ[(٦)] : فلمّا دخَلتُ عليه سلَّمتُ عليه بالإمرةِ ، ثم قلتُ : أيها الأميرُ ، إنَّ الناسَ قد أمَرونى أنْ أعتذِرَ إليك بغيرِ ما يعلَمُ اللَّهُ أنَّه الحقُّ ، وايْمُ اللَّهِ لا أقولُ فى هذا المَقامِ إلا الحقَّ[(٧)] ، قد واللَّهِ تمَرَّدْنا عليك ، وحرَّضْنا[(٨)] [٧/١٠٠و] وجهَدْنا كُلَّ الجُهْدِ فما آلَوْنا ، فما كنّا بالأقوياءِ الفجَرَةِ ، ولا بالأتقياءِ البَرَرةِ، ولقد نصَرك اللَّهُ علينا وأظفرَك بنا ، فإنْ سطَوتَ فبذنوبِنا وما جرَّتْ إليك أيدينا ، وإنْ عفوتَ عنّا فبحِلْمِكَ ، وبعدُ فالحُجَّةُ لك علينا . فقال الحجاجُ : أنتَ واللَّهِ ياشعبىُّ أحبُّ إلىَّ ممَّن يدخُلُ علينا يَقْطُرُ سيفُه مِن دمائِنا ثم يقولُ : ما فعلتُ ولا شهِدْتُ . قد أمِنْتَ

(١ - ١) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بمسلم بن قتيبة » .

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص: « بمسلم » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٤.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: « مسلم بن قتيبة » . وانظر الطبرى الموضع السابق .

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « مسلم بن » .

(٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: « إلى مسلم » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/٣٧٥ .

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: « كائنا فى ذلك ما كان » .

(٨) فى م: « خرجنا » .

عندَنا يا شعبىُّ . قال : فانصرَفْتُ فلمّا مَشَيتُ قليلًا ، قال : هلُمَّ يا شعبىُّ . قال : فوَجِلَ لذلك قَلْبى ، ثم ذكرتُ قولَه : قد أمِنْتَ يا شعبىُّ . فاطْمَأَنَّتْ نفسِى ، فقال : كيف وجَدْتَ الناسَ بعدَنا يا شعبىُّ ؟ قال : - وكان لى مُكرِمًا[1] - فقُلْتُ : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، قد اكْتحَلْتُ بعدَك[2] السَّهرَ ، واستوعرتُ[3] السُّهولةَ ، واستوخَمْتُ الجَنابَ[4][3] ، واستَحْلَسْتُ[5] الخوفَ ، واستحليتُ[6] الهَمَّ ،وفقَدتُ صالحَ الإخوانِ ، ولم أجِدْ مِن الأميرِ خلَفًا . قال : انصرِفْ يا شعبىُّ . فانصرفْتُ[7] . ورَواه أبو مِخْنَفٍ[8] ، عن [9]السَّرِىِّ بنِ إسماعيلَ[9] ، عن الشعبىِّ .

وروَى البيهقىُّ[10] أنَّه سأله عن [11]المسألةِ الخرقاءِ[11] فى الفرائضِ ؛ وهى أمٌّ وزوجٌ وأختٌ ، وما كان يقولُه فيها الصِّدِّيقُ وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ وابنُ مسعودٍ ،

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « قبل الخروج عليه » .

(٢) فى ص : « بعد » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الجبال » .

(٤) فى تاريخ خليفة : « أحدب بنا الجناب » . وهو كذلك عن النهاية ١/ ٣٠٣. والجناب : الناحية .

(٥) فى الأصل : « استهلت » ، وفى ٣١، ٢١، ص : « استجلست » . والمعنى : لازمت الخوف ولم أفارقه . النهاية ١/ ٤٢٤.

(٦) فى ٣١، ص : « استجلبت » .

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « ذكر ذلك ابن جرير وغيره » . ولعل المصنف إنما أراد بكلامه بعد ذلك : ورواه أبو مخنف .. إلخ . رواية الطبرى الآتية . انظر الحاشية التالية .

(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٥.

(٩ - ٩) فى النسخ : « إسماعيل بن عبد الرحمن » . والمثبت من تاريخ الطبرى ، وهو السرى بن إسماعيل الهمدانى الكوفى ، ابن عم الشعبى . تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢٧.

(١٠) السنن الكبرى ٦/ ٣٥٢. ولم يذكر الصديق فى الخمسة الذين اختلفوا فى هذه المسألة . وإنما سميت هذه المسألة خرقاء ، لكثرة الاختلاف فيها ؛ ففيها سبعة أقوال . وليس أبو بكر - رضى اللَّه عنه - من جملة الخمسة من الصحابة الذين اختلفوا فيها . وهى تسمى أيضا العثمانية ، نسبة لفتوى عثمان بن عفان - رضى اللَّه عنه - فيها ، كما تسمى الشعبية والحجاجية . انظر « المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف » ١٨/ ٣٠ - ٣١.

(١١ - ١١) فى م : « مسألة » .

وكان لكلٍّ منهم قولٌ فيها ، فنقَل ذلك كلَّه الشعبيُّ فى ساعتِه ، فاستَحْسَن قولَ عليٍّ ، وحكَم بقولِ عثمانَ ، وأُطلِقَ الشعبيُّ بسببِ ذلك .

وقيل[1] : إنَّ الحجاجَ قتَل خمسةَ آلافِ أسيرٍ مِمَّن سيَّرَهم إليه يزيدُ بنُ المُهلَّبِ . كما تقدَّم ذلك . ثم سار إلى الكوفةِ فدخَلها فجعَل لا يبايعُ أحدًا مِن أهلِها إلا قال : أتشهَدُ على نفسِك أنّك قد كفَرْتَ . فإذا قال : نعم . بايعَهُ ، وإنْ أَبَى قَتَلَه ، فقَتَل منهم خلقًا كثيرًا مِمَّن أَبَى أنْ يَشْهَدَ على نفسِه بالكُفْرِ ، قال : فأُتِى برجلٍ ، فقال الحجاجُ : ما أظُنُّ هذا يشهَدُ على نفسِه بالكُفرِ ؛ لصلاحِه ودينِه - وأراد الحجاجُ مخادعتَه - فقال : أخادعِى أنتَ عن نَفْسِى ! أنا أكفَرُ أهلِ الأرضِ ، وأكفَرُ مِن فرعونَ وهامانَ ونمرودَ . قال : فضحِكَ الحجاجُ وخلَّى سبيلَه[2] .

وذكَر ابنُ جريرٍ مِن طريقِ أبى مِخْنَفٍ[3] ، أنَّ أعشَى هَمْدانَ أُتِىَ به إلى الحجاجِ ، وكان قد عمِل قصيدةً هجا فيها الحجاجَ وعبدَ الملكِ بنَ مروانَ ، ويمدَحُ فيها ابنَ الأشعثِ وأصحابَه ، فاستنشَده إيَّاها ، فأنشدَه قصيدةً طويلةً داليَّةً ، فيها مدحٌ كثيرٌ لعبدِ الملكِ وأهلِ بيتِه ، فجعَل أهلُ الشّامِ يقولون : قد أحسنَ أيُّها الأميرُ . فقال الحجاجُ : إنَّه لم يُحسِنْ ، إنما يقولُ هذا مصانعةً . ثم ألَحَّ عليه حتى أنشدَه قصيدتَه الأُخْرى ، فلَمَّا أنشدَها ، غضِب عندَ ذلك الحجاجُ ، وأمَر به فضرِبتْ عنقُه صبرًا بينَ يَدَيه .

واسمُ الأَعْشَى هذا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ أبو المصبحِ الهَمْدانىُّ

---

(١) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٦٥، والمنتظم ٦/ ٢٤٦، والكامل ٤/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٧٥ .

الكوفيُّ ، الشاعرُ ، أحدُ الفصحاءِ البلغاءِ المشهورين ، وقد كان له فَضْلٌ وعبادةٌ في مبتدئِه ، ثم ترَك ذلك ، وأقبَل على الشِّعر فعُرِف به . وقد وفَد على النعمانِ بنِ بشيرٍ وهو أميرٌ بحِمْصَ فامتدَحه ، وكان محصولُه في رحلتِه إليه مِنه ومِن جندِ حِمْصَ أربعينَ ألفَ دينارٍ ، وكان زوجَ أختِ [٧/١٠٠ظ] الشَّعبيِّ ، كما أنَّ الشَّعبيَّ كان زوجَ أختِه أيضًا ، وكان مِمَّنْ خرَج مع ابنِ الأشعثِ ، فقتَله الحجاجُ كما ذكرْنا ، رحِمه اللَّهُ .

وقد كان الحجاجُ وهو مواقِفٌ لابنِ الأشعثِ ، بعَث كَمينًا يأتون جيشَ ابنِ الأشعثِ مِن ورائِه ، ثم تواقَف الحجاجُ وابنُ الأشعثِ ، وهرَب الحجاجُ بمَنْ معه ، وترَك معسكرَه ، فجاء ابنُ الأشعثِ فاحتاز ما في المعسكرِ وبات فيه ، فجاءتِ السَّريةُ إليهم ليلًا وقد وضَعوا أسلحتَهم ، فمالُوا عليهم ميلةً واحدةً ، ورجَع الحجاجُ بأصحابِه فأحاطوا بهم فاقتتَلُوا قتالًا شديدًا ، وقُتِل مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ خَلْقٌ كثيرٌ ، وغرِق كثيرٌ منهم في دجلةَ ودُجيلٍ ، وجاء الحجاجُ إلى معسكرِهم فقتَل مَن وجَده فيه ، فقتَل منهم نحوًا مِن أربعةِ آلافٍ ، منهم جماعةٌ مِن الرُّؤساءِ والأعيانِ ، واحْتازُوه بكمالِه ، وانطلَق ابنُ الأشعثِ هاربًا في ثلاثِمائةٍ (١مِن أصحابِه١) فركِبوا دُجيلًا في السُّفنِ وعقَروا دوابَّهم وجازوا إلى البصرةِ ، ثم ساروا مِن هُنالك(٢) ، (٣وكان مِن أمرِهم مِن دُخولِهم٣) بلادَ رُتْبيلَ ما كان(٤) . ثم شرَع الحجاجُ في تتبُّعِ أصحابِ ابنِ الأشعثِ فقتَلهم مَثْنى(٥)

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده في م : « إلى بلاد الترك » .

(٣ - ٣) في ا٣١، ا٢١، م ، ص : « فكان في دخوله » .

(٤) في ا٣١، ا٢١، م ، ص : « تقدم » . وانظر ما تقدم في ص ٣٣٩ .

(٥) في الأصل : « شتى » .

وفُرادَى ، حتى قِيل : إنَّه قَتَل منهم بيـنَ يديه صبرًا مائةَ ألفٍ وثلاثيـنَ ألفًا . قاله النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، عن هشامِ بنِ حسَّانَ[1] . منهم محمدُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، وجماعاتٌ مِن السّاداتِ ، حتى كان آخرُهم سعيدَ بنَ جُبيرٍ - رحِمهم اللَّهُ ورضِى عنهم - كما سيأتى ذلك فى موضِعهِ .

بنـاءُ واسـطٍ

قال ابنُ جريرٍ[2] : وفى هذه السنةِ بنَى الحجاجُ واسطًا ، وكان سببَ بنائِه لها أنه رأى راهبًا على أتانٍ قد أجاز دِجلةَ ، فلمَّا مرَّ بموضعِ واسطٍ وقفَتْ أتانُه فبالَتْ ، فنزَل عنها ، وعمَد إلى موضعِ بَوْلِها فاحتَفَره ، ورمَى به فى دِجْلةَ ، فقال الحجاجُ : علىَّ به . فأُتِى به ، فقال له : لِمَ صنعتَ هذا ؟ قال : إنا نجدُ فى كُتُبِنا أنه يُبنَى فى هذا الموضعِ مسجدٌ يُعبَدُ اللَّهُ فيه ما دامَ فى الأرضِ أحدٌ يُوحِّدُه . فعندَ ذلك اختَطَّ الحجاجُ مدينةَ واسِطٍ فى ذلك المكانِ ، وبنَى المسجدَ فى ذلك الموضعِ .

وفيها[3] كانت غزوةُ عطاءِ بن رافعٍ صِقِلِّيَّةَ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ : **عبدُ الرحمنِ بنُ حُجَيْرةَ الخَوْلانِىُّ المصرِىُّ**[4] ، روَى عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، وكان عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ أميرُ مصرَ قد جمَع له

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/٣٨٣ - ٣٨٤. مطولا .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٨.

(٤) فى م : « جحيرة » . وانظر ترجمته فى مشاهير علماء الأمصار ١١٩، وتهذيب الكمال ١٧/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٢٦.

بينَ القضاءِ والقَصصِ وبيتِ المال، وكان رِزقُه فى العامِ ألفَ دينارٍ، وكان لا يَدَّخِرُ منها شيئًا.

طارقُ بنُ شهابِ بنِ عبدِ شمسٍ الأَحْمَسِيُّ[1]، مِمَّن رأى النبىَّ ﷺ، وغزَا فى خلافةِ الصِّدّيقِ وعمرَ، رضِى اللَّهُ عنهما، بضعًا وأربعينَ غَزَاةً. تُوفِّى بالمدينةِ هذه السنةَ.

عبيدُ اللَّهِ بنُ عدِىِّ بنِ الخِيَارِ[2]، أدرَك النبىَّ ﷺ، وحدَّث عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ، [3]وكان مِن فقهاءِ قُرَيشٍ وعُلمائِهم، وأبوه عدِىٌّ مِمَّن قُتِل يومَ بدرٍ كافرًا[3].

عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْسِ بنِ مَخْرمةَ[4]، كان قاضىَ المدينةِ[5]، وتُوفِّى بها فى هذه السنةِ.

مَرْثَدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، أبو الخيرِ، اليَزَنىُّ[6].

وفيها فُقِد جماعةٌ مِن القُرَّاءِ والعلماءِ الذين كانوا مع ابنِ[7] الأشعثِ؛ منهم

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٧٥٥، وأسد الغابة ٣/ ٧٠، والإصابة ٣/ ٥١٠.

(٢) الاستيعاب ٣/ ١٠١٠، وأسد الغابة ٣/ ٥٢٦، والإصابة ٥/ ٥٠.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) ترجمته فى: الطبقات ٥/ ٢٣٩، وأسد الغابة ٣/ ٣٧٠، وتهذيب الكمال ١٥/ ٤٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٢١، والإصابة ٥/ ٢٣.

(٥) بعده فى م: «وكان من فقهاء قريش وعلمائهم وأبوه عدى ممن قتل يوم بدر كافرا».

(٦) ترجمته فى: الطبقات ٧/ ٥١١، وطبقات خليفة ٢/ ٥٧٢، والمنتظم ٦/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٤، وحسن المحاضرة ١/ ٢٩٦. وفيه أن وفاته كانت سنة تسعين.

(٧) سقط من: م.

مَن هرَب ، ومنهم مَن قُتِل فى المعركةِ ، ومنهم مَن أُسِر فضرَب الحجّاجُ عنقَه ، ومنهم مَن تَتبَّعَه الحجاجُ حتى قتلَه .

وقد سَمَّى منهم خليفةُ بنُ خيَّاطٍ[1] طائفةً مِن الأعيانِ ؛ فمنهم مسلمُ بنُ يَسَارٍ المُزَنِىُّ ، [١٠١/٧و] وأبو مرَّانةَ[2] العِجْلىُّ قُتِل ، وعُقبةُ بنُ عبدِ الغافرِ[3] قُتِل ، وعقبةُ ابنُ وَسّاجٍ[4] قُتِل ، وعبدُ اللَّهِ بنُ غالبٍ[5] الجَهْضَمِىُّ قُتِل ، وأبو الجَوْزاءِ الرَّبعىُّ قُتِل ، والنَّضْرُ بنُ أنسٍ ، وعِمرانُ والدُ أبى جَمْرةَ[6] الضُّبَعِىُّ ، وأبو المِنهالِ سيَّارُ بنُ سلامةَ الرِّياحىُّ ، ومالكُ بنُ دينارٍ ، ومُرّةُ بنُ دَبَّابٍ[7] الهَدَادىُّ[8] ، وأبو نُجَيدٍ الجَهْضَمىُّ ، وأبو شيخٍ[9] الهُنائىُّ ، وسعيدُ بنُ أبى الحسنِ[10] ، وأخوه الحسنُ البصرىُّ .

قال أيوبُ[11] : قِيل لابنِ الأشعثِ : إنْ أحببتَ أنْ يُقتلَ الناسُ حولَك كما

---

(١) تاريخ خليفة ١/٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) فى حاشية ا ٢: « مرجانة » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥. ولم يذكره خليفة من بين القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث .

(٣) فى م : « الغفار » . وانظر مصدر التخريج .

(٤) فى الأصل ، ا ٢، م ، ص : « وشاح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٢٨.

(٥) فى م : « خالد » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٩، وتاريخ خليفة ١/ ٣٧١.

(٦) فى ا ٣١، م : « حمزة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٤٠.

(٧) فى الأصل ، م : « ذباب » ، وفى ا ٢، ص : « ذياب » . وانظر المشتبه فى أسماء الرجال ١/ ٢٨٢.

(٨) فى تاريخ خليفة : « الهراوى » . وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥: « الهداوى » . وهو منسوب إلى هداد بن زيد مناة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء ، بطن من الأزد . اللباب ٣/ ٢٨٥. والنسبة مذكورة فى الأنساب ٥/ ٦٢٩.

(٩) فى م : « سبيج » .

(١٠) سعيد بن أبى الحسن هذا ليس فى تاريخ خليفة . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥.

(١١) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٢.

قُتِلوا حولَ هَوْدَجِ عائشةَ يومَ الجملِ فأَخْرِجِ الحسنَ معك . فأَخْرَجه .

ومِن أهلِ الكوفةِ سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى ، وعبدُ اللَّهِ بنُ شدَّادٍ ، والشعبىُّ ، وأبو عبيدةَ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، والمعرورُ[1] بنُ سُوَيدٍ ، ومحمدُ بنُ سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ ، وأبو البَخْتَرىِّ ، وطلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ وزُبيدُ بنُ الحارثِ اليامِيّانِ[2] ، وعطاءُ بنُ السَّائبِ . قال أيوبُ[3] : فما منهم [4]مِن أحدٍ[4] صُرِع مع ابنِ الأشعثِ إلا رُغِب عن مَصْرَعِه ، ولا نجا أحدٌ منهم إلا حمِد اللَّهَ الذى سلَّمه .

ومِن أعيانِ مَن قتَل الحجاجُ :

عِمرانُ بنُ عصامٍ الضُّبعىُّ[5] ، والدُ أبى جَمْرةَ[6] ، كان مِن علماءِ أهلِ البصرةِ ، وكان صالحًا عابدًا ، أُتِى به أسيرًا إلى الحجّاجِ فقال له[7] : اشْهَدْ على نفسِك بالكفرِ حتى أُطلِقَك . فقال : واللَّهِ إنِّى ما كفَرتُ باللَّهِ منذُ آمنتُ به . فأمَر فضُرِبتْ عنُقُه .

عبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى[8] ، روَى عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، ولأبيهِ أبى

---

(١) فى ٣١: « والمعزور » . وانظر تاريخ خليفة ١/ ٣٧٢.

(٢) الياميان أو الإياميّان نسبة إلى أيام . انظر الأنساب ١/ ٢٣٣، ٥/ ٦٧٧.

(٣) تاريخ خليفة ١/ ٣٧٢.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) ترجمته فى : الاستيعاب ٣/ ١٢٠٩، وأسد الغابة ٤/ ٢٨٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٨، والإصابة ٤/ ٧٠٦.

(٦) فى م : « حجزة » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٩.

(٨) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٩٩، وأسد الغابة ٣/ ٤٢٨، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) =

ليلى صُحْبةٌ ، أخَذ عبدُ الرحمنِ القرآنَ عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ . خرَج مع ابنِ الأشعثِ فأُتِى به الحجاجُ أسيرًا فضُرِبَ عنُقُه بينَ يَدَيه صبرًا[1] .

= ص ١٢٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، وغاية النهاية ١/ ٣٧٦، والإصابة ٤/ ٢٢٠.

(١) بعده فى ص : « فأما مسلم بن يسار فكان كثير العبادة والصيام ، شديد الخشوع فى الصلاة . وقع مرة حريق إلى جنبه وهو قائم يصلى فما شعر به . وانهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل المسجد لهدتها ، وإنه لفى المسجد قائم يصلى فما التفت . قال ابنه : رأيته ساجدا ، وهو يقول : متى ألقاك وأنت عنى راض . وكان إذا كان فى غير صلاة كأنه فى صلاة .

قال لأصحابه يوم التروية : هل لكم فى الحج ؟ فقالوا : خرف الشيخ ، وعلى ذلك لنطيعنه . فخرجوا إلى الجبان برواحلهم ، فقال : خلوا أزمتها . فأصبحوا ، وهم ينظرون إلى جبال تهامة . قولهم (خرف) أى : تغير عقله من الكبر ؛ لأنهم كانوا بالبصرة ، وقد بقى للوقوف بعرفة يوم واحد ، فعرض عليهم الحج وبينهم وبينه مسيرة أربعين يوما وأربعين ليلة فى ليلة واحدة .

وقال سليمان بن المغيرة : جاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهى تقذف بالزبد وترمى بالخشب ، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون شيئا ؟ يعنى أن أصحابه كانوا قد مشوا معه على الماء ببركته ، فلما قطعوا دجلة أشفق أن يكون قد ذهب لهم شىء من أمتعتهم ، فقال : هل تفتقدون شيئا ؟

قال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار فى منامى بعد موته فسلمت عليه فلم يرد على السلام ، فقلت له : ما لك لا ترد على . فقال : أنا ميت ، فكيف أرد عليك ؟ فقلت : ماذا لقيت بعد الموت ؟ قال : لقيت والله أهوالا وزلازل شدادا عظاما . فقلت : فما كان بعد ذلك ؟ قال : فما تراه يكون من الكريم ؛ قبل منا الحسنات ، وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات . ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه ، فلبث أياما مريضا ثم مات .

قتل مسلم بن يسار فى وقعة ابن الأشعث مع الحجاج » .

ثم دخلتْ سنةُ أربعٍ وثمانينَ

قال الواقديُّ[1] : فيها افْتتَح عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ المَصِّيصَةَ .

وفيها غزا محمدُ بنُ مروانَ أرْمينِيَّةَ فقتَل منهم خلقًا كثيرًا[2] وحرَق[3] كنائسَهم وضِياعَهم . وتُسمَّى سنةَ الحَريقِ .

وفيها استعمَل الحجّاجُ على فارسَ محمدَ بنَ القاسمِ الثَّقَفِيَّ ، وأمرَه بقَتْلِ الأكرادِ .

وفيها وَلَّى عبدُ الملكِ الإسكندريةَ عِياضَ بنَ غَنْمٍ التُّجِيبيَّ[4] ، وعزَل عنها عبدَ الملكِ بنَ أبى الكنودِ الذى كان قد ولِيها فى العامِ الماضى .

وفيها افتتَح موسى بنُ نُصيرٍ طائفةً مِن بلادِ المغربِ ؛ مِن ذلك بلدُ أَوْرَبَةَ[5] ، وقتَل مِن أهلِها بشرًا كثيرًا جدًّا ، وأسَر نحوًا مِن خمسين ألفًا .

وفيها قتَل الحجّاجُ أيضًا جماعةً مِن رؤساءِ[6] أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، منهم : **أيوبُ بنُ القِرِّيَّةِ**[7] ، وكان فصيحًا بليغًا واعظًا ، قتَله صبرًا بينَ يَدَيه ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٥.

(٢) سقط من : ٢١، م .

(٣) فى م : « صرف » .

(٤) فى م : « البجينى » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢١.

(٥) فى ٣١، ص : « أرزمة » . وفى ٢١: « أزرمة » ، وفى م : « أرومة » . وانظر معجم البلدان ١/ ٤٠٠.

(٦) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٧) انظر ترجمته الآتية فى صفحة ٣٥٥ .

ويقالُ[1] : إنه ندِم على قتلِه . وهو أَيُّوبُ بنُ زيدِ بنِ قيسٍ ، أبو سليمانَ الهلاليُّ ، المعروفُ بابنِ القِرِّيَّةِ . **وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ نوفلٍ**[2] . **وسعدُ بنُ إياسٍ الشَّيبانِيُّ**[3] . **وأبو عِنَبَةَ**[4] **الخَوْلانيُّ**[5] ، له صُحبةٌ وروايةٌ ، سكَن حِمْصَ وبها تُوفى وقد قاربَ المائةَ سنةٍ . **عبدُ اللَّهِ بنُ قتادةَ**[6] ، وغيرُ هؤلاءِ جماعةٌ ؛ منهم مَن قتَله الحجاجُ .

ومنهم مَن تُوفى : **أبو زُرعةَ الجُذاميُّ الفلسطينيُّ**[7] ، كان ذا منزلةٍ عندَ أهلِ الشّامِ ، فخاف منه معاويةُ ، ففهِم منه ذلك أبو زُرعةَ فقال[8] : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَهدِمْ ركنًا بنيتَه ، ولا تُحزِنْ صاحبًا سرَرْتَه ، ولا تُشمِتْ عدوًّا كبتَّه . فكَفَّ عنه معاويةُ .

وفيها تُوفى **عتبةُ**[9] **بنُ النُّدَّرِ**[10] **السُّلمىُّ**[11] ، صحابىٌّ جليلٌ[12] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٠، ٤٤.
(٢) الاستيعاب ٣/ ٨٨٥، وأسد الغابة ٣/ ٢٠٧، والإصابة ٥/ ٩.
(٣) الاستيعاب ٤/ ١٧٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٣٨، والإصابة ٣/ ٢٥٤.
(٤) فى م: «غنينما». وفى ص: «عتبة».
(٥) الاستيعاب ٤/ ١٧٢٢، وأسد الغابة ٦/ ٢٣٣، والإصابة ٧/ ٢٩٢.
(٦) لم نجده.
(٧) هو روح بن زنباع وستأتى ترجمته فى صفحة ٣٥٦ .
(٨) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٧، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٥٠، بنحوه.
(٩) الاستيعاب ٣/ ١٠٣١، وأسد الغابة ٣/ ٥٧٠، والإصابة ٤/ ٤٤١، ٤٤٢.
(١٠) فى الأصل: «البدر»، وفى ٣١، ٢١، ص: «المنذر». وفى م: «منذر». والمثبت من مصادر ترجمته الواردة فى الحاشية التالية.
(١١) بعده فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « كان يعد فى أهل الصفة » . وانظر مصادر الترجمة .

عِمرانُ بنُ حِطَّانَ الخارجيُّ[1] ، كان أولًا مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ فتزَوَّج امرأةً مِن الخوارجِ حسنةً جميلةً جدًّا فأحبَّها ، وكان هو دميمَ الشّكلِ ، فأراد أنْ يرُدَّها إلى السُّنَّةِ فأبَتْ ، فارتَدَّ معها إلى مذهبِها . وقد كان مِن الشعراءِ المُطْبِقين[2] ، وهو القائلُ فى قتلِ علىٍّ وقاتِلِه[3] :

يا ضربةً مِنْ تَقِيٍّ ما أرادَ بها ... إلّا ليبْلُغَ [4]مِن ذِى العرشِ[4] رِضْوانا

إنى لأذكُرُه يومًا فأحسَبُهُ ... أَوْفَى البريَّةِ عندَ اللّهِ مِيزَانا

[٧/١٠١ظ] أَكرِمْ بقومٍ بطونُ الطيرِ قبرُهمُ ... لمْ يَخلِطُوا دِينَهمْ بغيًا وعُدوانا

وقد كان الثَّوريُّ يتمثَّلُ بأبياتِه هذه فى الزهدِ فى الدنيا ، وهى قولُه[5] :

أَرَى أشقياءَ النّاسِ لا يَسْأَمُونها ... على أنّهُمْ فيها عُراةٌ وجُوَّعُ

أراها وإنْ [6]كانتْ تُحَبُّ[6] فإنّها ... سَحابةُ صيْفٍ عنْ قليلٍ تَقشَّعُ

كرَكْبٍ قَضَوا حاجاتِهمْ وتَرحَّلوا ... طريقُهُمُ بادى العَلامةِ مَهْيَعُ[7]

---

(١) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٥، والأغانى ١٨/ ١٠٩، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٢٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٤، والإصابة ٥/ ٣٠٢.

(٢) فى م : « المُفلِقين » .

(٣) الأبيات ، عدا الأخير منها موجودة فى الكامل للمبرد ٣/ ١٦٩، والأغانى ١٨/١١١ باختلاف ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٥. وقد رد عليه جماعة من الشعراء ، انظر تفصيل ذلك فى ترجمته فى الخزانة ٥/ ٣٥٠.

(٤ - ٤) فى الأصل : « عند اللّه » .

(٥) الأبيات فى الخزانة ٥/ ٣٦١، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٧، والسير ٤/ ٢١٦.

(٦ - ٦) فى الأصل : « سرَّت قليلًا » .

(٧) المَهْيَع من الطرق : البيِّن .

مات عِمرانُ بنُ حِطّانَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ. وقد رَدَّ عليه بعضُ العلماءِ فى أبياتِه المتقدِّمةِ فى قَتْلِ عليٍّ رضِى اللَّهُ عنه، بأبياتٍ على قافيتِها ووزنِها[1]:

بلْ ضربةٌ مِن شَقِيٍّ ما أرادَ بها ... إلا ليبْلُغَ مِن ذِى العرشِ خُسْرانا
إنى لأذكرهُ يومًا فأحسَبُهُ ... أشْقَى البريةِ عندَ اللَّهِ ميزانا

رَوْحُ بنُ زِنْباعٍ الجُذَامِىُّ[2]، [3]كان مِن أمراءِ الشّامِ، وكان عبدُ الملكِ يَسْتشيرُه فى أمـــورِه[3].

وفيها كان مَهْلِكُ **عبدِ الرحمنِ بنِ** [4]**محمدِ بنِ**[4] **الأشعثِ بن قيسٍ الكِنْدىِّ**، [5]وقيل: فى التى بعدَها. فاللَّهُ أعلمُ؛ وذلك[5] أنَّ الحجاجَ كتَب إلى رُتْبيلَ [6]ملكِ التركِ[6] الذى لجأَ ابنُ الأشعثِ إليه يقولُ له: واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو لئن لم تَبعَثْ إلىَّ بابنِ الأشعثِ لأَبْعثَنَّ إلى بلادِك ألفَ ألفِ مقاتلٍ؛ ولأُخَرِّبَنَّها. فلمَّا تحقَّقَ الوعيدَ مِن الحجاجِ استشار فى ذلك بعضَ الأمراءِ فَأشار عليه بتسليمِ ابنِ الأشعثِ إليه قبلَ أنْ يُخرِّبَ الحجاجُ ديارَه ويأخُذَ عامةَ أمصارِه، فأرسَل إلى الحجاجِ يَشْترِطُ عليه أنْ لا يقاتلَ عشرَ سنين، وأنْ لا يُؤدِّىَ فى كلِّ سنةٍ منها إلا مائةَ ألفٍ مِن الخَراجِ، فأجابه الحجاجُ إلى ذلك، وقِيل: إنَّ الحجاجَ وعدَه أنْ

---

(١) انظر الخزانة ٥/ ٣٥٠، وانظر حاشية تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٥٦، ١٥٧، وكذا حاشية سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٥. وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٨٨.

(٢) ستأتى ترجمته فى صفحة ٣٥٦.

(٣ - ٣) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤ - ٤) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص. وانظر ترجمته فى: تاريخ خليفة ١/٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ٤/١٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٢٩.

(٥ - ٥) فى الأصل: «وكان سبب ذلك».

(٦ - ٦) زيادة من: م.

يُطلِقَ له خَراجَ أرضِه سبعَ سنينَ . فعندَ ذلك غدَر رُتْبيلُ بابنِ الأشعثِ ، فقيل : إنَّه أمَر بضربِ عُنُقِه صبرًا بين يَدَيه ، وبعَث برأسِه إلى الحجاجِ . وقِيل : بل كان ابنُ الأشعثِ قد مرِض مرضًا شديدًا فقتَله وهو بآخرِ رَمَقٍ . والمشهورُ أنه قَبَض عليه وعلى ثلاثينَ مِن أقربائِه فقيَّدَهم فى الأصفادِ وبعَث بهم مع رُسُلِ الحجاجِ إليه ، فلَمّا كانوا ببعضِ الطريقِ بمكانٍ يُقالُ له : الرُّخَّجُ[1] . صعِد ابنُ الأشعثِ وهو مُقَيَّدٌ بالحديدِ إلى سطحِ قصرٍ ، ومعه رجلٌ موكَّلٌ به لئلَّا يفرَّ ، وأَلْقَى نفسَه مِن ذلك القصرِ وسقَط معه المُوكَّلُ به فماتا جميعًا ، فعمَد الرسولُ إلى رأسِ ابنِ الأشعثِ فاحتَزَّه ، وقتَل مَن معه مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، وبعَث برءُوسِهم إلى الحجّاجِ ، فأمَر فطِيف برأسِه فى العراقِ ، ثم بعثَه إلى أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فطِيف برأسِه فى الشَّامِ ، ثم بعَث به إلى أخيه عبدِ العزيزِ بمصرَ فطِيفَ برأسِه هنالك ، ثم دَفَنُوا رأسَه بمصرَ وجُثَّتَه بالرُّخَّجِ ، وقد قال بعضُ الشُّعراءِ فى ذلك :

[١٠٢/٧و] هيهاتَ موضعُ جثَّةٍ مِن رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجثَّةٌ بالرُّخَّجِ

وإنما ذكَر ابنُ جريرٍ مقتلَ ابنِ الأشعثِ فى سنةِ خمسٍ وثمانين[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وعبدُ الرحمنِ هذا هو ابنُ[3] محمدِ بنِ الأشعثِ بنِ قيسٍ ، ومنهم مَن يقولُ : عبدُ الرحمنِ بنُ قيسِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ بنِ قيسٍ الكِنْدىُّ الكوفىُّ . قد روَى

---

(١) فى الأصل ، ٣١: « بالرحح » ، وفى ٢١: « بالزحج » ، وفى م : « بالرجح » ، وفى ص : « بالرحج » . وكذا فيما يأتى من مواضع . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩١، ونهاية الأرب ٢١/ ٢٥٩. والرخج : مدينة من نواحى كابل . معجم البلدان ٢/ ٧٧٠.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٩.

(٣) سقط من : ص ، وفى ٢١، م : « أبو » .

له أبو داودَ والنَّسائيُّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن ابنِ مسعودٍ حديثَ[1] : « إذا اختلَف المتبايعانِ والسلعةُ قائمةٌ ، فالقولُ ما قال البائعُ أو يتتاركان[2] » . وعنه أبو العُمَيسِ ، ويُقالُ : إنَّ الحجاجَ قتَله بعدَ التسعين سنةً . فاللَّهُ أعلمُ .

والعجَبُ كُلُّ العجبِ مِن هؤلاء الذين بايَعوه بالإمارةِ وليس مِن قريشٍ ، وإنما هو كِنْديٌّ مِن اليمنِ ، وقد اجتمَع الصحابةُ يومَ السَّقيفةِ على أنَّ الإمارةَ لا تكونُ إلا فى قريشٍ ، واحتَجَّ عليهم الصِّدِّيقُ بالحديثِ فى ذلك ، حتى إنَّ الأنصارَ سألوا أنْ يكونَ منهم أميرٌ مع أميرِ المهاجرينَ ، فأبَى الصِّدِّيقُ عليهم ذلك ، ثم مع هذا كُلِّه ضرَب[3] سعدُ بنُ عبادةَ - الذى دعا إلى ذلك أولًا ثم رجَع عنه - كما قرَّرنا ذلك فيما تقدَّم[4] ؛ فكيف يعمَدون إلى خليفةٍ قد بُويعَ له بالإمارةِ على المسلمين مِن سنين فيعزِلونه وهو من صَليبَةِ[5] قريشٍ ، ويبايِعون لرجلٍ كِنْديٍّ بيعةً لم يَتَّفِقْ عليها أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ ؟ ولهذا لما كانت هذه زَلَّةً وفَلْتَةً نشَأ بسببِها شَرٌّ كثيرٌ هلَك فيه خَلْقٌ كثيرٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

أيُّوبُ ابنُ القِرِّيَّةِ[6] - وهى أمُّه - واسمُ أبيه يزيدُ بنُ قيسِ بنِ زُرارةَ بنِ مسلمٍ النَّمَرىُّ الهلالىُّ ، كان أعرابيًّا أُمِّيًّا ، وكان يُضْرَبُ به المثلُ فى فصاحتِه وبيانِه وبلاغتِه ، صحِب الحجاجَ ووفَد على عبدِ الملكِ ، ثم بعَثه رسولًا إلى ابنِ

---

(١) أبو داود (٣٥١١) ، والنسائى (٤٦٦٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٩٩٧) .

(٢) فى م : « تشاركا » .

(٣) يعنى : كف ورجع عما كان دعا إليه .

(٤) تقدم فى ٨/٨١ فما بعدها .

(٥) فى م ، ص : « صلبية » . والصليب : الخالص النسب .

(٦) ترجمته فى : المعارف ص ٤٠٤ ، وتاريخ دمشق ١٠/ ١٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٧ ، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣ ، ومرآة الزمان ١/ ١٧١ ، ١٧٢ ، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٩ .

الأشعثِ ، فقال له ابنُ الأشعثِ : لئن لم تَقُمْ خطيبًا فتَخْلَعِ الحجاجَ لأَضْرِبنَّ عُنُقَكَ . ففعَل ، وأقام عندَه ، فلمّا ظهَر الحجاجُ اسْتحضرَه وجرَتْ له معه مقاماتٌ ومقالاتٌ فى الكلامِ ، ثم فى آخرِ الأمرِ ضرَب عنقَه ، وندِم بعدَ ذلك على ما فعَل مِن ضَرْبِ عنقِه ، ولكن ندِم حيثُ لا ينفَعُه النَّدَمُ ؛ كما قيل :

* وجادَتْ بوَصْلٍ حينَ لا يَنْفَعُ الوصلُ *

وقد ذكَره ابنُ عساكرَ فى تاريخِه[1] ، وابنُ خلِّكانَ فى الوفياتِ[2] ، وأطال ترجمتَه وذكَر فيها أشياءَ حسنةً ، قال[3] : والقِرِّيَّةُ ، بكسرِ القافِ وتشديدِ الياءِ ، وهى جدَّتُه ، واسمُها خُماعةُ[4] بنتُ جُشَمَ .

قال ابنُ خلِّكانَ[5] : ومِن الناسِ مَن أنكَر وجودَه ، ووجودَ مجنونِ ليلى ، وابنِ أبى العَقَبِ صاحبِ الملحمةِ ، وهو يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى العقبِ . واللَّهُ أعلمُ .

رَوْحُ بنُ زِنْباعِ بنِ سلامةَ الجُذَامِيُّ أبو زُرْعةَ[6] ، [١٠٢/٧ظ] ويقالُ : أبو زِنْباعٍ الدِّمشقيُّ . دارُه بدمشقَ فى طرفِ البُزُوريين[7] عندَ دارِ ابنِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ١٤٠.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٥١.

(٤) فى النسخ : « جماعة » وهو خطأ ، والمثبت من وفيات الأعيان ، وانظر الإكمال ٣/ ١٩٠.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٤.

(٦) ترجمته فى الوزراء والكتاب ٣٥، ٣٦، والاستيعاب ٢/ ٥٠٢، وتاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٠، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٦١، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٥٠، والإصابة ٥٠٥.

(٧) البزوريين : سوق من أسواق دمشق القديمة ، يعرف بسوق القمح أيضا واليوم بـ (سوق البزورية) موقعه فى الجهة الجنوبية من الخضراء.

أبى[1] العَقَبِ صاحبِ الملحمةِ. وهو تابعىٌّ جليلٌ، روَى عن أبيه - وكانت له صُحْبةٌ - وتميمِ الدَّارىِّ، وعبادةَ بنِ الصامتِ، ومعاويةَ، وكعبِ الأحبارِ، وغيرِهم. وعنه جماعةٌ؛ منهم عُبادةُ بنُ نُسَىٍّ.

كان رَوحٌ عندَ عبدِ الملكِ كالوزيرِ لا يكادُ يفارقُه، وكان مع أبيه مروانَ يومَ مَرْجِ راهطٍ، وقد أَمَّره يزيدُ بنُ معاويةَ على جندِ فلسطينَ. وزعَم مسلمُ بنُ الحجاجِ أنَّ رَوْحَ بنَ زِنْباعٍ كانت له صُحبةٌ[2]، ولم يُتابَعْ مسلمٌ على هذا القولِ، والصحيحُ أنه تابعىٌّ وليس بصحابىٍّ. ومِن مآثرِه التى تفرَّد بها أنه كان كلما خرَج مِن الحمّامِ يُعتِقُ نسمةً[3]. قال ابنُ زَبْرٍ[4]: مات سنةَ أربعٍ وثمانينَ بالأُرُدنِّ. وزعَم بعضُهم أنه بقِى إلى أيامِ هشامِ[5] بنِ عبدِ الملكِ.

وقد حجَّ مرَّةً فنزَل على ماءٍ بينَ مكةَ والمدينةِ فأمَر فأُصلِحتْ له أطعمةٌ مختلِفةُ الألوانِ، ثم وُضِعَتْ بينَ يَدَيه، فبينما هو يأكلُ إذ جاء راعٍ مِن الرُّعاةِ يَرِدُ الماءَ، فدعاه رَوْحُ بنُ زِنباعٍ إلى الأكلِ من ذلك الطعامِ، فجاء الرَّاعى فنظَر إلى طعامِه وقال: إنى صائمٌ. فقال له رَوْحٌ: فى مثلِ هذا اليومِ الطويلِ الشديدِ الحرِّ تصومُ يا راعى؟ فقال الراعى: أفأَغْبِنُ أيامى مِن أجلِ طُعَيِّمِك[6]؟ ثم إنَّ الراعىَ ارتاد لنفسِه مكانًا فنزَله وترَك روحَ بنَ زِنباعٍ، فقال رَوْحُ بنُ

---

(١) سقط من: ا٣، م، ص، وانظر الوافى بالوفيات ١٤/ ١٥٠.

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦، والإصابة ٢/ ٥٠٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦.

(٤) فى ا٢: «زير»، وفى م: «زيد»، وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥١.

(٥) من هنا إلى قول المصنف: «ثم دخلت سنة خمس وثمانين» مكانه فى الأصل: «والصحيح الأول». وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٠.

(٦) فى م، ص: «طعامك».

زنباعٍ[1] :

لقد ضننتَ بأيَّامِكَ يا راعى إذ جادَ بها رَوْحُ بنُ زِنباعِ .

ثم إنَّ رَوحًا بكَى طويلًا وأمرَ بتلك الأطعمةِ فَرُفِعَتْ ، وقال : انْظُروا هَلْ تجِدون لها آكلًا مِن هذه الأعرابِ أو الرعاةِ ؟ ثم سار مِن ذلك المكانِ وقد أخَذ الراعى بمجامعِ قَلْبِه وصغُرَتْ إليه نفسُه . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٥٠، بنحوه .

ثم دخلتْ سنةُ خَمْسٍ وثمانيـنَ

فيها - كما ذكَر ابنُ جريرٍ[1] - كان مَقتلُ عبدِ الرحمنِ بنِ الأشعثِ الكِنْديِّ[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها عزَل الحجاجُ عن إمْرةِ خُراسانَ يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ ، ووَلَّى عليها أخاه المفضَّلَ بنَ المُهَلَّبِ . وكان سببَ ذلك أنَّ الحجّاجَ وفَد مرَّةً على عبدِ الملكِ ، فلمَّا انصرَف مَرَّ بدَيْرٍ ، فقيل له[3] : إنَّ فيه شيخًا[4] مِن أهلِ الكتابِ عالمًا . فدُعِى له[5] ، فقال : ياشيخُ ، هل تجِدون فى كُتُبِكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال : فما تجِدون صفةَ أميرِ المؤمنينَ ؟ قال : نجِدُه مَلِكًا أقرعَ ، مَن يَقُمْ بسبيلِه يُصْرَعْ . قال : ثم مَن ؟ قال : ثم رجلٌ يقالُ له : الوليدُ . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رجلٌ اسمُه اسمُ نبيٍّ يُفْتَحُ به على النَّاسِ . قال : أفتَعْرِفُنى[6] ؟ قال : قد أُخْبِرْتُ بك . قال : أفتعرِفُ [7]ما أَلِى[7] ؟ قال : نعم . قال : فمَن يَلِى العراقَ بَعْدِى ؟ قال : رجلٌ يقالُ له : يزيدُ . قال : أَفِى حياتى أم بعدَ موتى ؟ قال : لا أدرى . قال : أفتعرِفُ صفتَه ؟ قال : يغدِرُ غَدْرَةً ، لا أعرِفُ غيرَها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٨٩.

(٢) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٣.

(٤) بعده فى م : « كبيرا » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م : « له » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١، م : « مآلى » ، وفى ص : « ما بى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٣.

قال[1] : فوقَع فى نفسِ الحجاجِ أنه يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ ، وسار سبعًا وهو وَجِلٌ مِن كلامِ الشَّيخِ ، ثم بعَث إلى عبدِ الملكِ يَسْتعفِيه مِن ولايةِ العراقِ ؛ ليعلَمَ مكانتَهَ عندَه ، فجاء الكتابُ بالتقريعِ ، والتَّأنيبِ ، والتوبيخِ ، والأمرِ بالثباتِ ، والاستمرارِ على ما هو عليه . ثم إنَّ الحجاجَ جلَس يومًا مُفكِّرًا واسْتَدْعى بعُبيدِ بنِ مَوْهَبٍ فدخَل عليه ، وهو ينكُتُ فى الأرضِ ، فرفَع رأسَه إليه ، فقال : وَيْحك يا عبيدُ ، إنَّ أهلَ الكتابِ يذكُرون أنَّ ما تحتَ يَدى يليه رجلٌ يقالُ له : يزيدُ . وقد تذكَّرتُ يزيدَ [١٠٣/٧و] بنَ أبى كَبْشَةَ ، ويزيدَ بنَ حُصينِ بنِ نُميرٍ ، ويزيدَ بنَ دينارٍ ، فليسُوا هناك ، وما هو - [2]إن كان[2] - إلا يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ . فقال عبيدٌ : لقد شرَّفتَهم وعظَّمْتَ ولايتَهم ، وإنَّ لهم لعَددًا[3] وجَلَدًا وحظًّا ، فأَخْلِقْ به . فأجمَعَ رأْىُ الحجاجِ على عزلِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ ، فكتَب إلى عبدِ الملكِ يَذُمُّه[4] ويُخوِّفُه غَدْرَه ، ويُخبرُه بما أخبرَه به ذلك الشَّيخُ [5]وكتَب إليه عبدُ الملكِ[5] : قد أكثَرتَ فى شأنِ يزيدَ فسَمِّ رجلًا يصلُحُ لخراسانَ . فوقَع اختيارُ الحجاجِ على المفضَّلِ بنِ المُهَلَّبِ ، فولّاه قليلًا تسعةَ أشهرٍ ، فغزا باذَغِيسَ[6] وغيرَها ، وغنِم مغانمَ كثيرةً ، وامتدَحه الشعراءُ ، ثم عزَله بقُتيبةَ بنِ مسلمٍ .

قال ابنُ جريرٍ[7] : وفى هذه السنةِ قُتِل موسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ بترْمِذَ . ثم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٤.

(٢ - ٢) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٣) فى م : « لقدرا » .

(٤) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « يذم منه » .

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص : « الكتابى فجاء البريد بكتاب فيه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٥.

(٦) فى الأصل : « بارعيس » . وفى ٣١، ص : « بلاد عيس » . وفى ٢١: « بلاد تسيس » . وفى م : « بلاد عبس » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٧. وباذَغِيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . معجم البلدان ١/ ٤٦١.

(٧) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٩٨.

ذكَر سببَ ذلك . وملخَّصُه ، أنه بعدَ مقتلِ أبيه لم يَبْقَ بيدِه بلدٌ يلجَأُ إليه بمَنْ معه مِن أصحابِه ، فجعَل كُلَّما اقْتَرَب مِن بلدةٍ خرَج إليه ملكُها فقاتلَه ، فلم يَزَلْ ذلك دأبَه حتى نزَل قريبًا مِن تِرْمِذَ ، وكان ملكُها[1] فيه ضَعْفٌ ، فجعَل يهادِنُه ويبعَثُ إليه بالألْطَافِ والتُّحفِ ، حتى جعَل يَتصَيَّدُ هو وهو ، ثم عنَّ للملكِ فعمِل له طعامًا ، وبعَث إلى موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ : أن ائتنى فى مائةٍ من أصحابِك ، فاختار موسى مِن جيشِه مائةً مِن شُجْعانِهم ، ثم دخَل البلدَ [2]فأكَل مِن طعامِ الملكِ[2] فلمَّا فرَغَتِ الضِّيافةُ اضطجَع موسى [2]على جنبِه[2] فى دارِ الملكِ ، وقال : واللَّهِ لا أقومُ مِن هنا حتى يكونَ هذا المنزلُ منزِلى ، أو يكونَ قَبرِى . فثار أهلُ القصرِ إليه فحاجفَ عنه أصحابُه ، ثم وقعَت الحربُ بينَهم وبينَ أهلِ تِرْمِذَ ، فاقتتلوا فقُتِل مِن أهلِ تِرْمِذَ خَلْقٌ كثيرٌ وهرَب بقِيَّتُهم ، واستدعى موسى بقيةَ جيشِه إليه ، واستحوَذ موسى على البلدِ فحصَّنها ومنَعها مِن الأعداءِ ، وخرَج منها ملكُها هاربًا فلجَأ إلى إخوانِه مِن الأتراكِ فاستنصَرهم ، فقالوا له : هؤلاءِ قومٌ فى نحوٍ مِن مائةِ رجلٍ [3]أخرجوكم مِن بلدِكم[3] ، لا طاقةَ لنا بقتالِ هؤلاءِ . ثم ذهَب ملِكُ تِرْمِذَ إلى طائفةٍ أخرى مِن التركِ فاستصرَخَهم فبعَثوا معه قُصّادًا نحوَ موسى ليسمَعوا كلامَه . فلمَّا أحسَّ بقدومِهم عليه - وكان ذلك فى شدَّةِ الحرِّ - أمَر أصحابَه أن يُؤجِّجوا نارًا ويَلْبَسوا ثيابَ الشتاءِ ويُدْنوا أيدِيَهم مِن النَّارِ كأنهم يَصْطلونَ بها ، فلمّا وصَلت إليه[4] الرسلُ رأَوا [٧/١٠٣ظ] أصحابَه وما يصنَعون

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، ص : « ملكًا » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص : « أخرجوك من بلدك » .

(٤) فى م : « إليهم » .

فى شِدَّةِ الحرِّ فقالوا لهم : ما هذا الذىتفعلونَه ؟ فقالوا لهم : إنا نجِدُ البردَ فى الصيفِ ، والكَرْبَ فى الشتاءِ . فرجَعوا إلى أنفسِهم ، فقالوا : ما هؤلاء بَشَرٌ ، ما هؤلاء إلا جِنٌّ . ثم عادوا إلى مَلِكِهم فأخبروه بما رأوا ، فقالوا : لا طاقةَ لنا بقتالِ هؤلاء . ثم ذهَب صاحبُ تِرْمِذَ فاستجاش بطائفةٍ أخرى ، فجاءوا فحاصرُوهم[1] بتِرْمِذَ ، وجاء الخُزَاعىُّ فحاصرَهم أيضًا ، فجعَل يُقاتِلُ الخزاعىَّ أوَّلَ النهارِ ، ويقاتِلُ آخرَه العجَمَ . ثم إن موسى بيَّتهم فقتَل منهم مقتلةً عظيمةً ، وأفزَع ذلك عمرَ الخُزَاعىَّ فصالحَه وكان معه ، فدخَل يومًا عليه ، وليس عندَه أحدٌ ، وليس يَرى معه سلاحًا ، فقال على وجهِ النُّصحِ : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، إنَّ مِثْلَكَ لا يَنْبغى أن يكونَ بلا سلاحٍ . فقال : إنَّ عندى سلاحًا . ثم رفَع صَدْرَ فِراشِه فإذا سيفُه مُنْتضًى[2] ، فأخذَه عمرُ فضرَبه به حتى بَرَد ، وخرَج هاربًا ، ثم تَفَرَّق أصحابُ موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ .

قال ابنُ جريرٍ[3] : وفى هذه السنةِ عزَم عبدُ الملكِ على عَزْلِ أخيه عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ عن إمْرةِ الدِّيارِ المصريةِ ، وحسَّن له ذلك رَوْحُ بنُ زِنباعٍ الجُذامِىُّ ، فبينما هما فى ذلك إذ دخَل عليهما قَبِيصَةُ بنُ ذُؤيبٍ فى الليلِ ، وكان لا يُحْجَبُ عنه أىَّ ساعةٍ جاء مِن ليلٍ أو نهارٍ ، فعزَّاه فى أخيه عبدِ العزيزِ ، فندِم على ما كان منه مِن العزمِ على عزلِه ، وإنما حمَله على إرادةِ عزْلِه أنه أراد أن يَعْهَدَ بالأمرِ مِن بعدِه لأولادِه ؛ الوليدِ ، ثم سليمانَ ، ثم يزيدَ ، ثم هشامٍ ، وذلك عن رأيِ الحجاجِ وترتيبِه ذلك لعبدِ الملكِ ، وكان أبوه مروانُ

---

(١) فى الأصل : « فحاصروه » ، وفى م : « فحاصره » .

(٢) انتضى السيف : أخرجه من غمده .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٢ .

عهِدَ بالأمرِ إلى عبدِ الملكِ ، [1]ثم مِن بعدِه إلى عبدِ العزيزِ ، فأراد عبدُ الملكِ[1] أن يُنحِّيَه عن الإمرةِ مِن بعدِه بالكُلِّيةِ ، ويجعَلَ الأمرَ فى أولادِه وعَقِبِه ، وأن تكونَ الخلافةُ باقيةً فيهم . واللَّهُ أعلمُ .

عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوَانَ[2] ، رحِمه اللَّهُ تعالى

هو عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، أبو الأَصبَغِ ، القُرشىُّ ، الأمويُّ ، وُلِد بالمدينةِ ، ثم دخَل الشَّامَ مع أبيه مروانَ بنِ الحكمِ ، وكان وليَّ عهدِه مِن بعدِ أخيه عبدِ الملكِ ، وولّاه أبوه إمرةَ الدِّيارِ المصريةِ فى سنةِ خمسٍ وستين ، فكان واليًا عليها إلى هذه السنةِ ، وشهِد قتْلَ [3]عمرِو بنِ سعيدٍ[3] بنِ العاصِ ، كما قدَّمنا[4] . [١٠٤/٧و] وكانت له دارٌ بدمشقَ ، وهى الدارُ التى للصُّوفيةِ اليومَ ، المعروفةُ بالخانِقاه السُّمَيْساطِيَّةِ[5] ، ثم كانت مِن بعدِه لولدِه عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ثم تنقَّلت إلى أن صارت خانِقاهَ للصوفِيَّةِ .

وقد روَى عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ الحديثَ عن أبيه ، وعبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، وعُقبةَ ابنِ عامرٍ ، وأبى هريرةَ . وحديثُه عنه فى مسندِ أحمدَ ، وسننِ أبى داودَ ، أنَّ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٣٦، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٩.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٢١، م، ص: «سعيد بن عمرو»، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٥.

(٤) تقدم فى ١١٨ ، ١١٩.

(٥) فى ٣١، ٢١، ص: «الشميساتية»، وانظر الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ١٥١.

رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[1] : « شَرُّ ما فى الرَّجلِ شُحٌّ هالعٌ وجُبْنٌ خالعٌ » . وعنه ابنُه عمرُ ، والزهرىُّ ، وعُلىُّ بنُ رَباحٍ ، وجماعةٌ .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : كان ثقةً قليلَ الحديثِ . وقال غيرُه[3] : كان يلحَنُ فى الحديثِ ، وفى كلامِه . ثم تعلَّم العربيةَ [4]فأتقَنَها وأحسنَها[4] فكان مِن أفصحِ الناسِ ؛ وكان سببَ ذلك أنه دخَل عليه رجلٌ يشكو خَتَنَه - وهو زوجُ ابنتِه - فقال له عبدُ العزيزِ[5] : مَن ختَنَك ؟ فقال الرجلُ : ختنَنى الخاتنُ الذى يختِنُ الناسَ . فقال لكاتبِه : ويحَك ! بماذا أجابنى ؟ فقال الكاتبُ : يا أميرَ المؤمنين ، كان ينبغى أن تقولَ : مَن خَتَنُك ؟ فآلى على نفسِه أن لا يخرُجَ مِن منزلِه حتى يتعلَّمَ العربيةَ ، فمكَث جُمُعةً واحدةً فتعلَّمها ، فخرَج وهو مِن أفصحِ الناسِ . وكان بعدَ ذلك يُجزِلُ عطاءَ مَن يُعْرِبُ كلامَه ، ويَنْقُصُ عطاءَ مَن يلحَنُ فيه ؛ فتسارَعَ الناسُ فى زمانِه إلى تعلُّمِ العربيةِ . قال عبدُ العزيزِ يومًا لرجلٍ[6] : مِمَّن أنت ؟ فقال : مِن بنو عبدِ الدَّارِ . فقال : تجدُها فى جائزتِك . فنقَصه[7] مائةَ دينارٍ .

وقال أبو يعلَى المَوْصلىُّ[8] : حدثنا مجاهدُ بنُ موسى ، ثنا إسحاقُ بنُ

---

(١) المسند ٢/ ٣٠٢، ٣٢٠، وأبو داود (٢٥١١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٩٢) .
(٢) الطبقات ٥/ ٢٣٦.
(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢١. وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٨، ١٩٩. بنحوهما .
(٤ - ٤) فى الأصل : « فأحسن تعلمها » .
(٥) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٨، ١٩٩.
(٦) فى م : « إلى رجل » ، وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٩٩.
(٧) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « فنقصت جائزته » .
(٨) مسند أبى يعلى (٥٧٣٠) .

يوسفَ ، أنبأنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن القَعْقاعِ بنِ حَكيمٍ[1] ، قال : كتَب عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ : ارفَعْ إليَّ حاجَتَك . فكتَب إليه ابنُ عمرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اليدُ العُليا خيرٌ مِن اليدِ السفلى ، وابدَأْ بمَن تعولُ » . ولستُ أسألُك شيئًا ولا أرُدُّ رِزقًا رَزَقَنِيهِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ منك .

وقال ابنُ وَهبٍ[2] : حدَّثنى يحيى بنُ أيوبَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن سُوَيدِ بنِ قيسٍ ، قال : بعَثنى عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ بألفِ دينارٍ إلى ابنِ عمرَ ، قال : فجئتُه فدفَعتُ إليه الكتابَ فقال : أين المالُ ؟ فقلتُ : لا أستطيعُه الليلةَ حتى أُصبِحَ . قال : لا واللَّهِ ، لا يبيتُ ابنُ عمرَ الليلةَ وله ألفُ دينارٍ . قال : فدفَع إليَّ الكتابَ حتى جئتُه بها ففرَّقها ، رضِى اللَّهُ عنه .

ومِن كلامِه ، رحِمه اللَّهُ[3] : عجبًا لمؤمنٍ [4]يُؤمِنُ و[4] يُوقِنُ أنَّ اللَّهَ يرزُقُه ويُخلِفُ عليه ، كيف يحبِسُ مالًا عن عظيمِ أجرٍ وحُسنِ سماعٍ[5] ؟!

ولمّا حضَرتْه الوفاةُ أُحضِر له مالٌ يخُصُّه ، وإذا هو ثلاثُمائةِ مُدْيٍ مِن ذهَبٍ ، فقال[6] : واللَّهِ لودِدتُ أنه بعرٌ حائلٌ بنجدٍ . وقال[7] : واللَّهِ لودِدتُ أنِّى لم أكُنْ شيئًا مذكورًا ، ولودِدتُ أنْ أكونَ هذا الماءَ الجارىَ ، أو نباتةً بأرضِ الحجازِ .

---

(١) فى ص : « الحكم » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٢٢/٤٣ عنه به .

(٣) المصدر السابق ٢٣/٤٣، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٠٠.

(٤ - ٤) فى الأصل : « موقن » .

(٥) فى ا٣، ص : « سماع ثناء » ، وفى ا٢، م : « ثناء » .

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٥.

(٧) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٤.

وقال[1] : ائتُونى بكفَنى الذى تُكفِّنُونى فيه . فجعَل يقولُ : [٧/١٠٤ظ] أُفٍّ لك ما أقصرَ طويلَك ، وأقلَّ كثيرَك !

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2] ، عن ابنِ بُكَيْرٍ ، عن اللَّيثِ : كانت وفاتُه ليلةَ الاثنينِ لثلاثَ عشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن جُمادى الأُولى سنةَ ستٍّ وثمانين . قال ابنُ عساكرَ[3] : وهذا وَهْمٌ مِن يعقوبَ ، والصَّوابُ سنةَ خمسٍ وثمانين ؛ فإنَّه مات قبلَ عبدِ الملكِ أخيه ، ومات عبدُ الملكِ[4] سنةَ ستٍّ وثمانينَ .

وقد كان عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ مِن خيارِ الأمراءِ كريمًا جوَادًا مُمدَّحًا ، وهو والدُ الخليفةِ الرَّاشدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقد اكتَسى عمرُ أخلاقَ أبيه ، وزاد عليه بأمورٍ كثيرةٍ . وكان لعبدِ العزيزِ مِن الأولادِ غيرُ عمرَ ، عاصمٌ ، وأبو بكرٍ ، ومحمدٌ ، والأَصْبَغُ - مات قبلَه بقليلٍ فحزِن عليه حُزنًا كثيرًا ومرِض بعدَه ومات - وسُهَيلٌ ، وكان له عدَّةُ بناتٍ ؛ أمُّ محمدٍ[5] ، وأمُّ عثمانَ ، وأمُّ الحكَمِ ، وأمُّ البنينَ ، وهنَّ مِن أمهاتٍ شتَّى ، وله مِن الأولادِ غيرُ هؤلاءِ ، مات بالمدينةِ التى بناها على مرحلةٍ مِن مصرَ ، وحُمِل إلى مصرَ فى النيلِ[6] ودُفِن بها . وقد ترَك عبدُ العزيزِ بنُ مروانَ مِن الأموالِ والأثاثِ والدوابِّ ؛ مِن الخيلِ والبِغالِ والإبلِ وغيرِ ذلك ما يعجِزُ عنه الوصفُ ، مِن جملةِ ذلك ثلاثُمائةِ مُدٍّ[7] ذهبٍ غيرُ الوَرِقِ ، مع جُودِه ، وكرَمِه ، وبَذْلِه ، وعطاياه الجزيلةِ ، فإنه كان مِن أعطَى الناسِ للجزيلِ ،

---

(١) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٤، ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ١٣٤.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٣.

(٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٦.

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « بعده بسنة » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « وسهيل » .

(٦) فى ٢١ : « الليل » .

(٧) فى الصفحة السابقة « مُدْى » . والمدّ غير المُدْى . راجع النهاية ٤/ ٣٠٨، ٣١٠.

رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ[1] أنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ كتَب إلى أخيه عبدِ العزيزِ ، وهو بالديارِ المصريةِ ، يسألُه أن ينزِلَ عن العهدِ الذى له مِن بعدِه لولدِه الوليدِ ، أو يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِه[2] ؛ فإنَّه أعزُّ الخلقِ عليَّ . [3]فكتَب إليه عبدُ العزيزِ يقولُ : إنِّى أرى فى أبى بكرِ بنِ عبدِ العزيزِ ما ترَى فى الوليدِ[3] . فكتَب إليه عبدُ الملكِ يأمرُه بحَمْلِ خراجِ مصرَ - وقد كان عبدُ العزيزِ لا يحمِلُ إليه شيئًا مِن الخَراجِ ولا غيرِه ، وإنما كانت بلادُ مصرَ بكمالِها ، وبلادُ المغربِ ، وغيرُ ذلك ، كلُّها لعبدِ العزيزِ ؛ مغانمُها وخراجُها وحِملُها - فكتَب عبدُ العزيزِ إلى أخيه عبدِ الملكِ : إنِّى وإيَّاك يا أميرَ المؤمنين قد بلَغْنا سنًّا لم يبلُغْها أحدٌ مِن أهلِ بيتِك إلّا كان بقاؤه قليلًا ، وإنِّى لا أدرِى ولا تدرِى أيُّنا يأتيه الموتُ أوَّلًا ! فإنْ رأيتَ أن لا تُغَثِّثَ[4] علىَّ بقيةَ عُمْرى فافعَلْ . فرَقَّ له عبدُ الملكِ ، وقال[5] : لعَمْرِى لا أُغَثِّثُ[6] عليك بقيَّةَ عمْرِك .

وقال عبدُ الملكِ لابنِه الوليدِ : إن يُرِدِ اللَّهُ أن يعطِيَكها لا يقدِرْ أحدٌ مِن العبادِ على رَدِّ ذلك عنك . وقال لابنيه[7] الوليدِ وسليمانَ : هل قارفتما[8]

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٤١٤ بنحوه .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١: « من بعد ابنه عبد الملك » . وبعده فى ص : « من بعد أبيه عبد الملك » .

(٣ - ٣) سقط من : ٢١.

(٤) فى الأصل ، ٢١: « تعنت » ، وفى ٣١: « تعبت » ، وفى ص : « تعبث » ، وفى م : « تعتب » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤.

(٥) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « كتب إليه » .

(٦) فى الأصل ، م : « أعتب » ، وفى ٣١، ٢١، ص : « أعبث » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤.

(٧) فى النسخ : « لابنه » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤.

(٨) فى الأصل ، ٣١، ص : « فارقتما » .

(١ مُحرَّمًا أو حرامًا ١) قطُّ ؟ قالا : لا واللَّهِ . فقال : اللَّهُ أكبرُ ، نِلْتُماها وربِّ الكعبةِ .

ويقالُ(٢) : إنّ عبدَ الملكِ لمّا امتنَع أخوه عبدُ العزيزِ مِن إجابتِه إلى ما طلَب منه من بيعتِه لولدِه الوليدِ دعا عليه ، وقال : اللهمَّ إنه قطَعَنى فاقْطَعْه . فمات فى هذه السنةِ كما ذَكرْنا ، فلمّا جاءه الخبرُ بموتِ أخيه عبدِ العزيزِ ليلًا حزِن وبكَى ، وبكَى أهلُه بُكاءً كثيرًا على عبدِ العزيزِ . ولكن سرَّه ذلك مِن جهةِ ابنيه الوليدِ وسليمانَ ؛ فإنَّه نال فيهما ما كان يُؤمِّلُه لهما مِن ولايتِه إياهما (٣العهدَ مِن٣) بعدِه .

وقد كان الحجّاجُ كتَب إلى عبدِ الملكِ يُزيِّنُ(٤) له ولايةَ الوليدِ(٥) مِن بعدِه ، وأوفَد إليه(٦) وفدًا فى ذلك ، عليهم عِمرانُ بنُ عصامٍ العنَزِىُّ(٧) ، فلمّا دخَلوا عليه قام عِمرانُ خطيباً فتكلَّم ، وتكلَّم الوفدُ(٨) ، وحثُّوا عبدَ الملكِ على ذلك ، وأنشَد عِمرانُ بنُ عِصامٍ فى ذلك(٩) :

[٧/١٠٥و] أميرَ المؤمنينَ إليكَ نُهدِى ... على النَّأْيِ التَّحيّةَ والسَّلاما
أجِبْنى فى بَنيكَ يكُنْ جوابى ... لهُمْ عادِيَّةً(١٠) ولنا قِوامَا
فلو أنَّ الوليدَ أُطاعُ فيه ... جعلتَ لهُ الخلافةَ والذِّماما(١١)

(١ - ١) فى الأصل : « خيرا » .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٤. بنحوه .
(٣ - ٣) سقط من : ا٣، ا٢، م، ص .
(٤) فى ا٣، ا٢، م، ص : « يحسن » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٣.
(٥) بعده فى ا٣، ا٢، م، ص : « ويزينها له » .
(٦) فى الأصل : « عليه » .
(٧) فى ا٢: « العنترى » ، وفى م : « العثرى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٣.
(٨) بعده فى ا٣، ا٢، م، ص : « فى ذلك » .
(٩) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٦/٤١٣ - ٤١٤.
(١٠) فى الأصل، ا٢: « عارية » .
(١١) فى الأصل، ا٣، ا٢، ص : « الإماما » .

شبيهُكَ حولَ قُبَّتِه قريشٌ ... بِه يَسْتمطِرُ الناسُ الغَماما

ومثلُكَ فى التُّقَى لم يَصْبُ يومًا ... لَدُنْ خَلَعَ القلائدَ والتِّماما[1]

فإن تُؤثِرْ أخاكَ بها فإنَّا ... وجَدِّكَ لا نُطِيقُ لها[2] اتِّهاما

ولكنَّا نُحاذرُ مِن بنيهِ ... بنى العَلَّاتِ مَأْثَرَةً سَمَاما[3]

ونَخْشَى إن جعلْتَ المُلْكَ فيهم ... سَحَابًا[4] أن تَعُودَ[5] لهم جَهَاما[6]

فلا يكُ ما حَلَبْتَ غدًا لقومٍ ... وبعدَ غدٍ بنُوكَ[7] همُ العِياما

فأُقسِمُ لو تخَطَّأَنى[8] عِصَامٌ ... بذلكَ ما عَذَرتُ[9] بهِ عِصَاما

ولو أنِّى حَبَوتُ أخًا بفضلٍ ... أُريدُ به المقالةَ والمَقاما

لعقَّبَ[10] فى بَنِىَّ[11] على بنيهِ[12] ... كذلكَ أو لزُمْتُ[13] لهُ مَراما[14]

فمَن يكُ فى أقاربِه صُدُوعٌ ... فصَدْعُ المُلْكِ أبطؤُهُ التئَاما[15]

---

(١) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «البشاما».
(٢) فى ٣١، ٢١، ص: «له».
(٣) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «شماما».
(٤) فى الأصل، ٣١، ٢١: «سجايا».
(٥) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «يعود».
(٦) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «حضاما».
(٧) فى ٣١، ص: «تقول»، وفى ٢١: «يقول».
(٨) فى ٣١، ص: «تخطأ فى».
(٩) فى ٣١، ٢١، ص: «مددت».
(١٠) فى ٣١، ٢١، ص: «لعنت».
(١١) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «بنيه».
(١٢) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «بنى».
(١٣) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «لزمت».
(١٤) فى الأصل: «سراما».
(١٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «قال».

فهاجَه ذلك على أن كتَب إلى أخيه يَستنزِلُه عن الخلافةِ للوليدِ، فأَبى[1] عليه، وقدَّر اللَّهُ سبحانَه موتَ عبدِ العزيزِ قبلَ موتِ عبدِ الملكِ بعامٍ واحدٍ، فتمَكَّن حينئذٍ مِمّا أراد مِن بيعةِ الوليدِ، وسليمانَ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

ذكرُ بيعةِ عبدِ الملكِ لولدِه الوليدِ، ثم مِن بعدِه لأخيه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ

وكان ذلك فى هذه السَّنةِ بعدَ موتِ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ، بُويعَ له بدمشقَ، ثم فى سائرِ الأقاليمِ[2]، ثم لسليمانَ مِن بعدِه، ثم لمَّا انتهتِ البيعةُ إلى المدينةِ، امتنَع[3] سعيدُ بنُ المسيَّبِ أن يُبايعَ فى حياةِ عبدِ الملكِ لأحدٍ، فأمَر به هشامُ بنُ إسماعيلَ نائبُ المدينةِ، فضُرِب ستين سوطًا، وألبسَه ثيابًا مِن شَعْرٍ، وأركَبه جملًا وطاف به فى المدينةِ، ثم أمَر به فذهبوا به إلى ثَنيَّةِ ذبابٍ[4] - وهى الثَّنيَّةُ التى كانوا يُصْلَبون[5] عندَها ويُقْتَلون[6] - فلمَّا وصَلوا إليها ردُّوه[7] إلى المدينةِ، فأودَعوه السجنَ، فقال لهم: واللَّهِ لو أعلَمُ أنَّكم لا تقتُلوننى لم ألبَسْ هذا التُّبَّانَ[8].

---

(١) فى الأصل: «فلما أبى».

(٢) بعده فى الأصل: «للوليد».

(٣) بعده فى ا٣، ا٢، ص: «منها».

(٤) فى ا٣: «ذياب»، وفى ص: «ذيا». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٥، ٤١٦.

(٥) فى م: «يصلون».

(٦) فى م: «يقيلون».

(٧) بعده فى الأصل: «من عندها».

(٨) فى ا٣، م، ص: «الثياب». والتبان: سراويل صغيرة يستر العورة المغلظة. القاموس (ت ب ن).

ثم كتَب هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ إلى عبدِ الملكِ [١٠٥/٧ظ] يُعلِمُه بمخالفةِ سعيدٍ فى ذلك ، فكتَب إليه يُعنِّفُه فى ذلك ، ويأمُرُه بإخراجِه ، ويقولُ له : إنَّ سعيدًا كان أحقَّ منك بصلةِ الرَّحمِ مما فعَلتَ به ، وإنَّا لنعلَمُ أنَّ سعيدًا ليس عندَه شِقاقٌ ولا خلافٌ .

ويُروَى أنَّه قال له[(١)] : ما ينبَغى إلا أن يبايِعَ ، فإن لم يبايِعْ ضرَبْتَ عنقَه أو خلَّيْتَ سبيلَه .

وذكَر الواقدىُّ[(٢)] أنَّ سعيدًا ، رحِمه اللَّهُ ، لمَّا جاءت بيعةُ [(٣)]عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ[(٣)] ، [(٤)]إلى المدينةِ[(٤)] ، امتنَع مِن البيعةِ ، فضرَبه نائبُها فى ذلك الوقتِ - وهو جابرُ بنُ الأسودِ بنِ عوفٍ - ستين سوطًا أيضًا ، وسجَنه . فاللَّهُ أعلمُ .

قال أبو مِخنفٍ ، وأبو معشرٍ ، والواقدىُّ[(٥)] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ نائبُ المدينةِ ، [(٦)]وكان على[(٦)] العراقِ والمَشرقِ بكمالِه الحجّاجُ .

قال شيخُنا الحافظُ الذهبىُّ[(٧)] : وتوفِّى فى هذه السنةِ **أبانُ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ**[(٨)] ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٦، والكامل ٤/ ٥١٤.
(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٢، ١٢٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٤١٦، والكامل ٥/ ٥١٥.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « للوليد » .
(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٧، والكامل ٤/ ٥١٥.
(٦ - ٦) فى الأصل : « نيابة » .
(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٢.
(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ١٥١، ونسب قريش ١١٠، وأخبار القضاة ١/ ١٢٩، وطبقات الفقهاء ٤٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٠١.

أميرُ المدينةِ[1] ، كان مِن فقهاءِ المدينةِ العشرةِ . قاله يحيى القطَّانُ[2] ، وقال محمدُ ابنُ سعدٍ[3] : كان ثقةً ، وكان به صَمَمٌ ، ووَضَحٌ[4] كثيرٌ ، وأصابَه الفالِجُ قبلَ أن يموتَ .

وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ[5] .

وعمرُو بنُ حُريثٍ[6] .

وعمرُو بنُ سَلِمةَ[7] .

وواثلةُ بنُ الأَسْقَعِ[8] ، [9]قال الواقديُّ ويحيى بنُ معينٍ[10] : كان يسكُنُ الصُّفةَ فى زمنِ النبىِّ ﷺ . [11]قال الواقديُّ[12] : أسلَم واثلةُ والنبىُّ ﷺ[11] يتجهَّزُ إلى تبوكَ فى آخِرِ الأمرِ .

قال واثلةُ[13] : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كيف أنتم بعدى إذا شبِعتم مِن[9]

---

(١) فى الأصل : « المؤمنين » .
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٣.
(٣) الطبقات ٥/ ١٥٢، ١٥٣.
(٤) الوَضَحُ : البرص .
(٥) الاستيعاب ٣/ ٩٣٠، وأسد الغابة ٣/ ٢٨٧، والإصابة ٤/ ١٣٩.
(٦) الاستيعاب ٣/ ١١٧٢، وأسد الغابة ٤/ ٢١٣، والإصابة ٤/ ٦١٩.
(٧) الاستيعاب ٣/ ١١٧٩، وأسد الغابة ٤/ ٢٣٤، والإصابة ٤/ ٦٤٣.
(٨) بعده فى الأصل : « فقد كان واثلة بن الأسقع ممن نزل الصفة و » ، وترجمته فى : الاستيعاب ٤/ ١٥٦٣، وأسد الغابة ٥/ ٤٢٨، والإصابة ٦/ ٥٩١.
(٩ - ٩) زيادة من : ٣١، ص .
(١٠) حلية الأولياء ٢/ ٢١.
(١١ - ١١) سقط من : ص .
(١٢) حلية الأولياء ٢/ ٢١.
(١٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٣، وكنز العمال (٦٢٢٩) .

(١ خبزِ البُرِّ والزيتِ ، فأكَلتُم ألوانَ الطعامِ ، ولبِستُم أنواعَ الثيابِ ، فأنتم اليومَ خيرٌ أم ذلك اليومُ ؟ » . قال : قُلنا : ذلك اليومُ . قال : « بل أنتم اليومَ خيرٌ » . قال واثلةُ : فما ذهَبتْ عنَّا الأيامُ حتى أكَلْنا ألوانَ الطعامِ ، ولبِسْنا أنواعَ الثِّيابِ وركِبنا المراكبَ ١) .

شهِد واثلةُ تبوكَ ، ثم شهِد فتحَ دمشقَ ونزَلها ، ومسجدُه بها عندَ حبْسِ بابِ الصغيرِ مِن القبلةِ[٢] . (٣وهو آخِرُ مَن توفِّى بدمشقَ مِن الصحابةِ . قاله سعيدُ بنُ بشيرٍ[٤] . وقد قال البخاريُّ وغيرُه[٥] : إنَّه تُوفِّى سنةَ ثلاثٍ وثمانين . واللَّهُ أعلمُ٣) .

خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ صخرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ[٦] ، كان أعلمَ قريشٍ بفنونِ العلمِ ، وله يدٌ طُولَى فى الطبِّ ، وكلامٌ كثيرٌ فى الكيمياءِ ، وكان قد استفاد ذلك مِن راهبٍ اسمُه مَرْيانُسُ[٧] ، وكان خالدٌ فصيحًا بليغًا شاعرًا مُطبِقًا كأبيه . دخَل يومًا على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بحضرةِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ[٨] ، فشكا إليه أنَّ ابنَه الوليدَ يحتقِرُ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ ، فقال عبدُ الملكِ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] . فقال له خالدٌ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] . فقال عبدُ الملكِ : واللَّهِ لقد

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ص .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : زيادة من الناسخ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢١٨.

(٥) المصدر السابق .

(٦) أسد الغابة ٢/ ١١٣، ونسب قريش ١٢٩، وتاريخ دمشق ١٦/ ٣٠١، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٧٠.

(٧) فى م : « مريانش » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤.

(٨) وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦.

دخَل عليَّ أخوكَ عبدُ اللَّهِ ، فإذا هو لا يقيمُ اللَّحنَ . فقال خالدٌ : والوليدُ لا يقيمُ اللحنَ . فقال عبدُ الملكِ : إنَّ أخاه سليمانَ لا يَلْحَنُ . فقال خالدٌ : وأنا أخو عبدِ اللَّهِ لا ألحَنُ . فقال الوليدُ - وكان حاضرًا - لخالدِ بنِ يزيدَ : اسكُتْ ، فواللَّهِ [١٠٦/٧و] ما تُعدُّ فى العِيرِ ولا فى النفِيرِ . فقال خالدٌ : اسمَعْ يا أميرَ المؤمنين . ثم أقبلَ خالدٌ على الوليدِ فقال : ويحكَ ! وما هو العيرُ والنفيرُ غيرُ جدِّى أبى سفيانَ صاحبِ العيرِ ، وجدِّى عتبةَ بنِ ربيعةَ صاحبِ النفيرِ ، ولكن لو قلتَ : غُنَيماتٌ وحُبَيلاتٌ والطائفُ ، ورحِم اللَّهُ عثمانَ . لقلنا[1] : صدَقتَ - يعنى : أن الحكَمَ كان منفيًّا بالطائفِ يرعَى غنمًا ، ويأوِى إلى حَبَلَةِ الكَرْمِ ، حتى آواه عثمانُ بنُ عفانَ حينَ وُلِّى - فسكَت الوليدُ وأبوه ، ولم يُحِيرَا جوابًا . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « لقلتما » .

ثم دخلَتْ سنةُ ستٍّ وثمانين

ففيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ نائبُ الحجاجِ على مروَ وخراسانَ ، بلادًا كثيرةً مِن أرضِ التركِ وغيرِهم مِن الكفارِ ، وسبَى وغنِم وسلِم ، وتسلَّم قِلاعًا وحصُونًا وممالكَ ، ثم قفَل فسبَق الجيشَ ، فكتَب إليه الحجاجُ يلومُه على ذلك ، ويقولُ له[1] : إذا كنتَ قاصدًا بلادَ العدوِّ فكُنْ فى مقدِّمَةِ الجيشِ ، وإذا قفَلتَ راجعًا[2] ، فكُنْ فى ساقةِ الجيشِ . يعنى لتكونَ رِدْءًا لهم مِن أنْ ينالَهم أحدٌ مِن العدوِّ وغيرِهم بكيدٍ ، وهذا رأىٌ حسنٌ ، وعليه جاءتِ السُّنةُ[3] .

وكان فى جملةِ السَّبيِ امرأةُ بَرْمكَ - والدُ خالدِ بنِ بَرْمكَ - فأعطَاها قُتَيبَةُ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ مسلمٍ ، فوطِئها فحمَلَتْ منه . ثم إن قتيبةَ مَنَّ على السَّبيِ ورُدَّتْ تلك المرأةُ على زوجِها بَرْمكَ وهى حُبْلَى مِن عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، وكان ولدُها عندَهم حتى أسلَموا ، فقدِموا به معهم أيامَ بنى العباسِ كما سيأتى .

ولمَّا رجَع قتيبةُ إلى خُراسانَ ، تلقَّاه دَهاقينُ بُلْغَارَ[4] وصاغانَ[5] بهدايا عظيمةٍ ، ومِفتاحٍ مِن ذهبِ بُلْغارَ .

وفيها كان طاعونٌ بالشَّامِ والبصرةِ وواسطٍ ، ويُسمَّى طاعونَ الفتياتِ ؛ لأنَّه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٥.

(٢) بعده فى الأصل : « إلى بلادك » .

(٣) البخارى (٢٩٥٦) ، وأبو داود (٢٦٣٩) .

(٤) بلغار أو بلغر : هى مدينة الصقالبة ، ضاربة فى الشمال ، شديدة البرد . معجم البلدان ١/ ٧٣٢.

(٥) سقط من : م . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٩٢.

أوَّلُ ما بدَأ بالنساءِ فسُمِّى بذلك .

وفيها غزا مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ بلادَ الرومِ ، فقتَل وسبَى وغنِم [1]وسلِم ، وافتَتَح حصنَ بولَقَ ، وحصنَ الأخرمِ مِن أرضِ الرومِ .

وفيها عقَد عبدُ الملكِ لابنِه عبدِ اللَّهِ على مصرَ ، وذلك بعدَ موتِ أخيه عبدِ العزيزِ ، فدخَلها فى جُمادى الآخِرةِ ، وعمرُه يومَئذٍ سبعٌ وعشرون سنةً .

وفيها هلَك[2] ملكُ الرومِ الأخرمُ بورى[3] ، لا رحِمه اللَّهُ[1] .

وفيها حبَس الحجاجُ يزيدَ بنَ المهلبِ .

وحجَّ بالناسِ فيها هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومىُّ .

وفى هذه السنةِ توفِّى أبو أُمامةَ [4]صُدَىُّ بنُ عَجْلانَ[4] الباهلىُّ ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ أبى أوْفَى[5] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدىُّ[6] فى قولٍ ، [7]شهِد فتحَ مصرَ وسكَنها ، وهو آخرُ مَن مات مِن الصحابةِ بمصرَ ، وله أحاديثُ[7] .

وفيها ، فى [8]النصفِ من[8] شوالِها ، توفِّى أميرُ المؤمنين :

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى م : « لورى » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٢/ ٧٣٦، وأسد الغابة ٣/ ١٦، والإصابة ٣/ ٤٢٠.

(٥) الاستيعاب ٣/ ٨٧٠، وأسد الغابة ٣/ ١٨٢، والإصابة ٤/ ١٨.

(٦) الاستيعاب ٣/ ٨٨٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٠٣، والإصابة ٤/ ٤٦.

(٧ - ٧) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص . وبعده فى م ، ص زيادة من زيادات ناسخ المخطوط ص .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

عبدُ الملكِ بنُ مروانَ والدُ الخلفاءِ الأمويين[1]

وهو عبدُ الملكِ بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ، أبو الوليدِ الأمويُّ أميرُ المؤمنين، وأمُّه عائشةُ بنتُ معاويةَ بنِ المغيرةِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ.

سمِع عثمانَ بنَ عفانَ، وشهِد الدارَ مع أبيه وله عشرُ سنينَ، وهو أولُ مَن سار[2] بالناسِ فى بلادِ الرومِ سنةَ ثنتين وأربعين، وكان أميرًا على أهلِ المدينةِ، وله ستَّ عشْرةَ سنةً، ولَّاه إيَّاها معاويةُ، وكان [١٠٦/٧ظ] يجالِسُ الفقهاءَ، والعلماءَ، والعبّادَ، والصُّلحاءَ.

وروَى الحديثَ عن أبيه، وجابرٍ، وأبى سعيدٍ الخدرىِّ، وأبى هريرةَ، وابنِ عمرَ، ومعاويةَ، وأمِّ سلمةَ، وبَرِيرةَ مولاةِ عائشةَ.

وروَى عنه جماعةٌ؛ منهم خالدُ بنُ مَعْدانَ، وعروةُ، والزهرىُّ، وعمرُو بنُ الحارثِ، ورجاءُ بنُ حَيوةَ، وجريرُ بنُ عثمانَ.

ذُكِر[3] عن محمدِ بنِ سيرينَ أن أباه كان قد سمَّاه القاسمَ، فكان يُكْنَى [4]بأبى القاسمِ[4]، [5]فلمَّا بلغَه النهىُ عن التكنِّى بأبى القاسمِ[5]، غيَّر اسمَه فسمَّاه عبدَ الملكِ.

---

(١) طبقات خليفة ٢/ ٦٠٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٨، وتاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣٥، وفوات الوفيات ٢/ ٣١.

(٢) فى الأصل: «سبا».

(٣) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢٤٢.

(٤ - ٤) فى الأصل: «به».

(٥ - ٥) سقط من: ا٣١، ا٢١، م.

قال ابنُ أبى خيثمةَ[1] ، عن مصعبِ بنِ الزبيرِ : وكان أولَ مَن سُمِّى فى الإسلامِ بعبدِ الملكِ .

قال ابنُ أبى خيثمةَ[2] : وأولُ مَن سُمِّى فى الإسلامِ بأحمدَ ، والدُ الخليلِ بنِ أحمدَ العروضىِّ .

وبُويعَ له بالخلافةِ فى سنةِ خمسٍ وستين فى حياةِ أبيه[3] ، [4]فى خلافةِ ابنِ الزبيرِ ، وبقِى على الشامِ ومصرَ مدَّةَ سبعِ سنينَ ، وابنُ الزبيرِ على باقى البلادِ ، ثم استقلَّ بالخلافةِ على سائرِ البلادِ والأقاليمِ بعدَ مقتلِ ابنِ الزبيرِ ، وذلك فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين إلى هذه السنةِ ، كما ذكَرنا ذلك[4] .

وكان مولدُه ومولدُ يزيدَ بنِ معاويةَ فى سنةِ ستٍّ وعشرين ، وقد كان عبدُ الملكِ قبلَ الخلافةِ مِن العُبَّادِ الزُّهادِ الفقهاءِ ، الملازِمين للمسجدِ ، التّالِين للقرآنِ ، وكان رَبْعَةً مِن الرجالِ أقربَ إلى القِصَرِ .

وكانت أسنانُه مشبَّكةً بالذَّهبِ ، وكان أفْوَهَ مفتوحَ الفمِ ، فربَّما غفَل فينفتِحُ فمُه فيدخُلُ فيه الذُّبابُ ؛ ولهذا كان يقالُ له : أبو الذِّبَّانِ[5] . وكان أبيضَ رَبْعَةً ليس بالنحيفِ ولا البادنِ ، مقرونَ الحاجبَين ، أشهلَ[6] ، كبيرَ العينَين ، دقيقَ الأنفِ ، مُشْرقَ الوجهِ ، أبيضَ الرأسِ واللحيةِ ، حسَنَ[7] الوجهِ ، لم يَخْضِب ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٠، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٢.

(٣) فى الأصل : « ابنه » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « واستقل بها من بعده إلى هذه السنة » .

(٥) فى م : « الذباب » . وأبو الذبان : هو الأبخر ، لقب غلب على عبد الملك لفساد كان فى فمه . تاج العروس (ذ ب ب) .

(٦) أى : يشوب سواد عينه زرقة .

(٧) بعده فى الأصل : « الجسم » .

ويقالُ : إنه خضَب[1] بعدَ ذلك .

وقد قال نافعٌ[2] : لقد رأيتُ المدينةَ وما فيها شابٌّ أشدُّ تشميرًا ، ولا أفقهُ ولا أقرأُ لكتابِ اللَّهِ مِن عبدِ الملكِ بنِ مروانَ .

وقال الأعمشُ[3] ، عن أبى الزنادِ : كان فقهاءُ المدينةِ أربعةً ؛ سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وعروةُ ، وقَبيصةُ بنُ ذؤيبٍ ، وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ قبلَ أنْ يدخُلَ فى الإمارةِ .

وعن ابنِ عمرَ أنه قال[4] : وَلَد الناسُ أبناءً ووَلَد مروانُ أبًا - يعنى عبدَ الملكِ - ورآه يومًا ، وقد ذُكِر اختلافُ الناسِ ، فقال[4] : لو كان هذا الغلامُ اجتمعَ الناسُ عليه .

وقال[5] عبدُ الملكِ[6] : كنتُ أجالِسُ [7]بَريرَةَ بالمدينةِ قبلَ أن أَلِيَ هذا الأمرَ ، فكانت تقولُ[7] : يا عبدَ الملكِ ، إنَّ فيك خصالًا ، وإنك لجديرٌ أن تلِيَ أمرَ هذه الأمةِ ، فاحذَرِ الدماءَ ؛ فإنِّى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ الرجلَ ليُدفَعُ عن بابِ الجنةِ[8] أن ينظُرَ إليها ، على[9] مِحْجَمَةٍ مِن دمٍ يُريقُه مِن مسلمٍ بغيرِ حقٍّ »[10] .

---

(١) فى ص : « خطب » . وانظر تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٣٤، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٧، بنحوه .

(٣) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٦٣، تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٩.

(٥) فى الأصل : « روى عن » .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ٢٠٥ (٥٢٦) عن على بن عبد العزيز، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤١ بسنده من طريقين عن على بن عبد العزيز أيضًا، كلاهما - الطبرانى وابن عساكر - بطرقهما عن عبد الملك بن مروان عن بريرة ، به .

(٧ - ٧) فى النسخ : « بريدة بن الحصيب ، فقال لى يومًا » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٠٨ ، ٣٥/ ١٣٦ .

(٨) بعده فى ا٣١، ا٢١، م، ص : « بعد » .

(٩) فى ا٣١ ، ا٢١ ، وتاريخ دمشق : « بملء » . وفى ص : « يملىء » .

(١٠) بعده فى م، ص : « وقد كان عبد الملك يجالس أم الدرداء، فقالت له يوما : يا عبد الملك، إنى لأتوسم فيك خصال الخلافة، وأشم منك رائحة الإمارة، فإذا وليت فاحذر الدماء، فإنى سمعت =

وقد [١٠٧/٧و] أثنَى عليه [١]قبلَ الولايةِ[١] معاويةُ ، وعمرُو بنُ العاصِ ، فى قصَّةٍ طويلةٍ .

وقال سعيدُ بنُ داودَ الزَّنْبَرِىُّ[٢] ، عن مالكٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ[٣] ، قال : أولُ مَن صلَّى ما بينَ الظُّهرِ والعصرِ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ وفِتيانٌ معه . فقال سعيدُ ابنُ المسيَّبِ : ليستِ العبادةُ بكثرةِ الصلاةِ والصومِ ، إنما العبادةُ التفكُّرُ فى أمرِ اللَّهِ ، والورَعُ عن محارمِ اللَّهِ .

وقال الشعبىُّ[٤] : ما جالَستُ أحدًا إلَّا وجَدتُ لِىَ الفضْلَ عليه إلَّا عبدَ الملكِ ابنَ مروانَ ؛ فإنِّى ما ذاكَرتُه حديثًا إلَّا زادَنى فيه[٥] ، ولا شعرًا إلّا زادَنى فيه .

وذكَر خليفةُ بنُ خياطٍ[٦] ، أنَّ معاويةَ كتَب إلى[٧] مروانَ ، وهو نائبُه على المدينةِ سنةَ خمسين : أنِ ابعثِ ابنَك عبدَ الملكِ على بعْثِ المدينةِ إلى بلادِ المغربِ مع معاويةَ بنِ خَدِيجٍ . فذكَر مِن كفايتِه ، وغَنائِه ، ومُجاهدتِه فى تلك البلادِ شيئًا كثيرًا . ولم يَزلْ عبدُ الملكِ مُقيمًا بالمدينةِ حتى كانت وقعةُ الحرَّةِ ، واستَولَى ابنُ

= أبا الدرداء يقول : إن الرجل ليحبس عن دخول الجنة بعد أن يراها بمحجمة دم أراقها بغير حق . وقد رأى عبد الملك رؤيا قبل أن يلى الخلافة ، فقصها على سعيد بن المسيب فعبرها له بأنه يلى الخلافة . قلت : والذى حذرته منه بريرة وقع فيه ، وسفك دماء كثيرة ولاسيما نائبه على الفرات الحجاج ، فقد جرى على يديه من سفك الدماء المحرمة ما لا يحصى ، والله سبحانه أعلم » .

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « الزبيرى » . وانظر تهذيب الكمال ٤١٧/١٠ ، وتاريخ دمشق ٢٥٢/٤٣ .

(٣) بعده فى م : « بن داود الزبيرى » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٥٢/٤٣، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٣/١٥.

(٥) فى م : « منه » .

(٦) تاريخ خليفة ٢٤٧/١.

(٧) بعده فى الأصل : « ابنه » .

الزبيرِ على بلادِ الحجازِ ، وأجلَى بنى أميةَ مِن هنالك ، فقدِم مع أبيه إلى[1] الشامِ ، ثم لمَّا صارتِ الإمارةُ إلى[2] أبيه ، وبايعَه أهلُ الشامِ ، [3]كما تقدَّم ، أقام فى الإمارةِ[3] تسعةَ أشهرٍ[4] ، ثم عهِد إليه بالإمارةِ مِن بعدِه ، فاستقَلَّ عبدُ الملكِ بالخلافةِ فى مستهلِّ رمضانَ أو ربيعِ الأولِ مِن سنةِ خمسٍ وستين ، واجتمَع الناسُ عليه بعدَ مقتلِ ابنِ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ فى جُمادى الأُولى إلى هذه السنةِ .

وقال ثعلبٌ عن ابنِ الأعرابىِّ[5] : لمَّا سُلِّم على عبدِ الملكِ بالخلافةِ ، كان فى حِجْرِه مصحفٌ ، فأطبَقه ، وقال : هذا فِراقُ بينى وبينِك .

وقال أبو الطُّفيلِ[6] : صُنِع لعبدِ الملكِ مجلسٌ تُوُسِّعَ[7] فيه ، وقد كان بُنِى له فيه قبةٌ قبلَ ذلك ، فدخَله وقال : لقد كان ابنُ حَنْتمةَ[8] الأحْوزىُّ - يعنى عمرَ بنَ الخطابِ - يرَى أنَّ هذا عليه حرامٌ .

[9]وقيل[10] : إنَّه لمَّا وضَع المصحفَ مِن حجرِه قال : هذا آخِرُ العهدِ منك . وكان عبدُ الملكِ له إقدامٌ على سفكِ الدماءِ ، [11]وكان عمالُه على مذهبِه ؛ منهم الحجَّاجُ ، والمهلبُ ، وغيرُهم[11] ، وكان حازمًا فَهِمًا فطِنًا سائسًا لأمورِ الدُّنيا ،[9]

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ٣١، ٢١، ص، م : « مع » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « وقتل الضحاك بن قيس كان مع أبيه مدة ولايته وكانت » .

(٤) بعده فى الأصل : « ولم يمت أبوه حتى عهد بالأمر له من بعده ثم لعبد العزيز » .

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٠، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٦ .

(٦) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٨، مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٤.

(٧) فى تاريخ دمشق « بويع » .

(٨) فى النسخ : « حثمة » ، والمثبت من مصادر التخريج السابقة ، وانظر الإكمال ٣/ ٢١١.

(٩ - ٩) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص .

(١٠) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٦، مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٤.

(١١ - ١١) سقط من : م .

(١) لا يكِلُ أمْرَ دنيَاه إلى غيرِه ، وأمُّه عائشةُ بنتُ معاويةَ بنِ المغيرةِ بنِ أبى العاصِ ، وأبوها معاويةُ هو الذى جدَع أنفَ حمزةَ عمِّ النبىِّ ﷺ يومَ أحدٍ (١) .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ (٢) : لمَّا خرَج عبدُ الملكِ إلى العراقِ لقتالِ مصعبِ ابنِ الزبيرِ ، خرَج معه يزيدُ بنُ الأسودِ الجُرَشِىُّ ، فلمَّا التقَوا قال : اللهمَّ احجِزْ بينَ هذين الجبلين ، وولِّ الأمرَ أحَبَّهما إليك . فظفِر عبدُ الملكِ ، وقد ذكَرنا كيفيةَ قتْلِه مصعبًا ، ودخولِه الكوفةَ ، ووَضْعِه رأسَ مصعبٍ بينَ يدَيه ، وقد كان مِن أعزِّ الناسِ عليه ، وأحبِّهم إليه .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ (٣) : لمَّا بويعَ لعبدِ الملكِ بالخلافةِ ، كتَب إليه عبدُ اللَّهِ ابنُ عمَر بنِ الخطابِ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ إلى (٤)عبدِ اللَّهِ (٤) عبدِ الملكِ [١٠٧/٧ظ] أميرِ المؤمنين ، سلامٌ عليك ، فإنِّى أحمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أمَّا بعدُ ، فإنَّك راعٍ ، وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيَّتِه ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء ٨٧] . لا أحدَ ، والسلامُ .

وبعَث به مع سالمٍ (٥) ، فوجَدوا عليه (٦) ؛ إذ قدَّم اسمَه على اسمِ أميرِ المؤمنين ، ثم نظَروا فى كتُبِه إلى معاويةَ فوجَدوها كذلك ، فاحتَملوا ذلك منه .

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) تاريخ دمشق ٢٥٨/٤٣ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٠، مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٥.

(٤ - ٤) سقط من : م.

(٥) فى ٣١، ٢١، م، ص : « سلام » .

(٦) أى : غضبوا عليه .

وقال الواقدىُّ[1] : حدَّثنى [2]ابنُ أبى سَبْرةَ[2] ، عن أبى موسى الحنّاطِ[3] ، عن ابنِ[4] كعبٍ قال : سمِعتُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ يقولُ : يا أهلَ المدينةِ ، إنَّ أحقَّ الناسِ أن يلزَمَ الأمرَ الأوَّلَ لأنتم ، وقد سالَتْ علينا أحاديثُ مِن قِبلِ هذا المشرقِ ولا نعرفُها ولا نعرِفُ منها إلّا قراءةَ القرآنِ ، فالزَموا ما فى مصحفِكم الذى جمَعكم[5] عليه الإمامُ المظلومُ ، وعليكم بالفرائضِ التى جمَعكم عليها إمامُكم المظلومُ ، رحِمه اللَّهُ ، فإنَّه قد استَشار فى ذلك زيدَ بنَ ثابتٍ ، ونعم المشيرُ كان للإسلامِ ، رحِمه اللَّهُ ، فأَحْكَما ما أَحْكَما ، وأسْقَطا[6] ما شذَّ عنهما .

وقال ابنُ جُريجٍ[7] ، عن أبيه : حجَّ علينا عبدُ الملكِ بنُ مروانَ سنةَ خمسٍ وسبعين بعدَ مقتلِ ابنِ الزبيرِ بعامين ، فخطَبَنا فقال : أما بعدُ ، فإنّه كان مَن قَبْلى مِن الخلفاءِ يأكُلون مِن المالِ ، ويُؤكِلون ، وإنِّى واللَّهِ لا أُداوى أدواءَ هذه الأمةِ إلا بالسَّيفِ ، ولستُ بالخليفةِ المستضعَفِ - يعنى عثمانَ - ولا الخليفةِ المداهنِ - يعنى معاويةَ - ولا الخليفةِ المأبونِ[8] - يعنى يزيدَ بنَ معاويةَ - أيها الناسُ ، إنَّا نَحْتمِلُ لكم[9] كلَّ اللُّغُوبةِ[10] مالم يكُنْ عقدُ رايةٍ ، أو وثوبٌ على منبرٍ .

هذا عمرُو بنُ سعيدٍ حقُّه حقُّه ، وقرابتُه قرابتُه[11] ، قال برأسِه هكذا ، فقُلنا

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ٥/٢٣٣ من طريق الواقدى به .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م : «ابن أبى ميسرة» ، وفى ص : «أبو ميسرة» . وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٠.

(٣) فى النسخ : «الخياط» ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) فى النسخ : «أبى» ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تاريخ دمشق ٤٣/ ٣٦٢، ومختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٦.

(٥) فى ٣١، ٢١، م ، ص : «حملكم» .

(٦) فى م : «استقصيا» .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٣، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٦.

(٨) أبنه يأبنه : عابه ، وفى مصادر الخطبة : «المأفون» ، وهو الضعيف العقل .

(٩) فى م : «منكم» .

(١٠) فى النسخ : الغرمة ، والمثبت من مصدر التخريج . واللغوب : الأحمق . والاسم اللغابة واللغوبة . اللسان (ل غ ب) .

(١١) فى م : «وابنه» .

بسيفِنا هكذا ، وإنَّ الجامعةَ التى خلَعها مِن عنُقِه عندى ، وقد أعطَيتُ اللَّهَ عهدًا ألَّا أضَعَها فى رأسِ أحدٍ إلَّا أخرَجها الصَّعَداءَ ، فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ .

وقال الأصمعىُّ[1] : ثنا عبَّادُ بنُ سلمِ بنِ عثمانَ بنِ زيادٍ ، عن أبيه، عن جدِّه قال : ركِب عبدُ الملكِ بنُ مروانَ بَكْرًا ، فأنشَأ قائدُه يقولُ :

يا أيُّها البَكْرُ الذى أراكا
عليكَ سهلَ الأرضِ فى مَمْشاكا
ويحكَ ! هل تعلَمُ مَن عَلَاكا ؟
خليفةُ اللَّهِ الذى امْتَطاكا
لم يَحْبُ بَكْرًا مثلَ ما حَبَاكا

فلمَّا سمِعه عبدُ الملكِ قال : إيهًا يا هَنَاهُ ، قد أمَرتُ لك بعشرةِ آلافٍ .

وقال الأصمعىُّ[2] : خطَب عبدُ [٧/١٠٨و] الملكِ فحَصِر ، فقال : إن اللسانَ بَضْعةٌ مِن الإنسانِ ، وإنَّا لا نسكُتُ حَصَرًا ولا ننطِقُ هَذَرًا ، ونحن أمراءُ الكلامِ ، فينا رسَختْ عروقُه ، وعلينا تهدَّلتْ[3] أغصانُه ، وبعدَ مقامِنا هذا مقامٌ ، وبعدَ عِيِّنا هذا مقالٌ ، وبعدَ يومِنا هذا أيامٌ ، يُعرَفُ فيها فصْلُ الخِطابِ ، ومواقعُ[4] الصَّوابِ .

قال الأصمعىُّ[5] : قيل لعبدِ الملكِ : أسرَع إليك الشَّيبُ . فقال : وكيف لا وأنا أعرِضُ عقلى على الناسِ فى كلِّ جُمُعَةٍ مرَّةً أو مرَّتَيْنِ !

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٤، بسنده ، من طريق الأصمعى به .
(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٥، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٧.
(٣) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « تدلت » .
(٤) فى الأصل : « مواضع » ، وفى م : « موضع » .
(٥) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٦٦، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٨.

[1]وقال غيرُه : قيل لعبدِ الملكِ : أسرَع إليك الشَّيبُ[1] . فقال : [2]شيَّبنى كثرةُ[2] ارتقاءِ المنبرِ ومخافةُ اللَّحْنِ . ولحَن رجلٌ عندَ عبدِ الملكِ[3] ، فقال له آخَرُ : زِدْ ألِفٌ . فقال له عبدُ الملكِ : وأنت فزِدْ ألِفًا .

وقال الزهرىُّ[4] : سمِعتُ عبدَ الملكِ يقولُ فى خُطبتِه : إنَّ العلمَ سيُقبَضُ قبضًا سريعًا ، فمَن كان عندَه علمٌ ، فَليُظهِرْه غيرَ غالٍ فيه ولا جافٍ عنه .

وروَى ابنُ أبى الدُّنيا[5] ، أن عبدَ الملكِ كان يقولُ لمَن يُسايرُه فى سفرِه إذا رُفِعتْ له شجرةٌ : سبِّحوا بنا حتى نأتىَ تلك الشجرةَ[6] ،وكبِّروا بنا حتى نأتىَ تلك الحجرَ[7] ، ونحوَ ذلك .

وروَى البيهقىُّ[8] أن عبدَ الملكِ وقَع منه فَلْسٌ فى بئرٍ قذرةٍ ، فاكْترَى عليه بثلاثةَ عشرَ دينارًا حتى أخرَجه منها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنَّه كان عليه اسمُ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال غيرُ واحدٍ[9] : كان عبدُ الملكِ إذا جلَس للقضاءِ بينَ الناسِ ، يقومُ السَّيَّافون على رأسِه بالسيوفِ[10] فيُنشِدُ - وقال بعضُهم : يأمُرُ مَن ينشِدُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى م : « وتنسى » .

(٣) بعده فى م : « يعنى أسقط من كلامه ألفًا » . وانظر تاريخ دمشق ٢٦٦/٤٣ .

(٤) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٨.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/٤٣ .

(٦) بعده فى الأصل : « ثم ترفع أخرى فيقول » .

(٧) فى الأصل : « الشجرة » ، وفى م : « الحجرة » .

(٨) المصدر السابق .

(٩) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٢٨.

(١٠) فى م : « بالسيف » .

فيقولُ[1] - :

إنَّا إذا نالَتْ دواعِى الهوى ... وأنصَت السَّامعُ للقائلِ
واصْطرَع الناسُ بألبابِهم ... نَقْضى بحكمٍ عادلٍ فاصلِ
لا نجعَلُ الباطلَ حقًّا ولا ... نَلُطُّ[2] دونَ الحقِّ بالباطلِ
نخافُ أنْ تُسفَّهَ[3] أحلامُنا ... [4]فنَحْمُلَ الدهرَ مع الخاملِ[4]

وقال الأعمشُ[5] : أخبرَنى محمدُ بنُ الزبيرِ ، أن أنسَ بنَ مالكٍ كتَب إلى عبدِ الملكِ يَشْكو الحجاجَ ، ويقولُ فى كتابِه : لو أنَّ رجلًا [6]آوَى عيسى ليلةً واحدةً ، أو خدَمه فعرَفَته النَّصارى لنزَل عندَهم[6] ، ولعرَفوا له ذلك ، ولو أنَّ رجلًا خدَم موسى ، أو رآه فعرَفَتْه[7] اليهودُ ، [8]فذكَر نحوَه[8] ، وإنِّى خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه[9] ، وإنَّ الحجاجَ قد أضرَّ بى ، وفعَل وفعَل . قال : فأخبَرنى مَن شهِد عبدَ الملكِ يقرَأُ الكتابَ وهو يبكى ، وبلَغ به الغضبُ ما شاء اللَّهُ ، ثم كتَب إلى الحجاجِ بكتابٍ غليظٍ ، فجاء إلى الحجاجِ ، فقرَأه فتغيَّر وجهُه[10] ، ثم قال إلى

---

(١) سقط من : الأصل ، ٣١، ٢١.

(٢) فى ٣١: « نليط » ، وفى ص : « نطل » ، وفى م : « نلفظ » ، ونلط : أى نمنع وندفع الحق .

(٣) فى م : « نسفِّه » .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « فنجهل الحق مع الجاهل » . وانظر المصادر السابقة .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٧٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٣ .

(٦ - ٦) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصارى أو تعرف مكانه ، لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة » .

(٧) فى الأصل : « لعرفته » ، وفى ٣١، ٢١، م : « تعرفه » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢٦٨/٤٣ مخطوط .

(٨ - ٨) فى ٣١، ٢١، ص ، م : « لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا » .

(٩) فى الأصل : « صاحبيه » ، وبعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « ورأيته وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه » .

(١٠) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

حاملِ الكتابِ : انطلِقْ بنا إليه نترضَّاه .

وقال أبو بكرِ بنُ دُريدٍ[1] : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاج فى أيامِ ابنِ الأشعثِ : إنك [١٠٨/٧ظ] أعزُّ ما تكونُ باللَّهِ أحوجَ ما تكونُ إليه[2] ، وإذا عَزَزتَ باللَّهِ فاعْفُ له ، فإنَّك به تَعِزُّ وإليه ترجِعُ .

قال بعضُهم[3] : سأل رجلٌ مِن عبدِ الملكِ أن يخلُوَ به ، فأمَر مَن عندَه بالانصرافِ ، فلمَّا تهيَّأ[4] الرجلُ ليتكلَّمَ قال له عبدُ الملكِ[5] : إيّاك أنْ تمدَحنى ؛ فإنِّى أعلَمُ بنَفسى منك ، أو تَكْذِبَنى ؛ فإنَّه لا رأْى لِكذوبٍ[6] ، أو تَسْعى إلىَّ بأحدٍ[7] ، وإن شئْتَ أقلْتُك . فقال الرجلُ : أقِلْنى . فأقالَه .

وكذا كان يقولُ[8] للرسولِ إذا قدِم عليه مِن الآفاقِ : أعْفِنى مِن أربعٍ ، وقُلْ ما شئْتَ ؛ لا تُطْرِنى ، ولا تُجِبْنى فيما لم أسألْكَ عنه ، ولا تَكْذِبنى ، ولا تحمِلنى على الرعيةِ ؛ فإنَّهم إلى رَأْفتى ومَعْدَلتى أحوجُ .

وقال الأصمعىُّ[8] ، عن أبيه قال : أُتِىَ عبدُ الملكِ برجلٍ كان مع بعضِ مَن خرَج عليه ، فقال : اضْرِبوا عنقَه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما كان هذا جَزائى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٩/٤٣ .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم» .

(٣) المصدر السابق ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢٨/١٥.

(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: «خلا به وأراد» .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص: «احذر فى كلامك ثلاثا» .

(٦) فى الأصل: «لمكذوب» ، وفى ٣١: «للكذوب» . وانظر مصادر التخريج السابقة .

(٧) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «من الرعية فإنهم إلى عدلى وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظلمى» .

(٨) المصدر السابق .

منك ! فقال : وما جَزاؤك ؟ فقال : واللَّهِ ما خرَجْتُ مع فلانٍ إلَّا بالنَّظرِ[1] لك ، وذلك أنِّى رجلٌ مشئومٌ ، ما كنتُ مع رجلٍ قطُّ إلَّا غُلِب وهُزِم ، وقد بانَ لك صحةُ ما ادَّعيْتُ ، وكنتُ عليك خيرًا لك[2] مِن مائةِ ألفٍ معك[3] . فضحِك وخلَّى سبيلَه .

وقيل لعبدِ الملكِ[4] : أىُّ الرجالِ أفضلُ ؟ قال : مَن تواضَع عن رِفعةٍ ، وزهِد عن قُدْرةٍ ، وترَك النُّصرةَ عن قوةٍ .

وقال[4] أيضًا : لا طُمأنينةَ قبلَ الخبرةِ ، [5]فإنَّ الطُّمأنينةَ قبلَ الخبرةِ[5] ضدُّ الحزمِ .

وقال[4] : خيرُ المالِ ما أفاد حمدًا ودفع ذمًّا ، ولا يقولَنَّ أحدُكم : ابدَأْ بمَن تعولُ . فإنَّ الخلْقَ كلَّهم عيالُ اللَّهِ . وينبغى أن يُحمَلَ هذا على غيرِ ما ثبَت به الحديثُ[6] .

وقال المدائنىُّ[7] : قال عبدُ الملكِ لمؤدِّبِ أولادِه - وهو إسماعيلُ بنُ عبيدِ اللَّهِ ابنِ أبى المهاجرِ -: علِّمْهم الصِّدقَ كما تُعلِّمُهم القرآنَ ، وجنِّبْهم السَّفِلَةَ ؛ فإنَّهم

---

(١) فى ا٣: « بالنظير » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ا٣، ا٢، ص ، م : « تنصحك ، لقد كنت مع فلان ، فكسر وهزم وتفرق جمعه وكنت مع فلان فقتل وكنت مع فلان فهزم حتى عد جماعة من الأمراء » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٦٩/٤٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) يقصد المصنف حديث : « الخلق كلهم عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله » . وهو ضعيف باتفاق الأئمة . كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/ ٣٨٠.

(٧) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٤، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٣٠.

أسْوأُ الناسِ رِعَةً[1] ، وأقلُّهم أدبًا ، وجنِّبْهم الحشَمَ ؛ فإنَّهم لهم مفسدَةٌ ، وأحْفِ شعورَهم ، تَغلُظْ رقابُهم ، وأطعِمْهم اللحمَ يقْوَوا ، وعلِّمْهم الشعرَ يمجُدُوا وينجُدُوا ، ومُرْهم أن يَسْتاكوا عَرْضًا ، ويمصُّوا الماءَ مصًّا ، ولا [2]يعُبُّوا عبًّا[2] ، وإذا احتجْتَ أن تتناولَهم[3] بأدبٍ ، فلْيكُنْ ذلك فى سِرٍّ لا يعلَمُ بهم أحدٌ مِن الغاشيةِ ، فيَهونوا عليهم .

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[4] : أذِن عبدُ الملكِ للناسِ [5]فى الدخولِ عليه[5] إذنًا خاصًّا ، فدخَل شيخٌ رثُّ الهيئةِ لم يَأْبَه له الحرسُ ، فألقَى بينَ يدَى عبدِ الملكِ صحيفةً ، وخرَج فلم يَدْرِ أين ذهَب ، وإذا فيها :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، يا أيُّها الإنسانُ إنَّ اللَّهَ قد جعَلكَ بينَه وبينَ عبادِه ؛ فاحْكُمْ بينَهم بالحقِّ ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ [٦/١٠٩و] فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] . ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤- ٦] . ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود : ١٠٣، ١٠٤] . إنَّ[6] الذى أنتَ فيه لو بقِى لغيرِك ما وصَل إليك ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ [النمل : ٥٢] .

---

(١) فى ٣١، ٢١، ص، م : « رغبة فى الخبر » . والرعة : قلة الورع .

(٢ - ٢) فى الأصل، ٣١، ص : « يغبوا غبا » .

(٣) بعده فى م : « فتناولهم » .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧٤/٤٣ .

(٥ - ٥) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٦) بعده فى م : « اليوم » .

وإنِّى أحذِّرُك يومَ يُنادى المُنـادى ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]. ﴿ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال: فتغيَّر وجهُ عبدِ الملكِ، فدخَل دارَ حرمِه، ولم تزَلِ الكآبةُ فى وجْهِه بعدَ ذلك أيامًا.

وكتَب زِرُّ بنُ حُبيشٍ إلى عبدِ الملكِ كتابًا[1] وفى آخرِه: ولا يُطمِعُك[2] يا أميرَ المؤمنين فى طولِ البقاءِ ما يظهَرُ لك مِن صحَّتِك، فأنتَ أعلمُ بنفسِك، واذكُرْ ما تكلَّمَ به الأولون:

إذا الرجالُ ولَدتْ أولادَها ... وبَلِيَتْ مِن كِبَرٍ أجسادُها
وجعَلتْ أسقامُها تعتادُها ... تلك زُرُوعٌ قد دَنا حَصادُها

فلمَّا قرَأه عبدُ الملكِ بكَى حتى بلَّ طرفَ ثوبِه، ثم قال: صدقَ زِرٌّ، ولو كتَب إلينا بغيرِ هذا كان أرفقَ.

وسمِع عبدُ الملكِ جماعةً مِن أصحابِه يذكُرون سيرةَ عمرَ بنِ الخطابِ فقال[3]: إيهًا[4] عن ذكْرِ عمرَ؛ فإنَّه [5]إزراءٌ على الولاةِ[5]، مفسدةٌ للرعيَّةِ.

وقال إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ يحيى الغَسَّانىُّ[7]، عن أبيه، عن جدِّه قال: كان

---

(١) تقدم ص ٢٩٥.

(٢) فى الأصل: «يطغيك»، وفى ٢١: «يطعمك».

(٣) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٧، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٣١.

(٤) فى الأصل: غير منقوطة، وفى ٣١، ٢١، ص: «إنها»، وفى م: «أنهى». والمثبت من مصادر التخريج السابقة.

(٥ - ٥) فى النسخ: «مرارة للأمراء». والمثبت من مصادر التخريج السابقة.

(٦) فى م: «القبانى»، والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٧، من طريق إبراهيم بن هشام به.

عبدُ الملكِ يجلِسُ فى حَلْقةِ أمِّ الدَّرداءِ فى مُؤخَّرِ المسجدِ بدمشقَ ، فقالت له : بلَغنى أنَّك شَرِبتَ الطِّلاءَ بعدَ العبادةِ والنُّسُكِ . فقال : إى واللَّهِ ، والدِّماءَ[1] قد شَرِبتُها . ثم جاءَه غلامٌ كان قد بعَثه فى حاجةٍ ، فقال : ما حبَسك ، لعَنك اللَّهُ ؟ فقالتْ أمُّ الدَّرداءِ : لا تفعَلْ يا أميرَ المؤمنين ؛ فإنِّى سمِعتُ أبا الدَّرداءِ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا يدخُلُ الجنةَ لعَّانٌ » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[2] : ثنا الحسينُ بنُ عبدِ الرحمنِ قال : قيل لسعيدِ ابنِ المسيَّبِ : إنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ قال : قد صِرْتُ لا أفرَحُ بالحسنةِ أعمَلُها ، ولا أحزَنُ على السَّيئةِ أَرتكِبُها . فقال سعيدٌ : الآنَ تكامَل موتُ قلبِه .

وقال الأصمعىُّ عن أبيه[3] قال : خطَب عبدُ الملكِ يومًا خُطبةً بليغةً ، ثم قطَعها وبكَى بكاءً شديدًا ، ثم قال : يا ربِّ إنَّ ذُنوبى عظيمةٌ ، وإنَّ قليلَ عفوِك أعظمُ منها ، اللهَّم فامْحُ بقليلِ عفوِك عظيمَ ذُنوبى . قال : فبلَغ ذلك الحسنَ فبكَى ، وقال : لو كان كلامٌ يُكتَبُ بالذَّهبِ لكُتِب هذا الكلامُ . وقد رُوِى عن غيرِ واحدٍ[4] نحوُ [٧/١٠٩ظ] ذلك[5] .

وقال أبو[6] مُسْهِرٍ[7] الدِّمشقىُّ[8] : وُضِع سِماطُ عبدِ الملكِ يومًا بينَ يديه

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « أيضا » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٨.

(٣) بعده فى م : « عن جده » . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٣/٢٧٩ من طريق الأصمعى به .

(٤) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٨٠.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « أى أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل مقالة الحسن » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ص : « مشهر » .

(٨) تاريخ دمشق ٤٣/٢٨٠ مختصرًا .

فقال لحاجبِه : ائذَنْ لخالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ . فقال : ماتَ يا أميرَ المؤمنينَ . قال : (١ فأميةَ بنِ ١) عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسِيدٍ . قال : ماتَ . قال : فلِخالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ . قال : مات . قال : فلفلانٍ وفلانٍ ، لأقوامٍ[٢] قد ماتوا - وهو يعلمُ ذلك - فبكى[٣] ، وأمَر برفعِ السِّماطِ ، وأنشَأ يقولُ :

ذَهَبتْ لِدَاتى[٤] وانقَضَتْ أيّامُهم وغَبَرْتُ بعدَهُمُ ولستُ بخالدِ

(٥ وقِيل[٦] : إنّه لما احْتُضِر دخَل عليه ابنُه الوليدُ فبكَى ، فقال له عبدُ الملكِ : ما هذا ؟ أتحِنُّ حنينَ الجاريةِ والأمَةِ ؟ إذا أنا مِتُّ فشمِّرْ واتَّزِرْ والبَسْ جلدَ النَّمِرِ ، وضَعِ الأمورَ عندَ أقرانِها ، واحْذَرْ قريشًا . ثم قال له : يا وليدُ ، اتَّقِ اللَّهَ فيما أستخلِفُك فيه ، واحفَظْ وصِيَّتى ، وانظُرْ إلى أخى معاويةَ فصِلْ رحِمَه واحْفَظْنِى فيه ، وانظُرْ إلى أخى محمدٍ فأقِرَّه[٧] على الجزيرةِ ، ولا تعزِلْه عنها ، وانظُرْ ابنَ عمِّنا علىَّ (٨ بنَ عبدِ اللَّهِ ٨) بنِ عباسٍ ؛ فإنَّه قد انقطَع إلينا بمودَّتِه ونصيحتِه ، وله نسَبٌ وحقٌّ ؛ فصِلْ رحِمَه ، واعرِفْ حقَّه ، وانظُرْ الحجّاجَ بنَ يوسفَ فأكرِمْه ؛ فإنَّه هو الذى مهَّد لكم البلادَ ، وقهرَ الأعداءَ ، وأخلَص لكم المُلكَ ، وشتَّت الخوارجَ ، وأنهاكَ وإخوتَك عن الفُرْقةِ ، وكونوا أولادَ أمٍّ واحدةٍ ، وكونوا فى ٥)

(١ - ١) فى الأصل ، ٢١ : « فلابنه » ، وفى ٣١ ، م ، ص : « فلأبيه » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « حتى عد أقواما » .

(٣) فى م : « قبلنا » .

(٤) اللدة : من ولد معك فى وقت واحد . والجمع : لدات .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) المنتظم ٦/٢٧٤ - ٢٧٦ بنحوه ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ مختصرًا بنحوه ، وسمط النجوم العوالى ٣/ ١٧٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٢٨٠ .

(٧) فى م : « فأمره » .

(٨ - ٨) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . والمثبت من المنتظم ٦/ ٢٧٥ .

[1] الحربِ أحرارًا ، وللمعروفِ مَنارًا ؛ فإنَّ الحربَ لم تُدْنِ مَنِيَّةً قبلَ وقتِها ، وإنّ المعروفَ يُشيِّدُ ذِكْرَ صاحبِه ، ويُميلُ القلوبَ بالمحبَّةِ ، ويُذَلِّلُ الألسنةَ بالذِّكرِ الجميلِ ، وللَّهِ دَرُّ القائلِ :

إنَّ الأمورَ[2] إذا اجتمَعْنَ فرامَها[3] بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبطشٍ باليدِ[4]
عزَّتْ فلم تُكسرْ وإنْ هى بُدِّدَتْ فالكسرُ والتَّوهينُ للمُتَبدِّدِ

ثم قال : إذا أنا مِتُّ فادْعُ الناسَ إلى بيعتِك ، فمَن أبَى فالسَّيفُ ، وعليكَ بالإحسانِ إلى أخواتِك فأكرِمْهُنَّ ، وأحبُّهنَّ إلىَّ فاطمةُ - وكان قد أعطاها قُرْطَى ماريةَ[5] ، والدُّرَّةَ اليتيمةَ - ثم قال : اللهمَّ احْفَظْنى فيها . فتزوَّجَها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وهو ابنُ عمِّها .

ولما احتُضِر سمِع غسَّالًا يَغسِلُ الثيابَ ، فقال[6] : ما هذا ؟ فقالوا : غسَّالٌ . فقال : يا لَيْتَنى كنتُ غسَّالًا أكسِبُ ما أعيشُ به يومًا بيومٍ ، ولم أَلِ الخلافَةَ ، ثم تمثَّل فقال :

لعَمْرِى لقدْ عُمِّرْتُ فى المُلكِ بُرْهةً[7] ودانتْ لىَ الدُّنيا بوقْعِ البَواترِ[1]

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى مصادر التخريج : « القداح » .
(٣) فى ا ٢: « فراقها » .
(٤) فى ا ٣، ا ٢، ص : « فنده » ، وفى م : « مفند » ، والمثبت من تاريخ الخلفاء .
(٥) فى ا ٣: « ماية » .
(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ٢٨٣/٤٣ بنحوه دون ذكر الأبيات ، والأبيات فى سمط النجوم العوالى ٣/ ١٦٩، ١٧٠. وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٠، ٢٢١ بدون البيت الثانى ، والأبيات كاملة فى مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٧٩.
(٧) فى م : « بزهة » .

(١ وأُعْطِيتُ جَمَّ(٢) المالِ والحكمَ(٣) والنُّهَى ... (٤ ودانَ قَماقيمُ(٥)(٤ الملوكِ الجبابرِ

فأضْحَى الذى قَدْ كانَ مِمَّا يسُرُّنى ... كحلمٍ(٦) مضَى فى المُزْمِناتِ الغَوَابرِ

فيالَيْتَنِى لم أُغْنَ(٧) بالمُلْكِ(٨) ليلةً ... ولم (٩أَسْعَ فى لذَّاتِ(٩ عيشٍ نواضرِ

(١٠ وكنتُ كذِى طِمْرَيْنِ(١١) عاش ببُلْغَةٍ ... مِن العيشِ حتى زار ضِيقَ المقابرِ(١٠)

وقد أنشَد هذه الأبياتَ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ عندَ موتِه(١٢)(١) .

وقال أبو مُسْهِرٍ(١٣) : قِيل لعبدِ الملكِ فى مرضِ موتِه : كيف تجِدُكَ ؟ فقال : أجِدُنى كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ(١٤) : لمّا احْتُضِر عبدُ المَلِكِ أمرَ بفتحِ الأبوابِ مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسخ : « حمر » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .

(٣) فى ص : « العلم » .

(٤ - ٤) فى ٢١ : « وسلم ودان فما قيم » . وفى م : « ولى سلمت كل » .

(٥) القمقام والقماقم من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل . اللسان (ق م م) ، ويجمع قياسا على قماقيم .

(٦) فى ٣١، ٢١ : « كحكم » .

(٧) فى ٣١، ص : « أغن » .

(٨) فى ٣١، ٢١، ص : « فى الملك » .

(٩ - ٩) فى ٣١، ٢١، ص : « تغن فى اللذات » .

(١٠ - ١٠) سقط من : م .

(١١) الطمر : الثوب الخلق البالى .

(١٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٧٩، ٨٠.

(١٣) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢٨١.

(١٤) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/٢٨٢ بنحوه .

قصرِه ، فسمِع قصَّارًا[1] ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصَّارٌ . فقال : يا ليتنى كنتُ قصَّارًا[2] . فلمَّا بلَغ سعيدًا[3] قولُه ، قال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَلهم[4] يَفِرُّونَ إلينا ، ولا نفِرُّ إليهم .

وقال غيرُه[5] : لمَّا حضَره الموتُ جعَل يندَمُ[6] ، ويضرِبُ بيدِه على رأسِه ، ويقولُ : ودِدتُ أنِّى كنتُ أكسِبُ قوتى يومًا بيومٍ ، واشتَغلْتُ [7]بطاعةِ اللَّهِ[7] .

وقال غيرُه[8] : لمَّا حضـرَتْه الوفاةُ دعا بَنيهِ فوصَّاهُمْ ثم قال : الحمدُ للَّهِ الذى لا [9]يَنْسَى أحدًا[9] مِن خلقِه صغيرًا أو كبيرًا ، ثم يُنشِدُ :

فهَل مِن خالدٍ إمَّا هَلَكْنَا وهَلْ بالموتِ [10]يا لَلناسِ[10] عارُ

ويُروى أنّه قال[11] : ارفعُونى . فرفعُوه حتى شَمَّ الهواءَ ، وقال : يا دُنْيا ، ما أطيبَك ! إنَّ طويلَكِ لقصيرٌ ، وإنَّ كثيرَك لحقيرٌ ، وإنْ كُنَّا منكِ[12] لفِى غرورٍ . ثم تمثَّل بهذين البيتَيْنِ ، [13]ويُروى[14] أن معاويةَ قالهما فى هذه الحالِ[13] :

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «بالوادى».
(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «أعيش من عمل يدى».
(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «سعيد بن المسيب».
(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «عند موتهم».
(٥) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٢/٤٣ بنحوه.
(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «ويندب».
(٧ - ٧) فى ٣١، ٢١، م، ص: «بعبادة ربى عز وجل وطاعته».
(٨) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٨٣/٤٣ بنحوه.
(٩ - ٩) فى الأصل، م: «يسأل أحدا»، وفى ٢١: «لا ينسى أحدا ولا يبقى أحد».
(١٠ - ١٠) فى ٣١، ٢١، م، ص: «للباقين».
(١١) المصدر السابق.
(١٢) فى م: «بك».
(١٣ - ١٣) سقط من: م.
(١٤) تاريخ دمشق ٢٨٣/٤٣، ومختصر تاريخ دمشق ٨٣/٢٥. والأبيات فى الكامل ٨/٤.

إنْ تُناقِشْ يكُنْ نقاشُكَ ياربِّ عذابًا لا طوقَ لى بالعذابِ
أو تُجاوِزْ فأنتَ ربٌّ صَفُوحٌ عن مُسيءٍ ذنوبُه كالتُّرابِ

قالوا[1] : وكانتْ وفاتُه بدمشقَ يومَ الجمعةِ. وقِيل: الأربعاءِ. وقِيل: الخميسِ. فى النِّصفِ مِن شوّالٍ، [2]وقِيل: لخمسٍ مضَين منه[2]. سنةَ ستٍّ وثمانينَ. وصلَّى عليه ابنُه الوليدُ ولِىُّ عهدِه مِن بعدِه، وكان عمرُه يومَ مات ستِّينَ سنةً. قاله أبو مَعْشَرٍ[3]. وصحَّحه الواقدىُّ[3]. وقِيل: ثلاثًا وستينَ سنةً. قاله المدائنىُّ[3]. وقِيل: ثمانٍ وخمسين. ودُفِن [٧/١١٠و] ببابِ الجابيةِ الصّغيرِ.

قال ابنُ جريرٍ[3] : ذِكْرُ أولادِه وأزواجِه؛ منهم الوليدُ، وسليمانُ، ومَرْوانُ الأكبرُ - درَجَ[4] - وعائشةُ، وأمُّهم ولَّادةُ بنتُ العبّاسِ بنِ جَزْءِ بنِ الحارثِ بنِ زُهيرِ بنِ جَذِيمةَ[5] بنِ رَوَاحةَ بنِ ربيعةَ بنِ مازنِ[6] بنِ الحارثِ بنِ قُطيعةَ بنِ عَبْسِ ابنِ بَغِيضٍ[7].

ويزيدُ، ومروانُ الأصغرُ، ومعاويةُ - درَجَ - وأمُّ كلثومَ، وأمُّهم عاتكةُ بنتُ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ. وهشامٌ، وأمُّه أمُّ هشامٍ عائشةُ - فيما قاله

---

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٣/ ٢٨٨، ٢٨٩، وتاريخ الطبرى ٦/ ٤١٨.
(٢ - ٢) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.
(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤١٩.
(٤) أى مات ولم يخلف نسلا. اللسان (د ر ج).
(٥) فى ص: «خزيمة». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٥١.
(٦) فى ص: «مالك». وانظر المصدر السابق.
(٧) فى ٣١، ص: «معيص». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٠.

المدائنىُّ - بنتُ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخزومىِّ . وأبو بكرٍ ، واسمُه بكَّارٌ ، وأمُّه عائشةُ بنتُ موسى بنِ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ التيمىِّ ، والحكمُ - درَجَ - وأُمُّه أمُّ أيوبَ بنتُ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفانَ الأُمويِّ . وفاطمةُ ، وأمُّها أمُّ[1] المغيرةِ بنتُ المغيرةِ بنِ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ المخزومىِّ . وعبدُ اللَّهِ ، ومَسْلَمَةُ[2] ، والمنذرُ وعَنْبَسَةُ ، ومحمدٌ ، وسعدُ الخيرِ ، والحجَّاجُ ، لأمهاتِ أولادٍ شَتَّى .

[3]فكان جملةُ أولادِه تسعةَ عشَرَ ؛ ذكورًا وإناثًا ، وكانت مدَّةُ خلافتِه إحدَى وعشرين سنةً ؛ منها تسعُ سنينَ مشارِكًا لابنِ الزبيرِ ، وثلاثَ عشْرةَ سنةً ، وثلاثةُ أشهرٍ ونصفٍ مستقِلًّا بالخلافةِ وحدَه .

وكان قاضِيَه أبو إدريسَ الخَوْلانىُّ ، وكاتبَه رَوْحُ بنُ زِنباعٍ ، وحاجبَه يوسفُ مَولاه ، وصاحبَ بيتِ المالِ والخاتمِ قَبِيصَةُ بنُ ذؤيبٍ ، وعلى شُرطتِه أبو الزُّعَيزِعَةِ ، وقد ذكَرنا عمّالَه فيما مضَى[3] .

قال المدائنىُّ[4] : وكان له زوجاتٌ أُخَرُ ؛ شقراءُ بنتُ سَلَمةَ[5] بنِ حَلْبَسٍ الطائىِّ ، وابنةٌ لعلىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وأمُّ أبيها بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ .

وممَّن يُذكَرُ أنه توفِّى فى هذه السنةِ تقريبًا :

أرطاةُ بنُ زُفَرَ[6] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مالكِ بنِ شدَّادِ بنِ ضَمْرةَ بنِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ٣١، ص : « سلمة » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٩.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) الطبرى ٦/ ٤٢٠.

(٥) فى الأصل : « سلم » ، وفى ٣١، ٢١: « مسلم » . وانظر المصدر السابق .

(٦) ترجمته فى : الأغانى ١٣/ ٢٩، وسمط اللآلى ١/ ٩٩، وتاريخ دمشق ٨/ ٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٤٨، والإصابة ١/ ١٨٩.

عُقْفانَ[1] بنِ أبى حارثةَ بنِ مُرَّةَ بنِ نُشْبةَ[2] بنِ غَيظِ[3] بنِ مرَّةَ بنِ عوفِ بنِ سعدِ ابنِ ذُبيانَ بنِ بَغيضِ بنِ رَيثِ بنِ غطَفانَ ، أبو[4] الوليدِ المُرِّىُّ[5] ، ويعرَفُ بابنِ سُهَيَّةَ[6] ، وهى أمُّه بنتُ زاملِ[7] بنِ مروانَ بنِ زهيرِ بنِ ثعلبةَ بنِ خديجِ بنِ أبى[8] جُشَمِ بنِ كعبِ بنِ عوفِ[9] بنِ عامرِ بنِ عوفٍ ، [10]سَبِيَّةٌ مِن كلبٍ[10] ، وكانت عندَ ضِرَارِ بنِ الأزورِ ، ثم صارت إلى زُفَرَ - وهى حاملٌ - فأتَتْ بأرطاةَ على فِراشِه ، وقد عُمِّر أرطاةُ دهرًا طويلًا حتى جاوَز المائةَ بثلاثين سنةً ، وقد كان سيِّدًا شريفًا مُطاعًا مُمدَّحًا شاعرًا مُطْبِقًا .

قال المدائنىُّ : ويقالُ : إنَّ بنى عُقْفانَ بنِ حنظلةَ بنِ رواحةَ بنِ ربيعةَ بنِ مازنِ ابنِ الحارثِ بنِ قَطيعةَ بنِ عبسٍ ، دخَلوا فى بنى مُرَّةَ[11] بنِ نُشْبةَ ، فقالوا : بنى عُقْفانَ بنِ أبى حارثةَ بنِ مُرَّةَ .

وقد وفَد أبو الوليدِ أرطاةُ بنُ زُفَرَ هذا على عبدِ الملكِ بن مروان ، فأنشدَه

---

(١) فى ٢١: « عفقان » ، وفى م : « غقعان » .

(٢) فى الأصل : « لشبة » . وغير منقوطة فى ٢١، وفى م : « شبة » .

(٣) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « نميط » .

(٤) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٥) فى ص : « المزى » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٣.

(٦) فى النسخ : « شهبة » ، والمثبت من مصادر الترجمة ، وانظر تبصير المنتبه ٢/ ٦٩٥.

(٧) فى م : « رامل » .

(٨) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٩) فى م : « عون » .

(١٠ - ١٠) فى م ، وتاريخ دمشق ٢/٦٦٠ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣: « شيبة بن كلب » .

(١١) بعده فى الأصل : « بن مرة » .

أبياتًا[1] :

رأيتُ المرءَ تأكُلُهُ الليالى ... كأكلِ الأرضِ ساقطةَ الحديدِ
وما تُبقى المنيَّةُ حينَ تأتى ... على نفسِ ابنِ آدمَ مِن مزيدِ
وأعلَمُ أنَّها ستكُرُّ حتى ... تُوَفِّىَ نَذْرَها بأبِى الوليدِ

قال : [٧/١١٠ظ] فارتاعَ عبدُ الملكِ ، وظنَّ أنَّه عناه بذلك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما عَنَيتُ نفْسى . فقال عبدُ الملكِ : وأنا واللَّهِ سيمُرُّ بىَ الذى يمُرُّ بك .

وزاد بعضُهم فى هذه الأبياتِ[2] :

خُلِقْنا أنفُسًا وبنِى نفوسٍ ... ولسنا بالسَّلامِ[3] ولا الحديدِ
لئِنْ فُجِّعْتُ[4] بالقُرناءِ يومًا ... لقد مُتِّعتُ بالأملِ البعيدِ

وهو القائلُ[5] :

وإنِّى لقوَّامٌ لدَى الضَّيفِ مُوهَنًا ... إذا [6]أسبَلَ السِّتْرَ[6] البخيلُ[7] المُواكِلُ
دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ ... على ثقةٍ مِنِّى بأنِّىَ فاعِلُ
وما دونَ ضَيفى مِن تلادٍ تَحوزُه ... لىَ النفسُ إلَّا أنْ تُصانَ الحلائِلُ

---

(١) الأغانى ١٣/ ٣١، وتاريخ دمشق ٨/ ٤، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٤٨، والإصابة ١/ ١٩٠.

(٢) يعنى الأبيات السابقة. وانظر تاريخ دمشق ٨/ ٥، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٣. وفيها أن الأبيات السابقة سُرِق البيت الثانى منها من قول زبَّان بن منظور بن سيار. نقل ذلك ابن عساكر عن الزبير ابن بكار.

(٣) السلام : ضرب من الشجر.

(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص : «أفجعت».

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٨، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٥.

(٦ - ٦) فى الأصل : «أعدم السير». وفى مصادر التخريج : «أعذر السير». وأسبل الستر : أرخاه.

(٧) فى مصادر التخريج : «النجيل».

يونسُ بنُ عطيةَ الحضرميُّ[1] ، قاضى مصرَ ، وصاحبُ الشرطةِ فى أيامِ عبدِ العزيزِ بنِ مرْوانَ ، ثم تولَّى بعدَه القضاءَ ابنُ أخيه أوسُ بنُ عبدِ اللَّهِ .

مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ[2] ، كان مِن كبارِ التّابعين ، وكان مِن أصحابِ عِمرانَ بنِ حُصينٍ ، وكان مجابَ الدعوةِ ، وكان يقولُ : ما أُوتِىَ أحدٌ أفضلَ مِن العقلِ ، وعقولُ الناسِ على قَدْرِ زمانِهم . وقال : إذا استَوتْ سَرِيرةُ العبدِ وعلانيتُه قال اللَّهُ : هذا عبدى حقًّا . وقال : إذا دخَلتُم على مريضٍ ، فإنِ استَطَعتُم أنْ يدعوَ لكم ، فإنَّه قد حُرِّك - أىْ قد أُوقِظ مِن غفْلتِه بسببِ مرضِه - فدُعاؤه مستجابٌ مِن أجلِ كَسْرِه ورِقَّةِ قلبِه . وقال : إنَّ أقبحَ ما طُلِبت به الدُّنيا عملُ الآخرةِ .

وقال لبعضِ إخوانِه : إذا كانت لك إلىَّ حاجةٌ ، فلا تكلِّمْنى فيها ؛ فإنِّى أكرَهُ أن أرَى ذُلَّ السؤالِ فى وجهِك ، ولكنِ اكتُبْها فى رُقْعةٍ وارفَعْها .

وكان يقولُ : إن هذا الموتَ قد أفسَد على أهلِ النَّعيمِ نعيمَهم ، فاطلُبوا نعيمًا لا موتَ فيه .

وقال[3] : لو علِمتُ متى أجَلِى ؛ لخشِيتُ على ذَهابِ عقلِى ، ولكنَّ اللَّهَ مَنَّ على عبادِه بالغفلةِ عن الموتِ ، ولولا الغفلةُ لَما تَهنَّوا بعيشٍ ، ولا قامَت بينَهمُ الأسواقُ .

وكان مطرِّفٌ إذا دخَل بيتَه ، سبَّحتْ معه آنيةُ بيتِه .

وكان يسكُنُ الباديةَ ، ويجِىءُ منها إلى الجُمُعَةِ مبكِّرًا ، فمرَّ مرَّةً بمقبرةٍ ، فنعَس

---

(١) من هنا إلى ما قبل خلافة الوليد بن عبد الملك زيادة من : ٣١، م ، ص . ويونس بن عطية ترجمته فى : أخبار القضاة ٣/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٢٣، وحسن المحاضرة ٢/ ١٣٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤١، وحلية الأولياء ٢/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٦٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٩. وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٤، والإصابة ٦/ ٢٦٠.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٤.

فنام عندَ القبورِ، فرأى فى منامِه أهلَ القبورِ على أفواهِ قبورِهم، فقالوا: هذا مطرِّفٌ يذهَبُ إلى الجمُعةِ. قال: فقلتُ لهم: وتعرِفون الجمُعَةَ مِن غيرِها؟ قالوا: نعم، ونعرِفُ ما يقولُ الطيرُ فيه فى جوِّ السماءِ.

قال: فقلتُ: وما تقولُ؟ قالوا: تقولُ[1]: سلامٌ سلامٌ ليومٍ صالحٍ.

وكان يقولُ[2]: يا إخوتاه، اجتَهِدوا فى الأعمالِ الصالحةِ؛ فإن يكُنِ الأمرُ كما نرجو مِن رحمةِ اللَّهِ، كان لنا درجاتٌ فى الجنةِ، وإنْ يكنُ الأمرُ شديدًا كما نخافُ لم نقُلْ: ربَّنا ارجِعْنا نعمَلْ صالحًا غيرَ الذى كنَّا نعمَلُ، نقولُ: قد عَمِلنا فلم ينفَعْنا.

وكان يدعو[3]: اللهمَّ ارضَ عنَّا؛ فإن لم ترضَ عنَّا، فاعفُ عنَّا؛ فإن المولَى قد يعفو عن العبدِ، وهو عنه غيرُ راضٍ.

وكان مطرِّفٌ قد حفَر فى دارِه قبرًا، كان كلَّ يومٍ ينزِلُ إليه، فيصلِّى فيه، ويقرَأُ القرآنَ.

توفِّى مطرِّفٌ بالبصرةِ، وكان له منزلةٌ عندَ الخلفاءِ والملوكِ والأمراءِ، وكان هو مِن أَرْشدِ الناسِ فيهم، وكان مجابَ الدعوةِ؛ كذَب عليه رجلٌ عندَ بعضِ الأمراءِ، فقال مطرِّفٌ: يا هذا، إنْ كنتَ كاذبًا عجَّل اللَّهُ حتفَك. فوقَع الرجلُ ميِّتًا مكانَه. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

---

(١) فى ص: «ينزل».
(٢) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٣.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٧. وصفة الصفوة ٣/ ٢٢٥.

خلافةُ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ

بَانِى جامعِ دمشقَ

لمّا رجَع مِن دَفْنِ أبيه خارجَ بابِ الجابيةِ الصغيرِ - وكان ذلك فى يومِ الخميسِ، وقِيل[1] : الجمعةِ. للنصفِ مِن شَوّالٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ ستٍّ وثمانين - لم يدخُلِ المنزلَ حتى صعِد المنبرَ - منبرَ المسجدِ الأعظمِ بدمشقَ - فخطَب الناسَ فكان مِمّا قال[2] : إنّا للّهِ وإنّا إليه راجعونَ، واللّهُ المستعانُ على مُصيبتِنا بموتِ أميرِ المؤمنينَ، والحمدُ للّهِ على ما أنعَم به علينا مِن الخلافةِ، قومُوا فبايِعوا. فكان أوّلَ مَن قام إليه عبدُ اللّهِ بنُ هَمّامٍ السَّلولىُّ، وهو يقولُ:

اللّهُ أعطاكَ التى لا فَوْقَها ... وقدْ أرادَ المُلْحِدونَ عَوْقَها
عنكَ ويأبى اللّهُ إلّا سَوْقَها ... إليكَ حتى قلَّدُوكَ طَوْقَها

ثم بايَعه وبايَعَه الناسُ بعدَه.

وذكَر الواقدِىُّ[2]، أنّه حمِد اللّهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أيُّها الناسُ، إنّه لا مُقَدِّمَ لما أخَّر اللّهُ، ولا مُؤخِّرَ لِمَا قدَّم اللّهُ، وقد كان مِن قضاءِ اللّهِ وسابقتِه، وما كتَبه على أنبيائِه وحَمَلةِ عرشِه وملائكته الموتُ، وقد صار إلى منازلِ الأبرارِ [3]بما لاقَى فى هذه الأُمَّةِ - يعنى[3] بالذى يحِقُّ للّهِ عليه - مِن الشِّدَّةِ

---

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية) ٤٣/ ٢٨٩.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٣، والكامل ٤/ ٥٢٢.

(٣ - ٣) فى الأصل: «وفى هذه الآية نعى نفسه». وفى ا ٣: «بما لا فى هذه الأمة يعنى». وفى ا ٢: «بما فى هذه الأمة يعنى».

على المُريبِ ، واللِّينِ لأهلِ الحقِّ والفضلِ ، وإقامةِ ما أقام اللَّهُ مِن منارِ الإسلامِ ، وإعلائِه ؛ مِن حَجِّ هذا البيتِ ، وغَزْوِ هذه الثُّغورِ ، وشَنِّ هذه الغاراتِ على أعداءِ اللَّهِ عزّ وجلَّ ، فلم يكُنْ عاجزًا ولا مُفرِّطًا ، أيها الناسُ ، عليكم بالطّاعةِ ولُزومِ الجماعةِ ؛ فإنَّ الشيطانَ مع الفردِ ، أيها الناسُ ، مَن أبدَى لنا ذاتَ نفسِه ضرَبْنا الذى فيه عَيْناه ، ومَن سكَت [٧/١١١و] مات بدائِه . ثم نزَل فنظَر إلى ما كان مِن دوابِّ الخلافةِ فحازها ، وكان جبَّارًا عنيدًا .

وقد ورَد فى تَوْليةِ[(١)] الوليدِ حديثٌ غريبٌ ، وإنَّما هو الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، كما سيأتى بيانُه ، وكما تقدَّم تقريرُه فى كتابِ دلائلِ النبوةِ ، فى بابِ الإخبارِ عن الغيوبِ المستقبَلةِ ، فيما يتعلَّقُ بدولةِ بنى أميةَ[(٢)] .

وأمَّا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ هذا فقد كان صَيِّنًا فى نفسِه حازِمًا فى رأيِه ، يُقالُ : إنَّه لا تُعرَفُ له صَبوةٌ . ومِن جُمْلةِ محاسنِه ما صَحّ عنه أنّه قال[(٣)] : لولا أنَّ اللَّهَ قصَّ علينا قصَّةَ قومِ لوطٍ فى كتابِه ما ظنَنْتُ أنَّ ذكَرًا [(٤)] يأتِى ذكرًا كما تُؤْتَى النِّساءُ[(٤)] . كما سيأْتِى ذلك فى ترجَمتِه عندَ ذِكْرِ وفاتِه [(٥)] فى سنةِ ستٍّ وتسعينَ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى[(٥)] ، وهو بانِى جامعِ دِمشقَ الذى لا يُعرَفُ فى الآفاقِ أحسنُ بناءً منه ، وقد شرَع فى بنائِه فى ذى القَعدةِ مِن هذه السنةِ ، فلم يزَلْ فى بنائِه وتحسينِه مدَّةَ خلافتِه ، وهى عشْرُ سنينَ ، فلَمَّا أنهاهُ انتهَتْ أيامُ خلافتِه ، كما سيأتى بيانُ

---

(١) فى ٣١، ٢١، م، ص: «ولاية».

(٢) تقدم فى ٩/ ٢٦٦.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٨٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «يبلو ذكرًا». وفى م: «كان يأتى ذكرًا كما تؤتى النساء».

(٥ - ٥) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

ذلك مُفصَّلًا . وقد كان موضعَ هذا المسجد كنيسةٌ يُقالُ لها : كنيسةُ يُوحنّا . فلمَّا فتَحَتِ الصحابةُ دمشقَ جعَلوها مناصَفةً ، فأخَذُوا منها الجانبَ الشَّرقِيَّ فحوَّلوه مسجدًا ، وبقِي الجانبُ الغربيُّ كنيسةً بحاله مِن لَدُنْ سنةِ أربعَ عشْرةَ إلى هذه السنةِ ، فعزَم الوليدُ على أخْذِ بقيةِ هذه الكنيسةِ منهم وعوَّضهم عنها كنيسةَ مريمَ لدخولِها فى جانبِ السيفِ ، وقِيل[1] : عوَّضهم عنها كنيسةَ تُومَا[2] ، وهدَم بقيةَ هذه الكنيسةِ وأضافها إلى مسجدِ الصّحابةِ ، وجعَل الجميعَ مسجدًا واحدًا ، على هيئةٍ بديعةٍ لا يَعرِفُ كثيرٌ مِن الناسِ أو أكثرُهم لها نظيرًا فى البُنيانِ والدياراتِ[3] والآثارِ والعماراتِ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٣.

(٢) معجم البلدان ١/ ٨٩٥.

(٣) فى الأصل : « الزيارات » . وفى م : « الزينات » .

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وثمانيـنَ

ففيها عزَل الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ هشامَ بنَ إسماعيلَ عن إِمْرةِ المدينةِ، وولَّى عليها ابنَ عمِّه وزَوْجَ أختِه - فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ - عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، فدخَلها فى ثلاثيـنَ بعيرًا، فى ربيعِ الأوّلِ منها، فنزَل دارَ مَرْوانَ، وجاء الناسُ للسَّلامِ عليه - وعمرُه إذ ذاك خمسٌ وعشرونَ سنةً - فلمَّا صلَّى الظهرَ دعا عشرةً مِن فقهاءِ المدينةِ، وهم؛ عروةُ بنُ الزبيرِ، (١وعبيدُ اللَّهِ١) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ، وأبو بكرِ بنُ سليمانَ بنِ أبى (٢) خيثمةَ، وسليمانُ بنُ يَسارٍ، والقاسمُ بنُ محمدٍ، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، وأخوه (٣عبيدُ اللَّهِ٣) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ، وخارجةُ ابنُ زيدِ بنِ ثابتٍ، فدخَلوا عليه فجلَسوا، [٧/١١١ظ] فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه، ثم قال(٤): إنى إنَّما دعوتُكم لأمرٍ تُؤجَرونَ عليه، وتكونونَ فيه أعوانًا على الحقِّ، إنِّى لا أريدُ أنْ أقطعَ أمرًا إلّا برأيِكم أو برأيِ مَن حضَر منكم، فإنْ رأيتُم أحدًا يتَعدَّى، أو بلَغكم عن عاملٍ لى ظُلامةٌ، فأُحرِّجُ اللَّهَ(٥) على مَن بلَغه

(١ - ١) فى الأصل، ص: «عبد اللَّه». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٧٣. وانظر السياق فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٧.

(٢) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٩٣. وانظر أيضا تاريخ الطبرى، الموضع السابق.

(٣ - ٣) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «عبد اللَّه». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٧٧، ١٥/ ١٨٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٧، والكامل ٤/ ٥٢٦.

(٥) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص. وهذا من باب القسم، جاء فى «أساس البلاغة» (ح ر ج): وحلف فلان بالمحرجات؛ يعنى بالأيمان التى تضيق مجال الحالف. ويمكن أن يكون من التضييق، جاء فى «النهاية» ٣/ ٣٣٢: أحرج عليك ...، فإنى أحرِّج دارى ومنزلى. ويقال: حرج عليه كذا. يعنى حرمه. انظر أيضا النهاية ١/ ٣٦١.

ذلك إلَّا أبلَغَنى . فخرجُوا مِن عندِه يَجزُونَه خيرًا ، وافترَقُوا على ذلك .

وكتَب الوليدُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ[1] بأنْ يُوقِفَ هشامَ بنَ إسماعيلَ للناسِ عندَ دارِ مروانَ ، وكان سيِّئَ الرَّأْيِ فيه ، لأنَّه أساءَ إلى الناسِ بالمدينةِ فى مدَّةِ وِلايتِه عليهم ، وكانت نحوًا مِن أربعِ سنينَ ، ولاسيَّما إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ وإلى علىِّ بنِ الحسينِ [2]وأهلِ بيتِه ، فلمّا أُوقِفَ للنّاسِ قال هشامٌ : ما أخافُ إلّا مِن سعيدٍ وعلىِّ ابنِ الحسينِ[2] . فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ لابنِه ومَوالِيه : لا يَعرِضْ منكم أحدٌ لهذا الرجلِ ، فإنِّى تركتُ ذلك للَّهِ وللرَّحمِ ، وأمّا كلامُه فلا أكلِّمُه أبدًا . وأمَّا علىُّ بنُ الحسينِ فإنَّه مرَّ به وهو موقوفٌ [3]عندَ دارِ مَروانَ[3] فلم يتعرَّضْ له ، وكان قد تقدَّم إلى خاصَّتِه أنْ لا يَعرِضَ له أحدٌ منهم ، فلمّا اجتاز به علىُّ بنُ الحسينِ ، وتجاوَزَه ، ناداه هشامُ بنُ إسماعيلَ ، فقال : « اللَّهُ أعلَمُ حيثُ يجعلُ رِسالاتِه »[4] .

وفى هذه السّنةِ غزا مَسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ بلادَ الرّومِ فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وفتَح حُصُونًا كثيرةً ، وغَنِم غنائمَ جمَّةً ، ويقالُ[5] : إنَّ الذى غزا بلادَ الرومِ فى هذه السنةِ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، ففتَح حصنَ بولَقَ ، وحصنَ الأخرمِ ، وبحيرةَ الفرسانِ[6] ، وحصنَ بولُسَ ، وقُمَيقمَ[7] ، وقتَل مِن المستعرِبةِ نحوًا مِن ألفٍ وسبَى ذَرارِيَّهم . وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ بلادَ الترْكِ[8] ، وصالحَه مَلِكُهم نِيزَكُ[9] على

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٤) سورة الأنعام : ٦٥، وقد قرأها ابن كثير وحفص بالتوحيد ﴿ رسالته ﴾ . وقرأ الباقون بالجمع هكذا . انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسى ١/ ٤٤٩، وحجة القراءات ص ٢٧٠.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٩، والكامل ٤/ ٥٢٨.

(٦) فى م : « الفرمان » .

(٧) فى الطبرى والكامل : « قمقم » . وانظر معجم ما استعجم ٣/ ١٠٩٥.

(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٢٨.

(٩) فى الأصل : « ينزك خان » ، وفى ٣١: « ونزل » . وفى ٢١، ص : « ينزك » . وانظر مصدر التخريج .

مالٍ جزيلٍ ، وعلى أنْ يُطْلِقَ كلَّ مَن ببلادِه مِن أُسارَى المسلمينَ . وفيها غزا قتيبةُ بِيكَنْدَ ، فاجتمَع له مِن الأتراكِ عندَها بشَرٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، وهى مِن أعمالِ بُخَارَا ، فلمَّا نزَل بأرضِهم استنجَدوا عليه بأهلِ الصُّغْدِ ومَن حولَهم مِن الأتراكِ ، فأَتَوْهم فى جَمْعٍ عظيمٍ فأخَذوا على قتيبةَ الطرقَ والمضايقَ ، فتواقفَ هو وهُم قريبًا مِن شهرينِ ، وهو لا يقدرُ على أنْ يبعَثَ إليهم رسولًا ، ولا يأتيه مِن جهتِهم رسولٌ ، وأبطَأ خبرُه على الحجاجِ حتى خاف عليه ، وأشفَق على مَن معه مِن المسلمين مِن كثرةِ الأعداءِ مِن التركِ ، فأمَر الناسَ بالدعاءِ لهم فى المساجدِ ، وكتَب بذلك إلى الأمصارِ .

وقد كان قتيبةُ ومَن معه مِن المسلمين يقتتلونَ مع التركِ فى كلِّ يومٍ ، وكان لقُتيبةَ عينٌ مِن العَجَمِ يقالُ له : تندرُ[1] ، فأعطاه أهلُ بُخَارَى مالًا جزيلًا [٧/ ١١٢و] على أن يأتِيَ قُتيبةَ فيُخَذِّلَه عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلِنى . فأخلاه ، فلم يَبْقَ عندَه سوى رجلٍ يقالُ له : ضِرارُ بنُ حُصينٍ . فقال له تندرُ : هذا عاملٌ يقدَمُ عليك سريعًا بعزلِ الحجاجِ ، فلوِ انصرفْتَ بالناسِ إلى مروَ . فقال قتيبةُ لمولَاه سِياهٍ : اضرِبْ عُنُقَه . فقتَله ، ثم قال قتيبةُ لضِرَارٍ : لم يَبْقَ أحدٌ سمِعَ هذا غيرِى وغيرُك ، وإنِّى أُعطِى اللَّهَ عَهْدًا إنْ ظهَر هذا الخبرُ حتى يَنْقضِيَ حَربُنا لأُلحقنَّك به ، فامْلِكْ عليك[2] لسانَك ؛ فإنَّ انتشارَ هذا يَفُتُّ فى أعضادِ الناسِ[3] . ثم نهَض قتيبةُ فحرَّض الناسَ على الحربِ ، ووقَف على أصحابِ الرَّاياتِ يُحرِّضُهم ، فاقتتل الناسُ قتالًا شديدًا ، وأنزَل اللَّهُ على المسلمينَ الصَّبرَ فما انتصَف النَّهارُ

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٠: «تنذر» . وفى الكامل ٤/ ٥٢٨: «تندر» ، وهو كما أثبتناه .

(٢) فى م : «علينا» .

(٣) بعده فى ا٣، ا٢، م، ص : «ونصرة للأعداء» ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٠.

حتى أنزَل اللَّهُ عليهم النَّصرَ ، فهُزِمتِ التركُ هزيمةً عظيمةً ، واتَّبعَهم المسلمونَ يقتُلونَ فيهم ويأسِرُونَ ماشاءوا ، واعتصَم مَن بَقِى منهم بالمدينةِ ، فأمَر قتيبةُ الفَعَلةَ بهدْمِها ، فسألوه الصُّلحَ على مالٍ عظيمٍ فصالَحهم ، وجعَل عليها رجلًا مِن أهلِه وعندَه طائفةٌ مِن الجيشِ ثم سار راجعًا ، فلمَّا كان منهم على خمسِ مراحلَ نقَضوا العهْدَ ، وقتَلُوا الأميرَ ، وجدَعوا أُنوفَ مَن كان معه ، فرجَع إليهم ، وحاصَرها شهرًا . وأمَر النَّقَّابينَ والفَعَلةَ فعلَّقُوا سُورَها على الخشبِ ، وهو يريدُ أن يُضرِمَ النارَ فيها ، فسقَط السُّورُ فقتَل مِن الفَعَلةِ أربعينَ نفسًا ، فسألوه الصلحَ فأبَى ، ولم يزَلْ حتى افتتحَها ، فقتَل المقاتِلةَ وسَبَى الذُّرِّيةَ وغَنِم الأموالَ .

وكان الذى ألَّب على المسلمينَ رجلٌ أعورُ منهم ، فأُسِر فقال : أنا أَفتدِى نفسِى بخمسةِ أثوابٍ صِينيَّةٍ قيمتُها ألفُ ألفٍ . فأشَار الأمراءُ على قتيبةَ بقَبولِ ذلك منه ، فقال قتيبةُ[1] : لا واللَّهِ ، لا أُروِّعُ بك مسلمًا مرَّةً ثانيةً . وأمَر به فضُرِبتْ عنُقُه[2] وقد غنِم المسلمونَ مِن بيكَنْدَ شيئًا كثيرًا مِن آنيةِ الذَّهبِ والفضَّةِ والأصنامِ مِن الذَّهبِ ، وكان فيها[3] صَنَمٌ سُبِكَ فخرَج منه مائةُ ألفٍ وخمسونَ ألفَ دينارٍ مِن الذَّهبِ ، ووجَدُوا فى خزائنِ المُلْكِ أموالًا كثيرةً وسلاحًا كثيرًا وعُددًا متنوِّعةً وجواهرَ نفيسةً ، وأخَذوا مِن السَّبيِ شيئًا كثيرًا ، فكتَب قتيبةُ إلى الحجّاجِ فى[4] أن يُعطِيَ ذلك للجندِ ، فأذِن له فتموَّلَ المسلمونَ [5]مالًا كثيرًا جدًّا[5] ، وصارتْ لهم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣١، والكامل ٤/ ٥٢٩.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «وهذا من الزهد فى الدنيا، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يفتدى به نفسه فإن».

(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «من جملتها».

(٤) فى م: «يسأله».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: «وتقووا على قتال الأعداء، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جدًّا».

أسلحةٌ وعُدَدٌ وخيولٌ ، [1] وتقوَّوا على الأعداءِ [1] قوةً عظيمةً . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ ، وقاضِيه بها أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو [١١٢/٧ظ] بنِ حزمٍ ، وعلى العراقِ والمشرقِ بكمالِهِ الحجّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقَفِيُّ ، ونائبُه على البصرةِ الجرَّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَكَمِيُّ [2] وقاضِيه بها عبدُ اللَّهِ بنُ أُذَيْنةَ ، وعاملُه على الحربِ بالكوفةِ زيادُ بنُ جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيُّ ، وقاضِيه بها أبو بكرِ بنُ أبى موسى الأشعرىُّ ، ونائبُه على خراسانَ وأعمالِها قتيبةُ بنُ مسلمٍ .

وفى هذه السنةِ تُوفِّى مِن الأعيانِ :

عتبةُ بنُ عبدٍ السُّلَمِيُّ [3] ، صحابيٌّ جليلٌ ، نزَل حِمْصَ ، يُروَى أنَّه شهِد بنى قريظةَ [4] . وعن العِرْباضِ أنَّه كان يقولُ [5] : هو خيرٌ منِّى ، أسلَم قَبْلِى بسنةٍ . قال الواقدىُّ وغيرُه [6] : تُوفِّى فى هذه السنةِ . وقال غيرُه [7] : بعدَ التِّسعينَ . واللَّهُ أعلمُ . [8] قال أبو سعيدِ بنُ الأعرابىِّ [9] : كان عتبةُ بنُ عبدٍ السُّلَمىُّ مِن أهلِ الصُّفَّةِ . وروَى بقيةُ ، عن بُجيرِ بنِ سعدٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ، عن عتبةَ بنِ عبدٍ السُّلَمىِّ أنَّ النبىَّ ﷺ قال [10] : « لو أنَّ رجلًا يُجَرُّ على وجهِه مِن يومِ وُلِد إلى [8]

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص: « كثيرة فقووا بذلك » .

(٢) فى الأصل: « الحلمى » ، وفى ص: « الحليمى » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٣.

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٠٣١، وأسد الغابة ٣/ ٥٦٣، والإصابة ٤/ ٤٣٦.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٥٨/١١ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ١٩/ ٣١٥.

(٥) المسند ٤/ ١٨٦. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٧٨: رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٤١٣، وتاريخ دمشق ١١/ ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩ (مخطوط) .

(٧) تهذيب الكمال ٧/ ٤١٣، ١٦/ ٣١٦.

(٨ - ٨) زيادة من: ٣١، م، ص. ولعلها من زيادات النساخ .

(٩) حلية الأولياء ٢/ ١٥.

(١٠) المسند ٤/ ١٨٥، وتاريخ البخارى الكبير ١/ ١٥، والمعجم الكبير ١٧/ ١٢٢، ١٢٣ (٣٠٣)،=

[1] يومِ يموتُ هَرِمًا فى مَرْضاةِ اللَّهِ لحَقَره يومَ القيامةِ » . وقال إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، عن عَقيلِ بنِ مُدْرِكٍ ، عن لقمانَ بنِ عامرٍ ، عن عتبةَ بنِ عبدٍ السُّلَمِىِّ ، قال[2] : اشتكيتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ العُرْىَ ، فكسانى خَيْشَتَيْنِ ، فلقد رأيتُنى أَلْبَسُهما وأنا أكسَى أصحابى[1] .

المقدامُ بنُ مَعْدِ يكرِبَ[3] ، صحابىٌّ جليلٌ ، نزَل حِمْصَ أيضًا ، له أحاديثُ ، وروَى عنه غيرُ واحدٍ مِن التّابعينَ . قال محمدُ بنُ سعدٍ والفلّاسُ وأبو عبيدٍ[4] : تُوفِّى فى هذه السنةِ . وقال غيرُهم[5] : تُوفِّى بعدَ التسعينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

أبو أُمامةَ الباهلىُّ[6] ، واسمُه صُدَىُّ بنُ عَجْلانَ ، [7]صحابىٌّ جليلٌ[7] ، نزَل حِمصَ ، وهو راوى حديثَ تلقينِ الميِّتِ بعدَ الدَّفنِ . رواه الطبرانىُّ فى الدعاءِ[8] ، وقد تقدَّم له ذكرٌ فى الوَفَياتِ[9] .

قَبِيصةُ بنُ ذؤَيبٍ أبو سفيانَ الخُزاعىُّ المدنىُّ[10] ، ولِد عامَ الفتحِ ، وأُتِى به

= وجود إسناده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٤٧) .

(١ - ١) زيادة من : ٣١، م ، ص ، ولعلها من زيادات النساخ .

(٢) سنن أبى داود (٤٠٣٢) ، والمسند ٤/ ١٨٥، والمعجم الكبير ١٢٤/١٧ (٣٠٧) ، وقال الألبانى : صحيح . (صحيح سنن أبى داود ٣٤٠٣) .

(٣) الاستيعاب ٤/ ١٤٨٢، وأسد الغابة ٥/ ٢٥٤، والإصابة ٦/ ٢٠٤.

(٤) فى م : « عبيدة » ، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٥٩، ٤٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٠٤.

(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ١٥٨، ١٥٩ (مخطوط) ، ودول الإسلام ١/ ٦٦.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٧٣٦، وأسد الغابة ٣/ ١٦، والإصابة ٣/ ٤٢٠.

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٨) الدعاء ١٣٦٧/٣ (١٢١٤) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٤٥: فى إسناده جماعة لم أعرفهم . وضعفه ابن القيم فى زاد المعاد ١/ ٥٢٣.

(٩) تقدم فى ٣٨٨ .

(١٠) الاستيعاب ٣/ ١٢٧٢، وأسد الغابة ٤/ ٣٨٢، والإصابة ٥/ ٥١٧، ٣٢٧/٧ وفيه أبو قبيصة ذؤيب الخزاعى .

النبيَّ ﷺ ليدعوَ له . روَى عن جماعةٍ كثيرةٍ مِن الصّحابةِ ، وأُصِيبتْ عينُه يومَ الحَرَّةِ ، وكان مِن فقهاءِ المدينةِ ، وكانتْ له مَنزِلَةٌ عندَ عبدِ الملكِ ، ويدخلُ عليه بغيرِ إذنٍ ، وكان يقرأُ الكتُبَ إذا وردَت مِن البلادِ ، ثم يدخُلُ على عبدِ الملكِ فيخبِرُه بما ورَد مِن البلادِ فيها ، وكان صاحبَ سِرِّهِ ، وكان له دارٌ بدمشقَ ببابِ البريدِ ، وتُوفِّى بدمشقَ .

عروةُ بنُ المغيرةِ بنِ شعبةَ[1] ، ولِىَ إمْرةَ الكوفةِ للحجّاجِ ، وكان شريفًا لبيبًا مُطاعًا فى الناسِ ، وكان أحولَ . تُوفى بالكوفةِ .

يحيى بنُ يَعْمَرَ[2] ، كان قاضىَ مَرْوَ ، وهو أوَّلُ مَن نقَط المصاحفَ ، وكان مِن فضلاءِ الناسِ وعلمائِهم ، وله أحوالٌ ومعاملاتٌ ، وله رواياتٌ ، وكان أحدَ الفصحاءِ ، أخَذ العربيةَ عن أبى الأسودِ الدُّؤَلِىِّ .

شُرَيحُ بنُ الحارثِ بنِ قيسٍ القاضى[3] ، أدرَك الجاهليةَ ، واستقْضاه عمرُ على الكوفةِ فمكَث بها قاضيًا خمسًا وستينَ سنةً ، وكان عالِمًا عادلًا كثيرَ الخيرِ ، حسَنَ الأخلاقِ فيه دُعابةٌ كثيرةٌ ، وكان كَوْسجًا ؛ لا شعرَ بوجهِهِ - وكذلك كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، والأحنفُ بنُ قيسٍ ، وقيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادةَ .

[4]وقد ترجَمْناه فى « التكميلِ » بما فيه كفايةٌ[4] ، وقد اختُلِفَ فى نسبِه وسنِّه

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/٢٦٩ ، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٣٩٤ ، وتهذيب الكمال ٢٠/٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ١٥١ ، ٤٢٩ ، والكاشف ٢/٢٣٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٨، والوزراء والكتاب ٤١، ٤٢، مراتب النحويين ٥٠، وأخبار النحويين البصريين ٢٢ - ٢٣، وإنباه الرواة ٤/ ١٨، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧٣، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١، وغاية النهاية ٢/ ٣٨١.

(٣) تقدم فى ص ٢٨١ .

(٤ - ٤) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

وعامِ وفاتِه، على أقوالٍ، ورجّح ابنُ خَلّكانَ وفاتَه فى هذه السنةِ[1]. واللّهُ أعلمُ[2].

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٣.

(٢) بعده فى م، ص: «قلت قد تقدمت ترجمة شريح القاضى فى سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك». وانظر صفحة ٢٨٢.

ثم دخلَتْ سنةُ ثمانٍ وثمانيـنَ

فيها غزا الصّائفةَ مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ وابنُ أخيه العباسُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فافتَتحا بمَن معهما مِن المسلمينَ حِصْنَ طُوانةَ فى جُمادَى مِن هذه السنةِ ، وكان حِصنًا منيعًا ، اقتتَل الناسُ عندَه قتالًا عظيمًا ، ثم حمَل المسلمون على النَّصارَى فهزَموهم حتى أدخَلُوهم الكنيسةَ ، ثم خرَجتِ النَّصارى ، فحمَلوا على المسلمينَ ، فانهزَم المسلمونَ ولم يَبْقَ أحدٌ منهم فى موقفِه إلَّا العباسَ بنَ الوليدِ ، ومعه ابنُ مُحَيْرِيزٍ الجُمَحِيُّ ، فقال العباسُ لابنِ مُحَيْريزٍ[1] : أينَ قرَّاءُ القرآنِ الذين يُريدونَ وجهَ اللَّهِ عزّ وجلّ ؟ فقال : نادِهم يأتوكَ . فنادَى : يا أهلَ القرآنِ . [٧/ ١١٣و] فتراجَع الناسُ ، فحمَلُوا على النَّصارى فكسَرُوهم ولجئوا إلى الحصنِ فحاصَرُوهم حتى فتَحُوه .

وذكر ابنُ جريرٍ[2] أن فى شهرِ ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ قدِم كتابُ الوليدِ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بالمدينةِ[3] ، يأمُرُه بهدمِ المسجدِ النبويِّ ، وإضافةِ حُجَرِ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيه ، وأن يوسِّعَه مِن قبلتِه وسائرِ نواحيه ، حتى يكونَ مِائتى ذراعٍ فى مِائتى ذراعٍ ، فمَن باعك مِلكَه فاشترِ منه ، وإلّا فقوِّمْه له قيمةَ عِدْلٍ[4] ، ثم اهدِمْ وادفَعْ إليهم أثمانَ بيوتِهم ، فإنّ لك فى ذلك سلفَ صِدْقٍ ؛ عمرَ وعثمانَ . فجمَع عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وُجوهَ الناسِ والفقهاءَ العشَرةَ أهلَ المدينةِ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٤، والكامل ٤/ ٥٣١.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٥، ٤٣٦، بنحوه.

(٣) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) العدل بكسر العين مثل الشىء من غير جنسه.

وقرأ عليهم كتابَ الوليدِ، فشَقَّ عليهم ذلك، وقالوا[1]: هذه حُجَرٌ قصيرةُ السُّقوفِ، وسُقوفُها من جَريدِ النَّخلِ، وحيطانُها مِن اللَّبِنِ، وعلى أبوابِها المُسُوحُ، وترْكُها على حالِها أولى؛ لينظُرَ إليها الحُجَّاجُ والزُّوّارُ والمسافرونَ، وإلى بيوتِ النبيِّ ﷺ فينتفِعُوا بذلك ويعتبروا به، ويكونَ ذلك أدْعَى لهم إلى الزُّهدِ فى الدُّنيا، فلا يُعمِّرونَ فيها إلَّا بقدرِ الحاجةِ، وهو ما يَستُرُ ويُكِنُّ، ويعرِفونَ أنَّ هذا البنيانَ العالىَ إنَّما هو مِن أفعالِ الفراعنةِ والأكاسرةِ، وكلِّ طويلِ الأملِ راغبٍ فى الدنيا وفى الخلودِ فيها. فعندَ ذلك كتَب عمرُ[2] بنُ عبدِ العزيزِ إلى الوليدِ بما أجمَع عليه الفقهاءُ العشَرةُ المتقدِّمُ ذكْرُهم، فأرسَل إليه يأمرُه بالخرابِ وبناءِ المسجدِ على ما ذكَر، وأن يُعَلِّىَ سُقوفَه. فلم يَجِدْ عمرُ بُدًّا مِن هدمِها. ولمَّا شرَعوا فى الهدمِ، صاح الأشرافُ ووُجوهُ الناسِ مِن بنى هاشمٍ وغيرِهم، وتَباكَوا مثلَ يومِ مات النبيُّ ﷺ، فأجاب مَن له مِلْكٌ متاخمٌ للمسجدِ إلى بيعِه، فاشتَرَى منهم عمرُ، وشرَع فى بنائِه وشمَّر عن إزارِه، واجتهَد فى ذلك، وجاءته فُعولٌ كثيرةٌ [3]مِن قِبَلِ الوليدِ[3]، فأدخَل فيه الحُجرةَ النبويةَ - حجرةَ عائشةَ، فدخَل القبرُ فى المسجدِ، وكانت حَدَّه مِن الشَّرقِ - وسائرَ حُجَرِ أمهاتِ المؤمنينَ[4]، كما أمَر الوليدُ.

ورُوِّينا[5] أنهم لمَّا حفَروا الحائطَ الشرقىَّ مِن حجرةِ عائشةَ بدَتْ لهم قدمٌ فخشُوا أن تكونَ قدمَ النبيِّ ﷺ، حتى تحقَّقوا أنَّها قدمُ عمرَ بنِ الخطابِ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣١، ٣٢.

(٢) فى ص: «محمد».

(٣ - ٣) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٤) بعده فى الأصل: «ووسعه».

(٥) ذكره الحافظ فى الفتح ٣/ ٢٥٥، من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

رضِى اللَّهُ عنه. ويُحكَى[1] أنّ سعيدَ بنَ المسيَّبِ أنكرَ إدخالَ حجرةِ عائشةَ فى المسجدِ - كأنَّه خَشِى أن يُتَّخذَ القبرُ مسجدًا - واللَّهُ أعلمُ.

وذكَر ابنُ جريرٍ[2] أنَّ الوليدَ كتَب إلى ملكِ الرومِ يسألُه أن يبعَثَ له صُنّاعًا للبناءِ، فبعَث إليه بمائةِ صانعٍ، وفصوصٍ كثيرةٍ مِن أجلِ المسجدِ النبوىِّ - [3]نحوَ خمسينَ حِمْلًا ومائةِ ألفِ دينارٍ[3] - والمَشهورُ أنّ هذا إنما كان مِن أجلِ مسجدِ دمشقَ. فاللَّهُ أعلمُ.

وكتَب الوليدُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن يحفِرَ الفَوّارةَ بالمدينةِ، وأن يُجرِىَ ماءَها، ففعَل. وأمَره أن يحفِرَ الآبارَ، وأن يُسهِّلَ الطرقَ والثَّنايا. وساق إلى الفوّارةِ الماءَ مِن ظاهرِ المدينةِ، والفوّارةُ بُنِيتْ فى ظاهرِ المسجدِ عندَ بقعةٍ رآها فأعجبتْه.

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ ملكَ التركِ كُورمغانونَ[4] ابنَ أختِ ملكِ الصِّينِ، ومعه مائتا ألفِ مقاتلٍ مِن أهلِ الصُّغْدِ وفَرْغانةَ وغيرِهم، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا - وكان مع قتيبةَ نيزكُ ملكُ التركِ مأسورًا - فكسَرهم قتيبةُ بنُ مُسلمٍ، وغنِم مِن أموالِهم شيئًا كثيرًا، وقتَل منهم خلقًا وسبَى وأسَر.

وفيها حجّ بالناسِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ومعه جماعاتٌ مِن أشرافِ قريشٍ، فلمَّا كان بالتَّنْعيمِ لقِيَه طائفةٌ مِن أهلِ مكةَ فأخبَروه عن قِلةِ الماءِ بمكةَ لقِلّةِ المطرِ،

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٦، بنحوه.

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «كوربغانوين»، وفى م: «كروبغانون». والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٧.

فقال لأصحابِه[1] : ألَا نستَمْطِرُ ؟ فدعا ودعا الناسُ ، فما زالوا يدعونَ حتى سُقُوا ودخَلُوا مكةَ ومعهم المطرُ ، وجاء سيلٌ عظيمٌ حتى خاف أهلُ مكةَ مِن شِدَّةِ المطرِ ، ومُطِرتْ عَرَفةُ ومُزدَلِفةُ ومِنىً ، وأخصَبتِ الأَرضُ هذه السنةَ خِصبًا عظيمًا بمكةَ وما حولَها ، وذلك [١١٣/٧ظ] ببركةِ دعاءِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ومَن كان معه مِن الصَّالحينَ .

وكان النُّوابُ على البُلدانِ فى هذه السنةِ هم الذين كانوا قبلَها .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأَعيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ بُسْرِ بنِ أبى بُسْرٍ المازنىُّ[2] ، صحابىٌّ كأبيه ، سكَن حِمْصَ ، وروَى عنه جماعةٌ مِن التابعينَ . قال الواقدىُّ[3] : تُوفِّىَ فى سنةِ ثمانٍ وثمانينَ ، عن أربعٍ وتسعينَ سنةً . زادَ غيرُه[4] : وهو آخرُ مَن تُوفِّى مِن الصحابةِ بالشّامِ . وقد جاء فى الحديثِ ، أنَّه يعيشُ قرنًا[5] ؛ فعاش مائةَ سنةٍ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أبى أوْفَى علقمةَ بنِ خالدِ بنِ الحارثِ الخزاعىُّ ثم الأسلمىُّ[6] ، صحابىٌّ جليلٌ ، وهو آخرُ مَن بَقِى مِن الصحابةِ بالكوفةِ . وكانت وفاتُه ، فيما قاله البخارىُّ سنةَ سبعٍ[7] أو ثمانٍ وثمانينَ[8] . وقال الواقدىُّ وغيرُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٨، والكامل ٤/ ٥٣٤ بنحوه .

(٢) الاستيعاب ٣/ ٨٧٤، وأسد الغابة ٣/ ١٨٦، والإصابة ٤/ ٢٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤١٣، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٣٠.

(٤) الاستيعاب ٣/ ٨٧٤، والإصابة ٤/ ٢٣، غير معزو لأحد .

(٥) أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير ١/ ٢١٦، من طريق عبد اللَّه بن بسر .

(٦) الاستيعاب ٣/ ٨٧٠، وأسد الغابة ٣/ ١٨٢، والإصابة ٤/ ١٨.

(٧) فى ٣١، ٢١، م، ص : « تسع » .

(٨) التاريخ الصغير ١/ ٢١١.

واحدٍ[1] : سنةَ ستٍّ وثمانينَ . وقد جاوز المائةَ ، وقِيل : قارَبَها . رضِى اللَّهُ عنه .

[2]وفيها تُوفِّى هشامُ بنُ إسماعيلَ بنِ هشامِ بنِ الوليدِ المخزومىُّ المدنىُّ[3] ، وكان حمَا عبدِ الملكِ بنِ مرْوانَ ونائبَه على المدينةِ ، وهو الذى ضرَب سعيدَ بنَ المسيّبِ كما تقدَّم[4] ، ثم قدِم دمشقَ فمات بها ، وهو أوَّلُ مَن أحدَث دراسةَ القرآنِ بجامعِ دمشقَ ، فمات بها فى السُّبْعِ[5] .

[6]حكيمُ بنُ عُميرٍ[6] العَنْسِىُّ الشامىُّ - له روايةٌ ، ولم يكُنْ أحدٌ فى الشامِ يستطيعُ أن يعِيبَ الحجاجَ علانيةً إلّا هو وابنُ مُحَيْريزٍ - [7]أبو الأحْوَصِ[7] . قُتِل فى غزوةِ طُوانةَ مِن بلادِ الرومِ فى هذه السنةِ[2] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٠٢، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣١٩.

(٢ - ٢) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٣) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٢٤٤، والمحبر ص ٢٥، وأخبار القضاة ٢/ ٢٠، ٢١، والجرح والتعديل ٩/ ٥٢، وثقات ابن حبان ٥/ ٥٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢١٤.

(٤) تقدم فى ص ٣٧٠ .

(٥) السبع، على لفظ واحد من السباع - وتفتح الباء - قرية لعمرو بن العاص من فلسطين بالشام بين بيت المقدس والكرك. قال ابن الأعرابى: هو الموضع الذى يكون فيه المحشر يوم القيامة. معجم ما استعجم ٣/٧١٧ - ٧١٩، معجم البلدان ٣/ ٣٤.

(٦ - ٦) فى م: «عمير بن حكيم». وبعده فى ٣١، ص: «بن زهير بن سالم أبو المخارق». وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٢، والجرح والتعديل ٣/ ٢٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ١١٤، وتهذيب الكمال ٧/ ١٩٩، والكاشف ١/ ١٨٥.

(٧ - ٧) فى النسخ: «أبو الأبيض»، والمثبت من مصادر الترجمة.

ثم دخلت سنة تسعٍ وثمانين

فيها غزا مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ وابنُ أخيه العباسُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ ، فقتَلَا خلقًا كثيرًا ، وفتحَا حُصونًا كثيرةً ؛ منها حِصنُ سُورِيةَ[1] وعَمُّورِيَةَ[2] وهِرَقْلَةَ[3] وقَمودِيةَ[4] ، وغَنِما شيئًا كثيرًا وأسرَا جمًّا غفيرًا .

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ بلادَ الصُّغْدِ ، ونَسَفَ[5] ، وكِسَّ[6] ، وقد لقِيه هنالك خلقٌ مِن الأتراكِ فظَفِر بهم فقتَلَهم ، وسار إلى بُخَارا فلقِيه دونَها خلقٌ كثيرٌ مِن التُّركِ فقاتلَهم يومَينِ وليلتَينِ عندَ مكانٍ يقالُ له : خَرْقانُ[7] . وظفِر بهم ، فقال فى ذلك نَهارُ بنُ تَوسِعةَ[8] :

وباتَتْ لَهم منَّا بخَرْقانَ لَيلةٌ ... ولَيلَتُنا كانتْ بخَرْقانَ أطْوَلَا

ثم قصَد قتيبةُ وَرْدانَ خُذَاهَ ، ملكَ بُخَارَا ، فقاتلَه وَرْدانُ[9] قتالًا شديدًا فلم يظفَرْ به قتيبةُ ، فرجَع عنه إلى مَرْوَ ، فجاءه كتابُ الحجّاجِ يعنِّفُه على الفِرارِ

---

(١) سورية : موضع بالشام بين خناصرة وسلمية . معجم البلدان ٣/ ١٨٧.

(٢) عمورية : بلد فى بلاد الروم . معجم البلدان ٣/ ٧٣٠.

(٣) هرقلة : مدينة ببلاد الروم . معجم البلدان ٤/ ٩٦١.

(٤) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « قمولية » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٩.

(٥) نسفُ : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند . معجم البلدان ٤/ ٧٨١.

(٦) فى النسخ : « كش » . تصحيف ، وكس بكسر أوله وتشديد ثانيه ، مدينة تقارب سمرقند . وقال البلاذرى : كس هى الصغد . معجم البلدان ٤/ ٢٧٣. وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٢.

(٧) خرقان : من قرى سمرقند ، على ثمانية فراسخ منها . معجم البلدان ٢/ ٤٢٤.

(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٣٩.

(٩) فى الأصل : « ملكها » .

والنُّكولِ عن أعداءِ الإسلامِ، وكتَب إليه أن يبعَثَ بصورةِ هذا البلدِ - يعنى بُخَارا - فبعَث إليه بصورتِها، فكتَب إليه؛[1] أنِ ارجِعْ إليها وتُبْ إلى اللَّهِ مِن ذنبِك وائتِها مِن مكانِ كذا وكذا، ورِدْ وَرْدانَ خُذَاه، وإياكَ والتَّحويطَ[2]، ودَعْنِى وبُنيّاتِ الطريقِ[3].

وفى هذه السنةِ وَلّى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ إمْرةَ مكةَ لخالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ، فحفَر بئرًا بأمرِ الوليدِ عندَ ثَنيَّةِ طُوًى وثَنيَّةِ الحَجُونِ، فجاءتْ عذبةَ الماءِ طَيِّبةً، وكان يَستقِى الناسُ منها.

وروَى الواقدىُّ[4]: حدثنى عمرُ بنُ صالحٍ، عن نافعٍ مَوْلَى بنى مَخْزومٍ، قال: سمِعتُ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ يقولُ [٧/١١٤و] على مِنبرِ مكةَ وهو يَخطُبُ الناسَ: أيُّها الناسُ، أيُّهما أعظمُ؛ خليفةُ الرجلِ على أهلِه أَم رسولُه إليهم؟ واللَّهِ لو لم تعلَموا فَضْلَ الخليفةِ إلّا أنَّ إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ استَسْقاه فسَقاه مِلْحًا أُجاجًا، واستَسْقَى الخليفةُ فسقاه عذبًا فُراتًا - يعنى البئرَ التى احتَفرَها له بالثَّنِيَّتَيْنِ؛ ثَنيَّةِ طُوًى وثَنيَّةِ الحَجونِ - فكان يُنقَلُ ماؤها فيُوضَعُ فى حوضٍ مِن أَدَمٍ إلى جَنْبِ زَمْزَمَ ليُعرَفَ فضلُه على زَمزَمَ. قال: ثم غارَت تلك البئرُ فذهَب ماؤُها فلا يُدرَى أين هو إلى اليومِ. وهذا الإسنادُ غريبٌ، وهذا الكلامُ يتَضَمَّنُ كفرًا إن صَحَّ عن قائلِه، وعندِى أنّ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ لا يصِحُّ عنه هذا الكلامُ، وإن صحَّ فهو عدوُّ اللَّهِ، وقد قِيل عن الحجاجِ بنِ يوسفَ نحوُ هذا

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٠، والكامل ٤/ ٥٣٥، ٥٣٦.

(٢) حوط حول الأمر، يعنى دار فى القول فيه وأكثر فيه المراجعة والرد.

(٣) بنيات الطريق، يعنى الطرق الصغار المتشعبة، يريد: اسلك الطريق المستقيم الذى لا تعريج فيه.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٠.

الكلامِ[1] ؛ مِن أنَّه جعَل الخليفةَ أفضلَ مِن الرسولِ الذى أرسَله اللَّهُ ، وكلُّ هذه الأقوالِ تتضَمَّنُ كُفرَ قائلِها .

وفى هذه السنةِ غزَا مَسْلمةُ[2] التُّركَ حتى بلَغ البابَ[3] مِن ناحيةِ أَذْرَبِيجانَ ، وفتَح حصونًا ومدائنَ[4] هنالك . وحجَّ بالناسِ فيها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ . قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ[5] : وفى هذه السنةِ فُتِحتْ صِقِلِّيَّةُ ومَيُورْقةُ - [6] وقِيل : مَنُورْقةُ[7] - وهما فى البحرِ بينَ جزيرةِ صِقِلِّيَّةَ وحَدَارُه[8] مِن بلادِ الأَنْدلُسِ . وفيها سيَّر موسى بنُ نُصيرٍ ولدَه إلى النقريسِ ملكِ الفرنجِ فافتَتَح بلادًا كثيرةً[6] .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ : [9] **عبدُ اللَّهِ**[10] **بنُ بُسْرِ بنِ أبى بُسْرٍ المازنىُّ** ، له ولأبيه صحبةٌ ، والصحيحُ أنَّه توفى فى التى قبلَها .

قال : و[9] **عبدُ اللَّهِ بنُ ثَعْلبةَ بنِ صُعَيرٍ**[11] - أحدُ التابعينَ - العُذْرىُّ الشاعرُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٨.

(٢) فى ٣١، ٢١، م، ص: «قتيبة بن مسلم». وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤١.

(٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «باب الأبواب».

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص: «كثيرة».

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٤. والسياق فيه أن عبد اللَّه بن موسى ابن نصير إنما فتح جزيرتى ميورقة ومنورقة فقط. وانظر تاريخ خليفة ص ٤٠٠. وانظر أيضا حاشية (٨).

(٦ - ٦) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) فى النسخ: «ميرقة». والمثبت من مصدر التخريج، وانظر معجم البلدان ٤/ ٧٢٠.

(٨) فى ٣١، ٢١، م، ص: «خدرة» بالخاء المعجمة، وفى تاريخ الإسلام: «جزيرة الأندلس». وحَدارُه بالراء المضمومة المشددة - وبعض أهل الأندلس يقول: هَدَرُه - : نهر معروف يشق مدينة غرناطة. معجم البلدان ٢/ ٢١٧، ٣/ ٧٨٨، وصفة جزيرة الأندلس ٢٣.

(٩ - ٩) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(١٠) الاستيعاب ٣/ ٨٧٤، وأسد الغابة ٣/ ١٨٦، والإصابة ٤/ ٢٣.

(١١) الاستيعاب ٣/ ٨٧٦، وأسد الغابة ٣/ ١٩٠، والإصابة ٤/ ٣١.

وقد قِيل[1] : إنَّه أدرَك حياةَ النبيِّ ﷺ ، ومسَح على رأسِه . وكان الزهريُّ يتعلَّمُ منه النسبَ .

والعمالُ فى هذه السنةِ هم المذكُورُونَ فى التى قبلَها ، وقد تقدَّم ذِكرُهم . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٧/ ١٨٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣٥٣.

ثم دخلتْ سنةُ تسعينَ مِن الهجرةِ

فيها غزَا مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ والعباسُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ ، ففتَحا حصونًا ، وقتَلا خلقًا مِن الرومِ ، وغنِما وأسَرا خلقًا كثيرًا . وفيها أسَرتِ الرومُ خالدَ بنَ كَيْسانَ صاحبَ البحرِ ، وذهَبوا به إلى ملكِهم فأهداه ملكُ الرومِ إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ . وفيها عزَل الوليدُ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الملكِ عن إمْرةِ مصرَ ووَلَّى عليها قُرَّةَ بنَ شَريكٍ . وفيها قتَل محمدُ بنُ القاسمِ الثقفيُّ ملكَ السِّندِ داهرَ بنَ صَصَّةَ[1] ، وكان محمدُ بنُ القاسمِ هذا على جيشٍ مِن جهةِ الحجاجِ . وفيها فتَح قتيبةُ بنُ مسلمٍ مدينةَ بُخارَا ، وهزَم جمعَ العدُوِّ مِن التركِ بها ، وجرَتْ بينَهم فصولٌ يطولُ ذِكْرُها ، وقد تقصَّاها ابنُ جريرٍ[2] . وفيها طلَب طَرْخونُ ملكُ الصُّغْدِ بعدَ فتحِ بُخارَا مِن قتيبةَ أن يصالِحَه على مالٍ يبذُلُه فى كلِّ عامٍ فأجابَه قتيبةُ إلى ذلك وأخَذ منه رَهْنًا عليه .

[3]وفيها استنجَد وَرْدانُ خُذَاه بالتُّركِ فأتَوْه مِن جميعِ النَّواحى - وهو صاحبُ بُخارَا بعدَ أخْذِ قتيبةَ لها - وخرَج وَرْدانُخُذَاه وحمَل على المسلمينَ فحطَّموهم ، ثم عاد المسلمونَ عليهم فقتَلُوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وصالَح قتيبةُ ملكَ الصُّغدِ ، وفتَح بُخارَا وحصونَها ، ورجَع قتيبةُ بالجندِ إلى بلادِه فأذِن له الحجاجُ ، فلمّا سار إلى بلادِه بلَغه أنَّ صاحبَ الصُّغدِ قال لملوكِ التركِ : إن العربَ بمنزلةِ اللصوصِ فإن أُعْطُوا شيئًا ذهَبُوا ، وإنَّ قتيبةَ هكذا يقصِدُ الملوكَ ، فإن[3]

---

(١) فى ٣١: «صعهه» ، وفى ٢١، ص: «صعصعة» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/٤٤٢ - ٤٤٤.

(٣ - ٣) زيادة من ٣١ ، ٢١ ، م ، ص . وانظر تاريخ الطبرى ٦/٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(١أَعطَوه شيئًا أخَذَه ورجَع عنهم، وإنَّ قتيبةَ ليس بمَلِكٍ ولا يَطلُبُ مُلْكًا. فبلَغ قُتيبةَ قولُه فرجَع إليهم، فكاتَب نِيزَكُ(٢) ملكُ التركِ ملوكَ ما وراءَ النهرِ؛ منهم ملكُ الطالَقانِ، وكان قد صالحَ قُتيبةَ فنقَض١ الصُّلْحَ(٣) الذى [٧/١١٤ظ] كان بينَه وبينَ قُتيبةَ، واستجاشَ عليه بالملوكِ كلِّها، فأتاه ملوكٌ كثيرٌ كانوا قد عاهَدُوا قتيبةَ على الصُّلحِ، فنقَضُوا كلُّهم وصاروا يدًا واحدةً على قتيبةَ، واتَّعَدُوا إلى الربيعِ، وتعاهَدُوا وتعاقَدُوا على أن يجتَمِعوا فيُقاتِلُوا كلُّهم فاجتمعوا فى فصلِ الربيعِ مِن السنةِ الآتيةِ، فقتَل منهم قُتيبةُ فى ذلك الحينِ مَقتَلَةً عظيمةً جدًّا لم يُسمَعْ بمثلِها، وصلَب منهم سِماطَيْنِ فى مسافةِ أربعةِ فراسخَ فى نِظامٍ واحدٍ، وذلك مما كسَر جموعَهم كلِّهم.

وفى هذه السنةِ هرَب يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ وأخواه المفضَّلُ وعبدُ الملكِ مِن سجنِ الحجّاجِ(٤)، فلحِقُوا بسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فأَمَّنَهم مِن الحجاجِ، وذلك أنّ الحجاجَ كان قد احْتاطَ عليهم قبلَ ذلك وعاقَبهم عقوبةً عظيمةً، وأخَذ منهم ستةَ آلافِ ألفٍ، وكان أصبرَهم على العقوبةِ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ، كان لا يُسمَعُ له صوتٌ ولو فعَلوا به ما فعَلوا، فكان ذلك يغِيظُ الحجاجَ حتى قال قائلٌ للحجاجِ(٥): إنَّ فى ساقِه أثرَ نُشَّابةٍ بقِى نصلُها فيه، وإنَّه متى أصابَها شىءٌ لا يملِكُ نفسَه أن يصرُخَ. فأمَر الحجّاجُ أن يُنالَ ذلك الموضعُ منه بعذابٍ، فصاح فلمَّا سمِعتْ أختُه هندُ بنتُ المُهَلَّبِ - وكانت تحتَ الحجّاجِ - صوتَه بكَتْ

(١ - ١) زيادة من ٣١، ٢١، م، ص. وانظر تاريخ الطبرى ٦/٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) فى ٣١، ٢١، ص: «بترك»، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٥.

(٣) فى الأصل: «وفى هذه السنة نقض ملك الترك الصلح».

(٤) بعده فى م: «نكاية لذلك». والخبر بتمامه فى تاريخ الطبرى ٦/٤٤٨ - ٤٥٣، والكامل ٤/ ٥٤٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٨، والكامل ٤/ ٥٤٥.

وناحَتْ عليه ؛ فطَلَّقها الحجّاجُ ثم أودَعهم السجنَ . ثم خرَج الحجّاجُ إلى بعضِ المَحالِّ ليُنْفِذَ جيشًا إلى الأكرادِ واستصحَبهم معه ، فخندَق حولَهم ، ووَكَّل بهم الحرَسَ . فلمَّا كان فى بعضِ الليالى أمَر يزيدُ بنُ المُهلَّبِ بطعامٍ كثيرٍ فصُنِع للحرَسِ ، (١ فاشتَغلوا به ١) ، ثم تنكَّر فى هيئةِ بعضِ الطَّبَّاخينَ وجعَل لحيتَه لحيةً بيضاءَ ثم خرَج فرآه بعضُ الحرَسِ ، فقال : ما رأيتُ مِشيةً أشبَهَ بمِشيةِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ مِن هذا . ثم اتَّبَعَه يَتحقَّقُه ، فلمَّا رأى بياضَ لحيتِه انصرَف عنه ، ثم لحِقَه أخواه فركِبُوا السُّفُنَ وسارُوا نحوَ الشّامِ ، فلمَّا بلَغ الحجّاجَ هرَبُهم انزعَج لذلك ، وذهَب وَهْمُه أنَّهم سارُوا إلى خُراسانَ ، فكتَب إلى قتيبةَ بنِ مسلمٍ يُحذِّرُه قُدومَهم ، ويأمُرُه بالاسْتعدادِ لهم ، وأن يرصُدَهم فى كلِّ مكانٍ ، ويكتُبَ إلى أمراءِ الثغورِ والكُورِ بتحصِيلِهم . وكتَب إلى أميرِ المؤمنينَ (١ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ١) يُخبرُه بهرَبِهم ، وأنَّه لا يراهُم هرَبوا إلَّا إلى خُراسانَ ، وخاف الحجّاجُ مِن يزيدَ بنِ المهلَّبِ أن يصنَعَ كما صنَع عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ الأَشعثِ مِن الخروجِ عليه وجَمْعِ الناسِ له[٢] .

وأمَّا يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ فإنَّه سلَك على البطائحِ وجاءتْه خيولٌ كان قد أعَدَّها له أخوه مروانُ بنُ المُهَلَّبِ لهذا [٧/١١٥و] اليومِ ، فركِبها وسلَك به دليلٌ مِن بنى كلبٍ يُقالُ له : عبدُ الجَبَّارِ بنُ يزيدَ . فأخَذ بهم على السَّمَاوَةِ[٣] . وجاء الخبرُ إلى الحجاجِ بعدَ يومينِ أنَّ يزيدَ قد سلَك نحوَ الشّامِ ، فكتَب إلى الوليدِ يُعلِمُه بذلك ،

(١ - ١) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « وتحقق عنده قول الراهب » .

(٣) السماوة : بادية بين الكوفة والشام ، وقال السكرى : السماوة ماءة لكلب . معجم البلدان ٣/ ١٣١.

وسار يزيدُ حتى نزَل الأُرْدُنَّ على وُهَيبِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأَزْدىِّ - وكان كريمًا على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ - فسار وُهيبٌ إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فقال له : إنَّ يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ وأخويه فى منزِلى ، قد جاءُوا مُستعيذِينَ بك مِن الحجّاجِ . قال : فاذهَبْ فأْتنى بهم فهم آمنونَ ما دُمتُ حيًّا . فجاءهم فذهَب بهم حتى أدخَلهم على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فأمَّنهم سليمانُ ، وكتَب إلى أخيه الوليدِ : إنَّ آلَ المُهَلَّبِ قد أمَّنتُهم ، وإنَّما بقِى للحجّاجِ عندَهم ثلاثةُ آلافِ ألفٍ ، وهى عندِى . فكتَب إليه الوليدُ : لا واللَّهِ لا أُؤمِّنُه حتى تبعَثَ به إلىَّ . فكتَب إليه : لا واللَّهِ لا أبعثُه حتى أَجِيءَ معه ، فأنشُدُكَ اللَّهَ يا أميرَ المؤمنينَ أن تفضَحَنِى أو تُخفِرَنِى[1] فى جِوارِى . فكتَب إليه : لا واللَّهِ لا تَجِيءْ معه وابعَثْ به إلىَّ فى وَثاقٍ . فقال يزيدُ : ابعَثْنى إليه ، فما أُحِبُّ أن أُوقِعَ بينَكَ وبينَه عداوةً وحرْبًا ، فابعَثْنى إليه وابعَثْ معى ابنَكَ ، واكتُبْ إليه بألْطَفِ عِبارةٍ تَقْدِرُ عليها . فبعَثه وبعَث معه ابنَه أيوبَ ، وقال لابنِه : إذا دخَلْتَ فى الدِّهليزِ فادخُلْ مع يزيدَ فى السِّلسلةِ ، وادخُلَا عليه كذلك .

فلمَّا رأى الوليدُ ابنَ أخيه فى السِّلسلةِ ، قال : واللَّهِ لقد بلَغْنا مِن سليمانَ . ودفَع أيوبُ كتابَ أبيهِ إلى عمِّه وقال : يا أميرَ المؤْمنينَ ، نفسِى فِدَاؤُكَ ، لا تُخفِرْ[2] ذِمَّةَ أبى وأنتَ أحَقُّ مَن منَعها ، ولا تقطَعْ مِنَّا رجاءَ مَن رَجَا السَّلامةَ فى جِوارِنا لمكانِنا مِنكَ ، ولا تُذِلَّ مَن رَجَا العزَّ فى الانقطاعِ إلينا لعِزِّنا بِكَ . ثم قرَأ الوليدُ كتابَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فإذا فيه : أمَّا بعدُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فواللَّهِ إن كُنتُ لأَظُنُّ لو استَجار بى عدُوٌّ قد نابذَكَ وجاهَدَكَ فأنزَلْتُه وأجَرْتُه ، أنَّك لا تُذِلُّ

---

(١) فى ٣١، ٢١: « تحقرنى » ، وفى ص : « تحتقرنى » . وأخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . النهاية ٢/٥٢ - ٥٣.

(٢) فى ٣١، ٢١، ص : « تحقر » .

جارِى[1] ولا تُخفِرْ جِوارِى ، بل لم أُجِرْ إلَّا سامعًا مُطيعًا ، حَسَنَ البلاءِ والأثَرِ فى الإسلامِ هو وأبوه وأهلُ بيتِه ، وقد بعَثْتُ به إليكَ فإن كنتَ إنَّما تُعِدُّ[2] قَطِيعَتِى والإخفارَ بذِمَّتِى والإبلاغَ فى مَساءَتِى ، فقد قدَرْتَ إن أنتَ فعلتَ ، وأنا أُعِيذُكَ باللَّهِ مِن احترادِ[3] قطيعَتِى وانتهاكِ حُرْمَتى ، وتَرْكِ بِرِّى[4] وصِلَتِى ، فواللَّهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما تَدْرِى ما بقائى وبقاؤُكَ ، ولا متى يُفرِّقُ الموتُ بينِى وبينَك ، فإنِ استطاع [٧/١١٥ظ] أميرُ المؤمنينَ - أدام اللَّهُ سرورَه - أن لا يأتىَ أجلُ الوفاةِ علينا إلّا وهو لى واصلٌ ، ولحَقِّى مُؤدٍّ ، وعن مَساءَتِى نازعٌ ، فَلْيفعَلْ ، وواللَّهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما أصبحتُ بشىءٍ مِن أمرِ الدنيا بعدَ تَقْوى اللَّهِ فيها بأَسَرَّ منِّى برِضاكَ وسرورِكَ ، وإنَّ رِضاكَ وسرورَكَ[5] مِمَّا ألتمِسُ به رِضوانَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ[6] ، وإن كنتَ يا أميرَ المؤمنينَ يومًا مِن الدَّهرِ تريدُ مَسَرَّتى وصِلَتى وكرامَتى وإعظامَ حقِّى فتجاوَزْ لى عن يزيدَ ، وكلُّ ما طلبتَه به فهو علىَّ .

فلمَّا قرَأ الوليدُ كتابَه قال : لقد أشقَقْنا[7] على سليمانَ ! ثم دعا ابنَ أخيهِ فأدناه منه ، وتكلَّم يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه وصلَّى على رسولِه ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن بلاءَكم عندَنا أحسنُ البلاءِ ، فمَن يَنْسَ ذلك فلَسْنا ناسِيه ، ومَن يَكفُرْه فلَسْنا بكافِريه ، وقد كان مِن بلائِنا أهلَ البيتِ فى طاعتِكم

---

(١) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « جوارى » .

(٢) فى الطبرى ٦/ ٤٥١ : « تغزو » .

(٣) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « اجترار » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٥٢. وحرده يحرده بالكسر ، حردًا إذا قصده . التاج (ح ر د) .

(٤) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « وإجابتى إلى ما سألتك » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « أحب إلى من رضائى وسرورى و » .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « لصلتى ما بينى وبينك » .

(٧) فى م : « أشفقنا » .

والطَّعنِ فى أعينِ أعدائِكم فى المواطنِ العِظامِ فى المشارقِ والمغاربِ ما إنَّ المِنَّةَ علينا فيه عظيمةٌ . فقال له : اجلِسْ . فجلَس فأمَّنه وكفَّ عنه ورَدَّه إلى سليمانَ ، فكان عندَه يُعلِّمُه الهيئةَ ، ويصِفُ له ألوانَ الأطعمةِ الطيبةِ ، وكان حظِيًّا عندَه ، لا يُهدَى إليه بهدِيَّةٍ إلَّا بعَث إليه بنصفِها . وتقرَّب يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ إلى سليمانَ بأنواعِ الهدَايا والتُّحفِ والتقادمِ .

وكتَب الوليدُ إلى الحَجاجِ : إنِّى لم أصِلْ إلى يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ ، وأهلُ بيتِه مع أخى سليمانَ ، فاكفُفْ عنهم والْهَ عن الكتابِ إلىَّ فيهم . فكَفَّ الحجاجُ عن آلِ المُهَلَّبِ وترَك ما كان يطالِبُهم به مِن الأموالِ ، حتى ترَك لأبى عُيينةَ بنِ المُهَلَّبِ ألفَ ألفِ درهمٍ ، ولم يزَلْ يزيدُ بنُ المُهَلَّبِ عندَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ حتى هلَك الحجاجُ فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ - كما سيأتى بيانُه - ثم وَلِى يزيدُ بلادَ العراقِ بعدَ الحجاجِ ، كما أخبَرَه الرَّاهبُ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ : **تياذوقُ**[1] **الطبيبُ الحاذقُ** ، له مصنَّفاتٌ فى فنِّه ، وكان حظيًّا عندَ الحجاجِ . مات فى حدودِ سنةِ تسعين بواسطٍ .

وفيها تُوفِّى **عبدُ الرحمنِ بنُ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ**[2] ، **وأبو العاليةِ الرِّياحِىُّ**[3] ،

---

(١) فى م : « يتاذوق » . وانظر ترجمته فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٤٩.

(٢) انظر ترجمته فى طبقات خليفة ٢/ ٦٠٩، وتاريخ دمشق ١٠/١٩٨ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٣١، ومرآة الجنان ١/ ١٨٠.

(٣) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ١١٢، وتاريخ دمشق ١٨/١٥٩ - ١٩١، وأسد الغابة ٢/ ٢٣٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٤١، وتذكرة الحفاظ ٦١ - ٦٢، وغاية النهاية ١/ ٢٨٤، والإصابة ٢/ ٥١٤.

وسِنانُ بنُ سلمةَ بنِ المحبَّقِ[1] ، أحدُ الشجعانِ المذكورين ، أسلَم يومَ الفتحِ ، وتولّى غزوَ الهندِ ، وطال عمرُه .

وتوفِّى فى هذه السنةِ **محمدُ بنُ يوسفَ الثقفىُّ**[2] ، أخو الحجاجِ ، وكان أميرًا على اليمنِ ، وكان يلعَنُ عليًّا على المنابرِ ، قيل : إنَّه أمَر حُجْرًا المَدرىَّ[3] أن يلعَنَ عليًّا . فقال : بل لعَن اللَّهُ مَن يلعَنُ عليًّا ، ولعنةُ اللَّهِ على مَن لعَنه اللَّهُ . وقيل : إنَّه ورَّى فى لعنِه . فاللَّهُ أعلمُ .

خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ أبو هاشمٍ الأمويُّ الدمشقىُّ[4] ، وكانت دارُه بدمشقَ ، تلِى دارَ الحجارةِ ، وكان عالمًا شاعرًا ، ويُنسَبُ إليه شىءٌ مِن علمِ الكِيمياءِ ، وكان يعرِفُ شيئًا مِن علومِ الطبيعةِ . روَى عن أبيه ودِحيةَ الكلبىِّ . وعنه الزهرىُّ ، وغيرُه .

قال الزهرىُّ[5] : كان خالدٌ يصومُ الأعيادَ كلَّها ؛ الجمُعةَ والسبتَ والأحدَ ؛ يعنى يومَ الجُمُعةِ وهو عيدُ المسلمين ، ويومَ السبتِ وهو عيدُ اليهودِ ، والأحدِ للنصارَى . وقال أبو زُرعةَ الدمشقىُّ[6] : كان [٧/١١٦و] هو وأخوه معاويةُ من

---

(١) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ١٢٤، ٢١٢، والاستيعاب ٢/ ٦٤٢، وأسد الغابة ٢/ ٣٥٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٦١، والإصابة ٣/ ١٨٦، ٣٠٠.

(٢) انظر ترجمته فى المعارف ٣٩٦، وثمار القلوب ٦٤٩، وتاريخ دمشق ١٦/١٤٣ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٤٢.

(٣) فى ا٣، ا٢، م : «المنذرى»، وفى الوافى : «المدنى». وانظر موضع ترجمته فى تاريخ الإسلام.

(٤) أسد الغابة ٢/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٥، والعبر ١/ ١٠٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٧٠، والإصابة ٢/ ٣٧٦.

(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٠٦.

(٦) تاريخ أبى زرعة ١/٣٥٨ (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠٣.

خيارِ القومِ . وقد ذُكر للخلافةِ بعدَ أخيه معاويةَ بنِ يزيدَ ، وكان وليَّ العهدِ من بعدِ مروانَ فلم يلتئمْ له الأمرُ ، وكان مروانُ زوجَ أمِّه . ومن كلامِه[1] : أقربُ شيءٍ الأجلُ ، وأبعدُ شيءٍ الأَملُ ، وأرجَى شيءٍ العملُ .

وقد امتدَحه بعضُ الشعراءِ ، فقال[2] :

سألتُ الندَى والجودَ حُرَّانِ أنتما ... [3]فقالا جَميعًا[3] إننا لعبيدُ

فقلتُ ومَن مولاكُما فتطاولا ... عليَّ وقالا خالدُ بنُ يزيدِ

قال : فأمَر له بمائةِ ألفٍ[4] .

[5]وكانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وقيل[6] : فى سنةِ أربعٍ وثمانين . وقد ذُكِر هناك ، والصحيحُ الأوَّلُ[5] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٣١١، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠٣.

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١١/ ٣٧، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٢ - ٣٨٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٧٢.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: «فردا وقالا».

(٤) بعده فى ٣١، م، ص: «قلتُ: وقد رأيتُهما قد أُنشدا فى خالدِ بنِ الوليدِ، رضى اللَّهُ عنه، فقال: وقالا خالدُ بنُ وليدِ. واللَّهُ أعلمُ. وخالدُ بنُ يزيدَ هذا كان أميرًا على حِمصَ، وهو الذى بنَى جامعَ حِمصَ، وكان له فيه أربعُمائةِ عبدٍ يعمَلون، فلما فرَغ منه أعتَقهم، وكان خالدٌ يَبغُضُ الحجاجَ، وهو الذى أشار على عبدِ الملكِ لمَّا تزوَّج الحجاجُ بنتَ جعفرٍ، أن يرسلَ إليه فيطلِّقَها، ففعَل. ولما مات مشَى الوليدُ فى جِنازتِه، وصلَّى عليه. وكان قد تجدَّد على خالدٍ اصفرارٌ وضعفٌ، فسأَله عبدُ الملكِ عن ذلك فلم يُخبرْه، فما زال به حتى أخبَره أنَّه مِن حُبِّ رملةَ أختِ مصعبِ بنِ الزُّبيرِ، فأرسَل عبدُ الملكِ يخطُبُها لخالدٍ، فقالت: حتى يُطلِّقَ نساءَه. فطلَّقهن وتزوَّجها، وأنشَد فيها الشعرَ».

(٥ - ٥) زيادة من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ٣١٥، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٠٧.

عبدُ اللَّهِ بنُ الزَّبِيرِ بنِ سُليمٍ الأسديُّ الشاعرُ أبو كَثيرٍ[1] ، ويقالُ : أبو سعدٍ[2] . وهو مشهورٌ ، وفَد على عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، فامتدَحه فلم يُعطِه شيئًا ، فقال[3] : لعَن اللَّهُ ناقةً حمَلتنى إليكَ . فقال ابنُ الزُّبيرِ : إنْ وصاحِبَها .

يقالُ : إنه مات فى زمنِ الحجاجِ .

---

(١) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « عبيد اللَّه بن الزبير » . وانظر ترجمته فى الأغانى ١٤/ ٢١٧، ومقاتل الطالبيين ١٠٨، ١٠٩، وسمط اللآلى ١/ ١٦٦، وتاريخ دمشق ٩/٢٩٧ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ١٠٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٨٠، ومعاهد التنصيص ٣/ ٣١٠، وخزانة الأدب ٢/ ٢٦٤.

(٢) فى م : « سعيد » . وانظر مصادر الحاشية السابقة .

(٣) تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٨٣.

ثم دخَلت سنةُ إحدَى وتسعين

فيها غزا الصائفةَ مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ وابنُ أخيه عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ .

وفيها غزا مسلمةُ بلادَ التركِ حتى بلَغ البابَ من ناحيةِ أَذْرَبِيجانَ ، ففتَح مدائِنَ ، وحصونًا كثيرةً أيضًا ، (١) وكان الوليدُ قد عزَل عمَّه محمدَ بنَ مروانَ عن الجزيرةِ وأَذْرَبِيجانَ ، وولَّاهما أخاه مسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ (١) .

وفيها غزا موسى بنُ نُصَيرٍ بلادَ المغربِ ، ففتَح مُدُنًا كثيرةً ، (١) ودخَل فى تلك البلادِ ، ووَلَج فيها حتى دخَل أراضِيَ غابرةً قاصيةً ، فيها آثارُ قُصورٍ وبُيوتٍ ليس بها ساكنٌ ، ووجَد هناك من آثارِ نعمةِ أهلِ تلك البلادِ ما يلُوحُ على سماتِها أنَّ أهلَها كانوا أصحابَ أموالٍ ونعمةٍ دارَّةٍ سابِغةٍ ، فبادوا جميعًا فلا مَخبرَ بها (١) .

وفيها مهَّد قتيبةُ بنُ مُسلمٍ بلادَ التركِ ، الذين كانوا قد نقَضوا ما كانوا عاهَدوه عليه من المصالحةِ ، (١) وذلك بعد قتالٍ شديدٍ وحربٍ يَشيبُ لها الوليدُ ، وذلك أنَّ ملوكَهم كانوا قد اتَّعَدوا فى العامِ الماضِى فى أوانِ (٢) الربيعِ أن يجتمِعوا ويقاتِلوا قتيبةَ ، وأن لا يُولُّوا عن القتالِ حتى يُخرِجوا العربَ مِن بلادِهم . فاجتمَعوا اجتماعًا هائلًا لم يجتمِعوا مثلَه فى موقفٍ ، فكسَرهم قتيبةُ (١) ، وقتَل منهم أممًا كثيرةً ، ورَدَّ الأمورَ إلى ما كانت عليه ، حتى ذُكر (٣) أنه صلَب منهم فى

(١ - ١) زيادة من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٢) فى م : « أول » .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٤٧، والكامل ٤/ ٥٤٥.

بعضِ المواضعِ مِن جملةِ مَن أخَذ مِن الأُسارى سِماطَين طولُهما أربعةُ فراسِخَ مِن هـٰهنا وهـٰهنا[1] ، واتَّبَع نِيزَكَ خان ملِكَ التركِ الأعظمَ مِن إقليمٍ إلى إقليمٍ ، ومِن كُورةٍ إلى كُورةٍ ، ومن رُستاقٍ إلى رستاقٍ ، ولم يزَلْ ذلك دأبَه ودأبَه حتى حصَره فى قلعةٍ هنالك شهرين مُتَتابِعَين ، حتى نفِد ما عند نِيزَكَ خان مِن الأطعمةِ ، وأشرَف هو ومَن معه على الهلاكِ ، فبعَث إليه قتيبةُ مَن جاء به مُستأمَنًا [2]مذمومًا مخذولًا[2] ، فسجَنه عندَه ، ثم كتَب إلى الحجاجِ فى أمرِه ، فجاء الكتابُ بعدَ أربعين يومًا بقتلِه ، فجمَع قتيبةُ الأمراءَ ، فاستشارهم فيه فاختَلفوا عليه ؛ فقائلٌ يقولُ : اقتُلْه . وقائلٌ يقولُ : لا تقتُلْه . فقال له بعضُ الأمراءِ : إنك أَعطيتَ اللَّهَ عهدًا أنَّك إنْ ظفِرتَ به لتقتُلَنَّه ، وقد أمكَنك اللَّهُ منه . فقال قتيبةُ : واللَّهِ لو لم يبقَ من عُمْرِى إلّا ما يسَعُ ثلاثَ كلماتٍ لقتَلتُه . ثم قال : اقتُلوه اقتُلوه اقتُلوه . فقُتل هو وسبعُمائةٍ مِن أصحابِه فى غداةٍ واحدةٍ ، [2]وأخَذ قتيبةُ مِن أموالِهم وخيولِهم وثيابِهم وأبنائِهم ونسائِهم شيئًا كثيرًا[2] ، وفتَح فى هذا العامِ مُدُنًا كثيرةً ، وقرَّر ممالكَ كثيرةً[3] .

---

(١) بعده فى : ٣١، ٢١، م ، ص : « عن يمينه وشماله صلب الرجل منهم بجنب الرجل وهذا شىء كثير وقتل فى الكفار قتلا ذريعا ثم لا يزال » .

(٢ - ٢) زيادة من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص - وهو تفصيل لما سبق إجماله : « وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئا كثيرًا . ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهى مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارياب ، وبها مدن ورساتيق ، فخرج إليه ملكها سامعًا مطيعًا فاستعمل عليها رجلا من أصحابه ، ثم سار إلى الجوزجان فأخذها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهارًا واحدًا ، ثم خرج منها ، وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد ترك نيزك خان عسكرًا على فم الشعب الذى منه يدخل إلى بلاده ، وفى الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسة لعلوها وارتفاعها واتساعها . فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ، فاستأمنه على أن يدله على مدخل القلعة ، فأمنه وبعث معه رجالًا إلى القلعة ، فأتوها ليلًا ففتحـوها وقتلوا خلقًا من أهلها =

قال الواقدىُّ ، وغيرُه[1] : وحجَّ بالناسِ فى هذه [١١٦/٧ظ] السنةِ أميرُ المؤمنين الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، فلمَا قَرُب من المدينةِ أمَر عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ أشرافَ المدينةِ فتلقَّوه ، فرحَّب بهم ، وأحسَن إليهم ، ودخَل المدينةَ النبويةَ فأُخلِى له المسجدُ النبوىُّ ، فلم يبقَ به أحدٌ سِوى سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، لم يتجاسرْ أحدٌ أن يُخرِجَه ، وإنما عليه ثيابٌ لا تُساوِى خمسةَ دراهمَ ، فقالوا له : تنحَّ عن المسجدِ أيُّها الشيخُ ، فإنَّ أميرَ المؤمنين قادمٌ . فقال : واللَّهِ لا أخرُجُ منه . فدخَل الوليدُ المسجدَ فجعَل يدورُ فيه ؛ يصلِّى هـٰهنا وهـٰهنا ، ويدعو اللَّهَ عزَّ وجل . قال عمرُ ابنُ عبدِ العزيزِ : وجعلتُ أعدِلُ به عن موضعِ سعيدٍ خشيةَ أن يراه ، فحانت منه التِفاتةٌ فقال : من هذا ، أهو سعيدُبنُ المسيَّبِ ؟ فقلتُ : نعمْ يا أميرَ المؤمنين ، ولو علِم بمكانِك[2] لقام إليك وسلَّم عليك . فقال الوليدُ : قد علِمتُ[3] حاله ، وجعَل يدورُ فى المسجدِ ويتفرَّجُ فى عمارتِه ويسألُنى عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، فقلتُ : إنَّه وإنَّه ، وقصدتُ موافقَتَه فى ذلك »[3] ، فشرَع الوليدُ يُثنِى عليه بالعلمِ والدينِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه ضعيفُ البصرِ - وإنما قلتُ ذلك لأعتذِرَ له - فقال : نحنُ أحقُّ بالسعيِ إليه . فجاء فوقَف عليه فسلَّم عليه ، فلم يقُمْ له سعيدٌ ، ثم قال

= وهرب الباقى ، ودخل قتيبة الشعب ، وأتى سمنجان - وهى مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك البلاد والمدن نيزك خان فى جيش هائل ، فسار خلفه إلى بغلان فحصره بها ، وأقام يحاصره شهرين ، حتى نفد ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده ترجمانا يسمى الناصح ، فقال له : اذهب فائتنى بنيزك خان ، ولئن عدت إلىّ وليس هو معك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة ، فسار الترجمان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان ، وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمنهم وولى على بلادهم ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم » .

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٤٦٥/٦ - ٤٦٦ من طريق الواقدى وأبى معشر .

(٢) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « بأنك قادم » .

(٣ - ٣) فى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : « بغضه لنا . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه وشرعت أثنى عليه » .

الوليدُ : كيفَ الشيخُ ؟ فقال : بخيرٍ والحمدُ للَّهِ ، كيفَ أميرُ المؤمنين ؟ فقال الوليدُ : بخيرٍ والحمدُ للَّهِ وحدَه . ثم انصرَف ، وهو يقولُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : هذا بقيَّةُ[1] الناسِ . فقال : أجَلْ يا أميرَ المؤمنين .

قالوا[2] : ثم خطَب الوليدُ على منبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجلَس فى الخطبةِ الأُولَى ، وانتصَب قائمًا فى الثانيةِ ، وقال : هكذا خطَب عثمانُ بنُ عفَّانَ . ثم انصرَف فصَرَف على الناسِ مِن أهلِ المدينةِ ذهبًا كثيرًا ، وفضةً كثيرةً ، ثم كسا المسجدَ النبوىَّ كُسوةً من كُسوةِ الكعبةِ التى معَه ، وهى مِن ديباجٍ غليظٍ .

وتُوفِّى فى هذه السنةِ : **السائبُ بنُ يزيدَ بنِ سعيدِ**[3] **بنِ ثُمامةَ** ، وقد حجَّ به أبوه مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان عمْرُ السائبِ سبعَ سنين . رَواه البخارىُّ[4] . فلهذا قال الواقدىُّ[5] : إنه ولِد سنةَ ثلاثٍ من الهجرةِ ، وتوُفِّى فى سنةِ إحدى وتسعين . وقال غيرُه : سنةَ ستٍّ . وقيل : ثمانٍ وثمانين[6] . واللَّهُ أعلمُ .

سهلُ بنُ سعدٍ الساعدىُّ[7] ، صحابىٌّ مدنىٌّ جليلٌ ، تُوفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وله من العمرِ خمسَ عشْرةَ سنةً ، وكان ممَّن ختَمه الحجاجُ فى عنقِه [8]فى سنةِ أربعٍ وسبعين[8] هو وأنسُ بنُ مالكٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ فى يدِه ؛ ليُذِلَّهم كيلا يسمَعَ الناسُ من رأيِهم ، قال الواقدىُّ[9] : تُوفِّى سنةَ [٧/١١٧و] إحدى وتسعين

---

(١) فى النسخ : « فقيه » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢) تاريخ الطبرى ٦/٤٦٦ - ٤٦٧، والكامل ٤/ ٥٥٥.
(٣) فى م : « سعد » . وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٢/ ٥٧٦، وأسد الغابة ٢/ ٣٢١، والإصابة ٣/ ٢٦.
(٤) صحيح البخارى (١٨٥٩) .
(٥) تاريخ دمشق ٢٠/ ١١٢، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٩٥.
(٦) فى ص : « ستين » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٩٥.
(٧) الاستيعاب ٢/ ٦٦٤، وأسد الغابة ٢/ ٤٧٢، والإصابة ٣/ ٢٠٠.
(٨ - ٨) سقط من : م .
(٩) تهذيب الكمال ١٢/ ١٩٠.

عن مائةِ سنةٍ، وهو آخرُ مَن مات فى المدينةِ مِن الصحابةِ. قال محمدُ بنُ سعدٍ[1]: ليس فى هذا خلافٌ. وقد قال البخاريُّ وغيرُه[2]: إنَّه تُوفِّى سنةَ ثمانٍ وثمانين. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/ ١٩٠.

(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٩٧، ٩٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ١٩٠.

ثم دخلت سنةُ ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمةُ، وابنُ أخيه عمرُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ، ففتَحا حصونًا كثيرةً، وغنِما شيئًا كثيرًا، وهرَبت منهم الرومُ إلى أقصى بلادِهم.

وفيها غزا طارقُ بنُ زيادٍ مولى موسى بنِ نُصيرٍ بلادَ الأندلسِ فى اثنىْ عشَرَ ألفًا، فخرَج إليه ملِكُها أذَرينوقُ[1] فى جحافلِه، وعليه تاجُه ومعه سَريرُ مُلكِه، فقاتله طارقٌ، فهزَمه وغنِم ما فى معسكرِه، فكان مِن جملةِ ذلك السريرُ، وتملَّك بلادَ الأندلسِ بكمالِها. قال الذهبىُّ[2]: كان طارقُ بنُ زيادٍ أميرَ طَنجةَ، وهى أقصى بلادِ المغربِ، وكان نائبًا لمولاه موسى بنِ نُصيرٍ، فكتَب إليه صاحبُ الجزيرةِ الخضراءِ يستنجدُ به على عدوِّه، فدخَل طارقٌ إلى جزيرةِ الأندلسِ من زُقاقِ سَبْتةَ، وانتهَز الفرصةَ لكونِ الفرنجِ قد اقتتَلوا فيما بينَهم، وأمعَن طارقٌ فى بلادِ الأندلسِ فافتتَح قرطبةَ، وقتَل ملكَها أذَرينوقَ[3]، وكتَب إلى موسى بنِ نُصيرٍ بالفتحِ، فحسَده موسى على الانفرادِ بهذا الفتحِ، وكتَب إلى الوليدِ يبشِّرُه بالفتحِ وينسِبُه إلى نفسِه، وكتَب إلى طارقٍ يتوعَّدُه؛ لكونِه دخَل بغيرِ أمرِه، ويأمُرُه أن لا يتجاوزَ مكانَه حتى يلحَقَ به، ثم سار إليه مسرعًا بجيوشِه، فدخَل الأندلسَ، ومعه حبيبُ بنُ أبى عبيدةَ الفهرىُّ، فأقام سنين يفتَحُ فى بلادِ الأندلسِ، ويأخُذُ المُدُنَ والأموالَ، ويقتُلُ الرجالَ، ويأسِرُ النساءَ والأطفالَ، فغنِم شيئًا لا يُحَدُّ، ولا

---

(١) فى الأصل، ٣١، ٢١: «ادرينون». وفى م: «أذيقون»، وفى تاريخ الطبرى: «أدرينوق». وانظر الكامل ٤/ ٥٥٦.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) فى الأصل: «اذرينون»، وفى ٣١، ص: «الذريق»، وفى ٢١: «الذورق»، وفى م: «أدرينوق». والمثبت من الكامل ٤/ ٥٥٦.

يُوصَفُ ولا يُعَدُّ من الجواهرِ واليَواقيتِ والذهبِ والفضةِ، ومن آنيةِ الذهبِ والفضةِ والأثاثِ، والخُيولِ والبِغالِ، وغيرِ ذلك شيئًا كثيرًا، وفتَح من الأقاليمِ الكبارِ والمدنِ شيئًا كثيرًا. وكان ممّا فتَح مسلمةُ، وابنُ أخيه عمرُ بنُ الوليدِ مِن حصونِ بلادِ الرومِ حصنُ سُوسَنَةَ، وبلغا إلى خليجِ القسطَنْطِينيةِ.

وفيها فتَح قتيبةُ بنُ مسلمٍ شُومانَ، وكِسَّ[1]، ونَسَفَ، وامتَنع عليه أهلُ فريابَ فأحرَقها، وجهَّز أخاه عبدَ الرحمنِ إلى الصُّغْدِ إلى طَرَخونَ خان ملكِ تلك البلادِ، فصالَحه عبدُ الرحمنِ وأعطاه طَرَخونُ خان أموالًا كثيرةً، وقدِم على أخيه وهو ببُخارَى فرجَع إلى مَرْوَ، ولمَّا صالَح طَرَخونُ عبدَ الرحمنِ ورحَل عنه، اجتمعتِ الصُّغْدُ وقالوا لطرَخونَ: إنَّك قد بُؤْتَ بالذُّلِّ وأدَّيتَ الجزيةَ، وأنت شيخٌ كبيرٌ فلا حاجةَ لنا فيك. ثم عزَلوه وولَّوا عليهم غَوْزَكَ[2] خان أخا طَرَخونَ خان، ثم إنَّهم عصَوا ونقَضوا العهدَ، وكان من أمرِهم ما سيأتى.

وفيها غزا قتيبةُ سِجِستانَ يريدُ رُتْبيلَ ملكَ التركِ الأعظمَ، فلما انتهى إلى أولِ مملكةِ رُتْبيلَ تَلَقَّتْه رسلُه يريدون منه الصلحَ على أموالٍ عظيمةٍ؛ خيولٍ ورقيقٍ ونساءٍ مِن بناتِ الملوكِ، يُحمَلُ ذلك إليه، فصالَحه.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ نائبُ المدينةِ، رحِمه اللَّهُ.

وتوفِّى فيها من الأعيانِ:

مالكُ بنُ أوسِ بنِ الحَدَثانِ النصرىُّ[3] أبو سعيدٍ المدنىُّ، مختلَفٌ فى

---

(١) فى النسخ: «كش». وانظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٣.

(٢) فى الأصل، م: «غورك». وفى ٣١، ٢١، ص: «غور». والمثبت من الطبرى ٦/ ٤٦٢، وانظر الكامل ٤/ ٥٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٥٣.

(٣) فى الأصل: «البصرى». وفى ٣١، م: «النضرى». وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٣/ ١٣٤٦،=

صحبتِه . وقال بعضُهم[1] : رِكب الخيلَ فى الجاهليةِ ورأى أبا بكرٍ . وقال محمدُ ابنُ سعدٍ[2] : رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ ولم يحفَظْ منه شيئًا . وأنكَر ذلك ابنُ معينٍ والبخاريُّ وأبو حاتمٍ ، وقالوا[3] : لا تصِحُّ له صحبةٌ . واللَّهُ أعلمُ . مات فى هذه السنةِ ، وقيل[4] فى التى قبْلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

طُوَيسٌ المغنِّى[5] ، اسمُه عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ المُنْعِمِ المدنىُّ ، مولى بنى مخزومٍ ، كان بارعًا فى صناعتِه ، وكان طويلًا مضْطَربًا[6] أحولَ العينِ[7] ، وكان مشئومًا ؛ لأنَّه ولِد يومَ توفِّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وفطِم يومَ توفِّى الصدِّيقُ ، واحتلَم يومَ قُتِل عمرُ ، وتزوَّج يومَ قُتِل عثمانُ ، وولِد له يومَ قُتِل الحسينُ بنُ علىٍّ ، وقيل : ولِد له يومَ قُتِل علىٌّ . حكاه ابنُ خَلِّكانَ وغيرُه[8] . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن ثِنتين وثمانين سنةً بالسُّوَيداءِ[9] ، وهى على مرحلتين من المدينةِ .

الأخطلُ[10] ، كان شاعرًا مُطْبِقًا ، فاق أقرانَه فى الشعرِ .

= وأسد الغابة ٥/ ١١، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٤، والإصابة ٥/ ٧٠٩.

(١) انظر الطبقات ٥/ ٥٦، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٤.

(٢) تهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٢. وعزاه المزى إلى ابن سعد فى الصغير، وهى الطبقات الصغرى.

(٣) تاريخ ابن معين ٣/ ٥٢، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٠٥، والجرح والتعديل ٨/ ٢٠٣.

(٤) تهذيب الكمال ٢٧/ ١٢٤.

(٥) انظر ترجمته فى الأغانى ٣/ ٢٧، ونهاية الأرب ٤/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٠٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٩٥.

(٦) فى ا ٣١: «مطربا».

(٧) فى ا ٢١: «العينين».

(٨) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠٧، والأغانى ٣/ ٢٧، ونهاية الأرب ٤/ ٢٤٦.

(٩) فى م: «بالسويد».

(١٠) انظر ترجمته فى: طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٥١، والشعر والشعراء ١/ ٤٨٣، والأغانى ٨/ ٢٨٠،=

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وتسعينَ

فيها افتَتح مسْلمةُ بنُ عبدِ الملكِ حصونًا كثيرةً مِن بلادِ الرومِ ؛ منها حصنُ الحديدِ ، وغَزالةُ ، وماسةُ ، وغيرُ ذلك . وفيها غزا العباسُ بنُ الوليدِ ففتَح سَبَسْطِيَةَ[1] . وفيها غزا مرْوانُ بنُ الوليدِ الرومَ فبلَغ خَنجَرةَ[2] .

وفيها كتَب خوارِزمُ شاه إلى قتيبةَ يدعُوه إلى الصُّلحِ ، وأن يعطِيَه مِن بلادِه مدائنَ ، وأن يدفَعَ إليه أموالًا ورقيقًا كثيرًا على أن يقاتِلَ أخاه ، ويُسلِّمَه إليه ؛ فإنَّه قد أفسَد فى الأرضِ وبغَى على الناسِ [٧/١١٧ظ] وعسَفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمَعُ بشىءٍ حسَنٍ عندَ أحدٍ إلّا بعَث إليه فأخَذه منه ، سواءٌ كان مالًا ، أو نساءً ، أو صبيانًا ، أو دوابَّ ، أو غيرَه . فأقبَل قتيبةُ - نصَره اللَّهُ - فى الجيوشِ ، فسلَّم إليه خوارزمُ شاه ما صالَحه عليه ، وبعَث قتيبةُ إلى بلادِ أخى خوارزمَ شاه جيشًا ، فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا وأسَروا أخاه ومعه أربعةُ آلافِ أسيرٍ[3] ، فدفَع أخاه إليه ، وأمَر قتيبةُ بالأُسارَى فضُرِبت أعناقُهم بحضرتِه ؛ قَتَل ألفًا بينَ يدَيه ، وألفًا عن يمينِه ، وألفًا عن شِمالِه ، وألفًا مِن وراءِ ظهرِه ؛ ليُرْهِبَ بذلك الأعداءَ ، مِن الأتراكِ وغيرِهم .

= وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٨٤، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٩.

(١) فى النسخ ، وتاريخ الطبرى ٦/ ٤٦٩: «سمسطية» ، والمثبت من الكامل ٤/ ٥٧٨، وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٣.

(٢) فى النسخ : «حنجرة» . وانظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٥.

(٣) بعده فى ا٣١، ا٢١، م : «من كبارهم» .

فتحُ سَمَرْقَنْدَ

وذلك أنَّ قتيبةَ لمّا فرَغ مِن هذا كلِّه، وعزَم على الرُّجوعِ إلى بلادِه، قال له بعضُ الأُمراءِ[1]: إنَّ أهلَ الصُّغْدِ قد أمِنوك عامَك هذا، فإن رأَيتَ أن تعدِلَ إليهِم وهم لا يشعُرون، فإنَّك متى فعَلتَ ذلك أخذتَها إن كنتَ تريدُها يومًا مِن الدهرِ. فقال قتيبةُ لذلك الأميرِ: هل قلتَ هذا لأحدٍ؟ قال: لا. قال: فلَئن[2] يسمَعْه منك أحدٌ أضرِبْ عُنُقَك. ثم بعَث قتيبةُ أخاه عبدَ الرحمنِ بنَ مسلمٍ بينَ يدَيه فى عشرين ألفًا فسبَقه إلى سَمَرْقندَ، ولحِقه قتيبةُ فى بقيةِ الجيشِ، فلمّا سمِعتِ الأتراكُ بقدومِهم إليهم، انتخَبوا مِن بينِهم كلَّ شديدِ السطوةِ مِن أبناءِ الملوكِ والأُمراءِ، وأمَروهم أن يسيروا إلى قتيبةَ فى الليلِ، فيَكبِسوا جيشَ المسلمين. وجاءتِ الأخبارُ إلى قتيبةَ بذلك، فجرَّد أخاه صالحًا فى ستِّمائةِ فارسٍ مِن الأبطالِ الذين لا يُطاقونَ، وقال: خُذوا عليهم الطريقَ. فساروا فوقَفوا لهم فى أثناءِ الطريقِ وتفرَّقوا ثلاثَ فِرقٍ، فلمّا اجتازوا بهم فى الليلِ - وهم لا يَشعرون بأمرِهم - ثارُوا[3] عليهم فاقتَتلوا هم وإيّاهم، فلم يُفلِتْ مِن أولئك الأتراكِ إلّا النفرُ اليسيرُ، واحتزّوا رءوسَهم، وغنِموا ما كان معهم مِن الأسلحةِ المُحلّاةِ بالذهبِ، والأمتعةِ، وقال لهم بعضُ أولئك: تعلَمون أنَّكم لم تقتُلوا فى مَقامِكم هذا إلّا ابنَ ملكٍ، أو بطلًا مِن الأبطالِ المعدودينَ بمائةِ فارسٍ أو بألفِ فارسٍ. فنَفَلهم قتيبةُ جميعَ ما غنِموه منهم مِن ذهَبٍ وسلاحٍ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٢، والكامل ٤/ ٥٧١ بنحوهما.

(٢) فى الأصل، ٣١، ٢١، ص: «فلا».

(٣) فى م: «نادوا».

واقترَب قتيبةُ مِن المدينةِ العُظمى التى بالصُّغْدِ ، وهى سَمَرْقَنْدُ ، فنصَب عليها المجانيقَ فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلُهم لا يُقلِعُ عنهم ، وناصَحه مَن معه مِن أهلِ بُخارى وخوارزمَ ، فقاتَلوا أهلَ الصُّغْدِ قتالًا شديدًا ، فأرسَل إليه غَوْزَكُ ملكُ الصُّغْدِ[1] : إنما تُقاتلُنى بإخوتى[2] وأهلِ بيتى ، فأخرِجْ إلىَّ[3] العربَ . فغضِب عند ذلك قتيبةُ ، وميَّز العربَ مِن العجَمِ وأمَر العجَمَ باعتزالِهم ، وقدَّم الشُّجعانَ مِن العربِ ، [٧/١١٨و] وأعطاهم جيِّدَ السلاحِ ، وانتزَعه مِن أيدى الجبَناءِ ، وزحَف بالأبطالِ على المدينةِ ، ورماها بالمجانيقِ ، فثَلَم فيها ثُلْمَةً ، فسدَّها الترْكُ بغَرائرِ الدُّخْنِ ، وقام رجلٌ منهم فوقَها فجعَل يَشتُمُ قتيبةَ ، فرماه رجلٌ مِن المسلمِين بسهمٍ فقلَع عَيْنَه حتى خرَجَت مِن قفاهُ ، فلم يلبَثْ أن مات - قبَّحه اللَّهُ - فأعطَى قتيبةُ الذى رماه عشَرةَ آلافٍ . ثم دخَل الليلُ ، فلمّا أصبَحوا رماهم بالمجانِيقِ فثَلَم أيضا ثُلْمَةً وصعِد المسلمون فوقَها ، وترامَوا هم وأهلُ البلدِ بالنُّشَّابِ ، فقالت الترْكُ لقتيبةَ : ارجِعْ عنا يومَك هذا ، ونحن نصالحُك غدًا . فرجَع عنهم وصالحَوه مِن الغدِ على ألفَىْ ألفٍ ومائتَى[4] ألفٍ يحمِلونَها إليه فى كلِّ عامٍ ، وعلى أن يُعطوه فى هذه السنةِ ثلاثين ألفَ رأسٍ مِن الرقيقِ ، ليس فيهم صغيرٌ ولا شيخٌ ولا عيبٌ ، وفى روايةٍ[5] : مائةَ ألفٍ مِن رقيقٍ ، وعلى أن يأخذَ حِليةَ الأصنامِ وما فى بيوتِ النيرانِ ، وعلى أن يُخْلُوا المدينةَ مِن المقاتِلةِ حتى يبنىَ فيها قتيبةُ مسجدًا ، ويُوضَعَ له فيه مِنبرٌ يخطُبُ عليه ، ويتغدَّى ويخرُجُ ، فأجابوه

---

(١) فى ٢١: « الترك » .

(٢) فى م : « باخوانى » .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « فى » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٤.

(٤) فى م : « مائة » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٥، والكامل ٤/ ٥٧٣.

إلى ذلك . فلمّا دخَلها قتيبةُ دخَلها ومعه أربعةُ آلافٍ مِن الأبطالِ ، وذلك بعد أن بُنِى المسجدُ ووُضِع فيه المِنبرُ ، فصلَّى فى المسجدِ ، وخطَب وتغدَّى ، وأُتِى بالأصنامِ التى لهم فسُلِبت بين يديْه ، وأُلْقِيتْ بعضُها فوقَ بعضٍ ، حتى صارت كالقصْرِ العظيمِ ، ثم أمَر بتحريقِها[1] ، وقال المجوسُ : إنَّ فيها أصنامًا قديمةً مَن أحرَقها هلَك . وجاء الملكُ غَوْزَكُ ، فنهَى عن ذلك ، وقال لقتيبةَ : إنِّى لك ناصحٌ[2] . فقال : أنا أُحرِقُها بيدى . [3] ثم أخَذ شعلةً مِن نارٍ[3] ، ثم قام إليها وهو يكبِّرُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، وألقَى فيها النارَ فاحترَقت ، فوجَد مِن بقايا ما كان فيها مِن الذهبِ خمسين ألفَ مثقالٍ مِن ذهبٍ .

وكان مِن جملةِ ما أصاب قتيبةُ فى السبيِ جاريةٌ مِن ولدِ يَزْدَجِرْدَ ، [4] فأهداها إلى الحجّاج[4] ، فأهداها إلى الوليدِ فولدَت له يزيدَ بنَ الوليدِ . ثم استَدْعى قتيبةُ بأهلِ سَمَرْقَنْدَ فقال لهم : إنِّى لا أريدُ منكم أكثرَ مما صالَحْتُكم عليه ، ولكن لابدَّ مِن جندٍ يُقيمونَ عندَكم مِن جهتِنا . فانتقَل عنها ملكُها غَوْزَكُ خان ، فتلا قتيبةُ : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾ . الآيات [النجم : ٥٠، ٥١] . ثم ارتحَل عنها قتيبةُ إلى بلادِ مَرْوَ ، واستخلَف على سَمَرْقَنْدَ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ مسلمٍ ، وقال له : لا تدَعَنَّ مشرِكًا يدخلُ بابَ سَمَرْقَنْدَ إلّا مختومَ اليدِ ، ثم لا تدعْه بها إلّا بمقدارِ ما تجِفُّ طينةُ خَتْمِه ، فإن جَفَّت وهو بها فاقتُلْه ، ومَن رأيتَه منهم ومعه حديدةٌ أو سكِّينةٌ فاقتُلْه بها ، وإذا أغلَقتَ البابَ فوجَدتَ بها أحدًا منهم[5] فاقتُلْه .

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « فتصارخوا وتباكوا » .

(٢) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « فقام قتيبة وأخذ فى يده شعلة نار » .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص : « فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون » .

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٧٦، والكامل ٤/ ٥٧٤.

(٥) سقط من : م .

فقال فى ذلك كعبٌ الأشْقَرِىُّ[1] - [٧/١١٨ظ] ويُقالُ : هى لرجلٍ مِن جُعْفِىٍّ[2] :

كلَّ يومٍ يَحْوِى قتيبةُ نَهبًا ... ويَزيدُ الأموالَ مالًا جديدا
باهلىٌّ قد أُلبِسَ التاجَ حتى ... شابَ منه مَفارِقٌ كنَّ سودا
دوَّخ الصُّغْدَ بالكتائبِ حتى ... تركَ الصُّغْدَ بالعراءِ قُعُودا
فوليدٌ يبكِى لفقدِ أبيهِ ... وأبٌ مُوجَعٌ يُبَكِّى الوليدا
كلَّما حلَّ بلدةً أو أتاها ... تركَتْ خيلُهُ بها أُخْدودا

وفى هذه السنةِ عزَل موسى بنُ نُصيرٍ نائبُ بلادِ المغربِ مولاه طارقًا عن الأندلسِ[3] ، وكان قد بعَثه إلى مدينةِ طُلَيطِلةَ ففتَحها ، فوجَد فيها مائدةَ سليمانَ ابنِ داودَ ، عليهما السلامُ ، وفيها مِن الذهبِ والجواهرِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فبعَثوا بها إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فما وصَلت إليه حتى مات - [4]فيما قِيل - فقُدِم بها على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ[4] ، على ما سيأتى بيانُه فى مَوضعِه[5] .

---

(١) فى الأصل : «الأسيرى» . وفى ٣١، ٢١، ص : «الأشترى» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٠، والكامل ٤/ ٥٧٥.

(٢) فى الأصل، ٢١، ص : «جعن» . وفى ٣١: «حمص» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٠، والكامل ٤/ ٥٧٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨١، والكامل ٤/ ٥٧٦، والمنتظم ٦/ ٣٠٩.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص : «وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان» .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : «وكان فيها ما يبهر العقول، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى ابن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير . وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها فى بلاد المغرب، فافتتحوا مدنا كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ومن القرى والرساتيق شيئا كثيرا فكان لا يأتى مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه وجهز البعوث والسرايا غربا وشرقا وشمالا فجعلوا يفتتحون المغرب بلدا بلدا، وإقليما إقليما، ويغنمون الأموال ويسبون الذرارى والنساء، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثرة» .

وفيها قحَط أهلُ إفريقيَّةَ ، وأجدَبوا جَدْبًا شديدًا ، فخرَج بهم موسى بنُ نُصيرٍ يستسقِى بهم ، فما زال يدعو حتى انتصَف النهارُ ، فلمّا أراد أن ينزِلَ عن المِنبرِ قِيل له : ألَا تدعو لأميرِ المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضِعُ موضِعَ ذاك .[1] فسقاهم اللَّهُ[1] مطَرًا غزيرًا[2] .

وفيها ضرَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ خُبَيبَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ خمسين سوطًا بأمرِ الوليدِ له بذلك ، وصبَّ فوقَ رأسِه قِربةً مِن ماءٍ باردٍ فى يومٍ شاتٍ[3] ، وأقامه على بابِ المسجدِ يومَه ذلك فمات ، رحِمه اللَّهُ . فكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعدَ موتِ خُبيبٍ شديدَ الخوفِ لا يأمَنُ ، وكان إذا بُشِّر بشىءٍ ، مِن أمرِ الآخرةِ يقولُ[4] : وكيف وخبيبٌ لى بالطريقِ ؟ وفى روايةٍ يقولُ : هذا إذا لم يكنْ خبيبٌ بالطريقِ . ثم يصيحُ صِياحَ المرأةِ الثَّكلَى ، وكان إذا أُثْنِى عليه يقولُ[5] : خُبيبٌ ، وما خُبيبٌ ! إن نجَوتُ منه فأنا بخيرٍ . ومازال على المدينةِ إلى أن ضرَب خُبيبًا فمات ؛ فاستقال ، وركِبه الحزنُ والخوفُ مِن حينئذٍ ، وأخَذ فى الاجتهادِ فى العبادةِ والبكاءِ ، وكانت تلك هفوةً منه وزَلةً ، ولكن حصَل له بسببِها خيرٌ كثيرٌ ؛ مِن عبادةٍ وبكاءٍ وحزنٍ وخوفٍ وإحسانٍ وعدلٍ وصدَقةٍ وبرٍّ وعتقٍ ، وغيرِ ذلك .

وفيها افتَتَحَ محمدُ بنُ القاسمِ - وهو ابنُ عمِّ الحجَّاجِ بنِ يوسُفَ - مدينةَ الدَّيْبُلِ[6] ، وغيرَها مِن بلادِ الهندِ ، وكان قد ولّاه الحجاجُ غزوَ الهندِ ، وعمْرُه

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « فلما قال هذه المقالة أرسل اللَّه عليهم الغيث فأمطروا » .

(٢) بعده فى م : « وحسن حالهم وأخصبت بلادهم » . وانظر المصادر السابقة .

(٣) فى م : « شتاء بارد » .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٤٣ بنحوه .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٠ بنحوه .

(٦) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند . معجم البلدان ٢/ ٦٣٨.

سبعَ عشْرَةَ سنةً ، فسار فى الجيوشِ فلقُوا الملكَ داهرَ - وهو ملكُ الهندِ - فى جمعٍ عظيمٍ ، ومعه سبعةٌ وعشرون فيلًا مُنتخَبَةٌ ، فاقتتَلوا ، فهزمهم اللَّهُ ، وهرَب الملكُ داهرُ ، فلمّا كان الليلُ أقبلَ الملكُ ومعه خلقٌ كثيرٌ جدًّا ، [1] فأحاطُوا بالمسلمين [1] ، فاقتتَلوا قتالًا شديدًا ، فقُتِل الملكُ داهرُ وغالبُ مَن معه ، وتبِـع المسلمون مَن انهزَم مِن الهنودِ فقتَلوه . ثم سار محمدُ بنُ القاسمِ فافتَتح مدينةَ الكَيْرَجِ [2] ، وبَرَّها ، ورجَع بغنائمَ كثيرةٍ وأموالٍ لا تُحصَى كثرةً ، مِن الجواهرِ والذهبِ وغيرِ ذلك [3] .

وفيها عزَل الوليدُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عن إمْرةِ المدينةِ ، وكان سببَ ذلك أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كتَب إلى الوليدِ يُخبِرُه عن أهلِ العراقِ أنَّهم فى ضَيمٍ وضِيقٍ مع الحجاجِ مِن ظلمِه وغَشْمِه ، فسمِع بذلك الحجاجُ فكتَب إلى الوليدِ [4] : إن عمرَ ضعيفٌ عن إمرةِ [5] المدينةِ ، وإنَّ جماعةً مِن أهلِ الشرِّ مِن أهلِ العراقِ قد لجئوا إلى [5] المدينةِ ومكةَ ، وهذا وَهْنٌ وضَعْفٌ فى الولايةِ ، فاجعَلْ على الحرمينِ مَن يضبِطُ أمرَهما ، فولِّ على المدينةِ عثمانَ بنَ حيَّانَ ، وعلى مكةَ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ . ففعَل ما أمَره به الحجاجُ ، فخرَج عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِن المدينةِ فى شوالٍ فنزَل السُّوَيداءَ ، وقدِم عثمانُ بنُ حيّانَ المدينةَ للَيلتينِ بقِيتا مِن شوالٍ مِن هذه السنةِ .

وحجّ بالناسِ فيها عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « الكبرج » . انظر فتوح البلدان ٥٣٩، ٥٤١.

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص زيادة من الناسخ .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٥ - ٥) سقط من : م .

وممّن تُوفِّي فيها مِن الأعيانِ :

أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ ضَمْضَمِ بنِ زيدِ بنِ حَرامِ بنِ جُندَبِ بنِ عامرِ ابنِ غَنْمِ بنِ عدىِّ بنِ النجَّارِ ، أبو حمزةَ - [١١٩/٧و] **ويُقالُ : أبو ثُمامةَ** - الأنصاريُّ النجّاريُّ[(١)] ، خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه ، وأمُّه أمُّ حرامٍ مُلَيكةُ بنتُ مِلحانَ بنِ خالدِ بنِ زيدِ بنِ حرامٍ ، زوجةُ أبى طلحةَ زيدِ بنِ سهلٍ الأنصاريِّ . روَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحاديثَ جمَّةً ، وأخبَر بعلومٍ مهمةٍ ، وروَى عن أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وابنِ مسعودٍ ، وغيرِهم ، وحدَّث عنه خلقٌ مِن التابعينَ . قال أنسٌ[(٢)] : قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وأنا ابنُ عشْرِ سنينَ ، وتوُفِّى وأنا ابنُ عشرينَ سنةً .

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، عن أبيه ، عن ثُمامةَ قال[(٣)] : قيل لأنسٍ : أشهِدْتَ بدرًا ؟ فقال : وأين أغيبُ عن بدرٍ ، لا أمَّ لك ؟ قال الأنصاريُّ : شهِدها يخدُمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال شيخُنا الحافظُ أبو الحجاجِ المزِّيُّ[(٤)] : لم يذكُرْ ذلك أحدٌ مِن أصحابِ المَغازِى . قلتُ : الظاهرُ أنَّه إنَّما شهِد ما بعدَ ذلك مِن المغازى[(٥)] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الاستيعاب ١/ ١٠٩، وأسد الغابة ١/ ١٥١، والإصابة ١/ ١٢٦.

(٢) مسلم (٢٠٢٩/١٢٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦١، والمزى فى تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٧، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧، كلهم من طريق محمد بن عبد اللَّه الأنصارى به .

(٤) تهذيب الكمال ٣/ ٣٦٨.

(٥) فى الأصل : « المشاهد » .

وقد ثبَت[1] أنَّ أمَّه أتتْ به - وفى رِوايةٍ[2] عمُّه زوجُ أمِّه أبو طلحةَ - إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا أنسٌ خادمٌ لَبيبٌ يخدُمُكَ . فوهَبتْه [له][3] فقبِله ، وسألتْه أن يدعوَ له ، فقال : « اللهم أكثِرْ مالَه وولدَه ، وأدخِلْه الجنةَ » . وثبَت عنه أنَّه قال[4] : كنَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ ببَقْلةٍ[5] كنتُ أجتَنِيها . وقد استعمَله أبو بكرٍ ، ثم عمرُ على عِمالةِ البحرَينِ ، وشكَراه فى ذلك .

[6]وقد ثبَت عنه أنَّه قال[7] : خدَمتُ النبىَّ ﷺ عَشْرَ سِنينَ فما ضرَبَنى ، ولا سَبَّنى ، ولا عبَس فى وجهِى ، ولا قال لى لشىءٍ : « لِمَ لا فعَلْتَ كذا ؟ » وقيل[8] : إنَّ النبىَّ ﷺ دعا له فقال : « اللهمَّ كثِّرْ مالَه وولدَه ، وطَوِّلْ حياتَه » . وكان أنسٌ رضِى اللَّهُ عنه كثيرَ الصلاةِ والصيامِ والعبادةِ[6] .

وقد انتقَل بعدَ النبىِّ ﷺ فسكَن البصرةَ ، وكان له بها أربعُ دُورٍ ، وقد ناله أذًى مِن جهةِ الحجاجِ ، وذلك فى فتنةِ ابنِ الأشعثِ ؛ توهَّم الحجاجُ منه أنَّه داخلٌ[9] فى الأمرِ ، وأنَّه أفتَى فيه ، فختَمه الحجاجُ فى عنقِه : هذا عتيقُ الحجاجِ .

---

(١) صحيح البخارى (٦٣٣٤، ٦٣٤٤) ، ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١) وفيهما : « وبارك له فيما أعطيته » بدلا من : « وأدخله الجنة » .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩.

(٣) فى النسخ : « منه » . وما أثبتناه إنما هو لمقتضى المعنى .

(٤) الترمذى (٣٨٣٠) ، والطبرانى فى الكبير ١/ ٢١٠ (٦٥٦) : ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٢) .

(٥) فى م ، ص : « نخلة » .

قال ابن الأثير : أى كناه أبا حمزة ، وقال الأزهرى : البقلة التى جناها أنس كان فى طعمها لذع فسميت حَمْزةً بفعلها . يقال : رمانة حامزة . أى فيها حموضة . النهاية لابن الأثير ١/ ٤٤٠.

(٦ - ٦) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص.

(٧) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤١، ٣٤٢، بنحوه مطوَّلًا . وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٨.

(٨) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٩.

(٩) فى ٣١، ٢١: « مداخله » ، وفى م : « له مداخلة » .

وقد شكاه أنسٌ - كما قدَّمنا - إلى عبدِ الملكِ ، فكتَب إلى الحجاجِ يعنِّفُه ، ففزِع الحجاجُ مِن ذلك وصالَح أنسًا . وقد وفَد أنسٌ على الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى أيامِ ولايتِه ، قيل : فى سنةِ ثِنتينِ وتسعينَ ، وهو يبنى جامعَ دِمَشْقَ .

قال مكحولٌ[1] : رأيتُ أنسًا يمشِى فى مسجدِ دِمَشقَ فقمتُ إليه فسألتُه عن الوُضوءِ مِن الجِنازةِ [٧/١١٩ظ] فقال : لا وُضوءَ .

وقال الأوزاعىُّ[2] : حدَّثنى إسماعيلُ بنُ [3]عبيدِ اللَّهِ[3] بنِ أبى المُهاجرِ ، قال : قدِم أنسٌ على الوليدِ ، فقال له الوليدُ : ماذا سمِعتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يذكرُ به الساعةَ ؟ فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أنتم والساعةُ كهاتينِ » . ورَواه عبدُ الرزاقِ بنُ عمرَ[4] ، عن إسماعيلَ ، قال : قدِم أنسٌ على الوليدِ فى سنةِ ثِنتين وتسعينَ . فذكَره .

وقال الزهرىُّ[5] : دخَلتُ على أنسِ بنِ مالكٍ بدِمشقَ وهو يبكِى فقلتُ : ما يُبكيكَ ؟ قال : لا أعرِفُ ممّا كان عليهِ[6] رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه إلّا هذه الصلاةَ ، وقد صنَعتم[7] فيها ما صنَعتم[7] . وفى روايةٍ[8] : وهذه الصلاةُ قد

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٢٢٣، من طريق الأوزاعى به .

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م، ص: « عبد اللَّه » ، وانظر أطراف المسند ١/ ٢٧٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٦، من طريق عبد الرزاق بن عمر به . بنحوه .

(٥) صحيح البخارى (٥٢٩) من طريق غيلان وليس من طريق الزهرى .

(٦) سقط من: م .

(٧) فى الأصل، ٣١: « ضيعتم » . وكذا فى صحيح البخارى ، وما أثبتناه موافق لإحدى نسخ البخارى . وانظر فتح البارى ٢/ ١٣.

(٨) صحيح البخارى (٥٣٠) من طريق الزهرى به .

ضُيِّعتْ . يعنى ما كان يفعلُه خلفاءُ بنى أُميَّةَ مِن تأخيرِ الصلاةِ إلى آخرِ وقتِها الموسَّعِ ؛ كانوا يواظِبونَ على التأخيرِ إلَّا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتِه كما سيأتى .

وقال عبدُ بنُ حميدٍ[1] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : جاءت بى أمُّ سُلَيمٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا غلامٌ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ[2] ، أنيسٌ فادعُ اللَّهَ له . فقال : « اللَّهمَّ أكثرْ مالَه وولدَه وأدخِلْه الجنةَ » . قال : فقد رأيتُ اثنتينِ وأنا أرجو الثالثةَ . وفى روايةٍ[3] : قال أنسٌ : فواللَّهِ إنَّ مالِى لكثيرٌ حتى إنَّ نَخْلِى وكَرْمِى ليُثمِرُ فى السنةِ مرَّتينِ ، وإنَّ ولَدى وولَدَ ولدى ليتعادُّون على نحوِ المائةِ . وفى روايةٍ[4] : وإنَّ وَلَدى لِصُلْبى مائةٌ وستةٌ . ولهذا الحديثِ طرُقٌ كثيرةٌ وألفاظٌ منتشرةٌ جدًّا . وفى روايةٍ : قال أنسٌ[5] : وأخبرَتْنى ابنتى أُمَينةُ[6] أنَّه دُفِن لِصُلْبى إلى حينِ مَقْدَمِ الحجاجِ عشرونَ ومائةٌ . وقد تقصَّى ذلك بطرُقِه وأسانيدِه وأورَد ألفاظَه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ أنسٍ[7] ، وقد أورَدنا طرَفًا مِن ذلك فى كتابِ دلائلِ النبوةِ فى أواخرِ السيرةِ[8] . وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٢٥٣) .

(٢) بعده فى م : « خويدمك » .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩، ٢٠، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٤٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٩، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٦٥، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٩.

(٥) صحيح البخارى (١٩٨٢) .

(٦) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « آمنة » .

(٧) تاريخ دمشق ٩/٣٤٥ - ٣٥٥.

(٨) تقدم فى ٨/ ٣٠١.

وقال ثابتٌ لأنسٍ[1] : هل مسّت يدُك كفَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأعطِنيها أقبِّلْها .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] ، عن أبى نعيمٍ ، عن يونسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن المِنهالِ بنِ عمرٍو ، قال : كان أنسٌ صاحبَ نعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإداوتِه . وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] ، عن مسلم بنِ إبراهيمَ ، عن المثنَّى بنِ سعيدٍ الذَّارعِ[4] ، قال : سمِعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : [٧/١٢٠و] ما مِن ليلةٍ إلّا وأنا أرى فيها حبيبى ﷺ ثم يبكِى .

وقال أبو داودَ[5] : ثنا الحكمُ بنُ عطيةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : إنِّى لأرجو أنْ ألقَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأقولَ : يارسولَ اللَّهِ خُوَيدِمُك .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يونسُ ، ثنا حربُ بنُ ميمونٍ ، عن النضْرِ بنِ أنسٍ ، عن أنسٍ ، قال : سألْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يشْفَعَ لى يومَ القيامةِ ، قال : « أنا فاعلٌ » . قلتُ : فأين أطلُبُك يومَ القيامةِ يانبيَّ اللَّهِ ؟ قال : « اطلُبْنى أولَ ما تطلُبُنى على الصِّراطِ » . قلتُ : فإذا لم ألقَكَ ؟ قال : « فأنا عندَ الميزانِ » . قلتُ : فإن لم ألقَكَ عندَ الميزانِ ؟ قال : « فأنا عندَ الحوضِ ، لا أُخطِئُ هذه الثلاثَ مواطنَ يومَ القيامةِ » . ورَواه الترمذىُّ وغيرُه[7] مِن حديثِ حربِ بنِ ميمونٍ أبِى[8]

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٥٧.

(٢) الطبقات ١/ ٤٨٢، من طريق أبى نعيم الفضل بن دكين.

(٣) الطبقات ٧/ ٢٠.

(٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: « الذراع ».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٥٩، من طريق أبى داود به.

(٦) المسند ٣/ ١٧٨.

(٧) الترمذى (٢٤٣٣)، وروى وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٥٩ - ٣٦١ عدة روايات مدارها على حرب بن ميمون به. صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨١).

(٨) فى الأصل، ٣١، ص: « بن ».

الخطابِ[1] الأنصاريِّ به ، وقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرِفُه إلّا مِن هذا الوجهِ .

وقال شعبةُ[2] ، عن ثابتٍ ، قال : قال أبو هريرةَ : ما رأيتُ أحدًا أشبهَ صلاةً برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن ابنِ أمِّ سُلَيمٍ ، يعنى أنسَ بنَ مالكٍ . وقال أنسُ[3] بنُ سِيرينَ : كان أحسنَ الناسِ صلاةً فى الحَضَرِ والسَّفرِ . وقال أنسٌ[4] : [5]يا ثابتُ[5] خذْ منِّى ، فإنِّى أخَذتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [6]وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ[6] عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، ولستَ تجِدُ أوثقَ منِّى .

وقال مُعتمِرُ بنُ سليمانَ[7] ، عن أبيه ، سمِعتُ أنسًا يقولُ : ما بقِى أحدٌ صلّى[8] القبلتَيْنِ غيرِى .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[9] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنى شيخٌ لنا يكنَّى أبا حُبَابٍ[10] سمِعتُ الجُرَيْرِىَّ[11] يقولُ : أحرَم أنسٌ مِن ذاتِ عِرْقٍ ، فما سمِعناه متكلِّمًا إلّا

---

(١) بعده فى الأصل : « صاحب الأعية » ، وفى ٣١ ، ص : « صاحب الأعمه » ، وفى ٢١ : « صاحب الأعمسه » ، وفى م : « صاحب الأعمش » . والمثبت من الترمذى . والذى أشارت إليه النسخ بذكر « صاحب الأغمية » هو ميمون بن حرب الأصغر ، أبو عبد الرحمن ، وهو خلط وقع فيه غير واحد . انظر تهذيب الكمال ٥/٥٣١ - ٥٣٨.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٢ ، من طريق شعبة به .

(٣) سقط من : ٢١ ، م . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٢.

(٤) الترمذى (٣٨٣١) بنحوه ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٧٤. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٨٠٣) .

(٥ - ٥) سقط من : ٣١ ، ٢١ ، م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) صحيح البخارى (٤٤٨٩) .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « إلى » .

(٩) الطبقات ٧/٢٢ ، من طريق محمد بن عبد اللَّه الأنصارى عن أبى حباب ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٦ ، من طريق محمد بن سعد عن عفان بن مسلم ، عن أبى حباب به .

(١٠) فى ٢١ ، ص : « خباب » ، وفى م : « جناب » .

(١١) فى م : « الحريرى » .

بذكرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حتى أَحَلَّ ، فقال لى : يا ابنَ أخى ، هكذا الإحرامُ .

وقال صالحُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ[1] : [2]دخَل علينا[2] أنسٌ يومَ الجُمُعةِ ، ونحن فى بعضِ أبياتِ أزواجِ النبىِّ ﷺ نتحدَّثُ ، فقال : مَهْ . فلمَّا أُقِيمتِ الصلاةُ قال : إنِّى أخافُ أن أكونَ قد أبطَلتُ جمُعتى بقَولى لكم : مَهْ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : ثنا بشّارُ بنُ موسى الخَفّافُ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، قال : كنتُ مع أنسٍ [4]فجاء قَهْرَمانُه[4] فقال : يا أبا حمزةَ ، عَطِشتْ أرضُنا . قال : فقام أنسٌ فتوضَّأ ، وخرَج إلى البَرِّيَّةِ ، فصلّى ركعتينِ ، ثم دعا ، فرأيتُ السحابَ يلتئمُ ثم مطَرتْ حتى[5] مَلأت كلَّ شىءٍ ، فلمّا سكَن المطرُ ، بعَث أنسٌ بعضَ أهلِه ، فقال : انظُرْ أين بلَغتِ السماءُ . فنظَر فلم تَعْدُ أرضَه إلّا يسيرًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا معاذُ بنُ معاذٍ ، ثنا ابنُ عونٍ ، عن محمدٍ ، قال : كان أنسٌ إذا حدَّث عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا ففرَغ منه قال : أو كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقال [٧/١٢٠ظ] الأنصارىُّ[7] ، عن ابنِ عونٍ[8] ، عن محمدٍ ، قال : بعَث

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٥.

(٢ - ٢) فى الأصل : « دخلنا على » .

(٣) مجابو الدعوة (٤٤) .

(٤ - ٤) فى م : « فجاءت قهرمانة » .

(٥) بعده فى م : « خيل إلينا أنها » .

(٦) المسند ٣/ ٢٠٥.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٦٨ ، من طريق الأنصارى به .

(٨) فى م : « عوف » .

أميرٌ مِن الأمراءِ إلى أنسٍ شيئًا مِن الفَيْءِ ، فقال : أَخُمُسٌ ؟ قال : لا . فلم يقبَلْه .

وقال النضرُ بنُ شدّادٍ[1] ، عن أبيه : مرِض أنسٌ ، فقيل له : ألَا ندعو لك الطبيبَ ؟ فقال : الطبيبُ أمْرَضنى .

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[2] : ثنا أبو عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىُّ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، ثنا علىُّ بنُ يزيدَ ، قال : كنتُ فى القصرِ مع الحجاجِ وهو يعرِضُ الناسَ ليالىَ ابنِ الأشعثِ ، فجاء أنسُ بنُ مالكٍ ، فقال الحجاجُ : هِى يا خبيثُ ، جوّالٌ فى الفِتَنِ ؛ مرَّةً مع علىٍّ ، ومرَّةً مع ابنِ الزبيرِ ، ومرَّةً مع ابنِ الأشعثِ ، أمَا والذى نفسُ الحجاجِ بيدِه لأَستأصِلنَّك كما تُستأصَلُ الصّمْغَةُ ، ولأُجرِّدنَّك[3] كما يُجرَّدُ الضبُّ . قال : يقولُ أنسٌ : [4]مَن يَعْنى[4] الأَميرُ ؟ قال إياكَ أعنِى ، أصمَّ اللَّهُ سمعَك . قال : فاسترجَع أنسٌ ، وشُغِل الحجاجُ فخرَج أنسٌ فتبِعناه إلى الرَّحْبةِ ، فقال : لولا أنى ذكرتُ ولدى[5] وخِفتُه عليهم[6] لكلَّمتُه بكلامٍ فى مقامى هذا لا يستحيينى[7] بعدَه أبدًا .

وقد ذكَر أبو بكرِ بنُ عيّاشٍ[8] أنَّ أنسًا بعَث إلى عبدِ الملكِ يشكو إليه الحجاجَ ويقولُ [9]فى كتابِه : إنِّى خدَمتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ[10] سنين[9] ، واللَّهِ لو أن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦٨/٩ ، من طريق النضر به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٧٢/٩ ، من طريق حنبل بن إسحاق به .

(٣) فى م : « لأخردنك » . ومعنى « لأجردنك » أى لأسلخنّك ، لأن الضّب إذا شُوى جُرد من جِلده . النهاية ١/ ٢٥٧.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، ص : « إياى يعنوا » . وفى م : « إياى يعنى » .

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « وفى رواية لولا أنى ذكرت أولادى الصغار » .

(٦) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « ما باليت أى قتلة أقتل و » .

(٧) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « لا يستخفنى » .

(٨) تاريخ دمشق ٣٧١/٩ - ٣٧٢، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٩ - ٩) سقط من : ٣١، ٢١، م ، ص .

(١٠) فى مصادر التخريج : « تسع » .

اليهودَ والنصارَى [1]أدرَكوا رجلًا[1] خدَم نبيَّهم لأكرَموه. [2]وذكر له أذِيَّةَ الحجاجِ له، فلمّا قرَأ عبدُ الملكِ كتابَه حصَل عندَه أمرٌ عظيمٌ، فكتَب إليه يقولُ: ويلَك، لقد خَشِيتُ أن لا يَصلُحَ على يدىَّ[3] أحدٌ. وذكَر له كلامًا فيه غِلظةٌ ويقولُ فيه[2]: إذا جاءك كتابى فقمْ إلى [4]أنسٍ واعتذِرْ إليه. فجاء[4] كتابُ عبدِ الملكِ إلى الحجاجِ بالغِلظةِ [5]فى ذلك، فهَمَّ[5] أن ينهَضَ إليه، فأشار إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى المُهاجرِ، الذى قدِم بالكتابِ، [6]أن لا يذهبَ إلى أنسٍ، وأشارَ[6] على أنسٍ أن يُبادرَ الحجاجَ بالمُصالحةِ - وكان إسماعيلُ صديقَ الحجّاج - فجاء أنسٌ فقام إليه الحجاجُ يتَلقّاهُ، وقال: إنما مَثَلِى ومَثَلُك [7]كما قيل[7]: إياكِ أعنى واسمَعى يا جارةُ. أرَدتُ أن لا يبقَى لأحدٍ علىَّ مَنطِقٌ.

وقال ابنُ قتيبةَ[8]: كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجّاجِ لمّا قال لأنسٍ ما قال: يا ابنَ المُسْتَفْرِمةِ[9] بحَبِّ[10] الزَّبيبِ، لقد همَمْتُ أن أركُلَك رَكْلَةً تهوِى بها إلى نارِ

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص: «رأوا من».

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م، ص: «وأنا قد خدمت رسول اللَّه ﷺ عشر سنين. فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا فيه كلام جد وفيه».

(٣) فى الأصل: «يدك» والمثبت من مصادر التخريج.

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص: «أبى حمزة فترضاه وقبل يده ورجله، وإلا حل بك منى ما تستحقه فلما جاء».

(٥ - ٥) فى ٣١، ٢١، م، ص: «والشدة هم».

(٦ - ٦) فى الأصل: «الحجاج».

(٧ - ٧) سقط من: ٣١، ٢١، م، ص.

(٨) غريب الحديث ٣/ ٧٠٩، ٧١١، ٧١٢.

(٩) فى الأصل: «المستفرية»، وفى ٣١: «المستكفرة»، وفى ٢١، ص: «المستنفرة»، وفى م: «المستقرمة». والمثبت من مصدر التخريج.

(١٠) فى م: «عجب».

جهنَّمَ ، قاتَلك اللَّهُ أُخَيفِشَ العينَينِ ، أُقَيبِلَ[1] الرِّجلين ، أسودَ الجاعِرتين[2] . ومعنى قولِه : المُسْتَفْرِمةِ[3] بحبٍّ[4] الزبيبِ . أى : تُضَيِّقُ فرجَها عندَ الجماعِ به . ومعنى : أركُلُك . أى : أرفُسُك برِجلى . وسيأتى بَسْطُ ذلك فى ترجمةِ الحجاجِ فى سنةِ خمسٍ وتسعين .

[١٢١/٧و] وقال أحمدُ بنُ صالحٍ العِجْلىُّ[5] : لم يُقْتَلَ أحدٌ مِن الصحابةِ إلّا رجُلين ؛ مُعَيقِيبٌ ، كان به الجُذامُ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، كان به وَضَحٌ . وقال الحميدىُّ[6] ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن أبى جعفرٍ ، قال : رأيتُ أنسًا يأكُلُ فرأيتُه يلقَمُ لُقَمًا عِظامًا ، ورأيتُ به وَضَحًا شديدًا .

وقال أبو يعْلَى[7] : حدثنا [8]عبيدُ اللَّهِ[8] بنُ معاذِ بنِ معاذٍ[9] العَنْبَرىُّ ، ثنا أبى ، ثنا عِمرانُ[9] ، عن أيوبَ ، قال : ضعُف أنسٌ عن الصومِ فصنَع [10]جَفْنةً مِن ثَريدٍ[10]

---

(١) فى ا٣، م، ص: «أقيتل». والأقْبَل: والأفحج؛ وهو الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباهما. النهاية ٤/ ٩.

(٢) فى ا٣، ا٢، ص: «العاجزتين». وفى م: «العاجزين».

(٣) فى الأصل: «المستفرية». وفى ا٣، ص: «المستقرمة». وفى ا٢: «المستنفرة». وفى م: «المستقرة». والمثبت من مصدر التخريج.

(٤) فى م: «عجب».

(٥) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٥.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٦، من طريق الحميدى بنحوه. كما أخرجه ابن عساكر - فى الموضع نفسه - من طريق محمد بن حرب المكى بلفظ المصنف.

(٧) مسند أبى يعلى ٧/ ٢٠٤ (٤١٩٤). قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٦٤: «... ورجاله رجال الصحيح».

(٨ - ٨) فى م: «عبد الله».

(٩ - ٩) فى ا٣، ا٢، م، ص: «بن يزيد».

(١٠ - ١٠) فى ا٣، ا٢، م، ص: «طعاما».

ودعا ثلاثين مِسكينًا فأطعَمَهم . وذكَره البخاريُّ تعليقًا[1] . وقال شعبةُ[2] ، عن موسى السُّنْبُلانيِّ[3] ، قلتُ لأنسٍ : أنت آخِرُ مَن بقِى مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : قد بقِى قومٌ مِن الأعرابِ ، فأمّا مِن أصحابِه فأنا آخِرُ مَن بقِى . وقيل له فى مرَضِه[4] : ألَا ندعو لك طبيبًا ؟ فقال : الطبيبُ أمرَضنى . وجعل يقولُ : لقِّنونى لا إلهَ إلا اللَّهُ . وهو مُحتضِرٌ ، فلم يزَلْ يقولُها حتى قُبِض . وكان عندَه عُصيَّةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَر بها فدُفِنت معه .

قال عمرُ بنُ شبَّةَ وغيرُ واحدٍ[5] : مات وله مائةٌ وسبعُ سنين . وقال الإمامُ أحمدُ فى مسندِه[6] : حدَّثنا مُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، عن حُميدٍ أنَّ أنسًا عُمِّر مائةَ سنةٍ غيرَ سنةٍ[7] . قال الواقدىُّ[8] : وهو آخِرُ مَن مات مِن الصحابةِ بالبصرةِ . وكذا قال علىُّ بنُ المدينىِّ والفلّاسُ وغيرُ واحدٍ[9] . وقد اختلَف المؤرِّخون فى سنةِ وفاتِه[10] ، فقيل : سنةَ تسعين . وقيل : إحدى وتسعين . وقيل : ثنتَين وتسعين . وقيل : ثلاثٍ وتسعين . وهذا هو المشهورُ وعليه الجمهورُ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فتح البارى ٨/ ١٨٠، باب ﴿أياما معدودات فمن كان منكم مريضا ...﴾ . وانظر تغليق التعليق ٤/ ١٧٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٩، من طريق شعبة به . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٧٦.

(٣) فى م : « السنبلاوى » .

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٨. وتقدم من طريق النضر بن شداد عن أبيه ص ٤٥٣ من هذا الجزء.

(٥) تاريخ دمشق ٩/٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، وطبقات ابن سعد ٧/٢٥ ، وتهذيب الكمال ٣/٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٦) المسند ٣/ ١٢٤.

(٧) فى م : « ستة » .

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦.

(٩) تاريخ دمشق ٩/ ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٤.

(١٠) تاريخ دمشق ٩/٣٧٩ - ٣٨٥.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنى أبو نعيمٍ قال : تُوفِّى أنسُ بنُ مالكٍ وجابرُ بنُ زيدٍ فى جمُعةٍ واحدةٍ سنةَ ثلاثٍ وتسعين .

وقال قتادةُ[2] : لمّا مات أنسٌ ، قال مُورِّقُ العِجْليُّ : ذهَب اليومَ نصفُ العلمِ . قيل له : وكيف ذاك يا أبا المعتَمِرِ ؟ قال : كان الرجلُ مِن أهلِ الأهواءِ ، إذا خالَفونا فى الحديثِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلنا لهم : تعالَوا إلى مَن سمِعه منه .

عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ ، المخزوميُّ ، الشاعرُ المشهورُ[3] ، يقال : إنَّه وُلِد يومَ تُوفِّى عمرُ بنُ الخطابِ ، وخُتِن يومَ مقتلِ عثمانَ ، وتزوَّج يومَ مقتلِ علىٍّ . فاللَّهُ أعلمُ . وكان مشهورًا بالتغزُّلِ المَليحِ البليغِ ، كان يتغزَّلُ فى امرأةٍ يقال لها : الثُّرَيّا بنتُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ الأمويةُ . وقد تزوَّجها سهلُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ الزهرىُّ ، فقال فى ذلك [٧/١٢١ظ] عمرُ بنُ أبى ربيعةَ[4] :

أيُّها المُنكِحُ الثُّرَيّا سُهَيْلًا ... عَمْرَكَ اللَّهَ كيفَ يلتَقيانِ
هى شامِيَّةٌ إذا ما استَقَلَّتْ ... وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانِى

ومِن مُستجادِ شعْرِه ما أورَده القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] :

حيٌّ طيفًا مِن الأحبَّةِ زارا ... بعد ما صرَّع[6] الكَرَى السُّمّارا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٣٨٤ ، من طريق أحمد بن حنبل به .
(٢) التاريخ الكبير ٢/ ٢٨، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٨٦.
(٣) انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٢/ ٥٥٣، والأغانى ١/ ٦١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٣٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٩.
(٤) ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ٥٠٣.
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٩، والأبيات فى ديوانه ص ٤٩٣.
(٦) فى النسخ : « برح » . والمثبت من مصدرى التخريج .

طارقًا فى المنامِ تحتَ[1] دُجَى الليـ ـلِ ضنينًا[2] بأن يَزورَ نَهارا
قلتُ ما بالُنا جُفِينا وكنّا قبلَ ذاكَ الأسماعَ والأبصارا
قال إنّا كما عهِدتَ ولكِن شغَل الحَلْىُ أهلَه أن يُعارا[3]

---

(١) فى النسخ : « بعد » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٢) فى الأصل : « حيقنا » . وفى ٣١، م ، ص : « خفيا » .
(٣) بعده فى ٣١ ، م ، ص : «بلالُ بنُ أبى الدّرْداءِ وَلِى إمْرةَ دمشقَ ، ثم وَلِى القضاءَ بها ، ثم عزَله عبدُ الملكِ بأبى إدريسَ الخوْلانىّ . كان بلالٌ حسَنَ السيرةِ ، كثيرَ العِبادةِ ، والظاهرُ أنَّ هذا القبرَ الذى بباب الصغيرِ الذى يقالُ له : قبرُ بلالٍ . إنَّما هو قبرُ بلالِ بنِ أبى الدرداءِ ، لا قبرُ بلالِ بنِ حَمامةَ مؤذِّنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنَّ بلالًا المؤذنَ دُفِن بدارَيّا . واللَّهُ أعلمُ . بُسرُ بنُ سعيدٍ المدنىُّ ، السيدُ العابدُ الفقيهُ ، كان مِن العبّادِ المنقَطِعين ، الزُّهادِ المعروفِين ، تُوفِّى بالمدينةِ . زُرارةُ بنُ أوفَى بنِ حاجبٍ العامرىُّ ، قاضِى البصرةِ ، كان من كبارِ علماءِ أهلِ البصرةِ وصلحائِها ، له رواياتٌ كثيرةٌ ، قرَأ مرةً فى صلاةِ الصبحِ سورةَ المدَّثرِ فلمّا بلَغ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] خرّ ميّتًا . توفِّى بالبصرةِ وعمرُه نحوَ سبعين سنةً . خُبيبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، ضرَبه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بأمرِ الوليدِ له فى ذلك فمات ، ثم عُزِل عمرُ بعدَه بأيامٍ قليلةٍ ، فكان يتأسَّفُ على ضرْبِه له ويبكِى . مات بالمدينةِ . حفصُ بنُ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ المدنىُّ ، له رواياتٌ كثيرةٌ ، وكان مِن الصالحِين . توفِّى بالمدينةِ . سعيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بن عتّابِ بنِ أَسِيدٍ الأمويُّ ، أحدُ الأشرافِ بالبصرةِ ، كان جوَادًا ممدَّحًا ، وهو أحدُ الموصوفِين بالكرَمِ ، قيل : إنَّه أعطى بعضَ الشعراءِ ثلاثين ألفًا . فروةُ بنُ مجالدٍ قيل : إنَّه كان مِن الأبدالِ ، أُسِر مرةً وهو فى غزوةٍ هو وجماعةٌ معه ، فأتَوا بهم الملكَ ، فأمَر بتقييدِهم وحبسِهم فى المكانِ والاحترازِ عليهم إلى أن يُصبِحَ ، فيرَى فيهم رأيَه ، فقال لهم فروةُ : هل لكم فى المُضِىِّ إلى بلادِنا ؟ فقالوا : أوَ ما ترَى ما نحن فيه مِن الضِّيقِ ؟ فلمَس قُيودَهم بيدِه فزالتْ عنهم ، ثم أتى بابَ السجنِ فلمَسه بيدِه فانفتَح ، فخرَجوا منه ومضَوا ، فأدرَكوا جيشَ المسلمين قبلَ وصولِهم إلى البلدِ . أبو الشَّعْثاءِ جابرُ بنُ زيدٍ كان لا يماكِسُ فى ثلاثٍ ؛ فى الكَرْىِ إلى مكةَ ، وفى الرقَبةِ يشترِيها للعِتقِ ، وفى الأُضحيةِ . وقال : لا تماكِسْ فى شىءٍ يُتقرَّبُ به إلى اللَّهِ . وقال ابنُ سِيرينَ : كان أبو الشعثاءِ مسلِمًا عندَ الدينارِ والدرهمِ . قلتُ : كما قيل :

إنِّى رأيتُ فلا تظنُّوا غيرَه أنَّ التورُّعَ عندَ هذا الدرهمِ
فإذا قدَرْتَ عليه ثم تركتَه فاعلمْ بأنَّ تُقاكَ تقْوَى المسلمِ

وقال أبو الشَّعثاءِ : لأَنْ أتصدقَ بدرهمٍ على يتيمٍ ومسكينٍ أحبُّ إلىَّ مِن حَجةٍ بعدَ حَجةِ الإسلامِ . كان أبو الشعثاءِ مِن الذين أوتوا العلمَ ، وكان يُفتِى فى البصرةِ ، وكان الصحابةُ مثلَ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، إذا سأله أهلُ البصرةِ عن مسألةٍ يقولُ : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاءِ ؟ وقال له ابنُ عمرَ: يا جابرُ بنَ زيدٍ ، إنَّك مِن فقهاءِ البصرةِ ، وإنَّك ستُستفتَى فلا تُفتِيَنَّ إلّا بقرآنٍ ناطقٍ ، أو سُنةٍ ماضيةٍ ، فإنَّك إن فعَلتَ غيرَ =

.....

= ذلك ، فقد هلكتَ وأهلكتَ . وقال عمرُو بنُ دينارٍ : ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بفُتْيا مِن جابرِ بنِ زيدٍ . وقال إياسُ بنُ معاويةَ : أدرَكتُ أهلَ البصرةِ ، ومُفْتيهم جابرُ بنُ زيدٍ مِن أهلِ عمانَ . وقال قتادةُ لمَّا دُفِن جابرُ بنُ زيدٍ : اليومُ دفِن أعلمُ أهلِ الأرضِ . وقال سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال أبو الشعثاءِ : كتَب الحكمُ بنُ أيوبَ نفرًا للقضاءِ أنا أحدُهم - أى عمرٌو - فلو أنِّى ابتُليتُ بشىءٍ منه ، لركِبتُ راحِلَتى وهرَبتُ فى الأرضِ . وقال أبو الشعثاءِ : نظَرتُ فى أعمالِ البِرِّ ، فإذا الصلاةُ تُجهِدُ البدنَ ولا تُجهِدُ المالَ ، والصيامُ مثلُ ذلك ، والحَجُّ يُجهِدُ المالَ والبدنَ ، فرأيتُ أن الحَجَّ أفضَلُ مِن ذلك . وأخَذ مرةً قصبةً مِن حائطٍ ، فلمَّا أصبَح ردَّها فى الحائطِ ، وكان الحائطُ لقومٍ فقال : لو كان كلُّ مَن مرَّ به أخَذ منه قصبةً ، لم يبقَ منه شىءٌ . وقال أبو الشعثاءِ : إذا جئتَ يومَ الجُمُعةِ إلى المسجدِ ، فقِفْ على البابِ وقلْ : اللهمَّ اجعَلْنى اليومَ أوجهَ مَن توجَّه إليك ، وأقربَ مَن تقرَّب إليك ، وأنجَحَ مَن دعاك ، ورغِب إليك . وقال سيَّارٌ : حدَّثنا حمادُ ابنُ زيدٍ ، ثنا الحجَّاجُ بنُ أبى عيينةَ ، قال : كان جابرُ بنُ زيدٍ يأتِينا فى مصلَّانا ، قال : فأتانا ذاتَ يومٍ ، وعليه نعلانِ خَلِقانِ ، فقال : مضَى مِن عمرِى ستون سنةً نعلَاى هاتان أحبُّ إلىَّ ممَّا مضَى منه إلَّا أن يكونَ خيرًا قدَّمتُه . وقال صالحٌ الدَّهَّانُ : كان جابرُ بنُ زيدٍ إذا وقَع فى يدِه درهمٌ سُتُّوقٌ كسَره ورمَى به ؛ لِئلَّا يُغَرَّ به مسلمٌ . السُّتُّوقُ ؛ الدرهمُ المغايرُ أو الدَّغَلُ ، وقيل : هو المغشوشُ . وروَى الإمامُ أحمدُ ، حدَّثنا أبو عبدِ الصمدِ العَمِّىُّ ، حدَّثنا مالكُ بنُ دينارٍ قال : دخَل علىَّ جابرُ بنُ زيدٍ وأنا أكتُبُ المصحفَ ، فقلتُ له : كيف ترَى صنعَتى هذه يا أبا الشعثاءِ؟ قال : نِعْمَ الصنعةُ صنعتُك ، تنقُلُ كتابَ اللَّهِ مِن ورقةٍ إلى ورقةٍ ، وآيةٍ إلى آيةٍ ، وكلمةٍ إلى كلمةٍ ، هذا الحلالُ لا بأسَ به . وقال مالكُ بنُ دينارٍ : سألتُه عن قولِه تعالى ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء : ٧٥] . قال : ضعفُ عذابِ الدُّنيا ، وضعفُ عذابِ الآخرةِ ، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ . وقال سفيانُ : حدَّثنى أبو عُميرٍ ، الحارثُ بنُ عميرٍ ، قال : قالوا لجابرِ بنِ زيدٍ عندَ الموتِ : ما تشتَهى أو ما تريدُ ؟ قال : نظرةً إلى الحسنِ . وفى روايةٍ عن ثابتٍ قال : لمَّا ثقُل على جابرِ بنِ زيدٍ ، قيل له : ما تشتَهى ؟ قال : نظرةً إلى الحسنِ . قال ثابتٌ : فأتَيتُ الحسنَ فأخبَرتُه ، فركِب إليه ، فلمَّا دخَل عليه ، قال لأهلِه : أرفِدُونى فجلَس ، فما زال يقولُ : أعوذُ باللَّهِ مِن النارِ وسوءِ الحسابِ . وقال حمَّادُ بنُ زيدٍ : حدَّثنا حجَّاجُ بنُ أبى عيينةَ ، عن هندِ بنتِ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ - وكانتْ مِن أحسنِ النساءِ - وذكَروا عندَها جابرَ بنَ زيدٍ ، فقالوا : إنَّه كان إباضِيًّا . فقالتْ : كان جابرُ بنُ زيدٍ أشدَّ الناسِ انقطاعًا إلىَّ وإلى أمِّى ، فما أعلَمُ شيئًا كان يقرِّبُنى إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، إلَّا أمَرنى به ، ولا شيئًا يُباعِدُنى عن اللَّهِ إلَّا نَهانى عنه ، وما دَعانى إلى الإباضيَّةِ قطُّ ، ولا أمَرنى بها ، وإنْ كان ليأمُرُنى أن أضَعَ الخِمارَ ، ووضَعتْ يدَها على الجبْهةِ . أسنَد عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، ومعظمُ روايتِه عن ابنِ عمرَ ، وابنِ عباسٍ » ، وقد صرح فى المخطوط ٣١ ، أنها زيادة .

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وتسعين

فيها غزا العباسُ بنُ الوليدِ أرضَ الرومِ، فقيل[1]: إنه فتَح أَنطاليَةَ[2].

وغزا أخوه عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ فبلَغ غَزالةَ، وبلَغ الوليدُ بنُ هشامٍ المُعَيطِيُّ أرضَ برجِ الحَمامِ، وبلغ يزيدُ بنُ أبى كَبْشةَ أرضَ سورِيَّةَ.

وفيها كانت الرجفةُ بالشامِ.

[3]وفيها افتتَح مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ سَنْدَرةَ من أرضِ الرومِ.

وفيها فتَح اللَّهُ على الإسلامِ فتوحاتٍ عظيمةً فى دولةِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، على يدَىْ أولادِه وأقربائِه وأمرائِه، حتى عاد الجهادُ شبيهًا بأيامِ عمرَ بنِ الخطابِ، رضِى اللَّهُ عنه[3].

وفيها افتتَح القاسمُ بنُ محمدٍ الثقفىُّ أرضَ الهندِ، [3]وغنِم أموالًا لا تُعَدُّ، ولا تُوصَفُ[3]، وقد ورَد فى غزوِ الهندِ حديثٌ [3]رَواه الحافظُ ابنُ عساكرَ وغيرُه[4][3].

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ الشاشَ[5] وفَرْغانةَ[6] حتى بلَغ خُجَنْدةَ[7]،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٣، والكامل ٤/ ٥٨٢.

(٢) فى النسخ، والطبرى، والكامل: «أنطاكية». والصواب ما أثبتناه. فأنطالية بلدة على الساحل. معجم البلدان ١/ ٣٨٨. أما أنطاكية فهى فى الداخل وفتحت أيام عمر بن الخطاب، كما فى فتوح البلدان ١/ ١٧٤، ١٧٥، والكامل ٢/ ٤٩٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢١٨. ورواية ابن عساكر لم أقف عليها.

(٥) من بلاد ما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون، متاخمة لبلاد الترك. معجم البلدان ٣/ ٢٣٣.

(٦) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. معجم البلدان ٣/ ٨٧٨.

(٧) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، متاخمة لفرغانة. معجم البلدان ٢/ ٤٠٤.

وكاشانَ[1] مدينتَىْ فَرْغانةَ ، وذلك بعدَ فراغِه من الصُّغْدِ ، وفتحِ سَمَرقَندَ ، [2]ثم خاضَ تلك البلادَ ، يفتَحُ فيها حتى وصَل إلى كابُلَ ، فحاصرَها وافتتَحها[2] ، وقد لقِيَه المشركون فى جموعٍ هائلةٍ من التركِ فقاتَلهم قتيبةُ عند خُجَنْدَةَ مِرارًا .

[3]كلُّ ذلك يكونُ الظفَرُ له[3] .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وقد قال سَحْبانُ وائلٍ يذكُرُ قِتالَهم بخُجَنْدةَ[5] :

فسلِ الفوارسَ فى خُجَنـ ... ـدَةَ تحت مُرهَفةِ العوَالى
هلْ كنتُ أجمَعُهُم[6] إذا ... هُزِموا وأُقدِمُ فى قِتالى
أمْ كنتُ أضرِبُ هامةَ الـ ... ـعاتى وأصْبِرُ للنِّزَالِ
هذا وأنتَ قريعُ قيـ ... ـسٍ كلُّها ضخمُ النَّوَالِ
وفضَلتَ قيسًا فى النَّدَى ... وأبوكَ فى الحِجَجِ الخوالى
تمّت مروءتُكمْ [7]ونا ... غَى[7] عزُّكم غُلبَ الجبالِ
ولقدْ تبينَ عدلُ حُكْـ ... ـمِك فيهمُ فى كلِ مَالِ[8]

هكذا ذكَر ابنُ جريرٍ أنَّ هذا من شعرِ سَحْبانَ وائلٍ فى هذه الغزوةِ . وقد

---

(١) مدينة بما وراء النهر ، على بابها وادى أخسيكث . معجم البلدان ٤/ ٢٢٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٠.

(٣ - ٣) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقا وأسر آخرين ، وغنم أموالا كثيرة » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٤. وانظر الكامل ٤/ ٥٨١.

(٥) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « التى هى قرية من بلاد الصين أبياتا فى ذلك » .

(٦) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « أحميهم » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « ونامى » .

(٨) فى ٢١، والكامل : « حال » .

ذكَرنا ما أورَده ابنُ الجَوزىِّ فى منتظَمِه[1] ؛ أنَّ سحبانَ مات فى خلافةِ معاويةَ بنِ أبى سُفيانَ بعدَ الخمسين ، فاللَّهُ أعلَمُ .

مقتلُ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، رحِمه اللَّهُ

قال ابنُ جريرٍ[2] : وفى هذه السنةِ [١٢٢/٧و] قتَل الحجّاجُ بنُ يوسفَ سعيدَ ابنَ جُبيرٍ ، وكان سببَ ذلك أنَّ الحجّاجَ كان قدْ جعَله على نفقاتِ الجندِ حينَ بعَثه مع عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ إلى قتالِ رُتْبِيلَ ، فلمّا خلَعه ابنُ الأشعثِ ، خلَعه معه سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، فلمّا ظفِر الحجّاجُ بابنِ الأشعثِ وأصحابِه ، هرَب سعيدُ بنُ جُبيرٍ إلى أصبهانَ ، فكتَب الحجاجُ إلى نائبِها أن يبعَثه إليه ، [3]فلمّا سمِع بذلك سعيدٌ هرَب[3] منها ، ثم كان يعتمِرُ فى كلِّ سنةٍ ويَحُجُّ ، ثم إنه لجأَ إلى مكةَ ، فأقام بها إلى أن وَلِيها خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ، فأشار مَن أشار على سعيدٍ بالهرَبِ منها ، فقال [4]سعيدٌ : واللَّهِ لقد[4] استحيَيتُ من اللَّهِ ، مِمَّ أفِرُّ ولا مَفرَّ مِن قَدَرِه ؟!

وتولَّى على المدينةِ عثمانُ بنُ حيّانَ بدلَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فجعَل يبعَثُ مَن بالمدينةِ مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ مِن أهلِ العِراقِ إلى الحجاجِ فى القيودِ ، فتعلَّم منه خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ، فعيَّن مَن عندَه مِن مكةَ ؛ سعيدَ بنَ جُبيرٍ ، وعطاءَ

---

(١) فى م : « منظمه » . وانظر المنتظم ٥/ ٢٨٣.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/٤٨٧ - ٤٩١. وانظر الكامل ٤/ ٥٧٩، ٥٨٠.

(٣ - ٣) فى الأصل : « فهرب » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « قد » .

ابنَ أبى رباحٍ ، ومجاهدَ بنَ جَبرٍ[1] ، وعمرَو بنَ دينارٍ ، وطلقَ بنَ حَبيبٍ .

ويقالُ : إنَّ الحجاجَ كتَب[2] إلى الوليدِ يُخبِرُه أنّ بمكةَ أقوامًا من أهلِ الشقاقِ ، فبعَث خالدٌ بهؤلاءِ إليه ، ثم عفا عن عطاءٍ ، وعمرِو بنِ دينارٍ ؛ لأنَّهما من أهلِ مكةَ ، وبعَث بأولئك الثلاثةِ ؛ فأما طلقٌ فمات فى الطريقِ قبلَ أنْ يَصِلَ ، وأما مجاهدٌ فحُبِس[3] حتى مات الحجاجُ .

وأما سعيدُ بنُ جُبيرٍ فإنه لمّا وقَف بين يدَيِ الحجاجِ ، قال له : يا سعيدُ ، ألَمْ أُشرِكْكَ فى أمانتِى ؟ ألم أَستعمِلْكَ ؟ ألم أفعَلْ ، ألم أفعَلْ ؟ كلُّ ذلك يقولُ : نعم . حتى ظنَّ مَن عندَه أنه سيُخلِى سبيلَه ، حتى قال له : فما حمَلكَ على أنْ خرجتَ علىَّ ، وخلَعتَ بيعةَ أميرِ المؤمنين ؟ فقال سعيدٌ : إن ابنَ الأشعثِ أخَذ منى البيعةَ على ذلك ، وعزَم علىَّ . فغضِب عند ذلك الحجّاجُ غضَبًا شديدًا ، وانتفَخ حتى سقَط أحدُ طرفَىْ ردائِه عن مَنكِبِه ، وقال له : ويحَك ، ألَمْ أقدَمْ مكةَ ، فقتَلتُ ابنَ الزبيرِ ، وأخذتُ بيعةَ أهلِها ، وأخذتُ بيعتَك لأميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ ؟ قال : بلى . قال : ثم قدِمتُ الكوفةَ واليًا على العراقِ فجدَّدتُ لأميرِ المؤمنين البيعةَ فأخذتُ بيعتَك له ثانيةً ؟ قال : بلى . قال : فتنكُثُ بيعتَين لأميرِ المؤمنين ، وتفِى بواحدةٍ للحائكِ ابنِ الحائكِ ؟ يا حَرَسىُّ ، اضرِبْ عنقَه . قال : فضُرِبتْ عنقُه ، فندَر[4] رأسُه ، عليه لاطِئةٌ صغيرةٌ بيضاءُ .

---

(١) فى ٣١: « جبير » . وهو مجاهد بن جبر ، ويقال له : ابن جبير . انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨. وعلق محقق الطبرى ، قال : مجاهد هو أبو حَصينٍ عثمان بن عاصم . وهو خلط ، فليسا بواحد ؛ فأبو حصين من الرواة عن مجاهد . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٠١، ٢٧/ ٢٣١.

(٢) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « أرسل » .

(٣) بعده فى ٣١، ٢١، م ، ص : « فمازال فى السجن » .

(٤) فى م : « فبدر » .

(١ وقال الواقدىُّ(٢) : لمّا أُوقِف سعيدُ بنُ جُبيرٍ قدَّامَ الحجاجِ ، قال : ياشَقِىُّ بنَ كُسيرٍ ، أمَا قدِمتَ الكوفةَ فجعَلتُك إمامًا ؟ قال : بلى . قال : أما [٧/١٢٢ظ] ولَّيتُك القضاءَ ، فضَجَّ أهلُ الكوفةِ : إنه لا يصلُحُ للقضاءِ إلّا عربىٌّ . فجعَلتُ أبا بُردةَ ، وأمَرتُه أن لا يقطَعَ أمرًا دونَك ؟ قال : بلى . قال : أمَا أعطَيتُك مائةَ ألفٍ تُفرِّقُها على أهلِ الحاجةِ ؟ قال : بلى . قال : فما أخرَجك علىَّ ؟ قال : بيعةٌ كانت فى عُنُقِى لابنِ الأشعثِ . فغضِب الحجاجُ ، وقال : أمَا كانت بيعةُ أميرِ المؤمنين فى عنُقِك مِن قبلُ ؟ ثم قال(٣) : أكفَرتَ إذ خرَجتَ علىَّ ؟ فقال : ما كفَرتُ منذُ آمَنتُ . فقال : اختَرْ أىَّ قِتلةٍ أقتُلُك . فقال : اختَرْ أنت ، فإنَّ القِصاصَ أمامَك . فقال الحجاجُ : يا حَرَسِىُّ ، اضرِبْ عنُقَه . وذلك فى رمضانَ سنةَ خمسٍ وتسعين ، بواسطٍ ، وقبرُه ظاهرٌ يُزارُ .

ولـمّا قتَله خرَج منه دمٌ كثيرٌ حتى راع الحجاجَ ، فدعا طبيبًا ، فسأله عن ذلك ، فقال(٤) : إنَّك قتَلتَه ونفسُه معه ، وقلبُه حاضِرٌ . وقيل(٥) : إن الحجاجَ رُئِى فى المنامِ ، فقيل له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : قتَلنى بكلِّ رجلٍ قتَلتُه قَتْلةً ، وقتَلنى بسعيدِ بنِ جُبيرٍ اثنتين وسبعين قَتْلةً . واللَّهُ أعلمُ١) .

(١ - ١) فى ٣١، ٢١، م، ص : « وقد ذكر الواقدى نحو هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت ، أما فعلت ؟ » .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٧، ٣٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٠٧، بنحوه من غير طريق الواقدى .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٨.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٤، وتاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٠، ٣٤١، بنحوه .

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٤، وتاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٩، بنحوه .

قال ابنُ جريرٍ[1] : فحدَّثتُ عن أبى غسَّانَ مالكِ بنِ إسماعيلَ ، قال : سمِعتُ خلَفَ بنَ خليفةَ يذكُرُ عن رجلٍ ، قال : لمّا قتَل الحجاجُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ فندَر رأسُه ، هلَّل ثلاثًا ؛ مرةً يفصِحُ بها ، وفى الثِّنتَينِ يقولُ مثلَ ذلك ، لا يُفصِحُ بها .

وذكَر أبو بكرٍ[2] الباهلىُّ قال[3] : سمِعتُ أنسَ بنَ أبى شيخٍ يقولُ : لمّا أُتى الحجاجُ بسعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : لعَن اللَّهُ ابنَ النصرانيةِ - يعنى خالدًا القسْرىَّ ، وكان هو الذى أرسَل به مِن مكةَ - أمَا كنتُ أعرِفُ مكانَه ؟! بلى واللَّهِ ، والبيتَ الذى هو فيه بمكةَ . ثم أقبَل عليه ، فقال : يا سعيدُ ، ما أخرَجك علىَّ ؟ فقال : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، أنا امرؤٌ مِن المسلمين ، يُخطِئُ مرةً ويصيبُ أخرَى ، فطابتْ نفسُ الحجاجِ وتطلَّق وجهُه ، ورجا الحجاجُ أن يتخلَّصَ مِن أمرِه ، ثم عاوَده فى شىءٍ ، فقال سعيدٌ : إنما كانت بيعةً فى عُنُقِى ، فغضِب عندَ ذلك الحجاجُ ، وكان ما كان من قتلِه .

وذكَر عتّابُ بنُ بَشيرٍ[4] ، عن سالمٍ الأفطسِ ، قال[5] : أُتى الحجاجُ بسعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، وهو يريدُ الركوبَ ، وقد وضَع إحدى رجلَيهِ فى الغرْزِ ، فقال : واللَّهِ لا أركَبُ حتى تتبوَّأَ مقعدَك من النارِ ، اضرِبوا عنُقَه . فضرِبت عنقُه . قال : والتبَس الحجّاجُ فى عقلِه مكانَه ، فجعَل يقولُ : [6]قيودَنا قيودَنا[6] . فظنُّوا أنه يُريدُ القيودَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٩.

(٢) فى الأصل ، ٣١، ٢١، ص : « بكرة » . وهو كذلك بإحدى نسخ الطبرى .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٨٩، ٤٩٠، بنحوه .

(٤) فى النسخ ، ومصدر التخريج : « بشر » . والصواب ما أثبتناه . انظر التاريخ الكبير للبخارى ٧/ ٥٦، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٥، وطبقات خليفة ٢/ ٨٢٧، وتهذيب الكمال ١٩/ ٢٨٦، وشذرات الذهب ١/ ٣٢٠.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٠، بنحوه .

(٦ - ٦) فى ٢١: « قيدونا قيدونا » .

التى على سعيدٍ ، فقطَعوا رجليهِ مِن أنصافِ ساقيهِ ، وأخَذوا القيودَ .

وقال محمدُ بنُ[1] حاتمٍ : ثنا عبدُ الملكِ [١٢٣/٧و] بنُ عبدِ اللَّهِ ، [2]عن هلالِ ابنِ خبّابٍ[2] ، قال[3] : جِيء بسعيدِ بنِ جُبيرٍ إلى الحجاجِ ، فقال : كتَبتَ إلى مصعبِ بنِ الزبيرِ ؟ فقال : [4]بل كتَب[4] إليَّ مصعبٌ . قال : واللَّهِ لأقتُلنَّك . قال : إنى إذًا لسعيدٌ ، كما سمَّتنى أُمِّى . قال : فقتَله ، فلم يلبثِ الحجاجُ بعدَه إلَّا أربعين يومًا ، فكان إذا نام يراه فى المنامِ يأخُذُ بمجامعِ ثوبِهِ فيقولُ : يا عدوَّ اللَّهِ ، فيم قتَلتَنى ؟ فيقولُ الحجاجُ : مالِى ولسِعيدِ بنِ جُبيرٍ ، مالى ولسعيدِ بنِ جُبيرٍ ؟!

قال ابنُ خلِّكانَ[5] : كان سعيدُ بنُ جُبيرِ بنِ هشامٍ ، الأسدىُّ ، مولى بنى[6] والبةَ كوفيًّا ، أحدَ الأعلامِ مِن التابِعين ، وكان أسودَ اللونِ ، وكان لا يكتُبُ على الفُتْيا ، فلّما عمِى ابنُ عباسٍ كتَب ، فغضِب ابنُ عباسٍ مِن ذلك . وذكَر مقتَلَه بنحوِ ما تقدَّم ، وذكَر أنه كان فى شعبانَ ، وأنَّ الحجاجَ مات بعدَه فى رمضانَ ، وقِيل : بستةِ أشهرٍ .

وذكَر عن الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ أنَّه قال[7] : قتِل سعيدُ بنُ جُبيرٍ وما على وجهِ الأرضِ أحدٌ إلَّا وهو محتاجٌ - أو قال : مُفتقِرٌ - إلى علمِه .

---

(١) بعده فى ٣١، ٢١، م، ص : « أبى » .

(٢ - ٢) فى الأصل، ٢١، م، ص : « بن خباب » ، وفى ٣١: « بن حبان » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣٠.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٠، ٤٩١ بنحوه .

(٤ - ٤) فى ٣١، ٢١، م، ص : « بلى كتبت » .

(٥) وفيات الأعيان ٢/٣٧١ - ٣٧٤ بنحوه .

(٦) بعده فى م : « قبل » .

(٧) وفيات الأعيان ٢/٣٧٤ .

ويقالُ : إنَّ الحجاجَ لم يُسلَّطْ بعدَه على أحدٍ . وسيأتى فى ترجمةِ الحجاجِ أيضًا شىءٌ من هذا .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وكان يقالُ لهذه السنةِ : سنةُ الفقهاءِ ؛ لأنه مات فيها عامَّةُ فقهاءِ المدينةِ ؛ مات فى أولِها علىُّ بنُ الحسينِ[2] زينُ العابدين ، ثم عروةُ بنُ الزُّبيرِ ، ثم سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وأبو بكرِ بنُ[3] عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، [4]وسعيدُ بنُ جُبيرٍ من أهلِ مكةَ[4] .

وقد ذكَرْنا تراجمَ هؤلاءِ فى كتابِنا «التكميلِ» ، وسنذكُرُ طرَفًا صالحًا هـٰهنا ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ جريرٍ[5] : واستقضَى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ فى هذه السنةِ على الشامِ سليمانَ بنَ حبيبٍ[6] .

وحجَّ بالناسِ [7]أخوه مَسلمةُ فى قولِ بعضِهم[8] .

وقال الواقدىُّ[9] : حجَّ بالناسِ[7] فيها [10]عبدُ العزيزِ[10] بنُ الوليدِ ، ويقال :

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١.

(٢) بعده فى م : «ابن» .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١.

(٦) فى الأصل : «حرب» . وفى ٣١ ، ٢١ ، م ، ص : «صرد» . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٨٢.

(٧ - ٧) سقط من : ٣١، ٢١، م، ص .

(٨) الطبرى ٦/ ٤٩١، والكامل ٤/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦١.

(٩) أخرجه الطبرى ٦/٤٩١ بنحوه . وانظر الكامل ٤/ ٥٨٢.

(١٠ - ١٠) فى النسخ : «العباس» . والمثبت من الطبرى . وانظر الكامل ٤/ ٥٨٢.

مَسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ .

وكان على نِيابةِ مكةَ خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القسريُّ ، وعلى المدينةِ عثمانُ بنُ حيّانَ ، وعلى المشرقِ بكمالِه الحجاجُ ، وعلى خراسانَ قتيبةُ بنُ مُسلمٍ ، وعلى الكوفةِ من (١جهةِ الحجاجِ١) زيادُ بنُ جريرٍ ، وعلى قضائِها أبو بكرِ بنُ أبى موسى ، وعلى إمرةِ البصرةِ من جهةِ الحجاجِ الجرَّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَمِيُّ ، وعلى قضائِها (٢عبدُ الرحمنِ٢) بنُ أُذينةَ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلَمُ(*) .

ذكْرُ مَن تُوفّى فيها من المشاهيرِ والأعيانِ

سعيدُ بنُ جُبيرِ بنِ هشامٍ الأسديُّ الوالبيُّ(٣) مولاهم ، أبو محمدٍ ، ويقالُ : أبو عبدِ اللَّهِ . الكوفيُّ المكيُّ ، من أكابرِ أصحابِ ابنِ عباسٍ ، كان مِن أئمةِ الإسلامِ فى التفسيرِ والفقهِ وأنواعِ العلومِ ، وكثرةِ العملِ الصالحِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد رأَى خلقًا من الصحابةِ ، وروَى عن جماعةٍ منهم ، وعنه خلقٌ مِن التابِعين ، وغيرِهم ، يقالُ : إنه كان يقرَأُ القرآنَ(٤) فيما بينَ المغربِ [٧/١٢٣ظ] والعشاءِ خَتْمةً تامةً ، وكان يقعُدُ فى الكعبةِ القَعدةَ فيقرَأُ فيها الختمةَ ، وربَّما قرَأها فى ركعةٍ

(١ - ١) فى الأصل : « جهته » .

(٢ - ٢) فى ٣١، ٢١، م ، ص : « عبد اللَّه » . وانظر الكامل ٤/ ٥٤٨، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥١٠.

* إلى هنا ينتهى الجزء العاشر من نسخة أحمد الثالث والتى رمزنا لها بـ (٣١) .

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٦، وطبقات خليفة ٢/ ٧٠٢، والحلية ٤/ ٢٧٢، وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٦، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٠٦.

(٤) بعده فى ٢١، م ، ص : « فى الصلاة » . وانظر طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٩، والحلية ٤/ ٢٧٣.

فى جوفِ الكعبةِ ، (١ وقد قال ابنُ عباسٍ[٢] ، وقدْ أتاه أهلُ الكوفةِ يسألُونه : أليس فيكم سعيدُ بنُ جُبيرٍ ؟ ١) .

وقال سفيانُ الثوريُّ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن أبيه ، قال[٣] : لقد مات سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، وما على وجهِ الأرضِ أحدٌ إلا وهو مُحتاجٌ إلى علمِه .

وكان فى جملةِ مَن خرَج مع ابنِ الأشعثِ على الحجاجِ ، فلمّا ظفِر الحجاجُ هرَب سعيدٌ إلى أصبهانَ ، ثم كان يتردَّدُ فى كلِّ سنةٍ إلى مكةَ مرتين ؛ مرةً للعمرةِ ، ومرةً للحجِّ ، وربَّما دخَل الكوفةَ فى بعضِ الأحيانِ فحدَّث بها ، وكان بخُراسانَ يتحرَّزُ[٤] ؛ لأنه كان لا يسألُه أحدٌ عن شىءٍ مِن العلمِ هناك ، وكان يقولُ : إنَّ ممَّا يَهُمُّنى ما عندى مِن العلمِ ، ودِدتُ أنَّ الناسَ أخَذوه . واستمَر فى هذا الحالِ مختفيًا مِن الحجاجِ قريبًا مِن ثِنتَىْ عشْرةَ سنةً ، ثم أَرسَله خالدٌ القسْرىُّ مِن مكةَ إلى الحجاجِ ، فكان مِن مُخاطبتِه له ما ذكَرناه قريبًا .

وقد قال أبو نُعيمٍ فى كتابِه « حليةِ الأولياءِ »[٥] : ثنا أبو حامدِ بنُ جَبَلةَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبى خلَفٍ ، ثنا سفيانُ[٦] ، عن سالمِ ابنِ أبى حفصةَ ، قال : لمّا أُتِى بسعيدِ بنِ جُبيرٍ إلى الحجاجِ ، قال له : أنت شَقىُّ

(١ - ١) فى ٢١، م، ص: « وقد روى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفا فى الصلاة فى ليلة فى الكعبة » .

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، والحلية ٤/ ٢٧٣، بنحوه . وبلفظه فى تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦٧.

(٣) تاريخ ابن معين ٢/ ١٩٧، والمعرفة والتاريخ ١/ ٧١٢، والحلية ٤/٢٧٣ به .

(٤) فى م : « لا يتحدث » .

(٥) الحلية ٤/ ٢٩٠، بنحوه .

(٦) فى م : « شعبان » .

ابنُ كُسيرٍ؟ قال: لا، إنما أنا سعيدُ بنُ جُبيرٍ. قال: لأقتُلَنَّكَ. قال: أنا إذًا كما سمَّتنى أُمِّى[1]. [2]ثم قال: دعُونى أُصلِّ ركْعتَين. قال: وجِّهوه إلى قِبلةِ النصارَى. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ثم قال: إنى أستعيذُ منكَ بما عاذتْ به مريمُ. قال: وما عاذت به؟ قال: قالتْ: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]. قال سفيانُ: لم يَقتُلْ بعدَه إلا رجلًا واحدًا[3][2].

وقد ذكَرنا صفةَ مقتلِه إيّاه، وقد رُوِيتْ آثارٌ غريبةٌ فى صفةِ مقتَلِه، أكثرُها لا يصِحُّ، وقد عُوقِب الحجاجُ بعدَه وعوجِل بالعقوبةِ، فلم يَلبَثْ بعدَه إلَّا قليلًا ثم أخَذه اللَّهُ أخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ - كما سنذكُرُ وفاتَه فى السنةِ الآتيةِ - فقِيل[4]: إنَّه مكَث بعدَه خمسةَ عشَرَ يومًا. وقِيل[5]: أربعين يومًا. وقِيل[6]: ستةَ أشهرٍ. فاللَّه أعلَمُ.

واختلَفوا فى عمرِ سعيدِ بنِ جُبيرٍ، رحِمه اللَّهُ، حين قُتِل، فقيل[7]: كان عمرُه تسعًا وأربعين سنةً. وقيل[8]: سبعًا وخمسين. فاللَّهُ أعلَمُ.

---

(١) بعده فى ا ٢: «سعيدا»، وبعده فى م، ص: «سعيدا قال: شقيت وشقيت أمك. قال الأمر ليس إليك. ثم قال: اضربوا عنقه».

(٢ - ٢) سقط من: ا ٢.

(٣) بعده فى م، ص زيادة من زيادات الناسخ.

(٤) الحلية ٤/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٢ نقلًا عن أبى نعيم. واستنكر الذهبى الرواية التى فيها أنه مكث بعده هذه المدة.

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١.

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٤، وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٦، والتاريخ الكبير ٣/ ٤٦١.

(٨) الحلية ٤/ ٢٧٥، ونقله الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٤٢، وصححه.

قال أبو القاسمِ اللالكائيُّ[1] : كان مقتلُه فى سنةِ خمسٍ وتسعين . وذكَر ابنُ جريرٍ[2] مقتلَه فى هذهِ السنةِ ، سنةِ أربعٍ وتسعين . فاللَّهُ أعلمُ[3] .

سعيدُ بنُ المسَيَّبِ بنِ حَزْنِ بنِ أبى وَهْبِ بنِ عائذِ بنِ عِمْرانَ بنِ مخزومٍ القُرَشِيُّ[4] ، أبو محمدٍ ، [5]المدنيُّ ، المخزُوميُّ[5] ، سيِّدُ التابعين على الإطلاقِ ، وُلِدِ [١٢٤/٧و] لسنتَيْن مضَتا - وقيل[6] : بقِيتا - مِن خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وقيل[7] : لأربعٍ مضَيْنَ منها . وقولُ الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ : إنَّه أدْرَك العشَرةَ . وَهْمٌ منه . واللَّهُ أعلمُ . ولكنْ أرسَل عنهم كما أرسَل كثيرًا عن النبىِّ ﷺ ، وروَى عن عمرَ كثيرًا - فقيل[8] : سمِع منه . وقيل[9] : لم يسمَعْ - وعن عثمانَ ، وعلىٍّ ، وسعدٍ[10] ، وأبى هريرةَ - وكان زوجَ ابنتِه ، وأعلمَ الناسِ بحديثِه - وروَى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ آخرين ، وحدَّث عنه[11] جماعةٌ مِن التابعين ، وخلقٌ ممَّن سِواهم .

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/٤٨٧ - ٤٩١.

(٣) بعده زيادة فى م ، ص . ولعلها من زيادات الناسخ .

(٤) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩، وطبقات خليفة ٢/ ٦١١، وحلية الأولياء ٢/ ١٦١، وطبقات الفقهاء ٥٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٥، وتهذيب الكمال ١١/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧١.

(٥ - ٥) فى ا ٢، ص : « المدنى » ، وفى م : « المدنف » .

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩.

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩، وتهذيب الكمال ١١/ ٦٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٨.

(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٣.

(٩) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٠، وتاريخ ابن معين ٢/ ٢٠٧.

(١٠) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من تهذيب الكمال ١١/ ٦٧. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٨.

(١١) فى م : « عن » .

قال ابنُ عمرَ[1] : كان سَعيدٌ أحدَ المفتين[2] .

وقال الزهْرِيُّ[3] : جالستُه سبعَ حِجَجٍ ، وأنا لا أَظُنُّ عندَ أحدٍ علْمًا غيرَه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن مَكحُولٍ قال[4] : طُفْتُ الأرضَ كلَّها فى طلبِ العلمِ ، فما لَقِيتُ أعلمَ مِن سعيدِ بنِ المسيَّبِ .

وقال الأَوْزاعِيُّ[5] : سُئِلَ الزهريُّ ومكحولٌ : مَن أفقهُ مَن لَقِيتُما ؟ قالا : سعيدُ بنُ المسيَّبِ .

وقال [6]قتادةُ[7] : ما رأيتُ أعلمَ بالحلالِ والحرامِ منه . وكان الحسنُ إذا أشهَل[8] عليه شىءٌ كتَب إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ . وقال[6] غيرُه[9] : كان يقالُ له : فقيهُ الفقهاءِ .

وقال مالكٌ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، [10]عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ[10] : كنتُ أرحَلُ

---

(١) الجرح والتعديل ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٠.

(٢) فى الأصل، ٢١: «المتقنين». وبعده فى الأصل: «وكان أعلم أهل الأرض كلها فى زمانه وكان يسرد الصوم وقال عن نفسه إنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وحج أربعين حجة».

(٣) تاريخ ابن معين ٢/ ٢٠٨، والجرح والتعديل ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٠.

(٤) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٣/ ٥١١، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤/ ٦٠، والمزى فى تهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(٥) الجرح والتعديل ٤/ ٦١، وتهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(٦ - ٦) سقط من: ٢١، م، ص.

(٧) الجرح والتعديل ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(٨) أشهل: اختلط. وشهل اللونان شهلًا: اختلط أحدهما بالآخر. الوسيط (ش هـ ل).

(٩) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢١، وتهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول ١/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧١.

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، ص. والقول أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٥/ ١٢٠، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٦٨، والمزى فى تهذيب الكمال ١١/ ٧١.

الأيّامَ والليالىَ فى طلَبِ الحديثِ الواحدِ .

قال مالكٌ[1] : وبلَغنى أنَّ ابنَ عمرَ كان يُرسِلُ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ يسألُه عن قضايا عمرَ وأحكامِه .

وقال الرَّبيعُ ، عن الشافعىِّ ، أنَّه قال[2] : إرسالُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ عندَنا حَسَنٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[3] : هى صِحاحٌ . قال[4] : وسعيدُ بنُ المسيَّبِ أفضلُ التابعينَ .

وقال علىُّ بنُ المدِينىِّ[4] : لا أعلَمُ فى التابعين أوسعَ علْمًا منه ، وإذا قال سعيدٌ : مضَتِ السُّنَّةُ فحسْبُكَ به ، وهو عندِى أجَلُّ التابعينَ .

وقال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلىُّ[5] : كان سعيدٌ رجلًا صالحًا فقيهًا ، كان لا يَأْخُذُ العطاءَ ، وكانت له بضاعةٌ ؛ أربعُمائةِ دينارٍ ، وكان يتَّجرُ فى الزَّيتِ ، وكان أعورَ .

وقال أبو زُرعةَ[6] : مَدَنِىٌّ ثِقةٌ إمامٌ .

---

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٦٨، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

(٢) أخرجه المزنى فى مختصر الأم ، باب بيع اللحم بالحيوان ص ٧٨، والنووى فى تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١/ ٢٢١، والمزى فى تهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

(٣) تهذيب الكمال ١١/ ٧٣، وجامع التحصيل ص ٤٧.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول ١/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٣.

(٥) تاريخ الثقات ص ١٨٨.

(٦) الجرح والتعديل ٤/ ٦١، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

وقال أبو حاتمٍ[1] : ليس فى التابعين أنبلُ منه ، وهو أثبتُهم فى أبى هريرةَ .

قال الواقدىُّ[2] : تُوفِّى فى سنةِ الفقهاءِ ، وهى سنةُ أربعٍ وتسعين ، عن خمسٍ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ[3] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ١/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٤.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩١، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٥.

(٣) بعده فى م ، ص : « وكان سعيدُ بنُ المسيَّبِ من أورعِ الناسِ فيما يدخُلُ بيتَه وبطنَه ، وكان مِن أزهدِ الناسِ فى فضولِ الدُّنيا ، والكلامِ فيما لا يَعْنى ، ومِن أكثرِ الناسِ أدبًا فى الحديثِ ، جاءه رجلٌ وهو مريضٌ ، فسأله عن حديثٍ ، فجلَس فحدَّثه ثم اضطجَع ، فقال الرجلُ : وَدِدْتُ أنَّك لم تتعَنَّ . فقال : إنِّى كرِهتُ أن أُحدِّثَك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا مضطجِعٌ . وقال بُرْدٌ مولاهُ : ما نُودِى للصَّلاةِ منذُ أربعين إلّا وسعيدٌ فى المسجدِ . وقال ابنُ إدريسَ : صلَّى سعيدُ بنُ المُسيَّبِ الغداةَ بوُضوءِ العَتَمةِ خمسينَ سنةً . وقال سعيدٌ : لا تملَئوا أعينَكم مِن أعوانِ الظَّلَمةِ إلا بالإنكارِ مِن قلوبِكم ؛ لكَيْلَا تَحْبَطَ أعمالُكم الصالحةُ . وقال : ما يئِسَ الشيطانُ مِن شىءٍ إلا أتاه مِن قِبَلِ النساءِ . وقال : ما أكرَمَتِ العبادُ أنفُسَها بمثلِ طاعةِ اللَّهِ ، ولا أهانتْ أنفُسَها إلّا بمعصيةِ اللَّهِ تعالى . وقال : كفَى بالمرءِ نُصْرةً مِن اللَّهِ له أن يرَى عدوَّه يعمَلُ بمعصيةِ اللَّهِ . وقال : مَن استغْنى باللَّهِ افتقَر الناسُ إليه . وقال : الدُّنيا نَذْلةٌ ، وهى إلى كلِّ نَذْلٍ أَمْيَلُ ، وأَنْذَلُ منها مَن أخَذها مِن غيرِ وجهِها ، ووضَعها فى غيرِ سبيلِها . وقال : إنَّه ليس مِن شريفٍ ولا عالمٍ ولا ذى فَضْلٍ إلّا وفيه عَيْبٌ ، ولكنْ مِن الناسِ مَن لا يَنْبغِى أن تُذْكَرَ عيوبُه . وقال : مَن كان فَضْلُه أكثرَ مِن نَقْصِه وهَب نقصَه لفضلِه . وقد زوَّج سعيدُ بنُ المَسيَّبِ ابنتَه على دِرهَمينْ لكَثيرِ بنِ أبى وَداعةَ - وكانت مِن أحسنِ النساءِ ، وأكثرِهم أدبًا ، وأعلمِهم بكتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأعرفِهم بحقِّ الزَّوجِ ، وكان فقيرًا ، فأرسَل إليه بخمسةِ آلافٍ - وقيل : بعشرينَ ألفًا - وقال : استَنفِقْ هذه . وقصتُه فى ذلك مشهورةٌ ، وقد كان عبدُ الملكِ خطَبها لابنِه الوليدِ فأبَى سعيدٌ أن يُزوِّجَه بها ، فاحتال عليه حتى ضرَبه بالسِّياطِ - كما تقدَّم - لمَّا جاءتْ بيعةُ الوليدِ إلى المدينةِ فى أيامِ عبدِ الملكِ ، ضرَبه نائبُه على المدينةِ هشامُ بنُ إسماعيلَ . وأطافَه المدينةَ ، وعرَضُوه على السَّيفِ فمضَى ، ولم يبايِعْ ، فلمَّا رجَعُوا به رأَتْه امرأةٌ فقالتْ : ما هذا الخِزْىُ يا سعيدُ ؟ فقال : مِن الخِزْيِ فرَرْنا إلى ما تَرَين ، أىْ لو أحبَبْناهم وقَعْنا فى خِزْيِ الدُّنيا والآخرةِ . وكان يجعَلُ على ظهرِه إهابَ الشّاةِ ، وكان له مالٌ يَتَّجِرُ فيه ، ويقولُ : اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّى لم أمسِكْه بُخْلًا ولا حِرْصًا عليه ، ولا محبةً للدُّنيا ونَيلَ شهواتِها ، وإنَّما أُريدُ أن أصُونَ به وَجْهِىَ عن بَنِى مَرْوانَ حتى أَلْقَى اللَّهَ فيحكُمَ فىَّ وفيهم ، وأَصِلَ مِنه رَحِمى ، وأُؤدِّىَ منه الحقوقَ التى فيه ، وأعودَ منه على الأرمَلةِ ، والفقيرِ ، والمسكينِ ، واليتيمِ ، والجارِ . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ » . ولعلها من زيادات الناسخ .

طَلْقُ بنُ حبيبٍ العَنَزِيُّ[1] ، تابعيٌّ جليلٌ ، روَى عن أنسٍ ، وابنِ الزبيرِ ، وابنِ عبّاسٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[2] ، وغيرِهم ، وعنه حُميدٌ الطَّويلُ ، والأعمشُ ، وطاوسٌ ، وهو مِن أقرانِه ، وأَثْنَى عليه [3]في قراءتِه[3] عمرُو بنُ دينارٍ ، [٧/١٢٤ ظ] وقد أَثْنى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، ولكنْ تكلَّموا فيه مِن جهةِ أنَّه كان يقولُ : بالإرْجاءِ .

وقد كان فيمَن خرَج مع ابنِ الأشعثِ ، وكان يقولُ : اتَّقوها[4] بالتَّقوى . فقِيل له : صِفْ لنا التَّقْوى ؟ فقال : التَّقْوى ؛ العملُ بطاعةِ اللَّهِ ، على نورٍ مِن اللَّهِ ؛ رجاءَ رحمةِ اللَّهِ ، والتَّقْوى ؛ تَرْكُ مَعاصى اللَّهِ ، على نورٍ مِن اللَّهِ ؛ مخافةَ[5] عذابِ اللَّهِ .

وقال أيضًا : إنَّ حقوقَ اللَّهِ أعظمُ مِن أن يقومَ بها العبادُ ، وإنَّ نِعَمَه أكثرُ مِن أن تُحْصَى[6] ، ولكن أَصبِحُوا تائبين ، وأَمسُوا تائبين[7] . قال مالكٌ[8] : قتَله الحجّاجُ ، وجماعةٌ مِن القرّاءِ ؛ منهم سعيدُ بنُ جُبيرٍ[9] .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ١/ ٥٠١، وحلية الأولياء ٣/ ٦٣، وتهذيب الكمال ١٣/ ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ١٢١.

(٢) فى الأصل، م : «عمر» . وانظر مصادر الترجمة .

(٣ - ٣) سقط من : ا٢، م، ص .

(٤) فى ا٢، م، ص : «تقووا» .

(٥) فى ا٢، م، ص : «يخاف» .

(٦) بعده فى ا٢، م، ص : «أو يقوم بشكرها العباد» .

(٧) بعده فى ا٢، م، ص : «وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شىء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلا ، ويقول : قال اللَّه تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ ، فتقديم الصدقة بين يدى مناجاة اللَّه أعظم وأعظم» .

(٨) تهذيب الكمال ١٣/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٢.

(٩) فى الأصل : «جرير» .

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ - فيما سبَق[1] - أنَّ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ[2] بعَث مِن مكَّةَ ثلاثةً إلى الحجّاجِ ؛ وَهُمْ مجاهدٌ ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ ، وطلقُ بنُ حبيبٍ ، فمات طلقٌ فى الطَّريقِ ، وحُبِس مجاهدٌ ، وكان مِن أمرِ سعيدٍ ما كان . واللَّهُ أعلمُ .

عُروةُ بنُ الزبيرِ بنِ العوَّامِ ، القُرَشىُّ الأسَدىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المَدَنِىُّ[3] ، تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن أبيهِ ، وعن العبادِلةِ ، ومعاويةَ ، والمغيرةِ ، وأبى هريرةَ ، وأمِّه أسماءَ ، وخالتِه عائشةَ ، وأمِّ سلَمةَ . وعنه جماعةٌ مِن التابعينَ ، وخَلْقٌ ممَّن سِواهم .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : كان عروةُ ثقةً ، كثيرَ الحديثِ ، عالمًا ، مأمونًا ، ثَبتًا .

وقال العِجْلىُّ[5] : مدنىٌّ ، تابعىٌّ ، رجلٌ صالحٌ لم يدخُلْ فى شىءٍ مِن الفتنِ .

وقال الواقدىُّ[6] : كان فقيهًا عالمًا حافظًا ثَبتًا حُجَّةً عالمًا بالسِّيَرِ ، وهو أوَّلُ مَن صنَّف المغازِىَ . وكان مِن فقهاءِ المدينةِ المعدودينَ ، ولقد كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يسألونَه ، وكان أرْوَى الناسِ للشِّعرِ . وقال [7]أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ[7] : العلمُ لواحدٍ مِن ثلاثةٍ ؛ لذِى حَسَبٍ يُزَيِّنُه به أو ذِى دِينٍ

---

(١) تقدم فى ٩/٩٦ مطبوع .

(٢) فى ص : « القشيرى » .

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ٢/ ٦٠٣، وحلية الأولياء ٢/ ١٧٦، وتاريخ دمشق ١١/٥٥٩ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ١٧٩.

(٥) تاريخ الثقات للعجلى ص ٣٣١.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٤، غير منسوب .

(٧ - ٧) فى الأصل : « ابنه هشام قال أبى » . وفى ا ٢، م ، ص : « ابنه هشام » . والمثبت من سير أعلام=

يَسُوسُ به دِينَه ، أو مُختلِطٌ بسلطانٍ يُتحِفُه بعلمِه[1] قال : ولا أعلمُ أحدًا أَشْرَطَ لهذه الخِصالِ الثلاثِ إلَّا عروةَ بنَ الزبيرِ ، وعمرَ بنَ عبدِ العزيزِ .

وكان عروةُ يقرأُ كلَّ يومٍ رُبُعَ القرآنِ ، ويقومُ به فى الليلِ . وكان أيامَ الرُّطَبِ يَثْلِمُ حائطَه [2]ثم يأذَنُ[2] للناسِ فيدخُلون فيأكُلون ويحمِلون[3] ، [4]فإذا ذهَب الرُّطَبُ ، أعادَه[4] . وقال الزُّهْرِىُّ[5] : كان عروةُ بحرًا لا يُنْزَفُ ، [2]وقال مرَّةً[6] : كان بحرًا[2] لا تكدِّرُه الدِّلاءُ .

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[7] : ما أحدٌ أعلمَ مِن عروةَ ، وما أعلَمُه يعلَمُ شيئًا أجهَلُه . وقد ذكَره غيرُ واحدٍ فى فقهاءِ المدينةِ السبعةِ الذين يُنْتَهَى إلى قولِهم[8] . وكان مِن جملةِ الفقهاءِ العشَرةِ الذين كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يرجِعُ إلى قولِهم فى زمنِ ولايتِه على المدينةِ . وقد ذكَر [٧/١٢٥و] غيرُ واحدٍ[9] ؛ أنَّه وفَد على الوليدِ بدمشقَ ، فلمّا رجَع أصابَتْه فى رجلِه الأَكِلَةُ ، فأرادوا قطعَها ، فعرَضُوا عليه أن يشرَبَ شيئًا يُغيِّبُ عقلَه [10]حتى لا يحِسَّ بالألمِ ويتمكَّنُوا مِن قَطْعِها[10] ،

= النبلاء ٤/ ٤٢٦، وانظر تاريخ دمشق ٥٦٩/١١ (مخطوط) ، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢٦.

(١) فى م: «بنعمه» . وبعده فى ا٢، م، ص: «ويتخلص منه بالعلم فلا يقع فى هلكة» .

(٢ - ٢) سقط من: ا٢، م، ص.

(٣) سقط من: ا٢، م، ص.

(٤ - ٤) زيادة من: ا٢، م، ص.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ١٨١.

(٦) تهذيب الكمال ٢٠/ ١٨.

(٧) تاريخ دمشق ٥٦٦/١١ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٧.

(٨) المعرفة والتاريخ ١/ ٣٥٢، وتاريخ أبى زرعة ص ٤٠٦، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٨.

(٩) تاريخ دمشق ٥٧١/١١ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٠.

(١٠ - ١٠) فى الأصل: «من المراقد» .

فقال : [1] ما ظَنَنْتُ أنَّ أحدًا يؤمِنُ باللَّهِ [1] يشرَبُ شيئًا يُغيِّبُ عقلَه حتى لا يعرِفَ ربَّه ، عز وجلَّ ، ولكنْ هَلُمُّوا فاقطَعوها ، فقطَعوها مِن ركبتِه وهو صامتٌ لا يتكلَّمُ ، ولا [2] يُسمَعُ له حِسٌّ [2] . ورُوِى أنهم قطَعوها وهو فى الصَّلاةِ فلم يَشْعُرْ ؛ لِشُغلِه بالصَّلاةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

ووقَع فى هذه الليلةِ التى قُطِعتْ فيها رجلُه ولدٌ له يُسمَّى محمدًا - كان أحبَّ أولادِه - مِن سطحٍ فماتَ ، فدخَلوا عليه فعَزَّوه فيه ، فقال[3] : اللهمَّ لك الحمدُ ، كانوا سبعةً فأخَذْتَ واحدًا وأبقيتَ سِتَّةً ، وكنَّ أطرافًا أربعًا فأخَذتَ واحدةً وأبقَيْتَ ثلاثًا ، فلئن كُنتَ قد أخَذتَ فلقد أعطَيتَ ، ولئن كُنتَ قد ابتَلَيتَ فلقد عافَيْتَ[4] .

[5] وقيل[6] : إنَّه لمَّا رأَى رجلَه المقطوعةَ فى الطَّستِ ، قال : اللَّهُ أعلمُ أنِّى ما مشَيْتُ بها إلى معصيةٍ قَطُّ [5] .

قِيل : إنَّه وُلِد فى حياةِ عمرَ . والصَّحيحُ أنَّه وُلِد بعدَ عمرَ فى سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ ، وكانت وفاتُه فى سنةِ أربعٍ وتسعينَ على المشهورِ ، وقِيل : سنةَ تسعينَ . وقِيل : سنةَ مائةٍ . وقِيل : إحدَى وتسعين . وقيل : سنةَ إحدَى ومائةٍ . وقيل : سنةَ اثنتينِ أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وتسعينَ . وقيل : سنةَ تسعٍ وتسعين . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى الأصل : « واللَّه لا يحل لمسلم أن » .

(٢ - ٢) فى ٢١، م ، ص : « يعرف أنه أن » .

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٧٩، وتاريخ دمشق ٥٧٢/١١ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٠.

(٤) بعده فى الأصل : « فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما أعطيت » . وبعده زيادة فى م ، ص ، وهى من زيادات الناسخ .

(٥ - ٥) سقط من : ٢١، م ، ص .

(٦) تاريخ دمشق ٥٧٣/١١ (مخطوط) .

عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، القرشيُّ الهاشميُّ ، المشهورُ بزينِ العابدينَ[1] ، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمُها سَلَّامةُ[2] ، وكان له أخٌ أكبرُ منه يقالُ له : عليٌّ أيضًا . قُتِل مع أبيه . روَى عليٌّ - هذا - الحديثَ عن أبيهِ ، وعمِّه الحسنِ بنِ عليٍّ ، وجابرٍ ، وابنِ عباسٍ ، والمِسْورِ بنِ مَخْرَمةَ ، وأبى هريرةَ ، وصفيةَ ، وعائشةَ ، وأمِّ سلَمةَ ، أمهاتِ المؤمنين .

وعنه جماعةٌ منهم بَنُوه ؛ زيدٌ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعمرُ ، وأبو جعفرٍ محمدُ بنُ عليٍّ الباقرُ[3] ، وزيدُ بنُ أسلمَ ، وطاوسٌ وهو مِن أقرانِه ، والزُّهريُّ ، ويحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ ، وأبو سلمةَ وهو مِن أقرانِه ، وخَلْقٌ .

قال القاضِى ابنُ خلِّكانَ[4] : كانت [5]أمُّه سَلَّامَةَ[5] ، بنتَ يَزْدَجِرْدَ آخرِ ملوكِ الفرسِ .

وذكَر الزمخشَرِيُّ[6] فى « ربيعِ الأبرارِ » : أنَّ يَزْدجردَ كان له ثلاثُ بناتٍ سُبِين فى زمنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، فحصَلَتْ واحدةٌ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ فأولَدَها سالمًا ، والأُخْرى لمحمدِ بنِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ فأولَدَها القاسمَ ، والأُخْرى للحسينِ ابنِ عليٍّ فأولَدَها عليًّا زينَ العابدين هذا ، فكُلُّهم بنو خالةٍ .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ٢/ ٥٩٨، والمعرفة والتاريخ ١/ ٣٦٠، ٥٤٤، والحلية ٣/ ١٣٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢٩، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣١.

(٢) وورد أن اسمها سلافة وغزالة أيضا . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٣) فى م : « بن قر » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧.

(٥ - ٥) فى م : « أم سلمة » . وفى مصدر التخريج : « أمه سلافة » .

(٦) انظر وفيات الأعيان ٣/٢٦٧ .

قال ابنُ خلِّكانَ[1] : ولمّا قتَل قتيبةُ بنُ مسلمٍ فيروزَ بنَ يَزْدجِردَ بعَث بابنتَيْه إلى [١٢٥/٧ظ] الحجّاجِ ، فأخَذ إحدَاهما ، وبعَث بالأُخْرَى إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فأَوْلَدَها الوليدُ يزيدَ الناقصَ .

وذكَر ابنُ قتيبةَ فى كتابِ « المعارفِ »[2] ؛ أنَّ زَيْنَ العابدين هذا كانت أمُّه سِنديَّةً ، يقالُ لها : سَلّامةُ[3] ، ويقالُ : غَزالةُ .

وكان مع أبيهِ بكَرْبلاءَ ، فاستُبْقِىَ لصِغَرِه ، وقِيل : لمرَضِه . فإنّه كان ابنَ ثلاثٍ وعشرين سنةً ، وقِيل : أكثرَ مِن ذلك . وقد هَمَّ بقتْلِه عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ ، ثم صرَفه اللَّهُ عنه . وأشار بعضُ الفجَرَةِ على يزيدَ بنِ معاويةَ بقتلِه أيضًا ، فمنَعه اللَّهُ [4]تعالى مِن ذلك ، فللهِ الحمدُ والمنّة[4] ، ثم كان يزيدُ بعدَ ذلك يُكْرِمُه ويُعظِّمُه ، ويُجْلِسُه معه ، ولا يأكلُ إلّا وهو عندَه ، ثم بعَثهم إلى المدينةِ مُكَرَّمِين[5] ، وكان علىٌّ بالمدينةِ مُحتَرَمًا مُعظَّمًا .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[6] : ومَسجِدُه بدمشقَ - المنسوبُ إليه - معروفٌ . قلتُ : وهو [7]الذى يقالُ له[7] : مَشهَدُ علىٍّ شرقِىَّ جامعِ دمشقَ ، وقد استَقْدَمه عبدُ الملكِ بنُ مرْوانَ مرّةً أخرَى إلى دِمشقَ ، فاستَشاره فى جَوابِ ملكِ الرومِ عن بعضِ ما كتَب إليه فيه مِن أمرِ السّكّةِ وطِرازِ القَراطِيسِ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧.
(٢) المعارف ص ٢١٤.
(٣) فى المعارف : « سلافة » .
(٤ - ٤) فى ٢١، م، ص: « منه » .
(٥) سقط من : ٢١، م، ص .
(٦) تاريخ دمشق ٢٩/١٢ (مخطوط) .
(٧ - ٧) سقط من : ٢١، م، ص .

قال الزُّهريُّ[1] : ما رأَيتُ قرشيًّا أفضلَ منه ، وكان مع أبيهِ يومَ قُتِل ابنَ ثلاثٍ وعشرين سنةً ، وهو مريضٌ ، فقال عمرُ بنُ سعدٍ : لا تَعَرَّضُوا لهذا المريضِ .

وقال الواقديُّ[2] : كان مِن أورعِ الناسِ وأعبدِهم ، وأتقاهم للَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكان إذا مشَى لا يَخطِرُ بيدِه ، وكان يعتَمُّ بعِمامةٍ بيضاءَ يُرخِيها مِن ورائِه ، وكان كنيتَه أبو الحسنِ ، وقِيل : أبو محمدٍ . وقِيل : أبو عبدِ اللَّهِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : كان ثِقةً مأمونًا كثيرَ الحديثِ عاليًا رفيعًا ورِعًا . وأمُّه غزالةُ خَلَفَ عليها بعدَ الحسينِ مولاه زُبَيْدٌ ، فولَدَت له عبدَ اللَّهِ بنَ زُبَيْدٍ ، وهو عليٌّ الأصغرُ ، فأمَّا عليٌّ الأكبرُ فقُتِل مع أبيهِ . وكذا قال غيرُ واحدٍ[4] .

وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وزيدُ بنُ أسلمَ ، ومالكٌ ، وأبو حازمٍ[5] : لم يكُنْ فى أهلِ البيتِ مثلُه . وقال يحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ[6] : سمِعتُ عليَّ بنَ الحسينِ - وهو أفضلُ هاشميٍّ أدرَكْتُه - يقولُ : ياأيُّها الناسُ ، أَحِبُّونا حُبَّ الإسلامِ ، فما برِح بنا حُبُّكم حتى صار علينا عارًا . وفى روايةٍ : حتى بَغَّضْتُمونا إلى الناسِ .

وقال الأصمعيُّ[7] : لم يكُنْ للحسينِ عَقِبٌ إلّا مِن عليِّ بنِ الحسينِ ، ولم

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٣٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٤، ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٢.

(٢) لم نجده عن الواقدى ، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، وحلية الأولياء ٣/ ١٤١، وتاريخ دمشق ١٢/٣٧ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/٢١١ بنحوه ، وتهذيب الكمال ٢٠/٣٨٤ بنحوه .

(٥) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٧.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/٢١٤ بنحوه ، والحلية ٣/١٣٦ بنحوه ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٧.

(٧) تاريخ دمشق ١٢/٣٦ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/٣٨٧ ، ٣٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٠. وقال الذهبى : «إسنادها منقطع ، ومروان ما احتضر ، فإن امرأته غمته تحت وسادة هى وجواريها» .

يكُنْ لعلىٍّ بنِ الحسينِ نَسْلٌ إلّا مِن ابنةِ[1] عمِّه الحسنِ ، فقال له مَرْوانُ بنُ الحكَمِ : لو اتَّخَذْتَ السرارِىَّ حتى يكثُرَ أولادُكَ . فقال : ليس لى ما أتَسرَّى به . فأقرَضَه مائةَ ألفٍ ، فاشتَرَى له السَّرارِىَّ فولَدْنَ[2] له وكثُرَ نسلُه ، ثم لمّا مرِض مرْوانُ أَوصَى أن لا يُؤخَذَ مِن [3]علىِّ بنِ الحسينِ[3] [٧/١٢٦و] ما[4] كان أقرَضَه ، فجميعُ الحسينيِّين مِن نسلِه ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[5] : أصحُّ الأسانيدِ كلِّها الزُّهْرِىُّ عن علىِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيه ، عن جدِّه . وذكَروا أنَّه احترَق البيتُ الذى هو فيه ، وهو قائمٌ يُصلِّى ، فلمّا انصرَف ، قالوا له[6] : ما لكَ لم تنصرِفْ ؟ فقال : إنِّى اشتغَلتُ عن هذه النارِ بالنارِ الأُخرَى . وأنَّه كان إذا توضَّأ يصفَرُّ لونُه ، فإذا قام إلى الصلاةِ ارتعَد مِن الفَرَقِ ، فقيل له فى ذلك فقال : ألا تدرون بينَ يدَىْ مَن [7]أريدُ أن[7] أقومَ ، ولمَن أُناجِى ؟ ولمّا حجَّ أراد أن يُلبِّىَ فارتعَد وقال[8] : أخشَى أن أقولَ : لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ ، فيقولُ لى : لا لبَّيكَ . فشجَّعوه ، وقالوا : لابُدَّ مِن التَّلْبيةِ . فلمّا لبَّى غُشِى عليه حتى سقَط عن الراحلَةِ . وأنَّه كان يُصلِّى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركْعةٍ .

وقال طاوسٌ[9] : سمِعتُه وهو ساجدٌ عندَ الحِجْرِ يقولُ : عُبَيْدُكَ بفِنائِك ،

---

(١) فى ا ٢، م، ص : « ابن » .
(٢) فى ا ٢، م، ص : « فولدت » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « الحسين بن على » .
(٤) فى ا ٢، م، ص : « شىء مما » .
(٥) تاريخ دمشق ١٢/٣٧ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩١.
(٦) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٩، ٣٩٠ بنحوه.
(٧ - ٧) سقط من : الأصل، م. وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٠.
(٨) تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٠.
(٩) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٨، ٣٩ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩١، وصفة الصفوة ٢/ ١٠٠.

(١ مِسكينُك بفنائِك ١) ، سائِلُك بفنائِك ، فقيرُك بفنائِك . قال طاوسٌ : فواللَّهِ ما دعَوتُ بها فى كَرْبٍ قطُّ إلّا كُشِف عنى . وذكَروا أنَّه كان كثيرَ الصَّدَقةِ بالليلِ ، وكان يقولُ(٢) : صدقةُ الليلِ تُطفِئُ غضَبَ الربِّ(٣) ، وأنَّه قاسَم اللَّهَ تعالى مالَه مرَّتيْن(٤) .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ(٥) : كان ناسٌ بالمدينةِ يعيشون لا يدرون مِن أين يعيشون ومَن يُعطِيهم ، فلمّا مات علىُّ بنُ الحسينِ فقَدوا ذلك ، (٦ فعرَفوا أنَّه هو الذى كان يأتِيهم فى الليلِ بما يأتِيهم به ٦) . ولمّا مات وجَدوا فى ظهرِه وأكتافِه أثرَ حَمْلِ الجُرْبِ إلى بيوتِ الأرامِلِ والمساكينِ فى الليلِ . وقيل(٧) : إنَّه كان يعولُ مائةَ أهلِ بيتٍ بالمدينةِ ، ولا يدرون بذلك حتى ماتَ . ودخَل علىُّ بنُ الحسينِ على محمدِ بنِ أسامةَ بنِ زيدٍ يعودُه فبكَى ابنُ أسامةَ ، فقال له(٨) : ما يُبكِيكَ ؟ قال : علىَّ دَينٌ . قال : وكم هو ؟ قال : خمسةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ - وفى روايةٍ : سبعةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ - فقال : هى علىَّ .

وقال علىُّ بنُ الحسينِ(٩) : كان أبو بكرٍ ، وعمرُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى حياتِه بمنزلتِهما منه بعدَ وفاتِه . ونال منه رجلٌ يومًا ، فجعَل يتَغافلُ عنه - يُرِيه أنَّه لم

(١ - ١) سقط من : ٢١، م، ص .
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٣٥، ١٣٦، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٢.
(٣) بعده فى ٢١، م، ص : « وتنور القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة » .
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٩، وحلية الأولياء ٣/ ١٤٠.
(٥) حلية الأولياء ٣/ ١٣٦، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٢.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل .
(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٢، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٢.
(٨) حلية الأولياء ٣/ ١٤١، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٣.
(٩) تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٩٣.

يسمَعْه - فقال له الرجلُ[1] : إياكَ أعنى . فقال له علىٌّ : وعنك أُغضِى . وخرَج يومًا مِن المسجدِ فسبّه رجلٌ فابتَدَر[2] الناسُ إليه ، فقال[3] : دَعُوه . ثم أقبَل عليه ، فقال : ما سُتِر عنك مِن أمرِنا[4] أكثرُ ، ألك حاجةٌ نُعِينُك عليها ؟ فاستَحيا الرجلُ ، فألقَى إليه خَمِيصةً[5] كانت عليه ، وأمَر له بألفِ درهمٍ ، فكان الرجلُ بعدَ ذلك[6] يقولُ : أشهَدُ[7] أنَّك مِن أولادِ الأنبياءِ .

قالوا[8] : واختصَم علىُّ بنُ الحسينِ وحسَنُ[9] بنُ حسنٍ - وكان بينَهما [١٢٦/٧ظ] منافسةٌ - فنال منه حسنُ[9] بنُ حسنٍ وهو ساكتٌ ، فلمّا كان الليلُ ذهَب علىُّ بنُ الحسينِ إلى منزلِه فقال : يا ابنَ عمٍّ إن كنتَ صادقًا يغفِرُ اللَّهُ لى ، وإن كنتَ كاذبًا يَغفِرُ اللَّهُ لك ، والسلامُ عليك . ثم رجَع ، فلحِقه فصالَحه ، رحِمهما اللَّهُ . وقيل له[10] : مَن أعظمُ الناسِ خطَرًا ؟ فقال : من لَم يرْضَ[11] الدنيا لنفسِه خطَرًا[12] . وقال أيضًا[13] : الفِكرَةُ مرآةٌ تُرِى المؤمنَ حسناتِه وسيئاتِه .

---

(١) تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣٩٨/٢٠.
(٢) فى ا ٢: «ابتذر» ، وفى م ، ص : «فانتدب» .
(٣) تاريخ دمشق ٤٥/١٢ (مخطوط) ، وصفة الصفوة ١٠٠/٢.
(٤) فى ا ٢، م ، ص : «عيوبنا» .
(٥) الخميصة : كساء أسود مربَّع له علمان .
(٦) بعده فى ا ٢، م ، ص : «إذا رآه» .
(٧) سقط من : م .
(٨) تاريخ دمشق ٤٦/١٢ (مخطوط) ، وصفة الصفوة ٩٤/٢.
(٩) فى الأصل ، ا ٢: «حسين» .
(١٠) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣٩٨/٢٠.
(١١) فى ا ٢، م ، ص : «ير» .
(١٢) فى ا ٢، م ، ص : «قدرا» .
(١٣) تاريخ دمشق ٥٣/١٢ (مخطوط) .

وقال[1] : فقْدُ الأحِبَّةِ غُرْبَةٌ . وكان يقولُ[2] : إنَّ قومًا عبدوا اللَّهَ تعالى رَهبةً ؛ فتلك عبادةُ العبيدِ ، وآخرون عبَدوه رغبةً ؛ فتلك عبادةُ التُّجّارِ ، وآخرون عبدُوه محبةً وشكرًا ؛ فتلك عبادةُ الأحرارِ الأخيارِ .

وقال لابنِه[3] : يا بُنَيَّ لا تصحَبْ فاسقًا ؛ فإنَّه يبيعُك بأكلَةٍ وأقلَّ منها ، يطمَعُ فيها ثم لا ينالُها ، ولا بخيلًا ؛ فإنَّه يخذُلُك فى مالِه ، أحوَجَ ما تكونُ إليه ، ولا كذّابًا ؛ فإنَّه كالسَّرابِ يُقرِّبُ منك البعيدَ ، ويُباعِدُ عنك القريبَ ، ولا أحمقَ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينفَعَك فيضُرُّك ، ولا قاطِعَ رحِمٍ ؛ فإنَّه ملعونٌ فى كتابِ اللَّهِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] .

وكان علىُّ بنُ الحسينِ إذا دخَل المسجدَ تخطَّى الناسَ حتى يجلِسَ فى حَلْقةِ زيدِ بنِ أسلمَ ، فقال له نافعُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ[4] : غفَر اللَّهُ لك ، أنتَ سيِّدُ الناسِ تأتِى تَخَطَّى[5] حتى تجلِسَ مع هذا العبدِ الأسودِ ؟ فقال له علىُّ بنُ الحسينِ : إنَّما يجلِسُ الرجلُ حيثُ ينتفِعُ ، وإن العلمَ [6]يُبتغَى ويؤتَى و[6] يُطلَبُ مِن[7] حيثُ كان .

وقال الأعمشُ[8] ، عن مسعودِ بنِ مالكٍ قال : قال لى علىُّ بنُ الحسينِ :

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٥٤ (مخطوط) .
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٣٤، وتاريخ دمشق ١٢/٥٤ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٢/ ٩٥.
(٣) تاريخ دمشق ١٢/٥٣ - ٥٤ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٢/ ١٠١.
(٤) تاريخ دمشق ١٢/٣٣ (مخطوط) .
(٥) بعده فى ا ٢، م، ص: «خلق أهل العلم وقريش» .
(٦ - ٦) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٧) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٢/٣٤ (مخطوط) .

أتستطيعُ أن تجمَعَ بينى وبينَ سعيدِ بنِ جبيرٍ؟ فقلتُ: ما تصنَعُ به؟ قال: أريدُ أن[1] أسألَه عن أشياءَ ينفَعُنا اللَّهُ بها[2]، إنَّه ليس عندَنا ما يرمينا به هؤلاء - وأشار بيدِه إلى العراقِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ، ثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن رَزينِ[4] بنِ عُبيدٍ قال: كنتُ عندَ ابنِ عباسٍ، فأتَى علىُّ بنُ الحسينِ، فقال ابنُ عباسٍ: مرحبًا بالحبيبِ ابنِ الحبيبِ.

وقال أبو بكرٍ[5]، محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ[6]: ثنا العلاَئىُّ[7] ثنا إبراهيمُ بنُ بشارٍ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ، عن أبى الزبيرِ قال: كنّا عندَ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، [8]فدخَل عليه علىُّ بنُ الحسينِ فقال: كنتُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[8]، فدخَل عليه الحسينُ بنُ علىٍّ، فضَمَّه إليه وقبَّله، وأقعَده إلى جنبِه، ثم قال: «يولَدُ لابنى هذا ابنٌ يقالُ له: علىٌّ. إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ مِن بُطْنانِ العرشِ: لِيقُمْ سيدُ العابدين. [١٢٧/٧و] فيقومَ هو. هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا أورَده ابنُ عساكرَ.

وقال الزهرىُّ[9]: كان أكثرُ مجالسَتى مع علىِّ بنِ الحسينِ، وما رأيتُ أفقهَ منه، وكان قليلَ الحديثِ، وكان مِن أفضلِ أهلِ بيتِه وأحسنِهم طاعةً، وأحبِّهم

---

(١) سقط من: م.
(٢) بعده فى ا٢، م، ص: «ولا ننقضه».
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط).
(٤) فى م: «زر».
(٥) بعده فى ا٢، م، ص: «بن».
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٤/١٢ (مخطوط)، من طريق أبى بكر الصولى به.
(٧) فى م: «العلاء».
(٨ - ٨) سقط من: ص.
(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٢/ ٣٤، ٣٥ (مخطوط)، من طريق الزهرى به.

إلى مروانَ ، وابنِه عبدِ الملكِ ، وكان يُسَمِّيه[1] : زينَ العابدين .

وقال جويريةُ بنُ أسماءَ[2] : ما أكَل عليُّ بنُ الحسينِ بقرابتِه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ درهمًا قطُّ ، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] : أنبأ عليُّ بنُ محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ خالدٍ ، عن المَقْبُرِىِّ قال : بعَث المختارُ إلى عليِّ بنِ الحسينِ بمائةِ ألفٍ ، فكرِه أن يقبَلَها ، وخاف أن يردَّها ، فاحتبَسها عندَه ، فلمّا قتِل المختارُ كتَب إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ : إن المختارَ بعَث إلىَّ بمائةِ ألفٍ ، فكرِهتُ أن أقبَلَها ، وكرِهتُ أن أَردَّها ، فابعَثْ مَن يقبِضُها . فكتَب إليه عبدُ الملكِ : يا ابنَ عمٍّ ، خذْها ، فقد طيَّبتُها لك ، فقبِلها .

وقال عليُّ بنُ الحسينِ[4] : سادةُ الناسِ فى الدنيا الأسخياءُ الأتقياءُ ، وفى الآخرةِ أهلُ الدينِ وأهلُ الفضلِ والعلمِ[5] ؛ لأنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ .

وقال أيضًا[6] : إنِّى لأستَحى مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، أن أرَى الأخَ مِن إخوانى ، فأسألَ اللَّهَ له الجنةَ ، وأبخَلَ عليه بالدنيا ، فإذا كان يومُ القيامةِ ، قيل لى : لو كانتِ الجنةُ بيدِك لكنتَ بها أبخلَ ، وأبخلَ وأبخلَ[7] .

وذكَروا[8] أنَّه كان كثيرَ البكاءِ ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن يعقوبَ ، عليه

---

(١) فى م : « يسمى » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٢/٣٧ (مخطوط) ، من طريق جويرية بن أسماء به .
(٣) طبقات ابن سعد ٥/٢١٣.
(٤) تاريخ دمشق ١٢/٤١ (مخطوط) .
(٥) بعده فى ا٢، م، ص : « الأتقياء » .
(٦) تاريخ دمشق ١٢/٤١ (مخطوط) .
(٧) سقط من : ا٢.
(٨) تاريخ دمشق ١٢/٤١ (مخطوط) بنحوه .

السلامُ ، بكَى حتى ابيضَّتْ عَيناه على يوسفَ ، ولم يعلَمْ أنَّه مات ، وإنِّى رأيتُ بضعةَ عشَرَ مِن [1]أهلِ بيتى[1] يُذْبَحون فى غداةٍ واحدةٍ ، أفتَرَون حزنَهم يذهَبُ مِن قلبى أبدًا ؟!

وقال عبدُ الرزاقِ[2] : سكَبتْ جاريةٌ لعلىِّ بنِ الحسينِ عليه ماءً ليتوضَّأَ ، فسقَط الإبريقُ مِن يدِها على وجهِه فشَجَّه ، فرفَع رأسَه إليها ، فقالتِ الجاريةُ : إنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، يقولُ : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ . فقال : قد كظَمتُ غَيظى . قالت : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ . فقال : قد عفا اللَّهُ عنكِ . فقالت : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . قال : فاذهَبى[3] ، أنتِ حرةٌ .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ[4] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إبراهيمَ أبو[5] قدامةَ الجُمَحىُّ[6] ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه قال : جلَس إلىَّ[3] قومٌ مِن أهلِ العراقِ ، فذكَروا أبا بكرٍ ، وعمرَ فنالوا منهما ، ثم ابتدءُوا فى عثمانَ ، فقلتُ[7] لهم : أخبِرونى ، أنتم مِن ﴿ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ . [8]وإلى قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ [١٢٧/٧ظ] ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[8] [الحشر : ٨] ؟ قالوا : لا ، [8]لسنا منهم[8] . قلتُ : فأنتمَ مِن الذين ، [8]قال اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ[8] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ

(١ - ١) فى الأصل ، ٢١ ، ص : « أهلى » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢ . (مخطوط) ، من طريق عبد الرزاق به .

(٣) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٤٣ . (مخطوط) ، من طريق الزبير بن بكار به .

(٥) فى النسخ : « بن » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦) فى م : « اللخمى » .

(٧) فى ٢١ ، م ، ص : « فقال » .

(٨ - ٨) سقط من : ٢١ ، م ، ص .

مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] ؟ قالوا : لا ، (١لسنا منهم١) . قال : فقلتُ لهم : أمَّا أنتم فقد (١تبرَّأتم و١) أقرَرتُم وشهِدتُم (٢أن تكونوا منهم ، وأنا أشهَدُ٢) أنكم لستُم مِن (٣) الفرقةِ الثالثةِ الذين قال اللَّهُ تعالى فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] قوموا عنِّى ، لا بارَك اللَّهُ فيكم ، ولا قرَّب دورَكم ، أنتم مستهزئون بالإسلامِ ، ولستُم مِن أهلِه .

وجاء رجلٌ(٤) فسأله : متى يُبعَثُ عليٌّ ؟ فقال : يُبعَثُ واللَّهِ يومَ القيامةِ وتهُمُّه نفسُه .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا(٥) : حُدِّثتُ عن سعيدِ بنِ سليمانَ ، عن عليِّ بنِ هاشمٍ ، عن أبى حمزةَ الثُّمالىِّ ، أن عليَّ بنَ الحسينِ كان إذا خرَج مِن بيتِه قال : اللهمَّ إنِّى أتصدَّقُ اليومَ - أو أهَبُ عِرضى اليومَ - مَن استحلَّه .

وروَى ابنُ أبى الدنيا(٦) أن غلامًا سقَط مِن يدِه سَفُّودٌ وهو يشوِى شيئًا فى التَّنُّورِ على رأسِ صبىٍّ لعلىِّ بنِ الحسينِ فقتَله ، فنهَض علىُّ بنُ الحسينِ مسرِعًا ، فلمَّا نظَر إليه ، قال للغلامِ : (٧يابنىَّ٧) ، إنَّك لم تتعمَّدْ ، أنت حرٌّ . ثم شرَع فى

(١ - ١) سقط من : ا٢، م، ص .

(٢ - ٢) فى ا٢، م، ص : «على أنفسكم» .

(٣) بعده فى ا٢، ص : «هؤلاء وأنا أشهد أنكم لستم من» ، وفى م : «هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم من» .

(٤) تاريخ دمشق ١٢/٤٣، ٤٤ (مخطوط) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٤٦ (مخطوط) من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٦) المصدر السابق .

(٧ - ٧) سقط من : م .

جهازِ ابنِه .

وقال المدائنىُّ[1] : سمِعتُ سفيانَ يقولُ : كان علىُّ بنُ الحسينِ يقولُ : ما يسُرُّنى أن لى بنصيبى مِن الذلِّ حُمْرَ النَّعَمِ . ورَواه الزبيرُ بنُ بكارٍ[2] مِن غيرِ وجهٍ عنه .

ومات لرجلٍ ولدٌ مسرفٌ على نفسِه فجزع عليه من أجلِ إسرافِه فقال له علىُّ ابنُ الحسينِ[2] : إنَّ مِن وراءِ ابنِك خِلالًا ثلاثًا ؛ شهادةَ أنَّ لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وشفاعةَ رسولِ اللَّهِ ، ورحمةَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال المدائنىُّ[3] : قارَف الزهرىُّ ذنبًا ، فاستوحَش منه ، وهام على وجهِه ، وترَك أهلَه ومالَه ، فلمَّا اجتَمع بعلىِّ بنِ الحسينِ قال له : يازُهرىُّ ، قنوطُك مِن رحمةِ اللَّهِ التى وسِعتْ كلَّ شىءٍ أعظمُ مِن ذنبِك . فقال الزهرىُّ : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . وفى روايةٍ[2] ، أنَّه كان أصاب دمًا[4] خطأً ، فأمَره علىٌّ بالتوبةِ والاستغفارِ ، وأن يبعَثَ الدِّيَةَ إلى أهلِه[5] . وكان الزهرىُّ يقولُ : علىُّ بنُ الحسينِ أعظمُ الناسِ علىَّ منةً .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[6] : كان علىُّ بنُ الحسينِ يقولُ: لا يقولُ رجلٌ فى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق المدائنى به .
(٢) تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/١٢ (مخطوط) ، من طريق المدائنى به .
(٤) بعده فى ا ٢، م ، ص : « حراما » .
(٥) بعده فى ا ٢، م ، ص : « ففعل ذلك » .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط) ، من طريق سفيان به .

رجلٍ مِن الخيرِ ما لا يعلَمُ إلّا أوشَك أن يقولَ فيه مِن الشرِّ ما لا يعلَمُ، وما [١٢٨/٧و] اصطحَب اثنان على معصيةٍ إلا أوشَك أن يفترِقا على غيرِ طاعةِ اللَّهِ.

وذكَروا[١]: أنَّه زوَّج ابنةً[٢] مِن مولًى له، وأعتَق أمَةً فتزوَّجها، فأرسَل إليه عبدُ الملكِ يلومُه فى ذلك، فكتَب إليه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقد أعتَق صفيةَ فتزوَّجها، وزوَّج مولاه زيدَ بنَ حارثةَ مِن ابنةِ عمَّتِه زينبَ بنتِ جحشٍ. قالوا[٣]: وكان يلبَسُ فى الشتاءِ خميصةً مِن خزٍّ بخمسين دينارًا، فإذا جاء الصيفُ تصدَّق بها. ويلبَسُ فى الصيفِ الثيابَ المرقعةَ[٤] ودونَها، ويتلو قولَه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف ٣٢].

وقد رُوِى مِن طرقٍ ذكَرها الصولىُّ، والجُريرىُّ، وغيرُ واحدٍ[٥]، أنَّ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ حجَّ فى خلافةِ أبيه - أو أخيه الوليدِ - فطاف بالبيتِ، فلمّا أراد أنْ يستلِمَ الحجَرَ لم يتمكَّنْ حتى نصِب له منبرٌ فاستلَم وجلَس عليه، وقام أهلُ الشامِ حولَه، فبينما هو كذلك إذْ أقبَل علىُّ بنُ الحسينِ، فلما دنا مِن الحجرِ؛ ليستلمَه تنحّى عنه النَّاسُ إجلالًا له وهيبةً واحترامًا، وهو فى بِزَّةٍ حسَنةٍ، وشكلٍ مَليحٍ، فقال أهلُ الشامِ لهشامٍ: مَن هذا؟ فقال: لا أعرِفُه[٦]. لئلّا يرغَبَ فيه أهلُ الشامِ، فقال

---

(١) تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط).
(٢) فى الأصل، ا٢، م: «أمه». والمثبت موافق لما فى مصدر التخريج، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤.
(٣) تاريخ دمشق ٤٨/١٢ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٨.
(٤) فى ا٢، ص: «المترقعة».
(٥) حلية الأولياء ٣/ ١٣٩، وتاريخ دمشق ٤٩/١٢ (مخطوط).
(٦) بعده فى ا٢، م، ص: «استنقاصا واحتقارا».

الفرزدقُ ، وكان حاضرًا : أنا أعرِفُه . فقالوا : ومَن هو ؟ فأنشأ الفرزدقُ يقولُ[1] :

هذا الذى تعرِفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللّهِ كلِّهِمُ ... هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العلَمُ
إذا رأتْه قريشٌ قال قائلُها ... إلى مكارمِ هذا ينتهِى الكرَمُ
يُنمَى إلى ذِروةِ العزِّ التى قصُرتْ ... عن نَيلِها عَرَبُ الإسلامِ والعجمُ
يكادُ يُمْسِكُه عِرفانَ راحتِه ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
يُغضِى حياءً ويُغضَى مِن مهابتِه ... فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسِمُ
بكفِّه خَيزُرانٌ ريحُها عبِقٌ ... من كفِّ أروعَ فى عِرنينِه[2] شَمَمُ[3]
مشتقَّةٌ مِن رسولِ اللّهِ نَبْعتُه[4] ... طابَت عناصرُها والخِيمُ[5] والشِّيمُ
ينجابُ نورُ الهدى مِنْ نورِ غُرَّتِه ... كالشمسِ ينجابُ عن إشراقِها القتَمُ[6]
حمّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُدِحوا ... حُلْوُ الشمائلِ تحلو عندهُ[7] نَعَمُ
[١٢٨/٧ظ] هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ ... بجَدِّه أنبياءُ اللّهِ قد خُتِموا
[8]اللّهُ فضَّله قِدْمًا وشَرَّفه ... جَرَى بذاك له فى لوحِه القلمُ[8]

---

(١) الأبيات فى الأغانى ١٥/٣٢٧، ٣٢٩، والحيوان ٣/١٣٣، وتاريخ دمشق ١٢/٤٨، ٤٩ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/٢٤٧، ٢٤٨.
(٢) عرنين : الأنف . اللسان مادة (ع ر ن).
(٣) الشمم : ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها . اللسان مادة (ش م م).
(٤) النبعة : شجرة من أشجار الجبال يتخذ منها القسى . اللسان مادة (ن ب ع).
(٥) الخيم : الشيمة والطبيعة والخلق والسجية . اللسان (خ ى م).
(٦) فى م : «الغيم».
(٧) فى الأصل : «عنه».
(٨ - ٨) سقط من : م.

مَن جدُّه دان فضلُ الأنبياءِ له ... وفضلُ أمَّتِه دانتَ لها الأممُ
عمَّ البريةَ بالإحسانِ فانقشَعتْ ... عنها الغَيابةُ[1] والإملاقُ والظلمُ
كلتا يديهِ غِياثٌ عمَّ نفعُهما ... يُستَوكفانِ ولا يعْروهما العدَمُ
سهلُ الخليقةِ لا تُخشَى بوادرُه ... يزينُه اثنان : حُسْنُ الخُلْقِ والكَرَمُ[2]
لا يُخلِفُ الوعدَ ميمونٌ نقيبتُه[3] ... رحبُ الفِناءِ أريبٌ حين يعتزِمُ
مِنْ معشرٍ حبُّهمْ دِينٌ وبغضُهمُ ... كفرٌ وقرْبُهمُ مَنْجًى ومُعتصَمُ
يُستدفَعُ السوءُ[4] والبلوى بحبِّهمُ ... (٥ويُسْتَرَبُّ به٥) الإحسانُ والنِّعمُ
مُقَدَّمٌ بعدَ ذكرِ اللَّهِ ذكرُهمُ ... فى كلِّ حكمٍ ومختومٌ به الكلِمُ
إنْ عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئِمَّتَهمْ ... أو قيل مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ هُمُ
لا يستطيعُ جوَادٌ بُعْدَ غايتِهمْ ... ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرُموا
همُ الغُيوثُ إذا ما أزمةٌ أزَمتْ ... والأُسْدُ أُسدُ الشَّرى والبأسُ محتدِمُ
يأبى لهم أن يحُلَّ الذمُّ ساحتَهم ... خِيمٌ كريمٌ[6] وأيدٍ بالندى هُضُمُ
لا يَنْقُصُ العُسْرُ[7] بَسْطًا مِن أكُفِّهمُ ... سيَّانِ ذلك إنْ أثْرَوا وإن عَدِموا
أىُّ الخلائقِ ليستْ فى رقابِهمُ ... لأوّلـيَّـةِ هـذا أوْ لَـهُ نِـعـمُ
فليسَ قولُكَ مَن هذا بضائرِهِ ... العُرْبُ تعرِفُ مَن[8] أنكرتَ والعجَمُ

---

(١) فى م : « الغواية » .
(٢) فى النسخ : « تزينه ثنتان الحلم والكرم » . وهو مضطرب ، والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٩٢.
(٣) فى م : « بغيبته » .
(٤) فى الأصل ، ا٢، ص : « الشر » .
(٥ - ٥) فى ا٢: « يسترب » ، وفى م : « ويستزاد به » ، وفى ص : « ويستزد به » .
(٦) فى م : « كرام » .
(٧) فى ا٢: « العشر » . وفى م : « العدم » .
(٨) فى الأصل ، ا٢، ص : « ما » .

مَنْ يعرِفِ اللَّهَ يعرِفْ أوّليَّةَ ذا فالدِّينُ مِن بيتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ

قال: فغضِب هشامٌ مِن ذلك، وأمَر بحبسِ الفرزدقِ بعُسْفَانَ، بين مكةَ والمدينةِ، فلمّا بلَغ ذلك عليَّ بنَ الحسينِ بعَث إلى الفرزدقِ باثْنَى عشَرَ ألفَ درهمٍ، (١) وأرسَل يعتذِرُ إليه أن ليس عندَه اليومَ غيرُها، فردَّها الفرزدقُ (١)، وقال: إنَّما قلتُ ما قلتُ للَّهِ، عز وجل، ونصرةً للحقِّ، وقيامًا بحقِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ذريتِه، ولستُ أعتاضُ عن ذلك بشىءٍ. فأرسَل إليه عليُّ بنُ الحسينِ يقولُ: قد علِم اللَّهُ صدقَ نيتِك فى ذلك، وأقسمتُ (٢) لَتقبَلَنَّها. فقبِلها منه ثم جعَل يهجو هشامًا فكان ممّا قال فيه (٣):

يحبِّسُنى بينَ المدينةِ والتى إليها قلوبُ الناسِ يهوِى منيبُها

[١٢٩/٧و] يُقَلِّبُ رأسًا لم يكنْ رأسَ سيدٍ وعينينِ حولاوَين بادٍ عيوبُها

وقد رُوِّينا عن عليِّ بن الحسينِ أنَّه كان إذا مرَّت به الجنازةُ يقولُ (٤):

نُراعُ إذا الجنائزُ قابلتْنا ونلهو حينَ تمضِى ذاهباتِ

كرَوعةِ ثَلَّةٍ لمُغارِ سَبْعٍ فلمّا غابَ عادتْ راتعاتِ

وروَى الحافظُ ابنُ عساكرَ (٥) مِن طريقِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ المقرئِ، حدَّثنى سفيانُ بنُ عيينةَ، عن الزهرىِّ، قال: سمِعتُ عليَّ بنَ الحسينِ سيدَ العابدين

(١ - ١) فى م: «فلم يقبلها».

(٢) بعده فى ا٢، م، ص: «عليك باللَّه».

(٣) بعده فى ا٢، م، ص: «هذين البيتين». والبيتان فى الأغانى ١٥/ ٣٢٧، وتاريخ دمشق ١٢/ ٥٠ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٩.

(٤) البيتان فى تاريخ دمشق ١٢/ ٥٤ (مخطوط)، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٥٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٥٠- ٥٣ (مخطوط).

يحاسبُ نفسَه ويناجى ربَّه يقولُ[1] :-

يا نفسُ حتّامَ إلى الدنيا غُرورُك[2] ، وإلى عمارتِها ركونُك ، أمَا اعتبرتِ بمَن مضَى مِن أسلافِك ، ومَن وارثه الأرضُ مِن أُلّافِك ؟ ومَن فُجِعتِ به مِن إخوانِك ، ونُقِل إلى البِلى[3] من أقرانِك ؟

فهم فى بطونِ الأرضِ بعدَ ظهورِها ... محاسنُهم فيها بوالٍ دواثرُ
خلَت دورُهمْ منهمْ وأقْوَتْ عِراصُهمْ ... وساقتْهمُ نحوَ المنايا المقادرُ
وخُلُّوا عن الدنيا وما جمَعوا لها ... وضمَّتهمُ[4] تحتَ الترابِ الحفائرُ

كم تخرَّمتْ أيدى المنونِ مِن قرونٍ بعدَ قرونٍ ، وكم غيَّرَتِ الأرضُ ببلائِها ، وغيَّبتْ فى ثراها[5] ممَن عاشرتَ مِن صنوفِ الناسِ[6] وشيَّعتهم إلى الأرماسِ[7] .

وأنتَ على الدنيا مكِبٌّ منافِسٌ ... لخُطَّابِها فيها حريصٌ مكاثِرُ
على خطرٍ تُمسِى[8] وتُصبحُ لاهيًا ... أتدرى بماذا لو عقَلتَ تخاطِرُ ؟!
وإنّ امرأً يسعَى لدنياه دائِبًا ... ويَذهَلُ عن أخراهُ لاشكَّ خاسِرُ

فحتّامَ على الدنيا إقبالُك ؟ وبشهواتِها اشتغالُك ؟ وقد وخَطك القتيرُ[9] ،

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى ا ٢، م، ص : « سكونك » .
(٣) فى ا ٢، م، ص : « الثرى » .
(٤) فى م : « ضمهم » .
(٥) فى ا ٢، م، ص : « ترابها » .
(٦) سقط من : م .
(٧) فى م : « الأمارس » . وبعده فى ا ٢، م، ص : « ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الأفلاس » .
(٨) فى الأصل ، م : « تمشى » .
(٩) وخطك : فشا فيك . والقتير : أول ما يظهر من الشيب . الوسيط (و خ ط) ، (ق ت ر) .

وأتاك النذيرُ، وأنت عمّا يرادُ بك ساهٍ، وبلَذَّةِ يومِك[1] لاهٍ[2].

وفى ذِكرِ هَولِ الموتِ والقبرِ والبِلى ... عن اللهوِ واللذّاتِ للمرءِ زاجرُ
أبعدَ اقترابِ الأربعين تربُّصٌ ... وشيبِ قَذَالٍ منذِرٌ [3]لك كاسرُ[3]
كأنَّكَ معنِيٌّ بما هو صائِرٌ ... لنفسِكَ عمْدًا أو[4] عن الرشدِ جائرُ

انظُرْ إلى الأممِ الماضيةِ، والملوكِ الفانيةِ كيف أفنَتهم[5] الأيامُ، ووافاهم الحِمامُ؛ فانمحَت مِن الدنيا آثارُهم، وبقِيَت فيها أخبارُهم[6].

وأضحَوا[7] رميمًا فى الترابِ وعُطِّلَت ... [8]مجالسُ منهم أقفَرتْ و[8]مقاصِرُ
[١٢٩/٧ظ] وحلُّوا بدارٍ لا تزاوُرَ بينَهم ... وأنَّى لسكّانِ القبورِ تَزاوُرُ[9]
فما إن ترَى إلا جُثًى[10] قد ثَوَوْا بها ... مسطَّحةً تَسفِى عليها الأعاصرُ

كم مِن ذى مَنَعةٍ وسلطانٍ وجنودٍ وأعوانٍ، تمكَّن مِن دنياه، ونال فيها ما

---

(١) بعده فى ا٢، م، ص: «وغدك».
(٢) بعده فى ا٢، م، ص: «وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات، وعاينت ما حل بهم من المصيبات».
(٣ - ٣) فى ا٢، م: «للكاسر».
(٤) فى م: «و».
(٥) فى ا٢، م، ص: «اختطفتهم عقبان».
(٦) بعده فى ا٢، م: «وأضحوا رمما فى التراب إلى يوم الحشر والمآب»، وبعده فى ص: «وأضحوا رمما فى التراب إلى يوم الحشر والحساب».
(٧) فى م: «أمسحوا».
(٨ - ٨) فى ا٢، ص: «مجالسهم منهم وأخلوا». وفى م: «مجالسهم منهم وأخلى».
(٩) فى ا٢، م، ص: «التزاور».
(١٠) فى الأصل: «إن جثا»، وفى ا٢: «جثاء»، وفى م: «قبورا». وفى ص: «حساد». والمثبت من تاريخ دمشق ٥١/١٢ (مخطوط).

تمنّاه، وبنَى فيها القصورَ والدساكِرَ، وجمَع الأعلاقَ[1] والذخائرَ[2].

فما صرَفتْ كفَّ المنيةِ إذ أتتْ ... مبادِرةً تهوِى إليه الذخائرُ
ولا دفَعتْ عنه الحصونُ التى بنَى ... وحفَّ بها أنهارُه والدّساكرُ
ولا قارَعتْ عنه المنيةَ حيلةٌ ... ولا طمِعت فى الذَّبِّ عنه العساكرُ

أتاه مِن اللَّهِ ما لا يُرَدُّ، ونزَل به مِن قضائِه ما لا يُصَدُّ، فتعالى اللَّهُ الملكُ الجبّارُ، المتكبِّرُ[3] القهّارُ، قاصمُ الجبّارين، ومبيدُ[4] المتكبِّرين[5].

مليكٌ عزيزٌ لا يُرَدُّ قضاؤُه ... حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمرِ قاهرُ
عَنَا كلُّ ذِى عزٍّ لعزةِ وجهِه ... فكلُّ[6] عزيزٍ للمهيمِنِ صاغرُ
لقد خضَعتْ واستسلَمتْ وتضاءَلتْ ... لعزّةِ ذى العرشِ الملوكُ الجبابرُ

فالبِدارَ البِدارَ، والحِذارَ الحذارَ من الدنيا ومكايدِها، وما نصَبتْ لك مِن مصايدِها، وتحلَّت لك مِن زينتِها، وأظهَرتْ لك مِن بهجتِها[7].

وفى دونِ ما عايَنتَ مِن فَجَعاتِها ... إلى رفضِها[8] داعٍ وبالزهدِ آمرُ[9]

---

(١) فى ا ٢، م، ص: «فيها الأموال». والأعلاق: جمع عِلق، وهو النفيس من كل شىء. القاموس، مادة (ع ل ق).
(٢) بعده فى ا ٢: «ونكح السرائر والحرائر». وبعده فى م: «وملح السرارى والحرائر». وبعده فى ص: «ونكح السرارى والحرائر».
(٣) بعده فى ا ٢، م، ص: «العزيز».
(٤) فى الأصل: «مبير».
(٥) بعده فى ا ٢، م، ص: «الذى ذل لعزه كل سلطان، وأباد بقوته كل ديان».
(٦) فى م: «فكم من».
(٧) بعده فى ا ٢، م، ص: «وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها».
(٨) فى ا ٢: «وصفها». وفى م: «دفعها». وفى ص: «ذمها».
(٩) بعده فى ا ٢، م، ص:
«فجد ولا تغفل وكن متيقظا ... فعما قليل يترك الدار عامر»

(١ فجِدَّ ولا تغْفُلْ فعيشُك ١) زائلٌ وأنتَ إلى دارِ الإقامةِ صائرُ
ولا تطلُبِ الدنيا فإنَّ طِلابَها[٢] وإنْ نِلتَ منها غُبَّةً[٣] لكَ ضائرُ

فهل يحرِصُ عليها لبيبٌ ، أو يُسَرُّ بها أريبٌ ؟ وهو على ثقةٍ مِن فَنائِها ، وغيرُ طامعٍ فى بقائِها ، أم كيف تنامُ عينا مَن يخشَى البَياتَ ، وتسكُنُ نفسُ مَن يتوقَّعُ[٤] المَماتَ .

ألَا لَا ولكنّا نَغُرُّ نفوسَنا وتشْغَلُنا اللَّذَّاتُ عما نحاذِرُ
وكيف يَلَذُّ العيشَ مَن هو مُوقِنٌ[٥] بموقفِ عدلٍ يومَ تُبلَى السرائرُ
كأنّا نرَى أنْ لا نشورَ وأنَّنا سُدًى ما لنا بعدَ المَماتِ مصائرُ[٦]

وما عسَى أن ينالَ صاحبُ الدّنيا مِن لذَّتِها ويتمتَّعُ به مِن بهجتِها ، مع صنوفِ [٧/١٣٠و] عجائِبِها[٧] ، وكثرةِ تعبِه[٨] فى طلبِها ، وما يكابِدُ من أسقامِها وأوصابِها وآلامِها ؟!

أما قد ترَى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ يروحُ علينا صرفُها ويباكِرُ ؟
تعاوَرُنا آفاتُها وهمومُها وكمْ قد ترَى يَبقَى لها المُتعاوَرُ ؟

(١ - ١) فى ا٢، م، ص: «فشمر ولا تفتر فعمرك».
(٢) فى ا٢، م، ص: «نعيمها».
(٣) الغبة: البلغة من العيش. القاموس (غ ب ب).
(٤) بعده فى ا٢، م، ص: «فى جميع أموره».
(٥) فى م: «موقف».
(٦) فى ا٢، م، ص: «مصادر».
(٧) بعده فى ا٢، م، ص: «وقوارع فجائعها».
(٨) فى ا٢، م، ص: «عذابه بمصابها و».

فلا هو مغبوطٌ بدنياه آمِنٌ ولا هوَ عنْ تَطلابِها النفسَ قاصرُ

كم قد غرَّت الدنيا مِن مُخلِدٍ إليها ، وصرَعت مِن مكِبٍّ عليها ، فلم تُنعِشْه مِن عثْرتِهِ ، ولم تُقِمْه[1] مِن صرْعتِه ، ولم تَشْفِه مِن أَلِه ، ولم تُبرِه مِن سقَمِه[2] .

بلى أوردَته بعدَ عزٍّ ومَنْعةٍ مواردَ سوءٍ ما لهنَّ مصادرُ

فلمّا رأَى أن لا نجاةَ وأنَّه هو الموتُ لا يُنجِيه منه التحاذُرُ

تندَّمَ إذْ لم تُغنِ عنه ندامةٌ عليه وأبكَتْه الذنوبُ الكبائرُ

بكَى على ما سلَف مِن خطاياه ، وتحسَّر على ما خلَف مِن دنياه ، حين[3] لا ينفَعُه الاستغفارُ ، ولا يُنجِيه الاعتذارُ ، عند هولِ المنيةِ ونزولِ البليةِ .

أحاطتْ به أحزانُهُ وهمومُهُ وأُبلِسَ لمّا أعجَزتْهُ المعاذرُ[4]

فليس له مِن كُربةِ الموتِ فارجٌ وليس له مما يحاذِرُ ناصرُ

وقد جشَأتْ خوفَ المنيةِ نفسُهُ تُردِّدُها منه اللَّها والحناجرُ

هنالك خفَّ عُوّادُه ، وأسلَمه أهلُه وأولادُه ، وارتفَعتْ الرنَّةُ[5] بالعَويلِ ، وقد أيِسوا مِن العليلِ ، فغَمَّضوا بأيديهم عينَيه ، ومدّ عندَ خروجِ روحِه رجلَيه[6] .

فكم موجَعٍ يبكِى عليه ومُفْجَعٍ ومستنجدٍ صبْرًا وما هو صابرُ

ومسترجِعٍ داعٍ له اللَّهَ مخلِصًا يعدِّدُ منه خيرَ[7] ما هوَ ذاكرُ

---

(١) فى ا ٢، م، ص: «تنقذه».

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص: «ولم تخلصه من وصمه».

(٣) فى ا ٢: «واستغفر حين»، وفى م: «استغفر حتى».

(٤) فى م: «المقادر».

(٥) فى ا ٢: «الرزية»، وفى م: «البرية».

(٦) بعده فى ا ٢، م: «وتخلى عنه الصديق والصاحب الشفيق».

(٧) فى ا ٢، م: «كل».

وكمْ شامتٍ مستبشِرٍ بوفاتِه وعمّا قليلٍ كالذى صار صائرُ

فشقَّ جيوبَها نساؤه، ولطَم خدودَها إماؤه، وأعْوَل لفقدِه جيرانُه، وتوجَّع لرزئِه إخوانُه، ثم أقبَلوا على جَهازِه، وشمّروا لإبرازِه[1].

وظلَّ[2] أحبُّ القومِ كان لقربِه[3] يحُثُّ على تجهيزِهِ ويبادِرُ

وشمَّر مَنْ قد أحضَروه لغَسلِهِ ووجَّه لمّا قام[4] للقبرِ حافرُ

[٧/١٣٠ظ] وكُفِّن فى ثوبين واجتمَعتْ لهُ مُشيِّعةً إخوانُهُ والعشائرُ

فلو رأيْتَ الأصغرَ مِن أولادِه، وقد غلَب الحزنُ على فؤادِه، وغُشِى[5] مِن الجزَعِ عليه، وخضَّبتْ الدموعُ خدَّيه[6]، وهو يندُبُ أباه، ويقول: يا ويلاه[7].

لعايَنتَ مِن قبحِ المنيةِ[8] منظرًا يُهالُ لمَرآهُ ويَرْتاعُ ناظرُ

أكابرُ أولادٍ يَهِيجُ اكتئابُهمْ إذا ما تناساه[9] البنون الأصاغرُ

ورنَّةُ[10] نسوانٍ عليهِ جوازعٍ مدامعُهمْ فوقَ الخدودِ غوازرُ

ثم أُخرِج مِن سَعةِ قصرِه إلى ضِيقِ قبرِه، فلمّا استقرّ فى اللحدِ وهَى[11] عليه

---

(١) بعده فى ا ٢، م: «كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ولا الحبيب المبدى».

(٢) فى ا ٢: «ضل»، وفى م: «حل».

(٣) فى م: «بقربه».

(٤) فى النسخ: «فاض». وانظر تاريخ دمشق ٥٢/١٢ (مخطوط).

(٥) فى ا ٢، م: «يخشى».

(٦) فى ا ٢، م: «عينيه».

(٧) بعده فى ا ٢، م: «واحرباه».

(٨) فى الأصل: «المدينة».

(٩) فى الأصل: «تناسوه».

(١٠) فى م: «ربة».

(١١) وهى: تخرق وانشق واسترخى رباطه. القاموس (و هـ ى).

اللبِنُ[1] ، وحثَوا بأيديهم عليه الترابَ ، وأكثَروا التلَدُّدَ[2] عليه والانتحابَ ، ثم وقَفوا ساعةً عليه ، وأيِسوا مِن النظرِ إليه[3] .

فولَّوا عليهِ مُعْوِلين وكلُّهم ... لِمثلِ الذى لاقى أخوهُ محاذِرُ
كشاءٍ رِتاعٍ آمنينَ بدا لها ... بُديتِه بادِى الذراعينِ حاسرُ
فرِيعَت ولم ترتَعْ قليلًا وأجفَلتْ ... فلمّا نأى عنها الذى هو جازِرُ

عادت إلى مَرْعاها ، ونسِيتْ ما فى أختِها دهاها ، أفبأفعالِ البهائمِ[4] اقتدَينا ؟ أم على عادتِها جرَيْنا ؟ عُدْ إلى ذكرِ المنقولِ إلى دارِ البِلى و[5] الثَّرَى ، المدفوعِ إلى هَوْلِ ما ترَى .

ثوَى مفرَدًا فى لحدِه وتوزَّعت ... مواريثَه [6]أرحامُه والأواصِرُ[6]
وأحنَوا على أموالِه يقسِمونها ... فلا حامدٌ منهم عليها وشاكرُ
فيا عامرَ الدنيا ويا ساعيًا لها ... ويا آمنًا مِن أنْ تدورَ الدوائرُ

كيف أمِنتَ هذه الحالةَ وأنت صائرٌ إليها لا محالةَ ؟! أم كيف [7]تتهنَّأُ لحياتِك[7] وهى مطِيَّتُك إلى مماتِك ؟! أم كيف تَسيغُ[8] طعامَك وأنت منتظِرٌ حِمامَك[9] ؟!

---

(١) بعده فى ا ٢، م : « احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعا بما رآه » .
(٢) فى ا ٢، م : « البكاء » . والتلدد هو التلفت يمينا وشمالًا . القاموس (ل د د) .
(٣) بعده فى ا ٢، م : « وتركوه رهنا بما كسب وطلب » .
(٤) فى ا ٢، م : « الأنعام » .
(٥) بعده فى ا ٢، م : « اعتبر بموضعه تحت » .
(٦ - ٦) فى ا ٢، م : « أولاده والأصاهر » .
(٧ - ٧) فى ا ٢، م : « ضيعت حياتك » .
(٨) فى م : « تشبع من » .
(٩) بعده فى ا ٢، م : « أم كيف تهنأ بالشهوات وهى مطية الآفات » .

ولم تتزوَّدْ للرحيلِ وقد دنا وأنت على حالٍ وشيكًا مسافرُ
فيا لهفَ نفسى كم أسوِّفُ توبتى وعُمرىَ فانٍ والرَّدَى لىَ ناظرُ
وكلُّ الذى أسلَفتُ فى الصحْفِ مثبَتٌ يُجازِى عليه عادلُ الحكمِ قادرُ

فكم ترقَعُ بآخرتِك دنياك؟ وتركَبُ (١فى ذلك١) هواك؟ أراك ضعيفَ اليقينِ، يامؤثِرَ الدنيا على الدينِ، أبهذا أمَرك الرحمنُ؟ أم على هذا نزَل القرآنُ(٢)؟

[١٣١/٧و] تُخَرِّبُ ما يَبْقَى وتَعْمُرُ فانيًا فلا ذاكَ موفورٌ ولا ذاكَ عامرُ
وهل لك إن وافاكَ حتفُك بغتةً ولم تَكْتسِبْ خيرًا لدى اللَّهِ عاذرُ
أترضَى بأنْ تَفْنَى الحياةُ وتنقَضِى ودِينُكَ منقوصٌ ومالُكَ وافرُ

وقد اختلَف أهلُ التاريخِ فى السنةِ التى تُوفِّى فيها علىُّ بنُ الحُسينِ، زينُ العابدين؛ فالمشهورُ عن الجمهورِ(٣) أنّه تُوفِّى فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ أربعٍ وتسعين - فى أوَّلِها عن ثمانٍ وخمسين سنةً، وصُلِّى عليه بالبقيعِ، ودُفِن به.

قال الفلَّاسُ(٤): مات سعيدُ بنُ المسيَّبِ، وعلىُّ بنُ الحسينِ، وعُرْوةُ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ سنةَ أربعٍ وتسعين.

وقال بعضهم(٥): تُوفِّى ثِنتيْنِ، أو ثلاثٍ وتسعينَ.

(١ - ١) فى ا٢، م: «غيك و».
(٢) بعده فى ا٢، م: «أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب وشر المآب، أما تذكر حال من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورا ومساكنهم قبورا».
(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢١، وتاريخ دمشق ١٢/ ٥٦، ٥٧ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٠٣، ٤٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٩، ٤٠٠.
(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ٥٧ (مخطوط).
(٥) تاريخ دمشق ١٢/ ٥٦ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٠.

وأغرَبَ المدائنيُّ فى قولِه[1] : إنَّه تُوفِّى سنةَ تسعٍ وتسعينَ . واللَّهُ أعلمُ[2] .

[3]ومن تُوفِّى فيها من الأعيان[3] :

أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[4] بنِ مخزومٍ القرشيُّ، المدنيُّ[5] ، أحدُ الفقهاءِ السبعةِ ، قِيل : اسمُه محمدٌ . وقيل : اسمُه أبو بكرٍ ، وكنيتُه أبو عبدِ الرحمنِ . والصحيحُ أنَّ اسمَه وكنيتَه واحدٌ . وله من الأولادِ والإخوةِ كثيرٌ ، وهو تابعيٌّ جليلٌ ، روَى عن عمّارٍ ، وأبى هريرةَ ، وأسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، وعائشةَ ، وأمِّ سلمةَ ، وغيرِهم ، وعنه جماعةٌ ، منهم بنوه ؛ سلَمةُ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الملكِ ، وعمرُ ، ومولاه سُمَيٌّ ، وعامرٌ الشعبيُّ ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وعمرُو بنُ دينارٍ ، ومُجاهدٌ ، والزُّهْرِيُّ .

وُلِد فى خلافةِ عُمَرَ ، وكان يُقالُ له : راهبُ قُريشٍ . لكثرةِ صلاتِه ، وكان مكفوفًا ، وكان يصومُ الدهرَ ، وكان مِن الثقةِ ، والأمانةِ ، والفقهِ ، وصحةِ الروايةِ على جانبٍ عظيمٍ .

[6]وكان عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ يُكرِمُه ويعرِفُ فضلَه ، ويقولُ[7] : إنِّى أهُمُّ[6]

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/٥٧ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٠٤.

(٢) بعده فى م ، ص زيادة ، وهى من زيادات الناسخ .

(٣ - ٣) سقط من : ا٢، م ، ص .

(٤) فى ا٢: «عمرو» .

(٥) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٧، وطبقات خليفة ٢/ ٦١١، وحلية الأولياء ٢/ ١٨٧، وطبقات الفقهاء ٥٩، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥١٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٦.

(٦ - ٦) سقط من : ا٢، م ، ص .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٨، ٢٠٩.

[1] بالشىءِ أفعَلُه بأهلِ المدينةِ ؛ لسوءِ أثرِهم عندَنا ، فأذكُرُ أبا بكرِ بنَ عبدِ الرحمنِ فأستحْيِى منه ، وأترُكُ ذلك الأمرَ مِن أجلِه . وله مناقبُ كثيرةٌ[1] .

قال أبو داودَ[2] : وكان قد كُفَّ ، وكان إذا سجَد يضَعُ يدَه فى طَسْتٍ ؛ لعلَّةٍ كان يجِدُها . والصحيحُ أنه ماتَ فى هذه السنةِ . وقيل : فى التى قبلَها . وقيل : فى التى بعدَها . واللَّه أعلم[3] .

(١ - ١) سقط من : ٢١، م، ص .

(٢) تهذيب الكمال ٣٣/ ١١٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٧.

(٣) بعده فى م، ص زيادة ، وهى من زيادات الناسخ .

ثم دخلَت سنةُ خمسٍ وتسعين

فيها غزا العبّاسُ بنُ الوليدِ بلادَ الرومِ، وافتتَح حصونًا كثيرةً.

وفيها افتتَح مسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ مدينةَ (١الباب مِن إرمينِيَّةَ١)، (٢وخرَّبها٢) ثم بنَاها مسلمةُ بعد ذلك بتسعِ(٣) سنينَ.

وفيها افتتَح محمدُ بنُ القاسمِ [١٣١/٧ظ] الثقفيُّ مدينةَ المُولْتانِ(٤) من أرضِ الهندِ، (٥وأخَذ منها أموالًا جزيلةً.

وفيها قَدِم موسى بنُ نُصَيْرٍ مِن بلادِ الأندلُسِ إلى إفريقيَّةَ، ومعه الأموالُ على العَجَلِ تُحمَلُ مِن كثرتِها، ومعه ثلاثونَ ألفَ رأسٍ مِن السَّبيِ(٥).

وفيها غزا قتيبةُ بنُ مسلمٍ بلادَ الشاشِ، (٥ففتَح مُدنًا وأقاليمَ كثيرةً٥)، فلمّا كان هناك جاءه الخبرُ بموتِ الحجاجِ بنِ يوسفَ فقمَعه ذلك، ورجَع بالناسِ إلى مدينةِ مروَ، وتمثّل بقولِ بعضِ الشعراءِ(٦):

لَعَمْرِى لَنِعْمَ المرءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... بحَوْرَانَ أمْسَى أعلَقَتْهُ الحَبَائلُ

فإنْ تَحْيَ لا أملَلْ(٧) حَياتى وإن تَمُتْ ... فمَا فى حَيَاتى بعْدَ موتِكَ طائِلُ

(١ - ١) فى ا٢، م، ص: «فى بلاد الروم».

(٢ - ٢) فى ا٢، م، ص: «ثم حرقها».

(٣) فى ا٢، م، ص: «بعشر».

(٤) فى الأصل: «المولبان»، وفى ا٢، ص: «المولبا»، وفى م: «المولينا». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٦٢. ومُولْتان بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة. معجم البلدان ٤/ ٦٨٩.

(٥ - ٥) زيادة من: ا٢، م، ص.

(٦) البيتان للحطيئة، وهما فى ديوانه ٢٤، وانظر الطبرى ٦/ ٤٩٢، والكامل ٤/ ٥٨٣.

(٧) فى النسخ: «أملك». والمثبت من مصادر التخريج.

(١ وفيها كتَب الوليدُ إلى قُتَيْبةَ ١) بأن يستمِرَّ على ما هو عليه مِن مُناجَزَةِ الأعداءِ، ويَعِدُه على ذلك، ويَجزيه خيرًا، ويُثْنِى عليه بما صنَع مِن الجهادِ، وفتحِ البلادِ، وقتالِ أهلِ الكفرِ والعِنادِ، وقد كان الحجّاجُ استخلَف على الصلاةِ ابنَه عبدَ اللَّهِ، فولَّى الوليدُ الصلاةَ والحربَ بالمِصرينِ - الكوفةِ والبصرةِ - يزيدَ بنَ أبى كَبْشةَ، وولَّى خَراجَهما يزيدَ بنَ مُسلمٍ، وقيل(٢): إنّ الحجّاجَ كان يستخلِفُهما على ذلك فأقَرَّهما الوليدُ. واستمرَّ سائرُ نوّابِ الحجاجِ على ما كانوا عليه، وكانت وفاةُ الحجّاجِ لخمسٍ - وقيل: لثلاثٍ بَقِينَ مِن رمضانَ. وقيل: مات فى شوّالٍ مِن هذه السنةِ.

وحجَّ بالناسِ فيها بشرُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، قاله أبو مَعشَرٍ والواقدىُّ(٣).

وفيها قُتِل الوضّاحِىُّ بأرضِ الرومِ، ومعه ألفٌ مِن أصحابِه.

وفى هذه السنةِ كان مولدُ أبى جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ(٤) ابنِ عبدِ اللَّهِ بن عبّاسٍ.

(١ - ١) فى الأصل: «وكتب قتيبة إلى الوليد». وانظر الطبرى ٦/ ٤٩٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٣، ٤٩٤.

(٤) بعده فى الأصل: (بن على). وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٩.

وهذه ترجمةُ الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفيّ[1] وذِكرُ وفاتِه

هو الحجاجُ بنُ يوسفَ [2]بنِ الحكمِ[2] بنِ أبى عقيلِ بنِ مسعودِ بنِ عامرِ بنِ مُعَتِّبِ بنِ مالكِ بنِ كعبِ بنِ عمرِو بن سعدِ بنِ عوفِ بنِ ثقيفٍ - وهو قَسِيُّ بنُ مُنَبِّهِ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ - أبو محمدٍ الثقفيُّ، سمِع ابنَ عباسٍ وروَى عن أنسٍ، وسَمُرةَ بنِ جندبٍ، وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ، وأبى بُرْدةَ بنِ أبى موسى. وروَى عنه أنسُ بنُ مالكٍ، وثابتٌ البُنانيُّ، وحميدٌ الطويلُ، ومالكُ بنُ دينارٍ، وجَرادُ[3] بن مجالدٍ، وقتيبةُ بنُ مسلمٍ، وسعيدُ بنُ أبى عَرُوبةَ، قاله ابنُ عساكرَ[4]. قال[5]: وكانت له بدمشقَ آدُرٌ مِنها دارُ الزاويةِ بقربِ قصرِ ابنِ أبى الحديدِ، وولَّاه عبدُ الملكِ الحجازَ فقتَلَ ابنَ الزبيرِ، ثم عزَله عنها وولَّاه العراقَ، وقدِم دمشقَ وافدًا على عبدِ الملكِ. ثم روَى[6] مِن طريقِ المغيرةِ بنِ مسلمٍ، [7]حدثنا سالمُ[8] بنُ قتيبةَ ابنِ مسلمٍ[7]، سمعتُ أبى يقولُ: خطَبَنا الحجاجُ بنُ يوسفَ، [١٣٢/٧و] فذكَر

---

(١) انظر ترجمته وأخباره فى: الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٩٩، وتاريخ دمشق ١٢/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٣١، ودول الإسلام ١/ ٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣١٤، والعقد الثمين ٤/ ٥٤، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٠٧، ومرآة الجنان ١/ ١٩٢، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢١٠، وغيرها من كتب التواريخ والأدب.

(٢ - ٢) سقط من: النسخ، والمثبت من تاريخ دمشق، والوافى بالوفيات.

(٣) فى ا ٢، م، ص: «جواد». والمثبت من تاريخ دمشق، وبغية الطلب ٥/ ٤ (مخطوط). وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٥٣٨.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٣.

(٥) تاريخ دمشق الموضع السابق.

(٦) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٤.

(٧ - ٧) سقط من: م.

(٨) فى الأصل، ا ٢، ص: «مسلم». والمثبت من تاريخ دمشق ١٢/ ١١٤، ٤/ ٢٠٨ (مخطوط). ومن أبناء قتيبة مسلم وسلم. انظر الطبرى ٦/ ٤٢٥، ٤٧٦. وذكر ابن قتيبة فى المعارف ٤٠٧ فى ترجمة =

القبرَ، فما زال يقولُ: إنَّه بيتُ الوَحدةِ، وبيتُ الغربةِ. حتى بكَى وبكَى مَن حولَه، ثم قال: سمعتُ أميرَ المؤمنين عبدَ الملكِ بنَ مروانَ يقولُ: سمِعتُ مروانَ يقولُ فى خطبتِه: خَطَبنا عثمانُ بنُ عفانَ، فقال فى خطبتِه: ما نظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى قبرٍ أو ذكَره إلَّا بكَى. وهذا الحديثُ له شاهدٌ فى «سُننِ أبى داودَ» وغيرِه[1]، وساقَ من طريقِ أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ[2]: ثنا سيَّارٌ[3]، عن جعفرٍ، عن مالكِ بنِ دينارٍ قال: دخَلتُ يومًا على الحجاجِ، فقال لى: يا أبا يحيى، ألا أحدِّثُك بحديثٍ حسنٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقلتُ: بلى. فقال: حدَّثَنى أبو بُردةَ، عن أبى موسى قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن كانتْ له إلى اللَّهِ حاجةٌ فليدعُ بها فى دُبُرِ[4] صلاةٍ مفروضةٍ». وهذا الحديثُ له شاهدٌ عن فَضالةَ بنِ عبيدٍ[5] وغيرِه[6] فى السننِ والمسانيدِ، واللَّهُ أعلمُ.

قال الشافعىُّ[7]: سمِعتُ مَن يذكُرُ أنَّ المغيرةَ بنَ شعبةَ دخَل على امرأتِه وهى تتخلَّلُ - [8] أى تخلِّلُ أسنانَها ليَخرُجَ ما بينَها مِن أذًى - وكان ذلك فى[8] أوَّلِ النَّهارِ، فقال: واللَّهِ لئِن كنتِ باكرتِ الغذاءَ إنك لَرَغيبَةٌ[9] دَنيَّةٌ، وإنْ كان الذى

= قتيبة أولاده ولم يذكر فيهم سالماً. ويمكن أن تكون «سالم» تحرفت عن «سلم» والله أعلم.

(١) سنن أبى داود (٣٢٣٤) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٧١) - والحديث عند مسلم (٩٧٦/١٠٨) - وابن ماجه (٤١٩٥). قال البوصيرى فى مصباح الزجاجة ٣/ ٢٩٢: هذا إسناد فيه مقال.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٤.

(٣) فى ا ٢، م، ص: «يسار». وانظر تاريخ دمشق، وبغية الطالب ٥/ ٤.

(٤) بعده فى الأصل: «كل».

(٥) أبو داود (١٤٨١)، والترمذى (٣٤٧٦، ٣٤٧٧)، والنسائى (١٢٨٣)، والإمام أحمد فى المسند ٦/ ١٨، كلهم من حديث فضالة. صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٣١٤).

(٦) الترمذى (٥٩٣). حسن (صحيح سنن الترمذى ٤٨٦).

(٧) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٥، ١١٦.

(٨ - ٨) فى الأصل: «من».

(٩) فى النسخ: «لرعينة». والمثبت من تاريخ دمشق.

تخلِّلين مِن شيءٍ بَقِى فى فِيكِ مِن البارحةِ إنكِ لقَذِرَةٌ . فطلَّقها ، فقالتْ : واللَّهِ ما كان شيءٌ ممَّا ذكرتَ ، ولكنَّنى باكرتُ ما تُباكرُه الحرةُ مِن السِّواكِ ، فبقِيتْ شَظِيَّةٌ فى فمى منه فحاولتها لأخرِجَها . فقال المغيرةُ ليوسفَ أبى الحجاجِ : تزوَّجْها فإنَّها لخليقةٌ أنْ تأتىَ برجلٍ يسودُ ، فتزوَّجَها يوسفُ أبو الحجاجِ . قال الشافعىُّ : فأُخبِرتُ أنَّ أبا الحجاجِ لمَّا بنَى بها واقَعَها فنامَ ، فقِيل له فى النومِ : ما أسرَعَ ما ألقَحتَ بالمبيرِ .

قال ابنُ خلِّكانَ[1] : واسمُ أُمِّه الفارعةُ بنتُ همامِ بنِ عروةَ بنِ مسعودٍ الثقفىِّ ، وكان زوجُها الحارثَ بنَ كَلَدةَ الثقفىَّ طبيبَ العربِ . وذكَر عنه هذه الحكايةَ فى السِّواكِ . وذكَر صاحبُ « العِقدِ »[2] أنَّ الحجاجَ كان هو وأبوه يُعلِّمان الغلمانَ بالطائفِ ، ثم قدِم دمشقَ فكان عندَ رَوحِ بنِ زِنْباعٍ وزيرِ عبدِ الملكِ ، فشكا عبدُ الملكِ إلى رَوحٍ أنَّ الجيشَ لا ينزِلون لنزولِه ولا يرحَلون لرحيلِه ، فقال رَوحٌ : عندى رجلٌ تُولِّيه ذلك . فولَّى عبدُ الملكِ الحجاجَ أمرَ الجيشِ ، فكان لا يتأخرُ أحدٌ فى النزولِ والرحيلِ ، حتى اجتازَ إلى فسطاطِ رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وهم يأكلونَ ، فضرَبهم وطوَّفَ بهم ، وأحرَق الفسطاطَ ، فشكا روحٌ ذلك إلى عبدِ الملكِ ، فقال للحجاجِ : لم صنَعتَ هذا ؟ فقال : لم أفعلْه ، إنما فعلَه أنتَ ؛ فإنَّ [١٣٢/٧ظ] يدى يدُك وسوطى سوطُك ، وما ضرَّك إذا أعطيتَ رَوحًا فسطاطَين بدلَ فسطاطِه ، وبدلَ الغلامِ غلامين ، ولا تكسِرُنى فى الذى ولَّيتَنى ؟ ففعلَ ذلك وتقدَّم الحجاجُ عنده .

قال[3] : وبنَى واسطَ فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، وفرَغ مِنها فى سنةِ ستٍّ

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٩.

(٢) العقد الفريد ٥/١٣ - ١٤ .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٠.

وثمانين. وقيل قبلَ ذلك. قال[1]: وفى أيَّامِه نُقِطتِ المصاحفُ. وذكَر[2] فى حكايتِه ما يدلُّ على[3] أنَّه كان أولًا يُسمَّى كليبًا، ثم سُمِّى الحجاجَ. وذكَر[4] أنَّه وُلِد ولا مخرجَ له حتى فُتِقَ له مخرجٌ، وأنَّه لم يرتضِعْ أيامًا حتى سقَوه دمَ جدي أيامًا[3] ثم دمَ سالخٍ[5] ولُطِّخَ وجهُه بدمِه فارتضَع، وكانت فيه شهامةٌ وحبٌّ لسفكِ الدماءِ؛ لأنَّه أوَّلُ ما ارتضَع ذلك الدمُ الذى لُطِّخَ به وجهُه.

ويقال[6]: إنَّ أمَّه هى المتمنيةُ لنصرِ بنِ حجاجِ بنِ عِلاطٍ. وقيل: إنَّها أمُّ أبيه. واللَّهُ أعلمُ.

وكانت فيه شهامةٌ عظيمةٌ، وفى سيفِه رَهَقٌ[7]، وكان كثيرَ قتلِ النفوسِ التى حرَّمها اللَّهُ بأدنى شبهةٍ، وكان يغضَبُ غضَبَ الملوكِ، وكان - فيما يَزعُمُ - يَتشبَّهُ بزيادِ بنِ أَبيهِ، وكان زيادٌ يَتشَبَّهُ بعمرَ بنِ الخطابِ، فيما يَزعمُ أيضًا. ولا سواءٌ ولا قريبٌ. وقد ذكَر ابنُ عساكرَ[8] فى ترجمةِ سُلَيْمِ بنِ عِتْرٍ[9] التُّجِيبىِّ قاضِى مصرَ، وكانَ مِن كبارِ التابعين، وكان ممَّن شهِد خطبةَ عمرَ بنِ الخطابِ بالجابيةِ، وكان مِن الزَّهادةِ والعبادةِ على جانبٍ عظيمٍ، وكان يختِمُ القرآن فى كلِّ ليلةٍ ثلاثَ ختماتٍ فى الصلاةِ وغيرِها. والمقصودُ أنَّ الحجاجَ كان مع أبيه بمصرَ فى جامعِها، فاجتاز بهما سُلَيْمُ بنُ عِتْرٍ[9] هذا، فنهَض إليه أبوالحجَّاجِ فسلَّم

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٢، وذكر حكاية تدل على ذلك.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٠ - ٥١.
(٣) سقط من: م.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٠.
(٥) فى النسخ: «سالح»، والمثبت من وفيات الأعيان. والسالخ: اسم الأسود من الحيات. التاج (س ل خ).
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣١، ٣٢.
(٧) الرهق، بالتحريك: الهلاك والظلم. التاج (ر هـ ق).
(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٠.
(٩) فى ا ٢، م، ص: «عنز». والمثبت موافق لما فى المختصر، وانظر تبصير المنتبه ٣/ ٩٧٥.

عليه ، وقال له : إنِّى ذاهبٌ إلى أميرِ المؤمنين ، فهل مِن حاجةٍ لك عندَه ؟ قال : نعم ، تسألُه أنْ يعزِلَنى عن القضاءِ . فقال : سبحانَ اللَّهِ ! واللَّهِ لا أعلمُ قاضيًا اليومَ خيرًا مِنك . ثم رجَع إلى ابنِه الحجَّاجِ ، فقال له ابنُه : يا أبه ، أتقومُ إلى رجلٍ مِن تُجِيبَ وأنت ثقفىٌّ ؟ فقال له : يا بُنىَّ واللَّهِ إنِّى لأحسَبُ أنَّ الناسَ إنَّما[1] يُرحَمون بهذا وأمثالِه . فقال الحجاجُ[1] : واللَّهِ ما على أميرِ المؤمنين أضرُّ مِن هذا وأمثالِه . فقال : ولم يا بُنىَّ ؟ قال : لأنَّ هذا وأمثالَه يجتمعُ الناسُ إليهم فيحدثُونهم عن سيرةِ أبى بكرٍ وعمرَ ، فيحقِرُ الناسُ سيرةَ أميرِ المؤمنينَ ولا يرَوْنها شيئًا عندَ سيرتِهما ، فيخلَعونَه ويخرُجون عليه ويُبْغِضُونه ولا يرَوْن طاعتَه ، واللَّهِ لو خَلَص إلىَّ مِن الأمرِ شىءٌ لأضرِبنَّ عنقَ هذا وأمثالِه . فقال له أبوه : يابنىَّ ، واللَّهِ إنِّى لأظنُّ أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ خلقَك شقيًّا . وهذا يدلُّ على أنَّ أباه كان ذا وجاهةٍ عندَ الخليفةِ ، وأنَّه كان ذا فِراسةٍ صحيحةٍ ؛ فإنَّه تفرَّسَ فى ابنِه ما آلَ إليه أمرُه بعدَ ذلك .

قالوا : وكان مولدُ الحجاجِ فى سنةِ [١٣٣/٧و] تسعٍ وثلاثين . وقيل : فى سنةِ أربعينَ . وقيل : فى سنةِ إحدى وأربعين . ثم نشَأ شابًّا لبيبًا فصيحًا بليغًا حافظًا للقرآنِ ، قال بعضُ السلفِ[2] : كان الحجاجُ يقرأُ القرآنَ فى كلِّ ليلةٍ . وقال [3]أبو العلاءِ[3] : ما رأيتُ أفصحَ منه ومِن الحسنِ البصرىِّ ، وكان الحسنُ أفصحَ مِنه . وقال الدارقطنىُّ[4] : ذكَر سليمانُ بنُ أبى شيخٍ[5] ، عن صالحِ بنِ سليمانَ قال :

---

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ١٢/١١٦.

(٣ - ٣) فى النسخ : «أبو عمرو بن العلاء» ، والمثبت من تاريخ دمشق ٤/٢١٠ (مخطوط) ، وانظر تاريخ دمشق ١٢/١١٦.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/١١٧.

(٥) فى م : «منيح» . وانظر مصدر التخريج .

قال عُتبةُ[1] بنُ عمرٍو: ما رأيتُ عقولَ الناسِ إلَّا قريبًا بعضُها مِن بعضٍ، إلَّا الحجاجَ وإياسَ بنَ معاويةَ، فإنَّ عقولَهما كانت ترجَحُ على عقولِ الناسِ.

وتقدَّم[2] أن عبدَ الملكِ لمَّا قُتِل مُصعبُ بنُ الزبيرِ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ بعَث الحجاجَ إلى أخيه عبدِ اللَّهِ بمكةَ فحاصَره بها، وأقام للناسِ الحجَّ عامَئذٍ، ولم يتمكَّنِ الحجاجُ[3] ومَن معه مِن الطوافِ بالبيتِ، ولا تمكَّن ابنُ الزبيرِ ومَن عندَه مِن الوقوفِ بعرفةَ[4]، ولم يزلْ محاصِرَه حتى ظفِرَ به فى جُمادى سنةَ ثلاثٍ [5]وسبعين[5]، ثم استنابه عبدُ الملكِ على مكةَ والمدينةِ والطائفِ واليمنِ[6]، ثم وَلّاه عبدُ الملكِ العراقَ بعدَ موتِ أخيه بشرٍ، فدخَل الكوفةَ كما ذكَرْنا، وقال لهم وفعَل بهم ما تقدَّم إيرادُه مفصلًا، فأقام بينَ ظهرانَيهم عشرينَ سنةً كاملةً. وفتَح فيها فتوحاتٍ كثيرةً هائلةً منتشرةً، حتى وصلتْ خيولُه إلى بلادِ الهندِ والسندِ، [7]ففتَح فيها جملةَ مدنٍ وأقاليمَ، ووصلتْ خيولُه أيضًا إلى قَريب بلادِ الصِّينِ[7]، وجرتْ له فصولٌ قد ذكرناها. ونحن نورِدُ هنا أشياءَ أُخرَ مما وقَع له مِن الأمورِ والجراءةِ والإقدامِ، والتهوُّرِ[8] فى الأمورِ العظامِ، مما يُمدحُ على مثلِه، ومما يُذمُّ بقولِه وفعلِه، مما ساقه الحافظُ ابنُ عساكرَ وغيرُه:

فروَى أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[9]، عن يحيى بنِ أيوبَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى الأصل، ا٢، م: «عقبة». وانظر تاريخ دمشق ١٢/١١٧.

(٢) انظر ما تقدم فى ص ١٧٧، ١٧٨.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: ا٢، م، ص.

(٥ - ٥) فى الأصل: «فقتله كما قدمنا وأقام للناس الحج أيضا فى سنة ثلاث وسبعين».

(٦) بعده فى الأصل: «وحج بالناس فى سنة أربع وسبعين أيضا».

(٧ - ٧) فى الأصل: «ففتحها أيضا».

(٨) فى م: «التهاون».

(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١١٩، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به.

كثيرٍ - ابنِ أخى إسماعيلَ بنِ جعفرٍ المدينىِّ - ما معناه أنَّ الحجاجَ بنَ يوسفَ صلَّى مرةً بجنبِ سعيدِ بنِ المسيَّبِ - وذلك قبلَ أنْ يَلِىَ شيئًا - فجعَلَ يرفعُ قبلَ الإمامِ ويقعُ قبلَه فى السُّجودِ ، فلمَّا سلَّم أخَذ سعيدٌ بطرفِ ردائِه - وكان له ذِكرٌ يقولُه بعدَ الصلاةِ - فما زالَ الحجاجُ ينازعُه رداءَه حتى قضَى سعيدٌ ذِكْرَه ، ثم أقبلَ عليه سعيدٌ فقال له : يا سارقُ يا خائنُ ، تصلِّى هذه الصَّلاةَ ! لقد هممتُ أنْ أضرِبَ بهذا النَّعلِ وجهَك . فلم يرُدَّ عليه ، ثم مضَى الحجاجُ إلى الحجِّ ، ثم رجَع فعادَ إلى الشامِ ، ثم جاء نائبًا على الحجازِ . فلما [٧/١٣٣ظ] قُتِل ابنُ الزبيرِ كرَّ راجعًا إلى المدينةِ نائبًا عليها ، فلما دخَل المسجدَ إذا مجلسُ سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، فقصدَه الحجاجُ ، فخشِى الناسُ على سعيدٍ منه ، فجاء حتى جلَس بينَ يديه ، فقال له : أنت صاحبُ الكلِماتِ ؟ فضرَب سعيدٌ صدرَه بيدِه ، وقال : نعم . قال : فجزاك اللَّهُ مِن معلِّمٍ ومؤدِّبٍ خيرًا ، ما صليتُ بعدَك صلاةً إلا وأنا أذكُرُ قولَك . ثم قام فمضَى .

وروَى الرِّيَاشِىُّ[1] ، عن الأصمعىِّ وأبى زيدٍ ، عن معاذِ بنِ العلاءِ - أخِى أبى عمرِو بنِ العلاءِ - قال : لما قَتَل الحجاجُ ابنَ الزبيرِ ارتجتْ مكةُ بالبكاءِ ، فأمَر بالناسِ فجُمِعوا فى المسجدِ ، ثم صعِد المنبرَ ، فقال بعد حمدِ اللَّهِ والثناءِ عليه : يا أهلَ مكةَ ، بلَغنى إكبارُكم قتلَ ابنِ الزبيرِ ، ألا وإنَّ ابنَ الزبيرِ كان مِن خِيارِ هذه الأمةِ ، حتى رغِب فى الخلافةِ ونازَع فيها أهلَها ، فنزَع طاعةَ اللَّهِ واستكَنَّ بحرمِ اللَّهِ ، ولو كان شىءٌ مانِعَ العُصاةِ لمنَعَتْ آدمَ حرمةُ اللَّهِ ؛ إنَّ اللَّهَ خلقَه بيدِه ، ونفَخ فيه مِن رُوحِه ، وأسجَد له ملائكتَه ، وأباحَ له كرامتَه ، وأسكَنَه جنَّتَه ، فلما أخطأَ أخرجَه مِن الجنةِ بخطيئتِه ، وآدمُ أكرَمُ على اللَّهِ مِنَ ابنِ الزبيرِ ، والجنةُ أعظَمُ حرمةً

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٠، من طريق الرياشى به .

مِن الكعبةِ ، اذكروا اللَّهَ يذكُرْكم .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا إسحاقُ [2]بنُ يوسفَ ، ثنا عوفٌ[3][2] ، عن أبى الصديقِ الناجىِّ أنَّ الحجاجَ دخَل على أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ بعدَ ما قُتِل ابنُها عبدُ اللَّهِ ، فقال : إنَّ ابنَك ألْحَد فى هذا البيتِ ، وإنَّ اللَّهَ أذاقَه مِن عذابٍ أليمٍ ، وفعَل [4]به وفعَل[4] . فقالتْ : كذَبتَ ، كان برًّا بوالديه ، صوَّامًا قوَّامًا ، واللَّهِ لقد أخبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه يخرجُ مِن ثقيفٍ كذَّابان ؛ الآخِرُ منهما شرٌّ مِن الأولِ ، وهو مبيرٌ . ورواه أبو يَعْلَى[5] ، عن وهبِ بنِ بقيةَ ، عن خالدٍ ، عن عوفٍ[6] ، عن أبى الصديقِ . قال : بلَغنى أنَّ الحجاجَ دخَل على أسماءَ .... فذكَر مثلَه . وقال أبو يَعْلَى[5] : ثنا زهيرٌ ، ثنا جريرٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن قيسِ بنِ الأحنفِ ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ . قالت : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن المُثْلَةِ ، وسمعتُه يقولُ : « يخرُجُ مِن ثقيفٍ رجلانِ ؛ كذَّابٌ ومُبيرٌ » . قالت : فقلتُ للحجاجِ : أمَّا الكذَّابُ فقد رأيناه ، وأمَّا المبيرُ فأنتَ هوَ يا حجاجُ .

وقال عبدُ[7] بنُ حُمَيْدٍ : أنبأ يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأ العوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ ، حدَّثنى مَن سمِع أسماءَ بنتَ أبى بكرٍ الصديقِ تقولُ للحجاجِ حين دخَل عليها

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢١، من طريق الإمام أحمد به .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى ا ٢، م : « عون » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٩٦.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢١، من طريق أبى يعلى به .

(٦) فى م : « عون » . وانظر حاشية (٣) .

(٧) فى م : « عبيد » . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢١، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/ ١٥ ، كلاهما من طريق عبد بن حميد به .

يُعَزِّيها فى ابنِها : [١٣٤/٧و] سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يخرُجُ مِن ثقيفٍ رجلان ؛ مُبيرٌ وكذَّابٌ » . فأمَّا الكذابُ فابنُ أبى عُبَيدٍ - تعنى المختارَ - وأما المبيرُ فأنتَ . وتقدَّم فى « صحيح مسلمٍ »[١] مِن وجهٍ آخرَ أورَدناه عندَ مقتلِ ابنِها عبدِ اللَّهِ ، وقد رواه غيرُ[٢] أسماءَ عن النبىِّ ﷺ . فقال أبو يعلى[٣] : ثنا أحمدُ بنُ عمرَ الوكيعىُّ . ثنا وكيعٌ ، حدَّثتْنا أمُّ غُرابٍ[٤] ، عن امرأةٍ يقال لها : عَقيلةُ . عن سَلامةَ بنتِ الحُرِّ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فى ثقيفٍ كذابٌ ومُبيرٌ » . تفرَّد به أبو يَعْلَى .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[٥] ، عن وكيعٍ ، عن أُمِّ غُرابٍ - واسمُها طلحةُ - عن عَقيلةَ ، عن سلامةَ حديثًا آخرَ فى[٦] الصلاةِ . وأخرَجه أبو داودَ وابنُ ماجه[٧] . ورُوِىَ مِن حديثِ ابنِ عمرَ ، فقال أبو يعلى[٣] : ثنا أميةُ بنُ بِسطامَ ، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ[٨] ، ثنا إسرائيلُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ ، قال : سمِعتُ ابنَ عمرَ ، أنبأنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّ فى ثقيفٍ مُبيرًا وكذَّابًا . وأخرَجه الترمذىُّ[٩] مِن حديثِ شَريكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُصْمٍ[١٠] - ويقالُ : عِصْمةَ - وقال : حسنٌ غريبٌ ، لا نعرفُه إلَّا مِن حديثِ شريكٍ .

---

(١) تقدم فى ٢٥١/٩ .

(٢) بعده فى ص : « واحد عن » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٢، من طريق أبى يعلى .

(٤) فى ا ٢، م، تاريخ دمشق: «عراب» وانظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٢٥.

(٥) المسند ٦/ ٣٨١.

(٦) بعده فى الأصل : « الإمامة فى » .

(٧) أبو داود (٥٨١)، وابن ماجه (٩٨٢) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١١٤) .

(٨) فى م : « ربيع » .

(٩) الترمذى : (٢٢٢٠، ٣٩٤٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٩٠) .

(١٠) فى م : « عاصم » .

وقال الشافعيُّ[1] : أنبأ مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن نافعٍ أنَّ ابنَ عمرَ اعتزلَ ليالىَ قتالِ ابنِ الزبيرِ والحجاجِ بمِنًى ، فكان[2] يُصَلِّى مع الحجاجِ . وقال الثوريُّ[3] ، عن محمدِ بنِ المنكدرِ ، عن جابرٍ أنَّه دخَل على الحجاجِ فلم يُسلِّمْ عليه ولم يكنْ يصلِّى وراءَه . وقال إسحاقُ بنُ راهَويْه[4] : أنبأ جريرٌ ، عن القَعقاعِ ابنِ الصلتِ قال : خطَب الحجاجُ ، فقال : إنَّ ابنَ الزبيرِ غيَّر كتابَ اللَّهِ . فقال ابنُ عمرَ : ما سلَّطَه اللَّهُ على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئتُ أن[5] أقولَ : كذبتَ ، لفعلتُ . ورُوى عن شَهْرِ بنِ حوشبٍ وغيرِه[6] أنَّ الحجاجَ أطالَ الخطبةَ فجعَل ابنُ عمرَ يقولُ : الصلاةَ الصلاةَ ، مِرارًا ، ثم قامَ فأقامَ الصلاةَ ، فقامَ الناسُ ، فصلَّى الحجاجُ بالناسِ ، فلمّا انصرفَ قال لابنِ عمرَ : ما حمَلكَ على ذلك ؟ فقال : إنَّما نجىءُ للصلاةِ ، فصَلِّ الصلاةَ لوقتِها ، ثم بَقْبِقْ[7] ماشئتَ بعدُ مِن بَقْبقةٍ[8] .

وقال الأصمعيُّ[9] : سمعتُ عمِّى يقولُ : بلَغنى أنَّ الحجاجَ لمَّا فرَغ مِن ابنِ الزبيرِ ، وقدِم إلى المدينةِ لقِى شيخًا خارجًا مِن المدينةِ ، فسأَله عن حالِ أهلِ المدينةِ ، فقال : بشَرِّ حالٍ ؛ قُتِل ابنُ حوارىِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال الحجاجُ : ومَن قتَله ؟ قال : الفاجرُ اللَّعينُ الحجاجُ ، [٧/١٣٤ظ] عليه لَعائنُ اللَّهِ وتهلُكتُه[10] ؛ مِن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٣، من طريق الشافعى به .

(٢) بعده فى م : « لا » .

(٣) العقد الفريد ٥/ ٤٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/٢١٣ (مخطوط) ، من طريق إسحاق بن راهويه به .

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤/ ٢١٣، ٢١٤ (مخطوط) ، من طريق مكحول وشهر بن حوشب .

(٧) فى الأصل ، ٢١، ص ، تاريخ دمشق : « نقنق » . وفى م : « تفتق » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٤. وبقبق الرجل يعنى : كثر كلامه .

(٨) فى الأصل ، ٢١، ص : « نقنقة » . وفى م : « تفتقه » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٤.

(٩) هكذا فى النسخ . والراجح أن هنا سقطا ، وهو « وقال عبد الرحمن بن أخى الأصمعى » فإن هذا سند معروف . وانظر ترجمة الأصمعى فى إنباه الرواة ٢/ ١٩٧.

(١٠) فى الأصل : « تهلته » وفى ٢١: « تهلبه » .

قليلِ المراقبةِ للَّهِ . فغضِب الحجاجُ غضبًا شديدًا ثم قال : أيُّها الشيخُ ، أتعرِفُ الحجاجَ إذا رأيتَه ؟ قال : نعم ، فلا عرَّفه اللَّهُ خيرًا ، ولا وقاه ضُرًّا . فكشَف الحجاجُ عن لِثامِه وقال : ستعلمُ أيُّها الشيخُ الآنَ إذا سال دَمُك الساعةَ . فلمَّا تحقَّق الشيخُ الجِدَّ ، قال : واللَّهِ إنَّ هذا لَهُو العجبُ ياحجاجُ ، لو كنتَ تعرفُنى ما قلتَ هذه المقالةَ ، أنا العباسُ بنُ أبى داودَ ، أُصرَعُ كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ . فقال الحجاجُ : انطلقْ ، فلا شفَى اللَّهُ الأبعدَ مِن جنونِه ولا عافاه .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، ثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن ابنِ أبى رافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ [2]أنَّه زوَّج ابنتَه مِن الحجاجِ بنِ يوسفَ ، فقال لها : إذا دخَل بك فقولِى : لا إلهَ إلا اللَّهُ الحليمُ الكريمُ ، سبحانَ اللَّهِ ربِّ العرشِ العظيمِ ، الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين . وزعَم أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا حزَبه أمرٌ قال هذا . قال حمادٌ : فظنَنتُ أنَّه قال : فلم يَصِلْ إليها . قال الشافعىُّ : لمَّا تزوَّجَ الحجاجُ بنتَ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ[2] ، قال خالدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ لعبدِ الملكِ بنِ مرْوانَ : أتُمكِّنُه مِن ذلك ؟ فقال : وما بأسٌ بذلك[3] ؟ قال : أشدُّ البأسِ[4] واللَّهِ . قال : وكيف ؟ قال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لقد ذهَب ما فى صدرى على آلِ الزبيرِ منذُ تزوجتُ رَمْلةَ بنتَ الزبيرِ . قال : فكأنَّه كان نائمًا فأيقَظَه ، فكتَب إلى الحجاجِ يعزِمُ عليه فى طلاقِها فطلَّقها .

وقال سعيدُ بنُ أبى عَروبةَ[5] : حجَّ الحجاجُ مرةً ، فمرَّ بينَ مكةَ والمدينةِ فأُتِى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٢٥، من طريق الإمام أحمد به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « من ذلك » .

(٤) فى م : « الناس » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٢٥ ، من طريق سعيد بن أبى عروبة . وانظر تاريخ دمشق ٤/٢١٤ (مخطوط) .

بغدائِه فقال لحاجبِه : انظرْ مَن يأكلُ معى . فذهَب ، فإذا أعرابىٌّ نائمٌ فضرَبه برجلِه وقال : أجبِ الأميرَ . فقام ، فلمَّا دخَل على الحجاجِ قال له : اغسلْ يديك ثم تغدَّ معى . فقال : إنَّه دعانى مَن هو خيرٌ مِنك . فأجبتُه[1] . قال : ومَن هو[1] ؟ قال : اللَّهُ دعانى إلى الصومِ فأجبتُه . قال : فى هذا الحرِّ الشديدِ ؟ قال : نعم ، صمتُ ليومٍ هو أشدُّ حرًّا منه . قال : فأفطِرْ وصُمْ غدًا . قال : إنْ ضمِنتَ لى البقاءَ إلى غدٍ . قال : ليس ذلك إلىَّ . قال : فكيف تسألُنى عاجلًا بآجلٍ لا تقدِرُ عليه ؟ قال : إنَّ طعامَنا طعامٌ طيبٌ . قال : لَمْ تُطَيِّبْه أنت ولا الطباخُ ، إنَّما طَيَّبَتْه العافيةُ .

فصــلٌ

قد ذكَرْنا كيفيةَ دخولِ الحجاجِ الكوفةَ فى سنةِ خمسٍ وسبعين وخطبتَه إيَّاهم بغتةً ، وتهديدَه ووعيدَه [٧/١٣٥و] إيَّاهم ، وأنَّهم خافوه مخافةً شديدةً ، وأنَّه قتَل عُمَيْرَ بنَ ضابئٍ ، وكذلك قتَل كُمَيْلَ بنَ زيادٍ صبرًا أيضًا ، ثم كان مِن أمرِه فى قتالِ ابنِ الأشعثِ ما قدَّمنا [2]ذِكْرَه ؛ من ظَفَرِه به بعدَ المطاولةِ والمقاتَلةِ وتَسلُّطِه[2] على مَن كان معه مِن الرؤساءِ والأمراءِ والعُبّادِ والقُرَّاءِ ، حتى كان آخرُ مَن قتَل منهم سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ . قال القاضى المُعَافَى بنُ[3] زكريا[4] : ثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سعيدٍ[5] الكلبىُّ ، ثنا محمدُ بنُ زكريا

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ٢١ ، م ، ص : « ثم تسلط » ، وانظر ما تقدم فى ص ٣٠٥ - ٣٤٥ .

(٣) سقط من : م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٣٢ ، من طريق المعافى بن زكريا به بنحوه .

(٥) فى م ، ص : « سعد » . وانظر تاريخ دمشق ، وبغية الطلب ٥/ ٥٣، ٥٤.

الغَلَّابيُّ ، ثنا محمدٌ - يعنى ابنَ عُبَيْدِ[1] اللَّهِ بنِ عباسٍ - عن عطاءٍ - يعنى ابنَ مصعبٍ - عن عاصمٍ قال : خطَب الحجاجُ أهلَ العراقِ بعدَ دَيرِ الجماجمِ ، فقال : يا أهلَ العراقِ ، إنَّ الشيطانَ قد استبطَنكم فخالَط اللحمَ والدمَ ، والعصبَ والمسامعَ ، والأطرافَ ، ثم أفضَى إلى الأسماخِ[2] والأمخاخِ ، والأشباحِ والأرواحِ ، ثم ارتفَع[3] فعشَّش ، ثم باضَ وفرَّخ ، ثم دبَّ ودرَج ، فحشاكم نفاقًا وشقاقًا ، وأشعَركم خلافًا ، اتخَذتُموه دليلًا تتَّبِعُونَه ، وقائدًا تُطيعُونه ، ومؤامِرًا[4] تُشاورونه وتستأمِرونه ، فكيف تنفعُكم تجربةٌ أو ينفعُكم بيانٌ ؟ ألستمُ أصحابى بالأهوازِ حيثُ رُمْتُم[5] المكرَ وأجمَعتُم[6] على الكفرِ ، وظننتُم أنَّ اللَّهَ يخذُلُ دينَه وخلافتَه ؟ وأنا[7] أرميكم بطَرْفى وأنتم تتسلَّلون لِواذًا ، وتنهزمون سِراعًا ، يومُ الزاويةِ ، وما يومُ الزاويةِ ! مما كان مِن فشلِكم وتنازُعِكم وتخاذُلِكم وبراءةِ اللَّهِ منكم ، [8]ونُكوسِ قلوبِكم[8] ؛ إذ وَلَّيتُم كالإبلِ الشاردةِ عن أوطانِها النوازعِ ، لا يَسألُ المرءُ عن أخيه ، ولا يَلْوى الشيخُ على بنِيه ، حين عضَّكم السلاحُ ، ونَخَستْكم[9] الرماحُ . يومُ دَيرِ الجماجمِ ، وما يومُ دَيرِ الجماجمِ ! بها كانتِ المعاركُ والملاحمُ ، بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِه ، ويُذهلُ[10] الخليلَ عن خليلِه ،

---

(١) فى م : « عبد » ، وانظر المصدرين السابقين .

(٢) الأسماخ : جمع سماخ وهو ثقب الأذن الذى يدخل فيه الصوت .

(٣) فى م : « ارتع » .

(٤) فى م : « مؤتمنا » .

(٥) فى م : « منيتم » .

(٦) فى ا ٢، ص : « وأجمعتم الغدر واتفقتم » ، وفى م : « واجتمعتم على الغدر واتفقتم » .

(٧) بعده فى م : « والله » .

(٨ - ٨) زيادة من : ا ٢، م ، ص ، وفى تاريخ دمشق : « ونكوص وليكم » .

(٩) فى م : « نخعتكم » .

(١٠) فى ا ٢: « يذهب » .

يا أهلَ العراقِ ، يا أهلَ الكَفَراتِ[1] بعدَ الفَجَراتِ[2] ، والغَدَراتِ[3] بعدَ الخَتَراتِ[4] ، والنزوةِ بعدَ النَّزَواتِ ، إنْ بَعَثْناكم إلى ثغورِكم غلَلتُم وخُنتُم[5] ، وإن أمِنتُم أرجَفْتُم ، وإن خِفْتُم نافقْتُم ، لا تذكرون نعمةً ، ولا تشكُرون معروفًا ، هلِ[6] استخفَّكم ناكِثٌ ، أوِ[7] استغواكم غاوٍ ، أو[7] استنقَذَكم عاصٍ ، أو[7] استنصَركم ظالمٌ ، أو[7] استعضَدكم خالعٌ - إلَّا لبَّيتُم دعوتَه ، وأجبتُم صيحتَه ، ونفرتُم إليه خِفافًا وثِقالًا ، وفُرسانًا ورِجالًا ؟ يا أهلَ العراقِ ، هل شَغَب شاغبٌ ، أو نَعَب ناعبٌ ، أو زَفَر زافرٌ إلَّا كنتُم أتباعَه وأنصارَه ؟ يا أهلَ العراقِ ، ألم تنفعْكم المواعظُ ؟ ألم تزجُرْكم الوقائعُ ؟ ألم يُشدِّدِ اللَّهُ عليكم وطأتَه ، ويُذِقْكم حرَّ سيفِه ، وأليمَ بأسِه ومَثُلاتِه ؟

ثم التفتَ إلى أهلِ الشامِ ، فقال : يا [٧/١٣٥ظ] أهلَ الشامِ ، إنَّما أنا لكم كالظَّليمِ الرامحِ[8] عن فِراخِه يَنفى عنها القذرَ ، ويباعدُ عنها الحجرَ ، ويُكِنُّها مِن المطرِ ، ويَحميها من الضِّبابِ ، ويَحرُسُها من الذِّئابِ[9] ، يا أهلَ الشامِ ، أنتم

---

(١) فى م : « الكفران » .

(٢) فى م : « الفجران » .

(٣) فى م : « الغدران » .

(٤) فى الأصل : « الجيرات » وفى م : « الخذلان » . وأصل الخَتْر : الغدر .

(٥) فى الأصل وتاريخ دمشق : « جبتم » .

(٦) فى ا ٢، م، ص : « ما » .

(٧) فى ا ٢، م، ص : « ولا » .

(٨) يعنى : كذكر النعام الذى يدافع عن فراخه ، والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع . اللسان (ر م ح) .

(٩) فى م ، ص : « الذباب » .

الجُنَّةُ والرِّداءُ[1] ، وأنتم المُلاءةُ والحِذاءُ[2] ، أنتم الأولياءُ والأنصارُ ، [3]والشِّعارُ والدِّثارُ[3] ، بكم يُذَبُّ[4] عن البيعةِ[5] والحَوْزَةِ ، وبكم تُرمى كتائبُ الأعداءِ ، ويُهزَمُ مَن عانَد وتولَّى .

قال ابنُ أبى الدنيا[6] : حدَّثنى محمدُ بنُ [7]أبى الحسينِ[7] ، حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ التميمىُّ ، سمعتُ شيخًا مِن قريشٍ يُكْنَى أبا بكرٍ التيمىَّ ، قال : كان الحجاجُ يقولُ فى خطبتِه - وكان لَسِنًا -: إنَّ اللَّهَ خلَق آدمَ وذريتَه مِن الأرضِ ، فأمشاهم على ظهرِها ، فأكلوا ثمارَها ، وشرِبوا أنهارَها ، وهتَكوها بالمساحى[8] والمرورِ ، ثم أدالَ اللَّهُ الأرضَ منهم ، فردَّهم إليها ، فأكَلتْ لحومَهم كما أكلوا ثمارَها ، وشرِبتْ دماءَهم كما شرِبوا أنهارَها ، وقطَّعتهم فى جوفِها ، وفرَّقت أوصالَهم كما هَتَكوها بالمساحى والمرورِ .

وممَّا روَاه غيرُ واحدٍ[9] عن الحجاجِ أنَّه قال فى خطبتِه فى المواعظِ : أيُّها[10] الرجلُ ، وكلُّكم ذلك الرجلُ ، رجلٌ خطَم نفسَه وزمَّها فقادَها بخِطامِها إلى طاعةِ اللَّهِ ، وكفَّها بزِمامِها عن معاصى اللَّهِ ، رحِم اللَّهُ امرَأً ردَّ نفسَه ، امرَأً اتَّهَم نفسَه ، امرَأً

---

(١) فى م : « البرد » .

(٢) فى م : « الجلد » .

(٣ - ٣) الشعار : الثوب الذى يلى الجسد ، لأنه يلى شعره مباشرة ، والدثار : الثوب الذى فوق الشعار . يقصد أنهم الخاصه والبطانة . النهاية ٢/ ٤٨٠.

(٤) بعده فى ا ٢، ص : « إليه » .

(٥) فى م : « البيضة » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٠، من طريق ابن أبى الدنيا به بنحوه .

(٧ - ٧) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٨) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد .

(٩) تاريخ دمشق ١٢/١٤٠ - ١٤٢.

(١٠) سقط من : م .

اتَّخَذ نفسَه عدوَّه ، امرَأً حاسَب نفسَه قبلَ أن يكونَ الحسابُ إلى غيرِه ، امرَأً نظَر إلى ميزانِه ، امرَأً نظَر إلى حسابِه ، امرَأً وزَن عملَه ، امرَأً فكَّر فيما يقرأُ غدًا فى صحيفتِه ويراه فى ميزانِه ، وكان عندَ قلبِه زاجرًا ، وعندَ همِّه آمِرًا ، امرَأً أخَذ بعِنانِ عملِه كما يأخذُ بعِنانِ جَمَلِه ، فإن قادَه إلى طاعةِ اللَّهِ تَبِعَه ، وإنْ قادَه إلى معصيةِ اللَّهِ كفَّ ، امرَأً عقَل عن اللَّهِ أمرَه ، امرَأً فاق واستفاق ، وأبغَض المعاصىَ والنفاقَ ، وكان إلى ما عندَ اللَّهِ بالأشواقِ . فما زال يقولُ امرَأً امرَأً . حتى بكَى مالكُ بنُ دينارٍ .

وقال المدائنىُّ[1] ، عن عَوانةَ بنِ الحكمِ قال : قال الشعبىُّ : سمِعتُ الحجاجَ تكلَّم بكلامٍ ما سبَقه إليه أحدٌ ؛ يقولُ : أما بعدُ ، فإنَّ اللَّهَ تعالى كتَب على الدُّنيا الفناءَ ، وعلى الآخرةِ البقاءَ ، فلا فناءَ لما كتَب عليه البقاءَ ، ولا بقاءَ لما كتَب عليه الفناءَ . فلا يَغُرَّنَّكم شاهدُ الدنيا عن[2] غائبِ الآخرةِ ، واقهَروا طولَ الأملِ بقِصَرِ الأجلِ .

وقال المدائنىُّ[3] ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الثقفىِّ ، عن عمِّه ، قال : سمعتُ الحسنَ البصرىَّ يقولُ : وقَذتْنى كلمةٌ سمِعتُها مِن الحجاجِ ، سمِعتُه يقولُ على هذه الأعوادِ : إنَّ امرَأً ذهبتْ ساعةٌ [١٣٦/٧و] مِن عُمرِه فى غيرِ ما خُلِق له لحَرِىٌّ أنْ تطولَ عليها حسرتُه إلى يومِ القيامةِ .

وقال شرَيكٌ القاضى[4] ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ قال : قال الحجاجُ يومًا : مَن كان له بلاءٌ أعطيناه على قدرِه . فقام رجلٌ فقال : أعطِنى فإنِّى قتلتُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٢، من طريق المدائنى به .
(٢) فى تاريخ دمشق : « على » .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٤٢ - ١٤٣، من طريق المدائنى به .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٣، من طريق شريك به .

الحسينَ . فقالَ : وكيف قتَلتَه ؟ قال : دَسَرتُه بالرمحِ دَسْرًا[1] ، وهبَرتُه بالسيفِ هبرًا[2] ، وما أشركتُ معى فى قتلِه أحدًا . فقال : اذهبْ فواللَّهِ لا تجتمعُ أنت وهو فى موضعٍ واحدٍ . ولم يُعْطِه شيئًا .

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[3] : جاء رجلٌ إلى الحجاجِ فقال : إنَّ أخى خرَج مع ابنِ الأشعثِ ، فضُرِب على اسمى فى الديوانِ ، ومُنعتُ العطاءَ ، وقد هُدِمَتْ دارى . فقال الحجاجُ : أما سمعتَ قولَ الشاعرِ[4] :

جانِيك[5] مَنْ يَجْنى عليكَ وَقَدْ ... تُعْدِى الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُرْبِ
ولربَّ مأخوذٍ بذنبِ قَريبِه[6] ... ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذنْبِ

فقال الرجلُ : أيُّها الأميرُ ، إنِّى سمعتُ اللَّهَ يقولُ غيرَ هذا ، وقولُ اللَّهِ أصدقُ مِن هذا . قال : وما قال ؟ قال : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴾ [يوسف : ٧٨، ٧٩] . قال : يا غلامُ أَعِدِ اسمَه فى الديوانِ ، وابْنِ دارَه ، وأعْطِه عطاءَه ، ومُرْ مناديًا ينادى : صدَق اللَّهُ وكذَب الشاعرُ .

وقال الهيثمُ بنُ عدىٍّ[7] ، عن ابن عَيَّاشٍ[8] : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ أنِ

---

(١) يعنى : طعنته به طعنًا شديدا . وانظر النهاية ٢/ ١١٦.
(٢) يعنى : قطعته به قطعا .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٤، من طريق الهيثم بن عدى به .
(٤) هو ذؤيب بن كعب بن عمرو . وقيل : هو عوف بن عطية بن الخَرِع . وكلاهما جاهلى . انظر العقد الفريد ١/ ٣٠، ٥/ ١٥، ٢٣٧، ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ١٢٥.
(٥) فى ا ٢، م، ص : « حنانيك » . وانظر مصدر التخريج .
(٦) فى مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢١٠: « قرينه » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٤٥ ، من طريق الهيثم بن عدى به .
(٨) فى الأصل، م، ص : « عباس » . وانظر مصدر التخريج .

ابعثْ إليَّ برأسِ أسلمَ بنِ عبدِ البكريِّ ؛ لِما بلغَنى عنه . فأحضَره الحجاجُ ، فقال : أيُّها الأميرُ ، أنت الشاهدُ ، وأميرُ المؤمنين الغائِبُ ، وقال اللَّهُ تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات : ٦] . وما بلَغه عنى[1] فباطلٌ ، وإنِّى أعولُ أربعةً وعشرين امرأةً ، ما لهنَّ كاسبٌ غيرى ، وهنَّ بالبابِ . فأمَر الحجاجُ بإحضارِهنَّ ، فلما حضرْنَ جَعَلتْ هذه تقولُ : أنا خالتُه . وهذه : أنا عمَّتُه . وهذه : أنا أختُه ، وهذه : أنا ابنتُه . وهذه : أنا زوجتُه . وتقدَّمت إليه جاريةٌ فوقَ الثمانِ ودونَ العَشَرةِ ، فقال لها الحجاجُ : مَن أنتِ ؟ فقالتْ : أنا ابنتُه . ثم قالتْ : أصلَح اللَّهُ الأميرَ . وجثَتْ على ركبتيها ، وقالت :

أحجاجُ لم تشهدْ مقامَ بناتِه ... وعمَّاتِه يندُبْنَه الليلَ أجمَعا
أحجاجُ كم تقتُلْ بهِ إن قتَلتَه ... ثمانًا وعشرًا واثنتينِ وأربَعا
أحجاجُ مَنْ هذا يقومُ مَقامَه ... علينا فمهلًا أن تَزِدْنا تضَعضُعا [٧/١٣٦ظ]
أحجاجُ إما أن تجودَ بنعمةٍ ... علينا وإما أن تُقَتِّلَنا مَعا

قال : فبكَى الحجاجُ ، وقال : واللَّهِ لا أَعنْتُ عليكنَّ ولا زِدْتُكنَّ تضعضُعًا . ثم كتَب إلى عبدِ الملكِ بما قال الرجلُ وبما قالتِ ابنتُه هذه ، فكتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ يأمرُه بإطلاقِه وحسنِ صلتِه ، وبالإحسانِ إلى هذه الجاريةِ وتفقُّدِها فى كلِّ وقتٍ . وقيل[2] : إن الحجاجَ خطَب يومًا فقال : أيُّها الناسُ ، الصبرُ عن محارمِ اللَّهِ أيسرُ مِن الصبرِ على عذابِ اللَّهِ . فقام إليه رجلٌ ، فقال له : وَيْحَك ياحجاجُ ، ما أصفَقَ وجهَك وأقلَّ حياءَك ، تفعلُ ما تفعلُ وتقولُ مثلَ هذا

---

(١) سقط من : م .
(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٣.

الكلامِ ؟ خِبْتَ وضلَّ سعيُك . فقال للحرسِ : خذوه . فلما فرَغ من خطبتِه ، قال له : ما الذى جرَّأك علىَّ ؟ فقال : ويحك يا حجاجُ ، أنت تجترِئُ على اللَّهِ ولا أجترِئُ أنا عليك ! ومَن أنت حتى لا أجترِئَ عليك وأنت تجترِئُ على اللَّهِ ربِّ العالمين ؟ فقال : خلُّوا سبيلَه . فأُطْلِق .

وقال المدائنىُّ[1] : أُتِىَ الحجاجُ بأسيرَيْن مِن أصحابِ ابنِ الأشعثِ ، فأمَر بقتلِهما ، فقال أحدُهما : إنَّ لى عندك يدًا . قال : وما هى ؟ قال : ذكَر ابنُ الأشعثِ يومًا أمَّك ، فرددتُ عليه . فقال : ومَن يشهَدُ لك ؟ قال : صاحبى هذا . فسأَله ، فقال : نعم . فقال : فما منَعك أن تفعَلَ كما فعَل ؟ قال : بُغضُك . قال : أَطلِقوا هذا لصدقِه ، وهذا لفعلِه . فأطلَقوهما[2] .

[3]وحكَى الواقدىُّ[4] أنَّ الحجّاجَ نادَى فى البلدِ ؛ أنَّ مَن خرَج بعدَ العشاءِ الآخِرةِ مِن بيتِه قُتِل ، فأُتِى ليلةً برجلٍ ، فقال : ما أخرجَك مِن بيتِك هذه الساعةَ مِن بعدِ ما سمِعتَ المنادِىَ ؟ فقال : أمَا واللَّهِ إنِّى لا أكذِبُ الأميرَ ، إنَّ أمِّى مريضةٌ هالكةٌ ، وأنا عندَها منذُ ثلاثةِ أيامٍ ، فلمّا كان الساعةُ أفاقت ، وقالت : يا بُنىَّ إنِّى أعزِمُ عليك بحقِّى عليك إلّا ما مضَيتَ إلى أهلِك وأولادِك ، فإنَّهم مغمومون بتخلُّفِك عنهم . فخرجتُ مِن عندِها فأخذَنى العَسَسُ وأتَوْا بى إليك . فقال الحجاجُ : ننهاكم وتعصُوننا . ثم أمَر فضُرِبت عنقُه . قال : ثم أُتِى بآخَرَ ، فقال له الحجاجُ : ما أخرَجك هذه الساعةَ ؟ فقال : واللَّهِ ما أكذِبُك ، إنَّه كان عندى[3]

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٦.

(٢) زيادة من : م .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن العديم فى بغية الطلب ٥/ ٢١ ، ٢٢ (مخطوط) ، من طريق عنبسة بن سعيد ، وليس فى سنده الواقدى ، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٢٣.

(١) لرجُلٍ دراهمُ فأقعَدَنى على بابِه ولزِمنى ، وقال : لا أفارقُك إلّا بحقِّى . فلمّا كان هذه الساعةُ دخَل إلى منزلِه وأغلَق بابَه وتركَنى على بابِه ، فجاءنى طائفُك فأخَذَنى إليك . فقال الحجّاجُ : اضرِبوا عنقَه . قال : ثم أُتِى بآخَرَ ، فقال له : ما أخرَجك هذه الساعةَ ؟ فقال : كنتُ أشرَبُ مع قومٍ ، فلمّا سكِرتُ خرَجتُ مِن عندِهم وأنا لا أدرى ، فأخذونى إليك . فقال الحجاجُ لرجُلٍ كان عندَه : ما أراه إلّا صادقًا . ثم قال : خَلُّوا سبيلَه . فخَلَّوْا سبيلَه(١) .

وذكَر محمدُ بنُ زيادٍ(٢) بنِ الأعرابىِّ(٣) فيما بلَغه أنّه كان رجلٌ مِن بنى حنيفةَ يقال له : جَحْدَرُ بنُ مالكٍ . وكان فاتكًا بأرضِ اليمامةِ ، فأرسَل الحجاجُ إلى نائبِها يؤنِّبُه ويلومُه على عدمِ أخذِه ، فما زال نائبُها فى طلبِه حتى أسَرَه وبعَث به إلى الحجاجِ ، فقال له الحجاجُ : ما حملَك على ما كنتَ تصنَعُه ؟ فقال : جراءةُ الجَنان(٤) ، وجفاءُ السلطانِ ، وكَلَبُ الزمانِ ، ولو اختبَرنى الأميرُ لوجَدنى من صالحِ [١٣٧/٧و] الأعوانِ ، وبُهَمِ(٥) الفُرسانِ ، ولوجَدنى من أصلحِ رعيتِه ؛ وذلك أنّى ما لقِيتُ فارسًا قطُّ إلا كنتُ عليه فى نفسى مقتدِرًا . فقال له الحجاجُ : إنّا قاذفوك فى حائرٍ(٦) فيه أسدٌ عاقِرٌ فإنْ قتَلَك كفانا مؤنتَك ، وإن قتَلتَه

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص : «عن» . وهو محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابى . انظر طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضى شهبة ١١٥، وبغية الوعاة ١/ ١٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٤٨، وابن العديم فى بغية االطلب ٥/ ٤٤، كلاهما من طريق محمد بن زياد به .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) فى الأصل : «نهم» ، وفى ا ٢، م، ص : «شهم» ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) الحائر : المكان المطمئن الوسط ، المرتفع الحروف ، والحائر أيضا : البستان . التاج (ح ى ر) .

خلَّينا سبيلَك. ثم أودَعه السجنَ مُقيَّدًا مغلولةً يدُه اليمنى إلى عنقِه، وكتب الحجاجُ إلى نائبِه بكَسْكَرَ أن يبعثَ إليه بأسدٍ عظيمٍ ضارٍ، وقد قال جَحْدَرٌ هذا فى محبسِه هذا أشعارًا يتحزَّنُ فيها على امرأتِه سُليمى أمِّ عمرٍو، يقولُ فى بعضِها[1]:

أَلَيسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرٍو ... وإيانا فذاكَ بنا تدانِى
بلى ونرى الهلالَ كما تراهُ ... ويعلوها النهارُ إذا علانِى
إذا جاوَزتُما نخَلاتِ حَجْرٍ[2] ... وأوديةَ اليمامةِ فانعَيانى
وقولا جَحدرٌ أمسى رهينًا ... يحاذرُ وقْعَ مصقولٍ يمانى

فلما قدِم الأسدُ على الحجاجِ أمرَ به فجُوِّعَ ثلاثةَ أيامٍ، ثم أُبْرِزَ إلى حائرٍ - وهو البستانُ - وأَمَر بجحدرٍ فأُخْرِج فى قيودِه ويدُه اليمنى مغلولةٌ بحالِها، وأُعْطِى سيفًا في يدِه اليسرى، وخلَّى بيْنه وبينَ الأسدِ، وجلَس الحجاجُ وأصحابُه فى منظرةٍ، وأقبَل جحدرٌ نحوَ الأسدِ، وهو يقولُ[3]:

ليثٌ وليثٌ فى مجالٍ ضنكِ ... كلاهما ذو أَنَفٍ ومَحْكِ
وشدةٍ فى نفسِه وفتكِ ... إنْ يكشفِ اللَّهُ قِناعَ الشكِ
* فهْوَ أحقُّ منزلٍ بتركِ *

فلما نظَر إليه الأسدُ زأَر زَأرةً شديدةً، وتمطَّى وأقبلَ نحوَه، فلمَّا صارَ منه على قدرِ رُمحٍ وثَب الأسدُ على جحدرٍ وَثبةً شديدةً، فتلقّاه جحدرٌ بالسيفِ، فضرَبه ضَربةً حتى[4] خالَط ذبابُ السيفِ لَهَواتِه، فخرَّ الأسدُ كأنَّه خيمة قد

---

(١) الأبيات لجحدر اللص. انظر الأمالى لأبى على القالى ١/ ٢٨١.
(٢) فى م: «نجد». وحَجْر بالفتح مدينة اليمامة وأم قراها. معجم البلدان ٢/ ٢٠٨.
(٣) الأبيات لجحدر أيضا. انظر الأمالى لابن الشجرى ٢/ ٤٨٧.
(٤) سقط من: م.

صرَعتْها الريحُ ، من شدةِ الضربةِ ، وسقَط جَحدرٌ مِن شدةِ وثبةِ الأسدِ ؛ وشدةِ موضعِ القيودِ عليه ، فكبَّر الحجاجُ وأصحابُه ، وأنشأ[1] جَحْدرٌ يقولُ[2] :

يا جُمْلُ إنَّكِ لو رأيتِ كَريهتى ... فى يـومِ هولٍ مُسْدِفٍ وعَجَاجِ
[3]وتقدَّمى للَّيثِ أرسُفُ موثَقًا[3] ... كيما أُثاورَهُ[4] على الأحراجِ[5]
شَثْنٌ براثنُه كأنَّ نيوبَهُ ... زُرْقُ المعاولِ أو شِباه زجاجِ
يسمو بناظرتين تحسَبُ فيهما ... لهبًا أحدُّهما شُعاعُ سِراجِ
وكأنَّما خِيطتْ عليه عباءةٌ ... برقاءُ أو خِرَقٌ مِن الدِّيباجِ [٧/١٣٧ظ]
لعلمتِ أنِّى ذو حفاظٍ ماجدٌ ... من نسلِ أقوامٍ ذوى أبراجِ

[6]ثم التفَتَ إلى الحجاجِ ، فقال[7] :

عَلِم النساءُ بأنَّنى لا أَنْثَنى ... إذ لا يَثِقْن بغَيرةِ الأزواجِ
وعلمتُ أنِّى إنْ كرهتُ نزالَه ... أنِّى مِن الحجاجِ لستُ بناجِ[6]

فعندَ ذلك خيَّره الحجاجُ إنْ شاءَ أقام عنده ، وإن شاء انطلَق إلى بلادِه ، فاختارَ المُقامَ عندَ الحجاجِ ، فأحسَنَ جائزَته وأعطاه أموالًا .

وقد كان الحجاجُ مع فصاحتِه وبلاغتِه يلحَنُ فى حروفٍ مِن القرآنِ أنكَرها يحيى بنُ يَعْمَرَ ؛ منها أنه كان يُبدِلُ « إنْ » المكسورةَ بـ« أنْ » المفتوحةِ ، وعكسُه ،

(١) فى م : « وأشار » .
(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم ص ٧٩.
(٣) فى تاريخ دمشق : « وتقدمى الليث أسفر موثقا » .
(٤) فى النسخ : « ساوره » . وثاوره مثاورة وثوارًا : واثبه .
(٥) فى النسخ : « الأخراج » . وفى مصدرى التخريج : « الإحراج » . والأحراج : جمع حَرَج ، وهو اسم لمجتمع الشجر ، يعنى الغيضة . التاج (ح ر ج) .
(٦ - ٦) سقط من : ا ٢، م ، ص .
(٧) قبل هذين البيتين ورد بيت فى مصدرى التخريج ، لم يورده ابن كثير ، وهو :
ولئن قصدت بى المنية عامدًا ... إنى لخيرك بعد ذاك لراجِ

وكان يقرأُ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم ﴾ [التوبة : ٢٤] فيقرؤها برفعِ « أحبُّ » .

وأنكر يومًا أن يكونَ الحسينُ مِن ذريةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لكونِه ابنَ بنتِه ، فقال له يحيى بنُ يَعْمَرَ[1] : كذَبتَ . فقال الحجاجُ : لتأْتِيَنِّى على ما قلتَ ببينةٍ مِن كتابِ اللَّهِ أو لأضربَنَّ عنقَك . فقال : قال اللَّه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ [الأنعام : ٨٤، ٨٥] . فعيسى مِن ذريةِ إبراهيمَ ، وهو إنَّما يُنسَبُ إلى أمِّه مريمَ ، والحسينُ ابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال الحجاجُ : صدقتَ . ونفاه إلى خُراسانَ .

وقال الأصمعىُّ وغيرُه[2] : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ يسألُه عن أمسِ واليومَ وغدٍ ، فقال للرسولِ : أكان خويلدُ بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ عنده ؟ قال : نعم . فكتَب الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ : أمّا أمسِ فأجلٌ ، وأما اليومَ فعملٌ ، وأما غدًا فأملٌ .

وقال ابنُ دُرَيْدٍ[3] ، عن أبى حاتمٍ السِّجِسْتَانىِّ ، عن أبى عُبَيْدةَ معمرِ بنِ المُثَنَّى ، قال : لما قتَل الحجاجُ ابنَ الأشعثِ ، وصَفَتْ له العراقُ وسَّعَ على الناسِ فى العطاءِ ، فكتَب إليه عبدُ الملكِ : أما بعدُ ، فقد بلَغ أميرَ المؤمنين أنَّك تُنفقُ فى اليومِ ما لا يُنفقُه أميرُ المؤمنين فى الأسبوعِ ، وتُنفقُ فى الأسبوعِ ما لا يُنفقُه أميرُ المؤمنين فى الشهرِ ، ثم قال منشدًا :

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٥١ - ١٥٢.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٣، من طريق الأصمعى به .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٣ ، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/٦٥ - ٦٧، كلاهما من طريق ابن دريد ، به .

عليكَ بتقوى اللّهِ فى الأمرِ كلِّهِ ... وكن لوعيدِ[1] اللّهِ تخشى وتَضرَعُ
ووفِّرْ خراجَ المسلمين وفيئَهم ... وكنْ لهمُ حِصنًا تُجيرُ وتَمنَعُ

فكتَب إليه الحجاجُ :

لعَمْرى لقدْ جاءَ الرسولُ بكُتْبِكمْ ... قراطيسَ تُملى ثم تُطوى فتُطبَعُ
كتابٌ أتانى فيه لينٌ وغِلظةٌ ... وذُكِّرتُ والذكرى لذى اللُّبِّ تَنفَعُ
[١٣٨/٧و] وكانت أمورٌ تعترِينى كثيرةٌ ... فأرضخُ أو أعتلُّ حينًا فأُمنعُ
إذا كنتُ سوطًا مِن عذابٍ عليهمُ ... ولم يكُ عندى فى المنافعِ مطمعُ
أيرضَى بذاكَ الناسُ أو يسخَطونه ... أمُ ٱحْمَدُ فيهمْ أم أُلامُ فأُقْذَعُ
وكانت بلادٌ جئتُها حينَ جئتُها ... بها كلُّ نيرانِ العداوةِ تلمَعُ
فقاسيتُ منها ماعلِمتَ ولم أَزَلْ ... أصارعُ حتى كِدْتُ بالموتِ أُصْرَعُ
وكم أرجَفوا مِنْ رجفةٍ قد سمِعتُها ... ولو كان غيرى طار مما يُرَوَّعُ
وكنتُ إذا همُّوا بإحدى قَنَاتِهم[2] ... حَسَرْتُ لهم رأسى ولا أتقنَّعُ
فلو لم يذُدْ عنى صناديدُ منهمُ ... تَقَسَّمَ أعضائى ذئابٌ وأضبُعُ

قال : فكتَب إليه عبدُ الملكِ أنِ اعمَلْ برأيِك . وقال التَّوَّزِىُّ[3] : عن محمدِ ابنِ المستورِدِ الجُمَحىِّ قال : أُتِى الحجاجُ بسارقٍ ، فقال له : لقد كنتَ غنيًّا أن [4]يأتِيَك الحكمُ[4] ، فيُبْطِلَ عليك عضوًا من أعضائِك . فقال الرجلُ : إذا قلَّ ذاتُ اليدِ سَخَتِ النفسُ بالمَتالِفِ . قال : صدقتَ ، واللّهِ لو كان حُسْنُ اعتذارٍ يُبْطِلُ

---

(١) فى م : « يا عبيد » .
(٢) فى م ، ص : « نهاتهم » ، وفى ا ٢ : « دهاتهم » .
(٣) فى الأصل ، ا ٢ ، م : « الثورى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٥ ، من طريق التوزى به .
(٤ - ٤) فى ا ٢ ، م ، ص : « تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم » .

حدًّا لكنتَ له مَوْضِعًا ، يا غلامُ ، سيفٌ صارمٌ ورجُلٌ قاطعٌ . فقطَع يدَه .

وقال أبو بكرِ بنُ مجاهدٍ[1] ، عن محمدِ بنِ الجَهمِ ، عن الفراءِ ، قال : تغدَّى الحجاجُ يومًا مع الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فلمَّا انقضَى غداؤُهما دعاه الوليدُ إلى شربِ النبيذِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الحلالُ ما أحللتَ ، ولكنى أنهَى عنه[2] أهلَ عملى ، وأكرهُ أنْ أخالفَ قولَ العبدِ الصالحِ : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] .

وقال عُمَرُ بنُ شَبَّةَ[3] ، عن أشياخِه ، قال : كتَب عبدُ الملكِ إلى الحجاجِ يعتِبُ عليه فى إسرافِه فى صرفِ الأموالِ ، وسفكِ الدماءِ ، ويقولُ له : إنما المالُ مالُ اللَّهِ ونحن خُزَّانُه ، وسيّانِ منعُ حقٍّ وإعطاءُ باطلٍ . وكتَب فى أسفلِ الكتابِ :

إذا أنتَ لم تتركْ أمورًا كرِهتُها ... وتطلبْ رضائى فى الذى أنا طالبُهْ
وتخشى الذى يخشاهُ مثلُكَ هاربًا ... إلى اللَّهِ منهُ ضيَّعَ الدُّرَّ جالبُهْ
فإنْ ترَ منى غفلةً قُرشِيَّةً ... فيا ربَّما قَدْ غَصَّ بالماءِ شاربُهْ
وإنْ ترَ منى وثبةً أُمويةً ... فهذا وهذا كلُّهُ أنا صاحبُهْ
فلا تَعْدُ ما يأتيكَ منى فإنْ تَعُدْ ... تقُمْ فاعلمنْ يومًا عليكَ نوادبُهْ

[١٣٨/٧ظ] فلما قرأَه الحجاجُ كتَب : أمَّا بعدُ ، فقد جاءنى كتابُ أميرِ المؤمنين يذكرُ فيه سَرَفى فى الأموالِ والدماءِ ، فواللَّهِ ما بالغتُ فى عقوبةِ أهلِ المعصيةِ ، ولا قضيتُ حقَّ أهلِ الطاعةِ ، فإن كان ذلك سَرَفًا فليَحُدَّ لى أميرُ المؤمنين حدًّا أنتهِى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٥، من طريق أبى بكر بن مجاهد به .
(٢) بعده فى ا ٢، م، ص : «أهل العراق و» .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٥ - ١٥٦، من طريق عمر بن شبة به .

إليه ولا أتجاوزُه . وكتَب فى أسفلِ الكتابِ :

إذا أنا لم أطلبْ رضاكَ وأتَّقى ... أذاكَ فيومى لا توارتْ كواكبُهْ
إذا قارَف الحجاجُ فيك خطيئةً ... فقامتْ عليه فى الصباحِ نوادبُهْ
أُسالمُ مَنْ سالمتَ مِن ذى هَوادةٍ ... ومَنْ لم تسالمْه فإنِّى محاربُهْ
إذا أنا لم أُدْنِ الشفيقَ لنصحهِ ... وأُقْصِ الذى تَسْرى إلىَّ عقاربُهْ
فمن يَتَّقى يومى ويرجو إذًا غَدِى ... على ما أرى والدهرُ جمٌّ عجائبُه

وعن الشافعىِّ[1] أنَّه قال : قال الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ للغازِ بنِ ربيعةَ أنْ يسألَ الحجاجَ فيما بينَه وبينَه ؛ هل يَجِدُ فى نفسِه ممّا أصابَ مِن الدماءِ[2] شيئًا ؟ فسألَه كما أمَره ، فقال : واللَّهِ ما أحبُّ أن لى لُبنانَ أو سَنيرًا[3] ذهبًا أُنفقُه فى سبيلِ اللَّهِ مكانَ ما أبلانى اللَّهُ مِن الطاعةِ .

فصــلٌ فيما رُوى عنه مِن الكلماتِ الناقصةِ[4] والجراءةِ البالغةِ

قال أبو دوادَ[5] : ثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، ثنا أبو بكرٍ ، عن عاصمٍ قال : سمِعتُ الحجاجَ وهو على المنبرِ يقولُ : اتقوا اللَّهَ ما استطعتُم - ليس فيها

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٧ - ١٥٨، من طريق الشافعى به بنحوه .
(٢) فى م : « الدنيا » .
(٣) فى الأصل : « ثبير » ، وفى ا ٢، ص : « سنين » ، وفى م : « سبير » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وهى فيه غير مصروفة . قال فى « شرح القاموس » (س ن ر) : وسنيرٌ ، كأميرٍ : جبل بين حمص وبعلبك . وانظر معجم البلدان ٣/ ١٧٠.
(٤) فى م : « النافعة » .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٨ - ١٥٩، من طريق أبى داود به .

مثنويةٌ[1] - واسمعوا وأطيعوا - ليس فيها مثنويةٌ[1] - لأميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ ، واللَّهِ لو أمرتُ الناسَ أن يخرُجوا مِن بابِ[2] المسجدِ فخرَجوا مِن بابٍ آخرَ لحلَّتْ لى دماؤُهم وأموالُهم ، واللَّهِ لو أخذتُ ربيعةَ بمضرَ لكان ذلك لى مِن اللَّهِ حلالًا ، وما[3] عَذيرى من عبدِ هُذيلٍ[4] يزعمُ أنَّ قرآنَه مِن عندِ اللَّهِ ، واللَّهِ ما هى إلا رَجَزٌ مِن رَجَزِ الأعرابِ ما أنزلَها اللَّهُ على نبيِّه ﷺ ، وعَذيرى مِن هذه الحمراءِ[5] ، يزعمُ أحدُهم يرمى بالحجرِ فيقولُ : إلى أن يقَعَ الحجرُ حدَث أمرٌ . فواللَّهِ لأدعنَّهم كالأمسِ الدابرِ . قال : فذكرتُه للأعمشِ ، فقال : وأنا واللَّهِ سمِعتُه منه .

ورواه أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمَةَ[6] ، عن محمدِ بنِ يزيدَ ، عن أبى بكرِ بنِ عيَّاشٍ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجودِ والأعمشِ ، أنَّهما سمِعا الحجاجَ - قبَّحه اللَّهُ - يقولُ ذلك ، وفيه : واللَّهِ لو أمرتُكم أن تخرُجوا مِن هذا البابِ ، فخرجتُم مِن هذا البابِ ، لحلَّتْ لى دماؤُكم ، ولا أجدُ أحدًا يقرأُ [١٣٩/٧و] على قراءةِ ابنِ أمِّ عَبْدٍ إلا ضربتُ عنقَه ، ولأَحُكَّنَّها مِن المصحفِ ولو بضِلَعِ خنزيرٍ .

ورواه غيرُ واحدٍ عن أبى بكرِ بنِ عياشٍ بنحوِه[7] . وفى بعضِ الرواياتِ[8] : واللَّهِ لو أدركتُ عبدَ هُذيلٍ لضربتُ عنقَه . وهذا مِن جراءةِ الحجاجِ - قبَّحه اللَّه ،

---

(١) كذا بالنسخ وتاريخ دمشق ٢٣٥/٤ (مخطوط)، وفى تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٩، ومختصر ابن منظور ٦/ ٢١٤: «مثوبة».

(٢) سقط من: الأصل، وليس فى تاريخ دمشق.

(٣) فى تاريخ دمشق: «يا».

(٤) يعنى: عبد اللَّه بن مسعود رضى اللَّه عنه.

(٥) فى تاريخ دمشق: «الحمر».

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٠، من طريق ابن أبى خيثمة به.

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٥٩، ١٦٠.

(٨) المصدر السابق ١٢/ ١٦٠.

وإقدامِه على الكلامِ السيِّئِ ، والدماءِ الحرامِ . وإنما نقَم على قراءةِ ابنِ مسعودٍ - رضِى اللَّهُ عنه - لكونِه خالَف القراءةَ على المصحفِ الإمامِ الذى جمَع الناسَ عليه عثمانُ ، والظاهرُ أنَّ ابنَ مسعودٍ رجَع إلى قولِ عثمانَ ومُوافقيه[1] ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُبَشِّرٍ[2] ، عن عباسٍ الدُّورِىِّ ، عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، ثنا الصلتُ بنُ دينارٍ ، سمعتُ الحجاجَ على منبرِ واسطٍ يقولُ : عبدُ اللَّهِ ابنُ مسعودٍ رأْسُ المنافقين ، لو أدركتُه لأسقيتُ الأرضَ مِن دمِه . قال : وسمعتُه على منبرِ واسطٍ وتلا هذه الآيةَ ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] . قال : واللَّهِ إنْ كان سليمانُ لحسودًا . وهذه جراءةٌ عظيمةٌ تُفْضِى به إلى الكفرِ ، قبَّحه اللَّهُ وأخزاه ، وأبعدَه وأقصاه[3] .

ومن الطامّاتِ أيضًا ما رواه أبو داودَ[4] ، ثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ الطالْقانىُّ ، ثنا جريرٌ (ح)[5] . وحدَّثنا زهيرُ بنُ حربٍ ، ثنا جريرٌ ، عن المغيرةِ ، عن بَزِيعِ بنِ خالدٍ الضبىِّ ، قال : سمعتُ الحجاجَ يخطُبُ ، فقال فى خطبتِه : رسولُ أحدِكم فى حاجتِه أكرمُ عليه أم خليفتُه فى أهلِه ؟ فقلتُ فى نفسى : للَّهِ علىَّ أن لا أصلىَ خلفَك صلاةً أبدًا ، وإن وجدتُ قومًا يُجاهدونك لأجاهِدنَّك معهم . زادَ إسحاقُ [6]فى حديثِه[6] : فقاتلَ فى الجماجمِ حتى قُتِل . فإن صحَّ هذا عنه فظاهرُه

(١) فى الأصل ، ص : « موافقته » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦١.
(٣) بعده فى ص زيادة من زيادات الناسخ ، وأثبتها ناشرو طبعة المعارف (م) ، وهى بمقدار ثلاث صفحات تقريبا من المطبوع .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٥٨ - ١٥٩، من طريق أبى داود به .
(٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) سقط من : م .

كفرٌ إنْ أرادَ تفضيلَ منصبِ الخلافةِ على الرسالةِ ، أو أرادَ أنَّ الخليفةَ مِن بنى أميةَ أفضلُ مِن الرسولِ .

وقال الأصمعىُّ[1] : ثنا أبو عاصمٍ النبيلُ ، ثنا أبو حفصٍ الثقفىُّ ، قال : خطَب الحجاجُ يومًا فأقبلَ عن يمينِه فقال : ألا إنَّ الحجاجَ كافرٌ . ثم أطرقَ فقال : إنَّ الحجاجَ كافر . ثم أطرقَ فأقبلَ عن يسارِه فقال : ألا إنَّ الحجاجَ كافرٌ . فعَل ذلك مرارًا ، ثم قال : كافرٌ يا أهلَ العراقِ باللاتِ والعُزَّى .

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[2] : ثنا هارونُ بنُ معروفٍ ، ثنا ضَمرةُ ، ثنا ابنُ شَوْذَبٍ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ قال : بينما الحجاجُ يخطُبُنا يومًا إذ قال : الحجاجُ كافرٌ . قلنا : ما له ؟ أىُّ شىءٍ يريدُ ؟ قال : الحجاجُ كافرٌ بيومِ الأربعاءِ والبغلةِ الشَّهْباءِ . وقال الأصْمَعِىُّ[3] : قال عبدُ الملكِ يومًا للحجاجِ : إنَّه[4] ما مِن أحدٍ إلا [٧/١٣٩ظ] وهو يعرفُ عيبَ نفسِه ، (٥فصِفْ لى عيبَ٥) نفسِك . فقال : اعفِنى يا أميرَ المؤمنين . فأبَى ، فقال : أنا لَجوجٌ حقودٌ حسودٌ . فقال عبدُ الملكِ : ما فى الشيطانِ شرٌّ مما ذكرتَ . وفى روايةٍ[6] أنَّه قال : إذًا بينَك وبينَ إبليسَ نسبٌ .

وبالجملةِ فقد كان الحجاجُ نقمةً على أهلِ العراقِ بما سلَف لهم مِن الذنوبِ والخروجِ على الأئمةِ ، وخِذلانِهم لهم ، وعصيانِهم ، ومخالفتِهم ، والافتياتِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٦، من طريق الأصمعى به .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٦، من طريق حنبل بن إسحاق به .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٧، من طريق الأصمعى .
(٤) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٥ - ٥) فى الأصل، وتاريخ دمشق : « فعيب نفسك » .
(٦) تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٧.

عليهم . قال يعقوبُ بن سفيانَ[1] : حدَّثنا أبو صالحٍ عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن شريحِ بنِ عبيدٍ ، عن مَن حدَّثه ، قال : جاء رجلٌ إلى عمرَ ابنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فأخبرَه أنَّ أهلَ العراقِ حصَبوا أميرَهم فخرَج غضبانَ ، فصلَّى لنا صلاةً ، فسَها فيها حتى جعَل الناسُ يقولون : سبحانَ اللَّهِ سبحانَ اللَّهِ . فلما سلَّم أقبلَ على الناسِ ، فقال : مَن هـٰهنا مِن أهلِ الشامِ ؟ فقام رجلٌ ، ثم قامَ آخرُ ، ثم قمتُ أنا ثالثًا أو رابعًا ، فقال : يا أهلَ الشامِ ، استعِدّوا لأهلِ العراقِ ؛ فإنَّ الشيطانَ قد باضَ فيهم وفرَّخ ، اللهم إنَّهم قد لَبَسوا عليهم فالبِسْ عليهم ، وعجِّلْ عليهم بالغلامِ الثقفىِّ ، يحكمُ فيهم بحكمِ الجاهليةِ ؛ لا يقبَلُ مِن محسنِهم ، ولا يتجاوزُ عن مسيئِهم . وقد روَيناه فى كتابِ « مسندِ عمرَ ابنِ الخطابِ » ، مِن طريقِ أبى عَذَبةَ الحِمْصىِّ ، عن عمرَ مثلَه[2] . وقال عبدُ الرزاقِ[3] : أخبرنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ ، عن الحسنِ ، قال[4] : قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : اللهمَّ كما ائتمنتُهم فخانُونى ، ونصحتُ لهم فغشُّونى ، فسلِّطْ عليهم فتى ثقيفٍ الذَّيَّالَ[5] الميَّالَ ، يأكلُ خَضِرتَها[6] ، ويلبَسُ فروتَها ، ويَحْكمُ فيها بحكمِ الجاهليةِ . قال : يقولُ الحسنُ : وما خُلِق الحجاجُ يومئذٍ . ورواه معتمرُ بنُ سليمانَ[7] ، عن أبيه ، عن أيوبَ ، عن مالكِ بنِ أوسِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٦٧ - ١٦٨، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٢) مسند الفاروق ٢/٦٦٣ ، وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٨٦ - ٤٨٧، من طريق أبى عذبة الحمصى به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٩، من طريق عبد الرزاق به .

(٤) سقط من : ٢١، م ، ص .

(٥) الذيال : المتبختر فى مشيه .

(٦) يعنى هنيئها . النهاية ٢/ ٤١ .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٩، من طريق معتمر بن سليمان به .

الحَدَثانِ ، عن عليٍّ أنه قال : الشابُّ الذَّيَّالُ أميرُ المِصرين يلبَسُ فروتَها ويأكلُ خَضِرتَها ، ويقتلُ أشرافَ أهلِها ، يشتدُّ منه الفرَقُ ، ويكثُرُ مِنه الأرَقُ ، ويسلِّطُه اللَّهُ على شِيعتِه .

وقال الحافظُ البيهقيُّ فى « دلائلِ النبوةِ »[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ أحمدَ المحبوبيُّ ، ثنا سعيدُ بنُ مسعودٍ ، ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأ العوامُ بنُ حَوشبٍ ، حدَّثنى حبيبُ بنُ أبى ثابتٍ قال : قال عليٌّ لرجلٍ : لا مِتَّ حتى تدرِكَ فتَى ثقيفٍ . [2]قيل له : يا أميرَ المؤمنين[2] ، وما فتى ثقيفٍ ؟ قال : ليُقالَنَّ له يومَ القيامةِ : اكفِنا زاويةً مِن زوايا جهنمَ . رجلٌ يملِكُ عشرين ، أو [٧/١٤٠و] بضعًا وعشرين سنةً ، لا يَدعُ للَّهِ معصيةً إلا ارتكَبها ، حتى لو لم يَبْقَ إلا معصيةٌ واحدةٌ ، وكان بينَه وبينَها بابٌ مغلقٌ لكسَرَه حتى يرتكِبَها ، يقتُلُ بمَن أطاعه مَن عصاه .

وقال الطبرانيُّ[3] : حدَّثنا القاسمُ بنُ زكريا ، ثنا إسماعيلُ بنُ موسى السُّدِّيُّ[4] ، ثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن الأجلحِ ، عن الشعبيِّ ، عن أمِّ حكيمٍ بنتِ عمرَ بنِ سنانٍ الجَدَلِيَّةِ ، قالت : استأذَن الأشعثُ بنُ قيسٍ على عليٍّ فردَّه قُنْبُرٌ فأدمَى أنفَه ، فخرَج عليٌّ فقال : ما لَكَ وله يا أشعثُ ، أما واللَّهِ لو بعبدِ ثقيفٍ

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٨٩.

(٢ - ٢) فى ا٢، م، ص: « قال ».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٦٩، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/ ٢٩، كلاهما من طريق الطبرانى به .

(٤) فى ا٢: « السدس ». وفى م، ص: « السدسى »، وفى تاريخ دمشق: « السهمى ». وقال محققه :... والمثبت من بغية الطلب . والذى فى بغية الطلب ٥/ ٢٩: « السدى »، وهو كما أثبتنا . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢١٠.

تمرَّسْتَ[1] لاقشعَرَّتْ شعيراتُ اسْتِك . قيل له : يا أميرَ المؤمنين ، ومَن عبدُ ثقيفٍ ؟ قال : غلامٌ يَليهم لا يُبقِى أهلَ بيتٍ مِن العربِ إلَّا ألبَسهم ذُلًّا . قيل : كم يملكُ ؟ قال : عشرين إنْ بلَغ .

وقال البيهقىُّ[2] : أخبَرنا الحاكمُ ، أنبأ الحسينُ[3] بنُ الحسنِ بنِ أيوبَ ، ثنا أبو حاتمٍ الرازىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ التِّنِّيسِىُّ ، ثنا هشامُ[4] بنُ يحيى الغسَّانىُّ[5] قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لو جاءت كلُّ أمَّةٍ بخبيثِها ، وجئْنا بالحجاجِ لغلبناهم . وقال أبو بكرِ بنُ عياشٍ[6] ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ أنَّه قال : ما بَقِيتْ للَّهِ عزَّ وجلَّ حُرْمَةٌ إلا وقد ارتكَبها الحجاجُ .

وقد تقدَّم الحديثُ[7] : « إنَّ فى ثقيفٍ كذابًا ومُبِيرًا » . وقد ذكَرنا شأنَ المختارِ ابنِ أبى عبيدٍ ، وهو الكذابُ المذكورُ فى هذا الحديثِ ، وقد كان يُظْهِرُ الرفضَ أولًا ويُبطِنُ الكفرَ المحضَ ، وأما المبيرُ فهو الحجاجُ بنُ يوسفَ هذا ، وقد كان ناصبيًّا يُبْغِض عليًّا وشيعتَه فى هوى آلِ مروانَ بنى أميةَ ، وكان جبارًا عنيدًا ، مِقدامًا على سفكِ الدماءِ بأدنَى شبهةٍ . وقد رُوِى عنه ألفاظٌ بشعةٌ شنيعةٌ ظاهرُها الكفرُ كما قدَّمنا[8] ، فإنْ كان قد تابَ منها وأقلَع عنها ، وإلَّا فهو باقٍ فى عهدتِها ، ولكن قد يُخشَى أنَّها رويتْ عنه بنوعٍ مِن زيادةٍ عليه ؛ فإن الشيعةَ كانوا

---

(١) فى م : « تحرشت » .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٤٨٩، من طريق الحاكم به .
(٣) فى م : « الحسن » .
(٤) سقط من : م .
(٥) فى م : « الغانى » .
(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٦/٤٨٩ ، من طريق أبى بكر بن عياش به .
(٧) تقدم بنحوه فى ٩/ ٢٥١، ٢٥٢.
(٨) انظر ص ٥٣٢ - ٥٣٥ .

يُبْغِضونه جدًّا لوجوهٍ، وربَّما حرَّفوا عليه بعضَ الكلمِ، وزادوا فيما يحكُونه عنه بَشاعاتٍ وشَناعاتٍ.

وقد روِّينا عنه[1]، أنَّه كان يتديَّنُ بتركِ المسكِرِ، وكان يُكثِرُ تلاوةَ القرآنِ، ويتجنَّبُ المحارمَ، ولم يُشتهَرْ عنه شيءٌ من التلطُّخِ بالفروجِ، وإن كان متسرِّعًا فى سفكِ الدماءِ. فاللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ وحقائقِ الأمورِ وسرائرِها[2]، وخفيَّاتِ الصدورِ وضمائرِها[3].

وقال المعافى بنُ زكريا الجريرىُّ - المعروفُ بابنِ طَرَارَا[4] - البغدادىُّ: ثنا محمدُ بنُ القاسمِ الأنبارىُّ، ثنا أبى، ثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ، ثنا هشامُ [٧/١٤٠ظ] ابنُ[5] محمدِ بنِ السائبِ الكلبىُّ، ثنا عَوانةُ بنُ الحكمِ الكلبىُّ، قال: دخَل أنسُ ابنُ مالكٍ على الحجَّاجِ بنِ يوسفَ، فلمَّا وقَف بينَ يدَيه [6]سلَّم عليه[6] فقال له: إيهٍ إيهٍ يا أُنَيْسُ، يومٌ لك مع علىٍّ، ويومٌ لك مع ابنِ الزبيرِ، ويومٌ لك مع ابنِ الأشعثِ، واللَّهِ لأستأصِلَنَّك كما تُستأصلُ الشأفةُ[7]، ولأدمَغنَّك كما تُدمَغُ الصمغةُ. فقال أنسٌ: إيَّاىَ يعنى الأميرُ أصلَحه اللَّهُ؟ قال: إياك[8]، سكَّ اللَّهُ سمعَك. قال أنسٌ: إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون، واللَّهِ لولا الصبيةُ الصغارُ ما بالَيتُ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١١٦، ١٨٢، ١٩٢.

(٢) فى ا ٢، م: «سائرها».

(٣) بعده فى م، ص زيادة من زيادات الناسخ.

(٤) فى الأصل، م، ص: «طرار»، وفى ا ٢، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠: «طراز». والمثبت من وفيات الأعيان ٥/ ٢٢١، وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤، وطبقات الفقهاء ٩٣.

والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧١ - ١٧٣، وابن العديم فى بغية الطلب ٥/ ٢٢ - ٢٥.

(٥) فى ا ٢، م، ص: «أبو». وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠١.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) فى م: «الشاة». والشأفة بالهمز وغير الهمز: قرحة تخرج فى أسفل القدم فتقطع أو تكوى فتذهب، النهاية ٢/ ٤٣٦.

(٨) بعده فى ا ٢، م، ص: «أعنى».

أيَّ قِتلةٍ قُتِلتُ ، ولا أيَّ مِيتةٍ مِتُّ . ثم خرَج مِن عندِ الحجاجِ ، فكتَب إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ يخبِرُه بما قال له الحجَّاجُ ، فلمَّا قرَأ عبدُ الملكِ كتابَ أنسٍ استَشاط غضبًا ، وصفَّق[1] عجبًا ، وتعاظَم ذلك مِن الحجاجِ ، وكان كتابُ أنسٍ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين مِن أنسِ بنِ مالكٍ ، أما بعدُ ؛ فإنَّ الحجاجَ قال لى هُجْرًا[2] ، وأسمَعنى نُكرًا ، ولم أكنْ لذلك أهلًا ، فخُذْ لى على يديه ، فإنِّى أمُتُّ بخِدمتى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وصحبتى إياه ، والسلامُ عليك ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . فبعَث عبدُ الملكِ إلى[3] إسماعيلَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى المهاجرِ - وكان مُصادقًا للحجاجِ - فقال له : دونَك كتابىَّ هذين فخُذْهما ، واركبِ البريدَ إلى العراقِ ، وابدأْ بأنسِ بنِ مالكٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فادفعْ كتابى إليه وأبلِغْه منى السلامَ ، وقلْ له : يا أبا حمزةَ ، قد كتبتُ إلى الحجاجِ الملعونِ كتابًا ، إذا قرأَه كان أطوعَ لك مِن أمَتِك . وكان كتابُ عبدِ الملكِ إلى أنسِ بنِ مالكٍ :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ الملكِ بنِ مروانَ إلى أنسِ بنِ مالكٍ خادمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أما بعدُ ؛ فقد قرأتُ كتابَك وفهمتُ ما ذكرتَ من شكايتِك الحجاجَ ، وما سلطتُه عليك ولا أمرتُه بالإساءةِ إليك ، فإن عادَ لمثلِها فاكتبْ إلىَّ بذلك ، أُنزِلْ به عقوبتى ، وتَحْسُنْ لك معونتى ، والسلامُ . فلما قرأَ أنسٌ كتابَه وأُخبِر برسالتِه قال : جزَى اللَّهُ أميرَ المؤمنين عنِّى خيرًا ، وعافاه وكفاه وكافَأه بالجنةِ ، فهذا كان ظنِّى به والرجاءَ منه . فقال إسماعيلُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ لأنسٍ :

---

(١) فى الأصل : « شقق » ، وفى ا ٢ ، ص : « شقق » . كذا ، وفى م : « شفق » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٢) يعنى : فحشا .
(٣) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

يا أبا حمزةَ ، إنَّ الحجاجَ عاملُ أميرِ المؤمنين ، وليس بك عنه غنًى ولا بأهلِ بيتِك ، ولو جعِل لك فى جامعةٍ ثم دفِع إليك [1] لقدَر أن يضرَّ وينفعَ [1] ، فقارِبْه [٧/١٤١و] ودارِه تَعِشْ معه بخيرٍ وسلامٍ . فقال أنسٌ : أفعلُ إن شاءَ اللَّهُ . ثم خرَج إسماعيلُ مِن عندِه فدخَل على الحجاجِ ، [1] فلما رآه الحجاجُ قال [1] : مرحبًا برجلٍ أُحِبُّه وكنتُ أُحِبُّ لقاءَه . فقال إسماعيلُ : أنا واللَّهِ كنتُ أُحِبُّ لقاءَك فى غيرِ ما أتيتُك به [2] فتغيَّرَ لونُ الحجاجِ ، و [2] قال : ما أتَيتنى به ؟ قال : فارقتُ أميرَ المؤمنين وهو أشدُّ الناسِ عليك غضبًا ، ومنك بعدًا . قال : فاستوى الحجاجُ جالسًا مرعوبًا ، فرمى إليه إسماعيلُ بالطومارِ [3] ، فجعَل الحجاجُ ينظرُ فيه مرةً ويعرَقُ ، وينظرُ إلى إسماعيلَ أخرى ، فلما نقَضه [4] قال : قمْ بنا إلى أبى حمزةَ نعتذِرُ إليه ونترضَّاه . فقال له إسماعيلُ : لا تَعْجَلْ . فقال : كيف لا أعجلُ وقد أتيتنى بآبدةٍ [5] .

وكان فى الطومارِ : [6] إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ [6] : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين إلى الحجاجِ بنِ يوسفَ ، أما بعدُ : فإنَّك عبدٌ طَمَتْ [7] بك الأمورُ فسموتَ فيها ، وعدوتَ طورَك ، وجاوزتَ قدرَك ، وركِبتَ داهيةً إدًّا ، وأردتَ أن تَبُورَنى [8] فإن سوَّغْتُكها مضيتَ قُدُمًا ، وإن لم أُسَوِّغْها

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٢، م ، ص .

(٣) الطومار ، والطامور الصحيفة .

(٤) فى م : « فضه » .

(٥) الآبدة : الأمر العظيم ينفر منه ويستوحش . النهاية ١/ ١٣.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) طمَت : ارتفعت وسمت .

(٨) فى الأصل ، ا ٢ : « نتورى » ، وفى م : « تبدو لى » ، وفى ابن عساكر : « تبرز بى » . والمثبت من بغية الطلب ٥/ ٢٤. وتبورنى : تختبرنى . تاج العروس (ب و ر) .

رجَعتَ القَهْقَرَى ، فلعَنك اللَّهُ عبدًا[1] أخفشَ العينين ، منقوصَ الجاعرتين[2] ، أنسيتَ مكاسبَ آبائِك بالطائفِ ، وحفرَهم الآبارَ ، ونقلَهم الصخورَ على ظهورِهم فى المناهِلِ ؟ يا ابنَ المستَفْرِمَةِ[3] بعجمِ الزبيبِ ، واللَّهِ لأغمِزَنَّك غمزَ الليثِ الثعلبَ ، والصقرِ الأرنبَ ، وثَبْتَ على رجُلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بين أظهرِنا ، فلم تقبلْ له إحسانَه ، ولم تجاوَزْ له[4] إساءَتَه ، جُرْأَةً منك على الربِّ عزَّ وجلَّ ، واستخفافًا منك بالعهدِ ، واللَّهِ لو أنَّ اليهودَ والنصارى رأتْ رجلًا خدَم عُزيرَ بنَ عَزْرَا[5] ، وعيسى ابنَ مريمَ ، لعظَّمتْه وشرَّفتْه وأكرمتْه[6] ، فكيف وهذا أنسُ بنُ مالكٍ خادمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانىَ سنينَ ، يطلعُه على سرِّه ، ويشاورُه فى أمرِه ، ثم هو مع هذا بقيةٌ من بقايا أصحابِه ، فإذا قرأتَ كتابى هذا فكنْ أطوعَ له من خُفِّه ونعلِه ، وإلّا أتاك منى سهمٌ مثكِلٌ[7] بحتفٍ قاضٍ ، ولكلٍّ نبأٌ مُسْتَقَرٌّ وسوف تعلمون .

وقد تكلَّم ابنُ طَرَارا[8] على ما وقَع فى هذا الكتابِ من الغريبِ[9] ، وكذلك ابنُ قتيبةَ[10] وغيرُهما مِن أئمةِ اللغةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م : « من عبد » .

(٢) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفين على الفخذين . التاج (ج ع ر) .

(٣) فى الأصل ، ا ٢، ص : « المستفربة » وفى م : « المستفرية » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) بعده فى م : « عن » .

(٥) فى تاريخ دمشق ، وبغية الطلب : « عزرة » .

(٦) بعده فى ا ٢، م ، ص : « وأحبته ، بل لو رأوا من خدم حمار العزير أو من خدم حوارى المسيح لعظموه وأكرموه » . والمثبت موافق لما فى مصدرى التخريج .

(٧) فى الأصل ، م : « ثكل » ، وفى ا ٢: « نكل » ، وفى ص : « فكل » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) فى النسخ : « طرار » .

(٩) تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٤، بغية الطلب ٥/ ٢٥.

(١٠) انظر غريب الحديث ٣/ ٧٠٩، ٧١١، ٧١٢.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، عن سفيانَ ، عن الزبيرِ - يعنى ابنَ عدىٍّ - قال : شكَوْنا إلى أنسِ بنِ مالكٍ ما نلقَى مِن الحجاجِ ، فقال : [١٤١/٧ظ] اصبِروا ؛ فإنَّه لا يأتى عليكم عامٌ أو يومٌ إلّا الذى بعدَه شرٌّ منه ، حتى تلقَوْا ربَّكم عزَّ وجلَّ ، سمعتُه مِن نبيِّكم ﷺ . وهذا رواه البخارىُّ[2] ، عن محمدِ بنِ يوسفَ ، عن سفيانَ - وهو الثورىُّ - عن الزبيرِ بن عدىٍّ ، عن أنسٍ ، قال : « لا يأتى عليكم زمانٌ إلا والذى بعدَه شرٌّ منه » الحديث . قلتُ : ومِن الناسِ مَن يروِى هذا الحديثَ بالمعنى فيقولُ : كلُّ عامٍ تردُلون[3] . وهذا اللفظُ لا أصلَ له ، وإنما هو مأخوذٌ مِن معنى هذا الحديثِ ، واللَّهُ أعلمُ[4] .

وقد قال سفيانُ الثورىُّ[5] : عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبىِّ ، قال : يأتى على الناسِ زمانٌ يصلُّون فيه على الحَجّاجِ . وقال أبو نعيمٍ[6] ، عن يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، عن أبى السَّفْرِ ، قال : قال الشعبىُّ : واللَّهِ لئن بقِيتم لتَمنَّوُنَّ الحجاجَ . وقال الأصمعىُّ[7] : قيل للحسنِ : إنَّك تقولُ : الآخِرُ شرٌّ مِن الأولِ . وهذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعدَ الحجاجِ . فقال الحسنُ : لابدَّ للناسِ من تنفيساتٍ .

وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ[8] : بعَث الحجاجُ إلى الحسنِ وقد همَّ به ، فلمَّا قامَ بين يديه ، قال : يا حجاجُ ، كم بينَك وبين آدمَ مِن أبٍ ؟ قال : كثيرٌ . قال : فأين

---

(١) المسند ٣/ ١٣٢، ١٧٧.
(٢) صحيح البخارى (٧٠٦٨).
(٣) انظر تمييز الطيب من الخبيث ١٥٠، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٢٢/٢ - ١٢٣.
(٤) بعده فى م، ص: زيادة من زيادات الناسخ.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٥/١٢ ، من طريق سفيان الثورى به.
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٤/١٢ ، من طريق أبى نعيم به.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧٥/١٢ ، من طريق الأصمعى.
(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٧٥.

هم؟ قال: ماتوا. قال: فنكَّس الحجاجُ رأسَه وخرَج الحسنُ. وقال أيوبُ السَّختيانيُّ[1]: إنَّ الحجاجَ أراد قتْلَ الحسنِ مرارًا، فعصَمه اللَّهُ منه. وقد ذكَر له معه مناظراتٍ، على أنَّ الحسنَ لم يكنْ ممن يرَى الخروجَ عليه، وكان ينهَى أصحابَ ابنِ الأشعثِ عن ذلك، وإنَّما خرَج معهم مكرَهًا، كما قدَّمنا، وكان الحسنُ يقول[2]: إنَّما هو نقمةٌ فلا تقابِلوا نقمةَ اللَّهِ بالسيفِ، وعليكم بالصبرِ والسكينةِ والتضرعِ. وقال ابنُ دريدٍ[3]، عن الحسنِ بنِ الخضرِ، عن ابنِ عائشةَ، قال: أُتِيَ الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ برجلٍ مِن الخوارجِ، فقيل له: ما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ؟ فأثنَى خيرًا، قال: فعثمان؟ فأثنَى خيرًا[4]، حتى قيل له: فما تقولُ فى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ؟ فقال: الآنَ جاءتِ المسألةُ، ما أقولُ فى رجلٍ الحجاجُ خطيئةٌ مِن خطاياه؟

وقال الأصمعيُّ[5]، عن عليِّ بنِ مسلمٍ[6] الباهليِّ، قال: أُتِيَ الحجاجُ بامرأةٍ مِن الخوارجِ، فجعَل يكلِّمُها وهى لا تنظرُ إليه ولا تردُّ عليه كلامًا، فقال لها بعضُ الشُّرَطِ: يكلمُك الأميرُ وأنت معرِضةٌ عنه؟ فقالتْ: إنِّى [١٤٢/٧و] لأستحى مِن اللَّهِ أنْ أنظرَ إلى مَن لا ينظرُ اللَّهُ إليه. فأمَر بها فقُتِلتْ. وقد ذكَرنا فى سنةِ أربعٍ وتسعين كيفيةَ مقتلِ الحجاجِ لسعيدِ بنِ جبيرٍ، وما دارَ بينهما مِن الكلامِ والمراجعةِ.

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/١٧٥، بنحوه.

(٢) أخرج نحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٧، ١٧٨، عن الحسن.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٧٩ - ١٨٠، من طريق ابن دريد به.

(٤) بعده فى ا ٢، م، ص: «قيل له فما تقول فى على فأثنى خيرا فذكر له الخلفاء واحدا بعد واحد، فيثنى على كل بما يناسبه».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٠، من طريق الأصمعى به.

(٦) فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٠، وفى ٤/٢٤٧ (مخطوط): «سالم». وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٢٤.

وقد قال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ[1] : ثنا أبو ظَفَرٍ ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن بِسطامَ ابنِ مسلمٍ ، عن قتادةَ ، قال : قيل لسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ : خرجتَ على الحجاجِ ؟ قال : إنِّى واللَّهِ ما خرجتُ عليه حتى كفَر . ويقال : إنَّه لم يَقْتُلْ بعدَه إلّا رجلًا واحدًا اسمُه ماهانُ ، وكان قد قتَل قبلَه خلقًا كثيرًا ، أكثرُهم ممن خرَج مع ابنِ الأشعثِ .

وقال أبو عيسى الترمذىُّ[2] : ثنا أبو داودَ سليمانُ بنُ سَلْمٍ[3] البَلْخِىُّ ، ثنا النضرُ بنُ شُمَيْلٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، قال : أحْصَوْا ما قتَل الحجاجُ صبرًا فبلَغ مائةَ ألفٍ وعشرين ألفًا . قال الأصمعىُّ[4] : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عبَّادِ بنِ كثيرٍ ، عن قَحْـذَمٍ ، قال : أطلَق سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ فى غداةٍ واحِدَةٍ أحدًا وثمانين ألفَ أسيرٍ[5] ، وعرِضتِ السجونُ بعدَ الحجاجِ فوجَدوا فيها ثلاثةً وثلاثين ألفًا ، لم يجبْ على أحدٍ منهم قطعٌ ولا صلبٌ ، وكان فى مَن حُبِس أعرابىٌّ وُجِد يبولُ فى أصلِ رَبَضِ مدينةِ واسطٍ ، وكان فى مَن أُطلِق فأنشأَ يقولُ :

إذا نحن جاوَزْنا مدينةَ واسطٍ ... خَرَيْنَا وصلَّيْنا بغيرِ حسابِ

وقد كان الحجاجُ مع هذا العنفِ الشديدِ لا يستخرجُ مِن خراجِ العراقِ كبيرَ أمرٍ . قال ابنُ أبى الدنيا وإبراهيمُ الحربىُّ[6] : ثنا سليمانُ بنُ أبى شيـخٍ[7] ، ثنا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٣، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، عقب الحديث (٢٢٢٠) . صحيح الإسناد مقطوع (صحيح سنن الترمذى ١٨٠٨/ ٢٣٣٣) .

(٣) فى ا ٢، م، ص: «مسلم» ، وفى تاريخ دمشق: «سليم» . والمثبت كما فى بغية الطلب ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٣٨، ٤٣٩، ٢٩/ ٣٧٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٤، من طريق الأصمعى به .

(٥) بعده فى ا ٢، ص: «كانوا فى سجن الحجاج ، وقيل إنه مات فى سجنه ثمانون ألفًا منهم ثلاثون ألف امرأة» ، وفى م نفس السياق وفيها: «لبث» بدلا من «مات» .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٥ - ١٨٦، من طريق ابن أبى الدنيا وإبراهيم الحربى به .

(٧) فى م: «سنح» .

صالحُ بنُ سليمانَ ، قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لو تخابثَتِ الأممُ[1] وجئنا بالحجاجِ لغلَبناهم ، وما كان يصلحُ لدنيا ولا لآخرةٍ ، لقد ولِى العراقَ وهو أوفرُ ما يكونُ فى العمارةِ ، فأخسَّ به حتى[2] صيَّره إلى أربعينَ ألفَ ألفٍ ، ولقد أُدِّىَ إلىَّ[3] فى عامى هذا ثمانون ألفَ ألفٍ ، وإن بقيتُ إلى قابلٍ رجوتُ أنْ يؤدَّى إلىَّ ما أُدِّىَ إلى عمرَ بنِ الخطابِ مائةُ ألفِ ألفٍ وعشرةُ آلافِ ألفٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ المقرئِ[4] : ثنا أبو عَروبةَ ، ثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، ثنا أبى ، سمِعتُ جدِّى قال : كتَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى عدىِّ بنِ أرطاةَ : بلَغنى أنَّك تستَنُّ بسَننِ الحجاجِ فلا تستَنَّ بسَننِه ، فإنَّه كان يصلِّى الصلاةَ لغيرِ وقتِها ، ويأخذُ الزكاةَ مِن غيرِ حقِّها ، وكان لِما سوى ذلك أضيعَ .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[5] : ثنا سعيدُ بنُ أسدٍ ، ثنا ضَمرةُ ، عن الرَّيَّانِ بنِ مسلمٍ ، [١٤٢/٧ظ] قال : بعَث عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بآلِ أبى عقيلٍ - أهلِ بيتِ الحجاجِ - إلى صاحبِ اليمنِ ، وكتَب إليه : أمَّا بعدُ ، فإنِّى قد بعثتُ بآلِ أبى عقيلٍ ، وهم شرُّ بيتٍ فى العربِ[6] ، ففرِّقْهم فى العملِ على قدرِ هوانِهم على اللَّهِ وعلينا ، وعليك السلامُ . وإنما نفاهم .

وقال الأوزاعىُّ[7] : سمِعت القاسمَ بنَ مُخَيْمِرَةَ يقولُ : كان الحجاجُ ينقُضُ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : « فجاءت كل أمة بخبيثها » .
(٢) فى م : « إلى أن » .
(٣) بعده فى ا ٢، م، ص : « عمالى » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٦ - ١٨٧، من طريق أبى بكر بن المقرئ به .
(٥) المعرفة والتاريخ ١/١١٨ .
(٦) فى م : « العمل » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٧، من طريق الأوزاعى .

عُرَى الإسلامِ . وذكَر حكايةً . وقال أبو بكرِ بنُ عياشٍ[1] ، عن عاصمٍ : لم يَبْقَ للَّهِ حرمةٌ إلا ارتكبَها الحجاجُ بنُ يوسفَ . وقال يحيى بنُ عيسى الرمليُّ[2] ، عن الأعمشِ : اختلَفوا فى الحجاجِ ، فسألوا مجاهدًا ، فقال : تسألونى عن الشيخِ الكافرِ ؟

وروَى ابنُ عساكرَ[3] ، عن الشعبيِّ أنَّه قال : الحجاجُ مؤمنٌ بالجبتِ والطاغوتِ ، كافرٌ باللَّهِ العظيمِ . كذا قال واللَّهُ أعلمُ . وقال الثوريُّ[4] ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، قال : عجبًا لإخوانِنا من أهلِ العراقِ ؛ يُسمُّون الحجاجَ مؤمنًا ! وقال [5]الثوريُّ[6] ، عن ابنِ عونٍ[7][5] : سمِعتُ أبا وائلٍ يُسألُ عن الحجاجِ : أتشهدُ أنَّه مِن أهلِ النارِ ؟ قال : أتأمُرونى أنْ أشهدَ على اللَّهِ العظيمِ . وقال الثوريُّ[8] ، عن منصورٍ ، سألتُ إبراهيمَ عن لعنِ[9] الحجاجِ أو بعضِ الجبابرةِ ، فقال : أليس اللَّهُ يقولُ : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] ؟ وبه[10] ؛ قال إبراهيم : وكفَى بالرجلِ عمًى أن يعمَى عن أمرِ الحجاجِ . وقال سلامُ ابنُ أبى مُطيعٍ[11] : لأنا للحجاجِ أرجَى منى لعمرِو بنِ عبيدٍ ؛ لأنَّ الحجاجَ قتَل

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٨، من طريق أبى بكر بن عياش به بنحوه.

(٢) سقط آخر السند من تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٧، ومن المخطوط ٤/ ٢٥٠. وانظر مختصر ابن منظور ٦/٢٢٨ .

(٣) تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٧.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٨، من طريق الثورى به.

(٥ - ٥) فى تاريخ دمشق : « سفيان بن عون » . وانظر تهذيب الكمال ١١/١٥٨ .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٨ ، من طريق الثورى عن ابن عون به.

(٧) فى م : « عوف » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٨٨ ، من طريق سفيان به.

(٩) سقط من : م.

(١٠) تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٩.

(١١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٨٩، ١٩٠.

الناسَ على الدنيا ، وعمرُو بنُ عُبَيْدٍ أحدَثَ للناسِ بدعةً[1] ، فقتَل الناسُ بعضُهم بعضًا . وقال الزِّبْرِقانُ[2] : سَبَبْتُ الحجاجَ يومًا عندَ أبى وائلٍ ، فقال : لا تسبَّه لعلَّه قال يومًا : اللهم ارحمْنى . فيرحمَه[3] ، إياك ومجالسةَ مَنْ يقولُ : أرأيتَ أرأيتَ . وقال عوفٌ[4] : ذُكِر الحجاجُ عندَ محمدِ بنِ سيرينَ ، فقال : مسكينٌ أبو محمدٍ ؛ إنْ يعذِّبْه اللَّهُ عَزَّ وجلَّ فبذنبِه ، وإنْ يغفرْ له فهنيئًا له ، وإن يلقَ اللَّهَ بقلبٍ سليمٍ ، فقد[5] أصاب الذنوبَ مَن هو خيرٌ منه . فقِيل له : ما القلبُ السليمُ ؟ قال : أن تعلمَ[6] أنَّ اللَّهَ حقٌّ ، وأنَّ الساعةَ حقٌّ قائمةٌ ، وأنَّ اللَّهَ يبعثُ مَن فى القبورِ .

وقال أبو القاسمِ البغويُّ[7] : ثنا أبو سعيدٍ ، ثنا أبو أسامةَ ، قال : قال رجلٌ لسفيانَ الثوريِّ : اشهَدْ[8] على الحجاجِ وعلى أبى مسلم[9] أنَّهما فى النارِ . قال : لا ، إذا أقرَّا بالتوحيدِ . وقال الرِّيَاشيُّ[10] : حدَّثنا عبّاسٌ[11] الأزرقُ ، عن السَّرِيِّ بنِ يحيى ، قال : مرَّ الحجاجُ فى يومِ جُمُعةٍ فسمِع استغاثةً ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : [١٤٣/٧و] أهلُ السجونِ يقولون : قتَلَنا الحرُّ . فقال : قولوا لهم : اخسئوا فيها

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : « شنعاء » .
(٢) فى م : « الزبير » . وقد أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٠.
(٣) فى تاريخ دمشق : « فرحمه » .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٠.
(٥) فى ا ٢، ص : « فهو خير لنا فقد » ، وفى م : « فهو خير منا وقد » .
(٦) فى م : « يعلم اللّه تعالى منه الحياء والإيمان وأن يعلم » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٠، من طريق أبى القاسم البغوى به .
(٨) فى م : « أتشهد » .
(٩) بعده فى ا ٢، م، ص : « الخراسانى » .
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢، من طريق الرياشى به .
(١١) فى الأصل، تاريخ دمشق : « عياش » . وانظر بغية الطلب ٥/ ٣١، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٣٣.

ولا تكلّمون . قال : فما عاشَ بعدَ ذلك إلا أقلَّ مِن جُمُعَةٍ[1] . وقال بعضُهم : رأيتُه وهو يأتى الجُمُعةَ وقد كاد يهلِكُ مِن العلةِ . وقال الأصمعىُّ[2] : لما مرِض الحجاجُ أرجَفَ الناسُ بموتِه ، فقال فى خطبتِه : إنَّ طائفةً مِن أهلِ الشقاقِ والنفاقِ نزَغ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات الحجاجُ ، ومات الحجاجُ . فمَهْ ، وهل يرجو الحجاجُ الخيرَ إلَّا بعدَ الموتِ ؟ واللَّهِ ما يسُرُّنى أنْ لا أموتَ وأنَّ لى الدنيا وما فيها ، وما رأيتُ اللَّهَ رضِى التخليدَ إلا لأهونِ خلقِه عليه إبليسَ ، قال اللَّهُ له : ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] . فأنظَره إلى يومِ الدينِ ، ولقد دعا اللَّهَ العبدُ الصالحُ فقال : ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص : ٣٥] . فأعطاه اللَّهُ ذلك إلا البقاءَ[3] ، فما عسى أنْ يكونَ أيُّها الرجلُ ، وكلُّكم ذلك الرجلُ ، كأنِّى واللَّهِ بكلِّ حىٍّ منكم ميتًا ، وبكلِّ رطبٍ يابسًا ، ثم نُقِل فى ثيابِ أكفانِه إلى[4] ثلاثةِ أذرعٍ طولًا فى ذراعٍ عرضًا ، فأكلتِ الأرضُ لحمَه ، ومصَّتْ صديدَه ، وانصَرف الحبيبُ[5] من ولدِه يقسِمُ الحبيبَ[5] من مالِه ، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقولُ . ثم نزَل .

وقال إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ يحيى [6]بنِ يحيى[6] الغسانىُّ[7] ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّه قال : ما حسَدتُ الحجاجَ عدوَّ اللَّهِ على شىءٍ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : «حتى قصمه اللَّه قاصم كل جبار» .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٣.

(٣) بعده فى ا ٢، م، ص : «ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره فقال توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : «الخبيث» .

(٦ - ٦) سقط من : م، ص . وانظر الأنساب ٤/ ٢٩٦.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٤ ، من طريق إبراهيم به .

حسدِى إياه على حبِّه القرآنَ وإعطائِه أهلَه[1] ، وقولِه حين حضَرتْه الوفاةُ : اللهمَّ اغفرْ لى فإنَّ الناسَ يزعُمون أنَّك لا تفعلُ . وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ[3] الجعدِ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سلمةَ الماجشونُ ، عن محمدِ بنِ المنكدرِ ، قال : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يُبْغِض الحجاجَ ، فنفَسَ عليه بكلمةٍ قالها عندَ الموتِ : اللهمَّ اغفرْ لى ؛ فإنَّهم زعَموا[4] أنَّك لا تفعلُ . قال : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ[5] ، قال : قيل للحسنِ : إنَّ الحجاجَ قال عندَ الموتِ كذا وكذا . قال : أقالها ؟ قالوا : نعم . قال[6] : عسى . وقال أبو العباسِ المبرِّدُ[7] ، عن الرِّيَاشىِّ ، عن الأصمعىِّ ، قال : لما حضرَتِ الحجاجَ الوفاةُ أنشَأ يقولُ :

يارَبِّ قد حلَفَ الأعداءُ واجتهَدوا ... بأنَّنى رجلٌ مِن ساكنى النارِ
أيحلِفونَ على عمياءَ ويحَهمُ ... ما عِلْمُهم بعظيمِ العفوِ غفَّارِ

قال : فأخبِرَ بذلك الحسنُ ، فقال : [8]تاللَّهِ إن نجا فبِهما[8] . وزاد بعضُهم فى ذلك :

[١٤٣/٧ظ] إنَّ الموالى إذا شابتْ عبيدُهمُ ... فى رِقِّهم عتَقوهم عِتقَ أبرارِ
وأنتَ يا خالِقى أولَى بذا كرمًا ... قد شِبتُ فى الرقِّ فاعتِقْنى مِن النارِ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : «عليه» .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٤، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٣) بعده فى ا ٢، ص : «أبى» ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٩.
(٤) فى ا ٢، م، ص : «يزعمون» .
(٥) تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٤.
(٦) بعده فى م : «فما» .
(٧) فى م : «المرمى» . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٤، ١٩٥.
(٨ - ٨) فى ا ٢، م، ص : «باللَّه إن نجا لينجون بهما» .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : ثنا أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ التيميُّ ، قال : لما مات الحجاجُ لم يُعْلَمْ[2] بموتِه حتى أشرَفتْ جاريةٌ فبكتْ ، فقالت : ألا إنَّ مُطعِمَ الطعامِ[3] ومُفلِّقَ الهامِ ، وسيدَ أهلِ الشامِ قد مات ، ثم أنشأت تقولُ :

اليومَ يرحَمُنا مَن كان يغبِطُنا[4] واليومَ يأمنُنا مَن كان يخشانا

وروَى عبدُ الرزاقِ[5] ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه أنَّه أُخبِر بموتِ الحجاجِ مرارًا ، فلما تحقَّق وفاتَه قال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] . وروَى غيرُ واحدٍ[6] أنَّ الحسنَ لمَّا بُشِّرَ بموتِ الحجاجِ سجَد شكرًا للَّهِ تعالى ، وكان مختفِيًا فظهَر ، وقال : اللهمَّ أَمَتَّه فأذهِبْ عنا سُنَّتَه .

وقال حمادُ بنُ أبى سليمانَ[7] : لما أخبَرتُ إبراهيمَ النخعيَّ بموتِ الحجاجِ بكَى مِن الفرحِ . وقال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ : ثنا سليمانُ بنُ أبى شيخٍ ، ثنا صالحُ بنُ سليمانَ ، قال : قال زيادُ بنُ الربيعِ الحارثيُّ[8] لأهلِ السجنِ : يموتُ الحجاجُ فى مرضِه هذا فى ليلةِ كذا وكذا . فلما كانت تلك الليلةُ لم ينمْ أهلُ السجنِ فرحًا ، جلَسُوا ينتظرون حتى سمِعوا الواعيةَ[9] ، وذلك ليلةَ سبعٍ وعشرين مِن شهرِ رمضانَ ، وقيل : كان ذلك لخمسٍ بقِين مِن رمضانَ . وقيل : فى شوالٍ مِن هذه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، من طريق ابن أبى الدنيا .

(٢) بعده فى م : « أحد » .

(٣) بعده فى ا ٢، م ، ص : « وميتم الأيتام ومرمل النساء » .

(٤) فى م ، ص : « يبغضنا » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/١٩٥ ، من طريق عبد الرزاق به .

(٦) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٥، ١٩٦.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٧.

(٨) فى م : « بن الحارث » .

(٩) فى م : « الناعية » ، والواعية : الصارخة . اللسان (و ع ى) .

السنةِ . وكان عمرُه إذ ذاك خمسًا وخمسين سنةً ؛ لأنَّ مولدَه كان عامَ الجماعةِ سنةَ أربعين ، وقيل : بعدَها بسنةٍ . وقيل : قبلَها بسنةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

مات بواسطٍ وعُفى قبرُه ، وأُجْرِى عليه الماءُ لكيلا يُنبَشَ ويُحرقَ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال الأصمعىُّ[1] : ما كان أعجبَ الحجاجَ ، ما ترَك إلّا ثلاثَمائةِ درهمٍ .

وقال الواقدىُّ[2] : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبيدٍ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ[3] عبدِ اللَّهِ بنِ قُريبٍ[3] ، ثنا عمِّى قال : زعَموا أنَّ الحجاجَ مات ولم يترك إلّا ثلاثَمائةِ دِرْهمٍ ومُصْحفًا وسيفًا وسَرْجًا ورحلًا ومائةَ درعٍ موقوفةً . وقال شهابُ بنُ خِراشٍ : حدثنى عمِّى يزيدُ بنُ حوشبٍ قال : بعَث إلىَّ أبو جعفرٍ المنصورُ فقال : حدِّثْنى بوصيةِ الحجاجِ بنِ يوسفَ . فقلتُ[4] : اعفنى يا أميرَ المؤمنين . فقال : حدِّثنى بها . فقلتُ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أوصَى [٧/١٤٤و] به الحجاجُ بنُ يوسفَ ، أنه يشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأنه لا يعرِفُ إلّا طاعةَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، عليها يحيا ، وعليها يموتُ ، وعليها يُبْعَثُ ، وأوصى بتسعِمائةِ درعٍ حديدٍ ؛ ستِّمائةٍ منها لمنافقِى أهلِ العراقِ يغزون بها ، وثلاثِمائةٍ للتُّركِ . قال : فرفَع أبو جعفرٍ رأسَه إلى أبى العباسِ الطوسىِّ - وكان قائمًا على رأسِه - فقال : هذه واللَّهِ الشيعةُ لا شيعتُكم .

وقال الأصمعىُّ عن أبيه قال[5] : رأيتُ الحجاجَ فى المنامِ فقلتُ : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : قتَلنى بكلِّ قتلةٍ قتلتُ بها إنسانًا ، قال : ثم رأيتُه بعدَ الحولِ فقلتُ :

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ١٩٢، من طريق أحمد بن محمد بن عمر . وليس عن أبيه .

(٣ - ٣) فى ا ٢، م : « عبيد اللَّه بن فرن » ، وفى ص : « عبيد بن مرى » . وهو ابن أخى الأصمعى .

(٤) فى م : « فقال » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١، من طريق الأصمعى به .

يا أبا محمدٍ ما صنَع اللَّهُ بك ؟ فقال : يا ماصَّ بَظْرِ أُمِّه أما سألتَ عن هذا عامَ أوّلَ ؟ وقال القاضى أبو يوسفَ[1] : كنتُ عندَ الرشيدِ فدخَل عليه رجلٌ فقال : يا أميرَ المؤمنين رأيتُ الحجاجَ البارحةَ فى النومِ ، قال : فى أىِّ زِىٍّ رأيتَه ؟ قال : فى زىٍّ قبيحٍ . فقلتُ له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : ما أنت وذاك يا ماصَّ بَظْرِ أمِّه ؟ فقال هارونُ : صدقتَ واللَّهِ ، أنت رأيتَ الحجاجَ حقًّا ، ما كان أبو محمدٍ لِيَدَعَ صرامتَه حيًّا وميتًا .

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[2] : ثنا هارونُ بنُ معروفٍ ، ثنا ضمرةُ ، ثنا[3] ابنُ[4] شوذبٍ ، عن أشعثَ الحُدّانىِّ[5] . قال : رأيتُ الحجاجَ فى المنامِ فى حالةٍ سيئةٍ فقلتُ : يا أبا محمدٍ ما صنَع بك ربُّك ؟ قال : ما قتلتُ أحدًا قِتْلَةً إلّا قتَلنى بها . [6]فقلتُ : ثم مه[6] . قال : ثم أمَر بى إلى النارِ . قلتُ : ثم مهْ . قال : ثم أرجو ما يرجو أهلُ لا إلهَ إلّا اللَّهُ . قال : وكان ابنُ سيرينَ يقولُ : إنِّى لأرجو له . فبلَغ ذلك الحسنَ فقال : أما واللَّهِ ليُخلِفنَّ اللَّهُ رجاءَه فيه .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحوارىِّ[7] : سمعتُ أبا سليمانَ الدارانىَّ يقولُ : كان الحسنُ البصرىُّ[8] لا يجلسُ مجلسًا إلّا ذكَر فيه الحجاجَ فدعا عليه ، قال : فرآه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١، من طريق أبى يوسف به .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠١، من طريق حنبل به .
(٣) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣١٦/١٣ ، ٣١٩ .
(٤) فى ص : «أبو» ، وبعده فى م : «أبى» . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٣١٧.
(٥) فى الأصل : «الخراب» ، وفى ا ٢، م ، ص : «الخراز» . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٢٧٢/٣ .
(٦ - ٦) سقط من : م .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٠٢، من طريق أحمد بن أبى الحوارى به .
(٨) زيادة من : م .

فى منامِه فقال له : أنتَ الحجاجُ ؟ قال : أنا الحجاجُ . قال : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ قال : قُتِلتُ بكلِّ قتيلٍ قتلْتُه ثم عُزِلتُ مع الموحِّدين . قال : فأمسَكَ الحسنُ بعد ذلك عن شتمِه . واللَّهُ أعلمُ[1] .

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ خمسٍ وتسعين - : **إبراهيمُ بنُ يزيدَ النَّخَعىُّ**[2] : [3]قال : كنّا إذا حضَرنا جِنازةً ، أو سمِعنا بميِّتٍ عُرِف ذلك فينا أيامًا ؛ لأنّا قد عرَفنا أنَّه نزَل به أمرٌ صيَّره إلى الجنّةِ ، أو إلى النارِ ، وإنّكم فى جَنائزِكم تتحدَّثون بأحاديثِ دنياكم . وقال : لا يَستقيمُ رأْىٌ إلا بروايةٍ[4] ، ولا روايةٌ[5] إلا برأيٍ .

وقال : إذا رأيْتَ الرجلَ يتهاوَنُ بالتكبيرةِ الأولى فاغسِلْ يديْك مِن فَلاحِه .

وقال : إنِّى لأرى الشىءَ ممّا يُعابُ فما يمنعُنى مِن عَيبِه إلّا مخافةُ أنْ أُبتلَى به . وبكَى عند موتِه ، فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : انتظارُ مَلَكِ الموتِ ، ما أدرى يبشِّرُنى بجنَّةٍ ، أو بنارٍ[3] .

الحسنُ بنُ محمدِ ابنِ الحنفيَّةِ[6] : كنيتُه أبو محمدٍ ، كان المقدَّمَ على إخوتِه [7]فى الفضلِ[7] ، وكان [8]أعلَمَ الناسِ[8] بالاختلافِ والفقهِ [7]والتفسيرِ ، وكان مِن[7]

---

(١) بعده فى م ، ص زيادة ولعلها من زيادات الناسخ .

(٢) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠، والحلية ٤/ ٢١٩، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٢٧٠.

(٣ - ٣) زيادة من : م ، ص .

(٤) فى م : « بروية » .

(٥) فى م : « روية » .

(٦) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٧٣ ، وتهذيب الكمال ٦/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٣٣١.

(٧ - ٧) سقط من : ا ٢، م ، ص .

(٨ - ٨) فى ا ٢، م ، ص : « عالما فقيها عارفا » .

(١ ظرفاءِ بنى هاشمٍ وعقلائِهم، ولم يكُنْ له عقِبٌ ١) . قال أيوبُ السَّختيانيُّ، وغيرُه(٢) : كان أوَّلَ مَن تكلَّم فى الإرجاءِ . وكتَب فى ذلك [٧/١٤٤ظ] رسالةً ثم ندِم عليها .

وقال غيرُهم(٣) : كان يتوقَّفُ فى عثمانَ، وعلىٍّ، وطلحةَ، والزبيرِ، فلا يتولَّاهم، ولا يذُمُّهم، فلما بلَغ ذلك أباه محمدَ ابنَ الحنفيةِ ضرَبه فشجَّه، وقال : ويحَك، ألَا تتولَّى أباك عليًّا ؟

وقال أبو عُبيدٍ(٤) : تُوفِّى سنةَ خمسٍ وتسعينَ .

وقال خليفةُ(٥) : تُوفِّى فى أيامِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . واللَّهُ أعلمُ .

حُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ الزُّهريُّ(٦) : (٧ وأمُّه أمُّ كُلثومٍ بنتُ عُقبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ، وهى أختُ عثمانَ بنِ عفَّانَ لأمِّه، وكان حُمَيْدٌ فقيهًا نبيلًا عالمًا، له رواياتٌ كثيرةٌ ٧) .

مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ : تقدَّمتْ ترجمتُه(٨) .

وهؤلاءِ كلُّهم لهم تراجمُ فى كتابِنا « التكميلِ » .

(١ - ١) سقط من : ا ٢، م، ص .

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٨٠ ، ٣٨١ مطولا .

(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٨١.

(٥) تاريخ خليفة ٢/ ٤٦٩. وقال فى طبقاته ٢/ ٥٩٩: توفى سنة مائة أو تسع وتسعين .

(٦) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ١٥٣، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٧٨، وأسد الغابة ٢/ ٦٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠) ص ٣٣٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٩٥.

(٧ - ٧) زيادة من : ا ٢، م، ص .

(٨) تقدم فى ٤١٢.

وفيها كان موتُ الحجَّاجِ بواسطٍ كما تقدَّم ذلك مبسوطًا مُستقصًى ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها كان مقتلُ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ[1] ، فى قولِ علىِّ بنِ المدائنىِّ ، وجماعةٍ . والمشهورُ أنَّه كان فى سنةِ أربعٍ وتسعين ، كما ذكَره ابنُ جريرٍ ، وغيرُ واحدٍ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ خليفة ١/٤١٠ ، بدون عزو إلى المدائنى أو غيره .
(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٧ - ٤٩١.

ثم دخلَت سنةُ ستٍّ وتسعين

وفيها[1] فتَح قُتيبةُ بنُ مسلمٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، كاشْغَرَ مِن أرضِ الصينِ[2] ، وبعَث إلى مَلِكِ الصينِ رُسُلًا يتهدَّدُه ويتوعَّدُه ، ويُقسِمُ باللَّهِ لا يرجِعُ حتى يطَأَ بلادَه ، ويخْتِمَ ملوكَهم وأشرافَهم ، ويأخُذَ الجِزيةَ منهم ، أو يدخُلوا فى الإسلامِ ، فدخَل الرسُلُ على المَلِكِ الأعظمِ[3] فيهم ، وهو فى مدينةٍ عظيمةٍ - يُقالُ : إنّ عليها تسعين بابًا فى سُورِها المحيطِ بها - يُقالُ لها : خانُ بالقَ . مِن أعظمِ المدنِ ، وأكثرِها رَيْعًا ، ومعاملاتٍ وأموالًا ، حتى قِيل : إنّ بلادَ الهندِ مع اتِّساعِها كالشّامةِ فى مُلكِ الصينِ . والصينُ لا يَحتاجون إلى أن يُسافِروا فى مُلْكِ غيرِهم ؛ لكثرةِ أموالِهم ومتاعِهم ، وغيرُهم محتاجٌ إليهم ؛ لمَا عندَهم مِن المتاعِ والدنيا المتَّسعةِ ، وسائرُ ملوكِ تلك البلادِ تُؤدِّى إلى مَلِكِ الصينِ الخَراجَ ؛ لقهْرِه ، وكثرةِ جندِه وعُددِه .

والمقصودُ أنّ الرسلَ لمّا دخَلوا على مَلِك الصِّينِ وجَدوا مملكةً عظيمةً[4] وجُندًا كثيرًا ، ومدينةً[4] حصينةً ذاتَ أنهارٍ وأسواقٍ وحُسنٍ وبهاءٍ ، فدخَلوا عليه فى قَلْعةٍ عظيمةٍ حصينةٍ ، بقدْرِ مدينةٍ كبيرةٍ ، فقال لهم مَلِكُ الصينِ : ما أنتم ؟ وكانوا ثلاثَمائةِ رسولٍ عليهم هُبَيرةُ - فقال المَلِكُ لتُرجمانِه : قل لهم : ما أنتم وما تُريدون ؟ فقالوا : نحنُ رُسُلُ قتيبةَ بنِ مُسلمٍ ، وهو يدْعوك إلى الإسلامِ ، فإن لم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٠، والكامل ٥/٥ - ٨.

(٢) بعده فى الأصل : «وغزا الصين» .

(٣) من هنا إلى قوله : لا تقوم ولا يدرى أحد قدرها . فى ص ٥٧٦، زيادة من : ا ٢، م، ص .

(٤ - ٤) سقط من : م .

تفعَلْ فالجِزيةُ ، فإن لم تفعَلْ فالحربُ . فغضِب المَلِكُ وأمَر بهم إلى دارٍ ، فلمّا كان الغدُ دعاهم فقال لهم : كيف تكونون فى عبادةِ إلهِكم ؟ فصلَّوُا الصلاةَ على عادتِهم ، فلمّا ركَعوا وسجَدوا ضحِك منهم ، فقال : كيف تكونون فى بيوتِكم ؟ فلبِسوا ثيابَ مِهَنِهم ، فأمَرهم بالانصرافِ . فلما كان مِن الغدِ أرسَل إليهم ، فقال : كيفَ تدخُلون على مُلوكِكم ؟ فلبِسوا الوشْىَ والعمائمَ والمطارِفَ ، ودخَلوا على المَلِكِ ، فقال لهم : ارجِعوا . فرجَعوا ، فقال المَلِكُ لأصحابِه : كيف رأيتُم هؤلاءِ ؟ فقالوا : هذه أشبهُ بهيئةِ الرجالِ مِن تلكَ المرَّةِ الأولى ، وهم أولئك .

فلمّا كان اليومُ الثالثُ ، أرسَلَ إليهم ، فقال لهم : كيف تلقَوْن عدُوَّكم ؟ فشَدُّوا عليهم سلاحَهم ، ولبِسوا المَغافِرَ والبَيْضَ ، وتقلَّدوا السيوفَ ، وتنكَّبوا القِسِىَّ ، وأخَذوا الرِّماحَ ، وركِبوا خيولَهم ومضَوْا ، فنظَر إليهم ملِكُ الصينِ فرأَى أمثالَ الجبالِ مُقبِلةً ، فلمّا قَرُبوا منه ركَزوا رِماحَهم ، ثم أقبَلوا نحوَه مُشَمِّرين ، فقيل لهم : ارجِعوا - وذلك لِمَا دخَل قلوبَ أهلِ الصِّينِ مِن الخوفِ مِنهم - فانصرَفوا فركِبوا خيولَهم ، واختلَجوا رِماحَهم ، ثم ساقُوا خيولَهم ، كأنَّهم يتطارَدُون بها ، فقال المَلِكُ لأصحابِه : كيف ترَونَهم ؟ فقالوا : ما رأيْنا مثلَ هؤلاءِ قَطُّ .

فلمّا أمسَوْا بعَث إليهم المَلِكُ ؛ أنِ ابعَثوا إلىَّ زعيمَكم وأفضَلَكم . فبعَثوا إليه هُبَيرةَ ، فقال له المَلِكُ حينَ دخَل عليه : قد رأيتُم عِظَمَ مُلكِى ، وليس أحدٌ يمنَعُكم منِّى ، وأنتم بمنزلةِ البَيْضةِ فى كفِّى ، وأنا سائِلُك[1] عن أمرٍ فإن لم تصدُقْنى قتَلتُك . فقال : سلْ . فقال المَلِكُ : لِمَ صنَعتُم ما صنَعتُم مِن زِىٍّ أوَّلَ يومٍ والثانىَ والثالثَ ؟ فقال : أمّا زِيُّنا أوَّلَ يومٍ فهو لِباسُنا فى أهلِنا ونسائِنا ، وطِيبُنا عندَهم ،

---

(١) فى ا ٢، ص : « سائلكم » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٢.

وأمّا ما فعَلْنا ثانىَ يومٍ فهو زِيُّنا إذا دخَلْنا على ملوكِنا ، وأمّا زِيُّنا ثالثَ يومٍ فهو إذا لقِينا عدُوَّنا . فقال المَلكُ : ما أحسنَ ما دبَّرْتُم دَهْرَكم ! انصرِفُوا إلى صاحبِكم - يعنى قُتَيْبةَ - وقولُوا له ينصرِفُ راجعًا عن بلادِى ؛ فإنِّى قد عرَفتُ حِرْصَه وقلَّةَ أصحابِه ، وإلَّا بعَثْتُ إليكم مَن يُهلِكُكم عن آخرِكم . فقال له هُبيرَةُ : تقولُ لقُتَيْبةَ هذا ؟ فكيفَ يكونُ قليلَ الأصحابِ مَن أوَّلُ خَيلِه فى بلادِك وآخِرُها فى مَنابتِ الزيتونِ ؟! وكيف يكونُ حريصًا مَن خلَّف الدنيا قادرًا عليها ، وغزَاك فى بلادِك ؟! وأمّا تخويفُك إيّانا بالقتلِ فإنَّا نعلَمُ أنّ لنا أجلًا إذا حضَر فأكرَمُها عندَنا القتلُ ، فلسْنا نَكرَهُه ولا نخافُه . فقال المَلكُ : فما الذى يُرْضِى صاحبَكم ؟ فقال : قد حلَفَ أنَّه لا ينصرِفُ حتى يطَأَ أرضَكَ ، ويختِمَ ملوكَك ويَجْبِىَ الجزيةَ مِن بلادِكَ . فقال المَلكُ : أنا أبِرُّ يمينَه وأُخرِجُه منها ؛ أُرسِلُ إليه بترابٍ مِن أرضِى ، وأربعِ غِلمانٍ مِن أبناءِ الملوكِ ، وأُرسِلُ إليه ذهبًا كثيرًا وحريرًا وثيابًا صينيَّةً لا تُقوَّمُ ، ولا يَدْرِى أحدٌ قدرَها ، ثم جرَت لهم معه مُقاوَلاتٌ كثيرةٌ ، (1) ثم شرَع يتهدَّدُهم فتهدَّدوه ، ويتوعَّدُهم فتوعَّدوه (1) ، ثم اتَّفَق الحالُ على أنَّه بعَث صِحافًا مِن ذهبٍ متَّسعةً فيها ترابٌ مِن أرضِه ليطَأَه قتيبةُ ، وبعَث بجماعةٍ مِن أولادِه وأولادِ الملوكِ ليختِمَ رقابَهم ، وبعَث بمالٍ جزيلٍ ليبِرَّ يمينَ قتيبةَ ، وقِيل : إنَّه بعَث أربعَمائةٍ مِن أولادِه وأولادِ الملوكِ .

فلما انتهَى إلى قتيبةَ ما أرسَله مَلكُ الصِّينِ قَبِل ذلك منه ؛ وذلك لأنَّه كان قد انتهَى إليه خبرُ موتِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ أميرِ المؤمنينَ ، فانكسَرتْ همَّتُه لذلك ، وقد عزَم قتيبةُ بنُ مسلمٍ الباهلىُّ على عدمِ مبايعةِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، وأراد الدعوةَ إلى نفسِه ؛ لِمَا تحتَ يدِه مِن العساكرِ ، ولِمَا فتَح مِن البلادِ والأقاليمِ ، فلم

(1 - 1) سقط من : ا ٢، م، ص .

يُمْكِنْه ذلك ، ثم قُتِل فى آخِرِ هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فإنَّه يُقالُ : إنه ما كُسِرتْ له رايةٌ . وكان مِن المُجاهدين فى سبيلِ اللَّهِ ، واجتمَع له مِن العساكرِ ما لم يجتمِعْ لغيرِه .

وفيها غزَا مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ الصائفةَ ، وغزَا العبّاسُ بنُ الوليدِ الرومَ ، ففتَح طُولسَ[1] والمرزبانين مِن بلادِ الرومِ[2] .

وفيها تكامَل بناءُ الجامعِ الأمويِّ بدمشقَ على يدِ بانيهِ أميرِ المؤمنين الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، جزاه اللَّهُ عن المسلمين خيرَ الجزاءِ ، وكان أصلُ موضعِ هذا الجامعِ قديمًا معبدًا بنَتْه اليونانُ الكُلْدانيُّون الذين كانوا يَعْمُرونَ دمشقَ ، وهم الذين وضَعوها ، وعمَروها أوَّلًا ؛ فهم أوَّلُ مَن بناها ، وقد كانوا يعبُدون الكواكبَ السَّبعةَ المُتَحَيِّرَةَ[3] ؛ وهى القمرُ فى السَّماءِ الدُّنيا ، وعُطارِدُ فى السَّماءِ الثانيةِ ، والزُّهَرَةُ فى السماءِ الثالثةِ ، والشَّمسُ فى الرابعةِ ، والمِرِّيخُ فى الخامسةِ ، والمُشْتَرِى فى السَّادسةِ ، وزُحَلُ فى السابعةِ . وكانوا قد صوَّروا على كلِّ بابٍ مِن أبوابِ دِمشقَ هيكلًا [٧/١٤٥و] لكوكبٍ مِن هذه الكواكبِ السَّبعةِ ، وكانت أبوابُ دمشقَ سبعةً وضَعوها قصدًا لذلك ، فنصَبوا هياكلَ سبعةً ؛ لكلِّ كوكبٍ هيكلٌ ، وكان لهم عندَ كلِّ بابٍ مِن أبوابِ دمشقَ عيدٌ فى السنةِ ، وهؤلاءِ هم الذين وضَعوا الأرصادَ ، وتكَلَّموا على حرَكاتِ الكواكبِ ، واتِّصالاتِها ومقارنتِها ، وبنَوْا دِمشقَ ، واختارُوا لها هذه البُقعةَ إلى جانبِ الماءِ الواردِ مِن بين هذيْن

---

(١) فى ا ٢، ص : « طوبس » ، وهى كذلك فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٤، وفى تاريخ خليفة ١/ ٤٢١ : « طبرس » ، والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٢.

(٢) بعده فى الأصل : « وقال الواقدى : إن قتيبة بن مسلم سير جيشا إلى بلد كاشغر » .

(٣) فى الأصل ، ا ٢، ص : « المتحيزة » ، وفى م : « المتميزة » . والمثبت كما تقدم فى ١/ ٧٦. وانظر مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٢/ ٢٥٢.

الجبلَيْن ، وصرَّفُوه أنهارًا تجرِى إلى الأماكنِ المرتفعةِ والمنخفضةِ ، وسلكوا الماءَ فى أفناءِ أبنيةِ الدُّورِ بدمشقَ ، فكانتْ دمشقُ فى أيامِهم مِن أحسنِ المُدُنِ ، بل هى أحسنُها ، لِمَا فيها مِن التَّصاريفِ العجيبةِ .

وبنَوْا هذا المعبدَ وهو الجامعُ اليومَ إلى جهةِ القُطْبِ ، وكانوا يُصَلُّون إلى القُطْبِ الشَّماليِّ ، وكانتْ مَحاريبُه تجاهَ الشَّمالِ ، وكان بابُ معبدِهم يفتَحُ إلى جهةِ القبلةِ ، خلفَ المحرابِ اليومَ ، كما شاهَدْنا ذلك عِيانًا ، ورأيْنا محاريبَهم إلى جهةِ القُطْبِ ، ورأيْنا البابَ ، وهو بابٌ حسَنٌ مبنيٌّ بحِجارةٍ منقوشةٍ ، وعليه كتابٌ بخطِّهم ، وعن يمينِه ويسارِه بابانِ صغيرانِ بالنسبةِ إليه ، وكان غربيَّ المعبدِ قصرٌ مُنيفٌ جدًّا تحمِلُه هذه الأعمِدةُ التى بابِ البريدِ ، وشرْقِيَّ المعبدِ قصرُ جَيْرُونَ الملكِ - الذى كان ملكَهم - وكان هناك دارانِ [1]عظيمتانِ مُعَدَّتانِ[1] لمَن يتملَّكُ دمشقَ قديمًا منهم .

ويُقالُ : إنَّه كان مع المعبدِ ثلاثُ دُورٍ عظيمةٍ للملوكِ ، ويحيطُ بهذه الدُّورِ والمعبدِ سورٌ واحدٌ عالٍ مُنيفٌ ، بحِجارةٍ كبارٍ منحوتةٍ ؛ وهُنَّ دارُ المَطْبِقِ ، ودارُ الخَيلِ ، ودارٌ كانت تكونُ مكانَ الخَضراءِ التى بناها مُعاويةُ .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ فيما حكَاه عن كُتُبِ بعضِ الأوائلِ[2] : إنَّهم[3] مكَثُوا يأخُذون الطَّالِعَ لبناءِ دمشقَ وهذه الأماكنِ ثمانىَ عشْرةَ سنةً ، وقد حفَرُوا أساسَ الجُدْرانِ حتى وافاهم الوقتُ الذى طلَع فيه الكوكبانِ اللّذانِ أرادوا أنَّ المسجِدَ[4]

(١ - ١) فى الأصل : « يكونان » .

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٧.

(٣) فى ا ٢، م، ص : « إن اليونان » .

(٤) فى ا ٢، م، ص : « هذا المعبد » .

لا يخرَبُ أبدًا ولا تخلُو منه العبادةُ ، وأنَّ هذه الدارَ إذا بُنِيتْ لا تخلُو مِن أن تكونَ دارَ المُلكِ والسَّلْطَنةِ . قلتُ : أمَّا المَعبَدُ فلم يَخْلُ مِن العبادةِ . قال كعبُ الأحبارِ[1] : لا يخلُو منها حتى تقومَ السَّاعةُ .

وأمّا دارُ الملكِ التى هى الخضراءُ فقد جدَّد بناءَها معاويةُ ، ثم أُحرِقت فى سنةِ إحدى وستِّينَ وأربعِمائةٍ - كما سنذكُره - فبادَتْ وصارَتْ مساكنَ ضعفاءِ الناسِ وأراذِلِهم فى الغالبِ إلى زمانِنا هذا ، وباللَّهِ المستعان .

والمقصودُ أنَّ اليونانَ استمَرُّوا على هذه الصِّفةِ التى ذكَرناها بدمشقَ مُدَدًا طويلةً ، تزيدُ على أربعةِ آلافِ سنةٍ ، حتى إنَّه يُقالُ[2] : إنَّ أوَّلَ مَن بنَى جُدْرانَ هذا المعبدِ الأربعةَ هودٌ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وقد كان هودٌ قبلَ إبراهيمَ الخليلِ بمُدَّةٍ طويلةٍ .

وقد ورَد إبراهيمُ الخليلُ ، عليه السلامُ ، [3]دِمشقَ ونزَل شماليَّها[3] عندَ بَرْزَةَ ، وقاتَل [١٤٥/٧ظ] هنالك قومًا مِن أعدائِه فظفِر بهم ، ونصَره اللَّهُ عليهم ، وكان مُقامُه لمقاتَلتِهم عندَ بَرْزَةَ . فهذا المكانُ المنسوبُ إليه بها منصوصٌ عليه فى الكُتُبِ المتقدِّمةِ يَأثِرُونَه كابرًا عن كابرٍ ، وإلى زمانِنا[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وكانت دمشقُ إذْ ذاكَ عامرةً آهِلةً بمَن فيها مِن اليونانِ وكانوا خَلْقًا لا يُحصِيهم إلّا اللَّهُ ؛ وهم خُصماءُ الخليلِ ، وقد ناظَرَهم الخليلُ فى عِبادتِهم الأصنامَ والكواكبَ وغيرَها فى غيرِ موضعٍ ، كما قرَّرْنا ذلك فى التفسيرِ[5] ، وفى قصةِ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٣٨ ، بنحوه .
(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٦٠ ، بنحوه .
(٣ - ٣) فى الأصل : « شمالى دمشق » .
(٤) انظر ما تقدم فى ١/٣٥٣.
(٥) التفسير ٣/ ٢٨٢.

إبراهيمَ الخليلِ ، عليه السلامُ ، مِن كتابِنا هذا « البدايةِ والنهايةِ »[1] ، وللَّهِ الحمدُ ، وباللَّهِ المستعانُ .

والمقصودُ أنَّ اليونانَ لم يزالوا يعمُرونَ دمشقَ ، ويبنُونَ فيها وفى معاملاتِها - مِن أرضِ حَوْرانَ والبِقاعِ وبعلَبكَّ وغيرِها - البناياتِ الهائلةَ الغريبةَ العجيبةَ ، حتى إذا كان بعدَ المسيحِ بمُدَّةٍ نحوٍ مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ تنصَّر أهلُ الشَّامِ على يدِ الملكِ قُسطَنطِينَ [2]بنِ قُسْطنطينَ[2] ، الذى بنَى المدينةَ المشهورةَ فى بلادِ الرومِ [3]التى تُنسبُ إليه[3] وهى القُسْطَنطِينيَّةُ ، وهو الذى وضَع لهم القوانينَ ، وقد كان أوَّلًا هو وقومُه وغالبُ أهلِ الأرضِ يونانًا ، ووضَعَتْ له بطاركةُ[4] النَّصارَى دِينًا مُخْتَرَعًا مُركَّبًا مِن أصلِ دينِ النَّصرانيَّةِ ، ممزوجًا بشىءٍ مِن عبادةِ الأوثانِ ، وصَلَّوا به إلى الشَّرقِ ، وزادوا فى الصِّيامِ ، وأحَلُّوا الخِنزيرَ ، وعلَّموا أولادَهم الأمانةَ الكبيرةَ ، فيما يزعُمونَ ، وإنَّما هى فى الحقيقةِ خِيانةٌ كبيرةٌ ، وجِنايةٌ كثيرةٌ حَقيرةٌ ، وهى مع ذلك فى الحَجْمِ صغيرةٌ [3]حَقيرةٌ نَقيرةٌ[3] ، وقد تكلَّمْنا على ذلك فيما سلَف وبيَّنّاه[5] . فبَنَى لهم هذا المَلِكُ ، الذى تُنسَبُ إليه الطائفةُ الملكيةُ مِن النَّصارَى ، كنائسَ كثيرةً[6] فى دمشقَ وفى غيرِها ، حتى يُقالَ : إنَّه بنَى [7]فى زمانِه[7] ثِنتَىْ عشْرةَ ألفَ كنيسةٍ ، وأوقَف عليها أوقافًا دارَّةً ، مِن ذلك كنيسةُ

---

(١) تقدم فى ١/ ٣٢٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « قسطين » .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، م، ص .

(٤) فى م : « بطاركته » .

(٥) انظر ما تقدم فى ٢/ ٥٣٣.

(٦) فى م : « كبيرة » .

(٧ - ٧) سقط من : م .

بيتِ لحمٍ، وقُمامةَ بالقُدسِ، بنَتْها أمُّه هَيْلانةُ الفندقانيةُ، وغيرُ ذلك.

والمقصودُ أنَّهم - يَعْنى النَّصارى - حوَّلُوا بناءَ هذا المعبدِ الذى هو بدمشقَ معظَّمًا عندَ اليونانِ، فجعَلُوه كنيسةً، [1]وبنَوْا له المذابحَ فى شرقيِّه، وسمَّوْه كنيسةَ مَرْيُحَنّا. ومنهم مَن يقولُ: كنيسةُ[1] يُوحنَّا. وبنَوْا بدمشقَ كنائسَ كثيرةً غيرَها مستأنفةً.

واستَمرَّ النَّصارَى على دينِهم هذا بدمشقَ وغيرِها نحوًا مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ، حتى بعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ، فكان مِن شأنِه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، ما ذكَرنا[2] بعضَه فى كتابِ السِّيرةِ، مِن هذا الكتابِ. وقد بعَث صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه إلى ملكِ الرومِ فى زمانِهِ - وهو قيصرُ ذلك الوقتِ - واسمُه هِرَقْلُ يدْعوه إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وكان مِن مراجعتِه ومخاطبتِه إلى أبى سفيانَ صخرِ بنِ حربٍ [٧/١٤٦و] ما تقدَّم[3].

ثم بعَث عليه السلامُ أمراءَه الثلاثةَ[4]؛ زيدَ بنَ حارثةَ مولاه، وجعفرَ بنَ أبى طالبٍ، وعبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ، إلى البلقاءِ مِن تُخومِ الشَّامِ، فبعَث الرومُ إليهم جيشًا كثيرًا فقتَلُوا هؤلاءِ الأمراءَ وجماعةً مِمَّن معهم مِن الجيشِ، فعزَم النبىُّ ﷺ على قتالِ الرومِ ودخولِ الشَّامِ عامَ تبوكَ[5]، ثم رجَع عليه السلامُ عامَه ذلك لشِدَّةِ الحرِّ، وضَعْفِ الحالِ، وضَيقِه على الناسِ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى ا ٢، م، ص: «تقدم».

(٣) تقدم فى ٦/ ٤٧٤.

(٤) تقدم فى ٦/ ٤١٢.

(٥) تقدم فى ٧/ ١٥٤.

ثمَّ لمَّا تُوفِّى [1] رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] بعَث الصدِّيقُ الجيوشَ إلى الشَّامِ ، [2] وإلى العراقِ - كما تقدَّم تفصيلُ ذلك [3] فى كتابِنا هذا [4] ، وللَّهِ الحمدُ [3] - ففتَح اللَّهُ على المسلمين الشامَ [2] بكمالِها ، ومِن ذلك مدينةُ دمشقَ بأعمالِها ، وقد بسَطْنا القولَ فى ذلك عندَ ذِكْرِ فَتْحِها [5] . فلمَّا استقرَّتِ اليدُ الإسلاميةُ عليها ، وأنزَل اللَّهُ رحمتَه فيها ، وساق بِرَّه إليها ، وكتَب أميرُ الحربِ إذْ ذاك ؛ وهو أبو عُبيدةَ - وقيل : خالدُ بنُ الوليدِ - لأهلِ دمشقَ كتابَ أمانٍ ، وأقَرُّوا أيدىَ النَّصارَى على أربعَ عشْرةَ كنيسةً ، وأخَذوا منهم نصفَ هذه الكنيسةِ التى كانوا يسمُّونها كنيسةَ مَرْيُحَنَّا ، بحكمِ أنَّ البلدَ فتَحه خالدٌ مِن البابِ الشرقىِّ بالسيفِ ، وأخَذَتِ النَّصارى الأمانَ مِن أبى عبيدةَ ، وكان على بابِ الجابيةِ الصلحُ ، فاختَلفوا ثم اتَّفَقوا على أن جعَلوا نصفَ البلدِ صُلحًا ونصفَه عَنْوةً ، فأخَذوا نصفَ هذه الكنيسةِ الشرقىَّ فجعَله أبو عبيدةَ مسجدًا - [6] وكان قد صارتْ إليه إمرةُ الشام ؛ لعزلِ عمرَ خالدًا وتوليةِ أبى عبيدةَ [6] - وكان أوَّلَ مَن صلَّى فى هذا المسجدِ أبو عبيدةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ثم الصحابةُ بعدَه فى البُقعةِ الشرقيَّةِ منه ؛ التى يقالُ لها : مِحرابُ الصَّحابةِ . ولكنْ لم يكنِ الجِدارُ مفتوحًا بمحرابٍ مَحنِىٍّ ، وإنَّما كانوا يُصلُّون عندَ هذه البُقعةِ المُباركةِ ، والظاهرُ أنَّ الوليدَ هو الذى فتَق المحاريبَ فى الجِدارِ القِبلىِّ [7] . وقد كرِه كثيرٌ مِن السلَفِ [8] الصلاةَ فى [8] مثلِ هذه المحاريبِ ،

(١ - ١) سقط من : ا ٢، م، ص.

(٢ - ٢) سقط من : م.

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، ص.

(٤) تقدم فى ٩/ ٤٢٠.

(٥) تقدم فى ٩/ ٥٧٧.

(٦ - ٦) فى ا ٢، م، ص : « يصلى فيه المسلمون » .

(٧) بعده فى م، ص زيادة وهى من زيادات الناسخ .

(٨ - ٨) سقط من : م، وفى الأصل : « فى » ، وفى ص : « الصلاة على » .

وجعَلوه مِن البدعِ المحدَثةِ ، وكان المسلمون والنصارى يدخُلون هذا المعبدَ مِن بابٍ واحدٍ ،وهو بابُ المعبدِ الأصليُّ[1] [2]الذى كان[2] مِن جهةِ القِبلةِ ، مكانَ المِحرابِ الكبيرِ الذى فى المَقصورةِ اليومَ ، فينصرِفُ النصارَى إلى جهةِ الغربِ إلى كنيستِهم ، ويأخُذُ المسلمون يَمْنَةً إلى مسجدِهم ، ولا يستطيعُ النصارى أن يجهَروا بقراءةِ كتابِهم ، ولا يضرِبوا بناقوسِهم ؛ إجلالًا للصّحابة ومهابةً وخوفًا .

وقد بنَى معاويةُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى أيامِ ولايتِه على الشامِ دارَ الإمارةِ قِبْلِيَّ المسجدِ الذى كان للصَّحابةِ ، [٧/١٤٦ظ] وبنَى فيها قُبَّةً خضْراءَ ، فعُرِفت الدارُ بكمالِها بها ، فسكَنها معاويةُ أربعين سنةً كما قدَّمنا[3] .

ثم لم يزَلِ الأمرُ على ما ذكرْنا مِن أمرِ هذه الكنيسةِ شَطرين بين المسلمين والنَّصارى ، مِن سنةِ أربعَ عشْرةَ إلى سنةِ ستٍّ وثمانين فى ذى القَعدةِ منها ، وقد صارتِ الخلافةُ إلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى شوَّالٍ منها ، فعزَم الوليدُ على أخْذِ بقيّةِ هذه الكنيسةِ ، وإضافتِها إلى ما بأيدى المسلمين منها ، وجَعْلِ الجميعِ مسجدًا واحدًا ؛ وذلك [4]لأن بعضَ المسلمين كان يتأذَّى بسماعِ[4] قراءةِ النَّصارَى الإنجيلَ ، ورفْعِ أصواتِهم فى صلواتِهم ، فأحبَّ أن يُبعِدَهم عن المسلمين ، وأن يُضيفَ ذلك المكانَ إلى هذا [5]فيكبُرَ به المسجدُ الجامعُ ، فطلَب[5] النَّصارى وسأَل منهم أن يخرُجوا له عن هذا المكانِ ، ويعوِّضَهم إقطاعاتٍ كثيرةً ، وعرَضها عليهم ، وأن يُقِرَّ لهم أربعَ كنائسَ لم تدخُلْ فى العهدِ ؛ وهى كنيسةُ مريمَ ،

---

(١) فى ا ٢، م، ص: «الأعلى».

(٢ - ٢) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٣) تقدم فى ١١/١٤٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «لتأذى بعض المسلمين».

(٥ - ٥) فى ا ٢، م، ص: «فيصير كله معبدا للمسلمين ويتسع المسجد لكثرة المسلمين، فعند ذلك طلب».

وكنيسةُ المُصلّبةِ داخلَ البابِ الشَّرقِيِّ ، وكنيسةُ تلِّ الجُبْنِ ، وكنيسةُ حُمَيْدِ بنِ درَّةَ التى بدربِ الصّقيلِ[1] ، فأبَوْا ذلك أشدَّ الإباءِ ، فقال : [2]ائتونا بعهدِكم . فأتَوْا بعهدِهم الذى بأيديهم مِن زمنِ الصحابةِ ، فقُرِئَ[2] بحضْرَةِ الوليدِ ؛ فإذا كنيسةُ تُومَا - التى كانت خارجَ بابِ تُوما عندَ[3] النَّهرِ - لم تدخُلْ فى العهدِ ، وكانتْ - فيما يُقالُ - أكبرَ مِن كنيسةِ مَرْيُحَنّا ، فقال الوليدُ : أنا أهدِمُها وأجعَلُها مسجدًا . فقالوا : بل يترُكُها أميرُ المؤمنين وما ذكَر مِن الكنائسِ ، ونحن نرضَى بأخذِ بقيَّةِ هذه الكنيسةِ ، فأقَرَّهم على تلك الكنائسِ ، وأخَذ منهم بقيَّةَ هذه الكنيسةِ . هذا قولٌ[4] .

ويُقالُ[5] : إنّ الوليدَ لمّا أهمّه ذلك ، وعرَض ما عرَض على النّصارى فأبَوْا مِن قَبولِه ، دخَل عليه بعضُ النّاسِ فأرشَده إلى أنْ يَقيسَ مِن بابِ الشرقِيِّ ومِن بابِ الجابيةِ ، فوجَد[6] منتصفَ ذلك عندَ سُوقِ الرَّيحانِ تقريبًا ؛ فإذا الكنيسةُ [7]المُنازِعُ فيها[7] قد دخَلت فى العَنْوةِ ، فأخَذها .

وحُكِى عن المُغيرةِ مَولى الوليدِ قال[8] : دخَلتُ على الوليدِ فوجَدْتُه مهمومًا ، فقلتُ : ما لكَ يا أميرَ المؤمنينَ مهمومًا ؟ فقال : إنّه قد كثُر المُسلِمون وقد ضاقَ

---

(١) فى ا ٢: «الصيقل» . وفى م : «الصقل» .

(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص : «ائتونى بعهودكم التى بأيدكم من زمن الصحابة فأتوا بها فقرئت» .

(٣) فى ا ٢، م، ص : «على حافة» .

(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٥٣.

(٥) تاريخ دمشق ٢/٢٥١ بنحوه .

(٦) بعده فى ا ٢، ص : «أن الكنيسة المذكورة قد دخلت فى العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا» . وفى م : «أن الكنيسة قد دخلت فى العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا» .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) تاريخ دمشق ٢/٢٥٥، ٢٥٦ بنحوه .

بهم المسجِدُ ، فأحضَرتُ النَّصارَى وبذَلتُ لهم الأموالَ فى بقيَّةِ هذه الكنيسةِ ؛ لأُضيفَها إلى المسجِدِ فيتَّسعَ على المسلمين فأبَوْا . فقال المغيرةُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، عندى ما يُزيلُ همَّك . قال : وما هو ؟ قلتُ : إنّ الصحابةَ لمّا أخَذوا دمشقَ دخَل خالدُ بنُ الوليدِ مِن بابِ الشرقىِّ بالسيفِ ، فلمَّا سمِع أهلُ البلدِ بذلك فزِعوا إلى أبى عُبيدةَ يطلُبون منه الأمانَ فآمَنهم ، وفتَحوا له بابَ الجابيةِ ، فدخَل مِنه أبو عُبيدةَ بالصُّلحِ ، فنحنُ نُماسِحُهم إلى أىِّ مَوْضعٍ بلَغ السيفُ أخَذْناه ، وما كان بالصُّلحِ تركْناه بأيدِيهم ، وأرجو أن تدخُلَ الكنيسةُ كلُّها فى العَنْوةِ ، فتدخُلَ فى المسجدِ . فقال الوليدُ : فرَّجتَ عنِّى ، فتوَلَّ أنت ذلك بنفسِك . فتولّاه المغيرةُ ومسَح مِن البابِ الشرقىِّ إلى نحوِ باب الجابيةِ إلى سوقِ الرَّيحانِ ؛ فوجَد السيفَ لم يزَلْ عَمَّالًا حتى جاوَزَ القَنْطرةَ الكبيرةَ بأربعةِ أذرُعٍ وكسْرٍ ، فدخَلَتِ الكنيسةُ فى المسجدِ . فأرسَل الوليدُ إلى النَّصارَى فأخبرَهم ، وقال : إنّ هذه الكنيسةَ كلَّها دخَلَتْ فى العَنْوَةِ فهى لنا دونَكم . فقالوا : إنَّك أوَّلًا دفَعْتَ إلينا الأموالَ ، وأقطَعتَنا الإقطاعاتِ فأبَيْنا ، فمِن إحسانِ أميرِ المؤمنين أن يُصالحَنا فيُبقِىَ لنا هذه الكنائسَ الأربعةَ بأيدينا ، ونحنُ نترُكُ له بقيَّةَ هذه الكنيسةِ . فصالَحهم على إبقاءِ هذه الأربعِ كَنائسَ بأيديهم . واللَّهُ أعلمُ .

وقيل[(١)] : إنّه عوَّضَهم منها كنيسةً عندَ حمَّامِ القاسمِ[(٢)] عند بابِ الفراديسِ[(٣)] ، فسمَّوْها مَرْيُحَنَّا باسمِ [(٤)]تلك الكنيسةِ التى أُخِذَتْ منهم[(٤)] ، وأخَذوا شاهِدَها فوضَعُوه فوقَ التى أخَذوها بدلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٥٢ بنحوه .

(٢) فى الأصل : « القسم » ، وفى ا ٢، ص : « السقيم » .

(٣) بعده فى ا ٢، م ، ص : « داخله » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « التى هدمت لهم » .

ثم أمَر الوليدُ بإحضارِ آلاتِ الهدمِ[1] ، واجتمَع إليه الأمراءُ والكُبراءُ [2]مِن رُؤساءِ الناسِ[2] ، وجاء إليه أساقِفةُ النَّصارَى وقساوستُهم[3] ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنا نجِدُ فى كتُبِنا أنّ مَن يَهدِمُ هذه الكنيسةَ يُجَنُّ . فقال : أنا أُحِبُّ أنْ أُجَنَّ فى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ووالله لا يهدِمُ فيها أحدٌ شيئًا قَبلى ، ثم صعِد المنارةَ الشرقيَّةَ [٧/١٤٧و] ذاتَ الأضالِعِ المعروفةِ بالسّاعاتِ ، وكانت صومعةً هائلةً[4] ، فيها راهبٌ معظَّمٌ عندَهم ، فأمَره الوليدُ بالنُّزولِ منها ، فأكبَر الراهبُ ذلك ، فأخَذ الوليدُ بقَفاهُ ، فلم يزَلْ يدفعُه حتى أحْدَره[5] منها ، ثم صعِد الوليدُ على أعلى مكانٍ فى الكنيسةِ ؛ فوقَ المَذبَحِ الأكبرِ منها الذى يُسمُّونه الشاهدَ ؛ [6]وهو تِمثالٌ فى أعلى الكنيسةِ ، فقال له الرهْبانُ : احذَرِ الشاهدَ . فقال : أنا أوّلُ ما أضَعُ فأْسِى فى رأسِ الشاهدِ . ثم كبَّر وضرَبه فهدَمه ، وكان على الوليدِ قَباءٌ[6] لونُه أصفرُ سَفَرْجَلىٌّ ، قد غرَز أذْيالَه فى المِنْطَقَةِ ، ثم أخَذ فأْسًا فى يدِه فضرَب بها فى أعلى حَجَرٍ فألقاه ، فتبادَر الأمراءُ إلى الهدمِ ، وكبَّر المسلمون ثلاثَ تكبيراتٍ ، وصرَخَتِ النصارى بالعَويلِ على دَرَجِ جَيْرُونَ ، وكانوا قد اجتمَعوا هنالك ، فأمَر الوليدُ أميرَ الشُّرْطةِ وهو [7]أبو ناتلٍ رَيَاحٌ[7] الغسَّانىُّ ، أن يضرِبَهم حتى يذهَبوا مِن

---

(١) انظر هذا السياق فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٢ - ٢) سقط من : ا٢ ، م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ا٢ ، ص : « قساقستهم » . وهما بمعنى .

(٤) فى الأصل، ا ٣: « فإذا » .

(٥) فى ا ٢، م، ص: « أنزله » .

(٦ - ٦) فى الأصل: « وأخذ أذيال قبائه وكان » .

(٧ - ٧) فى الأصل: « أبو ناثل رياح » . وفى م، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٠٢: « أبو نائل رياح » . وفى ص، وتاريخ دمشق: « أبو ناتل رباح » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) تحقيق صلاح الدين المنجد ٢/ ٢٣.

هُنالك ، ففعَل ذلك ، فهدَم الوليدُ والأمراءُ جميعَ ما جدَّده النَّصارَى فى تربيعِ هذا المكانِ[1] ؛ مِن المذابحِ والأبنيةِ والحَنايا ، حتى بقِى صَرْحةً مُربَّعةً ، ثم شرَع فى بنائِه بفكرةٍ جيِّدةٍ على هذه الصفةِ الحسَنةِ الأنيقةِ ، التى لم يُشتهَرْ مثلُها قبلَها على ما سنذكُره [2]ونُشيرُ إليه[2] .

وقد استعمَل الوليدُ فى بناءِ هذا المسجدِ خَلْقًا كثيرًا مِن الصنّاعِ والمُهندسين والفَعَلةِ ، وكان المستحِثَّ على عمارتِه أخوه ، ووليُّ عهدِه مِن بعدِه سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، ويقالُ[3] : إنّ الوليدَ بعَث إلى ملِكِ الرومِ يطلُبُ منه صُنّاعًا فى الرُّخامِ ، وغيرِ ذلك ؛ ليستعينَ بهم على عِمارةِ هذا المسجدِ على ما يُريدُ ، وأرسَل يتوعَّدُه ؛ لَئِن لم يفعَلْ ليغزُوَنَّ بلادَه بالجيوشِ ، وليُخرِّبَنَّ كلَّ كنيسةٍ فى بلادِه ، حتى كنيسةَ القُدسِ[4] ، وكنيسةَ الرُّها ، وسائرَ آثارِ الرومِ ، فبعَث ملكُ الرومِ إليه صُنّاعًا كثيرةً جدًّا ؛ مائتى صانعٍ ، وكتَب إليه يقولُ : إنْ كان أبوكَ[5] فُهِّم هذا الذى تصنَعُه وترَكه ، فإنّه لوصمةٌ عليك ، وإنْ لم يكُنْ فُهِّمه وفهِّمتَه[6] أنت ، فإنّه[7] لوصمةٌ عليه .

فلمّا وصَل ذلك الكتابُ[8] إلى الوليدِ أراد أنْ يُجيبَ عن ذلك ، واجتمَع

---

(١) فى ا ٢، م، ص : « المعبد » .
(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٥٨ بنحوه .
(٤) بعده فى ا ٢، م، ص : « وهى قمامة » .
(٥) فى الأصل : « أبوه » .
(٦) فى م : « فهمت » .
(٧) سقط من : م .
(٨) سقط من : ا ٢، م، ص .

الناسُ عندَه لذلك، وكان فيهم الفرزدقُ الشَّاعرُ، فقال: أنا أجيبُه يا أميرَ المؤمنين من كتابِ اللَّهِ تعالى. قال الوليدُ: وما هو ويحَك؟ فقال: قال اللَّه تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وسليمانُ هو ابنُ داودَ، ففهَّمه اللَّهُ ما لم يفهَمْه أبوه. فأعجَب ذلك الوليدَ، فأرسَل به جوابًا إلى مَلكِ الرومِ. وقد قال الفرزدقُ فى ذلك[1]:

فرَّقتَ بينَ النَّصارَى فى كَنائِسِهِمْ ... والعابِدِين معَ[2] الأسحارِ[3] والعَتَمِ[3]

[١٤٧/٧ظ] وهمْ[4] جميعًا إذا صَلَّوْا[4] وأوجُهُهُم ... شَتَّى إذا سَجَدُوا للَّهِ والصَّنَمِ

وكيفَ يجتمِعُ النّاقوسُ يَضْرِبُهُ ... أهْلُ الصَّليبِ معَ[5] القرّاءِ لم تَنَمِ

فُهِّمتَ تحويلَها عنهُمْ[6] كما فَهِما[7] ... إذ يَحْكُمانِ لهُمْ[5] فى الحَرْثِ والغَنَمِ

داوُدُ والمَلِكُ المَهْدِىُّ إذْ جَزَّا[8] ... أولادَها واجتزازُ الصوفِ بالجَلَمِ[9]

فهَّمكَ اللَّهُ تحويلًا لبَيْعتِهِمْ ... عن مسجدٍ فيه يُتْلَى طيِّبُ الكَلِمِ

مَا مِنْ أبٍ[10] حمَلتْهُ الأرضُ نعلَمُهُ[10] ... خيرٌ بنينَ ولا خيرٌ مِنَ الحكَمِ

---

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٧٦٨.

(٢) فى الأصل، ا ٢، ص: «من».

(٣ - ٣) فى ا ٢، ص: «فى الظلم».

(٤ - ٤) فى شرح الديوان: «معا فى مصلاهم».

(٥) فى الأصل، ا ٢، ص: «له».

(٦) فى الأصل، ا ٢، ص: «عنه».

(٧) فى الأصل: «فهمها».

(٨) فى الأصل: «جزوا»، وفى ا ٢، ص: «زجروا»، وفى مصدر التخريج «حكما».

(٩) فى ا ٢، ص: «بالحكم».
والجلم: ما يُجَزُّ به. الوسيط (ج ل م).

(١٠ - ١٠) فى الأصل، ا ٢، ص: «والد فى الناس يعلمه».

قال الحافظُ [1]عبدُ الرحمنِ[1] بنُ إبراهيمَ دُحَيْمٌ الدِّمَشْقىُّ[2] : بنَى الوليدُ ما كان داخِلَ حِيطانِ المسجِدِ ، وزادَ فى سَمكِ الحيطانِ .

وقال الحسنُ بنُ يَحْيَى الخُشَنِىُّ[3] : إنّ هودًا ، عليه السّلامُ ، هو الذى بنَى الحائطَ القِبلىَّ مِن مسجِدِ دِمشقَ .

وقال غيرُه[4] : لمّا أراد الوليدُ بِناءَ القُبَّةِ التى وسَطَ الرَّوَاقَاتِ - [5]وهى[5] قبَّةُ النَّسْرِ ، وهو اسمٌ حادثٌ لها ، [6]وكأنَّهم شَبَّهُوها[6] بالنَّسر فى شَكلِه ؛ لأنَّ الرَّوَاقَاتِ عَن يمينِها وشِمالِها كالأجْنِحةِ لها - حفروا لأركانِها ، حتى وصَلوا إلى الماءِ ، وشرِبوا مِنه ماءً عَذْبًا زُلالًا ، ثم إنَّهم وضَعوا فيه جِرارَ[7] الكَرْمِ ، وبنَوْا فوقَها بالحِجارةِ ، فلمّا ارتفَعتِ الأركانُ بنَوْا عليها القُبَّةَ فسقَطتْ ، فقال الوليدُ لبعضِ المهندسين : أُريدُ أنْ تبنِىَ لى أنت هذه القبَّةَ . فقال : على أنْ تُعطِيَنى عهدَ اللَّهِ وميثاقَه[8] أن لا يبنيَها أحدٌ غيرى . ففعَل ، فبنَى الأركانَ ثم غلَّفها بالبَوارِى[9] ، وغاب عنها سنةً كاملةً لا يَدرِى الوليدُ أين ذهَب ، فلمّا كان بعدَ السنةِ حضَر ، فهمَّ به الوليدُ ، فأخَذه ومعه رُءوسُ الناسِ ، فكشَف البَوارِى عن الأركانِ ؛ فإذا هى قد هبَطتْ بعد ارتفاعِها حتى ساوتِ الأرضَ ، فقال له : مِن هذا أُتيتَ . ثم

(١ - ١) فى ص : « عبد اللّه » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٩٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٠، من طريق عبد الرحمن به .

(٣) فى الأصل : « الحسينى » . وفى ا ٢، ص : « الحسنى » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٣٩.
والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٠، من طريق الحسن بن يحيى به .

(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٦٠ ، ٢٦١ بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ١/٢٦٣ ، ٢٦٤ بنحوه .

(٥ - ٥) فى الأصل : « التى يقال لها » .

(٦ - ٦) فى ص : « وكانوا سموها » .

(٧) فى ا ٢: « زبارة » . وفى م : « زيادة » .

(٨) بعده فى ا ٢، م ، ص : « على » .

(٩) البوارى : مفردها البارىّ ، وهو الحصير . الوسيط (ب و ر) .

بنَاها فانعقَدتْ .

وقال بعضُهم[1] : أراد الوليدُ أنْ يجعَلَ بَيْضَةَ القُبَّةِ مِن ذهبٍ خالصٍ ؛ ليُعظِّمَ بذلك شأنَ المسجِدِ[2] ، فقال له المِعمارُ : إنَّك لا تقدِرُ على ذلك . فضرَبه خمسين سَوْطًا ، وقال له : ويلك ، أنا [3]لا أقدِرُ على ذلك ، وتزعُمُ أنِّى أعجِزُ عنه ، وخَراجُ الأرضِ وأموالُها تُجبَى إلىّ[3] ؟ قال : نعم ، أنا أبيِّنُ لك ذلك . قال : فبيِّنْ ذلك . قال : اضرِبْ لبِنةً واحدةً مِن الذهبِ ، وقِسْ عليها ما تُريدُ هذه القُبَّةُ من ذلك . فأمَر الوليدُ ، فأُحضِر من الذهبِ ما [4]سُبِك به[4] لبنةٌ ؛ فإذا هى قد دخَلها ألوفٌ مِن الذهبِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنّا نريدُ [١٤٨/٧و] [5]مِن هذه[5] كَذا وكَذا ألفِ لبِنةٍ ، فإنْ كان عندَك ما يكفِى مِن ذلك عمِلناه . فلمّا تحقَّق الوليدُ صحةَ قولِه أطلَق له خمسين دينارًا[6] ، ثم عقَدها على ما أشار به المِعمارُ .

ولمّا سقَف الوليدُ الجامعَ جعَلوا سقْفَه جَمَلوناتٍ ، وباطنَها مُسطَّحًا مُقَرْنَصًا بالذَّهبِ ، فقال له بعضُ أهلِه[7] : أتعَبتَ الناسَ بعدَك فى [8]تطيينِ أسطِحةِ[8] هذا المسجدِ فى كلِّ عامٍ[9] . فأمَر الوليدُ أنْ يُجمَعَ ما فى بلادِه مِن الرصاصِ ؛ ليجعَلَه

---

(١) تاريخ دمشق ٢٦١/٢ ، ٢٦٢ بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٦٤/١ بنحوه .

(٢) فى ا ٢، م، ص : « هذا البناء » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أعجز عن ذلك » .

(٤ - ٤) فى ا ٢، م، ص : « ضرب منه » .

(٥ - ٥) فى ا ٢، م، ص : « مثل هذه اللبنة » .

(٦) بعده فى ا ٢، م، ص : « وقال : إنى لا أعجز كما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال فى غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة فى سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك » .

(٧) تاريخ دمشق ٢٦٣/٢ بنحوه .

(٨ - ٨) فى ا ٢، م، ص : « طين أسطحته لما يريد » .

(٩) بعده فى ا ٢، م، ص : « من الطين الكثير يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تقل لأجل العمل فى هذا المسجد فى كل عام » .

عِوضَ الطِّينِ، ويكونَ أخفَّ على السقوفِ، فجمِع مِن كلِّ ناحيةٍ مِن الشامِ، وغيرِه مِن الأقاليم، فعازوا، فإذا عندَ امرأةٍ مِنه قناطيرُ مقنطَرةٌ، فساوَموها فيه، [1]فأبَت أنْ تبيعَه[1] إلّا بوزنِه فِضَّةً، فكتَبوا إلى الوليدِ بذلك[2]، فقال: اشترُوه منها، ولو بوزنِه فضةً. فلمّا بذَلوا لها ذلك، قالتْ: أمَا إذا فعَلتُم[3] ذلك فهو صدَقةٌ للّهِ يكونُ فى سقفِ هذا المسجدِ. فكتَبوا على ألواحِها بطابعٍ: «للّه». ويُقالُ: إنّها كانت إسرائيليةً، وإنّه كتِب على الألواحِ التى أُخِذتْ منها: [4]هذا ما أعطته[4] الإسرائيليَّةُ.

وقال محمدُ بنُ عائذٍ[5]: سمِعتُ المشايخَ يقولون. ما تمَّ بناءُ مسجدِ دِمشقَ إلّا بأداءِ الأمانةِ، لقد كان يَفْضُلُ عندَ الرجلِ مِن القوَمةِ - يعنُون الفعَلةَ - الفأسُ ورأسُ المسمارِ، فيجيءُ[6] حتى يضعَه فى الخِزانةِ.

وقال بعضُ مشايخِ الدَّماشقةِ[7]: ليس فى الجامعِ مِن الرُّخامِ شيءٌ إلّا الرخامتانِ اللّتانِ فى المقامِ من عرشِ بِلقيسَ، والباقى كلُّه مَرْمَرٌ[8]. وقال بعضُهم[9]: اشترى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ العمودَين الأخضرَين اللّذين تحتَ النَّسْرِ،

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص: «فقالت لا أبيعه».
(٢) سقط من: ا ٢، م، ص.
(٣) فى ا ٢، م، ص: «قلتم».
(٤ - ٤) فى الأصل: «الذى أعطتهم».
(٥) مختصر تاريخ دمشق ١/ ٢٦٥.
(٦) فى ا ٢، م، ص: «فيأتى به».
(٧) تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٢٦٦
(٨) المرمر: صخر رخامى جيرى متحول يتركب من بلُورات الكلسيت، يستعمل للزينة فى البناء، ولصنع التماثيل ونحوها. الوسيط (م ر م ر).
(٩) مختصر تاريخ دمشق ١/ ٢٦٧.

من حربِ[1] بنِ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ بألفٍ وخمسِمائةِ دينارٍ.

وقال دُحَيْمٌ[2]، عن الوليدِ بنِ مُسلمٍ، ثنا مَروانُ بنُ[3] جَناحٍ، عن أبيهِ، قال: كان فى مسجدِ دمشقَ اثنا عشَرَ ألفَ مَرْخَمٍ.

وقال أبو قُصَيٍّ[4]، عن دُحَيْمٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، عن عمرِو بنِ مُهاجرٍ الأنصاريِّ: إنهم حسَبوا ما أنفَقه الوليدُ على الكَرْمَةِ التى فى قبلةِ[5] المسجدِ؛ فإذا هو سبعون ألفَ دينارٍ.

وقال أبو قُصيٍّ[6]: أنفِق فى مسجِدِ دمشقَ أربعُمائةِ صندوقٍ[7]، فى كلِّ صندوقٍ أربعةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ. وفى روايةٍ[8]: فى كُلِّ صندوقٍ ثمانيةٌ وعشرون ألفَ دينارٍ. قلت: فعلى الأوَّلِ يكونُ ذلك خمسةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وستَّمائةِ ألفِ دينارٍ، وعلى الثانى يكونُ المصروفُ فى عِمارةِ الجامعِ الأُمويِّ أحدَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ، ومائتى ألفِ دينارٍ[9]. واللَّهُ أعلمُ.

قال أبو قُصَيٍّ[10]: وأتى الحَرَسِيُّ[11] إلى الوليدِ [١٤٨/٧ظ] فقال: يا أميرَ

---

(١) فى ص: «حرن». وانظر مصدر التخريج.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/٢ من طريق دحيم به.
(٣) بعده فى ص: «الحجاج». وانظر تهذيب الكمال ٣٨٦/٢٧.
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٨/٢، من طريق أبى قصى به.
(٥) فى م: «قبلى».
(٦) تاريخ دمشق ٢٦٨/٢ بنحوه.
(٧) بعده فى ا ٢، م، ص: «من الذهب».
(٨) مختصر تاريخ دمشق ٢٦٦/١.
(٩) بعده فى ا ٢، م، ص: «وقيل: إنه صرف أكثر من ذلك بكثير».
(١٠) تاريخ دمشق ٢٦٩/٢ بنحوه.
(١١) فى ص: «خرشى».

المؤمنين، إنَّ الناسَ يقُولونَ: أنفَق [1]الوليدُ أموالَ بيتِ المالِ[1] فى غيرِ حقِّها. فنُودِى فى الناسِ: الصَّلاةَ جامعةً. فاجتَمَع الناسُ فصعِد الوليدُ المِنبرَ، وقال: إنَّه بلَغَنى عنكم [2]أنَّكم قلتُم: أنفَق الوليدُ بيوتَ الأموالِ فى غيرِ حقِّها[2]. ثم قال: يا عمرُو بنَ مهاجرٍ، قُمْ فأحضِرْ أموالَ بيتِ المالِ. فحُمِلتْ على البغالِ إلى الجامعِ، [3]وبُسِطتِ[3] الأنطاعُ تحتَ القُبَّةِ[4]، ثُم أُفرِغ عليها المالُ ذهَبًا صبيبًا، وفضَّةً خالصةً حتى صارتْ كومًا، حتى كان الرجلُ[5] لا يرَى الرجلَ مِن الجانبِ الآخرِ، وهذا شىءٌ كثيرٌ، ثُم جِىء بالقبّانين[6] فوُزِنتِ الأموالُ؛ فإذا هى تكفِى الناسَ ثلاثَ سنين مستقبَلةً - وفى روايةٍ[7]: سِتَّ عشْرةَ سنةً مستقبَلةً لو لم يدخُلْ للناسِ شىء بالكُلِّيةِ[8] - ففرِح الناسُ وكبَّرُوا، وحمِدُوا اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، على ذلك[9]، ثم قال الوليدُ: يا أهلَ دمشقَ، إنَّكم تفخَرون على الناسِ بأربعٍ؛ بهوائِكم، ومائِكم، وفاكهتِكم، وحمّاماتِكم؛ فأحبَبتُ أنْ أزيدَكم خامسةً، وهى هذا الجامعُ فاحمَدوا اللَّهَ تعالى. وانصرَفوا شاكرين داعين.

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص: «أمير المؤمنين بيوت الأموال».

(٢ - ٢) فى الأصل: «كذا وكذا».

(٣ - ٣) فى ا ٢، م، ص: «ثم بسط لها».

(٤) فى ا ٢، م، ص: «قبة النسر».

(٥) بعده فى ا ٢، م: «إذا قام من الجانب الواحد».

(٦) فى ا ٢: «بالقيانين»، وفى ص: «بالقبايين».

(٧) تاريخ دمشق ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

(٨) بعده فى ا ٢، م، ص: «فقال لهم الوليد: واللَّه ما أنفقت فى عمارة هذا المسجد درهما من بيوت المال، وإنما هذا كله من مالى».

(٩) بعده فى ا ٢، م، ص: «ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين، فقال لهم الوليد: يا أهل دمشق، واللَّه ما أنفقت فى بناء هذا المسجد شيئا من بيوت المال، وإنما هذا كله من مالى، لم أرزأكم من أموالكم شيئا».

وقال بعضُهم[1] : كان فى قبلةِ جامعِ دمشقَ ثلاثُ صفائحَ مُذَهَّبةٍ بلازَوَرْدَ[2] ، فى كلٍّ منها : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، ولا نعبُدُ إلَّا إيّاه ، ربُّنا اللَّهُ وحدَه ، ودينُنا الإسلامُ ، ونبيُّنا محمدٌ ﷺ . أمَر ببنيانِ هذا المسجِدِ ، وهَدْمِ الكنيسةِ التى كانتْ فيه ، عبدُ اللَّهِ أميرُ المؤمنين الوليدُ ، فى ذى القَعدةِ سنةَ سِتٍّ وثمانين . وفى صفيحةٍ أخرى رابعةٍ من تلك الصفائحِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٢- ٤] إلى آخرِ السورةِ ، ثم النازعاتِ ، ثم عبس ، ثم ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] .

قالوا[3] : ثم مُحِيتْ بعدَ[4] مَجِيءِ المأمونِ إلى دمشقَ . وذكَروا أنَّ أرضَه كانت مفضَّضةً[5] كلَّها ، وأنَّ الرخامَ كان فى جُدرانِه إلى قاماتٍ ، وفوقَ الرخامِ كَرْمةٌ عظيمةٌ مِن ذهَبٍ ، وفوقَ الكَرْمةِ الفصوصُ المذهَّبةُ والخُضْرُ والحُمْرُ والزُّرْقُ والبِيضُ ، قد صوَّروا بها سائرَ البلدانِ المشهورةِ ؛ الكعبةَ فوقَ المحرابِ ، وسائرَ الأقاليمِ يَمْنةً ويَسْرةً ، وصوَّروا ما فى البلدانِ مِن الأشجارِ الحسَنَةِ المثمِرةِ والمزهِرةِ ، وغيرِ ذلك ، وسقفُه مقرنَصٌ بالذَّهبِ ، والسَّلاسلُ المُعلَّقةُ فيه[5] جميعُها مِن ذهبٍ وفضَّةٍ ، وأنوارُ الشُّموعِ فى أماكنِه مفرقةٌ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠.

(٢) فى ص : « بلا زورذ » ، واللازورد : من الأحجار الكريمة لونها أزرق يستخدم فصوصًا للخواتم . المعجم الذهبى ص ٥٢٠.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٠.

(٤) فى مصدر التخريج : « قبل » . وانظر مروج الذهب ٣/ ١٥٨.

(٥) فى م : « فيها » .

قال[1] : وكان فى محرابِ الصحابةِ بَرنِيَّةٌ ؛ حجرٌ مِن بَلُّورٍ - ويقالُ : بل كانت حجرًا مِن جوهرٍ. وهى الدُّرَّةُ ، [١٤٩/٧و] وكانت تُسمَّى القُليلةَ[2] ، وكانت إذا طَفِئتِ القناديلُ تُضِىءُ لمَن هناك بنورِها ، فلمَّا كان زمنُ الأمينِ بنِ الرشيدِ - وكان يحِبُّ البَلُّورَ ، وقِيل : الجوهرَ - بعَث إلى سليمانَ والى شرطةِ دمشقَ أن يبعَثَ بها إليه ، فسرَقها ، [3]وسيَّرها إلى الأمينِ[3] ، فلمَّا ولِى المأمونُ ردَّها إلى دمشقَ ؛ ليُشنِّعَ بذلك على الأمينِ.

قال ابنُ عساكرَ[4] : ثم ذهَبتْ بعدَ ذلك فجُعِل مكانَها بَرنِيَّةٌ مِن زجاجٍ. قال : وقد رأيتُ تلك البَرْنِيَّةَ ثم انكسَرتْ بعدَ ذلك ، فلم يُجعَلْ مكانَها شىءٌ[5] . قالوا : وكانت الأبوابُ الشارعةُ مِن داخلِ الصَّحْنِ ليس عليها أغلاقٌ ، وإنَّما كان عليها الستورُ مُرخاةً ، وكذلك الستورُ على سائرِ جُدرانِه إلى حدِّ الكَرْمةِ[6] التى فوقَها الفصوصُ المذهَّبةُ ، ورُءوسُ الأعمدةِ مطلِيَّةٌ بالذهبِ الخالصِ الكثيرِ ، وعمِلوا له شُرُفاتٍ تحيطُ به ، وبنَى الوليدُ المنارةَ الشماليةَ التى يقالُ لها : مِئْذنةُ العروسِ . فأمَّا الشَّرقيةُ والغربيةُ فكانتا فيه قبلَ ذلك بدهورٍ متطاولةٍ ، وقد كان فى كلِّ زاويةٍ مِن هذا المعبَدِ صومعةٌ شاهقةٌ جدًّا ، بنَتْها اليونانُ للرَّصدِ ، ثم بعدَ ذلك سقَطَتِ الشماليتانِ وبقِيتِ القبليتان[7] إلى الآنَ ، وقد أُحرِق بعضُ الشرقيةِ بعدَ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩ بنحوه.

(٢) فى الأصل : « القبليتلة » .

(٣ - ٣) فى ٢١، م، ص : « الوالى خوفا من الناس وأرسلها إليه » .

(٤) تاريخ دمشق ٢/٢٧٩ بنحوه.

(٥) بعده فى ص زيادة وهى من زيادات الناسخ.

(٦) فى م : « الكومة » .

(٧) فى الأصل : « القليتان » .

الأربعين وسبعِمائةٍ ، فنقِضتْ وجدِّد بناؤها مِن أموالِ النَّصارَى ، حيثُ اتُّهِموا بحريقِها ، فقامتْ على أحسنِ الأشكالِ ، بيضاءَ بذاتِها وهى ، واللَّهُ أعلمُ ، [1]المنارةُ الشرقيةُ[1] التى ينزِلُ عليها عيسى ابنُ مريمَ فى آخرِ الزمانِ بعدَ خروجِ الدَّجّالِ ، كما ثبَت ذلك فى « صحيحِ مسلمٍ » ، عن النوّاسِ بنِ سمعانَ[2] .

[3]قلتُ : ثم أُحرِق أعلَى هذه المنارةِ وجدِّدتْ ، وكان أعلاها مِن خشبٍ فبنِيتْ بحجارةٍ كلُّها فى آخرِ السبعين وسبعِمائةٍ ، فصارتْ كلُّها مبنيةً بالحجارةِ[3] .

والمقصودُ أنَّ الجامعَ الأمويَّ لمّا كمَل بناؤُه لم يكُنْ على وجهِ الأرضِ بناءٌ أحسنَ منه ، ولا أبهَى ولا أجَلَّ منه ، بحيثُ إنَّه إذا نظَر الناظرُ إليه ، أو إلى أىِّ[4] جهـةٍ منه ، أو إلى أىِّ[4] بُقعةٍ ، أو مكانٍ منه ، تحيَّر فيما ينظُرُ إليه ؛ لحُسنِه جميعِه ، [5]ولا يمَلُّ ناظِرُه ، بل كلَّما أدمَن النظرَ ، بانتْ له أُعجوبةٌ ليستْ كالأخرَى[5] .

وكانتْ فيه طِلَّسماتٌ مِن أيامِ اليونانِ ، فلا يدخُلُ هذه البقعةَ شىءٌ مِن الحشَراتِ بالكليَّةِ ؛ لا مِن الحيَّاتِ ، ولا مِن العقاربِ ، ولا الخنافسِ ، ولا العناكيبِ ، ويقالُ : ولا العصافيرُ أيضًا تعشِّشُ فيه ، ولا الحَمامُ ، ولا شىءٌ مِمّا يتأذَّى به الناسُ .

(١ - ١) فى ا ٢: « الشرقية » ، وفى م : « الشرفة » .
(٢) صحيح مسلم (١١٠/ ٢٩٣٧) .
(٣ - ٣) سقط من : ا ٢.
(٤) سقط من : م .
(٥ - ٥) زيادة من : ا ٢، م ، ص .

وأكثرُ هذه الطِلَّسْماتِ أو كلُّها كانتْ مودعَةً فى سقفِ الجامعِ[1] ، مِمَّا يلِى السُّبْعَ ، فأحرِقتْ لمّا [2]وقَع فيه الحريقُ ، وكان ذلك[2] ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ بعدَ العصرِ ، سنةَ إحدَى وستين وأربعِمائةٍ ، فى دولةِ الفاطميِّين ، كما سيأتى ذلك فى موضعِه .

وقد كانتْ بدمشقَ طِلَّسْماتٌ وضَعتْها اليونانُ ، [٧/١٤٩ظ] بعضُها باقٍ إلى يومِنا هذا . واللَّهُ أعلمُ .

فمِن ذلك العمودُ الذى فى رأسِه مثلُ الكرةِ [3]بسوقِ الشعيرِ[3] عندَ قنطرةِ أمِّ حكيمٍ ، وهذا المكانُ يعرَفُ اليومَ بالعَلَبيين ، ذكَر مشايخُ دمشقَ أنَّه مِن وضْعِ اليونانِ لعُشْرِ بولِ الحيوانِ ، فإذا داروا بالحيوانِ حولَ هذا العمودِ ثلاثَ دوْراتٍ انطلَق بولُه[4] ، وذلك مجرَّبٌ عند[5] اليونانِ[6] .

وما زال سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يعمَلُ فى تكملةِ الجامعِ الأمويِّ بعدَ موتِ أخيه مدةَ ولايتِه ، وجدِّدتْ له فيه المقصورةُ ، فلمّا وَلِى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عزَم

---

(١) فى ا ٢، م : « هذا المعبد » .

(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص : « أحرق » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بسوق الشعر » ، وفى م : « فى سوق الشعير » . وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.

(٤) فى ا ٢، م : « باطنه فبال » .

(٥) فى ا ٢، م، ص : « من عهد » .

(٦) بعده فى م : « قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفونا جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب ، فراث وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعت أصوات المعذبين انطلق بولها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة ، فقد أخطأ خطأ فاحشا . وقيل : إن تحته كنزا وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم » .

على أن يجرِّدَ ما[1] فيه مِن الذَّهبِ ، ويقلَعَ السلاسلَ والرُّخامَ والفُسَيفساءَ[2] ، ويردَّ ذلك كلَّه إلى بيتِ المالِ ، [3]ويُطيِّنَه مكانَ ذلك كلِّه[3] ، فشقَّ ذلك على أهلِ البلدِ ، واجتمَع أشرافُهم إليه ، وقال خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ[4] : أنا أكلِّمُه لكم . [5]فلمّا اجتمَعوا قال خالدٌ[5] : يا أميرَ المؤمنين ، بلَغَنا [6]أنَّك تريدُ أن تصنَعَ[6] كذا وكذا . قال : نعم . فقال خالدٌ : ليس ذلك لك يا أميرَ المؤمنين . فقال عمرُ : ولِمَ يا ابنَ الكافرةِ ؟ وكانت أمُّه نصرانيَّةً روميَّةً أمَّ ولدٍ - فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن كانت كافرةً ، فقد ولَدتْ رجلًا مؤمنًا . فقال : صدَقتَ . واستحيَا عمرُ ، ثم قال له : فلِمَ قلتَ ذلك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، لأنَّ غالبَ ما فيه مِن الرُّخامِ إنَّما حمَله المسلمون مِن أموالِهم مِن سائرِ الأقاليمِ ، وليس هو لبيتِ المالِ . فأطرَق عمرُ ، رحِمه اللَّهُ .

قالوا[7] : واتَّفَق فى ذلك الزمانِ قُدومُ جماعةٍ مِن بلادِ الرومِ رسلًا مِن عندِ ملكِهم ، فلمّا دخَلوا مِن بابِ البريدِ ، وانتَهَوْا إلى البابِ الكبيرِ الذى تحتَ النَّسرِ ، ورأَوْا ما بهَر عقولَهم مِن حُسنِ ذلك الجامعِ الباهرِ ، والزخرفةِ التى لم يُسمَعْ بمثلِها صعِق كبيرُهم ، وخرَّ مغشيًّا عليه ، فحمَلوه إلى منزلِهم ، فبقِى أيامًا مدنِفًا ، فلما تماثَل ، سألوه عمّا عرَض له ، فقال : ما كنتُ أظنُّ أن يبنِىَ المسلمون مثلَ هذا البناءِ ، وكنتُ أعتقِدُ أن مدَّتَهم تكونُ أقصرَ مِن هذا . فلمّا بلَغ ذلك عمرَ بنَ

---

(١) فى م : « مما » .
(٢) فى الأصل ، ا ٢ : « السقوف » . وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.
(٣ - ٣) فى ا ٢، م، ص : « يجعل مكان ذلك كله طينا » .
(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٥.
(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، م .
(٦ - ٦) فى ا ٢، م : « عنك » .
(٧) تاريخ دمشق ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ بنحوه .

عبدِ العزيزِ قال : أوَ إنَّ (١ هذا لَغيظُ ١) الكفارِ ؟ دعوه .

وسألتِ النصارى[٢] فى أيامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن يعقِدَ لهم مجلسًا فى شأنِ ما كان أخَذه الوليدُ منهم - وكان عمرُ عادلًا ، فأراد أن يردَّ عليهم ما كان أخَذه الوليدُ منه - فأدخَله فى الجامعِ ، ثم حقَّق عمرُ القضيَّةَ ، ثم نظَر ؛ فإذا الكنائسُ التى هى خارجُ البلدِ لم تدخُلْ فى الصلحِ الذى كتَبه لهم الصحابةُ ؛ مثلَ كنيسةِ دَيرِ مُرّانَ[٣] ، وكنيسةِ الرّاهبِ ، وكنيسةِ توما ، خارجَ بابِ توما ، [٧/١٥٠و] وسائرِ الكنائسِ التى بقُرَى الحواضرِ[٤] ، فخيَّرهم بينَ ردِّ ما سألوه ، وتخريبِ هذه الكنائسِ كلِّها ، أو تبقَى تلك الكنائسُ ، ويَطِيبوا نفسًا للمسلمين بهذه البقعةِ ، فاتَّفَقتْ آراؤهم بعدَ ثلاثةِ أيامٍ على إبقاءِ تلك الكنائسِ ، ويكتُبُ لهم كتابَ أمانٍ بها ، ويَطِيبوا نفسًا بهذه البقعةِ ، فكتَب لهم كتابَ أمانٍ بها .

والمقصودُ أنَّ الجامعَ الأمويَّ كان حينَ تكامَل بناؤُه ليس له فى الدنيا نظيرٌ[٥] فى حسنِه وبهجتِه .

قال الفرزدقُ : أهلُ دمشقَ ، فى بلدِهم قصرٌ مِن قصورِ الجنةِ . يعنى به الجامعَ الأمويَّ .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحوارىِّ[٦] ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن ابنِ ثوبانَ : ما

(١ - ١) فى الأصل : « هذا ليغيظ » ، وفى م : « الغيظ أهلك » .

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٧٣ ، ٢٧٤ بنحوه .

(٣) بعده فى ا ٢ : « بسفح قاسيون وهى بقرية المعظمية » ، وفى م : « بسفح قاسيون وهى التربة المعظمة » .

(٤) فى ا ٢ : « الحواظر » ، وفى م : « الحواجز » .

(٥) فى ا ٢ ، م : « مثيل » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٢/٢٤٦ ، من طريق أحمد بن أبى الحوارى به .

ينبغى[1] أن يكونَ أحدٌ[2] أشدَّ شوقًا إلى الجنةِ مِن أهلِ دمشقَ ؛ لِما يرَون مِن حسنِ مسجدِها .

قالوا[3] : ولمّا دخَل المهدىُّ[2] - أميرُ المؤمنين العباسىُّ[2] - دمشقَ يريدُ زيارةَ [4]بيتِ المقدسِ[4] ، نظَر إلى جامعِ دمشقَ ، فقال لكاتبِه أبى عبيدِ اللَّهِ الأشعرىِّ : سبَقنا بنو أميةَ بثلاثٍ ؛ بهذا المسجدِ ، لا أعلَمُ على وجهِ الأرضِ مثلَه ، وبنُبلِ[5] الموالى ، وبعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، لا يكونُ واللَّهِ فينا مثلُه أبدًا . ثم لمّا أتَى بيتَ المقدسِ ، فنظَر إلى الصخرةِ - وكان [6]عبدُ الملكِ بنُ مروانَ هو الذى[6] بناها - قال لكاتبِه : وهذه رابعةٌ .

ولمّا دخَل المأمونُ دمشقَ ، فنظَر إلى جامعِها ، وكان معه أخوه المعتصمُ ، وقاضيه يحيى بنُ أكثمَ ، قال[7] : ما أعجَبُ ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهابُ التى فيه . وقال يحيى بنُ أكثمَ : هذا[2] الرخامُ ، وهذه العُقَدُ . فقال المأمونُ[8] : إنما أعجَبُ مِن [9]حُسنِ بُنيانِه[9] على غيرِ مثالٍ متقدِّمٍ . ثم قال المأمونُ لقاسمِ

---

(١) فى ا ٢: «لأحد على وجه الأرض» ، وبعده فى م : «لأحد من أهل الأرض» .

(٢) سقط من : ا ٢، م .

(٣) تاريخ دمشق ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ بنحوه .

(٤ - ٤) فى ا ٢، م : «زيارة القدس» .

(٥) فى ا ٢: «نبيل» .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ٢: «الوليد بن عبد الملك» . وفى حاشية ا ٢: «عبد الملك بن مروان هو الذى بناها والله أعلم» .

(٧) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٧.

(٨) بعده فى ا ٢، م : «إنى» .

(٩ - ٩) فى الأصل : «بنائه» .

التَّمّارِ: أخبِرْنى باسمِ حسنٍ أسمِّى به جاريتى هذه. فقال: سمِّها مسجدَ دمشقَ؛ فإنَّه أحسنُ شىءٍ.

وقال عبدُ الرحمنِ، (١بنُ عبدِ اللَّهِ١) بنِ عبدِ الحكمِ، عن الشافعىِّ قال(٢): عجائبُ الدنيا خمسةٌ؛ أحدُها منارتُكم هذه - يعنى منارةَ ذى القرنين التى بإسكندريةَ - والثانيةُ أصحابُ الرقيمِ؛ وهم بالرومِ اثنا عشَرَ رجلًا، (٣أو ثلاثةَ عشَرَ رجلًا٣)، والثالثةُ مرآةٌ ببابِ(٤) الأندلسِ على بابِ مدينتِها، يجلِسُ الرجلُ تحتَها، فينظُرُ فيها صاحبَه مِن مسافةِ مائةِ فرسخٍ(٥)، والرابعُ مسجِدُ دمشقَ، وما يوصَفُ مِن الإنفاقِ عليه، والخامسُ الرخامُ والفسيفساءُ؛ فإنَّه لا يُدرى لهما(٦) موضعٌ، ويقالُ: إن الرخامَ معجونٌ، والدليلُ على ذلك أنَّه يذوبُ على(٧) النارِ.

[٧/١٥٠ظ] قال ابنُ عساكرَ(٨): وذكَر إبراهيمُ بنُ أبى الليثِ الكاتبُ - وكان قدِم دمشقَ سنةَ اثنتين وثلاثين وأربعِمائةٍ - فى رسالةٍ له قال: ثم أمِرنا بالانتقالِ (٣إلى البلدِ٣)، فانتقَلتُ منه إلى بلدٍ تمَّتْ محاسنُه، ووافَق ظاهرَه باطنُه، أزقَّتُه

(١ - ١) سقط من الأصل، وفى ا ٢، م: «عن». والمثبت من مصدر التخريج الآتى. وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢١٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨، من طريق عبد الرحمن به.

(٣ - ٣) سقط من: ا ٢، م.

(٤) فى الأصل: «بنات».

(٥) بعده فى ا ٢، م، ص: «وقيل: ينظر من بالقسطنطينية».

(٦) فى الأصل: «له»، وفى ا ٢، م: «لها». والمثبت من مصدر التخريج.

(٧) فى الأصل: «فى».

(٨) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٨.

أرِجةٌ، وشوارعُه فَرِجةٌ، فحيثُ ما شئت[1] شمَمتَ طيبًا، وأين سعَيتَ رأيتَ منظرًا عجيبًا، و[2]أفضَيتُ إلى جامعِه، فشاهَدتُ منه ما ليس فى استطاعةِ الواصفِ أن يصِفَه، ولا الرّائى أن يعرِفَه، وجملتُه أنَّه بِكْرُ[3] الدَّهرِ، ونادِرةُ الوقتِ، وأعجوبةُ الزمانِ، وغريبةُ الأوقاتِ، ولقد أثبَت اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، به ذكْرًا يُدرَسُ، وخلَّف به أمرًا لا يخفَى ولا يدَرُسُ.

قال ابنُ عساكرَ[4]: وأنشَدنى بعضُ [5]أهلِ الأدبِ لبعضِ[5] المحدِّثين فى جامعِ دمشقَ، عمَّره اللَّهُ بذكرِه[6]:

دمشقُ قد شاعَ حسنُ جامعِها ... وماحوَتْه رُبَى مرابعِها
بديعةُ الحسنِ فى الكمالِ لِما ... يُدْرِكُه الطرفُ مِن بدائعِها
طيِّبةٌ أرضُها مباركةٌ ... باليُمنِ والسعدِ أخْذُ طالعِها
جامِعُها جامِعُ المحاسنِ قد ... فاقَتْ به المدْنَ فى جوامعِها
بَنِيَّةٌ بالإتقانِ قد وضِعتْ ... لا ضيَّع اللَّهُ سعىَ واضعِها
تذكَرُ فى فضلِهِ ورِفْعتِه ... أخبارُ[7] صدْقٍ راقَتْ لسامعِها
قد كان قبلَ الحريقِ مَدهشةً ... [8]فغيَّرتْه نارٌ[8] بلافِعِها[9]

---

(١) فى م: «مشيت».
(٢) بعده فى ا ٢، م: «إن».
(٣) فى م: «كنز».
(٤) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ٣٨، ٣٩.
(٥ - ٥) سقط من: ا ٢، م.
(٦) بعده فى ا ٢، م: «وفى دمشق فقال».
(٧) فى ا ٢، م: «آثار».
(٨ - ٨) فى م: «فغيرت ناره».
(٩) فى الأصل، م، ص: «بلاقعها»، وفى ٢١: «بدائعها». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر عيون التواريخ أحداث سنة ٨٦.

فأذهَبتْ بالحريقِ بهجتَه ... فليس يُرجَى إيابُ[1] راجعِها

إذا تفكَّرتَ فى الفصوصِ وما ... فيها تيقَّنتَ حِذْقَ راصعِها[2]

أشجارُها لا تزالُ مثمِرةً ... لا تذهَبُ[3] الريحُ مِن مدافعِها

كأنَّها مِن زمرُّدٍ غرِستْ ... فى أرضِ تِبرٍ تغشَى بفاقعِها[4]

فيها ثمارٌ تخالُها يَنَعتْ ... وليس يُخشَى فسادُ يانعِها

تُقطَفُ باللَّحظِ لا بجارحةِ الْـ ... ـأيدى ولا تُجتَنى[5] لبائعِها

وتحتَها مِن رخامِهِ قِطعٌ ... لا قطَّع اللَّهُ كفَّ قاطعِها

أحكَم ترخيمَها المرخِّمُ قد ... بانَ عليها إحكامُ صانعِها

[١٥١/٧و] وإن تفكَّرتَ فى قناطرِه ... وسقفِه بان حِذقُ رافعِها[6]

وإن تبيَّنْتَ حُسنَ قُبَّتِه ... تحيَّر اللبُّ فى أضالِعها

تخترِقُ الريحُ فى مخارمِها[7] ... عصفًا فتقوَى على زعازعِها

[8]وأرضُه بالرخامِ قد فرِشتْ ... ينْفسِحُ الطرفُ فى مواضعِها[8]

مجالسُ العلمِ فيه مُتْقَنةٌ[9] ... ينشرِحُ الصدرُ فى مجامعِها

---

(١) فى الأصل: «آيات».

(٢) فى الأصل، ا ٢: «واضعها».

(٣) فى ا ٢، م: «ترهب».

(٤) فى ا ٢: «نفافعها»، وفى م: «بنافعها».

(٥) فى الأصل: «تخشى». وانظر تاريخ دمشق ٣١٣/١ (مخطوط).

(٦) فى الأصل: «صانعها».

(٧) فى ا ٢، م، ص: «منافذها».

(٨ - ٨) سقط من: الأصل، ا ٢، ص.

(٩) فى النسخ: «مؤنقة». والمثبت من تاريخ دمشق.

وكلُّ بابٍ عليه مَطْهَرةٌ ... قد أمِن الناسُ دفعَ مانعِها
يرتفِقُ الخلقُ[1] مِن مرافقِها ... ولا يُصَدُّون عن منافعِها
ولا تزالُ المياهُ جاريةً ... فيها لِما شُقَّ مِن مشارعِها
وسوقُها لا تزالُ آهِلةً ... يزدحِمُ الناسُ فى شوارعِها
لِما يشاءون مِن فواكِهها ... وما يريدون مِن بضائعِها
كأنَّها جنَّةٌ معجَّلةٌ ... فى الأرضِ لولا سُرَى[2] فجائعِها
دامَتْ برغمِ العِدَى مسلَّمةً ... وحاطَها اللَّهُ مِن قوارعِها

فصـــلٌ: فيما رُوِى فى جامعِ دمشقَ من الآثارِ، وما ورَد فى فضلِه مِن الأخبارِ عن جماعةٍ مِن السادةِ الأخيارِ

رُوِى عن قتادةَ أنَّه قال فى قولِه تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ قال[3]: هو مسجدُ دمشقَ. ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ قال: هو مسجدُ بيتِ المقدسِ. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ حيثُ كلَّم اللَّهُ موسىَ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ وهو مكةُ.

[4]ونقَل عثمانُ بنُ أبى العاتِكةِ، عن أهلِ العلمِ، أنَّهم قالوا فى قولِه تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ هو مسجدُ دِمشقَ[4]. رواه ابنُ عساكرَ[3].

---

(١) فى ا ٢، م، ص: «الناس».
(٢) فى الأصل، ا ٢، م: «مسرى».
(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٧.
(٤ - ٤) سقط من: م.

وقال صفوانُ بنُ صالحٍ[1] ، عن عبدِ الخالقِ بنِ زيدِ بنِ واقدٍ ، عن أبيه ، عن عطيةَ بنِ قيسٍ الكِلابيِّ ، قال : قال كعبُ الأحبارِ : ليُبْنيَنَّ فى دمشقَ مسجدٌ يبقَى بعدَ خرابِ الدنيا أربعين عامًا .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[2] ، عن عثمانَ بنِ أبى العاتِكَةِ ، عن عليِّ بنِ يزيدَ[3] ، عن القاسمِ أبى[4] عبدِ الرحمنِ ، قال : أوحَى اللَّهُ تعالى إلى جبلِ قاسِيُونَ أنْ هَبْ ظِلَّكَ وبركتَكَ إلى جبلِ بيتِ المقدسِ . قال : ففعَل . فأوحَى اللَّهُ إليه : أمَا إذ فعَلتَ فإنِّى سأبنى لى فى حضنِك[5] بيتًا أُعبَدُ فيه بعدَ خرابِ الدنيا أربعين عامًا ، ولا تذهَبُ الأيامُ والليالى حتى أرُدَّ عليك ظِلَّكَ وبركتَكَ . قال : فهو عندَ اللَّهِ بمنزلةِ المؤمنِ الضعيفِ المتضرِّعِ .

وقال دُحَيمٌ[6] : حيطانُ المسجدِ الأربعةُ من بناءِ هودٍ ، عليه السلامُ ، [١٥١/٧ظ] وما كان من الفُسيفِساءِ إلى فوقَ فهو من بناءِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك - يعنى أنَّه رفَع الجِدارَ فعَلَّاه من حدِّ الرخامِ والكرمةِ إلى فوقَ . وقال غيرُه[7] : إنما بنَى هودٌ الجِدارَ القبليَّ فقطْ .

وقال أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الفرجِ ، المعروفُ بابنِ البِرَامِيِّ[8] ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٨/٢ ، من طريق صفوان بن صالح به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣٩/٢ من طريق الوليد بن مسلم به .

(٣) فى م : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٧٨.

(٤) فى مصدر التخريج : « بن » . وهو القاسم بن عبد الرحمن الشامى أبو عبد الرحمن الدمشقى . انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٨٣.

(٥) فى ا ٢، ص : « حظنك » . وفى م : « خطتك » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٩.

(٧) تاريخ دمشق ٢٦٠/٢ بنحوه .

(٨) فى تاريخ دمشق : « البرانى » . وانظر تكملة الإكمال ٤٩١/١ .

الدِّمشقيُّ[1] : ثنا إبراهيمُ بنُ مروانَ ، سمِعتُ أحمدَ بنَ إبراهيمَ بنِ مُلّاسٍ يقولُ : سمِعتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يحيى بنِ إسماعيلَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى المهاجرِ ، قال : كان خارجَ بابِ الساعاتِ صخرةٌ يوضَعُ عليها القُربانُ ، فما تُقُبِّل منه جاءتْ نارٌ فأكَلتْه ، وما لم يُتَقبَّلْ منه بقِى على حالِهِ .

قلتُ : وهذه الصخرةُ نُقِلتْ إلى داخلِ بابِ الساعاتِ ، وهى موجودةٌ إلى الآنَ ، وبعضُ العامةِ يزعُمُ أنها الصخرةُ التى وضَع عليها ابنا آدمَ قربانَهما ، فتُقُبِّل مِن أحدِهما ، ولم يُتَقبَّلْ من الآخرِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال هشامُ بنُ عمّارٍ[2] : ثنا الحسنُ بنُ يحيى الخُشَنِيُّ[3] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ليلةَ أُسرِى به ، صلَّى فى موضعِ مسجدِ دمشقَ . قال ابنُ عساكرَ : وهذا منقطعٌ . قلتُ : ومنكَرٌ جدًّا ، ولا يثبُتُ أيضًا لا من هذا الوجهِ ، ولا من غيرِه .

وقال أبو بكرٍ البِرَامىُّ[4] : حدَّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ المغيرةِ المقرئُ ، حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، أنَّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ تقدَّم إلى القُوَّامِ ليلةً مِن الليالى فقال : إنى أريدُ أن أصلِّىَ الليلةَ فى المسجدِ ، فلا تترُكوا [5]فيه أحدًا حتى أصلِّىَ الليلةَ[5] . ثم إنَّه أتَى بابَ الساعاتِ ، فاستفتَح البابَ ففتِح له ، فإذا رجلٌ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨، من طريق أبى بكر أحمد بن عبد اللَّه بن الفرج به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٨، من طريق هشام بن عمار به .

(٣) فى ا ٢: «الحسن»، وفى م، ص: «الحسنى» . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٣٩.

(٤) الخبر فى تاريخ دمشق ١/٣٠٣ (مخطوط)، ٢/٢٤٤ ، ٢٤٥. وفى سندهما خلط كبير . والسند كما أورده المصنف هو الصواب ، وانظر تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ١٣.

(٥ - ٥) فى ا ٢، م، ص: «أحدا يصلى الليلة فى المسجد فقال له بعضهم: يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلى فى المسجد كل ليلة . وفى رواية ؛ أنه قال لهم: لا تتركوا أحدًا يدخله» .

قائمٌ بين بابِ الساعاتِ ، وبابِ الخضراءِ الذى يلى المقصورةَ يُصلِّى ، وهو أقرَبُ إلى بابِ الخضراءِ منه إلى بابِ الساعاتِ ، فقال[1] للقُوَّامِ : ألم آمُرْكم أن لا تترُكوا أحدًا الليلةَ يصلِّى فى المسجِدِ ؟ فقال له بعضُهم : يا أميرَ المؤمنين ، هذا الخَضِرُ ، عليه السلامُ ، يصلِّى كلَّ ليلةٍ فى المسجِدِ . فى إسنادِ هذه الحكايةِ وصحَّتِها نظرٌ ، ولا يثبُتُ بمثلِها وجودُ الخَضِرِ بالكليَّةِ ، ولا صلاتُه فى هذا المكانِ المذكورِ . واللَّهُ أعلَمُ .

وقدِ اشتُهِر فى الأعصارِ المتأخِّرةِ أن الزاويةَ القِبليَّةَ عند بابِ المِئذنةِ الغربيةِ تُسمَّى زاويةَ الخَضِرِ ، وما أدرِى ما سببُ ذلك ، والذى ثبَت بالتواترِ صلاةُ الصحابةِ فيه[2] ، وأولُ مَن صلَّى فيه إمامًا أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ ، وهو أميرُ الأمراءِ بالشامِ ، وأحدُ العشَرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ ، وأمينُ هذه الأمةِ ، وصلَّى فيه خلقٌ من الصحابةِ[3] ، لكنْ قبلَ أن يغيِّرَه الوليدُ إلى هذه الصفةِ ، فأمَّا بعدَ أنْ غيِّر إلى هذا الشكلِ فلم يرَه أحدٌ من الصحابةِ [١٥٢/٧و] كذلكَ إلا أنسُ بنُ مالكٍ ؛ فإنَّه ورَد دمشقَ سنةَ ثنتين وتسعين ، وهو يبنِى [4]فى هذا الجامعِ[4] ، فصلَّى فيه أنسٌ وراءَ[5] الوليدِ ، وأنكَر أنسٌ على الوليدِ تأخيرَ الصلاةِ إلى آخرِ وقتِها ، كما قدَّمنا ذلك فى ترجمةِ أنسٍ ، عند ذكْرِ وفاتِه سنةَ ثلاثٍ وتسعين[6] .

وسيصلِّى فيه عيسى ابنُ مريمَ[7] إذا نزَل فى آخرِ الزمانِ ، إذا خرَج الدَّجّالُ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : « الوليد » .

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص : « وكفى بذلك شرفا له ولغيره من المساجد التى صلوا فيها » .

(٣) بعده فى ا٢، م، ص : « مثل معاذ بن جبل وغيره » .

(٤ - ٤) فى ا٢، م، ص : « فيه الوليد » .

(٥) فى م : « ورأى » .

(٦) تقدم فى ص ٤٤٦.

(٧) تقدم فى ٩/ ٣٠٤، من حديث النواس بن سمعان عند مسلم . وأخرجه أحمد ٤/ ١٨١، ١٨٢، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذى (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، كلهم من حديث النواس أيضا .

وعمَّتِ البلوَى به ، وانحصَر الناسُ منه بدمشقَ ، فينزِلُ مسيحُ الهُدَى فيقتُلُ مسيحَ الضلالةِ ، ويكونُ نزولُه على المنارةِ الشرقيةِ بدمشقَ وقتَ صلاةِ الفجرِ[1] ، فيأتى وقد أُقيمتِ الصلاةُ ، فيقولُ له إمامُ الناسِ : تقدَّمْ يا رُوحَ اللَّهِ . فيقولُ : إنَّما أُقيمتْ لكَ ، فيصلِّى عيسى تلكَ الصلاةَ خلفَ رجلٍ مِن هذه الأُمةِ . يقالُ : إنَّه المهدىُّ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثم يخرُجُ عيسى بالناسِ فيدرِكُ الدجَّالَ عندَ عَقبةِ أَفِيقَ ، وقِيل : ببابِ لُدٍّ . فيقتُلُه بيدِه هنالكَ . وقد ذكَرنا ذلك مبسوطًا عندَ قولِه تعالى[2] : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء : ١٥٩] . وفى الصحيحِ[3] عن النبىِّ ﷺ : « والذى نفسى بيدِه لينزِلنَّ فيكم ابنُ مريمَ حَكَما مُقسِطًا ، وإمامًا عادِلًا ، فيكسِرُ الصليبَ ، ويقتُلُ الخنزيرَ ، ويضَعُ الجزيةَ ، ولا يقبَلُ إلا الإسلامَ » .

والمقصودُ أنَّ عيسى ، عليه السلامُ ، ينزِلُ ، والبلدُ[4] محصَّنٌ من الدجّالِ ، ويكونُ نزولُه على المنارةِ الشرقيةِ بدمشقَ - وهى هذه المنارةُ المبنيةُ فى زمانِنا من أموالِ النصارَى ؛ [5]حيثُ أحرَقُوها فجدِّدتْ من أموالِهم[5] - ثم يكونُ نزولُ عيسى حتفًا لهم ، وهلاكًا ودمارًا عليهم ، ينزِلُ بين مَلَكين واضعًا يدَيْه على

---

(١) بعض حديث طويل أخرجه أحمد ٤/ ٢١٦، ٢١٧، والطبرانى فى الكبير ٩/ ٥١، ٥٢ (٨٣٩٢) ، والحاكم ٤/ ٤٧٨، كلهم من حديث عثمان بن أبى العاص، بنحوه .

قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٤٢: رواه أحمد والطبرانى وفيه على بن زيد وفيه ضعف وقد وثق، وبقية رجالهما رجال الصحيح .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٤٠٦ - ٤١٨.

(٣) رواه مسلم من طرق عن أبى هريرة (٢٤٢، ٢٤٣/ ١٥٥) بدون ذكر : « ولا يقبل إلا الإسلام » .

(٤) بعده فى ا ٢، م، ص : « محصور » .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، م، ص .

مناكِبِهما ، وعليه مَهرُودَتان[1] - وفى روايةٍ[2] : ممصَّرتان[3] - يقطُرُ رأسُه ماءً ، كأنَّما خرَج من دِيماسٍ[4] ، وذلك وقتَ الفجرِ ، فينزِلُ مِن المنارةِ وقد أقيمَتِ الصلاةُ ، وهذا إنَّما يكونُ فى المسجدِ الأعظمِ بدمشقَ ، وهو هذا الجامعُ .

وما وقَع فى « صحيحِ مسلمٍ » مِن روايةِ النوّاسِ بنِ سِمْعانَ الكِلابىِّ[5] : « فينزِلُ على المنارةِ البيضاءِ شرقىَّ دمشقَ » . كأنَّه - واللَّهُ أعلمُ - مروىٌّ بالمعنى بحسَبِ ما فهِمه الراوى ، وإنَّما هو ينزِلُ على المنارةِ الشرقيةِ بدمشقَ ، وقد أخبِرتُ ، ولم أقِفْ عليه إلى الآنَ أنَّه كذلك ، فى بعضِ ألفاظِ هذا الحديثِ ، فى بعضِ المصنَّفاتِ ، واللَّهُ المسئولُ المأمولُ أن يوفِّقَنى ، فيُوقِفَنى على هذه اللفظةِ .

وليس فى البلدِ منارةٌ تعرَفُ بالشرقيةِ سوى هذه ، وهى بيضاءُ بنفسِها ، ولا يعرَفُ فى بلادِ الشامِ منارةٌ أحسنُ منها ، ولا أبهَى ولا أعلى منها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ[6] .

---

(١) المهرودتان ، روى بالدال المهملة والذال المعجمة ، والمهملة أكثر ، والوجهان مشهوران ، وأكثر ما يقع فى النسخ بالمهملة ، كما هو المشهور ، ومعناه : لابس مهرودتين أى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران . وقيل : هما شقتان . والشقة : نصف الملاءة . مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦٧.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٤) ، وأحمد ٢/ ٤٠٦، ٤٣٧.

(٣) الممصرة من الثياب : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة . تاج العروس (م ص ر) .

(٤) الديماس : الحمَّامُ . الوسيط (د م س) .

(٥) تقدم فى ٩/ ٣٠٤.

(٦) بعده فى ص زيادة من زيادات الناسخ .

[١٥٢/٧ظ] الكلامُ على ما يتعلَّقُ برأسِ يحيى بنِ زكريا، عليهما السلامُ

وروَى ابنُ عساكرَ، عن زيدِ بنِ واقدٍ، قال[١]: وكَّلَنى الوليدُ على العمّالِ فى بناءِ جامعِ دمشقَ، فوجَدنا فيه مغارةً، فعرَّفنا الوليدَ ذلك، فلمَّا كان الليلُ وافانا وبينَ يدَيه الشمعُ، فنزَل فإذا هى كنيسةٌ لطيفةٌ، ثلاثةُ أَذرُعٍ فى ثلاثةِ أَذرُعٍ، وإذا فيها صندوقٌ، ففتَح الصندوقَ فإذا فيه سَفَطٌ، وفى السَّفَطِ رأسُ يحيى بنِ زكريا، عليهما السلامُ، مكتوبٌ عليه: هذا رأسُ يحيى بنِ زكريا. فأمَر به الوليدُ فرُدَّ إلى المكانِ[٢]، وقال: اجعَلوا العمودَ الذى فوقَه مُغيَّرًا مِن بينِ الأعمدةِ. فجُعِل عليه عمودٌ مُسَفَّطُ الرأسِ.

وفى روايةٍ، عن زيدِ بنِ واقدٍ[٣]: أن ذلك الموضعَ كان تحتَ رُكنٍ مِن أركانِ القبَّةِ - يعنى قبلَ أن تُبنَى - قال: وكان على الرأسِ شعْرٌ وبَشَرٌ.

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن زيدِ بنِ واقدٍ قال[٤]: حضَرتُ رأسَ يحيى بنِ زكريا، وقد أُخرِج مِن اللِّيطةِ[٥] القبليةِ الشرقيةِ التى عندَ مجلسِ بُجَيْلةَ، فوُضِع تحتَ عمودِ السِّبْطِ[٦] السَّكاسكِ[٧].

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٠، ٢٤١، من طريق زيد بن واقد به.

(٢) فى ا ٢، م، ص: «مكانه».

(٣) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٤١، من طريق زيد بن واقد به بنحوه.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/٢٤٢، من طريق زيد بن واقد به.

(٥) فى ص: «الميطة»، والليطة: هى كل شىء له صلابة ومتانة. الوسيط (ل ى ط).

(٦) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج.

(٧) فى ا ٢، ص: «السكاسكة»، وفى م: «الكاسة»، وانظر معجم البلدان ٣/ ١٠٥، والقاموس المحيط (س ك ك).

قال الأوزاعىُّ ، والوليدُ بنُ مسلمٍ[1] : هو العمودُ الرابعُ المُسَقَّطُ .

وروَى أبو بكرِ بنُ البِرَامىِّ ، عن أحمدَ بنِ أنسِ بنِ مالكٍ ، عن حبيبِ المؤذِّنِ ، عن أبى زيادٍ[2] ، وأبى أميَّةَ الشَّعْبانيَّين ، عن سفيانَ الثورىِّ ، أنَّه قال[3] : صلاةٌ فى مسجدِ دمشقَ بثلاثين ألفَ صلاةٍ . وهذا غريبٌ جدًّا .

وروَى ابنُ عساكرَ[4] ، مِن طريقِ أبى مُسْهِرٍ ، عن المنذرِ بنِ نافعٍ - مولى أمِّ عمرٍو بنتِ مروانَ - عن أبيه - وفى روايةٍ : عن رجلٍ قد سمَّاه - أنَّ واثلةَ بنَ الأسقعِ خرَج مِن بابِ المسجدِ الذى يلِى بابَ جَيْرونَ ، فلَقِيه كعبُ الأحبارِ ، فقال : أين تريدُ ؟ قال واثلةُ : أريدُ بيتَ المقدسِ . فقال : تعالَ حتى[5] أُرِيَك موضِعًا فى هذا[5] المسجدِ مَن صلَّى فيه فكأنَّما صلَّى فى بيتِ المقدسِ . فذهَب به فأَراه ما بينَ البابِ الأصفرِ الذى يخرُجُ منه الوالى[6] إلى الحَنيَّةِ - يعنى القنطرةَ الغربيةَ - فقال : مَن صلَّى فيما بينَ هذين فكأنَّما[7] صلَّى فى بيتِ المقدسِ . فقال واثلةُ : إنَّه لمَجلِسى ومجلسُ قومى . قال كعبٌ : هو ذاك . وهذا أيضًا غريبٌ جدًّا ، ومنكَرٌ ، ولايُعتَمَدُ على مثلِه .

وعن الوليدِ بنِ مسلمٍ قال[8] : لمَّا أمَر الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ببناءِ مسجدِ دمشقَ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٤١ ، ٢٤٢.

(٢) فى الأصل : « زكريا » .

(٣) أخرجه بنحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، من طريق أبى بكر بن البرامى به .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٥، من طريق أبى مسهر به .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى ا ٢، م ، ص : « يعنى الخليفة » .

(٧) سقط من : ا ٢، ص . وفى الأصل : « فقد » .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ٨ ، ٩.

وجَدوا فى حائطِ المسجدِ القبلىِّ لَوحًا مِن حَجَرٍ فيه كتابٌ نَقْشٌ ، فأتَوا[1] به[2] الوليدَ ، فبعَث إلى الرومِ فلم يستخرِجوه ، ثم بعَث إلى [3]العِبرانيين ، فلم يستخرِجوه[3] ، [4]ثم بعَث إلى[4] [5]مَن كان[5] بدمشقَ مِن بقيةِ الأشبانِ[6] ، فلم يستخرِجوه ، فدُلَّ على وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ [١٥٣/٧و] فبعَث إليه ، فلمَّا قدِم عليه أخبَرَه بموضعِ ذلك اللَّوحِ ، فوجَدوه فى ذلك الحائطِ - ويقالُ : إن ذلك الحائطَ بناه هودٌ ، عليه السلامُ - فلمَّا نظَر إليه وهبٌ حرَّك رأسَه وقرَأه فإذا هو :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، ابنَ آدمَ ، لو رأيتَ يسيرَ ما بقِى مِن أجلِك ، لزهَدتَ فى طولِ ما ترجو مِن أملِك ، وإنَّما تلْقَى ندمَك لو قد زلَّتْ بك قدمُك ، وأسلَمك أهلُك وحَشَمُك ، وانصرَف عنك الحبيبُ ، [7]ووَدَّعك[7] القريبُ ، ثم صرْتَ تُدعَى فلا تُجيبُ ، فلا أنت إلى أهلِك عائدٌ ، ولا فى[8] عملِك زائدٌ ، فاعمَلْ لنفسِك قبلَ يومِ القيامةِ ، وقبلَ الحسرةِ والندامةِ ، قبلَ أن يحُلَّ بك أجلُك ، وتُنزَعَ منك روحُك ، فلا ينفَعُك مالٌ جمَعتَه ، ولا ولدٌ ولَدتَه ، ولا أخٌ ترَكتَه ، ثم تصيرُ إلى برزَخِ الثرَى ، ومجاورةِ الموتى[9] ، فاغتَنِم الحياةَ قبلَ الموتِ ، والقوةَ قبلَ الضَّعفِ ، والصحةَ قبلَ السَّقَمِ ، قبلَ أن تؤخَذَ بالكَظَمِ ، ويُحالَ بينَك وبينَ

---

(١) فى م : « فبعثوا » .
(٢) بعده فى م : « إلى » .
(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٥ - ٥) فى الأصل : « مكان » .
(٦) فى م : « الأسبان » . وانظر مصدر التخريج .
(٧ - ٧) فى ا ٢، م، ص : « أسلمك الصاحب و » .
(٨) فى الأصل، م، ص : « إلى » .
(٩) فى مصدر التخريج : « المولى » .

العملِ. وكُتِب فى زمانِ [1]سليمانَ بنِ[1] داودَ، عليهما السلامُ.

وقال ابنُ عساكرَ[2]: قرَأتُ على أبى محمدٍ السلمىِّ، عن عبدِ العزيزِ التميمىِّ، أنبأنا تمامٌ الرازىُّ، أنبأنا ابنُ البِرَامىِّ، سمِعتُ أبا مروانَ عبدَ الرحيمِ[3] ابنَ عمرَ المازنىَّ، يقولُ: لمَّا كان فى أيامِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ وبنائِه المسجدَ احتَفَروا فيه مَوضِعًا، فوجَدوا بابًا مِن حجارةٍ مغلَقًا، فلم يفتَحوه، وأعلَموا به الوليدَ، فخرَج [4]مِن دارِه[4] حتى وقَف عليه، وفُتِح بينَ يدَيه، فإذا داخِلُه مغارةٌ فيها تمثالُ إنسانٍ مِن حجارةٍ على فرسٍ مِن حجارةٍ، فى يدِ التمثالِ الواحدةِ الدُّرَّةُ التى كانت فى المحرابِ، ويدُه الأخرى مقبوضةٌ، فأمَر بها فكُسِرتْ، فإذا فيها حَبَّتان؛ حبةُ قمحٍ وحبةُ شعيرٍ، فسأل عن ذلك فقيل له: لو ترَكْتَ الكفَّ لم تكسِرْها، لم يُسوِّسْ فى هذا البلدِ قمحٌ ولا شعيرٌ.

وقال الحافظُ أحمدُ[5] الورّاقُ[6]، وكان قد عُمِّر مائةَ سنةٍ: سمِعتُ بعضَ الشيوخِ يقولُ: لمَّا دخَل المسلمون دمشقَ، وجَدوا على العمودِ الذى على المِقْسِلَّاطِ - على السَّفُّودِ الحديدِ الذى فى أعلَاه - صنمًا مادًّا يدَه بكَفٍّ مُطْبَقَةٍ، فكسَروه، فإذا فى يدِه حبَّةُ قمحٍ، فسأَلوا عن ذلك، فقيل لهم: هذه الحبةُ القمحِ جعَلها حكماءُ اليونانِ فى كَفِّ هذا الصنَمِ طِلَّسْمًا، حتى لا يسوِّسَ القمحُ[7]،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩.

(٣) فى م: «الرحمن».

(٤ - ٤) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٥) فى الأصل، ا ٢: «أبو أحمد»، وفى م، ص: «أبو حمدان»، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩.

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩.

(٧) بعده فى م: «فى هذه البلاد».

ولو أقام سنينَ كثيرةً .

قال ابنُ عساكرَ[1] : وقد رأَيتُ أنا[2] هذا السَّفُّودَ على قناطرِ كنيسةِ المِقْسِلَّاطِ ، [3]فلمّا هُدِمتِ القناطرُ ذهَب . قلتُ : كنيسةُ المِقْسِلّاطِ[3] كانتْ مبنيةً فوقَ القناطرِ التى [٧/١٥٣ظ] فى السوقِ الكبيرِ ، عندَ الصابونيِّين والعطَّارين اليومَ ، وعندَها اجتَمَعتْ جيوشُ الإسلامِ يومَ فتْحِ دمشقَ ، دخَل أبو عبيدةَ مِن بابِ الجابيـةِ ، وخالدٌ مِن البابِ الشرقيِّ ، ويزيدُ بنُ أبى سفيانَ مِن بابِ الجابيةِ الصغيرِ ، [4]كما قدَّمنا[5] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ[4] .

وقال عبدُ العزيزِ التميميُّ[6] ، عن أبى نصرٍ عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَنيِّ[7] : سمِعتُ جماعةً مِن شيوخِ أهلِ دمشقَ يقولون : إنَّ فى سقفِ مسجدِ[8] الجامعِ طَلاسمَ عمِلها الحكماءُ فى السقفِ مِمَّا يلى الحائطَ القبليَّ ، فيها طَلاسمُ للصَّنونياتِ ، لا تدخُلُه ولا تعشِّشُ فيه مِن جهةِ الأوساخِ التى تكونُ منها ، ولا يدخُلُه غرابٌ ، وطِلَّسْمٌ للفأْرِ والحيَّاتِ والعقاربِ - [9]ما أبصَر[9] الناسُ مِن هذا شيئًا إلّا الفأرَ ، ويوشَكُ[10] أن يكونَ قد عُدِم طِلَّسْمُها - وطِلَّسْمٌ للعنكبوتِ[11]

---

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٨٠ بنحوه .

(٢) بعده فى م : « فى » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، م، ص .

(٥) تقدم فى ٩/٥٧٨.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١، من طريق عبد العزيز التميمى به .

(٧) فى ا ٢، م : « المرى » ، وفى ص : « المزى » ، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.

(٨) سقط من : ا ٢، م، ص .

(٩ - ٩) فى ا ٢، م، ص : « فما رأى » .

(١٠) فى م، ص : « يشك » .

(١١) بعده فى ا ٢، م، ص : « حتى » .

لا ينسِجُ[1] فى زَواياه، فيركَبُه الغبارُ والوسَخُ.

قال الحافظ ابنُ عساكرَ[2]: وسمِعتُ جَدِّى أبا الفضلِ، يحيى بنَ علىٍّ القاضىَ[3]، يذكُرُ أنَّه أدرَك فى الجامعِ قبلَ حريقِه طِلَّسْماتٍ لسائرِ الحشَراتِ، معلَّقةً فى السقفِ فوقَ البطائنِ مِمَّا يلى السُّبْعَ، وأنَّه لم يَكُنْ يوجَدُ فى الجامعِ شىءٌ مِن الحشَراتِ قبلَ الحريقِ، فلمَّا احترَقتِ الطِّلَّسْماتُ[4] وُجِدتْ. وكان حريقُ الجامعِ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ بعدَ العصرِ سنةَ إحدَى وستين وأربعِمائةٍ.

وقد كانتْ بدمشقَ طِلَّسْماتٌ كثيرةٌ، ولم يبقَ منها سوى العمودِ الذى بسوقِ العلبيِّين اليومَ[3] الذى فى أعلَاه مثلُ الكرةِ العظيمةِ، وهو لعُسْرِ بولِ الدوابِّ، إذا دارُوا بالدَّابَّةِ حولَه ثلاثَ مراتٍ انطلَق[5].

وقد كان شيخُنا [6]العلامةُ أبو العباسِ[6] ابنُ تيميةَ، رحِمه اللَّهُ، يقولُ: إنَّما هذا قَبْرُ[7] مشركٍ مُتَمرِّدٍ[8] مدفونٍ هنالك يعذَّبُ، فإذا سمِعتِ الدابةُ صياحَه فزِعتْ فانطلَق[9] طَبْعُها. قال: ولهذا يذهَبون بالدوابِّ إلى مقابرِ اليهودِ والنصارى إذا مَغِلَتْ[10] فينطلِقُ طباعُها وتروثُ، وما ذاك إلَّا لأنَّها تسمَعُ أصواتَهم وهم يعذَّبون. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص: «فيه و».
(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨١.
(٣) سقط من: ا ٢، م، ص.
(٤) بعده فى ا ٢، م، ص: «حين أحرق».
(٥) بعده فى ا ٢، م، ص: «باطنها».
(٦ - ٦) سقط من: م.
(٧) فى الأصل، ا ٢، ص: «من كير».
(٨) فى م: «مفرد»، وفى ص: «مترد».
(٩) بعده فى ا ٢، م، ص: «باطنها و».
(١٠) المغل: المغص يأخذ الدوابّ.

ذكرُ الساعاتِ التى على بابِه

قال القاضى عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ زَبْرٍ[1] : إنَّما سُمِّى بابُ الجامعِ القبلىُّ بابَ الساعاتِ ؛ لأنَّه عُمِل هناك بِرْكارُ[2] الساعاتِ ؛ يُعلَمُ[3] بها كلُّ ساعةٍ تَمضِى مِن النهارِ ، عليها عصافيرُ مِن نُحاسٍ ، وحيَّةٌ مِن نُحاسٍ ، وغرابٌ ، فإذا تمَّتِ الساعةُ خرَجتِ الحيةُ فصفَّرتِ العصافيرُ ، وصاح الغرابُ ، وسقَطت حَصاةٌ فى الطَّستِ ؛ فيعلَمُ الناسُ أنَّه قد ذهَب مِن النهارِ ساعةٌ ، وكذلك فى سائرِها .

قلتُ : هذا يَحتَملُ أحدَ [١٥٤/٧و] شيئَين ؛ إمّا أنَّ[4] الساعاتِ كانت فى البابِ القبلىِّ مِن الجامعِ ، وهو الذى يُسمَّى[5] بابَ الزيادةِ ، ولكن قد قيل : إنَّه محدَثٌ بعدَ بناءِ الجامعِ ، ولا يَنفِى ذلك أن الساعاتِ كانت عندَه فى زمنِ القاضى ابنِ زَبْرٍ . وإمَّا أنَّه قد كان فى الجانبِ الشرقىِّ مِن الجامعِ ، فى حائطِه القبلىِّ بابٌ آخرُ فى مُحاذاةِ[6] بابِ الزيادةِ ، وعنده الساعاتُ ، ثم نُقِلت بعدَ هذا كلِّه إلى بابِ الورَّاقين اليومَ ؛ وهو بابُ الجامعِ مِن الشرقِ . واللَّهُ أعلمُ[7] .

قلتُ : فأمَّا القبةُ التى فى وسطِ صَحْنِ الجامعِ التى فيها الماءُ الجارِى ، وتقولُ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٠.

(٢) فى النسخ : « بلكار » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٠.
وبركار : آلة مركبة من ساقين متصلتين ، تثبت إحداهما وتدور حولها الأخرى .

(٣) فى ا ٢، م ، ص : « كان يعلم » .

(٤) بعده فى ا ٢، م ، ص : « تكون » .

(٥) بعده فى ا ٢، ص : « اليوم » .

(٦) فى ا ٢، م ، ص : « محاكاة » .

(٧) بعده فى م ، ص : « قلت : باب الوراقين قبلى أيضًا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع ، والله أعلم ، أو لمجاورته للجامع ولبابه » .

العامةُ لها : قبةُ أبى نُواسٍ . فكان بناؤُها فى سنةِ تسعٍ وستين وثلاثِمائةٍ ، أرَّخ ذلك ابنُ عساكرَ عن خطِّ بعضِ الدَّماشقةِ . وأمَّا القبةُ الغربيةُ العاليةُ التى فى صَحْنِ الجامعِ ، التى يقالُ لها : قبةُ عائشةَ . فسمِعتُ شيخَنا الذهبىَّ يقولُ : إنَّها إنما بُنيت فى حدودِ سنةِ ستين[1] ومائةٍ ، فى أيامِ المهدىِّ بنِ المنصورِ العباسىِّ ، وجعَلوها لحواصلِ الجامعِ وكُتُبِ أوقافِه . وأمَّا القبةُ الشَّرقيةُ التى على بابِ مَشْهَدِ[2] علىٍّ فيقالُ : إنَّها بُنيت فى زمنِ الحاكمِ[3] العُبَيدىِّ فى حدودِ سنةِ أربعِمائةٍ[4] .

وأمَّا الفوَّارةُ التى تحتَ دُرْجِ جَيْرونَ ، فعمِلها الشَّريفُ فَخْرُ الدولةِ أبو يَعْلَى[5] حمزةُ بنُ الحسنِ بنِ العباسِ الحُسَينىُّ[6] ، وكأنَّه كان ناظرَ الجامعِ ، وجَرَّ إليها قطعةً مِن حَجَرٍ كبيرٍ مِن قصرِ حجّاجٍ ، وأجرَى فيها[7] الماءَ ليلةَ الجُمُعةِ لسبعِ ليالٍ خَلَوْن مِن ربيعِ الأوَّلِ سنةَ سبعَ عشْرَةَ وأربعِمائةٍ ، وعُمِلت حولَها قناطرُ ، وعُقِد عليها قبَّةٌ ، ثم سقَطتِ القبةُ بسببِ جِمالٍ تحاكَّت عندَها وازدَحمت ، وذلك فى صفرٍ سنةَ سبعٍ وخمسين وأربعِمائةٍ ، فأعيدَت ، ثم سقَطت أعمدتُها وما عليها مِن حريقِ اللبَّادين [8]ودارِ[8] الحجارةِ فى شوالِ سنةَ اثنتَين وستين وخمسِمائةٍ . ذكَر ذلك كلَّه الحافظُ ابنُ عساكرَ .

قلتُ : وأمَّا القَصْعةُ التى كانت فى الفوَّارةِ ، فما زالت وسطَها ، وقد أدرَكتُها

---

(١) فى الأصل : « ست » ، وفى ص : « ست سنين » .
(٢) فى ا ٢، م ، ص : « مسجد » .
(٣) فى ا ٢: « الحكم » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٣.
(٤) فى ا ٢، م ، ص : « أربع ومائة » .
(٥) فى ا ٢، م ، ص : « على » . وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ١٨٤.
(٦) فى ا ٢، م ، ص : « الحسنى » . وانظر المصدر السابق .
(٧) فى م : « منها » .
(٨ - ٨) سقط من : ا ٢، م ، ص .

كذلك ، ثم رُفِعت بعدَ ذلك .

وكان بطَهَّارةِ جَيْرونَ قَصْعةٌ أخرَى مثلُها ، فلم تزَلْ بها ، [1]ثم لمَّا[1] انهدَمتِ اللَّبَّادين بسببِ حريقِ النصارى فى سنةِ إحدى وأربعين وسبعِمائةٍ ، استُؤْنِف بناءُ الطَّهَّارةِ على وَجْهٍ آخرَ أحسنَ مِمَّا كانت ، وذهَبت تلك القَصْعةُ فلم يبقَ لها أثرٌ ، ثم عُمِل الشَّاذِرْوانُ الذى هو[2] شرقىَّ فوَّارةِ جَيْرونَ ، بعدَ الخمسِمائةِ ، أظُنُّه سنةَ أربعَ عشْرَةَ وخمسِمائةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكْرُ ابتداءِ أمْرِ السَّبْعِ بالجامعِ الأمويِّ

قال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[3] : ثنا أبو عامرٍ[4] موسى بنُ عامرٍ المُرِّىُّ ، ثنا الوليدُ - هو ابنُ مسلمٍ - [١٥٤/٧ظ] قال : قال أبو عمرٍو الأوزاعىُّ ، عن حسَّانَ ابنِ عطيةَ ، قال : الدِّراسةُ مُحدَثةٌ أحدَثها هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومىُّ ، فى قَدْمتِه[5] على عبدِ الملكِ ، فحجَبه عبدُ الملكِ فجلَس بعدَ الصبحِ فى مسجدِ دمشقَ ، فسمِع قراءةً ، فقال : ما هذا ؟ فأُخبِر أن عبدَ الملكِ يقرَأُ فى الخضراءِ ، فقَرَأ هشامُ بنُ إسماعيلَ فجعَل عبدُ الملكِ يقرَأُ بقراءةِ هشامٍ ، فقرَأ بقراءتِه مَوْلًى له ، فاستَحسَن ذلك مَن يليه مِن أهلِ المسجدِ ، فقرَءُوا بقراءتِه .

وقال هشامُ بنُ عمّارٍ خطيبُ دمشقَ[6] : ثنا أيوبُ بنُ حسَّانَ ، ثنا الأوزاعىُّ ،

(١ - ١) فى ا ٢، م، ص: «إلى أن».

(٢) سقط من: ا ٢، م، ص.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٢، من طريق أبى بكر بن أبى داود به.

(٤) فى الأصل، ا ٢، ص: «عياش»، وفى م: «عباس». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٨٧.

(٥) بعده فى ا ٢، م، ص: «قدمها».

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣، من طريق هشام بن عمار به.

ثنا خالدُ بنُ دِهْقانَ ، قال : أولُ مَن أحدَث القراءةَ فى مسجدِ دمشقَ هشامُ بنُ إسماعيلَ بنِ هشامِ بنِ المغيرةِ المخزوميُّ ، وأولُ مَن أحدَث القراءةَ بفِلَسطينَ الوليدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ الجُرَشيُّ .

قلتُ : هشامُ بنُ إسماعيلَ هذا كان نائبًا على المدينةِ النبويةِ ، وهو الذى ضرَب سعيدَ بنَ المسيَّبِ لمَّا امتنع مِن البيعةِ للوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، قبلَ أن يموتَ أبوه ، ثم عزَله عنها الوليدُ ، وولَّى عليها[1] عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، كما ذكَرنا .

وقد حضَر هذا السُّبْعَ جماعاتٌ مِن ساداتِ السلَفِ مِن التَّابعين بدمشقَ[2] ؛ منهم هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزوميُّ ، ومولَاه رافعٌ ، وإسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى المهاجرِ - وكان مُكْتِبًا لأولادِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وقد ولِى إمرةَ إفريقيةَ لهشامِ ابنِ عبدِ الملكِ - وابناه عبدُ الرحمنِ ومروانُ .

وحضَره مِن القضاةِ أبو إدريسَ [3]عائذُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ[3] الخَوْلانيُّ ، ونُمَيرُ بنُ أوسٍ الأشعريُّ ، ويزيدُ بنُ أبى مالكٍ الهَمْدانيُّ ، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُحاربيُّ[4] ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ لبيدٍ الأسَديُّ .

ومِن الفقهاءِ والمحدِّثين والحفَّاظِ المقرِئين ، أبو عبدِ الرحمنِ القاسمُ بنُ عبدِ الرحمنِ مولَى آلِ[5] معاويةَ ، ومكحولٌ ، وسليمانُ بنُ موسى الأشدقُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ العلَاءِ بنِ زَبْرٍ ، وأبو إدريسَ الأصغرُ عبدُ الرحمنِ بنُ عِرَاكٍ[6] ،

---

(١) فى الأصل : « بعده » .

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣.

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، م، ص، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٠.

(٤) فى الأصل : « البخارى » ، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣.

(٥) سقط من : م .

(٦) فى مصدر التخريج : « عوال » . وانظر تاريخ دمشق ١٠/ ٥٢ (مخطوط) ، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية - المجلدة الثانية - القسم الأول) ص ٤٩.

وعبدُ الرحمنِ بنُ عامرٍ اليَحْصُبيُّ - أخو عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ - ويحيى بنُ الحارثِ الذِّمَارِيُّ[1] ، وعبدُ الملكِ بنُ النُّعمانِ المُزَنيُّ[2] ، وأنسُ بنُ أُنَيسٍ[3] العُذْرِيُّ ، وسليمانُ بنُ بَزِيعٍ القارئُ ، وسليمانُ بنُ داودَ الخُشَنيُّ ، ونمرانُ[4] - أو هَزَّانُ - بنُ حكيمٍ القُرَشيُّ ، ومحمدُ بنُ خالدِ بنِ أبى ظَبْيانَ الأَزْدِيُّ ، ويزيدُ بنُ عبيدةَ بنِ أبى المهاجرِ ، وعيّاشُ[5] بنُ دينارٍ ، وغيرُهم . هكذا أورَدهم ابنُ عساكرَ[6] . قال : وقد روِى عن بعضِهم أنَّه كَرِه اجتماعَهم وأنكَره ، ولا وجهَ لإنكارِه .

ثم ساق مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى داودَ[7] ، ثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، ثنا الوليدُ - هو ابنُ مسلمٍ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ العلاءِ ، قال : [١٥٥/٧و] سمِعتُ الضَّحَّاكَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ عَرْزَبٍ[8] يُنكِرُ الدراسةَ ويقولُ : ما رأَيتُ ولا سمِعتُ ، وقد أدرَكتُ أصحابَ النبىِّ ﷺ .

قال ابنُ عساكرَ[9] : وكان الضحّاكُ بنُ عبدِ الرحمنِ أميرًا على دمشقَ[10] ، فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

---

(١) فى النسخ : « الدمارى » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤، وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٥٦.
(٢) فى ا ٢، م : « المرى »، وفى ص : « المزى » . وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤.
(٣) فى م : « أنس » .
(٤) فى النسخ : « عران » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤، وانظر تاريخ دمشق ١٧/ ٦٤١ (مخطوط) .
(٥) فى م : « عباس » .
(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤.
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤، من طريق أبى بكر بن أبى داود به .
(٨) فى م : « عروب » . وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤.
(٩) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٥.
(١٠) بعده فى م : « فى أواخر سنة ست وثمانين » .

فصــلٌ

كان ابتداءُ عِمارةِ جامعِ دمشقَ فى أواخرِ سنةِ ستٍّ وثمانين؛ هُدِمتِ الكنيسةُ التى كانت موضعَه فى ذى القَعدةِ منها، فلمّا فرَغوا مِن الهَدْمِ، شرَعوا فى البناءِ، وتكامَل فى عشرِ سنين، فكان الفراغُ منه فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ ستٍّ وتسعين.

وفيها تُوفِّى بانيه الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ، وقد بقِيتْ فيه بقايا، فكمَّلها أخوه سليمانُ، كما ذكَرنا.

فأما قولُ يعقوبَ بنِ سُفيانَ[1]: سألتُ هشامَ بنَ عَمَّارٍ عن قصَّةِ مسجدِ دمشقَ وهدمِ الكنيسةِ، قال: كان الوليدُ قال للنَّصارَى [2]مِن أهلِ دِمشقَ[2]: ما شِئتُم، إنّا أخَذنا كنيسةَ تُوما عَنْوةً وكنيسةَ الداخلةِ صُلحًا، فأنا أهدِمُ كنيسةَ تُوما؟ قال هشامٌ: وتلكَ أكبرُ مِن هذه الداخلةِ، قال: فرضُوا أن أهدِمَ كنيسةَ الداخلةِ، وأُدخِلَها فى المسجدِ. قال: وكان بابُها قِبلةَ المسجدِ اليومَ، وهو المحرابُ الذى يُصلَّى فيه. قال: وهدمُ الكنيسةِ فى أوّلِ خلافةِ الوليدِ سنةَ ستٍّ وثمانين، ومكَثوا فى بنائِه[3] سبعَ[4] سنين، حتى مات الوليدُ، ولم يُتِمَّ بناءَه، فأتمَّه هشامٌ مِن بعدِه. ففيه فوائدُ وفيه غَلَطٌ؛ وهو قولُه: إنهم مكَثوا فى بنائِه سبعَ سنين. والصوابُ عشْرُ سنين، فإنَّه لا خلافَ أنّ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ تُوفِّى فى

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى ا ٢، م: «بنائها».

(٤) فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٥: «تسع».

هذه السنةِ - أعنى سنةَ ستٍّ وتسعين - وقد حكَى أبو جَعْفرِ بنُ جريرٍ[1] : على ذلك إجماعُ أهلِ السِّيَرِ . [2]وقولُه : لم يَتِمَّ بناؤه فى زمنِ الوليدِ . بل قد تمَّ ، ولكنْ بقِيت بقِيَّاتٌ مِن الزخرفةِ ، فأكمَلها أخوه سليمانُ لا هشامٌ[2] ،واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وهذه ترجمةُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بانى جامعِ دمشقَ، وذكرُ وفاتِه فى هذا العامِ

هو الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ ، أبو العباسِ الأُمويُّ[3] ، بُويِع له بالخلافةِ بعدَ أبيه بعهدٍ مِنه فى شوالٍ سنةَ ستٍّ وثمانين ، وكان أكبرَ ولدِه ، والوليُّ مِن بعدِه ، وأمُّه ولادةُ بنتُ العباسِ بنِ جُزئٍ[4] بنِ الحارثِ بنِ زهيرٍ العَبْسيِّ . وكان مولدُه سنةَ خمسين ، وكان أبواه يُترِفانِه ، فشَبَّ بلا أدبٍ ، وكان لا يحسِنُ العربيةَ ، وكان طويلًا أسمرَ ، به أثرُ جُدَرِيٍّ ، أفطسَ الأنفِ سائلَه ، وكان إذا مشى يتوكَّفُ فى المِشيةِ - أى يتبخْتَرُ - وكان جميلًا ، وقيل : بل كان [٧/١٥٥ظ] دميمًا ، قد شاب فى مُقدَّمِ لحيتِه ، وقد رأى سهلَ بنَ سعدٍ ، وسمِع أنسَ بنَ مالكٍ ؛ لمّا قدِم

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٥.

(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص: «والذى أتم ما بقى من بنائه أخوه سليمان لا هشام».

(٣) ترجمته فى: المعارف ٣٥٩، وتاريخ دمشق ٨٣٨/١٧ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٦، وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٤، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣، وشذرات الذهب ١/ ١١١.

(٤) فى الأصل: «حرب». وفى ا ٢، م، ص: «حزن». والمثبت من تاريخ دمشق ٨٣٨/١٧ (مخطوط). وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣١٧.

عليه سأله : ماذا سمِع فى أشراطِ الساعةِ ؟ كما تقدَّم فى ترجمةِ أنسٍ[1] ، وسمِع سعيدَ بنَ المسيَّبِ ، وحكَى عنه الزهرىُّ وغيرُه .

وقد رُوِى[2] أن عبدَ الملكِ أراد أن يعهَدَ إليه ، ثم توقَّف ؛ لأنَّه لا يُحسِنُ العربيةَ ، فجمَع الوليدُ جماعةً مِن أهلِ النحوِ عندَه فأقاموا عندَه سنةً ، وقيل : ستةَ أشهرٍ[3] . فخرجَ يوم خرَج أجهلَ مما كان ، فقال عبدُ الملكِ : قد أُجهِد وأُعذِر .

وقيل[4] : إنَّ أباه عبدَ الملكِ أوصاه عندَ موتِه ، فقال له : لا أُلفَينَّكَ إذا مِتُّ ، تجلِسُ تَعصِرُ عينيكَ وتحِنُّ حنينَ الأَمةِ ، ولكن شمِّرْ وائتزِرْ ودَلِّنى فى حُفرتِى وخلِّنى وشأنِى ، وادعُ الناسَ إلى البيعةِ ؛ فمَن قال برأسِه هكذا فقلْ بسيفِك هكذا .

وقال الليثُ[5] : وفى سنةِ ثمانٍ وسبعين[6] غزا الوليدُ بلادَ الرومِ ، وفيها حجَّ بالناسِ أيضًا . وقال غيرُه[7] : غزا فى التى قبلَها ، وفى التى بعدَها بلادَ مَلَطْيةَ وغيرَها . وكان نقشُ خاتَمِه : أؤمِنُ باللَّهِ مخلِصًا . وقيل : كان نقشُه : يا وليدُ إنَّك ميِّتٌ . ويقال : إنَّ آخِرَ ما تكلَّم به : سبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلهَ إلّا اللَّهُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أبى عبلةَ[8] : قال لِى الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ يومًا : فى كمْ تختِمُ القرآنَ ؟ قلتُ : فى كذا وكذا . فقال : أميرُ المؤمنين على شُغْلِه يختِمُه فى

---

(١) تقدم فى ص ٤٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ٨٤٠/١٧ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٧، فوات الوفيات ٤/ ٢٥٤، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣.

(٣) بعده فى الأصل، ا ٢، ص: «يشتغل فيها».

(٤) تاريخ دمشق ٨٤٢/١٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩٧.

(٥) تاريخ دمشق ٨٤١/١٧ (مخطوط).

(٦) فى ا ٢، م، ص: «تسعين». وانظر تاريخ دمشق ٨٤١/١٧ (مخطوط).

(٧) تاريخ خليفة ١/ ٣٥٥، ٣٥٩.

(٨) تاريخ دمشق ٨٤٥/١٧ (مخطوط).

كلِّ ثلاثٍ . وقِيل : فى كلِّ سبعٍ . قال : وكان يقرأُ فى شهرِ رمضانَ سبعَ عشرةَ ختمةً . قال إبراهيمُ ، رحِمه اللَّهُ : الوليدُ ! وأين مثلُه ؟ بنى مسجدَ دمشقَ ، وكان يُعطِينى قِصَاعَ[1] الفضَّةِ ، فأقسِّمُها على قرّاءِ بيتِ المقدسِ .

وروى ابنُ عساكرَ بإسنادٍ رجالُه كلُّهم ثقاتٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن أبيه ، قال[2] : خرَج الوليدُ يومًا مِن البابِ الأصغرِ ، فرأَى رجلًا عندَ المِئذنةِ الشرقيةِ يأكلُ شيئًا ، فأتاه فوقَف عليه فإذا هو يأكلُ خبزًا وترابًا ، فقال له : ما حمَلك على هذا ؟ قال : القُنوعُ يا أميرَ المؤمنين . فذهَب إلى مجلسِه ، ثم استدعَى به ، فقال : إن لك لشأنًا[*] ، فأخبِرْنى به وإلّا ضرَبتُ الذى فيه عيناك . فقال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، كنتُ رجلًا جمّالًا ، فبينما أنا أسيرُ مِن مرجِ الصُّفَّرِ[3] قاصدًا إلى الكُسْوَةِ[4] ، إذ زَرَتْنى[5] البولُ فعدَلتُ إلى خَرِبةٍ لأبولَ ، فإذا سَرَبٌ فحفَرتُه فإذا مالٌ صبيبٌ ، فملأتُ منه غرائرى ، ثم انطلقتُ أقودُ برواحِلى ، وإذا بمِخلاةٍ معى فيها طعامٌ فألقيتُه منها ، وقلتُ : إنى سآتى الكُسوةَ ، ورجَعتُ إلى الخربةِ ، لأملأَ تلك المِخلاةَ مِن ذلك المالِ ، فلم أهتَدِ إلى المكانِ بعدَ الجَهْدِ فى الطلبِ ، فلمّا أيِستُ رجَعتُ إلى الرواحلِ فلم أجِدْها ولم أجِدِ الطعامَ ، فآليتُ على نفسى أنِّى لا آكلُ إلّا خُبزًا وترابًا . [١٥٦/٧و] قال : فهل لك عيالٌ ؟ قال :

---

(١) فى م : « قطع » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٨٤٥، ٨٤٦ (مخطوط) ، من طريق عبد الرحمن بن يزيد به .

(*) من هنا تبدأ نسخة مكتبة برنستون بأمريكا ، والتى يرمز لها بالرمز (ب) .

(٣) مرج الصفر : موضع بدمشق . معجم البلدان ٤/ ٤٨٨.

(٤) الكسوة : قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.

(٥) فى الأصل : « أرزمنى » ، وفى باقى النسخ : « زرمنى » . والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) . وزرت : خنق . تاج العروس (زرت) .

نعم . ففرَض له[1] فى بيتِ المال .

قال ابنُ جابرٍ[2] : وبلَغنا أن تلك الرواحلَ سارت حتى أتَتْ بيتَ المالِ فتسلَّمها خازنُه فوضَعها فى بيتِ المالِ[3] .

وقال نُميرُ بنُ عبدِ اللَّهِ السَّمْعانىُّ[4] ، عن أبيه ، قال[5] : قال الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ : لولا أنَّ اللَّهَ ذكَر قومَ لوطٍ فى القرآنِ ما ظنَنتُ أنَّ أحدًا يفعلُ هذا[6] .

قالوا[7] : وكان الوليدُ لحّانًا ، كما جاء مِن غيرِ وجهٍ أنّ الوليدَ خطَب يومًا ، فقرأ فى خطبتِه : ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة : ٢٧] فضمَّ التاءَ من ﴿ ليتَها ﴾ ، فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : يا ليتَها كانت عليك وأراحَنا اللَّهُ مِنكَ . وكان يقولُ : يا أهلُ المدينةِ .

وقال عبدُ الملكِ يومًا لرجلٍ مِن قريشٍ[8] : إنَّك لَرجلٌ لولا أنَّك تَلحَنُ . فقال : وهذا ابنُك الوليدُ يلحَنُ . فقال : لكنَّ ابنى سليمانَ لا يلحَنُ . فقال الرجلُ : وأخى أبو فلانٍ لا يلحَنُ .

---

(١) فى الأصل : « لهم » .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « جرير » . وانظر تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقيل : إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا ، واذهب إلى إبلك فخذها . وقيل : إنه دفع إليه شيئًا من ذلك المال يقيته وعياله » .

(٤) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « الشعبانى » . وفى م : « الشعنانى » . والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ من طريق نمير بن عبد اللَّه عن أبيه .

(٦) بعده فى م زيادة من الناسخ .

(٧) تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠هـ) ص ٤٩٩ بنحوه .

(٨) تاريخ دمشق ٨٤٦/١٧ (مخطوط) .

قال ابنُ جريرٍ[1] : حدّثنى عمرُ ، ثنا علىٌّ - يعنى ابنَ محمدٍ المدائنىَّ - قال : كان الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ عندَ أهلِ الشامِ أفضلَ خلائفِهم ، بنَى المساجدَ بدمشقَ ، ووضَع المنارَ ، وأعطَى الناسَ ، وأعطَى المجْذومِين ، وقال لهم : لا تسألوا الناسَ ، وأعطَى كلَّ مُقعَدٍ خادمًا ، وكلَّ ضريرٍ قائدًا ، وفتَح فى ولايتِه فتوحاتٍ كثيرةً عظامًا[2] ، ففتَح الهندَ والسِّندَ والأندلسَ[3] ، وغيرَ ذلك . قال : وكان مع هذا يمُرُّ بالبقّالِ فيأخُذُ حُزمةَ البقلِ بيدِه ، ويقول : بكم تبيعُ هذه ؟ فيقولُ : بفَلْسٍ . فيقولُ : زِدْ فيها فإنَّك تربَحُ .

وذكَروا[4] أنَّه كان يبَرُّ حملةَ القرآنِ ويُكرِمُهم ويقضِى عنهم ديونَهم .

قالوا[5] : وكانت هِمةُ الوليدِ فى البناءِ وكان الناسُ كذلك ؛ يلقَى الرجلُ الرجلَ ، فيقولُ : ماذا بنيتَ ؟ ماذا عمَرتَ ؟ وكانت همةُ أخيه سليمانَ فى النساءِ ، فكان الناسُ كذلك ؛ يلقى الرجلُ الرجلَ ، فيقولُ : كم تزوجتَ ؟ ماذا عندَك من السرارِى ؟ وكانت همةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز فى قراءةِ القرآنِ ، والصلاةِ والعبادةِ ، فكان الناسُ كذلك ؛ يلقَى الرجلُ الرجلَ ، فيقولُ : كم وِردُك ؟ كم تقرأُ كلَّ يومٍ ؟ ماذا صلَّيتَ[6] البارحةَ ؟.

وقال الواقدىُّ[7] : كان الوليدُ جبارًا ذا سطوةٍ شديدةٍ لا يتوقَّفُ إذا غضِب ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٦.

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وكان يرسل بنيه فى كل غزوة إلى بلاد الروم » .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأقاليم بلاد العجم حتى دخلت جيوشه إلى الصين » .

(٤) انظر فى ذلك تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٦، وتاريخ دمشق ١٧/ ٨٤٥ (مخطوط) بنحوها .

(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٧ بنحوه .

(٦) فى الأصل : « قرأت » .

(٧) انظر فى ذلك تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٩، وفوات الوفيات ٤/ ٢٥٥.

لجوجًا ، كثيرَ الأكلِ والجِماعِ ، مِطلاقًا ، يقالُ : إنَّه تزوَّج ثلاثًا وستين امرأةً غيرَ الإماءِ .

قلتُ: وقد يرادُ بهذا الوليدُ بنُ يزيدَ الفاسقُ لا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ بانِى الجامعِ ، واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : بنى الوليدُ الجامعَ على الوجهِ الذى ذكَرنا ، فلم يكُنْ له فى الدنيا نظيرٌ ، وبنى صخرةَ بيتِ المقدسِ ، عقَد عليها القُبَّةَ ، وبنى مسجدَ النبىِّ ﷺ ، ووسَّعه حتى دخلتِ الحجرةُ [1] التى فيها القبرُ [1] فيه ، وله آثارٌ حِسانٌ كثيرةٌ جدًّا ، ثم كانت وفاتُه فى يومِ السبتِ للنصفِ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ . قال ابنُ جريرٍ [2] : وهذا قولُ جميعِ أهلِ السيرِ . وقال عمرُو بنُ علىٍّ الفلّاسُ وجماعةٌ [3] : كانت وفاتُه يومَ السبتِ للنصفِ مِن [١٥٦/٧ظ] ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ عن ستٍّ ، وقيل : ثلاثٍ ، وقيل : تسعٍ ، وقيل : أربعٍ وأربعينَ سنةً .

وكانت وفاتُه بدَيْرِ مُرَّانَ ، فحُمِل على أعناقِ الرجالِ حتى دُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وقيل : بمقابرِ بابِ الفراديسِ . حكاه ابنُ عساكرَ [4] .

وكان الذى صلَّى عليه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ لأنَّ أخاه سليمانَ كان بالقدسِ الشريفِ ، وقيل : صلَّى عليه ابنُه عبدُ العزيزِ . وقيل : بل صلَّى عليه أخوه سليمانُ . والصحيحُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى الأصل : « النبوية » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٥.

(٣) تاريخ خليفة ٤١٣، وتاريخ دمشق ٨٤٩/١٧ (مخطوط) .

(٤) تاريخ دمشق ٨٤٨/١٧ (مخطوط) .

وهو الذى أنزَله إلى قبرِه ، وقال حينَ أنزَله[1] : لتنزِلْه غيرَ موسَّدٍ ولا ممهَّدٍ ، قد خلَّفتَ الأَسبابَ[2] ، وفارقتَ الأحبابَ ، وسكنتَ الترابَ ، وواجهتَ الحسابَ ، فقيرًا إلى ما [3]تُقدِمُ عليه[3] ، غنيًّا عمَّا تُخلِّفُ[4] .

وجاء مِن غيرِ وجهٍ[5] ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أنه أخبَر أنَّه لمَّا وضَع الوليدَ فى لحدِه ارتكَض فى أكفانِه ، وجُمِعت رِجلاه إلى عنُقِه .

وكانت خلافتُه تسعَ سنينِ وثمانيةَ أشهرٍ على المشهورِ ، واللَّهُ أعلمُ .

قال المدائنىُّ[6] : وكان له مِن الولدِ تسعةَ[7] عشرَ ولدًا ذكرًا ؛ وهم عبدُ العزيزِ ، ومحمدٌ ، والعباسُ ، وإبراهيمُ ، وتمَّامٌ ، وخالدٌ ، وعبدُ الرحمنِ ، ومبشرٌ ، ومسرورٌ ، وأبو عبيدةَ ، وصدقةُ ، ومنصورٌ ، ومروانُ ، وعنبسةُ ، وعمرُ[8] ، ورَوْحٌ ، وبشرٌ ، ويزيدُ ، ويحيى ، فأمُّ عبدِ العزيزِ ومحمدٍ ؛ أمُّ البنينَ[9] بنتُ عمِّه عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ ، وأمُّ أبى عبيدةَ فزاريَّةٌ ، وسائرُهم مِن أمهاتِ أولادٍ شتَّى .

قال المدائنىُّ[10] : وقد رثاه جريرٌ ، فقال :

---

(١) تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «الأسلاب» . وانظر تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) .

(٣ - ٣) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «قدمت» .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «أخرت» .

(٥) تاريخ دمشق ٨٤٧/١٧ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٠٠، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥.

(٦) تاريخ الطبرى ٤٩٦/٦ بنحوه .

(٧) فى الأصل : «سبعة» .

(٨) فى تاريخ الطبرى : «عمرو» .

(٩) فى الأصل : «المؤمنين» .

(١٠) تاريخ الطبرى ٦/ ٤٩٧. والأبيات فى ديوان جرير ٢٤٢/١ (ط . دار المعارف ، تحقيق الدكتور : نعمان محمد أمين طه) . وفيها اختلاف يسير .

يا عينُ جودى بدَمْعٍ هاجهُ الذِّكَرُ فما لدمعِكِ بعدَ اليومِ مدَّخَرُ
إنَّ الخليفةَ قد وارَت شمائلَه غبراءُ مُلْحَدَةٌ[1] فى [2]جُولِها زَوَرُ[2]
أضحى بنُوه وقد جلَّت مصيبتُهمْ مثلَ النجومِ هوَى من بينِها القمرُ
كانوا جميعًا فلم يدفَعْ منيَّتَه عبدُ العزيزِ ولا رَوحٌ ولا عمرُ

وممَّن هلَك أيامَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ :

زيادُ بنُ جارِيةَ التميمىُّ الدمشقىُّ[3] ، كانت دارُه غربىَّ قصرِ الثقفيِّين . روَى عن حبيبِ بنِ مسلمةَ الفهرىِّ فى النهيِ عن المسألةِ لمَنْ له ما يغدِّيه ويعشِّيه ، وفى النفلِ . ومنهم مَن زعَم أنَّ له صحبةً ، والصحيحُ أنه تابعىٌّ . روَى عنه عطيةُ ابنُ قيسٍ ومكحولٌ ويونسُ بنُ ميسرةَ بنِ حَلْبَسٍ ، ومع هذا قال فيه أبو حاتمٍ : شيخٌ مجهولٌ . ووثقه النسائىُّ ، وابنُ حبانَ .

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] أنه دخَل يومَ الجُمعةِ إلى [١٥٧/٧و] مسجدِ دمشقَ وقد أُخِّرتِ الصلاةُ ، فقال : واللَّهِ ما بعَث اللَّهُ نبيًّا بعدَ محمدٍ ﷺ أمرَكم بهذه الصلاةِ هذا الوقتَ . قال : فأُخذ فأُدخِل الخضراءَ فقُطع رأسُه ، وذلك فى زمنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ .

---

(١) فى الأصل : « مخلدة » . وفى ا ٢، ب ، ص : « موحشة » . وهى فى الديوان : « ملحودة » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ا ٢: « جوفها زرر » . وفى ب ، ص : « جوفها زور » . والجول : الناحية والجانب . والزور : الاعوجاج .
(٣) ترجمته فى : التاريخ الكبير ٣٤٨/٣ ، والثقات ٢٥٢/٤ ، وتاريخ دمشق ١٣٤/١٩ وفيه حارثة ، وأسد الغابة ٢٦٨/٢ ، وتهذيب الكمال ٤٣٩/٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٥٩ ، والإصابة ٢/ ٦٥٥.
(٤) تاريخ دمشق ١٩/ ١٣٦.

(١) عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو(٢) بنِ عثمانَ أبو محمدٍ ، كان قاضىَ المدينةِ ، وكان شريفًا كثيرَ المعروفِ جوادًا مُمدَّحًا ، واللَّهُ أعلمُ(١) .

خلافةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ(٣)

بويع له بالخلافةِ بعدَ موتِ أخيه الوليدِ يومَ مات ، وكان يومَ السبتِ للنصفِ من جُمادَى الآخرةِ سنةَ ستٍّ وتسعين ، وكان سليمانُ بالرملةِ ، وكان وليَّ العهدِ من بعدِ أخيه عن وصيةِ أبيهما عبدِ الملكِ .

وقد كان الوليدُ قد عزَم قبلَ موتِه على خلعِ أخيه سليمانَ ، وأن يجعَلَ ولايةَ العهدِ من بعدِه لولدِه عبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ ، وقد كان الحجّاجُ طاوَعه على ذلك ، وكذلك قتيبةُ بنُ مسلمٍ وجماعةٌ من أهلِ الشامِ - وقد أنشَد فى ذلك جريرٌ(٤) وغيرُه من الشعراءِ قصائدَ - فلم ينتظِمْ ذلك له حتى مات ، وانعقَدت البيعةُ لسليمانَ ، فخَافه قتيبةُ بنُ مسلمٍ وعزَم على أن لا يُبايِعَه ، فعزَله سليمانُ وولَّى على إمرةِ العراقِ ثم خراسانَ يزيدَ بنَ المهلَّبِ ؛ فأعاده إلى إمرتِها بعدَ عشرِ سنين ، وأمرَه بمعاقبةِ آلِ الحجاجِ بنِ يوسُفَ ، وكان الحجاجُ هو الذى عزَل يزيدَ عن خُراسانَ .

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) فى النسخ : « عمر » . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ١٥٣/٥ ، وسمط اللآلى ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٣ ، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٨٤، وتهذيب التهذيب ٣٣٨/٥ والنجوم الزاهرة ١/ ٢٣٣.

(٣) انظر ترجمته فى : المعرفة والتاريخ ٢٢٣/١ ، وسير أعلام النبلاء ١١١/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٧٧، وفوات الوفيات ٤٠٠/١٥ ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥.

(٤) ديوان جرير ٦٦٧/٢ - ٦٦٨، ٧١٥. وانظر تاريخ الطبرى ٥٠٦/٦.

(١) ولسبعٍ بقين مِن رمضانَ مِن هذه السَنةِ عزَل سليمانُ عن إمرةِ المدينةِ عثمانَ ابنَ حيّانَ ، وولّى عليها أبا بكرِ بنَ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، وكان أحدَ العلماءِ (١) .

وقد كان قتيبةُ بنُ مسلمٍ حين بلَغه ولايةُ سليمانَ الخلافةَ كتَب إليه كتابًا يعزِّيه فى أخيه ، ويهنِّئُه بولايتِه ، ويذكُرُ فيه بلاءَه وعناءَه وقتالَه وهيبتَه فى صدورِ الأعداءِ ، وما فتَح اللّهُ من البلادِ والمدنِ والأقاليمِ الكبارِ على يديه ، وأنَّه له على مثلِ ما كان للوليدِ من قبلِه من الطاعةِ والنصيحةِ ، إن لم يعزِلْه عن خراسانَ ، ونال فى هذا الكتابِ من يزيدَ بنِ المهَلَّبِ ، ثم كتَب كتابًا ثانيًا يذكُرُ فيه ما فعَل مِن القتالِ والفتوحاتِ وهيبتَه فى صدورِ الملوكِ والأعاجمِ ، ويذُمُّ يزيدَ بنَ المهلّبِ أيضًا ، ويُقسِمُ فيه لَئِنْ عزَله وولّى يزيدَ ليخلَعنَّ سليمانَ عن الخلافةِ ، وكتَب كتابًا ثالثًا فيه خلْعُ سليمانَ بالكليةِ ، وبعَث بها معَ البريدِ ، وقال له : ادفع إليه الكتابَ الأولَ ، فإن قرَأه ودفَعه إلى يزيدَ بنِ المهلَّبِ فادفَعْ إليه الثانىَ ، فإن قرَأه ودفَعه إلى يزيدَ ، فادفَعْ إليه الثالثَ ، فلما قرَأ (٢) سليمانُ الكتابَ الأولَ - واتفَق حضورُ يزيدَ عندَ سليمانَ - دفَعه إلى يزيدَ ، فقرَأه ، فناوَله البريدُ الكتابَ الثانىَ ، فقرَأه ودفَعه إلى يزيدَ ، فناوَله البريدُ الكتابَ الثالثَ فقرَأه فإذا (٢) فيه التصريحُ بعزلِه وخلْعِه ، فتغيَّر وجهُه ، ثم ختَمه وأمسَكه بيدِه ولم يدفَعْه إلى يزيدَ ، وأمر بإنزالِ البريدِ فى دارِ الضيافةِ ، فلما كان من الليلِ بعَث إلى البريدِ فأحضَره ودفَع إليه ذهبًا وكتابًا فيه ولايةُ قتيبةَ على خراسانَ ، وأرسَل مع ذلك البريدِ بريدًا آخرَ من جهتِه ليقرِّرَه عليها ، فلما [١٥٧/٧ظ] وصَلا بلادَ خراسانَ بلَغهما أن قتيبةَ قد خلَع الخليفةَ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٠٥.
(٢ - ٢) سقط من الأصل .

فدفَع بريدُ سليمانَ الكتابَ الذى معَه إلى بريدِ قتيبةَ ، ثم بلَغهما مقتلُ قتيبةَ قبلَ أن يرجِعَ بريدُ سليمانَ .

ذكرُ سببِ مقتلِ قتيبةَ بنِ مسلمٍ[1]

وذلك أنَّه جمَع الجندَ والجيوشَ ، وعزَم على خلعِ سليمانَ وتركِ طاعتِه ، وذكَر لهم هِمَّتَه وفتوحَه وعدْلَه فيهم ، ودَفْعَه الأموالَ الجزيلةَ إليهم ، فلما فرَغ مِن مقالتِه ، لم يُجِبْه أحدٌ منهم إلى مقالتِه ، فشرَع فى تأنيبِهم وذمِّهم ، قبيلةً قبيلةً ، وطائفةً طائفةً ، فغضِبوا عندَ ذلك ونفَروا عنه وتفرَّقوا ، وعمِلوا على مخالفتِه ، وسعَوا فى قتْلِه ، وكان القائمَ بأعباءِ ذلك رجلٌ يقال له : وكيعُ بنُ أبى سُودٍ ، فجمَع جموعًا كثيرةً ، ثم ناهَضه فلم يزَلْ به حتى قتَله فى ذى الحِجَّةِ[2] مِن هذه السنةِ ، وقتَل معه أحدَ عشرَ رجلًا مِن إخوتِه وأبناءِ إخوتِه ، ولم يبقَ منهم سوى ضرارِ بنِ مسلمٍ - وكانت أُمُّه الغراءَ بنتَ ضِرارِ بنِ القعقاعِ بنِ معبدِ بنِ سعدِ بنِ زُرارةَ ، فحمَتْه أخوالُه - وعمرِو بنِ مسلمٍ ، وكان عاملَ الجوزجانِ . وقتِل قتيبةُ وعبدُ الرحمنِ وعبدُ اللَّهِ وعبيدُ اللَّهِ وصالحٌ وبشارٌ[3] ، وهؤلاء أبناءُ مسلمٍ ، وأربعةٌ مِن أبنائِهم فقتَلهم كلَّهم وكيعُ بنُ سُودٍ .

وقد كان قتيبةُ بنُ مسلمِ بنِ عمرِو بنِ حُصينِ بنِ ربيعةَ أبو حفصٍ الباهليُّ ، مِن ساداتِ الأمراءِ وخيارِهم ، وكان مِن القادةِ النجباءِ الكبراءِ ، والشجعانِ وذوى

---

(١) انظر ترجمته فى : المعارف ٤٠٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٦، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٠.

(٢) فى ب : « القعدة » .

(٣) فى ا ٢: « سيار » ، وفى ب ، م ، ص : « يسار » . وانظر المعارف ٤٠٦، وتاريخ الطبرى ٦/ ٥١٦.

الحروبِ والفتوحاتِ السعيدةِ، والآراءِ [1]الحميدةِ، وقد هدَى اللَّهُ على يديه خلقًا لا يُحصيهم إلا اللَّهُ، فأسلَموا ودانوا للَّهِ، عزَّ وجلَّ[1]، وفتَح مِن البلادِ والأقاليمِ الكبارِ والمدنِ العظامِ شيئًا كثيرًا، كما تقدم ذلك مفصَّلًا مبيَّنًا، واللَّهُ سبحانَه لا يضيِّعُ سعيَه ولا يخيِّبُ تعبَه وجهادَه.

ولكن زلَّ زلَّةً كان فيها حتفُه، [2]وفعَل فعلةً[2] رَغِم فيها أنفُه، وخلَع الطاعةَ فبادَرتْ إليه المنيةُ، وفارَق الجماعةَ، فمات مِيتةً جاهليةً، لكن سبَق له مِن الأعمالِ الصالحةِ ما قد يكفِّرُ اللَّهُ بها عنه مِن سيئاتِه، [3]ويمْحو بها عنه مِن خطيئاتِه[3]، واللَّهُ يسامِحُه ويعفو عنه، ويتقبَّلُ منه ما كان يكابدُه مِن مُناجزةِ الأعداءِ. وكانَت وفاتُه بفَرْغانةَ مِن أقصى بلادِ خراسانَ، في ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ، وله مِن العمرِ ثمانٍ وأربعون سنةً، وكان أبوه أبو صالحٍ ممن قُتِل مع مصعبِ بنِ الزُّبيرِ، وكانت ولايتُه على خراسانَ عشْرَ سنين، واستفاد وأفاد فيها خيرًا كثيرًا، وقد رثاه عبدُ الرحمنِ بنُ جُمانةَ الباهليُّ فقال[4]:

كأنَّ أبا حفصٍ قتيبةَ لم يسِرْ ... بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يغْلُ منبرا
ولم تخْفِقِ الراياتُ والقومُ حولَه ... وقوفٌ ولم يشهدْ له الناسُ عسكرا
دعتْه المنايا فاستجاب لربِّهِ ... وراحَ إلى الجنّاتِ عفًّا مُطَهَّرا
[١٥٨/٧و] فما رُزِئَ الإسلامُ بعدَ محمدٍ ... بمثل أبى حفصٍ [5]فبكِّيهِ عَبْهَرا[5]

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢- ٢) فى الأصل: «ضل ضلة».
(٣- ٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «ويضاعف به حسناته».
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢١، والكامل ٥/ ١٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٤٢.
(٥ - ٥) فى ا ٢: «قتيبة هل ترى».

ولقد بالغ هذا الشاعرُ فى بيتِهَ الأخيرِ، وعبْهَرُ أمُّ[1] ولدٍ له. وقال الطِّرماحُ[2] فى هذه الوقعةِ التى قتِل فيها قتيبةُ[3] على يدَى وكيعِ بنِ أبى[4] سُودٍ:

لولا فوارسُ مَذْحِجٍ ابنةِ مَذحِجٍ ... والأزدِ زُعزعَ واستُبيحَ العسكرُ
وتقطَّعَت بهمُ البلادُ ولم يَؤُبْ ... منهم إلى أهلِ العراقِ مخبِّرُ
واستُضلِعتْ[5] عُقَدُ الجماعةِ وازدرَى ... أمرُ الخليفةِ واستُحِلّ المنكَرُ
قومٌ همو قتَلوا قتيبةَ عَنوةً ... والخيلُ جانحةٌ[6] عليها العِثْيَرُ[7]
بالمرجِ مرجِ الصينِ حيث تبيَّتْ ... مُضَرُ العراقِ مَن الأعزُّ الأكبَرُ
إذ حالفَتْ جزَعًا ربيعةُ كلُّها ... وتفرّقتْ مضرٌ ومَنْ يَتَمَضَّرُ
وتقدَّمتْ أزدُ العراقِ ومَذْحِجٌ ... للموتِ يجمَعُها أبوها الأكبرُ
قحطانُ تضرِبُ رأسَ كلِّ مُدَجَّجٍ ... تحمِى بصائرَهُنَّ إذ لا تبصِرُ
والأزدُ تعلَمُ أنَّ تحتَ لوائِها ... مُلكًا قُراسِيَةً[8] وموتٌ أحمرُ
فبعزِّنا نُصِر النبىُّ محمدٌ ... وبنا تثبَّت فى دمشقَ المنبرُ

وقد بسَط ابنُ جريرٍ هذه القصةَ[9] بسْطًا كثيرًا وذكَر أشعارًا كثيرةً جدًّا.

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.
(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٠، ٥٢١.
(٣) سقط من: م.
(٤) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.
(٥) فى الأصل، ب، ص: «استطلقت»، وفى ا ٢: «استطلعت».
(٦) فى ا ٢، ب، م، ص: «جامحة».
(٧) فى الأصل: «العنبر»، وفى ا ٢، ص: «العبثر»، وفى ب: «العيثر». والعثير: الغبار.
(٨) فى الأصل، ا ٢، ب، ص: «فراسته».
والقراسية: القوى من الإبل، وقال الزمخشرى: ومن المجاز ملك قراسية، وأورد بيت الطرماح هذا. أساس البلاغة (ق ر س).
(٩) فى م: «القصيدة». تاريخ الطبرى ٥٠٦ - ٥٢٢.

وقال القاضى ابنُ خَلِّكان[1] : وقال[2] جريرٌ فى قتيبةَ بنِ مسلمٍ - رحمَه اللَّهُ وسامَحه :

نَدِمتُم على قتلِ الأغرِّ[3] ابنِ مسلمٍ ... وأنتمْ إذا لاقَيتُمُ اللَّهَ أندَمُ
لقدْ كنتُمُ من غزوِه فى غَنيمةٍ ... وأنتمْ لمَنْ لاقَيتمُ اليومَ مَغْنَمُ
على أنّه أفضَى إلى حُورِ جنَّةٍ ... وتُطبِقُ بالبلوى عليكمْ جهنَّمُ

قال : وقد ولِى مِن أولادِه وذريتِه جماعةٌ الإمرةَ فى البلدانِ ، فمنهم عمرُو[4] ابنُ سعيدِ (5) بنِ سلمٍ (5) بنِ قتيبةَ بنِ مسلم وكان جوَادًا ممدَّحًا ، رثاه حين مات أبو عمرٍو أشجعُ بنُ عمرٍو السُّلَمىُّ الرقِّىُّ[6] نزيلُ البصرةِ بقولِه[7] :

مضَى ابنُ سعيدٍ حين[8] لم يبقَ مَشرِقٌ ... ولا مَغربٌ إلا له فيه مادحُ
وما كنتُ أدرى ما فواضلُ كفِّهِ ... على الناسِ حتى غيَّبتْهُ الصفائحُ
وأصبَح فى لحدٍ مِن الأرضِ ضيِّقٍ ... وكانت به حيًّا تضيقُ الصَّحاصِحُ[9]
[١٥٨/٧ظ] سأبكيكَ ما فاضتْ دُموعى فإنْ تَغِضْ ... فحسبُكَ منِّى ما تُجِنُّ[10] الجوانحُ

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٨٨.
(٢) بعده فى ا ٢، ب، ص: «ابن».
(٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «الأمير».
(٤) فى ا ٢، ب، م: «عمر».
(٥ - ٥) سقط من: ا ٢، ب، م، ص. وفى الأصل: «بن مسلم». والمثبت من وفيات الأعيان ٤/ ٨٨. وانظر المعارف ص ٤٠٧.
(٦) فى ا ٢، ب، م، ص: «المرى».
(٧) الحماسة لأبى تمام ١/ ٤١٣، ٤١٤، وزهر الآداب ٢/ ٧٩٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٩.
(٨) فى النسخ: «حيث». وانظر مصادر التخريج.
(٩) الصحاصح: جمع صحصح وهى الأرض المستوية الواسعة. اللسان (صحصح).
(١٠) فى م: «تجر».

فما أنا مِنْ رُزْءٍ[1] وإنْ جلّ جازعٌ ... ولا بسرورٍ بعدَ موتِكَ فارحُ
كأنْ لم يمُتْ حيٌّ سواكَ ولم يَقُمْ ... على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ
لئنْ حسُنَتْ فيكَ المراثى وذِكرُها ... لقد حَسُنَتْ مِن قبلُ فيكَ المدائحُ

قال ابنُ خلِّكانَ[2] : وهى مِن أحسنِ المَراثى ، وهى فى الحماسةِ . ثم تكلَّم على باهلةَ ، وأنَّها قبيلةٌ مَرْذولةٌ عندَ العربِ ، قال : وقد رأيتُ فى بعضِ المجاميعِ أنَّ الأشعَثَ بنَ قيسٍ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أتَتَكافأُ دماؤنا ؟ قال : « نعم ، ولو قتَلْتَ رجلًا مِن باهلةَ لقَتلتُك به[3] » . وقيل لبعضِ العربِ : أيَسُرُّك أن تدخُلَ الجنةَ وأنت باهلىٌّ ؟ قال : بشرطِ أن لا يعلمَ أهلُ الجنةِ بذلك . وسأل بعضُ الأعرابِ رجلًا : ممَّن أنت ؟ فقال : مِن باهلةَ . فجعَل يرثى له ، فقال : وأزيدُك أنِّى لستُ مِن الصَّميمِ وإنَّما أنا مِن مواليهم . فجعَل يقبِّلُ يدَيْه ورجلَيْه ، فقال : ولِمَ تفعَلُ هذا ؟ فقال : لأنَّ اللَّهَ تعالى ما ابتلاك بهذه الرزيَّةِ فى الدنيا إلا ليعوِّضَك الجنةَ فى الآخرةِ .

ثم قال ابنُ جريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ توفِّى قُرَّةُ بنُ شَريكٍ القَيسِىُّ[5] أميرُ مصرَ[6] مِن جهةِ الوليدِ[7] . وفيها حجَّ بالناس أبو بكرِ بنُ[8] محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، وكان هو الأميرَ على المدينةِ ، وعلى مكةَ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ

---

(١) فى م : « رزئى » .
(٢) وفيات الأعيان ٤/٨٩ - ٩١.
(٣) سقط من : م .
(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٢.
(٥) فى م : « العبسى » .
وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٤/٤١٤ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٥٦. وفيه « العبسى » .
(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وحاكمها . قلت : هو قرة بن شريك أمير مصر » .
(٧) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وهو الذى بنى جامع الفيوم » .
(٨) سقط من : م .

ابنِ أَسِيدٍ ، وعلى حَرْبِ العراقِ وصَلاتِها يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، وعلى خَراجِها صالحُ ابنُ عبدِ الرحمنِ ، وعلى نيابةِ البصرةِ ليزيدَ بنِ المهلَّبِ سفيانُ بنُ عبدِ اللَّهِ الكنديُّ ، وعلى قضائِها عبدُ الرحمنِ بنُ أُذينةَ ، وعلى قضاءِ الكوفةِ أبو بكرِ بنُ أبى موسى ، وعلى حربِ خراسانَ وكيعُ بنُ أبى[1] سُودٍ .

(١) سقط من : م .

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وتسعين

وفيها جهَّز سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ الجيوشَ إلى القُسْطَنْطِينيةِ . وفيها أمَّر ابنَه داودَ على الصائفةِ ، ففتَح حصنَ المرأةِ .

قال الواقديُّ[1] : وفيها غزا مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ أرضَ الوضّاحيةِ فافتتَح الحصنَ الذى فتَحه[2] الوضّاحُ صاحبُ الوضّاحيةِ .

[3]وفيها غزا مسلمةُ أيضًا بَرْجَمَةَ ، ففتَح حصونًا ، وبَرْجَمَةَ ، وحصنَ الحديدِ وسَرْدَوْسَلَ[4] ، وشَتَّى بأرضِ الرّومِ[3] .

وفيها غزا عمرُ بنُ هُبيرةَ الفَزاريُّ فى البحرِ أرضَ الرومِ وشتَّى بها . وفيها قتِل عبدُ العزيزِ بنُ موسى بنِ نُصَيرٍ ، وقَدِم برأسِه على سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ[5] حبيبُ ابنُ أبى عبيدٍ الفهرِيُّ .

وفيها [٧/١٥٩و] ولَّى سليمانُ نيابةَ خراسانَ ليَزيدَ بنِ المهلَّبِ ، مُضافًا إلى ما بيدِه مِن إمرةِ العراقِ ، وكان سببَ ذلك أنَّ وكيعَ بنَ أبى سُودٍ لـمّا قتَل قتيبةَ بنَ مُسلمٍ وذريتَه ، بعَث برأسِ قتيبةَ إلى سليمانَ فحظِى عندَه ، وكتَب له بإمرةِ خراسانَ ، فبعَث يزيدُ بنُ المهلّبِ عبدَ الرحمنِ بنَ الأهتمِ إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ؛ ليحسِّنَ عندَه أمْرَ يزيدَ بنِ المهلّبِ فى إمرةِ خراسانَ ، وينتقِصَ عندَه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٥٢٣ .

(٢) فى م : « بناه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تاريخ خليفة ١/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٦.

(٤) فى ا ٢، ب، ص : « سردا » ، وفى م : « دسررا » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) بعده فى ا ٢، ب، م، ص : « أمير المؤمنين مع » .

وكيعَ بن أبى[1] سُودٍ ، فسار ابنُ الأهتمِ - وكان ذا دَهاءٍ ومكرٍ - إلى سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فلم يزَلْ به حتى عزَل وكيعًا عن خراسانَ ، وولَّى عليها يزيدَ مع إمرةِ العراقِ ، وبعَث بعهدِه مع ابنِ الأهتمِ ، فسار فى سَبعٍ حتى جاء يزيدَ ، فأعطاه عهدَ خراسانَ مع العراقِ ، وكان يزيدُ وعَده بمائةِ ألفٍ فلم يفِ له بها ، وبعَث يزيدُ ابنَه مَخلَدًا بينَ يدَيه إلى خراسانَ ، ومعه كتابُ أميرِ المؤمنين ؛ مضمونُه أنَّ قيسًا زعَموا أنَّ قتيبةَ بنَ مسلمٍ لم يكُنْ خلَع الطاعةَ ، فإنْ كان وكيعٌ قد تعرَّض له ، وثار عليه بسببِ أنَّه خلَع ولم يكنْ خلَع فقيِّدْه ، وابعَثْ به إلىَّ . فتقدَّم مَخْلَدٌ فأخَذ وكيعًا فعاقَبه ، وحبَسه قبلَ أنْ يجىءَ أبوه ، فكانت إمرةُ وكيعِ بنِ أبى سُودٍ[2] على خراسانَ[2] تسعةَ أشهرٍ أو عشْرةَ أشهرٍ ، ثم قدِم يزيدُ بنُ المهلَّبِ فتسلَّم خراسانَ وأقام بها ، واستناب فى البلادِ نوّابًا ، ذكَرَهم ابنُ جريرٍ[3] .

قال[4] : وفيها حجَّ بالناسِ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ . ونوابُ البلادِ هم المذكورون فى التى قبلَها ، غيرَ أنَّ خراسانَ عزَل عنها وكيعَ بنَ أبى[5] سُودٍ ، ووليَها يزيدُ بنُ المهلَّبِ بنِ أبى صُفرةَ مع العراقِ .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « الذى قتل قتيبة » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٦.

وبعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ولم تكن يومئذ مدينة بأبواب وصور فإنما هى جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له : صول . فتحول عنها إلى قلعة هناك وقيل إلى جزيرة فى بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وأسروا وغنموا » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٩.

(٥) سقط من : م .

الحسنُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ، أبو محمدٍ القرشيُّ الهاشميُّ[1]. روَى عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا[2]: «مَن عال أهلَ بيتٍ مِن المسلمين يومَهم وليلتَهم غفَر اللَّهُ له ذنوبَه». وعن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، عن عليٍّ فى دعاءِ الكربِ[3]، وعن زوجتِه فاطمةَ بنتِ الحسينِ. وعنه ابنُه عبدُ اللَّهِ وجماعةٌ. وقد وفَد على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فأكْرَمه ونصَره على الحجاجِ، وأقرّه وحدَه على ولايةِ صدقةِ عليٍّ. وقد ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] فأحسَن، وذكَر عنه آثارًا تدلُّ على سيادتِه (5وعلمِه وتسنُّنِه، رحِمه اللَّهُ5). (6وقيل[7]: إنَّ الوليدَ ابنَ عبدِ الملكِ كتَب إلى عاملِه بالمدينةِ: إنَّ الحسنَ بنَ الحسنِ كاتَبَ أهلَ العراقِ، فإذا جاءك كتابى هذا فاجلِدْه مائةَ ضربةٍ، وقِفْه للناسِ، ولا أُرانى إلا قاتلَه. فأرسَل خلفَه فعلَّمه عليُّ بنُ الحسينِ كلماتِ الكربِ، فقالها حينَ دخَل عليه فنجَّاه اللَّهُ منهم، وهى: لا إلهَ إلّا اللَّهُ الحليمُ الكريمُ، لا إلهَ إلا اللَّهُ العليُّ العظيمُ، لا إلهَ إلّا اللَّهُ ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ العظيمِ. توفِّى بالمدينةِ، وكانت أمُّه خَوْلةَ بنتَ منظورٍ الفزاريَّ6).

---

(١) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٩، وتاريخ دمشق ١٣/ ٦١، وتهذيب الكمال ٦/ ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٢٨، والوافى بالوفيات ١١/ ٤١٦.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٦١ بسنده، من طريق الحسن به.

(٣) أخرجه النسائى فى الكبرى (١٠٤٧٨، ١٠٤٧٩، ١٠٤٨٠)، من ثلاث طرق عن على بن الحسن به، وفيه قصة.

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٣/ ٦١.

(٥ - ٥) سقط من: ا٢، م، ص.

(٦ - ٦) زيادة من: ا ٢، ب، م، ص.

(٧) تاريخ دمشق ١٣/ ٦٥، ٦٦، وبغية الطلب ٥/ ٣٥١، ٣٥٢.

وقال يومًا لرجلٍ مِن [١٥٩ظ] الرافضةِ : واللَّهِ إنَّ قَتْلَك لَقُربةٌ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجَلّ . فقال له الرجلُ : إنك تمزَحُ . فقال : واللَّهِ ما هذا منى بمزْحٍ ولكنه الجِدُّ[١] .

وقال له رجلٌ[٢] منهم[٣] : ألم يقُلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» ؟ فقال : بلَى ، ولو أرادَ الخلافةَ لخطَب الناسَ فقال : أيُّها الناسُ ، اعلَموا أنَّ هذا وليُّ أمرِكم والقائمُ عليكم مِن بعدى ، فاسمَعوا له وأطيعوا ، واللَّهِ لئن كان اللَّهُ ورسولُه اختار عليًّا لهذا الأمرِ ثم ترَكَه عليٌّ لكان أولَ مَن ترَك أمْرَ اللَّهِ ورسولِه .

وقال لهم أيضًا[٤] : واللَّهِ لئن وُلِّينا مِن الأمرِ شيئًا لنقطِّعَنَّ أيديَكم وأرجلَكم مِن خِلافٍ ثم لا نقبَلُ لكم توبةً ، ويلكم غَرَرتمونا مِن أنفسِنا ، ويلكم لو كانتِ القرابةُ تنفَعُ بلا عملٍ لنفعتْ أباه وأمَّه . فلو كان ما تقولون فينا حقًّا لكان آباؤنا [٥]إذ لم يُعلِمونا بذلك قد ظلَمونا وكتَموا عنّا أفضلَ الأُمورِ[٥] ، واللَّهِ إنِّى لأخشَى أن يضاعَفَ للعاصى منّا العذابُ ضِعفين ، كما إنِّى لأرجو للمحسِنِ منّا أن يكونَ له الأجرُ مرّتين ، ويلكم أحِبّونا إنْ أطعْنا اللَّهَ[٦] ، وأبغِضونا إن عصَيْنا اللَّهَ[٧] .

موسى بنُ نُصَيرٍ أبو عبدِ الرحمنِ اللَّخْمِىُّ[٨] ، مولاهم ، كان مولًى لامرأةٍ

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٦٧، وبغية الطلب ٥/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) فى ا ٢، ب، م، ص: «آخر».

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٦٩، وبغية الطلب ٥/ ٣٥٥.

(٤) تاريخ دمشق ٥/ ٦٩.

(٥ - ٥) فى الأصل: «قد غشونا إذ لم يعلمونا بذلك».

(٦) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «على طاعته».

(٧) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «على معصيته». وانظر الأثر فى تاريخ دمشق ٩/ ٧٠.

(٨) انظر ترجمته فى: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٤٦، وجذوة المقتبس ٣٣٨، وبغية الملتمس ٩٩، والحلة السيراء ٢/ ٣٣٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٨٥، ونفح الطيب ١/ ٢٨٣.

منهم، وقيل: كان مولًى لبنى أُميةَ. افتتَح بلادَ المغربِ، [1]وغنِم منها أموالًا لا تُعَدُّ ولا توصفُ، وله بها مَقاماتٌ مشهورةٌ هائلةٌ[1]، ويقالُ[2]: إنَّه كان أعرَجَ. ويقالُ[2]: إنَّه وُلِد سنةَ تسعَ عشْرةَ. وأصلُه من عينِ التمرِ، وقيل[2]: إنَّه مِن إراشَةَ[3] مِن بَلِيٍّ. سُبِى أبوه مِن جبلِ الخليلِ مِن الشامِ فى أيامِ الصِّدِّيقِ، وكان اسمُ أبيه نصرًا فصغِّر.

روَى عن تميمٍ الدارىِّ. وروَى عنه ابنُه عبدُ العزيزِ، ويزيدُ بنُ مسروقٍ اليَحْصُبىُّ. ووَلِى غزوَ البحرِ لمعاويةَ، فغزا قُبرُصَ، وبنَى هنالك حصونًا كالماغُوصةِ وحصنِ يانِسَ[4] وغيرِ ذلك مِن الحصونِ التى بناها بقبرصَ، وكان نائبَ معاويةَ عليها بعد أن فتَحها معاويةُ فى سنةِ سبعٍ وعشرين. وشهِد مرجَ راهطٍ مع الضحاكِ بنِ قيسٍ، فلمَّا قُتِل الضحاكُ لجَأ موسى بنُ نُصيرٍ إلى عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ، ثم لـمّا دخَل مروانُ بلادَ مصرَ كان معه فترَكه عندَ ابنِه عبدِ العزيزِ، ثم لما أخَذ عبدُ الملكِ بلادَ العراقِ جعَله وزيرًا عند أخيه بشرِ بنِ مروانَ.

وكان موسى بنُ نُصيرٍ هذا ذا رأيٍ وتدبيرٍ وحزمٍ وخبرةٍ بالحربِ. قال الفسَوىُّ[5]: ولِى موسى بنُ نُصيرٍ إمرةَ بلادِ إفريقيّةَ سنةَ تسعٍ وسبعين، فافتتَح

(١ - ١) زيادة من: ا ٢، ب، م، ص.

(٢) تاريخ دمشق ٤٠٧/١٧ (مخطوط).

(٣) إراشة: أبو قبيلة من بلى، وهو إراشة بن عامر بن عَبيلة بن قِسميلِ بن قزّان بن عمرو بن بلى. تاج العروس (أ ر ش).

(٤) فى الأصل، ا ٢، م، ص: «بانس».

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣٢.

بلادًا كثيرةً[1] . وقد ذكَرْنا أنَّه افتتَح بلادَ الأندلسِ[2] ، [3]وهى بلادٌ ذاتُ مدنٍ وقرًى وريفٍ[3] ، فسبَى منها ومِن غيرِها خلقًا كثيرًا ، وغنِم أموالًا جزيلةً ، [٧/١٦٠و] مِن الذهبِ[4] والجواهرِ النفيسةِ شيئًا لا يُحصَى ولا يُعَدُّ ، وأمّا الآلاتُ والمتاعُ والدوابُّ فشىءٌ لا يُدرَى ما هو ، وسبَى مِن الغِلمانِ الحسانِ والنساءِ الحسانِ شيئًا كثيرًا ، حتى قيل : إنَّه لم يَسْبِ[5] أحدٌ مثلَه مِن الأعداءِ ، وأسلَم أهلُ المغربِ على يديه ، وبثَّ فيهم الدينَ والقرآنَ ، وكان إذا سار إلى مكانٍ ، تُحملُ الأموالُ معه على العجَلِ لكثرتِها وعَجْزِ الدوابِّ عنها .

وقد كان موسى بنُ نُصيرٍ هذا يفتَحُ فى بلادِ المغربِ ، وقتيبةُ يفتَحُ فى بلادِ المشرِقِ ، فجزاهما اللَّهُ خيرًا ، فكلاهما فتَح مِن الأقاليمِ والبلدانِ شيئًا كثيرًا ، ولكنَّ موسى بنَ نُصيرٍ حظِى بأشياءَ لم يحظَ بها قتيبةُ ، حتى قيل[6] : إنَّه لـمّا فتَح الأندلسَ جاءه رجلٌ فقال : ابعَثْ معى رجالًا حتى أدُلَّك على كَنزٍ عظيمٍ ، فبعَث معه رجالًا فأتى بهم إلى مكانٍ ، فقال : احفِروا . فحفَروا فأفضَى بهم الحَفرُ إلى قاعةٍ عظيمةٍ ذاتِ لواوِينَ حسَنةٍ ، فوجَدوا هناك مِن اليواقيتِ والجواهرِ والزبرجدِ ما أبْهتَهم ، وأما الذهَبُ فشىءٌ لا يعبَّر عنه ، ووجَدوا فى ذلك الموضِعِ الطنافسَ ، الطِّنفِسةُ منها منسوجةٌ بقُضبانِ الذهبِ ، منظومةٌ باللؤلُؤِ الغالى المفتخَرِ ، والطِّنفِسةُ منظومةٌ بالجوهرِ المثمَّنِ ، واليواقيتِ التى ليس لها نظيرٌ فى شكلِها[4]

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « جدا مدنا وأقاليم » .

(٢) انظر ما تقدم فى ٩/ ٨٣، ٨٦.

(٣ - ٣) فى الأصل : « وأخذ بلدانا كثيرة » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « واللآلئ التى قيل : إنه لم يسب أحد مثله من الأعداء » .

(٥) فى م : « يسلب » .

(٦) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٠٩، ٤١٠ (مخطوط) .

[1] وحسنِها وصفاتِها . ولقد سمِع يومئذٍ منادٍ ينادى لا يرَون شخصَه : أيُّها الناسُ ، إنَّه قد فُتح عليكم بابٌ مِن أبوابِ جهنمَ فخذوا حِذرَكم . وقيل[2] : إنَّهم وجَدوا فى هذا الكَنزِ مائدةَ سليمانَ بنِ داودَ التى كان يأكُلُ عليها[1] . وقد جمَع أخبارَه وما جرَى له فى حروبِه وغزواتِه رجلٌ من ذريتِه يقال له : أبو معاويةَ مُعارِكُ بنُ مروانَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بنِ موسى بنِ نُصيرٍ النُّصيرِىُّ .

وروَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ سأَل موسى بنَ نُصيرٍ حين قَدِم دمشقَ أيامَ الوليدِ عن أعجبِ شىءٍ رآه[4] فى البحرِ ، فقال : انتهَيْنا مرةً إلى جزيرةٍ فيها ستُّ عشْرةَ جَرَّةً[5] خضراءَ[6] مختومةً عليها بخاتَمِ سليمانَ بنِ داودَ ، عليهما السلامُ ، فأمَرتُ بأربعةٍ منها فأُخرِجتْ ، وأمَرتُ بواحدةٍ منها فنُقِبتْ فإذا[7] شيطانٌ ينفُضُ رأسَه ، وهو[6] يقولُ : والذى أكرَمَك بالنُّبوَّةِ لا أعودُ بعدَها أُفسِدُ فى الأرضِ . قال : ثم[8] نظَر فقال : واللَّهِ[9] لا أرى بها[10] سليمانَ وملكَه . فانساخ فى الأرضِ[11] فذهَب ، قال : فأمَرتُ بالثلاثِ البواقى فرُدَّت إلى مكانِها[12] .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٤١١ (مخطوط) .

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٤١١، ٤١٢ (مخطوط) .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «رأيت» .

(٥) فى ص : «حزيرة» .

(٦) سقط من : م .

(٧) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : «قد خرج منها» .

(٨) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : «إن ذلك الشيطان» .

(٩) فى م : «إنى» .

(١٠) فى م : «بهاء» .

(١١) انساخ فى الأرض ، يعنى : غاص فيها .

(١٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : «وقد ذكر السمعانىّ وغيرُه عنه أنه سارَ إلى مدينةِ النحاسِ التى =

وقد استَسقَى موسى بنُ نُصيرٍ بالناسِ فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين حين أقحَطوا بإفريقيّةَ ، فأمَرهم بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ قبل الاستسقاءِ ، ثم خرَج بين الناسِ ، وميَّز أهلَ الذمَّةِ عن المسلمين ، وفرَّق بين البهائمِ وأولادِها ، ثم أَمَر برفعِ[1] الضجيجِ والبكاءِ ، وهو يدعو اللَّهَ تعالى حتى انتصَف النهارُ ، ثم نزَل فقيل له : ألا دعوتَ لأميرِ المؤمنين ؟ فقال : هذا موطنٌ لا يُذكَرُ فيه إلا اللَّهُ . فسقاهم اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، [2]لمّا قال ذلك[2] . وقد وفَد موسى بنُ نُصيرٍ على الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى آخرِ أيامِه ، فدخَل دمشقَ فى يومِ جمُعةٍ والوليدُ على المنبرِ ، وقد لبِس موسى ثيابًا حسنةً وهيئةً حسنةً ، ومعه ثلاثونَ[3] من أبناءِ الملوكِ[4] والأشبانِ ، وقد ألبَسهم تِيجانَ الملوكِ مع ما معهم مِن الخدمِ والحشمِ والأُبَّهةِ العظيمةِ ، فلمّا نظَر إليهم الوليدُ وهو يخطُبُ الناسَ على منبرِ جامعِ دمشقَ بُهِتَ إليهم ، لِما رأَى عليهم مِن

= بقربِ البحرِ المحيطِ الأخضرِ ، فى أقصى بلادِ المغربِ ، وأنهم لما أشرَفوا عليها رأَوا بريقَ شرفاتها وحيطانِها من مسافةٍ بعيدةٍ ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندَها ، ثم أرسلَ رجلًا من أصحابِه ومعه مائةُ فارسٍ من الأبطالِ ، وأمره أن يدورَ حول سورِها لينظرَ هل لها بابٌ أو منفذٌ إلى داخلِها ، فقيل : إنه سارَ يومًا وليلةً حول سورِها ، ثم رجَع إليه فأخبَره أنه لم يجدْ بابًا ولا منفذًا إلى داخلِها ، فأمَرهم فجمَعوا ما معهم من المتاعِ بعضَه على بعضٍ ، فلم يبلغوا أعلى سورِها ، فأمَر فعمل سلالم فصعِدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلًا فصعِد على سورِها ، فلما رأى ما فى داخلِها لم يملكْ نفسَه أن ألقاها فى داخلِها فكان آخر العهدِ به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناسُ من الصعودِ إليها ، فلم يُحطْ أحدٌ منهم بما فى داخلِها علمًا ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرةٍ قريبةٍ منها ، فقيل : إنَّ تلك الجرارَ المذكورةَ وجَدها فيها ، ووجَد عليها رجلًا قائمًا ، فقال له : ما أنتَ ؟ قال : رجلٌ من الجنِّ وأبى محبوسٌ فى هذه البحيرةِ حبَسه سليمانُ ، فأنا أجىء إليه فى كل سنةٍ مرةً أزورُه . فقال له : هل رأيتَ أحدًا خارجًا من هذه المدينةِ أو داخلًا إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتى فى كلِّ سنة إلى هذه البحيرةِ يتعبَّدُ عليها أياما ثم يذهبُ فلا يعودُ إلى مثلِها ، واللَّهُ أعلمُ ما هو . ثم رجَع إلى إفريقيةَ ، واللَّه أعلمُ بصحةِ ذلك ، والعهدةُ على من ذكَر ذلك أولا » .

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « بارتفاع » .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « غلاما » .

(٤) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « الذين أسرهم » .

الحريرِ والجواهرِ والزينةِ البالغةِ ، وجاء موسى بنُ نُصيرٍ فسلَّم على الوليدِ وهو على المنبرِ ، وأمَر أولئك فوقَفوا عن يمينِ المنبرِ وشِمالِه ، فحمِد اللَّهَ الوليدُ ، وشكَره على ما أيَّدَه به ووسَّع مُلكَه ، وأطال الدعاءَ والتحميدَ والشكرَ حتى خرَج وقتُ الجمُعةِ ، ثم نزَل فصلَّى بالناسِ ، ثم استَدعى بموسى بنِ نُصيرٍ فأحسَن جائزتَه وأعطاه شيئًا كثيرًا ، وكان[1] موسى قد قدِم معه[2] بمائدةِ سليمانَ بنِ داودَ ، عليهما السلامُ ، التى كان يأكُلُ عليها وكانت مِن خليطين ؛ ذهبٍ وفضةٍ ، وعليها ثلاثةُ أطواقِ لؤلؤٍ وجوهرٍ لم يُرَ مثلُها[3] ، وجَدها فى مدينةِ طُلَيطِلةَ مِن بلادِ الأندلسِ مع أموالٍ كثيرةٍ . وقيل[4] : إنَّه بعَث ابنَه مروانَ على جيشٍ ، فأصاب مِن السبيِ مائةَ ألفِ رأسٍ ، وبعَث ابنَ أخيه فى جيشٍ ، فأصاب مائةَ ألفِ رأسٍ أيضًا مِن البربرِ ، فلمّا جاء كتابُه إلى الوليدِ وذكَر فيه أنّ خُمُسَ الغنائمِ أربعون ألفَ رأسٍ . قال الناسُ : إنَّ هذا أحمقُ ، مِن أين له أربعون ألفَ رأسٍ خُمُسُ الغنائمِ ؟ فبلَغه ذلك فأرسَل أربعين ألفَ رأسٍ وهى خُمُسُ ما غنِم ، ولم يُسمعْ فى الإسلامِ بمثلِ سبايا موسى بنِ نصيرٍ أميرِ المغربِ .

(٥) وقد جرَت له عجائبُ فى فتحِه بلادَ الأندلسِ وقال : لو انقاد الناسُ لى لقدتُهم حتى أفتَحَ بهم مدينةَ روميَةَ - وهى المدينةُ العظمى فى بلادِ الفرنجِ - ثم ليفتحَنَّها اللَّهُ على يدىَّ إن شاء اللَّهُ تعالى . ولـمّا قدِم على الوليدِ (٥) قَدِم معه بثلاثين ألفًا مِن السبيِ غيرَ ما ذكَرْنا ، وذلك خُمُسُ ما كان غنِمه فى آخرِ غَزاةٍ غزاها ببلادِ

---

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « كذلك » .
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « بشىء كثير من ذلك » .
(٣) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « مثله » .
(٤) أخرج نحوه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٤٠٩، ٤١٠ (مخطوط) .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

المغربِ ، وقدِم معه مِن الأموالِ والتحفِ واللآلئِ والجواهرِ ما لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ .

ولم يزَلْ مقيمًا بدمشقَ حتى مات الوليدُ وتولّى سليمانُ ، وكان عاتبًا على موسى فحبَسه عندَه ، وطالَبه [٧/١٦٠ظ] بأموالٍ عظيمةٍ . ولم يَزَلْ فى يدِه حتى حجَّ سليمانُ فى هذه السنةِ وأخَذه معه فمات بالمدينةِ[١] . وقيل[٢] : بوادى القرى . وقد قارب[٣] الثمانين ، وقيل[٤] : توفِّى سنةَ تسعٍ وتسعين . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٤١٢، ٤١٣ (مخطوط) .

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٤١٣ (مخطوط) .

(٣) فى الأصل : «جاوز» .

(٤) وفيات الأعيان ٥/ ٣٢٩.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين

ففى هذه السنةِ جهَّز سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ - أميرُ المؤمنين - أخاه مَسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ لغزوِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وراءَ الجيشِ الذين هُم بها ، فسار إليها ومعه جيشٌ عظيمٌ ، ثم التفّ عليه ذلك الجيشُ الذين هم هناك ، وقد أمَر كلَّ رجلٍ [1] مِن الجيشِ [1] أن يحمِلَ معه على ظهْرِ فَرَسِه مُدَّيْن مِن طعامٍ ، فلمّا وصَل إليها جمَعوا ذلك ، فإذا هو أمثالُ الجبالِ ، فقال لهم مسلمةُ [2] : اترُكوا هذا الطعامَ وكُلوا ممّا تجِدونَه فى بلادِهم ، وازرَعوا فى أماكنِ الزرعِ واستغِلُّوه ، وابنُوا لكم بيوتًا مِن خشَبٍ ، فإنّا لا نرجِعُ عن هذه البلدةِ حتى نفتَحَها إن شاءَ اللَّهُ . [3] وقد داخَل مسلمةَ رجلٌ [3(4)] مِن النصارَى يقال له : إليُونُ . وواطأَه فى الباطنِ ليأخُذَ له بلادَ الرومِ ، فظهَر منه نُصْحٌ فى بادِئِ الأمرِ ، ثم إنّه تُوفِّى مَلِكُ القُسطَنطِينيَّةِ ، فدخَل إليُونُ فى رسالةٍ مِن مسلمةَ وقد خافتْه الرومُ خوفًا شديدًا ، فلمّا دخَل إليهم إليُونُ قالوا له : رُدَّه عنا ونحن نمَلِّكُك علينا . فخرَج فأَعمَل الحيلةَ فى الغدرِ والمكْرِ ، ولم يزَلْ - قبَّحه اللَّهُ - حتى أحرَقَ ذلك الطعامَ الذى للمسلمينَ ، وذلك لأنَّه قال لمسلمةَ : إنَّهم ما دامُوا يَرَوْنَ هذا الطعامَ عندَك [5] يظنُّونَ أنَّك [6] تُطاوِلُهم فى القتالِ ، فلو أحرَقْتَه لَتَحَقَّقُوا منك العزْمَ ، وسلَّموا لك البلدَ سريعًا ، فأمَر مسلمةُ

(١ - ١) فى الأصل : « منهم » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٠، الكامل ٥/ ٢٧.

(٣ - ٣) فى ا ٢، ب، م، ص : « ثم إن مسلمة داخل رجل » .

(٤) فى م : « رجلا » .

(٥) سقط من : ا ٢، ب، م، ص .

(٦) فى الأصل : « أنهم » .

بالطعامِ فأُحرِقَ ، ثم انشَمَر إليُونُ فى السُّفُنِ وأخَذ ما أمكَنه مِن أمتعةِ الجيشِ فى الليلِ ، وأصبَح وهو بالبلدِ محاربًا للمسلمين ، وأظهَر العداوةَ الأكيدةَ ، وتحصَّن بالبلدِ[1] ، واجتمَعت عليه الرومُ ، وضاق الحالُ على المسلمين ، حتى أكَلوا كلَّ شىءٍ إلّا الترابَ ، فلم يزَلْ ذلك دأبَهم حتى جاءتْهم وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ وتوليةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، على ما سيأتى ، فكَرُّوا راجِعِينَ إلى الشامِ ، وقد جَهَدوا جَهْدًا شديدًا ، لكنْ لم يرجِعْ مسلمةُ حتى بنَى مسجدًا بالقُسطَنْطِينيَّةِ[2] شديدَ البناءِ مُحْكَمًا ، رَحْبَ الفناءِ ، شاهِقًا فى السماءِ .

وقال الواقدىُّ[3] : لما وَلِى سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ أراد الإقامةَ ببيتِ المقدسِ ، ثم أرسلَ العساكرَ إلى القُسطَنْطِينيَّةِ ، فأشار عليه موسى بنُ نُصيرٍ بأن يفتَحَ ما دونَها مِن المدنِ والرساتيقِ والحصُونِ ، حتى يبلُغَ المدينةَ ، فلا يأتِيَها إلّا وقد هُدِمَت حصُونُها ووهَنَت قوتُها ، فإذا فعَلْتَ ذلك لم يبقَ بينَك وبينَها مانعٌ ، فيُعطوا بأيدِيهم ويُسلِّموا لك البلدَ ، ثم استَشار أخاه مسلمةَ فأشارَ عليه بأن يدَعَ ما دونَها مِن البلادِ ويفتَحَها عَنوةً ، فمتى ما فُتِحَت فإنَّ باقىَ ما دونَها مِن البلادِ والحصُونِ بيدِك . فقال سليمانُ : هذا هو الرأىُ . ثم أخَذ فى تجهيزِ الجيوشِ مِن الشامِ والجزيرةِ فجهَّز فى البَرِّ مائةً وعشرينَ ألفًا ، وفى البحرِ مائةً وعشرينَ ألفًا مِن المقاتِلةِ ، وأخرَج لهم الأَعْطيةَ ، وأنفَق فيهم الأموالَ الكثيرةَ ، وأعلَمهم بغزوِ القُسطَنْطِينيَّةِ والإقامةِ عليها إلى أن يفتَحُوها ، ثم سار سليمانُ مِن بيتِ المقدسِ فدخَل دمشقَ ، وقد اجتمَعَت له العساكرُ فأمَّر عليهم أخاه مسلمةَ ، ثم قال :

---

(١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) فى الأصل : « المدينة » .

(٣) أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٩، عن سعيد بن عبد العزيز وليس الواقدى .

سِيروا على بَرَكَةِ اللَّهِ ، وعليكم بتَقْوى اللَّهِ والصبرِ والتَّناصُحِ والتَّناصفِ . ثم سار سليمانُ حتى نزَل مَرْجَ دابِقٍ ، فاجتَمع إليه الناسُ أيضًا مِن المُطَّوِّعةِ المحتَسِبينَ أجورَهم على اللَّهِ ، فاجتَمع له جندٌ عظيمٌ لم يُرَ مثلُه ، ثم أمَر مسلمةَ أن يرحَلَ بالجيوشِ وأخَذ معه إليُونَ الرومِيَّ المَرْعَشِيَّ ، ثم ساروا حتى نَزَلوا على القُسطَنْطِينِيَّةِ فحاصَرَها إلى أن برَّح بهم[1] ، وعرَض أهلُها الجزيةَ على مسلمةَ ، فأبَى إلَّا أن يفتَحَها عَنوةً ، قالوا[2] : فابعَثْ إلينا إليُونَ نشاوِرْه . فأَرْسَله إليهم ، فقالوا له : رُدَّ هذه العساكرَ عنا ونحن نُعطِيكَ ونُمَلِّكُك علينا . فرجَع إلى مسلمةَ ، فقال له[3] : قد أجابُوا إلى فتحِها غيرَ أنَّهم لا يفتحونَها ما لم تَنَحَّ عنهم . فقال مسلمةُ : إنِّى أَخْشَى غَدْرَك ، فحلَف له أن يدفَعَ إليه مفاتِيحَها وما فيها ، فلما تَنَحَّى عنهم أخَذوا فى ترميمِ ما تهَدَّمَ مِن أسوارِها واستَعَدُّوا للحصارِ . وغدَر إليونُ بالمسلمينَ ، قبَّحه اللَّهُ .

قال ابنُ جريرٍ[4] : وفى هذه السنةِ أخَذ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ العَهْدَ لولَدِه أيوبَ أن يكونَ الخليفةَ مِن بعدِه ، وذلك بعدَ موتِ أخيه مرْوانَ بنِ عبدِ الملكِ [5]ابنِ مَرْوانَ[5] ، فعَدَل عن ولايةِ أخيه يزيدَ إلى ولايةِ ولَدِه أيوبَ ، وتربَّص بأخيه الدوائرَ ، فماتَ أيوبُ فى حياةِ أبيه ، فبايَع سليمانُ لابنِ عمِّه عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن يكونَ الخليفةَ مِن بعدِه ، ولنِعْمَ ما فعَل . وفيها فُتِحت مدينةُ الصَّقالِبَةِ[6] . قال

---

(١) برّح به وأبرح به : إذا ألح عليه فى الأذى .

(٢) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٧١.

(٣) فى ب : «لهم» .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣١، ٥٣٢.

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل .

(٦) بلاد الصقالبة : بلاد بين بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان ٣/ ٤٠٥.

الواقدىُّ[1] : وقد أغارتِ البُرْجانُ على جيشِ مسلمةَ وهو فى قِلَّةٍ مِن الناسِ ، فى هذه السنةِ ، فبعَث إليه سليمانُ جيشًا فقاتَلوا البرجانَ حتى هزَمَهم اللَّهُ عزَّ وجل .

وفى هذه السنةِ غزا يزيدُ بنُ [٧/١٦١و] المهلَّبِ دِهِسْتانَ[2] [3]مِن أرضِ الصينِ[3] فحاصَرها وقاتَل عندَها قتالًا شديدًا ، ولم يَزَلْ حتى تسلَّمَها ، وقتَل مِن التُّركِ الذين بها أربعةَ آلافٍ صَبْرًا ، وأخَذ منها مِن الأموالِ والأثاثِ والأمتِعةِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كثرةً وقيمةً وحُسنًا ، ثم سار منها إلى جُرجانَ فاستَجاشَ صاحبُها بالدَّيْلَمِ ، فقَدِموا لنجْدَتِه فقاتَلهم يزيدُ بنُ المهلَّبِ وقاتَلوه ، فحمَل محمدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سَبْرةَ الجُعْفىُّ - وكان فارسًا شجاعًا باهِرًا - على مَلِكِ الدَّيْلَمِ فقتَله وهزَمهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، ولقد بارَز ابنُ أبى سَبْرَةَ هذا يومًا بعضَ فرسانِ التركِ ، فضرَبه التُّركِىُّ بالسيفِ على البَيْضةِ فنشِب فيها ، وضرَبه ابنُ أبى سَبْرَةَ فقتَله ، ثم أقبلَ إلى المسلمينَ وسيفُه يقطُرُ دمًا [4]وسيفُ التركىِّ ناشبٌ[4] فى خَوْذَتِه ، فنظَر إليه يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، فقال : ما رأيتُ منْظرًا أحسنَ مِن هذا ، مَن هذا الرجلُ ؟ قالوا : ابنُ أبى سَبْرةَ . فقال : نِعْمَ الرجلُ لولا انهِماكُه فى الشرابِ . ثم صمَّمَ يزيدُ بنُ المهلَّبِ على محاصَرةِ جُرجانَ ، وما زال يُضَيِّقُ على صاحبِها حتى صالَحه على سبعِمائةِ ألفِ درهمٍ وأربعِمائةِ ألفِ دينارٍ ، ومائتى ألفِ ثوبٍ ، وأربعِمائةِ حمارٍ مُوقَرةٍ زعفرانًا ، وأربعِمائةِ رجلٍ ، على رأسِ كلِّ رجلٍ تُرْسٌ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٢.

(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « قهستان » . وهى كذلك فى الكامل ٥/ ٢٩، وفى ا ٢: « قبستان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٢، والمنتظم ٧/ ٢٧، وانظر معجم البلدان ٢/ ٦٣٣.

(٣ - ٣) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٤ - ٤) فى الأصل : « وذلك السيف معلق » .

على التُّرْسِ طَيْلَسانٌ وجَامٌ مِن فضةٍ وسَرَقَةٌ[1] مِن حريرٍ .

وهذه المدينةُ كان سعيدُ بنُ العاصِ قد افتَتَحَها صُلْحًا على أن يُؤَدُّوا الخراجَ فى كلِّ سنةٍ ، [2]فكانوا يحمِلونَ فى كلِّ سنةٍ[2] مائةَ ألفٍ ، وفى سنةٍ مائتَىْ ألفٍ ، وفى بعضِ السنين ثلاثَمائةِ ألفٍ ، ويمنَعونَ ذلك فى بعضِ السنين ، ثم امتَنَعوا جملةً وكفَرُوا ، فغَزاهم يزيدُ بنُ المهلَّبِ ورَدَّها صُلْحًا على ما كانت عليه فى زَمَنِ سعيدِ بنِ العاصِ . قالوا[3] : وأصاب يزيدُ بنُ المهلَّبِ مِن جُرْجانَ[4] أموالًا كثيرةً جدًّا ، فكان مِن جملتِها تاجٌ فيه جواهِرُ نفيسةٌ ، فقال : أَتَرَوْنَ أحدًا يزهَدُ فى هذا ؟ قالوا : لا[5] . فدعا بمحمدِ بنِ واسِعٍ - وكان فى الجيشِ مغازيًا - فعرَض عليه أخْذَ التاجِ ، فقال : لا حاجةَ لى فيه . فقال : أقسَمْتُ عليك لتأْخُذَنَّه . فأخَذَه وخرَج به مِن عندِه ، فأمَر يزيدُ رجلًا أن يتْبَعَه فينْظُرَ ماذا يَصنَعُ بالتاجِ ؟ فمرَّ بسائلٍ ، فطلَب منه شيئًا ، فأعطاه التاجَ بكمالِه وانصَرَف ، فبعَث يزيدُ إلى ذلك السائلِ ، فأخَذ منه التاجَ وعوَّضه عنه مالًا كثيرًا .

وقال علىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ[6] : قال أبو بكرٍ الهُذَلِىُّ : كان شهرُ بنُ حَوْشَبٍ على خزائنِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ فرَفعوا إليه أنه أخَذ[7] خريطةً فيها مائةُ دينارٍ ، فسأَله عنها فقال : نعم . وأحضَرها ، فقال له يزيدُ : هى لك . ثم استَدْعى

---

(١) السرقة : واحدة السَّرَق ، وهو شُقَق الحرير أو أجوده . الوسيط (س ر ق) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٩.

(٤) فى م : « غيرها » .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « نعلمه ، فقال : واللَّه إنى لأعلم رجلًا لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٩.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٨، ٥٣٩.

(٧) فى ا ٢: « أخرج » .

الذى [١٦١/٧ظ] وشَى به فشتَمه ، فقال فى ذلك القُطاميُّ الكلبيُّ - ويُقالُ : إنَّها لسِنانِ بنِ مكمَّلٍ النُّميريِّ :

لقدْ باعَ شَهْرٌ دينَهُ بخريطةٍ ... فمنْ يأمَنُ القُرَّاءَ بعدَكَ يا شهرُ
أخذْتَ بهِ[1] شيئًا طفيفا[2] وبِعتَهُ ... مِن ابنِ [3]جَوَنبوذَ انَّ[3] هذا هو الغدرُ

وقال مُرَّةُ النَّخَعيُّ[4] :

يا ابنَ المُهَلَّبِ ما أردْتَ إلى امْرِئٍ ... لولاكَ كانَ كصالحِ القُرَّاءِ

قال ابنُ جريرٍ[5] : ويُقالُ : إنَّ يزيدَ بنَ المهلَّبِ كان فى غَزْوةِ جُرْجانَ فى مائةِ ألفٍ وعشرينَ ألفًا ، منهم ستُّون ألفًا مِن جيشِ الشّامِ أثابَهم اللَّهُ ، وقد تمهَّدتْ تلك البلادُ بفتحِ جُرْجانَ وسلَكَتِ الطرقُ ، وكانت قبلَ ذلك مَخُوفةً جدًّا ، ثم عزَم يزيدُ على المسيرِ إلى طَبَرِسْتانَ[6] ، وقدِم بينَ يديْه سريةٌ هى أربعةُ آلافٍ مِن سُراةِ الناسِ ، فلمّا التقَوْا اقتتَلوا قِتالًا شديدًا ، وقُتِل مِن المسلمينَ فى المعركةِ أربعةُ آلافٍ فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعُونَ . ثم عزَم يزيدُ على فتحِ البلادِ لا مَحالةَ ، وما زَال حتى صالَحه صاحبُها - وهو الإصْبَهبَذُ - بمالٍ كثيرٍ ؛ سبعِمائةِ ألفٍ فى كلِّ عامٍ ، وغيرِ ذلك مِن المتاعِ والرقيقِ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٢ ، ب ، ص : « بها » .
(٢) فى ص : « لطيفا » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٢ ، ص : « حرننوكان » . كذا ، وفى ب : « حرننوكات » . وفى سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٥: « جرير إن » ، وفى تاريخ دمشق ٨/ ١٤٤: « جرير وان » . والمثبت موافق لما فى الطبرى .
(٤) فى الأصل ، ا ٢ ، ب ، ص : « الحنفى » . وفى م : « بن النخعى » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣٩.
(٦) فى م : « خورستان » .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ[1] ، كان إمامًا حُجَّةً ، وكان مُؤَدِّبَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وله رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ مِن الصحابةِ .

أبو الحَفْصِ النَّخَعِيُّ[2] .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ ابنِ الحنَفِيَّةِ[3] . وقد ذكَرْنا تراجِمَهم فى « التَّكْمِيلِ » . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلَمُ .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٥٠، والجرح والتعديل ٥/ ٣١٩، وطبقات الفقهاء ٦٠، وتهذيب الكمال ١٩/ ٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٢١.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٨٩، طبقات خليفة ١/ ٣٦٢، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١- ١٠٠) ص ٤١٢.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٧، والتاريخ الكبير ٥/ ١٨٧، والجرح والتعديل ٥/ ١٥٥، وتهذيب الكمال ١٦/ ٨٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٢٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٠٥.

ثم دخلتْ سنةُ تِسْعٍ وتِسعينَ

فيها كانت وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ، أميرِ المؤْمنينَ، يومَ الجمُعةِ لعَشْرٍ مَضَيْنَ - وقيل: بقِينَ - مِن صَفَرٍ منها[1]، عن خَمْسٍ وأربعينَ سنةً. وقيل: عن ثلاثٍ وأربعينَ[2]. وقيل: إنَّه لم يجاوِزِ الأربعينَ[2]. وكانت خلافتُه سنَتَيْن وثمانيةَ أشهرٍ، وزعَم أبو أحمدَ الحاكمُ أنَّه توفِّى يومَ الجمُعةِ لثلاثَ عشرةَ بقِيَتْ مِن رمضانَ منها، وأنَّه استَكْمَل فى خلافتِه ثلاثَ سنينَ وثلاثةَ أشهُرٍ وخمسةَ أيامٍ، وله مِن العمْرِ تسعٌ وثلاثونَ سنةً[3]. والصحيحُ قولُ الجمهورِ، وهو القولُ الأوَّلِ. واللَّهُ أعلَمُ.

وهو سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ، القرَشِيُّ الأُمَوِيُّ، أبو أيوبَ[4].

كان مولِدُه بالمدينةِ فى بَنِى جَزِيلةَ، ونشأَ بالشامِ عندَ أبيه، وروَى الحديثَ عن أبيه، عن جدِّه، عن عائشةَ أمِّ المؤْمنينَ فى قصَّةِ الإفْكِ، رَواه ابنُ عساكرَ[5]، مِن طريقِ ابنِه عبدِ الواحدِ بنِ سليمانَ عنه. وروَى عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُنَيْدةَ أنَّه

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧١، بنحوه.

(٤) انظر ترجمته فى: الإنباء فى تاريخ الخلفاء ٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٧، وتاريخ الخلفاء ٢٢٥ - ٢٢٨.

(٥) سقطت ترجمة سليمان بن عبد الملك من تاريخ ابن عساكر (مخطوط الظاهرية)، وأورد ترجمته ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

صحِب عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ إلى الغابةِ، قال[1] : فسكَتُّ، فقال لى ابنُ عمرَ: ما لَك؟ فقلتُ: كنتُ أَتمنَّى، فهل[2] تَتمنَّى يا أبا عبدِ الرحمنِ؟ فقال: لو أن لى أُحُدًا هذا ذهَبًا أَعلَمُ عدَدَه وأُخرِجُ زَكاتَه ما كَرِهتُ ذلك، أو قال: ما خَشِيتُ أن يَضُرَّنى. رَواه محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلىُّ، عن أبى صالحٍ، عن اللَّيثِ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ مسافرٍ، عن الزُّهْرىِّ عنه.

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] : [١٦٢/٧و] وكانت دارُه بدِمشقَ موضعَ مِيضأةِ جَيْرونَ الآنَ فى تلك الساحةِ جميعِها، وبنَى دارًا كبيرةً ممّا يلى بابَ الصغيرِ - موضعَ الدربِ المعروفِ بدربِ مُحرزٍ - وجعَلها دارَ الإمارةِ، وعمِل فيها قُبَّةً صفراءَ تَشْبيهًا بالقُبَّةِ الخضراءِ. قال: وكان فصيحًا مُؤْثِرًا للعدْلِ مُحبًّا للغزْوِ، وقد أنفَذ الجيشَ لحصارِ القُسطَنْطِينيَّةِ حتى صالَحوهم على بناءِ الجامعِ بها.

وقد روَى أبو بكرٍ الصُّولِىُّ[4]، أن عبدَ الملكِ جمَع بنِيه الوليدَ وسليمانَ ومسلمةَ بينَ يدَيه، فاستقرأَهم القرآنَ فأجادوا القراءةَ، ثم استنشَدَهم الشِّعْرَ فأجادوا، غيرَ أنَّهم لم يُكمِلُوا أو يُحكِمُوا شعرَ الأعشَى، فلامَهم على ذلك، ثم قال: ليُنشِدْنى كلُّ رجلٍ منكم أَرَقَّ بيتٍ قالتْه العربُ ولا يُفحِشْ، هاتِ يا وليدُ. فقال الوليدُ:

ما مركبٌ وركوبُ الخيلِ يُعجِبُنى ... كمركبٍ بينَ دُملُوجٍ وخَلْخَالِ

فقال عبدُ الملكِ: وهل يكونُ مِن الشِّعرِ أرْفَثَ[5] مِن هذا؟ هاتِ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

(٢) فى م: «فقال ابن عمر: فما».

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧١، ١٧٢.

(٥) فى ا ٢، ب، م، ص: «أرق»، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧١.

ياسليمانُ . فقال :

حبَّذا رَجْعُها يَديْها إليها ... فى يَدِى دِرْعُها تَحُلُّ الإزارا

فقال : لم تُصِبْ ، هاتِ يا مسلمةُ ، فأنشَدَه قولَ امرئِ القيسِ[1] :

وما ذرَفتْ عَيْناكِ إلَّا لِتَضْرِبى ... بسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

فقال : كذَب امرؤُ القيسِ ولم يُصِبْ ، إذا ذرَفتْ عيناها بالوَجْدِ فما بَقِى إلّا اللقاءُ ، وإنَّما يَنْبَغِى للعاشقِ[2] أن يقْتَضِىَ[3] منها الجفاءَ ويكْسُوَها المودَّةَ . ثم قال : أنا مُؤَجِّلُكم فى هذا البيتِ ثلاثةَ أيامٍ ، فمَن أتانِى به فله حُكْمُه - أى مهما طلَب أعطيتُه - فنهَضوا مِن عندِه ، فبينَما سليمانُ فى مَوْكبٍ إذا هو بأعْرابىٍّ يسوقُ إبلَه وهو يقولُ :

لو حُزَّ[4] بالسَّيفِ رأْسى فى مودَّتِها ... لمالَ يَهْوِى سريعًا نحوَها رأسِى

فأمَر سليمانُ بالأعْرابىِّ فاعتُقِلَ ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتُك بما سألْتَ . فقال : هاتِ . فأنشَده البيتَ ، فقال : أحسنْتَ ، وأنَّى لك هذا ؟ فأخبَره خبرَ الأعرابىِّ ، فقال : سَلْ حاجتَك ولا تَنْسَ صاحبَك . فقال : يا أميرَ المؤْمنينَ ، إنَّك قد عَهِدتَ بالأمرِ مِن بعدِك للوليدِ ، وإنِّى أُحِبُّ أن أكونَ ولىَّ العَهْدِ مِن بعدِه . فأجابَه إلى ذلك ، وبعثَه على الحجِّ فى سنةِ[5] إحدَى وثمانِينَ ، وأطلَق له مائةَ ألفِ دِرهمٍ ، فأعطاها سليمانُ لذلك الأعرابىِّ الذى قال ذلك البيتَ مِن الشِّعرِ ، فلمّا مات أبوه سنةَ ستٍّ وثمانينَ ، وصارتِ الخلافةُ إلى أخيه الوليدِ ، كان بينَ

---

(١) ديوانه ص ١٣ مع اختلاف يسير .

(٢) فى الأصل ، ص : « للفاسق » .

(٣) فى ب : « يقصى » ، وفى م : « يغتضى » ، وفى ص : « يقضى » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٢ .

(٤) فى م : « ضربوا » .

(٥) سقط من : م .

يدَيه كالوزيرِ والمُشيرِ ، وكان هو المُستَحِثَّ على عِمارةِ جامعِ دِمشقَ ، فلمّا تُوفِّى أخوه الوليدُ [١٦٢/٧ظ] يومَ السبتِ للنصفِ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ستٍّ وتِسْعينَ ، وكان سليمانُ بالرَّمْلَةِ ، فلمّا أقبَل تَلقّاه الأمراءُ ووجوهُ الناسِ ، وقيل : إنَّهم ساروا إليه إلى بيتِ المقدِسِ فبايَعوه هناك . وعزَم على الإقامةِ بالقُدْسِ ، وأتَتْه الوفودُ إلى بيتِ المقْدسِ ، فلم يرَوْا وِفادةً[1] ، فكان يجلِسُ فى قُبَّةٍ فى صَحْنِ المسجدِ ممّا يلى الصخرةَ مِن جهةِ الشَّمالِ ، وتجلِسُ أكابرُ الناسِ على الكراسِى ، وتُقَسَّمُ فيهم الأموالُ ، ثم عزَم على المجيءِ إلى دِمشقَ ، فدخَلها وكمَّل عِمارةَ الجامعِ .

وفى أيامِه جُدِّدَتِ المقصُورةُ ، واتخَذ ابنَ عمِّه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ مُستشارًا ووَزِيرًا ، وقال له[2] : إنّا قد وُلِّينا ما ترَى ، وليس لنا عِلْمٌ بتَدبيرِه ، فما رأيتَ مِن مصلحةِ العامَّةِ فمُرْ به فليُكْتَبْ . وكان مِن ذلك عَزْلُ نوّابِ الحجّاجِ ، وإخراجُ أهلِ السُّجونِ منها ، وإطلاقُ الأُسَراءِ ، وبَذْلُ الأَعطيةِ بالعراقِ ، ورَدُّ الصلاةِ إلى ميقاتِها الأوَّلِ ، بعدَ [3]ما كان مَن كان قبلَه[3] يُؤَخِّرونَها إلى آخِرِ وقتِها ، مع أمورٍ حسَنةٍ كان يَسمَعُها مِن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، رحِمَهما اللَّهُ .

وأمَر بغَزوِ القُسطَنطِينيَّةِ ، فبعَث إليها مِن أهلِ الشامِ والجزيرةِ والمَوْصِلِ فى البَرِّ نحوًا مِن مائةِ ألفٍ وعشرينَ ألفَ مقاتلٍ ، وبعَث مِن أهلِ مِصْرَ وإفريقيَّةَ ألفَ مَرْكَبٍ فى البحْرِ ، عليهم عمرُ بنُ هُبَيْرةَ ، وعلى جماعةِ الناسِ كلِّهم أَخُوه مسلمةُ ابنُ عبدِ الملكِ ، ومعه ابنُه داودُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ فى جماعةٍ مِن أهلِ بيتِه ،

---

(١) بعده فى م : « هناك » .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٢، ١٧٣.

(٣ - ٣) فى ا ٢، ص : « أن كانت » ، وفى م : « أن كانوا » .

وذلك كلُّه عن مشورةِ موسى بنِ نُصَيْرٍ، حينَ قدِم عليه مِن بلادِ المغربِ. والصحيحُ أنَّه قدِم فى أيامِ أخيه الوليدِ. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ أبى الدنيا[1]: حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الكوفىُّ، عن جابرِ بنِ عونٍ الأسدىِّ، قال: أولُ كلامٍ تكلَّم به سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ [2]حينَ ولِى الخلافةَ[2] أن قال:

الحمدُ للَّهِ الذى ما شاء صنَع، وما شاء رفَع، وما شاء وضَع، ومَن شاء أعطَى، ومَن شاء منَع، إن الدنيا دارُ غُرورٍ، ومنزلُ باطلٍ، وزينةُ تقلُّبٍ، تُضحِكُ باكيًا، وتُبْكِى ضاحكًا، وتُخيفُ آمنًا، وتُؤمِّنُ خائفًا، تُفقِرُ مُثْرِيَها، وتُثرِى فقيرَها، مَيَّالةٌ لاعبةٌ بأهلِها. يا عبادَ اللَّهِ، اتَّخِذوا كتابَ اللَّهِ إمامًا، وارضَوا به حكَمًا، واجعَلوه لكم قائدًا، فإنَّه ناسخٌ لِما قبلَه، ولن ينسَخَه كتابٌ بعدَه. اعلَموا عبادَ اللَّهِ أن هذا القرآنَ يجلو كيدَ الشيطانِ وضغائنَه[3] كما يجلو ضوءُ الصبحِ إذا تنفَّس إدبارَ الليلِ إذا عَسْعَس.

وقال يحيى بنُ معينٍ، عن حجَّاجِ بنِ محمدٍ، عن أبى معشرٍ، عن محمدِ ابنِ قيسٍ قال: سمِعتُ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ يقولُ فى خطبتِه: فضلُ القرآنِ على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللَّهِ على خلقِه.

وقال حمادُ بنُ زيدٍ[4]، عن يزيدَ بنِ حازمٍ، قال: كان سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يخطُبُنا كلَّ جُمُعةٍ [١٦٣/٧و] لايدَعُ أن يقولَ فى خطبتِه: وإنما أهلُ الدنيا

---

(١) ذم الدنيا (٦٧).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ب.

(٣) فى الأصل، ا ٢، ص: «صفاصفه»، وانظر مصدر التخريج.

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (٢٧١)، من طريق حماد بن زيد به.

على رحيلٍ[1] ، لم تمضِ بهم نيةٌ ، ولم تطمَئنَّ [2]لهم دارٌ[2] حتى يأتىَ أمرُ وعْدِ اللَّهِ وهم على ذلك ، كذلك لا يدومُ نعيمُها ، ولا تؤمَنُ فجائعُها ، ولا يُتَّقَى[3] مِن شرِّ أهلِها ، ثم يتلو : ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٧] .

وروَى الأصمعىُّ[4] ، أنَّ نَقْشَ خاتمِه : آمنتُ باللَّهِ مخلِصًا .

وقال أبو مُسْهِرٍ[5] ، عن أبى مسلمٍ سلمةَ بنِ العَيَّارِ الفَزارىِّ قال[6] : قال محمدُ بنُ سيرينَ : يرحَمُ اللَّهُ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ ، افتتَح خلافتَه بخيرٍ ، وختَمها بخيرٍ ؛ افتتَحها بإحْيَائِه[7] الصلاةَ لمواقيتِها ، وختَمها باستخلافِه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ .

وقد أجمَع علماءُ السِّيرِ[8] والتواريخِ[9] أنَّه حجَّ بالناسِ فى سنةِ سبعٍ وتسعين وهو خليفةٌ .

قال الهيثمُ بنُ عدىٍّ : قال الشعبىُّ[10] : حجَّ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، فلمَّا

---

(١) فى ذم الدنيا : « وجل » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

(٢ - ٢) فى ا ٢، م ، ص : « بهم » . وانظر المصدر السابق .

(٣) فى م : « تبقى » .

(٤) نهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١١، بنحوه دون عزو .

(٥) أورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩، عن ابن سيرين .

(٦) سقط من : ا ٢، م ، ص .

(٧) فى النسخ : « بإجابة » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) فى م : « الناس » .

(٩) انظر تاريخ خليفة ١/ ٤٢٣، وتاريخ الطبرى ٦/ ٥٢٩، والمنتظم ٧/ ٢٥، والكامل ٥/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٦٦.

(١٠) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

رأَى الناسَ بالمَوسِمِ ، قال لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : ألَا ترَى هذا الخلقَ الذى لا يحصِى عـددَهم إلَّا اللَّهُ ، ولا يسَعُ رزقَهم غيرُه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هؤلاء رعيَّتُك اليومَ ، وهم غدًا خصماؤك[1] . فبكَى سليمانُ بكاءً شديدًا ، ثم قال : باللَّهِ أستعينُ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[2] : ثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا جريرٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، قال : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ [3]فى سفرٍ مع سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، فأصابَتْهمُ السماءُ برَعدٍ وبرقٍ وظُلمةٍ وريحٍ شديدةٍ ، حتى فزِعوا لذلك ، وجعَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[3] يضحَكُ ، فقال له سليمانُ : ما أضحَكَك يا عمرُ ؟ أمَا ترَى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، هذه آثارُ رحمتِه ، فيه[4] شدائدُ ما ترَى ، فكيف بآثارِ سَخَطِه وغضَبِه ؟!

ومِن كلامِه الحسنِ ، رحِمه اللَّهُ ، قولُه : الصمتُ منامُ العقلِ والنطقُ يقظتُه ، ولا يتمُّ هذا إلا بهذا .

ودخَل عليه رجلٌ فكلَّمه ، فأعجَبه منطقُه ، ثم فتَّشَه فلم يحمَدْ عقلَه ، فقال[5] : فضْلُ منطقِ الرجلِ على عقلِه خُدْعةٌ ، وفضْلُ عقلِه على منطقِه هُجْنةٌ ، وخيرُ ذلك ما أشبَهَ بعضُه بعضًا . وقال[6] : العاقلُ أحرصُ على إقامةِ

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : «عند اللَّه» ، وانظر المصدر السابق .

(٢) أورده الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩، عن الشعبى ، وهو فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م : «فيها» .

(٥) أنساب الأشراف ٨/ ١٠٥، بنحوه .

(٦) بعده فى الأصل : «على» ، والقول فى مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥.

لسانِه منه على طلبِ معاشِه . وقال أيضًا[1] : إن مَن تكلَّم فأحسَن قادرٌ على أن يسكُتَ فيحسِنَ ، وليس كلُّ مَن سكَت فأحسَن قادرًا على أن يتكلَّمَ فيحسِنَ .

ومِن شعرِه يتسلَّى عن صديقٍ له مات[2] :

وهَوِّن وَجْدى فى شَراحيلَ أنَّنى ... متى شئتُ لاقَيتُ امرءًا مات صاحبُه

ومِن شعرِه أيضًا[3] :

ومِن شِيمَتى[4] أن لا أفارِقَ صاحبى ... وإن مَلَّنى إلا سألتُ له رُشْدا

وإن دامَ لى بالوُدِّ دمتُ ولم أكُنْ ... كآخَرَ لا يرعَى ذِمامًا ولا عَهْدا

وسمِع سليمانُ ليلةً صوتَ غناءٍ فى معسكرِه ، فلم يزَلْ يفحَصُ حتى أتَى بهم ، فقال سليمانُ[5] : [١٦٣/٧ظ] إن الفرسَ ليَصهَلُ فتستودِقُ له الرَّمَكةُ[6] ، وإن الجملَ ليخطِرُ[7] فتضبَعُ[8] له الناقةُ ، وإن التَّيسَ ليَنِبُّ ، فكشَرتْ[9] له العَنْزُ ، وإن الرجلَ ليتغنَّى فتشتاقُ له المرأةُ ، ثم أمَر بهم ليَخْصوهم . فيقالُ : إن عمرَ بنَ

---

(١) أنساب الأشراف ١١١/٨ ، بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥.

(٢) بعده فى ا ٢، م ، ص : « فقال » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٠٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦، باختلاف يسير.

(٤) ف م : « شيمى » .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦، بنحوه .

(٦) تستودق له الرمكة يعنى تدنو له الأنثى .

(٧) فى م : « ليهدر » ، وخطر الجمل : حرك ذنبه يمينا وشمالا .

(٨) فى الأصل ، ا ٢، ص : « فتصنع » . وضبعتِ الدابة إذا أرادت الفحل .

(٩) فى الأصل : « فتستخدم » كذا ، وفى ا ٢: « فتستخدم » ، وفى م : « فتستخذى » ، وفى ص : « فتستخدم » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦، والكشر : ضرب من النكاح كالكاشر ، ولا فعل منهما . القاموس (ك ش ر) .

عبدِ العزيزِ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّها مُثْلةٌ[1] . فترَكهم .

وفى روايةٍ[2] : أنَّه خصَى أحدَهم ، ثم سأل عن أصلِ الغناءِ فقيل : إنَّه بالمدينةِ . فكتَب إلى عاملِه بها وهو أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ يأمُرُه أن يَخصِيَ[3] مَن عندَه مِن المغنِّين المخنَّثين .

وقال الشافعيُّ[4] : دخَل أعرابيٌّ على سليمانَ ، فدَعاه إلى أكْلِ الفالوذَجِ ، وقال له : إنَّ أكْلَها يَزيدُ فى الدِّماغِ . فقال الأعرابيُّ : لو كان هذا صحيحًا ، لكان ينبغى أن يكونَ رأسُ أميرِ المؤمنين مثلَ رأسِ البغلِ .

وذكَروا[5] أن سليمانَ كان نهِمًا فى الأكْلِ ، وقد نقَلوا عنه أشياءَ فى ذلك غريبةً ؛ فمِن ذلك أنَّه اصطَبَح فى بعضِ الأيامِ بأربعين دجاجةً مشويةً ، وأربعِ وثمانين كُلْوَةً بشحمِها ، وثمانين جَرْدَقةً[6] ، ثم أكَل مع الناسِ على العادةِ فى السِّمَاطِ[7] العامِّ .

---

(١) بعده فى ا ٢: «ولكن انفهم فنفاهم ويقال إنه ترك خصيهم» ، وفى م ، ص : «ولكن انفهم فنفاهم» .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٦، ١٧٧.

(٣) وقيل : إنما كتب له «أن يحصى» بالحاء المهملة ، من الإحصاء ، فقرأها بالخاء .

(٤) أنساب الأشراف ٨/١٠٥ بنحوه ، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٧ ، غير معزو للشافعى .

(٥) أنساب الأشراف ٨/ ١٠٩، ومروج الذهب ٣/ ١٧٥، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٩.

(٦) الجَرْدقة بالفتح : الرغيف المدور ، وهى لفظة فارسية (معرب كَرده) بالكاف العجمية . التاج (ج ر د ق) .

(٧) السماط : ما يمد عليه الطعام .

ودخَل ذاتَ يومٍ بستانًا له قد أمَر قَيِّمَه أن يحبِسَ[1] ثمارَه، [2]وقطِفَتْ له[2] ومعه أصحابُه، فأكَل القومُ، واستمرَّ هو يأكُلُ أكلًا ذريعًا مِن تلك الفواكهِ، ثم استدعَى بشاةٍ مشويةٍ، فأكَلها، ثم أقبَل على الفاكهةِ، ثم أُتِى بدَجاجتَين فأكَلهما، ثم عاد إلى الفاكهةِ، ثم أتِى بقَعْبٍ يقعُدُ فيه الرجلُ مملوءًا بسَوِيقٍ وسمنٍ وسكرٍ، فأكَله، ثم عاد إلى دارِ الخلافةِ، وأتِى بالسِّماطِ، فما فقَد[3] مِن أكلِه شيئًا[4].

وقد روِى[5]، أنَّه عرَضَتْ له حُمَّى[6] أدَّتْه إلى الموتِ. وقد قيل: إن سببَ مرضِه كان مِن أكْلِ أربعِمائةِ بيضةٍ، وسلَّتَين مِن تِينٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وذكَر الفضلُ بنُ[7] المُهَلَّبِ[8] [9]وغيرُه[9]، أنَّه لبِس فى يومِ جُمُعةٍ حُلَّةً صفراءَ، ثم نزَعها ولبِس بدلَها حُلةً خضراءَ، واعتمَّ بعمامةٍ خضراءَ، وجلَس على فراشٍ أخضرَ، وقد بُسِط ما حولَه بالخضرةِ، ثم نظَر فى المرآةِ فأعجَبه حسنُه، وشمَّر عن ذِراعَيه وقال: أنا الخليفةُ الشابُّ.

---

(١) فى الأصل، ا ٢: «يحين»، وفى م، ص: «يجنى». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧.

(٢ - ٢) فى ا ٢، م، ص: «فدخله».

(٣) فى ا٢، م، ص: «فقدوا».

(٤) فى حاشية م: «هذا وأمثاله من مبالغات الأعاجم التى كانوا يتقربون بها إلى بنى العباس، وسيأتى أن سليمان رحمه اللَّه أنه كان نحيفا جميلا وهى صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه، والذى اخترع هذه الأكاذيب نسى أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها وقد قيل إذا كنت كذوبا فكن ذكورا».

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٨.

(٦) بعده فى الأصل: «عقب أكل هذا»، وفى ا ٢، م: «عقب هذا الأكل»، وفى ص: «عقب هذا حمة». وانظر المصدر السابق.

(٧) بعده فى م: «أبى».

(٨) أخرجه الطبرى فى تاريخ دمشق ٦/ ٥٤٦، من طريق الفضل بن المهلب به.

(٩ - ٩) سقط من: م.

(١ وقيل (٢) : إنَّه كان ينظُرُ فى المرآةِ مِن فَرْقِه إلى قدمِه ويقولُ : أنا الملكُ الشابُّ ١) .

وفى روايةٍ (٣) أنَّه كان (٤ ينظُرُ فيها ويقولُ : كان ٤) محمدٌ نبيًّا ﷺ ، وكان أبو بكرٍ صدِّيقًا ، وكان عمرُ فاروقًا ، وكان عثمانُ حَيِيًّا ، وكان علىٌّ شجاعًا ، وكان معاويةُ حليمًا (٥) ، وكان يزيدُ صبورًا ، وكان عبدُ الملكِ سائسًا ، وكان الوليدُ جبّارًا ، وأنا الملكُ الشابُّ .

قالوا (٦) : فما دارَ عليه شهرٌ - وفى روايةٍ (٧) : جُمُعةٌ - حتى مات [١٦٤/٧و] .

قالوا (٨) : ولمَّا حُمَّ شرَع يتوضَّأُ ، فدَعا (٩) بجاريةٍ ، فصبَّتْ عليه ماءَ الوضوءِ ، ثم أنشَدتْه (١٠) :

أنت نعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقَى ... غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
(١١ ليس فيما علِمتُه فيكَ عيْبٌ ١١) ... (١٢ كان فى الناسِ ١٢) غيرَ أنَّك فانِ

قالوا : فصاح بها وقال : عزَّتْنى فى نفسى . وصَرَفَها ، ثم أمَر خالَه الوليدَ

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، م، ص .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٨.
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥) فى ص : « حكيما » .
(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤.
(٧) تاريخ الطبرى ٦/٥٤٧ ، وانظر أيضا تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٩، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٥٤.
(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٤٧، بنحوه .
(٩) سقط من : الأصل .
(١٠) البيتان فى تاريخ الطبرى ٦/٥٤٧ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/١٧٥ ، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٤ ، مع اختلاف فى هذه المصادر جميعا .
(١١ - ١١) فى النسخ : « أنت خلو من العيوب ومما » ، وفى مختصر تاريخ دمشق ، ونهاية الأرب : « ليس فيما بدا لنا منك عيب ». والمثبت من تاريخ الطبرى .
(١٢ - ١٢) فى النسخ : « يكره الناس » ، وفى نهاية الأرب : « عابه الناس » .

ابنَ[1] القَعْقاعِ العَنْسيَّ أن يَصُبَّ عليه وقال[2] :

قرِّبْ وضوءَكَ يا وليدُ فإنَّما [3]هذى الحياةُ تَعِلَّةٌ ومتاعُ[3]

[4]فقال الوليدُ[4] :

فاعمَلْ لنفسِكَ فى حياتِكَ صالحًا فالدهرُ فيهِ فُرْقةٌ[5] وجِماعُ

ويروَى[6] أن الجاريةَ لمَّا جاءتْه بالطَّستِ ، جعَلتْ تضطَرِبُ مِن الحمَّى ، فقال : أين فلانةُ ؟ فقالتْ : محمومةٌ . قال : ففلانةُ ؟ قالتْ : محمومةٌ . وكان بمَرْجِ دابِقٍ مِن أرضِ قِنَّسْرينَ ، فأمَر خالَه[7] فوضَّأه ، ثم خرَج يصلِّى بالناسِ ، فأخَذتْه بُحَّةٌ فى الخطبةِ ، ثم نزَل وقد أصابَتْه حُمَّى ، فاستَمرَّ فيها حتى مات فى الجمعةِ المقبلةِ .

ويقالُ : إنَّه أصابَه ذاتُ الجَنْبِ ، فمات بها ، رحِمه اللَّهُ .

[8]وكان قد أقسَم أنَّه لا يبرَحُ[9] دابِقًا حتى يرجِعَ إليه الخبرُ بفتْحِ القسطنطينيةِ ، أو يموتَ قبلَ ذلك ، فمات قبلَ ذلك[10] ، رحِمه اللَّهُ[8] ، وأكرَم مَثواه .

---

(١) بعده فى م : « العباس » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٠.

(٣ - ٣) فى النسخ : « دنيا هذى بلغة ومتاع » . وانظر مصدرى الحاشية السابقة .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) فى الأصل : « تفرق » .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٨.

(٧) فى ا ٢: « خالد » ، وفى ص : « خالد » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) بعده فى ا٢، م ، ص : « بمرج » .

(١٠) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٣.

قالوا[1] : وجعَل يلهَجُ فى مرضِه ويقولُ :

إنَّ بَنىَّ صِبْيَةٌ[2] صِغارُ أفلَحَ مَن كان له كبارُ

فيقولُ له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : قد أفلَح المؤمنون يا أميرَ المؤمنين . ثم يقولُ :

إن بنىَّ صبيةٌ صَيفيُّون[3] أفلَح مَن كان له شِتْويُّون[4]

ويروَى أن هذا آخرُ ما تكلَّم به ، والصحيحُ أن آخرَ ما تكلَّم به أن قال[5] : أسألُك منقلبًا كريمًا . ثم قضَى .

وروَى ابنُ جريرٍ[6] ، عن رجاءِ بنِ حيوةَ - وكان وزيرَ صِدْقٍ لبَنِى أميةَ - قال : استشارَنى سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ وهو مريضٌ أن يولِّىَ ابنًا له صغيرًا لم يبلُغِ الحُلُمَ ، فقلتُ : إن ممَّا يحفَظُ[7] الخليفةَ فى قبرِه أن يولِّىَ على المسلمين [8]مِن بعدِه[8] الرجلَ الصالحَ ، ثم شاوَرَنى فى ولايةِ ابنِه داودَ ، فقلتُ له : إنَّه غائبٌ عنك بالقسطنطينيةِ ، ولا تدْرى أحَىٌّ هو أمْ ميِّتٌ ؟ فقال : فمَن ترَى ؟ فقلتُ : رأيَك يا أميرَ المؤمنين .قال : كيف ترَى فى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ؟ فقلتُ : أعلَمُه واللَّهِ خيِّرًا فاضلًا مسلمًا[9] . فقال : هو واللَّهِ على ذلك ، ولكنْ أتخوَّفُ إخوَتى لا يرضَون بذلك . فأشار رجاءٌ أن يجعَلَ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عمرَ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، بنحوه .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « قد » .

(٤) فى الأصل ، ا ٢، م : « ربعيون » ، وفى ص : « ربيعيون » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١.

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٠ مختصرًا بنحوه ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨٠.

(٧) فى الأصل : « يحيط » ، وفى ا ٢، ص : « يحفظ به » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٠.

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) بعده فى م : « يحب الخير وأهله » .

ابنِ العزيزِ ؛ ليُرضِيَ بذلك بنى مروانَ ، فكتَب :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ مِن عبدِ اللَّهِ سليمانَ أميرِ المؤمنين لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، إنِّى قد وَلَّيتُك الخلافةَ مِن بعدى ، [٧/١٦٤ظ] ومِن بعدِه[(١)] يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فاسمَعوا له وأطيعوا ، واتَّقوا اللَّهَ ولا تختَلِفوا فيُطمَعَ فيكم[(٢)] .

وختَم الكتابَ وأرسَل إلى كعبِ بنِ حامدٍ[(٣)] العَبْسىِّ صاحبِ الشُّرطةِ ، فقال له : اجمَعْ أهلَ بيتى ، [(٤)]فمُرْهم فلْيُبايِعوا على ما فى هذا الكتابِ مختومًا ، فمَن أبَى منهم فاضرِبْ عنقَه[(٤)] . فاجتَمعوا ودخَل رجالٌ منهم ، فسلَّموا على أميرِ المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتابُ عهدى إليكم ، فاسمَعوا له وأطيعوا وبايِعوا مَن ولَّيتُ فيه . فبايَعوا[(٥)] رجلًا رجلًا .

قال رجاءٌ : فلمَّا تفرَّقوا جاءنى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فقال : أنشُدُك اللَّهَ وحُرْمَتى ومَودَّتى إلَّا أعلَمتَنى إن كان [(٦)]كتِب لى[(٦)] ذلك حتى أستَعْفِيَه الآنَ قبلَ أن يأتىَ حالٌ لا أقدِرُ فيها على ما أقدِرُ عليه الساعةَ ! فقلتُ : واللَّهِ لا أخبِرُك حرفًا واحدًا . قال : ولَقِينى هشامُ بنُ عبدِ الملكِ فقال : يا رجاءُ ، إن لى بك حُرمةً ومودةً قديمةً ، فأخبِرْنى هذا الأمرَ ، فإن كان إلىَّ علِمتُ ، وإن كان إلى[(٧)] غيرِى تكلَّمتُ[(٨)] ،

---

(١) فى الأصل : « بعدك » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥١.

(٢) بعده فى ا ٢، م ، ص : « عدوكم » .

(٣) فى الأصل : « خالد » . وانظر المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) بعده فى النسخ : « لذلك » . وانظر المصدر السابق .

(٦ - ٦) زيادة من : ا ٢، م ، ص .

(٧) سقط من : م .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥١.

فما مِثلى قُصِّر به[1] . فقلتُ : واللَّهِ لا أخبِرُك حرفًا واحدًا ممَّا أسِرَّ إلىَّ .

قال رجاءٌ : ودخَلتُ على سليمانَ ، فإذا هو يموتُ ، فجعَلتُ إذا أخَذتْه السَّكْرَةُ مِن سَكَراتِ الموتِ أحرِّفُه إلى القبلةِ ، فإذا أفاق يقولُ : لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاءُ . [2]ففعَلتُ ذلك مرَّتين[2] ، فلمَّا كانتِ الثالثةُ قال : مِن الآنَ يا رجاءُ إن كنتَ تريدُ شيئًا ، أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأشهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه . قال : فحرَّفتُه إلى القبلةِ ومات ، فغطَّيتُه بقطيفةٍ خضراءَ ، وأغلَقتُ البابَ عليه ، وأرسَلتُ إلى كعبِ بنِ حامدٍ ، فجمَع الناسَ فى مسجدِ دابقٍ ، فقلتُ : بايِعوا لمَن فى هذا الكتابِ . فقالوا : قد بايَعْنا . فقلتُ : بايِعوا ثانيةً . ففعَلوا ، ثم قلتُ : قومُوا إلى صاحِبِكم فقد مات . وقرَأتُ الكتابَ عليهم ، فلمَّا انتهَيتُ إلى ذكرِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، تغيَّرت وجُوه بنى مروانَ ، فلمَّا قرَأتُ : وإن يزيدَ[3] بنَ عبدِ الملكِ مِن بعدِه ، تراجَعوا بعضَ الشىءِ ، ونادَى هشامٌ : لا نبايِعُه أبدًا . فقلتُ : أضرِبُ واللَّهِ عنقَك ، قمْ فبايِعْ . ونهَض الناسُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وهو فى مؤخرِ المسجدِ ، فلمَّا تحقَّقَ ذلك قال : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ولم تحمِلْه رِجلاه حتى أخَذوا بضَبْعَيه ، فأصعَدوه على المنبرِ ، فسكَت حينًا ، فقال رجاءُ بنُ حيوةَ : ألَا تقومُون إلى أميرِ المؤمنين فتُبايعوه ! فنهَض القومُ فبايَعوه ، ثم قام إليه هشامٌ [4]فصعِد المنبرَ ليبايِعَ[4] وهو يقولُ : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . فقال عمرُ : نعم ! إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون ، الذى صِرْتُ أنا وأنت نتنازَعُ هذا الأمرَ . ثم قام فخطَب الناسَ خطبةً

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص : «عن هذا» .

(٢ - ٢) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٢.

(٣) فى ا٢ ، ب ، م ، ص : « هشام » ، وانظر تاريخ الطبرى ٦/٥٥١ .

(٤ - ٤) زيادة من : ا ٢، ب، م، ص.

بليغةً وبايَعوه ، [1]فكان مِمَّا قال فى خطبتِه : أيُّها الناسُ لستُ بمبتدعٍ ولكنِّى متَّبِعٌ ، وإن مَن حولكم مِن الأمصارِ والمدنِ إن هم أطاعوا كما أطَعتُم فأنا وَاليكم ، وإن هم أبَوا فلستُ لكم بوالٍ[1] .

ثم [٧/١٦٥و] نزَل ، فشرَعوا[2] فى جهازِ سليمانَ .

قال الأوزاعىُّ[3] : فلم يفرُغوا منه حتى دخَل وقتُ المغربِ ، فصلَّى عمرُ بالناسِ صلاةَ المغربِ ، ثم صلَّى على سليمانَ ، ودفِن بعدَ المغربِ ، فلمَّا انصرَف عمرُ أُتِى بمراكبِ الخلافةِ فلم يركَبْها ، وركِب دابتَه ، ثم سار مع الناسِ [4]حتى أتَوا دمشقَ[4] ، فمالُوا به نحوَ دارِ الخلافةِ فقال : لا أنزِلُ إلَّا فى منزلى[5] حتى تفرُغَ دارُ أبى أيوبَ ، فاستُحْسنَ ذلك منه ، ثم استَدعى بالكاتبِ[6] ، فجعَل يُمْلِى عليه نسخةَ الكتابِ الذى يبايِعُ عليه الأمصارَ ، قال رجاءٌ : فما رأيتُ أفصحَ منه .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[7] : وكانتْ وفاةُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ بدابقٍ مِن أرضِ قِنَّسْرينَ يومَ الجُمُعةِ لعشرِ ليالٍ خلَتْ مِن صفرٍ سنةَ تسعٍ وتسعين ، على رأسِ سنتين وتسعةِ[8] أشهرٍ وعشرين يومًا مِن متوفَّى الوليدِ . وكذا قال الجمهورُ

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « فأخذوا » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٢.

(٤ - ٤) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٥) فى حاشية م : « كان منزله فى موضع مدرسة السميساطية الآن مما يلى باب مسجد بنى أمية الشمالى ، أما قصر الخلافة الذى يسمى الدار الخضراء ، فكان وراء الجدار القبلى من مسجد بنى أمية ويسمى موضعه الآن المصبغة الخضراء » .

(٦) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : « بالكتاب » .

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٢.

(٨) فى ا ٢: « سبعة » . وانظر المصدر السابق .

فى تاريخِ وفاتِه ، ومنهم مَن يقولُ : لعشرٍ بقِين مِن صفرٍ . وقالوا : كانتْ ولايتُه سنتين وثمانيةَ أشهرٍ ، زادَ بعضُهم إلَّا خمسةَ أيامٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقولُ الحاكمِ أبى أحمدَ : إنَّه توفِّى يومَ الجُمُعةِ لثلاثَ عشْرَةَ بقِيتْ مِن رمضانَ سنةَ تسعٍ وتسعين ، (١) وكانت خلافتُه ثلاثَ سنينَ وثلاثةَ أشهرٍ وخمسةَ أيامٍ ، وتوفِّى وهو ابنُ تسعٍ وثلاثين سنةً . فقد (١) حكَاه ابنُ عساكرَ (٢) ، وهو غريبٌ جدًّا ، وقد خالَفه الجمهورُ فى كلِّ ما قاله ، وعندَهم أنَّه جاوَز الأربعين ، فقيل (٢) : بثلاثٍ . وقيل (٣) : بخمسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

قالوا (٤) : وكان طويلًا جميلًا أبيضَ نحيفًا ، حسنَ الوجهِ ، مقرونَ الحاجبين ، وكان فصيحًا (٥) بليغًا يحسِنُ العربيةَ ، ويرجِعُ إلى دينٍ وخيرٍ ومحبةٍ للحقِّ وأهلِه ، واتِّباعِ القرآنِ والسنةِ ، وإظهارِ الشرائعِ الإسلاميةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ ، آلَى على نفسِه حينَ خرَج مِن دمشقَ إلى مرجِ دابقٍ - (٦) ودابِقٌ (٦) قريةٌ مِن بلادِ حلبَ - (٧) وقد جهِّزتِ (٧) الجيوشُ إلى مدينةِ الرومِ العظمَى المسماةِ بالقسطنطينيةِ ، أن لا يرجِعَ إلى دمشقَ حتى تفتَحَ أو يموتَ ، فمات هنالك كما ذكَرنا (٨) ، (٦) فحصَل له (٦) بهذه النيـةِ أجرُ الرِّباطِ

(١ - ١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٨٢.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٧٨، سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٢.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧ - ٧) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «لما جهز» .

(٨) تقدم فى ٩/ ١٨١.

(١) فى سبيلِ اللَّهِ، فهو، إن شاء اللَّهُ، ممَّن يجرَى له ثوابُه إلى يومِ القيامةِ(١)، رحِمه اللَّهُ.

وقد ذكَر الحافظُ ابنُ عساكرَ(٢) فى ترجمةِ شَراحيلَ بنِ عبيدةَ بنِ قيسٍ العُقَيلىِّ ما(٣) مضمونُه؛ أنَّ مسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ لمَّا ضيَّق بمحاصرتِه على أهلِ القسطنطينيةِ، وتتبَّع المسالكَ، واستَحوذ على أكثرِ(٤) ما هنالك مِن الممالكِ، كتَب إليُونُ(٥) ملكُ الرومِ إلى ملكِ البُرْجَانِ(٦) يستَنصِرُه على مسلمةَ، ويقولُ له: (٧)إنَّ هؤلاء القومَ(٧) ليس لهم هِمَّةٌ إلا فى الدعوةِ إلى [٧/١٦٥ظ] دينِهم، الأقربُ منهم(٨) فالأقربُ، وإنَّهم متى فرَغوا منِّى خلَصوا(٩) إليك، فمهما كنتَ صانعًا حينَئذٍ فاصنَعْه الآنَ. فعندَ ذلك شرَع، لعَنه اللَّهُ، فى المكرِ والخديعةِ، فكتَب إلى مسلمةَ يقولُ له: إن إليُونَ كتَب إلىَّ يستنصِرُنى عليك، وأنا معك فمُرْنى بما شئتَ. فكتَب إليه مسلمةُ: إنِّى لا أريدُ منك رجالًا ولا عددًا، ولكنْ أرسِلْ إلىَّ(١٠) بالميرةِ، فقد قلَّ ما عندَنا من الأزوادِ.

فكتَب إليه: إنِّى قد أرسَلتُ إليك بسوقٍ عظيمةٍ إلى مكانِ كذا وكذا،

(١ - ١) فى الأصل: «رحمه اللَّه وبل بالرحمة ثراه».
(٢) تاريخ دمشق ٢٢/ ٤٤٢.
(٣) سقط من: ا ٢، ب، ص.
(٤) سقط من: م.
(٥) فى الأصل: «ليون»، وانظر تاريخ دمشق ٢٢/ ٤٤٢.
(٦) البرجان: بلد من نواحى الخزر. معجم البلدان ١/ ٥٤٨.
(٧ - ٧) سقط من: م.
(٨) فى الأصل: «إليهم».
(٩) فى ب: «خاضوا».
(١٠) فى م: «إلينا».

فأرسِلْ مَن يتسلَّمُها ويشترى منها .

فأذِن مسلمةُ لمَن شاء مِن الجيشِ أن يذهَبَ إلى هنالك فيشترَىَ له ما يحتاجُ إليه ، فذهَب خلقٌ كثيرٌ فوجَدوا هنالك سوقًا هائلةً ، فيها مِن أنواعِ البضائعِ والأمتعةِ والأطعمةِ ، فأقبَلوا يشترَون ، واشتَغلوا بذلك ، ولا يشعُرون بما أرصَد لهم الخبيثُ مِن الكمائنِ بينَ[1] تلك الجبالِ التى هنالك ، فخرَجوا عليهم بغتةً[2] ، فقتَلوا خلقًا كثيرًا مِن المسلمين وأسَروا آخَرين ، وما رجَع إلى مسلمةَ إلا القليلُ منهم ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون .

فكتَب مسلمةُ[1] بذلك إلى أخيه سليمانَ يخبِرُه بما وقَع مِن ذلك ، فأرسَل جيشًا كثيفًا صحبةَ شَراحيلَ بنِ عبيدةَ هذا ، وأمَرهم أن يعبُروا خليجَ القسطنطينيةِ أولًا فيقاتِلوا ملكَ البُرْجانِ ، ثم يعودوا إلى مسلمةَ ، فذهَبوا إلى بلادِ البُرْجانِ ، وقطَعوا إليهم تلك الخُلجانَ ، فاقتَتَلوا معهم قتالًا شديدًا ، فهزَمهم المسلمون بإذنِ اللَّهِ ، وقتَلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وسبَوا وأسَرُوا خلقًا كثيرًا ، [3]وخلَّصوا أسرَى المسلمين[3] ، ثم تحيَّروا إلى مسلمةَ ، فكانوا عندَه حتى استقدَم الجميعَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ خوفًا عليهم مِن غائلةِ الرومِ وبلادِهم ، [3]ومِن ضيقِ العيشِ[3] ، وقد كان لهم قبلَ ذلك هنالك[4] مدةٌ طويلةٌ . أثابَهم اللَّهُ تعالى .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده فى م : « واحدة » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

خِلافةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضِى اللَّهُ عنه

قد تقدَّم[1] أنه بُويع له بالخلافةِ يومَ الجمُعةِ لعشرٍ مضَينَ - وقِيل : بقِينَ - مِن صفرٍ مِن هذه السَّنةِ - أعنِى سنةَ تسعٍ وتسعين - يومَ مات سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، عن عهدٍ منه إليه مِن غيرِ علمٍ مِن عمرَ - كما قدَّمنا - وقد ظهَرت عليه مخايلُ الورَعِ والدِّينِ والتقشُّفِ والصِّيانةِ والنَّزاهةِ - من أوَّلِ حركةٍ بدَتْ منه ؛ حيثُ أعرَض عن [2]ركوبِ مراكبِ[2] الخلافةِ ، وهى الخيولُ الحِسانُ الجِيادُ المُعَدَّةُ لها - والاجتزاءُ بمركوبِه الذى كان يركَبُه ، وسُكنى منزلِه رغبةً عن منزلِ الخلافةِ . ويقال[3] : إنَّه خطَب النَّاسَ [٧/١٦٦و] فقال فى خُطبتِه : أيُّها الناسُ ، إنَّ لى نفسًا توَّاقةً لا تُعطَى شيئًا إلا تاقَتْ إلى ما هو أعلَى منه ، وإنِّى لمَّا أُعطِيتُ الخلافةَ تاقتْ نفسِى إلى ما هو أعلَى منها ، وهو الجنةُ ؛ فأعينُونِى عليها يرحَمْكم اللَّهُ . وستأتِى ترجمتُه عندَ وفاتِه إن شاء اللَّهُ تعالى .

وكان ممَّا بادَر إليه عمرُ فى هذه السنةِ أن بعَث إلى مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ ومَن معه مِن المسلمين ، وهم بأرضِ الرومِ محاصِرو القسطنطينيةِ ، وقد اشتدَّ عليهم الحالُ وضاق عليهم المجالُ ؛ [4]لأنهم عسكَرٌ كثيرٌ ، فكتَب إليهم يأمُرُهم بالرجوعِ إلى الشامِ[4] إلى منازلِهم ، وبعَث إليهم بطعامٍ كثيرٍ وخيولٍ كثيرةٍ عِتاقٍ ، يقالُ : خمسُمائةِ فرسٍ . ففرِح الناسُ بذلك .

---

(١) تقدم فى ٩/ ١٨٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : «ركوبه خيول» .

(٣) شذرات الذهب ١/ ١٢٠، بنحوه .

(٤ - ٤) فى الأصل : «فأمرهم بالقفول» .

وفى هذه السنةِ أغارتِ التركُ على أَذْرَبِيجانَ فقتَلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين ، فوجّه إليهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ حاتمَ بنَ النعمان الباهليَّ فقتَل أولئك الأتراكَ ، ولم يُفلتْ منهم إلا اليسيرُ ، وبعَث منهم أُسارَى إلى عمرَ وهو بخُناصِرَةَ . وقد كان المؤذِّنونَ يُذكِّرونَه بعدَ أذانِهم باقترابِ الوقتِ وضيقِه لئلا يؤخِّرَها ، كما كان يُؤخِّرُها مَن كان قبلَه لكثرةِ الأشغالِ ، وكان ذلك عن أمرِه لهم بذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

فروَى ابنُ عساكرَ[1] فى ترجمةِ حَرِيزِ[2] بنِ عثمانَ الرَّحَبيِّ الحِمصِيِّ ، قال : رأيتُ مؤذِّنى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يسلِّمون عليه فى الصَّلاةِ : السَّلامُ عليك أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، حيَّ على الصّلاةِ حيَّ على الفلاحِ ، الصَّلاةُ قد قاربَتْ .

وفى هذه السنةِ عزَل عمرُ يزيدَ بنَ المُهلَّبِ عن إمرةِ العراقِ وبعَث عَدِيَّ بنَ أرطاةَ الفَزارِيَّ على إمرةِ البصرةِ ، فاستقضَى عليها الحسنَ البصريَّ ، فاستعفاه ، فأعفاه واستقضَى مكانَه إياسَ بنَ معاويةَ الذَّكِيَّ المشهورَ ، وبعَث على إمرةِ الكوفةِ وأرضِها عبدَ الحميدِ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ ، وضمَّ إليه أبا الزنادِ[3] كاتبًا بين يدَيه ، واستقضَى عليها عامرًا الشعبيَّ . قال الواقديُّ[4] : فلم يزَلْ قاضيًا عليها مدَّةَ خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

وجعَل على إمرةِ خُراسانَ الجرَّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحكَميَّ ، وكان نائبَ مكةَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٣٨.

(٢) فى م ، ص : « جرير » . وانظر مصدر التخريج ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٧٩.

(٣) فى الأصل : « الزياد » .

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٥٤، والمنتظم ٧/ ٤٦، والكامل ٥/ ٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٢٧٣، بنحوه .

عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ ، وعلى إمرةِ المدينةِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، [1]وهو الذى حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ . وعزَل عن إمرةِ مصرَ عبدَ الملكِ بنَ رفاعةَ[2] ووَلَّى عليها أيوبَ بنَ شُرَحبِيلَ ، وجَعل الفُتيا إلى جعفرِ بنِ ربيعةَ ، ويزيدَ بنِ أبى حبيبٍ ، وعبيدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، فهؤلاء هم الذين كانوا يُفتُون الناسَ ، واستعمَل على إفريقيَّةَ وبلادِ المغربِ إسماعيلَ بنَ عبدِ اللَّهِ المخزوميَّ ، وكان حسنَ السِّيرةِ ، وأسلَم فى ولايتِه على بلادِ المغربِ خلقٌ كثيرٌ من البربرِ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ[1] .

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

الحسنُ[3] بنُ محمدِ ابنِ الحنفيةِ ، تابعىٌّ جليلٌ ، يقالُ : إنّه أوَّلُ من تكلَّم فى الإرجاءِ ، وقد تقدَّم أنَّ أبا عبيدٍ قال : تُوفِّى فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ . وذكَر خليفةُ[4] أنّه تُوفِّى فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وذكَر شيخُنا الذهبىُّ[5] فى الأعلامِ أنه توفِّى فى هذا العامِ .

وفيها توفى **سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ** كما تقدم[6] .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ٢، ب ، ص : « بن وداعة » ، وفى م « بن أبى وداعة » . والمثبت من النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٨، وانظر حسن المحاضرة ١/ ٥٨٨.

(٣) فى ا ٢، ب « الحسين » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٨، وطبقات خليفة ٢/ ٥٩٨، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٠٥، وطبقات الفقهاء للشيرازى ٦٣، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٧٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٠، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢١٣.

(٤) طبقات خليفة ٢/ ٥٩٩، وتاريخ خليفة ٤٣٣.

(٥) الذى عليه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٠ ، أنه توفى سنة مائة أو فى التى قبلها ، نقلًا عن خليفة بن خياط فى طبقاته ٢/ ٥٩٩.

(٦) تقدم فى ص ٦٥٥ .

عبدُ اللَّهِ بنُ مُحيريزِ بنِ جُنادةَ بنِ وَهْبٍ[1] **القرشيُّ** [١٦٦/٧ظ] **الجُمَحيُّ المكيُّ**، نزيلُ بيتِ المقدسِ، تابعيٌّ جليلٌ، روَى عن زوجِ أمِّه[2] أبى محذورةَ المُؤذِّنِ، وعُبادةَ بنِ الصَّامتِ، وأبى سعيدٍ، ومعاويةَ، وغيرِهم. وعنه خالدُ بنُ مَعدانَ، ومكحولٌ، وحسانُ بنُ عطيةَ، والزُّهريُّ، وآخرون. وقد وثَّقه غيرُ واحدٍ، وأثنَى عليه جماعةٌ من الأئمَّةِ، حتى قال رجاءُ بنُ حيوةَ: إن يفخَرْ علينا أهلُ المدينةِ بعابدِهم ابنِ عمرَ، فإنا نفخَرُ عليهم بعابدِنا عبدِ اللَّهِ بنِ مُحيريزٍ. وقال بعضُ ولدِه: كان يختِمُ القرآنَ كلَّ[3] جمعةٍ، وكان يُفرَشُ له الفراشُ فلا ينامُ عليه. قالوا: وكان صموتًا معتزِلًا للفتنِ. وكان لا يترُكُ الأمرَ بالمعروفِ[4] والنَّهىَ عن المنكرِ[4]، ولا يذكُرُ شيئًا من خِصالِه المحمودةِ، ورأى على بعضِ الأمراءِ حُلَّةً من حريرٍ فأنكَر عليه، فقال: إنما ألبَسُها مِن أجل هؤلاءِ - وأشار إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ أميرِ المؤمنين - فقال له ابنُ مُحيريزٍ: لا تعدِلْ بخوفِك من اللَّهِ خوفَ أحدٍ من الناسِ.

وقال الأوزاعيُّ[5]: مَن كان مُقتدِيًا فليقتدِ بمثلِه، فإنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ أمَّةً فيها مثلُه. وقال بعضُهم[6]: تُوفِّى أيامَ الوليدِ. وقال خليفةُ بنُ خياطٍ[7]: تُوفِّى أيامَ

---

(١) فى ا ٢، ب: «وعيد»، وفى م: «عبيد». وانظر ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ٩٨٣، وأسد الغابة ٣/ ٣٧٨، والإصابة ٥/ ٢٠٨، وتهذيب الكمال ١٦/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٠٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥٩٩.

(٢) فى ا ٢، ب، م، ص: «أم».

(٣) بعده فى الأصل: «ليلة».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٣٣.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٠٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٣٥.

(٧) طبقات خليفة ٢/ ٧٥٥.

عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وذكَر الذهبيُّ[1] فى « الأعلامِ » أنَّه توفِّى فى هذا العامِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ[2] .

محمودُ بنُ لَبيدِ بنِ عُقبةَ أبو نُعيمٍ الأنصاريُّ الأَشهَلِيُّ المدَنيُّ[3] ، وُلِد فى حياةِ النبيِّ ﷺ ، وروَى عنه أحاديثَ ، لكنْ حكْمُها الإرسالُ .

وقال البخاريُّ[4] : له صحبةٌ . وقال ابنُ عبدِ البرِّ[5] : هو أسَنُّ[6] مِن محمودِ ابنِ الرَّبيعِ . قيل[7] : إنَّه توفِّى فى سنةِ سِتٍّ - وقيل[8] : سبعٍ - وتسعين .

وذكَر الذهبيُّ[9] فى « الأعلامِ » أنَّه توفِّى فى هذا العامِ ، [10]أعنى سنةَ تسعٍ وتسعين[10] . واللَّهُ أعلَمُ باليقينِ .

نافعُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمِ بنِ عدىِّ بنِ نوفلٍ القرشيُّ النَّوْفلىُّ المدَنِيُّ[11] ،

---

(١) الذى عليه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٦ أنه توفى فى أيام دولة الوليد .

(٢) بعده فى ا ٢، م، ص : « دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشترى منه ثوبًا فرفع فى السوم فقال له جاره ويحك هذا ابنُ محيريزٍ ضع له فأخذ ابن محيريزٍ بيدِ غلامه وقال اذهب بنا إنما جِئنا لنشتَرِىَ بأموالِنا لا بأديانِنا فذهَب وترَكَه » .

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨، وأسد الغابة ٥/ ١١٧، والإصابة ٦/ ٤٢.

(٤) التاريخ الكبير ٧/ ٤٠٢، ولم يصرح بأن له صحبة ، ولكنه أسند إلى النبى ﷺ . وقال ابن أبى حاتم فى « الجرح والتعديل » ٨/ ٢٨٩: قال البخارى : له صحبة . فخط أبى عليه ، وقال : لا يعرف له صحبة . ورجح ابن عبد البر قول البخارى .

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٩.

(٦) فى ا ٢، ب، م، ص : « أحسن » . وانظر المصدر السابق .

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٧٧.

(٨) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٦.

(٩) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٦، لكنه ذكر أنه توفى سنة سبع وتسعين ، أو ست وسبعين .

(١٠ - ١٠) سقط من : ا ٢، ب، م، ص .

(١١) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٠٣، والتاريخ الكبير ٨/ ٨٢، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٩١، وشذرات الذهب ١/ ١١٦.

روَى عن أبيه، وعثمانَ[1]، وعليٍّ، والعباسِ، وأبى هريرةَ، وعائشةَ، وغيرِهم، وروَى عنه جماعةٌ من التابعين وغيرِهم، وكان ثقةً عابدًا يحُجُّ ماشيًا، ومركوبُه يقادُ معه، قال غيرُ واحدٍ[2]: توفِّى سنةَ تسعٍ وتسعين بالمدينةِ. واللَّهُ أعلمُ.

كُرَيبُ بنُ مُسلمٍ[3] مولى ابنِ عباسٍ، روَى عن جماعةٍ من الصحابةِ وغيرِهم، وكان عندَه حِمْلُ كتبٍ، وكان مِن الثقاتِ المشهورين بالخيرِ والديانةِ.

محمدُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطعِمٍ[4] كان مِن علماءِ قريشٍ وأشرافِها، وله رواياتٌ كثيرةٌ، [5]تُوفِّى فى المدينةِ، ودُفِن فى البَقيعِ.

محمودُ بنُ الربيعِ الأنصارىُّ، أبو محمدٍ[6]، له رواياتٌ كثيرةٌ[5]، وكان يعقِلُ مَجَّةً مجَّها[7] النبىُّ ﷺ فى وجْهِه، وعمرُه أربعُ سنينَ[8]، تُوفِّى وعمرُه ثلاثٌ وتسعون سنةً بالمدينةِ.

مُسْلمُ بنُ يَسارٍ، أبو عبدِ اللَّهِ البصرىُّ[9]، الفقيهُ الزاهدُ، له رواياتٌ،

---

(١) يعنى عثمان بن أبى العاص. انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٧.

(٣) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/٢٩٣، وطبقات خليفة ٢/ ٧٠٣، والتاريخ الكبير ٧/ ٢٣١، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٢، وشذرات الذهب ١/ ١١٤.

(٤) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٠٢، والتاريخ الكبير ١/ ٥٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٦٦، وشذرات الذهب ١/ ١١٦.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨، وأسد الغابة ٥/ ١١٦، والإصابة ٦/ ٣٩.

(٧) أى: صبَّها من فمه. تاج العروس (م ج ج).

(٨) البخارى (٧٧) من طريق محمود بن الربيع، بلفظ: «وأنا ابن خمس سنين من دلو».

(٩) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦، وطبقات خليفة ١/ ٤٩١، والتاريخ الكبير =

كان لا يُفضَّلُ عليه أحدٌ فى زمانِه ، وكان عابدًا وَرِعًا زاهدًا كثيرَ الصلاةِ ، كثيرَ الخشوعِ . وقيل : إنَّه وقَع فى دارِه حريقٌ فأطفَئوه ، وهو فى الصلاةِ لم يَشعُرْ به ، وله مناقبُ كثيرةٌ ، رحِمه اللَّهُ . قلتُ : وانهدَمتْ مرَّةً ناحيةٌ من المسجدِ ففزِع أهلُ السوقِ لهِدَّتِها ، وإنَّه لفِى المسجدِ فى صلاتِه فما التفَتَ .

وقال ابنُه : رأيتُه ساجدًا ، وهو يقولُ : متى ألقَاك وأنت عنِّى راضٍ؟ ثم يذهَبُ فى الدعاءِ ، ثم يقولُ : متى ألقاكَ وأنت عنِّى راضٍ؟ وكان إذا كان فى غيرِ صلاةٍ كأنَّه فى الصَّلاةِ ، وقد تقدَّمتْ ترجَمتُه .

حَنَشُ بنُ (١عبدِ اللَّهِ بنِ١) عمرٍو الصَّنعانىُّ(٢)

كان والىَ إفريقيَّةَ ، وبلادِ المغربِ ، وبإفريقيَّةَ تُوفِّى غازيًا ، وله رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ من الصحابةِ .

خارجةُ بنُ زيدِ بنِ الضَّحَّاكِ الأنصارىُّ المدنىُّ الفقيهُ(٣) ، كان يُفتِى بالمدينةِ ، وكان مِن فقهائِها المعدودينَ ، كان عالِمًا بالفرائضِ وتقسيمِ المواريثِ ، وهو أحدُ الفقهاءِ السَّبعةِ الذين مدارُ الفتوى على قولِهم .

= ٧/ ٢٧٥، وحلية الأولياء ٢/ ٢٩٠، وطبقات الشيرازى ص ٨٨، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠، وشذرات الذهب ١/ ١١٩.

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر الترجمة الآتية .

(٢) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٥٣٦، والتاريخ الكبير ٣/ ٩٩، وتاريخ دمشق ١٥/ ٣٠٧، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٢٩، وطبقات فقهاء اليمن ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٣٩، وشذرات الذهب ١/ ١١٩.

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٢، وطبقات خليفة ٢/ ٦٢٧، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٠٤، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٦٠، وتهذيب الكمال ٨/ ٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٤١.

سنةُ مائةٍ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ

[1] قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ حفصٍ ، أنبأ ورقاءُ ، عن منصورٍ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن نُعيمِ بنِ دِجاجةَ ، قال : دخَل أبو[3] مسعودٍ على عليٍّ ، فقال : أنت القائلُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يأتى على الناسِ مائةُ عامٍ وعلى الأرضِ نفسٌ منفوسةٌ » ؟ إنما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يأتى على الناسِ مائةُ عام وعلى الأرضِ نفسٌ منفوسةٌ مِمَّن هو حيٌّ » . وإنَّ رخاءَ هذه الأمةِ بعدَ المائةِ . تفرَّد به أحمدُ .

وفى روايةٍ[4] لابنِه عبدِ اللَّهِ أنَّ عليًّا قال له : يا فرُّوخُ ، أنت القائلُ : لا يأتى على الناسِ[5] مائةُ سنةٍ وعلى الأرضِ عينٌ تَطرِفُ ؟ أخطَأتِ استُكَ الحفرةَ ، إنما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يأتى على الناسِ مائةُ سنةٍ ، وعلى الأرضِ عينٌ تَطْرِفُ مِمَّن هو اليومَ حيٌّ » . وإنما رخاءُ هذه الأمةِ وفرَجُها بعدَ المائةِ . تفرَّد به .

وهكذا جاء فى « الصحيحين »[6] عن ابنِ عمرَ : فوَهَل[7] الناسُ فى مقالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تلك ، وإنما أراد انخرامَ قَرْنِهِ[8][1] .

وفيها خرَجتْ خارجةٌ مِن الحروريَّةِ بالعراقِ ، فبعَث أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) المسند ١/ ٩٣. إسناده صحيح .

(٣) فى ا ٢، م : « ابن » ، وانظر المصدر السابق .

(٤) المسند ١/ ١٤٠. إسناده صحيح . وفى النسخ تقديم وتأخير مُخِلٌّ بالمعنى وصارف له إلى غير وجهه . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر مسند أبى يعلى (٥٨٤) .

(٥) فى ب : « السنة » .

(٦) البخارى (١١٦) ، مسلم (٢٥٣٧) .

(٧) وهَل الناس : غلطوا وذهب همهم إلى غير الصواب . وانظر الموضعين السابقين .

(٨) الانخرام : الانقضاء والانقطاع . أراد أن هذه المدة تخترم الجيل الذى هم فيه فوعظهم بقصر أعمارهم . وانظر الفتح ١/ ٢١٢.

عبدِ العزيزِ إلى عبدِ الحميدِ نائبِ الكوفةِ ، يأمُرُه بأن يدعُوَهم إلى الحقِّ ، ويتلطَّفَ بهم ، ولا يقاتِلَهم حتى يُفسِدوا فى الأرضِ ، فلمَّا فعَلوا ذلك بعَث إليهم جيشًا فكَسَرهم الحروريَّةُ ، فبعَث عمرُ إليه يلومُه على جيشِه ، وأرسَل عمرُ ابنَ عمِّه مَسلمةَ بنَ عبدِ الملكِ مِن الجزيرةِ إلى حربِهم ، فأظفَره اللَّهُ بهم ، وقد أرسَل عمرُ إلى كبيرِ الخوارجِ - وكان يقالُ له : بِسطامُ - يقولُ له : ما أخرَجك علىَّ ؟ فإن كنتَ خرَجتَ غضَبًا [١٦٧/٧و] للَّهِ ، فأنا أحقُّ بذلك منك ، ولستَ أولَى بذلك منِّى ، وهلُمَّ أناظِرْك ؛ فإن رأيتَ حقًّا اتَّبعْتَه ، وإن أبدَيتَ حقًّا نظَرنا فيه .

فبعَث طائفةً مِن أصحابِه إليه ، فاختارَ منهم عمرُ رجلَين فسألَهما : ماذا تنقِمون ؟ فقالا : جعْلَك يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ مِن بعدِكَ . فقال : إنِّى لم أجعَلْه أبدًا ، وإنما جعَله غيرى . قالا : فكيف ترضَى به أمينًا للأمَّةِ مِن بعدِكَ ؟ فقال : أنظِرْنى ثلاثةً . فيقالُ : إنَّ بنى أميةَ دسَّتْ إليه سُمًّا ، فقتَلوه ؛ خشيةَ أن يخرُجَ الأمرُ مِن أيديهم ، ويمنعَهم الأموالَ . واللَّهُ أعلمُ .

وفى هذه السنةِ غزَا عمرُ بنُ الوليدِ بنِ هشامٍ المُعَيْطىُّ ، وعمرُو بنُ قيسٍ الكندىُّ - مِن أهلِ حِمصَ - الصائفةَ .

وفيها ولَّى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عمرَ بنَ هبيرةَ نيابةَ الجزيرةِ ، فسار إليها .

وفيها[1] حُمِل يزيدُ بنُ المهلَّبِ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِن العراقِ ؛ أرسَله عدىُّ بنُ أرطاةَ نائبُ البصرةِ - [2]وقد كان أظهَر الامتناعَ[2] - مع موسى بنِ وجيهٍ ، وكان عمرُ يُبْغِضُ يزيدَ بنَ المُهلَّبِ وأهلَ بيتِه ، ويقولُ : هؤلاءِ جبابرةٌ ولا

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/٥٥٦.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، ب ، م .

أُحِبُّ مثلَهم .

فلمَّا دخَل على عمرَ طالَبه بما قِبلَه مِن الأموالِ التى كان قد كتَب إلى سليمانَ أنَّها حاصلةٌ عندَه ، فقال : إنما كتَبتُ بذلك لأُرهِبَ الأعداءَ بذلك ، ولم يكُنْ بينى وبينَ سليمانَ شىءٌ ، وقد عرَفتَ مكانتى عندَه . فقال له عمرُ : لا أسمَعُ منك هذا ، ولستُ أُطلِقُكَ حتى تؤدِّىَ أموالَ المسلمين . وأمَر بسَجنِه .

وكان عمرُ قد بعَث على إمرةِ خُراسانَ الجرَّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحكَمِىَّ عِوضَه ، وقدِم [1]ولدُ يزيدَ بنِ المُهلَّبِ[1] - مَخلَدُ بنُ يَزيدَ - فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد مَنَّ على هذه الأمةِ بولايتِك عليها ، فلا نكونَنَّ[2] أشقَى الناسِ بك ، فعَلَامَ تحبِسُ هذا الشيخَ وأنا أقومُ [3]بما تصالِحُنِى[3] عنه ؟ فقال عمرُ : لا أُصالِحُكَ عنه إلَّا أن تقومَ بجميعِ ما يُطلَبُ منه[4] . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، إن كانتْ لك بيِّنةٌ عليه بما تقولُ ، وإلَّا فاقبَلْ يمينَه أو فصالِحْنِى عنه . فقال : لا آخُذُ منه إلا جميعَ ما عندَه . فخرَج مَخلَدُ بنُ يزيدَ مِن عندِ عمرَ ، فلم يلبَثْ أن مات مَخلَدٌ ، فكان عمرُ يقولُ : هو خيرٌ مِن أبيه .

ثم إنَّ عمرَ أمَر بأن يلبَسَ يزيدُ بنُ المهلَّبِ جُبَّةً مِن صوفٍ ، ويركَبَ على بعيرٍ ، ويذهَبوا به إلى جزيرةِ دَهْلَكَ[5] التى كان يُنفَى إليها الفسَّاقُ ، فشفَعوا فيه ، فردَّه إلى السجنِ ، فلم يزَلْ به حتى مرِض عمرُ [6]مرضَه الذى مات فيه ، فهَرب[6]

(١ - ١) فى الأصل : « ابنه » .

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « نحن » .

(٣ - ٣) فى م : « له أتصالحنى » .

(٤) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين » .

(٥) دَهْلَكُ : جزيرة فى بحر اليمن ، وهى مرسى بين بلاد اليمن والحبشة . معجم البلدان ٢١/ ٣٣٤.

(٦ - ٦) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(١ مِن السجنِ ، وهو مريضٌ ، وعلِم أنَّه يموتُ فى مرضِه ذلك ، وبذلك كتَب إليه ، كما سيأتى ، وأظُنُّه كان عالمًا أن عمرَ قد سُقِى سُمًّا ١) .

وفى هذه السَّنةِ ، فى رمضانَ منها ، عزَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الجرَّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحكَمىَّ عن إمرةِ خراسانَ ، بعدَ سنةٍ وخمسةِ أشهرٍ ؛ وإنما عزَله لأنه كان يأخُذُ الجزيةَ مِمَّن [١٦٧/٧ظ] أسلَم مِن الكفَّارِ ، ويقولُ : أنتم إنَّما تُسلِمون فِرارًا منها . فامتنَعُوا مِن الإسلامِ ، وثبتُوا على دينِهم ، وأدَّوا الجزيةَ .

فكتَب إليه عمرُ : إنَّ اللَّهُ إنما بعَث محمدًا ﷺ داعيًا ، ولم يبعَثْه جابيًا . وعزَله وولَّى بدلَه عبدَ الرحمنِ بنَ نُعيمٍ القشيرىَّ على الحربِ ، وعبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ اللَّهِ على الخراجِ .

وفيها كتَب عمرُ إلى عُمَّالِه يأمُرُهم بالخيرِ ، وينهاهُم عن الشَّرِّ ، ويبيِّنُ لهم الحقَّ ، ويوضِّحُه لهم ، ويعِظُهم فيما بينَه وبينَهم ، ويخوِّفُهم بأسَ اللَّهِ وانتقامَه ، فكان فيما كتَب إلى عبدِ الرحمنِ بنِ نُعيمٍ القشيرىِّ :

أمَّا بعدُ ، فكُنْ عبدًا للَّهِ ، ناصحًا للَّهِ فى عبادِه ، ولا تأخُذْك فى اللَّهِ لومةُ لائِمٍ ، فإنَّ اللَّهَ أولَى بكَ مِن الناسِ ، وحقَّه عليك أعظمُ ، ولا تُولِيَنَّ شيئًا مِن أمورِ المسلمين إلا المعروفَ بالنَّصيحةِ لهم ، والتوفيرِ عليهم ، وأداءِ الأمانةِ فيما استُرعِىَ ، وإياكَ أن يكونَ مَيْلُكَ مَيْلًا إلى غيرِ الحقِّ ؛ فإنَّ اللَّهَ لا تخفَى عليه خافيةٌ ، ولا تذهَبَنَّ عن اللَّهِ مذهبًا ؛ فإنَّه لا ملجأَ مِن اللَّهِ إلَّا إليه . ١ وكتَب مثلَ ذلك مواعظَ كثيرةً إلى العمالِ ١) .

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

[1] وقال البخاريُّ فى «صحيحِه»[2] : وكتَب عمرُ إلى عَدِىِّ بنِ عدىٍّ :

إن للإيمانِ فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسُننًا ، مَن استكمَلها استكمَل الإيمانَ ، ومَن لم يستكمِلْها لم يستكمِلِ الإيمانَ ، فإن أعِشْ فسأُبيِّنُها لكم حتى تعمَلوا بها ، وإن أمُتْ فما أنا على صُحْبَتِكم بحريصٍ[1] .

وفى هذه السنةِ كان بُدوُّ دعوةِ بنى العباسِ

وذلك أنَّ محمدَ بنَ علىٍّ[3] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ - وكان مقيمًا بأرضِ الشَّراةِ[4] - بعَث مِن جهتِه رجلًا يقالُ له : ميسرةٌ . إلى العراقِ ، وأرسَل طائفةً أُخرَى وهم ؛ محمدُ بنُ خُنَيْسٍ[5] ، وأبو عكرمةَ السرَّاجُ - وهو أبو محمدٍ الصادقُ - وحيّانُ العطارُ - خالُ إبراهيمَ بنِ سلمَةَ[6] - إلى خُراسانَ ، وعليها يومئذٍ الجرّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَمىُّ قبلَ أن يُعزَلَ فى رمضانَ ، وأمَرهم بالدعاءِ إليه ، وإلى أهلِ بيتِهِ ، فلقُوا مَن لقُوا ثم انصَرفوا بكتُبٍ[7] مَن استجابَ لهم[8] إلى ميسرةَ ، الذى بالعراقِ ، فبعَث بها إلى محمدِ بنِ علىٍّ ففَرِح بها ، واستبشَر به ، وسرَّه ، وكان مبادِئَ أمرٍ قد كتَب اللَّهُ إتمامَه ، وأولَ رأيٍ قد أحكَم اللَّهُ إبرامَه ،

(١ - ١) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص ، ولعله من زيادات أحد النساخ ، ثم تنوقلت .

(٢) فتح البارى ١/ ٤٥، باب قول النبى ﷺ : «بنى الإسلام على خمس» ، من كتاب الإيمان ، وانظر تغليق التعليق ٢/ ١٩.

(٣) بعده فى ص : «بن عبد الملك» .

(٤) فى ب ، ص : «السراة» . وانظر معجم البلدان ٣/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٥) فى الأصل : «حسين» . وفى ا ٢، ب : «حبس» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٢.

(٦) فى ب ، ص : «مسلمة» . وانظر المصدر السابق .

(٧) فى الأصل ، ا ٢، ب : «فكتب» . وفى ص : «فكتبوا» .

(٨) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «منهم» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٢.

وذلك[1] أنَّ دولةَ بنى أُمَيَّةَ كان قد بان عليها مخايلُ الوَهْنِ والضعْفِ ، ولا سِيَّما بعدَ موتِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، كما سيأتى بيانُه . وقد اختارَ أبو محمدٍ الصادقُ لمحمدِ بنِ علىٍّ اثنى عشَرَ نقيبًا ، وهم ؛ سليمانُ بنُ كثيرٍ الخزاعىُّ ، ولاهزُ بنُ قُريظٍ التَّميمىُّ ، وقَحْطَبةُ بنُ شَبيبٍ الطائىُّ ، وموسى بنُ كعبٍ التميمىُّ ، وخالدُ بنُ إبراهيمَ أبو داودَ [2]مِن بنى[2] عمرِو بنِ شيبانَ بنِ ذُهْلٍ ، والقاسمُ بنُ مجاشعٍ التَّميمىُّ ، وعمرانُ بنُ إسماعيلَ أبو النجمِ - مولًى لآلِ أبى مُعَيْطٍ - ومالكُ بنُ الهيثمِ الخُزاعىُّ ، وطلحةُ بنُ زُرَيْقٍ الخُزاعىُّ ، وعمرُو [3]بنُ أعْيَنَ[3] أبو حمزةَ - مولًى لخزاعةَ - وشِبْلُ بنُ طَهْمانَ أبو علىٍّ الهَرَوِىُّ - مولًى لبنى حنيفةَ - وعيسى[4] بنُ أَعْيَنَ مولَى خزاعةَ أيضًا . واختار منهم سبعين رجُلًا أيضًا . وكتَب إليهم محمدُ بنُ علىٍّ كتابًا يكونُ لهم مثالًا وسيرةً يقتَدُونَ بها ويسِيرونَ بها .

وقد حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، نائبُ المدينةِ . والنُّوّابُ على الأمصارِ هم المذكورون فى التى [١٦٨/٧و] قبلَها ، سوى مَن ذكَرْنا ممَّن عُزِلَ وتولَّى غيرُه . واللَّهُ أعلمُ .

ولم يَحُجَّ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فى أيامِ خلافتِه لشغلِه بالأمورِ ، ولكنَّه كان يُبرِدُ البريدَ إلى المدينةِ ، فيقولُ له : سلِّم على رسولِ اللَّهِ ﷺ عنِّى . وسيأتى بإسنادِه إن شاءَ اللَّهُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأَعيانِ :

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ا ٢: «من» . وفى ب ، ص : «بن» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٢.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : «ابن أبى أعين» . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٢، والكامل ٥/ ٥٤.

(٤) فى الأصل ، ا ٢، ب ، ص : «موسى» . وانظر المصدر السابق .

سالمُ بنُ أبى الجعدِ الأشجعىُّ[1] ، مولاهم الكوفىُّ ، أخو زيادٍ ، وعبدِ اللَّهِ ، وعبيدِ اللَّهِ ، وعمرانَ ومسلمٍ ، وهو تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن ثوبانَ[2] ، وجابرٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، والنعمانِ بنِ بشيرٍ ، وغيرِهم ، وعنه قتادةُ ، والأعمشُ ، وآخَرونَ ، وكان ثقةً نبيلًا جليلًا[3] ، [4]تُوفِّى فى هذه السنةِ على المشهورِ[4] .

أبو أُمامةَ بنُ[5] **سَهلِ بنِ حُنيفٍ ، الأنصارىُّ الأوسىُّ المدنىُّ** ، وُلِد فى حياةِ النبىِّ ﷺ ورآه ، وحدَّث عن أبيه ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وزيدِ بنِ ثابتٍ ، ومعاويةَ ، وابنِ عباسٍ . وعنه الزهرىُّ ، وأبو حازمٍ ، وجماعةٌ ، قال الزهرىُّ[6] : كان مِن عِلْيةِ الأنصارِ وعلمائِهم ، ومِن أبناءِ الذين شهِدوا بدرًا . وقال يوسفُ بنُ الماجشونِ ، عن عُتبةَ بنِ مسلمٍ ، قال[7] : آخرُ خَرجةٍ خرَجها عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، إلى الجُمُعةِ ، حصَبَه الناسُ وحالوا بينَه وبينَ الصلاةِ ، فصلَّى بالناسِ يومَئذٍ أبو أُمامةَ بنُ سَهلِ بنِ حُنيفٍ . قالوا[8] : تُوفِّى سنةَ مائةٍ . واللَّهُ أعلَمُ .

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٩١، وطبقات خليفة ١/ ٣٥٩، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٣٦١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٩٥.

(٢) قال محمد بن يحيى الذهلى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يسمع سالم من ثوبان ولم يلقه ، وبينهما معدان بن أبى طلحة ، وليست هذه الأحاديث بصحاح . تهذيب الكمال ١٠/ ١٣٢.

(٣) قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ١٠٩: من ثقات التابعين ، لكنه يدلس ويرسل .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٥) سقط من : م ، ص ، وانظر ترجمته فى : الاستيعاب ٤/ ١٦٠٢، وأسد الغابة ٦/ ١٨، والإصابة ١/ ١٨١.

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨/٣٤٤ عنه به .

(٨) تاريخ دمشق ٨/ ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦، وتهذيب الكمال ٢/ ٥٢٦.

أبو الزّاهريَّةِ حُدَيْرُ بنُ كُريبٍ الحِمْصِيُّ[1] ، تابعيٌّ جليلٌ ، سمِع أبا أُمامةَ ؛ صُدَيَّ بنَ عَجْلانَ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ بُسرٍ ، ويقالُ[2] : إنّه أدرَك أبا الدرداءِ . والصحيحُ أنَّ روايتَه عنه ، وعن حذيفةَ مُرسَلةٌ[3] ، وقد حدَّث عنه جماعةٌ مِن أهلِ بلدِه ، وقد وثَّقه ابنُ مَعِينٍ ، وغيرُه . ومِن أغربِ ما رُوِى عنه قولُ قُتَيْبةَ[4] : ثنا شهابُ بنُ خِراشٍ عن حميدِ بنِ[5] أبى الزاهريَّةِ ، قال : أغفَيتُ فى صخرةِ بيتِ المقدسِ ، فجاءتِ السَّدَنَةُ ، فأغلَقوا عليَّ البابَ ، فما انتَبَهتُ إلّا بتَسبيحِ الملائكةِ ، فوثَبْتُ مَذْعُورًا ، فإذا الملائكةُ صفوفٌ ؛ فدخَلتُ معَهم فى الصفِّ . قال أبو عبيدٍ[6] ، وغيرُه[7] : مات سنةَ مائةٍ .

أبو الطُّفيلِ عامرُ بنُ واثلةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو اللَّيْثِيُّ الكِنانيُّ[8] ، صحابيٌّ ، وهو آخِرُ مَن رأى النبيَّ ﷺ وفاةً بالإجماعِ ، [9]روَى عن[9] النبيِّ ﷺ ، [10]أنَّه رآه[10] يَستلِمُ الرُّكْنَ بمِحْجَنِه[11] ، وذكَر صفةَ النبيِّ ﷺ ، وروَى عن أبى بكرٍ ، وعمرَ ، وعلىٍّ ، ومعاذٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وحدَّث عنه الزهرىُّ ، وقتادةُ ، وعمرُو بنُ دينارٍ ، وأبو الزبيرِ ، وجماعةٌ مِن التابِعينَ . وكان مِن أنصارِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٠، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٣، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥١٧.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٣.

(٣) المراسيل لابن أبى حاتم ص ٤٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٧، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٣. كلاهما من طريق قتيبة به.

(٥) فى ب، م، ص: «عن».

(٦) فى النسخ: «أبو عبيدة». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٧) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٨) الاستيعاب ٢/ ٧٩٨، وأسد الغابة ٣/ ١٤٥، والإصابة ٧/ ٢٣٠.

(٩ - ٩) فى ا ٢، ب، م، ص: «قال رأيت».

(١٠ - ١٠) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

(١١) تقدم تخريجه فى ٧/ ٥٤٦، ٥٤٧.

عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ، شهِد معه حروبَه كلَّها ، لكنْ نقَم بعضُهم عليه كونَه كان معَ المختارِ بنِ أبى عبيدٍ ، ويقالُ : [٧/١٦٨ظ] إنَّه كان حاملَ رايتِه . وقد رُوِى أنَّه دخَل على معاويةَ ، فقال له[(١)] : ما أبقَى لك الدهرُ مِن ثُكْلِك عليًّا ؟ فقال : ثُكْلَ العجوزِ المِقْلاتِ[(٢)] والشيخِ الرَّقُوبِ . قال : كيف حبُّك له ؟ قال : حبُّ أُمِّ موسى لموسى ، وإلى اللَّهِ أشكو التقصيرَ . قيل : إنه أدرَك مِن حياةِ النبىِّ ﷺ ثمانَ سنينَ ، ومات سنةَ مائةٍ . وقِيل : سنةَ سبعٍ ومائةٍ . [(٣)]وقيل : سنةَ عَشْرٍ ومائةٍ[(٣)] . فاللَّهُ أعلمُ . قال مسلمُ[(٤)] بنُ الحجَّاجِ : وهو آخِرُ مَن مات مِن الصحابةِ مُطلَقًا ، وماتَ سنةَ مائةٍ .

أبو عثمانَ النَّهْدِىُّ[(٥)] ، واسمُه عبدُ الرحمنِ بنُ مَلٍّ[(٦)] البصرىُّ ، أدرَك الجاهليةَ وحجَّ فى زمنِ الجاهليةِ مرَّتين ، وأسلَم فى حياةِ النبىِّ ﷺ ولم يرَه ، وأدَّى فى زمانِه الزكاةَ ثلاثَ سنينَ إلى عمالِ النبىِّ ﷺ ؛ ومثلُ هذا يسمِّيه أئمةُ الحديثِ مُخَضْرَمًا ، وهاجَر إلى المدينةِ فى زمان عمرَ بنِ الخطابِ ، فسمِع مِنه ، ومِن علىٍّ وابنِ مسعودٍ ، وخَلْقٍ مِن الصحابةِ ، وصحِب سَلْمَانَ[(٧)] الفارسىَّ ثنْتَىْ عَشْرةَ سنةً حتى دفَنَه ، وروَى عنه جماعةٌ مِن التابِعين وغيرِهم ، منهم أيوبُ ، وحميدٌ الطويلُ ، وسليمانُ بنُ طرخانَ التَّيْمىُّ . وقال عاصمٌ الأحولُ[(٨)] : سمِعتُه يقولُ : أدرَكتُ فى الجاهليةِ يَغُوثَ ؛ صنمًا مِن رَصاصٍ يحُمَلُ على جَمَلٍ أَجْرَدَ ،

---

(١) تاريخ دمشق ٢٦/ ١١٦، ١١٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٩.

(٢) المقلات : هى التى لم يبق لها ولد ، وكذلك الشيخ الرقوب .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص . وانظر تاريخ دمشق ٢٦/ ١٧٤.

(٤) فى م : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٨١ بنحوه .

(٥) الاستيعاب ٢/ ٨٥٣، وأسد الغابة ٣/ ٤٩٧، والإصابة ٥/ ١٠٨.

(٦) بميم مثلثة ولام ثقيلة . وانظر مصادر الترجمة ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٤.

(٧) فى ص : « سليمان » .

(٨) تاريخ دمشق ١٠/ ٢١٨ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٦.

فإذا بلَغ واديًا برَك فيه ، فيقولون : قد رَضِى ربُّكم لكم هذا الوادِىَ ، فينزِلُونَ فيه . قال[1] : وسمِعتُه وقد قِيل له : أدرَكتَ النبىَّ ﷺ ؟ فقال : نعم ، أسلَمتُ على عهدِه ، وأدَّيْتُ إليه الزكاةَ ثلاثَ مراتٍ ، ولم ألقَهُ ، وشهِدتُ اليرموكَ ، والقادِسيَّةَ ، وجلولاءَ ، ونَهاوَنْدَ ، [2]وتُسْتَرَ ، وأذْرَبِيجانَ ، ورُسْتَمَ . وقال غيرُه[3] : كان البشيرَ إلى عمرَ فى فتحِ نَهاوَنْدَ . قالوا[4] : و[2] كان أبو عثمانَ [5]صوَّامًا قوَّامًا ؛ يسرُدُ الصومَ ، ويَقومُ الليلَ[5] لا يترُكُه ، وكان يُصَلِّى حتى يُغشَى عليه . وحجَّ ستين مرةً ما بينَ حَجةٍ وعُمرةٍ . قال سليمانُ التَّيْمىُّ[6] : إنِّى لأَحسَبُه لا يصيبُ ذنبًا ؛ لأنَّه كان ليلَه قائمًا ونهارَه صائمًا . وقال بعضُهم[7] : سمِعتُ أبا عثمانَ النهدىَّ يقولُ : أتَتْ علىَّ ثلاثونَ ومائةُ سنةٍ ، وما مِنِّى شىءٌ إلَّا وقد أنكَرتُه خَلا أملِى فإنى أجِدُه كما هو . وقال ثابتٌ البُنانىُّ ، عن أبى عثمانَ ، قال[8] : إنِّى لأَعْلَمُ حينَ يذكُرنِى اللَّهُ عزَّ وجلَّ . قال : فنقولُ له : مِن أين تعلَمُ ذلك ؟ فيقولُ : قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] . فإذا ذكَرتُ اللَّهَ ذَكَرنى . قال : وكنَّا إذا دَعَوْنا اللَّهَ قال : واللَّهِ لقد استجابَ اللَّهُ لنا ، قال اللَّه تعالى :

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٣، ٢٠٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٢١٦ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٧ بنحوه .

(٥ - ٥) فى الأصل : «صواما بالنهار يسرده قوامًا بالليل» .

(٦) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢١ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٣٦.

(٧) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٢٢٠، ٢٢٣ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٧.

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٢٢١، ٢٢٢، (مخطوط) ، والمزى فى تهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٨.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. قالوا[1]: وعاش مائةً وثلاثين سنةً. [2]وقيل: وأربعين سنةً[2]. قاله هشيمٌ وغيرُه. قال المدائنيُّ وغيرُه[3]: تُوفِّى سنةَ مائةٍ. وقال الفلَّاسُ[4]: تُوفِّى سنةَ خمسٍ وتسعين. والصحيحُ سنةَ مائةٍ. واللَّهُ أعلمُ.

وفيها تُوفِّى عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وكان يَفْضُلُ على والدِه فى العبادةِ والانقطاعِ عن الناسِ، وله كلماتٌ حِسانٌ مع أبيهِ ووَعْظِه إيَّاه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٠/٢٢٤ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٩.

(٢ - ٢) سقط من: م. وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٥، وتاريخ دمشق ١٠/٢٢٤ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٥٣٦.

(٤) المصادر السابقة.

[١٦٩/٧و] ثم دخلت سنةُ إحدَى ومائةٍ

فيها كان هرَبُ يزيدَ بنِ المُهلَّبِ مِن السجنِ حينَ بلَغه مرضُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فواعَد غِلمانَه يلقَونَه بالخيلِ[1] فى بعضِ الأماكنِ، وقيل[1]: بإبلٍ له. ثم نزَل مِن مَحبسِه، ومعه جماعةٌ وامرأتُه عاتكةُ بنتُ الفراتِ العامريةُ، فلما جاءه غلمانُه ركِب رواحِلَه وسار، وكتَب إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: إنِّى واللَّهِ ما خرَجتُ مِن سجنِك إلا حينَ بلَغنى مرضُك، ولو رجَوتُ حياتَك ما خرَجتُ، ولكنِّى خشِيتُ من يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ؛ فإنه يتوعَّدُنى بالقتلِ. وكان يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ يقولُ: لئِنْ ولِّيتُ لأقطَعنَّ مِن يزيدَ بنِ المهلَّبِ طائفةً. وذلك أنَّه لما وُلِّى العراقَ[2] عاقَب أصهارَه، آلَ أبى عقيلٍ، وهم بيتُ الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفىِّ، وكان يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ مزوَّجًا ببنتِ[3] محمدِ بنِ يوسفَ أخِى الحجاجِ، وله مِنها ابنُه الوليدُ بنُ يزيدَ الفاسقُ المقتولُ، كما سيأتِى. ولما بلَغ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أنَّ يزيدَ بنَ المهلَّبِ هرَب من السجنِ، قال: اللهمَّ إن كان يريدُ بهذه الأمةِ سوءًا فاكْفِهم شرَّه، واردُدْ كيدَه فى نحرِه.

ثمَّ لم يزَل المرضُ يتزايدُ بعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ حتى مات، وهو بخُناصِرةَ، من دَيرِ سَمعانَ بين حَماةَ، وحَلَبَ، فى يومِ الجمُعةِ. وقيل: فى يومِ الأربعاءِ لخمسٍ بقِين[4] مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ إحدى ومائةٍ - عن تسعٍ وثلاثينَ

---

(١) سقط من: الأصل. وانظر تاريخ الطبرى، ٦/ ٥٦٤.

(٢) يعنى: يزيد بن المهلّب.

(٣) فى الأصل: «بأم الحجاج بنت».

(٤) بعده فى الأصل: «وقيل: لعشر بقين».

سنةً وأشهرٍ. وقيل: إنه جاوَز الأربعينَ بأشهرٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وكانت خلافتُه، فيما ذكَر غيرُ واحدٍ[1] سنتين وخمسةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ، وكان حَكَمًا مُقسِطًا، وإمامًا عادِلًا [2]ورِعًا دينًا، لا تأخُذُه فى اللَّهِ لومةُ لائمٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى[2].

وهذه ترجمةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ الأُمَوِىِّ[3] الإمامِ المشهورِ، رحِمه اللَّهُ [4]وأكرَم مثواه[4]

هو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُميَّةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ، أبو حفصٍ القرشىُّ الأُمَوىُّ[5] أميرُ المؤمنين، وأُمُّه أمُّ عاصمٍ ليلى بنتُ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ، ويقال له: أشجُّ بنى مروانَ. وكان يُقالُ: الأشجُّ والناقصُ أعدلا بنى مروانَ. فهذا هو الأشجُّ، وسيأتى ذكرُ الناقصِ.

كان عمرُ تابعيًّا جليلًا، روَى عن أنسِ بنِ مالكٍ، والسائبِ بنِ يزيدَ، ويوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سلامٍ، ويوسفُ صحابىٌّ صغيرٌ. وروَى عن خلقٍ مِن

---

(٣) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣٢٥، ٣٢٨، (مخطوط)، وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٢٧، ٣٢٨. وانظر ترجمة عمر بن عبد العزيز فيما هو آت.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ب.

(٣) انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠، وطبقات الشيرازى ٦٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٧ (مخطوط)، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ١٧، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٣٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ١٨٧.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) بعده فى م: «المعروف».

التابعينَ . وعنه جماعةٌ مِن التابعين ، وغيرِهم . قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[1] : لا أرى[2] قولَ أحدٍ من التابعين حُجَّةً إلا قولَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

بُويِع له بالخلافةِ بعدَ ابنِ عمِّه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، عن عهدٍ منه له بذلك ، كما تقدَّم ، ويقالُ : [١٦٩/٧ظ] كان مولدُه فى سنةِ إحدى وستين - وهى السنةُ التى قُتِل فيها الحسينُ بنُ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهما - بمصرَ . قاله غيرُ واحدٍ[3] . وقال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستين . وقيل : سنةَ تسعٍ وخمسينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وكان له جماعةٌ مِن الإخوةِ ، ولكنِ الذين هم مِن أبويه ؛ أبو بكرٍ ، وعاصمٌ ، ومحمدٌ ، وقال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ[5] عن يحيى بنِ معينٍ ، عن يحيى بنِ بُكيرٍ ، عن الليثِ ، قال : بلَغنى أنَّ عمرانَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ شُرَحْبِيلِ بنِ حسَنةَ كان يحدِّثُ أن رجلًا رأَى فى المنامِ ليلةَ وُلِد عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ - أو ليلةَ وَلِىَ الخلافةَ ، شكَّ [6]أبو بكرٍ[6] - أنَّ مناديًا بينَ السماءِ والأرضِ ينادِى : أتاكم اللِّينُ ، والدِّينُ ، وإظهارُ العملِ الصالحِ فى المصلِّين . فقلتُ : ومَنْ هو ؟ فنزَل فكتَب فى الأرضِ عمر . وقال آدمُ بنُ [7]أبى إياسٍ[7] : [8]ثنا ضَمرَةُ[8] ، ثنا أبو علىٍّ ثروانُ مولَى

---

(١) انظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٧٣ .

(٢) فى م : « أدرى » .

(٣) انظر تاريخ خليفة ١/ ٢٨٦، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٣٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٦٠ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٦ - ٦) فى مصدر التخريج : « ابن بكير » .

(٧ - ٧) فى م : « إياس » . وأخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق آدم بن أبى إياس به .

(٨ - ٨) سقط من : م .

عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، قال : دخَل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى إصطبلِ أبيه [1] وهو غلامٌ [1] فضرَبه فرسٌ ، فشَجَّه ، فجعَل أبوه يمسَحُ عنه الدَّمَ ، ويقولُ : إنْ كنتَ أشجَّ بنى أميَّةَ إنَّك إذًا لسعيدٌ . رواه الحافظُ ابنُ عساكرَ مِن طريقِ هارونَ بنِ معروفٍ ، عن ضَمْرَةَ[2] . وقال نُعَيْمُ بنُ حمادٍ[3] : ثنا ضِمامُ بنُ إسماعيلَ ، عن أبى قَبيلٍ أنَّ عمرَ ابنَ عبدِ العزيزِ بكَى ، وهو غلامٌ صغيرٌ ، فبلغ ذلك[4] أمَّه فأرسَلتْ إليه ، فقالتْ : ما يُبكيكَ ؟ قال : ذكرتُ الموتَ . فبكتْ أُمُّه . وكان قد جمَع القرآنَ وهو غلامٌ[4] صغيرٌ ، وقال الضحاكُ بنُ عثمانَ الحِزاميُّ[5] : كان أبوه قد جعَله عند صالحِ بنِ كيسانَ يؤدِّبُه ، فلمَّا حجَّ أبوه اجتازَ به فى المدينةِ ، فسأَله عنه ، فقال : ما خَبَرتُ أحدًا اللَّهُ أعظمُ فى صدرِه مِن هذا الغلامِ .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ تأخَّر عن الصَّلاةِ مع الجماعةِ يومًا ، فقال صالحُ بنُ كيسانَ : ما شغَلك ؟ فقال : كانت مُرجِّلتى تُسَكِّنُ شَعْرى . فقال له : أقدَّمتَ ذلك على الصلاةِ ؟ وكتَب إلى أبيه ، وهو على مصرَ يُعلِمُه بذلك ، فبعَث أبوه رسولًا فلم يُكلِّمْه حتى حلَق رأسَه . وكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يختلِفُ إلى عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ يسمَعُ منه ، فبلَغ عبيدَ اللَّهِ أنَّ عمرَ ينتقِصُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) لم نجد هذا الطريق فى تاريخ دمشق (مخطوط) ، إنما هو فيه من طريق آدم السابق ، وأما من طريق هارون فقد أخرجه الأصفهانى فى الأغانى ٩/ ٢٥٤، وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٦.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦١/١٣ (مخطوط) ، من طريق نعيم بن حماد به .

(٤) سقط من : ا ٢، ب ، م، ص .

(٥) فى الأصل : « الحرامى » . وفى م : « الخزامى » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٧٢. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦١/١٣ (مخطوط) ، بسنده عن الضحاك به .

(٦) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٦٨، ٥٦٩.

عليًّا ، فلمَّا أتاه عمرُ أعرَض عبيدُ اللَّهِ عنه ، وقام يصلِّى ، فجلَس عمرُ ينتظِرُه ، فلمّا سلَّم أقبَل على عمرَ مُغضَبًا ، وقال له : متى بلَغَك أنَّ اللَّهَ سخِط على أهلِ بدرٍ بعدَ أنْ رضِىَ عنهم ؟ قال : ففهِمها عمرُ ، وقال : معذرةً إلى اللَّهِ ثم إليك ، واللَّهِ لا أعودُ . قال : فما سُمِع بعدَ ذلك يذكُرُ عليًّا إلَّا بخيرٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خيثمةَ[1] : ثنا [٧/١٧٠و] أبى ، ثنا المفَضَّلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، قال : دخَل علينا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِن هذا البابِ - [2]يعنى بابًا[2] من أبواب مسجدِ النبىِّ ﷺ - فقال رجلٌ مِن القومِ : بعَث إلينا الفاسقُ بابنِه هذا يتعلَّمُ الفرائضَ والسُّننَ ، ويزعُمُ أنَّه لن يموتَ حتى يكونَ خليفةً ، ويسيرَ بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ . قال داودُ : فواللَّهِ ما مات حتى رأَينا ذلك فيه .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ[3] : حدَّثنى العتبىُّ ، قال : إنَّ أوَّلَ ما استُبينَ مِن[4] عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ حرصُه على العلمِ ، ورغبتُه فى الأدبِ . قال : إنَّ أباه وَلِىَ مصرَ وهو حديثُ السنِّ يُشَكُّ فى بلوغِه ، فأراد إخراجَه معه ، فقال : يا أبه ، أوَ غيرُ ذلك لعلَّه يكونُ أنفَعَ لى ولك[5] ؟ تُرحِّلُنى إلى المدينةِ فأقعُدَ إلى [6]فقهاءِ أهلِها[6] ، وأتأدَّبَ بآدابِهم . فوجَّهه إلى المدينةِ[7] ، فقعَد مع مشايخِ قريشٍ ، وتجنَّبَ شبابَهم ، وما زال ذلك دأبَه حتى اشتُهِر ذكرُه ، فلمَّا مات أبوه أخَذَه عمُّه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٦١ - ٢٦٢ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأشار إلى باب » .

(٣) الأخبار الموفقيات ص ٢٠٨.

(٤) بعده فى ا ٢، م : « رشد » .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قال : وما هو؟ قال : » .

(٦ - ٦) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « فقهائها » .

(٧) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأرسل معه الخدام » .

أميرُ المؤمنين عبدُ الملكِ بنُ مروانَ فخلَطه بولدِه، وقدَّمه على كثيرٍ منهم، وزوَّجه بابنتِه فاطمةَ، وهى التى يقولُ فيها الشاعرُ:

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جَدُّها ... أختُ الخلائِفِ والخليفةُ زوجُها

قال: ولا نعرِفُ امرأةً بهذه الصِّفةِ إلى يومِنا هذا سواها.

قال العتبىُّ[1]: ولم يكنْ حاسدُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ينقِمُ عليه شيئًا سوى متابعتِه فى النعمةِ، والاختيالِ فى المِشيَةِ. وقد قال الأحنفُ بنُ قيسٍ[1]: الكاملُ مَن عُدَّتْ هفَواتُه، ولا تُعَدُّ إلَّا مِن قِلَّةٍ[2].

ودخَل يومًا على عمِّه عبدِ الملكِ، وهو يتجانَفُ فى مِشيَتِه، فقال له: يا عمرُ ما لك تمشِى غيرَ مِشيتِك؟ قال: إنَّ فِىَّ جُرحًا، فقال: وأين هو مِن جسدِكَ؛ قال: بين الرَّانِفةِ[3] والصَّفَنِ - يعنى بين طرفِ الأَلْيَةِ وجلدةِ الخُصيةِ - فقال عبدُ الملكِ لرَوحِ بنِ زِنباعٍ: باللَّهِ لو رجلٌ مِن قومِك سُئِل عن هذا ما أجاب هذا الجوابَ.

قالوا[4]: ولمَّا مات عمُّه عبدُ الملكِ حزِنَ عليه، ولبِس المُسُوحَ تحت ثيابِه سبعين يومًا. ولمَّا ولِى الوليدُ عامَله بما كان أبوه يعامِلُه به، وولَّاه المدينةَ، ومكةَ، والطائفَ من سنةِ ستٍّ وثمانين إلى سنةِ ثلاثٍ وتسعين، وأقامَ للناسِ الحجَّ سنةَ تسعٍ وثمانين، وسنةَ تسعين، وحجَّ بالناسِ الوليدُ سنةَ إحدى وتسعين، ثم حجَّ بالناسِ عمرُ سنةَ ثِنتين وثلاثٍ وتسعين.

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٦٢ (مخطوط). وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ١٠١.

(٢) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والدواب هو وإخوته ما لم يرثه غيره فيما نعلم كما تقدم ذلك».

(٣) فى الأصل، ا ٢، ص، وتاريخ دمشق (مخطوط): «الراتقة»، وفى م: «الرانقة». والرانفة: ما سال من الألية على الفخذين. تاج العروس (ر ن ف).

(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٦٢، ٢٦٣ (مخطوط).

وبنَى فى مدَّةِ ولايتِه هذه مسجدَ النبىِّ ﷺ [٧/١٧٠ظ]، ووسَّعه عن أمرِ الوليدِ له بذلك، فدخَل فيه (١قبرُ النبىِّ ﷺ١)، وقد كان فى هذه المدَّةِ مِن أحسنِ الناسِ معاشرةً، وأعدلِهمْ سيرةً؛ كان إذا وقَع له أمرٌ مُشكِلٌ جمَع فقهاءَ المدينةِ عليه، وقد عيَّن عشْرةً منهم، وكان لا يقطَعُ أمرًا بدونِهم أو مَن حضَر منهم، وهم: عروةُ، وعبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ، وأبو بكرِ بنُ سليمانَ بنِ (٢أبى حَثْمةَ٢)، وسليمانُ بنُ يسارٍ، والقاسمُ بنُ محمدٍ(٣)، وسالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ، وخارجةُ بنُ زيدِ بنِ ثابتٍ.

وكان لا يخرُجُ عن قولِ سعيدِ بنِ المسَيَّبِ، وقد كان سعيدُ بنُ المسيَّبِ لا يأتى أحدًا مِن الخلفاءِ، وكان يأتى إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وهو بالمدينةِ. (٤قال ابنُ وهبٍ، عن عبدِ الجبارِ الأيلىِّ، عن٤) إبراهيمَ بنِ أبى(٥) عبلةَ: قدِمتُ المدينةَ وبها ابنُ المسيَّبِ، وغيرُه، وقد ندَبهم عمرُ (٦يومَئذٍ رأيًا٦).

وقال ابنُ وهبٍ(٧): حدَّثنى الليثُ، حدَّثنى قادمٌ البربرىُّ أنه ذاكَر ربيعةَ بنَ أبى عبدِ الرحمنِ شيئًا مِن قضايا عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إذ كان بالمدينةِ، فقال له ربيعةُ(٨): كأنَّك تقولُ: أخطأ. والذى نفسِى بيدِه ما أخطأ قطُّ. وثبَت من غيرِ وجهٍ عن أنسِ

(١ - ١) فى الأصل: «الحجرة النبوية».

(٢ - ٢) فى الأصل، ا ٢، ص: «أبى حزم»، وفى م: «خيثمة». وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٩٣.

(٣) بعده فى م: «بن حزم».

(٤ - ٤) فى ا ٢، م، ص: «قال».

(٥) سقط من: م. وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٣.

(٦ - ٦) فى ا ٢، م، ص: «يوما إلى رأى».

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٦٤ (مخطوط)، من طريق ابن وهب به.

(٨) فى م: «الربيع».

ابنِ مالكٍ[1] ، قال : ما صلَّيتُ وراءَ إمامٍ أشبهَ صلاةً برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن هذا الفتى - يعنى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ حين كان على المدينةِ .

قالوا : وكان يتِمُّ الركوعَ والسجودَ ، ويخفِّفُ القيامَ والقعودَ ، [2]وفى روايةٍ صحيحةٍ[3] : أنَّه كان يُسبِّحُ فى الركوعِ والسجودِ عشْرًا عشْرًا[2] . وقال ابنُ وهبٍ[4] : حدَّثنى الليثُ ، عن أبى النضرِ المدينىِّ ، قال : لقِيتُ[5] سليمانَ بنَ يسارٍ خارجًا مِن عندِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقلتُ له : مِن عندِ عمرَ خرجتَ ؟ قال : نعم . قلتُ : تُعلِّمونه ؟ قال : نعم ، فقلتُ : هو واللَّهِ أعلمُكم . وقال مجاهدٌ[6] : أتَيناه نعلِّمُه فما برِحنا حتى تعلَّمنا منه . وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ[7] : كانت العلماءُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ تلامذةً . وفى روايةٍ[7] ؛ قال ميمونٌ : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ معلِّمَ العلماءِ . وقال الليثُ[8] : حدَّثنى رجلٌ كان قد صحِب ابنَ عمرَ وابنَ عباسٍ ، وكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يستعمِلُه على الجزيرةِ ، قال : ما التمَسنا عِلمَ شىءٍ إلا وجَدنا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أعلمَ الناسِ بأصلِه وفرعِه ، وما كان العلماءُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلا تلامذةً .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ طاوسٍ[9] : رأيتُ أبى تواقَف هو وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مِن

---

(١) أخرجه النسائى (٩٨٠) . والإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٤٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٥٤، ٢٥٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٥/١٣ (مخطوط) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٩٣٨) .

(٢ - ٢) زيادة من : ٢١، ب ، م ، ص .

(٣) أخرجه أبو داود (٨٨٨) ، والنسائى (١١٣٤) ، والإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٦٢ . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٨٩) .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن وهب به .

(٥) فى م : « رأيت » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق مجاهد به .

(٧) أخرجهما ابن عساكر فى المصدر السابق ، من طريق ميمون به ، وانظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٥ .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق الليث به .

(٩) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٦٨/١٣ (مخطوط) ، من طريق عبد اللَّه بن طاوس به .

بعدِ صلاةِ العشاءِ حتى أصبَحنا ، فلمَّا افترَقا ، قلتُ : يا أبه ، مَن هذا الرجلُ ؟ قال : هذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وهو مِن صالحِى هذا البيتِ ، يعنى بنى أُميَّةَ . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ [٧/١٧١و] كثيرٍ[(١)] : قلتُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : ما كان بدْءُ إنابتِكَ ؟ قال : أرَدتُ ضرْبَ غلامٍ لى ، فقال لى : اذكُرْ ليلةً صبيحتُها يومُ القيامةِ .

وقال الإمامُ مالكٌ[(٢)] : لمَّا عزِل عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عن المدينةِ - يعنى فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين - وخرَج منها التفَت إليها وبكَى ، وقال لمولَاه : يا مزاحمُ ، نخشَى أن نكونَ مِمَّن نفَتِ المدينةُ . [(٣)]يعنى أنَّ المدينةَ تنفِى خبثَها كما ينفِى الكِيرُ خبثَ الحديدِ ، وتنصَعُ[(٤)] طيبَها[(٣)] .

قلتُ : خرَج مِن المدينةِ ، فنزَل بمكانٍ قريبٍ منها يقالُ له : السويداءُ[(٥)] . حينًا ، ثم قدِم دمشقَ على بنى عمِّه .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٦)] ، عن إسماعيلَ بنِ أبى حكيمٍ ، قال : سمِعتُ عمرَ ابنَ عبدِ العزيزِ ، يقولُ : خرَجتُ مِن المدينةِ وما مِن رجلٍ أعلمَ مِنِّى ، فلمَّا قدِمتُ الشامَ نسِيتُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٧)] : حدَّثنا عفَّانُ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن معمرٍ ، عن الزهرىِّ ، قال : سهِرتُ مع عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ذاتَ ليلةٍ فحدَّثتُه ، فقال : كلُّ ما

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٦٨ (مخطوط) ، من طريق عبد اللَّه بن كثير به ، وفيه : (قيل) . بدل : (قلت) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ، بسنده عن مالك بنحوه .

(٣ - ٣) زيادة من : ا٢ ، ب ، م ، ص .

(٤) تنصع : من النصوع وهو الصفاء والجلاء والوضوح . انظر تاج العروس (ن ص ع) .

(٥) السويداء : تصغير سوداء ، موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . معجم البلدان ٣/ ١٩٧ .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٦٨ ، ٢٦٩ (مخطوط) ، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٦٩ (مخطوط) ، من طريق الإمام أحمد به .

حدَّثتَ فقد سمِعتُه ، ولكن حفِظتَ ونسِيتُ .

وقال ابنُ وهبٍ[1] ، عن الليثِ ، عن عقيلٍ ، عن الزهريِّ ، قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : بعَث إليَّ الوليدُ ذاتَ ساعةٍ مِن الظهيرةِ ، فدخَلتُ عليه فإذا هو عابسٌ ، فأشار إليَّ أن اجلِسْ ، فجلَستُ [2]بينَ يدَيه[2] ، فقال : ما تقولُ فيمَن يسُبُّ الخلفاءَ ، أيُقْتَلُ ؟ فسكَتُّ ، ثم عاد ، فسكَتُّ ، ثم عاد ، فقلتُ : أَقَتَل يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سَبٌّ . فقلتُ : ينكَّلُ به ، فغضِب وانصرَف إلى أهلِه ، وقال لى ابنُ الريانِ السيافُ : اذهَبْ . قال : فخرَجتُ مِن عندِه ، وما تهُبُّ ريحٌ إلَّا وأنا أظُنُّ أنَّه رسولٌ يردُّنى إليه .

وقال عثمانُ بنُ زُفَرَ[3] : أقبَل سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ، وهو أميرُ المؤمنين ، ومعه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ على معسكَرِ سليمانَ ، وفيه تلك الخيولُ والجمالُ والبغالُ والأثقالُ والرجالُ ، فقال سليمانُ : ما تقولُ يا عمرُ فى هذا ؟ فقال : أرَى دنيا يأكُلُ بعضُها بعضًا ، وأنت المسئولُ عن ذلك كلِّه . فلمَّا اقترَبوا مِن المعسكرِ ، إذا غرابٌ قد أخَذ لقمةً فى فِيه مِن فسطاطِ سليمانَ وهو طائرٌ بها ، ونعَب[4] نَعبةً ، فقال له سليمانُ : [5]ما تقولُ فى هذا يا عمرُ[5] ؟ فقال : لا أدرِى . فقال : ما ظنُّك أنَّه يقولُ ؟ قال[6] : كأنَّه يقولُ : مِن أين جاءتْ ؟ وأين يُذهَبُ بها ؟ فقال له

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٦٩ (مخطوط) ، من طريق ابن وهب به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى النسخ : « زير » . والمثبت من المصدر السابق ، والأثر أخرجه ابن عساكر من طريق عثمان بن زفر به بنحوه . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٧٣.

(٤) نعب الغراب : صوت أو مد عنقه وحرك رأسه فى صياحه . القاموس المحيط (ن ع ب) .

(٥ - ٥) فى م : « ما هذا يا عمر » .

(٦) فى م : « قلت » .

سليمانُ : ما أعجَبَك ؟ فقال عمرُ : أعجَبُ [1]منِّى مَن[1] عرَف اللَّهَ فعصاه ، ومَن عرَف الشيطانَ فأطاعه[2] .

وتقدَّم[3] أنَّه لما وقَف سليمانُ وعمرُ بعرفةَ ، وجعَل سليمانُ يعجَبُ مِن كثرةِ الناسِ ، فقال له عمرُ : هؤلاء رعيَّتُك اليومَ ، وأنت مسئولٌ عنهم غدًا . وفى روايةٍ : وهم خصماؤُك يومَ القيامةِ . فبكَى سليمانُ ، وقال : باللَّهِ أستعينُ . وتقدَّم[3] أنَّهم لمَّا أصابهم [4]فى بعضِ الأسفارِ رعدٌ [٧/١٧١ظ] شديدٌ وبرقٌ وظلمةٌ شديدةٌ ، فجعَل عمرُ يضحَكُ مِن ذلك[4] ، فقال له سليمانُ : أتضحَكُ [5]ونحن فيما ترَى[5] ؟ فقال : نعم ، هذه آثارُ رحمتِه ، ونحن فى هذه الحالِ ، فكيف بآثارِ غضبِه وعقابِه[6] ؟

وذكَر الإمامُ مالكٌ[7] أن سليمانَ وعمرَ تقاولا مرةً ، فقال له سليمانُ فى جملةِ الكلامِ : كذَبتَ . فقال : تقولُ لى : كذَبتَ ؟ واللَّهِ ما كذَبتُ منذُ عرَفتُ أن الكذِبَ يضُرُّ أهلَه ، ثم هجَره عمرُ وعزَم على الرحيلِ إلى مصرَ ، فلم يمكِّنْه سليمانُ ، ثم بعَث إليه فصالَحه ، وقال له : ما عرَض لى أمرٌ يهُمُّنى إلا خطَرتَ على بالى .

وقد ذكَرنا أنَّه لما حضَرت سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ الوفاةُ ، أوصَى بالأمرِ مِن بعدِه إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فانتظَم الأمرُ على ذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

(١ - ١) فى م : « ممن » .
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ومن عرف الدنيا فركن إليها » .
(٣) تقدم فى ٩/ ١٧٩.
(٤ - ٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر » .
(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .
(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ونحن فى تلك الحال » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٠ (مخطوط) ، من طريق مالك به بنحوه مطولًا .

فصلٌ[1]

قال أبو داودَ الطيالسيُّ[2] : حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سلَمةَ الماجشونُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ دينارٍ ، قال : قال ابنُ عمرَ : ياعجَبًا ! يزعُمُ الناسُ أنَّ الدنيا لا تنقضِى حتى يلِىَ رجلٌ مِن آلِ عمرَ يعمَلُ بمثلِ عملِ عمرَ . قال : فكانوا يرونه بلالَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ . قال : وكان بوجهِه أثرٌ ، فلم يكُنْ هو ، وإذا هو عمرُ بنُ عبدِ العزيز ، وأمُّه ابنةُ عاصمِ[3] بنِ عمرَ بنِ الخطابِ .

وقال البيهقىُّ[4] : أنبأ الحاكمُ ، أنا أبو حامدٍ أحمدُ[5] بنُ علىٍّ المقرى ، ثنا أبو عيسى الترمذىُّ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عفَّانُ بنُ مسلمٍ ، ثنا عثمانُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ لاحقٍ ، عن جويريةَ بنِ أسماءَ ، عن نافعٍ ، قال : بلَغنا أن عمرَ بنَ الخطابِ ، قال : إن مِن ولدِى رجلًا بوجهِه شَيْنٌ[6] يَلِى ، فيملأُ الأرضَ عدلًا .

قال نافعٌ مِن قِبَلِه : ولا أحسَبُه إلَّا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ .

ورَواه مباركُ بنُ فَضالةَ[7] ، عن عبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، قال : كان ابنُ عمرَ يقولُ : ليت شِعرى ، مَن هذا الذى مِن ولدِ عمرَ فى وجهِه علامةٌ يملأُ الأرضَ عدلًا ؟ وقال وُهيبُ بنُ الوردِ : بينَما أنا نائمٌ ، رأيتُ كأنَّ رجلًا دخَل مِن بابِ بنى

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقد كان منتظرا فيما يؤثر من الأخبار » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٧٠ (مخطوط) ، من طريق أبى داود الطيالسى به .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « بن عبد اللَّه » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٧٠ (مخطوط) ، من طريق البيهقى به .

(٥) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٦) فى ا ٢، ص : « شجين » . وفى م : « شجان » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٧١ (مخطوط) ، من طريق مبارك بن فضالة به .

شيبةَ ، وهو يقولُ : يا أيُّها الناسُ ، ولِّى عليكم كتابُ اللَّهِ . فقلتُ : مَن ؟ فأشار إلى ظَهْرِه[1] ، فإذا مكتوبٌ عليه : ع م ر . قال : فجاءتْ بيعةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وقال بقيَّةُ[2] ، عن عيسى بنِ أبى رَزينٍ ، حدَّثنى الخزاعىُّ ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى روضةٍ خضراءَ ، فقال له : « إنَّك سَتلِى أمرَ أمَّتى فزَعْ عن الدَّمِ[3] ، فإنَّ اسمَك فى الناسِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، واسمُك عندَ اللَّهِ جابرٌ » .

وقال أبو بكرِ بنُ المقرِى[4] : ثنا أبو عَروبةَ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ مودودٍ الحرَّانىُّ ، ثنا أيوبُ بنُ محمدٍ الوزَّانُ [١٧٢/٧و] ، ثنا ضَمْرةُ بنُ رَبيعةَ ، ثنا السَّرِىُّ بنُ يحيى ، عن رباحِ بنِ عبيدةَ ، قال : خرَج عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى الصلاةِ ، وشيخٌ متوكِّئٌ على يدِه ، فقلتُ فى نفسى : إنَّ هذا الشيخَ جافٍ ، فلمَّا صلَّى ودخَل لحِقتُه ، فقلتُ : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، مَن الشيخُ الذى [5]كان متكئًا على[5] يدِك ؟ فقال : يا رباحُ رأيتَه ؟ قلتُ : نعم . قال : ما أحسَبُك يا رباحُ إلا رجلًا صالحًا ، ذاك أخى الخَضِرُ ، أتانى فأعلَمنى أنِّى سألِى أمرَ هذه الأمَّةِ ، وأنِّى سأعدِلُ فيها .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] : حدَّثنا أبو عميرٍ ، ثنا ضمرةُ ، عن علىِّ بنِ [7]أبى حَمَلَةَ[7] ، عن أبى الأعْيَسِ[8] ، قال : كنتُ جالسًا مع خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ ،

---

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ظفره » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط) ، من طريق بقية به .
(٣) بعده فى الأصل ، ب ، م ، ص : « فزع عن الدم » . و زع عن الدم : كُفَّ عنه .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٠/١٣ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن المقرى به . وانظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٥٤، ٥٥.
(٥ - ٥) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « اتكأته » .
(٦) المعرفة والتاريخ ٥٧٨/١، وأخرجه ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ٢٧١/١٣ (مخطوط) ، من طريق يعقوب بن سفيان به . وانظر سيرة عمر لابن الجوزى ص ٧٥.
(٧ - ٧) فى م : « خولة » ، وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣١٧/١٣.
(٨) فى م : « عنبس » ، وفى مصدر التخريج : « الأخنس » . وانظر تهذيب الكمال ١٥٠/١٧.

فجاء شابٌّ عليه مُقَطَّعاتٌ[1] ، فأخَذ بيدِ خالدٍ ، فقال : هل علينا مِن عينٍ ؟ فقال أبو الأعْيَسِ : فقلتُ : عليكُما مِن اللَّهِ عينٌ : بصيرةٌ وأذنٌ سميعة ، قال : فترَقْرَقتْ عينا الفتى . فأرسَل يدَه مِن يدِ خالدٍ وولَّى ، فقلتُ : مَن هذا ؟ قال : هذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ابنُ أخى أميرِ المؤمنين ، ولَئن طالتْ بك حياةٌ لترَيَنَّه إمامَ هدًى . قلتُ : قد كان عندَ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ شىءٌ جيِّدٌ مِن أخبارِ الأوائلِ وأقوالِهم[2] .

وقد ذكَرنا فى ترجمةِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ[3] أنَّه لمَّا حضَرتْه الوفاةُ [4]عزَم أن يكتبَ العهدَ باسمِ أحدِ أولادِه ، فمازال به وزيرُه الصَّادقُ رجاءُ بنُ حيوةَ حتى صرَفه عن ذلك ، وأشار عليه أن يجعَلَ الأمرَ مِن بعدِه لأصلحِ النَّاسِ لهم ، فألهم اللَّهُ الخليفةَ رشدَه ، فعيَّنَ لها ابنَ عمِّه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فجوَّد رأيَه رجاءُ بنُ حيوةَ وصوَّبَه[4] ، فكتَب سليمانُ العهدَ فى صحيفةٍ ، وختَمها ، ولم يشعُرْ بذلك عمرُ ، ولا أحدٌ مِن بنى مَروانَ سوى سليمانَ ورجاءٍ ، ثم أمَر صاحبَ الشرطةِ بإحضارِ الأمراءِ ، ورءوسِ الناسِ مِن بنى مروانَ وغيرِهم ، فبايَعوا سليمانَ على ما فى الصحيفةِ المختومةِ ، ثم انصرَفوا ، ثم لمَّا مات الخليفةُ استَدعاهم رجاءُ بنُ حيوةَ ، فبايَعوا ثانيةً ، قبلَ أن يعلَموا موتَ الخليفةِ ، ثم فتَحها فقرَأها عليهم ، فإذا فيها البيعةُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فأخَذوه فأجلَسوه على المنبرِ وبايَعوه ، فانعقَدتْ له البيعةُ .

وقد اختَلف العلماءُ فى مثلِ هذا الصَّنيعِ فى الرَّجلِ يوصِى الوصيةَ فى كتابٍ ويُشهِدُ على ما فيه مِن غيرِ أن يُقرَأَ على الشُّهودِ ، ثم يشهَدون على مافيه فينفُذُ ،

---

(١) مقطعات : أى ثياب قصار ، لأنها قطعت عن بلوغ التمام . تاج العروس (ق ط ع) .

(٢) بعده فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « وكان ينظر فى النجوم والطب » .

(٣) تقدم فى ١٢/٦٥٠ .

(٤ - ٤) فى ا ٢ ، ب ، م ، ص : « أراد أن يعهد إلى بعض أولاده فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك ، ومازال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء » .

فسوَّغ ذلك جماعاتٌ مِن أهلِ العلمِ ؛ قال القاضى أبو الفرجِ المعافَى بنُ زكريا الجريرىُّ[1] : أجاز ذلك وأمضاه وأنفَذ الحُكمَ به جمهورُ أهلِ الحجازِ .

ورُوِى ذلك عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وهو مذهبُ مالكٍ ، ومحمدِ بنِ مسلمةَ المخزومىِّ ، ومكحولٍ ، ونُميرِ بنِ [٧/١٧٢ظ] أوسٍ ، وزرعةَ بنِ إبراهيمَ ، والأوزاعىِّ ، وسعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، ومَن وافَقهم مِن فقهاءِ الشَّامِ .

وحكَى نحوَ ذلك خالدُ بنُ يزيدَ بنِ أبى مالكٍ ، عن أبيه وقضاةِ جندِه ، وهو قولُ الليثِ بنِ سعدٍ فى مَن وافَقه مِن فقهاءِ أهلِ مصرَ والمغربِ ، وهو قولُ فقهاءِ أهلِ البصرةِ وقضاتِهم .

ورُوِى عن قتادةَ ، وعن سوَّارِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وعبيدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[2] ، ومُعاذِ ابنِ مُعاذٍ العنبرىِّ فى مَن سلَك سبيلَهم ، وأخَذ بهذا عددٌ كثيرٌ مِن أصحابِ الحديثِ ، منهم ؛ أبو عبيدٍ ، وإسحاقُ بنُ راهويه .

قلتُ : وقد اعتَنَى به البخارىُّ فى « صحيحِه » .

قال المعافَى[3] : وأبَى ذلك جماعةٌ مِن فقهاءِ العراقِ ، منهم ؛ إبراهيمُ ، وحمَّادٌ ، والحسنُ ، وهو مذهبُ الشَّافعىِّ ، وأبى ثورٍ . قال : وهو قولُ شيخِنا أبى جعفرٍ ، وكان بعضُ أصحابِ الشافعىِّ بالعراقِ يذهَبُ إلى القولِ الأوَّلِ . قال الجريرىُّ : وإلى القولِ الأولِ نذهَبُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٧٤ (مخطوط) .

(٢) فى ب ، م ، ص : « الحسن » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق .

(٣) المصدر السابق . وانظر تفصيل هذه المسألة فى كتاب الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف ١٧/ ٢٠٥، ٢٠٦، بتحقيقنا .

وتقدَّم[1] أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ لمَّا رجَع مِن جنازةِ سليمانَ أُتِىَ بمراكبِ الخلافةِ ليركَبَها ، فامتَنع مِن ذلك ، وأنشَأ يقولُ :

فلولا التُّقَى ثم النُّهَى خشيةَ الرَّدَى ... لعاصيتُ فى حُبِّ الصِّبا كلَّ زاجرِ
قضَى ما قضَى فيما مضَى ثم لا تُرَى ... له صبوةٌ أخرَى الليالى الغوابرِ

ثم قال : ما شاء اللَّهُ لا قوةَ إلا باللَّهِ ، قدِّموا إلىَّ بغلتِى . ثم أمَر ببيعِ تلك المراكبِ الخليفيةِ[2] فى مَن يريدُ ، وكانت مِن الخيولِ الجِيادِ المثمَّنةِ ، فباعَها ، وجعَل أثمانَها فى بيتِ المالِ .

قالوا[3] : فلما رجَع مِنَ الجنازةِ ، وقد بايَعه الناسُ ، واستقرَّتْ الخلافةُ باسمِه ، انقلَب وهو مغتَمٌّ مهمومٌ ، فقال له مولاه : ما لك هكذا مغتمًّا مهمومًا ، وليس هذا بوقتِ هذا ؟ فقال : ويحك ! وما لى لا أغتمُّ ، وليس أحدٌ مِن أهلِ المشارقِ والمغاربِ مِن هذه الأمةِ إلا وهو يطالِبُنى بحقِّه ؛ أن أؤدِّيَه إليه ، كتَب إلىَّ فى ذلك أو لم يكتُبْ ، طلَبه مِنِّى أو لم يطلُبْ . قالوا[4] : ثم إنَّه خيَّر امرأتَه فاطمةَ بينَ أن تُقيمَ معه على أنَّه لا فراغَ له إليها ، وبينَ أن تلحَقَ بأهلِها ، فبكَتْ وبكَى جواريها لبكائِها ، فسُمِعتْ ضجةٌ فى دارِه ، ثم اختارتْ مقامَها معه على كلِّ حالٍ ، رحِمها اللَّهُ . وقال له رجلٌ[4] : تفرَّغْ لنا يا أميرَ المؤمنين . فأنشَأ يقولُ :

قدْ جاءَ شغلٌ شاغلٌ ... وعدَلتُ عن طرقِ السَّلامهْ
ذهَب الفراغُ فلا فرا ... غَ لنا إلى يومِ القيامهْ

---

(١) تقدم ذلك فى ص ٦٧٤ مختصرًا ، ولم يرد فيه الشعر ، وانظر الخبر بتمامه فى تاريخ دمشق ١٣/٢٧٦ (مخطوط) .
(٢) فى الأصل ، ب ، ص : « الخليفتية » .
(٣) تاريخ دمشق ١٣/٢٧٧ (مخطوط) .
(٤) المصدر السابق .

وقال الزبيرُ بنُ بكارٍ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ سلَامٍ ، عن سلَّامِ بنِ سُلَيْمٍ ، قال : لمَّا ولِى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ [٧/١٧٣و] صعِد المنبَرَ ، وكان أوَّلَ خطبةٍ خطَبها حمِد اللَّهَ ، وأثنى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، مَنْ صحِبنا فلْيَصحبْنا بخمسٍ ، وإلا فلْيُفارقْنا ؛ يرفعُ إلينا حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ رفعَها ، ويعينُنا على الخيرِ بجهدِه ، ويدُلُّنا مِن الخيرِ على ما لا نهتَدِى إليه ، ولا يغتابَنَّ عندَنا الرعيةَ ، ولا يَعرِضنَّ فيما لا يَعنِيه . فانقشَع عنه الشعراءُ والخطباءُ ، وثبَت معه الفقهاءُ والزهادُ ، وقالوا : ما يسعُنا أن نفارقَ هذا الرجلَ حتى يخالفَ فعلُه قولَه .

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ[2] : لما ولِى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بعَث إلى محمدِ بنِ كعبٍ ورجاءِ بنِ حيوةَ وسالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فقال لهم : قد ترون ما ابتُلِيتُ به وما قد نزَل بى ، فما عندَكم ؟ فقال محمدُ بنُ كعبٍ : اجعلِ الشيخَ أبًا ، والشابَّ[3] أخًا ، والصغيرَ[4] ولدًا ، فبَرَّ أباك ، وصِلْ أخاك ، وتَعطَّفْ على ولدِك . وقال رجاءٌ : ارضَ للناسِ ما ترضَى لنفسِك ، وما كرِهتَ أن يُؤتَى إليك فلا تأتِه إليهم ، واعلمْ أنَّك أوَّلُ خليفةٍ تموتُ . وقال سالمٌ : اجعَلْ الأمَر يومًا[5] واحدًا صُمْ فيه[6] عن شهواتِ الدنيا ، واجعَلْ آخِرَ فِطرِك[7] فيه الموتَ ، فكأنْ قد . فقال عمر : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ .

---

(١)تاريخ دمشق ١٣/٢٧٧ ، ٢٧٨ (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق ١٣/٢٧٨ (مخطوط) .

(٣) فى الأصل : « الضعيف » ، وفى مصدر التخريج : « النَّصَفُ » . والنصف : الكهل .

(٤) فى الأصل ، ومصدر التخريج : « الشاب » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى مصدر التخريج : « صرفته » .

(٧) فى مصدر التخريج : « نظرك » .

وقال غيرُه[1] : خطَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا الناسَ فقال ، وقد خنَقَتْه العَبْرةُ : أيُّها الناسُ ، أصلِحوا آخرَتَكم تصلُحْ لكم دنياكُم ، وأصلِحوا سرائرَكم[2] تصلُحْ لكم علانيتُكم ، واللَّهِ إنَّ عبدًا ليس بينَه وبينَ آدمَ أبٌ ، إلا قد مات ، إنه لمُعْرَقٌ[3] له فى الموتِ . وقال فى بعضِ خطبِه[4] : كم مِن عامرٍ مؤنَّق[5] عمَّا قليلٍ يخرَبُ ، وكم مِن مقيمٍ مغتبطٍ عمَّا قليلٍ يظعَنُ ، فأحسِنوا ، رحِمكم اللَّهُ ، [6]مِن الدُّنيا[6] الرحلةَ بأحسنِ ما بحضرتِكم[7] من النقلةِ ، بينما ابنُ آدمَ فى الدنيا ينافِسُ فيها قريرَ العينِ قَانِعًا[8] ، إذ دعاه اللَّهُ بقدَرِه ، ورماه بيومِ[9] حتفِه ، فسلَبه آثارَه ودنياه ، وصيَّرَ لقومٍ آخرين مصانعَه ومغناه ، إنَّ الدنيا لا تسُرُّ بقدرِ ما تضُرُّ ، تسُرُّ قليلًا ، وتُحزِنُ طويلًا .

وقال إسماعيلُ بنُ عياشٍ[10] ، عن عمرِو بنِ مُهاجرٍ ، قال : لمَّا استُخلِف عمرُ ابنُ عبدِ العزيزِ قام فى الناسِ ، فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، إنَّه لا كتابَ بعدَ القرآنِ ، ولا نبيَّ بعدَ محمدٍ ، عليه السلامُ، وإنِّى لستُ بقاضٍ ولكنِّى منفِّذٌ ، وإنِّى لستُ بمبتدِعٍ ولكنِّى متبِعٌ ، إنَّ الرجلَ الهاربَ مِن الإمامِ الظَّالمِ ليس بظالمٍ ، ألَا إنَّ الإمامَ الظَّالمَ هو العاصى ، ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصيةِ الخالقِ

---

(١) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) .

(٢) فى م : «أسراركم» .

(٣) أى : إن له فيه عِرْقًا ، وإنه أصيل فى الموت . اللسان (ع ر ق) .

(٤) تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) .

(٥) فى ا ٢، م : «موثق» . والمؤنق : كل ما زين وزخرف حتى أعجب .الوسيط (أ . ن . ق) .

(٦ - ٦) فى الأصل : «بها» ، وفى تاريخ دمشق : «منها» .

(٧) فى ب ، ص : «يحضرنكم» . وفى م : «يحضر بكم» .

(٨) فى ا ٢، ب، م : «يانع» . وفى ص : «يافع» .

(٩) فى ا ٢، ب ، م ، ص : «بسهم» .

(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٧٩/١٣ (مخطوط) ، من طريق إسماعيل بن عياش به .

عزَّ وجلَّ. وفى روايةٍ[1] أنَّه قال فيها: وإنِّى لستُ بخيرٍ مِن أحدٍ منكم ولكنِّى أثقَلُكم حملًا، ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصيةِ اللَّهِ، ألا هل أسمَعتُ؟

وقال أحمدُ بنُ مروانَ[2]: ثنا أحمدُ بنُ يحيى الحلوانىُّ، ثنا محمدُ بنُ عبيدٍ، ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ، عن شعيبِ بنِ صفوانَ، حدَّثنى ابنٌ لسعيدِ بنِ [٧/١٧٣ظ] العاصِ، قال: كان آخرَ خطبةٍ خطَبها عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، حمِد اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعدُ فإنَّكم لم تُخلَقوا عبثًا، ولن تُترَكوا سدًى، وإنَّ لكم مَعادًا ينزِلُ اللَّهُ فيه للحكمِ فيكم والفصلِ بينكم، فخاب وخسِر مَن خرَج مِن رحمةِ اللَّهِ، وحُرِم جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ، ألم تعلَموا أنَّه لا يأمَنُ غدًا إلَّا مَن حذِر اليومَ الآخِرَ وخافَه، وباع نافِدًا بباقٍ، وقليلًا بكثيرٍ، وخوفًا بأمانٍ؟ ألا ترَون أنَّكم فى أسلابِ الهالِكينَ، وستكونُ مِن بعدِكُم للباقِينَ، كذلك حتى نُرَدَّ إلى خيرِ الوارثينَ؟ ثم إنَّكم فى كلِّ يومٍ تُشَيِّعون غاديًا ورائحًا إلى اللَّهِ[3]، قد قضَى نَحْبَه حتى تُغيِّبوه فى صَدعٍ مِن الأرضِ، فى بطنِ صَدعٍ غيرَ مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ، قد فارَق الأحبابَ، وباشَر الترابَ، وواجَه الحسابَ، فهو مُرتهَنٌ بعملِه، غنىٌّ عمَّا ترَك، فقيرٌ إلى ما قدَّم، فاتَّقوا اللَّهَ، قبلَ [4]انقضاءِ مراقبتِه و[4] نزولِ الموتِ بكم، أما إنِّى أقولُ هذا. ثم وضَع طرفَ ردائِه على وجهِه فبكَى وأبكَى مَن حولَه. وفى روايةٍ[5]: وايمُ اللَّهِ، إنِّى لأقولُ قولى هذا، وما أعلَمُ عندَ أحدٍ منكم مِن الذنوبِ أكثرَ مما أعلَمُ مِن نفسِى، ولكنها سننٌ مِن اللَّهِ عادلةٌ؛ أمَر

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٧٩ (مخطوط).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ١٣/ ٢٧٩، ٢٨٠، من طريق أحمد بن مروان.

(٣) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «لا يرجع».

(٤ - ٤) فى ا ٢: «انقضاء مراقبه قبل». وفى م: «القضاء راقبوه قبل». وفى ص: «القضاء مراقبه قبل».

(٥) تاريخ دمشق ١٣/٢٨٠ (مخطوط).

فيها بطاعتِه ، ونهَى فيها عن معصيتِه . واستغفَر اللَّهَ ، ووضَع كمَّه على وجهِه فبكَى حتى بلَّ لحيتَه ، فما عاد لمجلسِه حتى مات رحمِه اللَّهُ .

وروَى أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[1] ، عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أنَّه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ ، وهو يقولُ : « ادنُ ياعمرُ » . قال : فدنوتُ حتى خشِيتُ أن أصيبَه ، فقال : « إذا وُلِّيتَ فاعمَلْ نحوًا من عملِ هذينِ » . وإذا كهلانِ قد اكتنَفاه ، فقلتُ : ومَن هذان ؟ قال : « هذا أبو بكرٍ ، وهذا عمرُ » . ورُوِّينا[2] أنه قال لسالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ : اكتُبْ لىَ سيرةَ عمرَ حتى أعمَلَ بها ، فقال له سالمٌ : إنَّك لا تستطيعُ ذلك . قال : ولِمَ ؟ قال : إنَّك إنْ عمِلتَ بها كنتَ أفضلَ مِن عمرَ ؛ لأنَّه كان يجِدُ على الخيرِ أعوانًا ، وأنت لا تجِدُ مَن يعينُك على الخيرِ .

وقد رُوِى[3] أنَّه كان نقشُ خاتَمِه : لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له . وفى روايةٍ[4] : آمنتُ باللَّهِ . وفى روايةٍ[4] : الوفاءُ عزيزٌ . وقد جمَع يومًا رءُوسَ الناسِ فخطَبهم ، فقال : إنَّ فَدَكَ كانت بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يضعُها حيث أراه اللَّهُ ، ثم وليَها أبو بكرٍ ، وعمرُ كذلك . قال الأصمعىُّ[5] : وما أدرى ما قال فى عثمانَ . قال : ثم إنَّ مروانَ أقْطَعها فحصَل لى منها نصيبٌ ، ووهبَنى الوليدُ وسليمانُ نصيبَهما ، ولم يكن مِن مالى شىءٌ [6]أرَدَّ [٧/١٧٤و] علىَّ[6] منها ، وقد رَددتُها فى بيتِ المالِ على ما كانتْ عليه فى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فيئِس الناسُ عندَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٨١ (مخطوط)، من طريق ابن أبى الدنيا به .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق بنحوه .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٢.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق، من طريق الأصمعى بنحوه .
(٦ - ٦) فى م : « أرده أغلى » .

ذلك من المظالمِ ، ثم أخَذ[1] أموالَ جماعةٍ مِن بنى أميةَ فردَّها إلى بيتِ المالِ ، وسمَّاها أموالَ المظالم ، فاستشفعُوا إليه بالنَّاسِ ، وتوسَّلوا إليه بعمَّتِه فاطمةَ بنتِ مروانَ فلم ينجَعْ فيه [2]ولم يرُدَّه عن الحقِّ شىءٌ[2] ، وقال لهم : واللَّهِ لتدعُنِّى ، وإلا ذهَبتُ إلى مكةَ فنزَلتُ عن هذا الأمرِ لأحقِّ الناسِ به . وقال : واللَّهِ لو أقمتُ فيكم خمسين عامًا ما أقمتُ فيكم[3] ما أريدُ مِن العدلِ ، وإنِّى لأريدُ الأَمرَ فما أنفِذُه إلا مع طمَعٍ مِن الدُّنيا حتى تسكُنَ قلوبُهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] ، عن عبدِ الرَّزاقِ ، عن أبيه ، عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، أنَّه قال : إنْ كان فى هذه الأُمَّةِ مهدىٌّ فهو عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ . ونحوَ هذا قال قتادةُ ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ ، وغيرُ واحدٍ[5] . وقال طاوسٌ[6] : هو مهدىٌّ وليس به ، إنَّه لم يستكملِ العدلَ كلَّه ، إذا كان المهدىُّ تِيبَ[7] على المسىءِ مِن إساءتِه ، وزِيدَ المحسنُ فى إحسانِه ، سمَحٌ بالمالِ ، شديدٌ على العمّالِ ، رحيمٌ بالمساكينِ . وقال مالكٌ[8] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حرملةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّه قال : الخلفاءُ ، أبو بكرٍ والعُمَرانِ . فقيل له : أبو بكرٍ وعمرُ قد عرَفناهما ، فمَن عمرُ الآخرُ ؟ قال : يوشِكُ إن عشتَ أن تعرِفَه . يريدُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ . وفى روايةٍ أخرى عنه أنه قال : هو أشجُّ بنى مروانَ . وقال عبادٌ السَّماكُ[9] - وكان يجالسُ

---

(١) سقط من : ا ٢، ص . وفى م : «أمر بـ» .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : «إلا» .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨٧/١٣ (مخطوط) ، من طريق الإمام أحمد به .

(٥) انظر المصدر السابق ٢٨٧/١٣ ، ٢٨٨.

(٦) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٨.

(٧) فى م ، ص : «ثبت» .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٨٨/١٣ ، ٢٨٩، من طريق الإمام مالك به .

(٩) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٢٨٩/١٣ من طريق عباد السماك بنحوه .

سفيانَ الثوريَّ -: سمِعتُ الثوريَّ يقولُ: الخلفاءُ خمسةٌ؛ أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ. وهكذا رُوِى عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ، والشافعيِّ، وغيرِ واحدٍ[1]. وأجمَع العلماءُ قاطبةً على أنَّه من أئمةِ العدلِ، وأحدُ الخلفاءِ الراشدين والأئمةِ المهديين. وذكَره غيرُ واحدٍ فى الأئمةِ الاثنَىْ عشَرَ، الذين جاءَ فيهم الحديثُ الصحيحُ[2]: «لا يزالُ أمرُ هذه الأمةِ مستقيمًا حتى يكونَ فيهم اثنا عشَرَ خليفةً كلُّهم مِن قريشٍ».

وقد اجتهَد رحِمه اللَّهُ فى مدَّةِ ولايتِه - مع قِصَرِها - حتى ردَّ المظالمَ، وصرَف إلى كلِّ ذى حقٍّ حقَّه، وكان مناديه فى كلِّ يومٍ ينادى: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكينُ؟ أين اليتامى؟ حتى أغنَى كلًّا مِن هؤلاء. وقد اختلَف العلماءُ أيُّهما[3] أفضلُ هو أو معاويةُ بنُ أبى سفيانَ؟ ففضَّل بعضُهم عمرَ لسيرتِه ومَعْدِلتِه وزهدِه وعبادتِه، وفضَّل آخرونَ معاويةَ لسابقتِه وصحبتِه، حتى قال بعضُهم: لَيومٌ شهِدَه معاويةُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ خيرٌ مِن [٧/١٧٤ظ] عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وأيامِهِ، وأهلِ بيتِه.

وذكر الحافظ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[4] أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كان يعجِبُه جاريةٌ مِن جوارى زوجتِه فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ، فكان يسألُها إيَّاها؛ إمَّا بيعًا أو هبةً، فكانت تأبى عليه ذلك، فلمَّا ولِىَ الخلافةَ ألبَستْها وطيَّبتْها وأهدَتْها إليه

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٨٩، ٢٩٠ (مخطوط).

(٢) تقدم فى ٩/١٤٣، ٢٨٤ فما بعدها.

(٣) فى الأصل: «أى الرجل». وفى م: «أيهم».

(٤) تاريخ دمشق ١٣/٢٩١ (مخطوط)، بنحوه، وفيه: «عبد الملك»، بدلًا من: «الوليد». ومعروف أن موسى بن نصير كانت له فتوحات فى بلاد المغرب أيام عبد الملك وأخرى أيام الوليد، ولكن الوليد هو الذى ولاه إمرة المغرب جميعه واللَّه أعلم.

ووهَبتها لهَ[1] ، فلمَّا أخلَتها به أعرَضَ عنها ، فتعرَّضَتْ له فصدَف عنها ، فقالت له : ياسيدى ، فأين ما كان يظهَرُ لى من محبَّتِك إيَّاى ؟ فقال : واللَّهِ إنَّ محبَّتَكِ لباقيةٌ كما هى ، ولكن لا حاجةَ لى فى النساءِ ، فقد جاءنى أمرٌ شغَلنى عنكِ ، وعن غيرِكِ . ثم سألَها عن أصلِها ، ومن أين جلَبوها ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين إنَّ أبى أصاب جنايةً ببلادِ المغربِ ، فصادَره موسى بنُ نصيرٍ فأُخِذْتُ فى الجنايةِ ، وبُعِث بى إلى الوليدِ فوهَبنى الوليدُ لأختِه فاطمةَ زوجتِك ، فأهدَتنى إليك . فقال عمرُ : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون ، كِدْنا واللَّهِ نفتضِحُ ونهلِكُ ، ثمَّ أمَر بردِّها مكرَّمةً إلى بلادِها وأهلِها .

وقالت زوجتُه فاطمةُ[2] : دخَلتُ يومًا عليه وهو جالسٌ فى مصلاه واضعًا خدَّه على يدِه ، ودموعُه تسيلُ على خدَّيه ، فقلتُ : ما لك ؟ فقال : ويحكِ يا فاطمةُ ، إنِّى قد ولِّيتُ مِن أمرِ هذه الأمةِ ما ولِّيتُ ، فتفكَّرتُ فى الفقيرِ الجائعِ ، والمريضِ الضائعِ ، والعارى المجهودِ ، واليتيمِ المكسورِ ، والأرملةِ الوحيدةِ ، والمظلومِ المقهورِ ، والغريبِ ، والأسيرِ ، والشيخِ الكبيرِ ، وذى العيالِ الكثيرِ والمالِ القليلِ ، وأشباهِهم فى أقطارِ الأرضِ وأطرافِ البلادِ ، فعلِمتُ أنَّ ربِّى عزَّ وجلَّ سيسألُنى عنهم يومَ القيامةِ ، وأنَّ خَصمِى دونَهم محمدٌ ﷺ ، فخشِيتُ أنْ لا يثبُتَ لى حُجةٌ عندَ خصومتِه ، فرحِمتُ نفسى فبكَيتُ . وقال ميمونُ بنُ مهرانَ[3] : ولَّانى عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عمالةً ، ثم قال لى : إذا جاءَك كتابٌ منِّى

---

(١) فى النسخ : « منه » .وما أثبتناه هو المقتضى . وانظر مصدر التخريج .

(٢) تاريخ دمشق ١٣/٢٩١ (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٣.

على غيرِ الحقِّ فاضرِبْ به الأرضَ . وكتَب إلى بعضِ عمّالِه[1] : إذا دعَتك قدرتُك على الناسِ إلى ظلمِهم ، فاذكُرْ قدرةَ اللَّهِ عليك ، ونفادَ ما تأتى إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، عن عيسى بنِ عاصمٍ ، قال[2] : كتَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى عدىِّ بنِ عدىٍّ : إنَّ للإسلامِ سُننًا وشرائعَ وفرائضَ ، فمَن استكمَلها استكمَل الإيمانَ ، ومَن لم يستكمِلْها لم يستكمِلِ الإيمانَ ، فإنْ أعشْ أُبيِّنْها لكم لتعمَلوا بها ، وإن أمُتْ فواللَّهِ ما أنا على صحبتِكم بحريصٍ . وذكَره البخارىُّ فى « صحيحه » تعليقًا مجزومًا به[3] .

وذكَر الصُّولىُّ[4] أنَّ عمرَ كتَب إلى بعضِ عمَّالِه : عليكَ بتقوى اللَّهِ ، فإنَّها هى التى لا يُقبَلُ غيرُها ، ولا يُرحمُ إلا أهلُها ، ولا يُثابُ إلا عليها ، وإنَّ الواعظينَ بها [٧/١٧٥و] كثيرٌ ، والعاملين بها قليلٌ . وقال أيضًا : مَن علِم أنَّ كلامَه مِن عملِه أقلَّ منه[5] إلا فيما[6] ينفعُه ، ومَنْ أكثَر ذكرَ الموتِ اجتزَأ مِن الدنيا باليسيرِ . وقال أيضًا : مَن لم يعُدَّ كلامَه مِن عملِه كثُرت خطاياه ، ومَن عبَد اللَّهَ بغيرِ علمٍ كان ما يُفسِدُه أكثرَ مما يصلِحُه . وكلَّمه رجلٌ يومًا حتى أغضَبه فهمَّ به عمرُ ثم أمسَك نفسَه ، ثم قال للرجلِ : أردتَ أنْ يَستفزَّنى الشيطانُ بعزةِ السُّلطانِ فأنالَ منك ما تنالُه منِّى غدًا ! قمْ عافاك اللَّهُ ، لا حاجةَ لنا فى مقاولتِكَ . وكان يقولُ : إنَّ أحبَّ الأمورِ إلى اللَّهِ القصدُ فى الجِدِّ ، والعفوُ فى المقدرةِ ، والرفقُ فى الولايةِ ،

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٩٤ (مخطوط) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ١٣/٢٩٥ (مخطوط) ، من طريق ابن مهدى به .

(٣) فتح البارى ١/ ٤٥، كتاب الإيمان ، باب قول النبى ﷺ : « بنى الإسلام على خمس » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٢٩٥ (مخطوط) ، من طريق الصولى به .

(٥) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « كلامه » .

(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « يعنيه و » .

وما رفَق عبدٌ بعبدٍ فى الدُّنيا إلا رفَق اللَّهُ به يومَ القيامةِ .

وخرَج ابنٌ له وهو صغيرٌ يلعَبُ مع الغلمانِ فشجَّه صبيٌّ منهم ، فاحتمَلوا الصبيَّ الذى شجَّ ابنَه وجاءُوا به إلى عمرَ ، فسمِع الجَلَبةَ فخرَج إليهم ، فإذا مُرَيْئةٌ[1] تقولُ : إنَّه ابنى ، وإنه يتيمٌ . فقال لها عمرُ[2] : ألَه عطاءٌ فى الديوانِ ؟ قالت : لا ، قال : فاكتبوه فى الذُّريةِ . فقالت زوجتُه فاطمةُ[3] : فعَل اللَّهُ به وفعَل ، إن لم يشجَّ ابنَك ثانيةً . فقال : ويحَكِ ، إنكم[4] أفزَعتُموه .

وقال مالكُ بنُ دينارٍ[5] : يقولون : مالكٌ زاهدٌ . أىُّ زهدٍ عندى ! إنما الزاهدُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، أتته الدنيا فاغرةً فاها فترَكها[6] . قالوا[7] : ولم يكنْ له سوى قميصٍ واحدٍ فكان إذا غسَلوه جلَس فى المنزلِ حتى ييبَسَ . وقد وقَف مرَّةً على راهبٍ ، فقال له[8] : ويحَكَ عِظْنى . فقال له : عليكَ بقولِ الشاعرِ :

تجرَّدْ مِن الدنيا فإنَّكَ إنَّما ... خرَجتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجرَّدُ

قالوا[9] : فكان يُعجِبُه ويكرِّرُه وعمِل به حقَّ العملِ .

قالوا[10] : ودخَل على امرأتِه يومًا فسَألها أن تُقرِضَه درهمًا أو فلوسًا يَشترى

---

(١) مريئة : تصغير امرأة . تاج العروس (م ر أ) .
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « هونى عليك ، ثم قال لها عمر » . وانظر تاريخ دمشق ١٣/٢٩٧ (مخطوط) .
(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « أتفعل هذا به وقد شج ابنك » .
(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « إنه يتيم وقد » .
(٥) تاريخ دمشق ١٣/٢٩٧ (مخطوط) .
(٦) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « جملة » .
(٧) انظر المصدر السابق ١٣/ ٢٩٨.
(٨) المصدر السابق .
(٩) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « قال » .
(١٠) المصدر السابق ١٣/ ٣٠٠.

له بها عنبًا ، فلم يجِدْ عِندَها شيئًا ، فقالتْ له : أنت أميرُ المؤمنينَ وليس فى خزانتِك ما تشترى به عنبًا ؟! فقال : هذا أيسرُ مِن معالجةِ الأغلالِ والأنكالِ غدًا فى نارِ جهنَّمَ .

قالوا[1] : وكان سراجُ بيتِه على ثلاثِ قصَباتٍ فى رأسِهنَّ طينٌ . قالوا : وبعَث يومًا غلامَه ليشوِىَ له لحمةً فجاءَه بها سريعًا مشويَّةً ، فقال : أين شوَيتَها ؟ قال : فى المَطْبخِ . فقال : فى مَطْبخِ المسلمينَ ؟ قال : نعم . فقال : كُلْها فإنِّى لم أُرزَقْها ، هى رزقُك . وسخَّنوا له ماءً فى المطبخِ العامِّ فردَّ بدلَ ذلك بدرهمٍ حطبًا . وقالت زوجتُه[2] : ما جامَع ولا احتلَم وهو خليفةٌ .

قالوا[3] : وبلَغ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عن أبى سلَّامٍ الأسودِ أنّه يُحدِّثُ عن ثوبانَ فى[4] الحوضِ ، فبعَث إليه فأحضَره على البريدِ ، وقال له كالمتوجِّعِ : ما أردْنا المشقَّةَ عليكَ يا أبا سلَّامٍ ، ولكن أردتُ أن تُشافِهَنى بالحديثِ مشافَهةً . فقال : سمِعتُ [٧/١٧٥ظ] ثوبانَ ، يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حوضِى ما بينَ عَدَنَ إلى عمَّانَ البلقاءِ ، ماؤُه أشدُّ بياضًا مِن اللَّبنِ ، وأحلى مِن العسلِ ، أكاويبُه[5] عددُ نجومِ السماءِ ، مَن شرِب منه شَربةً لم يظمَأْ بعدَها أبدًا ، وأوَّلُ الناسِ ورودًا عليه فقراءُ المهاجرينَ ، الشُّعْثُ رؤسًا ، الدُّنْسُ ثيابًا ، الذين لا ينكِحون المتنعِّماتِ ، ولا

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٣٠٠ (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ١٣/ ٣٠١، وبهذا السياق أيضا أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) ، وابن ماجه (٤٣٠٣) والإمام أحمد ٥/ ٢٧٥، ٢٧٦. صحيح المرفوع منه (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٩) .

(٤) فى ا ٢، ب ، م : « بحديث » .

(٥) فى م : « وأكوابه » .

تُفتَحُ لهم السُّدَدُ» . فقال عمرُ: لكنِّى نكَحتُ المتنعِّماتِ، فاطمةَ بنتَ عبدِ الملكِ، (١وفُتِحتْ لى السُّدَدُ١) فلا جرَم لا أغسِلُ رأسى حتى يشعَثَ، ولا أُلقِى ثوبى حتى يتَّسِخَ.

قالوا(٢): وكان له سراجٌ يكتُبُ عليه حوائجَه، وسراجٌ لبيتِ المالِ يكتُبُ عليه مصالحَ المسلمينِ، لا يكتُبُ على ضوئِه لنفسِه حرفًا. وكان يقرأُ فى المصحفِ كلَّ يومٍ أوَّلَ النَّهارِ، ولا يُطيلُ القراءةَ، وكان له ثلاثُمائةِ شُرطىٍّ، وثلاثُمائةِ حرسىٍّ، وأهدَى له رجلٌ من أهلِ بيتِه تفَّاحًا فاشْتَمَّه ثم ردَّه مع الرسولِ، وقال له: قُلْ له: قد بلغَتْ محلَّها. فقال له رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقبَلُ الهديةَ، وهذا رجلٌ من أهلِ بيتِكَ. فقال: إن الهديةَ كانت لرسولِ اللَّهِ ﷺ هديةً، فأمّا نحن فهى لنا رِشوةٌ.

قالوا: وكان يُوسِّعُ على عمَّالِه فى النفقةِ؛ يعطى الرجلَ منهم فى الشهرِ مائةَ دينارٍ، ومائتى دينارٍ، وكان يتأوَّلُ أنهم إذا كانوا فى كفايةٍ تفرَّغوا لأشغالِ المسلمين، فقالوا له: لو أنفَقتَ على عيالِك كما تنفِقُ على عمّالِك؟ (٣فقال: لا أمنَعُهم حقًّا لهم، ولا أعطِيهم حقَّ غيرِهم٣). وكان أهلُه قد بقُوا فى جهدٍ عظيمٍ فاعتذَر بأنَّ معهم سلفًا كثيرًا مِن قبلِ ذلك، وقال يومًا لرجلٍ من ولدِ علىٍّ: إنِّى لأستحِى من اللَّهِ أن تقفَ ببابى ولا يؤذَنَ لك. (٣وقال لآخَرَ منهم: إنِّى لأستحِى مِن اللَّهِ وأرغَبُ بك أن أدنِّسَك بالدنيا لِمَا أكرَمكم اللَّهُ به٣). وقال أيضًا: كنَّا نحن وبنو عمِّنا بنو هاشمٍ، مَرَّةً لنا ومرَّةً علينا، نلجَأُ إليهم ويلجَئون إلينا، حتى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٣٠١/١٣ (مخطوط).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

طلَعتِ شمسُ الرسالةِ فأكسَدت كلَّ نافقٍ ، وأخرَست كلَّ منافقٍ ، وأسكَتَت كلَّ ناطقٍ .

وقال أحمدُ بنُ مروانَ[1] : ثنا أبو بكرٍ أخو[2] خطابٍ ، ثنا خالدُ بنُ خِداشٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن موسى بنِ أعْيَنَ[3] الرَّاعِى - وكان يرعَى الغنَمَ لمحمدِ بنِ أبى[4] عُيينةَ - قال : كانت الغنمُ والأُسدُ والوحشُ ترعَى فى خلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فى موضعٍ واحدٍ ، فعرَض[5] لشاةٍ منها ذئبٌ ، فقلتُ : إنا للَّهِ ، ما أرَى الرجلَ الصالحَ إلا قد هلَك . قال : فحسَبناه فوجَدناه قد هلَك فى تلك الليلةِ . ورواه غيرُه عن حمادٍ ، فقال : كان يرعَى الشاةَ بكَرْمَانَ ، فذكَر نحوَه . وله شاهدٌ من وجهٍ آخرَ[6] .

ومِن دعائِه : اللهمَّ ، إنَّ رجالًا أطاعوك فيما أمَرتَهم ، وانتَهَوا عما نهَيتَهم ، اللهمَّ ، وإنَّ توفيقَك إيَّاهم كان قبلَ طاعتِهم إياكَ ، فوَفِّقْنى . ومنه : اللهمَّ ، إنَّ عمرَ [٧/١٧٦و] ليس بأهلٍ أن تنالَه رحمتُك ، ولكنَّ رحمتَك أهلٌ أن تنالَ عمرَ .

وقال له رجلٌ : أبقاكَ اللَّهُ ما كان البقاءُ خيرًا لك . فقال : هذا شىءٌ قد فُرِغ منه ، ولكن قُلْ : أحياكَ اللَّهُ حياةً طيبةً ، وتوَفَّاكَ مع الأبرارِ . وقال له رجلٌ[6] : كيف أصبحتَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ بطيئًا بطينًا ، متلوِّثًا بالخطايا ، أتمنَّى على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق أحمد بن مروان به .
(٢) فى ا ٢، ب ، م : « ابن أخى » .
(٣) فى ا ٢، ب ، م : « أيمن » .
(٤) سقط من : ا ٢، ب ، م .
(٥) بعده فى ا ٢، ب ، م : « ذات يوم » .
(٦) المصدر السابق .

ودخَل عليه رجلٌ، فقال[1] : يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ مَن كان قبلَك كانت الخلافةُ لهم زَيْنٌ، وأنت زَينُ الخلافةِ، وإنما مثلُك يا أميرَ المؤمنين، كما قال الشاعرُ[2] :

وإذا الـدُّرُّ زانَ حُـسـنَ وجـوهٍ كانَ للدرِّ حسنُ وجهِكَ زَيْنَا

قال : فأعرَض عنه عمرُ. وقال رجاءُ بنُ حَيْوَةَ[1] : سمَرتُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ذاتَ ليلةٍ فعَشِيَ السراجُ فقلتُ : ألا أنبِّهُ هذا الغلامَ يصلِحُه؟ فقال : لا، دعْه ينامُ[3] . فقلتُ : أفلا أقومُ أُصلِحُه؟ فقال : لا، ليس من [4]مروءةِ الرجلِ استخدامُ ضيفِه[4] . ثم قام بنفسِه فأصلَحه، وصبَّ فيه زيتًا، ثم جاء وقال : قمتُ وأنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وجئتُ[5] وأنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ. وقال : أكثِروا ذكرَ النِّعمِ فإن ذكرَها شكرُها. وقال : إنه ليمنَعُني من كثرةِ الكلامِ مخافةُ المباهاةِ. وبلَغه أنَّ رجلًا من أصحابِه تُوفِّي، فجاء إلى أهلِه ليعزِّيَهم فيه، فصَرخوا في وجهِه بالبكاءِ عليه، فقال : مَهْ، إن صاحبَكم لم يكُنْ يرزُقُكم، وإن الذى يرزُقُكم حيٌّ لا يموتُ، وإنَّ صاحبَكم هذا، لم يسُدَّ شيئًا من حُفَرِكم، وإنما سدَّ حفرةَ نفسِه[6] ، وإنَّ لكلِّ امرئٍ مِنكم حفرةً لابدَّ واللَّهِ أن يسُدَّها، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لمَّا خلق الدنيا حكَم عليها بالخرابِ، وعلى أهلِها بالفناءِ، وما امتلأتْ دارٌ حَبرةً إلا امتلأتْ عَبرةً، ولا اجتمَعوا إلا تفرَّقوا، حتى يكونَ اللَّهُ هو الذى يرِثُ الأرضَ ومَنْ عليها، فمَن كان مِنكم باكيًا فليبكِ على نفسِه، فإنَّ الذى صار إليه

---

(١) تاريخ دمشق ٣٠٥/١٣ (مخطوط).

(٢) البيت فى العقد الفريد ١٣٤/٢، والتمثيل والمحاضرة ص ٢٨٦.

(٣) بعده فى ا ٢، ب، م : «أحب أن أجمع عليه عملين».

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب، م : «المروءة استخدام الضيف».

(٥) فى م : «جلست». وفى ابن عساكر : «رجعت».

(٦) بعده فى م : «ألا».

صاحبُكم ، كلُّكم يصِيرُ إليه غدًا .

وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ[1] : خرَجتُ معَ عمرَ إلى القبورِ ، فقال لى : يا أبا أيوبَ ، هذه قبورُ آبائى بنى أميةَ ، كأنَّهم لم يشارِكوا أهلَ الدنيا فى لذَّتِهم وعيشِهم ، أما تراهم صَرعَى قد خلَتْ فيهم[2] المثُلاتُ ، واستحكَم فيهم البلاءُ ؟ ثم بكَى حتى غُشِى عليه ، ثم أفاق ، فقال : انطلِقوا بنا فواللَّهِ لا أعلمُ أحدًا أنعَمَ ممَّن صار إلى هذه القبورِ ، وقد أمِن من عذابِ اللَّهِ[3] .

وقال غيرُه[4] : خرَج عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فى جنازةٍ ، فلمّا دُفِنتْ قال لأصحابِه : قِفوا حتى آتِىَ قبورَ الأحبةِ . فأتاهم فجعَل يبكِى ويدعو ، إذ هتَف به التُّرابُ ، فقال : يا عمرُ ألَا تسألُنى ما فعلتُ فى الأحبةِ ؟ قال قلتُ : وما فعَلتَ بهم ؟ قال : مزَّقتُ الأكفانَ ، وأكَلتُ اللحومَ ، وشدَختُ [٧/١٧٦ظ] المقلتين ، وأكَلتُ الحدَقتين ، ونزَعتُ الكفَّين مِن الساعدين ، والساعدين مِن العضُدين ، والعَضُدين مِن المنكِبين ، والمنكِبين مِن الصُّلبِ ، والقدمين مِن الساقين ، والساقين مِن الفخذين ، والفخذين مِن الوَرِكِ ، والوركَ من الصُّلبِ [5]وعمرُ يبكِى[5] . فلمَّا أراد أن يذهَبَ قال له : يا عمرُ ، ألا أدُلُّكَ على أكفانٍ لا تبلَى ؟ قال : وما هى ؟ قال : تقوى اللَّهِ ، والعملُ الصالحُ .

وقال مرَّةً لرجلٍ من جلسائِه : لقد أرِقتُ الليلةَ مفكرًا . قال : وفيمَ يا أميرَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٣٠٨ ، ٣٠٩ (مخطوط) .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « بهم » .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ينتظر ثواب اللَّه » .

(٤) المصدر السابق ١٣/٣٠٩ (مخطوط) .

(٥ - ٥) سقط من : م .

المؤمنينَ؟ قال: فى القبرِ وساكنِه، إنَّك لو رأيتَ الميتَ بعدَ ثالثةٍ[1] فى قبرِه[2]، لاستوحَشتَ مِن قُربِه بعد طولِ الأُنسِ منك بناحيتِه، ولرأيتَ بيتًا تجولُ فيه الهَوامُّ، ويجرى فيه الصديدُ، وتخترِقُه الديدانُ، مع تغيُّرِ الرِّيحِ، وبِلَى الأكفانِ بعدَ حسنِ الهيئةِ، وطيبِ الريحِ، ونقاءِ الثوبِ. قال: ثم شهِق شهقةً خرَّ مَغشِيًّا عليه.

وقال مقاتلُ بنُ حيانَ[3]: صلَّيتُ وراءَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فقرأ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]. فجعَل يكرِّرُها وما يستطيعُ أن يُجاوزَها. وقالت امرأتُه فاطمةُ[3]: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ صلاةً وصيامًا منه، ولا أحدًا أشدَّ فَرَقًا مِن ربِّه مِنه، كان يصلِّى العشاءَ ثم يجلسُ يبكِى حتى تغلِبَه عينُه[4]، ثم ينتبهِ فلا يزالُ يبكِى حتى تغلِبَه عينُه. قالت: ولقد كان يكون معى فى الفراشِ فيذكرُ الشىءَ من أمرِ الآخرةِ؛ فينتفِضُ كما ينتفِضُ العصفورُ فى الماءِ، ويجلِسُ يبكِى، فأطرَحُ عليه اللحافَ رحمةً له، وأنا أقولُ: يا ليتَ كان بينَنا وبينَ الخلافةِ بُعدَ المشرقينِ، فواللَّهِ ما رأينا سرورًا منذ دخَلنا فيها.

وقال علىُّ بنُ زيدٍ[5]: ما رأيتُ رجلين كأنَّ النارَ لم تُخلَقْ إلا لهما مثلَ الحسنِ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ. وقال بعضُهم[5]: رأيتُه يبكِى حتَّى بكَى دمًا. قالوا[6]: وكان إذا أوَى إلى فراشِه قرَأ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) فى ا ٢، ص: «ثلاثة» وفى م: «ثلاث».
(٢) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وما صار إليه».
(٣) تاريخ دمشق ٣١٠/١٣ (مخطوط).
(٤) فى ا ٢، ب، م، ص: «عيناه».
(٥) المصدر السابق ٣١١/١٣ (مخطوط).
(٦) المصدر السابق ٣١٢/١٣ (مخطوط).

وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية [الأعراف: ٥٤]. ويقرأُ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]. ونحوَ هذه الآياتِ، وكان يجتمِعُ كلَّ ليلةٍ إليه أصحابُه من الفقهاءِ فلا يذكُرون إلا الموتَ والآخرةَ، ثم يبكُون حتى كأنَّ بينهم جِنازةً[(١)].

وقال أبو بكرٍ الصوليُّ، [(٢)]عن المبردِ[(٢)]: كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يتمثَّلُ بقولِ الشاعرِ:

فما تزوَّدَ مما كانَ يجمَعُه ... سوى حنوطٍ غداةَ البينِ فى خِرَقِ
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبُّ له ... وقلَّ ذلكَ من زادٍ لمنطلقِ
بأيِّما بلدٍ كانتْ منيَّتُهُ ... إن لا يسِرْ طائعًا فى قصدِها يُسَقِ

[١٧٧/٧و] ونظَر عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وهو فى جنازةٍ، إلى قومٍ قد تلثَّموا من الغبارِ والشمسِ، وانحازوا إلى الظلِّ، فبكَى وأنشدَ:

من كان حين تصِيبُ الشمسُ جبهَتَه ... أو الغبارُ يخافُ الشَّينَ والشعَثا
ويألفُ الظلَّ كى تبقَى بشاشَتُه ... فسوفَ يسكُنُ يومًا راغمًا جدَثا
فى قعرِ مُظلِمةٍ غبراءَ مُوحشةٍ ... يطيلُ فى قعرِها تحتَ الثَّرى لُبثا
تجهَّزِى بجهازٍ تبلُغينَ به ... يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لم تُخلَقى عبثًا[(٣)]

وقال [(٤)]المفضَّلُ بنُ غسَّانَ الغلَّابىُّ[(٤)]: كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لا يجِفُّ فوه

---

(١) تاريخ دمشق ٣١٢/١٣ (مخطوط).

(٢ - ٢) سقط من: م. وقد أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق (مخطوط) ١٣/ ٣١٣، من طريق المبرد به.

(٣) بعده فى ا ٢، م، ص زيادة تقع فى ورقتين من المطبوع.

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب، ص: «الفضل بن عساف العلا»، وفى م: «الفضل بن عباس الجلبى». والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط). وانظر الأنساب ٤/ ٣٢١.

مِن هذا البيتِ :

ولا خيرَ فى عيشِ امرئٍ لم يكُنْ له ... مِنَ اللَّهِ فى دارِ القرارِ نصيبُ

وزاد غيرُه معه بيتًا حسنًا ، وهو قولُه :

فإن تُعجبِ الدنيا أُناسًا فإنَّها ... متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ[1]

ومن شعرِه الذى أنشَده ابنُ الجوزىِّ[2] :

أنا ميْتٌ وعزَّ مَن لا يموتُ ... قد تيقَّنتُ أنَّنى سأموتُ

ليسَ مُلكٌ يُزيلُه الموتُ مُلكًا ... إنَّما المُلكُ مُلكُ من لا يموتُ

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[3] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ :

تُسَرُّ بما يَبْلى[4] وتَفرَحُ بالمُنَى ... كما اغترَّ باللذاتِ فى النومِ حالمُ

نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكُ نومٌ والرَّدَى لكَ لازمُ

وسعيُكَ فيما سوف تكرَهُ غِبَّهُ ... كذلكَ فى الدُّنيا تعيشُ البهائمُ

وقال محمدُ بنُ كثيرٍ[5] : قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يلومُ نفسَه ويعاتبُها :

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائِمُ ... وكيفَ يُطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ لحرَّقتْ ... مدامعَ[6] عينيكَ الدموعُ السواجمُ

[7]نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُك نومٌ والرَّدَى لك لازمُ[7]

---

(١) فى تاريخ دمشق نسبها لعمر بن عبد العزيز من قوله .

(٢) سيرة عمر ٢٧٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق ابن المبارك به .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « يفنى » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٤/١٣ (مخطوط) ، من طريق محمد بن كثير به .

(٦) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « محاجر » .

(٧ - ٧) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(١ بل[٢] اصبحتَ فى النومِ الطويلِ وقد دنَتْ إليك أمورٌ مُفظِعات عظائمُ ١)

وشغْلُك[٣] فيما سوفَ تكرَهُ غِبَّهُ كذلكَ فى الدنيا تعيشُ البهائمُ[٤]

وروَى ابنُ أبى الدنيا[٥] بسندِه عن فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ، قالت: انتبَه عمرُ [١٧٧/٧ظ] ذاتَ ليلةٍ، وهو يقولُ: لقد رأيتُ[٦] رؤيا معجِبَةً[٧]. فقلتُ: أخبِرْنى بها. فقال: حتى نُصبحَ. فلمَّا صلَّى الصبحَ[٨] بالمسلمين دخَل فسألتُه عنها، فقال: رأيتُ كأنِّى دُفِعتُ إلى أرضٍ خضراءَ واسعةٍ كأنَّها بِساطٌ أخضرُ، وإذا فيها قصرٌ كأنَّه الفضَّةُ، فخرَج منه خارجٌ فنادَى: أين محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ؟ أين رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ إذ أقبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل ذلك القصرَ، ثم خرَج آخَرُ فنادَى: أين أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ؟ فأقبَل فدخَلَ، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين عمرُ بنُ الخطَّابِ؟ فأقبلَ فدخَل، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين عثمانُ ابنُ عفَّانَ؟ فأقبلَ فدخَل، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين علىُّ بنُ أبى طالبٍ؟ فأقبَلَ فدخَل، ثم خرَج آخرُ فنادَى: أين عمرُ بنُ عبدِ العزيز؟ فقمتُ فدخَلْتُ فجَلَسْتُ إلى جانبِ أبى عمرَ بنِ الخطَّابِ، وهو عن يسارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو بكرٍ عن يمينِه، وبينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رجلٌ، فقُلْتُ لأبى: مَن هذا؟ قال: هذا عيسى ابنُ مريمَ. ثم سمِعتُ هاتفًا يهتِفُ، بينى وبينَه نورٌ لا أَراه، وهو يقولُ:

(١ - ١) زيادة من ا ٢، ب، م، ص. وانظر صفة الصفوة ٢/ ١٢٥.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «تكدح».

(٤) بعده فى ا ٢، ب، ، ص: «فلا أنت فى النوام يومًا بسالمٍ ولا أنت فى الأيقاظِ يقظانُ حازمُ».

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١٦/١٣، ٣١٧ (مخطوط)، من طريق ابن أبى الدنيا به.

(٦) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «الليلة».

(٧) فى ا ٢، ب، م، ص: «عجيبة».

(٨) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

يا عمرُ بنَ عبدِ العزيزِ ، تَمَسَّكْ بما أنتَ عليه ، واثبُتْ على ما أنتَ عليهِ . قال[1] : ثم كأنَّه أذِن لى فى الخُرُوجِ فخرَجتُ ، فالتفَتُّ فإذا عثمانُ بنُ عفَّانَ وهو خارجٌ مِن القصرِ ، وهو يقولُ : الحمدُ للَّهِ الذى نصَرنى ربِّى ، وإذا علىٌّ فى إثْرِه ، وهو يقولُ : الحمدُ للَّهِ الذى غفَر لى ربِّى .

فصـل

وقد ذكَرْنا[2] فى « دلائلِ النبوةِ » الحديثَ الذى رواه أبو داودَ فى سُننِه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ يبعَثُ لهذه الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها أمْرَ دينِها » . فقال جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ منهم أحمدُ بنُ حنبلٍ - فيما ذكَره ابنُ الجوزىِّ[3] وغيرُه -: إنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز كان على رأسِ المائةِ الأُولى . [4]وقال آخَرون : هو مِن جملةِ مَن جدَّد اللَّهُ به أمرَ الدينِ على رأسِ المائةِ الأولى[4] ، وإن كان هو أَوْلى مَن دخَل فى ذلك وأحقَّ ؛ لإمامتِه ، وعمومِ ولايتِه ، واجتهادِه وقيامِه فى تنفيذِ الحقِّ ، فقد كانت سيرتُه شبيهةً بسيرةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، وكان كثيرًا ما يتشَبَّه به . وقد جمَع الشَّيخُ أبو الفرجِ ابنُ الجوزىِّ سيرةَ العُمرين[5] ؛ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقد أفرَدْنا سيرةَ عمرَ بنِ الخطَّابِ فى مجلدٍ على حِدَةٍ ، ومسندُه فى مجلَّدٍ ضخمٍ ، وأما سيرةُ عمرَ بنِ

---

(١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) تقدم فى ٩/٣٠٣.

(٣) صفة الصفوة ٢/١١٣.

(٤ - ٤) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٥) سقط من : ا ٢، م .

عبدِ العزيزِ فقد ذكَرنا منها طرفًا صالحًا هنا، يُستدَلُّ به على ما لم نذكُره.

وقد كان عمرُ رحِمه اللَّهُ يُعطِى مَنِ انقطَع إلى المسجدِ الجامعِ، مِن بلدِه وغيرِها، للفقهِ [١٧٨/٧و]، ونشرِ العلمِ، وتلاوةِ القرآنِ، فى كلِّ عامٍ من بيتِ المالِ مائةَ دينارٍ، وكان يكتُبُ إلى عمالِه أن يأخذوا الناسَ[١] بالسُّنَّةِ، ويقولُ: إن لم تُصلِحْهم السُّنةُ فلا أصلَحهم اللَّهُ. وكتَب إلى سائرِ البلادِ أن لا يركَبَ ذميٌّ مِن اليهودِ والنصارى وغيرِهم على سَرْجٍ، ولا يلبَسَ قَبَاءً ولا طيلسانًا[٢] ولا السراويلَ[٣] ولا يمشِيَنَّ أحدٌ منهم إلا بزُنَّارٍ من جلدٍ، وهو مقرونُ الناصيةِ، ومن وُجِد منهم فى منزلِه سلاحٌ أُخِذَ منه. وكتَب أيضًا أن لا يُستعمَلَ على الأعمالِ إلا أهلُ القرآنِ، فإنْ لم يكنْ عندَهم خيرٌ فغيرُهم أولى أن لا يكونَ عندَه خيرٌ. وكان يكتُبُ إلى عمالِه: اجتنبوا الأشغالَ عند حضورِ الصلواتِ، فإنَّ مَن أضاعَها فهو لِمَا سواهامِن شرائعِ الإسلامِ أشدُّ تضييعًا. وقد كان يكتُبُ الموعظةَ إلى العاملِ مِن عمالِه فينخلعُ [٤]بها قلبُه[٤]، وربما عزَل بعضُهم نفسَه عن العمالةِ[٥] مِن شدَّةِ ما تقعُ موعظَتُه منه، وذلك أنَّ الموعظةَ إذا خرَجت مِن قلبِ الواعظِ دخلتْ قلبَ الموعوظِ. وقد صرَّح كثيرٌ مِن الأئمةِ بأنَّ كلَّ مَن استعمَله عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ثقةٌ، وقد كتَب إليه الحسنُ البصريُّ بمواعظَ حِسانٍ ولو تقصَّينا ذلك لطال هذا الفصلُ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارةٌ إلى ذلك. وكتَب إلى بعضِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) الطيلسان: ضرب من الأوشجة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال عن الخياطة. أو هو ما يعرف فى العامية المصرية بالشال. الوسيط (ط ل س).

(٣) بعده فى الأصل: «ذات حدبه».

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب، م، ص: «منها».

(٥) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وطوى البلاد».

عمالِه[1] : [2]أما بعدُ ، فإنِّى[2] أذكِّرُك ليلةً تَمخَّضُ بالساعةِ فصباحُها القيامةُ ، فيا لَها من ليلةٍ ويا لَه مِن صباحٍ ، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا . وكتَب إلى آخرَ[3] : أذكِّرُك طولَ سهرِ أهلِ النارِ فى النارِ مع خلودِ الأبدِ ، وإياك أن يُنصَرَفَ بك من عندِ اللَّهِ فيكونَ آخرَ العهدِ بك ، وانقطاعَ الرجاءِ منك . قالوا : فخلَع هذا العاملُ نفسَه مِن العمالةِ ، وقدِم على عمرَ ، فقال له : ما لك ؟ فقال : خلَعتَ قلبى بكتابِك يا أميرَ المؤمنين ، واللَّهِ لا أعودُ إلى ولايةٍ أبدًا .

فصـــلٌ

وقد ردَّ جميعَ المظالمِ كما قدَّمنا ، حتى إنَّه ردَّ فَصَّ خَاتمٍ كان فى يدِه ؛ قال : أعطانِيه الوليدُ مِن غيرِ حقِّه . وخرَج مِن جميعِ ما كان فيه مِن النَّعيمِ فى الملبَسِ والمأكلِ والمتاعِ ، حتى إنَّه ترَك التمتُّعَ بزوجتِه الحسناءِ ، فاطمةَ بنتِ عبدِ الملكِ ، يقالُ : كانت مِن أحسنِ النساءِ[4] . ويقالُ : إنَّه ردَّ جهازَها وما كان من أموالِها إلى بيتِ المالِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد كان دَخْلُه فى كلِّ سنةٍ قبلَ أن يلِيَ الخلافةَ أربعين ألفَ دينارٍ ، فترَك ذلك كلَّه حتى لم يبقَ له دَخْلٌ سوى أربعِمائةِ دينارٍ فى كلِّ سنةٍ ، وكان حاصلُه فى خلافتِه ثلاثَمائةِ درهمٍ ، وكان له مِن الأولادِ جماعةٌ ، وكان ابنُه عبدُ الملكِ أجلَّهم ، فمات فى حياتِه فى زمنِ خلافتِه ، [٧/١٧٨ظ] حتى يقالَ[5] : إنَّه كان خيرًا من أبيه . فلما مات لم يَظْهَرْ عليه حزنٌ ،

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٢٣.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠.

(٤) فى الأصل : « الناس وبنت عم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان » .

(٥) المصدر السابق ص ٢٩٩.

وقال[1] : أمرٌ رَضِيَه اللَّهُ فلا أكرهُه . [2]وكان قبلَ الخلافةِ يُؤتَى بالقميصِ الرفيعِ الليِّنِ جدًّا ، فيقولُ : ما أحسنَه لولا خشونةٌ فيه . فلمَّا ولِى الخلافةَ[2] كان بعدَ ذلك يلبَسُ القميصَ الغليظَ المرقوعَ ولا يغسِلُه حتى يتسِخَ جدًّا ، [2]ويقولُ : ما أحسنَه لولا لينُه[2] . وكان يلبَسُ الفروةَ الغليظةَ ، وكان سِراجُه على ثلاثِ قصباتٍ فى رأسِهنَّ طينٌ ، ولم يبنِ شيئًا فى أيامِ خلافتِه . وكان يخدُم نفسَه بنفسِه ، وقال : ما تركتُ شيئًا مِن الدنيا إلا عوَّضَنى اللَّهُ ما هو خيرٌ منه . وكان يأكُلُ الغليظَ [3]من الطعامِ أيضًا[3] ، ولا يُبالى بشىءٍ مِن النَّعيمِ ، ولا يُتْبِعُه نفسَه ولا يودُّه ، حتى قال أبو سليمانَ الدارانىُّ[4] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أزهدَ من أُوَيسٍ القرنىِّ ؛ لأن عمرَ ملَك الدنيا بحذافيرِها وزهِد فيها ، ولا ندرِى حالَ أويسٍ لو ملَك ما ملَكَه عمرُ كيف يكونُ ؟ ليس مَن جرَّب كمنْ لم يجرِّبْ . وتقدَّم قولُ مالكِ بنِ دينارٍ : [3]الناسُ يقولون : مالكٌ زاهدٌ[3] . إنما الزاهدُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؛ [3]أتته الدنيا فاغرةً فاها فردَّها[3] . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ دينارٍ : لم يكنْ عمرُ يرتزِقُ مِن بيتِ المالِ شيئًا . وذكروا أنَّه أمَر جاريةً تروِّحُه حتى ينامَ فروَّحته ، فنامت هى ، فأخَذ المروحةَ مِن يدِها وجعَل يروِّحُها ، ويقولُ : أصابكِ مِن الحرِّ ما أصابنى . وقال له رجلٌ : جزاكَ اللَّهُ عن الإسلامِ خيرًا . فقال : بل جزَى اللَّهُ الإسلامَ عنِّى خيرًا . ويقالُ : إنه كان يلبَسُ تحت ثيابِهِ مِسْحًا غليظًا من شعرٍ ، ويضَعُ فى رقبتِه غُلًّا إذا قام يصلِّى من الليلِ ، [5]ثم إذا أصبَح وضعَه فى مكانٍ وختَم عليه فلا يشعُرُ به أحدٌ ، وكانوا يظُنُّونه مالًا أو جوهرًا من حرصِه عليه ، فلما مات فتَحوا ذلك المكانَ فإذا فيه غُلٌّ ومِسْحٌ[5] .

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٣٠٤ بنحوه .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص ، وانظر سيرة ومناقب عمر لابن الجوزى ص ١٧٦.

(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٨٤.

(٥ - ٥) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

وكان يبكِى حتى بكَى الدمَ مع[1] الدموعِ، ويقالُ: إنه بكَى فوقَ سطحٍ حتى سالَ دمعُه من الميزابِ. وكان يأكلُ من العدسِ ليرِقَّ قلبُه وتغزُرَ دمعتُه، وكان إذا ذكَر الموتَ اضطَرَبتْ أوصالُه، وقرَأ رجلٌ عندَه: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ الآية [الفرقان: ١٣]. فبكَى بكاءً شديدًا ثم قام فدخَل منزلَه وتفرَّق الناسُ عنه، وكان يُكثِرُ أن يقولَ: اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ. وكان يقولُ: اللهمَّ أصلِحْ مَن كان فى صلاحِه صلاحٌ لأمةِ محمدٍ ﷺ، وأهلِكْ مَن كان فى هلاكِه صلاحُ أمةِ محمدٍ ﷺ. وقال[2]: أفضلُ العبادةِ أداءُ الفرائضِ، واجتنابُ المحارمِ. وقال: لو أنَّ المرءَ لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهى عنِ المنكرِ حتى يُحْكِمَ أمرَ نفسِه[3] لذهَب الأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عن المنكرِ، ولقلَّ الواعظون والساعون للَّهِ بالنصيحةِ. وقال: الدنيا عدوةُ أولياءِ اللَّهِ، و[4]أعداءِ اللَّهِ، أما الأولياءُ فغمَّتهم[5]، وأما الأعداءُ فغرَّتهم[6]. وقال[7]: قد أفلَح من عُصِم من المِراءِ والغضبِ والطمعِ. وقال لرجلٍ: من سيِّدُ قومِك؟ قال: أنا. قال: لو كنتَ كذلك [١٧٩/٧و] لم تقُلْه. وقال: أزهدُ الناسِ فى الدنيا علىُّ بنُ أبى طالبٍ. وقال: لقد بُورِك لعبدٍ فى حاجةٍ أكثرَ فيها مِنَ الدعاءِ، أُعطى أو مُنِع. وقال: قيِّدوا العلمَ بالكتابِ. وقال لرجلٍ: علِّمْ ولدَك الفقهَ الأكبرَ: القناعةَ وكفَّ الأذَى. وتكلَّم رجلٌ عندَه فأحسَن، فقال: هذا هو السِّحرُ الحلالُ. وقصَّتُه مع

---

(١) فى م: «من».

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٦.

(٣) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «لتواكل الناس الخيرو».

(٤) بعده فى م: «ولية».

(٥) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وأحزنتهم».

(٦) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وشتتهم وأبعدتهم عن اللَّه». وانظر جمهرة رسائل العرب ٢/ ٣١٨.

(٧) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٠، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢٧٣.

أبى حازمٍ مطَّولةً[1] حين رآه خليفةً[2] وقد شحَب وجهُه من التقشُّفِ، وتغيَّر حالُه، فقال له: ألم يكن ثوبُك نقيًّا؟ ووجهُك وضيًّا؟ وطعامُك شهيًّا؟ ومركبُك وطيًّا؟ فقال له: ألم تُخبِرْنى عن أبى هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ مِن ورائِكم عقبةً كئودًا لا يجُوزُها إلا كلُّ ضامرٍ مهزولٍ»؟ ثم بكَى حتى غُشِىَ عليه، ثم أفاق فذكَر أنَّه رأى فى غشيتِه تلك أنَّ القيامةَ قد قامتْ، وقد استُدعِىَ بكلٍّ من الخلفاءِ الأربعةِ، فأُمِر بهم إلى الجنةِ، ثم ذكَر مَن بينه وبينهم فلم يدرِ ما صُنع بهم، ثم دُعىَ هو فأُمِر به إلى الجنةِ، فلما انفصَل لقِيَه سائلٌ فسَأله عمَّا كان من أمرِه فأخبَره، ثم قال للسائلِ: فمَن أنت؟ قال: أنا الحجَّاجُ ابنُ يوسفَ، قتَلَنِى ربى بكُلِّ قَتلةٍ قَتلةً، ثم ها أنا أنتظِرُ ما ينتظِرُه الموحدون. وفضائِلُه ومآثرُه كثيرةٌ جدًّا، وفيما ذكرنا كفايةٌ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلُ.

ذكرُ سببِ وفاتِه رَحِمه اللّهُ

كان سببُها السلَّ[3]، وقيل[4]: سببُها أن مَولًى له سمَّه فى طعامٍ، أو شرابٍ، وأُعطِى على ذلك ألفَ دينارٍ. فحصَل له بسببِ ذلك مرضٌ، فأُخبِر أنَّه مسمومٌ، فقال: لقد عَلِمتُ يومَ سُقِيتُ السُّمَّ. ثم استَدعَى مولاه الذى سقاه، فقال له:

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٩. وسيرة ومناقب عمر ص ٢٧٩.

(٢) فى الأصل: «فى زمن الخلافة».

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣٠ (مخطوط).

(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٨ (مخطوط).

ويْحَك ، ما[1] حمَلك على ما صنَعتَ ؟ فقال : ألفُ دينارٍ أُعطِيتُها . فقال : هاتِها . فأَحضَرها فوضَعها فى بيتِ المالِ ، ثم قال له : اذهَبْ حيثُ لا يراك أحدٌ فتهلِكَ .

ثم قيل لعمرَ[2] : تدارَكْ نفسَك . فقال : واللَّهِ لو أنَّ شفائِى أنْ أمسَحَ[3] شحمةَ أُذُنى ، أو أُوتَى بطيبٍ فأَشُمَّه ما فعلتُ . فقيل له[4] : هؤلاءِ بَنُوك - وكانوا اثنَىْ عشَرَ - ألَا تُوصِى لهم بشىءٍ ؛ فإنَّهم فقراءُ ؟ فقال : ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] . واللَّهِ لا أُعطِيهم حقَّ أحدٍ ، وهم بينَ رجُلينِ ؛ إمَّا صالحٌ فاللَّهُ يتولَّى الصالحينَ ، وإمّا غيرُ صالحٍ فما كنتُ لأعينَه على فسقِه - وفى روايةٍ[5] : فلا أُبالى فى أىِّ وادٍ هلَك . وفى روايةٍ[6] : أفأدَعُ له ما يستعينُ به على معصيةِ اللَّهِ ، فأكونَ شريكَه فيما يعمَلُ بعدَ الموتِ ؟ ما كنتُ لأفعَلَ - ثم استدعَى بأولادِه فودَّعهم وعزّاهم بهذا ، وأوْصاهم بهذا الكلامِ ، ثم قال : انصرِفوا عصَمَكمُ اللَّهُ ، وأحسَن الخلافةَ عليكم . قال[7] : فلقد رأَينا بعضَ أولادِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يحمِلُ على ثمانين فرَسًا فى سبيلِ اللَّهِ ، وكان بعضُ أولادِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ - مع كثرةِ ما ترَك لهم من الأموالِ - يتعاطَى ويسألُ مِن أولادِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ؛ لأنَّ عمرَ وكَل ولدَه إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وسليمانُ وغيرُه إنَّما يَكِلون أولادَهم إلى ما يدَعون لهم مِن الأموالِ الفانيةِ ، فيضِيعون وتذهَبُ أموالُهم فى شهواتِ أولادِهم .

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، ص : « الذى » .

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٧، ٣١٨ (مخطوط) .

(٣) فى م : « أمس » .

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٣، ٣٣٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٣١٨، ٣١٩ (مخطوط) .

(٥) تاريخ دمشق ١٣/٣١٨ (مخطوط) بنحوه .

(٦) تاريخ دمشق ١٣/٣١٩ (مخطوط) بنحوه .

(٧) سيرة عمر لابن الجوزى ص ٣٣٨ وفيه : « ولا من ولد هشام بدلًا من بعض أولاد سليمان » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : ثنا أبو النعمانِ ، ثنا حمّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، قال : قيل لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : يا أميرَ المؤمنين ، لو أتيتَ المدينةَ ، [١٧٩/٧ظ] فإن قضَى اللَّهُ موتًا دفِنتَ فى القبرِ الرابعِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأبى بكرٍ ، وعمرَ . فقال : واللَّهِ لأن يُعذِّبَنى اللَّهُ بكلِّ عذابٍ ، إلّا النارَ - فإنَّه لا صبرَ لى عليها - أحبُّ إلىَّ مِن أن يعلَمَ اللَّهُ مِن قلبى أنِّى لذلك الموضِعِ أهلٌ .

قالوا[2] : وكان مرضُه بدَيرِ سمعانَ مِن قُرى حِمصَ ، وكانت مدةُ مرضِه عشرين يومًا .

ولـمّا احتُضِر قال[3] : أجلِسونى . فأجلَسوه ، فقال : إلَهى ، أنا الذى أمَرتَنى فقصَّرتُ ، ونهَيتَنى فعصَيتُ - ثلاثًا - ولكنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ . ثم رفَع رأسَه فأحَدَّ النظرَ ، فقالوا : إنَّك لتنظُرُ نظرًا شديدًا يا أميرَ المؤمنين . فقال : إنِّى لأرَى حضَرةً ما هم بإنسٍ ولا جانٍّ . ثم قُبِض مِن ساعتِه . وفى روايةٍ أنَّه قال لأهلِه : اخرُجوا عنِّى . فخرَجوا وجلَس على البابِ مسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ ، وأختُه فاطمةُ ، فسمِعوه يقولُ : مرحبًا بهذه الوجوهِ التى ليست بوجوهِ إنسٍ ولا جانٍّ ، ثم قرأ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] . ثم هدَأ الصوتُ ، فدَخلوا عليه فوجَدوه قد غمِّض ، وسوِّى إلى القِبلةِ ، وقبِض .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[4] : ثنا عبدُ الملكِ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن الدَّراوَرْدِىِّ ،

---

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٦٠٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٨ بنحوه.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٥.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٣٢٢ (مخطوط) ، من طريق أبى بكر بن أبى شيبة به .

عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى سلَمةَ ، أن عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ لمّا وضِع عندَ قبرِه هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ ، فسقَطتْ صحيفةٌ بأحسنِ كتابٍ فقرَءوها فإذا فيها : بسم اللَّهِ الرَّحمـٰنِ الرحيمِ ، براءةٌ مِن اللَّهِ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِن النارِ . فأدخَلوها بينَ أكفانِه ، ودفَنوها مَعه . وروِى نحوُ هذا مِن وجهٍ آخرَ[1] .

وروَى ابنُ عساكِرَ فى ترجمةِ عبدِ الصمدِ بنِ إسماعيلَ بسندِه[2] ، عن عميرِ ابنِ الحُبَابِ[3] السُلَمىِّ ، قال : أسِرتُ أنا وثمانيةٌ فى زمانِ بنى أميَّةَ ، فأمَر ملِكُ الرومِ بضربِ رقابِنا ، فقتِل أصحابى ، وشفَع فىَّ بِطْريقٌ مِن بطارقةِ الملكِ ، فأطلَقنى له ، فأخَذنى إلى منزلِه ، وإذا له ابنةٌ مثلُ الشمسِ ، فعرَضها علىَّ ، وعلى أن يُقاسِمَنى نعمتَه ، وأدخُلَ معه فى دينِه ، فأبَيتُ ، وخلَتْ بى ابنتُه فعرَضتْ نفسَها علىَّ فامتنَعتُ ، فقالت : ما يمنَعُك مِن ذلك ؟ فقلتُ : يمنَعُنى دِينى ، فلا أترُكُ دِينى لامرأةٍ ولا لشىءٍ . فقالت : تريدُ الذَّهابَ إلى بلادِكَ ؟ قلتُ : نعم . فقالت : سِرْ على هذا النَّجمِ بالليلِ ، واكمُنْ بالنَّهارِ ؛ فإنَّه يُلقِيك إلى بلادِك . قال : فسِرتُ كذلك . قال : فبينَا أنا فى اليومِ الرابعِ مُكمِنٌ ، وإذا بخَيلٍ مُقبِلةٍ فخشِيتُ أن تكونَ فى طلَبى ؛ فإذا أنا بأصحابى الذين قتِلوا ، ومعهم آخَرون على دوابَّ شُهْبٍ ، فقالوا : عُميرٌ ؟ فقلتُ : [٧/١٨٠و] عُميرٌ ، فقلتُ : أوَ ليس قد قتِلتُم ؟ قالوا : بلى ، ولكنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، نشَر الشهداءَ ، وأذِن لهم أن يشهَدوا جِنازةَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . قال : ثم قال لى بعضُهم : ناوِلْنى يدَك يا عُميرُ ، فأردَفنى ، فسِرْنا يسيرًا ، ثم قذَف بى قَذْفةً وقَعْتُ قُرْبَ مَنزِلى بالجَزيرَةِ ، مِن غيرِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٣.

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٩ (مخطوط) عنه به.

(٣) فى النسخ : « حبيب » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر معجم الشعراء ص ٧٤، والإكمال ٢/ ١٤٥.

أن يكونَ لحِقَنى شرٌّ.

وقال رجاءُ بنُ حيْوةَ[1] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قد أوصَى إلىَّ أن أغسِّلَه وأُكفِّنَه ، [2]وأدفِنَه[2] فإذا حلَلتُ عُقدةَ الكفَنِ ، أنْ أنظُرَ فى وجهِه ، قال : فلمّا فعلتُ ذلك إذا وجهُه كالقراطيسِ بياضًا ، وكان قد أخبَرنى أنَّه [3]دَفَن ثلاثةً[3] مِن الخلفاءِ فيَحُلُّ عن وجوهِهم فإذا هى مسودَّةٌ.

وروَى ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ يوسفَ بنِ ماهكٍ قال[4] : بينَما نحن نسوِّى الترابَ على قبرِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، إذ سقَط علينا مِن السماءِ كتابٌ فيه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، أمانٌ مِن اللَّهِ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِن النارِ. ساقه مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ بشّارٍ ، عن عبّادِ بنِ عمرٍو ، عن محمدِ بنِ يزيدَ البصرىِّ ، عن يوسفَ ابنِ ماهكٍ فذكَره ، وفيه غرابةٌ شديدةٌ. واللَّهُ أعلَمُ. وقد رئِيتْ له مناماتٌ صالحةٌ ، وتأسَّف عليه الخاصةُ والعامةُ ، لاسيَّما العلماءُ والزهادُ والعُبّادُ. ورثاه الشعراءُ ؛ فمِن ذلك ما أنشَده أبو عمرٍو الشَّيبانىُّ لكُثيِّرٍ عزَّةَ يرثِى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ[5] :

عمَّت صنائِعُه فعَمَّ هلاكُه ... فالناسُ فيه كُلُّهمْ مأجُورُ
والناسُ مأتمُهم عليه واحدٌ ... فى كُلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزفيرُ
يُثْنِى عليكَ لسانُ مَن لم تُولِه ... خيرًا لأنكَ بالثَّناءِ جديرُ
ردَّتْ صنائعُه عليه حياتَه ... فكأنَّه مِن نَشْرِها منشورُ

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٧.
(٢ - ٢) سقط من : م.
(٣ - ٣) فى ا ٢، ب، م، ص : « كل من وقته قبله ».
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٩٢.
(٥) شرح ديوان كثير عزة ص ٥٢٩، مع تقديم وتأخير فى الأبيات واختلاف فى بعض ألفاظها.

وقال جريرٌ يرثى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، رحِمه اللَّهُ تعالى[1] :

ينعَى النعاةُ أميرَ المؤمنينَ لنا ... يا خيرَ مَن حجَّ بيتَ اللَّهِ واعتمَرا
حمِّلتَ أمْرًا عظِيمًا[2] فاضطلعتَ به[2] ... وقمتَ فيهِ بأمرِ اللَّهِ يا عُمَرَا
الشَّمسُ كاسِفةٌ[3] ليستْ بطالِعةٍ[4] ... تبكِى عليك نجومَ الليلِ والقَمرَا

وقال مُحاربُ بنُ دِثارٍ[5] رحِمه اللَّهُ يرثى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، رحِمه اللَّهُ تعالى :

لو أعظَمَ الموتُ خَلْقًا أن يواقِعَهُ ... لعَدلِه لم يُصبْكَ الموتُ يا عمرُ
كم مِن شريعةِ عدلٍ قد نعَشتَ لهمْ ... كادتْ تموتُ وأخرَى مِنك تُنتظَرُ
يا لهفَ نفسى ولهفَ الواجدينَ معى ... على العُدولِ التى تَغْتالُها الحفَرُ
ثلاثةٌ ما رأتْ عينى لهم شبَهًا ... تضُمُّ أعظُمَهمْ فى المسجدِ الحُفَرُ
وأنتَ تتبَعُهمْ لم[6] تألُ مجتهِدًا ... سُقيًا[7] لها سننٌ بالحقِّ تفتقِرُ
لو كنتُ أملِكُ والأقدارُ غالبةٌ ... تأتِى رَواحًا وتِبيانًا وتبتكِرُ
صرَفتُ عَن عمرَ الخيراتِ مصرَعَهُ ... بدَيرِ سمعانَ لكنْ يغلِبُ القدرُ

قالوا[8] : وكانت وفاتُه بدَيرِ سمعانَ مِن أرضِ حِمصَ، يومَ الخميسِ، وقيل :

---

(١) شرح ديوان جرير ص ٣٠٤.
(٢ - ٢) فى الديوان : «فاضطربت له».
(٣) فى الأصل : «طالعة».
(٤) فى الأصل : «كاسفة».
(٥) تاريخ دمشق ٣٢٥/١٣ (مخطوط)، وسيرة ومناقب عمر ص ٥٣٥.
(٦) فى الأصل، ا ٢، ب، ص : «لا»، والمثبت موافق لسيرة ومناقب عمر.
(٧) فى سيرة عمر : «سعيا».
(٨) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٦٥، وتاريخ دمشق ٣٢٦/١٣ - ٣٢٨ (مخطوط)، وتاريخ الخلفاء ٢٤٦.

الجمُعةِ لخمسٍ مضَين . وقيل : بقِين مِن رجبٍ . وقيل : لعشْرٍ بقِين من رجبٍ سنةَ إحدى . وقيل : ثنتين ومائةٍ . [1] واللَّهُ أعلمُ .

وقال الهيثمُ بنُ عدِيٍّ[2] : توفِّى فى جُمادَى سنةَ ثنتين ومائةٍ[1] . وصلى عليه ابنُ عمِّه مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ . وقيل : صلَّى عليه يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ . وقيل : ابنُه عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وكان عمرُه يومَ مات تسعًا وثلاثين سنةً وأشهُرًا ، وقيل : إنه جاوز الأربعين بأشهرٍ . وقيل : بسنةٍ . وقيل : بأكثرَ . وقيل : إنه عاش ثلاثًا وثلاثين[2] سنةً . وقيل : ستًّا وثلاثين . وقيل : سبعًا وثلاثين . وقيل : ثمانٍ وثلاثين سنةً . وقيل : ما بينَ الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلُغْها .

وقال أحمدُ عن عبدِ الرزاقِ عن معمرٍ[4] : مات عمرُ[3] على رأسِ خمسٍ وأربعين سنةً . قال ابنُ عساكرَ : وهذا وهمٌ ، والصحيحُ الأوَّلُ ، يعنى[3] تسعًا وثلاثين سنةً وأشهرًا . وكانت خلافتُه سنتين وخمسةَ أشهرٍ وأربعةَ أيامٍ . وقيل : وأربعةَ عشَر يومًا . وقيل : سنتان ونِصفٌ .

وكان رحِمه اللَّهُ أسمرَ دقيقَ الوجهِ حسَنَه ، نحيفَ الجسمِ حسَنَ اللحيةِ ، غائرَ العينين ، بجبهتِه أثرُ شَجَّةٍ ، وكان قد شاب وخضَب ، رحِمه اللَّهُ ، واللَّهُ سبحانه أعلمُ[7] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تهذيب الكمال ٢١/ ٤٤٦.

(٢) فى م : « وستين » .

(٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣٠ (مخطوط) .

(٧) بعده فى : م ، ص زيادة وهى من زيادات الناسخ .

خلافةُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ[1]

بويع له بعهدٍ مِن أخيه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، أن يكونَ وليَّ العهدِ مِن بعدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فلمّا توفِّى عمرُ فى رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ إحدى ومائةٍ - بايعَه الناسُ البيعةَ العامَّةَ ، وعمرُه إذ ذاك تسعٌ وعشرون سنةً ، فعزَل فى رمضانَ منها عن إمرةِ المدينةِ أبا بكرِ بنَ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ ، وولَّى عليها عبدَ الرحمنِ بنَ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ ، فجَرت بينَه وبينَ أبى بكرِ بنِ حزمٍ ، منافساتٌ وضغائنُ ، حتى آلَ الأمرُ إلى أنِ استدرَك عليه حكومةً فحدَّه حدَّين فيها .

وفيها كانت وقعةٌ بينَ الخوارجِ ، وهم أصحابُ بِسطامَ الخارجىِّ ، وبينَ جندِ الكوفةِ ، وكانتِ الخوارجُ جماعةً قليلةً ، وكان جيشُ الكوفةِ نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ فارسٍ ، فكادتِ الخوارجُ أن تكسِرَهم ، فتذامَروا فيما بينَهم ، فطحَنوا الخوارجَ طحنًا عظيمًا ، وقتَلوهم عن آخرِهم ، فلم يُبْقُوا منهم ثائرًا[2] .

وفيها خرَج يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، فخلَع يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ، واستحوَذ على البصرةِ ، وذلك بعدَ محاصرةٍ طويلةٍ وقتالٍ طويلٍ ، فلمَّا ظهَر عليها بسَط [١٨١/٧و] العدلَ [3]فى أهلِها[3] ، وبذَل الأموالَ ، وحبَس عامِلَها عدىَّ بنَ أرطاةَ ؛ لأنه كان قد حبَس آلَ المهلَّبِ الذين كانوا بالبصرةِ ، حينَ هرَب يزيدُ بنُ المهلبِ مِن

---

(١) انظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٣٣٧/١٨ (مخطوط) ، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ٥١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٧٩، وفوات الوفيات ٣٢٢/٤، وتاريخ الخلفاء ٢٤٦.

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ثائرة » .

(٣ - ٣) زيادة من : ا ٢، ب ، م ، ص .

محبسِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، كما ذكَرنا، وكان لمَّا ظهَر على قصرِ الإمارةِ[1] أتَى بعديٌّ بنِ أرطاةَ، فدخَل عليه وهو يضحَكُ، فقال له يزيدُ بنُ المهلَّب: إنِّى لأتعجَّبُ مِن ضحِكِك؛ لأنَّك هرَبتَ مِن القتالِ كما تهرُبُ النساءُ، وإنَّك جئتَنى وأنت تُتَلُّ[2] كما يُتَلُّ العبدُ. فقال عديٌّ: إنِّى لأضحَكُ؛ لأن بقائى بقاءٌ لك، وإنَّ مِن ورائى طالبًا لا يترُكُنى. قال: ومَن هو؟ قال: جنودُ بنى أميةَ بالشامِ لا يترُكُونك، فتدارَكْ نفسَك قبلَ أن يرمِىَ إليك البحرُ بأمواجِه فتطلُبَ الإقالةَ فلا تقالُ. فردَّ عليه يزيدُ جوابَ ما قال، ثم سجَنه كما سجَن أهلَه.

واستقرَّ أمرُ يزيدَ بنِ المهلَّبِ بالبصرةِ، وبعَث نوّابَه فى النواحى والجهاتِ، واستناب فى الأهوازِ، وأرسَل أخاه مدركَ بنَ المهلَّبِ على نيابةِ خراسانَ، ومعه جماعةٌ مِن المقاتِلةِ، فلمَّا بلَغ خبرُه الخليفةَ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ جهَّز ابنَ أخيه العباسَ بنَ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى أربعةِ آلافٍ، مقدَّمةً بينَ يدَىْ عمِّه مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ، وهو فى جنودِ الشامِ، قاصدين البصرةَ لقتالِه، ولمَّا بلَغ يزيدَ بنَ المهلَّبِ مخرَجُ الجيوشِ قاصِدَةً إليه، خرَج مِن البصرةِ، واستَناب عليها أخاه مروانَ بنَ المهلَّبِ، وجاء حتى نزَل واسطًا، واستَشار مَن معه مِن الأمراءِ فى ماذا يعتمدُه؟ فاختَلفوا عليه فى الرأيِ، فأشار عليه بعضُهم بأن يسيرَ إلى الأهوازِ ليتحصَّنَ فى رءوسِ الجبالِ، فقال: إنما تريدون أن تجعَلونى طائرًا فى رأسِ جبلٍ؟ وأشار عليه رجالُ أهلِ العراقِ أن يسيرَ إلى الجزيرةِ فينزِلَها، [3]ويتحصَّنَ بأجودِ[3]

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٨٢.

(٢) تَلَّه يتُلُّه: إذا قاده.

(٣ - ٣) فى ا ٢، ب، م، ص: «بأحصن».

حصنٍ فيها ، [1]ويبعِّضَ عليه رجالَ أهلِ العراقِ[1] ، ويجتمعُ عليه أهلُ الجزيرةِ ، فيقاتِلَ بهم أهلَ الشامِ[2] .

وانسلَختْ هذه السنةُ وهو نازلٌ بواسطٍ ، وجيشُ الشامِ قاصدُه .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الرحمنِ بنُ الضحاكِ بنِ قيسٍ أميرُ المدينةِ . وعلى مكةَ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ أَسيدٍ ، وعلى الكوفةِ عبدُ الحميدِ ابنُ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ ، وعلى قضائِها عامرٌ الشعبىُّ ، وعلى البصرةِ يزيدُ بنُ المهلَّبِ ، قد استَحوذ عليها وخلَع أميرَ المؤمنين يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ .

وفيها توفِّى مع[3] عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، **رِبعىُّ بنُ حِراشٍ**[4] ، [5]**ومسلمُ بنُ يسارٍ**[6][5] .

وأبو صالحٍ السَّمَّانُ[7] ، [8]وكان عابدًا صادقًا ثَبتًا[8] ، وقد ترجَمناه [٧/١٨١ظ] فى كتابِنا « التكميلِ » . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٢) بعده فى الأصل : « فى شعر دقيق رخيص » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص ، أسد الغابة ، وحلية الأولياء « خراش » .

وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٧، وحلية الأولياء ٤/ ٣٦٧، وأسد الغابة ٢/ ٢٠٤، وتهذيب الكمال ٩/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٧٩.

(٥ - ٥) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص . وقد تبع ابن كثير شيخه الذهبى ، حيث أورده الذهبى ضمن وفيات الطبقة العاشرة ، فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠هـ) ص ٤٧٥، ثم عاد فأورده فى وفيات الطبقة الحادية عشرة ، فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٥٨. وقد تقدمت ترجمته فى ٩/ ١٨٦.

(٦) بعده فى ص زيادة وهى من زيادات الناسخ .

(٧) انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠١، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٦٠، وتهذيب الكمال ٨/ ٥١٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦، والعبر ١/ ١٢١.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

ثم دخلت سنةُ ثنتين ومائةٍ

ففيها كان اجتماعُ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ مع يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، وذلك أن يزيدَ ابنَ المهلَّبِ ركِب مِن واسطٍ ، واستخلَف عليها ابنَه معاويةَ ، وسار هو فى جيشٍ ، وبين يدَيهِ أخوه عبدُ الملكِ بنُ المهلَّبِ ، حتى بلَغ مكانًا يقالُ له : العَقْرُ[1] . وانتهى إليه مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ فى جنودٍ لا قِبلَ ليزيدَ بها ، وقد التقتِ المقدَّمتان أولًا ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فهزَم أهلُ البصرةِ أهلَ الشامِ ، ثم تذامَر أهلُ الشامِ ، فحمَلوا على أهلِ البصرةِ فكشَفوهم[2] ، فهزموهم ، وقَتَلوا منهم جماعةً مِن الشجعانِ ، منهم المنتوفُ ، وكان شجاعًا مشهورًا ، وكان مِن موالى بكرِ بنِ وائلٍ : فقال فى ذلك الفرزدقُ[3] :

تُبَكِّى على المنْتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ ... وتنهَى عن ابنَىْ مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهما

فأجابه الجَعْدُ بنُ درهمٍ مولى الثوريِّين مِن هَمْدانَ ، وهذا الرجلُ هو أوّلُ الجهميةِ ، وهو الذى ذبَحه خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القسرىُّ يومَ عيدِ الأضحى ، فقال الجعدُ[4] :

نُبكِّى على المَنْتوفِ فى نصرِ قومِه ... ولَسنا[5] نُبكِّى الشائدَين[6] أباهما

---

(١) وهو عقر بابل قرب كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة معجم البلدان ٣/ ٤٩٥.

(٢) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٣) البيت فى شرح ديوان الفرزدق : ٧٦٢، الكامل للمبرد ١/ ٢١٩، وتاريخ الطبرى ٦/ ٥٩١.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/ ٥٩١.

(٥) فى م : « ليتنا » .

(٦) فى الأصل ، ا ٢، ص : « السايين » ، وفى ب : « الشامتين » .

أراد فِناءَ الحيِّ بكرِ بنِ وائلٍ فعِزٌّ[1] تميمٍ لو أُصِيب[2] فِناهُما[3]
فلا لقِيَا رَوحًا مِن اللَّهِ ساعةً ولا رَقَأَتْ عينا شَجِيٍّ[4] بَكَاهما
[5]أفي الغِشِّ[5] نبكي إنْ بكَينا عليهما[6] وقد لقِيا بالغِشِّ[7] فينا رَدَاهما

ولمّا اقترب مسلمةُ، وابنُ أخيه العباسُ بنُ الوليدِ من جيشِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ، خطَب يزيدُ بنُ المهلَّبِ الناسَ، وحرَّضهم على القتالِ - يعنى على قتالِ أهلِ الشامِ - وكان مع يزيدَ نحوٌ من مائةِ ألفٍ وعشرين ألفًا قد بايَعوه على السمعِ والطاعةِ، وعلى كتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رسولِه ﷺ، وعلى أن لا تطأَ الجنودُ بلادَهم، وعلى أن لا تعادَ عليهم سيرةُ الفاسقِ الحجاجِ، ومَن بايَعنا على ذلك قبِلنا منه، ومَن خالَفنا قاتَلْناه.

وكان الحسنُ البصريُّ فى هذه الأيامِ يحرِّضُ الناسَ على الكفِّ، وتركِ الدخولِ فى الفتنةِ، وينهاهم أشدَّ النهيِ، وذلك لِما وقَع مِن الشرِّ[8] الطويلِ العريضِ فى أيامِ ابنِ الأشعثِ، وما قتِل بسببِ ذلكَ مِن النفوسِ العديدةِ، وجعَل الحسنُ يخطُبُ الناسَ، ويعِظُهم فى ذلك، [9]ويحرِّضُهم على الكفِّ[9]، فبلَغ

---

(١) فى ا ٢، ب، ص: «لعز».
(٢) فى الأصل: «قد أصبت»، وفى ا ٢، ب، ص: «أصبت».
(٣) فى الأصل ا ٢، ب، ص: «مناهما».
(٤) بعده فى الأصل، ا ٢، ب، ص: «من».
(٥ - ٥) فى الأصل: «إن العين». وفى ا ٢، ص: «إلى العين». وفى ب «أفى العين».
(٦) فى الأصل، ا ٢، ب، ص: «عليهم».
(٧) فى الأصل، ب، ص: «بالعيش». وفى ا ٢: «بالعين».
(٨) فى م: «القتال».
(٩ - ٩) فى م: «ويأمرهم».

ذلك نائبَ البصرةِ مروانَ[1] بنَ المهلَّبِ ، فقام فى الناسِ خطيبًا فأمَرهم بالجِدِّ والجهادِ والنفيرِ[2] إلى القتالِ ، ثم قال : ولقد بلَغنى أن هذا الشيخَ الضالَّ المُرائىَ - ولم يسمِّه - يثبِّطُ الناسَ عنّا[3] ، أمَا واللَّهِ ليكُفَّنَّ عن ذلك ، أو لأفعَلنَّ ولأفعَلنَّ ، وتوعَّد [٧/١٨٢و] الحسنَ ، فلما بلَغ الحسنَ قولُه ، قال : أمَا واللَّهِ ما أكرَهُ أن يُكرِمَنى اللَّهُ بهوانِه . فسلَّمه اللَّهُ منه حتى زالت دولتُهم ، وذلك أنَّ الجيوشَ لمّا تواجَهتْ تبارَز الناسُ قليلًا ، ولم تنشَبِ الحربُ شديدًا ، [4]فلم يثبُتْ أهلُ العراقِ حتى فرّوا[4] سريعًا ، وبلَغهم أنَّ الجسرَ الذى جاءوا عليه قد حرِق فانهزموا ، فقال يزيدُ بنُ المهلَّبِ : ما بالُ الناسِ ؟ ولم يكنْ مِن الأمرِ ما يُفَرُّ مِن مثلِه ، فقيل له : إنه بلَغهم أن الجسرَ[5] قد حرِق . فقال : قبَّحهم اللَّهُ .

ثم رام أنْ يرُدَّ المنهزِمين فلم يُمكِنْه ذلك ، فثبَت فى عصابةٍ مِن أصحابِه ، وجعَل بعضُهم يتسلَّلون منه حتى بقِى فى شِرذمةٍ منهم قليلةٍ ، وهو مع ذلك يسيرُ قُدُمًا لا يمُرُّ بخيلٍ إلّا هزَمهم ، وأهلُ الشامِ ينحازون[6] عنه يَمينًا وشِمالًا ، وقد قُتل قبلَه أخوه حبيبُ بنُ المهلَّبِ ، فازداد حَنَقًا وغضَبًا[7] ، وهو على فرسٍ له أشهَبَ ، ثم قصَد نحوَ مسلَمةَ بنِ عبدِ الملكِ لا يريدُ غيرَه ، فلمَّا واجَهه حمَلتْ عليه خيولُ الشامِ فقتَلوه ، وقَتلوا معه أخاه محمدَ بنَ المهلَّبِ ، وقتَلوا

---

(١) فى النسخ : « عبد الملك » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٥٩٤، وانظر الكامل ٥/ ٨٠.

(٢) فى م : « النفر » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « حتى فر أهل العراق » .

(٥) بعده فى م : « الذى جاءوا عليه » .

(٦) فى م : « يتجاورون » .

(٧) فى م : « غيظا » .

السَّمَيْدَعَ ، وكان مِن الشُّجعانِ ، وكان الذى قتَل يزيدَ بنَ المهلَّبِ رجلٌ يقالُ له : القَحْلُ[1] بنُ عيّاشٍ . فقتِل إلى جانبِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، وجاءوا برأسِ يزيدَ ابنِ المهلبِ إلى مسلَمةَ بنِ عبدِ الملكِ ، فأرسَله مع خالدِ بنِ الوليدِ بنِ عقبةَ بنِ أبى مُعَيطٍ إلى أخيه أميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، واستحْوَذ مسلَمةُ على ما فى معسكرِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ ، وأسَر منهم نحوًا من ثلاثِمائةٍ ، فبعَث بهم إلى الكوفةِ ، وبعَث إلى أخيه فيهم ، فجاء [2]كتابُ يزيدَ أميرِ المؤمنين[2] بقتلِهم ، وسار مسلمةُ فنزَل الحيرةَ .

ولمّا انتهَت هزيمةُ يزيدَ بنِ المهلَّبِ إلى ابنِه معاويةَ ، وهو بواسطٍ ، عمَد إلى نحوٍ مِن ثلاثين أسيرًا فى يدِه فقتَلهم ؛ مِنهم[3] عدىُّ بنُ أرطاةَ ، رحمِه اللَّهُ ، وابنُه[4] ، ومالكٌ ، وعبدُ الملكِ ابنا مِسْمَعٍ ، [5]وجماعةٌ مِن الأشرافِ ، ثم أقبَل حتى أتَى البصرةَ ، ومعه الخزائنُ من الأموالِ ، وجاء[6] عمُّه[5] المفضَّلُ بنُ المهلَّبِ[7] ، فاجتمَع آلُ المهلّبِ بالبصرةِ ، فأعدّوا السفنَ ، وتجهَّزوا أتمَّ الجهازِ ، واستعدوا للهرَبِ ، فساروا بعيالِهم وأثقالِهم ، [8]فلم يزالوا سائرِين[8] ، حتى أتَوْا جبالَ كَرْمان فنزَلوها ، واجتمَع عليهم جماعةٌ ممَّنِ فلَّ ممَّن[9] كان مع يزيدَ بنِ

---

(١) فى ا ٢، ب ، ص : « النجل » . وانظر الطبرى ٦/٥٩٧ والإكمال ٧/ ٥٤، والكامل ٥/ ٨٣.

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « كتابه » .

(٣) بعده فى ا ٢، م ، ص : « نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز » .

(٤) سقط من : الأصل ، ا ٢، ب ، ص وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٠.

(٥ - ٥) فى ا ٢: « جماعه » .

(٦) بعده فى م : « معه » .

(٧) بعده فى الأصل ، ا ٢، ب ، م : « إليه » .

(٨ - ٨) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٩) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « من الجيش الذى » .

المهلَّبِ ، وقد أمَّروا عليهم [1]المفضَّلَ بنَ المهلَّبِ ، فأرسَل مسلمةُ بنُ عبدِ الملكِ جيشًا عليهم هلالُ بنُ أَحوزَ[2] المازنيُّ[3] فى طلبِ آلِ المهلَّبِ ، ويقالُ : إنَّهم أمّروا[4] عليهم رجلًا يقال له : مدركُ بنُ ضَبٍّ الكلبيُّ[1] . فلحِقهم بجبالِ كَرْمانَ فاقتتَلوا هنالك قتالًا شديدًا ، فقتِل جماعةٌ من أصحابِ المفضَّلِ ، وأسِر [١٨٢/٧ظ] جماعةٌ مِن أشرافِهم ، وانهزَم بقيتُهم ، ثم لحِقوا المفضَّلَ فقتَلوه ، وحمِل رأسُه إلى مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ ، وأقبَل جماعةٌ مِن أصحابِ يزيدَ بنِ المهلّبِ ، فأخَذوا لهم أمانًا من أميرِ الشامِ ؛ منهم مالكُ بنُ إبراهيمَ بنِ الأشترِ النَّخَعيِّ ، ثم أرسَلوا بالأثقالِ والأموالِ والنساءِ والذُّريَّةِ فورَدت على مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ ، ومعهم رأسُ المفضّلِ ، ورأسُ عبدِ الملكِ ابنَي المهلَّبِ ، فبعَث مسلمةُ بالرُّءوسِ ، وتسعةٍ مِن [5]الصبيانِ الأحداثِ الحسانِ[5] إلى أخيه يزيدَ ، فأمَر بضربِ أعناقِ أولئك ، ونصِبت رءوسُهم بدمشقَ ثم أرسَلها إلى حلبَ فنصِبت بها ، وحلَف مسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ ليبيعنَّ ذرارِيَّ آلِ المهلَّبِ ، فاشتراهم بعضُ الأمراءِ إبرارًا لقَسَمِه بمائةِ ألفٍ ، فأعتقهم وخلَّى سبيلَهم ، ولم يأخُذْ مسلَمةُ مِن ذلك الأميرِ شيئًا .

وقد رثا الشعراءُ يزيدَ بنَ المهلَّبِ بقصائدَ ذكَرها ابنُ جريرٍ[6] .

(١ - ١) فى الأصل : « رجلا يقال له : مدرك بن ضب الكلبى ، فأرسل مسلمه جيشا عليهم هلال بن الماخور المازنى فى طلب آل المهلب » .

(٢) فى ا ٢: « الماجور » . وفى ب ، ص : « الماجور » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٢. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢١١، والإكمال ١/ ٣٢، وتبصير المنتبه ١/ ٩.

(٣) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « المحاربى » . وانظر جمهرة أنساب العرب الموضع السابق .

(٤) يعنى جيش مسلمة .

(٥ - ٥) فى الأصل : « الأحداث » .

(٦) تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٣، ٦٠٤.

ولايةُ مسلمةَ على بلادِ العراقِ وخراسانَ

وذلك أنَّه لمّا فرَغ مِن حربِ آلِ المهلَبِ كتَب إليه أخوه يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ بولايةِ الكوفةِ والبصرةِ وخراسانَ فى هذه السنةِ ، فاستناب على الكوفةِ وعلى البصرةِ ، وبعَث على خراسانَ ختَنَه - زوجَ ابنتِه - سعيدَ بنَ عبدِ العزيزِ بنِ الحارثِ ابنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ ، الملقَّبِ بخُذَينةَ ، فسار إليها فحرَّض أهلَها على الصبرِ والشجاعةِ ، وعاقَب عمالًا ممَّن كان ينوبُ (١ليزيدَ بنِ١) المهلَّبِ ، وأخَذ منهم أموالًا جزيلةً ، ومات بعضهم تحتَ العقوبةِ .

ذكرُ وقعةٍ جرَت بين التُّركِ والمسلمين

وذلك أنَّ خاقانَ الملكَ الأعظمَ ملكَ التركِ ، بعَث جيشًا إلى الصُّغدِ لقتالِ المسلمين ، عليهم رجلٌ منهم يقالُ له : كُورصُولُ(٢) . فأقبَل حتى نزَل على قصرِ الباهليِّ فحصَره وفيه خلقٌ مِن المسلمين ، فصالَحهم نائبُ سمرقندَ - وهو عثمانُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مطرِّفٍ - على أربعين ألفًا ، ودفَع إليهم سبعةَ عشَرَ دِهقانًا رهائنَ عندَهم ، ثم ندَب عثمانُ الناسَ فانتدَب رجلٌ يقال له : المسيَّبُ بنُ بشرٍ الرياحيُّ فى أربعةِ آلافٍ . فساروا نحوَ التركِ ، فلمّا كان ببعضِ الطريقِ خطَب الناسَ ، فحثَّهم على القتالِ ، وأخبَرهم أنَّه ذاهبٌ إلى الأعداءِ لطلبِ الشهادةِ ، فرجَع عنه أكثرُ مِن ألفٍ ، ثم لم يزَلْ فى كلِّ منزلٍ يخطُبُهم ، ويرجِعُ عنه بعضُهم ، حتى

(١ - ١) فى م : « لآل » .

(٢) فى ا ٢، ص : « كوصول » . وانظر تاريخ الطبرى ٦/ ٦٠٨.

بقِى فى سبعِمائةِ مقاتلٍ ، فسار بهم حتى غالَق جيشَ الأتراكِ ، وهم محاصِرو ذلك القصرِ ، وقد عزَم المسلمون الذين هم فيه على قتلِ [١٨٣/٧و] نسائِهم وذبحِ أولادِهم أمامَهم ، ثم ينزِلون فيقاتلون حتى يُقْتَلوا عن آخرِهم ، فبعَث إليهم المسيَّبُ يثبِّتُهم يومَهم ذلك ، فثبتوا ومكَث[١] المسيَّبُ حتى إذا كان وقتُ السحَرِ كبَّر ، وكبَّر أصحابُه ، وقد جعَلوا شعارَهم يا محمدُ ، ثم حمَلوا على التركِ حملةً صادقةً ، فقتَلوا منهم[٢] خلقًا كثيرًا ، وعقَروا دوابَّ كثيرةً ، ونهَض إليهم التركُ ، فقاتَلوهم قتالًا شديدًا ، حتى فرَّ أكثرُ المسلمين ، وضرِبتْ دابَّةُ المسيَّبِ فى عَجُزِها فترجَّل عنها[٣] ، وترجَّل معه الشجعانُ ، فقاتَلوا ، وهم كذلك قتالًا عظيمًا ، والتفَّتِ[٤] الجماعةُ بالمسيَّبِ ، وصبَروا حتى فتَح اللَّهُ عليهم ، وفرَّ المشركون بين أيديهم هاربين لا يلْوُون على شىءٍ ، وقد كان الأتراكُ فى غايةِ الكثرةِ ، فنادَى منادِى المسيَّبِ : أن لا تتبَعوا أحدًا مِنهم[٣] ، وعليكم بالقصرِ وأهلِه . فاحتمَلوهم وحازوا ما فى معسكرِ أولئك الأتراكِ مِن الأموالِ والأشياءِ النفيسةِ ، وانصرَفوا راجعين سالمين بمَن معهم مِن المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءتِ التركُ مِن الغدِ [٥]إلى القصرِ[٥] فلم يجِدوا به داعيًا ولا مجيبًا ، فقالوا [٦]فيما بينَهم[٦] : هؤلاءِ الذين لقُونا بالأمسِ لم يكونوا إنسًا ، إنَّما كانوا جنًّا . [٥]ثم غزا سعيدٌ الملقَّبُ خُذينةُ أميرُ خراسانَ بلادَ الصُّغْدِ ، وذلك لأنَّهم أعانوا الكفارَ على المسلمين فى هذه[٥]

---

(١) فى الأصل : « تلبث » .

(٢) فى ا ٢ : « منها » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ا ٢ : « التقوا » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « فى أنفسهم » .

[1] الغزوةِ التى ذكرناها ، فسار إليهم فقاتَلهم قتالًا شديدًا حتى نصَره اللَّهُ عليهم ، وولَّوا مدبرين ، وأخَذ منهم أموالًا جزيلةً ، وقبَض ما وجَد لهم مِن الأموالِ والحواصلِ .

وفيها عزَل أميرُ المؤمنين يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ أخاه مسلمةَ عن إمرةِ العراقِ وخراسانَ ، وذلك لأنَّه كان يصرِفُ أموالَ الغنيمةِ فيما يريدُ ولم يصرفْ إلى أخيه يزيدَ شيئًا فى هذه المدَّةِ ، وطمِع فى أخيه فعزَله عنها ، وولّى عليها بدلَه عمرَ بنَ هُبيرةَ على العراقِ وخراسانَ .

وحجَّ بالناسِ فيها أميرُ المدينةِ عبدُ الرحمنِ بنُ الضحاكِ بنُ قيسٍ [1] .

[2] **وفيها توفِّى عدىُّ بنُ أرطاةَ الفَزارىُّ** [3] ، نائبُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ على البصرةِ ، وهو الذى قبَض على يزيدَ بنِ المهلبِ ، وبعَث به مقيَّدًا إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فلمَّا قدِم عليه أمَر بسَجنِه ، فلمّا مرِض عمرُ هرَب مِن السجنِ ، فلما توفِّى عمرُ ظهَر يزيدُ بنُ المهلبِ ، ونصَب راياتٍ سودًا ، وطلَب البصرةَ وملكَها ، وجرَت له فصولٌ قد ذكَرها ابنُ جريرٍ [4] ، ثم إنَّ معاويةَ بنَ يزيدَ بنِ المهلبِ لمَّا بلَغه قتلُ أبيه أخرَج عدىَّ بنَ أرطاةَ هذا مِن الحبسِ وقتَله ، وقتَل معه جماعةً نحوَ ثلاثين إنسانًا .

يزيدُ بنُ المهلَّبِ [5] ، كان مِن الشجعانِ المشهورين ، وله فتوحاتٌ كثيرةٌ ، [2]

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : ب ، ص .

(٣) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ٢/ ٧٩٨، وتاريخ دمشق ١١/٤٦٢ (مخطوط) ؛ وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٢٠، وسير أعلام النبلاء / ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ١٦٢.

(٤) تاريخ الطبرى ٦/٥٧٨ - ٦٠٤.

(٥) انظر ترجمته فى : المعارف ٤٠٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٨٢، وشذرات الذهب ١/ ١٢٤.

[1] وكان جوَادًا مُمَدّحًا ، له أخبارٌ فى الكرمِ والشجاعةِ ، وآخرُ أمرِه أنَّه قتِل ، وقتِل مِن إخوتِه وأولادِه جماعةٌ ، وأخِذت أموالُه ونساؤه وأولادُه ، وزال ما كان فيه ، وقد كانوا نحوَ ثمانين نفسًا آلَ المهلَّبِ بنِ أبى صفرةَ ، وقد جمَعوا شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ والجواهرِ ، فما أفادَهم ذلك شيئًا بل سلِبوا ذلك جميعَه .

قال[1][2] : **وممّن توفِّى فيها من الأعيانِ والسادةِ :**

الضَّحّاكُ بنُ مُزاحمٍ الهلالىُّ[3] أبو القاسمِ - ويقالُ : أبو محمدٍ - الخراسانىُّ ، كان يكون ببَلْخَ وسمرقندَ ونَيْسابورَ ، وهو تابعىٌّ جليلٌ ، روَى عن أنسٍ ، [4]وابنِ عباسٍ[4] وابنِ عمرَ ، وأبى هريرةَ ، وجماعةٍ مِن التابعين ، وقيل : إنَّه لم يصحَّ له سماعٌ مِن الصحابةِ حتى ولا مِن ابنِ عباسٍ[5] ، وإن كان قد روِى عنه أنَّه جاوَره سبعَ سنين .

وكان الضحاك إمامًا فى التفسيرِ ، قال الثورىُّ[6] : خُذوا التفسيرَ عن أربعةٍ ؛ مجاهدٍ ، وعكرمةَ ، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ ، والضحاكِ . وقال الإمامُ أحمدُ[7] : هو ثقةٌ [٧/١٨٣ظ] [8]مأمونٌ . وقال ابنُ معينٍ ، وأبو زُرعةَ[9] : وهو ثقةٌ[8] . وأنكَر شعبةُ

(١ - ١) زيادة من : ب ، ص .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٨.

(٣) ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٠٠، وطبقات خليفة ١٢/ ٧٩٧، ٨٣٢، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢١هـ) ص ١١٢، وطبقات المفسرين ١/ ٢١٦.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى ا ٢، ب ، ص : «رواية» وبعده فى م «سماع» .

(٦) الكامل فى الضعفاء ٤/ ١٤١٥.

(٧) العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ١/ ٣٦٢.

(٨ - ٨) سقط من : ا٢ ، ب ، م ، ص .

(٩) الجرح والتعديل ٤/ ٤٥٨، ٤٥٩.

سماعَه مِن ابنِ عباسٍ، وقال[1]: إنَّما أخَذ عن سعيدٍ عنه. وقال ابنُ سعيدٍ القطّانُ[2]: كان ضعيفًا.

وذكَره ابنُ حبانَ فى «الثقاتِ»[3]، وقال: لم يشافِهْ أحدًا مِن الصحابةِ، ومَن قال: إنَّه لقِى ابنَ عباسٍ فقد وهِم.

وحمَلت به أمُّه سنتين، ووضعتْه وله أسنانٌ، وكان يعلِّمُ الصبيانَ حِسبَةً، [4]وقيل[5]: إنَّه كان فى مكتبِه ثلاثةُ آلافِ صبىٍّ، وكان يركَبُ حمارًا، ويدورُ مِن العَلياءِ عليهم[4]. وقيل: إنَّه مات سنةَ خمسٍ. وقيل: سنةَ ستٍّ ومائةٍ[6]. [7]وقد بلَغ الثمانين[7]. واللَّهُ أعلمُ.

أبو المتوكلِ [8]علىُّ بنُ داودَ النّاجىُّ[8]، تابعىٌّ جليلٌ، ثقةٌ، رفيعُ القدرِ[9].

---

(١) الكامل فى الضعفاء ٤/ ١٤١٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٤١٥.

(٣) الثقات ٦/ ٤٨٠.

(٤ - ٤) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

(٥) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٩٥.

(٦) بعده فى ب، ص: «كان الضحاك إذا أمسى بكى، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: لا أدرى ما صعد إلى اللَّه اليوم من عملى».

(٧ - ٧) سقط من: ا ٢، ب، م، ص. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٠.

(٨ - ٨) فى ا ٢، ب، م، ص: «الناجر اسمه على بن البصرى».

وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٥، وطبقات خليفة ١/ ٤٩١، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٢٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ) ص ٢٩٨. وفيه «التاجى».

(٩) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «مات وقد بلغ الثمانين رحمه اللَّه تعالى».

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دَخلَت سنةُ ثلاثٍ ومائةٍ

فيها[1] عَزَل أميرُ العراقِ - وهو عمرُ بنُ هُبَيْرةَ - سعيدًا المُلَقَّبَ خُذَيْنةَ[2]، عن نِيابةِ خُراسانَ، ووَلَّى عليها سعيدَ بنَ عمرٍو الحَرَشيَّ، بإذنِ أميرِ المؤمنين، وكان سعيدٌ هذا مِن الأبطالِ المَشْهورِين، انْزَعَج له التُّرْكُ، وخافوه خَوْفًا شديدًا، وتَقَهْقَروا مِن بلادِ الصُّغْدِ إلى ما وراءَ ذلك مِن بلادِ الصِّينِ وغيرِها.

وفيها جَمَع يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ لعبدِ الرحمنِ بنِ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ بينَ إمْرَةِ المَدينةِ وإمْرةِ مكةَ، ووَلَّى عبدَ الواحدِ بنَ عبدِ اللَّهِ النَّضْرِيَّ نِيابةَ الطائفِ. وحَجَّ بالناسِ فيها أميرُ الحرمَيْن عبدُ الرحمنِ بنُ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

ومِمَّن تُوُفِّي فيها مِن الأعْيانِ:

[3]يزيدُ بنُ أبي مسلمٍ أبو العَلاءِ المَدَنيُّ[3].

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٦١٩، ٦٢٠، والمنتظم ٧/ ٨٣، والكامل ٥/ ١٠٣- ١٠٥.

(٢) فى ا ٢، ب، ص: «خدينة». وانظر نزهة الألباب ١/ ٢٣٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى الطبقات الكبرى ٧/ ١٥٥، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٨٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٣.

عَطاءُ بنُ يَسارٍ الهِلالىُّ [٧/ ١٨٤و] **أبو محمدٍ القاصُّ المَدَنىُّ**[١] ، مولى مَيْمونةَ ، وهو أخو سُليمانَ وعبدِ اللَّهِ وعبدِ الملكِ ، وكلٌّ منهم تابعىٌّ . ورَوَى هذا عن جَماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، ووَثَّقه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، وقيل : إنه تُوُفِّى سنةَ ثلاثٍ أو أربعٍ ومائةٍ . وقيل : تُوُفِّىَ قبلَ المائةِ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ وقد جاوَز الثمانينَ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

مجاهدُ بنُ جَبْرٍ[٢] **المكىُّ أبو الحَجَّاجِ القُرَشىُّ المَخْزومىُّ** ، مَوْلى السائبِ بنِ أبى السائبِ المَخْزومىِّ ، أحدُ أئمةِ التابعِين والـمُفَسِّرين ، كان مِن أَخِصَّاءِ أصحابِ ابنِ عباسٍ ، وكان أعْلَمَ أهلِ زَمانِه بالتَّفْسيرِ ، حتى قيل : إنه لم يَكُنْ أحدٌ يُرِيدُ بالعلمِ وَجْهَ اللَّهِ إلا مجاهدٌ [٣]وعطاءٌ[٣] وطاوسٌ .

وقال مجاهدٌ[٤] : أخَذ ابنُ عمرَ برِكابى وقال : وَدِدْتُ أن ابنى سالمًا وغلامى نافعًا يَحْفَظان حِفْظَك .

وقيل[٥] : إنه عَرَض القرآنَ على ابنِ عباسٍ ثلاثين مرةً .

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/ ١٧٣، وتاريخ دمشق ٦٦٨/١١ مخطوط ، والمنتظم ٧/ ٨٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ١٧١ .

(٢) فى الأصل ، م : « جبير » . قال الحافظ المزى : مجاهد بن جبر ، ويقال : ابن جبير . والأول أصح . تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨. وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦، وطبقات الفقهاء ص ٦٩، وتاريخ دمشق ٢٤٩/١٦ مخطوط ، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٢/ ٤١، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٣٥ .

(٣ - ٣) سقط من : ٢١، ب ، م ، ص . وانظر الثقات للعجلى ص ٤٢٠، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢.

(٤) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٢٨٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٥٦/١٦، ٢٥٧ مخطوط .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦.

(١) وقال مجاهدٌ : عَرضْتُ القرآنَ على ابنِ عباسٍ (١) مرتين (٢) ، أَقِفُه عندَ كلِّ آيةٍ ، وأَسْأَلُه عنها .

مات مُجاهِدٌ وهو ساجدٌ ، سنةَ مائةٍ . وقيل : إحدى - وقيل : ثنتَيْن . وقيل : ثلاثٍ - ومائةٍ . وقيل : أربعٍ ومائةٍ . وقد جاوَز الثمانين . واللَّهُ أعلمُ (٣) .

مُصْعَبُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ (٤) ، تابعىٌّ ثِقَةٌ جَليلُ القَدْرِ .

موسى بنُ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِىُّ (٥) ، كان يُلَقَّبُ بالمَهْدىِّ ؛ لصَلاحِه ، كان تابعيًّا جَليلَ القَدْرِ ، مِن ساداتِ المسلمين ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقيل » . والأثر فى حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩، ٢٨٠، وتاريخ دمشق ٢٥٢/١٦ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٠.

(٢) فى مصادر التخريج : « ثلاث عرضات » . وانظر غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٤١.

(٣) بعده فى م ، ص زيادة صرح بها الناسخ فى «ص» ؛ وهى عبارة عن فصل تبدأ بقوله : « فصل ، أسند مجاهد عن أعلام الصحابة ...» إلى قوله : « وقد كذبه أحمد بن حنبل » . وكتب فى آخره فى نسخة ص : « آخر الزيادة » .

(٤) الطبقات الكبرى ٥/ ١٦٩، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٥٩ .

(٥) فى م : « التميمى » . وانظر ترجمته فى الطبقات الكبرى ٥/ ١٦١، ٦/ ٢١١، وتاريخ دمشق ٢٧٢/١٧ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٨٢/٢٩ - ٨٧، وسير أعلام النبلاء ٣٦٤/٤ - ٣٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٦٥ .

ثم دَخَلَت سنةُ أربعٍ ومائةٍ

فيها[1] قاتَل سعيدُ بنُ عمرٍو الحَرَشِيُّ نائبُ خُراسانَ أهلَ الصُّغْدِ، وحاصَر أهلَ خُجَنْدةَ، وقَتَل خَلْقًا كثيرًا، وأخَذ أمْوالًا جَزيلةً، وأَسَر رَقيقًا كثيرًا جدًّا، وكتَب بذلك إلى يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ [2]أميرِ المؤمنين، فوجَد عليه أميرُ العراقِ عمرُ ابنُ هُبَيْرةَ؛ إذ لم يكتبْ إليه فيكتبَ هو إلى أميرِ المؤمنين[2]؛ لأنه هو الذى وَلَّاه.

وفى ربيعٍ الأولِ منها عَزَل يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ عن إمْرةِ الحرمَيْن عبدَ الرحمنِ بنَ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ، وكان سببَه أنه خَطَب فاطمةَ بنتَ الحسينِ، فامْتَنَعَت مِن قَبولِ ذلك، فألَحَّ عليها وتَوَعَّدَها، فأرْسَلَت إلى يزيدَ تَشْكُوه إليه، فبَعَث إلى عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ اللَّهِ النَّضْرىِّ نائبِ الطائفِ، فوَلَّاه المدينةَ، وأن يَضْرِبَ عبدَ الرحمنِ بنَ الضَّحَّاكِ حتى يَسْمَعَ صوتَه أميرُ المؤمنين وهو مُتَّكِئٌ على فِراشِه بدِمشقَ، وأن يَأْخُذَ منه أرْبعين ألفَ دينارٍ، فلمَّا بَلَغ ذلك عبدَ الرحمنِ رَكِب إلى دِمشقَ، فاسْتَجار بمَسْلَمةَ بنِ عبدِ الملكِ، فدَخَل على أخيه فقال: إن لى إليك حاجةً. فقال: كلُّ حاجةٍ تَقولُها فهى لك إلا أن تَكونَ ابنَ الضَّحَّاكِ. فقال: هو واللَّهِ حاجتى. فقال: واللَّهِ لا أَقْبَلُها ولا أَعْفُو عنه. فرَدَّه إلى المَدينةِ، فتَسَلَّمه عبدُ الواحدِ، فضَرَبه وأخَذ مالَه حتى تَرَكه فى جُبَّةِ صُوفٍ، فسَأَل الناسَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٧ - ٢٠، والمنتظم ٨٧/٧ - ٩٥، والكامل ١٠٧/٥ - ١١٧.

(٢ - ٢) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

بالمدينةِ ، وكان قد باشَر نِيابةَ المدينةِ ثلاثَ سنين وأشْهُرًا ، وكان الزُّهْرِىُّ قد أشار عليه برَأْيٍ سَديدٍ ؛ وهو أن يَسْأَلَ العُلماءَ إذا أَشْكَل عليه أَمْرٌ ، فلم يَقْبَلْ ولم يَفْعَلْ ، فأبْغَضه الناسُ ، وذَمَّه الشُّعراءُ ، ثم كان هذا آخِرَ أمْرِه .

وفيها عَزَل عمرُ بنُ هُبَيْرةَ سعيدَ بنَ عمرٍو الحَرَشِىَّ ، وذلك أنه كان يَسْتَخِفُّ بأمْرِ ابنِ هُبَيْرةَ ، فلما عَزَله أحْضَره بيـنَ يديه ، وعاقَبه وأخَذ منه أمْوالًا كثيرةً ، وأمَر بقتلِه ، ثم عَفا عنه ، ووَلَّى على خُراسانَ مسلمَ بنَ سعيدِ بنِ أسْلَمَ بنِ زُرْعةَ الكِلابِىَّ ، فسار إليها ، فاستَخْلَص أمْوالًا كانتْ مُنْكَسِرةً فى [١٨٤/٧ظ] أيامِ سعيدِ بنِ عمرٍو الحَرَشِىِّ .

وفيها غَزا الجَرَّاحُ[1] بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَمىُّ نائبُ أرْمِينيَةَ وأَذْرَبِيجانَ أرضَ التُّرْكِ ، ففتَح بَلَنْجَرَ وهَزَم الترك ، وغَرَّقهم وذَرارِيَّهم فى الماءِ ، وسَبَى منهم خَلْقًا كثيرًا ، وافْتَتَح عامَّةَ الحُصونِ التى تَلِى بَلَنْجَرَ ، وأجْلَى عامَّةَ أهلِها[2] .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّضْرىُّ أميرُ الحرمَيْن والطائفِ ، وعلى نِيابةِ العِراقِ وخُراسانَ عمرُ بنُ هُبيرةَ ، ونائبُه على خُراسانَ مسلمُ ابنُ سعيدٍ يومَئذٍ .

وفى هذه السنةِ وُلِدَ أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وهو المُلَقَّبُ بالسَّفَّاحِ ، أولُ خُلفاءِ بنى العباسِ[3] ، وقد بايَع أباه فى الباطنِ جَماعةٌ مِن أهلِ العراقِ .

---

(١) فى ص : « الحجاج » . وانظر تاريخ الطبرى ١٤/٧ .

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « والتقى هو والخاقان الملك ، فجرت بينهم وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهزم خاقان وتبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصون » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ١٥/٧ ، والمنتظم ٨٩/٧ ، والكامل ١١٤/٥ .

وفيها تُوُفِّيَ مِن الأعْيانِ :

خالدُ بنُ مَعْدانَ الكَلاعيُّ[1] .

وعامرُ بنُ سعدِ[2] بنِ أبى وَقَّاصٍ ، له رِواياتٌ كثيرةٌ عن أبيه وغيرِه ، وهو تابعيٌّ جَليلٌ ، ثِقةٌ مَشْهورٌ[2] .

وعامر بنُ شَراحِيلَ الشَّعْبيُّ[3] .

---

(١) بعده فى م ، ص : « له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين المعدودين المشهورين ، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلى التراويح فى شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها فى كل ليلة ثلث القرآن . وروى الجوزجانى عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوِم فى مراد الحق قلب اللّه تلك المحامد عليه ذما .

وروى ابن أبى الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين ؛ عينان فى وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد اللّه بالعبد خيرًا فتح عينيه اللتين فى قلبه ، فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد اللّهُ بالعبد خلاف ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظر فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه نفع . وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا . وله فضائل كثيرة ، رحمه اللّه تعالى » . ولعلها من زيادات الناسخ .

وانظر ترجمة الكلاعى فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٥ ، وتاريخ دمشق ١٦/ ١٨٩ ، وتهذيب الكمال ٨/ ١٦٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٧١ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ١٦٧ ، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢١ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ١٢٣ .

(٣) بعده فى م ، ص : « توفى فيها فى قول ، كان الشعبى من شعب همدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماما حافظا ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة ، وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنه أيضا روى جماعة من كبار التابعين . قال أبو مجلز : ما رأيت أفقه من الشعبى . وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية منه . وقال داود الأودى : قال لى الشعبى : قم معى ههنا حتى أفيدك علما ؛ بل هو رأس العلم . قلت : أى شىء تفيدنى ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلمه فقل : اللّه أعلم . فإنه علمٌ حسنٌ . وقال : لو أن رجلًا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ، ما رأيت سفره ضائعًا ، ولو سافر فى طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لرأيت سفره عقوبةً وضياعًا . وقال : العلم أكثر من عدد الشعر ، فخذ من كل شىء أحسنه » . ولعلها أيضا من زيادات الناسخ .

=

وأبو بُرْدَةَ بنُ أبى موسى الأَشْعرىُّ[1] ، [2]تَوَلَّى قَضاءَ الكُوفةِ قبلَ الشَّعْبىِّ ؛ فإن الشَّعْبىَّ تَوَلَّى فى خِلافةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، واسْتَمَرَّ إلى أن مات ، وأمَّا أبو بُرْدَةَ فإنه كان قاضيًا فى زمنِ الحَجَّاجِ ، ثم عَزَله الحَجَّاجُ ووَلَّى أخاه أبا بكرٍ ، وكان أبو بُرْدَةَ فَقِيهًا حافظًا عالمًا ، له رِواياتٌ كثيرةٌ[2] .

أبو قِلابةَ الجَرْمىُّ[3] .

= وانظر ترجمة الشعبى فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٤٦، وطبقات الفقهاء ص ٨١، وتاريخ دمشق ٢٥/ ٣٣٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤.

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٨، ٢٦٩، وتاريخ خليفة ٣٨٩، ٤٧٩، وتاريخ دمشق ٨/٧٨٥ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٤٣ - ٣٤٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) بعده فى م ، ص : «عبد اللَّهِ بن زيد البصرى ، له روايات كثيرة عن جماعة مِن الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطلب للقضاء ، فهرب منه وتغرب . قدم الشام ، فنزل داريا ، وبها مات ، رحمه اللَّهُ تعالى . قال أبو قِلابةَ : إذا أحدث اللَّهُ لك علمًا فأحدث له عبادة ، ولم يكن همك ما تحدث به الناس ، فلعل غيرك ينتفع ويستغنى وأنت فى الظلمة تتعثر ، وإنى لأرى هذه المجالس إنما هى مناخ البطالين . وقال : إذا بلغك عن أخيك شىء تكرهه فالتمس له عذرًا جهدك ، فإن لم تجد له عذرًا فقل : لعل لأخى عذرًا لا أعلمه» . ولعلها أيضا من زيادات الناسخ .

وانظر ترجمة الجرمى فى : طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٣، وطبقات خليفة ١/ ٥٠٣، وتاريخ دمشق ٢٨/ ٢٨٣، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٤٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٨.

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ ومائةٍ

فيها[1] غَزا الجَرَّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحكَميُّ بلادَ اللَّانِ[2] ، وفتَح حُصونًا كثيرةً ، وبلادًا مُتَّسِعةَ الأكْنافِ مِن وراءِ بَلَنْجَرَ ، وأصاب غَنائمَ جَمَّةً ، وسَبَى خلقًا مِن أوْلادِ الأتْراكِ .

وفيها غَزا مسلمُ بنُ سعيدٍ بلادَ التركِ ، وحاصَر مدينةً عظيمةً مِن بلادِ الصُّغْدِ ، فصالَحه مَلِكُها على مالٍ كثيرٍ يَحْمِلُه إليه .

وفيها غَزَا سعيدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بلادَ الرومِ ، فبَعَث بينَ يديه سَرِيةً ألفَ فارسٍ ، فأُصِيبوا جميعًا .

وفيها لخمسٍ بَقِين مِن شعبانَ منها تُوُفِّيَ أميرُ المؤمنين يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بأَرْبَدَ مِن أرضِ البَلْقاءِ ، يومَ الجُمُعةِ ، وعمرُه ما بينَ الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمتُه :

هو يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ أبو خالدٍ القُرشيُّ الأُمَويُّ[3] ، أميرُ المؤمنين ، وأمُّه عاتِكةُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢١، ٢٢، والمنتظم ٧/ ٩٦، والكامل ٥/ ١٢٥.

(٢) اللان : بلاد واسعة فى طرف أرمينية . انظر معجم البلدان ٤/ ٣٤٣.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/٣٣٧ مخطوط ، والمنتظم ٧/ ١٠٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ١٣.

بنتُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ[1] . بُويع له بالخِلافةِ بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فى رَجَبٍ مِن سنةِ إحدى ومائةٍ ، بعهدٍ مِن أخيه سليمانَ أن يَكونَ الخَليفةَ بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، رحِمَه اللَّهُ ، يومَ الجُمُعةِ لخمسٍ بَقِين مِن رجبٍ .

قال محمدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْلىُّ[2] : حَدَّثنا كَثِيرُ بنُ هشامٍ ، ثنا جعفرُ بنُ بُرْقانَ ، حَدَّثنى الزُّهْرىُّ قال : كان لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ ولا الكافرُ المسلمَ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلىٍّ ، فلما وَلِىَ معاويةُ وَرَّث المسلمَ مِن الكافرِ ، ولم يُوَرِّثِ الكافرَ مِن المسلمِ ، وأخَذ بذلك الخُلفاءُ مِن بعدِه ، فلمَّا قام [٧/١٨٥و] عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ راجَع السُّنَّةَ الأُولَى ، وتَبِعه فى ذلك يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ ، فلمَّا قام هشامٌ أَخَذ بسُنَّةِ الخُلفاءِ . يَعْنى أنه وَرَّث المسلمَ مِن الكافرِ .

وقال الوَليدُ بنُ مسلمٍ[3] ، عن ابنِ جابرٍ قال : بينما نحن عندَ مَكْحولٍ إذ أقْبَل يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ ، فهَمَمْنا أن نُوَسِّعَ له ، فقال مَكْحولٌ : دَعُوه يَجْلِسْ حيث انْتَهَى به المَجْلِسُ ، يَتَعَلَّمُ التَّواضُعَ .

وقد كان يزيدُ هذا يُكْثِرُ مِن مُجالَسةِ العُلَماءِ قبلَ أن يَلِىَ الخِلافةَ ، فلما وَلِى عَزَم أن يَتَأَسَّى بعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فما تَرَكه قُرَناءُ السُّوءِ ، وحَسَّنوا له الظلمَ ، كما قال حَرْمَلةُ[4] عن ابنِ وَهْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسْلَمَ قال : لما وَلِى يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ قال : سِيروا بسِيرةِ عمرَ . فمَكَث كذلك أربعِينَ ليلةً ، فأُتِىَ بأربعين شيخًا ، فشَهِدوا له أنه ما على الخُلفاءِ مِن حسابٍ ولا عَذابٍ .

---

(١) بعده فى ٢١، م، ص : « قيل : إنها مدفونة بقبر عاتكة فنسبت المحلة إليها والله أعلم » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٣٨/١٨ مخطوط ، من طريق محمد بن يحيى الذهلى به .
(٣) المصدر السابق ١٨/ ٣٣٩، من طريق الوليد بن مسلم به .
(٤) المصدر السابق ١٨/ ٣٤٢، من طريق حرملة به .

وقد اتَّهَمه بعضُهم فى الدِّينِ ، وليس بصحيحٍ[1] ، إنما ذاك ولدُه الوليدُ بنُ يزيدَ ، كما سيأتى ، أمَّا هذا فما كان به بأسٌ ، وقد كتَب إليه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[2] : أمَّا بعدُ ، فإنى لا أُرانى إلا لِما بى ، ولا أَرَى الأمْرَ إلا سيُفْضِى إليك ، فاللَّهَ اللَّهَ فى أمةِ محمدٍ ﷺ ؛ [3]فإنك عمَّا قليلٍ ميتٌ[3] ، فتَدَعُ الدنيا [4]لمَن لا يحمَدُك ، وتُفْضِى[4] إلى مَن لا يَعْذِرُك ، والسلامُ .

وكتَب يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ إلى أخيه هشامٍ[5] : أمَّا بعدُ ، فإن أميرَ المؤمنين قد بَلَغه أنك اسْتَبْطَأْتَ حياتَه ، وتَمَنَّيْتَ وفاتَه ، ورُمْتَ الخِلافةَ . وكتَب فى آخِرِه[6] :

تَمَنَّى رجالٌ أن أَموتَ وإن أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوْحَدِ
وقد عَلِموا لو يَنْفَعُ العلمُ عندَهم ... متى مِتُّ ما الباغى علىَّ بمُخْلَدِ
مَنِيَّتُه تَجْرِى لوقتٍ وحَتْفُه ... يُصادِفُه يومًا على غيرِ مَوْعِدِ
فقلْ للذى يَبْغى خِلافَ الذى مَضَى ... تَهَيَّأْ لأُخْرى مثلِها فكأنْ قدِ

فكتَب إليه هشامٌ : جَعَل اللَّهُ يومى قبلَ يومِك ، ووَلَدى قبلَ وَلدِك ، فلا خيرَ فى العيشِ بعدَك .

وقد كان يَزيدُ هذا يُحِبُّ حَظِيَّةً مِن حَظاياه يُقالُ لها : حَبابةُ[7] - بتَشْديدِ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٣٤٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/٣٤١ مخطوط ، من طريق سليم بن بشير به . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ٢٤٧.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وليس فى تاريخ دمشق .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/ ٣٤١.

(٦) الأبيات من مقطوعة لمالك بن القين الخزرجى . وهى فى الاختيارين للأخفش ص ١٦١ ، وانظر الخزانة ٨/٢٤٣ .

(٧) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣، ٢٤. وانظر ترجمتها فى مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٢٩٨.

الباءِ الأُولى ، والصَّحيحُ تَخْفيفُها - واسمُها العاليةُ ، وكانتْ جميلةً جدًّا ، وكان قد اشْتَراها فى زَمَنِ أخيه سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ بأربعةِ آلافِ دينارٍ ، مِن عثمانَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيْفٍ ، فقال أخوه سليمانُ : لقد هَمَمْتُ أن أَحْجُرَ على يزيدَ[1] . فباعها يزيدُ ، فلما أفْضَتْ إليه الخِلافةُ قالت له امرأتُه سَعْدةُ يومًا : يا أميرَ المؤمنين ، هل بَقى فى نَفْسِك مِن أمْرِ الدنيا شىءٌ ؟ قال : نعم ، حَبَابةُ . فبعَثَت امرأتُه ، فاشْتَرَتْها له ولَبَّسَتْها وصَنَّعَتها وأجْلَسَتْها مِن وراءِ السِّتارةِ ، وقالتْ له أيضًا : يا أميرَ [٧/١٨٥ظ] المؤمنين ، هل بَقِى فى نَفْسِك مِن الدنيا شىءٌ ؟ قال : أوَ مَا أخْبَرْتُكِ ؟ فقالتْ : فهذه حَبابةُ . وأبْرَزَتْها له ، وأخْلَتْه بها ، وتَرَكَتْه وإياها ، فحَظِيَت الجاريةُ عندَه ، وكذلك زوجتُه أيضًا ، فقال يومًا : أَشْتَهِى أن أَخْلُوَ بحَبابةَ فى قَصْرٍ مدةً مِن الدَّهْرِ لا يَكونُ عندَنا أحدٌ . ففعَل ذلك ، [2]وجَمَعها إليه فى قَصْرٍ[2] ، فبينما هو معها على أَسَرِّ حالٍ وأنْعَمِ بالٍ ، [3]إذ رَماها بحبةِ رُمّانٍ - ويُرْوَى : بعنبةٍ - فى فَمِها[3] وهى تَضْحَكُ ، فشَرِقَت بها فماتَتْ ، فمَكَث أيامًا يُقَبِّلُها ويَرْشُفُها وهى مَيتةٌ ، حتى أنْتَنَت وجَيَّفَت ، فأمَر بدفنِها ، فلما دَفَنها أقام أيامًا عندَ قبرِها هائمًا ، ثم رَجَع إلى المنزلِ ، ثم عاد إلى قبرِها ، فوَقَف عليه وهو يَقولُ[4] :

فإن تَسْلُ عنكِ النَّفْسُ أو تَدَعِ الصِّبَا ... فباليأسِ تَسْلُو عنكِ لا بالتَّجَلُّدِ
وكلُّ خَليلٍ زارنى فهْو قائلٌ ... مِنَ اجْلِكِ هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ

ثم رَجَع ، فما خَرَج من منزلِه حتى خُرِج بنَعْشِه ، وكان مَرَضُه بالسُّلِّ ، وذلك بالسَّوادِ سَوادِ الأُرْدُنِّ ، يومَ الجمعةِ لخمسٍ بَقِين مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ ،

---

(١) فى ٢١، ب ، م ، ص : « يديك » .
(٢ - ٢) فى ٢١، ب ، م ، ص : « وجمع إليه فى قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بأنواع الفرش والبسط الهائلة ، والنعمة الكثيرة السابغة » .
(٣ - ٣) فى ٢١، ب ، م ، ص : « وبين يديهما عنب يأكلان منه إذ رماها بحبة عنب » .
(٤) البيتان لكثير عزة . انظر الديوان ص ٤٣٥.

أعْنى سنةَ خمسٍ ومائةٍ .

وكانتْ خِلافتُه أربعَ سنين وشهرًا على المَشْهورِ ، وقيل : أقَلُّ مِن ذلك . وكان عمرُه ثلاثًا وثلاثين سنةً ، وقيل : خمسًا - وقيل : ستًّا . وقيل : ثمانيًا . وقيل : تسعًا - وثلاثين . وقيل : إنه بَلَغ الأربعين . فاللَّهُ أعلمُ . وكان طَويلًا جَسيمًا أبْيضَ ، مُدَوَّرَ الوجهِ ، أفْقَمَ الفمِ[1] ، لم يَشِبْ . وقيل : إنه مات بالجَوْلانِ . وقيل : بحَوْرانَ . وصلَّى عليه ابنُه الوليدُ بنُ يزيدَ ، وعمرُه خمسَ عشْرةَ سنةً ، وقيل : بل صلَّى عليه أخوه هشامُ بنُ عبدِ الملكِ . وهو الخليفةُ بعدَه ، وحُمِل على أعْناقِ الرجالِ حتى دُفِن بينَ بابِ الجابيةِ وبابِ الصَّغيرِ بدِمشقَ ، وكان قد عَهِد بالأمْرِ مِن بعدِه لأخيه هشامٍ ، ومِن بعدِه لولدِه الوليدِ بنِ يزيدَ ، فبايَع الناسُ مِن بعدِه هشامًا .

---

(١) الفقم فى الفم أن تدخل الأسنان العليا إلى الفم ، وقيل : الفقم اختلافه ، وهو أن يخرج أسفل اللَّحْى ويدخل أعلاه . اللسان (ف ق م) .

خِلافةُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ

بُويع له بالخِلافةِ يومَ الجمعةِ بعدَ موتِ أخيه لخمسٍ بَقِين مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ خمسٍ ومائةٍ - وله مِن العمرِ أربعٌ وثلاثون سنةً وأشهرٌ ؛ لأنه وُلِد لما قَتَل أبوه عبدُ الملكِ مُصْعبَ بنَ الزبيرِ فى سنةِ ثنتَيْن وسبعينَ ، فسَمَّاه مَنْصورًا تَفاؤُلًا ، ثم قَدِم فوَجَد أمَّه قد أسمتْه باسمِ أبيها هشامٍ ، فأقَرَّه .

قال الواقدىُّ[1] : أتَتْه الخِلافةُ وهو بالزيتونةِ[2] [٧/١٨٦و] فى منزلٍ له ، فجاءه البَريدُ بالعَصا والخاتَمِ ، فسَلَّم عليه بالخِلافةِ ، فرَكِب مِن الرُّصَافَةِ حتى أتى دِمشقَ ، فقام بأمْرِ الخِلافةِ أتَمَّ القِيامِ ، فعَزَل فى شوالٍ منها عن إمْرةِ العراقِ وخُراسانَ عُمرَ ابنَ هُبَيرةَ ، ووَلَّى عليها خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ ، وقيل : إنه اسْتَعْمَله على العراقِ فى سنةِ ستٍّ ومائةٍ . والمشهورُ الأولُ .

وحَجَّ بالناسِ فيها إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ المَخْزومىُّ خالُ أميرِ المؤمنين ، أخو أمِّه عائشةَ بنتِ هشامِ بنِ إسماعيلَ ، ولم تَلِدْ مِن عبدِ الملكِ سِواه حتى طَلَّقها ؛ لأنها كانتْ حَمْقاءَ .

وفيها قَوِىَ أمْرُ دَعْوةِ بنى العباسِ فى السِّرِّ بأرضِ العراقِ ، وحَصَل لدعاتِهم أمْوالٌ جَزيلةٌ يَسْتَعِينون بها على أمْرِهم وما هم بصَدَدِه .

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٧/ ٢٥.

(٢) فى النسخ : « بالديثونة » ، والمثبت مِن تاريخ الطبرى . والزيتونة : موضع فى بادية الشام . انظر معجم البلدان ٢/ ٩٦٥.

وفيها تُوُفّى مِن الأعْيانِ :

أبانُ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ ، كان مِن فُقهاءِ التابعِين وعُلمائِهم[1] .

قال عمرُو بنُ شُعَيبٍ[2] : ما رأيْتُ أعلمَ منه بالحديثِ والفقهِ .

وقال يَحْيَى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ[3] : فُقهاءُ المَدينةِ عشَرةٌ . فذَكَر أبانَ بنَ عثمانَ أحدَهم ، وخارِجةَ بنَ زيدٍ ، وسالمَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، وسعيدَ بنَ المُسَيَّبِ ، وسليمانَ ابنَ يَسارٍ ، وعُبَيدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، وعُرْوةَ ، والقاسمَ ، وقَبيصةَ بنَ ذُؤَيْبٍ ، وأبا سَلَمةَ بنَ عبدِ الرحمنِ .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : كان به صَمَمٌ ووَضَحٌ[5] ، وأصابه الفالِجُ قبلَ أن يَموتَ بسنةٍ . وتُوُفِّى سنةَ خمسٍ ومائةٍ .

أبو رَجاءٍ العُطارِدىُّ[6] ، من رجالِ « الصحيحين » . **وعامرٌ الشعْبىُّ** فى

---

(١) بعده فى م : « تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين » . وقد تقدم ذلك فى ١٢/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ١٥٣.

(٣) المصدر السابق .

(٤) الطبقات الكبرى ٥/ ١٥٢. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ١٥٠.

(٥) الوضح : البرص . اللسان (و ض ح) .

(٦) الاستيعاب ٣/ ١٢٠٩، وأسد الغابة ٤/ ٢٧٩، ٦/ ١٠٨، والإصابة ٧/ ١٤٨. أدرك الجاهلية ولم ير النبى ﷺ ولم يسمع منه .

وبعده فى ص : « بُعِث النبى ﷺ ونحن على ماء لنا ، وكان صنم نعبده وكان مدورا ، فحملناه على قتب وانتقلنا ، فمررنا برملة فانسل الحجر فوقع فى الرمل فغاب فيه ، فرجينا فى طلبه فإذا هو قد غاب فى الرمل فأخرجناه ، فكان ذلك أول إسلامى ، فقلت : إن إلها لم يمتنع من وقوعه فى الرمل وأن يغيب فى التراب لإله سوء ، وإن العنز لتمنع حياها بذنبها ، فرجعت إلى المدينة وقد توفى رسول اللَّه ﷺ ، فأسلمت . أى أن العنز لتمنع فرجها من الفحل إذا أرادها وتستعصى عليه بوضع ذنبها على فرجها فلا يقدر على مواقعتها ، وهذا الصنم قد عجز عن الوقوع وعن الدفع عن نفسه ومن هو كذلك لا ينبغى أن =

قولٍ ، وقد تقَدَّم[1] ، وكُثَيِّرُ عَزَّةَ فى قولٍ . وقيل : فى التى بعدَها ، كما سيأتى[2] .

= يكون إلها يعبد وإذا كان الأمر كذلك فالعنز التى تدفع عن نفسها أولى منه بالعبادة ، وهذا ما يكون .

وقال : كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه ونعبد غيره وقيل له : يا أبا رجاء أرأيت من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكانوا يخافون على أنفسهم النفاق ؟ قال : نعم شديدا نعم شديدا .

أدرك أبو رجاء خلقا من الصحابة وروى عنهم وعنه جماعة من التابعين وعمر دهرا طويلًا » . ولعلها من زيادات الناسخ .

(١) تقدم فى صفحة ١٠ .

(٢) انظر ما سيأتى فى صفحة ٢٤ .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ ومائةٍ

ففيها[1] عَزَل هشامُ بنُ عبدِ الملكِ عن إمْرةِ المدينةِ ومكةَ والطائفِ عبدَ الواحدِ ابنَ عبدِ اللَّهِ النَّضْرىَّ ، ووَلَّى على ذلك كلِّه خالَه إبراهيمَ بنَ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخْزومىَّ . وفيها غَزا سعيدُ بنُ عبدِ الملكِ الصائفةَ . [2]وفيها غَزا مسلمُ بنُ سعيدٍ مدينةَ فَرْغانةَ ومُعامَلتَها ، فلَقِيَه عندَها التُّرْكُ ، فكانت بينَهم وَقْعةٌ هائلةٌ ، قُتِل فيها الخاقانُ وطائفةٌ كثيرةٌ مِن التُّرْكِ .

وفيها أوْغَل الجَرَّاحُ الحكَمِىُّ فى أرضِ الخزَرِ ، فصالَحوه وأعْطَوْه الجِزْيةَ والخَراجَ[2] . وفيها غَزا الحَجَّاجُ بنُ عبدِ الملكِ اللَّانَ ، فقتَل خلقًا كثيرًا وغَنِم وسَلِم . وفيها عَزَل خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ عن إمْرةِ خُراسانَ مسلمَ بنَ سعيدٍ ، ووَلَّى عليها أخاه أسدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أميرُ المؤمنين هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، وكتَب إلى أبى الزِّنادِ قبلَ دُخولِه المدينةَ ليتَلَقَّاه ويَكْتُبَ له مَناسِكَ الحَجِّ ، ففعَل ، وتَلَقَّاه الناسُ مِن المدينةِ إلى أثناءِ الطريقِ ، وفيهم أبو الزِّنادِ وقدِ امْتَثل ما أَمَره به ، وتَلَقَّاه فيمَن تَلَقَّاه سعيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ [١٨٦/٧ظ] بنِ الوَليدِ بنِ عثمانَ بنِ عفانَ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إن أهلَ بيتِك فى مِثْلِ هذه المَواطنِ الصالحةِ لم يَزالوا يَلْعَنون أبا تُرابٍ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٩/٧ - ٣٩، والمنتظم ١١٢/٧ ، ١١٣ ، والكامل ١٢٧ - ١٣٤.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

فالْعَنْه أنت أيضًا . قال أبو الزِّنادِ : فشَقَّ ذلك على هشامٍ واسْتَثْقلَه ، وقال : ما قَدِمْتُ لشَتْمِ أحدٍ ، ولا لِلَعْنَةِ أحدٍ ، إنما قَدِمْنا حُجَّاجًا . ثم قَطَع كلامَه ، وأقْبَل على أبى الزِّنادِ يحُادِثُه ، ولما انْتَهَى إلى مكةَ عَرَض له إبراهيمُ بنُ طَلْحةَ ، فتَظَلَّم إليه فى أرضٍ ، فقاله له : أين كنتَ عن عبدِ الملكِ ؟ قال : ظَلَمنى . قال : فالوليدِ ؟ قال : ظَلَمنى . قال : فسليمانَ ؟ قال : ظَلَمنى . قال : فعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ؟ قال : رَدَّها علىَّ . قال : فيزيدَ ؟ قال : انْتَزَعها مِن يدى وهى الآن فى يدِك . فقال له هشامٌ : أمَا لو كان فيك مَضْرِبٌ لضَرَبْتُك . فقال : بلى فىَّ مَضْرِبٌ بالسيفِ والسوطِ . فانْصَرف هشامٌ عنه وهو يَقولُ لرجلٍ معه : ما رأيْتُ أفْصَحَ مِن هذا .

وفيها كان العاملَ على مكةَ والمدينةِ والطائفِ إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ إسْماعيلَ ، وعلى العراقِ وخُراسانَ خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ .

وممَّن تُوُفِّىَ فيها : سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ[1] ، أحدُ الفُقهاءِ[2] .

وطاوسُ بنُ كَيْسانَ اليمانىُّ[3] ، من أكبرِ أصحابِ ابنِ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، وقد تَرْجَمْناهما فى كتابِنا « التكميلِ » وللَّهِ الحمدُ[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٩٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦١٤، وطبقات الفقهاء ص ٦٢، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٤٨، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٧.

(٢) بعده فى م ، ص : « له رِواياتٌ كَثيرةٌ عن الصَّحابةِ وغيرِهم وكان مِن أفْضَلِ أهلِ المدينةِ وأعْلَمِ أهل زَمانِه قُتِل أبوه بمصرَ وهو صَغيرٌ فأخَذَتْه خالتهُ عائِشَةُ فنَشَأ عندَها وساد وله مَناقِبُ كثيرةٌ .

أبو رَجاءٍ العُطارِدىُّ » . ولعلها من زيادات الناسخ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٣٧، وطبقات خليفة ٢/ ٧٣٢، وطبقات الفقهاء ص ٧٣، وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨.

(٤) بعده فى م ، ص زيادة كبيرة وقعت فى الصفحات ٢٣٥ - ٢٤٣ من الجزء التاسع من م ، تبدأ بقوله : « انتهى كلام المؤلف ، قلت : وقد زدنا زيادة حسنة على ما ذكره المؤلف ...» إلى قوله فى ص : « آخر الزيادة على الأصل فى ترجمة طاوس وغيرها ، واللَّه سبحانه أعلم » .

ثم دَخلَت سنةُ سبعٍ ومائةٍ

فيها[1] خَرَج باليمنِ رجلٌ يُقالُ له : عَبَّادٌ الرُّعَيْنىُّ . فدَعَا إلى مَذْهَبِ الخَوارِجِ ، واتَّبَعه فِرْقةٌ مِن الناسِ ، وحكّموا ، فقاتَلهم يوسُفُ بنُ عمرَ ، فقَتَله وقَتَل أصحابَه ، وكانوا ثلاثَمائةٍ . وللَّهِ الحمدُ .

وفيها وَقَع بالشامِ طاعونٌ شَديدٌ . وفيها غَزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ الصائِفةَ ، وعلى جيشِ أهلِ الشامِ مَيْمونُ بنُ مِهْرانَ ، فقَطَعوا البحرَ إلى قُبْرُسَ ، وغَزا مَسْلَمةُ فى البَرِّ فى جيشٍ آخرَ .

وفيها ظَفِر أسدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ[2] بجَماعةٍ مِن دُعاةِ بنى العَبَّاسِ بخُراسانَ فصَلَبهم وأشْهَرهم .

وفيها غَزا أسدٌ القَسْرىُّ جِبالَ نَمْرونَ[3] ملكِ الغِرْشِسْتانِ ، مما يَلى جِبالَ الطَّالَقانِ ، فصالَحه نَمْرونُ[3] وأسْلَم على يديه .

وفيها غَزا أسدٌ الغُورَ ، وهى جِبالُ هَراةَ ، فعَمَد أهلُها إلى حَواصِلِهم وأمْوالِهم وأثْقالِهم ، فجعَلوا ذلك كلَّه فى كَهْفٍ مَنيعٍ ، لا سَبيلَ لأحدٍ عليه ، وهو مُسْتَفِلٌ[4]

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤٠ - ٤٢، والمنتظم ٧/١١٧ ، ١١٨ ، والكامل ٥/١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) من هنا خرم فى ب ينتهى فى صفحة ٣١ عند قول المصنف : « قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذى يدعوك » .

(٣) فى الأصل ، ا ٢، ص : « نمروز » . وفى م : « نمروذ » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى م : « مستعل » .

جدًّا ، فأمَر أَسَدٌ بالرجالِ فجُعِلوا فى تَوابِيتَ ودَلَّاهم إليه ، وأمَرهم بوَضْعِ ما هنالك فى التَّوابِيتِ ، [1] فلما جمَعوا ما هنالك قَعَد الرجالُ فى التَّوابِيتِ [1] ورَفَعوهم ، فسَلِموا وغَنِموا . وهذا [٧/١٨٧و] رأىٌ سَديدٌ .

وفيها أمَر أسدٌ بجمعِ ما حولَ بَلْخَ إليها ، واسْتَناب عليها بَرْمَكَ والدَ خالدِ بنِ بَرْمَكَ ، وبَناها بناءً جيدًا جديدًا مُحْكَمًا ، وحَصَّنها وجَعَلها مَعْقِلًا للمُسْلِمين .

وفيها حَجَّ بالناسِ إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ أميرُ الحَرَمَيْنِ .

وممن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ : سليمانُ بنُ يَسارٍ ، أحدُ التابِعين [2] .

وعِكْرِمةُ مَوْلى ابنِ عَباسٍ [3] ، أحدُ التابِعين ، والمُفَسِّرين المُكْثِرين ، والعُلَماءِ الرَّبَّانِيِّين ، والرَّحَّالِين الجَوَّالين [4] .

والقاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ [5] ، كان أحَدَ الفُقهاءِ المَشْهورِين [6] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م ، ص زيادة صَدَّرها الناسخ فى النسخة « ص » بقوله : « قلت : زيادة ، وهو أخو عطاء بن يسار ...» .
وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٥/ ١٧٤، وطبقات خليفة ٢/ ٦١٨، وطبقات الفقهاء ص ٦٠، وتهذيب الكمال ١٢/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ١٠٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٧، وطبقات خليفة ٢/ ٧٠٣، وطبقات الفقهاء ص ٧٠، وتاريخ دمشق ١١/٧٦٢ مخطوط ، وطبقات المفسرين ١/ ٣٨٠، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ١٧٤.

(٤) بعده فى م ، ص زيادة كبيرة استغرقت صفحات ٢٤٤ - ٢٥٠ من الجزء التاسع من م ، تبدأ بقول الناسخ : « قلت : أما عكرمة فهو أبو عبد الله ...» وتنتهى بقوله فى ص : « الزيادة » .

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ١٨٧، وطبقات خليفة ٢/ ٦٠٩، وطبقات الفقهاء ص ٥٩، وتاريخ دمشق ١٤/٣٥٧ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢١٧.

(٦) بعده فى م ، ص : « له روايات كثيرة عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير فأخذته خالته عائشة ، فنشأ عندها وساد وله مناقب كثيرة . أبو رجاء العطاردى » . وبعده فى ص : « تقدم له ذكر ووفاة ، واسمه عمر بن ملحان البصرى ، له روايات =

وكُثَيِّرُ عَزَّةَ الشاعرُ المَشْهورُ[1] ، وهو كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الأسْودِ بنِ عامرٍ ، أبو صَخْرٍ الخُزاعيُّ الحِجازيُّ ، المعروفُ بابنِ أبي جُمُعةَ ، وعَزَّةُ هذه - المشهورُ بها المَنْسوبُ إليها ، لتَغَزُّلِه فيها - هي أمُّ عمرٍو عَزَّةُ - بالعينِ المُهْمَلةِ - بنتُ جميلِ بنِ حَفْصٍ ، مِن بني حاجبِ بنِ غِفارٍ ، وإنما صُغِّر اسمُه فقيل : كُثَيِّرٌ . لأنه كان دَمِيمَ الخَلْقِ قَصيرًا ، طولُه ثلاثةُ أشْبارٍ[2] .

قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : كان يُقالُ له : زبٌّ[4] الذبابِ . وكان إذا مَشَى يُظَنُّ أنه صَغيرٌ مِن قِصَرِه ، وكان إذا دَخَل على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ يقولُ له : طَأْطِئْ رأسَك لا يُؤْذِك السَّقْفُ . وكان يَضْحَكُ إليه ، وكان يَفِدُ على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، ووَفَد على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أيضًا ، وكان يُقالُ : إنه أشْعَرُ الإسْلاميِّين . على أنه كان فيه تَشَيُّعٌ ، وربما نَسَبه بعضُهم إلى مذهبِ التَّناسُخِيَّةِ[5] ، وكان يَحْتَجُّ على ذلك مِن جَهْلِه وقلةِ عَقْلِه إن صَحَّ النَّقْلُ عنه ، بقولِه تعالى : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] . وقد اسْتَأْذَن يومًا على عبدِ الملكِ ، فلمَّا دَخَل عليه قال عبدُ الملكِ[6] : تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ مِن أن تَراه[7] . فقال : مهلًا يا أميرَ

= كثيرة ، قيل إنه عاش مائة وعشرين . وقيل : مائة وثلاثين سنة . وقيل أكثر من ذلك ، وكان يذكر أنه ولد قبل المبعث وكان من المشهورين بالعلم والفضل والزهد والعبادة رحمه الله تعالى » .

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٤، ٥٤٠، والشعر والشعراء ١/ ٥٠٣، والأغانى ٩/ ٣، ومعجم الشعراء ص ٢٤٢، وأخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ص ٦٢، وتاريخ دمشق ١٤/ ٥٢٤ مخطوط، والمنتظم ٧/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٢٧.

(٢) الأغانى ٩/ ٦.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ١١٣.

(٤) فى الأصل، ٢١، م، ص: « رب ». والمثبت من وفيات الأعيان .

(٥) التناسخية : فِرقة تقول بتناسخ الأرواح ، وأن لا بعث . تاج العروس (ن س خ) . وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ .

(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ٥٢٨ مخطوط ، والمنتظم ٧/ ١٠٤.

(٧) المُعَيْدِيُّ : تصغير رجل منسوب إلى مَعَدٍّ ، ويضرب هذا المثل للرجل الذى له صِيت وذكر ، فإذا =

المؤمنين، إنما المَرْءُ بأَصْغَرَيْه قلبِه ولِسانِه، إن نَطَق نَطَق ببَيانٍ، وإن قاتَل قاتَل بجَنانٍ، وأنا الذى أَقولُ:

وجَرَّبْتُ الأُمورَ وجَرَّبَتْنى ... وقد أَبْدَتْ عَرِيكَتِىَ الأُمورُ
وما تَخْفَى الرِّجالُ علىَّ إنى ... بهم لَأخو مثاقَبةٍ[1] خَبيرُ
تَرَى الرجلَ النَّحيفَ فتَزْدَرِيه ... وفى أَثْوابِه أَسَدٌ مَزيرُ[2]
ويُعْجِبُك الطَّرِيرُ[3] فتَجْتَبِيهِ ... فيُخْلِفُ ظَنَّك الرجلُ الطَّرِيرُ
وما عِظَمُ[4] الرجالِ لها بزَينٍ ... ولكن زَيْنُها كرَمٌ[5] وخِيرُ
بُغاثُ الطَّيرِ أَطْوَلُها جُسومًا ... ولم تَطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقورُ
وقد عَظُم البعيرُ بغيرِ لُبٍّ ... فلم يَستَغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ
[٧/١٨٧ظ] فيُرْكَبُ ثم يُضْرَبُ بالهَراوَى ... ولا عُرْفٌ لديه ولا نَكيرُ
وعُودُ النَّبْعِ يَنْبُتُ مُسْتَمِرًّا ... وليس يَطولُ و[6]القَصْباءُ خُورُ[6]

وقد تَكَلَّم أبو الفَرَجِ بنُ طَرَارٍ على غَريبِ هذه الحِكايةِ وشِعْرِها بكلامٍ طَويلٍ[7].

= رأيته ازدريت مَرْآته. اللسان (م ع د). وانظر مجمع الأمثال ١/ ٢٢٧، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٦٦.

(١) فى الأصل، م: «مثاقفة»، وفى ا ٢، ص: «مثافقة». وفى المنتظم: «مثابتة». والمثبت من تاريخ دمشق. ورجل مُثَقَّب: نافذ الرأى.

(٢) فى الأصل: «يزير»، وفى م: «زئير»، وفى ص: «يزيز». والمثبت من تاريخ دمشق، والمنتظم. والمزير: الشديد القلب، القوى. اللسان (م ز ر).

(٣) الطرير: ذو الرُّواء والمنظر. اللسان (ط ر ر).

(٤) فى ا ٢، م، ص: «هام».

(٥) فى ا ٢، م، ص: «دين».

(٦ - ٦) فى م: «العضباء حور».

(٧) تاريخ دمشق ١٤/ ٥٢٨، ٥٢٩ مخطوط. وأبو الفرج بن طرار هو المعافى بن زكريا الجريرى. انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤، وتبصير المنتبه ٣/ ٨٦٥.

قالوا[1] : ودَخَل كُثَيِّرُ عَزَّةَ يومًا على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، فامْتَدَحه بقَصيدتِه التى يَقولُ فيها :

على ابنِ أبى العاصِى دُروعٌ حَصينةٌ أجاد المُسَدِّى سَرْدَها وأَذالَها[2]

قال له عبدُ الملكِ : أفلا قلتَ كما قال الأعْشَى لقيسِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ :

وإذا تَجِىءُ كَتيبةٌ مَلْمومةٌ شَهْباءُ يَخْشَى الذائدون نِهالَها[3]

كنتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ بالسيفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أبْطالَها

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، وَصَفه بالخُرْقِ ووَصَفْتُك بالحَزْمِ .

ودخَل يومًا على عبدِ الملكِ وهو يَتَجَهَّزُ للخروجِ إلى مُصْعبِ بنِ الزُّبيرِ فقال[4] : ويحَك يا كُثَيِّرُ ! ذَكَرْتُك الآن بشِعْرِك ، فإن أصَبتَه أَعْطَيْتُك حُكْمَك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كأنك لَمَّا وَدَّعْتَ عاتِكةَ بنتَ يزيدَ بَكَتْ لفِراقِك ، فبَكَى لبُكائِها حَشَمُها فذَكَرْتَ قولى :

إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ عَزْمَه حَصانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُها

نَهَتْه فلمَّا لم تَرَ النَّهْىَ عاقَه بَكَتْ فبَكَى مما عَراها قَطِينُها[5]

قال : أَصَبْتَ فاحْتَكِمْ . قال : مائةُ ناقةٍ مِن نُوقِك المُخْتارَةِ . قال : هى لك .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٤١، وتاريخ دمشق ١٤/٥٢٧ مخطوط .

(٢) المسدى : ناسج الدروع . وأذالها : أطال ذيلها . انظر اللسان (س د ى)، (ذ ى ل) .

(٣) فى الأصل : « شمالها »، وفى م : « صيالها »، وفى ا ٢، ص : « سمالها » . والمثبت من مصدرى التخريج . ونهال : جمع ناهل، وهو العطشان . ويقصد بالنهال الرماحَ المتعطشة للدماء .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٤٢، ٥٤٣، وتاريخ دمشق ١٤/ ٥٣٠.

(٥) عراها : اعتراها وأصابها . والقطين : الخدم والحشم . انظر اللسان (ع ر ى) ، (ق ط ن) .

فلما سار عبدُ الملكِ إلى العراقِ نَظَر يومًا إلى كُثَيِّرِ عَزَّةَ وهو مُفَكِّرٌ فى أمْرِه ، فقال : علىَّ به . فلما جِىء به قال له : أرَأَيْتَ إن أخْبَرْتُك بما كنتَ تُفَكِّرُ فيه تُعْطِينى حُكْمِى ؟ قال : نعم . قال : واللَّهِ ؟ قال : واللَّهِ . قال له عبدُ الملكِ : إنك تَقولُ فى نَفْسِك : هذا رجلٌ ليس هو على مَذْهَبى ، وهو ذاهبٌ إلى قِتالِ رجلٍ آخَرَ ليس هو على مَذْهَبى ، فإن أصابَنى سهمٌ غَرْبٌ مِن بينِهما خَسِرْتُ الدُّنيا والآخِرةَ . فقال : إى واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين فاحْتَكِمْ . قال : حُكْمى أن أَرُدَّك إلى أهْلِك وأُحْسِنَ جائزتَك . فأعْطاه مالًا وأَذِن له فى الانْصِرافِ .

وقال حَمَّادٌ الرَّاوِيةُ[1] ، عن كُثَيِّرِ عَزَّةَ : وَفَدْتُ أنا والأحْوَصُ ونُصَيْبٌ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ حينَ وَلِى الخِلافةَ ، ونحن نَمُتُّ إليه بصُحْبتِنا إياه ومُعاشَرتِنا له لمّا كان بالمدينةِ ، فكلٌّ منا يَظُنُّ [٧/١٨٨و] أنه سيُشْرِكُه فى الخِلافةِ ، فنحن نَسِيرُ ونَخْتالُ فى رِحالِنا ، فلما انْتَهَيْنا إلى خُناصِرَةَ[2] ولاحَت لنا أعْلامُها ، تَلَقَّانا مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ فقال : ما أقْدَمَكم ؟ أوَما عَلِمْتُم أن صاحبَكم لا يُحِبُّ الشعرَ[3] ؟ قال : فوَجَمْنا لذلك ، فأنْزَلَنا مَسْلَمةُ عندَه ، وأَجْرَى علينا النَّفَقاتِ وعلَفَ دوابَّنا ، وأقَمْنا عندَه أربعةَ أشهرٍ ، لا يُمْكِنُه أن يَسْتَأْذِنَ لنا على عمرَ ، فلما كان فى بعضِ الجُمَعِ دَنَوْتُ منه لأَسْمَعَ خُطْبتَه فأُسَلِّمَ عليه بعدَ الصَّلاةِ ،فسَمِعْتُه يقولُ فى خُطْبتِه : لكلِّ سَفَرٍ زادٌ لا مَحالةَ ، فتَزَوَّدوا لسَفَرِكم مِن الدُّنْيا إلى الآخِرةِ بالتَّقْوَى ، وكونوا كمن عايَن ما أعَدَّ اللَّهُ له مِن عَذابِه

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٥٣١ - ٥٣٣ مخطوط . والخبر فى الشعر والشعراء ١/ ٥٠٤ - ٥٠٧، والأغانى ٩/٢٥٦ - ٢٥٩.

(٢) خناصرة : بُلَيدة من أعمال حلب . معجم البلدان ٢/ ٤٧٣.

(٣) بعده فى ا ٢، م، ص : «ولا الشعراء» .

وثَوابِه فترْغَبوا وترْهَبوا، ولا يَطُولَنَّ عليكم الأَمَدُ فتَقْسُوَ قُلوبُكم وتَنْقادوا لعدوِّكم، فإنه واللَّهِ ما بُسِطَ أملُ مَن لا يَدْرِى لعلَّه لا يُمْسِى بعدَ إصْباحِه ولا يُصْبِحُ بعدَ إمْسائِه، وربما كانت له[1] بينَ ذلك خَطَراتُ المَنايا، وإنما يَطْمَئِنُّ مَن وَثِق بالنَّجاةِ مِن عَذابِ اللَّهِ وأهْوالِ يومِ القِيامةِ، فأما مَن لا يُداوِى مِن الدُّنْيا كَلْمًا إلا أصابه جارِحٌ مِن ناحيةٍ أخرى، فكيف يَطْمَئِنُّ؟! أَعوذُ باللَّهِ أن آمُرَكم بما أَنْهَى عنه نَفْسى فتَخْسَرَ صَفْقَتى وتَبْدُوَ مَسْكَنَتى فى يومٍ لا يَنْفَعُ فيه إلا الحَقُّ والصِّدْقُ. ثم بَكَى حتى ظَنَنَّا أنه قاضٍ نَحْبَه، وارْتَجَّ المسجدُ وما حوْلَه بالبُكاءِ والعَوِيلِ. قال: فانْصَرَفْتُ إلى صاحِبَىَّ فقلتُ: خُذا شَرْجًا[2] مِن الشِّعْرِ غيرَ ما كنا نَقولُ لعمرَ وآبائِه، فإنه رَجُلٌ آخِرِىٌّ، ليس برجلِ دُنْيا. قال: ثم اسْتَأْذَن لنا مَسْلَمةُ عليه يومَ الجمعةِ، فلما دَخَلْنا عليه سَلَّمْتُ عليه، ثم قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، طال الثَّواءُ، وقَلَّت الفائدةُ، وتَحَدَّث بجَفائِك إيانا وفودُ العربِ. فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] - وقَرَأَ الآيةَ - فإن كنتم مِن هؤلاء أعْطَيْتُكم، وإلا فلا حَقَّ لكم فيها. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنى مِسْكينٌ وعابرُ سَبيلٍ ومُنْقَطَعٌ به. فقال: ألستُم عندَ أبى سعيدٍ؟ يعنى مَسْلَمةَ بنَ عبدِ الملكِ، فقلنا: بلى. فقال: إنه لا ثَواءَ[3] على مَن هو عندَ أبى سعيدٍ. فقلتُ: ائْذَنْ لى يا أميرَ المؤمنين فى الإنْشادِ. قال: نعم، ولا تَقُلْ إلا حقًّا. فأنْشَدْتُه قَصِيدةً فيه[4]:

---

(١) بعده فى ا ٢، م، ص: «كامنة».

(٢) فى النسخ: «سرحا». والمثبت من تاريخ دمشق، والشعر والشعراء. والشرج: النوع والضَّرْب. تاج العروس (ش ر ج).

(٣) الثواء: الهلكة. اللسان (ث و ى). والمقصود أن ضيف أبى سعيد ليس ابن سبيل أو منقطعًا به. وانظر الشعر والشعراء، والأغانى.

(٤) ديوانه ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

وَلِيتَ فلم تَشْتِمْ عليًّا ولم تُخِفْ ... بَرِيًّا ولم تَقْبَلْ إشارةَ مُجْرِمِ
وصَدَّقْتَ بالفِعلِ المَقالَ مع الذى ... أتَيْتَ فأمْسَى راضيًا كلُّ مسلِمِ
ألا إنما يَكْفِى الفَتَى بعدَ زَيْغِه ... مِن الأَوَدِ البادى ثِقافُ المُقَوِّمِ
[١٨٨/٧ظ] وقد لَبِسَت تَسْعَى إليك ثِيابَها ... تَراءَى لك الدُّنْيا بكَفٍّ ومِعْصَمِ
وتُومِضُ أحيانًا بعينٍ مَريضةٍ ... وتَبْسِمُ عن مثلِ الجُمانِ المُنظَّمِ
فأعْرَضْتَ عنها مُشْمَئِزًّا كأنما ... سَقَتْك مَدُوفًا[1] مِن سِمامٍ وعَلْقَمِ
وقد كنتَ مِن أجْبالِها فى مُمَنَّعٍ ... ومِن بَحْرِها فى مُزْبِدِ الموجِ مُفْعَمِ
وما زِلْتَ تَوَّاقًا إلى كلِّ غايةٍ ... بَلَغْتَ بها أعْلَى البِناءِ المُقَدَّمِ
فلمَّا أتاك المُلْكُ عَفْوًا ولم تَكُنْ ... لطالبِ دُنْيا بعدَه فى تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الذى يَفْنَى وإن كان مُونِقًا ... وآثَرْتَ ما يَبْقَى برأيٍ مُصَمِّمِ
وأضْرَرْتَ بالفانى وشَمَّرْتَ للذى ... أمامَك فى يومٍ مِن الشَّرِّ مُظْلِمِ
وما لك إذ كنتَ الخليفةَ مانعٌ ... سوى اللَّهِ مِن مالٍ رَغِيبٍ[2] ولا دَمِ
سَما لك هَمٌّ فى الفُؤادِ مُؤَرِّقٌ ... بَلَغْتَ به أعْلَى المَعالى بسُلَّمِ
فما بينَ شرقِ الأرضِ والغربِ كلِّها ... مُنادٍ يُنادِى مِن فَصيحٍ وأعْجَمِ
يقولُ أميرَ المؤمنين ظَلَمْتَنى ... بأخْذِك دِينارى ولا أَخْذِ دِرْهمِى
ولا بَسْطِ كفٍّ لامْرِئٍ غيرِ مُجْرِمٍ ... ولا السَّفْكِ منهُ ظالمًا مِلءَ مِحْجَمِ
ولو يَسْتَطِيعُ المسلمون لَقَسَّموا ... لك الشَّطْرَ مِن أعْمارِهم غيرَ نُدَّمِ
فعِشْتَ بها ما حَجَّ للَّهِ راكبٌ ... مُلَبٍّ مُطِيفٌ بالمَقامِ وزَمْزَمِ

---

(١) فى النسخ : « مذوقا » . والمثبت من الديوان ، وتاريخ دمشق . والمدوف : الخليط . انظر اللسان (د و ف) .
(٢) فى النسخ : « رعيت » . والمثبت من الديوان ، ومصادر التخريج . والرغيب : الواسع . والمراد هنا الكثرة .

فأَرْبِحْ بها مِن صَفْقةٍ لمُبايِعٍ وأعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أعْظِمِ

قال : فأقْبَل عليَّ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وقال : إنك تُسْألُ عن هذا يومَ القيامةِ . ثم اسْتَأْذَنه الأَحْوَصُ فأنْشَده قَصيدةً أخرى ، فقال : إنك تُسْأَلُ عن هذا يومَ القيامةِ . ثم اسْتَأْذَنه نُصَيْبٌ ، فلم يَأْذَنْ له ، وأمَر لكلِّ واحدٍ منهم بمائةٍ وخمسين درهمًا ، وأغْزَى نُصَيْبًا إلى مَرْجِ دابِقٍ[1] . وقد وَفَد كُثَيِّرُ عَزَّةَ بعدَ ذلك على يَزيدَ ابنِ عبدِ الملكِ ، فامْتَدَحه بقَصائدَ ، فأعْطاه سبعَمائةِ دينارٍ .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[2] : كان كُثَيِّرُ عَزَّةَ شِيعيًّا خَشَبيًّا[3] يَرَى الرَّجْعةَ ، وكان يَرَى التَّناسُخَ ، ويَحْتَجُّ بقولِه تعالى : ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار : ٨] .

وقال موسى بنُ عُقبةَ[4] : هُوِّل كُثَيِّرُ عَزَّةَ ليلةً فى مَنامِه ، فأصْبَح يَمْتَدِحُ آلَ الزبيرِ ، ويَرْثِى عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ ، وكان يُسِيءُ الرأىَ فيه :

[١٨٩/٧و] بمُفْتَضَحِ البَطْحاءِ ثاوٍ لوَ انّه أقام بها ما لم تَرُمْها الأخاشِبُ
سَرِحْنا سُروبًا آمِنين ومَن يَخَفْ بَوائِقَ ما يَخْشَى تَنُبْه النوائبُ
تَبَرَّأْتُ مِن عَيبِ ابنِ أسماءَ إننى إلى اللَّهِ مِن عَيبِ ابنِ أسماءَ تائبُ
هو المَرْءُ لا تُزْرِى به أُمَّهاتُه وآباؤُه فينا الكِرامُ الأَطايِبُ

---

(١) دابق : قرية قرب حلب . عندها مرج معشب . انظر معجم البلدان ٢/ ٥١٣.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٣٣/١٤ مخطوط .

(٣) فى م : « خبيثا » . قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٦٢٢: « الخشبية من الرافضة ، كان إبراهيم بن الأشتر لقى عبيد اللَّه بن زياد ، وأكثر أصحاب إبراهيم معهم الخشب ، فسموا الخشبية » . وذكر الشهرستانى فى الملل والنحل ٢٨٨/١ أن كُثَيِّرًا كان من شيعة محمد ابن الحنفية ، وأورد له شعرا فيه أن ابن الحنفية لم يمت ، وأنه مختف فى جبل رَضْوَى ، وأنه سيعود بعد غيبته .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٣٤/١٤ مخطوط . ولم يرد هذا الشعر فى ديوان كثير .

وقال مُصْعبُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِىُّ[1] : قالَت عائشةُ بنتُ طَلْحةَ لكُثَيِّرٍ عَزَّةَ : ما الذى يَدْعوك إلى ما تَقولُ مِن الشِّعْرِ فى عَزَّةَ ، وليستْ على ما تَصِفُ مِن الحُسْنِ والجمالِ ؟! فلو قلتَ ذلك فىَّ وفى أمْثالى ، فأنا أشْرَفُ وأفْضَلُ منها[2] ، وإنما أرادت أن تَخْتَبِرَه وتَبْلُوَه ، فقال :

صَحَا قلبُه يا عَزُّ أو كاد يذْهَلُ ... وأضْحَى يُرِيدُ الصُّرْمَ[3] أو يَتَبَدَّلُ
وكيف يُرِيدُ الصُّرْمَ[3] مَن هو وامِقٌ[4] ... لعَزَّةَ لا قالٍ ولا مُتَبَذِّلُ
إذا وصَلَتْنا خُلَّةٌ كى تُزِيلَنا ... أبَيْنا وقلنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ
سنُولِيكِ عُرْفًا إن أرَدْتِ وِصالَنا ... ونحن لتِيك الحاجبيَّةِ أوْصلُ
وحَدَّثها الواشون أنى هَجَرْتُها ... فحمَّلها غيظًا علىَّ المُحَمِّلُ

فقالَت له عائشةُ : لقد جعَلْتَنى خُلَّةً ولسْتُ لك بخُلَّةٍ ، وهَلَّا قلتَ كما قال جَمِيلٌ ، فهو واللَّهِ أشْعَرُ منك حيث يقولُ[5] :

يا رُبَّ عارِضةٍ علينا وَصْلَها ... بالجِدِّ تَخْلِطُه بقولِ الهازِلِ
فأجَبْتُها بالقولِ بعدَ تَسَتُّرٍ ... حُبِّى بُثَيْنةَ عن وِصالِكِ شاغِلى
لو كان فى قَلْبى بقَدْرِ قُلَامةٍ ... فَضْلٌ وَصَلْتُكِ أو أتَتْكِ رَسائلى

فقال : واللَّهِ ما أُنْكِرُ فضلَ جَميلٍ ، وما أنا إلا حَسَنةٌ مِن حَسَناتِه . واسْتَحْيا .

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٥٣٥ مخطوط . وديوان كثير ص ٢٥٤ ، وفيه أن القصيدة فى مدح عبد الملك بن مروان .
(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأحسن منها . وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسنا وجمالا وأصالة » .
(٣) فى النسخ : « الصوم » . والمثبت من الديوان ، وتاريخ دمشق الموضع السابق . والصُّرْم : القطيعة . اللسان (ص ر م) .
(٤) الوامق : المحب . انظر اللسان (و م ق) .
(٥) ديوان جميل ص ١٠٧ .

ومما أنْشَده ابنُ الأنْبارىِّ لكُثَيِّرٍ عَزَّةَ[1] :

بأبى وأُمِّىَ أنتِ مِن مَعْشُوقةٍ ... طَبِنَ العَدوُّ لها[2] فغَيَّر حالَها
ومَشَى إلىَّ بعيبِ عَزَّةَ نِسْوةٌ ... جعَل الإلهُ خُدودَهن نِعالَها
اللَّهُ يَعْلَمُ لو جُمِعْنَ ومُثِّلَت ... لاخْتَرْتُ قبلَ تَأَمُّلٍ تِمثالَها
ولوَ انَّ عزةَ خاصَمَت شمسَ الضُّحَى ... فى الحُسْنِ عندَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لها

وأنْشَد غيرُه لكُثَيِّرٍ عَزَّةَ[3] :

فما أحْدَثَ النَّأْىُ الذى كان بيننَا ... سُلُوًّا ولا طُولُ اجْتِماعٍ تَقالِيَا
[١٨٩/٧ظ] وما زادنى الواشون إلا صَبابةً ... ولا كثرةُ الناهِين إلا تَمادِيَا

وقال كُثَيِّرٌ أيضًا[4] :

فقلتُ لها يا عَزُّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يومًا لها النفسُ ذَلَّتِ
هَنِيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعزةَ مِن أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

وقال كُثَيِّرُ عَزَّةَ أيضًا ، وفيه حِكْمةٌ[5] :

ومَن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقِه ... وعن بعضِ ما فيه يَمُتْ وهْو عاتِبُ
ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كلَّ عَثْرةٍ ... يَجِدْها ولا يَسلَمْ له الدَّهْرَ صاحبُ

وذَكَروا[6] أن عَزَّةَ بنتَ جميلِ بنِ حَفْصٍ - أحدِ بنى حاجبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ غفارٍ - أمَّ عمرٍو الضَّمْرِيةَ وَفَدت على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ تَشْكو إليه ظُلَامةً ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٣٥/٤ مخطوط. وانظر ديوان كثير ص ٣٩٤ .
(٢) طَبِن لها : فطِن لها . انظر اللسان (ط ب ن) .
(٣) تاريخ دمشق ٥٣٨/١٤ مخطوط. وليس فى ديوان كثير .
(٤) المصدر السابق ١٤/ ٥٣٩. وانظر ديوان كثير ص ٩٧ ، ١٠٠ .
(٥) المصدر السابق. وانظر ديوان كثير ص ١٥٤ .
(٦) انظر الأغانى ٩/ ٢٦، ٢٧، وتاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ، طبعة دار الفكر ص ٢٤٠.

فقال لها : لا أَقْضِيها لك حتى تُنْشِدينى شيئًا مِن شعرِه . فقالَت : لا أَحْفَظُ له كثيرَ شعرٍ ، لكنى سَمِعْتُهم يَحْكُون عنه أنه قال فىَّ[1] :

قَضَى كلُّ ذى دَيْنٍ عَلِمْتُ غَريمَه ... وعَزَّةُ مَمْطولٌ مُعَنًّى غَريمُها

فقال : ليس عن هذا أَسْأَلُك ، ولكن أَنْشِدينى قولَه[2] :

وقد زَعَمَتْ أنى تَغَيَّرْتُ بعدَها ... ومَن ذا الذى يا عَزُّ لا يَتَغَيَّرُ

تَغَيَّر جِسْمى والخليقَةُ كالذى ... عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسِرِّكِ مُخْبَرُ

فاسْتَحْيَت وقالت : أمَّا هذا فلا أَحْفَظُه ، ولكنِّى سَمِعْتُهم يَحْكُونه عنه ، ولكن أَحْفَظُ له قولَه[3] :

كأنى أُنادِى صَخْرةً حينَ أعْرَضَت ... مِن الصُّمِّ لو تَمْشِى بها العُصْمُ[4] زَلَّتِ

صَفوحٌ فما تَلقاك إلا بَخِيلَةً ... ومَن مَلَّ منها ذلك الوَصْلَ مَلَّتِ

قال : فقَضَى لها حاجتَها ورَدَّها ، ورَدَّ عليها ظُلامَتَها ، وقال : أَدْخِلوها على الحُرَمِ ليَتَعَلَّموا مِن أدبِها .

ورُوِىَ عن بعضِ نِساءِ العربِ قالت[5] : اجْتازَت بنا عَزَّةُ ، فاجْتَمَع نِساءُ الحاضِرِ إليها ليَنْظُرْنَ حُسْنَها ، فإذا هى حُمَيْراءُ حُلْوةٌ لَطيفةٌ ، فلم تَقَعْ مِن النساءِ بذلك المَوْقِعِ حتى تَكَلَّمَت ، فإذا هى أَبْرَعُ الخَلْقِ وأَحْلَاه حديثًا ، فما بَقِىَ فى

---

(١) ديوان كثير ص ١٤٣ .

(٢) ديوان كثير ص ٣٢٨ .

(٣) ديوان كثير ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) العُصْم : جمع أعصم وعصماء ، والأعصم من الظباء والوعول : الذى فى ذراعه بياض . اللسان (ع ص م) .

(٥) تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ، طبعة دار الفكر ص ٢٤٢.

أعْيُنِنا امرأةٌ تَفوقُها حُسْنًا وجَمالًا وحَلاوةً .

وذَكَر الأصْمَعيُّ[1] ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ قال : دَخَلَتْ عَزَّةُ على سُكينةَ بنتِ الحسينِ فقالت لها : إنى أَسْأَلُك عن شيءٍ فاصْدُقِينى ، ما الذى أراد كُثَيِّرٌ فى قولِه لك :

[٧/١٩٠و] قَضَى كلُّ ذى دينٍ فوَفَّى غَرِيمَه وعَزَّةُ مَمْطولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

فقالَتْ : كنتُ وَعَدْتُه قُبْلةً فمَطَلْتُه بها . فقالَتْ : أنْجِزِيها له وإثْمُها علىَّ . [2]وقد رُوى أنَّ أمَّ البنينَ أختَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قالت لها مثلَ هذا سواءً . واللَّهُ أعلمُ[2] .

ورُوِى أن عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ أراد أن يُزَوِّجَ كُثَيِّرًا مِن عَزَّةَ فأَبَتْ عليه ، وقالَت : يا أميرَ المؤمنين ، أبَعْدَما فَضَحَنى بينَ الناسِ وشَهَّرنى فى العربِ ؟! وامْتَنَعَت مِن ذلك كلَّ الامْتِناعِ . ذَكَره ابنُ عَساكرَ[3] .

ورُوِى[4] أنها اجْتازَت مَرَّةً بكُثَيِّرٍ وهو لا يَعْرِفُها ، فتَنَكَّرَت عليه ، وأرادَت أن تَخْتَبِرَ ما عندَه ، فتَعَرَّض لها ، فقالَت له : فأين حُبُّك عَزَّةَ ؟ فقال : أنا لك الفِداءُ ، لو أن عَزَّةَ أَمَةٌ لى لَوَهَبْتُها لك . فقالَتْ : ويحَك ! لا تَفْعَلْ ، ألستَ القائلَ :

---

(١) تاريخ دمشق ، جزء تراجم النساء ، طبعة دار الفكر ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وقد كانت سكينة بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بحسنها المثل » . وانظر الخبر عن أم البنين فى المصدر السابق . وهذا الخبر فيه دعوة صريحة لاقتراف الفاحشة ، وفيه استخفاف بعقاب اللَّه ، وهذا يُقَوِّى أن الخبر مكذوب ، خاصة وأنه مروى عن واحدة من سيدات بيت النبوة قريبة العهد من خير القرون . واللَّه أعلم .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٣.

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٦، ٢٤٧.

إذا وَصَلَتْنا خُلَّةٌ كى تُزِيلَنا أَبَيْنا وقُلْنا الحاجِبيَّةُ أولُ

فقال : بأبى أنتِ وأمى ، أَقْصِرى عن ذِكْرِها واسْمَعى ما أقولُ . ثمَّ قال[1] :

هل وَصْلُ عَزَّةَ إلا وَصْلُ غانيةٍ فى وَصْلِ غانيةٍ مِن وَصْلِها بَدَلُ

قالَت : فهل لك فى المُجالَسةِ ؟ قال : ومَن لى بذلك ؟ قالَت : فكيف بما قلتَ فى عَزَّةَ ؟ فقال : أَقْلِبُه فيتَحَوَّلُ لكِ . قال : فسَفَرت عن وجهِها وقالَت : أغَدْرًا وتَنْكاثًا يا فاسقُ ؟ ! وإنك لهـهنا يا عدُوَّ اللَّهِ . فبُهِت وأَبْلَس ، ولم يَنْطِقْ وتَحَيَّر وخَجِل ، ثم قالَت : قاتَل اللَّهُ جَميلًا حيث يقولُ[2] :

لحا[3] اللَّهُ مَن لا يَنْفَعُ الوُدُّ عندَه ومَن حَبْلُه إن مُدَّ[4] غيرُ مَتينِ

ومَن هو ذو وجهَيْن ليس بدائمٍ على العَهْدِ حَلَّافٌ بكلِّ يَمينِ

ثم شَرَع كُثَيِّرٌ يَعْتَذِرُ ويَتَنَصَّلُ مما وَقَع منه ، ويَقولُ فى ذلك الأشعارَ ذاكرًا وآثِرًا .

وقد ماتَتْ عَزَّةُ بمِصْرَ فى أيامِ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ[5] ، وزار كُثَيِّرٌ قبرَها ورَثاها ، وتَغَيَّر شعرُه بعدَها ، فقال له قائلٌ[6] : ما بالُ شِعْرِك تَغَيَّر ، وقد قَصَّرت فيه ؟ فقال : ماتتْ عزةُ فلا أَطْرَبُ ، وذَهَب الشبابُ فلا أَعْجَبُ ، ومات عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوانَ فلا أَرْغَبُ ، وإنما الشعرُ عن هذه الخِلالِ .

وكانت وفاتُه ووفاةُ عِكْرِمةَ فى يومٍ واحدٍ ، ولكن فى سنةِ خمسٍ ومائةٍ ،

---

(١) ديوان كثير ص ٥١٦ .

(٢) ديوان جميل ص ١٢٦ .

(٣) فى م : « محا » .

(٤) فى النسخ : « صد » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) انظر تاريخ دمشق جزء تراجم النساء ، طبعة دار الفكر ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٦) تاريخ دمشق ٥٣٩/١٤ مخطوط .

على المشهورِ . وإنما ذَكَره شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبيُّ فى هذه السنةِ . أعْنِى سنةَ سبعٍ ومائةٍ . واللَّهُ سبحانَه أعْلَمُ .

ثم دَخلت سنةُ ثَمانٍ ومائةٍ

ففيها[1] افْتَتح مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ قَيْسارِيَّةَ مِن بلادِ الرومِ، وفتَح إبراهيمُ [٧/١٩٠ظ] ابنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ حِصْنًا مِن حُصون الرومِ أيضًا. وفيها غَزا أسدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ أميرُ خُراسانَ، فكسَر الأتْراكَ كَسْرةً فاضحةً.[2] وحجَّ بالناسِ فيها إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخزومىُّ، أميرُ الحرمينِ والطائفِ. والعُمَّالُ فيها هم العُمَّالُ فى التى قَبْلَها بأعيانِهم[2].

وفيها تُوفِّىَ بكرُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُزَنىُّ[3]. وراشدُ بنُ سعدٍ المَقْرائىُّ الحِمْصِىُّ[4]. ومحمدُ بن كَعْبٍ القُرَظىُّ فى قولٍ[5]. وأبو نَضْرةَ المنذرُ بنُ مالكٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٣، والمنتظم ٧/ ١٢١، والكامل ٥/ ١٣٩.

(٢ - ٢) سقط من: ٢١، ب. وفى م، ص: «وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان، وحاصر مدينة ورثان ورماها بالمجانيق، فسار إليه أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه وقتل من جيشه خلق كثير، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل فى جملة من قتل من جيشه، وقتل الحارث بن عمرو شهيدا، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقا كثيرا. وفيها غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك أرض الروم، وبعث البطال على جيش كثيف فافتح جنجرة وغنم منها شيئا كثيرا».

(٣) بعده فى م، ص زيادة أولها: «كان عالما عابدا زاهدا متواضعا قليل الكلام ...». وأنهاها الناسخ فى «ص» بقوله: «آخر الزيادة».

وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٩، وطبقات خليفة ١/ ٤٩٣، وتهذيب الكمال ٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢.

(٤) بعده فى ٢١، ب، م، ص: «عمر دهرا طويلا، وروى عن جماعة من الصحابة، وكان عابدا صالحا زاهدا رحمه الله، وله ترجمة طويلة».

وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٦، وطبقات خليفة ٢/ ٢٩٥، وتاريخ دمشق ١٧/ ٤٥٠، وتهذيب الكمال ٩/ ٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٩٠.

(٥) بعده فى م، ص زيادة أولها: «هو أبو حمزة، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ...» =

ابن قِطْعَةَ العَبْدِىُّ[1] .

وقد ذَكَرْنا تَراجِمَهم فى كتابِنا « التَّكْميلِ » .

= وأنهاها الناسخ فى « ص » بقوله : « آخر الزيادة ، قال المؤلف : وفيها توفى ... » .

وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ، القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ص ١٣٤ ، وطبقات خليفة ٢/ ٦٦١ ، وتاريخ دمشق ١٥/٨٧٩ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٣٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٦٥ .

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٨ ، وطبقات خليفة ١/ ٥٠٠ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٥٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٩ .

ثم دَخَلَت سنةُ تسعٍ ومائةٍ

ففيها[1] عَزَل هشامُ بنُ عبدِ الملكِ أسَدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ عن إمْرةِ خُراسانَ ، وأمَره أنَ يَقْدَمَ إلى الحَجِّ ، فأقْبَل منها فى رمضانَ ، واسْتَخْلَف على خُراسانَ الحكَمَ بنَ عَوانةَ الكَلْبىَّ ، واسْتَناب هشامٌ على خُراسانَ أشْرَسَ بنَ عبدِ اللَّهِ السُّلَمىَّ ، وأمَرَه أن يُكاتِبَ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ ، وكان أشْرَسُ فاضلًا خَيِّرًا ، وكان يُسَمَّى الكاملَ لذلك ، وكان أوَّلَ مَن اتَّخَذ المُرابِطةَ بخُراسانَ ، واستَعمَل عليها عبدَ الملكِ بنَ دِثارٍ[2] الباهِلىَّ ، وتَوَلَّى هو الأُمورَ بنَفْسِه ؛ كبيرَها وصَغيرَها ، ففَرِح به أهلُها .

وفيها حَجَّ بالناسِ إبراهيمُ بنُ هشامٍ أميرُ الحَرَمَيْن والطائفِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٧، ٥٢، والمنتظم ٧/ ١٤٣، والكامل ٥/ ١٤٢.

(٢) فى النسخ : «زياد» . والمثبت من تاريخ الطبرى ، والمنتظم .

سنةُ عَشْرٍ ومائةٍ مِن الهِجْرةِ النَّبويةِ

فيها[1] قاتَل مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ مَلِكَ التُّرْكِ الأعْظَمَ خاقانَ ، فى جُموعٍ عَظيمةٍ ، فتَواقَفوا نحوًا مِن شهرٍ ، ثم هزَم اللَّهُ خاقانَ فى زمنِ الشِّتاءِ ، ورَجَع مَسْلَمةُ سالمًا غانمًا ، فسَلَك على مَسْلَكِ ذى القَرْنَيْن فى رُجوعِه إلى الشامِ ، [2]وتُسَمَّى هذه الغَزاةُ غزاةَ الطِّينِ ، وذلك أنهم سَلكوا على مَغارِقَ ومَواضِعَ غَرِق فيها دَوابُّ كثيرةٌ ، وتَوَحَّل فيها خَلْقٌ كثيرٌ ، فما نَجَوْا حتى قاسَوا شَدائِدَ وأهْوالًا صِعابًا وشِدادًا عِظامًا[2] .

وفيها دَعا أشْرَسُ بنُ عبدِ اللَّهِ السُّلَمىُّ نائبُ خُراسانَ أهلَ الذِّمَّةِ بسَمَرْقَنْدَ ومَن وراءَ النَّهرِ إلى الدُّخولِ فى الإسْلامِ ، على أن يَضَعَ عنهم الجِزْيَةَ ، فأجابوه إلى ذلك ، وأسْلَموا غالبُهم ، ثم طالَبَهم بالجِزْيةِ ، فنَصَبوا له الحَرْبَ وقاتَلوه ، ثم كانَت بينَه وبينَ التُّرْكِ حُروبٌ كَثيرةٌ ، أطال ابنُ جَريرٍ بَسْطَها وشَرْحَها فوقَ الحاجةِ .

[3]وفيها[4] أرْسَل أميرُ المؤمنين هشامٌ[5] عُبيدةَ إلى إفريقيَّةَ مُتَوَلِّيًا عليها ، فلمَّا وَصَل جَهَّز ابنَه وأخاه فى جيشٍ ، فالْتَقَوْا مع المشركين فقَتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا[3] ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٤، والمنتظم ٧/ ١٣٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر الفتوح لابن أعثم ٨/ ٢٨٨.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢١.

(٥) بعده فى م ، ص : « بن » وهو خطأ . وعبيدة هو ابن عبد الرحمن الذكوانى . انظر المصدر السابق .

(١) وأَسَروا بِطْرِيقَهم ، وانْهَزم باقيهم ، وغَنِم المُسْلِمون منهم شيئًا كثيرًا .

وفيها[٢] فتحَ مُعاويةُ بنُ هشامٍ حِصْنَيْن مِن بلادِ الرومِ ، وغَنِم غَنائمَ جَمَّةً(١) .

وفيها[٣] حَجَّ بالناسِ إبراهيمُ بنُ هشامٍ . وعلى العراقِ خالدٌ القَسْرىُّ ، وعلى خُراسانَ أَشْرَسُ بنُ عبدِ اللَّهِ السُّلَمىُّ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ : جَريرٌ الشاعرُ[٤] ، وهو جَريرُ بنُ الخَطَفَى ، ويُقالُ : جريرُ بنُ عَطِيةَ بن الخَطَفَى . واسمُ الخَطَفَى حُذَيفةُ بنُ بدرِ بنِ سَلَمةَ بنِ عوفِ بنِ كُلَيْبِ بنِ يَرْبوعِ بنِ حَنْظَلةَ بنِ مالكِ بنِ زيدِ مَناةَ بنِ تَميمِ بنِ مُرٍّ بنِ طابِخَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نزارٍ ، أبو حَزْرَةَ ، الشاعرُ البَصْرىُّ ، قَدِم دمشقَ مِرارًا ، وامْتَدَح يَزيدَ بنَ مُعاويةَ والخُلَفاءَ مِن بعدِه ، ووَفَد على عمرَ بنِ [٧/١٩١و] عبدِ العزيزِ ، وكان فى عَصْرِه مِن الشُّعراءِ الذين يُقارَنونَ ، الفَرَزْدقُ والأَخْطَلُ ، وكان جَريرٌ أَشْعَرَهم وأَخْيَرَهم .

قال غيرُ واحدٍ : هو أَشْعَرُ الثلاثةِ .

قال ابنُ دُرَيْدٍ[٥] : ثنا الأُشْنانْدانىُّ ، ثنا التَّوَّزِىُّ ، عن أبى عُبَيدةَ ، عن عثمانَ البَتِّىِّ قال : رأيْتُ جَرِيرًا وما تُضَمُّ شَفَتاه مِن التَّسْبِيحِ ، فقلتُ : وما يَنْفَعُك هذا

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٤.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٦٦.

(٤) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٩٧، ٣٧٤، والشعر والشعراء ١/ ٤٦٤، والأغانى ٨/٣ - ٨٩، وسمط اللآلى ١/ ٢٩٢، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٤٠.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٦/٤٠ عن عثمان البتى .

(١ وأنت تَقْذِفُ المُحْصَنَةَ ١) ؟! فقال : سُبحانَ اللَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، ولا إلهَ إلا اللَّهُ ، واللَّهُ أكبرُ ، وللَّهِ الحمدُ ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ، وَعْدٌ مِن اللَّهِ حَقٌّ .

وقال هِشامُ بنُ محمدٍ الكَلْبيُّ (٢) ، عن أبيه قال : دَخَل رجلٌ مِن بنى عُذْرةَ على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ يَمْتَدِحُه بقَصيدةٍ ، وعندَه الشعراءُ الثَّلاثةُ ؛ جَريرٌ والفَرَزْدقُ والأَخْطَلُ ، فلم يَعْرِفْهم الأعْرابيُّ ، فقال عبدُ الملكِ للأعْرابيِّ : هل تَعْرِفُ أهْجَى بيتٍ فى الإسْلامِ ؟ قال : نعم ، قولُ جَريرٍ (٣) :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك مِن نُمَيْرٍ ... فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابَا

فقال : أحْسَنْتَ ، فهل تَعْرِفُ أمْدَحَ بيتٍ قيل فى الإسْلامِ ؟ قال : نعم ، قولُ جَريرٍ (٤) :

ألستُم خيرَ مَن رَكِب المَطايَا ... وأنْدَى العالَمِينَ بُطونَ راحِ

فقال : أصَبْتَ وأحْسَنْتَ ، فهل تَعْرِفُ أرَقَّ بيتٍ قيل فى الإسْلامِ ؟ قال : نعم ، قولُ جَريرٍ (٥) :

إن العَيونَ التى فى طَرْفِها مَرَضٌ ... قَتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلانَا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ به ... وهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أرْكانَا

فقال : أحْسَنْتَ ، فهل تَعْرِفُ جَريرًا ؟ قال : لا واللَّهِ ، وإنى إلى رُؤْيتِه لمُشْتاقٌ . قال : فهذا جَريرٌ ، وهذا الأخطلُ ، وهذا الفرزدقُ . فأنْشَأ الأعْرابيُّ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .
(٢) ذكره الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٤١، ٤٢، عن هشام ابن الكلبى عن أبيه . وهو فى مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٤١، ٤٢ عن غير الكلبى بنحوه .
(٣) ديوان جرير ٢/٨٢١ .
(٤) المصدر السابق ١/٨٥ .
(٥) المصدر السابق ١/١٦٣ .

يقولُ[1] :

فحيَّا الإلهُ أبا حَزْرَةٍ ... وأرْغَمَ أنْفَك يا أخْطَلُ
وجَدُّ الفَرَزْدَقِ أَتْعِسْ به ... ودَقَّ خَياشِيمَه الجَنْدَلُ

فأنْشَأ الفَرَزْدَقُ يقولُ[1] :

يا أرْغَم اللَّهُ أنفًا أنت حاملُه ... يا ذا الخَنا ومَقالِ الزُّورِ والخَطَلِ
ما أنت بالحَكَمِ التُّرْضَى حُكومتُه ... ولا الأصيلِ ولا ذى الرَّأْيِ والجَدَلِ

ثم أنْشَأ الأخْطَلُ يقولُ[3] :

يا شَرَّ مَن حَمَلَت ساقٌ على قَدَمٍ ... ما مِثْلُ قولِك فى الأقْوامِ يُحْتَمَلُ
إن الحُكومةَ ليْسَت فى أبيك ولا ... فى مَعْشَرٍ أنت منهم إنَّهم سَفَلُ

فقام جَريرٌ مُغْضَبًا وهو يقولُ[4] :

شَتَمْتُما قائِلًا بالحَقِّ مهتديًا ... عندَ الخَليفةِ والأقوالُ تَنْتضِلُ[5]
[٧/ ١٩١ظ] أتَشْتُمانِ سَفاهًا خيرَكم حَسَبًا ... ففيكما وإلهى الزُّورُ والخَطَلُ
شَتَمْتُماه على رَفْعِى ووَضْعِكما ... لا زِلْتُما فى سَفالٍ أيُّها السَّفَلُ

ثم وَثَب جَريرٌ فقبَّل رأسَ الأعْرابىِّ ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، جائِزَتى له . وكانت خمسةَ عَشَر ألفًا ، فقال عبدُ الملكِ : وله مِثْلُها مِن مالى . فقبَض الأعْرابىُّ ذلك كلَّه ، وخرَج .

---

(١) البيتان فى ديوان الأخطل ص ٣٩١ . الطبعة الأوربية ، (نقلًا عن محقق مختصر تاريخ دمشق ٤٢/٦) .
(٢) المصدر السابق ، البيت الثانى فى خزانة الأدب ٣٢/١ .
(٣) ديوان الأخطل ٣٩١ . الطبعة الأوربية .
(٤) ديوان جرير ١٠٣٤/٢ .
(٥) سقط من : ب ، م ، ص .

وحَكَى يَعقوبُ بنُ السِّكِّيتِ[1] أن جَريرًا دَخَل على عبدِ الملكِ مع وَفْدِ أهلِ العِراقِ مِن جهةِ الحَجَّاجِ، فأنْشَده مَدِيحَه الذى يَقولُ فيه[2] :

أَلسْتُم خيرَ مَن رَكِب المَطايَا وأنْدَى العالَمِين بُطونَ راحِ

فأطْلَق له مائةَ ناقةٍ وثمانيةً مِن الرُّعاةِ؛ أربعةً مِن النُّوبةِ، وأَرْبعةً مِن السَّبْيِ الذين قَدِم بهم مِن الصُّغْدِ. قال جَريرٌ: وبينَ يدى عبدِ الملكِ جامَاتٌ[3] مِن فِضةٍ قد أُهْدِيَت له، [4]وهو لا يَعْبَأُ بها شيئًا[4]، فهو يَقْرَعُها بقَضِيبٍ فى يدِه، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، المِحْلَبَ[5]. فألْقَى إلىَّ واحدةً مِن تلك الجامَاتِ، ولما رَجَع إلى الحَجَّاجِ أعْجَبه إكْرامُ أميرِ المؤمنين له، فأطْلَق له خمسين ناقةً تَحْمِلُ طعامًا لأهلِه.

وحَكى نِفْطَوَيْهِ أن جَريرًا دَخَل يومًا على بِشْرِ بنِ مَرْوانَ وعندَه الأَخْطَلُ، فقال بِشْرٌ لجَريرٍ: أتَعْرِفُ هذا؟ قال: لا، ومَن هذا أيُّها الأميرُ؟ فقال: هذا الأَخْطَلُ. فقال الأَخْطَلُ: أنا الذى شَتَمتُ عِرْضَك، وأسْهَرْتُ ليلَك، وآذَيْتُ قومَك. فقال جَريرٌ: أما قولُك: شَتَمْتُ عِرْضَك. فما ضَرَّ البَحْرَ أن يَشْتُمَه مَن غَرِق فيه، وأما قولُك: وأسْهَرْتُ ليلَك. فلو تَرَكْتَنى أَنامُ لكان خيرًا لك، وأما قولُك: وآذَيْتُ قومَك. فكيف تُؤْذِى قومًا أنت تُؤَدِّى الجِزْيَةَ إليهم؟! وكان الأَخْطَلُ مِن نَصارَى العربِ المُتَنَصِّرةِ، قَبَّحه اللَّهُ تعالى وأبْعَد مَثْواه[6].

---

(١) الخبر من طريق آخر فى الأغانى ٨/٦٦ - ٦٨ مطولا. وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) البيت فى ديوان جرير ٢/٨٢١.

(٣) الجام: الإناء. اللسان (ج و م).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) المحلب: الإناءُ يحلب فيه. الوسيط (ح ل ب).

(٦) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وهو الذى أنشد بشر بن مروان قصيدته التى يقول فيها:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم =

وقال الهَيْثمُ بنُ عَدِيٍّ ، عن عَوانةَ بنِ الحكَمِ قال[1] : لما اسْتُخْلِف عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وَفَد إليه الشُّعراءُ فمَكَثوا ببابِه أيامًا لا يُؤْذَنُ لهم ولا يُلْتَفَتُ إليهم ، فساءَهم ذلك وهَمُّوا بالرُّجوعِ إلى بلادِهم ، فمرَّ بهم رَجاءُ بنُ حَيْوَةَ ، فقال له جَريرٌ :

يا أيُّها الرَّجلُ المُزْجِى عِمامتَه ... هذا زمانُك فاسْتَأْذِنْ لنا عُمَرَا

فدَخَل ولم يَذْكُرْ مِن أمْرِهم شيئًا ، فمرَّ بهم عَدِيُّ بنُ أرْطاةَ ، فقال له جَريرٌ مُنْشِدًا[2] :

يا أيُّها الراكبُ المُزْجِى مَطِيَّتَه ... هذا زمانُك إنى قد مَضَى زَمَنى
أَبْلِغْ خَليفتَنا إن كنتَ لاقِيَه ... أَنِّى لَدَى البابِ كالمَصْفودِ فى قَرَنِ
لا تَنْسَ حاجتَنا لاقَيتَ مَغْفِرةً ... قد طال مُكْثِىَ عن أهْلى وعن وَطَنى

[١٩٢/٧و] فدَخَل عَدِيٌّ على عمرَ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الشُّعراءُ ببابِك ، وسِهامُهم مَسْمومةٌ ، وأقوالُهم نافذةٌ . فقال : ويحَك يا عَدِيُّ ! ما لى وللشُّعراءِ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد كان يَسْمَعُ الشعرَ ويَجْزِى عليه ، وقد أنْشَده العباسُ بنُ مِرْداسٍ مَدْحَه ، فأعْطاه حُلَّةً . فقال له عمرُ : أتَروِى منها شيئًا ؟ قال : نعم . فأنْشَده[3] :

رأيْتُكَ يا خيرَ البَرِيَّةِ كلِّها ... نَشَرْتَ كتابًا جاء بالحَقِّ مُعْلَمَا

= عن مواضعه ، وليس فى بيت هذا النصرانى حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله ، عز وجل ، باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا ، فإنه إنما يقال : استولى على الشىء . إذا كان ذلك الشىء عاصيا عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب تعالى لم يكن ممتنعا عليه نفسا واحدا ، حتى يقال : استولى عليه . أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية ، حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصرانى المقبوح ، وليس فيه حجة . والله أعلم » .

(١) مختصر تاريخ دمشق ٤٥/٦ - ٤٨ ، عن عوانة بن الحكم .

(٢) الأبيات فى الأغانى ٤٧/٨ ، العقد الفريد ٩٢/٢ .

(٣) الأبيات فى العقد الفريد ٩٢/٢ . وانظر ثمرات الأوراق ص ٧٩ .

شرَعْتَ لنا دِينَ الهُدَى بعدَ جَوْرِنا عن الحَقِّ لمَّا أصْبَح الحَقُّ مُظْلِمَا
ونَوَّرْتَ بالبُرْهانِ أمْرًا مُدَلَّسًا وأطْفَأْتَ بالقُرآنِ نارًا تَضَرَّمَا
فمَن مُبلِغٌ عنِّى النبىَّ مُحمدًا وكلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بما كان قَدَّمَا
أَقَمْتَ سَبيلَ الحَقِّ بعدَ اعْوِجاجِه وكان قديمًا رُكْنُه قد تَهَدَّما
تَعالَى عُلُوًّا فوقَ عَرْشِ إلـهُنا وكان مَكانُ اللَّهِ أعْلَى وأعْظَما

فقال عمرُ : ويحَكَ يا عدىُّ ! مَن بالبابِ منهم ؟ فقال : عمرُ بنُ أبى رَبيعةَ . فقال : أليس هو الذى يَقولُ[1] :

ثم نبَّهتُها فَهبَّتْ[2] كَعَابًا طَفْلَةً ما تَبينُ رَجْعَ الكلامِ[3]
ساعةً ثم إنها بعدُ قالتْ ويْلَتا قد عَجِلْتَ يا بنَ الكِرامِ
أعَلى غيرِ مَوْعِدٍ جِئْتَ تَسْرِى تَتَخَطَّى إلى رُءوسِ النِّيامِ
ما تَجَشَّمْتَ ما تُرِيدُ مِن الأَمْـ ـرِ ولا جئتَ طارقًا لخصامِ

فلو كان عدوُّ اللَّهِ إذ فجَر كتَم وستَر على نَفْسِه ! لا يَدْخُلُ علىَّ واللَّهِ أبدًا ، فمَن بالبابِ سِواه ؟ قال : هَمَّامُ بنُ غالبٍ - يعنى الفَرَزْدَقَ - فقال عمرُ : أو ليس هو الذى يَقولُ[4] :

هما دَلَّتانى مِن ثمانين قامةً كما انْقَضَّ بازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كاسِرُهْ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلاىَ بالأرضِ قالَتا أحَىٌّ يُرَجَّى أمْ قَتِيلٌ نُحاذِرُهْ

لا يَطَأُ واللَّهِ بِساطى وهو كاذبٌ ، فمَن سِواه بالبابِ ؟ قال : الأَخْطَلُ . قال :

---

(١) لم ترد هذه الأبيات فى العقد ، وورد هناك أبيات مكانها ، وانظر ثمرات الأوراق ص ٧٩ .
(٢) فى الثمرات : فمدت .
(٣) الكعاب : الفتاة التى نهد - برز وارتفع - ثديها . والطفلة : الناعمة اللينة . انظر اللسان (ك ع ب ، ط ف ل) .
(٤) ديوان الفرزدق ص ٣٦١ ، وديوان جرير ٣١٩/١ .

أو ليس هو الذى يَقولُ[1] :

ولسْتُ بصائمٍ رَمضانَ طَوْعًا[2] ولسْتُ بآكلٍ لحمَ الأضاحى
ولسْتُ بزاجرٍ عَنْسًا[3] بكورًا إلى بَطْحاءِ مَكةَ للنجاحِ
ولسْتُ بزائرٍ بيتًا بعيدًا بمكةَ أبْتَغِى فيه صَلاحى
[١٩٢/٧ظ] ولسْتُ بقائمٍ كالعَيْرِ أَدْعُو قُبَيْلَ الصُّبْحِ حىَّ على الفَلاحِ
ولكنى سأَشْرَبُها شَمولًا[4] وأَسْجُدُ عندَ مُنْبَلَجِ الصَّباحِ

واللَّهِ لا يَدْخُلُ علىَّ وهو كافرٌ أبدًا ، فهل بالبابِ سوى مَن ذَكَرْتَ ؟ قال : نعم ، الأحْوَصُ . قال : أليس هو الذى يَقولُ[5] :

اللَّهُ بينى وبينَ سيِّدِها يَفِرُّ منى بها وأَتْبَعُهُ

فما هو دونَ مَن ذَكَرْتَ[6] ، فمَن ههنا غيرُه ؟ قال : جميلُ بنُ مَعْمَرٍ . قال : الذى يَقولُ[7] :

ألا ليتَنا نَحْيَا جميعًا وإن نَمُتْ يُوافِقُ فى المَوْتَى ضريحى ضريحُها
فما أنا فى طُولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيل قد سُوِّى عليها صَفيحُها

فلو كان عدوُّ اللَّهِ تَمَنَّى لِقاءَها فى الدنيا ليَعْمَلَ بعد ذلك صالحًا ! واللَّهِ لا يَدْخُلُ علىَّ أبدًا ، فهل بالبابِ أحدٌ سِوى ذلك ؟ قال : نعم ، جَريرٌ . قال : أمَا إنه

---

(١) الأبيات فى العمدة لابن رشيق القيروانى ١/ ٢١، وانظر ثمرات الأوراق ص ٨.
(٢) فى الأصل : « عمرى » .
(٣) العَنْس : البازل الصلبة من النوق . اللسان (ع ن س) .
(٤) الشمول : الخمر ، وقيل : الخمر الباردة . انظر اللسان (ش م ل) .
(٥) الديوان ص ١٤٤، وانظر ثمرات الأوراق ص ٨٠،وسمط اللآلى ٧٨٦/٢ ، وخزانة الأدب ٢/ ١٨، والعقد الفريد ٢/ ٩٣.
(٦) أى : ليس هو بأقل ممن ذكرتهم فى فحش قولهم .
(٧) ديوان جميل ص ٥١، والبيت فى ثمرات الأوراق ص ٨٠.

الذى يَقولُ[1] .

طرَقَتْكَ صائدةُ القُلوبِ وليسَ ذَا حينُ الزيارةِ فارْجِعى بِسلامِ

فإن كان لا بدَّ فأْذَنْ لجَريرٍ . فأَذِن له فدَخَل وهو يَقولُ[2] :

إن الذى بَعَث النبىَّ محمدًا جَعَل الخِلافةَ للإمامِ العادلِ

وَسِعَ الخَلائقَ عَدْلُه ووَفاؤُه حتى ارْعَوَى وأقام مَيْلَ المائلِ

إنى لأَرْجو منك خيرًا عاجلًا والنفسُ مُولَعةٌ بحُبِّ العاجلِ

فقال له عمرُ : ويحَك يا جَريرُ ! اتَّقِ اللَّهِ فيما تَقولُ . ثم إن جَريرًا اسْتَأْذَن عمرَ فى الإنْشادِ فلم يَأْذَنْ له ولم يَنْهَهُ ، فأنْشَده قَصيدةً طَويلةً يَمْدَحُه بها[3] ، فقال له : ويحَك يا جَريرُ ! لا أَرَى لك فيما هـٰهنا حقًّا . فقال : إنى مِسْكينٌ وابنُ سَبيلٍ . فقال له : إنا وُلِّينا هذا الأمْرَ ونحن لا نَمْلِكُ إلا ثلاثَمائةِ درهمٍ ، أَخَذَت أمُّ عبدِ اللَّهِ مائةً ، وابنُها مائةً ، وقد بَقِيَت مائةٌ . فأمَر له بها ، ثم خرَج على الشُّعراءِ ، فقالوا : ما وراءَك يا جريرُ ؟ فقال : ما يَسُوءُكم ، خرجتُ مِن عندِ أميرِ المؤمنين ، وهو يُعْطِى الفقراءَ ، ويَمْنَعُ الشعراءَ ، وإنى عنه لَراضٍ . ثم أنْشَأ يَقولُ[4] :

رأيْتُ رُقَى الشَّيْطانِ لا تَسْتَفِزُّه وقد كان شَيْطانى مِن الجِنِّ راقيَا

وقال بعضُهم فيما حَكاه المُعافَى بنُ زكريا الجَرِيرىُّ[5] : قالت جاريةٌ للحَجَّاجِ ابنِ يوسُفَ فى جريرٍ : إنك تُدْخِلُ هذا علينا . فقال : إنه ما عَلِمْتُ [إلا][6] عَفيفًا .

---

(١) ديوان جرير ١/ ٥٥١، وانظر ثمرات الأوراق ص ٨١.

(٢) الديوان ٢/ ٢٥٣.

(٣) القصيدة فى الديوان ١/ ٢٧٤، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٤٧، والأغانى ٨/ ٤٧.

(٤) البيت فى حاشية الأمير على مغنى اللبيب ١/ ٦١.

(٥) الخبر فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٤٢، عن عبد اللّه بن أحمد المزنى بنحو هذا السياق .

(٦) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

فقالتْ : أمَا إنك لو أَخْلَيْتَنى وإياه [١٩٣/٧و] ستَرَى ما يَصْنَعُ . فأَمَر بإخْلائِها مع جَريرٍ فى مكانٍ يَراهما ولا يَشْعُرُ جَريرٌ بشىءٍ ، فقالَتْ له : يا جَريرُ . فأَطْرَق رأسَه وقال : هاأناذا . فقالتْ : أَنْشِدْنى مِن قولِك كذا وكذا . لشعرٍ فيه رِقَّةٌ وتَحَنُّنٌ . فقال : لسْتُ أَحْفَظُه ، ولكن أَحْفَظُ كذا وكذا . ويُعْرِضُ عن ذاك ، ويُنْشِدُها شعرًا فى مَدْحِ الحَجَّاجِ ، فقالتْ : لسْتُ أسألُكَ عن هذا ، إنما أُرِيدُ كذا وكذا . فيُعْرِضُ عن ذلك ، ويُنْشِدُها فى مدحِ الحَجَّاجِ ، حتى انْقَضَى المجْلِسُ ، فقال الحَجَّاجُ : للَّهِ دَرُّك ، أَبَيْتَ إلا كَرَمًا وتَكَرُّمًا .

وقال عِكْرِمةُ : أَنْشَدْتُ أعْرابيًّا بيتًا لجَريرٍ الخَطَفَى[1] :

أَبُدِّلَ الليلُ لا تَجْرِى كَواكبُه ... أو طال حتى حَسِبْتُ النَّجْمَ حَيْرانَا[2]

فقال الأعْرابىُّ : إن هذا حَسَنٌ فى مَعْناه ، وأَعُوذُ باللَّهِ مِن مثلِه ، ولكنى أُنْشِدُك فى ضِدِّه مِن قَوْلى :

وليلٍ لم يُقَصِّرْه رُقادٌ ... وقَصَّره لنا وَصْلُ الحَبيبِ
نَعيمُ الحُبِّ أَوْرَقَ فيه حتَّى ... تَناوَلْنا جَناهُ مِن قَريبِ
بمَجْلِسِ لَذَّةٍ لم نَقْفِ فيه ... على شَكْوَى ولا عَيْبِ الذُّنوبِ
فحُلْنا أن نُقَطِّعَه بلفظٍ ... فتَرْجَمَتِ العُيونُ عن القُلوبِ

فقلتُ له : زِدْنى . قال : أمّا مِن هذا فحَسْبُك ، ولكن أُنْشِدُك غيرَه . فأنشَدنى :

وكنتُ إذا عَقَدْتُ حِبالَ قومٍ ... صَحِبْتُهمُ وشِيمتىَ الْوَفاءُ

---

(١) ديوان جرير ١/ ١٦٣.

(٢) الحيران : الدائم الذى لا يبرح مكانه . انظر اللسان (ح ى ر) .

فأُحْسِنُ حينَ يُحْسِنُ مُحْسِنوهم وأَجْتَنِبُ الإساءةَ إنْ أساءُوا
أَشاءُ سوى مَشيئتِهم فآتِى مَشيئتَهم وأتْرُكُ ما أَشاءُ

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : كان جَريرٌ أشْعَرَ مِن الفَرَزْدَقِ عندَ الجُمهورِ ، وأَفْخرُ بيتٍ قاله جَريرٌ[2] :

إذا غَضِبَت عليك بنو تَميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابًا

قال[3] : وقد سأَله رجلٌ : مَن أشْعَرُ الناسِ ؟ فأخَذ بيدِه وأَدْخَله على أبيه ، وإذا هو يَرْتَضِعُ مِن ثَدْيِ عَنْزٍ ، فاسْتَدْعاه ، فنَهَض واللبنُ يَسِيلُ على لحيَتِه ، فقال جَريرٌ للذى سَأَله : أتُبْصِرُ هذا ؟ قال : نعم . قال : أتَعْرِفُه ؟ قال : لا . قال : هذا أبى ، وإنما يَشْرَبُ مِن ضَرْعِ العَنْزِ ؛ لئلا يَحْلُبَها فيَسْمَعَ جِيرانُه حِسَّ الحَلْبِ فيَطْلُبوا منه لَبَنًا ، فأشْعَرُ الناسِ مَن فاخَر بهذا ثمانين شاعرًا فغَلَبهم .

وقد كان بينَ جَريرٍ والفَرَزْدَقِ مُقاوَلاتٌ ومُهاجاةٌ كثيرةٌ جدًّا يَطولُ [١٩٣/٧ظ] ذِكْرُها ، وقد ماتا فى سنةِ عشْرٍ ومائةٍ . قاله خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ وغيرُ واحدٍ ، قال خَليفةُ[4] : مات الفَرَزْدَقُ وجَريرٌ بعدَه بأشْهرٍ . وقال الصُّوليُّ[5] : ماتا فى سنةِ إحْدَى عشْرةَ ومائةٍ ، ومات الفَرَزْدَقُ قبلَ جَريرٍ بأربعين يومًا .

وقال الكُدَيْمِيُّ[6] ، عن الأصْمَعيِّ ، عن أبيه قال : رَأَى رجلٌ جَريرًا فى المَنامِ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٢١.
(٢) البيت فى الأغانى ٦/٨ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٢٣. والخبر فى الأغانى ٨/ ٤٩.
(٤) تاريخ خليفة ٢/ ٤٩٨.
(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٤٨.
(٦) المصدر السابق ، عن الأصمعى عن أبيه .

بعدَ موتِه ، فقال له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : غَفَر لى . فقيل : بماذا ؟ قال : بتَكْبيرةٍ كَبَّرْتُها بالباديةِ . قيل له : فما فعَل الفَرَزْدَقُ ؟ قال : أَيْهاتِ[1] ، أَهْلَكه قَذْفُ المُحْصَناتِ . قال الأصْمَعىُّ : لم يَدَعْه فى الحياةِ ولا فى المَماتِ .

وأمَّا الفَرَزْدَقُ[2] ؛ فاسمُه هَمَّامُ بنُ غالبِ بنِ صَعْصَعةَ بنِ ناجِيَةَ بنِ عِقالِ بنِ محمدِ بنِ سفيانَ بنِ مُجاشِعِ بنِ دارِمِ بنِ مالكِ بنِ حَنْظَلةَ [3]بنِ مالكٍ[3] بنِ زيدِ مَناةَ بنِ تَميمِ بنِ مُرٍّ بنِ أُدٍّ بنِ طابِخةَ ، أبو فِراسٍ بنُ أبى خَطَلٍ التَّميمىُّ البَصْرىُّ الشاعرُ المَعْروفُ بالفَرَزْدَقِ ، وجَدُّه صَعْصَعةُ بنُ ناجِيَةَ صحابىٌّ[4] ، وَفَد إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان يُحْيى المَوْءُودةَ فى الجاهليةِ .

حَدَّث الفَرَزْدقُ عن علىٍّ أنه وفد مع أبيه عليه ، فقال : مَن هذا ؟ قال : ابنى وهو شاعرٌ . قال : عَلِّمْه القرآنَ فهو خيرٌ له مِن الشعرِ[5] . وسَمِع الحسينَ بنَ علىٍّ ، ورآه وهو ذاهبٌ إلى العراقِ[6] ، وأبا هريرةَ ، وأبا سعيدٍ الخُدْرىَّ ، وعَرْفجةَ بنَ أَشْعَدَ ، وزُرارةَ بنَ كربٍ ، والطِّرِمَّاحَ بنَ عَدِىٍّ الشاعرَ .

ورَوَى عنه خالدٌ الحَذَّاءُ ، ومَرْوانُ الأصفرُ ، وحَجَّاجُ بنُ حَجَّاجٍ الأحْوَلُ ،

---

(١) أيهات : هيهات . اللسان (أ ى هـ) .

(٢) طبقات فحول الشعراء ١/٢٩٨ - ٣٧٤، والشعر والشعراء ١/ ٤٧١، والأغانى ٩/ ٣٢٤، ٢١/ ٢٧٦، ومعجم الشعراء ص ٤٦٥، والمنتظم ٧/ ١٤٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢١١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من الأغانى ، ومعجم الشعراء . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٨، ٢٣٠.

(٤) تقدمت ترجمته فى ١١/ ٢٦٢.

(٥) الخبر فى المنتظم ٧/ ١٤٩.

(٦) انظر ما تقدم فى ١١/ ٥١٠، ٥١١.

وجَماعةٌ ، وقد وَفَد على مُعاويةَ يَطْلُبُ مِيراثَ عمِّه الحُتاتِ[1] ، وعلى الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، وعلى أخيه هشامٍ ، ولم يَصِحَّ ذلك .

وقال أشْعَثُ بنُ [2]عبدِ الملكِ[2] ، عن الفَرَزْدَقِ قال : نَظَر أبو هريرةَ إلى قَدَمَىَّ فقال : يا فَرَزْدَقُ ، إنى أَرَى قدمَيْك صغيرَتَيْن ، فاطلُبْ لهما مَوْضعًا فى الجنةِ . فقلتُ : إن ذُنوبى كثيرةٌ . فقال : لا تَأْيَسْ[3] ؛ فإنى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ : « إن بالمَغْرِبِ بابًا مَفْتوحًا للتوبةِ ، لا يُغْلَقُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ مِن مَغْرِبِها » .

وقال مُعاويةُ بنُ عبدِ الكَريمِ[4] ، عن أبيه قال : دَخَلْتُ على الفَرَزْدَقِ فتَحَرَّك ، فإذا فى رجلِه قَيْدٌ ، فقلتُ : ما هذا ؟! فقال : حَلَفْتُ أن لا أَنْزِعَه حتى أَحْفَظَ القُرآنَ .

وقال أبو عمرِو بنُ العَلاءِ[5] : ما رَأَيْتُ بَدَوِيًّا أقام بالحَضَرِ إلا فَسَد لسانُه إلا رُؤْبةَ بنَ العَجَّاجِ والفَرَزْدَقَ ؛ فإنهما زادا على طُولِ الإقامةِ جِدَّةً وحِدَّةً .

وقال راوِيتُه أبو شَفْقَلٍ[6] : طَلَّق الفَرَزْدَقُ امرأتَه النَّوَارَ ثلاثًا ، ثم جاء فأَشْهَد [١٩٤/٧و] على ذلك الحسنَ البَصْرىَّ ، ثم نَدِم على طَلاقِها وإشْهادِه الحسنَ على

---

(١) فى النسخ : « الحباب » والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١٧. وانظر الإصابة ١/ ٢٩، وتبصير المنتبه ١/ ٢٩٤.

(٢ - ٢) فى ب ، م ، ص : « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٧٧. والأثر فى مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١٨، عن الفرزدق .

(٣) فى النسخ : « بأس » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٧/ ١٤٩، من طريق معاوية بن عبد الكريم به . وهو فى مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٢٥، عن عبد الكريم .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٢٦، عن أبى عمرو بن العلاء .

(٦) المصدر السابق ٢٧/ ١٣٠، ١٣١، والخبر فى الأغانى ٢١/ ٢٩٠.

ذلك ، فأنْشَأ يقولُ[1] :

نَدِمْتُ نَدامةَ الكُسَعِيِّ لمَّا ... غَدَتْ مِنِّى مُطَلَّقَةً نَوارُ
وكانت جَنَّتى فَخَرَجْتُ مِنْها ... كَآدَمَ حين أخْرَجَه الضِّرارُ
فَلَوْ أنِّى مَلَكْتُ يَدِى وقلبى ... لكان علىَّ للقَدَرِ الخِيارُ[2]

وقال الأصْمَعىُّ وغيرُ واحدٍ[3] : لمَّا ماتتِ النَّوَارُ بنتُ أَعْيَنَ بنِ ضُبَيْعَةَ المُجاشِعىِّ امْرأةُ الفَرَزْدَقِ ، وكانتْ قد أوْصَتْ أن يُصَلِّىَ عليها الحسنُ البَصْرىُّ ، فشَهِدها أعْيانُ أهلِ البَصْرةِ ، والحسنُ على بَغْلَتِه والفَرَزْدَقُ على بَعيرِه فسارا ، فقال الحسنُ للفَرَزْدَقِ : ماذا يَقولُ الناسُ ؟ قال : يَقولون : شَهِد هذه الجِنازةَ اليومَ خيرُ الناسِ . يَعْنُونك ، و : شَرُّ الناسِ . يَعنونى . فقال له : يا أبا فِراسٍ ، لسْتُ بخيرِ الناسِ ، ولسْتَ بشَرِّ الناسِ . ثم قال له الحسنُ : ما أعْدَدْتَ لهذا اليومِ ؟ قال : شَهادةُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، منذُ ثمانين سنةً . فلمَّا أن صَلَّى عليها الحسنُ مالوا إلى قبرِها لدَفْنِها ، فأنْشَأ الفَرَزْدقُ يقولُ[4] :

أَخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِنى ... أَشَدَّ مِن القبرِ الْتِهابًا وأضْيَقَا
إذا جاءنى يومَ القِيامةِ قائدٌ ... عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقا
لقد خاب مِن أولادِ آدَمَ مَن مَشَى ... إلى النارِ مَغْلولَ القِلادةِ أزْرَقَا
يُساقُ إلى نارِ الجَحِيمِ مُسَرْبَلًا ... سَرابِيلَ قَطْرانٍ لِباسًا مُخَرَّقَا

---

(١) ديوان الفرزدق ١/ ٣٦٣، الكامل للمبرد ١/ ١٢٢.

(٢) بعده فى ب ، ص : « قوله : الكسعى . والكسعى كان رجلا جاهليا ، وكان من أرمى العرب ، فخرج يوما متصيدا فى ضوء القمر ، فعن له حمر وحشية فرماها ، فأصاب منها حمارا فأنفذه ، وخرج سهمه منه فأصاب صخرة فقدح نارا ، فظن أنه لم يصب فقال : أنا أرمى ولا أصيب ! فقطع يده ، فلما أصبح إذا الحمار مطروح وسهمه إلى جنبه ، فندم على قطع يده » . وانظر مجمع الأمثال ٣/ ٣٩٨.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣١، ١٣٢.

(٤) الأبيات عدا البيت الرابع وباختلاف فى ترتيبها فى ديوان الفرزدق ٢/ ٥٧٨.

إذا شَرِبوا فيها الصَّدِيدَ رَأَيْتَهمْ يَذُوبون مِن حَرِّ الصَّديدِ تَمَزُّقَا

قال : فبَكَى الحسنُ حتى بَلَّ الثَّرَى ، ثم الْتَزَم الفَرَزْدَقَ وقال : لقد كنتَ مِن أبْغَضِ الناسِ إلىَّ ، وإنك اليومَ مِن أحَبِّ الناسِ إلىَّ .

وقال له بَعْضُهم[1] : ألا تَخافُ مِن اللَّهِ فى قَذْفِ المُحْصَناتِ ؟ فقال : واللَّهِ لَلَّهُ أحَبُّ إلىَّ مِن عَيْنَىَّ اللتين أُبْصِرُ بهما ، فكيف يُعَذِّبُنى ؟!

وقد قدَّمْنا أنه مات سنةَ عشْرٍ ومائةٍ قبل جَريرٍ بأربعين يومًا . وقيل : بأشْهرٍ . واللَّهُ أعْلَمُ .

وأمَّا الحسنُ وابنُ سِيرينَ فقد ذَكَرْنا تَرْجمةَ كلٍّ منهما مَبْسوطةً فى كتابِنا « التَّكْميلِ » . وحسبُنا اللَّهُ ونِعْم الوَكيلُ .

فأمَّا الحسنُ بنُ أبى الحسنِ[2] واسمُه يَسارٌ ، أبو سعيدٍ البَصْرىُّ مَوْلى زيدِ بنِ ثابتٍ ، ويُقالُ : مولى جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ . وقيل غيرُ ذلك ، وأُمُّه خَيْرةُ مَوْلاةُ أُمِّ سَلَمةَ [٧/١٩٤ظ] كانت تَخْدُمُها ، فربما أرْسَلَتها فى الحاجةِ فتَشْتَغِلُ عن ولدِها الحسنِ وهو رَضِيعٌ ، فتُشاغِلُه أمُّ سَلَمةَ بثَدْيِها ، فيَدُرُّ عليه فيَرْتَضِعُ مِنْها ، فكانوا يَرَوْن أن تلك الحِكْمةَ والعلومَ التى أُوتِيها الحسنُ مِن بَرَكةِ تلك الرَّضاعةِ مِن الثَّدْيِ المَنْسوبِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم كان وهو صَغيرٌ تُخْرِجُه أُمُّه إلى الصَّحابةِ فيَدْعون له ، وكان فى جُملةِ مَن يَدْعُو له عمرُ بنُ الخَطَّابِ ، قال[3] : اللهم فَقِّهْه

---

(١) الخبر بنحوه فى كتاب حسن الظن بالله ، لابن أبى الدنيا (١٠٢) ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٢٨.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٦، وطبقات خليفة ١/ ٥٠٢، وأخبار القضاة ٢/ ٣، وطبقات الفقهاء ص٨٧، وطبقات المفسرين ١/ ١٤٧، وحلية الأولياء ٢/ ١٣١، وتهذيب الكمال ٦/ ٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٤٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٤.
(٣) أخبار القضاة ٢/ ٥.

فى الدِّينِ ، وحَبِّبْه إلى الناسِ .

وسُئِل مَرَّةً أنسُ بنُ مالكٍ عن مَسْألةٍ فقال[1] : سَلُوا عنها مَوْلانا الحسنَ ، فإنه سَمِع وسَمِعْنا ، فحَفِظ ونَسِينا .

وقال ابنُ[2] مُرَّةَ : إنى لَأَغْبِطُ أهلَ البَصْرةِ بهذين الشيخَيْن ؛ الحسنِ وابنِ سِيرينَ .

وقال قَتادَةُ[3] : ما جالَسْتُ رجلًا فَقِيهًا إلا رَأَيْتُ فَضْلَ الحسنِ عليه . وقال أيضًا[4] : ما رَأَتْ عَيْناىَ أفْقَهَ مِن الحسنِ .

وقال أيوبُ[5] : كان الرجلُ يُجالِسُ الحسنَ ثلاثَ حِجَجٍ ما يَسْأَلُه عن مَسْألةٍ ؛ هَيْبةً له .

وقال الشَّعْبىُّ لرجلٍ يُرِيدُ قُدومَ البَصْرةِ[6] : إذا نَظَرْتَ إلى رجلٍ أجْمَلِ أهلِ البَصْرةِ وأهْيَبِهم فهو الحسنُ ، فأَقْرِئه منى السَّلامَ .

وقال يُونُسُ بنُ عُبَيدٍ[7] : كان الرجلُ إذا نَظَر إلى الحسنِ انْتَفَع به ، وإن لم يَسْمَعْ كلامَه ولم يَرَ عملَه .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧٦.

(٢) سقط من : الأصل . وفى ا ٢، ب ، م ، ص : « أنس » . والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣. وابن مرة هو عمرو بن مرة بن عبد اللّه الكوفى .

(٣) تهذيب الكمال ٦/ ١٠٧.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ١٦٥، بنحوه عن أيوب . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ١٠٧.

(٥) تهذيب الكمال ٦/١٠٧ .

(٦) المصدر السابق ٦/١٠٦ .

(٧) المصدر السابق ٦/ ١٠٩.

وقال الأعْمَشُ[1] : ما زال الحسنُ يَعِى الحِكْمةَ حتى نَطَق بها ، وكان أبو جَعْفرٍ إذا ذَكَره يَقولُ : ذاك الذى يُشْبِهُ كلامُه كلامَ الأنْبياءِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : قالوا : كان الحسنُ جامعًا للعلمِ والعَمَلِ ، عالمًا رَفيعًا فَقيهًا ، ثِقَةً مَأْمونًا ، عابدًا ناسِكًا ، كثيرَ العِلْمِ والعَمَلِ ، فَصِيحًا جَميلًا وَسِيمًا ، وقَدِم مكةَ فأُجْلِس على سَريرٍ ، واجْتَمَع الناسُ إليه ، فحدَّثَهم . [3]وكان فيهم مُجاهِدٌ وعطاءٌ وطاوُسٌ وعمروُ بنُ شُعيبٍ ، فقالوا : لم نرَ مثلَ هذا قطُّ[3] .

قال أهلُ التَّاريخِ : مات الحسنُ عن ثمانٍ وثمانين سنةً عامَ عشْرٍ ومائةٍ ، فى مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ منها ، بينَه وبينَ محمدِ بنِ سِيرينَ مائةُ يومٍ .

وأمَّا ابنُ سِيرينَ[4] ؛ فهو محمدُ بنُ سِيرينَ أبو بكرِ بنُ أبى عمْرةَ[5] الأنْصارىُّ مَوْلى أنسِ بنِ مالكٍ النَّضْرىِّ ، كان أبو محمدٍ مِن سَبْيِ عينِ التَّمْرِ ، أَسَره خالدُ بنُ الوليدِ فى جُمْلةِ السَّبْيِ ، فاشْتَراه أنسٌ ، ثم كاتبَه ، ثم وُلِد له مِن الأوْلادِ الأخْيارِ جماعةٌ ؛ محمدٌ هذا ، وأنسُ بنُ سِيرينَ ، ومَعْبَدٌ ، ويَحْيَى ، وحَفْصةُ ، وكَرِيمةُ ، وكلُّهم تابِعِيُّون ثِقاتٌ أَجِلَّاءُ ، رَحِمهم اللَّهُ .

قال البُخارىُّ[6] : وُلِد محمدٌ لسنتَيْن بَقِيَتا مِن خِلافةِ عثمانَ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٢/ ١٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ١٥٧، ١٥٨.

(٣ - ٣) سقط من : ا٢، ب، م، ص.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣، وطبقات خليفة ١/ ٥٠٢، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٤، وطبقات الفقهاء ص ٨٨، وتاريخ دمشق ١٥/ ٤١٧ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٢٣٩.

(٥) فى الأصل : «عميرة»، وفى ا٢، ب، م، ص : «عمرو». والمثبت من تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال.

(٦) التاريخ الصغير ١/ ٢٨٠.

وقال هشامُ بنُ حَسَّانَ[1] : هو أصْدَقُ مَن أدْرَكْتُ مِن البَشَرِ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2] : كان ثِقَةً مَأْمونًا ، عاليًا رَفيعًا ، فَقِيهًا إمامًا ، [٧/١٩٥و] كثيرَ العلمِ وَرِعًا ، وكان به صَمَمٌ .

وقال مُوَرِّقٌ العِجْلىُّ[3] : ما رَأَيْتُ رجلًا أَفْقَهَ فى وَرَعِه ، وأَوْرَعَ فى فِقْهِه منه .

وقال ابنُ عَوْنٍ[4] : كان محمدُ بنُ سِيرينَ أرْجَى الناسِ لهذه الأُمةِ ، وأَشَدَّ الناسِ إِزْراءً على نَفْسِه[5] .

قال ابنُ عَوْنٍ[6] : لم أرَ فى الدنيا مثلَ ثَلاثةٍ ؛ محمدِ بنِ سِيرينَ بالعراقِ ، والقاسمِ بنِ محمدٍ بالحِجازِ ، ورَجاءِ بنِ حَيْوةَ بالشامِ ، وكانوا يَأْتون بالحديثِ على حُروفِه .

وكان الشَّعْبىُّ يَقولُ[7] : عليكم بذاك الأَصَمِّ . يعنى محمدَ بنَ سِيرينَ .

وقال ابنُ شَوْذَبٍ[8] : ما رَأَيْتُ أحدًا أَجْرَأَ على الرُّؤْيا منه ، [9] ولا أجبنَ عن فُتْيا منه[9] .

وقال عثمانُ البَتِّىُّ[10] : لم يَكُنْ بالبَصْرةِ أعْلَمُ بالقَضاءِ منه .

---

(١) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ١٩٣.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ١٩٦، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٦.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ٤٣٧ مخطوط.

(٥) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «وأشدهم خوفا عليها».

(٦) المصدر السابق ١٨/ ١٠٦، ١٠٧، فى ترجمة رجاء بن حيوة.

(٧) تاريخ دمشق ١٥/ ٤٣٢ مخطوط.

(٨) تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٥٣ عن ابن شوذب.

(٩ - ٩) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

(١٠) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ١٩٦.

قالوا : ومات فى تاسعِ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ بعدَ الحسنِ بمائةِ يومٍ[1] .

وفيها تُوفِّىَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ اليَمَانىُّ[2] ، وهو تابِعىٌّ جَليلٌ ، وله معرفةٌ بكتبِ الأوائِلِ ، وهو يُشْبِهُ كعبَ الأحبارِ ، وكان له صلاحٌ وعبادةٌ ، ويُروى عنه أَقوالٌ حسنةٌ وحِكَمٌ ومواعظُ ، وقد بسطنا ترجَمتَه فى كتابِنا « التكميلِ » وللَّهِ الحمدُ .

قال الواقدىُّ[3] : تُوفِّىَ بصنعاءَ سَنَةَ عَشْرٍ ومائةٍ ، وقال غيرُه[4] : بعدها بسنةٍ . وقيل : بأكثرَ . واللَّهُ أعْلمُ .

---

(١) بعده فى م ، ص زيادة من الناسخ : « **فصل** ، كان اللائق بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار الأبرار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم فيبدأ بهم ثم يأتى بتراجم الشعراء ، وأيضا فإنه أطال القول فى تراجم الشعراء واختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم جمة ينتفع بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم والثناء عليهم ، ولاسيما كلام الحسن وابن سيرين ووهب بن منبه ، كما ذكره بعد كما سيأتى ذكر ترجمته فى هذه **الزيادة** ، فإنه قد اختصرها جدا ، وإن كان المؤلف أقدر وأوسع علما ، فما ينبغى أن يخل ببعض كلامهم وحكمهم ، فإن النفوس مستشرفة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فإن أقوال السلف لها موقع من القلوب ، والمؤلف غالبا فى التراجم يحيل على ما ذكر فى « التكميل » الذى صنفه فى أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم نقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فإنا قد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه اطلع عليه فكيف حال غيرهم ؟ وقد ذكرت فى غالب التراجم **زيادات** على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتى واطلعنا عليه ، ولو كان عندى كتب لأشبعت القول فى ذلك ، إذ الحكمة هى ضالة المؤمن ... فنقول وباللَّه التوفيق : أما الحسن ...» . ثم أورد الناسخ ترجمة للحسن من ص ٢٦٨ إلى ص ٢٧٤ من الجزء التاسع من « م » ، ثم أتبعها بترجمة لمحمد بن سيرين من ص ٢٧٤ إلى ص ٢٧٦. وانظر ما تقدم فى ٢٨٢/١٢ حاشية (١) .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٧٤، وطبقات خليفة ٢/ ٧٣٢، وحلية الأولياء ٤/ ٢٣، وتاريخ دمشق ١٧/ ٩٤٦، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٤٩٧.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٤٩/١٧ مخطوط .

(٤) انظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٠.

ويزعُمُ بعضُ الناسِ أن قَبْرَه فى بُصْرَى بِقَرْيَةٍ يُقالُ لها : عُصْمٌ . ولَمْ أجدْ لذلكَ أصْلًا ، واللَّهُ أعلمُ[1] .

(١) بعده فى م ، ص زيادة أولها : « انتهى ما ذكره المؤلف » . ثم أورد الناسخ فصلا طويلا فى ترجمة وهب بن منبه من ص ٢٧٦ إلى ص ٣٠٢ من الجزء التاسع من « م » ، ثم ذكر ممن توفى من الأعيان سليمان بن سعد وأم الهذيل وعائشة بن طلحة وعبد اللّه بن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان .

ثم دَخَلَت سنةُ إحْدى عشْرةَ ومائةٍ

ففيها[1] غَزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ الصائِفةَ اليُسْرَى ، وغَزا سعيدُ بنُ هشامٍ الصائفةَ اليُمنَى ، حتى بَلَغ قَيْسارِيَّةَ مِن بلادِ الرومِ .

وفيها عَزَل هِشامُ بنُ عبدِ الملكِ أشْرَسَ بنَ عبدِ اللَّهِ السُّلَمىَّ عن إمْرةِ خُراسانَ ، ووَلَّى عليها الجُنَيْدَ بنَ عبدِ الرحمنِ المُرِّىَّ ، [2]وولَّى الجرّاحَ بنَ عبدِ اللَّهِ الحَكَمِىَّ أرمينيةَ .

وفيها قصَدَت التركُ بلادَ أذْرَبيجانَ ، فلقيَهم الحارثُ بنُ عمرٍو فهزمهم ، ولما وصَل الجُنَيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ إلى خُراسانَ أميرًا عليها[2] ، تَلَقَّتْه خُيولُ الأتْراكِ مُنْهَزِمِين مِن المسلمين وهو فى سبعةِ آلافٍ ، فتَصافُّوا واقْتَتلوا قِتالًا شَديدًا ، وطَمِعوا فيه وفيمَن معه لقِلَّتِهم بالنسبةِ إليهم ، ومعهم مَلِكُهم خاقانُ ، فكاد الجُنَيْدُ أن يَهْلِكَ ، ثم أظْفَره اللَّهُ بهم ، فهزمَهم هَزيمةً مُنْكَرةً ، و[3] أَسَر ابنَ أخى مَلِكِهم ، وبَعَث به إلى الخليفةِ .

وحَجَّ بالناسِ فيها إبراهيمُ بنُ هشامٍ المَخْزومىُّ ، وهو أميرُ الحرَمَيْن والطائفِ ، وأميرُ العراقِ خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ، وأميرُ خُراسانَ الجُنَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المُرِّىُّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٧، والكامل ٥/ ١٥٩.

(٢ - ٢) سقط من: ا ٢، ب، م، ص.

(٣) من هنا سقط من: ب حتى قوله: «مولى آل مروان». فى صفحة ٦٦.

ثم دَخَلَت سنةُ ثِنْتَىْ عشْرةَ ومائةٍ

فيها[1] غَزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ الصائفةَ، فافْتَتَح حُصونًا مِن ناحيةِ مَلَطْيَةَ.

وفيها سارَت التُّرْكُ مِن اللَّانِ، فلَقِيَهم الجَرَّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَكَمىُّ فيمَن [٧/١٩٥ظ] معه مِن أهلِ الشامِ وأَذْرَبِيجانَ، فاقْتَتَلوا قبلَ أن يَتَكامَلَ إليه جيشُه، فاسْتُشْهِد الجَرَّاحُ، رَحِمه اللَّهُ، وجَماعةٌ معه بمَرْجِ أَرْدَبِيلَ، وأخَذ العدوُّ أَرْدَبِيلَ. فلمَّا بَلَغ ذلك هِشامَ بنَ عبدِ المِلك بَعَث سعيدَ بنَ عمرٍو الحَرَشىَّ[2] فى جيشٍ سريعًا، فلَحِق التُّرْكَ وهم يَسِيرون بأُسارَى المسلمين إلى نحوِ مَلِكِهم خاقانَ، فاسْتَنْقَذ منهم مَن كان معهم مِن المسلمين ومِن أهلِ الذِّمَّةِ أيضًا، وقَتَل فى التُّرْكِ مَقْتَلةً عَظيمةً جدًّا، وأَسَر منهم خَلْقًا كَثيرًا، فقتَلهم صَبْرًا، وشَفَى ما كان تَغَلَّث مِن القُلوبِ[3]، ولم يَكْتَفِ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ بذلك حتى أرْسَل أخاه مَسْلَمةَ بنَ عبدِ الملكِ فى أَثَرِ التُّرْكِ، فسار إليهم فى بَرْدٍ شَديدٍ وشِتاءٍ عَظيمٍ، فوَصَل إلى بابِ الأبْوابِ، واسْتَخْلَف عنده أميرًا، وسار هو بمَن معه فى طَلَبِ الأتْراكِ ومَلِكِهم خاقانَ، وكان مِن أمْرِه معهم ما سنَذْكُرُه، ونَهَض أميرُ خُراسانَ فى طَلَبِ الأتْراكِ أيضًا فى جيشٍ كَثيفٍ، فوَصَل إلى نهرِ بَلْخَ، ووَجَّه إليهم سَرِيةً؛ ثمانيةَ عشَرَ ألفًا، وأُخْرى عشَرةَ آلافِ يَمْنةً ويَسْرةً،

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٧٠، ٧١.

(٢) فى النسخ: «الجرشى». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر الإكمال ٢/ ٢٣٨.

(٣) ما تغلث من القلوب: ما أصابها من اللوعة والألم. انظر اللسان (غ ل ث).

وجاشَت التُّرْكُ ، فأتَوْا سَمَرْقَنْدَ ، فكَتَب أميرُها إليه يُعْلِمُه بهم ، وأنه لا يَقْدِرُ على صَوْنِ سَمَرْقَنْدَ منهم ، ومعهم مَلِكُهم الأعْظَمُ خاقانُ ، فالغَوْثَ الغَوْثَ . فسار الجُنَيْدُ مُسْرِعًا فى جيشٍ كثيفٍ نحوَ سَمَرْقَنْدَ ، حتى وَصَل إلى شِعْبِ سَمَرْقَنْدَ ، وبَقِى بينَه وبينَها أربعةُ فَراسِخَ ، فصَبَّحه خاقانُ فى جَمْعٍ عظيمٍ ، فحمَل خاقانُ على مُقَدِّمةِ الجُنَيدِ ، فانْحازوا إلى العَسْكَرِ ، والتُّرْكُ تَتْبَعُهم مِن كلِّ جانبٍ ، فتَراءَى الجَمْعان والمسلمون يتَغَدَّوْن ، ولا يَشْعُرون بانْهِزامِ مُقَدِّمتِهم وانْحِيازِها إليهم ، فنَهَضوا إلى السِّلاحِ ، واصْطَفُّوا على مَنازِلِهم ، وذلك فى مَجالٍ واسعٍ ، ومكانٍ بارزٍ ، فالْتَقَوْا ، فحَمَلَت التُّرْكُ على المَيْمَنةِ ، وفيها بنو تميمٍ والأزْدُ ، فقُتِل منها ومِن غيرِها خَلْقٌ كثيرٌ ممَّن أراد اللَّهُ كَرامتَه بالشَّهادةِ ، وقد بَرَز بعضُ شُجْعانِ المسلمين لجَماعةٍ مِن شُجْعانِ التُّرْكِ فقتَلَهم ، فناداه تَرْجُمانُ المَلِكِ : إن صِرْتَ إلينا جَعَلْناك فيمن يَرْفضُ الصنمَ الأعظمَ فنَعْبُدُك . فقال : ويحَكم ! إنما أُقاتِلُكم على أن تَعْبُدوا اللَّهَ وحدَه لا شَريكَ له . ثم قاتَلهم حتى قُتِل ، رَحِمه اللَّهُ .

ثم تَناخَى المسلمون ، وتَداعَت الأبْطالُ والشُّجْعانُ مِن كلِّ مكانٍ ، وصَبَروا وصابَروا ، وحَمَلوا على التُّرْكِ حَمْلةَ رجلٍ واحدٍ ، فهزَمَهم اللَّهُ عز وجل ، وقَتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا ، ثم عَطَفَت التُّرْكُ عليهم ، فقَتَلوا مِن المسلمين خَلْقًا حتى لم يَبْقَ سوى ألْفَيْن ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، وقُتِل يومَئذٍ سَوْدةُ بنُ أبْجَرَ ، واسْتَأْسَروا مِن المسلمين جَماعةً كَثيرةً ، فحمَلوهم إلى الملكِ خاقانَ ، فأمَر بقَتْلِهم عن آخِرِهم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، وهذه الوَقْعةُ يُقالُ لها : وَقْعةُ الشِّعْبِ . وقد بَسَطها ابنُ جَريرٍ جدًّا .

ومِمَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ :

رَجاءُ بنُ حَيْوةَ الكِندىُّ [٧/١٩٦و] **أبو المِقْدامِ**[١] ، ويُقالُ : أبو نَصْرٍ . وهو تابِعىٌّ جَليلٌ ، كَبيرُ القَدْرِ ، ثِقَةٌ فاضلٌ عادلٌ ، وَزيرُ صِدْقٍ لخُلفاءِ بنى أُمَيةَ ، وكان مَكْحولٌ إذا سُئِل يقولُ[٢] : سَلُوا شيخَنا وسيدَنا رَجاءَ بنَ حَيْوةَ . وقد أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، ووَثَّقوه فى الروايةِ ، [٣]وله رِواياتٌ وكَلامٌ حَسَنٌ ، رَحِمه اللَّهُ[٣] .

شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ الأشْعرىُّ الحِمْصىُّ[٤] ، ويُقالُ : إنه دمشقىٌّ . تابِعىٌّ جَليلٌ ، رَوَى عن مَوْلاتِه أسماءَ بنتِ يَزيدَ بنِ السَّكَنِ وغيرِها ، وحَدَّث عنه جَماعةٌ مِن ثِقاتِ التابعِينَ وغيرِهم ، وكان عالمًا عابدًا ناسِكًا ، لكن تَكَلَّم فيه جَماعةٌ بسببِ أخْذِه خَرِيطةً مِن بيتِ المالِ بغيرِ إذنِ ولىِّ الأَمْرِ ، فعابوه ونَزَكوا عِرْضَه[٥] ، [٦]وترَكوا حديثَه[٦] ، وأنْشَدوا فيه الشعرَ ، [٦]منهم شُعبةُ وغيرُه[٦] . ويقالُ[٧] : إنه سَرَق غيرَها . فاللَّهُ أعلمُ . وقد وَثَّقه جَماعاتٌ آخَرون [٦]وقَبِلُوا رِوايتَه وأثْنَوْا عليه وعلى عبادتِه ودينِه واجْتِهادِه ، وقالوا : لا يَقْدَحُ فى روايتِه ما أخَذَه مِن بيتِ المالِ إن صَحَّ عنه . وقد كان واليًا عليه مُتَصَرِّفًا فيه . فاللَّهُ أعلمُ[٦] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٤، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٣، وتاريخ دمشق ١٨/٩٦ - ١١٦، وتهذيب الكمال ٩/ ١٥١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨/ ١٠٣.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤٩، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٤، وتاريخ دمشق ٢٣/ ٢١٧، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٧٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢.

(٥) نزكوا عرضه: طعنوا فى عرضه. اللسان (ن ز ك).

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) انظر تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٣٠.

(١ قال الواقدىُّ[٢] : تُوُفِّىَ شَهْرٌ فى هذه السنةِ . أَعْنى سنةَ اثنَتَىْ عشْرةَ ومائةٍ . وقيل[٣] : قبلَها بسنةٍ . وقيل[٤] : سنةَ مائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ٤٤٩، عن الواقدى به .

(٣) تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٣٩.

(٤) انظر تاريخ خليفة ١/ ٤٣٤، وتاريخ أبى زرعة ٢/ ٦٨٠، وتاريخ دمشق ٢٣/ ٢٣٨، ٢٣٩.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ففيها[1] غزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ أرضَ الرومِ مِن ناحيةِ مَرْعَشَ .

وفيها صار جَماعةٌ مِن دُعاةِ بنى العباسِ إلى خُراسانَ ، وانْتَشَروا فيها ، وقد أخَذ أميرُها رجلًا منهم فقتَله ، وتوَعَّد غيرَه بمثلِ ذلك .

وفيها وَغَل مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ فى بلادِ التُّرْكِ ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا [2]وأُمَمًا منتشرةً ، حتى قتل ابنَ خاقانَ ، وفتح بلادًا كثيرةً[2] ، ودانَت له تلك المَمالكُ مِن ناحيةِ بَلَنْجَرَ وأعْمالِها .

وفيها حَجَّ بالناسِ [2]سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبد الملكِ . قاله الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ[3] . وحكى ابنُ جريرٍ[3] عن بعضِهم أنه حجَّ بالناسِ[2] إبراهيمُ بنُ هشامٍ المَخْزوميُّ . فاللَّهُ أعلمُ . ونُوابُ البِلادِ هم المَذْكُورون فى التى قبلَها .

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ : قال ابنُ جَريرٍ[4] : فيها كان **مَهْلِكُ الأميرِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ بُخْتٍ** ، وهو مع البَطَّالِ عبدِ اللَّهِ بأرضِ الرومِ . قُتِل شَهيدًا ، وهذه تَرْجمتُه[5] :

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٨٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٨٩.

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٨٨.

(٥) طبقات خليفة ٢/ ٧٠٥، والمعرفة والتاريخ ١/ ٦٧٣، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٦٨ ، طبعة مجمع اللغة العربية ، وتهذيب الكمال ١٨/ ٤٨٨.

هو عبدُ الوَهَّابِ بنُ بُخْتٍ أبو عُبَيدةَ ، ويُقالُ : أبو بكرٍ . مولى آلِ مَرْوانَ ، مكِّيٌّ ، سَكَن الشامَ ثم تَحَوَّل إلى المدينةِ ، رَوَى عن ابنِ عمرَ ، وأنسٍ ، وأبى هريرةَ ، وجَماعةٍ مِن التابعين . وعنه خَلْقٌ منهم ؛ أيوبُ ، ومالكُ بنُ أنسٍ ، ويَحْيَى ابنُ سعيدٍ الأنْصاريُّ ، وعُبَيدُ اللَّهِ العُمَرىُّ .

حَديثُه عن أنسٍ مرفوعًا[1] : « نَضَّر اللَّهُ امْرَأً[2] سَمِع مَقالتى هذه فوَعاها ، ثم بَلَّغها غيرَه ، فرُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَن هو أفْقَهُ منه ، ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهن صَدْرُ مُؤمنٍ[3] ؛ إخْلاصُ العملِ للَّهِ ، ومُناصحةُ أُولى الأمْرِ ، ولُزومُ جَماعةِ المسلمين ، فإن دَعْوتَهم تُحيطُ مِن وَرائِهم » .

ورَوَى عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هُريرةَ قال[4] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا [١٩٦/٧ظ] لَقِى أحدُكم أخاه فلْيُسَلِّمْ عليه ، فإن حالَتْ بينَهما شَجَرةٌ[5] ثم لَقِيَه ، فلْيُسَلِّمْ عليه » . وقد وَثَّق عبدَ الوَهَّابِ هذا جَماعاتٌ مِن أئمةِ العلمِ .

وقال مالكٌ[6] : كان كثيرَ الحَجِّ والعُمْرةِ والغَزْوِ حتى اسْتُشْهِد ، ولم يَكُنْ أحَقَّ بما فى رَحْلِه مِن رُفقائِه . وكان سَمْحًا جَوَادًا ، اسْتُشْهِد ببلادِ الرومِ مع الأميرِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٢٢٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٦٨، وأخرجه ابن ماجه مختصرا (٢٣٦) ، كلهم من طريق معان بن رفاعة عن عبد الوهاب بن بخت عن أنس . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٣) .

(٢) فى المسند ، وسنن ابن ماجه : « عبدا » ، وفى تاريخ دمشق : « من » .

(٣) يغل : من الإغلال ؛ وهو الخيانة فى كل شىء . النهاية ٣/ ٣٨١.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه (٥٢٠٠) ، وأبو يعلى فى مسنده (٦٣٥١) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٦٩. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٣٢) .

(٥) بعده فى سنن أبى داود : « أو جدار أو حجر » وبعده فى مسند أبى يعلى : « أو حائط أو صخرة » ، وبعده فى تاريخ دمشق : « أو حائط أو حجر » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٤/ ٧٤.

أبى محمدٍ عبدِ اللَّهِ البَطَّالِ ، ودُفِن هناك ، رَحِمه اللَّهُ تعالى . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ . قاله خَليفةُ وغيرُه[1] . وذلك أنه لَقِىَ العدوَّ ، ففَرَّ بعضُ المسلِمين ، فجعَل يُنادِى ويَرْكُضُ فرسَه نحوَ العدوِّ ؛ أن هَلُمُّوا إلى الجنةِ ، ويحَكم ! أتَفِرُّون مِن الجنةِ ؟! ثم قاتَل حتى قُتِل ، رَحِمه اللَّهُ .

مَكْحولٌ الشامىُّ[2] ، تابعىٌّ جَليلٌ ، كبيرُ القَدْرِ ، إمامُ أهلِ الشامِ فى زَمانِه ، وكان مَوْلًى لامْرأةٍ مِن هُذَيْلٍ ، وقيل : مَوْلَى امْرأةٍ مِن آلِ سعيدِ بنِ العاصِ . وكان نُوبيًّا . وقيل : مِن سَبْىِ كابُلَ . وقيل : كان مِن الأبْناءِ[3] ، مِن سُلالةِ الأَكاسِرةِ . وقد ذَكَرْنا نَسَبَه فى كِتابِنا « التَّكْميلِ » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : سَمِعْتُه يَقُولُ : طُفْتُ الأرضَ كلَّها فى طَلَبِ العلمِ .

وقال الزُّهْرىُّ[5] : العُلماءُ أرْبعةٌ ؛ سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ بالحِجازِ ، والحَسَنُ البَصْرىُّ بالبَصْرةِ ، والشَّعْبىُّ بالكوفةِ ، ومَكْحولٌ بالشامِ .

وقال بعضُهم[6] : كان لا يَسْتَطيعُ أن يَقولَ : قُلْ . وإنما يَقولُ : كُلْ . وكان له وَجاهةٌ عندَ الناسِ ، مهما أَمَر به مِن شىءٍ فى الشامِ يُفْعَلْ .

وقال سعيدُ بنُ عبدِ العَزيزِ[7] : كان أفْقهَ أهلِ الشامِ ، وكان أفْقهَ مِن الزُّهرىِّ .

---

(١) طبقات خليفة ٢/ ٧٠٥، وتاريخ الطبرى ٧/ ٨٨، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٧٥، ٧٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٣، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٣، وحلية الأولياء ٥/ ١٧٧، وطبقات الفقهاء ص ٧٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥.

(٣) يقال لأولاد فارس : الأبناء ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجده على الحبشة ، فملكوا اليمن وتزوجوا من العرب ، فقيل لأولادهم : الأبناء . النهاية ١/ ١٨.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ١٦٤ مخطوط.

(٥) المصدر السابق ١٧/ ١٦٧.

(٦) المصدر السابق ١٧/ ١٦٩.

(٧) المصدر السابق ١٧/ ١٦٨، ١٦٩.

وقال غيرُ واحدٍ[1] : تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ . وقيل : بعدَها . فاللَّهُ أعلمُ[2] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ١٦١، ١٧٧، ١٧٨ مخطوط .

(٢) بعده فى حاشية « ب » : « قال الكاملى : مكحول الشامى هو ابن أبى مسلم ، واسم أبى مسلم شهريار بن شاذك ، كذا نقلته من خط ابن عبد الهادى » .

وبعده فى م ، ص : « مكحول الشامى هو ابن أبى مسلم واسم أبى مسلم شهزاب بن شاذل كذا نقلته من خط ابن عبد الهادى . وروى ابن أبى الدنيا عنه أنه قال : من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زيد فى عقله . وقال مكحول فى قوله تعالى : ﴿ ثم لتسألنَّ يومئذ عن النعيم ﴾ قال : بارد الشراب وظلال المساكن وشبع البطون واعتدال الخلق ولذاذة النوم . وقال : إذا وضع المجاهدون أثقالهم عن دوابهم أتتها الملائكة فمسحت ظهورها ودعت لها بالبركة إلا دابة فى عنقها جرس » .

ثم دَخَلَت سنةُ أربعَ عشْرةَ ومائةٍ

فيها[1] غَزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ الصائفةَ اليُسْرى ، وعلى اليُمْنَى سُليمانُ بنُ هشامِ ابنِ عبد الملكِ ، وفيها الْتَقَى عبدُ اللَّهِ البَطَّالُ ومَلِكُ الرُّومِ المُسَمَّى فيهم قُسْطنْطِينَ ، وهو ابنُ هِرَقْلَ الأولِ [2]الذى كتَب إليه النبىُّ ﷺ[2] ، فأسَره البَطَّالُ ، فأرْسَله إلى سليمانَ بنِ هشامٍ ، فسار به إلى أبيه .

وفيها عَزَل هشامٌ عن إمْرةِ مكةَ والمدينةِ والطائفِ إبراهيمَ بنَ هشامِ بنِ إسماعيلَ ، ووَلَّى عليها أخاه محمدَ بنَ هشامٍ ، فحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ فى قولٍ[3] . وقال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ[4] : إنما حَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خالدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ :

عطاءُ بنُ أبى رَباحٍ الفِهْرىُّ مَوْلاهم أبو محمدٍ المكّىُّ[5] ، أحدُ كِبارِ التابعِين الثِّقاتِ الرُّفَعاءِ ، يقالُ : إنه أدْرَك مائتَىْ صحابىٍّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٩٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المصدر السابق ٧/ ٩٠، ٩١.

(٤) المصدر السابق ٧/ ٩١.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٧، وطبقات خليفة ٢/ ٧٠٢، وحلية الأولياء ٣/ ٣١٠، وطبقات الفقهاء ص ٦٩، وتاريخ دمشق ٦٢٩/١١ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٤٢٠.

قال ابنُ سعدٍ[1] : سَمِعْتُ بعضَ أهلِ العلمِ يَقُولُ : كان عَطاءٌ أسْودَ ، أَعورَ ، أفْطَسَ ، أشَلَّ ، أعْرَجَ ، ثم عَمِيَ بعدَ ذلك ، وكان ثِقةً فَقيهًا عالمًا [٧/١٩٧و] كثيرَ الحَديثِ .

وقال أبو جَعْفرٍ الباقرُ وغيرُ واحدٍ[2] : ما بَقِي أحدٌ فى زَمانِه أعْلمَ بالمَناسِكِ منه . وزاد بعضُهم[3] : وكان قد حَجَّ سبعين حَجَّةً ، وعُمِّر مائةَ سنةٍ ، وكان فى آخِرِ عمرِه يُفْطِرُ فى رَمضانَ ؛ مِن الكِبَرِ والضَّعْفِ ، ويَفْدِى عن إفْطارِه ، ويَتَأَوَّلُ الآيةَ : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

وكان يُنادِى مُنادِى بنى أُميةَ فى أيامِ مِنًى[4] : لا يُفْتِى الناسَ فى الحَجِّ إلا عَطاءُ بنُ أبى رَباحٍ .

وقال أبو جعفرٍ الباقرُ : ما رَأَيْتُ فيمَن لَقِيتُ أفْقهَ منه .

وقال الأوْزاعىُّ[5] : مات عَطاءٌ يومَ مات وهو أرْضَى أهلِ الأرضِ عندَهم .

وقال ابنُ جُرَيْجٍ[6] : كان المسجدُ فِراشَ عَطاءٍ عشرين سنةً . وكان مِن أحْسنِ الناسِ صَلاةً .

وقال قَتادةُ[7] : كان سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ والحسنُ وإبراهيمُ وعَطاءٌ هؤلاء

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٣٣/١١ مخطوط .
(٢) المصدر السابق ١١/ ٦٣٧، ٦٣٨.
(٣) المصدر السابق ١١/ ٦٤١.
(٤) ذكره الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٨٢/٥ بنحوه .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٤٢/١١ مخطوط .
(٦) المصدر السابق ٦٤٣/١١ مخطوط .
(٧) المصدر السابق ٦٤٠/١١ مخطوط .

أئمةَ الأمْصارِ.

وقال عَطاءٌ[1] : إنَّ الرجلَ لَيُحَدِّثُنى بالحَديثِ فأُنْصِتُ له كأنى لم أَكُنْ سَمِعْتُه، وقد سَمِعْتُه قبلَ أن يُولَدَ[2] .

الجُمهورُ على أنه مات فى هذه السنةِ، رَحِمه اللَّهُ[3] .

---

(١) تاريخ دمشق ٦٤٨/١١ مخطوط.

(٢) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «فأُرِيه أنى إنما سمعته الآن منه. وفى رواية: أنا أحفظ منه له فأُرِيه أنى لم أسمعه».

(٣) بعده فى م، ص زيادة من الناسخ صَدّرها بقوله فى «ص»: «انتهى كلام المؤلف من ترجمة عطاء». ثم أورد فصلا فى ترجمته من ص ٣٠٦ إلى ص ٣٠٩ من الجزء التاسع من «م».

ثم دَخَلَتْ سنةُ خمسَ عشْرةَ ومائةٍ

ففيها[1] وَقَع طاعونٌ بالشامِ. وحَجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ، وهو نائبُ الحَرَمَيْن والطائفِ. والنُّوَّابُ فى سائرِ البلادِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها. واللَّهُ أعلمُ.

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ:

أبو جعفرٍ الباقرُ، وهو محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ القرشىُّ الهاشمىُّ أبو جَعْفرٍ الباقرُ[2]، وأُمُّه أمُّ عبدِ اللَّهِ بنتُ الحسنِ بنِ علىٍّ، وهو تابعىٌّ جَليلُ القَدْرِ، كثيرُ العلمِ، أحدُ أعْلامِ هذه الأُمَّةِ عِلْمًا وعَمَلًا وعبادةً ونسبًا وشَرَفًا، وهو أحدُ مَن تَدَّعِى فيه طائفةُ الشِّيعةِ أنه أحدُ الأئمةِ الاثْنَىْ عشَرَ، ولم يَكُنِ الرجلُ على طريقِهم ولا على مِنْوالِهم، ولا يَدِينُ بما وَقَع فى أذْهانِهم وأَوْهامِهم وخَيالِهم، بل كان ممَّن يُقَدِّمُ أبا بكرٍ وعمرَ، وذلك عنه صَحيحٌ فى الأَثَرِ، وقال أيضًا[3]: ما أَدْرَكْتُ أحدًا مِن أهلِ بيتى إلا وهو يَتَوَلَّاهما. رَضِى اللَّهُ عنهما وعنه.

وقد رَوَى عن غيرِ واحدٍ مِن الصَّحابةِ، وحَدَّث عنه جَماعةٌ مِن كِبارِ التابعين

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٩٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٠، وطبقات خليفة ٢/ ٦٣٨، وحلية الأولياء ٣/ ١٨٠، وطبقات الفقهاء ص ٦٤، وتاريخ دمشق ١٥/ ٦٩٥، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/٧٠٥ مخطوط.

وغيرِهم ، فممَّن رَوَى عنه ؛ ابنُه جَعْفرٌ الصادقُ ، والحكَمُ بنُ عُتَيْبَةَ ، ورَبيعةُ ، والأعْمشُ ، والأوْزاعيُّ ، والأعْرجُ - وهو أسَنُّ منه - وابنُ جُرَيْجٍ ، وعَطاءٌ ، وعمرُو بنُ دِينارٍ ، والزُّهْرِيُّ ، وأبو إسْحاقَ السَّبِيعيُّ .

وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ ، عن جعفرٍ الصادقِ قال[1] : حَدَّثنى أبى وكان خيرَ مُحَمدىٍّ على وجهِ الأرضِ .

وقال العِجْليُّ[2] : هو مَدَنىٌّ تابعىٌّ ثِقةٌ .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[3] [٧/١٩٧ظ] : كان ثِقةً كثيرَ الحَديثِ .

وكانتْ وَفاتُه فى هذه السنةِ فى قولٍ . وقيل : فى التى قبلَها . وقيل : فى التى بعدَها . أو فى التى هى بعدَها أو بعدَ بعدِها . فاللَّهُ أعلمُ[4] . وقد جاوَز السبعين ، وقيل : لم يُجاوِزِ الستين . واللَّهُ أعلمُ[5] .

---

(١) ذكره المزى فى تهذيب الكمال ٢٦/ ١٤٠.

(٢) تاريخ الثقات ص ٤١٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٥/ ٣٢٤.

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٥/ ٧١١، ٧١٢ مخطوط .

(٥) بعده فى م ، ص زيادة صَدَّرها الناسخ بقوله : « انتهى ما ذكره المؤلف رحمه اللَّه » . ثم أورد فصلا فى ترجمة أبى جعفر الباقر من ص ٣٠٩ إلى ص ٣١٢ من الجزء التاسع من « م » .

ثم دَخَلَت سنةُ ستَّ عشْرةَ ومائةٍ

ففيها[1] غَزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ الصائفةَ ، وفيها وَقَع طاعونٌ بالشامِ والعراقِ ، وكان معظمُ ذلك فى واسِطٍ .

وفى المُحَرَّمِ منها تُوُفى الجُنَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المُرِّىُّ ، أميرُ خُراسانَ مِن مرضٍ أصابه فى بَطْنِه ، وكان قد تزَوَّج الفاضلةَ بنتَ يَزيدَ بنِ المُهَلَّبِ ، فتَغَضَّب عليه أميرُ المؤمنين هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، فعَزَله ووَلَّى مكانَه عاصمَ بنَ عبدِ اللَّهِ على خُراسانَ ، وقال له : إن أدْرَكْتَه قبلَ أن يموتَ فأَزْهِقْ رُوحَه . فما قَدِم عاصمُ بنُ عبدِ اللَّهِ خُراسانَ حتى مات الجُنَيْدُ فى المحرمِ منها بمَرْوَ ، وقد قال فيه [2]أبو الجُوَيْرِيَةِ عيسى بنُ عَصَبةَ[2] يَرْثِيه :

هَلَك الجُودُ والجُنَيْدُ جميعًا ... فعلى الجُودِ والجُنَيدِ السلامُ
أصْبَحا ثاوِيَيْن فى بَطْنِ مَرْوٍ ... ما تَغَنَّى على الغُصونِ الحَمامُ
كنتما نُزْهةَ الكِرامِ فلما ... مِتَّ مات النَّدَى ومات الكِرامُ

ولما قَدِم عاصمُ بنُ عبدِ اللَّهِ خُراسانَ أَخَذ نُوَّابَ الجُنَيْدِ بالضَّرْبِ البليغِ وأنْواعِ العُقوباتِ ، وعَسَفهم فى المُصادراتِ والجِناياتِ ، فخرَج عن طاعتِه الحارثُ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٩٣، والمنتظم ٧/ ١٦٩، والكامل ٥/ ١٨٢.

(٢ - ٢) فى النسخ : «أبو الجرير عيسى بن عصمة» وفى تاريخ الطبرى : «أبو الجويرية عيسى بن عصمة» . والمثبت من المؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٠٧، والإكمال ٦/ ٢١٣.

سُرَيْجٍ[1] ، وبارَزه بالحربِ ، وجَرَتْ بينَهم حروبٌ يَطولُ ذِكْرُها ، ثم هُزِمَ فى آخرِ الأمرِ الحارثُ بنُ سُرَيْجٍ[1] ، وظَهَر عاصمٌ عليه .

قال الواقدىُّ[2] : وفيها حَجَّ بالناسِ الوليدُ بنُ يَزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، وهو وَلِىُّ الأمْرِ مِن بعدِ عمِّه هشامِ بنِ عبدِ الملكِ .

---

(١) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر المؤتلف والمختلف للدارقطنى ٣/ ١٢٧٠، ١٢٧١، والإكمال ٤/ ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٩٨.

ثم دَخلت سنةُ سبعَ عشْرةَ ومائةٍ

فيها[1] غَزا مُعاويةُ بنُ هشامٍ الصائفةَ اليُسْرى ، وسليمانُ بنُ هشامٍ الصائفةَ اليُمْنى .

وفيها بَعَث مَرْوانُ بنُ محمدٍ - وهو على أَرْمِينِيَةَ - بَعْثَيْن ، ففتَح حُصونًا مِن بلادِ اللَّانِ ، ونزَل كثيرٌ منهم على الإيمانِ .

وفيها عَزَل هشامٌ عاصمَ بنَ عبدِ اللَّهِ الهِلاليَّ عن إمْرَةِ خُرَاسانَ ، وضَمَّها إلى خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْريِّ مع العراقِ مُعادةً إليه ، جَرْيًا على ما سبَق له مِن العادةِ ؛ وكان ذلك عن كتابِ عاصمِ بنِ [٧/١٩٨و] عبدِ اللَّهِ الهِلاليِّ : إنَّ وِلايةَ خُراسانَ لا تَصْلُحُ إلا مع وِلايةِ العراقِ . فأجابه هشامٌ إلى ذلك قَبولًا لنَصيحتِه .

وفيها تُوُفِّيَ قَتادةُ بنُ دِعامةَ السَّدُوسيُّ أبو الخَطَّابِ البَصْريُّ الأعْمَى[2] ، أحدُ علماءِ التابعِينَ والأئمةِ العامِلينَ ، رَوَى عن أنسِ بنِ مالكٍ وجماعةٍ مِن التابِعينَ ، منهم ؛ سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، وأبو العاليةِ ، وزُرارةُ بنُ أوْفَى ، وعَطاءٌ ، ومُجاهِدٌ ، ومحمدُ بنُ سِيرينَ ، ومَسْروقٌ ، وأبو مِجْلَزٍ ، وغيرُهم . وحَدَّث عنه جَماعاتٌ مِن الكِبارِ كأيوبَ ، وحمادِ بنِ سلَمةَ ، وحُمَيْدٍ الطَّويلِ ، وسعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٩٩، والمنتظم ٧/ ١٧٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٩، وطبقات خليفة ١/ ٥١١، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٢٧٧، وطبقات الفقهاء ص ٨٩، وطبقات المفسرين ٢/ ٤٣، وحلية الأولياء ٢/ ٣٣٣، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٤٩٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩.

والأعْمشِ ، وشُعْبةَ ، والأوْزاعىِّ ، والليثِ ، ومِسْعَرٍ ، ومَعْمَرٍ ، وهَمَّامٍ .

قال ابنُ المُسَيَّبِ[1] : ما جاءنى عِراقىٌّ أفْضلُ منه . وقال بكرٌ المُزَنىُّ : ما رأيْتُ أحْفَظَ منه . وقال محمدُ بنُ سِيرينَ : هو مِن أحْفظِ الناسِ . وقال مَطَرٌ الورَّاقُ : كان قَتادةُ إذا سَمِع الحديثَ يَأْخُذُه العَويلُ والزَّويلُ[2] حتى يَحْفَظَه . وقال الزهرىُّ : هو أعْلَمُ مِن مَكْحولٍ . وقال مَعْمَرٌ : ما رأَيْتُ أفْقَهَ مِن الزُّهرىِّ وحمادٍ وقَتادةَ . وقال قَتادةُ : ما سَمِعْتُ شيئًا إلا وَعاه قَلْبى[3] .

وقال أحمدُ بنُ حَنْبلٍ[4] : هو أحْفَظُ أهلِ البَصْرةِ ، لا يَسْمَعُ شيئًا إلا حَفِظه ، وقُرِئ عليه صَحيفةُ جابرٍ مرةً واحدةً فحَفِظها ، وكان من العلماءِ . وذُكِر يومًا ، فأَثْنَى[5] على علمِه وفِقْهِه ومَعْرفتِه بالاخْتِلافِ والتَّفْسيرِ وغيرِ ذلك . [6]وقال : قلَّما تَجِدُ من يَتَقَدَّمُه ، أمَّا المِثْلُ فَلَعلَّ[6] !

وقال أبو حاتمٍ[7] : كانت وَفاتُه بواسِطٍ فى الطاعونِ - يعنى فى هذه السنةِ - وعمرُه ستٌّ أو سبعٌ وخمسون سنةً[8] .

وفيها تُوُفِّىَ **أبو الحُبابِ** سعيدُ بنُ يسارٍ ، **والأعرجُ** ، **وابنُ أبى مُلَيْكةَ** ،

---

(١) الجرح والتعديل ٧/ ١٣٣.

(٢) أخذه العويلُ والزويل : أى القلق والانزعاج بحيث لا يستقر على المكان . اللسان (ز و ل) .

(٣) انظر هذه الأقوال فى الجرح والتعديل ٧/ ١٣٣، ١٣٤، وحلية الأولياء ٢/ ٣٣٣، ٣٣٤، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٢٨٢.

(٤) الجرح والتعديل ٧/ ١٣٤، ١٣٥.

(٥) أى الإمام أحمد بن حنبل .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

(٧) المصدر السابق ٧/ ١٣٣.

(٨) بعده فى م ، ص زيادة من الناسخ صدرها بقوله فى « ص » : « انتهى كلام المؤلف » . ثم ساق زيادة يسيرة .

وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى زكريا الخُزاعىُّ ، وميمونُ بنُ مِهْرانَ ، وموسى بنُ وَرْدانَ[1] .

ونافعٌ مولى ابنِ عمرَ أبو عبدِ اللَّهِ المدنىُّ[2] ، أصلُه من بِلادِ المغربِ ، وقيل : من نَيْسابورَ . وقِيلَ : من كابُلَ . وقيل غيرُ ذلك . روى عن مولاه عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وجماعةٍ من الصحابةِ ؛ مثلَ رافعِ بنِ خَدِيجٍ ، وأبى سعيدٍ ، وأبى لُبَابةَ ، وأبى هُرَيْرةَ ، وعائشةَ ، وأمِّ سلَمةَ وغيرِهم ، وروى عنه خلْقٌ من التابِعينَ وغيرِهم ، وكان من الثِّقاتِ النُّبلاءِ والأئمةِ الأجلَّاءِ .

قال البخارىُّ[3] : أَصَحُّ الأسانيدِ مالكٌ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ . وقال غيرُه[4] : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ قد بعثَه إلى [٧/١٩٨ظ] مصرَ يُعَلِّمُ الناسَ السُّنَنَ . وقد أثْنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمةِ ووثَّقوه . ومات فى هذه السنةِ على المشهورِ . رَحِمَه اللَّهُ .

وممن تُوُفِّىَ فى سنةِ سَبْعَ عَشْرةَ ومائةٍ ذو الرُّمَّةِ الشاعرُ[5] ، واسمُه غَيْلانُ بنُ عُقْبةَ بنِ بُهَيْشٍ[6] ، مِن بنى عبدِ مَناةَ بنِ أُدِّ بنِ طابخةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ ،

---

(١) بعده فى م ، ص زيادة من الناسخ صدرها بقوله فى « ص » : « انتهى ما ذكره المؤلف » . ثم ساق فصلا فى ترجمة ميمون بن مهران من ص ٣١٤ إلى ص ٣١٩ ضمن الجزء التاسع من « م » .

(٢) طبقات ابن سعد ، (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ١٤٢ ، وطبقات خليفة ٢/ ٦٤١ ، والمعرفة والتاريخ ١/ ٦٤٥ ، وتاريخ دمشق ١٧/ ٥١٠ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٩٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٩٥ .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٥١٥ مخطوط .

(٤) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ١٤٤ .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٤ ، ٥٥١ ، والشعر والشعراء ١/ ٥٢٤ ، والأغانى ١٨/ ١ ، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٦١ مخطوط ، ووفيات الأعيان ٤/ ١١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٧ .

(٦) فى النسخ ، وسير أعلام النبلاء : « بهيس » ، وفى الأغانى : « نهيس » ، وفى تاريخ دمشق : « بهيس ويقال : نهيس » . والمثبت من طبقات فحول الشعراء ، والشعر والشعراء ، ووفيات الأعيان . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٠٠ ، والإكمال ١/ ٣٧٦ ، والمشتبه ١/ ٩٦ ، وتبصير المنتبه ١/ ١٠٨ .

أبو الحارثِ ، أحدُ فحولِ الشُّعراءِ ، وله دِيوانٌ مَشْهورٌ ، وكان يَتَغَزلُ فى مَيَّةَ بنتِ مُقاتِلِ بنِ طَلَبَةَ بنِ قيسِ بنِ عاصمٍ المِنْقَرىِّ ، وكانتْ جَميلةً ، وكان هو دَمِيمَ الخَلْقِ ، أسْودَ اللَّونِ ، ولم يَكُنْ بينَهما فُحْشٌ ولا خَنًا ، ولم يَكُنْ رآها قَطُّ ولا رَأَتْه ، وإنما كانتْ تَسْمَعُ به ويَسْمَعُ بها ، ويُقالُ[1] : إنها كانتْ تَنْذِرُ إن هى رَأَتْه أن تَذْبَحَ جَزورًا ، فلمَّا رَأَتْه قالتْ : واسَوْأَتاهْ واسَوْأَتاهْ . ولم تُبْدِ له وجهَها قَطُّ إلا مرةً واحدةً ، فأنْشَأ يقولُ[2] :

على وجهِ مَىٍّ مَسْحَةٌ مِن حلاوةٍ[3] وتحتَ الثِّيابِ العارُ لو كان بادِيا

قال[4] : فانْسَلَخَتْ مِن ثِيابِها ، فأَنْشَأ يقولُ :

ألم تَرَ أنَّ الماءَ يَخْبُثُ طعمُهُ وإن كان لونُ الماءِ أبيضَ صافِيا

فقالت : تُرِيدُ أن تَذوقَ طَعْمَه ؟ فقال : إىْ واللَّهِ . فقالت : تَذُوقُ الموتَ قبلَ أن تَذُوقَه . فأنْشَأ يَقولُ :

فوا ضَيْعةَ الشِّعْرِ الذى لَجَّ وانْقَضَى بمىٍّ ولمْ أَمْلِكْ ضَلالَ فُؤادِيا

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] : ومِن شعرِه السائرِ بينَ الناسِ ما أنْشَده :

إذا هَبَّتِ الأَرْواحُ[6] مِن نحوِ جانبٍ به أهلُ مىٍّ هاجَ قلبى[7] هُبوبُها

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/ ١٢. وذكر أن هذه الأبيات منتحلة عليه . وانظر الأغانى ١٨/ ٢٦.

(٢) ديوان ذى الرمة ، بشرح أبى نصر الباهلى ٣/ ١٩٢١.

(٣) فى وفيات الأعيان : « ملاحة » .

(٤) من هنا سقط فى « ب » حتى أول صفحة ٨٦ عند قوله : « فكره أسد أن يتركها » .

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ١٣.

(٦) فى م : « الأرياح » . والأرواح : جمع ريح . أما الأرياح فهو جمع شاذ ، بل أنكره بعضهم . انظر اللسان (ر و ح) .

(٧) فى م : « شوقى » .

هَوًى تَذْرِفُ العَيْنانِ منه وإنما
هَوَى كلِّ نَفْسٍ أينَ حَلَّ حَبيبُها

(١ وأنْشَد عندَ الموتِ(٢) :

يا قابضَ الرُّوحِ عن نَفْسِى إذا احْتُضِرَتْ وغافرَ الذنبِ زَحْزِحْنى عن النَّارِ ١)

(١ - ١) زيادة من: ا٢، م.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ١٦. وانظر ديوان ذى الرمة بشرح أبى نصر الباهلى ٣/ ١٨٧٥.

ثم دَخَلَت سنةُ ثمانىَ عشْرةَ ومائةٍ

فيها[1] غَزا مُعاويةُ وسليمانُ ابنا أميرِ المؤمنين هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بلادَ الرومِ .

وفيها قَصَد شَخْصٌ يُقالُ له : عَمَّارُ بنُ يَزيدَ . ثم تسمَّى بخِداشٍ ، إلى بلادِ خُراسانَ ، فدَعا الناسَ إلى خِلافةِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، فاسْتَجاب له خَلْقٌ كَثيرٌ ، فلمَّا الْتَقُوا عليه دَعاهم إلى مَذْهبِ الخُرَّمِيَّةِ الزَّنادِقةِ[2] ، وأباح لهم نساءَ بعضِهم بعضًا ، وزَعَم لهم أن محمدَ بنَ عليٍّ يَقولُ ذلك ، وقد كَذَب عليه ، فأظْهَر اللَّهُ عليه الدَّوْلةَ ، فأُخِذ فجِيءَ به إلى خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ أميرِ العراقِ وخُراسانَ ، فأمَر به فقُطِعت يدُه ، وسُلَّ لسانُه ، ثم صُلِب بعدَ ذلك .

وفيها [٧/١٩٩و] حَجَّ بالناسِ محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخزومىُّ أميرُ المدينةِ ومَكةَ والطائفِ ، وقيل[3] : إن إمْرةَ المدينةِ كانتْ مع خالدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ . والصَّحيحُ أنه كان قد عُزِل ، ووُلِّىَ محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ ، وكانت إمْرةُ العراقِ إلى خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ ، [4]ونائبُه على خُراسانَ وأعمالِها أخوه أسدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىُّ[4] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ١٠٩، والمنتظم ٧/ ١٨٦، والكامل ٥/ ١٩٦.

(٢) قال ابن حزم فى الفصل ١/ ٣٤: الخرمية فرقة من فرق المَزْدكية ، وهم أيضا سر مذهب الإسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبنى عبيد وعنصرهم . وقال السمعانى فى الأنساب ٢/ ٣٥٢: الخُرَّمِى ... هذه النسبة إلى طائفة من الباطنية يقال لهم : الخُرَّمَدِينية . يعنى يدينون بما يريدون ويشتهون ، وإنما لقبوا بذلك لإباحتهم المحرمات من الخمر وسائر اللذات ونكاح ذوات المحارم وفعل ما يتلذذون به .

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ١١٢.

(٤ - ٤) سقط من : م .

وفيها كانتْ **وَفاةُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ القُرشيِّ الهاشميِّ، أبو الحسنِ**[1]، ويُقالُ: أبو محمدٍ. وأمُّه زُرْعةُ بنتُ مِشْرَحِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ الكِندىِّ - أحدِ المُلوكِ الأربعةِ المَذْكورِين فى الحديثِ الذى رَواه أحمدُ[2]، وهم؛ مِشْرَحٌ، وجَمْدٌ، ومِخْوَسٌ، وأَبْضَعَةُ، وأختُهم العَمَرَّدَةُ - وكان مَولِدُ عليٍّ هذا لَيْلَةَ قُتِلَ عليُّ بنُ أبى طالبٍ، فسَمَّاه أبوه باسمِه، وكنَّاه بكُنْيتِه، وقيل[3]: إنه وُلِد فى حياةِ عليٍّ، وهو الذى سَمَّاه وكَنَّاه، ولَقَّبه بأبى الأمْلاكِ.

فلمَّا وَفَد على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ أجْلَسه معه على السَّريرِ، وسَأَله عن اسمِه وكُنيتِه، فأخْبَره، فقال له: ألك ولدٌ؟ قال: نعم، وُلِد لى ولدٌ سَمَّيْتُه محمدًا. فقال له: أنت أبو محمدٍ. وأجْزَل عَطِيَّتَه، وأحْسَن إليه.

وقد كان عليٌّ هذا فى غايةِ العِبادةِ والزَّهادةِ، والعِلْمِ والعملِ، وحُسْنِ الشَّكْلِ، والعَدالةِ والثِّقةِ، كان يُصَلِّى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعةٍ. قال عمرُو ابنُ عليٍّ الفَلَّاسُ[4]: كان مِن خِيارِ الناسِ. وكانتْ وَفاتُه بالحُمَيمَةِ مِن أرضِ [5]البَلْقاءِ فى[5] هذه السنةِ، وقد قارَب الثمانين.

وقد ذَكَر ابنُ خَلِّكانَ[6] أنه تَزَوَّج لُبابةَ بنتَ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ، التى كانتْ

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٢، وطبقات خليفة ٢/ ٥٩٩، ٦٣٨، وتاريخ دمشق ١٢/ ٤٥١ مخطوط، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧٤، وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٢، ٢٨٤.

(٢) تقدم فى ٧/ ٣٦٧.

(٣) الكامل للمبرد ٢/ ٢١٧، ونقله عنه ابن خلكان ٣/ ٢٧٤.

(٤) تهذيب الكمال ٢١/ ٤٠.

(٥ - ٥) فى الأصل، ٢١: «الترك من».

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٥.

تحتَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وطلَّقَها عبدُ الملكِ ، وكان سببَ طَلاقِه إياها أنه عَضَّ تُفَّاحةً ثم رَمَى بها إليها ، فأخَذَت السِّكِّينَ ، فحَزَّت مِن التُّفاحةِ ما مَسَّ فمُه منها ، فقال : ولِمَ تَفْعَلين هذا ؟ فقالتْ : أُزِيلُ الأَذَى عنها . وذلك لأنَّ عبدَ الملكِ كان أبْخَرَ ، فطَلَّقها ، فلمَّا تَزَوَّجها عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ هذا نَقَم عليه الوليدُ ابنُ عبدِ الملكِ ذلك ، فضَرَبه بالسِّياطِ ، وقال : إنما أرَدْتَ أن تُذِلَّ بنيها مِن الخُلفاءِ . وضَرَبه مَرةً ثانيةً ؛ لأنه اشْتُهِر عنه أنه قال إنَّ الخِلافةَ صائرةٌ إلى بَنِيه . فوَقَع الأمْرُ كذلك .

وذَكَر المُبَرِّدُ[1] أنه دَخَل على هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، ومعه ابنا ابنِه السَّفَّاحُ والمَنْصورُ وهما صَغيران ، فأكْرَمه هِشامٌ وأدْنَى مَجْلِسَه ، وأطْلَق له مائةً وثلاثين ألفًا ، وجعَلَ عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ يُوصِيه بابنَيْه خيرًا ، ويقولُ : [١٩٩/٧ظ] إنهما سيَلِيانِ الأمْرَ . فجعَل هشامٌ يَتَعَجَّبُ مِن سَلامةِ باطنِه ، ويَنْسِبُه فى ذلك إلى الحُمْقِ ، فوَقَع الأمْرُ كما قال .

قالوا : وقد كان عليٌّ فى غايةِ الجَمالِ وتَمامِ القامةِ ، كان بينَ الناسِ كأنه راكبٌ ، وكان إلى مَنْكِبِ أبيه عبدِ اللَّهِ ، وكان عبدُ اللَّهِ إلى مَنْكِبِ أبيه العباسِ ، وكان العباسُ إلى مَنْكِبِ أبيه عبدِ المطلبِ ، وقد بايَع كثيرٌ مِن الناسِ لابنِه محمدٍ بالخِلافةِ قبلَ هذه السنةِ بسَنواتٍ ، ولكن لم يَظْهَرْ أمرُه حتى مات ، فقام بالأمْرِ مِن بعدِه ولدُه عبدُ اللَّهِ أبو العباسِ السَّفَّاحُ ، وكان ظُهورُه فى سنةِ ثنتَيْن وثلاثين ، على ما سيأتى بيانُه إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) الكامل ٢/ ٢١٨.

وممن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ: عمرُو بنُ شُعَيبٍ[1]، وعُبادةُ بنُ نُسَىٍّ[2]، وأبو صَخْرةَ جامعُ بنُ شَدَّادٍ[3]، وأبو عُشَّانَةَ المَعافِرِىُّ[4].

---

(١) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ١٢٠، وطبقات خليفة ٢/ ٧٢٦، وتاريخ دمشق ٤٧٢/١٣ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٦٥، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ٤٣٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٦، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٤، وتاريخ دمشق ٢٦/ ٢٠٩، وتهذيب الكمال ١٤/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٣٩٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٨، وطبقات خليفة ١/ ٣٦٩، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٨٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٣٣٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٢، وطبقات خليفة ٢/ ٧٥٣، والتاريخ الكبير ٣/ ١١٩، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١- ١٢٠) ص ٥١٥.

ثم دَخَلَت سنةُ تسعَ عشْرةَ ومائةٍ

ففيها[1] غَزا الوليدُ بنُ القَعْقاعِ العَبْسِيُّ أرضَ الرومِ .

وفيها قَتَل أسدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ملِكَ التُّرْكِ الأعْظَمَ خاقانَ ، وكان سببَ ذلك أنَّ أسدَ بنَ عبدِ اللَّهِ أميرَ خُراسانَ عَمِل نِيابةً عن أخيه خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ على العراقِ ، ثم سار بجُيوشِه إلى مدينةِ خُتَّلَ فافْتَتَحها[2] ، وتَفَرَّقَت فى أرضِها جُنودُه يَقْتُلون ويَأْسِرون ويَغْنَمون ، فجاءَت العُيونُ إلى ملكِ التُّرْكِ خاقانَ بأن جيشَ أسدٍ قد تَفَرَّق فى بلادِ خُتَّلَ ، فاغْتَنَم خاقانُ هذه الفُرْصةَ ، فرَكِب مِن فَوْرِه فى جُنودِه قاصدًا إلى أسدٍ ، وتَزَوَّد خاقانُ وأصحابُه سِلاحا كثيرًا ، وقَديدًا ومِلْحًا ، وساروا فى خَلْقٍ عظيمٍ ، وجاءت العينُ الصافيةُ إلى أسدٍ فأعْلَموه بقَصْدِ خاقانَ له فى جيشٍ عظيمٍ كَثيفٍ ، فتَجَهَّز لذلك ، وأَخَذ أُهْبَتَه ، فأرْسَل مِن فَوْرِه إلى أطْرافِ جيشِه فلَمَّها عليه ، وأشاع بعضُ الناسِ أن خاقانَ قد هَجَم على أسدِ بنِ عبدِ اللَّهِ فقتَله وأصحابَه ؛ ليَحْصُلَ بذلك خِذْلانٌ لأصحابِه فلا يَجْتَمِعوا إليه ، فرَدَّ اللَّهُ كيدَهم فى نُحورِهم ، وجَعَل تَدْميرَهم فى تَدْبيرِهم ، وذلك أن المسلمين لما سَمِعوا بذلك أخَذَتْهم حَمِيَّةُ الإسْلامِ ، وازْدادوا حَنَقًا على عدوِّهم ، وعَزَموا على الأخْذِ بالثَّأْرِ ، فقَصَدوا المَوْضِعَ الذى فيه أسدٌ ، فإذا هو حَىٌّ قد اجْتَمَعَت عليه العَساكرُ مِن كلِّ جانبٍ ، وسار أسدٌ نحوَ خاقانَ حتى أَتَى جبلَ المِلْحِ ، وأراد أن يَخوضَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ١١٣، والمنتظم ٧/ ١٩٢، والكامل ٥/ ٢٠٠.

(٢) ختل : موضع فى أقاصى خراسان . معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٤، ٤٨٨.

نهرَ بَلْخَ ، وكان معهم أغْنامٌ كثيرةٌ ، فكَرِه أسدٌ أن يَتْرُكَها وراءَ ظهرِه ، فأمَر كلَّ فارسٍ أن يَحْمِلَ بينَ يدَيه شاةً على عُنُقِه ، وتَوَعَّد مَن لم يَفْعَلْ ذلك بقَطْعِ اليدِ ، وحمَل هو معه شاةً ، وخاضوا [٧/٢٠٠و] النهرَ ، فما خَلَصوا منه جيدًا حتى دَهَمهم خاقانُ مِن ورائِهم فى خيلٍ دُهْمٍ ، فقتَلوا مَن وَجَدوه لم يَقْطَعِ النهرَ وبعضَ الضَّعَفةِ ، فلما وَقَفوا على حافَّةِ النهرِ أحْجَموا ، وظَنَّ المسلمون أنهم لا يَقْطَعون إليهم النهرَ ، فتَشاوَر الأتْراكُ فيما بينَهم ، ثم اتَّفَقوا على أن يَحْمِلوا حَمْلةً واحدةً - وكانوا خمسين ألفًا - فيَقْتَحِموا النهرَ ، فضَرَبوا بكُوساتِهم[1] ضَرْبًا شديدًا ، حتى ظَنَّ المسلمون أنهم معهم فى عَسْكرِهم ، ثم رَمَوْا بأنفسِهم فى النهرِ رَمْيةَ رجلٍ واحدٍ ، فجعَلت خيولُهم تَنْخِرُ أشَدَّ النَّخِيرِ ، وخَرَجوا منه إلى ناحيةِ المسلمين ، فثَبَت المسلمون فى مُعَسكرِهم ، وكانوا قد خَنْدَقوا حولَهم خَنْدقًا لا يَخْلُصونَ إليهم منه ، فبات الجَيْشان تَتَراءَى ناراهما ، فلما أصْبَحا مالَ خاقانُ على بعضِ الجيشِ الذى للمسلمين ، فقَتل منهم خَلْقًا ، وأَسَر أُمَمًا ، [2]وأخذ أموالًا كثيرةً[2] وإبلًا مُوقَرةً[3] ، ثم إن الجيشَيْن تواجَهوا فى يومِ عيدِ الفِطْرِ ، حتى خاف جيشُ أسدٍ أن يُصَلُّوا صلاةَ العيدِ ، فما صَلَّوها إلا على وَجَلٍ ، ثم سار أسدٌ بمَن معه حتى نَزَل مَرْجَ بَلْخَ ، حتى انْقَضى الشِّتاءُ ، فلمَّا كان يومُ عيدِ الأضْحَى خَطَب أسدٌ الناسَ ، واسْتَشارهم فى لقاءِ خاقانَ ، فمنهم قال : نَتَحَصَّنُ ببلخَ ونَبْعَثُ إلى خالدٍ والخليفةِ . ومِن قائلٍ يُشِيرُ بالذَّهابِ إلى مَرْوَ ، وأشار آخرون بمُلْتَقاه والتَّوَكُّلِ على اللَّهِ ، فوافَق ذلك رأىَ أسدِ الأُسْدِ ، فقصَد بجيشِه نحوَ

---

(١) الكُوس : الطَّبْلُ . اللسان (ك و س) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) موقرة : كثيرة الحِمْل .

خاقانَ ، وصَلَّى بالناسِ ركعتَيْن أطال فيهما ، ثم دَعَا بدُعاءٍ طَويلٍ ، ثم انْصَرف وهو يَقولُ : نُصِرْتم إن شاء اللَّهُ (١ تعالى . ثلاثًا ١) . ثم سار بمَن معه مِن المسلمين ، فالْتَقَتْ مُقَدِّمتُه بمُقدمةِ خاقانَ ، فقتَل المسلمون منهم خَلْقًا ، وأَسَروا أميرَهم وسبعةَ أُمراءَ معه ، ثم ساق أسدٌ ، فانْتَهَى إلى أغْنامِهم فاسْتاقَها ، فإذا هى مائةُ ألفٍ وخمسون ألفَ شاةٍ ، ثم الْتَقَى معهم ، وكان خاقانُ (٢ فى هذا اليومِ ٢) إنما معه أربعةُ آلافٍ أو نحوُها ، ومعه رجلٌ مِن العربِ قد خامَر إليه (٣) ، يقالُ له : الحارثُ ابنُ سُرَيْجٍ (٤) . فهو يَدُلُّه على عَوْراتِ المسلمين ، فلمَّا اقْتَتَل الناسُ هَرَبَت الأتْراكُ فى كلِّ جانبٍ ، وانْهَزم خاقانُ ، ومعه الحارثُ بنُ سُرَيْجٍ المذكورِ يَحْمِيه ويُثَبِّتُه ، فتَبِعهم أَسدٌ ، فلمَّا كان عندَ الظَّهيرةِ انْخَذل خاقانُ فى أربعِمائةٍ مِن أصحابِه ، عليهم الخَزُّ ، ومعهم الكوساتُ ، فلمَّا أدْرَكه المسلمون أمَر بالكُوساتِ فضُرِبت ضَرْبَ الانْصِرافِ ثلاثَ مراتٍ ، فلم يَسْتَطِيعوا الانْصِرافَ ، فتَقَدَّم المسلمون ، فاحْتاطوا على مُعَسْكرِهم ، فاحْتازُوه بما فيه مِن الأمْتِعةِ العظيمةِ ، والأَوانى مِن النَّقْدِ ، والنساءِ والصِّبيانِ مِن الأتْراكِ ومَن معهم مِن الأُسارَى مِن المُسْلماتِ وغيرِهم ، [٧/٢٠٠ظ] مما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، لكثرتِه وعِظَمِ قيمتِه وحُسْنِه ، غيرَ أن خاقانَ كان قد ضرَب امرأتَه بخِنْجَرٍ فقتَلها ، فوَصَل المسلمون إلى العَسْكرِ ، وهى بآخرِ رَمَقٍ تَتَحَرَّك ، ووَجَدوا قُدورَهم تَغْلى بأطْعِماتِهم ، وهَرَب خاقانُ بمَن معه حتى دَخَل بعضَ المدنِ ، فتَحَصَّن بها ، فاتَّفَق أنه لَعِب بالنَّرْدِ مع بعضِ أُمرائه ،

(١ - ١) سقط من : ا٢، ب ، م ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) خامر : قارب وخالط . انظر اللسان (خ م ر) . والمراد أنه انضم إليه .

(٤) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الإكمال ٤/ ٢٧٣، ٢٧٤.

فغَلَبه الأميرُ، فتَوَعَّده خاقانُ (١ بقَطْعِ اليدِ ١)، فحَنِق عليه ذلك الأميرُ، ثم عَمِل على قتلِه فقَتَله، وتفرَّقَت الأتراكُ فِرَقًا يَعْدُو بعضُهم على بعضٍ، ويَنْهَبُ بعضُهم بعضًا، وبَعَث أسدٌ إلى أخيه خالدٍ يُعْلِمُه بما وَقَع مِن النَّصْرِ والظَّفَرِ بخاقانَ، وبَعَث إليه (٢ بِطَوْقِ خاقانَ ٢)، وشيءٍ كثيرٍ مِن حَواصِلِه وأمْتعتِه، فوَفَّدَها خالدٌ إلى أميرِ المؤمنين هشامٍ، ففَرِح بذلك فَرَحًا شديدًا جدًّا، وأطْلق للرسلِ أمْوالًا جَزيلةً كثيرةً مِن بيتِ المالِ، وقد قال بعضُ الشعراءِ(٣) فى أسدٍ يَمْدَحُه على ذلك:

لو سِرْتَ فى الأرضِ تَقِيسُ الأرْضَا ... تَقِيسُ منها طُولَها والعَرْضَا
لم تَلْقَ خيرًا مِرَّةً(٤) ونَقْضَا ... مِن الأميرِ أسدٍ وأمْضَى
أفْضَى إلينا الخيرُ حين أفْضَى ... وجَمَّع الشَّملَ وكان رَفْضَا
ما فاته خاقانُ إلا رَكْضَا ... قد فُضَّ مِن جُموعِه ما فُضَّا
يا بنَ سُرَيْجٍ قد لَقِيتَ حَمْضَا ... حَمْضًا به يُشْفَى صُداعُ المَرْضَى(٥)

وفيها قَتَل خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ المُغيرةَ بنَ سعيدٍ وجَماعةً مِن أصحابِه الذين تابَعوه على باطلِه، وكان هذا الرجلُ ساحرًا فاجرًا شِيعيًّا خَبيثًا.

قال ابنُ جَريرٍ(٦): ثنا ابنُ حُمَيْدٍ، ثنا جَريرٌ، عن الأعْمشِ قال: سَمِعْتُ

(١ - ١) كذا بالنسخ. وفى مصادر التخريج أنه توعده بكسر يده، وذلك بعد أن كَسَر الأميرُ يد خاقان أثناء تنازعهما بعد اللعب.

(٢ - ٢) فى ا٢، ب، م، ص: «بطبول خاقان وكانت كبارا لها أصوات كالرعد».

(٣) هو ابن السَّجْفِ المجاشعى. وانظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٢٤.

(٤) فى م: «إمرة». والمرة: الشدة والقوة. النهاية ٤/ ٣١٦.

(٥) الحمض من النبات: كل نبت مالح أو حامض يقوم على سُوق ولا أصل له. يريد بالحمض هنا أسد ابن عبد اللَّه، الذى يشفى الأشرار مما بهم من شر. انظر اللسان (ح م ض).

(٦) تاريخ الطبرى ٧/ ١٢٨، لكن بلفظ: «لو أردت أن أحيى عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا =

المغيرةَ بنَ سعيدٍ يَقولُ : لو أراد عليٌّ أن يُحْيِيَ عادًا وثمودَ وقُرونًا بينَ ذلك كثيرًا لأَحْياهم .

قال الأعمشُ[1] : وكان المُغيرةُ يَخْرُجُ إلى المَقْبَرةِ فيَتَكَلَّمُ ، فيُرَى مثلُ الجَرادِ على القُبورِ . أو نحوَ هذا مِن الكلامِ .

وذَكَر ابنُ جَريرٍ[2] له غيرَ ذلك مِن الأحوالِ التى تَدُلُّ على سِحْرِه وفُجورِه . ولما بلَغ خالدًا أمْرُه أَمَر بإحْضارِه ، فجيءَ به فى ستةِ نَفَرٍ أو سبعةِ نَفَرٍ ، فأَمَر خالدٌ فأُبْرِز سَريرُه إلى المسجدِ ، وأمَر بإحْضارِ أطْنانِ[3] القَصَبِ ، والنِّفْطِ فصُبَّ فوقَها ، وأَمَر المُغيرةَ أن يَحْتَضِنَ طُنًّا منها ، فامْتَنع فضُرِب حتى احْتَضَن منها طُنًّا واحدًا ، وصُبَّ فوقَ رأسِه النِّفْطُ ، [٢٠١/٧و] ثم أُضْرِم بالنارِ ، وكذلك فعَل ببقيةِ أصحابِه ، قَبَّحهم اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ[4] خَرَج رجلٌ يُقالُ له : بُهْلولُ بنُ بشرٍ . ويُلَقَّبُ بكُثارَةَ[5] ، واتَّبعه جَماعاتٌ مِن الخَوارجِ دونَ المائةِ ، وقَصَدوا قتَل خالدٍ القَسْرىِّ ، فبَعَث إليهم البُعوثَ ، فكَسَروا الجُيوشَ ، واسْتَفْحَل أمْرُهم جدًّا ؛ لشجاعتِهم وجَلَدِهم ، وقلةِ نُصْحِ مَن يُقاتِلُهم مِن الجُيوشِ ، فرَدُّوا العَساكرَ مِن الأُلوفِ المُؤَلَّفةِ ، المُوقَرةِ

= لأحييتهم » . وفى م : « لو أراد أن يحيى عادا وثمود وقرونا بين ذلك لأحياهم » . وقد ذكره ابن الجوزى فى المنتظم ٧/ ١٩٣، عن الأعمش كما أثبتناه .

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١٢٨/٧ ، بالإسناد السابق .

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٢٨، ١٢٩.

(٣) فى الأصل : « أطباق » ، وفى م : « أطناب » . وأطنان : جمع طُنٍّ، وهو الحزمة من الحطب والقصب . اللسان (ط ن ن) .

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٣٠، والمنتظم ٧/ ١٩٤، والكامل ٥/ ٢٠٩.

(٥) فى الأصل، ٢١، ب، ص : « بكناز » . وانظر نزهة الألباب ٢/ ١١٤.

بالأسلحةِ ولم يَبْلُغوا المائةَ ، ثم إنهم رامُوا قدومَ الشامِ لقتلِ الخَليفةِ هشامٍ ، فقصَدوا نحوَها ، فاعْتَرضهم جيشٌ بأرضِ الجَزيرةِ ، فاقْتَتلوا معهم قِتالًا عظيمًا ، فقَتَلوا عامَّةَ أصحابِ بُهْلولِ الخارجيِّ ، ثم إن رجلًا مِن جَدِيلةَ يُكَنَّى أبا الموتِ ضَرَب بُهْلولًا ضَرْبةً فصَرَعه ، وتفَرَّقَ بقيةُ أصحابِه ، وكانوا جميعُهم سبعين رجلًا ، وقد رَثاهم بعضُ أصحابِهم فقال[1] :

بُدِّلْتُ بعدَ أبي بشْرٍ وصُحْبتِه ... قومًا عليَّ مع الأحْزابِ أعْوانَا
بانوا كأن لم يَكُونوا مِن صَحابتِنا ... ولم يَكونوا لنا بالأمْسِ خُلَّانَا
يا عينُ أَذْرِى دُموعًا منك تَهتانَا[2] ... وابْكِى لنا صُحبةً بانوا وإخوانَا[3]
خَلَّوا لنا ظاهرَ الدنيا وباطنَها ... وأصْبَحوا فى جِنانِ الخُلْدِ جِيرانَا

ثم تَجَمَّع طائفةٌ منهم أُخْرى على بعضِ أُمرائِهم ، فقاتَلوا وقُتِلوا وقَتَلوا ، وجُهِّزَت إليهم العَساكرُ مِن عندِ خالدٍ القَسْرىِّ ، ولم يَزَلْ حتى أباد خَضْراءَهم ، ولم يُبْقِ لهم باقيةً ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفيها غَزا أسَدٌ القَسْرىُّ بلادَ التُّرْكِ ، فعرَض عليه مَلِكُهم [4]بدرُ طَرْخانُ[4] ألفَ ألفٍ ، فلم يَقْبَلْ منه شيئًا ، وأخَذه قَهْرًا ، فقتَله صَبْرًا بينَ يديه ، وأخَذ مدينتَه وقَلْعتَه وحَواصلَه ونِساءَه وأمْوالَه .

وفيها خَرَج الصُّحارىُّ بنُ شَبيبٍ الخارجيُّ ، واتَّبَعه طائفةٌ قَليلةٌ نحوٌ مِن

---

(١) هو الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى ، كما فى تاريخ الطبرى والكامل .
(٢) فى ا ٢، ب ، ص : « هتانا » . والتهتان : مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود . ويقال : هَتن المطرُ والدمع يَهْتِن هَتْنًا وهُتُونا وتَهْتانًا : قَطَر . اللسان (هـ ت ن) .
(٣) فى النسخ : « جيرانا » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .
(٤ - ٤) فى ا ٢، ب ، ص : « طرخان » ، وفى م : « طرخان خان » .

ثلاثين رجلًا ، فبَعَث إليهم خالدٌ القَسْرىُّ جُنْدًا ، فقتَلوه وجميعَ أصحابِه ، فلم يَتْرُكوا منهم رجلًا واحدًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو شاكرٍ مَسْلَمةُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وحَجَّ معه ابنُ شِهابٍ الزُّهرىُّ لِيُعَلِّمَه مَناسِكَ الحَجِّ ، وكان أَميرَ مكةَ والمدينةِ والطائفِ محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ ، وأميرَ العراقِ والمَشْرِقِ بكمالِه[1] خالدٌ القَسْرىُّ ، ونائبُه على خُراسانَ بكَمالِها أخوه أسدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ، وقد قيل : إنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ . وقيل : فى سنةِ عشرين . فاللَّهُ أعلمُ . ونائبُ أَرْمِينِيَةَ وأَذْرَبِيجانَ مَرْوانُ الملقبُ بالحِمارِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وخراسان » .

سنةُ عشرين ومائةٍ

مِن الهجْرةِ [٢٠١/٧ظ] النبويةِ

فيها[١] غَزا سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بلادَ الرومِ ، وافْتَتح فيها حُصونًا .

وفيها غَزا إسحاقُ بنُ مُسْلمٍ العُقَيْليُّ قِلاعَ تُومانْ شاه ، وافْتَتَحها وخَرَّب أراضِيَه .

وفيها غَزا مَرْوانُ بنُ محمدٍ الحِمارُ بلادَ التُّرْكِ .

وفيها كانت وفاةُ أسدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ أميرِ خُراسانَ ، وكانت وَفاتُه بسببِ أنه كانت له دُبَيْلةٌ فى جَوْفِه[٢] ، فلمَّا كان مِهرجانُ هذه السنةِ قَدِمَت الدَّهاقينُ - وهم أَمراءُ المُدُنِ الكِبارِ - مِن سائرِ البُلْدانِ بالهَدايا والتُّحَفِ على أسدٍ ، وكان مِمَّن قَدِم نائبُ هَراةَ[٣] ودِهْقانُها خُراسانْ شاه ، فقَدم بهدايا عَظيمةٍ وتُحَفٍ غَزيرةٍ[٤] ، وكان مِن جُملةِ ذلك قَصْرٌ مِن ذهبٍ ، وقَصْرٌ مِن فضةٍ ، وأَباريقُ مِن ذهبٍ ، وصِحافٌ مِن ذهبٍ وفضةٍ ، وتَفاصِيلُ مِن حرَيرٍ تلك البلادِ ألوانٌ مُلَوَّنةٌ ، فوضَع ذلك كلَّه بينَ يدىْ أسدٍ حتى امْتَلأ المَجْلِسُ ، ثم قام الدِّهْقانُ

---

(١) تاريخ الطبرى ١٣٩/٧ - ١٥٩، والمنتظم ١٩٩/٧ - ٢٠٦، والكامل ٢١٦/٥ - ٢٢٨.

(٢) الدبيلة : هى خُرَاجٌ ودُمَّلٌ كبير تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالبًا ، وهو تصغير دُبْلة . وكل شىء جمع فقد دُبِل . النهاية ٢/ ٩٩، واللسان (د ب ل) .

(٣) هراة ، بالفتح : مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان . معجم البلدان ٤/ ٩٥٨.

(٤) فى م : «عزيزة» . وانظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٣٩.

خَطيبًا ، فامْتَدح أسدًا بخِصالٍ حَسَنةٍ[1] ؛ على عقلِه ورِياستِه وعَدْلِه ، ومَنْعِه أهلَه وخاصَّتَه أن يَظْلِموا أحدًا مِن الرَّعايا بشيءٍ قلَّ أو كَثُر ، وأنه قهَر الخاقانَ[2] الأعْظمَ ، وكان فى مائةِ ألفٍ ،فكسَره وقتَله ، وأنه يَفْرَحُ بما يَفِدُ إليه مِن الأمْوالِ ، وهو بما خرَج مِن عندِه أَفْرَحُ وأشَدُّ سُرورًا ، فأثْنَى عليه أسدٌ وأجْلَسه ، ثم فرَّق أسدٌ جميعَ تلك الهدايا والأمْوالِ وما هنالك أجْمعَ على الأُمراءِ والأكابرِ بينَ يديه ، حتى لم يَبْقَ منه شيءٌ ، ثم قام مِن مَجْلِسِه وهو عَليلٌ مِن تلك الدُّبَيْلةِ ، ثم أفاق إفاقةً ، وجِيءَ بهديةٍ كُمُّثْرَى ، فجعَل يُفَرِّقُها على الحاضِرين واحدةً واحدةً ، فألْقَى إلى دِهْقانِ خُراسانَ واحدةً ، فانْفَجرت دُبَيْلَتُه ، فكان فيها حَتْفُه ، واسْتَخْلَف على عملِه جعفرَ بنَ حَنْظلةَ البَهْرانىَّ ، فمَكَث أميرًا[3] أربعةَ أشهرٍ ، حتى جاء عهدُ نصرِ ابنِ سَيَّارٍ فى رجبٍ منها ، فعلى هذا تَكونُ وفاةُ أسدٍ فى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ ، وقد قال فيه ابنُ عِرْسٍ العَبْدىُّ يَرْثِيه :

نَعَى أسدَ بنَ عبدِ اللَّهِ ناعِ ... فَريعَ القلبُ للمَلِكِ المُطاعِ
بِبَلْخٍ وافَقَ المِقْدارَ يَسْرِى ... وما لِقَضاءِ رَبِّك مِن دِفاعِ
فجُودِى عَينُ بالعَبَراتِ سَحًّا ... ألم يُحْزِنْك تَفْريقُ الجِماعِ
أتاه حِمامُه فى جَوْفِ صِيغٍ[4] ... وكم بالصِّيغِ مِن بَطَلٍ شُجاعِ
كَتائبُ قد يُجِيبون المُنادِى[5] ... على جُرْدٍ مُسَوَّمةٍ سِراعِ

---

(١) فى ص : « خمسة » . وكلاهما صواب .
(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « الخان » .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى ا ٢، ب ، ص : « ضبع » ، وفى م : « ضيع » . وصيغ بالكسر ثم السكون وآخره غين معجمة : ناحية من نواحى خراسانى . معجم البلدان ٣/ ٤٤٢.
(٥) فى ا ٢، ب ، ص : « المنايا » .

[٢٠٢/٧و] سُقِيتَ الغَيْثَ إنك كنتَ غيثًا مَرِيعًا عندَ مُرْتادِ النِّجاعِ

وفيها عزَل هشامٌ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ عن نِيابةِ العراقِ ، وذلك أنه انْحَصَر منه لِما كان يَبْلُغُه مِن إطلاقِ عبارةٍ فيه ؛ وأنه كان يقولُ عنه إنه ابنُ الحَمْقاءِ . وكتَب إليه كتابًا فيه غِلْظةٌ ، فرَدَّ عليه هشامٌ ردًّا عَنيفًا ، ويُقالُ : إنه حَسَده على سَعَةِ ما حصَل له مِن الأمْوالِ والحَواصِلِ والغَلَّاتِ ، حتى قيل : إنه كان دَخْلُه فى كلِّ سنةٍ ثلاثةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ . وقيل : دِرْهمٍ . ولولدِه يزيدَ ابنِ خالدٍ عشَرةُ آلافِ ألفٍ .

وقيل[(١)] : إنه وفَد إليه رجلٌ مِن أَلْزامِ أميرِ المؤمنين مِن قريشٍ ، يقال له : ابنُ عمرٍو . فلم يُرحِّبْ به ولم يَعْبأْ به ، فكتَب إليه هشامٌ يُعَنِّفُه ، ويُبَكِّتُه على ذلك ، وأنه حالَ وُصولِ هذا الكتابِ إليه [(٢)]من ليلٍ أو نهارٍ[(٢)] يَقومُ مِن فَوْرِه بمَن حولَه مِن أهلِ مَجْلِسِه ، فيَنْطَلِقُ على قَدَمَيْه حتى يَأْتىَ بابَ ابنِ عمرٍو صاغرًا ذَليلًا مُسْتَأْذِنًا عليه ، مُتَنَصِّلًا إليه مما وقَع ، فإن أَذِن لك وإلا فقِفْ على بابِه حَوْلًا ، غيرَ مُتَحَلْحِلٍ[(٣)] مِن مكانِك ولا زائلٍ ، ثم أمْرُك إليه ؛ إن شاء عَزَلك ، وإن شاء أبْقاك ، وإن شاء انْتَصَر ، وإن شاء عَفَا . وكتَب إلى ابنِ عمرٍو يُعْلِمُه بما كتَب إلى خالدٍ ، وأمَره إن وقَف بينَ يديه أن يَضْرِبَه عشرين سَوْطًا على رأسِه ، إن رأى ذلك مَصلحةً . ثم إن هشامًا عزَل خالدًا ، [(٤)]وأخْفَى ذلك[(٤)] ، وبعَث البَريدَ إلى نائبِه على اليمنِ ، وهو يوسُفُ بنُ عمرَ ، فوَلَّاه إمْرةَ العراقِ ، وأَمَره بالمَسيرِ إليها والقُدومِ عليها فى ثلاثين راكبًا من أصحابِه ، فقَدِموا الكوفةَ وقتَ السَّحَرِ ، فدَخَلوها ، فلمَّا

---

(١) أى فى سبب عزل هشام لخالد بن عبد اللَّه . انظر تاريخ الطبرى ١٤٣/٧ - ١٤٦.

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣) فى الأصل ، م : « متحلل » ، وفى ا ٢ : « متجلجل » . والتحلحل : التحرك والذهاب . اللسان (ح ل ل) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

أَذَّن المُؤَذِّنُ أمَره يوسفُ بالإقامةِ، فقال: إلى أن يَأْتىَ الإمامُ. يعنى خالدًا، فانْتَهره، وأمَره بالإقامةِ، وتقَدَّم يوسفُ، فصَلَّى وقَرَأ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾. ثم انْصَرف فبعَث إلى خالدٍ وطارقٍ وأصحابِهما، فأُحْضِروا فأخَذ منهم أمْوالًا كثيرةً، صادَر خالدًا بمائةِ ألفِ ألفِ درهمٍ، وكانت وِلايةُ خالدٍ فى شَوَّالٍ سنةَ خمسٍ ومائةٍ، وعُزِل عنها فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ، أعْنى سنةَ عشرين ومائةٍ.

وفى هذا الشهرِ قَدِم يوسفُ بنُ عمرَ على وِلايةِ العراقِ مكانَ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ، واسْتَناب على خُراسانَ جُدَيْعَ بنَ علىٍّ الكَرْمانىَّ، وعزَل جعفرَ بنَ حَنْظَلةَ الذى كان اسْتَنابه أسدٌ، ثم إنَّ يوسُفَ بنَ عمرَ عزَل جُدَيْعًا فى هذه السنةِ عن خُراسانَ، ووَلَّى عليها نَصْرَ بنَ سَيَّارٍ، وذَهَب جميعُ ما كان اقْتَناه وحَصَّله [٢٠٢/٧ظ] خالدٌ مِن العَقارِ والأمْلاكِ وَهْلةً واحدةً، وقد كان أشار عليه بعضُ أصحابِه لمَّا بَلَغهم عَتْبُ هشامٍ عليه أن يَبْعَثَ إليه يَعْرِضُ عليه بعضَ أمْلاكِه، فما أحَبَّ منها أخَذه وما شاء تَرَك، وقالوا له: لأَن يَذْهَبَ البعضُ [١] ويبقى البعضُ [١] خيرٌ مِن أن يَذْهَبَ الجَميعُ مع العَزْلِ والإخْراقِ [٢]. فامْتَنع مِن ذلك واغْتَرَّ بالدنيا، وعَزَّت نَفْسُه عليه أن يَذِلَّ، [٣] ففَجَأه العَزْلُ [٣]، وذهَب ما كان حَصَّله وجمَعه ومَنَعه، واسْتَقَرَّت وِلايةُ يوسُفَ بنِ عمرَ [٤] على العراقِ وخُراسانَ [٤]، واسْتَقَرَّت ولايةُ نصرِ ابنِ سَيَّارٍ نائبًا على خُراسانَ، فتَمَهَّدَتِ البِلادُ وأَمِن العِبادُ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) الإخراق: يقال: أخرقه الأمر: أفزعه. انظر اللسان (خ ر ق).

(٣ - ٣) فى ب، ص: «فجاءه العزل».

(٤ - ٤) سقط من: م.

وقد قال سَوَّارُ بنُ الأَشْعَرِ[1] فى ذلك :

أضْحَتْ خُراسانُ بعدَ الخوفِ آمنةً ... مِن ظُلْمِ كلِّ غَشُومِ الحُكْمِ جَبَّارِ
لمّا أَتَى يُوسُفًا أخْبارُ ما لَقِيَتْ ... اخْتار[2] نصرًا[3] لها نَصْرَ بنَ سَيَّارِ

وفى هذه السنةِ اسْتَبْطَأَتْ شِيعةُ آلِ العباسِ كتابَ محمدِ بنِ علىٍّ إليهم ، وقد كان عتَب عليهم فى اتِّباعِهم ذلك الزِّنْديقَ المُلَقَّبَ بخِداشٍ ، وكان خُرَّمِيًّا ، وهو الذى أحَلَّ لهم المُنْكَراتِ ، ودَنَّسَ المَحارِمَ والمُصاهراتِ ، فقتَله خالدٌ القَسْرىُّ كما تقَدَّم[4] ، فعتَب عليهم محمدُ بنُ علىٍّ فى تَصْديقِهم له واتِّباعِهم إياه على الباطلِ ، فلمَّا اسْتَبْطئوا كتابَه إليهم بعَث إليهم رسولًا يَخْبُر لهم أمْرَه ، [5]وبَعَثوا هم أيضًا رَسولًا[5] ، فلمَّا جاء رسولُهم أعْلَمه محمدٌ بماذا عتَب عليهم بسببِ الخُرَّمىِّ ، قبَّحه اللَّهُ ، ثم أرْسَل مع الرسولِ كتابًا مَخْتومًا ، فلما فَتَحوه إذا هو ليس فيه سوى : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، [6]تعْلَموا أنه إنما عتَبْنا عليكم بسببِ الخُرَّمىِّ[6] . ثم أرْسَل هو رسولًا إليهم ، فلم يُصَدِّقْه كثيرٌ منهم ، وهمُّوا به ، ثم جاءتْهم مِن جهتِه عصًا ملوىٌّ عليها حديدٌ ونُحاسٌ ، فعَلِمُوا أن هذا إشارةٌ لهم إلى أنهم عُصاةٌ ، وأنهم مُخْتَلِفون كاخْتِلافِ أَلْوانِ النُّحاسِ والحَديدِ .

قال ابنُ جَريرٍ[7] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ

---

(١) فى الأصل ، ٢١ ، ب ، ص : « الأشقر » ، وفى م : « الأشعرى » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر الإكمال ١/ ٨٩.
(٢) فى الأصل : « أخبار » .
(٣) فى ص : « مصرا » .
(٤) تقدم فى صفحة ٨١.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦ - ٦) زيادة من النسخ ، ليست فى مصادر التخريج .
(٧) تاريخ الطبرى ٧/ ١٥٩.

المَخزوميُّ ، فيما قاله أبو مَعْشَرٍ .

قال : وقد قيل : إن الذى حَجَّ بالناسِ سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ . وقيل : ابنُه يزيدُ بنُ هشامٍ . فاللَّهُ سبحانه وتعالى أعْلمُ .

ثم دخلت سنةُ إحْدى وعشرين ومائةٍ

فِفيها[1] غَزا مَسْلَمةُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ الرومَ، فافْتَتَح بها مَطامِيرَ[2]، وغَزا[3] مَرْوانُ بنُ محمدٍ بلادَ [4]صاحبِ الذهبِ[4]، فافْتَتح قِلاعَه، وخَرَّب أرضَه، فأذْعَن له بالجِزْيةِ فى كلِّ سنةٍ بألفِ رأسٍ [٢٠٣/٧و] يُؤَدِّيها إليه، وأعْطاه رَهْنًا على ذلك.

وفيها فى صَفَرٍ قُتِل زيدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، الذى تُنْسَبُ إليه الطائفةُ الزَّيْديةُ، فى قولِ الواقدىِّ.

وقال هشامُ بنُ الكَلْبىِّ: إنما قُتِل فى صَفَرٍ مِن سنةِ ثنتَيْن وعشرين. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد ساق محمدُ بنُ جريرٍ[5] سببَ مَقْتَلِه، فى هذه السنةِ تَبَعًا للواقدىِّ، وهو أن زيدًا وفَد على يوسُفَ بنِ عمرَ، فسأَله: هل أَوْدَع خالدٌ[6] القَسْرىُّ عندَك مالًا[7]؟ فقال له زيدُ بنُ علىٍّ: كيف يُودِعُنى مالًا وهو يَشْتُمُ آبائى على مِنْبرِه فى

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/١٦٠ - ١٧٩، والمنتظم ٧/٢٠٧ - ٢١٨، والكامل ٥/٢٢٩ - ٢٤١.

(٢) بعده فى ا٢، ب، م، ص: «وهى حصن».

(٣) فى ا٢، ب، م، ص: «افتتح».

(٤ - ٤) فى تاريخ الطبرى، والمنتظم: «صاحب سرير الذهب».

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ١٦١، ١٦٢.

(٦) فى بعض روايات تاريخ الطبرى ٧/ ١٦١: «يزيد بن خالد». وانظر المنتظم ٧/ ٢٠٨، والكامل ٥/ ٢٣٠.

(٧) بعده فى الأصل: «وكان فى معاقبة خالد على المال وهو فى سجنه».

كلِّ جمُعةٍ ؟! فأَحْلَفه أنه ما أَوْدَع عنده شيئًا ، فأمَر يوسُفُ بنُ عمرَ بإحْضارِ خالدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ مِن السِّجنِ ، فجِىءَ به فى عَباءةٍ ، فقال : أنت أَوْدَعْتَ هذا شيئًا نَسْتَخْلِصُه منه ؟ قال : لا ، وكيف وأنا أَشْتُمُ آباءَه كلَّ جُمُعةٍ ؟! فتَرَكه [1] يوسفُ بنُ عمرَ [1] ، وأعْلَم أميرَ المؤمنين بذلك ، فعَفا عن ذلك ، ويُقالُ : بل اسْتَحْضَرهم فحَلَفوا بما حَلَفوا .

ثم إن طائفةً مِن الشِّيعةِ الْتَفَّتْ على زيدِ بنِ علىٍّ ، وكانوا نحوًا مِن أربعين ألفًا ، فنَهاه بعضُ النُّصَحاءِ عن الخُروجِ ، وهو محمدُ بنُ عمرَ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ [2] ، وقال له [3] : إن جَدَّك خيرٌ منك ، وقد الْتَفَّتْ على بَيْعَتِه مِن أهلِ العراقِ ثمانون ألفًا ، ثم خانوه أحْوَجَ ما كان إليهم ، وإنى أُحَذِّرُك مِن أهلِ العراقِ . فلم يَقْبَلْ بل اسْتَمَرَّ يُبايِعُ الناسَ فى الباطنِ بالكوفةِ ، على كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه ، حتى اسْتَفْحَل أمْرُه بها فى الباطنِ [4] ، وهو يَتَحَوَّلُ مِن منزلٍ إلى منزلٍ ، ومازال كذلك حتى دَخَلت سنةُ ثنتَيْن وعشرين ومائةٍ ، فكان فيها مَقْتَلُه ، كما سنَذْكُرُه قريبًا .

وفيها غَزا نصرُ بنُ سَيَّارٍ أميرُ خُراسانَ غَزَواتٍ مُتَعَدِّدةً فى التُّرْكِ ، وأسَر مَلِكَهم [5] كُورصُولَ فى بعضِ تلك الحُروبِ ، وهو لا يَعْرِفُه ، فلما تَيَقَّنه وتَحَقَّقه ، سأَل منه كُورصُولُ [5] أن يُطْلِقَه على أن يُرْسِلَ له ألفَ [6] بعيرٍ مِن إبلِ التُّرْكِ - وهى

(١ - ١) فى الأصل : « خالد » ، وفى ٢١ ، ب ، م ، ص : « عمر » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) جاء فى روايات الطبرى والكامل أن النصحاء محمد بن عمر ، وداود بن على ، وسلمة بن كهيل .

(٣) القائل هنا هو سلمة بن كهيل ، كما فى تاريخ الطبرى ٧/ ١٦٨ ، والكامل ٥/ ٢٣٥ . والمصنف يورد الروايات فى سبب مقتل زيد بن على ملفقة وبمعناها .

(٤) فى الأصل ، ٢١ ، ب : « الساكن » ، وفى ص : « المساكن » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) فى الكامل : « أربعة آلاف » .

البَخاتِيُّ - وألفَ بِرْذَوْنٍ ، وهو مع ذلك شيخٌ كبيرٌ جدًّا ، فشاوَر نَصْرٌ مَن بحَضْرتِه مِن الأُمراءِ فى ذلك ، فمنهم مَن أشار بإطْلاقِه[1] . ثم سَأَله نَصْرُ بنُ سَيَّارٍ : كم غزَوْتَ مِن غَزْوةٍ ؟ [2]فقال : ثِنْتَيْن وسبعين غَزْوةً[2] . فقال له نَصْرٌ : ما مِثْلُك يُطلَقُ وقد شَهِدْتَ هذا كلَّه . ثم أمَر به ، فضُرِبَت عُنُقُه وصلَبه ، فلما بلَغ ذلك جيشَه مِن قتلِه باتوا تلك الليلةَ يَجْعَرون ويَبْكون عليه ، وجَذُّوا لحاهم وشُعورَهم ، وقَطَعوا آذانَهم ، وحَرَّقوا خِيامًا كثيرةً ، وقَتَلوا أنْعامًا كثيرةً ، فلمَّا أصْبَح أمَر نَصْرٌ بإحراقِه لئلا يَأْخُذوا جُثَّتَه ، فكان ذلك أشَدَّ عليهم مِن قتلِه ، وانْصَرفوا خائبِين صاغِرين خاسِئين ، ثم كَرَّ نَصْرٌ على بلادِهم ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا ، وأسَر أُمَمًا [٧/٢٠٣ظ] لا يُحْصَوْن كَثْرةً ، وكان فيمَن حضَر بينَ يديه عَجوزٌ كبيرةٌ جدًّا مِن الأعاجمِ أو الأتْراكِ ، وهى مِن بيتِ مَمْلكةٍ ، فقالتْ لنصرِ بنِ سَيَّارٍ : كلُّ مَلِكٍ لا يَكونُ عندَه ستةُ أشياءَ فليس بمَلِكٍ ؛ وَزيرٌ صادقٌ يَفْصِلُ خُصوماتِ الناسِ ، ويُشاوِرُه ويُناصِحُه ، وطَبَّاخٌ يَصْنَعُ له ما يَشْتَهِيه ، وزَوْجةٌ حَسْناءُ إذا دخَل عليها مُغْتَمًّا فنَظَر إليها سَرَّتْه وذهَب غَمُّه ، وحِصْنٌ مَنيعٌ إذا فُزِّع رَعاياه لجَئوا إليه ، وسَيفٌ إذا قارَع به الأقْرانَ لم يَخْشَ خِيانتَه ، وذَخيرةٌ إذا حَمَلها فأينَما وقَع مِن الأرضِ عاش بها .

وحَجَّ بالناسِ[3] فيها محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ نائبُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ ، ونائبُ العراقِ يوسفُ بنُ عمرَ ، ونائبُ خُراسانَ نصرُ بنُ سَيَّارٍ ، وعلى أَرْمِينِيَةَ مَرْوانُ بنُ محمدٍ .

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ومنهم من أشار بقتله » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ١٧٩، والمنتظم ٧/ ٢١٥، والكامل ٥/ ٢٤٠، ٢٤١.

ذكرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعيانِ :

زيدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ[1] ، والمَشْهورُ أنه قُتِل فى التى بعدَها ، كما سيأتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ .

مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بنِ الحكم بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ القُرشِىُّ الأُمَوىُّ ، أبو سعيدٍ وأبو الأَصْبَغِ الدِّمشقىُّ[2] ، قال ابنُ عساكرَ[3] : ودارُه بدمشقَ فى مَحَلةِ القِبابِ عندَ بابِ الجامعِ القِبْلىِّ ، وَلِىَ المَوْسِمَ أيامَ أخيه الوليدِ ، وغَزا الرومَ غَزَواتٍ ، وحاصَر القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، ووَلَّاه أخوه يزيدُ إمْرةَ العِراقَيْن ثم عَزَله ، ووَلِى أَرْمِينِيَةَ .

وروَى الحديثَ[4] عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وعنه عبدُ الملكِ بنُ أبى عثمانَ ، وعُبَيدُ اللَّهِ بنُ قَزَعَةَ ، وعُيَيْنةُ والدُ سُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، وابنُ أبى عِمْرانَ ، ومُعاويةُ بنُ خَديجٍ ، ويَحْيَى بنُ يَحْيَى الغَسَّانىُّ .

قال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[5] : كان مِن رجالِ بنى أُميةَ ، وكان يُلَقَّبُ بالجَرادةِ الصَّفْراءِ ، وله آثارٌ كثيرةٌ ، وحُروبٌ ونِكايةٌ فى الرومِ .

قلتُ : وقد فَتَح حُصونًا كثيرةً مِن بلادِ الرومِ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٤٥، وتاريخ دمشق ١٩/ ٤٥٠، وتهذيب الكمال ١/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٠٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٣.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٤٤٢ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٦٧.

(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٤٢، ٤٤٣ مخطوط.

(٤) انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٣.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٤٤٣ مخطوط. وانظر تهذيب الكمال الموضع السابق.

ولمَّا وَلِىَ أَرْمِينِيَةَ غَزا التُّرْكَ ، فبَلغ بابَ الأبْوابِ فهَدَم المدينةَ التى عندَه ، ثم أعاد بناءَها بعدَ تسعِ سنين[1] .

وفى سنةِ ثمانٍ وتسعين غَزا القُسْطَنْطِينيةَ فحاصَرها ، وافْتَتح مدينةَ الصقالبةِ[2] ، وكسَر مَلِكَهم البُرْجانَ ، ثم عاد إلى مُحاصرةِ القُسْطَنْطينيةِ[3] .

قال الأَوْزاعىُّ : فأخَذه ، وهو يُغازِيهم ، صُداعٌ عظيمٌ فى رأسِه ، فبعَث ملكُ الرومِ إليه بقَلَنْسُوَةٍ وقال : ضَعْها على رأسِك يَذهَبْ صُداعُك . فخَشِىَ أن تَكونَ مَكِيدةً ، فوَضَعها على رأسِ بَهيمةٍ ، فلم يَرَ إلا خيرًا ، ثم وَضَعها على رأسِ بعضِ أصحابِه فلم يَرَ إلا خيرًا ، فوَضَعها على رأسِه فذَهَب صُداعُه ، ففَتَقها فإذا فيها مَكْتُوبٌ[4] سبعون سَطْرًا هذه الآيةُ مُكَرَّرَةً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١] . رواه ابنُ عساكرَ[5] .

وقد لَقِىَ مَسْلمةُ فى حِصارِه القُسْطَنْطِينيةَ شِدةً عَظيمةً[6] ، وجاع المسلمون عندَها جَوْعًا شديدًا ، فلمَّا وَلِىَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أرْسَل إليهم البَريدَ يَأْمُرُهم بالرُّجوعِ إلى الشامِ ، فحلَف مَسْلمَةُ [٢٠٤/٧و] أن لا يُقْلِعَ عنهم حتى يَبْنوا له جامعًا كبيرًا بالقُسْطَنْطِينيةِ ، فبَنَوْا له جامعًا ومَنارةً ، فهو بها إلى الآنَ يُصَلِّى فيه المسلمون الجمعةَ والجَماعةَ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٤٤٤/١٦ مخطوط .

(٢) الصقالبة : بلاد بين بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان ٣/ ٤٠٥.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤٤٤/١٦ مخطوط .

(٤) سقط من : م .

(٥) تاريخ دمشق ٤٤٦/١٦ مخطوط .

(٦) انظر ما تقدم فى ١٢/ ٦٣١، ٦٣٢.

قلتُ : وهى آخرُ ما يَفْتَحُه المسلمون قبلَ خُروجِ الدَّجَّالِ فى آخِرِ الزمانِ ، كما سنُورِدُه فى المَلاحِمِ والفِتَنِ مِن [1]كتابِنا هذا إن شاء اللَّهُ ، ونَذْكُرُ الأحاديثَ الواردةَ فى ذلك هناك[1] .

وبالجُمْلةِ كانت لمَسْلمةَ مَواقِفُ مَشْهورةٌ ، ومَساعٍ مَشْكورةٌ ، وغَزَواتٌ مُتَتالِيةٌ ومَنْثورةٌ ، وقد افْتَتح حُصونًا وقِلاعًا ، وأحْيا بعَزْمِه وحَزْمِه قُصورًا وبِقاعًا ، وكان فى زَمانِه نَظيرَ خالدِ بنِ الوليدِ فى أيامِه ، فى كثرةِ مَغازيه ، وكثْرةِ فتُوحِه ، وقُوةِ عَزْمِه ، وشِدةِ بَأْسِه ، وجَوْدةِ تَصَرُّفِه فى نَقْضِه وإبْرامِه ، هذا مع الكَرمِ والفَصاحةِ ، [2]والرِّياسةِ والسَّماحَةِ ، والأَصالةِ والرَّجاحَةِ ، والدِّينِ والعِفَّةِ ، رحِمه اللَّهُ .

ومِن كلامِه الحسنِ قولُه[3] : مروءتان ظاهرتان ؛ الرِّياشُ[4] والفَصاحةُ[2] . وقال يومًا لنُصَيْبٍ الشاعرِ[5] : سَلْنى . قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ كَفَّك بالجَزيلِ أكثرُ مِن مَسْألتى باللِّسانِ . فأعْطاه ألفَ دِينارٍ . وقال أيضًا[6] : الأنْبياءُ لا يتَثاءَبون كما يتثاءَبُ الناسُ ، ما تثاءبَ نبىٌّ قطُّ . وقد أوْصَى بثُلُثِ مالِه لأهلِ الأدبِ ، وقال : إنها [7]صِناعةٌ مجفوٌّ[7] أهلُها .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ وغيرُه[8] :تُوُفِّىَ يومَ الأرْبعاءِ لسبعٍ مَضَيْن مِن المحرمِ ،

(١ - ١) فى الأصل : « الحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ١٦/٤٤٨ مخطوط .

(٤) الرياش : الخصب والمعاش ، والمال ، والأثاث ، واللباس الحسن الفاخر . اللسان (ر ى ش) .

(٥) تاريخ دمشق ١٦/٤٤٩ مخطوط .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٤٥٠ .

(٧ - ٧) فى م : « صنعة جحف » .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤٥٠، ٤٥١ مخطوط .

سنةَ إحدى وعشرين ومائةٍ. [1]وقيل: فى سنةِ عشرين ومائةٍ[1]. وكانتْ وَفاتُه بمَوْضِعٍ يُقالُ له: الحانوتُ[2].

وقد رَثاه بعضُهم، وهو ابنُ أخيه الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ، فقال[3]:

أَقولُ وما البُعْدُ إلا الرَّدَى ... أَمَسْلَمُ لا تَبْعُدَنْ مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نُورًا لنا فى البلادِ ... مُضِيئًا فقد أَصْبَحَتْ مُظْلِمَهْ
ونَكْتُمُ موتَك نَخْشَى اليَقينَ ... فأَبْدَى اليَقينُ عنِ[4] الجُمْجُمَهْ

نُمَيْرُ بنُ أَوْسٍ[5] **الأشعرىُّ** قاضى دِمشقَ، تابعىٌّ جليلٌ، روَى عن حُذيفةَ مُرْسَلًا وأبى موسى مُرْسَلًا وأبى الدَّرْداءِ، وعن مُعاويةَ مُرْسَلًا، وغيرِ واحدٍ مِن التابعين، وحدَّث عنه جَماعةٌ كثيرون، منهم؛ الأَوْزاعىُّ، وسَعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ، ويَحْيَى بنُ الحارثِ الذِّمارىُّ.

وَلَّاه هِشامُ بنُ عبدِ الملكِ القضاءَ بدمشقَ بعدَ [6]عبدِ الرحمنِ[6] بنِ الخشخاشِ العُذْرِىِّ، ثم اسْتَعْفى هشامًا، فأعفاه ووَلَّى مكانَه يزيدَ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى مالكٍ. وكان نُمَيْرٌ هذا لا يَحْكُمُ باليَمينِ مع الشاهدِ، وكان يَقولُ[7]: الآدابُ مِن الآباءِ، والصَّلاحُ مِن اللَّهِ.

(١ - ١) سقط من: ص. وانظر تاريخ خليفة ٢/ ٥١٩، وتاريخ دمشق ١٦/ ٤٥٠، ٤٥١ مخطوط.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤٥٠، ٤٥١ مخطوط.
(٣) أخرج الأبيات ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٤٥٠ مخطوط. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٤.
(٤) فى الأصل، م: «لنا».
(٥) فى م: «قيس». وترجمته فى أخبار القضاة ٣/ ٢٠٤، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٦، وطبقات خليفة ٢/ ٧٩٥، وتاريخ دمشق ١٧/ ٦٤٢ مخطوط، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٧٨.
(٦ - ٦) فى ب: «عبد الله». والخبر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٦٤٤ مخطوط.
(٧) انظر تاريخ دمشق ١٧/ ٦٤٥ مخطوط.

قال غيرُ واحدٍ: تُوُفى سنةَ إحدى وعشرين ومائةٍ. وقيل: سنةَ ثنتَيْن وعشرين ومائةٍ. وقيل[1]: سنةَ خمسَ عشْرةَ ومائةٍ. وهو غَريبٌ. [٢٠٤/٧ظ] واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

---

(١) انظر الثقات لابن حبان ٥/ ٤٧٩.

ثم دَخَلَت سنةُ ثنتَيْن وعشرين ومائةٍ

ففيها[1] كان مَقْتَلُ زيدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ، وكان سببَ ذلك أنه لما أخَذ البَيْعةَ ممَّن بايَعه مِن أهلِ الكوفةِ ، أمَرهم فى أولِ هذه السنةِ بالخُروجِ والتَّأَهُّبِ له ، فشَرَعوا فى أخْذِ الأُهْبَةِ لذلك ، فانْطَلَق رجلٌ يُقالُ له : سليمانُ بنُ سُراقةَ إلى يوسفَ بنِ عمرَ نائبِ العراقِ فأخْبَره - وهو بالحِيرةِ يومَئذٍ - خبرَ زيدِ بنِ عليٍّ وعندَ مَن يكونُ مِن أهلِ الكوفةِ ، فبعَث يوسفُ بنُ عمرَ يَطْلُبُه ويُلِحُّ فى طَلَبِه ، فلما عَلِمَت الشِّيعةُ ذلك اجْتَمَعوا عندَ زيدِ بنِ عليٍّ ، فقالوا له : ما قولُك ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فى أبى بكرٍ وعمرَ ؟ فقال : غفَر اللَّهُ لهما ، ما سَمِعْتُ أحدًا مِن أهلِ بيتى يتبَرَّأُ منهما ، وأنا لا أقولُ فيهما إلا خيرًا . قالوا : فَلِمَ تَطْلُبُ إذًا بدمِ أهلِ البيتِ ؟ فقال : إنا كنا أحَقَّ الناسِ بهذا الأمْرِ ، ولكنَّ القومَ اسْتَأْثَروا علينا به ودَفَعونا عنه ، ولم يَبْلُغْ ذلك عندَنا بهم كُفْرًا ، قد وَلُوا فعَدَلوا ، وعَمِلوا بالكتابِ والسنةِ . قالوا : فلِمَ تُقاتِلُ هؤلاءِ إذًا ؟ قال : إنَّ هؤلاءِ ليْسوا كأُولئكَ ، إنَّ هؤلاءِ ظَلَموا الناسَ ، وظَلَموا أنْفُسَهم ، وإنى أَدْعُو إلى كتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ نَبِيِّه ﷺ ، وإحْياءِ السُّنَنِ وإماتةِ البِدَعِ ، فإن تَسْمَعوا يَكُنْ خيرًا لكم ولى ، وإن تَأْبَوْا فلسْتُ عليكم بوَكيلٍ . فرَفَضوا وانْصَرفوا عنه ، ونَقَضُوا بَيْعَتَه وتَرَكوه ، فلهذا سُمُّوا

---

(١) تاريخ الطبرى ١٨٠/٧ - ١٩١، والكامل ٢٤٢/٥ - ٢٤٩. كما أورد ابن الجوزى حادثة مقتل زيد بن على ضمن حوادث سنة إحدى وعشرين ومائة، وقد تقدم العزو عليها. انظر المنتظم ٢٠٧/٧ - ٢١٢.

الرافضةَ مِن يومِئذٍ ، ومَن تابعَه مِن الناسِ على قولِه سُمُّوا الزَّيْدِيَّةَ ، [1] وغالبُ أهلِ الكُوفةِ منهم رافضةٌ [1] ، وغالبُ أهلِ مكةَ إلى اليومِ على مَذْهبِ الزَّيْدِيَّةِ ، وفيه حَقٌّ ؛ وهو تَعْديلُ الشيخَيْن ، وباطلٌ ؛ وهو اعْتِقادُ تَقْديمِ عليٍّ عليهما ، [2] وليس عليٌّ مُقَدَّمًا عليهما [2] ، بل ولا على عثمانَ على أصَحِّ قَوْلَيْ أهلِ السنةِ والآثارِ الصَّحيحةِ الثابتةِ عن الصَّحابةِ رضِيَ اللَّهُ عنهم [3] ، وقد ذَكَرْنا ذلك فى سِيرةِ أبى بكرٍ وعمرَ رضِى اللَّهُ عنهما [4] .

ثم إن زيدًا عزَم على الخُروجِ بمَن بَقِى معه مِن أصحابِه ، فواعَدهم ليلةَ الأرْبعاءِ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ مِن هذه السنةِ ، فبَلَغ ذلك يوسُفَ بنَ عمرَ ، فكتَب إلى نائبِه على الكُوفةِ ، وهو الحكَمُ بنُ الصَّلْتِ ، يَأْمُرُه بجَمْعِ الناسِ كلِّهم فى المسجدِ الجامعِ ، فجمَع الناسَ لذلك فى يومِ الثلاثاءِ سَلْخَ المُحَرَّمِ [5] ، قبلَ خُروجِ زيدٍ بيومٍ ، وخرَج زيدٌ بمن معه ليلةَ الأرْبعاءِ فى بَرْدٍ شديدٍ ، ورَفَع أصحابُه النِّيرانَ ، وجَعَلوا يُنادُون : يا مَنْصورُ يا مَنْصورُ . فلمَّا طلَع الفَجْرُ إذا قد اجْتَمَع معه مائتانِ وثمانيةَ عشَرَ رجلًا ، [٢٠٥/٧و] فجعَل زيدٌ يَقولُ : سبحانَ اللَّهِ ! أين الناسُ ؟ فقيل : هم فى المسجدِ مَحْصورون . وكتَب الحكمُ بنُ الصلتِ إلى يوسفَ بنِ عمرَ يُعْلِمُه

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) لا خلاف فى تقديم الشيخين على سائر الصحابة عند أهل السنة ، وإنما وقع الخلاف فى عثمان وعلى ، أيهما أفضل ، عند بعض أهل السنة ، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ، وإن كانت هذه المسألة ليست من الأصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة . مجموع الفتاوى ١٥٣/٣ بتصرف .

(٤) بعده فى ب ، ص : « وباليمن طوائف من الزيدية ولاسيما أهل صنعاء وغيرها . والزيدية لا تسب ولا تحب ، وإنما مذهبهم التقديم والتأخير والأذان بـ « حى على خير العمل » ، ولا يصلون إلا خلف إمام منهم » .

(٥) سلخ الشهر : آخر يوم منه . اللسان (س ل خ) .

بخُروجِ زيدِ بنِ عليٍّ ، فبَعَث إليه سَرِيةً إلى الكُوفةِ ، ورَكِبَتِ الجُيوشُ مع نائبِ الكوفةِ ، وجاء يوسفُ بنُ عمرَ أيضًا فى طائفةٍ كبيرةٍ مِن الناسِ ، فالْتَقَى[1] زيدٌ بمَن معه جُرثُومةً منهم[2] فيهم خمسُمائةِ فارسٍ فَهزَمَهم[3] ثم أَتَى الكُناسةَ ، فحمَل على جَمْعٍ مِن أهلِ الشامِ ، فهزَمهم ، ثم اجْتاز بيوسُفَ بنِ عمرَ وهو واقفٌ فوقَ تَلٍّ ، وزيدٌ فى مائتَىْ فارسٍ ، ولو قَصَد يوسُفَ بنَ عمرَ لَقَتَله ، ولكن أخَذ ذاتَ اليَمينِ ، وكلما التقى بطائفةٍ مِن أهلِ الكوفَةِ هزَمهم ، وجعَل أصحابُه يُنادُون : يا أهلَ الكوفةِ ، اخْرُجوا إلى الدِّينِ والعِزِّ والدنيا ، فإنَّكم لسْتُم فى دينٍ ولا عِزٍّ ولا دنيا . ثم لما أمْسَوا انْضاف إليه جَماعةٌ مِن أهلِ الكوفةِ ، وقد قُتِل بعضُ أصحابِه فى أوَّلِ يومٍ ، فلمَّا كان فى اليومِ الثانى اقْتَتل هو وطائفةٌ مِن أهلِ الشامِ ، فقتَل منهم سبعينَ رجلًا ، وانْصَرفوا عنه بشَرِّ حالٍ ، وأمْسَوْا فعبَّأ يوسفُ بنُ عمرَ جيشَه جدًّا ، ثم أصْبَحوا فالْتَقَوْا مع زيدِ بنِ عليٍّ فى أصحابِه ، فكَشَفهم حتى أخْرَجهم [4]إلى السَّبَخةِ[5] ، ثم شَدَّ عليهم حتى أخْرَجهم[4] إلى بنى سُلَيْمٍ ، ثم تَبِعهم فى خيلِه ورَجِلِه حتى أخَذوا على المُسَنّاةِ[6] ، ثم اقْتَتلوا هناك قِتالًا شديدًا جدًّا ، حتى كان جُنْحُ الليلِ رُمِىَ زيدٌ بسهمٍ ، فأصاب جانبَ جَبْهتِه اليُسْرَى ، فوصَل إلى دِماغِه ، فرَجَع ورَجَع أصحابُه ، ولا يَظُنُّ أهلُ الشامِ أنهم رَجَعوا إلا للمساءِ والليلِ ، وأُدْخِل زيدٌ فى دارٍ فى سِكَّةِ البَريدِ ، وجِىءَ بطَبيبٍ ، فانْتَزع ذلك السَّهْمَ مِن جبهتِه ، فما عَدا أن انْتَزعَه حتى مات مِن ساعتِه ، رَحِمه اللَّهُ .

---

(١) التقى بمعنى لقى . انظر الوسيط (ل ق ى) .

(٢) الجرثومة : تَجَرثَم الرجل : اجتمع . واجْرَنْثَم القوم : إذا اجتمعوا ولزموا موضعًا . اللسان (جرثم) .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) السبخة : موضع بالبصرة . معجم البلدان ٣/ ٣٠.

(٦) المسناة : سد يبنى لحجز ماء السيل ، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة . انظر الوسيط (س ن ى) .

فاخْتَلَف أصحابُه أين يَدْفِنوه ، فقال بعضُهم : أَلْبِسوه دِرْعَه وألْقُوه فى الماءِ . وقال بعضُهم :احْتَزُّوا رأسَه واتْرُكوا جُثَّتَه فى القَتْلَى . فقال ابنُه : لا واللَّهِ لا تَأْكُلُ أبى الكِلابُ . وقال بعضُهم : ادْفِنوه فى العَبَّاسِيَّةِ . وقال بعضُهم : ادْفِنوه فى الحُفْرةِ التى يُؤْخَذُ منها الطِّينُ . ففعَلوا ذلك وأجْرَوْا على قبرِه الماءَ ؛ لئلا يُعْرَفَ ، وانْفَتل أصحابُه ولم يَبْقَ لهم رأسٌ يُقاتِلون به ، فما أصْبَح الفجرُ ولهم قائمةٌ يَنْهَضون بها ، وتَتَبَّع يوسفُ بنُ عمرَ الجَرْحَى (١هل يَجِدُ زيدًا بينَهم١) ، وجاء مَوْلًى لزيدٍ سِنْدىٌّ ، قد شَهِد دَفْنَه ، فدَلَّ على قبرِه ، فأُخِذ مِن قبرِه ، فأمَر يوسفُ ابنُ عمرَ بصَلْبِه فَصُلِبَ على خَشَبةٍ بالكُناسةِ ، ومعه نَصْرُ بنُ خُزَيْمةَ ومُعاويةُ بنُ إسْحاقَ بنِ زيدِ بنِ حارثةَ الأنْصارىُّ ، وزِيادٌ النَّهْدىُّ ، ويُقالُ : إن زيدًا مكَث مَصْلوبًا أربعَ سنين ، ثم أُنْزِل بعدَ ذلك وأُحْرِق . فاللَّهُ أعْلَمُ .

[٧/٢٠٥ظ] وقد ذَكرَ أبو جَعْفرِ بنُ جَريرٍ الطَّبَرىُّ(٢) أن يوسُفَ بنَ عمرَ لم يَعْلَمْ بشىءٍ مِن أمرِ زيدِ بنِ علىٍّ (٣حتى كتَب له هِشامُ بنُ عبدِ الملكِ يقولُ له : إنك لَغافلٌ ، وإن زيدَ بنَ علىٍّ٣) غارِزٌ ذَنَبَه بالكوفةِ يُبايَعُ له ، فأَلِحَّ فى طَلَبِه وأعْطِه الأمانَ ، فإن لم يَقْبَلْ فقاتِلْه . فتَطَلَّبه يوسفُ بنُ عمرَ حتى كان مِن أمْرِه ما ذَكَرْناه ، فلمَّا ظهَر على قبرِه حَزَّ رأسَه ، وبعَث به إلى هشامِ (٤بنِ عبدِ الملكِ ، فَنَصبَه على بابِ دِمَشْقَ ثمَّ أمرَ به فَساروا به إلى المدينةِ حتى نَصَبُوه على أَحَدِ أَبْوابِها ، وأمَّا جُثَّتُه فلم تزلْ مَصْلُوبَةً تُحْرَسُ لَيْلًا ونهارًا حتى انْقَضَتْ دَوْلَةُ هِشامٍ٤) ، وقام مِن بعدِه الوليدُ بنُ

(١ - ١) زيادة من : ا٢، ب ، م ، ص .

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ١٨٨.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

يزيدَ ، فأمَر به ، فأُنْزِل وحُرِّق فى أيامِه ، قَبَّح اللَّهُ الوليدَ هذا . وأَمَّا ابنُه يحيى بنُ زيدِ بنِ علىٍّ ، فاسْتَجار بعبدِ الملكِ بنِ بشرِ بنِ مَرْوانَ ، فبعَث إليه يوسفُ بنُ عمرَ يَتَهَدَّدُه حتى يُحْضِرَه ، فقال له عبدُ الملكِ بنُ بشرٍ : ما كنتُ لِأُؤْوِىَ مثلَ هذا الرجلِ [(١)] وهو عدوُّنا وابنُ عدوِّنا [(١)] . فصَدَّقه يوسفُ بنُ عمرَ فى ذلك ، ولما هَدَأَ الطَّلَبُ عنه سَيَّره إلى خُراسانَ ، فخرَج يحيى بنُ زيدٍ فى جَماعةٍ مِن الزَّيْديَّةِ إلى خُراسانَ ، فأقاموا بها هذه المدةَ .

قال أبو مِخْنَفٍ [(٢)] : ولما قَتل يوسفُ بنُ عمرَ زيدَ بنَ علىٍّ خطَب أهلَ الكوفةِ ، فتَهَدَّدهم وتَوَعَّدهم وشَتَمهم وأَنَّبهم ؛ قال فيما قال : واللَّهِ لقد اسْتَأْذَنْتُ أميرَ المؤمنين [(٣)] فى قَتْلِ خلْقٍ منكم [(٣)] ، ولو أَذِن لى لقتَلْتُ مُقاتِلتَكم ، وسَبَيْتُ ذَرارِيَّكم ، وما صَعِدْتُ هذا المِنْبرَ إلا لأُسْمِعَكم ما تَكْرَهون .

قال ابنُ جَريرٍ [(٤)] : وفى هذه السنةِ قُتِل عبدُ اللَّهِ البَطَّالُ فى جَماعةٍ مِن المسلمين بأرضِ الرومِ . ولم يَزِدِ ابنُ جَريرٍ على هذا ، وقد ذكَر هذا الرجلَ الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى تاريخِه الكبيرِ فقال [(٥)] :

عبدُ اللَّهِ أبو يَحْيَى المَعْروفُ بالبَطَّالِ ، كان يَنْزِلُ أَنْطاكِيَةَ ، حَكَى عنه أبو مَرْوانَ الأَنْطاكىُّ .

(١ - ١) زيادة من : ا٢، ب ، م ، ص .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٧/ ١٩١.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ١٩١.

(٥) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٦، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق . وانظر ترجمة البطال فى الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٤٠٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٩٦.

ثم رَوَى[1] بإسْنادِه أن عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ حينَ عقَد لابنِه مَسْلَمةَ على غَزْوِ بلادِ الرومِ، وَلَّى على رُؤَساءِ أهلِ الجَزيرةِ والشامِ البَطَّالَ، وقال لابنِه مَسْلَمةَ: صَيِّرْه على طَلائعِك، وأْمُرْه فلْيَعُسَّ بالليلِ العَسْكَرَ، فإنه أمينٌ ثِقةٌ مِقْدامٌ شُجاعٌ. وخَرَج معهم عبدُ الملكِ يُشَيِّعُهم إلى بابِ دمشقَ.

قال: فقَدَّم مَسْلَمةُ البَطَّالَ على عشَرةِ آلافٍ يَكونون بينَ يديه تُرْسًا مِن الرومِ أن يَصِلوا إلى جيشِ المسلمين.

قال محمدُ بنُ عائذٍ الدِّمشقيُّ[2]: ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حَدَّثنى أبو مَرْوانَ - شيخٌ مِن أنْطاكِيَةَ - قال: كنتُ أُغازِى البَطَّالَ وقد أَوْطَأ الرومَ ذُلًّا، قال البَطَّالُ: فسَأَلنى بعضُ وُلاةِ بنى [٢٠٦/٧و] أُمَيَّةَ عن أعْجَبِ ما كان مِن أمْرى فيهم، فقلتُ له: خرَجْتُ فى سَريةٍ ليلًا، فدَفَعْنا إلى قريةٍ، فقلتُ لأصْحابى: أَرْخُوا لُجُمَ خيولِكم ولا تُحَرِّكوا أحدًا بقَتْلٍ ولا بِسَبْيٍ حتى تَشْحَنوا[3] القريةَ فإنهم فى نَومةٍ. ففَعَلوا وافْتَرقوا فى أَزِقَّتِها، فدَفَعْتُ فى أُناسٍ مِن أصْحابى إلى بيتٍ يَزْهَرُ سِراجُه، وإذا امْرأةٌ تُسَكِّتُ ابنَها مِن بُكائِه وهى تَقولُ: لَتَسْكُتَنَّ أو لَأَدْفَعَنَّك إلى البَطَّالِ يَذْهَبُ بك. وانْتَشَلَتْه مِن سَريرِه وقالتْ: أَمْسِك يا بَطَّالُ. قال: فأَخَذْتُه.

ورَوَى محمدُ بنُ عائذٍ[4] عن الوليدِ، عن أبى مَرْوانَ الأنْطاكيِّ، عن البَطَّالِ قال: انْفَرَدْتُ مرةً على فرسى، ليس معى أحدٌ مِن الجُنْدِ، وقد سَمَّطْتُ[5] خَلْفى

---

(١) أى ابن عساكر تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق ٣٩/ ٣٥٨، من طريق محمد بن عائذ به.

(٣) فى ا ٢، م: «تستمكنوا»، وفى ب، ص: «تستمسكوا». وشحن البلد بالخيل: ملأه. اللسان (ش ح ن).

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٨، ٣٥٩، من طريق محمد بن عائذ بنحوه.

(٥) سَمَّط الشىء: علَّقه. اللسان (س م ط).

مِخْلاةً فيها شعيرٌ، ومعى مِنْديلٌ فيه خبزٌ وشِواءٌ، فبينا أنا أَسِيرُ لعلِّى أَلْقَى أحدًا منفردًا، أو أَطَّلِعُ على خبرٍ، إذا أنا بِبُسْتانٍ فيه بُقولٌ حَسَنةٌ، فنزَلْتُ وأكَلْتُ مِن ذلك بالخبزِ والشِّواءِ مع البَقْلِ، فأخَذنى إسْهالٌ عظيمٌ قمتُ منه مِرارًا، فخِفْتُ أن أَضْعُفَ مِن كثرةِ الإسْهالِ، فرَكِبْتُ فرسى والإسهالُ مُسْتمرٌّ على حالِه، وجَعَلْتُ أخْشَى إن أنا نزَلْتُ عن فرسى أن أَضْعُفَ عن الرُّكوبِ، وأَفْرَط بى الإسْهالُ فى السَّرجِ، حتى خَشِيتُ أن أَسقُطَ مِن الضَّعْفِ، فأخَذْتُ بعِنانِ الفرسِ، ونِمْتُ على وجهى ولا أدْرِى أين يَسِيرُ الفرسُ بى، فلم أَشْعُرْ إلا بقَرْعِ نِعالِه على بَلاطٍ، فأَرْفَعُ رأسى فإذا دَيْرٌ، وإذا قد خَرَج منه نِسوةٌ صُحبةَ امْرأةٍ حَسْناءَ جَميلةٍ جدًّا، فجعَلَتْ تَقولُ لَهُنَّ بلسَانِها: أَنْزِلْنَه. فأنْزَلْنَنى، فغسَلْن عنى ثيابى وسَرْجى وفَرَسى، ووَضَعْنَنى على سَريرٍ، وعَمِلْن لى طعامًا وشَرابًا، فمَكَثْتُ يومًا وليلةً مَسْبوتًا[1]، ثم أقَمْتُ بقيةَ ثلاثةِ أيامٍ حتى تُرادَّ إلىَّ حالى، فبينا أنا كذلك إذ قيل: جاء البِطْريقُ. فأمَرَتْ بفَرَسى فحُوِّل، وغُلِّق علىَّ البابُ الذى أنا فيه، وإذا هو بِطْرِيقٌ كبيرٌ فيهم قد جاء لخِطْبتِها، فأخْبَره بعضُ مَن كان هناك بأن هذا البيتَ فيه رجلٌ وله فرسٌ، فهَمَّ بالهُجومِ علىَّ، فمنَعَتْه المرأةُ مِن ذلك، وأرْسَلتْ تَقولُ له: إن فتَح عليه البابَ لم أَقْضِ حاجتَه. فثَنَاه ذلك عن الهُجومِ علىَّ، وأقام إلى آخِرِ النَّهارِ فى ضِيافتِهم، ثم رَكِب فرسَه، ورَكِب معه أصحابُه وانْطَلَقَ. قال البَطَّالُ: فنهَضْتُ فى أَثَرِهم، فهَمَّت أن تَمْنَعَنى خوفًا علىَّ منهم فلم أَقبَلْ، وسُقْتُ حتى لَحِقْتُهم، فحمَلْتُ عليه، فانفَرَج عنه أصحابُه، وأراد الفِرارَ، فأَلْحَقْه فأَضْرِبُ عنقَه واسْتَلَبْتُه، وأخَذْتُ رأسَه مُسَمَّطًا على فَرَسِى، ورَجَعْتُ إلى الدَّيْرِ، فخرَجْنَ إلىَّ

---

(١) فى ٢١، ب، ص، م: «مستويًا». والمسبوت: المغشى عليه، وكذلك العليل إذا كان ملقى، كالنائم يغمض عينيه فى أكثر أحواله. انظر اللسان (س ب ت).

ووَقَفْن بينَ يدىَّ ، فقلتُ : ارْكَبْن . فرَكِبْن ما هنالك [٢٠٦/٧ظ] مِن الدَّوابِّ ، وسُقْتُ بهن حتى أتَيْتُ أميرَ الجيشِ ، فدَفَعْتُهن إليه ، فنفَّلَنى ما شئتُ منهن ، فأخَذْتُ تلك المرأةَ الحَسْناءَ بعينها ، فهى أمُّ أوْلادى[1] . وكان أبوها بِطْريقًا كبيرًا فيهم ، وكان البَطَّالُ بعدَ ذلك يُكاتِبُ أباها ويُهادِيه .

وذكَر محمدُ بنُ عائذٍ[2] عن الوليدِ ، سَمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ راشدٍ مَوْلى خُزَاعةَ ، يُخبرُ عَمَّن سَمِعه من البطَّالِ ، أنَّ هِشامَ بنَ عبدِ الملكِ لما وَلَّاه المِصِّيصَةَ بعَث البَطَّالُ سَرِيةً إلى أرضِ الرومِ ، فغاب عنه خبرُها فلم يَدْرِ ما صَنَعوا ، فرَكِب بنفسِه وحدَه على فرسٍ له ، وسار حتى وَصَل إلى عمُّورِيَةَ ، فطَرَق بابَها ليلًا ، فقال له البَوَّابُ : مَن هذا ؟ قال البَطَّالُ : فقلتُ : أنا سَيَّافُ المِلِكِ ورسولُه إلى البِطْرِيقِ فَخُذْ لى طريقًا إليه . فلمَّا دخَلْتُ عليه إذا هو جالسٌ على سَرِيرٍ ، فجلَسْتُ معه على السَّريرِ إلى جانبِه ، ثم قلتُ له : إنى قد جئتُك فى رسالةٍ ، فمُرْ هؤلاء فلْيَنْصَرِفوا . فأَمَر مَن عندَه فذَهَبوا . قال : ثم قام فغَلَّق بابَ الكَنيسةِ علىَّ وعليه ، ثم جاء فجلَس ، فاخْتَرَطْتُ سيفى ، وضرَبْتُ به رأسَه صَفْحًا ، وقلتُ له : أنا البَطَّالُ ، فاصْدُقْنى عمّا أَسْأَلُك عنه وإلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَك . قال : وما هو ؟ قلت : السريةُ التى بَعَثْتُها ما خبرُها ؟ فقال : هم فى بلادى يَنْتَهِبون ما تَهيَّأ لهم ، وهذا كتابٌ قد جاءَنى يُخْبِرُ أنهم فى وادى كذا وكذا ، واللَّهِ لقد صدَقْتُك . فقلتُ : هاتِ الأمانَ . فأعْطانى الأمانَ ، فقلتُ : ائتِنى بطعامٍ . فأمَر أصحابَه فجاءُوا بطعامٍ ، فوُضِع لى ، فأكَلْتُ ثم قمتُ لأَنْصَرِفَ ، فقال لأصحابِه : اخْرُجوا بينَ يدى رسولِ المَلِكِ . فانْطَلَقوا يَتَعادَوْن بينَ يدىَّ ، وانْطَلَقْتُ إلى ذلك الوادى

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « والبطريق فى لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٩، ٣٦٠، من طريق محمد بن عائذ بنحوه .

الذى ذَكَر ، فإذا أصْحابى هنالك ، فأخَذْتُهم ورَجَعْتُ إلى المِصِّيصَةِ . فهذا أغْرَبُ ما جَرَى .

قال الوليدُ[1] : وأخْبَرنى بعضُ شُيوخِنا أنه رَأَى البَطَّالَ وهو قافِلٌ مِن حَجَّتِه ، وكان قد شُغِل بالجِهادِ عن الحَجِّ ، وكان يَسْأَلُ اللَّهَ دائمًا الحَجَّ ثم الشَّهادةَ ، فلم يَتَمَكَّنْ مِن حَجَّةِ الإسْلامِ إلا فى السنةِ التى اسْتُشْهِد فيها ، رَحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان سببَ شَهادتِه أن لِيونَ ملكَ الرومِ خَرَج مِن القُسْطَنْطِينيةِ فى مائةِ ألفِ فارسٍ ، فبَعَث البِطْريقُ - الذى البَطَّالُ مُتزوِّجٌ بابنتِه التى ذَكَرْنا أمْرَها - إلى البَطَّالِ يُخْبِرُه بذلك ، فأخْبَر البَطَّالُ أميرَ عَساكرِ المسلمينِ بذلك ، وكان الأميرَ مالكُ بنُ شَبيبٍ ، وقال له : إن المَصْلَحةَ تَقْتَضِى أن نَتَحَصَّنَ فى مدينةِ حَرَّانَ ، فنَكونَ بها حتى يَقْدَمَ علينا سليمانُ بنُ هشامٍ فى الجُيوشِ . فأَبَى عليه ذلك ، ودَهَمهم الجيشُ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، والبطالُ يَجُولُ بين يدَى الأبطالِ ، [٢٠٧/٧و] ولا يَتجاسَرُ أحدٌ أن يُنَوِّهَ باسمِه ؛ خوفًا عليه مِن الرومِ ، فاتَّفَق أن ناداه بعضُهم ، وذَكَر اسمَه غَلطًا منه ، فلما سَمِع ذلك فُرسانُ الرومِ حَمَلوا عليه حَمْلةً واحدةً ، فاقْتَلَعوه مِن سَرْجِه برماحِهم ، فألْقَوْه إلى الأرضِ ، وساقوا وراءَ الناسِ يَقْتُلون فيهم ويَأْسِرون ، وقُتِل الأميرُ الكبيرُ مالكُ بنُ شَبيبٍ ، وانْكَسَر المسلمون ، وانْطَلقوا إلى تلك المدينةِ الخَرابِ فتَحَصَّنوا بها ، وأصْبح لِيونُ فوَقَف على مكانِ المعركةِ ، فإذا البَطَّالُ بآخرِ رَمَقٍ ، فقال له ليونُ : ما هذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكذا تُقْتَلُ الأبْطالُ . فاسْتَدْعَى ليونُ بالأطباءِ ليُداوُوه فإذا جِراحُه قد نَفَذت إلى مقاتِلِه ، فقال له ليونُ : هل مِن حاجةٍ ؟ قال : نعم . قال : وما هى ؟ قال : تَأْمُرُ مَن معك مِن

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٦١/٣٩ - ٣٦٣.

أُسَارَى المسلمين أن يَلُوا غَسْلى والصَّلاةَ علىَّ ودَفْنى . ففعَل ، وأطْلَق لأجلِ ذلك أولئك الأُسارَى ، وانْطَلَق ليونُ إلى أولئك المسلمين الذين تَحَصَّنوا فحاصَرهم ، فبينما هم كذلك إذ جاءَتْهم البُرُدُ بقُدومِ سليمانَ بنِ هشامٍ فى الجُيوشِ الإسْلاميةِ ، ففَرَّ ليونُ فى جيشِه راجعًا إلى القُسْطَنْطِينيَّةِ ، قَبَّحه اللَّهُ .

قال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[1] : كانت وَفاةُ البَطَّالِ ومَقْتَلُه بأرضِ الرومِ فى سنةِ إحْدى وعشرين ومائةٍ . وقال ابنُ جَريرٍ[2] : فى سنةِ ثنتَيْن وعشرين ومائةٍ .

وقال [3]أبو حَسَّانَ[3] الزِّيادىُّ : قُتِل فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ ومائةٍ . قلت : وقد قاله غيرُه[4] ، وأنه قُتِل هو والأميرُ عبدُ الوَهَّابِ بنُ بُخْتٍ فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ ومائةٍ ، كما ذَكَرْنا ذلك . فاللَّهُ أعلمُ ، ولكنَّ ابنَ جَريرٍ لم يُؤَرِّخْ وفاتَه إلا فى هذه السنةِ . فاللَّهُ أعلمُ[5] .

قلتُ : فهذا مُلَخَّصُ ما ذكره الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى ترجمةِ البَطَّالِ مع تَقَصِّيه للأخْبارِ واطِّلاعِه عليها ، وأمَّا ما يَذْكُرُه العامَّةُ عن البَطَّالِ مِن السِّيرةِ المَنْسوبةِ إلى دَلْهَمةَ والبَطَّالِ والأميرِ عبدِ الوَهَّابِ والقاضى عُقْبةَ ، فكَذِبٌ وافْتِراءٌ ، ووَضْعٌ باردٌ ، وجَهْلٌ كبيرٌ ، وتَخْبِيطٌ فاحشٌ ، لا يَروجُ ذلك إلا على غبىٍّ أو جاهلٍ رَدِىٍّ ، كما يَروجُ عليهم سِيرةُ عَنْترةَ العَبْسىِّ المَكْذوبةُ ، وكذلك سِيرةُ البَكْرىِّ والدَّنَفِ وغيرِ ذلك ، والكَذِبُ المُفْتَعَلُ فى سِيرةِ البَكْرىِّ أشَدُّ إثْمًا وأعْظَمُ

---

(١) تاريخ خليفة ٢/ ٥٢٤.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ١٩١.

(٣ - ٣) فى النسخ : « ابن حسان » . والمثبت من تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٦٤.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥) بعده فى الأصل : « وقال أبو بكر بن عياش : قيل للبطال : ما الشجاعة ؟ قال : صبر ساعة » .

جُرْمًا مِن غيرِها ؛ لأن واضِعَها يَدْخُلُ فى قولِ النبىِّ ﷺ : « مَن كذَب علىَّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النارِ »[1] .

وممَّن تُوُفى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

إياسٌ الذَّكىُّ[2] ، وهو إياسُ بنُ مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ بنِ إياسِ بنِ هِلالِ بنِ رِئابِ بنِ عَبْدِ بنِ دُرَيْدِ بنِ أَوْسِ بنِ سُواءةَ بنِ [٧/ ٢٠٧ظ] عمرِو بنِ ساريةَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ ذُبْيانَ ابنِ ثَعْلبةَ بنِ أَوْسِ بنِ عثمانَ بنِ عمرِو بنِ أُدِّ بنِ طابِخةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ ابنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ ، هكذا نَسَبه خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[3] ، وقيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه[4] ، وهو أبو واثلةَ المُزَنىُّ قاضى البَصْرةِ ، وهو تابعىٌّ ، ولجَدِّه صُحْبةٌ ، وكان يُضْرَبُ المَثَلُ بذَكائِه ، رَوَى عن أبيه ، عن جَدِّه مَرْفوعًا فى الحَياءِ[5] ، وعن أنسٍ ، وسعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ وسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، ونافعٍ ، وأبى مِجْلَزٍ . وعنه الحَمَّادان وشُعْبةُ ، والأصْمَعىُّ[6] ، وغيرُهم .

قال عنه محمدُ بنُ سِيرينَ[7] : إنه لَفَهِمٌ ، إنه لَفَهِمٌ .

---

(١) البخارى (١٠٧) ، ومسلم (٣/٣) .

(٢) طبقات خليفة ١/ ٥٠٨، وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٤، وأخبار القضاة ١/ ٣١٢، وتاريخ دمشق ١٠/ ٥، وتهذيب الكمال ٣/٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥.

(٣) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/٥ عن خليفة .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٥.

(٥) فى ا ٢، ص : « الخيار » . والحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٩/٢٩ (٦٣) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ١٩٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٦.

(٦) المقصود بالأصمعى هنا قُرَيْب بن عبد الملك والد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، كما فى تهذيب الكمال ٣/ ٤٠٨.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ١٢.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ والعِجْليُّ وابنُ مَعِينٍ والنَّسائيُّ[1] : ثِقةٌ . زاد ابنُ سعدٍ : وكان عاقلًا مِن الرجالِ فَطِنًا . وزاد العِجْليُّ : وكان فَقيهًا عَفيفًا .

وقد قَدِم دِمشقَ فى أيامِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، ووَفَد على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ومَرَّةً أخرى حينَ عَزَله عَدِيُّ بنُ أَرْطاةَ عن قَضاءِ البَصْرةِ .

قال أبو عُبَيدةَ وغيرُه[2] : تَحاكَم إياسٌ وهو صَبيٌّ شابٌّ ، وشيخٌ إلى قاضى عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بدِمشقَ ، فقال له القاضى : إنه شيخٌ وأنت شابٌّ ، فلا تُساوِه فى الكلامِ . فقال إياسٌ : إن كان كبيرًا فالحقُّ أكبرُ منه . فقال له القاضى : اسْكُتْ . فقال : ومَن يَتَكَلَّمُ بحُجَّتى إذا سَكَتُّ ؟ فقال القاضى : ما أَحْسَبُك تَنْطِقُ بحقٍّ فى مَجْلِسى هذا حتى تَقومَ . فقال إياسٌ : أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ - زاد غيرُه : فقال القاضى : ما أَظُنُّك إلا ظالمًا له . فقال : ما على ظَنِّ القاضى خرَجْتُ مِن منزلى - فقام القاضى ، فدَخَل على عبدِ الملكِ ، فأَخْبَره خَبرَه فقال : اقْضِ حاجتَه وأَخْرِجْه[3] الساعةَ مِن دِمشقَ ، لا يُفْسِدُ علىَّ الناسَ .

وقال بعضُهم[4] : لما عَزَله عَدِيُّ بنُ أَرْطاةَ عن قَضاءِ البَصْرةِ فَرَّ منه إلى عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ ، فوجَده قد مات ، فكان يَجْلِسُ فى حَلْقةٍ فى جامعِ دمشقَ ، فتَكَلَّم رجلٌ مِن بنى أُمَيةَ ، فرَدَّ عليه إياسٌ ، فأَغْلَظ له الأُمَوىُّ ، فقام إياسٌ ، فقيل للأُمَوىِّ : هذا إياسُ بنُ مُعاويةَ المُزَنىُّ . فلما عاد مِن الغَدِ اعْتَذَر إليه الأُمَوىُّ وقال :

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٤، وتاريخ الثقات ص ٧٥، والجرح والتعديل ٢/ ٢٨٢، وتهذيب الكمال ٣/ ٤١٠.

(٢) ذكره ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/ ٧١، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٨، ٩.

(٣) من هنا سقط فى «ص» ينتهى فى صفحة ١٢١ عند قوله : «عند عمر بن عبد العزيز».

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٩.

لم أَعْرِفْك ، وقد جَلَسْتَ إلينا بثِيابِ السُّوقةِ وكَلَّمْتَنا بكلامِ الأشْرافِ ، فلم نَحْتَمِلْ ذلك .

وقال يَعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : حَدَّثنا نُعيمُ بنُ حَمَّادٍ ، ثنا ضَمْرةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ قال : كان يُقالُ : يُولَدُ فى كلِّ مائةِ سنةٍ رجلٌ تامُّ العَقْلِ . فكانوا يَرَوْنَ أن إياسَ بنَ مُعاويةَ منهم .

وقال العِجْلىُّ[2] : دَخَل على إياسٍ ثلاثُ نِسْوةٍ ، فلمَّا رآهُنَّ قال : أمَّا إحداهنَّ فمُرْضِعٌ ، والأُخْرى بِكْرٌ ، والأخرى ثَيِّبٌ . فقيل له : بمَ عَلِمْتَ هذا ؟ فقال : أما المُرْضِعُ فلمّا قَعَدَت أمْسَكَت ثَدْيَها بيدِها ، [٢٠٨/٧و] وأما البِكْرُ فلمّا دَخَلَت لم تَلْتَفِتْ إلى أحدٍ ، وأما الثَّيِّبُ فلمّا دَخَلَت نَظَرَت ورَمَتْ بعَيْنَيْها .

وقال يونُسُ بنُ حبيبٍ[3] : ثنا الأحْنَفُ بنُ حَكيمٍ بأَصْبَهانَ ، ثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، سَمِعْتُ إياسَ بنَ مُعاويةَ يَقولُ : أذكرُ الليلةَ التى وُلِدْتُ فيها ، وضَعَتْ أمِّى على رأسى جَفْنةً .

وقال المَدائنىُّ[4] : قال إياسُ بنُ مُعاويةَ لأُمِّه : ما شىءٌ سمعتُه (٥ وأنتِ حاملٌ بى ٥) وله جَلَبةٌ شَديدةٌ ؟ قالتْ : تلك يا بُنَىَّ طَسْتٌ سَقَطَتْ مِن فوقِ الدارِ إلى أسْفلَ ، ففَزِعْتُ فولَدْتُك تلك الساعةَ .

---

(١) المعرفة والتاريخ ٢/ ٩٣، ٩٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ١٣.

(٣) المصدر السابق ١٠/ ١٣، من طريق يونس بن حبيب به .

(٤) المصدر السابق ١٠/ ١٤، من طريق المدائنى عن إياس بنحوه .

(٥ - ٥) فى الأصل، وتاريخ دمشق: «وأنا صغير» .

وقال أبو بكرٍ الخَرائطىُّ[1] ، عن عمرَ بنِ شَبَّةَ النُّمَيْرىِّ قال : بَلَغنى أن إياسَ بنَ مُعاويةَ قال : ما يَسُرُّنى أن أَكْذِبَ كَذْبةً لا يَطَّلِعُ عليها إلا[2] أبى مُعاويةُ [3]لا أُحاسَبُ عليها يومَ القيامةِ وأنَّ لىَ الدُّنْيا بحذافيرِها .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[4] : حدثنا خَلَفُ بنُ هشامٍ ، ثنا حَمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن حبيبِ بنِ الشهيدِ ، عن إياسِ بنِ معاويةَ[3] قال : ما خاصَمْتُ أحدًا مِن أهلِ الأهْواءِ بعَقْلى كلِّه إلا القَدَريةَ ؛ قلتُ لهم : أَخْبِرونى عن الظُّلْمِ ما هو ؟ قالوا : أَخْذُ الإنْسانِ ما ليس له . قال : قلتُ : فإنَّ اللَّهَ له كلُّ شىءٍ .

قال بعضُهم ، عن إياسٍ قال[5] : كنتُ فى الكُتَّابِ[6] وأنا صبىٌّ ، فجعَل أولادُ النَّصارَى يَضْحَكون مِن المسلمين ويَقولون : إنهم يَزْعُمون أنه لا فَضْلةَ لطَعامِ أهلِ الجنةِ . فقلتُ للفَقيهِ ، وكان نَصْرانيًّا : ألسْتَ تَزْعُمُ أن مِن الطعامِ ما يَنْصَرِفُ فى غِذاءِ البَدَنِ ؟ قال : بلى . قلتُ : فما تُنْكِرُ أن يَجْعَلَ اللَّهُ طَعامَ أهلِ الجنةِ كلَّه غَذاءً لأبْدانِهم ؟ فقال له مُعَلِّمُه : ما أنت إلا شيطانٌ .

وهذا الذى قاله إياسٌ وهو صغيرٌ بعقلِه قد وَرَد به الحديثُ الصَّحيحُ ، كما سنَذْكُرُه إن شاء اللَّهُ ، فى صفةِ أهلِ الجنةِ أن طَعامَهم يَنْصَرِفُ جُشاءً وعَرَقًا كالمِسْكِ ، فإذا البطنُ ضامِرٌ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ١٥، من طريق الخرائطى به .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) المصدر السابق ، من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٥) المصدر السابق ١٠/ ١٤، ١٥.

(٦) الكتاب : موضع تعليم الكتابة . انظر تاج العروس (ك ت ب) .

وقال سفيانُ بنُ حسينٍ[1] : قَدِم إياسٌ واسطًا فجاءه ابنُ شُبْرُمةَ بمَسائلَ قد أعَدَّها ، فقال له : أتأْذَنُ لى أن أَسْأَلَك ؟ قال : سَلْ ، وقد ارْتَبْتُ حين اسْتأذَنْتَ . فسَأَله عن سبعينَ مَسْألةً يُجِيبُه فيها ، ولم يَخْتَلِفا إلا فى أربعِ مَسائلَ ، رَدَّه إياسٌ إلى قولِه ، ثم قال له إياسٌ : أتَقْرَأُ القُرآنَ ؟ قال : نعم . قال : أتَحْفَظُ قولَه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ؟ قال : نعم ، وما قبلَها وما بعدَها . قال : فهل أبْقَتْ هذه الآيةُ لآلِ شُبْرُمةَ رَأْيًا ؟

وقال عباسٌ[2] ، عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ ، حَدَّثنا سعيدُ بنُ عامرٍ ، ثنا عمرُ بنُ علىٍّ قال : قال رجلٌ لإياسِ بنِ مُعاويةَ : يا أبا واثِلةَ ، حتى متى يَبْقَى الناسُ ؟ وحتى متى يَتوالَدُ الناسُ ويَموتون ؟ فقال لـجُلَسائِه : أَجِيبوه . فلم يَكُنْ عندَهم جوابٌ ، فقال إياسٌ : حتى تَتكامَلَ [٢٠٨/٧ظ] العِدَّتانِ ؛ عِدَّةُ أهلِ الجنةِ ، وعِدَّةُ أهلِ النارِ[3] .

وقال بعضُهم[4] : اكْتَرى إياسُ بنُ مُعاويةَ مِن الشامِ قاصدًا الحَجَّ ، فرَكِب معه فى المَحْمِلِ[5] غَيْلانُ القَدَرىُّ ، ولا يَعْرِفُ أحدُهما صاحبَه ، فمَكَثا ثلاثًا لا يُكَلِّمُ أحدُهما صاحبَه ، فلمَّا كان بعدَ ثلاثٍ تَحادَثا فتَعارَفا ، وتَعَجَّب كلُّ واحدٍ منهما مِن اجْتماعِه بصاحبِه ؛ لمُبايَنةِ ما بينَهما فى الاعْتِقادِ فى القَدَرِ ، فقال له إياسٌ : هؤلاء أهلُ الجنةِ يَقولون حينَ يَدْخُلون الجنةَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] ويَقولُ أهلُ النارِ : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٧/ ٢٣٤، ٢٣٥. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ١٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ١٧، من طريق عباس بن محمد الدورى به .

(٣) بعده فى ب : « وفى رواية أن رجلا قال له : متى تقوم الساعة ؟ فقال إياس : إذا بلغ أهل الجنة العدد الذى قدره الله لها ، وأهل النار العدد الذى قدره الله لها » .

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ١٥ - ١٧.

(٥) فى الأصل ، ٢١، ب ، م : « المحارة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] وتَقولُ المَلائكةُ: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة: ٣٢]. ثم ذَكَر له مِن أشْعارِ العربِ وأمْثالِ العَجَمِ ما فيه إثْباتُ القَدَرِ، ثم اجْتَمع مرةً أخرى إياسٌ وغَيْلانُ عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، فناظَر بينَهما، فقَهَره إياسٌ، ومازال يَحْصُرُه فى الكلامِ حتى اعْتَرف غَيْلانُ بالعَجْزِ وأظْهَر التَّوْبةَ، فدَعا عليه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إن كان كاذبًا، فاسْتَجاب اللَّهُ منه، فأمْكَن مِن غَيْلانَ، فقُتِل وصُلِب بعدَ ذلك. وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ.

ومِن كلامِه الحسنِ[1]: لأَن يَكونَ فى فَعالِ الرجلِ فَضْلٌ عن قولِه خيرٌ مِن أن يَكونَ فى قولِه فَضْلٌ عن فَعالِه.

وقال سفيانُ بنُ حسينٍ[2]: ذَكَرْتُ رجلًا بسُوءٍ عندَ إياسِ بنِ مُعاويةَ، فنَظَر فى وَجْهى وقال: أغَزَوْتَ الرومَ؟ قلتُ: لا. قال: فالسِّنْدَ والهِندَ والتُّرْكَ؟ قلتُ: لا. قال: أفسَلِمَ منك الرومُ والسِّنْدُ والهندُ والتركُ، ولم يَسْلَمْ منك أخوك المسلمُ؟! قال: فلم أَعُدْ بعدَها.

وقال الأصْمَعىُّ، عن أبيه[3]: رأيْتُ إياسَ بنَ مُعاويةَ فى بيتِ ثابتٍ البُنانىِّ، وإذا هو أحْمرُ طَويلُ الذِّراعِ غَليظُ الثِّيابِ، يَلُوثُ عِمامتَه[4]، وهو قد غَلَب على الكلامِ، فلا يَتَكَلَّمُ معه أحدٌ[5].

وقد قال له بعضُهم[6]: ليس فيك عيبٌ سوى كَثْرةِ كَلامِك. فقال: بحقٍّ

---

(١) أخبار القضاة ١/ ٣٥٠، وانظر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧، ١٨.

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ١٨.

(٣) المصدر السابق ١٠/ ٢٠.

(٤) يلوث عمامته: يعصبها. المحيط (ل و ث).

(٥) بعده فى ا ٢، ب، م، ص: «إلا علاه».

(٦) تاريخ دمشق ١٠/ ٣٠ بنحوه.

أَتَكَلَّمُ أم بباطلٍ؟ فقيل: بل بحقٍّ. فقال: كلما كَثُر الحقُّ فهو خيرٌ.

ولامَه بعضُهم فى لِباسِه الثِّيابَ الغَليظةَ، فقال[1]: إنما أَلْبَسُ ثوبًا يَخْدُمُنى ولا أَلْبَسُ ثوبًا أَخْدُمُه.

وقال الأَصْمَعىُّ[2]: قال إياسُ بنُ مُعاويةَ: إن أَشْرَفَ خِصالِ الرجلِ صِدْقُ اللِّسانِ، ومَن عَدِم فَضيلةَ الصِّدْقِ فقد فُجِع بأَكْرمِ أَخْلاقِه.

وقال بعضُهم[3]: سأَلَ رَجُلٌ إياسًا عن النَّبيذِ، فقال: هو حَرامٌ. فقال الرجلُ: فأَخْبِرْنى عن الماءِ. فقال: حَلالٌ. قال: فالكَشُوثُ[4]؟ قال: حَلالٌ. قال: فالتمرُ؟ قال: حَلالٌ. قال: فما بالُه إذا اجْتَمع يحْرُمُ؟ فقال إياسٌ: أرأَيْتَ لو رَمَيْتُك بهذه الحَفْنةِ مِن الترابِ، أَتُوجِعُك؟ قال: لا. قال: فهذه الحَفْنةُ مِن التِّبْنِ؟ قال: [٢٠٩/٧و] لا. قال: فهذه الغُرْفةُ مِن الماءِ؟ قال: لا. قال: أفرَأَيْتَ إن خلَطْتُ هذا بهذا، وهذا بهذا حتى صار طِينًا، ثم اسْتَحْجَر، ثم رَمَيْتُك، أيُوجِعُك؟ قال: إى واللَّهِ، ويَقْتُلُنى. قال: فكذلك تلك الأشياءُ إذا اجْتَمَعت.

وقال المَدائنىُّ[5]: بَعَث عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ عَدِىَّ بنَ أَرْطاةَ إلى البَصْرةِ نائبًا، وأَمَره أن يَجْمَعَ بينَ إياسٍ والقاسمِ بنِ رَبيعةَ الجَوْشَنىِّ، فأيُّهما كان أَفْقهَ فلْيُوَلِّه القَضاءَ. فقال إياسٌ وهو يُرِيدُ أن لا يتَوَلَّى: أيُّها الرجلُ، سَلْ فَقِيهَىِ البَصْرةِ؛ الحسنَ وابنَ سِيرينَ. وكان إياسٌ لا يَأْتِيهما، فعرَف القاسمُ أنه إن سَأَلهما أشارَا

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٦.

(٢) المصدر السابق ١٠/ ٢٠.

(٣) المصدر السابق ١٠/ ٢١، ٢٢.

(٤) فى ا٢، ب، م، ص: «فالكسور». والكشوث: نبات يُجعل فى النبيذ، انظر اللسان (ك ش ث).

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٢٣.

به ، فقال القاسمُ لعَدِيٍّ : واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو إنَّ إياسًا أفْضَلُ منى وأفْقَهُ ، وأعْلَمُ بالقَضاءِ ، فإن كنتُ صادقًا فوَلِّه ، وإن كنتُ كاذبًا فما يَنْبَغى أن أَلِيَ القَضاءَ . فقال إياسٌ : هذا رجلٌ أُوقِف على شَفيرِ جَهنمَ ، فافْتَدَى منها بيَمينٍ كاذبةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ منها . فقال عَدِيٌّ : أمَا إذ فَطِنْتَ إلى هذا فقد وَلَّيْتُك القَضاءَ . فمَكَث سنةً يَفْصِلُ بينَ الناسِ ويُصْلِحُ بينَهم ، وإذا تَبَيَّنَ له الحَقُّ حَكَم به ، ثم هَرَب إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إلى دِمشقَ ، فاسْتَعْفَى مِن القَضاءِ ، فوَلَّى عَدِيٌّ بعدَه الحسنَ البَصْرىَّ .

قالوا[1] : لما تَوَلَّى إياسٌ القَضاءَ بالبَصْرةِ فَرِح به العُلماءُ ، حتى قال أيوبُ : لقد رَمَوْها بحَجَرِها . وجاءَه الحسنُ وابنُ سِيرينَ فسَلَّما عليه ، فبَكَى إياسٌ ، وذَكَر حديثَ : « القُضاةُ ثلاثةٌ ؛ قاضِيانِ فى النارِ ، وواحدٌ فى الجنةِ »[2] . فقال الحسنُ : فقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨، ٧٩] . قالوا : ثم جَلَس للناسِ فى المسجدِ ، واجْتَمَع عليه الناسُ للخُصوماتِ ، فما قام حتى فَصَل سبعين قَضِيةً ، حتى كان يُشَبَّهُ بشُرَيْحٍ القاضى . ورُوِى أنه كان إذا أشْكَل عليه شىءٌ بَعَث إلى محمدِ بنِ سِيرينَ ، فسأَله عنه .

وقال إياسٌ[3] : إنى لَأُكَلِّمُ الناسَ بنصفِ عَقْلى ، فإذا اخْتَصَم إلىَّ اثنان جَمَعْتُ عَقْلى كلَّه .

---

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٦، ٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣) ، وابن ماجه (٢٣١٥) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ١١٦ صحيح . (صحيح سنن أبى داود ٣٠٥١) .

(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٧.

وقال له رجلٌ[1] : إنك لَتُعْجَبُ برأيِك . فقال : لولا ذلك لم أَقْضِ به .

وقال له آخرُ[2] : إن فيك خِصالًا لا تُعْجِبُنى . فقال : ما هى ؟ فقال : تَحْكُمُ قبلَ أن تَفْهَمَ ، وتُجالِسُ كلَّ أحدٍ ، وتَلْبَسُ الثِّيابَ الغَليظةَ . فقال له : أيُّها أكثرُ ؛ الثلاثةُ أو الاثنانِ ؟ قال : الثلاثةُ . فقال : ما أسْرَعَ ما فَهِمْتَ وأجَبْتَ . فقال : أو يَجْهلُ هذا أحدٌ ؟ فقال : وكذلك ما أَحْكُمُ أنا به ، وأما مُجالَستى لكلِّ أحدٍ ، فَلأن أَجْلِسَ مع مَن يَعْرِفُ لى قَدْرى أحَبُّ إلىَّ مِن أن أَجْلِسَ مع مَن لا يَعْرِفُ لى قَدْرى ، وأما الثِّيابُ فإنما أَلْبَسُ منها ما يَقِينى لا ما أَقِيه أنا .

قالوا[2] : وتَحاكَم إليه اثنان قد أودع أحدُهما عندَ [٢٠٩/٧ظ] الآخَرِ مالًا ، وجَحَده الآخَرُ ، فقال إياسٌ للمُودِعِ : أين أَوْدَعْتَه ؟ قال : عندَ شجرةٍ فى بُسْتانٍ . فقال : انْطَلِقْ إليها ، فقِفْ عندَها لعلك تَتَذَكَّرُ[3] . فانْطَلَقَ . وجَلَس الآخَرُ ، فجعَل إياسٌ يَحْكُمُ بينَ الناسِ ويُلاحِظُه ، ثم اسْتَدْعاه فقال له : أوَصَل صاحبُك بعدُ إليها ؟ فقال : لا بعدُ ، أصْلَحك اللَّهُ . فقال له : قُمْ يا عدوَّ اللَّهِ فأَدِّ إليه حقَّه ، وإلا جعَلْتُك نَكالًا . وجاء ذلك الرجلُ ، فقام معه ، فدَفَع إليه وَديعتَه بكَمالِها .

وجاءه آخرُ فقال له[4] : إنى قد أَوْدَعْتُ عندَ فلانٍ مالًا ، وقد جَحَدنى . فقال له : اذْهَبِ الآنَ وائْتِنى غدًا . وبَعَث مِن فَوْرِه إلى ذلك الرجلِ الجاحِدِ فقال له : إنه

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٨.

(٢) المصدر السابق .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وفى رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تذهب إليها فتأتى بورق منها ؟ قال : نعم . قال » .

(٤) المصدر السابق ١٠/ ٢٨، ٢٩.

قد اجْتَمَع عندَنا ههنا مالٌ ، فضَعْه عندَك في مكانٍ حَريزٍ . فقال : سَمْعًا وطاعةً . فقال : اذهبِ الآنَ وائْتِنى غدًا . وأصْبَح ذلك الرجلُ صاحبُ الحقِّ فجاء إلى إياسٍ ، فقالَ له : اذْهَبِ الآنَ إليه فقل له : أعْطِنى حقى وإلا رَفَعْتُك إلى القاضى . فذهب فقال له ذلك ، فخاف أن لا يُودِعَ عنده الحاكمُ ، فدَفَع إليه حقَّه ، فجاء إلى إياسٍ فأعْلَمه ، ثم جاء ذلك الرجلُ مِن الغَدِ ؛ رَجاءَ أن يُودَعَ ، فانْتَهَره إياسٌ وطَرَده ، وقال له : أنت خائنٌ .

وتَحاكَم إليه اثنان فى جاريةٍ[1] ، فادَّعَى المُشْتَرِى أنها ضَعيفةُ العَقْلِ ، فقال لها إياسٌ : أىُّ رِجْلَيْك أطْوَلُ ؟ فقالتْ : هذه . فقال لها : أتَذْكُرين ليلةَ وُلِدْتِ ؟ فقالت : نعم . فقال للبائعِ : رُدَّ رُدَّ .

ورَوَى ابنُ عَساكرَ[2] ، أن إياسًا سَمِع صوتَ امْرأةٍ مِن بيتِها ، فقال : هذه امرأةٌ حامِلٌ بصبىٍّ . فلمَّا وَلَدَت وَلَدَت كما قال ، فسُئِل : بمَ عرَفْتَ ذلك ؟ قال : سَمِعْتُ صوتَها ونَفَسُها معه ، فعَلِمْتُ أنها حاملٌ ، وفى صوتِها صَحَلٌ ، فعَلِمْتُ أنه غُلامٌ . قالوا : ثم مَرَّ يومًا ببعضِ المكاتِبِ ، فإذا صَبىٌّ هنالك فقال : إن كنتُ أَدْرِى شيئًا فهذا الصَّبىُّ ابنُ تلك المرأةِ . فإذا هو ابنُها .

وقال مالكٌ[3] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أبى بكرٍ قال : شَهِد رجلٌ عند إياسٍ فقال له : ما اسْمُك ؟ فقال : أبو العَنْقَزِ[4] . فلم يَقْبَلْ شَهادتَه .

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٩، ٣٠.

(٢) المصدر السابق ١٠/ ٣٢.

(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٣٠.

(٤) فى ا ٢، ب ، ص : « العبقر » . وفى م : « العنفر » . وفى تاريخ دمشق : « العنقر » . وانظر الإكمال ٧/ ٣٩. والعنقز : جُرْدان الحمار . أى ذكرُه . تاج العروس (ع ق ز) . وقد رد إياس شهادة هذا الرجل بسبب كنيته القبيحة هذه ، كما ذكر ذلك صاحبا الإكمال وتاج العروس .

وقال الثَّوْرىُّ ، عن الأَعْمَشِ[1] : دَعَوْنى إلى إياسٍ ، فإذا رجلٌ كلما فَرَغ مِن حديثٍ أَخَذ فى آخَرَ .

وقال إياسٌ[2] : كلُّ رجلٍ لا يَعْرِفُ عيبَ نَفْسِه فهو أحْمَقُ . فقيل له : فما عَيْبُك ؟ قال : كَثْرةُ الكلامِ .

قالوا[3] : ولما ماتَتْ أُمُّه بَكَى ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان لى بابان مَفْتوحان إلى الجنةِ ، فغُلِق أحدُهما .

وقال أبوه[4] : إن الناسَ يَلِدون أبْناءً ، ووَلَدْتُ أبًا .

وكان أصحابُه يَجْلِسون حولَه ، ويَكْتُبون عنه الفِراسةَ[5] ، فبينما هم حولَه جُلوسٌ ، إذ نَظَر إلى رجلٍ قد [٧/٢١٠و] جاء ، فجَلَس على دَكَّةِ حانوتٍ ، وجَعَل كلما مَرَّ أحدٌ يَنْظُرُ إليه ، ثم قام فنَظَر فى وجهِ رجلٍ ، ثم عاد ، فقال لأصحابِه : هذا فَقِيهُ كُتَّابٍ قد أَبَق له غُلامٌ أعْوَرُ فهو يَتَطَلَّبُه . فقاموا إلى ذلك الرجلِ فسأَلوه ، فوَجَدوه كما قال إياسٌ ، فقالوا لإياسٍ : مِن أين عَرَفْتَ ذلك ؟ فقال : لما جَلَس على دَكَّةِ الحانوتِ عَلِمْتُ أنه ذو وِلايةٍ ، ثم نَظَرْتُ فإذا هو لا يَصْلُحُ إلا لفَقَاهةِ المَكْتَبِ ، ثم جَعَل يَنْظُرُ إلى كلِّ مَن يَمُرُّ ، فعرَفْتُ أنه قد فَقَد غُلامًا ، ثم لما قام فنَظَر إلى وَجْهِ ذلك الرجلِ مِن الجانبِ الآخَرِ ، عَرَفْتُ أن غلامَه أعْوَرُ .

وقد أوْرَد ابنُ خَلِّكانَ أشْياءَ كَثيرةً فى تَرْجمتِه ، مِن ذلك أنه قال[6] : شَهِد

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٣٣، من طريق الثورى به .
(٢) المصدر السابق ١٠/ ٣٤.
(٣) المصدر السابق ١٠/ ٣٣.
(٤) المصدر السابق ١٠/ ٣٥.
(٥) المصدر السابق ١٠/ ٣٢، ٣٣.
(٦) وفيات الأعيان ١/ ٢٤٩.

عندى رجلٌ فى بُستانٍ ، فقلت له : كم عَدَدُ أشْجارِه ؟ فقال : كم عَدَدُ جُذوعِ هذا المجْلِسِ الذى أنت فيه مِن مدةِ سنينَ ؟ فقلتُ : لا أدْرى . وأقْرَرْتُ شَهادتَه .

(١) قال خليفةُ وغيرُ واحدٍ(٢) : تُوفِّىَ بواسطٍ سنةَ ثنتين وعشرين ومائةٍ(١) .

(١ - ١) سقط من : ٢١، ب ، م .

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٣٥، ٣٦.

ثم دَخَلَت سنةُ ثلاثٍ وعشرين ومائةٍ

ذَكَر المَدائنيُّ[1] عن شُيوخِه أن خاقانَ مَلِكَ التُّرْكِ لما قُتِل فى وِلايةِ أسدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ على خُراسانَ ، تَفَرَّق شَمْلُ الأتْراكِ ، وجَعَل بعضُهم يُغِيرُ على بعضٍ ، [2]وبعضُهم يَقْتلُ بعضًا حتى كادت أن تخرَبَ بِلادُهم ، واشْتَغَلُوا عن المسلمين[2] .

وفيها سَأَل أهلُ الصُّغْدِ مِن أميرِ خُراسانَ نصرِ بنِ سَيَّارٍ أن يَرُدَّهم إلى بلادِهم ، وسألوه شروطًا أنْكَرها العُلماءُ[3] ، منها ؛ أن لا يُعاقَبَ مَن ارْتَدَّ منهم عن الإسْلامِ ، ولا تُؤْخَذَ أُسَراءُ المسلمين منهم[4] ، وغيرُ ذلك ، فأراد أن يُوافِقَهم على ذلك لشدةِ نِكايتِهم فى المسلمين ، فعاب عليه الناسُ ذلك ، فكتَب إلى هشامٍ فى ذلك فتَوَقَّف ، ثم لما رَأَى أن هؤلاء إذا اسْتَمَرُّوا على مُعاندتِهم للمسلمين كان ضَرَرُهم أشَدَّ ، أجابهم إلى ذلك .

وقد بَعَث يوسُفُ بنُ عمرَ أميرُ العراقِ وَفْدًا إلى أميرِ المؤمنين يَسْأَلُ منه أن يَضُمَّ إليه نِيابةَ خُراسانَ ، وتَكَلَّموا فى نصرِ بنِ سَيَّارٍ أميرِ خراسانَ بأنه وإن كان شَهْمًا شُجاعًا ، إلا أنه قد كَبِر وضَعُف بَصَرُه فلا يَعْرِفُ الرجلَ إلا مِن قريبٍ بصوتِه ، وتَكَلَّموا فيه كلامًا كثيرًا ، فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك هشامٌ ، واسْتَمَرَّ به على

---

(١) تاريخ الطبرى ١٩٢/٧ - ١٩٧، والمنتظم ٢٢٥/٧ - ٢٢٨، والكامل ٢٥٠/٥ - ٢٥٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « أمراء خراسان » .

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى : « إلا بقضية قاض وشهادة العدول » .

إمْرةِ خُراسانَ ووِلايتِها .

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وحَجَّ بالناسِ فيها يَزيدُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، والعُمَّالُ فيها مَن تقَدَّم ذِكْرُهم فى التى قبلَها .

وتُوُفِّى فى هذه السنةِ **رَبيعةُ** بنُ يَزيدَ القَصِيرُ[2] مِن أهلِ دِمشقَ ، **وأبو يونُسَ سُلَيمُ** بنُ جُبَيْرٍ[3] ، **وسِماكُ** بنُ حربٍ[4] ، **ومحمدُ** بنُ واسعِ بنِ جابرٍ[5] ، وقد ذكَرْنا تَراجمَهم فى كتابِنا [٧/٢١٠ظ] « التَّكْميلِ » ، وللَّهِ الحمدُ[6] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ١٩٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٥، وطبقات خليفة ٢/ ٨٠٣، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٩٢، وتهذيب الكمال ٩/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٩٢.

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ١٢٥، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٢٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣، وطبقات خليفة ١/ ٣٧٢، وتاريخ بغداد ٩/ ٢١٤، وتهذيب الكمال ١٢/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٢٤، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٤٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٠، وطبقات خليفة ١/ ٥١٥، وحلية الأولياء ٢/ ٣٤٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٨٦، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥٧٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٥٩، والوافى بالوفيات ٥/ ١٧٢.

(٦) بعده فى م، ص: « قال محمد بن واسع: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة.

وقال: خمس خصال تميت القلب؛ الذنب على الذنب، ومجالسة الموتى. قيل له: ومن الموتى؟ قال: كل غنى مترف، وسلطان جائر. وكثرة مثافنة النساء وحديثهن، وملاحاة الأحمق؛ تقول له ويقول لك، وكثرة مشاهدة الباطل وإشاعته ومخالطة أهله. وقال مالك بن دينار: إنى لأغبط الرجل يكون عيشه كفافا فيقنع به. فقال محمد بن واسع: أغبط منه والله عندى من يصبح جائعا، ويمسى جائعا وهو عن الله راض. وقال: ما آسى من الدنيا إلا على ثلاثٍ؛ صاحبٍ إذا اعوججت قومنى، وصلاةٍ فى جماعةٍ يحمل عنى سهوها وأفوز بفضلها، وقوت من الدنيا ليس لأحدٍ فيه منة، ولا لله على فيه تبعة. وروى زياد بن الربيع عن أبيه قال: رأيت محمد بن واسعٍ بسوق مرو، وهو يعرض حمارًا له للبيع، فقال له رجل: أترضاه لى؟ قال: لو رضيته لم أبعه. ولما ثقل محمد بن واسعٍ كثر عليه الناس =

ثم دَخَلَت سنةُ أرْبعٍ وعشرين ومائةٍ

فيها[1] غَزا سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بلادَ الرومِ، فلَقِى ملكَ الرومِ أليونَ، فسَلِم سليمانُ وغَنِم.

وفيها قَدِم جَماعةٌ مِن دُعاةِ بنى العَبَّاسِ مِن بلادِ خُراسانَ قاصِدِين إلى مكةَ، فمرُّوا بالكُوفةِ، فبَلَغهم أن فى السجنِ جَماعةً مِن الأُمَراءِ مِن نُوَّابِ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ، قد حَبَسهم يوسُفُ بنُ عمرَ، فاجْتَمَعوا بهم فى السجنِ، فدَعَوْهم إلى البَيْعةِ لبنى العَبَّاسِ، وإذا عندَهم مِن ذلك جانبٌ كبيرٌ، فقَبِلوا منهم، ووَجَدوا عندَهم فى السجنِ أبا مُسْلِمٍ الخُراسانىَّ، وهو إذ ذاك غلامٌ يَخْدُمُ عيسى بنَ مَعْقِلٍ العِجْلىَّ، وكان مَحْبوسًا، فأعْجَبَهم شَهامَتُه وقوتُه واسْتِجابتُه مع مَوْلاه إلى هذا الأمْرِ، فاشْتَراه بُكَيْرُ بنُ ماهانَ منه بأربعِمائةِ درهمٍ، وخرَجوا به معهم، فاسْتَنْدَبوه لهذا الأمْرِ، فكانوا لا يُوَجِّهونه إلى مكانٍ

= فى العيادة، قال بعض أصحابه: فدخلت عليه، فإذا قوم قعود وآخرون قيام، فقال: ماذا يغنى هؤلاء عنى إذا أُخذ بناصيتى وقدمى غدًا، وأُلقيت فى النار؟! وبعث بعض الخلفاء مالًا مستكثرًا إلى البصرة ليفرق فى فقراء أهلها، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسعٍ منه، فلم يقبله، ولم يلتمس منه شيئًا، وأما مالك بن دينارٍ فإنه قبل ما أُمر له به، واشترى به أرقاء وأعتقهم، ولم يأخذ لنفسه منه شيئًا، فجاءه محمد ابن واسعٍ يلومه على قبوله جوائز السلطان. فقال له: يا مالك، قبلت جوائز السلطان؟! فقال له مالك: يا أبا عبد اللَّه، سل أصحابى ماذا فعلت منه. فقالوا له: إنه اشترى به أرقاء وأعتقهم، فقال له: سألتك باللَّه أقلبك الآن لهم مثل ما كان قبل أن يصلوك. فقام مالك، وحثا على رأسه التراب، وقال: إنما يعرف اللَّهَ مثلُ محمد بن واسعٍ، إنما مالك حمار، إنما مالك حمار. وكلام محمد بن واسعٍ كثير جدا رحمه اللَّه». ولعلها من زيادات الناسخ.

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ١٩٨، ١٩٩، والمنتظم ٧/ ٢٢٩.

إلا ذَهَب ، ونَتَج ما يُوجِّهونه إليه ، ثم كان مِن أمْرِه ما سنَذْكُرُه فيما بعدُ إن شاء اللَّهُ تعالى .

قال الواقدىُّ[1] : ومات فى هذه السنةِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ . وهو الذى يَدْعُون إليه دُعاةُ بنى العباسِ ، فقام مَقامَه ولدُه أبو العباسِ السَّفَّاحُ ، والصَّحيحُ أنه إنما تُوُفى فى التى بعدَها .

قال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ[1] : وحَجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسماعيلَ . قال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ : حَجَّ بالناسِ فيها عبدُ العزيزِ بنُ الحجاجِ بنِ عبدِ الملكِ ومعه امرأتُه أمُّ سلمةَ بنتُ هشامِ بنِ عبدِ المَلكِ . وكان نائبُ الحِجازِ والطائفِ ، وهو محمدُ بنُ هشامِ بنِ إسْماعيلَ ، يَقِفُ على بابِها ، ويُهْدِى إليها الأَلْطافَ والتُّحَفَ ، ويَعْتَذِرُ إليها مِن التَّقْصيرِ ، وهى لا تَلْتَفِتُ إلى ذلك . ونُوَّابُ البلادِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها .

وفيها **تُوُفى القاسمُ بنُ أبى بَزَّةَ أبو عبدِ اللَّهِ المكىُّ القارئُ**[2] ، مَوْلى عبدِ اللَّهِ ابنِ السائبِ ، تابعىٌّ جَليلٌ ، رَوَى عن أبى الطُّفَيلِ عامرِ بنِ واثلةَ ، وعنه جَماعةٌ ، ووَثَّقه الأئمةُ .

تُوُفىَ فى هذه السنةِ على الصحيحِ ، وقيل : بعدَها بسنةٍ . وقيل : سنةَ أربعَ عشْرةَ . وقيل : سنةَ خمسَ عشْرةَ[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٩٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩، وطبقات خليفة ٢/ ٧٠٦، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٠٣.

(٣) انظر الثقات ٧/ ٣٣٠، ٣٣١، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٤٠.

الزُّهْرِىُّ ، محمدُ بنُ مسلمِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ شِهابِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الحارثِ بنِ زُهْرةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ ، أبو بكرٍ القرشىُّ الزُّهْرِىُّ[1] ، أحدُ الأعْلامِ ، مِن أئمةِ الإسْلامِ ، تابعىٌّ جَليلٌ ، سَمِع من غيرِ واحدٍ [2]مِن الصحابةِ ، وروى عنه غيرُ واحدٍ[2] [٧/٢١١و] مِن التابِعين وغيرِهم .

رَوَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ عن الزُّهْرِىِّ قال[3] : أصاب أهلَ المدينةِ جَهْدٌ شَديدٌ ، فارتَحَلْتُ إلى دِمشقَ ، وكان عندى عِيالٌ كثيرةٌ ، فجئتُ جامِعَها ، فجَلَسْتُ فى أعْظمِ حَلْقةٍ ، فإذا رجلٌ قد خَرَج مِن عندِ أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فقال : إنه قد نَزَل بأميرِ المؤمنين مَسْألةٌ ، وكان قد سَمِع مِن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ فيها شيئًا - وقد شَذَّ عنه - فى أُمَّهاتِ الأوْلادِ يَرْوِيه عن عمرَ بنِ الخطابِ . فقلتُ : إنى أَحْفَظُ عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ عن عمرَ بنِ الخطابِ . فأخَذنى فأدْخَلنى على عبدِ الملكِ ، فسَأَلنى : ممَّن أنت ؟ فانْتَسَبْتُ له ، وذَكَرْتُ له حاجتى وعِيالى ، فسَأَلنى : هل تَحْفَظُ القرآنَ ؟ قلتُ : نعم ، والفَرائضَ والسُّنَنَ . فسَأَلنى عن ذلك كلِّه فأجَبْتُه ، فقَضَى دَيْنى ، وأمَر لى بجائزةٍ ، وقال لى : اطْلُبِ العلمَ ، فإنى أَرَى لك عينًا حافظةً وقلبًا ذَكِيًّا . قال : فرَجَعْتُ إلى المدينةِ أَطْلُبُ العلمَ وأَتَتَبَّعُه ، فبَلَغنى أن امرأةً بقُباءٍ رأَتْ رُؤْيا عَجيبةً ، فأتَيْتُها فسأَلْتُها عن ذلك ، فقالت : إن بَعْلى مات[4] وتَرَك لنا خادِمًا وداجِنًا[5] ونُخَيْلاتٍ ؛ نَشْرَبُ مِن لبنِها ،

---

(١) طبقات الفقهاء ص ٦٣، وطبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ١٥٧، وطبقات خليفة ٢/ ٦٥٢، والمعرفة والتاريخ ١/ ٦٢٠، وتاريخ دمشق ١٥/٩٧٥ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤١٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٢٧.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ١٥/٩٧٧ - ٩٨١ مخطوط .

(٤) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « غاب » .

(٥) الداجن : الشاة التى يعلفها الناس فى بيوتهم . النهاية ٢/١٠٢ .

ونَأْكُلُ مِن ثَمَرِها ، فبينَما أنا بينَ النائمةِ واليَقْظَى رأيْتُ كأنَّ ابنى الكبيرَ - وكان مُشْتَدًّا - قد أقْبَل ، فأخَذ الشَّفْرةَ ، فذَبحَ ولدَ الداجِنِ وقال : إن هذا يُضَيِّقُ علينا اللبنَ . ثم نَصَب القِدْرَ ، وقَطَّعه ووَضَعه فيه ، ثم أخَذ الشَّفْرةَ فذَبَح بها أخاه - وأخوه صغيرٌ كما قد جاء - ثم اسْتَيْقَظْتُ مَذْعورةً ، فدَخَل ولدى الكبيرُ فقال : أين اللبنُ ؟ فقلت : شَرِبه ولدُ الداجنِ . فقال : إنه قد ضَيَّق علينا اللبنَ . ثم أخَذ الشَّفْرةَ فذَبَحه وقَطَّعه فى القِدْرِ ، فبَقِيتُ مُشْفِقةً خائفةً مما رأيْتُ ، فأخذْتُ وَلَدى الصغيرَ فغَيَّبْتُه فى بعضِ بُيوتِ الجِيرانِ ، ثم أقْبَلْتُ إلى المَنْزِلِ وأنا مُشْفِقةٌ جدًّا مما رأيْتُ ، فأخَذَتْنى عينى فنمْتُ ، فرأيْتُ فى المَنامِ قائلًا يَقولُ : ما لكِ مُغْتَمَّةً ؟ فقلتُ : إنى رأيْتُ مَنامًا ، فأنا أَحْذَرُ منه . فقال : يا رُؤْيا ، يا رُؤْيا . فأقْبَلَت امرأةٌ حَسْناءُ جَميلةٌ ، فقال : ما أرَدْتِ إلى هذه المرأةِ الصالحةِ ؟ قالتْ : ما أرَدْتُ إلا خيرًا . ثم قال : يا أحْلامُ ، يا أحْلامُ . فأقْبَلَت امرأةٌ دونَها فى الحُسْنِ والجَمالِ ، فقال : ما أرَدْتِ إلى هذه المرأةِ الصالحةِ ؟ فقالتْ : ما أرَدْتُ إلا خيرًا . ثم قال : يا أَضْغاثُ ، يا أَضْغاثُ . فأقْبَلَت امرأةٌ سَوداءُ شَعِثَةٌ ، فقال : ما أرَدْتِ إلى هذه المرأةِ الصالحةِ ؟ فقالتْ : إنها امرأةٌ صالحةٌ ، فأحْبَبْتُ أن أَغُمَّها ساعةً . ثم اسْتَيْقَظْتُ ، [٢١١/٧ظ] فجاء ابْنى فوَضَع الطعامَ ، وقال : أين أخى ؟ فقلت له : دَرَج إلى بيوتِ الجِيرانِ . فذهَب وراءَه ، فكأنما هُدِىَ إليه ، فأقْبَل به يُقَبِّلُه ، ثم وَضَعه وجَلَسْنا جميعًا ، فأكَلْنا مِن ذلك الطعامِ .

وُلِد الزُّهْرىُّ فى سنةِ ثمانٍ وخمسين فى آخِرِ خلافةِ مُعاويةَ ، وكان قَصِيرًا قليلَ اللِّحْيةِ ، له شَعَراتٌ طِوالٌ ، خفيفَ العارضَيْن .

قالوا[1] : وقد قَرَأ القرآنَ فى نحوٍ مِن ثمانين يومًا ، وجالَس سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ

---

(١) انظر حلية الأولياء ٣/ ٣٦٢، وتاريخ دمشق ٩٨٦/١٥ - ٩٨٨ مخطوط .

ثمانَ سنينَ أو عشرَ سنين ، تَمَسُّ ركبتُه ركبتَه .

وكان يَخْدُمُ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ[1] ؛ يَسْتَقِى له الماءَ المالحَ ، ويَدورُ على مَشايخِ الحديثِ ومعه أَلْواحٌ يَكْتُبُ عنهم الحديثَ ، ويَكْتُبُ عنهم كلَّ ما سَمِع منهم ، حتى صار مِن أعْلمِ الناسِ أو أعْلمَهم فى زَمانِه ، وقد احْتاج أهلُ عَصْرِه إليه .

وقال عبدُ الرَّزاقِ[2] : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرىِّ قال : كنا نَكْرَهُ كِتابَ العلمِ حتى أَكْرَهَنا عليه هؤلاء الأُمراءُ ، فرَأَيْنا أن لا نَمْنَعَه أحدًا مِن المسلمين .

وقال ابنُ إسْحاقَ[3] : كان الزُّهْرىُّ يَرْجِعُ مِن عندِ عُرْوةَ ، فيقولُ لجاريةٍ عندَه فيها لُكْنةٌ[4] : حدَّثنا عُرْوةُ ، ثنا فلانٌ . ويَسْرُدُ عليها ما سَمِعه منه ، فتَقولُ له الجاريةُ : واللَّهِ ما أدْرِى ما تَقولُ . فيَقولُ لها : اسْكُتى لَكاعِ ، فإنى لا أُرِيدُك ، إنما أُرِيدُ نَفْسى .

ثم وَفَد على عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ بدِمشقَ ، كما تقَدَّم ، فأكْرَمه وقَضَى دَيْنَه ، وفرَض له فى بيتِ المالِ ، ثم كان بعدُ مِن أصحابِه وجُلَسائِه ، ثم كان كذلك عندَ أوْلادِه مِن بعدِه ؛ الوليدِ وسليمانَ ، وكذلك عندَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ثم عندَ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، واسْتَقْضاه يَزيدُ مع سليمانَ بنِ حَبيبٍ ، ثم كان حَظِيًّا عندَ هشامٍ ، وحَجَّ معه ، وجَعَله مُعَلِّمَ أوْلادِه إلى أن تُوُفى فى هذه السنةِ ، قبلَ هشامٍ بسنةٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/٩٨٨ مخطوط .

(٢) المصنف (٢٠٤٨٧) . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/٩٩٠ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/٩٩٠ مخطوط .

(٤) اللكنة : صعوبة الإفصاح بالعربية ، لعُجْمة اللسان . انظر الوسيط .

وقال ابنُ وَهْبٍ[1] : سَمِعْتُ اللَّيْثَ يَقولُ : قال ابنُ شِهابٍ : ما اسْتَوْدَعْتُ قَلْبى شيئًا قَطُّ فنَسِيتُه .

قال[1] : وكان يَكْرَهُ أكلَ التُّفَّاحِ وسُؤْرَ الفَأْرِ[2] ، ويَقولُ : إنه يُنْسِى . وكان يَشْرَبُ العَسَلَ ويَقولُ : إنه يُذَكِّرُ .

وفيه يَقولُ فائِدُ بنُ أَقْرَمَ[3] :

ذَرْ ذا وأَثْنِ على الكريمِ محمدٍ ... واذْكُرْ فَواضلَه على الأصحابِ
وإذا يُقالُ مَن الجَوَادُ بمالِه ... قيل الجَوادُ محمدُ بنُ شِهابِ
أهلُ المَدائنِ يَعْرِفون مَكانَه ... ورَبيعُ نادِيه على الأعْرابِ
يَشْرِى وَفاءَ جِفانِه ويَمُدُّها ... بكُسورِ أَثْباجٍ وفَتْقِ لُبابِ[4]

[٢١٢/٧و] وقال ابنُ مَهْدِيٍّ[5] : سَمِعْتُ مالكًا يَقولُ : حَدَّث الزُّهْرِىُّ يومًا بحَديثٍ ، فلمَّا قام أَخَذْتُ بِلِجامِ دابتِه فاسْتَفْهَمْتُه ، فقال : تَسْتَفْهِمُنى ؟! ما اسْتَفْهَمْتُ عالمًا قَطُّ ، ولا رَدَدْتُ على عالمٍ قطُّ . ثم جَعَل ابنُ مَهْدِىٍّ يَقولُ : فَذِيك[6] الطِّوالُ ، وتلك المَغازِى .

ورَوَى يَعقوبُ بنُ سُفيانَ[7] ، عن هشامِ بنِ خالدٍ السَّلَامىِّ ، عن الوَليدِ بنِ

---

(١) تاريخ دمشق ٩٩٣/١٥ مخطوط .
(٢) السؤر : الفضلة والبقية من الطعام أو الشراب . انظر اللسان (س أ ر) .
(٣) تاريخ دمشق ١٥/ ٩٩٣، ٩٩٤ مخطوط .
(٤) أثباج : جمع ثَبَج ، وهو الظَّهر . ويريد بالأثباج هنا ظهور الإبل . والفتق : التخمير . واللباب : طحين مرقق . انظر اللسان (ث ب ج) ، (ف ت ق) ، (ل ب ب) .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ٩٩٤، مخطوط ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى به .
(٦) انظر الجرح والتعديل ٨/ ٧٢، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤٣٤.
(٧) المعرفة والتاريخ ١/ ٦٤٠. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٩٧/١٥ مخطوط ، من طريق يعقوب بن سفيان بنحوه .

مسلم ، عن سعيدٍ - يعنى ابنَ عبدِ العَزيزِ - أن هشامَ بنَ عبدِ الملكِ سَأَل الزُّهْرىَّ أن يَكْتُبَ لبَنيه شيئًا مِن حَديثِه ، فأمْلَى على كاتبِه أربعَمائةِ حَديثٍ ، ثم خَرَج على أهْلِ الحَديثِ فحدَّثهم بها ، ثم إنَّ هِشامًا قال للزُّهْرىِّ : إن ذلك الكِتابَ ضاع . فقال : لا عليك . فأمْلَى عليهم تلك الأَحاديثَ ، ثم أخْرَج هِشامٌ الكِتابَ الأَوَّلَ ، فإذا هو لم يُغادِرْ حرفًا واحدًا ، وإنما أراد هِشامٌ امْتِحانَ حِفْظِه .

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[1] : ما رأيْتُ أحدًا أحْسَنَ سَوْقًا للحديثِ إذا حَدَّث مِن الزُّهْرىِّ .

وقال سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ[2] ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ : ما رأيْتُ أحدًا أنَصَّ للحَديثِ مِن الزُّهرىِّ ، ولا أهْوَنَ مِن الدِّينارِ والدرهمِ عندَه ، وما الدَّراهمُ والدنانيرُ عندَ الزُّهْرىِّ إلا بمَنْزلةِ البَعْرِ .

قال عمرُو بنُ دِينارٍ[3] : ولقد جالَسْتُ جابرًا وابنَ عباسٍ وابنَ عمرَ وابنَ الزبيرِ ، فما رأيْتُ أحدًا أنْسَقَ للحديثِ مِن الزُّهْرىِّ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : أحْسَنُ الناسِ حَديثًا وأجْوَدُهم إسنادًا الزُّهْرىُّ .

وقال النَّسائىُّ[5] : أحْسَنُ الأَسانيدِ الزُّهْرىُّ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه علىٍّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ٩٩٨، ٩٩٩ مخطوط .

(٢) المصدر السابق ١٥/ ٩٩٩، ١٠٠٠، من طريق سفيان بن عيينة به .

(٣) المصدر السابق ١٥/ ١٠٠٠.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/١٠٠٠ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٥.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠١.

وقال شعيبٌ[1] ، عن الزهريِّ : مَكَثْتُ خمسًا وأربعين سنةً أَخْتَلِفُ مِن الحِجازِ إلى الشامِ ، ومِن الشامِ إلى الحِجازِ ، فما كنتُ أَسْمَعُ حَديثًا أَسْتَطْرِفُه[2] .

وقال اللَّيثُ[3] : ما رأيْتُ عالمًا قَطُّ أجْمَعَ مِن ابنِ شِهابٍ ، ولو سَمِعْتَه يُحَدِّثُ فى التَّرْغيبِ والترهيبِ لقلتَ : ما يُحْسِنُ غيرَ هذا . وإن حَدَّث عن الأنْبياءِ وأهْلِ الكِتابِ قلتَ : لا يُحْسنُ إلا هذا . وإن حَدَّث عن الأعْرابِ والأنْسابِ قلتَ : لا يُحْسِنُ إلا هذا . وإن حَدَّث عن القرآنِ والسنةِ كان حديثَه ، [4]ثم يَتْلُوه بدعاءٍ جامعٍ[4] ، يَقولُ : اللهم إنى أسْأَلُك مِن كلِّ خيرٍ أحاط به عِلْمُك ، [5]فى الدنيا والآخرةِ[5] ، وأَعُوذُ بك مِن كلِّ شَرٍّ أحاط به عِلْمُك ، فى الدنيا والآخِرةِ . قال اللَّيْثُ : وكان الزُّهْرِىُّ أسْخَى مَن رأيْتُ ، كان يُعْطِى كلَّ مَن جاء وسَأَله ، حتى إذا لم يَبْقَ عندَه شىءٌ اسْتَسْلَف ، وكان يُطْعِمُ الناسَ الثَّرِيدَ ويَسْقِيهم العَسَلَ ، وكان يَسْمُرُ[6] على شَرابِ العَسَلِ كما يسْمُرُ[6] أهلُ الشَّرابِ [٢١٢/٧ظ] على شَرابِهم ، ويَقولُ : اسْقُونا وحَدِّثونا . فإذا نَعَس أحدُهم يَقولُ له : ما أنت مِن سُمَّارِ قُريشٍ . وكانتْ له قُبَّةٌ مُعَصْفَرةٌ ، وعليه مِلْحَفةٌ مُعَصْفَرةٌ ، وتحتَه بِساطٌ مُعَصْفَرٌ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠١، ١٠٠٢ مخطوط ، من طريق شعيب بن أبى حمزة به .

(٢) فى الأصل ، ٢١، ب ، ص : « أستظرفه » . وأستطرفه : أستفيده . أى أنه سمع كثيرا حتى إنه لم يجد من يحدثه حديثا لم يسمعه . انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٥.

(٣) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٦٢٣، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠٢، ١٠٠٣.

(٤ - ٤) فى النسخ : « بدعا جامعا ، وكان » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى ب ، م ، ص : « يستمر » . وفى المعرفة والتاريخ : « يسهر » .

وقال الليثُ[1] : قال يَحْيَى بنُ سَعيدٍ : ما بَقِى عندَ أحدٍ مِن العلمِ ما بَقِى عندَ ابنِ شِهابٍ .

وقال عبدُ الرَّزاقِ[2] : أنْبَأ مَعْمَرٌ قال : قال عمرُ بنُ عبدِ العَزيزِ : عليكم بابنِ شِهابٍ ، فإنه ما بَقِى أحدٌ أعْلَمُ بسُنَّةٍ ماضِيةٍ منه . وكذا قال مَكْحولٌ[3] .

وقال أيوبُ[4] : ما رَأَيْتُ أحدًا أعْلَمَ مِن الزُّهْرِىِّ . فقيل له : ولا الحَسَنُ ؟ فقال : ما رأيْتُ أعْلَمَ مِن الزُّهْرِىِّ .

وقيل لمَكْحولٍ[5] : مَن أعْلَمُ مَن لَقِيتَ ؟ قال : الزُّهْرِىُّ . قيل : ثم مَن ؟ قال : الزُّهْرِىُّ . قيل : ثم مَن ؟ قال : الزُّهْرِىُّ .

وقال مالكٌ[6] : كان الزُّهْرِىُّ إذا دَخَل المَدينةَ لم يُحَدِّثْ بها أحدٌ حتى يَخْرُجَ .

وقال عبدُ الرزاقِ[7] ، عن ابنِ عُيَيْنةَ : مُحَدِّثو أهْلِ الحِجازِ ثلاثةٌ ؛ الزُّهْرِىُّ ، ويَحْيَى بنُ سَعيدٍ ، وابنُ جُرَيْجٍ .

وقال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[8] : الذين أَفْتَوْا أربعةٌ ؛ الزُّهْرِىُّ ، والحَكَمُ ، وحَمَّادٌ ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/١٠٠٣ مخطوط ، من طريق الليث به .
(٢) أخرجه يعقوب بن سفيان فى المعرفة والتاريخ ١/ ٦٣٩، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠٣، ١٠٠٤، كلهم من طريق عبد الرزاق به .
(٣) تاريخ أبى زرعة ١/ ٤١١، وحلية الأولياء الموضع السابق ، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠٤، ١٠٠٥.
(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ٦٣٧، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠٥.
(٥) المعرفة والتاريخ ١/ ٦٣٦، وتاريخ أبى زرعة الموضع السابق ، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٠٠٧.
(٦) انظر تاريخ دمشق الموضع السابق .
(٧) المصدر السابق ١٥/ ١٠٠٩، ١٠١٠، من طريق عبد الرزاق به .
(٨) المصدر السابق ١٥/ ١٠١٠.

وقَتادةُ ، والزُّهْرىُّ أَفْقَهُهم عندى .

وقال الزُّهْرىُّ[1] : ثلاثٌ إذا كُنَّ فى القاضى فليس بقاضٍ ، إذا كَرِه اللَّوائِمَ[2] وأحَبَّ المحَامِدَ ، وكَرِه العَزْلَ .

وقال أحمدُ بنُ صالحٍ[3] : كان يُقالُ : فُصحاءُ زَمانِهم ؛ الزُّهْرىُّ ، وعمرُ بنُ عبدِ العَزيزِ ، وموسى بنُ طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، رَحِمهم اللَّهُ .

وقال مالكٌ[4] ، عن الزُّهْرىِّ أنه قال : إنَّ هذا العِلمَ الذى أَدَّب اللَّهُ به رسولَه ﷺ وأَدَّب رسولُ اللَّهِ به أُمَّتَه أَمانةُ اللَّهِ إلى رسولِه ليُؤَدِّيَه على ما أُدِّىَ إليه ، فمَن سَمِع علمًا فلْيَجْعَلْه أمامَه حُجَّةً فيما بينَه وبينَ اللَّهِ عز وجل .

وقال مَخْلَدُ بنُ الحسينِ[5] ، عن يونُسَ ، عن الزُّهرىِّ قال : الاعْتِصامُ بالسُّنَّةِ نَجاةٌ .

وقال الوليدُ[6] ، عن الأَوْزاعِىِّ ، عن الزُّهْرىِّ قال : أَمِرُّوا أَحاديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ كما جاءَتْ .

وقال محمدُ بنُ إسْحاقَ[7] ، عن الزُّهْرىِّ : إنَّ مِن غَوائِلِ العلمِ أن يُتْرَكَ العالِمُ

---

(١) أخبار القضاة ١/ ٧٩، ٨٠، وتاريخ دمشق١٥/١٠١٠ مخطوط .

(٢) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « الملاوم » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠١٢.

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق ، من طريق مخلد به .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٣٦٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠١٢، ١٠١٣، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم به .

(٧) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٣٦٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠١٥، كلاهما من طريق محمد بن إسحاق به .

حتى يَذْهَبَ عِلْمُه ، و[1] النِّسيانَ ، والكَذِبَ ، وهو أشَدُّ الغَوائلِ .

وقال أبو زُرْعةَ[2] ، عن نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ ، عن محمدِ بنِ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ قال : القِراءةُ على العالمِ والسَّماعُ عليه سَواءٌ إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال عبدُ الرَّزاقِ[3] ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ قال : إذا طال المَجْلِسُ كان للشَّيطانِ فيه نَصِيبٌ .

وقد قَضَى عنه هِشامُ بنُ عبدِ المَلِكِ مَرَّةً ثمانين ألفًا . وفى روايةٍ : سبعةَ عشَرَ ألفًا . وفى روايةٍ : عشرين ألفًا .

وقال الشافعىُّ[4] : عَتَب رَجاءُ بنُ حَيْوةَ على الزُّهْرِىِّ فى الإسْرافِ ، وكان يَسْتَدِينُ ، فقال له : لا آمَنُ أن يَحْبِسَ هؤلاء القومُ أيديَهم عنك فتَكونَ قد حُمِلْتَ على أمانَتِك . قال : فوَعَده الزُّهرىُّ [٧/٢١٣و] أن يُقْصِرَ ، فمَرَّ به بعدَ ذلك وقد وَضَع الطَّعامَ ونَصَب مَوائدَ العسلِ ، فوَقَف به رَجاءٌ وقال : يا أبا بكرٍ ، ما هذا بالذى فارَقْتَنا عليه . فقال له الزُّهْرِىُّ : انْزِلْ فإن السَّخِىَّ لا تُؤَدِّبُه التَّجارِبُ .

وقد أنْشَد بعضُهم فى هذا المعنى[5] :

له سَحائبُ جُودٍ فى أَناملِه ... أمْطارُها الفِضَّةُ البَيْضاءُ والذَّهَبُ
يَقولُ فى العُسْرِ إن أَيسَرْتُ ثانيةً ... أَقْصَرْتُ عن بعضِ ما أُعْطِى وما أَهَبُ

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « فى رواية : أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب ، فإن من غوائله قلة انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائله » .
(٢) تاريخ أبى زرعة ١/ ٤١٥.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠١٥، ١٠١٦ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٠٢٢.
(٥) المصدر السابق .

حتى إذا عاد أيامُ اليَسارِ له رأيْتَ أمْوالَه فى الناسِ تُنْتَهَبُ

وقال الواقدىُّ[1] : وُلِد الزهرىُّ سنةَ ثمانٍ وخمسين. وقَدِم فى سنةِ أربعٍ وعشرين ومائةٍ إلى أمْوالِه ليلَةَ الثلاثاءِ بشَغْبٍ وبَدا[2] ، فأقام بها ، فمَرِض هناك ومات ، وأوْصَى أن يُدْفَنَ على قارعةِ الطَّريقِ ، وكانتْ وَفاتُه لسبعَ عشْرةَ مِن رَمضانَ مِن هذه السنةِ ، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنةً ، قالوا : وكان ثِقةً ، كثيرَ الحديثِ والعلمِ والرِّوايةِ ، فَقِيهًا جامعًا .

وقال الحسينُ بنُ المُتَوَكِّلِ العَسْقلانىُّ[3] : رأيْتُ قبرَ الزُّهْرىِّ [4]بأَدامَى - وهى خلفَ شَغْبٍ[4] وبَدا مِن فِلَسْطِينَ - مُسَنَّمًا مُجَصَّصًا .

وقد وَقف الأوْزاعىُّ يومًا على قَبْرِه فقال[5] : يا قبرُ كم فيك مِن علمٍ وحِلْمٍ[6] .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[7] : تُوُفى الزُّهْرىُّ بأموالِه بشَغْبٍ ، ليلةَ الثُّلاثاءِ لسبعَ عشْرةَ ليلةً خَلَت مِن رَمضانَ سنةَ أربعٍ وعشرين ومائةٍ ، عن ثِنْتَيْن وسبعين سنةً ، ودُفِن على قارعةِ الطَّريقِ ليَدْعُوَ له المارَّةُ . وقيل : إنه تُوُفِّى سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومائةٍ . وقال أبو مَعْشَرٍ : سنةَ خمسٍ وعشرين ومائةٍ . والصَّحيحُ

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ١٨٥.

(٢) شغب : منهلٌ بين طريق مصر والشام. وبدا : موضع بين طريق مصر والشام أيضا. معجم ما استعجم ١/ ٢٣٠.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ١٨٦، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٥/١٠٢٤ مخطوط.

(٤ - ٤) فى النسخ : « بشغب ». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر معجم البلدان ١/ ١٦٧.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق، الموضع السابق.

(٦) بعده فى ا ٢، ب، م :

« يا قبر كم فيك من علم ومن كرم وكم جمعت روايات وأحكاما »

(٧) المصدر السابق ١٥/ ١٠٢٧.

الأولُ . واللَّهُ أعْلَمُ[1] .

وممَّن تُوُفىَ فى خِلافةِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، كما أوْرَده ابنُ عَساكرَ[2] :

بلالُ بنُ سعدِ بنِ تَميمٍ السَّكونىُّ أبو عمرٍو [3]ويقالُ : أبو زُرْعةَ ، إمامُ الجامعِ بدمشقَ أيامَ هشامٍ ، وقَاصُّ أهلِ الشامِ[3] ، كان أحدَ الزُّهَّادِ الكِبارِ ، والعُبَّادِ الصُّوَّامِ القُوَّامِ ، رَوَى عن أبيه ، وكان أبوه له صُحْبةٌ ، وعن جابرٍ وابنِ عمرَ وأبى الدَّرْداءِ وغيرِهم ، وعنه جَماعةٌ منهم ؛ أبو عمرٍو الأوْزاعىُّ ، وكان الأوْزاعىُّ يَكْتُبُ عنه ما يَقولُه مِن الفَوائدِ العظيمةِ فى قَصَصِه ووَعْظِه ، وقال[4] : ما رأيْتُ واعِظًا قطُّ مثلَه . وقال أيضًا[4] : ما بَلَغنى عن أحدٍ مِن العِبادةِ ما بَلَغنى عنه ، كان يُصَلِّى فى اليومِ والليلةِ ألفَ ركعةٍ .

وقال غيرُه ، وهو الأصْمَعىُّ[5] : كان إذا نَعَس فى ليلِ الشِّتاءِ أَلْقَى نفسَه فى ثيابِه فى البِرْكةِ ، فعاتَبه بعضُ أصحابِه فى ذلك ، فقال : إن ماءَ البِرْكةِ أهْونُ [6]علىَّ مِن صديدِ[6] جهنمَ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٥/١٠٢٥ - ١٠٢٧ مخطوط .

وبعده فى م ، ص زيادة من الناسخ صدرها بقوله : « فصل ، وروى الطبرانى ...» . وأنهاها بقوله فى « ص » : « آخر الزيادة » . واستغرقت من صفحة ٣٤٤ إلى صفحة ٣٤٨ من الجزء التاسع من « م » .

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٠ . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦١ ، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٤٠٥ ، وحلية الأولياء ٥/ ٢٢١ ، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٩١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٩٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٣٢٧ .

(٣ - ٣) سقط من : ا٢ ، ب ، م ، ص .

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٤ .

(٥) المصدر السابق .

(٦ - ٦) فى م : « من عذاب » .

وقال آخرُ، وهو الوليدُ بنُ مسلمٍ[1] : كان إذا كَبَّر فى المِحْرابِ سَمِعوا تَكْبيرَه مِن الأَوْزاعِ - قلتُ : وهى خارجُ بابِ الفَراديسِ[2] [3]بمحلةِ سوقِ قميلةَ اليومَ - قال : وكنا نَتَبَيَّنُ قراءتَه من عقبةِ الشِّيحِ[4] عند دارِ الضيافةِ . يعنى من عندِ دارِ الذهبِ داخلَ بابِ الفراديسِ[3] .

[٢١٣/٧ظ] وقال أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْلىُّ[5] : هو شاميٌّ تابعىٌّ ثِقةٌ .

وقال أبو زُرْعةَ الدِّمشقىُّ[6] : كان أحدَ العُلماءِ، قاصًّا حَسَنَ القَصَصِ .

وقد اتَّهَمه رَجاءُ بنُ حَيْوةَ بالقَدَرِ، حينَ قال بلالٌ يومًا فى وَعْظِه[7] : رُبَّ مَسْرورٍ مَغْبونٌ[8] ، ورُبَّ مَغْبونٍ[8] لا يَشْعُرُ، فوَيْلٌ لِمَن له الوَيْلُ ولا يَشْعُرُ، يَأْكُلُ ويَشْرَبُ ويَضْحَكُ، وقد حَقَّ عليه فى قَضاءِ اللَّهِ أنه مِن أهلِ النارِ، فيا وَيْلٌ لكَ رُوحًا، ويا ويلٌ لكَ جَسَدًا، فَلْتَبْكِ ولْتَبْكِ عليك البَواكى لِطُولِ الأَمَدِ[9] .

وقد ساق ابنُ عَساكرَ شيئًا حَسَنًا مِن كلامِه فى مَواعِظِه البَليغةِ ؛ فمِن ذلك قولُه[10] : واللَّهِ لَكَفَى به ذَنْبًا أن اللَّهَ يُزَهِّدُنا فى الدنيا، ونحن نَرْغَبُ فيها،

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٥.
(٢) باب الفراديس : من أبواب دمشق . معجم البلدان ٣/ ٨٦٢.
(٣ - ٣) سقط من : ا ٢، م، ص .
(٤) فى تاريخ دمشق : « الشياحين » .
(٥) تاريخ الثقات ص ٨٦. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٤.
(٦) تاريخ أبى زرعة الدمشقى ١/ ٦٠٧. وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٢.
(٧) تاريخ دمشق ١٠/ ٥٠٥، ٥٠٦.
(٨) فى ا ٢، ب، م، ص : « مغرور » .
(٩) فى النسخ : « الأبد » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(١٠) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٦.

زاهِدُكم راغِبٌ ، وعالمُكم جاهلٌ ، ومُجْتَهِدُكم مُقَصِّرٌ .

وقال أيضًا[1] : أخٌ لك كُلَّما لَقِيَك ذَكَّرك بنَصيبِك مِن اللَّهِ ، أو أخْبَرك بعيبٍ فيك ، أَحَبُّ إليك وخيرٌ لك مِن أخٍ كُلَّما لَقِيَك وَضَع فى كفِّك دينارًا .

وقال أيضًا[3] : لا تَكُنْ وَلِيًّا للَّهِ فى العَلانيةِ وعَدُوَّه فى السِّرِّ[4] ، ولا تَكُنْ ذا وجْهَيْن وذا لِسانَيْن ، فتُظْهِرُ للناسِ أنك تَخْشَى اللَّهَ ليَحْمَدوك ، وقلْبُك فاجرٌ .

وقال أيضًا[5] : أيُّها الناسُ ، إنكم لم تُخْلَقوا للفَناءِ ، وإنما خُلِقْتُم للبَقاءِ ، تُنْقَلون مِن دارٍ إلى دارٍ ، كما نُقِلْتُم مِن الأصْلابِ إلى الأرْحامِ ، ومِن الأرْحامِ إلى الدنيا ، ومِن الدنيا إلى القُبورِ ، ومِن القُبورِ إلى المَوْقِفِ ، ومِن الموقفِ إلى الجنةِ أو النارِ .

وقال أيضًا[6] : عِبادَ الرحمنِ ، إنكم تَعْمَلون فى أيامٍ قِصارٍ لأيامٍ طِوالٍ ، وفى دارِ زَوالٍ لدارِ مُقامٍ ، ودارِ حَزَنٍ ونَصَبٍ لدارِ نَعيمٍ وخُلدٍ ، فمَن لم يَعْمَلْ على يَقينٍ فلا يَتَعَنَّ[7] ، عِبادَ الرحمنِ ، لو قد غُفِرَتْ خَطاياكم الماضيةُ لكان فيما تَسْتَقْبِلون لكم شُغُلٌ ، ولو عَمِلْتم بما تَعْلَمون لكنتم عبادَ اللَّهِ حقًّا ، عبادَ الرحمنِ ، أمَّا ما

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٦.

(٢) المصدر السابق ١٠/ ٤٨٧.

(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٨٩.

(٤) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات فى العلانية وصديقهم فى السر » .

(٥) المصدر السابق ١٠/ ٤٩١.

(٦) المصدر السابق ١٠/٤٩٣ - ٤٩٦.

(٧) فى الأصل : « يتعب » ، وفى م : « تنفعن » .

وَكَلَكم اللَّهُ به فتُضَيِّعونه ، وأمَّا ما تَكَفَّل اللَّهُ لكم به فتَطْلُبونه ! ما هكذا نَعَت اللَّهُ عِبادَه المُوقِنِين ، أذَوُو عُقولٍ فى الدنيا وبُلْهٌ (١عما خُلِقْتُم له١) ؟! فكما تَرْجُون رحمةَ اللَّهِ بما تُؤَدُّون مِن طاعتِه ، فكذلك أَشْفِقوا مِن عَذابِه بما تَنتَهِكون مِن مَعاصِيه ، عبادَ الرحمنِ ، هل جاءَكم مُخْبِرٌ يُخْبِرُكم أنَّ شيئًا مِن أعْمالِكم تُقُبِّلَ منكم ؟ أو شيئًا مِن خَطاياكم غُفِرَ لكم ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] واللَّهِ لو عُجِّل لكم الثَّوابُ فى الدنيا لَاسْتَقْلَلْتُم ما فُرِض [٧/٢١٤و] عليكم ، أتَرْغَبون فى طاعةِ اللَّهِ لتعجيلِ دارٍ مَغْمورةٍ بالآفاتِ ، ولا تَرْغَبون وتَنافَسون فى جنةٍ ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد : ٣٥] ؟!

وقال أيضًا(٢) : الذِّكْرُ ذِكْران ؛ ذِكْرُ اللَّهِ باللِّسانِ حَسَنٌ جميلٌ ، وذِكْرُ اللَّهِ عندَ ما أحَلَّ وحَرَّم أفْضَلُ ، عبادَ الرحمنِ ، يُقالُ لأحَدِنا : تُحِبُّ أن تَموتَ ؟ فيقولُ : لا . فيُقالُ : لمَ ؟ فيقولُ : حتى أَعْمَلَ . فيُقالُ له : اعْمَلْ . فيقولُ : سوف . فلا يُحِبُّ أن يَموتَ ، ولا يُحِبُّ أن يَعْمَلَ ، وأَحَبُّ شيءٍ إليه أن يُؤَخِّرَ عَمَلَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، ولا يُحِبُّ أن يُؤَخَّرَ عنه عَرَضُ دُنْياه ، عبادَ الرحمنِ ، إن العبدَ لَيَعْمَلُ الفَريضةَ الواحدةَ مِن فَرائضِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وقد أضاع ما سِواها ، فما يَزالُ يُمَنِّيه الشَّيطانُ فيها ويُزَيِّنُ له حتى ما يَرَى شيئًا دونَ الجنةِ(٣) ، فقبلَ أن تَعْمَلوا أعْمالَكم فانظُروا ماذا تُرِيدون بها ، فإن كانتْ خالصةً للَّهِ عزَّ وجلَّ فأمْضُوها ، وإن كانتْ لغيرِ اللَّهِ فلا تَشُقُّوا على أنْفُسِكم ، (٤فلا شيءَ لكم٤) ، فإن اللَّهَ لا يَقْبَلُ

(١ - ١) فى ا٢، ب، م، ص: «فى الآخرة وعُمْىٌ عما خلقتم له، بصراء فى أمر الدنيا».

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٩٦، ٤٩٨.

(٣) بعده فى ا٢، م: «مع إقامته على معاصى اللَّه، عباد اللَّه».

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر حلية الأولياء ٥/ ٢٣٢.

مِن العملِ إلا ما كان له خالصًا ، فإنه قال : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] .

وقال أيضًا[١] : إن اللَّهَ ليس إلى عَذابِكم بسريعٍ ؛ [٢]يُقيلُ العَثْرَةَ[٢] ، ويَقْبَلُ الـمُقْبِلَ ، ويَدْعُو المُدْبِرَ .

وقال أيضًا[٣] : إذا رأيْتَ الرجلَ لجَوجًا ، مُمارِيًا ، مُعْجَبًا برأيِه ، فقد تَمَّتْ خَسارتُه .

وقال الأَوْزاعيُّ[٤] : خَرَج الناسُ بدِمشقَ يَسْتَسْقون ، فقام فيهم بِلالُ بنُ سعدٍ فقال : يا مَعْشَرَ مَن حَضَرتُم ، ألسْتُم مُقِرِّين بالإساءةِ ؟ قالوا : نعم . فقال : اللهم إنك قلتَ : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة : ٩١] وقد أقْرَرْنا بالإساءةِ ، فاعفُ عنا واسْقِنا[٥] . قال : فسُقُوا يومَهم ذلك .

وقال أيضًا[٦] : سَمِعْتُه يقولُ : لقد أدْرَكْتُ أقوامًا يَشْتَدُّون بينَ الأعْراضِ[٧] ، ويَضْحَكُ بعضُهم إلى بعضٍ ، فإذا جَنَّهم الليلُ كانوا رُهْبانًا . وسَمِعْتُه أيضًا يَقولُ[٣] : لا تَنْظُرْ إلى صِغَرِ الذَّنْبِ ، وانْظُرْ مَن عَصَيْتَ . وسَمِعْتُه يَقولُ[٨] : [٩]مَن بادَأَك بالوُدِّ[٩] فقد اسْتَرَقَّك بالشُّكْرِ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٥٠٦.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر حلية الأولياء ٥/ ٢٢٣.

(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٥٠٢.

(٤) المصدر السابق ١٠/ ٥٠٤.

(٥) فى النسخ : « اغفر لنا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) المصدر السابق ١٠/ ٥٠٣.

(٧) الأعراض : جمع عَرَض ، وهو المتاع .

(٨) المصدر السابق ١٠/ ٥٠٠.

(٩ - ٩) فى تاريخ دمشق : « من سبق إحسانه إليك » .

وكان مِن دُعائِه[1] : اللهم إنى أَعُوذُ بك مِن زَيْغِ القُلوبِ ، ومِن تَبِعاتِ الذُّنوبِ ، ومِن مُرْدِياتِ الأعْمالِ ، ومُضِلَّاتِ الفتنِ[2] .

الجَعْدُ بنُ دِرْهمٍ[3] ، هو أولُ مَن قال بخَلْقِ القُرآنِ ، وهو الذى يُنْسَبُ إليه مَرْوانُ الجَعْدىُّ ، [4]وهو مَرْوانُ الحِمارُ ، آخِرُ خُلفاءِ بنى أُمَيةَ[4] ، كان شيخُه الجعدُ ابنُ درهمٍ أصلُه مِن حَرَّانَ[5] ، ويُقالُ : إنه مِن مَوالى بنى مَرْوانَ . سَكَن الجَعْدُ دِمشقَ ، وكانتْ له بها دارٌ بالقربِ مِن القَلانِسِيِّين إلى جانبِ الكَنيسةِ ، ذَكَره ابنُ عَساكرَ . قلتُ : وهى مَحَلَّةٌ بالقُرْبِ مِن الخَوَّاصين اليومَ غَرْبِيَّها عندَ حَمَّامِ القَطَّانين الذى يُقالُ له : حمامُ قلينس .

قال ابنُ عَساكرَ وغيرُه[6] : وقد أخَذ بِدْعتَه عن بَيانِ[7] بنِ سِمْعانَ ، وأخَذها بَيانٌ[7] عن طالوتَ [٧/٢١٤ظ] ابنِ أُختِ لَبيدِ بنِ أعْصَمَ ، وزَوْجِ ابنتِه ، عن لَبيدِ ابنِ أعْصَمَ الساحرِ[8] لعَنه اللَّهُ ، وأخَذ عن الجَعْدِ الجَهْمُ بنُ صَفْوانَ الخَزَرىُّ . وقيل : التِّرْمِذىُّ . وقد أقام ببَلْخَ ، وكان يُصَلِّى مع مُقاتلِ بنِ سُليمانَ فى مسجدِه

---

(١) المصدر السابق ١٠/ ٤٩٩.

(٢) بعده فى ٢١، ب ، م ، ص : « وقال الأوزاعى عنه أنه قال : عباد الرحمن ، لو أنكم لم تدعوا للّه طاعة إلا عملتموها ولا معصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفاكم ذلك عقوبة عند اللّه عز وجل . وقال : إن اللّه يغفر الذنوب لمن تاب منها ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٣٣٧، والوافى بالوفيات ١١/ ٨٦. وسقطت ترجمته من تاريخ دمشق .

(٤ - ٥) زيادة من : ٢١، ب ، م ، ص .

(٥) فى م : « خراسان » .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٥١، والوافى بالوفيات ١١/ ٨٧.

(٧) فى مصدرى التخريج : « أبان » . وانظر الملل والنحل ١/ ٢٩٥.

(٨) بعده فى ٢١، ب ، م ، ص : « الذى سحر رسول اللّه ﷺ ، عن يهودى باليمن » .

ويَتَناظَران ، حتى نُفِيَ إلى تِرْمِذَ ، ثم قُتِل الجَهْمُ بأصْبَهانَ ، وقيل : بمَرْوَ . قتَله نائبُها سَلْمُ بنُ أَحْوَزَ ، رَحِمه اللَّهُ ، وجَزاه عن المسلمين خيرًا ، وأخَذ بِشْرٌ المَرِيسيُّ عن الجَهْمِ ، وأخَذ أحمدُ بنُ أبى دُؤادٍ عن بِشْرٍ ، وأما الجَعْدُ ، لعنه اللَّهُ ، فإنه أقام بدِمشقَ حتى أظْهَر القولَ بخَلْقِ القرآنِ ، فتَطَلَّبه بنو أُمَيةَ ، فهَرَب منهم ، فسَكَن الكوفةَ ، فلَقِيه بها الجَهْمُ بنُ صَفْوانَ فتَقَلَّد هذا القولَ ، لعنهما اللَّهُ ، ثم قتله خالدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ يومَ عيدِ الأَضْحَى بالكوفةِ ، وذلك أن خالدًا خَطَب الناسَ ، فقال فى خطبتِه تلك[1] : أيُّها الناسُ ، ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحاياكم ، فإنى مُضَحٍّ بالجَعْدِ بنِ دِرْهمٍ ؛ إنه زَعَم أن اللَّهَ لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خليلًا ، ولم يُكَلِّمْ موسى تَكْليمًا ، تعالى اللَّهُ عما يَقولُ الجَعْدُ عُلُوًّا كبيرًا . ثم نزَل فذَبَحه فى أصلِ المِنْبرِ بيدِه ، أثابه اللَّهُ تعالى وتَقَبَّلَ منه ، وذلك فى أيامِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وقد كان هشامٌ طلَبه بدمشقَ حين أظهَر ما أظهَر ، ثم إنه هرَب بعد ذلك ، فكتَب إلى نائبِه خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىِّ أن يقتلَه ، فقتَله كما ذكرنا . وقد روى قصتَه مع خالدٍ ؛ البخارىُّ فى « أفعالِ العبادِ »[3] ، وابنُ أبى حاتمٍ ، وغيرُ واحدٍ ممن صنَّف فى السنةِ ؛ كالطبرانىِّ ، وابنِ أبى عاصمٍ[2] ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، وذَكَره ابنُ عَساكرَ فى « التاريخِ » .

وذَكَر أنه كان يَتَرَدَّدُ إلى وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ[4] ، وأنه كان كلما راح إلى وهبٍ

---

(١) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ١/ ٦٤، ٣/ ١٥٨، والدارمى فى الرد على الجهمية ص ٤، ١٠٠، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٥، ٢٠٦، والأسماء والصفات ص ٢٥٤.

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب، م، ص: « وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخارى وابن أبى حاتم والبيهقى » .

(٣) خلق أفعال العباد ص ٨.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠) ص ٣٣٧، ٣٣٨.

يَغْتَسِلُ ويَقولُ : أجْمَعُ للعَقْلِ . وكان يَسْأَلُ وَهْبًا عن صِفاتِ اللَّهِ ، عز وجل ، فقال له وَهْبٌ يومًا : ويلَك يا جَعْدُ ، أَقْصِرِ المسألةَ ، إنى لَأَظُنُّك مِن الهالكِين ، لو لم يُخْبِرْنا اللَّهُ فى كتابِه أن له يدًا ما قلنا ذلك ، وأن له عَيْنًا ما قُلْنا ذلك[1] . ثم لم يَلْبَثِ الجَعْدُ أن صُلِب ، ثم قُتِل .

وذَكَر فى ترجمتِه أنه قال للحَجاجِ بنِ يوسُفَ ، ويُرْوَى لعِمْرانَ بنِ حِطَّانَ[2] :

ليثٌ علىَّ وفى الحُروبِ نَعامةٌ ... فَتْخاءُ تَجْفُلُ مِن صَفِيرِ الصافِرِ[3]

هَلَّا برَزْتَ إلى غَزالةَ فى الوَغَى ... بل كان قلبُك فى جَناحَىْ طائرِ

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « وأن له نفسا ما قلنا ذلك وأن له سمعا ما قلنا ذلك وذكر له الصفات من العلم والكلام وغير ذلك » .

(٢) البيتان ذكرهما صاحب الأغانى ونسبهما لعمران بن حطان ، وذكر مناسبته . الأغانى ١٨/ ١١٦.

(٣) فتخاء : من الفَتَخ . وهو استرخاء المفاصل ولينها وعرضها . والفتخ فى الرجلين : طول العظم وقلة اللحم . وتجفل : تهرب . اللسان (ف ت خ) ، (ج ف ل) .

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ وعشرين ومائةٍ

قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[1] : حَدَّثنا رِزْقُ اللَّهِ بنُ موسى ، ثنا محمدُ بنُ إسْماعيلَ ابنِ أبى فُدَيْكٍ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ زيدٍ ، عن مُصْعَبِ بنِ مُصْعَبٍ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ [٧/٢١٥و] ﷺ : « تُرْفَعُ زينةُ الدنيا سنةَ خمسٍ وعشرين ومائةٍ » . وكذا رَواه أبو يَعْلَى فى « مُسْنَدِه »[2] عن أبى كُرَيْبٍ ، عن ابنِ أبى فُدَيْكٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ [3]زيدِ بنِ سعيدِ[3] بنِ نُفَيْلٍ ، عن مُصْعَبِ بنِ مُصْعَبٍ ، عن الزُّهْرىِّ به . قلتُ : وهذا حَديثٌ غَريبٌ مُنْكَرٌ ، ومُصْعَبُ بنُ مُصْعَبِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ الزُّهْرىُّ تُكُلِّم فيه ، وضَعَّفه علىُّ بنُ الحسينِ بنِ الجُنَيْدِ[4] ، وكذا تُكُلِّم فى الراوى عنه أيضًا[5] . واللَّهُ أعْلمُ .

وفيها[6] غَزا النُّعْمانُ بنُ يَزيدَ بنِ عبدِ الملكِ الصَّائفةَ مِن بلادِ الرومِ ، وفى ربيعِ الآخرِ منها تُوُفِّى **أميرُ المؤمنين هِشامُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ** .

---

(١) البحر الزخار (١٠٢٧) .

(٢) مسند أبى يعلى (٨٥١) . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٥٧: رواه أبو يعلى والبزار ، وفيه مصعب بن مصعب ، وهو ضعيف .

(٣ - ٣) فى م : « سعيد بن زيد » . وهو عبد الملك بن زيد بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى المدنى ، حفيدُ سعيد المبشر بالجنة . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٠٣.

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٦.

(٥) المصدر السابق ٥/ ٣٥٠.

(٦) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٠.

ذِكْرُ وفاتِه وتَرْجمتِه، رَحِمه اللَّهُ[1]

هو هِشامُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيةَ بنِ عبدِ شمسٍ، أبو الوليدِ القرشىُّ الأُمَوىُّ الدِّمشقىُّ، أميرُ المؤمنين. وأمُّه أمُّ هشامٍ بنتُ هشامِ بنِ إسماعيلَ المَخْزومىِّ، وكانتْ دارُه بدِمشقَ عندَ بابِ الخوَّاصين، وبعضُها اليومَ مَدْرَسةُ نورِ الدِّينِ الشَّهيدِ التى يُقالُ لها: النُّورِيَّةُ الكَبيرةُ. وتُعْرَفُ بدارِ القَبَّابِين، يَعْنى الذين يَبِيعون القِبابَ، وهى الخِيامُ، واللَّهُ أعْلَمُ. وقد بُويع له بالخِلافةِ بعدَ أخيه يَزِيدَ بنِ عبدِ المَلِكِ بعَهْدٍ منه إليه، وذلك يومَ الجمعةِ لأربعٍ بَقِين مِن شَعبانَ سنةَ خمسٍ ومائةٍ، وكان له مِن العمرِ يومَئذٍ أربعٌ وثلاثون سنةً، وكان جَميلًا أبيضَ أحْوَلَ، يَخْضِبُ بالسَّوادِ، وهو الرابعُ مِن وَلَدِ عبدِ الملكِ لِصُلْبِه الذين وُلُّوا الخِلافةَ، وقد كان عبدُ الملكِ رَأَى فى المَنامِ كأنه بال فى المِحْرابِ أربعَ مَرَّاتٍ، فدَسَّ إلى سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ مَن سَأَله عنها، ففَسَّرها له بأنه يَلى الخِلافةَ مِن ولدِه أربعةٌ، فوَقَع ذلك، فكان هشامٌ آخرَهم، وكان فى خِلافتِه حازمَ الرأيِ، جَمَّاعًا للأموالِ يُبَخَّلُ، وكان ذَكِيًّا مُدَبِّرًا، له بَصَرٌ بالأُمورِ جَليلِها وحَقيرِها، وكان فيه حِلْمٌ وأَناةٌ، شَتَم مرةً رجلًا مِن الأشْرافِ، فقال: أتَشْتُمُنى وأنت خليفةُ اللَّهِ فى الأرضِ؟! فاسْتَحْيا وقال: اقْتَصَّ منى بدلَها. أو قال: بمثلِها. فقال: إذن أكونَ سَفِيهًا مثلَك. قال: فخذْ عِوَضًا منها. قال: لا أفعلُ. قال: فاتْرُكْها للَّهِ.

---

(١) أنساب الأشراف ٨/ ٣٦٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٩٧، والمنتظم ٧/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٨٢، وفوات الوفيات ٤/ ٢٣٨. وسقطت ترجمته من تاريخ دمشق.

قال : هى للَّهِ ، ثم لك . فقال هشامٌ عندَ ذلك : واللَّهِ لا أَعودُ إلى مثلِها .

وقال الأَصْمَعىُّ[1] : أَسْمَعَ رجلٌ هشامًا كلامًا ، فقال له : أَتَقولُ لى مثلَ هذا وأنا خَلِيفتُك ؟!

وغَضِب مرةً على رجلٍ ، فقال له[2] : اسْكُتْ وإلا ضَرَبْتُك سَوْطًا .

وكان علىُّ بنُ الحسينِ قد اقْتَرَض مِن مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ مالًا ؛ أربعةَ آلافِ دينارٍ ، فلم يَتَعَرَّضْ له أحدٌ مِن بنى مَرْوانَ ، حتى اسْتُخْلِف هشامٌ ، فقال : ما فعَل حَقُّنا قِبَلَك ؟ قال : مَوْفورٌ مَشْكورٌ . فقال : هو لك[3] .

وكان هشامٌ مِن أَكْرَهِ الناسِ لسَفْكِ الدِّماءِ ، ولقد دخَل عليه مِن [٧/٢١٥ظ] مَقْتَلِ زيدِ بنِ علىٍّ وابنِه يحيى أمْرٌ شديدٌ ، وقال : وَدِدْتُ أنى افْتَدَيْتُهما [4] بجميعِ ما أمْلِكُ[4] .

وقال المَدائنىُّ[5] ، عن رجلٍ مِن غَنِىٍّ[6] ، عن بِشْرٍ مولى هشامٍ قال : أُتِى هشامٌ برجلٍ عندَه قِيانٌ وخمرٌ وبَرْبَطٌ[7] . فقال : اكْسِروا الطُّنْبورَ[8] على رأسِه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٢.

(٢) المصدر السابق .

(٣) بعده فى م ، ص : « قلت : هذا الكلام فيه نظر ؛ ذلك أن على بن الحسين مات سنة الفقهاء وهى سنة أربع وتسعين قبل أن يلى هشام الخلافة بإحدى عشرة سنة فإنه إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، فقول المؤلف : إن أحدا من خلفاء بنى مروان لم يتعرض لمطالبة على بن الحسين حتى ولى هشام فطالبه بالمال المذكور . فيه نظر ولا يصح ؛ لتقدم موت علىّ على خلافة هشام . واللّه سبحانه وتعالى أعلم » . وهذه زيادة من الناسخ . وهو كما قال . وقد تقدم من ترجمة على بن الحسين فى ١٢/٤٧٩ فيمن توفى سنة أربع وتسعين .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٧/٢٠٣، ٢٠٤، من طريق المدائنى به . وانظر أنساب الأشراف ٨/ ٤٠٩.

(٦) فى م : « حى » . وغنى : حىٌّ من غطفان . المحيط (غ ن ى) .

(٧) البربط : العود . اللسان (بربط) .

(٨) الطنبور : آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار . الوسيط (طنبر) .

وقَرْنِه . فبَكَى الشيخُ . قال بِشْرٌ : فضرَبه ، [1]فقلتُ له وأنا أُعزِّيه : عليك بالصَّبْرِ[1] . فقال : أتُرانى أَبْكِى للضَّرْبِ ، إنما أَبْكى لاحْتقارِه البَرْبَطَ حتى سَمَّاه طُنْبورًا .

قال[2] : وأغْلَظ لهشامٍ رجلٌ يومًا فى الكلامِ فقال : ليس لك أن تَقولَ هذا لإمامِك .

قال[2] : وتَفَقَّد أحدَ ولدِه يومَ الجمعةِ ، فبَعَث إليه : ما لَك لم تَشْهَدِ الجمعةَ ؟ فقال : إن بَغْلَتى عَجَزَت عنى . فبعَث إليه : أمَا كان يُمْكِنُك المَشْىُ . ومَنَعه أن يَرْكَبَ سَنةً .

وذكَر المَدائنىُّ[3] أنَّ رجلًا أهْدَى إلى هشامٍ طَيْرَيْن ، فأوْرَدهما السَّفيرُ إلى هشامٍ وهو جالسٌ على سَريرٍ فى وَسَطِ دارِه ، فقال له : أَرْسِلْهما فى الدارِ . فأرْسَلَهما ، ثم قال : جائزتى يا أميرَ المؤمنين . فقال : ويحَك ! وما جائزتُك على هديةٍ طَيْرَيْن ؟! خُذْ أحدَهما . فجعَل الرجلُ يَسْعَى خلفَ أحدِهما ، فقال : ويحَك ! ما لَك ؟ فقال : أَخْتارُ أَجْودَهما . قال : وتَخْتارُ أيضًا الجيدَ وتَتْرُكُ الرَّدِىءَ ؟! ثم أمَر له بأربعين أو خمسين درهمًا .

وذَكَر المَدائنىُّ[4] ، عن قَحْذَمٍ كاتبِ يوسُفَ بنِ عمرَ قال : بَعَثنى يوسُفُ إلى هشامٍ بياقوتةٍ حَمْراءَ ولُؤْلؤةٍ كانتا لرائِقةَ[5] جاريةِ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ ،

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٢) أى المدائنى . المصدر السابق ٧/ ٢٠٤.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٢٠٤، ٢٠٥. وانظر أنساب الأشراف ٨/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٧، ٢٠٨، وانظر أنساب الأشراف ٨/ ٣٨٠.

(٥) فى النسخ : «لرابعة» . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تاريخ دمشق ١٦/ ١٥٠ فى ترجمة خالد القسرى .

مُشْتَرَى الياقوتةِ ثلاثةٌ وسبعون ألفَ دينارٍ. قال: فدَخَلْتُ عليه وهو على سَريرٍ فوقَه فُرُشٌ لم أَرَ رأسَ هشامٍ مِن عُلُوِّ تلك الفُرُشِ، فأوْرَدْتُها له، فقال: كم زِنَتُهما؟ فقلتُ: إن مِثلَ هذه لا مِثلَ لها. فسَكَت.

قالوا[1]: ورَأَى قومًا يَفْرِطون الزَّيْتونَ، فقال: الْقُطوه لَقْطًا، ولا تَنْفُضوه نَفْضًا، فتُفْقَأَ عيونُه وتُكْسَرَ غُصونُه.

وكان يَقولُ: ثلاثةٌ لا يَضَعْنَ الشريفَ؛ تَعاهُدُ الصَّنيعةِ[2]، وإصْلاحُ المَعِيشةِ، وطَلَبُ الحَقِّ وإن قَلَّ.

وقال أبو بكرٍ الخَرائطيُّ[3]: يُقالُ: إن هشامًا لم يَقُلْ مِن الشعرِ سوى هذا البيتِ:

إذا أنت لم تَعْصِ الهَوَى قادك الهَوَى ... إلى كلِّ[4] ما فيه عليك مَقالُ

وقد رُوِى له شِعْرٌ غيرُ هذا[5].

وقال المَدائنيُّ[6]، عن وَسْنانَ[7] الأعْرجيِّ، حَدَّثنى ابنُ أبى نُحَيلةَ[8]، عن عَقَّالِ بنِ شَبَّةَ قال: دَخَلْتُ على هشامٍ وعليه قَباءُ فَنَكٍ أخْضَرُ[9]، فوَجَّهنى إلى

---

(١) أنساب الأشراف ٨/ ٤١١، وتاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٩٩.

(٢) فى ا ٢، ب، ص: «الضيعة».

(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٢.

(٤) فى مصدرى التخريج: «بعض».

(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٠.

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٧/ ٢٠١، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦٩١/١١ مخطوط، من طريق المدائنى به.

(٧) فى النسخ: «ابن يسار». والمثبت من مصدرى التخريج. ولم نجد له ترجمة.

(٨) فى ب، م، ص: «بجيلة». وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٢٧٤/١٩ مخطوط.

(٩) القَباء: ثوب يُلبس فوق الثياب. والفَنَك: ضَرْب من الثعالب فروته أجود أنواع الفراء. ويسمى فِراؤه فَنَكًا أيضًا. انظر الوسيط (ق ب و)، (ف ن ك).

خُراسانَ ، ثم جَعَل يُوصِينى وأنا أَنْظُرُ إلى القَباءِ ، ففطِن ، فقال : ما لك ؟ قلت : رأيتُ عليك قَباءَ فَنَكٍ أخضرَ قبلَ أن تَلىَ الخِلافةَ ، فجعَلْتُ أَتَأَمَّلُ هذا ؛ أهو ذاك أم غيرُه ؟ قال : هو واللَّهِ الذى لا إلهَ غيرُه ذاك ، ما لى قَباءٌ غيرُه ، وأما ما تَرَوْن مِن جَمْعى لهذا المالِ وصَوْنِه فإنه لكم . قال عَقَّالٌ : وكان هشامٌ [٧/٢١٦و] مَحْشُوًّا عَقْلًا .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ عَمُّ السَّفَّاحِ[(١)] : جمَعْتُ دَواوِينَ بنى أُمَيةَ ، فلم أَرَ أَصْلَحَ للعامَّةِ والسُّلْطانِ مِن دِيوانِ هشامٍ .

وقال المَدائنىُّ[(٢)] ، عن غسَّانَ[(٣)] بنِ عبدِ الحميدِ : لم يَكُنْ أحدٌ مِن بنى مَرْوانَ أَشَدَّ نَظَرًا فى أمْرِ[(٤)] أصحابِه ودَواوِينِه ، ولا أَشَدَّ مُبالغةً فى الفَحْصِ عنهم مِن هشامٍ .

وهو الذى قتَل غَيْلانَ القَدَرىَّ ، ولما أُحْضِر بين يديه قال له[(٥)] : ويحَك ! قُلْ ما عندَك ، إن كان حقًّا اتَّبَعْناه ، وإن كان باطلًا رَجَعْتَ عنه . فناظَره مَيْمونُ بنُ مِهْرانَ ، فقال لمَيْمونٍ : [(٦)]أشاء اللَّهُ أن يُعْصَى ؟ فقال له ميمونٌ[(٦)] : أيُعْصَى اللَّهُ كارهًا ؟ فسَكَت غَيْلانُ ، فقَيَّده حينَئذٍ هشامٌ وقتَله .

---

(١) أخرجه البلاذرى فى أنساب الأشراف ٨/ ٣٩١، والطبرى فى تاريخه ٧/ ٢٠٣.

(٢) المصدران السابقان ، كلاهما ، من طريق المدائنى به .

(٣) فى ٢١، ب ، م ، ص : « هشام » . وانظر التاريخ الكبير ٧/ ١٠٧، والجرح والتعديل ٧/ ٥١.

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٣، والكامل ٧/ ٢٦٣.

(٦ - ٦) فى ٢١، ب ، م ، ص : « أشياء فقال له » .

وقال الأصْمَعيُّ[1] ، عن أبى الزِّنادِ ، عن مُنْذِرِ بنِ أبى ثورٍ قال : أَصَبْنا فى خَزائنِ هشامٍ اثْنَىْ عشَرَ ألفَ قَميصٍ ، كلُّها قد أُثِر بها .

وشَكَى هشامٌ إلى أبيه ثلاثًا[2] ؛ إحداها أنه يَهابُ الصُّعودَ على المِنْبرِ ، والثانيةُ ، قلةُ تَناوُلِ الطعامِ ، والثالثةُ ، أن عندَه فى القَصْرِ مائةَ جاريةٍ[3] لا يَكادُ يَصِلُ إلى واحدةٍ منهن . فكتَب إليه أبوه : أما صُعودُك على المِنْبرِ فإذا عَلَوْتَ فوقَه فارْمِ ببصرِك إلى مُؤَخَّرِ الناسِ فإنه أهْوَنُ عليك ، وأما قِلةُ الطعامِ فمُرِ الطَّبَّاخَ فلْيُكْثِرِ الألوانَ ، فلعلك أن تَتَناوَلَ مِن كلِّ لونٍ لُقْمةً ، وعليك بكلِّ بَيْضاءَ بَضَّةٍ [4]ذاتِ جَمالٍ[4] وحُسْنٍ .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ الشافعيُّ[5] : لما بَنَى هشامُ بنُ عبدِ الملكِ الرُّصافةَ قال : أُحِبُّ أن أَخْلُوَ بها يومًا لا يَأْتِينى فيه خبرُ غَمٍّ . فما انْتَصَف النَّهارُ حتى أتَتْه رِيشةُ دمٍ مِن بعضِ الثُّغورِ ، فقال : ولا يومًا واحدًا ؟! [6]ورُوِيت هذه الحكايةُ من وجهٍ آخرَ ، وأنه لم يمكُثْ بعد ذلك إلا شهرًا واحدًا[6] .

وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ[7] : كان هِشامٌ لا يُكْتَبُ إليه بكتابٍ فيه ذِكْرُ الموتِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[8] : ثنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحِزامىُّ ، ثنا حسينُ بنُ

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠١.
(٢) المصدر السابق .
(٣) بعده فى ا٢، ب ، م ، ص : «من حسان النساء» .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ومختصر تاريخ دمشق .
(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٢، ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٢، ٣٥٣.
(٦ - ٦) سقط من : ا٢، ب ، م ، ص . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٣.
(٧) انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٣.
(٨) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٣.

زيدٍ ، عن شِهابِ بنِ عبدِ رَبِّه ، عن عمرَ بنِ عليٍّ قال : مَشَيْتُ مع محمدِ بنِ عليٍّ - يعنى ابنَ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ - إلى دارِه عندَ الحَمَّامِ ، فقلتُ له : إنه قد طال مُلْكُ هشامٍ وسُلْطانُه ، وقد قَرُب مِن العشرين سنةً ، وقد زَعَم الناسُ أن سليمانَ سأَل ربَّه مُلْكًا لا يَنْبَغى لأحدٍ مِن بعدِه ، فزَعَم الناسُ أنها العشرون . فقال : ما أَدْرِى ما أحاديثُ الناسِ ، ولكن أبى حَدَّثنى ، عن أبيه ، عن عليٍّ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لن يُعَمِّرَ اللَّهُ مَلِكًا فى أُمَّةِ نبىٍّ مَضَى قبلَه ما بَلَغ ذلك النبىُّ مِن العمرِ فى أمتِه » . فإنَّ اللَّهَ عَمَّر نبيَّه ﷺ ثلاثَ عشْرةَ سنةً بمكةَ وعشْرًا بالمدينةِ .

قال أبو بكرٍ [٧/ ٢١٦ظ] بنُ أبى خَيْثَمةَ : ليس حديثٌ فيه تَوْقِيتٌ غيرُ هذا ، قرَأَه يَحْيَى بنُ مَعِينٍ على كتابى فقال : مَن حَدَّثك به ؟ فقلتُ : إبراهيمُ . فتَلَهَّف ؛ أن لا يَكونَ سَمِعه . وقد رواه ابنُ جَريرٍ فى « تاريخِه »[(١)] عن أحمدَ بنِ زُهَيرٍ ، عن إبراهيمَ بنِ المُنْذِر الحِزامىِّ .

[(٢)]ورَوَى مسلمُ بنُ إبراهيمَ[(٣)] ، ثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ ، حَدَّثنى عِياذُ بنُ المَغْراءِ العَتَكىُّ ، عن عاصمِ بنِ المنذرِ بنِ الزبيرِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيرِ ، أنه سَمِع عليًّا يَقولُ : هَلاكُ مُلْكِ بنى أُمَيةَ على يدِ رجلٍ أحْوَلَ . يَعْنى هِشامًا[(٢)] .

ورَوَى أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[(٤)] ، عن عمرَ بنِ أبى مُعاذٍ النُّمَيْرىِّ ، عن أبيه ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٣.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٧/ ٢٠٠، ٢٠١، من طريق عمرو بن كليع به ، بنحوه . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٤.

عن عمرِو بنِ كليعٍ ، عن سالمٍ كاتبِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ قال : خَرَج علينا يومًا هشامٌ وعليه كآبَةٌ ، وقد ظَهَر عليه الحُزْنُ ، فاسْتَدْعَى الأبْرشَ بنَ الوَليدِ فجاءه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما لى أَراك هكذا ؟ فقال : ما لى لا أَكُونُ كذلك وقد زَعَم أهلُ العلمِ بالنُّجومِ أنى أموتُ إلى ثلاثٍ وثلاثين مِن يومى هذا . قال : فكتَبْنا ذلك ، فلما كان آخرُ ليلةٍ مِن ذلك جاءنى رسولُه فى الليلِ يَقولُ : أَحْضِرْ معك دواءً للذُّبْحةِ ، وكانت قد أصابَتْه قبلَ ذلك فاسْتَعْمل منه فعُوفِىَ ، فذَهَبْتُ إليه ومعى ذلك الدَّواءُ ، فتَناوَله وهو فى وَجَعٍ شديدٍ ، واستَمَرَّ فيه عامَّةَ الليلِ ، ثم قال : يا سالمُ ، اذْهَبْ إلى مَنْزِلِك فقد وَجَدْتُ خِفَّةً ، وذَرِ الدَّواءَ عندى . فذَهَبْتُ ، فما هو إلا أن وَصَلْتُ إلى مَنْزِلى حتى سَمِعْتُ الصِّياحَ عليه ، فإذا هو قد مات .

وذكَر غيرُه[1] أن هشامًا نَظَر إلى أوْلادِه وهم يَبْكون عليه حولَه ، فقال : جادَ لكم هشامٌ بالدنيا وجُدْتُم عليه بالبُكاءِ ، وتَرَك لكم ما جَمَع ، وترَكْتُم عليه ما كَسَب ، ما أَعظمَ مُنْقَلَبَ هشامٍ إن لم يَغْفِرِ اللَّهُ له .

ولما مات جاءَت الخَزَنَةُ فخَتَموا على خَواصِلِه ، وأرادوا تَسْخِينَ الماءِ ، فلم يَقْدِروا له على قُمْقُمٍ[2] ، حتى اسْتَعاروا له . وكان نَقْشُ خاتَمِه : الحُكْمُ للحَكَمِ الحَكيمِ[3] .

وكانت وَفاتُه بالرُّصافةِ يومَ الأربعاءِ لستٍّ بَقِين مِن ربيعٍ الآخِرِ سنةَ خمسٍ وعشرين ومائةٍ ، وهو ابنُ بِضْعٍ وخمسين سنةً ، وقيل : إنه جاوَز السِّتينَ . وصَلَّى

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٤، والمنتظم ٧/ ٢٤٦.

(٢) فى ا ٢، ب، م، ص: «فحم».

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٤، ١٠٥.

عليه الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، الذى وَلِىَ الخِلافةَ بعدَه ، وكانتْ خِلافةُ هشامٍ تسعَ عشْرةَ سنةً وسبعةَ أشهرٍ (١ وأحَدَ عشَرَ ١) يومًا . وقيل : وثمانيةَ أشهرٍ وأيامًا . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى فُدَيْكٍ (٢) : ثنا عبدُ الملكِ بنُ زيدٍ ، عن مُصْعَبٍ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « تُرْفَعُ زِينةُ الدنيا سنةَ خمسٍ وعشرين ومائةٍ » . قال ابنُ أبى فُدَيْكٍ (٣) : زِينتُها نورُ الإسْلامِ وبَهْجتُه . وقال غيرُه : يَعْنى الرجالَ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : لَمَّا مات هشامٌ تَوَلَّى مُلْكُ بنى أُمَيةَ ، واضْطَرب أمْرُهم جدًّا ، وإن كان قد تَأَخَّرَت أيامُهم بعدَه نحوًا مِن سبعِ سنين ، ولكن فى اخْتِلافٍ وهَيْجٍ ، وما زالوا حتى خَرَجَت عليهم بنو العباسِ [٢١٧/٧و] فاسْتَلَبوهم نِعْمتَهم ومُلْكَهم ، وقتَلوا منهم خَلْقًا ، وسَلَبوهم الخِلافةَ ، كما سيأتى إن شاء اللَّهُ تعالى ذلك مَبْسوطًا مُقَرَّرًا فى مَواضِعِه .

(١ - ١) فى أنساب الأشراف ٨/ ٣٦٩، وتاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٠: « وأحدًا وعشرين » . وانظر تاريخ خليفة ٢/ ٥٣٣، والمنتظم ٧/ ٢٤٦.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٥٠.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠٥.

خِلافةُ الوليدِ بنِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ، [1]الفاسقِ، قَبَّحه اللَّهُ [2]وأبعَده[2][1]

قال الواقدىُّ [3]والمدائنىُّ[3] : بُويعَ له بالخِلافةِ يومَ مات عمُّه هشامُ بنُ عبدِ الملكِ يومَ الأربعاءِ لستٍّ خَلَوْن مِن ربيعٍ الآخِرِ، سنةَ خمسٍ وعشرين ومائةٍ .

وقال هشامُ بنُ الكَلْبىِّ[4] : بُويع له يومَ السبتِ فى ربيعٍ الآخِرِ . وكان عمرُه إذ ذاك أربعًا وثلاثين سنةً . وكان سببَ وِلايتِه[5] أن أباه يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ كان قد جعَل الأمْرَ مِن بعدِه لأخيه هشامٍ، ثم مِن بعدِه لولدِه الوليدِ هذا، فلمَّا وَلِىَ هشامٌ أكْرَم ابنَ أخيه الوليدَ حتى ظهَر عليه أمْرُ الشَّرابِ وخُلَطاءِ السَّوْءِ ومَجالِسِ اللَّهْوِ، فأراد هشامٌ أن يَقْطَعَ ذلك عنه، فأَمَّرَه على الحَجِّ سنةَ ستَّ عشْرةَ ومائةٍ، فأخَذ معه كلابَ الصيدِ خُفْيَةً مِن عمِّه، فيُقالُ : إنه جَعَلَها فى صَناديقَ، فسَقَط منها صُنْدوقٌ فيه كلبٌ، فسُمِع صوتُه، فأحالوا ذلك على الجَمَّالِ، فضُرِب على ذلك .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر قول الواقدى والمدائنى فى تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٨، وتاريخ دمشق ١٧/ ٩٢٧ مخطوط، والمنتظم ٧/ ٢٣٩.

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٨، والمنتظم ٧/ ٢٣٩.

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٠٩، والمنتظم ٧/ ٢٣٦، والكامل ٥/ ٢٦٤.

قالوا[1] : واصْطَنع الوليدُ قُبَّةً على قَدْرِ الكعبةِ ، ومِن عَزْمِه أن يَنْصِبَ تلك القُبَّةَ فوقَ سَطْحِ الكَعْبةِ ، ويَجْلِسَ هو وأصحابُه هنالك ، واسْتَصْحَب معه الخُمورَ[2] وغيرَ ذلك مِن المُنْكَراتِ ، فلما وصَل إلى مكةَ هاب أن يَفْعَلَ ما كان قد عزَم عليه مِن الجُلوسِ فوقَ ظهرِ الكعبةِ ؛ خوفًا مِن الناسِ ومِن إنْكارِهم عليه ذلك ، فلمَّا تَحَقَّق عمُّه ذلك منه نَهاه مِرارًا ، فلم يَنْتَهِ ، واسْتَمَرَّ على حالِه القَبيحِ ، وعلى فِعْلِه الرَّديءِ ، فعَزَم عمُّه على خَلْعِه مِن الخِلافةِ - ولَيْتَه فَعَل - وأن يُوَلِّيَ بعدَه مَسْلَمَةَ بنَ هشامٍ ، وأجابه إلى ذلك جَماعةٌ مِن الأُمراءِ ، ومِن أخوالِه ، ومِن أهلِ المدينةِ ومِن غيرِهم ، وليتَ ذلك تَمَّ ، ولكن لم يَنْتَظِمْ حتى قال هشامٌ يومًا للوَليدِ : ويحَك ! واللَّهِ ما أَدْرِى أعَلَى الإسْلامِ أنت أم لا ، فإنك ما تَدَعُ شيئًا مِن المُنْكَراتِ إلَّا أتَيْتَه غيرَ مُتَحاشٍ ولا مُسْتَتِرٍ . فكتَب إليه الوليدُ :

يا أيُّها السائلُ عن دِينِنا ... دِينى على دِينِ أبى شاكرِ
نَشْرَبُها صِرْفًا ومَمْزوجةً ... بالسُّخْنِ أحْيانًا وبالفاتِرِ

فغضِب هشامٌ على ابنِه مَسْلَمةَ ، وكان يُكَنَّى أبا شاكرٍ ، وقال له : [3]يُعَيِّرُنى بك[3] الوليدُ بنُ يزيدَ وأنا أُريدُ أن أُرَقِّيَك إلى الخِلافةِ ؟! وبعَثه على المَوْسِمِ سنةَ تسعَ عشْرةَ ومائةٍ ، فأظْهَر النُّسُكَ والوَقارَ [4]واللِّينَ[4] ، وقَسَم بمكةَ والمدينةِ أموالًا ، فقال مَوْلًى لأهلِ المدينةِ :

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٠٩/٧ - ٢١٦، والكامل ٢٦٤/٥ - ٢٦٨.

(٢) بعده فى ا ٢، ب، م، ص : « وآلات الملاهى » . ولعلها من زيادات النساخ ، فلم يرد ذلك فى تاريخ الطبرى والكامل ولا فى غيرهما .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أيتشبه بك » ، وفى ا ٢: « إنه يتشبه » ، وفى ب ، ص : « إنه يتشبب » ، وفى م : « تشبه » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر الأغانى ٧/ ٤.

(٤ - ٤) سقط من : م .

يا أيُّها السائلُ عن دينِنا نحن على دينِ أبى شاكرِ
[٢١٧/٧ظ] الواهبِ الجُرْدَ بأرسانِها ليس بزِنْدِيقٍ ولا كافرِ

ووَقَعت بينَ هشامٍ وبينَ الوليدِ بنِ يزيدَ وَحْشةٌ عَظيمةٌ بسببِ تَعاطِى الوليدِ ما كان يَتَعاطاه مِن الفَواحِشِ والمُنْكَراتِ ، فتَنَكَّر له هشامٌ ، وعَزَم على خَلْعِه وتَوْلِيَةِ ولدِه مَسْلمةَ وِلايةَ العَهْدِ ، ففَرَّ منه الوليدُ إلى الصَّحْراءِ ، وجَعَلا يَتَراسَلان بأقْبَحِ المُراسَلاتِ ، وجعَل هشامٌ يَتَوَعَّدُه وَعِيدًا شديدًا ويَتَهَدَّدُه ، ولم يَزَلْ كذلك حتى مات هشامٌ والوَليدُ فى البَرِّيَّةِ ، فلمَّا كانتِ الليلةُ التى قَدِم فى صَبيحتِها عليه البُرُدُ بالخِلافةِ ؛ قَلِق الوليدُ تلك الليلةَ قَلَقًا شديدًا ، وقال لبعضِ أصحابِه : ويحَك ! قد أخَذَنى الليلةَ قَلَقٌ عظيمٌ ، فارْكَبْ لعلنا نَنْبَسِطُ[1] ، فسارَا مِيلَيْن يَتَكَلَّمان فى هشامٍ ، وما يَتَعَلَّقُ به مِن كَتْبِه إليه بالتَّهْديدِ والوَعيدِ ، ثُم رَأَيا مِن بُعْدٍ رَهْجًا وأصْواتًا وغُبارًا ، ثم انْكَشَف ذلك عن بُرُدٍ يَقْصِدونه بالوِلايةِ ، فقال لصاحبِه : ويحَك ! إن هذه رُسُلُ هشامٍ ، اللهم أعْطِنا خيرَها . فلمَّا اقْتَرَبَتِ البُرُدُ منه وتَبَيَّنوه تَرَجَّلوا إلى الأرضِ ، وجاءوا فسَلَّموا عليه بالخِلافةِ ، فبُهِت وقال : ويحَكم ! أمات هشامٌ ؟ قالوا : نعم . قال : فمَن بَعَثكم ؟ قالوا : سالمُ بنُ عبدِ الرحمنِ صاحبُ دِيوانِ الرَّسائلِ . وأعْطَوْه الكِتابَ فقَرَأَه ، ثم سأَلهم عن أحْوالِ الناسِ ، وكيف مات عمُّه هشامٌ ، فأخْبَروه ، فكتَب مِن فَوْرِه بالاحْتِياطِ على أمْوالِ هشامٍ وحَواصِلِه بالرُّصافةِ وقال :

ليت هشامًا عاش حتى يَرَى مِكْيالَه الأوْفَرَ قد طُبِّعا
كِلْناه بالصّاعِ الذى كالَه وما ظَلَمْناه به إصْبَعا

---

(١) فى الأصل : « ننشط » ، وفى م : « نبسط » ، وفى مصدرى التخريج : « نتنفس » . وانبسط : سُرَّ .

وما أَتَيْنا ذاك عن بِدْعةٍ أَحَلَّه الفُرْقانُ لى أجْمَعَا

(١ثم سَار إلى١) دِمشقَ، واسْتَعْمَلَ العُمَّالَ، وجاءَتْه البَيْعةُ مِن الآفاقِ، وجاءَتْه الوُفودُ، وكتَب إليه مَرْوانُ بنُ محمدٍ - وهو إذ ذاك نائبُ أَرْمِينِيَةَ (٢وأَذْرَبِيجانَ٢) - يُبارِكُ له فى خِلافةِ اللَّهِ له على عبادِه والتَّمْكينِ فى بلادِه، ويُهَنِّئُه بموتِ هشامٍ وظَفَرِه به، والتَّحَكُّمِ فى أمْوالِه وحَواصلِه، ويَذْكُرُ له أنه جَدَّد البَيْعةَ له فى بلادِه، وأنهم فَرِحوا واسْتَبْشَروا بذلك، ولولا خوفُه مِن الثَّغْرِ لَاسْتَناب عليه ورَكِب بنفسِه إليه، شَوْقًا إلى رُؤْيتِه، ورَغْبةً فى مُشافَهَتِه، ثم إن الوليدَ سار فى الناسِ سِيرةً حَسَنةً بادىَ الرأيِ، وأمَر بإعْطاءِ الزَّمْنَى والمَجْذُومِين والعُمْيانِ، [٢١٨/٧و] لكلِّ إنسانٍ خادمًا، وأخْرَج مِن بيتِ المالِ الطِّيبَ والتُّحَفَ لعِيالاتِ المسلمين، وزاد فى أَعْطِياتِ الناسِ، ولا سيما أهلُ الشامِ والوُفودُ، وكان كريمًا مُمَدَّحًا شاعرًا مُجِيدًا، لا يُسْأَلُ شيئًا قطُّ فيَقولَ: لا. ومِن شعرِه فى ذلك قولُه يَمْدَحُ نفسَه بالكرمِ:

ضَمِنْتُ لكم إن لم تَعُقْنى عَوائقُ بأنَّ سماءَ الضُّرِّ عنكم ستُقْلِعُ
سيُوشِكُ إلحاقٌ معًا وزيادةٌ وأَعْطِيةٌ منِّى إليكم تَبَرَّعُ
مُحَرَّمُكم دِيوانُكمْ وعَطاؤُكمْ به تَكْتُبُ الكُتَّابُ شهرًا وتَطْبَعُ

(١ - ١) فى ٢١، ب، م، ص: «وقد كان الزهرى يحث هشاما على خلع الوليد هذا، ويستنهضه فى ذلك، فيحجم هشام عن ذلك خوف الفضيحة من الناس، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك، وكان الوليد يفهم ذلك من الزهرى ويبغضه على ذلك، ويتوعده ويتهدده، فيقول له الزهرى: ما كان اللَّه ليسلطك على يا فاسق. ثم مات الزهرى قبل ولاية الوليد، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية، فلم يزل بها حتى مات، فاحتاط على أموال عمه، ثم ركب من فوره من البرية وقصد».

(٢ - ٢) سقط من: ٢١، ب، م، ص. وانظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٣٨، ١٧٩.

وفى هذه السنةِ[1] عَقَد الوليدُ البَيْعةَ لابنِه الحكَمِ ، ثم عثمانَ ، على أن يَكُونا وَلِيَّي العهدِ مِن بعدِه ، وبعَث البَيْعةَ إلى يوسفَ بنِ عمرَ أميرِ العراقِ وخُراسانَ ، فأرسَلَها إلى نائبِ خراسانَ نصرِ بنِ سَيَّارٍ ، فخطَب بذلك نَصْرٌ خُطبةً عَظيمةً بليغةً طَويلةً ساقَها ابنُ جَريرٍ بكَمالِها[2] . واسْتَوْسَقَ للوليدِ المَمالكُ فى المشارِقِ والمَغاربِ[3] ، وأُخِذَت البَيْعةُ لولدَيْه مِن بعدِه فى الآفاقِ ، وكتَب الوليدُ إلى نصرِ ابنِ سَيَّارٍ بالاسْتِقلالِ بوِلايةِ خُراسانَ ، ثم وفَد يوسُفُ بنُ عمرَ على الوليدِ ، فسأَله أن يَرُدَّ إليه وِلايةَ خُراسانَ ، فرَدَّها إليه كما كانتْ فى أيامِ هشامٍ ، وأن يكونَ نصرُ ابنُ سَيَّارٍ ونُوَّابُه مِن تحتِ يدِه ، فكتَب عندَ ذلك يوسُفُ بنُ عمرَ إلى نصرِ بنِ سَيَّارٍ يَسْتَوْفِدُه إلى أميرِ المؤمنين بأهلِه وعِيالِه ، وأن يُكْثِرَ مِن اسْتِصْحابِ الهَدايا والتُّحَفِ ، فحمَل نصرُ بنُ سَيَّارٍ ألفَ مَملوكٍ على الخيلِ ، وألفَ وَصِيفةٍ ، وشيئًا كثيرًا مِن أباريقِ الفضةِ والذهبِ ، وغيرَ ذلك مِن التُّحفِ ، وكتَب إليه الوليدُ يَسْتَحِثُّه سَريعًا ، ويَطْلُبُ منه أن يَحْمِلَ له معه طَنابيرَ وبَرابِطَ ومُغنِّياتٍ وبازاتٍ وبَراذِينَ فُرْهًا ، وغيرَ ذلك مِن آلاتِ الطَّرَبِ والفِسْقِ ، فكَرِه الناسُ ذلك منه وكَرِهوه ، وقال المُنَجِّمون لنصرِ بنِ سَيَّارٍ : إن الفِتْنةَ قريبًا ستَقَعُ بالشامِ . فجعَل يَتَثاقَلُ فى سَيْرِه ، فلمَّا أن كان ببعضِ الطريقِ جاءَتْه البُرُدُ ، فأخْبَروه بأن الخليفةَ الوليدَ قد قُتِل ، وهاجَتِ الفِتْنةُ العَظيمةُ فى الناسِ بالشامِ ، فعَدَل بما معه إلى بعضِ المُدُنِ ، فأقام بها ، وبَلَغه أن يوسُفَ بنَ عمرَ قد هَرَب مِن العراقِ واضْطَرَبَتِ الأُمورُ ، وذلك بسببِ قَتْلِ الخَليفةِ على ما سنَذْكُرُه ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢١٨.

(٢) المصدر السابق ٧/٢١٩ - ٢٢٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٧/٢١٨ - ٢٢٦، والمنتظم ٧/ ٢٤٢، ٢٤٣، والكامل ٥/ ٢٦٩، ٢٧٠.

وفى هذه السنةِ[1] وَلَّى الوليدُ يوسُفَ بنَ محمدِ بنِ يوسُفَ الثَّقفىَّ وِلايةَ المدينةِ ومكةَ [٢١٨/٧ظ] والطائفِ، وأمَره أن يُقيمَ إبراهيمَ ومحمدًا ابْنَىْ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخْزومىِّ بالمدينةِ مُهانَيْن لكونِهما خالَىْ هشامٍ، ثم يَبْعَثَ بهما إلى يوسُفَ بنِ عمرَ نائبِ العراقِ، فبَعَثَهما إليه، فما زال يُعَذِّبُهما حتى ماتا، وأَخَذ منهما أموالًا كثيرةً.

وفى هذه السنةِ[2] وَلَّى يوسُفُ بنُ محمدٍ[3] يَحْيَى بنَ سعيدٍ الأنْصارىَّ قَضاءَ المدينةِ.

وفيها بعَث الوليدُ بنُ يزيدَ إلى أهْلِ قُبْرُسَ جيشًا مع أخيه[4]، وقال: خَيِّرْهم فمَن شاء أن يَتَحَوَّلَ إلى الشامِ، ومَن شاء أن يَتَحَوَّلَ إلى الرُّومِ. فكان منهم مَن اخْتارَ جِوارَ المسلمين بالشامِ، ومنهم مَن انْتَقَل إلى بلادِ الرومِ.

قال ابنُ جَريرٍ[5]: وفيها قَدِم سليمانُ بنُ كثيرٍ ومالكُ بنُ الهَيْثَمِ ولاهِزُ بنُ قُرَيْظٍ وقَحْطَبَةُ بنُ شَبِيبٍ مكةَ[6] فلَقُوا - فى قولِ بعضِ أهلِ السِّيَرِ - محمدَ بنَ علىٍّ، فأخْبَروه بقصةِ أبى مُسْلمٍ، فقال: أحُرٌّ هو أم عبدٌ؟ فقالوا: أمَّا هو فيَزْعُمُ أنه حُرٌّ، [7]وأمّا مَوْلاه[8] فيَزْعُمُ أنه عبدٌ[7]. فاشْتَرَوْه فأعْتَقوه، ودَفَعوا إلى محمدِ بنِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٦، ٢٢٧، والمنتظم ٧/ ٢٤٣، والكامل ٥/ ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٧، والمنتظم ٧/ ٢٤٣.

(٣) سقط من: الأصل. وبعده فى ا ٢، م، ص: «بن». وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٩١، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٤٦.

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٧، والكامل ٥/ ٢٧٤.

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٦) سقط من: م.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) فى تاريخ الطبرى: «عيسى».

علىٌّ مائتَىْ ألفِ درهمٍ وكِسوةً بثلاثين ألفًا، وقال لهم: لعلكم لا تَلْقَوْنى بعدَ عامِكم هذا، فإن مِتُّ فإن صاحبَكم إبراهيمُ بنُ محمدٍ - يعنى ابنَه - فإنه ابْنى، فأُوصِيكم به. ومات محمدُ بنُ علىٍّ فى مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدةِ فى هذه السنةِ بعدَ أبيه علىٍّ بسبعِ سنين.

وفيها قُتِل يَحْيَى بنُ زيدِ بنِ علىٍّ بخُراسانَ. وحَجَّ بالناسِ فيها يوسُفُ بنُ محمدٍ الثَّقَفىُّ أميرُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ[1]، وأميرُ العراقِ يوسفُ بنُ عمرَ، وأميرُ خُراسانَ نصرُ بنُ سَيَّارٍ[2]، وهو فى هِمَّةِ الوُفودِ إلى الوليدِ بنِ يَزيدَ أميرِ المؤمنين بما معه مِن الهَدايا والتُّحَفِ، فقُتِل الوليدُ قبْل أن يَجْتَمِعَ به.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

محمدُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ [3]بنِ عبدِ المطلبِ القرشىُّ الهاشمىُّ[3] أبو عبدِ اللَّهِ المَدَنىُّ، وهو أبو السَّفَّاحِ والمَنْصورِ، رَوَى عن أبيه وجَدِّه وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ وجَماعةٍ، وحَدَّث عنه جَماعةٌ، منهم ابناه الخَلِيفتان؛ أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ السَّفَّاحُ، وأبو جعفرٍ عبدُ اللَّهِ المَنْصورُ، وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ أوْصَى إليه بالأمْرِ مِن بعدِه، وكان عندَه عِلْمٌ بالأَخْبارِ، فبَشَّره بأن الخِلافةَ ستَكونُ فى ولدِه، فدَعا إلى نفسِه فى سنةِ سبعٍ وثمانين، ولم يَزَلْ أمْرُه يَتَزايدُ حتى تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ، وقيل: فى التى قبلَها. وقيل: فى التى بعدَها. عن ثلاثٍ وستين سنةً، وكان مِن أحْسنِ الناسِ شَكْلًا، فأوْصَى بالأمْرِ مِن بعدِه لولدِه

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٨.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٢٤، ٢٣٠.

(٣ - ٣) ليس فى: ٢١، ب، م، ص. وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ١٦/٧٤٦ مخطوط، والمنتظم ٧/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٦- ١٨٨، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٢٣.

إبراهيمَ ، فما أُبْرِم الأمْرُ إلَّا لولدِه السَّفَّاحِ ، فاسْتَلَب مِن بنى أُمَيةَ الأمْرَ فى سنةِ ثنتَيْن وثلاثين[1] ، كما سيأتى تفصيلُ ذلك .

[٧/٢١٩و] **وأما يَحْيى بنُ زيدِ[2] بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ** ، فإنه لمَّا قُتِل أبوه زيدٌ فى سنةِ إحدى وعشرين ومائةٍ[3] ، لم يَزَلْ يحيى مُخْتَفِيًا فى خُراسانَ عندَ الحَرِيشِ بنِ عمرِو بنِ داودَ ببَلْخَ، حتى مات هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، فكَتَب عندَ ذلك يوسفُ بنُ عمرَ إلى نصرِ بنِ سَيَّارٍ يُخْبِرُه بأمْرِ يَحْيَى ابنِ زيدٍ ، فكتَب نصرُ بنُ سَيَّارٍ إلى نائبِ بَلْخَ[4] عَقِيلِ بنِ مَعْقِلٍ العجلىِّ ، فأحْضَر الحَرِيشَ ، فعاقَبَه ستَّمائةِ سَوْطٍ ، فلم يَدُلَّ عليه ، وجاء ولدُ الحَرِيشِ ، فدَلَّهم عليه ، فحُبِس[5] ، فكتَب نصرُ بنُ سَيَّارٍ إلى يوسُفَ بذلك ، فبعَث إلى الوليدِ بنِ يَزيدَ يُخْبِرُه بذلك ، فكتَب الوليدُ إلى نصرِ بنِ سَيَّارٍ يَأْمُرُه بإطْلاقِه مِن السِّجْنِ ، وإرْسالِه إليه صُحْبةَ أصحابِه ، [6]ويُجهِّزُهم إليه[6] فأطْلَقهم وأطْلَق لهم وجَهَّزهم ، فساروا إلى دِمشقَ ، فلمَّا كانوا ببعضِ الطريقِ تَوَسَّم نصرٌ منه غَدْرًا ، فبَعَث إليه جيشًا فيه عشَرةُ آلافٍ ، فكَسَرهم يَحْيَى بنُ زيدٍ ، وإنَّ ما معه سبعون رجلًا ، وقَتَل أميرَهم ، واسْتَلَب منهم أمْوالًا كثيرةً ، ثم جاءَه جيشٌ آخرُ ، فقَتَلوه واحْتَزُّوا رأسَه ، وقَتَلوا جميعَ أصحابِه ، رَحِمهم اللَّهُ .

---

(١) يعنى سنة ثنتين وثلاثين ومائة . وهذا واضح .

(٢) فى الأصل : « بريد » ، وفى م : « يزيد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٨/١٠٩ مخطوط ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٩٩.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحتى ١٠١، ١٠٦.

(٤) بعده فى ا ٢، ب ، م ، ص : « مع » . ولم ترد صفة عقيل هذا فى القصة عند الطبرى فى تاريخه وابن الجوزى فى المنتظم ، ولم تذكر فى الكامل ؛ لإيرادها مختصرة ، فالظاهر أنه هو نائب بلخ .

(٥) أى حُبس يحيى بنُ زيد .

(٦ - ٦) سقط من : ا ٢، ب ، م ، ص .

ثم دَخَلَت سنةُ ستٍّ وعشرين ومائةٍ

فيها[1] كان مَقْتَلُ الوَليدِ بنِ يَزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، وهذه تَرْجَمتُه : هو **الوليدُ ابنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ**[2] ، **أبو العباسِ الأُمَوىُّ الدِّمَشقىُّ**[3] ، بُويع له بالخِلافةِ بعدَ عمِّه هشامٍ فى السنةِ الخاليةِ بعهدٍ مِن أبيه ، كما قَدَّمْنا . وأمُّه أمُّ الحَجَّاجِ بنتُ محمدِ بنِ يوسُفَ الثَّقَفىِّ ، وكان مَوْلِدُه سنةَ تسعين ، وقيل : سنةَ ثنتَيْن وتسعين . وقيل : سنةَ سبعٍ وثمانين . وقُتِل يومَ الخَميسِ لليلتَيْن بَقِيتا مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ستٍّ وعشرين ومائةٍ ، ووَقَعَتْ فِتْنةٌ عَظيمةٌ بينَ الناسِ بسببِ قَتْلِه [4]وهو خليفةٌ[4] ؛ لفِسْقِه ، وقيل : وزَنْدَقتِه .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حَدَّثنا أبو المُغيرةِ ، ثنا ابنُ عَيَّاشٍ ، حَدَّثنى الأَوْزاعىُّ وغيرُه ، عن الزُّهْرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن عمرَ بنِ الخطابِ قال : وُلِد لأخى أمِّ سَلَمةَ زوجِ النبىِّ ﷺ غلامٌ ، فسَمَّوْه الوليدَ ، فقال النبىُّ ﷺ : « سَمَّيْتُمُوه [1]بأسماءِ فَراعِنَتِكم[1] ، لَيَكُونَنَّ فى هذه الأُمَّةِ رجلٌ يُقالُ له : الوليدُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣١، والمنتظم ٧/ ٢٤٨، والكامل ٥/ ٢٨٠.

(٢) بعده فى الأصل : « بن العاص بن أمية بن عبد شمس » . وإنما هو ابن أبى العاص ، كما فى ترجمة مروان فى الاستيعاب ٣/ ١٣٨٧، وأسد الغابة ٥/ ١٤٤، والإصابة ٦/ ٢٥٧. وانظر مصادر ترجمته الآتية .

(٣) تاريخ دمشق ٩٢١/١٧ مخطوط ، والكامل ٥/ ٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٨٧.

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) المسند ١/ ١٨. (إسناده ضعيف لانقطاعه) .

لَهو [٢]شرٌّ على هذه[٢] الأُمَّةِ مِن فِرْعونَ لقومِه» .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[٣] : وقد رَواه الوليدُ بنُ مسلمٍ ، وهِقْلُ[٤] بنُ زِيادٍ ، ومحمدُ بنُ كثيرٍ ، وبِشْرُ بنُ بكرٍ ، [٧/٢١٩ظ] عن الأَوْزاعيِّ ، فلم يَذْكُروا عمرَ في إسْنادِه ، وأرْسَلوه ، ولم يَذْكُرِ ابنُ كثيرٍ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ . ثم ساق طُرُقَه هذه كلَّها بأسانيدِها وألْفاظِها[٥] . وحكَى عن البَيْهقيِّ أنه قال : هو مُرْسَلٌ حَسَنٌ[٦] .

ثم ساق[٦] مِن طريقِ [٧]محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن[٧] محمدِ بنِ عمرِو بنِ عَطاءٍ ، عن زينبَ بنتِ أمِّ سَلَمةَ ، عن أُمِّها قالتْ : دَخَل عليَّ[٨] النبيُّ ﷺ ، وعندى غلامٌ مِن آلِ المُغيرةِ اسمُه الوليدُ ، فقال : «مَن هذا يا أمَّ سَلَمةَ ؟» قالتْ : هذا الوليدُ . فقال النبيُّ ﷺ : «قد اتَّخَذْتُم الوليدَ حَنانًا[٩] ، غَيِّروا اسمَه ؛ فإنه سيكونُ فى هذه الأُمَّةِ فِرْعونٌ يقالُ له : الوليدُ» .

وروَى ابنُ عساكرَ[١] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ مسلمٍ ، ثنا محمدُ بنُ

(١ - ١) فى الأصل : «بأسماء فراعينكم» ، وفى م : «باسم فراعينكم» .

(٢ - ٢) فى الأصل : «أشد لهذه» ، وهو لفظ رواية ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٩٢٣. وفى ا ٢، ب ، م ، ص : «أشد فسادا لهذه» . والمثبت من المسند .

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٢٢، ٩٢٣ مخطوط .

(٤) فى م : «معقل» ، وفى ص : «مقتل» . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٩٢.

(٥) انظر تاريخ دمشق الموضع السابق .

(٦) المصدر السابق ١٧/ ٩٢٣.

(٧ - ٧) سقط من : ص . وفى ا ٢: «محمد بن عمر عن» ، وفى م : «محمد عن» . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٥، ٢٦/ ٢١٠.

(٨) سقط من : ا ٢، م .

(٩) فى م : «خنانا حسانا» ، وفى ص : «خنانا» . وانظر النهاية ١/ ٤٥٢.

غالبٍ[٢] الأنْطاكيُّ ، ثنا محمدُ بنُ سليمانَ بنِ أبى داودَ ، ثنا صَدَقةُ ، عن هشامِ ابنِ الغازِ ، عن مَكْحولٍ ، عن أبى ثَعْلَبَةَ الخُشَنيِّ ، عن أبى عُبَيدةَ بنِ الجرَّاحِ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا يَزالُ هذا الأمْرُ قائمًا بالقِسْطِ حتى يَثْلَمَه رجلٌ مِن بنى أُمَيةَ » .

صِفَةُ[٣] مَقْتَلِه وزَوالِ دَوْلتِه

كان هذا الرجلُ مُجاهِرًا بالفَواحِشِ مُصِرًّا عليها ، مُنْتَهِكًا مَحارِمَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، لا يَتَحاشَى مِن مَعْصِيةٍ ، وربما اتَّهَمَه بعضُهم بالزَّنْدَقةِ والانحِلالِ مِن الدِّينِ[٤] . فاللَّهُ أعْلَمُ . لكن الذى يَظْهَرُ أنه كان عاصيًا شاعرًا ماجِنًا مُتَعاطِيًا للمَعاصى ، لا يَتَحاشَى بها مِن أحدٍ ، ولا يَسْتَحِى مِن أحدٍ ، قبلَ أن يَلِيَ الخِلافةَ وبعدَ أن وَلِيَ .

وقد رُوِى[٥] أن أخاه سليمانَ كان مِن جُملةِ مَن سَعَى فى قَتْلِه ، قال : أَشْهَدُ ، [٦]بُعْدًا له[٦] ، أنه كان شَروبًا للخَمْرِ ماجِنًا فاسِقًا ، ولقد أرادنى على نَفْسى الفاسِقُ .

وحكَى المُعافَى بنُ زكريا[١] ، عن ابنِ دُرَيْدٍ ، عن أبى حاتمٍ ، عن[٢] العُتْبىِّ ، أنَّ

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٣٠ مخطوط .

(٢) فى ب ، ص : « على » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٠٥.

(٣) سقط من : م .

(٤) انظر أنساب الأشراف ٩/ ١٦٥، ١٦٦، وتاريخ الطبرى ٧/ ٢٣٢، ومروج الذهب ٣/ ٢١٢.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٢٥١، والكامل ٥/ ٢٨٨.

(٦ - ٦) سقط من : ا٢، ب ، م ، ص .

الوليدَ بنَ يَزيدَ نَظَر إلى نَصْرانيةٍ مِن حِسانِ نِساءِ النَّصارَى ، اسمُها سَفْرَى فأحَبَّها ، فبَعَث إليها يُراوِدُها عن نَفْسِها ، فأَبَتْ عليه ، فألَحَّ عليها ، وعَشِقها ، فلم تُطاوِعْه ، فاتَّفَق اجْتماعُ النَّصارَى فى بعضِ كَنائسِهم لعيدٍ لهم ، فذهَب الوليدُ إلى بُسْتانٍ هناك ، فتَنَكَّر وأظْهَر أنه مُصابٌ ، فخرَج النِّساءُ مِن الكَنِيسةِ إلى ذلك البُسْتانِ ، فرأَيْنَه فأحْدَقْنَ به ، فجعَل يُكَلِّمُ سَفْرَى ويُمازِحُها[3] وتُضاحِكُه ولا تَعْرِفُه ، حتى اشْتَفَى مِن النَّظَرِ إليها ، فلما انْصَرَفَت قيل لها : وَيْحَكِ ! أتَدْرِينَ مَن هذا الرجلُ ؟ فقالت : لا . فقيل لها : هو الوليدُ . فلما تَحَقَّقَت ذلك حَنَّتْ عليه بعدَ ذلك ، وكانتْ عليه أحْرَصَ [٧/٢٢٠و] منه عليها . فقال الوليدُ فى ذلك :

أضْحَى[4] فُؤادُك يا وليدُ عَمِيدَا ... صبًّا قديمًا للحِسانِ صَيُودَا
مِن[5] حبِّ واضِحةِ العَوارِضِ طَفْلَةٍ ... بَرَزَتْ لنا نحوَ الكَنيسةِ عِيدَا
مازِلْتُ أَرْمُقُها بعَيْنَىْ وامِقٍ ... حتى بَصُرْتُ بها تُقَبِّلُ عُودَا
عُودَ الصَّليبِ فوَيْحَ نَفْسىَ مَن رَأَى ... منكمْ صَليبًا مثلَه مَعْبودَا
فسألْتُ ربىَ أن أَكُونَ مكانَهُ ... وأَكُونَ فى لَهَبِ الجَحِيمِ وَقُودَا

وقال فيها أيضًا لما ظهَر أمْرُه ، وعَلِم بحالِه الناسُ ، وقيل : إن هذا وقَع قبلَ أن يَلِىَ الخِلافةَ :

ألا حَبَّذا سَفْرَى وإن قِيل إنَّنى ... كَلِفْتُ بنَصْرانيةٍ تَشْرَبُ الخَمْرَا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٢٨/١٧ مخطوط ، من طريق المعافى به .
(٢) سقط من : الأصل ، وتاريخ دمشق . وانظر تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٤، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٠١، ٢٠٢.
(٣) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « يحادثها » .
(٤) فى م : « أضحك » .
(٥) فى م : « فى » .

يَهونُ علىَّ[1] أن نَظَلَّ نَهارَنا إلى الليلِ لا أُولَى[2] نُصَلِّى ولا عَصْرَا

قال القاضى أبو الفَرَجِ المُعافَى بنُ زكريا[3] الجَرِيرىُّ المَعْروفُ بابنِ طَرَارٍ النَّهْروانىُّ [4]ثم البغدادىُّ[4]، بعدَ إيرادِه هذه الأبياتَ: للوليدِ فى هذا النَّحْوِ مِن الخَلاعةِ والمُجونِ وسَخافةِ الدِّينِ ما يَطُولُ ذِكْرُه، وقد ناقَضْناه فى أشياءَ مِن مَنْظومِ شِعْرِه المُتَضَمِّنِ رَكيكَ ضَلالِه وكُفْرِه.

وروَى ابنُ عساكرَ بسندِه[5] أن الوليدَ سَمِع بخَمَّارٍ صلفٍ[6] بالحِيرةِ، فقصَده حتى شَرِب منه ثلاثةَ أرْطالٍ مِن الخمرِ وهو راكبٌ على فرسِه، ومعه اثنان مِن أصحابِه، فلمَّا انْصَرَف أمَر للخَمَّارِ بخمسِمائةِ دِينارٍ.

وقال القاضى أبو الفَرَجِ[7]: أخْبارُ الوليدِ كثيرةٌ قد جمَعها الأخْبارِيُّون مَجْموعةً ومُفْرَدةً، وقد جَمَعْتُ شيئًا مِن سِيَرِه وآثارِه، ومِن شعرِه الذى ضَمَّنه ما فَجَر به مِن خُرْقِه[8] وسَفاهتِه، وحُمْقِه وهَزْلِه، ومُجونِه وسَخافةِ دِينِه، وما صَرَّح به مِن الإلْحادِ فى القُرآنِ العَزيزِ، والكُفْرِ بمَن أنْزَله وأُنْزِل عليه، وقد عارَضْتُ شِعْرَه السَّخيفَ بشعرٍ حَصِيفٍ، وباطلَه بحقِّ نَبيِهِ شَريفٍ، وتَوَخَّيْتُ[1] رِضاءَ اللَّهِ، عزَّ

---

(١) فى ا ٢، ب، م، ص: «علينا».

(٢) فى ا ٢، ب، م، ص: «ظهرا».

(٣) تاريخ دمشق ٩٢٨/١٧ مخطوط.

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل، ا ٢.

(٥) المصدر السابق ٩٢٨/١٧، ٩٢٩، بمعناه.

(٦) صلف: كذا جاءت هذه اللفظة فى النسخ، ولم نجد لها معنى يتسق مع الرواية، وهى من تصرف المصنف، رحمه اللَّه، ولم ترد فى تاريخ دمشق، ولكنْ يفسِّرها نصُّ ما فى التاريخ، فقد جاء فيه قول الخمّار: وكنت موصوفًا بالنظافة وجودة الخمر وغسل الأوانى.

(٧) المصدر السابق ٩٢٩/١٧.

(٨) فى ا ٢، ب، م، ص: «جرأته».

وجلَّ ، واسْتِيجابَ مَغْفِرتِه .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[2] : ثنا سليمانُ بنُ أبى شيخٍ ، ثنا صالحُ بنُ سليمانَ قال : أراد الوليدُ بنُ يَزيدَ الحَجَّ ، وقال : أَشْرَبُ فوقَ ظَهْرِ الكَعْبةِ . فهَمَّ قومٌ أن يَفْتِكوا به إذا خرَج ، فجاءوا إلى خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ ، فسألوه أن يكونَ معهم فأَبَى ، فقالوا له : فاكْتُمْ علينا . فقال : أمَّا هذا فنعم . فجاء إلى الوليدِ فقال له : لا تَخرجْ ، فإنى أَخافُ عليك . فقال : ومَن هؤلاء الذين تَخافُهم علىَّ ؟ قال : لا أُخْبِرُك بهم . قال : [٧/٢٢٠ظ] إن لم تُخْبِرْنى بهم بَعَثْتُ بك إلى يوسُفَ بنِ عمرَ . قال : [3]وإن بعَثْتَ بى إلى يوسُفَ[3] . فَبعَثه [4]إلى يوسُفَ فعَذَّبَه حتى قتَله .

وذكَر ابنُ جريرٍ[5] أنه لمَّا امْتَنَع أن يُعْلِمَه بهم سَجَنه ، ثم سَلَّمَه[4] إلى يوسُفَ بنِ عمرَ يَسْتَخْلِصُ منه أمْوالَ العراقِ ، فقتَله . وقد قيل[6] : إن يوسُفَ لمَّا وَفَد إلى الوليدِ اشْتَرى منه خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ بخمسين ألفَ ألفٍ يُخَلِّصُها منه ، فما زال يُعاقِبُه ، ويَسْتَخْلِصُ منه حتى قتَله ، فغَضِب أهلُ اليمنِ مِن قتلِه ، وخرَجوا على الوليدِ .

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : حدَّثنا مُصْعَبُ بنُ عبدِ اللَّهِ قال : سمعتُ أبى يقولُ :

---

(١) فى ا ٢، ب ، م ، ص : « ترجيت » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٢٩/١٧ مخطوط ، من طريق ابن أبى خيثمة به . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٧١.

(٣ - ٣) زيادة من النسخ والمختصر . ليست فى تاريخ دمشق . وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٢.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٢٣٤/٧ - ٢٣٧.

كنتُ عندَ المَهْدىِّ ، فذُكِر الوليدُ بنُ يزيدُ ، فقال رجلٌ فى المجْلِسِ : كان زِنْديقًا . فقال المَهْدىُّ : خِلافةُ اللَّهِ عندَه أَجَلُّ مِن أن يَجْعَلَها فى زِنْديقٍ .

وقال أحمدُ بنُ عُميرِ[٢] بنِ جَوْصاءَ[٣] الدِّمشقىُّ : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ الحسنِ ، ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، ثنا حُصَيْنُ بنُ الوَليدِ عن الأَزْهَرىِّ بنِ الوَليدِ قال : سمِعتُ أمَّ الدَّرْداءِ تقولُ : إذا قُتِل الخَليفةُ الشابُّ مِن بنى أُمَيةَ بينَ الشامِ والعراقِ مَظْلومًا ، لم تَزَلْ طاعةٌ مُسْتَخَفًّا بها ، ودَمٌ مَسْفوكًا على وجهِ الأَرْضِ بغيرِ حَقٍّ .

قال الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جريرٍ الطَّبرىُّ[٤] :

ذِكْرُ[٥] قَتْلِ يزيدَ بنِ الوليدِ [٦]الذى يُقالُ له[٦] : الناقِصُ . للوليدِ بنِ يزيدَ ، [٦]وكيف قُتِل[٦]

قد ذكَرْنا بعضَ أمْرِ الوليدِ بنِ يزيدَ وخَلاعتَه ومَجانتَه ، وما ذُكِر عنه مِن تَهاوُنِه[١] واسْتِخْفافِه بأمرِ دِينِه قبلَ خِلافتِه ، [٢]ولمَّا وَلِىَ الخلافةَ وأفْضَتْ إليه[٢] ، لم

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩٢٩/١٧ مخطوط ، من طريق الزبير به .

(٢) المصدر السابق ، من طريق أحمد بن عمير به .

(٣) فى الأصل : « خوصاء » ، وفى م ، ص : « حوصاء » . وانظر المؤتلف والمختلف للدارقطنى ٢/ ٩٠١ ، والمشتبه ١/ ٢٧٤ ، وتبصير المنتبه ٢/ ٥٤٢ .

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣١ .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) سقط من : م .

يَزْدَدْ فى الذى كان فيه مِن اللَّهْوِ واللذَّةِ والركوبِ إلى الصَّيْدِ وشُرْبِ المُسْكِرِ ومُنادَمةِ الفُسَّاقِ ، إلَّا تَمادِيًا وجِدًّا[3] ، فثَقُل ذلك مِن أمرِه على رَعِيَّتِه وجُندِه ، وكَرِهوه كَراهةً شديدةً ، وكان مِن أعظمِ ما جَنَى على نَفْسِه حتى أوْرَثه ذلك هَلاكَه ، إفْسادُه على نَفْسِه بنى عَمَّيْه ؛ هشامٍ والوليدِ ، مع إفْسادِه اليَمانيةَ ، وهم عُظْمُ جُندِ خُراسانَ[4] ؛ وذلك[5] أنه لمَّا قَتَل خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ ، وسَلَّمه إلى غَريمِه يوسفَ بنِ عمرَ الذى هو نائبُ العراقِ إذ ذاك ، فلم يَزَلْ يُعاقِبُه حتى هلَك ، انْقَلبوا عليه وتَنَكَّروا له ، وساءهم قَتْلُه ، كما سنَذْكُرُه فى ترجمتِه .

ثم روَى ابنُ جَريرٍ بسندِه[6] ، أن الوليدَ بنَ يزيدَ ضَرَب ابنَ عمِّه سليمانَ بنَ هشامٍ مائةَ سَوْطٍ ، وحَلَق رأسَه ولحيتَه ، وغَرَّبه إلى عَمَّانَ ، فحبَسَه بها ، فلم يَزَلْ هناك حتى قُتِل الوليدُ ، وأخَذ جاريةً كانتْ لآلِ عمِّه الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فكَلَّمه فيها عمرُ بنُ الوَليدِ ، [٧/٢٢١و] فقال : لا أَرُدُّها . فقال : إذن تَكْثُرَ الصَّواهِلُ حولَ عَسْكرِك . وحبَس الأَفْقَمَ يزيدَ بنَ هشامٍ ، وبايَع لولدَيْه الحَكَمِ وعُثمانَ ، وكانا دونَ البُلوغِ ، فشَقَّ ذلك على الناسِ أيضًا ، ونَصَحوه فلم يَنْتَصِحْ ، ونَهَوْه فلم يَرْتَدِعْ ولم يَقْبَلْ .

قال المدائنىُّ فى روايتِه[1] : ثَقُل ذلك على الناسِ ، ورَماه بنو هشامٍ[2] وبنو

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م : « بالصلوات » .

(٢ - ٢) فى ا ٢، ب ، م : « وبعدها فإنه » .

(٣) فى ا ٢، ب ، م : « غرورا » . والمثبت موافق لإحدى نسخ تاريخ الطبرى . انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣١ حاشية (٣) .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « أهل الشام » .

(٥) تعقيب من المصنف على كلام الطبرى .

(٦) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣١، ٢٣٢.

الوَليدِ بالكُفْرِ وغِشْيانِ أُمَّهاتِ أوْلادِ أبيه[3] ، وقالوا : قد اتَّخَذ مائةَ جامعةٍ ، على كلِّ جامعةٍ اسمُ رجلٍ مِن بنى أميةَ[4] ليَقْتُلَه بها ، ورَمَوْه بالزَّنْدَقةِ ، وكان أشَدَّهم فيه قولًا يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكان الناسُ إلى قولِه أَمْيَلَ ؛ لأنه أظْهَر النُّسُكَ والتَّواضُعَ ، وجعَل يقولُ : ما يَسَعُنا الرِّضا بالوليدِ . حتى حمَل الناسَ على الفَتْكِ به .

قالوا[5] : وانْتَدب للقيامِ عليه جَماعةٌ مِن قُضاعةَ واليَمانيةِ وخَلْقٌ مِن أعْيانِ الأُمراءِ وآلِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، [6]وآلِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ[6] ، وكان القائمَ بأعْباءِ ذلك كلِّه والداعىَ إليه يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، وهو مِن ساداتِ بنى أُمَيةَ ، وكان يُنْسَبُ إلى الصَّلاحِ والدِّينِ والوَرَعِ ، فبايَعه الناسُ على ذلك ، وقد نَهاه عن ذلك أخوه العَبَّاسُ بنُ الوليدِ ، فلم يَقْبَلْ ، فقال : واللَّهِ لولا أنى أَخافُ عليك الوليدَ[7] لَقَيَّدْتُك وأَرْسَلْتُك إليه . واتَّفَق خُروجُ الناسِ مِن دِمشقَ مِن وَباءٍ وقَع بها ، فكان ممَّن خرَج الوليدُ[8] بنُ يزيدَ أميرُ المؤمنين فى طائفةٍ مِن أصْحابِه نحوَ المائتَيْن ، إلى ناحيةِ مَشارِفِ دِمشقَ ، فانْتَظم ليزيدَ بنِ الوليدِ أمْرُه ، وجَعَل أخوه العباسُ يَنْهاه عن ذلك أشدَّ النَّهْيِ ، فلا يَقْبَلُ ، فقال العباسُ فى ذلك :

---

(١) أخرجها الطبرى فى تاريخه ٧/ ٢٣٢. وانظر أنساب الأشراف ٩/١٦٥ - ١٦٧.

(٢) فى النسخ : « هاشم » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) بعده فى ا ٢، ب ، م : « وباللواط وغيره » .

(٤) فى ا ٢، ب ، م : « هاشم » .

(٥) تاريخ الطبرى ٧/٢٣٧ - ٢٤٢.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : م .

(٨) كذا فى النسخ . والذى فى تاريخ الطبرى أن الذى خرج هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ولم يُذْكر تقدير عدد من خرج بمائتين أو غير ذلك . وانظر أيضًا الكامل ٥/ ٢٨٣.

إنى أُعِيذُكمُ باللَّهِ مِن فِتَنٍ مثلِ الجبالِ تَسامَى ثم تَنْدَفِعُ
إن البَرِيَّةَ قد مَلَّتْ سِياستَكم فاسْتَمْسِكوا بعَمودِ الدِّينِ وارْتَدِعوا
لا تُلْحِمُنَّ ذِئابَ الناسِ أنْفُسَكم إنَّ الذِّئابَ إذا ما أُلْحِمَت رَتَعوا
لا تَبْقُرُنَّ بأيديكم بُطونَكمُ فثَمَّ لاحَسْرةٌ تُغْنِى ولا جَزَعُ

فلمَّا اسْتَوْسَق ليزيدَ بنِ الوليدِ أمْرُه، وبايَعَه مَن بايَعَه مِن الناسِ، قصَد دمشقَ، فدخَلها فى غَيْبةِ الوليدِ، فبايَعه أكثرُ أهْلِها فى الليلِ، وبَلَغَه أن أهْلَ المِزَّةِ قد بايَعوا كبيرَهم مُعاويةَ بنَ مَصادٍ، فمَضَى إليه يزيدُ ماشيًا فى نَفَرٍ مِن أصْحابِه، فأصابهم فى [٢٢١/٧ظ] الطريقِ مطرٌ[(١)] شَديدٌ، فأتَوْه فطَرَقوا بابَه ليلًا، ثم دَخَلوا، فكَلَّمه يَزيدُ فى ذلك، فبايَعه مُعاويةُ بنُ مَصادٍ، ثم رجَع يزيدُ مِن ليلتِه إلى دِمشقَ على طريقِ القناةِ وهو على حمارٍ أسْودَ، فحلَف أصحابُه أنه لا يَدْخُلُ دِمشقَ إلَّا فى السِّلاحِ، فلَبِس سلاحًا مِن تحتِ ثيابِه فدَخَلَها، وكان الوليدُ قد اسْتَناب على دِمشقَ فى غَيْبتِه عبدَ الملكِ بنَ محمدِ بنِ الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ الثَّقَفىَّ، [(٢)]وقد خرَج منها أيضًا مِن الوباءِ فهو مقيمٌ بقَطَنَا[(٣)] واسْتَخْلَف ابنَه[(٤)] على دمشقَ[(٢)]، وعلى شُرْطتِها أبو العاجِ كَثيرُ بنُ عبدِ اللَّهِ السُّلَمىُّ، فلمَّا كان ليلةُ الجمعةِ اجْتَمع أصحابُ يَزيدَ بينَ العِشائَيْن عندَ بابِ الفَراديسِ، فلمَّا أُذِّن لعِشاءِ الآخِرةِ دَخَلوا المسجدَ، فلما لم يَبْقَ فى المسجدِ غيرُهم بَعَثوا إلى يزيدَ بنِ الوليدِ

---

(١) فى م: «خطر».
(٢ - ٢) سقط من: ٢١، ب، م.
(٣) فى ص: «بقطيا». وفى تاريخ الطبرى ضبطها بالتنوين: «قَطَنًا»، كأن الاسم «قطن»، وهو خطأ، فقطنا من قرى دمشق. وقطن: جبل أو مياه بنجد. انظر معجم ما استعجم ٣/ ١٠٨٣، ومعجم البلدان ٤/ ١٣٧، ١٣٨.
(٤) فى الأصل: «أباه».

فجاءهم ، فقَصَدوا بابَ المَقْصورةِ ، ففتَح لهم خادِمٌ ، فدَخَلوا فوَجَدوا أبا العاجِ وهو سَكْرانُ ، [1] فأخَذوه وأخَذوا خُزَّانَ [1] بيتِ المالِ ، وتَسَلَّموا الحَواصِلَ ، وتَقَوَّوْا بالأسْلحةِ ، وأمَر يزيدُ بإغْلاقِ أبوابِ البلدِ ، وأن لا يُفْتَحَ إلَّا لمَن يُعْرَفُ ، فلما أصْبَح الناسُ قَدِم أهلُ الحَواضِرِ مِن كلِّ جانبٍ ، فدَخَلوا مِن سائرِ أبوابِ البَلَدِ ، كلُّ أهْلِ مَحِلَّةٍ مِن البابِ الذى يَلِيهم ، فكَثُرَت الجُيوشُ حولَ يزيدَ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ فى نُصْرتِه ، وكلُّهم قد بايَعه بالخِلافةِ . وقد قال بعضُ الشُّعراءِ فى ذلك :

فجاءَتْهمُ أنصارُهم حينَ أصْبَحوا ... سَكاسِكُها أهلُ البيوتِ الصَّنادِدِ
وكلبٌ فجاءوهم بخَيْلٍ وعُدَّةٍ ... مِن البِيضِ والأبْدانِ ثم السَّواعِدِ
فأَكْرِمْ بها أحْياءَ أنصارِ سُنَّةٍ ... هُمُ مَنَعوا حُرْماتِها كلَّ جاحِدِ
وجاءتْهُمُ شَعْبانُ [2] والأَزْدُ شُرَّعًا ... وعَبْسٌ ولَخْمٌ بينَ حامٍ وذائِدِ
وغَسَّانُ والحَيَّانِ قيسٌ وتَغْلِبٌ ... وأحْجَمَ عنها كلُّ وانٍ وزاهِدِ
فما أصْبَحوا إلَّا وهمْ أهلُ مُلْكِها ... قد اسْتَوْثَقوا مِن كلِّ عاتٍ ومارِدِ

وبعَث يزيدُ بنُ الوليدِ عبدَ الرحمنِ بنَ مَصادٍ فى مائتَىْ فارسٍ [3] إلى قَطَنَا ليأْتُوه بعبدِ الملكِ بنِ محمدِ بنِ الحَجَّاجِ نائبِ دِمشقَ ، وله الأَمانُ ، وكان قد تَحَصَّن فى قصرٍ هناك ، فدَخَلوا عليه ، فوَجَدوا عندَه خُرْجَيْن ؛ فى كلِّ واحدٍ منهما ثلاثون ألفَ دينارٍ ، فلمَّا مَرُّوا [٢٢٢/٧و] بالمِزَّةِ قال أصحابُ ابنِ مَصادٍ :

(١ - ١) فى ا ٢، ب ، م : « فأخذوا خزائن » .
(٢) فى ا ٢، ب ، م : « شيبان » .
(٣) تاريخ الطبرى ٢٤٢/٧ - ٢٥٢.

خُذْ هذا المالَ فهو خيرٌ لك مِن يزيدَ بنِ الوليدِ . فقال : لا واللَّهِ ، لا تَحَدَّثُ العربُ أنى أولُ مَن خان . ثم أتَوْا به يزيدَ بنَ الوليدِ ، فاسْتَخْدم مِن ذلك المالِ جُنْدًا للقِتالِ قريبًا مِن ألْفَيْ[1] فارسٍ ، وبعَث بهم مع أخيه عبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ[2] بنِ عبدِ الملكِ خلفَ الوليدِ بنِ يزيدَ ليَأْتُوا به ، ورَكِب بعضُ مَوالى الوليدِ فرسًا سابقًا ، فساق به حتى انْتَهَى إلى مَوْلاه مِن الليلِ وقد نَفَق الفرسُ ، فأخْبَره الخبرَ ، فلم يُصَدِّقْه ، وأمَر بضَرْبِه ، ثُم تَواتَرَت عليه الأخْبارُ ، فأشار عليه بعضُ أصحابِه أن يَتَحَوَّلَ مِن منزلِه ذاك إلى حِمْصَ ؛ فإنها حَصِينةٌ ، وقال الأَبْرَشُ سعيدُ بنُ الوليدِ الكَلْبىُّ : انْزِلْ على قومى بتَدْمُرَ . فأَبَى أن يَقْبَلَ شيئًا مِن ذلك ، بل رَكِب بمَن معه وهو فى مائتَىْ فارسٍ ، وقَصَدَه أصحابُ يزيدَ ، فالْتَقَوْا بثَقَلِه[3] فى أثناءِ الطريقِ فأخَذوه ، وجاء الوليدُ ، فنَزَل حصنَ البَحْراءِ الذى كان للنُّعمانِ بنِ بَشيرٍ ، وجاءَه رسولُ العباسِ ابنِ الوليدِ : إنى آتيك . وكان مِن أنْصارِه ، فأمَر الوليدُ بإبرازِ سَريرِه ، فجلَس عليه وقال : أعلىَّ يَتَوَثَّبُ الرجالُ ، وأنا أَثِبُ على الأُسْدِ ، وأَتَخَصَّرُ[4] الأَفاعىَ ؟! وقَدِم عبدُ العزيزِ بنُ الوليدِ بمَن معه ، وإنما كان قد خلَص معه مِن الألْفَيْ فارسٍ ثمانُمائةِ فارسٍ ، فتَصافُّوا فاقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا ، فقُتِل مِن أصحابِ العباسِ جَماعةٌ ، حُمِلَت رُءوسُهم إلى الوليدِ ، وقد كان جاء العباسُ بنُ الوليدِ لنصرِ الوليدِ بنِ يَزيدَ ، فبَعَث إليه أخوه عبدُ العزيزِ فجىء به إليه قَهْرًا حتى بايَع لأخيه يزيدَ بنِ الوليدِ ، واجْتَمَعوا

---

(١) فى تاريخ الطبرى أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة .

(٢) هنا وفيما يأتى فى تاريخ الطبرى ، والكامل ٥/ ٢٨٦: « الحجاج » .

(٣) الثَّقَل : المتاع المحمول على الدواب .

(٤) فى الأصل ، ص : « الحصر » ، وفى ا ٢: « الحضر » . وصحة اللفظ : « الخضر » ، وهو لفظ رواية تاريخ دمشق ٩٣١/١٧ مخطوط ، ومختصره ٢٦/ ٣٧٥.

على حربِ الوليدِ بنِ يزيدَ ، فلما رأَى الناسُ اجْتِماعَهم فَرُّوا مِن الوليدِ إليهم ، وبَقِى الوليدُ فى ذُلٍّ وقُلٍّ مِن الناسِ ، فلَجأ إلى الحصنِ ، فجاءُوا إليه ، وأحاطوا به مِن كلِّ جانبٍ يُحاصِرونه ، فدَنا الوليدُ مِن بابِ الحِصْنِ ، فنادَى : لِيُكَلِّمْنى رجلٌ شريفٌ . فكَلَّمه يزيدُ بنُ عَنْبَسةَ السَّكْسَكِىُّ ، فقال الوليدُ : ألم [1]أرْفَعِ المؤُنَ[1] عنكم ؟ ألم أُعْطِ فُقراءَكم ؟ ألم أُخْدِمْ زَمْناكم[2] ؟ فقال له يزيدُ : إنما نَنْقِمُ عليك انْتِهاكَ المحَارِمِ ، وشُرْبَ الخُمورِ ، ونِكاحَ أُمَّهاتِ أولادِ أبيك ، واسْتِخْفافَك بأمْرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ . فقال : حَسْبُك يا أخا السَّكاسِكِ ، فلَعَمْرى لقد أكْثَرْتَ وأغْرَقْتَ ، وإنَّ فيما أحَلَّ اللَّهُ لى لَسَعةً عما ذكَرتَ . ثم قال : أمَا واللَّهِ لئن قَتَلْتُمونى لا [3]يُرْتَقُ فَتْقُكم[3] ، [٢٢٢/٧ظ] ولايُلَمُّ شَعَثُكم ، ولا تَجْتَمِعُ كلمتُكم . ورَجَع إلى الدارِ[4] ، فجلَس ووَضَع بينَ يديه مُصْحَفًا ، فنَشرَه وأقْبَل يَقْرَأُ فيه ، وقال : يومٌ كيومِ عثمانَ . واسْتَسْلَم وتَسَوَّر عليه أولئك الحائطَ ، فكان أولَ مَن نَزَل إليه يزيدُ بنُ عَنْبَسةَ ، فتَقَدَّم إليه وإلى جانبِه سيفُه فقال : نَحِّه عنك . فقال الوليدُ : لو أرَدْتُ القِتالَ به لَكان غيرَ هذا . فأخَذ بيدِه وهو يُرِيدُ أن يَحْبِسَه حتى يَبْعَثَ به إلى يزيدَ بنِ الوليدِ ، فبادَره عليه عشَرةٌ مِن الأُمراءِ ، فأقبَلوا على الوَليدِ يَضْرِبونه على رأسِه ووجْهِه بالسُّيوفِ حتى قَتَلوه ، ثم جَرُّوه برِجْلِه ليُخْرِجوه ، فصاحَتِ النِّسْوةُ ، فتَرَكوه ، واحْتَزَّ أبو عِلاقةَ القُضاعىُّ رأسَه ، [1]وخاطُوا ما كان جُرِح فى وجهِه بعَقَبٍ[1] ، وبَعَثوا به إلى يزيدَ مع

(١ - ١) فى م : « أدفع الموت » .

(٢) فى ا ٢، ب ، م : « نساءكم » ، وفى ص : « زمانكم » .

(٣ - ٣) فى ا ٢، ب : « ترقين فتنتكم » ، وفى م : « ترتقن فتنتكم » .

(٤) فى ا ٢، ب ، م : « القصر » .

عشَرةِ نَفَرٍ، منهم؛ منصورُ بنُ جُمْهورٍ، ورَوْحُ بنُ مُقْبِلٍ، وبِشْرٌ مولى كِنانةَ مِن بنى كَلْبٍ، وعبدُ الرحمنِ المُلَقَّبُ بوجهِ الفَلْسِ، فلمَّا انْتَهَوْا إليه بَشَّروه بقتلِ الوليدِ، وسَلَّموا عليه بالخِلافةِ، فأطْلَق لكلِّ رجلٍ مِن العَشَرةِ عشَرةَ آلافٍ، وقال له رَوْحُ بنُ مُقْبِلٍ: أبْشِرْ يا أميرَ المؤمنين بقتلِ الوليدِ الفاسقِ. فسَجَد شُكْرًا للَّهِ، عزَّ وجلَّ، ورَجَعَت الجيوشُ إلى يزيَد، فكان أولَ مَن أخَذ يدَه للمُبايَعةِ يزيدُ بنُ عَنْبَسةَ السَّكْسَكيُّ، فانْتَزَع يدَه مِن يدِه، وقال: اللهم إن كان هذا رِضًا لك فأَعِنِّى عليه. وكان قد جعَل لمن جاءَه برأسِ الوليدِ مائةَ ألفِ درهمٍ، فلما جِيءَ به، وكان ذلك ليلةَ الجمعةِ، وقيل[2]: يومَ الأربعاءِ. لليلتَيْن بَقِيَتا مِن جُمادَى الآخِرةِ، سنةَ ستٍّ وعشرين ومائةٍ، أمَر يزيدُ بنَصْبِ رأسِه على رُمْحٍ، وأن يُطافَ به فى البلدِ، فقيل له: إنما يُنْصَبُ رأسُ الخارجيِّ. فقال: واللَّهِ لأَنْصِبَنَّه. فشَهَره فى البلدِ على رُمْحٍ، ثم أوْدَعه عندَ رجلٍ شهرًا، ثم بعَث به إلى أخيه سليمانَ بنِ يزيدَ، فقال أخوه: بُعْدًا له، أَشْهَدُ أنك كنتَ شَروبًا للخمرِ ماجِنًا فاسقًا، ولقد أرادنى على نَفْسى الفاسقُ[3]. وقد قيل: إنَّ رأسَه لم يَزلْ مُعَلَّقًا بحائطِ [4]جامعِ دِمشقَ[4] الشرقيِّ، مما يَلى الصَّحْنَ، حتى انقَضَتْ دولةُ بنى أميةَ. وقيل: إنما كان ذلك أثَرَ دمِه. وكان عمرُه يومَ قُتِل

(١ - ١) فى ا ٢، م: «واحتاطوا على ما كان معه مما كان خرج به فى وجهه ذلك، وفى ب: «واحتاطوا على ما كان معه مما كان خرج به فى وجهه بعقب ذلك». والعقب: العصب الذى تُعمَل منه الأوتار. انظر الوسيط (ع ق ب).

(٢) انظر أنساب الأشراف ٩/ ١٨٦، وتاريخ الطبرى ٧/ ٢٧٠.

(٣) بعده فى ا ٢، ب، م: «وأنا أخوه لم يأنف من ذلك».

(٤ - ٤) فى الأصل، ب، ص: «الجامع». والذى فى أنساب الأشراف ٩/١٨٥ أنه نُصب رأسه عند باب الفراديس، وفى تاريخ دمشق ١٧/٩٣٧ مخطوط، أنه دفن خارج باب الفراديس.

ستًّا وثلاثين سنةً[1] . وقيل[1] : ثمانيًا وثلاثين . وقيل : إحْدى[2] - وقيل : ثنتان . وقيل : خمسٌ . وقيل : ستٌّ - وأربعون [٧/٢٢٣و] سنةً . ومدةُ ولايتِه سنةٌ وستةُ أشْهرٍ على الأشْهَرِ[3] . وقيل[4] : وثلاثةُ أشهرٍ .

قال ابنُ جَريرٍ[5] : كان شَديدَ البَطْشِ ، طويلَ أصابعِ الرجلين ، كانتْ تُضْرَبُ له سِكَّةُ الحديدِ فى الأرضِ ، ويُرْبَطُ فيها خيطٌ إلى رجلِه ، ثم يَثِبُ على الفرسِ ، فيَرْكَبُها ، ولا يَمَسُّ الفَرَسَ ، فتَنْقَلِعُ تلك السِّكَّةُ مِن الأرضِ مع وَثْبَتِه .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٢٥٣.

(٢) بعده فى ا ٢، ب ، م : « وثلاثين » .

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٧/٩٣٥ مخطوط .

(٤) انظر المصدر السابق ١٧/ ٩٣٦، وتاريخ الطبرى ٧/ ٢٥٢.

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٥٣.

خِلافةُ يزيدَ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ[1]

وهو المُلَقَّبُ بالناقِصِ ؛ لنَقْصِه الناسَ الزيادةَ التى كان زادهم الوليدُ بنُ يزيدَ فى أَعْطِياتِهم ، وهى عشَرةٌ عشَرةٌ ، ورَدِّه إياهم إلى ما كانوا عليه فى زمنِ هشامٍ . ويقالُ : إنَّ أولَ مَن لَقَّبه بذلك مَرْوانُ بنُ محمدٍ .

بُويِع له بالخِلافةِ بعدَ مَقْتَلِ الوليدِ بنِ يَزيدَ ، وذلك ليلةَ الجمعةِ لليلتَين بَقِيَتا مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ - أعْنِى سنةَ ستٍّ وعشرين ومائةٍ - وكان فيه صَلاحٌ ووَرَعٌ قبلَ ذلك ، فأولُ ما عَمِل انْتِقاصُه مِن أرْزاقِ الجُنْدِ ما كان الوليدُ زادهم ، وذلك فى كلِّ سنةٍ عشَرةٌ عشَرةٌ ، فسُمِّى الناقِصَ لذلك . ويُقالُ فى المثلِ : الأشَجُّ والناقِصُ أعْدَلا بنى مَرْوانَ . يعنى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ وهذا . ولكن لم تَطُلْ أيامُه ، فإنه تُوُفِّى مِن آخِرِ هذه السنةِ ، واضْطَرَبَت عليه الأُمورُ ، وانْتَشَرَت الفِتَنُ ، واخْتَلَفَت كلمةُ بنى مَرْوانَ ، فنَهَض سليمانُ بنُ هشامٍ ، وكان مُعْتَقَلًا فى سجنِ الوليدِ بعَمَّانَ ، فاسْتَحْوَذ على أمْوالِها وحَواصِلِها ، وأقْبَل إلى دِمشقَ ، فجعَل يَلْعَنُ الوَليدَ ويَعِيبُه ويَرْمِيه بالكفرِ ، فأكْرَمه يزيدُ ، ورَدَّ عليه أمْوالَه التى كان أخَذَها منه[2] الوليدُ ، وتَزَوَّج يزيدُ أختَ سليمانَ ، وهى أمُّ هشامٍ بنتُ هشامٍ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٢٦١ - ٢٦٦، والكامل ٥/٢٩١ - ٢٩٤.

(٢) فى م : « من » .

ونَهَض أهلُ حِمْصَ إلى دارِ العباسِ بنِ الوليدِ التى عندَهم فهدَمُوها ، وحَبَسوا أهلَه وبَنِيه ، وهَرَب هو مِن حِمْصَ ، فلَحِق بيزيدَ بنِ الوليدِ إلى دِمشقَ ، وأظْهَر أهلُ حِمْصَ الأَخْذَ بدمِ الوليدِ بنِ يزيدَ ، وأغْلَقوا أبوابَ البلدِ ، وأقاموا النَّوائحَ والبَواكىَ على الوليدِ ، وكاتَبوا الأجْنادَ فى طَلَبِ ثأرِ الوليدِ ، فأجابهم إلى ذلك طائفةٌ كثيرةٌ منهم ، على أن يَكونَ الحَكَمُ بنُ الوليدِ بنِ يَزيدَ الذى أَخَذ له العَهْدَ هو الخَليفةَ ، وخَلَعوا نائبَهم ، وهو مَرْوانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، ثم قَتَلوه وقَتَلوا ابنَه ، وأَمَّروا عليهم مُعاويةَ بنَ يزيدَ بنِ حُصَيْنٍ ، فلما انْتَهَى خبرُهم إلى يزيدَ بنِ الوليدِ [٧/٢٢٣ظ] كتَب إليهم كتابًا مع يَعقوبَ بنِ هانئٍ ، ومَضْمونُ الكِتابِ أنه يَدْعو إلى أن يَكونَ الأمْرُ شُورَى ، فقال عمرُو بنُ قيسٍ : فإذا كان الأمْرُ كذلك فقد رَضِينا بوليِّ عَهْدِنا الحكَمِ بنِ الوليدِ . فأخَذ يعقوبُ بلحيتِه وقال : ويحَك ! لو كان هذا الذى تَدْعُو إليه يتيمًا تحتَ حِجْرِك لم يَحِلَّ لك أن تَدْفَعَ إليه مالَه ، فكيف أمْرُ الأُمَّةِ . فوَثَب أهلُ حِمْصَ على رُسلِ يزيدَ بنِ الوليدِ فطَرَدوهم عنهم ، وأخْرَجوهم مِن بينِ أظْهُرِهم ، وقال لهم أبو محمدٍ السُّفْيانىُّ : لو قد قَدِمْتُ دِمشقَ لم يَخْتَلِفْ علىَّ منهم اثنان . فرَكِبوا معه ، وساروا نحوَ دِمشقَ ، وقد أَمَّروا عليهم السُّفْيانىَّ ، فتَلَقَّاهم سليمانُ بنُ هشامٍ فى جيشٍ كثيفٍ قد جَهَّزهم يَزيدُ بنُ الوليدِ ، وجهَّز أيضًا عبدَ العزيزِ بنَ الحَجّاجِ[1] فى ثلاثةِ آلافٍ يَكونون عندَ ثَنِيَّةِ العُقابِ ، وجَهَّز هشامَ بنَ مَصادٍ المِزِّىَّ فى ألفٍ وخمسِمائةٍ لِيَكُونوا على عَقَبةِ السَّلَمْيَةِ[2] ، فمَرَّ أهلُ حِمْصَ ، وتَرَكوا جيشَ سليمانَ بنِ هشامٍ ذاتَ اليَسارِ

---

(١) فى النسخ : « الوليد » . والمثبت من أنساب الأشراف ٩/ ١٩٥، وتاريخ الطبرى ٧/ ٢٦٤، والكامل ٥/ ٢٩٣.

(٢) فى الأصل، ٢١، ب، ص : « السليمة »، وفى تاريخ الطبرى : « السلامة »، وفى الكامل :=

وعَدُّوه ، فلمَّا سَمِع بهم سليمانُ ساق فى طَلَبِهم ، فلَحِقَهم عندَ السُّلَيمانيةِ ، فجعَلوا الزَّيْتونَ عن أيمانِهم والجبلَ عن شَمائلِهم والجِبابَ[1] مِن خلفِهم ، ولم يَبْقَ مَخْلَصٌ إليهم إلَّا مِن جهةٍ واحدةٍ ، فاقْتَتَلوا هنالك فى قَيّالةِ[2] الحَرِّ قِتالًا شديدًا ، فقُتِل طائفةٌ كثيرةٌ مِن الفريقَيْن ، فبينما هم كذلك إذ جاء عبدُ العزيزِ بنُ الحَجّاجِ بمَن معه ، فحَمَل على أهلِ حِمْصَ ، فاخْتَرَق جيشَهم ، حتى رَكِب التَّلَّ الذى فى وَسَطِهم ، وكانتِ الهَزيمةُ ، فتَفَرَّقوا واتَّبَعهم الناسُ ، ثم تَنادَوْا بالكَفِّ عنهم على أن يُبايِعوا ليزيدَ بنِ الوليدِ ، وأسَروا منهم جَماعةً ، منهم أبو محمدٍ السُّفْيانىُّ ويزيدُ بنُ خالدِ [3]بنِ يزيدَ[3] بنِ مُعاويةَ ، ثم ارْتَحل سليمانُ وعبدُ العزيزِ ، فنَزَلا عَذْراءَ ومعهم الجُيوشُ وأشْرافُ الناسِ ، وأشْرافُ أهلِ حِمْصَ مِن الأُسارَى ، ومَن اسْتَجاب مِن غيرِ أسْرٍ ، بعدَ ما قُتِل منهم ثلاثُمائةِ نَفْسٍ ، فدَخَلوا بهم على يَزيدَ بنِ الوليدِ ، فأقْبَل عليهم ، وأحْسَن إليهم ، وصَفَح عنهم ، وأطْلَق الأَعْطِياتِ لهم ، لاسيَّما لأشْرافِهم ، ووَلَّى عليهم الذى اخْتاروه ، وهو مُعاويةُ بنُ يزيدَ بنِ الحُصَيْنِ ، وطابَتْ عليه أنفسُهم ، وأقاموا عندَه بدِمشقَ سامِعِين له مُطِيعين .

وفى هذه السنةِ[4] بايَعَ أهلُ فِلَسْطِينَ يزيدَ بنَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، وذلك أن بنى سليمانَ كانتْ لهم أمْلاكٌ هناك ، وكانوا يَنْزِلونها[5] ، [٧/٢٢٤و] وكان

= « السلامية » . قال فى معجم البلدان ٣/ ١٢٣: بليدة فى ناحية البرِّيَّة من أعمال حماة ، بينهما مسيرة يومين ، وكانت تُعَدُّ من أعمال حمص ، ولا يعرفها أهل الشام إلا بسَلَمِيَّةَ .

(١) الجباب : جمع جُبّ ، وهو البئر .

(٢) فى م : « قبالة » . قال الزبيدى : القيالة : القائلة ، مصرية . تاج العروس (ق ى ل) .

(٣ - ٣) سقط من : ا٢، ب ، م ، ص .

(٤) تاريخ الطبرى ٧/٢٦٦ - ٢٦٩.

(٥) فى الأصل : « يبذلونها » ، وفى م : « يتركونها يبذلونها لهم » .

أهْلُ فِلَسْطِينَ يُحِبُّون مُجاوَرتَهم ، فلمَّا قُتِل الوليدُ بنُ يَزيدَ كتَب سعيدُ بنُ رَوْحِ ابنِ زِنْباعٍ - وكان رئيسَ تلك الناحيةِ - إلى يزيدَ بنِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ يَدْعوه[1] إلى المُبايَعةِ له ، فأجابه[2] إلى ذلك ، فلمَّا بَلَغ أهلَ الأُرْدُنِّ خبرُهم بايَعوا أيضًا محمدَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وأَمَّروه عليهم ، فلمَّا انْتَهَى خبرُهم إلى يزيدَ ابنِ الوليدِ أميرِ المؤمنين ، بَعَث إليهم الجيوشَ مع سليمانَ بنِ هشامٍ فى الدَّماشِقَةِ وأهْلِ حِمْصَ الذين كانوا مع السُّفْيانىِّ ، فصالَحهم أهلُ الأُرْدُنِّ أولًا ورَجَعوا إلى الطاعةِ ، وكذلك أهلُ فِلَسْطِينَ ، وكتَب يزيدُ بنُ الوليدِ وِلايةَ الإمْرةِ بالرَّمْلَةِ وتلك النواحى لأخيه إبراهيمَ بنِ الوليدِ ، واسْتَقَرَّت المَمالِكُ هنالك ، وقد خَطَب أميرُ المؤمنين يزيدُ بنُ الوليدِ الناسَ بدِمشقَ ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : أمَّا بعدُ ، أيُّها الناسُ ، أنا[3] واللَّهِ ما خَرَجْتُ أَشَرًا ولا بَطَرًا ، ولا حِرْصًا على الدنيا ، ولا رَغْبَةً فى المُلْكِ ، وما بى إطْراءُ نَفْسى ، إنى لَظَلومٌ لنَفْسى إن لم يَرْحَمْنى ربى ، ولكنِّى خَرَجْتُ غَضَبًا للَّهِ ولرسولِه ولدِينِه ، وداعيًا إلى اللَّهِ وكتابِه وسنةِ نبيِّه ﷺ ، لَمَّا هُدِمَتْ مَعالمُ الدِّينِ ، وأُطْفِئَ نورُ أهْلِ التَّقْوى ، وظَهَر الجبارُ العَنيدُ ، المُسْتَحِلُّ لكلِّ حُرْمةٍ ، والراكبُ كلَّ بِدْعةٍ ، مع أنَّه واللَّهِ ما كان يُصَدِّقُ بالكِتابِ ، ولا يُؤْمِنُ بيومِ الحِسابِ ، وإنه لَابنُ عمى فى النَّسَبِ ، وكُفْئى فى الحَسَبِ ، فلما رأيْتُ ذلك اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فى أمْرِه ، وسأَلْتُه أن لا يَكِلَنى إلى نَفْسى ، ودَعَوْتُ إلى ذلك مَن أجابنى مِن أهلِ وِلايتى ، وسَعَيْتُ فيه حتى أراح اللَّهُ منه العِبادَ والبِلادَ ، بحَوْلِ اللَّهِ وقوتِه ، لا بحَوْلى وقُوَّتِى ، أيُّها الناسُ ، إن لكم

---

(١) فى ا ٢، ب ، م : « يدعوهم » .
(٢) فى الأصل ، ا ٢، ب ، م : « فأجابوه » .
(٣) فى ا ٢، ب ، م : « أما » .

عليَّ أن لا أَضَعَ حَجَرًا على حَجَرٍ، ولا لَبِنةً على لَبِنةٍ، ولا أَكْرِىَ نهرًا[1]، ولا أُكَثِّرَ مالًا، ولا أُعْطِيَه زوجةً ولا وَلَدًا، ولا أَنْقُلَ مالًا مِن بلدٍ إلى بلدٍ حتى أَسُدَّ ثَغْرَ ذلك البلدِ، وخَصاصةَ أهلِه بما يُعِينُهم، فإن فَضَل فَضْلٌ نَقَلْتُه إلى البلدِ الذى يَلِيه مِمَّن هو أحْوَجُ إليه، ولا أُجَمِّرَكم[2] فى ثُغورِكم فأَفْتِنَكم وأَفْتِنَ أهْلِيكم، ولا أُغْلِقَ بابى دونَكم فيَأْكُلَ قَوِيُّكم ضعيفَكم، ولا أَحْمِلَ على أهلِ جِزْيتِكم ما يُجْلِيهم عن بلادِهم ويَقْطَعُ نسلَهم[3]، وإن لكم عندى أَعْطِياتِكم فى كلِّ سنةٍ، وأرْزاقَكم فى كلِّ شهرٍ، حتى تَسْتَدِرَّ المَعيشةُ [٧/٢٢٤ظ] بينَ المسلمين، فيَكونَ أقْصاهم كأدْناهم، فإن أنا وَفَيْتُ لكم بما قلتُ، فعليكم السمعُ والطاعةُ وحُسْنُ المُؤازَرةِ، وإن أنا لم أَفِ لكم، فلكم أن تَخْلَعونى إلَّا أن تَسْتَتِيبونى، فإن تُبْتُ قَبِلْتم منى، وإن عَلِمْتُم أحدًا مِن أهلِ الصَّلاحِ يُعْطِيكم مِن نَفْسِه مثلَ ما أعْطَيْتُكم، فأرَدْتُم أن تُبايِعوه، فأنا أولُ مَن يُبايِعُه ويَدْخُلُ فى طاعتِه، أيُّها الناسُ، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ فى مَعْصيةِ الخالقِ[4]، إنما الطاعةُ طاعةُ اللَّهِ، [5]فمَن أطاع اللَّهَ[5] فأَطِيعوه بطاعةِ اللَّهِ ما أطاع، فإذا عَصَى فدَعا إلى مَعْصِيَتِه فهو أهلٌ أن يُعْصَى ويُقْتَلَ، أقولُ قَوْلى هذا، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لى ولكم.

وفى هذه السنةِ[6] عزَل يَزيدُ بنُ الوليدِ يوسُفَ بنَ عمرَ عن إمْرةِ العراقِ؛ لِمَا ظهَر منه مِن الحَنَقِ على اليمَانيَةِ، وهم قومُ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىِّ، حينَ قُتِل

---

(١) كَرَى النهرَ: استحدث حفرَه. اللسان والتاج (ك ر ى).

(٢) أجمركم: أجمعكم فى الثُّغُور وأحبسكم عن العودة إلى أهليكم. انظر الوسيط (ج م ر).

(٣) فى م: «سبلهم».

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى: «ولا وفاء له بنقض عهد».

(٥ - ٥) ليس فى تاريخ الطبرى.

(٦) تاريخ الطبرى ٧/٢٧٠ - ٢٩٨، والكامل ٥/٢٩٥ - ٣١٠.

الوليدُ بنُ يزيدَ ، وكان قد سجَن غالبَ مَن ببلادِه منهم ، وجعَل الأرْصادَ على الثُّغورِ ؛ خوفًا مِن جُنْدِ الخَليفةِ ، فعزَله عنها أميرُ المؤمنين يزيدُ بنُ الوليدِ ، ووَلَّى عليها مَنْصورَ بنَ جُمْهورٍ مع بلادِ السِّنْدِ وسِجِسْتانَ وخُراسانَ ، وقد كان مَنْصورُ ابنُ جُمْهورٍ أعْرابيًّا جِلْفًا ، وكان يُزَنُّ[1] بمذهبِ الغَيْلانِيَّةِ القَدَرِيَّةِ ، ولكن كانتْ له آثارٌ حَسَنةٌ ، وغَناءٌ كثيرٌ فى مَقْتَلِ الوليدِ بنِ يزيدَ ، فحَظِى بذلك عندَ يزيدَ بنِ الوليدِ .ويُقالُ : إنه لما فرَغ الناسُ مِن مَقْتَلِ الوليدِ ذهَب مِن فَوْرِه إلى العراقِ ، فأخَذ البَيْعةَ مِن أهلِها ليَزيدَ ، وقرَّر بالأقاليمِ نُوَّابًا وعُمَّالًا ، وكَرَّ راجِعًا فى أواخرِ رَمضانَ ؛ فلذلك وَلَّاه الخليفةُ ما ولَّاه . واللَّهُ أعلمُ .

وأما يوسُفُ بنُ عمرَ فإنه فرَّ مِن العراقِ ، فلَحِق ببلادِ البَلْقاءِ ، فبعَث إليه أميرُ المؤمنين يَزيدُ ، فأحْضَروه إليه ، فلما وقَف بينَ يديه أخَذ بلحيتِه - وكان كبيرَ اللِّحْيةِ جدًّا ، ربما كانتْ تُجاوِزُ سُرَّتَه ، وكان قصيرَ القامةِ - فوَبَّخه وأنَّبه ، ثم سجَنه ، وأمَر باسْتِخلاصِ الحُقُوقِ منه ، ولما انْتَهَى منصورُ بنُ جُمْهورٍ إلى العراقِ قرَأ عليهم كتابَ أميرِ المؤمنين إليهم فى كيفيةِ مَقْتَلِ الوليدِ ، وأنَّ اللَّهَ أخَذَه أخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ ، وأنه قد ولَّى عليهم منصورَ بنَ جُمْهورٍ ؛ لِما يَعْلَمُ مِن شَجاعتِه ومَعْرفتِه بالحَرْبِ ، فبايَع أهلُ العراقِ ليزيدَ بنِ الوليدِ ، [٧/٢٢٥و] وكذلك أهلُ السِّنْدِ وسِجِسْتانَ .

وأما نصرُ بنُ سَيَّارٍ نائبُ خُراسانَ فإنه امْتَنع مِن السَّمْعِ والطاعةِ لمنصورِ بنِ جُمْهورٍ ، وأَبَى أن يَنْقادَ لأوامِرِه ، وقد كان جَهَّز هَدايا كثيرةً للوليدِ بنِ يزيدَ ، فاسْتَمَرَّت له .

---

(١) فى ا ٢، ب ، م : « يدين » . ويزن : يُتَّهَم . اللسان (ز ن ن) .

وفى هذه السنةِ كتَب مَرْوانُ بنُ محمدٍ المُلَقَّبُ بالحِمارِ كتابًا إلى العَمْرِ بنِ يزيدَ أخى الوليدِ بنِ يزيدَ ، يَحُثُّه على القِيامِ بطلبِ دمِ أخيه الوليدِ ، وكان مَرْوانُ يومَئذٍ أميرًا على أَذْرَبيجانَ وأَرْمِينيَةَ .

ثم إن يزيدَ بنَ الوليدِ عزَل منصورَ بنَ جُمْهورٍ عن وِلايةِ العراقِ ، ووَلَّى عليها عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقال له : إن أهلَ العراقِ يُحِبُّون أباك فقد وَلَّيتُكها . وذلك فى شَوَّالٍ منها ، وكتَب له إلى أُمراءِ الشامِ الذين بالعراقِ يُوصِيهم به ؛ خَشْيةَ أن يَمْتَنِعَ منصورُ بنُ جُمْهورٍ مِن تَسْليمِ البلادِ إليه ، فسلَّم إليه ، وسمِع وأطاع .

وكتَب الخَليفةُ إلى نصرِ بنِ سَيَّارٍ بوِلايةِ خُراسانَ مُسْتَقِلًّا بها ، فخرَج عليه رجلٌ يُقالُ له : الكَرْمانىُّ . لأنه وُلِد بكَرْمانَ ، وهو أبو علىٍّ جُدَيعُ بنُ علىِّ بنِ شَبيبٍ المَعْنىُّ ، واتَّبَعه خَلْقٌ كثيرٌ بحيث إنه كان يَشْهَدُ الجُمُعةَ فى نحوٍ مِن ألفٍ وخمسِمائةٍ ، وكان يُسَلِّمُ على نصرِ بنِ سَيَّارٍ ، ولا يَجْلِسُ عندَه ، فتَحَيَّر نصرُ بنُ سَيَّارٍ وأُمراؤُه فيما يَصْنَعُ به ، فاتَّفَق رأيُهم بعدَ جَهْدٍ على سَجْنِه ، فسُجِن قريبًا مِن شهرٍ ، ثم أطْلَقه[1] ، فاجْتَمَع إليه ناسٌ كثيرٌ ، وجَمٌّ غَفِيرٌ ، ورَكِبوا معه ، فبعَث إليهم نصرٌ مَن قاتَلهم وقهَرهم وكسَرهم .

واسْتَخَفَّ جَماعاتٌ مِن أهلِ خُراسانَ بنصرِ بنِ سَيَّارٍ ، وتَلاشَوْا أمْرَه وحُرْمتَه ، وأَلَحُّوا عليه فى أَعْطِياتِهم ، وأَسْمَعوه غَليظَ ما يَكْرَهُ وهو على المِنْبرِ ، بسِفارةِ سَلْمِ بنِ أحْوزَ ، أدَّى ذلك إليه ، وخرَجَت الباعةُ مِن المسجدِ الجامعِ وهو يَخْطُبُ ، وانْفَضَّ كثيرٌ مِن الناسِ عنه ، فقال لهم نصرٌ فيما قال : واللَّهِ لقد

---

(١) الذى فى تاريخ الطبرى ٧/ ٢٨٩، والكامل ٥/ ٣٠٥، أن نصرا لم يطلقه ، بل هرب من السجن .

نَشَرْتُكم وطَوَيْتُكم ، وطَوَيْتُكم ونَشَرْتُكم ، فما عندى منكم عشَرةٌ على دينٍ ، فاتَّقُوا اللَّهَ ، فواللَّهِ لئن اخْتَلَف فيكم سيفانِ لَيَتَمَنَّيَنَّ الرجلُ منكم أن يَنْخَلِعَ مِن أهلِه ومالِه وولدِه ولم يَكُنْ رآها . ثم تَمَثَّل بقولِ النابغةِ[1] :

فإن يَغْلِبْ شقاؤُكمُ عليكمْ ... فإنى فى صَلاحِكمُ سَعَيْتُ

وقال الحارثُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحَشْرَجِ بنِ [2]المُغِيرةِ بنِ الوَرْدِ[2] الجَعْدىُّ :

[٧/٢٢٥ظ] أَبِيتُ أَرْعَى النُّجومَ مُرْتَفِقًا[3] ... إذا اسْتَقَلَّت[4] تَجْرى[5] أَوائلُها

مِن فِتْنةٍ أَصْبَحَت مُجَلِّلَةً ... قد عَمَّ أهلَ الصَّلاةِ شاملُها

مَن بخُراسانَ والعراقِ ومَن ... بالشامِ كلٌّ شَجاهُ شاغِلُها

فالناسُ منها فى لونِ مُظْلِمةٍ ... دَهْماءَ مُلْتَجَّةٍ غَياطِلُها[6]

يُمْسِى السَّفِيهُ الذى يُعَنَّفُ بالْـ ... ـجَهْلِ سَواءً فيها وعاقِلُها

والناسُ فى كُرْبةٍ يَكادُ لها ... تَنْبِذُ أوْلادَها حَوامِلُها

يَغْدُون منها فى ظِلِّ مُبْهَمةٍ ... عَمْياءَ تَغْتالُهم غَوائلُها

لا يَنْظُرُ الناسُ مِن عَواقِبِها ... إلا التى لا يَبِينُ قائلُها

كرَغْوةِ البَكْرِ أو كصَيْحةِ حُبْـ ... ـلَى طرَقَت حولَها قَوابلُها

فجاء فينا يَزْرِى بوِجهتِه ... فيها خُطُوبٌ جَمٌّ[7] زَلازِلُها

---

(١) ديوان النابغة ص ١٧٤.

(٢ - ٢) فى النسخ : « الورد بن المغيرة » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) مرتفقا : متكئا على مِرْفَق يده . اللسان (ر ف ق) .

(٤) استقلت : ارتفعت . اللسان (ق ل ل) .

(٥) فى الأصل ، ب : « بجوى » ، وفى ا ٢ ، م : « نحوى » ، وفى ص : « تحوى » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٦) الغياطل : جمع غيطلة ، وهى الظُّلْمة المتراكمة . اللسان (غ ط ل) .

(٧) فى م ، وتاريخ الطبرى : « حمر » .

وفى هذه السنةِ أخَذ الخَليفةُ البَيْعةَ مِن الأُمراءِ وغيرِهم بولايةِ العَهْدِ مِن بعدِه لأخيه إبراهيمَ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم مِن بعدِ إبراهيمَ لعبدِ العزيزِ بنِ الحَجَّاجِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وذلك بسببِ مرضِه الذى مات فيه ، وكان ذلك فى شهرِ ذى الحِجَّةِ منها ، وقد حَرَّضه على ذلك جَماعةٌ مِن الأُمراءِ والأَكابرِ والوزراءِ .

وفيها عزَل يَزيدُ عن إمْرةِ الحِجازِ يوسُفَ بنَ محمدٍ الثَّقفىَّ ، ووَلَّى عليها عبدَ العزيزِ بنَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقَدِمها فى أواخِرِ ذى القَعْدةِ منها .

وفيها أظْهَر مَرْوانُ الحِمارُ الخِلافَ ليزيدَ بنِ الوليدِ ، وخرَج مِن بلادِ أرْمِينِيَةَ يُظْهِرُ أنه طالبٌ بدمِ الوليدِ بنِ يَزيدَ ، فلما وصَل إلى حَرَّانَ أظْهَر المُوافَقةَ ، وبايَع لأميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ الوليدِ .

وفيها أرْسَل إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ أبا هاشمٍ بُكَيْرَ ابنَ ماهانَ إلى أرضِ خُراسانَ ، فاجْتَمَع بجَماعةٍ مِن أهلِ خراسانَ بمَرْوَ ، فقرَأ عليهم كتابَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الإمامِ إليهم ووَصِيتَه ، فتَلَقَّوْا ذلك بالقَبولِ ، وأرْسَلوا معه ما كان عندَهم مِن النَّفَقاتِ .

وفى سَلْخِ ذى القَعْدةِ ، وقيل : فى سَلْخِ ذى الحِجَّةِ . وقيل : لعشْرٍ مَضَيْن منه . وقيل : بعدَ الأضْحَى [٢٢٦/٧ و] منها . كانت وَفاةُ أميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ الوليدِ ، رحِمَه اللَّهُ ، وهذه ترجمتُه :

هو يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيةَ ابنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ ، أبو خالدٍ الأُمَوىُّ ، أميرُ المؤمنين[1] ،

---

(١) تاريخ خليفة ٢/ ٥٥٧، وأنساب الأشراف ٩/ ١٨٩ - ١٩٧، والعقد الفريد ٤/ ٤٦٦، والمنتظم ٧/ ٢٥٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٤ - ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣١١ - ٣١٣.

بُويِع له بالخلافةِ أوَّلَ ما بُويِع بها فى قَريةِ المِزَّةِ ، ثم دخَل دمشقَ فغَلَب عليها ، ثم أرْسَل الجُيوشَ إلى ابنِ عمِّه الوليدِ بنِ يزيدَ فقتَله ، واسْتَحْوَذ على الخِلافةِ فى أواخِرِ جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، وكان يُلَقَّبُ بالناقِصِ ؛ لنَقْصِه الناسَ العَشَراتِ التى زادهم إياها الوليدُ بنُ يزيدَ ، وقيل : إنما سَمَّاه بذلك مَرْوانُ بنُ محمدٍ الملقَّبُ بالحمارِ . فكان يَقولُ : الناقِصُ بنُ الوليدِ . وأُمُّه شاهفرند بنتُ فَيْروزَ[1] بنِ كِسْرَى ، كِسْرَويَّةٌ .

وقال ابنُ جريرٍ[2] : وأمُّه شاه آفْريد بنتُ فيروزَ بنِ يَزْدَجِرْدَ بنِ شهرِيارَ بنِ كِسْرَى . وهو القائلُ :

أنا ابنُ كِسْرَى وأبى مَرْوانْ وقَيْصَرٌ جَدِّى وجَدٌّ خاقانْ

وإنما قال ذلك لأن جَدَّه فَيْروزُ ، وأُمَّ أُمِّه بنتُ قَيْصرَ ، وأُمُّ شِيرَوَيْهِ ، هى بنتُ خاقانَ ملكِ التُّرْكِ ، وكانت قد سَباها قُتَيْبةُ بنُ مسلمٍ ، هى وأختًا لها ، فبَعَثهما إلى الحَجَّاجِ ، فأرْسَل بهذه إلى الوليدِ ، واسْتَبْقَى عندَه الأخرى . فوَلَدَت هذه للوليدِ يزيدَ الناقصَ ، وكان مَوْلِدُه فى سنةِ تسعين ، وقيل : فى سنةِ ستٍّ وتسعين .

وقد روَى عنه الأوزاعىُّ مسألةً فى السَّلَمِ .

وقد ذَكَرْنا كَيفيةَ وِلايتِه فيما سلَف فى هذه السنةِ ، وأنه كان عادلًا دَيِّنًا ، مُحِبًّا للخيرِ ، مُبْغِضًا للشرِّ ، قاصِدًا للحقِّ .

وقد خرَج يومَ عيدِ الفِطْرِ مِن هذه السنةِ إلى صلاةِ العيدِ بينَ صفَّيْنِ مِن الخَيَّالةِ ، والسيوفُ مُسَلَّةٌ عن يمينِه وشمالِه ، ورَجَع مِن المُصَلَّى إلى الخَضْراءِ

---

(١) بعده فى ا ٢، ب ، م : « بن يزدجرد بن شهريار » .
(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٩٨.

كذلك ، وكان رجلًا صالحًا ، يقالُ فى المَثَلِ : الأَشَجُّ والناقصُ أعْدَلا بنى مَرْوانَ . والمرادُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ وهذا .

وقد قال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ محمدٍ المَرْوَزِىُّ ، عن أبى عثمانَ اللَّيْثِىِّ قال : قال يزيدُ بنُ الوليدِ الناقصُ : يا بنى أُميةَ ، إياكم والغِناءَ فإنه يَنْقُصُ الحَياءَ ، ويَزِيدُ فى الشَّهْوةِ ، ويَهْدِمُ المُروءةَ ، وإنه لَيَنوبُ عن الخَمْرِ ، ويَفْعَلُ ما يَفْعَلُ المُسْكِرُ ، فإن كنتم لابد فاعِلين فجَنِّبوه النِّساءَ فإنَّ الغناءَ داعيةُ الزِّنَى .

وقال ابنُ عبدِ الحكَمِ[1] ، عن الشافعىِّ : لما وَلِى يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ابنِ مَرْوانَ ، الذى يُقالُ له : الناقصُ . دَعا الناسَ إلى القَدَرِ ، وحَمَلهم عليه ، وقَرَّب غَيْلانَ . قال ابنُ عساكرَ : ولعله قَرَّب أصحابَ غَيْلانَ ؛ لأن غَيْلانَ قتله هشامُ بنُ عبدِ الملكِ .

وقال محمدُ بنُ المُبارِكِ[1] : آخِرُ ما تَكَلَّم به يزيدُ بنُ الوليدِ الناقصُ : واحَسْرتاه ! واأَسَفاه . وكان نَقْشُ خاتَمِه : العَظَمةُ للَّهِ .

وكانتْ وفاته بالخَضْراءِ مِن طاعونٍ أصابه ، وذلك يومَ السبتِ لسبعٍ مَضَيْن مِن ذى الحِجَّةِ ، وقيل : فى مُسْتَهَلِّهِ . وقيل : يومَ الأَضْحَى منه . وقيل : بعدَه بأيامٍ . وقيل : لعشرٍ بَقِين منه . وقيل : فى سلخِه . وقيل : فى سَلْخِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ . وأكثرُ ما قيل فى عُمرِه ستٌّ وأربعون سنةً . وقيل : ثلاثون سنةً . وقيل غيرُ ذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

وكانت مدةُ وِلايتِه ستةَ أشْهرٍ على الأشْهرِ . وقيل : خمسةُ أشهرٍ وأيامٌ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٦.

وصَلَّى عليه أخوه إبراهيمُ بنُ الوليدِ ، وهو وَلِيُّ عهدِه مِن بعدِه ، رَحِمه اللَّهُ .

وذكَر سعيدُ بنُ كَثيرِ بنِ عُفَيْرٍ[1] ، أنه دُفِن [2] بينَ بابِ الجابيةِ وبابِ الصغيرِ ، وقيل : إنه دُفِن [2] ببابِ الفَرادِيسِ . وكان أسْمرَ نَحيفًا ، حَسَنَ الجسمِ ، حَسَنَ الوجهِ .

وقال عليُّ بنُ محمدٍ المَدائنيُّ[3] : كان يزيدُ أسْمرَ طَويلًا ، صغيرَ الرأسِ ، بوجهِه خالٌ ، وكان جَميلًا ، فى فمِه بعضُ السَّعَةِ ، وليس بالمُفْرِطِ .

وحَجَّ بالناسِ عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وهو نائبُ الحِجازِ ، وأخوه عبدُ اللَّهِ نائبُ العراقِ ، ونصرُ بنُ سَيَّارٍ على نِيابةِ خُراسانَ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وممَّن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ : خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ بنِ أسدِ ابنِ كُرْزِ بنِ عامرِ بنِ عَبْقَرِىٍّ ، أبو الهَيْثَمِ البَجَلِىُّ القَسْرِىُّ الدِّمشقِىُّ[4] ، أميرُ مكةَ والحجازِ للوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم لأخيه سُلَيْمانَ ، وأميرُ العِراقَيْن لأخيهما هشامٍ خمسَ عشْرةَ سنةً .

قال ابنُ عَساكرَ[5] : كانتْ دارُه بدِمشقَ فى مُرَبَّعةِ القَزِّ ، وتُعْرَفُ اليومَ بدارِ الشَّريفِ الزَّيدىِّ[6] ، وإليه يُنْسَبُ الحَمَّامُ الذى داخلَ بابِ تُومَاءَ .

---

(١) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣١٣.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٩٨.

(٤) تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٢٦، وتهذيب الكمال ٨/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠)ص ٨٢.

(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٥.

(٦) فى الأصل، ب : «البريدى»، وفى م، ص : «اليزيدى». والمثبت من تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال. وانظر الدارس ١/ ٥٦٠، ٢/ ٣٢٣.

رَوَى[1] عن أبيه ، عن جَدِّه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : « يا أسدُ ، أتُحِبُّ الجنةَ ؟ » قال : نعم . قال : « فأَحِبَّ للمسلمين ما تُحِبُّ لنفسِك » . رَواه أبو يَعْلَى[2] ، عن عثمانَ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن هُشَيمٍ ، عن سَيَّارٍ أبى الحكَمِ ، أنه سَمِعه على المِنْبرِ يَقولُ ذلك .

وممَّن[3] رَوَى عنه إسماعيلُ بنُ أوْسطَ ، وإسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، وحَبيبُ بنُ أبى حَبيبٍ ، وحُمَيْدٌ الطَّويلُ .

ورُوِىَ[4] عنه أنه رَوَى عن جَدِّه ، عن النبىِّ ﷺ فى تَكْفيرِ المرضِ الذُّنوبَ .

وكانتْ أمُّه نَصْرانيةً ، وذَكَره أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ فى الأشْرافِ ، ممَّن أُمُّه نَصْرانيةٌ[5] .

وقال المَدائنىُّ[6] : أولُ ما عُرِف مِن رِياستِه أنه أوْطأ صبيًّا[7] بدِمشقَ بفرسِه ، فحمَله فأشْهَد طائفةً مِن الناسِ أنه هو صاحبُه ، فإن مات فعليه دِيَتُه . وقد اسْتَنابه[8] الوليدُ على الحِجازِ سنةَ تسعٍ وثمانين إلى أن تُوُفِّىَ ، ثم اسْتَنابَه سليمانُ عليها ، وفى سنةِ ستٍّ ومائةٍ اسْتَنابه هشامٌ على العراقِ إلى سنةِ عشرين ومائةٍ ، ثم

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) مسند أبى يعلى (٩١١) بنحوه . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٥، من طريق أبى يعلى به .

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٥.

(٤) المصدر السابق ١٦/ ١٣٦.

(٥) المصدر السابق ١٦/ ١٤٠.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٨.

(٧) فى الأصل ، ب : « ذميًّا » .

(٨) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٥٤ - ٢٦١، وتاريخ دمشق ١٦/ ١٣٨، ١٣٩.

سَلَّمه إلى يوسفَ بنِ عمرَ الذىوَلَّاه مَكانَه ، فعاقَبه وأخذَ منه أمْوالًا جزيلةً ثم أطْلَقه ، فأقام بدِمشقَ إلى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، فسَلَّمه الوَليدُ إلى يوسُفَ بنِ عمرَ ليسْتَخْلِصَ منه خمسين ألفَ ألفٍ ، فمات تحتَ العُقوبةِ البَلِيغةِ ؛ كسَر قدمَيْه ، ثم ساقَيْه ، ثم فَخِذيه ، ثم صَدْرَه ، فمات ولم يتكلَّمْ كلمةً واحدةً ، ولا تَأَوَّه حتى خَرَجَت رُوحُه ، رَحِمه اللَّهُ .

قال العُتْبىُّ[1] عن أبيه : خطَب خالدٌ القَسْرىُّ يومًا ، فأُرْتِجَ عليه[2] ، فقال : أيُّها الناسُ ، إن هذا الكلامَ يَجِيءُ أحيانًا ، ويَعْزُبُ أحيانًا ، فيَتَسَبَّبُ عندَ مَجيئِه سببُه ، ويَتَعَذَّرُ عندَ عُزوبِه مَطْلَبُه ، وقد يُرَدُّ إلى السَّليطِ بيانُه ، ويُنيبُ إلى الحَصِرِ كلامُه ، وسيَعودُ إلينا ما تُحِبُّون ، ونَعودُ لكم كما تُرِيدون .

[٢/٨و] وقال الأصْمَعىُّ وغيرُه[3] : خطَب خالدٌ القَسْرىُّ يومًا بواسِطٍ ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، تَنافَسوا فى المكارِمِ ، وسارِعوا إلى المَغانِمِ ، واشْتَرُوا الحَمْدَ بالجُودِ ، ولا تَكْتَسِبوا بالمَطْلِ ذَمًّا ، ولا تَعْتَدُّوا بمَعْروفٍ لم تُعَجِّلوه ، ومهما يَكُنْ لأحدٍ منكم نِعْمةٌ عندَ أحدٍ لم يَبْلُغْ شُكْرَها ، فاللَّهُ أحْسنُ له جزاءً ، وأجْزَلُ عَطاءً ، واعْلَموا أن حَوائجَ الناسِ إليكم نِعَمٌ فلا تَمَلُّوها فتُحَوَّلَ نِقَمًا ، فإن أفضلَ المالِ ما أكْسَبَ أجرًا وأوْرَث ذِكْرًا ، ولو رأيْتُم المعروفَ لرأيْتُموه رجلًا حَسَنًا جَميلًا يَسُرُّ الناظرين ، ويَفُوقُ العالَمِين ، ولو رأيْتمُ البُخْلَ لرأيْتُموه رجلًا مُشَوَّهًا قَبيحًا تَنْفِرُ منه القُلوبُ ، وتُغَضُّ دونَه الأبْصارُ ، إنه مَن جاد ساد ، ومَن بَخِل ذَلَّ ، وأكْرَمُ الناسِ مَن أعْطَى مَن لا يَرْجُوه ، ومَن عَفا عن قُدْرةٍ ، وأوْصلُ الناسِ مَن وَصَل مَنْ قَطعه ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٤١، من طريق العتبى به .
(٢) أُرْتِج عليه : اشتُغِلق عليه الكلام . اللسان (ر ت ج) .
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ١٤١، ١٤٢.

ومَن لم يَطِبْ حَرْثُه لم يَزْكُ نَبْتُه ، والفُروعُ عندَ مَغارِسِها تَنْمُو ، وبأُصولِها تَسْمو .

ورَوَى الأَصْمَعيُّ[1] عن عمرَ بنِ الهَيْثمِ ، أن أعْرابيًّا قَدِم على خالدٍ ، فأَنْشَده قَصِيدةً امْتَدَحه بها يَقولُ فيها :

إليك ابنَ كُرْزِ الخيرِ أَقْبَلْتُ راغبًا ... لتَجْبُرَ منى ما وَهى وتَبَدَّدَا
إلى الماجدِ البُهْلولِ ذى الحِلْمِ والنَّدَى ... وأَكْرَمِ خَلْقِ اللَّهِ فَرْعًا ومَحْتِدَا
إذا ما أُناسٌ قَصَّروا بفِعالِهم ... نَهَضْتَ فلم تُلْفَى هنالك مُقْعَدا
فيالَك بَحْرًا يَغْمُرُ الناسَ مَوْجُهُ ... إذا يُسْأَلُ المَعْروفَ جاشَ وأَزْبَدَا
بَلَوْتُ ابنَ عبدِ اللَّهِ فى كلِّ موطنٍ ... فأَلْفَيْتُ خيرَ الناسِ نَفْسًا وأَمْجَدَا
فلو كان فى الدنيا مِن الناسِ خالدٌ ... لِجُودٍ بمَعْروفٍ لكنتَ مُخَلَّدَا
فلا تَحْرِمَنِّى منك ما قد رَجَوْتُهُ ... فيُصْبِحَ وَجْهى كالحَ اللونِ أَرْبَدَا

قال : فحفِظها خالدٌ ، فلما اجْتَمَع الناسُ عندَ خالدٍ قام الأعْرابيُّ يُنْشِدُها ، فابْتَدرَه إليها خالدٌ ، فأَنْشَدها قبلَه ، وقال : أيُّها الشيخُ ، إن هذا شعرٌ قد سبَقْناك إليه . فنَهَض الشيخُ ، فوَلَّى ذاهبًا ، فأَتْبَعه خالدٌ مَن يَسْمَعُ ما يقولُ ، فإذا هو يُنْشِدُ هذه الأبْياتَ :

ألا فى سبيلِ اللَّهِ ما كنتُ أَرْتَجِى ... لديه وما لاقَيْتُ مِن نَكَدِ الجُهْدِ
دخَلْتُ على بَحْرٍ يَجُودُ بمالِهِ ... ويُعْطِى كثيرَ المالِ فى طَلَبِ الحَمْدِ
[٢/٨ظ] فخالَفَنى الجَدُّ المَشُومُ لشِقْوتى ... وقارَبَنى نَحْسى وفارَقَنى سَعْدِى
فلو كان لى رزقٌ لَدَيْهِ لنِلْتُهُ ... ولكنَّه أمْرٌ مِن الواحدِ الفَرْدِ

فرَدَّه إلى خالدٍ ، وأَعْلَمَه بما كان يَقولُ ، فأمَر له بعشَرةِ آلافِ درهمٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/١٥٤ - ١٥٦، من طريق الأصمعى به .

وقال الأصْمَعىُّ[1] : سَأَل أعْرابىٌّ خالدًا القَسْرىَّ أن يَمْلأَ له جِرابَه دقيقًا ، فأَمَر بمَلْئِه له دَراهِمَ ، فقيل للأعْرابىِّ حينَ خَرَج مِن عندِه : ما فَعَل معك ؟ فقال : سألْتُه ما أَشْتَهِى ، فأَمَر لى بما يَشْتَهِى هو .

وقال بعضُهم[2] : بينما خالدٌ يَسِيرُ فى مَوْكِبه إذ تَلَقَّاه أعْرابىٌّ ، فسَأَله أن يَضْرِبَ عُنُقَه ، فقال : ويحَك ! ولِمَ ؟ أقَطَعْتَ السَّبيلَ ؟ أأَخْرَجْتَ يدًا مِن طاعةٍ ؟ فكلُّ ذلك يَقولُ : لا . قال : فلِمَ ؟ قال : مِن الفَقْرِ والحاجةِ . فقال : سَلْ حاجتَك . فقال : ثلاثِين ألفًا . فقال خالدٌ : مارَبح أحدٌ مثلَ ما رَبِحْتُ اليومَ ؛ إنى وَضَعْتُ فى نَفْسِى أن يَسْأَلَنى مائةَ ألفٍ ، فسَأَل ثلاثين ، فرَبِحْتُ سبعين ألفًا ، ارْجِعوا بنا اليومَ . وأمَر له بثلاثين ألفًا .

وكان[3] إذا جَلَس تُوضَعُ الأموالُ بينَ يديه ، ويَقولُ : إن هذه الأمْوالَ ودائِعُ لابد مِن تَفْرقتِها .

وسقَط[4] خاتَمٌ لجاريتِه رائقةَ يُساوِى ثلاثين ألفًا[5] ، فى بالُوعَةِ الدارِ ، فسَأَلَتْه أن يُؤْتَى بمَن يستَخْرِجُه ، فقال : إن يدَكِ أكْرَمُ علىَّ مِن أن تَلْبَسَه بعدَما صار إلى هذا الموضعِ القَذِرِ . وأمَر لها بخمسةِ آلافِ دينارٍ بدلَه ، وقد كان لرائقةَ هذه مِن الحُلِىِّ شىءٌ عظيمٌ ، مِن جُملةِ ذلك ياقوتةٌ وجَوْهَرةٌ ، كلُّ واحدةٍ بثلاثةٍ وسبعين ألفَ دينارٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٤٤، ١٤٥.
(٢) المصدر السابق ١٦/ ١٤٥.
(٣) المصدر السابق ١٦/ ١٤٦.
(٤) المصدر السابق ١٦/ ١٥٠.
(٥) فى تاريخ دمشق أنه كان اشتراه لها بعشرين ألفًا .

وقد رَوَى البُخاريُّ فى كتابِ «أفْعالِ العبادِ»، وابنُ أبى حاتمٍ فى كتابِ «السُّنةِ»، وغيرُ واحدٍ ممَّن صَنَّف فى كُتبِ السُّنةِ[1]، أن خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ خَطَب الناسَ فى عيدِ أَضْحَى، فقال: أيُّها الناسُ، ضَحُّوا تَقبَّلَ اللَّهُ ضَحاياكم، فإنى مُضَحٍّ بالجَعْدِ بنِ دِرْهمٍ؛ إنه زَعَم أنَّ اللَّهَ لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خَليلًا، ولم يُكَلِّمْ موسى تَكْليمًا، تعالى اللَّهُ عما يَقولُ الجَعْدُ بنُ دِرْهمٍ عُلُوًّا كبيرًا. ثم نَزَل فذَبَحه فى أصْلِ المِنْبرِ.

قال غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ[2]: كان الجَعْدُ بنُ دِرْهمٍ مِن أهلِ الشامِ، وهو مُؤَدِّبُ مَرْوانَ الحِمارِ، ولهذا يُقالُ له: مَرْوانُ الجَعْدىُّ. نسبةً إليه، وهو شيخُ الجَهْمِ بنِ صَفْوانَ الذى تُنْسَبُ إليه الطائفةُ الجَهْمِيَّةُ الذين يَقُولُون: إن اللَّهَ فى كلِّ مكانٍ بذاتِه. تعالَى اللَّهُ عمَّا يَقولُون عُلُوًّا كبيرًا. وكان الجَعْدُ بنُ دِرْهمٍ قد تَلَقَّى هذا المَذْهَبَ الخَبيثَ عن رجلٍ يُقالُ له: بَيانُ[3] بنُ سِمْعانَ. وأخَذه بَيانٌ[3] [٣/٨و] عن طالوتَ ابنِ أختِ لَبيدِ بنِ أعْصَمَ، عن خالِه لَبيدِ بنِ أعْصَمَ اليَهودىِّ الذى سَحَر النبىَّ ﷺ فى مُشْطٍ ومُشاطةٍ، وجُفِّ طَلْعةِ ذَكَرٍ[4] تَرَكه تحتَ راعُوفةٍ[5] ببئرِ ذى أَرْوانَ التى كان ماؤُها نُقاعةَ الحِنَّاءِ. وقد ثبَت الحديثُ بذلك فى «الصحيحَيْن» وغيرِهما[6]. وجاء فى بعضِ الأحاديثِ أن اللَّهَ أنْزَل بسببِ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٨.

(٢) تقدم فى صفحة ١٤٧.

(٣) فى النسخ: «أبان». والمثبت مما تقدم.

(٤) جف طلعة ذكر: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذى يكون عليه، ويُطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيَّده فى الحديث بقوله: «طلعة ذكر». صحيح مسلم بشرح النووى ١٤/ ١٧٧.

(٥) راعوفة البئر: هى صخرة تترك فى أسفل البئر إذا حُفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقى عليها. وقيل: هى حَجَر يكون على رأس البئر يقوم المستقى عليه. النهاية ٢/ ٢٣٥.

(٦) البخارى (٣١٧٥، ٣٢٦٨، ٥٧٦٣، ٥٧٦٥، ٥٧٦٦، ٦٠٦٣، ٦٣٩١)، ومسلم (٢١٨٩)، والنسائى فى الكبرى (٧٦١٥)، وابن ماجه (٣٥٤٥).

ذلك سورتَي « المُعَوِّذتَيْن »[1] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[2] : حَدَّثنا محمدُ بنُ يَزيدَ الرِّفاعىُّ ، سَمِعْتُ أبا بكرِ بنَ عَيَّاشٍ قال : رأيْتُ خالدًا القَسْرىَّ حينَ أُتِى بالمُغيرةِ وأصحابِه ، وقد وُضِع له سَريرٌ فى المسجدِ ، فجَلَس عليه ، ثم أمر برجلٍ مِن أصْحابِه ، فضُرِبَت عنقُه ، ثم قال للمُغيرةِ بنِ سعيدٍ[3] : أَحْيِهِ !- وكان المُغيرةُ يَزْعُمُ أنه يُحْيى المَوْتَى ، فقال : واللَّهِ ، أصْلَحك اللَّهُ ، ما أُحْيى المَوْتَى . قال : لَتُحْيِيَنَّه أو لأَضْرِبَنَّ عنقَك . قال : واللَّهِ ما أَقْدِرُ على ذلك . ثم أَمَر بطُنٍّ قَصَبٍ ، فأَضْرَموا فيه نارًا ، ثم قال للمُغيرةِ : اعْتَنِقْه . فأَبَى ، فعَدَا رجلٌ مِن أصْحابِ المغيرةِ فاعْتَنَقه ، قال أبو بكرٍ : فرأيْتُ النارَ تَأْكُلُه وهو يُشِيرُ بالسَّبَّابةِ . قال خالدٌ : هذا واللَّهِ أحَقُّ بالرِّئاسةِ منك . ثم قَتَله وقَتَل أصحابَه .

وقال المَدائنىُّ[4] : أُتِى خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ برجلٍ تَنَبَّأَ بالكُوفةِ ، فقيل له : ما عَلامةُ نُبوتِك ؟ قال : قد أُنْزِل علىَّ قُرآنٌ . قيل : ما هو ؟ قال : إنا أعْطيناك الجماهِرْ ، فصَلِّ لربِّك ولا تُجاهِرْ . ولا تُطِعْ كلَّ كافرٍ وفاجِرْ . فأُمِر به ، فصُلِب ، فقال وهو يُصْلَبُ : إنا أعْطَيْناك العَمودْ ، فصَلِّ لربِّك على عُودْ ، فأنا ضامنٌ لك أن لا تَعودْ .

وقال المُبَرِّدُ[5] : أُتِى خالدٌ بشابٍّ قد وُجِد فى دارِ قومٍ ، وادُّعِىَ عليه السَّرَقُ ،

---

(١) أخرجه عبد بن حميد فى المنتخب (٢٧١) ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٧/٩٢ - ٩٤ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤١٧ ، ٤١٨ ، إلى ابن مردويه .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٤٢ ، ١٤٣ . من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة به .

(٣) فى تاريخ دمشق : « سعد » . وهو خطأ . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٢٢٣ ، وميزان الاعتدال ٤/ ١٦٠ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٤٣ .

(٥) المصدر السابق ١٦/ ١٥٠ .

فسَأَله فاعْتَرَف ، فأمَر بقطعِ يدِه ، فتَقَدَّمَت فتاةٌ حَسْناءُ ، فقالتْ :

أخالدُ قد أَوْطَأْتَ واللَّهِ عُشْوةً[1] وما العاشقُ المِسْكينُ فينا بسارِقِ

أَقَرَّ بما لم يَجْنِهِ غيرَ أنهُ رَأَى القَطْعَ أَوْلَى مِن فَضيحةِ عاشقِ

فأمَر خالدٌ بإحْضارِ أبيها ، وزَوَّجها مِن ذلك الفتى ، وأمْهَرها عنه عشَرةَ آلافِ درهمٍ .

وقال الأصْمَعيُّ[2] : دَخَل أعْرابيٌّ على خالدٍ ، فقال : إنى قد امْتَدحتُك ببيتَيْن ، ولستُ أُنْشِدُهما إلا بعشَرةِ آلافٍ وخادمٍ . فقال : قلْ . فأنْشَأ يَقولُ :

لَزِمْتَ نَعَمْ حتى كأنك لم تَكُنْ سَمِعْتَ مِن الأشْياءِ شيئًا سِوَى نَعَمْ

وأنْكَرْتَ لا حتى كأنك لم تَكُنْ سَمِعْتَ بها فى سالفِ الدَّهْرِ والأُمَمْ

[٣/٨ظ] قال : فأمَر له بعشَرةِ آلافِ درهمٍ وخادمٍ يَحْمِلُها .

قال[3] : ودَخَل عليه أعْرابيٌّ ، فقال له : سَلْ حاجتَك . فقال له : مائةُ ألفٍ . فقال : أكْثَرْتَ ، حُطَّ منها . فقال : أَضَعُ منها تسعين ألفًا . قال : فتعَجَّب منه خالدٌ ، فقال : أيُّها الأميرُ ، سَأَلْتُك على قَدْرِك ، ووَضَعْتُ على قَدْرى . فقال له : لن تَغْلبَنى . وأمَر له بمائةِ ألفٍ .

قال[4] : ودَخَل عليه أعْرابيٌّ ، فقال : إنى قد قلتُ فيك شعرًا ، وأنا أسْتَصْغِرُه

---

(١) فى الأصل : «عزة» ، وفى ب : «عورة» ، وفى م : «عثرة» . والعشوة : ركوب الأمر على غير بيان . ويقال : أوطأنى عشوة : لَبَسَ علىَّ . والمعنى فيه أنه حمله على أن يركب أمرًا غير مستبين الرشد فربما كان فيه عطبه . انظر اللسان (ع ش و) .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٥٢.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ١٥٢، ١٥٣.

(٤) المصدر السابق ١٦/ ١٥٣.

فيك . فقال : قُلْ . فأنْشَأ يَقولُ :

تَعَرَّضْتَ لى بالجُودِ حتى نَعَشْتَنى وأعْطَيْتَنى حتى ظَنَنْتُك تَلْعَبُ
فأنت النَّدَى وابنُ النَّدَى وأخو النَّدَى حليفُ النَّدى ما للنَّدَى عنك مَذْهَبُ

فقال : سَلْ حاجتَك . قال : علىَّ خمسون ألفًا دَيْنًا . فقال : قد أمَرْتُ لك بها ، وشَفَعتُها لك . فأعْطاه مائةَ ألفٍ .

قال أبو الطَّيِّبِ محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ يحيى [(١)] ابنُ الوَشَّاءِ [(١)] : دخَل أعْرابىٌّ على خالدٍ القَسْرىِّ ، فأنْشَده :

كتَبْتَ نَعَمْ ببابِكَ فَهْىَ تَدْعُو إليك الناسَ مُسْفِرةَ النِّقابِ
وقلتَ لِلا عليكِ ببابِ غيرى فإنَّكِ لَنْ تُرَىْ أبدًا ببابى

قال : فأعْطاه على كلِّ بيتٍ خمسين ألفًا . وقد قال فيه ابنُ مَعِينٍ [(٢)] : كان رجلَ سَوْءٍ يَقَعُ فى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه .

وذَكَر الأصْمَعىُّ [(٣)] عن أبيه ، أن خالدًا حفَر بئرًا بمكةَ ادَّعَى فَضْلَها على زَمْزَمَ .

وله فى روايةٍ [(٤)] عنه تَفْضِيلُ الخَليفةِ على الرسولِ . وهذا كُفْرٌ إلا أن يُرِيدَ بكلامِه غيرَ ما يَبْدو منه . واللَّهُ أعلمُ .

[(٥)] ولعلَّ هذا لا يَصِحُّ عنه ، وقد رَأَيْتُ صاحبَ « العِقْدِ » [(٦)] سبَّ به [(٥)] ،

(١ - ١) فى النسخ : « الوشاء » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٦/ ١٥٦، وانظر تاريخ بغداد ١/ ٢٥٣، والأنساب ٥/ ٦٠٤. والوشاء نسبة إلى بيع الوشى ، وهو نوع من الثياب المعمولة من الإبريسم . وانظر تاج العروس (و ش ى) .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ١٦٠.
(٣) المصدر السابق ١٦/ ١٦٠، ١٦١.
(٤) المصدر السابق ١٦/ ١٦١.
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦) العقد الفريد ٤/ ٤٢٨ - ٤٣٠.

(١) ويقرِّرُه عنه ؛ لأن صاحبَ العِقْدِ كان فيه تَشَيُّعٌ شَنيعٌ ، ورُبَّما لا يَفْهَمُه كلُّ أحدٍ ، وقد اغترَّ به شيخُنا الذهبيُّ[٢] ، فمدَحه بالحفظِ وغيرِه ، ولم يَفْهَمْ تشيُّعَه . واللَّهُ أعلمُ[١] .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ وابنُ عَساكرَ وغيرُهما[٣] أن الوليدَ بنَ يزيدَ كان قد عزَم على الحَجِّ فى إمارتِه ، ومِن نِيَّتِه أن يَشْرَبَ الخمرَ على ظهرِ الكعبةِ ، فلما بلغ ذلك جَماعةً مِن الأُمراءِ اجْتَمَعوا على قَتْلِه وتَوْليةِ غيرِه مِن الجَماعةِ ، فحَذَّر خالدٌ أميرَ المؤمنين منهم ، فسأَله أن يُسَمِّيَهم ، فأَبَى عليه ، فعاقَبه عِقابًا شديدًا ، ثم بعَث به إلى يوسُفَ بنِ عمرَ ، فعاقَبه حتى مات شرَّ قِتْلةٍ وأَسْوأَها ، وذلك فى مُحَرَّمٍ مِن هذه السنةِ ، أعْنى سنةَ ستٍّ وعشْرِين ومائةٍ .

وذَكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ »[٤] وقال : كان يُتَّهَمُ فى دينِه ، وقد بنَى لأُمِّه كَنيسةً فى دارِه فنال مِنه بعضُ الشُّعراءِ . وقال صاحبُ « الأعْيانِ »[٥] : كان [٤/٨و] فى نَسَبِه يَهودُ ، فانْتَمَوْا إلى العَربِ ، وكان يَقْرُبُ مِن شِقٍّ وسَطِيحٍ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[٥] : وقد كانا ابْنَىْ خالةٍ ، وعاش كلٌّ منهما ستَّمائةٍ ، ووُلِدا فى يومٍ واحدٍ ، وذلك يومَ ماتتْ طَريفةُ بنتُ الخَيْرِ[٦] بعدَما تفَلَت فى فَمِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٢٣٣، وتاريخ دمشق ١٦/ ١٦٢، والمنتظم ٧/ ٢٤٨. وانظر ما تقدم فى صفحة ١٧٣.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٦) فى النسخ : « الحر » . والمثبت من وفيات الأعيان . وانظر ما تقدم فى ٣/ ١١٨.

كلٌّ منهما ، وقالتْ : إنه سيَقُومُ مَقامى فى الكَهانةِ . ثم ماتتْ مِن يومِها .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ **جَبَلةُ** بنُ سُحَيْمٍ[1] ، **ودَرَّاجٌ** أبو السَّمْحِ[2] ، **وسعيدُ** ابنُ مَشروقٍ[3] فى قولٍ ، **وسليمانُ** بنُ حَبيبٍ المُحارِبىُّ[4] ، قاضى دِمشقَ ، **وعبدُ الرحمنِ** بنُ قاسمٍ[5] شيخُ مالكٍ ، **وعُبَيدُ اللَّهِ** بنُ أبى يَزيدَ[6] ، **وعمرُو** بنُ دِينارٍ[7] . وقد ذَكَرْنا تَراجمَهم فى كتابِنا « التَّكْميلِ » .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٢، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٩٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٦١. وقد ذكر الحافظ الذهبى أن جبلة توفى فى سنة خمس وعشرين ومائة لا سنة ست وعشرين.

(٢) تهذيب الكمال ٨/ ٤٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٩٠.

(٣) تهذيب الكمال ١١/ ٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١١٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٦، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٢١.

(٥) تهذيب الكمال ١٧/ ٣٤٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٦٣.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٨١، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٧٠.

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٨٦.

ثم دَخَلَت سنةُ سبعٍ وعشرين ومائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] والخَليفةُ إبراهيمُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ بوصيَّةِ أخيه يزيدَ الناقصِ إليه، ومُبايعةِ الأُمراءِ له بذلك، وجميعِ أهلِ الشامِ، إلا أهلَ حِمْصَ فلم يُبايِعوه، وقد تَقَدَّم أن مَرْوانَ بنَ محمدٍ المُلَقَّبَ بالحمارِ كان نائبًا بأَذْرَبِيجانَ وأَرْمِينِيَةَ - وتلك كانت لأبيه مِن قبلِه - وكان نَقَم على يزيدَ بنِ الوليدِ فى قتلِه الوليدَ بنَ يزيدَ، وأقْبَل فى طَلَبِ دمِ الوليدِ، فلما انْتَهَى إلى حَرَّانَ أناب وبايَع يزيدَ ابنَ الوليدِ، فلم يَلْبَثْ إلا قليلًا حتى بلَغه موتُه، فأقْبَل فى أهلِ الجَزيرةِ حتى وصَل قِنَّسْرِينَ، فحاصَر أهلَها، فنزَلوا على طاعتِه، ثم أقْبَل إلى حِمْصَ وعليها عبدُ العزيزِ بنُ الحَجَّاجِ مِن جهةِ أميرِ المؤمنين إبراهيمَ بنِ الوليدِ، يُحاصِرُهم حتى يُبايِعوا لإبْراهيمَ بنِ الوليدِ، وقد أصَرُّوا على عدمِ مُبايعتِه، فلمَّا بلَغ عبدَ العزيزِ قُرْبُ مَرْوانَ بنِ محمدٍ تَرَحَّل عنها، وقَدِم مَرْوانُ إليها، فبايَعوه وساروا معه قاصِدِين دِمشقَ، ومعهم جُنْدُ الجَزيرةِ وجُنْدُ قِنَّسْرِينَ، فتَوَجَّه مَرْوانُ إلى دمشقَ فى ثمانين ألفًا، وقد بعَث إبراهيمُ بنُ الوليدِ سليمانَ[2] بنَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ فى مائةٍ وعشرين ألفًا، فالْتَقَى الجَيْشان عندَ عَيْنِ الجَرِّ مِن البِقاعِ، فدَعاهم مَرْوانُ إلى الكَفِّ عن القِتالِ، وأن يُخَلُّوا عن ابنَى الوليدِ بنِ يزيدَ - وهما الحكمُ وعثمانُ - اللذين كانا قد أُخِذ العَهْدُ لهما، وكان يزيدُ قد سجَنهما بدمشقَ، فأبَوا عليه ذلك، فاقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا مِن حينِ ارْتفاعِ النهارِ إلى العصرِ، وبعَث مَرْوانُ سَرِيَّةً

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٣٠٠ - ٣٠٢، والمنتظم ٧/ ٢٥٧، ٢٥٨، والكامل ٥/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) سقط من: م.

تَأْتى جيشَ سليمانَ بنِ هشامٍ مِن ورائِهم ، فتَمَّ لهم ما أرادوه ، وأقْبَلوا مِن ورائِهم يُكَبِّرون ، وحمَل الآخرون مِن تِلْقائهم عليهم ، فكانتِ الهزيمةُ مِن أصْحابِ سليمانَ ، فقتَل منهم أهلُ حِمْصَ خَلْقًا كثيرًا ، [٨/٤ظ] واسْتُبِيح عَسْكرُهم ، وكان مِقْدارُ ما قُتِل مِن أهلِ دمشقَ فى ذلك اليومِ قريبًا مِن سبعةَ عشَرَ أو ثمانيةَ عشَرَ ألفًا ، وأُسِر منهم مثلُهم ، فأخَذ عليهم مَرْوانُ البَيْعةَ للغلامَيْن ابنَيِ الوليدِ الحكَمِ وعثمانَ ، وأطْلَقهم كلَّهم سِوَى رجلَيْن ، وهما يزيدُ بنُ العَقَّارِ والوليدُ بنُ مَصَادٍ الكَلْبِيَّانِ ، فضرَبهما بينَ يديه بالسِّياطِ وحبَسهما ، فماتا فى السِّجْنِ ؛ لأنهما كانا ممَّن باشَر قَتْلَ الوليدِ بنِ يزيدَ حينَ قُتِل ، وأما سليمانُ بنُ هشامٍ وبقيةُ أصحابِه فإنهم اسْتَمَرُّوا مُنْهزِمِين ، فما أصْبَح لهم الصبحُ إلا بدمشقَ ، فأخْبَروا أميرَ المؤمنين إبراهيمَ بنَ الوليدِ بما وَقَع ، فاجْتَمع معهم رءوسُ الأُمراءِ فى ذلك الوقتِ ، وهم ؛ عبدُ العزيزِ بنُ الحَجَّاجِ ، ويزيدُ بنُ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ ، وأبو عِلاقةَ السَّكْسَكىُّ ، والأَصْبَغُ بنُ ذُؤالةَ الكَلْبىُّ ونُظراؤُهم ، على أن يَعْمِدوا إلى قتلِ ابنَى الوليدِ الحكَمِ وعثمانَ ، خَشْيةَ أن يَلِيا الخِلافةَ فيُهْلِكا مَن عاداهما وقَتَل أباهما ، فبَعَثوا إليهما يزيدَ بنَ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ ، فعَمَد إلى السِّجنِ وفيه الحكَمُ وعثمانُ ابنا الوليدِ ، وقد بَلَغا ، ويقالُ : ووُلِد لأحدِهما وَلَدٌ . فشدَخهما بالعُمُدِ ، وقَتَل يوسُفَ بنَ عمرَ ، وكان مَسْجونًا معهما ، وكان فى سِجْنِهما أيضًا أبو محمدٍ السُّفْيانىُّ ، فهرَب فدَخَل فى بيتٍ داخلَ السجنِ ، وجَعَل وراءَ البابِ رَدْمًا ، فحاصَروه فامْتَنع ، فأتَوْا بنارٍ ليَحْرِقوا البابَ ، ثم اشْتَغَلوا عن ذلك بقُدومِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ وأصحابِه إلى دمشقَ فى طَلَبِ المُنْهَزِمين .

ذِكْرُ دُخولِ مَرْوانَ الحِمارِ دمشقَ فيها[1] ووِلايتِه الخِلافةَ، وعَزْلِه إبراهيمَ بنَ الوليدِ عنها

لما أقْبَل مَرْوانُ بمَن معه مِن الجُنودِ مِن عَيْنِ الجَرِّ، واقْتَرب مِن دِمشقَ، وقد انْهَزَم أهلُها بينَ يديه بالأمْسِ، هرَب إبراهيمُ بنُ الوليدِ، وعمَد سليمانُ بنُ هشامٍ إلى بيتِ المالِ، ففتَحه وأَنْفَق ما فيه على أصحابِه ومَن اتَّبَعه مِن الجُيوشِ، وثار مَوالى الوليدِ بنِ يزيدَ إلى دارِ عبدِ العزيزِ بنِ الحَجَّاجِ، فقتَلوه فيها وانْتَهَبوها، ونبَشوا قبرَ يزيدَ بنِ الوليدِ، وصلَبوه على بابِ الجابيةِ، ودخَل مَرْوانُ بنُ محمدٍ دِمشقَ، فنزَل فى أَعاليها، وأُتِىَ بالغلامَيْن الحكم [٨/٥و] وعثمانَ مَقْتُولين، وكذلك يوسُفُ بنُ عمرَ، فأَمَر بهم فدُفِنوا، وأُتِىَ بأبى محمدٍ السُّفْيانىِّ وهو فى كُبولِه، فسَلَّم على مَرْوانَ بالخِلافةِ، فقال له مروانُ: مَهْ! فقال: إن هذين الغلامَيْن جعَلاها لك مِن بعدِهما. ثم أنْشَدَه قصيدةً قالها الحكَمُ فى السجنِ، وهى طَويلةٌ، فمنها قولُه:

أَلَا مَن مُبْلِغٌ مَرْوانَ عنِّى ... وعَمِّى الغَمْرَ طال بهِ[2] حَنِينا

بأنى قد ظُلِمْتُ وصار قومى ... على قَتْلِ الوليدِ مُشايعينا[3]

فإن أَهْلِكْ أنا ووَلِىُّ عَهْدى ... فمَرْوانٌ أميرُ المؤمنينا

ثم قال أبو محمدٍ السُّفْيانىُّ لمَرْوانَ: ابْسُطْ يدَك. فكان أولَ مَن بايَعه بالخِلافةِ

---

(١) أى فى هذه السنة. انظر تاريخ الطبرى ٣١١/٧ - ٣٢٩، والمنتظم ٢٥٩/٧ - ٢٦٣، والكامل ٣٢٣/٥ - ٣٤١.

(٢) فى م، وتاريخ الطبرى: «بذا».

(٣) فى ب، م، وتاريخ الطبرى: «متابعينا».

معاويةُ بنُ يزيدَ بنِ حُصَيْنِ بنِ نُميرٍ ، ثم بايَعه رءوسُ أهلِ الشامِ مِن أهلِ دمشقَ وحِمْصَ وغيرُهم ، ثم قال لهم مَرْوانُ : اخْتاروا أُمراءَ نُوَلِّيهمْ عليكم . فاخْتار أهلُ كلِّ بلدٍ أميرًا ، فوَلَّاه عليهم ، فعلى دمشقَ زاملُ بنُ عمرٍو الجُبْرانيُّ[1] ، وعلى حِمْصَ عبدُ اللَّهِ بنُ شَجَرةَ الكِنديُّ ، وعلى الأُرْدُنِّ الوليدُ بنُ مُعاويةَ بنِ مَرْوانَ ، وعلى فِلَسْطِينَ ثابتُ بنُ نُعَيْمٍ الجُذاميُّ[2] .

ولما استوسق الشامُ لمَرْوانَ بنِ محمدٍ رَجَع إلى حَرَّانَ ، وعندَ ذلك طَلَب منه إبراهيمُ بنُ الوليدِ الذى كان خَليفةً وابنُ عمِّه سليمانُ بنُ هشامٍ الأمانَ ، فآمنهما ، وقَدِم عليه سليمانُ بنُ هشامٍ فى أهلِ تَدْمُرَ فبايَعوه .

ثم لما اسْتَقَرَّ مَرْوانُ بحَرَّانَ أقام فيها ثلاثةَ أشْهرٍ ، فانْتَقَض عليه ما كان انْبَرَم له مِن مُبايعةِ أهلِ الشامِ ، فنقَض أهلُ حِمْصَ وغيرُهم ، فأرْسَل إلى حمصَ جيشًا[3] ، فوافَوْهم ليلةَ عيدِ الفِطْرِ مِن هذه السنةِ ، وقَدِم مَرْوانُ إليها بعدَ الفِطْرِ بيومين ، فنازَلها مَرْوانُ فى جُنودٍ كثيرةٍ ، ومعه يومَئذٍ إبراهيمُ بنُ الوليدِ المَخْلوعُ ، وسليمانُ ابنُ هشامٍ ، وهما عندَه مُكَرَّمان خَصِيصان لا يَجْلِسُ إلا بهما وقتَ الغَداءِ والعَشاءِ ، فلما حاصَر حمصَ نادَوْه : إنا على طاعتِك . فقال : افْتَحوا بابَ البلدِ . ففَتَحوه ، ثم كان منهم بعضُ القِتالِ ، فقتَل منهم نحوَ الخمسِمائةٍ أو السِّتمائةِ . فأمَر بهم فصُلِبوا حولَ البلدِ ، وأَمَر بهدمِ بعضِ سُورِها .

وأمَّا أهلُ دمشقَ فإنَّ أهلَ الغُوطةِ حاصَروا أميرَهم زامِلَ بنَ عمرٍو ، وولَّوا

---

(١) فى م ، وتاريخ الطبرى : « الجبرانى » . وهو تصحيف . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ١٨/ ٢٩٣.
(٢) فى الأصل ، ب ، ص : « القطامى » . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ١١/ ١٤٣.
(٣) الذى فى تاريخ الطبرى أن هذا الجيش جاء من تدمر لمعاونة أهل حمص الذين راسلوهم يطلبون منهم العون ، فوافوهم ليلة الفطر ، أما مروان فلم يرسل جيشا ، بل سار إليهم بنفسه على رأس جيشه .

عليهم يزيدَ [٨/٥ظ] بنَ خالدٍ القَسْرىَّ ، وثَبَت فى المدينةِ نائبُها ، فبعَث إليه أميرُ المؤمنين مَرْوانُ مِن حمصَ عسكرًا نحوًا مِن عشَرةِ آلافٍ ، فلمَّا اقْتَرَبوا مِن دِمَشقَ خَرَج النائبُ فيمَن معه ، والْتَقَوْا هُمْ والعسكرُ بأهلِ الغُوطةِ فهزَموهم وحَرَّقوا المِزَّةَ وقُرًى أخرى معها ، واسْتَجار يزيدُ بنُ خالدٍ القَسْرىُّ وأبو عِلاقةَ الكَلْبىُّ برجلٍ مِن أهلِ المِزَّةِ مِن لَخْمٍ ، فدُلَّ عليهما زامِلُ بنُ عمرٍو فأُتِىَ بهما ، فقتَلَهما وبعَث برأسَيْهما إلى أميرِ المؤمنين مَرْوانَ وهو بحمصَ .

وخرَج ثابتُ بنُ نُعَيْمٍ فى أهلِ فِلَسْطِينَ على الخليفةِ ، وأتَوْا طَبَرِيَّةَ فحاصَروها ، فبعَث الخليفةُ إليهم جيشًا ، فأجْلَوْهم عنها واسْتَباحوا عسْكرَهم ، وفَرَّ ثابتُ بنُ نُعَيْمٍ هاربًا إلى فِلَسْطينَ ، فأَتبعه الأميرُ أبو الوَرْدِ ، فهزَمه ثانيةً ، وتفرَّق عنه أصحابُه ، وأَسَر أبو الوَرْدِ ثلاثةً مِن أوْلادِه ، فبعَث بهم إلى الخليفةِ وهم جَرْحَى ، فأَمَر بمُداواتِهم ، ثم كتَب أميرُ المؤمنين إلى نائبِ فِلَسْطِينَ ، وهو الرُّماحِسُ بنُ عبدِ العزيزِ الكِنانىُّ ، يَأْمُرُه بطلَبِ ثابتِ بنِ نُعَيْمٍ حيث كان ، فما زال يَتَلَطَّفُ به حتى أخَذه أَسِيرًا ، وذلك بعدَ شهرين ، فبعَثه إلى الخَليفةِ ، فأَمَر بقَطْعِ يَدَيه ورِجْلَيه ، وكذلك جماعةٌ كانوا معه ، وبعَث بهم إلى دِمشقَ ، فأُقِيموا على بابِ مسجدِها ؛ لأن أهلَ دِمشقَ كانوا قد أَرْجَفوا بأن ثابتَ بنَ نُعَيمٍ ذهَب إلى دِيارِ مصرَ فتَغَلَّب عليها ، وقَتَل نائبَ مَرْوانَ فيها ، فأَرْسَل به إليهم مقطوعَ اليَدَيْن والرجليْن ؛ ليَعْرِفوا بُطلانَ ما كانوا به أَرْجَفوا .

وأقام الخليفةُ مَرْوانُ بدَيْرِ أيوبَ ، عليه السلامُ ، مُدَّةً حتى بايَع لابنيه عُبيدِ اللَّهِ ثم عبدِ اللَّهِ ، وزَوَّجهما ابنتَىْ هشامٍ ، وهما أمُّ هشامٍ وعائشةُ ، وكان مَجْمَعًا حافلًا ، وعَقْدًا هائلًا ، وبَيعةً عامَّةً ، ولكن لم تَكُنْ فى نفسِ الأمْرِ تامَّةً ، وقَدِم الخليفةُ إلى

دِمشقَ ، وأمَر بثابتٍ وأصحابِه بعدَ ما كانوا قُطِعوا أن يُصلَبوا على أبوابِ البلدِ ، ولم يَسْتَبْقِ منهم أحدًا إلا واحدًا ، وهو عمرُو بنُ الحارثِ الكَلْبيُّ ، وكان عندَه - فيما زَعَم - علمٌ بوَدائعَ كان ثابتُ [٨/٦و] بنُ نُعَيْمٍ أوْدَعها عندَ أقْوامٍ .

واسْتَوْسَق أمْرُ الشامِ لمروانَ ما عدا تَدْمُرَ ، فسار مِن دمشقَ فنزَل القَسْطَلَ مِن أرضِ حمصَ ، وبلَغه أنَّ أهلَ تَدْمُرَ قد عوَّرُوا[1] ما بينَه وبينَهم مِن المياهِ ، فاشْتَدَّ غَضبُه عليهم ، ومعه جَحافِلُ مِن الجُيوشِ ، فتَكَلَّم الأبْرشُ بنُ الوليدِ - وكانوا قومَه - وسَأَل منه أن يُرْسِلَ إليهم أولًا ليُعْذِرَ إليهم ، فبعَث عمرَو بنَ الوليدِ أخا الأبْرشِ ، فلما قَدِم عليهم لم يَلْتَفِتوا إليه ، ولا سَمِعوا له قولًا ، فرَجَع ، فهَمَّ الخليفةُ أن يَبْعَثَ إليهم الجُنودَ ، فسَأَله الأبْرَشُ أن يَذْهَبَ إليهم بنَفْسِه ، فأرْسَله ، فلما قَدِم عليهم الأبْرشُ كلَّمهم واسْتَمالهم إلى السَّمْعِ والطاعةِ ، فأجابه أكثرُهم ، وامْتَنع بعضُهم ، فكتَب إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بما وقَع ، فأمَره الخليفةُ أن يَهْدِمَ بعضَ سُورِها ، وأن يُقْبِلَ بمَن أطاعه منهم إليه ، ففعَل ، فلما حضَروا عندَه سار بمَن معه مِن الجُنودِ نحوَ الرُّصافةِ على طريقِ البَرِّيَّةِ ، ومعه مِن الرُّءوسِ إبراهيمُ بنُ الوليدِ المَخْلوعُ ، وسليمانُ بنُ هشامٍ ، وجَماعةٌ مِن ولدِ الوليدِ ويزيدَ وسليمانَ ، فأقام بالرُّصافةِ أيامًا[2] ، ثم شخَص إلى الرَّقَّةِ[3] ، فاسْتَأْذَنه سليمانُ بنُ هشامٍ أن يُقِيمَ هناك أيامًا ؛ ليَسْتَريحَ ويُجِمَّ ظهرَه ، فأَذِن له ، وانْحَدر مَرْوانُ ، فنزَل عندَ واسِطٍ على شَطِّ الفُراتِ ، فأقام ثلاثًا ، ثم مَضَى إلى قَرْقِيسِيَا ، وابنُ هُبَيرةَ بها ؛ ليَبْعَثَه إلى العراقِ لمُحاربةِ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ الشَّيْبانيِّ الخارجيِّ الحَروريِّ ، واشْتَغل مَرْوانُ بهذا الأمْرِ .

---

(١) فى ب ، م ، ص : « غوروا » . وهو تصحيف . وعوّروا عيون المياه : دفنوها وسدّوها . انظر اللسان (ع و ر) .
(٢) فى تاريخ الطبرى : « يوما » .
(٣) فى م : « البرية » .

وأقْبَل عشَرةُ آلافِ فارسٍ ممَّن كان مَرْوانُ قد بعَثَهم فى بعضِ السَّرايا ، فاجْتازوا بالرُّصافةِ وفيها سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ الذى كان اسْتَأْذن الخليفةَ فى المُقامِ هناك للراحةِ ، فدَعَوْه إلى البَيْعةِ له وخَلْعِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ ومحُاربتِه ، فاستَزَلَّه الشَّيطانُ ، فأجابهم إلى ذلك ، وخلَع مَرْوانَ ، وسار بالجُيوشِ إلى قِنَّسْرِينَ ، وكاتَب أهلَ الشامِ ، فانْفَضُّوا إليه مِن كلِّ وجهٍ ، وكتَب سليمانُ إلى ابنِ هُبَيْرةَ الذى جَهَّزه مَرْوانُ لقِتالِ الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ الخارجىِّ يَأْمُرُه بالمَسِيرِ إليه[1] ، فالْتَفَّ عليه نحوٌ مِن سبعين ألفًا ، وبَعَث مَرْوانُ إليهم عيسى بنَ مسلمٍ فى نحوٍ مِن سبعين ألفًا أيضًا[2] ، فالْتَقَوْا بأرضِ قِنَّسْرِينَ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، وجاء مَرْوانُ والناسُ فى الحربِ ، فقاتَلَهم أشَدَّ القِتالِ فهزَمهم ، وقُتِل يومَئذٍ إبراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ هشامٍ ، وكان أكبرَ ولدِه ، وقَتَل منهم نَيِّفًا على ثلاثين [٨/٦ظ] ألفًا ، وذَهَب سليمانُ مَفْلولًا ، فأتَى حمصَ ، فالْتَفَّ عليه مَن انْهَزَم مِن جيشِه ، فعَسْكَر بهم فيها ، وبَنَى ما كان مَرْوانُ هدَم مِن سُورِها ، فجاءهم مَرْوانُ ، فحاصَرهم بها ، ونَصَب عليهم نَيِّفًا وثمانين مَنْجَنِيقًا ، فمَكَث كذلك ثمانيةَ أشْهرٍ يَرْمِيهم ليلًا ونَهارًا ، ويَخْرُجون فى كلِّ يومٍ ويقاتِلون ، ثم يَرْجِعون . هذا وقد ذَهَب سليمانُ وطائفةٌ مِن الجيشِ معه إلى تَدْمُرَ ، وقد اعْتَرَضوا جيشَ مَرْوانَ فى الطريقِ ، وهَمُّوا بالفَتْكِ به وأن يُبَيِّتوه فلم يُمْكِنْهم ذلك ، وتَهَيَّأ لهم مَرْوانُ ، فقاتَلَهم ، فقَتَلوا مِن جيشِه قريبًا مِن ستةِ آلافٍ وهم تسعُمائةٍ ، وانْصَرَفوا إلى تَدْمُرَ ، ولَزِم مَرْوانُ

---

(١) ليس فى تاريخ الطبرى والمنتظم أن سليمان كتب إلى ابن هبيرة يأمره بالمسير إليه ، والذى فيهما أن مروان كتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره من دُورِين . أى أمره بالتوقف عن المسير لمحاربة الضحاك بن قيس .

(٢) الذى فى تاريخ الطبرى والمنتظم أن سليمان وجه مقدمة فى نحو سبعة آلاف ، ووجه مروان عيسى ابن مسلم فى نحو من عدتهم ، وهم مقدمة جيش مروان ، أى أنهم كانوا سبعة آلاف أيضا . والله أعلم .

مُحاصَرةَ حمصَ كَمالَ عشَرةِ أشهرٍ ، فلما تَتابَع عليهم البَلاءُ ، ولَزِمهم الذُّلُّ ، سَأَلوه أن يُؤَمِّنَهم ، فأَبَى إلا أن يَنْزِلوا على حُكْمِه ، ثم سَأَلوه الأمانَ على أن يُمَكِّنوه مِن سعيدِ بنِ هشامٍ وابنَيه مَرْوانَ وعثمانَ ، ومِن السَّكْسَكيِّ الذى كان معه على جيشِه ، ومِن حَبَشيٍّ كان يَشْتُمُه ويَفْتَرِى عليه ، فأجابهم إلى ذلك ، فأَمَّنَهم وقتَل أولئك[1] .

ثم سار إلى الضَّحَّاكِ الخارجيِّ ، وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ نائبُ العراقِ قد صالَح الضَّحَّاكَ الخارجيَّ على ما بيدِه مِن الكوفةِ وأعْمالِها ، وجاءَت خُيولُ مَرْوانَ قاصدةً إلى الكوفةِ ، فتَلَقَّاهم نائبُها مِن جهةِ الضَّحَّاكِ ؛ مِلْحانُ الشَّيْبانيُّ ، فقاتَلهم فقُتِل مِلْحانُ ، فاسْتَناب الضَّحَّاكُ عليها المُثَنَّى بنَ عِمْرانَ مِن بنى عائذةَ ، وسار الضَّحَّاكُ فى ذى القَعْدةِ إلى المَوْصِلِ ، وسار ابنُ هُبَيْرةَ إلى الكوفةِ ، فانْتَزَعها مِن أيدى الخَوارجِ ، وأرْسَل الضَّحَّاكُ جيشًا إلى الكوفةِ ، فلم يَجِدْ شيئًا .

وفى هذه السنةِ خرَج الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ الشَّيْبانيُّ ، وكان سببَ خُروجِه أن رجلًا يُقالُ له : سعيدُ بنُ بَهْدَلٍ - وكان خارِجيًّا - اغْتَنَم غَفْلةَ الناسِ واشْتِغالَهم بمَقْتَلِ الوليدِ بنِ يزيدَ ، فثار فى جماعةٍ مِن الخَوارجِ بالعراقِ ، والْتَفَّ عليه أربعةُ آلافٍ[2] - ولم تَجْتَمِعْ قبلَه لخارجيٍّ - فقصدَتْهم الجُيوشُ ، فاقْتَتلوا معهم ، فتارةً يَكْسِرون ، وتارةً يُكْسَرون ، ثم مات سعيدُ بنُ بَهْدَلٍ فى طاعونٍ أصابه ،

---

(١) فى تاريخ الطبرى أن مروان لم يقتلهم كلهم ، بل دفع بالحبشى إلى بنى سُليم - وكان يسخر منهم - فمثلوا به ، وأمر بقتل السكسكى والاستيثاق من سعيد وابنيه .

(٢) فى تاريخ الطبرى أن عدد من التف على سعيد بن بهدل وخرج معه مائتان ، فيهم الضحاك ، ثم تزايد العدد مع الضحاك بعد موت سعيد فوصل إلى ثلاثة آلاف .

واسْتَخْلف على الخَوارجِ مِن بعدِه الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ هذا ، فالْتَفَّ أصحابُه عليه ، والْتَقَى هو وجيشٌ كثيرٌ ، فغلَبَت الخَوارجُ ، وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا ، [٧/٨و] منهم عاصمُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أخو أميرِ العراقِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فرَثاه بأشْعارٍ . ثم قصَد الضَّحَّاكُ بطائفةٍ مِن أصحابِه مَرْوانَ ، فاجْتاز بالكُوفةِ ، فنهَض إليه أهلُها ، فكسَرهم ودخَل الكوفةَ فاسْتَحْوَذ عليها ، واسْتَناب بها رجلًا اسمُه حَسَّانُ ، ثم اسْتَناب مِلْحانَ الشَّيْبانيَّ فى شَعْبانَ مِن هذه السنةِ[1] ، وسار هو فى طَلَبِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ نائبِ العراقِ ، فالْتَقَوْا ، فجرَت بينَهم حُروبٌ كثيرةٌ يَطولُ ذِكْرُها وتَفْصيلُها .

وفى هذه السنةِ اجْتَمَعَت جَماعةٌ مِن الدُّعاةِ إلى بنى العباسِ عندَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الإمامِ ، ومعهم أبو مسلمٍ الخُراسانيُّ ، فدَفَعوا إليه نَفَقاتٍ كثيرةً ، وأعْطَوْه خُمُسَ أمْوالِهم ، ولم يَنْتَظِمْ لهم أمْرٌ فى هذه السنةِ لكَثْرةِ الشُّرورِ المُنْتَشِرةِ ، والفِتَنِ الواقعةِ بينَ الناسِ .

وفى هذه السنةِ خَرَج بالكُوفةِ [2]عبدُ اللَّهِ بنُ[2] مُعاويةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، فدَعا إلى نَفْسِه ، فحارَبه أميرُ العراقِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فجرَتْ بينَهما حُروبٌ يَطولُ ذِكْرُها ، ثم أجْلاه عنها ، فلَحِق بالجبالِ ، فتَغَلَّب عليها .

وفى هذه السنةِ خَرَج الحارثُ بنُ سُرَيْجٍ الذى كان لَحِق ببلادِ التركِ ومالأَهم على المسلمين ، فمَنَّ اللَّهُ عليه بالهِدايةِ ، ووَفَّقه حتى خَرَج إلى بلادِ الإسلامِ ، وكان ذلك عن دُعاءِ يزيدَ بنِ الوليدِ له إلى الإسلامِ ، فأجابه إلى ذلك ، وخَرَج إلى

---

(١) فى تاريخ الطبرى أن الضحاك استناب ملحان أولًا ثم حسان بعده .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

خُراسانَ ، فأكْرَمه نصْرُ بنُ سَيَّارٍ نائبُها ، [1] وفرِح المسلمون بذلك وجاءوا لتهنئتِه ، ثم وقَع بينَه وبينَ نصرِ بنِ سَيَّارٍ خصومةٌ [1] ، واسْتَمَرَّ الحارثُ بنُ سُرَيْجٍ على الدَّعْوةِ إلى الكتابِ والسنةِ وطاعةِ الإمامِ ، وعندَه بعضُ المُناوَأَةِ لنَصْرِ بنِ سَيَّارٍ .

قال الواقدىُّ وأبو مَعْشَرٍ [2] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ أميرُ الحِجازِ ومكةَ والمدينةِ والطائفِ .

وأميرُ العراقِ النَّضْرُ بنُ سعيدٍ الحَرَشىُّ ، وقد خرَج عليه الضَّحَّاكُ الحَرورىُّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ . وأميرُ خُراسانَ نصرُ بنُ سَيَّارٍ ، وقد خرَج عليه الكَرْمانىُّ والحارثُ بنُ سُرَيْجٍ .

وممَّن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ بُكيرُ بنُ الأَشَجِّ [3] ، **وسعدُ** بنُ إبراهيمَ [4] ، **وعبدُ اللَّهِ** بنُ دينارٍ [5] ، **وعبدُ الكريمِ** بنُ مالكٍ الجَزَرِىُّ [6] ، **وعُمَيْرُ** بنُ هانئٍ [7] ، **ومالكُ**

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٣٢٩.

(٣) طبقات الفقهاء ص ٧٨، وطبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٠٨، وطبقات خليفة ٢/ ٦٥٨، ٦٧١، والمعرفة والتاريخ ١/ ٦٦١، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٨.

(٤) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٠٣، وطبقات خليفة ٢/ ٦٥١، وتاريخ دمشق ٢٠/ ٢٠٤، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١١١.

(٥) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٠٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٥٧، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤٧١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٤٧.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨١، وطبقات خليفة ٢/ ٨٢٢، وتاريخ دمشق ٤٣/١٠٤ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٦٧.

(٧) التاريخ الكبير ٦/ ٣٧٠، وتاريخ دمشق ١٣/٦٨٥ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨٨، وسير =

ابنُ دينارٍ[1] ، **ووَهْبُ** بنُ كَيْسانَ[2] ، **وأبو إسحاقَ** السَّبِيعيُّ[3] .

= أعلام النبلاء ٤/ ٨١، ٥/ ٤٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٩٥.

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٣، وطبقات خليفة ١/ ٥١٨، وحلية الأولياء ٢/ ٣٥٧، وتاريخ دمشق ١٦/ ١٨١ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢١٤.

(٢) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣١٠، وطبقات خليفة ٢/ ٦٥١، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٩٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٣، وطبقات خليفة ١/ ٣٧٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٥٣٩، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٩٠.

ثم دَخَلَت سنةُ ثمانٍ وعشرين ومائةٍ

فيها[1] كان مَقْتَلُ الحارثِ بنِ سُرَيْجٍ ، وكان سببَ ذلك أن يزيدَ بنَ الوليدِ الناقصَ كان قد كتَب إليه كتابَ أمانٍ ، حتى خَرَج مِن [٨/٧ظ] بلادِ التُّرْكِ ، وصار إلى بلادِ المسلمين ، ورَجَع عن مُوالاةِ المشركِين إلى نُصْرةِ الإسْلامِ وأهلِه . وأنه وَقَع بينَه وبينَ نصرِ بنِ سَيَّارٍ نائبِ خُراسانَ وحْشَةٌ ومُنافَساتٌ كثيرةٌ يَطولُ شرحُها ، فلما صارَتِ الخِلافةُ إلى مَرْوانَ بنِ محمدٍ اسْتَوْحَش الحارثُ بنُ سُرَيْجٍ مِن ذلك ، وتَوَلَّى ابنُ هُبَيْرةَ نِيابةَ العراقِ ، وجاءَت البيعةُ لمَرْوانَ ، فامْتَنع الحارثُ مِن قَبولِها وتَكَلَّم فى مَرْوانَ ، وجاءه سَلْمُ بنُ أحْوزَ أميرُ الشُّرْطةِ ، وجَماعةٌ مِن رُءوسِ الأجْنادِ والأُمراءِ ، وطَلَبوا منه أن يَكُفَّ لِسانَه ويدَه ، وأن لا يُفَرِّقَ جَماعةَ المسلمين ، فأَبَى وبَرَز ناحيةً عن الناسِ ، ودَعا نَصْرَ بنَ سَيَّارٍ إلى ما هو عليه مِن الدَّعْوةِ إلى الكتابِ والسنةِ ، فامْتَنَع نصرٌ مِن مُوافقتِه ، واسْتَمَرَّ هو على خُروجِه على الإسلامِ[2] ، وأَمَر الجَهْمَ بنَ صَفْوانَ مَوْلى بنى راسبٍ ، ويُكَنَّى بأبى مُحْرِزٍ - وهو الذى تُنْسَبُ إليه الفِرْقةُ الجَهْميةُ - أن يَقْرَأَ كِتابًا فيه سِيرةُ الحارثِ على الناسِ ، وكان الحارثُ يَقولُ : أنا صاحبُ الراياتِ السُّودِ . فبَعَث إليه نَصْرٌ يَقولُ : إن كنتَ ذاك فلَعَمْرِى إنكم الذين تُخَرِّبون سُورَ دِمشقَ وتُزِيلون بنى أميةَ ، فخُذْ منى خمسَمائةِ رأسٍ ومائتى بعيرٍ وما شئتَ مِن الأموالِ ، وإن كنتَ غيرَه فقد أهْلَكْتَ عَشيرتَك . فبعَث إليه الحارثُ يَقولُ : لَعَمْرِى إن هذا لَكائنٌ . فقال له

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٣٣٠ - ٣٤٨، والكامل ٥/٣٤٢ - ٣٥٢.

(٢) كذا فى النسخ ، ولعله : « الإمام » .

نَصْرٌ : فابْدَأْ بالكَرْمانىِّ أولًا ، ثم سِرْ إلى الرَّىِّ ، وأنا فى طاعتِك إذا وَصَلْتَها . ثم تَناظَر نصرٌ والحارثُ ورَضِيا أن يَحْكُمَ بينَهما مُقاتلُ بنُ حَيَّانَ والجَهْمُ بنُ صَفْوانَ ، فحَكَما أن يُعْزَلَ نصرٌ ويَكونَ الأمْرُ شُورَى ، فامْتَنع نصرٌ مِن قَبولِ ذلك ، ولَزِم الجَهْمُ بنُ صَفْوانَ وغَيرُه قراءةَ سِيرةِ الحارثِ على الناسِ فى المجامِعِ والطُّرقِ ، فاسْتَجاب له خَلْقٌ كثيرٌ ، وجَمٌّ غَفِيرٌ ، فعندَ ذلك انْتَدب لقِتالِه جَماعاتٌ مِن الجُيوشِ عن أمْرِ نصرِ بنِ سَيَّارٍ ، فقَصَدوه فحاجَف دونَه أصحابُه ، فقُتِل منهم طائفةٌ كثيرةٌ منهم الجَهْمُ بنُ صَفْوانَ ، طَعَنه رجلٌ فى فيه فقَتَله ، ويقالُ : بل أُسِر الجَهْمُ ، فأُوقِف بينَ يدى سَلْمِ بنِ أحْوزَ ، فأمَر بقَتْلِه ، فقال : إن لى أمانًا مِن ابنِك[1] . [٨/٨و] فقال : ما كان له أن يُؤَمِّنَك ، ولو فَعَل ما أمَّنْتُك ، ولو مَلَأْتَ هذه المُلاءَةَ كَواكبَ ، وأَنْزَلْتَ إلىَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ ما نَجَوْتَ ، واللَّهِ لو كنتَ فى بَطْنى لَشَقَقْتُ بَطْنى حتى أَقْتُلَك . وأَمَر [2]عبدَ ربِّه بنَ سِيسَنَ[2] فقَتَله ، ثم اتَّفَق الحارثُ بنُ سُرَيْجٍ والكَرْمانىُّ على نصرٍ ومُخالفتِه ، والدَّعْوةِ إلى الكتابِ والسنةِ ، واتِّباعِ أئمةِ الهُدَى ، وتَحْريمِ المُنْكَراتِ ، إلى غيرِ ذلك مما جاءتْ به الشَّرِيعةُ ، ثم اخْتَلفا فيما بينَهما ، واقْتَتلا قِتالًا شديدًا ، فغَلَب الكَرْمانىُّ ، وانْهَزم أصحابُ الحارثِ ، وكان راكبًا على بَغْلٍ ، فتَحَوَّل عنه إلى فرسٍ ، فحَرَنَت أن تَمْشِىَ ، وهَرَب عنه أصحابُه ، ولم يَبْقَ معه منهم سِوى مائةٍ ، فأدْرَكه أصحابُ الكَرْمانىِّ ، فقتَلوه تحتَ شجرةِ زيتونٍ ، وقيل : تحتَ شجرةِ غُبَيْراءَ . وذلك يومَ الأحدِ لستٍّ بَقِينَ مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وقُتِل معه مائةٌ مِن أصحابِه ،

---

(١) فى الأصل ، ب ، م : « أبيك » .

(٢ - ٢) فى ب : « عبد ربه بن سهر » ، وفى م : « ابن ميسر » ، وفى ص : « ابن ميسرة » .

واحْتاط الكَرْمانىُّ على حَواصِلِه وأمْوالِه ، وأخَذ أمْوالَ مَن خَرَج معه أيضًا ، وأَمَر بصَلْبِ الحارثِ بلا رأسٍ على بابِ مدينةِ مَرْوَ ، ولما بَلَغ نصرَ بنَ سَيَّارٍ مَقْتَلُ الحارثِ قال فى ذلك :

يا مُدْخِلَ الذُّلِّ على قومِه ... بُعْدًا وسُحْقًا لك مِن هالكِ
شُؤْمُك أَرْدَى مُضَرًا كلَّها[1] ... وغَضَّ مِن قومِك بالحارِكِ[2]
ما كانتِ الأزْدُ وأشياعُها ... تَطْمَعُ فى عمرٍو ولا مالكِ
ولا بنى سعدٍ إذا أَلْجَموا ... كلَّ طِمِرٍّ[3] لونُه حالِكُ

وقد أجابه عَبَّادُ[4] بنُ الحارثِ بنِ سُرَيْجٍ فيما قال :

ألا يا نصرُ قد بَرِح الخَفاءُ ... وقد طال التَّمنِّىَ والرَّجاءُ
وأصْبَحَتِ المَزُونُ[5] بأرضِ مَرْوٍ ... تُقَضِّى فى الحُكومةِ ما تَشاءُ
يَجُوزُ قَضاؤُها فى كلِّ حُكْمٍ ... على مُضَرٍ وإن جار القَضاءُ
وحِمْيَرُ فى مَجالسِها قُعودٌ ... تَرَقْرَقُ فى رِقابِهمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضَرٌ بذا رَضِيَت وذَلَّت ... فطال لها المَذَلَّةُ والشَّقاءُ
وإنْ هىَ أعْتَبَت فيها وإلا ... فحَلَّ على عساكِرِها العَفاءُ

وفى هذه السنةِ بَعَث إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ أبا

---

(١) فى ص : « هلكها » .
(٢) الحارك : أعلى الكاهل . اللسان (ح ر ك) .
(٣) الطمر : الفرس الجواد . اللسان (ط م ر) .
(٤) فى الأصل ، ب : « غياث » ، وفى ص : « عتاب » .
(٥) فى الأصل : « المرور » ، وفى ب : « الأمور » ، وفى ص : « المروء » . والمزون : أرض عُمَان . كانت تسكنها الأزد ، سكن كثير منهم مرو . انظر معجم البلدان ٤/ ٥٢١، ٥٢٢، واللسان (م ز ن) . ولعل المقصود أهل المزون ، أى الأزد .

مسلمِ الخُراسانيَّ [٨/٨ظ] إلى خُراسانَ ، وكتَب معه كتابًا إلى شِيعتِهم بها : إن هذا أبو مُسْلمٍ فاسْمَعوا له وأَطِيعوا ، وقد وَلَّيْتُه على ما غَلَب عليه مِن أرضِ خُراسانَ . فلما قَدِم أبو مسلمٍ خُراسانَ ، وقَرَأ على أصحابِه هذا الكتابَ ، لم يلْتَفِتوا إليه ، ولم يَعْمَلوا به ، وأعْرَضوا عنه ، ونَبَذوه وراءَ ظُهورِهم ، فرَجَع إلى إبراهيمَ بنِ محمدٍ أيامَ المَوْسمِ ، فاشْتَكاهم إليه ، وأخْبَره بما قابَلوه به مِن المُخالفةِ ، فقال له : يا عبدَ الرحمنِ ، إنك رجلٌ منا أهلَ البيتِ ، ارْجِعْ إليهم وعليك بهذا الحيِّ مِن اليَمَنِ ، فالْزَمْهم[1] وانْزِلْ بينَ أظْهُرِهم ، فإن اللَّهَ لا يُتِمُّ هذا الأمْرَ إلا بهم . ثم حَذَّره مِن بقيةِ الأحْياءِ ، وقال له : إن اسْتَطَعْتَ أن لا تَدَعَ بتلك البلادِ لسانًا عربيًّا فافعَلْ ، ومَن بَلغ مِن أبنائِهم خمسةَ أشْبارٍ واتَّهَمْتَه فاقْتُلْه ، وعليك بهذا الشيخِ فلا تَعْصِه . يعنى سليمانَ بنَ كثيرٍ ، وسيأتى ما كان مِن أمْرِ أبى مسلمٍ الخُراسانيِّ فيما بعدُ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفى هذه السنةِ قُتِل الضَّحَّاكُ بنُ قيسٍ الخارجيُّ فى قولِ أبى مِخْنَفٍ[2] ، وكان سببَ ذلك أن الضَّحَّاك حاصَر عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بواسِطٍ ، ووافَقه على مُحاصَرتِه مَنْصورُ بنُ جُمْهورٍ ، فكتَب عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ إليه أنه لا فائدةَ لك فى مُحاصَرتى ، ولكن عليك بمَرْوانَ بنِ محمدٍ ، فسِرْ إليه ، فإن قتَلْتَه اتَّبَعْتُك . فاصْطَلَحا على مُخالَفةِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ ، [3]وتَرَحَّل الضحاكُ عنه ، وسار قاصدًا إلى قتالِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ[3] أميرِ المؤمنين ، فلما اجْتاز الضَّحَّاكُ بالمَوْصِلِ كاتَبه أهلُها ، فمال إليهم فدَخَلها ، وقتَل

---

(١) فى م ، ص ، وتاريخ الطبرى : « فأكرمهم » . وانظر الكامل ٥/ ٣٤٨.
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٣٤٤ - ٣٤٦.
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

نائبَها ، واسْتَحْوَذ عليها ، وبَلَغ ذلك مَرْوانَ وهو مُحاصِرٌ حِمْصَ ، مَشْغولٌ بأَهْلِها وعَدَمِ مُبايَعتِهم إياه ، فكتَب إلى ابنِه عبدِ اللَّهِ بنِ مَرْوانَ - [1] وهو نائبُه على الجزيرةِ - يأمُرُه أن يقاتِلَ الضَّحَّاكَ بالمَوْصلِ فسار الضَّحَّاكُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ مروانَ [1] ، وكان الضَّحَّاكُ قد الْتَفَّ عليه مائةُ ألفٍ وعشرون ألفًا ، فحاصَروا نَصِيبِينَ ، وسار مَرْوانُ فى طَلَبِه ، فالْتَقَيا هنالك ، فاقْتَتَلا قِتالًا شديدًا [2] جدًّا ، فاقْتَحم الضَّحّاكُ عن فَرسِه ، وترجَّل معه جماعةٌ مِن كُبراءِ الأمراءِ ، فاقتتلوا قِتالًا شديدًا [2] ، فقُتِل الضَّحَّاكُ فى المَعْركةِ ، وحَجَز الليلُ بينَ الفريقَيْن ، وفقَد أصحابُ الضَّحَّاكِ الضَّحَّاكَ ، وشَكُّوا فى أمْرِه ، حتى أخْبَرهم مَن شاهدَه قد قُتِل ، فبَكَوْا عليه وناحُوا ، [٨/٩و] وجاء الخَبَرُ إلى مَرْوانَ ، فبَعَث إلى المعركةِ بالمَشاعِلِ ومَن يَعْرِفُ مكانَه بينَ القَتْلَى ، [3] فلمّا وجدوه جاءوا به [3] إلى مَرْوانَ وهو مَقْتولٌ ، وفى رأسِه ووجهِه نحوٌ مِن عشرين ضَرْبةً ، فأَمَر برأسِه ، فطِيف به فى مَدائنِ الجَزيرةِ .

واسْتَخْلف الضَّحَّاكُ مِن بعدِه على جيشِه رجلًا يُقالُ له : الخَيْبَرىُّ . فالْتَفَّ عليه بقيةُ جيشِ الضَّحَّاكِ ، والْتَفَّ مع الخَيْبَرىِّ سليمانُ بنُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ وأهلُ بيتِه ومَواليه ، والجيشُ الذين كانوا قد بايَعوه فى السنةِ الماضيةِ على الخِلافةِ ، وخَلَعوا مَرْوانَ بنَ محمدٍ عن الخِلافةِ لأجلِه ، فلما أصْبَحوا اقْتَتَلوا مع مَرْوانَ ، فحمَل الخَيْبَرىُّ فى أربعِمائةٍ مِن شُجْعانِ أصحابِه على مَرْوانَ وهو فى القَلْبِ ، فكَرَّ مُنْهَزِمًا ، واتَّبعوه حتى أخْرَجوه مِن الجيشِ ، ودَخَلوا عَسْكرَه ، وجلَس

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « وجاء الخبر » .

الخَيْبَرِىُّ على فُرْسِه ، هذا ومَيْمَنةُ مَرْوانَ ثابتةٌ ، وعليها ابنُه عبدُ اللَّهِ ، ومَيْسَرتُه أيضًا ثابتةٌ ، وعليها إسحاقُ بنُ مسلمٍ العُقَيْلِىُّ . ولما رَأَى عَبِيدُ العَسْكرِ قِلَّةَ مَن مع الخَيْبرىِّ ، وأنَّ المَيْمَنةَ والمَيْسَرةَ مِن جَيشِهم باقيتان طَمِعوا فيه ، فأقْبَلوا إليه بعُمُدِ الخيامِ ، فقَتَلوه بها ، وبَلَغَ مَقْتلُه مَرْوانَ ، وقد سار عن الجيشِ نحوًا مِن خمسةِ أمْيالٍ أو ستةٍ ، فرَجَع مَسْرورًا ، وانْهَزم أصحابُ الخَيْبَرِىِّ ،[1] وقد وَلَّوا عليهم شَيْبانَ ، [2]فقاتَلَهم مَرْوانُ بعدَ ذلك بالكَرادِيسِ[2] ، فهَزَمهم .

وفيها بَعَث مَرْوانُ الحِمارُ على إمْرَةِ العراقِ يزيدَ بنَ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ لِيُقاتِلَ مَن بها مِن الخَوارِجِ .

وفى هذه السنةِ حَجَّ بالناسِ عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وهو نائبُ المدينةِ ومكةَ والطائفِ ، وأميرُ العراقِ يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ ، وأميرُ خُراسانَ نصرُ ابنُ سَيَّارٍ .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ : بكرُ بنُ سَوَادةَ[3] ، **وجابرٌ** الجُعْفىُّ[4] ، **والجَهْمُ** ابنُ صَفْوانَ[5] مَقْتولًا كما تقَدَّم ، **والحارثُ** بنُ سُرَيْجٍ أحدُ كُبَراءِ الأُمراءِ[6] ، وقد

---

(٧) فى الأصل ، ص : « الضحاك » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « فقصدهم مروان بعد ذلك بمكان يقال له الكراديس » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل . وبعده فيهما : « وأبطل الصف منذ يومئذ » . أى أنه قسم جيشه كراديس - أى مجموعات ، واحدها كُردوس - ولم يجعل جيشه يقاتل فى صفوف كما اعتادوا ، منذ ذلك اليوم .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٤، وتهذيب الكمال ٤/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٥، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ١/ ١٦٤، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٩.

(٥) الملل والنحل ١/ ١٣٥، والفرق بين الفرق ص ٢١١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٦٥.

(٦) أنساب الأشراف ١٢/ ١١٠. وفيه : « شريح » .

تقدم شيءٌ مِن ترجمتِه ، **وعاصمُ** بنُ بَهْدَلَةَ[1] ، **وأبو حَصِينٍ** عثمانُ بنُ عاصمٍ[2] ، **ويَزيدُ** بنُ أبى حَبيبٍ[3] ، **وأبو التَّيَّاحِ** يزيدُ بنُ حُمَيْدٍ[4] ، و[5] **أبو جَمرةَ** الضُّبَعىُّ[5] ، **وأبو الزبيرِ** المكىُّ[6] ، **وأبو عِمْرانَ** الجَوْنىُّ[7] ، **وأَبو قَبيلٍ** المَعافِرىُّ[8] .

وقد ذَكَرْنا تَراجمَهم فى كتابِنا « التَّكْميلِ » .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٠، وتاريخ دمشق ٢٥/ ٢٢٠، وتهذيب الكمال ١٣/ ٤٧٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٣٨، وطبقات القراء ١/ ٣٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢١، وتاريخ دمشق ١١٤/١١ مخطوط، وتهذيب الكمال ١٩/ ٤٠١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٧٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٣، والمنتظم ٧/ ٢٦٨، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٠٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٨، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٠٦.

(٥ - ٥) فى م : « أبو حمزة النعنبعى » . وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٥، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٧٦.

(٦) الطبقات الكبرى ٥/ ٤٨١، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤٠٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٤٩.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٨، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٦٨.

(٨) فى م، ص : « المغافرى » . وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٢، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٩٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٤، ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٨٠.

ثم دَخَلَت سنةُ تسعٍ وعشرين ومائةٍ

فيها[1] اجْتَمَعَت الخَوارجُ بعدَ الخَيْبَرىِّ على شَيْبانَ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ الحُلَيْسِ اليَشْكُرىِّ [٨/٩ظ] الخارجىِّ، فأشار عليهم سليمانُ بنُ هشامٍ أن يَتَحَصَّنوا بالمَوْصِلِ، ويَجْعَلوها منزلًا لهم، فتحَوَّلوا إليها، وتَبِعهم مَرْوانُ بنُ محمدٍ أميرُ المؤمنين، فعَسْكَروا بظاهرِها، وخَنْدَقوا عليهم مما يَلى جيشَ مَرْوانَ، وقد خَنْدَق مَرْوانُ على جيشِه أيضًا مِن ناحيتِهم، وأقام سنةً يحاصرُهم[2] ويَقْتَتِلون فى كلِّ يومٍ بُكرةً وعشيةً، وظفِر مروانُ بابنِ أخٍ لسليمانَ بنِ هشامٍ، وهو أُمَيةُ بنُ معاويةَ ابنِ هشامٍ، أَسَره بعضُ جيشِه، فأمَر به فقُطِعت يداه، ثم ضُرِبَتْ عنقُه وعمُّه سليمانُ والجيشُ يَنْظُرون إليه. وكتَب مَرْوانُ إلى نائبِه بالعراقِ يزيدَ بنِ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ يَأْمُرُه بقِتالِ الخَوارجِ الذين فى بلادِه، فجرَتْ له معهم وَقَعاتٌ عَديدةٌ، فظَفِر بهم ابنُ هُبَيرةَ، وأباد خَضْراءَهم، ولم يُبْقِ لهم بَقِيَّةً بالعراقِ، واسْتَنْقَذ الكُوفةَ مِن أيديهم، وكان عليها المُثَنَّى بنُ عِمرانَ العائذىُّ - عائذةُ قريشٍ - فى رَمضانَ مِن هذه السنةِ، وكَتَب مَرْوانُ إلى ابنِ هُبَيْرةَ لما فَرَغ مِن الخَوارجِ أن يَمُدَّه[3] بعامرِ بنِ ضُبارةَ[3] - وكان مِن الشُّجْعانِ - فبَعَثه فى ستةِ[4] آلافٍ أو ثمانيةِ آلافٍ، فأَرْسَلَت الخوارجُ إليه سَرِيةً فى أربعةِ آلافٍ، فاعْتَرَضوه فى الطريقِ، فهَزَمهم ابنُ ضُبارةَ، وقَتَل أميرَهم الجَوْنَ بنَ كِلابٍ الشَّيْبانىَّ الخارجىَّ، وأقْبَل نحوَ المَوْصِلِ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٤٩/٧ - ٣٥٣، والكامل ٣٥٣/٥ - ٣٥٦.

(٢) فى تاريخ الطبرى أنه أقام ستة أشهر يحاصرهم، وليس سنة.

(٣ - ٣) فى الأصل، ب، م: «بعمار بن صبارة».

(٤) فى م، ص: «سبعة».

ورَجَع فَلُّ الخَوارجِ إليهم ، فأشار سليمانُ بنُ هشامٍ عليهم أن يَرْتَحِلوا عن المَوْصِلِ ، فإنه لم يَكُنْ يُمْكِنُهم الإقامةُ بها ، ومَرْوانُ مِن أمامِهم وابنُ ضُبارةَ مِن ورائِهم ، قد قَطَع عنهم الميرةَ حتى لم يَجِدوا شيئًا يَأْكُلونه ، فارْتَحَلوا عنها ، وساروا على حُلْوانَ إلى الأَهْوازِ ، فأرْسَل مَرْوانُ ابنَ ضُبارةَ فى آثارِهم فى ثلاثةِ آلافٍ ، فاتَّبَعهم يَقْتُلُ مَن تَخَلَّف منهم ، ويَلْحَقُهم فى مَواطِنَ فيُقاتِلُهم ، وما زال وراءَهم حتى فَرَّق شَمْلَهم شَذَرَ مَذَرَ ، وهَلَك أميرُهم شيْبانُ بنُ عبدِ العزيزِ اليَشْكُرىُّ بالأَهْوازِ فى السنةِ القابلةِ ، قَتَله خالدُ بنُ مسعودِ بنِ جعفرِ بنِ خُلَيْدٍ الأَزْدِىُّ . ورَكِب سليمانُ ابنُ هشامٍ فى مَوالِيه وأهلِ بيتِه السُّفنَ ، وساروا إلى السِّنْدِ ، ورَجَع مَرْوانُ مِن المَوْصِلِ ، فأقام بمنزلِه بحَرَّانَ ، (١) وقد وَجَد سُرورًا بزَوالِ الخَوارجِ ، ولكن لم يَتِمَّ سُرورُه ، بل أعْقَبه القَدَرُ مَن هو أقْوَى شَوْكةً ، وأعْظَمُ أتْباعًا ، وأشَدُّ بأسًا مِن الخَوارجِ ، وهو ظُهورُ أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ الدَّاعيةِ إلى دولةِ بنى العَباسِ (١) .

أولُ ظهورِ أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ بخُراسانَ

وفى هذه السنةِ (٢) وَرَد كتابٌ مِن إبراهيمَ بنِ محمدٍ الإمامِ العباسىِّ بطَلَبِ أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ مِن خُراسانَ ، فسار إليه فى سبعين مِن النُّقَباءِ ، لا يَمُرُّون ببلدٍ إلا سَأَلوهم : إلى أين تَذْهَبون ؟ فيَقُولُ أبو مسلمٍ : نُرِيدُ الحَجَّ . وإذا تَوَسَّم أبو مسلمٍ مِن بعضِهم مَيْلًا إليه دَعاه إلى ما هم فيه ، [٨/١٠و] فيُجِيبُه إلى ذلك ، فلما كان أبو مسلمٍ فى أثناءِ الطريقِ جاء كتابٌ ثانٍ مِن إبراهيمَ الإمامِ : إنى قد بَعَثْتُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣٥٣/٧ - ٣٥٧، والمنتظم ٧/ ٢٧٠، ٢٧١، والكامل ٣٥٦/٥ - ٣٦١.

إليك برايةِ النصرِ ، فارْجِعْ إلى خُراسانَ وأَظْهِرِ الدَّعْوةَ . فامتثل أبو مسلمٍ ذلك وأمَر قَحْطَبةَ بنَ شَبيبٍ أن يَسيرَ بما معه مِن الأمْوالِ والتُّحَفِ إلى إبراهيمَ الإمامِ ، فيُوافِيَه بها فى المَوْسِمِ ، ورجَع أبو مسلمٍ بالكِتابِ ، فدَخَل خُراسانَ فى أولِ يومٍ مِن رَمضانَ ، فَدَفَع الكتابَ إلى سليمانَ بنِ كَثيرٍ ، وفيه أن أَظْهِرْ دَعْوتَك ولا تَتَرَبَّصْ ، فقَدَّموا عليهم أبا مسلمٍ الخُراسانيَّ داعيًا إلى بنى العباسِ ، فبَثَّ أبو مسلمٍ دُعاتَه فى بلادِ خُراسانَ ونواحيها ، وأميرُ خَراسانَ نصرُ بنُ سَيَّارٍ مَشْغولٌ بقتالِ الكَرْمانيِّ ، وشيبانَ بنِ سَلَمةَ الحَروريِّ ، وقد بَلَغ مِن أمْرِه أنه كان يُسَلِّمُ عليه أصحابُه بالخِلافةِ فى طَوائفَ كثيرةٍ مِن الخَوارجِ ، فظَهَر أمْرُ أبى مسلمٍ ، وقَصَده الناسُ مِن كلِّ جانبٍ ، فكان ممَّن قَصَده فى يومٍ واحدٍ أهلُ ستين قريةً ، فأقام هناك اثنين وأربعين يومًا ، ففُتِحَت عليه أقاليمُ كثيرةٌ . ولما كان ليلةُ الخميسِ لخمسٍ بَقِين مِن رَمضانَ فى هذه السنةِ ، عَقَد أبو مسلمٍ اللِّواءَ الذى بَعَث به إليه الإمامُ ، وكان يُدْعَى الظِّلَّ ، على رُمْحٍ طولُه أربعةَ عشَرَ ذراعًا ، وعقَد الرايةَ التى بَعَث بها الإمامُ أيضًا ، وتُدْعَى السَّحابَ ، على رُمْحٍ طولُه ثلاثةَ عشَرَ ذراعًا ، وهما سَوْداوان ، وهو يَتْلُو قولَه تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] . ولَبِس أبو مسلمٍ وسليمانُ بنُ كَثيرٍ ومَن أجابهم إلى هذه الدَّعْوةِ السَّوادَ ، وصارتْ شِعارَهم ، وأوْقَدوا فى هذه الليلةِ نارًا عَظيمةً يَدْعُون بها أهلَ تلك النَّواحى ، وكانتْ عَلامةَ ما بينهم فتَجَمَّعوا . ومعنى تَسْميةِ إحدى الرايتَيْن بالسَّحابِ أن السَّحابَ كما يُطَبِّقُ جميعَ الأرضِ ، كذلك بنو العباسِ تُطْبِقُ دعوتُهم الأرضَ ، ومعنى تَسْميةِ الأخرى بالظِّلِّ أن الأرضَ لا تَخْلُو مِن الظِّلِّ أبدًا ، وكذلك بنو العباسِ لا تَخْلو الأرضُ مِن قائمٍ منهم ، وأقْبَل الناسُ إلى أبى مسلمٍ مِن كلِّ جانبٍ ، وكَثُر جيشُه جدًّا .

ولما كان يومُ عيدِ الفطرِ أمَر أبو مسلمٍ سليمانَ بنَ كَثيرٍ أن يُصَلِّيَ بالناسِ، ونَصَب له مِنْبرًا، وأن يُخالِفَ فى ذلك بنى أُمَيةَ، ويَعْمَلَ بالسُّنَّةِ، فنُودِى للصلاةِ: الصلاةَ جامعةً. ولم يُؤَذِّنْ ولم يُقِمْ، خِلافًا لهم، وبَدَأ بالصَّلاةِ قبلَ الخُطْبةِ، وكَبَّر سَبْعًا[1] فى الأولى قبلَ القراءةِ، لا أربعًا، [٨/١٠ظ] وخمسًا فى الثانيةِ لا ثلاثًا، خِلافًا لهم. وابْتَدَأ الخُطبةَ بالذِّكْرِ والتَّكْبيرِ، وخَتَمَها بالقِراءةِ، وانْصَرَف الناسُ مِن صلاةِ العيدِ، وقد أعَدَّ لهم أبو مسلمٍ طَعامًا، فوَضَعه بينَ أيدى الناسِ، وكَتَب إلى نصرِ بنِ سَيَّارٍ كتابًا بَدَأ فيه بنفسِه، ثم قال: إلى نصرِ بنِ سَيَّارٍ، بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، أمَّا بعدُ، فإنَّ اللَّهَ تباركت أسماؤُه عَيَّر أقْوامًا فى كتابِه فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣] فعَظُم على نصرٍ أن قَدَّم اسمَه على اسمِه، وأطال الفِكْرَةَ، وقال: هذا كتابٌ له جَوابٌ[2].

قال ابنُ جَريرٍ[3]: ثم بَعَث نصرُ بنُ سَيَّارٍ خَيْلًا عظيمةً لمُحاربةِ أبى مسلمٍ، وذلك بعدَ ظُهورِه بثمانيةَ عشَرَ شهرًا، فأرْسَل أبو مسلمٍ إليهم مالكَ بنَ الهَيْثَمِ

---

(١) فى م، ومصادر التخريج: «ستًّا». قال الشوكانى فى نيل الأوطار ٣/ ٣٥٥: وقد اختلف العلماء فى عدد التكبيرات فى صلاة العيد فى الركعتين وفى موضع التكبير، على عشرة أقوال؛ أحدها أنه يكبر فى الأولى سبعا قبل القراءة وفى الثانية خمسا قبل القراءة. قال العراقى: هو قول أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة.

ونستطيع أن نوفق بين ما فى المصادر الثلاثة و (م)، وبين ما فى النسخ الثلاثة الباقية، فنقول: إن العدد ستًّا يراد به عدد التكبيرات غير تكبيرة الإحرام، وإن العدد سبعا يراد به عدد التكبيرات مع تكبيرة الإحرام.

(٢) فى الأصل، ب، ص: «إخوان»، وفى نهاية الأرب ٢٢/ ٢١: «أخوات».

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٣٥٨، ٣٥٩.

الخُزاعىّ ، فالْتَقَوْا هنالك فدَعاهم مالكٌ إلى الرِّضا من آلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأبَوْا ذلك ، فتَصافُّوا مِن أولِ النهارِ إلى العصرِ ، ثم جاءه مددٌ فقَوِى مالكٌ عليهم ، واسْتَظْهَر وظفِر بهم ، وكان هذا أولَ موقفٍ اقْتَتل فيه دُعاةُ بنى العباسِ وجندُ بنى أُمَيةَ .

وفى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ[1] غَلَب خازمُ بنُ خُزيْمةَ على مَرْوِ الرُّوذِ[2] ، وقتَل عاملَها مِن جهةِ نصرِ بنِ سَيَّارٍ ، وهو بشرُ بنُ جعفرٍ السَّعْدىُّ ، وكَتَب بالفتحِ إلى أبى مسلمٍ .

وكان[3] أبو مسلمٍ إذ ذاك شابًّا حَدَثًا قد اخْتاره إبراهيمُ الإمامُ لدَعْوتِهم ، وذلك لشَهامتِه وصَرامتِه وقُوةِ فَهْمِه وجَوْدةِ عَقْلِه ، وأصْلُه مِن سَوادِ الكُوفةِ ، وكان مَوْلًى لإدْريسَ بنِ مَعْقِلٍ العِجْلىِّ ، فاشْتَراه بعضُ دُعاةِ بنى العباسِ بأربعِمائةِ درهمٍ ، ثم أخَذَه محمدُ بنُ علىٍّ ، ثم آلَ وَلاؤُه لآلِ العباسِ ، وقد زَوَّجه إبراهيمُ ابنُ محمدٍ الإمامُ بابنةِ أبى النَّجْمِ [4]عِمْرانَ بنِ إسماعيلَ[4] ، وأصْدَقها عنه ، وكَتَب إلى نُقبائِهم بخُراسانَ والعراقِ أن يَسْمَعوا له ويُطيعوا ، فامْتَثلوا أمْرَه فى هذه المدةِ ، وقد كانوا فى السنةِ الماضيةِ ردُّوا عليه أمْرَه فيه لصِغَرِه فى أعينِهم ، فلما كانتْ هذه السنةُ أكَّد كتابَه إليهم فى سببِه ، فلم يَكُنْ لهم [٨/١١و] عنه مَعْدِلٌ ، وكان

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٦٠، والمنتظم ٧/ ٢٧١، والكامل ٥/ ١٦١.

(٢) مرو الروذ : من بلاد فارس . والمرو بالفارسية : المَرْج . والرُّوذ : الوادى ، فمعناه : وادى المرج ؛ لأن إضافتهم مقلوبة ، أو مرج الوادى ، على الإضافة الصحيحة . معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٦.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ١٩٨، ١٩٩، ٣٦٠ - ٣٦٣، وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٩ - ٣٩١ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، والكامل ٥/ ٢٥٤، ٣٦١ - ٣٦٣.

(٤ - ٤) فى النسخ : « إسماعيل بن عمران » . والمثبت من تاريخ دمشق ، والكامل . وانظر ما سيأتى فى ١٠/ ٦٧ مطبوع .

فى ذلك الخِيَرةُ ، وكان أمرُ اللَّهِ قدَرًا مقدورًا .

ولما اسْتَفْحل[1] أمْرُ أبى مسلمٍ بخُراسانَ تَعاقَدَت طَوائفُ مِن أحياءِ العربِ الذين بها على حَرْبِه ومُقاتلتِه ، ولم يَكْرَهْ أمرَه الكَرْمانىُّ وشَيْبانُ ؛ لأنهما خَرَجا على نصرٍ ، وهذا مُخالِفٌ له ، وهو مع ذلك يَدْعُو إلى خَلْعِ مَرْوانَ الحِمارِ ، وقد طَلَب نصرٌ مِن شَيْبانَ أن يَكونَ معه على حربِ أبى مسلمٍ ، أو يَكُفَّ عنه حتى يَتَفَرَّغَ لحربِه ، فإذا قتَله وتفرَّغَ منه عادا إلى عَداوتِهما ، فبَلَغ ذلك أبا مسلمٍ ، فبَعَث إلى [2]ابنِ الكَرْمانىِّ[2] يُعْلِمُه بذلك ، فثنى [2]ابنُ الكَرْمانىِّ[2] شَيبانَ عن ذلك الرأيِ ، وبَعَث أبو مسلمٍ إلى هَرَاةَ النَّضْرَ بنَ نُعَيْمٍ ، فافتتحها وطرَد عنها عامِلَها عيسى بنَ عَقِيلٍ اللَّيْثىَّ ، واسْتَحْوذ على البلدِ ، وكَتَب إلى أبى مسلمٍ بذلك ، وجاء عاملُها إلى نصرٍ هاربًا . ثم إن شَيبانَ وادَع نصرَ بنَ سَيَّارٍ سنةً على تَرْكِ الحربِ بينَه وبينَه ، وذلك عن كُرْهٍ مِن ابنِ الكَرْمانىِّ ، فَبَعَث ابنُ الكَرْمانىِّ إلى أبى مسلمٍ : إنى معك على قتالِ نصرٍ[3] . ورَكِب أبو مسلمٍ إلى خَدَمةِ[4] ابنِ الكَرْمانىِّ ، فنزَل عندَه واجتمعا ، فاتفقا على حَرْبِه ومُخالفتِه ، وتَحَوَّل أبو مسلمٍ إلى مَوْضعِ فَسِيحٍ[5] ، وكَثُر جندُه ، وعَظُم جيشُه ، واسْتَعْمل على الشُّرَطِ والحَرَسِ والرَّسائلِ والدِّيوانِ وغيرِ ذلك مما يَحْتاجُ الملكُ إليه ، وجَعَل القاسمَ بنَ مُجاشعٍ التَّميمىَّ - وكان أحدَ النُّقَباءِ - على القَضاءِ ، وكان يُصَلِّى بأبى مسلمٍ الصَّلواتِ ، ويَقُصُّ بعدَ العصرِ ، فيَذْكُرُ مَحاسِنَ بنى هاشمٍ ، ويَذُمُّ بنى أُمَيةَ . ثم تَحَوَّل أبو مسلمٍ فنزَل

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣٦٣/٧ - ٣٦٧، والكامل ٣٦٦/٥ - ٣٧٠.

(٢ - ٢) فى النسخ : « الكرمانى » والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) بعده فى ص : « فسار أبو مسلم نحو الكرمانى ليجتمعا على قتل نصر » .

(٤) الخدمة : حلقة القوم وجماعتهم . انظر اللسان (خ د م) .

(٥) فى تاريخ الطبرى والكامل أن تحول أبى مسلم إلى معسكر فسيح كان قبل ذهابه إلى ابن الكرمانى .

بقريةٍ يُقالُ لها : آلِينُ[1] . وكان فى مكانٍ مُنْخَفِضٍ ، فخَشِى أن يَقْطَعَ عنه نصرُ ابنُ سَيَّارٍ الماءَ ، وذلك فى سادسِ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وصَلَّى بهم يومَ النَّحْرِ القاضى القاسمُ بنُ مُجاشِعٍ ، وصار نصرُ بنُ سَيَّارٍ فى جَحافِلَ قاصدًا قِتالَ أبى مسلمٍ ، واسْتَخْلَف على البلادِ نُوَّابًا ، فكان مِن الأمرِ ما سنَذْكُرُه فى السنةِ الآتيةِ إن شاء اللَّهُ تعالى .

مَقْتَلُ الكَرْمانىِّ[2]

ونَشِبَت الحربُ بينَ نصرِ بنِ سَيَّارٍ وبينَ الكَرْمانىِّ[3] ، وهو جُدَيْعُ بنُ علىٍّ الكَرْمانىُّ ، فقُتِل بينَهما مِن الفريقَيْن خَلْقٌ كثيرٌ ، وجَعَل أبو مسلمٍ يُكاتِبُ كُلًّا مِن الطائفتَيْن ، ويَسْتَمِيلُهم إليه ، يَكْتُبُ إلى نصرٍ وإلى الكَرْمانىِّ[3] : إنَّ الإمامَ قد أوْصانى بكم خيرًا ، ولستُ أَعْدُو رأيَه فيكم . وكَتَب إلى الكُوَرِ يَدْعو إلى بنى العباسِ ، فاسْتَجاب له خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، وأقْبَل أبو مسلمٍ ، فنَزَل بينَ خَنْدقِ نصرِ بنِ سيَّارٍ وخَنْدقِ جُديعٍ الكَرمانىِّ ، فهابه الفريقان جَميعًا . وكَتَب نصرُ بنُ سَيَّارٍ إلى الخليفةِ مَرْوانَ بنِ محمدِ بنِ مروانَ ، الملقَّبِ بالحمارِ ، يُعْلِمُه بأمْرِ أبى مسلمٍ ، وكَثْرةِ مَن معه ، وأنه يَدْعو إلى إبراهيمَ بنِ محمدٍ ، وكَتَب فى كِتابِه :

[٨/١١ظ]

---

(١) فى م : « بالين » . وآلين : من قرى مَرْو على أسفل نهر خارقان . معجم البلدان ١/ ٦٦.

(٢) فى النسخ : « ابن الكرمانى » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل . وانظر خبر مقتله فى تاريخ الطبرى ٧/٣٦٧ - ٣٧١، والكامل ٥/ ٣٦٣. وخبر مقتل الكرمانى حقه أن يقدم على خبر تعاقد أهل خراسان على أبى مسلم ، وقد أحسن ابن الأثير صنعًا حين فعل ذلك ، عليه وعلى المصنِّف رحمات اللَّه .

(٣) فى النسخ : « ابن الكرمانى » . والمثبت من مصدرى التخريج .

أَرَى بينَ الرَّمادِ وَمِيضَ جَمْرٍ (١فأَحْرِ بأَنْ١) يَكونَ له ضِرامُ
فإن النارَ بالعُودينِ(٢) تُذْكَى وإن الحربَ مَبْدؤُها الكلامُ
فقلتُ مِن التَّعَجُّبِ ليتَ شِعْرِى أأيْقاظٌ أميةُ أم نِيامُ

فكَتَب إليه مَرْوانُ: الشاهدُ يَرَى ما لا يرَى الغائبُ. فقال نصرٌ: إنَّ صاحبَكم قد أعلَمكم أن لا نُصْرةَ عندَه.

وبعضُهم يَرْويها بلفظٍ آخرَ(٣):

أَرَى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِيضَ نارٍ فيُوشِكُ أن يَكونَ لها ضِرامُ
فإن النارَ (٤بالزَّنْدَين تُورَى٤) وإن الحربَ أولُها الكلامُ
لئن لم يُطْفِها عُقلاءُ قومٍ يَكونُ وَقودَها جُثَثٌ وهامُ
أَقولُ مِن التَّعَجُّبِ ليتَ شِعْرى أأيْقاظٌ أميةُ أم نِيامُ
فإن كانوا لحينِهِمُ نِيامًا فقُلْ قوُموا فقد حان القِيامُ

قال ابنُ خَلِّكانَ(٥): وهذا كما قال بعضُ عَلويةِ الكوفةِ حينَ خَرَج محمدٌ وإبراهيمُ ابنا عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ على المنصورِ أخى السَّفَّاحِ:

أَرَى نارًا تَشِبُّ على بِقاعٍ(٦) لها فى كلِّ ناحيةٍ شُعاعُ

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى: «فأَخج بأنْ»، وفى الكامل: «وأخشى أن». وأحجِ به أى أحرِ به، وهو من التعجب الذى لا فعل له. اللسان (ح ج و).
(٢) فى النسخ: «بالعيدان». والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل.
(٣) انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٥٠.
(٤ - ٤) فى ب، م: «بالعيدان تذكى». والزندان: الزَّنْد والزَّنْدة، وهما خشبتان يُستقدح بهما، فالسُّفلى، زندة والأعلى زند. اللسان (ز ن د).
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ١٥٠.
(٦) فى وفيات الأعيان: «يفاع». واليفاعُ: المُشْرِفُ من الأرض والجبل. اللسان (ى ف ع).

وقد رَقَدَت بنو العباسِ عنها ... وباتَتْ وهْيَ آمِنةٌ رِتاعُ
كما رَقَدَت أُميةُ ثم هَبَّت ... تُدافِعُ حينَ لا يُغْنِى الدِّفاعُ

وكَتَب نصرٌ إلى نائبِ العراقِ يزيدَ بنِ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ يَسْتَمِدُّه، كَتَب إليه:

أَبْلِغْ يَزيدَ وخيرُ القولِ أصْدَقُهُ ... وقد تَبَيَّنْتُ[1] أن لا خيرَ فى الكَذِبِ
بأَنْ خُراسانُ أرضٌ قد رأيْتُ بها ... بَيْضًا لوَ افْرَخَ قد حُدِّثْتَ بالعَجَبِ
فِراخُ عامَيْن إلا أنها كَبِرَتْ ... لمَّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ
[١٢/٨و] [2]فإن يَطِرْنَ ولم يُحْتَلْ لهنَّ بها ... يُلْهِبْنَ نِيرانَ حربٍ أيَّما لَهَبِ[2]

فبَعَث ابنُ هُبَيرةَ بكتابِ نَصْرٍ إلى مَرْوانَ[3]، واتَّفَق فى وصِولِه إليه أن وَجَدوا رسولًا مِن جهةِ إبراهيمَ بنِ محمدٍ، ومعه كتابٌ منه إلى أبى مسلمٍ، وهو يَشْتُمُه ويَسُبُّه، ويَأْمُرُه أن يُناهِضَ نصرَ بنَ سَيَّارٍ والكَرْمانىَّ، ولا يَتْرُكَ هناك مَن يُحْسِنُ الكلامَ بالعربيةِ. فعندَ ذلك بَعَث مَرْوانُ وهو مُقِيمٌ بحَرَّانَ إلى نائبِه بدمشقَ، وهو الوليدُ بنُ مُعاويةَ بنِ عبدِ الملكِ، يَأْمُرُه أن يُرْسِلَ كتابًا إلى نائبِه بالبَلْقاءِ، ويأمرُه فيه أن يَذْهَبَ إلى الحُمَيْمةِ البَلْدَةِ التى فيها إبراهيمُ بنُ محمدٍ الملقَّبُ بالإمامِ، فيُقَيِّدَه ويُرْسِلَه إليه، فبَعَث نائبُ دِمشقَ إلى نائبِ البَلْقاءِ، فذَهَب إلى مسجدِ البَلْدةِ، فوَجَد إبراهيمَ بنَ محمدٍ جالسًا فيه، فقَيَّده وأرْسَل به إلى دمشقَ، فبَعَثه نائبُ دمشقَ مِن فَوْرِه إلى مَرْوانَ بنِ محمدٍ أميرِ المؤمنين، فأمَر به فسُجِن، وكان مِن

---

(١) فى ب، م: «تحققت»، وفى الكامل: «تيقنت».
(٢ - ٢) فى الكامل:
«إلَّا تُدارَكْ بخيلِ اللَّهِ مُعْلِمةً ... أَلْهَبْن نيرانَ حربٍ أيَّما لَهَبِ»
(٣) ليس فى تاريخ الطبرى ولا الكامل ما يدل على أن ابن هبيرة بعث بكتاب نصر إلى مروان.

أمرِه ما سيأتى فى السنةِ الآتيةِ .

وأما أبو مسلمٍ فإنه لما تَوَسَّط بينَ جيشِ نصرٍ والكَرْمانىِّ ، كاتَب الكَرْمانىَّ : إنى معك . فمال إليه ، فكتَب إليه نصرٌ : وَيْحَك ! لا تَغْتَرَّ ، فإنه إنما يُرِيدُ قَتْلَك وقَتْلَ أصحابِك معك ، فهَلُمَّ حتى نَكْتُبَ كتابًا بيننا بالمُوادَعةِ . فدَخَل الكَرْمانىُّ دارَه ، ثم خَرَج إلى الرَّحْبةِ فى مائةِ فارسٍ ، وبَعَث إلى نصرٍ أَنْ هَلُمَّ حتى نَتكاتَبَ ، فأبْصَر نصرٌ غِرَّةً مِن الكَرْمانىِّ ، فنَهَض إليه فى خَلْقٍ كثيرٍ[1] ، فحَمَلوا عليهم فقَتَلوا مِنهم جَماعةً ، وقُتِل الكَرْمانىُّ فى المعركةِ ، طَعَنه رجلٌ فى خاصِرتِه ، فخرَّ عن دابتِه ، ثم أمَر نصرٌ بصَلْبِه ، فصُلِب وصُلِب معه سَمَكةٌ ، وانْضاف وَلَدُه إلى أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ ، ومعه طَوائفُ مِن الناسِ مِن أصحابِ أبيه ، فصاروا كَتِفًا واحدةً على نصرِ بنِ سيّارٍ .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وفى هذه السنةِ غلَب عبدُ اللَّهِ بنُ مُعاويةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ على فارسَ وكُوَرِها وعلى حُلْوانَ وقُومِسَ وأصْبَهانَ والرَّىِّ ، بعدَ حروبٍ يَطولُ ذِكْرُها وبَسْطُها ، ثم الْتَقَى عامرُ بنُ ضُبارةَ معه بإصْطَخْرَ ، فهزَمه ابنُ ضُبارةَ ، وأَسَر مِن أصحابِه أربعين ألفًا فكان منهم عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، فنسَبه[3] ابنُ ضُبارةَ ، وقال له : ما جاء بك مع ابنِ مُعاويةَ وقد عَلِمْتَ خلافَه لأميرِ المؤمنين مَرْوانَ ؟ فقال : كان علىَّ دَيْنٌ فأَتَيْتُه[4] . فقام إليه (٥ حربُ بنُ ٥)

---

(١) فى تاريخ الطبرى والكامل أن نصرًا وجّه إليه ابن الحارث بن سريج فى نحو من ثلاثمائة فارس .
(٢) تاريخ الطبرى ٣٧١/٧ - ٣٧٤. وانظر الكامل ٣٧٠/٥ - ٣٧٣.
(٣) فى الأصل ، ب ، ص ، والكامل : « فسبه » . ونسبه : سأله أن ينتسب . اللسان (ن س ب) .
(٤) فى تاريخ الطبرى ، والكامل : « فأديته » . والمثبت من النسخ موافق لإحدى نسخ الكامل .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ب ، ص .

قَطَنٍ [١٢/٨ظ] بنِ وهبٍ الكِنانىُّ[1] ، فاسْتَوْهَبه منه ، وقال : هو ابنُ أختِنا . فوَهَبه له ، وقال : ما كنتُ لِأُقْدِمَ على رجلٍ مِن قريشٍ . ثم اسْتَعْلَم ابنُ ضُبارةَ مِن عبدِ اللَّهِ ابـنِ علىٍّ عن أخْبارِ ابنِ مُعاويةَ ، فذَمَّه ورَماه هو وأصحابَه باللِّواطِ ، وجِىء مِن الأُسارَى بمائةِ غُلامٍ عليهم الثِّيابُ المُصَبَّغةُ ، فحمَل ابنُ ضُبارةَ عبدَ اللَّهِ بنَ علىٍّ على البَريدِ إلى ابنِ هُبَيْرةَ ليُخْبِرَه بذلك ، فبعَثه ابنُ هبيرةَ إلى مَرْوانَ فى أجنادِ أهلِ الشامِ ، فأخبره بما أخبره ابنَ ضُبارةَ عن ابنِ معاويةَ . وقد كَتَب اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنَّ زَوالَ مُلْكِ مَرْوانَ يَكونُ على يدِ هذا الرجلِ ، ولا يَشْعُرُ واحدٌ منهما بذلك .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وفى هذه السنةِ وَافَى المَوْسِمَ أبو حَمْزةَ الخارجىُّ ، فأظْهَر التَّحكُّمَ والمُخالَفةَ لمَرْوانَ بنِ محمدِ بنِ مَرْوانَ ، والتبرُّؤَ منه ، فراسَلهم عبدُ الواحدِ ابنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ وهو يومَئذٍ أميرُ مكةَ والمدينةِ والطائفِ ، وإليه أمْرُ الحَجيجِ فى هذه السنةِ ، ثم صالَحهم على الأمانِ إلى يومِ النَّفْرِ ، فوَقَفوا على حَجْرةٍ[3] من الناسِ بعَرَفاتٍ ، ثم تَحَيَّروا عنهم ، فلما كان يومُ النَّفْرِ الأولِ تَعَجَّل عبدُ الواحدِ ، وتَرَك مكةَ ، فدَخَلها الخارجىُّ بغيرِ قتالٍ ، فقال بعضُ الشعراءِ فى ذلك :

زار الحَجيجَ عِصابةٌ قد خالَفوا ... دينَ الإلهِ ففَرَّ عبدُ الواحدِ
تـرَك الحَلائـلَ والإمـارةَ هـاربًـا ... ومَضَى يُخَبِّطُ كالبَعيرِ الشَّارِدِ
لـو كـان والـدُه تَـنَـصَّـل عِـرْقَـهُ ... لَصَفَتْ مَشَارِبُهُ[4] بعِرْقِ الوالدِ[5]

---

(١) فى النسخ ، وإحدى نسخ الطبرى ، والكامل : « الهلالى » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢) تاريخ الطبرى ٣٧٣/٧ - ٣٧٥. وانظر الكامل ٣٧٣/٥ - ٣٧٥.
(٣) الحجرة : الناحية . اللسان (ح ج ر) .
(٤) فى ب ، م : « موارده » ، وفى تاريخ الطبرى : « مضاربه » .
(٥) تنصَّل : تخيَّر . والوالد : أمه التى ولدته . انظر اللسان (خ ى ر) ، (و ل د) .

ولما رَجَع عبدُ الواحدِ إلى المدينةِ شَرَع فى تَجْهيزِ السَّرايا إلى الخارجيِّ ، وبَذَل النَّفَقاتِ ، وزاد فى أَعْطِيةِ الأَجْنادِ ، وسَيَّرهم إليه سَريعًا .

وكانت إمرةُ[1] العراقِ إلى يزيدَ بنِ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ ، وإمرةُ خُراسانَ إلى نصرِ ابنِ سَيَّارٍ ، وكان قد اسْتَحْوذ على بعضِ بلادِه[2] أبو مسلمٍ الخُراسانيُّ .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأَعْيانِ : **سالمٌ** أبو النَّضْرِ[3] ، **وعليُّ** بنُ زيدِ بنِ جُدْعانَ[4] ، فى قولٍ ، **ويَحْيَى** بنُ أبى كَثيرٍ[5] . وقد ذَكَرْنا تراجمَهم فى كتابِ « التَّكْميلِ » . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٣٧٦، والكامل ٥/ ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) فى الأصل، ص: « معاملته » .

(٣) تهذيب الكمال ١٠/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١١٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٢، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٣٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٨٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٥٥، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٩٧.

سنةُ ثلاثين ومائةٍ

فى يومِ الخميسِ[1] لتسعٍ خَلَوْن مِن جُمادَى الأُولَى منها دَخَل أبو مسلمٍ الخُراسانىُّ مدينةَ مَرْوَ، ونَزَل دارَ الإمارةِ بها، وانْتَزَعها مِن يدِ نصرِ بنِ سَيَّارٍ، وذلك [٨/١٣و] بمُساعدةِ علىِّ بنِ الكَرْمانىِّ، وهَرَب نصرُ بنُ سَيَّارٍ فى شِرْذِمةٍ قليلةٍ مِن الناسِ نحوٍ مِن ثلاثةِ آلافٍ، ومعه امرأتُه المَرْزُبانَةُ، ثم عجَّل الهَرَبَ حتى لَحِق بسَرَخْسَ، وتَرَك امرأتَه وراءَه، ونَجا بنفسِه، واسْتَفْحل أمْرُ أبى مسلمٍ بخراسانَ جدًّا، والْتَفَّتْ عليه الطوائفُ مِن الناسِ، وجماعةٌ مِن أحياءِ العربِ.

مَقْتَلُ شَيْبانَ بنِ سَلَمةَ الحَرُورىِّ[2]

ولَمَّا هَرَب نصْرُ بنُ سَيَّارٍ بَقِى شَيْبانُ الحَرُورىُّ، وكان مُمالِئًا له على أبى مسلمٍ، فبَعَث إليه أبو مسلمٍ رُسُلًا، فحبَسَهم شَيْبانُ، فأرْسَل أبو مسلمٍ إلى بَسَّامِ ابنِ إبراهيمَ مولى بنى لَيْثٍ يَأْمُرُه أن يَرْكَبَ إلى شَيْبانَ فيُقاتِلَه، فسار إليه، فاقْتَتلا، فهَزَمه بَسَّامٌ وقَتَله، واتَّبَع أصحابَه يَقْتُلُهم ويَأْسِرُهم. ثم قَتَل[3] أبو مسلمٍ عليًّا وعثمانَ ابنَيِ الكَرْمانىِّ، وكان سببَ ذلك أنَّ أبا مسلمٍ كان وَجَّهَ موسى بنَ كعبٍ إلى أبِيوَرْدَ فافْتَتَحَها وكتَب إلى أبى مسلمٍ يُعْلِمُه بذلك، ووَجَّه أبو مسلمٍ أبا داودَ إلى بَلْخَ، فأخَذَها مِن زيادِ بنِ عبدِ الرحمنِ القُشَيْرىِّ، فجَمَع زيادٌ خَلْقًا مِن

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٣٧٧/٧ - ٣٨٥، والكامل ٣٧٨/٥ - ٣٨٣.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٣٨٥، ٣٨٦، والكامل ٥/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣٨٦/٧ - ٣٨٨، والكامل ٣٨٣/٥ - ٣٨٥.

الجنودِ مِن أهلِ تلك الناحيةِ لقتالِ المُسَوِّدَةِ ، فنَهَض إليهم أبو داودَ فقَتَلهم حتى كسَرَهم واسْتَباح معسكرَهم وقتَل منهم خلقًا ، واصْطَفى منهم أموالًا جَزيلةً ، واسْتَفْحل أَمْرُه هنالك ، ثم وقَعت كائنةٌ اقْتَضَت أن اتَّفق رَأْىُ أبى مسلمٍ مع أبى داودَ على قَتْلِ عثمانَ بنِ الكَرْمانىِّ فى يومِ كذا وكذا ، وفى ذلك اليومِ بعَيْنِه يَقْتُلُ أبو مسلمٍ علىَّ بنَ جُدَيْعٍ الكَرْمانىَّ ، فوَقَع ذلك كذلك .

وفى هذه السنةِ[1] توجَّه قَحْطَبةُ بنُ شَبِيبٍ إلى نَيْسابورَ لقِتالِ نصرِ بنِ سَيَّارٍ ، ومع قَحْطبةَ جَماعةٌ مِن كُبراءِ الأُمراءِ ، منهم خالدُ بنُ بَرْمَكَ وخَلْقٌ منهم ، فالْتَقَوْا مع تَميمِ بنِ نصرِ بنِ سَيَّارٍ ، وقد وَجَّهه أبوه لقِتالِهم بطُوسَ ، فقتَل قَحْطَبةُ مِن أصحابِ نصرٍ نحوًا مِن سبعةَ عشَرَ ألفًا فى المعركةِ ، وقد كان أبو مسلمٍ بَعَث إلى قَحْطَبةَ مَدَدًا فى عشَرةِ آلافِ فارسٍ عليهم علىُّ بنُ مَعْقِلٍ ، ولمَّا التقوا قَتَلوا مِن أصحابِ نصرٍ خَلْقًا ، وقَتَلوا تَميمَ بنَ نصرٍ ، وغَنِموا أمْوالًا جَزيلةً جدًّا ، ثم إن يزيدَ بنَ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ نائبَ مَرْوانَ على العراقِ بَعَث سَرِيةً مَدَدًا لنصرِ بنِ سَيَّارٍ على أبى مسلمٍ ، فأَرْسَل أبو مسلمٍ مِن جهتِه قَحْطَبةَ بنَ شَبيبٍ ، فالْتَقَى معهم فى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ [٨/١٣ظ] بجُرْجانَ وذلك يومَ الجمعةِ ، فقام قَحْطَبَةُ فى الناسِ خطيبًا ، فحَثَّهم على الجهادِ والقتالِ وذَمَّرَهم وأمَرَهم بالمُصابَرَةِ ، ووَعَدَهم عن الإمامِ أنَّهم يُنْصَرون فى هذا اليومِ ، فقاتَلوا قِتالًا شَديدًا ، فانْهَزَم جُنْدُ بنى أُمَيةَ ، وقُتِل مِن أهلِ الشامِ وغيرِهم عشَرةُ آلافٍ ، منهم أميرُ المَدَدِ نُبَاتةُ بنُ حَنْظلةَ عاملُ جُرْجانَ ورَساتِيقِها لابنِ هُبيرةَ ، فبَعَث قَحْطَبةُ برأسِه إلى أبى مسلمٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٨٨/٧ - ٣٩٣، والكامل ٣٨٦/٥ - ٣٨٨.

ذِكْرُ دُخولِ أبى حَمْزَةَ الخارجىِّ المدينةَ النبويةَ واسْتيلائِه عليها مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ حتى ارْتَحل منها

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ كانتْ وَقْعةٌ بقُدَيْدٍ مِن أرضِ الحجازِ بينَ أبى حَمْزةَ الخارجىِّ - الذى كان حكم فى أيامِ المَوْسِمِ - وبينَ أهلِ المدينةِ فقتَل الخارجىُّ خَلْقًا كثيرًا مِن قريشٍ وغيرِهم ، ثم دَخَل الخارجىُّ المدينةَ ، وهَرَب نائبُها عبدُ الواحدِ بنُ سليمانَ ، فقَتَل الخارجىُّ مِن أهلِها خَلْقًا ، وذلك لتِسْعَ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن صَفَرٍ مِن هذه السنةِ ، وقد خطَب الخارجىُّ أهلَ المدينةِ على المنبرِ النبوىِّ فوَبَّخهم وأنَّبهم ، وكان فيما وبَّخهم به أن قال : يا أهلَ المدينةِ ، إنى مَرَرْتُ بكم أيامَ الأحْوَلِ - يعنى هشامَ بنَ عبدِ الملكِ - وقد أصابَتْكم عاهةٌ فى ثِمارِكم ، فكَتَبْتُم إليه تَسْألونه أن يَضَعَ الخَرْصَ عن ثِمارِكم ، فوَضَعه عنكم ، فزادغَنِيَّكم غِنًى ، وزاد فَقِيرَكم فَقْرًا ، فكتَبْتُم إليه : جَزاك اللَّهُ خيرًا . فلا جَزاه اللَّهُ خيرًا . فى كلامٍ طَويلٍ غيرِ هذا ، وقد أقام أبو حمزةَ ثلاثةَ أشْهُرٍ ؛ بقيةَ صَفَرٍ وشَهْرَىْ ربيعٍ وبعضَ جُمادَى الأولى فيما قاله الواقدىُّ وغيرُ واحدٍ[2] .

وقد رَوَى المَدائِنىُّ[3] أن أبا حمزةَ رَقِىَ يومًا مِنْبرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فحمِد اللَّهَ وأثنى عليه ، ثم قال : تَعْلَمون يا أهلَ المدينةِ أنَّا لم نَخْرُجْ مِن ديارِنا وأموالِنا أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا عَبَثًا ، ولا لدَوْلةِ مُلْكٍ نُرِيدُ أن نَخُوضَ فيه ، ولا لثَأْرٍ قديمٍ نِيلَ منا ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٩٣/٧ - ٣٩٥. وانظر الكامل ٣٨٨/٥ - ٣٩٠.

(٢) تاريخ الطبرى ٣٩٨/٧.

(٣) تاريخ الطبرى ٣٩٥/٧ - ٣٩٧. وقد ذكر ابن جرير الخبر عن العباس بن عيسى لا المدائنى .

ولكنَّا لمَّا رَأَيْنا مَصابيحَ الحقِّ قد عُطِّلَت ، وضَعُف[1] القائلُ بالحقِّ ، وقُتِل القائمُ بالقِسْطِ ، ضاقَتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَت ، وسَمِعْنا داعيًا يَدْعُو إلى طاعةِ الرحمنِ وحُكْمِ القرآنِ ، فأجَبْنا داعىَ اللَّهِ ، ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف : ٣٢] . أقْبَلْنا مِن قبائلَ شَتَّى ، النَّفَرُ منا على بعيرٍ واحدٍ عليه زادُهم وأنْفُسُهم ، [١٤/٨و] يَتَعاوَرون لِحافًا واحدًا ، قليلون مُسْتَضْعَفون فى الأرضِ ، فآوانا اللَّهُ وأيَّدَنا بنصرِه ، فأصْبَحْنا واللَّهِ بنِعْمَتِه إخْوانًا ، ثم لَقِينا رِجالكم بقُدَيْدٍ ، فدَعَوْناهم إلى طاعةِ الرحمنِ وحُكْمِ القرآنِ ، ودَعَوْنا إلى طاعةِ الشيطانِ وحُكْمِ آلِ مَرْوانَ ، فشَتَّانَ لَعَمْرُ اللَّهِ ما بينَ الغَيِّ والرُّشْدِ . ثم أقْبَلوا نحوَنا يُهْرَعون يَزِفُّون قد ضَرَب الشيطانُ فيهم بجِرانِه ، وغَلَتْ بدمائِهم مَراجِلُه ، وصَدَّق عليهم ظنَّه ، وأقْبَل أنْصارُ اللَّهِ عَصائبَ وكَتائبَ ، بكلِّ مُهَنَّدٍ ذى رَوْنَقٍ ، فدارت رَحانا واسْتَدارتْ رَحاهم ، بضَرْبٍ يَرْتابُ منه المُبْطِلون ، وأنتم يا أهلَ المدينةِ ، إن تَنْصُروا مَرْوانَ يُسْحِتْكم اللَّهُ بعذابٍ مِن عندِه أو بأيدينا ، ويَشْفِ صُدورَ قومٍ مؤمنين ، يا أهلَ المدينةِ ، أوَّلُكم خيرُ أولٍ ، وآخِرُكم شَرُّ آخِرٍ . يا أهلَ المدينةِ ، الناسُ منا ونحن منهم ، إلا مُشْرِكًا عابدَ وَثَنٍ ، أو كافرَ أهلِ الكتابِ ، أو إمامًا جائرًا . يا أهلَ المدينةِ ، مَن زَعَم أن اللَّهَ كَلَّف نَفْسًا فوقَ طاقتِها ، أو سألَها ما لم يُؤْتِها ، فهو للَّهِ عدوٌّ ، ولنا حَرْبٌ . يا أهلَ المدينةِ ، أَخْبِرونى عن ثمانيةِ أسهمٍ فرَضَها اللَّهُ فى كتابِه على القوىِّ والضعيفِ ، فجاء تاسعٌ ليس له منها ولا سهمٌ واحدٌ ، فأخَذَها لنفسِه ، مُكابِرًا مُحاربًا لربِّه . يا أهلَ المدينةِ ، بَلَغَنى أنكم تَنْتَقِصون أصحابى ؛ قلتم : شبابٌ أحْداثٌ ، وأعْرابٌ جُفاةٌ . ويحَكم ! يا أهلَ المدينةِ ، وهل كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا شبابًا أحْداثًا ؟! شبابٌ واللَّهِ مُكْتَهِلون فى شبابِهم ،

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « عُنِّف » .

غَضَّةٌ[1] عن الشرِّ أعينُهم ، ثَقيلةٌ عن الباطلِ أقْدامُهم ، قد باعوا اللَّهَ أنْفُسًا تَموتُ بأنْفُسٍ لا تَموتُ ، قد خالَطوا كَلالَهم بكَلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصِيامِ نَهارِهم ، مُنْحَنِيةٌ أصْلابُهم على أجْزاءِ[2] القرآنِ ، كلما [3]مَرُّوا بآيةِ[3] خَوفٍ شَهِقوا ؛ خوفًا مِن النارِ ، وإذا مَرُّوا بآيةِ شَوْقٍ شَهِقوا ؛ شَوْقًا إلى الجنةِ ، فلما نَظَروا إلى السيوفِ قد انْتُضِيَت ، وإلى الرِّماحِ قد شُرِعت ، وإلى السهامِ قد فُوِّقَتْ ، وأُرْعِدَت الكَتِيبةُ بصَواعِقِ الموتِ ، اسْتَخفُّوا وعيدَ الكَتيبةِ لوعيدِ اللَّهِ ، ولم يَسْتَخِفُّوا وعيدَ اللَّهِ لوعيدِ الكَتيبةِ ، فطُوبَى لهم وحُسْنُ مآبٍ ، فكم مِن عينٍ فى مِنْقارِ طائرٍ طالما فاضَتْ فى جَوْفِ الليلِ مِن خوفِ اللَّهِ تعالى ، وكم مِن يدٍ زالتْ عن مَفْصِلِها طالما اعْتَمَد بها صاحبُها فى طاعةِ اللَّهِ . أَقُولُ [١٤/٨ظ] قولى هذا ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِن تَقْصيرِنا ، وما تَوْفِيقى إلا باللَّهِ ، عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ .

ثم روَى المَدائنىُّ[4] عن العباسِ ، عن هارونَ ، عن جَدِّه قال : كان أبو حَمْزةَ قد أحْسَن السِّيرةَ فى أهلِ المدينةِ حتى استَمال الناسَ حينَ سَمِعوه على مِنبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَقولُ : بَرِح الخَفاءُ[5] أين مابك يذهبُ ؟! مَن زَنَى فهو كافرٌ ، ومَن سَرَق فهو كافرٌ . فأبغَضه الناسُ ، ورَجعوا عن مَحبتِه . وأقام[6] بالمدينةِ حتى بَعَث مرْوانُ الحِمارُ عبدَ الملكِ بنَ محمدِ بنِ عَطِيةَ أحدَ بنى سعدٍ فى خيولِ أهلِ الشامِ ، أربعةِ آلافٍ ، قد انْتَخَبها مِن جيشِه ، وأَعْطَى كلَّ رجلٍ منهم مائةَ

---

(١) هكذا فى النسخ ، وحقها أن تكون « غاضة » ، وفى الطبرى : « غضّية » .

(٢) فى الأصل ، ب ، ص : « إحياء » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ب ، ص : « قرءوا آية » .

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٣٩٧.

(٥) برح الخفاء : ظهر . اللسان (ب ر ح) .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٣٩٨/٧ - ٤٠٠، والكامل ٥/ ٣٩١، ٣٩٢.

دينارٍ ، وفرسًا عَربيةً وبَغْلًا لِثَقَلِه ، وأمَرَه أن يُقاتِلَه ، ولو لم يَلْحَقْه إلا باليمنِ فلْيَتْبَعْه إليها ، ولْيُقاتِلْ نائبَ صَنْعاءَ عبدَ اللَّهِ بنَ يَحْيَى[1] ، فسار ابنُ عَطِيةَ حتى بَلَغ وادىَ القُرَى ، فتَلَقَّاه أبو حَمْزةَ الخارجىُّ قاصدًا مَرْوانَ ، فاقْتَتَلوا هنالك إلى الليلِ ، فقالوا : ويحَك يا بنَ عَطِيةَ ! إن اللَّهَ قد جَعَل الليلَ سَكَنًا . فأَبَى أن يُقْلِعَ عن القتالِ ، وما زال يُقاتِلُهم حتى غلَبهم وكَسَرهم ورَجَع فَلُّهم إلى المدينةِ ، فنَهَض إليهم أهلُ المدينةِ ، فقَتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا ، ودَخَل ابنُ عَطِيةَ المدينةَ وقد انْهَزَم جيشُ أبى حَمْزةَ عنها ، فيُقالُ : إنه أقام بها شهرًا ، ثم سار إلى مكةَ وقد استخلَف على المدينةِ ، ثم اسْتَخْلَف على مكةَ ، وسار إلى اليمنِ ، فخرَج إليه عبدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى مِن صَنْعاءَ ، فاقْتَتَلا فقَتَل ابنُ عَطِيَّةَ عبدَ اللَّهِ بنَ يحيى ، وبعث برأسِه إلى مَرْوانَ ، وجاء كتابُ مَرْوانَ إليه يَأْمُرُه بعجلَةِ السَّيرِ إلى مكةَ ليحُجَّ بالناسِ عامَه هذا ، فخرَج مِن صَنْعاءَ فى اثنَىْ عشَرَ راكبًا ، وتَرَك جيشَه بصَنْعاءَ ، ومعه خُرْجٌ فيه أربعون ألفَ دينارٍ ، فلما كان ببعضِ الطريقِ نَزَل منزلًا هنالك ، إذ أَقْبَل إليه أَمِيران ، يُقالُ لهما : ابنا جُمانةَ . مِن ساداتِ تلك الناحيةِ ، ومعهما طائفةٌ مِن أصحابِهما فأَحْدَقوا بابنِ عطيةَ وأصحابِه . فقالوا : ويحَكم ! أنتم لُصوصٌ . فقال : ويحَكم ! هذا كتابُ أميرِ المؤمنين إلىَّ بإمْرةِ الحَجِّ فى هذا العامِ ، فنحن نُعَجِّلُ السَّيْرَ لنَلْحَق المَوْسِمَ ، وأنا ابنُ عطيَّةَ . فقالوا : هذا باطلٌ . ثم حَمَلوا عليهم ، فقَتَلوا ابنَ عَطِيةَ وأصحابَه ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا رجلٌ واحدٌ ، وأَخَذوا ما معهم [٨/١٥و] مِن المالِ .

---

(١) فى تاريخ الطبرى أن مروان أمر ابن عطية أن يقاتل أبا حمزة ، فإن ظفر به مضى حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى .

قال أبو مَعْشَرٍ[1] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وقد جُعِلَت إليه إمْرةُ المدينةِ ومكةَ والطائفِ ، ونائبُ العراقِ يزيدُ بنُ عمرَ ابنِ هُبَيْرةَ ، وإمْرةُ خُراسانَ إلى نَصْرِ بنِ سَيَّارٍ ، غيرَ أن أبا مسلمٍ قد انتزَع منه أماكنَ كثيرةً مِن خُراسانَ وكُوَرًا ورَساتِيقَ ، وقد أرْسَل نصرٌ إلى ابنِ هُبَيْرةَ يَسْتَمِدُّه ويَستَنْجِدُه ويطلبُ أن يُمِدَّه مِن عندِه بعشَرةِ آلافٍ قبلَ أن لا يَكْفِيَه مائةُ ألفٍ ، وكتَب إلى مَرْوانَ يَسْتَمِدُّه ، فكَتَب مَرْوانُ إلى ابنِ هُبَيْرةَ يُمِدُّه بما أراد .

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ ، **شُعَيْبُ** بنُ الحَبْحابِ[2] ، **وعبدُ العزيزِ** بنُ صُهَيْبٍ[3] ، **وعبدُ العزيزِ** بنُ رفيعٍ[4] ، **وكعبُ** بنُ عَلْقَمةَ[5] ، **ومحمدُ** بنُ المُنْكَدِرِ[6] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٠٢. وانظر الكامل ٥/ ٣٩٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٣، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٣٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٥، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٦٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ١٦٥.

(٥) التاريخ الكبير ٧/ ٢٢٥، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٠٩.

(٦) تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٢٥٣.

ثم دَخَلَت سنةُ إحدى وثلاثين ومائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] وَجَّه قَحْطَبةُ بنُ شَبيبٍ ولدَه الحسنَ إلى قُومِسَ[2] لقتالِ نصرِ ابنِ سَيَّارٍ، وأَرْدَفه بالأمْدادِ، فخامَر[3] بعضُهم إلى نصرٍ، وارْتَحل نصرٌ، فنَزَل الرَّىَّ، فأقام بها يومين، ثم مَرِض، فسار منها إلى هَمَذَانَ[4]، فلما كان بساوَةَ قريبًا مِن هَمَذَانَ تُوُفِّىَ لمُضِىِّ ثنتَىْ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ، عن خمسٍ وثمانين سنةً، فلمَّا مات نَصْرٌ تَمكَّن أبو مسلمٍ الخُراسانىُّ وأصحابُه مِن بلادِ خُراسانَ، وقَوِيَتْ شَوْكتُهم جدًّا، فسار قَحْطَبَةُ مِن جُرجانَ، وقَدَّم أمامَه زيادَ بنَ زُرارةَ القُشَيْرىَّ، وكان قد نَدِم على اتِّباعِ أبى مسلمٍ، فتَرَك الجيشَ، وأَخَذ جَماعةً معه، وسَلَك طَريقَ أَصْبَهانَ ليَأْتىَ ابنَ ضُبارَةَ، فبَعَث قَحْطَبةُ وراءَه جيشًا، فقَتَلوا عامَّةَ أصحابِه، وأَقْبَل قَحْطَبةُ وراءَه، فقَدِم قُومِسَ وقد افْتَتَحها ابنُه الحسنُ فأقام بها، وبَعَث ابنَه بينَ يديه إلى الرَّىِّ، ثم ساق وراءَه، فوَجَده قد افْتَتَحها، فأقام بها وكَتَب إلى أبى مسلمٍ بذلك، وارْتَحَل أبو مسلمٍ مِن مَرْوَ، فنَزَل نَيْسابورَ، واسْتَفْحَل أمْرُه جدًّا، وبَعَث قَحْطَبَةُ بعدَ دُخولِه الرَّىَّ بثلاثٍ، ابنَه الحسنَ بينَ يديه إلى هَمَذانَ، فلمَّا اقْتَرَب منها خَرَج منها مالكُ بنُ أَدْهَمَ وجَماعةٌ مِن أَجْنادِ الشامِ وخُراسانَ، فنَزَلوا نَهاوَنْدَ، فافْتَتَح الحسنُ هَمَذانَ، ثم سار وراءَهم إلى نهاوندَ، وبَعَث إليه أبوه بالأمْدادِ وراءَه، فجاءَ فحاصَرهم بها [٨/١٥ظ] حتى افْتَتَحها.

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤٠٣ - ٤١١، والمنتظم ٧/٢٨٦ - ٢٩٢، والكامل ٥/٣٩٥ - ٤٠٢.

(٢) فى م: «قوميس». وانظر معجم البلدان ٤/ ٢٠٣.

(٣) خامر: انضم. انظر الوسيط (خ م ر).

(٤) هنا وفيما يأتى، فى النسخ: «همدان». والمثبت من مصادر التخريج. وانظر معجم البلدان ٤/ ٩٨١.

وفى هذه السنةِ مات عامرُ بنُ ضُبارَةَ ، وكان سببَ ذلك أن ابنَ هُبَيرةَ كان قد كَتَب إليه أن يَسِيرَ إلى قَحْطَبةَ ، وأمَدَّه بالعَساكرِ ، فسار ابنُ ضُبارةَ حتى الْتَقَى مع قَحْطبةَ ، (١) وابنُ ضُبارَةَ فى مائةٍ وخمسين ألفًا ، وكان يقالُ له(٢) : عسكرُ العساكرِ ، وقَحْطَبةُ(١) فى عِشْرين ألفًا ، فلَمَّا تَواجَه الفريقانِ رَفَع قَحْطَبَةُ وأصحابُه المَصاحِفَ ، ونادَى المُنادِى : يا أهلَ الشامِ ، إنا نَدْعُوكم إلى ما فى هذا المُصْحفِ . فشَتَموا المُنادِىَ ، وشَتَموا قَحْطَبةَ ، فأمَر قَحْطَبةُ أصحابَه أن يَحْمِلوا عليهم ، فلم يَكُنْ بينَهم كثيرُ قتالٍ حتى انْهَزم أصحابُ ابنِ ضُبارةَ ، واتَّبعهم أصحابُ قَحْطَبةَ ، فقَتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وقَتَلوا ابنَ ضُبارَةَ فى العَسْكَرِ وأَخَذُوا مِن عَسْكرِهم ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ .

وفيها حاصَر قَحْطَبةُ **نَهَاوَنْدَ** حِصارًا شَديدًا ، حتى سَأَله أهلُ الشامِ الذين بها أن يَشْغَلَ(٣) أهلَها حتى يَفْتَحوا له البابَ ، ففَتَحوا له البابَ ، وأَخَذُوا لهم منه أمانًا ، فقال لهم مَن بها مِن أهلِ **خُراسانَ** : ما فَعَلْتُم ؟ فقالوا : أخَذْنا لنا ولكم أمانًا . فخرَجوا ظانِّين أنهم فى أمانٍ ، فقال قَحْطَبةُ للأُمراءِ الذين معه : كلُّ مَن حَصَل عندَه أسيرٌ مِن الخُراسانِيِّين فلْيَضْرِبْ عُنُقَه ولْيَأْتِنا برأسِه . ففَعَلوا ذلك ، ولم يَبْقَ مِمَّن كان هَرَب مِن أبى مسلمٍ منهم أحدٌ ، وأطْلَق الشاميِّين ، وأَوْفَى لهم عهدَهم ، وأَخَذ عليهم المِيثاقَ أن لا يُمالِئوا عليه عدوًّا ، ثم بَعَث قَحْطَبةُ عن أمْرِ أبى مسلمٍ أبا عَوْنٍ إلى شَهْرَزُورَ فى ثلاثين ألفًا ، فحاصَرَها حتى افْتَتَحَها ، وقَتَل نائبَها عثمانَ بنَ سُفْيانَ . وقيل : لم يُقْتَلْ بل تَحَوَّل إلى المَوْصِلِ والجَزيرةِ ، وبُعِث

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أى يقال للعسكر .

(٣) فى م : « يمهل » .

إلى قَحْطَبةَ بذلك . ولما بَلَغ مَرْوانَ خبرُ قَحْطَبةَ وأبى مسلمٍ ، وما وَقَع مِن أمْرِهما ، تَحَوَّل مِن حَرَّانَ ، فنَزَل بمكانٍ يُقالُ له : الزَّابُ الأكبرُ .

وفيها قَصَد قَحْطَبةُ فى جيشٍ كَثيفٍ نائبَ العراقِ يزيدَ بنَ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ ، فلما اقْتَرَب منه تَقَهْقَر ابنُ هُبَيْرةَ إلى ورائِه ، وما زال يَتَقَهْقَرُ إلى أن جاوَز الفُراتَ ، وجاء قَحْطَبةُ ، فجازَه وراءَه ، وكان مِن أمْرِهما ما سنَذْكُرُه فى السنةِ الآتيةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

ثم دَخَلَت سنةُ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] جاز قَحْطَبةُ بنُ شَبِيبٍ الفُراتَ، ومعه الجُنودُ والفُرْسانُ، وابنُ هُبَيْرةَ [٨/١٦و] مُخَيِّمٌ على فمِ الفُراتِ مما يَلى الفَلُّوجَةَ، فى خَلْقٍ كثيرٍ وجَمٍّ غَفيرٍ، وقد أَمَدَّه مَرْوانُ بجنودٍ كثيرةٍ، وانْضاف إليه كلُّ مَن انْهَزَم مِن جيشِ ابنِ ضُبارَةَ، ثم إنَّ قَحْطَبةَ عَدَل إلى الكوفةِ لِيَأْخُذَها، فاتَّبعه ابنُ هُبَيْرةَ، فلمَّا كانتْ ليلةُ الأربعاءِ لثمانٍ مَضَيْن مِن المُحَرَّمِ اقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا، وكَثُر القَتْلُ فى الفريقَيْن، ووَلَّى أهلُ الشامِ مُنْهَزِمين، واتَّبَعَهم أهلُ خُراسانَ، وفُقِد قَحْطَبةُ مِن الناسِ، فأخْبَرهم رجلٌ أنه قُتِل، وأنَّه أوْصَى أن يَكُونَ أميرَ الناسِ مِن بعدِه ولدُه الحسنُ، ولم يَكُنِ الحسنُ حاضرًا، فبايَعوا حُمَيْدَ بنَ قَحْطَبةَ لأخيه الحسنِ، وذَهَب البَريدُ إلى الحسنِ لِيَحْضُرَ، وقُتِل فى هذه الليلةِ جَماعةٌ مِن ساداتِ الأُمَراءِ، والذى قَتَل قَحْطَبةَ مَعْنُ بنُ زائدةَ، ويَحْيَى بنُ حُضَيْنٍ[2]. وقيل: بل قَتَله رجلٌ ممَّن كان معه آخِذًا بثأرِ بنى[3] نصرِ بنِ سَيَّارٍ. فاللَّهُ أعلمُ. ووُجِد قَحْطَبةُ فى القَتْلَى، فدُفِن هنالك، وسار الحسنُ بنُ قَحْطَبةَ نحوَ الكوفةِ، وقد خَرَج بها محمدُ بنُ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ، ودَعا إلى بنى العَباسِ وسَوَّد، وكان خروجُه ليلةَ عاشوراءَ فى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ، وأخْرَج عاملَها مِن جهةِ ابنِ هُبَيْرةَ، وهو زيادُ بنُ صالحٍ الحارثىُّ، وتَحَوَّل محمدُ بنُ خالدٍ إلى قَصْرِ الإمارةِ، فقَصَده حَوْثَرَةُ فى عِشْرين ألفًا مِن جهةِ ابنِ هُبَيْرةَ، فلَمَّا اقْتَرب حَوْثَرَةُ مِن الكُوفةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤١٢ - ٤٢٠، والكامل ٥/٤٠٣ - ٤٠٧.

(٢) فى النسخ: «حصين». والمثبت من تاريخ الطبرى، وانظر الإكمال ٢/ ٤٨١، ٤٨٢.

(٣) فى م: «ابنى».

جَعَل أصحابُه يَذْهَبون إلى محمدِ بنِ خالدٍ، فيُبايِعونه لبنى العباسِ، فلمَّا رَأَى حَوْثَرةُ ذلك ارْتَحَل إلى واسِطٍ. ويُقالُ: بل دَخَل الحسنُ بنُ قَحْطبةَ الكُوفةَ، وكان قَحْطَبةُ قد جَعَل فى وَصِيتِه أن تَكونَ وِزارةُ الخِلافةِ إلى أبى سَلَمةَ حَفْصِ بنِ سليمانَ مَوْلى السَّبِيعِ الكُوفىِّ الخَلَّالِ، وهو بالكُوفةِ، فلما قَدِموا عليه أشار أن يَذْهَبَ الحسنُ بنُ قَحْطَبةَ فى جَماعةٍ مِن الأُمراءِ إلى قتالِ ابنِ هُبَيْرةَ بواسِطٍ، وأن يَذْهَبَ أخوه حُمَيْدٌ إلى المَدائنِ، وبَعَث البُعوثَ إلى كلِّ جانبٍ [1] مِن تلك النَّواحى [1] يَفْتَتِحونها، وفَتَحوا البَصْرةَ، افْتَتَحها سَلْمُ [2] بنُ قُتَيْبةَ لابنِ هُبَيْرةَ، فلمَّا قُتِل ابنُ هُبَيْرةَ - كما سيأتى تفصيلُه - جاء أبو مالكٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أسيدٍ الخُزاعىُّ، فأَخَذ البَصْرةَ لأبى مسلمٍ الخُراسانىِّ.

وفى هذه السنةِ ليلةَ الجُمُعةِ لثلاثَ عشْرةَ خَلَتْ مِن ربيعٍ الآخِرِ منها، أُخِذَت البَيْعةُ [٨/١٦ظ] لأبى العباسِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسِ بنِ عبدِ المُطلبِ المُلَقَّبِ بالسَّفّاحِ. قاله أبو مَعْشَرٍ وهشامُ بنُ الكَلْبىِّ [3]. وقال الواقدىُّ [4]: فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ كانت خلافةُ السَّفّاحِ. فاللَّهُ أعلمُ.

ذِكْرُ مَقْتَلِ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الإمامِ

قد ذَكَرْنا فى سنةِ تسعٍ وعشرين ومائةٍ أن مَرْوانَ اطَّلَع على كتابٍ مِن إبراهيمَ

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢) فى م: «مسلم»، وفى ص: «سالم». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٦.

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٢٠.

(٤) المصدر السابق.

الإمامِ[1] إلى أبى مُسْلمٍ الخُراسانىِّ ، يَأْمُرُه فيه بأن لا يُبْقِىَ أحدًا بأرضِ خُراسانَ ممَّن يَتَكَلَّمُ بالعربيةِ إلا أبادَه ، فلمَّا وَقَف مَرْوانُ على ذلك سَأَل عن إبراهيمَ ، فقيل له : هو بالبَلْقاءِ . فكَتَب إلى نائبِ دِمشقَ أن يُحْضِرَه ، وبعَث رسولًا فى ذلك ومعه صِفَتُه ونَعْتُه ، فذَهَب الرسولُ ، فوَجَد أخاه أبا العباسِ السَّفَّاحَ ، فاعْتَقَد أنه هو ، فأخَذه فقيل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه . فدُلَّ على إبراهيمَ ، فأخَذه وذهَب معه بأمِّ ولدٍ له يُحِبُّها ، وأَوْصَى إلى أهلِه أن يَكونَ الخليفةَ مِن بعدِه أخوه أبو العباسِ السَّفَّاحُ ، وأمَرَهم بالمَسيرِ إلى الكُوفةِ ، فارْتَحَلوا مِن فَوْرِهم إليها ، وكانوا جماعةً ، منهم أعْمامُه السِّتةُ ، وهم ؛ عبدُ اللَّهِ ، وداودُ ، وعيسى ، وصالحٌ ، وإسْماعيلُ ، وعبدُ الصَّمَدِ ، بَنُو علىٍّ ، وأَخَواه أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ ويحيى ابنا محمدِ بنِ علىٍّ ، وابناه محمدٌ وعبدُ الوَهَّابِ ابنا إبراهيمَ الإمامِ المَمْسُوكِ ، وخَلْقٌ سِواهم ، فلما دَخَلوا الكُوفةَ أنْزَلهم أبو سَلَمةَ الخَلَّالُ دارَ الوليدِ ابنِ سعدٍ مولى بنى هاشمٍ [2]فى بنى أَوْدٍ[2] ، وكَتَم أمْرَهم نحوًا مِن أربعين ليلةً مِن القُوَّادِ والأمراءِ ، ثم ارْتَحَل بهم بعدَ ذلك إلى مَوْضِعٍ آخَرَ[3] ، حتى فُتِحَت البلادُ ، ثم بُويِع للسَّفَّاحِ .

وأمَّا إبراهيمُ بنُ محمدٍ الإمامُ[4] فإنه سِير به إلى أميرِ المؤمنين فى ذلك الزمانِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ وهو بحَرَّان ، فحبَسه كما قَدَّمْنا ، وما زال فى السِّجنِ إلى هذه

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٣٧٠، ٤٢٢ - ٤٢٤، ٤٣٥ - ٤٣٧، والكامل ٥/ ٣٦٦، ٤٠٩ - ٤١١، ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وفى ص : « فى بنى داود » .

(٣) بعده فى ب ، م : « ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان » .

(٤) أنساب الأشراف ٤/ ١٦٤، وتاريخ دمشق ٧/ ٢٠٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٦٨.

السنةِ ، فمات فى صَفَرٍ منها فى السِّجْنِ ، عن ثمانٍ وأربعين سنةً[1] . وقيل : إنه غُمَّ بمِرْفَقَةٍ[2] وُضِعَت على وَجْهِه حتى مات عن إحدى وخمسين سنةً ، وصلَّى عليه رجلٌ يُقالُ له : مُهَلْهِلُ[3] بنُ صفوانَ . وقيل : إنه هُدِم عليه بيتٌ حتى مات . وقيل : بل سُقِى لبنًا مَسْمومًا فمات . وقيل : إنَّ إبراهيمَ الإمامَ شَهِد المَوْسِمَ عامَ إحْدى وثلاثين ، واشْتَهَر أمْرُه هنالك ؛ لأنَّه وَقَف فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، ونَجائبَ كثيرةٍ ، وحُرْمةٍ [٨/١٧و] وافرةٍ ، فأُنْهِىَ أمْرُه إلى مَرْوانَ ، وقيل له : إنَّ أبا مسلمٍ إنما يَدْعُو الناسَ إلى هذا ، ويُسَمُّونه الخَليفةَ . فبَعَث إليه فى المُحَرَّمِ مِن سنةِ ثنتَيْن وثلاثين ، وقَتَله فى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ . وهذا أصَحُّ مما تَقَدَّم . وقيل : إنَّه إنما أُخِذ مِن الكُوفةِ لا مِن حُمَيْمةِ البَلْقاءِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد كان إبراهيمُ هذا كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، له فَضائِلُ وفواضِلُ ، رَوَى الحَديثَ عن أبيه وجَدِّه ، وأبى هاشمٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ ، وعنه أَخَواه عبدُ اللَّهِ أبو العباسِ السَّفَّاحُ ، وأبو جَعْفَرٍ عبدُ اللَّهِ المَنْصورُ ، و[4] أبو مسلمٍ[4] عبدُ الرحمنِ بنُ مسلمٍ الخُراسانىُّ ، ومالكُ بنُ الهَيْثَمِ . ومِن كلامِه الحسنِ قولُه : الكاملُ المُروءَةِ مَن أحْرَز دِينَه ، ووَصَل رَحِمَه ، واجْتَنَب ما يُلامُ عليه .

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ١٦٤، والتاريخ الكبير ١/ ٣١٧، وتاريخ دمشق ٧/ ٢٠٢، وتهذيب الكمال ٢/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٦٨.

(٢) المرفقة : المخدّة . انظر اللسان (ر ف ق) .

(٣) فى النسخ : « بهلول » . والمثبت من أنساب الأشراف ٤/ ١٦٥، وتاريخ الطبرى ٧/ ٤٣٦، وتاريخ دمشق ٧/ ٢٠٥.

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « أبو سلمة » ، وفى ب : « أبو سلم » .

خلافةُ أبى العباسِ السَّفَّاحِ[1]

لما بلَغ أهْلَ الكُوفةِ مَقْتَلُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ ، أَرادَ أبو سَلَمةَ الخَلَّالُ أن يُحَوِّلَ الخِلافةَ إلى آلِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ رضى اللَّه عنه ، فَغلَبه بَقِيَّةُ النُّقَباءِ والأُمَراءِ على أمرِه ، وأحضَروا أبا العباسِ السَّفَّاحَ ، وسَلَّموا عليه بالخِلافةِ ، وذلك بالكُوفةِ ، وكان عُمرُه إذْ ذاك ستًّا وعشرين سنةً ، وكان أوَّلَ مَن سَلَّم عليه بالخِلافةِ أبو سَلَمةَ الخَلَّالُ[2] ، وذلك ليلةَ الجمعةِ لثلاثَ عشْرةَ ليلةً خَلَت مِن ربيعٍ الآخرِ مِن هذه السنةِ ، فلما كان وَقْتُ صلاةِ الجُمُعةِ خرَج أبو العباسِ السَّفَّاحُ على بِرْذَوْنٍ أبْلَقَ ، والجُنودُ مُلَبَّسةٌ معه ، حتى دَخَل دارَ الإمارةِ ، ثم خرَج إلى المسجدِ[3] ، فصلَّى بالناسِ ، ثم صَعِد المِنْبرَ ، وبايَعه الناسُ يومئذٍ وهو على المِنْبرِ فى أعْلاه ، وعمُّه داودُ ابنُ عليٍّ واقفٌ دونَه بثلاثِ دَرَجٍ ، وتَكَلَّم السَّفَّاحُ ، وكان أولَ ما نَطَق به أن قال : الحمدُ للَّهِ الذى اصْطَفَى الإسْلامَ لنفسِه فكَرَّمه وشَرَّفه وعَظَّمه ، واخْتاره لنا ، وأيَّدَه بنا ، وجَعَلَنا أهلَه وكَهْفَه والقُوَّامَ به والذَّابِّين عنه والناصِرين له ، وألزمَنا كلمةَ التَّقْوَى ، وجَعَلنا أحَقَّ بها وأهلَها ، خَصَّنا برَحِمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقَرابَتِه ، واشْتَقَّنا من نَبعتِه ، ووَضَعَنا من الإسلامِ وأهلِه بالمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وأنْزَل بذلك على أهلِ الإسْلامِ كِتابًا يُتْلَى عليهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ [٧٨/٨ظ] عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . وقال : ﴿ قُل لَّآ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤٢١/٧ - ٤٢٩، والمنتظم ٢٩٥/٧ - ٣٠٠، والكامل ٤٠٨/٥ - ٤١٧.

(٢) الذى فى المصادر أنه دخل على أبى العباس اثنا عشر رجلا فسلموا عليه بالخلافة ، ثم دخل أبو سلمة وحده وسلم عليه بالخلافة .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « يوم الجمعة لثنتى عشرة من ربيع الآخر سنة ثنتين وثلاثين ومائة » .

أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الحشر: ٧]. فأعْلَمهم اللَّهُ عز وجل فَضْلَنا، وأوْجَب عليهم حَقَّنا ومَوَدَّتَنا، وأجْزَل مِن الفَىءِ والغَنِيمةِ نَصِيبَنا؛ تَكرِمةً لنا، وفَضْلةً علينا، واللَّهُ ذو الفَضْلِ العظيمِ، وزَعَمَتِ السَّبَئِيَّةُ[1] الضُّلَّالُ أن غيرَنا أحَقُّ بالرِّياسةِ والسِّياسةِ والخلافةِ منا، فشاهَتْ وُجوهُهم، بِمَ ولِمَ أيُّها الناسُ؟! وبنا هَدَى اللَّهُ الناسَ بعَد ضَلالتِهم، وبَصَّرهم بعدَ جَهالتِهم، وأنْقَذَهم بعدَ هَلَكتِهم، وأظْهَر بنا الحَقَّ، وأدْحَض بنا الباطلَ، وأصْلَح بنا منهم ما كان فاسدًا، ورَفَع بنا الخَسِيسةَ، وأتَمَّ النَّقِيصةَ، وجَمَّع الفُرْقةَ، حتى عاد الناسُ بعدَ العَداوةِ أهلَ تَعاطُفٍ وبِرٍّ ومُواساةٍ فى دُنْياهم، وإخْوانًا على سُرُرٍ مُتَقابِلِين فى أُخْراهم، فتَح اللَّهُ ذلك مِنَّةً ومِنحَةً لمحمدٍ ﷺ، فلما قَبَضه اللَّهُ إليه قام بذلك الأمرِ من بعدِه أصحابُه وأمْرُهم شُورَى بينَهم، فحَوَوْا مَوارِيثَ الأُمَمِ، فعَدَلوا فيها، ووَضَعوها مَواضِعَها، وأَعطَوْها أهلَها، وخَرَجوا خِماصًا منها، ثم وَثَب بنو حربٍ ومَرْوانَ فابْتَزُّوها وتَداوَلوها، فجاروا فيها، واسْتَأْثروا بها، وظَلَموا أهلَها، فأمْلَى اللَّهُ لهم حِينًا حتى آسَفوه[2]، فلمّا آسَفوه انْتَقَمَ منهم بأيدينا، ورَدَّ علينا حقَّنا، وتَدارَك بنا أُمَّتَنا، ووَلِىَ نَصْرَنا والقيامَ بأمرِنا؛ ليَمُنَّ بنا على الذين اسْتُضْعِفوا فى الأرضِ، وخَتَم بنا كما افْتَتَح بنا، وإنى لأَرْجُو أنْ لا يَأْتِيَكم الجَورُ مِن حيث جاءكم الخيرُ، ولا الفَسادُ مِن حيث جاءكم الصَّلاحُ، وما تَوْفيقُنا أهلَ البيتِ إلا باللَّهِ، يا أهلَ الكوفةِ، أنتم مَحَلُّ مَحَبَّتِنا ومَنْزِلُ مَوَدَّتِنا، وأنتم أسْعَدُ الناسِ بنا وأكْرَمُهم علينا،

---

(١) فى النسخ: «السبابية» والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل. والسبئية: أصحاب عبد اللّه بن سبأ، الذى قال لعلى بن أبى طالب: أنت أنت. يعنى الإله، فنفاه إلى المدائن. وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة على رضى اللّه عنه، ومنه انشعبت أصناف الغلاة. الملل والنحل للشهرستانى ١/٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) آسفوه: أغضبوه. اللسان (أ س ف).

وقد زِدْتُكم فى أَعْطِياتِكم مائةَ درهمٍ ، فاسْتَعِدُّوا ، فأنا السَّفَّاحُ الهائجُ[1] ، والثائرُ المُبِيرُ .

وكان به وَعْكٌ ، فاشْتَدَّ عليه حتى جَلَس على المِنْبرِ ، ونَهَض عمُّه داودُ فقال : الحمدُ للَّهِ شُكْرًا [2]شُكْرًا شُكْرًا[2] الذى أَهْلَكَ عدوَّنا ، وأصار إلينا مِيراثَنا مِن نَبِيِّنا[3] ، أيُّها الناسُ ، [٨/١٨و] الآن انْقَشَعَت حَنادِسُ الظُّلُماتِ ، وانْكَشَف غِطاؤُها ، وأشْرَقَت أرْضُها وسماؤُها ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ[4] مِن مَطْلِعِها ، [5]وبَزَغَ القَمَرُ مِنْ مَبْزَغِه[5] ، ورَجَع الحقُّ إلى نِصابِه فى أهلِ بَيْتِ نبيِّكم ؛ أهلِ الرَّأْفةِ والرَّحْمةِ بِكُم والعَطفِ عليكم ، أيُّها الناسُ ، إنا واللَّهِ ما خَرَجْنا فى طَلَبِ هذا الأمْرِ لنُكْثِرَ لُجَيْنًا ولا عِقْيانًا[6] ، ولا لنَحْفِرَ نَهْرًا ، ولا لنَبْنِىَ قَصْرًا ، وإنما أخْرَجَنا الأَنَفَةُ مِن ابْتِزَازِهم حقَّنا والغَضَبُ لبنى عمِّنا ، ولسُوءِ سِيرةِ بنى أميةَ فيكم ، واسْتِذْلالِهم لكم ، واسْتِئْثارِهم بفَيْئِكم وصَدَقاتِكم ، فلكم علينا ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رسولِه وذِمَّةُ العباسِ ، أن نَحْكُمَ فيكم بما أَنْزَل اللَّهُ ، ونَعْمَلَ بكتابِ اللَّهِ ، ونَسِيرَ فى العامَّةِ مِنْكم والخاصَّةِ بسِيرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تَبًّا تَبًّا لبنى أُمَيةَ وبنى مَرْوانَ ؛ آثَروا العاجلةَ على الآجِلةِ ، والدارَ الفانيةَ على الدارِ الباقيةِ ، فرَكِبوا الآثامَ وظَلَموا الأنامَ ، وارْتَكبوا المَحارِمَ ، وغَشُّوا الجَرائمَ ، وجاروا فى سِيرتِهم فى العِبادِ ، وسُنَّتِهم فى البلادِ التى بها ، اسْتَلَذُّوا تَسَرْبُلَ الأَوْزارِ ، وتَجَلْبُبَ الآصارِ ، ومَرِحوا فى أَعِنَّةِ

---

(١) فى ص : « الهياج » وفى مصادر التخريج : « المبيح » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م : « بيتنا » .

(٤) فى ب ، م : « شمس الخلافة » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) اللجين : الفضة . والعقيان : ذهب متكاثف فى مناجمه ، خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة . الوسيط (ل ج ن) ، (ع ق ى) .

المَعاصِى ، ورَكَضوا فى مَيادينِ الغَىِّ ؛ جَهْلًا باسْتِدْراجِ اللَّهِ ، وأمْنًا لمَكْرِ اللَّهِ ، فأتاهم بأسُ اللَّهِ بَياتًا وهم نائمون ، فأصْبَحوا أحاديثَ ، ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّقٍ ، فبُعْدًا للقومِ الظالمين ، وأدالنا[1] اللَّهُ مِن مَرْوانَ ، وقد غَرَّه باللَّهِ الغَرورُ ، وأرْسَل لعدوِّ اللَّهِ فى عِنانِه حتى عَثَر فى فَضْلِ خِطامِه ، أَظَنَّ عدوُّ اللَّهِ أن لن نقْدِرَ عليه ؟! فنادَى حِزْبَه ، وجمَع مَكايدَه ، ورَمَى بكَتائبِه ، فوَجَد أمامَه ووراءَه وعن يمينِه وشِمالِه مِن مَكْرِ اللَّهِ وبَأْسِه ونِقْمَتِه ما أمات باطلَه ، ومَحق ضَلالَه ، وجَعَلَ دائرةَ السَّوْءِ به ، [2]وأحيا شرَفَنا وعِزَّنا[2] ، ورَدَّ إلينا حقَّنا وَإرْثَنا ، أيُّها الناسُ ، إن أميرَ المؤمنين - نَصَره اللَّهُ نَصرًا عَزيزًا - إنما عاد إلى المِنْبرِ بعدَ الصلاةِ ، لأنه كَرِه أن يَخْلِطَ بكَلامِ الجُمُعةِ غيرَه ، وإنما قَطَعه عن اسْتِتمامِ الكَلامِ [3]بعدَ أنِ اسحَنْفَرَ فيه[3] ، شدةُ الوَعْكِ ، فادْعُوا اللَّهَ لأميرِ المؤمنين بالعافيةِ ، فقد أبْدَلكم اللَّهُ بمَرْوانَ عدوِّ الرحمنِ ، وخَليفةِ الشيطانِ ، المُتَّبِعِ للسَّفِلةِ الذين أفسدوا فى الأرضِ بَعْدَ صَلاحِها ، الشابَّ المُتَكَهِّلَ ، المُقتَدِىَ بِسَلَفِه الأبْرارِ الأخْيارِ ، الذين أصْلَحوا الأرضَ بعدَ فَسادِها بمَعالمِ الهُدَى ، ومَناهِجِ التُّقَى . قال : فعَجَّ الناسُ [٨/١٨ظ] له بالدُّعاءِ ، ثم قال : واعْلَموا يا أهلَ الكُوفةِ أنه لم يَصْعَدْ مِنْبَرَكم هذا خَليفةٌ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا أميرُ المؤمنين علىُّ بنُ أبى طالبٍ وأميرُ المؤمنين عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ هذا - وأشار بيدِه إلى السَّفَّاح - واعْلَموا أن هذا الأمْرَ فينا ليس بخارجٍ مِنّا حتى نُسَلِّمَه إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين على ما أبْلانا وأَوْلانا . ثم نَزَل أبو العباسِ وداودُ حتى دَخَلا القصرَ ، ثم دَخَل الناسُ

---

(١) فى م : « أدان » وأدالنا : نصرنا .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « وأحاط به خطيئته » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وفى الأصل : « بعد أن تحقق » ، وفى ص : « بعد أن استحق فيه » . والمثبت من تاريخ الطبرى . واسحنفر الرجل فى منطقه : مضى فيه ولم يَتَمكَّث . اللسان (سحفر) .

يُبايِعون إلى العصرِ، ثم مِن بعدِ العصرِ إلى الليلِ.

ثم إن أبا العباسِ خَرَج فعَسْكَر بظاهرِ الكوفةِ، واسْتَخْلَف عليها عمَّه داودَ بنَ عليٍّ، وبَعَث عمَّه عبدَ اللَّهِ بنَ عليٍّ إلى أبى عَوْنِ بنِ يَزيدَ[1]، وبَعَث ابنَ أخيه عيسى بنَ موسى إلى الحسنِ بنِ قَحْطَبةَ، وهو يومَئذٍ بواسِطٍ مُحاصِرٌ ابنَ هُبَيْرةَ، وبَعَث يَحْيَى بنَ جعفرِ بنِ تَمَّامِ بنِ العباسِ إلى حُمَيْدِ بنِ قَحْطَبةَ بالمَدائنِ، وبَعَث أبا اليَقْظانِ عثمانَ بنَ عُرْوةَ بنِ محمدِ بنِ عمارِ بنِ ياسرٍ إلى بَسَّامِ بنِ إبراهيمَ بنِ بَسَّامٍ بالأهْوازِ، وبَعَث سَلَمةَ بنَ عمرِو بنِ عثمانَ إلى مالكِ بنِ الطوافِ. وأقام هو بالعَسْكَرِ أشْهُرًا، ثم ارْتَحَل فنَزَل المدينةَ الهاشميةَ فى قَصْرِ الإمارةِ، وقد تَنَكَّر لأبى سَلَمةَ الخَلَّالِ، وذلك لِمَا كان بَلَغه عنه مِن العُدولِ بالخِلافةِ عن بَنِى العبَّاسِ إلى آلِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

---

(١) فى النسخ: «أبى يزيد». والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل.

ذِكْرُ مَقْتَلِ مَرْوانَ بنِ محمدِ بنِ مَرْوانَ

آخِرِ خُلَفاءِ بنى أُمَيةَ ، وتَحَوُّلِ الخِلافةِ إلى بنى العباسِ[1] ، وذلك مِن قولِه تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

قد ذكَرْنا أن مَرْوانَ لما بلَغه ما جرَى بأرضِ خُراسانَ من أمرِ أبى مسلمٍ وأتباعِه ، تَحَوَّل مِن حَرَّانَ ، فنزَل على نهرٍ قريبٍ مِن المَوْصِلِ يُقالُ له : الزَّابُ . مِن أرضِ الجَزيرةِ ، ثم لما بلَغه أن السَّفَّاحَ قد بُويع له بالكُوفةِ ، والْتَفَّتْ عليه الجُنودُ ، واجْتَمَع له أمْرُه ، اشتدَّ عليه ذلك جدًّا ، وجمَع جُنودَه ، فتَقَدَّم إليه أبو عَوْنِ بنُ يَزيدَ[2] فى جيشٍ كَثيفٍ ، فنازَله على الزَّابِ ، وجاءَتْه الأمْدادُ مِن جهةِ السَّفَّاحِ ، ثم ندَب السَّفَّاحُ الناسَ مَن يَلى القِتالَ مِن أهلِ بيتِه ، فانْتَدَب عمُّه عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ ، فقال : [١٩/٨و] سِرْ على بَرَكةِ اللَّهِ . فسار فى جُنودٍ كثيرةٍ ، فقَدِم على أبى عَوْنٍ ، فتَحَوَّل له أبو عَوْنٍ عن سُرادِقِه وخَلَّاه له وما فيه ، وجعَل عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ على شُرْطتِه حَيَّاشَ بنَ حَبيبٍ الطائىَّ ، و[3]على حَرَسِه[3] نُصيرَ بنَ المُحْتَفِزِ[4] ، ووَجَّه أبو العباسِ موسى بنَ كعبٍ فى ثلاثين رجلًا على البَريدِ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ يَحُثُّه على مُناجزةِ مَرْوانَ ، والمُبادَرةِ إلى قِتالِه ونِزالِه[5] ، فتَقَدَّم عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤٣٢/٧ - ٤٣٥، والكامل ٤١٧/٥ - ٤٢١.

(٢) فى النسخ : «أبى يزيد» . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وفى الأصل ، ص : «على شرطته» . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأصل ، ب ، ص : «المحترس» .

(٥) بعده فى ب ، م : «قبل أن تحدث أمور ، وتبرد نيران الحرب» .

عليٌّ بمَن معه حتى واجَه جيشَ مَرْوانَ ، ونهَض مَرْوانُ فى جُنودِه وأصحابِه ، وتَصافَّ الفريقانِ فى أولِ النهارِ ، ويُقالُ[1] : إنه كان مع مَرْوانَ يومَئذٍ مائةُ ألفٍ وخمسون ألفًا . وقيل[2] : مائةٌ وعشرون ألفًا . وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ فى عشرين ألفًا . فقال مَرْوانُ لعبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : إن زالَتِ الشمسُ يومَئذٍ ولم يُقاتِلونا ، كنا الذين نَدْفَعُها إلى عيسى ابنِ مريمَ ، وإن قاتَلونا قبلَ الزَّوالِ فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . ثم أرْسَل مَرْوانُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ يَسْأَلُه المُوادَعةَ ، فقال عبدُ اللَّهِ : كذَب ابنُ زُرَيْقٍ ، لا تَزولُ الشمسُ حتى أُوطِئَه الخيلَ إن شاء اللَّهُ . وكان ذلك يومَ السبتِ لإحْدى عشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، فقال مَرْوانُ لأهلِ الشامِ : قِفُوا ، لا تَبْدَءوهم بقِتالٍ . وجعَل يَنْظُرُ إلى الشمسِ ، فخالَفه الوليدُ بنُ مُعاويةَ بنِ مَرْوانَ - وهو خَتَنُ مَرْوانَ على ابنتِه - فحمَل ، فغَضِب مَرْوانُ وشتَمه ، فقاتَل أهلَ المَيْمَنةِ ، فانحاز أبو عَوْنٍ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ ، فقال موسى بنُ كعبٍ لعبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ : مُرِ الناسَ فلْيَنْزِلوا . فنُودِى : الأرضَ . فنزَل الناسُ وأشْرَعوا الرِّماحَ ، وجَثَوْا على الرُّكَبِ وقاتَلوهم ، وجعَل أهلُ الشامِ يَتَأَخَّرون كأنما يُدْفَعون ، وجعَل عبدُ اللَّهِ يَمْشِى قُدُمًا وهو يقولُ : يا ربِّ حتى متى نُقْتَلُ فيك ؟ ونادَى : يا أهلَ خُراسانَ ، يا لِثاراتِ إبراهيمَ ، يا محمدُ ، يا مَنْصورُ . واشْتَدَّ القِتالُ بينَ الناسِ جدًّا[3] ، فأرْسَل مَرْوانُ إلى قُضاعةَ يَأْمُرُهم بالنُّزولِ ، فقالوا : قُلْ لبنى سُلَيمٍ فلْيَنْزِلوا . وأرْسَلَ إلى السَّكاسِكِ أن احْمِلوا . فقالوا : قُلْ لبنى عامرٍ فلْيَحْمِلوا . فأرْسَل إلى السَّكونِ أن احْمِلوا . فقالوا : قُلْ لغَطَفانَ،

---

(١) انظر تاريخ خليفة ٢/ ٦١١.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٣٧، ٤٣٩.

(٣) بعده فى ب ، م : « فلا تسمع إلا وقعا كالمرازب على النحاس » .

فلْيَحْمِلوا . فقال لصاحبِ شُرْطتِه : انْزِلْ . [١٩/٨ظ] فقال : لا واللَّهِ لا أَجْعَلُ نَفْسى غَرَضًا . قال : أمَا واللَّهِ لأَسُوءَنَّك . قال : وَدِدْتُ واللَّهِ أنك قدَرْتَ على ذلك . ويُقالُ[1] : إنه قال ذلك لابنِ هُبَيْرَةَ .

قالوا : ثم انْهَزَم أهلُ الشامِ واتَّبَعَهم أهلُ خُراسانَ فى أدْبارِهم يَقْتُلون ويَأْسِرون ، وكان مَن غَرِق مِن أهلِ الشامِ أكثرَ ممَّن قُتِل ، وكان فى جُمْلةِ مَن غَرِق إبراهيمُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ المخْلوعُ ، وقد أمَر عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ بعَقْدِ الجِسْرِ ، واسْتِخْراجِ مَن هلَك مِن الغَرْقى ، وجعَل يَتْلو قولَه تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] . وأقام عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ فى مَوْضِعِ المعركةِ سبعةَ أيامٍ ، وقد قال رجلٌ مِن ولدِ سعيدِ بنِ العاصِ فى مَرْوانَ وفِرارِه يومَئذٍ :

لَجَّ الفِرارُ بمَرْوانٍ فقلتُ لَهُ ... عاد الظَّلومُ ظَليمًا هَمُّه الهَرَبُ
أين الفِرارُ وتَرْكُ المُلْكِ إذ ذَهَبَت ... عنك الهُوَيْنَى فلا دِينٌ ولا حَسَبُ
فَراشةُ الحِلْمِ فِرْعونُ العِقابِ وإن ... تَطْلُبْ نَداهُ فكَلْبٌ دونَه كَلِبُ

واحْتاز عبدُ اللَّهِ ما كان فى مُعسْكَرِ مَرْوانَ مِن الأمْوالِ والأمْتِعةِ والحَواصِلِ ، ولم يَجِدْ فيه امرأةً سِوى جاريةٍ كانتْ لعبدِ اللَّهِ بنِ مَرْوانَ ، وكتَب إلى أميرِ المؤمنين أبى العباسِ السَّفَّاحِ يُخْبِرُه بما فتَح اللَّهُ عليه مِن النَّصْرِ ، وما حصَل لهم مِن الأمْوالِ ؛ فصلَّى السَّفَّاحُ ركعتَيْن شُكْرًا للَّهِ عزَّ وجلَّ ، وأطْلَق لكلِّ مَن حضَر الوَقْعةَ خمسَمائةٍ خمسَمائةٍ ، ورفَع فى أرْزاقِهم إلى ثمانين ، وجعَل يَتْلُو قولَه تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ الآيةَ [البقرة : ٢٤٩] .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/٣٩٠ مخطوط .

صِفةُ مَقْتَلِ مَرْوانَ الحمارِ[1]

لما انْهَزم مَرْوانُ مِن المعركةِ سار لا يَلْوِى على أحدٍ ، فأقام عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ فى مكانِ المَعْركةِ سبعةَ أيامٍ ، ثم سار فى طَلَبِه بمَن معه مِن الجُنودِ ، وذلك عن أمْرِ السَّفَّاحِ له بذلك ، فلما مَرَّ مَرْوانُ بحَرَّانَ اجْتاز بها ، وأخْرَج أبا محمدٍ السُّفْيانىَّ مِن سِجْنِه ، واسْتَخْلَف عليها أبانَ بنَ يزيدَ ، وهو ابنُ أخيه[2] وزوجُ ابنتِه أمِّ عثمانَ ، فلما قَدِم عبدُ اللَّهِ بنُ عَلىٍّ حَرَّانَ خرَج إليه أبانُ بنُ يزيدَ مُسَوِّدًا ، فأَمَّنه عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ ، وأقَرَّه على عملِه ، وهدَم الدارَ [٨/٢٠و] التى سُجِن فيها إبراهيمُ ابنُ محمدٍ الإمامُ ، واجْتاز مَرْوانُ بقِنَّسْرينَ قاصِدًا إلى حِمْصَ ، فلما جاءَها خرَج إليه أهلُها بالأسْواقِ ، فأقام بها يومَيْن أو ثلاثةً ، ثم شخَص منها ، فلما رأَوا قِلَّةَ مَن معه اتَّبَعوه ؛ طَمَعًا فيه ، وقالوا : مَرْعوبٌ مُنْهَزِمٌ . فأدْرَكوه بوادٍ عندَ حِمْصَ ، فأَكْمَن لهم أميرَيْن ، فلما تَلاحَقوا بمَرْوانَ عطَف عليهم ، فناشَدَهم أن يَرْجِعوا ، فأَبَوا إلا مُقاتلتَه ، فثار القِتالُ بينَهم ، وثار الكَمِينان مِن ورائِهم ، فانْهَزم الحِمْصِيُّون ، وجاء مَرْوانُ إلى دِمشقَ وعلى نِيابتِها مِن جهتِه زوجُ ابنتِه أمِّ الوليدِ ، وهو الوليدُ بنُ مُعاويةَ بنِ مَرْوانَ ، فترَكه بها ، واجْتاز عنها قاصِدًا إلى الدِّيارِ المِصْريةِ ، وجعَل عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ لا يَمُرُّ ببلدٍ إلا خرَجوا وقد سَوَّدوا ، فيُبايِعونه ويُعْطِيهم الأمانَ ، ولما وصَل إلى قِنَّسْرِينَ وصَل إليه أخوه عبدُ الصَّمَدِ بنُ علىٍّ فى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٤٣٦/٧ - ٤٤٢.

(٢) فى النسخ : « أخته » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وهو أبان بن يزيد بن محمد بن مروان . وانظر تاريخ دمشق ٦/ ١٦٣.

أربعةِ آلافٍ ، قد بَعَثَهم السَّفَّاحُ مَدَدًا له ، ثم سار عبدُ اللَّهِ حتى أتَى حِمْصَ ، ثم سار منها إلى بَعْلَبَكَّ ، وجاء دِمشقَ مِن ناحيةِ المِزَّةِ ، فنزَل بها يومَين ، ثم جاءه أخوه صالحُ بنُ عليٍّ فى ثمانيةِ آلافٍ مَدَدًا مِن السَّفَّاحِ ، فنزَل صالحٌ بمَرْجِ عَذْراءَ ، ولما جاء عبدُ(*) اللَّهِ بنُ عليٍّ دمشقَ نزَل على البابِ الشَّرْقيِّ ، ونزَل صالحُ بنُ عليٍّ على بابِ الجابيةِ ، ونزَل أبو عَوْنٍ على بابِ كَيْسانَ ، وبَسَّامٌ على بابِ الصَّغيرِ ، وحُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ على بابِ تُومَا ، وعبدُ الصَّمَدِ ويَحْيَى بنُ صَفْوانَ والعباسُ بنُ يَزيدَ على بابِ الفَراديسِ ، فحاصَروها أيامًا ، ثم افْتَتَحها يومَ الأرْبِعاءِ لعَشْرٍ خَلَوْن مِن رَمضانَ هذه السنةَ ، فقتَل مِن أهلِها خَلْقًا كثيرًا ، وأباحَها ثلاثَ ساعاتٍ ، وهدَم سُورَها ، ويُقالُ : إن أهلَها لما حاصَرهم عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ اخْتَلفوا فيما بينَهم ، ما بينَ عباسيٍّ وأُمَويٍّ ، حتى اقْتَتَلوا ، فقتَل بعضُهم بعضًا ، وقتَلوا نائبَهم ، ثم سَلَّموا البلدَ ، وكان أولَ مَن صَعِد السُّورَ مِن ناحيةِ البابِ الشَّرْقيِّ رجلٌ يقالُ له : عبدُ اللَّهِ الطَّائيُّ . ومِن ناحيةِ بابِ الصغيرِ بَسَّامُ بنُ إبراهيمَ ، ثم أُبِيحَت دِمَشقُ ثلاثَ ساعاتٍ حتى قيل(١) : إنه قتَل بها فى هذه المدةِ نحوًا مِن خمسين ألفًا .

(٢)وذكَر الحافظُ ابنُ عَساكرَ(٣) فى ترجمةِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ الأعْرجِ مِن ولدِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، وكان أميرًا على خمسةِ آلافٍ مع عبدِ اللَّهِ [٢٠/٨ظ] ابنِ عليٍّ فى حِصارِ دِمشقَ ، أنهم أقاموا مُحاصِريها خمسةَ أشْهرٍ ، وقيل : مائةَ يومٍ . وقيل : شهرًا ونصفًا . وأن البلدَ كان قد حَصَّنه نائبُ مَرْوانَ تَحْصينًا(٢)

(*) من هنا تبدأ النسخة الظاهرية والمشار إليها بالرمز (ظ) .

(١) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٣٩.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تاريخ دمشق ١٩٩/٤٤ - ٢٠١، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

[1]عَظيمًا ، ولكن اخْتَلَف أهلُها فيما بينَهم بسببِ اليَمانيَةِ والمُضَرِيَّةِ ، وكان ذلك سببَ الفتحِ ، حتى إنهم جعَلوا فى كلِّ مسجدٍ مِحْرابَيْن للقبلتَيْن ، حتى فى المسجدِ الجامعِ مِنْبَرَيْن وإمامَيْن يَخْطُبان يومَ الجمعةِ على المنبَرَيْن ، وهذا مِن عجيبِ ما وقَع ، وغريبِ ما اتَّفَق ، وفَظِيعِ ما أُحْدِث بسببِ الفِتْنةِ والهَوَى والعَصَبيةِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامةَ والعافيةَ . وقد بسَط ذلك الحافظُ فى الترجمةِ المذكورةِ .

وذكَر[2] فى ترجمةِ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ النَّوْفليِّ قال : كنتُ مع عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ أولَ ما دخَل دمشقَ ، دخَلها بالسيفِ ثلاثَ ساعاتٍ مِن النهارِ ، وجعَل مسجدَ جامعِها سبعين يومًا إصطَبْلًا لدَوابِّه وجِمالِه ، ثم نبَش قُبورَ بنى أُمَيةَ ، فلم يَجِدْ فى قبرِ مُعاويةَ إلا خَيْطًا أسودَ مثلَ الهَباءِ ، ونبَش قبرَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، فوجَد جُمْجُمةً ، وكان يوجدُ فى القبرِ العُضْوُ بعدَ العُضْوِ ، غيرَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، فإنه وجَده صحيحًا لم يَبْلَ منه غيرُ أَرْنَبةِ أنْفِه ، فضرَبه بالسِّياطِ وهو ميتٌ ، وصلَبه أيامًا ، ثم أحْرَقه بالنارِ ، ودَقَّ رَمادَه ، ثم ذرَّاه فى الرِّيحِ ، وذلك أن هِشامًا كان قد ضرَب أخاه محمدَ بنَ عليٍّ - حين كان قد اتهَمه بقتلِ ولدٍ له صغيرٍ[3] - سبعَمائةِ سَوْطٍ ، ثم نَفاه إلى الحُمَيْمةِ بالبَلْقاءِ . قال : ثم تَتَبَّع عبدُ اللَّهِ ابنُ عليٍّ بنى أميةَ مِن أولادِ الخُلَفاءِ وغيرِهم ، فقتَل منهم فى يومٍ واحدٍ اثنين وتسعين نَفْسًا[4] عندَ نهرٍ بالرَّمْلةِ ، وبسَط عليهم الأَنْطاعَ ، وَمدَّ عليهم سِماطًا[1] ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أى ابن عساكر . تاريخ دمشق ١٥/ ٣٨٩، ٣٩٠ مخطوط .

(٣) أى ابن لعبد اللَّه بن على ، جاءت به جارية له فأنكر بُنُوَّته .

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : «ألفا» . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الكامل ٥/ ٤٣٠ .

(١ فأكل وهم يَخْتَلِجون تحتَه(٢) ، وأرْسَل امْرأةَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وهى عَبْدَةُ بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ صاحبةُ الخالِ ، مع نَفَرٍ مِن الخُراسانيَّةِ إلى البَرِّيَّةِ ماشيةً حافيةً حاسرةً ، (٣فما زالوا يَزْنون٣) بها ، ثم قَتَلوها(٤)١) .

وقد اسْتَدْعَى بالأوْزاعىِّ(٥) ، فأُوقِف بينَ يديه ، فقال له : يا أبا عَمْرٍو ، ما تَقولُ فى هذا الذى صنَعْنا ؟ قال : فقلتُ له : لا أَدْرِى ، غيرَ أنه قد حَدَّثنى يَحْيَى بنُ سعيدٍ الأنْصارىُّ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن عَلْقَمةَ ، عن عمرَ [٨/٢١و] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنما الأعمالُ بالنِّياتِ »(٦) . فذكَر الحديثَ . قال الأوْزاعىُّ : وانْتَظَرتُ رَأْسى يَسْقُطُ بينَ رجلىَّ ، ثم أُخْرِجْتُ ، وبعَث إلىَّ بمائةِ دينارٍ .

وأقام بها عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ خمسةَ عشَرَ يومًا ثم سار وراءَ مَرْوانَ ، فنزَل على نهرِ الكُسْوَةِ ، ووَجَّه يَحْيَى بنَ جعفرٍ الهاشمىَّ نائبًا على دمشقَ ، (٧ثم ارتحل إلى الأُرْدُنِّ ، فأتوْه وقد سوّدوا ، ثم سار إلى بَيْسانَ٧) ، ثم سار فنزَل مَرْجَ الرومِ ، ثم أتَى نهرَ أبى فُطْرُسَ ، فوجَد مَرْوانَ قد هرَب فدخَل الدِّيارَ المصريةَ ، وجاءه كتابُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى ب ، م : « وهذا من الجبروت والظلم الذى يجازيه اللَّه عليه ، وقد مضى ولم يدم له ما أراده ورجاه ، كما سيأتى فى ترجمته » .

(٣ - ٣) بياض فى الأصل . وسقط من : ظ . وفى ب ، م : « عن وجهها وجسدها وثيابها » . وقد ذكر ترجمتها الحافظ ابن عساكر فى تراجم النساء ص ٢٢٥، طبعة دار الفكر ، ولم يورد هذا الخبر ، بل أورد خبرا فى مقتلها فيه أنها شدت درعها من تحت قدميها ، وكميها على أطراف أصابعها ، وخمارَها ، فما رئى من جسدها شىء . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) بعده فى ب ، م : « ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم » .

(٥) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٢٠١، ٢٠٢، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٦) البخارى (١) ، ومسلم (١٩٠٧) ، وأبو داود (٢٢٠١) ، والترمذى (١٦٤٧) ، والنسائى فى الكبرى (٧٨) ، وابن ماجه (٢٤٢٧) .

(٧ - ٧) سقط من : ب ، م .

السَّفَّاحِ أَنْ وَجِّهْ صالحَ بنَ عليٍّ فى طَلَبِ مَرْوانَ ، ويُقيمُ هو بالشامِ نائبًا عليها ، فسار صالحٌ فى طَلَبِ مَرْوانَ فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، ومعه أبو عَوْنٍ وعامرُ ابنُ إسماعيلَ ، فنزَل على ساحلِ البَحْرِ ، وجمَع ما هناك مِن السُّفنِ ، وبلَغه أن مَرْوانَ قد نزَل الفَرَما[1] ، فجعَل يَسِيرُ على الساحلِ والسُّفُنُ تُقادُ معه فى البحرِ حتى أَتَى العَرِيشَ ، ثم سار حتى نزَل على النِّيلِ ، ثم سار إلى الصَّعيدِ ، فعبَر مَرْوانُ النِّيلَ ، وقطَع الجِسْرَ وحرَق ما حولَه مِن العَلَفِ والطَّعامِ ، ومضَى صالحٌ فى طلبِه ، فالْتَقَى بخيلِ لمَرْوانَ فهزَمهم ، ثم جعَلوا كلَّما الْتَقَوْا مع خيلِ لمَرْوانَ يَهْزِمونهم ، حتى سَأَلوا بعضَ مَن أَسَروا عن مَرْوانَ ، فدَلُّوهم عليه ، وإذا به فى كَنيسةِ بُوصِيرَ ، فوافَوْه مِن آخِرِ الليلِ ، فانْهَزَم مَن معه مِن الجُنْدِ ، وخَرَج إليهم مَرْوانُ فى نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فأحاطوا به حتى قتَلوه ؛ طعَنه رجلٌ مِن أهلِ البَصْرةِ يُقالُ له : مغودٌ[2] . ولا يَعْرِفُه ، حتى قال رجلٌ : صُرِع أميرُ المؤمنين . فابْتَدَر إليه رجلٌ مِن أهلِ الكُوفةِ كان يَبِيعُ الرُّمَّانَ ، فاحْتَزَّ رأسَه ، فبعَث به عامرُ بنُ إسماعيلَ أميرُ هذه السَّرِيَّةِ إلى أبى عَوْنٍ ، فبعَث به أبو عَوْنٍ إلى صالحِ بنِ عليٍّ ، فبعَث به صالحٌ مع رجلٍ يُقالُ له : [3]خُزيمةُ بنُ يَزيدَ بنِ هانئٍ[3] . كان على شُرْطَتِه ، إلى أميرِ المؤمنين السَّفَّاحِ .

وكان مَقْتَلُ مَرْوانَ يومَ الأحدِ لثلاثٍ بَقِين مِن ذى الحِجَّةِ ، وقيل : يومَ الخميسِ لستٍّ بَقِين[4] منها سنةَ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ ، فكانتْ خِلافتُه خمسَ

---

(١) بعده فى م : « وقيل : الفيوم » .

(٢) فى الأصل : « معوذ » ، وفى ب ، م ، ظ : « معود » ، وفى ص : « مسعود » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣ - ٣) فى تاريخ الطبرى : « يزيد بن هانئ » . وانظر تاريخ دمشق ٣٩٢/١٦ مخطوط .

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « مضين » .

سنين وعشَرةَ أشْهرٍ وعشَرةَ أيامٍ، على المَشْهورِ، واخْتَلَفوا فى سنِّه يومَ قُتِل؛ فقيل: أربعون سنةً. وقيل: ستٌّ - وقيل: ثمانٌ - وخمسون سنةً. وقيل: ستون. وقيل: اثنتان - وقيل: ثلاثٌ. وقيل: تسعٌ - وستون سنةً. وقيل: ثمانون. فاللَّهُ أعلمُ[1].

ثم إنَّ صالحَ بنَ عليٍّ سار إلى الشامِ، واسْتَخْلَف على مصرَ أبا عَوْنٍ [٨/٢١ظ] ابنَ يَزيدَ.

وهذا شىءٌ مِن تَرْجمةِ مَرْوانَ الحِمارِ[2]

هو مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أُمَيةَ، القرشىُّ الأُمويُّ، أبو عبدِ المَلِكِ، أميرُ المؤمنين، آخِرُ خُلَفاءِ بنى أُميةَ، وأمُّه أَمَةٌ كُرْدِيةٌ يُقالُ لها: لُبابةُ. وكانتْ لإبراهيمَ بنِ الأَشْتَرِ النَّخَعىِّ، أخَذَها محمدُ بنُ مَرْوانَ يومَ قَتَلَه، فاسْتَوْلَدها مَرْوانَ هذا، ويُقالُ: إنها كانتْ أولًا لمُصْعَبِ بنِ الزبيرِ. وقد كانتْ دارُ مَرْوانَ هذا فى سوقِ الأَكَّافِين. قاله الحافظُ ابنُ عَساكرَ[3].

بُويع له بالخِلافةِ بعدَ قتلِ الوليدِ بنِ يَزيدَ، وبعدَ موتِ يزيدَ بنِ الوليدِ، ثم قَدِم دمشقَ كما ذكَرْنا، وخلَع إبراهيمَ بنَ الوليدِ، واستتبَّ له الأمْرُ فى النصفِ مِن صَفَرٍ سنةَ سبعٍ وعشرين ومائةٍ.

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٦/ ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٢، ٣٩٣ مخطوط، ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر من قال بأنه بلغ الثمانين، ولكن ذكر المسعودى فى مروج الذهب ٣/٢٣٣ أنه بلغ السبعين.

(٢) المعارف ٣٩٦، وتاريخ دمشق ١٦/٣٨١ مخطوط، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٣٣.

(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٨١، ٣٨٢ مخطوط.

وقال أبو مَعْشَرٍ[1] : بُويع له بالخِلافةِ فى ربيعِ الأولِ ، سنةَ سَبْعٍ[2] وعشرين ومائةٍ ، وكان يُقالُ له : مَرْوانُ الجَعْدىُّ . نِسْبةً إلى رَأْيِ الجَعْدِ بنِ درهمٍ ، ويُلَقَّبُ بالحِمارِ ، وهو آخرُ مَن ملَك مِن بنى أميةَ ، كانتْ خِلافتُه [3]منذُ سلَّم إليه إبراهيمُ ابنُ الوليدِ إلى أن بُويع للسفّاحِ[3] خمسَ سنين[4] وشهرًا ، وبَقِى مروانُ بعدَ بَيْعةِ السَّفاحِ تسعةَ أشْهرٍ .

وكان أبْيضَ مُشْرَبًا ، أزْرَقَ العينَيْن ، كبيرَ اللِّحْيةِ ، ضَخْمَ الهامةِ ، رَبْعةً ، ولم يَكُنْ يَخْضِبُ . وَلَّاه هشامٌ نِيابةَ أَذْرَبِيجانَ وأَرْمِينِيَةَ والجَزيرةِ ، فى سنةِ أربعَ عشْرةَ ومائةٍ ، ففَتَح بلادًا كثيرةً وحُصونًا مُتَعَدِّدةً فى سنينَ كثيرةٍ ، وكان لا يُفارِقُ الغَزْوَ ، قاتَل طَوائفَ مِن الناسِ والتركِ والخَزَرِ واللَّانِ وغيرِهم ، فكسَرهم وقهَرهم ، وقد كان شُجاعًا ، بَطَلًا مِقْدامًا ، حازمَ الرأيِ[5] ، ولكن مَن يَخْذُلِ اللَّهُ يُخْذَلْ[6] .

قال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[7] عن عمِّه مُصْعبِ بن عبدِ اللَّهِ : كان بنو أُمَيةَ يَرَوْنَ أنه تَذْهَبُ منهم الخِلافةُ إذا وليَها مَن أُمُّه أَمَةٌ ، فلما وَلِيَها مَرْوانُ بنُ محمدٍ كانت أمُّه أَمَةً ، فأُخِذَت الخلافةُ مِن يدِه فى سنةِ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ ، لأبى العباسِ السفاحِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨٥/١٦ مخطوط .

(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « تسع » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) بعده فى ب ، م : « وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقيل : خمس سنين » .

(٥) بعده فى ب ، م : « ولولا أن جنده خذلوه بتقدير اللَّه عز وجل ؛ لما له فى ذلك من حكمة ؛ لما سُلب الخلافةَ لشجاعته وصرامته » .

(٦) بعده فى ب ، م : « ومن يهن اللَّه فما له من مكرم » .

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨٦/١٦ مخطوط ، من طريق الزبير بن بكار به .

وقد قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] : أخْبَرنا أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الحسنِ ، أنا سهلُ بنُ بشرٍ ، أنا الخَليلُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ بنِ الخَليلِ ، أنا عبدُ الوَهَّابِ الكِلابىُّ ، حَدَّثنا أبو الجَهْمِ أحمدُ بنُ الحسينِ ، أنا العباسُ بنُ الوليدِ بنِ صُبْحٍ ، ثنا عباسُ بنُ نَجِيحٍ[2] أبو الحارثِ ، حَدَّثنى الهَيْثَمُ بنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثنى راشدُ بنُ داودَ ، عن أبى[3] أسماءٍ ، [٢٢/٨و] عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَزالُ الخِلافةُ فى بنى أُمَيةَ يَتَلَقَّفُونها تَلَقُّفَ الغِلْمانِ الأُكْرةَ[4] ، فإذا خرَجَت منهم فلا خيرَ فى عيشٍ » . هكذا أوْرَده ابنُ عَساكرَ ، وسكَت عليه ، وهو مُنْكَرٌ جدًّا .

وقد سأَل الرَّشِيدُ أبا بكرِ بنَ عَيَّاشٍ[5] : مَن خيرُ الخُلَفاءِ ؛ نحن أم بنو أميةَ ؟ فقال : هم كانوا أنفَعَ للناسِ ، وأنتم أَقْوَمُ بالصَّلاةِ . فأعْطاه ستةَ آلافٍ .

قالوا[6] : وقد كان مَرْوانُ كثيرَ المُروءةِ ، كثيرَ العُجْبِ ، يُعْجِبُه اللَّهْوُ والطَّرَبُ ، ولكنه كان يَشْتَغِلُ عن ذلك بالحربِ .

وقال ابنُ عَساكرَ[7] : قرَأتُ بخَطِّ أبى الحسنِ علىِّ بنِ مُقَلَّدِ بنِ نصرِ بنِ مُنْقِذٍ الأميرِ فى مَجْموعٍ له : كتَب مَرْوانُ بنُ محمدٍ إلى جاريةٍ له ترَكها بالرَّمْلةِ عندَ انزعاجِه إلى مصرَ مُنْهَزِمًا :

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٣٨٦ مخطوط .

(٢) فى النسخ : « يحيى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٧١.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٣.

(٤) فى م : « الكرة » . وهما بمعنًى .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٣٨٦، ٣٨٧ مخطوط .

(٦) المصدر السابق ١٦/ ٣٨٧.

(٧) المصدر السابق ١٦/ ٣٨٨، ٣٨٩.

وما زال يَدْعونى إلى الصَّبْرِ ما أرى فآبَى ويُدْنِينى الذى لكِ فى صَدْرى
وكان عزيزًا أن تَبِيتى وبيننا حِجابٌ فقد أمْسَيْتِ منى على عَشْرِ
وأنْكاهما واللَّهِ للقلبِ فاعْلَمى إذا زِدْتُ مِثْلَيها فصرتُ على شَهْرِ
وأعْظَمُ مِن هذين واللَّهِ أننى أَخافُ بأن لا نَلْتَقِى آخرَ الدَّهْرِ
سأَبْكِيكِ لا مُسْتَبْقِيًا فَيْضَ عَبْرةٍ ولا طالبًا بالصَّبْرِ عاقبةَ الصَّبْرِ

وقال بعضُهم[1] : اجْتاز مَرْوانُ وهو هاربٌ براهبٍ ، فاطَّلَع عليه الراهبُ ، فسَلَّم عليه ، فقال له : يا راهبُ ، هل عندَك علمٌ بالزمانِ ؟ قال : نعم ، عندى مِن تَلَوُّنِه ألْوانٌ . قال : هل تَبْلُغُ الدنيا مِن الإنسانِ أن تَجْعَلَه مَمْلوكًا[2] ؟ قال : نعم . قال : كيف ؟ قال : تُحِبُّها ؟ قال : نعم . قال : فأنت مملوكٌ لها . قال : فما السَّبيلُ فى العِتْقِ ؟ قال : بُغْضُها والتخلِّى عنها . قال : هذا ما لا يَكونُ . قال الراهبُ : أمّا تَخَلِّيها منك فسيَكونُ ، فبادِرْ بالهربِ منها قبلَ أن تُبادِرَك . قال : هل تَعْرِفُنى ؟ قال : نعم ، أنت مَلِكُ العربِ مَرْوان ، تُقْتَلُ فى بلادِ السُّودان ، وتُدْفَنُ بلا أكْفان ، ولولا أن الموتَ فى طَلَبِك ، لدَلَلْتُك على موضعِ هَرَبِك .

قال بعضُ أهلِ ذلك الزمانِ[3] : كان يُقالُ : يَقْتُلُ ع بنُ ع بنِ ع [4]بنِ ع[4] م بنَ م بنِ م . يَعْنون يَقْتُلُ عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ مَرْوانَ بنَ محمدِ بنِ مَرْوانَ .

وقال بعضُهم[5] : جَلس مَرْوانُ يومًا وقد أُحِيط به ، وعلى رأسِه خادِمٌ له

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٣٨٩ مخطوط .
(٢) بعده فى ب ، م : « بعد أن كان مالكا » .
(٣) انظر المنتظم ٨/ ١٠٩ .
(٤ - ٤) سقط من النسخ والمثبت من المنتظم .
(٥) تاريخ دمشق ١٦/٣٩٠ مخطوط .

قائمٌ ، فقال مَرْوانُ يومًا [1] لبعضِ مَن يُخاطِبُه : ألا تَرَى ما نحن فيه ؟ لَهْفِى على أيْدٍ ما ذُكِرَت ، ونِعَمٍ ما شُكِرَت ، ودَوْلةٍ ما نُصِرَت . فقال له الخادمُ : يا أميرَ المؤمنين ، مَن ترَكَ القَليلَ حتى يَكْثُرَ ، والصَّغيرَ حتى يَكْبُرَ ، والخَفِيَّ حتى يَظْهَرَ ، وأَخَّر فعلَ اليومِ لغدٍ ، حَلَّ به أكثرُ مِن هذا . فقال مَرْوانُ : هذا القولُ أشَدُّ علىَّ مِن فَقْدِ الخِلافةِ .

وقد قيل [2] : إن مَرْوانَ قُتِل يومَ الاثنين لثلاثَ عشْرةَ خَلَت مِن ذى الحِجَّةِ ، سنةَ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ ، وقد جاوَز السِّتِّين ، وبَلَغ الثَّمانين . وقيل : إنما عاش أربعين سنةً . والصَّحيحُ الأولُ ، وهو آخِرُ خُلَفاءِ بنى أميةَ ، به انْقَضَت دولتُهم .

ذكرُ ما وَرَد فى انْقِضاءِ دَولةِ بنى أُميةَ وابْتِداءِ دولةِ بنى العباسِ مِن الأخْبارِ النَّبويةِ وغيرِها

قال العَلاءُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ [3] : « إذا بَلَغ بنو أبى [4] العاصِ أربعين رجلًا اتَّخَذوا دينَ اللَّهِ دَغَلًا ، وعِبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، ومالَ اللَّهِ دُوَلًا » . ورَواه الأعْمَشُ عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ مَرْفوعًا بنحوِه [5] .

---

(١) سقط من مصورة مخطوط الأصل صفحتان ؛ [٨/٢٢ظ] ، [٨/٢٣و] .
(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٢، ٣٩٣ مخطوط .
(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٧.
(٤) سقط من : م .
(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٨.

ورَوَى ابنُ لَهِيعةَ[1] ، عن أبى قَبيلٍ ، عن ابنِ مَوْهَبٍ ، أنه كان عندَ مُعاويةَ ، فدَخَل عليه مَرْوانُ بنُ الحكَمِ ، فكَلَّمَه فى حاجةٍ فقال : اقْضِ حاجتى فإنى لَأبو عَشَرةٍ ، وعمُّ عشَرةٍ وأخو عشَرةٍ . فلما أدْبَر مَرْوانُ قال مُعاويةُ لابنِ عباسٍ وهو معه على السَّريرِ : أمَا تَعْلَمُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا بَلَغ بنو الحكمِ ثلاثين رجلًا اتَّخَذوا مالَ اللَّهِ بينَهم دُوَلًا ، وعِبادَ اللَّهِ خَوَلًا ، وكتابَ اللَّهِ دَغَلًا ، فإذا بَلَغوا سبعةً[2] وتسعين وأربعَمائةٍ ، كان هَلاكُهم أسْرَعَ مِن لَوْكِ تَمْرةٍ » ؟ فقال ابنُ عباسٍ : اللهم نعم . [3]قال : وذكَر مرْوانُ حاجةً له فردَّ مرْوانُ عبدَ الملكِ إلى معاويةَ فَكَلَّمه فيها ، فلما أدبَر عبدُ الملكِ[3] قال مُعاويةُ : أَنْشُدُك باللَّهِ يا بنَ عباسٍ ، أما تَعْلَمُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَر هذا فقال : « أبو الجَبابرةِ الأربعةِ » ؟ فقال ابنُ عباسٍ : اللهم نعم .

وقال أبو دوادَ الطَّيالسىُّ[4] : حَدَّثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ ، ثنا يوسُفُ بنُ مازنٍ الراسِبىُّ قال : قام رجلٌ إلى الحسنِ بنِ علىٍّ [5]بعدما بايعَ معاويةَ[5] فقال : يا مُسَوِّدَ وُجوهِ المؤمنين . فقال الحسنُ : لا تُؤَنِّبْنى رَحِمك اللَّهُ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بنى أُميةَ يَخْطُبون على مِنْبرِه رجلًا رجلًا ، فساءه ذلك ، فنَزَلَت : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] . وهو نَهْرٌ فى الجنةِ ، ونَزَلت : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٨.

(٢) سبق التنبيه فيما تقدم ، أنها فى مصدر التخريج : « تسعة » .

(٣ - ٣) فى ب ، م ، ص ، ظ : « فلما أدبر مروان » . والمثبت مما تقدم .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧١.

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م ، ص ، ظ . والمثبت مما تقدم .

[القدر: ١- ٣] (١يَمْلِكُه بنو١) أُميةَ. قال(٢): فحَسَبْنا ذلك، فإذا هو كما قال لا يَزِيدُ يومًا(٣) ولا يَنْقُصُ. وقد رَواه التِّرْمذىُّ(٤)، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ، عن أبى داودَ الطَّيالسىِّ، ثم قال: غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفَضْلِ، وهو ثِقةٌ، وَثَّقه يَحْيَى القطّانُ وابنُ مَهْدِىٍّ. قال: وشيخُه يوسفُ بنُ سعدٍ، ويُقالُ: يوسُفُ بنُ مازِنٍ. رجلٌ مَجْهولٌ، ولا يُعْرَفُ هذا بهذا اللفظِ إلا مِن هذا الوجهِ. وأخْرَجه الحاكمُ فى «مُسْتَدْرَكِه»(٤) مِن حديثِ القاسمِ بنِ الفَضْلِ الحُدَّانىِّ، وقد تَكَلَّمْتُ على نَكارةِ هذا الحديثِ فى «التَّفْسيرِ»(٥) بكلامٍ مَبْسوطٍ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، وإنما يَتَّجِهُ أن يكون دولةُ بنى أميةَ ألفَ شهرٍ، إذا أُسقِطَ منها أيامُ عبدِ اللَّهِ ابنِ الزبيرِ، وذلك أن مُعاويةَ بُويِعَ له مُسْتَقِلًّا بالمُلْكِ فى سنةِ أربعين، وهى عامُ الجَماعةِ حينَ سَلَّم إليه الحسنُ بنُ علىٍّ الأمْرَ بعدَ ستةِ أشهرٍ مِن قتلِ علىٍّ، ثم زالَت الخِلافةُ عن بنى أُميةَ فى هذه السنةِ، أعنى سنةَ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ، وذلك ثِنْتان وتسعون سنةً، وإذا أُسْقِط منها تسعُ سنين بَقِى ثلاثٌ وثمانون سنةً، وهى مُقاربةٌ(٦) لما وَرَد فى هذا الحديثِ، ولكن ليس هذا مَرْفوعًا إلى النبىِّ ﷺ أنه فَسَّر هذه الآيةَ بهذا، وإنما هذا مِن بعضِ الرُّواةِ، وقد تَكَلَّمْنا على ذلك مُطَوَّلًا فى «التَّفْسيرِ»، وتَقَدَّم فى الدَّلائلِ(٧) أيضًا تَقْريرُه. واللَّهُ أعلمُ.

(١ - ١) فى ب، م، ظ: «مملكة بنى».

(٢) القائل هو القاسم بن الفضل.

(٣) سقط من: ب، م، ص، ظ. والمثبت مما تقدم.

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧١.

(٥) التفسير ٨/ ٤٦٣.

(٦) فى ب، م، ظ: «مباينة».

(٧) تقدم فى ٩/٢٧٢ - ٢٧٤.

وقال عليُّ بنُ المَدينيِّ[1] ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سُفيانَ الثَّوْرِيِّ ، عن عليِّ ابنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « رأَيْتُ بنى أميةَ يَصْعَدون مِنْبرى ، فشَقَّ ذلك عليَّ ، فأُنْزِلَت : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ . [2]فيه ضَعْفٌ وإرْسالٌ[2] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمةَ[3] : ثنا يَحْيَى بنُ مَعينٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ ، عن سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ[4] ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ فى قولِه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] . قال : رَأَى ناسًا مِن بنى أُميةَ على المَنابرِ ، فساءَه ذلك ، فقيل له : إنما هى دنيا يُعْطَوْنها[5] . فسُرِّىَ عنه .

وقال أبو جَعْفرٍ الرازىُّ[6] ، عن الربيعِ قال : لما [٨/٢٣ظ] أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ رَأَى فلانًا ، وهو بعضُ بنى أميةَ ، على المِنْبرِ يَخْطُبُ الناسَ ، فشَقَّ ذلك عليه ، فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١] . [7]يقولُ : هذا المُلْكُ فِتْنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حِينٍ[7] .

وقال مالكُ بنُ دينارٍ[8] :سَمِعْتُ أبا الجَوْزاءِ يقولُ : واللَّهِ لَيُغَيِّرَنَّ[9] اللَّهُ مُلْكَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٣٩١ مخطوط ، من طريق على بن المدينى به .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣) المصدر السابق ١٦/٣٩٠، من طريق ابن أبى خيثمة به .
(٤) فى م : « يزيد » .
(٥) بعده فى ب ، م : « وتضمحل عن قليل » .
(٦) المصدر السابق ١٦/ ٣٩٠، ٣٩١، من طريق أبى جعفر الرازى به .
(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٨) المصدر السابق ١٦/ ٣٩١.
(٩) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « ليعزن » .

بنى أُميةَ ، كما غيَّر[1] ملكَ مَن كان قبلَهم ، ثم قرأ[2] قولَه تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . [3]فيه ضعفٌ وإرسالٌ[3] .

وقال ابنُ أبى الدنيا : حَدَّثنى إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، ثنا أبو أُسامةَ ، ثنا عمرُ بنُ حَمْزةَ ، أخْبَرنى عمرُ بنُ سيفٍ ، مولًى لعثمانَ بنِ عفانَ ، قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ وهو يَقولُ [4]لأبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ و[4] لأبى بكرِ بنِ سليمانَ بنِ أبى حَثْمَةَ[5] - وذَكَروا بنى أُمَيةَ - فقال : لا يَكونُ هَلاكُهم إلا بينَهم . قالوا : كيف ؟ قال : يَهْلِكُ خُلفاؤُهم ، ويَبْقَى شِرارُهم ، فيَتَنافَسونها ، ثم يَكْثُرُ الناسُ عليهم فيُهْلِكونهم .

وقال يَعْقوبُ بنُ سُفْيانَ[6] : أنبأ أحمدُ بنُ محمدٍ الأزْرَقيُّ ، ثنا الزَّنْجيُّ ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « رأيْتُ فى النومِ بنى[7] الحكَمِ - أو بنى أبى العاصِ - يَنْزُون على مِنْبَرى كما تَنْزُو القِرَدةُ » . قال : فما رُئِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضاحِكًا حتى تُوُفِّىَ .

قال أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارمىُّ[8] : حَدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا سعيدُ بنُ زيدٍ أخو حمادِ بنِ زيدٍ ، عن علىِّ بنِ الحكَمِ البُنانىِّ ، عن

---

(١) فى الأصل ، ب ، ظ : « عز » ، وفى م : « أعز » .
(٢) فى ب ، م : « ليذلن ملكهم كما أذل ملك من كان قبلهم ثم تلا » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ب ، م ، ظ .
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) فى م ، ص ، ظ : « خيثمة » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٩٣.
(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٠.
(٧) بعده فى النسخ : « أبى » . والمثبت مما تقدم .
(٨) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٦٩.

أبى الحسنِ ، هو الحِمْصىُّ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، وكانتْ له صُحْبةٌ ، قال : جاء الحكَمُ بنُ أبى العاصِ يَسْتَأْذِنُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فعَرَف كلامَه فقال : « ائْذَنوا له ، (١ حَيَّةٌ أو وَلَدُ حَيَّةٍ ١) ، عليه لَعْنةُ اللَّهِ وعلى مَن يَخْرُجُ مِن صُلْبِه إلا المؤمنين ، وقليلٌ ما هم ، يُشَرَّفون فى الدنيا ويُوضَعون فى الآخِرةِ ، ذَوُو مَكْرٍ وخَديعةٍ ، يُعَظَّمون[٢] فى الدنيا ، وما لهم فى الآخِرةِ مِن خَلاقٍ » .

وقال أبو بكرٍ الخَطيبُ البَغْدادىُّ[٣] : أنبأ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ ابنِ محمدٍ ، أنبأ محمدُ بنُ المُظَفَّرِ الحافظُ ، أنبأ أبو القاسمِ عامرُ بنُ خُرَيْمِ بنِ محمدِ ابنِ مَرْوانَ الدِّمَشقىُّ ، أنبأ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ هشامِ بنِ ملاسٍ[٤] ، ثنا أبو النَّضْرِ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ يَزيدَ مولى أمِّ الحكَمِ بنتِ عبدِ العزيزِ ، (٥ أختِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ٥) ، حَدَّثنا يَزيدُ بنُ رَبيعةَ ، حَدَّثنا أبو الأَشْعَثِ الصَّنْعانىُّ ، عن ثَوْبانَ قال : كان [٢٤/٨و] رسولُ اللَّهِ ﷺ نائمًا واضِعًا رأسَه على فَخِذِ أمِّ حَبيبةَ بنتِ أبى سُفيانَ ، فنَحَب ثم تَبَسَّم ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، رَأَيْناك نَحَبْتَ ثم تَبَسَّمْتَ . فقال : « رأيْتُ بنى مَرْوانَ[٦] يَتَعاوَرون[٧] على مِنْبرى ، فساءنى ذلك ، ثم رَأَيْتُ بنى العباسِ يَتَعاوَرون على مِنْبرى ، فسَرَّنى ذلك » .

وقال يَعْقوبُ بنُ سُفيانَ[٨] : حَدَّثنى محمدُ بنُ خالدِ بنِ العباسِ ، ثنا الوليدُ بنُ

(١ - ١) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « حية » ، وفى م : « صبت » . والمثبت مما تقدم .
(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « يعطون » .
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٠ مخطوط ، من طريق الخطيب به .
(٤) فى النسخ : « ملابس » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الإكمال ٣/ ١٣٤ .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) فى النسخ : « أمية » . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٧) يتعاورون : يختلفون ويتناوبون ، كلما مضى واحد خَلَفه آخر . النهاية ٣/ ٣٢٠ .
(٨) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٥ .

مسلمٍ ، حَدَّثنى أبو عبدِ اللَّهِ ، عن الوليدِ بنِ هشامٍ المُعَيْطىِّ ، عن أبانِ بنِ الوليدِ بنِ عُقْبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ قال : قَدِم ابنُ عباسٍ على مُعاويةَ وأنا حاضرٌ ، فأجازه فأحْسَن جائزتَه ، ثم قال : يا أبا العباسِ ، هل تَكونُ لكم دَوْلةٌ ؟ فقال : أَعْفِنى يا أميرَ المؤمنين . فقال : لَتُخْبِرَنِّى . قال : نعم . قال : فمَن أنْصارُكم ؟ قال : أهلُ خُراسانَ ، ولبنى أُميةَ مِن بنى هاشمٍ نَطَحاتٌ .

وقال المِنْهالُ بنُ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، سَمِعْتُ ابنَ عباسٍ يَقولُ : يَكونُ منا ثلاثةٌ أهلَ البيتِ ؛ السَّفَّاحُ ، والمَنْصورُ ، والمَهْدىُّ . رَواه البَيهْقىُّ[1] مِن غيرِ وَجْهٍ . ورَواه الأعْمشُ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ مَرْفوعًا[2] .

ورَوَى ابنُ أبى خَيْثَمةَ[2] ، عن ابنِ مَعينٍ ، عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ ، عن أبى مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كما افْتَتَح اللَّهُ بأولِنا فأرْجو أن يَخْتِمَه بنا . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إليه ، وكذا وَقَع ويَقَعُ[3] إن شاء اللَّهُ .

ورَوَى البَيْهقىُّ[4] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ ، عن أبى مُعاويةَ ، عن الأعْمشِ ، عن عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ رجلٌ مِن أهلِ بَيْتى عندَ انْقِطاعٍ مِن الزمانِ وظُهورٍ مِن الفتنِ ، يُقالُ له : السَّفَّاحُ . يُعْطِى المالَ حَثْيًا » .

وقال عبدُ الرزاقِ[5] : حَدَّثنا الثَّوْرىُّ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن أبى قِلابةَ ، عن

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٥١٣، ٥١٤.
(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٧.
(٣) بعده فى ب ، م : « للمهدى » .
(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٨٠، ٢٨١.
(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٧، ٢٧٨.

أبى أسْماءَ ، عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقْتَتِلُ عندَ كنزِكم[1] هذه ثلاثةٌ ، كلُّهم ولدُ خَليفةٍ ، لا تَصِيرُ إلى واحدٍ منهم ، ثم تُقْبِلُ الراياتُ السُّودُ[2] مِن خُراسانَ ، فيَقْتُلونكم مَقْتَلةً لم يُرَ مثلُها - ثم ذَكَر شيئًا - فإذا كان ذلك فأْتُوه ولو حَبْوًا على الثَّلْجِ ، فإنه خَليفةُ اللَّهِ المَهْدىُّ » . ورَواه بعضُهم[3] عن ثَوْبانَ ، فوَقَفه ، وهو أشْبَهُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حَدَّثنا يَحْيَى بنُ غَيْلانَ وقُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ قالا : ثنا رِشْدِينُ[5] بنُ سعدٍ ، حَدَّثنى يونُسُ بنُ يَزيدَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن قَبِيصةَ ، هو ابنُ ذُؤَيْبٍ ، عن أبى هُريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ [٢٤/٨ظ] عليه وسلم أنه قال : « يَخْرُجُ مِن خُراسانَ راياتٌ سُودٌ ، لا يَرُدُّها شىءٌ حتى تُنْصَبَ بإيلِيَاءَ » . وقد رَواه البَيْهَقىُّ فى « الدَّلائلِ »[6] مِن حديثِ رِشْدِينَ بنِ سعدٍ المِصْرىِّ ، وهو ضَعيفٌ . ثم قال : وقد رُوِى قريبٌ مِن هذا عن كَعْبِ الأحْبارِ ، وهو أشْبَهُ .

[7]ثم قال من طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ[8] : حدثنا مُحَدِّثٌ ، عن أبى المغيرةِ عبدِ القدوسِ ، عن ابن عَيَّاشٍ ، عمن حدَّثه عن كعبِ الأحْبارِ[7] قال : « تَظْهَرُ راياتٌ سُودٌ لبنى العباسِ حتى يَنزِلوا الشامَ ، ويَقْتُلُ اللَّهُ على أيديهم كلَّ جبارٍ

---

(١) فى الأصل : « داركم » ، وفى ب ، م : « حرتكم » ، وفى حاشية ب : « كفركم » . وفى ظ : « كركم » .
(٢) سقط من النسخ . والمثبت مما تقدم .
(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٨.
(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٩.
(٥) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، ظ : « رشد » ، وفى م : « راشد » .
(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٨٠.
(٧ - ٧) فى ب ، م : « ثم رواه عن كعب أيضا » .
(٨) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٨٠.

وعَدوٌّ لهم » .

وقال إبراهيمُ بنُ الحسينِ [1]بنِ دِيزِيلَ[1] ، عن ابنِ أبى أُوَيْسٍ ، عن ابنِ أبى فُدَيْكٍ[2] ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ العامرىِّ ، عن سُهَيْلٍ[3] ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال للعباسِ : « فيكم النُّبوةُ وفيكم المَمْلَكةُ » .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[4] ، عن ابنِ مَعينٍ ، عن عُبَيدِ بنِ أبى قُرَّةَ ، عن الليثِ ، عن أبى قَبِيلٍ ، عن أبى مَيْسَرةَ مولى العباسِ قال : سَمِعْتُ العباسَ يَقولُ : كنتُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقال : « انْظُرْ هل تَرَى فى السماءِ مِن شىءٍ » ؟ قلتُ : نعم . قال : « ما تَرَى ؟ » قلتُ : الثُّرَيَّا . قال : « أَمَا إنه سَيَمْلِكُ هذه الأُمةَ بعدَدِها مِن صُلْبِك » . قال البُخارىُّ[5] : عُبَيدُ بنُ أبى قُرَّةَ لا يُتابَعُ على حديثِه .

ورَوَى ابنُ عَدِىٍّ[5] مِن طريقِ سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ ، عن حَجَّاجِ بنِ تَمِيمٍ ، عن مَيْمونِ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : مَرَرْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ومعه جِبريلُ ، وأنا أَظُنُّه دِحْيةَ الكَلْبىَّ ، فقال جِبْريلُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إنه لَوَسِخُ الثِّيابِ ، وسيَلْبَسُ ولدُه مِن بعدِه السَّوادَ . وهذا مُنْكَرٌ مِن هذا الوجهِ ، ولا شك أن شِعارَ بنى العباسِ كان السَّوادَ ، وأَخَذوا ذلك مِن دُخولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ وعلى رأسِه

(١ - ١) سقط من : ب ، م . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٧، وفيه : « ديزيك » . وانظر تاريخ دمشق ٦/ ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٤. وتاج العروس (د ز ل) .

(٢) فى الأصل ، م : « ذؤيب » ، وفى ب ، ص ، ظ : « ذئب » . والمثبت من الدلائل . وابن أبى فديك هو محمد بن إسماعيل بن مسلم بن دينارٍ أبى فديك . انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٨٦.

(٣) فى النسخ : « سهل » . والمثبت من الدلائل . وهو سهيل بن أبى صالح . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٢٣.

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٦.

(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٥.

عِمامةٌ سَوداءُ، فتيمَّنوا بذلك، وجَعَلوه شِعارَهم فى الجُمَعِ والخُطَبِ والأعيادِ والمَحافِلِ، وكذلك كان جُنْدُهم لابد أن يَكونَ على أحدِهم شىءٌ مِن السَّوادِ، ومِن ذلك (١ما يُلْبِسُه الملوكُ للأمراءِ حين يُخْلَعُ عليهم بالإمرةِ، لابد وأن يُلْبَسَ شيئًا من السَّوادِ، وهو الشَّرْبوشُ ١)، وكذلك دَخَل عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ يوم دخَل دِمَشقَ وهو لابسٌ السَّوادَ، فجَعَل النِّساءُ [٢٥/٨و] والصبيانُ يَعْجَبون مِن لِباسِه، وكان دُخولُه مِن بابِ كَيْسانَ، وقد خَطَب بالناسِ يومَ الجمعةِ وصَلَّى بهم وعليه السَّوادُ.

وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ(٢) عن بعضِ الخُراسانيين قال: لما خطَب بالناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ بدمشقَ وتقدَّم بالناسِ فصلَّى؛ صَلَّى رجلٌ إلى جانبِى فقال: اللَّهُ أكبرُ، سبحانَك اللهم وبحمدِك، وتَبارَك اسمُك، وتعالى جَدُّك، ولا إلهَ غيرُك. ثم قال، ونظر إلى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ: ما أَقْبَحَ وجهَك وأَشْنَعَ سَوادَك! وما زال السَّوادُ شِعارَهم إلى يومِك هذا، كما يَلْبَسُه الخُطَباءُ يومَ الجمعةِ.

ذكرُ اسْتِقلالِ أبى العبّاسِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ ابنِ على بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ المُلَقَّبِ بالسَّفَّاحِ، وما اعْتَمَده فى أيامِه مِن السِّيرةِ الحَسَنةِ والعدالةِ التامةِ

قد تقَدَّم أنه بُويعَ له بالخلافةِ أوّلَ ما بُويع بها بالكُوفةِ يومَ الجمعةِ الثانىَ عشَرَ

(١ - ١) فى ب، م: «الشربوش الذى يلبسه الأمراء إذا خلع عليهم».
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٣/١٤٦.

مِن ربيعِ الآخِرِ[1] - وقيل[2] : الأولِ - مِن هذه السنةِ سنةَ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ ، ثم جَرَّد الجُيوشَ نحوَ مَرْوانَ الحمارِ فطَرَدوه مِن مَمَالِكِه وأجْلَوْه عنها ، وما زالوا وراءَه حتى قَتَلوه ببُوصِيرَ مِن بلادِ الصَّعيدِ بالديارِ المصريةِ ، فى العَشْرِ الأخيرةِ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، على ما تقَدَّم بَيانُه وتفصيلُه وبَسْطُه ، وحينئذٍ اسْتَقَلَّ بالخلافةِ السفّاحُ واسْتَقَرَّتْ يدُه على بلادِ العراقِ وخُراسانَ والحِجازِ والشامِ والدِّيارِ المِصْريةِ ، لكن لم يَحْكُمْ على بِلادِ الأَنْدَلُسِ ولا على بلادِ المغربِ ؛ وذلك لِأَنَّ بعضَ مَن دَخَل مِن بنى أميةَ إليها اسْتَحْوَذ عليها ، كما سيأتى بيانُه .

وقد خَرَج على السَّفَّاحِ فى هذه السنةِ طَوائفُ ، فمنهم أهلُ قِنَّسْرِين[3] بعدَما بايَعوه على يدى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ وأقَرَّ عليهم أميرَهم ، وهو أبو الوَرْدِ مَجْزَأَةُ بنُ الكَوثرِ بنِ زُفَرَ بنِ الحارثِ الكِلابىُّ ، وكان مِن أصحابِ مَرْوانَ وأُمرائِه ، فخَلَع السَّفَّاحَ ، ولَبِس البَياضَ ، وحَمَل أهلَ البلدِ على ذلك فوافَقوه ، وكان السَّفَّاحُ يومَئذٍ بالحِيرةِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ مَشْغولٌ بالبَلْقاءِ يُقاتِلُ بها حَبيبَ بنَ مُرَّةَ المُرِّىَّ ومَن وافَقه مِن أهلِ البَلْقاءِ والبَثَنِيَّةِ وحَوْرانَ على خَلْعِ السَّفَّاحِ [4]وبَيْعَتِه[4] ، فلما بَلَغه عن أهلِ قِنَّسْرِينَ ما فَعَلوا صالَح حَبيبَ بنَ مُرَّةَ ، ورَكِب نحو قِنَّسْرِينَ ، فلما اجْتاز بدِمشقَ - وكان بها أهلُه وثَقَلُه - [٨/٢٥ظ] اسْتَخْلَف عليها أبا غانمٍ عبدَ الحميدِ بنَ رِبْعِىٍّ الطائىَّ[5] فى أربعةِ آلافٍ ، فلما جاوَز البلدَ ، وانْتَهَى إلى حمصَ ، نَهَض أهلُ دمشقَ مع رجلٍ يُقالُ له : عثمانُ بنُ عبدِ الأعْلَى بنِ سُراقةَ . فخلَعوا

---

(١) تقدم فى صفحتى ٢٤٦، ٢٤٩. وفيهما أن ذلك كان فى الثالث عشر ، وانظر ما سيأتى فى صفحة ٢٨٤.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٧/٤٤٣ - ٤٤٥، والمنتظم ٧/ ٣١٠، ٣١١، والكامل ٥/٤٣٢ - ٤٣٤.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) فى النسخ : « الكنانى » . والمثبت من مصادرالتخريج ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٤.

السَّفَّاحَ ، وبَيَّضوا وقاتلوا أبا غانمٍ فَهزمُوه ، وقَتَلوا جَماعةً مِن أصحابِه ، وانْتَهَبوا ثَقَلَ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ وحَواصِلَه ، ولم يَتَعَرَّضوا لأهلِه ، وتَفاقَم الأمْرُ على عبدِ اللَّهِ ابنِ عليٍّ ؛ وذلك أن أهلَ قِنَّسْرِينَ تَراسَلوا مع أهلِ حِمْصَ وتَدْمُرَ[1] ، واجْتَمَعوا على أبى محمدٍ السُّفْيانىِّ ، وهو أبو محمدِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يَزيدَ بنِ مُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، فبايَعوه عليهم بالخِلافةِ ، وقام معه نحوٌ مِن أرْبعين ألفًا ، فقَصَدهم عبدُ اللَّهِ ابنُ عليٍّ ، فالْتَقَوْا بمَرْجِ الأخْرَمِ ، [2]فَقَدَّمَ عَبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ أخاه عبدَ الصمَدِ بنَ عليٍّ فى عشَرةِ آلافٍ من الفُرْسانِ بين يَدَيْهِ[2] ، فاقْتَتَلوا مع مُقَدِّمةِ السُّفْيانىِّ وعليها أبو الوَرْدِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شَديدًا ، وهَزَموا عبدَ الصَّمَدِ ، وقُتِل مِن الفريقَيْن أُلوفٌ ، فتَقَدَّم إليهم عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ ومعه حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ بمَن معه فاقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا ، وجَعَل أصحابُ عبدِ اللَّهِ يَفِرُّون وهو ثابتٌ هو وحُمَيدٌ ، وما زال حتى هَزَم أصحابَ أبى الوَرْدِ ، وثَبَت أبو الوَرْدِ فى خمسِمائةٍ مِن أهلِ بيتِه وقومِه ، فقُتِلوا جميعًا ، وهَرَب أبو محمدٍ السُّفْيانىُّ ومَن معه حتى لَحِقوا بتَدْمُرَ ، وآمَن عبدُ اللَّهِ أهلَ قِنَّسْرِينَ ، وسَوَّدوا وبايَعوا ورَجَعوا إلى الطاعةِ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى أَهْلِ دِمشقَ ، وقد بَلَغه ما صَنَعوا ، فلما دَنا منها تَفَرَّقوا عنها وهربوا منها ، ولم يَكُنْ بينَهم وبينَه قِتالٌ ، فأَمَّنَهم ودَخَلوا فى الطاعةِ وسوَّدوا ؛ مُوافَقَةً للخَليفةِ ، وكان ذلك شِعارَ السمعِ والطاعةِ ، وأمَّا أبو محمدٍ السُّفْيانىُّ فإنه ما زال مُتَغَيِّبًا مُشَتِّتًا من بلدٍ إلى بلدٍ حتى لَحِق بأرضِ الحِجازِ ، فقاتَلَه نائبُ أبى جعفرٍ المَنْصورِ فى أيامِه ، فقَتَله وبَعَث برأسِه وبابنَيْن له أخَذَهما أسيرَيْن فأَطْلَقَهما أبو جعفرٍ المَنْصورُ وخلَّى

---

(١) فى ب ، ص : « تدامرو » ، وفى م : « تزمروا » . وتدمر : مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام . معجم البلدان ١/ ٨٢٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

سبيلَهما . وقد قيل[1] : إن وَقْعةَ أبى محمدٍ السُّفْيانىِّ كانت يومَ الثلاثاءِ آخِرَ يومٍ مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ثلاثٍ[2] وثلاثين ومائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وممَّن خَلَع السَّفَّاحَ أيضًا أهلُ الجَزيرةِ[3] ؛ حينَ [٢٦/٨و] بَلَغهم أن أهلَ قِنَّسْرِين خَلَعوا ، وافَقوهم وبيَّضوا ، ورَكِبوا إلى نائبِ حَرَّانَ مِن جهةِ السَّفَّاحِ - وهو موسى بنُ كعبٍ - وكان فى ثلاثةِ آلافِ فارسٍ قد اعْتَصَم بالبلدِ ، فحاصروه قريبًا مِن شهرَيْن ، ثم بَعَث السَّفَّاحُ أخاه أبا جعفرٍ المَنْصورَ فيمَن كان بواسِطٍ مُحاصِرِى ابنِ هُبَيْرةَ ، فمرَّ فى مَسيرِه إلى حَرَّانَ بقَرْقِيسِيَا وقد بيَّضوا ، فغَلَّقوا أبْوابَها دونَه ، ثم مَرَّ بالرَّقَّةِ وعليها بَكَّارُ بنُ مسلمٍ ، وهم كذلك ، ثم [4]جاء حَرَّانَ[4] وعليها إسحاقُ بنُ مسلمٍ فيمَن معه مِن أهلِ الجَزيرةِ يُحاصِرونها ، فرَحَل إسحاقُ عنها إلى الرُّهَا ، وخَرَج موسى بنُ كعبٍ فيمَن معه مِن جُنْدِ حَرَّانَ ، فَتَلَقَّوا أبا جَعْفرٍ ودَخَلوا فى جيشِه ، وقَدِم بَكَّارُ بنُ مسلمٍ على أخيه إسحاقَ بنِ مسلمٍ بالرُّها ، فوَجَّهه إلى جماعةِ رَبيعةَ بدَارَا ومارِدِينَ ، ورئيسُهم حَرورىٌّ يُقالُ له : بُرَيْكةُ . فصاروا حِزْبًا واحدًا ، فقَصَد إليهم أبو جعفرٍ ، فقاتَلهم قِتالًا شديدًا ، فقُتِل بُرَيْكةُ فى المَعْركةِ ، وهَرَب بَكَّارٌ إلى أخيه بالرُّها ، فاسْتَخْلَفه بها ، ومَضَى فى عُظْمِ العَسْكَرِ إلى سُمَيْساطَ ، فخَنْدَق على عَسْكَرِه ، وأقْبَل أبو جعفرٍ فحاصَر بَكَّارًا بالرُّها ، وجَرَت له معه وَقَعاتٌ ، وكتَب السَّفَّاحُ إلى عمِّه عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ أن يَسِيرَ إلى سُمَيْساطَ ، وقد اجْتَمَع على إسْحاقَ بنِ مسلمٍ ستون ألفًا مِن أهلِ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٤٥، والكامل ٥/ ٤٣٤.

(٢) فى النسخ : « ثنتين » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٤٦، ٤٤٧، والمنتظم ٥/ ٣١١، ٣١٢، والكامل ٥/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « بحاجر » .

الجَزيرةِ ، فسار إليهم عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ واجْتَمَع إليه أبو جَعْفرٍ المَنْصورُ ، فكاتَبَهم إسحاقُ ، وطَلَب منهم الأمانَ ، فأجابوه إلى ذلك عن إذنِ أميرِ المؤمنين السفاحِ ، وولَّى السَّفَّاحُ أخاه أبا جَعْفرٍ الجَزيرةَ وأَذْرَبِيجانَ وأَرْمِينِيَةَ ، فلم يَزَلْ عليها حتى ولِيَ الخِلافةَ بعدَ أخيه . ويُقالُ : إن إسحاقَ بنَ مسلمٍ العُقَيْليَّ إنما طَلَب الأمانَ لَمَّا تَحَقَّق أن مَرْوانَ بنَ محمدٍ قُتِل ، وذلك بعدَ مُضِيِّ سبعةِ أشهرٍ وهو مُحاصَرٌ ، وقد كان صاحبًا لأبى جعفرٍ المَنْصورِ ، فآمَنه .

وفى هذه السنةِ[1] ذَهَب أبو جعفرٍ المَنْصورُ عن أمْرِ أخيه السَّفَّاحِ إلى أبى مسلمٍ الخُراسانيِّ ، وهو أميرُها ، ليَسْتَطْلِعَ رأيَه فى قتلِ أبى سَلَمةَ [2]حَفْصِ بنِ سُلَيْمانَ الوزيرِ ، وكان سببَ ذلك أن السَّفَّاحَ سَمَرَ لَيْلَةً مع أَهْلِ بَيْتِه فتذاكروا ما كان من أمرِ أبى سَلَمةَ[2] حين كان أراد أن يَصْرِفَ الخلافةَ عن بنى العباسِ ، فسأل سائلٌ : هل كان ذلك عن مُمَالأةِ أبى مُسْلمٍ له فى ذلك أم [٨/٢٦ظ] لا ؟ فسَكَت القومُ ، فقال السَّفَّاحُ : لئن كان هذا عن رأيِه إنا لَبِعُرْضِ بلاءٍ ، إلا أن يَدْفَعَه اللَّهُ عنا . قال أبو جعفرٍ : فقال لى أخى : ما تَرَى ؟ فقلتُ : الرأىُ رأيُك . فقال : ليس أحدٌ أخصَّ بأبى مسلمٍ منك ، فاذْهَبْ إليه فاعْلَمْ عِلْمَه ، فإن كان عن رأيِه احْتَلْنا له ، وإن لم يَكُنْ عن رأيِه طابَتْ أنفسُنا . قال أبو جعفرٍ : فخرَجْتُ إليه قاصدًا على وَجَلٍ ، فلما وصَلْتُ إلى الرَّىِّ إذا كتابُ أبى مسلمٍ إلى نائبِها يَسْتَحِثُّنى إليه فى السَّيْرِ ، فازْدَدْتُ وَجَلًا ، فلما انْتَهَيْتُ إلى نَيْسابورَ إذا كتابُه يَسْتَحِثُّنى أيضًا ، وقال لنائبِها : لا تَدَعْه يُقيمُ ساعةً واحدةً ؛ فإنّ أرضَك بها خَوارِجُ . فانْشَرَحْتُ لذلك ، فلما صِرْتُ مِن مَرْوَ على فَرْسَخَيْن ، أتى يَتَلَقَّانى ومعه الناسُ ، فلمَّا واجَهنى تَرَجَّل

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤٤٨ - ٤٥٠، والمنتظم ٧/ ٣١٢، ٣١٣، والكامل ٥/ ٤٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

وجاء فقبَّل يَدِى ، فأمَرْتُه فرَكِب ، فلما دَخَلْتُ مَرْوَ نَزَلْتُ فى دارٍ ، فمَكَث ثلاثًا لا يَسْأَلُنى عن شىءٍ ، فلما كان فى اليومِ الرابعِ سَأَلنى : ما أَقْدَمَك ؟ فأخْبَرْتُه فقال : أفعَلَها أبو سَلَمةَ ؟! أنا أكْفِيكُموه . فدَعا مَرَّارَ بنَ أنسٍ الضَّبِّىَّ فقال : اذْهَبْ إلى الكُوفةِ فحيث لَقِيتَ أبا سَلَمةَ فاقْتُلْه ، وانْتَهِ فى ذلك إلى رأيِ الإمامِ . فقَدِم مَرَّارٌ الكوفةَ الهاشميةَ ، وكان أبو سَلَمةَ يَسْمُرُ عندَ السَّفَّاحِ ، فلما خَرَج قَتَله مَرَّارٌ ، وشاع أن الخَوارجَ قَتَلوه ، وغُلِّقت البلدُ ، ثم صلَّى عليه يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ علىٍّ أخو أميرِ المؤمنين ، ودُفِن بالهاشميةِ ، وكان يُقالُ له : وزيرُ آلِ محمدٍ . ويُقالُ لأبى مسلمٍ : أميرُ آلِ محمدٍ . وقد قال فيه الشاعرُ[1] :

إن الوَزيرَ وزيرَ آلِ محمدٍ أوْدَى فمَن يَشْناك كان وَزيرَا

ويقالُ :إنه إنَّما سار أبو جعفرٍ إلى أبى مسلمٍ بعدَ مَقْتلِ أبى سَلَمةَ ، وإن أبا جعفرٍ كان معه ثلاثون رجلًا ، منهم ؛ الحَجَّاجُ بنُ أرْطاةَ ، وإسْحاقُ بنُ الفضلِ الهاشمىُّ ، فى جماعةٍ مِن الساداتِ . ولما رَجَع أبو جعفرٍ مِن خُراسانَ قال لأخيه السفاحِ : لسْتَ بخَليفةٍ مادام أبو مسلمٍ حيًّا حتى تَقْتُلَه . لِمَا رَأَى مِن طاعةِ الجيشِ والأمرَاءِ له ، فقال له السَّفَّاحُ : اكْتُمْها . فسَكَت .

ولَـمَّا رجَع أبو جعفرٍ مِن خُراسانَ[2] بَعَثَه أخوه إلى حصارِ ابنِ هُبَيْرةَ بواسِطٍ ، فلما اجْتاز بالحسنِ بنِ قَحْطَبةَ أخَذه معه ، فلما أُحِيط [٢٧/٨و] بابنِ هُبَيْرةَ كَتَب إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ليُبايِعَ له بالخِلافةِ ، فأبْطَأ عليه جَوابُه ، فمال إلى مُصالحةِ أبى جعفرٍ ، فاسْتَأْذَن أبو جعفرٍ أخاه السَّفَّاحَ فى ذلك ، فأَذِن له فى

---

(١) هو سليمان بن المهاجر البجلى ، كما فى مصادر التخريج .

(٢) تاريخ الطبرى ٤٥٠/٧ - ٤٥٧، والمنتظم ٣١٣/٧ - ٣١٥، والكامل ٤٣٧/٥ - ٤٤٢.

المُصالَحَةِ ، فكَتَب له أبو جعفرٍ كتابًا بالصُّلْحِ ، فمَكَث ابنُ هُبَيْرةَ يُشاوِرُ فيه العُلماءَ أربعين يومًا . ثم خَرَج يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيْرةَ إلى أبى جعفرٍ فى ألفٍ وثلاثِمائةٍ مِن البُخاريَّةِ ، فلمَّا دَنا مِن سُرادِقِ أبى جعفرٍ هَمَّ أن يَدْخُلَ بفرسِه فقال الحاجبُ سلَّامٌ : انْزِلْ أبا خالدٍ . فنَزَل ، وكان حولَ السُّرادِقِ عشَرةُ آلافٍ مِن أهلِ خُراسانَ ، ثم أَذِن له فى الدُّخولِ فقال : أنا ومَن معى ؟ قال : لا ، بل أنت وحدَك . فدَخَل ووُضِعَت له وِسادةٌ ، فجلَس عليها ، فحادَثه أبو جعفرٍ ساعةً ، ثم خَرَج مِن عندِه فأتْبَعه أبو جعفرٍ بصرَه ، ثم جَعَل يَأْتيه يومًا بعدَ يومٍ فى خمسِمائةِ فارسٍ وثلاثِمائةِ راجلٍ ، فشَكَوْا ذلك إلى أبى جعفرٍ ، فقال أبو جعفرٍ للحاجبِ : مُرْه فلْيَأْتِ فى حاشِيتِه . فكان يَأْتى فى ثلاثينَ نَفْسًا ، فقال الحاجبُ : كأنك تأتى مُتَأَهِّبًا ؟ فقال : لو أمَرْتُمونا بالمَشْيِ لمَشَيْنا إليكم . ثم كان يَأتيه فى ثلاثةِ أنْفُسٍ . وقد خاطَب ابنُ هُبَيْرةَ يومًا لأبى جعفرٍ فقال له فى غُبونِ كَلامِه : يا هَناهُ . أو قال : يا أيُّها المَرْءُ . ثم اعْتَذَر إليه بأنه قد سَبَق لسانُه إلى ذلك ، فأعْذَرَه . وقد كان السَّفَّاحُ كَتَب إلى أبى مسلمٍ يَسْتَشِيرُه فى مُصالحةِ ابنِ هُبَيْرةَ ، فنَهاه عن ذلك ، وكان السَّفَّاحُ لا يَقْطَعُ رَأْيًا دونَ مراجعةِ أبى مسلمٍ ، فلمَّا وَقَع الصُّلْحُ على يدَىْ أبى جعفرٍ لم يُعجِبِ السَّفَّاحَ ذلك ، وكَتَب إلى أبى جعفرٍ يَأْمُرُه بقَتْلِه ، فراجَعه أبو جعفرٍ مِرارًا لا يُفِيدُ شيئًا ، حتى جاء كتابُ السَّفَّاحِ إليه أنِ اقْتُلْه لا مَحالةَ[1] ، وأقْسَم عليه فى ذلك . فأرْسَل إليه أبو جعفرٍ طائفةً[2] فدَخَلوا عليه وعندَه ابنُه داودُ ، وفى حِجْرِه صبيٌّ له صغيرٌ ، وحولَه مَواليه وحاجبُه ، فدافَع عنه ابنُه حتى

---

(١) بعده فى م : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كيف يعطى الأمان وينكث ؟ هذا فعل الجبابرة » .

(٢) بعده فى ب ، م : « من الخراسانية » .

قُتِل ، وقُتِل خَلْقٌ مِن مَواليه ، وخَلَصوا إليه ، فألْقَى الصبىَّ مِن حِجْرِه ، وخَرَّ ساجدًا ، فقُتِل وهو ساجدٌ ، واضْطَرَب الناسُ ، فنادَى أبو جعفرٍ فى الناسِ بالأمانِ إلا (١) الحكمَ بنَ (١) عبدِ الملكِ بنِ بشرٍ وخالدَ بنَ سَلَمةَ المَخْزومىَّ وعمرَ بنَ ذَرٍّ ، فسَكَن الناسُ ، ثم اسْتُؤْمِن لبَعْضِ هؤلاءِ وقُتل بَعْضُهم .

وفى هذه السنةِ بَعَث أبو مسلمٍ [٨/٢٧ظ] محمدَ بنَ الأشْعَثِ إلى فارِسَ ، وأمَرَه أن يَأْخُذَ عُمَّالَ أبى سلمةَ فيَضْرِبَ أعْناقَهم ، ففَعَل ذلك .

وفيها وَلَّى السَّفَّاحُ أخاه يَحْيَى بنَ محمدٍ المَوْصِلَ وأعْمالَها ، ووَلَّى عمَّه داودَ ابنَ علىٍّ مكةَ والمدينةَ واليمنَ واليَمامةَ ، وعَزَله عن الكُوفةِ ، ووَلَّى مكانَه عليها عيسى بنَ موسى ، فوَلَّى قَضاءَها ابنَ أبى ليلى ، وكان على نِيابةِ البَصْرةِ سُفْيانُ بنُ مُعاويةَ المُهَلَّبىُّ ، وعلى قَضائِها الحَجَّاجُ بنُ أَرْطاةَ ، وعلى السِّنْدِ مَنْصورُ بنُ جُمْهورٍ ، وعلى فارِسَ محمدُ بنُ الأشْعَثِ ، وعلى أَرْمِينِيَةَ وأَذْرَبِيجانَ والجَزيرةِ أبو جعفرٍ المَنْصورُ ، وعلى الشامِ وأعْمالِه عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ عَمُّ السَّفَّاحِ ، وعلى مِصْرَ أبو عَوْنٍ عبدُ الملكِ بنُ يزيدَ ، وعلى خُراسانَ وأعْمالِها أبو مسلمٍ الخُراسانىُّ ، وعلى دِيوانِ الخَراجِ خالدُ بنُ بَرْمَكَ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ داودُ بنُ علىٍّ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأَعْيانِ

مَرْوانُ بنُ محمدِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ أبو عبدِ الملكِ الأُمَوىُّ (٢) ، آخرُ خُلَفاءِ

(١ - ١) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٣٨١ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٣٣.

بنى أُميةَ ، قُتِل فى العشْرِ الأخيرِ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، كما قدمْنا ذِكرَه .

ووَزِيرُه **عبدُ الحَميدِ بنُ يَحْيَى بنِ سعدٍ** مَوْلى بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ[1] ، الكاتبُ البَلِيغُ الذى يُضْرَبُ به المَثَلُ ، فيُقالُ : فُتِحَت الرسائلُ بعبدِ الحَميدِ ، وخُتِمَت بابنِ العَميدِ . وكان إمامًا فى الكِتابةِ وجَميعِ فُنونِها ، وهو القُدْوةُ فيها ، وله رَسائلُ فى ألفِ وَرَقةٍ ، وأصلُه مِن الأنبارِ[2] ، ثم سَكَن الشامَ ، وتَعَلَّم هذا الشأنَ مِن سالمٍ مولى هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكان يَعْقوبُ بنُ داودَ وَزيرُ المَهْدِىِّ يَكْتُبُ بيـنَ يديه ، وعليه تَخَرَّج ، وكان ابنُه إسماعيلُ بنُ عبدِ الحميدِ ماهرًا فى الكِتابةِ أيضًا ، وقد كان أولًا يُعَلِّمُ الصِّبْيانَ ، ثم تَقَلَّبَت به الأحْوالُ حَتَّى وَزَر لمرْوانَ الجَعْدىِّ آخرِ خلفاءِ بنى أميةَ ، وأُخِذَ بعدَه فقَتَلَه السَّفَّاحُ ومَثَّل به ، وكان اللَّائقُ بمثلِه العَفْوَ عنه .

ومِن مُسْتَجادِ كلامِه[3] : العلمُ شَجَرةٌ ، ثَمَرَتُها الألْفاظُ ، والفِكْرُ بَحْرٌ لُؤْلؤُه الحِكْمةُ .

ومِن كلامِه[4] ، ورَأَى رجلًا يَكْتُبُ خَطًّا رَدِيئًا : أَطِلْ جَلْفَةَ قَلَمِك وأَسْمِنْها ، وحَرِّفْ قَطَّتَك وأَيْمِنْها[5] . قال الرجلُ : ففَعلْتُ ذلك ، فجاد خَطِّى .

---

(١) الوزراء والكتاب ص ٧٢، وتاريخ دمشق ٤٠/٤٦ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٨، والوافى بالوفيات ١٨/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٧٠.

(٢) بياض فى الأصل، ب. وفى م، ص: «قيسارية». والمثبت من مصادر الترجمة ولكن ذكر ابن عساكر أنه من سبى القادسية. فلعل هذا هو ما أراده المصنف أو الناسخ فتحرفت إلى «قيسارية».

(٣) انظر الوزراء والكتاب ص ٨٢، وثمار القلوب ص ١٩٧.

(٤) انظر الوزراء والكتاب ص ٨٢، وثمار القلوب ص ١٩٨، وتاريخ دمشق ٤٠/ ٤٧، ٤٨.

(٥) الجلفة من القلم: ما بين مَبْراهُ إلى سِنِّه. وقطة القلم: الجزء المقطوع عَرْضا من سن القلم. انظر اللسان (ج ل ف)، (ق ط ط).

وسأَله رجلٌ[1] أن [٢٨/٨و] يَكْتُبَ له كتابًا إلى بعضِ الأكابرِ يُوصِيه به ، فكَتَب إليه : حَقُّ مُوصِّلِ كتابى إليك كحَقِّه علىَّ ؛إذ رآك مَوْضِعًا لأملِه ، ورآنى أهلًا لحاجتِه ، وقد قَضيْتُ حاجتَه ، فصَدِّقْ أملَه .

وكان كثيرًا[2] ما يُنْشِدُ هذا البيتَ :

إذا جَرَح الكُتَّابُ كانت دُوِيُّهمْ قِسِيًّا وأقْلامُ الدُّوِىِّ[3] لها نَبْلا

وأبو سَلَمةَ حَفْصُ بنُ سُليمانَ[4] ، أولُ مَن وَزَر لآلِ العباسِ ، قَتَله أبو مسلمٍ عن أمْرِ السَّفَّاحِ ، بعدَ وِلايتِه بأربعةِ أشهرٍ [5]وكانت بَيْعَةُ السَّفَّاحِ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ وهى ليلةُ الثالثَ عشَرَ من ربيعِ الآخرِ من هذه السنةِ ، فكان مَقْتَلُه[5] فى رجبٍ منها .

وكان داهِيَةً[6] فاضلًا حَسَنَ المُفاكَهةِ ، وكان السَّفَّاحُ يَأْنَسُ إليه ويُحِبُّ مُسامَرتَه لطِيبِ مُحاضَرتِه ، ولكنه تَوَهَّم مَيْلَه لآلِ علىٍّ ، فدَسَّ عليه أبو مسلمٍ مَن قَتَله غِيلةً ، كما تقَدَّم ، فأنْشَد السَّفَّاحُ عندَ ذلك :

إلى النارِ فلْيَذْهَبْ ومَن كان مِثْلَه على أىِّ شىءٍ فاتَنا منه نَأْسَفُ

كان يُقالُ له : وَزيرُ آلِ محمدٍ . ويُعْرَفُ بالخَلَّالِ ؛ لسُكْناه فى دَرْبِ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٤٠/ ٤٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٩.

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) فى النسخ : « القسى » . والمثبت من مصدرى التخريج . والدوى : جمع دَواة وهى المِحْبَرة . انظر الوسيط (د و ى) .

(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٤٠٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٠٠.

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) فى م : « ذا هيئة » ، وفى ظ : « ذا هنة » .

الـخَلَّالِين بالكُوفةِ، وجلوسِه إليهم، وهو أوَّلُ مَن سُمِّى بالوَزيرِ.

وقد حَكَى ابنُ خَلِّكانَ[1] عن ابنِ قُتَيبَةَ أن اشْتِقاقَ الوَزيرِ مِن الوِزْرِ، وهو الحِمْلُ، فكأن السُّلْطانَ حَمَّله ثِقَلًا لاسْتِنادِه إلى رأيِه، [2]وقال الزَّجَّاجُ[3]: هو مُشْتَقٌّ من الوَزَرِ وهو الجبلُ، فكأنَّ السُّلْطانَ لجأ إلى رأْيِه[2] كما يَلْجَأُ الخائفُ إلى جبلٍ يَعْتَصِمُ به. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٩٧.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) المصدر السابق.

ثم دَخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وثلاثين ومائةٍ

فيها[1] وَلَّى السَّفَّاحُ عمَّه سليمانَ بنَ عليٍّ البَصْرةَ وأعْمالَها، وكُوَرَ دِجْلةَ والبَحْرَيْنِ وعُمانَ. ووَجَّه عمَّه إسماعيلَ بنَ عليٍّ إلى كُوَرِ الأهْوازِ.

وفيها[1] قَتَل داودُ بنُ عليٍّ مَن بمكةَ والمدينةِ مِن بنى أُمَيةَ.

وفيها تُوُفِّىَ داودُ بنُ عليٍّ بالمدينةِ فى شهرِ ربيعٍ الأولِ، واسْتَخْلَف[2] ابنَه موسى على عملِه، وكانتْ وِلايتُه أرضَ الحِجازِ ثلاثةَ أشهرٍ، ولمَّا بَلَغَتِ السَّفَّاحَ وفاتُه اسْتَناب على الحِجازِ خالَه زِيادَ بنَ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ [3]عبدِ المَدانِ[3] الحارِثىَّ، ووَلَّى اليمنَ لابنِ خالِه محمدِ بنِ يَزيدَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المَدانِ، وجَعَل إمْرةَ الشامِ لعَمَّيْه عبدِ اللَّهِ وصالحِ ابْنَىْ علىٍّ، [٨/٢٨ظ] وقرَّر أبا عَوْنٍ على الدِّيارِ المِصْريةِ نائبًا عليها.

وفيها تَوَجَّه محمدُ بنُ الأشْعَثِ إلى إفْرِيقِيَّةَ، فقاتَلهم قِتالًا شَديدًا حتى فَتَحها. وفيها خَرَج شُرَيْكُ بنُ شيخٍ المَهْرىُّ ببُخارَى على أبى مسلمٍ، وقال: ما على هذا بايَعْنا آلَ محمدٍ، على سَفْكِ الدِّماءِ! واتَّبَعَه على ذلك نحوٌ مِن ثلاثين

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٥٩، ٤٦٠، والمنتظم ٧/ ٣٢١، ٣٢٢، والكامل ٥/ ٤٤٨، ٤٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) أى حين حضرته الوفاة.

(٣ - ٣) هنا وفيما يأتى فى الأصل، ب، م، ظ: «عبد الدار». وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ١٩/ ١٥٦. وانظر كذلك ما سيذكره المصنف من نسب أم السفاح صفحة ٢٩٤.

ألفًا ، فبَعَث إليه أبو مسلمٍ زِيادَ بنَ صالحٍ الخُزاعىَّ ، فقاتَلَه فقَتَلَه .

وفيها عَزَل السَّفَّاحُ أخاه يَحْيَى بنَ محمدٍ عن المَوْصِلِ ، ووَلَّى عليها عمَّه إسماعيلَ بنَ علىٍّ .

وفيها وَلِىَ الصائفةَ مِن جهةِ صالحِ بنِ علىٍّ سعيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، فغزا وراءَ الدُّرُوبِ .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خالُ أميرِ المؤمنين زيادُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المَدانِ الحارثىُّ . ونُوَّابُ البلادِ هم الذين كانوا فى التى قبلَها سوى مَن ذَكَرْنا أنَّه عُزِل فى هذه السنةِ .

ثم دَخَلَتْ سنةُ أرْبعٍ وثلاثين ومائةٍ

فيها[1] خَلَع بَسَّامُ بنُ إبراهيمَ بنِ بَسَّامٍ الطاعةَ ، وخَرَج على السَّفَّاحِ ، فبَعَث إليه خازِمَ بنَ خُزَيْمةَ ، فقاتَلَه فقَتَل عامَّةَ أصحابِه ، واسْتَباح عَسْكَرَه ، ورَجَع فمرَّ بمَلَأٍ مِن بنى عبدِ المَدانِ أخْوالِ أميرِ المؤمنين ، فسَأَلهم عن بعضِ ما فيه نُصْرةٌ للخَليفةِ ، فلم يَرُدُّوا عليه ، واسْتَهانوا به ، فأمَرَ بضَرْبِ أعْناقِهم ، وكانوا قريبًا مِن عشرين رجلًا ومِثْلُهم مِن مَوالِيهم ، فاسْتَعْدَى بنو عبدِ المَدانِ على خازمِ بنِ خُزَيْمةَ إلى أميرِ المؤمنين ، وقالوا : قَتَل أخْوالَك بلا ذنبٍ . فهَمَّ السَّفَّاحُ بقتْلِه ، فأشار عليه بعضُ الأُمراءِ بأن لا يَقْتُلَه ، ولكن لِيَبْعَثْه مَبْعَثًا صَعْبًا ، فإن سَلِم فلك ، وإن قُتِل فذلك الذى أردتَ . فبَعَثه إلى عُمَانَ - وكان بها طائفةٌ مِن الخَوارجِ قد تَمَرَّدوا - وجَهَّز معه سبعَمائةِ رجلٍ ، وكَتَب إلى عمِّه سليمانَ بنِ علىٍّ نائبِ البصرةِ بحَمْلِهم فى السُّفُنِ إلى عُمَانَ ، ففَعَل ، فقاتَل الخَوارِجَ ، فكَسَرهم وقَهَرهم واسْتَحْوَذ على تلك البلادِ ، وقَتَل أميرَ الخَوارجِ الصُّفْرِيَّةِ ، وهو الجُلُنْدَى ، وقَتَل مِن أصحابِه وأنْصارِه نحوًا مِن عشَرةِ آلافٍ ، وبَعَث برءوسِهم إلى البَصْرةِ ، فبُعِث بها إلى الخَليفةِ . ثم بعدَ أشْهُرٍ كَتَب إليه السَّفَّاحُ أن يَرْجِعَ ، فرَجَع سالمًا غانمًا مَنْصورًا .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤٦١ - ٤٦٣، والكامل ٥/٤٥٠ - ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٤٦، ٣٤٧.

وفيها[1] غزا أبو مسلمٍ بلادَ الصُّغْدِ، وغَزا [٢٩/٨و] أبو داودَ، أحدُ نُوَّابِ أبى مسلمٍ، بلادَ كَشٍّ[2]، فقتَل خَلْقًا، وغَنِم مِن الأوانى الصِّينِيَّةِ المنْقوشةِ بالذهبِ شيئًا كثيرًا جدًّا.

وفيها بَعَث الخليفةُ السَّفَّاحُ موسى بنَ كعبٍ إلى مَنْصورِ بنِ جُمْهورٍ وهو بالهندِ، فى اثْنَىْ عشَرَ ألفًا، فالْتَقاه موسى بنُ كعبٍ فى ثلاثةِ آلافٍ[3]، فهَزَمَه واسْتَباح عَسْكرَه.

وفيها مات عاملُ اليمنِ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المَدانِ، فاسْتَخْلَف السَّفَّاحُ عليها عمَّه - وهو خالُ الخليفةِ - زيادَ بنَ عُبيدِ اللَّهِ. وفيها تَحَوَّل السَّفَّاحُ مِن الحِيرةِ إلى الأنْبارِ.

وحَجَّ بالناسِ نائبُ الكُوفةِ عيسى بنُ موسى. ونُوَّابُ الأقاليمِ هم هم.

ومِمَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ: أبو هارونَ العبدىُّ عُمارةُ بنُ جُوَيْنٍ[4]، ويَزيدُ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤٦٣/٧ - ٤٦٥، والكامل ٥/ ٤٥٣، ٤٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) فى تاريخ الطبرى وتاريخ الإسلام: «كس». والمثبت من النسخ موافق لإحدى نسخ تاريخ الطبرى والكامل. وكش: بفتح الكاف وتشديد الشين المعجمة: مدينة بما وراء النهر. وقيل: اسم للصغد بجملته. قال ياقوت: وقد تعرب فتكتب بالسين المهملة، والمحدثون يُخَطِّئون من يقولها بفتح الكاف والشين المعجمة، وليس ذلك عندنا بخطأ؛ لأمرين: أحدهما أن أهلها وجميع من بما وراء النهر لا يقولون إلا «كش» بفتح الكاف والشين المعجمة وهم أعرف ببلدهم، والثانى أنه اسم أعجمى يُتَلَعَّب به إذا سلَّمْنا أنه كما ذكروه. وإلا فهذه حُجّتهم فى تعريبه وتغييره عما يتلفظ به أهله. المشترك لياقوت ص ٣٧٣، ٣٧٤، ومعجم البلدان ٤/ ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧.

(٣) الذى فى تاريخ الطبرى أنهم كانوا ثلاثة آلاف من العرب والموالى، وألفًا من بنى تميم، وذكرهم فى تاريخ الإسلام مجملًا «أربعة آلاف». ولم يتعرض فى الكامل لذكر عدة جيش موسى بن كعب.

(٤) طبقات ابن سعد ٢٤٦/٧، والجرح والتعديل ٣٦٣/٦، وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٠١.

يزيدَ بنِ جابرٍ الدِّمشقيُّ[1] .

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٦، والتاريخ الكبير ٨/ ٣٦٩، والجرح والتعديل ٩/ ٢٩٦، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٦٩.

[1]ثم دَخَلَتْ سنةُ خمسٍ وثلاثين ومائةٍ

فيها[2] خَرَج زِيادُ بنُ صالحٍ مِن وراءِ نهرِ بَلْخَ على أبى مسلمٍ الخراسانىِّ، فأظْفَره اللَّهُ بهم، فبَدَّد شَمْلَهم، واسْتأْصل خَضْراءَهم، واسْتَقَرَّ أمْرُه بتلك النَّواحى مُعَظَّمًا. وحَجَّ بالناسِ فيها سليمانُ بنُ علىٍّ نائبُ البَصْرةِ. والنُّوَّابُ هم المَذْكورون قبلَها.

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ: بُرْدُ[3] بنُ سِنانٍ، وأبو عَقِيلٍ زُهْرةُ بنُ مَعْبَدٍ[4]، وعَطاءٌ الخُراسانىُّ[5][1].

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٦٦، ٤٦٧، والكامل ٥/ ٤٥٥، ٤٥٦.

(٣) فى الأصل، ب، م، ظ: «يزيد» والمثبت من مصادر ترجمته؛ انظر التاريخ الكبير ٢/ ١٣٤، والجرح والتعديل ٢/ ٤٢٢، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٨٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥، وتاريخ دمشق ١٩/ ٨٦، وتهذيب الكمال ٩/ ٣٩٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٢٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٩، وتاريخ دمشق ١١/ ٦٥٦ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٩٠.

ثم دَخَلَتْ سنةُ ستٍّ وثلاثين ومائةٍ

فيها[1] قَدِم أبو مسلمٍ مِن خُراسانَ على السَّفّاحِ بالعراقِ ، وذلك بعدَ اسْتِئْذانِه الخَليفةَ فى القُدومِ ، فكَتَب إليه أن يَقْدَمَ فى خمسِمائةٍ مِن الجُنْدِ ، فكَتَب إليه : إنى قد وَتِرْتُ الناسَ ، وإنى أخْشَى مِن قِلةِ الخمسِمائةِ . فكَتَب إليه أن اقْدَمْ فى ألفٍ . فقَدِم فى ثمانيةِ آلافٍ فَرَّقَهم ، وأخَذ معه مِن الأمْوالِ والتُّحَفِ والهَدايا شيئًا كثيرًا ، ولمَّا قَدِم لم يَكُنْ معه سِوَى ألفٍ مِن الجُنْدِ ، فتَلَقَّاه القُوَّادُ الكبراءُ إلى ظاهرِ البلدِ ، فلمَّا دَخَل على السَّفَّاحِ أكْرَمه وعَظَّمه واحْتَرَمه وأنْزَله قريبًا منه ، وكان يَأْتى إلى الخَدَمةِ[2] كلَّ يومٍ ، واسْتَأْذن الخَليفةَ فى الحَجِّ ، فأَذِن له ، وقال : لولا أنى كنتُ عَيَّنْتُ إمْرَةَ الحَجِّ لأبى جعفرٍ لأَمَّرْتُك . وكان ما بينَ أبى جعفرٍ وأبى مسلمٍ خَرابًا ، وذلك لِما رَأَى مِن الجَفْوَةِ منه حينَ قَدِم عليه نَيْسابورَ فى البَيْعةِ للسَّفَّاحِ وللمَنْصورِ مِن بعدِه ، فحقَد عليه أبو جعفرٍ ، وأشار على السَّفَّاحِ بقَتْلِه ، وحينَ قَدِم حَرَّضَه على قَتْلِه أيضًا ، فقال له السَّفَّاحُ : [٢٩/٨ظ] قد عَلِمْتَ بَلاءَه معنا وخِدْمتَه لنا . فقال له أبو جعفرٍ : يا أميرَ المؤمنين ، إنما ذلك بدَوْلتِنا ، واللَّهِ لو أرْسَلْتَ سِنَّوْرًا لَسَمِعوا له وأطاعوا ، وإنك إن لم تَتَغَدَّ به تَعَشَّى بك هو . فقال له : كيف السَّبيلُ إلى ذلك ؟ قال : إذا دَخَل عليك فحادَثْتَه جِئْتُ أنا مِن ورائِه فضَرَبْتُه بالسيفِ . قال : فكيف بمَن معه ؟ قال : هم أذَلُّ وأقَلُّ . فأَذِن له فى قَتْلِه ، فلمَّا

---

(١) تاريخ الطبرى ٤٦٨/٧ - ٤٧٠، والكامل ٤٥٨/٥، ٤٥٩.

(٢) فى م : « الخلافة » . والخدمة : حلقة القوم . والمعنى أن أبا مسلم كان يأتى أبا العباس كل يوم .

دَخَل أبو مسلمٍ على السَّفَّاحِ نَدِم على ما كان أَذِن لأخيه فيه ، فبَعَث إليه الخادِمَ يَقولُ له : إن ذاك الذى بينَك وبينَه قد نَدِم عليه ، فلا تَفْعَلْه . فلمَّا جاءَه الخادِمُ وَجَدَه مُحْتَبِيًا بالسيفِ ، مُتَهَيِّئًا لِمَا يُرِيدُ مِن قَتْلِ أبى مُسْلمٍ ، فلَمَّا نَهاه عن ذلك غَضِب أبو جعفرٍ غَضَبًا شديدًا .

وفى هذه السنةِ[1] حَجَّ بالناسِ أبو جعفرٍ المَنْصورُ عن وِلايةِ أخيه السَّفاحِ ، وسار معه إلى الحِجازِ أبو مُسْلمٍ الخُراسانىُّ عن أمْرِ الخَليفةِ وإذْنِه له فى الحَجِّ فى هذا العامِ ، فلمَّا رَجَعا مِن الحَجِّ فكانا بذاتِ عِرْقٍ ، جاء الخَبَرُ إلى أبى جعفرٍ - وكان يَسِيرُ قبلَ أبى مسلمٍ بمَرْحلةٍ - بموتِ أبى العباسِ السَّفاحِ ، فكَتَب إلى أبى مسلمٍ أن قد حَدَث أمْرٌ ، فالعَجَلَ العَجَلَ . فلمَّا اسْتَعْلَم أبو مسلمٍ الخبرَ عَجَّل السَّيرَ وراءَه ، فلَحِقَه إلى الكوفةِ ، فكانت بَيْعةُ المَنْصورِ ، على ما سيَأْتى بيانُه وتَفْصيلُه قريبًا ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وهذه تَرْجمةُ أبى العباسِ السَّفاحِ[2] وذِكْرُ وفاتِه

هو عبدُ اللَّهِ السَّفاحُ - ويُقالُ له : المُرْتَضَى . و : القائمُ[3] أيضًا - ابنُ محمدِ الإمامِ بنِ علىٍّ السَّجّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ الحَبْرِ بنِ العباسِ ذِى الرَّأْيِ بنِ عبدِ المطلبِ شَيْبَةِ الحَمْدِ بنِ هاشِمٍ عمرِو بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ ، أبو العباسِ القرشىُّ الهاشمىُّ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٦٩، ٤٧٠، والكامل ٥/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦، وتاريخ دمشق ١٧٨/٣٨ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، والمنتظم ٧/ ٣٥٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٦٦.

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « القاسم » . وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦، وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٨٠.

أميرُ المؤمنين ، وأمُّه رَيْطةُ - ويُقالُ : رائطةُ - بنتُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المَدَانِ بنِ الدَّيّانِ الحارِثيِّ ، كان مَوْلِدُ السَّفَّاحِ بالحُمَيْمةِ مِن أرضِ الشَّراةِ مِن أرضِ البَلْقاءِ بالشامِ ، ونَشَأ بها حتى طُلِب أخوه إبراهيمُ ، فقَتَلَه مَرْوانُ الحِمارُ بِحَرّانَ ، فانْتَقَلوا إلى الكوفةِ ، وبُويِعَ له بالخِلافةِ بعدَ مَقْتَلِ أخيه فى حياةِ مَرْوانَ يومَ الجمعةِ الثانىَ عشَرَ مِن ربيعٍ [٨/٣٠و] الأولِ ، (١) ويُقالُ : فى جُمادَى سنةَ ثنتين وثلاثين ومائةٍ (١) ، كما تقَدَّم .

وتُوُفِّى بالجُدَرِىِّ بالأنْبارِ يومَ الأحدِ الحادىَ عشَرَ - وقيل(٢) : الثالثَ عشَرَ - مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ستٍّ وثلاثين ومائةٍ . وكان عمرُه ثلاثًا - وقيل(٣) : ثنتَيْن . وقيل(٤) : إحدى - وثلاثين سنةً . وقيل(٥) : ثمانيًا وعشرين سنةً . قاله غيرُ واحدٍ . وكانتْ خِلافتُه أربعَ سنين وتسعةَ أشْهرٍ .

وكان(٦) أبْيضَ جَميلًا طَويلًا ، أقْنَى الأنفِ ، جَعْدَ الشَّعرِ ، حَسَنَ اللِّحيةِ ، حَسَنَ الوجهِ ، فَصيحَ الكلامِ ، حَسَنَ الرَّأْيِ ، جَيِّدَ البَدِيهَةِ ؛ دَخَل(٧) عليه فى أولِ وِلايتِه عبدُ اللَّهِ بنُ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىٍّ ومعه مُصْحَفٌ وعندَ السَّفاحِ وُجوهُ بنى هاشمٍ مِن أهلِ بيتِه وغيرِهم ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، أعْطِنا حقَّنا الذى

(١ - ١) سقط من : ب ، م . وقد تقدم ذكر البيعة له بالخلافة فى صفحة ٢٤٩ . وانظر هذا القول فى تاريخ بغداد ١٠/ ٤٧، وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٨٧، وقد ساق ابن عساكر - نفس المصدر ص ١٨٦ - بسنده إلى العباس بن هشام عن أبيه أن السفاح بويع فى النصف من جمادى الآخرة .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٧، وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٨٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٧، وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٨.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٨، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٢٠٠.

(٥) تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٩.

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤٧، والمصدر السابق ٣٨/ ١٩٨.

(٧) انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤٨، ٤٩، وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٠، ١٩١.

جَعَلَه اللَّهُ لنا فى هذا المُصْحَفِ . قال : فأشْفَق الحاضِرون أن يَعْجَلَ السَّفَّاحُ بشىءٍ أو يَعْيَا بجوابِه ، فيَبْقَى ذلك سُبَّةً عليه وعليهم ، فأقْبَل السَّفَّاحُ عليه غيرَ مُغْضَبٍ ولا مُزْعَجٍ ، فقال : إن جَدَّك عليًّا ، وكان خيرًا منى وأعْدَلَ ، وَلِىَ هذا الأمْرَ ، فأَعْطَى جدَّيْك الحسنَ والحسينَ ، وكانا خيرًا منك ، شيئًا قد أَعْطَيْتُكه وزِدْتُك عليه ، فما كان هذا جَزائى منك . قال : فما رَدَّ عليه عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ جَوابًا ، وتَعَجَّب الناسُ مِن سُرْعةِ جَوابِه وحِدَّتِه وجَوْدتِه على البَديهةِ .

وقد ورَد فى حديثٍ ذِكْرُه ، رحِمه اللَّهُ ، فقال الإمامُ أحمدُ فى « مُسْنَدِه »[1] : حَدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا جَريرٌ ، عن الأعْمَشِ ، عن عَطِيةَ العَوْفىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ عندَ انْقِطاعٍ مِن الزمانِ ، وظُهورٍ مِن الفِتَنِ رجلٌ يُقالُ له : السَّفَّاحُ . فيكونُ إعْطاؤُه المالَ حَثْيًا » . وكذا رَواه زائدةُ وأبو مُعاويةَ عن الأعْمشِ به[2] . وهذا الحديثُ فى إسنادِه عَطِيةُ العَوْفىُّ ، وقد تَكَلَّموا فيه . وفى كَوْنِ المُرادِ بهذا المذكورِ السَّفّاحَ ، نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذَكَرْنا ، فيما تقَدَّم[3] عندَ زَوالِ دولةِ بنى أُمَيةَ ، أخْبارًا وآثارًا فى مثلِ هذا المعنى .

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[4] : حَدَّثنى محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ[5] بنِ محمدِ بنِ هشامٍ ،

---

(١) المسند ٣/ ٨٠. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٨٢/٣٨ من طريق أحمد به . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣١٤: رواه أحمد ، وفيه عطية العوفى ، وهو ضعيف ووثقه ابن معين ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخه ١٠/ ٤٨، من طريق زائدة به ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥١٤، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨/ ١٨٢، كلاهما من طريق أبى معاوية به .

(٣) تقدم فى صفحات ٢٦٦- ٢٧٥.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨/ ١٨٥، ١٨٦، من طريق الزبير به .

(٥) فى الأصل ، ب ، م : « سلمة » ، وفى ص : « مسلم » . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ٧١.

أخْبَرنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المخْزوميُّ ، حَدَّثَنى داودُ بنُ عيسى ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ - [٨/٣٠ظ] وهو والدُ السَّفّاحِ - قال : دَخَلْتُ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وعندَه رجلٌ مِن النَّصارَى ، فقال له عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : مَن تَجِدون الخَليفةَ بعدَ سليمانَ ؟ قال له النَّصْرانيُّ : أنت . قال : فأقْبَل عمرُ بنُ عبدِ العزيز علىَّ فقال : (١ وهى فى ثيابِك ١) يا أبا عبدِ اللَّهِ . قال محمدُ بنُ عليٍّ : فلما كان بعدَ ذلك جَعَلْتُ ذلك النَّصْرانيَّ مِن بالى ، فرأيْتُه يومًا ، فأمَرْتُ غلامى أن يَحْبِسَه علىَّ ، وذَهَبْتُ به إلى منزلى ، فسَأَلْتُه عما يَكونُ بعدُ فى خُلفاءِ بنى أُميةَ ، فذَكَرهم واحدًا واحدًا ، وتَجاوَز عن مَرْوانَ بنِ محمدٍ . قلتُ : ثم مَن ؟ قال : ثم ابنُك ابنُ الحارِثيَّةِ . قال : وكان إذ ذاك حَمْلًا .

ووَفَد[٢] عليه أهلُ المدينةِ ، فبادَروا إلى تَقْبيلِ يدِه ، وترَك ذلك عِمْرانُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مُطيعٍ العَدَوىُّ ، وإنما حَيَّاه بالخِلافةِ ، وهَنَّأه بها فقط . وقال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ، لو كانتْ تَزِيدُك رِفْعةً وتَزِيدُنى وَسيلةً إليك ، ما سَبَقَنى إليها أحدٌ مِن هؤلاء ، وإنى[٣] لَغَنىٌّ عما لا أجْرَ فيه . ثم جَلَس . قال : فواللَّهِ ما نَقَصَه ذلك مِن حظِّ أصحابِه .

وذَكَر القاضى المُعافَى بنُ زكريا[٤] أن السَّفَّاحَ بَعَث رجلًا يُنادِى بهذين البيتَيْن فى عَسْكرِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ ليلًا ، ثم رَجَع ، وهما هذانِ :

(١ - ١) فى الأصل ، ظ : « زدنى من بيانك » . وفى ب ، م : « له زدنى من بيانك » ، وفى ص : « ومن بنى بابك » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٩، وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٩١.

(٣) فى تاريخ بغداد : « إنك » .

(٤) تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩١، ١٩٢.

يا آلَ مَرْوانَ إنَّ اللَّهَ مُهْلِكُكمْ ومُبْدِلٌ أمْنَكم خوفًا وتَشْرِيدَا
لا عَمَّر اللَّهُ مِن أنْسالِكم أحدًا وبَثَّكم فى بلادِ الخَوْفِ تَطْرِيدَا

ورَوَى الخَطيبُ البَغْدادىُّ[1] أن السَّفَّاحَ نَظَر يومًا فى المِرْآةِ - وكان مِن أجملِ الناسِ وَجْهًا - فقال : اللهم لا أَقولُ كما قال سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ[2] : أنا الخَليفةُ الشابُّ . ولكنِّى أَقولُ : اللهم عَمِّرْنى طَويلًا فى طاعتِك مُمَتَّعًا بالعافيةِ . فما اسْتَتَمَّ كلامَه حتى سَمِع غلامًا يَقولُ لآخرَ : الأَجَلُ بينى وبينَك شَهران وخمسةُ أيامٍ . فتَطَيَّر مِن كلامِه ، وقال : حَسْبىَ اللَّهُ ، لا قوةَ إلا باللَّهِ ، عليه تَوَكُّلى[3] ، وبه أَسْتَعِينُ . فمات بعدَ شهرَيْن وخمسةِ أيامٍ .

وذَكَر محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مالكٍ الخُزاعىُّ[4] أن الرَّشيدَ أمَر ابنَه أن يَسْمَعَ مِن إسحاقَ بنِ عيسى بنِ علىٍّ ما يَرْوِيه عن أبيه فى قصةِ السَّفاحِ ، فأخْبَره عن أبيه عيسى ، أنه دَخَل على السَّفاحِ يومَ عَرَفةَ بُكْرةَ النهارِ فوَجَدَه صائمًا ، [٣١/٨و] فأمَره أن يُحادِثَه فى يومِه هذا ، ثم يَخْتِمَ ذلك بفِطْرِه عندَه . قال : فحادَثْتُه حتى أخَذَه النومُ ، فقمْتُ عنه ، وقلتُ : أَقِيلُ فى منزلى ، ثم أَجِىءُ بعدَ ذلك . فذَهَبْتُ فنِمْتُ قليلًا ثم قمتُ ، فأَقْبَلْتُ إلى دارِه ، فإذا على بابِه بَشيرٌ مِن أهلِ السِّنْدِ ببَيْعتِهم للخَليفةِ وتَسْليمِ الأُمورِ إلى نُوَّابِه . قال : فحَمِدْتُ اللَّهَ تعالى الذى وَفَّقنى

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٩، ٥٠. كما أخرجه من طريق الخطيب ابنُ عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٢.
(٢) وقع فى تاريخ بغداد وتاريخ دمشق ؛ أن اسمه « عبد الملك » لا « سليمان بن عبد الملك » . وقد أشارت محققة تاريخ دمشق إلى أن الحافظ ابن عساكر ضبَّب لفظة « عبد » تنبيها على أن الصواب « سليمان بن عبد الملك » . وقد تقدم تخريج قول سليمان بن عبد الملك فيما تقدم فى ١٢/ ٦٤٧، ٦٤٨.
(٣) فى م ، ص : « توكلت » . وهو لفظ رواية تاريخ دمشق .
(٤) تاريخ بغداد ١٠/٥٠ - ٥٣، وتاريخ دمشق ٣٨/١٩٣ - ١٩٧.

لأنْ أجيئَه ببِشارةٍ ، ثُم دَخَلْتُ الدارَ ، فإذا آخَرُ معه البِشارةُ بفتحِ إفْرِيقِيَّةَ ، فحَمِدْتُ اللَّهَ أيضًا ، ودَخَلْتُ عليه فبَشَّرْتُه بذلك وهو يُسَرِّحُ لحيتَه بعدَ الوُضوءِ ، فسَقَط المُشْطُ مِن يدِه ، ثم قال : سبحانَ اللَّهِ ! كلُّ شيءٍ بائدٌ سِواه ، نَعَيْتَ واللَّهِ نَفْسى ؛ حَدَّثَنى إبراهيمُ الإمامُ ، عن أبى هاشمٍ[1] عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه يَقْدَمُ علىَّ فى مَدِينتى هذه وافدان ؛ وافدُ السِّنْدِ ، والآخرُ وافدُ إفْرِيقِيَّةَ ، بسَمْعِهم وطاعتِهم وبَيْعَتِهم ، فلا يَمْضِى بعدَ ذلك ثلاثةُ أيامٍ حتى أَموتَ . قال : وقد أتانى الوافدان ، فأعْظَم اللَّهُ أجْرَك يا عمِّ فى ابنِ أخيك . فقلتُ : كلا يا أميرَ المؤمنين ، إن شاء اللَّهُ . قال : بلى إن شاء اللَّهُ ، لئن كانتِ الدنيا حَبيبةً إلىَّ ، فصحَّةُ الرِّوايةِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أحَبُّ إلىَّ منها ، واللَّهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ . ثم نَهَض فدَخَل منزلَه ، وأَمَرنى بالجُلوسِ ، فلمَّا جاء المُؤَذِّنُ يُعْلِمُه بوقتِ الظهرِ خَرَج الخادِمُ يَأْمُرُنى أن أُصَلِّىَ عنه ، وكذلك العصرُ والمغربُ والعِشاءُ ، كلُّ ذلك يَخْرُجُ الخادمُ فيَأْمُرُنى أن أصَلِّىَ عنه ، وبِتُّ هناك ، فلمَّا كان وقتُ السَّحَرِ خرَج الخادِمُ بكتابٍ معه يَأْمُرُنى أن أُصَلِّىَ عنه العيدَ ، ثم أَرْجِعَ إلى دارِه ، وفيه يَقولُ : يا عَمِّ ، إذا مِتُّ فلا تُعْلِمِ الناسَ بموتى حتى تَقْرَأَ عليهم هذا الكتابَ فيُبايِعوا لمَن فيه . قال : فصَلَّيْتُ بالناسِ ، ثم رَجَعْتُ إليه فإذا ليس به بأسٌ مِمَّا أُنْكِرُه ، ثم دَخَلْتُ عليه مِن آخِرِ النهارِ ، فإذا هو على حالِه غيرَ أنه قد خَرَجَت فى وجهِه حَبَّتان صَغيرتان ، ثم كَثُرَتا ، ثم صار فى وجهِه حَبٌّ صِغارٌ بِيضٌ - يُقالُ[2] : إنه جُدَرِىٌّ - ثم بكَّرْتُ

---

(١) فى ب ، م : « هشام » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٨٥.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٨.

إليه فى اليومِ الثانى مِن أيامِ التَّشْرِيقِ فإذا هو قد هَجَر[1] ، وذَهَبَت عنه مَعْرِفتى ومَعْرِفةُ غيرى ، فرَجَعْتُ إليه بالعَشِيِّ ، فإذا هو قد انْتَفَخَ حتى صار مثلَ الزِّقِّ ، وتُوُفِّيَ فى اليومِ الثالثِ مِن أيامِ [٣١/٨ظ] التَّشْريقِ ، فسَجَّيْتُه كما أمَرَنى ، وخَرَجْتُ إلى الناسِ ، فقَرَأْتُ عليهم الكتابَ ، فإذا فيه : مِن عبدِ اللَّهِ أميرِ المؤمنين ، إلى الرسولِ والأوْلياءِ وجماعةِ المسلمين ؛ سَلامٌ عليكم ، أمَّا بعدُ ، فقد قَلَّد أميرُ المؤمنين الخِلافةَ عليكم بعدَ وَفاتِه أخاه فاسْمَعوا له وأَطِيعوا ، وقد قَلَّد الخلافةَ مِن بعدِ عبدِ اللَّهِ عيسى بنَ موسى ، إن كان . قال : فاخْتَلَف الناسُ فى قولِه : إن كان . قيل : إن كان أهلًا لها . وقال آخرون : إن كان حيًّا[2] . وهذا القولُ الثانى هو الصَّوابُ . ذَكَره الخَطيبُ وابنُ عَساكرَ مُطَوَّلًا ، وهذا مُلَخَّصٌ منه ، وفيه ذِكْرُ الحَديثِ المَرْفوعِ ، وهو مُنْكَرٌ جدًّا .

وذَكَر ابنُ عَساكِرَ[3] أن الطَّبيبَ لَمَّا دَخَل عليه أَخَذ بيدِه ، فأنْشَأَ السَّفّاحُ يَقولُ عندَ ذلك :

انْظُرْ إلى ضَعْفِ الحَرا ... كِ وذُلِّه بيَدِ[4] السُّكونْ
يُنْبِئْكَ أن بَيانَهُ ... هذا مُقَدِّمةُ المَنونْ

فقال له الطَّبيبُ : أنت صالحٌ . فأنْشَأ يَقولُ :

يُبَشِّرُنى بأنى ذو صَلاحٍ ... يَبينُ له وبى داءٌ دَفِينُ
لقد أيْقَنْتُ أنى غيرُ باقٍ ... ولا شكٌّ إذا وَضَح اليَقينُ

---

(١) هَجَر : هَذَى . اللسان (هـ ج ر) .
(٢) المراد بقوله : « إن كان » أى : لا يكون . انظر مصدرى التخريج .
(٣) تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٢، ١٩٣.
(٤) فى الأصل، ب، م، ظ : « بعد »، وفى ص : « بيدك » . والمثبت من تاريخ دمشق .

قال بعضُ أهلِ العلمِ[1] : كان آخرَ ما تَكَلَّم به أبو العباسِ السَّفَّاحُ حِينَ حَضَرَه الموتُ : المُلْكُ للَّهِ الحيِّ القَيُّومِ ، مَلِكِ المُلوكِ ، وجَبَّارِ الجَبابرةِ . وكان نَقْشُ خاتَمِه : اللَّهُ ثِقةُ عبدِ اللَّهِ .

وكان[2] موتُه بالجُدَرِيِّ فى يومِ الأحَدِ الثالثَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ ، سنةَ سِتٍّ وثلاثين ومائةٍ بالأنْبارِ العَتيقَةِ ، عن ثلاثٍ وثلاثين سنةً . وكانتْ خِلافتُه أربعَ سنين وتسعةَ أشْهرٍ على أشْهرِ الأقْوالِ . وصَلَّى[3] عليه عمُّه عيسى بنُ علىٍّ ، ودُفِن فى قصرِ الإمارةِ مِن الأنْبارِ ، وترَك تسعَ جِبابٍ وأَرْبعةَ أقْمِصةٍ وخمسَ سَراوِيلاتٍ وأرْبعَ طَيالسةٍ وثلاثةَ مَطارِفِ خَزٍّ . وقد ترْجَمه ابنُ عَساكرَ[4] ، فذَكَر بعضَ ما أوْرَدْناه .

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ : الخليفةُ السَّفَّاحُ ، كما تقَدَّم ، **وأشْعَثُ** بنُ سَوَّارٍ[5] ، **وجعفرُ** بنُ[6] رَبيعةَ ، **وحُصَيْنُ** بنُ عبدِ الرحمنِ[7] ، **ورَبيعةُ الرَّأْيِ**[8] ،

---

(١) تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٧.

(٢) انظر المصدر السابق ٣٨/ ١٩٩.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٧١.

(٤) تاريخ دمشق ٣٨/١٧٨ - ٢٠١.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٤٩، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٧٨.

(٦) بعده فى الأصل ، ب ، م : «أبى» . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٤، وتهذيب الكمال ٥/ ٢٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٩٢.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣٨، وتهذيب الكمال ٦/ ٥١٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٠٠.

(٨) فى م : «الراعى» . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ٤٢٠، وتهذيب الكمال ٩/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤١٧، وطبقات الفقهاء ص ٦٥.

وزيدُ بنُ أسْلَمَ[1] ، وعبدُ الملكِ بنُ عُمَيْرٍ[2] ، [3]وعُبَيْدُ اللَّهِ[3] بنُ أبى جَعْفرٍ ، وعَطاءُ ابنُ السَّائبِ[4] . وقد ذَكَرْنا تَراجمَهم فى كتابِنا « التَّكْميلِ » . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

[٣٢/٨و] خِلافةُ أبى جعفرٍ المنْصورِ[5]

قد تقدَّم أنَّ السَّفَّاحَ مات وأخوه أبو جعفرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ بالحجازِ ، فأخَذَ البيعةَ له بالعراقِ عَمُّه عيسى بنُ علىٍّ[6] ، وبلَغَه خبرُ موتِ أخيه السَّفَّاحِ وهو راجعٌ بذاتِ عِرْقٍ فعَجَّل السَّيْرَ ، وكان معه أبو مسلمٍ الخُراسانىُّ ، فبايعه أبو مسلمٍ فى الطريقِ وعَزّاه فى أخيه أميرِ المؤمنين السَّفَّاحِ ، فبَكَى أبو جعفرٍ المَنْصورُ عندَ ذلك ، فقال له أبو مسلمٍ : [7]أتَبْكِى وقد جاءَتْك الخِلافةُ ؟! فأنا أَكْفِيكَها[7] إن شاء اللَّهُ . فسُرِّى عن المنصورِ ، وأمَر زيادَ بنَ عُبَيدِ اللَّهِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٧٤، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٢٨، وطبقات الحفاظ ص ٥٣، وطبقات المفسرين ١/ ١٧٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٥، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٨٣ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٧٥.

(٣ - ٣) فى م : « عبد الله » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٦٤١ مخطوط ، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٧٧، وطبقات الحفاظ ص ٥٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣٨، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٨٧.

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٧١ - ٤٧٣، والمنتظم ٧/ ٣٣٤ - ٣٣٨، والكامل ٥/ ٤٦١، ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٥٢.

(٦) المذكور فى تاريخ الطبرى والكامل وتاريخ الإسلام أن عيسى بن موسى هو الذى أخذ البيعة للمنصور. والمثبت موافق لما فى المنتظم وتاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٧.

(٧ - ٧) فى الأصل : « وقد جاءتك الخلافة فأنا أكفيكه » ، وفى ص : « لا تخف فأنا أكفيكه » . وجاءت العبارة فى تاريخ الطبرى مفصلة هكذا : « ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟ فقال : أتخوف شر =

أن يَرْجِعَ إلى مكةَ واليًا عليها ، وكان السَّفَّاحُ قد عَزَله عنها بالعباسِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدِ بنِ عباسٍ ، وأقَرَّ بَقِيَّةَ النُّوَّابِ على أعْمالِهم حتى انْسَلَخَتْ هذه السنةُ ، وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ قَدِم على السَّفَّاحِ الأنْبارَ ، فأمَّرَه على الصّائِفَةِ ، فرَكِب فى جُيوشٍ عَظيمةٍ إلى بلادِ الرومِ ، فلَمَّا كان ببعضِ الطريقِ بَلَغه موتُ السَّفَّاحِ ، فكَرَّ راجعًا إلى حَرَّانَ ، ودَعا إلى نفسِه ، وزَعَم أن السَّفَّاحَ كان عَهِد إليه حينَ بَعَثه إلى الشامِ أن يَكونَ وَلِيَّ العَهْدِ مِن بعدِه ، فالْتَفَّتْ عليه جُيوشٌ عظيمةٌ ، وكان مِن أمرِه ما سنَذْكُرُه فى السنةِ الآتيةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

= عبدِ اللَّه بن عليٍّ وشيعة عليٍّ . فقال : لا تخفه فأنا أكفيك أمره » . وهكذا جاءت العبارة فى الكامل ، عدا « وشيعة على » ؛ فقد جاءت هناك : « وشَغَبَه عليٌّ » .

ثم دَخَلَت سنةُ سبعٍ وثلاثين ومائةٍ

ذِكْرُ خُروجِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسٍ على ابنِ أخيه المنصورِ[1]

لما رَجَع أبو جعفرٍ المَنْصورُ مِن الحَجِّ دَخَل الكُوفةَ ، فخطَب بأهلِها يومَ الجمعةِ ، ثم ارْتَحَل منها إلى الأنْبارِ ، وقد أُخِذَت له البَيْعةُ مِن أهلِ العراقِ وخُراسانَ وسائرِ البلادِ سِوى الشامِ ، وقد ضَبَط عيسى بنُ موسى[2] بُيوتَ الأمْوالِ والحَواصِلَ للمَنْصورِ حتى قَدِم ، فسَلَّم إليه الأمْرَ ، وكتَب إلى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ وهو بدروبِ الرومِ يُعْلِمُه بوَفاةِ السَّفَّاحِ ، فلما بَلَغه الخبرُ نادَى فى الناسِ : الصلاةَ جامعةً . فاجْتَمَع إليه الأُمَراءُ والناسُ ، فقَرَأ عليهم وَفاةَ السَّفَّاحِ ، ثم قام فيهم خَطيبًا ، فذَكَر أن السَّفَّاحَ كان عَهِد إليه حينَ بَعَثه إلى مَرْوانَ أن يكونَ الأمْرُ إليه مِن بعدِه ، وشَهِد له بعضُ أُمراءِ خُراسانَ[3] بذلك ، ونَهَضوا إليه فبايَعوه ، ورَجَع إلى حَرَّانَ ، فتَسَلَّمها مِن نائبِ المَنْصورِ بعدَ محُاصَرةٍ أربعين ليلةً ، وقَتْلِ مُقاتِلٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤٧٤ - ٤٧٩، والكامل ٥/٤٦٤ - ٤٦٨.

(٢) فى النسخ : « على » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل . وانظر المنتظم ٨/ ٣، ونهاية الأرب ٢٢/ ٦٦، ٦٧.

(٣) فى النسخ : « العراق » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل . وانظر المنتظم ٨/ ٣، ٤، ونهاية الأرب ٢٢/ ٦٧، ٦٨.

العكِّيّ نائبِها [٣٢/٨ظ] ، فلمَّا بَلَغ المَنْصورَ ما كان مِن أمْرِ عمِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ بَعَث إليه أبا مسلمٍ الخُراسانيَّ ، ومعه جمَاعةٌ مِن الأُمراءِ ، وقد تَحَصَّن عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ بحَرَّانَ ، وأرْصَد عندَه مما يَحْتاجُ إليه مِن الأطْعمةِ والسِّلاحِ شيئًا كثيرًا جدًّا . وسار أبو مسلمٍ وعلى مُقَدِّمتِه مالكُ بنُ الهَيْثمِ الخُزاعيُّ ، ولمَّا تَحَقَّق عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ قُدومَ أبى مسلمٍ إليه خَشِى مِن جيشِ خُراسانَ الذين معه أن لا يُناصِحوه ، فقَتَل منهم سبعةَ عشَرَ ألفًا ، وأراد قتلَ حُمَيْدِ بنِ قَحْطَبةَ ، فهَرَب منه إلى أبى مسلمٍ . ورَكِب عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ ، فنَزَل نَصِيبِينَ ، وخَنْدَقَ حولَ عَسْكرِه ، وأقْبَل أبو مسلمٍ ، فنَزَل ناحيةً ، وكَتَب إلى عبدِ اللَّهِ : إنِّى لم أُومَرْ بقِتالِك ، وإنما بَعَثَنى أميرُ المؤمنين واليًا على الشامِ ، فأنا أُرِيدُها . فخاف جُنودُ الشامِ مِن هذا الكلامِ وقالوا : إنا نَخافُ على ذَرارِيِّنا وأمْوالِنا ، فنحن نَذْهَبُ إليها نَمْنَعُهم منه . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ : ويحَكم ! واللَّهِ إنه لم يَأْتِ إلا لقِتالِنا . فأبَوْا إلا أن يَرْتَحِلوا نحوَ الشامِ ، فتَحَوَّل عبدُ اللَّهِ مِن منزلِه ذلك ، وقَصَد ناحيةَ الشامِ ، فنَهَض أبو مسلمٍ ، فنَزَل فى موضعِ عَسْكرِ عبدِ اللَّهِ ، (١) وعَوَّر(٢) ما حولَه مِن المياه ، وكان نزَل عبدُ اللَّهِ مَنْزِلًا جيدًا جدًّا ، واحْتاج عبدُ اللَّهِ (١) وأصحابُه ، فنَزَلوا فى الموضعِ الذى نزل فيه أبو مسلمٍ فوَجَدوه مَنْزِلًا رَديئًا ، ثم أنْشَأ أبو مسلمٍ القِتالَ ، فحارَبهم خمسةَ أشْهرٍ أو ستةَ أشهرٍ ، وكان على خيلِ عبدِ اللَّهِ أخوه عبدُ الصَّمَدِ بنُ عليٍّ ، وعلى مَيْمَنتِه بَكَّارُ بنُ مسلمٍ العُقَيْلِيُّ ، وعلى مَيْسَرتِه حَبيبُ بنُ سُوَيْدٍ الأسَدِيُّ ، وعلى مَيْمَنةِ أبى مسلمٍ الحسنُ بنُ قَحْطبةَ ، وعلى مَيْسَرتِه أبو نصرٍ خازمُ بنُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « غور » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل . وعوّر المياه : دفنها وسدّها . اللسان (ع و ر) .

خُزَيْمَةَ ، وقد جَرَت بينَهم وَقْعاتٌ ، وقُتِل منهم جَماعاتٌ فى أيامٍ نَحِساتٍ ، وقد كان أبو مسلمٍ إذا حمَل يَرْتَجِزُ ويَقولُ :

مَن كان يَنْوِى أهلَهُ فلا رَجَعْ فَرَّ مِن الموتِ وفى الموتِ وَقَعْ

وكان يُعْمَلُ له عَرِيشٌ ، فيَكونُ فيه إذا الْتَقَى الجَيْشان ، فما رَأَى فى جيشِه مِن خَلَلٍ أرْسَل فأصْلَحه . فلما كان يومُ الثُّلاثاءِ أو الأرْبعاءِ لسبعٍ خَلَوْن مِن جُمادَى الآخِرةِ الْتَقَوْا ، فاقْتَتَلوا قِتالًا شديدًا ، فمَكَر بهم أبو مسلمٍ ؛ بَعَث إلى الحسنِ بنِ قَحْطَبةَ أميرِ المَيْمنةِ ، يأمرُه أن يَتَحَوَّلَ بمَن معه إلا القليلَ ، إلى المَيْسَرةِ ، فلمَّا رَأَى ذلك أهلُ الشامِ [٨/٣٣و] انْحازوا إلى المَيْمَنةِ بإزاءِ المَيْسَرةِ التى تَعَمَّرَتْ ، فأرْسَل حينَئذٍ أبو مسلمٍ إلى القَلْبِ أن يَحْمِلَ بمَن بَقِى فى المَيْمَنةِ على مَيْسَرةِ أهلِ الشامِ ، فحَطَموهم ، فجال أهلُ القَلْبِ والمَيْمَنةِ مِن الشاميِّين ، فحمَل عليهم الخُراسانيُّون فكانتِ الهزيمةُ ، وانْهَزَم عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ بعد تَلَوُّمٍ ، واحْتاز أبو مسلمٍ ما كان فى مُعَسْكرِهم من الأموالِ والحواصلِ ، وأمَّن أبو مسلمٍ بَقيةَ الناسِ فلم يَقْتُلْ منهم أحدًا ، وكَتَب إلى المَنْصورِ بذلك ، فأرْسَل المَنْصورُ مَوْلاه أبا الخَصِيبِ ليُحْصِىَ ما وَجَدوا فى مُعَسكرِ عبدِ اللَّهِ ، فغَضِب مِن ذلك أبو مسلمٍ الخُراسانىُّ ، واسْتَوْسَقَت المَمالِكُ لأبى جعفرٍ المَنْصورِ فى المشارقِ والمغاربِ ، ومَضَى عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ وأخوه عبدُ الصَّمدِ على وجوهِهما ، فلما مَرَّا بالرَّصافةِ أقام بها عبدُ الصَّمَدِ ، فلما رَجَع أبو الخَصِيبِ وَجَده بها ، فأخَذَه مُقَيَّدًا فى الحَديدِ ، فأدْخَله على المَنْصورِ ، فدَفَعه إلى عيسى ابنِ موسى ، فاسْتَأْمَن له مِن المَنْصورِ ، وقيل : بل اسْتَأْمَن له إسماعيلُ بنُ علىٍّ . وأما عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ ، فإنه ذَهَب إلى أخيه سليمانَ بنِ علىٍّ بالبَصْرةِ ، فأقام

عندَه زَمانًا مُخْتَفِيًا ، ثم عَلِم به المَنْصورُ ، فبَعَث إليه فسَجَنه ، فلَبِث فى السِّجْنِ تسعَ سنين ، ثم سَقَط عليه البيتُ الذى هو فيه فمات ، كما سيأتى بيانُه فى مَوْضعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

ذِكْرُ مَهْلِكِ أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ[1]

فى هذه السنةِ ذُكر أن أبا مسلمٍ لما نفَر الناسُ مِن الحَجيجِ سبَق الناسَ بمَرْحَلةٍ ، فلما جاءه خبرُ السَّفَّاحِ فى الطَّريقِ ، كتَب إلى أبى جعفرٍ المنصورِ يُعَزِّيه فى الخليفةِ ، ولم يُهَنِّئْه بالخِلافةِ ، ولا رجَع إليه ، فغضِب المنصورُ مِن ذلك مع ما كان مُضْمِرًا له مِن السُّوءِ[2] ، فقال لأبى أيوبَ : اكْتُبْ إليه كتابًا غَليظًا . فلمَّا بلَغه الكِتابُ بعَث يُهَنِّئُه بالخِلافةِ ، وانْقَمَع مِن ذلك ، وقال بعضُ الأُمراءِ لأبى جعفرٍ : إنا نرَى مِن المصلحةِ أن لا تُجامِعَه فى الطَّريقِ ؛ فإن معه مِن الجُنودِ مَن لا يُخالِفُه وهم له أَهْيَبُ[3] ، وليس معك أحدٌ . فأخَذ برأيِه ، ثم كان مِن أمْرِه فى مُبايَعتِه لأبى جعفرٍ المنصورِ ما ذَكَرْناه ، ثم بعَثه إلى عمِّه عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ فكسَره ، كما تقَدَّم ، وقد بعَث فى غُبونِ ذلك الحسنُ بنُ قَحْطَبةَ إلى أبى أيوبَ كاتبِ رَسائلِ المَنْصورِ يُشافِهُه ويُخْبِرُه بأنَّ أبا مسلمٍ يُتَّهمُ فى أبى جعفرٍ المنصورِ ؛ [٨/٣٣ظ] فإنه إذا جاءه الكتابُ منه يَقْرَؤُه ثم يَلْوِى شِدْقَيْه ، ويَرْمِى بالكتابِ إلى أبى نصرٍ ، ويَضْحَكان اسْتِهْزاءً ، فقال أبو أيوبَ : إنَّ تُهْمةَ أبى مسلمٍ عندَنا أظْهَرُ مِن هذا .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤٧٩/٧ - ٤٩٤.

(٢) بعده فى ب ، م : « إذا أفضت إليه الخلافة ، وقيل : إن المنصور هو الذى كان قد تقدم بين يدى الحج بمرحلة ، وأنه لما جاءه خبر موت أخيه كتب إلى أبى مسلم يستعجله فى السير كما قدمنا » .

(٣) بعده فى ب ، م : « وعلى طاعته أحرص » .

ولما بعَث أبو جعفرٍ مَوْلاه أبا الخَصِيبِ يَقْطِينَ ؛ ليَحْتاطَ على ما أُصِيب مِن مُعَسْكرِ عبدِ اللَّهِ مِن الأمْوالِ والجَواهرِ الثَّمينةِ وغيرِها ، غضِب أبو مسلمٍ ، فشتَم أبا جعفرٍ ، وهَمَّ بأبى الخَصِيبِ أن يَقْتُلَه ، حتى كُلِّم فيه وقيل له : إنما هو رسولٌ . فترَكه ، ورجَع أبو الخصيبِ ، فأخْبَر المَنْصورَ بما كان ، وبما هَمَّ به أبو مسلمٍ مِن قَتْلِه ، فغَضِب المَنْصورُ ، وخَشِى أن يَذْهَبَ أبو مسلمٍ إلى خُراسانَ ، فيَشُقَّ عليه تَحْصِيلُه بعدَ ذلك ، فكتَب إليه مع يَقْطِينَ : إنى قد وَلَّيْتُك الشامَ ومِصْرَ ، وهما خيرٌ مِن خُراسانَ ، فابْعَثْ إلى مصرَ مَن شِئْتَ ، وأَقِمْ أنت بالشامِ ؛ لتَكونَ أقْرَبَ إلى أميرِ المؤمنين ، إذا أراد لِقاءَك كنتَ منه قريبًا . فغَضِب أبو مسلمٍ مِن ذلك ، وقال : قد وَلَّانىَ الشامَ ومصرَ ، ولى خُراسانُ ! فإذًا أَذْهَبُ إليها ، وأَسْتَخْلِفُ على الشامِ ومصرَ . فكتَب إلى المنصورِ بذلك ، فقَلِق المَنْصورُ مِن ذلك كثيرًا ، ورجَع أبو مسلمٍ مِن الشامِ قاصدًا خُراسانَ ، وهو عازمٌ على مُخالفةِ المَنْصورِ ، فخرَج المَنْصورُ مِن الأنْبارِ إلى المَدائنِ ، وكتَب إلى أبى مسلمٍ بالمصيرِ إليه ، فكتَب إليه أبومسلمٍ وهو على الزابِ عازمٌ على الدُّخولِ إلى خُراسانَ : إنه لم يَبْقَ لأميرِ المؤمنين عدوٌّ إلا أمْكَنه اللَّهُ منه ، وقد كنا نَرْوِى عن مُلوكِ آلِ ساسانَ أنَّ أَخْوَفَ ما يكونُ الوزراءُ إذا سَكَنَت الدَّهْماءُ ، فنحن نافرون مِن قُرْبِك ، حَرِيصون على الوَفاءِ بعَهْدِك ما وَفَّيْتَ ، حَرِيُّون بالسَّمْعِ والطاعةِ غيرَ أنها مِن بعيدٍ حيث تُقارِنُها السَّلامةُ ، فإنْ أرْضاك ذلك فأنا كأحْسَنِ عَبيدِك ، وإن أبَيْتَ إلا أن تُعْطِىَ نفسَك إراداتِها نَقضْتُ ما أَبْرَمْتُ مِن عهدِك ضَنًّا بنَفْسِى . فلمَّا وصَل الكتابُ إلى المنصورِ كتَب إلى أبى مسلمٍ : قد فَهِمْتُ كتابَك ، وليْسَتْ صفتُك صفةَ أولئك الوزراءِ الغَشَشةِ مُلوكِهِم ، الذين يَتَمَنَّون اضْطِرابَ حَبْلِ الدولةِ لكثرةِ جَرائمِهم ، وإنما راحتُهم فى انتثارِ[1] نظامِ الجَماعةِ ، فلمَ سَوَّيْتَ نَفْسَك بهم ، وأنت فى طاعتِك

---

(١) الانتثار : التفرق .

ومُناصحتِك واضْطِلاعِك بما حَمَلْتَ مِن أعْباءِ هذا الأمْرِ على ما أنت به ؟! وليس [٣٤/٨و] مع الشَّريطةِ التى أوْجَبْتَ منك سَمْعٌ ولا طاعةٌ ، وقد حَمَّل أميرُ المؤمنين عيسى بنَ موسى رسالةً لتَسْكُنَ إليها إن أَصْغَيْتَ إليها ، وأَسْأَلُ اللَّهَ أن يَحُولَ بينَ الشَّيطانِ ونَزَغاتِه وبينَك ؛ فإنه لم يَجِدْ بابًا يُفْسِدُ به نيَّتَك أوْكَدَ عندَه وأَقْربَ مِن ظنِّه[1] مِن البابِ الذى فتَحه عليك .

ويقالُ : إن أبا مسلمٍ كتَب إلى المنصورِ : أمَّا بعدُ ؛ فإنى اتَّخَذْتُ رجلًا إمامًا ودليلًا على ما افْتَرَض اللَّهُ على خَلْقِه ، وكان فى مَحَلَّةِ العلمِ نازلًا ، وفى قَرابتِه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ قريبًا ، فاسْتَجْهَلَنى بالقرآنِ ، فحرَّفه عن مَواضِعِه طَمَعًا فى قليلٍ قد نعاه[2] اللَّهُ إلى خلقِه ، فكان كالذى دُلِّىَ بغُرورٍ ، وأَمَرنى أن أُجَرِّدَ السيفَ ، وأرْفَعَ الرحمةَ ، ولا أَقْبَلَ المَعذِرةَ ، ولا أُقِيلَ العَثْرةَ ، ففعَلْتُ تَوْطِيدًا لسُلْطانِكم حتى عَرَّفَكم اللَّهُ مَن كان يَجْهَلُكم[3] ، ثم اسْتَنْقَذنى اللَّهُ بالتَّوْبةِ ، فإن يَعْفُ عنى فقِدْمًا عُرِف به ونُسِب إليه ، وإن يُعاقِبْنى فبما قَدَّمَت يداىَ ، وما اللَّهُ بظَلَّامٍ للعَبيدِ . ذكَره المَدائنىُّ عن شُيوخِه[4] .

وبعَث المَنصورُ إليه جريرَ بنَ يزيدَ بنِ جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلىَّ - وكان واحدَ أهلِ زَمانِه - فى جَماعةٍ مِن الأُمراءِ ، وقد كان المنصورُ قال له[5] : كَلِّمْ أبا مسلمٍ

---

(١) فى م ، وتاريخ الطبرى : « طبه » . والطب : السحر . والمثبت موافق لنسختين من نسخ تاريخ الطبرى . انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٨٣ ، حاشية (٣) .

(٢) فى م ، وتاريخ الطبرى : « تعافاه » . والمثبت موافق لما فى الكامل ٥/ ٤٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٦٣ .

(٣) بعده فى ب ، م : « وأطاعكم من كان عدوكم ، وأظهركم اللَّه بى بعد الإخفاء والحقارة والذل » .

(٤) ذكره الطبرى فى تاريخه ٧/ ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(٥) فى تاريخ الطبرى أن الذى قال المنصور له ذلك هو أبو حميد المروزى لا جرير بن يزيد . ولكن جرير كان ضمن من أرسلهم المنصور إلى أبى مسلم . انظر أنساب الأشراف ٤/ ٢٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧/ ٤٨٣ .

بألينِ كلامٍ تَقْدِرُ عليه ، وقل له : إنه يريدُ رفعَك ، وعُلُوَّ قَدْرِك ، والإطلاقَ لك . فإن جاء بهذا فذاك ، وإن أَبَى أن يَرْجِعَ فقلْ : إنه يقولُ : هو بَرِىءٌ مِن العباسِ ، إن شَقَقْتَ العَصا وذَهَبْتَ على وجهِك هذا ليُدْرِكَنَّك بنَفْسِه ولَيَلِيَنَّ قتالَك دونَ غيرِه ، ولو خُضْتَ البحرَ الخِضَمَّ لخاضه خلفَك حتى يُدْرِكَك فيَقْتُلَك أو يموتَ قبلَ ذلك . ولا تَقُلْ له هذا حتى تَيْأَسَ مِن رُجوعِه بالتى هى أحْسَنُ ، فلما قَدِم عليه أُمراءُ المنصورِ بحُلْوانَ دخَلوا عليه ولامُوه فيما هو فيه مِن مُنابَذةِ أميرِ المؤمنين ، ورَغَّبوه فى الرُّجوعِ إليه ، فشاوَر ذَوِى الرأيِ مِن أُمرائِه ، فكُلٌّ نَهاه عن الرُّجوعِ إليه ، وأشاروا بأن يُقيمَ فى الرَّىِّ فتَكونَ خُراسانُ تحتَ حُكْمِه ، وجُنودُه طَوْعٌ له ، فإن اسْتَقام له الخَليفةُ وإلا كان فى عِزٍّ ومنَعةٍ مِن الجُنْدِ . فأرْسَل أبو مسلمٍ إلى أُمراءِ المنصورِ ، فقال لهم : ارجعوا إلى صاحِبِكم ، فلستُ ألقَاه . فلمَّا اسْتَيْأَسُوا منه قالوا له ذلك الكلامَ الذى كان المَنْصورُ أَمَرهم به[1] . فلما سمِع [٨/٣٤ظ] ذلك كسَره جدًّا ، وقال : قُوموا عنى الساعةَ .

وكان أبو مسلمٍ قد اسْتَخْلَف على خُراسانَ أبا داودَ [2]خالدَ بنَ إبراهيمَ[2] ، فكتَب إليه المنصورُ فى غَيْبةِ أبى مسلمٍ حينَ اتَّهَمه : إن ولايةَ خُراسانَ لك ما بَقِيتُ . فكتَب أبو داودَ إلى أبى مسلمٍ حينَ بلَغه ما عزَم عليه مِن مُنابذةِ الخَليفةِ : إنه ليس لنا مُنابَذةُ خُلفاءِ بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فارْجِعْ إلى إمامِك سامعًا مُطيعًا . فزادَه ذلك كَسْرًا أيضًا ، فبعَث إليهم أبو مسلمٍ : إنى سأَبْعَثُ إليه أبا إسحاقَ ،

---

(١) بعده فى الأصل ، ص ، ظ : « من أنه لا يرجع عنه ، ولو خاض البحر لخاضه وراءه حتى يقتله » .
(٢ - ٢) فى النسخ : « إبراهيم بن خالد » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل ٥/ ٤٨٣. وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٦٧.

وهو ممَّن أَثِقُ به . فبعَثه إليه فأكْرَمه ، ووعَده بنِيابةِ خُراسانَ[1] إن هو رَدَّه . فلما رجَع إليه أبو إسْحاقَ قال له : ما وراءَك ؟ قال : رأيْتُهم مُعَظِّمِين لك يَعْرِفون قَدْرَك . فغَرَّه ذلك ، وعزَم على الذَّهابِ إلى الخَليفةِ ، فاسْتَشار أميرًا يُقالُ له : نَيْزَكُ . فنَهاه ، فصمَّم على الذَّهابِ ، فلمَّا رآه نَيْزَكُ عازمًا على الذَّهابِ تَمَثَّل نَيْزَكُ[2] بقولِ الشاعرِ :

ما للرجالِ مع القَضاءِ مَحالةٌ ذهَب القضاءُ بحِيلةِ الأقْوامِ

ثم قال له : احفَظْ عنى واحدةً . قال : وما هى ؟ قال : إذا دخَلْتَ عليه فاقْتُلْه ، ثم بايِعْ مَن شئْتَ بالخِلافةِ ؛ فإن الناسَ لا يُخالِفُونك . وكتَب أبو مسلمٍ إلى المنصورِ يُعْلِمُه بقُدومِه عليه .

قال أبو أيوبَ كاتبُ الرَّسائلِ : فدخَلْتُ على المنصورِ وهو فى خِباءِ شَعْرٍ بالرُّومِيَةِ[3] جالسًا على مُصَلَّاه بعدَ العصرِ ، وبينَ يديه كتابٌ ، فألْقاه إلىَّ فإذا هو كتابُ أبى مسلمٍ إليه ، ثم قال الخليفةُ : واللَّهِ لئن مَلأْتُ عيْنىَّ منه لأَقْتُلَنَّه . قال أبو أيوبَ : فقلتُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وبِتُّ تلك الليلةَ لا يَأْتِينى نومٌ ، وفكَّرتُ فى هذه الوَقْعةِ ، وقلتُ : إن دخَل أبو مسلمٍ خائفًا ربما أنه يَبْدُرُ منه شىءٌ إلى الخليفةِ ، والمَصْلَحةُ أن يَدْخُلَ آمِنًا ليَتَمَكَّنَ منه الخَليفةُ . فلما أصْبَحتُ طلَبْتُ رجلًا مِن الأُمراءِ ، وقلتُ له : هل لك أن تَتَوَلَّى مدينةَ كَسْكَرَ ؛ فإنها مُغِلَّةٌ فى هذه

---

(١) فى النسخ : « العراق » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٧/ ٤٨٦، والكامل ٥/ ٤٧٣. وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٦٤.

(٢) فى تاريخ الطبرى والكامل أن الذى تمثل بقول الشاعر هو أبو مسلم لا نيزك . والمثبت من النسخ هو ما يقتضيه السياق . وانظر ما سيأتى صفحة ٣١٩.

(٣) سقط من : ب ، م . ورومية هنا بتخفيف الياء رومية المدائن ، وهما روميتان ؛ إحداهما بالروم ، والأخرى بالمدائن بنيت وسميت باسم ملك . انظر معجم البلدان ٢/ ٨٦٧.

السنةِ ؟ فقال : ومَن لى بذلك ؟ فقلتُ له : فاذْهَبْ إلى أبى مسلمٍ ، فتَلَقَّه فى الطريقِ ، فاطْلُبْ منه أن يُوَلِّيَك تلك البلدَ ؛ فإن أميرَ المؤمنين يُرِيدُ أن يُوَلِّيَه ما وراءَ بابِه ويَسْتَرِيحَ لنَفْسِه . واسْتَأْذَنْتُ المنصورَ له أن يَذْهَبَ إلى أبى مسلمٍ ، فأَذِن له ، وقال له : سَلِّمْ عليه ، وقُلْ له : إنا [٨/٣٥و] بالأشواقِ إليه . فسار ذلك الرجلُ - وهو سَلَمةُ (١) بنُ سعيدِ بنِ جابرٍ (١) - إلى أبى مسلمٍ ، فأخْبَره باشْتياقِ الخَليفةِ إليه ، فسَرَّه ذلك وانْشَرَح ، وإنما هو غُرورٌ ومَكْرٌ به ، فلمَّا سمِع أبو مسلمٍ بذلك عَجَّل السَّيْرَ (٢) ، فلمَّا قَرُب مِن المَدائنِ أَمَر الخَليفةُ القُوَّادَ والأُمَراءَ أن يَتَلَقَّوْه ، وكان دُخولُه على المَنْصورِ مِن آخِرِ ذلك اليومِ ، وقد أشار أبو أيوبَ على المَنصورِ أن يُؤَخِّرَ قتلَه فى ساعتِه هذه إلى الغَدِ ، فقَبِل ذلك منه ، فلمَّا دخَل أبو مسلمٍ على المنصورِ مِن العَشِيِّ ، قال : اذْهَبْ فأرِحْ نَفْسَك ، وادْخُلِ الحَمَّامَ ، فإذا كان الغَدُ فأْتِنى . فخرَج مِن عندِه ، وجاءه الناسُ يُسَلِّمون عليه ، فلمَّا كان الغدُ طلَب الخليفةُ بعضَ الأُمراءِ ، فقال له : كيف بَلائى عندَك ؟ قال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ، لو أَمَرْتَنى أن أَقْتُلَ نَفْسى لقَتَلْتُها . قال : فكيفَ بك إذا أمَرْتُك بقَتْلِ أبى مسلمٍ ؟ قال : فوجَم ساعةً ، ثم قال له أبو أيوبَ : ما لك لا تَتَكَلَّمُ ؟ فقال قَوْلةً ضَعيفةً : أَقْتُلُه . ثم اخْتار له مِن عُيونِ الحَرَسِ أرْبَعةً ، فحَرَّضهم الخليفةُ على قتلِه ، وقال : كُونوا مِن وراءِ الرِّواق (٣) ، فإذا صَفَّقْتُ فاخرُجوا عليه فاقتلوه . ثم أرْسَل الخليفةُ إلى أبى مسلمٍ رُسُلًا تَتْرَى ؛ يَتْبَعُ بعضُها بعضًا ، فأقبل أبو مسلمٍ فدخَل دارَ الخِلافةِ ، ثم دخَل على الخَليفةِ وهو يَبْتَسِمُ ، فلما وقَف بينَ يديْه جعَل المَنْصورُ يُعاتِبُه فى الذى صنَع

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص ، ظ . وفى ب ، م : « بن فلان » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٧/ ٤٨٦ ، والكامل ٥/ ٤٧٤ .

(٢) بعده فى الأصل ، ب ، م : « إلى منيته » .

(٣) الرواق : بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل . الوسيط (ر و ق) .

واحدةً واحدةً ، فيَعْتَذِرُ عن ذلك كلِّه [1] فيما كان اعتمَده مِن الأمورِ التى تَسَرَّع فيها [1] . ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، أَرْجُو أن تكونَ نَفْسُك قد طابتْ علىَّ . فقال : واللَّهِ ما زادنى هذا إلا غضبًا عليك . ثم ضرَب بإحْدى يديه على الأُخْرى ، فخرَج عثمانُ وأصحابُه ، فضرَبوه بالسيوفِ حتى قَتَلوه ، ولَفُّوه فى عَباءةٍ ، ثم أَمَر بإلْقائِه فى دِجْلةَ ، وكان آخرَ العَهْدِ به ، وكان مَقْتَلُه فى يومِ الأَرْبعاءِ لأَرْبعٍ [2] بَقِين مِن شَعْبانَ سنةَ سبعٍ وثلاثين ومائةٍ .

وكان [3] مِن جُملةِ ما عاتَبه به المنصورُ أنَّه قال : كَتَبْتَ إلىَّ مراتٍ تَبْدَأُ بنَفْسِك ، وأرْسَلْتَ تَخْطُبُ عَمَّتى أُمَيْنةَ [4] ، وتَزْعُمُ أنك ابنُ سَليطِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ . إلى غيرِ ذلك . فقال أبو مسلمٍ : يا أميرَ المؤمنين ، لا يُقالُ هذا لى وقد سَعَيْتُ فى أمْرِكم بما عَلِمه كلُّ أحدٍ . فقال : ويْلَك ! لو قامَتْ فى ذلك أَمَةٌ سَوْداءُ لأَتَمَّه اللَّهُ ؛ لجَدِّنا وحَظِّنا . ثم قال : واللَّهِ لأَقْتُلَنَّك . فقال : اسْتَبْقِنى يا أميرَ المؤمنين [٨/٣٥ظ] لأعْدائِك . فقال : وأىُّ عدوٍّ لى أعْدَى مِنك ؟! ثم أمَر بقتْلِه فقُتِل ، كما ذكَرنا ، فقال له بعضُ الأُمراءِ : يا أميرَ المؤمنين ، الآن صِرْتَ خَليفةً . ويقالُ : إن المنصورَ أنْشَد عندَ ذلك [5] :

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « لخمس » . والمثبت موافق لما فى تاريخ خليفة ٢/ ٦٣٧، وتاريخ دمشق ٤١/٣٩٨ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٥٣، ١٥٤.

(٤) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « آسية » . انظر أنساب الأشراف ٤/٩٧ ، ٩٨. والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى .

(٥) البيت فى عيون الأخبار ٢/ ٢٥٩، والعقد الفريد ٢/ ٣٠٣، ٦/ ١٥٠، والتمثيل والمحاضرة ص ٢٩٦ بلا نسبة ، ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين إلى مضرس الأسدى ، ونسب فى بهجة المجالس ١/٢٢٨ للأحمر بن سالم المزنى ، وترددت نسبته فى اللسان (ع ص و) بين عبد ربه السلمى ، وسليم بن ثمامة الحنفى ومعقر بن حمار . والشطر الأول من البيت يضرب مثلا لكل من وافقه شىء فأقام عليه .

فألْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابِ المُسافرُ

وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] أن المنصورَ لما عزَم على قَتْلِ أبى مسلمٍ تَحَيَّر فى أمْرِه ؛ هل يَسْتَشِيرُ أحدًا فى ذلك أو يَسْتَبِدُّ هو برأْيِه ؛ لِئلَّا يَشِيعَ ويَنْتَشِرَ ، ثم إنه اسْتَشار واحدًا مِن نُصحائِه فى قتلِ أبى مسلمٍ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] . فقال له : لقد أوْدَعْتَها أُذنًا واعيةً . ثم عزَم على ذلك .

وهذه ترجمةُ أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ[2] ، هو عبدُ الرحمنِ بنُ مسلمٍ ، أبو مسلمٍ صاحبُ دولةِ - ويقالُ : دعوةِ - بنى العباسِ ، وكان يقالُ له : أمينُ[3] آلِ بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال الخَطِيبُ البغدادىُّ[4] : عبدُ الرحمنِ [5]بنُ مسلمٍ[5] بنِ سنفيرونَ[6] ابنِ أَسْفَنْدِيارَ ، أبو مسلمٍ المَرْوَزىُّ ، صاحبُ الدولةِ العباسيةِ ، يَرْوِى عن أبى الزُّبَيرِ وثابتٍ البُنانىِّ وإبراهيمَ وعبدِ اللَّهِ ابنَىْ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسٍ . زاد ابنُ عساكرَ[7] فى شُيوخِه محمدَ بنَ علىٍّ ، وعبدَ الرحمنِ بنَ حَرْمَلةَ ، وعِكْرمةَ[8] مولى ابنِ عباسٍ . قال ابنُ عساكرَ : روَى عنه إبراهيمُ بنُ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٥٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٧، وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٦ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٨، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٥.

(٣) فى النسخ : « أمير » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٧/ ٤٨٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٧. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٩، من طريق الخطيب البغدادى به .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل، ب، م : « شيرون »، وفى ص : « مسعود »، وفى ظ : « شبيروره » . والمثبت من تاريخ بغداد .

(٧) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٧، وقد زاد ابن عساكر أيضًا إسماعيل بن عبد الرحمن السدى، وسيذكره المصنف قريبا .

(٨) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٠: هكذا قال الحافظ أبو القاسم، وهذا غلط، لم يدركه .

مَيْمونِ الصائغُ، وبِشْرٌ والدُ مُصْعَبِ بنِ بشرٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ شُبْرُمةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[1]، وعبدُ اللَّهِ بنُ مُنِيبٍ المَرْوَزِيُّ[2] وقُدَيْدُ[3] بنُ مَنيعٍ صِهْرُ أبى مسلمٍ.

قال الخَطِيبُ[4]: وكان فاتِكًا، شجاعًا[5]، ذا رأيٍ وعَقلٍ وتَدْبيرٍ وحَزْمٍ. وقتَله أبو جعفرٍ المَنْصورُ بالمَدائنِ.

وقال أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانيُّ فى «تاريخِ أصْبَهانَ»[6]: كان اسمُه عبدَ الرحمنِ ابنَ عثمانَ بنِ يَسارٍ. قيل: إنه وُلِد بأصْبَهانَ. وروَى عن السُّدِّيِّ وغيرِه.

وقال بعضُ الحُفَّاظِ[7]: كان اسمُ أبى مسلمٍ - صاحبِ الدعوةِ - إبراهيمَ بنَ عُثمانَ بنِ يَسارِ بنِ شيدوسَ[8] بنِ جودرنَ، مِن وَلَدِ بزرجمهرَ، وكان يُكَنَّى أبا إسْحاقَ، [9]ووُلِد بأَصْبهانَ[9]، ونشَأ بالكُوفةِ، وكان أبوه أوْصَى إلى عيسى بنِ موسى السَّرَّاجِ، فحمَله إلى الكُوفةِ، وهو ابنُ سبعِ سنينَ، فلمَّا بعَثه إبراهيمُ بنُ محمدٍ إلى خراسانَ قال له: غَيِّرِ اسمَك وكُنْيتَك. فتَسَمَّى بعبدِ الرحمنِ بنِ مسلمٍ، واكْتَنَى بأبى مسلمٍ، فسار إلى خُراسانَ وهو ابنُ تسعَ[10] عشْرةَ سنةً

---

(١) قال الذهبى: قلت: ولا أدرك ابن المبارك الرواية عنه، بل رآه.

(٢) لم يذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق، ولكن ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٠.

(٣) فى تاريخ دمشق: «يزيد». وانظر الإكمال ٧/ ١٠٢.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٧.

(٥) سقط من: الأصل، ب، م، ظ.

(٦) تاريخ أصبهان ٢/ ١٠٩. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٨، من طريق أبى نعيم بنحوه.

(٧) انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٧، وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٨) فى الأصل، ب، م، ص: «سندوس»، وفى ظ: «سندروس». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٩ - ٩) سقط من: ب، م.

(١٠) فى الأصل، ب، م، ظ: «سبع».

راكبًا على [٨/ ٣٦و] حمارٍ بإكافٍ ، وأعطاه إبراهيمُ بنُ محمدٍ نَفَقَةً مِن عندِه ، فرحَل إلى خراسانَ وهو كذلك ، ثم آلَ به الحالُ حتى صارَتْ له خراسانُ بأَزِمَّتِها وحَذافيرِها ، وذكَر بعضُهم[1] أنه فى مرورِه إلى خراسانَ عدا رجلٌ فى بعضِ الخاناتِ على حمارِه ، فهلَب ذنَبَه[2] ، فلمَّا تَمكَّن أبو مسلمٍ وحكَم على ذلك الموضعِ ، جعَله دَكًّا ، فكان بعدَ ذلك خَرابًا لا يُسْكَنُ . وذكَر بعضُهم[3] أنه أصابه سِباءٌ فى صِغَرِه ، وأنه اشْتَراه بعضُ دُعاةِ بنى العباسِ بأربعِمائةِ درهمٍ ، وأن إبراهيمَ ابنَ محمدٍ الإمامَ اسْتَوهَبه أو اشْتَراه ، فانْتَمَى إليه ، وزَوَّجه إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، حين بعَثه إلى خُراسانَ ، بنتَ أبى النَّجْمِ [4]عِمرانَ بنِ[4] إسماعيلَ الطائىِّ ، أحدِ دُعاةِ بنى العباسِ ، وأصْدَقها عنه أربعَمائةِ درهمٍ ، فوُلِد لأبى مسلمٍ بنتان ؛ إحداهما أَسْماءُ ، أعْقَبَت ، وفاطمةُ ، ولم تُعْقِبْ .

وقد ذكَرنا فيما سلَف من السنين ، كَيْفيةَ اسْتِقلالِ أبى مسلمٍ بأُمورِ خراسانَ فى سنةِ تسعٍ وعشرين ومائةٍ ، ونَشْرِه دَعْوةَ بنى العباسِ .

وقد كان ذا هَيْبةٍ وصَرامةٍ وإقْدامٍ وتَسَرُّعٍ ؛ روَى ابنُ عَساكرَ[5] مِن طريقِ مُصْعَبِ بنِ بشرٍ ، عن أبيه قال : قام رجلٌ إلى أبى مسلمٍ وهو يَخْطُبُ ، فقال : ما هذا السَّوادُ الذى أَرَى عليك ؟ فقال : حَدَّثنى أبو الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ يومَ الفتحِ وعليه عِمامةٌ سوداءُ . وهذه ثِيابُ الهَيْبةِ ، وثِيابُ الدولةِ . يا غُلامُ ، اضْرِبْ عنقَه .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٢.

(٢) هلب ذنبه : استأصله جَزًّا . انظر اللسان (هـ ل ب) .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٩.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) المصدر السابق ٤١/ ٣٨٧، ٣٨٨.

وروَى[1] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ مُنِيبٍ ، عنه ، عن محمدِ بنِ عليٍّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أراد هَوانَ قُريشٍ أَهانه اللَّهُ » .

وقد كان[2] إبراهيمُ بنُ مَيْمونٍ الصائغُ مِن أصحابِه وجُلَسائِه فى زَمَنِ الدَّعْوةِ ، وكان يَعِدُه إذا ظهَر أن يُقِيمَ الحُدودَ والعَدْلَ ، فلمَّا تَمكَّن أبو مسلمٍ مازال إبراهيمُ بنُ مَيْمونٍ يُلِحُّ عليه فى القِيامِ بما وعَده به حتى أحْرَجه ، فضرَب عنقَه بعدَ ما قال له : هلَّا كنتَ تُنْكِرُ على نصرِ بنِ سَيَّارٍ وهو يَعْمَلُ أَوانىَ الخَمْرِ مِن الذهبِ ، فيَبْعَثُها إلى بنى أميةَ ؟! فقال له : إن أولئك لم يَعِدونى مِن أنْفُسِهم ما وَعَدْتَنى أنتَ . وقد رأَى بعضُهم فى المنامِ لإبراهيمَ مَنازلَ عاليةً فى الجنةِ ؛ بصَبْرِه على الأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ ، رَحِمه اللَّهُ .

وقد ذكَرْنا ما اعتمده أبو مسلمٍ فى أيامِ السفَّاحِ مِن الطاعةِ [٨/٣٦ظ] الأكيدةِ له ، والمبادرةِ إلى أوامرِه ، وامْتِثالِ مَراسِيمِه ، ثم لـمَّا صار الأمْرُ إلى المنصورِ اسْتَخَفَّ به واحْتَقَره ، ومع هذا كسَر عمَّه عبدَ اللَّهِ بنَ عليٍّ حين دعا إلى نفسِه بالشامِ ، فاستنقذها منه ورَدَّها إلى حُكمِ المنصورِ ، ثم شَمَخَت نفسُه على المنصورِ ، وهَمَّ بقَلْعِه ، ففَطِن لذلك المَنْصورُ مع ما كان مُبْطِنًا له مِن البِغْضةِ ، وقد سأَل أخاه السَّفَّاحَ غيرَ مَرَّةٍ أن يَقْتُلَه فيَصْدِفُ عن ذلك ، وذكَرنا أيضًا ما كان من أمرِ أبى مسلمٍ والمنصورِ من المُراسلاتِ والمُكاتباتِ ، حين اسْتَوْحَش منه المنصورُ واتَّهمه بسوءِ النيةِ ، ومازال يُراسِلُه ويَسْتَدْعِيه ويَخْدَعُه ويُماكِرُه حتى استحضره

---

(١) أى ابن عساكر . تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٨.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٤، ٣٩٥.

فقتله ، كما قدَّمنا بيانَه .

قال بعضُهم[1] : كتَب المَنْصورُ إلى أبى مسلم : أمَّا بعدُ ، فإنه يَرِينُ على القُلوبِ ، وتَطْبَعُ عليها المَعاصِى ، [2]فقَعْ أيُّها الطائرُ[2] ، وأَفِقْ أيُّها السَّكْرانُ ، وانْتَبِهْ أيُّها الحالمُ ، فإنَّك مَغْرورٌ بأضْغاثِ أحْلامٍ كاذبةٍ ، وفى بَرْزَخِ دُنْيا قد غَرَّت مَن قبلَك ، وسُمَّ[3] بها سَوالِفُ القُرونِ ، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم : ٩٨] . وإن اللَّهَ لا يُعْجِزُه مَن هرَب ، ولا يَفوتُه مَن طلَب ، ولا تَغْتَرَّ بمَن معك مِن شِيعتى وأهْلِ دَعْوتى ، فكأنهم قد صاوَلوك ، إن أنت خَلَعْتَ الطاعةَ ، وفارَقْتَ الجَماعةَ ، بَدا لك مِن اللَّهِ ما لم تَكُنْ تَحْتَسِبُ ، مَهْلًا مَهْلًا ، احْذَرِ البَغْىَ أبا مسلمٍ ؛ فإنَّه مَن بغَى واعْتَدَى تَخَلَّى اللَّهُ منه[5] ، ونصَر عليه مَن يَصْرَعُه لليدَين والفَمِ ، واحْذَرْ أن تكونَ سُنَّةً فى الذين خَلَوْا مِن قبلُ[6] ، فقد قامتِ الحُجَّةُ ، وأعْذَرْتُ إليك وإلى أهْلِ طاعتى فيك . قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

فأجابه أبو مسلمٍ : أمَّا بعدُ ؛ فقد قرَأْتُ كتابَك ، فرَأَيْتُك فيه للصَّوابِ مُجانِبًا ، وعن الحقِّ حائدًا ، إذ تَضْرِبُ فيه الأمْثالَ على غيرِ أشْكالِها ، وتَضْرِبُ فيه

---

(١) تاريخ دمشق ٣٩٨/٤١ - ٤٠٠.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « فع أيها الطائش » .

(٣) فى تاريخ دمشق : « سحر » .

(٤) الركز : الصوت الخفى . والحِسُّ . المحيط (ر ك ز) .

(٥) فى ب ، م ، وتاريخ دمشق : « عنه » . والمثبت موافق لنسختين من نسخ تاريخ دمشق . وكلاهما صواب .

(٦) بعده فى ب ، م : « ومثلة لمن يأتى بعدك » .

آياتٍ مُنَزَّلةً مِن اللَّهِ للكافرين، وما يَسْتَوى الذين يَعْلَمون والذين لا يَعْلَمون، وإننى واللَّهِ ما انْسَلَخْتُ مِن آياتِ اللَّهِ، ولكننى يا عبدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ كنتُ رجلًا مُتَأَوِّلًا فيكم مِن القرآنِ آياتٍ أُوجِبَتْ لكم بها الوِلايةُ والطاعةُ، فأَتْمَمْتُ بأخَوَيْن لك مِن قَبلِك، ثم بك مِن بعدِهما، [٣٧/٨و] فكنتُ لهما شِيعةً مُتَدَيِّنًا، أَحْسَبُنى هاديًا، وأخْطَأْتُ فى التَّأْويلِ، وقديمًا أخْطَأ المُتَأَوِّلون، وقد قال اللَّهُ تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]. و(١كتَب إليه أبو مسلمٍ١): إنَّ أخاك السَّفَّاحَ ظهَر فى صُورةِ مَهْدِىٍّ، وكان ضالًّا؛ أمَرَنى أن أُجَرِّدَ السَّيفَ، وأَقْتُلَ بالظِّنَّةِ، وأُقْدِمَ بالشُّبْهةِ، وأَرْفَعَ الرَّحْمةَ (٢ولا أَقْبَلَ المعذرةَ٢) ولا أُقِيلَ العَثْرةَ، فوَتَرْتُ أهلَ الدُّنيا فى طاعتِكم، وتَوْطِئةِ سُلْطانِكم، حتى عَرَفكم مَن كان جَهِلكم، ثم إن اللَّهَ سبحانه تَدارَكنى منه بالنَّدَمِ، واسْتَنْقَذنى بالتَّوْبةِ، فإن يَعْفُ عنى ويَصْفَحْ فإنه كان للأَوَّابِين غَفورًا، وإن يُعاقِبْنى فبذُنوبى، وما رَبُّك بظَلَّامٍ للعبيدِ.

فكتَب إليه أبو جعفرٍ: أمَّا بعدُ، أيها المُجْرِمُ العاصى، فإن أخى كان إمامَ هُدًى، يَدْعو إلى اللَّهِ على بَيِّنةٍ مِن اللَّهِ، فأَوْضَح لك السَّبيلَ، وحمَلك على المَنْهجِ، فلو بأخى اقْتَدَيْتَ ما كنتَ عن الحقِّ حائِدًا، وعن الشيطانِ وأمرِه صادِرًا، ولكنَّه لم يَسْنَحْ لك أَمْران إلا كنتَ لأرْشدِهما تاركًا، ولأغْواهما موافقًا(٣)، تَقْتُلُ قَتْلَ الفَراعِنةِ، وتَبْطِشُ بَطْشَ الجَبَّارين، وتَحْكُمُ بالجَوْرِ حُكْمَ

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ب، م، ظ.

(٣) فى ب، م: «راكبا».

المُفْسِدِين[1] ، ثم مِن خَبَرِى[2] أيُّها الفاسقُ أنى قد وَلَّيْتُ مُوسى بنَ كعبٍ خُراسانَ ، وأمَرْتُه بالمُقامِ بنَيْسابورَ ، فإن أرَدْتَ خُراسانَ لَقِيَك بمَن معه مِن قُوَّادى وشِيعَتى ، وأنا مُوَجِّهٌ لِلقائِك أقْرانَك ، فأجْمِعْ كيدَك وأمْرَك غيرَ مُسَدَّدٍ ولا مُوَفَّقٍ ، وحَسْبُ أميرِ المؤمنين[3] اللَّهُ ونِعْمَ الوَكيلُ .

ولم يَزَلِ المنصورُ يُراسِلُه تارةً بالرَّغْبةِ وتارةً بالرَّهْبةِ ، ويَسْتَخِفُّ أحْلامَ مَن حولَه مِن الأُمراءِ والرُّسلِ الذين يَبْعَثُ بهم أبو مسلمٍ ، حتى حَسَّنوا له فى رأْيِه القدُومَ على أبى جَعْفرٍ سِوى أميرٍ معه يقالُ له : نَيْزَكُ . فإنه لم يُوافِقْ على ذلك ، فلما رأَى أبا مسلمٍ قد انصاع معهم قال :

ما للرجالِ مع القَضاءِ مَحالةٌ ذهَب القَضاءُ بحِيلةِ الأقْوامِ

وأشار عليه ، كما تقدَّم ، بأن يَبْدُرَ إلى قتلِ الخليفةِ إن أَمْكَنَه ، فما أَمْكَنه كما تقدَّم ، وذلك أن أبا مسلمٍ لمَّا قَدِم المَدائنَ تَلَقَّاه الأُمراءُ عن أَمْرِ الخَليفةِ ، فما وصَل إلا[4] آخرَ النَّهارِ ، وقد أشار أبو أيوبَ كاتبُ الرَّسائلِ [5]على الخليفةِ[5] أن لا يَقْتُلَه يومَه هذا ، [٣٧/٨ظ] فلما وقَف بينَ يدىِ الخَليفةِ أكْرَمه وعَظَّمه ، وأظْهَر احْتِرامَه ، وقال : اذْهَبِ الليلةَ فأَذْهِبْ عنك وَعْثاءَ السَّفَرِ ، ثم ائْتِنى مِن الغَدِ . فلما كان الغدُ أرْصَد له مِن الأُمراءِ مَن يَقْتُلُه ، منهم ؛ عثمانُ بنُ نَهِيكٍ ، وشَبِيبُ بنُ

---

(١) بعده فى ب ، م : « وتبذر المال وتضعه فى غير مواضعه فعل المسرفين » .

(٢) فى تاريخ دمشق : « خيرتى » .

(٣) بعده فى ب ، م : « ومن اتبعه » .

(٤) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « إلى » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

واجٍ ، [1] وأَرْسَل إليه رُسُلًا تَتْرَى ليَقْدَمَ عليه [1] ويقالُ [2] : بل أقام عندَه أيامًا يُظْهِرُ له أبو جعفرٍ الإكْرامَ والاحترامَ ، ثم [3] بدا له [3] منه الوَحْشةُ ، فخاف أبو مسلمٍ ، واسْتَشْفَع بعيسى بنِ موسى [4] ، وقال : إنى أَخافُه على نَفْسى . فقال : لا بأسَ عليك ، انْطَلِقْ فأنا آتٍ وراءَك ، وأنت فى ذِمَّتى حتى آتِيَك - ولم يكنْ مع عيسى ابنِ موسى خبرٌ بما يُرِيدُ به الخَليفةُ - فجاء أبو مسلمٍ يَسْتَأْذِنُ على الخليفةِ فقالوا له : اجْلِسْ هـٰهنا ؛ فإن أميرَ المؤمنين يَتَوَضَّأُ . فجلَس وهو يَوَدُّ أن يَطولَ مَجْلِسُه ليَجِيءَ عيسى بنُ موسى فأبْطَأ ، وأَذِن له الخَليفةُ فدخَل عليه ، فجعَل يُعاتِبُه فى أشْياءَ صدَرت منه ، فيَعْتَذِرُ عنها جيدًا ، حتى قال له : فلمَ قتَلْتَ سليمانَ بنَ كثيرٍ [5] ، وفلانًا وفلانًا ؟ قال : لأنهم عَصَوْنى وخالَفوا أمْرى . فغضِب عندَ ذلك المنصورُ ، وقال : وَيْحَك ! أنت تَقْتُلُ إذا عُصِيتَ ، وأنا لا أَقْتُلُك وقد عَصَيْتَنى ؟! وصَفَّق بيديه ، وكانتِ الإشارةَ بينَه وبينَ أولئك المُرْصَدِين لقتلِه ، فتَبادَروا إليه ليَقْتُلوه ، فضرَبه أحدُهم ، فقطَع حَمائلَ سيفِه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اسْتَبْقِنى لأعْدائِك . فقال : وأىُّ عدوٍّ أعْدَى لى منك ؟ ثم زجَرهم المنصورُ ، فقَطَّعوه قِطَعًا قِطَعًا ، ولَفُّوه فى عَباءةٍ ، ودخَل عيسى بنُ موسى على إثْرِ ذلك ، فقال : ما هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هذا أبو مسلمٍ . فقال : إنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون . فقال له المَنْصورُ : احْمَدِ اللَّهَ ؛ فإنك [6] هَجَمْتَ على نِعْمةٍ ، ولم تَهْجُمْ على نِقْمةٍ . ففى

(١ - ١) فى ب ، م : « فقتلوه كما تقدم » .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٤١/٤٠١ - ٤٠٣ .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « نشق » . ونَشِق : شم . انظر اللسان (ن ش ق) .

(٤) بعده فى ب ، م : « واستجار به » .

(٥) بعده فى ب ، م : « وإبراهيم بن ميمون » .

(٦) فى النسخ : « الذى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وأثبتناه ليستقيم السياق .

ذلك يقولُ أبو دُلامَةَ :

أبا مسلمٍ ما غَيَّر اللَّهُ نِعْمةً ... على عبدِه حتى يُغَيِّرَها العبدُ
أبا مسلمٍ خَوَّفْتَنى القتلَ فانْتَحَى ... عليك بما خَوَّفْتَنى الأَسدُ الوَرْدُ

وذكَر ابنُ جَريرٍ[1] أن المنصورَ تقَدَّم إلى عثمانَ بنِ نَهيكٍ وشَبِيبِ بنِ واجٍ وأبى حَنيفةَ حربِ بنِ قيسٍ وآخرَ[2] مِن الحَرَسِ أن يَكونوا قريبًا منه ، فإذا دخَل عليه أبو مسلمٍ ، وخاطَبه وضرَب بإحْدى يديْه على الأُخْرى فلْيَقْتُلوه ، فلمَّا دخَل أبو مسلمٍ على المنصورِ قال [٣٨/٨و] له : ما فعَل السَّيْفان اللذان أَصَبْتَهما مِن عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ ؟ فقال : هذا أحدُهما . قال : أَرِنيه . فناوَله السيفَ ، فوضَعه المنصورُ تحتَ رُكْبتِه ، ثم قال له : ما حمَلك على أن كَتَبْتَ إلى أبى العباسِ - يَعْنى السفَّاحَ - تَنْهاه عن المَواتِ[3] ، أرَدْتَ أن تُعَلِّمَنا الدِّينَ ؟! قال : إنِّى ظَنَنْتُ أنَّ أخْذَه لا يَحِلُّ ، فلما جاءنى كتابُه عَلِمْتُ أن أميرَ المؤمنين وأهلَ بيتِه مَعْدِنُ العلمِ . قال : فلمَ تقَدَّمْتَ علىَّ فى طريقِ الحَجِّ ؟ قال : كَرِهْتُ اجْتماعَنا على الماءِ ، فيَضُرُّ ذلك بالناسِ ، فتقَدَّمْتُ التِماسَ الرِّفْقِ . قال : فلمَ لا رجَعْتَ إلىَّ حينَ أتاك خبرُ موتِ أبى العباسِ ؟ قال : كَرِهْتُ التَّضْييقَ على الناسِ[4] ، وعرَفْتُ أنَّا نَجْتَمِعُ بالكوفةِ ، وليس عليك منى خِلافٌ . قال : فجاريةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ أرَدْتَ أن تَتَّخِذَها لنَفْسِك ؟ قال : لا ، ولكنِّى خِفْتُ أن تَضيعَ فحمَلْتُها فى قُبَّةٍ ، ووَكَّلْتُ بها مَن يَحْفَظُها . ثم قال له : ألسْتَ الكاتبَ إلىَّ تَبْدَأُ بنَفْسِك ، والكاتبَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤٨٨/٧ - ٤٩٢.
(٢) فى تاريخ الطبرى : « رجلين آخرين » .
(٣) الموات : الأرض التى لم تُزرع ولم تُعْمَر ، ولا جرى عليها ملكٌ لأحد . اللسان (م و ت) .
(٤) بعده فى ب ، م : « فى طريق الحج » .

إلىَّ تَخْطُبُ أُمَيْنةَ[1] بنتَ علىٍّ ، وتَزْعُمُ أنك ابنُ سَلِيطِ بنِ عبدِ اللَّه بنِ عباسٍ ؟! هذا كلُّه ويدُ المنصورِ فى يدِه يَعْرُكُها ويُقَبِّلُها ويَعْتَذِرُ ، ثم قال له : فما حمَلك على مُراغَمتى ودُخولِك إلى خُراسانَ ؟ قال : خِفْتُ أن يكونَ دخَلك منى شىءٌ ، فقلت : آتى خُراسانَ ، وأَكْتُبُ إليك بعُذْرى . قال : فلم قَتَلْتَ سُليمانَ بنَ كثيرٍ وكان مِن نُقَبائِنا ودُعاتِنا قبلَك ؟ قال : أراد خِلافى . فقال : وَيْحَك ! وأنت أرَدْتَ خِلافى وعَصَيْتَنى ، قتَلَنى اللَّهُ إن لم أَقْتلْك . ثم ضرَبه بعَمودِ الخَيْمةِ[2] ، وخرَج إليه أولئك ، فضرَبه عثمانُ فقطَع حَمائِلَ سيفِه ، وضرَبه شَبيبٌ فقطَع رِجْلَه ، واعْتَوَره بقيتُهم ، والمنصورُ يَصِيحُ : وَيْحَكم ! اضْرِبوا ، قطَع اللَّهُ أيْديَكم . ثم ذبَحوه وقَطَّعوه قِطَعًا قِطَعًا ، ثم أُلْقِىَ فى دِجْلةَ . ويُرْوَى[3] أن المنصورَ لما قتَل أبا مسلمٍ وقَف عليه فقال : رحِمك اللَّهُ أبا مسلمٍ ، بايَعْتَنا وبايَعْناك ، وعاهدْتَنا ، وعاهَدْناك ، ووَفَّيْتَ لنا ووَفَّيْنا لك ، وإنا بايَعْناك على أن لا يَخْرُجَ علينا أحدٌ فى هذه الأيامِ إلا قَتَلْناه ، فخرَجْتَ علينا فقَتَلْناك ، وحَكَمْنا عليك حُكمَك على نَفْسِك . ويقالُ[4] : إنّه قال : الحمدُ للَّهِ الذى أَرانى يومَك ياعدوَّ اللَّهِ .

قال ابنُ جَريرٍ[5] : وقال المنصورُ عندَ ذلك :

زَعَمْتَ أن الدِّيْنَ لا يُقْتَضَى ... فاسْتَوْفِ بالكَيْلِ أبا مُجْرِمِ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « آمنة » وظ : « آسية » .والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣١٢.

(٢) بعده فى ص : « فقال : يا أمير المؤمنين استبقنى لعدوك فقال أنت أكبر عدو لى لا أبقانى اللَّه إن استبقيتك » .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٢.

(٤) المصدر السابق ٤١/ ٤٠٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩١.

سُقِيتَ كأْسًا كنتَ تَسْقِى بها أَمَرَّ فى الحَلْقِ مِن العَلْقَمِ

[٣٨/٨ظ] وقد خطَب المنصورُ الناسَ بعدَ قتلِ أبى مسلمٍ فقال[١] : أيُّها الناسُ ، لا تُنَفِّروا أطرافَ النِّعمةِ بقلَّةِ الشُّكْرِ ، فتَحُلَّ بكم النِّقْمةُ ، ولا تُسِرُّوا غِشَّ الأَئمةِ ؛ فإن أحدًا لا يُسِرُّ منكم شيئًا[٢] إلا ظهَر فى فَلَتاتِ لِسانِه ، وصَفَحاتِ وَجْهِه ، وطَوالعِ نَظَرِه ، وإنا لن نَجْهَلَ حُقوقَكم ما عرَفْتُم حَقَّنا ، ولا نَنْسَى الإحْسانَ إليكم ماذَكَرْتُم فَضْلَنا ، ومَن نازَعَنا هذا القَمِيصَ أوْطَأْنا أُمَّ رأسِه [٣]خَبِىءَ هذا الغِمْدِ ، وإنَّ[٣] أبا مسلمٍ بايَع على أنه مَن نكَث بَيْعتَنا وأظْهَر غِشًّا لنا فقد أباحَنا دَمَه ، ونكَث ، وغدَر ، وفجَر ، وكفَر ، فحَكَمْنا عليه لأنْفُسِنا حُكْمَه على غيرِه لنا ، وإن أبا مسلمٍ أحْسَنَ مُبْتَدِئًا وأساء مُعْقِبًا ، وأخَذ مِن الناسِ بنا أكْثَرَ مما أعْطانا ، ورجَح قَبيحُ باطنِه على حُسْنِ ظاهرِه ، وعَلِمْنا مِن خُبْثِ سَريرتِه وفَسادِ نيَّتِه ما لو عَلِمه اللاَّئمُ لنا فيه[٤] ، لعَذَرَنا فى قَتْلِه ، وعَنَّفَنا فى إمْهالِه ، وما زال يَنْقُضُ بَيْعَتَه ويَخْفِرُ ذِمَّتَه حتى أَحَلَّ لنا عُقوبتَه ، وأباحَنا دمَه ، فحَكَمْنا فيه حُكْمَه فى غيرِه[٥] ، ولم يَمْنَعْنا الحَقُّ له مِن إمْضاءِ الحَقِّ فيه ، وما أحْسَن ما قال النابغةُ الذُّبْيانىُّ للنُّعْمانِ[٦] - يعنى ابنَ المُنْذِرِ :-

فمَن أطاعك فانْفَعْه بطاعتِه كما أطاعَك وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ

---

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) فى تاريخ دمشق : « منكرا » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ظ : « حتى هذا الغمد » ، وفى ب : « حتى يستقيم جاهلكم ويرتدع عالمكم وإن هذا الغمر » ، وفى م : « حتى يستقيم رجالكم ، وترتدع عمالكم وإن هذا الغمر » ، وفى ص : « جنى هذا الأمر » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) بعده فى ب ، م : « لما لام ، ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه » .

(٥) بعده فى ب ، م : « ممن شق العصا » .

(٦) ديوان النابغة ص ٢١.

ومَن عَصاك فعاقِبْه مُعاقَبةً تَنْهَى الظَّلومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ[1]

وقد روَى البَيْهقيُّ[2] عن الحاكمِ، بسَنَدِه أن عبدَ اللَّهِ بنَ المُبارَكِ سُئِل عن أبى مسلمٍ؛ أكان خيرًا أم الحَجَّاجُ؟ فقال: لا أَقولُ إن أبا مسلمٍ كان خيرًا مِن أحدٍ، ولكن كان الحَجَّاجُ شرًّا منه.

قُلْتُ: قد اتَّهَمه بعضُهم على الإسلامِ، ورَمَوْه بالزَّنْدَقةِ، ولم أَرَ فيما ذَكَروه ما يَدُلُّ على ذلك، بل على أنه كان ممَّن يَخافُ اللَّهَ مِن ذُنوبِه، وقد ادَّعَى التَّوْبةَ مما كان سفَكَ مِن الدِّماءِ فى إقامةِ الدَّوْلةِ العباسيةِ. واللَّهُ أعلمُ بأَمْرِه.

وقد روَى الخطيبُ[3] عنه أنه قال: ارْتَدَيْتُ الصبرَ، وآثَرْتُ الكِتْمانَ، وحالَفْتُ الأحْزانَ والأَشْجانَ، وسامَحْتُ[4] المَقادِيرَ والأحْكامَ حتى بَلَغْتُ غايةَ هِمَّتى، وأدْرَكْتُ نِهايةَ بُغْيَتى. ثم أنْشَأ يقولُ:

قد نِلْتُ بالحَزْمِ والكِتْمانِ ما عجَزَت عنه مُلوكُ بنى مَرْوانَ إذ حَشَدوا
مازِلْتُ أَضْرِبُهم بالسيفِ فانْتَبَهوا مِن رَقْدةٍ لم يَنَمْها قبلَهم أحدُ
طَفِقْتُ أسْعَى عليهم فى دِيارِهمُ والقومُ فى مُلْكِهم بالشامِ قد رقَدوا
[٣٩/٨و] ومَن رعَى غَنَمًا فى أرضِ مَسْبَعةٍ ونام عنها تَوَلَّى رَعْيَها الأَسَدُ

وقد كان قَتْلُه[5] بالمَدائنِ يومَ الأرْبعاءِ لسبعٍ خَلَوْنَ - وقيل: لخمسٍ بَقِين.

---

(١) الضمد: الحقد.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٥، من طريق البيهقى به.
(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٨. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٣، من طريق الخطيب به.
(٤) فى ب، م: «شامخت».
(٥) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٣٩٨، ٤٠٦.

وقيل : لأربعٍ . وقيل : لليلتَيْن بَقِيَتا - مِن شَعْبانَ مِن هذه السنةِ . أَعْنى سنةَ سبعٍ وثلاثين ومائةٍ .

وقال بعضُهم[1] : كان ابْتِداءُ ظُهورِه فى رمضانَ مِن سنةِ تسعٍ وعشرين ومائةٍ ، [2]وقُتِل فى شَعْبانَ سنةَ سبعٍ وثلاثين[2] ومائةٍ . وزعَم بعضُهم[3] أنه قُتِل ببَغْدادَ فى سنةِ أرْبعين ، وهذا غَلَطٌ مِن قائلِه ؛ فإن بَغْدادَ لم تَكُنْ بُنِيَت بعدُ ، وقد ردَّ هذا القولَ أبو بكرٍ الخطيبُ فى « تاريخِه[4] » . واللَّهُ أعلمُ .

ثم إن المنصورَ[5] شرَع فى تأليفِ أصْحابِ أبى مسلمٍ بالأَعْطِيةِ والرَّغْبةِ والرَّهْبةِ[6] ، واسْتَدْعَى أبا إسحاقَ ، وكان مِن أعَزِّ أصحابِ أبى مسلمٍ عندَه ، وكان على شُرْطتِه[7] ، وهَمَّ بضربِ عنقِه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، واللَّهِ ما أَمِنْتُ قطُّ إلا فى هذا اليومِ ، وما مِن مرَّةٍ كنتُ أَدْخُلُ عليه إلا تَحَنَّطْتُ ولَبِسْتُ أَكْفانى . ثم كشَف عن ثِيابِه التى تَلِى جَسَدَه فإذا هو مُحَنَّطٌ ، وعليه أذْراعُ أكْفانٍ ، فرَقَّ له المنصورُ ، وأطْلَقه .

وذكَر ابنُ جريرٍ[8] أن أبا مسلمٍ قتَل فى حُروبِه وما كان يَتَعاطاه لأجلِ دَوْلةِ

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٠، وتاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٥.

(٢ - ٢) فى م : « وقيل : فى شعبان سنة سبع وعشرين » .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢١١.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩٢، ٤٩٣.

(٦) بعده فى ب ، م : « والولايات » .

(٧) الذى فى تاريخ الطبرى أن أبا إسحاق كان صاحب حَرَس أبى مسلم ، وأن أبا نصر مالك بن الهيثم كان على شرطته . وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٦٦.

(٨) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩١ - ٤٩٤.

بنى العباسِ ، ستَّمائةِ ألفِ صَبْرًا[1] . وقد قال للمنصورِ وهو يُعاتِبُه على ما كان يَصْنَعُه : يا أميرَ المؤمنين ، لا يقالُ لى مثلُ هذا بعدَ بَلائى وما كان منى . فقال : يا ابنَ الخَبِيثةِ ، واللَّهِ لو كانتْ أَمَةٌ مكانَك لأجْزَأَت عنك[2] ، إنما عمِلْتَ ما عمِلْتَ فى دولتِنا وبريحِنا ، لو كان ذلك إليك لَما قطَعْتَ فَتِيلًا .

ولمَّا قتَله المنصورُ لُفَّ فى كِساءٍ وهو مُقَطَّعٌ إرْبًا إرْبًا ، فدخَل عيسى بنُ موسى الذى كان وعَدَه أن يَلْحَقَه ليشفعَ فيه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أين أبو مسلمٍ ؟ قال : قد كان هـٰهنا آنِفًا . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد عرَفْتَ طاعتَه ونَصيحتَه ، ورَأْىَ إبراهيمَ الإمامِ فيه . فقال له : يا أَنْوَكُ[3] ، واللَّهِ ما أعْلَمُ فى الأرضِ عدوًّا أعْدَى لك منه ، ها هو ذاك فى البِساطِ . فقال : إنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون ! فقال له المنصورُ : خلَع اللَّهُ قلبَكَ ! وهل كان لكم مُلْكٌ أو سلطانٌ أو أمْرٌ أو نَهْىٌ مع أبى مسلمٍ ؟

ثم اسْتَدْعَى المنصورُ برءوسِ الأُمراءِ ، فجعَل يَسْتَشِيرُهم فى قَتْلِ أبى مسلمٍ قبلَ أن يَعْلَموا بقتلِه ، فكلُّهم يُشِيرُ بقتلِه ، ومنهم مَن إذا تَكَلَّم أسَرَّ كلامَه لئلا يُنْقَلَ عنه إلى أبى مسلمٍ ، فلما أطْلَعَهم الخليفةُ على قَتْلِه أفرحهم[4] ذلك ، وأظْهَروا سُرورًا كثيرًا ، ثم خطَب المنصورُ الناسَ عامّةً بذلك كما قدّمْناه .

ثم كتَب الخليفةُ [٨/٣٩ظ] إلى نائبِ أبى مسلمٍ على أمْوالِه وحَواصلِه بكتابٍ

---

(١) بعده فى ب ، م : « زيادة عن مَن قتل بغير ذلك » .

(٢) فى م ، وتاريخ الطبرى : « ناحيتها » .

(٣) الأنوك : الأحمق . المحيط (ن و ك) .

(٤) فى الأصل : « أفرقهم » . وفى ب ، م : « أفزعهم » ، وفى ظ : « أفرجهم » .

على لسانِ أبى مسلمٍ ، وختَم عليه بخاتَمِ أبى مسلمٍ ، أن يَقْدَمَ بجميعِ ما عندَه من الحواصلِ والأموالِ ، فلما وصَل الكتابُ إلى نائبِه وعليه الخاتمُ بكمالِه مطبوعًا اسْتَراب فى الأمْرِ ، وقد كان أبو مسلمٍ تقَدَّم إليه : إنى إذا بعَثْتُ إليك كتابى ، فإنما أَخْتِمُ بنصفِ الفَصِّ على الكتابِ ، فإذا جاءك الخاتمُ بكمالِه فلا تَقْبَلْ . فامتنع نائبُه من قَبولِ ذلك الكتابِ والانقيادِ له ، فأَرْسَل المنصورُ إليه مَن قبَضه له ، وقتَل ذلك الرجلَ[1] .

وكتَب المنصورُ إلى أبى داودَ [2]خالدِ بنِ إبراهيمَ[2] بإمْرةِ خُراسانَ كما وعَده قبلَ ذلك عِوَضًا عن أبى مسلمٍ الخراسانىِّ . وللَّهِ الأمرُ .

وفى هذه السنةِ[3] خرَج سُنْباذُ يَطْلُبُ بدمِ أبى مسلمٍ الخراسانىِّ ، وقد كان سُنْباذُ هذا مَجوسيًّا تَغَلَّب على قُومِسَ وأصْبَهانَ والرَّىِّ[4] ، وتسَمَّى بفِيروزَ أَصْبَهْبَذَ ، فبعَث إليه أبو جعفرٍ المَنصورُ جيشًا هم عشَرةُ آلافِ فارسٍ عليهم جَهْوَرُ[5] ابنُ مَرَّارٍ العِجْـلىُّ ، فالْتَقَوْا بيـنَ هَمَذانَ والرَّىِّ على طَرَفِ المَفازةِ ،

---

(١) ليس فى تاريخ الطبرى ما يدل على أن أبا نصر قتل ، بل إن الطبرى ساق رواية تذكر أن المنصور صفح عنه وولاه الموصل . وانظر أنساب الأشراف ٤/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢ - ٢) فى النسخ : « إبراهيم بن خالد » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣٠٩.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩٥، ٤٩٦، والكامل ٥/ ٤٨١ - ٤٨٣.

(٤) سقط من : الأصل ، ب ، م ، ظ . وفى تاريخ الطبرى أنه تغلب على نيسابور وقومس والرى .

(٥) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « جمهور » . والمثبت موافق لما فى عيون الأخبار ١/ ٢١٠، وأنساب الأشراف ٤/ ٣٣٢، والأخبار الطوال ص ٣٦٤، وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٣٦٨، وتاريخ الطبرى الموضع السابق ، ومروج الذهب ٣/ ٢٩٤، والمنتظم ٨/ ٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠هـ) ص ٣٠٦، وغيرهم . ووقع فى تاريخ خليفة ٢/ ٦٣٨، والكامل ٥/ ٤٨١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٧١: « جمهور » .

قال ابن دريد فى الاشتقاق ص ٣٤٦ : ومنهم : جَهْور بن المرّار ، كان من فُرْسانهم وأشرافهم .

فهزَم جَهْوَرٌ لسُنْباذَ[1] ، وقتَل مِن أصحابِه ستين ألفًا ، وسَبى ذَرارِيَّهم ونِساءَهم ، وقُتِل سُنْباذُ بعدَ ذلك ، فكانتْ أيامُه سبعين يومًا . وأُخِذ ما كان اسْتَحْوَذ عليه مِن أمْوالِ أبى مسلمٍ التى كانتْ بالرَّىِّ .

وخرَج فى هذه السنةِ أيضًا رجلٌ يقالُ له : مُلَبَّدٌ . فى ألفٍ مِن الخَوارِجِ بالجَزيرةِ ، فجهَّز له المنصورُ جُيوشًا مُتَعَدِّدةً كَثيفةً ، فكلُّها تَنْفِرُ مِن مُلَبَّدٍ ، ثم قاتَله حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ نائبُ الجَزيرةِ ، فهَزَمه مُلَبَّدٌ ، وتَحَصَّن منه حُمَيْدٌ فى بعضِ الحُصونِ ، ثم صالَحه حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ على مائةِ ألفٍ ، فدَفَعها إليه ، وقَبِلها مُلَبَّدٌ ، وانقلع عنه .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عَمُّ الخَليفةِ إسماعيلُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ . قاله الواقدىُّ[2] . وكان نائبَ المَوْصِلِ ، وعلى نِيابةِ الكُوفةِ عيسى بنُ موسى ، وعلى البصرةِ سليمانُ بنُ علىٍّ ، وعلى الجزيرةِ حُميدُ بنُ قحطبةَ ، وعلى مصرَ صالحُ بنُ علىٍّ ، وعلى خُراسانَ أبو داودَ [3]خالدُ بنُ إبراهيمَ[3] ، وعلى الحِجازِ زيادُ بنُ عبدِ اللَّهِ .

ولم يَكُنْ للناسِ فى هذه السنةِ صائفةٌ ؛ لشُغْلِ الخَليفةِ بسُنْباذَ .

ومِن مَشاهِيرِ مَن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ[4] أبو مُسْلِمٍ الخُراسانىُّ وقد تقدَّمت [٨/ ٤٠و] ترجمتُه ، **ويَزيدُ بنُ أبى زِيادٍ**[5] أحدُ المُتَكَلِّمِ فيهم ، كما ذَكَرْنا فى « التَّكْميلِ » .

---

(١) فى اللسان (هـ ز م) : هزم له حقه : كـ « هضمه » ، وهو من الكسر .
(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩٦.
(٣ - ٣) فى النسخ : « إبراهيم بن خالد » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٤) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٥٣.
(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٠، وتاريخ خليفة ٢/ ٦٣٥، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٣٥، وسير أعلام =

ثم دَخَلَتْ سنةُ ثمانٍ وثلاثين ومائةٍ

فيها[1] دَخَل قُسْطَنْطينُ مَلِكُ الرومِ مَلَطْيَةَ عَنْوةً ، فهَدَم سُورَها ، وعَفا عمَّن قَدَر عليه مِن مُقاتِلتِها .

وفيها غَزا الصَّائفةَ صالحُ بنُ عليٍّ نائبُ مصرَ ، فبَنَى ما كان هدَمه مَلِكُ الرومِ مِن سُورِ مَلَطْيَةَ ، وأطْلَق لأخيه عيسى بنِ عليٍّ أربعين ألفَ دينارٍ ، وكذلك أعْطَى لابنِ أخيه العباسِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ أربعين ألفَ دينارٍ .

وفيها بايَع عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ الذى [2]فتَح دِمشقَ ثم[2] كَسَره أبو مسلمٍ كما تقدَّم وانْهَزم إلى البَصْرةِ ، واسْتَجار بأخيه سليمانَ بنِ عليٍّ ، حتى بايَع للخَليفةِ فى هذه السنةِ ، ورَجَع إلى طاعتِه ، ولكن حُبِس فى سجنِ بَغْدادَ ، كما سيأتى .

وفيها خَلَع جهْورُ بنُ مَرَّارٍ العِجْليُّ الخَليفةَ المَنصورَ ، وذلك بعدَ ما كَسَر سُنْباذَ ، واسْتَحْوَذ على حَواصِلِه وما كان عنده من أمْوالِ أبى مسلمٍ ، فقَوِيَت نَفْسُه بذلك ، وظَنَّ أنه يَقْدِرُ على مُنابذةِ الخليفةِ بتلك الأموالِ ، فأرْسَل إليه الخَليفةُ محمدَ بنَ الأشْعَثِ الخُزاعيَّ فى جيشٍ كثيفٍ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، فهُزِمَ جَهْورٌ ، وقُتِل عامَّةُ أصحابِه ، وأُخِذ ما كان معه مِن الأمْوالِ والحَواصِلِ ، ثم لَحِقوه فقَتَلوه .

= النبلاء ٦/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٦٤.

(١) تاريخ الطبرى ٧/٤٩٧ - ٤٩٩، والمنتظم ٨/ ٢٠، ٢١، والكامل ٥/٤٨٤ - ٤٨٧.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

وفيها قُتِل المُلَبَّدُ الخارجيُّ على يَدَىْ خازمِ بنِ خُزَيْمَةَ فى ثمانيةِ آلافٍ ، وقُتِل مِن أصحابِ المُلَبَّدِ ما يَزِيدُ على الألفِ ، وانْهَزَم بَقِيتُهم . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

قال الواقدىُّ[(١)] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الفَضْلُ بنُ صالحِ بنِ علىٍّ . والنُّوَّابُ فيها هم المَذْكورون فى التى قبلَها .

وممَّن تُوُفِّىَ فيها : زيدُ بنُ واقدٍ[(٢)] ، **والعَلاءُ** بنُ عبدِ الرحمنِ[(٣)] ، **ولَيْثُ** بنُ أبى سُلَيمٍ[(٤)] ، فى قولٍ .

[(٤)]وفيها كانتْ خِلافةُ الداخلِ على بلادِ الأَنْدَلُسِ ، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ مُعاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ الهِشاميُّ[(٥)] ، كان قد دَخَل إلى بلادِ المَغْربِ[(٦)] فاجْتاز بمَن معه مِن أصحابِه بقومٍ يَقْتَتِلون على عَصَبِيةِ اليَمانِيَةِ والمُضَرِيّةِ ، فبَعَث مَوْلاه بدرًا إليهم فاسْتَمالهم إليه ، فبايَعوه ودخَل بهم ، ففَتَح بلادَ الأَنْدَلُسِ ، واسْتَحْوذ عليها ، وانْتَزَعها مِن يدِ نائِبِها يوسُفَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حَبيبِ بنِ أبى عُبَيْدةَ بنِ عُقْبةَ بنِ نافعٍ الفِهْرىِّ وقَتَله ، وسَكَن عبدُ الرحمنِ [٨/٤٠ظ] قُرْطُبَةَ ، واسْتَمَرَّ فى خِلافتِه فى تلك البلادِ مِن هذه السنةِ - أَعنى سنةَ ثمانٍ وثلاثين[(٤)]

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٤٩٩.

(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ٥٢٤، وتهذيب الكمال ١٠/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٣٣.

(٣) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٣٠، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٥٢٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٩٦.

(٤) سيأتى ذكر وفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة على الصحيح، صفحة ٣٤٨.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) سقط من: ب. وفى الأصل، م، ظ: «الهاشمى»، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٢/ ٩ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٦) بعده فى ب، م: «فرارًا من عبد اللَّه بن على بن عبد اللَّه بن عباس».

(١) ومائةٍ - إلى سنةِ ثنتَيْن وسبعين ومائةٍ فتُوُفِّيَ فيها ، وله فى الملكِ أربعٌ وثلاثون سنةً وأشهرٌ .

ثم قام مِن بعدِه ولدُه هشامٌ سِتَّ سنين وأشْهرًا ثم مات ، فوَلِى ولدُه الحكَمُ ابنُ هشامٍ ستًّا وعشرين سنةً وأشْهرًا ، ثم من بعدِه ولدُه عبدُ الرحمنِ بنُ الحكمِ ثلاثًا وثلاثين سنةً ، ثم من بعدِه محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحكمِ ستًّا وعشرين سنةً ، ثم ابنُه المُنْذِرُ بنُ محمدٍ ، ثم أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، (٢) ثم ابنُ ابنِه عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ المنذرِ (٢) . وكانتْ أيامُه بعدَ الثلاثِمائةِ بدَهْرٍ ، ثم زالتْ تلك الدولةُ كما سنَذْكُرُ ، ثم انْقَضَت تلك السِّنونُ وأهلُها فكأنهم على مِيعادٍ (١) .

(١ - ١) سقط من : ص . وهذا من قول أبى تمام :

ثم انقضت تلك السُّنونُ وأهلُها ... فكأنها وكأنهم أحلامُ

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ب ، م . وانظر تاريخ دمشق ٤٢/١١ .

ثم دَخَلَت سنةُ تسعٍ وثلاثين ومائةٍ

فيها[1] أكْمَل صالحُ بنُ عليٍّ بِناءَ مَلَطْيَةَ، ثم غَزا الصائفةَ على طريقِ الحَدَثِ[2]، فوَغَل فى بلادِ الرومِ، وغَزا معه أُخْتاه أمُّ عيسى ولُبابةُ ابنتا عليٍّ، وكانَتا نَذرَتا إن زال مُلكُ بنى أميةَ أن تُجاهِدا فى سبيل اللَّهِ عز وجل.

وفيها كان الفِداءُ الذى حَصَل بينَ المَنْصورِ ومَلِكِ الرُّومِ، فاسْتَنْقذ بعضَ أَسْرَى المسلمين، ثم لم يَكُنْ للناسِ صائفةٌ من هذه السنةِ إلى سنةِ ستٍّ وأربعين، وذلك لاشْتِغالِ المنصورِ بأمْرِ ابْنَىْ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ، كما سنَذْكُرُه، ولكن ذَكَر بعضُهم أن الحسنَ بنَ قَحْطبةَ غَزا الصائفةَ مع عبدِ الوَهَّابِ بنِ إبراهيمَ الإمامِ سنةَ أربعين. فاللَّهُ أعْلَمُ[3].

وفيها وَسَّع المَنْصورُ المَسْجِدَ الحَرامَ، وكانت هذه السنةُ خَصِبةً جدًّا، فكان

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٥٠٠ - ٥٠٢، والمنتظم ٨/ ٢٢، ٢٣، والكامل ٥/٤٨٨ - ٤٩٧.

(٢) فى ص: «الحرب». وفى تاريخ الطبرى: «الحديث» والحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش. معجم البلدان ٢/ ٢١٨.

(٣) بعده فى ص، ظ: «وفيها دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى بلاد الأندلس فملكها فبقيت ذريته بها خلائف دهورًا متطاولة كما سنبينه إن شاء اللَّه تعالى؛ ولهذا يقال له عبد الرحمن الداخل». وقد وقع الخلاف فى سنة دخول عبد الرحمن الأندلس، فذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٤/ ٤٨٨، والمقرى فى نفح الطيب ١/ ٣٢٨، والمراكشى فى البيان المعرب ٢/ ٤٤، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٨، أنه دخل فى سنة ١٣٨. وذكر ابن جرير فى تاريخه ٧/ ٥٠٠، وابن الجوزى فى المنتظم ٨/ ٢٢، وابن الأثير فى الكامل ٥/ ٤٨٩، أنه دخل فى سنة ١٣٩. واللَّه أعلم.

يُقالُ لها : سنةُ الخِصبِ[1] .

وفيها عَزَل المَنْصورُ عمَّه سليمانَ بنَ عليٍّ عن إمْرةِ البَصرةِ - وقيل : إنما كان ذلك فى سنةِ أربعين ومائةٍ - فاخْتَفَى عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ وأصحابُه خوفًا على أنْفُسِهم ، فبَعَث المَنْصورُ إلى نائبِه على البَصْرةِ ، وهو سفيانُ بنُ مُعاويةَ ، يَسْتَحِثُّه فى إحْضارِ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ إليه ، فبَعَثه فى أصحابِه ، فقَتَل بعضَهم ، وسَجَن عبدَ اللَّهِ بنَ عليٍّ ، وبَعَث بقيةَ أصحابِه إلى أبى داودَ نائبِ خُراسانَ ، فقَتَلهم هناك .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ العباسُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ .

وفيها تُوُفِّىَ عمرُو بنُ مُهاجِرٍ[2] ، **ويَزِيدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الهادِ[3] ، **ويُونُسُ** بنُ عُبَيدٍ[4] ، أحدُ العُبَّادِ [٤١/٨و] وصاحبُ الحسنِ البَصْرىِّ .

---

(١) بعده فى النسخ : « وقيل : إنما كان ذلك فى سنة أربعين ومائة » . ونقلنا هذه العبارة إلى الفقرة التالية تبعا للمصادر ، فقد ذُكِر أن عزل المنصور عمه سليمان كان فى سنة تسع وثلاثين ومائة أو سنة أربعين ومائة .

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « مجاهد » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٢، وتاريخ دمشق ٦٤٢/١٣ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥١٠.

(٣) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٧٧، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٦٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٠، وحلية الأولياء ٣/ ١٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٥١٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٧٢.

ثم دخلت سنةُ أربعين ومائةٍ

فيها[1] ثار جَماعةٌ مِن الجُنْدِ على أبى داودَ نائبِ خُراسانَ ، وحاصَروا دارَه ، فأشْرَف عليهم ، وجَعَل يَسْتَغِيثُ بجُنْدِه لِيَحْضُروا إليه ، واتَّكأ عل آجُرَّةٍ فى الحائطِ ، فانْكَسَرت به ، فسقَط فانْكَسَر ظهرُه ، فمات رحِمَه اللَّهُ ، فخلَفه على خُراسانَ عصامٌ[2] صاحبُ الشُّرْطةِ ، حتى قَدِم الأميرُ عليها مِن جهةِ الخَليفةِ ، وهو عبدُ الجَبَّارِ بنُ عبدِ الرحمنِ الأزْدِىُّ ، فتَسَلَّم بلادَ خُراسانَ ، وقَتَل جَماعةً مِن الأُمراءِ بها ؛ لأنه بَلَغه عنهم أنهم يَدْعُون إلى خِلافةِ آلِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، وحَبَس آخَرِين ، وأخَذ نُوَّابَ أبى داودَ بجِبايةِ الأمْوالِ المُنْكَسِرةِ عندَهم .

وفيها حَجَّ بالناسِ الخَليفةُ أبو جَعفرٍ المَنْصورُ ؛ أَحْرَم مِن الحيرةِ ، ورَجَع بعدَ انْقِضاءِ الحَجِّ إلى المدينةِ ، ثم رَحَل إلى بيتِ المَقْدِسِ فزاره وصلَّى فيه ، ثم سَلَك الشامَ إلى الرَّقَّةِ ، ثم سار إلى الهاشميةِ ؛ هاشميةِ الكُوفةِ .

ونُوّابُ الأقاليمِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، سِوى خُراسانَ ، فإنه مات نائبُها أبو داودَ ، فخلَفه مكانه عبدُ الجبارِ بنُ عبدِ الرحمن الأزْدىُّ .

وفيها تُوُفِّىَ داودُ بنُ أبى هندٍ[3] ، **وأبو حازمٍ** سَلَمةُ بنُ دِينارٍ[4] ، **وسُهَيْلُ** بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٠٣، ٥٠٤، والمنتظم ٨/ ٢٧، ٢٨، والكامل ٥/٤٩٨ - ٥٠١.

(٢) سقط من الأصل. وفى ب، م، ص، ظ: «عاصم». والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٥، وتاريخ دمشق ١٧/ ١١٦، وحلية الأولياء ٣/ ٩٢، وتهذيب الكمال ٨/ ٤٦١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤١٣.

(٤) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٣٢، وتاريخ دمشق =

أبى صالحٍ[1] ، **وعُمارةُ** بنُ غَزِيَّةَ[2] ، **وعمرُو** بنُ قيسٍ السَّكونيُّ[3] . واللَّهُ أعلمُ .

= ٢٢/ ١٦، وحلية الأولياء ٣/ ٢٢٩، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٤٤١.

(١) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٤٥، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٢٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٣٦٥.

(٢) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٩٤، وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٩، وتاريخ دمشق ١٣/٥٩٢ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠) ص ٥٠٧.

ثم دَخَلَت سنةُ إحْدى وأرْبعين ومائةٍ

فيها[1] خَرَجَت طائفةٌ يُقالُ لهم : الرَّاوَنْدِيَّةُ[2] . على المَنْصورِ .

ذَكَر ابنُ جَريرٍ عن المَدائنيِّ أن أصْلَهم مِن خُراسانَ ، وهم على رأيِ أبى مسلمٍ الخُراسانيِّ ، كانوا يَقولون بالتَّناسُخِ ، ويَزْعُمون أن رُوحَ آدمَ انْتَقَلَت إلى عُثمانَ بنِ نَهيكٍ ، وأن ربَّهم الذى يُطْعِمُهم ويَسْقِيهم أبو جعفرٍ المنصورُ ، وأن الهَيْثَمَ بنَ مُعاويةَ جِبْريلُ . قَبَّحهم اللَّهُ تعالى . قال : فأتَوْا يومًا قصرَ المَنْصورِ ، فجعَلوا يَطوفون به ويقولون : هذا قصرُ ربِّنا . فأرْسَل المنصورُ إلى رُؤسائِهم ، فحبَس منهم مائتَيْن ، فغَضِبوا مِن ذلك وقالوا : علامَ تَحْبِسُهم ؟ ثم عَمَدوا إلى نَعْشٍ ، فحَمَلوه على كَواهِلِهم ، وليس عليه أحدٌ ، واجْتَمَعوا حولَه ، كأنهم يُشَيِّعون جِنازةً ، فاجْتازوا ببابِ السِّجْنِ ، فألْقَوُا النَّعْشَ ودَخَلوا السجنَ قَهْرًا ، واسْتَخْرَجوا مَن فيه مِن أصْحابِهم ، وقَصَدوا نحوَ المَنْصورِ وهم فى ستِّمائةٍ ، فتَنادَى الناسُ ، وغُلِّقَت أبوابُ البلدِ ، وخَرَج المَنْصورُ مِن القَصْرِ ماشيًا ؛ لأنه لم يَكُنْ فى القصرِ دابَّةٌ يَرْكَبُها ، ثم جِىء بدابةٍ فرَكِبها [٤١/٨ظ] وقَصَد نحوَ الرَّاوَنْدِيَّةِ ، وجاء الناسُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وجاء مَعْنُ بنُ زائدةَ ، فلمَّا رَأَى أميرَ المؤمنين تَرَجَّل وأَخَذ بلِجامِ دابَّةِ المَنْصورِ ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، ارْجِعْ ونحن نَكْفِيكَهم . فأَبَى ، وقام أهلُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٠٥/٧ - ٥١١، والمنتظم ٢٩/٨ - ٣٢، والكامل ٥٠٢/٥ - ٥٠٧.

(٢) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ص : « الريوندية » . والراوندية نسبة إلى بُلَيدة قرب قاشان وأصبهان . أما ريوند فهى كورة من نواحى نيسابور . انظر معجم البلدان ٢/ ٧٦٠، ٨٩٠.

السوقِ إليهم فقاتَلوهم، وجاءتِ الجيوشُ فالْتَفُّوا عليهم مِن كلِّ ناحيةٍ، فحَصَدوهم عن آخِرِهم، ولم يَبْقَ منهم بَقِيَّةٌ، وجَرَحوا عثمانَ بنَ نَهِيكٍ بسهمٍ بينَ كَتِفَيه، فمرِض أيامًا ثم مات، فوَلِيَ الصلاةَ عليه الخَليفةُ المنصورُ، وقام على قبرِه حتى دُفِن، ودَعا له، ووَلَّى أخاه عيسى بنَ نَهِيكٍ على الحَرَسِ، وكان ذلك كلُّه بالمدينةِ الهاشميةِ مِن الكوفةِ.

ولما فَرَغ المَنْصورُ مِن قتالِ الراوَنْدِيَّةِ ذلك اليومَ صلَّى بالناسِ الظُّهرَ فى آخِرِ وقتِها، ثم أُتِى بالطَّعامِ فقال: أين مَعْنُ بنُ زائدةَ؟ وأمْسَك عن الطعامِ حتى جاء مَعْنٌ، فأجْلَسَه إلى جانبِه، ثم أخَذَ فى شُكْرِه لمَن بحَضْرتِه؛ لِما رَأَى مِن شَهامتِه يومئذٍ، فقال مَعْنٌ: واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين، لقد جئتُ وإنى لوَجِلٌ، فلما رأيْتُ استِهانتَك بهم وإقْدامَك عليهم قَوِىَ قَلْبى بذلك، وما ظَنَنْتُ أن أحدًا يَكونُ فى الحربِ هكذا، فذاك الذى شَجَّعنى يا أميرَ المؤمنين. فأمَر له المنصورُ بعشَرةِ آلافٍ، ورَضِى عنه، ووَلَّاه اليمنَ، وكان مَعْنُ بنُ زائدةَ قبلَ ذلك مُخْتَفِيًا؛ لأنه قاتَل المُسَوِّدَةَ مع ابنِ هُبَيْرةَ، فلم يَظْهَرْ إلا فى هذا اليومِ. فلما رَأَى الخَليفةُ صِدْقَه فى قِتالِه رَضِى عنه.

ويُقالُ[1]: إن المنصورَ قال: أخْطَأْتُ فى ثلاثٍ؛ قَتَلْتُ أبا مسلمٍ وأنا فى جَماعةٍ قليلةٍ، وحينَ خَرَجْتُ إلى الشامِ ولو اخْتَلَف سيفانِ بالعِراقِ لذَهَبَت الخِلافةُ، ويومَ الراوَنْدِيَّةِ لو أصابَنى سهمٌ غَرْبٌ لذهبتُ ضَياعًا. وهذا مِن حَزْمِه وصَرامتِه.

وفى هذه السنةِ وَلَّى المنصورُ ابنَه محمدًا المهدىَّ ولىَّ عهدِه من بعدِه، بلادَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٠٧.

خُراسانَ ، وعَزَل عنها عبدَ الجَبَّارِ بنَ عبدِ الرحمنِ ، وذلك أنه قَتَل خَلْقًا مِن شِيعةِ الخَليفةِ ، فشَكاه المَنْصورُ إلى أبى أيوبَ الخُوزىِّ[1] كاتبِ الرسائلِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اكْتُبْ إليه لِيَبْعَثَ جيشًا مِن خُراسانَ لِغَزْوِ الرُّومِ ، فإذا خَرَجوا من عندِه بَعَثْتَ إليه [٤٢/٨و] مَن شئْتَ فأخْرَجوه منها ذَليلًا ليس عندَه كثيرُ أحدٍ . فكتَب إليه المَنْصورُ بذلك ، فرَدَّ الجَوابَ بأن بلادَ خُراسانَ قد عاثَت بها الأتْراكُ ، ومتى خَرَج منها جيشٌ فَسَد أمْرُها . فقال المنصورُ لأبى أيوبَ : ماذا تَرَى ؟ قال : فاكْتُبْ إليه بأن بلادَ خُراسانَ أحَقُّ بالمَدَدِ مِن غيرِها ، وقد جَهَّزْتُ إليك بالجنودِ . فأجاب بأن بلادَ خُراسانَ فى هذا العامِ مُضَيَّقةٌ أقْواتُها ، ومتى دَخَلها جيشٌ أفْسَدها . فقال الخَليفةُ لأبى أيوبَ : ما تَقولُ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا رجلٌ قد أبْدَى صَفْحتَه وخَلَع ، فلا تُناظِرْه . فحينَئذٍ بَعَث المَنْصورُ ابنَه محمدًا المَهْدىَّ لِيُقيمَ بالرَّىِّ ، وبَعَث المَهْدىُّ خازمَ بنَ خُزَيْمةَ مُقَدِّمةً بينَ يديه إلى عبدِ الجَبَّارِ ، فما زالوا عليه حتى هزَموا مَن معه ، وأخَذُوه فأرْكَبوه بَعيرًا مُحَوَّلًا وجهُه إلى ناحيةِ ذَنَبِ البَعيرِ ، وسَيَّروه كذلك فى البلادِ حتى أقْدَموه على المَنْصورِ ، ومعه ابنُه وجَماعةٌ مِن أهلِه ، فضَرَب المَنْصورُ عنقَه ، وسَيَّر ابنَه ومَن معه من أهلِه إلى جَزيرةِ دَهْلَكَ فى طَرَفِ اليَمنِ ، فأسَرَتْهم الهُنودُ بعدَ ذلك ، ثم فُودِى بعضُهم بعدَ ذلك .

واسْتَقَرَّ المَهْدىُّ نائبًا بخُراسانَ ، وأمَره أبوه أن يَغْزُوَ طَبَرِسْتانَ ، وأن يُحارِبَ الأَصْبَهْبَذَ بمَن معه مِن الجُنودِ ، وأمَدَّه بجيشٍ عليهم عمرُ بنُ العَلاءِ ، وكان مِن أعْلمِ الناسِ بحربِ طَبَرِسْتانَ ، وهو الذى يَقولُ فيه بشارٌ الشاعرُ :

فقُلْ للخَليفةِ إنْ جئْتَه ... نَصِيحًا ولا خيرَ فى المُتَّهَمْ

---

(١) سقط من : ب ، م . وانظر الأنساب ٢/ ٤١٦.

إذا أيْقَظَتْك حُروبُ العِدَا فنَبِّهْ لها عُمَرًا ثمَّ نَمْ
فتًى لا يَنامُ على دِمْنَةٍ ولا يَشْرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ

فلما تَواقَفَت الجيوشُ على طَبَرِسْتانَ فَتَحوها، وحَصَروا الأَصْبَهْبَذَ حتى أَلْجَئوه إلى قَلْعتِه، فصالَحَهم على ما فيها مِن الذخائرِ، وكتَب المهدىُّ إلى أبيه بذلك، ودخَل الأَصْبَهْبَذُ بلادَ الدَّيْلَم، فمات هناك، وكسَروا أيضًا ملكَ التركِ الذى يُقالُ له: المَصْمُغانُ. وأسروا أمًّا مِن الذَّرارىِّ، فهذا فَتْحُ طَبَرِسْتانَ الأولُ.

وفى هذه السنةِ فُرِغَ من بناءِ المِصِّيصَةِ على يدَىْ جَبْرئيلَ بنِ يَحْيَى الخُراسانىِّ.

وفيها رابَط محمدُ [٨/٤٢ظ] بنُ إبراهيمَ الإمامِ ببلادِ مَلَطْيَةَ.

وفيها عُزِل زيادُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ عن إمْرةِ الحِجازِ، ووَلِىَ المدينةَ محمدُ بنُ خالدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىُّ، فقَدِمها فى رَجَبٍ، ووَلِىَ مكةَ والطائفَ الهَيْثَمُ بنُ مُعاويةَ العَتْكِىُّ[(١)].

وفيها تُوُفِّىَ موسى بنُ كعبٍ، وهو على شُرَطِ المَنْصورِ وعلى مِصْرَ[(٢)] والهندِ، ونائبُه فى الهندِ ابنُه.

وفيها[(٢)] وَلِى مصرَ محمدُ بنُ الأَشْعَثِ ثم عُزِل، ووَلِىَ عليها نَوْفَلُ بنُ الفُراتِ.

وحَجَّ بالناسِ فيها صالحُ بنُ علىٍّ، وهو نائبُ قِنَّسْرِينَ وحِمصَ ودِمَشقَ،

---

(١) فى الأصل، ب، م، ظ: «العكى». وهو كذلك فى إحدى نسخ الطبرى.
(٢ - ٢) فى ب، م: «من كان عليها فى السنة الماضية ثم».

وبَقيةُ البلادِ عليها مَن ذَكَرْنا فى التى قبلَها . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها تُوُفىَ أبانُ بنُ تَغْلِبَ[1] ، **وموسى** بنُ عُقْبةَ صاحبُ المَغازِى[2] ، **وأبو إسحاقَ** الشَّيْبانىُّ فى قولٍ[3] . واللَّهُ سبحانَه أعْلَمُ .

---

(١) طبقات خليفة ١/ ٣٨٥، وتهذيب الكمال ٢/ ٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٥.

(٢) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٤٠، وتاريخ دمشق ٢٨٩/١٧ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٩٩.

(٣) وأبو إسحاق اسمه سليمان بن أبى سليمان، فيروز، انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٥، وتهذيب الكمال ١١/ ٤٤٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٦٠.

ثم دَخَلَت سنةُ ثنتَيْن وأربعين ومائةٍ

فيها[1] خَلَع عُيَيْنةُ بنُ موسى بنِ كعبٍ نائبُ السِّنْدِ الخَليفةَ، فجَهَّز إليه الخليفةُ العساكرَ صُحْبةَ عمرَ بنِ حفصِ بنِ أبى صُفْرةَ، ووَلَّاه السِّنْدَ والهِنْدَ، فحارَبه عمرُ بنُ حَفْصٍ، وقَهَره على الأرضِ، وتَسَلَّمها منه.

وفيها نَكَث أَصْبَهْبَذُ طَبَرِسْتانَ العهدَ الذى كان بينَه وبينَ المسلمين، وقَتَل طائفةً ممَّن كان بطَبَرِسْتانَ، فجَهَّز إليه الخَليفةُ الجُيوشَ صُحْبةَ خازمِ بنِ خُزَيْمَةَ، ورَوْحِ بنِ حاتمٍ، ومعهم مَرْزوقٌ أبو الخَصِيبِ مولى المَنْصورِ، فحاصَروه مدةً طَويلةً، فلمَّا أعْياهم فَتْحُ الحِصْنِ الذى هو فيه احْتالوا عليه، وذلك أن أبا الخَصيبِ قال لهم: اضْرِبونى واحْلِقوا رأْسى ولِحْيَتى. ففعَلوا ذلك، فذَهَب إليه كأنه مُغاضِبٌ للمسلمين، فدَخَل الحصنَ، ففَرِح به الأَصْبَهْبَذُ، وأكْرَمه وقَرَّبه، وجَعَل أبو الخَصِيبِ يُظْهِرُ له من النُّصْحِ والخِدْمةِ حتى خَدَعه، وحَظِى عندَه جدًّا، وجَعَله مِن جُملةِ مَن يَتَوَلَّى فَتْحَ الحِصْنِ وغَلْقَه، فلما تَمَكَّن عندَه كاتَبَ المسلمين وأعْلَمَهم أن الليلةَ الفُلانيةَ فى حرسِه، فاقْتَرِبوا مِن البابِ حتى أَفْتَحَه لكم. فلمَّا كانتْ تلك الليلةُ فَتَح للمسلمين البابَ، ودَخَلوا فقَتَلوا مَن فيه مِن المُقاتِلةِ، وسَبَوُا الذُّرِّيَّةَ، وامْتَصَّ الأَصْبَهْبَذُ خاتَمًا مَسْمومًا فمات. فكان ممن أُسِر يومَئذٍ أمُّ المَنْصورِ ابنِ المَهْدىِّ، وأمُّ إبراهيمَ بنِ المَهْدىِّ، وكانَتا مِن بناتِ المُلوكِ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٥١٢/٧ - ٥١٤، والمنتظم ٣٦/٨، ٣٧، والكامل ٥٠٩/٥ - ٥١١.

وفيها بَنَى المَنْصورُ لأهلِ البَصْرةِ قِبْلتَهم التى يُصَلُّون عندَها بالحِمَّانِ[1] ، ووَلِى [٨/ ٤٣و] بناءَه سَلَمةُ بنُ سعيدِ بنِ جابرٍ نائبُ الفُراتِ والأُبُلَّةِ . وصام المَنْصورُ شهرَ رَمضانَ بالبَصْرةِ ، وصَلَّى بالناسِ العيدَ فى ذلك المُصَلَّى .

وفيها عَزَل المَنْصورُ نَوْفلَ بنَ الفُراتِ عن إمْرةِ مصرَ ، ووَلَّى عليها حُمَيْدَ بنَ قَحْطَبةَ .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ إسماعيلُ بنُ علىٍّ .

وفيها تُوُفِّىَ سليمانُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[2] ، عَمُّ الخَليفةِ ونائبُ البَصْرةِ ، كان ذلك يومَ السبتِ لسبعٍ بَقِين مِن جُمادَى الآخِرةِ ، وهو ابنُ تسعٍ وخمسين سنةً ، وصَلَّى عليه أخوه عبدُ الصَّمَدِ .

رَوَى عن أبيه وعِكْرمةَ وأبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسى . وعنه جَماعةٌ منهم ؛ بنوه جعفرٌ ومحمدٌ وزينبُ ، والأصْمَعىُّ . وكان قد شاب وهو ابنُ عشرين سنةً ، وخَضَب لحيتَه مِن الشَّيْبِ فى ذلك السنِّ ، وكان كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، كان يَعْتِقُ عَشِيةَ عَرَفةَ فى كلِّ سنةٍ مائةَ نَسَمةٍ ، وبَلَغَت صِلاتُه لبنى هاشمٍ وسائرِ قريشٍ والأنْصارِ خمسةَ آلافِ ألفٍ .

واطَّلَع يومًا مِن قَصْرِه ، فرأى نِسْوةً يَغزِلْنَ فى دارٍ مِن دُورِ البَصْرةِ ، فاتَّفَق أن

---

(١) فى الأصل ، ص : « بالحبان » ، وفى ب ، م ، ظ : « بالجبان » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والحمان : محلة بالبصرة . معجم البلدان ٢/ ٣٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٨٣، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٥٩.

قالتْ إحداهنَّ : ليتَ الأميرَ اطَّلَع علينا ؛ فأغْنانا عن الغَزْلِ . فنَهَض فجعَل يَدورُ فى قَصْرِه ، ويَجْمَعُ مِن حُلِيِّ نِسائِه مِن الذهبِ والجَواهِرِ وغيرِ ذلك ما مَلأ به مِنْديلًا ، ثم دَلَّاه إليهن ، ونَثَره عليهن ، فماتَت إحْداهن مِن شدةِ الفَرَحِ[1] .

وقد وَلِى الحَجَّ أيامَ السَّفَّاحِ ، ووَلِى البَصْرةَ للمنصورِ ، وكان مِن خِيارِ بنى العباسِ ، وهو أخو إسماعيلَ ، وداودَ ، وصالحٍ ، وعبدِ الصَّمَدِ ، وعبدِ اللَّهِ ، وعيسى ، ومحمدٍ ، وهو عَمُّ السَّفَّاحِ والمَنْصورِ .

وممَّن تُوُفِىَ فيها خالدٌ الحَذَّاءُ[2] ، وعاصمٌ الأحْولُ[3] ، وعمرُو بنُ عُبَيْدٍ القَدَرِىُّ ، فى قولٍ[4] ، وهو عمرُو بنُ عُبَيدِ بنِ بابٍ - ويُقالُ : ابنُ كَيْسانَ - التَّمِيمىُّ مَوْلاهم ، أبو عثمانَ البَصْرِىُّ ، مِن أبْناءِ فارسَ ، شيخُ القَدَرِيةِ والمُعْتَزِلةِ . رَوَى الحَديثَ عن الحسنِ البَصْرِىِّ ، وعُبَيدِ اللَّهِ بنِ أنسٍ ، وأبى العاليةِ ، وأبى قِلابةَ ، وعنه الحَمَّادان ، وسفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، والأعْمشُ - وكان مِن أقْرانِه - وعبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، وهارونُ بنُ موسى ، ويَحْيَى القَطَّانُ ، ويَزيدُ بنُ زُرَيْعٍ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « فأعطى ديتها وما تركته من ذلك لورثتها » .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٩، وتهذيب الكمال ٨/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٢٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٦، ٣١٩، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣، وحلية الأولياء ٣/ ١٢٠، وتهذيب الكمال ١٣/ ٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٨٨.

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٤٢، وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٣، والكامل لابن عدى ٥/ ١٧٥٠، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٦٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٣٨.

قال الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ[1] : ليس بأهلٍ أن يُحَدَّثَ عنه . وقال عليُّ بنُ المَدينيِّ ويَحْيَى بنُ مَعينٍ[2] : ليس بشيءٍ . وزاد ابنُ مَعينٍ[3] : وكان [٨/٤٣ظ] رجلَ سَوْءٍ ، كان مِن الدَّهْرِيةِ الذين يَقولون : إنما الناسُ مثلُ الزَّرْعِ . وقال الفَلَّاسُ[4] : مَتْروكٌ ، صاحبُ بِدْعةٍ ، كان يَحْيَى القَطَّانُ يُحَدِّثُنا عنه ثم تَرَكه ، وكان ابنُ مَهْدىٍّ لا يُحَدِّثُ عنه . وقال أبو حاتمٍ[4] : مَتْروكٌ . وقال النَّسائيُّ[5] : ليس بثقةٍ . وقال شُعْبةُ ، عن يونُسَ بنِ عُبَيدٍ[6] : كان عمرُو بنُ عُبَيدٍ يَكْذِبُ فى الحديثِ . وقال حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ[6] : قال لى حُمَيْدٌ : لا تَأْخُذْ عنه ، فإنه كان يَكْذِبُ على الحسنِ البَصْرىِّ . وكذا قال أيوبُ وعَوْفٌ وابنُ عَوْنٍ[7] . وقال أيوبُ[8] : ما كنتُ أَعُدُّ له عَقْلًا . وقال مَطَرٌ الوَرَّاقُ[4] : واللَّهِ لا أُصَدِّقُه فى شيءٍ . وقال ابنُ المُبارَكِ[4] : إنما تَرَكوا حديثَه لأنه كان يَدْعُو إلى القَدَرِ . وقد ضَعَّفه غيرُ واحدٍ مِن أَئمةِ الجَرْحِ والتَّعْديلِ ، وأَثْنَى عليه آخرون فى عِبادتِه ، وزُهْدِه وتَقَشُّفِه ؛ قال الحسنُ البَصْرىُّ[9] : هذا سيدُ شبابِ القُرى[10] ما لم يُحْدِثْ . قالوا :

---

(١) انظر الجرح والتعديل ٦/ ٢٤٧.

(٢) الجرح والتعديل ٦/ ٢٤٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٨٤.

(٣) المجروحين لابن حبان ٢/ ٧٠.

(٤) الجرح والتعديل ٦/ ٢٤٧.

(٥) تهذيب الكمال ٢٢/ ١٢٥. وذكره النسائى فى الضعفاء والمتروكين ص ٨٠ بلفظ: متروك الحديث.

(٦) الجرح والتعديل ٦/ ٢٤٦.

(٧) المصدر السابق ٦/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٨) الكامل لابن عدى ٥/ ١٧٥٠.

(٩) تاريخ بغداد ١٢/ ١٧٠.

(١٠) فى م: «القراء». وفى تاريخ بغداد: «أهل البصرة».

فأحْدَث واللَّهِ أشَدَّ الحَدَثِ . وقال ابنُ حِبَّانَ[1] : كان مِن أهلِ الوَرَعِ والعِبادةِ إلى أن أحْدَث ما أحْدَث ، واعْتَزَل مَجْلِسَ الحسنِ هو وجَماعةٌ معه فسُمُّوا المُعْتَزِلةَ ، وكان يَشْتُمُ الصَّحابةَ ، ويَكْذِبُ فى الحديثِ وَهْمًا لا تَعَمُّدًا . وقد رُوِى عنه أنه قال[2] : إن كانتْ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ . فى اللَّوْحِ المَحْفوظِ فما للَّهِ على ابنِ آدمَ حُجَّةٌ .

ورُوِى له حديثُ ابنِ مَسْعودٍ[3] : حَدَّثنا الصَّادقُ المَصْدوقُ : « إنَّ خَلْقَ أحَدِكم يُجْمَعُ فى بَطْنِ أُمِّه أربعين يومًا » . حتى قال : « فيُؤْمَرُ بأربعِ كَلِماتٍ ؛ رِزْقُه وأجَلُه ، وعَمَلُه ، وشَقِىٌّ أم سعيدٌ » . إلى آخرِه ، فقال : لو سَمِعْتُ الأعْمشَ يَرْوِيه لكَذَّبْتُه ، ولو سَمِعْتُه مِن زيدِ بنِ وهبٍ لَما أحْبَبْتُه ، ولو سَمِعْتُه مِن ابنِ مَسْعودٍ لَما قَبِلْتُه ، ولو سَمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ لرَدَدْتُه ، ولو سَمِعْتُ اللَّهَ يَقولُ هذا لقلتُ : ما على هذا أخَذْتَ علينا المِيثاقَ . وهذا مِن أقْبَحِ الكُفْرِ ، لعَنَه اللَّهُ ، إن كان قال هذا[4] .

وقد قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، رَحِمه اللَّهُ[5] :

أيُّها الطالبُ عِلْمًا ... ايتِ حمادَ بنَ زيدْ

---

(١) المجروحين ٢/ ٦٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١٧٠.

(٣) أخرج الحديث البخارى (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذى (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦)، والنسائى فى الكبرى (١١٢٤٦). والخبر فى تاريخ بغداد ١٢/ ١٧٢، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٢٩.

(٤) بعده فى ب، م: « وإذا كان مكذوبا عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه ».

(٥) الكامل لابن عدى ٥/ ١٧٥٣، وحلية الأولياء ٦/ ٢٥٨، وتهذيب الكمال ٧/ ٢٤٧، ٢٤٨.

فـخُـذِ الـعـلـمَ بـحِـلْـمٍ ثـم قَـيِّـدْه بـقَـيـدْ
وذَرِ[1] الـبِـدْعـةَ مِـن آ ثـارِ عـمـرِو بـنِ عُـبَـيـدْ

[٤٤/٨و] وقال ابنُ عَدِيٍّ[2] : كان يَغُرُّ الناسَ بتَقَشُّفِه ، وهو مَذْمومٌ ضَعيفُ الحَديثِ جدًّا ، مُعْلِنٌ بالبدعِ . وقال الدارَقُطْنيُّ[3] : ضعيفُ الحَديثِ . وقال الخَطيبُ البَغْداديُّ[4] : جالَس الحسنَ واشْتَهَر بصُحْبتِه ، ثم أزاله واصلُ بنُ عَطاءٍ عن مذهبِ أهلِ السنةِ ، وقال بالقَدَرِ ودَعا إليه ، واعْتَزل أصحابَ الحسنِ[5] ، وكان له سَمْتٌ وإظْهارُ زُهْدٍ . وقد قيل[6] : إنه وواصلَ بنَ عَطاءٍ وُلِدا سنةَ ثمانين . وحَكَى البُخاريُّ[7] أنَّه مات سنةَ ثنتَيْن أو ثلاثٍ وأربعين ومائةٍ ، بطريقِ مكةَ . وكان حَظِيًّا عندَ أبي جعفرٍ المَنْصورِ ؛ لأنه كان يَفِدُ مع القُرَّاءِ ، فيُعْطِيهم المَنْصورُ فيأْخُذون ، ولا يَقْبَلُ عمرٌو منه شيئًا ، فكان ذلك يُعْجِبُ المَنْصورَ ؛ لأن المَنْصورَ كان بَخِيلًا ، وكان يقولُ[8] :

كـلُّـكـم يَمْـشِـي رُوَيـدْ كـلُّـكـم يَـطْـلُـبُ صَـيـدْ
غـيـرَ عـمـرِو بنِ عُبَـيـدْ

ولو تَبَصَّر المَنْصورُ لَعَلِم أن كلَّ واحدٍ مِن أولئك القُرَّاءِ خيرٌ مِن مِلْءِ الأرضِ

---

(١) في الأصل : « واردد » ، وفي ب : « واحذر » .
(٢) الكامل ٥/ ١٧٦٣.
(٣) ذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين ص ١٣٢.
(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٦. وذكره صاحب تهذيب الكمال ٢٢/ ١٣١.
(٥) في النسخ : « الحديث » . والمثبت من مصدري التخريج .
(٦) تاريخ بغداد ١٢/ ١٨٧.
(٧) التاريخ الكبير ٦/ ٣٥٢، ٣٥٣.
(٨) تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٩.

مثلِ عمرِو بنِ عُبَيدٍ ، والزُّهْدُ لا يَدُلُّ على صَلاحٍ ، فإن بعضَ الرَّهَابِين قد يَكونُ عندَه مِن الزُّهْدِ ما لا يُطِيقُه كثيرٌ مِن المسلمين فى زَمانِه .

وقد رُوِّينا[1] عن إسماعيلَ بنِ مَسْلَمَةَ[2] القَعْنَبىِّ قال : رأيْتُ الحسنَ بنَ أبى جعفرٍ فى المَنامِ بعدَ ما مات بعَبَّادانَ ، فقال لى : أيوبُ ويونُسُ وابنُ عَوْنٍ فى الجنةِ . قلتُ : فعمرُو بنُ عُبَيدٍ ؟ قال : فى النارِ . ثم رآه مَرةً ثانيةً ، ويُرْوَى ثالثةً ، ويقولُ له مثلَ هذا .

وقد رُئِيَتْ له مَناماتٌ قَبيحةٌ[3] ، وقد طوَّل شيخُنا فى « تَهْذيبِه »[4] ترجمتَه ، ولَخَّصْنا حاصلَها فى كتابِنا « التَّكْميلِ » ، وإنما أشَرْنا هـٰهنا إلى نُبَذٍ مِن حالِه ؛ لِيُعْرَفَ فلا يُغْتَرَّ به . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١٨٧، ١٨٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٣٣.

(٢) فى الأصل ، ص ، ظ : « مسلم » ، وفى ب ، م : « خالد » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٠٨.

(٣) انظر الكامل لابن عدى ٥/ ١٧٥١، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٧٩.

(٤) تهذيب الكمال ٢٢/١٢٣ - ١٣٥.

ثم دَخَلَت سنةُ ثلاثٍ وأرْبعين ومائةٍ

فيها[1] نَدَب المَنْصورُ الناسَ إلى غَزْوِ الدَّيْلَمِ ؛ لأنَّهم قَتَلوا مِن المسلمين خَلْقًا ، وأَمَر أهلَ البصْرةِ والكوفةِ مَن كان منهم يَقْدِرُ على عشَرةِ آلافٍ فصاعِدًا ، أن يَذْهَبَ مع الجيشِ إلى الدَّيْلَمِ ، فانْتَدَب خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ لذلك .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عيسى بنُ موسى نائبُ الكوفةِ وأعْمالِها .

وفيها تُوُفِّىَ حَجَّاجُ الصَّوَّافُ[2] ، **وحُمَيْدُ** بنُ تِيرَوَيْهِ[3] الطَّويلُ ، **وسليمانُ** بنُ طَرْخانَ التَّيْمىُّ[4] ، **وعمرُو** بنُ عُبَيْدٍ فى قولٍ ، وقد ذكَرْناه فى التى قبلها ، **وليثُ** ابنُ أبى سُلَيْمٍ[5] على الصَّحيحِ ، **ويَحْيَى** بنُ سعيدٍ الأنْصارىُّ[6] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٥١٥، ٥١٦، والمنتظم ٨/ ٤٠، والكامل ٥/ ٥١٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٠، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٠٥.

(٣) فى م، ص: «رؤبة». وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٢، وتاريخ دمشق ١٥/ ٢٧٨، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٥٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١١٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٥٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٩، وتاريخ خليفة ١/ ٣٥٢، ٢/ ٦٤٥، وطبقات خليفة ١/ ٣٨٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٦٠. وتقدم ذكر وفاته فى سنة ثمان وثلاثين ومائة صفحة ٣٣٠.

(٦) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٣٥، وتاريخ دمشق ١٨/ ١١٧، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٣١.

[٨/ ٤٤ظ] ثم دَخَلَت سنةُ أربعٍ وأرْبعين ومائةٍ

فيها[١] سار محمدُ بنُ أبى العباسِ السَّفَّاحِ عن أمْرِ عمِّه المَنْصورِ إلى بلادِ الدَّيْلَمِ، ومعه الجُيوشُ مِن أهلِ الكوفةِ والبَصْرةِ وواسِطٍ والمَوْصِلِ والجَزيرةِ.

وفيها قَدِم محمدٌ المَهْدىُّ بنُ أبى جعفرٍ المَنْصورِ على أبيه مِن بلادِ خُراسانَ، ودَخَل بابنةِ عمِّه رَيْطةَ[٢] بنتِ السَّفَّاحِ بالحيرةِ.

وفيها حَجَّ بالناسِ أبو جَعفرٍ المَنْصورُ، واسْتَخْلَف على المِيرةِ[٣] والعَسْكرِ خازِمَ بنَ خُزَيْمةَ، ووَلَّى رِياحَ بنَ عثمانَ المُرِّىَّ المدينةَ، وعَزَل عنها محمدَ بنَ خالدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ.

وتَلَقَّى الناسُ أبا جعفرٍ المَنْصورَ فى أثناءِ [٤]طَريقِ مكةَ فى حَجِّه سنةَ أربعين[٤]، فكان فى جُمْلةِ مَن تَلَقَّاه عبدُ اللَّهِ بنُ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، فأجْلَسه المَنْصورُ معه على السِّماطِ، ثم جَعَل يُحادِثُه، وأقبل عليه إقبالًا زائدًا بحيث اشْتَغل بذلك عن عامَّةِ غَدائِه، وسَأَله عن ابنيه؛ إبراهيمَ ومحمدٍ: لمَ لا جاءَانى مع الناسِ؟ فحَلَف عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ أنه لا يَدْرِى أين صارا مِن أرضِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٥١٧/٧ - ٥٣٩، والمنتظم ٤٤/٨ - ٤٧، والكامل ٥١٣/٥ - ٥٢٣.

(٢) فى النسخ: «رائطة». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) فى النسخ: «الحيرة». وهو تحريف. والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل.

(٤ - ٤) فى ب: «الطريق»، وفى م: «طريق مكة فى حجه فى سنة أربع وأربعين ومائة». وقد أورد ابن جرير - وتابعه فى ذلك ابن كثير - حجَّ المنصور فى سنة أربعين ومائة فى سياق سبب عزل المنصور محمد بن خالد بن عبد اللَّه القسرى ومن قبله زياد بن عبيد اللَّه الحارثى.

اللَّهِ . وصَدَق فى ذلك ، وما ذاك إلا أن محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ كان قد بايَعه جَماعةٌ مِن أهلِ الحِجازِ فى أواخِرِ دولةِ مَرْوانَ الحِمارِ بالخِلافةِ ، وخَلَع مَرْوانَ ، وكان فى جُملةِ مَن بايَعه على ذلك أبو جعفرٍ المَنْصورُ ، وذلك قبلَ تَحْويلِ الدَّوْلةِ إلى بنى العباسِ ، فلما صارتِ الخِلافةُ إلى أبى جعفرٍ المَنْصورِ خاف محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ وأخوه إبراهيمُ منه خوفًا شديدًا ؛ وذلك لأنه تَوَهَّم منهما أن يَخْرُجا عليه ، والذى خاف منه وَقَع فيه ، ولمَّا خافاه ذَهَبا منه هَرَبًا فى البلادِ الشاسعةِ ، فصارا إلى اليمنِ ، ثم سارا إلى الهِندِ ، ثم تحولا إلى المدينةِ ، فاخْتَفَيا بها ، فدَلَّ على مكانِهما الحسنُ بنُ زيدٍ ، فهَرَبا إلى موضعٍ آخرَ ، فاسْتَدَل عليه الحسنُ بنُ زيدٍ ، فدَلَّ عليهما ثَمَّ كذلك ، وانْتَصَب أَلْبًا [1] عليهما عندَ المَنْصورِ ، والعَجَبُ أنه مِن أتْباعِهما ، واجْتَهَد المنصورُ بكلِّ طريقٍ على تَحْصيلِهما ، فلم يَتَّفِقْ له ذلك إلى الآن [1] ، فلما سَأَل أباهما عنهما حَلَف أنه لا يَدْرِى أين صارا إليه من البلادِ ثم أَلَحَّ المَنْصورُ على عبدِ اللَّهِ فى طَلَبِ ولدَيْه ، [٨/ ٤٥و] فغَضِب عبدُ اللَّهِ مِن ذلك ، وقال : واللَّهِ لو كانا تحتَ قَدَمىَّ ما دَلَلْتُك عليهما . فغَضِب المنصورُ ، وأمَر بسَجْنِه وأَمَر ببيعِ رَقيقِه وأموالِه ، ولَبِث فى السِّجْنِ ثلاثَ سنين ، وأشاروا على المَنْصورِ بحَبْسِ بنى حسنٍ عن آخرِهم فحبَسهم ، وجَدَّ فى طلبِ إبراهيمَ ومحمدٍ جدًّا ، هذا وهما يَحْضُران الحجَّ فى غالبِ السِّنينَ ، ويَكْمُنانِ فى المدينةِ فى غالبِ الأوْقاتِ ، ولا يَشْعُرُ بهما مَن يَنِمُّ عليهما ، وللَّهِ الحمدُ . والمَنْصورُ يَعْزِلُ نائبًا عن المدينةِ ، ويُوَلِّى عليها غيرَه ، ويُحَرِّضُه على إمْساكِهما والفَحْصِ عنهما ، وبَذْلِ الأمْوالِ فى طَلَبِهما ، وتُعْجِزُه المَقادِيرُ فى ذلك لِما يُرِيدُه اللَّهُ عزَّ وجلَّ .

(١ - ١) سقط من : ص .

وقد واطَأَهما على أمْرِهما أميرٌ مِن أُمراءِ المَنْصورِ يُقالُ له : أبو العَساكِرِ خالدُ ابنُ حَسَّانَ . فعَزَموا فى بعضِ الحَجَّاتِ على الفَتْكِ بأبى جعفرٍ المنصورِ بينَ الصَّفا والمَرْوَةِ ، فنَهاهم عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ لشَرَفِ البُقْعةِ . وقد اطَّلَع المَنْصورُ على ذلك ، وعَلِم بما مالأَهما ذلك الأميرُ ، فعَذَّبه حتى أقَرَّ بما كانوا تَمالَئوا عليه مِن الفَتْكِ به . فقال : وما الذى صَرَفَكم عن ذلك ؟ فقال : عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ نَهانا عن ذلك . فأمَر به الخَليفةُ فغُيِّب فى الأرضِ ، فلم يَظْهَرْ حتى الآن .

وقد اسْتَشار المَنْصورُ مَن يَعْلَمُ مِن أُمرائِه ووُزرائِه مِن ذَوِى الرأيِ فى أمْرِ ابنَىْ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، وبَعَث الجَواسِيسَ والقُصَّادَ إليهما ، فلم يَقَعْ لهما على خبرٍ ، ولا ظَهَر لهما على عينٍ ولا أثَرٍ ، واللَّهُ غالبٌ على أمْرِه .

وقد جاء محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ إلى أمِّه فقال : يا أُمَّهْ ، إنى قد شَققْتُ على أبى وعُمومتى ، ولقد هَمَمْتُ أن أَضَعَ يدىَّ فى أيدى هؤلاء لأُرِيحَ أهْلى . فذَهَبَت أُمُّه إليهم إلى السِّجْنِ ، فعَرَضَت عليهم ما قال ابنُها ، فقالوا : لا ، بل نَصْبِرُ على أمْرِه ، فلعَلَّ اللَّهَ أن يَفْتَحَ على يَدَيْه خيرًا ، ونحن نَصْبِرُ ، وفَرَجُنا بيدِ اللَّهِ . وتَمَالَئوا كلُّهم على ذلك ، رَحِمهم اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ[1] نُقِلوا مِن المدينةِ إلى حبسٍ بالعراقِ وفى أرْجلِهم القُيودُ ، وفى أعْناقِهم الأغْلالُ . وكان ابْتداءُ تَقْييدِهم مِن الرَّبَذةِ بأمْرِ أبى جعفرٍ المَنْصورِ ، وقد أشْخَص معهم محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ العُثمانىَّ ، وكان أخا عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ لأُمِّه ، وكانتِ ابنتُه تحتَ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وقد حَمَلَت قريبًا ، فاسْتَحْضَره الخَليفةُ ، فقال له : قد [٨/ ٤٥ظ] حَلَفْتَ بالعَتاقِ والطَّلاقِ إنك لم تَغُشَّنى ، وهذه

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٣٩/٧ - ٥٥١، والكامل ٥٢٣/٥ - ٥٢٧.

ابنتُك حاملٌ ! فإن كان مِن زوجِها فقد حنِثْتَ ، وإن كان مِن غيرِه فأنت دَيُّوثٌ . فأجابه العُثْمانىُّ بجوابٍ أَحْفَظَه به ، فأمَر به فجُرِّدَت عنه ثِيابُه ، فإذا جسمُه كأنه الفِضةُ النَّقيةُ ، ثم ضُرِبَ بين يَدَيِ الخليفةِ مائةً وخمسين سَوْطًا ، منها ثلاثون فوقَ رأسِه ، أَصابَ أحدُها عينَه فسالَتْ ، ثم رَدَّه إلى السجنِ وقد بَقِىَ كأنه عبدٌ أسْودُ مِن زُرْقةِ الضَّرْبِ ، وتَراكُمِ الدِّماءِ فوقَ جلدِه ، فأُجْلِس إلى جانبِ أخيه لأُمِّه عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، فاسْتَسْقَى فما جَسَر أحدٌ أن يَسْقِيَه حتى سَقاه خُراسانىٌّ مِن جُملةِ الجَلاوِزةِ المُوَكَّلِين بهم ، ثم رَكِب الخليفةُ فى هَوْدجِه ، وأَرْكَبوا أولئك فى مَحامِلَ ضَيِّقةٍ ، وعليهم القُيودُ والأغْلالُ ، فاجْتاز بهم المَنْصورُ وهو فى هَوْدَجِه ، فناداه عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ : واللَّهِ يا أبا جعفرٍ ما هكذا صَنَعْنا بأَسْراكم يومَ بدرٍ . فأخْسَأه المَنْصورُ ، وتَفَلَ عليه ، ونَفَر عنهم . ولما انْتَهَوا إلى العراقِ حُبِسوا بالهاشميَّةِ ، وكان فيهم محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ حسنٍ ، وكان جَميلًا يَذْهَبُ الناسُ ليَنْظُروا إليه من حُسْنِه ، وكان يُقالُ له : الدِّيباجُ الأَصْفَرُ . فأحْضَره المَنْصورُ بينَ يديه ، وقال له : أَمَا واللَّهِ لأَقْتُلَنَّك قِتْلةً ما [1]قُتِلها أحدٌ[1] . ثم أَلْقاه بين أُسْطُوانَتَيْن ، وسَدَّ عليه حتى مات[2] . وقد هَلَك كثيرٌ منهم فى السجنِ حتى فُرِّج عنهم فيما بعدُ على ما سنَذْكُرُه .

فكان فيمَن هَلَك فى السجنِ عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ ، وقد قيل وهو الأَظْهَرُ : إنه قُتِل صَبْرًا . وأخوه إبراهيمُ بنُ حسنٍ ، وقَلَّ مَن خَرَج منهم مِن الحبسِ ، وقد كانوا فى سجنٍ لا يَسْمَعون فيه التأذينَ ، ولا يَعْرِفون وَقْتَ الصَلاةِ إلا بالتِّلاوةِ ، ثم

(١ - ١) فى م ، وتاريخ الطبرى ، والكامل : « قتلتها أحدا » .

(٢) المذكور فى تاريخ الطبرى أنه أُدْخل فى أسطوانة فبُنى عليه وهو حىٌّ .

بَعَث أهلُ خُراسانَ يَشْفَعون فى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ العُثْمانىِّ ، فأَمَر به ، فضُرِبَت عُنُقُه ، وأرْسَل برأسِه إلى أهلِ خُراسانَ[1] .

وهو[2] **محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عُثمانَ بنِ عفَّانَ الأُمويُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المَدَنىُّ** المَعْروفُ بالدِّيباجِ ، لحُسْنِ وَجْهِه ، وأمُّه فاطمةُ بنتُ الحسينِ ابنِ علىٍّ ، رَوَى الحديثَ عن أبيه وأُمِّه وخارجةَ بنِ زيدٍ وطاوُسٍ وأبى الزِّنادِ والزُّهْرىِّ ونافعٍ وغيرِهم ، وحَدَّث عنه جَماعةٌ ، ووَثَّقه [٨/ ٤٦و] النَّسائىُّ وابنُ حِبَّانَ ، وكان أخا عبدِ اللَّهِ بنِ حسنِ بنِ حسنٍ لأُمِّه ، وكانتِ ابنتُه رُقَيَّةُ زوجةَ ابنِ أخيه إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وبسببِها قَتَله أبو جعفرٍ المَنْصورُ فى هذه السنةِ . وكان كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا .

قال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[3] : أنْشَدنى سليمانُ بنُ عيَّاشٍ[4] السَّعْدىُّ لأبى وجْزَةَ السَّعْدىِّ يَمْدحُه :

وجَدْنا المَحْضَ الأَبْيضَ مِن قريشٍ ... فَتًى بينَ الخَليفةِ والرَّسولِ
أتاك المَجْدُ مِن [5]هَنَّا وهَنَّا[5] ... وكنتَ له بمُعْتَلَجِ السُّيولِ

---

(١) المذكور فى تاريخ الطبرى والكامل أن أبا عون كتب إلى أمير المؤمنين أن أهل خراسان قد تقاعسوا عنه ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد اللَّه بن حسن ، فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد اللَّه بن عمرو ، فضربت عنقه ، وأرسل برأسه إلى خراسان ، وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد اللَّه ، وأن أمه فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ ؛ إيهامًا للناس أنه رأس محمد بن عبد اللَّه بن حسن .

(٢) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٦٠، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٨٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٤، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥١٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٧٣.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٧، من طريق الزبير بن بكار به .

(٤) فى النسخ : « عباس » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٢١.

(٥ - ٥) فى الأصل : « هذا وهذا » ، وهَنَّا بمعنى هُنَا . انظر اللسان (هـ ن ن) .

فما للمَجْدِ دونَك مِن مَبيتٍ وما للمجدِ دونَك مِن مَقِيلِ
ولا مُمْضًى وراءَك تَبْتَغِيه وما هو قابلٌ بك مِن بَديلِ

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ وأرْبعين ومائةٍ

فمِمَّا كان فيها مِن الأحْداثِ[1] مَخْرَجُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ بالمدينةِ وأخيه إبراهيمَ بالبَصْرةِ، على ما سنُبَيِّنُه، إن شاء اللَّهُ تعالى.

أمَّا محمدٌ فإنه خَرَج على إثْرِ ذَهابِ أبى جعفرٍ المَنْصورِ يبَنى حسنٍ مِن المدينةِ إلى العراقِ على الصِّفةِ والنَّعْتِ الذى تَقَدَّم ذِكْرُه، وسَجَنهم فى مكانٍ ساء مُسْتَقَرًّا ومُقامًا، لا يَسْمَعون فيه التأذينَ ولا يَعْرِفون دُخولَ أوْقاتِ الصَلواتِ إلا بالأذْكارِ والتِّلاواتِ. وقد مات أكثرُ أكابرِهم هنالك، رَحِمهم اللَّهُ. هذا كلُّه ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ مُخْتَفٍ بالمدينةِ، حتى إنَّه فى بعضِ الأحْيانِ اخْتَفَى فى بئرٍ؛ نَزَل فيها فلم يَبْقَ منه سوى رأسِه، وباقيه مَغْمورٌ بالماءِ، وقد تَواعَد هو وأخوه وَقْتًا مُعَيَّنًا يَظْهَران فيه، هذا بالمدينةِ وإبراهيمُ بالبَصْرةِ، ولم يَزَلِ الناسُ من أهلِ المدينةِ يُؤَنِّبون محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ فى اخْتِفائِه وعدمِ ظُهورِه حتى عَزَم على الخُروجِ، وذلك لِما أَضَرَّ به شِدَّةُ الاخْتِفاءِ مِن كثرةِ إلْحاحِ رِياحٍ نائبِ المدينةِ فى طَلَبِه ليلًا ونَهارًا، فلما اشْتَدَّ الأمْرُ وضاق الحالُ، واعَد محمدٌ أصْحابَه على الظُّهورِ فى الليلةِ الفُلانيةِ، فلمَّا كانتْ تلك الليلةُ جاء بعضُ الوُشاةِ إلى مُتَوَلِّى المدينةِ، فأعْلَمه بذلك، فضاق ذَرْعًا بذلك وانْزَعج انْزِعاجًا شديدًا، ورَكِب فى جَحافلَ، فطاف بالمدينةِ وحولَها ليستعْلِمَ مكانَ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٥٢/٧ - ٥٧١، والكامل ٥٢٩/٥ - ٥٤١.

فأعْيَاه ذلك ، وقد مرَّ فى رُجوعِه على دارِ مَرْوانَ وهم بها مُجتَمِعون[1] ، فلم يَشْعُرْ بهم ، فلما رَجَع إلى مَنْزِله بَعَث إلى بنى حسينِ بنِ علىٍّ ، فجمَعَهم ومعهم رُءوسٌ مِن ساداتِ قريشٍ وغيرِهم ، [٨/٤٦ظ] فوَعَظَهم وأَنَّبَهم ، وقال : يا مَعْشَرَ أهلِ المدينةِ ، أميرُ المؤمنين يَتَطَلَّبُ هذا الرجلَ فى المَشارِقِ والمَغارِبِ ، وهو بينَ أظْهُرِكم ، ثم ما كَفاكم كِتْمانُه حتى بايَعْتُموه على السمعِ والطاعةِ ؟! واللَّهِ لا يَبْلُغُنى عن أحدٍ منكم أنه خَرَج معه إلا ضَرَبْتُ عنقَه . فأنْكَر الذين هم هنالك أن يَكونَ عندَهم علمٌ أو شعورٌ بشىءٍ مما وقَع مما يقولُه ، وقالوا : نحن نَأْتِيك برجالٍ مُتَسلِّحين يُقاتِلون دونَك إن وَقَع شىءٌ مِن ذلك . ونَهَضوا فجاءوه بَجماعةٍ مُتَسَلِّحين ، فاسْتَأْذَنوه فى دُخولِهم عليه ، فقال : لا إذْنَ لهم ، إنى أَخْشَى أن يَكونَ ذلك خَديعةً . فجَلَس أولئك على البابِ ، ومَكَث الناسُ جُلوسًا حولَ الأميرِ وهو واجِمٌ لا يَتَكَلَّمُ إلا قليلًا ، حتى ذَهَبت طائفةٌ مِن الليلِ ، ثم ما فُجِئَ الناسُ إلا وأصحابُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ قد ظَهَروا وأعْلَنوا بالتَّكْبيرِ ، فانْزَعج الناسُ فى جَوْفِ الليلِ ، وأشار بعضُ الحاضرين على الأميرِ بضربِ أعْناقِ بنى الحسينِ ، فقال أحدُهم : عَلامَ ونحن مُقِرُّون بالسمعِ والطاعةِ ؟! واشْتَغل الأميرُ عنهم بما فَجَأه مِن الأمْرِ ، فاغْتَنموا الغَفْلةَ ، ونَهَضوا سِراعًا فتَسَوَّروا جِدارَ الدارِ ، وألْقَوْا أنْفُسَهم على كُناسةٍ هنالك .

وأقْبَل محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ فى مائتَيْن وخمسين فارسًا ، فأقبل بمن معه ، فمَرَّ بالسِّجْنِ فأخْرَج مَن فيه ، وجاء دارَ الإمارةِ ، فحاصَرها فافْتَتَحها ، وأمْسَكَ على رياحِ بنِ عثمانَ نائبِ المدينةِ ، فسَجَنه فى دارِ مَرْوانَ ، وسَجَن معه

---

(١) الذى فى تاريخ الطبرى والكامل أن اجتماعهم كان بدار لجهينة ، وأما دار مروان فهى دار رجع إليها رياح بعدما مر عليهم ولم يشعر بهم .

ابنَ مسلمِ بنِ عُقْبةَ ، وهو الذى أشار بقتلِ بنى حسينٍ فى أولِ هذه الليلةِ ، فنَجَوْا وأُحِيط به ، فأصْبَح محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ وقد اسْتَظْهَر على المدينةِ ، ودان له أهلُها ، فصَلَّى بالناسِ الصُّبْحَ ، وقَرَأ فيها : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] . وأسْفَرتْ هذه الليلةُ عن مُسْتَهَلِّ رجبٍ مِن هذه السنةِ . وقد خَطَب محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ أهلَ المدينةِ فى هذا اليومِ ، فتَكَلَّم فى بنى العباسِ ، وذَكَر عنهم أشياءَ ذَمَّهم بها ، وأخْبَرَ أنه لم يَنْزِلْ بلدًا مِن البلدانِ إلا وقد دخَلَها ، وأنهم قد بايَعوه على السَّمْعِ والطاعةِ ، فبايَعه أهلُ المدينةِ كلُّهم إلا القَليلَ .

وقد رَوَى ابنُ جَريرٍ[1] عن الإمامِ مالكٍ أنه أفْتَى بمُبايعتِه ، فقيل له : إنَّ فى أعْناقِنا بَيْعةَ المنصورِ . فقال : إنما كنتُم مُكْرَهِين وليس لمُكْرَهٍ بَيْعةٌ . [٨/ ٤٧و] فبايَعه الناسُ عندَ ذلك عن قولِ مالكٍ ، ولَزِم مالكٌ بيتَه .

وقد قال له إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ حينَ دَعاه إلى بَيْعتِه : يا بنَ أخى ، إنك مَقْتولٌ . فارْتَدَع بعضُ الناسِ عنه ، واسْتَمَرَّ جُمْهورُهم معه ، فاسْتَناب عليهم عثمانَ بنَ محمدِ بنِ خالدِ بنِ الزبيرِ ، وعلى قَضائِها عبدَ العزيزِ بنَ المُطَّلِبِ بنِ عبدِ اللَّهِ [2] المَخْزوميَّ ، وعلى شُرْطتِها عثمانَ بنَ [3] عُبيدِ اللَّهِ [3] [2] بنِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ ، وعلى دِيوانِ العَطاءِ عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرِ بنِ [4] عبدِ الرحمنِ [4] بنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ .

وتَلَقَّب بالمَهْدىِّ ؛ طَمعًا أن يَكونَ هو الموعودَ به فى الأحاديثِ التى سَنوردُها

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٦٠.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « عبد اللَّه » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٥٣.

(٤ - ٤) فى النسخ « عبد اللَّه » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٧٢.

فى الفِتنِ والملاحمِ ، فلم يَكُنْ إيَّاه ، ولا تَمَّ له ما تَمَنَّاه .

وقد ارْتَحَل بعضُ أهلِ المدينةِ ليلةَ دَخَلها ابنُ حسنٍ ، فطَوَى المَراحِلَ البَعيدةَ إلى المَنْصورِ فى سبعِ ليالٍ[1] ، فوَرَد عليه ، فوَجَده نائمًا فى الليلِ ، فقال للربيعِ الحاجبِ : اسْتَأْذِنْ لى على الخليفةِ . فقال : إنه لا يُوقَظُ هذه الساعةَ . فقال : إنه لابدَّ مِن ذلك . فأخْبَر الخَليفةَ ، فخرَج فقال : ويحَك ! ما وراءَك ؟ فقال : إنه خَرَج ابنُ حسنٍ بالمدينةِ . فلم يُظْهِرْ لذلك اكْتِراثًا ولا انْزِعاجًا ، بل قال : أنت رأيْتَه ؟ قال : نعم . فقال : هَلَك واللَّهِ ، وأهْلَك مَن اتَّبعه . ثم أَمَر بالرجلِ فسُجِن ، ثم جاءَت الأخْبارُ بذلك وتَواتَرَت ، فأطْلَقه المَنْصورُ ، وأطْلَق له عن كلِّ ليلةٍ ألفَ درهمٍ ، فأعْطاه سبعةَ[2] آلافِ درهمٍ .

ولما تَحَقَّق المَنْصورُ الأمْرَ مِن خُروجِه ضاق ذَرْعًا بذلك ، فقال له بعضُ المُنَجِّمِين : يا أميرَ المؤمنين ، لا عليك منه ، فواللَّهِ لو مَلَك الأرضَ بحَذافِيرِها فإنه لا يُقِيمُ أكثرَ مِن سبعين[3] يومًا .

ثم أَمَر الخليفةُ جميعَ رُءوسِ الأُمَراءِ أن يَذْهَبوا إلى السِّجْنِ ، فيَجْتَمِعوا بعبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ[4] ، فيُخْبِروه بما وَقَع وبخُروجِ محمدٍ[5] ، ويَسْمَعوا ما يَقولُ لهم ، فلما دَخَلوا عليه أخْبَروه بذلك فقال : ما تَرَوْن ابنَ سلامةَ فاعلًا ؟ - يعنى المَنْصورَ - قالوا : لا نَدْرِى . قال : واللَّهِ لقد قَتَل صاحبَكم البُخْلُ ، يَنْبَغى له أن يُنْفِقَ الأمْوالَ ، ويَسْتَخْدِمَ الرجالَ ، فإن ظَهَر فاسْتِرْجاعُ ما أَنْفَق من الأموالِ عليه سهلٌ ،

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « تسعا » ، وفى الكامل : « تسعة أيام » .
(٢) فى تاريخ الطبرى والكامل : « تسعة » .
(٣) فى تاريخ الطبرى والكامل : « تسعين » .
(٤) فى النسخ : « حسن والد محمد » . وهو خطأ بين . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .
(٥) فى النسخ : « ولده » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .

وإلا لم يَكُنْ لصاحبِكم شيءٌ فى الخَزائنِ ، فرَجَعوا إلى الخليفةِ ، فأخْبَروه بذلك .

وأشار الناسُ على الخَليفةِ بمُناجَزتِه ، واسْتَدْعى عيسى بنَ موسى ، فنَدَبه إلى ذلك ، ثم قال : إنى سأَكْتُبُ إليه كتابًا أُنْذِرُه به [٨/ ٤٧ظ] قبلَ قِتالِه . فكَتَب إليه :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ اللَّهِ أميرِ المؤمنين ، إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة : ٣٣، ٣٤] . ثم قال : فلك عهدُ اللَّهِ وميثاقُه وذمَّتُه وذِمَّةُ رسولِه ، لئن أَقْلَعْتَ ورَجَعْتَ إلى الطاعةِ لأُؤَمِّنَنَّك ومَن اتَّبعك ، ولأُعْطِيَنَّك ألفَ ألفِ درهمٍ ، ولأَدَعَنَّك تُقيمُ فى أحَبِّ البلادِ إليك ، ولأَقْضِيَنَّ جميعَ حوائجِك . فى كلامٍ طَويلٍ . فكَتَب إليه محمدٌ :

مِن عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ : ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ١- ٥] . ثم قال : وإنى أَعْرِضُ عليك مِن الأمانِ مثلَ ما عَرَضْتَ علىَّ ، فأنا أَحَقُّ بهذا الأمرِ منكم ، وأنتم إنما وَصَلْتُم إليه بنا ، فإن عليًّا كان الوَصِىَّ ، وكان الإمامَ ، فكيف وَرِثْتُم وِلايتَه وولدُه أحياءٌ ؟! ونحن أشْرَفُ أهلِ الأرضِ نَسَبًا ، فرسولُ اللَّهِ ﷺ

خيرُ الناسِ ، وهو جَدُّنا ، وجَدَّتُنا خَديجةُ ، وهى أفْضَلُ زَوْجاتِه ، وفاطمةُ أمُّنا ، وهى أكْرَمُ بناتِه ، وإن هاشمًا وَلَد عليًّا مرتين[1] ، وإن حسنًا وَلَدَه عبدُ المطلبِ مرتين[2] ، وهو وأخوه سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ ، وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ وَلَدَنى مرتين[3] ، فإنى أوْسَطُ بنى هاشمٍ نَسَبًا ، وأصْرَحُهم نسبًا ، فأنا ابنُ أرْفَعِ الناسِ دَرَجةً فى الجنةِ ، وأَخَفِّهم عَذابًا فى النارِ[4] ، فأنا أوْلى بالأمْرِ منك ، وأوْفى بالعَهْدِ ، فإنك أعطيتَ ابنَ هُبَيْرةَ العَهْدَ ونَكَثْتَه ، وكذلك بعمِّك عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ ، وبأبى مسلمٍ الخُراسانىِّ .

فكَتَب إليه أبو جَعْفرٍ جَوابَ ذلك فى كتابٍ طويلٍ ، حاصِلُه : أمَّا بعدُ ، فقد بلَغَنى كلامُك ، وقَرَأْتُ كتابَك ، فإذا جُلُّ فَخْرِك بقَرابةِ النِّساءِ لِتُضِلَّ به الجُفاةَ والغَوْغاءَ ، ولم يَجْعَلِ اللَّهُ النِّساءَ كالعُمومةِ والآباءِ ، ولا كالعَصَبةِ والأوْلياءِ ، وقد أنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . وكان له حينئذٍ أربعةُ أعْمامٍ ، فاسْتَجاب له اثنان أحدُهما أبى ، وكَفَر اثنان أحدُهما أبوك فقَطَع اللَّهُ [٨/٤٨و] وِلايتَهما منه ، ولم يَجْعَلْ بينَهما إلَّا ولا ذِمَّةً ، وقد أنْزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فى عدمِ إسْلامِ أبى طالبٍ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [سورة القصص : ٥٦] . وقد فَخَرْتَ به ؛ لأنه أَخَفُّ أهلِ النارِ عَذابًا ، وليس فى الشَّرِّ خِيارٌ ، ولا يَنْبَغى لمؤمنٍ الفخرُ بأهلِ النارِ ، وفَخَرْتَ بأن عليًّا وَلَده هاشمٌ مرتين ، وأن حَسَنًا ولَده عبدُ المطلبِ مَرَّتين ، فهذا رسولُ اللَّهِ ﷺ خيرُ الأوَّلينَ والآخرين ، إنما

---

(١) يعنى أن عليًا منسوب إلى هاشم من طريق أبيه وأمه ؛ فأبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم .

(٢) يعنى أن الحسن بن على منسوب إلى عبد المطلب من طريق الأب والأم ، فأبوه على بن أبى طالب بن عبد المطلب ، وأمه فاطمة بنت محمد ﷺ بن عبد اللَّه بن عبد المطلب .

(٣) يريد أن نسبه من ناحية أبيه عبد اللَّه يصل إلى النبى ﷺ بنفس الطريقة ، فجده هو حسن بن الحسن ابن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ ، وجدته فاطمة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ .

(٤) يعنى جده أبا طالب لحديث رسول اللّه ﷺ : « أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » . مسلم ٣٦٢/ ٢١٢.

وَلَده عبدُ المطلبِ وهاشمٌ مرةً واحدةً ، وقولُك : إنك لم تَلِدْك أُمَّهاتُ الأوْلادِ . فهذا إبراهيمُ ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مارِيَةَ ، وهو خيرٌ منك ، (١) وعليُّ بنُ الحسينِ مِن أمِّ ولدٍ ، وهـو خيرٌ منك ، وكذلك ابنُه محمدُ بنُ عليٍّ ، وابنُه جعفرُ بنُ محمدٍ جدَّتُهما أُمُّ وَلدٍ ، وهما خيرٌ منك (١) ، وأمَّا قولُك : إنكم بنو رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٠] . وقد جاءَتِ السنّةُ التى لا خِلافَ فيها بينَ المسلمين أنَّ الجدَّ أبا الأمِّ والخالَ والخالةَ لا يُوَرَّثون ، ولم يَكُنْ لفاطمةَ مِيراثٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنصِّ الحديثِ ، وقد مَرِض رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبوك حاضرٌ ، فلم يَأمُرْه بالصَّلاةِ بالناسِ ، بل أمَر غيرَه ، ولما تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لم يَعْدِلِ الناسُ بأبى بكرٍ ثم عمرَ ؛ ثم قَدَّموا عليه عثمانَ فى الشُّورَى ؛ ثم ولَّوه بعدَ مَقْتلِ عثمانَ ، واتَّهَمه بعضُهم به ، وقاتَله طَلْحةُ والزبيرُ ، وامْتَنع سعدٌ مِن مُبايَعتِه ، ثم بايع بعدَ ذلك مُعاويةَ ، ثم طَلَبها أبوك ، وقاتَل عليها الرجالَ ، ثم اتَّفَق على التَّحْكيمِ ، فلم يَفِ به ، ثم صارتْ إلى الحسنِ فباعها بخِرَقٍ ودَراهمَ ، وأقام بالحِجازِ يَأْخُذُ مالًا مِن غيرِ حِلِّه ، وسَلَّم الأمْرَ إلى غيرِ أهلِه ، وتَرَك شِيعتَه فى أيدى مُعاويةَ ، فإن كانتْ لكم فقد تَرَكْتُموها وبِعْتُموها بثمنِها ، ثم خَرَج عمُّك حسينٌ على ابنِ مَرْجانةَ ، فكان الناسُ معه عليه حتى قَتَلوه ، وأَتَوْا برأسِه إليه ، ثم خَرَجْتُم على بنى أُميةَ ، فقَتَلوكم وصَلَبوكم على جُذوعِ النَّخْلِ ، وحَرَّقوكم بالنيرانِ وحَمَلوا نِساءَكم على الإبلِ كالسَّبايا إلى الشامِ ، حتى خَرَجْنا عليهم ، فأخَذْنا بثَأْرِكم ، وأدْرَكْنا بدِمائِكم ، وأوْرَثْناكم أرْضَهم ودِيارَهم ، وذَكَرْنا فَضْلَ سَلَفِكم ، فجعَلْتَ ذلك حُجَّةً علينا ، وظَنَنْتَ أنَّا إنما ذَكَرْنا فضلَه تَقْدِمَةً مِنّا له على حَمْزةَ والعباسِ وجعفرٍ ، وليس الأمْرُ

(١ - ١) سقط من : ص .

كما زَعَمْتَ ، فإن هؤلاء مَضَوْا ، ولم يَدْخُلوا [٨/٤٨ظ] فى الفِتَنِ ، وسَلِموا مِن الدنيا ، وابْتُلِىَ بذلك أبوك ، وكانتْ بنو أُمية تَلْعَنُه كما تَلْعَنُ الكَفَرَةَ فى الصَّلواتِ المَكْتوباتِ ، فذَكَرْنا فضلَه ، وعَنَّفْناهم بما نالوا منه ، وقد عَلِمْتَ أن مَكْرُمَتَنا فى الجاهليةِ سِقايةُ الحَجِيجِ الأعْظمِ ، وخِدْمةُ زَمْزَمَ ، وحكَم لنا بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الإسلامِ . ولما قَحَط الناسُ زمنَ عمرَ اسْتَسْقَى بأبينا العباسِ ، وتَوَسَّل به إلى ربِّه وأبوك حاضرٌ ، وقد عَلِمْتَ أنه لم يَبْقَ أحدٌ مِن بنى عبدِ المطلبِ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا العباسُ ، فالسِّقايةُ سِقايتُه ، والوِراثةُ وِراثتُه ، والخِلافةُ فى ولدِه ، فلم يَبْقَ شَرَفٌ فى الجاهليةِ والإسْلامِ فى الدنيا والآخرةِ إلا والعباسُ وارِثُه ومُورِثُه .

فى كلامٍ طويلٍ فيه بحثٌ ومُناظَرةٌ وفَصاحةٌ وبلاغةٌ . وقد اسْتَقْصاه ابنُ جَريرٍ بطولِه .

فصلٌ فى ذِكرِ مَقْتَلِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ

بَعَث محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ فى غُبونِ ذلك رسلًا[(١)] إلى أهلِ الشامِ يَدْعُونهم إلى بَيْعتِه وخِلافتِه ، فأَبَوْا قَبولَ ذلك منه ، وقالوا : قد ضَجِرْنا مِن الحُروبِ ، ومَلَلْنا مِن القتالِ . [(٢)]ولم يَكْتَرِثوا بأصحابِه ، فرجَعوا إليه بعدَ ما خافوا على أنفسِهم[(٢)] ، وجَعَل يَسْتَمِيلُ رُءوسَ أهلِ المدينةِ ، فمنهم مَن أجابه ، ومنهم مَن امْتَنَع عليه ، وقد قال له بعضُهم : كيف أُبايِعُك وقد ظَهَرْتَ فى بلدٍ ليس فيه مالٌ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/٥٧٢ - ٥٩٧، والمنتظم ٨/٦٦، ٦٧، والكامل ٥/٥٤٢- ٥٥٠.
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

تَسْتَعِينُ به على اسْتِخْدامِ الرجالِ ؟! ولَزِم مَنْزِلَه ، فلم يَخْرُجْ حتى قُتِل محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ . وبَعَث محمدٌ الحسنَ[1] بنَ مُعاويةَ فى سبعين رَجُلًا ونحْوًا من عشَرةِ فَوارِسَ[2] واستنابه على مكةَ إن هو دَخَلَها ، فساروا إليها ، فلما بَلَغ أهلَها قدومُهم خَرَجوا إليهم فى أُلوفٍ مِن المُقاتِلةِ ، فقال لهم الحسنُ بنُ مُعاويةَ : علامَ تُقاتِلون وقد مات أبو جعفرٍ المنصورُ ؟ فقال السَّرِىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ زعيمُ أهلِ مكةَ : إن بُرُدَه جاءَتْنا مِن أربعِ ليالٍ ، وقد أرْسَلْتُ إليه ، فأنا أَنْتَظِرُ جَوابَه إلى أربعٍ ، فإن كان ما تَقولون حقًّا سَلَّمْتُكم البلدَ ، وعلىَّ مُؤْنةُ رِجالِكم وخَيْلِكم . فامْتَنَع الحسنُ ابنُ مُعاويةَ مِن الانْتِظارِ وأَبَى إلا المُناجَزةَ ، وحَلَف لا يَبِيتُ الليلةَ إلا بمكةَ ، إلا أن يَموتَ . وأرْسَل إلى السَّرِىِّ أنِ ابْرُزْ مِن الحَرَمِ إلى الحِلِّ حتى لا تُراقَ الدِّماءُ فى الحَرَمِ . فلم يَخْرُجْ ، فتَقَدَّموا إليهم فصافُّوهم ، فحمَل عليهم الحسنُ وأصحابُه حَمْلةَ رجلٍ واحدٍ ، فهَزَموهم وقَتَلوا منهم نحوَ [٨/ ٤٩و] سبعةٍ ، ودَخَلوا مكةَ ، فلمَّا أصْبَحوا خَطَب الحسنُ بنُ مُعاويةَ الناسَ ، وعزَّاهم[3] فى أبى جعفرٍ ، ودَعا لمحمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ الملقَّبِ بالمَهْدىِّ .

خُروجُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ[4]

وظَهَر بالبَصْرةِ[5] أيضًا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، وجاء البَريدُ إلى أخيه

---

(١) هنا وفيما يأتى فى م : « الحسين » .

(٢) فى تاريخ الطبرى أن الحسن كان معه سبعون رجلًا وسبعة من الخيل . ولم يذكر المصدران الآخران هذا التفصيل .

(٣) فى ب : « أعراهم » ، وفى م : « أغراهم » .

(٤) كذا ذكَر المصنف هنا - فى سياق مقتل محمد بن عبد اللَّه بن حسن - خروج أخيه إبراهيم مختصرا ، وستأتى قصة خروج ومقتل إبراهيم فى صفحة ٣٧٢ .

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٧٦.

محمدٍ بذلك ، فانتهى إليه ليلًا ، فاسْتُؤْذِن له عليه وهو بدارِ مَرْوانَ ، فطَرَق بابَها ، فقال : اللهم إنى أَعُوذُ بك مِن شَرِّ طَوارِقِ الليلِ[1] إلا طارقًا يَطْرُقُ بخيرٍ[2] . ثم خَرَج [3]فأخْبَره عن أخيه بذلك ، فاسْتَبْشَر[3] جدًّا ، [4]وفَرِح بذلك[4] كثيرًا ، وكان يَقولُ للناسِ بعدَ صَلاتَيِ الصبحِ والمغربِ : ادْعُوا اللَّهَ لإخْوانِكم أهلِ البَصْرةِ ، وللحسنِ بنِ مُعاويةَ بمكةَ ، واسْتَنْصِروه على أعْدائِكم .

وأما أبو جعفرٍ ، فإنه جَهَّز الجيوشَ إلى محمدٍ صُحْبةَ عيسى بنِ موسى أربعةَ[5] آلافِ فارسٍ مِن الشُّجْعانِ المُنْتَخَبِين ، منهم ؛ محمدُ بنُ أبى العباسِ السَّفَّاحِ ، وحُمَيْدُ بنُ قَحْطَبَةَ ، وجَعْفرُ بنُ حَنْظَلةَ البَهْرانىُّ ، وكان المَنصورُ قد اسْتَشاره فيه[6] فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ادْعُ مَن شئتَ ممَّن تَثِقُ به مِن مَواليك ، فينزلُ وادى القُرَى فيمنعُه مِيرةَ الشامِ ، فيَموتُ هو ومَن معه جُوعًا ، فإنه ببلدٍ ليس فيه مالٌ ولا رجالٌ ولا كُراعٌ ولا سِلاحٌ . وقَدَّم بينَ يديه كثيِّرَ بنَ الحُصَيْنِ العَبْدىَّ ، وقد قال أبو جعفرٍ المَنْصورُ لعيسى بنِ موسى حينَ وَدَّعه : يا عيسى ، إنى أَبْعَثُك إلى ما بين جَنْبَىَّ هذين ، فإن ظَفِرْتَ بالرجلِ ، فشِمْ سيفَك ، ونادِ فى الناسِ بالأمانِ ، وإن تَغَيَّب فضَمِّنْهم إياه حتى يَأْتوك به ، فإنهم أعْلَمُ بمَذاهِبِه . وكَتَب معه كُتُبًا إلى رُؤساءِ قُريشٍ والأنْصارِ مِن أهلِ المدينةِ يَدْفَعُها إليهم خِفْيةً ، يَدْعوهم إلى الرُّجوعِ إلى الطاعةِ ، فلما اقْتَرَب

---

(١) بعده فى الأصل ، ب ، م : « والنهار » .

(٢) بعده فى ب ، م : « يا رحمن » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « فأخبر أصحابه عن أخيه فاستبشروا » .

(٤ - ٤) فى ب : « وفرح » ، وفى م : « وفرحوا » .

(٥) فى ب ، م : « عشرة » .

(٦) أى كان المنصور قد استشار جعفرًا البهرانى فى شأن محمد بن عبد اللّه بن حسن .

عيسى بنُ موسى مِن المدينةِ بعَثها مع رجلٍ ، فأخَذَه حَرَسُ محمدٍ فوَجَدوا معه تلك الكتبَ ، فدَفَعوها إلى محمدٍ فاسْتَحْضَر جَماعةً مِن أولئك ، فعاقَبَهم ضرْبًا شَديدًا ، وقُيودًا ثِقالًا ، وأوْدَعهم السِّجْنَ ، ثم إن محمدًا اسْتَشار أصحابَه فى المُقامِ بالمدينةِ حتى يَأْتىَ عيسى بنُ موسى ، فيُحاصِرَهم بها ، أو أن يَخْرُجَ بمَن معه فيُقاتِلَ أهلَ العراقِ ، فمنهم مَن أشار بهذا ، ومنهم مَن أشار بذاك ، ثم اتَّفَق الرأىُ على المُقامِ [٨/ ٤٩ظ] بالمدينةِ - لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ تَأَسَّف يومَ أُحدٍ على الخُروجِ منها - وعلى حَفْرِ خَنْدَقٍ حول المدينةِ ، كما فَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأحْزابِ ، فأجاب إلى ذلك كلِّه ، وحَفَر مع الناسِ فى الخَنْدَقِ بيدِه اقْتِداءً برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد ظَهَرت لهم لَبِنةٌ مِن الخَنْدقِ الذى كان حَفَره رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ففَرِحوا بذلك واستبْشَروا وكَبَّروا وبَشَّروه بالنَّصْرِ . وكان محمدٌ حاضِرًا عليه قَباءٌ أبْيضُ ، وفى وَسَطِه مِنْطَقةٌ ، وكان شَكِلًا[1] ضَخْمًا ، أسْمَرَ عَظيمَ الهامةِ .

ولما نَزَل عيسى بنُ موسى الأعْوصَ[2] ، واقْتَرَب مِن المدينةِ ، صَعِد محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ المِنْبرَ ، فخطَب الناسَ ، وحَثَّهم على الجِهادِ ونَدَبَهم إليه - وكانوا قريبًا مِن مائةِ ألفٍ - فقال لهم فى جُملةِ ما قال : إنى جَعَلْتُكم فى حِلٍّ مِن بَيْعتى ، فمَن أحَبَّ أن يُقِيمَ عليها فلْيفعلْ ، ومَن أحَبَّ أن يَتْرُكَها فلْيفعلْ . فتَسَلَّل كثيرٌ منهم أو أكثرُهم ، ولم يَبْقَ معه إلا شِرْذِمةٌ مِن الناسِ ، وخَرَج أكثرُ أهلِ المدينةِ

---

(١) الشكِل : صاحب الهيئة والشَّكْل الحسَن . انظر تاج العروس (ش ك ل) .
(٢) الأعوص : موضع قرب المدينة . انظر معجم البلدان ١/ ٣١٧.

بأهْلِيهم منها لئلا يَشْهَدوا القِتالَ بها ، فنَزَلوا الأعْراضَ[1] ورُءوسَ الجبالِ ، وقد بَعَث محمدٌ أبا القَلَمَّسِ[2] ليَرُدَّهم عن الخُروجِ ، فلم يُمْكِنْه ذلك فى أكْثرِهم ، واسْتَمَرُّوا ذاهبِين . وقد قال محمدٌ لرجلٍ : أتَأْخُذُ سيفًا ورُمْحًا وتَرُدُّ هؤلاء الذين خَرَجوا مِن المدينةِ[3] ؟ فقال : نعم ، إن أعْطَيْتَنى رُمْحًا أَطْعُنُهم به وهم بالأعْراضِ ، وسيفًا أَضْرِبُهم به وهم فى رُءوسِ الجِبالِ فَعَلْتُ . فسَكَت محمدٌ ، ثم قال : ويحك ! إنَّ أهلَ الشامِ والعراقِ وخُراسانَ قد بَيَّضوا - يعنى لَبِسوا البَياضَ - مُوافَقةً لى وخَلَعوا السَّوادَ . فقال : وما يَنْفَعُنى أن لو بَقِيَتِ الدنيا زُبْدةً بَيْضاءَ وأنا فى مثلِ صُوفةِ الدَّواةِ ، وهذا عيسى بنُ موسى نازلٌ بالأَعْوصِ[4] ؟! ثم جاء عيسى بنُ موسى ، فنَزَل بجيشِه قريبًا مِن المدينةِ ، على مِيلٍ منها ، فقال له دَليلُه ابنُ الأصَمِّ : إنى أَخْشَى إذا كَشَفْتُموهم أن يَرْجِعوا إلى مُعَسْكرِهم سريعًا قبلَ أن تُدْرِكَهم الخيلُ . ثم ارْتَحَل به فأنْزَله الجُرْفَ على سِقايةِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ على أربعةِ أمْيالٍ مِن المدينةِ ، وذلك يومَ السبتِ [٨/ ٥٠و] لصبحِ ثنتَىْ عشْرةَ ليلةً خَلَت مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وقال : إن الراجِلَ إذا هَرَب لا يَقْدِرُ على الهَرْوَلةِ أكثرَ مِن مِيلين أو ثلاثةٍ ، فتُدْرِكُه الخيلُ .

وأرْسَل عيسى بنُ موسى خمسَمائةِ فارسٍ ، فنَزَلوا عندَ الشَّجرةِ فى طريقِ مكةَ ، وقال لهم : إنَّ هذا الرجلَ إن هَرَب ليس له مَلْجَأٌ إلا مكةَ ، فاقتلوه وحُولوا

---

(١) أعراض المدينة : قراها التى فى أوديتها . وقال شمر : أعراض المدينة هى بطون سوادها حيث الزرع والنخل . انظر معجم البلدان ١/ ٣١٣، ٣١٤، ٣/ ٦٤٣.

(٢) فى الأصل ، ب : « اللس » ، وفى م : « الليث » .

(٣) فى تاريخ الطبرى - وقد انفرد بهذه القصة عن الكامل - أن محمد بن عبد اللّه بن حسن قال للرجل : أعطيك سلاحًا وتقاتل معى ؟ وقد عَنَى القتال ضد جيش عيسى بن موسى .

(٤) فى الأصل ، ب ، ص : « بالأعراض » .

بينَه وبينَها . ثم أرْسَل عيسى إلى محمدٍ يَدْعُوه إلى السَّمْعِ والطاعةِ والرُّجوعِ إلى المُبَايَعَةِ لأميرِ المؤمنين ؛ فإنه قد أعْطاه الأمانَ له ولأهْلِ بيتِه إن هو أجاب إلى ذلك . فقال محمدٌ للرسولِ : لولا أن الرسلَ لا تُقْتَلُ لقَتَلْتُك . ثم بَعَث إلى عيسى بنِ موسى يَقولُ له : إنى أَدْعُوك إلى كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه ﷺ ، فاحْذَرْ أن تَمْتَنِعَ فأَقْتُلَك فتَكونَ شَرَّ قَتيلٍ ، أو تَقْتُلَنى فتَكونَ قد قتَلْتَ مَن دَعاك إلى كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه ﷺ . ثم جَعَلَت الرسلُ تَتَرَدَّدُ بينَهما ثلاثةَ أيامٍ ، [1] يَدْعوه فيها عيسى بنُ موسى إلى السَّمْعِ والطاعةِ والرُّجوعِ إلى الجماعة [1] ، وجَعَل عيسى يَقِفُ فى كلِّ يومٍ مِن هذه الأيامِ الثلاثةِ على الثَّنِيَّةِ عندَ سَلْعٍ فيُنادِى : يا أهلَ المدينةِ ، إن دماءنا [2] علينا حَرامٌ ، فمَن جاء فوَقَف تحتَ رايتِنا فهو آمِنٌ ، [3] ومَن دخَل مسجدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فهو آمِنٌ [3] ، ومَن دخَل دارَه فهو آمِنٌ ، ومَن خرَج مِن المدينةِ فهو آمنٌ ، ومَن أَلْقَى سلاحَه فهو آمنٌ ، فليس لنا فى قِتالِكم أَرَبٌ ، وإنما نُرِيدُ محمدًا وحدَه لنَذْهَبَ به إلى الخَليفةِ . فجَعَلوا يَسُبُّونه ويَنالون مِن أُمِّه ، ويتكلمون معه بكَلامٍ شَنيعٍ ، ويُخاطِبونه مُخاطَبةً فَظيعةً ، وقالوا : هذا ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ معنا ونحن معه ، ونُقاتِلُ دونَه .

فلما كان اليومُ الثالثُ أتاهم فى خيلٍ ورجالٍ وسِلاحٍ ورِماحٍ لم يُرَ مثلُها ، فناداه : يا محمدُ ، إن أميرَ المؤمنين أَمَرنى أن لا أُقاتِلَك حتى أَدْعُوَك إلى السمعِ والطاعةِ ، فإن فَعَلْتَ أمَّنَك ، وقَضَى دَيْنَك ، وأَعْطاك أمْوالًا وأَراضىَ ، وإن أبَيْتَ قاتَلْتُك ، فقد دَعَوْتُك غيرَ مرةٍ . فناداه محمدٌ : إنه ليس لكم عندى إلا القِتالُ .

(١ - ١) فى ب ، م : « هذا يدعو هذا وهذا يدعو هذا » .

(٢) فى ب ، م : « دماءكم » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

فنَشِبَت الحربُ حينئذٍ بينَهم ، وكان جيشُ عيسى بنِ موسى فوقَ الأربعةِ آلافٍ ، على المُقَدِّمةِ حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ ، وعلى [٨/ ٥٠ظ] مَيْمَنتِه محمدُ بنُ السَّفَّاحِ ، وعلى المَيْسَرةِ داودُ بنُ كَرّازٍ[١] ، وعلى الساقةِ الهَيثَمُ بنُ شُعْبةَ ، ومعهم عُدَدٌ لم يُرَ مثلُها ، وفرَّق عيسى أصْحابَه ، فى كلِّ قُطْرٍ طائفةٌ ، وكان محمدٌ وأصحابُه على عِدَّةِ أهلِ بدرٍ ، واقْتَتل الفريقان قِتالًا شديدًا جدًّا ، وتَرَجَّل محمدٌ إلى الأرضِ فيُقالُ : إنه قَتَل بيدِه مِن أولئك سبعين رجلًا[٢] ، وأحاط بهم أهلُ العراقِ ، فقَتَلوا طائفةً مِن أصْحابِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، واقْتَحموا عليهم الخَنْدَقَ الذى كانوا حَفَروه ، وعَمِلوا أبْوابًا على قَدْرِه ، وقيل : إنهم رَدَموه بحَدائجِ الإبلِ[٣] حتى أمْكَنَهم أن يَجوزوه ، وقد يَكونُ هذا فى مَوْضعٍ منه ، وهذا فى مَوْضِعٍ آخَرَ . واللَّهُ أعلمُ .

ولم يَزَلِ القتالُ ناشبًا بينَهم [٤]مِن بُكرةِ النهارِ[٤] حتى صُلِّيَتِ العصرُ ، فلما صَلَّى محمدٌ العصرَ نَزَل إلى مَسيلِ الوادى بسَلْعٍ ، فكَسَر جَفْنَ سيفِه ، وعَقَر فرسَه ، وفَعَل أصحابُه مثلَه ، وصَبَروا أنْفُسَهم للقِتالِ ، وحَمِيَتِ الحربُ حينئذٍ جدًّا ، فاسْتَظْهَر أهلُ العراقِ ، ورَفَعوا رايةً سَوْداءَ فوقَ سَلْعٍ ، ثم دَنَوْا إلى المدينةِ ، فدَخَلوها ونَصَبوا رايةً سَوْداءَ فوقَ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رَأَى ذلك أصحابُ محمدٍ تَنادَوْا : دُخِلَتِ[٥] المدينةُ . وهَرَبوا وبَقِى محمدٌ فى شِرْذِمةٍ قليلةٍ جدًّا . ثم بَقِى وحدَه وفى يدِه سيفٌ صَلْتٌ يَضْرِبُ به مَن تَقَدَّم

---

(١) فى الأصل ، ب ، م : « كرار » .

(٢) بعده فى ب ، م : « من أبطالهم » .

(٣) فى مصادر التخريج : « حقائب » . وحدائج ، جمع حِدْج وهو الحِمْل . اللسان (ح د ج) .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى ب ، م : « أخذت » .

إليه ، فلا يَقومُ له شيءٌ[1] ، ويُقالُ : إنه كان فى يدِه يومَئذٍ ذو الفَقارِ . ثم تَكاثَر عليه الناسُ ، فتَقَدَّم إليه رجلٌ ، فضَرَبه بسيفِه تحتَ شحْمةِ أُذُنِه اليُمْنَى فسَقَط محمدٌ لرُكْبتَيْه ، وجَعَل يَحْمِى نفسَه ، ويَقولُ : ويحَكم ! ابنُ نبيِّكم مَجْروحٌ مَظْلومٌ . وجَعَل حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ يَقولُ : ويحكم ! دَعُوه لا تَقْتُلوه . فأحْجَم عنه الناسُ ، وتَقَدَّم إليه حُمَيْدُ ابنُ قَحْطَبةَ ، فاحتزَّ رأسَه ، وذَهَب به إلى عيسى بنِ موسى ، فوَضَعه بينَ يديه ، وكان حُمَيْدٌ قد حَلَف أن يَقْتُلَه متى رآه ، فما أدْرَكه إلا كذلك[2] .

وكان مَقْتَلُ محمدٍ عندَ أحْجارِ الزَّيْتِ يومَ الاثنين بعدَ العصرِ ، لأرْبعَ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ سنةَ خمسٍ وأربعين ومائةٍ ، وقد قال عيسى بنُ موسى لأصحابِه حينَ وُضِع رأسُه بينَ يديه : ما تَقولون فيه ؟ فنال منه أقْوامٌ وتَكَلَّموا فيه ، [٥١/١ و] فقال رجلٌ منهم : كذَبْتُم واللَّهِ ، لقد كان صَوَّامًا قَوَّامًا ، ولكنَّه خالَف أميرَ المؤمنين ، وشَقَّ عَصَا المسلمين ، فقَتَلْناه على ذلك . فسَكَتوا حينَئذٍ .

وأمَّا سيفُه ذو الفَقارِ فإنه صار إلى بنى العباسِ يَتَوارَثونه بينهم حتى جَرَّبَه بعضُهم ، فضَرَب به كلبًا ، فانْقَطَع السيفُ . ذَكَره ابنُ جَريرٍ وغيرُه .

وقد بَلَغ المَنْصورَ فى غُبونِ هذا الأمْرِ أن محمدًا فَرَّ مِن الحربِ ، فقال : لا ، إنّا أهلُ بيتٍ لا نَفِرُّ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « إلا أنامه حتى قتل خلقا من أهل العراق من الشجعان » .
(٢) بعده فى ب ، م : « ولو كان على حاله وقوته لما استطاعه حميد ولا غيره من الجيش » .

وقال ابنُ جَريرٍ[1] : حَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ راشدٍ ، حَدَّثنى أبو الحَجَّاجِ قال : إنى لَقائمٌ على رأسِ المنصورِ ، وهو مُسائلى عن مَخْرَجِ محمدٍ ، إذ بَلَغه أن عيسى قد هُزِم - وكان مُتَّكِئًا فجلَس - فضَرَب بقَضيبٍ معه مُصَلَّاه وقال : كلّا ، فأين لَعِبُ صِبْيانِنا بها على المَنابرِ ومَشُورةُ النِّساءِ ؟ ما أَنَى لذلك بَعْدُ !

وبَعَث عيسى بالبِشارةِ[2] إلى المنصورِ مع القاسِمِ بنِ الحسنِ ، وبالرأسِ مع ابنِ أبى الكِرامِ ، ثم أَذِن فى دفنِ جثةِ محمدٍ فدُفِن بالبَقيعِ ، وأَمَر بأصحابِه الذين قُتِلوا معه فصُلِبوا صَفَّيْن ظاهرَ المدينةِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم طُرِحوا على مَقْبَرةِ اليَهودِ عندَ سَلْعٍ ، ثم نُقِلوا إلى خَنْدَقٍ هناك ، وأَخَذ أموالَ بنى حسنٍ كلَّها ، فسَوَّغها له المَنْصورُ ، ويُقالُ : إنه رَدَّها بعدَ ذلك إليهم . حَكاه ابنُ جَريرٍ .

ونُودِى فى أهلِ المدينةِ بالأمانِ[3] ، فأصْبَح الناسُ فى أسْواقِهم ، وتَرَفَّع عيسى ابنُ موسى[4] إلى الجُرْفِ مِن مَطَرٍ أصاب الناسَ يومَ قُتِل محمدٌ ، وجَعَل يَنْتابُ المسجدَ مِن الجُرْفِ ، وأقام بالمدينةِ إلى اليومِ التاسعَ عشَرَ مِن رمضانَ ، ثم خَرَج منها قاصِدًا مكةَ ، وكان بها الحسنُ بنُ مُعاويةَ مِن جهةِ محمدٍ ، وكان قد كَتَب إليه ليَقْدَمَ عليه ، فلمَّا خَرَج مِن مكةَ وكان ببعضِ الطريقِ ، تَلَقَّتْه الأخْبارُ بقَتْلِ محمدٍ ، فاسْتَمَرَّ فارًّا إلى البَصْرةِ إلى إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، الذى كان قد خَرَج بها ، ثم قُتِل بعدَ أخيه فى هذه السنةِ على ما سنَذْكُرُه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٥٩٧.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٣، ٦٠٤.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٥٧٥، ٥٧٦، ٦٠٠.

(٤) بعده فى ب ، م : «فى الجيش» .

ولما جِيء المَنْصورُ[1] برأسِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ فوُضِع بينَ يديه ، أَمَر فطِيف به فى طَبَقٍ أبيضَ ، ثم طِيف به فى الأقاليمِ بعدَ ذلك . ثم شَرَع المَنْصورُ فى اسْتِدْعاءِ مَن خَرَج مع محمدٍ مِن أشْرافِ أهلِ المدينةِ ، فمنهم مَن يَقْتُلُه ، ومنهم مَن يضْرِبُه ضربًا مُبَرِّحًا ، ومنهم مَن يعْفو عنه .

ولما تَوَجَّه عيسى بنُ موسى إلى مكةَ اسْتَناب[2] على المدينةِ [٨/ ٥١ظ] كثيِّرَ ابنَ حُصَيْنٍ ، فاسْتَمَرَّ شهرًا حتى بَعَث المَنْصورُ على نِيابتِها عبدَ اللَّهِ بنَ الربيعِ ، فعاث جندُه فى المدينةِ فسادًا ، واشْتَرَوا مِن الناسِ أشياءَ لا يُعْطُونهم ثمنَها ، وإن طُولِبوا بذلك ضَرَبوا المُطالِبَ ، وخَوَّفوه بالقتلِ ، فثار عليهم طائفةٌ مِن السُّودانِ ؛ اجْتَمَعوا ونَفَخوا فى بُوقٍ لهم ، فاجْتَمَع على صوتِه كلُّ أسْودَ فى المدينةِ ، وحَمَلوا عليهم حَمْلةً واحدةً وهم ذاهبون إلى الجمعةِ ، لسبعٍ بَقِين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ - وقيل : لخمسٍ بَقِين مِن شَوَّالٍ منها - فقَتَلوا منهم طائفةً كثيرةً[3] ، وهَرَب نائبُ المدينةِ عبدُ اللَّهِ بنُ الربيعِ ، وتَرَك صَلاةَ الجمعةِ ، وكان رؤساءَ السُّودانِ ؛ وثيقٌ ، ويعقلُ ، ورمقةُ ، وحديا ، وعنقودٌ ، ومِسْعَرٌ [4]وأبو قيسٍ[4] ، وأبو النارِ ، فركب عبدُ اللَّهِ بنُ الربيعِ فى جُنودِه والْتَقَى مع السُّودانِ فهَزَموه ، ومضى فلَحِقوه بالبَقيعِ ، فأَلْقَى لهم [5]دراهِمَ شغَلَهم بها[5] ، حتى نَجا بنفسِه ومَن اتَّبعه ، فلَحِق ببطنِ نَخْلٍ على ليلتَيْن مِن المدينةِ ، ووَقَع السُّودانُ على طعامٍ للمَنْصورِ كان

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٠١، ٦٠٦- ٦٠٩، والمنتظم ٨/ ٦٨، والكامل ٥/ ٥٥٠، ٥٥٣ .

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٠٩ - ٦١٤، والمنتظم ٨/ ٦٨، ٦٩، والكامل ٥/ ٥٥٦، ٥٥٧.

(٣) بعده فى ب ، م : « بالمزاريق وغيرها » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٥ - ٥) فى الأصل : « رداءه شغلهم بها » ، وفى ب : « رداءه يشغلهم به » ، وفى م : « داءه يشغلهم فيه » .

مَخْزونًا فى دارِ مَرْوانَ قد قُدِم به فى البَحْرِ [1]لأجْلِ الجندِ الذين بالمدينةِ ؛ مِن دقيقٍ وسَوِيقٍ [2]وزيتٍ وقَسْبٍ[2] ، فانْتَهَبُوه[1] ، وباعوه بأرْخَصِ ثمنٍ ، وذَهَب الخبرُ إلى المَنْصورِ بما كان مِن أمْرِ السُّودانِ ، وخاف أهلُ المدينةِ مِن مَعَرَّةِ ذلك ، فاجْتَمَعوا فى المسجدِ وخَطَبهم ابنُ أبى سَبْرَةَ - وكان مَسْجونًا - فصَعِد المِنبَرَ وفى رِجْليه القُيودُ ، فحَثَّهم على السمعِ والطاعةِ لأميرِ المؤمنينِ المَنْصورِ ، وخَوَّفهم شَرَّ ما صَنَعه مَوالِيهم ، فاتَّفَق رأيُهم على أن يَكُفُّوا مَوالِيَهم ويُفَرِّقوهم وأن يَذْهَبوا إلى أميرِهم ، فيَرُدُّوه إلى عملِه ، ففَعَلوا ذلك ، فسَكَن الأمْرُ ، وهَدَأ الناسُ ، وانْطَفَأَت الشُّرورُ ، ورَجَع عبدُ اللَّهِ بنُ الربيعِ إلى المدينةِ ، فقَطَع يدَ وثيقٍ وأبى النارِ ويعقلَ ومِسْعَرٍ .

ذِكْرُ خُروجِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ حسنٍ بالبَصْرةِ [3]وكيفيةِ مَقْتَلِه[3]

كان إبراهيمُ قد نَزَل فى بنى ضُبَيْعةَ[4] مِن البَصْرةِ ، فى دارِ الحارثِ بنِ عيسى ، وكان لا يُرَى بالنَّهارِ ، وكان قُدومُه إليها بعدَ أن طاف بلادًا كثيرةً جدًّا ، وجَرَت عليه وعلى أخيه خُطوبٌ شَديدةٌ هائلةٌ ، وانْعَقَد أسبابُ هَلاكِهما فى أوقاتٍ مُتَعدِّدةٍ ، ثم [٨/ ٥٢و] كان آخرُ ما اسْتَقَرَّ أمرُه بالبَصْرةِ فى سنةِ ثلاثٍ

(١ - ١) فى ب ، م : « فنهبوه ونهبوا ما للجند الذين بالمدينة من دقيق وسويق وغيره » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « ووسق وقصب » ، وفى ص : « وزنق وقصب » ، وفى ظ : « وزينب وقصب » . والمثبت من تاريخ الطبرى . والقسب : التمر اليابس . اللسان (ق س ب) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٢٢- ٦٣٥. أحداث السنة الخامسة والأربعين بعد المائة .

وأربعين ومائةٍ ، بعدَ مُنْصَرَفِ الحَجِيجِ .

وقيل : إن أولَ قُدومِه إليها كان فى مُسْتَهَلِّ رمضانَ ، سنةَ خمسٍ وأربعين ومائةٍ ، بَعَثه أخوه إليها بعدَ ظُهورِه بالمدينةِ النبويَّةِ . قاله الواقدىُّ[1] . قال : وكان يَدْعو فى السِّرِّ إلى أخيه ، فلما قُتِل أخوه أظْهَر الدَّعْوةَ إلى نَفْسِه ومخالفةِ المنصورِ فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ . والمَشْهورُ أنه قَدِمها قبل ذلك وأنه أظهر الدعوةَ فى حياةِ أخيه ، كما قدَّمْنا . واللَّهُ أعلمُ .

ولما دخَل البَصْرةَ أولَ قُدومِه إليها نزل عندَ يَحْيَى بنِ زيادِ بنِ حَسَّانَ النَّبَطىِّ ، وكان مُخْتَفِيًا عندَه هذه المدةَ كلَّها ، حتى ظَهَر فى هذه السنةِ ، وكان أولُ ظُهورِه فى دارِ أبى فَرْوَةَ ، وكان أولَ مَن بايَعه نُمَيْلةُ بنُ مُرَّةَ ، و[2] عفوُ اللَّهِ[2] ابنُ سفيانَ ، وعبدُ الواحدِ بنُ زِيادٍ ، وعَمْرُو[3] بنُ سَلَمةَ الهُجَيْمىُّ ، وعُبَيدُ اللَّهِ ابنُ يحيى بنِ حُضَينٍ[4] الرَّقاشىُّ ، ونَدَبوا الناسَ إليه ، فاسْتَجاب له خَلْقٌ كثيرٌ ، فتَحَوَّل إلى دارِ أبى مَرْوانَ فى وَسَطِ البَصْرةِ ، واسْتَفْحَل أمْرُه ، وبايَعه فِئامٌ مِن الناسِ ، وتَفاقَم الخَطْبُ به ، وبَلَغ خبرُه إلى أبى جعفرٍ المنصورِ ، فازْداد غمًّا إلى غَمِّه بأخيه محمدٍ ؛ وذلك لأنه ظَهَر قبلَ مَقْتَلِ أخيه ، كما ذكرْنا وإنما كان السببُ فى تَعْجِيلِه الظُّهورَ بالبصرةِ كتابَ أخيه إليه بذلك ، فامْتَثل أمْرَه ، ودَعا إلى نفسِه ، فانْتَظَم أمْرُه بالبَصْرةِ ، وكان نائبَها للمنصورِ سفيانُ بنُ مُعاويةَ ، وكان مُمالِئًا لإبْراهيمَ فى الباطنِ ، ويَبْلُغُه أخْبارُه ، فلا يَكْتَرِثُ لها ، ويُكَذِّبُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٣٤.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « عبد اللَّه » .

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « عمر » .

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « حصين » .

(١ بما يُخْبَرُ به منها ١) ويَوَدُّ (٢ أن لو صَحَّ ٢) أمْرُ إبراهيمَ ، وقد أمَدَّه المنصورُ بأميرَيْن مِن أهلِ خُراسانَ ، معهما ألْفَا فارسٍ وراجلٍ (٣) ، فأنْزَلهما عندَه ليَتَقَوَّى بهما على مُحاربةِ إبراهيمَ ، وتحَوَّل المَنْصورُ مِن بَغْدادَ - وكان قد شَرَع فى عِمارتِها - إلى الكوفةِ ، وجَعَل كلَّما اتَّهَم رجلًا مِن أهلِ الكوفةِ فى أمْرِ إبراهيمَ ، بَعَث إليه مَن يَقْتُلُه فى الليلِ فى مَنْزِلِه ، وكان الفُرافِصةُ العِجْليُّ قد هَمَّ بالوُثوبِ بالكوفةِ ، فلم يُمْكِنْه ذلك لمكانِ المَنْصورِ بها ، وجَعَل الناسُ يَقْصِدون البَصْرةَ مِن كلِّ فَجٍّ عميقٍ لمُبايعةِ إبراهيمَ ، ويَفِدون إليها جَماعاتٍ وفُرادَى ، وجَعَل المَنْصورُ يَرْصُدُ لهم المَسالحَ ، فيَقْتُلونهم فى الطرقاتِ ، ويَأْتونه برءُوسِهم فيَصْلُبُها بالكوفةِ ليَتَّعِظَ بها الناسُ ، [٨/٥٢ظ] وأرْسَل المَنْصورُ إلى حربِ الراوَنْدِيِّ - وكان مُرابِطًا بالجَزيرةِ فى ألْفَىْ فارسٍ لقِتالِ الخَوارِجِ - يَستَدْعِيه إلى الكُوفةِ ، فأقْبَل بمَن معه ، فلما اجْتاز ببَلْدةٍ بها أنْصارٌ لإبْراهيمَ ، فقالوا له : لا نَدَعُك تَجْتازُ ؛ لأنَّك إنما طَلَبَك ليُحاربَ إبراهيمَ . فقال : ويحَكم ! دَعُونى . فأبَوْا فقاتَلهم ، فقَتَل منهم خمسَمائةٍ ، وأرْسَل برءوسِهم إلى المَنْصورِ ، فقال : هذا أولُ الفتحِ . ولما كانت ليلةُ الاثنين مُسْتَهَلُّ رَمضانَ مِن هذه السنةِ ، خَرَج إبراهيمُ فى الليلِ إلى مَقْبَرةِ بنى يَشْكُرَ فى بِضْعةَ عشَرَ فارسًا ، وقَدِم فى هذه الليلةِ أبو حَمَّادٍ الأبْرصُ فى ألفَىْ فارسٍ مَدَدًا لسفيانَ ابنِ مُعاويةَ ، فأنْزَلَهم الأميرُ

(١ - ١) فى ب : « من أخبره بها » ، وفى م : « من أخبره » . والذى فى تاريخ الطبرى أن سفيان حين كانت تبلغه أخبار إبراهيم ، لم يكن يعرض له ، ولا يتبع له أثرًا .

(٢ - ٢) فى الأصل : « أن يوضح » . وفى ب ، م : « أن يتضح » .

(٣) لم يُذكر فى تاريخ الطبرى إرسال المنصور ألفى رجل إلا تحت قيادة رجل واحدٍ ، سماه الطبرى فى رواية ٦٣٠/٧ مجالد بن يزيد ، وفى رواية أخرى ٦٣٥/٧ - وسيأتى ذكر المصنف لها قريبا - سماه أبا حماد الأبرص . فلعلَّ المصنف فسر بهاتين الروايتين المختلفتين ، الروايات الأخرى التى تذكر إرسال المنصور قائدين دون ذكر عدد ما معهم من الجند .

فى القَصْرِ ، ومال إبراهيمُ وأصحابُه ومن التفَّ عليه وصار إليه إلى دَوابِّ أولئك العسكرِ وأسلحتِهم ، فأخَذُوها جَميعًا[1] ، فكان هذا أولَ ما أصاب ، وما أصْبَح الصَّباحُ إلا وقد اسْتَظْهَر جدًّا ، فصَلَّى بالناسِ صَلاةَ الصُّبْحِ فى المسجدِ الجامعِ ، والْتَفَّتِ الخَلائقُ عليه ما بينَ ناظرٍ وناصِرٍ ، وتَحَصَّن سفيانُ بنُ مُعاويةَ نائبُ الخليفةِ بقصرِ الإمارةِ ، وجَلس عندَه الجُنودُ ، فحاصَرهم إبراهيمُ بمن معه ، فطَلَب سفيانُ بنُ مُعاويةَ الأمانَ ، فأعْطاه الأمانَ ، ودَخَل إبراهيمُ قصرَ الإمارةِ ، فبُسِطت له حَصيرٌ ليَجْلِسَ عليها فى مُقَدَّمِ إيوانِ القصرِ ، فهَبَّت الريحُ ، فقَلَبَت الحَصيرَ ظهرًا لبطنٍ ، فتَطَيَّر الناسُ بذلك ، فقال : إنا لا نَتَطَيَّرُ . وجَلَس على ظهرِ الحَصِيرِ ، وأمَر بحبسِ سفيانَ بنِ مُعاويةَ مُقَيَّدًا ، وأراد بذلك أن يُبْرِئَ ساحته عندَ أبى جعفرٍ المَنْصورِ ، واسْتَحْوَذ على ما كان ببيتِ المالِ ، فإذا فيه ستُّمائةِ ألفٍ ، وقيل : ألفا ألفٍ . فقَوِى بذلك جدًّا .

وكان بالبَصْرةِ جعفرٌ ومحمدٌ[2] ابنا سليمانَ بنِ علىٍّ ، وهما ابنا عَمِّ الخَليفةِ المَنْصورِ ، فرَكِبا فى ستِّمائةِ فارسٍ ، فأرسل إليهما إبراهيمُ المَضاءَ بنَ القاسمِ فى ثمانيةَ عشَرَ فارسًا وثلاثين راجلًا ، فهَزَم بهؤلاءِ ستَّمائةِ فارسٍ ، وأمَّن مَن بَقِى منهم ، وبَعَث إبراهيمُ إلى أهلِ الأهْوازِ ، فبايَعوا له وأطاعوه ، وأرْسَل إلى نائبِها مائتَىْ فارسٍ عليهم المُغيرةُ ، فخرَج إليه محمدُ بنُ الحُصَيْنِ نائبُ البِلادِ فى أربعةِ آلافٍ ، فهَزَمه المُغيرةُ ، واسْتَحْوَذ على البلادِ ، وبَعَث إبراهيمُ إلى بلادِ [٥٣/٨و] فارسَ ، فأخَذَها ، وكذلك واسِطٌ والمَدائِنُ والسَّوادُ ، واسْتَفْحَل أمْرُه جدًّا ، ولكن لما جاءه نَعْىُ أخيه محمدٍ انْكَسَر جدًّا ، وصَلَّى بالناسِ يومَ العيدِ وهو مَكْسورٌ ،

---

(١) بعده فى ب ، م : « فتقووا بها » .

(٢) تاريخ الطبرى ٦٣٥/٧ - ٦٣٨، والكامل ٥/ ٥٦٤، ٥٦٥.

فقال بعضُهم : واللَّهِ لقد رأيْتُ الموتَ فى وجهِه وهو يَخْطُبُ الناسَ ، فنَعَى إلى الناسِ أخاه محمدًا ، فازْداد الناسُ حَنَقًا على المَنصورِ ، وأصْبَح فعَسْكَر بالناسِ ، واسْتَناب على البَصْرةِ نُمَيلةَ ، وخَلَّف ابنَه حسنًا معه .

ولما بَلَغ المَنْصورَ خبرُه[1] تَحَيَّر فى أمْرِه ، وجَعَل يَتَأَسَّفُ على ما فَرَّق مِن جُنْدِه فى المَمالِكِ ، وكان قد بَعَث مع ابنِه المَهْدِىِّ ثلاثين ألفًا إلى الرَّىِّ ، وبَعَث محمدَ ابنَ الأشْعَثِ إلى إفْرِيقِيَّةَ فى أرْبعين ألفًا ، والباقون مع عيسى بنِ موسى بالحِجازِ ، ولم يَبْقَ معه فى معسكرِه سِوى ألفَىْ فارسٍ ، فكان يَأْمُرُ بالنِّيرانِ الكثيرةِ ، فتُوقَدُ ليلًا ، فيَحْسَبُ الناظرُ أنَّ هناك جنودًا كثيرةً ، ثم كَتَب المَنْصورُ إلى عيسى بنِ موسى وهو بالحجازِ بعد قتلِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ : إذا قَرَأْتَ كِتابى هذا ، فأَقْبِلْ مِن فَوْرِك ، ودَعْ كلَّ ما أنت فيه . فلم يَنْشَبْ أن أَقْبَلَ إليه ، فقال له : اذْهَبْ إلى إبراهيمَ بالبَصْرةِ ولا يَهُولَنَّك كثرةُ مَن معه ، فإنهما جَمَلا بنى هاشمٍ المَقْتولان جميعًا ، فابْسُطْ يدَك ، وثِقْ بما عندَك ، وستَذْكُرُ ما أَقولُ لك . فكان الأمْرُ كما قال المَنْصورُ .

وكَتَب المَنْصورُ إلى ابنِه المَهْدىِّ[2] أن يُوَجِّهَ خازمَ بنَ خُزَيْمةَ فى أربعةِ آلافٍ إلى الأهْوازِ ، فذَهَب إليها ، فأخْرَج منها نائبَ إبراهيمَ - وهو المُغيرةُ - وأباحها ثلاثةَ أيامٍ ، ورَجَع المُغيرةُ إلى البَصْرةِ ، وكذلك بَعَث إلى كلِّ كُورةٍ مِن هذه الكُوَرِ التى خلَعت بَيْعتَه جندًا يَرُدُّونَهم إلى الطاعةِ . قالوا : ولَزِم المَنْصورُ مَوْضِعَ مُصَلَّاه ، فلم يَبْرَحْ فيه ليلًا ولا نَهارًا فى بِذْلَةِ ثيابٍ عليه قد اتَّسَخَت ، فلم يَزَلْ مُقيمًا هناك

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٣٨، ٦٣٩، والكامل ٥/ ٥٦٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/٦٣٩ - ٦٤١، والكامل ٥/٥٦٥ - ٥٦٧.

بضْعًا وخمسين يومًا ، حتى فَتَح اللَّهُ عليه ، وقد قيل له فى غُبونِ ذلك : يا أمير المؤمنين ، إن نِساءَك قد خَبُثَتْ أنْفُسُهنَّ لغَيْبتِك عنهن . فانْتَهَر القائلَ ، وقال : ويحَك ! ليْسَت هذه أيامَ نساءٍ حتى أَرَى رأسَ إبراهيمَ بينَ يدىَّ أو يُحْمَلَ رأسى إليه . وقال بعضُهم : دَخَلْتُ على المَنْصورِ وهو مَهْمومٌ مِن كَثْرةِ ما وَقَع مِن [٨/٥٣ظ] الشُّرورِ والفتوقِ والخُروقِ وهو لا يَسْتَطِيعُ أن يُتابِعَ الكلامَ مِن شِدَّةِ كَرْبِه وهَمِّه ، وهو مع ذلك قد أعَدَّ لكلِّ أمْرٍ ما يَسُدُّ خَلَلَه ، وقد خَرَجَت عن يدِه البَصْرةُ والأهْوازُ وأرضُ فارسَ (١وواسِطٌ١) والمَدائنُ وأرضُ السَّوادِ ، وفى الكوفةِ عندَه مائةُ ألفِ سيفٍ مُغْمَدَةٌ ، تَنْتَظِرُ به صَيْحةً واحدةً ، فيَثِبُون عليه مع إبراهيمَ ، وهو فى ذلك يَعْرُكُ النَّوائبَ ويَمْرُسُها ، ولم تَقْعُدْ به نَفْسُه ، وهو كما قال الشاعرُ[٢] :

نفسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما وعَلَّمَتْه الكَرَّ والإقْداما
فصَيَّرَتْه مَلِكًا هُمَاما

وأقْبَل إبراهيمُ قاصدًا مِن البَصْرةِ[٣] إلى الكُوفةِ فى مائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، فأرْسَل إليه المَنْصورُ عيسى بنَ موسى فى خمسةَ عشَرَ ألفًا ، وعلى مُقَدِّمتِه حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ فى ثلاثةِ آلافٍ ، وجاء إبراهيمُ فنَزَل فى باخَمْرَا فى جَحافِلَ عَظِيمةٍ ، فقال له بعضُ الأُمراءِ : إنك قد اقْتَرَبْتَ مِن المنصورِ ، فلو أنك سِرْتَ إليه بطائفةٍ مِن جيشِك هذا لأَخَذْتَ بقَفاه ؛ فإنه ليس عندَه مِن الجُيوشِ أحدٌ يَرُدُّون عنه . فقال آخَرون منهم : إن الأَوْلى أن نُناجِزَ هؤلاء الذين بإزائِنا ، ثم هو فى قَبْضتِنا . فثَناهم

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٢) ديوان النابغة الذبيانى ص ٢٣٢.
(٣) تاريخ الطبرى ٦٤٢/٧ - ٦٤٨، والكامل ٥٦٧/٥ - ٥٧٠ .

ذلك عن الرأيِ الأولِ ، ولو فَعَلوه لتمَّ لهم الأمْرُ ، ثم قال بعضُهم : خَنْدِقْ حولَ الجيشِ . فقال آخَرون : إن هذا الجيشَ لا يَحْتاجُ إلى خَنْدَقٍ حولَه . فتَرَك ذلك ، ثم أشار بعضُهم بأن يُبَيِّتَ جيشَ عيسى بنِ موسى ، فقال إبراهيمُ : إنى لا أَرَى ذلك . فتَرَكه ، ثم أشار آخرون بأن يَجْعَلَ جيشَه كَراديسَ ، فإن غُلِب كُرْدُوسٌ ثبَت الآخرُ ، فقال آخَرون : إنَّ الأَوْلَى أن نُقاتِلَ صُفوفًا ؛ لقولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] (١) .

وأقْبَل الجَيْشان ، فتَصافُّوا فى باخَمْرَا ، وهى على ستةَ عشَرَ فَرْسَخًا مِن الكوفةِ ، فاقْتَتلوا بها قِتالًا شديدًا ، فانْهَزم حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ بمَن معه مِن المُقَدِّمةِ ، فجَعَل عيسى يُناشِدُهم اللَّهَ فى الرجوعِ والكَرَّةِ ، فلا يَلْوِى عليه أحدٌ ، وثبَت عيسى بنُ موسى فى مائةِ رجلٍ مِن أهلِه ، فقيل له : لو تنَحَّيْتَ مِن مكانِك هذا لئلا يَحْطِمَك جيشُ إبراهيمَ . فقال : واللَّهِ لا أَزولُ عنه حتى يَفْتَحَ [٨/٥٤و] اللَّهُ لى أو أُقْتَلَ هـٰهنا . وكان المَنْصورُ قد تقَدَّم إليه بما أخْبَره به بعضُ المُنَجِّمِين ؛ أن الناسَ يَكونُ لهم جَوْلةٌ مع عيسى بنِ موسى ، ثم يَقومون إليه وتَكونُ العاقِبةُ له ، فاسْتَمَرَّ المُنْهَزِمون ذاهبين فانتَهَوْا إلى نهرٍ بينَ جَبَلين ، فلم يُمْكِنْهم خَوْضُه فكَرُّوا راجِعِين بأجْمعِهم ، فكان أولَ راجعٍ حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ الذى كان أولَ مَن انْهَزَم ، ثم اجْتَلَدوا هم وأصحابُ إبراهيمَ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شَديدًا ، وقُتِل مِن كلا الفريقَيْن خَلْقٌ كثيرٌ ، ثم انْهَزَم أصحابُ إبراهيمَ ، وثبَت هو فى خمسِمائةٍ ، وقيل : فى أربعِمائةٍ . وقيل : فى سبعين (٢) رجلًا . واسْتَظْهَر عيسى بنُ موسى وأصحابُه ، وقُتِل إبراهيمُ فى جُمْلةِ مَن قُتِل ، واخْتَلَط رأسُه مع رُءوسِ أصحابِه ، فجَعَل حُمَيْدٌ

---

(١) بعده فى ب ، م : « والأمر للَّه وما شاء فعل ولو ساروا إلى الكوفة وبيتوا الجيش أو جعل جيشه كراديس لتم لهم الأمر مع تقدير اللَّه تعالى » .

(٢) فى م : « تسعين » .

يَأْتى بالرءوسِ فيعرِضُها على عيسى بنِ موسى حتى عَرَفوا رأسَ إبراهيمَ ، فبعَثوه مع البَشِيرِ إلى المَنْصورِ ، وكان نيبختُ[1] المُنَجِّمُ قد دَخَل قبل مجيءِ البشيرِ على المنصورِ فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، أبْشِرْ فإن إبراهيمَ مَقْتولٌ . فلم يُصَدِّقْه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لم تُصَدِّقْنى فاحْبِسْنى ، فإن لم يَكُنِ الأمْرُ كما ذَكَرْتُ لك فاقْتُلْنى . فبينا هو عندَه إذ جاء البَشيرُ بَهزيمةِ إبراهيمَ ، ولما جِيء بالرأسِ تَمَثَّل المَنْصورُ ببيتِ مُعَقِّرِ بنِ[2] حِمارِ البارقىِّ[3] :

فألْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عينًا بالإيابِ المُسافِرُ

ويقالُ[4] : إن المَنْصورَ لَمَّا نظَر إلى الرأسِ بَكَى حتى جَعَلَتْ دموعُه تَسْقُطُ على الرأسِ ، وقال : واللَّهِ لقد كنتُ لهذا كارهًا ، ولكنك ابْتُليتَ بى وابْتُلِيتُ بك . ثم أَمَر بالرأسِ ، فنُصِب للناسِ بالسُّوقِ . وأقْطَع نيبختَ المُنَجِّمَ[5] ألْفَىْ جَرِيبٍ[6] .

وذكر صالحٌ[7] مولى المَنْصورِ قال : لما جِيء برأسِ إبراهيمَ جَلَس المَنْصورُ مَجْلِسًا عامًّا ، وجَعَل الناسُ يَدْخُلون عليه فيُهَنِّئونه ، ويَنالون مِن إبْراهيمَ ،

---

(١) فى الكامل : « نوبخت » . وسيأتى بعدُ بلفظ الكامل فى صفحة ٣٩١ .

(٢) بعده فى م ، وتاريخ الطبرى : « أوس بن » . وقد جاء اسمه فى تاج العروس (ع ق ر) : « أويس ابن » . والظاهر أنه وردت تسميته فى المصادر ببعض اختلاف . وانظر ما تقدم فى حاشية ٥ ص ٣١٢.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٣١٢.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٦٤٨، والكامل ٥/ ٥٧١.

(٥) بعده فى ب ، م : « الكذاب » .

(٦) بعده فى ب ، م : « فهذا المنجم إن كان قد أصاب فى قضية واحدة فقد أخطأ فى أشياء كثيرة ، فهم كذَبة كفرة ، وقد كان المنصور فى ضلال مع منجمه هذا ، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين ، وذلك ضلال لا يجوز » . والجريب من الأرض عشرة أقفزة ، والقفيز قدر مائة وأربع وأربعين ذراعًا . انظر اللسان (ج ر ب) ، (ق ف ز) .

(٧) انظر تاريخ الطبرى ٧/٦٤٨، ٦٤٩ .

ويُقَبِّحون الكَلامَ فيه ابْتِغاءَ مَرْضاةِ المَنْصورِ ، والمَنْصورُ واجِمٌ مُتَغَيِّرُ اللونِ لا يَتَكَلَّمُ ، حتى دَخَل جعفرُ بنُ حَنْظَلةَ البَهْرانيُّ ، فوَقَف فسَلَّم ، ثم قال : أعْظَمَ اللَّهُ أجْرَك يا أميرَ المؤمنين فى ابنِ عَمِّك ، وغَفَر له ما فَرَّط فيه مِن حَقِّك . قال : فاصْفَرَّ لونُ المَنْصورِ ، وأقْبَل عليه ، وقال : أبا خالدٍ ، مَرْحبًا وأهلًا ، هـٰهنا ؟! فعَلِم الناسُ أن ذلك قد وَقَع منه [٨/٥٤ظ] فجَعَل كلُّ مَن جاء يَقولُ كما قال جَعْفَرُ بنُ حَنْظَلةَ .

قال أبو نُعَيْمٍ الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ[1] : كان ذلك [2]فى ليلةِ الثلاثاءِ[3][2] لخمسٍ بَقِين مِن ذى القَعدةِ[4] مِن هذه السنةِ . يعنى سنةَ خمسٍ وأربعين ومائةٍ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ

وقد قُتل فى هذه السنةِ جماعةٌ مِن أعْيانِ أهلِ البيتِ ، منهم ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ وابناه إبراهيمُ ومحمدٌ ، وأخوه حسنُ بنُ حسنٍ ، وأخوه لأُمِّه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عَفَّانَ المُلَقَّبُ بالدِّيباجِ ، وقد تقَدَّمَت تَرْجمتُه فى آخرِ الجزءِ الذى قبلَه[5] .

فأمَّا عبدُ اللَّهِ بنُ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ القُرَشىُّ الهاشمىُّ[6]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٦٤٨/٧ .

(٢ - ٢) فى النسخ : « يوم الخميس » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٣) من هنا إلى قوله : « من موضع بغداد » . فى ص ٣٨٧، خرم فى : ب .

(٤) فى الأصل ، م ، ص ، ظ : « الحجة » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) تقدم فى صفحة ٣٥٣ .

(٦) الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٥٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٣١، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٣٦٤، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩١.

فتابعيٌّ ، رَوَى عن أبيه وأمِّه فاطمةَ بنتِ الحسينِ وعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ - وهو صحابيٌّ جَليلٌ - وغيرِهم . وعنه جَماعةٌ منهم ؛ سفيانُ الثَّوْرىُّ والدَّراوَرْدِىُّ ، ومالكٌ . وكان مُعَظَّمًا عندَ العُلماءِ مبجَّلًا ، وكان عابدًا كبيرَ القَدْرِ . قال يَحْيَى بنُ مَعِينٍ[1] : كان ثِقةً مَأمونًا[2] . وَفَد على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فأكْرَمه ، ووَفَد على السَّفَّاحِ فعَظَّمه وأعْطاه ألفَ ألفِ درهمٍ ، فلما وَلِى المَنْصورُ [3]عَكَس هذا الإكرامَ[3] ، وأخَذَه وأهلَ بيتِه مُقَيَّدِين مَغْلُولين مُهانِين مِن المدينةِ إلى الهاشميةِ ، فأوْدَعَهم السِّجنَ الضَّيقَ كما قَدَّمْنا[4] ، فمات أكثرُهم فيه ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ حسنٍ هذا أولَ مَن مات فيه ، وذلك بعدَ خُروجِ ولدِه محمدٍ بالمدينةِ ، وقد قيل[5] : إنه قُتِل عَمْدًا . [6]وقيل[7] : بل مات حَتْف أنْفِه . واللَّهُ أعلمُ[6] . وكان عمرُه يومَ مات خمسًا وسبعين سنةً[8] ، وصَلَّى عليه أخوه[9] الحسنُ بنُ الحسنِ [10]ابنِ الحسنِ[10] بنِ علىٍّ .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٢، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٣٧١، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤١٧.

(٢) فى الأصل، م، ص، ظ: «صدوقا». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣ - ٣) فى م: «عامله بعكس ذلك وكذلك أولاده وأهله وقد مضوا جميعا والتقوا عند اللَّه عز وجل».

(٤) تقدم فى صفحتى ٣٥١، ٣٥٢ .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٧/٥٤٩ أحداث السنة الرابعة والأربعين بعد المائة، وفيه أن المنصور أمر بشيرًا الرحال بدخول بيتٍ، فلما دخله وجد عبد اللَّه مقتولًا. وفى سير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩٢ أن عبد اللَّه سُمَّ.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) انظر مصادر ترجمته.

(٨) انظر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٩٠.

(٩) بعده فى الأصل، م: «لأمه».

(١٠ - ١٠) سقط من: م، ص. وانظر الحاشية القادمة.

ثم مات بعدَه أخوه **حسنٌ**[1] ، فصَلَّى عليه أخوه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو ابنِ عثمانَ بنِ عَفَّانَ . ثم قُتِل بعدَه ، وحُمِل رأسُه إلى خُراسانَ ، كما قَدَّمنا[2] .

وأما محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ[3] فرَوَى عن أبيه ، ونافعٍ ، وعن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرَجِ ، عن أبى هُريرةَ فى كَيْفيةِ الهُوِىِّ إلى السُّجودِ ، وحَدَّث عنه جَماعةٌ ، ووَثَّقه النَّسائىُّ وابنُ حِبَّانَ[4] ، وقال البخارىُّ[5] : لا يُتابَعُ على حديثِه . وقد ذُكِر[6] أن أُمَّه حَمَلت به أربعَ سنين . وكان طَويلًا سَمينًا أسْمَرَ ضَخْمًا ، مُفخَّمًا ذا هِمَّةٍ ساميةٍ ، وسَطْوةٍ عاليةٍ ، وكان مقتلُه [٨/٥٥و] بالمدينةِ فى مُنْتَصَفِ رَمضانَ سنةَ خمسٍ وأربعين ومائةٍ ، وله خمسٌ وأربعون سنةً . وقد حُمِل رأسُه إلى المَنْصورِ ، وطِيف به فى الأَقاليمِ .

وأما أخوه **إبراهيمُ**[7] فكان ظُهورُه بالبَصْرةِ بعدَ ظُهورِ أخيه بالمدينةِ ، وكانت وفاتُه بعد وفاتِه فى ذى القَعدةِ[8] مِن هذه السنةِ ، وليس له شىءٌ فى الكتبِ الستةِ ، وقد حَكَى أبو داودَ السِّجِسْتانىُّ[9] ، عن أبى عَوانةَ أنه قال : كان إبراهيمُ

---

(١) الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٥٩، وتهذيب الكمال ٦/ ٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٠٧.

(٢) تقدم فى ص ٣٥٣ .

(٣) الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٧٢، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٦٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٧١.

(٤) انظر الثقات ٧/ ٣٦٣، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٦٦.

(٥) التاريخ الكبير ١/ ١٣٩.

(٦) تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٧٠.

(٧) الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٨.

(٨) فى النسخ : « الحجة » . والمثبت من المصدرين السابقين ، وانظر الكامل ٥/ ٥٧٠.

(٩) سؤالات الآجرى ٢/ ١١٤.

وأخوه محمدٌ خارجِيَّيْن. ثم قال أبو داودَ: وبئسما قال، هذا رأىُ الزيْدِيةِ. قلتُ: وقد حُكِى عن جَماعةٍ مِن الأئمةِ أنهم مالوا إلى ظُهورِهما [1]وفى هذا نظرٌ. واللَّهُ أعلمُ[1].

ومِمن تُوُفِّى فيها أيضًا مِن المَشاهِيرِ:

الأجْلَحُ بنُ عبدِ اللَّهِ[2]، **وإسماعيلُ** بنُ أبى خالدٍ[3] فى قولٍ، **وحَبيبُ** بنُ الشَّهيدِ[4]، **وعبدُ الملكِ** [5]بنُ أبى سليمانَ[6]، **وعمرُ**[7] مولى عفرةَ[8]، **ويَحْيَى**[5]

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) الطبقات الكبرى ٦/ ٣٥٠، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١- ١٦٠) ص ٦٨.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٦، وتهذيب الكمال ٥/ ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٩٨.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٠، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٢٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٠٩.

(٧) فى م: «عمرو». وانظر الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٤٣، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢١، ٢٢٩.

(٨) فى الطبقات الكبرى وتهذيب الكمال: «غفرة». والظاهر أن هذا الاسم ورد مختلفًا - وإن لم تُشِر المصادر إلى أن فيه اختلافًا - فقد جاء: «غُفيرة» وهى بنت رباح أخت بلال مؤذن النبى ﷺ، فى: أسد الغابة ٧/ ٢١١، والإصابة ٨/ ٤٥. وجاء: «غفرة» فى الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٤٣، والجرح والتعديل ٦/ ١١٩، وكتاب المجروحين ٢/ ٨١، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٢٠، وميزان الاعتدال ٣/ ٢١٠. وجاء: «عفرة» فى تاريخ ابن معين ٢/ ٤٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢١، ٢٢٩.

(١ ابنُ الحارثِ الذِّمارىُّ[٢] ، **ويَحْيَى** بنُ سعيدٍ ١) أبو حَيَّانَ التَّيْمىُّ[٣] ، **ورُؤْبةُ** بنُ العَجَّاجِ[٤] - والعَجَّاجُ لقبٌ ، واسمُه أبو الشَّعْثاءِ عبدُ اللَّهِ بنُ رُؤْبةَ[٥] - أبو محمدٍ التَّمِيمىُّ البَصْرىُّ ، الراجزُ ابنُ الراجزِ ، ولكلٍّ منهما دِيوانُ رَجَزٍ ، وكلٌّ منهما بارِعٌ فى فنِّه ، لا يُجارَى ولا يُمارَى ، عالمٌ باللغةِ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ المُقَفَّعِ[٦] الكاتبُ المُفَوَّهُ ، أسْلَم على يدِ عيسى بنِ علىٍّ عَمِّ السَّفَّاحِ والمَنْصورِ ، وكَتَب له ، وله رَسائلُ وأَلْفاظٌ فَصيحةٌ ، وكان يُتَّهَمُ بالزَّنْدَقةِ ، وهو الذى صَنَّف كتابَ « كَلِيلةَ ودِمْنةَ » ، ويُقالُ[٧] : بل هو الذى عَرَّبها مِن المَجوسِيةِ إلى العربيةِ .

قال المَهْدِىُّ بنُ المنصورِ[٨] : ما وجدتُ كتابَ زَنْدَقةٍ إلا وأصلُه مِن ابنِ المُقَفَّعِ . (٩ قال الجاحظُ[١٠] : الزنادقةُ ثلاثةٌ ؛ ابنُ المقَفَّعِ[٩] ، ومُطِيعُ بنُ إياسٍ ، ويَحْيَى بنُ زيادٍ . قالوا[١٠] : ونَسِى الجاحِظُ نفسَه ، وهو رابعُهم . وكان مع هذا فاضِلًا بارِعًا فَصِيحًا .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٤٦٣، وتاريخ دمشق ١٨/ ٤٨ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٢٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٦/ ٣٥٣، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١- ١٦٠) ص ٣٣٠.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٢١٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٦٢.

(٥) بعده فى م : « و » . وانظر المصادر السابقة .

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩٨.

(٧) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩٩.

(٨) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩٩.

(٩ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥١.

قال الأصْمَعيُّ[1] : قيل لابنِ المُقَفَّعِ : مَن أدَّبَك ؟ قال : نَفْسى ؛ إذا رَأَيْتُ مِن غيرى قَبِيحًا أبَيْتُه ، وإذا رَأَيْتُ حَسَنًا أتَيْتُه .

ومِن كلامِه[2] : شَرِبْتُ مِن الخُطَبِ رِيًّا ، ولم أَضْبِطْ لها رَوِيًّا ، فغاضَت ثم فاضَت ، فلا هى هى نِظامًا ، ولَيستْ غيرَها كلامًا .

وكان قَتْلُه على يدِ سفيانَ بنِ مُعاويةَ بنِ يزيدَ بنِ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ نائبِ البَصْرةِ ، وذلك أنه كان يَعْبَثُ به ، ويَسُبُّ أُمَّه ، وإنما كان يُسَمِّيه ابنَ المُغْتَلِمَةِ[3] ، وكان كبيرَ الأنْفِ ، وكان إذا دَخَل عليه يقولُ : السلامُ عليكما . على سبيلِ التَّهَكُّمِ . وقال سفيانُ مرةً[4] : ما نَدِمْتُ [٨/٥٥ظ] على سُكوتٍ قطُّ . فقال : صَدَقْتَ ، الخَرَسُ خيرٌ لك . فاتَّفَق أن المَنْصورَ تَغَضَّب على ابنِ المُقَفَّعِ ، فكَتَب إلى نائبِه سفيانَ بنِ مُعاويةَ هذا أن يَقْتُلَه ، فأخَذَه فأحْمَى له تَنُّورًا ، وجَعَل يُقَطِّعُه إِرْبًا إِرْبًا ، ويُلْقِيه فى ذلك التَّنُّورِ حتى أحْرقَه كلَّه ، وهو يَنْظُرُ إلى أطْرافِه كيف تُقَطَّعُ ، ثم تُحَرَّقُ . وقيل غيرُ ذلك فى صفةِ قَتْلِه[5] .

قال ابنُ خَلِّكانَ[6] : ومنهم مَن يَقولُ : ابنُ المُقَفِّعِ . نِسْبةً إلى بيعِ القِفاعِ ،

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٢/١٥١ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩٩.

(٢) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٩٨.

(٣) فى الأصل : «المعلمة» ، وفى م : «المعلم» . والمغتلمة : من الاغْتِلام ، وهو شِدَّة الشهوة للجماع . انظر الوسيط (غ ل م) .

(٤) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥٢، ١٥٣.

(٥) انظر المصدر السابق ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٠٠.

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ١٥٥.

وهى مِن الجَرِيدِ ، كالزِّنْبِيلِ[1] بلا آذانٍ ، والصَّحيحُ أنه ابنُ المُقَفَّعِ ، وهو أبوه[2] دَاذَوَيْه ، كان الحَجَّاجُ قد اسْتَعْمَله على الخَراجِ ، فخان فعاقَبه حتى تَقَفَّعَت يداه . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها خَرَجَتِ التُّرْكُ والخَزَرُ[3] ببابِ الأبْوابِ ، فقتَلوا مِن المسلمين بأَرْمِينِيَةَ جَماعةً كثيرةً .

وحَجَّ بالناسِ[4] فى هذه السنةِ (٥ السَّرِىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ عباسِ ابنِ عبدِ المطلبِ نائبُ مكةَ ، وكان نائبَ المدينةِ ٥) عبدُ اللَّهِ بنُ الربيعِ الحارثىُّ ، وعلى الكوفةِ عيسى بنُ موسى ، وعلى البَصْرةِ سَلْمُ[6] بنُ قُتَيْبةَ ، وعلى مِصْرَ يزيدُ بنُ حاتمٍ .

---

(١) فى الوفيات أنه شبه الزبيل . والزَّبِيل والزنبيل : الجراب ، وقيل : الوعاء يُحمَل فيه . انظر اللسان (ز ب ل) .

(٢) فى الأصل ، م : «أبو» ، وفى ظ : «وأبوه» .

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٤٩، والكامل ٥/ ٥٧١.

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٤٩، والكامل ٥/ ٥٧٢.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م ، ص : «مسلم» .

ثم دَخَلَتْ سنةُ ستٍّ وأربعين ومائةٍ

فيها[1] تَكامَل بناءُ مَدينةِ السَّلامِ بَغْدادَ، وسَكَنها المَنْصورُ بانِيها فى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ، وكان مُقيمًا قبلَ ذلك بالهاشميةِ المُتاخِمةِ للكُوفةِ، وكان قد شَرَع فى بنائِها فى السنةِ الخارجةِ، وقيل: فى سنةِ أربعٍ وأربعين ومائةٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد كان السببَ الباعثَ له على بِنائِها أن الرَّاوَنْدِيَّةَ لمَّا وَثَبوا عليه بالكوفةِ، ووَقى اللَّهُ شَرَّهم، فقَهَرَهم وقَتَلَهم، كما تَقَدَّم، بَقِيَتْ منهم بَقِيَّةٌ، فخشِى على جُنْدِه منهم، فخرَج مِن الكوفةِ يَرْتادُ لهم مَوْضِعًا لبِناءِ مدينةٍ، فسار فى الأرضِ حتى بَلَغ الجَزيرةَ، فلم يَرَ مَوْضِعًا أحسنَ لوَضْعِ المدينةِ مِن موضعِ بغدادَ الذى هى فيه الآن، وذلك بأنه مَوْضِعٌ يُغْدَى إليه ويُراحُ بخَيْراتِ ما حَوْلَه فى البَرِّ والبحرِ، وهو مُحَصَّنٌ بدِجْلةَ والفُراتِ، لا يَقْدِرُ أحدٌ أن يَتَوَصَّلَ إلى مَوْضِعِ الخليفةِ إلَّا على جِسْرٍ، وقد بات به المنصورُ قبلَ بنائِه، فرَأَى الرياحَ ليلًا ونَهارًا، وطِيبَ الهواءِ فى تلك المَحِلَّةِ، وقد كان مَوْضِعُها قُرًى ودُيورَةٌ لعُبَّادِ النَّصارَى وغيرِهم - ذَكَر [٥٦/٨و] ذلك مُفَصَّلًا بأسمائِه وتَعْدادِه أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ رَحِمه اللَّهُ[2] - فحينئذٍ أَمَر المَنْصورُ باخْتِطاطِها، فرَسَموها له بالرَّمادِ، فمَشَى فى طُرُقِها ومَسالِكِها، فأعْجَبه ذلك، ثم سَلَّم كلَّ رُبُعٍ منها لأميرٍ يَقومُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٠، ٦٥٦، والكامل ٥/٥٧٣ - ٥٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٧/٦١٦ - ٦٢٠.

على بِنائِه، وأحْضَر مِن كلِّ البلادِ فُعَّالًا وصُنَّاعًا ومُهَنْدِسِين، فاجْتَمع عندَه ألوفٌ منهم، ثم كان هو أولَ مَن وَضَع لَبِنةً فيها بيدِه، وقال: بسمِ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، والأرضُ للَّهِ يُورثِها مَن يَشاءُ مِن عبادِه، والعاقبةُ للمُتَّقِين. ثم قال: ابْنُوا على بَرَكةِ اللَّهِ. وأَمَر ببنائِها مُدَوَّرَةً، سُمْكُ سُورِها مِن أسْفلِه خمسون ذراعًا، ومِن أعلاه عشرون ذراعًا، وجَعَل لها ثمانيةَ أبوابٍ فى السُّورِ البَرَّانىِّ، ومثلُها فى الجَوَّانىِّ، وليس كلُّ واحدٍ تُجاهَ الآخَرِ، ولكن أَزْوَرُ عن الذى يُقابِلُه[1]، ولهذا سُمِّيَت بَغْدادُ الزَّوْراءَ[2]، وقيل: سُمِّيَت بذلك لازْوِرارِها بسَبَبِ انْحرافِ دِجْلةَ عندَها. واللَّهُ أعلمُ.

وبَنَى قَصْرَ الإمارةِ فى وَسَطِ البلدِ ليَكونَ الناسُ منه على حَدٍّ سَواءٍ، واخْتَطَّ المسجدَ الجامعَ إلى جانبِ القَصْرِ، وكان الذى وَضَع قِبْلتَه الحَجَّاجُ بنُ أرْطاةَ. وقال ابنُ جَريرٍ[3]: ويُقالُ: إن فى قِبْلتِه انْحِرافًا يَحْتاجُ المُصَلِّى فيه أن يَنْحَرِفَ إلى ناحيةِ بابِ البَصْرةِ. وذَكَر أنَّ مسجدَ الرُّصافةِ أقْرَبُ إلى الصَّوابِ منه؛ لأنه بُنِى قبلَ القَصْرِ، وجامعُ المَدينةِ بُنِى على القَصْرِ، فاخْتَلَّتْ قِبْلتُه بسببِ ذلك.

وذَكَر ابنُ جَريرٍ[4]، عن سليمانَ بنِ مُجالِدٍ، أن المَنْصورَ أراد أبا حَنيفةَ النُّعْمانَ بنَ ثابتٍ على القَضاءِ فامْتَنَع، فحَلَف المَنْصورُ أن يَتَوَلَّى له، وحَلَف أبو حَنيفةَ أن لا يَفْعَلَ، فوَلَّاه القِيامَ بأمْرِ المَدينةِ وضَرْبِ اللَّبِنِ وعَدِّه، وأخْذِ الرجالِ بالعملِ، فكان أبو حنيفةَ المُتَوَلِّىَ لذلك، حتى فَرَغ مِن اسْتِتْمامِ حائطِ المدينةِ مما

---

(١) فى ب، م: «يليه». وأزور؛ أى أَمْيَل.

(٢) بعده فى ب، م: «لازورار أبوابها بعضها عن بعض».

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٢. وانظر تاريخ بغداد ١/ ١٠٧.

(٤) تاريخ الطبرى ٧/ ٦١٩.

يَلى الخَنْدقَ ، وكان اسْتِتمامُه فى سنةِ تسعٍ[1] وأربعين ومائةٍ .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وذُكِر عن الهَيْثم بنِ عَدِىٍّ أن المَنْصورَ عَرَض على أبى حَنيفةَ القَضاءَ والمَظالمَ فامْتَنع ، فحَلَف أن لا يُقْلِعَ عنه حتى يَعْمَلَ ، فأُخْبِر بذلك أبو حَنيفةَ ، فدعا بقَصَبَةٍ ، فعَدَّ اللَّبِنَ لِيُبِرَّ بذلك يمينَ أبى جعفرٍ ، ومات أبو حَنيفةَ ببَغْدادَ .

وذَكَر[3] أن خالدَ بنَ بَرْمَكَ هو الذى أشار على المَنْصورِ ببِنائِها ، وأنه كان [٨/٥٦ظ] مُسْتَحَثًّا فيها ، وقد شاوَر المَنْصورَ فى نقلِ القَصْرِ الأبيضِ مِن المَدائنِ إلى بَغْدادَ لأجْلِ قصرِ الإمارةِ بها ، فقال[4] : لا تَفْعَلْ فإنه آيةٌ فى العالَمِ ، وفيه مُصَلَّى أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ . فخالَفَه[5] ونَقَل منه شيئًا كثيرًا ، فلم يَفِ ما تَحَصَّل منه بأُجْرةِ ما يُصْرَفُ فى حَمْلِه ، فترَكَه ، ونَقَل أبوابَ واسِطٍ إلى أبوابِ بَغْدادَ ، وقد كان الحَجَّاجُ نَقَلَها مِن مدينةٍ هناك كانت مِن بناءِ سليمانَ بنِ داودَ ، وكانتِ الجِنُّ قد عَمِلَت تلك الأبْوابَ .

وقد كانتِ الأسواقُ قَرِيبًا مِن قَصْرِ الإمارةِ ، فكانت أصواتُ الباعةِ وهَوْشاتُ الأسواقِ تُسْمَعُ منه ، فعاب ذلك بعضُ بَطارِقةِ النصارَى ممَّن قَدِم فى بعضِ الرسائلِ مِن الرُّومِ ، فأَمَر المَنْصورُ بنَقْلِ الأسواقِ مِن هناك إلى مَوْضِعٍ آخرَ ، وأمَر

---

(١) فى النسخ : « أربع » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٢٨، والكامل ٥/ ٥٩٠. حوادث سنة تسع وأربعين ومائة .

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٦١٩.

(٣) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٠، ٦٥١.

(٤) فى ب : « فقالوا له » ، وفى م : « فقالوا » . والقائل هنا هو خالد بن برمك .

(٥) فى ب ، م : « فخالفهم » .

بتَوْسِعةِ الطُّرُقاتِ أربعين ذِراعًا[1] ، ومَن بَنَى فى شىءٍ مِن ذلك هُدِم .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وذُكِر عن عيسى بنِ المَنْصورِ أنه قال : وجَدْتُ فى خَزائنِ المَنصورِ فى الكتبِ أنه أنْفَق على مدينةِ السلامِ ومسجدِها الجامعِ وقَصْرِ الذَّهَبِ بها والأسْواقِ [3]والفُصْلانِ والخنادقِ وقِبابِها وأبوابِها[3] أربعةَ آلافِ ألفٍ وثمانَمائةٍ [4]وثلاثةً وثلاثين درهمًا[4] ، وكان أُجْرَةُ الأُسْتاذِ مِن البَنَّائِين فيها كلَّ يومٍ قِيراطَ فِضَّةٍ ، وأُجْرةُ الصانِعِ مِن الحَبَّتين إلى الثلاثِ .

قال الخَطِيبُ البَغْدادىُّ[5] : وقد رأيْتُ ذلك فى بعضِ الكتبِ . وحَكَى عن بعضِهم أنه قال : أنْفَقَ عليها ثمانيةَ عشَرَ ألفَ ألفٍ . فاللَّهُ أعْلَمُ .

وذَكَر ابنُ جَريرٍ[6] أن المَنْصورَ ناقَص أحدَ المُهَنْدِسِين الذى بَنَى له بيتًا حَسَنًا فى قَصْرِ الإمارةِ ، فنَقَصَه درهمًا عما ساوَمه ، وأنه حاسَب بعضَ المُسْتَحَثِّين[7] على الذى كان عندَه ، ففَضَل عندَه خمسةَ عشَرَ درهمًا ، فحبَسه حتى أحْضَرها .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخطِيبُ فى « تاريخِ بغدادَ »[8] : وبناها مُدَوَّرَةً ،

---

(١) بعده فى الأصل ، ب ، م : « فى أربعين ذراعا » .

(٢) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٥.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « وغير ذلك » . والفصلان : واحدها الفَصِيل ، وهو حائط قصير دون سور المدينة والحصن . اللسان (ف ص ل) .

(٤ - ٤) فى ب : « ألف وثلاثة وثلاثون ألف درهم » ، وفى م : « ألف وثلاثة وثمانين ألف درهم » .

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٦٩.

(٦) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٤، ٦٥٥.

(٧) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٢.

(٨) تاريخ بغداد ١/ ٦٧.

ولا يُعْرَفُ فى أقْطارِ الدُّنْيا كُلِّها مَدينةٌ مُدَوَّرَةٌ سِواها ، ووَضَع أساسَها فى وقتِ اخْتارَه له نَوْبَخْتُ المُنَجِّمُ . ثم رَوَى عن بعضِ المُنَجِّمين قال[1] : قال لى المَنْصورُ لمَّا فَرَغ مِن بِناءِ بَغْدادَ : خُذِ الطالعَ . فنَظَرْتُ فى طالِعِها ، وكان المُشْتَرِى فى القَوْسِ ، فأخْبَرْتُه بما تَدُلُّ عليه النُّجومُ مِن [٨/٥٧و] طُولِ زَمانِها ، وكَثْرةِ عِمارتِها ، وانْصِبابِ الدنيا إليها ، وفَقْرِ الناسِ إلى ما فيها . قال : ثم قلتُ له : وأُبَشِّرُك يا أميرَ المؤمنين [2] بِبشارَةٍ أُخرى ؛ وهى [2] أنَّه لا يَموتُ فيها أحدٌ مِن الخُلفاءِ أبدًا . قال : فرأيْتُه تَبَسَّم ثم قال : الحمدُ للَّهِ ، ذلك فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيه مَن يَشاءُ ، واللَّهُ ذو الفَضْلِ العظيمِ .

وذَكَر عن بعضِ الشُّعراءِ أنه قال فى ذلك شعرًا منه[3] :

قَضَى رَبُّها أن لا يَموتَ خَليفةٌ ... بها إنَّه ما شاءَ فى خَلْقِه يَقْضِى

وقد قَرَّره على هذا الخَطَأَ الخَطِيبُ ، وسَلَّم ذلك ولم يَنْقُضْه بشىءٍ ، مع اطِّلاعِه ومَعْرفتِه .

قال[4] : وزَعَم بعضُ الناسِ أن الأمينَ قُتِل بدَرْبِ الأنْبارِ منها ، فذَكَرْتُ ذلك للقاضى أبى القاسمِ علىِّ بنِ المُحَسِّنِ[5] التَّنُوخىِّ فقال : محمدٌ الأمينُ أيضًا لم يُقْتَلْ بالمدينةِ ، وإنما كان قد نَزَل فى سَفينةٍ إلى دِجْلةَ ليَتَنَزَّهَ ، فقُبِض عليه فى وَسَطِ

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٦٧، ٦٨.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) المصدر السابق ١/ ٦٨.

(٤) المصدر السابق ١/ ٦٨، ٦٩.

(٥) فى الأصل ، ظ : «الحسن» ، وفى ب ، م : «حسن» ، وفى ص : «الحسين» . والمثبت من تاريخ بغداد ١٢/ ١١٥، والأنساب ١/ ٤٨٥، ٤٨٦.

دِجْلةَ ، وقُتِل هناك ، ذَكَر ذلك الصُّولىُّ وغيرُه .

وذَكَر عن بعضِ مَشايخِ بَغْدادَ أنه قال[1] : اتِّساعُ بَغْدادَ مائةٌ وثلاثون جَرِيبًا ، وذلك يَعْدِلُ مِيلَيْن فى مِيلَيْن .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : بَغْدادُ مِن الصَّراةِ إلى بابِ التِّبْنِ .

وذَكَر الخَطِيبُ[3] عن بعضِهم أن بينَ كلِّ بابَيْن مِن أبوابِها الثمانيةِ مِيلًا ، وقيل : أقلُّ مِن ذلك . وذَكَر الخَطِيبُ[4] صفةَ قَصْرِ الإمارةِ ، وأن فيه القُبَّةَ الخَضْراءَ طولُها ثمانون ذِراعًا ، على رأسِها تِمثالُ فرَسٍ عليه فارسٌ ، فى يدِه رُمْحٌ يَدورُ به ، فإلى أىِّ جهةٍ اسْتَقْبَلَها واسْتَمَرَّ مُسْتَقْبِلَها ، عُلِم أن فى تلك الجِهةِ قد وَقَع حَدَثٌ ، فيَنْظُرُ فى أمرِه الخليفةُ . (٥وهذه القُبَّةُ على مَجْلِسٍ فى صَدْرِ إيوانِ المَحْكَمةِ ، وطولُه ثلاثون ذِراعًا ، وعَرْضُه عشرون ذِراعًا ، وقد سَقَطَت هذه القُبَّةُ فى ليلةِ بَرْدٍ ومَطَرٍ ورَعْدٍ وبَرْقٍ ، ليلةِ الثلاثاءِ لسبعٍ خَلَوْن مِن جُمادَى الآخِرةِ ، سنةَ تسعٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ٥) .

وذَكَر الخَطِيبُ البَغْدادىُّ[6] أنه كان يُباعُ فى أيامِ المَنْصورِ ببغدادَ الكَبْشُ بدرهمٍ ، والحَمَلُ بأربعةِ دَوانِقَ ، ويُنادَى على لحمِ الغنمِ كلُّ ستين رِطْلًا بدرهمٍ ، ولحمُ البَقَرِ كلُّ تسعين رِطْلًا بدرهمٍ ، والتَّمرُ كلُّ ستين رِطْلًا بدرهمٍ ، والزيتُ كلُّ

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٦٩.

(٢) ذكره الخطيب فى تاريخه ١/ ٧٠، ٧١.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧١.

(٤) تاريخ بغداد ١/ ٧٣.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ب .

(٦) المصدر السابق ١/ ٧٠.

ستةَ عشَرَ رِطْلًا بدرهمٍ ، والسَّمْنُ كلُّ ثمانيةِ أرْطالٍ بدرهمٍ ، والعَسَلُ كلُّ عشَرةِ أرْطالٍ بدرهمٍ .

ولهذا الأمْنِ والرُّخْصِ كَثُر ساكنوها ، وعَظُم أهلُوها[1] ، حتى كان المارُّ فيها لا يَكادُ يَجْتازُ فى الأسواقِ ؛ لكثرةِ أهْلِها . قال بعضُ الأُمَراءِ [٨/٥٧ظ] وقد رَجَع مِن السُّوقِ[2] : طالما طَرَدْتُ خلفَ الأَرانبِ فى هذا المكانِ .

وذَكَر الخَطِيبُ البغدادىُّ[3] ، أن المَنْصورَ جَلَس يومًا فى قَصْرِ الإمارةِ [4]وعندَه بعضُ رُسُلِ الرُّومِ[4] ، فسَمِع ضَجَّةً عَظيمةً ، ثُم أُخرى ، ثُم أُخرى ، فقال للربيعِ الحاجبِ : ما هذا ؟ فكَشَف فإذا بقرةٌ قد نَفَرَتْ مِن جازِرِها هاربةً فى الأسْواقِ ، فقال الرُّومىُّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنك بَنَيْتَ بِناءً لم يَبْنِه أحدٌ قبلَك ، وفيه ثلاثةُ عُيوبٍ ؛ بُعْدُه مِن الماءِ ، وقُرْبُ الأسْواقِ منه ، وليست عندَه خُضْرةٌ ، والعينُ خَضِرَةٌ تُحِبُّ الخُضْرةَ . فلم يَرْفَعْ بها المنصورُ رأسًا[5] ، ثم أَمَر بتَغْيِيرِ ذلك بعدَ ذلك ، وساق إليه الماءَ ، وبَنَى عندَه البَساتِينَ ، وحَوَّل الأسْواقَ مِن ثَمَّ إلى الكَرْخِ .

قال يَعْقوبُ بنُ سُفيانَ[6] : كمَل بِناءُ بَغْدادَ فى سنةِ ستٍّ وأربعين ومائةٍ ، وفى سنةِ سبعٍ وخمسين حَوَّل الأسْواقَ إلى بابِ الكَرْخِ وبابِ الشَّعِيرِ وبابِ المُحَوَّلِ ،

---

(١) بعده فى ب ، م : « وكثر الدارج فى أسواقها وأزقتها » .
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٧/ ٦٢٠.
(٣) تاريخ بغداد ١/ ٧٨، ٧٩.
(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .
(٥) أى لم ينظر إلى ذلك ولم يلتفت إليه أو يهتم به .
(٦) أخرجه الخطيب فى تاريخه ١/ ٦٧، ٧٩.

وأمَر بتَوْسِعَةِ الأسْواقِ أربعين ذِراعًا . وبعد شهرٍ[1] مِن ذلك شَرَع فى بِناءِ قَصْرِه المُسَمَّى بالخُلْدِ ، فكمَل سنةَ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ ، كما سيأْتى ، وجَعَل أمْرَ ذلك إلى رجلٍ يُقالُ له : الوَضَّاحُ ، [2]فبَنَى قصرَ الوَضّاحِ[2] ، وبُنِىَ للعامَّةِ جامِعٌ لصلاةِ الجمعةِ ؛ لا يَدْخُلون إلى جامعِ مدينةِ المَنْصورِ .

فأمَّا دارُ الخِلافةِ التى كانتْ ببَغْدادَ[3] فإنها كانتْ أولًا للحسنِ بنِ سهلٍ ، فانْتَقَلَتْ مِن بعدِه إلى ابنتِه بُورَانَ التى كان تَزَوَّجَها المأْمونُ ، فطَلَبها منها المُعْتَضِدُ - وقيل : المُعْتَمِدُ - فأنْعَمَتْ له بها ، واسْتَنْظَرَتْه أيامًا حتى تَنْتَقِلَ منها ، ثم شَرَعَتْ فى تَرْميمِها وتَبْييضِها وتَحْسينِها ، ثُم فَرَشَتْها بأنْواعِ الفُرُشِ ، وعلَّقَت فيها أنْواعَ السُّتُورِ ، وأرْصَدَتْ فيها ما يَنْبَغى للخليفةِ مِن الجَوارِى والخَدَمِ ، بأنواعِ الملابسِ ، وجَعَلَتْ فى الخَزائنِ ما يَنْبَغى مِن أنواعِ الأطْعمةِ والمآكِلِ[4] ، ثم بَعَثَتْ بمَفاتِيحِها إليه ، فلمَّا دَخَلها وَجَد فيها ما أرْصَدَتْه بها ، فهالَه ذلك واسْتَعْظَمَه جدًّا ، فكان أولَ خَليفةٍ سَكَنها ، وبَنَى عليها سُورًا . ذَكَره الخَطِيبُ البغدادىُّ .

وأما التاجُ فبَناه المُكْتَفِى على دِجْلةَ[5] ، وحَوْلَه القِبابُ والمجَالِسُ والمَيْدانُ والثُّرَيَّا وحَيْرُ الوُحوشِ[6] .

وذَكَر الخطيبُ[7] صفةَ دارِ [٥٨/٨و] الشَّجرةِ التى كانتْ فى زمنِ المُقْتَدِرِ

---

(١) فى ب ، م : « شهرين » . وانظر تاريخ بغداد ١/ ٨٠.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ب ، م .
(٣) تاريخ بغداد ١/ ٩٩.
(٤) بعده فى ب ، م : « وجعلت فى بعض بيوتها من أنواع الأموال والذخائر » .
(٥) المصدر السابق .
(٦) الحير : شِبْه الحظيرة أو الحِمَى . اللسان (ح ى ر) .
(٧) تاريخ بغداد ١/ ١٠٠، ١٠٢ - ١٠٤.

باللَّهِ ، وما فيها مِن الفُرُشِ والسُّتورِ والخَدَمِ والمَماليكِ ، والحشْمةِ الباذِخَةِ ، وأنَّه كان بها أحدَ عشَرَ ألفَ طَواشِيٍّ[1] ، وسبعُمائةِ حاجبٍ ، وأما المَماليكُ فأُلوفٌ لا يُحْصَوْن كَثْرةً[2] ، وسيأْتى ذكْرُ ذلك مُفَصَّلًا فى موضِعِه[3] بعدَ سنةِ ثلاثِمائةٍ .

وذَكَر الخَطِيبُ دارَ المُلْكِ التى بالمُخَرِّمِ[4] ، وذَكَر الجَوامِعَ التى تُقامُ فيها الجُمُعاتُ ، وذَكَر الأنْهارَ والجُسورَ التى بها ، وما كان فى ذلك فى زمنِ المنصورِ ، وما أُحْدِث بعدَه إلى زمانِه . وأنْشَد لبعضِ الشُّعراءِ فى جُسورِ بَغدادَ التى على دِجْلةَ :

يومٌ سَرَقْنا العَيْشَ فيه خِلْسَةً ... فى مجلسٍ بفِناءِ دِجْلَةَ مُفْرَدِ
رَقَّ الـهَـواءُ بـرِقَّـةٍ قُـدَّامَـهُ ... فغَدَوْتُ رِقًّا للزمانِ المُسْعِدِ
فكأنَّ دِجْلةَ طَيْلَسانٌ أبيضُ ... والجِسْرُ فيها كالطِّرازِ الأسْودِ

وقال آخرُ[5] :

أيا حَبَّذَا جسرٌ على مَتْنِ دِجْلَةٍ ... بإتْقانِ تَأْسِيسٍ وحُسْنٍ ورَوْنَقِ
جَمالٌ وحُسْنٌ[6] للعراقِ ونُزْهةٌ ... وسَلْوَةُ مَنْ أَضْناهُ فَرْطُ التَّشَوُّقِ

---

(١) إنما ذكَر الخطيب وجود الطواشيّة والحُجّاب فى دار المقتدر عامة ، ولم يحدِّده بدار الشجرة . والطَّواشِيُّ : الخَصِيُّ ، وهو مُوَلَّد لم يوجد فى كلام العرب . والجمع طَوَاشِيَّة . انظر تاج العروس ، والوسيط (ط و ش) .

(٢) جاء ذكْر المماليك عند الخطيب ضمن ما فى دار المقتدر عامة ، لا ما فى دار الشجرة .

(٣) فى ب ، م : « أيامهم ودولتهم التى ذهبت كأنها أحلام نوم » .

(٤) تاريخ بغداد ١/١٠٥ - ١١٧.

(٥) تاريخ بغداد ١/١١٦.

(٦) فى تاريخ بغداد : « فخر » .

تَـراهُ إذا مـا جِـئْـتَـهُ مُـتَـأَمِّـلًا كسَطْرِ عَبيرٍ خُطَّ فى وَسْطِ مُهْرَقِ[1]

أو العـاجِ فيه الآبِنُوسُ مُرَقَّشٌ مِثالُ فُيُولٍ تحتَـها أرضُ زِئْبَقِ

وذكَر الصُّوليُّ قال[2] : ذَكَر أحمدُ بنُ أبى طاهرٍ فى كتابِ « بَغْدادَ » أن ذَرْعَ بَغْدادَ من الجانبَيْن ثلاثةٌ وخمسون ألفَ جَرِيبٍ [3]وسبُعمائةٍ وخمسون جَرِيبًا[3] ، وأن الجانبَ الشَّرْقىَّ ستةٌ وعشرون ألفَ جَرِيبٍ وسبُعمائةٍ وخمسون جَرِيبًا ، وأن عَدَدَ حَمَّاماتِها ستون ألفَ حَمَّامٍ ، وأقلُّ ما فى كلِّ حَمَّامٍ منها خمسةُ نَفَرٍ ؛ حَمّامىٌّ وقَيِّمٌ وزَبَّالٌ ووَقَّادٌ وسَقَّاءٌ ، وأنَّ بـإزاءِ كلِّ حمامٍ خمسةَ مَساجِدَ ، فذلك ثلاثُمائةِ ألفِ مسجدٍ ، وأقلُّ ما يَكونُ فى كلِّ مَسْجدٍ خمسةُ أنفُسٍ . يعنى إمامًا وقَيِّمًا ومؤذنًا ومأمومَيْن . ثم تَناقَصَتْ بعدَ ذلك ، ثم دَثَرَتْ بعدَ ذلك حتى صارَت كأنها خَرِبةٌ ؛ صورةً ومَعْنًى . على ما سيَأْتى بيانُه فى مَوْضعِه .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البَغْدادىُّ[4] : لم يَكُنْ لبَغْدادَ فى الدنيا نَظِيرٌ فى جَلالةِ قَدْرِها ، وفَخامةِ أمْرِها ، وكَثْرةِ عُلَمائِها وأعْلامِها ، وتَمَيُّزِ خَواصِّها وعَوامِّها ، وعِظَمِ أقْطارِها ، وسَعَةِ أطرارِها[5] ، وكثرةِ دُورِها ومنازِلِها ، ودُروبِها وشَوارِعِها ، [6]ومَحالِّها وأسْواقِها ، وسِكَكِها وأزِقَّتِها[6] ، ومَساجِدِها ، [٨/٥٨ظ] وحَمَّاماتِها ، وخاناتِها ، وطِيبِ هَوَائِها ، وعُذُوبةِ مائِها ، وبَرْدِ ظِلالِها [7]وأفْيائِها[7] ،

---

(١) المُهْرَق : الصحيفة . فارسى مُعَرَّبٌ . المعرب ص ٣٥١.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١/ ١١٧، ١١٨.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) المصدر السابق ١/ ١١٩.

(٥) الأطرار : جمع طُرّ وطُرّة ؛ وهو الطرف والناحية . اللسان (ط ر ر) .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

(٧ - ٧) سقط من : ب ، م . والأفياء : جمع فَيْءٍ ، وهو الظِّلّ بعد الزوال ينبسط شرقًا . انظر الوسيط (ف ى أ) .

واعْتِدالِ صيفِها وشِتائِها ، وصحةِ رَبيعِها وخَريفِها ، وأكثرُ ما كانتْ عِمارةً وأهْلًا فى أيامِ الرَّشيدِ . ثم ذكَر تَناقُصَ أحْوالِها بعدَ ذلك ، وهَلُمَّ جرًّا إلى زمانِه .

قلتُ : وكذا مِن بعدِه إلى زَمانِنا هذا ، ولا سِيَّما فى أيامِ هولاكو[1] بنِ تولى ابنِ جِنْكِزْ خانَ التُّرْكىِّ الذى وَضَع مَعالِمَها ، وقَتَل خَليفتَها وعالِمَها ، وخَرَّب دُورَها ، وهَدَّم قُصورَها ، وأباد الخَواصَّ والعَوامَّ مِن أهلِها فى ذلك العام ، وأخَذ الأمْوالَ والحَواصِل ، ونَهَب الذَّرارِىَّ الأَصائل ، وأوْرَث بها حُزْنًا يُعَدَّدُ به فى البُكُراتِ والأَصائل ، وصَيَّرَها مُثْلَةً فى الأقاليم ، وعِبْرةً لكلِّ مُعْتَبِرٍ عَليم ، وتَذكِرةً لكلِّ ذى عَقْلٍ مُسْتَقيم ، وبُدِّلَت بعدَ تِلاوةِ القُرآن ، بالنَّغَماتِ والألْحان ، وإنْشادِ الأشْعارِ وكانَ وكانْ ، وبعدَ سَماعِ الأحاديثِ النَّبويه ، بدرسِ الفَلْسَفةِ اليُونانيه ، والمَناهِجِ الكَلاميه ، والتَّأْوِيلاتِ القُرْمَطِيَّه ، وبعدَ العلماءِ بالحكماءِ ، وبعدَ الخليفةِ العَبَّاسى ، بشَرِّ الوُلاةِ مِن الأَناسِى ، وبعدَ الرِّياسةِ والنَّباهه ، بالخَساسةِ والسَّفاهه ، [2]وبعدَ العُبّادِ بالأنْكاد[2] ، وبعدَ الطَّلَبةِ المُشْتَغِلين ، بالظَّلَمةِ والعَيَّارين ، وبعد الاشْتِغالِ بفنونِ العلومِ مِن التَّفْسيرِ والفقهِ والحديثِ وتَعْبيرِ الرُّؤْيا ، بالزَّجَلِ والمُوَشَّحِ ودُوبيت ومَوَاليا ، وما أصابهم ذلك إلَّا ببعضِ ذُنوبِهم ، وما رَبُّك بظَلَّامٍ للعَبيدِ .

والتَّحَوُّلُ منها فى هذه الأزْمانِ - لكثرةِ ما فيها مِن المُنْكَراتِ الحِسيَّةِ والمَعْنَويةِ[3] - والانْتِقالُ عنها إلى بلادِ الشامِ الذى تَكَفَّل اللَّهُ بأهلِه ، أفْضَلُ وأكْمَلُ وأجْمَلُ .

---

(١) فى الأصل : « هلاوون » ، وفى ص ، ظ : « هلاوو » . وقد أورد المصنف ترجمته فى حوادث سنة أربع وستين وستمائة ، وقال : « هولاكوخان ... والعامة يقولون : هولاوون مثل قلاوون » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) بعده فى ب ، م : « وأكل الحشيشة » .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ فى « مسندِه »[1] عن [2]أبى أُمامةَ الباهِلىِّ[2] أنَّه قال : لا تَقومُ الساعةُ حتى يَتَحَوَّلَ خِيارُ أهلِ العراقِ إلى الشامِ ، وشِرارُ أهلِ الشامِ إلى العراقِ .

ذِكرُ ما ورَد فى ذكرِ مدينةِ بَغْدادَ مِن الآثارِ ، والتَّنبيهُ على ضَعْفِ ما رُوى فيها مِن الأخْبارِ

فيها أربعُ لُغاتٍ[3] ، بَغْدادُ وبَغْداذُ بإهْمالِ الذَّالِ الثانيةِ وإعْجامِها ، وبَغْدانُ بالنُّونِ آخِرَه ، وبالميمِ مع ذلك أولًا مَغْدانُ ، وهى كلمةٌ أعْجميةٌ ، قيل : إنها مُرَكَّبةٌ مِن بَغْ وداذُ . [٨/٥٩و] فقيل : بَغْ بُسْتانٌ ، وداذ اسمُ رجلٍ . وقيل : بَغْ اسمُ صَنَمٍ - وقيل : شيطانٌ - وداذ : عَطِيَّةٌ . أىْ عَطِيةُ الصَّنمِ ، ولهذا كَرِه عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ والأصْمَعىُّ وغيرُهما تَسْمِيتَها بَغْداذَ[4] ، وإنما يُقالُ لها : مدينةُ السلامِ . وكذا سمَّاها بانيها أبو جعفرٍ المَنْصورُ ؛ لأن دِجْلَةَ كان يُقالُ لها : وادى السلامِ . ومنهم مَن يُسَمِّيها الزَّوْراءَ ، وهو لقبٌ لها .

فرَوَى الخَطِيبُ البَغْدادىُّ[5] مِن طريقِ عَمَّارِ بنِ سيفٍ - وهو مُتَّهَمٌ - قال :

---

(١) المسند ٥/ ٢٤٩.

(٢ - ٢) فى النسخ : « رسول اللَّه ﷺ » . والمثبت من المسند . وقد جاء فى حاشية « ظ » : « ليس فى المسند عن رسول اللَّه ﷺ ، إنما هو عن أبى أُمامة الباهلى من قوله » . ويؤيد ذلك أنه جاء فى المسند عقب قول أبى أمامة : وقال رسول اللَّه ﷺ : « عليكم بالشام » .

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٥٨ - ٦٢.

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « بغداد » . وإنما كره ابن المبارك والأصمعى وغيرهما تسميتها بغداذ ، بالذال ؛ قال ابن المبارك : لا يقال بغداذ ، بالذال ؛ فإن بغ شيطان وداذ عطيته ، وإنها شرك ، ولكن تقول : بغداد ، وبغدان ، كما تقول العرب . تاريخ بغداد ١/ ٥٩.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٧، ٢٨.

سَمِعْتُ عاصمًا الأحْولَ يُحَدِّثُ عن سُفْيانَ الثَّورىِّ ، عن أبى عُثمانَ ، عن جَريرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تُبْنَى مدينةٌ بينَ دِجْلةَ ودُجَيْلٍ وقُطْرَبُّلَ والصَّراةِ ؛ تُجْبَى إليها خَزائِنُ الأرضِ (١وجَبابِرَتُها١) ، لهى أسْرَعُ ذَهابًا فى الأرضِ مِن الوَتَدِ الحَديدِ فى الأرضِ الرَّخْوةِ » .

قال الخَطيبُ[٢] : وقد رَواه عن عاصمٍ الأحْولِ سيفُ بنُ محمدِ بنُ أختِ سُفْيانَ الثَّوْرىِّ ، وهو أخو عَمَّارِ بنِ محمدٍ[٣] - قلتُ : وكِلاهما ضَعيفٌ مُتَّهَمٌ يُرْمَى بالكَذِبِ - ومحمدُ بنُ جابرٍ اليَمامىُّ[٤] - وهو ضعيفٌ أيضًا - وأبو شِهابٍ الحنَّاطُ[٥] ، ورَوَى عن سُفْيانَ الثَّوْرىِّ عن عاصمٍ . ثم أسْنَد ذلك كلَّه .

وأوْرَد[٦] مِن طريقِ يَحْيَى بنِ مَعينٍ ، عن يحيى بنِ أبى بُكَيرٍ ، عن عمّارِ بنِ سيفٍ ، عن سفيانَ الثَّوْرىِّ ، عن عاصمٍ ، عن أبى عثمانَ ، عن جَريرٍ ، عن النبىِّ ﷺ فذَكَرَه . وقد قال أحمدُ ويَحْيَى بنُ مَعينٍ[٧] : ليس لهذا الحديثِ أصْلٌ . وقال أحمدُ[٧] : ما حَدَّث به إنسانٌ ثِقةٌ . وقد عَلَّله الخَطيبُ مِن جَميعِ طُرُقِه[٨] ، وساقه أيضًا مِن

(١ - ١) فى ب ، م : « وملوكها جبابرة » .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٩، ٣٠.

(٣) فى النسخ : « سيف » . والمثبت من تاريخ بغداد . وهو عمار بن محمد الثورى أبو اليقظان الكوفى . أما عمار بن سيف فهو أبو عبد الرحمن الضَّبِّى الكوفى ، وصىُّ سفيان الثورى . انظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٩٤، ٢٠٤.

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « اليمانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٦٤.

(٥) فى الأصل ، ص ، ظ : « الخياط » ، وفى م : « الحناطى » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٨٥.

(٦) أى الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد ١/ ٣١.

(٧) انظر المصدر السابق ١/ ٣٤.

(٨) المصدر السابق ١/ ٣٤ - ٣٨.

طريقِ عمارِ بنِ سيفٍ ، عن الثَّوْرىِّ ، عن أبى عُبَيدةَ حُمَيْدٍ الطَّويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ[1] ، ولا يَصِحُّ أيضًا . ومِن طريقِ عمرَ بنِ يَحْيَى ، عن سُفْيانَ ، عن قيسِ بنِ مسلم ، عن رِبْعىٍّ ، عن حُذَيْفةَ مَرْفوعًا بنحوِه[2] ، ولا يَصِحُّ أيضًا . ومِن غيرِ وَجْهٍ[3] عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ وابنِ مَسْعودٍ وثَوْبانَ وابنِ عباسٍ ، وفى بعضِها ذِكْرُ السُّفْيانىِّ وأنه يُخَرِّبُها ، ولا يَصِحُّ إسنادُ شىءٍ مِن هذه الأحاديثِ ، وقد أوْرَدها الخَطِيبُ بأسانيدِها وألْفاظِها ، وفى كلٍّ منها نَكارةٌ ، وأقْرَبُ ما فى ذلك عن كعبِ الأحْبارِ[4] ، وقد جاء فى آثارٍ [٨/٥٩ظ] عن كُتُبٍ مُتَقَدِّمةٍ أن بانِيَها يقالُ له : مِقْلاصٌ وذو الدَّوانِيقِ[5] . [6]وقد كان المنصورُ يُلَقَّبُ بمقلاصٍ فى صِغَرِه ، ولَمَّا وَلِىَ لُقِّب بذى الدَّوانِيقِ[6] ؛ لبُخْلِه .

فصــلٌ فى ذِكْرِ مَحاسِنِ بَغْدادَ[7] ، وما رُوِىَ فيها عن الأئمةِ النُّقَّادِ

قال يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى الصَّدَفىُّ المِصْرىُّ[8] : قال لى الشافعىُّ : هل رأيْتَ بَغْدادَ ؟ قلتُ : لا . فقال : لم ترَ الدُّنْيا .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٣، وإنما ساقه الخطيب هناك من طريق همام بن سفيان - لا عمّارٍ كما ذكر المصنف هنا - عن الثورى به .

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨.

(٣) المصدر السابق ١/٣٨ - ٤١.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٠.

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٧/٦١٥ - ٦١٩.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) بعده فى ب ، م : « ومساوئها » .

(٨) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ٤٥.

وعن الشافعيِّ قال[1] : ما دَخَلْتُ بلدًا قطُّ إلا عدَدْتُه سَفرًا ، إلا بغدادَ فإنى حينَ دَخَلْتُها عدَدْتُها وَطَنًا .

وقال بعضُهم[2] : الدنيا باديةٌ ، وبَغْدادُ حاضِرتُها .

وقال ابنُ عُلَيَّةَ[3] : ما رَأَيْتُ أعْقَلَ فى طلبِ الحديثِ مِن أهلِ بَغْدادَ ، ولا أحْسَنَ رغبةً .

وقال ابنُ مُجاهِدٍ[4] : رأيْتُ أبا عمرِو بنَ العَلاءِ فى النومِ فقلتُ : ما فَعَل اللَّهُ بك ؟ فقال لى : دَعْنى مِن هذا ، مَن أقام ببَغْدادَ على السُّنَّةِ [5]والجَماعةِ[5] ومات ، نُقِل مِن جنةٍ إلى جنةٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[6] : الإسْلامُ ببَغْدادَ ، وإنها لصَيَّادةٌ تَصِيدُ الرِّجالَ ، ومَن لم يَرَها لم يَرَ الدنيا .

وقال أبو مُعاويةَ[7] : بَغْدادُ دارُ دُنْيا وآخِرةٍ .

وقال بعضُهم[8] : مِن مَحاسِنِ الإسْلامِ يومُ الجُمُعةِ ببَغْدادَ ، وصَلاةُ التَّراوِيحِ بمَكةَ ، ويومُ العيدِ بطَرَسُوسَ .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٦.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤٥.
(٣) المصدر السابق ١/ ٤٦.
(٤) المصدر السابق .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ب ، ص ، ظ .
(٦) المصدر السابق ١/ ٤٧.
(٧) المصدر السابق .
(٨) المصدر السابق .

قال الخَطِيبُ[1] : مَن شَهِد الجُمُعةَ بمدينةِ السلامِ عَظَّم اللَّهُ فى قلبِه مَحَلَّ الإسْلامِ ؛ لأن مَشايخَنا كانوا يَقولون : يومُ الجُمُعةِ ببَغْدادَ كيومِ العيدِ فى غيرِها مِن البلادِ .

وقال بعضُهم[2] : كنتُ أُواظِبُ على الجمعةِ بجامعِ المَنْصورِ ، فعَرَض لى شُغُلٌ فصَلَّيْتُ فى غيرِه ، فرَأيْتُ [3]فى المَنامِ[3] كأن قائلًا يقولُ لى : ترَكْتَ الصلاةَ بالجامعِ وإنه لَيُصَلِّى بالجامعِ كلَّ جمعةٍ سبعون وَلِيًّا ؟!

وقال آخرُ[4] : أرَدْتُ الانْتِقالَ مِن بَغْدادَ إلى غيرِها ، فرأيْتُ كأنَّ قائلًا يَقولُ لى [3]فى المَنامِ[3] : أتَنْتَقِلُ مِن بلدٍ فيه عشَرةُ آلافِ وَلِيٍّ للَّهِ عزَّ وجلَّ ؟!

وقال بعضُهم[5] : رأيْتُ كأن مَلَكَيْن أَتَيا بَغْدادَ ، فقال أحدُهما لصاحبِه : اقلِبْ بها فقد حَقَّ القولُ عليها . فقال الآخرُ : كيف أَقْلِبُ ببلدٍ خُتِم فيه القرآنُ اللَّيلةَ خمسةَ آلافِ خَتْمةٍ ؟!

وقال أبو مُسْهِرٍ[6] ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن سليمانَ بنِ موسى قال : إذا كان عِلْمُ الرجلِ [٨/٦٠و] حِجازيًّا ، وخُلُقُه عِراقيًّا ، وطاعتُه[7] شاميَّةً فقد كَمُل .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٧، ٤٨.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ب ، ص ، ظ .

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٨.

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ١/ ٥٠، من طريق أبى مسهر به .

(٧) فى ب ، م : « صلاته » .

وقالت زُبَيْدةُ لمنصورٍ النَّمَرىِّ[1] : قُلْ شعرًا تُحَبِّبُ فيه بَغْدادَ إلى الرَّشِيدِ ، فقد اخْتار سُكْنَى الرافِقَةِ[2] . فقال :

ماذا ببغدادَ مِن طِيبِ الأفانِينِ ... ومِن مَنازِلَ[3] للدُّنْيا وللدِّينِ
تُحْيِى الرِّياحُ بها المَرْضَى إذا نَسَمَتْ ... وجَوَّشَتْ بينَ أغْصانِ الرَّياحِينِ

قال : فأعْطَتْه ألفَىْ دينارٍ .

وقال الخَطِيبُ[4] : وقَرَأْتُ فى كتابِ طاهرِ بنِ مُظَفَّرِ بنِ طاهرٍ الخازنِ بخَطِّه مِن شِعْرِه :

سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الغادياتِ مَحَلَّةً ... ببَغْدادَ بينَ الكَرْخِ فالخُلْدِ فالجِسْرِ
هى البَلْدةُ الحَسْناءُ خُصَّتْ لأهلِها ... بأشياءَ لم يُجْمَعْنَ مُذْكُنَّ فى مِصْرِ
هَواءٌ رَقيقٌ فى اعْتِدالٍ وصحَّةٍ ... وماءٌ له طَعْمٌ أَلَذُّ مِن الخَمْرِ
ودِجْلَتُها شَطَّانِ قد نُظِما لنا ... بتاجٍ إلى تاجٍ وقَصْرٍ إلى قَصْرِ
ثَراها[5] كمِسْكٍ والمياهُ كفِضَّةٍ ... وحَصْباؤُها مثلُ اليَواقِيتِ والدُّرِّ

وقد أورَد الخَطِيبُ فى هذا أشْعارًا كثيرةً[6] ، وفيما ذَكَرْنا كِفايةٌ .

وقد كان الفَراغُ مِن بِناءِ بَغْدادَ فى هذه السنةِ - أَعْنى سنةَ ستٍّ وأرْبَعين

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٥١ ٥٢.
(٢) الرافقة : بلد متصل البناء بالرَّقَّة ، وهما على ضفاف الفرات ، وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع . انظر معجم البلدان ٢/ ٧٣٤.
(٣) فى م ، وتاريخ بغداد : « منازه » .
(٤) تاريخ بغداد ١/ ٥٢، ٥٣.
(٥) فى الأصل ، وتاريخ بغداد : « تراها » ، وفى ص : « نراها » .
(٦) تاريخ بغداد ١/٥٢ - ٥٤.

ومائةٍ[1] - وقيل[2] : فى سنةِ ثمانٍ وأرْبعين . وقيل[3] : إن سُورَها وخَنْدَقَها كُمِّلا فى سنةِ تسعٍ[4] وأرْبَعين . ولم يَزَلِ المَنْصورُ يَزِيدُ فيها ، ويَتأَنَّقُ فى بنائِها حتى كان آخرَ ما بَنَى فيها قَصْرُ الخُلْدِ ، فعندَ كمالِه تُوُفِّى ، كما سيأتى بَيانُه .

قال ابنُ جَريرٍ[5] : وفى هذه السنةِ عَزَل المَنْصورُ سَلْمَ بنَ قُتَيْبةَ عن البَصْرةِ ، ووَلَّى عليها محمدَ بنَ سليمانَ بنِ علىٍّ ؛ وذلك لأنه كتَب إلى سَلْمٍ يَأْمُرُه بهَدْمِ بُيوتِ الذين بايَعوا إبراهيمَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، فتَوانَى فى ذلك فعَزَله ، وبَعَث ابنَ عمِّه محمدَ بنَ سليمانَ بنِ علىٍّ فعاث فيها فَسادًا ، وهَدَم دُورًا كثيرةً ، وعَزَل عبدَ اللَّهِ بنَ الربيعِ عن إمْرةِ المدينةِ ، ووَلَّى عليها جَعفرَ بنَ سليمانَ ، وعَزَل عن مكةَ السَّرِىَّ بنَ عبدِ اللَّهِ ووَلَّاها عبدَ الصَّمَدِ بنَ علىٍّ .

قال[6] : وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ . قاله الواقدىُّ وغيرُه . قال[6] : وفيها غَزا الصَّائفةَ [٨/٦٠ظ] مِن بلادِ الرومِ جعفرُ بنُ حَنْظَلةَ البَهْرانىُّ .

وفيها تُوُفِّىَ مِن الأعْيانِ : أشْعَثُ بنُ عبدِ الملكِ[7] ، **ومحمدُ**[8] بنُ السائبِ

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٦٦، ٦٧.

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٦٧.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٨، وتاريخ بغداد ١/ ٦٧.

(٤) فى الأصل، م: «سبع».

(٥) تاريخ الطبرى ٧/ ٦٥٥، ٦٥٦.

(٦) المصدر السابق ٧/ ٦٥٦.

(٧) طبقات خليفة ١/ ٥٢٩، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٧٢.

(٨) فى النسخ: «هشام». وهو خطأ؛ فهشام هو ابن محمد بن السائب، وسيأتى ذكر وفاته ضمن وفيات سنة أربع ومائتين فى ١٤/ ١٤١. وانظر ترجمة محمد بن السائب فى طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٨،=

الكَلْبيُّ ، وهِشامُ بنُ عُرْوَةَ[1] ، ويَزيدُ بنُ أبى عُبَيْدٍ[2] فى قولٍ .

= وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٦٧.

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢١، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٧، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٥٩، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٣٨.

ثم دَخَلَتْ سنةُ سبعٍ وأرْبَعين ومائةٍ

فيها[1] أغار إسترخان الخُوارَزْمىُّ فى جيشٍ مِن الأتْراكِ على ناحيةِ أَرْمِينيَةَ ، فدَخَلوا تَفْلِيسَ[2] ، وقتَلوا خَلْقًا ، وأسَروا كثيرًا مِن المسلمين وأهلِ الذِّمَّةِ ، وممَّن قَتَلوا يومَئذٍ حربُ بنُ عبدِ اللَّهِ الراوَنْدِىُّ الذى تُنْسَبُ إليه الحَرْبيةُ ببَغْدادَ ، وكان مُقِيمًا بالمَوْصِلِ فى ألفَيْنِ لمُقاتَلَةِ الخَوارِجِ ، فسَيَّرَه المَنْصورُ لمساعدةِ المسلمين ببلادِ أرْمِينيَةَ ، فكان فى جيشِ جَبْرَئيلَ بنِ يَحْيَى ، فهُزِم جَبْرئيلُ ، وقُتِل حربٌ ، رَحِمه اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ كان مَهْلِكُ **عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ**[3] عَمِّ المَنْصورِ ، الذى أَخَذ الشامَ مِن أيْدى بنى أُميةَ ، ثم كان عليها حتى مات السَّفَّاحُ ، فدعا إلى نفسِه ، فبَعَث إليه المَنْصورُ أبا مسلمٍ الخُراسانىَّ ، فهَزَمه ، وهَرَب عبدُ اللَّهِ إلى عندِ أخيه سليمانَ بنِ علىٍّ بالبَصْرةِ ، فاخْتَفَى عندَه مدةً ، ثم ظَهَر المَنْصورُ على أمْرِه ، فاسْتَدْعَاه وسَجَنَه ، فلمَّا كان فى هذه السنةِ عَزَم المَنْصورُ على الحَجِّ ، فطَلَب ابنَ عمِّه عيسى بنَ موسى - وكان وَلِىَّ العهدِ مِن بعدِ المَنْصورِ عن وَصيةِ السَّفَّاحِ - وسَلَّم إليه عمَّه عبدَ اللَّهِ بنَ علىٍّ ، وقال له : إن هذا عدوِّى وعدوُّك ، فاقْتُلْه فى غَيْبتى عنك ولا تَتوانَ . وسار المَنْصورُ إلى الحَجِّ ، وجَعَل يَكْتُبُ إليه مِن الطريقِ يَسْتَحِثُّه فى ذلك ويَقولُ له : ماذا صَنَعْتَ فيما أوْعَزْتُ إليك فيه ؟ مرةً بعدَ مرةٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٧ - ٢٦، والكامل ٥/٥٧٧ - ٥٨٣.

(٢) تفليس : بلد بأرمينية . معجم البلدان ١/ ٨٥٧. وهى تبليس عاصمة أرمينيا اليوم .

(٣) الوزراء والكتاب ص ١٠٣، وتاريخ بغداد ١٠/٨، والمنتظم ٨/١٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٣/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٦/١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١- ١٦٠) ص ١٩٥، والوافى بالوفيات ١٧/٣٢١.

وأما عيسى بنُ موسى فإنه لمَّا تَسَلَّم عمَّه حار فى أمْرِه ، وشاوَر بعضَ أهلِه[1] ، فأشار بعضُهم ممَّن له رَأْىٌ أن المَصْلَحةَ تَقْتَضِى أن لا تَقْتُلَه وأخْفِهِ[2] عندَك ، وأظْهِرْ قتلَه ؛ فإنا نَخْشَى أن يُطالِبَك به جَهْرةً ، فتقولَ : قَتَلْتُه . فيأْمُرَ بالقَوَدِ ، فتَدَّعِىَ أنه أمَرَك بقَتْلِه فى السِّرِّ ، فتَعْجِزَ عن إثْباتِ ذلك فيَقْتُلَك به ، وإنما يُرِيدُ المَنْصورُ قتلَه وقَتْلَك ليَسْتَرِيحَ منكما معًا . فتَبَصَّر[3] عيسى بنُ موسى عندَ ذلك ، وأخْفَى عمَّه ، وأظْهَر أنه قتَله ، فلمَّا رجَع المَنْصورُ مِن [٦١/٨و] الحَجِّ أمَر أهلَه أن يَدْخُلوا عليه ، ويَشفَعوا فى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ ، [4]فجاءوا كلُّهم فدَخَلوا عليه ، وشَفَعوا فى عبدِ اللَّهِ ابنِ علىٍّ[4] وألَحُّوا فى ذلك ، فأجابهم إليه ، واسْتَدْعَى عيسى بنَ موسى وقال له : إن هؤلاء قد شَفَعوا علَىَّ فى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ ، وقد أجَبْتُهم إلى ما طلَبوا ، فسَلِّمْه إليهم . فقال عيسى : وأين عبدُ اللَّهِ ؟ ذاك قَتَلْتُه منذ أمَرْتَنى . فقال المنصورُ : لم آمُرْك بذلك . وجَحَد أن يَكونَ تقَدَّم إليه منه أمْرٌ فى ذلك ، فأحْضَر عيسى الكُتُبَ باستِحْثاثِه فى ذلك مرةً بعدَ مرةٍ[5] ، فأنْكَر أن يَكونَ أراد ذلك ، وصَمَّم على الإنْكارِ ، وصَمَّم عيسى بنُ موسى أنه قد قتَله ، فأمَرَ المَنْصورُ عندَ ذلك بقَتْله قِصاصًا بعبدِ اللَّهِ ، فخرَج به بنو هاشمٍ ليَقْتُلوه ، فلمَّا جاءوا بالسيفِ قال : رُدُّونى إلى الخَليفةِ . فرَدُّوه إليه ، فقال له : إن عمَّك حاضرٌ ، ولم أَقْتُلْه . فقال : هَلُمَّ به . فأحْضَره ، فسُقِط فى يدِ الخَليفةِ ، وأَمَر بسَجْنِه[6] فى دارٍ جُدْرانُها مَبْنِيَّةٌ على مِلْحٍ ، فلمَّا كان مِن الليلِ أرْسَل على جُدْرانِها الماءَ ، فسَقَط عليه البِناءُ ، فهَلَك ، رَحِمه اللَّهُ .

---

(١) الذى فى مصدرى التخريج ، أن عيسى شاور كاتِبَه يونس بن فروة .

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « أبقه » .

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « فتغير » ، وفى ص : « فينصر » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م ، ص ، ظ .

(٥) ليس فى مصدرى التخريج ذكر إحضار عيسى لكتب المنصور .

(٦) أى ؛ سجن عبد اللَّه بن على .

ثم إن المَنْصورَ خَلَع عيسى بنَ موسى عن وِلايةِ العَهْدِ، وقَدَّم عليه ابنَه المَهْدىَّ، فكان يُجْلِسُه فوقَ عيسى عن يَمِينِه، ثم كان بعدَ ذلك لا يَلْتَفِتُ إلى عيسى بنِ موسى، ويُهِينُه فى الإذْنِ والمَشورةِ والدُّخولِ عليه والخُروجِ مِن عندِه، (١بعدَ ما كان حَظِيًّا عنده قبل ذلك جِدًّا١)، ثم ما زال يُقْصِيه ويُبْعِدُه ويَتَهَدَّدُه ويَتَوَعَّدُه، حتى خَلَع نَفْسَه بنفسِه وبايَع لمحمدِ بنِ المَنْصورِ، وأعْطاه المَنْصورُ على ذلك نحوًا مِن اثْنَىْ عشَرَ ألفَ ألفِ درهمٍ، وانْصَلَح أمْرُ عيسى بنِ موسى وبنيه عندَ المَنْصورِ، وأقْبَل عليه بعدَ ما كان أعْرَض عنه، وكان قد جَرَتْ بينَهما مُكاتَباتٌ كثيرةٌ جدًّا، ومُرَاوَضاتٌ[٢] فى تَمْهيدِ هذه البَيْعةِ لابنِه المَهْدىِّ وخَلْعِ عيسى نفسَه، وأن العامَّةَ لا يَعْدِلون بالمَهْدىِّ أحدًا، وكذلك الأُمَراءُ والخَواصُّ، ولم يَزَلْ به حتى أجاب إلى ذلك مُكْرَهًا، فعَوَّضه عن ذلك ما ذكَرْنا، وسارَت بَيْعةُ المَهْدىِّ فى الآفاقِ شرقًا وغربًا، وبُعْدًا وقُرْبًا، وفَرِح المَنْصورُ بذلك فَرَحًا شديدًا، واسْتَقَرَّت الخِلافةُ فى ذُريتِه إلى زَمانِنا هذا، فلم يَكُنْ خَليفةٌ مِن بنى العباسِ إلَّا مِن سُلالتِه، ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ.

وفيها [٨/٦١ظ] **تُوُفِّىَ عُبَيدُ اللَّهِ** بنُ عمرَ العُمَرىُّ[٣]، **وهاشمُ** بنُ هاشمٍ[٤]، **وهِشامُ** بنُ حَسَّانَ[٥] صاحبُ الحسنِ البَصْرىِّ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى م: «مراودات». والمراوضات: مِن راوَضَه على الأمر: إذا داراه وخاتَلَه حتى يُدخله فيه. انظر الوسيط (ر و ض).

(٣) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٦٥، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢١٤.

(٤) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٧١، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣١٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧١، وحلية الأولياء ٦/ ٢٦٩، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٨١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣١٨.

ثم دَخَلَت سنةُ ثَمانٍ وأرْبعين ومائةٍ

فيها[1] بعَث المَنْصورُ حُمَيْدَ بنَ قَحْطَبةَ لغَزْوِ التُّرْكِ الذين كانوا قد عاثوا ببلادِ تَفْلِيسَ ، فلم يَجِدْ منهم أحدًا ؛ لأنهم انْشَمَروا إلى بلادِهم . وحَجَّ بالناسِ فيها جعفرُ بنُ أبى جعفرٍ المنصورِ . ونُوَّابُ البلادِ فيها هم المَذْكورون فى التى قبلَها .

وفيها كانت وفاةُ جماعةٍ مِن الأعيانِ ، منهم ؛ **جعفرُ** بنُ محمدٍ الصادقُ[2] ، المَنْسوبُ إليه كتابُ « اخْتِلاجِ الأعضاءِ » وهو مَكْذوبٌ عليه ، **وسليمانُ** بنُ مِهْرانَ الأعْمَشُ[3] أحدُ مَشايخِ الحديثِ ، فى ربيعِ الأولِ منها ، **وعمرُو** بنُ الحارثِ[4] ، **والعَوَّامُ** بنُ حَوْشَبٍ[5] ، **والزُّبَيْدىُّ**[6] ، **ومحمدُ** بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى[7] ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٧ ، والمنتظم ٨/١١٠ - ١١٥.

(٢) طبقات خليفة ٢/ ٦٧٣، وحلية الأولياء ٣/ ١٩٢، وتهذيب الكمال ٥/ ٧٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٨٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٢، وتاريخ بغداد ٩/ ٣، وحلية الأولياء ٥/ ٤٦، وتهذيب الكمال ١٢/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ١٦١.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥، وطبقات الفقهاء ص ٧٨ ، وتهذيب الكمال ٢١/ ٥٧٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٣٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣١١، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٤٦.

(٦) هو محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى. انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٥، وتهذيب الكمال ٢٦/٥٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٨٥.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٨، وطبقات الفقهاء ص ٨٤، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٦٢٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٧٥.

ومحمدُ بنُ عَجْلانَ[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٥٤، وتهذيب الكمال ٢٦/١٠١، وسير أعلام النبلاء ٦/٣١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٨٠.

ثم دَخَلَت سنةُ تسعٍ وأرْبعين ومائةٍ

فيها[1] فُرِغ مِن بناءِ سُورِ بَغْدادَ وخَنْدَقِها. وفيها غَزا الصائفةَ العباسُ بنُ محمدٍ، فدَخَل بلادَ الرومِ ومعه الحسنُ بنُ قَحْطَبةَ ومحمدُ بنُ الأشْعَثِ، ومات محمدُ بنُ الأشعَثِ فى الطريقِ. وفيها حجَّ بالناسِ محمدُ بنُ إبراهيمَ [2]بنِ محمدٍ[2] بنِ علىٍّ، وولَّاه المنصورُ على مكةَ والحِجازِ عوَضًا عن عمِّه عبدِ الصَّمَدِ ابنِ علىٍّ. وعُمَّالُ الأمْصارِ فيها هم الذين فيما قبلَها.

وفيها تُوُفِّىَ زكريا بنُ أبى زائدةَ[3]، **وكَهْمَسُ** بنُ الحسنِ[4]، **والمُثَنَّى** بنُ الصَّبَّاحِ[5]، **وعيسى** بنُ عمرَ أبو عُمرَ[6] الثَّقَفىُّ البَصْرىُّ النَّحْوىُّ شيخُ سِيبوَيْهِ، يقالُ[7]: إنه مِن مَوالى خالدِ بنِ الوليدِ، وإنما نَزَل فى ثَقيفٍ، فنُسِب إليهم. كان

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٨، والكامل ٥/ ٥٩٠.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٥، وتهذيب الكمال ٩/ ٣٥٩، وسير أعلام النبلاء ٦/٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٠، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٥٨.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩١، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٨٧.

(٦) فى النسخ: «عمرو»، وكذا فى وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦. والمثبت من مصادر ترجمته، انظر معجم الأدباء ١٦/ ١٤٦، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ص ٢٤٩، وطبقات القراء ١/ ٦١٣، وتهذيب الكمال ٢٣/ ١٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٤٨.

(٧) انظر إنباه الرواة ٢/ ٣٧٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦، وإشارة التعيين ص ٢٤٩.

إمامًا كبيرًا جَليلًا فى اللغةِ والنحوِ والقِراءاتِ ، أَخَذ ذلك عن عبدِ اللَّهِ بنِ كثيرٍ وابنِ مُحَيْصِنٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى إسحاقَ ، وسَمِع الحسنَ البَصْرىَّ وغيرَهم ، وعنه الخليلُ بنُ أحمدَ ، والأصْمَعىُّ ، وسِيبوَيْهِ ، ولزِمه وعُرِف به وانْتَفَع به ، وأخَذ كتابَه الذى صَنَّفَه وسَمَّاه « الجامعَ » فزاد عليه وبَسَطَه ، فهو « كتابُ سِيبَوَيْهِ » اليومَ ، وكان يَسألُ عَمَّا أَشْكَل فيه عليه شيخَه الخليلَ بنَ أحمدَ ، وقد سَأَل الخليلُ يومًا[1] سِيبَوَيْهِ عمَّا صَنَّف عيسى بنُ عمرَ فقال : جمَع بِضْعًا وسبعين كتابًا ، ذَهَبَتْ كلُّها إلَّا كتابَه « الإكْمالَ » ، وهو بأرضِ فارسَ ، [2]وكتابَه « الجامِعَ »[2] [٨/٦٢و] ، وهو الذى أَشْتَغِلُ فيه وأَسْأَلُك عن غَوامِضِه . فأطْرَق الخَليلُ ساعةً ثم أنْشَد :

ذهَب النحوُ جَميعًا كلُّهُ ... غيرَ ما أحْدَث عيسى بنُ عمرْ
ذاك إكمالٌ وهذا جامِعٌ ... وهما للناسِ شمسٌ وقَمَرْ

وقد كان عيسى يُغْرِبُ ويَتَقَعَّرُ فى عِبارتِه جدًّا ، وقد حَكَى الجَوْهَرىُّ عنه فى الصِّحاحِ[3] أنه سَقَط يومًا عن حمارِه ، فاجْتَمَع عليه الناسُ فقال : ما لكم تَكَأْكَأْتُم علىَّ تَكَأْكُؤَكم على ذى جِنَّةٍ[4] ؟! افْرَنْقِعوا عنى . معناه : ما لكم تَجَمَّعْتُم علىَّ تَجَمُّعَكم على مَجْنونٍ ؟! انْكَشِفوا عنى .

وقال غيرُه[5] : كان به ضِيقُ النَّفَسِ ، فسَقَط بسببِه ، فاعْتَقد الناسُ أنه مَصْروعٌ ، فجعَلوا يُعَوِّذُونَه ويَقْرَءُون عليه ، فلمَّا أفاق مِن غَشْيَتِه قال ما قال ، فقال

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦، ٤٨٧.
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) الصحاح ١/ ٦٦.
(٤) فى النسخ : « مرة » . والمثبت من الصحاح . ومِرَّة تعنى القوة ، والعقل .
(٥) انظر إنباه الرواة ٢/ ٣٧٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٧، وإشارة التعيين ص ٢٥٠.

بعضُهم : إنَّ جِنِّيَّتَه تَتَكَلَّمُ بالفارسيةِ[1] .

وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] أنه كان صاحبًا لأبى عمرِو بنِ العَلاءِ ، وأن عيسى بنَ عمرَ قال يومًا لأبى عمرِو بنِ العَلاءِ : أنا أَفْصَحُ مِن مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ . فقال له أبو عمرٍو : كيف تُنْشِدُ هذا البيتَ :

قد كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجوهَ تَسَتُّرًا فاليومَ حينَ بَدَأْنَ للنُّظَّارِ

أو « بَدَيْنَ » ؟ فقال : بَدَيْنَ . فقال أبو عمرٍو : أخْطَأْتَ . ولو قال : بَدَأْنَ . لأخطأ أيضًا ، وإنما أراد أبو عمرٍو تَغْلِيطَه ، وإنما الصَّوابُ : بدَوْنَ ، مِن بَدا يَبْدُو إذا ظهَر . وبدَأ يَبْدَأُ إذا شَرَع فى الشىءِ .

---

(١) فى مصادر التخريج : « بالهندية » .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٦، ٤٨٧.

ثم دخَلَت سنةُ خمسين ومائةٍ مِن الهِجْرةِ

فيها[1] خرَج رجلٌ مِن الكَفَرةِ يُقالُ له : أُسْتاذسِيسُ . فى بلادِ خُراسانَ ، فاسْتَحْوَذ على أكْثرِها ، والْتَفَّ معه نحوٌ مِن ثلاثِمائةِ ألفٍ ، وقَتَلوا مِن المسلمين هنالك خَلْقًا كثيرًا ، وهَزَموا الجيوشَ التى فى تلك البلادِ ، وسَبَوْا خَلْقًا ، واسْتَحْكَم الفَسادُ بسببِهم ، وتَفاقَم أمْرُهم ، فوَجَّه المَنْصورُ خازمَ بنَ خُزَيْمةَ إلى ابنِه المَهْدىِّ ليُوَلِّيَه حربَ تلك البلادِ ، ويَضُمَّ إليه مِن الأجْنادِ ما يُقاوِمُ أولئك ، فنَهَض المَهْدىُّ فى ذلك نَهْضةَ رجلٍ هاشمىٍّ ، وجمَع لخازمِ بنِ خُزَيْمةَ الإمْرةَ على تلك الجُيوشِ ، وبعَثه فى نحوٍ مِن أربعين ألفًا ، فسار إليهم ، وما زال يُراوِغُهم ويُماكِرُهم ، ويَعْمَلُ الخَديعةَ حتى فاجَأَهم بالحربِ ، وواجَهَهُم بالضَّرْبِ ، فقَتَل منهم نحوًا مِن [٨/٦٢ظ] سبعين ألفًا ، وأَسَر أربعةَ عشَرَ ألفًا ، وهَرَب مَلِكُهم أُستاذسِيسُ ، فتَحَرَّز فى جبلٍ ، فجاء خازمٌ إلى تحتِ الجبلِ ، وقَتَل أولئك الأُسارَى كلَّهم ؛ ضَرَب أعناقَهم ، ولم يَزَلْ يُحاصِرُه حتى نَزَل على حُكْمِ بعضِ الأُمَراءِ ، فحَكَم أن يُقَيَّدَ بالحَديدِ هو وأهلُ بيتِه ، وأن يُعْتَقَ مَن معه مِن الأجْنادِ ؛ وكانوا ثلاثين ألفًا ، ففَعَل خازمٌ ذلك كلَّه ، وأطْلَق لكلِّ واحدٍ ممَّن كان مع أُستاذسيسَ ثوبَيْن ثَوْبين ، وكتَب بما وقَع مِن الفتحِ إلى المَهْدىِّ ، فكتَب المَهْدىُّ بذلك إلى أبيه المنصورِ .

وفيها عزَل الخليفةُ عن إمْرةِ المدينةِ جعفرَ بنَ سليمانَ ، وولَّاها الحسنَ بنَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٩ - ٣٢، والكامل ٥/٥٩١ - ٥٩٤.

(١) زيدِ بنِ حسنِ (١) بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ . وفيها حَجَّ بالناسِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ عليٍّ عمُّ الخليفةِ .

وتُوُفِّىَ فيها جعفرٌ ابنُ أميرِ المؤمنين أبى جعفرٍ المنصورِ ، ودُفِن ليلًا (٢) بمَقابرِ بنى هاشمٍ مِن بَغْدادَ (٣) . **وفيها تُوُفِّىَ عبدُ الملكِ** بنُ عبدِ العزيزِ بنِ جُرَيْجٍ (٤) أحدُ أئمةِ أهلِ الحِجازِ ، ويُقالُ : إنه أولُ مَن جمَع السُّنَنَ . **وعثمانُ** بنُ الأَسْودِ (٥) ، **وعمرُ** بنُ محمدِ بنِ زيدٍ (٦) .

وفيها تُوفِّىَ الإمامُ أبو حَنيفةَ .

ذِكْرُ تَرْجمتِه

هو الإمامُ أبو حنيفةَ (٧) ، واسمُه النُّعْمانُ بنُ ثابتٍ التَّيْمىُّ ، مَوْلاهم الكوفىُّ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « زيد بن حسن بن حسن » . وفى ظ : « زيد بن حسن بن على بن حسن » . وفى تاريخ الطبرى : « يزيد بن حسن بن حسن » . والمثبت من الكامل ، وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥١، ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٧.

(٢) فى ب ، م : « أولا » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٢، والكامل ٥/ ٥٩٣، ٥٩٤.

(٣) بعده فى ب ، م : « ثم نقل منها إلى موضعٍ آخر » . والذى فى تاريخ الطبرى والكامل ، أنه دُفن فى مقابر قريش .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩١، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٠، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢١٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩١، وتهذيب الكمال ١٩/ ٣٤١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢١٩.

(٦) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٦٩، وتاريخ دمشق ١٣/٣٥٢ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٢٢٩.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/٣٦٨، ٧/٣٢١، وطبقات خليفة ١/ ٣٩٠، ٢/ ٨٥٠، وتاريخ بغداد ١٣/٣٢٣، وطبقات الفقهاء ص ٨٦، ووفيات الأعيان ٥/٤٠٥، والجواهر المضية ١/ ٤٩، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤١٧، ٤١٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٠٥ .

فَقِيهُ العِراقِ ، وأحدُ أئمةِ الإسلامِ ، والسادةِ الأعْلامِ ، وأحدُ أرْكانِ العُلَماءِ ، وأحدُ الأئمةِ الأربعةِ أصحابِ المَذاهبِ المُتَّبَعَةِ[1] ، وهو أقْدَمُهم وَفاةً ؛ لأنه أدْرَكَ عَصْرَ الصَّحابةِ ، ورأَى أنسَ بنَ مالكٍ ، قيل : وغيرَه . وذكَر بعضُهم أنه روَى عن سبعةٍ مِن الصَّحابةِ[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

[3]وهم أنسُ بنُ مالكٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ أبى أَوْفَى ، وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدىُّ ، ومَعْقِلُ بنُ يَسارٍ ، وواثِلةُ ابنُ الأَسْقَعِ ، وعائشةُ بنتُ عَجْرَدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم . وقد رُوِّينا عن أبى حنيفةَ عن هؤلاء عدةَ أحاديثَ ، فى صحتِها إلى أبى حنيفةَ نَظَرٌ ؛ فإن فى الإسنادِ إليه مَن لا يُعْرَفُ ، وفى مَتْنِ بعضِها نكارةٌ شديدةٌ . فاللَّهُ أعلمُ .

وأخبرَنا شيخُنا الرُّحْلَةُ أبو العباسِ الحَجّارُ ، عن الزَّبيدىِّ ، وهو الحسينُ بنُ المبارَكِ البغدادىُّ ، عن والدِه ، عن أبى المكارمِ عبيدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ الشعرىِّ ، عن محمدِ بنِ منصورٍ ، عن الخطيبِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ أحمدَ ، عن القاضى أبى سعيدٍ صاعدِ بنِ محمدٍ ، عن أبى مالكٍ نَصْرَوَيْهِ بنِ أحمدَ البَلْخِىِّ ، عن الحسينِ ابنِ إبراهيمَ العيانىِّ ، عن أبى الحسينِ علىِّ بنِ الخطيبِ ، عن أبى الحصرِ علىِّ بنِ بَدْرٍ ، عن هلالِ بنِ العلاءِ ، عن أبيه ، عن أبى حنيفةَ ، عن أنسٍ مرفوعًا : « من قال : لا إلَه إلا اللَّهُ . خالصًا مخلِصًا من قلبِه دخَل الجنةَ ، ولو تَوَكَّلْتم على اللَّهِ حَقَّ توكلِه لرزَقَكم كما يَرْزُقُ الطيرَ ؛ تَغْدُو خِماصًا وتَعُودُ بِطانًا » .

وعن جابرٍ : بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ على السمعِ والطاعةِ والنصحِ لكلِّ مسلمٍ[3]

---

(١) فى م : « المتنوعة » .

(٢) انظر جامع مسانيد أبى حنيفة ١/ ٢٢، ومسند الإمام الأعظم أبى حنيفة ص ١٠.

(٣ - ٣) زيادة من : ظ .

[1] ومسلمةٍ .

وعن عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ مرفوعًا : « رأيتُ فى عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةَ أسطرٍ بالذهبِ الأحمرِ ، لا بماءِ الذهبِ ؛ السطرُ الأولُ : لا إلَه إلا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ . الثانى : الإمامُ ضامِنٌ والمؤذِّنُ مُؤْتَمَنٌ ، فأَرْشَدَ اللَّهُ الأئمةَ وغفَر للمؤذِّنين . الثالثُ : وَجَدْنا ما عَمِلْنا ، رَبِحْنا ما قَدَّمْنا ، خسِرْنا ما خَلَّفْنا ، قَدِمْنا على رَبٍّ غفورٍ » .

وعن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى ، سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[2] : « حبُّك للشىءِ يُعْمِى ويُصِمُّ ، والدالُّ على الخيرِ كفاعلِه ، وإن اللَّهَ يُحِبُّ إغاثةَ المَلْهوفِ » . وفى لفظٍ : « اللهفانِ » .

وعن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزْءٍ مرفوعًا[3] : « إغاثةُ الملهوفِ فرضٌ على كلِّ مسلمٍ ، ومن تَفَقَّهَ فى دينِ اللَّهِ كفاه اللَّهُ هَمَّه ، ورَزَقَه من حيث لا يَحْتَسِبُ » .

وعن مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ مرفوعًا : « علامةُ المؤمنِ ثلاثٌ ؛ إذا قال صدَق ، وإذا وعَد وفَى ، وإذا حدَّث لم يَخُنْ » .

وعن واثلةَ مرفوعًا[4] : « لا يَظُنَّنَّ أحدُكم أنه يَتَقَرَّبُ إلى اللَّهِ بأقربَ من هذه الركَعاتِ » . يعنى الصلواتِ الخمسَ .

وعن عائشةَ بنتِ عَجْرَدٍ مرفوعًا[4] : « الجرادُ أكثرُ جنودِ اللَّهِ فى الأرضِ ، لا آكُلُه »[1] .

وروَى عن جَماعةٍ مِن التابعين منهم ؛ الحكَمُ ، وحمادُ بنُ أبى سليمانَ ،

(١ - ١) زيادة من : ظ .

(٢) مسند أبى حنيفة ص ٢٥.

(٣) أخرج شطره الثانى أبو المؤيد الخوارزمى فى جامع المسانيد ١/ ٢٤، والمصدر السابق ٢٦.

(٤) جامع المسانيد ١/ ٢٥، ومسند أبى حنيفة ص ٣٦.

وسَلَمةُ بنُ كُهَيْلٍ، وعامرٌ الشَّعْبىُّ، وعِكْرمةُ، وعَطاءٌ، وقَتادةُ، والزُّهْرىُّ، ونافعٌ مولى ابنِ عمرَ، ويَحْيَى بنُ سعيدٍ الأنْصارىُّ، وأبو إسْحاقَ السَّبِيعىُّ.

وروَى عنه جَماعةٌ منهم؛ ابنُه حمادٌ، وإبراهيمُ بنُ طَهْمانَ، وإسْحاقُ بنُ يوسُفَ[1] الأزْرَقُ، وأسدُ بنُ عمرٍو القاضى، والحسنُ بنُ زيادٍ اللُّؤْلُؤىُّ، وحَمْزةُ الزَّيَّاتُ، وداودُ الطَّائىُّ، وزُفَرُ، وعبدُ الرزاقِ، وأبو نُعَيْمٍ، ومحمدُ بنُ الحسنِ الشَّيْبانىُّ، وهُشَيْمٌ، ووَكِيعٌ، وأبو يوسُفَ القاضى.

قال يَحْيَى بنُ [٨/٦٣و] مَعِينٍ[2]: كان ثِقةً، وكان مِن أهلِ الصِّدْقِ، ولم يُتَّهَمْ بالكذبِ، ولقد ضرَبه ابنُ هُبَيْرةَ على القَضاءِ، فأَبَى أن يكونَ قاضِيًا. قال[3]: وقد كان يَحيى بنُ سعيدٍ يَخْتارُ قولَه فى الفَتْوَى، وكان يحيى يقولُ[3]: لا نَكْذِبُ اللَّهَ، ما سَمِعْنا أحسنَ مِن رَأْيِ أبى حنيفةَ، وقد أخَذْنا بأكثرِ أقْوالِه.

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[4]: لولا أن اللَّهَ أغاثَنى[5] بأبى حَنيفةَ وسُفْيانَ الثَّوْرىِّ لكنتُ كسائرِ الناسِ.

[6]وقال[7] الشافعىُّ [8]عن مالكٍ[8]: رأيْتُ رجلًا لو كلَّمك فى هذه الساريةِ أن يَجْعَلَها ذهبًا لَقام بحُجَّتِه[6].

---

(١) فى ص: «موسى». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٢٠.
(٢) انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٢٤.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٣٤٥، ٣٤٦، والمصدر السابق ٢٩/ ٤٣٣.
(٤) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٦، ٣٣٧، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٢٨.
(٥) فى الأصل، ب، م: «أعاننى».
(٦ - ٦) سقط من: ظ. وانظر تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٧، ٣٣٨، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٢٩.
(٧) بعده فى م: «فى».
(٨ - ٨) سقط من: ب، م.

(١ وقال الشافعيُّ(٢)١) : مَن أراد الفِقْهَ فهو عِيالٌ على أبى حَنيفةَ ، ومَن أراد السِّيرَةَ فهو عِيالٌ على محمدِ بنِ إسْحاقَ ، ومَن أراد الحديثَ فهو عِيالٌ على مالكٍ ، ومَن أراد التَّفْسيرَ فهو عِيالٌ على مُقاتِلِ بنِ سليمانَ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ الخُرَيْبِىُّ(٣) : يَنْبَغى للناسِ أن يَدْعُوا فى صَلاتِهم لأبى حنيفةَ ؛ لحفظِه الفقهَ والسُّنَنَ عليهم .

وقال سفيانُ الثورىُّ وعبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ(٤) : كان أبو حنيفةَ أفْقَهَ أهلِ الأرضِ فى زَمانِه .

وقال أبو نُعَيْمٍ(٥) : كان صاحبَ غَوْصٍ فى المسائلِ .

وقال مَكِّىُّ بنُ إبراهيمَ(٦) : كان أعْلَمَ أهلِ الأرضِ .

وروَى الخَطيبُ البَغْدادِىُّ(٧) بسندِه عن أسدِ بنِ عمرٍو ، أن أبا حَنيفةَ كان يُصَلِّى فى الليلِ ، ويَقْرَأُ القُرآنَ فى كلِّ ليلةٍ ، ويَبْكِى حتى يَرْحَمَه جِيرانُه ، ومكَث أرْبَعين سنةً يُصَلِّى الصُّبْحَ بوُضوءِ العِشاءِ ، وأنه ختَم القُرآنَ فى الموضعِ الذى تُوُفِّىَ فيه (٨سبعةَ آلافِ٨) مرةٍ ، وكانتْ وفاتُه فى رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ

(١ - ١) سقط من : ظ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٦، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣٤، وليس فيهما ذكر لمالك .

(٣) فى م : « الحريبى » ، وفى ص ، ظ : « الخربتى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣٢.

(٤) المصدر السابق ٢٩/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٥) المصدر السابق ٢٩/ ٤٣٢.

(٦) تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣٣.

(٧) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٤.

(٨ - ٨) فى النسخ : « سبعين ألف » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٠، وهو أقرب للمعقول .

خمسين ومائةٍ – وعن ابنِ مَعينٍ : سنةَ إحدى وخمسين ومائةٍ . وقال غيرُه : سنةَ ثلاثٍ وخمسين . والصَّحيحُ الأولُ .

وكان مَوْلِدُه فى سنةِ ثمانين ، فتَمَّ له مِن العُمرِ سبعون سنةً ، وصُلِّى عليه ببَغْدادَ ستَّ مراتٍ ؛ لكثرةِ الزِّحامِ ، وقبرُه هناك ، رَحِمه اللَّهُ .

ثم دخلت سنةُ إحدى وخمسين ومائةٍ

فيها[1] عزَل الخليفةُ المَنْصورُ عمرَ بنَ حفصٍ عن السِّنْدِ ، وولَّى عليها هشامَ بنَ عمرٍو التَّغْلِبيَّ ، وكان سببَ عَزْلِه عمرَ بنَ حفصٍ عن السِّنْدِ أن محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ ابنِ حسنٍ لما ظَهَر كان بعَث ابنَه عبدَ اللَّهِ المُلَقَّبَ بالأَشْتَرِ ومعه جَماعةٌ بهَدِيَّةٍ ؛ خيولٍ عِتاقٍ إلى عمرَ بنِ حفصٍ بالسِّنْدِ ، فقَبِلها ، فدَعَوْه إلى دَعْوةِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ [٨/ ٦٣ظ] بنِ حسنٍ فى السِّرِّ ، فأجابهم إلى ذلك وبايع له مَن استَطاع مِن الأُمراءِ سرًّا ، فأجابوه إلى ذلك أيضًا ، ولَبِسوا البَياضَ . فلما جاء الخبرُ بمَقْتَلِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ بالمدينةِ أُسْقِط فى يدِ عمرَ بنِ حفصٍ وأصحابِه ، وأخَذ فى الاعْتِذارِ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، فقال له عبدُ اللَّهِ : إنى أَخْشَى على نَفْسى . فقال : إنى سأَبْعَثُك إلى مَلِكٍ مِن المشركين فى جِوارِ أرْضِنا ، وإنه مِن أشَدِّ الناسِ تَعْظيمًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنه متى عرَف أنك مِن سُلالتِه أحَبَّك . فأجابه إلى ذلك ، وصار عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ إلى ذلك المَلِكِ ، فكان عندَه آمِنًا ، وصار عبدُ اللَّهِ يَرْكَبُ فى مَوْكِبٍ مِن الناسِ ، ويَتَصَيَّدُ فى جَحْفَلٍ مِن الجُنودِ ، وانْضَمَّ إليه ووفَد عليه طَوائفُ مِن الزَّيْدِيةِ .

وأما المَنْصورُ فإنه بعَث يَعْتِبُ على عمرَ بنِ حفصٍ نائبِ السِّنْدِ ، فقال رجلٌ مِن الأُمراءِ : ابْعَثْنى إليه ، واجْعَل القضيةَ مُسْنَدَةً إلىَّ ، فإنى سأَعْتَذِرُ إليه مِن ذلك ،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/٣٣ - ٣٦، والكامل ٥/٥٩٥ - ٥٩٨.

فإن سلِمْتُ وإلا كنتُ فِداءَك وفداءَ مَن عندَك مِن الأُمَراءِ. فأرْسَله سَفِيرًا فى القضيةِ، فلمَّا وقَف بينَ يدىِ الخليفةِ أمَر بضربِ عنقِه، وكتَب إلى عمرَ بنِ حفصٍ بعَزْلِه عن السِّنْدِ، وولَّاه بلادَ إفْرِيقِيَّةَ عِوَضًا عن أميرِها. ولما وجَّه المنصورُ هشامَ بنَ عمرٍو إلى السِّنْدِ أمَره أن يَجْتَهِدَ فى تَحْصيلِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ، فجعَل يَتوانَى فى ذلك، فبعَث إليه المنصورُ يَسْتَحِثُّه فى ذلك، ثم اتَّفَق أن سَفَنَّجًا[1] أخا هشامِ بنِ عمرٍو لَقِى عبدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ فى بعضِ الأماكنِ، فاقْتَتَلوا فقُتِل عبدُ اللَّهِ وأصحابُه جَميعًا، واشْتَبَه عليهم مكانُه فى القَتْلَى، فلم يَقْدِروا عليه. فكتَب هشامُ بنُ عمرٍو إلى المنصورِ يُعْلِمُه بقتلِه، فبعَث يَشْكُرُه على ذلك ويَأْمُرُه بقِتالِ المَلِكِ الذى آواه، ويُعْلِمُه أن عبدَ اللَّهِ كان قد تَسَرَّى بجاريةٍ هنالك، وأوْلَدها ولدًا أسْماه محمدًا، فإذا ظَفِرْتَ بالمَلِكِ فاحْتَفِظْ بالغُلامِ. فنهَض هشامُ بنُ عمرٍو إلى ذلك المَلِكِ، فقاتَله فغلَبه وقهَره على بلادِه وأمْوالِه وحَواصِلِه، وبعَث بالفَتْحِ والأخْماسِ وبذلك الغُلامِ إلى المَنْصورِ، ففرِح المنصورُ بذلك، وبعَث بذلك الغلامِ إلى المدينةِ، وكتَب إلى نائبِها يُعْلِمُه بصحَّةِ نَسَبِه، ويَأْمُرُه بأن يُلْحِقَه بأهلِه [٨/ ٦٤و] يَكونُ عندَهم لئلا يَضِيعَ نَسَبُه، فهو الذى يُقالُ له: أبو الحسنِ بنُ الأشْتَرِ.

وفى هذه السنةِ[2] قدِم المَهْدىُّ على أبيه مِن بلادِ خُراسانَ، فتَلَقَّاه أبوه والأُمَراءُ والأكابرُ إلى أثْناءِ الطَّريقِ، وقَدِم نُوَّابُ البلادِ مِن الشامِ وغيرِها للسلامِ عليه وتَهْنئتِه بالسَّلامةِ والنَّصْرِ.

---

(١) فى الأصل، ظ: «سيفحا»، وفى ب، م: «سيفا»، وفى ص: «سيحا». والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦، ٣٧، والكامل ٥/ ٦٠٢.

بناءُ الرُّصافةِ

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفى هذه السنةِ المبارَكةِ شَرَع المَنْصورُ فى بناءِ الرُّصافةِ لابنِه المَهْدىِّ بعدَ مَقْدَمِه مِن خُراسانَ ، والرُّصافةُ فى الجانبِ الشَّرْقِىِّ مِن بَغْدادَ ، وجعَل لها سُورًا وخَنْدَقًا ، وعمِل عندَها مَيْدانًا وبُسْتانًا ، وأجْرَى إليها الماءَ مِن نهرِ المَهْدىِّ .

قال ابنُ جَريرٍ[2] : وفيها جَدَّد المنصورُ لنَفْسِه البَيْعةَ ، ولولدِه المَهْدىِّ مِن بعدِه ، ولعيسى بنِ موسى مِن بعدِهما ، وجاء الأُمراءُ والخَواصُّ ، فبايَعوا وجعَلوا يُقَبِّلون يدَ المنصورِ ويدَ ابنِه المهدىِّ ، ويَلْمِسون يدَ عيسى بنِ موسى ، ويُشيرون بالتقبيلِ إليها ولا يُقَبِّلونها .

قال الواقدىُّ[3] : ووَلَّى المنصورُ مَعْنَ بنَ زائدةَ سِجِسْتانَ .

وحجَّ بالناسِ فيها[4] محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ، وهو نائبُ مكةَ والطائفِ ، وعلى المدينةِ الحسنُ بنُ زيدٍ ، وعلى الكوفةِ محمدُ بنُ سليمانَ ، وعلى البَصْرةِ جابرُ بنُ تَوْبةَ[5] الكِلابىُّ ، وعلى مِصْرَ يزيدُ بنُ حاتمٍ . ونائبُ خُراسانَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٩.

(٣) ذكره ابن جرير الطبرى فى تاريخه ٨/ ٤٠.

(٤) انظر المصدر السابق ٨/٣٩ - ٤١، والكامل ٥/ ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٨.

(٥) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل . وانظر تاريخ خليفة ٢/ ٦٥٨، والمنتظم ٨/ ١٥٠.

حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ ، ونائبُ سِجِسْتانَ مَعْنُ بنُ زائدةَ .

وغَزا الصَّائفةَ فى هذه السنةِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ .

وممن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعيانِ حَنْظَلةُ بنُ أبى سُفيانَ[1] ، **وعبدُ اللَّهِ** بنُ عَوْنٍ[2] ، **ومحمدُ** بنُ إسْحاقَ بنِ يَسارٍ[3] ، صاحبُ « السِّيرةِ النَّبَوِيةِ » التى جمَعها فجعَلها عَلَمًا يُهْتَدَى به ، وفَجْرًا يُسْتَجْلَى به ، والناسُ كلُّهم عِيالٌ عليه فى ذلك ، كما قال محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ وغيرُه مِن أئمَّةِ الإسلامِ[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٣، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦١، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٩٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٦٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢١، وتاريخ بغداد ١/ ٢١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٦، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٨٨، وطبقات الحفاظ ص ٧٥.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١/ ٢١٩. وانظر ما تقدم فى صفحة ٤١٩ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وخمسين ومائةٍ

فيها[1] عزَل المنصورُ عن إمْرةِ مصرَ يزيدَ بنَ حاتمٍ ، وولَّاها محمدَ بنَ سعيدٍ ، وبعَث إلى نائبِ إفْرِيقِيَّةَ ، وكان قد بلَغه أنه عصَى وخالَف ، فلما جِيء به أمَر بضَربِ عنقِه[2] . وعزَل عن البَصْرةِ جابرَ بنَ تَوْبةَ[3] الكِلابيَّ ، وولَّاها يزيدَ بنَ منصورٍ .

وفيها قتَلَت الخوارجُ **مَعْنَ** بنَ زائدةَ بسِجِسْتانَ .

وفيها تُوُفِّيَ عَبَّادُ بنُ منصورٍ[4] ، [٨/ ٦٤ظ] **ويونُسُ** بنُ يزيدَ الأَيْلِيُّ[5] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤١، والكامل ٥/ ٦٠٨.

(٢) المذكور فى تاريخ الطبرى والكامل أن الذى عصى وخالف هو هاشم بن الأشتاخَنج لا نائب إفريقية كما ذكر المصنف رحمه الله ، وسيذكر المصنف فى أحداث السنة الآتية صفحة ٤٢٨ مقتل نائب إفريقية عمر بن حفص على يد الخوارج .

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « زيد » .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٠، وتهذيب الكمال ١٤/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٥١.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٢٠، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٥٥١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٧٤.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وخمسين ومائةٍ

فيها[1] غضِب المنصورُ على كاتبِه أبى أيوبَ المُورِيانىِّ وسجَنه ، وسجَن أخاه خالدًا وبنى أخيه الأربعةَ ؛ سعيدًا ومَسْعودًا ومُخَلَّدًا ومحمدًا ، وطالَبهم بالأمْوالِ الكثيرةِ . وكان سببَ ذلك ما ذكَره الحافظُ ابنُ عَساكِرَ[2] فى ترجمةِ أبى جعفرٍ المَنْصورِ ، وهو أنه كان فى زمنِ شَبِيبتِه قد ورَد المَوْصِلَ وهو فقيرٌ لا شىءَ له ، ولا معه ، فأَجَر نَفْسَه مِن بعضِ المَلَّاحِين حتى اكْتَسَب شيئًا تزَوَّج به امرأةً ، ثم جعَل يَعِدُها ويُمَنِّيها أنه مِن بيتٍ سيَصِيرُ إليهم المُلْكُ سريعًا ، فاتَّفَق حَبَلُها منه ، ثم تطَلَّبَه بنو أُميةَ ، فهرَب عنها ، وترَكها حامِلًا ، ووضَع عندَها رُقْعةً فيها نَسَبُه ؛ أنه عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وأمَرها إذا بلَغها أمْرُه أن تأْتِيَه ، وإذا ولَدَت غُلامًا أن تُسَمِّيَه جعفرًا ، فولَدت غلامًا فسمَّتْه جعفرًا ، ونشَأ الغُلامُ فتعَلَّم الكِتابةَ ، وغوَى العربيةَ والأدَبَ ، وأتْقَن ذلك إتْقانًا جيدًا ، ثم آلَ الأمْرُ إلى بنى العباسِ ، فسأَلَت عن السَّفَّاحِ ، فإذا هو ليس صاحبَها ، ثم قام المَنْصورُ ، وسافَر الولدُ إلى بَغْدادَ ، فاخْتَلَط بكُتَّابِ الرَّسائلِ ، فأُعْجِب به أبو أيوبَ المُورِيانىُّ صاحبُ دِيوانِ الإنشاءِ للمَنْصورِ ، وحظِىَ عندَه وقدَّمه على غيرِه ، فاتَّفَق حُضورُه معه بينَ يدى الخَليفةِ ، فجعَل الخَليفةُ يُلاحِظُه ، ثم بعَث يومًا الخادمَ ليأْتِيَه

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٢، ٤٣، والكامل ٥/ ٦٠٩، ٦١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) تاريخ دمشق ٣٨/٢٣٦ - ٢٤٠ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

بكاتبٍ ، فدخَل ومعه ذلك الغلامُ ، فكتَب بينَ يدي الخليفةِ كِتابًا ، وجعَل الخليفةُ يَنْظُرُ إليه ويَتَأَمَّلُه ، ثم سأَله عن اسْمِه ، فأَخْبَره أنه جعفرٌ ، فقال : ابنُ مَن ؟ فسكَت الغلامُ ، فقال : ما لك لا تَتَكَلَّمُ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن مِن خَبَرى كَيْتَ وكَيْتَ ، فتغَيَّر وجهُ الخَليفةِ ، ثم سأَله عن أمِّه فأَخْبَره ، وسأَلَه عن أحْوالِ بلدِ المَوْصِلِ ، فجعَل يُخْبِرُه والغلامُ يَتَعَجَّبُ ، ثم قام إليه الخَليفةُ ، فاحْتَضَنه وقال : أنت ابنى . ثم بعَثه بعِقْدِ ثَمينٍ ومالٍ جَزيلٍ وكِتابٍ إلى أُمِّه يُعْلِمُها بحقيقةِ حالِ الزَّوجِ[1] .

وخرَج الغُلامُ ومعه ذلك مِن بابِ سِرِّ الخليفةِ ، فأَحْرَز ذلك ، ثم جاء إلى أبى أيوبَ ، فقال : ما أَبْطَأ بك عندَ الخليفةِ ؟ فقال : [٨/ ٦٥و] إنه اسْتَكْتَبَنى فى رَسائلَ كثيرةٍ . ثم تقَاولا ، ثم فارَقه الغُلامُ مُغْضَبًا ، ونهَض مِن فَوْرِه ، فاسْتَأْجَر إلى المَوْصِلِ ليُعْلِمَ أمَّه ، ويَحْمِلَها وأهْلَها إلى بَغْدادَ إلى مكانٍ منها أمر به الخليفةُ . فسار مَراحِلَ ، ثم سأَل عنه أبو أيوبَ ، فقيل : سافَر . فظنَّ أبو أيوبَ أن هذا قد أفْشَى شيئًا مِن أسْرارِه إلى الخليفةِ وفرَّ منه ، فبعَث فى طَلَبِه رسولًا وقال : حيث وجدتَه فَرُدَّه علىَّ[2] . فسار الرسولُ فى طلبه ، فوجَده فى بعضِ المَنازِلِ ، فخنَقه وألْقاه فى بئرٍ ، وأخَذ ما كان معه ، فرجَع به إلى أبى أيوبَ ، فلما وقَف أبو أيوبَ على الكِتابِ أُسْقِط فى يدِه ، وندِم على بَعْثِه خلفَه ، وانْتَظَر الخَليفةُ عَوْدَ ولدِه إليه واسْتَبْطأَه ، فبعَث مَن كشَف خبرَه ، فإذا رسولُ أبى أيوبَ قد لحِقه وقتَله ، فحينَئذٍ اسْتَحْضَر أبا أيوبَ ، وألْزَمه بأمْوالٍ عظيمةٍ ، ومازال تحت العُقوبةِ حتى اسْتَصْفى جميعَ أمْوالِه وحَواصِلَه ، ثم قتَله ، وقال : هذا قَتَل حَبيبى . وكان المنصورُ كلَّما ذكَر ولدَه حَزِن عليه حُزْنًا شديدًا .

---

(١) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « الولد » .

(٢) المذكور فى تاريخ دمشق أن أبا أيوب أمر رسوله بقتله ، وردّ ما معه .

وفيها خرَجت الخَوارجُ مِن الصُّفْرِيَّةِ وغيرِهم ببلادِ إفْرِيقِيَّةَ ، فاجْتَمَع منهم ثلاثُمائةِ ألفٍ وخمسون ألفًا ، ما بينَ فارسٍ وراجلٍ ، وعليهم أبو حاتمٍ الإباضِىُّ ، وأبو عادٍ[1] ، وانْضَمَّ إليهم أبو قُرَّةَ الصُّفْرِىُّ فى أربعين ألفًا ، فقاتَلوا نائبَ إفْرِيقِيَّةَ ، فهزَموا جيشَه وقتَلوه ، وهو عمرُ بنُ حفصِ بنِ عثمانَ بنِ أبى صُفْرةَ الذى كان نائبَ السِّنْدِ فعزَله المنصورُ عنها بسببِ مبايعَتِه محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، وولَّاه هذه البلادَ فقتلَته الخَوارجُ ، رَحِمه اللَّهُ ، وأكْثَرَت الخَوارجُ الفَسادَ فى البلادِ ، وقتَلوا الحَريمَ والأَوْلادَ ، وآذَوا عامَّةَ العِبادِ .

وفيها ألْزَم المَنْصورُ الناسَ بلُبْسِ قَلانِسَ سُودٍ طِوالٍ جدًّا ، حتى كانوا يَسْتَعِينون على رَفْعِها مِن داخلِها بالقَصَبِ ، فقال أبو دُلامةَ الشاعرُ فى ذلك :

وكنا نُرَجِّى من إمامٍ زِيادةً ... فزاد الإمامُ المصطفى فى القَلانِسِ
تَراها على هامِ الرجالِ كأنها ... دِنانُ يَهودٍ جُلِّلَت بالبَرانِسِ

وفيها غَزا الصَّائفةَ مَعْيوفُ بنُ يَحْيَى الحَجورِىُّ[2] ، فأسَر خلْقًا كثيرًا مِن الرُّومِ ما يُنَيِّفُ على ستةِ آلافِ أسِيرٍ ، وغنِم أمْوالًا جَزيلةً .

وحجَّ بالناسِ المَهْدىُّ بنُ [٨/ ٦٥ظ] المنصورِ . وكان على نِيابةِ مكةَ والطائفِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ، وعلى المدينةِ الحسنُ بنُ زيدٍ ، وعلى الكوفةِ محمدُ بنُ سليمانَ ، وعلى البَصْرةِ يزيدُ بنُ مَنْصورٍ ، وعلى مصرَ محمدُ بنُ سعيدٍ .

---

(١) فى النسخ : « عباد » . والمثبت من تاريخ الطبرى وتاريخ الإسلام . وانظر النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠.
(٢) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « الحجونى » . وهو تحريف . والحجورى نسبة إلى حجور بن أَسْلَم بن عِلْيان بن زيد بن جُشَم بن حاشد بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان ، وهم بطن من هَمْدان . انظر اللباب ١/ ٢٨٢، وتاج العروس (ح ج ر) .

وذكَر الواقدىُّ[1] أن يزيدَ بنَ منصورٍ كان ولَّاه المنصورُ فى هذه السنةِ اليمنَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها تُوُفِّىَ أَبانُ بنُ صَمْعَةَ[2] ، **وأسامةُ** بنُ زيدٍ اللَّيْثىُّ[3] ، **وثَوْرُ** بنُ يَزيدَ الحِمْصىُّ[4] ، **والحسنُ** بنُ عُمارةَ[5] ، **وفِطْرُ** بنُ خَليفةَ[6] ، **ومَعْمَرٌ**[7] ، **وهشامُ** بنُ الغازِ[8] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٣.

(٢) طبقات خليفة ١/ ٥٣٣، والجرح والتعديل ٢/ ٢٩٧، وتهذيب الكمال ٢/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٦١.

(٣) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٣٩٨، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٤٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٧، وتاريخ دمشق ١١/ ١٨٣، وتهذيب الكمال ٤/ ٤١٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٤.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٣٤٥، وتهذيب الكمال ٦/ ٢٦٥، والمنتظم ٨/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٠.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٤، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٧٠.

(٧) هو معمر بن راشد . طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٦، وتاريخ دمشق ٢٦/١٧ مخطوط ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٢٥، وطبقات الحفاظ ص ٨٢.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ٤٢، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٥٧، وطبقات الحفاظ ص ٨٤.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وخمسين ومائةٍ

فيها[1] دخَل المنصورُ بلادَ الشامِ ، وزار بيتَ المَقْدِسِ ، وجهَّز يزيدَ بنَ حاتمٍ فى خمسين ألفًا ، وولَّاه بلادَ إفْرِيقِيَّةَ ، وأمَره بقتالِ الخَوارجِ ، وأنْفَق على هذا الجيشِ نحوًا مِن ثلاثةٍ وستين ألفَ ألفِ درهمٍ .

وغزا الصائفةَ زُفَرُ بنُ عاصمٍ الهِلالىُّ .

وحجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ إبراهيمَ .

ونُوَّابُ الأقاليمِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، سِوَى البَصْرةِ فعليها عبدُ الملكِ ابنُ أيوبَ بنِ ظَبْيانَ .

وفيها تُوُفِّىَ أبو أيوبَ المُورِيانىُّ الكاتبُ وأخوه **خالدٌ** ، فأَمَر المنصورُ فى بنى أخيه أن تُقطَّعَ أيْديهم وأرجلُهم ، ثم تُضْرَبَ بعدَ ذلك أعْناقُهم ، ففُعِل ذلك .

أَشْعَبُ الطامِعُ ، هو ابنُ جُبَيْرٍ أبو العَلاءِ ، ويُقالُ : أبو إسْحاقَ المَدَنىُّ[2] . ويُقالُ له : ابنُ أمِّ حُمَيدَةَ . وكان أبوه مَوْلًى لابنِ الزبيرِ ، فقتَله المُخْتارُ ، وهو خالُ الواقدىِّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٤، ٤٥، والمنتظم ٨/ ١٧٤، ١٧٥، والكامل ٥/ ٦١٢، ٦١٣.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٧، وتاريخ دمشق ٩/ ١٤٧، والمنتظم ٨/ ١٧٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٧١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٧٣.

روَى عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَتَخَتَّمُ فى اليَمينِ[1] .

وروَى عن أبانِ بنِ عثمانَ ، وسالمٍ ، وعِكْرمةَ .

وكان ظَريفًا ماجِنًا يُحِبُّه أهلُ زَمانِه لخَلاعتِه وطَمَعِه ، وكان يُجيدُ الغِناءَ .

وقد وفَد على الوليدِ بنِ يزيدَ دمشقَ ، فترْجَمه ابنُ عَساكرَ بترْجمةٍ فيها أشْياءُ مُضْحِكةٌ ، وأسْنَد عنه حديثَيْن[2] .

ورُوِى[3] عنه أنه سُئِل يومًا أن يُحَدِّثَ فقال : حدَّثنى عِكْرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خَصْلَتان مَن عمِل بهما دخَل الجنةَ » . ثم سكَت ، فقيل له : وما هما ؟ فقال : نسِى عِكْرمةُ الواحدةَ ، ونسِيتُ أنا الأُخْرى .

وكان سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ يَسْتَخِفُّه ويَسْتَخْلِيه ، ويَضْحَكُ منه ، ويَأْخُذُه معه إلى الغابةِ ، وكذلك كان غيرُه مِن أكابرِ الناسِ .

وقال الشافعىُّ[4] : [٨/٦٦و] عبَث الوِلْدانُ يومًا بأشْعَبَ ، فقال : إن هـٰهنا أُناسًا يُفَرِّقون الجَوْزَ . فتَسارَعوا إلى ذلك ، فلما رآهم مُسْرِعِين قال : لعلَّه حقٌّ . فتَبِعهم .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ١٤٧، بسنده عن أشعب عن عبد اللَّه بن جعفر. كما أخرجه الترمذى فى سننه (١٧٤٤) ، والنسائى فى الكبرى (٩٥٢٧) ، كلاهما من طريق حماد بن سلمة ، عن ابن أبى رافع ، عن عبد اللَّه بن جعفر.

(٢) الحديث الأول : « المحرِم لا يَنكح ولا يُنكِح » ، والثانى : « ليجيئن أقوام يوم القيامة ليس فى وجوههم مُزْعة » . تاريخ دمشق ٩/ ١٤٨.

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٧/ ٣٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ١٥١، ١٥٢، والحديث فيهما بلفظ : « خلتان لا يجتمعان فى مؤمن » .

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ١٦٠.

وقال له بعضُهم[1] : ما بلَغ مِن طَمَعِك ؟ فقال : ما زُفَّتْ عَروسٌ بالمدينةِ إلا رجَوْتُ أن تُزَفَّ إليَّ فكَسَحْتُ دارى ونَظَّفْتُ ثِيابى .

واجْتاز[2] يومًا برجلٍ يَصْنَعُ طَبَقًا مِن قَشٍّ ، فقال : زِدْ فيه طَوْرًا أو طَوْرَيْن لعلَّه يُهْدَى لنا فيه يومًا هديةٌ .

وروَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ[3] أن أشْعَبَ غنَّى يومًا لسالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قولَ بعضِ الشُّعراءِ :

مُغَيْرِيَّةٌ كالبَدْرِ سُنَّةُ وَجْهِها ... مُطَهَّرَةُ الأثْوابِ والدِّينُ وافرُ
لها حَسَبٌ زاكٍ وعِرْضٌ مُهَذَّبٌ ... وعن كلِّ مَكْروهٍ مِن الأمْرِ زاجرُ
مِن الخَفِراتِ البِيضِ لم تَلْقَ رِيبةً ... ولم يَسْتَمِلْها عن تُقَى اللَّهِ شاعرُ

فقال له سالمٌ : أحْسَنْتَ ، زِدْنا . فغَنَّاه :

أَلَمَّتْ بنا والليلُ داجٍ كأنَّهُ ... جَناحُ غُرابٍ عنه قد نفَض القَطْرَا
فقلتُ أعَطَّارٌ ثَوَى فى رِحالِنا ... وما حمَلَتْ لَيْلَى سِوى ريحِها عِطْرَا

فقال له : أحْسَنْتَ ، ولولا أن يَتَحَدَّثَ الناسُ لأجْزَلْتُ لك الجائزةَ ، وإنك مِن الأمْرِ بمَكانٍ .

وفيها تُوُفِّىَ جعفرُ بنُ بُرْقانَ[4] ، **والحكمُ** بنُ أبانٍ[5] ، **وعبدُ الرحمنِ** بنُ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٩/١٦٠، ١٦١.
(٢) المصدر السابق ٩/١٦١، ١٦٢.
(٣) تاريخ دمشق ٩/١٥٦، ١٥٧.
(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٢، وطبقات خليفة ٢/ ٨٢٤، والتاريخ الكبير ٢/ ١٨٧، وتهذيب الكمال ٥/ ١١.
(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٥، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٣٦، وتهذيب الكمال ٧/ ٨٦، وميزان الاعتدال ١/ ٥٦٩.

يَزيدَ بنِ جابرٍ[1] ، وقُـرَّةُ بنُ خالدٍ[2] ، وأبو عمرٍو بنُ العَلاءِ ، أحدُ أئمةِ القُرَّاءِ ، واسمُه كُنْيَتُه ، وقيل : اسمُه زَبَّانُ . والصَّحيحُ الأولُ .

وهو أبو عمرٍو بنُ العَلاءِ بنِ عَمَّارِ بنِ العُرْيانِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُصَيْنِ التَّميميُّ المازنيُّ البَصْريُّ[3] ، وقيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه ، كان عَلَّامةَ زَمانِه فى اللغةِ والنَّحْوِ وعِلْمِ القرآنِ ، ومِن كِبارِ العُلماءِ العامِلِين ، يُقالُ[4] : إنه كتَب مِلْءَ بيتٍ مِن كلامِ العربِ ، ثم تزَهَّد ، فأَحْرَقه ثم راجَع الأمْرَ الأولَ ، فلم يَكُنْ عندَه سوى ما كان يَحْفَظُه مِن كلامِ العربِ ، وكان قد لقِى خَلْقًا مِن أعْرابِ الجاهليةِ ، وكان مُقَدَّمًا أيامَ الحسنِ البَصْرىِّ وبعدَه .

ومِن اخْتِياراتِه الغريبةِ[5] قولُه فى تَفْسيرِ الغُرَّةِ فى الجَنِين : إنها[6] لا يُقْبَلُ فيها إلا أبيضُ غُلامًا كان أو جاريةً . وفهِم ذلك من قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ : « غُرَّةٌ عبدٌ أو أَمَةٌ » . قال : ولو أُرِيد أىُّ عبدٍ كان أو [٨/٦٦ظ] جاريةٍ لَما قَيَّده بالغُرَّةِ ، وإنما الغُرَّةُ البَياضُ[7] . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[8] : وهذا غريبٌ ، ولا أعْلَمُ هل يُوافِقُ قولَ أحدٍ مِن الأئمةِ المُجْتَهِدين أم لا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٦، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢١١، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٠٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٥، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٥٧٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٧٦.

(٣) طبقات النحويين ص ٣٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦٦، وتهذيب الكمال ٣٤/ ١٢٠، وإشارة التعيين ص ١٢١، وغاية النهاية ١/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٨٣.

(٤) انظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٦.

(٥) انظر طبقات النحويين ص ٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦٧.

(٦) أى الدِّيَة .

(٧) انظر المغنى لابن قدامة ١٢/ ٦٦.

(٨) وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٧.

وذكَروا[1] أنه كان إذا دخَل شهرُ رَمضانَ لا يُنْشِدُ فيه بيتًا مِن الشعرِ حتى يَنْسَلِخَ، وأنه كان يَشْتَرِى له كلَّ يومٍ كُوزًا جديدًا ورَيْحانًا طَرِيًّا، وقد صحِبه الأصْمَعىُّ نحوًا مِن عشْرِ سنينَ.

كانتْ[2] وفاتُه فى هذه السنةِ، وقيل: فى سنةِ ستٍّ وخمسين. وقيل: سبعٍ[3] وخمسين ومائةٍ. فاللَّهُ أعلمُ. وقبرُه بالشامِ. وقيل: بالكوفةِ. وقد قارَب التِّسْعين، وقيل: إنه جاوَزها. فاللَّهُ أعلمُ.

[4]وقد روَى ابنُ عساكرَ[5] فى ترجمةِ صالحِ بنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ، عن أبيه، عن جدِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، مرفوعًا: «لأن يُرَبِّىَ أحدُكم بعدَ أربعٍ وخمسين ومائةٍ جِرْوَ كلبٍ خيرٌ له مِن أن يُرَبِّىَ ولدًا لصلبِه». وهذا منكرٌ جدًّا، وفى إسنادِه نظرٌ. ذكَره مِن فوائدِ تَمَّامٍ[6]، عن خَيْثَمةَ بنِ سليمانَ، عن محمدِ بنِ عوفٍ الحِمْصِىِّ، عن أبى المغيرةِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السِّمْطِ، عن صالحٍ، به. وعبدُ اللَّهِ بنُ السِّمْطِ هذا لا أعرِفُه، وقد ذكَره شيخُنا الحافظُ الذهبىُّ فى كتابه «الميزانِ»[7]، وقال: رَوى عن صالحِ بنِ علىٍّ حديثًا موضوعًا[4].

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٦، ٤٦٨.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٤٦٩.

(٣) فى النسخ، ووفيات الأعيان: «تسع». والمثبت من مُسَوَّدة وفيات الأعيان. انظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٩ الحاشية (١)، وتهذيب الكمال ٣٤/١٣٠، وغاية النهاية ١/٢٩٢.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٥٧، ٣٥٨.

(٦) الروض البسّام بترتيب وتخريج فوائد تمّام (١٧١٩) طبعة دار البشائر الإسلامية.

(٧) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٦.

ثم دَخَلَت سنةُ خمسٍ وخمسين ومائةٍ

فيها[1] دخَل يزيدُ بنُ حاتمٍ بلادَ إفْرِيقِيَّةَ ، فافْتَتَحها عَوْدًا على بَدْءٍ ، وقتَل مَن كان تغَلَّب عليها مِن الخَوارجِ ، وقتَل أُمراءَهم ، وأَصْغَر كبراءَهم ، وأذَلَّ أشْرافَهم ، وأَرْغم آنافَهم ، وبَدَّد آلافَهم ، واسْتَبْدَلَ أهلُ البلادِ هناك بالخوفِ سَلامةً ، وبالإهانةِ كَرامةً ، وكان فى جُمْلةِ مَن قُتِل مِن أُمرائِهم أبو حاتمٍ وأبو عادٍ[2] الخارِجيَّان . ثم لما اسْتَقامت له وبه الأُمورُ فى البُلْدانِ دخَل بعدَ ذلك بلادَ القَيْرَوانِ ، فمهَّدها وأطَّدَها ، وأقَرَّ أهلَها ، وقرَّر أمورَها ، وأزال مَحْذورَها .

بناءُ الرّافِقَةِ[3] المدينةِ المشهورةِ

وفيها أمَر المنصورُ ولدَه المهديَّ ببناءِ الرّافِقَةِ على مِنْوالِ بناءِ بَغْدادَ ، فَفَعل ذلك فى هذه السنةِ المباركةِ .

وفيها أمر المنصورُ ببِناءِ سُورٍ ، وعَمَلِ خندقٍ حولَ الكوفةِ ، وأخَذ ما غَرِم على ذلك مِن أمْوالِ أهلِها ؛ مِن كلِّ إنسانٍ [٨/ ٦٧و] مِن ذَوى اليَسارِ أربعين درهمًا . وكان قد فرَضها أولًا خمسةَ دراهمَ ، وجُبِيَت أرْبعين أرْبعين ، فقال فى ذلك بعضُهم :

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٤٦ - ٤٩، والمنتظم ٨/١٨٣ - ١٨٥، والكامل ٦/٥ - ٨.

(٢) فى النسخ : «عباد» . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٢٨ حاشية (١) .

(٣) الرافقة : بلد متصل البناء بالرَّقة وهما على ضفة الفرات . انظر معجم البلدان ٢/٧٣٤ .

يَا لَقَوْمِىَ ما لَقِينا مِنْ أمِيرِ الْمُؤْمِنِينا
قَسَمَ الخمسةَ فينا وجَبانا الأرْبَعِينا

وفيها غزا الصائفةَ يزيدُ بنُ أُسَيدٍ السُّلَمىُّ .

وفيها طلَب ملكُ الرومِ الصُّلْحَ مِن أبى جعفرٍ المنصورِ على أن يَحْمِلَ إلى المنصورِ الجِزْيةَ .

وفيها عزَل المنصورُ أخاه العباسَ بنَ محمدٍ عن الجَزيرةِ ، وغَرَّمه أمْوالًا كثيرةً .

وفيها عزَل محمدَ بنَ سليمانَ بنِ علىٍّ عن إمْرةِ الكوفةِ ، فقيل : لأُمورٍ بلَغَته عنه فى تَعاطِى مُنْكراتٍ وأُمورٍ لا تَلِيقُ بالعُمَّالِ . وقيل : لقتلِه [1]عبدَ الكريمِ[1] بنَ أبى العَوْجاءِ . وقد كان ابنُ أبى العَوْجاءِ هذا زِنْدِيقًا ، يُقالُ : إنه لما أُمِر بضربِ عنقِه اعْتَرَف على نفْسِه بوضعِ أربعةِ آلافِ حديثٍ يُحِلُّ فيها الحَرامَ ، ويُحَرِّمُ فيها الحَلالَ ، ويُصَوِّمُ الناسَ فى يومِ الفِطْرِ ، ويُفَطِّرُهم فى أيامِ الصيامِ ، فأراد المنصورُ أن يَجْعَلَ قتلَه له ذَنْبًا ، فعزَله به ، وأراد أن يُقِيدَه منه ، فقال له عيسى بنُ علىٍّ[2] : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَعْزِلْه بهذا ، فإنه إنما قتَله على الزَّنْدَقةِ ، ومتى عزَلْتَه بهذا شكَرتْه العامَّةُ وذَمُّوك . فترَكه حِينًا ، ثم عزَله عن الكوفةِ بعد ذلك ، وولَّى عليها عمرَو بنَ زُهَيْرٍ .

وفيها عزَل المنصورُ عن المدينةِ الحسنَ بنَ زيدٍ ، وولَّى عليها عمَّه عبدَ الصَّمَدِ ابنَ علىٍّ ، وجعَل معه فُلَيْحَ بنَ سليمانَ مُشْرِفًا عليه .

(١ - ١) فى النسخ : « محمد » . والمثبت من مصادر التخريج .
(٢) فى النسخ : « موسى » . والمثبت من مصادر التخريج .

وعلى إمْرةِ مكةَ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ، وعلى الكوفةِ عمرُو بنُ زُهيرٍ، وعلى البَصْرةِ الهَيْثَمُ بنُ مُعاويةَ، وعلى مصرَ محمدُ بنُ سعيدٍ، وعلى إفْرِيقِيَّةَ يزيدُ ابنُ حاتمٍ.

وفيها تُوُفِّيَ صَفْوانُ بنُ عمرٍو[1]، **وعثمانُ** بنُ أبى العاتِكةِ[2] الدِّمشقيان، **وعثمانُ** بنُ عَطاءٍ[3]، **ومِسْعَرُ** بنُ كِدَامٍ[4]، **وحَمَّادٌ الرَّاويةُ**[5]، وهو ابنُ أبى ليلى مَيسَرةَ - ويُقالُ: سابورُ - بنِ المُبارَكِ بنِ عُبَيدٍ الدَّيْلَمىُّ الكوفىُّ، مولى مُكْنِفٍ[6] ابنِ زيدِ الخيلِ الطَّائىِّ، كان مِن أعْلمِ الناسِ بأيامِ العربِ وأخْبارِها وأشْعارِها ولُغاتِها، وهو الذى جمَع السَّبْعَ المُعَلَّقاتِ الطِّوالَ، وإنما سُمِّىَ الراويةَ؛ لكثرةِ رِوايتِه الشعرَ عن العربِ، اخْتَبَره الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ أميرُ المؤمنين فأَنْشَدهم تسعًا وعشرين قَصيدةً على حروفِ المُعْجَمِ، كلُّ [٦٧/٨ظ] قَصيدةٍ نحوٌ مِن مائةِ بيتٍ[7]، وزعَم أنه لا يُسَمَّى شاعرٌ مِن شُعراءِ العربِ إلا أنْشَد له مالا

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٧، وتاريخ دمشق ٢٤/ ١٤٨، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٤٠.

(٢) تاريخ دمشق ١١/١١١ مخطوط، وتهذيب الكمال ١٩/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥١٩.

(٣) تاريخ دمشق ١١/١٤٠ مخطوط، وتهذيب الكمال ١٩/ ٤٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٢١.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٤، والحلية ٧/ ٢٠٩، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٦١، وسير أعلام النبلاء ٧/١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦١٢، وطبقات الحفاظ ص ٨١.

(٥) تاريخ دمشق ١٥/ ١٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٢.

(٦) فى الأصل، ب، م: «بكير»، وفى ص: «بكر»، وفى ظ: «مكنز». والمثبت من وفيات الأعيان. وانظر الشعر والشعراء ١/ ٢٨٦، والمعارف ص ٣٣٣، وأسد الغابة ٢/ ٣٠١. وقد ذكر العلماء أنه مولى لبنى بكر بن وائل. انظر تاريخ دمشق ١/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٢.

(٧) المذكور فى وفيات الأعيان والسير وتاريخ الإسلام أن حمادًا أنشد الوليد حتى ضجِر، ثم وكّل =

يَحْفَظُه غيرُه ، فأطْلَق له مائةَ ألفِ درهمٍ .

وذكَر أبو محمدٍ الحَرِيرىُّ فى كتابِه « دُرَّةِ الغَوَّاصِ »[1] ، أن هشامَ بنَ عبدِ الملكِ اسْتَدْعاه مِن العراقِ مِن نائبِه يوسُفَ بنِ عمرَ ، فلمَّا دخَل عليه إذا هو فى دارٍ قَوْراءَ مُرَخَّمةٍ بالرُّخامِ والذهبِ ، وإذا عندَه جاريتان حَسْناوانِ جدًّا ، فاسْتَنْشَده شيئًا فأنْشَده ، فقال له : سَلْ حاجتَك . فقال : كائنةً ما كانتْ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : وما هى ؟ قال : تُطْلِقُ لى إحدى هاتين الجاريتَيْن . فقال : هما لك وما عليهما . وأخْلاه فى بعضِ دارِه ، وأطْلَق له مائةَ ألفِ درهمٍ . هذا مُلَخَّصُ الحِكايةِ ، والظاهرُ أن هذا الخَليفةَ إنما هو الوليدُ بنُ يَزيدَ ، فإنه ذكَر أنه شرِب معه ، وهشامٌ لم يَكُنْ يَشْرَبُ ، ولم يَكُنْ نائبُه على العراقِ يوسُفَ بنَ عمرَ ، وإنما كان خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرىَّ ، وبعدَه يوسُفُ بنُ عمرَ . وكانتْ وفاةُ حَمَّادٍ فى هذه السنةِ عن ستين سنةً .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وقيل : إنه أدْرَك أولَ خِلافةِ المَهْدىِّ فى سنةِ ثمانٍ وخمسين . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها قُتِل **حَمَّادُ عَجْرَدٍ** على الزندقةِ ، وهو حمَّادُ بنُ عمرَ بنِ يونُسَ بنِ كُلَيْبٍ الكوفىُّ[3] ، ويُقالُ : إنه واسِطىٌّ . مَوْلَى بنى سُواءَةَ ، وكان شاعرًا ماجِنًا ظَريفًا خَلِيعًا ، لكنَّه كان مُتَّهَمًا على الإسْلامِ ، وقد أدْرَك الدولتَيْن الأُمويةَ

= الوليد به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة .

(١) درة الغواص ص ١١٠، ١١١. وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٧.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٩.

(٣) الشعر والشعراء ٢/ ٧٧٩، وتاريخ بغداد ٨/ ١٤٨، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٤١، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٣.

والعَبَّاسيةَ ، لكنه ما اشْتَهر إلا فى أيامِ بنى العباسِ ، وكان بينَه وبينَ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ مُهاجاةٌ كثيرةٌ ، ولمَّا قُتِل بَشَّارٌ على الزَّنْدَقةِ أيضًا ، دُفِن معه فى قبرِه ، وقيل : إن حمادَ عَجْرَدٍ مات سنةَ ثمانٍ وخمسين[1] . وقيل : سنةَ إحْدى وستين ومائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى وفيات الأعيان : « ستين » .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وخمسين ومائةٍ

فيها[1] ظفِر الهَيْثمُ بنُ مُعاويةَ نائبُ البَصْرةِ بعمرِو بنِ شَدَّادٍ الذى كان عامِلًا لإبراهيمَ بنِ [2]عبدِ اللَّهِ[2] على فارسَ، فقُتِل بالبصرةِ؛ قُطِعت يداه ورِجْلاه، وضُرِبَت عنقُه، ثم صُلِب.

وفيها عزَل المنصورُ الهيثمَ بنَ مُعاويةَ عن البَصْرةِ، وولَّى عليها قاضيَها سَوَّارَ ابنَ عبدِ اللَّهِ، فجمَع له بينَ القَضاءِ والصَّلاةِ، وجعَل على شُرْطتِها [٨/٦٨و] وأحْداثِها سعيدَ بنَ دَعْلَجٍ، ورجَع الهيثمُ بنُ مُعاويةَ إلى بغْدادَ، فمات فيها فَجْأةً فى هذه السنةِ، وهو على بطنِ جاريةٍ له، فصلَّى عليه المنصورُ، ودُفِن فى مَقابرِ بنى هاشمٍ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ العباسُ بنُ محمدٍ أخو أميرِ المؤمنينِ. ونُوَّابُ البلادِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها. وعلى فارسَ والأهْوازِ وكُوَرِ دِجْلةَ عُمارةُ بنُ حمزةَ، وعلى كَرْمانَ والسِّنْدِ هشامُ بنُ عمرٍو.

وفيها تُوُفِّىَ حمزةُ الزَّيَّاتُ[3] فى قولٍ، وهو أحدُ القُرَّاءِ المَشْهورين والعُبَّادِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٠، ٥١، والمنتظم ٨/ ١٨٧، والكامل ٦/ ٩ - ١٢.

(٢ - ٢) فى النسخ: «محمد». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٦، وتهذيب الكمال ٧/ ٣١٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٣، وغاية النهاية ١/ ٢٦١.

المذكورين، وإليه تُنْسَبُ المُدودُ الطَّويلةُ فى القراءةِ، وقد تكَلَّم فيه بسببِها بعضُ الأئمةِ. وسعيدُ بنُ أبى عَروبةَ[1]، وهو أوَّلُ مَن جمَع السُّنَنَ، فى قولٍ، وعبدُ اللَّهِ ابنُ شَوْذَبٍ[2]، وعبدُ الرحمنِ بنُ زِيادِ بنِ أَنْعُمٍ الإفْرِيقىُّ[3]، وعمرُ بنُ ذَرٍّ[4].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٣، وتهذيب الكمال ١١/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٠٢.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ١٢٩، وتاريخ دمشق ٢٩/ ١٦٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ٩٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٥٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٤، وتهذيب الكمال ١٧/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٧٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٢، وحلية الأولياء ٥/ ١٠٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٠٥ مخطوط، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٢، وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٣٦.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وخمسين ومائةٍ

فيها[1] بنَى المنصورُ قَصْرَه المُسَمَّى بالخُلْدِ فى بَغْدادَ[2]، وكان المُسْتَحَثَّ فى عِمارتِه أبانُ بنُ صَدَقةَ، والرَّبيعُ مَوْلى المنصورِ.

وفيها حوَّل المنصورُ الأسْواقَ مِن قُرْبِ دارِ الإمارةِ إلى بابِ الكَرْخِ. وقد ذكَرْنا فيما تقَدَّم سببَ ذلك[3].

وفيها أمَر بتَوْسِعةِ الطُّرُقاتِ.

وفيها أمَر بعملِ جِسْرٍ عندَ بابِ الشَّعِيرِ.

وفيها اسْتَعْرَض المنصورُ جُنْدَه وهم مُلْبَسون السِّلاحَ، وهو أيضًا لابِسٌ سِلاحًا عظيمًا، وكان ذلك عندَ دِجْلةَ.

وفيها عزَل عن السِّنْدِ هشامَ بنَ عمرٍو، وولَّى عليها مَعْبدَ[4] بنَ الخَليلِ.

وفيها غزا الصائفةَ يزيدُ بنُ أَسِيدٍ السُّلَمىُّ، فأوْغَل فى بلادِ الرومِ، وبعَث سِنانًا مولى البَطَّالِ بينَ يديْه، ففتَح بعضَ الحصونِ وسبَى وغَنِم.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢، ٥٣، والمنتظم ٨/ ١٩٣، ١٩٥، والكامل ٦/ ١٣.

(٢) بعده فى ب، م: «تفاؤلا بالتخليد فى الدنيا، فعند كماله مات وخرب القصر من بعده».

(٣) انظر ما تقدم فى ص ٣٨٩، ٣٩٣.

(٤) فى م: «سعيد». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٣، والمنتظم ٨/ ١٩٦، والكامل ٦/ ١٣.

وفيها حجَّ بالناسِ إبراهيمُ بنُ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ عليٍّ . ونُوَّابُ البلادِ فيها هم المَذْكورون فى التى قبلَها[1] .

[2]وفيها تُوُفِّىَ الحسينُ بنُ واقدٍ[3] ، والإمامُ أبو عمرٍو عبدُ الرحمنِ بنُ عمرٍو الأوْزاعىُّ ، فَقِيهُ أهلِ الشامِ ، وقد[2] بقِى أهلُ الشامِ وما حولَها مِن البلادِ على مَذْهبِه[4] نحوًا مِن مائتى سنةٍ .

وهذا ذِكْرُ شىءٍ مِن ترجمةِ الأَوْزاعىِّ[5] رحِمه اللَّهُ

هو عبدُ الرحمنِ بنُ عمرٍو بنِ يُحْمَدَ[6] أبو عمرٍو الأوْزاعىُّ . والأوْزاعُ بطنٌ مِن حِمْيَرَ ، وهو مِن أَنْفُسِهم ، قاله محمدُ بنُ سعدٍ[7] . وقال غيرُه[8] : لم يَكُنْ مِن أَنْفُسِهم ، وإنما نزَل فى مَحِلَّةِ الأوْزاعِ ، وكانت [٨/٦٨ظ] قريةً خارجَ بابِ

---

(١) كذا قال المصنف ، ولكن فى هذه السنة - أعنى سنة سبع وخمسين ومائة - عزل المنصور محمد بن سعيد الكاتب عن مصر ، واستعمل عليها مطرًا مولى أبى جعفر المنصور . انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢، والمنتظم ٨/ ١٩٥، والكامل ٦/ ١٣.

(٢ - ٢) سقط من : ص . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٦٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧١، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٤، وطبقات المفسرين ١/ ١٦٠ للداودى .

(٤) من هنا خرم فى المخطوطة : « ب » ينتهى فى صفحة ٤٤٨ .

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، وطبقات خليفة ٢/ ٨٠٨، وحلية الأولياء ٦/ ١٣٥، وتاريخ دمشق ٤١/ ١٤٢ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٨٣.

(٦) فى النسخ : « محمد » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر تهذيب الكمال ، وسير أعلام النبلاء .

(٧) الطبقات الكبرى ٧/ ٤٨٨.

(٨) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ١٤٦.

الفَراديسِ مِن دِمشقَ، وهو ابنُ عمٍّ يَحْيَى بنِ أبى[1] عمرٍو السَّيْبانىِّ[2]. قال أبو زُرْعةَ[3]: وأصْلُه مِن سِباءِ السِّنْدِ، فنزَل الأوْزاعَ، فغَلَب عليه النِّسْبةُ إليها. وقال غيرُه[4]: وُلِد ببَعْلَبَكَّ، ونشَأ بالبِقاعِ يتيمًا فى حِجْرِ أُمِّه، وكانتْ تَنْتَقِلُ به مِن بلدٍ إلى بلدٍ، وتأَدَّب بنَفْسِه، فلم يَكُنْ فى أبناءِ المُلوكِ والوُزراءِ أعْقَلُ منه، ولا أوْرَعُ، ولا أعْلَمُ، ولا أفْصَحُ، ولا أوْقَرُ، ولا أحْلَمُ، ولا أكْثَرُ صَمْتًا منه، وما تكَلَّم بكلمةٍ إلا كان المُتَعَيِّنَ على مَن يجالِسُه أن يَكْتُبَها؛ مِن حُسْنِها، وكان يُعانى الرَّسائلَ والكِتابةَ.

وقد اكْتُتِب[5] فى بَعْثٍ إلى اليَمامةِ، فسمِع الحديثَ مِن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ، وانْقَطَع إليه، فأرْشَده إلى الرِّحْلةِ إلى البَصْرةِ ليَسْمَعَ مِن الحسنِ وابنِ سِيرينَ، فسار إليها فوجَد الحسنَ قد تُوُفِّىَ مِن شهرَيْن، ووجَد ابنَ سِيرينَ مَرِيضًا، فجعَل يَتَرَدَّدُ لعِيادتِه، فقَوِى المَرَضُ به، ومات ولم يَسْمَعْ منه الأوْزاعىُّ شيئًا، وجاء فنزَل دمشقَ بمَحِلَّةِ الأوْزاعِ خارجَ بابِ الفَراديسِ، وساد أهلَها فى زَمانِه وسائرَ البلادِ فى الفقهِ والحديثِ والمَغازى وعُلومِ الإسْلامِ. وقد أدْرَك خَلْقًا مِن التابِعِين وغيرِهم، وحدَّث عنه جَماعاتٌ مِن ساداتِ المسلمين، كمالكِ بنِ أنسٍ، والثورىِّ، والزُّهْرىِّ وهو مِن شُيوخِه[6].

وأثْنَى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ، وأجْمَع المسلمون على عَدالتِه وإمامتِه؛ قال

---

(١) سقط من: ب، م. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٨٠.
(٢) فى النسخ: «الشيبانى». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر الأنساب ٣/ ٣٥٤.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٠.
(٤) المصدر السابق ٤١/ ١٥٢.
(٥) انظر المصدر السابق ٤١/ ١٥٣، ١٥٤.
(٦) انظر المصدر السابق ٤١/ ١٦٤، ١٧٤.

مالكٌ[1] : كان الأوْزاعىُّ إمامًا يُقْتَدَى به .

وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ وغيرُه[2] : كان إمامَ أهلِ زمانِه .

وقد حجَّ مرةً ، فدخَل مكةَ وسفيانُ الثَّوْرىُّ آخِذٌ بزِمامِ جَمَلِه ، ومالكٌ يَسُوقُ به ، والثورىُّ يقولُ : افْسَحوا للشيخِ[3] .

وقد تذاكَر مالكٌ والأوْزاعىُّ بالمدينةِ مِن الظُّهرِ حتى صَلَّيا العَصْرَ ، ومِن العصرِ حتى صَلَّيا المغربَ ، فغمَره الأوْزاعىُّ فى المَغازِى ، وغمَره مالكٌ فى الفقهِ[4] .

وتَناظَر[5] هو والثَّوْرىُّ فى مسجدِ الخَيْفِ فى مسألةِ رَفْعِ اليدَيْن فى الركوعِ والرفعِ منه ، فاحْتَجَّ الأوْزاعىُّ بما رَواه عن الزُّهْرىِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَرْفَعُ يديه فى الركوعِ والرفعِ منه ، واحْتَجَّ الثورىُّ على ذلك بحديثِ يزيدَ بنِ أبى زيادٍ[6] ، فغضِب الأوْزاعىُّ وقال : [٨/٦٩و] أتُعارِضُ حديثَ الزُّهْرىِّ بحديثِ يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ وهو رجلٌ ضعيفٌ ؟! فاحْمَارَّ وجهُ الثَّوْرىِّ ، فقال الأوْزاعىُّ : لعلك كرِهْتَ ما قلتُ ؟ قال : نعم . قال : فقُمْ بنا حتى نَلْتَعِنَ عندَ الرُّكْنِ أيُّنا على الحقِّ . فسكَت الثورىُّ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٦١، بمعناه .

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٨، ١٦٥ - ١٦٧.

(٣) بعده فى م : « حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه » . والخبر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٩، ١٦٠.

(٤) بعده فى م : « أو فى شىء من الفقه » . والخبر فى المصدر السابق ٤١/ ١٦٣، ١٦٤.

(٥) المصدر السابق ٤١/ ١٦٤.

(٦) بعده فى الأصل : « عن » ثم بياض . وبعده فى ص ، ظ بياض .

وتمام الحديث : « عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن البراء أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلى قريب من أذنيه ، ثم لا يعود » . أخرجه أبو داود (٧٤٩) .

وقال هِقْلُ بنُ زيادٍ[1] : أفْتَى الأوْزاعىُّ فى سبعين ألفَ مسألةٍ[2] .

وقال أبو زُرْعةَ[3] : رُوِىَ عنه ستون ألفَ مسألةٍ .

وقال غيرُهما[4] : أفْتَى فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ ومائةٍ ، وعمرُه إذ ذاك خمسٌ وعشرون سنةً ، ثم لم يَزَلْ يُفتِى حتى مات[5] .

وقال يحيى القَطَّانُ[6] عن مالكٍ : اجْتَمَع عندى الأوْزاعىُّ ، والثَّوْرىُّ ، وأبو حَنيفةَ . فقلتُ : أيُّهم أرْجَحُ ؟ قال : الأوْزاعىُّ .

وقال محمدُ بنُ عَجْلانَ[7] : ما رَأَيْتُ أحدًا أنْصَحَ للمسلمين مِن الأوزاعىِّ .

وقال غيرُه[8] : ما رُئِىَ الأوْزاعىُّ ضاحِكًا مُقَهْقِهًا قطُّ ، ولقد كان يَعِظُ الناسَ فلا يَبْقَى أحدٌ فى مَجْلِسِه إلا بكَى بعينِه أو بقلبِه ، وما رأَيْناه يَبْكى فى مَجْلِسِه قطُّ[9] .

وقال يحيى بنُ مَعينٍ[10] : العلماءُ أربعةٌ ؛ الثورىُّ ، وأبو حنيفةَ ، ومالكٌ ، والأوْزاعىُّ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٥٦، ١٥٧.
(٢) بعده فى م : « بحدثنا وأخبرنا » .
(٣) المصدر السابق ٤١/ ١٥٧.
(٤) المصدر السابق ٤١/ ١٥٦.
(٥) بعده فى م : « وعقلُه زاكٍ » .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٦٢، من طريق يحيى القطان به .
(٧) المصدر السابق ٤١/ ١٧٢، ١٧٣.
(٨) المصدر السابق ٤١/ ١٧١.
(٩) بعده فى م : « وكان إذا خلى بكى حتى يرحم » .
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٧٣.

[1] والأوزاعيُّ ثقةٌ، وليس هو فى الزُّهْرىِّ بذاك. أخَذ كتابَ الزُّبيدىِّ عن الزُّهْرىِّ. وما أقلَّ مارواه عن الزُّهْرىِّ[1].

قال أبو حاتمٍ[2]: كان ثِقةً مُتَّبِعًا لما سمِع. قالوا[3]: وكان الأوزاعىُّ لا يَلْحَنُ فى كلامِه، وكانتْ كتُبُه تَرِدُ على المنصورِ، فيَنْظُرُ فيها ويَتَأَمَّلُها، ويَتَعَجَّبُ مِن فَصاحتِها وحَلاوتِها، فقال يومًا لأحْظَى كُتَّابِه عندَه وهو سليمانُ بنُ مُجالِدٍ: يَنْبَغى أن تُجِيبَ الأوْزاعىَّ عن كُتُبِه. فقال: واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين، لا يَقْدِرُ أحدٌ من أهلِ الأرضِ على ذلك، وإنا لنستعينُ بكلامِه فيما نُكاتِبُ به أهلَ الآفاقِ مِمَّن لا يَعْرِفُ كلامَ الأوزاعىِّ.

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[4]: كان الأَوْزاعىُّ إذا صلَّى الصبحَ جلَس يَذْكُرُ اللَّهَ سبحانه حتى تَطْلُعَ الشمسُ، ويَأْثُرُ عن السَّلَفِ ذلك. قال: ثم يَقومون فيَتَذاكرون فى الفقهِ والحديثِ.

وعن الأوزاعىِّ أنه قال[5]: رأيْتُ ربَّ العِزَّةِ فى المَنامِ، فقال: أنت الذى تَأْمُرُ بالمعروفِ وتَنْهَى عن المُنْكَرِ؟ فقلتُ: بفَضْلِك ياربِّ. قلتُ: ياربِّ أَمِتْنى على الإسْلامِ. فقال: وعلى السُّنَّةِ.

وقال محمدُ بنُ شُعَيْبِ بنِ شابورَ[6]: قال لى شيخٌ بجامعِ دمشقَ: أنا مَيِّتٌ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر تاريخ دمشق ٤١/ ١٧٤.

(٢) الجرح والتعديل ٥/ ٢٦٧. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٧٥. واللفظ له.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ١٨٢، ١٨٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٧٨، ١٧٩.

(٥) المصدر السابق ٤١/ ١٨٥.

(٦) فى ص، ظ: «سابور». وانظر تبصير المنتبه ٢/ ٦٧٢.

فى يومِ كذا وكذا . فلما كان ذلك اليومُ رأيْتُه فى صَحْنِ الجامعِ يَتَفَلَّى ، فقال لى : [٦٩/٨ظ] اذْهَبْ إلى سَريرِ المَوْتَى فأحْرِزْه لى عندَك قبلَ أن تُسْبَقَ إليه . فقلتُ : ما تَقولُ ؟! فقال : هو ما أَقولُ لك ؛ إنى رأيْتُ كأن قائلًا يقولُ : فلانٌ قَدَرِىٌّ ، وفلانٌ كذا ، وعثمانُ بنُ أبى العاتكةِ نِعْم الرجلُ ، وأبو عمرٍو الأوْزاعىُّ خيرُ مَن يَمْشِى على وجهِ الأرضِ ، وأنت مَيِّتٌ فى يومِ كذا وكذا . قال محمدُ بنُ شُعَيْبٍ : فما جاء الظُّهْرُ حتى مات ، وصُلِّىَ عليه بعدَها ، وأُخْرِجَت جِنازتُه . رواها ابنُ عساكرَ[1] .

وكان الأوْزاعىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، كثيرَ العِبادةِ ، حَسَنَ الصَّلاةِ ، وكان يقولُ : مَن أطال القيامَ فى صلاةِ الليلِ هوَّن اللَّهُ عليه طُولَ القِيامِ يومَ القيامةِ . وكأنَّه أخَذ ذلك من القرآنِ ، وهو قولُه تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٦، ٢٧] .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[2] : ما رأيْتُ أحدًا أشدَّ اجْتِهادًا مِن الأوْزاعىِّ فى العِبادةِ .

وقال غيرُه[3] : حجَّ فما نام على الراحلةِ ، إنما هو فى صَلاةٍ ، فإذا[4] نعَس اسْتَنَد إلى القَتَبِ . وقال غيرُه[3] : كان مِن شِدَّةِ الخُشوعِ كأنه أعْمَى .

ودخَلَت امرأةٌ على امرأةِ الأوزاعىِّ ، فرأَت الحَصيرَ الذى يُصَلِّى عليه مَبْلولًا ،

---

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ١٨٦، ١٨٧.

(٢) المصدر السابق ٤١/ ١٨٧.

(٣) المصدر السابق ٤١/ ١٨٨.

(٤) إلى هنا ينتهى الخرم الذى وقع فى المخطوطة (ب) .

فقالتْ لها : لعلَّ الصبيَّ بال هـٰهنا . فقالتْ : لا ، هذا مِن أثَرِ دُموعِ الشيخِ فى سُجودِه ، وهكذا يُصْبِحُ كلَّ يومٍ[1] .

وقال الأوْزاعىُّ[2] : عليك بآثارِ مَن سلَف وإن رفَضك الناسُ ، وإيَّاك ورَأْىَ[3] الرجالِ وإن زخْرَفوه بالقولِ ؛ فإن الأمْرَ يَنْجَلى وأنت منه على طريقٍ مُسْتقيمٍ .

وقال أيضًا[4] : اصْبِرْ على السُّنَّةِ ، وقِفْ حيث وقَف القومُ ، وقلْ ما قالوا ، وكُفَّ عمَّا كَفُّوا ، ولْيَسَعْك ما وَسِعهم .

وكان يقولُ[4] : العلمُ ما جاء عن أصحابِ محمدٍ ، وما لم يَجِئْ عنهم فليس بعلمٍ .

وكان يقولُ[5] : لا يَجْتَمِعُ حُبُّ علىٍّ وعثمانَ إلا فى قلبِ مؤمنٍ . وإذا أراد اللَّهُ بقومٍ شرًّا فتَح عليهم بابَ الجَدَلِ وسدَّ عنهم بابَ العَمَلِ .

قالوا[2] : وقد كان مِن أكْرمِ الناسِ وأسْخاهم ، وكان له فى بيتِ المالِ على الخُلَفاءِ إقْطاعٌ ، فصار إليه مِن بنى أُميةَ[6] ، وبنى العباسِ نحوٌ مِن سبعين ألفَ دينارٍ ، فلم يَقْتَنِ منها شيئًا[7] ، ولا ترَك يومَ مات سِوَى سبعةِ دَنانيرَ[8] ، كان يُنْفِقُها فى سبيلِ اللَّهِ وفى الفُقراءِ .

---

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ١٨٨.

(٢) المصدر السابق ٤١/ ١٩١.

(٣) فى النسخ : «أقوال» . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) المصدر السابق ٤١/ ١٩٢.

(٥) انظر المصدر السابق ٤١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٦) بعده فى ب ، م : «وقد وصل إليه من خلفاء بنى أمية وأقاربهم» . وانظر المصدر السابق ٤١/ ١٩٠.

(٧) بعده فى ب ، م : «ولا اقتنى شيئا من عقار ، ولا غيره» .

(٨) بعده فى ب ، م : «كانت جهازه ، بل» .

ولما دخَل[1] عبدُ اللَّهِ بنُ عليٍّ دمشقَ، وسَلَب الملكَ [٨/٧٠ و] مِن بنى أميةَ تطلَّب الأَوْزاعىَّ، فتغَيَّب عنه ثلاثةَ أيامٍ، ثم أُحْضِر بينَ يَدَيه. قال: دخَلْتُ عليه وهو على سَريرٍ وفى يدِه خَيْزُرانةٌ، والمُسَوِّدةُ عن يمينِه وشمالِه، معهم السيوفُ مُصْلَتةٌ والعُمُدُ الحديدُ، فسلَّمْتُ فلم يَرُدَّ، ونكَت بتلك الخَيْزُرانةِ التى فى يدِه، ثم قال: يا أَوْزاعىُّ، ما ترَى فيما صنَعْنا مِن إزالةِ أيْدى أولئك الظَّلَمةِ أرِباطٌ هو؟ قال: فقلتُ: أيُّها الأميرُ، سمِعْتُ يحْيَى بنَ سعيدٍ الأنْصارىَّ يقولُ: سمِعْتُ محمدَ بنَ إبراهيمَ التَّيْمىَّ يقولُ: سمِعْتُ عَلْقَمةَ بنَ وَقَّاصٍ يقولُ: سمِعْتُ عمرَ ابنَ الخَطَّابِ يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[2]: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنما لكلِّ امْرِئٍ ما نوَى، فمَن كانتْ هِجْرتُه إلى اللَّهِ ورسولِه، فهِجْرتُه إلى اللَّهِ ورسولِه، ومَن كانتْ هجرتُه لدنيا يُصِيبُها أو امرأةٍ يَتَزَوَّجُها، فهجْرتُه إلى ما هاجَر إليه». قال: فنكَت بالخَيْزُرانةِ أشَدَّ مما كان يَنْكُتُ، وجعَل مَن حولَه [3]يَعَضُّونَ على أيديهم[3]، ثم قال: يا أَوْزاعىُّ، ما تقولُ فى دِماءِ بنى أُميةَ؟ فقلتُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَحِلُّ دمُ امْرِئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ؛ النفسُ بالنفسِ، والثَّيِّبُ الزانى، والتاركُ لدينِه المُفارِقُ للجماعةِ»[4]. فنكَت أشَدَّ مِن ذلك، ثم قال: ما تَقولُ فى أمْوالِهم؟ فقلتُ: إن كانتْ فى أيديهم حَرامًا فهى حَرامٌ عليك أيضًا، وإن كانت لهم حَلالًا فلا تَحِلُّ لك إلا بطريقٍ شَرْعىٍّ. فنكَت أشدَّ مما كان يَنْكُتُ قبل ذلك، ثم قال: ألا نُوَلِّيك القَضاءَ؟ فقلتُ: إن أسْلافَك لم يَكونوا

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٤١/٢٠١ - ٢٠٣.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٦٠.

(٣ - ٣) فى الأصل: «يقبضون على أيديهم»، وفى ب، م: «يقبضون أيديهم على قبضات السيوف».

(٤) البخارى (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذى (١٤٠٢)، والنسائى فى الكبرى (٦٩٢٣).

يَشُقُّون عليَّ فى ذلك ، وإنى أُحِبُّ أن تُتِمَّ ما ابْتَدَءُونى به مِن الإحْسانِ . فقال : كأنك تُحِبُّ الانْصِرافَ ؟ فقلتُ : إنَّ ورائى حُرَمًا ، وهم مُحْتاجون إلى القيامِ عليهم وسَتْرِهم[1] . قال : وانْتَظَرْتُ رأسى أن يَسْقُطَ بينَ يدىَّ ، فأمَرنى بالانْصِرافِ ، فلما خرَجْتُ إذا رَسولُه مِن وَرائى ، وإذا معه مائتا دِينارٍ ، فقال : يقولُ لك الأميرُ : أَنْفِقْ هذه . قال : فتَصَدَّقْتُ بها[2] .

وكان[3] فى تلك الأيامِ الثلاثةِ صائمًا طاويًا ، فيقالُ : إن الأميرَ لمَّا بلَغه ذلك عرَض عليه الإفطارَ عندَه ، فأبَى أن يُفْطِرَ عندَه ، رحِمه اللَّهُ .

قالوا[4] : ثم رحَل الأوْزاعىُّ مِن دمشقَ ، فنزَل بَيْروتَ مُرابِطًا بأهلِه وأوْلادِه . قال : وأعْجَبَنى فيها أنى مرَرْتُ بقُبورِها ، فإذا امرأةٌ سَوْداءُ ، فقلتُ لها : أين العِمارةُ ياهَنَتاه ؟ فقالتْ : إن أرَدْتَ العِمارةَ فهى هذه[5] ، وإن كنتَ تُرِيدُ الخَرابَ [٨/٧٠ظ] فأمامَك . وأشارتْ إلى البَلَدِ ، فعزَمْتُ على الإقامةِ بها .

وقال محمدُ بنُ كَثيرٍ[6] : سمِعْتُ الأوْزاعىَّ يقولُ : خرَجْتُ يومًا إلى الصَّحْراءِ ، فإذا رِجْلٌ مِن جَرادٍ [7]فى السماءِ[7] ، وإذا شخصٌ راكبٌ على جَرادةٍ منها وعليه سِلاحُ الحَديدِ ، وكلَّما قال بيدِه هكذا[8] مال الجَرادُ مع يدِه وهو

---

(١) بعده فى ب ، م : « وقلوبهن مشغولة بسببى » .

(٢) بعده فى ب ، م : « وإنما أخذتها خوفًا . قال » .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ١٨٩. وفيه أن صديقا له هو الذى عرض عليه الإفطار .

(٤) المصدر السابق ٤١/ ١٩٤.

(٥) بعده فى ب ، م : « وأشارت إلى القبور » .

(٦) المصدر السابق ٤١/ ١٩٤.

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق . والرجل من الجراد : القطعة العظيمة منه . انظر اللسان (ر ج ل) .

(٨) بعده فى ب ، م : « إلى جهة » .

يقولُ : الدُّنيا باطلٌ باطلٌ باطلٌ [1] ما فيها ، الدُّنيا باطلٌ باطلٌ باطلٌ ما فيها ، الدُّنيا باطلٌ باطلٌ باطلٌ ما فيها [1] .

وقال الأوْزاعيُّ [2] : كان عندَنا رَجُلٌ يَخْرُجُ يومَ الجمعةِ إلى الصَّيدِ ولا يَنْتَظِرُ الجمعةَ ، فخُسِف ببَغْلتِه ، فلم يَبْقَ منها إلا أُذُنُها .

وخرَجَ [3] الأوْزاعيُّ يومًا مِن بابِ مسجدِ بَيْروتَ ، وهناك دُكَّانٌ فيه ناطِفٌ [4] ، وإلى جانبِه رجلٌ يَبِيعُ البَصَلَ وهو يقولُ : يا [5] أحْلَى مِن الناطِفِ . فقال : سبحانَ اللَّهِ ! [6] ما يَرَى هذا بالكذبِ بَأْسًا ؟ [6] .

وقال الواقديُّ [7] : قال الأوْزاعيُّ : كنا قبلَ اليومِ نَضْحَكُ ونَلْعَبُ ، أمَّا إذ صِرْنا أئمةً يُقْتَدَى بنا [8] فيَنْبَغى أن نَتَحَفَّظَ .

وكتَبَ [9] إلى أخٍ له : أمَّا بعدُ ، فقد أُحِيط بك مِن كلِّ جانبٍ ، وإنه يُسارُ بك فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ، فاحْذَرِ اللَّهَ والقيامَ بينَ يديه ، وأن يَكونَ آخرَ عَهْدِك به ، والسلامُ .

وقال ابنُ أبى الدنيا [10] : حدَّثنى محمدُ بنُ إدْريسَ ، سِمعْتُ أبا صالحٍ كاتبَ

(١ - ١) فى الأصل : « ما فيها » ، وفى ب ، م : « وما فيها باطل باطل باطل » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٩٥.
(٣) المصدر السابق .
(٤) الناطف : نوع من الحَلْواء . تاج العروس (ن ط ف) .
(٥) فى م : « يا بصل ، أحلى من العسل » ، فى ب : « يا بصل ، أحلى من البصل » .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « أيظن هذا أن شيئا من الكذب يباح ؟ فكأن هذا ما يرى فى الكذب بأسا » .
(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٩٦، من طريق الواقدى عن الأوزاعى بنحوه .
(٨) بعده فى ب ، م : « فلا نرى أن يسعنا ذلك » .
(٩) المصدر السابق ٤١/ ١٩٨.
(١٠) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ١٩٨، ١٩٩، من طريق ابن أبى الدنيا به .

اللَّيْثِ يَذْكُرُ عن الهِقْلِ بنِ زِيادٍ ، عن الأَوْزاعيِّ ، أنه وعَظ فقال فى مَوْعِظتِه : أيُّها الناسُ ، تقَوَّوْا بهذه النِّعَمِ التى أصْبَحْتُم فيها على الهَرَبِ مِن نارِ اللَّهِ المُوقَدةِ ، التى تَطَّلِعُ على الأفْئِدةِ ، فإنكم فى دارِ الثَّواءُ فيها قليلٌ ، وأنتم فيها مُرَحَّلون ، خَلائفُ بعدَ القُرونِ التى اسْتَقْبَلوا مِن الدنيا أُنُفَها وزَهْرتَها ، فهم كانوا أطولَ منكم أعْمارًا وأمَدَّ أجْسامًا ، وأعْظَمَ آثارًا ، فخدَّدوا الجبالَ ، وجابوا[1] الصخورَ ، ونقَّبوا[2] فى البلادِ ، مُؤَيَّدِين ببَطْشٍ شديدٍ ، وأجْسادٍ كالعِمادِ ، فما لبِثَت الأيامُ والليالى أن طوَت [3]مُدَّتَهم وعفَت[3] آثارَهم ، وأخْرَبَت منازلَهم ، وأنْسَتْ ذِكْرَهم ، فما تُحِسُّ منهم مِن أحدٍ ، ولا تَسْمَعُ لهم رِكْزًا ، كانوا بِلَهْوِ الأمَلِ آمِنِين ، ولميقاتِ يومٍ غافِلِين ، أو لصباحِ قومٍ نادِمِين ، ثم إنكم قد علِمْتُم الذى نزَل بساحتِهم بَياتًا مِن عُقوبةِ اللَّهِ ، فأصْبَح كثيرٌ منهم فى دِيارِهم جاثِمِين ، وأصْبَح الباقون يَنْظُرون فى آثارِ نِقَمِه ، وزَوالِ نِعَمِه ، ومَساكنَ خاويةٍ ، فيها[4] آيةٌ للذين يَخافون العذابَ الأليمَ ، وعِبْرةٌ لمن يَخْشَى ، وأصْبَحْتُم مِن بعدِهم فى أجَلٍ مَنْقوصٍ ، ودنيا مَقْبوضةٍ ، فى زمانٍ قد ولَّى عفْوُه ، وذَهَب رَخاؤُه ، فلم يَبْقَ منه إلا حُمَةُ شَرٍّ ، وصُبابةُ كَدَرٍ ، وأهاوِيلُ [٧١/٨و] غِيَرٍ[5] ، وعُقوباتُ عِبَرٍ[6] ، وأرْسالُ فِتَنٍ ، وتَتابُعُ زَلازِلَ ، ورُذالةُ خَلْفٍ ، بهم ظهَر الفسادُ فى البَرِّ والبَحْرِ[7] ، فلا تَكونوا أشْباهًا لمن

---

(١) جابوا : نقبوا . اللسان (ج و ب) .

(٢) فى ب ، م : «تنقلوا» . وهما بمعنًى .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، ظ . وفى ب ، م : «قد كانت بالعز محفوفة ، وبالنعم معروفة ، والقلوب إليها مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحت» . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) فى النسخ : «عبر» . وهو تصحيف . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦) فى النسخ : «غير» . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) بعده فى ب ، م : «يضيقون الديار ويغلون الأسعار بما يرتكبونه من العار والشنار» .

خدَعه الأمَلُ ، وغرَّه طولُ الأجَلِ ، وتَبَلَّغ بالأَمانىِّ ، نَسْأَلُ اللَّهَ أن يَجْعَلَنا وإيَّاكم ممَّن وعَى نُذْرَه وانتهى ، وعقَل مَثْواه فمهَد لنفسِه .

وقد اجْتَمع[1] الأوْزاعىُّ بالمنصورِ حينَ دخَل الشامَ ووعَظه ، وأحَبَّه المنصورُ وعظَّمه ، ولما أراد الانْصِرافَ اسْتَأْذَنه فى أن لا يَلْبَسَ السَّوادَ ، فأذِن له ، فلمَّا خرَج قال المنصورُ للربيعِ الحاجبِ : الحْقْه فسَلْه لمَ كرِه لُبْسَ السَّوادِ ؟ ولا تُخْبِرْه أنى قلتُ لك . فسأَله الربيعُ فقال : لأنى لم أرَ مُحْرِمًا أحْرَم فيه ، ولا ميِّتًا كُفِّن فيه ، ولا عَروسًا جُلِيَت فيه ، فلهذا أَكْرَهُه .

وقد كان[2] الأوْزاعىُّ فى الشامِ مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا ، أمْرُه أعَزُّ عندَهم مِن أمْرِ السُّلْطانِ ، وهمَّ به بعضُ الوُلاةِ ، فقال له أصحابُه : دَعْه عنك فواللَّهِ لو أمَر الشاميِّين أن يَقْتُلوك لَقتَلوك .

ولما مات[3] جلَس عندَ قبرِه بعضُ الوُلاةِ فقال : رحِمك اللَّهُ ، فواللَّهِ لقد كنتُ أَخافُ منك أكثرَ ممَّا أَخافُ مِن الذى ولَّانى . وقد قال [4]أبو مُسْهِرٍ[4] : ما مات الأوْزاعىُّ حتى جلَس وحدَه ، وسمِع شَتْمَه بأُذُنِه .

وقال [5]أبو خَيْثَمةَ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ الطَّنافِسىُّ قال : كنتُ جالسًا

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٤١/ ٢١١.

(٢) المصدر السابق ٤١/ ٢١١، ٢١٢.

(٣) المصدر السابق ٤١/ ٢١٢.

(٤ - ٤) فى النسخ : « ابن أبى العشرين » . والمثبت من تاريخ دمشق . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٢.

(٥ - ٥) فى النسخ : « أبو بكر بن أبى خيثمة » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٥٢، وتهذيب الكمال ٩/ ٤٠٢، ٤٠٣. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٣، من طريق أبى خيثمة به .

عندَ الثَّورىِّ ، فجاءه رجلٌ ، فقال : رأيْتُ كأنَّ رَيْحانةً مِن المَغْرِبِ قُلِعتْ . قال : إن صدَقَت رُؤْياك فقد مات الأوْزاعىُّ . فكتَبوا ذلك ، فجاء موتُ الأوْزاعىِّ فى ذلك اليومِ [1]أو فى تلك الليلةِ[1] .

وقال أبو مُسْهِرٍ[2] : بلَغَنا أن سببَ موتِ الأوزاعىِّ أن امرأتَه أغْلَقَت عليه بابَ حَمَّامٍ ، فمات فيه ، ولم تَكُنْ عامِدةً لذلك ، فأمَرها سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ بعِتْقِ رَقَبةٍ . قال : وما خلَّف ذهبًا ولا فضةً ولا عَقارًا ولا مَتاعًا ، إلا ستةَ دنانيرَ[3] فضَلَت مِن عَطائِه . وكان قد اكْتُتِب فى دِيوانِ الساحلِ .

وقال غيرُه[4] : كان الذى أغْلَق عليه بابَ الحمامِ صاحبُ الحمامِ ، وذهَب إلى حاجةٍ ، ثم جاء ففتَح الحمامَ ، فوجَده ميِّتًا قد وضَع يدَه اليُمْنَى تحتَ خَدِّه وهو مُسْتَقبِلُ القِبْلةِ ، رحِمه اللَّهُ .

قلتُ : لا خِلافَ أنه مات ببَيْروتَ مُرابِطًا ، واخْتَلفوا فى سَنةِ وَفاتِه ؛ فروَى يَعْقوبُ بنُ سفيانَ[5] عن سَلَمةَ قال : قال أحمدُ : [6]قال يحيى[6] : رأيْتُ الأوْزاعىَّ ، وتُوُفِّىَ سنةَ خمسين ومائةٍ .

[7]وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ : سنةَ ستٍّ وخمسين ومائةٍ[7] .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٤.

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « وثمانين » .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٤.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٤، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . ويحيى هو ابن سعيد القطان ، وأحمد هو ابن حنبل ، وانظر كتاب العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣٩٩.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ب ، م . والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٥.

وقال العباسُ بنُ الوليدِ البَيْروتيُّ[1] : [2]أخبرنى أبى قال :[2] تُوُفِّىَ يومَ الأحدِ ، أولَ النهارِ [٨/٧١ظ] لليلتَيْن بَقِيَتا مِن صَفَرٍ ، سنةَ سبعٍ وخمسين ومائةٍ . وهو الذى عليه الجُمْهورُ ، وهو الصَّحيحُ ، وهو قولُ أبى مُسْهِرٍ ، وهشامِ بنِ عَمَّارٍ ، والوليدِ بنِ مسلمٍ - فى أصَحِّ الرواياتِ عنه - ويَحْيَى بنِ مَعينٍ ، ودُحَيْمٍ ، وخَليفةَ ابنِ خَيَّاطٍ ، وأبى عُبَيدٍ ، وسعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ وغيرِ واحدٍ[3] .

قال العباسُ بنُ الوليدِ[4] : ولم يَبْلُغْ سبعين سنةً .

قُلْتُ : وقال غيرُه[5] : جاوَز السبعين[6] . والصحيحُ تسعٌ[7] وستون سنةً ؛ لأنه كان مِيلادُه فى سنةِ ثمانٍ وثمانين على الصحيحِ . وقيل : إنه وُلِد سنةَ [8]ثلاثٍ وتسعين[8] ، وهذا ضعيفٌ .

وقد رآه[9] بعضُهم فى المَنامِ ، فقال له : دُلَّنى على عملٍ يُقَرِّبُنى إلى اللَّهِ . فقال : ما رأيْتُ فى الجنةِ درجةً أعْلى مِن درجةِ العُلماءِ ، ثم المَحْزونِين .

---

(١) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٤٣، عن العباس بن الوليد به . كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٦، من طريق يعقوب بن سفيان به .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) أخرج هذه الأقوال ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/ ٢١٥ - ٢١٩.

(٤) المصدر السابق ٤١/ ٢١٥.

(٥) المصدر السابق ٤١/ ١٤٨، ٢١٧.

(٦) فى ص، ظ : « الستين » .

(٧) فى الأصل، ب، م : « سبع » . وانظر المصدر السابق ٤١/ ٢١٩.

(٨ - ٨) فى الأصل، ب، م : « ثلاث وسبعين » ، وفى ص : « ثمانى وتسعين » . وانظر المصدر السابق ٤١/ ١٥١.

(٩) انظر المصدر السابق ٤١/ ٢٢٠ .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ

فيها[1] تكامَل بناءُ قصرِ المَنْصورِ المُسَمَّى بالخُلدِ، وسكَنه أيامًا يَسيرةً، ثم مات وتركَه.

وفيها مات طاغِيةُ الرومِ.

وفيها وجَّه المنصورُ ابنَه المَهْدىَّ إلى الرَّقَّةِ، وأمَره بعزلِ موسى بنِ كعبٍ عن المَوْصِلِ، وأن يُوَلِّىَ عليها خالدَ بنَ بَرْمَكَ، وكان ذلك بعدَ نُكْتَةٍ غَريبةٍ اتَّفَقَت ليَحْيَى بنِ خالدٍ؛ وذلك أن المنصورَ كان قد تَغَضَّب على خالدِ بنِ بَرْمَكَ، وألْزَمه بحَمْلِ ثلاثةِ آلافِ ألفٍ، فضاق ذَرْعًا بذلك، ولم يَبْقَ له مالٌ ولا حالٌ، وعجَز عن أكثرِ ما طَلب منه، وقد أجَّله ثلاثةَ أيامٍ، فإن لم يَحْمِلْ ذلك فى هذه الأيامِ فدمُه هَدَرٌ، فجعَل يُرْسِلُ ابنَه يَحْيَى إلى أصحابِه مِن الأُمراءِ يَسْتَقْرِضُ منهم، فكان منهم مَن أعْطاه المائةَ ألفٍ، ومنهم أقلَّ وأكْثرَ.

قال يَحْيَى بنُ خالدٍ: فبينا أنا ذاتَ يومٍ مِن تلك الأيامِ على جِسْرِ بَغْدادَ، وأنا مَهْمومٌ فى تَحْصيلِ ما طُلِب منَّا ولا طاقةَ لنا به، إذ وثَب إلىَّ زاجرٌ - يعنى مِن أولئك الذين يَكونون عندَ الجِسْرِ مِن الطرقيةِ - فقال لى: أبْشِرْ. فلم أَلْتَفِتْ إليه، فتقَدَّم حتى أخَذ بلِجامِ فرَسى، ثم قال لى: أنت مَهْمومٌ، واللَّهِ ليُفَرِّجَنَّ اللَّهُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٤، ٥٥، ٦٢، والمنتظم ٨/١٩٩ - ٢٠٣، والكامل ٦/ ١٥، ١٦، ٣٤ - ٣٦.

هَمَّك ، ولتَمُرَّنَّ غدًا فى هذا الموضعِ واللِّواءُ بينَ يدَيْك ، فإن كان ما قلتُ حقًّا فلى عليك خمسةُ آلافٍ . فقلتُ : نعم . ولو قال : خمسون ألفًا . لَقلتُ : نعم . لبُعْدِ ذلك عندى . قال : وذهَبْتُ لشأنى ، وقد بِقى علينا مِن الحِمْلِ ثلاثُمائةِ ألفٍ ، فورَد الخبرُ على المنصورِ بانْتِقاضِ المَوْصِلِ وانْتِشارِ الأكْرادِ بها ، فاسْتَشار الأُمراءَ مَن يَصْلُحُ للمَوْصلِ ؟ فأشار بعضُهم بخالدِ بنِ بَرْمَكَ ، فقال له [٧٢/٨و] المنصورُ : وَيْحَك ! أوَيَصْلُحُ لذلك بعدَما فعَلْنا به ما فعَلْنا ؟ فقال : نعم ، وأنا الضامنُ أنه يَصْلُحُ لها . فأمَر بإحْضارِه ، فولَّاه إياها ، ووضَع عنه بقيةَ ما كان عليه ، وعقَد له اللِّواءَ ، وولَّى ابنَه يَحْيَى بنَ خالدٍ أَذْرَبِيجانَ ، وخرَج الناسُ فى خِدْمتِهما . قال يَحْيَى : فمرَرْنا بالجِسْرِ ، فثار إلىّ ذلك الزاجرُ فطالَبنى بما وعَدْتُه به ، فأمَرْتُ له به ، فقبَض خمسةَ آلافٍ .

وفى هذه السنةِ[1] خرَج المنصورُ إلى الحجِّ ، فساق الهَدْىَ معه ، فلما جاوَز الكوفةَ بمَراحِلَ أخَذَه وجَعُه الذى مات فيه ، وكان عندَه سُوءُ مِزاجٍ ، فاشْتَدَّ عليه مِن شِدَّةِ الحَرِّ ورُكوبِه فى الهَواجِرِ ، وأخَذه إسْهالٌ وأفْرَط به ، فقوِى مَرَضُه ، ودخَل مكةَ ، فتُوُفِّىَ بها ليلةَ السبتِ لستٍّ مضَيْن مِن ذى الحِجَّةِ ، وصُلِّىَ عليه ، ودُفِن بكَداءَ عندَ ثَنِيَّةِ المَعْلَى التى بأعْلَى مكةَ ، وكان عمرُه يومَئذٍ ثلاثًا - وقيل : أربعًا . وقيل : خمسًا - وستين سنةً . وقيل : إنه بلَغ ثمانيًا وستين سنةً . فاللَّهُ أعلمُ . وقد كتَم الربيعُ موتَه حتى أخَذ البَيْعةَ للمَهْدىِّ ، مِن القُوَّادِ ورُءوسِ بنى هاشمٍ ، ثم دُفِن . وكان الذى صلَّى عليه إبراهيمُ بنُ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ، وهو الذى أقام للناسِ الحجَّ فى هذه السنةِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٩/٨ - ٦٢، والمنتظم ٢٠٣/٨، والكامل ٣٥/٦.

وهذه تَرْجمةُ أبى جعفرٍ المنْصورِ

هو عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ ، أبو جعفرٍ المنصورُ[1] . وكان أكبرَ مِن أخيه أبى العباسِ السَّفَّاحِ ، وأمُّه أمُّ ولدٍ ، اسمُها سَلامةُ .

روَى عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَتَخَتَّمُ فى يمينِه . أوْرَده الحافظُ ابنُ عَساكرَ[2] مِن طريقِ محمدِ بنِ إبراهيمَ السُّلَمىِّ عن المَأْمونِ ، عن الرَّشيدِ ، عن المهدىِّ ، عن أبيه المنصورِ به .

بُويِـع[3] له بالخِلافةِ بعدَ أخيه فى ذى الحِجَّةِ ، سنةَ ستٍّ وثلاثين ومائةٍ ، وعمرُه يومَئذٍ إحدى وأربعون سنةً ؛ لأنه وُلِد فى سنةِ خمسٍ وتسعين على المشهورِ فى صَفَرٍ منها بالحُمَيْمةِ ، وكانتْ خِلافتُه ثنتَيْن وعشرين سنةً إلا أيامًا .

وكان أسْمرَ اللونِ ، مُوفَرَ اللِّمَّةِ ، خَفيفَ اللِّحْيةِ ، رَحْبَ الجَبْهةِ ، أقْنَى الأنفِ بيِّنَ القَنا ، أعْيـنَ كأن عينيه لسانانِ ناطقانِ ، تخالِطُه أُبَّهَةُ المُلْكِ ، وتَقْبَلُه القُلوبُ ، وتَتْبَعُه العُيونُ ، يُعْرَفُ الشَّرَفُ فى تواضُعِه ، والعِتْقُ[4] فى صُورتِه ، واللُّبُّ فى مِشْيتِه . هكذا وصَفه بعضُ مَن رآه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦٢/٨ - ١٠٨، وتاريخ بغداد ١/ ٦٢، ١٠/ ٥٣، وتاريخ دمشق ٢٠١/٣٨ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، والكامل ٢٢/٦ - ٣٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٦٥، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٠١/٣٨ .

(٣) المصدر السابق ٣٨/ ٢٠٤.

(٤) العتق: الكرم. يقال: ما أبينَ العِتق فى وجه فلان! يعنى الكرم. اللسان (ع ت ق).

وقد صحَّ عن ابنِ عباسٍ أنه قال[1] : منَّا السَّفَّاحُ والمنصورُ والمهدىُّ . وفى روايةٍ[2] : [٨/٧٢ظ] حتى يُسَلِّمَها إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ . وقد رُوِىَ مَرْفوعًا[3] ، ولا يَصِحُّ رفعُه .

وذكَر الخَطِيبُ البغدادىُّ[3] أن أمَّه سَلامةَ قالتْ : رأيْتُ حينَ حمَلْتُ به كأنه خرَج منى أسدٌ ، فزَأَر وأَقْعَى على يديه ، فما بقِى أسدٌ حتى جاء فسجَد له .

وقد رأَى[4] المنصورُ فى صِغَرِه مَنامًا غريبًا ، فكان يَقولُ : يَنْبَغى أن يُكْتَبَ فى ألواحِ الذهبِ ، ويُعَلَّقَ فى أعْناقِ الصِّبْيانِ . قال : رأيْتُ كأنى فى المسجدِ الحرامِ ، وإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الكعبةِ ، والناسُ مُجْتَمِعون حولَها ، فخرَج مِن عندِه مُنادٍ فنادى : أين عبدُ اللَّهِ ؟ فقام أخى السَّفَّاحُ يَتَخَطَّى الرجالَ حتى جاء بابَ الكعبةِ ، فأخَذ بيدِه ، فأدْخَله إياها ، فما لبِث أن خرَج ومعه لواءٌ أسودُ . ثم نُودِى : أين عبدُ اللَّهِ ؟ فقمْتُ أنا وعمى عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ نسْتَبِقُ ، فسبَقْتُه إلى بابِ الكعبةِ ، فدخَلْتُها ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ وعمرُ وبلالٌ ، فعقَد لى لواءً ، وأوْصانى بأُمتِه ، وعمَّمَنى عِمامةً كَوْرُها ثلاثةٌ وعشرون كَوْرًا[5] ، وقال : « خُذْها إليك أبا الخُلفاءِ إلى يومِ القيامةِ » .

وقد اتَّفَق[6] سَجْنُ المنصورِ فى أيامِ بنى أميةَ ، فاجْتَمع به فى السِّجْنِ نُوبَخْتُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٠٥.

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٧٧.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٦٥.

(٤) انظر تاريخ بغداد ١/ ٦٤، ٦٥، وتاريخ دمشق ٣٨/٢٠٨ .

(٥) كل دارة من العمامة كَوْر، وكل دور كَوْر . وكار العمامة على الرأس يكورها : لائها عليه وأدارها . اللسان (ك و ر) .

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٥٤، ٥٥، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٢٠٦، ٢٠٧.

المُنَجِّمُ ، وتوَسَّم فيه الرِّياسةَ ، فقال له : ممَّن تَكونُ ؟ فلما عرَف نسَبَه وكُنْيتَه قال : أنت الخَليفةُ الذى يَلى الأرضَ . فقال له : ويحَك ! ماذا تَقولُ ؟ فقال : هو ما أَقولُ لك ، فضَعْ لى خَطَّك فى هذه الرُّقْعةِ أن تُعْطِيَنى شيئًا إذا وَلِيتَ . فكتَب له ، فلما وَلِىَ أكْرَمه المنصورُ ، وأعْطاه وأسلم نُوبَخْتُ على يديه ، وكان قبلَ ذلك مَجُوسيًّا ، ثم كان مِن أخَصِّ أصحابِ المنصورِ عندَه .

وقد حجَّ المنصورُ بالناسِ سنةَ أربعين ومائةٍ[1] ، أحْرَم مِن الحيرةِ ، وفى سنةِ أربعٍ وأربعين ، وفى سنةِ سبعٍ وأربعين ، وفى سنةِ ثنتَين وخمسين ، ثم فى هذه السنةِ التى كانت فيها وفاتُه . وبنَى مدينةَ السلامِ بَغْدادَ ، والرافقةَ ، وقَصْرَ الخُلْدِ .

قال الربيعُ بنُ يونُسَ الحاجبُ[2] : سمِعْتُ المَنْصورَ يَقولُ : الخُلفاءُ أرْبعةٌ ؛ أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعلىٌّ ، والملوكُ أربعةٌ ؛ مُعاويةُ ، وعبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ ، وهِشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، وأنا .

وقال مالكٌ[3] : قال لى المنصورُ : مَن أفْضَلُ الناسِ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقلتُ : أبو بكرٍ ، وعمرُ . فقال : أصَبْتَ ، وذلك رأىُ أميرِ المؤمنين .

وعن إسماعيلَ الفِهْرىِّ قال[4] : سَمِعْتُ المنصورَ على مِنْبَرِ عَرَفةَ يومَ عَرَفةَ يَقولُ : أيُّها الناسُ ، إنما أنا سُلْطانُ اللَّهِ فى [٨/٧٣و] أرضِه ، أَسُوسُكم بتَوْفيقِه ورُشْدِه ، وخازِنُه على مالِه ، أَقْسِمُه بإرادتِه ، وأُعْطِيه بإذْنِه ، وقد جعَلَنى اللَّهُ عليه

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٣٨/ ٢١٢. وقد حج المنصور أيضًا سنة ست وثلاثين ومائة وهو ولى العهد ، وهى الحجة الشهيرة التى حجها مع أبى مسلم الخراسانى .

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/ ٥٥، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨/ ٢١١.

(٣) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢١١.

(٤) انظر المصدر السابق ٣٨/ ٢١٣، والعقد الفريد ٤/ ٩٩، وتاريخ الخلفاء ص ٢٦٣.

قُفْلًا ، إذا شاء أن يَفْتَحَنى لإعْطائِكم[1] وقَسْمِ أرْزاقِكم فَتَحنى ، وإذا شاء أن يُقْفِلَنى عليه أقْفَلنى ، فارْغَبوا إلى اللَّهِ أيُّها الناسُ ، وسَلُوه - فى هذا اليومِ الشَّريفِ الذى وهَب لكم فيه مِن فضْلِه ما أعْلَمكم به فى كتابِه ، إذ يَقولُ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . أن يُوَفِّقَنى للصَّوابِ ، ويُسَدِّدَنى للرَّشادِ ، ويُلْهِمَنى الرَّأْفةَ بكم ، والإحْسانَ إليكم ، ويَفْتَحَنى لإعطائِكم[1] ، وقَسْمِ أرْزاقِكم بالعدْلِ عليكم ، فإنه سميعٌ مُجيبٌ .

وقد خطَب[2] يومًا ، فاعْتَرَضه رجلٌ وهو يُثْنى على اللَّهِ عزَّ وجلَ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اذْكُرْ مَن أنتَ ذاكرُه ، واتَّقِ اللَّهَ فيما تَأْتِيه وتَذَرُه . فسكَت المنصورُ حتى انْتَهَى كلامُ الرجلِ ، فقال : أَعُوذُ باللَّهِ أن أَكونَ ممَّن قال اللَّهُ ، عز وجلَّ ، فيه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة : ٢٠٦] . أو أن أَكونَ جَبَّارًا عَصِيًّا ، أيُّها الناسُ ، إن المَوْعِظةَ علينا نزَلَت ، ومِن عندِنا بُيِّنَت . ثم قال للرجلِ : ما أَظُنُّك فى مَقالتِك هذه تُرِيدُ وجْهَ اللَّهِ ، وإنما أرَدْتَ أن يُقالَ : وعَظ أميرَ المؤمنين . أيُّها الناسُ ، لا يَغُرَّنَّكم هذا فتَفْعَلوا كفِعْلِه . ثم أمَر به فاحْتُفِظ به ، وعاد إلى خُطْبتِه فأكْمَلها ، ثم قال لمن هو عندَه : اعْرِضْ عليه الدنيا فإن قبِلها فأعْلِمْنى ، وإن ردَّها فأعْلِمْنى . فما زال به الرجلُ الذى هو عندَه حتى أخَذ المالَ والجوارِىَ ، وولَّاه الحِسْبةَ والمَظالمَ ، وأدْخَله على الخَليفةِ فى بِزَّةٍ حَسَنةٍ ، وثِيابٍ وشارَةٍ حَسَنةٍ ، فقال له الخليفةُ : ويحَك ! إنك لو كنتَ مُحِقًّا لمَا قبِلْتَ شيئًا مما أرَى ، ولكن أرَدْتَ أن يُقالَ عنك : إنك وعَظْتَ أميرَ المؤمنين ، وخرَجْتَ عليه .

---

(١) فى النسخ : « لأعطياتكم » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٣٨/٢١٤ - ٢١٦ .

ثم أمَر به فضُرِبَت عنقُه .

وقد قال المنصورُ لابنِه المهديِّ[1] : إن الخليفةَ لا يُصْلِحُه إلا التَّقْوى ، والسُّلْطانَ لا يُصْلِحُه إلا الطاعةُ ، والرَّعِيَّةَ لا يُصْلِحُها إلا العَدْلُ ، وأوْلَى الناسِ بالعفوِ أقْدَرُهم على العُقوبةِ ، وأنْقَصَ الناسِ عَقْلًا مَن ظلمَ مَن هو دونَه .

وقال أيضًا[2] : يا بُنَيَّ ، اسْتَدِمِ[3] النِّعْمةَ بالشُّكْرِ ، والقدرةَ بالعَفْوِ ، والطاعةَ بالتَّأْليفِ ، والنَّصْرَ بالتَّواضُعِ والرَّحْمةِ للناسِ ، ولا تَنْسَ نَصيبَك مِن الدنيا ونَصيبَك مِن رَحْمةِ اللَّهِ .

وحضَر[4] عندَه مُبارَكُ بنُ [٨/٧٣ظ] فَضالةَ يومًا ، وقد أمَر برجلٍ أن تُضْرَبَ عُنقُه ، وأحْضَر النِّطْعَ والسيفَ ، فقال له مُبارَكٌ : سمِعْتُ الحسنَ يَقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا كان يومُ القِيامةِ نادَى مُنادٍ : لِيَقُمْ مَن أجْرُه على اللَّهِ . فلا يَقومُ إلا مَن عفَا » . فأمَر بالعَفْوِ عن ذلك الرجلِ . ثم أخَذ يُعَدِّدُ على جُلَسائِه عَظيمَ جَرائِمِه وما كان صنَعه .

وقال الأصْمَعيُّ[5] : أُتِيَ المَنْصورُ برجلٍ ليُعاقِبَه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، الانْتِقامُ عَدْلٌ ، والعَفْوُ فَضْلٌ ، ونُعيذُ أميرَ المؤمنين باللَّهِ أن يَرْضَى لنَفْسِه بأوْكَسِ النَّصِيبَيْن ، دونَ أن يبلغَ أرْفَعَ الدرجتَيْن . قال : فعفَا عنه .

---

(١) الوزراء والكتاب ص ١٢٦، وتاريخ دمشق ٣٨/٢١٦ - ٢١٨.

(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ٧١، والوزراء والكتاب ص ١٢٦، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٢١٨.

(٣) فى الأصل، ب، ص، ظ، وتاريخ دمشق: «ائتدم».

(٤) انظر تاريخ دمشق ٣٨/ ٢١٩.

(٥) المصدر السابق ٣٨/ ٢٢١.

قال الأصْمَعيُّ[1] : قال المنصورُ لرجلٍ مِن أهلِ الشامِ : احْمَدِ اللَّهَ يا أعْرابيُّ الذى رفَع عنكم الطاعونَ بوِلايتِنا . فقال : إن اللَّهَ لم يَجْمَعْ علينا حَشَفًا وسُوءَ كَيْلٍ[2] ؛ ولايتَكم والطاعونَ . والحِكاياتُ فى ذِكْرِ حِلْمِه وعَفْوِه كثيرةٌ جدًّا .

ودخَل بعضُ الزُّهَّادِ على المنصورِ ، فقال[3] : إن اللَّهَ أعْطاك الدنيا بأَسْرِها ، فاشْتَرِ نَفْسَك ببعضِها ، واذْكُرْ ليلةَ تَبِيتُ فى القبرِ لم تَبِتْ قبلَها ليلةً ، واذْكُرْ ليلةً تَمَخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعدَه . قال : فأفْحَم المنصورَ قولُه ، وأمَر له بمالٍ فقال : لو احْتَجْتُ إلى مالِك لَما وعَظْتُك .

وقد رُوى[4] عن عمرِو بنِ عُبَيدٍ القَدَرىِّ أنه دخل على المنصورِ ، فأكْرَمه وعظَّمه وأدْناه ، وسأَله عن أهْلِه وعِيالِه ، ثم قال له : عِظْنى . فقرَأ عليه أولَ سورةِ « الفَجْرِ » إلى قولِه تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] . قال : فبكَى المنصورُ بُكاءً شديدًا حتى كأنه لم يَسْمَعْ بهذه الآياتِ قبلَ تلك الساعةِ ثم قال : زِدْنى . فقال : إن اللَّهَ قد أعْطاك الدنيا بأَسْرِها ، فاشْتَرِ نَفْسَك ببعضِها ، وإن هذا الأمْرَ كان لمَن قبلَك ، ثم صار إليك ، ثم هو صائرٌ لمَن بعدَك ، واذْكُرْ ليلةً تُسْفِرُ عن يومِ القيامةِ . فبكَى المنصورُ أشَدَّ مِن بُكائِه الأولِ حتى اخْتَلَف جَفناه . فقال له سليمانُ بنُ مُجالِدٍ : رِفْقًا بأميرِ المؤمنين . فقال عمرٌو : وماذا على أميرِ المؤمنين أن

---

(١) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٢١.

(٢) يقال : أحَشَفًا وسوءَ كِيلةٍ ؟! وهو مثل يُضرَب لجمعك على الرجل ضربين من الخسران . والحشف أردأ التمر . قال العسكرى : والعامة تقول : حشفا وسوء كيل . والصواب : كِيلة - بالكسر - لأنهم أنكروا نوعا من الكيل سيئًا . والكيلة : النوع من الكيل . اهـ . جمهرة الأمثال ١/ ١٠١، واللسان (ح ش ف) .

(٣) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/١٦٧ - ١٦٩ ترجمة عمرو بن عبيد المعتزلىّ ، وتاريخ دمشق ٣٨/٢٢٤ - ٢٢٧.

يَبْكِىَ مِن خَشْيةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ . ثم أمَر له المنصورُ بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، فقال : لا حاجةَ لى فيها . فقال المنصورُ : واللَّهِ لَتَأْخُذَنَّها . فقال : واللَّهِ لا آخُذَنَّها . فقال له المَهْدىُّ وهو جالسٌ فى سَوادِه وسيفِه ، إلى جنبِ أبيه : أيَحْلِفُ أميرُ المؤمنين وتَحْلِفُ أنت ؟! [٨/٧٤و] فالْتَفت إلى المنصورِ ، فقال : ومَن هذا ؟ فقال : هذا ابنى محمدٌ المهدىُّ ولىُّ العهدِ مِن بعدى . فقال : أسْمَيْتَه اسْمًا لم يَسْتَحِقَّه بعملِه هذا ، وألْبَسْتَه لَبوسًا ما هو لَبوسَ الأبْرارِ ، ولقد مَهَّدْتَ له أمْرًا أَمْتَعُ ما يَكونُ به أشْغَلُ ما تَكونُ عنه . ثم الْتَفَت إلى المَهْدىِّ فقال : يا بنَ أخى ، إذا حلَف أبوك حلَف عمُّك ؛ لأن أباك أقْدَرُ على الكَفَّارةِ مِن عمِّك . ثم قال المنصورُ : يا أبا عُثمانَ ، هل مِن حاجةٍ ؟ قال : نعم . قال : وما هى ؟ قال : لا تَبْعَثْ إلىَّ حتى آتِيَك . فقال : إذًا واللَّهِ لا نَلْتَقِى . فقال : عن حاجتى سأَلْتَنى . فودَّعه وانْصَرَف ، فلما ولَّى أبَدَّهُ[1] بصَرَه وهو يَقولُ :

كلُّكمْ يَمشى رُوَيدْ كلُّكمْ يَطْلُبُ صَيدْ
غيرَ عمرِو بنِ عُبَيدْ

ويُقالُ[2] : إن عمرَو بنَ عُبَيدٍ أنْشَد المنصورَ قَصيدةً فى مَوْعِظتِه إياه ، وهى قولُه :

يا أيُّهذا الذى قد غرَّه الأمَلُ ودونَ ما يَأْمُلُ التَّنْغِيصُ والأجَلُ
ألا ترَى أنَّما الدنيا وزِينتُها كمنزلِ الرَّكْبِ حَلُّوا ثُمَّتَ ارْتَحَلوا
حُتوفُها رَصَدٌ وعيْشُها نَكَدٌ وصَفْوُها كَدَرٌ ومُلْكُها دُوَلُ
تَظَلُّ تَقْرَعُ بالرَّوْعاتِ ساكنَها فما يَسُوغُ له لِينٌ ولا جَدَلُ

---

(١) فى النسخ ومصادر التخريج « أمده » بالميم ، والصواب « أبَدَّه » بالباء . جاء فى حديث وفاة النبى ﷺ « فأبدَّ بصره إلى السَّواك » قال ابن الأثير : كأنه أعطاه بُدَّته من النظر ، أى حظه . النهاية ١/ ١٠٥.
(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٦، ١٦٧، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٢٢٤.

كأنه للمَنايا والرَّدَى غَرَضٌ تَظَلُّ فيه بَناتُ الدَّهْرِ تَنْتَضِلُ[1]
تُدِيرُه ما أدارته دَوائرُها منها المُصِيبُ ومنها المُخْطِئُ الزَّلِلُ
والنفس هاربةٌ والموتُ يَطْلُبُها[2] وكلُّ عَثْرةِ رِجْلٍ عندَها جَلَلُ
والمرءُ يَسْعَى بما يَسْعَى لوارثِه والقبرُ وارثُ ما يَسْعَى له الرجلُ

وقال ابنُ دُرَيْدٍ[3]، عن الرِّياشيِّ[4]، عن محمدِ بنِ سَلَّامٍ قال: رأَتْ جاريةٌ للمنصورِ ثوبَه مَرْقوعًا فقالتْ: خليفةٌ وقميصُه مَرْقوعٌ؟! فقال: ويحَكِ! أما سمِعْتِ ما قال ابنُ هَرْمةَ[5]:

قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَى ورداؤُه خَلَقٌ وجَيْبُ قَميصِه مَرْقوعُ

ومِن شعرِه لما عزَم على قتلِ أبى مسلمٍ الخراسانيِّ[6]:

إذا كنتَ ذا رأْيٍ فكُنْ ذا عَزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرأْيِ أنْ تَتَرَدَّدا
ولا تُمْهِلِ الأعْداءَ يومًا بقُدْرَةٍ وبادِرْهُمُ أن يَمْلِكوا مثلَها غدَا

[٨/٧٤ظ] ولما قتَله ورآه طَريحًا بينَ يديه قال[6]:

قد اكْتَنَفَتْك خَلَّاتٌ ثلاثٌ جلَبْنَ عليك مَحْتومَ الحِمامِ
خلافُك وامْتِناعُك مِن يَمينى وقَوْدُك للجَماهيرِ العِظامِ

---

(١) فى النسخ: «تنتقل». والمثبت من تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق. وانتضل القوم وتناضلوا، أى رَمَوْا للسبق. وبنات الدهر: شدائده. اللسان (ن ض ل)، والوسيط (ب ن و).
(٢) فى تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق: «يرصدها».
(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/ ٥٧، من طريق ابن دريد. كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤١، من طريق الخطيب به.
(٤) فى ص، ظ: «الرقاشى». وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٣٤.
(٥) البيت فى الشعر والشعراء ٢/ ٧٥٤، واللسان (خ ل ق).
(٦) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤١.

ومِن شعرِه أيضًا[1] :

المرءُ يَأْمُلُ أن يَعِيـ ـشَ وطولُ عمرٍ قد يَضُرُّهْ
تَبْلَى بَشاشتُه ويَبْـ ـقَى بعدَ حُلْوِ العيشِ مُرُّهْ
وتَخونُه الأيامُ حتـ ـى لا يَرَى شيئًا يَسُرُّهْ
كم شامتٍ بى إن هلَكْـ ـتُ وقائلٍ للَّهِ دَرُّهْ

قالوا[2] : وكان المنصورُ فى أولِ النهارِ يَتَصَدَّى للأمْرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ ، والوِلاياتِ والعَزْلِ ، والنَّظَرِ فى المصالحِ العامَّةِ ، فإذا صلَّى الظُّهْرَ دخَل منزلَه ، واسْتَراح من بعدِ ذلك إلى العصرِ ، فإذا صلَّاها جلَس لأهْلِ بيتِه ، ومَصالحِهم الخاصَّةِ ، فإذا صلَّى العِشاءَ نظَر فى الكُتُبِ والرَّسائلِ الواردةِ مِن الآفاقِ ، وجلَس عندَه مَن يُسامِرُه إلى ثُلُثِ الليلِ ، ثم يَقومُ إلى أهلِه ، فيَنامُ فى فِراشِه إلى الثُّلُثِ الآخِرِ ، فيَقومُ إلى وُضوئِه وصَلاتِه حتى يَتَفَجَّرَ الصَّباحُ ، ثم يَخْرُجُ فيُصَلِّى بالناسِ ، ثم يَدْخُلُ فيَجْلِسُ فى إيوانِه .

وقد ولَّى[3] بعضَ العُمَّالِ على بلدٍ ، فبلَغه أنه قد تصَدَّى للصيدِ ، وأعَدَّ لذلك الكلابَ والبُزاةَ ، فكتَب إليه المنصورُ : ثكِلَتْك أمُّك وعدِمتْك عَشِيرتُك ، ويحَك ! إنا إنما اسْتَكْفَيْناك أُمورَ المسلمين ، ولم نَسْتَكْفِك أُمورَ الوُحوشِ ، فسَلِّمْ ما كنتَ تَلِى مِن عَمَلِنا إلى فلانٍ ، والْحَقْ بأهلِك مَلُومًا مَدْحُورًا .

وأُتِى[3] يومًا بخارجىٍّ قد هزَم جُيوشَ المنصورِ غيرَ مرةٍ ، فلما أُوقف بينَ يديه

---

(١) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٢. والأبيات للبيد بن ربيعة . وقيل : للنابغة الذبيانى . انظر شرح ديوان لبيد ص ٣٥٦، والشعر والشعراء ١/ ١٥٩، والأضداد لمحمد بن القاسم الأنبارى ص ١٩٦.
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٧٠.
(٣) المصدر السابق ٨/ ٦٨.

قال له المَنْصورُ: ويحَك! يا بنَ الفاعلةِ، مثلُك يَهْزِمُ الجُيوشَ؟ فقال الخارجيُّ: ويلَك، سَوْءةً لك! بينى وبينَك أمسِ السيفُ والقتلُ، واليومَ القَذْفُ والسَّبُّ! وما كان يُؤْمِنُك أن أَرُدَّ عليك وقد يَئِسْتُ مِن الحياةِ، فلا تَستقيلُها أبدًا؟! قال: فاسْتَحْيا منه المَنْصورُ وأطْلَقه. فما رأَى له وَجْهًا إلى الحَوْلِ.

وقال أيضًا[1]: يا بُنيَّ، ليس العاقلُ مَن يَحْتالُ للأمْرِ الذى وقَع فيه حتى يَخْرُجَ منه، ولكنه الذى يَحْتالُ للأمْرِ الذى غَشِيَه حتى لا يَقَعَ فيه.

وقال المنصورُ أيضًا يومًا لابنِه المهدىِّ[1]: يا بنىَّ، لا تَجْلِسْ مَجْلِسًا إلا وعندَك مِن أهلِ العلمِ مَن يُحَدِّثُك؛ فإن [٨/٧٥و] الزُّهْرىَّ قال: علمُ الحديثِ لا يُحِبُّه إلا ذُكْرانُ الرِّجالِ، ولا يَكْرَهُه إلا مُؤَنَّثوهم، وصدَق أخو زُهْرةَ.

وقد كان المنصورُ فى شَبيبتِه يَطْلُبُ العلمَ مِن مَظانِّه والحديثَ والفقهَ، فنال من ذلك جانبًا جيدًا، وطَرَفًا صالحًا، وقد قيل له يومًا[2]: يا أميرَ المؤمنين، هل بَقِىَ شىءٌ مِن اللَّذَّاتِ لم تَنَلْه؟ قال: لا، سوى شىءٍ واحدٍ. قالوا: وما هو؟ فقال: قولُ المُحَدِّثِ للشيخِ: مَن ذكَرْتَ، رحِمك اللَّهُ؟ فاجْتَمع وُزراؤُه وكُتَّابُه، وجَلسوا حولَه، وقالوا: لِيُمْلِ علينا أميرُ المؤمنين شيئًا مِن الحديثِ. فقال: لسْتُم بهم، إنما هم الدَّنِسةُ ثِيابُهم، المُشَقَّقةُ أرْجلُهم، الطَّويلةُ شُعورُهم، بُرُدُ الآفاقِ، ونَقَلةُ الحديثِ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٧٢.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٣٢.

وقال المنصورُ يومًا للمهدىِّ[1] : كم عندَك رايةً[2] ؟ فقال : لا أدْرِى . فقال : هذا هو التَّقْصيرُ ، أنت لأمْرِ الخِلافةِ أشَدُّ تَضْييعًا ، فاتَّقِ اللَّهَ يا بنىَّ .

وقالت خالِصةُ إحْدى حَظِيَّاتِ المَهْدىِّ[3] : دخَلْتُ يومًا على المنصورِ وهو يَشْتَكِى ضِرْسَه ، ويَداه على صُدْغَيْه ، فقال لى : كم عندَكِ مِن المالِ يا خالصةُ ؟ فقلتُ : ألفُ درهمٍ . فقال : ضَعِى يدَك على رأسى واحْلِفى . فقلتُ : عندى عشَرةُ آلافِ دينارٍ . قال : اذهَبى فاحْمِليها إلىَّ . قالتْ : فذَهَبْتُ حتى دخَلْتُ على سيِّدى المَهْدىِّ وهو مع زوجتِه الخَيْزُرانِ ، فشكَوْتُ إليه ما قال أميرُ المؤمنين ، فرَكَلَنى برجلِه ، وقال : وَيْحَكِ ! إنه ليس به وَجَعٌ ، ولكنى سألْتُه بالأمسِ مالًا ، فتَمارَض ، وإنه لا يَسعُكِ إلا ما أمَرَك به . فذهبتْ إليه خالصةُ ومعها عشَرةُ آلافِ دينارٍ ، فاستدعى بالمهدىِّ ، فقال له : تَشْكُو الحاجةَ وهذا كلُّه عندَ خالصةَ ؟!

وقال المنصورُ لخازنِه[4] : إذا علِمْتَ بمَجيءِ المهدىِّ فائْتِنى بخُلْقانِ الثيابِ قبْل أن يَجِيءَ . فجاء بها فوضَعها بينَ يديه ، ودخَل المَهْدىُّ والمنصورُ يُقَلِّبُها ، فجعَل المهدىُّ يَضْحَكُ ، فقال له : يا بنىَّ ، مَن ليس له خَلَقٌ ما له جديدٌ ، وقد حضَر الشتاءُ فنَحْتاجُ نُعِينُ العِيالَ والولدَ . فقال المهدىُّ : علىَّ كِسوةُ أميرِ المؤمنين وعِيالِه . فقال : دونَك فافْعَلْ .

وذكَر ابنُ جَريرٍ[5] عن الهَيْثمِ ، أن المنصورَ أطْلَق فى يومٍ واحدٍ لبعضِ أعْمامِه ألفَ ألفِ درهمٍ ، وفى هذا اليومِ فرَّق فى أهلِ بيتِه عشَرةَ آلافِ درهمٍ ، ولا يُعْلَمُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٧٢ .

(٢) فى النسخ ، وإحدى نسخ تاريخ الطبرى : « دابة » . والمثبت من تاريخ الطبرى . الموضع السابق ، والكامل ٦/ ٢٧.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٧٢، ٧٣.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٧٣.

(٥) المصدر السابق ٨/ ٨٤.

خَليفةٌ فرّق مثلَ هذا فى يومٍ واحدٍ .

وقرأ[1] بعضُ القُرَّاءِ عندَ المنصورِ : ﴿ ٱلَّذِينَ [٨/ ٧٥ظ] يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [الحديد : ٢٤] . فقال : واللَّهِ لولا أن المالَ حِصْنٌ للسُّلْطانِ ودِعامةٌ للدِّينِ والدنيا وعِزُّهما وزينتُهما مابِتُّ ليلةً واحدةً وأنا أُحْرِزُ منه دِينارًا ولا دِرْهمًا ؛ لِما أَجِدُ لبَذْلِ المالِ مِن اللذاذةِ ، ولِما أَعْلَمُ فى إعْطائِه مِن جَزيلِ المَثوبةِ .

وقرأ[2] عندَه قارئٌ آخرُ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . فقال : ما أحْسَنَ ما أدَّبَنا ربُّنا عزَّ وجلَّ !

وقال المنصورُ[3] : سِمعْتُ أبى يَقولُ : سمِعْتُ أبى ؛ علىَّ بنَ عبدِ اللَّهِ يَقولُ : سادةُ الناسِ فى الدنيا الأسْخِياءُ ، وفى الآخرةِ الأتقياءُ[4] .

ولما عزَم[5] المنصورُ على الحَجِّ فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ - دعا ولدَه المَهْدىَّ ولىَّ عهْدِه من بعدِه فأوْصاه فى خاصَّةِ نَفْسِه وفى أهلِ بيتِه وبسائرِ المسلمين خيرًا ، وعلَّمه كيف يَفْعَلُ الأشْياءَ ، ويَسُدُّ الثُّغورَ ، بوَصايا يَطولُ بَسْطُها ، وحرَّج عليه أن لا يَفْتَحَ شيئًا مِن خَزائنِ المسلمين حتى يَتَحَقَّقَ وفاتَه ؛ فإن بها مِن الأمْوالِ ما يَكْفِى المسلمِين لو لم يُجْبَ إليهم مِن الخَراجِ درهمٌ عشْرَ سنين ، وعهِد إليه أن يَقْضِىَ ما عليه مِن الدَّيْنِ ، وهو ثلاثُمائةِ ألفِ دينارٍ[6] ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٨٨.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٨٩.

(٣) المصدر السابق ٨/ ٩٤.

(٤) فى تاريخ الطبرى : « الأنبياء » .

(٥) المصدر السابق ٨/١٠٤ - ١٠٧.

(٦) فى تاريخ الطبرى : « درهم ونيف » .

فإنه لم يَرَ قَضاءَها مِن بيتِ المالِ. فامْتَثل المَهْدىُّ ذلك كلَّه، وأحْرَم المنصورُ بحجٍّ وعُمْرةٍ مِن الرُّصافةِ، وساق بُدْنَه، وقال: يا بُنىَّ، إنى وُلِدْتُ فى ذى الحِجَّةِ، وقد وقَع لى أنى أَموتُ فى ذى الحِجَّةِ، وهذا هو الذى حدانى على الحجِّ عامى هذا. وودَّعه وسار، واعْتَراه مَرَضُ الموتِ فى أثناءِ الطريقِ، فما دخَل مكةَ إلا وهو مُثْقَلٌ جدًّا، فلما كان بآخرِ منزلٍ نزَله دونَ مكةَ إذا فى صَدْرِ منزلِه مكتوبٌ: بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ.

أبا جعفرٍ حانتْ وفاتُك وانْقَضَت ... سِنُوك وأمْرُ اللَّهِ لابدَّ واقعُ
أبا جعفرٍ هل كاهنٌ أو مُنَجِّمٌ ... لك اليومَ مِن كَرْبِ[1] المَنِيَّةِ مانعُ

فدعا بالحَجَبَةِ، فأمرَهم بقراءةِ ذلك، فلم يَرَوْا شيئًا، فعرَف أن أجَلَه قد نُعِى إليه.

قالوا[2]: ورأَى المَنْصورُ فى مَنامِه، ويُقالُ: بل هتَف به هاتفٌ، وهو يَقولُ:

أما ورَبِّ السُّكونِ والحَرَكِ ... إن المَنايا كثيرةُ الشَّرَكِ
[٨/٧٦و] عليكِ يا نَفْسُ إن أسَأْتِ وإن ... [3]أحْسَنْتِ يا نَفْسُ كان ذاك لكِ[3]
ما اخْتَلَف الليلُ والنَّهارُ ولا ... دارَت نُجومُ السَّماءِ فى الفَلَكِ
إلا بنَقْلِ السُّلْطانِ عن مَلِكٍ ... إذا انْقَضَى مُلْكُه إلى مَلِكِ
حتى يَصيرا به إلى مَلِكٍ ... [4]ما عِزُّ سُلْطانِه بمُشْتَرَكِ[4]

---

(١) فى تاريخ الطبرى: «حرّ».
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/١٠٧.
(٣ - ٣) فى تاريخ الطبرى: «أحسنت بالقصد كل ذاك لك».
(٤ - ٤) فى الأصل، ب، ص، ظ: «لا ينقضى ملكه إلى ملك».

ذاك بَديعُ السَّماءِ والأرضِ والْـ ـمُرْسِى الجِبالِ المُسَخِّرُ الفَلَكِ

فقال المَنْصورُ : هذا واللَّهِ أَوانُ حُضورِ أجَلى وانْقِضاءِ عُمْرى .

وكان[1] قد رأَى قبلَ ذلك فى قَصْرِه الخُلْدِ الذى بناه وتأَنَّق فيه ، مَنامًا أفْزَعه ، فقال للرَّبيعِ : ويحَك يا ربيعُ ! لقد رأَيْتُ منامًا هالَنى ؛ رأَيْتُ قائلًا وقَف فى بابِ هذا القَصْرِ ، وهو يَقولُ :

كأنى بهذا القَصْرِ قد باد آهِلُهْ وعُرِّىَ مِنْهُ أهلُه ومَنازِلُهْ

وصار رئيسُ القَوْمِ مِن بعدِ بَهْجَةٍ إلى جَدَثٍ تُبْنَى عليه جَنادِلُهْ

فما أقام فى الخُلْدِ إلا أقلَّ مِن سنةٍ حتى خرج إلى الحَجِّ عامَه هذا ، ومرِض فى طريقِ مكةَ ، فدخلها مُدْنِفًا ثَقِيلًا . وكانتْ[2] وفاتُه ليلةَ السبتِ لستٍّ - وقيل : لسبعٍ - مضَيْن مِن ذى الحِجَّةِ .

وكان آخرَ ما تكَلَّم به أن قال[3] : اللهم بارِكْ لى فى لِقائِك . ويقالُ[4] : إنه قال : ياربِّ ، إن كنتُ عصَيْتُك فى أُمورٍ كثيرةٍ فقد أطَعْتُك فى أحَبِّ الأشْياءِ إليك ؛ شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ مُخْلِصًا . ثم مات .

وكان[3] نَقْشُ خاتَمِه : اللَّهُ ثِقةُ عبدِ اللَّهِ ، وبه يُؤْمِنُ .

وكان عمرُه يومَ وفاتِه ثلاثًا وستين سنةً على المشهورِ ؛ منها ثنتان وعشرون

---

(١) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق ٣٨/ ٢٤٧، ٢٤٩.

(٣) المصدر السابق ٣٨/ ٢٤٥.

(٤) المصدر السابق ٣٨/ ٢٤٦.

سنةً فى الخلافةِ ، ودُفِن ببابِ المَعْلَى ، رحِمه اللَّهُ .

قال أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ[1] : ومما رُثِىَ به أبو جعفرٍ المنصورُ ، رحِمه اللَّهُ ، قولُ سَلْمٍ الخاسرِ الشاعرِ :

عجَبًا للذى نعَى الناعيانِ ... كيف فاهَتْ بموتِه الشَّفَتانِ
مَلِكٌ إن غَدا على الدَّهْرِ يومًا ... أصْبَح الدَّهْرُ ساقِطًا للجِرانِ
لَيْتَ كفًّا حثَتْ عليه ترابًا ... لم تَعُدْ فى يمينِها ببَنانِ
حينَ دانَتْ له البلادُ على العَسْـ ... ـفِ وأَغْضَى مِن خوفِه الثَّقَلانِ
أينَ ربُّ الزَّوْراءِ قد قلَّدَتْه الـ ... ـملكَ عشرون حِجَّةً واثْنَتانِ
[٧٦/٨ظ] إنما المَرْءُ كالزِّنادِ إذا ما ... أخَذَتْه قَوادِحُ النِّيرانِ
ليس يَثْنى هَواه زَجرٌ ولايَقْـ ... ـدَحُ فى حَبْلِه ذَوُو الأذْهانِ
قلَّدَتْه أَعِنَّةَ المُلْكِ حتى ... قاد أعْداءَه بغيرِ عِنانِ
يُكْسَرُ الطَّرْفُ دونَه وتَرَى الأيْـ ... ـدِىَ مِن خوفِه إلى الأذْقانِ
ضمَّ أطْرافَ مُلْكِه ثم أضْحَى ... خلفَ أقْصاهمُ ودونَ الدانى
هاشميُّ التَّشْميرِ لا يَحْمِلُ الثِّقْـ ... ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدانِ
ذو أَناةٍ يَنْسَى لها الخائفُ الخو ... فَ وعَزْمٍ يُلْوِى بكلِّ جَنانِ
ذهَبَت دونَه النُّفوسُ حِذارًا ... غيرَ أن الأَرْواحَ فى الأبْدانِ

وقد دُفِن[2] المنصورُ بثنِيَّةِ المَعْلَى عندَ بابِ مكةَ ، ولا يُعْرَفُ قبرُه ؛ لأنه عُمِّىَ قبرُه ؛ فإن الربيعَ حفَر مائةَ قبرٍ ، ودفَنه فى غيرِها لئلا يُعْرَفَ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ١٠١، ١٠٢.
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١١٤.

ذِكـرُ أوْلادِ المنصـورِ[1]

محمدٌ المَهْدىُّ، وكان ولىَّ عهْدِه مِن بعدِه، وجعفرٌ الأكْبرُ، مات فى حياتِه، وأمُّهما أرْوَى بنتُ مَنْصورٍ، وعيسى، ويَعْقوبُ، وسليمانُ، وأمُّهم فاطمةُ بنتُ محمدٍ، مِن ولدِ طَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ، وجعفرٌ الأصْغرُ مِن أمِّ ولدٍ كُرْديَّةٍ، وصالحٌ المِسْكينُ مِن أمِّ ولدٍ رُوميَّةٍ يُقالُ لها: قالى الفرَّاشةُ. والقاسمُ مِن أمِّ ولدٍ أيضًا. والعاليةُ مِن امرأةٍ مِن بنى أميةَ.

ذكرُ خِلافةِ المَهْدىّ بنِ المنصورِ[2]

لما مات أبوه المنصورُ بمكةَ لستٍّ - وقيل: لسبعٍ - مضَيْن مِن ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ، أُخِذَت له البَيْعةُ بمكةَ مِن رُءوسِ بنى هاشمٍ والقُوَّادِ الذين هم مع المنصورِ فى الحجِّ قبلَ دَفْنِه، وبُعث بالبَيْعةِ وبالبُرْدةِ والقضيبِ مع البريدِ إلى المَهْدىِّ وهو ببَغْدادَ، فوصَله البَريدُ يومَ الثلاثاءِ للنصفِ مِن ذى الحِجةِ، فسلَّم عليه بالخِلافةِ، وأعْطاه الكتبَ بالبَيْعةِ، وبايَعه أهلُ مدينةِ السلامِ، ونفَذَت البَيْعةُ إلى سائرِ الآفاقِ والأقاليمِ، وقد كان ولىَّ العَهدِ مِن بعدِ أبيهِ.

وذكَر ابنُ جَريرٍ[3] أن المنصورَ قبلَ وفاتِه بيومٍ تحامَل وتسانَد، واسْتَدْعى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٠٢.

(٢) انظر المصدر السابق ٨/ ١١٠ - ١١٥.

(٣) المصدر السابق ٨/ ١١٤.

بالأُمراءِ، فجدَّد لهم البَيْعةَ لابنِه المهديِّ، فتسارَعوا إلى ذلك وتبادَروا إليه.

وحجَّ[1] بالناسِ فى هذه السنةِ إبراهيمُ بنُ يحيى بنِ محمدِ [٨/٧٧و] بنِ علىٍّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، عن وَصيةِ عمِّه إليه فى ذلك، وهو الذى صلَّى عليه، وقيل[2]: إن الذى صلَّى على المنصورِ عيسى بنُ موسى وليُّ العهدِ مِن بعدِ المهديِّ. والصحيحُ الأولُ؛ لأنه كان نائبَ مكةَ والطائفِ.

وعلى إمْرةِ المدينةِ عبدُ الصَّمدِ بنُ علىٍّ، وعلى الكوفةِ عمرُو بنُ زُهَيْرٍ الضَّبِّيُّ، أخو المُسَيَّبِ بنِ زُهَيْرٍ أميرِ الشُّرْطةِ للخَليفةِ، وعلى خُراسانَ حُمَيْدُ بنُ قَحْطَبةَ، وعلى خراجِ البصرةِ وأرضِها عُمارةُ بنُ حمزةَ، وعلى صلاتِها وقضائِها عبيدُ اللَّهِ ابنُ الحسنِ العَنْبرىُّ، وعلى أحْداثِها سعيدُ بنُ دَعْلَجٍ.

قال الواقدىُّ[3]: وأصاب الناسَ فى هذه السنةِ وَباءٌ شديدٌ. فتُوُفى فيه خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ، منهم **أفْلَحُ** بنُ حُمَيْدٍ[4]، **وحَيْوَةُ** بنُ شُرَيْحٍ[5]، **ومُعاويةُ** بنُ صالحٍ[6] بمكةَ، **وزُفَرُ** بنُ الهُذَيْلِ بنِ قيسِ بنِ سُلَيْمِ بنِ قَيسِ بنِ مُكمَّلِ بنِ ذُهْلِ بنِ ذُؤيْبِ بنِ جَذِيمةَ بنِ عمرِو بنِ حُنْجُودٍ[7] بنِ جُنْدَبِ بنِ العَنْبَرِ بنِ عَمرِو بنِ تَميمِ بنِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ١١٥.

(٢) انظر المصدر السابق ٨/ ٦١.

(٣) ذكره ابن جرير فى تاريخه ٨/ ١١٥.

(٤) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٤٢٩، والتاريخ الكبير ٢/ ٥٣، والجرح والتعديل ٢/ ٣٢٢، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٢١.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥، وتهذيب الكمال ٧/ ٤٧٨، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٦.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٢١، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٢٠، وطبقات الحفاظ ص ٧٧.

(٧) فى النسخ، ووفيات الأعيان ٢/ ٣١٧: «حنجور». وهو تحريف. والمثبت من جمهرة أنساب =

مُرِّ بنِ أُدٍّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ التَّميميُّ العَنْبريُّ الكُوفيُّ الفَقِيهُ الحَنَفيُّ[1] . أقْدَمُ أصحابِ أبى حَنيفةَ وَفاةً ، وأكْثرُهم اسْتِعْمالًا للقِياسِ ، وكان عابدًا ، اشْتَغل أولًا بعلمِ الحَديثِ ، ثم غلَب عليه الفِقْهُ والقياسُ . وُلِد سنةَ ستَّ عشْرةَ ومائةٍ ، وتُوُفى سنةَ ثمانٍ وخمسين عن ثنتَيْن وأرْبَعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

= العرب ص ٢٠٨. وانظر الاشتقاق ص ٢١٣، وتاج العروس (حنجد).

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠، وطبقات الفقهاء ص ١٣٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٣١٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٨٩، والجواهر المضية ٢/ ٢٠٧.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وخمسين ومائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] وخَليفةُ الناسِ أبو عبدِ اللَّهِ المَهْدىُّ بنُ أبى جعفرٍ المنصورِ، فبعَث فى أولِها العباسَ بنَ محمدٍ إلى بلادِ الرومِ فى جيشٍ كَثيفٍ، وركِب معهم مُشَيِّعًا لهم، فساروا إليها، فافْتَتَحوا مدينةً عظيمةً للرومِ ومَطْمُورَةَ[2]، وغنِموا غَنائمَ كثيرةً، ورجَعوا سالِمين، لم يُفْقَدْ من المسلمين أحدٌ.

وفيها تُوُفى حُمَيْدُ بنُ قَحْطبةَ نائبُ خُراسانَ، فولَّى المَهْدىُّ مكانَه أبا عونٍ عبدَ الملكِ بنَ يَزيدَ، وولَّى حَمْزةَ بنَ مالكٍ سِجِسْتانَ، وولَّى جَبْرَئيلَ بنَ يَحْيَى سَمَرْقَنْدَ.

وفيها بنَى المَهْدىُّ مسجدَ الرُّصافةِ وخَنْدَقَها.

وفيها جهَّز المهدىُّ جيشًا كثيفًا إلى بلادِ الهندِ، فوصَلوا إليها فى السنةِ الآتيةِ، وكان مِن أمْرِهم ما سنَذْكُرُه.

وفيها تُوُفى نائبُ السِّنْدِ مَعْبَدُ بنُ الخَليلِ، فولَّى المَهْدىُّ مكانَه رَوْحَ بنَ حاتمٍ بمَشورةِ وزيرِه أبى عُبَيْدِ اللَّهِ.

وفيها أَطْلَق المَهْدىُّ مَن كان فى السُّجونِ إلا مَن كان [٨/٧٧ظ] مَحْبوسًا على

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/١١٦ - ١٢٣، والمنتظم ٨/٢٢٦، ٢٢٧، والكامل ٦/٤٠.

(٢) سقط من: الأصل، ب، م. ومطمورة: بلد من ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس. معجم البلدان ٤/٥٦٧.

دمٍ ، أو ممن يسعَى فى الأرضِ فَسادًا ، أو عندَه حقٌّ لأحدٍ ، فكان مِن جُمْلةِ مَن أخْرَج مِن المُطْبِقِ[1] يعقوبُ بنُ داودَ مولى بنى سُلَيْمٍ ، والحسنُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، وأمَر الخليفةُ بصَيْرورةِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ إلى نُصَيْرٍ الخادمِ ليَحْتَرِزَ عليه .

وكان الحسنُ قد عزَم على الهرَبِ من السجنِ قبلَ خُروجِه منه ، فلما خرَج يعقوبُ بنُ داودَ من السجنِ ، ناصَح الخليفةَ بما كان عزَم عليه الحسنُ بنُ إبراهيمَ ، فنقَله الخليفةُ مِن السجنِ ، وأوْدَعه عندَ نُصَيْرٍ الخادمِ ليَحْتاطَ عليه ، وحظِى يعقوبُ ابنُ داودَ عندَ المهدىِّ جدًّا حتى صار يَدْخُلُ عليه فى الليلِ بلا اسْتِئْذانٍ ، وجعَله الخليفةُ على أُمورٍ كثيرةٍ فوَّضها إليه ، وأطْلَق له مائةَ ألفِ درهمٍ ، وما زال عندَه كذلك حتى تمكَّن المَهْدىُّ مِن الحسنِ بنِ إبراهيمَ ، فسقَطت مَنْزلةُ يَعْقوبَ عندَ المهدىِّ . وقد عزَل المَهْدىُّ نُوَّابًا كثيرةً عن البلادِ ، وولَّى بَدَلَهم عليها .

وفى هذه السنةِ تزوَّج المهدىُّ بابنةِ عمِّه أمِّ عبدِ اللَّهِ بنتِ صالحِ بنِ علىٍّ ، وأعْتَق جاريتَه الخَيْزُرانَ ، وتزَوَّجها أيضًا ، وهى أمُّ الرَّشيدِ .

وفيها وقَع حَريقٌ عظيمٌ فى السُّفُنِ التى بدِجْلةِ بغدادَ .

ولما وَلِىَ المَهْدىُّ سأَل عيسى بنَ موسى - وكان وَلِىَّ العهدِ مِن بعدِ المهدىِّ - أن يَخْلَعَ نَفْسَه مِن الأمْرِ ، فامْتَنَع على المَهْدىِّ ، وسأَل مِن المَهْدىِّ أن يُقِيمَ بأرضِ الكوفةِ فى ضَيْعةٍ له ، فأذِن له ، وكان قد اسْتَقَرَّ على إمْرةِ الكوفةِ رَوْحُ بنُ حاتمٍ ، فكتَب إلى المَهْدىِّ : إنَّ عيسى بنَ موسى لا يَأْتى الجُمُعةَ ولا الجَماعةَ مع الناسِ إلا

---

(١) المطبق : السجن تحت الأرض . الوسيط (ط ب ق) .

شهرَيْن من السنةِ ، وإنه إذا جاء يَدْخُلُ بدَوابِّه إلى داخلِ بابِ المسجدِ ، فتَرُوثُ دوابُّه حيث يُصَلِّى الناسُ . فكتَب إليه المهْدىُّ أن يَعْمَلَ خَشَبًا على أفْواهِ السِّكَكِ ؛ حتى لا يَصِلَ الناسُ إلى الجامعِ إلا مُشاةً ، فعلِم بذلك عيسى بنُ موسى ، فاشْتَرَى قبلَ الجمعةِ دارَ المُخْتارِ بنِ أبى عبيدٍ مِن وَرثتِه ، وكانتْ مُلاصِقةَ المَسْجدِ ، فكان يَأْتى إليها مِن يومِ الخميسِ ، فإذا كان وقتُ الجُمُعةِ ركِب حمارًا إلى بابِ المسجدِ ، فنزَل عنه ، وشهِد الصلاةَ مع الناسِ ، وأقام بالكُلِّيَّةِ فى الكوفةِ بأهلِه ، ثم ألَحَّ المَهْدىُّ على عيسى بنِ موسى فى أن يَخْلَعَ نفسَه مِن [٧٨/٨و] ولايةِ العهدِ ، وتوَعَّده إن لم يَفْعَلْ ، ووعَده إن فعَل ، فأجابه إلى ذلك ، فأعْطاه أقْطاعًا عظيمةً ، وجعل له مِن المالِ عشَرةَ آلافِ ألفِ درهمٍ ، وقيل : عشْرين ألفَ ألفٍ . وبايَع المَهْدىُّ لولدَيْه مِن بعدِه ؛ موسى الهادى ، ثم لهارونَ الرشيدِ ، كما سيأتى .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ يزيدُ بنُ مَنْصورٍ خالُ المَهْدىِّ ، وكان نائبًا على اليمنِ ، فولَّاه المَوْسمَ ، واسْتَقْدَمه عليه شوقًا إليه .

وغالبُ نُوَّابِ البلادِ قد تَغَيَّروا فى هذه السنةِ ، غيرَ أن إفْرِيقِيَّةَ مع يزيدَ بنِ حاتمٍ ، وعلى مِصْرَ محمدُ بنُ سليمانَ أبو ضَمْرةَ ، وعلى خُراسانَ أبو عَوْنٍ ، وعلى السِّنْدِ بِسْطامُ بنُ عمرٍو ، وعلى الأهْوازِ وفارسَ عُمارةُ بنُ حَمْزةَ ، وعلى اليمنِ رَجاءُ بنُ رَوْحٍ ، وعلى اليَمامةِ بشرُ بنُ المُنْذِرِ ، وعلى الجَزيرةِ الفَضْلُ بنُ صالحٍ ، وعلى المدينةِ عبدُ اللَّهِ بنُ صَفْوانَ الجُمَحىُّ ، وعلى مكةَ والطائفِ إبراهيمُ بنُ يَحْيَى ابنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وعلى أحْداثِ الكوفةِ إسْحاقُ بنُ الصَّبَّاحِ الكِنْدىُّ ، وعلى خَراجِها ثابتُ بنُ موسى ، وعلى قَضائِها شَريكُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّخَعىُّ ، وعلى أحْداثِ البَصْرةِ عُمارةُ بنُ حَمْزةَ ، وعلى صَلاتِها عبدُ الملكِ بنُ

أيوبَ بنِ ظَبْيانَ التُّمَيْرِىُّ ، وعلى قَضائِها عُبَيدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ العَنْبَرِىُّ .

وممن تُوُفِىَ فيها من الأعيانِ : عبدُ العزيزِ بنُ أبى رَوَّادٍ[1] ، **وعكرمةُ** بنُ عَمَّارٍ[2] ، **ومالكُ** بنُ مِغْوَلٍ[3] ، **ومحمدُ** بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ذِئبٍ المَدَنىُّ[4] ، نظيرُ مالكِ بنِ أنسٍ فى الفِقْهِ ، وربما أنْكَر على مالكٍ فى تركِه الأخذَ ببعضِ الأحاديثِ ؛ لمآخذَ كان يَراها مالكٌ مِن إجْماعِ أهلِ المدينةِ وغيرِ ذلك مِن المسالكِ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٣، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٠٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٥٥، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٥٧، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٥٨٢.

(٤) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٤١٢، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٩٦، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٦٣٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٦٠٠.

ثم دخَلَت سنةُ ستين ومائةٍ من الهجرة

فيها[1] خرَج رجلٌ بخُراسانَ على المَهْدىِّ مُنْكِرًا عليه أحْوالَه وسِيرتَه ، يقالُ له : يوسُفُ البَرْمُ . والْتَفَّ عليه خلْقٌ كثيرٌ ، وتَفاقَم أمْرُه وعظُم الخَطْبُ به ، فتوَجَّه إليه يزيدُ بنُ مَزيدٍ ، فلقِيَه فاقْتَتلا حتى تَنازلا وتَعانَقا ، فأسَر يزيدُ بنُ مَزيدٍ يوسُفَ هذا ، وأسَر جماعةً مِن أصحابِه ، فبعثه وبعَثهم إلى المَهْدىِّ ، فأُدْخِلوا عليه وقد حُمِلوا على جِمالٍ ، مُحَوَّلةً وُجوهُهم إلى ناحيةِ أذْنابِ الإبلِ ، فأمَر الخليفةُ هَرْثَمةَ ابنَ أعْيَنَ أن يَقطعَ يدى يوسُفَ ورِجْليه ، ثم تُضْرَبَ عنقُه وأعْناقُ مَن معه ، وصلَبهم على جِسْرِ دِجْلةَ [٨/٧٨ظ] الأكْبرِ مما يلِى عَسْكَرَ المَهْدىِّ ، وأطْفَأ اللَّهُ نائِرتَهم[2] ، وكفَى شرَّهم .

ذِكرُ البَيْعةِ لموسى الهادى وهارونَ الرشيدِ[3]

كان الخليفةُ المَهْدىُّ قد أَلَحَّ على عيسى بنِ موسى فى أن يَخْلَعَ نَفْسَه عن ولايةِ العهدِ ، وهو فى ذلك كلِّه يَمْتَنِعُ ، وهو مُقِيمٌ بالكوفةِ ، فبعَث إليه المَهْدىُّ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/١٢٤ - ١٣٣، والمنتظم ٨/٢٣٥ - ٢٤٦، والكامل ٦/٤٣ - ٥٠ .

(٢) فى الأصل ، ظ : « نارهم » . وفى ب ، م : « ثائرتهم » . والنائرة : الفتنة والهَيْج . اللسان (ن أ ر) ، (ن و ر) .

(٣) كذا قال المصنف ، والمذكور فى تاريخ الطبرى والمنتظم والكامل أن البيعة كانت لموسى فحسب ، وسيأتى ذكر بيعة هارون ضمن حوادث سنة ست وستين ومائة فى صفحة ٥٢٧.

أحدَ القُوَّادِ الكِبارِ ، وهو أبو هُرَيرةَ محمدُ بنُ فَرُّوخَ فى ألفٍ مِن أصحابِه لإحْضارِه إليه ، وأمرهم أن يَستصحِبوا مع كلِّ واحدٍ منهم طَبْلًا ، فإذا واجَهوا الكوفةَ عندَ إضاءةِ الفجرِ ضرَب كلُّ واحدٍ منهم بطَبْلِه ، ففعَلوا ذلك ، فارْتَجَّت الكوفةُ ، وخاف عيسى بنُ موسى ، فلما انْتَهَوا إليه دعَوْه إلى حَضْرةِ الخَليفةِ ، فأظهَر التَّشَكِّىَ ، فلم يَقْبَلوا ، وأخَذوه معهم ، فدخلوا بغدادَ فى يومِ الخميسِ لثلاثٍ[1] خلَوْن مِن المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، فاجْتَمع عليه وُجوهُ بنى هاشمٍ والقُضاةُ والأعْيانُ ، وسأَلوه فى ذلك وهو يَمْتَنِعُ ، ثم لم يَزَلِ الناسُ به بالرَّغْبةِ والرَّهْبةِ حتى أجاب فى يومِ الأربعاءِ[2] لأربعٍ بَقِين[3] مِن المُحَرَّمِ بعدَ العصرِ يومئذٍ . وبُويع لولدَى أميرِ المؤمنين ؛ موسى وهارونَ الرشيدِ صَبيحَةَ يومِ الخميسِ لثلاثٍ بقِين مِن المُحَرَّمِ ، فجلَس المَهْدىُّ فى قُبَّةٍ عظيمةٍ فى إيوانِ الخِلافةِ ، ودخَل الأُمراءُ فبايَعوا ، ثم نهَض المهدىُّ فصعِد المنبرَ ، وجلَس ابنُه موسى الهادى تحتَه ، وقام عيسى بنُ موسى على أولِ درجةٍ منه ، وخطَب المهدىُّ ، فأعْلَمهم بما وقَع مِن خَلْعِ عيسى بنِ موسى نفسَه ، وأنه قد حلَّل الناسَ مِن الأيْمانِ التى له فى أعْناقِهم ، وجعَل ذلك إلى موسى الهادى ، فصدَّق عيسى بنُ موسى ذلك ، وبايَع المَهْدىَّ على ذلك ، ثم نهَض الناسُ ، فبايَعوا الخليفةَ على حَسَبِ مَراتِبِهم وأسنانِهم ، وكتَب على عيسى ابنِ موسى مَكْتوبًا مُؤَكَّدًا بالأيْمانِ البالغةِ مِن الطَّلاقِ والعَتاقِ ، وأشْهَد عليه جَماعةَ الأُمراءِ والوُزراءِ وأعْيانَ بنى هاشمٍ وغيرَهم .

وفيها وصَل عبدُ الملكِ بنُ شِهابٍ المِسْمَعىُّ مدينةَ بارْبَدَ مِن الهندِ فى جَحْفلٍ

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « لست » .

(٢) فى ب ، م : « الجمعة » .

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « مضين » .

كثيرٍ معه ، فحاصَروها ونصَبوا عليها المَجانِيقَ ، ورمَوْها بالنِّفْطِ ، فأحْرَقوا منها طائفةً ، وهلَك بشرٌ كثيرٌ مِن أهلِها ، وفتَحوها عَنْوةً ، وأرادوا الانْصِرافَ فلم يُمْكِنْهم ذلك ؛ لاغْتِلامِ [٨/٧٩و] البَحْرِ[1] ، فأقاموا هنالك ، فأصابهم داءٌ فى أفْواهِهم يُقالُ له : حُمامُ قُرٍّ . فمات منهم ألفُ نفسٍ ، منهم الربيعُ بنُ صُبَيْحٍ ، فلمَّا أمْكَنهم المَسِيرُ ركِبوا فى البحرِ ، فهاجَت عليهم ريحٌ ، فغرِق منهم طائفةٌ أيضًا ، ووصَل بقيتُهم إلى البَصْرةِ ومعهم سَبْىٌ كثيرٌ ، فيهم بنتُ مَلِكِهم .

وفيها حكَم المهدىُّ بإلْحاقِ نسبِ ولدِ أبى بَكْرةَ الثَّقَفىِّ إلى وَلاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقطْعِ نسبِهم مِن ثقيفٍ ، وكتَب بذلك كتابًا إلى والى البَصْرةِ ، وقطَع نسبَه مِن زيادٍ ومِن نسبِ نافعٍ[2] ، ففى ذلك يَقولُ بعضُ الشُّعراءِ ، وهو خالدٌ النَّجَّارُ :

إن زِيادًا ونافعًا وأبا ... بَكْرةَ عندى مِن أعْجَبِ العَجَبِ
ذا قرشىٌّ كما يَقولُ وذا ... مَوْلًى وهذا بزَعْمِه عَرَبى

فذكَر ابنُ جَريرٍ أن نائبَ البَصْرةِ لم يُنْفِذْ ذلك[3] .

وفى هذه السنةِ حجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين المَهْدىُّ ، واسْتَخْلَف على بغدادَ ابنَه موسى الهادىَ ، واسْتَصْحَب معه ابنَه هارونَ الرَّشيدَ وخَلْقًا مِن الأُمراءِ ، منهم يعقوبُ بنُ داودَ على مَنْزلتِه ومَكانتِه ، وكان الحسنُ بنُ إبراهيمَ قد هرَب مِن الخادمِ ، فلحِق بأرضِ الحِجازِ ، فاسْتَأْمن له يعقوبُ بنُ داودَ ، فأحْسَن المهدىُّ

---

(١) اغتلام البحر : هيجانه واضطرابه . انظر اللسان (غ ل م) .
(٢) زياد هو ابن أبيه ، ونافع هو ابن الحارث بن كَلَدة الثقفى ، وأبو بكرة هو نفيع بن الحارث ، وقيل : ابن مسروح . كلهم إخوة لأم ، وهى سمية . انظر أنساب الأشراف ٥/ ١٩٧.
(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ١٣٢.

صِلَتَه ، وأجْزَل جائزتَه ، وفرَّق المَهْدىُّ فى أهلِ مكةَ مالًا عظيمًا جدًّا ، وكان قد قدِم معه بثلاثين ألفَ ألفِ درهمٍ ومائةِ ألفِ ثوبٍ[1] ، وجاء مِن مصرَ ثلاثُمائةِ ألفِ دينارٍ ، ومِن اليمنِ مائتا ألفِ دينارٍ ، فأعْطاها كلَّها فى أهلِ مكةَ والمدينةِ .

وشكَت الحَجَبةُ إلى المهدىِّ أنهم يَخافون على الكعبةِ أن تَنْهَدِمَ مِن كثرةِ ما عليها مِن الكَساوِى ، فأمَر بتَجْرِيدِها من الكِسوةِ ، فلما انْتَهَوا إلى كَساوِى هشامِ ابنِ عبدِ الملكِ وجَدها مِن دِيباجٍ ثَخينٍ جدًّا ، وبقيةَ كَساوِى الخُلَفاءِ قبلَه وبعدَه من عملِ أهلِ اليمنِ ، فلما جرَّدها طَلاها بالخَلُوقِ ، وكساها كِسْوةً حسَنةً جدًّا ، ويُقالُ[2] : إنه اسْتَفْتَى مالكًا فى إعادةِ الكَعْبةِ إلى ما كان بناها ابنُ الزبيرِ مِن موضعِها على الوجهِ الذى كان يَوَدُّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال مالكٌ : دَعْها على حالِها ؛ فإنى أخْشَى أن يَتَّخِذَها الملوكُ مَلْعَبةً . فترَكها كما كانت .

وحمَل له محمدُ بنُ سليمانَ نائبُ البَصْرةِ الثَّلْجَ إلى مكةَ ، فكان أولَ [٨/٧٩ظ] خَليفةٍ حُمِل له الثَّلْجُ إليها . ولما دخَل المدينةَ النبويَّةَ وَسَّع المسجدَ النَّبوىَّ ، وكان فيه مَقْصورةٌ ، فأزالها . وأراد أن يَنْقُصَ مِن المِنْبرِ ما كان زاده مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ ، فقال له مالكٌ : إنه يُخْشَى أن يَنْكَسِر الخشبُ العَتيقُ إذا زُعْزِع . فترَكه فلم يتعرَّضْ له .

وتزَوَّج مِن المدينةِ رُقَيَّةَ بنتَ عمرٍو العُثْمانيةَ ، وانْتَخَب مِن أهلِها مِن الأنصارِ خمسَمائةٍ مِن أعْيانِها ليَكونوا حولَه حرَسًا بالعراقِ وأنْصارًا له ، وأجْرَى عليهم أرْزاقًا غيرَ أَعْطِياتِهم ، وأقْطَعهم أقْطاعًا معروفةً بهم .

---

(١) فى مصادر التخريج أنه فرق مائة وخمسين ألف ثوب .
(٢) تقدم فى ١/ ٣٨٣، ٣/ ٣٨٣، ١١/ ٦٩٣.

وممن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ : الربيعُ بنُ صَبِيحٍ[1] ، وسُفيانُ بنُ حسينٍ[2] ، أحدُ أصحابِ الزُّهْرىِّ ، وشُعْبةُ بنُ الحَجَّاجِ بنِ الوَرْدِ العَتَكىُّ الأَزْدىُّ أبو بِسْطامٍ الواسطىُّ[3] ، ثم انْتقل إلى البَصْرةِ . رأى شُعبةُ الحسنَ ، وابنَ سِيرينَ ، وروَى عن أُمَمٍ مِن التابعِين ، وحَدَّث عنه خَلْقٌ مِن مَشايخِه وأقْرانِه وأئمَّةِ الإسلامِ ، وهو شيخُ المُحَدِّثين المُلَقَّبُ فيهم بأميرِ المؤمنين . قاله الثَّورىُّ[4] .

وقال يَحْيَى بنُ مَعينٍ[5] : هو إمامُ المُتَّقِين . وكان فى غايةِ الوَرَعِ والزُّهْدِ والتَّقَشُّفِ والحِفْظِ وحُسْنِ الطَّريقةِ .

وقال الشافعىُّ[6] : لولاه ما عُرِف الحديثُ بالعراقِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : كان أُمَّةً وحدَه فى هذا الشأنِ ، ولم يكُنْ فى زَمانِه مثلُه .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[7] : كان ثِقةً مَأْمونًا حُجَّةً ، صاحبَ حَديثٍ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٧، وتهذيب الكمال ٩/ ٨٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٣٦٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٢، وتاريخ بغداد ٩/ ١٤٩، وتهذيب الكمال ١١/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤٠٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠) ص ٤١٦.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٩.

(٥) المصدر السابق ٩/ ٢٦٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٦.

(٧) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٠.

وقال وَكيعٌ[1] : إنى لَأرْجو أن يَرْفَعَ اللَّهُ لشُعْبةَ فى الجنةِ دَرَجاتٍ بذَبِّه عن حديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال صالحُ بنُ محمدٍ ، جَزَرةُ[2] : كان شُعْبةُ أولَ مَن تكَلَّم فى الرجالِ ، وتبِعه يحيى القَطَّانُ ، ثم أحمدُ وابنُ مَعينٍ .

وقال ابنُ مَهْدىٍّ[3] : ما رأيْتُ أعْقلَ مِن مالكٍ ، ولا أشَدَّ تَقَشُّفًا مِن شُعْبةَ ، ولا أنْصَحَ للأُمَّةِ مِن ابنِ المُبارَكِ ، ولا أحْفَظَ للحديثِ مِن الثَّوْرىِّ .

وقال مسلمُ بنُ إبراهيمَ[4] : ما دخَلْتُ على شعبةَ فى وقتِ صَلاةٍ إلَّا رأيْتُه يُصَلِّى ، وكان أبا الفُقراءِ وأُمَّهم .

وقال النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ[5] : ما رأيْتُ أرْحَمَ بمسكينٍ منه ، كان إذا رأَى مِسْكينًا لا يَزالُ يَنْظُرُ إليه حتى يَغِيبَ عنه .

وقال بعضُهم[6] : ما رأيْتُ أعْبَدَ منه ؛ لقد عبَد اللَّهَ حتى لصِق جلدُه بعظمِه .

وقال يَحْيَى القَطَّانُ[7] : ما رأيْتُ أرَقَّ للمِسْكينِ منه ، كان يَدْخُلُ المِسْكينُ منزلَه فيُعْطِيه ما أمْكَنه .

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٣، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢١٩.

(٢) تهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٣. وليس فيهما: «ولا أحفظ للحديث من الثورى».

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٣، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٢.

(٧) تهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٢.

قال محمدُ بنُ سعدٍ وغيرُه[1] : مات فى أولِ سنةِ ستين ومائةٍ بالبَصْرةِ [٨/٨٠و] عن ثمانٍ وسبعين سنةً .

(١) الطبقات ٧/ ٢٨١، وذكر ابن سعد أنه مات وهو ابن خمس وسبعين سنة . وانظر مصادر ترجمته .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وستين ومائةٍ

فيها[1] غزا الصائفةَ ثُمامةُ بنُ الوليدِ ، فنزَل دابقَ ، وجاشَت الرومُ عليه ، فلم يَتَمَكَّنِ المسلمون مِن الدُّخولِ إليها بسببِ ذلك .

وفيها أمَر المَهْدىُّ بحفرِ الرَّكايا وعَمَلِ المَصانعِ وبناءِ القُصورِ فى طريقِ مكةَ ، وولَّى على ذلك يقْطِينَ بنَ موسى ، فلم يَزَلْ يَعْمَلُ فى ذلك إلى سنةِ إحدى وسبعين ومائةٍ ، حتى صارتْ طريقُ الحِجاز مِن أرْفَقِ الطُّرُقاتِ وآمَنِها وأطْيبِها .

وفيها وَسَّع المهدىُّ جامعَ البَصْرةِ مِن قِبْلتِه وغرْبِه .

وفيها كتَب إلى الآفاقِ أن لا تَبْقَى مَقْصورةٌ فى مسجدِ جَماعةٍ ، وأن تُقَصَّرَ المَنابرُ إلى مِقْدارِ ما كان مِنْبرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ففُعِل ذلك فى المَدائنِ كلِّها .

وفيها اتَّضَعَت منزلةُ أبى عُبَيدِ اللَّهِ وزيرِ المَهْدىِّ عندَه ، وظهَرت عندَه خِيانتُه ، فضمَّ إليه المهدىُّ مَن يُشْرِفُ عليه ، فكان ممَّن ضمَّ إليه إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، ثم أبْعَده وأقْصاه وأخْرَجه مِن مُعَسْكرِه .

وفيها وَلِىَ القَضاءَ عافيةُ بنُ يزيدَ الأزْدىُّ ، فكان يَحْكُمُ هو وابنُ عُلاثةَ فى عَسْكرِ المهدىِّ بالرُّصافةِ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ١٣٥/٨ - ١٤٠، والمنتظم ٢٤٧/٨ - ٢٥١، والكامل ٥١/٦ - ٥٦.

وفيها خرَج رجلٌ يُقالُ له : المُقَنَّعُ . بخُراسانَ فى قريةٍ مِن قُرَى مَرْوَ ، وكان يَقولُ بالتَّناسُخِ ، واتَّبعه على ضَلالَتِه خَلْقٌ كثيرٌ ، فجهَّز له المهدىُّ عِدَّةً مِن أُمرائِه ، وأنْفَذ إليه جُيوشًا كثيرةً ، منهم مُعاذُ بنُ مسلمٍ أميرُ خُراسانَ ، فكان مِن أمرِه وأمْرِهم ما سنَذْكُرُه .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ موسى الهادى بنُ أميرِ المؤمنين ، وهو وليُّ عهدِ أبيه ، كما قدَّمنا .

وفيها تُوُفِّىَ إسرائيلُ بنُ يونُسَ بنِ أبى إسْحاقَ السَّبيعىُّ[1] ، **وزائدةُ** بنُ قُدامةَ[2] ، **وسفيانُ** بنُ سعيدِ بنِ مَسْروقٍ الثَّوْرىُّ[3] ، أحدُ أئمةِ الإسْلامِ وعُبَّادِه والمُـقْتَدَى بهم ، أبو عبدِ اللَّه الكُوفىُّ ، روَى عن غيرِ واحدٍ مِن التابعِين ، وروَى عنه خَلْقٌ مِن الأئمةِ وغيرِهم .

قال شعبةُ وسفيانُ بنُ عُيَيْنةَ وأبو عاصمٍ ويَحْيَى بنُ مَعينٍ وغيرُ واحدٍ[4] : هو أميرُ المؤمنين فى الحديثِ .

وقال ابنُ المُبارَكِ[5] : كتَبْتُ عن ألفٍ ومائةِ شيخٍ ، هو أفْضَلُهم .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٤، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٠، وتهذيب الكمال ٢/ ٥١٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٧٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٨، وتهذيب الكمال ٩/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٩١.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧١، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١، وطبقات الفقهاء ص ٧٢، وتهذيب الكمال ١١/ ١٥٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢٢٢.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٤، ١٦٥.

(٥) المصدر السابق ٩/ ١٥٦.

وقال أيوبُ[1] : ما رأيْتُ كوفيًّا أُفَضِّلُه عليه .

وقال يونُسُ بنُ عُبَيدٍ[1] : ما رأيْتُ أفْضلَ منه .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ[2] : ما رأيْتُ أفْقَهَ مِن الثوريِّ .

وقال شُعْبةُ[3] : ساد الناسَ بالوَرَعِ والعلمِ .

وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ[4] : أصحابُ الحديثِ ثلاثةٌ ؛ ابنُ عباسٍ فى زَمانِه ، والشَّعْبيُّ فى زَمانِه ، والثَّوْرىُّ فى زَمانِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : لا [٨/٨٠ظ] يَتَقَدَّمُه فى قَلْبى أحدٌ . ثم قال : أتَدْرِى مَن الإمامُ ؟ الإمامُ سفيانُ الثَّوْرىُّ .

وقال عبدُ الرزاقِ[6] : سمِعْتُ الثَّوْرىَّ يَقولُ : ما اسْتَوْدَعْتُ قَلْبى شيئًا قطُّ فخاننى .

وقال الثوريُّ[7] : لَأن أَتْرُكَ عشَرةَ آلافِ دِينارٍ يُحاسِبُنى اللَّهُ عليها أَحَبُّ إلىَّ مِن أن أَحْتاجَ إلى الناسِ .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[8] : أجْمَعوا أنه تُوُفِّىَ بالبَصرةِ ، سنةَ إحدى وستين ومائةٍ .

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٥.
(٢) تهذيب الكمال ١١/ ١٦٧.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٢.
(٤) المصدر السابق ٩/ ١٥٤.
(٥) المصدر السابق ٩/ ١٧٠.
(٦) تهذيب الكمال ١١/ ١٦٥.
(٧) المصدر السابق ١١/ ١٦٨.
(٨) الطبقات الكبرى ٦/ ٣٧١. وانظر تهذيب الكمال ١١/ ١٦٩.

وكان عمرُه يومَ مات أربعًا وستين سنةً . ورآه[1] بعضُهم فى المَنامِ يَطيرُ فى الجنةِ مِن نخلةٍ إلى نخلةٍ ، وهو يَقْرأُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : ٧٤] .

أبو دُلامةَ زَنْدُ[2] بنُ الجَوْنِ ، الشاعرُ الماجنُ ، أحدُ الظُّرَفاءِ ، أصْلُه مِن الكوفةِ ، وأقام ببغدادَ ، وحظِى عندَ أبى جعفرٍ المنصورِ ؛ لأنه كان يُضْحِكُه ، ويُنْشِدُه ويَمْدَحُه ؛ حضَر يومًا جِنازةَ امرأةِ المنصورِ وابنةِ عمِّه حمَّادةَ بنتِ عيسى[3] ، وكان المنصورُ قد وجَد عليها ، فلما شهِد القبرَ نظَر إليه المنصورُ ثم قال لأبى دُلَامةَ : ويحَكَ يا أبا دُلامةَ ! ما أعْدَدْتَ لهذا ؟ فقال : ابنةَ عمِّ أميرِ المؤمنين . فضحِك المنصورُ حتى اسْتَلْقَى ، ثم قال : ويحَك ! فضَحْتَنا بينَ الناسِ .

ودخَل يومًا على المهدىِّ يُهَنِّئُه بقُدومِه مِن سفرِه وأنْشَده[4] :

إنى حَلَفْتُ لَئن رأيْتُك سالمًا ... بقُرَى العراقِ وأنت ذو وَفْرِ
لتُصَلِّيَنَّ على النبىِّ محمدٍ ... ولَتَمْلَأَنَّ دَراهمًا حِجْرى

فقال المهدىُّ : أمَّا الأولُ فنعم ، وأمَّا الثانى فلا . فقال : هما كلمتان فلا يُفرَّقُ بينَهما . فملأَ حِجْرَه دَراهمَ ، ثم قال له : قُمْ . فقال : إذًا يَنْخَرِقَ قَمِيصى . فأُفْرِغَتْ فى أكْياسِها ، ثم قام وأخَذَها .

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر الشعر والشعراء ٢/ ٧٧٦، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٥٤، والأغانى ١٠/ ٢٣٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٨٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٢٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٤.

(٣) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٥.

(٤) انظر وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٥.

وذكَر عنه ابنُ خَلِّكانَ[1] أنه مرِض ابنُه فداواه طبيبٌ ، فلما عُوفِيَ قال له : ليس عندَنا ما نُعْطِيك ، ولكن ادَّعِ على فلانٍ اليهوديِّ بمبلغِ ما تَسْتَحِقُّه ؛ حتى أَشْهَدَ أنا وولدى عليه . فادَّعى عليه عندَ قاضى الكوفةِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى - وقيل : ابنُ شُبْرُمةَ - فأنْكَر اليَهوديُّ ، فشهِد عليه أبو دُلامةَ وابنُه ، فلم يَسْتَطِعِ القاضى أن يَرُدَّ شهادتَهما ، وخاف مِن طلَبِ التَّزْكيةِ ، فأَعْطَى المُدَّعِيَ المالَ مِن عندِه ، وأطْلَق اليَهوديَّ ، وجمَع القاضى بينَ المصالحِ .

تُوُفِّيَ أبو دُلامةَ فى هذه السنةِ ، وقيل[2] : إنه أدْرَك خِلافةَ الرَّشيدِ سنةَ سبعين . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٢٧.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وستين ومائةٍ

فيها[1] خرَج عبدُ السلامِ بنُ هاشمٍ اليَشْكُرىُّ [٨/٨١و] بأرضِ قِنَّسْرِينَ، واتَّبعه خلقٌ كثيرٌ، وقوِيَت شَوْكتُه، فقاتَله خَلْقٌ مِن الأُمرَاءِ، وجهَّز إليه المَهْدىُّ جُيوشًا، وأنفَق فيهم أمْوالًا جَزيلةً، وهزَم الخارجىُّ الجُيوشَ مراتٍ، ثم إنه قُتِل بعدَ ذلك.

وفيها غزا الصائفةَ الحسنُ بنُ قَحْطَبةَ [2]فى ثمانين ألفًا[2] مِن المُرْتَزِقةِ سِوى المُطَّوِّعَةِ، فقهَر الرومَ، وحرَّق بُلْدانًا كثيرةً وخرَّبَها، وأسَر خلقًا مِن الذَّرارىِّ[3].

وكذلك غزا يزيدُ بنُ أبى أُسَيْدٍ السُّلَمىُّ بلادَ الرومِ مِن بابِ قاليقَلَا[4]، فغنِم وسلِم وسبَى خلقًا كثيرًا.

وفيها خرَجَت طائفةٌ بجُرْجانَ، فلبِسوا الحُمْرةَ؛ ولهذا يقالُ لهم: المُحَمِّرةُ. مع رجلٍ يُقالُ له: عبدُ القَهَّارِ. فغزاه عمرُ بنُ العَلاءِ مِن طَبَرِسْتانَ، فقهَر عبدَ القَهَّارِ، فقتَله وأصحابَه.

وفيها أجْرَى المَهْدىُّ الأرْزاقَ فى سائرِ الأقاليمِ والآفاقِ على المُجَذَّمِين

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٤٢، ١٤٣، والمنتظم ٨/ ٢٥٦، ٢٥٧، والكامل ٦/ ٥٧، ٥٨.

(٢ - ٢) فى تاريخ الطبرى: «ثلاثين ألفا». والمثبت موافق لما فى المنتظم والكامل.

(٣) لم يُذكر فى مصادر التخريج أنه أسر أحدًا بل المذكور أنه لم يلقَ جمعا أو يفتح حصنًا.

(٤) قاليقلا: مدينة بأرمينية. انظر معجم البلدان ٤/ ١٩.

والمُحبَسين، وهذه مَثوبةٌ عظيمةٌ ومَكْرُمةٌ جَسيمةٌ.

وفيها حجَّ بالناسِ إبراهيمُ بنُ جعفرِ بنِ المنصورِ.

وفيها تُوُفِّيَ مِن الأعْيانِ: **إبراهيمُ** بنُ أدْهمَ، أحدُ مَشاهيرِ العُبَّادِ، ومِن أكابِرِ مَن له هِمَّةٌ عاليةٌ مِن العِبادِ، **وداودُ** الطائيُّ، أحدُ أئمةِ الصوفيةِ، **وزهيرُ** بنُ محمدٍ[1]، **ويزيدُ** بنُ إبراهيمَ التُّسْتَرِيُّ[2].

فأمَّا إبراهيمُ بنُ أدْهمَ بنِ منصورِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ، أبو إسْحاقَ التَّميميُّ، ويُقالُ: العِجْليُّ[3]. فهو أحدُ الزُّهادِ، أصْلُه مِن بَلْخَ، وسكَن الشامَ، ودخَل دمشقَ، وروَى الحديثَ عن أبيه، والأعْمَشِ، ومحمدِ بنِ زِيادٍ صاحبِ أبى هريرةَ، وأبى إسْحاقَ السَّبيعيِّ، وخَلْقٍ.

وحدَّث عنه خَلْقٌ منهم؛ بَقِيَّةُ، والثَّوْرِيُّ، وأبو إسْحاقَ الفَزارِيُّ، ومحمدُ بنُ حِمْيَرٍ، وحكَى عنه الأوْزاعيُّ.

وروَى ابنُ عَساكرَ[4] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الجَزَرِيِّ، [5]عن الثوريِّ[5]، عن إبراهيمَ بنِ أدْهَمَ، عن محمدِ بنِ زِيادٍ، عن أبى هُريرةَ قال:

---

(١) التاريخ الكبير ٣/ ٤٢٧، وتاريخ دمشق ١٩/ ١١٦، وتهذيب الكمال ٩/ ٤١٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٩٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٨، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٧٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٥١٦.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، وتاريخ دمشق ٦/ ٢٧٧، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣، ٤٤.

(٤) تاريخ دمشق ٦/ ٢٧٨.

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

دخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُصَلِّى جالسًا ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنك تُصَلِّى جالسًا ، فما أصابك ؟ قال : « الجُوعُ يا أبا هريرةَ » . قال : فبكَيْتُ ، فقال : « لا تَبْكِ ؛ فإن شِدَّةَ يومِ القيامةِ لا تُصِيبُ الجائعَ إذا احْتَسَب فى دارِ الدنيا » .

ومِن طَريقِ بَقِيةَ[1] ، عن إبراهيمَ بنِ أدْهمَ ، حدَّثنى أبو إسْحاقَ الهَمْدانىُّ ، عن عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الفِتْنةَ تَجِىءُ فتَنْسِفُ العِبادَ نَسْفًا ، ويَنْجُو العالِمُ منها بعلمِه » .

قال النَّسائىُّ[2] : هو ثقةٌ مَأْمونٌ ، أحدُ الزُّهَّادِ .

وذكَر [3]الأستاذُ أبو القاسمِ القُشَيرىُّ فى « رسالتِه »[4] أن إبراهيمَ بنَ أَدْهمَ كان مِن أبناءِ الملوكِ ، فبينما هو يَتَصَيَّدُ إذ أَتْبَع ثعلبًا أو أرنبًا ، فهتَف به هاتفٌ من قَرَبُوسِ[5] سَرْجِه : ألهذا خُلِقتَ أم بهذا أُمِرتَ ؟ فنزَل عن فرسِه ، [٨/٨١ظ] وجاء إلى راعى غنمٍ لأبيه ، فأخذ جُبَّةً مِن صوفٍ فلبِسها ، وأعطاه فرسَه ولباسَه وما كان معه ، وذهَب فى الباديةِ ، فدَخل[3] مكةَ ، وصحِب الثورىَّ والفُضَيْلَ بنَ

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٨١.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « أبو نعيم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان قد حبب إليه الصيد ، قال : فخرجت مرة فأثرت ثعلبا ، فهتف بى هاتف من قربوس سرجى ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فوقفت وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءنى نذير من رب العالمين . فرجعت إلى أهلى فخليت عن فرسى وجئت إلى بعض رعاة أبى ، فأخذت منه جبة وكساء ، ثم ألقيت ثيابى إليه ، ثم أقبلت إلى العراق ، فعملت بها أياما فلم يَصْفُ لى بها الحلال ، فسألت بعض المشايخ عن الحلال ، فأرشدنى إلى بلاد الشام ، فأتيت طرسوس ، فعملت بها أياما أنظر البساتين ، وأحصد الحصاد ، وكان يقول : ما تهنيت بالعيش إلا فى بلاد الشام ، أفرُّ بدينى من شاهق إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ، فمن يرانى يقول : هو موسوس . ثم دخل البادية ودخل » . وانظر الحلية ٧/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٤) الرسالة القشيرية ١/ ٥٤، ٥٥. وانظر تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٢.

(٥) القربوس : حِنْو السَّرْج ، وهما قَرَبوسان ، وهما مُتَقَدَّم السرج ومُؤَخَّره . تاج العروس (قربس) .

عِياضٍ ، ودخَل الشامَ ، ومات بها .

وكان يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يدِه ، مثلَ الحَصادِ ، وحِفْظِ البَساتِين ، وغيرِ ذلك .

[1] قال القُشَيرىُّ[2] : وإنه رأَى فى الباديةِ رجلًا علَّمه اسمَ اللَّهِ الأعظمَ ، فدَعا به بعدَه ، فرأَى الخَضِرَ ، فقال : إنما علَّمك أخى داودُ اسمَ اللَّهِ الأعظمَ . ثم ساقه القُشيرىُّ بإسنادٍ ضعيفٍ لا يصحُّ . ورواها ابنُ عساكرَ[3] أيضًا مِن وجهٍ آخرَ ضعيفٍ ، وفيه أنه قال : إن إلياسَ هو علَّمك الاسمَ الأعظمَ[1] .

[4] قال القُشَيرىُّ[5] : وكان إبراهيمُ بنُ أدهمَ كبيرَ الشأنِ فى بابِ الورعِ[4] ، ويُحكى عنه أنه قال : أَطِبْ مَطْعَمَك ، ولا عليك أن لا تَقومَ الليلَ ، ولا تَصومَ النهارَ .

وقيل[6] : كان أكْثرَ دُعائِه : اللهمَّ انْقُلْنى مِن ذُلِّ مَعْصيتِك إلى عِزِّ طاعتِك .

وقيل لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : إن اللحمَ قد غلا . فقال : أرْخِصوه . أىْ لا تَشْتَروه .

وقال بعضُهم[7] : هتَف به الهاتفُ قائلًا له مِن فوقِه : يا إبراهيمُ ، ما هذا

(١ - ١) فى ب ، م : « وما روى عنه أنه وجد رجلا فى البادية ، فعلمه اسم اللّه الأعظم ، فكان يدعو به حتى رأى الخضر ، فقال له : إنما علّمك أخى داودُ اسم اللّه الأعظم . ذكره القشيرى وابن عساكر عنه بإسناد لا يصح . وفيه أنه قال له : إن إلياس علمك اسم اللّه الأعظم » .

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٥٥.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) الرسالة القشيرية ١/ ٥٦.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ٣١، ٣٢.

(٧) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٣.

العَبَثُ ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] . اتَّقِ اللَّهَ ، وعليك بالزادِ ليومِ الفاقةِ . قال : فنزَل عن دابَّتِه ، ورفَض الدُّنْيا ، وأخَذ فى عملِ الآخِرةِ .

وروَى ابنُ عَساكرَ[1] - بإسنادٍ فيه نَظَرٌ - عن ابتداءِ أمرِ إبراهيمَ بنِ أَدْهمَ قال : بينما أنا يومًا فى مَنْظَرةٍ لى ببَلْخَ ، وإذا بشيخٍ حَسَنٍ قد اسْتَظَلَّ بفَيْئِها ، فأخَذ بمَجامِعِ قَلْبى ، فأمَرْتُ غلامى ، فطلَبه فدخَل ، فعرَضْتُ عليه الطَّعامَ ، فأبَى ، فقلتُ : مِن أين أقْبَلْتَ ؟ قال : مِن وراءِ النهرِ . قلتُ : أين تُرِيدُ ؟ قال : الحجَّ . قلتُ : فى هذا الوقتِ ؟ - وكان أولَ يومٍ مِن عشرِ ذى الحِجَّةِ أو ثانيه - فقال : يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ . فقلتُ : الصُّحْبةَ . قال : إن أحْبَبْتَ ذلك فمَوْعِدُك الليلُ . فلما كان الليلُ جاءنى فقال : قُمْ بسمِ اللَّهِ . فأخَذْتُ ثيابَ سَفَرى ، وسِرْنا نَمْشى كأنما الأرضُ تُجْذَبُ مِن تحتِنا ، ونحن نَمُرُّ على البُلْدانِ ، ونقولُ : هذه فلانةُ ، هذه فلانةُ . فإذا كان الصباحُ فارَقنى ويَقولُ : مَوْعِدُك الليلُ . فإذا كان الليلُ جاءنى ، فانْتَهَيْنا إلى المدينةِ النَّبويةِ ، وزرنا قبرَ النبىِّ ﷺ ، ثم سِرْنا إلى مكةَ ، فحجَّناها ليلًا ، فقضَيْنا الحجَّ مع الناسِ ، ثم رجَعْنا إلى الشامِ ، فزُرْنا بيتَ المَقْدِسِ ، وقال : إنى عازِمٌ على المُقامِ بالشامِ . ورجَعْتُ أنا إلى بلدى بَلْخَ أَسيرُ سيرَ الضُّعفاءِ ، حتى رجَعتُ إليها ، ولم أَسْأَلْه عن اسمِه ، وكان ذلك أولَ أمْرى . ورُوِى مِن وجهٍ آخرَ فيه نَظَرٌ[2] .

وقال أبو حاتمٍ الرازىُّ[3] ، عن أبى نُعَيْمٍ ، عن سفيانَ الثَّوْرىِّ قال : كان

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق ٦/٢٨٦ - ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٢٨٩، من طريق أبى حاتم الرازى محمد بن إدريس به .

إبراهيمُ بنُ أدهمَ يُشْبِهُ إبراهيمَ الخليلَ ، ولو كان فى الصحابةِ لكان رجلًا فاضلًا .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[1] : [٨٢/٨و] كان إبراهيمُ رجلًا فاضلًا ، له سَرائرُ ، وما رأيْتُه يُظْهِرُ تَسْبيحًا ولا شيئًا مِن عملِه ، ولا أكَل مع أحدٍ طعامًا إلا كان آخرَ مَن يَرْفَعُ يدَه .

وقال بِشْرُ بنُ الحارثِ الحافى[2] : أرْبَعةٌ رفَعهم اللَّهُ بطِيبِ المَطْعَمِ ؛ إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ ، وسليمانُ الخوَّاصُ ، ووُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ ، ويوسُفُ بنُ أسْباطٍ .

وروَى ابنُ عَساكرَ مِن طريقِ مُعاويةَ بنِ حَفْصٍ قال[3] : إنما سمِع إبراهيمُ بنُ أدْهمَ [4]مِن منصورٍ[4] حديثًا ، فأخَذ به ،فساد أهلَ زَمانِه ، قال : حدَّثنا مَنْصورٌ ، عن رِبْعىِّ بنِ حِراشٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، دُلَّنى على عملٍ يُحِبُّنى اللَّهُ عليه ويُحِبُّنى الناسُ . قال : « إذا أرَدْتَ أن يُحِبَّك اللَّهُ فأَبْغضِ الدُّنيا ، وإذا أرَدْتَ أن يُحِبَّك الناسُ فما كان عندَك مِن فُضولِها فانْبِذْه إليهم » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[5] : حدَّثنا أبو الرَّبيعِ ، عن إدْريسَ قال : جلَس إبراهيمُ بنُ أدهمَ إلى بعضِ العلماءِ ، فجعَلوا يَتَذاكَرون الحديثَ وإبراهيمُ ساكتٌ ، ثم قال : حدَّثنا مَنْصورٌ . ثم سكَت ، فلم يَنْطِقْ بحرفٍ حتى قام مِن ذلك المجلسِ ، فعاتَبه بعضُ أصحابِه فى ذلك ، فقال : إنى لأَخْشَى مَضَرَّةَ ذلك المجلسِ

---

(١) تاريخ دمشق ٦/٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٢٩٠.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م . وفى الأصل ، ص : « بن منصور » . ومنصور هو ابن المعتمر .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٠، من طريق ابن أبى الدنيا .

فى قَلْبى إلى اليومِ .

وقال رِشْدِينُ بنُ سعدٍ[1] : مرَّ إبراهيمُ بنُ أدْهمَ بالأوْزاعىِّ وحولَه حَلَقةٌ فقال : لو أن هذه الحَلَقةَ على أبى هُرَيرةَ لعجَز عنهم . فقام الأوْزاعىُّ وترَكهم .

وقال إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ[2] : قيل لإبراهيمَ بنِ أدْهمَ : لِمَ لا تَكْتُبُ الحديثَ ؟ فقال : إنى مَشْغولٌ بثلاثٍ ؛ بالشُّكْرِ على النِّعَمِ ، وبالاسْتِغْفارِ مِن الذُّنوبِ ، وبالاسْتِعْدادِ للموتِ . ثم صاح وغُشِى عليه ، فسمِعوا هاتفًا يَقولُ : لا تَدْخُلوا بينى وبينَ أوْليائى .

وقال أبو حَنيفةَ يومًا لإبراهيمَ بنِ أدْهمَ[3] : قد رُزِقْتَ مِن العِبادةِ شيئًا صالحًا ، فلْيَكُنِ العلمُ مِن بالِك ؛ فإنه رأسُ العِبادةِ وقِوامُ الدِّينِ[4] .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ[5] : ماذا أنْعَم اللَّهُ على الفُقراءِ ! لا يَسْأَلُهم يومَ القِيامةِ عن زَكاةٍ ، ولا عن حَجٍّ ، ولا عن جِهادٍ ، ولا عن صِلةِ رَحِمٍ ، إنما يَسْأَلُ هؤلاء المَساكِينَ . يَعْنى الأغْنياءَ .

وقال شَقِيقُ بنُ إبراهيمَ[6] : لقِيتُ ابنَ أدْهمَ بالشامِ ، وقد كنتُ رأيْتُه بالعراقِ وبينَ يديه ثلاثون شاكِرِيًّا[7] . فقلتُ له : ترَكْتَ خُراسانَ ، وخرَجْتَ مِن

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٢٩١.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٤) بعده فى ب ، م : «فقال له إبراهيم : وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من بالك وإلا هلكت» .

(٥) المصدر السابق ٦/ ٢٩٥.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٢٩٥، بنحوه .

(٧) الشاكرى : الأجير والمستخدَم ، وهو معرّب جاكَر . اللسان (ش ك ر) .

نِعْمتِك ؟ فقالَ : قد تهَنَّيْتُ بالعيشِ هـٰهنا ، أَفِرُّ بدينى مِن شاهِقٍ إلى شاهِقٍ ، فمَن يَرانى يَقولُ : مُوَسْوَسٌ . أو : حمَّالٌ . أو : مَلَّاحٌ . ثم قال : بلَغنى أنه يُؤْتَى بالفَقيرِ يومَ القِيامةِ ، فيُوقَفُ بينَ يدىِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فيَقولُ له : يا عبدى ، ما لك لم تَحُجَّ ؟ فيَقولُ : يا ربِّ لم تُعْطِنى شيئًا أَحُجُّ به . فيَقولُ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : صدَق عبدى ، اذْهَبوا به إلى الجنةِ .

وعن إبراهيمَ [٨/٨٢ظ] بنِ أدهمَ قال[1] : أقَمْتُ بالشامِ أربعًا وعشرين سنةً لم أَجِئْ لجِهادٍ ولا رِباطٍ ، إنما جئتُ لأَشْبَعَ مِن خُبْزِ الحَلالِ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ[2] : الحُزْنُ حُزْنانِ ؛ حُزْنٌ لك وحُزْنٌ عليك ؛ فحزْنُك على الآخِرةِ [3]وخيرِها[3] لك ، وحُزْنُك على الدنيا وزِينتِها عليك .

وقال[4] : الزُّهْدُ ثلاثةٌ ؛ واجبٌ ، ومُسْتَحَبٌّ ، وزُهْدُ سَلامةٍ ، فالزُّهْدُ فى الحَرامِ واجبٌ ، والزُّهْدُ عن الشَّهَواتِ الحَلالِ مُسْتَحَبٌّ ، والزُّهدُ عن الشُّبُهاتِ سَلامةٌ .

وكان هو وأصحابُه يَمْنَعون أنْفُسَهم الحَمَّامَ والماءَ الباردَ والحِذاءَ ، ولا يَجْعَلون فى مِلْحِهم أبْزارًا[5] .

وكان إذا جلَس على سُفْرةٍ فيها طَعامٌ طَيِّبٌ رمَى بطَيِّبِها إلى أصحابِه ، وأكَل

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٥.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٩٦.
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ب ، م .
(٤) المصدر السابق ٦/ ٢٩٦، بنحوه .
(٥) الأبزار : التوابل . انظر اللسان (ب ز ر) .

هو الخبزَ والزَّيْتونَ[1] .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ[2] : قِلَّةُ الحِرْصِ والطَّمَعِ تُورِثُ الصِّدْقَ والوَرَعَ ، وكَثْرةُ الحِرْصِ والطَّمَعِ تُورِثُ الغَمَّ والجَزَعَ .

وقال له رجلٌ[2] : هذه جُبَّةٌ أُحِبُّ أن تَقْبَلَها منِّى . فقال : إن كنتَ غَنِيًّا قَبِلْتُها ، وإن كنتَ فقيرًا لم أَقْبَلْها . قال : أنا غنيٌّ . قال : كم عندَك ؟ قال : ألفان . قال : تَوَدُّ أن تَكونَ أربعةَ آلافٍ ؟ قال : نعم . قال : فأنت فقيرٌ ، لا أَقْبَلُها .

وقال له رجلٌ[3] : لو تزَوَّجْتَ ؟! فقال : لو أمْكَنَنى أن أُطَلِّقَ نَفْسى لَطَلَّقْتُها .

ومكَث بمكةَ خمسةَ عشَرَ يومًا لا شيءَ معه ، فلم يَكُنْ له زادٌ سِوى الرَّمْلِ بالماءِ[3] .

وصلَّى بوُضوءٍ واحدٍ خمسَ عشْرةَ صلاةً[3] .

وأكَل يومًا على حافَّةِ الشَّرِيعةِ كُسَيراتٍ مَبْلولةً[4] وضَعها بينَ يديه أبو يوسُفَ الغَسوليُّ ، ثم قام فشرِب مِن الشَّرِيعةِ ، ثم جاء فاسْتَلْقَى على قَفاه ، وقال : يا أبا يوسُفَ ، لو علِم المُلوكُ وأبْناءُ المُلوكِ ما نحن فيه مِن النَّعيمِ لجالَدونا بالسيوفِ أيامَ الحياةِ على ما نحن فيه مِن لَذيذِ العيشِ . فقال له أبو يوسُفَ : طلَب القومُ الراحةَ

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٠٠.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٠١.

(٤) فى تاريخ دمشق ٦/ ٣٠٢: «يابسات». والشريعة: مَشْرَعَةُ الماء وهى مَوْرد الشاربة. اللسان (ش ر ع).

والنَّعيمَ ، فأخطَئُوا الطريقَ المُستقيمَ . فتبَسَّم إبراهيمُ وقال : مِن أين لك هذا الكلامُ ؟

وبينما هو يومًا بالمِصِّيصَةِ فى جَماعةٍ مِن أصحابِه إذ جاءه راكبٌ فقال[1] : أيُّكم إبراهيمُ بنُ أدهمَ ؟ فأُرْشِد إليه ، فقال : يا سَيِّدى ، أنا غُلامُك ، وإن أباك قد مات وترَك مالًا هو عندَ القاضى ، وقد جِئْتُك بعشَرةِ آلافِ درهمٍ لِتُنْفِقَها عليك إلى بَلْخَ ، وفرسٍ وبَغْلةٍ . فسكَت إبراهيمُ طويلًا ، ثم رفَع رأسَه فقال : إن كنتَ صادقًا فالدَّراهمُ والفرسُ والبَغْلةُ لك ، ولا تُخْبِرْ به أحدًا . ويُقالُ : إنه ذهَب بعدَ ذلك إلى بَلْخَ ، وأخَذ المالَ مِن الحاكمِ ، وجعَله كلَّه فى سبيلِ اللَّهِ .

وكان معه بعضُ أصحابِه ، فمكَثوا شهرَيْن لم يَحْصُلْ لهم شىءٌ يَأْكُلون ، فقال له إبراهيمُ : ادْخُلْ إلى هذه الغَيْضَةِ . وكان ذلك فى يومِ شاتٍ . قال : فدخَلْتُ [٨٣/٨و] فوجَدْتُ شَجرةً عليها خَوْخٌ كثيرٌ ، فملأْتُ منه جِرابى ، ثم خرَجْتُ ، فقال : ما معك ؟ فقلتُ : خَوْخٌ . فقال : يا ضَعيفَ اليَقينِ ، لو صبَرْتَ لوجَدْتَ رُطَبًا جَنِيًّا ، كما رُزِقَتْ مريمُ بنتُ عِمرانَ .

وشكَى إليه بعضُ أصحابِه الجوعَ ، فصلَّى ركعتين ، فإذا حولَه دنانيرُ كثيرةٌ ، فقال لصاحبِه : خُذْ منها دينارًا . فأخَذه واشْتَرَى لهم به طعامًا .

وذكَروا[2] أنه كان يَعْمَلُ بالفاعلِ ، ثم يَذْهَبُ فيَشْتَرِى الخبزَ الأبيضَ والزُّبْدَ ، وتارةً الشِّواءَ والجُوذاباتِ[3] والخَبِيصَ[4] ، فيُطْعِمُه أصحابَه وهو صائمٌ ، وإذا أفْطَر

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٣٠٣/٦ - ٣٠٥.

(٢) المصدر السابق ٣٠٧/٦ - ٣٠٩.

(٣) فى م ، وتاريخ دمشق : « الجوذبان » . والجوذابات : جمع جوذاب ، وهو طعام يُتَّخذ من سكر وأرز وجوز ولحم . فارسى معرب . انظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٣٩.

(٤) الخبيص : حَلْواء معروف، يُعمل من التمر والسَّمن . انظر التاج (خ ب ص) .

يَأْكُلُ مِن رَدِىءِ الطَّعامِ ، ويَحْرِمُ نَفْسَه المَطْعَمَ الطَّيِّبَ ليُؤْثِرَ به الناسَ ؛ تَأْليفًا لهم وتَحَبُّبًا وتَوَدُّدًا إليهم .

وأضاف الأوْزاعىُّ إبراهيمَ بنَ أدْهمَ[1] ، فقَصَّر إبراهيمُ فى الأكْلِ ، فقال : مالك قصَّرْتَ ؟ فقال لأنك قصَّرْتَ فى الطَّعامِ . ثم عمِل إبراهيمُ طعامًا كثيرًا ، ودعا الأوْزاعىَّ ، فقال الأوزاعىُّ : أمَا تَخافُ أن يَكونَ سَرَفًا ؟ فقال : لا ، إنما السَّرَفُ ما كان فى مَعْصيةِ اللَّهِ ، فأمَّا ما أنْفَقه الرجلُ على إخْوانِه ، فهو مِن الدِّينِ .

وذكَروا أنه حصَد مرةً بعشرين دينارًا[2] ، فجلَس مرةً عندَ حَجَّامٍ هو وصاحبٌ له ليَحْلِقَ رُءوسَهم ويَحْجُمَهم ، فكأنه تَبَرَّم بهم ، واشْتَغل عنهم بغيرِهم ، فتَأَذَّى صاحبُه مِن ذلك ، ثم أقْبَل عليهم الحَجَّامُ فقال : ماذا تُرِيدون ؟ قال إبراهيمُ : أُرِيدُ أن تَحْلِقَ رأسى وتَحْجُمَنى . ففعَل ذلك ، فأعْطاه إبراهيمُ تلك العشرين دينارًا ، وقال : أرَدْتُ أن لا تُحَقِّرَ بعدَها فقيرًا أبدًا .

وقال مَضاءُ بنُ عيسى[3] : ما فاق إبراهيمُ أصحابَه بصومٍ ولا صلاةٍ ، ولكن بالصِّدْقِ والسَّخاءِ .

وكان إبراهيمُ بنُ أدهمَ يَقولُ[4] : فِرُّوا مِن الناسِ كفِرارِكم مِن الأسدِ الضَّارِى ، ولا تَخَلَّفوا عن الجُمُعةِ والجَماعةِ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٦/ ٣٠٩، ٣١٠.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣١١.
(٣) المصدر السابق ٦/ ٣١٢.
(٤) المصدر السابق ٦/ ٣١٣.

وكان إذا سافَر مع أحدٍ مِن أصحابِه يَخْدُمُه إبراهيمُ ، وكان إذا حضَر فى مجلسٍ فكأنما على رُءوسِهم الطَّيرُ ؛ هَيْبةً له وإجْلالًا[1] .

وربما تسامَر هو وسفيانُ الثَّوْرىُّ فى الليلةِ التامّةِ إلى الصَّباحِ ، وكان الثورىُّ يَتَحَرَّزُ معه فى الكلامِ[2] .

ورأَى رجلًا ، فقيل له[3] : هذا قاتلُ خالِك . فذهَب إليه وسلَّم عليه وأهْدَى له ، وقال : بلَغنى أن الرجلَ لا يَبْلُغُ دَرجةَ المتقين حتى يَأْمَنَه عدوُّه .

وقال له رجلٌ[4] : طُوبَى لك ؛ أفْنَيْتَ عمرَك فى العِبادةِ ، وترَكْتَ الدنيا والزَّوْجاتِ . فقال : ألك عِيالٌ ؟ قال : نعم . فقال : لَرَوْعةُ الرجلِ بعِيالِه - يَعْنى فى بعضِ الأحْيانِ مِن الفاقةِ - أفضلُ مِن عِبادةِ كذا وكذا سنةً .

ورآه الأوْزاعىُّ ببَيْروتَ وعلى عُنُقِه حُزْمةُ حَطَبٍ فقال[4] : يا أبا إسْحاقَ ، إن إخْوانَك يَكْفُونك هذا . فقال له : اسْكُتْ يا [٨/٨٣ظ] أبا عمرٍو ، فقد بلَغنى أنه إذا وقَف الرجلُ مَوْقِفَ مَذَلَّةٍ فى طلبِ الحَلالِ وجَبَت له الجَنَّةُ .

وخرَج إبراهيمُ بنُ أدهمَ مِن بيتِ المَقْدسِ[5] ، فمرَّ بطبَرِيَّةَ ، فأخَذَتْه المَسْلَحةُ فى الطريقِ فقالوا : أنت عبدٌ ؟ قال : نعم . قالوا : آبِقٌ ؟ قال : نعم . فسجَنوه . فبلَغ أهلَ بيتِ المقدسِ خبرُه ، فجاءوا برُمَّتِهم إلى نائبِ طَبَرِيَّةَ فقالوا : عَلامَ

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣١٥.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣١٣.
(٣) المصدر السابق ٦/ ٣١٤.
(٤) المصدر السابق ٦/ ٣١٦.
(٥) المصدر السابق ٦/ ٣١٨.

سجَنْتَ إبراهيمَ بنَ أدهمَ؟ قال: ما سجَنْتُه. قالوا: بلى، هو فى سِجْنِك. فاسْتَحْضَره، فقال: عَلامَ حُبِسْتَ؟ فقال: سَلِ المَسْلَحةَ، قالوا: أنت عبدٌ؟ قلتُ: نعم، وأنا عبدُ اللَّهِ. قالوا: وأنت آبِقٌ؟ قلتُ: نعم، وأنا عبدٌ آبِقٌ مِن ذُنوبى. فخَلَّى سَبيلَه.

وذكَروا أنه مرَّ مع رُفْقةٍ[1]، فإذا الأسَدُ على الطريقِ، فتقَدَّم إليه إبراهيمُ بنُ أدْهمَ فقال له: يا قَسْوَرةُ، إن كنتَ أُمِرْتَ فينا بشىءٍ فامْضِ لما أُمِرْتَ به، وإلا فعَوْدَك على بَدْئِك. قالوا: فولَّى السَّبُعُ ذاهبًا يَضْرِبُ بذَنَبِه، ثم أقْبَل علينا إبراهيمُ فقال: قولُوا: اللهمَّ احْرُسْنا بعينِك التى لا تَنامُ، واكْنُفْنا برُكْنِك[2] الذى لا يُرامُ، وارْحَمْنا بقُدْرتِك علينا، ولا نَهْلِكُ وأنت رَجاؤُنا، يا اللَّهُ، يا اللَّهُ، يا اللَّهُ. قال خَلَفُ بنُ تَميمٍ: فما زِلْتُ أَقولُها منذُ سمِعْتُها فما عرَض لى لِصٌّ ولا غيرُه.

وقد رُوِى لهذا شَواهدُ مِن وُجوهٍ أُخَرَ[3].

ورُوِىَ[4] أنه كان يُصَلِّى ذاتَ ليلةٍ، فجاءه أُسْدٌ ثلاثةٌ، فتقَدَّم إليه أحَدُهم، فشمَّ ثِيابَه، ثم ذهَب، فربَض قريبًا منه، وجاء الثانى ففعَل كذلك، وجاء الثالثُ ففعَل كذلك، واسْتَمَرَّ إبراهيمُ فى صَلاتِه، فلما كان وقْتُ السَّحَرِ قال لهم: إن كنتُم أُمِرْتُم بشىءٍ فهَلُمَّ، وإلا فانْصَرِفوا. فانْصَرَفوا.

وصعِد[5] مرةً جبلًا بمكةَ ومعه جماعةٌ، فقال لهم: لو أن وليًّا مِن أوْلياءِ اللَّهِ

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣١٩.

(٢) فى م: «بكنفك». وهو موافق لرواية أخرى للخبر فى تاريخ دمشق ٦/ ٣١٩.

(٣) انظر هذه الشواهد فى تاريخ دمشق ٦/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٥) انظر المصدر السابق ٦/ ٣٢١، ٣٢٢.

قال لجبلٍ : زُلْ . لَزال . فتَحرَّك الجبلُ تحتَه ، فرَكَلَه برِجْلِه وقال : اسْكُنْ ، فإنما ضرَبْتُك مَثَلًا لأصْحابى . وفى روايةٍ[1] : وكان الجبلُ أبا قُبَيْسٍ .

ورِكِب[2] مرةً سفينةً ، فأخَذهم المَوْجُ ذاتَ يومٍ مِن كلِّ مكانٍ ، فلفَّ إبراهيمُ رأسَه بكِسائِه ، واضْطَجع ، وعجَّ أصحابُ السَّفينةِ بالضَّجيجِ ، وأيْقَظوه وقالوا : ألا تَرَى ما نحن فيه مِن الشِّدةِ ؟ فقال : ليس هذا بشدةٍ ، إنما الشدةُ الحاجةُ إلى الناسِ . ثم قال : اللهمَّ أَرَيْتَنا قُدْرَتَك فأَرِنا عَفْوَك . فصار البحرُ كأنه قَدَحُ زيتٍ .

وكان قد طالَبه صاحبُ السَّفينةِ[3] بأُجْرةِ حَمْلِه دينارَيْن ، وألحَّ عليه ، [4]فخرَج معه مرَّةً إلى جزيرةٍ فى البحرِ ، فقال : أين الديناران[4] . فتوَضَّأ إبراهيمُ ، وصلَّى ركعتَيْن ودعا ، فإذا ما حولَه قد مُلِئ دَنانيرَ ، فقال له : خُذْ حقَّك ولا تَزِدْ ، ولا تَذْكُرْ هذا لأحدٍ .

وعن حُذَيْفةَ المَرْعَشىِّ قال[5] : [٨/٨٤و] أوَيْتُ أنا وإبراهيمُ بنُ أدهمَ إلى مسجدٍ خَرابٍ بالكُوفةِ ، وكان قد مضَى علينا أيامٌ لم نَأْكُلْ فيها شيئًا ، فقال لى : كأنك جائعٌ . قلتُ : نعم . فأخَذَ رُقْعةً فكتَب فيها : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، أنت المَقصودُ إليه بكلِّ حالٍ ، المُشارُ إليه بكلِّ مَعْنًى :

أنا حامدٌ [6]أنا شاكرٌ أنا ذاكرٌ[6] أنا جائعٌ أنا نائعٌ[7] أنا عارِى

---

(١) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٢.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « فقال له : اذهب معى حتى أعطيك ديناريك ، فأتى به إلى جزيرة فى البحر » .

(٥) انظر حلية الأولياء ٨/ ٣٨، والرسالة القشيرية ١/ ٤٣٤، ٤٣٥، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٦ - ٦) فى م : « أنا ذاكر أنا شاكر » . وهو ترتيب رواية الحلية .

(٧) فى م : « حاسر » . وهو لفظ رواية الحلية . والنائع : الجائع . انظر اللسان (ن و ع) .

هى سِتَّةٌ وأنا الضَّمينُ لنصفِها فكُنِ الضَّمينَ لنصفِها يا بارِى[1]
مَدْحى لغيرِك وَهْجُ نارٍ خُضْتُها فأَجِرْ عُبَيْدَكَ[2] مِن دُخولِ النارِ

ثم قال لى : اخْرُجْ ولا تُعَلِّقْ قلبَك بغيرِ اللَّهِ ، وادْفَعْ هذه الرُّقْعةَ لأولِ رجلٍ تَلْقاه . فخرَجْتُ فإذا رجلٌ على بَغْلةٍ ، فدفَعْتُها إليه ، فلما قرأها بكَى ، ودفَع إلىَّ ستَّمائةِ دينارٍ وانْصَرَفْتُ فسألْتُ رجلًا : مَن هذا الذى على البَغْلةِ ؟ فقال : هذا رجلٌ نَصْرانىٌّ . فجئتُ إبراهيمَ ، فأخْبَرْتُه فقال : الآن يَجِىءُ فيُسْلِمُ . فما كان غيرُ قريبٍ حتى جاء ، فأكَبَّ على رأسِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، وأسْلَم .

وكان إبراهيمُ يَقولُ[3] : دارُنا أمامَنا ، وحياتُنا بعدَ وفاتِنا ، فإمَّا إلى الجنةِ ، وإمَّا إلى النارِ .

وكان يقولُ[4] : مَثِّلْ لبَصَرِ قلبِك حُضورَ مَلَكِ الموتِ وأعْوانِه لقَبْضِ رُوحِك ، وانْظُرْ كيف تَكونُ ، ومَثِّلْ له هَولَ المُطَّلَعِ ومُساءَلَةَ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ ، وانظرْ كيف تكونُ ، ومثِّلْ له القِيامةَ وأهْوالَها وأفْزاعَها والعَرْضَ والحِسابَ ، وانْظُرْ كيف تَكونُ . ثم صرَخ صَرْخةً خرَّ مَغْشِيًّا عليه .

ونظَر[5] إلى رجلٍ مِن أصْحابِه يَضْحَكُ فقال له : لا تَطْمَعْ فيما لا يَكونُ ، ولا تَيْأَسْ ممَّا يَكونُ . فقيل له : كيف هذا يا أبا إسْحاقَ ؟ فقال : لا تَطْمَعْ فى البَقاءِ والموتُ يَطْلُبُك ، فكيف يَضْحَكُ مَن يَموتُ ولا يَدْرِى إلى أين يَذْهَبُ ؛ إلى

---

(١) فى الأصل ، ص ، ظ : « جارى » . وهو لفظ رواية تاريخ دمشق .
(٢) فى الأصل ، ب ، ص : « فديتك » . وهو لفظ رواية الحلية وتاريخ دمشق .
(٣) انظر تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٠، ٣٣١.
(٤) المصدر السابق ٦/ ٣٣١.
(٥) انظر حلية الأولياء ٨/ ١٣.

جنةٍ أمْ إلى نارٍ ؟! ولا تَيْأَسْ ممَّا يَكونُ ، الموتُ يَأْتِيك صباحًا أو مَساءً . ثم قال : أَوَّهْ أَوَّهْ . ثم خرَّ مَغْشِيًّا عليه .

وكان[1] يَقولُ : ما لنا نَشْكو فَقْرَنا إلى مِثْلِنا ، ولا نَسْأَلُ كشفَه مِن ربِّنا . ثم يَقولُ : ثَكِلَت عبدًا أُمُّه أحَبَّ الدنيا ، ونسِي ما فى خَزائِنِ مَوْلاه .

وقال[2] : إذا كنتَ بالليلِ نائمًا ، وبالنَّهارِ هائمًا ، وبالمَعاصِى دائمًا ، فكيف يَرْضَى مَن كان هو بأمرِك قائمًا ؟!

ورآه بعضُ أصحابِه[3] بمسجدِ بَيْروتَ وهو يَبْكِى ، ويَضْرِبُ بيديه على رأسِه ، فقال : ما يُبْكِيك ؟ فقال : ذكَرْتُ يومًا تَتَقَلَّبُ فيه القُلوبُ والأبْصارُ .

وقال[4] : إنك كلَّما أمْعَنْتَ النَّظرَ فى مِرْآةِ التَّوْبةِ بان لك قبيحُ شَيْنِ المَعْصيةِ .

وكتَب[4] إلى الثورىِّ : مَن عرَف ما يَطْلُبُ هان عليه ما يَبْذُلُ ، ومَن أطْلَق بصرَه طال أَسَفُه ، ومَن أطْلَق أمَلَه ساء عملُه ، ومَن أطْلَق لسانَه قتَل نَفْسَه .

وسأَله[5] بعضُ الوُلاةِ : مِن أين مَعِيشتُك ؟ فأنْشَأ يَقولُ :

[٨٤/٨ظ] نُرَقِّعُ دُنْيانا بتَمْزيقِ دِينِنا فلا دِينُنا يَبْقى ولا ما نُرَقِّعُ

وكان كثيرًا ما يَتَمَثَّلُ[6] بهذه الأبياتِ :

---

(١) انظر حلية الأولياء ٨/ ٣٢، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٣٢.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٣.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٤) المصدر السابق ٦/ ٣٣٥.

(٥) المصدر السابق ٦/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٣٣٦.

لِما تُوعِدُ الدنيا به مِن شُرورِها يَكونُ بُكاءُ الطفلِ ساعةَ يُوضَعُ[1]
وإلا فما يُبْكِيه منها وإنها لَأَرْوَحُ مما كان فيه وأوْسَعُ
إذا أبْصَر الدنيا اسْتَهَلَّ كأنما يَرَى ما سَيَلْقَى مِن أذاها ويَسْمَعُ

وكان يَتَمَثَّلُ[2] أيضًا بهذه الأبياتِ :

رأيْتُ الذُّنوبَ تُمِيتُ القُلوبَ ويُتْبِعُها[3] الذُّلَّ إدْمانُها
وتَرْكُ الذُّنوبِ حَياةُ القُلو بِ[4] والخيرُ للنفْسِ[4] عِصْيانُها
وما أَهْلَكَ[5] الدِّينَ إلا المُلوكُ[6] وأحْبارُ سَوْءٍ ورُهْبانُها
وباعوا النُّفوسَ فلم يَرْبَحوا ولم يَغْلُ بالبيعِ أثْمانُها
لقد وَقَعَ[7] القومُ فى جِيفةٍ تَبِينُ لذى اللُّبِّ أنْتانُها

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ[8] : إنما يَتِمُّ الوَرَعُ بتَسْويةِ كلِّ الخَلْقِ فى قلبِك ، والاشْتِغالِ عن عيوبِهم بذنبِك ، وعليك باللفظِ الجميلِ مِن قلبٍ ذَليلٍ لربٍّ جليلٍ ، فَكِّرْ فى ذَنْبِك ، وتُبْ إلى ربِّك يَثْبُتِ الوَرَعُ فى قلبِك ، واقْطَعِ الطَّمَعَ إلا مِن ربِّك .

وقال أيضًا[9] : ليس مِن أعْلامِ الحُبِّ أن تُحِبَّ ما يُبْغِضُه حبيبُك ، ذَمَّ مَوْلانا

---

(١) الأبيات لابن الرومى ، فى ديوانه ص ١٥٥١/٤ ، وتأتى هذه الأبيات فى قصيدة دالية لابن الرومى أيضا ، فى ديوانه ٢/ ٥٨٦، برواية : ساعة يولَدُ - وأرغَدُ - يُهَدَّدُ .
(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٦، ٣٣٧.
(٣) فى ب ، م : « يورثها » .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « وخير لنفسك » .
(٥) فى ب ، م : « أفسد » .
(٦) فى م : « ملوك » .
(٧) فى ب ، م : « رتع » .
(٨) انظر حلية الأولياء ٨/ ١٦، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٣٨، ٣٣٩.
(٩) انظر حلية الأولياء ٨/ ٢٤، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٣٩.

الدنيا فمدَحْناها ، وأبْغَضها فأحْبَبْناها ، وزَهَّدَنا فيها فآثَرْناها ، ورَغِبْنا فى طلبِها ، ووعَدكم خَرابَ الدنيا فحصَّنْتُموها ، ونَهاكم عن طلبِها فطلَبْتُموها ، وأنْذَركم الكُنوزَ فكنَزْتُموها ، دعَتْكم إلى هذه الغَرَّارةِ دَواعيها ، فأجَبْتُم مُسْرِعِين مُنادِيَها ، خدَعَتْكم بغُرورِها ، ومنَّتْكم فأقْررتم خاضِعِين لأَمانيِّها ، تَتَمَرَّغُون فى زَهَراتِها ، وتَتَنَعَّمون فى لَذَّاتِها ، وتَتَقَلَّبون فى شَهَواتِها ، وتَتَلَوَّثون بتبعاتِها ، تَنْبُشون بمَخالبِ الحِرْصِ عن خَزائنِها ، وتَحْفِرون بمَعاوِلِ الطَّمَعِ فى مَعادنِها .

وشكَى[1] رجلٌ إلى إبراهيمَ بنِ أَدْهمَ كثرةَ العيالِ فقال : ابْعَثْ إلىَّ منهم مَن لا رِزْقُه على اللَّهِ . فسكَت الرجلُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ[2] : مرَرْتُ فى بعضِ جبالِ الشامِ فإذا بحَجَرٍ مَكْتوبٍ[*] عليه بالعربيةِ :

كـلُّ حـىٍّ وإن بـقِـى ... فـمِـن الـعُـمْـرِ[3] يَـسْـتَـقِـى
فـاعْـمَـلِ الـيـومَ واجْـتَـهِـدْ ... واحْـذَرِ الموتَ يـا شَـقِـى

[٨/ ٨٥و] فبينا أنا واقفٌ أَقْرَأُ وأَبْكى ، إذا برجلٍ أَشْعَثَ أغْبَرَ عليه مِدْرَعةٌ مِن شَعْرٍ ، فسلَّم وقال : ممَّ تَبْكى ؟ فقلتُ : مِن هذا . فأخَذ بيدى ومضَى غيرَ بعيدٍ ، فإذا صَخرةٌ عظيمةٌ مثلُ المِحْرابِ فقال : اقْرَأْ وابْكِ ، ولا تُقَصِّرْ . وقام هو يُصَلِّى فإذا فى [4]أعْلاه نَقْشٌ بيِّنٌ عربىٌّ[4] :

---

(١) تاريخ دمشق ٦/٣٤٥ .

(٢) انظر حلية الأولياء ٨/ ١٢، والمصدر السابق ٦/ ٣٤٠، ٣٤١.

(*) من هنا تبدأ النسخة السعيدية ، ويشار إليها بالرمز (س) .

(٣) فى ب : « الموت » ، وفى م : « العيش » . وهو لفظ رواية الحلية .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ : « ناحية منها » .

لا تَبْتغى جاهًا وجاهُك ساقطٌ عندَ المَليكِ وكُنْ لجاهِك مُصْلِحَا

وفى الجانبِ الآخَرِ نقشٌ بَيِّنٌ عربيٌّ :

مَن لم يَثِقْ بالقَضاءِ والقَدَرْ لاقَى هُمومًا كثيرةَ الضَّرَرْ

وفى الجانبِ الأيْسرِ منه نَقْشٌ بَيِّنٌ عربيٌّ :

ما أَزْيَنَ التُّقَى ، وما أَقْبَحَ الخَنَا ، وكلٌّ مَأْخوذٌ بما جنَى ، وعندَ اللَّهِ الجَزا .

وفى أسْفَلِ المحْرابِ فوقَ الأرْضِ بذِراعٍ أو أكْثرَ :

إنما الفَوْزُ والغِنَى فى تُقَى اللَّهِ والعملْ

قال : فلما فرَغْتُ مِن القراءةِ الْتَفَتُّ فإذا ليس الرجلُ هناك ، فما أدْرِى انْصَرف أو حُجِب عنى ؟

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ[1] : أثْقَلُ الأعْمالِ فى الميزانِ أثْقَلُها على الأبْدانِ ، ومَن وَفَّى العملَ وُفِّى له الأجْرُ ، ومَن لم يَعْمَلْ رحَل مِن الدنيا إلى الآخِرةِ بلا قليلٍ ولا كثيرٍ .

وقال أيضًا[2] : كلُّ سُلْطانٍ لا يَكونُ عادلًا فهو واللِّصُّ بمنزلةٍ واحدةٍ ، وكلُّ عالمٍ لا يَكونُ وَرِعًا فهو والذِّئْبُ بمنزلةٍ واحدةٍ ، وكلُّ مَن خدَم سِوى اللَّهِ فهو والكلبُ بمنزلةٍ واحدةٍ[3] .

---

(١) انظر حلية الأولياء ٨/ ١٦، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٤٢.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٣٤٤.

(٣) بعده فى ب ، م : « وقال : ما ينبغى لمن ذل لله فى طاعته أن يذل لغير الله فى مجاعته ، فكيف بمن هو يتقلب فى نعم الله وكفايته » .

وقال أيضًا[1] : أعْرَبْنا فى المقالِ حتى لم نَلْحَنْ ، ولحَنَّا فى الفِعالِ حتى لم نُعْرِبْ .

وقال[2] : كنا إذا رأَيْنا الشابَّ يَتَكَلَّمُ فى المجْلِسِ أَيِسْنا مِن خيرِه .

وقال إبراهيمُ لأصحابِه[3] : جانِبوا الناسَ ، ولا تَنْقَطِعوا عن جُمُعةٍ ولا جَماعةٍ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَطيبُ[4] : أخْبَرَنا القاضى أبو محمدٍ الحسنُ بنُ الحُسينِ[5] بنِ محمدِ بنِ راميـنَ الإسْتِراباذىُّ قال : أنْبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الحُمَيْدىُّ الشِّيرازىُّ ، أنْبأنا القاضى أحمدُ بنُ محمودِ بنِ خُرَّزادَ الأهْوازىُّ ، حدَّثنى علىُّ بنُ محمدٍ القَصْرىُّ ، حدَّثنى أحمدُ بنُ محمدٍ الحَلَبىُّ ، سمِعْتُ سَرِيًّا السَّقَطىَّ يَقولُ : سمِعْتُ بشرَ بنَ الحارثِ الحافىَ يَقولُ : قال إبراهيمُ بنُ أدْهمَ : وقَفْتُ على راهبٍ [6]فى جبلِ لُبنانَ[6] ، فأشْرَف علىَّ فقُلْتُ له : عِظْنى . فأنْشَأ يَقولُ :

خُذْ عن الناسِ جانبًا ... كى يَعُدُّوك راهبًا
إنَّ دهرًا أظَلَّنى ... قد أرانى العَجائِبًا

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣١٣.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٤٤.
(٣) المصدر السابق ٦/ ٣١٣، بنحوه .
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/٣٤٥ - ٣٤٨، من طريق الخطيب به .
(٥) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « الحسن » . وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٢٩٥، والوافى بالوفيات ١١/ ٤٢٦.
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

قَلِّبِ الناسَ كيف شِئْـ ـتَ تَجِدْهُمْ عَقارِبا

قال بشْرٌ: فقلتُ لإبراهيمَ: هذه مَوْعِظةُ الراهبِ لك، فعِظْنى أنت. فأنْشَأ يَقولُ:

تَوَحَّشْ مِن الإخْوانِ لا تَبْغِ مُؤْنِسَا ولا تَتَّخِذْ خِلًّا ولا تَبْغِ صاحبَا
وكُنْ سامِرِىَّ الفِعْلِ مِن نَسْلِ آدمٍ وكُنْ أَوْحَديًّا ما قدَرْتَ مُجانِبَا
[٨/٨٥ظ] فقد فسَد الإخْوانُ والحُبُّ والإخا فلسْتَ تَرَى إلا مَذوقًا وكاذبا[١]
فقلتُ ولولا أن يُقالَ مُدَهْدَهٌ[٢] وتُنْكَرَ حالاتى لقد صِرْتُ راهبَا

قال سَرِىٌّ: فقلتُ لبشرٍ: هذه مَوْعِظةُ إبراهيمَ لك، فعِظْنى أنت. فقال: عليك بلُزومِ بيتِك. فقلتُ: بلَغَنى عن الحسنِ أنه قال: لولا الليلُ ومُلاقاةُ الإخْوانِ ما كنتُ أُبالى متى مِتُّ. فأنْشَأ يَقولُ:

يا مَن يُسَرُّ برُؤْيةِ الإخْوانِ مَهْلًا أمِنْتَ مَكائدَ الشَّيْطانِ
خلَتِ القُلوبُ مِن المَعادِ وذِكْرِهِ وتَشاغَلوا بالحِرْصِ فى الخُسْرانِ
صارَت مَجالسُ مَن تَرَى وحَديثُهم فى هَتْكِ مَسْتورٍ و[٣]خَلْقِ قُرانِ[٣]

قال الحَلَبىُّ: فقلتُ لسَرِىٍّ: هذه مَوْعِظةُ بشرٍ لك، فعِظْنى أنت. فقال: عليك بالإخْمالِ. فقلتُ: إنى أُحِبُّ ذاك. فأنْشَأ يَقولُ:

يا مَن يُريدُ بزَعْمِه إخْمالَا إن كان حقًّا فاسْتَعِدَّ خِصالَا
تَرْكُ المَجالِسِ والتَّذاكُرِ يا أخى واجْعَلْ خُروجَك للصلاةِ خَيالَا

---

(١) المذوق: الكذوب. انظر اللسان (م ذ ق).
(٢) أى ساقط، مأخوذ من: دَهْدَه الشىءَ فتدهده: أى حَدَره من عُلْوٍ إلى سُفل. اللسان (دهده).
(٣ - ٣) فى ب، م: «موت جنان»، وفى تاريخ دمشق: «خلف قران».

بل كُنْ بها حَيًّا كأنك مَيِّتٌ لا يَرْتَجِى منه القَريبُ وِصالَا

قال عليُّ بنُ محمدٍ القَصْرىُّ : قلتُ للحَلَبىِّ : هذه مَوْعِظةُ سَرِىٍّ لك ، فعِظْنى أنت . فقال : يا أخى ، أحَبُّ الأعْمالِ إلى اللَّهِ ما أُصْدِرَ إليه مِن قلبِ زاهدٍ فى الدنيا ، فازْهَدْ فى الدنيا يُحِبَّك اللَّهُ . ثم أنْشَأ يَقولُ :

أنــت فــى دارِ شَــتــاتٍ فــتَــأَهَّــبْ لــشَــتــاتِــكْ
واجْـعَـلِ الـدنـيـا كـيـومٍ صُـمْـتَـه عـن شَـهَـواتِـكْ
واجْـعَـلِ الـفِـطْـرَ إذا مـا صُـمْـتَـه يـومَ وَفـاتِـكْ

قال ابنُ خُرَّزادَ : فقلتُ لعلىٍّ : هذه مَوْعِظةُ الحَلَبِىِّ لك ، فعِظْنى أنت . فقال لى : احْفَظْ وقتَك واسْخُ بنفسِك للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وانْزِعْ قِيمةَ الأشياءِ عن قلبِك يَصْفُ بذلك سِرُّك ، ويَزْكُ به ذِكْرُك . ثم أنْشَدَنى :

حياتُك أنفاسٌ تُعَدُّ فكُلَّما مضَى نَفَسٌ منها انْتُقِصْتَ به جُزْءَا
فتُصْبِحُ فى نقصٍ وتُمْسِى بمثلِهِ وما لَكَ معقولٌ[1] تُحِسُّ به رُزْءَا
يُمِيتُك ما يُحْيِيك فى كلِّ ساعةٍ ويَحْدوك حادٍ ما يُرِيدُ بك الهُزْءَا

[٨/٨٦و] قال أبو محمدٍ : قلتُ لأحمدَ : هذه مَوْعِظةُ علىٍّ لك ، فعِظْنى . فقال : يا أخى ، عليك بلُزومِ الطاعةِ ، وإياك أن تَبْرَحَ مِن بابِ القَناعةِ ، وأصْلِحْ مَثْواك ، ولا تُؤْثِرْ هَواك ، ولا تَبِعْ آخِرتَك بدُنْياك ، واشْتَغِلْ بما يَعْنِيك بتَرْكِ ما لا يَعْنِيك . ثم أنْشَدنى :

ندِمْتُ على ما كان منِّى نَدامةً ومَن يَتَّبِعْ ما تشْتَهِى النَّفْسُ يَنْدَمِ

---

(١) المعقول : العَقْل . اللسان (ع ق ل) .

فخافوا لكيما تَأْمَنوا بعدَ موتِكم ستَلْقَوْن ربًّا عادلًا ليس يَظْلِمُ
فليس لمَغْرورٍ بدُنْياه زاجرٌ سيَنْدَمُ إن زَلَّت به النَّعْلُ فاعْلَمِ

قال القاضى أبو محمدِ بنُ راميـنَ : فقلتُ لأبى محمدٍ : هذه مَوْعظةُ أحمدَ لك ، فعِظْنى أنت . فقال : اعْلَمْ ، رحِمك اللَّهُ ، أن اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، يُنْزِلُ العبيدَ حيث نزَلَت قُلوبُهم بهُمومِها ، فانْظُرْ أين أَنْزَلْتَ قلبَك ، واعْلَمْ أنه تَقْرَبُ القُلوبُ على حَسَبِ ما قرُب إليها ، فانْظُرْ مَن القريبُ مِن قلبِك . وأنْشَدنى :

قلوبُ رجالٍ فى الحِجابِ نُزولُ وأرْواحُهم فيما هناك حُلولُ
بروحِ نَعيمِ الأُنْسِ فى عِزِّ قُرْبِهِ بإفرادِ تَوْحيدِ المليكِ تَحُولُ
لهم بفِناءِ القُرْبِ مِن مَحْضِ بِرِّهِ عوائدُ بَذْلٍ خَطْبُهنَّ جَليلُ

قال الحافظُ أبو بكرٍ الخَطيبُ : فقلتُ للقاضى أبى محمدِ بنِ راميـنَ : هذه مَوْعِظةُ الحُمَيْدىِّ لك ، فعِظْنى . فقال : اتَّقِ اللَّهَ ، وثِقْ به ولا تَتَّهِمْه ؛ فإن اخْتِيارَه لك خيرٌ مِن اخْتِيارِك لنفسِك . وأنْشَدَنى :

اتَّخِذِ اللَّهَ صاحِبًا وذرِ الناسَ جانِبًا
جَرِّبِ الناسَ كيف شِئْـ ـتَ تَجِدْهمْ عَقارِبًا

قال أبو الفَرَجِ غَيْثٌ الصُّورىُّ[1] : فقلتُ للخَطِيبِ البغدادىِّ : هذه مَوْعِظةُ ابنِ راميـنَ لك ، فعِظْنى أنت . فقال : احْذَرْ نَفْسَك التى هى أعْدَى أعْدائِك أن تُتابِعَها على هَواها ، فذاك أعْضَلُ دائِك ، واسْتَشْعِرِ الخوفَ مِن اللَّهِ بخلافِها ،

---

(١) أبو الفرج غيث الصورى هذا قد روى الخبر عن الخطيب البغدادى ، كما فى تاريخ دمشق ، وقد أورد المصنف ، رحمه الله ، الإسناد مبتدئا بالخطيب .

وكَرِّرْ على قلبِك ذِكْرَ نُعوتِها وأوْصافِها ، فإنها الأَمَّارةُ بالسُّوءِ والفَحْشاءِ ، والمُورِدَةُ مَن أطاعها مَوارِدَ العَطَبِ والبَلاءِ ، واعْمِدْ فى جميعِ أُمورِك إلى تَحَرِّى الصِّدْقِ ، ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فيُضِلَّك عن سبيلِ اللَّهِ ، وقد ضمِن اللَّهُ لمن خالَف هَواه أن يَجْعَلَ دارَ الخُلْدِ قَرارَه ومَأْواه . ثم أنْشَد لنَفْسِه :

إن كنتَ تَبْغِى الرَّشادَ مَحْضَا ... فى أمْرِ دنياك والمَعادِ
[٨/٨٦ظ] فخالِفِ النَّفْسَ فى هَواها ... إن الهَوَى جامِعُ الفَسادِ

قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ[(١)] : المَحْفوظُ أن إبراهيمَ بنَ أدْهمَ تُوُفِّىَ سنةَ ثنتَيْن وستين ومائةٍ . وقال غيرُه[(١)] : سنةَ إحدى . وقيل[(١)] : سنةَ ثلاثٍ . والصَّحيحُ ما قاله ابنُ عَساكرَ ، كما ذكرْنا . وللَّهِ الحمدُ .

وذكَروا[(٢)] أنه تُوُفِّىَ بجَزيرةٍ مِن جَزائرِ بحرِ الرُّومِ وهو مُرابِطٌ ، وأنه ذهَب إلى الخَلاءِ ليلةَ وفاتِه نحوًا مِن عشرين مرةً ، وكلَّ مرَّةٍ يُجَدِّدُ الوُضوءَ بعدَها ، فلما غَشِيَه الموتُ قال : أوْتِروا لى قَوْسى . وقبَض على القَوْسِ ، ومات وهو كذلك ، رحِمه اللَّهُ ، وأكْرَم مَثْواه .

وقد قال أبو سعيدِ بنُ الأعْرابىِّ[(٣)] : حدَّثنا محمدُ بنُ علىِّ بنِ زيدٍ[(٤)] الصائغُ قال : سمِعْتُ الشافعىَّ يَقولُ : سمِعْتُ السَّرىَّ بنَ حَيَّانَ يقولُ - وكان سُفْيانُ مُعْجَبًا به - :

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣٤٩.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٤٨، ٣٤٩.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ٣٤٩، ٣٥٠، من طريق أبى سعيد به .
(٤) فى م ، وتاريخ دمشق : « يزيد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٨.

أجاعَتْهم الدنيا فجاعوا[1] ولم يَزَلْ كذلك ذو التَّقْوَى عن العيشِ مُلْجَمَا
أخو طَيِّئٍ داودُ منهم ومِسْعَرٌ ومنهم وُهَيْبٌ والغريبُ ابنُ أدْهَمَا
وفى ابنِ سعيدٍ قُدْوةَ البِرِّ والنُّهَى وفى الوارثِ الفاروقِ صِدْقًا مُقَدَّمَا
وحَسْبُك منهم بالفُضَيْلِ مع ابنِهِ ويوسُفَ إن لم يَأْلُ أن يتسَلَّما[2]
أولئك أصحابى وأهلُ مَوَدَّتى فصلَّى عليهم ذو الجَلالِ وسَلَّما
فما ضَرَّ ذا التَّقْوَى نِصالُ أَسِنَّةٍ وما زال ذو التَّقْوَى أعَزَّ وأكْرَما
وما زالتِ التَّقْوَى تُرِيك على الفتَى إذا مَحَّض التَّقْوَى مِن العِزِّ مِيسَما

وروَى البُخارىُّ فى كتابِ «الأدَبِ»[3] عن إبراهيمَ بنِ أدْهَمَ، وأخْرَج له الترمذىُّ فى «جامعِه»[4] حديثًا مُعَلَّقًا فى المَسْحِ على الخُفَّيْن.

وأمَّا **داودُ الطائىُّ فهو داودُ بنُ نُصَيْرٍ الطائىُّ، أبو سليمانَ الكوفىُّ**[5] الفَقيهُ الزاهدُ، أخَذ الفقهَ عن أبى حَنيفةَ.

وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ[6]: ثم ترَك طلبَ الفِقْهِ، وأقْبَل على العِبادةِ، ودفَن كتبَه.

---

(١) فى ب، م: «فخافوا».
(٢) وأخو طيئ: داود بن نصير، ومسعر: مسعر بن كِدام، ووهيب: وهيب بن الورد، وابن سعيد: سفيان بن سعيد الثورى، ووارث الفاروق: عمر بن عبد العزيز، والفضيل: الفضيل بن عياض، وابنه: على، ويوسف: يوسف بن أسباط. والله أعلم.
(٣) الأدب المفرد (١٢٥٣). والبخارى لم يرو عنه صراحة، إنما أورد خبرًا فيه ذكر لإبراهيم.
(٤) الترمذى (٩٤).
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، وتهذيب الكمال ٨/ ٤٥٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٧٦.
(٦) تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، ٣٤٨.

قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[1] : وهل الأمْرُ إلا ما كان عليه داودُ الطائيُّ .

وقال يحيى بنُ مَعينٍ[2] : كان ثِقةً . وقال الخطيبُ البغداديُّ[3] : ترَكَ الفِقْهَ ، وأَقْبَل على العبادةِ حتى مات ، وقد قدِم على المهديِّ بغدادَ ثم عاد إلى الكوفةِ .

مات فى سنةِ ستين ومائةٍ . وقيل : فى سنةِ [4]خمسٍ وستين[4] ومائةٍ .

قلت : وقد ذكَر شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبيُّ فى « تاريخِه »[5] أنه تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ ، أعْنى سنةَ ثنتَيْن [٨/ ٨٧و] وستين ومائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تهذيب الكمال ٨/ ٤٥٨.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٥٣.

(٣) المصدر السابق ٨/ ٣٤٧.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « ست وخمسين » .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وستين ومائةٍ

فيها[1] حُصِر المُقَنَّعُ الزِّنْدِيقُ الذى كان قد نبَغ بخُراسانَ وقال بالتَّناسُخِ، واتَّبَعه على جَهالتِه وضَلالتِه خَلْقٌ مِن الطَّغامِ وسُفَهاءِ الأنامِ، والسَّفِلَةِ مِن العَوامِّ، [2]ومَنَعوه مِن الجنودِ فى ذلك العامِ[2]، فلما كان فى هذه السنةِ لجَأَ إلى قَلْعةِ كَشٍّ، فحاصَرَه سعيدٌ الحَرَشىُّ[3] فألَحَّ عليه فى الحِصارِ، فلما أحَسَّ بالغَلَبةِ تحَسَّى سُمًّا وسَمَّ نِساءَه، فماتوا جميعًا، عليهم لَعائنُ اللَّهِ. ودخَل الجيشُ الإسلامىُّ قَلْعتَه، فاحْتَزُّوا رأسَه، وبعَثوا به إلى المَهْدىِّ، وكان المَهْدىُّ حِينَ جاءَه رأسُ المُقَنَّعِ بحَلَبَ.

قال ابنُ خَلِّكانَ[4]: المُقَنَّعُ الخُراسانىُّ قيل: اسمُه عَطاءٌ. وقيل: حَكِيمٌ. والأولُ أشهرُ، وكان أولًا قَصَّارًا[5]، ثم ادَّعَى الرُّبوبيَّةَ، مع أنه كان أعْوَرَ قَبيحَ المَنْظَرِ، وكان يَتَّخِذُ له وَجْهًا مِن ذهبٍ[6]، واتَّبَعَه على جَهالتِه خَلْقٌ كثيرٌ مِن

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/١٤٤ - ١٤٩، والكامل ٦/٦٠ - ٦٢، والمنتظم ٨/٢٦٣ - ٢٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٤.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م. والمقصود بذلك العام؛ العام الذى ظهر فيه المقنع، وهو عام واحد وستين ومائة، كما تقدم ضمن حوادث ذلك العام صفحة ٤٨٩.

(٣) فى الأصل: «الخرسى»، وفى ب: «الجرينى»، وفى س، ظ: «الحرسى»، وفى م، ص: «الحريثى». والمثبت من المصادر المتقدمة.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٢٦٣ - ٢٦٥.

(٥) القصَّار: المبيض للثياب. الوسيط (ق ص ر).

(٦) بعده فى س، ص، ظ: «ويتقنع فوق ذلك».

الجَهَلَةِ ، وكان يُرِى الناسَ قمرًا يُرَى مِن مَسيرةِ شهرَيْن ، ثم يَغِيبُ ، فعَظُم اعْتِقادُهم فيه ، ومنَعوه بالسِّلاحِ ، وكان يَزْعُمُ - لعَنه اللَّهُ ، وتعالَى اللَّهُ عما يقولُ الظالمون عُلُوًّا كبيرًا - أنَّ اللَّهَ ظهَر فى صورةِ آدمَ ، ولهذا سَجَدَتْ له المَلائكةُ ، ثم فى نوحٍ ، ثم فى الأنبياءِ واحدًا واحدًا ، ثم تَحَوَّل إلى أبى مسلمٍ الخُراسانىِّ ، ثم تحَوَّل إليه ، ولما حاصَره المسلمون فى قَلْعتِه التى كان جدَّدها بناحيةِ كَشٍّ مِمَّا وراءَ النهرِ ، ويُقالُ لها : سَنَامٌ . سقَى نساءَه وأهلَه سُمًّا ، وتَحَسَّى هو أيضًا منه ، فماتوا كلُّهم - لَعَنَهم اللَّهُ أجمعين - واسْتَحْوَذ المسلمون على حَواصِلِه وأمْوالِه كلِّها[1] .

وفيها جهَّز المَهْدىُّ البُعوثَ مِن خُراسانَ وغيرِها مِن البلادِ لغَزْوِ الرُّومِ ، وأمَّر على الجَميعِ ولدَه هارونَ الرَّشيدَ ، وخرَج مِن بَغْدادَ مُشَيِّعًا له ، فسار معه مَراحِلَ ، واسْتَخْلَف على بَغْدادَ ولدَه موسى الهادىَ ، وكان فى هذا الجيشِ الحسنُ بنُ قَحْطَبَةَ ، والربيعُ الحاجبُ ، وخالدُ بنُ بَرْمَكَ ، وهو مِثْلُ الوَزيرِ للرَّشيدِ ولىِّ العَهْدِ ، ويحيى بنُ خالدٍ ، وهو كاتبُه وإليه النَّفَقاتُ . وما زال المهدىُّ مع ولدِه مُشَيِّعًا له حتى بلَغ [2]دَرْبَ الرومِ عند جَيْحانَ[2] ، وارْتاد هناك المدينةَ المُسَمَّاةَ بالمَهْديةِ فى بلادِ الرومِ ، ثم رجَع إلى الشامِ ، وزار بيتَ المقدسِ ، فسار الرشيدُ إلى بلادِ الرومِ فى جَحافِلَ عظيمةٍ ، ففتَح اللَّهُ عليهم فُتوحاتٍ كثيرةً ، وغَنِموا أمْوالًا جَزيلةً جدًّا ، وكان لخالدِ بنِ بَرْمَكَ فى ذلك أَثَرٌ جَميلٌ لم يَكُنْ لغيرِه ، وبعَثوا

---

(١) ليس فى وفيات الأعيان ذكر استحواذ المسلمين على حواصله وأمواله .

(٢ - ٢) فى الأصل : « دروب المدينة » . وجَيْحان : نهر بالمِصِّيصَة مخرجه من بلاد الروم . انظر معجم البلدان ٢/ ١٧٠.

بالبِشارةِ مع سليمانَ بنِ بَرْمَكَ إلى المهدىِّ ، فأكْرَمه المَهْدىُّ وأجْزَل عَطاءَه .

وفيها عزَل المهدىُّ عمَّه عبدَ الصَّمَدِ بنَ علىٍّ [٨/ ٨٧ظ] عن الجَزيرةِ ، وولَّى عليها زُفَرَ بنَ عاصمٍ الهِلالىَّ ، ثم عزَله وولَّى عبدَ اللَّهِ بنَ صالحِ بنِ علىٍّ .

وفيها ولَّى المهدىُّ ولدَه هارونَ الرَّشيدَ بلادَ المغربِ وأَذْرَبِيجانَ وأَرْمِينِيَةَ ، وجعَل على رَسائلِه يَحْيَى بنَ خالدِ بنِ بَرْمَكَ ، وولَّى وعزَل جَماعةً مِن النُّوَّابِ ، وحجَّ بالناسِ فيها علىُّ بنُ المَهْدىِّ .

وفيها تُوُفى إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ[1] ، **وحَرِيزُ** بنُ عثمانَ الرَّحَبىُّ الحِمْصىُّ[2] ، **وموسى** بنُ عُلَىٍّ اللَّخْمىُّ المِصْرىُّ[3] ، **وشُعَيْبُ** بنُ أبى حَمْزةَ[4] ، **وعيسى** بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[5] عمُّ السَّفاحِ والمنصورِ ، وإليه يُنْسَبُ قَصْرُ عيسى ، ونهْرُ عيسى ببَغْدادَ ، قال يَحْيَى بنُ مَعينٍ[6] : كان له مَذْهَبٌ جَميلٌ ، وكان مُعْتَزِلًا للسُّلْطانِ . تُوُفى فى هذه السنةِ عن ثمانٍ وسبعين سنةً . وهَمَّامُ بنُ يحيى[7] ،

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٠٥، وتهذيب الكمال ٢/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٦٠، وطبقات الحفاظ ص ٩٠.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ٣٣٦، وتهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٢٠، وطبقات الحفاظ ص ٧٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٩٥ مخطوط، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٧٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥١٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢٦٠، وطبقات الحفاظ ص ٩٤.

(٥) طبقات ابن سعد (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٢٤٥، وتاريخ بغدادِ ١١/ ١٤٧، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٨١، ووفيات الأعيان ٢/ ١٥١.

(٦) انظر المنتظم ٨/ ٢٦٨، وتاريخ الإسلام الموضع السابق.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٩٦، وطبقات الحفاظ ص ٨٦.

ويحيى بنُ أيوبَ المِصْرىُّ[1] . **وعُبَيْدةُ** بنتُ أبى كِلابٍ العابدةُ[2] ، بكَت مِن خَشْيةِ اللَّهِ أرْبعين سنةً حتى عَمِيَتْ . وكانتْ تَقولُ : أَشْتَهِى الموتَ ، فإنى أخْشَى أن أَجْنِىَ على نَفْسى جِنايةً تكونُ سببَ هَلاكى يومَ القيامةِ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٦، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٥٠٧.

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٦٨، وصفة الصفوة ٤/ ٣٤.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وستين ومائةٍ

فيها[1] غزا عبدُ الكبيرِ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخَطَّابِ، بلادَ الرومِ، فأقْبَل إليه مِيخائيلُ البِطْرِيقُ فى نحوٍ مِن تسعين ألفًا، فيهم طازاذُ الأرْمَنىُّ البِطْرِيقُ، ففَشِل عنه عبدُ الكبيرِ، ومنَع المسلمين مِن القتالِ، وانْصَرَف، فأراد المَهْدىُّ ضَرْبَ عُنقِه، فكُلِّم فيه، فحبَسه فى المُطْبِقِ. وفى يومِ الأرْبعاءِ فى أواخِرِ ذى القَعْدةِ أسَّس المَهْدىُّ قَصْرًا مِن لَبِنٍ بعِيساباذَ، ثم عزَم على الذَّهابِ إلى الحجِّ، فقَلَّ الماءُ، وأصابَه حُمَّى، فرجَع مِن أثناءِ الطَّريقِ، فعطِش الناسُ فى الرَّجْعةِ حتى كاد بعضُهم يَهْلِكُ، فغضِب المَهْدىُّ على يَقْطِينَ صاحبِ المَصانعِ، وبعَث مِن حيثُ رجَع صالحَ[2] بنَ أبى جعفرٍ ليَحُجَّ بالناسِ، فحجَّ بهم عامَئذٍ.

وفيها تُوُفِّىَ [3]**حَمَّادٌ الرَّاوِيَةُ** - فى قولٍ - وكان مِن أعلمِ الناسِ بأيَّامِ الناسِ والشِّعرِ والعربيةِ والأدبِ، وقد كانتْ بنو أميةَ تُعَظِّمُه وتُسْنِى[4] جائِزَتَه، وقد دخَل على المنصورِ والمهدىِّ. و[3] **شَيْبانُ** بنُ عبدِ الرحمنِ النَّحْوىُّ[5].

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٥٠، ١٥١، والمنتظم ٨/ ٢٧٠، ٢٧١، والكامل ٦/ ٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٧.

(٢) فى النسخ: «المهلب بن صالح». والمثبت من المصادر السابقة. وانظر أيضا تاريخ خليفة ٢/ ٦٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٧. وانظر ما سيأتى فى سنة خمس وستين ومائة.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ب، م. وقد جاءت العبارة فى «ص» تامةً عدا: «فى قول». وانظر ذكر وفاة حماد وترجمته فى تاريخ دمشق ١٥/ ١٥٠، والمنتظم ٨/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٨٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٠٦. والراجح أن وفاته سنة خمس وخمسين ومائة.

(٤) أسْنَى له الجائزةَ: رَفَعَها.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٧، ٧/ ٣٢٢، وطبقات خليفة ١/ ٣٩٥، ٢/ ٨٥٠، وتاريخ بغداد =

وعبدُ العزيزِ بنُ أبى سَلَمةَ الماجشونُ[1] ، ومُبارَكُ بنُ فَضالةَ صاحبُ الحسنِ البَصْرىِّ[2] .

= ٩/ ٢٧١، وإنباه الرواة ٢/ ٧٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢٦٥.

(١) وعبد العزيز هو ابن عبد الله بن أبى سلمة كما فى مصادر ترجمته، ولعل المصنف ذكره هنا على المشهور من اسمه. والله أعلم.

انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٣، وطبقات خليفة ٢/ ٦٨٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٦، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٧، والمنتظم ٨/ ٢٧٦، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤١٤.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وستين ومائةٍ

فيها[1] جهَّز المهديُّ ولدَه هارونَ الرشيدَ لغَزْوِ الصائِفَةِ، وأنْفَذَ معه مِن الجُيوشِ خمسةً وتسعين ألفًا وسبعَمائةٍ وثلاثةً وتسعين رجلًا، وكان معه مِن النَّفَقَةِ مائةُ ألفِ دينارٍ، [2]وأرْبعةٌ وتسعون[2] ألفَ دينارٍ، وأربعُمائةٍ وخمسون دينارًا، ومِن الفضةِ أحدٌ وعشرون ألفَ ألفٍ وأربعُمائةِ ألفٍ، وأربعةَ عشَرَ ألفًا وثمانُمائةِ درهمٍ. قاله ابنُ جَريرٍ. فبلَغ[3] بجُنودِه [٨/٨٨و] خليجَ البحرِ الذى على القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وصاحبُ الرومِ يومَئذٍ أُغَسْطَةُ امرأةُ أَلْيونَ، ومعها ابنُها فى حِجْرِها مِن المَلِكِ الذى تُوُفِّىَ عنها، فطلَبَت الصُّلْحَ مِن الرَّشيدِ على أن تَدْفَعَ له سبعين ألفَ دينارٍ فى كلِّ سنةٍ، فقَبِلَ ذلك منها، وذلك بعدَ ما قتَل مِن الرومِ فى الوَقائعِ أربعةً وخمسين ألفًا، وأسَر مِن الذَّرارِىِّ خمسةَ آلافِ رأسٍ وستَّمائةٍ وثلاثةً[4] وأرْبَعين رأسًا، وقتَل مِن الأَسْرَى ألْفَىْ[5] أسيرٍ صَبْرًا، وغَنِم مِن الدَّوابِّ بأَدَواتِها عشرين ألفَ فرسٍ، وذبَح مِن البقرِ والغنمِ مائةَ ألفِ رأسٍ، وبِيعَ البِرْذَوْنُ بدرهمٍ، والبَغْلُ بأقلَّ مِن عشَرةِ دَراهمَ، والدِّرْعُ بأقلَّ مِن درهمٍ، وعشرون سيفًا بدرهمٍ،

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٥٢.

(٢ - ٢) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «وثلاثة وسبعون». وهو ما ورد عند ابن الجوزى فى المنتظم ٨/ ٢٧٧. وابن الأثير فى الكامل ٦/ ٦٦.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ١٥٢، ١٥٣، والمنتظم ٨/ ٢٧٧، ٢٧٨، والكامل ٦/ ٦٦، ٦٧.

(٤) فى م: «أربعة».

(٥) المذكور فى تاريخ الطبرى والكامل أن من قتل من الأسرى ألفان وتسعون، وفى المنتظم ألفان وسبعون.

فقال فى ذلك مَرْوانُ بنُ أبى حَفْصةَ :

أطُفْتَ بقُسْطَنْطِينَةِ الرومِ مُسْنِدًا إليها القَنا حتى اكْتَسَى الذُّلَّ سورُها
وما رُمْتَها حتى أتَتْك مُلوكُها بجِزْيَتِها والحربُ تَغْلِى قُدورُها

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ صالحُ بنُ أبى جعفرٍ المنصورِ .

وفيها تُوُفى سليمانُ بنُ المُغيرةِ[1] ، **وعبدُ اللَّهِ** بنُ العَلاءِ بنِ زَبْرٍ[2] ، **وعبدُ الرحمنِ** بنُ ثابتِ بنِ ثَوْبانَ[3] ، **ووُهَيْبُ**[4] بنُ خالدٍ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٠، وطبقات خليفة ١/ ٥٣٥، وتاريخه ٢/ ٧٠٤، وتهذيب الكمال ١٢/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢٥٠.

(٢) فى س غير منقوطة، وفى م، ص: «دبر». وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٨، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٦٦ طبعة مجمع اللغة العربية، وتهذيب الكمال ١٥/ ٤٠٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢٩٧.

(٣) فى م: «نائب». وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ٤٠/٢٠٤ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، وتهذيب الكمال ١٧/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣١٥.

(٤) فى م، ظ: «وهب». وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٧، وتاريخ خليفة ٢/ ٧٠٤، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٥٠٣.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وستين ومائةٍ

فى المُحَرَّمِ[1] منها قدِم الرَّشيدُ مِن بلادِ الرومِ ، فدخَل بَغْدادَ فى أُبَّهَةٍ عَظيمةٍ ، ومعه الرومُ يَحْمِلون الجِزْيةَ مِن الذهبِ وغيرِه .

وفيها أخَذ المَهْدىُّ البَيْعةَ لولدِه هارونَ مِن بعدِ موسى الهادى ، ولَقَّب هارونَ بالرَّشيدِ .

وفيها سخِط المهدىُّ على يَعْقوبَ بنِ داودَ ، وكان قد حظِى عندَه حتى اسْتَوْزَره ، وارْتَفَعَت مَنْزلتُه فى الوِزارةِ حتى فَوَّض إليه جميعَ أمْرِ الخِلافةِ ، وفى ذلك يقولُ بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ :

بنى أميةَ هُبُّوا طال نَوْمُكُمُ ... إنَّ الخليفةَ يَعْقوبُ بنُ داودِ
ضاعتْ خِلافتُكم يا قومِ فاطَّلِبوا ... خليفةَ اللَّهِ بينَ الدُّفِّ[2] والعُودِ

فلم تَزَلِ السُّعاةُ والوُشاةُ بينَه وبينَ الخليفةِ حتى أخْرَجوه[3] عليه ، وكلما سَعَوْا به إليه ، دخَل عليه فأصْلَح أمْرَه عندَه ، حتى وقَع مِن أمْرِه ما سأَذْكُرُه ؛ وهو أنه دخَل ذاتَ يومٍ على المهدىِّ فى مجلسٍ عظيمٍ قد فُرِشِ بأنْواعِ الفُرُشِ وألْوانِ الحَريرِ ، وحولَ ذلك المكانِ أشجارٌ مُزْهَرةٌ بأنْواعِ الأَزاهِيرِ ، فقال : يا يَعْقوبُ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ١٥٤/٨ - ١٦٣، والمنتظم ٢٨١/٨ - ٢٨٤، والكامل ٦٩/٦ - ٧٤.

(٢) فى الأصل ، ص ، ظ : « الزق » ، وفى ب ، م : « الخمر » .

(٣) فى الأصل ، س : « أحرجوه » بالحاء المهملة . ولعل وجهه : « أخربوه » بالباء الموحدة ، من الخراب ، وهو الفساد ، ويقوى ذلك قوله بعد « فأصلح أمره » .

كيف رأيْتَ مَجْلِسَنا هذا؟ فقال: يا أميرَ [٨/٨٨ظ] المؤمنين، ما رأيْتُ شيئًا أحسنَ منه. فقال: هو لك بما فيه، وهذه الجاريةُ لِيَتِمَّ بها سُرورُك، ولى إليك حاجةٌ أُحِبُّ أن تقْضِيَها لى. قال: وما هى يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: حتى تقولَ: نعم. فقلتُ: (١يَأْمُرُ أميرُ المؤمنين١)، وعلىَّ السمعُ والطاعةُ. فقال: آللَّهِ؟ فقلتُ: آللَّهِ. قال: وحياةِ رأسى. قلتُ: وحياةِ رأسِك. فقال: ضَعْ يدَك على رأسى وقُلْ ذلك. ففعَلْتُ، فقال: إن هـٰهنا رجلًا مِن العَلَوِيِّين أُحِبُّ أن تَكْفِيَنِيه - والظاهرُ أنه الحسنُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ - فقلتُ: نعم. فقال: وعجِّلْ علىَّ. ثم أمَر بتَحْويلِ ما فى ذلك المجْلسِ (٢مِن الفُرُشِ٢) إلى مَنْزِلى، وأمَر لى بمائةِ ألفِ درهمٍ وتلك الجاريةِ، فما فرِحْتُ بشىءٍ فَرَحى بها، فلمَّا صارَتْ إلى منزلى حَجَبْتُها فى جانبِ الدارِ فى الخِدْرِ، فأمَرْتُ بذلك العَلَوىِّ فجىءَ به، فجلَس إلىَّ فتكَلَّم، فما رأيْتُ أعْقَلَ منه ولا أفْهَمَ، ثم قال لى: يا يَعْقوبُ، تَلْقَى اللَّهَ بدمى وأنا رجلٌ مِن ولدِ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟! فقلتُ: لا واللَّهِ، ولكن اذْهَبْ حيث شئتَ. فقال: إنى أَخْتارُ بلادَ كذا وكذا. فقلتُ: اذْهَبْ كيف شئتَ، ولا يَظْهَرَنَّ عليك المَهْدىُّ فتَهْلِكَ وأهْلِكَ. فخرَج مِن عندى وجَهَّزْتُ معه رَجُلَيْن يُسَفِّرانِه ويُوصِّلانِه بعضَ البلادِ، ولم أَشْعُرْ بأن الجاريةَ قد أحاطَت علمًا بما جرَى(٣)، وبَعَثَتْ بخادمِها إلى المهدىِّ فأعْلَمَه بذلك، وقالتْ له: هذا الذى قد آثَرْتَه بى قد فعَل كذا وكذا. فغَضِب المهدىُّ وبَعَثَ إلى تلك الطريقِ، فردُّوا العَلَوىَّ، فحبَسه عندَه فى بيتٍ مِن دارِ

(١ - ١) فى ب، م: «نعم»، وفى س: «مر يا أمير المؤمنين»، وفى ص، ظ: «يا أمير المؤمنين».
(٢ - ٢) سقط من: ب، م.
(٣) بعده فى ب، م: «وأنها كالجاسوس على».

الخِلافةِ ، وأرْسَل إلىَّ فى اليومِ الثانى ، فذهَبْتُ وأنا لا أسْتَشْعِرُ أمْرَ العَلَوىِّ ، فلمَّا دخَلْتُ عليه قال : ما فعَل العَلَوىُّ ؟ قلتُ : مات . قال : آللَّهِ ؟ (١قلتُ : آللَّهِ١) . قال : فضَعْ يدَك على رأسِى ، واحْلِفْ بحَياتِه . ففعَلْتُ ، فقال : يا غُلامُ ، أَخْرِجْ ما فى هذا البيتِ . فخرَج العَلَوىُّ ، فأُسْقِط فى يدى ، فقال المهدىُّ : دَمُك لى حَلالٌ . ثم أمَر به فأُلْقِى فى بئرٍ فى المُطْبِقِ . قال يعقوبُ : فكنتُ فى مكانٍ لا أَسْمَعُ فيه ولا أُبْصِرُ ، فذهَب بصَرى ، وطال شَعْرى حتى صِرْتُ مثلَ البَهائمِ ، ثم مضَت علىَّ مُدَدٌ مُتَطاوِلةٌ ، فبينما أنا ذاتَ يومٍ إذ دُعِيتُ فخرَجْتُ مِن البئرِ التى فى ذلك المُطْبِقِ ، فقيل لى : سَلِّمْ على أميرِ المؤمنين . فسَلَّمْتُ وأنا أَظُنُّه المَهْدىَّ ، فلما ذكَرْتُ المَهْدىَّ فى كلامى ، قال : رَحِم اللَّهُ المَهْدىَّ . فقلتُ : الهادى ؟ فقال : رَحِم اللَّهُ الهادىَ . فقلتُ : الرَّشِيدُ ؟ قال : نعم . فقلتُ : يا [٨/ ٨٩و] أميرَ المؤمنين ، قد رأيْتَ ما حلَّ بى مِن الضَّعْفِ والعِلَّةِ ، فإن رأيْتَ أن تُطْلِقَنى . فقال : أين تُرِيدُ تَذْهَبُ ؟ قلتُ : مكةَ . فقال : اذْهَبْ راشدًا . فسار إلى مكةَ ، فما لبِث بها إلا قليلًا حتى مات ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد كان يعقوبُ هذا يَعِظُ المَهْدىَّ فى تَعاطِيه شُرْبَ النَّبيذِ بينَ يديه ، وكَثْرةِ سَماعِ الغِناءِ ، ويَلومُه على ذلك ويقولُ : ما على هذا اسْتَوْزَرْتَنى ، ولا على هذا صَحِبْتُك ، أبَعْدَ الصَّلواتِ الخمسِ فى المسجدِ الحرامِ يُشْرَبُ (٢عندَك النَّبيذُ ويُسمعُ السماعُ٢) بينَ يديْك ؟ فيقولُ : فقد سَمِع عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ . فقال : إن ذلك لم يَكُنْ مِن حسناتِه ، ولو كان هذا قُرْبةً لَكان كلما داوم عليه العبدُ كان

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « النبيذ » . وفى ب ، م : « الخمر ويغنى » . والمثبت من مصادر التخريج .

أفضلَ له .

وفى ذلك يقولُ بعضُ الشُّعراءِ[1] :

فدَعْ عنك يعقوبَ بنَ داودَ جانبًا وأقْبِلْ على صَهْباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ

وفيها ذهَب المهدىُّ إلى قَصْرِه المُسَمَّى [2]بقصرِ السَّلامِ[2] بعِيساباذَ - بُنِى له بالآجُرِّ بعدَ القصرِ الأولِ الذى كان باللَّبِنِ - فسكَنه وضرَب هناك الدراهمَ والدنانيرَ .

وفيها أمَر المَهْدىُّ بإقامةِ البريدِ بينَ مكةَ والمدينةِ واليمنِ ، ولم يُفْعَلْ هذا قبلَ هذه السنةِ .

وفيها خرَج موسى الهادى إلى جُرْجانَ ، [3]وقد جعَل على القَضاءِ أبا يوسُفَ يعقوبَ بنَ إبراهيمَ صاحبَ أبى حَنيفةَ[3] رحِمهم اللَّهُ .

وفيها حجَّ بالناسِ إبراهيمُ بنُ يَحْيَى بنِ محمدٍ عاملُ الكوفةِ[4] ، ولم يَكُنْ فى هذه السنةِ صائفةٌ ؛ للهُدْنةِ التى كانتْ بينَ الرشيدِ وبينَ الرومِ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « حثا للمهدى على ذلك » .

(٢ - ٢) سقط من : م . وفى تاريخ الطبرى سماه « قصر السلامة » . وانظر تاريخ بغداد ١/ ٩٧، ومعجم البلدان ٣/ ٧٥٢.

(٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « كان » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٥٠.

(٣ - ٣) فى ب : « وفيها ولى المهدى القضاء أبا يوسف صاحب أبى حنيفة » ، وفى م : « وفيها ولى القضاء أبا يوسف صاحب أبى حنيفة » .

(٤) كذا قال المصنف ، والصواب أن إبراهيم بن يحيى استعمله المهدى فى هذه السنة - أعنى سنة ست وستين ومائة - على المدينة بعد عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة ، وقد كان العامل على الكوفة هاشم بن سعيد . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٥٤، ١٦٣، ١٦٥، والمنتظم ٨/ ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٨، والكامل ٦/ ٧٣، ٧٤، ٧٦. وانظر كذلك ما سيأتى فى صفحة ٥٣٣ .

وفيها تُوُفِّيَ صَدَقَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ السَّمِينُ[1] ، وأبو الأَشْهَبِ العُطارِدِيُّ[2] ، وأبو بكرٍ النَّهْشَلِيُّ[3] ، وعُفَيْرُ بنُ مَعْدانَ[4] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٢٤ ، وتهذيب الكمال ١٣٣/١٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣١٤/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢٧٥ ، والعبر ٢٤٧/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٧٤/٧ ، وطبقات خليفة ٥٣٦/٢ ، وتاريخه ٦٨٦/٢ ، وتهذيب الكمال ٥/ ٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢٨٦/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٥٣١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٨/٦ ، وتهذيب الكمال ١٥٦/٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٣/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٥٤٠ .

(٤) التاريخ الكبير ٨١/٧ ، وتهذيب الكمال ١٧٦/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٦٠ .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وستين ومائةٍ

فيها[1] وجَّه المَهْدىُّ ابنَه موسى الهادىَ إلى جُرْجانَ فى جيشٍ كثيفٍ لم يُرَ مثلُه، وجعَل على رَسائلِه أبانَ بنَ صَدَقَةَ.

وفيها تُوُفِّىَ عيسى بنُ موسى[2] الذى كان وليَّ العَهْدِ مِن بعدِ المَهْدىِّ فخُلِع، وكانت وفاتُه بالكوفةِ، فأشْهَد نائبُها رَوْحُ بنُ حاتمٍ على وَفاتِه القاضىَ وجَماعةً مِن الأعْيانِ، ثم دُفِن، وكان قد امْتَنَع مِن الصلاةِ عليه [3]فبلَغ ذلك المهدىَّ[3]، فكتَب إليه يُعَنِّفُه أشَدَّ التَّعْنيفِ، وأمَر بمُحاسبتِه على عملِه.

وفيها عزَل المهدىُّ أبا عُبَيدِ اللَّهِ مُعاويةَ بنَ [4]عُبَيدِ اللَّهِ[4] عن دِيوانِ الرسائلِ، وولَّاه الربيعَ بنَ يُونُسَ الحاجبَ، فاسْتَخْلَف فيه سعيدَ بنَ واقِدٍ، وكان أبو عُبَيدِ اللَّهِ يَدْخُلُ على مَرْتبتِه.

وفيها وقَع وَباءٌ شَديدٌ وسُعالٌ كثيرٌ ببَغْدادَ والبَصْرةِ، [٨/ ٨٩ظ] وأظْلَمَت الدنيا فكانتْ كالليلِ حتى تعالى النَّهارُ، وكان ذلك لليالٍ بَقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ.

وفيها تَتَبَّع المَهْدىُّ جَماعةً مِن الزَّنادقةِ فى سائرِ الآفاقِ، فاسْتَحْضَرهم وقتَلهم

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٦٤، ١٦٥، والمنتظم ٨/٢٨٧ - ٢٩٢، والكامل ٦/٧٥ - ٧٧.

(٢) المنتظم ٨/ ٢٩١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٨٨، ٤٠١، ٤٦٨، ٤٦٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٨٤.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) فى النسخ: «عبد الله». والمثبت من تاريخ الطبرى والمنتظم والكامل. وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٨.

صَبْرًا بينَ يديْه ، وكان المُتَوَلِّىَ أمْرَ الزَّنادقةِ عمرُ الكَلْواذىُّ[1] .

وفيها أمَر المهدىُّ بزيادةٍ كبيرةٍ فى المسجدِ الحَرامِ ، فدخَل فى ذلك دُورٌ كثيرةٌ ، ووَلَّى ذلك يَقْطِينَ بنَ موسى المُوَكَّلَ بأمْرِ الحَرَمَيْن ومصالِحِهما ، فلم يَزَلْ فى عِمارةِ ذلك حتى مات المهدىُّ كما سيأتى ، ولم يَكُنْ للناسِ صائفةٌ ؛ للهُدْنةِ .

وحجَّ بالناسِ نائبُ المدينةِ إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، وتُوُفِّىَ بعدَ فَراغِه مِن الحجِّ بأيامٍ ، ووُلِّى مكانَه إسْحاقُ بنُ عيسى بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ .

وممن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيـانِ : بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ ، أبو مُعاذٍ الشاعرُ مولى عُقَيْلٍ[2] ، وُلِد أعْمَى ، وقال الشِّعرَ وهو دونَ عشْرِ سنين ، وله التَّشْبِيهاتُ التى لم يَهْتَدِ إليها البُصَراءُ ، وقد أثْنَى عليه الأصْمَعىُّ والجاحِظُ وأبو تَمَّامٍ ، وأبو عُبَيدةَ وقال[3] : له ثلاثةَ عشَرَ ألفَ بيتٍ مِن الشعرِ جَيِّدٍ[4] . فلما بلَغ المهدىَّ أنه هَجاه ، وشهِد عليه قومٌ أنه زِنْديقٌ ، أمَر به فضُرِب حتى مات عن بِضْعٍ وتسعين[5] سنةً . وقد ذَكَره ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ »[6] ، فقال : بَشَّارُ بنُ بُرْدِ بنِ يَرْجُوخِ العُقَيْلىُّ

---

(١) فى الأصل : « بن الكودانى » ، وفى ب : « الكودانى » ، وفى س : « بن الكلودانى » ، وفى ص : « بن الكلوذانى » ، وفى ظ : « الكوداتى » . وفى الكامل : « الكلوذانى » . وانظر الأنساب ٥/ ٨٩، ٩٠، ومعجم البلدان ٤/ ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) الأغانى ٣/ ١٣٥، وتاريخ بغداد ٧/ ١١٢، والمنتظم ٨/ ٢٨٩، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٨٧.

(٣) انظر المنتظم ٨/ ٢٨٩.

(٤) سقط من : ب ، م .

(٥) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « سبعين » . ولم يُذكر هذا إلا فى الأغانى ٣/ ٢٤٩، وقال فى حاشيته : كذا فى أكثر الأصول ، وفى حـ : « تسعين » .

وقد وافق ما أثبتناه : تاريخ بغداد ٧/ ١١٨، والمنتظم ٨/ ٢٩٠، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٩٢.

(٦) وفيات الأعيان ١/ ٢٧١ - ٢٧٣.

مَوْلاهم ، وقد نسَبه صاحبُ الأغانى فأطال نَسَبَه[1] ، وهو بَصْرىٌّ ، قدِم بَغْدادَ ، وأصْلُه مِن طَخارِسْتانَ ، وكان ضَخْمًا عظيمَ الخَلْقِ ، وشِعْرُه فى أولِ طبقاتِ المُوَلَّدِين[2] ، ومِن شعرِه البيتُ المشهورُ[3] :

هل تَعْلَمِين وراءَ الحُبِّ منزلةً ... تُدْنِى إليكِ فإن الحبَّ أقْصانى

وقولُه[4] :

أنا واللَّهِ أَشْتَهِى سِحْرَ عَيْنَيْـ ... ـكِ وأَخْشَى مَصارِعَ العُشَّاقِ

وله أيضًا[5] :

يا قومِ أُذْنى لبعضِ الحَىِّ عاشِقةٌ ... والأُذْنُ تَعْشَقُ قبلَ العينِ أحْيانَا

قالوا[6] بمَنْ لا تَرَى تَهْذى فقلتُ[6] لهم ... الأُذْنُ[7] كالعينِ تُولى القلبَ ما كانا[7]

وله أيضًا[8] :

[9]إذا بلَغ الرأىُ المَشُورَةَ فاسْتَعِنْ ... بحَزْمِ نَصيحٍ أو نَصيحَةِ[10] حازِمِ

ولا تَجْعَلِ الشُّورَى عليك غَضاضةً ... فرِيشُ الخوافى تابِعٌ للقَوادِمِ[9]

---

(١) هذا من كلام صاحب الوفيات ، وانظر نسبه فى الأغانى ٣/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) فى الوفيات : « المحدثين » .

(٣) ديوان بشار ٤/٢١٥ .

(٤) المصدر السابق ٤/١١٧ .

(٥) المصدر السابق ٤/٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٦ - ٦) فى الأصل : « فمن لا يرى كيرى فقلت » ، وفى ب : « لمن لا ترى عينيك قلت » ، وفى م : « لم لا ترى عينيك قلت » ، وفى ص : « بمن لا يرى نهدى فقلت » ، وفى ظ : « فمن لا يرى يهدى فقلت » .

(٧ - ٧) فى الأصل : « كالقلب يولى القلب ما كانا » ، وفى ب : « كالعين تردى القلب ما كانا » ، وفى م : « كالعين تروى القلب مكانا » ، وفى ص : « كالعين تروى القلب ما كانا » .

(٨) ديوان بشار ٤/١٧٢ ، ١٧٣ .

(٩ - ٩) سقط من : س ، ظ .

(١٠) فى ب ، س ، ظ : « نصاحة » . والمثبت موافق لما فى الديوان .

(١ وما خيرُ كَفٍّ أمْسَكَ الغُلُّ أُخْتَها وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ ١)

[٨/ ٩٠و] كان(٢) بَشَّارٌ يَمْدَحُ المَهْدىَّ حتى وشَى إليه الوزيرُ أنه هجاه وقذَفه، ونُسِبَ(٣) إلى شيءٍ مِن الزَّنْدقةِ، وأنه يقولُ بتَفْضيلِ النارِ على التُّرابِ، وعُذْرِ إبْليسَ فى تَرْكِ(٤) السُّجودِ لآدمَ، وأنه أنْشَد:

الأرضُ مُظْلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ والنارُ مَعْبودةٌ مُذْ كانتِ النارُ

فأمَر المهدىُّ بضَرْبِه، فضُرِب حتى مات. ويقالُ: إنه غُرِّق(٥)، ثم نُقِل إلى البَصْرةِ فى هذه السنةِ.

وفيها تُوُفِّى الحسنُ بنُ صالحِ بنِ حُيَىٍّ(٦)، **وحَمَّادُ** بنُ سَلَمةَ(٧)، **والربيعُ** ابنُ مسلمٍ(٨)، **وسعيدُ** بنُ عبدِ العزيزِ(٩)، (١٠**وعبدُ العزيزِ**١٠) بنُ مسلمٍ، **وعُتْبةُ**

(١ - ١) سقط من: س، ظ.

(٢) انظر وفيات الأعيان ١/٢٧٣.

(٣) فى الأصل، ب، م: «نسبه».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى س: «غرقه». والمذكور فى الأغانى ٣/٢٤٨ أنه لمّا مات بشار أُلقيت جثته بالبطيحة فى موضع يُعرف بالخَرّارة، فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة، فأُخذ فأُتى به أهله فدفنوه.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٥، وطبقات خليفة ١/ ٣٩٥، ووفيات سنة ١٦٩، والمنتظم ٨/٣١٣ وفيات سنة ١٦٩، وحلية الأولياء ٧/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٣١.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢، وطبقات خليفة ١/ ٥٣٧، وتاريخه ٢/ ٦٩١، والمنتظم ٨/ ٢٩٥، وحلية الأولياء ٦/ ٢٤٩، وتهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٤٤.

(٨) التاريخ الكبير ١/ ٢٧٥، وتهذيب الكمال ٩/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٨٥.

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦٨، وطبقات خليفة ٢/ ٨٠٩، وتاريخه ٢/ ٦٩١، وتاريخ بغداد ١١/ ٧٢، وتهذيب الكمال ١٠/ ٥٣٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٢١٥.

(١٠ - ١٠) سقط من: م. وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٣، وطبقات خليفة ٢/ ٥٣٩،=

الغُلامُ[1] ؛ وهو عُتبةُ بنُ أبانِ بنِ صَمْعَةَ ، أحدُ العُبَّادِ المَشْهورين ، والبَكَّائين المَذْكورِين ، كان يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يدِه فى الخُوصِ ، ويَصومُ الدَّهْرَ ويُفْطِرُ على الخبزِ والمِلْحِ . [2] **والقاسمُ الحُدَّانىُّ**[3] ، **وأبو هِلالٍ محمدُ** بنُ سُلَيْمٍ[4] ، **ومحمدُ** بنُ طَلْحةَ[5] ، **وأبو حَمْزةَ السُّكَّرىُّ**[6] محمدُ بنُ مَيْمونٍ[2] .

= وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٠٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٢٨.

(١) المنتظم ٨/ ٢٩٢، وحلية الأولياء ٦/ ٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٤٧.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى م: «الحذاء»، وفى ظ: «الحرانى». وهو القاسم بن الفضل أبو المغيرة الأزدى الحُدَّانى البصرى، كان ينزل فى بنى حُدّان فعُرِف بهم. انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٣، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٤١٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٠٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٨، والتاريخ الكبير ١/ ١٠٥، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٢٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٦، وطبقات خليفة ١/ ٣٩٤، وتاريخه ٢/ ٦٩١، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤١٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠هـ) ص ٤٢٩.

(٦) فى م: «اليشكرى». انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧١، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٥٤٤.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وستين ومائةٍ

فيها، فى رمضانَ منها[1]، نقَضَت الرومُ ما كان بينَهم وبينَ المسلمين مِن الصُّلْحِ الذى عقَده لهم هارونُ الرَّشيدُ عن أمْرِ أبيه المَهْدىِّ، ولم يَسْتَمِرُّوا على الصُّلْحِ إلا ثنتَيْن وثلاثين شهرًا، فبعَث نائبُ الجَزيرةِ خيلًا إلى الرومِ، فقتَلوا وأسَروا وغنِموا وسلِموا.

وفيها اتَّخَذ المهدىُّ دَواوِينَ الأَزِمَّةِ، ولم يَكُنْ بنو أميةَ يَعْرِفون ذلك. وفيها حجَّ بالناسِ علىُّ بنُ محمدٍ المهدىُّ الذى يقالُ له: ابنُ رَيْطةَ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ: الحسنُ بنُ زيدِ بنِ حسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ[2]، ولَّاه المنصورُ المدينةَ خمسَ سنين، ثم غضِب عليه، فعَزَلَه[3] وحبَسه، وأخَذ جميعَ مالِه. [4]**وحَمَّادُ عَجْرَدٍ**[5]، كان ظَريفًا ماجِنًا شاعرًا، وكان مِمَّن يُعاشِرُ الوليدَ بنَ يزيدَ، ويُهاجِى بَشَّارَ بنَ بُرْدٍ، وقدِم على المهدىِّ، ونزَل الكوفةَ، واتُّهِم بالزَّنْدقةِ[4].

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ١٦٧، والمنتظم ٨/٢٩٣ - ٣٠٣، والكامل ٦/٧٨ - ٨٠.

(٢) طبقات خليفة ٢/ ٦٨١، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٠٩، والمنتظم ٨/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٢٩.

(٣) فى م: «فضربه».

(٤ - ٤) زيادة من: س، م، ص، ظ.

(٥) تقدمت ترجمته فى وفيات سنة ١٥٥هـ صفحة ٤٣٨، ٤٣٩، تبعا لشيخه الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٨٣، وأورد المصنف وفاته هنا تبعا لابن الجوزى فى المنتظم ٨/ ٢٩٦. فالله أعلم.

(١) قال ابنُ قُتَيْبةَ فى «طَبقاتِ الشُّعَراءِ»(٢) : ثلاثةٌ حَمَّادون بالكوفةِ يُرْمَوْن بالزَّنْدَقةِ ؛ حَمَّادٌ الرَّاويةُ ، وحَمَّادُ عَجْرَدٍ ، وحَمَّادُ بنُ الزِّبْرِقانِ النَّحْوىُّ ، وكانوا يَتَعاشَرون ويَتماجَنون(١) .

وخارجةُ بنُ مُصْعَبٍ(٣) ، (٤)**وعُبَيدُ اللَّهِ**(٤) بنُ الحسنِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ أبى الحُرِّ(٥) العنْبَرىُّ(٦) ، قاضى البَصْرةِ بعدَ سَوَّارٍ ، سمِع خالدًا الحَذَّاءَ ، وداودَ بنَ أبى هندٍ ، وسعيدًا الجُرَيْرِىَّ ، وروَى عنه ابنُ مَهْدىٍّ . وكان ثِقةً فَقيهًا ، له اخْتِياراتٌ تُعْزَى إليه غَريبةٌ فى الأُصولِ والفُروعِ ، وقد سُئِل مرةً عن مسألةٍ ، فأخْطَأ فى الجوابِ ، فقال له قائلٌ : الحكمُ فيها كذا وكذا . فأطْرَق ساعةً ، ثم قال : إذًا أَرْجِعُ ، وأنا صاغِرٌ ، لَأَن أَكُونَ ذَنَبًا فى الحَقِّ أَحَبُّ إلىَّ مِن أن أَكُونَ رأسًا فى الباطلِ . تُوُفِّىَ فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، وقيل(٧) : بعدَ ذلك بعشْرِ سنين . فاللَّهُ أعلمُ .

غَوْثُ بنُ سليمانَ بنِ زيادِ بنِ رَبيعةَ (٨)**بنِ نُعيمٍ**(٨) **أبو يحيى الحَضْرَمىُّ**(٩) ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ب .

(٢) الشعر والشعراء ٢/ ٧٧٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧١، وتاريخ دمشق ١٥/ ٣٩٩، وتهذيب الكمال ٨/ ١٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٥٧.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : «عبد الله» . وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٥، وتاريخ خليفة ٢/ ٦٩٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٦، والمنتظم ٨/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ١٩/ ٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٤٤.

(٥) فى النسخ : «الحسن» . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٦) فى الأصل ، ب ، م : «البصرى» .

(٧) انظر المنتظم ٨/ ٢٩٩.

(٨ - ٨) سقط من : ب ، م .

(٩) فى ب ، م : «الجرمى» ، وفى ص : «المصرى» . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٧، وطبقات خليفة ٢/ ٧٦٤، والمنتظم ٨/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٨٨.

قاضى مِصْرَ، كان مِن خِيارِ الحُكَّامِ، ولِيَ الدِّيارَ المِصْرية ثلاثَ مراتٍ فى أيامِ المنصورِ والمَهْدىِّ. (١ **وفُلَيْحُ** بنُ سليمانَ[٢]، **وقيسُ** بنُ [٨/ ٩٠ظ] الربيعِ[٣]، فى قولٍ.

ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُلاثةَ بنِ عَلْقمةَ بنِ مالكٍ أبو اليَسيرِ[٤] العُقَيْلىُّ، قاضى الجانبِ الشَّرْقىِّ مِن بَغْدادَ للمهدىِّ، هو وعافيةُ بنُ يَزيدَ. وكان يُقالُ لابنِ عُلاثةَ: قاضى الجِنِّ. لأنه كانتْ بئرٌ يُصابُ مَن أخَذ منها شيئًا فقال: أيُّها الجِنُّ، إنّا حكَمْنا أنَّ لكم الليلَ ولنا النهارَ. فكان مَن أخَذ منها شيئًا فى النهارِ لم يُصِبْه شىءٌ. قال ابنُ مَعينٍ[٥]: كان ثقةً. وقال البخارىُّ[٦]: فى حِفْظِه شىءٌ١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤١٥، وطبقات خليفة ٢/ ٦٩٠، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٩٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٧، وتاريخ خليفة ٢/ ٦٩٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٥٦، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٠٣. وانظر التاريخ الكبير ٧/ ١٥٦، والمجروحين لابن حبان ٢/ ٢١٧.

(٤) فى الأصل، ب، س، م، ظ: «اليسر». والمثبت من المنتظم، وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٣، ٤٨٣، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٨٨، والمنتظم ٨/ ٣٠١، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥٢٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣١.

(٥) تاريخ يحيى بن معين ٢/ ٥٢٤.

(٦) التاريخ الكبير ١/ ١٣٣. وعبارته هناك: فى حفظه نظر.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وستين ومائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] تُوُفى أميرُ المؤمنين المهدىُّ بنُ المَنْصورِ العباسىُّ - رَحِمه اللَّهُ - بمكانٍ يُقالُ له : ما سَبَذانُ . بالحُمَّى[2] ، وقيل : مَسْمومًا[3] . وقيل : بِعَضَّةِ فَرَسٍ ، فمات . كما سيأتى بيانُه . وهذه تَرْجَمتُه :

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ الهاشمِىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المَهْدىُّ[4] ، أميرُ المؤمنين ، وإنما لُقِّب بالمَهْدىِّ طمعًا أن يَكونَ هو المَوْعودَ به فى الأحاديثِ ، فلم يَكُنْ به ، وإن اشْتَرَكا فى الاسْمِ ؛ لأنه لم يُشْبِهْه فى الفعلِ ، ذاك يَأْتى فى آخِرِ الزَّمانِ وعندَ فسادِه ، فيَمْلأُ الأرضَ عَدْلًا كما مُلِئَت جَوْرًا وظلمًا . وقد قيل : إن فى أيامِه يَنْزِلُ عيسى ابنُ مَرْيَمَ بدِمشقَ . كما سيأْتى ذِكْرُ ذلك فى أحاديثِ الفِتَنِ والمَلاحِمِ وذكرِ المهدىِّ ونزولِ عيسى ابنِ مريمَ إن شاءَ اللَّهُ وبه الثقةُ . وقد جاء فى حديثٍ مِن طَريقِ عثمانَ بنِ عَفَّانَ أن المَهْدىَّ مِن بنى العباسِ[5] ، وقد جاء مَوْقوفًا على ابنِ عباسٍ وكَعْبِ الأحْبارِ[6] ، ولا يَصِحُّ

---

(١) تاريخ خليفة ٢/ ٦٩٣، وتاريخ الطبرى ٨/ ١٦٨، ١٧١، والكامل ٦/ ٨١، ٨٢.

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٥/ ٥٤١ مخطوط.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٦٩، والمنتظم ٨/ ٣١٦، والكامل ٦/ ٨٢.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٣٩١، وتاريخ دمشق ١٥/ ٥٢٣ مخطوط، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣٣.

(٥) أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١٤٣١) بسنده عن عثمان بن عفان.

(٦) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٠٨٦ - ١٠٨٨، ١١٠٥) بسنده عن ابن عباس وكعب الأحبار.

ذلك ، وبتَقْديرِ صحةِ شيءٍ من ذلك لا يَلْزَمُ أن يَكونَ هذا على التَّعْيينِ ، وقد ورَد فى حديثٍ آخَرَ : « المَهْدىُّ مِن ولدِ فاطمةَ[1] » . فهو يُعارِضُ هذا . واللَّهُ أعلمُ . وأمُّه أمُّ موسى بنتُ مَنْصورِ بنِ عبدِ اللَّهِ الحِمْيَرىِّ .

روَى عن أبيه ، عن جَدِّه [2]عن أبيه[2] عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جهَر بـ ﴿ بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴾ . رواه عنه يَحْيَى بنُ حَمْزةَ البَتْلَهِىُّ[3] قاضى دمشقَ ، وذكَر أنه صلَّى خلفَ المَهْدىِّ حينَ قدِم دمشقَ ، فجهَر فى السورتَيْن بالبَسْملةِ ، وأسْنَد ذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ[4] ، ورواه غيرُ واحدٍ[5] عن يَحْيَى بنِ حَمْزةَ . وروَى المهدىُّ عن المُبارَكِ بنِ فَضالةَ . ورَوَى عنه أيضًا جعفرُ بنُ سُليمانَ الضُّبَعىُّ ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىُّ ، وأبو سفيانَ سعيدُ بنُ يَحْيَى بنِ مَهْدىٍّ .

وكان مَوْلِدُ المَهْدىِّ فى سنةِ ستٍّ أو سبعٍ - وقيل[6] : سنةِ إحدى - وعشرين ومائةٍ ، بالحُمَيمةِ من أرضِ البلقاءِ ، واستُخْلف بعدَ موتِ [٨/ ٩١و] أبيه فى ذى الحِجَّةِ سنةَ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ ، وعمرُه إذ ذاك ثلاثٌ وثلاثون سنةً ، وتُوُفِّى فى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، عن ثلاثٍ أو ثمانٍ وأرْبَعين سنةً ، وكانتْ خِلافتُه عشْرَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٤٠٨٦) بسنده عن أم سلمة عن النبى ﷺ . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٠١) . كما أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٠٨٢، ١١١٤) مرسلًا بسنده عن سعيد بن المسيب والزهرى ، وموقوفًا على علىٍّ (١١١٧) .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى الأصل : « البتهلى » . وفى ب ، م : « النهشلى » . وفى ص : « البتلى » . وفى ظ : « التهلى » . وانظر تهذيب التهذيب ١١/ ٢٠٠.

(٤) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣٥.

(٥) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣٥.

(٦) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٩٨.

سنين وشهرًا وبعضَ شهرٍ ، وكان أسْمَر طَويلًا ، جَعْدَ الشَّعرِ ، على إحْدى عينيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ ، فقيل[1] : عَيْنُه اليُمْنَى . وقيل[1] : اليُسْرى .

قال الربيعُ الحاجبُ[2] : رأيْتُ المَهْدىَّ يُصَلِّى فى ليلةٍ مُقْمِرةٍ فى بَهْوٍ له ، عليه ثيابٌ حِسانٌ ، فما أدْرى أهو أحْسَنُ أم القمرُ ، أم بَهْوُه ، أم ثِيابُه . فقرأ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] . ثم أمَرنى فأحْضَرْتُ رجلًا مِن قرابتِه كان مَسْجونًا ، فأطْلَقه .

ولما جاءه خبرُ موتِ أبيه بمكةَ [3]وهو ببغدادَ مع منارَةَ البَرْبَرىِّ[4] مَوْلاه ، فى السادسَ عشرَ مِن ذى الحجةِ مِن سنةِ ثمانٍ وخمسين ومائةٍ ، وكان وَلِىَّ العهدِ مِن بعدِ أبيه[3] ، كتَم الأمْرَ يومَيْن ، ثم نُودِى فى الناسِ يومَ الخميسِ : الصَّلاةَ جامعةً . فقام فيهم خَطيبًا ، فأعْلَمهم بموتِ أبيه ، فقال : إن أميرَ المؤمنين دُعِى فأجاب ، وقد قُلِّدْتُ بعده جَسيمًا ، فعندَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ أميرَ المؤمنين ، وأسْتَعِينُه على خِلافةِ المسلمين . وبايَعه الناسُ بالخِلافةِ يومَئذٍ ، وقد عَزَّاه أبو دُلامةَ وهنَّأه فى قصيدتِه التى يَقولُ فيها[5] :

عيناىَ واحدةٌ تُرَى مسرورةً ... بأميرِها جَذْلَى وأُخْرى تَذْرِفُ
تَبْكِى وتَضْحَكُ تارةً ويَسوءُها ... ما أنْكَرَت ويَسُرُّها ما تَعْرِفُ
فيَسوءُها موتُ الخَليفةِ مُحْرِمًا ... ويَسُرُّها أن قام هذا الأَزْأَفُ

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٩٢، وتاريخ الطبرى ٨/ ١٧١.
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ١٧٧.
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٩١، ٣٩٢.
(٥) انظر طبقات الشعراء ص ٦٠.

ما إن رأيْتُ كما رأيْتُ ولا أَرَى شَعَرًا أُرَجِّلُه وآخَرَ يُنْتَفُ
هلَكَ الخليفةُ يالَ أُمَّةِ أحمدٍ وأَتاكمُ مِن بعدِه مَن يَخْلُفُ
أهْدَى لهذا اللَّهُ فَضْلَ خِلافةٍ ولذاك جَنَّاتُ النَّعيمِ تُزَخْرفُ

وقد قال المَهْدىُّ يومًا فى خطبتِه[1] : أيُّها الناسُ ، أَسِرُّوا مثلَما تُعْلِنون مِن طاعتِنا تَهْنِكم العافيةُ ، وتَحْمَدوا العاقبةَ ، واخْفِضوا جَناحَ الطاعةِ لمن نَشَر مَعْدِلتَه فيكم ، وطَوَى ثوبَ الإصْرِ عنكم ، وأهال عليكم السَّلامةَ ولِينَ المَعيشةِ مِن حيث أراه اللَّهُ ، مُقَدِّمًا ذلك فِعْلَ مَن تقَدَّمه ، واللَّهِ لأُفْنِيَنَّ عمرى بين عُقوبتِكم والإحْسانِ إليكم . قال : فأشْرَقَت وُجوهُ الناسِ مِن حُسْنِ كلامِه .

ثم اسْتَخْرَجَ[2] المهدىُّ حَواصلَ أبيه مِن الذَّهَبِ والفضةِ التى [٨/ ٩١ظ] لا تُحَدُّ ولا تُوصَفُ كَثْرةً ، ففرَّقها فى الناسِ ، ولم يُعْطِ أهلَه ومَوالِيَه شيئًا منها ، بل أجْرَى لهم أرْزاقًا بحسَبِ كِفايتِهم مِن بيتِ المالِ ، لكلِّ واحدٍ خمسُمائةٍ فى الشهرِ غيرَ الأَعْطِياتِ ، وقد كان أبوه المنصورُ حَرِيصًا على تَوْفيرِ بيتِ المالِ ، وإنما كان يُنْفِقُ فى السنةِ أَلْفَىْ درهمٍ مِن مالِ الشَّراةِ ، وأمَر المَهْدىُّ ببناءِ مسجدِ الرُّصافةِ وعملِ خَنْدقٍ وسُورٍ حولَها ، وبنَى مُدُنًا قد ذكرْناها فيما تقَدَّم .

وقد ذُكِر له عن شَريكِ بنِ عبدِ اللَّهِ القاضى أنه لا يَرَى الصَّلاةَ خلفَه ، فأحْضَرَه إليه فتَكَلَّم معه ، ثم قال له المَهْدىُّ فى كلامٍ : يا بنَ الزانيةِ . فقال : مَهْ مَهْ يا أميرَ المؤمنين ، فلقد كانتْ صَوَّامةً قَوَّامةً . فقال له : يا زِنْديقُ لأَقْتُلَنَّك . فضحِك

---

(١) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣٨.
(٢) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٩٢، ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٣٨.

شَريكٌ ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن للزَّنادِقةِ عَلاماتٍ يُعْرَفون بها ؛ شُرْبَهم القَهَواتِ ، واتِّخاذَهم القَيْناتِ . فأطْرَق المَهْدىُّ ، وخرَج شَريكٌ مِن بينِ يديه .

وذكَروا[1] أنه هاجَت ريحٌ شديدةٌ فى زمنِ المهدىِّ فدخَل المهدىُّ بيتًا فى دارِه ، فألْزَق خَدَّه بالترابِ ، وقال : اللهم إن كنتُ أنا المطلوبَ بهذه الجنايةِ دونَ الناسِ فها أنا ذا بينَ يديك ، اللهمَّ لا تُشْمِتْ بىَ الأعْداءَ مِن أهلِ الأدْيانِ . فلم يَزَلْ كذلك حتى انْجَلَت .

ودخَل عليه رجلٌ يومًا[2] ومعه نَعْلٌ ، فقال : هذه نَعْلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد أهْدَيْتُها لك . فقال : هاتِها . فناوَله إياها ، فقبَّلها ووضَعها على عيْنَيْه ، وأمَر له بعشَرةِ آلافِ درهمٍ . فلما انْصَرف الرجلُ قال المَهْدىُّ : واللَّهِ إنى لأَعْلَمُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يَرَ هذه النَّعْلَ ، فَضْلًا عن أن يَلْبَسها ، ولكن لو ردَدْتُه لَذَهَب يَقولُ للناسِ : أعْطَيْتُه نَعْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فردَّها علىَّ . فيُصَدِّقُه أكثرُ الناسِ ؛ لأن العامَّةَ تَميلُ إلى أمْثالِها ، ومِن شأْنِهم نَصْرُ الضَّعيفِ على القوىِّ وإن كان ظالمًا ، فاشْتَرَيْنا لسانَه بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، ورأَيْنا هذا أرْجَحَ وأنْجَحَ .

واشْتَهَر عنه أنه كان يُحِبُّ الحَمامَ والسِّباقَ بينَها[3] ، فدخَل عليه جَماعةٌ مِن المحَدِّثين ، فيهم غِياثُ[4] بنُ إبْراهيمَ ، فحدَّثه بحَديثِ أبى هُريرةَ : « لا سَبَقَ[5] إلا فى خُفٍّ أو نصلٍ[6] أو حافرٍ »[7] . وزاد فى الحديثِ : « أو جَناحٍ » . فأمَر له بعشَرةِ

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٤٠٠، وتاريخ الطبرى ٨/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٢.

(٢) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٩٤.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٥٢٣/١٥ مخطوط.

(٤) هنا وفيما يأتى ؛ فى الأصل ، ب ، م : « عتاب » . وانظر لسان الميزان ٤/ ٤٢٢.

(٥) السبق : ما يُجعَل من المال رَهْنًا على المسابقة . النهاية ٣٣٨/٢ .

(٦) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « نعل » .

(٧) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢/ ٢٥٦، وأبو داود (٢٥٧٤) ، والترمذى (١٧٠٠) ، والنسائى =

آلافٍ . ولما خرَج قال : واللَّهِ إنى لَأَرى قَفاك قفا كذابٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثم أمَر بالحَمامِ فذُبِحَ ، ولم يَذْكُرْ غِياثًا بعدَها .

وقال الواقدىُّ[1] : دخَلْتُ يومًا على المهدىِّ ، فحدَّثْتُه بأحاديثَ ، فكتَبها عنى ، [٨/ ٩٢و] ثم قام فدخَل بُيوتَ نسائِه ، ثم خرَج وهو مُمْتَلِئٌ غَيْظًا ، فقلتُ : مالك يا أميرَ المؤمنين ؟ [2]فقال : دخَلْتُ على الخَيْزُرانِ ، فقامتْ إلىَّ ، ومزَّقَتْ ثَوْبى ، وقالتْ : ما رأيْتُ منك خيرًا . وإنى واللَّهِ يا واقدىُّ إنما اشْتَرَيْتُها مِن نَخَّاسٍ ، وقد نالَتْ عندى ما نالَت ، وقد بايَعْتُ لولديها بإمْرةِ المؤمنين مِن بعدى . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين[2] ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنهن يَغْلِبْنَ الكِرامَ ويَغْلِبُهن اللِّئامُ » . وقال : « خيرُكم خيرُكم لأهْلِه ، وأنا خيرُكم لأهلى[3] » . وقال[4] : « خُلِقَت المرأةُ مِن ضِلَعٍ أعْوجَ ، إن قَوَّمْتَه كسَرْتَه »[5] . وحدَّثْتُه فى هذا البابِ بكلِّ ما حضَرنى ، فأمَر لى بألْفَىْ دِينارٍ ، فلمَّا وافَيْتُ المَنْزلَ إذا رسولُ الخَيْزُرانِ قد لحِقنى بألفَىْ دينارٍ إلا عشَرةَ دَنانيرَ ، وإذا معه أثْوابٌ أُخَرُ ، وبعَثَت تَتَشَكَّرُ لى وتُثْنى علىَّ مَعْروفًا .

وذَكروا[6] أن المَهْدىَّ كان قد أهْدَر دمَ رجلٍ مِن أهلِ الكُوفةِ ، وجعَل لمن جاء

= (٣٥٨٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٢٤٤) .

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣١، وتاريخ دمشق ١٥/٥٢٣ مخطوط .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى النسخ : « لأهله » . والمثبت من مصدرى التخريج . والحديث أخرجه ابن ماجه فى سننه (١٩٧٧) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٦٠٨) .

(٤) فى الأصل ، ب ، م : « قد » .

(٥) أخرجه البخارى (٣٣٣١، ٥١٨٦) ، ومسلم (١٤٦٨/٦٠) .

(٦) انظر تاريخ دمشق ١٥/٥٢٣، ٥٢٤ مخطوط .

به مائةَ ألفٍ ، فدخَل الرجلُ بَغْدادَ مُتَنَكِّرًا ، فبينما هو يومًا فى بعضِ أَزِقَّةِ بَغْدادَ إذ لَقِيَه رجلٌ ، فأخَذ بمَجامِعِ ثوبِه ونادَى : هذا طَلِبَةُ أميرِ المؤمنين . وجعَل الرجلُ يُرِيدُ أن يَنْفَلِتَ منه فلا يَقْدِرُ ، فبينا هما كذلك إذا أميرٌ فى مَوْكِبِه قد أقبل وإذا هو مَعْنُ ابنُ زائدةَ ، فقال الرجلُ : يا أبا الوليدِ ، خائفٌ مُسْتَجِيرٌ . فقال : وَيْحَك ! ما لك وله ؟ فقال هذا طَلِبَةُ أميرِ المؤمنين ، جعَل لمن جاء به مائةَ ألفٍ . قال مَعْنٌ : وَيْحَك ! أوَما علِمْتَ أنى قد أجَرْتُه ؟ أرْسِلْه مِن يدِك . ثم أمَر بعضَ غِلْمانِه فترَجَّل وأرْكَبه ، وذهَب به إلى مَنْزِلِه ، وانْطَلَق ذلك الرجلُ إلى بابِ الخليفةِ فأَنهى إليه الخبرَ ، فبلَغ المَهْدىَّ ، فأرْسَل إلى مَعْنِ بنِ زائدةَ فدخَل عليه ، فسلَّم فلم يَرُدَّ المهدىُّ . وقال : يا مَعْنُ ، أَبَلَغ مِن أمْرِك أن تُجِيرَ علىَّ ؟ قال : نعم . قال : ونعم أيضًا . قال : نعم ، قد قتَلْتُ فى دولتِكم أربعةَ آلافِ مُصَلٍّ ، أفلا يُجارُ لى رجلٌ واحدٌ ؟! فأطْرَق المهدىُّ ، ثم رفَع رأسَه إليه وقال : قد أجَرْنا مَن أجَرْتَ يا مَعْنُ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ الرجلَ ضَعيفٌ . فأَمَر له المهدىُّ بثلاثين ألفًا . فقال : إن جَريمتَه عَظيمةٌ ، وإن جَوائزَ الخُلَفاءِ على قَدْرِ ذُنوبِ الرَّعِيةِ . فأمَر له بمائةِ ألفٍ ، فحُمِلت بينَ يدى مَعْنٍ إلى الرجلِ ، فقال له مَعْنٌ : ادْعُ للخليفةِ وأَصْلِحْ نِيَّتَك فى المُسْتَقْبَلِ .

وقدِم المهدىُّ مرةً البَصْرةَ[1] ، فخرَج ليُصَلِّىَ بالناسِ ، فجاء أعْرابىٌّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، مُرْ هؤلاءِ فلْيَنْتَظِرونى حتى أَتَوَضَّأَ . فأمَرهم المهدىُّ بانْتِظارِه ، ووقَف المَهْدىُّ فى المِحْرابِ [٨/ ٩٢ظ] حتى قيل له : هذا الأعْرابىُّ قد جاء . فكبَّر ، فتعَجَّب الناسُ مِن سَماحةِ أخْلاقِه .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٩٩، ٤٠٠، وتاريخ دمشق ٥٢٤/١٥ مخطوط .

وقدِم أعْرابىٌّ ومعه كتابٌ مَخْتومٌ[1] ، فجعَل يَقولُ : هذا كتابُ أميرِ المؤمنين ، أين الرجلُ الذى يُقالُ له : الرَّبيعُ ؟ فدلّوه على الربيعِ الحاجبِ ، فأخَذ الكِتابَ وجاء به إلى أميرِ المؤمنين ، وأوْقَف الأعْرابىَّ ، وفتَح الكِتابَ ، فإذا هو قطعةُ أَديمٍ ، فيه كِتابةٌ ضعيفةٌ ، والأعْرابىُّ يَزْعُمُ أن هذا خَطُّ الخَليفةِ[2] ، فتبَسَّم المَهْدىُّ وقال : صدَق الأعْرابىُّ ، هذا خَطِّى ، إنى خرَجْتُ يومًا إلى الصَّيْدِ ، فضِعْتُ مِن الجيشِ ، وأقْبَل الليلُ ، فتعَوَّذْتُ بتَعوُّذِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فرُفِع لى نارٌ مِن بُعدٍ ، فقصَدْتُها فإذا هو الشيخُ وامْرأتُه فى خِباءٍ يُوقِدان نارًا ، فسلَّمْتُ ، فردَّ السلامَ ، وفرَش لى كِساءً ، وسقانى مَذْقةً مِن لبنٍ مَشوبٍ بماءٍ ، فما شرِبْتُ شيئًا إلا وهى أطْيَبُ منه ، ونِمْتُ نَوْمةً على تلك العَباءةِ ما أَذْكُرُ أنى نِمْتُ نَومةً أحْلَى منها . فقام إلى شُوَيْهةٍ له فذبَحها ، فسمِعْتُ امرأتَه تَقولُ له : عمَدْتَ إلى مَعيشتِك ومَعيشةِ أوْلادِك فذبَحْتَها ؟! أَهْلَكْتَ نفسَك وعِيالَك . فما الْتَفَت إليها ، واسْتَيْقَظْتُ مِن النومِ فاشْتَوَيْتُ مِن تلك الشُّوَيْهةِ ، وقلتُ له : أعندَك شىءٌ أَكْتُبُ لك فيه كتابًا ؟ فأتانى بهذه الرُّقْعَةِ مِن الأديمِ فكتَبْتُ له بعُودٍ مِن ذلك الرَّمادِ خمسَمائةِ ألفٍ ، وإنما أرَدْتُ خمسين ألفًا ، واللَّهِ لأُنْفذنَّها له كلَّها ولو لم يَكُنْ فى بيتِ المالِ سِواها . فقبَضها الأعْرابىُّ ، واسْتَمَرَّ مُقِيمًا فى ذلك الموضعِ وهو فى طريقِ الحاجِّ مِن ناحيةِ الأنْبارِ ، فجعَل يَقْرِى الناسَ فى ذلك الموضعِ ، فعُرِف بمنزلِ مُضَيِّفِ أميرِ المؤمنين المَهْدىِّ .

وعن سَوَّارٍ[3] - صاحبِ رَحْبةِ سَوَّارٍ - قال : انْصَرَفْتُ يومًا مِن عندِ المهدىِّ ، فجئتُ منزلى ، فوُضِع لىَ الغَداءُ ، فلم تُقْبِلْ نَفْسى عليه ، فدخَلْتُ خَلْوتى لأنامَ

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/٣٩٦ - ٣٩٨، وتاريخ دمشق ١٥/ ٥٢٩، ٥٣٠ مخطوط .

(٢) بعده فى س ، ص ، ظ : « فأنكر الربيع والكُتّاب أن يكون هذا بخط الخليفة » .

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٥/ ٥٣٠، ٥٣١ مخطوط .

(١) فى القائلةِ ، فلم يَأْخُذْنى نومٌ ، فاسْتَدْعَيْتُ ببعضِ حَظاياىَ لأتَلَهَّى بها ، فلم يَقَرَّ لى قرارٌ ، فنهَضْتُ فخرَجْتُ مِن المنزلِ ، وركِبْتُ بَغْلتى ، فما جاوَزْتُ الدارَ إلا قليلًا حتى لقِيَنى رجلٌ ومعه ألفا درهمٍ ، فقلتُ : مِن أين هذه(١) ؟ فقال : مِن مُلْكِك الجديدِ . فاسْتَصْحَبْتُه معى ، وسِرْتُ فى أَزِقَّةِ بَغْدادَ أتَشاغَلُ بِمَّا أنا فيه مِن الضَّجَرِ ، فحانتْ صلاةُ العصرِ عندَ مسجدٍ فى بعضِ الحاراتِ ، فنزَلْتُ لأُصَلِّىَ فيه ، فلما قضَيْتُ الصلاةَ إذا برجلٍ أعْمَى قد أخَذ بثيابى فقال : إن لى إليك حاجةً . فقلتُ : وما حاجتُك ؟ فقال : إنى رجلٌ [٨/٩٣و] ضَريرٌ ، ولكننى لمَّا شمَمْتُ رائحةَ طِيبِك ظنَنْتُ أنك رجلٌ مِن أهلِ النِّعْمةِ والثَّرْوةِ ، فأحْبَبْتُ أن أُفْضِىَ بحاجتى إليك . فقلتُ : وما هى ؟ فقال : إن هذا القصرَ الذى هو تُجاهَ المسجدِ كان لأبى ، فسافَر منه إلى خُراسانَ ، وباعَه وأخَذنى معه وأنا صغيرٌ ، فافْتَقَرْنا(٢) هناك ، وأصابنى الضَّرَرُ ، فرجَعْنا إلى بَغْدادَ(٣) ، فجئتُ إلى صاحبِ هذا القَصْرِ أَطْلُبُ منه شيئًا أَتَبَلَّغُ به لعلى أَجْتَمِعُ بسَوَّارٍ ، فإنه كان صاحبًا لأبى ، فلعلَّه أن يَكونَ عندَه سَعَةٌ يَجودُ منها علىَّ . فقلتُ : ومَن أبوك ؟ فذكَر رجلًا كان أصْحَبَ الناسِ إلىَّ ، فقلتُ : إنى أنا سَوَّارٌ صاحبُ أبيك ، وقد منَعَنى اللَّهُ فى يومِك هذا النومَ والقَرارَ والأكْلَ والراحةَ ، حتى أخْرَجَنى مِن منزلى لأجْتَمِعَ بك ، وأجْلِسَ بينَ يديك . وأمَرْتُ وَكِيلى ، فدفَع إليه الألْفَين التى كانت معه ، وقلتُ : إذا كان الغدُ فأْتِ مَنْزلى فى مكانِ كذا وكذا . وركِبْتُ فجئتُ دارَ الخِلافةِ وقلتُ : ما أُتْحِفُ المهدىَّ الليلةَ فى السَّمَرِ بأغْرَبَ مِن هذا . فلما قصَصْتُ عليه

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م ، ظ : « فافترقنا » .

(٣) بعده فى ب ، م : « بعد أن مات أبى » .

القِصَّةَ تعَجَّب مِن ذلك جدًّا ، وأمَر للأعْمَى بألْفَىْ دينارٍ ، وقال لى : عليك دَيْنٌ ؟ قلتُ : نعم . قال : كم ؟ قلتُ : خمسون ألفَ دينارٍ . فسكَت وحادَثنى ساعةً ، فلما قمتُ مِن بينِ يديه ، فوصَلْتُ المنزلَ إذا الحَمَّالون قد سبَقونى إلى المنزلِ بخمسين ألفَ دينارٍ وألْفَى دينارٍ للأعْمَى ، فانْتَظَرْتُ الأعْمَى أن يَجِيءَ فى ذلك اليومِ ، فتأَخَّر ، فلما أمْسَيْتُ جلستُ إلى المهدىِّ فقال : قد فكَّرْتُ فى أمْرِك ، فوجَدْتُك إذا قضَيْتَ دَيْنَك لم يَبْقَ معك شىءٌ ، وقد أمَرْتُ لك بخمسين ألفَ دينارٍ أخرى . فلما كان اليومُ الثالثُ جاءنى المكْفوفُ فقلتُ : قد رزَق اللَّهُ بسببِك خيرًا كثيرًا ، ودفَعْتُ إليه الألْفَىْ دينارٍ التى مِن عندِ الخليفةِ ، وزِدْتُه ألْفَىْ دينارٍ مِن مالى أيضًا .

ووقَفَت[1] امرأةٌ للمهدىِّ فقالتْ : يا عَصَبةَ رسولِ اللَّهِ ، اقْضِ حاجتى . فقال المهدىُّ : ما سمِعْتُها مِن غيرِها ، اقْضُوا حاجتَها وأعْطُوها عشَرةَ آلافِ درهمٍ .

ودخَل ابنُ الخيَّاطِ على المهدىِّ[2] ، وامْتَدَحه فأمَر له بخمسين ألفَ درهمٍ ، ففرَّقها ابنُ الخيَّاطِ ، وأنْشَأ يَقولُ :

أخَذْتُ بكفِّى كَفَّه أبْتَغى الغِنَى ... ولم أَدْرِ أن الجُودَ مِن كفِّه يُعْدِى
فلا أنا منه ما أفاد ذَوُو الغِنَى ... أَفَدْتُ وأعْدانى فبَدَّدْتُ ما عندى

قال : فنمَى ذلك إلى المهدىِّ ، فأعْطاه بدلَ كلِّ درهمٍ دينارًا .

وبالجُمْلةِ فله مآثِرُ [٨/٩٣ظ] ومَحاسنُ كثيرةٌ ، وقد كانتْ وَفاتُه بماسَبَذانَ ،

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٩٩.
(٢) المصدر السابق ٥/٣٩٣ ، ٣٩٤.

كان قد خرَج إليها ليَبْعَثَ إلى ابنِه الهادى[1] ليَحْضُرَ إليه مِن جُرْجانَ حتى يَخْلَعَه مِن وِلايةِ العهدِ، ويَجْعَلَه بعدَ هارونَ الرشيدِ، فامْتَنع الهادى مِن ذلك، فركِب المَهْدىُّ من بغدادَ قاصدًا إحْضارَه، فلما كان بماسَبَذانَ مات بها على ما سنذْكُرُه.

وكان قد رأَى فى النومِ وهو بقصرِه ببَغدادَ[2] - وأظنه المسَمَّى بقصْرِ السَّلامةِ[3] - كأن شيخًا وقَف ببابِ القصرِ، ويُقالُ: إنه سمِع هاتفًا يَقولُ:

كأنى بهذا القصرِ قد باد آهِلُهْ ... وأوْحَش منه أهْلُهُ[4] ومَنازِلُهْ
وصار عميدُ القومِ مِن بعدِ بَهْجةٍ ... ومُلْكٍ إلى قبرٍ عليه جَنادِلُهْ
ولم يَبْقَ إلا ذِكْرُه وحَديثُه ... يُنادِى بلَيْلٍ مُعْوِلاتٍ حَلائِلُهْ

فما عاش بعدَها إلا عشْرًا حتى تُوُفِّى، رحِمه اللَّهُ وسامحَه وأدخلَه الجنةَ برحمتِه.

ويُروَى[5] أنه لما قال له الهاتفُ:

كأنى بهذا القصرِ قد باد آهِلُهْ ... وقد درَسَت أعْلامُه ومَنازِلُهْ

فأجابه المهدىُّ:

كذاك أمورُ الناسِ يَبْلَى جَديدُها ... وكلُّ فَتًى يومًا ستَبْلَى فَعائِلُهْ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ١٦٨، والكامل ٦/ ٨١.

(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ١٧٠، وتاريخ دمشق ١٥/٥٣٧ مخطوط، والكامل ٥/ ٨١. وعندهم أنه كان بماسبذان لا بغداد.

(٣) تقدم فى صفحة ٥٣٠ أن اسمه «قصر السلام». و«السلامة» لفظه الذى جاء فى تاريخ الطبرى.

(٤) فى ب: «أنسه». وفى م، وتاريخ الطبرى، والكامل: «ربعه». وفى تاريخ دمشق: «ركبه».

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٥/ ٥٣٨، ٥٣٩ مخطوط.

فقال الهاتفُ :

تزَوَّدْ مِن الدنيا فإنك ميتٌ وإنك مَسْئولٌ فما أنت قائلُهْ

فأجابه المهدىُّ :

أقولُ بأن اللَّهَ حقٌّ شهِدْتُه فذلك قولٌ ليس تُحْصَى فَضائِلُهْ

فقال الهاتفُ :

تزَوَّدْ مِن الدنيا فإنك راحلٌ وقد أزِف الأمْرُ الذى بك نازِلُهْ

فأجابه المهدىُّ :

متى ذاك خبِّرْنى هُدِيتَ فإننى سأَفْعَلُ ما قد قلتَ لى وأُعاجِلُهْ

فقال الهاتفُ :

تَلبَّثْ ثلاثًا بعدَ عشرين ليلةً إلى مُنْتَهَى شهرٍ وما أنت كامِلُهْ

قالوا : فلم يَعِشْ بعدَها إلا تسعًا وعشرين يومًا حتى مات ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ[1] اخْتِلافًا فى سببِ موتِه ، فقيل : إنه ساق خلفَ ظَبْيٍ والكلابُ بينَ يديه ، فدخَل الظبْىُ إلى خَربةٍ ، فدخَلَت الكِلابُ وراءَه ، وجاء الفرسُ ، فحمَل به فى مِشْوارِه[2] ، فدخَل الخَربةَ ، فكُسِر ظهرُ الخليفةِ فكان ذلك سببَ وفاتِه . وقيل : إن بعضَ حَظاياه بعَثَت إلى أخرى لبنًا مَسْمومًا ، فمرَّ الرسولُ بالمهدىِّ ، فأكَل منه فمات . وقيل : بل بعَثَت إليها بصِينِيَّةٍ فيها كُمَّثْرَى ، وفى

---

(١) تاريخ الطبرى ١٦٨/٨ - ١٧٠.

(٢) المشوار : المَدَى تُجْرَى فيه الدابة . انظر الوسيط (ش و ر) .

أعْلاها واحدةٌ كبيرةٌ فيها سُمٌّ ، وكان المهدىُّ يُعْجِبُه الكُمَّثْرَى ، فمرَّت [٨/ ٩٤و] الجاريةُ تَحْمِلُ تلك الصِّينِيَّةَ فرآها فاستدْعاها ، فأخَذ التى فى أعْلاها ، فأكَلها فمات مِن ساعتِه ، فجعَلَت الحَظِيَّةُ تَنْدُبُه ، وتقولُ : واأميرَ المُؤْمِنيناهْ ، أرَدْتُ أن تَكونَ لى وَحْدى ، فقتَلْتُك .

وكانتْ وَفاتُه فى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ تسعٍ وستين ومائةٍ - وله مِن العُمرِ ثلاثٌ وأربعون سنةً على المشهورِ ، وكانتْ خِلافتُه عشْرَ سنين وشهرًا وكُسورًا ، وقد رَثاه الشُّعراءُ بمَراثٍ كثيرةٍ قد أورد منها الحافظُ ابنُ عساكرَ طرفًا وكذلك أبو جعفرِ بنُ جريرٍ[1] ، رحِمهما اللَّهُ .

وفيها تُوُفِّىَ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ إيادٍ[2] ، **ونافعُ** بنُ عمرَ الجُمَحىُّ[3] ، **ونافعُ** بنُ أبى نُعَيْمٍ القارئُ[4] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ١٧٠، ١٧١.

(٢) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « زياد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٣٤٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٥/ ٤٩٤، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٨٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٨٣.

(٤) الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم) ص ٤٥١، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٦٨، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٨٤. وطبقات القراء ٢/ ٣٣٠ .

خلافةُ موسى الهادى بنِ المهدىّ[1]

تُوُفِّى أبوه فى المُحَرَّمِ مِن أولِ سنةِ تسعٍ وستين ومائةٍ ، وكان وليَّ العهدِ مِن بعدِ أبيه ، لكن كان أبوه قد عزَم على تَقْديمِ أخيه هارونَ الرَّشيدِ عليه فى وِلايةِ العَهْدِ ، فلم يَتَّفِقْ ذلك حتى مات أبوه بماسَبَذانَ فى شهر اللَّهِ المُحَرَّمِ ، وكان الهادى إذ ذاك بجُرْجانَ ، فهمَّ بعضُ الدَّوْلَةِ ؛ منهم الربيعُ الحاجبُ وطائفةٌ مِن القُوَّادِ على تَقْديمِ الرَّشيدِ عليه والمُبايعةِ له[2] ، وكان حاضِرًا ببَغْدادَ ، وعزَموا على النَّفَقةِ فى الجُنْدِ لذلك تَنْفيذًا لما رامه المهديُّ مِن ذلك . فأسْرَع الهادى السيرَ مِن جُرْجانَ إلى بَغْدادَ حينَ بلَغه الخبرُ ، فساق منها إليها فى عِشْرين يومًا ، فدخَل بَغْدادَ ، وقام فى الناسِ خَطيبًا ، وأخَذ البَيْعةَ منهم فبايَعوه ، وتغَيَّب الربيعُ الحاجبُ ، فتَطَلَّبه الهادى حتى حضَر بينَ يديه ، فعَفا عنه وأحْسَن إليه ، وأقَرَّه على وظيفةِ الحُجوبيةِ ، وزاده الوِزارةَ ووِلاياتٍ أُخَرَ ، وشرَع الهادى فى تَطَلُّبِ الزَّنادِقةِ مِن الآفاقِ ، فقتَل منهم طائفةً كثيرةً ، واقْتَدَى فى ذلك بأبيه ، وقد كان موسى الهادى مِن أفْكَهِ الناسِ مع أصحابِه فى الخَلْوةِ ، فإذا جلَس فى مَقامِ الخِلافةِ لا يَسْتَطِيعون النَّظَرَ إليه ؛ لما يَعْلُوه مِن المَهابةِ والرِّياسةِ ، وكان شابًّا حَسَنًا وَقورًا مَهيبًا .

وفى هذه السنةِ[3] - أعْنى سنةَ تسعٍ وستين ومائةٍ - خرَج بالمدينةِ الحسينُ بنُ علىِّ بنِ الحسنِ [4]بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ[4] بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وذلك أنه أصْبَح

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ١٨٧/٨ - ١٩١، والكامل ٨٧/٦ - ٨٩.

(٢) ليس فى تاريخ الطبرى ولا فى الكامل ما يدلّ على همّ الموالى والقواد بتقديم الرشيد على الهادى والمبايعةِ له .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ١٩٢/٨ - ٢٠٣، والكامل ٩٠/٦ - ٩٤.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ . وانظر أنساب الأشراف ٣/ ٣٥٥، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٢، ٤٣.

يومًا وقد لبِس البَياضَ ، وجلَس فى المسجدِ النبوىِّ ، وجاء الناسُ إلى الصَّلاةِ ، فلما رَأَوْه ولَّوْا راجِعِين ، والْتَفَّ عليه جماعةٌ ، فبايَعوه على كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والرِّضَا مِن أهلِ البيتِ . وكان سببَ خُروجِه [٨/٩٤ظ] أن مُتَولِّيَها خرَج منها إلى بَغْدادَ لِتَلَقِّى أميرِ المؤمنين وتهنئتِه بالوِلايةِ ، وتَعزِيَتِه فى أبيه المهدىِّ ، فجرَت أمورٌ اقْتَضَت أن خرَجَ حسينٌ هذا ، والْتَفَّ عليه جَماعةٌ ، وجعَلوا مَأْواهم المسجدَ النبوىَّ ، ومنَعوا الناسَ مِن الصلاةِ فيه ، ولم يُجِبْه أهلُ المدينةِ ، وجعَلوا يَدْعون عليه لامْتهانِهم المسجدَ ، حتى ذُكِر أنهم كانوا يُقَذِّرون فى جَنباتِ المسجدِ ، وقد اقْتَتَلوا مع المُسَوِّدةِ مراتٍ ، فقتَلوا منهم وقُتِل منهم ، ثم ارْتَحل إلى مكةَ ، فأقام بها إلى زمنِ الحجِّ ، فبعَث إليه الهادى جيشًا ، فقاتَلوه بعدَ فَراغِ الناسِ مِن المَوْسِمِ ، فقتَلوه وقتَلوا طائفةً مِن أصحابِه ، وانْهزَم بقيتُهم ، وتفرَّقوا شَذَرَ مَذَرَ ، فكان مدةُ خُروجِه إلى أن قُتِل تسعةَ أشهرٍ وثمانيةَ عشَرَ يومًا .

وقد كان كريمًا مِن أجْودِ الناسِ ؛ دخَل يومًا على المهدىِّ ، فأطْلَق له أرْبعين ألفَ دينارٍ ، ففرَّقها فى أهلِه وأصْدقائِه مِن أهلِ بَغْدادَ والكُوفةِ ، وما خرَج منها وعليه قميصٌ ، إنما عليه فَرْوةٌ ليس دونَها قميصٌ .

وفيها[1] حجَّ بالناسِ سليمانُ بنُ أبى جعفرٍ عمُّ الخليفةِ .

وغزا الصائفةَ مِن طريقِ دَرْبِ الراهبِ مَعْيوفُ بنُ يحيى فى جَحْفلٍ كثيفٍ ، وقد أقْبَلَت الرومُ مع بِطْرِيقِها فبلَغوا الحَدَثَ[2] .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٠٣، ٢٠٤، والكامل ٦/ ٩٤، ٩٥.

(٢) الحدث : قلعة حصينة بين مَلَطْية وسُمَيْساط ومَرْعَش ، من الثغور . معجم البلدان ٢/ ٢١٨.

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعيانِ : الحسينُ بنُ علىِّ بنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ[1] ، قُتِل فى أيامِ التَّشْريقِ ، كما ذكَرْنا . الربيعُ بنُ يونُسَ[2] الحاجبُ ، مولى المَنْصورِ وحاجبُه ووزيرُه ، وقد وزَر أيضًا للهادى . وقيل[3] : إنه وَزرَ أيضًا للمهدىِّ . وكان بعضُهم يَطْعَنُ فى نسبِه . وقد أوْرَد الخَطيبُ[4] فى ترجمتِه حَديثًا مِن طريقِه ، ولكنه مُنْكَرٌ ، فى صحتِه عنه نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وقد وَلِىَ الحُجُوبيةَ بعدَه ولدُه الفَضْلُ بنُ الربيعِ ، ولَّاه إياها الخليفةُ الهادى .

---

(١) المحبر ص ٣٧، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٥٥، وتاريخ الطبرى ٨/ ١٩٢، ومقاتل الطالبيين ص ٤٣١، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٣.

(٢) الوزراء والكتاب ص ١٢٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٤١٤، وتاريخ دمشق ١٨/ ٨٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٨٦.

(٣) لم نجد فيما بين أيدينا من المصادر مصدرا ذكر أن الربيع وزر للمهدى، وقد أجمعت المصادر - التى بين أيدينا - أن الربيع كان حاجبا للهادى لا وزيرا له. وانظر تاريخ خليفة ٢/ ٧٠٠، والوزراء والكتاب (أيام المهدى) ص ١٤١ - ١٦٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٤١٤، وتاريخ دمشق ١٨/ ٩١، والمنتظم ٨/ ٣٣٣، ومروج الذهب ٣/ ٣١٢، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ١٨٧.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٤١٤. ولفظ الحديث: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا جاء الشتاء دخل البيت ليلة الجمعة، وإذا جاء الصيف خرج ليلة الجمعة، وإذا لبس ثوبًا جديدًا حمد اللَّه، وصلى ركعتين، وكسا الخَلَق».

ثم دخلتْ سنةُ سبعين ومائةٍ مِن الهجرةِ النبويةِ

فيها[1] عزَم الهادى على خَلْعِ أخيه هارونَ مِن الخِلافةِ ووِلايةِ العهدِ مِن بعدِه ومبايعةِ ابنِه جعفرِ بنِ الهادى، فانْقاد هارونُ لذلك، ولم يُظْهِرِ المُنازَعةَ بل المطاوعةَ، واسْتَدْعَى الهادى جَماعةً مِن الأُمراءِ، فأجابوه إلى ذلك، وأبَت ذلك أُمُّ أميرِ المؤمنين الخَيْزُرانُ، وكانت أَمْيلَ إلى ابنِها هارونَ الرشيدِ، وكان الهادى قد منَعها التَّصرفَ فى شىءٍ مِن المَمْلكةِ، بعدَ ما كانتْ قد اسْتَحْوَذَت عليه فى أولِ وِلايتِه، وانقَلَبَت الدُّوَلُ إلى بابِها، والأُمراءُ إلى جَنابِها، [٨/٩٥و] فحلَف الهادى لئن عاد أميرٌ يلوذُ ببابِها ليَضْرِبَنَّ عنقَه، ولا يَقْبَلُ لها شَفاعةً أبدًا، فامْتَنَعَت مِن الكلامِ فى ذلك، وحلَفَت لا تُكَلِّمُه أبدًا، وانْتَقَلَت عنه إلى منزلٍ آخرَ، وألحَّ هو على أخيه هارونَ فى الخَلْعِ، وبعَث إلى يحيى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ - وكان مِن أكابرِ القُوَّادِ الذين هم فى صَفِّ الرَّشيدِ - فقال له: ماذا تَرَى فيما أُرِيدُ مِن خَلْعِ الرشيدِ، وتَوْليةِ ابنى جعفرٍ؟ فقال له: يا أميرَ المؤمنين، إنى أَخْشَى أن تَهونَ الأَيْمانُ على الناسِ، ولكن مِن المَصْلحةِ أن تَجْعَلَ جعفرًا وليَّ العَهْدِ مِن بعدِ هارونَ، وأيضًا يا أميرَ المؤمنين فإنى أَخْشَى أن لا يُجِيبَ أكثرُ الناسِ إلى البَيْعةِ لجعفرٍ؛ وهو دونَ البُلوغِ، فيَتَفاقَمَ الأَمْرُ ويَخْتَلِفَ الناسُ فينالَها بعضُ أهلِك، لا هذا ولا هذا.

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/٢٠٥ - ٢١٤، والكامل ٦/٩٦ - ١٠٠.

فأطْرَق مَلِيًّا - وكان ذلك ليلًا - ثم أمَر بسَجْنِه ، ثم أطْلَقه .

وجاء يومًا إليه أخوه هارونُ الرَّشيدُ ، فجلَس عن يَمينِه بعيدًا عنه ، فجعَل الهادى يَنْظُرُ إليه مَلِيًّا ثم قال : يا هارونُ ، أتَطْمَعُ أن تَكونَ رؤيا المهدىِّ حقًّا ؟ فقال : إى واللَّهِ ، ووالله لئن كان ذلك لأَصِلَنَّ مَن قطَعْتَ ، ولأُنْصِفَنَّ مَن ظلَمْتَ ، ولأُزَوِّجَنَّ بنيك مِن بناتى . فقال : ذاك الظَّنُّ بك . فقام إليه هارونُ ليُقَبِّلَ يدَه ، فحلَف الهادى لَيَجْلِسَنَّ معه على السَّريرِ ، فجلَس معه ، ثم أمَر له بألفِ ألفِ دِينارٍ ، وأن يَدْخُلَ الخَزائنَ فيأْخُذَ منها ما أراد ، وإذا جاء الخَراجُ فلْيُدْفَعْ إليه نصفُه . فَفُعِلَ ذلك كلُّه ، ورضِى الهادى عن الرشيدِ . ثم سافَر إلى حَدِيثةِ المَوْصِلِ[1] بعدَ ذلك ، ثم عاد منها ، فمات بعِيساباذَ ليلةَ الجمعةِ للنصفِ مِن ربيعٍ الأولِ - وقيل[2] : الآخِرِ - سنةَ سبعين ومائةٍ . وله مِن العمرِ ثلاثٌ وعشرون سنةً ، وكانتْ خلافتُه سنةً وشهرًا وثلاثةً وعشرين يومًا . وكان طَويلًا جَميلًا أبْيضَ ، بشَفَتِه العليا تَقَلُّصٌ .

وقد تُوُفى فى هذه الليلةِ خَليفةٌ ، وهو الهادى ، ووَلِىَ خليفةٌ ، وهو الرَّشيدُ ، ووُلِد خليفةٌ ، وهو المأمونُ بنُ الرَّشِيدِ . وقد كانت الخَيْزُرانُ أُمُّ الخليفةِ قالت فى أولِ الليلِ : إنه بلَغنى أنه يُولَدُ الليلةَ خَليفةٌ ، ويَموتُ خليفةٌ ، ويَتَوَلَّى خليفةٌ .يُقالُ[3] : إنها سمِعَت ذلك مِن الأوْزاعىِّ قبلَ ذلك بمدةٍ ، وقد سرَّها ذلك جدًّا . ويُقالُ : إنها سمَّتْ ولدَها الهادىَ خوفًا على ابنِها الرشيدِ منه ، وأيضًا فإنه

---

(١) حديثة الموصل : « بُليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقى قرب الزَّاب الأعلى » . معجم البلدان ٢/ ٢٢٢.

(٢) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٨٠.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٢١٢.

كان قد أبْعَدها وأقْصاها ، وقرَّب حَظِيَّتَه خالصةَ وأدْناها . فاللَّهُ المستعانُ .

وهذا ذِكْرُ شيءٍ مِن ترجمةِ الهادى

[٨/٩٥ظ] هو موسى بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسٍ ، أبو محمدٍ الهادى أميرُ المؤمنينَ ابنُ المهدىِّ بنِ المنصورِ[(١)] . وَلِىَ الخِلافةَ - كما ذكَرْنا - فى مُحَرَّمٍ سنةَ تسعٍ وستين ومائةٍ . وكانت وفاتُه فى النصفِ مِن ربيعٍ الأولِ أو الآخِرِ سنةَ سبعين ومائةٍ ، وله من العمرِ ثلاثٌ - وقيل : أربعٌ . وقيل : ستٌّ - وعشرون سنةً . والصَّحيحُ الأولُ ، قال الخطيبُ[(٢)] ويُقالُ : إنه لم يَلِ الخِلافةَ أحدٌ قبلَه فى سنِّه . وكان حَسَنًا جميلًا طَويلًا أبْيضَ ، فى شفتِه العليا تَقَلُّصٌ ، وكان قوىَّ البَأْسِ ، يَثِبُ على الدابَّةِ وعليه دِرْعان ، وكان أبوه يُسَمِّيه رَيْحانتى .

وذكَر عيسى بنُ دَأْبٍ قال[(٣)] : كنتُ يومًا عندَ الهادى ، إذ جِىءَ بطَسْتٍ فيه رأسا جاريتَيْن ، لم أرَ أحْسَنَ منهما ، ولا مِثْلَ شُعورِهما ، وفى شعورِهما اللَّآلئُ والجَواهرُ مُنَضَّدةٌ ، ولا مثلَ طِيبِ رِيحِهما ، فقال : أتَدْرُون ما شأنُ هاتين ؟ قلنا : لا . فقال : إنه ذُكِر لى عنهما أنهما يرتكبانِ الفاحشةَ ، فأمَرْتُ الخادمَ ، فرصَدهما ثم جاءنى فقال : إنهما مُجْتَمِعتان . فجئتُ فوجَدْتُهما فى لحافٍ واحدٍ وهما على

---

(١) المعارف ص ٣٨٠، ٣٨١، ومروج الذهب ٣/٣٢٤ - ٣٣٦، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢١، والمنتظم ٨/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠) ص ٤٧٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢.

(٣) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٨/ ٢٢١، ٢٢٢ بسنده عن على بن يقطين لا عن عيسى بن دأب ، بنحوه .

الفاحشةِ ، فأمَرْتُ بحَزِّ رِقابِهما . ثم أمَر برفْعِ رُءوسِهما مِن بينِ يديه ، ورجَع إلى حديثِه الأولِ ، كأنْ لم يَصْنَعْ شيئًا . وكان شَهْمًا خَبيرًا بالمُلْكِ كريمًا .

ومِن كلامِه[1] : ما أُصْلِحَ المُلْكُ بمثلِ تَعْجيلِ العُقوبةِ للجانى ، والعَفْوِ عن الزَّلَّاتِ القريبةِ ، ليَقِلَّ الطَّمَعُ عن[2] المُلْكِ .

وغضِب[3] يومًا على رجلٍ ، فاسْتُرْضِى عنه فرضِى ، فشرَع الرجلُ يَعْتَذِرُ ، فقال الهادى : إن الرِّضا قد كَفاك مُؤْنةَ الاعْتِذارِ .

وعزَّى[4] الهادى رجلًا فى ولدٍ له تُوفى ، فقال له : أسرَّك وهو عدوٌّ وفِتْنةٌ ، وأحزَنَك وهو صَلاةٌ ورَحْمةٌ .

وروَى الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[5] أن مَرْوانَ بنَ أبى حَفْصةَ أنْشَد الهادىَ قَصيدةً له ، منها :

تَشابَهَ يومًا بأْسُه ونَوالُه فما أحدٌ يَدْرِى لأيِّهما الفَضْلُ

فقال له الهادى : أيُّما أحَبُّ إليك ؟ ثلاثون ألفًا مُعَجَّلةً أو مائةُ ألفٍ تَدورُ فى الدَّواوِينِ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أوَ أحْسَنُ مِن ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ثلاثونُ ألفًا مُعَجَّلةً ومائةُ ألفٍ تَدورُ بالدَّواوينِ . فقال الهادى : أوَ أحْسَنُ مِن ذلك ؛ نُعَجِّلُ الجَميعَ لك . فأمَر له بمائةِ ألفٍ وثلاثين ألفًا مُعَجَّلةً .

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣.
(٢) فى تاريخ بغداد : « فى » .
(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٣.
(٤) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢١٩.
(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣، ٢٤.

وقال الخطيبُ البَغْدادىُّ[1] : حدَّثنى الأزْهَرىُّ ، ثنا سهلُ بنُ أحمدَ الدِّيباجىُّ ، ثنا الصُّولىُّ ، ثنا الغَلَابىُّ[2] ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ التَّيْمىُّ المكِّىُّ ، حدَّثنى المُطَّلِبُ [٨/ ٩٦و] بنُ عُكَّاشةَ المُزَنىُّ قال : قدِمْنا على أبى محمدٍ الهادى شُهودًا على رجلٍ منا شتَم قُرَيشًا ، وتَخَطَّى إلى ذِكرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجلَس لنا مَجْلِسًا أحْضَر فيه فُقَهاءَ أهلِ زَمانِه ، ومَن كان بالحَضْرةِ على بابِه ، وأحْضَر الرجلَ وأحْضَرَنا ، فشَهِدْنا عليه بما سَمِعْنا منه ، فتغَيَّر وَجْهُ الهادى ، ثم نكَس رأسَه ، ثم رفَعه ، فقال : إنى سمِعْتُ أبى المهدىَّ يُحَدِّثُ عن أبيه المنصورِ ، عن أبيه محمدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال : مَن أراد هوانَ قريشٍ أهانه اللَّهُ ، وأنت يا عدوَّ اللَّهِ لم تَرْضَ بأن أردتَ ذلك مِن قريشٍ حتى تَخَطَّيْتَ إلى ذِكْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! اضْرِبوا عنقَه . فما برِحْنا حتى قُتِل .

تُوُفى الهادى[3] فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، وصلَّى عليه أخوه هارونُ الرشيدُ وليُّ العهدِ ، ودُفِن فى قصرِ بناه وسمَّاه الأبْيَضَ بعِيساباذَ مِن الجانبِ الشَّرْقىِّ مِن بَغْدادَ . وكان له مِن الولدِ تسعةٌ ؛ سبعةُ ذُكورٍ وابْنتان ، فالذُّكورُ ؛ جعفرٌ - وهو الذى كان قد رشَّحه للخلافةِ - وعباسٌ ، وعبدُ اللَّهِ ، وإسْحاقُ ، وإسْماعيلُ ، وسليمانُ ، وموسى الأعْمَى الذى وُلِد بعدَ وَفاتِه فسُمِّى باسمِ أبيه ، والبِنْتان هما أمُّ عيسى التى تَزَوَّجها المَأْمونُ ، والأخرى أمُّ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢، ٢٣.

(٢) فى مصدر التخريج : « ابن الغلابى » . وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٧، والأنساب ٣/ ٥٦٧، والعبر ٢/ ٨٦.

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢١٣، ٢١٤، والكامل ٦/ ١٠١.

العباسِ [1]تُلَقَّبُ نُوتةَ[2][1] .

خلافةُ هارونَ الرَّشيدِ بنِ المهدىّ[3]

بُويع له بالخِلافةِ ليلةَ مات أخوه الهادى ، وذلك ليلةَ الجمعةِ للنِّصْفِ مِن ربيعٍ الأولِ سنةَ سبعين ومائةٍ ، وكان عُمْرُ الرَّشيدِ يومَئذٍ ثنتين وعشرين سنةً ، فبعَث إلى يَحْيَى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ ، فأخْرَجه مِن السِّجْنِ ، وقد كان الهادى عزَم فى تلك الليلةِ على قَتْلِه وقَتْلِ هارونَ الرَّشيدِ ، فأَخْرجه الرشيدُ ، وكان ابنَه مِن الرَّضاعةِ ، وولَّاه حينئذٍ الوِزارةَ ، وولَّى يوسُفَ بنَ القاسمِ بنِ صبيحٍ كِتابةَ الإنْشاءِ ، وكان هو الذى قام خَطِيبًا بينَ يديه حينَ أُخِذَت البَيْعةُ له على المِنْبرِ بعِيساباذَ ، ويقالُ : إنه لما مات الهادى فى الليلِ جاء يحيى بنُ خالدِ بنِ بَرْمَكَ إلى الرشيدِ فوجَده نائمًا ، فقال له : قُمْ يا أميرَ المؤمنين . فقال : كم تُرَوِّعُنى ، ولو سمِع بهذا الكلامِ هذا الرجلُ لكان ذلك أكبرَ ذُنوبى عندَه . فقال له يحيى : قد مات الرجلُ . فجلَس هارونُ فقال : أَشِرْ علىَّ . فجعَل يَذْكُرُ له وِلاياتِ الأقاليمِ لرجالٍ يُسَمِّيهم ، فيُوَلِّيهم الرَّشيدُ ، فبينما هم كذلك إذ جاء آخَرُ فقال : أَبْشِرْ يا أميرَ المؤمنين ؛ فقد وُلِد لك الساعةَ [٨/٩٦ظ] غُلامٌ . فقال : هو عبدُ اللَّهِ ، وهو المأْمونُ . ثم أصْبَح فصلَّى على أخيه الهادى ، ودفَنه بعِيساباذَ ، وحلَف لا يُصَلِّى الظُّهْرَ إلا ببَغْدادَ ، فلما فرَغ مِن الجِنازةِ أمَر بضربِ عُنُقِ أبى عِصْمةَ القائدِ ؛ لأنه

(١ - ١) سقط من : س ، ظ .

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « توبة » ، وفى الكامل : « نونة » .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٨/٢٣٠ - ٢٣٤، والكامل ٦/١٠٦ - ١٠٩.

كان مع جعفرِ بنِ الهادى فزاحَموا هارونَ على جِسْرٍ ، فقال أبو عِصْمةَ : قِفْ حتى يَجوزَ وليُّ العهدِ . فقال الرشيدُ : السَّمْعُ والطاعةُ للأميرِ . فجاز جعفرٌ ووقَف الرشيدُ ، فلما ولِى أمَر بقتلِ أبى عِصْمةَ ، ثم سار إلى بَغْدادَ ، فلما انْتَهَى إلى جِسْرِ بَغْدادَ اسْتَدْعَى بالغَوَّاصِين فقال : إنى سقَط منِّى هـٰهنا خاتمٌ ، كان والدى المهديُّ قد اشْتَراه لى بمائةِ ألفٍ ، فلما كان مِن أيامٍ بعَث ورائى الهادى يَطْلُبُه ، فألْقَيْتُه إلى الرسولِ ، فسقَط هـٰهنا . فغاصوا وراءَه فوجَدوه ، فسُرَّ به الرَّشيدُ سُرورًا كثيرًا .

ولما ولَّى الرشيدُ يَحْيَى بنَ خالدٍ الوِزارةَ قال له : قد فوَّضْتُ إليك أمْرَ الرَّعِيَّةِ ، وخلَعْتُ ذلك مِن عنقى ، وجعَلْتُه فى عنقِك ، فوَلِّ مَن رأيْتَ ، واعْزِلْ مَن رأيْتَ . ففى ذلك يقولُ إبراهيمُ المَوْصِلىُّ :

ألم تَرَ أن الشمسَ كانت سَقِيمةً ... فلما وَلِى هارونُ أشْرَق نورُها
بيُمْنِ أمينِ[1] اللَّهِ هارونَ ذى النَّدَى ... فهارونُ واليها ويَحْيَى وَزيرُها

وكانت الخَيْزُرانُ هى المُشاوَرةَ فى الأُمورِ كلِّها ، لا يَقْطَعُ يحيى بنُ خالدٍ أمرًا حتى يُشاوِرَها فيما يُبْرِمُه ويَحُلُّه ويُمْضيه ويُحْكِمُه .

وفيها أمَر الرَّشيدُ بسهمِ ذى القُرْبى أن يُقْسَمَ فى بنى هاشمٍ على السَّواءِ .

وفيها تتَبَّع الرَّشيدُ خَلْقًا مِن الزنادقةِ ، فقتَل منهم طائفةً كثيرةً .

وفيها خرَج عليه بعضُ أهلِ البيتِ .

وفيها وُلِد الأمينُ محمدُ بنُ الرشيدِ مِن زُبَيْدةَ ، وذلك يومَ الجمعةِ لستٍّ[2]

---

(١) فى الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ : « يمين » .
(٢) فى تاريخ الطبرى : « لثلاث » .

عشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

وفيها كمَل بناءُ مدينةِ طَرَسُوسَ على يدى فَرَجِ الخادمِ التُّرْكىِّ ، ونزَلها الناسُ .

وفيها حجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين هارونُ الرشيدُ ، وأعْطَى أهلَ الحرمَيْن أموالًا كثيرةً جدًّا ، ويُقال : إنه غزا فى هذه السنةِ أيضًا . وفى ذلك يقولُ داودُ بنُ رَزينٍ الشاعرُ :

بهارونَ لاح النُّورُ فى كلِّ بَلْدةٍ ... وقام به فى عَدْلِ سِيرتِه النَّهْجُ
إمامٌ بذاتِ اللَّهِ أصْبَح شُغْلُهُ ... وأكثرُ ما يُعْنَى به الغَزْوُ والحَجُّ
تَضِيقُ عيونُ الناسِ عن نورِ وجهِه ... إذا ما بدا للناسِ مَنْظَرُه البَلْجُ
[٨/٩٧و] وإنَّ أمينَ اللَّهِ هارونَ (١) ذا النَّدَى (١) ... يُنِيلُ الذى يَرْجُوه أضعافَ ما يَرْجُو

وغزا الصائفةَ فى هذه السنةِ سليمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَكَّائىُّ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ

الخليلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرِو بنِ تَميمٍ أبو عبدِ الرحمنِ الفَراهِيدىُّ – ويقالُ : الفُرْهُودِىُّ – الأَزْدىُّ اليَحْمَدىُّ (٢) ، شيخُ النُّحاةِ ، وعنه أخَذ سِيبَوَيْهِ والنَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أَكابرِهم ، وهو الذى اختَرَع عِلْمَ العَروضِ ، قسَمه إلى

(١ – ١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « بالندى » . وهو موافق لإحدى نسخ تاريخ الطبرى . انظر تاريخ الطبرى ٨/٢٣٤ حاشية (٢) .

(٢) طبقات النحويين ص ٤٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤، وتهذيب الكمال ٨/ ٣٢٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ – ١٧٠) ص ١٦٩.

خَمْسِ دَوائِرَ ، وفرَّعه إلى خمسةَ عشَرَ بَحْرًا ، وزاد الأَخْفَشُ فيه بَحْرًا آخرَ ، وهو الخَبَبُ[1] ، وقد قال بعضُ الشُّعراءِ :

قد كان شعرُ الوَرَى صحيحًا مِن قبلِ أن يُخْلَقَ الخَليلُ

وقد كان له مَعْرفةٌ بعلمِ النَّغَمِ ، وله فيه تَصْنيفٌ أيضًا ، وله كتابُ « العَيْنِ » فى اللغةِ ، ابْتَدَأه وأكْمَله النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ وأضْرابُه مِن أصحابِه ، كمُؤَرِّجٍ السَّدوسىِّ ، ونَصْرِ بنِ علىٍّ الجَهْضَمىِّ . فلم يُناسِبوا ما وضَعه الخليلُ ، رحِمه اللَّهُ . وقد وضَع ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ كتابًا بيَّن فيه ما وقَع لهم مِن الخَلَلِ ، فأفاد .

وقد كان الخليلُ رجلًا صالحًا عاقلًا كاملًا حليمًا وَقورًا ، وكان مُتَقَلِّلًا مِن الدنيا ، صَبورًا على العيشِ الخَشِنِ الضَّيِّقِ ، وكان يقولُ : لا يُجاوِزُ هَمِّى ما وراءَ بابى . وكان ظَريفًا حَسَنَ الخُلُقِ .

ذُكِر[2] أنه اشْتَغل عليه رجلٌ فى العَروضِ ، قال : وكان بعيدَ الفَهْمِ ، قال : فقلتُ له يومًا : كيف تُقَطِّعُ هذا البيتَ ؟

إذا لم تَسْتَطِعْ شيئًا فدَعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ[3]

فشرَع معى فى تَقْطيعِه على قَدْرِ مَعْرفتِه ، ثم إنه نهَض مِن عندى فلم يَعُدْ إلىَّ ، وكأنه فهِم ما أشَرْتُ إليه . ويقالُ : إنه لم يُسَمَّ أحدٌ بعدَ النبىِّ ﷺ بأحمدَ سِوى أبيه . رُوِى[4] ذلك عن أحمدَ بنِ أبى خَيْثَمةَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الخبب اسم من أسماء هذا البحر ، وقد سُمِّى بالمتدارك ، والمحدث ، والمتقاطِر ، والمتدانى ، وغير ذلك .
(٢) انظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨.
(٣) البيت لعمرو بن معديكرب ، وهو فى ديوانه ص ١٣٣ .
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٤٨.

وُلِد الخَليلُ سنةَ مائةٍ مِن الهِجْرةِ، ومات بالبَصْرةِ سنةَ سبعين ومائةٍ، على المَشْهورِ، وقيل: سنةَ ستين. وزعَم ابنُ الجَوْزىِّ[1] فى كتابِه «شُذورِ العُقودِ» أنه تُوُفِّىَ سنةَ ثلاثين ومائةٍ، وهذا غريبٌ جدًّا. والمشهورُ الأولُ. واللَّهُ أعلمُ.

الربيعُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ كاملٍ المُرادىُّ[2] مَوْلاهم، المِصْرىُّ المُؤَذِّنُ، راوِيةُ الشافعىِّ، وآخِرُ مَن روَى عنه. وكان[3] رجلًا صالحًا تفرَّس فيه الشافعىُّ، وفى البُوَيْطِىِّ والمُزَنىِّ وابنِ عبدِ الحكَمِ، فوافَق ذلك ما وقَع فى نَفْسِ الأمْرِ، رحِمه اللَّهُ.

ومن شعرِ الربيعِ هذا[4]:

[٨/٩٧ظ] صَبْرًا جَميلًا ما أسْرَعَ الفَرَجَا ... مَن صَدَق اللَّهَ فى الأُمورِ نجا

مَن خشِىَ اللَّهَ لم يَنَلْه أذَى ... ومَن رجا اللَّهَ كان حيث رجا

فأمَّا الربيعُ بنُ سليمانَ بنِ داودَ الجِيزىُّ[5]، فإنه روَى عن الشافعىِّ أيضًا. وقد مات فى سنةِ ستٍّ وخمسين ومائتين[6]، رحِمهما اللَّهُ.

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٢/٢٤٨.

(٢) كذا ذكره المصنف فيمن توفى فى هذه السنة - أعنى سنة سبعين ومائة - وهو وَهْمٌ من المصنف، رحمه اللَّه، والصحيح أنه توفى سنة سبعين ومائتين، وهذا ما سيذكره المصنف نفسه ضمن حوادث سنة سبعين ومائتين.

(٣) انظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٩١.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٩٢.

(٥) ذكْر الربيع بن سليمان الجيزى هنا للتمييز بينه وبين الربيع بن سليمان المرادى.

(٦) المصدر السابق.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وسبعينَ ومائةٍ

فيها[1] أضاف الرشيدُ الخاتمَ إلى يحيى بنِ خالدٍ مع الوِزارةِ .

وفيها قتَل الرشيدُ أبا هُريرةَ محمدَ بنَ فَرُّوخَ نائبَ الجَزيرةِ صَبْرًا[2] فى قصرِ الخُلْدِ بينَ يديه .

وفيهاخرَج الفَضْلُ بنُ سعيدٍ الحَروريُّ فقُتِل .

وفيها قدِم رَوْحُ بنُ حاتمٍ إفْرِيقيَّةَ[3] . وخرَجت أُمُّ أميرِ المؤمنين الخَيْزُرانُ إلى مكةَ ، فأقامتْ بها حتى شهِدَت الحجَّ ، وكان الذى حجَّ بالناسِ عمُّ الخلفاءِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، رحِمه اللَّهُ ، وأَكْرَمَه ، وتَقَبَّل منه .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٣٥، والكامل ٦/ ١٠٨، ١٠٩.

(٢) فى تاريخ الطبرى أن الرشيد ضرب عنقه .

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « نائب إفريقية » ، وفى س ، ظ : « نائب الروم » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْنِ وسبعينَ ومائةٍ

فيها[1] وضَع الرشيدُ عن أهلِ العراقِ العُشْرَ الذى كان يُؤْخَذُ منهم بعدَ النِّصْفِ .

وفيها خرَج الرشيدُ مِن بَغْدادَ يَرْتادُ له مَوْضِعًا يَسْكُنُه غيرَها ، فلم يَبْرَحْ إلا أن تَشَوَّشَ[2] فيها ثم رجَع .

وفيها حجَّ بالناسِ يعقوبُ بنُ أبى جعفرٍ المنصورِ عمُّ هارونَ الرشيدِ .

وفيها غزا الصائفةَ إسْحاقُ بنُ سليمانَ بنِ عليٍّ .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٣٦، والكامل ٦/ ١١٨.

(٢) قال صاحب اللسان : « قال أبو منصور : التشويش لا أصل له فى العربية ، وإنه من كلام المولَّدين ، وأصله التهويش وهو التخليط » . اللسان (ش و ش) . وفى تاريخ الطبرى أنه خرج إلى مرج القلعة فاعتل بها فانصرف .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] **تُوُفِّىَ محمدُ بنُ سليمانَ** بالبَصْرةِ[2] ، فأمَر الرشيدُ بالاحْتِياطِ على حَواصِلِه التى تَصْلُحُ للخُلفاءِ ، فوجَدوا مِن ذلك شيئًا كثيرًا جدًّا ، فقبَضوه ؛ مِن الذَّهبِ والفضةِ والأمْتِعةِ التى يُستعانُ بها على الحربِ وعلى تَقَوِّى المسلمين مِن العُدَدِ والبَرْكِ[3] وغيرِ ذلك .

وهو محمدُ بنُ سليمانَ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[4] ، وأمُّه أمُّ حسنٍ بنتُ جعفرِ بنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىٍّ ، وكان مِن رِجالاتِ قريشٍ وشُجْعانِهم . جمَع له المنصورُ بينَ البَصْرةِ والكُوفةِ ، وزوَّجه المهدىُّ ابنتَه العَبَّاسةَ ، وكان له مِن الأمْوالِ شىءٌ كثيرٌ ، وكان دَخْلُه[5] كلَّ يومٍ مائةَ ألفٍ . وكان له خاتمٌ مِن ياقوتٍ أحْمرَ لم يُرَ مثلُه .

روَى الحديثَ عن أبيه ، عن جَدِّه الأكْبرِ - وهو ابنُ عباسٍ - حديثًا مرفوعًا فى مَسْحِ رأسِ اليَتيمِ إلى مُقَدَّمِ رأسِه ، ومسْحِ رأسِ مَن له أبٌ إلى مُؤَخَّرِه[6] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٣٧، والكامل ٦/ ١١٩.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢٩١، والمنتظم ٨/ ٣٥٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٧١، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢١.

(٣) البَرْك : الإبل الكثيرة . اللسان (ب ر ك) .

(٤) فى المنتظم : « غلته » .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٥/ ٢٩١، من طريق محمد بن سليمان به . بلفظ : « امسح رأس اليتيم هكذا إلى مقدم رأسه ، ومن له أب هكذا إلى مؤخر رأسه » .

وقد وفَد على الرشيدِ ، فهنَّأه بالخِلافةِ ، فأكْرَمه وعظَّمه ، وزاده فى عملِه شيئًا [٨/٩٨و] كثيرًا . ولما أراد الخُروجَ خرَج معه الرشيدُ يُشَيِّعُه إلى كلْواذَى[١] .

تُوُفِّىَ فى جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ عن إحدى وخمسين سنةً .

وقد أرْسَل الرشيدُ مَن اصْطَفَى مِن مالِه الصامتِ ، فوجَد له مِن الذهبِ ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، ومِن الدراهمِ ستين ألفَ ألفٍ ، خارجًا عن الأمْلاكِ والجواهرِ .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ[٢] أن وفاتَه ووفاةَ الخَيْزُرانِ فى يومٍ واحدٍ .

وقد وقَفَت جاريةٌ مِن جَوارِيه على قبرِه ، فأنْشَأت تقولُ :

أمْسَى الترابُ لمن هَوِيتُ مَبِيتَا ... ألْقَ التُّرابَ فقُلْ له حُيِّيتا
إنا نُحِبُّك يا ترابُ وما بنا ... إلا كَرامةُ مَن عليه حُثِيتا

وفيها تُوُفِّيَت الخَيْزُرانُ[٣] جاريةُ المهدىِّ وأمُّ أميرَى المؤمنين الهادى والرشيدِ ، اشْتَراها المهدىُّ وحظِيَت عندَه جدًّا ، ثم أعْتَقها وتزَوَّجها ، وولَدت له خليفَتَيْن ؛ موسى الهادىَ والرشيدَ ، ولم يَتَّفِقْ هذا لغيرِها مِن النساءِ إلا لوَلَّادةَ بنتِ العباسِ العَبْسِيَّة ، زوجةِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ، وهى أمُّ الوليدِ وسليمانَ . وإلا لشاهفِرِنْدَ[٤]

---

(١) كلواذى : طسُّوج - أى ناحية - قرب مدينة السلام بغداد . معجم البلدان ٤/ ٣٠١.
(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٣٨. وانظر المنتظم ٨/ ٣٥١، ٣٥٢.
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٠، والمحبر ص ٣٧، ٣٨، والمنتظم ٨/٣٤٦ - ٣٤٨، ونهاية الأرب ٢٢/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣١٠.
(٤) فى المنتظم : « شاهقيريذ » ، وفى المحبر ص ٣١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧: « شاهفريذ » ، وفى تاريخ الطبرى ٧/ ٢٩٨: « شاه آفريد » ، وفى مروج الذهب ٣/ ٢٢٦: « سارية » . والمثبت موافق لما فى الكامل ٥/ ٣١٠. وانظر ما تقدم فى ١٠/ ١٩٢.

بنتِ فَيْروزَ بنِ يَزْدَجِرْدَ ، ولَدت لمَوْلاها الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ [1] بنِ مَرْوانَ ، يزيدَ [1] وإبراهيمَ ، وكلاهما وَلِيَ الخِلافةَ .

وقد رُوِىَ مِن طريقِ الخَيْزُرانِ ، عن مولاها المهدىِّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنه قال [2] : « مَن اتَّقَى اللَّهَ وقاه اللَّهُ كلَّ شىءٍ » .

ولما عُرِضَت [3] على المهدىِّ ليَشْتَرِيَها أعْجَبَته إلا دِقَّةَ ساقَيْها ، فقال لها : يا جاريةُ ، إنك لَعلى غايةِ المُنَى لولا خُموشةٌ فى ساقَيْكِ . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إنك أحْوَجَ ما تَكونُ إليهما لا تَراهما . فاسْتَحْسَن جوابَها واشْتَراها ، وحظِيَت عندَه جدًّا .

وقد حجَّت [4] الخَيْزُرانُ مرةً فى حياةِ المهدىِّ ، فكتَب إليها وهى بمكةَ يَسْتَوْحِشُ لها ، ويَتَشَوَّقُ إليها ، يقولُ :

نحن فى غايةِ السُّرورِ ولكن ... ليس إلا بكم يَتِمُّ السُّرورُ
عَيْبُ ما نحن فيه يا أهلَ وُدِّى ... أنكم غُيَّبٌ ونحن حُضورُ
فأَجِدُّوا فى السَّيْرِ بل إن قدَرْتُم ... أن تَطِيروا مع الرياحِ فطِيروا

فأجابَتْه أو قالت لمن أجابه :

قد أتانا الذى وصَفْتَ مِن الشَّوْ ... قِ فكِدْنا وما فعَلْنا نَطِيرُ

(١ - ١) فى ب ، م : « مروان » .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٠، ٤٣١، من طريق الخيزران به . قال الذهبى فى تاريخ الإسلام : لا يثبت .

(٣) انظر المنتظم ٨/ ٣٤٦.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٣٤٧، ٣٤٨.

[٨/٩٨ظ] ليت أَنَّ الرياحَ كن يُؤَدِّيْـ ـن إليكم ما قد يُجِنُّ الضَّميرُ
لم أَزَلْ صَبَّةً فإن كنتَ بعدى فى سُرورٍ فدام ذاك السُّرورُ

وذكَروا[١] أنه أهْدَى إليها محمدُ بنُ سليمانَ نائبُ البَصْرةِ مائةَ وَصيفٍ ، مع كلِّ وَصيفٍ جامٌ[٢] مِن فضةٍ مَمْلوءٌ مِسْكًا . فكتَبَتْ إليه : إن كان ما بعَثْتَه ثمنًا عن ظنِّنا فيك فظنُّنا فيك أكثرُ مما بعَثْتَ ، وقد بخَسْتَنا فى الثمنِ ، وإن كنتَ تُرِيدُ به زِيادةَ المَوَدَّةِ فقد اتَّهَمْتَنى فى المودةِ . ورَدَّتْها عليه .

وقد اشْتَرَت الدارَ المَشْهورةَ بها بمكةَ المَعْروفةَ بدارِ الخَيْزُرانِ ، فزادَتْها فى المسجدِ الحَرامِ .

وكان[٣] مُغَلُّ ضِياعِها فى كلِّ سنةٍ ألفَ ألفٍ وستين ألفًا .

واتَّفَق[٤] موتُها ببَغْدادَ ليلةَ الجمُعةِ لثلاثٍ بَقِين مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ ، فخرَج ابنُها الرشيدُ فى جِنازتِها وهو حاملٌ سَريرَها يَخُبُّ فى الطِّينِ ، فلما انْتَهَى إلى المَقْبَرةِ أُتِى بماءٍ ، فغسَل رجليْه ، ولبِس خفًّا ، وصلَّى عليها ، ونزَل فى لَحْدِها ، فلما خرَج مِن القبرِ أُتِى بسَريرٍ ، فجلَس عليه ، واسْتَدْعى بالفَضْلِ بنِ الربيعِ ، فولَّاه الخاتمَ والنَّفَقاتِ . وأنْشَد الرشيدُ[٥] قولَ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرةَ حينَ دفَن أُمَّه الخَيْزُرانَ[٦] :

---

(١) المنتظم ٨/ ٣٤٧. وقد لفق المصنف الخبر هنا بين روايتين وأوردهما فى سياق واحد .
(٢) الجام : الإناء . اللسان (ج و م) .
(٣) انظر المنتظم ٨/ ٣٤٨.
(٤) المصدر السابق ٨/ ٣٤٨.
(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٤٦٣.
(٦) الأولى أن يقول : حين دفن أخاه مالكا . أو يقول : أنشد الرشيد حين دفن أمه الخيزران قول متمم :...

وكُنَّا كنَدْمانَىْ جَذِيمةَ بُرْهَةً مِن الدَّهْرِ حتى قيل لن يَتَصَدَّعا
فلما تفَرَّقْنا كأنِّى ومالكًا لطولِ اجْتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معًا

وممن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ غادِرُ[1] جاريةٌ كانتْ لموسى الهادى، وكان يُحِبُّها حبًّا شديدًا جدًّا، وكانتْ تُحْسِنُ الغِناءَ جيِّدًا، فبينما هى يومًا تُغَنِّيه إذ أخَذَتْه فِكْرةٌ غيَّبَتْه عنها، وتغَيَّر لونُه، فسأَله بعضُ الحاضِرين: ما هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: أخَذتْنى فِكْرةٌ؛ أنِّى أَموتُ، وأنَّ أخى هارونَ يَتَوَلَّى الخِلافةَ بعدى، ويَتَزَوَّجُ جاريتى هذه. ففدَّاه الحاضرون، ودعَوْا له بطُولِ العمرِ، فاسْتَدْعَى أخاه هارونَ، فأخْبَره بما وقَع فى فكرِه، فعوَّذَه الرشيدُ مِن ذلك، فاسْتَحْلَفه الهادى بالأَيْمانِ المُغَلَّظةِ مِن الطَّلاقِ والعَتاقِ، والحجِّ ماشيًا حافيًا أن لا يَتَزَوَّجَها، فحلَف له، واسْتَحْلَف الجاريةَ بالحجِّ والعَتاقِ، فحلَفَت له، فلم يَكُنْ إلا أقلُّ مِن شهرٍ حتى مات، فلمَّا كان بعدَ ذلك بعَث الرشيدُ إليها يَخْطُبُها، فقالت: كيف بالأَيْمانِ التى حَلفْتَها وحلَفْتُها؟ فقال: أنا أُكَفِّرُ عنك وعنِّى. وتزَوَّجها فحظِيَت عندَه أيضًا جدًّا، [٨/٩٩و]حتى كانتْ تَنامُ فى حِجْرِه فلا يَتَحَرَّكُ خَشْيةَ أن يُزْعِجَها مِن منامِها، فبينما هى ذاتَ ليلةٍ نائمةٌ معه إذ انْتَبَهَت مَذْعورةً تَبْكى، فقال لها: ما شأنُك؟ فقالت: يا أميرَ المؤمنين، رأيْتُ الهادىَ مَوْلاىَ فى مَنامى هذا وهو يقولُ:

أخْلَفْتِ عَهْدى بعدَ ما جاوَرْتُ سُكَّانَ المَقابرْ
ونَسِيتِنى وحِنِثْتِ فى أَيْمانِك الكَذِبِ الفَواجرْ
ونَكَحْتِ غادرةً أخى صدَق الذى سَمَّاك غادرْ

---

(١) المنتظم ٨/ ٣٤٩، ٣٥٠.

أمْسَيْتُ فى أهلِ البِلَى (١وغدوتِ فى الحورِ الغرائرْ١)
لا يَهْنِكِ الإلْفُ الجديـ ـدُ ولا تَدُرْ عنك الدوائرْ
ولحِقْتِ بى قبَل الصبا حِ وصِرْتِ حيث غدَوْتُ صائرْ

فقال لها الرشيدُ: إنما هذا أضْغاثُ أحْلامٍ. فقالتْ: كلَّا واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين، لكأنَّما كُتِبَت هذه الأبْياتُ فى قَلْبى. ثم ما زالَت تَضْطَرِبُ وتَرْتَعِدُ حتى ماتتْ قبلَ الصباحِ.

هَيْلانةُ جاريةُ الرشيدِ(٢)، وهو الذى سمَّاها هيلانةَ لكَثْرةِ قولِها: هى لانة.

قال الأصْمَعىُّ(٣): وكان لها مُحِبًّا، وكانتْ قبلَه ليحيى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ، فدخَل الرشيدُ يومًا منزلَه قبلَ الخِلافةِ، فاعْتَرَضَتْه فى الطريقِ، فقالت: أما لنا منك نَصيبٌ؟ فقال لها: وكيف السبيلُ إلى ذلك؟ فقالتْ: اسْتَوْهِبْنى مِن هذا الشيخِ. فاسْتَوْهَبها مِن يحيى بنِ خالدٍ، فوهَبها له فحظِيَت عندَه، ومكَثَت عندَه ثلاثَ سنين، ثم تُوُفِّيَت، فحزِن عليها حُزْنًا شديدًا ورَثاها واسْتَرْثاها، وكان مِن قولِه فيها:

قد قلتُ لما ضمَّنوكِ الثَّرَى وجالتِ الحَسْرةُ فى صَدْرى
اذْهَبْ فلا واللَّهِ لا سَرَّنى بعدَكِ شىءٌ آخِرَ الدَّهْرِ

وقال العباسُ بنُ الأحْنَفِ فى موتِها(٤):

(١ - ١) فى ب، م: «وعددت فى الموتى الغوابر».
(٢) تاريخ بغداد ١/ ٩٧، ٩٨، والمنتظم ٨/ ٣٥٢، ٣٥٣.
(٣) تاريخ بغداد ١/ ٩٧، ٩٨، والمنتظم ٨/ ٣٥٢.
(٤) تاريخ بغداد ١/ ٩٨، والمنتظم الموضع السابق، وديوان العباس ص ٢٠٨.

يا مَن تَباشَرَتِ القُبورُ بموتِها قصَدَ الزمانُ مَساءَتى فرماكِ
أَبْغِى الأنِيسَ فما أرَى لىَ مُؤْنِسًا إلا التَّرَدُّدَ حيث كنتُ أراكِ
مَلِكٌ بكاكِ وطال بَعْدَكِ حُزْنُهُ لو يَسْتَطيعُ بمُلْكِه لفداكِ
تحْمِى الفؤادَ عنِ النساءِ حَفِيظةً كَيْلا يَحُلَّ حِمَى الفؤادِ سواكِ

[٨/٩٩ظ] قال : فأمَر له الرشيدُ بأربعين ألفًا ؛ لكلِّ بيتٍ عشَرةُ آلافٍ .

ثم دخَلَت سنةُ أرْبعٍ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] وقَعَت عَصبيةٌ بالشامِ وتَخْبيطٌ بين أهْلِها .

وفيها اسْتَقْضَى الرشيدُ يوسفَ ابنَ القاضى أبى يوسُفَ وأبوه حَىٌّ .

وفيها غزا الصائفةَ عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ ، فدخَل بلادَ الرومِ .

وفيها حجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين الرشيدُ ، فلما اقْتَرَب مِن مكةَ بلَغه أن بها وَباءً ، فلم يَدْخُلْ مكةَ حتى كان وقتُ الوُقوفِ فوقَف ، ثم جاء المُزْدَلِفةَ ، ثم مِنًى ، ثم دخَل مكةَ ، فطاف وسعَى ، وارْتَحل ، ولم يَنْزِلْ بها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٣٩، والكامل ٦/ ١٢١.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] أخَذ الرشيدُ البيعةَ بِولايةِ العَهْدِ مِن بعدِه لولدِه محمدِ ابنِ زُبَيْدةَ، وسمَّاه الأمينَ، وعمرُه إذ ذاك خمسُ سنين، فقال فى ذلك سَلْمٌ الخاسرُ:

قد وفَّق اللَّهُ الخليفةَ إذ بنَى ... بيتَ الخِلافةِ للهِجانِ الأَزْهَرِ[2]
فهْو الخليفةُ عن أبيه وجَدِّهِ ... شهِدا عليه بمَنْظَرٍ وبمَخْبَرِ
قد بايَع الثَّقَلان فى مَهْدِ الهُدَى ... لمحمدِ ابنِ زُبَيْدةَ ابنةِ جعفرِ

وقد كان الرشيدُ يَتَوسَّمُ النَّجابةَ والرَّجاحةَ فى عبدِ اللَّهِ المأمونِ، ويقولُ: واللَّهِ إن فيه حَزْمَ المنصورِ، ونُسُكَ المَهْدىِّ، وعِزَّةَ نَفْسِ الهادى، ولو شِئْتُ أن أقولَ الرابعةَ منِّى لقُلْتُ، وإنى لَأُقَدِّمُ محمدَ ابنَ زُبَيْدةَ عليه وإنى لَأَعْلَمُ أنه مُتَّبِعٌ هَواه، ولكن لا أَسْتَطِيعُ غيرَ ذلك. ثم أَنْشَأ يقولُ:

لقد بان وَجْهُ الرأيِ لى غيرَ أننى ... غُلِبْتُ على الأمْرِ الذى كان أحْزَما
وكيف يُرَدُّ الدَّرُّ فى الضَّرْعِ بعدَما ... تَوَزَّعَ حتى صار نَهْبًا مُقَسَّمَا
أَخافُ الْتِواءَ الأمْرِ بعدَ اسْتِوائِه ... وأن يُنْقَضَ الأمْرُ الذى كان أُبْرِما

وغزا الصائفةَ عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ، فى قولِ الواقدىِّ. وحجَّ بالناسِ أميرُ المؤمنين هارونُ الرشيدُ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٤٠، ٢٤١، والمنتظم ٩/٩ - ١١، والكامل ٦/ ١٢٢، ١٢٣.
(٢) الهجان: الكريمُ الحسبِ. اللسان (هـ ج ن).

وفيها سار يَحْيَى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ إلى الدَّيْلَمِ، وتحَرَّك هنالك.

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ:

شَعْوانةُ العابدةُ الزاهدةُ[1]، كانتْ أمَةً سَوْداءَ، كثيرةَ العِبادةِ، رُوِى عنها كلماتٌ حِسانٌ، وقد سألها الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ الدُّعاءَ، فقالتْ: أمَا بينَك وبينَه ما إن دعَوْتَه اسْتَجاب لك؟ فشهِق الفُضَيْلُ، ووقَع مَغْشِيًّا عليه.

والليثُ بنُ سعدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الفَهْمىُّ مَوْلاهم[2]، قال [٨/١٠٠و] ابنُ خَلِّكانَ[3]: كان مَوْلى قيسِ بنِ رِفاعةَ، وهو مولى عبدِ الرحمنِ بنِ مُسافِرٍ الفَهْمىِّ، إمامُ أهلِ الديارِ المِصْريةِ، وُلِد بقَرْقَشَنْدَةَ مِن بلادِ مِصْرَ سنةَ أربعٍ وتسعين. وكانتْ وَفاتُه فى شَعبانَ مِن هذه السنةِ، ونشَأ بالديارِ المصريةِ.

وقال ابنُ خَلِّكانَ[4]: أصلُه مِن قَلْقَلَشَنْدَةَ[5]، وضبَطه بلامَيْن، الثانيةُ مُتَحَرِّكةٌ.

---

(١) المنتظم ٩/ ١١، ١٢، وصفة الصفوة ٤/ ٥٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٧، وطبقات الفقهاء ص ٧٨، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣، والمنتظم ٩/ ١٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٢٧، ١٢٩، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٢٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٠٢.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ١٢٧.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ١٢٨.

(٥) فى الأصل، ب، س، م: «قلقشندة». وبالرجوع إلى وفيات الأعيان الموضع السابق وجدناها «قلقشندة» بلام واحدة. قال القلقشندى: قال ابن خلكان: بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة. وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية، وأبدل ياقوت فى «معجم البلدان» اللامَ راءً، وهو الجارى على ألسنة العامة، وعليه جرى القُضاعى فيما رأيته مكتوبا فى «خِططه». اهـ. صبح الأعشى ٣/ ٣٩٩.

وحَكَى[1] عن بعضِهم أنه كان حنَفِيَّ المَذهبِ، وأنه وَلِيَ القَضاءَ بِمِصْرَ، وأنّه وُلِد فى سنةِ أربعٍ وعِشْرينِ ومائةٍ، وذلك غريبٌ جدًّا.

وذَكَر[2] أنه كان يَدْخُلُ له مِن مِلْكِه فى كلِّ سنةٍ خمسةُ آلافِ دِينارٍ.

وقال غيرُه[3]: كان يَدْخُلُ له مِن الغَلَّةِ فى كلِّ سنةٍ ثمانون ألفَ دينارٍ، وما وجَبَت عليه زكاةٌ.

وكان إمامًا فى الفقهِ والحديثِ والعربيةِ.

قال الشافعىُّ[4]: كان الليثُ أفْقَهَ مِن مالكٍ إلا أنه ضيَّعه أصحابُه.

وبعَث[5] إليه مالكٌ يَسْتَهْدِيه شيئًا مِن العُصْفُرِ لأجلِ جَهازِ ابنتِه، فبعَث إليه ثلاثين حِمْلًا، فاسْتَعْمَل منه مالكٌ حاجتَه، وباع منه بخمسِمائةِ دينارٍ، وبَقِى عندَه بَقيةٌ.

وحجَّ[6] مرةً فأهْدَى له مالكٌ طَبَقًا فيه رُطَبٌ، فرَدَّ الطَّبَقَ وفيه ألفُ دينارٍ.

وكان[7] يَهَبُ الرجلَ مِن أصحابِه مِن العُلماءِ والعُبّادِ الألفَ دينارٍ وما يُقارِبُ ذلك.

وكان[8] يَخْرُجُ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ فى البَحْرِ هو وأصحابُه فى مَرْكَبٍ، ومَطْبَخُه

---

(١) أى ابن خلكان. وفيات الأعيان ٤/ ١٢٧، ١٢٨.
(٢) المصدر السابق ٤/ ١٢٧.
(٣) المصدر السابق ٤/ ١٣٠.
(٤) المصدر السابق ٤/ ١٢٧.
(٥) انظر المصدر السابق ٤/ ١٣٠.
(٦) انظر المصدر السابق ٤/ ١٣١.
(٧) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٨، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٠، ١٣١.
(٨) المصدر السابق ٤/ ١٣١.

فى مَرْكَبٍ . ومَناقِبُه كثيرةٌ جدًّا ، وقد ذكَرناه فى « التكميلِ » .

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[1] أنه سُمِع قائلٌ يَقولُ يومَ مات الليثُ :

ذهَب الليثُ فلا ليثَ لكم ومضَى العلمُ غَريبًا وقُبِرْ

فالْتفتوا فلم يَرَوا أحدًا .

والمُنْذِرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المُنْذرِ القُرَشىُّ[2] ، عرَض عليه المهدىُّ أن يَلِىَ القَضاءَ ويُعْطِيَه مِن بيتِ المالِ مائةَ ألفِ دِرهمٍ ، فقال : إنى كنتُ عاهَدْتُ اللَّهَ أن لا أَلِىَ شيئًا ، وأُعِيذُ أميرَ المؤمنين باللَّهِ أن أَخِيسَ[3] بعَهْدى . فقال له المهدىُّ : آللَّهِ ؟ قال : آللَّهِ . قال : انْطَلِقْ فقد أعْفَيْتُك .

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٢٨.

(٢) التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٩، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٤٤، والمنتظم ٩/ ١٤، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٧٢.

(٣) فى س، ص، ظ : «أحبس». وأخيس بعهدى : أنقضه. اللسان (خ ى س).

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] كان ظُهورُ يَحْيَى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ببلادِ الدَّيْلَم، واتَّبعه خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ، وقوِيَت شَوْكتُه، وارْتَحل إليه الناسُ مِن الكُوَرِ والأمْصارِ، فانْزَعَج لذلك الرشيدُ، وقلِق مِن أمْرِه، فندَب إليه الفَضْلَ بنَ يَحْيَى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ فى خمسين ألفًا، وولَّاه كُوَرَ الجبلِ والرَّىِّ وجُرْجانَ وطَبَرِسْتانَ وقُومِسَ والرُّويَانِ، وغيرَ ذلك، فسار الفَضْلُ بنُ يَحْيَى إلى تلك الناحيةِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ، وكُتُبُ الرشيدِ تَلْحَقُه مع البُرُدِ فى [٨/١٠٠ظ] كلِّ مَنْزلةٍ، وأنْواعُ التُّحَفِ والبِرِّ، وكاتَب الفضلُ صاحبَ الدَّيْلَم، ووعَده بألفِ ألفِ درهمٍ إن هو سهَّل خُروجَ يَحْيَى بنِ عبدِ اللَّهِ إليهم، وكتَب الفَضْلُ إلى يَحْيَى بنِ عبدِ اللَّهِ يَعِدُه ويُمَنِّيه ويُؤَمِّلُه ويُرَجِّيه ويبسُطُ أمَلَه، إن هو خرَج إليه أن يُقِيمَ له العُذْرَ عندَ الرشيدِ، فامْتَنع يَحْيَى أن يَخْرُجَ إليهم حتى يَكْتُبَ له الرشيدُ كتابَ أمانٍ بيدِه، فكتَب الفَضْلُ إلى الرشيدِ بذلك، ففرِح الرشيدُ، ووقَع منه مَوْقِعًا عَظيمًا، وكتَب الأمانَ بيدِه، وأشْهَد عليه القُضاةَ والفُقَهاءَ ومَشْيَخةَ بنى هاشمٍ، منهم عبدُ الصمدِ بنُ عليٍّ، وبعَث الأمانَ، وأرْسَل معه جَوائزَ وتُحَفًا كثيرةً جدًّا، فلما وصَلت إلى الفضلِ بعَثها بكمالِها إلى يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ، فخرَج يحيى بنُ عبدِ اللَّهِ إليهم، فسار به الفضلُ، فدخَل به بَغْدادَ، وتلَقَّاه الرشيدُ، وأكْرَمه وأجْزَل له العَطاءَ، وخدَمه آلُ بَرْمَكَ خِدْمةً عظيمةً، بحيث إن يحيى بنَ خالدٍ كان يَتولَّى

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٤٢ - ٢٥١، والمنتظم ٩/١٦ - ٢٠، والكامل ٦/١٢٥، ١٢٦.

خِدْمَتَه بنَفْسِه ، وعظُم الفَضْلُ عندَ الرشيدِ جدًّا بهذه الفَعْلةِ ؛ حيث سعَى فى الإصلاحِ بينَ العباسيِّين والفاطميِّين .

ففى ذلك يَقولُ مَرْوانُ بنُ أبى حَفْصةَ يَمْدَحُ الفَضْلَ بنَ يحيى ، ويَشْكُرُه على سَعْيِه هذا :

ظَفِرْتَ فلا شَلَّتْ يدٌ بَرْمَكِيَّةٌ ... رتَقْتَ بها الفَتْقَ الذى بينَ هاشمِ
على حينَ أعْيا الراتقِين الْتِئامُه ... فكَفُّوا وقالوا ليس بالمُتلائمِ
فأصْبَحْتَ قد فازت يداكَ بخُطَّةٍ ... مِن المجدِ باقٍ ذِكْرُها فى المَواسِمِ
وما زال قِدْحُ المُلْكِ يَخْرُجُ فائزًا ... لكم كلما ضُمَّت قِداحُ المُساهمِ

قالوا[1] : ثم إن الرشيدَ تنكَّر ليَحْيَى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، وتغَيَّر عليه ، ويُقالُ : إنه سجَنه ، ثم استحْضَره الرشيدُ وعنده القاضيان محمدُ بنُ الحسنِ وأبو البَخْتَرِىِّ ، وعندَه جَماعاتٌ مِن الهاشميين وغيرِهم ، وأحْضَر الأمانَ الذى كان بعَثه إليه ، فسأَل الرشيدُ محمدَ بنَ الحسنِ عن هذا الأمانِ أصَحيحٌ هو ؟ قال : نعم . فتغَيَّظ الرَّشيدُ عليه . وقال أبو البَخْتَرِىِّ : ليس هو بصحيحٍ ، فاحْكُمْ فيه بما شِئْتَ . ومزَّق الأمانَ ، وبصَق فيه أبو البَخْتَرِىِّ ، وأقْبَل الرشيدُ على يَحْيَى بنِ عبدِ اللَّهِ فقال : هِيهِ هِيهِ . وهو يَتَبسَّمُ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ، وقال : إن الناسَ يَزْعُمون أنا سمَمْناك . فقال له يَحْيَى : يا أميرَ المؤمنين ، إن لنا قَرابةً ورَحِمًا وحقًّا ، فعلامَ تُعَذِّبُنى وتَحْبِسُنى ؟ فرقَّ له الرشيدُ ، فاعْتَرَض بَكَّارُ بنُ مُصْعَبِ بنِ ثابتِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا يَغُرَّنَّك كلامُ هذا ، فإنه عاصٍ شاقٌّ ، وإنما هذا منه [٨/١٠١و] مَكْرٌ وخُبْثٌ ، وقد أفْسَد علينا مَدينتَنا ، وأظْهَر فيها

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/٢٤٤ - ٢٥١.

العِصْيانَ . فقال له يَحْيَى : ومَن أنتم عافاكم اللَّهُ ؟ وإنما هاجَر أبوك إلى المدينةِ بآبائى وآباءِ هذا . ثم قال يحيى : يا أميرَ المؤمنين ، إنما الناسُ نحن وأنتم ، واللَّهِ يا أمير المؤمنين ، لقد جاء إلىَّ هذا حينَ قُتِل أخى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، فقال : لعَن اللَّهُ قاتِلَه . وأنشدَنى فيه مَرْثِيَةً نحوًا مِن عِشْرين بيتًا ، وقال : إن تحَرَّكْتَ فى هذا الأمْرِ فأنا أولُ مَن يُبايِعُك ، وما يَمْنَعُك أن تَلْحَقَ بالبَصْرةِ وأيْدِينا مع يدِك ؟ قال : فتغَيَّر وجْهُ الزُّبَيْرىِّ ، وأنْكَر وشرَع يَحْلِفُ بالأيْمانِ المُغَلَّظةِ : إنه لكاذبٌ فى ذلك . وتَنَمَّر الرشيدُ ، وقال ليَحْيَى : أتَحْفَظُ شيئًا مِن المَرْثِيَةِ ؟ قال : نعم . وأنْشَده منها جانبًا . فازْداد الزُّبَيْرىُّ فى الإنْكارِ ، فقال له يَحْيَى بنُ عبدِ اللَّهِ : فقل : إن كنتُ كاذبًا فقد بَرِئْتُ مِن حَوْلِ اللَّهِ وقوتِه ، ووكَلَنى اللَّهُ إلى حَوْلى وقوتى . فامْتَنع مِن الحَلِفِ بذلك ، فعزَم عليه الرشيدُ ، وتغَيَّظ عليه ، فحلَف بذلك ، فما كان إلا أن خرَج مِن عندِ الرشيدِ فرماه اللَّهُ بالفالِجِ ، فمات مِن ساعتِه . ويُقالُ : إن امْرأتَه غمَّت وجهَه بمِخَدَّةٍ ، فقَتلَتْه ، فاللَّهُ أعلمُ .

ثم إن الرشيدَ أطْلَق يَحْيَى بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ ، وأطْلَق له مائةَ ألفِ دينارٍ ، ويُقالُ : إنما حبَسه بعضَ يومٍ . وقيل : ثلاثةَ أيامٍ . وكان جُمْلةُ ما وصَله مِن المالِ مِن الرشيدِ أربعَمائةِ ألفِ دينارٍ مِن بيتِ المالِ ، وعاش بعدَ ذلك كلِّه شهرًا واحدًا ، ثم مات ، رحِمه اللَّهُ وأكرَم مَثواه .

وفى هذه السنةِ[1] وقَعَت فِتْنةٌ عظيمةٌ بالشامِ بينَ النِّزاريَّةِ - وهم قيسٌ - واليَمانِيَّةِ ، وهذا كان أولَ بُدُوِّ أمْرِ العِشْرَينِ[2] بحَوْرانَ ، وهم قيسٌ ويَمَنٌ ، أعادوا

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٥١، ٢٥٢، والمنتظم ٩/ ١٨، والكامل ٦/١٢٧ - ١٣٣.

(٢) فى م : «العشيرتين» . والعِشْر : القطعة من كل شىء . تاج العروس (ع ش ر) .

ما كانوا عليه فى الجاهليةِ فى هذا الأوانِ ، فقُتِل منهم بشرٌ كثيرٌ ، وكان على نيابةِ الشامِ كلِّها مِن جهةِ الرشيدِ ابنُ عمِّه موسى بنُ عيسى ، وقيل : عبدُ الصَّمَدِ بنُ عليٍّ . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ وكان على نيابةِ دمشقَ بخصوصِها سَنْدِىُّ بنُ شاهكَ(٢) أحدُ موالى أبى جعفرٍ المنصورِ ، وقد هدَم سورَ دمشقَ حينَ هاجت هذه الفتنةُ ؛ خوفًا مِن أن يتغلَّبَ عليها أبو الهيذامِ المُرِّىُّ رأسُ القَيْسيةِ ، وقد كان سِنْدىٌّ هذا دميمَ الخَلْقِ . قال الحافظُ(٣) : وكان لا يُحَلِّفُ المُكارىَ ولا الملّاحَ ولا الحائكَ ، ٤)يقولُ : القولُ قولُهم٤) . ويستخيرُ اللَّهَ فى الجَمّالِ ومُعَلِّمِ الكُتَّابِ . وقد تُوُفِّىَ سِنْدِىٌّ سنةَ أربعٍ ومائتين١) .

فلمَّا تفاقَم الأمْرُ بعَث الرشيدُ مِن جهتِه موسى بنَ يحيى بنِ خالدٍ ، ومعه جَماعةٌ مِن القُوَّادِ ورُءوسِ الكُتَّابِ ، [٨/١٠١ظ] فأصْلَحوا بينَ الناسِ ، وهدَأَت الفِتنةُ ، واسْتَقام أمْرُ الشامِ ، وحمَلوا جَماعاتٍ مِن رُءوسِ الفِتْنةِ إلى مدينةِ السلامِ ، فردَّ الرشيدُ أمْرَهم إلى يَحْيَى بنِ خالدٍ ، فعفا عنهم وأطْلَقهم ، وفى ذلك يقولُ بعضُ الشُّعراءِ :

قد هاجَتِ الشامُ هَيْجًا ... يُشِيبُ راسَ وَلِيدِهْ
فصُبَّ موسى عليها ... بخَيْلِه وجُنودِهْ

(١ - ١) سقط من : ص . وانظر مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٢١٠.
(٢) فى ب ، م : « سهل » ، وفى الأصل ، س ، ظ : « ساهل » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق . وانظر الإكمال ٥/ ٢، ٣.
(٣) فى الأصل ، ب ، م : « الجاحظ » . وهو تحريف . والحافظ هنا هو ابن عساكر .
(٤ - ٤) فى مختصر تاريخ دمشق : « كان يجعل القول قول المدعى » .

فـدانَـت الـشـامُ لمّا أتَـى نَـسـيـجُ وَحـيـدِهْ
هـذا الجَـوادُ الـذى بُـذَّ كـلُّ جُـودٍ بـجُـودِهْ

أَعْـداه جُـودُ أبـيـه يـحـيـى وجُـودُ[1] جُـدودِهْ

فـجاد مـوسى بنُ يحيى بـطـارفٍ وتَـلـيـدِهْ
ونـال مـوسـى ذُرَى المجـ ـدِ وهْـو حَـشْـوُ مُـهـودِهْ
خـصَـصْـتُـه بمَـدِيـحـى مَـنْـثـورِه وقَـصـيـدِهْ
مِـن الـبَـرامِـكِ عُـودٌ لـه فـأَكْـرِمْ بـعُـودِه
حَـوَوْا عـلـى الـشِّـعْـرِ طُـرًّا خـفـيـفِـه ومَـديـدِهْ

وفيها[2] عزَل الرشيدُ الغِطْريفَ بنَ عَطاءٍ عن خُراسانَ، وولَّاها حَمْزةَ بنَ مالكِ بنِ الهَيْثمِ الخُزاعىَّ المُلَقَّبَ بالعَروسِ.

وفيها ولَّى الرشيدُ جَعْفرَ بنَ يَحْيَى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ نِيابةَ مِصْرَ، فاسْتَناب جعفَرٌ عليها عمرَ بنَ مِهْرانَ، وكان شَنيعَ الشَّكْلِ، زَرِىَّ الخَلْقِ، [3]بيِّنَ الكِنْبةِ[3]، أحْوَلَ، وما كان سببَ ولايةِ الرشيدِ إيّاه الديارَ المصريةَ إلَّا أن نائبَها موسى بنَ عيسى كان قد عزَم على خَلْعِ الرَّشيدِ، فقال: واللَّهِ لَأَعْزِلَنَّه ولَأُوَلِّيَنَّ عليها أخَسَّ الناسِ. فاسْتَدْعَى عمرَ بنَ مِهْرانَ هذا، ووَلَّاه عليها نيابةً عن جعفرِ بنِ يَحْيَى بنِ خالدِ البَرْمَكىِّ، فسار إليها عمرُ بنُ مِهرانَ على بَغْلٍ وغلامُه أبو دُرَّةَ على بَغْلٍ آخرَ، فدخَلها كذلك، فانْتَهَى إلى مجلسِ نائبِها موسى بنِ عيسى، فجلَس فى

---

(١) فى الأصل، س، ص، ظ: «جدّ».

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/٢٥٢ - ٢٥٤، والمنتظم ٩/ ١٩، ٢٠، والكامل ٦/ ١٢٦، ١٢٧.

(٣ - ٣) فى الأصل، س، ص، ظ: «بين الكتبة» بالتاء الفوقية، وفى ب، م: «زمن الكف»، ولعل المثبت هو الصواب. والكَنَبُ: غِلظٌ يعلو الرِّجل واليد، وخص بعضهم به اليد إذا غلظت من العمل. انظر اللسان (ك ن ب).

أُخْرَياتِ الناسِ ، فلما انْفَضَّ الناسُ أقْبَل عليه موسى بنُ عيسى وهو لا يَعْرِفُ مَن هو ، فقال : ألك حاجةٌ يا شيخُ ؟ قال : نعم ، أصْلَح اللَّهُ الأميرَ . ثم قام بالكتبِ ، فدفعها إليه ، فلما قرَأها قال : أنت عمرُ بنُ مِهْرانَ ؟ قال : نعم . قال : لعَن اللَّهُ فِرْعونَ حينَ قال : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] . ثم سلَّم إليه العملَ ، وارْتَحَل عنها ، وأقْبَل عمرُ بنُ مِهْرانَ على عملِه ، فكان لا يَقْبَلُ شيئًا مِن الهَدايا إلا ما كان ذهبًا أو فضَّةً أو قُماشًا ، ويَكْتُبُ على ذلك اسمَ مُهْدِيه ، [٨/١٠٢و] ثم إنَّه طالَب بالخَراجِ وألحَّ عليهم فى ذلك ، فشَرع بعضُهم فى مماطَلَتِه ، فأقْسَم لا يُماطِلُه أحدٌ فيَقبِضَ منه شيئًا ، وإنما يَبعثُه إلى بغدادَ ويزِنُ خراجَه بها ، ويأتى بورقةِ القبضِ ، وفعَل ذلك ببعضِ الناسِ فتأدَّب بقيتُهم ، ثم جَباهم القِسْطَ الثانىَ ، فلما كان الثالثُ عجَز كثيرٌ منهم عن الأداءِ ، فجعَل يَسْتَحْضِرُ ما كانوا أهدَوا إليه ؛ فإن كان نَقْدًا أدَّاه عنهم ، وإن كان بُرًّا باعَه واعتَدَّ به عنهم ، وقال : إنى إنما ادَّخَرْتُ هذا لكم إلى وقتِ حاجتِكم . ثم أكْمَل استِخراجَ جَميعِ الخَراجِ بديارِ مصرَ ، ولم يَفْعَلْ ذلك أحدٌ قبلَه ، ثم انْصَرَف عنها ؛ لأنه كان قد شرَط على الرشيدِ أنه إذا مهَّد البِلادَ وجَبَى الخَراجَ ، فذاك إذْنُه فى الانْصِرافِ . ولم يَكُنْ معه بالديارِ المصريةِ سِوى مَوْلاه أبى دُرَّةَ وهو حاجِبُه ، وهو مُنْفِذُ أُمُورِه .

وغزا الصائفةَ فى هذه السنةِ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الملكِ ، ففتَح حِصْنًا .

وحجَّت زُبَيْدةُ زوجةُ الخليفةِ فى هذه السنةِ ، ومعها أخوها . وكان أميرَ الحجِّ فى هذه السنةِ سليمانُ بنُ أبى جعفرٍ المنصورِ عمُّ الرشيدِ .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

إبراهيمُ بنُ صالحِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[1] ، كان أميرًا على مِصْرَ ، تُوُفِّىَ فى شَعْبانَ ، [2]حكى عنه عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[2] .

وإبراهيمُ بنُ هَرْمَةَ ، الشاعرُ[3] ، وهو إبراهيمُ بنُ علىِّ بنِ سَلَمةَ بنِ عامرِ بنِ هَرْمةَ أبو إسْحاقَ الفِهْرىُّ المَدَنىُّ ، شاعرٌ مُفْلِقٌ[4] ، وفَد على المَنْصورِ بغدادَ فى وَفْدِ أهلِ المدينةِ حينَ اسْتَوْفَدهم إليه ، فقدِموا عليه ، فجلَسوا إلى سِتْرٍ دونَ المَنْصورِ ، يَرَى الناسَ مِن ورائِه ولا يَرَوْنه ، وأبو الخَصِيبِ الحاجبُ واقفٌ يقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، هذا فلانٌ الخطيبُ . فيَأْمُرُ فيَخْطُبُ ، ويقولُ : هذا فلانٌ الشاعرُ . فيَسْتَنْشِدُه ، حتى كان مِن آخِرِهم ابنُ هَرْمةَ هذا ، قال : فسمِعْتُه يقولُ : لا مرحبًا ولا أهلًا ، ولا أنْعَم اللَّهُ به عَيْنًا . قال : فقلتُ : [5]إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ذهبتْ واللَّهِ نفسى ، ثم رجعتْ إلىَّ نفسى فقلت : يا نفسُ ، هذا موقفٌ إن لم تشتدِّى فيه[5] هلَكْتِ . ثم اسْتَنْشَدنى ، فأنْشَدْتُه قَصيدتى التى أقولُ فيها :

سَرَى ثوبَه عنك الصِّبا المُتخايلُ[6] وقَرَّب لِلبَيْنِ الخَلِيطُ المُزايِلُ

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٤٤٥، والمنتظم ٩/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٢١.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) الأغانى ٤/ ٣٦٧، وتاريخ بغداد ٦/ ١٢٧، والمنتظم ٩/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٧، وفوات الوفيات ١/ ٣٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٥٩.

(٤) شاعر مفلق : مُجِيد ، يَجِيء بالعجائب فى شعره . اللسان (ف ل ق) .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم .

(٦) فى ب : « المتجايل » ، وفى س ، ص ، ظ : « المتحامل » ، وفى م : « المتجابل » . وسرى : كشف .

حتى انْتَهَيْتُ إلى قولى[1] :

فأمَّا الذى أمَّنْتَه يأمنُ الرَّدى وأمَّا الذى حاولتَ بالثَّكْلِ ثاكلُ

قال : فأمَر برفعِ الحِجابِ ، فإذا وجهُه كأنه فِلْقةُ قمرٍ ، فاسْتَنْشَدنى بقيةَ القَصيدةِ ، وأمَرنى بالقُرْبِ إليه والجلوسِ بينَ يديه ، ثم قال : ويْحَكَ يا إبراهيمُ ! لولا ذنوبٌ بلَغَتْنى عنك لفضَّلْتُك على أصْحابِك ، [2]فأقِرَّ علىَّ بذنوبِك أَعفُها عنك . فقلتُ : هذا رجلٌ فقيهٌ عالمٌ ، وإنما يريدُ أن يَقْتُلَنى بحُجَّةٍ تجبُ علىَّ[2] ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، كلُّ ذنبٍ [3]بَلَغَك مِمَّا عَفَوْتَه عنى[3] فأنا مُقِرٌّ به . [٨/١٠٢ظ] فتَناوَل المِخْصَرةَ[4] ، فضرَبنى بها ضربتَيْن ، وأمَر لى بعشَرةِ آلافِ درهمٍ وخِلْعةٍ ، وعفا عنى وألْحَقنى بنُظَرائى .

وكان مِن جُمْلةِ ما يَنقِمُه المَنْصورُ عليه قولُه[5] :

ومهما أُلامُ على حُبِّهِمْ فإنى أُحِبُّ بنى فاطِمهْ
بنى بنتِ مَن جاء بالمُحْكَماتِ وبالدِّينِ والسُّنةِ القائمهْ
فلستُ أُبالى بحُبِّى لهم سِواهم مِن النَّعَمِ السائِمهْ

---

(١) بعده فى تاريخ بغداد :

له لحظات فى خفاء سريرة إذا كرها فيها عقاب ونائل

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بلغنى عنه لم تعف منه » . وفى ب ، م : « بلغك عنى لم تعف عنه » . وفى س ، ص ، ظ : « بلغك لم تعف عنى منه » . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم .

(٤) المخصرة : قضيب يشار به فى أثناء الخطابة والكلام ، وكان يتخذه الملوك والخطباء . الوسيط (خ ص ر) .

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ١٢٩، ١٣٠، والمنتظم ٩/ ٢٢، ٢٣.

قال الأخْفَشُ[1] : قال لنا ثعلبٌ : قال الأصْمَعيُّ : خُتِم الشُّعَراءُ بابنِ هَرْمةَ ، [2]وهو آخرُ الحُجَجِ[2] .

ذكَر وفاتَه فى هذه السنةِ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزيِّ فى « المنتظمِ »[3] .

والجَرَّاحُ بنُ مَلِيحٍ[4] ، والدُ وَكيعِ بنِ الجرَّاح . **وسعيدُ** بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَميلٍ[5] ، أبو عبدِ اللَّهِ المَدينيُّ ، وَلِىَ قَضاءَ بَغْدادَ سبعَ عشرةَ سنةً بعَسْكرِ المَهْدىِّ ، وثَّقه ابنُ مَعينٍ وغيرُه .

وصالحُ بنُ بَشيرٍ المُرِّىُّ[6] ، أحدُ العُبَّادِ الزُّهادِ ، كان كثيرَ البُكاءِ ، وكان يَعِظُ ، فيَحْضُرُ مَجْلِسَه سُفْيانُ الثَّوْرىُّ فيقولُ[7] : هذا نَذيرُ قومٍ . وقد اسْتَدْعاه المهدىُّ ليَحْضُرَ عندَه ، فجاء راكبًا على حمارٍ ، فدنا مِن بِساطِ الخَليفةِ ، فأمَر المهدىُّ ابنيه - وليَّىِ العهدِ ؛ موسى الهادىَ وهارونَ الرشيدَ - فابتدرا إليه ليُنْزِلاه عن دابَّتِه ، فأقْبَل صالحٌ على نفسِه فقال : لقد خِبْتُ وخَسِرْتُ إن [8]كنتُ عملتُ لهذا اليومِ[8] . ثم جلَس إلى المهدىِّ ، فوعَظَه فقال له : اعْلَمْ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) انظر الأغانى ٤/ ٣٧٣، وتاريخ بغداد ٦/ ١٣١، والمنتظم ٩/ ٢٤.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وقوله : « آخر الحجج » . أى آخر من يُحتجُّ بشعره على اللغة والنحو .

(٣) المنتظم ٩/ ٢١.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٢٥٢، والمنتظم ٩/ ٢٤، وتهذيب الكمال ٤/ ٥١٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٦٤.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٦٧، والمنتظم ٩/ ٢٤، وتهذيب الكمال ١٠/ ٥٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٣٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨١، وحلية الأولياء ٦/ ١٦٥، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٠٥، والمنتظم ٩/ ٢٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٤، وتهذيب الكمال ١٣/ ١٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢، ٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٨٤.

(٧) فى ب ، م : « وغيره من العلماء ويقول سفيان » . وانظر المنتظم ٩/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣.

(٨ - ٨) فى ب ، م : « أنا داهنت ولم أصدع بالحق فى هذا اليوم وفى هذا المقام » .

خَصْمُ مَن خالَفه فى أُمَّتِه ، ومَن كان محمدٌ ﷺ خَصْمَه كان اللَّهُ خَصْمَه ، فأعِدَّ لمُخاصَمةِ اللَّهِ ومُخاصَمةِ رسولِه ﷺ حُجَجًا تَضْمَنُ لك النَّجاةَ ، وإلا فاسْتَسْلِمْ للهَلَكةِ ، واعْلَمْ أنَّ أَبْطأَ الصَّرْعَى نَهْضَةً صَرِيعُ هَوًى (١ يدَّعيه إلى اللَّهِ قُرْبَةً ١) ، وأن أثْبَتَ الناسِ قَدَمًا (٢ يومَ القيامةِ ٢) آخَذُهم بكتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه ﷺ . فى كلامٍ طويلٍ ، فبكَى المهدىُّ ، وأمَر بكِتابةِ ذلك فى دَواوينِه .

وعبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ (٣) ، قدِم قاضيًا بالعراقِ (٤ فمات فى هذا العامِ ٤) .

فرَجُ بنُ فَضالةَ الحِمْصىُّ التَّنُوخىُّ (٥) ، كان على بيتِ المالِ ببَغْدادَ فى خِلافةِ الرشيدِ ، فتُوُفى فى هذه السنةِ ، وكان مولدُه سنةَ ثمانٍ وثمانين ، فمات وله ثمانٌ وثمانون سنةً .

ومِن مَناقبِه أن المنصورَ دخَل يومًا إلى قصرِ (٦) الذَّهَبِ ، فقام الناسُ إلا الفرجَ ابنَ فَضالةَ ، فقال له وقد غضِب عليه : لمَ لم تَقُمْ ؟! فقال : خِفْتُ أن يَسْأَلَنىَ اللَّهُ عن ذلك ، ويَسْأَلَك لمَ رَضِيتَ وقد كرِهه رسولُ اللَّهِ [٨/١٠٣و] ﷺ ؟ قال : فبكَى المنصورُ ، وقرَّبَه وقضَى حَوائجَه .

(١ - ١) فى ب ، م : « بدعته واعلم أن اللّه قاهر فوق عباده » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢٣، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٨، والمنتظم ٩/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٢٤٩.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٩٣، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٧ مخطوط ، والمنتظم ٩/ ٢٦، وتهذيب الكمال ٢٣/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٢٩٠.

(٦) كذا فى النسخ . وفى تاريخ دمشق مخطوط ١٤/ ٢٠٩، والمنتظم ٩/ ٢٧: « باب » . وكلاهما صحيح ، انظر تاريخ بغداد ١/ ٦٩، ٧٩.

المُسَيَّبُ بنُ زُهَيْرِ بنِ عمرٍو[1] أبو مسلمٍ[2] الضَّبِّيُّ، كان والىَ الشُّرْطةِ ببَغْدادَ فى أيامِ المنصورِ والمَهْدىِّ والرَّشيدِ، وولِى خُراسانَ مرةً للمَهْدىِّ. [3]وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن ستٍّ وسبعين سنةً[3].

الوَضَّاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ[4] **أبو عَوانةَ اليَشْكُرىُّ**[5] مَوْلاهم، كان مِن أئمةِ المَشايخِ فى الرِّوايةِ. تُوُفى فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين[6].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٣٧، والمنتظم ٩/ ٢٨.

(٢) فى الأصل، ب، م، ص: «سلمة». وفى س، ظ: «مسلمة». والمثبت من المصدرين السابقين.

(٣ - ٣) فى م: «عاش ستا وتسعين سنة».

(٤) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٧، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٠، والمنتظم ٩/ ٢٨، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٤٤١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٤١٩.

(٥) فى الأصل، ب، م: «السرى».

(٦) وقع فى المنتظم أنه توفى عن اثنتين وثلاثين سنة، والصواب ما أثبتناه من النسخ؛ انظر الكامل ٦/ ١٣٤.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] عزَل الرشيدُ جعفرَ بنَ يحيى البَرْمَكيَّ عن مِصْرَ، وولَّى عليها إسْحاقَ ابنَ سليمانَ، وعزَل حمزةَ بنَ مالكٍ عن خُراسانَ، وولَّى عليها الفَضْلَ بنَ يَحْيَى البَرْمَكيَّ مُضافًا إلى ما كان بيدِه مِن الأعْمالِ بالرَّيِّ وسِجِسْتانَ وغيرِ ذلك.

وذكَر الواقديُّ[2] أنه أصاب الناسَ رِيحٌ شديدةٌ وظُلْمةٌ فى أَواخرِ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ، وكذلك فى أواخِرِ صَفَرٍ منها.

وحجَّ بالناسِ فيها أميرُ المؤمنين هارونُ الرشيدُ.

ذكرُ مَن تُوفى فيها من الأعيانِ:

شَرِيكُ بنُ عبدِ اللَّهِ القاضى الكوفيُّ النَّخَعيُّ[3]، سمِع أبا إسْحاقَ السَّبِيعيَّ[4] وغيرَ واحدٍ، وكان مَشْكورًا فى حُكْمِه [5]وتنفيذِه وتَضْمينِه[5]، وكان لا يَجْلِسُ للحُكْمِ حتى يَتَغَدَّى، ثم يُخْرِجَ وَرَقةً مِن قِمْطَرَةٍ[6] فيَنْظُرَ فيها، ثم يَأْمُرَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٥٥، والمنتظم ٩/ ٢٩، والكامل ٦/١٣٥ - ١٤٠.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٥٥.

(٣) أخبار القضاة ٣/ ١٤٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٧٩، والمنتظم ٩/ ٢٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٦٤، وتهذيب الكمال ١٢/ ٤٦٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٦٥.

(٤) سقط من: ب، م.

(٥ - ٥) فى ب: «وتنفيذه الأحكام»، وفى س: «وتنفيذه وتصميمه». وفى م: «وتنفيذ الأحكام». وفى ص، ظ: «وتنفيذه وتضميمه».

(٦) فى ب، م: «خفه»، وفى ص: «قطره». والقمطرة: ما تصان فيه الكتب. اللسان (قمطر).

بتَقْديمِ الخُصُومِ إليه ، فحرَص بعضُ أصحابِه على قِراءةِ ما فى تلك الورقةِ ، فإذا فيها : يا شَريكَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، اذْكُرِ الصِّراطَ وحِدَّتَه ، يا شَريكَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، اذْكُرِ المَوْقِفَ بينَ يدي اللَّهِ عز وجل . كانتْ وَفاتُه يومَ السبتِ مُسْتَهَلَّ ذى القَعْدةِ منها .

وعبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ[1] ، **ومحمدُ** بنُ مسلمٍ[2] ، **وموسى** بنُ أعْيَنَ[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٩، وتاريخ دمشق ٣٣٥/٤٣ طبعة المجمع ، وتهذيب الكمال ١٨/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٧، ٢٥١. وقد سَمَّتْه بعض المصادر : «عبد الواحد بن زيد» ، وبعضها : «عبد الواحد بن زياد» . وأورده الذهبى فى السير ١٧٨/٧ «ابن زيد» وجعل وفاته بعد سنة ١٥٠، وقال : «ويقال : بقى إلى سنة سبع وسبعين ومائة . وهذا بعيد جدًّا ، وإنما المتأخر إلى هذا التاريخ هو الحافظ عبد الواحد بن زياد البصرى» . وذكره باسم : «ابن زياد» فى السير ٧/٩ وجعل وفاته سنة ١٧٧، كما أورده فى الموضع الأول من تاريخ الإسلام ص ١٧ باسم «ابن زيد» ، وفى الموضع الثانى ص ٢٥١ باسم «ابن زياد» .

(٢) الطبقات الكبرى ٥/ ٥٢٢، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤١٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٥١.

(٣) الطبقات الكبرى ٧/ ٤٨٣، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٧٨.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] وثَبَت طائفةٌ مِن الحَوْفيَّةِ مِن قيسٍ وقُضاعةَ بعاملِ مِصْرَ إسْحاقَ بنِ سليمانَ ، فقاتَلوه وجرَت بها فِتْنةٌ عظيمةٌ ، فبعَث الرشيدُ هَرْثَمةَ بنَ أَعْيَنَ نائبَ فِلَسْطِينَ فى خَلْقٍ مِن الأُمراءِ مَدَدًا لإسْحاقَ بنِ سليمانَ ، فقاتَلوهم حتى أذْعَنوا بالطاعةِ ، وأدَّوْا ما عليهم مِن الخَراجِ والوَظائفِ ، واسْتَمَر هَرْثَمةُ نائبًا على مِصْرَ نحوًا مِن شهرٍ عِوَضًا عن إسْحاقَ بنِ سليمانَ ، ثم عزَله عنها ، وولَّى عليها عبدَ الملكِ بنَ صالحٍ .

وفيها وَثبت طائفةٌ مِن أهلِ إفْريقِيَّةَ ، فقتَلوا الفَضْلَ بنَ رَوْحِ بنِ حاتمٍ ، وأخْرَجوا مَن كان بها مِن آلِ المُهَلَّبِ ، فبعَث إليهم الرشيدُ هَرْثَمةَ ، فرجَعوا إلى الطاعةِ على يديه .

وفيها فوَّض الرشيدُ أُمورَ [٨/١٠٣ظ] الخِلافةِ كلَّها إلى يحيى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ .

وفيها خرَج الوليدُ بنُ طَرِيفٍ بالجَزيرةِ ، وحكَم بها وقتَل خَلْقًا مِن أهْلِها ، ثم مضَى منها إلى أرْمِينيَةَ ، فكان مِن أمرِه ما سنَذْكُرُه .

وفيها سار الفَضْلُ بنُ يَحْيَى إلى خُراسانَ ، فأحْسَن السِّيرةَ بها ، وبنَى فيها

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٥٦ - ٢٦٠، والمنتظم ٩/ ٣٥، ٣٦، والكامل ٦/١٤١ - ١٤٥.

الرُّبُطَ والمَساجِدَ، وغزا ما وراءَ النهرِ، واتَّخذ بها جُنْدًا مِن العَجَمِ سمَّاهم العَبَّاسيَّةَ، وجعَل ولاءَهم لهم وكانوا نحوًا مِن خمسِمائةِ ألفٍ، وبعَث منهم نحوًا مِن عشرين ألفًا إلى بَغْدادَ، فكانوا يُعْرَفون بها بالكرَنبيَّةِ[1].

وفى ذلك يَقولُ مَرْوانُ بنُ أبى حَفْصةَ:

ما الفَضْلُ إلا شِهابٌ لا أُفولَ له ... عندَ الحُروبِ إذا ما تَأْفُلُ الشُّهُبُ
حامٍ على مُلْكِ قومٍ عَزَّ سهمُهمُ ... مِن الوراثةِ فى أيديهمُ سببُ
أمْسَتْ يدٌ لبنى ساقى الحَجيجِ بها ... كتائبٌ ما لها فى غيرِهمْ أَرَبُ
كَتائبٌ لبنى العباسِ قد عرَفَتْ ... ما ألَّف الفَضْلُ منها العُجْمُ والعرَبُ
أثْبَتَّ خمسَ مئينٍ فى عِدادِهمُ ... مِنَ الأُلوفِ التى أحْصَت لها الكتبُ
يُقارِعون عن القومِ الذين همُ ... أَوْلى بأحمدَ فى الفُرقانِ إن نُسِبوا
إن الجَوَادَ ابنَ يحيى الفضلَ لا ورِقٌ ... يَبْقَى على جُودِ كفَّيْه ولا ذَهَبُ
ما مرَّ يومٌ له مذْ شدَّ مِئْزَرَه ... إلا تَمَوَّل أقوامٌ بما يَهَبُ
كم غايةٍ فى النَّدَى والبأْسِ أحْرَزَها ... للطالِبين مداها دونَها تَعَبُ
يُعْطِى اللُّهى[2] حينَ لا يُعْطِى الجَوادُ ولا ... يَنْبو إذا سُلَّتِ الهِنْدِيَّةُ القُضُبُ
ولا الرِّضا والرِّضا للَّهِ غايَتُه ... إلى سِوى الحَقِّ يَدْعوه ولا الغَضَبُ
قد فاض عُرْفُك حتى ما يُعادِلُه ... غَيْثٌ مُغِيثٌ ولا بَحْرٌ له حَدَبُ

وكان قد أنْشَده قبلَ خُروجِه إلى خُراسانَ:

---

(١) فى الأصل: «بالكريتيه». وفى ب، س: غير منقوطة. وفى م: «بالكرمينية». وفى ص: «بالرسه». وفى ظ: «بالكرينيه». والمثبت من تاريخ الطبرى والمنتظم.

(٢) فى ب: «الهنى». وفى م: «النهى». واللُّهَى: أفضل العطايا وأجْزَلُها. انظر الوسيط (ل هـ و).

ألم تَرَ أن الجُودَ مِن لَدْنِ آدمٍ تحَدَّر حتى صار فى راحةِ الفَضْلِ
إذا ما أبو العَبَّاسِ راحتْ[1] سماؤُه فيا لك مِن هَطْلٍ ويا لك مِن وَبْلِ
إذا أُمُّ طِفلٍ راعها جوعُ طِفلِها دعَتْه بإسمِ الفَضْلِ فاستطعم[2] الطفلُ
ليَحْيَى بك الإسلامُ إنك عِزُّه وإنَّك مِن قومٍ صَغيرُهمُ كَهْلُ

[٨/١٠٤و] قال : فأمَر له بمائةِ ألفِ درهمٍ . ذكَر ذلك كلَّه أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ .

وقال سَلْمٌ الخاسرُ فيهم أيضًا :

وكيف تَخافُ مِن بُؤْسٍ بدارٍ تكَنَّفَها[3] البَرامكةُ البُحورُ
وقومٌ منهمُ الفَضْلُ بنُ يحيى نَفيرٌ ما يُوازِنُه نَفيرُ
له يومانِ يومُ نَدًى وبأْسٍ كأنَّ الدَّهْرَ بينَهما أَسِيرُ
إذا ما البَرْمَكيُّ غدَا ابنَ عَشْرٍ فهِمَّتُه أميرٌ أو وزيرُ

وقد اتَّفَق للفَضْلِ بنِ يحيى فى هذه السَّفْرةِ إلى خُراسانَ أشْياءُ غريبةٌ ، وفتَح بلادًا كثيرةً ، منها كابُلُ وما وراءَ النهرِ ، وقهَر ملكَ التُّرْكِ هناك وكان مُمْتَنِعًا ، وأطْلَق أمْوالًا كثيرةً جدًّا ، ثم قفَل راجعًا إلى بَغْدادَ ، فلما اقْتَرَب منها خرَج الرشيدُ ووُجوهُ الناسِ إليه ، وقدِم عليه الشُّعراءُ والخُطَباءُ وأَكابرُ الناسِ ، فجعَل يُطْلِقُ الألفَ ألفٍ ، والخمسَمائةِ ألفٍ ونحوَها ، فصَرف مِن الأموالِ فى ذلك شيئًا كثيرًا

---

(١) فى ب ، م : « سحت » .
(٢) فى م : « فاعتصم » . وهو لفظ الرواية فى إحدى نسخ الطبرى كما أشار محققه لذلك فى حاشيته ، وقد أثبتَ « فاستعصم » فى المتن . والمثبت من سائر نسخنا هو الأقرب لصحة المعنى .
(٣) فى ب ، م : « يجاورها » .

جدًّا لا يُمْكِنُ حَصْرُه إلا بكُلْفةٍ عظيمةٍ ، وقد دخَل عليه بعضُ الشُّعراءِ ، والبِدَرُ[1] مَوْضوعةٌ مختومةٌ بينَ يديه ، وهى تُفَرَّقُ على الناسِ ، فقال :

كفَى اللَّهُ بالفَضْلِ بنِ يحيى بنِ خالدٍ وجُودِ يديه بُخْلَ كلِّ بَخيلِ

فأمَر له بمالٍ جَزيلٍ .

وغزا الصائفةَ فى هذه السنةِ معاويةُ بنُ زُفَرَ بنِ عاصمٍ ، وغزا الشاتيةَ سليمانُ ابنُ راشدٍ .

وحجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ وهو نائبُ مكةَ ، كرَّمها اللَّهُ .

وفيها تُوُفِّىَ جعفرُ بنُ سليمانَ[2] ، **وعَبْثَرُ** بنُ القاسمِ[3] ، **وعبدُ الملكِ** بنُ محمدِ بنِ أبى بكرِ [4]بنِ محمدِ[4] بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ القاضى ببَغْدادَ ، وصلَّى عليه الرشيدُ ، ودُفِن بها ، وقد قيل[5] : إنه مات فى التى قبلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) البدر : جمع بَدْرة ، وهى كيس فيه ألف أو عشرة آلاف . انظر اللسان (ب د ر) .

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٨، وحلية الأولياء ٦/ ٢٨٧، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٦٨، والوافى بالوفيات ١١/ ١٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٦/ ٣٨٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣١٠، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٦٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٩٨.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت مما تقدم فى صفحة ٥٨٩ . وانظر الحاشية القادمة .

(٥) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٢٥٠. وقد تقدم ذكر المصنف له فى وفيات سنة ١٧٦ صفحة ٥٨٩.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وسبعين ومائةٍ

فيها[1] كان قدومُ الفَضْلِ بنِ يَحْيَى مِن خُراسانَ، وقد اسْتَخْلَف عليها [2]عمرَو بنَ شُرَحْبيلَ[2]، فولى الرشيدُ عليها مَنْصورَ بنَ يَزيدَ بنِ منصورٍ الحِمْيرىَّ.

وفيها عزَل الرشيدُ محمدَ بنَ خالدِ بنِ بَرْمَكَ عن الحِجْبةِ، وردَّها إلى الفَضْلِ ابنِ الربيعِ.

وفيها خرَج بخُراسانَ حَمْزةُ بنُ أَتْرَكَ السِّجِسْتانىُّ، وكان مِن أمْرِه ما سيأْتى طَرَفٌ مِن ذِكْرِه.

وفيها رجَع الوليدُ بنُ طَرِيفٍ الشَّارِى إلى الجَزيرةِ، واشْتَدَّت شَوْكتُه، وكثُرَ أتْباعُه، فبعَث إليه الرشيدُ يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ الشَّيْبانىَّ، فراوَغه حتى قتَله، وتفرَّق أصحابُه، فقالَت الفارعةُ أختُ الوليدِ بنِ طَرِيفٍ تَرْثِيه:

[٨/١٠٤ظ] أيا شجَرَ الخابورِ ما لَكَ مُورِقًا ... كأنك لم تَجْزَعْ على ابنِ طَرِيفِ
فتًى لا يُحِبُّ الزادَ إلا مِن التُّقَى ... ولا المالَ إلا مِن قَنًا وسُيوفِ

وفيها خرَج الرشيدُ مِن بَغْدادَ مُعْتَمِرًا شُكْرًا للَّهِ عز وجل، فلما قضَى عُمرتَه أقام بالمدينةِ حتى حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ، فمشَى مِن مكةَ إلى مِنًى، ثم إلى

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٦١، والمنتظم ٩/ ٣٨، ٣٩، والكامل ٦/ ١٤٦، ١٤٧.
(٢ - ٢) فى النسخ: «عمر بن جميل». والمثبت من تاريخ الطبرى.

عَرَفاتٍ ، وشهِد المَشاهدَ والمَشاعرَ كلَّها ماشيًا ، ثم انْصَرَف إلى بَغْدادَ على طريقِ البَصْرةِ .

ذكرُ من تُوفّى فيها من السادةِ الأعيانِ

السَّيِّدُ الحِمْيَرِىُّ الشاعرُ الرافضىُّ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ يزيدَ بنِ رَبيعةَ[1] ، أبو هاشمٍ الحِمْيَرِىُّ المُلَقَّبُ بالسَّيدِ ، كان مِن الشُّعراءِ المَشْهورين ، والمُبَرَّزِين فى هذه الصناعةِ المفوَّهين ، ولكنه كان رافِضيًّا خَبِيثًا ، وشِيعيًّا غَثِيثًا ، كان ممَّن يَشْرَبُ الخمرَ ، ويَقولُ بالرَّجْعةِ ، أى بالدَّوْرِ .

قال يومًا لرجلٍ[2] : أقْرِضْنى دينارًا ، ولك عندى مائةُ دينارٍ إذا عُدْنا إلى الدنيا . فقال له الرجلُ : إنى أَخْشَى أن تَعودَ كلبًا أو خِنْزيرًا ، فيَذهَبَ مالى .

وكان ، قبَّحه اللَّهُ ، يَسُبُّ الصحابةَ فى شِعْرِه [3]ويشتمُ الخِيرَةَ[3] .

قال الأصْمَعىُّ[4] : ولولا ذلك ما قدَّمْتُ عليه أحدًا فى طَبَقتِه . ولا سيما الشيخَيْن[5] وابنتيهما ، رضى اللَّهُ عنهم ، ولعنَه وأَسحقَه وأَبعدَه .

---

(١) الأغانى ٧/ ٢٢٩، وطبقات الشعراء ص ٣٢، والمنتظم ٩/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٥٧.

(٢) انظر الأغانى ٧/ ٢٤٢، والمنتظم ٩/ ٣٩، ٤٠.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) انظر الأغانى ٧/ ٢٣٢، ٢٣٦، والمنتظم ٩/ ٤٠.

(٥) هذا كلام المصنف - رحمه اللَّه - ويعنى به أن الحميرى كان يسب الصحابة ولاسيما الشيخين وبنتيهما، رضى اللَّه عنهم. وانظر الأغانى ٧/ ٢٧١، ٢٧٤.

وقد أوْرَد ابنُ الجَوْزىِّ[1] شيئًا مِن شعرِه فى ذلك كرِهْتُ كتابتَه[2]، وقد اسْوَدَّ وجهُه قبل مَوْتِه وأصابه كَرْبٌ شديدٌ جدًّا. ولما مات لم يَدْفِنوه[3]؛ لسَبِّه الصحابةَ، رضِى اللَّهُ عنهم.

وفيها تُوُفى حمادُ بنُ زيدٍ[4] أحدُ أئمةِ الحَديث. **وخالدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ الطَّحَّانُ[5]، مِن ساداتِ المسلمين، وشرى نَفْسَه مِن اللَّهِ أربعَ مراتٍ.

ومالكُ بنُ أنسٍ الإمامُ. **والهِقْلُ** بنُ زِيادٍ[6] صاحبُ الأوْزاعىِّ، **وأبو الأحْوَصِ**[7]. وكلُّهم ذكَرْناهم فى كِتابِنا «التَّكْميلِ» بما فيه مَقْنَعٌ وكفايةٌ بما يُغنى عن ذكرِهم هـهنا، ولكن الإمامُ مالكٌ هو أشْهرُهم، فإنه أحدُ الأئمةِ الأربعةِ أصحابِ المذاهبِ المُتَّبَعةِ.

فهو مالكُ بنُ أنسِ بنِ مالكِ بنِ أبى عامرِ بنِ عمرِو بنِ الحارثِ بنِ غَيْمانَ ابنِ خُثَيْلِ بنِ عمرِو بنِ الحارثِ، وهو ذو أصْبَحَ الحِمْيَرىُّ، أبو عبدِ اللَّهِ

---

(١) المنتظم ٩/ ٤٠.

(٢) فى ب، م: «أن أذكره لبشاعته وشناعته».

(٣) هذا أحد القولين، والقول الآخر أنه دُفن. انظر الأغانى ٧/ ٢٧٨، والمنتظم ٩/ ٤١.

(٤) الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٦، وحلية الأولياء ٦/ ٢٥٧، والمنتظم ٩/ ١٧٩، وتهذيب الكمال ٧/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٩٤.

(٥) الطبقات الكبرى ٧/ ٣١٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٩٤، والمنتظم ٩/ ٤١، وتهذيب الكمال ٨/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ١٣٩. وذكر أنه قيل فى سنة وفاته هذه السنة، وغيرها.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١٥، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٩١.

(٧) الطبقات الكبرى ٦/ ٣٧٩، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٨٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٤١١.

المَدَنيُّ ، إمامُ دارِ الهِجْرةِ فى زَمانِه[1] .

روَى عن غيرِ واحدٍ مِن التابعِين ، وحدَّث عنه خَلْقٌ مِن الأَئمةِ ، منهم ؛ السُّفْيانان ، وشُعْبةُ ، وابنُ المُبارَكِ ، والأَوْزاعيُّ ، وابنُ مَهْدىٍّ ، وابنُ جُرَيْجٍ ، والليثُ والشافعيُّ ، والزُّهْرىُّ شيخُه ، ويَحْيَى بنُ سعيدٍ الأَنْصارىُّ ، وهو شيخُه ، ويَحْيَى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ ، ويَحْيَى بنُ يحيى الأَنْدَلُسىُّ ، ويَحْيَى بنُ يَحْيَى النَّيْسابورىُّ .

[٨/١٠٥و] قال البخارىُّ[2] : أَصَحُّ الأسانيدِ : مالكٌ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ .

وقال سفيانُ بنُ عَيَيْنةَ[3] : ما كان أشدَّ انْتِقادَه للرجالِ !

وقال يَحْيَى بنُ مَعينٍ[4] : كلُّ مَن روَى عنه مالكٌ فهو ثقةٌ ، إلا أبا أُمَيةَ .

وقال غيرُ واحدٍ[5] : هو أَثْبَتُ أصحابِ نافعٍ والزهرىِّ .

وقال الشافعيُّ[6] : إذا جاء الحديثُ فمالكٌ النَّجْمُ .

وقال أيضًا[7] : مَن أراد الحديثَ فهو عِيالٌ على مالكٍ .

---

(١) المعارف ص ٤٩٨، والطبقات الكبرى ٧/ ١٩٢، وحلية الأولياء ٦/ ٣١٦، وطبقات الفقهاء ص ٦٧، وترتيب المدارك ١/ ١٠٢، والمنتظم ٩/ ٤٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٩١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣١٦.

(٢) انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١١٠.

(٣) انظر الجرح والتعديل ٨/ ٢٠٤.

(٤) تاريخ ابن معين ٢/ ٥٤٤.

(٥) انظر تهذيب الكمال ٢٧/١١٣ - ١١٥.

(٦) انظر الجرح والتعديل ٨/ ٢٠٦.

ومَناقبُه وفضائلُه كثيرةٌ جدًّا ، وثَناءُ الأئمةِ عليه أكثرُ مِن أن يُحْصَرَ فى هذا المكانِ .

قال أبو مُصْعَبٍ : سمِعْتُ مالكًا يَقولُ[1] : ما أفْتَيْتُ حتى شهِد لى سبعون أنى أهْلٌ لذلك .

وكان إذا أراد التَّحْدِيثَ تَنظَّف وتطَيَّب ، ولبِس أحْسنَ ثيابِه ، وكان يَلْبَسُ حَسَنًا . وكان نَقشُ خاتمِه : حَسْبىَ اللَّهُ ونِعْمَ الوَكيلُ .

وكان إذا دخَل منزلَه يقولُ : ما شاء اللَّهُ لا قوةَ إلا باللَّهِ . وكان مَنْزِلُه مَبْسوطًا بأنْواعِ الفُرُشِ . ومِن وقتِ خُروجِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ لزِم مالكٌ بيتَه ، فلم يَكُنْ يترددُ إلى أحدٍ لا لعَزاءٍ ولا لهَناءٍ ، حتى قيل[2] : ولا يَخْرُجُ إلى جماعةٍ ولا جُمُعةٍ . ويَقولُ : ما كلُّ ما يُعْلَمُ يُقالُ ، وليس كلُّ أحدٍ يَقْدِرُ على الاعْتِذارِ . ولما احْتُضِر رحمه اللَّهُ شَهِد أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، ثم جعَل يَقولُ : للَّهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ ومِن بعدُ . ثم قُبِض فى ليلةِ أربعةَ عشَرَ مِن صفَرٍ ، وقيل[3] : مِن ربيعٍ الأولِ . مِن هذه السنةِ ، وله خمسٌ وثمانون سنةً .

قال الواقدىُّ[4] : بلَغ تسعين[5] سنةً . ودُفِن بالبَقيعِ رحمه اللَّهُ . وقد روَى التِّرْمذىُّ[6] ، مِن حديثِ سُفْيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبى الزُّبَيْرِ ، عن

---

(١) انظر المنتظم ٩/ ٤٣.

(٢) المصدر السابق ٩/ ٤٤.

(٣) انظر المصدر السابق ٩/ ٤٥.

(٤) انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١١٩.

(٥) فى ب ، م : « سبعين » .

(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩١.

أبى صالحٍ ، عن أبى هُريرةَ روايةً : « يُوشِكُ أن يَضْرِبَ الناسُ أكْبادَ الإبلِ يَطْلُبون العلمَ فلا يَجِدون أحدًا أعْلَمَ مِن عـالِمِ المدينةِ » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ وهو حديثُ ابنِ عُيَينةَ ، وقد رُوِى عنه أنه قال : هو مالكُ بنُ أنسٍ . وكذا قال عبدُ الرزاقِ . وعن ابنِ عُيَيْنةَ رِوايةٌ أنه عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ العُمَرىُّ . وقد ترْجَمه القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ » فأطْنَب وأتَى بفَوائدَ جَمَّةٍ .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانين ومائةٍ

فيها[1] هاجَت الفتنةُ بالشامِ بينَ النِّزاريَّةِ واليَمانِيَّةِ ، فانْزَعَج الرشيدُ لذلك ، فندَب جعفرًا البَرْمَكيَّ إلى الشامِ فى جَماعةٍ مِن الأُمراءِ والجُنودِ ، فدَخَل الشامَ ، فانْقاد الناسُ له ، ولم يَدَعْ جعفرٌ بالشامِ فرسًا ولا سيفًا ولا رُمْحًا إلا اسْتَلَبه مِن الناسِ ، وأطْفَأ اللَّهُ به نارَ تلك الفتنةِ . وقد [٨/١٠٥ظ] قال بعضُ الشعراءِ فى ذلك[2] :

لقد أُوقِدَتْ بالشامِ نِيرانُ فِتنةٍ ... فهذا أوانُ الشامِ تُخْمَدُ نارُها
إذا جاش مَوْجُ البحرِ مِن آلِ بَرْمَكٍ ... عليها خَبَتْ شُهْبانُها وشَرارُها
رماها أميرُ المؤمنين بجعفرٍ ... وفيه تَلَاقَى[3] صَدْعُها وانْجِبارُها[4]
رماها بميمونِ النَّقِيبةِ ماجِدٍ ... تَراضَى به قَحْطانُها ونِزارُها

ثم كرَّ جعفرٌ راجعًا إلى بغدادَ بعدَ ما اسْتَخْلَف على الشامِ عيسى بنَ العَكِّيِّ ، ولَمَّا قَدِم على الرشيدِ أكْرَمه وقرَّبه وأدْناه ، وشرَع جعفرٌ يَذْكُرُ كَثْرةَ وَحْشَتِه له فى الشامِ ، ويَحْمَدُ اللَّهَ الذى مَنَّ عليه برُجوعِه إلى أميرِ المؤمنين ورُؤْيتِه وجهَه .

وفيها ولَّى الرشيدُ جعفرًا خُراسانَ وسِجِسْتانَ ، فاسْتَعْمل على ذلك محمدَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٦٢ - ٢٦٧، والمنتظم ٩/٤٦ - ٤٨، والكامل ٦/١٥١ - ١٥٣.
(٢) هو منصور النمرى ، كما فى تاريخ الطبرى .
(٣) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ص : « تلافى » .
(٤) فى م : « انكسارها » .

ابنَ الحسنِ بنِ قَحْطَبةَ ، ثم عزَل الرشيدُ جعفرًا عن خُراسانَ بعدَ عشرين ليلةً .

وفيها هدَم الرشيدُ سُورَ المَوْصِلِ ؛ بسببِ كثرةِ الخَوارِجِ هناك ، وجعَل الرشيدُ جعفرًا على الحَرَسِ ، ونزَل الرشيدُ الرَّقَّةَ واسْتَوْطَنَها ، واسْتَناب على بَغْدادَ ابنَه الأمينَ محمدًا ، وولَّاه العِراقَيْن ، وعزَل هَرْثَمةَ بنَ أَعْيَنَ عن إِفْرِيقِيَّةَ واسْتَدْعاه إلى بَغْدادَ ، فاسْتَنابه جعفرٌ على الحَرَسِ .

وفيها كانت بِمِصْرَ زَلْزلةٌ شَديدةٌ سقَط منها رأسُ مَنارةِ الإسكندريةِ .

وفيها خرَج بالجَزيرةِ خُراشةُ الشَّيْبانيُّ ، فقتَله مسلمُ بنُ بَكَّارِ بنِ مسلمٍ العُقَيْليُّ .

وفيها ظهَرت طائفةٌ بجُرْجانَ يُقال لهم : المُحَمِّرةُ . لبِسوا الحُمْرةَ ، واتَّبَعوا رجلًا يُقالُ له : عمرُو بنُ محمدٍ العَمَرْكيُّ . وكان يُنْسَبُ إلى الزَّنْدَقةِ ، فبعَث الرشيدُ يَأْمُرُ بقَتْلِه ، فقُتِل بمَرْوَ[1] ، وأَطْفأ اللَّهُ نارَهم فى ذلك الوقتِ .

وفيها غزا الصائفةَ [2]معاويةُ بنُ[2] زُفَرَ بنِ عاصمٍ .

وحجَّ بالناسِ موسى بنُ عيسى بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ .

وفيها كانتْ وَفاةُ جَماعةٍ مِن الأعْيانِ :

إسماعيلُ بنُ جَعفرِ بنِ أبى كثيرٍ[3] الأنصاريُّ ، قارئُ أهلِ المدينةِ ، وقد أقام

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) من هنا حتى قوله : « وغيرهم من أئمة التابعين » فى صفحة ٦١٠ خرم فى (ب) . وانظر ترجمة =

مدةً ببغدادَ يُؤَدِّبُ عليَّ بنَ المهدىِّ ، حتى تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ .

وفيها كانت وفاةُ **علىِّ بنِ المَهْدىِّ**[1] ، وقد وَلِىَ إمْرَةَ الحجِّ غيرَ مَرَّةٍ ، كما تقدَّم ، وكان أسَنَّ مِن الرشيدِ بشُهورٍ .

حَسَّانُ بنُ سِنانِ بنِ أوْفَى بنِ عوفٍ التَّنوخىُّ الأنْبارىُّ[2] ، وُلِد سنةَ ستين ، ورأَى أنسَ بنَ مالكٍ [٨/١٠٦و] ودعا له ، فجاء مِن نَسْلِه قُضاةٌ ووُزَراءُ وصُلَحاءُ ، وأدْرك الدولتَيْن[3] ، وكان نَصْرانيًّا فأسْلَم وحسُن إسْلامُه ، وكان يَكْتُبُ بالعربيةِ والفارسيةِ والسُّرْيانيةِ ، وكان يُعَرِّبُ الكُتُبَ بينَ يدى رَبيعةَ لَمَّا ولَّاه السَّفَّاحُ الأنْبارَ .

وفيها تُوُفِّى عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ التَّنُّورىُّ[4] ، أحدُ الثِّقاتِ .

وعافيةُ بنُ يَزيدَ بنِ قيسٍ[5] ، القاضى للمَهْدىِّ على الجانبِ الشَّرْقىِّ مِن بغدادَ هو وابنُ عُلاثةَ ، وكانا يَحْكُمان بجامعِ الرُّصافةِ ، وكان عافيةُ عابدًا زاهدًا وَرِعًا ، دخَل يومًا على المَهْدىِّ فى وقتِ الظَّهيرةِ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعْفِنى . فقال :

= إسماعيل بن جعفر فى طبقات القراء ١/ ١٦٣، وطبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٧، وتاريخ بغداد ٦/ ٢١٨، وتهذيب الكمال ٣/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٥.

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤، والمنتظم ٩/ ٤٩.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٢٥٨، والمنتظم ٩/ ٤٩.

(٣) بعده فى م : «الأموية والعباسية» .

(٤) فى م : «البيروتى» ، وفى ظ : «السورى» . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩، والمنتظم ٩/ ٥١، وتهذيب الكمال ١٨/ ٤٧٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٢٥٣.

(٥) أخبار القضاة ٣/ ٢٥١، وطبقات ابن سعد ٧/ ٣٣١، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٧، وتهذيب الكمال ١٤/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٨.

لمَ ؟ أعْتَرَض عليك أحدٌ مِن الأُمراءِ ؟ فقال : لا ، ولكن كان بينَ اثنَيْن خُصومةٌ عندى ، فعَمَد أحدُهما إلى رُطَبِ السُّكَّرِ ، وكأنه سمِع أنى أُحِبُّه ، فأهْدَى إلىَّ منه طَبَقًا لا يَصْلُحُ إلَّا لأميرِ المؤمنين[1] ، فردَدْتُه عليه ، فلَمَّا أصْبَحا وجلَسَا للحُكُومةِ ، لم يَسْتَوِيا عندى فى قَلْبى ولا نَظَرى ، ومال قَلْبى إلى المُهْدِى منهما ، هذا وما قَبِلْتُ منه ، فكيف لو قَبِلْتُ منه ؟! فأعْفِنى يا أميرَ المؤمنين ، عفا اللَّهُ عنك . فأعْفاه .

وقال الأصْمَعىُّ[2] : كنتُ عندَ الرشيدِ يومًا وعندَه عافيةُ القاضى ، وقد أحْضَره لأنَّ قومًا اسْتَعْدَوا عليه إلى الرشيدِ ، فجعَل الرشيدُ يُوقِفُه على ما قيل عنه ، وهو يُجِيبُ الخليفةَ عَمَّا يَسْأَلُه ، وطال المجلسُ ، فعطَس الخليفةُ ، فشمَّته الناسُ ولم يُشَمِّتْه عافيةُ ، فقال له : لمَ لمْ تُشَمِّتْنى مع الناسِ ؟ فقال : لأنك لم تَحْمَدِ اللَّهَ . واحْتَجَّ بالحديثِ فى ذلك ، فقال له الرشيدُ : ارْجِعْ إلى عمَلِك ، فواللَّهِ ما كنتَ لِتَفْعَلَ ما قيل عنك ، وأنت لم تُسامِحْنى فى عَطْسَةٍ[3] . وردَّه ردًّا جَميلًا إلى وِلايتِه .

وفيها تُوُفى **سِيبَوَيْهِ** إمامُ النُّحاةِ[4] ، واسمُه **عمرُو بنُ عثمانَ بنِ قَنْبَرٍ أبو بِشْرٍ** ، المَعْروفُ بسِيبَوَيْهِ النَّحْوىِّ ، مولى بنى الحارثِ بنِ كعبٍ ، وقيل : مولى آلِ الربيعِ ابنِ زيادٍ . وإنما سُمِّى سِيبَوَيْهِ ؛ لأن أُمَّه كانتْ تُرَقِّصُه وتَقولُ له ذلك ، ومعنى

---

(١) فى مصدرى التخريج أنه لا يتهيأ فى وقتنا جَمْعُ مثلِه إلا لأمير المؤمنين .

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٩، والمنتظم ٩/ ٥٢، ٥٣.

(٣) بعده فى م : « لم أحمد اللَّه فيها » .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ص ٦٦، وتاريخ العلماء النحويين ص ٩٠، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥، والمنتظم ٩/ ٥٣، وإنباه الرواة ٢/ ٣٤٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١٥٤.

سِيبَوَيْهِ : رائحةُ التُّفاحِ . وقد كان فى ابْتِداءِ أمْرِه يَصْحَبُ المُحَدِّثين والفُقهاءَ ، وكان يَسْتَمْلِى على حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، فلَحَنَ يومًا ، فردَّ عليه قولَه ، فأَنِفَ مِن ذلك ، فلَزِم الخَليلَ بنَ أحمدَ ، فبَرَع فى النَّحْوِ ، ودخَل بَغْدادَ وناظَر الكِسائىَّ .

وكان سِيبَوَيْهِ شابًّا جَميلًا نَظيفًا ، تعَلَّق مِن كلِّ علمٍ بسببٍ ، وضرَب فى كلِّ أدبٍ بسهمٍ ، مع حَداثةِ سِنِّه (١وبراعتِه فى النَّحْوِ١) . وقد صنَّف فى النَّحْوِ كتابًا لا يُلْحَقُ شَأْوُه ، وشرَحه أَئمةُ النُّحـاةِ بعدَه ، فانْغَمَروا فى لُجَجِ بَحْرِه ، واسْتَخْرَجوا مِن (٢جواهرِ حاصِلِه٢) ، ولم يَبْلُغوا إلى قَعْرِه . وقد زعَم ثَعلبٌ(٣) أنه لم يَنْفَرِدْ [١٠٦/٨ظ] بتَصْنيفِه ، وقد تَساعَدَ(٤) جَماعةٌ فى تَصْنيفِه نحوٌ مِن أرْبَعين نَفْسًا ، هو أحدُهم . قال : وهو أُصولُ الخَليلِ ، فادَّعاه سِيبَوَيْهِ لنفسِه ، وقد استبعَد ذلك السِّيرافىُّ(٥) فى كتابِ « طبقاتِ النحاةِ » ، قال(٦) : وقد أخَذ سِيبَوَيْهِ اللُّغاتِ عن (٧أبى الخَطَّابِ الأخْفَشِ وغيرِه٧) ، (٨وكتابُه المشهورُ « بالكتابِ » لم يُسْبَقْ إلى مِثْلِه ، ولا يَلْحَقُه فيه أحدٌ٨) .

وكان سِيبَوَيْهِ يَقولُ : سعيدُ بنُ أبى العَرُوبةِ ، والعَروبةُ يومُ الجمعةِ . وكان يقولُ : مَن قال : عَروبةٌ . فقد أخْطَأَ . فذُكِرَ ذلك ليونُسَ ، فقال : أصاب ، للَّهِ دَرُّه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « درره » . والحاصل : ما خَلَص من الفِضَّةِ ونحوِها من حجارة المعدن . الوسيط (ح ص ل) .

(٣) انظر المنتظم ٩/ ٥٥، وإنباه الرواة ٢/ ٣٤٧.

(٤) فى س ، م ، ظ : « ساعده » .

(٥) المنتظم ٩/ ٥٤، ٥٥، وإنباه الرواة ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧.

(٦) أخبار النحويين البصريين ص ٤٨.

(٧ - ٧) فى النسخ : « أبى الخطاب والأخفش وغيرهما » . والمثبت من أخبار النحويين البصريين ، وهو الصواب .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، م .

وقد ارْتَحل إلى خُراسانَ ليَحْظَى عندَ طَلْحةَ بنِ طاهرٍ، فإنه كان يُحِبُّ النَّحْوَ، فمرِض هناك مَرَضَه الذى تُوُفِّى فيه، فتمَثَّل عندَ الموتِ:

يُؤَمِّلُ دُنْيا لتَبْقَى لهُ ... فماتَ المُؤَمِّلُ قبلَ الأمَلْ
(١) حَثِيثًا يُرَوِّى أُصُولَ الفَسِيلِ(١) ... فعاشَ الفَسِيلُ ومات الرَّجُلْ

ويُقالُ(٢): إنَّه لَمَّا احْتُضِر وضَع رأسَه فى حِجْرِ أخيه، فدَمَعَتْ عينُ أخيه، فأفاق فرآه يَبْكى، فقال:

وكنَّا جميعًا فَرَّق الدَّهْرُ بيننا ... إلى الأَمَدِ الأَقْصَى فمَن يَأْمَنُ الدَّهْرَا

قال الخَطيبُ البَغْدادىُّ(٣): ويُقالُ: إنه تُوُفى وعمرُه ثِنْتان وثلاثون سنةً.

وفيها **تُوُفِّيَت عُفَيْرةُ العابدةُ**(٤)، كانت طَويلةَ الحُزْنِ كَثيرةَ البكاءِ، قدِم قريبٌ لها مِن سفرٍ، فجعَلَت تَبْكى، فقيل لها: (٥)ليس هذا وقتَ بكاءٍ(٥)! فقالتْ: لقد ذكَّرنى قُدومُ هذا الفَتى يومَ القُدومِ على اللَّهِ، فمِن مسرورٍ ومَثْبورٍ.

وفيها مات **مُسْلمُ بنُ خالدٍ الزَّنْجىُّ**(٦) شيخُ الشافعىِّ، كان مِن أهلِ مكةَ، وقد تكَلَّموا فيه لسُوءِ حِفْظِه.

(١ - ١) فى م: «يربى فسيلا ليبقى له».

(٢) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٧٢، وتاريخ العلماء النحويين ص ١٠٩، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٩٨، والمنتظم ٩/ ٥٦، وإنباه الرواة ٢/ ٣٥٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٩.

(٤) المنتظم ٩/ ٥٦، وصفة الصفوة ٤/ ٣٣.

(٥ - ٥) فى م: «فى ذلك».

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٩، وطبقات الفقهاء ص ٤٨، والمنتظم ٩/ ٥٦، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٠٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٣٥٦.

ثم دخَلَت سنةُ إحْدَى وثمانين ومائةٍ

فيها[1] غزا أميرُ المؤمنين هارونُ الرشيدُ بلادَ الرومِ، فافْتَتح حِصْنًا يُقالُ له: الصَّفْصافُ. فقال فى ذلك مَرْوانُ بنُ أبى حَفْصةَ:

إن أميرَ المؤمنين المُصْطَفَى[2] قد ترَك الصَّفْصافَ قاعًا صَفْصَفَا

وفيها غزا عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ بلادَ الرومِ، فبلَغ أَنْقِرَةَ، وافْتَتَح مَطْمُورَةَ.

وفيها تَغَلَّبَتِ المُحَمِّرةُ على جُرْجانَ.

وفيها أمَر الرشيدُ أن يُكْتَبَ فى صُدورِ الرسائلِ الصَّلاةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ الثَّناءِ على اللَّهِ عز وجل.

وفيها حجَّ بالناسِ الرشيدُ وتعَجَّل فى النَّفْرِ، وسأَله يَحْيَى بنُ خالدٍ أن يُعْفِيَه مِن الوِلايةِ، فأعْفاه وأقام يَحْيَى بمكةَ.

ذِكْرُ مَن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ: [٨/١٠٧و] **الحسنُ بنُ قَحْطبةَ**[3]، أحدُ أَكابرِ الأُمراءِ العباسيةِ، **وحَمْزةُ بنُ مالكٍ**[4]، وَلِىَ إمْرةَ خُراسانَ فى أيامِ الرَّشيدِ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٦٨، والمنتظم ٩/ ٥٧، والكامل ٦/ ١٥٨، ١٥٩.

(٢) فى م: «المنصفا».

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٣، والمنتظم ٩/ ٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ١١٩، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٠٨.

(٤) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٦٨، والكامل ٦/ ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٥.

وخلَفُ بنُ خَليفةَ[1] شيخُ الحسنِ بنِ عَرَفةَ عن مائةِ سنةٍ .

وعبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ أبو عبدِ الرحمنِ المَرْوَزىُّ[2] ، كان أبوه تُرْكيًّا مَوْلًى لرجلٍ مِن التُّجَّارِ مِن بنى حَنْظَلةَ مِن أهلِ هَمَذانَ ، فكان ابنُ المُبارَكِ إذا قدِمها أحْسَن إلى وَلَدِ مَوْلاهم ، وكانتْ أُمُّه خُوارِزْمِيَّةً ، وُلِد سنةَ ثمانِ عشْرةَ ومائةٍ ، وسمِع إسماعيلَ بنَ أبى خالدٍ ، والأعْمشَ ، وهشامَ بنَ عُرْوةَ ، وحُمَيْدًا الطَّويلَ ، وغيرَهم مِن أئمةِ التابعِين . وحدَّث عنه خَلائقُ مِن الناسِ ، وكان مَوْصوفًا بالحِفْظِ والفِقْهِ والعربيةِ والزُّهْدِ والكرمِ والشجاعةِ ، وله التَّصانِيفُ الحِسانُ ، والشِّعْرُ المُتَضَمِّنُ حِكَمًا جَمَّةً ، وكان كثيرَ الغَزْوِ والحجِّ ، وكان له رأسُ مالٍ نحوُ أرْبعمائةِ ألفٍ يَدورُ يَتَّجِرُ به فى البُلْدانِ ، فحيثُ اجْتَمَع بعالِمِ بلدةٍ أحْسَنَ إليه ، وكان يَرْبو كَسْبُه فى كلِّ سنةٍ على مائةِ ألفٍ ، يُنفِقُها كلَّها فى أهلِ العلمِ والعبادةِ ، وربما أنفَق مِن رأسِ المالِ .

قال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ[3] : نظَرْتُ فى أمْرِه وأمْرِ الصحابةِ ، فما رأيْتُهم يَفْضُلون عليه إلَّا بصُحْبتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ .

وقال إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ[4] : ما على وجهِ الأرضِ مثلُه ، وما أعْلَمُ خَصْلةً مِن الخيرِ إلا وقد جعَلها اللَّهُ فى ابنِ المُبارَكِ ، ولقد حدَّثنى أصحابى أنهم صحِبوه مِن

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٣١٨، والمنتظم ٩/ ٥٨، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ١٤٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٢، ٥٢٠، وحلية الأولياء ٨/ ١٦٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٠١ طبعة المجمع، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٢٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٣، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٢١، والمنتظم ٩/ ٥٨، ٥٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٧، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٣٢، والمنتظم ٩/ ٥٩.

مِصْرَ إلى مكةَ ، فكان يُطْعِمُهم الخَبِيصَ ، وهو الدَّهْرَ صائمٌ .

وقد قدِم مرةً إلى الرَّقَّةِ[1] ، وبها هارونُ الرَّشيدُ ، فلما دخَلها [2]انجفَل الناسُ يُهْرَعون إلى ابنِ المباركِ[2] ، وازْدَحم الناسُ حولَه ، فأشْرَفَت أمُّ وَلَدٍ للرشيدِ مِن قصرٍ هناك فقالت : ما للناسِ ؟ فقيل لها : قدِم رجلٌ مِن علماءِ خُراسانَ يُقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ . فانْجَفل الناسُ إليه . فقالتِ المرأةُ : هذا هو المُلْكُ ، لا ملكُ هارونَ الرشيدِ الذى يَجْمَعُ الناسَ عليه بالسَّوْطِ والعَصا والرَّغْبةِ والرَّهْبةِ .

وخرج مرةً إلى الحجِّ[3] ، فاجْتاز ببعضِ البلادِ ، فمات طائرٌ معهم ، فأمَر بإلْقائِه على مَزْبَلةٍ ، وسار أصحابُه أمامَه وتخَلَّف هو وراءَهم ، فلما مرَّ بالمَزْبَلةِ إذا جاريةٌ قد خرَجَت مِن دارٍ قريبةٍ منها ، فأخَذَت ذلك الطائرَ الميتَ ، [4]فكشَف عن أمرِها وفحَص ، حتى سَألها[4] ، فقالتْ : أنا وأختى[5] هـهنا ، ليس لنا شىءٌ إلا هذا الإزارُ[6] ، وقد حلَّت لنا المَيْتةُ ، وكان أبونا له مالٌ عظيمٌ ، فظُلِم وأُخِذ مالُه وقُتِل . فأمَر ابنُ المُبارَكِ بردِّ الأحْمالِ ، وقال لوَكيلِه : كم معك مِن النَّفَقةِ ؟ فقال : ألفُ دينارٍ . فقال : عُدَّ منها عشرين دينارًا تَكْفِينا إلى مَرْوَ ، وأعْطِها الباقىَ ، فهذا أفضلُ مِن حَجِّنا فى هذا العام . ثم رجَع .

وكان إذا عزَم على الحجِّ يَقولُ لأصْحابِه[7] : مَن عزَم منكم على [٩/١٠٧ظ]

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٦، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٥٣، والمنتظم ٩/ ٦٠.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « احتفل الناس به » .

(٣) المنتظم ٩/ ٦٢.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة » .

(٥) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « أخى » ، وفى س ، ظ : « أمى » . والمثبت من المنتظم .

(٦) بعده فى ب ، م : « وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة » ، وبعده فى المنتظم : « إذا لبسته بقيت أختى عريانة فهو كسوتنا وفراشنا ودثارنا » .

(٧) تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٨، وتاريخ دمشق ٣٨/ ٣٥٧.

الحجِّ ؟ فيأْخُذُ[1] منهم نَفَقاتِهم ، ويَكْتُبُ على كلِّ صُرَّةٍ اسمَ صاحبِها ويَجْمَعُها فى صُنْدوقٍ ، [2]ثم يَخْرُجُ بهم فى أوْسعِ ما يَكونُ مِن النَّفَقاتِ والرُّكوبِ ، وحُسْنِ الخُلُقِ والتَّيْسِيرِ عليهم ، فإذا قضَوْا حَجَّتَهم يَقولُ لهم[2] : هل أوْصاكم أهْلوكم بهديةٍ ؟ فيَشْتَرِى لكلِّ واحدٍ منهم ما وصَّاه أهلُه مِن الهَدايا [3]المكِّيةِ واليَمَنيةِ وغيرِها ، فإذا جاءُوا إلى المدينةِ اشْتَرَى لهم منها الهَدايا المَدَنيةَ[3] ، فإذا قفَلوا بعَث مِن أثْناءِ الطريقِ إلى بُيوتِهم فأُصْلِحت وبُيِّضَت أبْوابُها ورُمِّم شَعَثُها ، فإذا رجَعوا إلى أوطانِهم عمِل وَليمةً بعدَ قُدومِهم ودعاهم فأكَلوا وكساهم ، ثم دعا بذلك الصندوقِ ففتَحه وأخْرَج منه تلك الصُّرَرَ ، ثم يُقْسِمُ عليهم أن يَأْخُذَ كلُّ واحدٍ نَفقتَه التى عليها اسمُه ، فيَأْخُذونها ويَنْصَرِفون إلى مَنازِلِهم وهم شاكِرون ناشِرون لواءَ الثَّناءِ الجَميلِ .

وكانت سُفْرتُه تُحْمَلُ على بعيرٍ وحدَها ، وفيها مِن أنْواعِ المأْكولِ مِن اللَّحمِ والدَّجاجِ والحَلْوى وغيرِ ذلك ، يُطعمُه وهو صائمٌ للَّهِ عزَّ وجلَّ فى الحَرِّ الشديدِ .

وسأَله مرةً سائلٌ[4] ، فأعْطاه درهمًا ، فقال له بعضُ أصحابِه : إن هؤلاء يَأْكُلون فى غَدائِهم الشِّواءَ والفالُوذَجَ ، وقد كان يَكْفِيه قِطْعةٌ . فقال : واللَّهِ ما ظَنَنْتُ أنه يَأْكُلُ إلا البَقْلَ والخُبْزَ ، فأمَّا إذا كان يَأْكُلُ الشِّواءَ والفالُوذَجَ فلابدَّ من عشَرةِ دراهم ، يا غلامُ : ردَّه وأعطِه عشَرةَ دراهمَ . وفَضائلُه ومَناقبُه ومآثرُه كثيرةٌ جدًّا .

---

(١) فى ب ، م : « فليأتنى بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه فكان يأخذ » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « ثم يخرجون فإذا قضوا المناسك يقول » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « وكذلك فى المدينة النبوية » .
(٤) المنتظم ٩/ ٦٣.

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ : أجْمَع العلماءُ على قَبولِه وجَلالَتِه وإمامَتِه وعدْلِه . تُوُفِّى عبدُ اللَّهِ بنُ المُباركِ بهِيتَ[1] فى هذه السنةِ فى رمضانِها عن ثلاثٍ و ستين سنةً .

ومُفَضَّلُ بنُ فَضالةَ[2] ، ولِى قَضاءَ مصرَ مرتَيْن ، وكان دَيِّنًا ثِقةً ، سأَل اللَّهَ أن يُذْهِبَ عنه الأمَلَ ، فأذْهَبه ، فكان بعدَ ذلك لا يَهْنِئُه عيشٌ ولا شىءٌ مِن الدنيا ، فسأَل اللَّهَ أن يَرُدَّه عليه فردَّه ، فرجَعَ إلى حالِه .

ويَعْقوبُ التائبُ العابدُ الكُوفىُّ[3] ، قال علىُّ بنُ المُوَفَّقِ ، عن منصورِ بنِ عمَّارٍ : خَرجْتُ ذاتَ ليلةٍ وأنا أَظُنُّ أنى قد أصْبَحْتُ ، فإذا علىٌّ ليلٌ ، فجلَسْتُ إلى بابِ صغيرٍ ، وإذا شابٌّ يَبْكِى وهو يَقولُ : وعِزَّتِك وجَلالِك ما أَرَدْتُ بمَعْصيتِى مُخالفتَك ، ولكن سوَّلَتْ لى نَفْسى ، وغلَبَتْنى شِقْوتى ، وغرَّنى سِتْرُك المُرْخَى علىَّ ، فالآنَ مِن عَذابِك مَن يَسْتَنْقِذُنى ؟ وبحَبْلِ مَن أَتَّصِلُ إن قطَعْتَ حَبْلَك عنى ؟ واسَوْأَتاه على ما مضَى مِن أيامى فى مَعْصيةِ ربى ! يا ويْلى كم أَتوبُ ، وكم أَعودُ ! قد حان لى أن أَستَحْيِىَ مِن ربى عز وجل . قال مَنْصورٌ : فقلتُ : أَعوذُ باللَّهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ ، بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ [٨/١٠٨و] وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] . قال : فسمِعْتُ صوتًا واضْطِرابًا شديدًا ، فذَهَبْتُ لحاجتى ، فلما أصبحت رجَعْتُ ، فلما مرَرْتُ على ذلك البابِ ، فإذا جِنازةٌ ، فسأَلْتُ ، فإذا هو قد مات مِن سماعِ هذه الآيةِ .

---

(١) هِيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . معجم البلدان ٤/ ٩٩٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٧، وأخبار القضاة ٣/ ٢٣٧، ٢٣٨، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤١٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤١٢.

(٣) المنتظم ٩/ ٦٤ ، ٦٥ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وثمانين ومائةٍ

فيها[1] أخَذ الرشيدُ لولدِه عبدِ اللَّهِ المأْمونِ البيعةَ بولايةِ العهدِ مِن بعدِ أخيه محمدِ ابنِ زُبَيْدةَ الأمينِ، وذلك بالرَّقَّةِ بعدَ مَرْجِعِه مِن الحجِّ، وضمَّ ابنَه المأْمونَ إلى جعفرِ بنِ يَحْيَى البَرْمَكيِّ، ثم أرسلَه إلى بَغْدادَ ومعه جَماعةٌ مِن أهلِ الرشيدِ خِدْمةً له، وولَّاه خُراسانَ وما يَتَّصِلُ بها، وسمَّاه المأْمونَ.

وفيها رجَع يَحْيَى بنُ خالدٍ البَرْمَكيُّ مِن مُجاوَرتِه بمكةَ إلى بَغْدادَ.

وفيها غزا الصائفةَ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الملكِ بنِ صالحٍ، فبلَغ مدينةَ أصحابِ الكَهْفِ.

وفيها سمَلَت الرومُ عينَيْ مَلِكِهم قُسْطَنْطِينَ بنِ أَلْيونَ، وملَّكوا عليهم أُمَّه رِينَى، وتُلَقَّبُ أُغَسْطَةَ[2].

وحجَّ بالناسِ فيها موسى بنُ عيسى بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسٍ.

وممَّن تُوُفي فيها مِن الأعْيانِ: إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ الحِمْصيُّ[3] أحدُ المَشاهِيرِ مِن أئمةِ الشامِيِّين، وفيه كلامٌ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٦٩، والمنتظم ٩/٦٦، ٦٧، والكامل ٦/١٦١، ١٦٢.

(٢) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «أعطشة»، وفى الكامل: «عطسة».

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٢١، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٥، والمنتظم ٩/ ٦٧، وتهذيب الكمال ٣/ ١٦٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٧٠.

ومَرْوانُ بنُ أبى حَفْصةَ[1] ، الشاعرُ المَشْهورُ المَشْكورُ ، كان يَمْدَحُ الخُلَفاءَ والبَرامِكةَ ومَعْنَ بنَ زائدةَ ، وكان قد تَحصَّل له مِن الأمْوالِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، وكان مع ذلك مِن أبْخلِ الناسِ ، لا يَكادُ يَأْكُلُ اللَّحمَ مِن بُخْلِه ، ولا يُشْعِلُ فى بيتِه سِراجًا ، ولا يَلْبَسُ مِن الثِّيابِ إلا الكِرْباسَ[2] والفَرْوَ الغَليظَ ، وكان رَفيقُه سَلْمٌ الخاسرُ إذا ركِب إلى دارِ الخلافةِ يَأْتى على بِرذَوْنٍ ، وبَدْلَةٍ سَنيةٍ تُساوِى ألفَ دينارٍ ، والطِّيبُ يَنْفَحُ مِن ثيابِه ، ويَأتى مروانُ فى شرِّ حالةٍ وأسْوئِها .

وخرَج[3] يومًا إلى المهدىِّ ، فقالتِ امرأةٌ مِن أهلِه : إن أطْلَق لك الخليفةُ شيئًا فاجْعَلْ لى منه شيئًا . فقال : إنْ أعْطانى مائةَ ألفِ درهمٍ فلكِ درهمٌ . فأعْطاه ستين ألفًا ، فأعْطاها أرْبعةَ دَوانِيقَ . تُوُفِّى ببَغْدادَ فى هذه السنةِ ، ودُفِن فى مَقْبَرةِ نصرِ بنِ مالكٍ .

القاضى أبو يوسُفَ[4] وهو يَعْقوبُ بنُ إبراهيمَ بنِ حَبِيبِ بنِ سعدِ ابنِ حَبْتَةَ[5] ، وهى أمُّه ، وأبوه بَحِيرُ[6] بنُ معاويةَ ، وسعدٌ هذا له صحبةٌ ، استُصْغِر يومَ

---

(١) طبقات الشعراء ص ٤٢، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٤٢، وتاريخ دمشق ١٦/٣٦٥ مخطوط ، والمنتظم ٩/ ٦٩، ووفيات الأعيان ٥/ ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٨٩.

(٢) فى م: «الكرباسى». والكِرْباس: ثوب من القطن الأبيض، فارسى معرّب. تاج العروس (كربس).

(٣) انظر المنتظم ٩/ ٧١.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٠، وأخبار القضاة ٣/ ٢٥٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢، وطبقات الفقهاء ص ١٣٤، والمنتظم ٩/ ٧١، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٦١١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٩٦.

(٥) فى ب، م: «حسنة»، وفى ص: «حبة». وانظر الإكمال ٣/ ١٢١.

(٦) فى ب، م: «بجير»، وفى س، ص، ظ: «يحيى». وقد اختُلف فى اسم أبى سعد، فقيل: بَحِير. وقيل: بُجير. والأول أصح. وانظر المصدر السابق ١/ ١٩٩، ٣/ ١٢١، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨، ٣٨٩.

أحدٍ، وأبو يوسُفَ القاضى هذا كان أكبرَ أصحابِ أبى حَنيفةَ، رحِمه اللَّهُ، وروَى الحديثَ عن الأعمشِ، وهشامِ بنِ عروةَ، ومحمدِ [٨/١٠٨ظ] بنِ إسحاقَ، ويَحْيَى بنِ سعيدٍ، وغيرِهم. وعنه محمدُ بنُ الحسنِ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ، ويَحْيَى بنُ مَعِينٍ.

وقال عليُّ بنُ الجَعْدِ[1]: سمِعْتُه يَقولُ: تُوُفِّى أبى وأنا صغيرٌ، فأسْلَمَتْنى أُمِّى إلى قَصَّارٍ، فَكنتُ أَمُرُّ على حَلْقةِ أبى حَنيفةَ، فأَجْلِسُ فيها، فكانتْ أمى تَتْبَعُنى، فتَأْخُذُ بيدى مِن الحَلْقةِ وتَذْهَبُ بى إلى القَصَّارِ، ثم كنتُ أُخالِفُها فى ذلك وأَذْهَبُ إلى أبى حَنيفةَ، فلمَّا طال ذلك قالت أمى لأبى حَنيفةَ: إن هذا صبىٌّ يَتيمٌ، ليس له شىءٌ إلا ما أُطْعِمُه مِن مِغْزَلى، وإنَّكَ قد أفْسَدْتَه علىَّ. فقال لها: اسْكُتى يا رَعْناءُ، ها هو ذا يَتَعَلَّمُ العلمَ، وسيأْكُلُ الفالُوذَجَ بدُهْنِ الفُسْتُقِ. فقالتْ له: إنك شيخٌ قد خرِفْتَ. قال أبو يوسُفَ: فلما وُلِّيتُ القَضاءَ - وكان أوَّلَ مَن ولَّاه القضاءَ الهادى، وهو أوَّلُ مَن لُقِّب بقاضى القُضاةِ، وكان يُقالُ له: قاضى قُضاةِ الدنيا. لأنه كان يَسْتَنِيبُ فى سائرِ الأقاليمِ التى يَحْكُمُ فيها الخليفةُ - قال أبو يوسفَ: فبينا أنا ذاتَ يومٍ عندَ الرشيدِ إذ أُتِى بفالُوذَجٍ وكنتُ لا أعرفُها، فقال لى: كُلْ مِن هذا؛ فإنَّه لا يُصْنَعُ لنا كلَّ وقتٍ. فقلتُ: وما هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: هذا الفالُوذَجُ. قال: فتبَسَّمْتُ، فقال: ما لك تَتَبَسَّمُ؟ فقلتُ: لا شىءَ، أبْقَى اللَّهُ أميرَ المؤمنين. فقال: لَتُخْبِرَنِّى. فقصَصْتُ عليه القِصةَ من أولِها، فقال: إن العلمَ يَنْفَعُ ويَرْفَعُ فى الدنيا والآخِرةِ. ثم قال: رحِم اللَّهُ أبا حَنيفةَ، فلقد كان يَنْظُرُ بعينِ عقلِه ما لا يراه بعينِ رأسِه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٤، ٢٤٥، والمنتظم ٩/ ٧٢.

وكان أبو حَنيفةَ يَقولُ عن أبى يوسُفَ[1] : إنَّه أعْلَمُ أصْحابِه .

وقال المُزَنىُّ[1] : كان أبو يوسُفَ أتْبَعَهم للحديثِ .

وقال ابنُ المَدِينىِّ[1] : كان صَدوقًا . وقال ابنُ مَعينٍ[2] : كان ثِقةً . وقال أبو زُرْعةَ[3] : كان سليمًا مِن التَّجَهُّمِ .

وقال بَشَّارٌ الخَفَّافُ[3] : سمِعْتُ أبا يوسُفَ يَقولُ : مَن قال : القرآنُ مَخْلوقٌ . فحرامٌ كلامُه ، وفَرْضٌ مُبايَنتُه .

ومِن كلامِه الذى يَنْبَغِى كتابتُه بماءِ الذهبِ قولُه[4] : مَن طلَب المالَ بالكيمياءِ أفْلَس ، ومَن تتَبَّع غَرائبَ الحديثِ كذَب ، ومَن طلَب العلمَ بالكلامِ تَزَنْدَق .

ولما تَناظَر هو ومالكٌ بالمدينةِ بحَضْرةِ الرشيدِ فى مَسْألةِ الصاعِ وزَكاةِ الخَضْراواتِ احتجَّ مالكٌ بما اسْتَدْعَى به مِن تلك الصِّيعانِ المَنْقولةِ عن آبائِهم وأسْلافِهم ، وبأنَّه لم تكن الخَضْراواتُ فى زمنِ الخلفاءِ الراشدين . فقال : لو رأَى صاحبى ما رأيْتُ لَرجَع كما رجَعْتُ . وهذا إنْصافٌ .

وقد كان يَحْضُرُ فى مَجْلِسِ حُكمِه العُلماءُ على طَبَقاتِهم ، حتى إنَّ أحمدَ [٨/١٠٩و] ابنَ حنبلٍ كان شابًّا ، وكان يَحْضُرُ مَجْلِسَه فى أثْناءِ الناسِ ، فيَتَناظَرون ويَتَباحَثون فيه ، وهو مع ذلك يَحْكُمُ ويُصَنِّفُ أيضًا .

---

(١) المنتظم ٩/ ٧٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٩، والمنتظم ٩/ ٧٥.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٣، والمنتظم ٩/ ٧٥.

(٤) أخبار القضاة ٣/ ٢٥٨، والكامل لابن عدى ٧/ ٢٦٠٣.

وقال[1] : وُلِّيتُ هذا الحُكْمَ ، وأرْجُو اللَّهَ أن لا يَسْأَلَنى عن جَوْرٍ ولا مَيْلٍ إلى أحدٍ ، إلا يومًا واحدًا ؛ جاءنى رجلٌ فذكَر أن له بُسْتانًا ، وأنَّه فى يدِ أميرِ المؤمنين ، فدخَلْتُ إلى أميرِ المؤمنين فأعْلَمْتُه ، فقال : البُسْتانُ لى ، اشْتَراه لِىَ المهدىُّ . فقلتُ : إن رأَى أميرُ المؤمنين أن يُحْضِرَه لِأَسْمَعَ دَعْواه . فأحْضَره فادَّعَى بالبُسْتانِ ، فقلتُ : ما تَقولُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هو بُسْتانى . فقلتُ للرجلِ : قد سمِعْتَ ما أجاب . فقال الرجلُ : يَحْلِفُ . فقلتُ : أتَحْلِفُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : لا . فقلتُ : سأَعْرِضُ عليك اليَمينَ ثلاثًا ، فإن حلَفْتَ وإلا حكَمْتُ عليك . فعرضْتُها عليه ثلاثًا فامْتَنع ، فحكَمْتُ بالبُسْتانِ للمُدَّعِى . قال : فكنتُ فى أثناءِ الخُصومةِ أَوَدُّ أن نَنْفَصِلَ ، ولم يُمْكِنِّى أن أُجْلِسَ الرجلَ مع الخَليفةِ . وبعَث القاضى أبو يوسُفَ فى تَسْليمِ البُسْتانِ إلى الرجلِ .

وروَى المُعافَى بنُ زكريا الجَرِيرىُّ[2] ، عن محمدِ بنِ أبى الأزْهَرِ ، عن حمادِ ابنِ أبى إسْحاقَ - الموصِلىِّ ، عن أبيه ، عن بِشْرِبنِ الوَليدِ ، عن أبى يوسُفَ قال : بينا أنا ذاتَ ليلةٍ قد نِمْتُ فى الفِراشِ ، إذا رسولُ الخَليفةِ يَطْرُقُ البابَ ، فخرَجْتُ مُنْزَعِجًا فقال : أميرُ المؤمنين يَدْعُوك . فذهَبْتُ فإذا هو جالسٌ ومعه عيسى بنُ جَعْفرٍ ، فقال لىَ الرشيدُ : إن هذا قد طَلَبْتُ منه جاريةً يَهَبُنيها ، فلم يَفْعَلْ ، أو يَبِيعُنيها فلم يفعلْ ، وإنى أُشْهِدُك إن لم يُجِبْنى إلى ذلك قتَلْتُه . فقلتُ لعيسى : لمَ لم تَفْعَلْ ؟ فقال : إنى حالِفٌ بالطلاقِ والعَتاقِ وصَدَقةِ مالى كلِّه أن لا أَبِيعَها ولا أَهَبَها . فقال لىَ الرشيدُ : فهل له مِن مَخْلَصٍ ؟ فقلتُ : نعم ، يَبِيعُك نصفَها ، ويَهَبُك نصفَها . فوهَبه النصفَ ، وباعه النصفَ بمائةِ ألفِ دينارٍ ، فقبِل منه ذلك ،

---

(١) انظر المنتظم ٩/ ٧٦، ٧٧.

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٩ - ٢٥١، من طريق المعافى بن زكريا به مطولا .

وأُحْضِرَت الجاريةُ ، فلما رآها الرشيدُ قال : هل لى مِن سبيلٍ عليها الليلةَ ؟ قلتُ : إنها مَمْلوكةٌ ، ولابد من اسْتِبْرائِها ، إلا أن تُعْتِقَها وتَتَزَوَّجَها ، فإن الحُرَّةَ لا تُسْتَبْرَأُ . قال : فأعْتَقها وزَوَّجْتُها منه بعشرين ألفَ دينارٍ ، وأمَر لى بمائتَىْ ألفِ درهمٍ وعشرين تَخْتًا[1] مِن ثِيابٍ ، وأرْسَلَت إلىَّ الجاريةُ بعشَرةِ آلافِ دينارٍ .

وقال يَحْيَى بنُ مَعِينٍ[2] : كنتُ عندَ أبى يوسُفَ ، فجاءتْه هديةٌ مِن ثيابِ دَبِيقىٍّ[3] وطِيبٍ وتماثيلِ نِدٍّ[4] وغيرِ ذلك ، فذاكَرنى رجلٌ فى إسنادِ حديثِ : « من أُهْدِيَت له هديةٌ وعندَه قومٌ جُلوسٌ فهم شُركاؤُه » . فقال [٨/١٠٩ظ] أبو يوسُفَ : إنما ذاك فى الأَقِطِ والتمرِ والزَّبيبِ ، ولم تَكُنِ الهَدايا ما ترَوْن ، يا غلامُ ، شِلْ إلى الخَزائنِ .

وقال بِشْرُ بنُ غِياثٍ المَرِيسىُّ[5] : سمِعْتُ أبا يوسُفَ يَقولُ : صحِبْتُ أبا حَنيفةَ سبعَ عشْرةَ سنةً ، ثم انْصَبَّت علىَّ الدنيا سبعَ عشْرةَ سنةً ، وما أَظُنُّ أجَلى إلا قد اقْتَرَب . فما كان شُهورٌ حتى مات .

وقد مات[6] أبو يوسُفَ فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ عن تسعٍ وستين سنةً ، وقد مكَث فى القَضاءِ ستَّ عشْرةَ سنةً ، وَوَلِى القضاءَ مِن بعدِه ولدُه يوسُفُ .

---

(١) التخت : وعاءٌ تُصانُ فيه الثيابُ ، فارسى ، وقد تكلمت به العرب . اللسان (ت خ ت) .
(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٢، والمنتظم ٩/ ٧٩، ٨٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٨٦، ٣٨٧.
(٣) فى ب ، ظ ، وتاريخ بغداد : « ديبقى » . والدبيقى : من دِقِّ ثياب مصر ، معروفة تنسب إلى ديبق ، وهى قرية بمصر . اللسان ، والوسيط (د ب ق) .
(٤) والنِّدُّ والنَّدُّ : ضربٌ من الطِّيب يُدَخَّن به . اللسان (ن د د) .
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٢، والمنتظم ٩/ ٨٠.
(٦) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٣، ٢٦١، والمنتظم ٩/ ٧٢، ٨٠.

وقد كان نائبَه على الجانبِ الغربىِّ[1] مِن بَغْدادَ . ومَن زعَم مِن الرُّواةِ أن الشافعىَّ اجْتَمَع بأبى يوسُفَ كما يَقولُه عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوىُّ الكَذَّابُ فى الرِّحْلةِ التى ساقها للشافعىِّ ، فقد أخْطَأ فى ذلك ، فإن الشافعىَّ إنما ورَد بَغْدادَ فى أولِ قَدْمةٍ قدِمها إليها فى سنةِ أربعٍ وثمانين . وإنما اجتَمَع بمحمدِ بنِ الحسنِ الشَّيبانىِّ ، فأحْسَن إليه وأقْبَل عليه ، ولم يَكُنْ بينَهما شَنَآنٌ ، كما قد يَذْكُرُه بعضُ مَن لا خِبْرةَ له بهذا الشأنِ . واللَّهُ أعلمُ[2] .

وفيها تُوُفى يعقوبُ بنُ داودَ بنِ طَهْمانَ أَبو عبدِ اللَّهِ[3] ، مولى عبدِ اللَّهِ بنِ خازمٍ[4] السُّلَمىِّ ، اسْتَوْزَره المَهْدىُّ ، وسلَّم إليه أَزِمَّةَ الأُمورِ ، وحظِىَ عنده جدًّا ، ثم لما أمَره بقَتْلِ ذلك العَلَوىِّ فأَرْسَله ، ونمَّت عليه الجاريةُ ، وتحقَّقَ أنه لم يَفْعَلْ ، سجَنه فى بئرٍ ، وبُنِيَت عليه قُبَّةٌ ، ونبَت عليه شعرٌ كما يَنْبُتُ شعرُ الأنْعامِ ، وعمِى ، ويُقالُ : عَشِى بَصَرُه ، ومكَث نحوًا مِن خمسَ عشْرَةَ سنةً فى ذلك المكانِ لا يَرَى شيئًا ، ولا يَسْمَعُ صوتًا إلا حينَ الصَّلواتِ يُعْلَمُ به ، ويُدَلَّى إليه فى كلِّ يومٍ رَغيفٌ وكُوزُ ماءٍ ، حتى انْقَضَت أيامُ المهدىِّ وأيامُ الهادى وصَدْرٌ مِن خلافةِ الرشيدِ ، قال يعقوبُ : فأتانى آتٍ فى مَنامى فقال :

عسى الكَرْبُ الذى أمْسَيْتَ فيه ... يَكونُ وراءَه فرجٌ قريبُ
فيَأْمَنَ خائفٌ ويُفَكَّ عانٍ ... ويَأْتىَ أهلَه النائى الغريبُ[5]

---

(١) فى النسخ : « الشرقى » . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٠.
(٣) الوزراء والكتاب ص ١٥٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٦٢، والمنتظم ٩/ ٨٠، ووفيات الأعيان ٧/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٧١.
(٤) فى الأصل، ب، س، م : « حازم » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٤٤١.
(٥) البيتان من قصيدة لهُدْبة بن خَشْرم العذرى . انظر أمالى القالى ١/ ٧٢.

فلما أصبحتُ نُودِيتُ فظَنَنْتُ أنى أُعْلَمُ بوقتِ الصلاةِ ، ودُلِّى إلىَّ حبلٌ ، وقيلَ لى : ارْبِطْ هذا الحبلَ فى وسَطِك . فأخْرَجونى ، فلما نظَرْتُ إلى الضِّياءِ لم أُبْصِرْ شيئًا ، وأُوقِفْتُ بينَ يدى الخليفةِ . فظَنَنْتُه المهدىَّ ، فسلَّمْتُ عليه أنه المهدىُّ ، فقال : لسْتُ به . قلتُ : فالهادى ؟ فقال : لسْتُ به . فقلتُ : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين الرشيدَ . فقال : نعم . ثم قال : [٨/ ١١٠و] واللَّهِ إنه لم يَشْفَعْ فيك عندى أحدٌ ، ولكنى البارحةَ حمَلْتُ جاريةً لى صغيرةً على عُنُقى ، فذكَرْتُ حَمْلَك إياىَ على عنقِك ، فرحِمْتُ ما أنت فيه مِن الضِّيقِ ، فأخْرَجْتُك . ثم أنْعَم عليه وأحْسَن إليه . فغار منه يحيى بنُ خالدِ بنِ بَرْمَكَ ، وخشِى أن يُعِيدَه إلى المَنْزِلةِ التى كان فيها فى أيامَ المهدىِّ ، وفهِم ذلك يَعْقوبُ ، فاسْتَأْذَن الخليفةَ فى أن يذهبَ إلى مكةَ ، فأذِن له ، فكان بها حتى مات فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ[1] .

ويزيدُ بنُ زُرَيْعٍ أبو مُعاويةَ العَيشىُّ[2] ، كان ثقةً عالمًا عابدًا وَرِعًا ، تُوُفى أبوه وكان والىَ البَصْرةِ ، وترَك مِن المالِ خمسَمائةِ ألفِ درهمٍ ، فلم يَأْخُذْ منها يزيدُ درهمًا واحدًا ، وكان يَعْمَلُ الخُوصَ ، ويأكلُ منه . تُوُفِّى بالبَصْرَةِ فى هذه السنةِ ، وقيل قبلَ ذلك[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/٢٦٢ - ٢٦٥، والمنتظم ٩/٨٠ - ٨٢، ووفيات الأعيان ٧/ ٢٥، ٢٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩، والمنتظم ٩/ ٨٢، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٦٣.
(٣) انظر المنتظم ٩/ ٨٢.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وثمانين ومائةٍ

فيها[1] خرَجَت الخزَرُ على الناسِ مِن ثُلْمةِ أرْمِينِيَةَ ، فعاثُوا فى تلك البلادِ فَسادًا ، وسبَوْا مِن المسلمين وأهلِ الذِّمَّةِ نحوًا مِن مائةِ ألفٍ ، وقتَلوا بَشَرًا كثيرًا ، وانْهَزَم نائبُ أرْمِينِيَةَ سعيدُ بنُ مسلمٍ ، فأرْسَل الرشيدُ إليهم [2]خُزَيْمةَ بنَ خازمٍ[2] ويزيدَ بنَ مَزْيَدٍ فى جُيوشٍ كثيفةٍ ، إلى تلك البلادِ فأصلَحوا ما وقع فيها من العَيْثِ والفسادِ . وحجَّ بالناسِ العباسُ بنُ موسى الهادى .

وفيها تُوُفِّى مِن الأعْيانِ علىُّ بنُ الفُضَيْلِ بنِ عِياضٍ[3] فى حياةِ أبيه ، وكان كثيرَ العِبادةِ والوَرَعِ والخوفِ .

ومحمدُ بنُ صَبِيحٍ[4] أبو العباسِ ، مولى بنى عِجْلٍ ، المذَكِّرُ[5] . ويُعْرَفُ بابنِ السَّمَّاكِ . روَى عن إسْماعيلَ بنِ أبى خالدٍ والأعْمشِ والثَّورىِّ وهشامِ بنِ عُرْوةَ وغيرِهم .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٧٠، ٢٧١، والمنتظم ٩/ ٨٣، والكامل ٦/ ١٦٣.

(٢ - ٢) فى النسخ : « خازم بن خزيمة » . والمثبت من مصادر التخريج . وخازم بن خزيمة هو والد خزيمة ، توفى فى حياة المنصور أبى جعفر . وانظر المؤتلف والمختلف للدارقطنى ٢/ ٦٥١.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٧، والمنتظم ٩/ ٨٥، وتهذيب الكمال ٢١/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ٢٦٩.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٣، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٦٨، والمنتظم ٩/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٦٧.

(٥) أى الواعظ .

ودخَل يومًا على الرشيدِ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ لك بينَ يدى اللَّهِ مَوْقِفًا، فانْظُرْ أين مُنْصَرَفُك؛ إلى الجنةِ أم إلى النارِ؟ فبكَى الرشيدُ حتى كاد يَموتُ.

وموسى بنُ جَعْفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، أبو الحسنِ الهاشمىُّ، (١) ويُقالُ له: الكاظِمُ (١). وُلِد سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وعشرين ومائةٍ، وكان كثيرَ العِبادةِ والمُروءةِ، إذا بلَغه عن أحدٍ أنه يُؤْذِيه أرْسَل إليه بالتُّحَفِ والذهبِ، وُلِد له مِن الذُّكورِ والإناثِ أربعون نَسَمةً. وأهْدَى له مرةً عبدٌ عَصِيدةً فاشْتَراه واشْتَرَى المَزْرَعةَ التى هو فيها بألفِ دينارٍ، وأعْتَقه، ووهَبها له.

وقد اسْتَدْعاه المهدىُّ [٨/١١٠ظ] إلى بَغْدادَ فحبَسه، فلما كان فى بعضِ الليالى رأَى المهدىُّ علىَّ بنَ أبى طالبٍ وهو يقولُ له: يا محمدُ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. فاسْتَيْقَظ مَذْعورًا، وأمَر به فأُخْرِج مِن السِّجْنِ ليلًا، فأجْلَسه معه، وعانَقه وأقْبَل عليه، وأخَذ عليه العَهْدَ أن لا يَخْرُجَ عليه، ولا على أحدٍ مِن أوْلادِه، فقال: واللَّهِ ما هذا مِن شَأْنى (٢). فقال: صدَقْتَ. وأمَر له بثلاثةِ آلافِ دينارٍ، وأمَر به فرُدَّ إلى المدينةِ، فما أصْبَح الصَّباحُ إلا وهو على الطريقِ، فلم يَزَلْ بالمدينةِ حتى كانت خِلافةُ الرشيدِ فحجَّ، فلما دخَل ليُسَلِّمَ على قبرِ النبىِّ ﷺ ومعه موسى بنُ جعفرٍ، فقال الرشيدُ: السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ يا بنَ عمٍّ. فقال موسى: السلامُ عليك

(١ - ١) سقط من: الأصل، س، ظ. وانظر تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧، والمنتظم ٩/ ٨٧، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٠٨، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣.

(٢) بعده فى ب، م: «ولا حدثت فيه نفسى».

يا أبَه . فقال الرشيدُ : هذا هو الفَخْرُ يا أبا الحسنِ[1] . ثم لم يَزَلْ ذلك فى نَفْسِه حتى اسْتَدْعاه فى سنةِ تسعٍ وسبعين[2] ، وسجَنه فأطال سَجْنَه ، فكتَب إليه موسى رِسالةً يقولُ فيها : أما بعدُ ، يا أميرَ المؤمنين ، إنه لن يَنْقضىَ عنى يومٌ مِن البَلاءِ إلا انْقَضَى عنك يومٌ مِن الرَّخاءِ ، حتى يُفْضِىَ بنا ذلك إلى يومٍ يَخْسَرُ فيه المُبْطِلون . تُوُفِّى لخمسٍ بَقِين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ببَغْدادَ ، وقبرُه هناك مشهورٌ .

هُشَيْمُ[3] بنُ بَشيرِ بنِ أبى خازمٍ[4] القاسمِ بنِ دينارٍ ، أبو مُعاويةَ السُّلَمىُّ الواسطىُّ ، كان أبوه طَبَّاخًا للحَجَّاجِ بنِ يوسُفَ الثَّقفىِّ ، ثم كان بعدَ ذلك يَبيعُ الصِّحْناةَ[5] والكَوامخَ[6] ، وكان يَمْنَعُ ابنَه مِن طَلَبِ العلمِ ليُساعِدَه على صناعتِه ، فيأْبَى إلا أن يَسْمَعَ الحديثَ . فاتَّفَق أن هُشَيْمًا مرِض ، فجاءه أبو شَيْبةَ قاضى واسِطٍ لِيَعودَه ، ومعه خَلْقٌ مِن الناسِ ، فلما رآه بَشِيرٌ فرِح بذلك وقال له : يا بنىَّ ، أَبَلَغَ مِن أمْرِك أنْ جاء القاضى إلى مَنْزلى ؟! لا أَمْنَعُك بعدَ هذا اليومِ مِن طلبِ الحديثِ .

كان هو مِن ساداتِ العُلَماءِ ، حدَّث عنه ؛ مالكٌ ، وشُعْبةُ ، والثَّورىُّ ، وأحمدُ بنُ حَنْبلٍ ، وخَلْقٌ سواهم ، وكان مِن الصُّلَحاءِ العُبَّادِ . مكَث يُصَلِّى

---

(١) فى ب ، م : « الحسين » .

(٢) فى النسخ : « ستين » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) فى م : « هاشم » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٨٥، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٣٢.

(٤) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ ، والمنتظم : « حازم » . وهو تصحيف ، وانظر مصادر ترجمته . وانظر تبصير المنتبه ١/ ٣٨٧.

(٥) سقط من : ب ، م . والصحناة : إدامٌ يُتَّخذُ من السمك الصِّغار المُمَلَّح . انظر اللسان (ص ح ن) .

(٦) الكوامخ : جمع كامخ وهو نوع من الأُدْم ، وقيل : المُخَلَّلات المُشَهِّيَة . اللسان ، والوسيط (ك م خ) .

الصبحَ بوُضوءِ العِشاءِ قبلَ أن يموتَ (١ عشْرَ سنين ١) .

يَحْيَى بنُ زكريا بنِ أبى زائدةَ[٢] ، قاضى المَدائِنِ ، كان مِن الأئمةِ الثِّقاتِ .

يونُسُ بنُ حَبيبٍ[٣] ، أحدُ النُّحاةِ النُّجَباءِ ، وقد أخَذ عن أبى عمرِو بنِ العَلاءِ وغيرِه ، وأخَذ عنه الكِسائىُّ والفَرَّاءُ ، وقد كانتْ له حَلْقةٌ بالبَصْرةِ يَنْتابُها أهلُ العلمِ والأدَبِ والفُصَحاءُ مِن الحاضـرِين والعربِ[٤] . تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ عن ثمانٍ [٨/١١١و] وتسعين[٥] سنةً .

(١ - ١) فى س : « عشرين سنة » .

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٩٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ١١٤، والمنتظم ٩/ ٩٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤١٦، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٥١.

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٣٣، والمنتظم ٩/ ٩١، ووفيات الأعيان ٧/ ٢٤٤، وإنباه الرواة ٤/ ٦٨، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين ص ٣٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٨٠، وغاية النهاية ٢/ ٤٠٦.

(٤) فى ب ، م : « الغرباء » .

(٥) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « سبعين » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثمانين ومائةٍ

فيها[1] رجَع الرشيدُ مِن الرَّقَّةِ إلى بغدادَ ، فأخَذ الناسَ بأداءِ بقايا الخَراجِ الذى عليهم ، وولَّى رجلًا يَضْرِبُ على ذلك ويَحْبِسُ ، وولَّى على أطْرافِ البلادِ ، وعزَل وقطَع ووصَل .

وخرَج بالجَزيرةِ أبو عمرٍو الشَّارِى ، فبعَث إليه الرشيدُ مَن قتَله بشَهْرَزُورَ .

وحجَّ بالناسِ فيها إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ العباسىُّ .

وممن تُوفِّىَ فيها من الأعيانِ : أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين الرشيدِ[2] كان زاهدًا عابدًا قد تنَسَّك ، وكان لا يَأْكُلُ إلا مِن عمَلِ يديْه ، يعملُ فى الطِّينِ[3] ، وليس يَمْلِكُ إلا مَرًّا وزِنْبيلًا - أى مِجْرَفةً وقُفَّةً - وكان أُجْرتُه فى كلِّ يومٍ يعملُ فيه مِن الجمُعةِ إلى الجمُعةِ درهمًا ودانِقًا ، [4]وكان لا يَعْمَلُ إلا فى يومِ السبتِ فقط ، ثم يُقْبِلُ على العِبادةِ بقيةَ أيامِ الجمعةِ[4] ، وكان مِن زُبَيْدةَ فى قولِ بعضِهم ، والصحيحُ أنه كان مِن امرأةٍ غيرِها كان الرشيدُ قد أحَبَّها فتزَوَّجها سرًّا[5] ، فحمَلت منه بهذا الغلامِ ثم أَحْدَرها إلى البَصْرةِ ، وأعْطاها خاتَمًا من ياقوتٍ أحْمرَ ، وأشياءَ معها

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٧٢، والمنتظم ٩٢ - ٩٦، والكامل ٦/ ١٦٦، ١٦٧.

(٢) المنتظم ٩/ ٩٣، ووفيات الأعيان ١/ ١٦٨.

(٣) بعده فى ب ، م : « كان يعمل فاعلا فيه » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، س ، ظ .

(٥) سقط من : م .

نَفِيسةً ، وأمَرها إذا أفْضَت إليه الخِلافةُ أن تَأتِيَه . فلما صارتِ الخِلافةُ إليه لم تَأْتِه ولا وَلدُها[1] ، وبلَغه أنهما ماتا ، ولم يَكُن كذلك[2] ، فكان هذا الشابُّ يَعْمَلُ بيدِه ، ويَأْكُلُ مِن كَدِّها ، فاتَّفَق مَرَضُه فى دارِ مَن كان يستعملُه فى الطِّينِ ، فمرَّضَه عندَه ، فلما احْتُضِر أخْرَج الخاتمَ ، وقال لصاحبِ المنزلِ : اذْهَبْ بهذا إلى الرشيدِ ، وقُلْ له : صاحبُ هذا الخاتَمِ يقولُ لك : إياك أن تَموتَ فى سَكْرتِك هذه فتَنْدَمَ[3] فلما مات ودَفنه وطَلَب الحُضورَ بينَ يدى الخليفةِ ، فقال : ما حاجتُك ؟ قلتُ : هذا الخاتَمُ دفَعه إلىَّ رجلٌ[4] ، وأوْصانى أن أقولَ لك كلامًا . فلما نظَر عرَفه فقال : ويحَك ! وأين صاحبُ هذا الخاتَمِ ؟ قال : فقلتُ : مات يا أميرَ المؤمنين ، [5]وهو يقولُ لك : احذرْ أن تموتَ فى سَكْرتِك فتندمَ . قال : فقام الرشيدُ[5] فضرَب بنَفْسِه البِسَاطَ[6] وجعَل يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لبطنٍ ويقولُ : واللَّهِ لقد نصَحْتَنى يا بنىَّ . ثم قال : أتَعْرِفُ قبرَه ؟ قلتُ : نعم . قال : إذا كان العَشِىُّ فأْتِنى . فأتَيْتُه ، فذهَب إلى قبرِه ، فلم يَزَلْ يَبْكى عندَه حتى أصْبَح ، ثم أمَر لذلك الرجلِ بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، وكتَب له ولعِيالِه رِزْقًا .

---

(١) بعده فى ب ، م : « بل اختفيا » .

(٢) بعده فى ب ، م : « وفحص عنهما فلم يطلع لهما على خبر » .

(٣) بعده فى ب ، م : « حيث لا ينفع نادما ندمه واحذر انصرافك من بين يدى اللّه إلى الدارين وأن يكون آخر العهد بك فإن ما أنت فيه لو دام لغيرك لم يصل إليك وسيصير إلى غيرك وقد بلغك أخبار من مضى » .

(٤) بعده فى ب ، م : « وأمرنى أن أدفعه إليك » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « ثم ذكرت الكلام الذى أوصانى به وذكرت له أنه كان يعمل بالفاعل فى كل جمعة بدرهم وأربع دوانيق أو بدرهم ودانق يتقوت به سائر أيام الجمعة ثم يقبل على العبادة قال فلما سمع هذا الكلام قام » .

(٦) فى الأصل ، ص : « البلاد » ، وفى س : « البلاط » ، وفى ب ، م : « الأرض » . والمثبت من المنتظم .

عبدُ اللَّهِ بنُ مُصْعبِ بنِ ثابتِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ بنِ العَوَّامِ، أبو بكرٍ القُرَشيُّ الأسَديُّ[1]، والدُ بَكَّارٍ. ألْزَمه الخليفةُ الرشيدُ بوِلايةِ المدينةِ، فقبِلها بشُروطٍ عِدَّةٍ[2] اشْتَرَطها، فأجابه إلى ذلك، ثم أضاف إليه نيابةَ اليمنِ، وكان مِن أعْدَلِ الوُلاةِ، وكان عمرُه يومَ تُوُفِّيَ[3] نحوًا مِن [٨/١١١ظ] سبعين سنةً.

عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ العزيزِ العُمَرِيُّ[4] أدْرَك أبا طُوَالةَ، وروَى عن أبيه وإبراهيمَ ابنِ سعدٍ، وكان عابدًا زاهدًا، وعَظ الرشيدَ يومًا فأطنبَ وأطيبَ؛ قال له وهو واقفٌ على الصَّفا: انظرْ كم حولَها[5] مِن الناسِ؟ فقال: بَشَرٌ كثيرٌ. فقال: كلٌّ منه يُسْأَلُ يومَ القِيامةِ عن خاصَّةِ نفْسِه، وأنت تُسْأَلُ عنهم كلِّهم. فبَكَى الرشيدُ بُكاءً كثيرًا، وجعَلوا يَأْتُونه بمِنْديلٍ بعدَ مِنْديلٍ للدموعِ. ثم قال له: يا هارونُ، إن الرجلَ لَيُسْرِعُ فى مالِه فيَسْتَحِقُّ الحَجْرَ عليه، فكيف بمَن يُسْرِعُ فى أمْوالِ المسلمين كلِّهم؟! ثم ترَكه وانْصَرف والرشيدُ يَبْكِى. وله معه مَواقِفُ مَحْمودةٌ فى غيرِ هذا الموضعِ. تُوُفِّى عن ستٍّ وستين سنةً.

محمدُ بنُ يوسف بنِ مَعْدانَ، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْبَهانيُّ[6]، أدْرَك التابِعِين، ثم اشْتَغل بالتعبُّدِ والزَّهادةِ. وكان عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ يُسَمِّيه عَروسَ الزُّهَّادِ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٤، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٣، والمنتظم ٩/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٤٨.

(٢) فى ب، س، م، ص: «عدل».

(٣) فى الأصل، م: «تولى».

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٥، وحلية الأولياء ٨/ ٢٨٣، والمنتظم ٩/ ٩٨، وتهذيب الكمال ١٥/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢١١.

(٥) بعده فى ب، م: «يعنى الكعبة».

(٦) طبقات المحدثين ٢/ ١٧٠، وحلية الأولياء ٨/ ٢٢٥، وأخبار أصبهان ٢/ ١٧٢، والمنتظم ٩/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٨٥.

وقال يَحْيَى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ[1] : ما رأيْتُ أفْضَلَ منه ، وكان كأنه قد عايَن .

وقال ابنُ مَهْدِىٍّ[1] : ما رأيْتُ مثلَه . قالوا : وكان لا يَشْتَرِى زادَه مِن خَبَّازٍ واحدٍ ، ولا[2] مِن بَقَّالٍ واحدٍ ، ولا يَشْتَرِى إلا ممَّن لا يَعْرِفُه ، يقولُ : أخْشَى أن يُحابونى فأَكُونَ ممَّن يَعِيشُ بدِينِه . وكان لا يَضَعُ جَنْبَه للنومِ صيفًا ولا شتاءً . ومات ولم يُجاوِزِ الأرْبَعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ٩/ ١٠٠.

(٢) بعده فى ب ، م : « بقلة » .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثمانين ومائةٍ

فيها[1] قتَل أهلُ طَبَرِسْتانَ مُتَوَلِّيَهم مَهْرُوَيْهِ الرازىَّ ، فولَّى الرشيدُ عليهم مكانَه عبدَ اللَّهِ بنَ سعيدٍ الحَرَشىَّ .

وفيها قتَل عبدُ الرحمنِ الأَبْناوِىُّ[2] أبانَ بنَ قَحْطَبةَ الخارجىَّ بمَرْجِ القلعةِ .

وفيها عاث حمزةُ الشارى بباذَغِيسَ مِن خُراسانَ ، فنهَض عيسى بنُ علىٍّ بنِ عيسى إلى عشَرةِ آلافٍ مِن جيشِ حمزةَ ، فقتَلهم ، وسار وراءَ جَيْشِ حَمْزةَ إلى كابُلَ وزابُلِسْتانَ .

وفيها خرَج أبو الخَصِيبِ فتَغَلَّب على أَبِيوَرْدَ وطُوسَ ونَيْسابورَ ، وحاصَر مَرْوَ ، وقَوِى أمْرُه .

وفيها تُوُفِّى يَزيدُ بنُ مَزْيَدٍ ببَرْذَعةَ ، فولَّى الرشيدُ مَكانَه ابنَه أسدَ بنَ يزيدَ . واسْتَأْذن الوزيرُ يَحْيَى بنُ خالدٍ الخليفةَ فى أن يَعْتَمِرَ فى رَمضانَ ، فأذِنَ له ، فاعتمر فى رمضانَ ، ثم رابَط بجُدّةَ[3] إلى وقتِ الحجِّ فحَجَّ مع الناسِ ، وكان أميرَ الحجِّ فى هذه السنةِ مَنْصورُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٢٧٣، ٢٧٤، والمنتظم ٩/ ١٠٣، والكامل ٦/ ١٦٨.

(٢) هنا وفيما سيأتى فى النسخ والكامل : « الأنبارى » . والمثبت من تاريخ الطبرى والمنتظم .

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « بجنده » .

ذِكْرُ مَن تُوفِّيَ فى هذه السنةِ من الأعيانِ

عبدُ الصَّمَدِ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ الهاشميُّ[1] ، عمُّ السَّفَّاحِ والمَنْصورِ ، وُلِد سنةَ أربعٍ ومائةٍ ، وكان ضَخْمَ [٨/١١٢و] الخَلْقِ جدًّا ولم يُبَدِّلْ أسْنانَه ، وكانتْ أُصولُها صَفيحةً واحدةً . وقد قال يومًا للرشيدِ[2] : يا أميرَ المؤمنين ، هذا مجلِسٌ اجْتَمَع فيه عمُّ أميرِ المؤمنين ، وعمُّ عمِّه ، وعمُّ عمِّ عمِّه . وذلك أن سليمانَ بنَ أبى جعفرٍ عمُّ الرشيدِ ، والعباسَ بنَ محمدِ بنِ عليٍّ عمُّ سليمانَ ، وعبدَ الصَّمدِ بنَ عليٍّ عمُّ العباسِ ، وتَلْخِيصُ ذلك أن عبدَ الصَّمَدِ عمُّ عمِّ عمِّ الرشيدِ ، لأنه عمُّ جَدِّه .

روَى عبدُ الصَّمدِ[3] عن أبيه ، عن جَدِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إن البِرَّ والصِّلَةَ لَيُطِيلان الأعْمارَ ، ويَعْمُران الدِّيارَ ، ويُثْرِيان الأمْوالَ ، ولو كان القومُ فُجَّارًا » . وبه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن البِرَّ والصِّلةَ لَيُخَفِّفان سوءَ الحِسابِ يومَ القِيامةِ » . ثم تلا رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ٢١] . وغيرَ ذلك مِن الأحاديثِ[4] .

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، المَعْروفُ

---

(١) الجرح والتعديل ٦/ ٥٠، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٧، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧٣ طبعة المجمع ، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٧٠.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٤) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٥، ٣٨٦، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧٦.

بالإمامِ[1] ، كان يلى إمارةَ الحاجِّ وإقامةَ شعائرِ الحجِّ فى خِلافةِ المَنْصورِ عِدَّةَ سِنين . تُوُفِّى ببَغْدادَ فصلَّى عليه الأميرُ فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالعبَّاسيَّةِ .

وفيها تُوُفى مِن مَشايخِ الحديثِ **ضِمامُ** بنُ إسْماعيلَ[2] ، **وعمرُ** بنُ عُبيدٍ[3] ، **والمُطَّلِبُ** بنُ زِيادٍ[4] ، **والمُعافَى** بنُ عِمْرانَ فى قولٍ[5] ، **ويوسُفُ** بنُ الماجِشونَ[6] ، **وأبو إسْحاقَ الفَزارىُّ**[7] ، إمامُ أهلِ الشامِ بعدَ الأوْزاعىِّ فى المَغازِى والعلمِ والعِبادةِ .

رابعةُ العَدَويةُ ، هى رابعةُ بنتُ إسْماعيلَ العَدَويةُ مَوْلاةُ آلِ عَتيكٍ ، البَصْريةُ العابدةُ المَشْهورةُ[8] . ذكَرها القُشَيرىُّ فى « الرسالةِ » وأبو نُعَيْمٍ فى « الحِلْيةِ » ،

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٤، والمنتظم ٩/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٥٥، والوافى بالوفيات ١/ ٣٤١.

(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٣٤٣، والجرح والتعديل ٤/ ٤٦٩، وتهذيب الكمال ١٣/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ١٩٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٧، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣١٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٧، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٠٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٧، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٦، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٠٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٧٩.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، وطبقات الفقهاء ص ٧٦، ٨٥، وتاريخ دمشق ٧/ ١١٩، وتهذيب الكمال ٢/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٥٤.

(٨) الرسالة القشيرية ١/ ٢٦٩، ٢/ ٤٢٤، ٥١٦، ٥٣١، ٦٢٤، ٧٣٠، وصفة الصفوة ٤/ ٢٧، =

وابنُ الجَوْزىِّ فى «صِفةِ الصَّفْوةِ»، والشيخُ شِهابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِىُّ فى «المَعارِفِ»، وأثْنَى عليها أكثرُ الناسِ، وتكَلَّم فيها أبو دوادَ السِّجِسْتانىُّ، واتَّهَمها بالزَّنْدَقةِ[1]، فلعله بلَغه عنها أمْرٌ. وأنْشَد لها السُّهْرَوَرْدىُّ فى «المَعارِفِ»:

إنى جعَلْتُك فى الفُؤادِ مُحَدِّثى ... وأبَحْتُ جسمىَ مَن أراد جُلوسى
فالجسمُ منى للجَليسِ مُؤانِسٌ ... وحَبيبُ قَلْبىَ فى الفُؤادِ أَنِيسى

وقد ذُكِر لها أحْوالٌ وأعْمالٌ صالحةٌ، وقيامُ ليلٍ وصيامُ نهارٍ، ورُؤِيَت لها مَناماتٌ صالحةٌ. فاللَّهُ سبحانه وتعالىأعلمُ. وتُوُفِّيت بالقُدْسِ الشَّريفِ، وقبرُها شَرْقِيَّه بالطُّورِ.

= ووفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥، ومرآة الجنان ١/ ٢٨١، ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠) ص ١١٧. وليس لها ترجمة فى حلية الأولياء.

(١) سؤالات الآجُرِّى ١/ ٤١٦.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وثمانين ومائةٍ

فيها[1] خرَج عليٌّ بنُ عيسى بنِ ماهانَ مِن مَرْوَ [٨/١١٢ظ] لحربِ أبى الخَصِيبِ إلى نَسَا[2] ، فقاتَله بها ، وسبَى نساءَه وذَرارِيَّه ، واسْتَقامَت خُراسانُ .

وحجَّ بالناسِ فيها أميرُ المؤمنين هارونُ الرشيدُ ، ومعه ابناه محمدٌ الأمينُ وعبدُ اللَّهِ المأمونُ ، فبلَغ جملةُ ما أعْطَى لأهلِ الحرَمَيْن ألفَ ألفِ دينارٍ وخمسين ألفَ دينارٍ ، وذلك أنه كان يُعْطِى ، ثم يذهبُ الناسُ من بعدِه إلى ولدِه محمدٍ الأمينِ فيُعْطِى ، ثم يَذْهَبون إلى ولدِه عبدِ اللَّهِ المأمونِ فيُعْطِى .

وكان إلى الأمينِ وِلايةُ الشامِ والعراقِ ، وإلى المأمونِ مِن هَمَذانَ إلى بلادِ المَشْرِقِ . ثم بايَع الرشيدُ لولدِه القاسمِ مِن بعدِ أخوَيه ، ولقَّبه المُؤْتَمَنَ ، وولَّاه الجَزيرةَ والثُّغورَ والعَواصِمَ ، وكان الباعثَ له على ذلك أن ابنَه القاسمَ هذا كان فى حِجْرِ عبدِ الملكِ بنِ صالحٍ ، فلما بايَع الرشيدُ لولديه الأمينِ والمأمونِ كتَب إليه :

يا أيُّها الملِكُ الذى ... لو كان نَجْمًا كان سعْدا
اعْقِدْ لقاسمَ بَيْعةً ... واقْدَحْ له فى الملكِ زَنْدا
اللَّهُ فَرْدٌ واحدٌ ... فاجْعَلْ وُلاةَ العَهْدِ فَرْدا

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٧٥ - ٢٨٦، والمنتظم ٩/١١٠ - ١٢٥، والكامل ٦/١٧٢ - ١٧٤.
(٢) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين مرو خمسة أيام . انظر معجم البلدان ٤/ ٧٧٦.

ففعَل الرشيدُ ذلك ، وقد حمَده قومٌ على ذلك ، وذمَّه آخرون ، ولم يَنْتَظِمْ للقاسمِ هذا أمْرٌ ، بل اخترَمتْه الأقْدارُ عن بُلوغِ الأوْطارِ .

ولما قضَى الرشيدُ حجَّه ومناسِكَه أحْضَر مَن معه مِن الأُمراءِ والوُزراءِ ، وأحْضَر وليَّي العهدِ ؛ محمدًا الأمينَ وعبدَ اللَّهِ المَأْمونَ ، (١) وأشْهدَ على كلٍّ منهما السمعَ والطاعةَ لأخِيه ، وألَّا يُنازِعَه ما ولّاه اللَّهُ من ذلك (١) ، وكتَب بمَضْمونِ ذلك صَحيفةً ، وكتَب فيها الأُمراءُ والوُزراءُ خُطوطَهم بالشهادةِ عليها بذلك ، وأراد الرشيدُ أن يُعَلِّقَها فى الكعبةِ فسقَطَت ، فقيل : هذا الأمْرُ سَريعٌ انْتِقاضُه . وكذا وقَع كما سيأتى بيانُه .

وقد قال إبراهيمُ المَوْصِلىُّ فى عَقْدِ هذه البَيْعةِ فى الكعبةِ :

خيرُ الأُمورِ مَغَبَّةً ... وأحَقُّ أمْرٍ بالتَّمامِ
أمْرٌ قضَى أحكامَه الر ... حمنُ فى البلدِ الحرامِ

وقد أطال القولَ فى هذا المَقامِ الإمامُ أبو جَعفرِ بنُ جَريرٍ ، وتبِعه ابنُ الجَوْزىِّ فى كتابِه « المُنْتَظَمِ » أيضًا .

ذكرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ :

أصْبَغُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ أبو زَبّانَ (٢) فى رَمضانَ منها .

وحَسَّانُ بنُ إبراهيمَ (٣) ، قاضى كَرْمانَ ، عن مائةِ سنةٍ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٠٥ ، وتاريخ دمشق ٩/ ١٦٩ ، والمنتظم ٩/ ١٢٠ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٤ .

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٢٦٠ ، والمنتظم ٩/ ١٢٠ ، وتهذيب الكمال ٦/ ٨ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٠ ، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٦٣ .

سَلْمٌ الخاسرُ الشاعرُ، وهو سَلْمُ بنُ عمرِو بنِ حمادِ بنِ عَطاءٍ[1]، وإنما قيل له: الخاسرُ. لأنه باع مُصْحَفًا واشْتَرَى به دِيوانَ شعرٍ لامْرِئِ القَيْسِ. وقيل: للأَعْشَى. وقيل: طُنبورًا. وقيل: لأنه أنْفَق مائتَيْ ألفٍ فى صِناعةِ الأدبِ [٨/١١٣و]. وقد كان شاعرًا مُطَبِّقًا[2]، له قُدْرةٌ على الإنْشاءِ على حرفٍ واحدٍ، فمن ذلك قولُه لموسى الهادى[3]:

مُـوسَـى المطَـرْ غَـيْـثٌ بَـكَـرْ
ثـم انْـهَـمَـرْ كَـمِ اعْـتَـسَـرْ
ثـم ايْـتَـسَـرْ وكَـمْ قَـدَرْ
ثـم غَـفَـرْ عَـدْلُ الـسِّـيَـرْ
بَـاقِـى الأثَـرْ خَـيْـرُ الـبـشَـرْ
فَـرْعُ مُـضَـرْ بَـدْرٌ بَـدَرْ
لِمَنْ نَـظَـرْ هُـوَ الـوَزَرْ
لِمَنْ حَـضَـرْ والمُفْـتَـخَـرْ
لِمَن غَـبَـرْ والمُجْـتَـبَـرْ
لِـمَنْ عَـثَرْ

وذكَر الخَطيبُ البغدادىُّ أنه كان على طريقةٍ غيرِ مَرْضِيَّةٍ مِن المُجونِ والفِسْقِ، وأنه كان مِن تَلاميذِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ، وأن نَظْمَه أحْسَنُ مِن نَظْمِ بَشَّارٍ، فمما غلَب

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٩، والأغانى ١٩/ ٢٦١، وتاريخ بغداد ٩/١٣٦ - ١٤٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٠، والمنتظم ٩/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٢.

(٢) فى الأصل، ب، س، ص: «مطيقا»، وفى م: «منطيقا».

(٣) الأبيات فى العمدة ١/ ١٢٣، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٠. وانظر طبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٤٥.

فيه بَشَّارًا قولُ بشارٍ :

مَن راقَب الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتِه وفاز بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

فقال سَلْمٌ :

مَن راقَب الناسَ مات غَمًّا وفاز باللَّذَّةِ الجَسورُ

فغضِب بَشَّارٌ وقال : أخَذ مَعانيَّ فكساها ألْفاظًا أخَفَّ مِن ألْفاظى .

وقد حصَل له مِن الخُلَفاءِ والبَرامِكةِ نحوٌ مِن أرْبَعين ألفَ دينارٍ ، وقيل أكثرُ مِن ذلك . ولما مات ترَك ستةً وثلاثين ألفَ دينارٍ فأودَعها عندَ أبى السَّمْراءِ الغَسَّانىِّ ، فغنَّى إبراهيمُ المَوْصِلىُّ الرشيدَ يومًا فأطْرَبه ، فقال له : سَلْ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أَسْأَلُك شيئًا لا أرزؤك . قال : وما هو ؟ فذكَر له وَديعةَ سَلْمٍ الخاسرِ ، وأنه لم يَتْرُكْ وارثًا ، فأمَر له بها . ويُقالُ : إنها كانتْ خمسينَ ألفَ دينارٍ .

العباسُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عمُّ الرشيدِ[1] ، كان مِن ساداتِ قريشٍ ، وَلِىَ إمارةَ الجَزيرةِ فى أيامِ الرشيدِ ، وقد أطْلَق له الرشيدُ فى يومٍ خمسةَ آلافِ ألفِ درهمٍ ، وإليه تُنْسَبُ العَبَّاسيةُ ، وبها دُفِن وعمرُه خمسٌ وستون سنةً ، وصلَّى عليه الأمينُ .

يَقْطِينُ بنُ موسى[2] ، كان أحَدَ الدُّعاةِ إلى دولةِ بنى العباسِ ، وكان داهيةً ذا رأيٍ ، وقد احْتال مرةً حِيلةً عظيمةً وذلك حين حبَس مَرْوانُ الحِمارُ إبراهيمَ بنَ

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣٧٩، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٢٤، والمنتظم ٩/ ١٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٠٤.

(٢) المنتظم ٩/ ١٢٥.

محمدٍ بحَرَّانَ ، فتحَيَّرت الشِّيعةُ العَبَّاسيةُ فيمَن يَكونُ وليَّ الأمْرِ مِن بعدِه ، فذهَب يَقْطِينُ هذا إلى مَرْوانَ ، فوقَف بينَ يديه فى صورةِ تاجرٍ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنى قد بِعْتُ بِضاعةً من رجلٍ ولم أَقْبِضْ ثمنَها منه حتى أخَذَتْه رُسلُك فحبسوه ، فإن رأَى أميرُ المؤمنين أن يَجْمَعَ بينى وبينَه لأُطالِبَه بمالى ؟ قال : نعم . فأرْسَل به إليه مع غُلامٍ ، فلما رآه قال : يا عدوَّ اللَّهِ ، إلى مَن تركتَ بعدَك آخُذُ مالى منه ؟ فقال : إلى ابنِ الحارثيةِ . يَعْنى أخاه عبدَ اللَّهِ السَّفَّاحَ ، فرجع يَقْطِينُ [٨/١١٣ظ] إلى الدُّعاةِ إلى بنى العباسِ ، فأعْلَمهم بما قال ، فبايَعوا السَّفَّاحَ ، وكان ما قد كان .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثمانين ومائةٍ

مَهْلِكُ البرامكةِ

فيها[1] كان مَقْتَلُ الرشيدِ جعفرَ بنَ يَحْيَى بنِ خالدِ البَرْمَكيِّ ، ودمارُ دِيارِهم ، واندثارُ آثارِهم ، وذَهابُ صِغارِهم وكِبارِهم ، وقد اخْتُلِف فى سببِ ذلك على أقوالٍ ذكَرها أبو جعفرِ بنُ جَريرٍ وغيرُه مِن علماءِ التاريخِ ، فمِمَّا قيل[2] : إن الرشيدَ كان قد سلَّم يَحْيَى بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنٍ إلى جعفرِ البَرْمَكيِّ فسجنه عندَه ، فما زال يَحْيَى يَتَرَقَّقُ له حتى أطْلَقه جعفرٌ ، فنمَّ الفَضْلُ بنُ الربيعِ على جعفرٍ فى ذلك ، فقال له الرشيدُ : وَيْلَك ! لا تَدْخُلْ بينى وبينَ جعفرٍ ، فلعله قد أطْلَقه عن أمْرى وأنا لا أَشْعُرُ . ثم سأَل الرشيدُ جعفرًا عن ذلك فصدَقه الحالَ ، فتغَيَّظ عليه الرشيدُ ، وحلَف ليَقْتُلَنَّه ، وكرِه البَرامِكةَ ومَقَتهم ، وقَلاهم بعدَ ذلك ، بعدَ ما كانوا أحْظَى الناسِ عندَه وأحَبَّهم إليه .

وكانتْ أمُّ جعفرٍ والفضلِ أُمَّه[3] مِن الرَّضاعةِ ، فحصَل لهم مِن الرِّفْعةِ فى الدنيا وكَثْرةِ المالِ بسببِ ذلك شىءٌ كثيرٌ لم يَحْصُلْ لمَن قبلَهم مِن الوُزراءِ ولا لمَن بعدَهم مِن الأكابرِ والرُّؤساءِ ، بحيث إن جعفرًا بنى دارًا غرِم عليها عشرين ألفَ ألفِ درهمٍ ، وكان ذلك مِن جملةِ ما نَقَمه عليه الرشيدُ . ويُقالُ[4] : إن الرشيد

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٢٨٧ - ٢٩٤، والمنتظم ٩/١٢٦ - ١٣٤، والكامل ٦/١٧٥ - ١٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٣ - ٢٧.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٨٩.

(٣) أى ؛ أم هارون الرشيد .

(٤) انظر المنتظم ٩/ ١٣٢، ١٣٣.

كان لا يكادُ يَمُرُّ ببلدٍ ولا إقليمٍ ، فيَسْأَلُ عن قريةٍ أو مزرعةٍ أو بُسْتانٍ إلا قيل : هذا لجعفرٍ . وقيل[1] : إن البَرامِكةَ كانوا يُرِيدون إبْطالَ خِلافةِ الرشيدِ وإظْهارَ الزَّنْدَقةِ . وقيل[2] : بسببِ العبَّاسةِ . ومِن العُلَماءِ مَن أنْكَر ذلك ، وإن كان ابنُ جَريرٍ قد ذكَره .

روَى ابنُ الجَوْزيِّ[3] أن الرشيدَ سُئِل عن السببِ الذى مِن أَجْلِه أهْلَك البَرامِكةَ ، فقال : لو أَعْلَمُ أن قَميصى يَعْلَمُ ذلك لأَحْرَقْتُه .

وقد كان جعفرٌ يَدْخُلُ على الرشيدِ بغيرِ إذْنٍ ، حتى إنه كان ربما دخَل عليه وهو فى المِفراشِ مع حَظاياه ، وهذه وَجاهةٌ عظيمةٌ ومَنْزلةٌ عاليةٌ ، وكان مِن أحْظَى العُشَراءِ على الشَّرابِ - فإن الرشيدَ كان يَسْتَعْمِلُ فى أواخِرِ مُلْكِه المُسْكِرَ ، وكأنه المختلَفُ فيه - وكان أحَبَّ أهْلِه إليه أخْتُه العَبَّاسةُ بنتُ المَهْدىِّ ، وكان يُحْضِرُها معه ، وجَعْفرٌ البَرْمَكىُّ حاضرٌ أيضًا ، فزوَّجه بها ليَحِلَّ له النَّظَرُ إليها ، واشْتَرط عليه أن لا يَطَأَها ، فكان [٨/١١٤و] الرشيدُ ربما قام وترَكهما وهما ثَمِلانِ مِن الشَّرابِ ، فربما واقَعها جعفرٌ فاتَّفق حَمْلُها منه ، فولَدَت ولدًا ، وبعَثَتْه مع بعضِ جَوارِيها إلى مكةَ ، فكان يُرَبَّى بها .

وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ »[4] صفةً أخرى فى مَقْتَلِ جعفرٍ ، وذلك أنه لما زوَّج الرشيدُ جعفرًا من العبَّاسةِ أَحَبَّتْه حبًّا شديدًا ، فراوَدَتْه عن نفسِه ، فامْتَنع أشدَّ الامْتناعِ من خشيةِ أميرِ المؤمنين ، فاحْتالَت عليه ، وكانتْ أمُّه

---

(١) المنتظم ٩/ ١٣٣.
(٢) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٩٤.
(٣) المنتظم ٩/ ١٣٢.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ٣٣٣، ٣٣٤.

تُهْدِى إليه فى كلِّ ليلةِ جمعةٍ جاريةً حَسْناءَ بِكْرًا ، فقالتْ لأمِّه : أدْخِلينى عليه فى صفةِ جاريةٍ مِن تلك الجوارى . فهابَت مِن تلك ، فتهَدَّدَتْها حتى فعَلَت ، فلما دخَلَت عليه وكان لا يَتَحَقَّقُ وجهَها مِن مهابةِ الرشيدِ ، فواقَعها فقالتْ له : كيف رأيْتَ خَديعةَ بناتِ المُلوكِ . فقال : ومَن أنت ؟ فقالت : أنا العبَّاسةُ . وحمَلَت مِن تلك الليلةِ ، فدخَل على أمِّه فقال لها :بِعْتِينى واللَّهِ برَخيصٍ . ثم إن والدَه يَحْيَى ابنَ خالدٍ جعَل يُضَيِّقُ على عِيالِ الرشيدِ فى النَّفَقةِ ، حتى شكَتْه إلى الرشيدِ زُبَيْدةُ مراتٍ ، ثم أفْشَت له سرَّ العَبَّاسةِ ، فاسْتَشاط غضبًا ، ولما أخْبَرَتْه أن الولدَ قد أرْسَلَت به إلى مكةَ حجَّ عامَه ذلك حتى تحقَّق الأمْرَ . ويُقالُ[1] : إنَّ بعضَ الجَوارِى نمَّت عليها إلى الرشيدِ ، وأخْبَرَته بما وقَع من الأمرِ ، وأن الولدَ بمكةَ ، وعندَه جَوارٍ ومعه أمْوالٌ وحَلْىٌ كثيرٌ ، فلم يُصَدِّقْ حتى حجَّ فى السنةِ الحاليةِ ، فكشَف عن الحالِ ، فإذا هو كما ذكَرَت تلك الجاريةُ .

وقد حجَّ فى هذه السنةِ يَحْيَى بنُ خالدٍ الوزيرُ ، وقد اسْتَشْعر الغضبَ من الرشيدِ عليه ، فجعَل يَدْعُو عندَ الكعبةِ : اللهم إن كان يُرْضِيك عنى سَلْبُ مالى ووَلَدى وأهْلى فافْعَلْ ذلك بى ، وأَبْقِ علىَّ منهم الفَضْلَ . ثم خرَج ، فلما كان عندَ بابِ المسجدِ رجَع فقال : اللهمَّ والفضلُ معهم ، فإنى راضٍ برِضاك عنى ، ولا تَسْتَثْنِ منهم أحدًا .

فلما قفَل الرشيدُ مِن الحجِّ صار إلى الحِيرةِ ، ثم ركِب فى السُّفنِ إلى العُمْرِ مِن أرضِ الأنْبارِ ، فلما كانت ليلةُ السبتِ سَلْخَ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ - أَعْنى سنةَ سَبْعٍ وثمانين - أرْسَل مَسْرورًا الخادمَ ، ومعه حَمَّادُ بنُ سالمٍ أبو عِصْمةَ فى جَماعةٍ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٢٩٤.

مِن الجُنْدِ ، فأطافوا بجعفرِ بنِ يَحْيَى ليلًا ، فدخَل عليه مَسْرورٌ الخادِمُ ، وعندَه بَخْتَيْشُوعُ المُتَطَبِّبُ ، وأبو زَكَّارٍ الأعْمَى المُغَنِّى الكَلْوَذانىُّ ، وهو فى أمْرِه ، وأبو زَكَّارٍ يُغَنِّيه :

[٨/١١٤ظ] فلا تَبْعَدْ فكلُّ فَتًى سيَأْتى عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادِى

فقال الخادمُ له : يا أبا الفَضْلِ ، هذا الموتُ قد طرَقك ، أَجِبْ أميرَ المؤمنين . فقام إليه ، فقَبَّلَ قدَمَيْه ، ودخَل عليه ؛ أن يَدْخُلَ إلى أهلِه ، فيُوصِىَ إليهم ، فقال : أمَّا الدُّخولُ فلا سبيلَ إليه . فأوْصَى جعفرٌ وأعْتَق جماعةً مِن مَماليكِه ، وجاءت رسلُ الرَّشيدِ تَسْتَحِثُّ الخادمَ ، فأخْرَجه إخْراجًا عَنيفًا يَقودُه ، حتى أَتَى المنزلَ الذى كان فيه الرشيدُ ، فحبَسه وقيَّده بقَيْدِ حمارٍ ، وأعْلَم الرشيدَ بما كان فعل ، فأمَره بضَرْبِ عُنُقِه ، فجاء إلى جعفرٍ فقال : إن أميرَ المؤمنين أمَرنى أن آتِيَه برأسِك . فقال : يا أبا هاشمٍ ، لعل أميرَ المؤمنين سَكْرانُ ، فإذا صحا عاتَبك على ذلك ، فعاوِدْه . فرجَع إليه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لعلَّك مَشْغولٌ . فقال وَيْحَك يا ماصَّ بَظْرَ أُمِّه ! ائْتِنى برأسِه . فكرَّر عليه جَعْفرٌ المعاودةَ ، فقال له : برِئْتُ مِن المهدىِّ ، لَئِن لم تَأْتِنى برأسِه لأَبْعَثَنَّ مَن يَأْتِينى برأسِك ورأسِه . فرجَع إلى جعفرٍ ، فحزَّ رأسَه ، وجاء به إلى الرشيدِ ، فألْقاه بينَ يديه ، وأرْسَل الرشيدُ مِن ليلتِه البُرُدَ فى الاحْتِياطِ على البَرامِكةِ جميعِهم ببَغْدادَ وغيرِها ، ومَن كان منهم بسبيلٍ ، فأُخِذوا كلُّهم عن آخِرِهم . فلم يَفْلِتْ منهم أحدٌ ، وحبَس يَحْيَى بنَ خالدٍ فى مَنْزِلِه ، وحبَس الفضَل بنَ يَحْيَى فى مَنْزِلٍ آخَرَ ، وأخَذ جميعَ ما كانوا يَمْلِكونه مِن الأموالِ ، والموالى ، والحَشَمِ ، والخَدَمِ ، واحتيط على أملاكِهم ، وبعَث الرشيدُ برأسِ جَعْفرٍ وجُثَّتِه ، ثم قُطِعت باثنين ، فنُصبِ الرأسُ عندَ الجِسْرِ الأعْلَى ، وشِقُّ الجُثَةِ عندَ الجِسْرِ الأسْفَلِ ، وشِقُّها الآخَرُ عندَ الجِسْرِ الآخَرِ ، ثم أُحْرِقَت بعدَ

ذلك ، ونُودِى فى بَغْدادَ أن لا أمانَ للبَرامِكةِ ولا لِمن آواهم ، إلا محمدَ بنَ يَحْيَى ابنِ خالدٍ ، فإنه استثناه مِن بينِ البرامِكةِ ؛ لنُصْحِه الخليفةَ .

وأُتى الرشيدُ بأنسِ بنِ أبى شيخٍ - وكان يُتَّهم بالزندقةِ ، وكان مصاحبًا لجعفرٍ البرمكىِّ - وذلك ليلةَ قُتل جعفرٌ ، فدار بينَه وبينَه كلامٌ ، فأخْرَج الرشيدُ سيفًا مِن تحتِ فِراشِه ، وأمَر بضربِ عنقِهِ به ، وجعَل يَتَمَثَّلُ ببيتٍ قيل فى أنسٍ قبلَ ذلك :

تَلَمَّظَ السيفُ مِن شوْقٍ إلى أنَسٍ فالسيفُ يَلحَظُ والأَقْدارُ تَنْتَظِرُ

فضُرِبَت عُنُقُ أنسٍ ، فسبَق السيفُ الدمَ ، فقال الرشيدُ : رحِم اللَّهُ عبدَ اللَّهِ بنَ مُصْعبٍ . فقال [٨/١١٥و] الناسُ : إن السيفَ كان سيفَ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ . وشُحِنَت السُّجونُ بالبَرامكةِ ، واستُلِبَت أمْوالُهم كلُّها .

وقد كان الرشيدُ فى اليومِ الذى قتَل فى آخِرِه جعفرًا ، هو وإياه راكبَيْن فى الصيدِ ، وقد خلا به دونَ وُلاةِ العُهودِ ، وطيَّبه فى ذلك اليومِ بالغاليةِ[1] بيدِه ، ولما كان وقْتُ المَغْرِبِ وودَّعه الرشيدُ ، ضمَّه إليه وقال : لولا أن الليلةَ ليلةُ خَلْوتى بالنساءِ ما فارَقْتُك ، فاذْهَبْ إلى مَنْزِلِك واشْرَبْ واطْرَبْ لتَكونَ على مثلِ حالى . فقال : واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين لا أَشْتَهِى ذلك إلا معك . فانْصَرَف عنه جعفرٌ ، فما هو إلا أن ذهَب مِن الليلِ بعضُه حتى أوْقَع به مِن البأسِ والنَّكالِ ما تقَدَّم ذِكْرُه ، وكان ذلك ليلةَ السبتِ آخرَ ليلةٍ مِن المُحَرَّمِ ، وقيل : إنها كانت مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ سنةَ سبعٍ وثمانين . وكان عُمرُ جعفرٍ إذ ذاك سبعًا وثلاثين سنةً .

ولما جاء الخبرُ إلى أبيه يَحْيَى بنِ خالدٍ بقَتْلِه قال : قتَل اللَّهُ ابنَه . ولما قيل له :

---

(١) الغالية : نوع من الطِّيب مركب من مسك وعنبر وعود ودُهْن . اللسان (غ ل ى) .

قد خُرِّبَتْ دارُك . قال : خرَّب اللَّهُ دُورَه . ويُقالُ : إنه لما نظَر إلى دارِه وقد هُتِكَت سُتورُها ، واسْتُبِيحَت قُصورُها ، وانْتُهِب ما فيها ، قال : هكذا تَقومُ الساعةُ .

وقد كتَب إليه بعضُ أصحابِه يُعَزِّيه فيما وقَع ، فكتَب جوابَ التَّعْزِيةِ : أنا بقَضاءِ اللَّهِ راضٍ ، وبالخيارِ عالمٌ ، ولا يُؤَاخِذُ اللَّهُ العِبادَ إلا بذُنوبِهم ، وما اللَّهُ بظَلَّامٍ للعَبيدِ ، وما يَغْفِرُ اللَّهُ أكْثرُ ، وللَّهِ الحمدُ .

وقد أكْثَر الشعراءُ مِن المَراثى فى البَرامِكةِ ، فمِن ذلك قولُ الرَّقاشىِّ - ويُذكَرُ أنها لأبى نُوَاسٍ - :

أَلَانَ اسْتَرَحْنا واسْتَراحَتْ رِكابُنا ... وأمْسَك مَن يُجْدِى ومَن كان يَجْتَدِى
فقُلْ للمَطايا قد أَمِنْتِ مِن السُّرَى ... وطَىِّ الفَيافى فَدْفَدًا بعدَ فَدْفَدِ
وقُلْ للمَنايا قد ظَفِرْتِ بجَعْفرٍ ... ولن تَظْفَرِى مِن بعدِه بمُسَوَّدِ
وقُلْ للعَطايا بعدَ فَضْلٍ تعَطَّلِى ... وقلْ للرَّزايا كلَّ يومٍ تجَدَّدِى
ودُونَكِ سيفًا بَرْمَكِيًّا مُهَنَّدًا ... أُصيب بسيفٍ هاشمىٍّ مُهَنَّدِ

وقال الرَّقَاشىُّ[1] ، وقد نظَر إلى جعفرٍ وهو على جِذْعِه مَصْلوبٌ :

أمَا واللَّهِ لولا خَوْفُ واشٍ ... وعينٌ للخَليفةِ لا تَنامُ
لطُفْنا حولَ جِذْعِك واسْتَلَمْنا ... كما للناسِ بالحَجَرِ اسْتِلامُ
[٨/١١٥ظ] فما أبْصَرْتُ قبلَك يا بنَ يَحْيَى ... حُسامًا فلَّه السيفُ الحُسامُ
على اللَّذَّاتِ والدنيا جَميعًا ... [2]ودَوْلةِ[2] آلِ بَرْمَكِ السَّلامُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٧/ ١٥٨، وابن الجوزى فى المنتظم ٩/ ١٣٦. وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٤٠، ونهاية الأرب ٢٢/ ١٤١.

(٢ - ٢) فى الأصل، ب، س، ص، ظ، ووفيات الأعيان : «لدولة» .

قال : فاسْتَدْعى به الرشيدُ وقال له : وَيْحَك ! كم كان يُعْطِيك جعفرٌ كلَّ عامٍ ؟ قال : ألفَ دِينارٍ . فأمَر له بألْفَىْ دِينارٍ .

وقال الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ[1] عن عمِّه مُصْعَبِ الزُّبَيْرِىِّ قال : لما قُتِل جَعْفرُ بنُ يحيى وقَفَت امْرأةٌ على حمارٍ فارِهٍ ، فقالت بلسانٍ فَصيحٍ : واللَّهِ لئن صِرْتَ اليومَ آيةً فلقد كُنْتَ فى المَكارِمِ[2] غايةً . ثم أنْشَأَت تَقولُ :

ولما رأيْتُ السَّيفَ خالَط جعفرًا ... ونادَى مُنادٍ للخَليفةِ فى يَحْيَى
بَكَيْتُ على الدنيا وأيْقَنْتُ أنما ... قُصارَى الفتى يومًا مُفارَقةُ الدنيا
وما هى إلا دَوْلةٌ بعدَ دَوْلةٍ ... تُخوِّلُ ذا نُعْمَى وتُعْقِبُ ذا بَلْوَى
إذا أنْزَلَتْ هذا مَنازِلَ رِفْعةٍ ... مِن المُلْكِ حطَّت ذا إلى الغايةِ القُصْوَى

قال : ثم حرَّكَت حِمارَها ، فكأنها كانت رِيحًا لا أثَرَ لها ، ولا يُعْرَفُ أين ذهَبَت .

وذكَر الشيخُ أبو الفرجِ بن الجَوْزىِّ فى كتابِه « المُنْتَظَم »[3] أنَّ جعفرًا كانت له جاريةٌ يُقالُ لها : فنفنةُ[4] . مُغَنِّيةٌ لم يَكُنْ لها فى الدنيا نَظيرٌ ، كان مُشْتَراها عليه بمَن معها مِن الجَوارِى مائةَ ألفِ دينارٍ ، فطلَبها منه الرشيدُ ، فامْتَنَع مِن ذلك ، فلما قتَله الرشيدُ اصْطَفَى تلك الجاريةَ ، فأحْضَرَها ليلةً فى مَجْلِسِ شَرابِه ، وعندَه

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٧/ ١٥٩، ١٦٠، وابن الجوزى فى المنتظم ٩/ ١٣٦، ١٣٧، كلاهما من طريق الزبير بن بكار به .

(٢) فى س : « الكرم » . وهو موافق لنسخة الأصل فى المنتظم .

(٣) المنتظم ٩/ ١٣٠.

(٤) فى الأصل : « قتيبة » ، وفى ب ، م ، والمنتظم : « فتينة » ، وفى س : « قنفنة » . والمثبت موافق لنسخة الأصل فى المنتظم .

جماعةٌ مِن جُلَسائِه وسُمَّارِه وأحبابِه ، فأمَر مَن معها أن يُغَنِّين ، فانْدَفَعَت كلُّ واحدةٍ تُغَنِّى ، حتى انْتَهَت النَّوْبةُ إلى فنفنةَ ، فأمَرها بالغِناءِ ، فأسْبَلَت دَمْعَها وقالتْ : أمَّا بعدَ السادةِ فلا . فغضِب الرشيدُ مِن ذلك غَضَبًا شديدًا ، وأمَر بعضَ الحاضِرين أن يَأْخُذَها إليه فقد وهَبها له ، ثم لما أراد الانْصِرافَ قال له فيما بينَه وبينَه : لا تَطَأْها . ففهِموا أنه يُريدُ بذلك كَسْرَها . فلما كان بعدَ ذلك أحْضَرها ، وأظْهَر أنه قد رضِى عنها وأمَرها بالغِناءِ ، فامتَنَعَت وأرْسَلَت دموعَها وقالت : أما بعدَ السادةِ فلا . فغضِب الرشيدُ أشَدَّ مِن الأولِ ، وقال : النِّطْعُ والسيفُ . وجاء السَّيَّافُ ، فوقَف على رأسِها ، وقال له : إذا أمَرْتُك ثلاثًا وعقَدْتُ أصابعى ثلاثًا فاضْرِبْ . ثم قال لها : غَنِّى . فبكَت وقالت : أمَّا بعدَ السادةِ فلا . فعقَد أُصْبُعَه الخِنْصَرَ ، ثم أمَرها [٨/ ١١٦و] الثانيةَ فامْتَنَعَت ، فعقَد اثنتَيْن ، فارْتَعَد الحاضرون ، وأشْفَقوا غايةَ الإشْفاقِ ، وأقْبَلوا عليها يَسألونها أن لا تَقْتُلَ نَفْسَها ، وأن تُجِيبَ أميرَ المؤمنين إلى ما يُرِيدُ منها . ثم أمَرها الثالثةَ ، فانْدَفَعت تُغَنِّى :

لما رأيْتُ الدِّيارَ قد درَسَت ... أيْقَنْتُ أن النَّعيمَ لم يَعُدِ

قال : فوثَب إليها الرشيدُ ، وأخَذ العُودَ مِن يدِها ، وأقْبَل يَضْرِبُ به وجهَها ، ورأسَها حتى تَكَسَّر ، وأقْبَلَت الدِّماءُ ، وتَطايَرْنا[1] مِن حولِها ، وحُمِلَت الجاريةُ مِن بينِ يديه ، فماتَت بعدَ ثلاثٍ .

ورُوِىَ أن الرشيدَ كان يَقولُ[2] : لعَن اللَّهُ مَن أغْرانى بالبَرامِكةِ ، فما وجَدْتُ

---

(١) فى الأصل ، ب : « تطايرن » . وفى م : « تطايرت الجوار » . والضمير يعود على راوية الخبر - كما فى المنتظم - أمية البرمكية ، ومن معها .

(٢) المنتظم ٩/ ١٣٥، ١٣٦.

بعدَهم لَذَّةً ولا راحةً ولا رَخاءً، ووَدِدْتُ واللَّهِ أنى شُوطِرْتُ نصفَ عمرى ومُلْكى وأنى ترَكْتُهم على أمرِهم.

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[1] أن جعفرًا اشْتَرَى جاريةً مِن رجلٍ بأربعين ألفَ دينارٍ، فالْتَفَتَت إلى بائعِها وقالَت له: اذْكُرِ العَهْدَ الذى بينى وبينَك، أن لا تأْكُلَ مِن ثمنى شيئًا. فبكَى سيدُها وقال: اشْهَدوا أنها حُرَّةٌ، وأنى قد تزَوَّجْتُها. فقال جعفرٌ: واشْهَدوا أن الثمنَ له أيضًا.

قال[2]: وكتَب إلى نائبٍ له: أما بعدُ؛ فقد كثُر شاكُوك، وقلَّ شاكِروك، فإمَّا أن تَعْدِلَ، وإمَّا أن تَعْتَزِلَ.

ومِن أحْسَنِ ما وقَع منه[2] مِن التَّلَطُّفِ فى إزالةِ هَمِّ الرشيدِ، وقد دخَل عليه مُنَجِّمٌ يَهودىٌّ، فأُخْبر أنه سيَموتُ فى هذه السنةِ، فحمَّل الرشيدَ همًّا عَظيمًا، فدخَل جعفرٌ فسأَل: ما الخبرُ؟ فأُخْبِر بقولِ اليَهودىِّ للخليفةِ: أنه سيموتُ من عامِه هذا، فاسْتَدْعَى جعفرٌ اليَهودىَّ، فقال له: كمْ وجَدْتَ بَقِى لك مِن العمرِ؟ فذكَر مدةً طويلةً، فأَقْبَل على الرشيدِ وقال: يا أميرَ المؤمنين، اقْتُلْه حتى تَعْلَمَ كَذِبَه فيما أخْبَر به عن موتِك، كما علِمْتَ كَذِبَه فيما أَخْبَر عن عمرِه. فأمَر الرشيدُ باليَهودىِّ فقُتِل، وسُرِّىَ عن الرشيدِ همُّه الذى كان يَجِدُه، وللَّهِ الحمدُ.

وبعدَ مَقْتَلِ البَرامِكةِ قتَل الرشيدُ إبْراهيمَ بنَ عُثمانَ بنِ نَهِيكٍ[3]، وذلك أنه

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٢٩.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٣١٠ - ٣١٢، والمنتظم ٩/ ١٣٩، ١٤٠، والكامل ٦/ ١٨٦، ١٨٧.

حزِن على مَقْتَلِ البَرامِكةِ ، ولا سيما على جعفرٍ ، وكان يُكْثِرُ البكاءَ عليهم ، ثم خرَج مِن حيِّزِ البُكاءِ إلى حَيِّزِ الانْتِصارِ لهم والأَخْذِ بثَأْرِهم ، فكان إذا شرِب فى منزِله يَقولُ لجاريتِه : ائْتِينى بسيفى . فيَسُلُّه ثم يَقولُ : واللَّهِ لأَقْتُلَنَّ قاتلَه . فأكْثَر أن يَقولَ ذلك ، فخشِى ابنُه عثمانُ أن يَطَّلِعَ الخَليفةُ على شىءٍ مِن ذلك ، فيُهْلِكَهم عن آخِرِهم ، ورأَى أن أباه لا يَنْزِعُ عن هذا ، فذهَب إلى الفضلِ بنِ الربيعِ [٨/ ١١٦ظ] فأعْلَمه ، فأخْبَر الفَضْلُ الخَليفةَ ، فاسْتَدْعَى به ، فاسْتَخْبَرَه فأخْبَره ، فقال : ومَن يَشْهَدُ معك ؟ قال : فلانٌ الخادمُ . فجاء به فأَخْبَرَه ، فقال الرشيدُ : لا يَحِلُّ لى قَتْلُ أميرٍ كبيرٍ بمُجَرَّدِ قولِ غلامٍ وخَصِيٍّ ، لعلهما قد تواصيا على ذلك . فأحْضَره الرشيدُ معه على الشَّرابِ ، ثم خلا به فقال له : ويحَك يا إبْراهيمُ ! إن عندى سرًّا أُحِبُّ أن أُطْلِعَك عليه ، قد أَقْلَقَنى فى الليلِ والنَّهارِ . قال : وما هو ؟ قال : إنى ندِمْتُ على قتلِ البَرامِكةِ ، وودِدْتُ أنى قد خرَجْتُ مِن نصفِ مُلْكى ونُقِصْتُ نصفَ عمرى ولم أَكُنْ فعَلْتُ بهم ما فعَلْتُ ، فإنى لم أَجِدْ بعدَهم لَذَّةً ولا راحةً . فقال : رحمةُ اللَّهِ على أبى الفضلِ - يعنى جعفرًا ، وبكَى - واللَّهِ يا سيِّدى ، لقد أخْطَأْتَ فى قتلِه . فقال له : قُمْ ، لعَنك اللَّهُ . ثم قتَله بعدَ ثلاثةِ أيامٍ . وسلِم أهلُه وولدُه .

وفى هذه السنةِ[1] غضِب الرشيدُ على عبدِ الملكِ بنِ صالحٍ بسببِ أنه بلَغه أنه يُرِيدُ الخِلافةَ ، واشْتَدَّ غَضَبُه بسببِه أيضًا على البَرامِكةِ الذين هم فى الحُبوسِ ، وسجَنه ، فلم يَزَلْ فى السِّجْنِ حتى تُوُفِّىَ الرشيدُ فأخْرَجه الأمينُ ، وعقَد له على نِيابةِ الشامِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٣٠٢ - ٣٠٧، والمنتظم ٩/١٣٧، ١٣٨، والكامل ٦/١٨٠ - ١٨٤.

وفى هذه السنةِ[1] ثارَت العَصَبيةُ أيضًا بالشامِ بينَ المُضَريَّةِ واليمانيَّةِ[2]، فبعَث إليهم الرشيدُ محمدَ بنَ مَنْصورِ بنِ زيادٍ، فأصْلَح بينَهم.

وفيها[3] كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ بالمِصِّيصةِ، فانْهَدم بعضُ سُورِها، ونضَب ماؤُهم ساعةً مِن الليلِ.

وفيها[3] بعَث الرشيدُ ولدَه القاسمَ على الصائفةِ، وجعَله قُرْبانًا ووسيلةً، وولَّاه العَواصِمَ، فسار إلى بلادِ الرومِ، فحاصَرهم حتى افْتَدَوْا منه بخَلْقٍ مِن الأُسارَى يُطْلِقونهم ويَرْجِعُ عنهم، ففعَل ذلك.

وفيها[3] نقَضَتِ الرومُ الصُّلْحَ الذى كان بينَهم وبينَ المسلمين، الذى كان عقَده الرشيدُ بينَه وبينَ رِينَى مَلِكةِ الرومِ المُلَقَّبَةِ أُغَسْطَةَ، وذلك أن الرومَ عزَلوها عنهم، وملَّكوا عليهم النِّقْفورَ، وكان شُجاعًا، يُقالُ: إنه مِن سُلالةِ آلِ جَفْنةَ، [4]وإنه قبلَ المُلْكِ كان يلى ديوانَ الخراجِ[4]. وملَّكوا نِقْفورَ هذا عليهم، فخلَعوا رِينَى وسمَلوا عينَيْها، فكتَب إلى الرشيدِ: مِن نِقْفورَ ملكِ الرومِ إلى هارونَ ملكِ العربِ، أمَّا بعدُ، فإن المَلِكةَ التى كانتْ قبلُ أقامَتْك مُقامَ الرُّخِّ[5]، وأقامَتْ نَفْسَها مُقامَ البَيْدَقِ[6]، فحمَلَت إليك مِن أمْوالِها ما كنتَ حَقِيقًا بحَمْلِ أمْثالِه إليها،

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٠٢، والمنتظم ٩/ ١٣٧، والكامل ٦/ ١٨٩.

(٢) فى الأصل، ب: «الفزارية»، وفى س، ص، ظ: «النزارية». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/٣٠٧ - ٣١٠، والمنتظم ٩/ ١٣٨، ١٣٩، والكامل ٦/١٨٤ - ١٨٦.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م. وفى الأصل، س، ظ: «وكان يكتب على الراح قبل ذلك»، وفى ص: «وكان يكتب». والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل.

(٥) الرخ: من أدوات الشِّطْرنْج، وهو معرب وضعوه تشبيها بالرخ الذى هو طائر. انظر تاج العروس (ر خ خ).

(٦) البيدق: من أدوات الشطرنج كذلك، والبيدق: الجندى الراجل. انظر الوسيط (بيدق). والمراد =

ولكن ذلك مِن ضَعْفِ [٨/١١٧و] النِّساءِ وحُمْقِهن، فإذا قرَأْتَ كتابى هذا فارْدُدْ ما حصَل لك من أموالِها، وافْتَدِ نَفْسَك، وإلا فالسيفُ بينَنا وبينَك. فلما قرَأ الرشيدُ الكتابَ استفزّه الغضبُ، حتى لم يُمْكِنْ أحدًا أن يَنْظُرَ إليه دونَ أن يخاطبَه، وتفرَّق جُلَساؤُه خوفًا منه، واسْتَدْعَى بدَواةٍ، وكتَب على ظهرِ الكتابِ: بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، مِن هارونَ أميرِ المؤمنين إلى نِقْفورَ كلبِ الرومِ، قد قرَأْتُ كِتابَك يا بنَ الكافرةِ، والجوابُ ما تَراه دونَ ما تَسْمَعُه، والسلامُ. ثم شخَص مِن يومِه حتى أقام ببابِ هِرَقْلَةَ، ففتَحها واصْطَفَى ابنةَ مَلِكِها، وغنِم مِن الأمْوالِ شيئًا كثيرًا، وخرَّب وأحْرَق، واصْطَلم[1]، فطلَب نِقْفورُ منه المُوادَعةَ على خَراجٍ يُؤَدِّيه إليه فى كلِّ سنةٍ، فأجابه الرشيدُ إلى ذلك، فلما رجَع مِن غَزْوتِه وصار بالرَّقَّةِ، نقَض الكافرُ العَهْدَ، وخان الميثاقَ، وكان البَرْدُ قد اشْتَدَّ جدًّا، فلم يَقْدِرْ أحدٌ على إخبارِ الرشيدِ بذلك؛ لخَوْفِهم على أنْفُسِهم وعليه، حتى يَنْفَصِلَ الشِّتاءُ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبيدُ اللَّهِ بنُ عباسِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ.

ذِكْرُ مَن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ

جعفرُ بنُ يَحْيَى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ أبو الفَضْلِ البرمَكىُّ[2] الوزيرُ ابنُ

= أن الملكة قد جعلت الرشيد فى موضع القائد الفارس، وجعلت نفسها فى موضع الجندى الراجل الذى يحركه القائد كيف شاء.

(١) اصطلم: أباد القوم من أصلهم. انظر اللسان (ص ل م).

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ١٥٢، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٨، والمنتظم ٩/ ١٤٠، ووفيات الأعيان ١/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٩٨.

الوَزيرِ، وقد ولَّاه الرشيدُ الشامَ وغيرَها مِن البلادِ، وذكَر ابنُ عساكرَ أن الرشيدَ بعَثه إلى دمشقَ لما ثارتِ الفِتْنةُ بينَ العِشْرَينِ بحَوْرانَ بينَ قيسٍ ويَمَنٍ، وكان ذلك أولَ ما أنشَئُوه فى الإسلامِ، كان خامِدًا فأثاروه فى هذا الأوانِ، فلما قدِم جعفرٌ بجيشِه خمَدَت الشُّرورُ وظهَر السُّرورُ، وقيلت فى ذلك أشْعارٌ حِسانٌ قد ذكَرها فى ترجَمتِه مِن «تاريخِه»[1] فمنها:

لقد أُوقِدَت بالشامِ نِيرانُ فِتْنةٍ ... فهذا أوانُ الشامِ تُخْمَدُ نارُها
إذا جاش مَوْجُ البحرِ مِن آلِ بَرْمَكٍ ... عليها خبَت شُهْبانُها وشَرارُها
رماها أميرُ المؤمنين بجعفرٍ ... وفيه تَلاقَى صَدْعُها وانْجِبارُها
رماها بميمونِ النَّقيبةِ ماجِدٍ ... تَراضَى به قَحْطانُها ونِزارُها
هو المَلِكُ المأمولُ لِلْبِرِّ والتُّقَى ... وصَوْلاتُه لا يُسْتَطاعُ خِطارُها
وزيرُ أميرِ المؤمنين وسيفُهُ ... ومُدْيَتُه[2] والحربُ تَدْمَى شِفارُها
ومن تُطْوَ أسرارُ الخليفةِ دونَهُ ... فعندَك مَأْواها وأنت قرارُها
[٨/١١٧ظ] إذا ما ابنُ يحيى جعفرٌ قصَدَت لهُ ... مُلِمّاتُ خَطْبٍ لم تَرُعْه كِبارُها
لقد نشأتْ بالشامِ منك غمامةٌ ... يُؤَمَّلُ جَدْواها ويُخْشى دَمارُها

وهى قَصيدةٌ طويلةٌ، اقتصَرْنا منها على هذا القَدْرِ. وكانتْ[3] له فَصاحةٌ وبَلاغةٌ وكرَمٌ زائدٌ، وكان أبوه قد ضمَّه إلى القاضى أبى يوسُفَ، فتفَقَّه عليه،

---

(١) سقطت ترجمة جعفر بن يحيى من تاريخ دمشق، وهى فى مختصره، ولكن لم نجد الأبيات فيه. والأبيات فى تاريخ الطبرى ٨/ ٢٦٢، ٢٦٣. وسبقت منها أبيات فى ص ٦٠٣.

(٢) فى تاريخ الطبرى: «صعدته». والصَّعْدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى التثقيف. والمُدْيَة: السِّكين والشفرة. اللسان (ص ع د)، (م د ى).

(٣) انظر تاريخ بغداد ٧/ ١٥٢، والمنتظم ٩/ ١٤٠.

وصار له اخْتِصاصٌ بالرشيدِ، وقد وقَّع ليلةً بحَضْرةِ الرشيدِ زِيادةً على ألفِ تَوْقيعٍ، فلم يَخْرُجْ فى شىءٍ منها عن مُوجَبِ الفِقْهِ.

وقد روَى الحديثَ عن أبيه، عن عبدِ الحميدِ الكاتبِ، عن سالمِ بنِ هشامٍ الكاتبِ، عن عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ كاتبِ عثمانَ، عن زيدِ بنِ ثابتٍ كاتبِ الوحْيِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا كتَبْتَ بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ فبيِّنِ السِّينَ فيه». رواه الخَطِيبُ وابنُ عَساكرَ[1] مِن طريقِ أبى القاسمِ الكَعْبىِّ المُتَكَلِّمِ، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ البَلْخىُّ - وكان كاتبًا لمحمدِ بنِ زيدٍ - عن أبيه، عن عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، عن طاهرِ بنِ الحسينِ بنِ مُصعبِ بنِ رُزَيْقٍ[2]، عن الفَضْلِ بنِ سهلٍ ذى الرِّياستَيْن، عن جعفرِ بنِ يَحْيَى به[3].

وقال عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحِظُ[4]: قال جعفرُ بنُ يحيى للرشيدِ: يا أميرَ المؤمنين، قال لى أبى يَحْيَى: إذا أقْبَلَت الدنيا عليك فأعْطِ؛ فإنها لا تَفْنى، وإذا أدْبَرَت عنك فأَعْطِ؛ فإنها لا تَبْقَى. قال جعفرٌ: وأنشدنا أبى:

لا تَبْخَلَنَّ بدنيا وهْى مُقْبِلةٌ ... فليس يَنْقُصُها التَّبْذيرُ والسَّرَفُ
فإن تولَّت فأحْرَى أن تَجودَ بها ... فالحمدُ منها إذا ما أَدْبَرَت خَلَفُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٠، وتاريخ دمشق ٤٠/٤٧ طبعة المجمع.

(٢) فى ب، س، م، ص، وتاريخ بغداد: «زريق». وانظر الإكمال ٤/ ٥١، وتبصير المنتبه ٢/ ٦٠٠.

(٣) سقط جعفر بن يحيى من تاريخ بغداد، وأورد ابن عساكر الحديث مع اختلاف فى الإسناد، فقد ذكر بين أبى محمد بن زيد وعبدِ اللَّه بن طاهر يحيى بن خالد البغوىَّ، ولم يذكر بين عبد اللَّه بن طاهر وجعفر أحدا، وذكر بين يحيى بن خالد وعبد الحميد الكاتب خالدَ بن برمك. والحديث ضعيف. (السلسلة الضعيفة ١٧٣٧).

(٤) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٩٩.

قال الخَطِيبُ البغداديُّ[1] : وقد كان جعفرٌ مِن عُلُوِّ القَدْرِ ونَفاذِ الأمْرِ وعِظَمِ المَحَلِّ وجَلالةِ المَنْزِلةِ عندَ الرشيدِ بحالةٍ انْفَرَد بها ، ولم يُشارَكْ فيها ، وكان سَمْحَ الأخْلاقِ ، طَلْقَ الوَجْهِ ، ظاهِرَ البِشْرِ . فأما جُودُه وسَخاؤُه وبَذْلُه وعَطاؤُه فأشْهَرُ مِن أن يُذْكَرَ وأبينُ مِن أن يَظْهَرَ ، وكان أيضًا مِن ذَوِى الفَصاحةِ المَذْكورِين والبَلاغةِ .

وقد روَى ابنُ عَساكرَ[2] ، عن مُهَذَّبٍ حاجبِ العباسِ بنِ محمدٍ ، صاحبِ قَطيعةِ العَبَّاسِ والعَباسيَّةِ[3] ، أنه أصابَتْه ضائقةٌ ، وألَحَّ عليه المُطالِبون ، وعندَه سَفَطٌ[4] فيه جَوهرٌ شِراؤُه عليه ألفُ ألفِ دِرهمٍ ، فحمَله إلى جعفرٍ ليبيعَه منه ، فاشتراه بثمنِه ووزَن له ألفَ ألفٍ ، وقبَض منه السَّفَطَ وأجلَسه عندَه فى تلك الليلةِ ، فلما رجَع إلى منزلِه إذا السَّفَطُ قد سبَقه إلى منزلِه ، فلما أصْبَح [١١٨/٨و] غدَا إليه ليشكرَه ، فوجَده مع أخيه الفَضْلِ على بابِ الرشيدِ يَسْتَأْذِنان عليه ، فقال له جعفرٌ : إنى قد ذكَرْتُ أمْرَك للفضلِ ، وقد أمَر لك بألفِ ألفٍ ، وما أَظُنُّها إلا قد سبَقَتْك إلى أهلِك ، وسأُفاوِضُ فيك أميرَ المؤمنين . فلما دخَل ذكَر أمْرَه له وما لحِقه مِن الدُّيونِ ، فأمَر له بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ .

وكان[5] جعفرٌ ليلةً فى سَمَرِه وعندَه رجلٌ مِن أصحابِه ، فجاءتِ الخُنْفُساءُ ، حتى ركِبَت ثِيابَ الرَّجُلِ ، فألْقاها عنه جعفرٌ . وقال[6] : إن الناسَ يقولون : إن مَن

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٥٢. وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٠، ١٠١.

(٣) فى مختصر تاريخ دمشق : « العباسة » . وانظر تاريخ بغداد ١/ ٩٥.

(٤) السفط : الذى يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. تاج العروس (س ف ط) .

(٥) انظر تاريخ بغداد ٧/ ١٥٣، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٩.

(٦) أى الرجل الذى كان عنده وهو أبو علقمة صاحب الغريب .

قصَدَته الخُنْفُساءُ يُبَشِّرُ بمالٍ يُصِيبُه. فأمَر له جعفرٌ بألفِ دينارٍ. ثم عادَت الخُنْفُساءُ، فرجَعَت إلى الرجلِ، فأمَر له بألفِ دينارٍ أخرى.

وحجَّ[1] مرةً مع الرشيدِ، فلما كانوا بالمدينةِ قال لرجلٍ مِن أصْحابِه: انْظُرْ جاريةً أشْتَرِيها تَكونُ فائقةً فى جمالِها وغِنائِها وذَكائِها. ففتَّش الرجلُ، فوجَد جاريةً على النَّعْتِ، فطلَب سيدُها فيها مالًا كثيرًا على أن يَراها جعفرٌ، فذهَب جعفرٌ إلى منزلِ سيدِها، فلما رآها أُعْجِب بها، فلما غنَّتْه أعْجَبَته أكثرَ، فساوَم صاحبَها فيها، وقال: قد أحْضَرْنا مالًا، فإن أعْجَبَك وإلا زِدْناك. فقال لها سيدُها: إنى كنتُ فى نِعْمةٍ، وكنتِ عندى فى غايةِ السُّرورِ والسَّعَةِ، وإنه قد انْقَبَض علىَّ حالى، وقد أحْبَبْتُ أن أَبِيعَكِ لهذا المَلِكِ؛ لتكونى عندَه كما كنتِ عندى. فقالت: ياسيدى، واللَّهِ لو ملَكْتُ منك ما ملَكْتَ منى لم أبِعْك بالدنيا وما فيها، وأين ما كنتَ عاهَدْتَنى أن لا تَبِيعَنى، ولا تَأْكُلَ ثَمَنى؟! فقال سيدُها لجعفرٍ وأصحابِه: أُشْهِدُكم أنها حُرَّةٌ لوجهِ اللَّهِ تعالى، وأنى قد تزَوَّجْتُها. فلما قال ذلك نهَض جعفرٌ، وقام أصحابُه، وأمَروا الحَمَّالَ أن يَحْمِلَ الدراهمَ، فقال جعفرٌ: واللَّهِ لا تَتْبَعُنى. وقال للرجلِ: قد ملَّكْتُكها، فأَنْفِقْها على أهلِك. وذهَب وترَكَه.

هذا وقد كان يُبَخَّلُ بالنسبةِ إلى أخيه الفَضْلِ، إلا أنَّ الفَضْلَ كان أكْثرَ مالًا.

وروَى ابنُ عَساكرَ[2] مِن طريقِ الدارَقُطْنىِّ بسنَدِه أنه لما أُصِيب جعفرٌ وجَدوا له فى جَرَّةٍ ألفَ دينارٍ، زِنَةُ كلِّ دينارٍ مائةُ دينارٍ، مَكْتوبٌ على صَفْحةِ الدينارِ

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٧/ ١٥٤، ١٥٥، وتاريخ دمشق ٦/ ١٠١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٢. كما أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٧/ ١٥٥، ١٥٦، من طريق الدارقطنى.

الواحدةِ جَعْفرٌ، والأخرى:

وأصْفرَ مِن ضَرْبِ دارِ المُلوكِ ... يَلُوحُ على وجهِهِ جعفرُ
يَزيدُ على مائةٍ واحدًا ... متى تُعْطِهِ مُعْسِرًا يُوسِرُ

[٨/١١٨ظ] وقال أحمدُ بنُ المُعَلَّى الرَّاوِيةُ: كتَبَت عِنانُ جاريةُ الناطِفيِّ إلى جعفرٍ تَطْلُبُ منه أن يَقولَ لأبيه يَحْيَى أن يُشِيرَ على الرَّشيدِ بشِرائِها، وكتَبَت إليه بهذه الأبياتِ مِن شعرِها فى جعفرٍ:

يا لَائمى جهلًا ألا تُقْصِرُ ... مَن ذا على حَرِّ الهَوَى يَصْبِرُ
لا تَلْحَنى[1] إذا شرِبتُ الهَوَى ... صِرْفًا فمَمْزوجُ الهَوَى يُسْكِرُ
أحاط بى الحُبُّ فخلْفى له ... بَحْرٌ وقُدَّامِى له أبْحُرُ
تَخْفِقُ راياتُ الهَوَى بالرَّدَى ... فَوْقى وحَوْلى للهَوَى عَسْكَرُ
سِيَّانُ عندى فى الهَوَى لَائمٌ ... أقلُّ فيه والذى يُكثِرُ
أنت المُصَفَّى مِن بنى بَرْمَكٍ ... يا جعفرَ الخَيْراتِ يا جَعْفرُ
لا يَبْلُغُ الواصفُ فى وَصْفِه ... ما فيك مِن فضلٍ ولا يعشُرُ
مَن وفَّر المالَ بأعْراضِه ... فجعفرٌ أعْراضُه أوْفَرُ
دِيباجةُ المُلْكِ على وجهِه ... وفى يديه العارضُ المُمْطِرُ
سَحَّت علينا منهما دِيمَةٌ ... يَنْهَلُّ منها الذهبُ الأحْمرُ
لو مسَحتْ كفّاه جُلْمودَةً[2] ... أَنضَر فيها الورقُ الأخضَرُ
لا يستتمُّ المجدَ إلا فتًى ... يَصْبِرُ للبَذْلِ كما يَصْبِرُ

---

(١) لا تَلْحَنى: لا تَلُمْنى ولا تعنفنى. اللسان (ل ح ى).
(٢) الجلمودة: الصخرة. انظر اللسان (جلمد).

يـهـتـزُّ تـاجُ الملـكِ مِـن فَـوْقِـه فـخـرًا ويُـزْهِـى تحـتَـه المنـبـرُ
أشـبَـهَـه الـبـدرُ إذا مـا بَـدا أو غُـرةٌ فـى وجـهِـه تَـزْهَـرُ
واللَّـهِ مـا أدرى أبـدْرُ الـدُّجَـى فـى وجـهِـه أم وجـهُـه أنـورُ
يَسْتَمْطِرُ الزُّوَّارُ منك النَّدَى وأنـت بـالـزُّوَّارِ تَـسْـتَـبْـشِـرُ

وكتَبَت تحتَ أبياتِها حاجتَها، فركِب مِن فَوْرِه إلى أبيه، فأدْخَله على الخليفةِ، فأشار عليه بشِرائِها، فقال: لا واللَّهِ لا أَشْتَرِيها وقد قال فيها الشُّعراءُ فأكْثَروا، واشْتَهَر أمْرُها، وهى التى يَقولُ فيها أبو نُوَاسٍ[1]:

[2]إنَّ عِـنـانَ الـنـطـافَ جـاريـةٌ [3]أصبَح حِرُّها[4] للنَّيْكِ[3] مَيْدانا[2]
لا يَـشْـتَـرِيـهـا إلا ابـنُ زانـيـةٍ أو قَلْطَبانٌ[5] يَكونُ مَن كانا

وعن ثُمامةَ بنِ أشْرَسَ قال[6]: بِتُّ ليلةً مع جعفرِ بنِ يَحْيَى بنِ خالدٍ، فانْتَبَه مِن مَنامِه يَبْكى مَذْعورًا، فقلتُ: ما شأْنُك؟ قال: رأيْتُ شيخًا جاء فأخَذ بعِضادَتَىْ هذا البابِ [٨/١١٩و] وقال:

كأنْ لم يَكُنْ بينَ الحُجونِ إلى الصَّفا أَنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامِرُ

قال: فأجَبْتُه:

---

(١) الفكاهة والايتناس فى مجون أبى نواس ص ١٠.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ب، م، ص.
(٣ - ٣) فى الديوان: «قد صار حرها للأير».
(٤) الحر: فرج المرأة. تاج العروس (ح ر ح - ح ر ر).
(٥) القَلْطبان: أصلها قَلْتَبان لفظة قديمة عن العرب غيرتها العامة فقالت: القلطبان، وهو الدَّيُّوث. تاج العروس (قلطب).
(٦) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٥، ١٠٦.

بلى نحن كنا أهلَها فأبادنا صُروفُ الليالى والجُدودُ العَواثِرُ

قال ثُمامةُ بنُ أَشْرَسَ[1] : فلما كانتِ الليلةُ المُقبِلةُ قتَله الرشيدُ ، ونصَب رأسَه على الجِسْرِ ، ثم خرَج الرشيدُ يَنظرُ إليه ، فتأمَّله ثم أنْشَأ يَقولُ :

تقاضاك دَهْرُك ما أسْلَفا وكُدِّر عَيْشُك بعدَ الصَّفا
فلا تَعْجَبَنَّ فإنَّ الزَّمانَ رَهِينٌ بتَفْريقِ ما أَلَّفا

قال : فنظَرْتُ إلى جعفرٍ ، وقلتُ : أمَا لئن أصْبَحْتَ آيةً ، فلقد كنتَ فى الخيرِ غايةً . قال : فنظَر إلىَّ الرشيدُ كأنه جملٌ صَئولٌ[2] ، ثم أنشأ يَقولُ :

ما يَعجَبُ العالَمُ مِن جعفرٍ ما عايَنوه فبنا كانا
مَن جعفرٌ أو مَن أبوه ومَن كانت بنو بَرْمَكَ لَوْلانا

ثم حوَّل وجهَ فرسِه وانْصَرَف .

وقد كان[3] مَقْتَلُ جعفرٍ فى ليلةِ السبتِ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ مِن سنةِ سبعٍ وثمانين ومائةٍ ، وكان عمرُه سبعًا وثلاثين سنةً ، وكان لهم فى الوِزارةِ سبعَ عشْرةَ سنةً .

وقد دخَلَت عُبادةُ[4] أمُّ جعفرٍ على أُناسٍ فى يومِ أَضْحَى تستمنحُ منهم جلدَ شاةٍ تَتَدفَّأُ به ، وسألوها عن أمرِهم ، فقالتْ : أَذْكُرُ أصْبَحْتُ فى مثلِ هذا اليومِ وإن على رأسى أربعَمائةِ وَصيفةٍ ، وإنى لأقولُ : إن ابنى جعفرًا عاقٌّ بى .

---

(١) قد لفّق المصنف هنا روايتين ؛ فالرواية الأولى عن ثمامة ، والأخرى عن إسحاق الموصلى ، وجعل القائل فى الروايتين ثمامة .

(٢) الجمل الصئول : هو الذى يأكل راعيه ويواثب الناس فيأكلهم . اللسان (ص و ل) .

(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٧.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٧/ ١٥٦، ١٥٧، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٥.

وروَى الخَطيبُ البَغْدادىُّ[1] أن سُفيانَ بنَ عُيَيْنةَ لما بلَغَه قَتْلُ الرَّشيدِ جعفرًا، وما أحَلَّ بالبَرامِكةِ مِن النِّقْمةِ، اسْتَقْبَل القِبْلةَ وقال: اللهُمَّ إن جعفرًا كان قد كفانى مَئونةَ الدنيا فاكْفِه مَئونةَ الآخِرةِ.

حِكايةٌ غَريبةٌ

ذكَر أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزىِّ فى كتابِه «المُنْتَظَم»[2] أن المأْمونَ بَلَغَه أن رجلًا يَأْتى كلَّ يومٍ إلى قُبورِ البَرامِكةِ فيَبْكِى عليهم ويَنْدُبُهم، فبعَث مَن جاءَه به، فدخَل عليه وقد يئِس مِن الحياةِ، فقال له: ويحَك! ما يَحْمِلُك على صَنيعِك هذا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنهم أسْدَوْا إلىَّ مَعْروفًا وخيرًا كثيرًا، [3]ولى خبرٌ طويلٌ. فقال: قلْ. قال[3]: أنا المنذرُ بنُ المُغيرةِ مِن أهلِ دِمشقَ، كنتُ[4] فى نِعْمةٍ عظيمةٍ، فزالتْ عنى حتى أفْضَى بىَ الحالُ إلى أن بِعْتُ دارى، ولم يَبْقَ لى شىءٌ، فأشار بعضُ أصْحابى علىَّ بقَصْدِ [٨/١١٩ظ] البَرامِكةِ[5]، فأتَيْتُ بَغْدادَ ومعى نَيِّفٌ وعشرون امرأةً [6]وصَبِيًّا[6]، فأنْزَلْتُهُنَّ فى مسجدٍ[7] ثم قصَدْتُ مَسْجدًا[8] أُصَلِّى فيه، فدخَلْتُ فإذا فيه جَماعةٌ لم أَرَ أحسنَ منهم، فجلَسْتُ

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٠.

(٢) المنتظم ٩/١٤٦ - ١٤٨.

(٣ - ٣) فى ب، م: «فقال: وما الذى أسدوه إليك؟ فقال».

(٤) بعده فى ب، م: «بدمشق».

(٥) بعده فى ب، م: «ببغداد فأتيت أهلى وتحملت بعيالى».

(٦ - ٦) سقط من: النسخ. والمثبت من المنتظم.

(٧) بعده فى ب، م: «مهجور».

(٨) فى ب، م: «مسجدًا مأهولا»، وفى س: «مسجد الجامع».

إليهم ، فجعَلْتُ أُدِيرُ[1] فى نَفْسى كلامًا أَطْلُبُ به منهم قُوتًا للعِيالِ ، فيَمْنَعُنى مِن ذلك ذُلُّ السُّؤَالِ[2] ، فبينا أنا كذلك إذا بخادمٍ قد أقْبَل فاسْتَدْعاهم ، فقاموا كلُّهم وقمْتُ معهم ، فدخَلوا دارًا عظيمةً ، فإذا الوزيرُ يَحْيَى بنُ خالدٍ فيها ، فجلَسوا حولَه ، فعقَد عَقْدَ ابنتِه عائشةَ على ابنِ عمٍّ له ، ونثَروا علينا سَحِيقَ[3] المِسْكِ وبَنادِقَ العَنْبَرِ[4] ، ثم جاءتِ الخَدَمُ إلى كلِّ واحدٍ مِن الجماعةِ بصِينِيَّةٍ مِن فضةٍ فيها ألفُ دينارٍ ، ومعها فُتاتُ المِسْكِ ، فأخَذَها القومُ ونهَضوا ، وبَقِيَتْ بينَ يَدَىَّ الصِّينِيَّةُ التى وضَعوها لى ، وأنا أَهابُ أن آخُذَها مِن عَظَمَتِها عندى ، فقال لى بعضُ الحاضِرين : ألا تَأْخُذُها وتَقُومُ ؟ فمدَدْتُ يدى ، فأخَذْتُها فأفْرَغْتُ ذَهَبَها فى جَيْبى ، وأخَذْتُ الصِّينِيَّةَ تحتَ إِبطى وقمْتُ وأنا خائفٌ أن تُؤْخذَ منى ، فجعَلْتُ أَتَلَفَّتُ والوَزيرُ يَنْظُرُ إلىَّ وأنا لا أَشْعُرُ ، فلما بلَغْتُ السِّتارةَ أمَرَهم فرَدُّونى ، فيَئِسْتُ مِن المالِ ، فلما رجَعْتُ قال لى : ما شأْنُك[5] ؟ فقَصَصْتُ عليه خَبَرى ، فبكَى ثم قال لأوْلادِه : خُذوا هذا فضُمُّوه إليكم . فجاءنى خادمٌ ، فأخَذ منى الذهبَ والصِّينِيَّةَ ، وأقَمْتُ عندَهم عشَرةَ أيامٍ مِن وَلَدٍ إلى ولدٍ وخاطِرى كلُّه عندَ عِيالى ، ولا يُمْكِنُنى الانْصِرافُ ، فلما انْقَضَتِ العشَرةُ جاءنى خادمٌ فقال : ألا تَذْهَبُ إلى أهلِك ؟ فقلتُ : بلى واللَّهِ . فقام يَمْشى أمامى ، ولم يُعْطِنى الذهبَ ، فقلتُ : يا ليتَ هذا كان [6]قبلَ هذا[6] . فسار يَمْشى أمامى إلى دارٍ لم أَرَ أحْسَنَ منها ، فإذا

---

(١) فى الأصل ، ص : « أُروِّى » ، وفى س : « أُراود » ، وفى م : « أُدبِّر » ، وفى ظ : « أُزوِّر » .

(٢) بعده فى ب ، م : « والحياء » .

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ص ، ظ : « فِلَق » .

(٤) البنادق : من قولهم : بندق الشىء . أى جعله بنادق . والمقصود هنا : فى حجم البندقة المعهودة . انظر الوسيط (بندق) .

(٥) بعده فى الأصل ، ب ، م ، ص ، ظ : « خائف » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « قبل أن يؤخذ منى الصينية والذهب ، يا ليت عيالى رأوا ذلك » .

عِيالى يَتَمَرَّغون فى الذهبِ والحَريرِ فيها ، وقد وصَل إليهم مائةُ ألفِ درهمٍ وعشَرةُ آلافِ دينارٍ ، وكتابٌ فيه تَمْليكُ الدارِ بما فيها ، وبقَريتَيْن جَليلتَيْن لهم ، فكنتُ مع البَرامِكةِ فى أطْيَبِ عيشٍ ، فلما أُصِيبوا أخَذ منى عمرُو بنُ مَسْعَدةَ القريتَيْن ، وألْزَمَنى بخَراجِهما ، فكلما لحِقَتْنى فاقةٌ قصَدْتُ دُورَهم وقُبورَهم فبكَيْتُ عليهم . فأمَر المأْمونُ بردِّ القريتَيْن (١عليه وخَراجِهما١) ، فبكَى الشيخُ بُكاءً شديدًا ، فقال له المأْمونُ : أَلَم أَسْتَأْنِفْ بك جَميلًا ؟ قال : بلى ، ولكن هو مِن بَركةِ البَرامِكةِ . فقال المأمونُ : امْضِ مُصاحَبًا فإن الوَفاءَ مُبارَكٌ ، وحُسْنَ العهدِ مِن الإيمانِ .

[٨/١٢٠و] **ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :**

الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ(٢) ، **أبو علىٍّ التَّمِيمىُّ** ، أحدُ أئمةِ العُبَّادِ ، (٣وعَلَمُ٣) الزُّهَّادِ ، (٤وواحِدُ العُلَماءِ الأَوْلياءِ٤) ، وُلِد بخُراسانَ بكُورةِ أَبِيوَرْدَ(٥) ، وقدِم الكُوفةَ وهو كبيرٌ ، فسمِع الأعْمشَ ، ومَنْصورَ بنَ المُعْتَمِرِ وعَطاءَ بنَ السائبِ ، وحُصَيْنَ ابنَ عبدِ الرحمنِ ، وغيرَهم ، ثم انْتَقَل إلى مكةَ فتَعَبَّد بها ، وكان حَسَنَ تلاوةِ القرآنِ ، كثيرَ الصَّلاةِ والصِّيامِ ، وكان سيدًا كبيرَ الشَّأْنِ ، ثِقةً مِن أئمةِ الرِّوايةِ ، رحِمه اللَّهُ ، ورضِى عنه . وله مع الرشيدِ قصةٌ (٦موعظتِه له٦) ، وقد رُوِّينا ذلك

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٤، وتاريخ دمشق ١٤/٢٥٦ مخطوط ، والمنتظم ٩/ ١٤٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٧، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٣١.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤ - ٤) فى الأصل : « وواحد العلماء والأولياء » ، وفى ب : « وهو أوحد العلماء والأولياء » . وفى م : « وهو أحد العلماء والأولياء » ، وفى ظ : « وأوحد العلماء الأولياء » .

(٥) فى النسخ : « دينور » . والمثبت من مصادر ترجمته المتقدمة .

(٦ - ٦) فى ب : « طويلة وموعظة بليغة » ، وفى م : « طويلة » . وانظر حلية الأولياء ٨/١٠٥ - ١٠٧، =

مُطَوَّلًا فى كيفيةِ دُخولِ الرشيدِ عليه مَنْزلَه ، وما قال له الفُضَيْلُ ، وعرْضِ الرشيدِ عليه المالَ ، فأبَى ذلك ولم يَقْبَلْ منه شيئًا ، وكانت وفاتُه بمكةَ فى هذا العامِ ، فى المُحَرَّمِ منه .

وذكَروا[1] أنه كان شاطِرًا يَقْطَعُ الطريقَ ، وكان يَتَعَشَّقُ جاريةً ، فبينما هو ذاتَ ليلةٍ يَتَسَوَّرُ عليها جِدارًا إذ سمِع قارئًا يَقْرَأُ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] . فقال : بلى يا ربِّ . وأقْلَع عما هو فيه ، ورجَع إلى خَرِبةٍ ، فبات بها فسمِع سُفَّارًا يقولون[2] : إن فُضَيْلًا أمامَكم يَقْطَعُ عليكم الطَّريقَ . فأمَّنهم ، واسْتَمَرَّ على توبتِه ، حتى كان منه ما كان مِن السِّيادةِ والعِبادةِ والزَّهادةِ ، ثم صار عَلَمًا يُقْتَدَى به ويُهْتَدَى بكلامِه وفِعالِه ، رحِمه اللَّهُ . قال الفُضَيْلُ[3] : لو أن الدنيا كلَّها حَلالٌ لا أُحاسَبُ بها ، لكنتُ أَتَقَذَّرُها كما يَتَقَذَّرُ أحدُكم الجِيفةَ إذا مرَّ بها أن تُصِيبَ ثوبَه .

وقال[4] : العملُ لأجلِ الناسِ شِرْكٌ ، وتَرْكُ العملِ لأجلِ الناسِ رِياءٌ ، والإخْلاصُ أن يُعافِيَك اللَّهُ منهما .

= وتاريخ دمشق ١٤/٢٨٢ - ٢٨٤ مخطوط ، والمنتظم ٩/١٤٩ - ١٥٢، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٩٣- ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨ - ٣٨١.

(١) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ٢٥٩، ٢٦٠ مخطوط ، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٧، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨٥، ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٣، ٣٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٣٤.

(٢) بعده فى ب ، م : « خذوا حذركم » .

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٨٩، وتاريخ دمشق ١٤/٢٧٣ مخطوط ، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٣٩.

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٤/٢٦٨ مخطوط ، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٨، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٣٧.

وقال له الرشيدُ يومًا[1] : ما أزْهَدَك ! فقال : أنت أزْهَدُ منى ؛ لأنى [2]زَهِدْتُ فى الدُّنْيا الفانِيَةِ ، وأنت زهِدتَ فى الآخِرةِ الباقيةِ .

ومِن كلامِه[3][2] : لو أنَّ لى دَعْوةً مُسْتَجابةً [4]لَدَعَوْتُ بها لإمامِ عامَّةٍ[4] ؛ فإنه إذا صلَح أمِنَت البلادُ والعبادُ .

وقال[5] : إنى لَأَعْصِى اللَّهَ فأَعْرِفُ ذلك فى خُلُقِ حِمارى [6]وخادِمِى[6] .

وقال[7] فى قولِه تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] . قال : يعنى أخْلَصَه وأصْوَبَه ؛ إن العملَ يَجِبُ أن يكونَ خالصًا للَّهِ ، وصَوابًا على مُتابعةِ النبىِّ ﷺ .

وفيها تُوُفِّى بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ[8] ، وعبدُ السلامِ بنُ حربٍ[9] ، وعبدُ العزيزِ بنُ

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/ ٤٨.

(٢ - ٢) فى الأصل : « زهدت فى الدنيا وأنت زهدت فى الآخرة الباقية . ومن كلامه » ، وفى ب ، م : « أنا زهدت فى الدنيا التى هى أقل من جناح بعوضة ، وأنت زهدت فى الآخرة التى لا قيمة لها ، فأنا زاهد فى الفانى وأنت زاهد فى الباقى ، ومن زهد فى درة أزهد ممن زهد فى بعرة . وقد روى مثل هذا عن أبى حازم أنه قال ذلك لسليمان بن عبد الملك . وقال » .

(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٨٦، ٢٨٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٤٢.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « لجعلتها للإمام ، لأن به صلاح الرعية » .

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٠٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٨.

(٦ - ٦) فى الأصل : « ودابتى » ، وفى ب ، م : « وخادمى وامرأتى وفأر بيتى » .

(٧) حلية الأولياء ٨/ ٩٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٧٨ مخطوط .

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٠، وتهذيب الكمال ٤/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٥٦.

(٩) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٧، وطبقات خليفة ١/ ٣٩٨، وتاريخه ٢/ ٧٣٤، وتهذيب الكمال ١٨/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٦٩.

محمدٍ الدَّراوَرْدىُّ[1] ، **وعبدُ العزيزِ** العَمِّىُّ[2] ، **وعلىُّ** بنُ عيسى[3] الأميرُ ببلادِ الرومِ [٨/١٢٠ظ] مع القاسمِ بنِ الرشيدِ فى الصائفةِ ، **ومُعْتَمِرُ** بنُ سُليمانَ[4] ، **وأبو شُعَيبٍ** البَرَاثىُّ الزاهدُ[5] ، وكان أولَ مَن سكَن بَرَاثا فى كُوخٍ له يَتَعَبَّدُ فيه ، فهَوِيَتْه امرأةٌ مِن بناتِ الرُّؤساءِ ، فانخَلَعَتْ مِمَّا كانتْ فيه مِن السَّعادةِ والحِشْمة[6] ، وتزَوَّجَتْه وأقامَتْ معه يَتَعَبَّدان فى ذلك الكوخِ حتى ماتا ، رَحِمَهما اللَّهُ ، ويقالُ[7] : إن اسمَها جَوْهَرةُ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٢٤، وطبقات خليفة ٢/ ٦٩١، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٨٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٧٨.

(٢) طبقات خليفة ٢/ ٥٤٢، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٢٧.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٠٧، والكامل ٦/ ١٨٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٠، وطبقات خليفة ٢/ ٥٤١، وتاريخه ٢/ ٧٣٤، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٥٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٠٦.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٤١٨، والمنتظم ٩/ ١٥٢.

(٦) حُشْمة الرجل بالضم : خاصّته الذين يغضبون له من أهل وعبيد أو جيرة إذا أصابه أمر. والحُشْمة أيضًا : القرابة. تاج العروس، واللسان (ح ش م).

(٧) انظر المنتظم ٩/ ١٥٣.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثمانين ومائةٍ

فيها[1] غزا إبراهيمُ بنُ جبريلَ[2] الصائفةَ، فدخَل بلادَ الرومِ مِن دَرْبِ الصَّفْصافِ، فخرَج النِّقْفورُ للقائِه، فجُرِح النِّقْفورُ ثلاثَ جِراحاتٍ، وانْهَزم وقُتِل من أصحابِه أكثرُ مِن أرْبَعين ألفًا، وغَنِموا أكثرَ مِن أربعةِ آلافِ دابَّةٍ.

وفيها رابَط القاسمُ بنُ الرشيدِ بمَرْجِ دابقٍ. وفيها حجَّ بالناسِ الرشيدُ، وكانت آخرَ حَجَّاتِه.

[3]وقال أبو بكرٍ [4]بنُ عَيّاشٍ[4] حينَ رأَى الرشيدَ مُنْصَرِفًا مِن الحجِّ، وقد اجْتاز بالكوفةِ: لا يَحُجُّ الرشيدُ بعدَها، ولا يَحُجُّ بعدَه خَليفةٌ أبدًا[3].

وقد لَقِيَه بُهْلولٌ[5] المُولَهُ العاقِلُ فوعَظه مَوْعِظةً حَسَنةً، فرُوِّينا مِن طريقِ الفضلِ بنِ الربيعِ الحاجبِ قال: حجَجْتُ مع الرشيدِ، فمرَرْنا بالكوفةِ، فإذا بُهْلولٌ المجنونُ يَهْذِى، فقلتُ: اسْكُتْ، فقد أقْبَل أميرُ المؤمنين. فسَكَت، فلَمَّا حاذاه الهَوْدَجُ قال: يا أميرَ المؤمنين، حَدَّثنى [6]أيْمَنُ بنُ نابِلٍ[6]، ثنا قُدامةُ بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣١٣، والمنتظم ٩/ ١٥٤، ١٥٥، والكامل ٦/ ١٩٠.

(٢) فى ب، م: «إسرائيل».

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م. وانظر المنتظم ٩/ ١٥٦.

(٥) انظر المنتظم ٩/ ١٥٥، ١٥٦.

(٦ - ٦) فى الأصل: «أيمن بن قابل»، وفى ب، ص، ظ: «أيمن بن نايل»، وفى س: «أيمن بن بابك»، وفى م: «أيمن بن نائل». وفى المنتظم: «إسحاق بن بابل». والمثبت من الإكمال ٧/ ٣٢٥، =

عبدِ اللَّهِ العامرىُّ قال : رأيْتُ النبىَّ ﷺ بمنًى على جملٍ وتحته رَحْلٌ رَثٌّ ، ولم يَكُنْ ثَمَّ طَرْدٌ ولا ضَرْبٌ ولا إليك إليك . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنه بُهْلولٌ المجنونُ[1] . فقال : قد عرَفْتُه ، قُلْ يا بُهْلولٌ . فقال :

فهَبْ أن قد ملَكْتَ الأرضَ طُرًّا ... ودان لك العِبادُ فكان ماذا
أليس غدًا مَصِيرُك جَوْفَ قبرٍ ... ويَحْثُو التُّربَ هذا ثم هذا

قال : أجَدْتَ يا بُهلولُ ، أفغيرُه ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، مَن رَزَقه اللَّهُ جَمالًا ومالًا ؛ فعفَّ فى جَمالِه ، وواسَى فى مالِه ، كُتِب فى دِيوانِ الأبْرارِ . قال : فظنَّ أنه يُرِيدُ شيئًا ، فقال : إنا قد أمَرْنا بقَضاءِ دَيْنِك . قال : لا تَفْعَلْ يا أميرَ المؤمنين ، لا [2]تَقْضِ دَيْنًا بدَيْنٍ[2] ، ارْدُدِ الحقَّ إلى أهْلِه ، واقضِ دَيْنَ نَفْسِك مِن نفسِك . قال : إنا قد أمَرْنا أن يُجْرَى عليك رِزْقٌ[3] . قال : [٨/١٢١و] لا تَفْعَلْ يا أميرَ المؤمنين ، فإنه لا يُعْطِيك ويَنْسانى[4] ، لا حاجةَ لى فى جِرايتِك[5] .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أَبو إسْحاقَ الفَزارىُّ ، إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ الحارثِ بنِ أسماءِ[6] بنِ

= وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٤٧، ٢٣/ ٥٤٩.

(١) سقط من : ب ، م .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ب ، م : « يُقضى دين بدين » .

(٣) بعده فى ب ، م : « تقتات به » .

(٤) بعده فى ب ، م : « وها أنا قد عشت عمرا لم تجر على رزقًا ، انصرف » .

(٥) بعده فى ب ، م : « قال: هذه ألف دينار خذها . فقال : ارددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ، انصرف عنى فقد آذيتنى . قال : فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا » .

(٦) فى م ، ص : « إسماعيل » . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، وتاريخ دمشق ٧/ ١٩، والمنتظم ٩/ ١٥٦، وتهذيب الكمال ٢/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٥٤.

خارِجَةَ ، إمامُ أهلِ الشامِ فى المَغازى وغيرِ ذلك ، أخَذ عن الثَّوْرىِّ والأوْزاعىِّ وغيرِهما ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ . وقيل : قبلَها .

وإبراهيمُ المَوْصِلىُّ[1] ، **النَّدِيمُ ، هو إبراهيمُ بنُ ماهانَ بنِ بَهْمَنَ** [2]**بنِ نُسْكَ**[2] **أبو إسْحاقَ** ، أحدُ الشُّعراءِ والمُغَنِّين والنُّدَماءِ[3] ، أصْلُه مِن الفُرسِ [4]ووَلاؤه للحَنْظَلِيِّين[4] ، وُلِد بالكوفةِ ، وصحِب شبابَها وأخَذ عنهم الغِناءَ ، [4]فأجاد فى عِلْمِه[4] ، ثم سافَر إلى المَوْصِلِ ، ثم عاد إلى الكوفةِ فقالوا له : المَوْصِلىُّ . وقد اتَّصَل بالخُلفاءِ ؛ أولُهم المهدىُّ ، وحَظِىَ عندَ الرشيدِ ، وكان مِن جُملةِ سُمَّارِه ونُدَمائِه ومُغَنِّيه ، وقد أثْرَى وكثُر مالُه جِدًّا ، حتى إنَّه يقالُ[5] : إنه ترَك أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهمٍ . وكانتْ له طُرَفٌ وحِكاياتٌ غَريبةٌ ، وكان مَوْلِدُه سنةَ [6]خمسٍ وعشرين[6] ومائةٍ فى الكوفةِ ، ونشَأ فى كَفالةِ بنى تَميمٍ ، فتعَلَّم منهم ونُسِب إليهم ، وكان فاضِلًا بارعًا فى صِناعةِ الغناءِ ، وكان مُزَوَّجًا بأختِ منصورٍ المُلَقَّبِ بزَلْزَلٍ الذى كان يَضْرِبُ معه ، فإذا غنَّى هذا وضرَب هذا اهْتَزَّ المَجْلِسُ . وكانتْ وفاتُه فى هذه السنةِ على الصَّحيحِ ، وحكَى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ » قولا[7] أنه تُوُفِّىَ هو وأبو العَتاهِيةِ وأبو عمرٍو الشَّيْبانىُّ النَّحْوىُّ[8] ببَغْدادَ فى يومٍ واحدٍ مِن

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٧٥، والمنتظم ٩/ ١٥٦، ووفيات الأعيان ١/ ٤٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٥٩.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م ، وفى الأصل : « بن سيك » ، وفى س ، ظ : « بن نسك » ، وفى ص : « بن يَسَك » . والمثبت من وفيات الأعيان .

(٣) بعده فى ب ، م : « للرشيد وغيره » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) انظر المنتظم ٩/ ١٥٨.

(٦ - ٦) فى النسخ : « خمس عشرة » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٧) وفيات الأعيان ١/ ٤٣.

(٨) سقط من : الأصل ، ب ، م .

سنةِ ثلاثَ عشْرةَ ومائتين. وصحَّح الأولَ.

ومِن أشعارِه عندَ احْتِضارِه قولُه[1]:

مـلَّ واللَّـهِ طَـبـيـبـى مِـن مُـقـاسـاةِ الـذى بـى
سـوف أُنْـعَـى عـن قـريـبٍ لـعـدوٍّ وحَـبـيـبِ

وفيها مات جَريرُ بنُ عبدِ الحميدِ[2]، **ورِشْدِينُ**[3] بنُ سعدٍ، **وعَبْدةُ** بنُ سليمانَ[4]، **وعُقْبةُ** بنُ خالدٍ[5]، **وعمرُ** بنُ أيوبَ العابدُ[6] أحدُ مَشايخِ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ. **وعيسى** بنُ يونُسَ[7] فى قولٍ.

---

(١) انظر المنتظم ٩/ ١٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١، وطبقات خليفة ١/ ٣٩٨، ٢/ ٨٤٢، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٥٣، والمنتظم ٩/١٥٨ - ١٦٠، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٤١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٩٣.

(٣) فى م: «رشد». وهو خطأ طباعى، وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٧، وطبقات خليفة ٢/ ٧٦٥، والمنتظم ٩/ ١٥٩، وتهذيب الكمال ٩/ ١٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ١٥٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٠، وطبقات خليفة ١/ ٤٠١، وتاريخه ٢/ ٧٣٥، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥٣٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٨٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٥، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٩٧.

(٦) طبقات خليفة ٢/ ٨٢٨، وتاريخ بغداد ١١/ ١٨٥، والمنتظم ٩/ ١٥٩، وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣١١.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، وطبقات خليفة ٢/ ٨١٥، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٢٣.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثمانين ومائةٍ

فيها[1] رجَع الرشيدُ مِن الحجِّ ، وسار إلى الرَّيِّ ، فولَّى وعزَل وقَطعَ ووَصلَ ، وردَّ عليَّ بنَ عيسى إلى وِلايةِ خُراسانَ ، وجاءه نُوَّابُ تلك البُلدانِ بالهَدايا والتُّحَفِ مِن سائرِ الأشْكالِ والألْوانِ ، ثم عاد إلى بَغْدادَ فأدْرَكه عيدُ الأضْحَى بقصرِ اللُّصُوصِ ، فضحَّى عندَه ، ودخَل بَغْدادَ لثلاثٍ[2] بقِين مِن ذى الحِجَّةِ ، فلما اجْتاز بالجِسْرِ أمَر بجُثَّةِ جعفرِ بنِ يحيى البَرْمَكيِّ ، فأُحْرِقَتْ ، وكانتْ مَصْلوبةً مُنذ قَتْلِه إلى هذا اليومِ ، ثم ارْتَحَل الرشيدُ [٨/١٢١ظ] مِن بَغْدادَ إلى الرَّقَّةِ وهو مُتَأَسِّفٌ على بَغْدادَ وطيبِها ، وإنما مرادُه بمُقامِه بالرَّقَّةِ رَدْعُ المفسدينِ بها ، وقد قال العباسُ بنُ الأحْنَفِ فى سرعةِ خروجِهم مِن بغدادَ مع الرشيدِ :

ما أَنَخْنا حتى ارْتَحَلْنا فما نَفْـ ... ـرِقُ بيـنَ المُناخِ والإرْتِحالِ
ساءَلونا عن حالِنا إذ قدِمْنا ... فقَرَنَّا وداعَهمْ بالسُّؤالِ

وفى هذه السنةِ فادَى الرشيدُ الأُسارَى مِن المسلمين الذين كانوا ببلادِ الرومِ ، فيُقالُ : إنه لم يبقَ بها أسيرٌ مِن المسلمين . فقال فيه بعضُ الشُّعراءِ[3] الأَلِبَّاءِ :

وفُكَّتْ بك الأسْرَى التى شُيِّدَتْ لها ... مَحابِسُ ما فيها حَمِيمٌ يَزُورُها
على حينَ أعْيا المسلمين فِكاكُها ... وقالوا سُجونُ المُشْرِكِين قُبورُها

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٣١٤ - ٣١٨، والمنتظم ٩/١٦١ - ١٦٣، والكامل ٦/١٩١ - ١٩٤.

(٢) فى تاريخ الطبرى والمنتظم ، أنه دخل بغداد لليلتين بقيتا من ذى الحجة . وفى الكامل أنه دخلها فى آخر ذى الحجة .

(٣) هو مروان بن أبى حفصة ، كما فى تاريخ الطبرى .

وفيها رابَط القاسمُ بنُ هارونَ الرشيدِ بمَرْجِ دابقٍ مُحاصِرًا الرومَ . وفيها حجَّ بالناسِ العباسُ بنُ موسى (١) بنِ عيسى بنِ موسى (١) بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسٍ .

ذِكْرُ مَن تُوفّى فيها مِن الأَعْيانِ

عليُّ بنُ حَمْزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ فَيْروزَ ، أبو الحسنِ الأَسَديُّ مولاهم ، الكُوفيُّ المَعْروفُ بالكِسائيِّ (٢) ؛ لإحْرامِه فى كِساءٍ ، وقيل (٣) : لاشْتِغالِه على حَمْزةَ الزَّيَّاتِ فى كِساءٍ . النحْويُّ اللُّغويُّ أحدُ أئمةِ القُرَّاءِ ، أصْلُه مِن الكوفةِ ، ثم اسْتَوْطَن بَغْدادَ ، فأدَّب الرشيدَ ووَلَدَه الأمينَ ، وكان قد قرَأ على حمزةَ بنِ حَبيبٍ الزَّيَّاتِ قِراءتَه ، وكان يُقْرِئُ بها ، ثم اخْتار لنَفْسِه قِراءةً ، فكان يُقْرِئُ بها .

روَى عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ وسفيانَ بنِ عُيَيْنةَ وغيرِهما ، وعنه يَحْيَى بنُ زِيادٍ الفَرَّاءُ وأبو عُبَيدٍ .

وقد قال الشافعيُّ (٤) : مَن أراد أن يَتبحَّرَ فى النحوِ فهو عِيالٌ على الكِسائيِّ .

(١ - ١) سقط من : النسخ والكامل . والمثبت من تاريخ الطبرى والمنتظم ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٥٩.

(٢) تاريخ العلماء النحويين ص ١٩٠، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٠٣، والمنتظم ٩/ ١٦٨، وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥، وإشارة التعيين ص ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٩٩، وغاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٥٣٥، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣١٣، وبغية الوعاة ٢/ ١٦٢.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٥، والمنتظم ٩/ ١٧٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٨.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٧، والمنتظم ٩/ ١٦٩، وإنباه الرواة ٢/ ٢٦٠.

وقد كان الكِسائىُّ أخَذ عن الخَليلِ صِناعةَ النَّحْوِ، فسأَله[1] يومًا: عمَّن أخَذْتَ هذا؟ قال: مِن بَوادِى الحِجازِ. فرحَل الكِسائىُّ إلى هناك، فكتَب عن العربِ شيئًا كثيرًا، ثم عاد - ومِن هِمَّتِه العَوْدُ - إلى الخَليلِ، فإذا هو قد مات، وتصَدَّر فى مَوْضِعِه يونُسُ، فجَرَتْ بينَهما مُناظَراتٌ أقَرَّ له فيها يونُسُ وأجْلَسه فى مَوْضِعِه.

قال الكِسائىُّ[2]: صلَّيْتُ يومًا بالرشيدِ، فأعْجَبَتْنى قِراءتى، فغلِطْتُ غَلْطةً ما غلِطَها صبىٌّ، أرَدْتُ أن أقولَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. فقلتُ: لعلهم يرجعين. فما تَجاسَر الرشيدُ أن يَرُدَّها، لكن لما سلَّمْتُ قال: أىُّ لغةٍ هذه؟ فقلتُ: إن الجَوادَ قد يَعْثُرُ. فقال: أمَّا هذا فنَعَمْ.

وقال بعضُهم[3]: لقِيتُ الكِسائىَّ فإذا هو [١٢٢/٨و] مَهْمومٌ، فقلتُ: ما لك؟ فقال: إن يَحْيَى بنَ خالدٍ قد وَجَّه إلىَّ يَسْأَلُنى عن أشْياءَ، فأخْشَى مِن الخَطأ. فقلتُ له: قُلْ ما شِئْتَ فأنت الكِسائىُّ. فقال: قطَعه اللَّهُ - يعْنى لِسانَه - إن قلتُ ما لم أعْلَمْ.

وقال الكِسائىُّ: قلتُ يومًا لنَجَّارٍ: بكم هذان البابان؟ فقال: بسَلْحَتان يا مَصْفَعان[4].

تُوُفِّى الكِسائىُّ فى هذه السنةِ على المشهورِ، عن سبعين سنةً. وكان فى

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٤، والمنتظم ٩/ ١٦٩، ١٧٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٨.

(٢) تاريخ بغداد ١١/٤٠٧، والمنتظم ٩/١٦٩، وإنباه الرواة ٢/٢٦٠.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٤١١، والمنتظم ٩/ ١٧٢، وإنباه الرواة ٢/ ٢٦٦.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٤١٢، ٤١٣، والمنتظم ٩/ ١٧٣، وإنباه الرواة ٢/ ٢٦٧. وسلح الطائر سلحًا: من باب نفع وهو منه - الطائر - كالتغوط من الإنسان. والمصفعان: الذى يصفع على قفاه. انظر المصباح المنير (س ل ح)، واللسان (ص ف ع).

صُحْبةِ الرشيدِ ببلادِ الرَّىِّ ، فمات بنَواحِيها هو ومحمدُ بنُ الحسنِ أيضًا فى يومٍ واحدٍ ، فكان الرشيدُ يَقولُ[1] : دَفَنْتُ الفِقْهَ والعَربيةَ بالرَّىِّ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : وقيل : إن الكِسائىَّ تُوُفِّى بطُوسَ سنةَ ثنتَيْن وثمانين ومائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد رأَى بعضُهم الكِسائىَّ فى المَنامِ ووجهُه كالبَدْرِ ، فقال[3] له : ما فعَل ربُّك بك ؟ فقال : غفَر لى بالقرآنِ . فقلتُ : ما فعَل حَمْزةُ ؟ قال : ذاك فى عِلِّيِّين ، ما نَراه إلا كما يُرَى الكوكبُ .

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فَرقدٍ[4] أبو عبدِ اللَّهِ الشَّيْبانىُّ مولاهم ، صاحبُ أبى حَنيفةَ ، أصْلُه مِن قريةٍ مِن قُرَى دِمشقَ ، قدِم أبوه العراقَ ، فوُلِد محمدٌ بواسِطٍ سنةَ ثنتَيْن وثلاثين ومائةٍ ، ونشَأ بالكوفةِ ، فسمِع مِن أبى حَنيفةَ ، ومِسْعَرٍ ، والثَّوْرىِّ ، وعمرَ بنِ ذَرٍّ ، ومالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، وكتَب عن مالكِ بنِ أنسٍ ، والأوْزاعىِّ ، وأبى يوسُفَ ، وسكَن بَغْدادَ وحدَّث بها ، وكتَب عنه الشافعىُّ حينَ قدِمها فى سنةِ أربعٍ وثمانين ومائةٍ [5]وِقْرَ بعيرٍ[5] ، وولَّاه الرشيدُ قَضاءَ الرَّقَّةِ ، ثم عزَله [6]وخرَج مع الرشيدِ إلى الرَّىِّ فمات بها[6] .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١١/٤١٣ ، ٤١٤ ، وإنباه الرواة ٢/٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٦.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٤١٤، والمنتظم ٩/ ١٧٣.

(٤) فى م : « زفر » . وانظر الطبقات الكبرى ٧/ ٣٣٦، وتاريخ بغداد ٢/ ١٧٢، وطبقات الفقهاء ص ١٣٥، والمنتظم ٩/ ١٧٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٥٨، والجواهر المضية ٣/ ١٢٢.

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م . وفى س ، ظ : « وقد تغير » . وانظر طبقات الفقهاء ص ١٣٥، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٤، والجواهر المضية ٣/ ١٢٣. وقد ذكرته المصادر الأخرى بلفظ : « وقر بُخْتىٍّ » . وهما بمعنًى .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

وكان يَقولُ لأهلِه[1] : لا تَسْأَلونى حاجةً مِن حاجاتِ الدُّنْيا فتَشْغَلوا قَلْبى ، وخُذُوا ما شِئْتُم مِن وَكِيلى[2] ؛ فإنه أَقَلُّ لهَمِّى وأفْرَغُ لقَلْبى .وقال الشافعىُّ[3] : ما رأيْتُ حَبْرًا سَمينًا مثلَه ، ولا رأيْتُ أخَفَّ رُوحًا منه ، ولا أفْصَحَ منه ، كنْتُ إذا سمِعْتُه يَقْرَأُ كأنَّ القرآنَ نزلَ بلُغَتِه .

وقال أيضًا[4] : ما رأيْتُ أعْقَلَ من محمدِ بنِ الحسنِ ، كان يَمْلَأُ العينَ والقَلْبَ .

قال الطَّحاوىُّ[5] : كان الشافعىُّ قد طلَب مِن محمدِ بنِ الحسنِ كتابَ السِّيَرِ ، فلم يُجِبْه إلى الإعارةِ ، فكتَب إليه :

قُلْ لِلَّذِى لم تَرَ عَيْـ ... ـنَا[6] مَن رآهُ مِثْلَهْ
حتى كأنَّ مَنْ رآ ... هُ قد رأى مَنْ قَبْلَهْ
العِلْمُ يَنْهَى أهلَهُ ... أن يَمْنَعُوه أهْلَهْ
لعلَّه يبذُلُهُ ... لأهْلِهِ لعَلَّهْ

قال : فوجَّه به إليه فى الحالِ هَدِيةً لا عارِيَّةً .

وقال إبراهيمُ الحَرْبىُّ[7] : قلتُ لأحمدَ بنِ [٨/١٢٢ظ] حنبلٍ : هذه المَسائِلُ

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٢/ ١٧٦، ١٧٧، والمنتظم ٩/ ١٧٤.
(٢) فى الأصل : « رحلى » ، وفى ب ، م : « مالى » .
(٣) انظر تاريخ بغداد ٢/ ١٧٥، والمنتظم ٩/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٣٥٩، والجواهر المضية ٣/ ١٢٣.
(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ١٧٥، ١٧٦، والمنتظم ٩/ ١٧٤.
(٥) انظر طبقات الفقهاء ص ١٣٥، ١٣٦، والمنتظم ٩/ ١٧٤، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٤، والجواهر المضية ٣/ ١٢٤، ١٢٥.
(٦) فى ب ، م : « عيناى » . وفى مصادر التخريج : « عين » .
(٧) انظر تاريخ بغداد ٢/ ١٧٧، والمنتظم ٩/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٦.

الدِّقاقُ مِن أين هى لك ؟ قال : مِن كُتُبِ محمدِ بنِ الحسنِ .

وكانت وفاةُ محمدِ بنِ الحسنِ والكِسائىِّ فى يومٍ واحدٍ مِن هذه السنةِ ، فقال الرشيدُ : دفَنْتُ اليومَ اللغةَ والفقهَ جميعًا . وكان عمرُ محمدِ بنِ الحسنِ ثمانيًا وخمسين سنةً .

سنةُ تسعين ومائةٍ مِن الهِجْرةِ

فيها[1] خلَع رافعُ بنُ ليثِ بنِ نصرِ بنِ سَيَّارٍ نائبُ سَمَرْقَنْدَ الطاعةَ ، ودعا إلى نَفْسِه ، وبايَعه أهلُ بلدِه وطائفةٌ كثيرةٌ مِن تلك الناحيةِ ، واسْتَفْحَل أمْرُه ، فسار إليه نائبُ خُراسانَ عليُّ بنُ عيسى ، فهزَمه رافعٌ وتَفاقَم الأمْرُ به .

وفيها سار هارونُ الرشيدُ لغَزْوِ بلادِ الرومِ لعشْرٍ بَقِين مِن رجبٍ ، وقد لبِس على رأسِه قَلَنْسُوَةً ، فقال فيها أبو المعلَّى[2] الكِلابيُّ :

فمَن يَطْلُبْ لِقاءَك أو يُرِدْه ... فبالحرمَيْن أو أقْصَى الثُّغورِ
ففى أرضِ العدوِّ على طِمِرٍّ ... وفى أرضِ التَّرَفُّهِ فوقَ كُورِ[3]

ثم وصَل إلى الطُّوَانةِ ، فعسْكَر بها ، فبعَث إليه نِقْفورُ بالطاعةِ ، وحمَل الخَراجَ والجِزْيةَ حتى عن رأسِه ورأسِ ولدِه ، وأهلِ مَمْلَكتِه - فى كلِّ سنةٍ - خمسين ألفَ دينارٍ ، وبعَث يَطْلُبُ مِن الرشيدِ جاريةً قد أسَروها ، كانتِ ابنةَ ملكِ هِرَقْلةَ ، وكان قد خطَبها على ولدِه ، فبعَث بها الرشيدُ مع هَدايا وتُحَفٍ ، وطِيبٍ بعَث بطَلَبِه ، واشْتَرَط عليه الرشيدُ أن يَحْمِلَ فى كلِّ سنةٍ ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ ، وأن لا يَعْمُرَ هِرَقْلةَ . ثم انْصَرَف الرشيدُ راجعًا ، واسْتَناب على الغزوِ عُقْبةَ بنَ جعفرٍ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٣١٩/٨ - ٣٢٢، والمنتظم ١٧٧/٩ - ١٨٤، والكامل ١٩٥/٦ - ١٩٨.
(٢) فى تاريخ الطبرى : « المعالى » .
(٣) بعده فى م ، وتاريخ الطبرى :
وما حاز الثغور سواك خلق ... من المتخلفين على الأمور

ونقَض أهلُ قُبْرُسَ العهدَ ، فغزاهم مَعْيوفُ بنُ يحيى ، فسبَى أهلَها ، وقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا . وخرَج رجلٌ مِن عبدِ القيسِ ، فبعَث إليه الرشيدُ مَن قتَله . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عيسى بنُ موسى الهادى .

ذِكرُ مَن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهِيرِ والأعْيانِ

أسدُ بنُ عمرِو بنِ عامرٍ ، أبو المنذرِ البَجَلىُّ الكُوفىُّ[1] ، صاحبُ أبى حَنيفةَ ، وحكَمَ ببَغْدادَ وبواسِطٍ ، فلما أَنْكَرَ بصَرَه عزَل نَفْسَه عن القَضاءِ . روى عنه أحمدُ ابنُ حَنْبلٍ وقال[2] : كان صَدوقًا . ووثَّقه ابنُ مَعينٍ ، وتكَلَّم فيه علىُّ بنُ المَدِينىِّ والبُخارىُّ .

سَعْدونُ المجْنونُ[3] ، صام ستين سنةً ، فخفَّ دِماغُه ، فسَمَّاه الناسُ المجنونَ . وقَف يومًا على حَلْقةِ ذى النُّونِ المِصْرىِّ فسمِع كلامَه ، فصرَخ ثم أنْشَأ يَقولُ :

[٨/١٢٣و]ولا خيرَ فى شَكْوى إلى غيرِ مُشْتَكَى ... ولابدَّ مِن شَكْوى إذا لم يَكُنْ صَبْرُ

وقال الأصْمَعىُّ[4] : مرَرْتُ به وهو جالسٌ عندَ رأسِ شيخٍ سَكْرانَ يَذُبُّ عنه ، فقلتُ : ما لى أَراك جالسًا عندَ رأسِ هذا الشيخِ ؟ فقال : إنه مَجْنونٌ . فقلتُ :

---

(١) الطبقات الكبرى ٧/ ٣٣١، وتاريخ بغداد ٧/ ١٦، والمنتظم ٩/ ١٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٦٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٦، والجواهر المضية ١/ ٣٧٦.

(٢) انظر المنتظم ٩/ ١٨٥.

(٣) المنتظم ٩/ ١٨٥، وفوات الوفيات ٢/ ٤٨، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٩١.

(٤) انظر المنتظم ٩/ ١٨٦.

أنت المجْنونُ أو هو ؟ قال : لا ، بل هو ، لأنى صلَّيْتُ الظهرَ والعصرَ جَماعةً ، وهو لم يُصَلِّ جَماعةً ولا فُرادَى[1] . قلتُ : فهل قلتَ فى هذا شيئًا ؟ قال : نعم . ثم أنْشَأ يَقولُ :

تَرَكْتُ النَّبِيذَ لأهْلِ النَّبيذِ ... وأصْبَحْتُ أشْرَبُ ماءً قَراحَا
لأنَّ النبيذَ يُذِلُّ العَزيزَ ... ويَكْسُو بذاك[2] الوُجوهَ الصِّباحَا
فإن كان ذا جائزًا للشَّبابِ ... فما العُذْرُ منه إذا الشَّيْبُ لاحَا

قال الأصْمَعىُّ : فقلتُ له : صدَقْتَ . [3]وانصرفتُ[3] .

عُبَيدةُ بنُ حُمَيْدِ بنِ صُهَيْبٍ ، أبو عبدِ الرحمنِ التَّيمىُّ الكُوفىُّ[4] ، مُؤَدِّبُ الأمينِ ، روَى عن الأعْمشِ وغيرِه ، وعنه أحمدُ بنُ حَنْبلٍ ، وكان يُثْنِى عليه .

يَحْيَى بنُ خالدِ بنِ بَرْمَكَ[5] ، أبو علىٍّ الوَزيرُ ، والدُ جعفرٍ البَرْمَكىِّ ، ضمَّ إليه المَهْدىُّ ولدَه الرَّشيدَ فربَّاه ، وأرْضَعَتْه امْرأتُه مع الفَضْلِ بنِ يَحْيَى ، فلما ولِى الرشيدُ عرَف له حقَّه ، وكان يَقولُ : قال أبى . وفوَّض إليه أُمورَ الخِلافةِ وأَزِمَّتَها ، ولم يَزَلْ كذلك حتى نُكِبَتِ البَرامِكةُ ، فقتَل جعفرًا ، وخَلَّد أباه فى الحبْسِ حتى مات فى هذه السنةِ . وكان كريمًا فَصيحًا ، ذا رَأْيٍ سَديدٍ ،

---

(١) بعده فى ب ، م : « وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا لم أشربها » .
(٢) فى ب ، م : « السواد » .
(٣ - ٣) فى ب ، م : « أنت العاقل وهو المجنون » .
(٤) الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢٩، والمنتظم ٩/ ١٨٧، وتهذيب الكمال ١٩/ ٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٢٨٧.
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٨، والمنتظم ٩/ ١٨٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠) ص ٤٤٨.

ويَظْهَرُ مِن أُمورِه خيرٌ وصَلاحٌ .

قال يومًا لولدِه[1] : خُذْ مِن كلِّ شيءٍ طَرَفًا ، فإنَّ مَن جهِل شيئًا عاداه .

وقال لأولادِه[2] : اكْتُبوا أحْسَنَ ما تَسْمَعون ، واحْفَظوا أحْسَنَ ما تَكْتُبون ، وتَحَدَّثوا بأحْسَنِ ما تَحْفَظون .

وكان يَقولُ لهم[3] : إذا أقْبَلَت الدنيا فأَنْفِقوا منها فإنها لا تَفْنَى[4] ، وإذا أدْبَرَت فأَنْفِقوا منها فإنها لا تَبْقَى .

وكان إذا سأَله سائلٌ فى الطريقِ[5] وهو راكبٌ أَقَلُّ ما يَأْمُرُ له بمائتَىْ درهمٍ ، فقال له رجلٌ يومًا :

يا سَمِيَّ الحَصُورِ يحيى أُتِيحَت لك مِن فَضْلِ ربِّنا جنَّتانِ
كلُّ مَن مرَّ فى الطريقِ عليكم فله مِن نَوالِكم مائتان
مائتا درهمٍ لمثلى قليلٌ هى [6]منكمُ للقابسِ[6] العَجْلانِ

فقال : صدَقْتَ . وأمَر أن يُسْبَقَ به إلى الدارِ ، فلما رجَع سأَل عنه ، فإذا قد تَزَوَّج ، وهو [٨/١٢٣ظ] يُرِيدُ أن يَدْخُلَ على أهلِه ، فأعْطاه صَداقَها أربعةَ آلافٍ ، وثمنَ دارٍ أربعةَ آلافٍ ، وثمنَ الأمْتِعةِ أربعةَ آلافٍ ، وثمنَ الدُّخولِ أربعةَ آلافٍ ، وأربعةَ آلافٍ يَسْتَظْهِرُ بها .

---

(١) انظر المنتظم ٩/ ١٨٨.
(٢) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٩، والمنتظم ٩/ ١٨٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢١.
(٣) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٣١، والمنتظم ٩/ ١٨٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٦.
(٤) فى م : « تبقى » .
(٥) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٠، والمنتظم ٩/ ١٨٨، ١٨٩، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٣.
(٦ - ٦) فى الأصل : « منكم للقباس » ، وفى م : « للفارس » ، وفى ص : « منكم للعابر » .

وجاءه رجلٌ يومًا يسأله شيئًا، فقال[1]: ويحَك! لقد جِئْتَنى فى وقتٍ لا أَمْلِكُ فيه مالًا، ولكنْ قد بعَث إلىَّ صاحبٌ لى يَطْلُبُ منى أن يُهْدِىَ إلىَّ ما أُحِبُّ، وقد بلَغنى أنك تُرِيدُ أن تَبِيعَ جاريةً لك، وأنك قد أُعْطِيتَ فيها ثلاثةَ آلافِ دينارٍ، وإنى سأَطْلُبُها منه، فلا تَبِعْها منه بأقلَّ مِن ثلاثين ألفَ دينارٍ. فلما جاءنى يُساوِمُنى فيها أَلْحَحْتُ أن لا أبيعَها بأقلَّ من ثلاثين ألفَ دينارٍ، فبَلَغ فى ثمنِها عِشرين ألفَ دينارٍ، فلمَّا سِمعْتُها ضعُف قلْبى، وأجَبْتُ إلى بيعِها[2]، فلمَّا اجتَمعْتُ بيَحْيَى، قال: بكم بِعْتَها؟ قلتُ: بعشرين ألفَ دينارٍ. قال: إنَّك لَخَسِيسٌ، خُذْ جاريتَك إليك، وقد بعَث إلىَّ نائبُ فارسَ يطلُبُ منى أن أَسْتَهْدِيَه شيئًا، وإنى سأَطْلُبُها منه، فلا تَبِعْها بأقلَّ مِن خمسين ألفَ دينارٍ. فجاءُونى فوصلوا إلى ثلاثين ألفَ دينارٍ، فبِعْتُها. فلما جِئْتُه لامَنى أيضًا، وردَّها علىَّ، فقلتُ: أُشْهِدُك أنَّها حُرَّةٌ، وقد تزَوَّجْتُها[3].

وذكَر الخَطيبُ[4] أن الرشيدَ طلَب مِن مَنْصورِ بنِ زيادٍ عشَرةَ آلافِ ألفِ درهمٍ، ولم يَكُنْ عندَه منها[5] ألفُ ألفٍ، فضاق ذَرْعًا، وقد توَعَّدَه[6] إن لم يَحْمِلْها فى يومِه ذلك [7]وإلا قتَله[7]، فدخَل على يَحْيَى بنِ خالدٍ، وذكَر له أمْرَه، فأطْلَق له خمسةَ آلافِ ألفٍ، واسْتَطْلَق له مِن ابنِه الفَضْلِ ألْفَىْ ألفٍ، وقال لابنِه:

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٠، ١٣١، والمنتظم ٩/ ١٨٩، ١٩٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٢.

(٢) بعده فى ب، م: «فأخذها وأخذت العشرين ألف دينار فأهداها إلى يحيى».

(٣) بعده فى ب، م: «وقلت جارية قد أفادتنى خمسين ألف دينار لا أفرط فيها بعد اليوم».

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٩/ ١٩٠ بسنده عن الخطيب.

(٥) بعده فى ب، م: «سوى». وما فى المنتظم، أن منصورا قال: والله ما أتمكن من ثلاثمائة ألف درهم، فضلًا عن عشرة آلاف ألف.

(٦) بعده فى ب، م: «بالقتل وخراب الديار».

(٧ - ٧) سقط من: ب، م.

يابنىَّ ، بلَغَنى أنك تُرِيدُ أن تَشْتَرِىَ بها ضَيْعةً ، وهذه ضَيْعةٌ تُغِلُّ الشُّكْرَ وتَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ . وأخَذ له مِن ابنِه جعفرٍ ألفَ ألفٍ ، وأخَذ له مِن جاريتِه دَنانيرَ عِقْدًا مشْتَراه مائةُ ألفِ دينارٍ ، وعشرون ألفَ دينارٍ ، وقال للمُتَرَسِّمِ عليه : قد حسَبْناه عليك بألْفَىْ ألفٍ . فلما عُرِضَتِ الأمْوالُ على الرشيدِ ردَّ العِقْدَ ، وكان قد وهَبه لجاريةِ يحيى ، فلم يَعُدْ فيه بعدَ أن وهَبه لها .

وقد قال له بعضُ بَنِيه وهم فى السِّجْنِ والقُيودِ[1] : يا أبَتِ ، بعدَ الأمْرِ والنَّهْيِ والنِّعْمةِ صِرْنا إلى هذا الحالِ . فقال : يا بنىَّ ، دَعْوةُ مَظْلومٍ سرَتْ بليلٍ ونحن عنها غافلون ، ولم يَغْفُلِ اللَّهُ عنها . ثم أنْشَأ يَقولُ :

رُبَّ قومٍ قد غدَوْا فى نعمةٍ ... زمَنًا والدَّهْرُ رَيَّانُ غَدَقْ
سكَت الدهرُ زمانًا عنهمُ ... ثم أبْكاهم دمًا حينَ نطَقْ

وقد كان يَحْيَى بنُ خالدٍ[2] يُجْرِى على سُفْيانَ بنِ عُيَيْنةَ كلَّ شهرٍ ألفَ درهمٍ ، وكان سُفيانُ [١٢٤/٨و] يَدْعو له فى سُجودِه يَقولُ : اللهمَّ إنه قد كفانى [3]أمرَ دُنياىَ[3] ، فاكْفِه أمْرَ آخِرتِه . فلما مات رآه بعضُ أصْحابِه فى المَنام فقال له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ قال : غفَر لى بدُعاءِ سُفيانَ .

وقد كانتْ وَفاةُ يَحْيَى بنِ خالدٍ ، فى الحَبْسِ بالرافِقةِ لثلاثٍ خلَوْنَ مِن المُحَرَّمِ فى هذه السنةِ عن سبعين سنةً ، وصلَّى عليه ابنُه الفَضْلُ ، ودُفِن على شطِّ الفُراتِ . وقد وُجِد فى جَيْبِه رُقعةٌ مَكْتوبٌ فيها بخَطِّه : قد تقَدَّم الخَصْمُ والمُدَّعَى

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٣١، ١٣٢، والمنتظم ٩/ ١٩١، ١٩٢.
(٢) انظر المنتظم ٩/ ١٩١، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٨.
(٣ - ٣) فى ب ، م : « المؤنة وفرغنى للعبادة » .

عليه بالأثَرِ ، والحاكمُ الحكَمُ العَدْلُ الذى لا يَجورُ ، ولا يَحْتاجُ إلى بيِّنةٍ . فحُمِلَت إلى الرشيدِ ، فلما قرَأها ما زال يبكى يومَه ذلك ، وبقِى أيامًا يُتَبَيَّنُ الأَسَى فى وجهِه .

وقد قال بعضُ الشُّعراءِ فى يَحْيَى بنِ خالدٍ هذا[1] :

سألْتُ النَّدَى هل أنت حُرٌّ فقال لا ... ولكنَّنى عبدٌ ليَحْيَى بنِ خالدِ
فقلتُ شِراءً قال لا بل وراثةً ... تَوارثَنى عن والدٍ بعد والدِ

(١) البيتان فى العقد الفريد ١/ ٢٦٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنةُ إحدَى وتسعين ومائةٍ

فيها[1] خـرَج رجلٌ بسوادِ العراقِ يقالُ له : ثَرْوانُ بنُ سيفٍ . وجعَل يتنقَّلُ فيها [2]مِن بلدٍ إلى بلدٍ[2] ، فوجَّه إليه الرشيدُ طَوْقَ بنَ مالكٍ ، فهزَمه ، وجُرِح ثَرْوانُ وقُتِل عامَّةُ أصحابِه ، وكتَب بالفتحِ إلى الرشيدِ .

وفيها خرَج بالشامِ أبو النِّداءِ[3] ، فوجَّه إليه الرشيدُ يحيى بنَ معاذٍ ، واستَنابه على الشامِ .

وفيها وقَع الثلجُ ببغدادَ .

وفيها غزا بلادَ الرومِ يزيدُ بنُ مَخْلدٍ الهُبَيرىُّ فى عشَرةِ آلافٍ ، فأخَذتْ عليه الرومُ المضيقَ ، فقتَلوه فى خمسين مِن أصحابِه على مرحلتين مِن طَرَسوسَ ، فانهزَم الباقون ، وولَّى الرشيدُ غزْوَ الصائفةِ لهَرثمةَ بنِ أعْيـنَ ، وضمَّ إليه[4] ثلاثين ألفًا فيهم مسرورٌ الخادمُ ، وإليه النفقاتِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٢٣، والمنتظم ٩/ ١٩٣، والكامل ٦/ ٢٠٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، س ، ظ .

(٣) فى الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ : « الوليد » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٢٣.

(٤) فى الأصل : « إليهم » .

وخرَج الرشيدُ إلى الحَدَثِ[1] ، ليكونَ قريبًا منهم ، وأمَر الرشيدُ بهدْمِ الكنائسِ بالثُّغورِ[2] ، وألزَم أهلَ الذمةِ بتمييزِ لباسِهم وهيئاتِهم فى بغدادَ وغيرِها مِن البلادِ .

وفيها عزَل الرشيدُ علىَّ بنَ عيسى[3] عن إمرةِ خراسانَ ، ووَلَّاها هَرْثمةَ بنَ أعْيـنَ .

وفيها فتَح الرشيدُ هِرَقْلةَ فى شوالٍ ، وخرَّبها وسبَى أهلَها ، وبثَّ الجيوشَ والسَّرايا بأرضِ الرومِ ، [4]وخرَجتِ الرومُ[4] إلى عينِ زَرْبَى[5] ، والكنيسةِ السوداءِ . وكان خراجُ هِرَقْلةَ فى كلِّ يومٍ مائةَ ألفٍ وخمسةً وثلاثين ألفَ مرفوقٍ[6] . ووَلَّى حُمَيدَ بنَ مَعْيُوفٍ[7] سواحلَ الشامِ إلى مصرَ ، ودخَل جزيرةَ قبرصَ ، فسبَى أهلَها وحمَلهم حتى باعَهم بالرافقةِ ، فبلَغ ثمنُ الأُسْقُفِّ [٨/١٢٤ظ] ألفَى دينارٍ ، باعَهم أبو البَخْتَرىِّ القاضى .

وفيها أسلَم الفضلُ بنُ سهلٍ ، على يدَيِ المأمونِ .

وحجَّ بالناسِ فيها الفضلُ بنُ عباسِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ[8] ، وكان والىَ مكةَ ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « الحدب » ، وفى تاريخ الطبرى ، والكامل : « درب الحدث » ، والحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور . معجم البلدان ٢/ ٢١٨.

(٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « والثغور » ، وفى ب : « الديورة » ، وفى م : « والديور » . والمثبت من الطبرى ٨/ ٣٢٤.

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « موسى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٢٤.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « دربه » ، وفى ب : « وردة » ، وفى م : « زربة » ، وفى ص : « روبة » . وعين زربى : هى بلد من نواحى المصيصة . معجم البلدان ٢/ ٧٦١.

(٦) فى ب ، ظ : « مرقوف » ، وفى س : « مرسوق » ، وفى م : « مرتزق » ، وفى ص : « مردوف » .

(٧) فى الأصل ، ب ، ظ : « معتوق » . وانظر تاريخ دمشق ١٥/ ٣٠٤.

(٨) بعده فى ب ، م : « العباسى » .

ولم يكُنْ للناسِ بعدَ هذه السنةِ صائفةٌ إلى سنةِ خمسَ عشْرةَ ومائتين.

ذكْرُ مَن توفِّى فيها مِن الأعيانِ:

سلمةُ بنُ الفضلِ الأبرشُ[1]. **وعبدُ الرحمنِ** بنُ القاسمِ[2]، الفقيهُ، الرّاوى عن مالكٍ؛ [3]الذى هو العمدةُ فى مذهبِ مالكٍ فيما يَرْويه عن الإمامِ مالكٍ، وكان مِن كبارِ الصالحين. **وعيسى** بنُ[3] يونسَ بنِ أبى إسحاقَ[4]، قدِم على الرشيدِ، فأمَر له بمالٍ جزيلٍ؛ نحوًا مِن خمسين ألفًا، فلم يقبَلْه. **والفضلُ** بنُ موسى السِّينانىُّ[5]. **ومحمدُ** بنُ سلَمةَ[6]. **ومَخْلَدُ**[7] بنُ الحسينِ المِصِّيصىُّ، أحدُ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١، وطبقات خليفة ٢/ ٨٢٧، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٠٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٢٢.

(٢) طبقات خليفة ٢/ ٦٧٠، والمعارف ١٧٥، وطبقات الفقهاء ٦٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٢٩، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٧٤.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، وطبقات خليفة ٢/ ٨١٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ١١٥ (مخطوط الظاهرية)، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠هـ) ص ٣٢٣.

(٥) فى الأصل، ب، س، م، ظ: «الشيبانى»، وفى ص: «السفيانى». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٢، وطبقات خليفة ٢/ ٨٣٦، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٣٧.

(٦) فى س، ظ: «مسلمة». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٥، وطبقات خليفة ٢/ ٨٢٧، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٦٦، وطبقات الحفاظ ١٣٠.

(٧) فى م: «محمد». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٩، وطبقات خليفة ٢/ ٨١٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٣١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٨٤.

الزُّهادِ الثقاتِ ، قال[1] : لم أتكلَّمْ بكلمةٍ أحتاجُ إلى الاعتذارِ منها منذُ خمسين سنةً . ومُعَمَّرٌ الرَّقِّيُّ[2] .

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٦٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٦، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣٢٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٠٥، ومرآة الجنان ١/ ٤٢٩.

ثم دخلَت سنةُ ثنتين وتسعين ومائةٍ

فيها[1] دخَل هَرثَمةُ بنُ أعْيـنَ إلى خراسانَ نائبًا عليها، وقبَض على عليِّ بنِ عيسى، فأخَذ أموالَه وحواصلَه، وأركَبه على راحلةٍ[2]، ونادَى عليه ببلادِ خراسانَ، وكتَب إلى الرشيدِ بذلك، فشكَره على ذلك، ثم سيَّره إلى الرشيدِ بعدَ ذلك، فحبِس بدارِه ببغدادَ.

وفيها ولَّى الرشيدُ ثابتَ بنَ نصرِ بنِ مالكٍ نيابةَ الثُّغورِ، فدخَل بلادَ الرومِ، وفتَح مَطمُورةَ.

وفيها كان الفِداءُ[3] بيـنَ المسلمين والرومِ على يدَى ثابتِ بنِ نصرٍ.

وفيها خرَجتِ الخُرَّميَّةُ بالجبلِ وبلادِ أذْرَبِيجانَ، فوجَّه الرشيدُ إليهم عبدَ اللَّهِ ابنَ مالكِ بنِ الهيثمِ الخزاعيَّ فى عشَرةِ آلافِ فارسٍ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا[4]، وأسَر وسبَى ذراريَّهم، وقدِم بهم بغدادَ، فأمَر الرشيدُ بقتْلِ الرجالِ منهم، وبالذُّرِّيةِ فبِيعوا بها[5]، وكان قد غزاهم قبلَ ذلك خُزيمةُ بنُ خازمٍ[6].

وفى ربيعِ الأولِ منها قدِم الرشيدُ مِن الرَّقَّةِ إلى بغدادَ فى السُّفنِ، وقد

---

(١) الكامل ٦/ ٢٠٩، والمنتظم ٩/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٩.

(٢) فى م: «بعير وجهه لذنبه».

(٣) فى ب، م: «الصلح». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤٠.

(٤) سقط من: ب، م.

(٥) فى م: «فيها».

(٦) فى الأصل: «حارم»، وفى ب: «حازم». وانظر الكامل ٦/ ٢٠٧.

استخلَف على الرَّقَّةِ ابنَه القاسمَ، وبينَ يدَيه خزيمةُ بنُ خازمٍ، ومِن نيَّةِ الرشيدِ الذَّهابُ إلى خراسانَ لغزوِ رافعِ بنِ ليثٍ؛ الذى كان قد خلَع الطاعةَ، واستَحوذ على بلادٍ كثيرةٍ مِن بلادِ سَمَرْقندَ وغيرِها، ثم خرَج الرشيدُ فى شعبانَ قاصِدًا خراسانَ، واستخلَف على بغدادَ ابنَه محمدًا الأمينَ، وسأل المأمونُ مِن أبيه أن يخرُجَ معه خوفًا مِن غدرِ أخيه الأمينِ، فأذِن له، فسار معه وقد شكا الرشيدُ فى أثناءِ الطريقِ إلى بعضِ أمرائِه[1] جفاءَ بَنِيه الثلاثةِ الذين [٨/١٢٥و] جعَلهم وُلاةَ العهدِ مِن بعدِه، وأراه داءً فى جسدِه، وقال: إن لكلٍّ واحدٍ مِن الأمينِ والمأمونِ والقاسمِ عندى عينًا علىَّ، وهم يعُدُّون أنفاسى، ويتَمنَّوْن انقضاءَ أيامى وذلك شرٌّ لهم لو كانوا يعلمون. فدَعا له ذلك الأميرُ[2]، ثم أمَره الرشيدُ بالانصرافِ إلى عملِه ووَدَّعه، وكان آخرَ العهدِ به.

وفيها تحرَّك ثَرْوانُ الحَرورىُّ، وقتَل عاملَ السلطانِ بطَفِّ البصرةِ. وفيها قتَل الرشيدُ الهيصَمَ[3] اليَمانىَّ. ومات عيسى بنُ جعفرٍ وهو يريدُ اللَّحاقَ بالرشيدِ[4].

وفيها حجَّ بالناسِ العباسُ بنُ **عبدِ اللَّهِ** بنِ جعفرِ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ.

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ:

إسماعيلُ بنُ جامعِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ المطَّلبِ بنِ أبى وَداعةَ

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) فى الأصل، س، ص، ظ: «الرجل».

(٣) فى الأصل، ب، ص: «الهيثم». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤٠، والكامل ٦/ ٢٠٩.

(٤) بعده فى ب، م: «فمات فى الطريق».

أبو القاسمِ[1] ، أحدُ المشاهيرِ بالغناءِ ، وممَّن يضرَبُ به المثلُ [2]فيه ، فيقالُ : غناءُ ابنِ جامـعٍ[2] . وقد كان أولًا يُحَفِّظُ القرآنَ ، ثم صار إلى صناعةِ الغناءِ[3] ، وذكَر عنه أبو الفرجِ عليُّ[4] بنُ الحسينِ الأصْبهانيُّ صاحبُ الأغانى حكاياتٍ غريبةً ؛ مِن ذلك أنَّه قال[5] : كنتُ يومًا مشرِفًا فى غرفةٍ بحَرَّانَ ، إذ أقبَلتْ جاريةٌ سوداءُ ، معها قِرْبةٌ تستقى [6]فيها مِن مَشْرَعةٍ[7][6] ، فجلَستْ ووَضَعتْ قِربتَها ، واندفَعتْ تغنِّى :

إلى اللَّهِ أشكو بخلَها وسماحَتى ... لها عَسَلٌ منِّى وتبذُلُ عَلْقَما
فَرُدِّى مُصابَ القلبِ أنتِ قتَلتِه ... ولا [8]تُبْعِدى فيما تجشَّمتِ كُلْثُما[8]

قال : فسمِعتُ ما لا صبْرَ لى عنه ، ورجَوتُ أن تُعِيدَه ، فقامَتْ وانصرَفتْ ، فنزَلتُ وانطلَقتُ وراءَها ، وسألتُها أن تعيدَه ، فقالتْ : إن عليَّ خراجًا كلَّ يومٍ دِرهمان . فأعطَيتُها درهمين ، فأعادتْه فحفِظتُه وسلَكتُه يومى ذلك ، فلمَّا أصبَحتُ أُنسِيتُه ، فأقبَلتِ السوداءُ فنزَلتْ[9] ، فسألتُها أن تعيدَه ، فلم تفعَلْ إلّا بدِرهمين ، ثم قالتْ : كأنَّك تستكثِرُ أربعةَ دراهمَ ، كأنِّى بك وقد أخَذتَ به أربعةَ آلافِ دينارٍ . قال ابنُ جامعٍ : فغنَّيتُه ليلةً للرشيدِ ، فأعطانى ألفَ دينارٍ ، ثم

---

(١) المنتظم ٩/ ١٩٨، والأغانى ٦/ ٢٨٩، والأعلام ١/ ٣٠٦.
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .
(٣) بعده فى ب ، م : « وترك القرآن » .
(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « بن على » . وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧.
(٥) الأغانى ٦/ ٣٣٥.
(٦ - ٦) فى ب ، م : « الماء » .
(٧) المشرعة : هى مورد الشاربة التى يشرعها الناس ، فيشربون منها ويستقون .
(٨ - ٨) فى النسخ : « تتركيه هائم القلب مغرما » . والمثبت من الأغانى ٦/ ٣٣٥.
(٩) سقط من : ب ، م .

استَعادَنيه ثلاثًا أخرى ، وأعطانى ثلاثةَ آلافِ دينارٍ ، فتبسَّمتُ فقال : مِمَّ تتبسَّمُ ؟ فذكَرتُ له القصَّةَ[1] ، فضحِك ، وألقَى إلى كيسًا آخرَ فيه ألفُ دينارٍ ، وقال : لا تُكْذِبِ السوداءَ .

وحكِى عنه أنَّه قال[2] : أصبَحتُ يومًا بالمدينةِ وليس معى إلا ثلاثةُ دراهمَ ، فإذا جاريةٌ على رقبتِها جَرَّةٌ تريدُ الرَّكِىَّ[3] ، وهى تسعَى وتترنَّمُ بصوتٍ شجىٍّ ، وتقولُ :

شكَونا إلى أحبابِنا طولَ ليلِنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندَنا
[١٢٥/٨ظ] وذاكَ لأنَّ النومَ يغشَى عيونَهم ... سِراعًا ولا يغشَى لنا النومُ أعْينا
إذا ما دَنا الليلُ المُضِرُّ لذى الهوى ... جزِعْنا وهم يستَبشرون إذا دَنا
فلو أنَّهم كانوا يلاقون مثلَ ما ... نُلاقى لكانوا فى المضاجعِ مثلَنا

قال : فاستَعدتُه منها ، وأعطَيتُها الثلاثةَ دراهمَ ، فقالت : لَتأخُذَنَّ بدلَها ألفَ دينارٍ ، وألفَ دينارٍ ، وألفَ دينارٍ . فأعطَانى الرشيدُ ثلاثةَ آلافِ دينارٍ فى ليلةٍ على ذلك الصوتِ .

بكرُ بنُ النَّطّاحِ ، أبو وائلٍ الحنفىُّ البَصرىُّ[4] ، الشاعرُ المشهورُ ، نزَل بغدادَ فى زمنِ الرشيدِ ، وكان يعاشِرُ[5] أبا العتاهيةِ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « قول السوداء فتعجب من ذلك » .
(٢) الأغانى ٦/ ٣١١.
(٣) الركى : جنس للركية وهى البئر . اللسان (ر ك ى) .
(٤) طبقات ابن المعتز ٢١٧، والأغانى ١٩/ ١٠٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٩٠، ومعجم الأدباء ٣/ ٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١٣٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢١٨.
(٥) فى ب ، م : « يخالط » . وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٩٠.

قال أبو هِفّانَ[1] : أشعَرُ أهلِ الغَزَلِ[2] مِن المُحْدَثين أربعةٌ ؛ أولُهم بكرُ بنُ النطَّاحِ .

وقال المُبَرِّدُ[3] : سمِعتُ الحسنَ بنَ رجاءٍ يقولُ : اجتَمع جماعةٌ مِن الشعراءِ ومعهم بكرُ بنُ النطَّاحِ يتَناشَدون ، فلمَّا فرَغوا مِن طِوالِهم أنشَد بكرُ بنُ النطاحِ لنفسِه :

ما ضرَّها لو كتَبتْ بالرِّضَا ... فجفَّ جَفْنُ العينِ أو أُغْمِضا
شفاعةٌ مردودةٌ عندَها ... فى عاشقٍ تندَمُ[4] لو قد قضَى
يا نفسُ صبرًا واعلَمى أنَّ ما ... يأمَلُ منها مثلُ ما قد مضَى
لم تمرَضِ الأجفانُ مِن قاتلٍ ... بلحظِه إلَّا لأَنْ أمرَضا

قال : فابتَدَروه يقبِّلون رأسَه .

ولمَّا مات رَثاه أبو العتاهيةِ فقال[5] :

مات ابنُ نطَّاحٍ أبو وائلٍ ... بكرٌ فأمسَى الشعرُ قد بانا

بُهْلُولُ المجنونُ[6] ، كان يأوِى إلى مقابرِ الكوفةِ ، وكان يتكلَّمُ بكلماتٍ حسنةٍ ، وقد لَقِى[7] الرشيدَ [8]وهو ذاهبٌ إلى الحجِّ ، فوَعَظه ، وذلك فى سنةِ ثمانٍ وثمانين[8] ، كما تقدَّم .

---

(١) فى ب ، م : « عفان » . وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٩٠، والأغانى ١٩/ ١١٣.
(٢) فى الأصل ، ب ، م : « العدل » .
(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٩١.
(٤) فى النسخ : « يود » . والمثبت من تاريخ بغداد .
(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٩١.
(٦) المنتظم ٩/ ٢٠٢، وصفة الصفوة ٢/ ٥١٦، وفوات الوفيات ١/ ٢٢٨، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٠٩، والأعلام ٢/ ٥٦.
(٧) فى ب ، م : « وعظ » . وانظر المنتظم ٩/ ٢٠٢.
(٨ - ٨) فى ب ، م : « وغيره » . وانظر ما تقدم فى ١٣/ ٦٦٥ .

عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ الأَزْدِىُّ الكوفىُّ[1] ، سمِع الأعمشَ ، وابنَ جُرَيجٍ[2] ، وشعبةَ ، ومالكًا ، وخلقًا سِواهم .

وروَى عنه جماعاتٌ مِن الأئمةِ ، وقد استَدعاه الرشيدُ ليولِّيَه القضاءَ ، فقال : لا أصلُحُ . وامتَنَع أشدَّ الامتناعِ ، وكان قد سأل قبلَه وكيعًا ، فامتَنَع أيضًا ، فطلَب حفصَ بنَ غياثٍ فقَبِل .

وأطلَق لكلِّ واحدٍ خمسةَ آلافِ درهمٍ[3] ؛ عِوضًا عن كُلْفةِ[4] السَّفرِ ، فلم يقبَلْ وكيعٌ ، ولا ابنُ إدريسَ ، وقَبِل ذلك حفصٌ ، فحلَف ابنُ إدريسَ لا يكلِّمُه أبدًا .

وحجَّ الرشيدُ فى بعضِ [٨/١٢٦و] السنين ، فاجْتاز بالكوفةِ ومعه القاضى أبو يوسفَ ، والأمينُ والمأمونُ ، فأمَر الرشيدُ بجَمْعِ شيوخِ الحديثِ ليُسمِعوا ولدَيه ، فاجتَمَعوا إلَّا ابنَ إدريسَ هذا ، وعيسى بنَ يونسَ ، فركِب الأمينُ والمأمونُ - بعدَ فراغِهما مِن سماعِهما[5] - إلى عبدِ اللَّهِ بنِ إدريسَ ، فأسمَعهما مائةَ حديثٍ ، فقال له المأمونُ : يا عمُّ ، إن [6]أذِنتَ لى[6] أعدْتُها مِن حفظِى . فأذِن له ، فأعادها مِن حفْظِه كما سمِعها ، فتعجَّب لحفْظِه ابنُ إدريسَ ، ثم أمَر له المأمونُ بمالٍ ، فلم

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٤٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٤، وطبقات القراء ١/ ٤٠٩.

(٢) فى ص: «جرير». وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٩٥.

(٣) سقط من: م.

(٤) فى ب، م: «كلفته التى تكلفها فى».

(٥) بعده فى ب، م، : «على من اجتمع من المشايخ».

(٦ - ٦) فى م: «أردت».

يقبَلْ منه شيئًا ، ثم سارا إلى عيسى بنِ يونسَ ، فسمَّعا[1] عليه ، ثم أمَر له المأمونُ بعشرةِ آلافٍ ، فلم يقبَلْها ، فظَنَّ أنَّه استقلَّها فأضعَفَها فقال : واللَّهِ [2]ولا إهْلِيلَجَةَ[2] ، لو مَلأتَ لى[3] المسجدَ مالًا إلى سقْفِه ما قبِلتُ منه شيئًا على حديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ولمَّا احْتُضِر ابنُ إدريسَ بكَتِ ابنتُه ، فقال[4] : لا[5] تبكى ، فقد ختَمتُ القرآنَ فى هذا البيتِ أربعةَ آلافِ خَتْمةٍ .

صَعْصَعةُ بنُ سلَّامٍ[6] ، ويقالُ[7] : ابنُ عبدِ اللَّهِ . أبو عبدِ اللَّهِ الدمشقىُّ ، ثم تحوَّل إلى الأندلسِ ، فاستَوطَنها فى زمنِ عبدِ الرحمنِ[8] بنِ معاويةَ وابنِه هشامٍ ، وهو أولُ مَن أدخَل علمَ الحديثِ ومذهبَ الأوزاعىِّ إلى الأندلسِ ، ووَلِى الصلاةَ بقرطبةَ ، وفى أيامِه غُرِستِ الأشجارُ بالمسجدِ الجامعِ هناك ، كما يراه الأوزاعىُّ والشاميُّون ، ويكرهُه مالكٌ وأصحابُه .

وقد روَى عن مالكٍ ، والأوزاعىِّ ، وسعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ .

وروَى عنه جماعةٌ ؛ منهم عبدُ الملكِ بنُ حبيبٍ الفقيهُ ، وذكَره فى كتابِ

---

(١) فى الأصل : « فسمعها » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م ، والإهْلِيلجة : ثمر مفيد يحفظ العقل ، ويزيل الصداع . التاج (هـ ل ج) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤/ ١٩٦، وتذكرة داود ١/ ٥٧.

(٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « على » .

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٤٢١.

(٥) فى ب ، م : « علام » .

(٦) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٣، وجذوة المقتبس ص ٢٤٤، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠) ص ٢٣٥، والوافى بالوفيات ١٦/ ٣٠٨.

(٧) تاريخ دمشق ، وتاريخ الإسلام ، فى الموضعين السابقين .

(٨) فى الأصل ، ب ، م : « الملك » . وانظر تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٣، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٧٩.

« الفقهاءِ »[1] ، وذكَره ابنُ يونسَ فى تاريخِه[2] - « تاريخِ مصرَ » - والحُمَيدىُّ[3] فى « تاريخِ الأندلسِ » ، وحرَّر وفاتَه فى هذه السنةِ [4]أعنى سنةَ ثنتين وتسعين ومائةٍ[4] .

وحكَى عن شيخِه ابنِ حزمٍ أن صعصعةَ هذا أولُ مَن أدخَل مذهبَ الأوزاعىِّ إلى الأندلسِ .

وقال ابنُ يونسَ[5] : هو أولُ مَن أدخَل علمَ الحديثِ إليها . وذكَر أنَّه توفِّى قريبًا مِن سنةِ ثمانين ومائةٍ ، والذى حرَّره الحُمَيدىُّ فى هذه السنةِ أثبَتُ .

علىُّ بنُ ظَبيانَ ، أبو الحسنِ العَبْسىُّ الكوفىُّ[6] ، قاضى الشرقيةِ مِن بغدادَ زمنَ[7] الرشيدِ ، كان ثقةً عالمًا مِن أصحابِ أبى حنيفةَ ، ثم ولَّاه الرشيدُ قاضِىَ القضاةِ ، وكان الرشيدُ يخرُجُ معه إذا خرَج مِن عندِه ، مات بقَرْمِيسِينَ[8] فى هذه السنةِ .

العباسُ بنُ الأَحنفِ بنِ الأسودِ بنِ طلحةَ[9] ، الشاعرُ المشهورُ ، كان مِن

---

(١) ليس بين أيدينا كتابه « طبقات الفقهاء والتابعين » ، وانظر طبقات الشيرازى ٢٥.

(٢) ليس بين أيدينا كتابه ، وانظر جذوة المقتبس ص ٢٤٤.

(٣) جذوة المقتبس ص ٢٤٤.

(٤ - ٤) فى س : « أعنى سنة اثنتين ومائة » ، وفى ظ : « يعنى سنة اثنتين ومائة » .

(٥) جذوة المقتبس ص ٢٤٤.

(٦) طبقات خليفة ١/ ٤٠٢، وأخبار القضاة ٣/ ٢٨٦، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٤٣، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣١١.

(٧) فى ب ، م : « ولاه » .

(٨) قرميسين : بلد معروف ، بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدِّينَوَر ، وهو بين همذان وحلوان . معجم البلدان ٤/ ٦٩.

(٩) الشعر والشعراء ٢/ ٨٢٧، وطبقات الشعراء ٢٥٤، والأغانى ٨/ ٣٥٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٢٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠) ص ٢٤٥.

عَربِ خراسانَ ، ونشَأ ببغدادَ ، وكان لطيفًا ظريفًا مقبولًا ، حسَنَ الشعرِ .

[١٢٦/٨ظ] قال أبو العباسِ[١] : قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَزِّ : لو قيل لى مَن أحسَنُ الناسِ شعرًا تعرِفُه ؟ لقلتُ : العباسُ :

قد سحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنونِ بنا ... وفرَّق الناسُ فينا قوْلَهم فِرَقا[٢]

فكاذِبٌ قد رمَى بالحبِّ[٣] غيرَكم ... وصادقٌ ليس يَدْرى أنَّه صَدَقا

وقد طلَبه الرشيدُ[٤] ذاتَ ليلةٍ فى أثناءِ الليلِ ، فانزعَج لذلك وخاف[٥] نساؤه ، فلمَّا وقَف بينَ يدَيِ الرشيدِ قال له : وَيْحَك ، إنَّه قد عنَّ لى بيتٌ فى جاريةٍ لى ، فأحبَبتُ أن تشفَعَه بمثلِه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما خِفتُ قطُّ أعظمَ مِن هذه الليلةِ . فقال : ولِمَ ؟ فذكَر له دخولَ الحرسِ عليه فى الليلِ ، ثم جلَس حتى سكَن رُوعُه ، ثم قال : ما قلتَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال :

جنانٌ[٦] قد رأَيناها ... فلم نرَ مثلَها بشرَا

فقال العباسُ :

يَزيدُكَ وجهُها حُسْنًا ... إذا ما زدْتَه نظرَا

فقال الرشيدُ : زِدْ . فقال :

إذا ما الليلُ مالَ عليـ ... ـكَ بالإظلامِ واعتكَرا

ودجَّ فلم ترَى قمرًا[٧] ... فأبرِزْها ترَى قمرا

---

(١) يعنى أحمد بن يحيى ، ثعلبا . والخبر فى تاريخ بغداد ١٢/ ١٢٩.

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ص ١٩٩ .

(٣) فى النسخ : « بالظن » . والمثبت من الأغانى ٨/ ٣٦٧.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ١٣٠، ١٣١، بنحوه .

(٥) بعده فى س ، ص ، ظ : « وبكى » .

(٦) فى الأصل ، ب ، م : « حنان » . وانظر تاريخ بغداد .

(٧) فى م : « فجرا » . وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٣١.

فقال : إنَّا قد رأَيْناها[1] ، وقد أمَرنا [2]لك بعشَرةِ[2] آلافِ درهمٍ .

ومِن شعرِه الذى أقرَّ له به بشَّارُ بنُ بردٍ ، وأثبتَه فى سلكِ الشعراءِ بسببِه قولُه[3] :

أبكِى الذين أذاقونى مودَّتَهم ... حتى إذا أيقَظونى للهوَى رقَدوا
واستَنهَضونى فلمَّا قمتُ منتصِبًا ... بثِقْلِ ما حمَّلونى منهمُ قعَدوا

وله أيضًا[4] :

وحدَّثْتَنى يا سعدُ عنها فزِدْتَنى ... جنونًا فزدْنى مِن حديثِكَ يا سعدُ
هَواها هَوًى لم يعرِفِ القلبُ غيرَه ... فليس له قبلٌ وليس له بعدُ

قال الأصمعىُّ[5] : دخَلتُ على العباسِ بنِ الأحنفِ بالبصرةِ وهو طريحٌ على فراشِه يجودُ بنفْسِه وهو يقولُ :

يا بعيدَ الدارِ عن وطنِه ... مفرَدًا يبكى على شجَنِهْ
كلَّما [6]شدَّ النُّجَاءُ[6] به ... زادَتِ الأسقامُ فى بدنِهْ

ثم أغمِى عليه ، فانتبَه بصوتِ طائرٍ على شجرةٍ فقال :

---

(١) فى الأصل : « رماها » كذا ، وفى س : « وهبناها لك » ، وفى ظ : « وهبناها » ، وفى ص : « درعناها » . وفى تاريخ بغداد : « ذعرناك ... » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « له بديتك عشرة » ، وفى تاريخ بغداد « أنه أعطاه ديته ، وأمر له بعشرة آلاف درهم » .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠. وفيه إقرار بشار للعباس على أبيات سابقة عليها . وانظر أمالى القالى ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢١.

(٥) تاريخ بغداد ١٢/ ١٣٢.

(٦ - ٦) فى النسخ : « جد النحيب » ، والمثبت من تاريخ بغداد . والنجاء : داء الإسهال .

ولقد زاد الفؤادَ شجًى[1] هاتفٌ يبكِى على فَنَنِهْ
شاقَه ما شاقَنى فبكَى كلُّنا يبكِى على سكنِهْ

قال: ثم أُغمِى عليه أخرَى، فحرَّكتُه، فإذا هو قد مات.

قال الصولىُّ[2]: كانتْ وفاتُه فى [١٢٧/٨و] هذه السنةِ.

[3]وحكَى القاضى ابنُ خَلِّكانَ، أنَّه توفِّى[3] بعدَها.

وقيل[4]: سنةَ ثمانٍ وثمانين ومائةٍ. واللَّهُ أعلمُ[5].

وزعَم بعضُهم، أنَّه بَقِىَ بعدَ الرشيدِ.

عيسى بنُ جعفرِ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ[6]، أخو زُبَيدةَ، كان نائبًا على البصرةِ فى أيامِ الرشيدِ، فمات فى أثناءِ هذه السنةِ.

الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدِ بنِ بَرْمكٍ[7]، أخو جعفرٍ وإخوتِه، كان هو والرشيدُ يتَراضَعان، أرضَعتِ الخَيْزُرَانُ فضْلًا هذا، وأرضَعتْ أمُّ الفضلِ - وهى زُبَيدةُ بنتُ سنينَ[8]، بربريةٌ[9] - هارونَ الرشيدَ، وكانتْ زُبَيدةُ هذه مِن

---

(١) فى الأصل، ب، ص: «بلاء». وانظر مصدر التخريج.
(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١٣٣.
(٣ - ٣) سقط من: ب، م. وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٣٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥.
(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ١٣٣.
(٥) بعده فى الأصل: «وقال عمر بن شبة سنة ثمان وثمانين ومائة».
(٦) تاريخ بغداد ١١/ ١٥٢، والمنتظم ٩/ ٢٠٨، والأعلام ٥/ ٢٨٥.
(٧) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤، والمنتظم ٩/ ٢٠٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٣٩.
(٨) سقط من: م، وفى س، والمنتظم: «منين»، وفى ظ: «منين بن برثه». وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤.
(٩) فى م: «بن برية».

مُولَّداتِ[1] ، المدينةِ[2] وقد قال فى ذلك بعضُ الشعراءِ[3] :

كفَى لكَ فضْلًا أنَّ أفضَلَ حرةٍ غَذَتْكَ بثَدْيِ والخليفةَ واحِدِ
لقد زِنْتَ يحيى فى المشاهدِ كلِّها كما زانَ يحيى خالدًا فى المشاهدِ

قالوا[4] : وكان الفضلُ أكرمَ مِن أخيه جعفرٍ ، ولكنْ كان فيه كِبْرٌ شديدٌ ، وكان عَبوسًا ، وكان جعفرٌ أحسنَ بِشْرًا منه ، وأطلَقَ وجْهًا ، وأقلَّ عطاءً ، وكان الناسُ إليه أميَلَ[5] .

وقد وهَب الفضلُ لطَبَّاخِه مائةَ ألفِ درهمٍ ، فعاتَبه أبوه فى ذلك ، فقال : يا أبتِ ، إن هذا كان يصحَبُنى فى العُسْرِ[6] والعيشِ الخَشِنِ ، واستمرَّ معى فى هذا الحالِ ، فأحسَن صُحبتى ، وقد قال الشاعرُ[7] :

إنَّ الكرامَ إذا ما أسهَلوا[8] ذَكَروا مَن كان يؤنِسُهم[9] فى المنزلِ الخَشِنِ

ووَهَب يومًا لبعضِ الأدباءِ عشَرةَ آلافِ دينارٍ ، فبكَى الرجلُ ، فقال له : مِمَّ تبكِى ، أَستَقْللتَها ؟ قال : لا واللَّهِ ؛ ولكنِّى أبكِى أسَفًا[10] أن الأرضَ[11] توارِى مثلَك !

---

(١) بعده فى م : « بتبين » .
(٢) فى الأصل ، ب ، م : « البرية » . وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤.
(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤.
(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٧، والمنتظم ٩/ ٢٠٨، وبنحوه فى تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٤٠.
(٥) بعده فى ب ، م : « ولكن خصلة الكرم تغطى جميع القبائح فهى تستر تلك الخصلة التى كانت فى الفضل » .
(٦) بعده فى ب ، م : « واليسر » .
(٧) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٦. والبيت لإسحاق الموصلى . انظر لطائف الظرفاء للثعالبى ص ١٠١.
(٨) فى م : « أيسروا » .
(٩) فى النسخ : « يعتادهم » . والمثبت من مصدر التخريج .
(١٠) سقط من : ب ، م .
(١١) بعده فى ب ، م : « تأكل مثلك أو » .

وقال عليٌّ[1] بنُ الجَهْمِ، عن أبيه[2]: أصبحتُ يومًا[3] لا أملِكُ شيئًا[4] ولا علْفَ الدابةِ، فقصَدتُ الفضْلَ بنَ يحيى، فإذا هو قد أقبَل مِن دارِ الخلافةِ فى موكبٍ مِن الناسِ، فلمَّا رآنى رحَّب بى، وقال: هلُمَّ. فسِرتُ معه، فلمَّا كان ببعضِ الطريقِ سمِع غلامًا يدعو جاريةً مِن دارٍ، وإذا هى باسمِ جاريةٍ له يحبُّها، فانزعَج لذلك وشكا إلىَّ ما لقِى مِن ذلك، فقلتُ: أصابَك ما أصاب أخا بنى عامرٍ حيثُ يقولُ[5]:

وَداعٍ دَعا إذْ نحن بالخَيْفِ مِن منًى ... فهيَّج أحزانَ الفؤادِ وما يدرى
[١٢٧/٨ظ] دَعا باسمِ ليلى غيرَها فكأنَّما ... أطار بليلى طائرًا كان فى صدرى

فقال: اكتُبْ لى هذين البيتين. قال: فذهَبتُ إلى بقالٍ، فرَهَنتُ عندَه خاتِمى على ثمنِ ورقةٍ، وكتَبتُهما له، فأخَذهما وقال: انطلِقْ راشدًا. فرجَعتُ إلى منزلى، فقال لى غلامى: هاتِ خاتِمَك حتى نرهَنَه على طعامٍ لنا وعلْفٍ للدابةِ. فقلتُ: إنِّى رهَنتُه. فما أمسَينا حتى أرسَل إلىَّ الفضلُ بثلاثين ألفًا[6]، وعشَرةِ آلافِ [7]درهمٍ سلفًا لشهرين[7] مِن رِزْقٍ[8]، أجراه علىَّ[9].

ودخَل عليه بعضُ الأكابرِ[10]، فأكرَمه الفضلُ وأجلَسه معه على السريرِ،

---

(١) فى ص: «يحيى». وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤.
(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٤، من طريق على بن الجهم به.
(٣) سقط من: الأصل.
(٤) بعده فى ب، م: «حتى».
(٥) ديوان المجنون ص ١٦٢.
(٦) بعده فى ب، م: «من الذهب».
(٧ - ٧) سقط من: النسخ. والمثبت من تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٥.
(٨) فى ب، م: «الورق».
(٩) بعده فى النسخ: «كل شهر وأسلفنى شهرا».
(١٠) المنتظم ٩/ ٢١٠.

فشكا إليه الرجلُ دَينًا عليه ، وسأله أن يكلِّمَ فى ذلك أميرَ المؤمنين ، فقال : نعم ، وكم دَينُك ؟ قال : ثلاثُمائةِ ألفِ درهمٍ . فخرَج مِن عندِه وهو مهمومٌ لضعْفِ ردِّه عليه ، ثم مال إلى بعضِ إخوانِه ، فاستَراح عندَه ، ثم رجَع إلى منزلِه فإذا المالُ قد سبَقه إليه . وما أحسنَ ما قال فيه بعضُ الشعراءِ :

لكَ الفضلُ يا فضلُ بنَ يحيى بنِ خالدٍ ... وما كلُّ[1] مَن يُدْعَى بفضْلٍ له الفضْلُ

رأَى اللَّهُ فضْلًا منك فى الناسِ واسِعًا ... فسمَّاك فضْلًا فالتقَى الإِسمُ والفعلُ

وقد كان الفضلُ أكبرَ رتبةً[2] مِن جعفرٍ ، ولكنَّ جعفرًا أحظَى عندَ الرشيدِ منه وأخصُّ . وقد ولِى الفضْلُ أعمالًا كبارًا ، منها نيابةُ خراسانَ وغيرِها .

فلمَّا قتَل الرشيدُ [3]جعفرًا وحبَس[3] البرامكةَ ، جلَد الفضْلَ بنَ يحيى بنِ خالدٍ مائةَ[4] سوطٍ ، وخلَّده فى السجنِ حتى مات فى هذه السنةِ ، قبلَ الرشيدِ بشهورٍ خمسةٍ بالرَّقَّةِ ، وصلَّى عليه بالقصرِ الذى مات فيه أصحابُه ، ثم أخرِجتْ جِنازتُه ، فصلَّى عليها الناسُ ، ودفِن هناك وله خمسٌ وأربعون سنةً ، وكان سببَ موتِه ثِقَلٌ أصابه فى لسانِه اشتدَّ به يومَ الخميسِ ويومَ الجمعةِ ، وتوفِّى قبلَ أذانِ الغداةِ مِن يومِ السبتِ .

قال ابنُ جريرٍ[5] : وذلك فى المحرمِ مِن سنةِ ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ .

---

(١) فى الأصل : « كان » .

(٢) بعده فى ب ، م : « عند الرشيد » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) فى س ، ظ : « مائتى » .

(٥) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤١.

وقال ابنُ الجوزىِّ [1] فى «المنتظَمِ» [2] : كان ذلك [1] فى سنةِ ثنتين وتسعين ومائةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد أطال ابنُ خَلِّكانَ ترجمتَه ، وذكَر طرفًا صالحاً مِن محاسنِه ومكارمِه ، مِن ذلك [3] أنَّه ورَد بَلْخَ حينَ كان نائبًا على خراسانَ ، وكان بها بيتُ النارِ التى كانتْ تعبُدُها المجوسُ ، [٨/١٢٨و] وقد كان جَدُّه بَرْمكٌ مِن خُدَّامِها ، فهدَم بعضَه ولم يتمكَّنْ مِن [4] هدمِه كلِّه [4] ؛ لقوةِ إحكامِه [5] ، وبنَى مكانَه مسجدًا للَّهِ تعالى . وذكَر [6] أنَّه كان يتمثَّلُ فى السجنِ بهذه الأبياتِ [7] :

إلى اللَّهِ [8] فيما نالَنا نرفَعُ الشكوى [8] ففى يدِه كشْفُ المضرَّةِ والبَلوى
خرَجنا مِن الدُّنيا ونحن مِن اهلِها فلا نحن فى الأمواتِ فيها ولا الأحيا
إذا جاءَنا السَّجّانُ يومًا لحاجةٍ عَجِبنا وقلْنا جاء هذا مِن الدنيا

ومحمدُ بنُ أميةَ [9] ، الشاعرُ الكاتبُ ، وهو مِن بيتٍ كلُّهم شعراءُ [10] ، وقد اختَلَط أشعارُ بعضِهم فى بعضٍ . وله شعرٌ رائقٌ ، ومديحٌ فائقٌ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢) المنتظم ٩/ ٢٠٩.
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٢٩.
(٤ - ٤) فى الأصل ، ظ : «هدمها كلها» ، وفى س : «هدم كلها» ، وفى ص : «هدمها» .
(٥) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : «إحكامها» .
(٦) وفيات الأعيان ٤/ ٣٥.
(٧) بعده فى ب ، م : «ويبكى» .
(٨ - ٨) فى الأصل : «قسما ثالثا يرفع البلوى» .
(٩) طبقات ابن المعتز ٣٢٢، والأغانى ١٢/ ١٤٥، ومعجم الشعراء ٣٥٤، تاريخ بغداد ٢/ ٨٥، والمنتظم ٩/ ٢١٠.
(١٠) بعده فى الأصل ، س ، ص ، ظ : «أدباء» .

منصورُ بنُ الزِّبْرِقانِ بنِ سلَمةَ، أبو الفضلِ النُّمَيرىُّ[1]، الشاعرُ، امتَدح الرشيدَ. وأصلُه مِن الجزيرةِ وأقام ببغدادَ، ويقالُ لجدِّه[2]: مطعِمُ الكبشِ الرَّخَمَ. وذلك أنَّه أضاف قومًا، فجعَلتِ الرَّخَمُ تُحمِلِقُ[3] حولَهم، فأمَر بكبشٍ يذبَحُ للرَّخَمِ حتى لا يتأذَّى بها أضيافُه، فقيل له ذلك لذلك، ولهذا قال الشاعرُ:

أبوك زعيمُ بنى قاسطٍ وخالُك ذو الكبشِ يَقْرِى الرَّخَمْ

وله أشعارٌ حسنةٌ، وكان يروِى عن كلثومِ بنِ عمرٍو، وكان شيخَه الذى أخَذ عنه الغناءَ.

يوسفُ بنُ القاضى أبى يوسفَ يعقوبَ بنِ إبراهيمَ[4]، سمِع الحديثَ مِن السَّرِىِّ بنِ يحيى، ويونسَ بنِ أبى إسحاقَ، ونظَر فى الرأيِ، وتفقَّه، وولِى قضاءَ الجانبِ الشرقىِّ ببغدادَ فى حياةِ أبيه، وصلَّى بالناسِ الجمعةَ بجامعِ المنصورِ، عن أمرِ الرشيدِ. توفِّى فى رجبٍ مِن هذه السنةِ وهو قاضٍ ببغدادَ.

---

(١) الشعر والشعراء ٨٥٩، وطبقات ابن المعتز ٢٤٢، والأغانى ١٣/ ١٤٠، وتاريخ بغداد ١٣/ ٦٥، والمنتظم ٩/ ٢١١.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٦٦.

(٣) فى الأصل، ب: «تجول»، وفى س، م، ص، ظ: «تحوم». والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٦٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٧، وأخبار القضاة ٣/ ٢٨٢، والجرح والتعديل ٩/ ٢٣٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٦، والمنتظم ٩/ ٢١٣، والجواهر المضية ٣/ ٦٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٨٨.

ثم دخَلتْ سنةُ ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ

قال ابنُ جريرٍ[1] : ففى المحرمِ منها توفِّى الفضلُ بنُ يحيى . وقد أرَّخ ابنُ الجوزىِّ وفاتَه فى سنةِ ثنتين وتسعين ومائةٍ ، كما تقدَّم[2] .

قال : وفيها توفِّى سعيدٌ الجوهرىُّ[3] . قال : وفيها وافى الرشيدُ جُرْجَانَ ، وانتَهتْ إليه خزائنُ علىِّ بنِ عيسى تُحمَلُ على ألفٍ وخمسِمائةِ بعيرٍ ، وذلك فى صفرٍ منها ، ثم تحوَّل منها إلى طُوسَ[4] وهو عليلٌ ، فلم يزَلْ بها حتى كانتْ وفاتُه فيها .

وفيها[5] تواقَع هَرْثَمةُ - نائبُ العراقِ - هو ورافعُ بنُ الليثِ ، فكسَره هَرْثَمةُ ، وافتَتَح بُخارَى ، وأسَر أخاه بشيرَ[6] بنَ الليثِ ، فبعَثه إلى الرشيدِ وهو بطُوسَ مُثْقلٌ عن السيرِ ، فلمَّا أُوقِف بيـنَ يدَيه شرَع يتَرقَّقُ له ، فلم يقبَلْ منه ، بل قال : واللَّهِ لو لم يبقَ مِن عُمْرى إلَّا أن أُحرِّكَ شفتىَّ بقتلِك لقتَلتُكَ . ثم دعا بقصَّابٍ[7] ، فجزَّأه بيـنَ يدَيه أربعةَ عشَرَ عضْوًا ، ثم رفَع الرشيدُ يدَيه إلى السماءِ يدعو اللَّهَ أن يمكِّنَه

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤١.

(٢) بعده فى ب ، م : « وما قاله ابن جرير أقرب » . وانظر صفحة ١٩.

(٣) فى الأصل : « الجزيرى » .

(٤) فى ص : « طرسوس » .

(٥) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤١، والكامل ٦/ ٢١٠، والمنتظم ٩/ ٢١٦.

(٦) فى س ، ظ : « بشر » .

(٧) القصاب : الجزار .

مِن رافعٍ [١٢٨/٨ظ] كما مكَّنه مِن أخيه بشيرٍ.

ذكرُ وَفاةِ هارونَ الرشِيدِ[١]

كان قد رأى وهو بالرَّقَّةِ[٢] رُؤيا أفزَعتْه، وغمَّه ذلك، فدخَل عليه جبريلُ[٣] ابنُ بخْتَيْشُوعَ، فقال: ما لَكَ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: رأيتُ كأنَّ كفًّا فيها تُربةٌ حمراءُ خرَجتْ مِن تحتِ سَرِيرى هذا، وقائلًا يقولُ: هذه تُرْبةُ أميرِ المؤمنين. فهوَّن عليه جبريلُ أمرَها، وقال: هذه مِن أضغاثِ الأحلامِ، ومِن حديثِ النفسِ، فتناسَها يا أميرَ المؤمنين. فلمَّا سار يريدُ خُراسانَ، ومرَّ بطُوسَ، واعتقَلتْه العِلَّةُ بها، ذكَر رؤياه التى كان رأى؛ فهاله ذلك وانزعَج جدًّا فدخَل الناسُ عليه، فقال لجبريلَ: وَيْحكَ؟ أَمَا تذكُرُ ما قصَصْتُه عليكَ مِن الرُّؤيا؟ فقال: بلى [٤]يا أميرَ المؤمنين، فكان ماذا[٤]؟. فدَعا مسرورًا الخادمَ، وقال: ائْتنى بشىءٍ مِن تُربةِ هذه الأرضِ. فجاءه بتُربةٍ حمراءَ فى يدِه، فلمَّا رآها[٥] قال: واللَّهِ هذه الكَفُّ التى رأيتُ، والتربةُ التى كانت فيها. قال جبريلُ: فواللَّهِ ما أتَتْ عليه ثلاثٌ حتى تُوفِّى، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤٢، والكامل ٦/ ٢١١.

(٢) فى ب، م: «بالكوفة».

(٣) فى الكامل: «جبرائيل»، وكذا فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٨٩.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

(٥) فى الأصل، ص: «أحضرها بين يدى الرشيد».

وقد أمَر بحفرِ قبرِه قبلَ موتِه فى الدَّارِ التى كان فيها ، وهى دارُ حُميدِ بنِ أبى غانمٍ الطائىِّ ، فجعَل ينظرُ إلى قَبرِه ، وهو يقولُ : ابنَ آدمَ تصيرُ إلى هذا ! ثم أمَر بقُرَّاءٍ فقرَءُوا فى القبرِ القرآنَ حتى ختَمُوه وهو فى محفَّةٍ على شفيرِ القبرِ ، ولمَّا حضَرَتْه الوفاةُ احتبى بمُلاءةٍ ، وجلَس يُقاسى سكراتِ الموتِ ، فقال له بعضُ مَن حضَره : يا أميرَ المؤمنين ، لو اضْطَجَعْتَ كان أهونَ عليكَ . فضحِكَ [1] ضَحِكَ صحيحٍ [1] ، ثم قال : أما سمِعتَ قَوْلَ الشاعرِ :

وإنِّىَ مِن قَوْمٍ كِرامٍ يزيدُهُم شِماسًا وصَبْرًا شِدَّةُ الحَدَثانِ

وكانت وفاتُه ليلةَ السبتِ ، وقِيل : ليلةَ الأحدِ . مستهلَّ جُمادَى الآخرةِ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ ، عن خمسٍ ، وقيل : سبعٍ وأربعين سنةً . فكان مُلْكُه ثلاثًا وعشرينَ سنةً [2] .

وهذه ترجمتُه [3]

هو هارونُ الرشيدُ أميرُ المؤمنينَ ، ابنُ المهدىِّ محمدِ بنِ المنصورِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّه بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، القرشىُّ الهاشمىُّ ، أبو محمدٍ ، ويقالُ : أبو جعفرٍ . وأمُّه الخَيْزُرانُ أمُّ ولدٍ . وكان مولدُه فى شوَّالٍ سنةَ ستٍّ ، وقيل : سبعٍ . وقيل : ثمانٍ وأربعين ومائةٍ . وقيل : إنَّه وُلِدِ

(١ - ١) فى النسخ : « ضحكًا صحيحًا » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤٥، والكامل ٦/ ٢١٣.

(٢) بعده فى س ، ظ : « وشهرًا ونصفا لأن خلافته كانت فى ربيع الأول سنة سبعين ومائة - رحمه اللَّه - وصلى عليه ابنه صالح ودفن بطوس كما ذكرنا » . وكذا فى ص ، فيها « بطرسوس » بدلا من « طوس » .

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٢٣، وتاريخ الخلفاء ٢٨٣.

سنةَ خمسينَ ومائةٍ ، وبُويع له بالخلافةِ بعدَ موتِ أخيه موسى الهادى فى ربيعِ الأوَّلِ سنةَ سبعينَ ومائةٍ ، بعهدٍ مِن أبيه المهدىِّ كما تقدَّم[1] .

روَى الحديثَ عن أبيهِ وجَدِّه ، وحدَّث عن المباركِ بنِ فَضالةَ ، عن الحسنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ [٨/ ١٢٩و] ﷺ قال[2] : « اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ » . أورَده وهو على المنبرِ ، وهو يخطُبُ الناسَ . وقد حدَّث عنه ابنُه ، وسليمانُ الهاشمىُّ والدُ إسحاقَ ، ونباتةُ[3] بنُ عمرٍو . وكان الرشيدُ أبيضَ طويلًا سمينًا جميلًا .

وقد غزا الصائفةَ فى حياةِ أبيهِ مِرارًا ، وعقَد الهُدْنةَ [4] بينَ المسلمين والرومِ بعدَ محاصرتِه القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وقد لقِى المسلمون[4] مِن ذلك جَهدًا جَهيدًا وخوفًا شديدًا ، وكان الصُّلْحُ مع امرأةِ أليونَ[5] وهى المُلَقَّبةُ بأغُسْطةَ[6] على حَمْلِ كثيرٍ تبذُلُه للمسلمين فى كلِّ عامٍ ، ففرِح المسلمون [7] فى المشارقِ والمغاربِ كما تقدَّم ، فهذا[7] هو الذى حَدَا أباه على [8] أنْ بايَع له بولايةِ العهدِ[8] بعدَ أخيه موسى الهادى ، وذلك فى سنةِ ستٍّ وستين ومائةٍ . ثم لما أفضت الخلافةُ إليه بعدَ أخيه فى سنةِ سبعين ومائةٍ ، كان مِن أحسنِ الناسِ سيرةً ، وأكثرِهم غزوًا وحجًّا بنفسِه[9] ؛ ولهذا قال فيه أبو السّعلىِّ[10] :

---

(١) تقدم فى ١٣/٤٨٢ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٥، وتاريخ الخلفاء ٢٩٧.

(٣) فى ص : « بناتة » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى م : « ليون » . وفى ظ : « ارينون » .

(٦) فى الأصل ، ب ، ظ : « يأعطشه » .

(٧ - ٧) فى م : « بذلك وكان هذا » .

(٨ - ٨) فى م : « البيعة له » .

(٩) سقط من : ب ، م .

(١٠) الأبيات فى الطبرى ٨/ ٣٢١، ونسبها لأبى المعالى الكلابى ، وتاريخ بغداد ١٤/٦ منسوبة لأبى =

فمَنْ يطلبْ لقاءَكَ أو يُرِدْه فبالحرمَينِ أو أقصى الثغورِ
ففى أرضِ العدوِّ على طِمِرٍّ[1] وفى أرضِ البَنِيَّةِ[2] فوقَ كُورِ
وما حازَ الثغورَ سواكَ خلقٌ من المُستَخْلَفينَ[3] على الأمورِ

وكان يتصَدَّقُ مِن صُلْبِ مالِه فى كلِّ يومٍ بألفِ درهمٍ، وإذا حجَّ أحجَّ معه مائةً مِن الفقهاءِ وأبنائِهم، وإذا لم يحُجَّ أحجَّ ثلاثَمائةٍ بالنفقةِ السَّابغةِ، والكُسوةِ التَّامَّةِ، وكان يُحِبُّ التَّشبُّهَ بجَدِّه أبى جعفرٍ المنصورِ إلا فى العطاءِ، فإنَّه كان سريعَ العطاءِ جزيلَه، وكان يحِبُّ الفقهاءَ والشعراءَ والأدباءَ ويُعطِيهم كثيرًا ولا يَضِيعُ لدَيهِ بِرٌّ ولا معروفٌ، وكان نَقْشُ خاتَمِهِ: لا إلهَ إلا اللَّهُ. وكان يُصلِّى فى كلِّ يومٍ مائةَ ركعةٍ تطوُّعًا، إلى أن فارقَ الدُّنيا، إلا أنْ تعرِضَ له عِلَّةٌ.

وكان ابنُ أبى مريمَ المدنىُّ[4] هو الذى يُضحِكُه، وكان عندَه فضيلةٌ بأخبارِ الحجازِ وغيرِها، وكان الرشيدُ قد أنزَله فى قصرِه وخلَطه بأهلِه. نبَّهه الرشيدُ يومًا إلى صلاةِ الصُّبحِ فقام فتوضَّأ ثم أدرَك الرشيدَ، وهو يقرَأُ فى الصلاةِ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس: ٢٢]. فقال ابنُ أبى مريمَ: لا أدرى واللَّهِ. فضحِك الرشيدُ وقطَع الصَّلاةَ، ثم أقبَل عليه، وقال: وَيْحك! اجتَنِبِ الصَّلاةَ والقرآنَ

= الشغلى، وورد البيت الأول والثانى فى الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٧٥ لابن أبى العلى، وفى فوات الوفيات ٤/ ٢٢٥، ومرآة الجنان ١/ ٤٤٤، دون نسبة، باختلاف يسير.

(١) الطمر: الفرس الجواد الشديد العدو.

(٢) فى الأصل، س: «الثنية». وفى م: «الترفه». وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٦.
والبَنِيَّة: اسم من أسماء مكة، شرفها اللَّه. معجم البلدان ١/ ٧٤٩.

(٣) فى م: «المتخلفين».

(٤) سقط من: الأصل، ب، م. وفى س، ص، ظ: «المدينى». والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٣٤٩.

و[1]لك ما[1] عَدَا ذلك .

ودخَل يومًا العباسُ بنُ محمدٍ على الرشيدِ ومعَه بَرْنِيَّةٌ مِن فضَّةٍ فيها غاليةٌ [2]مِن أحسنِ الطِّيبِ[2] ، فجعَل يمدَحُها ويزيدُ فى شُكرِها ، وسأل مِن الرشيدِ أن يقبَلَها منه فقبِلَها ، واستَوْهَبها منه ابنُ أبى مريمَ فوَهَبها له ، فقال له العباسُ [٨/١٢٩ظ] : وَيْحكَ ! جِئتُ بشىءٍ منعتُه[3] نفسِى[4] وآثرتُ به سيِّدِى فأخذتَه . فحلَف ابنُ أبى مريمَ لَيُطَيِّبَنَّ به اسْتَه ، ثم أخَذ منه شيئًا فطَلَى به اسْتَه ودهَن جوارِحَه كلَّها منها ، والرشيدُ لا يتمالَك نفسَه[5] مِن الضَّحِكِ . ثم قال لخادمٍ قائمٍ يقالُ له : خاقانُ[6] : اطلُبْ لى غلامى . فقال الرشيدُ : ادعُ له غلامَه . فقال له : خُذْ هذه الغاليةَ واذهَبْ بها إلى ستِّكَ[7] فَمُرْها فَلْتُطَيِّبْ منها اسْتَهَا حتى أرجِعَ إليها فأنيكَها . فذهَب الضَّحِكُ بالرشيدِ كلَّ مَذْهبٍ ، ثم أقبَل ابنُ أبى مريمَ على العبَّاسِ بنِ محمدٍ ، فقال له : جئتَ بهذه الغاليةِ تمدَحُها عندَ أميرِ المؤمنين الذى ما تمطرُ السماءُ شيئًا ولا تُنبِتُ الأرضُ شيئًا إلا وهو تحتَ تصرُّفِه وفى يدِه ؟ وأعجبُ مِن هذا [8]أن قيل[8] لملَكِ الموتِ : ما أمرَك به هذا فأنفِذْه . وأنت تمدحُ هذه الغاليةَ عندَه كأنَّه بقَّالٌ ، أو خبَّازٌ ، [9]أو طبَّاخٌ[9] ، أو تمَّارٌ . فكاد الرشيدُ يهلِكُ مِن شدَّةِ

(١ - ١) فى الأصل : « قل ما » . وفى ب ، م : « قل فيما » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .
(٣) فى الأصل ، س ، ظ : « تبعته » .
(٤) بعده فى ب ، م : « وأهلى » .
(٥) زيادة من : م .
(٦) فى الأصل : « خامان » . وفى س ، ظ : « جاهان » .
(٧) فى الأصل : « بيتك » .
(٨ - ٨) فى الأصل ، ب : « أنه لو قال » ، وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٥٠.
(٩ - ٩) زيادة من : ب ، م .

الضَّحكِ ، ثم أمَر لابنِ أبى مريمَ بمائةِ ألفِ درهمٍ .

وقد شرِب الرشيدُ يومًا دواءً فسأله ابنُ أبى مريمَ أنْ يلِىَ الحجابةَ فى هذا اليومِ ، ومهما حصَل له فهو[1] بينَه وبينَ أميرِ المؤمنين ، فولَّاه الحِجابةَ ، فجاءتِ الرسلُ بالهدايا[2] مِن كلِّ جانبٍ ؛ مِن عندِ زُبَيدةَ والبرامكةِ وكبارِ الأمراءِ ، فكان حاصلُه فى هذا اليومِ ستين ألفَ دينارٍ ، فسأله الرشيدُ فى اليومِ الثانى [3]عما تحصّلَ[3] ، فأخبَرَه ، قال : فأين نَصِيبى ؟ قال : [4]معزولٌ . قال[4] : قد صالحتُك عليه بعشرةِ آلافِ تفاحةٍ .

وقد استدعى إليه أبا معاويةَ الضريرَ محمدَ بنَ خازمٍ[5] ليسمَعَ منه الحديثَ ، قال أبو معاويةَ[6] : ما ذكرتُ عندَه فى حديثٍ رسولَ اللَّهِ إلا قال : صلَّى اللَّهُ وسلَّم على سيِّدى . وإذا سمِع حديثًا فيه موعظةٌ يبكِى حتى يَبُلَّ الثَّرَى . وأكلتُ عندَه يومًا ثم قمتُ لأغسلَ يدى فصَبَّ الماءَ علىَّ وأنا لا أراه ، ثم قال : يا أبا معاويةَ ، أتدرى مَن يصُبُّ عليك[7] ؟ قلتُ : لا . قال : [8]أنا . فدعا له أبو معاويةَ الضريرُ[8] ، فقال : إنما أردتُ تعظيمَ العلمِ . وقد حدَّثه أبو معاويةَ[9] يومًا عن

---

(١) فى م : « كان » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) زيادة من : ب ، م .
(٤ - ٤) سقط من الأصل ، وفى ب ، م : « ابن أبى مريم » ، وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٥١.
(٥) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « حازم » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٢٣.
(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٧.
(٧) سقط من : الأصل ، ص . وبعده فى ب ، م : « الماء » . وانظر تاريخ الخلفاء ٢٨٥.
(٨ - ٨) فى ب ، م : « يصب عليك أمير المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعوت له » .
(٩) تاريخ بغداد ١٤/ ٧، وتاريخ الخلفاء ص ٢٨٥، والحديث أخرجه النسائى فى الكبرى (١١١٣١) عن الأعمش به ، وقد تقدم تخريجه فى ١/ ١٩١.

الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ بحديثِ : « احتجَّ[1] آدمُ وموسى » . فقال عمُّ الرشيدِ : أين التقَيَا يا أبا معاويةَ ؟ فغضِب الرشيدُ مِن ذلك غضبًا شديدًا ، وقال : أتعترِضُ على الحديثِ ؟! علىَّ بالنَّطعِ والسَّيفِ . فأُحضِر ذلك ، فقام الناسُ إليه يشفعون فيه ، فقال الرشيدُ : هذه زندقةٌ . ثم أمَر بسَجنِه ، وقال[2] : لا يخرُجُ حتى يُخبِرَنى مَن أَلقَى إليه هذا . فأقسم بالأيمانِ المُغَلَّظةِ ما قال له أحدٌ ، وإنَّما كانت[3] بادرةً منِّى[4] فأطلَقه .

وقال بعضُهم : دخلتُ على هارونَ الرشيدِ وبينَ يَدَيْه رجلٌ مضروبُ العُنُقِ ، والسَّيَّافُ يمسَحُ سيفَه فى قفا الرجلِ المقتولِ ، فقال [٨/١٣٠و] هارونُ : قتلتُه لأنَّه قال : القرآنُ مخلوقٌ . فقتلتُه قُرْبةً إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وقال له بعضُ أهلِ العلمِ : يا أميرَ المؤمنين ، انظُرْ هؤلاءِ الذين يُحِبُّون أبا بكرٍ وعمرَ ، ويقدّمونهما فأكرِمْهم يَعِزَّ [5]سلطانُكَ . فقال الرشيدُ[5] : أوَلستُ كذلك ؟! أنا واللَّه كذلك أحِبُّهما وأُحِبُّ مَن يُحبُّهما وأعاقبُ مَن يُبغِضُهما .

وقال له ابنُ السَّماكِ [6]أو غيرُه : يا أميرَ المؤمنين[6] ، إنَّ اللَّهَ لم يجعَلْ أحدًا مِن هؤلاءِ فوقَكَ ، فاجتهِد أن لا يكونَ فيهم أحدٌ أطوعَ إلى اللَّهِ منك . فقال : لئن كنتَ أقصرتَ فى الكلامِ لقد أبلغتَ فى الموعظةِ[7] .

---

(١) فى ب ، م : « احتجاج » .
(٢) فى م : « أقسم أن » .
(٣) بعده فى ب ، م : « هذه الكلمة » .
(٤) بعده فى ب ، م : « وأنا أستغفر اللَّه وأتوب إليه » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « سلطانهم ويقوى » .
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .
(٧) بعده فى ب ، م : « وقال له الفضل بن عياض - أو غيره - إن اللَّه لم يجعل أحدًا من هؤلاء فوقك فى الدنيا ؛ فاجهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك فى الآخرة ، فاكدح لنفسك ، وأعملها فى طاعة ربك » .

ودخَل عليه ابنُ السَّماكِ[1] يومًا فاستَسْقى الرشيدُ فأُتِىَ بقُلَّةٍ فيها ماءٌ مُبَرَّدٌ، فقال لابنِ السَّماكِ: عِظْنى. فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، بكم كُنتَ مشترِيًا هذه الشَّرْبةَ لو مُنِعتَها؟ فقال: بنصفِ مُلْكى. فقال: اشرَبْ هنيئًا. فلمَّا شرِب قال: أرأيتَ لو مُنعتَ خُرُوجَها مِن بدنِك[2]، بكَمْ كُنتَ تشترِى ذلك؟ قال: [3]بمُلْكى كُلِّه[3]. فقال: إنَّ مُلْكًا قيمتُه[4] شَرْبةُ ماءٍ[5]، لخَلِيقٌ أن لا يُتَنافسَ فيه. فبَكَى هارونُ.

وقال ابنُ قتيبةَ: ثنا الرِّياشىُّ[6]، سمعتُ الأصمعىَّ، يقولُ[7]: دخلتُ على الرشيدِ، وهو يُقلِّمُ أظفارَه يومَ الجمعةِ، فقلتُ له فى ذلك، فقال: أَخْذُ الأظفارِ يومَ الخميسِ مِن السُّنَّةِ، وبلَغَنى أنَّ أَخْذَها يومَ الجمعةِ ينفِى الفقرَ. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أَوَ تَخْشَى الفقرَ؟! فقال: يا أصمعىُّ، وهل أحدٌ أخْشَى للفقرِ منِّى؟.

ورَوى ابنُ عساكرَ[8]، عن إبراهيمَ بنِ[9] المهدىِّ، قال: كنتُ يومًا عندَ الرشيدِ فدَعَا طبَّاخَهُ، فقال: أعندَكَ فى الطعامِ لحمُ جَزُورٍ؟ قال: نعَمْ، ألوانٌ منه. فقال: أحضِرْه مع الطَّعامِ. فلَمَّا وُضِع بينَ يَدَيه أخَذ لُقْمةً منه، فوضَعها فى فيه، فضحِك جعفرٌ البَرمكىُّ، فترَك الرشيدُ مَضْغَ اللُّقمةِ وأقبَل عليه، فقال:

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/٣٥٧ بنحوه.
(٢) فى م: «بدلك».
(٣ - ٣) فى ب، م: «بنصف ملكى الآخر».
(٤) فى ب، م: «قيمة نصفه».
(٥) بعده فى ب، م: «وقيمة نصفه الآخر بولة».
(٦) فى الأصل، س، ظ: «الرقاشى». وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٣٤.
(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣.
(٨) المصدر السابق بنحوه.
(٩) سقط من: م.

مِمَّ تضحَكُ؟ قال: لا شيءَ يا أميرَ المؤمنين، ذكرتُ كلامًا دار[1] بينى وبينَ جاريتى البارحةَ. فقال[2]: بحقِّى عليكَ لَمَا أخبرْتَنى به. قال: حتى تأكلَ هذه اللقمةَ، فألقاها مِن فيه، وقال: واللَّهِ لتُخْبِرَنِّى. فقال: يا أميرَ المؤمنين، بكم تقولُ إنَّ هذا الطعامَ مِن لحمِ الجزورِ يُقَوَّمُ عليك؟ قال: بأربعةِ دراهمَ. قال: لا واللَّهِ، ياأميرَ المؤمنين، بل بأربعِمائةِ ألفِ درهمٍ. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنَّك طلبتَ مِن طبَّاخِكَ هذا لحمَ جَزُورٍ قبلَ هذا اليومِ بمدَّةٍ طويلةٍ فلم يوجَدْ عندَه، فقلتُ: لا يَخْلُوَنَّ المطبخُ مِن لحمِ الجَزُورِ، فنحن ننحَرُ كلَّ يومٍ جزورًا[3]؛ لأنَّا لا نشترِى لحمَ الجزورِ مِن السُّوقِ، فَصُرِف فى ثمنِ الجزور مِن ذلـك اليومِ إلى هذا اليومِ أربعُمائةِ ألفِ درهمٍ، ولم يَطْلُبْ أميرُ المؤمنين لحمَ [٨/١٣٠ظ] الجزورِ إلا هذا اليومَ، [4]قال جعفرٌ: فضحكت؛ لأن أميرَ المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمةُ، فهى على أميرِ المؤمنين بأربعمائةِ ألفٍ[4]. قال: فبَكَى الرشيدُ بكاءً شديدًا، وأقبل على نفسِه يُوبِّخُها، ويقولُ: هلَكتَ واللَّهِ يا هارونُ. وأمَر برفعِ السِّماطِ مِن بين يَدَيهِ، ولم يَزَلْ يبكِى حتى آذَنَه المؤذِّنون بصلاةِ الظهرِ، فخرَج، فصلَّى بالنَّاسِ، ثم رجَع يبكِى[5]، وقد أمَر بألفَىْ ألفِ تُصْرَفُ إلى فقراءِ الحرمينِ، فى كلِّ حرمٍ ألفُ ألفِ صدقةً، وأمَر بألفَىْ[6] ألفِ يُتَصدَّقُ بها فى جانِبَىْ بغدادَ؛ الغربىِّ والشرقىِّ، وبألفِ ألفٍ يُتَصدَّقُ بها على

---

(١) سقط من: م.

(٢) بعده فى الأصل، ص: «لا». وبعده فى ب، م: «له».

(٣) بعده فى ب، م: «لأجل مطبخ أمير المؤمنين».

(٤ - ٤) زيادة من: ب، م.

(٥) بعده فى ب، م: «حتى اذنه المؤذنون بصلاة العصر».

(٦) فى الأصل: «ألف».

فقراءِ الكوفةِ والبصرةِ. ثم خرَج لصلاةِ العصرِ، ثم رجَع يبكِى حتى صلَّى المغربَ، ثم رجَع، فدخَل عليه أبو يوسفَ القاضى، فقال: ما شأنُكَ يا أميرَ المؤمنين باكيًا فى هذا اليومِ؟ فذكَر أمرَه وما صرَف مِن المالِ الجزيلِ لأجلِ شهوتِه، وإنَّما نالَه منها لقمةٌ، فقال أبو يوسفَ لجعفرٍ: هل كان ما يذبَحُونه مِن الجزُورِ يفسُدُ، أو يأكلُه الناسُ؟ قال: بل يأكلُه الناسُ. فقال: أبشِرْ يا أميرَ المؤمنين بثوابِ اللَّهِ فيما صرَفْتَه مِن المالِ الذى أكَله المسلمون فى الأيامِ الماضيةِ، وبما يسَّره اللَّهُ عليكَ مِن الصَّدقةِ (١) فى هذا اليومِ على الفقراءِ (١)، وبما رزَقَكَ اللَّهُ مِن خشيتِه وخوفِه فى هذا اليومِ، وقد قال اللَّهُ تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. فأمَر له الرشيدُ بأربعِمائةِ ألفٍ (٢)، ثم استَدْعَى بطعامٍ، فأكَل منه فكان غداؤهُ فى ذلك اليومِ عشاءً.

وقال عمرُو بنُ بحرٍ الجاحظُ (٣): اجتَمَع للرشيدِ مِن الجِدِّ والهَزْلِ ما لم يجتَمِعْ لغيرِه (٤)، كان أبو يوسفَ قاضِيَه، والبرامكةُ وزراءَه، وحاجبُه الفضلُ بنُ الرَّبيعِ أنبَهُ الناسِ وأشدُّهم تعاظمًا، ونديمُه - (٥) عمُّ أبيهِ (٥) - العباسُ بنُ محمدٍ صاحبُ العباسيةِ (٦)، وشاعرُه مَرْوانُ بنُ أبى حفصةَ، ومغنِّيه إبراهيمُ المَوْصلىُّ، واحدُ

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢) بعده فى مصدر التخريج: «درهم».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١١/١٤ بسنده عن الجاحظ به، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٥.

(٤) بعده فى م: «من بعده».

(٥ - ٥) فى ب، م: «عمر بن».

(٦) فى الأصل: «العباسة». والعباسية: محلة كانت ببغداد، وكانت بين يدى قصر المنصور، قرب المحلة المعروفة بباب البصرة، وهى منسوبة إلى العباس بن محمد بن على بن عبد اللَّه بن العباس. معجم البلدان ٣/ ٦٠٠.

عصرِه فى صناعتِه ، و[1] ضاربُه زَلْزَلٌ[1] ، وزامرُه برصوما . وزوجتُه أمُّ جعفرٍ - يعنى زُبَيدةَ - وكانت أرغبَ الناسِ فى كلِّ خيرٍ ، وأسرَعَهم إلى كلِّ برٍّ ومعروفٍ ، أدخَلتِ الماءَ الحرمَ بعدَ امتناعِه من ذلك ، إلى أشياءَ مِن المعروفِ[2] .

ورَوى الخطيبُ البغداديُّ[3] أنَّ الرشيدَ كان يقولُ : إنّا مِن قومٍ عظُمتْ رَزِيَّتُهم ، وحسُنتْ بقيتُهم[4] ، ورِثنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وبقِيتْ فينا خلافةُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

وبينما الرشيدُ يطوفُ يومًا بالبيتِ إذ عرَض له رجلٌ ، فقال[5] : يا أميرَ المؤمنين ، إنِّى أريدُ أن أكلِّمَكَ بكلامٍ فيها غِلظةٌ . فقال : لا ، ولا نِعْمَتْ[6] عينٌ ، قد بعَث اللَّهُ مَن هو خيرٌ منك إلى مَن هو شرٌّ منِّى فأمَره أن يقولَ له قولًا لَيِّنًا .

وعن شعيبِ بنِ حربٍ ، قال[7] : رأيتُ الرشيدَ فى طريقِ مكةَ فقلتُ فى نفسِى : قد وجَب عليك الأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عن المنكرِ ، فخوَّفتْنى [٨/ ١٣١و] وقالت : إنَّه الآنَ يضرِبُ عُنُقَكَ . فقلتُ : لابدَّ مِن ذلك . فناديتُه ، فقلتُ : يا هارونُ ، قد أتعَبتَ الأمةَ والبهائمَ . فقال : خُذُوه . فأُدخِلْتُ عليه ، وفى يدِه

(١ - ١) فى الأصل : « وضاربه الزل » . وفى ب ، م : « ومضحكه ابن أبى مريم » . وزلزل هذا : يضرب بضربه العودَ المثل وإليه تضاف بركة زلزل ببغداد . القاموس المحيط (زلل) .

(٢) بعده فى ب ، م : « أجراها اللَّه على يدها » .

(٣) تاريخ بغداد ٨/١٤ بنحوه .

(٤) فى م : « بعثتهم » .

(٥) ذكره فى مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٩ ، وانظر نحو هذه القصة مطولة فى تاريخ الطبرى ٨/ ٣٥٨ ، ٣٥٩ وليس فيها ذكر الطواف .

(٦) فى الأصل : « نعمه » ، وفى ب ، س ، ص : « نعمة » .

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٩ .

لَتٌّ[1] مِن حديدٍ يلعبُ به، وهو جالسٌ على كرسيٍّ، فقال: مِمَّنِ الرجلُ؟ فقلتُ: رجلٌ مِن المسلمين. فقال: ثكِلَتْكَ أمُّكَ، مِمَّن أنتَ؟ فقلتُ: مِن الأبناءِ[2]. فقال: ما حَمَلكَ على أن دعَوْتَنى باسْمِى؟ قال: فخطَر ببالى شىءٌ لم يخطِرْ ببالى[3] قبلَ ذلك، فقلتُ: أنا أدعُو اللَّهَ باسمِه، يا اللَّهُ، يا رحمنُ أفَلَا أدعُوكَ باسمِكَ؟! وهذا اللَّهُ سبحانَه قد دعا أحبَّ خلقِه إليه باسمِه[4]: محمدًا، وكنَّى أبغضَ الخلقِ[5] إليه، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. فقال الرشيدُ: أَخرِجُوه أخرِجوه.

وقال له ابنُ السّماكِ[6] يومًا: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك تموتُ وَحْدَك، وتُقْبَرُ وَحْدَكَ[7]، فاحْذَرِ المُقامَ بينَ يَدَى الجبارِ[8]، والوقوفَ بينَ الجنةِ والنارِ، حينَ يُؤخَذُ بالكَظَمِ[9]، وتزِلُّ القدَمُ، ويقَعُ النَّدَمُ، فلا توبةٌ تُنالُ[10]، ولا عَثرةٌ تُقالُ، ولا يُقبَلُ فداءٌ بمالٍ. فجعَل الرشيدُ يبكِى حتَّى عَلَا صوتُه، فقال يحيى بنُ خالدٍ له: [11]يا ابنَ السَّمّاكِ[11]، لقد شقَقْتَ على أميرِ المؤمنينَ الليلةَ. فقام فخرَج مِن عندِه وهو يَبْكِى.

---

(١) فى الأصل: «لث».
(٢) فى ب، م: «الأنبار». وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ١٨٨. وانظر ١٣/ ٦٧.
(٣) سقط من: ب، م.
(٤) فى ب، م: «بأسمائهم: يا آدم، يا نوح، يا هود، يا صالح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا».
(٥) فى ب، م: «خلقه».
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٠.
(٧) بعده فى ب، م: «وتبعث منه وحدك». وبعده فى س، ص: «وتبعث وحدك».
(٨) فى ب، م: «الله عزَّ وجل».
(٩) فى س: «الكلم». والكَظَمُ: مخرَجُ النفسِ من الحلق. اللسان (ك ظ م).
(١٠) فى الأصل، ب، م: «تقبل».
(١١ - ١١) زيادة من: ب، م، وهى غير موجودة فى مصدر التخريج.

وقال له الفضيلُ بنُ عياضٍ[1] - فى [2]جملةِ موعظتِه تلك الليلةَ[2] بمكةَ : يا صَبِيحَ الوجهِ ، إنَّك المسئولُ عن هؤلاءِ كلِّهم ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] . قال حدَّثنا ليثٌ ، عن مجاهدٍ : الوُصَلاتُ التى كانت بينَهم [3]فى الدنيا[3] . فبكَى حتى جعَل يشهَقُ .

وقال الأصمعىُّ[4] : استَدْعانِى الرشيدُ يومًا وقد زخرَفَ منازلَه ، وأكثرَ الطعامَ والشَّرابَ واللذاتِ فيها ، ثم استَدْعى أبا العتاهيةِ ، فقال له : صِفْ لنا ما نحن فيه مِن العيشِ والنَّعيمِ ، فأنشأ يقولُ[5] :

عِشْ ما بَدَا لكَ سالمًا ... فى ظلِّ شاهقةِ القُصُورِ
يُسعى عليكَ بما اشْتَهَيـ ... ـتَ لدَى الرَّوَاحِ[6] وفى[6] البُكورِ
فإذا النُّفُوسُ تقَعْقَعَتْ ... فى[7] ضيقِ حشرجةِ الصدورِ
فهناكَ تعلمُ موقِنًا ... ما كنتَ إلَّا فى غرورِ

قال : فبكَى الرشيدُ بكاءً شديدًا . فقال الفضلُ بنُ يحيى : دعاك أميرُ المؤمنين لتَسُرَّه فأَحْزَنْتَه ؟ فقال له الرشيدُ : دَعْه ؛ فإنَّه رآنا فى عمًى فكَرِه أن يزيدَنا عمًى .

ومِن وجهٍ آخرَ أنَّ الرشيدَ قال لأبى العتاهيةِ : عِظْنِى بأبياتٍ مِن الشعرِ ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٨، وتاريخ الخلفاء ص ٢٨٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٠.
(٢ - ٢) فى ب ، م : « كلام كثير ليلة وعظه » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ . وانظر مصادر التخريج . والتفسير ١/ ٢٩١.
(٤) فى الأصل ، ب ، م : « الفضيل » . وفى ظ ، س : « فلان » . وفى ص : « الر » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١، والكامل ٦/ ٢٢٠.
(٥) الأبيات ليست فى ديوانه ، وهى فى مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١، والكامل ٦/ ٢٢٠. مع اختلاف يسير فى رواية البيت الثالث .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « إلى » .
(٧) فى ب ، س ، م ، ظ : « عن » .

وأَوْجِزْ. فأنشأ يقولُ[1] :-

لا تأمنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ... ولو تَمَنَّعتَ[2] بالحُجَّابِ والحَرَسِ

[٨/١٣١ظ] واعلَمْ بأنَّ سِهامَ الموتِ قاصدةٌ[3] ... لكلِّ مُدَّرعٍ منها ومُتَّرِسِ[4]

ترجو النَّجاةَ ولم تَسلُكْ مَسالِكَها ... إنّ السَّفينةَ لا تَجرى على اليَبَسِ

قال : فخرَّ الرشيدُ مغشِيًّا عليه .

وقد حبَس الرشيدُ مرَّةً أبا العتاهيةِ وأرصَد عليه مَن يأتِيه بما يقولُ ، فكتب مرَّةً على جدارِ الحبسِ[5] :

أما واللَّهِ إنَّ الظُّلْمَ لُومُ[6] ... وما زالَ المُسِيءُ هوَ الظَّلُومُ

إلى دَيَّانِ يومِ الدِّينِ نَمضِى ... وعندَ اللَّهِ تَجتَمِعُ الخُصُومُ

قال : فاستدعاه واستجعله فى حِلٍّ ووهَبَه ألفَ دينارٍ وأطلَقه .

وقال [6]الحسينُ بنُ الفهم[6] : ثنا محمدُ بنُ عبّادٍ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، قال : دخَلْت على الرشيدِ فقال : ما خبرُك ؟ فقلْت :

بعينِ اللَّهِ ما تخفى البيوتُ ... فقد طالَ التحملُ والسكوتُ

فقال : يا فلانُ[7] ، مائةُ ألفٍ لابنِ عيينةَ تُغنيه وتُغنى عقِبَه ، ولا تضرُّ الرشيدَ شيئًا .

---

(١) الأبيات فى ديوانه ص ١٩٤ باختلاف فى رواية البيت الثانى . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢١.

(٢) فى س ، م ، ص ، والديوان : « تمتعت » .

(٣) فى ب ، م : « صائبة » .

(٤) فى م ، ص ، والديوان : « مفترس » .

(٥) سقط من : الأصل . والأبيات فى ديوانه ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٦) فى ب ، م : « شوم » .

(٦ - ٦) فى م : « الحسن بن أبى الفهم » . والخبر فى مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٣.

(٧) بعده فى الأصل : « أعط » .

وقال الأصمعيُّ[1] : كنتُ مع الرشيدِ فى الحجِّ ، فمرَرْنا بوادٍ ، فإذا على شفيرِه امرأةٌ صبيّةٌ حسناءُ بينَ يدَيها قصعةٌ وهى تسألُ فيها[2] وتقولُ :-

طَحْطَحتْنا[3] طحاطحُ الأعوامِ ... ورمَتْنا حوادثُ الأيامِ

فأتيناكمُ نمدُّ أكفًّا ... [4]لفضالاتِ زادِكم[4] والطعامِ

فاطلبوا الأجرَ والمثوبةَ فينا ... أيُّها الزائرونَ بيتَ الحرامِ

مَنْ رآنى فقد رآنى ورحْلى ... فارحموا غُرْبتى وذلَّ مقامى

قال الأصمعيُّ : فذهَبْتُ إلى الرشيدِ فأخبَرتُه بأمرِها ، فجاء بنفسِه حتى وقَف عليها ، فسمِعها فرحِمها وبكَى ، وأمَر مسرورًا الخادمَ أن يملأَ قصعتَها ذهبًا ، فمَلأها حتى جعَلت تفيضُ يمينًا وشِمالًا .

وسمِع مرةً الرشيدُ أعرابيًّا يحدو إبلَه فى طريقِ الحجِّ [5]وهو يقولُ[5] :

يا[6] أيُّها المُجمِعُ همًّا لاتُهَمْ

[7]إنّكَ إن تُقْضَى لكَ[7] الحُمَّى تُحَمْ

كيفَ توقِّيكَ[8] وقد جفَّ القلمْ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٣، ٢٤ بنحوه .

(٢) فى م ، ص : « منها » .

(٣) طحطح الشيء : كسره .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ب ، م : « نائلات لزادكم » . وفى س : « لفضلات زادكم » . وفى ظ : « لقصالات زادكم » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٣.

(٥ - ٥) سقط من : م . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٤، ٢٥.

(٦) سقط من : م .

(٧ - ٧) فى م : « أنت تقضى ولك » .

(٨) فى ب ، م : « ترقيك » .

وحطَّتِ الصحَّةُ مِنْكَ والسَّقَمْ

فقال الرشيدُ لبعضِ الخدمِ: ما معك؟ قال: أربعُمائةِ دينارٍ. فقال: ادفعْها إلى هذا الأعرابيِّ. فلما قبَضها ضرَب رفيقُه بيدِه[1] على كتفِه وقال متمثِّلًا:

[٨/١٣٢و] وكنتُ جليسَ قعقاعِ بنِ عمرٍو ... ولا يشقَى بِقَعْقاعٍ جليسُ

فأمَر الرشيدُ بعضَ الخدمِ أن يعطِيَ المتمثلَ ما معه مِن الذهبِ، فإذا معه مائتا دينارٍ.

قال أبو عبيدةَ[2]: أصلُ هذا المثلِ أنَّ معاويةَ أُهديت له هديةٌ؛ جاماتٌ مِن ذهبٍ، ففرَّقها على جلسائِه، وإلى جانبِه قَعقاعُ بنُ عمرٍو، وإلى جانبِ القعقاعِ أعرابيٌّ لم يفضُلْ له منها شيءٌ، فأطرَق الأعرابيُّ حياءً، فدفَع إليه القَعقاعُ الجامَ[3] الذى حصَل له، فنَهَض الأعرابيُّ وهو يقولُ:

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بنِ عمرٍو ... ولا يَشْقى بقعقاعٍ جليسُ

وخرَج الرشيدُ يومًا مِن عندِ زُبيدةَ[4] وهو يضحَكُ فقيل له: ممَّ تضحَكُ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: دخلتُ إلى هذه المرأةِ - يعنى زوجتَه زبيدةَ - فأكلْتُ[5] عندَها ونمتُ[6]، فما استيقظتُ إلا بصوتِ ذهبٍ يُصَبُّ، [7]فقلتُ: ما هذا[7]؟

---

(١) سقط من: الأصل. وفى س، ظ: «بعده». وفى ص: «بيديه».

(٢) فى ب، س، م، ظ: «عبيد». وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٥.

(٣) الجام: إناء للشراب والطعام من فضة ونحوها.

(٤) بعده فى الأصل، س، ص، ظ: «ابنة عمه».

(٥) فى ب، م: «فأقلت».

(٦) فى ب، م: «بت».

(٧ - ٧) سقط من: ب، م.

قالوا : هذه ثلاثُمائةِ ألفِ دينارٍ قدِمت مِن مصرَ . فقالت : هبْها لى يا ابنَ عمٍّ . فقلتُ : هى لكِ . ثم ما خرَجتُ حتى عرْبَدَتْ علىَّ وقالت : أىُّ خيرٍ رأيتُ[1] منك ؟

وقال الرشيدُ مرَّةً للمفضلِ الضبىِّ[2] : ما أحسنُ ما قيل فى الذئبِ ، ولك هذا الخاتمُ ، وشراؤه ألفٌ وستُّمائةِ دينارٍ ؟ فأنشَد قولَ الشاعرِ[3] :

ينامُ بإحدى مُقْلَتَيْهِ ويتّقى ... بأُخرى الرزايا فَهْوَ يَقْظانُ هاجعُ[4]

فقال : ما قلتَ هذا إلا لتسلُبَنا الخاتمَ . ثم ألقاه إليه ، فبعَثتْ زُبيدةُ فاشترَتْه منه بألفٍ وستِّمائةِ دينارٍ ، وبعَثت به إلى الرشيدِ وقالت : إنى رأيتُك معجبًا به. فردَّه إلى المفضلِ والدنانيرَ ، وقال : ما كنّا لنهبَ شيئًا ونرجعَ فيه .

وقال الرشيدُ يومًا للعباس بنِ الأحنفِ[5] : أىُّ بيتٍ قالته العربُ أرقُّ ؟ فقال : قولُ جميلٍ فى بُثينةَ :

ألا ليتنى أعمَى أصمُّ تقودُنى ... بُثَيْنَةُ لا يخفى علىَّ كلامُها

فقال له الرشيدُ : فقولُك أرقُّ من هذا حيث قلتَ :

طاف الهوى فى عبادِ اللَّهِ كلِّهِمُ ... حتى إذا مرَّ بى مِن بينِهِمْ وَقَفا

فقال العباسُ : فقولُك يا أميرَ المؤمنين أرقُّ مِن هذا كلِّه :

أما يكفيكِ أنكِ تَمْلِكينى ... وأنَّ الناسَ كلَّهمُ عبيدى

---

(١) فى ب ، م : « رأيته » .

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٨.

(٣) هو حميد بن ثور . ديوانه ص ١٠٥ .

(٤) فى م ، ص : « نائم » .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١١، ١٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩.

وأنَّكِ لو قطعتِ (١يدى ورِجلى١) لقلتُ مِن الهوى أَحسَنْتِ زِيدى

[٨/١٣٢ظ] قال: فضحِك الرشيدُ وأعجَبه ذلك.

ومِن شعرِ الرشيدِ فى ثلاثِ حَظِيّاتٍ كنَّ عندَه مِن الخواصِّ[٢]:

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ[٣] عِنانى وحَلَلْنَ مِن قلبى بكلِّ مكانِ

ما لى تُطاوِعُنى البرِيةُ كلُّها وأطيعُهنَّ وهنَّ فى عِصيانى

ما ذاكَ إلّا أنَّ سُلطانَ الهوَى وبهِ قَوَيْنَ[٤] أعزُّ مِن سُلطانى

و(٥من شعرِه فيما٥) أوردَه صاحبُ العِقْدِ فى كتابِه[٦]:

تُبدى صُدودًا وتُخفى (٧تحتَه مِقَةً٧) فالنفسُ راضيةٌ والطَّرْفُ[٨] غضبانُ

(٩يا مَن بذَلتُ له خَدِّى فزلَّله وليس فوقى سِوى الرحمنِ سلطانُ٩)

وذكَر (١٠أبو هِفّانَ١٠) أنَّه كان فى دارِ الرشيدِ مِن الجوارى والحظايا وخدَمِهن وخدَمِ زوجتِه وأخواتِه أربعةُ آلافِ جاريةٍ، وأنَّهنَّ حضَرْن كلُّهنَّ يومًا بين يديه وغنَّته المطرباتُ فطرِب جدًّا، وأمَر بمالٍ فنُثِر عليهنَّ، فكان

(١ - ١) فى الأصل: «نياط قلبى».

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٤.

(٣) فى م: «الناشآت».

(٤) فى ص، ومختصر تاريخ دمشق: «ملكن».

(٥ - ٥) فى ب، م: «مما».

(٦) العقد الفريد ٦/ ٦٣، ٤١١.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل. وفى ب، م: «الحب عاشقة».

(٨) فى ص: «القلب».

(٩ - ٩) سقط من: ب، م.

(١٠ - ١٠) فى الأصل، س، ظ: «ابن هفان»، وفى ب: «ابن خلكان»، وفى م: «ابن جرير».

(١مبلَغُه ستةَ آلافِ ألفٍ١) درهمٍ فى ذلك اليومِ. رَواه ابنُ عساكرَ[٢].

ورَوى[٣] أنَّه اشترى جاريةً مِن المدينةِ فأُعجِب بها جدًّا، فأمَر بإحضارِ مواليها ومَن يلوذُ بهم ليقضىَ حوائجَهم، فقدِموا فى ثمانين نفسًا، فأمَر الحاجبَ - الفضلَ بنَ الربيعِ - أن يتلقاهم ويكتُبَ حوائجَهم، فكان فيهم رجلٌ أعرابىٌّ[٤] قد أقام بالمدينةِ وهو يهوَى تلك الجاريةَ، فقال له الحاجبُ: ما حاجتُك؟ قال: حاجتى أن يُجلسَنى أميرُ المؤمنين مع فلانةَ فأشربَ ثلاثةَ أرطالٍ مِن شرابٍ، فتُغنِّينى ثلاثةَ أصواتٍ. فقال: أمجنونٌ أنت؟ فقال: لا، ولكن اعرِضْ ذلك[٥] على أميرِ المؤمنين. فلمّا رجَع إلى الخليفةِ، ذكَر له ما قال ذلك الرجلُ، فأمَر بإحضارِه، وأن تجلسَ معه الجاريةُ بحيث ينظرُ إليهما[٦]، فجلَسَت على كُرسىٍّ والخدامُ بين يديها، وجلَس الرجلُ على كرسىٍّ، فشرِب رِطلًا وقال لها: غنِّينى:

خَليلىَّ عُوجا باركَ اللَّهُ فيكما ... وإن لم تكن هندُ بأرضِكُما قَصْدا
وقُولا لها ليس الضلالُ أجازنا ... ولكننا جُزنا لنلقاكمُ عَمدا
غدًا يكثرُ الباكونَ[٧] منّا ومنكمُ ... وتزدادُ دارى مِنْ ديارِكمُ بُعدا

فغنَّته ثم استعجَله الخادمُ فشرِب رِطلًا آخرَ، وقال: غنِّينى، جُعِلتُ فداكِ:

(١ - ١) فى ب، م: «مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف».
(٢) بعده فى ب، م: «أيضا». وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٢، ٣٣.
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٤.
(٤) سقط من: ب، م.
(٥) فى ب، م: «حاجتى هذه».
(٦) فى ص: «إليها». وبعده فى ب، م: «ولا يريانه».
(٧) فى الأصل: «الباقون». وفى ب، م، ظ: «البادون». وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٥.

تَكلمُ منّا فى الوجوهِ عيونُنا فنحنُ سكوتٌ والهوى يتكلمُ
[٨/١٣٣و] ونغضَبُ أحيانًا ونرضى بطرفِنا وذلكَ فيما بينَنا ليسَ يُعلمُ

فغنته ، ثم شرِب رِطلًا ثالثًا وقال : غنِّينى جعلنى اللَّهُ فداك :

أحسنُ ما كنّا تفرّقنا وخاننا الدهرُ وما خُنّا
فليتَ ذا الدهرَ لنا مرةً عادَ لنا يومًا كما كُنّا

قال : ثم قام الشابُّ إلى درجةٍ هناك فعلَاها ، ثم ألقى نفسَه مِن أعلاها على أمِّ رأسِه فمات . فقال الرشيدُ : عَجِلَ الفتى ، واللَّهِ لو لم يعجَلْ لوهبتُها له .

وفضائلُه ومكارمُه ومآثرُه وأشعارُه كثيرةٌ جدًّا ، قد أورَد الأئمةُ مِن ذلك شيئًا كثيرًا ، وقد ذكَرنا مِن ذلك أُنموذجًا صالحًا ، وللَّهِ الحمدُ . وقد كان الفُضيلُ بنُ عِياضٍ يقولُ[(١)] : ليس أحدٌ أعزَّ علينا موتًا مِن هارونَ الرشيدِ[(٢)] ، وإنِّى لأدعو اللَّهَ أن يزيدَ فى عمرِه مِن عمرى . قالوا : فلما مات الرشيدُ وظهَرت تلك الفتنُ[(٣)] والاختلافاتُ ، والقولُ بخلقِ القرآنِ ، عرفنا ما كان يحملُ الفضيلَ على ذلك .

وقد تقدم ما رآه فى منامِه مِن ذلك وفيه تربةٌ حمراءُ وقائلٌ يقولُ : هذه تربةُ أميرِ المؤمنين وكانت بطُوسَ[(٤)] . وقد روَى ابنُ عساكرَ[(٥)] أنَّ الرشيدَ رأَى فى منامِه قائلًا يقولُ :

كأنِّى بهذا القصرِ قد بادَ أهلُه ....

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٢، ومختصرتاريخ دمشق ٢٧/ ٣٦.
(٢) بعده فى ب ، م : « لما أتخوف بعده من الحوادث » .
(٣) بعده فى ب ، م : « والحوادث » .
(٤) فى ص : « بطرسوس » .
(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٦، ٣٧.

الشعرَ إلى آخرِه .

وقد تقدَّم أنَّ ذلك رآه أخوه موسى الهادى ، وأبوه محمدٌ المهدىُّ[1] ، فاللَّهُ أعلمُ . وقدَّمنا أنَّه أمر بحفرِ قبرِه فى حياتِه ، وأمَر بقراءةِ ختمةٍ فيه ، وأنَّه حمِل حتَّى نظَر إليه فجعَل يقولُ : إلى هـٰهنا تصيرُ يا ابنَ آدمَ ! ويبكى ، وأمَر أن يوسَّعَ عندَ صدرِه وأن يُمدَّ مِن عندِ رجلَيه ، ثم يقولُ : ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ [الحاقة : ٢٨، ٢٩] . ويبكى .

ويقالُ : إنَّ آخرَ ما تكلَّم به حين احتُضر : اللهمَّ انفعنا بالإحسانِ ، واغفِرْ لنا الإساءةَ ، يا مَن لا يموتُ ، ارحَمْ مَن يموتُ .

وكان مرضُه بالدمِ ، وقيل : بالسُّلِّ . وكان جبريلُ بنُ بختَيْشوعَ يكتُمُهُ ما به مِن العلَّةِ ، فأمَر الرشيدُ رجلًا أن يأخُذَ ماءَه فى قارورةٍ ويذهَبَ به إلى جبريلَ فيُريَه إياه ، [2]على أنَّه لمريضٍ عنده[2] ، فلما رآه قال لرجلٍ عندَه : هذا مثلُ ماءِ ذلك الرجلِ . ففهِم صاحبُ القارورةِ من عنى به ، فقال له : باللَّهِ عليك أخبِرْنى عن حال صاحبِ هذا الماء ؛ فإنَّ لى عليه مالًا ، فإنْ كان به رجاءٌ وإلا أخذتُه منه . فقال : اذهبْ فتخلَّصْ منه ؛ فإنَّه لا يعيشُ إلا أيامًا . فلما جاء وأخبَر الرشيدَ ، بعَث إلى جبريلَ فتغيَّب حتى مات الرشيدُ . وقد قال الرشيدُ فى هذه الحالِ[3] :

إنى بطُوسَ مقيمٌ ... ما لى بطوسَ حميمُ
أرجو إلهى لِما بى ... فإنَّه بى رحيمُ

---

(١) الذى تقدم رؤيا أبى جعفر المنصور فى ١٣/٤٧٢ ، ورؤيا محمد المهدى فى ١٣/٥٥٠ ، ولم نجد فيما تقدم رؤيا موسى الهادى .

(٢ - ٢) فى ب ، م : «ولا يذكر له بول من هو فإن سأله قال : هو بول مريض عندنا» .

(٣) المنتظم ٩/ ٢٣١.

[٨/١٣٣ظ] لقد [١]أتانى بطوسٍ[١] قضاؤهُ المحتومُ

وليس إلّا رضائى والصبرُ والتسليمُ

مات بطُوسَ يومَ السبتِ لثلاثٍ خلَوْنَ مِن جُمادى الآخرةِ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ. وقيل[٢]: إنه توفِّى فى جُمادى الأولى. وقيل: فى ربيعِ الأولِ. وله مِن العمرِ خمسٌ، [٣]وقيل: ستٌّ[٣]. وقيل: سبعٌ. وقيل: ثمانٍ وأربعون سنةً. ومدةُ ولايتِه الخلافةَ ثلاثٌ وعشرون سنةً وشهرٌ وثمانيةَ عشَرَ يومًا. وقيل: وثلاثةُ أشهرٍ. وصلى عليه ابنُه صالحٌ، ودفِن بقريةٍ [٤]من قرى طُوسَ[٤] يقالُ لها: سَناباذُ، رحِمه اللّهُ وسامَحه وأدخَله الجنةَ.

وقال بعضُهم[٥]: قرأتُ على خيامِ الرشيدِ بسناباذَ، والناسُ منصرِفون مِن طوسَ مِن بعدِ موتِه:

منازلُ العسكرِ معمورةٌ والمنزلُ الأعظمُ مهجورُ

خليفةُ اللّهِ بدارِ البِلى تسفِى[٦] على أجداثِه المورُ[٧]

أقبلت العِيرُ تُباهى به وانصرفتْ تندُبه العِيرُ

[٨]وقد رثاه أبو الشِّيصِ فقال[٩]:[٨]

(١ - ١) فى النسخ: «أتى بى طوسا». والمثبت من المنتظم ٩/٢٣١.

(٢) المنتظم ٩/ ٢٣١.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) زيادة من: ب، م. وانظر معجم البلدان ٣/ ١٥٣.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٨.

(٦) فى م: «تسعى».

(٧) المور: الغبار المتردد فى الهواء. الوسيط (م و ر).

(٨ - ٨) سقط من: ب.

(٩) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٤، المنتظم ٩/ ٢٣٢.

(١) غرَبتْ فى الشْرقِ شمسٌ فلها العينان تدمَعْ
ما رأيْنا قطُّ شمسًا غرَبتْ مِن حيثُ تطلُعْ (١)

وقد رثاه الشعراءُ بقصائدَ . قال أبو الفرج ابنُ الجوزىِّ فى « المنتظَم » (٢) : وقد خلَّف الرشيدُ مِن الميراثِ ما لم يُخلِّفْه أحدٌ مِن الخلفاءِ ، مِن الجواهرِ والأثاثِ والأمتعةِ سوى الضِّياعِ والدورِ ما قيمتُه مائةُ ألفِ ألفِ دينارٍ ، (٣) وخمسةٌ وثلاثون ألفِ (٤) ألفِ دينارٍ (٣) . قال ابنُ جريرٍ (٥) : وكان فى بيتِ المالِ لمصالحِ الناسِ تِسعُمائةِ (٦) ألفِ ألفٍ ونيِّفٍ .

ذكرُ زوجاتِه وبنيه وبناتِه

تزوَّج أمَّ جعفرٍ زُبيدةَ بنتَ عمِّه جعفرِ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ ، فى سنةِ خمسٍ وستين ومائةٍ فى حياةِ أبيه المهدىِّ ، فولَدت له محمدًا الأمينَ ، وماتت فى سنةِ ستَّ عشرَةَ ومائتين كما سيأتى . وتزوَّج (٧) أمةَ العزيزِ (٧) أمَّ ولدٍ كانت لأخيه موسى الهادى فولَدت له علىَّ بنَ الرشيدِ . وتزوَّج أمَّ محمدٍ بنتَ صالحِ المسكينِ ، والعباسةَ (٨) بنتَ عمِّه سليمانَ بنِ أبى جعفرٍ ، فزُفَّتا إليه فى ليلةٍ واحدةٍ سنةَ سبعٍ

(١ - ١) سقط من : ب .
(٢) المنتظم ٩/ ٢٣٢.
(٣ - ٣) ليست فى المنتظم .
(٤) سقط من : ب ، م .
(٥) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٤.
(٦) فى م : « سبعمائة » .
(٧ - ٧) زيادة من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٥٩.
(٨) فى س ، ص : « العباسية » .

وثمانين ومائةٍ بالرَّقَّةِ . وتزوَّج عزيزةَ بنتَ الغِطريفِ ، وهى بنتُ خالِه أخى أمِّه الخيزرانِ ، وتزوَّج ابنةَ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفّانَ العثمانيةَ ، ويقالُ لها : الجُرَشيةُ . لأنَّها ولِدت بجُرَشَ باليمنِ . وتوفَّى الرشيدُ عن أربعِ حرائرَ[1] ؛ زبيدةَ ، وعباسةَ[2] ، وابنةِ صالحٍ ، والعثمانيةِ هذه . وأمّا الحظايا مِن الجَوارِى فكثيرٌ جدًّا حتى قال بعضُهم : إنه كان عندَه[3] فى دارِه أربعةُ [٨/ ١٣٤و] آلافِ جاريةٍ[4] .

وأما أولادُه الذكورُ فمحمدٌ الأمينُ بنُ زُبيدةَ ، وعبدُ اللَّهِ المأمونُ مِن جاريةٍ اسمُها مراجلُ ، ومحمدٌ أبو إسحاقَ المعتصِمُ مِن أمِّ ولدٍ يقالُ لها : ماردةُ[5] . والقاسمُ المؤتمنُ مِن جاريةٍ يقالُ لها : قصفُ . وعلىٌّ أمُّه أمةُ العزيزِ ، وصالحٌ مِن جاريةٍ اسمُها رئمُ[6] ، ومحمدٌ أبو يعقوبَ ، ومحمدٌ أبو عيسى ، ومحمدٌ أبو العباسِ ، ومحمدٌ أبو علىٍّ ، كلُّ هؤلاء مِن أمهاتِ أولادٍ .

ومِن الإناثِ سكينةُ من قصفَ[7] ، وأمُّ حبيبٍ من ماردةَ ، وأروَى ، وأمُّ الحسنِ ، وأمُّ محمدٍ حمدونةُ ، [8]وفاطمةُ وأمُّها غُصَصُ[8] ، وأمُّ سلمةَ ، وخديجةُ ، وأمُّ القاسمِ ، و[9] رملةُ ، وأمُّ علىٍّ ، وأمُّ[10] الغاليةِ ، ورَيطةُ ، كلُّهن مِن أمهاتِ أولادٍ .

---

(١) سقط من : الأصل ، ب ، م .
(٢) فى س ، ص : « عباسية » .
(٣) سقط من : ب ، م .
(٤) بعده فى ب ، م : « سرارى حسان » .
(٥) فى الأصل ، س ، ص : « مارية » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٠.
(٦) فى ب ، ظ : « ريم » . وفى م : « رئم » . وسقط من : ص . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٠.
(٧) فى ب : « قصيف » .
(٨ - ٨) فى الأصل ، ظ : « وأم ابنها » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٠.
(٩) سقط من : ب ، م .
(١٠) سقط من : الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٦٠.

خلافةُ محمدِ الأمينِ بنِ هارونَ الرشيدِ ابنِ محمدِ المهدىّ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ

لمَّا توفِّى هارونُ الرشيدُ بطُوسَ فى جُمادى الآخرةِ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ - كتَب صالحُ بنُ الرشيدِ إلى أخيه - وليِّ العهدِ مِن بعدِ أبيه - محمدِ بنِ الرشيدِ الملقَّبِ بالأمينِ، وهو ابنُ زُبيدَةَ، يعلِمُه ببغدادَ بوفاةِ أبيه ويعزِّيه فيه، فلمَّا وصَل الكتابُ صحبةَ رجاءٍ الخادمِ ومعه الخاتَمُ والقضيبُ والبُردةُ، يومَ الخميسِ الرابعَ عشَرَ مِن جمادى الآخرةِ، ركِب الأمينُ مِن قصرِه بالخُلْدِ[1] إلى قصرِ أبى جعفرٍ المنصورِ - الذى يقالُ له: قصرُ الذَّهبِ - [2]على شطِّ[2] بغدادَ، [3]وكان ذلك يومَ الجمعةِ النصفَ مِن جمادَى[3]، فصلَّى بالناسِ، ثم صعِد المنبرَ، فخطَبهم وعزَّاهم فى الرشيدِ، وبسَط آمالَ الناسِ، ووَعَدهم الخيرَ، وبايَعه الخَواصُّ مِن قومِه، ووجوهُ الأمراءِ، وأمَر بصرفِ أَعطياتِ الجندِ عن سنتين، نزَل وأمَر عمَّه سليمانَ بنَ أبى[4] جعفرٍ أن يأخُذَ البيعةَ له مِن بقيَّةِ الناسِ، فلمَّا انتظَم أمرُ الأمينِ ببغدادَ[5]، واستقام حالُه فيها حسدَه أخوه المأمونُ، ووقَع

---

(١) الخُلْد: قصر بناه المنصور، وبنيت حواليه منازل فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد. معجم البلدان ٢/ ٤٥٩.

(٢ - ٢) فى الأصل: «فى شط»، وفى س: «فى وسطه»، وفى ظ: «فى وسط». وانظر معجم البلدان ٢/ ٤٥٩.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: ب، م.

الخُلفُ بينَهما ، على ما سنذكُره .

ذكرُ اختلافِ الأمينِ والمأمونِ

وكان السببَ فى ذلك أنَّ الرشيدَ لمَّا (١كان قد١) وصَل إلى أولِ بلادِ خراسانَ ، وهَب جميعَ ما (٢كان معه٢) مِن الحواصلِ والدوابِّ والسلاحِ لولدِه المأمونِ ، وجدَّد له البيعةَ ، وكان الأمينُ قد بعَث بكرَ بنَ المعتَمرِ بكتبٍ فى خِفيةٍ ليوصِّلَها إلى الأمراءِ إذا مات الرشيدُ ، فلمَّا توفِّى الرشيدُ نفَذَتِ الكتبُ إلى الأمراءِ ، وإلى صالحِ بنِ الرشيدِ ، وفيها كتابٌ إلى المأمونِ يأمُرُه بالسمعِ والطاعةِ ، فأخَذ صالحٌ البيعةَ مِن الناسِ للأمينِ ، وارتحَل الفضلُ بنُ الربيعِ - الحاجبُ(٣) - بالجيشِ إلى بغدادَ وقد بقِى فى نفوسِهم تحرُّجٌ مِن البيعةِ التى (٤أخِذتْ منهم٤) للمأمونِ ، وكتَب إليهم المأمونُ يدعوهم إلى بيعتِه فلم يُجيبوه ، فوقَعتِ الوحشةُ بينَ الأخوين ، ولكنْ تحوَّلَ عامةُ [٨/١٣٤ظ] الجيشِ إلى الأمينِ ، فعندَ ذلك كتَب المأمونُ إلى أخيه بالسمعِ والطاعةِ والتعظيمِ ، وبعَث إليه مِن هدايا خراسانَ وتُحَفِها ، مِن الدوابِّ والمسكِ وغيرِ ذلك ، وهو نائبٌ عليها ، وقد أمَر الأمينُ فى صبيحةِ يومِ السبتِ ، بعدَ أخْذِ البيعةِ له يومَ الجُمعةِ ، ببناءِ (٥ميدانين للصَّوالجةِ٥) ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « كان فيه » . وفى ب : « كان فيها » . وفى م : « فيها » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) فى الأصل : « أخذت عليهم » . وفى س ، ظ : « عليهم » . وفى م ، ص : « أخذت » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « ميدانين للصيد » . وفى س ، ص ، ظ : « ميادين للصوالجه » . وفى تاريخ الطبرى : أنه بنى ميدانا للصوالجة واللعب .

فقال فى ذلك بعضُ الشعراءِ[1] :

بَنَى أمينُ اللَّهِ مَيدانا وصَيَّر الساحةَ بُستانا
وكانتِ الغِزلانُ فيه بانا يُهدَى إليه فيه غِزلانا

وفى هذه السنةِ فى شعبانَ منها قدِمتْ زُبيدةُ مِن الرَّقَّةِ بالخزائنِ وما كان عندَها مِن التُّحَفِ والثِّيابِ ، فتلقَّاها ابنُها الأمينُ إلى الأنبارِ ومعه وجوهُ الناسِ .

وأقرَّ الأمينُ أخاه المأمونَ على ما تحتَ يدِه مِن خراسانَ والرَّيِّ وغيرِ ذلك ، وأقرَّ أخاه القاسمَ على الجزيرةِ والثُّغورِ ، وأقرَّ عُمالَ أبيه على البلادِ إلّا القليلَ منهم .

ومات فى هذه السنةِ نِقْفورُ[2] ملكُ الرومِ ، قتلتْه البُرْجانُ ، وكان ملْكُه سبعَ[3] سنينَ ، وأقام بعدَه ولدُه إستبراقُ[4] شهرين فمات ، فملكهم ميخائيلُ زوجُ أختِ نِقْفورَ ، لعَنهم اللَّهُ .

[5]وفيها تواقَع[5] هَرثَمةُ بنُ أعينَ - نائبُ خراسانَ - ورافعُ بنُ الليثِ ، فاستَجاش رافعٌ بالتركِ ، ثم هرَبوا وبقِى رافعٌ وحدَه فضعُف أمرُه .

وحجَّ بالناسِ [6]فى هذه السنةِ[6] [7]نائبُ الحجازِ[7] داودُ بنُ عيسى بنِ موسى

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧٣.
(٢) فى الأصل، ب : « يقفور » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧٣.
(٣) فى ب ، س ، م ، ص ، ظ : « تسع » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧٣.
(٤) فى الأصل، ب ، س ، ظ : « استراق » . وفى ص : « اشنراق » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧٣.
(٥ - ٥) فى الأصل : « قد تواضع » .
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .
(٧ - ٧) سقط من : ص .

ابنِ محمدِ بنِ عليٍّ .

وفيها توفِّى مِن الأعيانِ :

إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ[1] ، وهو مِن أئمةِ العلماءِ والمحدِّثين الرُّفعاءِ ، روَى عنه الشافعيُّ ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ . وقد ولِى المظالمَ ببغدادَ ، وكان ناظرَ الصدقاتِ بالبصرةِ ، وكان ثقةً نبيلًا جليلًا كبيرَ القدْرِ[2] ، قليلَ التَّبسمِ ، وكان يتَّجِرُ فى البَزِّ فيُنفِقُ منه على عيالِه ، ويحجُّ منه ، ويَبَرُّ[3] أصحابَه [4]مِن العلماءِ ، منهم[4] السُّفْيانان[5] وغيرُهما ، وقد ولَّاه الرشيدُ القضاءَ ، فلمَّا بلَغ عبدَ اللَّهِ بنَ المباركِ أنَّه ولِى القضاءَ بعَث[6] إليه [7]يعتِبُ عليه و[7] ، يلومُه نظْمًا ونثرًا ، فاستَعفَى ابنُ عُلَيَّةَ الرشيدَ[2] مِن القضاءِ فأعفاه .

وكانتْ وفاتُه فى ذى القَعدةِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن فى مقابرِ عبدِ اللَّهِ بنِ مالكٍ .

محمدُ بنُ جعفرٍ[8] ، المقلبُ بغُنْدَرٍ ، روَى عن شعبةَ ، وسعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، و[7]قد حدَّث[7] عن خلْقٍ . وعنه جماعةٌ [7]مِن الأئمةِ[7] ، منهم أحمدُ بنُ

---

(١) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ١/ ٥٤١، وثقات ابن حبان ٦/٤٤ - ٤٥، وتاريخ بغداد ٦/ ٢٢٩، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٢.

(٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى س ، ص ، ظ : « من » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « منه مثل » .

(٥) يعنى سفيان الثورى وسفيان بن عيينة .

(٦) فى ب ، م : « كتب » .

(٧ - ٧) سقط من : ب ، م .

(٨) طبقات خليفة ١/ ٥٤٥، وتاريخ بغداد ٢/ ١٤٩، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٥٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠.

حنبلٍ. وكان ثقةً جليلًا حافظًا متقِنًا [1]فى الحديثِ[1]. وقد ذكِر عنه حكاياتٌ تدلُّ على [٨/١٣٥و] تَغْفيلِه فى أمورِ الدنيا.

وكانتْ وفاتُه بالبصرةِ فى هذه السنةِ، وقيل: فى التى بعدَها.

[2]وقد لقِّب بهذا اللَّقبِ جماعةٌ [3]مِن المحدِّثين[3] مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين[2].

[4]ومِمَّن توفِّى فيها:

هارونُ الرشيدُ أميرُ المؤمنين، وقد تقدَّمت ترجمتُه[5] قريبًا[4].

وأبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ[6]، أحدُ الأئمةِ، سمِع أبا إسحاقَ السَّبيعىَّ، والأعمشَ، وهشامَ[7] بنَ عُروةَ وجماعةً.

وحدَّث عنه خلقٌ [1]مِن الثِّقاتِ[1]، منهم أحمدُ بنُ حنبلٍ. قال فيه يزيدُ بنُ هارونَ[8]: كان خيِّرًا فاضلًا لم يضَعْ جنبَه إلى الأرضِ أربعين سنةً.

قالوا[9]: ومكَث ستِّين سنةً يختِمُ القرآنَ فى كلِّ يومٍ ختمةً كاملةً، وصام

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢ - ٢) سقط من: ب.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) سقط من: ب، س، ظ.

(٥) تقدمت فى ص ٢٧.

(٦) طبقات خليفة ١/ ٣٩٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٧١، وتهذيب الكمال ٣٣/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٩٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٥، وغاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٣٢٥.

(٧) بعده فى م: «وهمام». وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٣٠.

(٨) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٠.

(٩) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٢، بلفظ «أربعين سنة».

ثمانين رمضانًا، وتوفِّي وله ستٌّ وتسعون سنةً، ولمَّا احتُضِر بكَى عليه ابنُه، فقال[1]: يابنيَّ علام تبكي؟ واللَّهِ ما أتَى أبوك فاحشةً قطُّ.

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٣.

ثم دخلتْ سنةُ أربعٍ وتسعين ومائةٍ

فيها[1] خلَع أهلُ حمصَ نائبَهم ، فعزَله عنهم الأمينُ ، ووَلَّى عليهم عبدَ اللَّهِ ابنَ سعيدٍ الحَرَشِيَّ[2] ، فقتَل طائفةً مِن وجوهِها ، وحرَّق نواحيَها بالنارِ ، فسألوه الأمانَ فأمَّنَهم[3] ، ثم هاجوا ، فضرَب أعناقَ كثيرٍ منهم أيضًا .

وفيها عزَل محمدٌ الأمينُ أخاه القاسمَ عن الجزيرةِ والثُّغورِ ، ووَلَّى على ذلك خُزيمةَ بنَ خازمٍ ، وأمَر أخاه بالمُقامِ عندَه ببغدادَ .

وفيها أمَر الأمينُ بالدُّعاءِ لولدِه موسى على المنابرِ فى سائرِ الأمصارِ ، وبالإمرةِ مِن بعدِه[4] ، وسمَّاه الناطقَ بالحقِّ ، ثم يُدعَى بعدَه للمأمونِ ، ثم للقاسمِ ، ومِن نيةِ الأمينِ الوفاءُ لأخوَيه بما شرَط لهما ، فلم يزَلْ به الفضلُ بنُ الربيعِ حتى غيَّر نيتَه فى أخوَيه ، وحسَّن له خلْعَ المأمونِ والقاسمِ ، وصغَّر عندَه شأنَ المأمونِ ، وإنَّما حمَله على ذلك خوفُه مِن المأمونِ إن أفضَتْ إليه الخلافةُ [5]يومًا مِن الدهرِ ، فيسعَى فى خلْعِه ، وزوالِ الولايةِ عنه[5] ، فوافَقه الأمينُ على ذلك ، وأمَر بالدعاءِ لولدِه موسى مِن بعدِه بولايةِ عهدِه ، وذلك فى ربيعٍ الأولِ منها .

فلمَّا بلَغ ذلك المأمونَ قطعَ البريدَ عنه ، وترَك ضرْبَ اسمِه على السِّكةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧٤، والمنتظم ١٠/ ٣، والكامل ٦/ ٢٢٧.

(٢) فى الأصل ، ب : « الحربى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٧٤، والكامل ٦/ ٢٢٧.

(٣) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٤) فى الأصل : « عنده » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « أن يخلعه من الحجابة » .

والطُّرُزِ، وتنكَّر لأخيه الأمينِ، وبعَث رافعُ بنُ الليثِ إلى المأمونِ يسألُ منه الأمانَ، فأمَّنه، فسار إليه بمَن معه، فأكرَمه المأمونُ وعظَّمه، وجاء هَرثَمةُ على إثرِه فتلقَّاه المأمونُ ووجوهُ الناسِ، وولَّاه الحرسَ، فلمَّا بلَغ الأمينَ أنَّ الجنودَ قد التفَّتْ على أخيه المأمونِ ساءه ذلك وأنكَره، وكتَب إلى المأمونِ كتابًا وأرسَل إليه رُسلًا ثلاثةً مِن أكابرِ الأمراءِ، يسألُه أن يجيبَه إلى تقديمِ [٨/١٣٥ظ] ولدِه موسى عليه، وأنَّه قد سمَّاه الناطقَ بالحقِّ، فأظهَر المأمونُ الامتناعَ وشرَعوا فى مطايبتِه وملاينتِه، وأن يجيبَهم إلى ذلك، فأبَى كلَّ الإباءِ، فقال له العباسُ بنُ موسى بنِ عيسى: فقد خلَع أبِى نفسَه فماذا كان؟ فقال: إن أباك كان امرءًا مُكْرَهًا[1]، ثم لم يَزلِ المأمونُ يَعِدُ العباسَ ويمنِّيه حتى بايَعه بالخلافةِ، ثم لمَّا رجَع إلى بغدادَ كان يراسِلُه بما كان مِن [2]الأمرِ ببغدادَ[2] ويناصِحُه، ولمَّا رجَع الرسلُ إلى الأمينِ أخبَروه بما كان مِن جوابِه، فعندَ ذلك صمَّم الفضلُ بنُ الربيعِ على الأمينِ فى خلعِ المأمونِ، فخلَعه وأمَر بالدعاءِ لولدِه [3]فى العراقِ كلِّه وبلادِ الحجازِ وغيرِها مِن البلادِ، وسمَّاه الناطِقَ بالحقِّ، وجعَلوا[3] مَن يتكلَّمُ[4] فى المأمونِ ويذكُرُ[5] مساوئَه، وبعَثوا إلى مكةَ فأخَذوا الكتابَ الذى كتَبه الرشيدُ وأودَعه فى الكعبةِ، فمزَّقه الأمينُ، وأكَّدوا البيعةَ للناطقِ بالحقِّ موسى بنِ الأمينِ على ما يَليه أبوه مِن الأعمالِ، وجرَتْ بينَ الأمينِ والمأمونِ مكاتباتٌ ورسلٌ يطولُ بسْطُها، وقد استقصاها الإمامُ أبو جعفرٍ ابنُ جريرٍ فى «تاريخِه»[6]، ثم آلَ

---

(١) فى م: «مكروها».

(٢ - ٢) فى ب، م: «أمر الأمين».

(٣ - ٣) فى ب، م: «فى سائر البلاد وأقاموا».

(٤) فى الأصل: «يتكملون».

(٥) فى الأصل: «يذكرون».

(٦) تاريخ الطبرى ٨/٣٧٥ - ٣٨٥.

الحالُ[1] إلى أن احتَفَظ كلٌّ منهما على بلادِه وحصَّنها وهيَّأ الجيوشَ والجنودَ وتألَّف الرَّعايا .

وفى هذه السنةِ غَدَتِ[2] الرومُ على ملكِهم ميخائيلَ ، فرامُوا خلْعَه وقتْلَه ، فترَك الملكَ وترهَّب ، وولَّوا عليهم ليونَ[3] .

وحجَّ بالناسِ نائبُ الحجازِ داودُ بنُ عيسى ، وقيل : علىُّ بنُ الرشيدِ .

وقد توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

سَلْمُ[4] بنُ سالمٍ ، أبو محمدٍ[5] البَلْخِىُّ[6] ، قدِم بغدادَ وحدَّث بها عن إبراهيمَ بنِ طَهمانَ والثورىِّ . وعنه الحسنُ بنُ عرفةَ . وكان عابِدًا زاهِدًا ، مكَث أربعين سنةً لم نرَ له فِراشًا ، وصامَها كلَّها إلَّا يومَ عيدِ فطرٍ أو أضحى ، ولم يرفَعْ رأسَه إلى السماءِ ، وكان داعيةً إلى الإرجاءِ ، ضعيفَ الحديثِ ، إلَّا أنَّه كان رأسًا فى الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ ، وكان قد قدِم بغدادَ فشنَّع على الرشيدِ ، فحبَسه وقيَّده باثنَىْ عشَرَ قيدًا ، فلم يزَلْ أبو معاويةَ يشفَعُ فيه حتى ترَكوه فى أربعةِ قيودٍ ، ثم كان يدعـــو اللَّهَ أن يردَّه إلى أهلِه . فلمَّا توفِّى الرشيدُ أطلَقتْه زُبيدةُ

---

(١) فى ب ، م : « بهما الأمر » .

(٢) فى ب ، م : « غدرت » .

(٣) فى ب ، م : « اليون » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٨٨.

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « سالم » . وفى ظ : « مسلم » . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢١.

(٥) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « بحر » . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢١.

(٦) انظر ترجمته فى : طبقات خليفة ٢/ ٨٣٨، والجرح والتعديل ٤/ ٢٦٦، وتاريخ بغداد ٩/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٠٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٠٠.

فرجَع [1]إلى أهلِه[1] - وكانوا بمكةَ قد جاءوا حُجّاجًا - فمرِض بمكَّةَ.

واشتَهى يومًا بَرَدًا، فسقَط فى ذلك اليومِ[2] بَرَدٌ[3]، فأكَل منه. ومات فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ.

عبدُ الوهابِ بنُ عبدِ المجيدِ الثقفىُّ[4]، كانتْ غَلَّتُه فى السنةِ قريبًا مِن خمسين ألفًا ينفِقُها كلَّها على أهلِ الحديثِ. توفِّى عن أربعٍ وثمانين سنةً.

أبو النصرِ الجهنىُّ المصابُ[5]، كان مقيمًا بالمدينةِ النبويةِ بالصُّفَّةِ [٨/١٣٦و] مِن المسجدِ فى الحائطِ الشمالىِّ منه، وكان يطيلُ السكوتَ، فإذا سُئِل أجاب بجوابٍ حسنٍ، ويتكلَّمُ بكلماتٍ مفيدةٍ تؤثَرُ عنه وتكتَبُ، وكان يخرُجُ يومَ الجُمعةِ قبلَ الصلاةِ فيقفُ على مجامعِ الناسِ فيقولُ[6]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]. و: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. ثم ينتقِلُ [7]مِن جماعةٍ[7] إلى جماعةٍ[8] حتى يدخُلَ المسجدَ فيصلِّىَ فيه الجمعةَ، ثم لا يخرُجُ حتى يصلِّىَ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى ب، س، م، ص، ظ: «الوقت».

(٣) بعده فى ب، م: «حين اشتهاه».

(٤) انظر ترجمته فى: طبقات خليفة ١/ ٥٤٢، وتاريخ بغداد ١١/ ١٨، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥٠٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٩٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢١.

(٥) انظر ترجمته فى: المنتظم ١٠/ ٩. وفيه: «أبو نصر الجهينى».

(٦) المنتظم ١٠/ ١٠.

(٧ - ٧) سقط من: ب، م.

(٨) بعده فى ب، م: «أخرى ثم إلى أخرى».

العشاءَ الآخرةَ .

وقد وعَظ مرةً هارونَ الرشيدَ بكلامٍ حسنٍ فقال[1] : اعلَمْ أنَّ اللَّهَ سائِلُك عن أُمَّةِ نبيِّه ، فأعِدَّ لذلك جوابًا ، وقد قال عمرُ بنُ الخطابِ : لو ماتتْ سَخلةٌ بالعراقِ ضياعًا[2] لخشِيتُ أن يسألَنى اللَّهُ عزَّ وجلَّ عنها . فقال : إنِّى لستُ كعمرَ ، وإنَّ دهرى ليس كدهرِه . فقال : ما هذا بمُغْنٍ عنك شيئًا . فأمَر له بثلاثِمائةِ دينارٍ ، فقال : أنا رجلٌ مِن أهلِ الصُّفَّةِ ، فمُرْ بها فلْتُقسَّمْ عليهم وأنا واحدٌ[3] منهم .

---

(١) المنتظم ١٠/ ١٠.

(٢) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٣) زيادة من : ب ، م .

ثم دخلت سنة خمسٍ وتسعين ومائةٍ

ففى صفرٍ منها[1] أمَر الأمينُ أن لا يُتَعامَلَ بالدراهمِ والدنانيرِ التى عليها اسمُ المأمونِ، ونهَى أن يُدعَى له على المنابرِ، وأن [2]يقتصَرَ على الدعاءِ له، ثم مِن بعدِه لولدِه الناطقِ بالحقِّ[2].

وفيها تسمَّى المأمونُ بإمامِ المؤمنين[3].

وفى ربيعٍ الآخِرِ منها عقَد الأمينُ لعلىِّ بنِ عيسى بنِ ماهانَ الإمارةَ[4] على الجبلِ، وهَمَذانَ[5]، وأصبهانَ، وقُمَّ وتلك البلادِ، وأمَره بحربِ المأمونِ وجهَّز معه جيشًا كثيرًا، وأنفَق فيهم نفقاتٍ عظيمةً، وأعطاه مائتى ألفِ دينارٍ، ولولدِه خمسين ألفَ دينارٍ، وألفَى سيفٍ محلًّى، وستةَ آلافِ ثوبٍ للخِلَعِ.

وخرَج علىُّ بنُ عيسى بنِ ماهانَ مِن بغدادَ فى أربعين ألفَ[5] فارسٍ، ومعه قيدٌ مِن فضَّةٍ؛ ليأتىَ بالمأمونِ فيه. وخرَج الأمينُ معه مشيِّعًا، فسار حتى وصَل إلى الرَّىِّ، فتلقَّاه الأميرُ طاهرٌ فى أربعةِ آلافٍ، فكانت بينَهم أمورٌ آلَ الحالُ فيها إلى أنِ اقتتَلوا، فقتِل علىُّ بنُ عيسى، وانهزَم أصحابُه وحُمِل رأسُه وجثتُه إلى

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٣٨٩، والمنتظم ١٠/ ١١، والكامل ٦/ ٢٣٩.

(٢ - ٢) فى ب، م: «يدعى له ولولده من بعده».

(٣) كذا فى المنتظم، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠ هـ) ص ٢٤، وفى تاريخ الطبرى «الهدى».

(٤) زيادة من: ب، م.

(٥) فى النسخ: «همدان». والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٣٨٩.

(٦) بعده فى ب، م: «مقاتل».

الأميرِ طاهرٍ ، فكتَب بذلك إلى وزيرِ المأمونِ ذى الرِّياسَتَين . وكان الذى قتَل علىَّ ابنَ عيسى رجلٌ يقالُ له : طاهرٌ الصغيرُ . فسمِّى ذا اليمينين[1] ؛ لأنَّه أخَذ السيفَ بيدَيه الثِّنْتَين ، فذبَح به علىَّ بنَ عيسى بنِ ماهانَ ، ففرِح بذلك المأمونُ وذَوُوه .

وانتَهى الخبرُ إلى الأمينِ وهو يصيدُ السمكَ مِن دِجلةَ ، فقال : وَيْحَك ، دَعْنى مِن هذا ؛ فإن كوثرًا[2] قد صاد سمكَتَين ، ولم أصِدْ بعدُ شيئًا . وأرجَف الناسُ ببغدادَ ، وخافوا غائلةَ هذا الأمرِ ، وندِم محمدٌ [٨/١٣٦ظ] الأمينُ على ما كان منه مِن نكْثِ العهدِ ، وخلْعِ أخيه المأمونِ ، وما وقَع مِن الأمرِ الفظيعِ . وكان رجوعُ الخبرِ إليهم بذلك فى شوالٍ منها .

ثم جهَّز عبدَ الرحمنِ بنَ جَبَلَةَ[3] الأَبْناوىّ فى عشرين ألفًا مِن المقاتِلةِ إلى هَمَذانَ ، ليقاتِلوا طاهرَ بنَ الحسينِ بنِ مصعبٍ ومَن معه مِن الخُراسانيَّةِ ، فلمَّا اقتَرَبوا منهم تواجَهوا ، فتقاتَلوا قِتالًا شديدًا ، فكثُرَتِ القَتلَى بينَهم [4]مِن الفريقين[4] ، ثم انهزَم أصحابُ عبدِ الرحمنِ بنِ جَبَلةَ ، فلَجَئوا إلى هَمَذانَ ، فحاصَرهم فيها طاهرٌ حتى اضطَرَّهم إلى أن دعَوا إلى الصلحِ ، فصالَحهم وأمَّنهم ووفَّى لهم ، وانصرَف عبدُ الرحمنِ بنُ جَبَلةَ [4]وقد بقِى منهم أنَّهم راجِعِين[4] ، ثم غدَروا بأصحابِ طاهرٍ ، وحمَلوا عليهم وهم غافِلون ، فقتَلوا منهم خلقًا ، وصبَر لهم أولئك ، ثم نهَضوا إليهم فحمَلوا عليهم فهزَموهم وقتَلوا أميرَهم عبدَ الرحمنِ

---

(١) فى ص : « اليمنين » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٩٣. وسوف يأتى فى صفحة ١٦٣ ، فى أحداث سنة سبع ومائتين أن هذا لقب لطاهر بن الحسين ، ونقل هناك اختلافا فى سبب تسميته بذلك .

(٢) فى الأصل ، ب ، س ، ظ : « كريزا » . وفى ص : « كويرا » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٣٩٥.

(٣) فى الأصل ، ص : « حبلة » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤١٢.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « على أن يكون راجعا إلى بغداد » . والسياق فى النسخ مضطرب .

ابنَ جَبَلةَ[1] ، وفرَّ أصحابُه خائبين .

فلمَّا رجَعوا إلى بغدادَ و[2] اضطَربتِ الأمورُ ، وكثُرتِ الأراجيفُ ، وكان ذلك فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وطرَد طاهرٌ عُمالَ محمدٍ الأمينِ عن قَزْوينَ وتلك النواحى ، وقوِى أمرُ المأمونِ جدًّا بتلك البلادِ .

وفى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ظهَر أمرُ السُّفيانىِّ بالشَّامِ ، واسمُه علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، فعزَل نائبَها ، ودَعا إلى نفسِه ، فبعَث إليه الأمينُ جيشًا ، فلم يقدَموا عليه بل أقاموا بالرَّقَّةِ ، وكان مِن أمرِه ما سنذكُرُه بعدُ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نائبُ الحجازِ داودُ بنُ عيسى .

وفيها كانتْ وفاةُ جماعةٍ مِن الأعيانِ ؛ منهم :

إسحاقُ بنُ يوسفَ الأزرقُ[3] ، أحدُ أئمةِ الحديثِ[4] ، روَى عنه الإمامُ أحمدُ وغيرُه .

بكَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مصعبِ بنِ ثابتِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ[5] ، وكان نائبَ المدينةِ للرشيدِ ثِنتَى عشْرةَ سنةً وأشهرًا ، وقد أطلَق الرشيدُ على يدَيه لأهلِها

---

(١) فى الأصل ، س ، ص : « حبلة » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٢٤.

(٢) هكذا فى النسخ ، ولعل الصواب حذف هذه الواو .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٠، طبقات خليفة ٢/ ٨٤٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٣١٩، وتهذيب الكمال ٢/ ٤٩٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٩٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٣١.

(٤) فى الأصل ، س ، ص : « الأئمة » .

(٥) جمهرة نسب قريش وأخبارها ١٥٦، ١٦٣ - ١٩٧، والمنتظم ١٠/ ١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١٣٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٨٧، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٤٨.

ألفَ ألفِ دينارٍ ومائتى ألفِ دينارٍ، وكان شريفًا جوادًا معظَّمًا ممدَّحًا.

وأبو نُوَاسٍ[1] الشاعرُ المشهورُ، واسمُه الحسنُ بنُ هانئِ بنِ عبدِ الأوَّلِ بنِ صباحِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الجرَّاحِ بنِ وُهَيْبِ[2] بنِ ذَوْدَةَ[3] بنِ غَنْمِ بنِ سليمِ[4] بنِ حكمِ بنِ سعدِ العشيرةِ بنِ مالكِ بنِ عمرِو بنِ الغوثِ بنِ طيِّئِ بنِ أُدَدَ[5] بنِ شبيبِ[6] بنِ سبيعِ بنِ الحارثِ بنِ زيدِ بنِ عَدىِّ بنِ عوفِ بنِ زيدِ بنِ هَمَيْسَعِ بنِ عمرِو بنِ يَشْجُبَ بنِ عَريبِ ابنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سبأَ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قحطانَ بنِ عابرِ بنِ شالَخِ[7] بنِ أرفخْشَذِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ - كذا[4] نسَبه عبدُ اللَّهِ بنُ أبى[8] سعدٍ[4] الوراقُ - أبو عليٍّ الحكميُّ نسبةً[4] إلى ولاءِ [٨/١٣٧و] الجرّاحِ بنِ عبدِ اللَّهِ الحَكَمِيِّ.

ويقالُ له: أبو نُوَاسٍ البَصْرىُّ. كان أبوه مِن أهلِ دمشقَ مِن جندِ مرْوانَ بنِ محمدٍ، ثم صار إلى الأهوازِ، وتزوَّج امرأةً يقالُ لها: جُلْبانُ[9]. فولَدتْ له أبا نُواسٍ هذا، وابنًا آخرَ يقالُ له: أبو معاذٍ. ثم صار أبو نُواسٍ إلى البصرةِ، فتأدَّب بها على أبى زيدٍ وأبى عبيدةَ، وقرأ كتابَ سيبوَيْهِ، ولزِم خلَفًا الأحمرَ، وصحِب

---

(١) الشعر والشعراء ٢/ ٧٩٦، والأغانى ٢٠/ ٦١، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٥٠٩.

(٢) فى النسخ: «هنب». والمثبت من تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٧.

(٣) سقط من: ص. وفى الأصل، ب: «دوة». وفى س، ظ: «دوْة». وفى م: «داود». والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٨.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

(٥) فى الأصل: «اذر». وفى س، ظ: «أود».

(٦) فى س: «شعيب». وفى ظ: «سبب».

(٧) فى الأصل، س: «شالح». وفى ظ: «مشالح». وانظر التاج (ش ل خ).

(٨) زيادة من: ص. وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤١١.

(٩) فى م: «خلبان». وفى ص: «خلنان». وفى ظ: «حلبان». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٩٥.

يونسَ بنَ حبيبٍ الضَّبِّى[1] النحوىَّ . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : وقد صحِب أبا أسامةَ وَالِبَةَ[3] بنَ الحُبابِ[4] الكوفىَّ ، فتأدَّب به .

وروَى الحديثَ عن أزهرَ بنِ سعدٍ ، وحمادِ بنِ زيدٍ[5] ، وحمادِ بنِ سلَمةَ ، وعبدِ الواحدِ بنِ زيادٍ ، ومعتمرِ بنِ سليمانَ ، ويحيى القطّانِ . وعنه محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ كثيرٍ الصَّيرفىُّ[6] ، حكَى[7] عنه جماعةٌ ؛ منهم الشافعىُّ ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ ، [8]والجاحظُ[8] ، وغُندَرٌ[9] . ومِن مشاهيرِ حديثِه ما روَاه محمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ كثيرٍ الصَّيرفىُّ[10] ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن[11] ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يَموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسِنُ الظنَّ باللَّهِ ، فإنَّ حسْنَ الظنِّ باللَّهِ ثمَنُ الجنَّةِ » .

وقال محمدُ بنُ إبراهيمَ[12] : دخَلْنا عليه وهو فى الموتِ ، فقال له صالحُ بنُ علىٍّ الهاشمىُّ : يا أبا علىٍّ ، أنت اليومَ فى آخرِ يومٍ مِن أيامِ الدُّنيا ، وأولِ يومٍ مِن

---

(١) فى ص : « الحرمى » . وفى الأصل ، ب ، م : « الجرمى » . والمثبت من إنباه الرواة ٤/ ٦٨.
(٢) وفيات الأعيان ٢/٩٥ بنحوه .
(٣) فى ب ، م : « وابن » . وفى ص : « والبتة » . وفى ظ : « واليه » .
(٤) فى ص : « الخباب » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٣٦.
(٥) فى ص : « يزيد » .
(٦) فى النسخ : « الصوفى » . والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ٣٩٦، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٧.
(٧) فى ب ، م : « حدث » .
(٨ - ٨) سقط من : م .
(٩) بعده فى ب ، م : « ومشاهير العلماء » . وقال الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال ٤/ ٥٨١: « أبو نواس ... شعره فى الذروة ، ولكن فسقه ظاهر وتهتكه واضح ، فليس بأهل أن يروى عنه » .
(١٠) فى النسخ : « الصوفى » . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٨، ٤٠٩، من طريق محمد بن إبراهيم بن كثير به . وانظر تاريخ بغداد ١/ ٣٩٦.
(١١) فى الأصل : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٤٢.
(١٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٩.

أيامِ الآخرةِ ، وبينَك وبينَ اللَّهِ هَنَاتٌ ، فتُبْ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، مِن عملِك . فقال : إياى تخوِّفُ باللَّهِ ؟ ! فقال[1] : أسنِدونى . فأسندوه فقال : حدَّثنى حمادُ بنُ سلمةَ ، عن يزيدَ الرَّقاشىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ لكلِّ نبىٍّ شفاعةً ، وإنِّى اختبَأتُ شفاعتى لأهلِ الكبائرِ مِن أمَّتى يومَ القيامةِ »[2] . ثم قال : أفتُرانِى لا أكونُ مِنهم ؟

وقال أبو نُواسٍ : ما قلتُ الشعرَ حتى روَيتُ لستِّينَ امرأةً ؛ منهنَّ خنساءُ ، وليلى ، فما ظنُّك بالرجالِ ؟ وقال يعقوبُ بنُ السِّكِّيتِ[3] : إذا روَيتَ الشعرَ عن امرئِ القيسِ والأعشى مِن أهلِ الجاهليةِ ، ومِن الإسلاميين لجريرٍ والفرزدقِ ، ومِن المحْدَثين عن أبى نُواسٍ فحَسْبُك . وقد أثنَى عليه غيرُ واحدٍ ؛ منهم الأصمعىُّ ، والجاحظُ ، والنَّظَّامُ[4] .

وقال أبو عمرٍو الشَّيبانىُّ[5] : لولا أنَّ أبا نُواسٍ أفسَد شعرَه بهذه[6] الأقذارِ لاحتَجَجْنا به فى كُتُبِنا . يعنى شعرَه فى الخمرِيّاتِ والأحداثِ[7] .

وقد[8] اجتَمع طائفةٌ مِن الشعراءِ عندَ المأمونِ ، فقال لهم : أيُّكم القائلُ[9] :

---

(١) زيادة من تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٩، من طريق أنس به . وحديث الشفاعة أخرجه مسلم (٢٠١) ، والترمذى (٢٤٣٦) ، وابن ماجه (٤٣١٠) ، والإمام أحمد فى المسند ٣/٣٨٤ ، كلهم من حديث جابر .

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٧.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٧، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤١٢.

(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٥١٢.

(٦) فى ب ، م : « بما وضع فيها من » .

(٧) فى ب ، م ، ظ : « المردان » ، وهما بمعنى .

(٨) بعده فى ب ، م : « كان يميل إليهم ونحو ذلك مما هو معروف فى شعره و » .

(٩) تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤١٣.

فلمَّا تحسّاها وقَفْنا كأنَّنا نرى قَمرًا فى الأَرضِ يبلَعُ[1] كوكبًا

قالوا : أبو نُواسٍ . قال : فأيُّكم القائلُ :

[١٣٧/٨ظ] إذا نزَلَتْ دونَ اللَّهاةِ[2] مِن الفتى[3] دعا همُّهُ[4] عن [5]صدرِه برحيلِ[5]

قالوا : أبو نُواسٍ . قال : فأيُّكم القائلُ[6] :

فتمَشَّتْ فى مَفاصِلِهِم كتمشِّى البُرْءِ فى السَّقَمِ

قالوا : أبو نُواسٍ . قال : فهو أشعرُكم .

وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ لابنِ مُناذِر[7] : ما أشعرَ ظريفَكم أبا نُواسٍ فى قولِه[8] :

يا قمرًا أبْصَرتُ فى مأتَمٍ يندُبُ شَجْوًا بينَ أَترابِ
أبرزَهُ المأتمُ لى كارِهًا برَغْمِ ذى بابٍ وحُجَّابِ
يبكى فيُذْرِى الدُّرَّ مِن نَرْجِسٍ[9] ويلطِمُ الوَرْدَ بعُنَّابِ

---

(١) فى ص : « يبلغ » .
(٢) فى س : « النهاة » .
(٣) فى ص : « القنى » .
(٤) فى الأصل : « عمه » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « صورة ترحيل » . وفى ب ، م : « قلبه برحيل » .
(٦) البيت فى الديوان ص ١٤ .
(٧) فى س : « مباد » . وهو محمد بن مناذر اليربوعى بالولاء ، شاعر كثير الأخبار والنوادر . لسان الميزان ٥/ ٣٩٠، وفيه « منادر » ، وبغية الوعاة ١/ ٢٤٩ .
(٨) الديوان ص ٣٦١، والأغانى ٢٠/ ٦٨، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٣٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٥١٢، وفى الأبيات اختلاف وتقديم وتأخير .
(٩) فى الأصل ، ب ، م ، ص ، ظ : « عينه » .

لا زال مـوتًـا دأبُ أحـبـابِـهِ (١ولا تَـزَلْ رؤيـتُـه دابـى١)

وقال ابنُ الأعرابىِّ[٢] : أشعرُ الناسِ أبو نُواسٍ فى قولِه :

تغطَّيْتُ مِن دَهْرِى بظِلٍّ[٣] جَنَاحِه فعينِى تَرَى دَهْرى وليس يَرانى

فَلَوْ تُسْأَلُ الأَيَّامُ (٤مَا اسْمِى لَمَا٤) دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانى ما عَرَفْنَ مَكَانِى

وقال أبو العَتاهِيةِ[٥] : قلتُ فى الزهدِ عشرين أَلْفَ بيتٍ ، ووددتُ أنَّ لى مكانَها الأبياتَ الثلاثةَ التى قالها أبو نُواسٍ وهى هذه - وكانتْ مكتوبةً على قبرِه :

يـا نُـواسـىُّ تـوقَّـرْ و تَـعَـزَّ[٦] و تـصـبَّـرْ

(٧إن يـكُـنْ سـاءَك دَهْـرٌ فَـلَـمـا سـرَّكَ أكـثـرْ٧)

يا كبيرَ الذنْبِ عفوُ اللَّـ ـهِ مِـن ذنـبِـكَ أكـبـرْ

ومِن شعرِ أبى نُواسٍ - رحمةُ اللَّهِ عليه - يمدَحُ بعضَ الأمراءِ[٨] :

أوجَده اللَّهُ فما مِثلُه لطالبِ ذاكَ ولا ناشدِ

(١ - ١) فى الديوان ٣٦١: «وكان أن أبصره دابى».

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤١٧. وانظر ديوان أبى نواس ٩٧.

(٣) فى الأصل، ب، م، ظ: «بكل».

(٤ - ٤) فى ب، م، ظ: «عنى ما».

(٥) القول والأبيات فى تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٨١، والأبيات فى سياق آخر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٩، ٤٦٠، والأبيات فى ديوانه ١٩٦ باختلاف يسير، والبيان والتبيين ٣/ ١٩٩.

(٦) فى الأصل، ص: «تغير»، وفى ب: «تعير»، وفى س، ظ: «تعبر». والمثبت من الديوان.

(٧ - ٧) رواية الديوان: «ساءك الدهر بشىء وبما سرك أكثر».

(٨) ديوان أبى نواس ٨٧، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٢٢.

(١ وليسَ للّهِ ١) بمستنْكَرٍ أن يجمعَ العالَمَ فى واحدِ

وأنشَدوا لسفيانَ بنِ عُيَيْنةَ قولَ أبى نواسٍ[٢] :

ما هَوًى إلّا له سببُ يَبْتَدِى منهُ ويَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قَلْبِى مُحَجَّبَةٌ[٣] وَجْهُهَا بِالْحُسْنِ مُنتَقِبُ
خَلِيَتْ[٤] والْحُسْنُ تأخُذُه تَنْتَقى منهُ وتَنتخِبُ
فاكتست منهُ طرائفَهُ واستزادت[٥] بعضَ ما تَهَبُ
(٦ فَهْى لو صيَّرْتَ فيه لها عَودةً لمْ يَثْنِها أرَبُ
صار جِدًّا ما مزَحتَ به رُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ اللَّعِبُ ٦)

فقال ابنُ عُيَيْنةَ : آمنتُ بالذى خلَقها .

وقال ابنُ دُريدٍ[٧] : قال أبو حاتمٍ : لولا[٨] أنَّ العامَّةَ بدَّلَت هذين البيتَيْن لكتَبْتُهما بماءِ الذهبِ - وهما لأبى نُواسٍ :

[٨/١٣٨و] وَلَوْ أنِّى استَزَدْتُكَ فَوْقَ مَا بِى مِن الْبَلْوَى لأَعْوَزَكَ المَزِيدُ
ولو عُرِضَتْ علَى الموتَى حياتى بعَيْشٍ مثلِ عيشى لم يُرِيدُوا

(١ - ١) فى النسخ : « ليس على الله » ، والمثبت من الديوان ٨٧ .
(٢) الخبر والأبيات فى تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٥١١، وانظر الديوان ص ٣٦١.
(٣) فى الأصل : « محبشة » . وفى س : « محبية » . وفى ص : « بحنته » .
(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « خلته » . وفى س: « تركب » . وفى ص : « تركته » . والمثبت موافق لما فى الديوان .
(٥) فى ب ، م ، ظ : « واستردت » .
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، س ، ص .
(٧) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٢٨، والبيتان فى الديوان ص ١٥.
(٨) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « لو » .

وقد سمِع أبو نُواسٍ حديثَ سهيلٍ[1] ، عن[2] أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « القلوبُ جنودٌ مُجنَّدةٌ ، فما تعارَف منها ائتلَف ، وما تناكَر منها اختلَف »[3] . فنظَم ذلك فى قصيدةٍ له يقولُ فيها :

إنَّ القُلُوبَ لأَجْنادٌ مُجَنَّدةٌ ... للَّهِ فى الأَرضِ بالْأَهْوَاءِ تَعْتَرِفُ
فما تعارَف منها فهو مؤتلِفٌ ... وما تناكَر منها فهو مختلِفُ

ودخَل أبو نواسٍ يومًا مع جماعةٍ مِن المحدِّثين على عبدِ الواحدِ بنِ زيادٍ ، فقال لهم عبدُ الواحدِ : لِيختَرْ كلُّ واحدٍ منكم عشَرةَ أحاديثَ أُحدِّثُه بها . فاختار كلُّ واحدٍ منهم عشَرةً ، إلَّا أبا نواسٍ ، فقال له : ما لَك لا تختارُ كما اختاروا ؟ فأنشَأ يقولُ :

ولقد كنَّا روَيْنا ... عنْ سعيدٍ عنْ قَتَادهْ
عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ... ثم سعدِ بنِ عُبادهْ
وعن الشَّعبىِّ والشَّعْـ ... ـبىُّ شيخٌ ذو جَلادَهْ
وعنِ الأخيارِ نحكيـ ... ـهِ وعن أهلِ الإفادَهْ
أنَّ مَنْ ماتَ محِبًّا ... فلهُ أَجرُ شهادَهْ

فقال له عبدُ الواحدِ : قُمْ يا ماجِنُ ، لا حدَّثتُكَ ولا حدَّثْتُ أحدًا مِن هؤلاءِ مِن أَجْلِكَ . فبلَغ ذلك مالكَ بنَ أنسٍ وإبراهيمَ بنَ أبى يحيى ، فقالا : كان ينبغى

---

(١) فى س : « سهل » . وانظر تاريخ دمشق ١٣/ ٤٣٣.
(٢) فى ص : « بن » .
(٣) أخرجه البخارى (٣٣٣٦) ، من حديث عائشة ، ومسلم (٢٦٣٨/١٥٩) ، وأبو داود (٤٨٣٤) ، والإمام أحمد فى المسند ٢/ ٢٩٥، ٥٢٧، ثلاثتهم من حديث أبى هريرة . وكلهم جميعا بلفظ : « الأرواح جنودٌ ...» .

له أن يحدِّثَه ، لعلَّ اللَّهَ أن يصلِحَه .

قلتُ : وهذا الذى أنشَده أبو نُواسٍ فى شعرِه قد روَاه ابنُ عَدِىٍّ فى « كامِلِه » ، عن ابنِ عباسٍ موقوفًا ، ومرفوعًا[1] : « مَنْ عَشِقَ فعفَّ فكتَم فمات ، مات شهيدًا » . ومعنى هذا أنَّ مَن ابتُلِىَ بالعِشْقِ مِن غيرِ اختيارٍ منه فصَبَروعفَّ عن الفاحشةِ ولم يُفْشِ ذلك فماتَ بسببِ ذلك ، حصَل له أجرٌ كبيرٌ ، فإنْ صحَّ هذا كان ذلك له نوعَ شهادةٍ ، واللَّهُ أعلمُ .

وروَى الخطيبُ[2] أيضًا أنَّ شُعبةَ لقِى أبا نُواسٍ فقال له : حدِّثْنا مِن طُرَفِك . فقال مُرْتَجلًا :

حدَّثَنا الخَفّافُ عن وَائلٍ ... وخالدُ الحذَّاءُ عن جابرِ
ومِسْعرٌ عن بعضِ أَصحابِه ... يرفَعُه الشَّيخُ إلى عامرِ
قالُوا جميعًا أَيُّما طَفلةٍ[3] ... عُلِّقها ذو خُلُقٍ طاهرِ
[٨/١٣٨ظ] فواصَلَتْهُ ثم دامَتْ له ... على وِصالِ الحافظِ الذَّاكرِ
كانت له الجنةُ مفتوحةً ... يرتعُ فى مرتَعِهَا الزَّاهرِ
وَأىُّ معشوقٍ جَفَا عاشِقًا ... بعدَ وصالٍ دائمٍ ناضرِ[4]
ففى عذابِ اللَّهِ بُعْدًا له ... نَعَم وسحقٍ دائمٍ داحرِ[5]

فقال له شعبةُ : إنَّك لجميلُ الأخلاقِ ، وإنِّى لأرجو لك .

---

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٥/ ١٥٦، ٢٦٢، ٦/ ٥٠، ٥١، ١٣/ ١٨٤، وابن القيم فى زاد المعاد ٤/ ٢٧٥، موضوع (السلسلة الضعيفة ٤٠٩) .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٩.

(٣) الطفلة بفتح الطاء : المرأة الناعمة .

(٤) فى ب ، س ، م ، ظ : « ناصر » . وفى ص : « ناظر » .

(٥) فى الأصل ، ب ، م ، ص ، ظ : « ذاخر » .

وأنشَد أبو نُواسٍ أيضًا[1] :

يا ساحِرَ المقلتَيْنِ والجِيدِ ... وقاتِلى منكَ بالمواعِيدِ
تُوعِدُنى الوصلَ ثم تُخْلِفُنى ... فوابَلائى[2] مِن خُلفِ مَوْعُودِى
حَدَّثَنِى الأَزْرَقُ المحدِّثُ عن ... [3]شَمْرٍ[4] وعوفٍ[3] عن ابنِ مسعودِ
ما يُخلِفُ الْوَعْدَ غيرُ كافرةٍ ... وكافرٍ فى الْجَحيمِ مَصْفُودِ

فبلَغ ذلك إسحاقَ بنَ يوسُفَ الأَزْرَقَ فقال : كذَب عدوُّ اللَّهِ علىَّ وعلى التابعِين وعلى أصحابِ محمدٍ ﷺ .

وعن سليمِ بنِ منصورٍ[5] قال : رأيتُ أبا نُواسٍ فى مَجْلسِ أبى يبكى بكاءً شديدًا ، فقلتُ : إنِّى لأرجو أن لا يعذِّبَك اللَّهُ بعدَ هذا البكاءِ أبدًا . فأنشَأ يقولُ :

لم أبكِ فى مَجْلسِ مَنْصُورِ ... شوقًا إلى الجنَّةِ والحُورِ
ولا مِن القَبْرِ وأَهوالِه ... ولا مِن النَّفْخَةِ فى الصُّورِ
ولا مِن النارِ وأَغْلالِها ... ولا مِن الخِذلانِ والجورِ
لكن بكائى لبكا شادنٍ ... تَقيه نَفْسى كلَّ مَحْذُورِ

ثم قال : إنَّما بكَيتُ لبكاءِ هذا الأمردِ الذى إلى جانبِ أبيك . [6]وكان صبيًّا حسَنَ الصورةِ ، يسمَعُ الوعظَ فيبكى خَوْفًا مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ[6] .

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٣٨، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٨٣.
(٢) فى م : « فويلاى » . وفى ص : « فوبلاء » .
(٣ - ٣) فى مختصر تاريخ دمشق: « عمرو بن شمر » .
(٤) فى ب ، م : « شهر » .
(٥) بعده فى ب ، م : « بن عمار » . والخبر والأبيات فى تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٩، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٣٩.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، س ، ص .

قال أبو نواسٍ[1] : دعانى يومًا بعضُ الحاكَةِ ، وألَحَّ علىَّ ليُضِيفَنى فى منزلِه ، ولم يزَلْ بى حتى أجبتُه ، فسار إلى منزلِه وسِرتُ معه ، فإذا منزلٌ لا بأسَ به ، وقد احتَفَل الحَائِكُ فلم يُقصِّرْ ، فأكَلْنا وشرِبْنا ، ثم قال : يا سيِّدى ، أَشْتَهِى أن تقولَ فى جاريتى شيئًا مِن الشِّعْرِ - وكان مغرمًا بجاريةٍ له - قال أبو نواسٍ : فقلتُ : أرنِيها حتى أنظِمَ على شكلِها وحسنِها . فكشَفَ عنها الحجابَ ، فإذا هى مِن أسمَجِ خلقِ اللَّهِ وأوحشِهم ، سوداءُ شمطاءُ دندانيةٌ[2] يسيلُ لُعابُها على صدرِها . فقلتُ لسيدِها : ما اسمُها ؟ فقال : تَسنيمٌ . فأنشَأتُ أقولُ :

أسهرَ لَيْلِى حُبُّ تسنيمِ ... جاريةٍ فى الحُسْنِ كالبومِ
كأنما نَكْهَتُها كامَخٌ ... أو حُزمةٌ مِن حُزَمِ الثُّومِ
[٨/ ١٣٩و] ضَرَطْتُ مِن حبِّى لها ضَرْطةً ... أفزَعتُ منها ملِكَ الرومِ

قال : فقام الحائكُ يرقُصُ ويُصفِّقُ سائرَ يومِه ، ويفرَحُ ويقولُ[3] : شبَّهَها واللَّهِ بملكِ الرومِ .

ومِن شعرِ أبى نواسٍ[4] :

أبرَمَنى الناسُ يقولونَ تُبْ[5] ... بزعمِهِمْ كثرةَ أَوْزارِيَهْ
إنْ كنتُ فى النّارِ وفى جنَّةٍ ... ماذا عليكم يا بَنى الزّانِيَهْ

وبالجملةِ فقد ذكَروا عنه أمورًا كثيرةً ، [6]وأشعارًا منكَرةً ، ومُجونًا كثيرةً[6] ،

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٤٠.
(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ص ، ظ : « ديدانية » . ويقال : دندن الرجل إذا تحدث حديثا لا يُفْهم معناه .
(٣) بعده فى ب ، م : « إنه » .
(٤) البيتان فى الفكاهة والائتناس ص ٥٠، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٤٣. باختلاف يسير .
(٥) سقط من : الأصل ، ب ، م .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « ومجونا وأشعارا منكرة » .

وله فى الخمريّاتِ والقاذوراتِ والتشبُّبِ بالمُرْدَانِ والنِّسوانِ أشياءُ بشِعةٌ شنِيعةٌ، فمِن الناسِ مَن يُفسِّقُه ويرميه بالفاحشةِ، ومنهم مَن يرميهِ بالزَّندقةِ، ومنهم مَن يقولُ: إنما كان يُخرِّبُ على نفسِه. والأولُ أظهرُ؛ لِما فى أشعارِه، فأمّا الزندقةُ فبعيدةٌ عنه، ولكنْ كان فيه مُجونٌ وخَلاعةٌ كثيرةٌ. وقد عَزَوْا إليه فى صغرِه وكِبَرِه أشياءَ[1]، اللَّهُ أعلمُ بصحَّتِها. والعامَّةُ تنقُلُ عنه أشياءَ كثيرةً لا حقيقةَ لها. وفى صحنِ جامعِ دمشقَ قبَّةٌ يفورُ [2]الماءُ مِن وسَطِها[2]، يقولُ الدَّماشقةُ: قبةُ أبى نُوَاسٍ. وهى مبنيةٌ بعدَ موتِه بأزيدَ مِن مائةٍ وخمسين سنةً، فما أدرِى لماذا تُسمَّى بهذا؟ واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ أبى عميرٍ[3]: سمِعتُ أبا نُوَاسٍ يقولُ: واللَّهِ ما فتحتُ سراويلى بحَرامٍ قطُّ.

وقال محمدٌ الأمينُ بنُ هارونَ الرشيدِ لأبى نواسٍ[4]: أنتَ زِندِيقٌ. فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، كيفَ[5] وأنا أقولُ[6]:

أصلِّى الصلاةَ الخمسَ فى حينِ وقتِها ... وأشهَدُ بالتوحيدِ للَّهِ خاضِعَا
وأُحسِنُ غُسْلًا إنْ ركِبتُ جَنابةً ... وإنْ جاءنى المسكينُ لم أكُ مانِعَا
وإنِّى وإنْ حانَتْ مِن الكأْسِ دَعْوةٌ ... إلى بَيْعةِ الساقى أُجيبُ مُسارِعَا

---

(١) بعده فى ب، م: «منكرة».
(٢ - ٢) فى ب، م: «منها الماء».
(٣) فى النسخ: «عمر». والمثبت من تاريخ دمشق ١٣/ ٤٣١، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٨٢.
(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٠، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٤١.
(٥) سقط من: الأصل، ص. وفى ب، م: «لست بزنديق».
(٦) الأبيات فى الفكاهة والائتناس ص ٣٨، باختلاف يسير.

وأَشرَبُها صِرْفًا على جنبِ ماعزٍ وجَدْيٍ كثيرِ الشَّحْمِ أصبَح راضِعَا
وجُوذَابَ حُوّارَى[1] وجُوزٍ[2] وسُكَّرٍ وما زالَ للمخمورِ[3] ذلكَ نافعَا
وأجعَلُ تخليطَ الرَّوافِضِ كلِّهم لِفَقحةِ[4] بَخْتَيْشُوعَ فى النارِ طابِعَا[5]

فقال له الأمينُ : وَيْحَك ، وما الذى ألجَأك إلى فقْحةِ[6] بَختَيْشُوعَ ؟ فقال : بها تمَّتِ القافيةُ . فأمَر له بجائزةٍ .

وقال الجاحظُ[7] : لا أعرِفُ مِن كلامِ الشعراءِ أرفعَ[8] ولا أحسنَ مِن قولِ أبى نُوَاسٍ[9] :

أيَّةَ نارٍ قدَح القادحُ وأىَّ جِدٍّ بلغَ المازحُ
للَّهِ دَرُّ الشَّيبِ مِن واعظٍ وناصحٍ لو خُطِئَ[10] الناصِحُ
[٨/ ١٣٩ظ] يأبَى الفتَى إلا اتِّباعَ الهوى ومَنهجُ الحقِّ له واضحُ
فاسمُ[11] بعينَيكَ إلى نِسوةٍ مُهورُهُنَّ العَمَلُ الصالحُ

---

(١) جوذاب حوارى : طعام يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق قد بيّض . الوسيط (ج ذ ب ، ح و ر) .
(٢) فى ب ، م : « لوز » .
(٣) فى م : « للخمار » .
(٤) فى م : « لنفخة » . والفقحة : حلقة الدبر . اللسان (ف ق ح) .
(٥) فى م : « طائعا » .
(٦) فى م : « نفخة » .
(٧) الخبر والأبيات فى تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٢، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٤٤، وانظر الديوان ص ١٩٢، والبيان والتبيين ٣/ ١٩٨.
(٨) فى ب ، م : « أرق » .
(٩) بعده فى ب ، م : « حيث يقول » .
(١٠) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « حذر » .
(١١) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « فاعمد » .

لا يجتلِى العذراءَ[1] مِن خِدْرِها إلّا امرؤٌ ميزانُهُ راجِحُ
مَن اتَّقى اللَّهَ فذاكَ الذى سِيق إليهِ المَتجرُ الرابحُ
فاغدُ فما فى الدِّينِ أُغلُوطةٌ ورُحْ لِما أنتَ لهُ رائحُ

وقد استنشَده أبو هِفّانَ[2] قصيدتَه التى يقولُ فى أولِها[3] :

* لا تنسَ ليلى ولا تطرَبْ[4] إلى هندِ *

فلمّا فرَغ مِنها سجَد له أبو هِفّانَ[5] ، فقال له أبو نواسٍ : واللَّهِ لا أكلِّمُك مُدَّةً . قال : فغمَّنى ذلك ، فلمّا أرَدتُ الانصرافَ قال : متى أرَاك ؟ فقلتُ : ألم تُقسِمْ ؟ فقال : الدهرُ أقصرُ مِن أن يكونَ معه هَجْرٌ .

ومِن مستجادِ شعرِه قولُه[6] :

ألَا رُبَّ وَجهٍ فى الترابِ عتيقِ [7]ويا رُبَّ حُسْنٍ فى الترابِ رقيقِ
ويا رُبَّ حَزْمٍ فى الترابِ ونجْدةٍ[7] [8]ويا[8] رُبَّ رَأْيٍ فى الترابِ وَثيقِ
أرَى كلَّ حىٍّ هالكًا وابنَ هالكٍ وذا حسَبٍ[9] فى الهالكينَ عريقِ
فقُلْ لقريبِ[10] الدارِ إنَّك ظاعنٌ إلى سفرٍ نائِى المحلِّ سحيقِ

---

(١) فى ب : «الحسناء» ، وفى م : «الحوراء» .
(٢) فى ب ، م : «عفان» .
(٣) ديوان أبى نواس ص ٢٦٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٤٥.
(٤) فى ب ، م : «تنظر» .
(٥) فى م : «عفان» .
(٦) ديوان أبى نواس ص ١٩٢، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٤٣، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٠.
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ب ، س ، ص .
(٨ - ٨) فى الأصل ، ب ، س ، ص : «ألا» .
(٩) فى م : «نسب» .
(١٠) فى الأصل ، ب ، س ، ص : «للمقيم» .

إذا امتَحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفتْ لهُ عن عدُوٍّ فى ثيابِ[1] صديقِ

وقولُه[2] :

لا تَشْرَهَنَّ فإنَّ الذلَّ فى الشَّرَهِ والعِزُّ فى الحِلْمِ لا فى الطَّيشِ والسَّفَهِ
وقلْ لمغتبطٍ فى التِّيهِ مِن حَمَقٍ لو كنتَ تعلَمُ ما فى التيهِ لم تَتِهِ
التِّيهُ مفسَدةٌ للدِّينِ مَنقَصةٌ للعقلِ مهلَكةٌ للعِرضِ فانتبهِ

وجلَس أبو العتاهيةِ القاسمُ بنُ إسماعيلَ فى دكّانِ ورّاقٍ ، فكتَب على ظهرِ دفترٍ[3] :

أيا عجبًا كيفَ يُعْصَى الإلـــــهُ أمْ كيفَ يجحَدُهُ الجاحدُ
وفى كلِّ شىءٍ لهُ آيَةٌ تدلُّ على أنَّهُ واحدُ

ثم جاء أبو نُواسٍ فقرَأها ، ثم قال : أحسَن ، قاتَله[4] اللَّهُ ، واللَّهِ لودِدْتُ أنّها لى بجميعِ شىءٍ قلتُه ، لمَن هذه ؟ قيل : لأبى العتاهيةِ . فأخَذ الدفترَ[5] ، فكتَب إلى جانبِها :

سبحانَ مَن خلَق الخلْـ ـقَ مِن ضعيفٍ[6] مَهينِ
[٨/ ١٤٠و] يسُوقُهُ مِن قرارٍ إلى قرارٍ مَكينِ
يَحورُ[7] شيئًا فشيئًا فى الحُجْبِ دونَ العيونِ

---

(١) فى م : « لباس » .
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٢.
(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٣.
(٤) فى م : « قائله و » .
(٥) سقط من : م ، وفى الأصل : « الدهر » .
(٦) فى ب ، م ، ص : « ضعف » .
(٧) فى ب ، م : « يخلق » .

حتى بدَتْ حَرَكاتٌ مخلوقةٌ مِن سكونِ

ومِن شعرِ أبى نُوَاسٍ المستجادِ قولُه[1] :

[2]انقضَتْ شِرَّتى[2] فعِفْتُ المَلاهى إذْ رَمَى الشَّيبُ مَفْرِقِى بالدَّواهِى

ونَهَتْنى النُّهَى فمِلْتُ إلى العذْ لِ[3] وأَشفَقْتُ مِن مقالةِ ناهِ

أيُّها الغافلُ المقِرُّ على السَّهـ ـوِ ولا عُذرَ فى المَعادِ لِسَاهِ

لا بأَعمالِنا نُطِيقُ خَلاصًا يومَ تبدُو السَّماتُ[4] فوقَ الجباهِ

[5]غيرَ[6] أنَّا على الإساءةِ والتَّفـ ـريطِ نرجُو مِن حُسْنِ عفوِ الإلهِ[5]

وقولُه[7] :

نموتُ ونبلَى غيرَ أنَّ ذُنوبَنا إذا نحنُ مِتنا لا تموتُ ولا تبلَى

ألَا رُبَّ ذى عينينِ لا تنفعانِه وهل[8] تنفَعُ العينانِ مَنْ قلبُهُ أعمَى ؟

وقولُه[7] :

لو أنَّ عينًا وَهَّمتْها نفسُها يومَ الحسابِ مُمَثَّلًا لم تَطرِفِ

---

(١) ديوان أبى نواس ص ١٩٧، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٤٧، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٢، ٤٥٣.

(٢ - ٢) فى ب : «انقطعت شرتى»، وفى م : «انقطعت شدتى». والشرة : نشاط الشباب. التاج (ش ر ر).

(٣) فى س، ص، تاريخ بغداد : «العذل».

(٤) فى م : «السماء».

(٥ - ٥) سقط من : ص.

(٦) فى م : «على».

(٧) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٤.

(٨) فى ب، م : «ما».

سبحانَ ذى المَلَكوتِ أيَّةَ ليلةٍ مخِضتْ[1] صبيحتُها بيومِ الموقِفِ
كتَب الفَناءَ على البريَّةِ ربُّها فالنّاسُ بينَ مقدَّمٍ ومُخَلَّفِ

وذكَروا أنَّ أبا نُوَاسٍ لمّا أرادَ الإحرامَ بالحَجِّ قال[2] :

إلـهَـنـا[3] مـا أعـدَلَـكْ مـلـيـكَ كُـلِّ مَـن مـلَـكْ
[4]لـبَّـيـكَ قـد لـبَّـيـتُ لـكْ[4] لـبَّـيـكَ إنّ الحمـدَ لـكْ
والملـكَ لا شـريـكَ لـكْ [5]مـا خـابَ عـبـدٌ سـأَلـكْ
لـبـيـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ [6]والملكَ لا شـريـكَ لـكْ[5]
أنـتَ لـه حـيـثُ سلَـكْ[6] لـولاكَ يـا ربِّـى هـلَـكْ
لـبـيـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ والملـكَ لا شـريـكَ لـكْ
والـلـيـلُ لمّا أن حـلَـكْ والـسـابـحـاتُ فـى الـفَـلَـكْ
عـلـى مـجـارى المُنْـسـلَـكْ[7] كـلُّ نـبـىٍّ ومـلَـكْ
وكـلُّ مَـن أهـلَّ لـك سبَّحَ أو صلَّى فَلَكْ[8]
لـبـيـكَ إنَّ الحمـدَ لـكْ والملـكَ لا شـريـكَ لـكْ

---

(١) فى م: «محقت».
(٢) ديوان أبى نواس ص ٢٠٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٤، ٤٥٦. مع تقديم وتأخير.
(٣) فى م: «يا مالكا».
(٤ - ٤) سقط من: ب، م.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، وفى ب، م: «عبدك قد أهل لك».
(٦ - ٦) سقط من: س.
(٧) فى ب، م: «تنسلك».
(٨) فى الأصل: «لك».

يا مخطئًا ما أغفَلَكْ[1] عجِّلْ وبادِرْ أمَلَكْ[2]
واختِمْ بخيرٍ عمَلَكْ لبيكَ إنَّ الحمدَ لكْ

* والملكَ لا شريكَ لكْ *

وقال المُعافَى بنُ زكريا الجَرِيرىُّ[3] : ثنا محمدُ بنُ العبّاسِ بنِ الوليدِ ، سمِعتُ أحمدَ بنَ يَحيى[4] - ثعلبًا - يقولُ : دخَلتُ على أحمدَ بنِ حنبلٍ ، فرأيتُ رجلًا تُهِمُّه نفسُه ، لا يُحِبُّ أنْ يُكثَرَ عليه ، كأنّ النيرانَ قد سُعِّرتْ بينَ يدَيه ، فما زِلتُ أترفَّقُ به ، وتوسَّلْتُ إليه بأنِّى مِن موالى شَيْبانَ ، حتى قال : فى أىِّ شىءٍ نظَرتَ[5] ؟ فقلتُ : فى علمِ اللغةِ والشعرِ . فقال : مرَرتُ[6] بالبصرةِ وجماعةٌ يكتُبون عن رجلٍ الشعرَ ، وقيل لى : هذا أبو نُوَاسٍ . فتخلَّلتُ الناسَ ورائى ، فلمَّا جلَستُ أملَى علينا :

[٨/ ١٤٠ظ] إذا ما خلوتَ الدهْرَ يومًا فلا تقُلْ خلوتُ ولكنْ [7]قُلْ علىَّ[7] رقيبُ
ولا تَحْسَبنَّ اللَّهَ يغفُلُ ساعةً ولا [8]أنّ ما[8] يَخفَى عليه[9] يغِيبُ
لَهَوْنا [10]لعَمْرُ اللَّهِ[10] حتّى تتابعَتْ ذنوبٌ على آثارِهنَّ ذُنوبُ

---

(١) فى ب ، م : « أجهلك » ، وبعده فى ب ، م : « عصيت ربا أعدلك وأقدرك وأمهلك » .
(٢) فى الديوان : أجلك .
(٣) فى س ، م : « الحريرى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤. والخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٥، من طريق المعافى بن زكريا به .
(٤) بعده فى م : « بن » ، وبعده فى مصدر التخريج : « بن أيوب » . وانظر نزهة الألباء ٢٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥.
(٥) بعده فى ب ، م : « من العلوم » .
(٦) فى ب ، م : « رأيت » .
(٧ - ٧) فى م : « فى الخلاء » .
(٨ - ٨) فى م : « آثما » .
(٩) فى الأصل : « عليك » .
(١٠ - ١٠) فى ب ، م : « عن الآثام » .

فيا ليتَ أنَّ اللَّهَ يغفِرُ ما مضَى ... ويَأْذَنُ فى تَوْبَاتِنا فنتوبُ

وزاد بعضُهم فى روايةٍ عن أبى نُوَاسٍ بعدَ هذه الأبياتِ[1] :

أَقولُ إذا ضاقتْ علىَّ مَذاهِبى ... وحلَّ[2] بقلبى للهمومِ نُدوبُ

لِطولِ جناياتى وعُظْمِ[3] خَطيئَتى ... هَلَكتُ وما لى فى المَتابِ نصيبُ

وأغرَقُ فى بحرِ المخافةِ آيسًا[4] ... وترجِعُ نفسِى تارةً فتتوبُ

ويُذكَرُ[5] عفوٌ للكريمِ عن الوَرَى ... فأَحْيا وأرجُو عفوَهُ فأُنيبُ

فأخضَعُ فى قولى وأرغَبُ سائلًا ... عسى كاشفُ البلوى علىَّ يتوبُ

قال ابنُ [6]طَرَارَا الجَريرىُّ[6] ، وقد رُوِيتْ هذه الأبياتُ : لمَن؟ قيل : لأبى نواسٍ ، وهى فى زُهدياتِه . وقد استشَهد بها النحاةُ فى أماكنَ كثيرةٍ قد ذكَرناها[7] .

وقال حسَنُ ابنُ الدّايَةِ[8] : دخَلتُ على أبى نُوَاسٍ وهو فى مرَضِ الموتِ ، فقلتُ : عِظْنى . فأنشَأَ يقولُ :

---

(١) الأبيات فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) فى م : « حلت » .

(٣) عظم الشىء : أكبره وأكثره ومعظمه . النهاية ٣/ ٢٦٠.

(٤) فى تاريخ دمشق : « تائها » .

(٥) فى ب ، م : « تذكرنى » ، وفى س ، ص : « تذكر » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، س : « طرار الحريرى » ، وفى م : « طراز الجريرى » ، وفى ص : « طرار » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤. والقول أورده ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٦، بنحوه .

(٧) بعده فى س ، ص : « فى أماكن أخر » .

(٨) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٢، ٤٦٣.

تَكثَّرْ[1] ما استطعتَ مِن الخطايا فـإنّـكَ لاقِـىٌ ربًّـا غـفـورَا
ستُبصِرُ إذ[2] ورَدْتَ عليهِ عَفْوًا وتَـلْـقَـى سيِّدًا مـلِـكًـا قـديـرَا[3]
تـعَـضُّ نـدَامـةً كـفَّـيْـكَ ممَّـا تركتَ مخافةَ النارِ السُّرورَا[4]

فقلتُ : ويلَكَ ، [5]فى مثلِ هذه[5] الحالِ تعِظُنى بهذه الموعظةِ؟ فقال : اسكُتْ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : قال النبىُّ ﷺ[6] : « ادّخرتُ شَفاعتى لأهلِ الكبائرِ مِن أمَّتى » . وقد تقدَّم[7] له بهذا السندِ : « لا يموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسِنُ الظَّنَّ باللَّهِ » .

وقال الرَّبيعُ وغيرُه ، عن الشافعىِّ : دخَلْنا على أبى نُوَاسٍ فى اليومِ الذى مات فيه ، وهو يجودُ بنفسِه ، فقلنا : ما أعدَدْتَ لهذا اليومِ؟ فأنشَأَ يقولُ :

تَعاظَمَنى ذَنبى فلمَّا قَرَنْتُهُ بعفوِكَ ربِّى كان عفوُكَ أعظَمَا
ومازلتَ ذا عفوٍ عن الذَّنبِ لم تزَلْ تجودُ وتعفُو مِنَّةً وتكرُّما
[٨/١٤١و] ولولاكَ لمْ [8]يُغوَى بإبليسَ[8] عابدٌ وكيفَ وقدْ أغوَى صفيَّكَ آدمَا

---

(١) فى الأصل، ب، م: «فكثر».
(٢) فى ب، م: «إن».
(٣) فى ص: «كبيرا».
(٤) فى الأصل، ب، م: «الشرورا».
(٥ - ٥) فى م: «بمثل هذه».
(٦) أخرجه الترمذى (٢٤٣٥)، من طريق ثابت عن أنس به. وصححه ابن حبان (٦٤٦٨)، والحاكم فى المستدرك ١/ ٦٩. وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٦.
(٧) تقدم فى صفحة ٦٥.
(٨ - ٨) فى ب، س، م، ص: «يقدر لإبليس».

رواه الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] .

ورُوِى أنهم وجَدوا عندَ رأسِه رُقعَةً مكتوبًا فيها بخطِّه[2] :

يا ربِّ إنْ عظُمتْ ذُنُوبِى كثرةً ... فلقدْ علِمتُ بأنّ عفوَكَ أعظَمُ
إنْ كانَ لا يرجوكَ إلا مُحسِنٌ ... فمَن الذى [3]يدْعُو ويرجُو[3] المجرِمُ ؟
أَدْعوكَ ربِّ كما أمَرتَ تضرُّعًا ... فإذا ردَدتَ يدِى فمَنْ ذا يَرحَمُ
ما لى إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا ... وجميلُ عفوِكَ ثم أنِّى مُسلِمُ

وقال[4] يوسفُ ابنُ الدَّايةِ[5] : دخَلتُ عليه ، وهو فى السياقِ[6] ، فقلتُ : كيف تجِدُك ؟ فأطرَق مليًّا ، ثم رفَع رأسَه وقال :

دبَّ فىَّ الفَناءُ سُفْلًا وعُلْوَا ... وأُرانى أَموتُ عُضْوًا فعُضْوَا
ليس تأتى[7] مِن ساعةٍ[8] بىَ إلَّا ... [9]نقَصتْنى بمرِّها فىّ[9] جُزْوَا[10]
ذَهَبَتْ جِدَّتى بلَذَّةِ عَيْشِى ... وتذكَّرتُ طاعةَ اللَّهِ نِضْوَا

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٨.

(٢) ديوان أبى نواس ص ١٩٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٤٩، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٦١، ٤٦٢، والمنتظم ١٠/ ٢١ ، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٣ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ب ، م : « يرجو المسىء » ، وفى ص : « يرجو ويخشى » .

(٤) بعده فى ص : « أبو » .

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٧، ٤٤٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٧، والمنتظم ١٠/ ١٩، ٢٠.

(٦) ساق المريض يسوق سوقا وسياقا إذا شرع فى نزع الروح ، وساق بنفسه سياقا نزع بها عند الموت . التاج (س و ق) .

(٧) فى م : « يمضى » .

(٨) فى م : « لحظة » .

(٩ - ٩) فى الأصل : « نقصتنى » ، وفى ب : « نقصت منى جزوا » ، وفى ص : « نقصتنى فى » .

(١٠) فى ب : « فجزوا » ، وفى ص : « جزا » ، وفى تاريخ بغداد ، والمنتظم : « حذوا » ، والمثبت موافق لتاريخ دمشق ، وإحدى نسخ المنتظم .

قدْ أسأْنا كلَّ الإساءةِ فاللـ ـهُمَّ صَفْحًا عنّا وغَفْرًا وعَفوَا

ثم مات مِن ساعتِه، سامحَه اللَّهُ.

وقد كان نقشُ خاتَمِه: لا إلهَ إلّا اللَّهُ مخلِصًا. فأوصَى أن يُجعَلَ فى فَمِه إذا غسَّلوه، ففعَلوا به ذلك[1].

ولمّا ماتَ لم يجِدُوا له مِن المالِ سِوى ثلاثِمائةِ درهمٍ وثيابِه وأثاثِه. وقد كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ببغدادَ ودُفِنَ فى مقابرِ الشُّونيزِيَّةِ[2] فى تلِّ اليهودِ، وله خمسونَ سنةً، وقيل: ستونَ سنةً. وقيل: تسعٌ وخمسونَ سنةً. وقد رآه بعضُ أصحابِه فى المنامِ، فقال له[3]: ما فعَل اللَّهُ بكَ؟ فقال: غفَر لى بأبياتٍ قلتُها فى النَّرْجِسِ:

تأَمَّلْ فى نباتِ الأرضِ وانظُرْ إلـى آثـارِ مـا فـعَـل المَلِـيـكُ
عـيـونٌ فـى لُجَيْـنٍ فـاخِـراتٌ[4] (5)بأحداقٍ هى الذهبُ(5) السَّبيكُ
على قصَبِ الزبرجدِ شاهداتٌ بـأنَّ الـلَّـهَ لـيـس لـه شـريـكُ

وفى روايةٍ عنه أنَّه قال: غُفِر لى بأبياتٍ قلتُها، وهى تحتَ وسادَتى، فجاءوا فوجَدُوها فى رقعةٍ بخطِّه، وهى هذه الأبياتُ:

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٤٦٣ بنحوه.

(٢) فى النسخ: «الشوينزى». وكذا فيما يأتى من مواضع. والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٩. والشونيزية: مقبرة ببغداد بالجانب الغربى دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين. معجم البلدان ٣/ ٣٣٨.

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٥.

(٤) فى الأصل، م: «شاخصات»، وفى ب: «ناظرات».

(٥ - ٥) فى ب: «بأحداق على الذهب». وفى س: «وفى أحداقها ذهب»، وفى م، ظ، ومصدر التخريج: «وأحداق لكالذهب».

يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنوبِىَ كثرةً فلقدْ عَلِمْتُ بأنَّ عفْوَكَ أعظمُ

[٨/ ١٤١ظ] الأبياتُ . وقد تقدَّمَتْ[١] .

وفى روايةٍ لابنِ عساكرَ، قال بعضُهم[٢] : رأيتُه فى المنامِ فى هيئةٍ حسنةٍ ونعمةٍ عظيمةٍ، فقلتُ له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ قال : غفَر لى . قلتُ : بماذا وقد كنتَ مُخلِّطًا على نفسِك ؟ فقال : جاء ذاتَ ليلةٍ رجلٌ صالحٌ[٣] إلى المقابرِ، فبسَط رداءَه[٤] وصلَّى ركعتَيْن، قرأ فيهما ألفَى مرةٍ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٥] . ثم أهْدَى ثوابَ ذلك لأهلِ تلك المقابرِ، فدخَلْتُ أنا فى جملتِهم، فغفَر اللَّهُ لى .

وقال ابنُ خَلِّكانَ[٦] : لمَّا صحِب أبا أسامةَ[٧] والِبةَ بنَ الحُبَابِ قدِم به بغدادَ، فكان أولُ شعرٍ قاله أبو نواسٍ :

حـامـلُ الـهـوَى تَـعِـبُ يـسْـتـخِـفُّـه الـطَّـرَبُ
إن بـكَـى يـحِـقُّ لـه لـيـس مـا بـه لَـعِـبُ
تـضْـحـكـيـنَ لاهـيـةً والمحِـبُّ يـنـتـحِـبُ
تـعـجَـبـيـنَ مِـن سَـقَـمِـى صِـحَّـتـى هـى الـعَـجَـبُ

---

(١) تقدمت فى صفحة ٨٣.
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٥، بنحوه.
(٣) بعده فى الأصل، س، ص : «فى ليلة من الليالى».
(٤) بعده فى الأصل، س : «وصف قدميه».
(٥) يعنى سورة الإخلاص.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٩٥، ٩٦.
(٧) فى الأصل : «سلامة».

وقال المأمونُ[1] : ما أحسنَ قولَه :

وما الناسُ إلّا هالكٌ وابنُ هالكٍ ... وذو نسَبٍ فى الهالِكِينَ عريقِ
إذا امتَحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ ... له عن عدوٍّ فى ثيابِ صديقِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وما أشدَّ رجاءَه بربِّه حيثُ يقولُ :

تكَثَّرْ[3] ما اسْتَطَعْتَ مِن الخطَايا ... فإنَّكَ بالغٌ[4] ربًّا غَفُورَا
ستُبْصِرُ إنْ ورَدْتَ[5] عليهِ عَفْوًا ... وتلقَى سيِّدًا مَلِكًا كبيرَا
تَعَضُّ ندامةً كفَّيْكَ ممّا ... ترَكْتَ مخافَةَ النارِ السرورا[6]

وفيها تُوفِّى : أبو معاويةَ الضريرُ[7] ؛ [8]محمدُ بنُ خازمٍ[8] ، أحدُ مشايخِ الحديثِ الثِّقاتِ المشهورِين[9] .

والوليدُ بنُ مسلمٍ الدِّمشقِىُّ[10] ، تلميذُ الأوزاعىِّ .

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٤٤٣، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤١٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٩٧، والبيتان فى الديوان ص ١٩٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٩٨، وتقدمت الأبيات فى صفحة ٨٢.

(٣) فى ب ، م : « تحمل » .

(٤) فى ب ، م : « لاقيا » .

(٥) فى ب ، م : « قدمت » .

(٦) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « الشرورا » .

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٢، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٤٢، وتهذيب الكمال ٢٥/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٥٠٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤.

(٨ - ٨) سقط من : ب ، م .

(٩) فى الأصل ، س ، ص : « الرفقاء » .

(١٠) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٠، وتهذيب الكمال ٣١/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٥٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٢، وغاية النهاية ٢/ ٣٦٠.

ثم دخلَتْ سنةُ ستٍّ وتسعين ومائةٍ

فيها[1] حبَس محمدٌ الأمينُ أسدَ بنَ يزيدَ ؛ لأجلِ أنَّه نقَم على الأمينِ لَعِبَه وتَهاونَه فى أمرِ الرَّعِيَّةِ ، وارتكابَه اللعبَ والصيدَ فى هذا الوقتِ .

ووجَّه الأمينُ[2] أحمدَ بنَ مَزْيدَ[3] ، وعبدَ اللَّهِ بنَ حُمَيْدِ بنِ قَحْطَبةَ فى أربعين ألفًا - مع كلِّ واحدٍ منهما عشرون ألفًا - إلى حُلْوانَ لقتالِ طاهرِ بنِ الحسَينِ أميرِ الحربِ مِن جهةِ المأمونِ ، فلمّا وصلُوا إلى قريبٍ مِن حُلوانَ خندَقَ طاهرٌ على جيشِه خَنْدَقًا ، وجعَل يعمَلُ الحيلةَ فى إيقاعِ الفتْنةِ بينَ الأمِيرَيْن ، فاختَلَفا فرجعَا ولم يقاتِلاه ، ودخَل طاهرٌ إلى حُلوانَ ، وجاءه كتابُ المأمونِ بتسليمِ ما تحتَ يدِه إلى هَرْثَمةَ بنِ أعينَ ، وأن يتوجَّهَ هو إلى الأهوازِ ، ففعَل ذلك .

وفيها رفَع المأمونُ منزِلَةَ[4] الفضلِ بنِ سهلٍ ، ولَّاه أعمالًا كبارًا وسمَّاه ذا الرِّياستَين . [٨/ ١٤٢و]

وفيها وَلَّى الأمينُ نيابةَ الشامِ لعبدِ الملكِ بنِ صالحِ بنِ عليٍّ - وقد كان أخرَجه مِن سجنِ الرشيدِ - وأمَره أن يبعَثَ له رجالًا وجنودًا لقتالِ طاهرٍ وهَرْثَمةَ ، فلمَّا وصَل عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ إلى الرَّقَّةِ أقام بها ، وكتَب إلى رؤساءِ الشامِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤١٨، والمنتظم ١٠/ ٢٣، والكامل ٦/ ٢٥٢.

(٢) فى الأصل ، س ، ص : « عمه » .

(٣) فى م : « يزيد » .

(٤) فى الأصل : « ببركة » ، وفى ب ، م : « وزيره » ، وفى س : « ببركة بن » . وانظر الكامل ٦/ ٢٥٦.

يتألَّفُهم ويدعُوهم إلى الطاعةِ، فقدِم عليه منهم خلقٌ كثيرٌ، ثم وقَعتْ حروبٌ كان مبدؤُها مِن أهلِ حمصَ، وتفاقَم الأمرُ وطال القتالُ بينَ الناسِ، ومات [(١)]عبدُ الملكِ[(١)] بنُ صالحٍ هنالك، فرجَع الجيشُ إلى بغدادَ صحبةَ الحسينِ بنِ عليٍّ ابنِ عيسَى بنِ ماهانَ، فتلقَّاه أهلُ بغدادَ بالإكرامِ [(٢)]والاحترامِ[(٢)]، وذلك فى شهرِ رجبٍ مِن هذه السنةِ. فلمَّا وصَل إليها جاءه رسولُ الأمينِ يطلُبُه، فقال: واللَّهِ ما أنا بمسامرٍ ولا مضحِكٍ، ولا وَلِيتُ له عملًا ولا جاء له على يدىَّ مالٌ، فلأىِّ شىءٍ يُريدُنى فى هذه الليلةِ؟

ذِكرُ سببِ خلعِ محمَّدٍ الأمينِ، وكيف أفضَتِ الخلافةُ إلى أخيه [(٣)]عبدِ اللَّهِ[(٣)] المأمونِ

لمَّا أصبَح الحسينُ بنُ عليٍّ [(٤ - ٥)]بنِ عيسى[(٤)] بنِ ماهانَ ولم يذهَبْ إلى الأمينِ لمَّا طلَبه، وذلك[(٥)] بعدَ مقدَمِه بالجيشِ مِن الرَّقَّةِ[(٦)]، قام فى النَّاسِ خطيبًا وألَّبهم على الأمينِ، وذكَر لَعِبَه وما يتعاطَاهُ مِن اللهوِ وغيرِ ذلك [(٥)]مِن المعاصِى، وأنّه لا تصلُحُ الخلافةُ لمَن هذا حالُه[(٥)]، وأنَّه يريدُ أنْ يوقِعَ البأسَ بينَ الناسِ، ثم حثَّهم على القيامِ عليه والنهوضِ إليه، وندَبهم لذلك، فالتفَّ عليه خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، وبعَث محمدٌ الأمينُ إليه خيلًا، فاقتتلوا مليًّا مِن النهارِ، فأمَر الحسينُ

(١ - ١) فى ص: «عبد اللَّه».

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣ - ٣) سقط من: م، وفى ص: «عبد الملك».

(٤ - ٤) سقط من: م. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٢٨.

(٥ - ٥) زيادة من: ب، م.

(٦) فى ب، م: «الشام».

أصحابَه أن يترجَّلوا إلى الأرضِ وأنْ يقاتِلُوا بالسيوفِ والرماحِ ، فانهزَم جيشُ الأمينِ ، وخلَع محمَّدًا الأمينَ ، وذلك يومَ الأحدِ الحادى عشَرَ[1] مِن شهرِ رجَبٍ مِن هذه السنةِ ، وأخَذ البيعةَ مِن الغدِ لعبدِ اللَّهِ المأمونِ ، ولمَّا كان يومُ الثلاثاءِ نقَل الأمينَ مِن قصرِه إلى قصرِ أبى جعفرٍ وسْطَ بغدادَ ، وضيَّقَ عليه وقيَّدَه واضطهَده ، وأمَر العبّاسُ بنُ [2]موسى بنِ عيسى[2] أمَّه زُبَيْدةَ أن تنتقِلَ إلى هنالِك فامْتَنَعتْ فقَنَّعها[3] بالسَّوطِ ، وقهَرها على الانتقالِ ، فانتقَلتْ مع أولادِها ، فلمَّا أصبَح الناسُ يومَ الأربعاءِ طلَبوا مِن الحسينِ بنِ عليٍّ أَعطِياتِهم واختَلَفوا عليه ، وصار أهلُ بغدادَ فرقتَين ؛ فرقةٌ مع الخليفةِ ، وفرقةٌ عليه ، فاقتَتَلوا قتالًا شديدًا ، فغلَب حزبُ الخليفةِ أولئك ، وأسَروا الحسينَ بنَ عليِّ بنِ عيسى [4]بنِ ماهانَ وقيَّدوه[4] ، ودخَلوا به على الخليفةِ ، ففكُّوا عنه قيودَه ، وأجلَسوه على السريرِ ، فعندَ ذلك أمَر الخليفةُ مَن لم يكنْ معه سلاحٌ مِن العامةِ أن يُعطَى سلاحًا مِن الخزائنِ ، فانتَهَب الناسُ خزائنَ السلاحِ [٨/ ١٤٢ظ] بسببِ ذلك ، وأُتِى الأمينُ بالحسينِ بنِ عليِّ بنِ عيسى ، فلامَه على ما صدَر منه ، فاعتَذَر إليه بأنَّ عفْوَ الخليفةِ حمَله على ذلك ، فعفَا عنه ، وخلَع عليه ، واستَوزَره وأعطاه الخاتَمَ ، وولَّاه ما وراءَ بابِه ، وولَّاه الحربَ وسيَّره إلى حُلوانَ ، فلمّا [5]وصَل إلى[5] الجسرِ هرَب فى خدمِه وحاشيتِه ، فبعَث إليه الأمينُ مَن يرُدُّه ، فركِبتِ الخيولُ وراءَه ، فأدرَكوه فقاتَلهم وقاتَلوه

---

(١) فى س : « عشرين » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « عيسى بن موسى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٢٩ .

(٣) فى ب ، م : « فضربها » ، وفى س : « فقمعها » . وقنعه بالسوط أو السيف ، علاه به .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، س ، ص .

(٥ - ٥) فى الأصل : « خرج إلى » ، وفى س ، ص : « خرج من » .

فقتَلوه لمنتصفِ رجَبٍ ، وجاءوا برأسِه إلى الأمينِ ، وجدَّد الناسُ بيعةَ الأمينِ يومَ الجمُعةِ . ولمَّا قتِل الحسينُ بنُ عليِّ بنِ عيسى هرَب الفضلُ بنُ الربيعِ الحاجبُ ، واستَحوَذ طاهرُ بنُ الحسينِ نائبُ المأمونِ على أكثرِ البلادِ ، واستَناب بها النوابَ [1]مِن جهةِ المأمونِ[1] ، وخلَعت أكثرُ[2] الأقاليمِ الأمينَ ، وبايَعوا المأمونَ ، وتدنَّى[3] طاهرٌ إلى المدائنِ فأخَذها مع واسطٍ وأعمالِها ، واستَناب مِن جهتِه على الحجازِ واليمنِ والجزيرةِ والمَوصِلِ ، وغيرِ ذلك ، ولم يَبْقَ مع الأمينِ مِن البلادِ إلا القليلُ .

وفى شعبانَ مِنها عقَد محمدٌ الأمينُ أربعَمائةِ لواءٍ ، مع كلِّ لواءٍ أميرٌ ، وبعَثهم لقتالِ هَرْثَمةَ بنِ أَعْيَنَ ، فالتَقَوا فى شهرِ رمضانَ فكسَرهم هَرْثمةُ ، وأسَر مُقدَّمَهم عليَّ بنَ محمدِ بنِ عيسى بنِ نَهيكٍ ، وبعَث به إلى المأمونِ . وهرَب جماعةٌ مِن جندِ طاهرٍ ، [4]نحوٌ مِن خمسةِ آلافٍ[4] ، فساروا إلى الأمينِ ببغدادَ[5] فأعطاهم أموالًا كثيرةً ، وأكرَمهم وغلَّف لِحاهم بالغاليةِ[6] ، فسُمُّوا جيشَ الغاليةِ . ثم ندَبهم الأمينُ وأرسَل معهم جيشًا كثيفًا لقتالِ طاهرٍ فهزَمهم ، وفرّق شملَهم ، وأخَذ ما كان معهم . واقترَب مِن بغدادَ ، فحاصَرها ، وبعَث القُصّادَ والجواسيسَ يُلقون الفتنةَ بينَ الجندِ حتى تفرَّقوا شِيَعًا ، ثم وقَع بينَ الجيشِ ، وسعَتِ[7] الأصاغرُ على الأكابرِ ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) بعده فى ب ، م : « أهل » .

(٣) فى ب ، م : « دنا » .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، س ، ص .

(٥) سقط من : ب ، م .

(٦) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن ، وهى معروفة . والتغلف بها: التلطخ . النهاية ٣/ ٣٨٣.

(٧) فى ب ، م : « تشعبت » .

واختلَفوا على الأمينِ فى سادسِ ذى الحِجَّةِ ، فقال بعضُ البغادِدةِ[1] :

قل لأمينِ اللَّهِ فى نفسِهِ ... ماشتَّتَ الجندَ سِوَى الغالِيَهْ
وطاهرٌ ، نفسِى تَقِى[2] طاهرًا ... بـرُسْـلِـهِ والـعُـدَّةِ الـكـافِيَهْ
أضحَى زمامُ الملكِ فى كفِّهِ ... مُـقـاتِـلًا لـلـفـئَـةِ الـبـاغـيَـهْ
يـا نـاكـثًا أسـلَـمَـهُ نَـكـثُـهُ ... عيوبُهُ [3]فى جيشِه[3] فاشيَهْ
قدْ جاءكَ اللَّيثُ بشَدّاتِهِ ... مُستَكْلِبًا فى أُسُدٍ[4] ضارِيَهْ
فاهرُبْ ولا مَهْرَبَ مِن مثلِهِ ... إلّا إلى النارِ أوِ الهاوِيَهْ

[٨/١٤٣و] فتفرَّق على الأمينِ شملُه ، وحار فى أمرِه ، وجاء طاهرُ بنُ الحُسينِ بجيوشِه ، فنزَل على بابِ الأَنْبارِ يومَ الثلاثاءِ لِثِنتَى عشْرةَ ليلةً[5] خلَتْ مِن ذى الحِجَّةِ ، واشتدَّ الحالُ على أهلِ البلدِ ، وأخَذَتِ[6] الدُّعّارُ والشُّطّارُ أهلَ الصلاحِ ، وخُرِّبتِ الديارُ ، وثارتِ الفتنةُ بينَ الناسِ ، حتى قاتَل الأخُ أخاه[7] ، والابنُ أباه[8] .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ العباسُ بنُ موسى بنِ عيسى [9]بنِ موسى[10] بنِ محمدِ بنِ علىٍّ[9] الهاشمىُّ ، مِن قِبَلِ طاهرٍ ، ودعا للمأمونِ بالخلافةِ بمكَّةَ والمدينةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٤٣.
(٢) فى م : « فدا » .
(٣ - ٣) فى ص : « فى خبثه » ، وفى تاريخ الطبرى : « من خبثه » .
(٤) فى الأصل ، س ، ص : « أمة » ، وفى ب : « فئة » .
(٥) زيادة من : ب ، م .
(٦) فى م : « أخاف » .
(٧) بعده فى ب ، م : « للأهواء المختلفة » .
(٨) بعده فى ب ، م : « وجرت شرور عظيمة واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقتل داخل البلد » .
(٩ - ٩) سقط من : ب ، م .
(١٠) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٤٤٤.

النبويَّةِ ، وهو أوّلُ موسمٍ دُعِي فيه للمأمونِ بالخلافةِ[1] .

وفيها تُوفِّي :

بقيَّةُ بنُ الوليدِ الحِمْصيُّ[2] ، إمامُ أهلِ حِمْصَ ، وفقيهُها ومحدِّثُها .

وحَفْصُ بنُ غِياثٍ القاضي[3] ، عاش فوقَ التسعينَ ، ولمّا احتُضِر بكَى بعضُ أصحابِه ، فقال [4]له : لا تبكِ[4] ، واللَّهِ ما حلَلتُ سراويلي على حرامٍ قطُّ ، ولا جلَس بين يدَيَّ خَصمان فباليتُ على مَن وقَع الحكمُ منهما[5] .

وعبدُ اللَّهِ بنُ مرزوقٍ[6] أبو محمدٍ الزاهدُ ، كان وزيرًا للرشيدِ فترَك ذلك كلَّه ، وتزهَّد ، وأوصَى عندَ موتِه أن يُطرَحَ قبلَ[7] موتِه على مَزْبلةٍ لعلَّ اللَّهَ يرحَمُه .

أبو شِيصٍ الشاعرُ محمدُ بنُ رَزِينِ بنِ سليمانَ[8] ، [9]كان إنشادُ الشِعْرِ وإنشاؤُه[9]

---

(١) سقط من : ب ، م ، ص .

(٢) طبقات خليفة ٢/ ٨١٣، وتاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٨، وتهذيب الكمال ٤/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١٢٤، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٨٤.

(٣) طبقات خليفة ١/ ٤٠٠، وأخبار القضاة ٣/ ١٨٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٩٧، وتهذيب الكمال ٧/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١٥٢.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، س ، ص . وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٩٠، ووفيات الأعيان ٢/ ١٩٨.

(٥) بعده فى ب ، م : « قريبا كان أو بعيدا ملكا أو سوقة » .

(٦) فى ص : « مورق » . وانظر ترجمته فى : الثقات ٨/ ٣٤٥، وصفة الصفوة ٢/ ٣١٧، والمنتظم ١٠/ ٣٢، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٠١.

(٧) فى ص : « بعد » .

(٨) الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٣، والأغانى ١٦/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٧١، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٠٢.

(٩ - ٩) فى م ، ب : « كان أستاذ الشعراء وإنشاء الشعر » .

ونظمُه أسهلُ عليه مِن شربِ الماءِ[1] ، وكان هو و[2]مُسلِمُ بنُ الوليدِ - الملقَّبُ صريعَ الغَوَانى - وأَبو نُواسٍ ، ودِعْبِلٌ يجتمِعون ويتناشَدون . وقد عمِى أبو الشِّيصِ فى آخرِ عمرِه .

ومِن جيِّدِ شعرِه قولُه[3] :

وقَفَ الهَوى بى حيثُ أنتِ فليس لى ... متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ
أجِدُ المَلامةَ فى هواكِ لذيذةً ... حبًّا لذكْرِكِ فليلُمْنى اللُّوَّمُ
أشبَهتِ أعدائى فصِرْتُ أُحِبُّهمْ ... إذْ كانَ حظِّى مِنكِ حظِّى مِنهمُ
وأهَنتِنى فأهَنتُ نفْسىَ صاغِرًا[4] ... ما مَنْ يهونُ عليكِ ممن يُكرَمُ

---

(١) بعده فى ب ، م : « كذا قال ابن خلكان وغيره » .
(٢) بعده فى م : « أبو » .
(٣) الأبيات فى الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٣، الأغانى ١٦/ ٤٠٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٠٢.
(٤) فى الأصل ، س ، ب : « جاهدا » ، وفى ص : « عامدا » .

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وتسعينَ ومائةٍ

استهلَّت[1] وقد ألحَّ طاهرُ بنُ الحسينِ بنِ مصعبٍ وهَرثَمةُ بنُ أعْيَنَ، ومَن معهما مِن الجنودِ فى حصارِ بغدادَ والتضييقِ على محمدٍ الأمينِ، وهرَب القاسمُ ابنُ الرشيدِ، وعمُّه منصورُ بنُ المَهدِىِّ إلى المأمونِ فأكرَمهما، وولَّى أخاه القاسمَ جُرْجَانَ، واشتدَّ الحصارُ ببغدادَ ونُصِبتْ عليها المجانيقُ والعَرَّادَاتُ[2]، وضاق الأمينُ بهم ذَرْعًا، ولم يبقَ معه ما يُنفِقُ فى الجندِ، فاضْطُرَّ إلى ضربِ آنيةِ الفضَّةِ والذهبِ دراهمَ ودنانيرَ، وهرَب كثيرٌ مِن جندِه إلى طاهرٍ، وقُتِل مِن أهلِ البلدِ خلقٌ كثيرٌ، وأُخِذتْ أموالٌ كثيرةٌ [3]مِن التجارِ[3]، [٨/١٤٣ظ] وبعَث محمدٌ الأمينُ إلى قصورٍ كثيرةٍ، ودورٍ شهيرةٍ، وأماكنَ ومَحالَّ كثيرةٍ فحرَّقها - لِما رأَى فى ذلك مِن المصلحةِ - فعَل كلَّ هذا فِرارًا مِن الموتِ، ولِتدومَ الخلافةُ له فلم تدُمْ، وقُتِل، وخرِّبَتْ ديارُه - كما سيأتى قريبًا - وفعَل طاهرٌ مِثلَ ما فعَل الأمينُ، حتى كادت بغدادُ تَخرَبُ بكمالِها، فقال بعضُ الشعراءِ فى ذلك[4]:

مَن ذا أصابكِ يا بغدادُ بالعَينِ ... أَلَمْ تَكُونى زمانًا قُرَّةَ العينِ؟!
ألم يكُنْ فيك قومٌ كان مسكَنُهمْ ... وكان قربُهُمُ زَينًا مِن الزَّينِ؟!

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٤٥، والمنتظم ١٠/ ٣٦، والكامل ٦/ ٢٧١.
(٢) فى الأصل، ب: «الرعادات». والعرادة: شىء أصغر من المنجنيق. التاج (ع ر د).
(٣ - ٣) فى ب، م: «منهم».
(٤) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٤٧.

صاحَ الغرابُ بهمْ بالبَيْنِ فافترَقُوا[1] ماذا لقِيتِ بهمْ مِن لَوعَةِ البَيْنِ ؟!
أستودِعُ اللَّهَ قومًا ما ذكَرتُهُمُ إلّا تحدَّرَ ماءُ العَيْنِ مِنْ عَينى
كانوا ففرَّقَهمْ دهْرٌ وصدَّعَهُمْ والدهرُ[2] يَصدَعُ ما بينَ الفريقينِ

وقد أكثرَ الشعراءُ فى ذلك ، وقد أورَد الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جريرٍ مِن ذلك طرَفًا صالحًا ، وأورَد فى ذلك قصيدةً طويلةً جدًّا لبعضِ أهلِ ذلك الزمانِ[3] ، فيها بَسْطُ ما وقَع ، وهى هَوْلٌ مِن الأهوالِ ، اختصَرْناها بالكليَّةِ .

واستحوَذ طاهرٌ على ما كان فى الضِّياعِ مِن الغلَّاتِ والحَواصلِ للأمراءِ وغيرِهم ، ودعاهم إلى الأمانِ ، وخلْعِ الأمينِ ، والبيعةِ للمأمونِ ، [4]فاستجاب له جماعةٌ[4] ؛ مِنهم عبدُ اللَّهِ بنُ حُمَيْدِ بنِ قَحْطَبةَ ، ويحيى بنُ علىٍّ بنِ ماهانَ ، ومحمدُ بنُ أبى العباسِ الطوسىُّ ، وكاتَبه خلقٌ مِن الهاشميِّين والأمراءِ ، وصارتْ قلوبُهم معه .

واتفَق فى بعضِ الأيامِ أن ظفِر أصحابُ الأمينِ ببعضِ أصحابِ طاهرٍ ، فقتَلوا منهم طائفةً عندَ قصرِ صالحٍ ، فلمّا جرَى ذلك بطَر الأمينُ وأقبَل على اللَّهوِ والشربِ واللعبِ ، ووكَّل الأمورَ وتدبيرَها إلى محمدِ بنِ عيسى بنِ نَهيكٍ ، ثم قوِيتْ شَوكةُ أصحابِ طاهرٍ ، وضعُف جانبُ الأمينِ جدًّا ، وانحاز الناسُ إلى جيشِ طاهرٍ ، وكان جانبُه آمنًا جدًّا ، لا يخافُ أحدٌ فيه مِن سَرِقةٍ ولا نَهْبٍ ، ولا

---

(١) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « فانقرضوا » .
(٢) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « البين » .
(٣) تاريخ الطبرى ٨/٤٤٨ - ٤٥٤.
(٤ - ٤) فى ب ، م : « فاستجابوا جميعهم » .

غيرِ ذلك ، وقد احتاز طاهرٌ أكثرَ محالِّ بغدادَ وأرباضِها[1] ، ومنَع المَلّاحين أن يحمِلوا طعامًا إلى مَن خالفَه ؛ ليُضيِّقَ عليهم ، فغلَتِ الأسعارُ عندَهم جدًّا[2] ، وندِم مَن لم يكُنْ خرَج مِن بغدادَ قبلَ ذلك ، ومُنِعتِ التجّارُ مِن القُدومِ إلى بغدادَ بشيءٍ مِن البضائعِ أو الدقيقِ[3] ، وصُرِفتِ السفنُ إلى البصرةِ وغيرِها ، وقد جرَت بينَ الفريقَين حروبٌ كثيرةٌ ؛ فمِن ذلك وقعةُ دَربِ الحِجَارةِ ، كانت لأصحابِ محمدٍ الأمينِ ، قُتِل فيها خلقٌ مِن أصحابِ طاهرٍ ، كان الرجلُ مِن العَيّارِين[4] والحَرافشةِ مِن البَغاددَةِ يأتى عُريانًا ، ومعه باريَّةٌ مُقيَّرةٌ ، وتحت كتفِه مِخلاةٌ [٨/١٤٤و] فيها حِجارةٌ ، فإذا ضرَبه الفارسُ مِن بعيدٍ بالسهمِ اتَّقاه بباريَّتِه فلا يؤذيه ، وإذا اقترَب منه رماه بحجرٍ فى المِقلاعِ فأصابَه ، فهزَموهم بذلك .

ووقعةُ الشَّمّاسيَّةِ[5] أُسِر فيها هَرْثَمةُ بنُ أَعيَنَ ، فشقَّ ذلك على طاهرٍ وأمَر بعقدِ جسرٍ على دِجْلةَ فوقَ الشمّاسيَّةِ ، وعبَر بنفسِه ، ومَن معه إلى الجانبِ الآخرِ فقاتَلهم بنفسِه أشدَّ القتالِ حتى أزالَهم عن مواضعِهم ، واستردَّ منهم هَرْثَمةَ ، وجماعةً ممَّن كانوا أُسِروا مِن أصحابِه ، فشقَّ ذلك على محمدٍ الأمينِ ، وقال فى ذلك[6] :

---

(١) فى الأصل : « أراضيها » ، والأرباض جمع ربض ، بفتحتين : وهو ما حول الشىء . المصباح المنير (ر ب ض) .

(٢) بعده فى ب ، م : « عند من خالفه » .

(٣) فى الأصل ، س ، ص : « الرقيق » .

(٤) العيارون : طائفة من الرعاع واحدهم : عيار ، وهو الذى لا يهتم بأمور عيشه ، ولا يتقيد بالدين ولا بالمتعارف عليه بين الناس . معجم المصطلحات والألقاب التاريخية : ٣٢٨.

(٥) الشماسية : منسوبة إلى بعض شماسى النصارى ، وهى مجاورة لدار الروم التى فى أعلى بغداد . معجم البلدان ٣/ ٣١٧.

(٦) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٦٧.

مُنيتُ[1] بأشجَعِ الثَّقَلَيْنِ قلبًا إذا ما طالَ ليس كما يطولُ
له مع كلِّ [2]ذى بدنٍ[2] رقيبٌ[3] يُشاهِدُهُ ويعلَمُ ما يقولُ
فليس بمُغْفِلٍ أمرًا عِنادًا[4] إذا ما الأمرُ ضَيَّعه الغَفُولُ

وضعُف أمرُ محمدٍ الأمينِ ابنِ زُبيدةَ جدًّا ولم يبقَ عندَه مالٌ يُنفِقُه على جندِه ولا على نفسِه، وتفرَّق أكثرُ أصحابِه عنه، وبقِى مُضطَهَدًا ذليلًا. وانقضَت هذه السنةُ بكمالِها والناسُ ببغدادَ فى قلاقلَ وزلازلَ وهَيْشاتٍ[5] وقتالٍ وحصارٍ وحَرَقٍ وغَرَقٍ وسَرَقٍ، فإنّا للّهِ وإنا إليه راجعون.

وحجّ بالناسِ فيها العباسُ بنُ موسى [6]بنِ عيسى[6] الهاشمىُّ، [7]ودعا للمأمونِ[7].

وفيها توفِّى مِن السادةِ الأعيانِ:

شُعَيْبُ بنُ حربٍ[8]، أحدُ الزهادِ.

---

(١) فى الأصل، ب، س، ص: «رميت».
(٢ - ٢) فى الأصل: «ندين» كذا بدون إعجام، وفى ب: «ندمن»، وفى س: «بدن»، وفى م: «ذى بدد». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٦٧.
(٣) فى ص: «قريب».
(٤) فى الأصل، س، ص: «عناه»، وفى ب: «عياه».
(٥) فى الأصل: «هشات». والهيشات جمع هيشة، وهى الفتنة. الوسيط (هـ ى ش).
(٦ - ٦) سقط من: ب، م. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٧١، والولاة والقضاة للكندى ص ١٥٣.
(٧ - ٧) فى ب، م: «من جهة المأمون».
(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٣٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٧٠، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥١١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٢٤.

وعبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[1] ، إمامُ أهلِ الديارِ المصريَّةِ .

وعبدُ الرحمنِ بنُ مُسْهِرٍ[2] ، [3]قاضى جَبَّلٍ[3] ، أخو علىِّ بنِ مُسْهِرٍ .

وعثمانُ بنُ سعيدٍ ، [4]أبو سعيدٍ[4] ، الملقَّبُ بوَرْشٍ ، أحدُ القرّاءِ المشهورِين الرواةِ عن نافعِ بنِ أبى نُعَيْمٍ .

ووكيعُ بنُ الجرّاحِ الرُّؤاسىُّ[5] ، أَحدُ أعلامِ المُحدِّثين ، مات عن ستٍّ وستِّينَ سنةً .

---

(١) طبقات خليفة ٢/ ٧٦٥، وطبقات الشيرازى ص ١٥٠، وتهذيب الكمال ١٦/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٦٤، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٦٥، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٢.

(٢) أخبار القضاة ٣/ ٣١٧، ٣١٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٨، والمنتظم ١٠/ ٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠هـ) ص ٢٦٤، ولسان الميزان ٣/ ٤٧٣.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م. وانظر ترجمته فى: معرفة القراء الكبار ١/ ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٣٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٥٥، وحسن المحاضرة ١/ ٤٨٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٤، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٦، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٤٦٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٣٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦.

ثم دخلَت سنةُ ثمانٍ وتسعين ومائةٍ

فيها[1] خامَر خزيمةُ بنُ خازمٍ[2] على محمدٍ الأمينِ، وأخَذ الأمانَ مِن طاهرٍ. ودخَل هَرْثمةُ بنُ أعيَنَ الجانبَ الشَّرقيَّ. وفى يومِ الأربعاءِ لثمانٍ خلَونَ مِن المحرَّمِ، وثَب خزيمةُ بنُ خازمٍ، ومحمدُ بنُ عليِّ بنِ عيسى على جسرِ بغدادَ، فقطعاه ونصَبا رايتَهما عليه، ودعَوَا إلى بيعةِ عبدِ اللَّهِ المأمونِ، وخَلْعِ محمدٍ الأمينِ، ودخَل طاهرٌ يومَ الخميسِ إلى الجانبِ الشَّرقيِّ، فباشر القتالَ بنفسِه، ونادَى بالأمانِ لمَن لزِم منزلَه، وجرَت عندَ دارِ الرقيقِ والكَرْخِ وغيرِهما وقَعاتٌ، وأحاط[3] بمدينةِ أبى جعفرٍ والخُلْدِ وقصرِ زُبيدةَ، ونصَب المجانيقَ حولَ السورِ [٨/١٤٤ظ] وحذاءَ قصرِ زُبيدةَ، ورماه بالمَنْجَنِيقِ، فخرَج محمدٌ الأمينُ بأُمِّه وولدِه إلى مدينةِ أبى جعفرٍ، وتفرَّق عنه عامةُ أصحابِه فى الطُّرقِ، لا يَلْوِى أحدٌ على أحدٍ. ودخَل الأمينُ قصرَ أبى جعفرٍ - وانتقل مِن الخُلْدِ لكثرةِ ما يأتيه فيه مِن رَمْيِ المَنْجَنِيقِ، وأمَر بتَحْرِيقِ ما كان فيه مِن الأثاثِ والبُسُطِ والأمتعةِ، وغيرِ ذلك - فحُصِرَ فيه حَصْرًا شديدًا. ومع هذه الشدةِ والضيقِ وإشرافِه على الهلاكِ، خرَج ذاتَ ليلةٍ فى ضوءِ القمرِ إلى شاطئِ دجلةَ، واستَدْعى بنبيذٍ وجاريةٍ فغنَّته، فلم ينطلِقْ لسانُها إلا بالفِراقياتِ وذكْرِ الموتِ، وهو يقولُ لها: غَيِّرى هذا.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٧٢، والمنتظم ١٠/ ٤٥، والكامل ٦/ ٢٧٨.

(٢) فى س: «حازم». وكذا فى المواضع التالية. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٧٢.

(٣) فى ب، م: «أحاطوا».

فتَذكُرُ نظيرَه ، حتى غنَّته آخِرَ ما غنَّته أن قالت[1] :

أمـا وَرَبِّ الـسُّـكُـونِ والحَرَكِ ... إنَّ المنـايـا كـثـيـرةُ الـشَّـرَكِ[2]

ما اختلَف الليلُ والنهارُ ولا ... دارتْ نجومُ السّماءِ فى الفَلَكِ

إلا لِنَقْلِ السُّلطانِ مِن مَلِكٍ ... [3]غاوٍ يُحِبُّ الدُّنيا[3] إلى مَلِكِ

ومُلْكُ ذى العرشِ دائمٌ أبدًا ... لـيـس بـفـانٍ ولا بمـشْـتَـرَكِ

قال : فسَبَّها وأقامها مِن حضرتِه ،فعَثَرَتْ فى قدحٍ كان له مِن بَلُّورٍ فكَسَرَتْه ، فتَطَيَّر بذلك . ولمّا ذهَبتِ الجاريةُ سمِع صارخًا يقولُ ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] . فقال لجليسِه : وَيْحكَ ، ألَا تسمَعُ ؟ فتَسَمَّعَ فلم يَسْمَعْ شيئًا ، ثم عاد الصوتُ بذلك ، فما كان إلا ليلةٌ أو ليلتان حتى قُتِل فى رابعِ صفرٍ يومَ الأحدِ ، وقد جهِد[4] فى حصْرِه ذلك[5] ، بحيثُ إنَّه لم يَبْقَ عندَه طعامٌ ولا شرابٌ ؛ فجاع ليلةً فما أُتِىَ برغيفٍ ودجاجةٍ إلا بعدَ كُلْفَةٍ كبيرةٍ ، ثم طلَب ماءً فلم يُوجَدْ له ، فبات عطشانًا ، فلمّا أصبَح قُتِل قبلَ أن يشربَ ماءً .

ذكرُ كيفيَّةِ مقتلِه

لمّا اشتَدَّ به الأمرُ اجتَمَع عندَه مَن بقِى معه مِن الأمراءِ والخدمِ والجندِ ، فشاوَرَهم فى أمرِه ، فقالت طائفةٌ : تذهبُ بمَن بقِى معك إلى الجزيرةِ أو الشَّامِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٧٧، والكامل ٦/ ٢٨١.

(٢) فى الأصل، ب، س، ص: «الدرك».

(٣ - ٣) فى ب، م: «قد انقضى ملكه».

(٤) فى ب، م: «حصل له من الجهد والضيق».

(٥) فى ب، م: «شيئًا كثيرًا».

فتتقوَّى بالأموالِ ، وتَستخدِمُ الرجالَ . وقال بعضُهم : بل تَخرُجُ إلى طاهرٍ وتأخُذُ منه أمانًا ، وتبايعُ لأخيكَ ، فإذا فعَلْتَ ذلك فإنَّ أخاك سيأمُرُ لك بما يَكْفِيكَ[1] مِن أمرِ الدُّنيا ، وغايةُ مرادِكَ الدَّعةُ والرَّاحةُ ، وذلك يحصُلُ لك . وقال بعضُهم : بل هَرْثَمةُ أَوْلَى بأن يأخُذَ لك الأمانَ ؛ فإنَّه مولاكم أحنَى عليكم . فمالَ إلى ذلك ، فلَمَّا كانت ليلةُ الأحدِ الرابعِ مِن صفرٍ بعدَ عشاءِ الآخرةِ واعَد هَرْثمةَ أن يخرُجَ إليه ، ثم لبِس ثيابَ [٨/١٤٥و] الخلافةِ وطَيْلسانًا ، واستدْعى بولدَيْهِ فشَمَّهما وضَمَّهما إليه ، وقال : أستَوْدِعُكما اللَّهَ . ومسَح دموعَه بطرفِ كُمِّه ، ثم ركِب على فرسٍ سوداءَ وبين يَدَيْهِ شمعةٌ ، فَلمَّا انتهى إلى هَرْثمةَ أكرَمه وعظَّمه ، وركِبَا فى حَرَّاقةٍ[2] فى دِجلةَ ، وبلَغ ذلك طاهرًا ، فغضِب مِن ذلك ، وقال : أنا الذى فعلتُ هذا كلَّه ويذْهَبُ إلى غيرِى ، ويُنسَبُ هذا كلُّه إلى هرثمةَ ! فلحِقهما وهما فى الحَرَّاقةِ ، فأمالها أصحابُه فغرِقت فى الماءِ ، فغرِق مَن فيها ، غيرَ أنَّ محمدًا الأمينَ سبَح إلى الجانبِ الآخرِ وأسَرَه بعضُ الجندِ ، وجاء فأعلَم طاهرًا بذلك ، فبعَث إليه جندًا مِن العجمِ ، فجاءوا إلى البيتِ الذى قد أَوَى إليه وعندَه بعضُ أصحابِه ، وهو يقولُ له : ادْنُ منِّى فإنِّى أجدُ وحشةً شديدةً . وجعَل يلتَفُّ فى ثيابِه شديدًا ، وقلبُه يخفِقُ خَفَقانًا عظيمًا ، كاد يخرُجُ مِن صدرِه ، فلَمَّا دخَل عليه أولئك ، قال : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ثم دَنَا منه أحدُهم فضَرَبه بالسَّيفِ على مَفْرِقِ رأسِه ، فجَعل يقولُ : وَيْحَكُم ، أنا ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنا ابنُ هارونَ ، أنا أخو المأمونِ ، اللَّهَ اللَّهَ فى دمى ! فلم يلتفِتُوا إلى شىءٍ مِن ذلك ، بل تكاثَروا عليه وذبَحُوه مِن قَفاه[3] ، وذهبوا برأسِه إلى طاهرٍ وترَكُوا جثَّتَه ، ثم جاءوا

---

(١) بعده فى ب ، م : « ويكفى أهلك » .

(٢) فى ص : « طرفه » . والحَرَّاقة : ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر .

(٣) بعده فى ب ، م : « وهو مكبوب على وجهه » .

مِن باكرٍ إليها ، فلفُّوها فى جُلٍّ فرسٍ وذهَبوا بها ، وكان ذلك فى ليلةِ الأحدِ لأربعِ ليالٍ خلَتْ مِن صَفَرٍ مِن هذه السنةِ ، أعنى سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائةٍ .

وهذا شىءٌ مِن ترجمةِ الأمينِ[1]

هو محمدٌ أميرُ المؤمنين الأمينُ بنُ هارونَ الرشيدِ بنِ محمدٍ المهدىِّ بنِ المنصورِ ، أبو عبدِ اللَّهِ ، ويقالُ : أبو موسى الهاشمىُّ العباسىُّ البغدادىُّ ، وأُمُّه أمُّ جعفرٍ زُبيدةُ بنتُ جعفرِ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ .

كان مولدُه بالرُّصافةِ سنةَ سبعين ومائةٍ[2] . وأتَتْه الخلافةُ بمدينةِ السلامِ لثلاثَ عشرةَ ليلةً بقِيَتْ مِن جُمادَى الآخرةِ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ، وقُتِل[3] ليلةَ الأحدِ لخمسٍ بقِين مِن المحرَّمِ ، يعنى[4] سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائةٍ ، قتَله قريشٌ الدَّندانىُّ[5] ، وحُمِل رأسُه إلى طاهرِ بنِ الحسينِ ، فنَصَبه على رمحٍ وتَلَا هذه الآيةَ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ الآية [آل عمران : ٢٦] . وكانت وِلايتُه أربعَ سنِين وسبعةَ أشهرٍ وثمانيةَ أيامٍ ، وكان طويلًا سمينًا أبيضَ ، [٨/١٤٥ظ] أقنَى الأنفِ ، صغيرَ العينينِ ، عظيمَ الكراديسِ ، بعيدَ ما بينَ

---

(١) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٨٩، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٨٠، والوافى بالوفيات ٥/ ١٣٥، وتاريخ الخلفاء ص ٢٩٧.

(٢) بعده فى س، م، ص: «قال أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنا عياش بن هشام، عن أبيه قال: ولد محمد الأمين بن هارون الرشيد فى شوال سنة سبعين ومائة».

(٣) فى م، ص: «قيل».

(٤) فى م: «وقتل».

(٥) فى الأصل، ب، ص: «الديدانى». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٤٨٨.

المَنْكِبِين . وقد رماه بعضُهم بكثرةِ اللَّعِبِ والشُّربِ ، وقِلَّةِ الصَّلاةِ . وقد ذكَر ابنُ جريرٍ[1] طَرَفًا مِن سيرتِه فى إكثارِه مِن اقتناءِ السودانِ والخِصيانِ ، وإعطائِهم الأموالَ والجواهرَ ، وأمْرِه بإحضارِ الملاهى والمغَنِّينَ مِن سائرِ البلدانِ ، وأنَّه أمَر بعملِ خمسِ حَرَّاقاتٍ على صورةِ الفيلِ ، والأسدِ ، والعُقَابِ ، والحيَّةِ ، والفَرَسِ ، وأنفَق على ذلك أموالًا جزيلةً جدًّا ، وقد امتَدَحه أبو نُوَاسٍ على ذلك بشعرٍ أقبحَ فى معناه مِن صنيعِ الأمينِ ، فإنَّه قال[2] فى أوَّلِه :

سخَّرَ اللَّهُ للأمينِ مَطَايا ... لم تُسَخَّرْ لِصاحبِ المِحْرَابِ
فإذا ما ركابُه سِرْنَ بَرًّا ... سارَ فى الماءِ راكبًا ليثَ[3] غابِ

ثم وصَف كُلًّا مِن تلك الحرَّاقاتِ .

واعتنَى الأمينُ ببِناياتٍ هائلةٍ للنزهةِ وغيرِ ذلك ، وأنفَق فى ذلك أموالًا كثيرةً جدًّا ، فكثُر النَّكيرُ عليه بسببِ ذلك .

وذكر ابنُ جريرٍ[4] أنَّه جلَس يومًا فى مجلسٍ أنفَق عليه مالًا جزيلًا فى الخُلْدِ ، وقد فُرِش له بأنواعِ الحريرِ ، ونُضِّدَ بآنيةِ الذَّهبِ والفضَّةِ ، وأَحضَر ندماءَه ، وأمَر القَهْرَمانةَ أن تُهَيِّئَ له مائةَ جاريةٍ حسناءَ ، وأمَرها أن تبعَثَهُنَّ إليه عشرًا بعدَ عشرٍ يُغَنِّينَه ، فلَمَّا جاءتِ العشْرُ الأُوَلُ اندَفَعْنَ يُغَنِّينَ بصوتٍ[5] واحدٍ :

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٩٨.
(٢) ديوان أبى نواس ص ١١٦. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٠٩.
(٣) يعنى : الحراقة التى كانت تسمى الأسد .
(٤) تاريخ الطبرى ٨/ ٥١٢، بنحوه .
(٥) فى الأصل : « بضرب » . والبيت فى الكامل للمبرد ٣/ ٢٨، وهو ضمن أبيات للوليد بن عقبة يخاطب بها بنى هاشم حين قتل عثمان .

هُمُ قَتَلُوه كى يَكُونوا مَكَانَه كما (١غَدَرَتْ يومًا١) بكِسْرَى مَرازِبُهْ

فغضِب مِن ذلك، وتبرَّم وضرَب رأسَها بالكأسِ، وأمَر بها أن تُلْقَى إلى الأسدِ، فأكَلها، ثم استَدْعَى بعشرٍ فاندَفَعْنَ يُغَنِّينَ:

مَنْ كانَ مسرورًا بمقتلِ مالكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوتَنا بوَجْهِ نهارِ
يجِدِ النساءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلطِمْنَ قَبْلَ تبلُّجِ الأَسْحارِ(٢)

فطَرَدَهُنَّ واستَدْعَى بعشرٍ غيرِهِنَّ، فلَمَّا حضَرْنَ اندفَعنَ يُغنِّينَ بصوتٍ واحدٍ:

كُلَيبٌ لَعَمرى كانَ أكثرَ ناصِرًا (٣وأَيْسَرَ ذَنبًا٣) منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ(٤)

فطرَدَهُنَّ وقام مِن فورِه، وأمَر بتخريبِ ذلك المجلسِ وتحريقِ ما فيه.

وذكروا أنَّه كان كثيرَ الأدبِ، فصيحًا، يقولُ الشعرَ ويُحِبُّه ويعطى عليه الجوائزَ الكثيرةَ، وكان شاعرُه أبا نُواسٍ، وقد قال فيه أبو نُواسٍ مدائحَ حِسانًا جدًّا، وقد وجَده مسجونًا فى حبسِ الرشيدِ مع الزَّنادقةِ، فأحضَره وأطلَقَه، وأطلَق له مالًا، وجعَله مِن ندمائِه، ثم حبَسه مرَّةً [٨/١٤٦و] أخرى فى شُرْبِ الخمرِ وأطال حَبْسَه، ثم أطلَقه، وأخَذ عليه العهدَ أن لا يشربَ الخمرَ، ولا يأتِىَ الذُّكرانَ مِن العالَمِينَ، فامتَثَل ذلك، وكان لا يفعلُ شيئًا مِن ذلك بعْدَمَا استَتابَه الأمينُ، وقد تأدَّب على الكِسائىِّ، وقرَأ عليه القرآنَ.

(١ - ١) فى ص: «غدت ما».
(٢) فى الأصل، ب: «الإبكار».
(٣ - ٣) فى الأصل: «وأشهر حزمًا». وفى ص: «وأيسر حزنًا».
(٤) فى الأصل: «بالندم».

وروَى الخطيبُ[1] من طريقِه حديثًا أورَده عنه لمّا عُزِّىَ فى غلامٍ له تُوفِّى بمكةَ، فقال: حدَّثنى أبى، عن أبيهِ، عن المنصورِ، عن أبيهِ، عن علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن أبيهِ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَن مات مُحْرِمًا حُشِر مُلَبِّيًا».

وقد قدَّمنا[2] ما وقَع بينَه وبينَ أخيه مِن الاختلافِ والفُرْقةِ، حتى أفضَى ذلك إلى خَلْعِه وعَزْلِه، ثم إلى التضييقِ عليه وقَتْلِه، رحِمه اللَّهُ وسامحَه، وأنَّه حصِر فى آخرِ أمرِه حتى احتاج إلى مصانعةِ هَرثمةَ، [3]فخرَج إليه ليجتَمِعَ به، فأُلقِىَ مِن الحرَّاقةِ[3]، فسَبَح إلى الشَّطِّ الآخرِ مِن دِجلةَ فدخَل دارًا لبعضِ العامَّةِ، وهو فى غايةِ الخوفِ والدَّهَشِ والجوعِ والعُرْيِ والقلقِ، فجعَل الرجلُ يُلَقِّنُه الصَّبرَ والاستغفارَ، فاشتَغَل بذلك ساعةً مِن الليلِ، ثم جاء الطَّلَبُ وراءَه مِن جهةِ طاهرِ ابنِ الحسينِ بنِ مصعبٍ، فدخَلوا عليه، وكان البابُ ضَيِّقًا فدخَلُوا يتدافَعُون، وقام إليهم فجعَل يدافِعُهم عن نفسِه بمِخَدَّةٍ كانت فى يَدِه، فما وصَلوا إليه حتى عرْقَبُوه وضرَبوا رأسَه وخاصِرَتَه بالسيوفِ، ثم ذبَحوه، وأخَذُوا رأسَه وجثَّتَه فأتَوا بهما إلى طاهرِ بنِ الحسينِ، ففرِح بذلك فرَحًا شديدًا، وأمَر بنصبِ الرَّأسِ فوقَ رُمْحٍ هناك، حتى أصبَح الناسُ فنظَرُوا إليه فوقَ الرُّمحِ عندَ بابِ الأَنْبارِ، وكثُرَ عددُ الناسِ ينظُرون إليه، ثم بعَث طاهرٌ برأسِ الأمينِ مع ابنِ عمِّه محمدِ بنِ مصعبٍ، وبعَث معه بالبُرْدةِ والقضيبِ والمُصَلَّى[4] - وكان مِن خُوصٍ مُبَطَّنٍ -

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٨.

(٢) تقدم فى صفحة ٥١.

(٣ - ٣) فى ب، م: «وأنه ألقى فى حراقة ثم ألقى منها».

(٤) فى الأصل: «النصل»، وفى ب، م: «النعل».

فسَلَّمه إلى ذِى الرِّياستينِ ، فدَخَل به على المأمونِ على تُرْسٍ ، فلَمَّا رآه سجَد وأمَر لمَن جاء به بألفِ ألفِ درهمٍ . وقد قال ذو الرياستينِ حينَ قدِم الرأسُ ، يُؤَلِّبُ على طاهرٍ[1] : أمَرْناه بأن يأتِيَ به أسيرًا ، فأرسَل به عقيرًا . فقال المأمونُ : قد مضَى ما مضَى . وكتَب طاهرٌ إلى المأمونِ كتابًا ذكَر فيه صورةَ ما وقَع مِن القتالِ حتى آلَ الحالُ إلى ما آلَ إليه .

ولمَّا قُتِل الأمينُ هدَأَتِ الفتنُ ، وخمَدَتِ الشُّرورُ ، وأمِن الناسُ ، وطابَتِ النفوسُ ، ودخَل [٨/١٤٦ظ] طاهرُ بنُ الحسينِ إلى بغدادَ يومَ الجمُعَةِ ، [2]فصلَّى بالناسِ الجمعةَ[2] ، وخطَبَهم خطبةً بليغةً ، ذكَر فيها آياتٍ كثيرةً مِن القرآنِ ، وأنَّ اللَّهَ يفعَلُ ما يشاءُ ، ويحكُمُ ما يُرِيدُ ، وأمرَهم فيها بالجماعةِ والسَّمعِ والطاعةِ ، ثم خرَج إلى معسكرِه فأقام به ، وأمَر بتحويلِ زُبيدةَ مِن قصرِ أبى جعفرٍ إلى قصرِ الخُلْدِ ، فخرَجَتْ يومَ الجمعةِ الثانى عشَرَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، وبعَث بموسى وعبدِ اللَّهِ ابنَيِ الأمينِ إلى عمِّهما المأمونِ بخُراسانَ ، وكان ذلك رأيًا سديدًا .

وقد وثَب طائفةٌ مِن الجندِ بطاهرٍ بعدَ خمسةِ أيامٍ مِن مَقْتلِ الأمينِ وطلَبُوا منه أرزاقَهم ، فلم يكُنْ عندَه إذْ ذاكَ مالٌ ، فتحزَّبوا واجتمَعُوا ، ونهَبُوا بعضَ متاعِه ونادَوْا : يا موسى ، يا منصورُ . واعتَقَدُوا أنَّ موسى بنَ الأمينِ المُلَقَّبَ بالناطقِ بالحقِّ هناك ، وإذا هو قد سيَّره طاهرٌ إلى عمِّه المأمونِ ، وانحاز طاهرٌ بمَن معه مِن القُوَّادِ ناحيةً ، وعزَم على قتالِهم ومناجزتِهم بمَن معه ، ثم رجَعُوا إليه واعتَذَرُوا وندِمُوا على ما كانوا فعَلُوا ، فأمَر لهم برزقِ أربعةِ أشهرٍ ؛ بعشرِينَ ألفَ دينارٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٠٧.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

اقترَضها مِن بعضِ الناسِ، فطابَتِ الخواطرُ، [1]واتَّسَق الحالُ وصلَح أمرُ بغدادَ.

وكان[1] إبراهيمُ بنُ المَهدِيِّ قد أسِف على قَتْلِ محمدِ ابنِ زُبيدةَ، ورَثاه بأبياتٍ، فبلَغ ذلك المأمونَ، فبعَث إليه يُعَنِّفُه ويلُومُه على ذلك. وقد ذكَر ابنُ جريرٍ مراثِيَ كثيرةً للناسِ فى الأمينِ، وذكَر مِن أشعارِ الذين هَجَوْه طَرفًا، وذكَر مِن شعرِ طاهرِ بنِ الحسينِ حينَ قتَلَه قولَه[2]:

مَلَكْتُ الناسَ قسْرًا واقتدارًا ... وقَتَّلتُ الجبابرَةَ الكِبَارا
ووجَّهتُ الخلافةَ نحوَ مَرْوٍ ... إلى المأمونِ تُبْتَدَرُ ابْتِدارا

خلافةُ عبدِ اللَّهِ المأمونِ بنِ هارونَ الرشيدِ

لَمَّا قُتِل أخوه محمدُ بنُ هارونَ الرشيدِ ببغدادَ فى رابعِ صفرٍ مِن سنةِ ثمانٍ وتسعينَ ومائةٍ - وقيل: فى آخرِ المحرَّمِ - استوسَقَتِ البَيْعةُ شَرْقًا وغَرْبًا للمأمونِ عبدِ اللَّهِ بنِ الرشيدِ، فوَلَّى الحَسنَ بنَ سَهْلٍ نيابةَ العراقِ وفارسَ والأهوازِ والكوفةِ والبصرةِ والحجازِ واليمنِ، وبعَث نوابَه إلى هذه الأقاليمِ، وكتَب إلى طاهرِ بنِ الحسينِ [3]وهو ببغدادَ[3] أن ينصرِفَ إلى الرَّقةِ لحربِ نصرِ بنِ شَبَثٍ[4]، ووَلّاه نيابةَ الجزيرةِ والشَّامِ والموصلِ والمغربِ. وكتَب إلى هرثمةَ بنِ أعيَنَ بنيابةِ خُراسانَ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ العباسُ بنُ [5]موسى بنِ[5] عيسى [6]بنِ موسى[6]

(١ - ١) فى م: «ثم إن».
(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ٤٩٩.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) فى الأصل، ب: «شبت»، وفى س: «شيث». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢٧.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ب.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ب، س. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢٧.

الهاشميُّ .

ومِمَّن توفيَّ فيها مِن الأعيانِ :

سفيانُ بنُ عيينةَ[1] . وعبدُ الرحمنِ [٨/١٤٧و] بنُ مهدِيٍّ[2] . ويحيى بنُ سعيدٍ القطانُ[3] . فهؤلاء الثلاثةُ سادةُ العلماءِ [4]في زمانِهم[4] ، في الحديثِ[5] وأسماءِ الرجالِ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٧، ٤٩٨، وحلية الأولياء ٧/ ٢٧٠، وتاريخ بغداد ٩/ ١٧٤، وتهذيب الكمال ١١/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١٨٩، والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٨١.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٧، وحلية الأولياء ٩/ ٣، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٠، وتهذيب الكمال ١٧/ ٤٣٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٧٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٣، وحلية الأولياء ٨/ ٣٨٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣٥، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٦٣.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) بعده في م: «والفقه».

ثم دخلَتْ سنةُ تسعٍ وتسعينَ ومائةٍ[1]

فيها قدِم الحسنُ بنُ سهلٍ بغدادَ نائبًا عليها مِن جهةِ المأمونِ ، ووَجَّه نوَّابَه إلى بقيةِ أعمالِه ، وتوجَّه طاهرٌ إلى نيابةِ الجزيرةِ والشَّامِ ومصرَ وبلادِ المغربِ . وسارِ هَرْثمةُ إلى نيابةِ خُراسانَ .

وكان قد خرَج فى أواخرِ السنةِ الماضيةِ فى ذى الحجةِ منها الحسنُ الهِرْشُ يَدْعُو إلى الرِّضا من آلِ محمدٍ ﷺ ، فجَبَى الأموالَ ، وانتَهَب الأنعامَ ، وعاثَ فى البلادِ فسادًا ، فبعَث إليه المأمونُ جيشًا ، فقتَلُوه فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ .

وفى هذه السنةِ خرَج بالكوفةِ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، يومَ الخميسِ لعَشْرٍ خلَوْنَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، يَدْعُو إلى الرِّضا مِن آلِ محمدٍ ، والعملِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وهو الذى يقالُ له : ابنُ طَباطَبا . وكان القائمَ بأمرِه وتدبيرِ الحربِ بينَ يَدَيْه أبو السَّرايا السَّرِىُّ بنُ منصورٍ الشَّيبانىُّ ، وقد أصْفَق[2] أهلُ الكوفةِ على وفاقِه واجتَمَعُوا عليه مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ ، ووفَدَتْ إليه الأعرابُ مِن ضواحى الكوفةِ ، وكان النائبَ عليها مِن جهةِ الحسنِ بنِ سَهْلٍ سليمانُ بنُ أبى جعفرٍ المنصورِ ، فبعَث الحسنُ بنُ سهلٍ إلى سليمانَ[3] يَلُومُه ويُؤَنِّبُه على ذلك ، وأرسَل إليه بعشَرةِ آلافِ فارسٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢٨، والمنتظم ١٠/ ٧٣، والكامل ٦/ ٣٠٢.

(٢) فى م : « اتفق » . وأصفق القوم على الشىء ، اجتمعوا عليه . اللسان (ص ف ق) .

(٣) سقط من : م .

صحبةَ[1] زهيرِ بنِ المسيَّبِ ، فتقاتَلوا خارجَ الكوفةِ ، فهزَمُوا زهيرًا واستَبَاحُوا جيشَه ونهَبُوا ما كان معه ، وذلك يومَ الأربعاءِ سَلْخَ جُمادَى الآخرةِ ، فلَمَّا كان الغَدُ مِن الوقعةِ تُوفِّى ابنُ طَباطَبا أميرُ الشيعةِ فَجْأَةً - يقالُ : إنَّ أبا السرايا سَمَّه - وأقام مكانَه غلامًا أمردَ يقالُ له : محمدُ بنُ محمدِ بنِ زيدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه . وانعَزَل زهيرٌ بمَن بقِى معه مِن أصحابِه إلى قصرِ ابنِ هبيرةَ ، وأرسَل[2] الحسنُ بنُ سهلٍ مع عُبْدُوسِ بنِ محمدٍ أربعةَ آلافِ فارسٍ ، مددًا لزهيرٍ ، فاتَّقَعوا[3] وأبو السَّرَايا فهزَمَهم أبو السَّرَايا ولم يَفْلِتْ مِن أصحابِ عُبدوسٍ أحدٌ ، وانتَشَر[4] الطالِبِيُّون فى تلك البلادِ ، وضرَب أبو السَّرَايا الدراهمَ والدنانيرَ فى الكوفةِ ، ونقَش عليها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ الآيةَ [الصف : ٤] . ثم بعَث أبو السَّرَايا جيوشَه إلى البصرةِ [٨/١٤٧ظ] وواسطٍ والمدائنِ ، فهزَمُوا مَن فيها ودخَلوها قهرًا ، وقوِيتْ شوكتُهم ، فاهتَمَّ لذلك الحسنُ بنُ سهلٍ ، وكتَب إلى هرثمةَ مِن خُراسانَ يَسْتَدْعِيه لحربِ أبى السَّرَايا ، فتمَنَّع ثم قدِم عليه ، فخرَج إلى أبى السَّرَايا ، فهزَم أبا السَّرَايا غيرَ مرَّةٍ وطرَدَه حتى ردَّه إلى الكوفةِ ، ووثَب الطالِبِيُّون على دُورِ بنى العباسِ بالكوفةِ فنهَبُوها وخرَّبوا ضِياعَهم ، وفَعلوا فِعَالًا قبيحةً . وبعَث أبو السرايا إلى [5]أهلِ المدينةِ[5] فاستَجابوا له ، وبعَث إلى أهلِ مكةَ حسينَ بنَ حسنٍ الأفطسِ

---

(١) بعده فى النسخ : « زاهر بن » ، وكذا فى المواضع التالية فى النسخ : « زاهر » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٥٢٩، والكامل ٦/ ٣٠٤.

(٢) بعده فى ص : « إلى » .

(٣) فى ب : « فالتقوا » ، وفى س ، م ، ص : « فاتفقوا » .

(٤) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « انتصر » .

(٥ - ٥) فى م : « المدائن » .

ابنِ عليٍّ [1]بنِ عليٍّ[1] بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ، ليُقِيمَ لهم الموسمَ، فتهَيَّب أن يدخلَها جهرةً، ولمّا سمِع نائبُ مكةَ - وهو داودُ بنُ عيسى بنِ موسى [2]بنِ محمدٍ[2] بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ - بقدومِه هرَب مِن مكةَ طالبًا أرضَ العراقِ، وبقِى الناسُ بلا إمامٍ، فسُئِل مؤذِّنُها أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الوليدِ الأزرقىُّ أن يصلِّىَ بهم فأبَى، فقِيل لقاضِيها محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ المخزومىِّ فامتَنَع، وقال[3]: لمَن أدعُو وقد هرَب نوَّابُ البلادِ. فقدَّم الناسُ رجلًا مِن عُرْضِهم[4]، فصلَّى بهم الظهرَ والعصرَ، وبلَغ الخبرُ إلى حسينِ بنِ حسنٍ الأفطسِ، فدخَل مكةَ فى عشَرةِ رَهْطٍ قبلَ الغروبِ فطاف بالبيتِ، ثم وقَف بعرفةَ ليلًا، وصلَّى بالناسِ الفجرَ بمزدلفةَ [2]ودفَع بهم[2]، وأقام بقيةَ المناسكِ فى أيامِ منًى للناسِ[5]، فدَفَع الناسُ مِن عرفةَ بغيرِ إمامٍ.

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ:

إسحاقُ بنُ سليمانَ[6]. **وابنُ نُميرٍ**[7]. **وابنُ شابورٍ**[8]. **وعمرٌو**

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من نسب قريش ص ٧٣، وانظر جهرة أنساب العرب ص ٥٣.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٣٣، بنحوه.

(٤) يعنى من عامتهم.

(٥) سقط من: ب، م.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٢٤، وتهذيب الكمال ٢/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٩٥، والوافى بالوفيات ٨/ ٤١٣.

(٧) هو عبد الله بن نمير الخارقى. انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٤، وتهذيب الكمال ١٦/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٦٣، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٥٤.

(٨) فى النسخ: «سابور» مصحفة، وهو محمد بن شعيب بن شابور، وتقدم ذكره فى ١٣/ ٤٤٧. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٥، وتاريخ دمشق ١٥/ ٤٦٠، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٧٠، =

العَنْقَزِيُّ[1] . وأبو[2] مُطيعٍ البلخيُّ . ويونسُ بنُ بُكَيرٍ[3] .

= وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٦٧، والوافي بالوفيات ٣/ ١٥٣.

(١) في النسخ: «العنبرى»، وترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٣، والتاريخ الكبير ٦/ ٣٧٤، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٢٤.

(٢) في م: «والد». وانظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٤، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١٥٨، والوافي بالوفيات ١٣/ ١١٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٩، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٩٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٤٨٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٦.

ثم دخلَتْ سنةُ مائتينِ
مِن الهجرةِ النبويةِ

فى أوَّلِ يومٍ مِن هذه السنةِ[1] جلَس حسينُ بنُ حسنٍ الأفطسُ على طِنْفِسةٍ مثلثةٍ خلْفَ المَقامِ، وأمَر بتجريدِ الكعبةِ مما عليها من كَسَاوِى بنى العباسِ، وقال: نُطهِّرُها مِن كساوِيهم. وكَسَاها مُلاءتينِ صفراوينِ عليهما اسمُ أبى السَّرَايا، ثم أخَذ ما فى كنزِ الكعبةِ مِن الأموالِ، وتَتبَّع ودائعَ بنى العباسِ فأخَذَها، حتى إنَّه ليأخذُ مالَ ذى المالِ، [2]ويُلزِمُه بإقرارٍ[2] للمسوِّدةِ فيأخُذُه[3].

وهرَب منه الناسُ إلى الجبالِ، وحكَّ[4] ما على رءوسِ الأساطينِ مِن الذَّهبِ، فكان ينزِلُ مِن السَّارِيةِ مقدارٌ يسيرٌ بعدَ جُهْدٍ جَهيدٍ، وقلَعُوا ما فى [٨/١٤٨و] المسجدِ الحرامِ مِن الشَّبابيكِ، وباعُوها بالأثمانِ البخسةِ، وأساءُوا السيرةَ جدًّا. فلَمَّا بلَغه مَقْتلُ أبى السَّرَايا كتَم ذلك، وأمَّر رجلًا مِن الطالبِيينَ شيخًا كبيرًا، واستَمرَّ على سوءِ[5] السيرةِ.

وفى سادسَ عشرَ المحرمِ منها[6]، قهَر هَرْثَمةُ بنُ أعينَ أبا السَّرَايا وهزَم جيشَه،

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٣٦، والمنتظم ١٠/ ٨٢، والكامل ٦/ ٣١١.

(٢ - ٢) فى م: «ويزعم أنه».

(٣) سقط من: م.

(٤) فى م: «سبك».

(٥) فى م: «سور».

(٦) بعده فى م: «وذلك لما».

وأخرَجه ومَن معه مِن الطالبِيِّينَ مِن الكوفةِ ، ودخَلها هرثمةُ ، ومنصورُ بنُ المهدىِّ ، فأمَّنُوا أهلَها ولم يتعرَّضُوا لأحدٍ ، وسار أبو السَّرَايا بمَن معه إلى القادسيةِ ، ثم سار منها فاعترَضَهم بعضُ جيوشِ المأمونِ ، فهزَمُوهم أيضًا ، وجُرِح أبو السَّرَايا جِراحةً منكرةً جدًّا ، وهرَبُوا يُريدُونَ الجزيرةَ إلى منزلِ أبى السَّرَايا برأسِ العينِ ، فاعترَضهم بعضُ الجيوشِ أيضًا فأسَرُوهم وأتَوا بهم الحسنَ بنَ سهلٍ ، وهو بالنَّهروانِ حينَ طرَدتْه الحربيةُ ، فأمَر بضَرْبِ عنُقِ أبى السَّرَايا ، فجزِع مِن ذلك جَزَعًا شديدًا جدًّا ، وطِيف برأسِه ، وأمَر بجسدِه أن يُقطَعَ باثنين ، فيُنْصَبَ على جسرِ بغدادَ ، فكان بينَ خروجِه وقتلِه عشَرةُ أشهرٍ ، فبعَث الحسنُ بنُ سهلٍ محمدَ[1] بنَ محمدٍ إلى المأمونِ[2] مع رأسِ أبى السَّرَايا . وقد قال بعضُ الشُّعراءِ[3] :

ألم تَرَ ضَرْبةَ الحَسَنِ بنِ سهْلٍ ... بسيفِكَ يا أميرَ المُؤْمنينَا
أدارتْ[4] مَرْوَ رأسَ أبى السَّرَايا ... [5]وأبقَتْ عِبْرَةً[5] للعابرينا[6]

وكان الذى فى يدِه البصرةُ مِن الطالبيِّينَ زيدُ بنُ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ ابنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ ، ويقالُ له : زيدُ النارِ . لكثرةِ ما حرَّق مِن البيوتِ التى للمسوِّدةِ ، فأسَرَه علىُّ بنُ أبى[7] سعيدٍ ، وأمَّنه ، وبعَث به وبمَن معه مِن القُوَّادِ إلى اليمنِ ، لقتالِ مَن هناك مِن الطالبيينَ الذين قد خرَجوا بها .

---

(١) سقط من : م .
(٢) بعده فى الأصل ، ب ، س ، ص : « بخراسان إلى مرو » .
(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٣٥.
(٤) فى الأصل : « وزارت » ، وفى ب : « فزارت » ، وفى س : « ودارت » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « وأثبت غيره » ، وفى ب ، س : « وأثبت عبرة » ، وفى ص : « وأبقت غيره » .
(٦) فى الأصل ، ص : « للغابرين » ، وفى س ، م : « للعالمينا » .
(٧) سقط من : الأصل ، ب ، م . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٣٥.

وفيها خرَج باليمنِ إبراهيمُ بنُ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ ابنِ عليٍّ، ويقالُ له: الجزَّارُ. لكثرةِ مَن قتَل مِن أهلِ اليمنِ، وأخَذ مِن أموالِهم. وقد كان مقيمًا بمكةَ، فلمَّا بلَغه خبرُ[1] أبى السَّرَايا، [2]وظهورُه بأرضِ الكوفةِ، طمِع فسار إلى أهلِ اليمنِ[2]، فلما بلَغ نائبَها قُدومُه ترَك له اليمنَ وسار إلى خُراسانَ إلى أميرِ المؤمنين، واجتاز بمكةَ وأخَذ أمَّه منها، واستَحْوَذ إبراهيمُ بنُ موسى على بلادِ اليمنِ، وجرَتْ حروبٌ كثيرةٌ وخطوبٌ كبيرةٌ يطولُ ذكْرُها، ورجَع محمدُ بنُ جعفرٍ العَلويُّ - الذى ادَّعَى الخلافةَ بمكةَ - عمَّا كان يَزْعُمُه، وقال[3]: كنتُ أظُنُّ أنَّ المأمونَ قد مات كما سُمِع ذلك، [٨/١٤٨ظ] وقد تحقَّقْتُ حياتَه، وأنا أستَغْفِرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه ممَّا كنتُ ادَّعيتُ مِن ذلك، وقد رجَعْتُ إلى بَيعتِه، وإنما أنا رجلٌ مِن عُرْضِ المسلمين.

وهُزِم أبو السَّرَايا وأصحابُه، ومحمدُ بنُ محمدٍ الذى تأمَّر بالكوفةِ وادَّعى الخلافةَ، وتفرَّق أصحابُهما على يَدَىْ هرثمةَ بنِ أعينَ، فوشَى بعضُ الناسِ إلى المأمونِ أنَّ هَرْثَمةَ لو شاء ما ظهَر أبو السَّرَايا وأصحابُه، فاستدعى به إلى مَرْوَ، فأمَر به فضُرِب بينَ يَدَيه، ووُطِئ بطنُه، ثم رُفِع إلى الحبسِ، ثم قُتِل بعدَ ذلك بأيامٍ، وانطَوى خبرُه بالكُلِّيَّةِ. ولمَّا وصَل خبرُ قتلِه إلى بغدادَ سعَتِ العامةُ والحربيةُ بالحسنِ بنِ سهلٍ نائبِ العراقِ وغيرِها وقالوا[4]: لا نَرْضَى به ولا بعُمَّالِه ببلادِنا. وأقاموا إسحاقَ بنَ موسى بنِ[5] المهدىِّ نائبًا، فاجتَمَع أهلُ الجانبينِ على ذلك،

---

(١) فى م: «قتل».

(٢ - ٢) فى م: «هرب إلى اليمن».

(٣) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٤٠، بنحوه.

(٤) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٤٣، ٥٤٤، بنحوه.

(٥) سقط من: ب، س، م. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٤٣.

والتَفَّتْ على الحسنِ بنِ سهلٍ جماعةٌ مِن القُوَّادِ والأجنادِ ، وراسَل مَن وافَق العامَّةَ على ذلك مِن القوَّادِ [1] يحرِّضُهم على القتالِ [1] ، ووَقَعتِ الحربُ بينَهم ثلاثةَ أيامٍ في شعبانَ مِن هذه السنةِ ، ثم اتَّفَق الحالُ على أن يُعْطِيَهم شيئًا مِن أرزاقِهم يُنْفِقونَها في شهرِ رمضانَ ، فما زالَ يَمْطُلُهم إلى ذى القَعدَةِ حتى يُدْرِكَ الزرعُ ، فخرَج في ذى القَعْدةِ [2] زيدُ بنُ موسى بنِ جعفرٍ - الذى يقالُ : له زيدُ النارِ [3] - وقد كان خروجُه هذه المرةَ بناحيةِ الأنبارِ ، فبعَث إليه عليُّ بنُ هِشامٍ نائبُ بغدادَ عن الحسنِ بنِ سهلٍ - والحسنُ بالمدائنِ إذ ذاك - فأُخِذ وأُتِى به إلى عليِّ بنِ هشامٍ ، وأطفأَ اللَّهُ نائرَتَه .

وبعَث المأمونُ في هذه السنةِ يطلبُ جماعةً [4] مِن العباسيين ، وأحصَى كم العباسيون ؟ فبلَغوا ثلاثةً وثلاثين ألفًا ، ما بينَ ذكرٍ وأنثى .

وفيها قتَلت الرومُ مَلِكَهم إلْيونَ ، وقد ملكهم سبعَ سنين ، وملَّكوا عليهم ميخائيلَ نائبَه . وفيها قتَل المأمونُ يحيى بنَ عامرِ بنِ إسماعيلَ ؛ وذلك لأنه قال للمأمونِ : يا أميرَ الكافرين . فقُتِل صبرًا بينَ يديه . وفيها حجَّ بالناسِ [5] أبو إسحاقَ محمدٌ المعتصمُ [5] بنُ هارونَ الرشيدِ .

وفيها توفى مِن الأعيانِ :

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) في الأصل ، ب : « الحجة » .

(٣) في م : « وهو أخو أبى السرايا » ، وفى ظ : « وقد كان نائبا بالبصرة فى زمن أبى السريا » ، وفى تاريخ الطبرى : « أن ممن خرج مع زيد النار هذا أخو أبى السرايا » .

(٤) في م : « من بقى » .

(٥ - ٥) في الأصل ، ب : « أبو إسحاق محمد بن المعتصم » ، وفى م : « محمد بن المعتصم » .

أسباطُ بنُ محمدٍ[1] . وأبو ضَمرةَ أنسُ بنُ عياضٍ[2] . وسَلْمُ[3] بنُ قتيبةَ . وعمرُ بنُ عبدِ الواحدِ[4] . وابنُ أبى فُدَيكٍ[5] . ومبشِّرُ بنُ إسماعيلَ[6] . ومحمدُ ابنُ حِمْيَرَ[7] . ومعاذُ بنُ هشامٍ[8] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٣، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٥، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٩٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٨٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٦، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ١١٢، والوافى بالوفيات ٩/ ٤١٧.

(٣) فى الأصل: «مسلمة»، وفى س، م، ظ: «مسلم»، وفى ص: «سالم». وانظر ترجمته فى: تهذيب الكمال ١١/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢١٠، والعبر ١/ ٣٣٢، وشذرات الذهب ١/ ٣٥٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧١، وثقات ابن حبان ٨/ ٤٤١، وتاريخ دمشق ٣٣٢/١٣ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣١٨.

(٥) هو محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك، انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٧، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٥٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٥.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧١، وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٤٨، والعبر ١/ ٣٣٤.

(٧) فى الأصل، ب، س، م: «جبير»، وفى ص: «حميز». وهو محمد بن حمير بن أنيس السَّليحى، انظر ترجمته فى: تهذيب الكمال ٢٥/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٣٦١، والعبر ١/ ٣٣٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٩.

(٨) تهذيب الكمال ٢٨/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١- ٢٠٠هـ) ص ٣٩٧، والعبر ١/ ٣٣٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٥.

ثم دخلتْ سنةُ إحدَى ومائتين

فيها[1] راوَد أهلُ بغدادَ منصورَ بنَ المهدِيِّ على الخلافةِ فامتَنعَ [٨/ ١٤٩و] مِن ذلك ، فراودُوه على أن يكونَ نائبًا للمأمونِ ، يدعو له فى الخُطبةِ ، فأجابَهم إلى ذلك ، [2]وذلك بعدَ إخْراجِ أهلِ بغدادَ[2] عليَّ بنَ هشامٍ نائبَ الحسنِ بنِ سَهْلٍ مِن بينِ أظهرِهم ، [3]بعدَ أن جرَت[3] حروبٌ كثيرةٌ بسببِ ذلك .

وفيها عَمَّ البلاءُ بالعَيّارِينَ والشُّطّارِ والفُسّاقِ ببغدادَ وما حولَها مِن القُرَى ، كانوا يأتُون الرجُلَ يَسألونَه مالًا - يُقرِضُهم أو يَصِلُهم به - فيَمتَنِعُ عليهم فيأخُذونَ جميعَ ما فى منزلِه ، وربَّما تَعرَّضُوا للغِلْمانِ والنِّسوانِ ، ويأتُون أهلَ القريةِ فيَسْتاقونَ [4]ما فيها[4] مِن الأنعامِ[5] ، ويأخُذونَ ما شاءُوا مِن الغِلْمانِ والنِّسوانِ ، ونهَبوا أهلَ قُطْرَبُّلَ[6] ولم يدَعوا لهم شيئًا أصلًا ، فانتدَب رجلٌ يقالُ له : خالدُ الدريوشُ[7] . وآخَرُ يقالُ له : سَهْلُ بنُ سلامةَ أبو حاتمٍ الأنصارِيُّ مِن أهلِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٤٦، والمنتظم ١٠/ ٩٢، والكامل ٦/ ٣٢١.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « وقد أخرجوا » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٤٦.

(٣ - ٣) فى الأصل ، س ، ص : « فجرت » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى ب ، م : « والمواشى » .

(٦) فى الأصل : « قرطبل » ، وفى ب : « قرطيل » ، وفى س : « قطريل » . وقطربل : قرية بين بغداد وعكبرا . معجم البلدان ٤/ ١٣٣.

(٧) فى الأصل ، س : « الدربوش » ، وفى ب ، ص : « الدربوسى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٥٢، والكامل ٦/ ٣٢٥.

خُراسانَ ، والتفَّ عليهما جماعةٌ مِن العامةِ[1] ، فردُّوا[2] شرَّهم وقاتَلُوهم ، [3]وقَوُوا[4] عليهم[3] ، ومنَعوهم مِن العَيْثِ[5] فى الأرضِ فَسادًا ، واستقرّتِ الأمورُ كما كانت ، وذلك فى شعبانَ ورمضانَ . [6]وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ .

وفى هذه السنةِ[6] فى شوّالٍ منها رجَع الحسنُ بنُ سَهْلٍ إلى بغدادَ ، وصالَح الجندَ ، وانفصَل منْصورُ بنُ المهدىِّ ومَن التفَّ معه مِن الأمراءِ .

وفيها بايَع المأمونُ لعلىِّ الرِّضا بنِ مُوسَى الكاظمِ بنِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقِرِ[7] بنِ الحسينِ الشهيدِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، أن يكونَ وَلِىَّ العهدِ مِن بعدِه ، وسمّاه الرِّضا مِن آلِ محمدٍ ﷺ ، وطرَح لُبْسَ السوادِ ولبِس الخُضْرَةَ ، وألزَم جُندَه بذلك ، وكتَب بذلك إلى الآفاقِ والأقاليمِ . وكانت مُبايعتُه له يومَ الثلاثاءِ لليلَتَيْن خلَتا مِن شهرِ رمضانَ سنةَ إحدى ومائتين ، وذلك أنَّ المأمونَ رأَى أنَّ عليًّا الرِّضا خيرُ أهلِ البيتِ ، وليس فى بنى العبّاسِ مثلُه فى علْمِه[8] ودِينِه ، فجعَله وَلِىَّ عهدِه مِن بعدِه .

---

(١) فى الأصل : « الأعيان » .
(٢) فى ب ، م : « فكفوا » .
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤) فى الأصل : « مردوا » .
(٥) فى ب ، م : « الفساد » .
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .
(٧) سقط من : ب ، م .
(٨) فى الأصل ، ب ، م : « عمله » . وانظر الطبرى ٨/ ٥٥٤.

ذكْرُ بيعةِ أهلِ بغدادَ

لإبراهيمَ بنِ المهدىِّ

لمّا جاءَ الخبرُ (١إلى بغدادَ١) أن المأمونَ بايَع لعلىٍّ (٢بنِ موسى بولايةِ العَهْدِ٢) مِن بعدِه، اختَلَفوا فيما بينَهم؛ فمِن مُجيبٍ مُبايعٍ(٣)، ومِن آبٍ(٣) مانعٍ، وجمهورُ العباسيِّين على الامتِناعِ، وكان الباعثَ لهم والقائمَ فى ذلك إبراهيمُ ومنصورُ ابنَا المهدىِّ، فلمّا كان يومُ الثلاثاءِ لخمسٍ بقِينَ مِن ذى الحجةِ، أظهَر العباسيون البيعةَ لإبراهيمَ بنِ المهدىِّ ولَقَّبُوه المباركَ - وكان أسودَ اللونِ - ومِن بعدِه لابنِ أخيه إسحاقَ بنِ موسَى بنِ المهدىِّ، وخلَعوا المأمونَ. فلمّا كان يومُ الجُمُعةِ [٨/١٤٩ظ] للَيْلتَيْن بقِيتَا مِن ذى الحجةِ، أرادُوا أن يدْعُوا للمأمونِ ثم مِن بعدِه لإبراهيمَ، فقالتِ العامةُ: لا (٤نرضَى إلَّا بإبراهيمَ٤) فقط، واختلَف الناسُ واضطَرَبوا فيما بينَهم، ولم يُصلُّوا الجُمُعةَ، وصلَّى الناسُ فُرادَى أربعَ ركَعاتٍ.

وفى هذه السنةِ افتتَح نائبُ طَبَرِستانَ جبالَها وبلادَ اللّارِزِ(٥) والشَّيْزَرِ(٦). وذكَر ابنُ جريرٍ(٧) أنَّ سَلْمًا(٨) الخاسِرَ قال فى ذلك شعرًا. وقد ذكَر ابنُ

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢ - ٢) فى ب، م: «الرضى بالولاية».

(٣) زيادة من: ب، م.

(٤ - ٤) فى ب: «تدعوا إلا لإبراهيم»، وفى م: «تدعوا إلا إلى إبراهيم».

(٥) فى الأصل، ب، س، ص: «البلاذر». واللارز: قرية من أعمال آمُل طبرستان. معجم البلدان ٤/ ٣٤١.

(٦) فى م، ص: «الشيرز». والشيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام. معجم البلدان ٣/ ٣٥٣.

(٧) فى الأصل، ب، م: «حزم». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٥٦.

(٨) فى الأصل: «سالمًا». وهو سَلْم بن عمرو بن حماد مولى بنى تميم بن مرة. معجم الأدباء ١١/ ٢٣٦.

الجوزىّ[1] وغيرُه[2] ، أنَّ سَلْمًا تُوفِّى قَبْلَ ذلك بسنِينَ . واللَّهُ أعلمُ .

وفى هذه السنةِ أصابَ أهلَ خُراسانَ والرَّىِّ وأصبهانَ مجاعةٌ شديدةٌ ، وعَزَّ[3] الطعامُ جدًّا . وفيها تحرَّك بَابَكُ الخُرَّمىُّ واتَّبعه طوائفُ مِن السُّفْلَةِ والجَهَلَةِ ، وكان يقولُ بالتناسُخِ ، [4]قبَّحه اللَّهُ ولعَنَه[4] ، وسيأتى ما آلَ أمرُه إليه .

وفيها حجَّ بالناسِ إسحاقُ بنُ موسىَ بنِ عيسَى [5]بنِ موسَى بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[5] .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ :

أبو أسامةَ حمَّادُ بنُ أُسامةَ[6] ، **وحمّادُ بنُ مَسْعَدَةَ**[7] ، **وحَرَمىُّ**[8] **بنُ عُمارةَ** ، **وعلىُّ بنُ عاصمٍ**[9] ، **ومحمدُ بنُ محمدٍ**[10] ، صاحبُ أبى السَّرايا الذى كان قد بايَعه أهلُ الكوفةِ بعدَ ابنِ طَباطَبا .

---

(١) المنتظم ٩/ ١٢٠، وفيه أنه توفى سنة ١٨٦.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ٢٣٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٠٣.

(٣) فى ب ، م : « غلا » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « الهاشمى » .

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٤، وتهذيب الكمال ٧/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٢٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٤٨.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٤، وتهذيب الكمال ٧/ ٢٨٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٣٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٠.

(٨) فى الأصل ، ب : « محمدى » ، وفى س : « حماد » ، وفى م ، ص : « حرسى » . وانظر ترجمته فى : تهذيب الكمال ٥/ ٥٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٩٦، والعبر ١/ ٣٣٦، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٤٢.

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٤٦، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٥٠٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٦٤.

(١٠) ورد ذكره فى سياق الحوادث فى : تاريخ خليفة ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٣، وتاريخ الطبرى ٨/ ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٤، ٥٥٦، والمنتظم ١٠/ ٧٤، والكامل ٦/ ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٤٠.

ثم دخلت سنة ثِنتَيْن ومائتَيْن

فى أولِ يومٍ منها[1] بُويعَ لإبراهيمَ بنِ المهدىِّ بالخلافةِ ببغدادَ ، وخَلْعِ المأمونِ ، فلمّا كان يومُ الجمُعةِ خامسَ المحرّمِ صعِد إبراهيمُ بنُ المهدىِّ المِنبرَ فبايَعه الناسُ ولُقِّبَ بالمبارَكِ ، وغلَب على الكوفةِ وأرضِ السَّوادِ ، وطلَب منه الجندُ أرزاقَهم فماطَلَهم ثم أعطاهم مائتى دِرهمٍ لكلِّ واحدٍ ، وكتَب لهم بتعويضٍ مِن أرضِ السَّوادِ ، فخرَجوا لا يمرُّونَ بشىءٍ إلَّا انتَهبوه ، وأخَذوا حاصلَ الفلّاحِ والسُّلْطانِ ، واستَنابَ إبراهيمُ على الجانبِ الشرقىِّ العباسَ بنَ موسَى الهادِى ، وعلى الجانبِ الغربىِّ إسحاقَ بنَ موسَى الهادِى .

وفيها[2] خرَج خارجىٌّ يُقالُ له : مهدىُّ بنُ عُلوانَ ، فبَعث إليه إبراهيمُ جيشًا عليهم أبو إسحاقَ المعتصِمُ بنُ الرشيدِ فى جماعةٍ مِن القُوّادِ[3] ، فكسَره ورَدَّ كيدَه . وللَّهِ الحمدُ .

وفى هذه السنةِ خرَج [4]أخو أبى السَّرايَا[4] بالكوفةِ فبَيَّضَ[5] ، فأرسَل إليه إبراهيمُ بنُ المهدىِّ مَن قاتلَه ، فقُتِل أخو أبى السَّرايَا وأُرسِل برأسِه إلى إبراهيمَ . ولمّا كان ليلةُ أربعَ عشْرَةَ مِن ربيعٍ الآخرِ مِن هذه السنةِ ، ظهَرت فى السماءِ حُمْرَةٌ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٥٧، والمنتظم ١٠/ ١٠٥، والكامل ٦/ ٣٤١.

(٢) زيادة من : ب ، م .

(٣) فى ب ، م : «الأمراء» .

(٤ - ٤) فى الأصل ، س ، ص : «أبو السرايا» . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٥٨.

(٥) يعنى لبس البياض شعارا له .

ثم ذهَبت وبَقِى بعدَها عمودانِ أحمرانِ فى السَّماءِ إلى آخرِ الليلِ. وجرَت بالكوفةِ [٨/١٥٠و] حروبٌ بينَ أصحابِ إبراهيمَ وأصحابِ المأمونِ، واقتَتَلوا قِتالًا شديدًا - وعلَى أصحابِ إبراهيمَ السوادُ، وعلى أصحابِ المأمونِ الخضْرةُ - واستمَرَّ القتالُ بينَهم إلى أواخرِ رجبٍ.

وفى هذه السنةِ ظفِر إبراهيمُ بنُ المهدىِّ بسهلِ بنِ سلامةَ المُطَّوِّعىِّ[١] فسجَنه، وذلك لأنه التفَّ عليه جماعةٌ مِن الناسِ يقُومونَ بالأمْرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكرِ، ولكن كانوا[٢] قد جاوَزوا الحدَّ وأنكَرُوا على السلطانِ، ودَعَوا إلى القيامِ بالكتابِ والسُّنةِ، وصار بابُ دارِه كأنَّه بابُ سُلطانٍ عليه السلاحُ والرِّجالُ وغيرُ ذلك مِن أُبَّهةِ المُلْكِ، فقاتَله الجندُ فكسَروا أصحابَه، فألقَى السلاحَ وصار بينَ النِّساءِ والنَّظّارَةِ، ثم اختَفى فى بعضِ الدُّروبِ[٣]، فأُخِذَ وجِىءَ به إلى إبراهيمَ فسجَنه سنةً كاملةً.

وفيها أقبَل المأمونُ مِن خُراسانَ قاصدًا العراقَ، وذلك أنَّ علىَّ بنَ موسَى [٤]بنِ جعْفَرٍ العلوىَّ[٤] أخبَر المأمونَ بما الناسُ فيه مِن الفِتَنِ[٥] والاختلافِ بأرضِ العراقِ، وبأنَّ الهاشميِّين قد أنْهَوا إلى الناسِ بأنّ المأمونَ مَسْحورٌ ومَجْنونٌ، وأنَّهم قد ينقِمونَ عليك [٦]ببيْعتِك لعلىِّ بنِ موسَى[٦]، وأنَّ الحربَ قائمةٌ بينَ الحسنِ بنِ

---

(١) فى النسخ: «المطوع»، والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٥٦٢، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٥.

(٢) زيادة من: ب، م.

(٣) فى ب، م: «الدور».

(٤ - ٤) فى س: «بن عيسى بن جعفر العلوى»، وفى ب، م: «الرضى». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٦٤.

(٥) فى ص: «الدين».

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: «ببيعتك إلى من بعدك»، وفى س: «نعمتك من بعدك».

سهلٍ وبينَ إبراهيمَ بنِ المهديِّ . فاستَدعى المأمونُ بجماعةٍ مِن أمرائِه وأقربائِه ، فسألَهم [1] عمّا أخبَره [2] به عليٌّ الرِّضا ، فصَدَقوه الأمرَ [3] [1] ، بعدَ أخْذِهم الأمانَ منه ، وقالوا له : إنَّ الفضلَ بنَ سَهْلٍ حسَّنَ لك قتلَ هَرْثَمَةَ ، وقد كان ناصحًا لك ، فعاجَلَه فقتَله ، وإنَّ طاهرَ بنَ الحسينِ مَهَّدَ لك الأمورَ حتى قادَ [4] لك الخلافةَ بزِمامِها ، فطرَدْتَه إلى الرَّقَّةِ ، فقعَد لا عمَلَ له ولا تَسْتَنهِضُه [5] فى أمرٍ ، وإنَّ الأرضَ [6] قد تفتَّقَتْ [7] بالشُّرورِ والفتَنِ مِن أقْطارِها [7] . فلمّا تحقَّقَ ذلك المأمونُ ، أَمَر بالرحيلِ إلى بغدادَ ، وقد فطِن الفضلُ بنُ سهلٍ بما تمالأ [8] عليه أولئكَ الناصحونَ للمأمونِ ، فضرَب قومًا ونتَف لِحَى بعضِهم .

وسار المأمونُ فلمّا كان بسَرْخَسَ عدَا قومٌ على الفضلِ بنِ سهلٍ - وزيرِ المأمونِ - وهو فى الحمّامِ فقتَلوه بالسيوفِ ، وذلك يومَ الجمُعةِ لليلَتيْن خلَتا مِن شعبانَ [9] ، وله ستُّونَ سنةً . فبعَث المأمونُ فى آثارِهم فجِيءَ بهم ؛ وهم أربعةٌ مِن المماليكِ فقتَلهم ، وكتَب إلى أخيه الحسنِ بنِ سَهْلٍ يُعزِّيه فيه ، وولَّاه الوَزارةَ مكانَه . وارتَحَل المأمونُ مِن سَرْخَسَ يومَ عيدِ الفطرِ نحوَ العراقِ ، وإبراهيمُ بنُ المهديِّ بالمدائنِ ، وفى مقابلَتِه جيشٌ يُقاتِلُونَه مِن جهةِ المأمونِ .

(١ - ١) فى ب ، م : « عن ذلك فصدقوا عليا فيما قال » .

(٢) فى الأصل : « أخبرهم » .

(٣) فى س : « الأمراء » .

(٤) فى س : « قاتلك » .

(٥) فى ص : « تستنضه » .

(٦) فى س : « الأمر » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، س ، ص : « من أقطارها وكثرت الفتن وانتشرت الشرور بين الناس » .

(٨) فى س : « قالا » .

(٩) فى ب ، م : « شوال » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٦٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١- ٢١٠هـ) ص ١١ .

وفى [٨/١٥٠ظ] هذه السنةِ تَزوَّج [١]المأمونُ بُورانَ[١] بنتَ الحسنِ بنِ سهلٍ، وزوَّج عليَّ بنَ موسَى الرِّضا بابنَتِه أمِّ حبيبٍ، وزوَّج ابنَه محمدَ بنَ عليِّ بنِ موسَى ابنِ جَعْفرٍ بابنتِه الأخرَى أمِّ الفضلِ.

وحجَّ بالناسِ [٢]فى هذه السنةِ[٢] إبراهيمُ بنُ موسَى بنِ جعفرٍ أخو عليِّ الرِّضا، ودعا لأخيه بعدَ المأمونِ، ثم انصرَف بعدَ الحجِّ إلى اليمنِ، وقد كان تغلَّب عليها حمدَوَيْهِ بنُ عليِّ بنِ موسى بنِ ماهانَ.

وفيها توفِّى مِن الأعيانِ:

أيوبُ بنُ سويدٍ[٣]. **وضَمْرةُ**[٤]. **وعمرُ**[٥] بنُ حبيبٍ. **والفضلُ** بنُ سهلٍ الوزيرُ[٦]. **وأبو يحيى** الحِمّانىُّ[٧].

(١ - ١) فى ص: «أبو زان».

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) الثقات لابن حبان ٨/ ١٢٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٤٧٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٧٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٥٢.

(٤) وهو ضمرة بن ربيعة أبو عبد الله القرشى، مولاهم، انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧١، وتهذيب الكمال ١٣/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٠٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٣.

(٥) فى م: «عمرو». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١١/ ١٩٦، وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٧٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٤٧. ولم يرد فى أى منها أن وفاته كانت فى هذه السنة.

(٦) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٩، والمنتظم ١٠/ ١١٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٩، والعبر ١/ ٣٣٨.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٩، والثقات لابن حبان ٧/ ١٢١، والكامل فى الضعفاء ٥/ ١٩٥٨، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٢٧.

ثم دخلَتْ سنةُ ثلاثٍ ومائتَيْن

فيها[1] وصَل المأمونُ - [2]فى سَيرِه مِن خُراسانَ إلى العراقِ - إلى مدينةِ طُوسَ[2] ، [3]فنزَل بها[3] وأقام عندَ قبرِ أبيه أيامًا مِن شهرِ صفَرٍ ، فلمَّا كان فى آخرِ الشهرِ أكَل علىُّ بنُ موسى الرِّضا عِنبًا فماتَ فجأةً ، فصَلَّى عليه المأمونُ ودفَنه إلى جانبِ أبيه الرشيدِ ، وأَسِفَ عليه أسفًا كثيرًا فيما ظهَر . واللَّهُ أعلمُ .

وكتَب إلى الحسنِ بنِ سهلٍ يُعزِّيه فى علىِّ الرِّضا ، ويُخبِرُه بما حصَل له مِن الحُزْنِ عليه ، وكتَب إلى بَنى العباسِ ببغدادَ[4] يقولُ لهم[5] : إنَّكم إنَّما نقَمتم علىَّ بسببِ توليَتى العهدَ مِن بعدِى لعلىِّ بنِ موسى الرِّضا ، وها هو قد ماتَ فارجِعوا إلى السَّمْعِ والطاعةِ . فأجابُوه بأغلَظِ جوابٍ كُتِب به إلى أحدٍ .

[6]وفى هذه السنةِ غلَبتِ السوداءُ[6] علَى الحسنِ بنِ سهلٍ حتى قُيِّد فى الحديدِ وأُودِعَ فى بيتٍ ، فكتَب الأمراءُ بذلك إلى المأمونِ ، فكتَب إليهم : إنِّى واصِلٌ على إثْرِ كتابى هذا . ثم جرَت حروبٌ كثيرةٌ بينَ إبراهيمَ وأهلِ بغدادَ ، وتنَكَّروا عليه وأبغَضُوه . وظهَرتِ الفتَنُ والشُّطّارُ والفُسّاقُ ببغدادَ وتفاقَم الحالُ ، وصلَّوْا يومَ الجُمعةِ ظُهْرًا ، أمَّهم المؤذِّنُ مِن غيرِ خُطبةٍ ؛ صلَّوا أربعَ ركَعاتٍ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٦٨، والمنتظم ١٠/ ١١٥، والكامل ٦/ ٣٥١.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « العراق ومر بطوس » .

(٣ - ٣) زيادة من : ب ، م .

(٤) سقط من : ب ، م .

(٥) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٦٨. والسُّواد : داء فى الإنسان ؛ وهو وجع يأخذ الكبد من أكل التمر ، وربما قتل . التاج (س و د) .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « وفيها تغلبت الثوار » .

واشتَدَّ الأمرُ، واختَلَف الناسُ فيما بينَهم فى إبراهيمَ والمأمونِ، ثم غلَبَتِ المأمونِيَّةُ عليهم.

ذكرُ خَلْعِ أهلِ بغدادَ إبراهيمَ

(١) ابنَ المهدىّ (١) (٢) ودُعائِهم للمأمونِ (٢)

لمّا كان يومُ الجُمُعةِ المقبِلَةِ دعا الناسُ للمأمونِ وخلَعوا إبراهيمَ، وأقبَل حميدُ ابنُ عبدِ الحميدِ فى جيشٍ مِن جهةِ المأمونِ فحاصَر بغدادَ وطَمَّع(٣) جندَها فى العطاءِ(٤)، فطاوَعُوه على السمعِ والطاعةِ للمأمونِ. وقد قاتَل عيسى بنُ محمدِ ابنِ أبى خالدٍ فى جماعةٍ مِن جهةِ إبراهيمَ بنِ المهدىِّ(٥)، ثم احتال عيسى حتى صار فى أيدِى المأمونِيّةِ أسيرًا، ثم آل الحالُ إلى أنِ اختفَى [٨/١٥١و] إبراهيمُ بنُ المهدىِّ(٦) فى آخرِ هذه السنةِ. وكانت أيامُه سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا واثْنَى عشَرَ يومًا. وقد وصَل المأمونُ فى هذا الوقتِ إلى هَمَذان، وجُيوشُه قد استعادوا(٧) بغدادَ إلى طاعتِه. وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ سليمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ بنِ علىٍّ.

(١ - ١) زيادة من: ب، م.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) فى ص: «أجمع».

(٤) بعده فى ب: «إذا قدم المأمون». وبعده فى م: «إذا قدم».

(٥) بعده فى س: «فى الناس فى آخر هذه السنة».

(٦) بعده فى س: «فى الناس». وبعده فى ص: «من الناس».

(٧) فى ب، م: «استنقذوا».

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

علىُّ بنُ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، القرشىُّ الهاشمىُّ العَلَوىُّ ، الملقَّبُ بالرِّضا[1] ، كان المأمونُ قد هَمَّ أن ينزِلَ له عن الخلافةِ فأبَى عليه ذلك ، فجعَله ولىَّ العهدِ مِن بعدِه - كما قدَّمنا ذلك[2] - فتُوفِّى فى صفَرٍ مِن هذه السنةِ بطُوسَ . وقد روَى الحديثَ عن أبيه وغيرِه . وعنه جماعةٌ مِنهم المأمونُ ، وأبو الصَّلْتِ الهَرَوِىُّ ، وأبو عثمانَ المازِنىُّ[3] النَّحوىُّ ، وقال : سمِعتُه يقولُ[4] : اللَّهُ أعدَلُ مِن أن يُكلِّفَ العبادَ ما لا يُطِيقونَ ، وهم أَعجَزُ مِن أن يفعَلوا ما يُريدونَ . ومِن شعرِه :

كلُّنا (٥يأمَلُ مَدًّا فى٥) الأجَلْ ... والمنـايـا هُـنَّ آفـاتُ الأمـلْ
لا تَـغـرَّنْـكَ أبـاطـيـلُ المُنَـى ... والْزَمِ القَصْدَ ودَعْ عنك العِلَلْ
إنَّمـا الـدنـيـا كـظِـلٍّ زائـلٍ ... حَـلَّ فيه راكِـبٌ ثـم ارتَحَـلْ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٩، وتهذيب الكمال ٢١/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٦٩، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٢٤٨، وأعيان الشيعة ٤/٢/ ١٠٢.

(٢) تقدم فى صفحة ١١٩ .

(٣) فى س : «الملوى» ، وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٤٩.

(٤) تهذيب الكمال ٢١/ ١٥١، ١٥٢.

(٥ - ٥) فى الأصل : «نأمل بتدانى» .

ثم دخلتْ سنةُ أربعٍ ومائتَيْـن

فيها[1] كان قدومُ المأمونِ أرضَ العراقِ، وذلك أنَّه مَرَّ بجُرْجانَ فأقام بها شهرًا، ثم سار منها، [2]وكان ينزِلُ[2] فى المنزِلِ[3] يومًا أو يومين، ثم جاء إلى النَّهْرَوانِ فأقام بها ثمانيةَ أيامٍ، وقد كان كتَب إلى طاهرِ بنِ الحسينِ وهو بالرَّقَّةِ أن يُوافيَه إلى النَّهْرَوانِ، فوافاه بها وتلقّاه رءُوسُ أهلِ بيتِه والقُوّادُ وجمهورُ الجيشِ. فلمّا كان يومُ[4] السبتِ الآخَرِ دخَل بغدادَ ارتفاعَ النهارِ، لأربعَ عشْرَةَ ليلةً بقِيَت[5] مِن صفرٍ، فى أُبَّهةٍ عظيمـةٍ وجيشٍ عظيمٍ، وعليه وعلى جميعِ أصحابِه و[6]قِبابِهم وجميعِ لباسِهم[6] الخُضْرَةُ، فلبِس أهلُ بغدادَ وبنو هاشمٍ أجمعون الخُضْرَةَ، ونزَل المأمونُ بالرُّصَافَةِ ثم تحوَّل إلى قصرِه على دِجلةَ، وجعَل الأمراءُ ووجوهُ الدولةِ يتردَّدون إلى دارِه على العادةِ، وقد تحوَّل لباسُ البغادِدَةِ إلى الخضْرَةِ، وجعَلوا يَحرِقونَ كلَّ ما يجِدونَه مِن السوادِ، فمكَثوا بذلك ثمانيةَ أيامٍ. ثم استَعْرضَ حوائجَ طاهرِ بنِ الحسينِ، فكان أولَ حاجةٍ سألَها أن يرجِعَ إلى لباسِ السوادِ، [٨/١٥١ظ] فإنَّه لباسُ آبائِه مِن دولةِ ورَثَةِ الأنبياءِ. فلمّا كان السبتُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٤، والمنتظم ١٠/ ١٢٦، والكامل ٦/ ٣٥٧.

(٢ - ٢) فى س: «فنزل»، وفى ص: «ينزل».

(٣) فى الأصل، س، ص: «المنزلة». وانظر الكامل ٦/ ٣٥٧.

(٤) زيادة من: ب، م.

(٥) فى ب، م: «خلت»، وفى حاشية ب: «بقيت».

(٦ - ٦) فى ب: «فتيانهم». وفى م: «فتيانه».

الآخَرُ وهو [1] الثالثُ والعشرون [1] مِن صفَرٍ جلَس المأمونُ للناسِ وعليه الخضْرَةُ ، ثم إنَّه أمَر بخِلْعَةٍ سوداءَ ، فألبَسها طاهرًا ، ثم ألْبَس بعدَه جماعةً مِن الأمراءِ السوادَ ، فلَبِس الناسُ السوادَ وعادُوا إلى ذلك ، [2] بعدَ ما علِم منهم [2] الطاعةَ والموافقةَ ، وقد قيل : إنَّ المأمونَ مكَث يلْبَسُ الخضرةَ بعدَ قُدومِه بغدادَ سبْعًا [3] وعشرِين يومًا [4] . فاللَّهُ أعلَمُ .

ولمَّا جاء إليه عمُّه إبراهيمُ بنُ المهدىِّ بعدَ اختفائِه [5] ستَّ سنين وشهورًا [5] ، قال له المأمونُ [6] : أنتَ الخليفةُ الأسودُ . فأخَذ فى الاعتذارِ والاستغفارِ ، ثم قال للمأمونِ [7] : أنا الذى منَنْتَ عليه يا أميرَ المؤمنين بالعفوِ . وأنشَد المأمونَ عندَ ذلك :

ليس يُزرِى السوادُ بالرجلِ الشَّهْـ ... ـمِ ولا بالفتَى الأدِيبِ الأرِيبِ
إن يَكُنْ للسوادِ منكَ نَصيبٌ ... فبياضُ الأخلاقِ منكَ نصِيبى

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ [8] : وقد نظَم هذا المعنى بعضُ المتأخِّرِينَ وهو نصرُ اللَّهِ بنُ قلاقسَ [9] الإسكَندرِىُّ فقال :

رُبَّ سوداءَ وهْى بَيْضاءُ فعلٍ ... حسَد المسكَ عندَها الكافورُ
مثلُ حَبِّ العيونِ يحسَبُه النا ... سُ سَوَادًا وإنَّما هو نُورُ

(١ - ١) فى م : « الثامن والعشرين » .
(٢ - ٢) فى ب ، م : « فعلم منهم بذلك » .
(٣) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « تسعًا » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٥.
(٤) فى س : « ليلة » .
(٥ - ٥) سقط من : س .
(٦) وفيات الأعيان ١/ ٤٠، ٤١.
(٧) سقط من : م . وفى الأصل ، س ، ص : « له » .
(٨) وفيات الأعيان ١/ ٤١.
(٩) فى الأصل ، م : « قلانس » ، وفى ب : « قلامس » . وانظر مصدر التخريج .

وكان المأمونُ[1] قد شاوَر فى قتْلِ عمِّه إبراهيمَ بنِ المهدىِّ[2] ، فقال له أحمدُ ابنُ خالدٍ الوزيرُ الأحوَلُ : يا أميرَ المؤْمنين ، إن قتَلتَه فلك نظراءُ[3] ، وإن عفَوتَ عنه فما لك نظِيرٌ . ثم شرَع المأمونُ فى بناءِ قصورٍ على دِجلةَ إلى جانبِ قصرِه بها ، وسكَنَتِ الفِتَنُ وانزاحتِ الشُّرورُ ، وأمَر بمقاسمةِ أهلِ السَّوادِ على الخُمسَين ، وكانوا يُقاسِمونَ على النِّصفِ . واتخَذَ القفيزَ الملجَمَ[4] - وهو عشَرَةُ مَكاكِيَّ بالمكُّوكِ الهارونىِّ[5] - ، ووضَع شيئًا كثيرًا مِن خراجاتِ بلادٍ شتَّى ، ورفَق بالناسِ فى مواضعَ كثيرةٍ .

ووَلَّى أخاه أبا عيسى بنَ الرشيدِ الكوفةَ ، ووَلَّى أخاه صالحًا البصرةَ ، وولَّى [6]عبيدَ اللَّهِ[6] بنَ الحسنِ[7] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ نيابةَ الحرمينِ ، وهو الذى حجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ ، وفيها واقَع يحيى بنُ معاذٍ بابَكَ الخُرَّمِىَّ ، فلم يظفَرْ به .

وفيها تُوُفِّى مِن الأعيانِ جماعةٌ مِنهم :

---

(١) فى الأصل : « المهدى » .

(٢) بعده فى ب ، م : « بعض أصحابه » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٤١.

(٣) بعده فى ب ، م : « فى ذلك » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٤١.

(٤) فى الأصل ، ب ، س : « اللحم » . وفى م ، ص ، والكامل ٦/ ٣٥٨: « الملحم » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٦، وهو كذلك فى نسختين من الكامل .

(٥) فى النسخ : « الأهوازى » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٦، وانظر الكامل ٦/ ٣٥٨.

(٦ - ٦) فى س ، ص ، الكامل : « عبد الله » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٦.

(٧) فى النسخ ، والكامل : « الحسين » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٦.

أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشّافِعىّ[1]

وقد أفرَدْنا له ترجمةً مطوَّلةً فى أولِ كتابِنا «طبقاتِ الشّافِعيِّين»، ولنذكُرْ هـٰهنا ملخَّصًا مِن ذلك، وباللَّهِ المستعانُ.

هو الإمامُ [٨/ ١٥٢و] العالمُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ بنِ العباسِ بنِ عثمانَ بنِ شافعِ بنِ السائبِ بنِ عُبيدِ بنِ عبدِ يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المطَّلِبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَىٍّ، القرشىُّ المُطَّلبِىُّ. والسائبُ بنُ عُبيدٍ أسلَم يومَ بدرٍ، وابنُه شافعُ ابنُ السائبِ مِن صغارِ الصحابةِ، وأمُّه أزْدِيَّةٌ. وقد رأَت حينَ حملَت به كأنَّ المشْترِى خرَج مِن فرجِها حتى انقَضَّ بمصرَ، ثم وقَع فى كلِّ بلدٍ منه شَظْيةٌ. وقد وُلِد الشافعىُّ بغَزَّةَ - وقيل: بعسقلانَ. وقيل: باليمنِ - سنةَ خمسينَ ومائةٍ، وماتَ أبوه وهو صغيرٌ، فحملَته أمُّه إلى مكةَ وهو ابنُ سنتَيْن، لئلا يضِيعَ نسَبُه، فنشَأ بها، وقرأَ القرآنَ وهو ابنُ سبعِ سنينَ، وحفِظ «الموطَّأَ» وهو ابنُ عَشْرٍ، وأفتَى وهو ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً، وقيل: ابنُ ثمانى عشْرةَ سنةً. أَذِن له شيْخُه مسلمُ بنُ خالدٍ الزَّنْجِىُّ. وعُنِى باللغةِ والشِّعْرِ، وأقام فى هُذَيْلٍ نحوًا مِن عشْرِ سنينَ - وقيل: عشرينَ سنةً - فتعلَّم منهم لغاتِ العربِ وفصاحتَها، وسمِع الحديثَ الكثيرَ على جماعةٍ مِن المشايخِ والأئمةِ، وقرأَ بنفسِه «الموطَّأَ» على مالكٍ مِن حفظِه فأعجَبَتْه قراءتُه وهِمَّتُه، وأخَذ عنه عِلْمَ الحِجازيِّين بعدَ أخْذِه عن مسلمِ

---

(١) آداب الشافعى ومناقبه لابن أبى حاتم، ومناقب الشافعى للبيهقى، وتوالى التأسيس لمعالى محمد بن إدريس لابن حجر، وتاريخ بغداد ٢/ ٥٦، وطبقات الفقهاء للشيرازى ٧١، وتاريخ دمشق ١٤/ ٧٨٧ (مخطوط)، ووفيات الأعيان ٤/ ١٦٣، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٠٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١.

ابنِ خالدٍ الزَّنْجيِّ .

وروَى عنه خلْقٌ كثيرٌ قد ذكَرْنا أسماءَهم مرتَّبين على حروفِ المعْجَمِ . وقرأَ القرآنَ على إسماعيلَ بنِ قُسطَنْطِينَ ، عن شبْلٍ ، عن ابنِ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، عن جبريلَ ، عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

وأخَذ الشافعيُّ الفقْهَ عن مسلمِ بنِ خالدٍ الزَّنْجيِّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ وابنِ الزبيرِ وغيرِهما ، عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ؛ منهم عمرُ ، وعليٌّ وابنُ مسعودٍ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ وغيرُهم ، كلُّهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وتفقَّه أيضًا على مالكٍ عن مشايخِه ، وتفقَّه به جماعةٌ قد ذكَرْناهم ومَن بعدَهم إلى زمانِنا فى مُصَنَّفٍ مفردٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وقد روَى ابنُ أبى حاتمٍ[1] ، عن أبى بشرٍ الدُّولابيِّ ، عن محمدِ بنِ إدريسَ ورّاقِ الحُمَيْدِيِّ ، [2]عن الحميديِّ[2] ، عن الشّافِعيِّ أنَّه وَلِى الحكمَ بنَجْرانَ مِن أرضِ اليمنِ ، ثم تعَصَّبوا عليه ووَشَوْا به إلى الرشيدِ - هارونَ - أنَّه يَرُومُ الخلافةَ ، فحُمِلَ على بغْلٍ فى قيدٍ إلى بغدادَ ، فدخَلها فى سنةِ أربعٍ وثمانينَ ومائةٍ وعمْرُه ثلاثونَ سنةً ، فاجتَمع بالرشيدِ فتناظَر هو ومحمدُ بنُ الحسنِ بينَ يديه ، وأحسَن القولَ فيه محمدُ بنُ الحسنِ ، وتبيَّنَ للرشيدِ براءتُه مما نُسِبَ إليه ، وأنزَله محمدُ بنُ الحسنِ عندَه .

وكان أبو يوسُفَ قد ماتَ قبلَ ذلك بسنةٍ - وقيل : بسنتَيْن - وأكرَمَه[3]

---

(١) آداب الشافعى ومناقبه ص ٣١، بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « أدبه » .

محمدُ بنُ الحسنِ، وكتَب عنه الشافعيُّ وِقْرَ[1] بعيرٍ. ثم أطلَق له الرشيدُ ألفى دينارٍ - وقيل: خمسةَ آلافِ دينارٍ - وعاد الشافعيُّ إلى مكةَ ففرَّق عامةَ ما حصَل له فى أهلِه وذوِى رَحِمِه مِن بنى عمِّه، ثم عاد الشافعيُّ إلى بغدادَ فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ ومائةٍ، [2]فاجتَمع به[2] جماعةٌ مِن العلماءِ هذه المرةَ؛ منهم [٨/ ١٥٢ظ] أحمدُ بنُ حنبلٍ، وأبو ثورٍ، والحسينُ بنُ عليٍّ الكرابيسيُّ، والحارثُ بنُ سُرَيْجٍ[3] النَّقّالُ[4]، وأبو عبدِ الرحمنِ الشافعيُّ، والزَّعفرانيُّ وغيرُهم. ثم رجَع إلى مكةَ. ورجَع إلى بغدادَ أيضًا سنةَ ثمانٍ وتسعينَ ومائةٍ، ثم انتقَل منها إلى مصرَ، فأقامَ بها إلى أن ماتَ فى هذه السنةِ؛ سنةِ أربعٍ ومائتين، كما سيأتى. وصنَّف بها كتابَه «الأُمَّ»، وهو مِن كتُبِه الجديدةِ؛ لأنَّها مِن روايةِ الربيعِ بنِ سليمانَ، وهو مصريٌّ. وقد زعَم إمامُ الحرمَيْنِ وغيرُه، أنَّها مِن القديمِ. وهذا بعيدٌ وعجِيبٌ مِن مثلِه، واللَّهُ أعلمُ.

وقد أثنَى على الشافعيِّ غيرُ واحدٍ مِن كبارِ الأئمةِ، منهم عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ - وسأَله أن يكتُبَ له كتابًا فى الأُصُولِ فكتَب له «الرسالةَ»، وكان يدعُو له فى الصلاةِ دائمًا - وشيخُه مالكُ بنُ أنسٍ، وقُتيبةُ بنُ سعيدٍ - وقال: هو إمامٌ[5] - وسفيانُ بنُ عُيينةَ، ويحيى بنُ سعيدٍ القطّانُ، وكان يدعُو له أيضًا فى صلاتِه. وأبو عبيدٍ - وقال: ما رأيتُ أفصحَ ولا أعقلَ ولا أورَعَ مِن الشافعيِّ -

---

(١) الوقر: بالكسر الحمل الثقيل.

(٢ - ٢) فى ص: «فاحتج».

(٣) فى النسخ: «شريح»، مصحّفة. والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٩، وانظر طبقات الشيرازى ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٨، وطبقات الشافعية ٢/ ١١٢.

(٤) فى الأصل: «القفال»، وفى س، م، ص: «البقال» وإنما سمى النقال؛ لأنه نقل «رسالة الشافعى» إلى عبد الرحمن بن مهدى، وحملها إليه. وانظر المصادر السابقة.

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٦٧.

ويحيى بنُ أكثَمَ[1] القاضى ، وإسحاقُ بنُ راهَوَيْهِ ، ومحمدُ بنُ الحسنِ[2] ، وغيرُ واحدٍ ممَّن يطُولُ ذِكْرُهم وشرْحُ أقوالِهم .

وكان أحمدُ بنُ حنبلٍ يدعُو له فى صلاتِه نحوًا مِن أربعينَ سنةً ، وكان أحمدُ يقولُ فى الحديثِ الذى رواه أبو داودَ[3] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى أيوبَ ، عن شَراحيلَ بنِ يزيدَ ، عن أبى عَلْقَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ يَبعثُ لهذه الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يجدِّدُ لها[4] دينَها » . قال : فعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ على رأسِ المائةِ الأُولَى ، والشافعىُّ على رأسِ المائةِ الثانيةِ . وقال أبو داودَ الطيالسىُّ[5] : حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن النَّضْرِ[6] ابنِ معبدٍ الكِنْدىِّ - أو العبدىِّ - عن الجارُودِ ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَسُبُّوا قريشًا فإنَّ عالِمَها يملأُ الأرضَ علمًا ، اللهمَّ إنَّك أذَقْتَ أوَّلَها عذابًا أو[7] وَبالًا فأَذِقْ آخِرَها نوالًا » .

وهذا غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، وقد روَاه الحاكمُ فى « مستدرَكِه » ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه[8] . قال أبو نعيمٍ ، عبدُ الملكِ بنُ محمدٍ الإسْفراييىُّ[9] : لا ينطَبِقُ هذا إلَّا على محمدِ بنِ إدريسَ الشافعىِّ . حكاه

---

(١) فى الأصل ، س ، ص : « أكتم » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٠٧.
(٢) فى ص : « الحسين » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧.
(٣) تقدم الحديث فى ٩/ ٣٠٣ ، وانظر كلام أحمد فى تاريخ بغداد ٢/ ٦٢، ومناقب الشافعى ١/ ٥٥.
(٤) بعده فى الأصل ، ب ، م ، ص : « أمر » .
(٥) مسند أبى داود الطيالسى (٣٠٩) .
(٦) فى م : « نصر » . وانظر مصدر التخريج .
(٧) فى م : « و » .
(٨) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٢.
(٩) تاريخ بغداد ٢/ ٦١.

الخطيبُ . وقال يحيى بنُ معينٍ ، عن الشافعيِّ : هو صدوقٌ لا بأسَ به[1] . وقال مرَّةً[1] : لو كان الكَذِبُ له[2] مطلقًا لكانت مُروءتُه تمنَعُه أن يكذِبَ . وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3] : سمِعتُ أبى يقولُ : الشافعيُّ فقيهُ البدَنِ ، صدوقُ اللسانِ . وحكَى بعضُهم عن أبى زُرْعَةَ أنَّه قال[4] : ما عندَ [٨/ ١٥٣و] الشافعيِّ حديثٌ غلِط فيه . وحُكِى عن أبى داودَ نحوُه[5] .

وقال إمامُ الأئمةِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ ، وقد سُئِلَ : هل سُنَّةٌ لم تبلُغِ الشافعيَّ ؟ فقال[6] : لا . ومعنَى هذا أنَّها تارةً تبلُغُه بسنَدِها ، وتارةً مرسلةً ، وتارةً منقطِعَةً ، كما هو الموجودُ فى كتُبِه ، واللَّهُ أعلَمُ .

وقال حرمَلَةُ[7] : سمِعتُ الشافعيَّ يقولُ : سُمِّيتُ ببغدادَ ناصِرَ السُّنةِ . وقال أبو ثورٍ[8] : ما رأَينا مثلَ الشافعيِّ ، ولا رأى هو مثلَ نفسِه . وكذا قال الزَّعفرانيُّ وغيرُه[9] .

وقال داودُ بنُ عليٍّ الظاهريُّ فى كتابٍ جَمَعه فى فضائلِ الشافعيِّ[10] : للشافعيِّ مِن الفضائلِ ما لم يجتَمِعْ لغيرِه ؛ مِن شرَفِ نسَبِه ، وصحَّةِ دِينِه ،

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٩٧.
(٢) بعده فى ب ، م : « مباحًا » .
(٣) آداب الشافعى ومناقبه ص ٨٩.
(٤) تاريخ دمشق ١/١٥ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧.
(٥) تاريخ دمشق ١/١٥ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨.
(٦) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٥١، بنحوه ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤.
(٧) حلية الأولياء ٩/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧.
(٨) فى س : « زرعة » . وانظر تاريخ دمشق ٨٢١/١٤ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦.
(٩) فى الأصل ، س ، ص : « وغير واحد » . وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٦١.
(١٠) الخبر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٣٣/١٤ (مخطوط) .

ومعْتَقَدِه ، وسخاوةِ نفسِه ، ومعرِفَتِه بصحَّةِ الحديثِ وسَقَمِه وناسِخِه ومنسوخِه ، وحفْظِه الكتابَ والسُّنةَ وسيرةَ الخلفاءِ ، وحُسْنِ التصنيفِ ، وجودةِ الأصحابِ والتلامِذَةِ ، مثلَ أحمدَ بنِ حنبلٍ فى زُهْدِه ووَرَعِه ، وإقامتِه على السُّنةِ . ثم سرَد أعيانَ أصحابِه مِن البغادِدَةِ والمصريِّين . وكذا عدَّ أبو داودَ مِن جملةِ تلاميذِه فى الفقهِ أحمدَ بنَ حنبلٍ[1] .

وقد كان - رحِمه اللَّهُ - مِن أعلَمِ الناسِ بمعانى القرآنِ والسُّنةِ ، وأشدِّ الناسِ انتزاعًا للدلائلِ منهما ، وكان مِن أحسَنِ الناسِ قَصْدًا وإخلاصًا ، كان يقولُ[2] : وَدِدتُ أنَّ الناسَ تعلَّموا هذا العلمَ ولا يُنسَبُ إلىَّ شىءٌ منه أبدًا ، فأُؤْجَرُ عليه ولا يَحمَدونى . وقد قال غيرُ واحدٍ عنه : إذا صَحَّ عندَكم الحديثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقولوا به ودَعُوا قَوْلِى ، فإنِّى أقولُ به ، وإن لم تسمَعوه مِنى[3] . وفى روايةٍ[4] : فلا تُقلِّدُونى . وفى روايةٍ[5] : فلا تلتَفِتوا إلى قَوْلِى . [6]وفى روايةٍ : فاضرِبوا بقولِى عُرضَ الحائطِ ، فلا قولَ لى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ[6] . وقال[7] : لأن يلْقَى اللَّهَ العبدُ بكلِّ ذَنْبٍ ما خلا الشركَ باللَّهِ خيرٌ له مِن أن يلْقَاه بشىءٍ مِن

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٨٣٣ (مخطوط).

(٢) حلية الأولياء ٩/ ١١٩.

(٣) آداب الشافعى ومناقبه ٩٣، ٩٤، وحلية الأولياء ٩/ ١٠٦، ١٠٧، ومناقب الشافعى ١/ ٤٧٢، ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٢١.

(٤) آداب الشافعى ومناقبه ص ٦٧، ٦٨، ٩٣، وحلية الأولياء الموضع السابق، ومناقب الشافعى ١/ ٤٧٣، وتاريخ الإسلام الموضع السابق.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٠٧، بنحوه.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، س، ص. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٢١.

(٧) مناقب الشافعى ١/ ٤٥٢.

الأهواءِ . وفى روايةٍ[1] : خيرٌ له مِن أن يلْقَاه بعلمِ الكلامِ . وقال[2] : لو علِم الناسُ ما فى علمِ الكلامِ مِن الأهواءِ لَفرُّوا منه كما يفِرُّونَ مِن الأسدِ . وقال أيضًا[3] : حُكْمِى فى أهلِ الكلامِ أن [4]يُضرَبوا بالجريدِ ، و[4]يطافُ بهم فى القبائلِ وينادَى عليهم : هذا جزاءُ مَن ترَك الكتابَ والسُّنةَ وأقبَل على علم الكلامِ .

وقال البُويطىُّ[5] : سمِعتُ الشافعىَّ يقولُ : عليكم بأصحابِ الحديثِ ؛ فإنَّهم أكثرُ الناسِ صوابًا .

وكان يقولُ[6] : إذا رأيتَ رجلًا مِن أصحابِ الحديثِ ، فكأنَّما رأيتَ رجلًا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، جزاهم اللَّهُ خيرًا ، حَفِظوا لنا الأصلَ ، فلهم علينا الفضْلُ . ومِن شعْرِه فى هذا المعنى قولُه[7] :

[٨/١٥٣ظ] كلُّ العلومِ سوى القرآنِ مَشغَلةٌ ... إلّا الحديثَ وإلّا الفقهَ فى الدِّينِ
العلمُ ما كانَ فيه قال حدَّثنا ... وما سِوى ذاكَ وسَوْاسُ الشَّياطينِ

وكان يقولُ[8] : القرآنُ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ ، ومَن قال : مخلوقٌ . فهو كافرٌ .

وقد روَى عنه[9] الربيعُ وغيرُ واحدٍ مِن رءوسِ أصحابِه ما يدُلُّ على أنَّه كان

---

(١) آداب الشافعى ومناقبه ص ١٨٢.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ١١١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦، ١٨.
(٣) مناقب الشافعى ١/ ٤٦٢.
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، س ، ص .
(٥) توالى التأسيس ، (ط . دار الكتب العلمية) ص ١١٠.
(٦) مناقب الشافعى ١/ ٤٧٧.
(٧) البيتان فى شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٨، وطبقات الشافعية للسبكى ١/ ٢٩٧.
(٨) آداب الشافعى ومناقبه ص ١٩٥، ومناقب الشافعى ١/ ٤٠٧، وكلاهما بنحوه .
(٩) فى ب ، م : «عن» .

يُمرُّ آياتِ الصِّفاتِ وأحاديثَها كما جاءت مِن غيرِ تكييفٍ ولا تشْبيهٍ ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ، على طريقةِ السلَفِ[1]. وقال ابنُ خزيمةَ: أنشَدَنى المُزَنىُّ، قال: أنشَدَنا الشافعىُّ لنفسِه[2]:

ما شئتَ كان وإن لم أَشأْ ... وما شئتُ إن لم تشأْ لم يكُنْ
خلَقْتَ العبادَ على ما علِمتَ ... ففى العلمِ يجْرِى الفتى والمُسِنّْ
فمنهم شقىٌّ ومنهم سعيدٌ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حسَنْ
على ذا منَنْتَ وهذا خَذَلْتَ ... وهذا أعنْتَ وذا لم تُعِنْ

وقال الربيعُ[3]: سمِعتُ الشافعىَّ يقولُ: أفضلُ الناسِ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم علىٌّ.

وعن الربيعِ قال[4]: أنشَدنا الشافعىُّ:

قد عَوِجَ[5] الناسُ حتى أحدَثوا بِدَعًا ... [6]فى الدينِ بالرأْيِ[6] لم تُبعَثْ بها الرسُلُ
حتى اسْتخَفَّ بحقِّ اللَّهِ أكثرُهم ... وفى الذى حُمِّلوا مِن حقِّه شُغُلُ

وقد ذكَرنا مِن شعرِه فى السُّنَّةِ، وكلامِه فيها، وفى[7] الحِكَمِ والمواعظِ طرفًا

---

(١) انظر لذلك مثلًا: حلية الأولياء ٩/١٠٩ - ١١٧، وآداب الشافعى ومناقبه ١٨٢، ١٩٥، ومناقب الشافعى ٣٨٥ - ٤٧٠.
(٢) الأبيات فى مناقب الشافعى ٢/١٠٩، ١، ٤١٢، ٤١٣، وطبقات الشافعية للسبكى ١/ ٢٩٥.
(٣) مناقب الشافعى ١/ ٤٣٢، ٤٣٣.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٧١.
(٥) فى الأصل، س: «نفر» كذا غير معجمة، وفى ب: «عرب»، وفى ص: «نقر». وفى مصدر التخريج: «لم يبرح» بدلًا من: «قد عوج».
(٦ - ٦) فى س: «بالكذب فى الدين».
(٧) فى ب، م: «فيما قال من».

صالحًا فى الذى كتَبْناه فى أولِ « طبقاتِ الشافعيةِ » .

وقد كانت وفاتُه بمصرَ يومَ الخميسِ - وقيل : يومَ الجُمعةِ - فى آخرِ يومٍ مِن رجَبٍ سنةَ أربعٍ ومائتيْن ، عن أربعٍ وخمسينَ سنةً . وكان أبيضَ جميلًا طويلًا مَهيبًا[1] ، يخْضِبُ بالحنَّاءِ مخالفةً للشيعةِ ، رحِمه اللَّهُ وأكرَم مثواه ، وجعَل الجنةَ مأواه .

ومِمَّن تُوفِّى فيها أيضًا مِن الأعيانِ :

إسحاقُ بنُ الفراتِ[2] . **وأشهبُ** بنُ عبدِ العزيزِ المصرىُّ المالكىُّ[3] . **والحسنُ** ابنُ زيادٍ اللُّؤلُؤىُّ الكوفىُّ الحنَفىُّ[4] . **وأبو داودَ** سليمانُ بنُ داودَ الطيالسىُّ[5] . صاحبُ المسندِ وأحدُ الحفّاظِ . **وأبو بدرٍ** شجاعُ بنُ الوليدِ[6] . **وأبو بكرٍ** الحنَفىُّ [7]عبدُ الكبيرِ[7] . **وعبدُ الوهابِ** بنُ عطاءٍ الخفّافُ[8] . **والنَّضْرُ** بنُ

---

(١) فى س : « بهيا » .

(٢) تهذيب الكمال ٢/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٥٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٢١، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٥.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٩٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٦٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٢٧٨.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣١٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٩٨، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٢، والجواهر المضية ٢/ ٥٦.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٢٤، وتهذيب الكمال ١١/ ٤٠١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٧٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥١.

(٦) تاريخ بغداد ٩/ ٢٤٧، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٩٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٨.

(٧ - ٧) فى ب ، م : « وعبد الكريم » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٩، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٤٣، والعبر ١/ ٣٤٦.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٢١، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥٠٩، وسير أعلام=

شُمَيلٍ[1] ، أحدُ أئمةِ اللغةِ . **وهشامُ** بنُ محمدِ بنِ السائبِ الكلبيُّ[2] ، أحدُ علماءِ التاريخِ .

= النبلاء ٩/ ٤٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٤٩.

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٣، وطبقات النحويين للزبيدى ص ٥٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٣٨، وإنباه الرواة ٣/ ٣٤٨، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٩٧، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٣٧٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤١١.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤١٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩.

ثم دخلتْ سنةُ خمسٍ ومائتين

فيها[1] ولَّى المأمونُ طاهرَ بنَ الحسينِ [٨/ ١٥٤و] بنِ مصعبٍ نيابةَ بغدادَ والعراقِ وخراسانَ إلى أقصَى عملِ المشرقِ، ورضِى عنه ورفَع منزلتَه جدًّا، وذلك لمرضِ الحسنِ بنِ سهلٍ بالسَّوادِ[2]. وولَّى المأمونُ مكانَ طاهرٍ على الرَّقَّةِ والجزيرةِ يحيى بنَ معاذٍ. وقدِم [3]عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ[3] بنِ الحسينِ إلى بغدادَ فى هذه السنةِ، وكان أبوه قد استخلَفه على الرَّقَّةِ وأمَرَه بمقاتَلَةِ نصرِ بنِ شبثٍ[4]. وولَّى المأمونُ عيسى [5]بنَ يزيدَ الجُلُودىَّ[6] مُقاتَلَةَ الزُّطِّ[7]. وولَّى عيسى[5] بنَ محمدِ بنِ أبى خالدٍ أذرَبِيجانَ [8]وإرمينيَةَ، وأمَرَه بمحاربةِ بابَكَ[9] الخُرَّمىِّ[10][8]. ومات نائبُ مصرَ السّرىُّ بنُ الحكمِ بها. ونائبُ السِّندِ داودُ بنُ يزيدَ، فولَّى مكانَه بشرَ بنَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٧، والمنتظم ١٠/ ١٤١، والكامل ٦/ ٣٦٠.

(٢) فى الأصل، ب، س، ص: «بالسوداء». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٧.

(٣ - ٣) فى الأصل، ب: «طاهر بن عبد الله». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٠٤.

(٤) فى الأصل، س: «شبيث». وفى ب: «شيث». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٨٠.

(٥ - ٥) سقط من: س، ص.

(٦) فى الكامل ٦/ ٣٦٢: «الجلوذى».

(٧) الزط: جيل من الناس اختلف فى نسبتهم، فقيل: هم قوم من السند سكنوا البصرة. التاج (ز ط ط). وانظر معجم البلدان ١/ ٦٦٨، والمسالك والممالك للإصطخرى ٦٥.

(٨ - ٨) سقط من: ب، م.

(٩) فى الأصل: «بانك».

(١٠) فى الأصل: «الجرمى»، وفى س: «الحومى»، وفى ص: «الحزمى». والمثبت موافق لما فى التاج (خ ر م)، والكامل ٦/ ٣٧٩. وانظر أيضا التاج (ب ب ك).

داودَ، على أن يحمِلَ إليه فى كلِّ سنةٍ ألفَ ألفِ درهمٍ. وحجَّ بالناسِ فيها عبيدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ[1] نائبُ الحرمَيْن الشَّريفَيْن.

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ:

إسحاقُ بنُ منصورٍ السلوليُّ[2]. و[3]**بِشرُ** بنُ بكرٍ[3] الدمشقيُّ[4]. **وأبو عامرٍ** العَقَدىُّ[5]. **ومحمدُ** بنُ عبيدٍ الطَّنافسىُّ[6]. **ويعقوبُ**[7] الحضرمىُّ[8]. **وأبو سليمانَ** الدّارانىُّ عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ بنِ عطيةَ[9] - وقيلَ: عبدُ الرحمنِ بنُ

---

(١) فى الأصل: «الحسين». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٨٠.

(٢) فى س، ص: «السلوى». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٥، وتهذيب الكمال ٢/ ٤٧٨، والعبر ١/ ٣٤٧، وفيه: «السكونى»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٥٦، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٢٦.

(٣ - ٣) فى ص: «بكر بن بشر».

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٣، وتهذيب الكمال ٤/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٧٤، والعبر ١/ ٣٤٧، وفيه: «بسر»، وحسن المحاضرة ١/ ٢٨٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٩، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٦٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٤٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٦٩، ٤٧٠.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٧، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٦٥، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٥٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٠٧.

(٧) بعده فى س: «بن»، وبعده بياض بمقدار كلمة.

(٨) فى م: «الحضرى». وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٤، وإنباه الرواة ٤/ ٥٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٠، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣١٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٦٠، وغاية النهاية ٢/ ٣٨٦.

(٩) تاريخ داريا ص ٥١، وطبقات الصوفية للسلمى ٧٥، وحلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨، وصفة الصفوة ٤/ ٢٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٢٩، و(حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٥٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٥، ٢٦٦.

عطيةَ . وقيلَ : عبدُ الرحمنِ بنُ عَسْكَرٍ ، أبو سليمانَ الدّارانيُّ[1] . أصلُه مِن واسطٍ ، وسكَن قريةً غربيَّ دمشقَ ، يقالُ لها : دارَيّا .

وقد سمِع الحديثَ مِن سفيانَ الثوريِّ وغيرِه ، وروَى عنه أحمدُ بنُ أبى الحَواريِّ وجماعةٌ . وأسنَد الحافظُ ابنُ عساكرَ مِن طريقِه قال[2] : سمِعتُ عليَّ بنَ الحسنِ[3] بنِ أبى الربيعِ الزاهدَ يقولُ : سمِعتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ يقولُ : سمِعتُ ابنَ عَجْلانَ يذكُرُ عن القَعْقاعِ بنِ حكيمٍ ، [4]عن أبى صالحٍ[4] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن صلَّى قبلَ الظهرِ أربعًا غُفِرت[5] ذنوبُه يومَه ذلك » . وقال أبو القاسمِ القُشَيْرىُّ[6] : حُكِى عن أبى سليمانَ الدّارانيِّ قال : اختلَفْتُ إلى مجلسِ قاصٍّ[7] فأثَّر كلامُه فى قلبى ، فلمّا قمتُ لم يبقَ فى قلبى شىءٌ ، فعدتُ ثانيةً فأثَّر كلامُـه فى قلبى بعد ما قمتُ وفى الطريقِ ، ثم عُدْتُ ثالثةً [8]فبقِىَ أثَرُ[8] كلامِه فى قلبى حتى رجَعتُ إلى منزلى ، وكَسَرتُ آلاتِ المخالَفاتِ ولزِمتُ الطريقَ . فحُكِيت هذه الحكايةُ ليحيى بنِ معاذٍ ، فقال : عصفورٌ اصطاد كُرْكِيًّا . يعنى بالعصفورِ القاصَّ ، وبالكُرْكىِّ أبا سليمانَ الدّارانىَّ .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[9] : سمِعتُ أبا سليمانَ يقولُ : ليس لمَن أُلْهِمَ

---

(١) بعده فى ب ، م ، ص : « أحد أئمة العلماء العاملين » ، وهو فى حاشية الأصل ، س أيضا .

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٨٢٣، ٨٢٤ (مخطوط) .

(٣) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « الحسين » . وانظر مصدر التخريج .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ب . وانظر التاريخ الكبير ٧/ ١٨٨ .

(٥) فى ب ، م : « غفر اللّه » . وفى ابن عساكر : « غفر له » .

(٦) تاريخ دمشق ٩/ ٨٢٥ (مخطوط) ، بنحوه .

(٧) فى تاريخ دمشق : « قاضى » .

(٨ - ٨) فى ب ، م : « فأثر » .

(٩) تاريخ دمشق ٩/ ٨٢٦ (مخطوط) .

شيئًا مِن الخيرِ أن يعمَلَ به حتى (١يسمَعَه مِن١) الأثرِ، فإذا (٢سمِعَه مِن٢) الأثرِ [٨/١٥٤ظ] عمِل به، (٣وحمِد اللَّهَ حينَ٣) (٤وافَق ما فى قلبِه٤).

وقال الجُنيدُ(٥): قال أبو سليمانَ الدارانىُّ: ربَّما يَقَعُ فى قلبى النُّكتةُ مِن نُكَتِ القومِ أيامًا(٦) فلا (٧أقبَلُ منه٧) إلا بشاهدَيْن عَدْلين؛ الكتابِ والسُّنةِ. قال(٨): وقال أبو سليمانَ: أفضلُ الأعمالِ خلافُ هوَى النفْسِ. وقال: لكلِّ شىءٍ علَمٌ وعلَمُ الخِذْلانِ تركُ البكاءِ(٩). وقال: لكلِّ شىءٍ صدأٌ وصدأُ نورِ القلبِ شِبَعُ البطنِ. وقال(١٠): كلُّ ما شَغَلك عن اللَّهِ؛ مِن أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ، فهو عليك(١١) مشئومٌ(١٢). وقال(١٣): كنتُ ليلةً فى المحرابِ أدعو ويداىَ مَمدودَتان فغلَبَنى البرْدُ فضمَمْتُ إحداهما وبقَّيْتُ الأخرى مبسوطةً أدعو بها، وغلبَتْنى عيْنِى فنِمتُ، فهتَف بى هاتفٌ: يا أبا سليمانَ، قد وضَعْنا فى هذه ما أصابها، ولو كانتِ الأخرى لوَضَعْنا فيها. قال: فآلَيتُ على نفسِى ألّا أدعوَ إلّا ويداىَ(١٤)

(١ - ١) فى ب، م: «يسمع به فى».
(٢ - ٢) فى م: «سمع به فى».
(٣ - ٣) فى ب، م: «فكان نورًا على نور».
(٤) فى الأصل: «حتى».
(٥) تاريخ دمشق ٨٢٦/٩ (مخطوط).
(٦) سقط من: ب، م.
(٧ - ٧) فى ب، م: «أقبلها».
(٨) تاريخ دمشق ٨٢٦/٩ (مخطوط).
(٩) بعده فى ب، م: «من خشية اللَّه».
(١٠) تاريخ بغداد ٢٤٩/١٠.
(١١) سقط من: م.
(١٢) فى م: «شؤم».
(١٣) تاريخ دمشق ٨٢٦/١٠ (مخطوط).
(١٤) بعده فى ص: «ممدوتان».

خارجتان ، حرًّا كان أو بردًا . وقال أبو سليمانَ[1] : نمتُ ليلةً عن وِرْدِى فإذا أنا بحَوْراءَ تقولُ لى : تنامُ وأنا أُرَبَّى لك فى الخُدورِ منذُ خمسِمائةِ عامٍ ؟

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[2] : سمِعتُ أبا سليمانَ يقولُ : إنَّ فى الجَنةِ أنهارًا على شاطئِها خيامٌ فيهنّ الحُورُ ، يُنشئُ اللَّهُ خَلْقَ إحداهن[3] إنشاءً ، فإذا تكامَل خلقُها ضرَبتِ الملائكةُ عليهن الخيامَ[4] ، جالسةً على كرسىٍّ[5] مِيلٍ فى مِيلٍ ، قد خرَج عَجيزتُها مِن جوانبِ الكرسىِّ ، فيجىءُ أهلُ الجنةِ مِن قصورِهم يتنزَّهون[6] ما شاءوا ، ثم يخلُو كلُّ رجلٍ منهم بواحدةٍ منهنّ . قال أبو سليمانَ : كيفَ يكونُ فى الدنيا حالُ مَن يريدُ يفتَضُّ الأبكارَ على شاطئِ الأنهارِ فى الجنةِ ؟ .

وقال [7]أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[8][7] : سمِعتُ أبا سليمانَ الدارانىَّ يقولُ : ربَّما مكثتُ خمسَ ليالٍ لا أقرأُ بعدَ الفاتحةِ إلّا[9] بآيةٍ واحدةٍ أتفكَّرُ فى معانِيها ، ولرُبَّما جاءتِ الآيةُ مِن القرآنِ فيَطيرُ العقلُ ، فسبحانَ مَن يَرُدُّه بعدُ ! وسمِعتُه يقولُ[10] : أصلُ كلِّ خيرٍ فى الدُّنيا والآخرةِ الخوفُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، ومِفتاحُ الدنيا الشِّبَعُ ، ومِفتاحُ الآخرةِ الجوعُ . وقال لى يومًا[11] :

---

(١) تاريخ دمشق ٩/٨٢٦ (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق ٩/ ٨٣١.
(٣) فى م : «الحوراء» .
(٤) بعده فى ب ، م : «الواحدة منهن» .
(٥) بعده فى ب ، م : «من ذهب» .
(٦) بعده فى ب ، م : «على شاطئ تلك الأنهار» .
(٧ - ٧) سقط من : م .
(٨) تاريخ دمشق ٩/٨٢٦ (مخطوط) ، بنحوه .
(٩) سقط من : ب ، م .
(١٠) تاريخ دمشق ٩/٨٢٦ (مخطوط) .
(١١) المصدر السابق ٩/ ٨٢٧، بنحوه .

يا أحمدُ، جَوِّعْ قلبَك[1]، وذِلَّ[2] قلبَك[1]، وعَزِّ[3] قلبَك[1]، وفقِّرْ قلبَك[1]، وصبِّرْ قلبك[1]، وقد انقضَت عنكَ أيامُ الدنيا.

وقال أحمدُ[4]: اشتَهى أبو سليمانَ رغيفًا حارًّا بمِلْحٍ، قال[5]: فجئتُه به، فعَضَّ منه عَضَّةً ثم طرَحه وأقبَل يبكِي ويقولُ: يا ربِّ عجَّلتَ لى شهوتى، لقد أطلْتَ جهدِى وشِقْوتى[6] وأنا تائبٌ [7]فاقبَلْ توبتى[7]. فلم يذُقِ المِلحَ حتى لحِق باللَّهِ عزَّ وجلَّ. [٨/١٥٥و] قال[8]: وسمِعتُه يقولُ: ما رضِيتُ عن نفسِى طَرْفةَ عينٍ، ولو أنَّ أهلَ الأرضِ اجتمَعوا على أن يضَعونى كالتِّضاعِى[9] عندَ نفسِى ما أحسَنوا[10]. وسمِعتُه يقولُ[11]: مَن رأى لنفسِه قيمةً لم يذُقْ حلاوةَ الخدمةِ [12]وسمِعتُه يقولُ: إذا تكلَّف المتعبِّدون أن لا يتكلَّموا إلَّا بالإعرابِ، ذهَب الخشوعُ[12]. وسمِعتُه يقولُ[13]: مَن حسَّن ظنَّه باللَّهِ، ثم [14]لا يخافُ[14] فهو

---

(١) فى ب، س، م، ص: «قليل».
(٢) سقط من: م. وفى الأصل: «ذلل».
(٣) فى الأصل: «عز».
(٤) تاريخ دمشق ٨٢٨/٩ (مخطوط).
(٥) سقط من: م.
(٦) فى الأصل: «شهوتى».
(٧ - ٧) سقط من: الأصل، م.
(٨) تاريخ دمشق ٨٢٨/٩ (مخطوط).
(٩) فى الأصل: «كالتضاعى».
(١٠) فى ب، م: «قدروا».
(١١) تاريخ دمشق ٨٢٨/٩ (مخطوط).
(١٢ - ١٢) زيادة من: س. وانظر تاريخ دمشق الموضع السابق.
(١٣) تاريخ دمشق ٨٢٨/٩ (مخطوط).
(١٤ - ١٤) فى ب، م: «لم يخفه ويطعه».

مخدوعٌ. وقال[1] : ينبغى للخوفِ أن يكونَ[2] أغلَبَ مِن[3] الرجاءِ، [4]فإذا غلَب[5] الرجاءُ[4] على الخوفِ فسَد القلبُ. وقال لى يومًا[6] : هل فوقَ الصَّبرِ منزلةٌ؟ فقلتُ : نعم - يعنى الرِّضا - قال[7] : فصرَخ صرخةً غُشِى عليه، ثم أفاق فقال : إذا كان الصابرون يُوفَّون أجرَهم بغيرِ حسابٍ، فما ظنُّك بالآخَرِين[8]، وهم الذين رضِى عنهم.

وقال بعضُهم : [9]سمِعتُ أبا سليمانَ يقولُ :[9] ما يسُرُّنى أنَّ لى الدنيا[10] مِن أوَّلِها إلى آخرِها أنفِقُه فى وجوهِ البِرِّ، وأنِّى أغفُلُ عن اللَّهِ طَرْفَةَ عينٍ. وقال [11]أبو سليمانَ[11] : قال زاهدٌ لزاهدٍ : أوصِنى. فقال : لا يراكَ اللَّهُ حيثُ نهاكَ، ولا يَفقِدُك حيثُ أمَرَك. فقال : زِدْنى. فقال : ما عندِى زيادةٌ. وقال أيضًا[12] : مَن أحسَن فى نهارِه كُوفِئَ فى ليلِه، ومَن أحسَن فى ليلِه كُوفِئَ فى نهارِه، ومَن صدَق فى تركِ شهوةٍ ذهَب اللَّهُ بها مِن قلبِه، واللَّهُ أكرمُ مِن أن يعذِّبَ قلبًا بشهوةٍ[13]

---

(١) تاريخ دمشق ٩/٨٣٠ (مخطوط).
(٢) بعده فى ب، م : «على العبد».
(٣) فى تاريخ دمشق : «على».
(٤ - ٤) سقط من : ص.
(٥) فى تاريخ دمشق : «بلغ».
(٦) تاريخ دمشق ٩/٨٢٨ - ٨٢٩ (مخطوط)، بنحوه.
(٧) سقط من : الأصل، ب، م.
(٨) فى الأصل، ب، م، ص : «بالأخرى».
(٩ - ٩) سقط من : ب، م.
(١٠) بعده فى ب، م : «وما فيها».
(١١ - ١١) سقط من : ب، م. وانظر تاريخ دمشق ٩/٨٢٩ (مخطوط).
(١٢) سقط من : ب، م.
(١٣) فى الأصل، س : «فى شهوة».

تُرِكتْ له . وقال[1] : إذا سكَنَتِ الدنيا القلبَ[2] ترحَّلَت منه الآخرةُ . وقال[3] : إذا كانتِ الآخرةُ فى القلبِ جاءتِ الدنيا تَزحَمُها ، وإذا كانتِ الدنيا فى القلبِ لم تَزحَمْها الآخِرةُ ؛ إنَّ الآخِرةَ كريمةٌ[4] والدُّنيا لئيمةٌ .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[5] : بِتُّ ليلةً عندَ أبى سليمانَ فسمِعتُه يقولُ : وعزَّتِك وجلالِك لئن طالَبْتَنى بذُنونى[6] لأطالبَنَّك بعفوِك ، ولئن طالَبْتَنى ببُخلِى[7] لأُطالبَنَّك بسخائِك[8] ، ولئن أمَرْتَ بى إلى النارِ [9]لأُخبِرَنَّ أهلَ النارِ[9] أنِّى أحبُّك[10] . وكان [11]أبو سليمانَ[11] يقولُ[12] : لو شكَّ[13] الناسُ كلُّهم فى الحقِّ ما شكَكْتُ[14] فيه وَحْدِى . وكان يقولُ[15] : ما خلَق اللَّهُ خلقًا أهْونَ علىَّ[16] مِن إبليسَ ، ولولا أنَّ اللَّهَ أمَرَنى أن أتعوَّذَ منه ما تعوَّذْتُ منه أبدًا ، ولو بدا لى ما لَطَمتُ

---

(١) تاريخ دمشق ٩/٨٣٠ (مخطوط) .
(٢) فى س : « فى قلب » .
(٣) سقط من : ب ، م . وانظر تاريخ دمشق ٩/٨٣٠ (مخطوط) .
(٤) بعده فى ب ، م : « وما ينبغى لكريم أن يزاحم لئيما » .
(٥) تاريخ دمشق ٩/٨٣٢ (مخطوط) .
(٦) فى تاريخ دمشق : « بديونى » .
(٧) فى الأصل ، س ، ص ، وتاريخ دمشق : « بلومى » .
(٨) فى ب ، م : « بكرمك » .
(٩ - ٩) فى الأصل : « لأخبرنهم » ، وفى س ، ص : « لأخبرتهم » .
(١٠) فى الأصل ، س ، ص : « كنت أحبك » .
(١١ - ١١) ليست فى ب ، ظ ، م .
(١٢) تاريخ دمشق ٩/٨٣٢ (مخطوط) .
(١٣) فى الأصل : « سلك » .
(١٤) فى الأصل : « سلكت » . وبعده فى س : « أنا » .
(١٥) تاريخ دمشق ٩/٨٣٣ (مخطوط) .
(١٦) فى الأصل : « عليه » .

إلّا صفحةَ وجهِه . وكان يقولُ[1] : إنَّ اللصَّ لا يجيءُ إلى خَرِبةٍ ينقُبُ حِيطانَها وهو قادرٌ على الدُّخولِ إليها مِن أيِّ مكانٍ شاء ، وإنَّما يجيءُ إلى [2]بيتٍ معمورٍ[2] ، كذلك إبليسُ لا يجِيءُ إلّا إلى كلِّ[3] قلبِ عامرٍ ليَستنزِله[4] عن[5] شيءٍ .

وكان يقولُ[6] : إذا أخلَص العبدُ انقطَع عنه [7]كثرةُ الوَسْواسِ[7] [8]والرِّياءُ[8] والرُّؤيا[9] . وقال[10] : مكثتُ عشرِين سنةً لم أحتَلِمْ ، فدخَلْتُ مكةَ ففاتَتْنى صلاةُ العشاءِ فى جماعةٍ [٨/١٥٥ظ] فاحتلَمْتُ تلكَ الليلةَ . وقال[11] : إنَّ مِن خلقِ اللَّهِ قومًا ما يشغَلُهم الجِنانُ وما فيها مِن النَّعيمِ عنه ، فكيف تشتَغِلون[12] بالدُّنيا[13] ؟ وقال[14] : الدُّنيا عندَ اللَّهِ أقلُّ مِن جَناحِ بَعوضةٍ ، فما الزُّهدُ فيها ؟ إنما الزُّهدُ فى الجِنانِ والحورِ العِينِ ، حتى لا يرَى اللَّهُ فى قلبِك غيرَه .

وقال الجنيدُ[15] : شيءٌ يروَى عن أبى سليمانَ أنا استَحْسنتُه كثيرًا ؛ قولُه : مَن

---

(١) تاريخ دمشق ٩/٨٣٢ (مخطوط) ، بنحوه .
(٢ - ٢) فى ب ، م : « البيت المعمور » ، وفى تاريخ دمشق : « بيت » .
(٣) فى ص : « كلب » .
(٤) فى ب ، ص : « لينزله » ، وبعده فى ب ، م : « أو ينزله » .
(٥) بعده فى ب ، م : « كرسيه ويسلبه أعز » .
(٦) تاريخ دمشق ٩/٨٣٣ (مخطوط) .
(٧ - ٧) فى ب ، م : « الوساوس » .
(٨ - ٨) سقط من : م .
(٩) بعده فى ب ، م : « وقال الرؤيا يعنى الجنابة » .
(١٠) تاريخ دمشق ٩/٨٣٣ (مخطوط) ، بنحوه .
(١١) تاريخ دمشق ٩/٨٣٤ (مخطوط) .
(١٢) فى الأصل ، ب ، ص : « يشغلون » . وفى م : « يشتغلون » .
(١٣) بعده فى ب ، م : « عنه » .
(١٤) تاريخ دمشق ٩/٨٣٤ (مخطوط) ، بنحوه .
(١٥) المصدر السابق .

اشتغَل بنفسِه شُغِل[1] عن الناسِ ، ومَن اشتغَل بربِّه[2] شُغِل عن نفسِه وعن الناسِ . وقال [3]غيرُه : كان أبو سليمانَ يقولُ[4][3] : خيرُ السَّخاءِ ما وافَق الحاجةَ . وقال [5]أبو سليمانَ[5] : مَن طلَب الدنيا حلالًا واستِعْفافًا[6] عن المسألةِ واستغناءً عن الناسِ ، لقِى اللَّهَ يومَ يَلقاه ووجهُه كالقمرِ ليلةَ البدرِ[7] ، ومَن طلَب الدنيا حلالًا ، مفاخِرًا[8] ومكاثرًا[9] لقِى اللَّهَ عزَّ وجلَّ يومَ يلقاه وهو عليه غضبانُ . [10]وقد روِى نحوُ هذا مرفوعًا[11][10] .

وقال [12]أبو سليمانَ[12] : إنَّ قومًا طلَبوا الغِنَى [13]فحسِبوا أنَّه فى جمعِ المالِ[13] ، ألَا وإنَّما الغِنَى فى القَناعةِ ، وطلَبوا الراحةَ فى الكَثْرةِ ، وإنَّما الراحةُ فى القِلَّةِ ، وطلَبوا الكَرامةَ مِن الخلْقِ ، ألَا وهى فى التَّقْوى ، وطلَبوا النِّعمةَ[14] فى اللِّبـاسِ الرقيـقِ الليِّـنِ ، وفى طَعـامٍ طيبٍ[15] ، [16]والنِّعمةُ[16] فى

---

(١) فى س : « اشتغل » .

(٢) فى س : « بذنبه » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) تاريخ دمشق ٨٣٥/٩ (مخطوط) .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م ، وانظر تاريخ دمشق ٨٣٥/٩ (مخطوط) .

(٦) فى ب ، م : « استغناءً » .

(٧) فى س : « تمامه » .

(٨) بعده فى ص : « مغترا مرائيا » .

(٩) فى تاريخ دمشق : « مكابرا » . وانظر مصدرى حاشية (١١) الآتية .

(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل ، س ، ص .

(١١) انظر الحلية ١١٠/٣ مختصرا ، ٢١٥/٨ بنحوه ، شعب الإيمان ٢٩٨/٧ (١٠٣٧٤ ، ١٠٣٧٥) .

(١٢ - ١٢) سقط من : ب ، م . وانظر تاريخ دمشق ٨٣٥/٩ (مخطوط) .

(١٣ - ١٣) فى ب ، م : « فى المال وجمعه فأخطأوا من حيث ظنوا » .

(١٤) فى ب ، م : « التنعيم » .

(١٥) بعده فى ب ، م : « والسكن الأنيق المنيف » .

(١٦ - ١٦) فى ب ، م : « وإنما هو » .

الإسلامِ[1] والسَّتْرِ[2] والعافيةِ[3] . وكان يقولُ[4] : لولا [5]قيامُ الليلِ[5] ما أحببْتُ البقاءَ فى الدنيا ، وما [6]أُحِبُّ البقاءَ [7]فى الدنيا[7] لتشقيقِ[8] الأنهارِ ، ولا[6] ، لغرسِ الأشجارِ[9] .

وقال[10] : أهلُ الطاعةِ فى ليلِهم ألذُّ مِن أهلِ اللهوِ فى لهوِهم . وقال[11] : ربَّما استقبَلَنى[12] الفرَحُ فى جوفِ الليلِ ، وربَّما رأيتُ القلبَ يضحَكُ ضَحِكًا[13] .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[14] : سمِعتُ أبا سليمانَ يقولُ : بَيْنا أنا ساجدٌ ، إذ ذهَب بى النومُ[15] ، فإذا أنا بها - يَعْنِى الحوراءَ - قد ركضَتْنى برِجْلِها ، فقالت : حبيبى ، أترقُدُ عيناك والمَلِكُ يقظانُ ينظُرُ إلى المتهَجِّدِين[16] فى

---

(١) بعده فى ب ، م : « والإيمان والعمل الصالح » .
(٢) فى تاريخ دمشق : « البشر » . تصحيف .
(٣) بعده فى ب ، م : « وذكر الله » .
(٤) تاريخ دمشق ٩/٨٣٦ (مخطوط) .
(٥ - ٥) فى تاريخ دمشق : « الليل » .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « أحب الدنيا » .
(٧ - ٧) سقط من : س ، ص .
(٨) فى الأصل : « لتسبق » .
(٩) بعده فى ب ، م : « ولا لكرى الأنهار وإنما أحبها لصيام الهواجر وقيام الليل » .
(١٠) تاريخ دمشق ٩/٨٣٦ (مخطوط) .
(١١) المصدر السابق ٩/ ٨٣٧.
(١٢) فى ص : « استقلقنى » .
(١٣) بعده فى ب ، م : « وقال إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا فأقول إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب » .
(١٤) تاريخ دمشق ٩/٨٣٧ (مخطوط) .
(١٥) فى الأصل : « الليل » ، وفى تاريخ دمشق : « اليوم » .
(١٦) فى س : « المجتهدين » .

تَهجُّدِهم ؟ بؤْسًا لعينٍ آثرَتْ لذَّةَ نومَةٍ على لذَّةِ مناجاةِ العزيزِ ، قُمْ ، فقد دنا الفراغُ ولقِيَ المحبُّون[1] بعضُهم بعضًا ، فما هذا الرُّقادُ ؟ حبيبى وقرَّةَ عينى ، أترقُدُ عيناك وأنا أُرَبَّى[2] لك فى الخُدورِ منذُ كذا وكذا[3] ؟ فوثبتُ فزِعًا وقد عرِقتُ استحياءً[4] مِن توبيخِها إيّاىَ ، وإنَّ حلاوةَ منطقِها لَفى سمْعِى وقلبى .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[5] : دخَلتُ على أبى سليمانَ فإذا هو يبكى ، فقلتُ : ما لَك ؟ فقال : زُجِرتُ البارحةَ فى مَنامى . قلتُ : ما الذى [6]حلَّ بك[6] ؟ قال : بَيْنا أنا [7]قد غفَوْتُ[7] فى مِحرابى إذ وقفتُ على جاريةٍ تفوقُ [٨/١٥٦و] الدنيا حُسنًا ، وبيدِها ورقةٌ وهى تقولُ : أتنامُ يا شيخُ ؟ فقلتُ : مَن غلبَتْه[8] عيناه[9] نام . فقالت : كلّا إنَّ طالِبَ الجنةِ لا ينامُ . ثم قالت : أتقرأُ[10] ؟ فأخذتُ الورقةَ مِن يدِها ، فإذا فيها مكتوبٌ :

لَهَتْ بكَ لَذةٌ عن حسنِ عيشٍ ... مع الخيراتِ فى غُرَفِ الجِنانِ
تعيشُ مخلَّدًا لا موتَ فيها ... وتنعمُ فى الجِنانِ مع الحِسانِ
تَيقَّظْ[11] مِن مَنامِكَ إنَّ خيرًا ... مِن النومِ التهجدُ بالقُرانِ[12]

---

(١) فى س ، ص : « المحبوبون » .
(٢) فى م : « أتربى » .
(٣) بعده فى ب ، م : « قال » .
(٤) فى الأصل : « سبحا » ، وفى ب ، م : « حياء » .
(٥) تاريخ دمشق ٩/٨٣٧ (مخطوط) .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « زجرك » ، وفى س ، ص : « رأيت » .
(٧ - ٧) فى ب ، م : « نائم » .
(٨) فى ب ، م : « غلبت » .
(٩) فى الأصل ، ب ، م : « عينه » .
(١٠) بعده فى ب ، م : « قلت نعم » .
(١١) فى الأصل : « تنقضى » .
(١٢) فى ب ، م : « فى القران » .

وقال أبو سليمانَ[1] : أمَا يستحيى أحدُهم[2] أن يلبَسَ عباءةً بثلاثةِ دراهمَ وفى قلبِه شهوةٌ بخمسةِ دراهمَ ؟ وقال أيضًا[1] : لا يَجوزُ لأحدٍ أن يُظهِرَ للناسِ الزهدَ والشهواتُ فى قلبِه ، فإذا لم يبقَ فى قلبِه شىءٌ مِن [3]شَهَواتِ الدُّنيا[3] ، جاز أن يُظهِرَ للناسِ الزهدَ بلُبْسِ العَباءِ ، فإنَّها علَمٌ مِن أعلامِ الزُّهّادِ[4] ، ولو لبِس ثوبين أبيضَيْن ليَستُرَ بهما أبصارَ الناسِ عنه[5] كان أسلمَ لِزُهْدِه[6] . وكان يقولُ أيضًا[7] : إذا رأيتَ الصوفىَّ يَتنَوَّقُ[8] فى لُبسِ[9] الصوفِ ، فليس بصوفىٍّ ، وخيارُ هذه الأُمةِ أصحابُ القُطْنِ[10] ، أبو بكرٍ الصديقُ وأصحابُه[11] . وقال أبو سليمانَ[7] : إنَّما الأخُ الذى يعِظُك برؤيتِه قبلَ كلامِه ، وقد كنتُ أنظُرُ إلى الأخِ مِن أصحابى بالعراقِ فأنتفِعُ[12] برؤيتِه شهرًا . وقال أبو سليمانَ[7] : قال اللَّهُ تعالى : عبدِى ، إنَّك ما استحيَيْتَ منى أنسيتُ الناسَ عيوبَك ، وأنسيتُ بِقاعَ الأرضِ ذُنوبَك[13] ، ومحَوتُ زَلَّاتِك مِن أُمِّ الكتابِ ، ولا أناقِشُك فى الحسابِ

---

(١) تاريخ دمشق ٨٣٧/٩ (مخطوط) .

(٢) فى ب ، م : « أحدكم » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « الشهوات » .

(٤) فى تاريخ دمشق : « الزاهد » .

(٥) بعده فى ب ، م : « وعن زهده » .

(٦) بعده فى ب ، م : « من لبس العبا » .

(٧) تاريخ دمشق ٨٣٨/٩ (مخطوط) .

(٨) فى س : « يسوق » ، وفى تاريخ دمشق : « سرف » . وتنوق فى الشىء إذا بالغ فى تجويده .

(٩) زيادة من : ب ، م .

(١٠) فى ص : « الفطن » .

(١١) بعده فى ب ، م : « وقال غيره إذا رأيت ضوء الفقير فى لباسه فاغسل يديك من فلاحه » .

(١٢) فى ص : « فأمتنع » .

(١٣) فى س : « عيوبك » .

يومَ القيامةِ .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارىِّ[1] : سألتُ أبا سليمانَ عن الصبرِ ، فقال : واللَّهِ إنَّك لا تقدِرُ عليه فى الذى تحِبُّ[2] ، فكيف فيما تكرَهُ ؟ وقال أحمدُ[3] : تنهَّدتُ عندَه يومًا ، فقال : إنَّك مسئولٌ عنها يومَ القيامةِ ، فإن كانت على ذنبٍ سلَف فطُوبَى لك ، وإن كانت على الدُّنيا[4] فوَيْلٌ لك . وقال[3] : إنَّما رجَع[5] مِن الطريقِ قبلَ الوصولِ ، ولو وصَلُوا إلى اللَّهِ ما رجَعوا . وقال[6] : إنَّما عصَى اللَّهَ مَن عصاه لهوانِهم عليه ، ولو[7] كرُموا عليه لحجَزَهم عن مَعاصِيه[8] . وقال[9] : جلساءُ الرحمنِ يومَ القيامةِ مَن جعَل[10] فيهم خصالًا ؛ الكرمَ والحِلمَ ، والعلمَ والحكمةَ ، والرِّقَّةَ[11] والرحمةَ ، والفضلَ والصفحَ ، والإحسانَ والبِرَّ ، والعفوَ واللُّطفَ .

وذكَر أبو عبدِ الرحمنِ السُّلمىُّ فى كتابِ « مِحَنِ المشايخِ » ، أنَّ أبا سليمانَ الدارانىَّ أُخرِج مِن دمشقَ ، وقالوا : إنَّه [12]يزعُمُ أنَّه[12] يرَى الملائِكةَ

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٨٣٨، ٨٣٩ (مخطوط) .

(٢) فى ص : « لا تحب » .

(٣) تاريخ دمشق ٩/٨٣٩ (مخطوط) .

(٤) فى ب ، م : « فوت دنيا أو شهوة » .

(٥) بعده فى الأصل ، ب ، س ، م : « من رجع » ، وبعده فى تاريخ دمشق : « القوم » .

(٦) تاريخ دمشق ٩/٨٣٩ (مخطوط) ، بنحوه .

(٧) بعده فى ب ، م : « عزوا عليه و » .

(٨) بعده فى ب ، م : « وحال بينهم وبينها » .

(٩) تاريخ دمشق ٩/٨٤٠ (مخطوط) .

(١٠) فى ص : « حصل » .

(١١) فى ب ، م : « الرأفة » .

(١٢ - ١٢) سقط من : م .

ويكلِّمونه . فخرَج إلى [١٥٦/٨ظ] بعض الثُّغورِ ، فرأى بعضُ أهلِ دمشقَ[١] أنَّه إن لم يرجِعْ [٢]إليهم هَلَكوا[٢] ، فخرَجوا فى طلبِه وتشَفَّعوا[٣] إليه[٤] حتى رَدُّوه .

وقد اختُلِف فى وفاتِه على أقوالٍ ؛ فقيل : سنةَ أربعٍ ومائتين . وقيل : سنةَ خمسٍ ومائتين . وقيل : سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ومائتين . وقيل : سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين . واللَّهُ أعلمُ . وقد قال مَرْوانُ الطاطرىُّ[٥] يومَ مات أبو سليمانَ : لقد أصِيب به أهلُ الإسلامِ كلُّهم .

قلتُ : وقد دفِن فى قريةِ دارَيّا[٦] ، وقبرُه بها مشهورٌ وعليه بناءٌ ، وقبلتُه مسجدٌ بناه الأميرُ ناهضُ الدينِ عمرُ المهرانىُّ[٧] ، ووقَف على المقيمين عندَه وقفًا يَدخُلُ عليهم منه غَلَّةٌ ، وقد جُدِّد مَزارُه فى زمانِنا هذا ، ولم أرَ الحافظَ ابنَ عساكرَ تعرَّضَ لموضعِ دفنِه بالكُلِّيةِ ، وهذا عَجَبٌ منه . وروَى ابنُ عساكَرَ[٨] ، عن أحمدَ ابنِ أبى الحَوارِىِّ قال : كنتُ أشتهى أن أرَى أبا سليمانَ فى المنامِ فرأيتُه بعدَ سنةٍ ، فقلتُ : ما فعَل اللَّهُ بك يا مُعَلِّمُ ؟ فقال : يا أحمدُ ، دخَلتُ يومًا مِن بابِ الصغيرِ فرأيتُ حِمْلَ شيحٍ ، فأخذتُ منه عودًا ، فما أدرى تخلَّلتُ به أو رميتُه ، فأنا فى

---

(١) فى م : « الشام » بعده فى ب ، م : « فى منامه » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، س ، ص : « إليكم هلكتم » .
(٣) فى الأصل : « تشفقوا » .
(٤) بعده فى ب ، م : « وتذللوا له » .
(٥) فى ص : « الطاهرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٩٩. والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨٤١/٩ (مخطوط) ، بنحوه .
(٦) بعده فى ب ، م : « فى قبلتها » .
(٧) فى ب ، م : « النهروانى » ، وفى س : « المهراى » .
(٨) تاريخ دمشق ٨٤٢/٩ (مخطوط) .

حسابِه إلى الآنَ .

وقد توفِّى ابنُه سليمانُ بعدَه بنحوٍ مِن سنتين[1] ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل : « ستين » ، وفى ص : « سنين » . وانظر تاريخ بغداد ١٠/ ٢٥٠.

ثم دخلَتْ سنةُ ستٍّ ومائتين[1]

فيها ولَّى المأمونُ داودَ بنَ ماسجورَ[2] بلادَ البصرةِ وكُورَ دِجلةَ واليمامةَ والبحرين، وأمَرَه بمحاربةِ الزُّطِّ[3]. وفيها جاء مَدٌّ كثيرٌ فغرَّق بلادَ[4] أرضِ السوادِ وأهْلَك للناسِ شيئًا كثيرًا. وفيها ولَّى المأمونُ عبدَ اللَّهِ بنَ[5] طاهرِ بنِ الحسينِ الرَّقَّةَ، وأمَرَه بمحاربةِ نصرِ بنِ شَبثٍ[6]، وذلك أنَّ نائبَها[7] يحيى بنَ [8]معاذٍ مات[8]، وكان قد استخلَف مكانَه ابنَه أحمدَ، فلم يُمْضِ ذلك المأمونُ، واستناب عليها عبدَ اللَّهِ بنَ طاهرٍ؛ لشهامتِه وبصرِه بالأمورِ، وحثَّه على قتالِ نصرِ بنِ شَبثٍ، وقد كتَب إليه أبوه مِن خُراسانَ بكتابٍ فيه الأمرُ له[9] بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ واتباعُ الكتابِ والسنةِ. قد ذكَره ابنُ جريرٍ[10] بطولِه، وقد تداوَلَه الناسُ بينَهم واستحسَنوه وتهادَوْه بينَهم، حتى بلَغ أمرُه إلى المأمونِ، فأمَر فقُرِئَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٨١، والمنتظم ١٠/ ١٤٩، والكامل ٦/ ٣٧٩.

(٢) فى الأصل، س، ص: «مامحور»، وفى ب، الكامل: «ماسحور» بالحاء المهملة. وانظر تاريخ الطبرى.

(٣) فى س: «الرهط».

(٤) زيادة من: الأصل، س، ص.

(٥) سقط من: س.

(٦) فى الأصل: «شبيث»، وفى ب، ص: «شيث»، وفى س: «شبيب».

(٧) فى س: «متوليها».

(٨ - ٨) فى ص: «معاضاه».

(٩) سقط من: ب، م.

(١٠) تاريخ الطبرى ٨/٥٨٢ - ٥٩١.

بينَ يديه فاستجادَه جدًّا، وأمَر أن يُكتَبَ به نُسَخٌ إلى سائرِ العُمّالِ فى الأقاليمِ.

وحجَّ بالناسِ [1] فى هذه السنةِ [1] عبيدُ [2] اللَّهِ بنُ الحسنِ نائبُ الحرمين [٨/١٥٧و].

وفيها توفِّى [3] **مِن الأعيانِ** [3]: **إسحاقُ** بنُ بشرٍ الكاهلىُّ [4] أبو حذيفةَ، صاحبُ كتابِ «المبتدأ». **وحجّاجُ** بنُ محمدٍ الأعورُ [5]. **وداودُ** بنُ المحبَّرِ [6]، الذى وضَع كتابَ «العقلِ». **وشَبَابةُ** [7] بنُ سَوّارٍ. **ومحاضِرُ** [8] بنُ المُوَرَّعِ [9].

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢) فى الأصل، ب، س، ص: «عبد». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٧٦.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) فى ص: «الكاملى». وهذه النسبة - الكاهلى - عند ابن حبان فى «المجروحين» ١/ ١٣٥. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٨، والعبر ١/ ٣٤٨، وميزان الاعتدال ١/ ١٨٤، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٥، ٤٠٦، وانظر كشف الظنون ٢/ ٢٠٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٣، ٤٨٩، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٨، والوافى بالوفيات ١١/ ٣١٧، وغاية النهاية ١/ ٢٠٣.

(٦) العقد الفريد ٣/ ١٧٤، والكامل لابن عدى ٣/ ٩٦٥، وتاريخ أسماء الثقات ١٢٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٥٩، وتهذيب الكمال ٨/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٤٧.

(٧) فى س، ص، م: «سبابة». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٩٥، وتهذيب الكمال ١٢/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٩٠.

(٨) فى الأصل، س: «محاصر».

(٩) فى ب، م: «المورد»، وفى ص: «الورع». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٨، والتاريخ الكبير ٨/ ٧٣، ٧٤، والثقات لابن حبان ٧/ ٥١٣، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٨١، والعبر ١/ ٣٤٩.

وقُطْرُبٌ[1] صاحبُ «المُثلَّثِ فى اللغةِ». **ووَهْبُ** بنُ جريرٍ[2]. **ويزيدُ** بنُ هارونَ[3]، شيخُ الإمامِ أحمدَ.

---

(١) مراتب النحويين ص ١٠٩، وأخبار النحويين البصريين ص ٤٩، وطبقات النحويين واللغويين ص ٩٩، ونزهة الألباء ص ٩١، وإنباه الرواة ٣/ ٢١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٠١، ومرآة الجنان ٢/ ٣١.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٢٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٦، والعبر ١/ ٣٥٠.

(٣) طبقات خليفة ص ٨٤٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٣٧، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٥٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧.

ثم دخلَتْ سنةُ سبعٍ ومائتين

فيها[1] خرَج عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عليٍّ ابنِ أبى طالبٍ ببلادِ عَكٍّ فى اليمنِ، يدعو إلى الرِّضا مِن آلِ محمدٍ؛ وذلك أنَّ العُمّالَ باليمنِ أساءوا السيرةَ إلى[2] الرعايا، فلمّا ظهَر [3]عبدُ الرحمنِ هذا[3] بايعَه الناسُ، فلمّا بلَغ أمرُه إلى المأمونِ بعَث إليه دينارَ بنَ عبدِ اللَّهِ فى جيشٍ كثيفٍ ومعه كتابُ أمانٍ لعبدِ الرحمنِ هذا، إن هو سمِع وأطاع، فحضَروا الموسِمَ، ثم ساروا إلى اليمنِ، [4]فلمّا انتهَوْا إلى عبدِ الرحمنِ، بعَث دينارٌ بكتابِ الأمانِ فقبِله وسمِع[4] وأطاع، وجاء حتى وضَع يدَه فى يدِ دينارٍ، [5]فسار معه[5] إلى بغدادَ ولبِس السَّوادَ فيها[6].

وفيها توفِّى طاهرُ بنُ الحسينِ بنِ[7] مصعبٍ[8]؛ نائبُ العراقِ بكمالِها[9]

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٩٣، والمنتظم ١٠/ ١٦٠، والكامل ٦/ ٣٨١.

(٢) فى ب، م: «وظلموا».

(٣ - ٣) زيادة من: الأصل، س، ص.

(٤ - ٤) فى ب، م: «وبعثوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع».

(٥ - ٥) فى ب، م: «فساروا به».

(٦) زيادة من: ب، م.

(٧) سقط من: ص.

(٨) تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٠٣، ودول الإسلام ١/ ١٢٨، والعبر ١/ ٣٥١، ومرآة الجنان ٢/ ٣٥.

(٩) سقط من: م.

وخُراسانَ بكمالِها ، وُجِد فى فراشِه ميتًا بعدَ ما صلَّى العشاءَ الآخرةَ والتَفَّ فى الفراشِ ، فاستبطأ أهلُه خروجَه لصلاةِ الفجرِ[1] ، فدخَل عليه أخـــوه وعمُّه فوَجداه ميتًا ، فلمّا بلَغ موتُه المأمونَ قال[2] : لليدَيْن والفمِ[3] ، الحمدُ للَّهِ الذِى قدَّمــه وأَخَّرَنا . وذلك أنَّه بلَغه أنَّه خطَب يومًا ولم يَدْعُ له فوقَ المِنبرِ ، ومع هذا ولَّى ولدَه عبدَ اللَّهِ مكانَه ، [4]مع إضافةِ أرضِ[4] الجزيرةِ والشامِ إلى نيابتِه ، فاستخلَف عبدُ اللَّهِ على خراسانَ أخاه طلحةَ بنَ طاهرٍ سَبْعَ سنين ، ثم توفِّى طلحةُ فاستقَلَّ عبدُ اللَّهِ بجميعِ تلك البلادِ ، وكان نائبَ عبدِ اللَّهِ على بغدادَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ . وقد كان طاهرُ بنُ الحسينِ هو الذى انتزَع بغدادَ وأرضَ العــراقِ بكمالِها مِن يدِ الأمينِ بنِ الرشيدِ وقتَله أيضًا ، واستوسَق الأمرُ للمأمونِ ، كما ذكَرْنا فى سنةِ خمسٍ وتسعين[5] ، وقد دخَل طاهرٌ هذا يومًا على المأمونِ فسأله حاجةً فقضاها له ، ثم نظَر إليه المأمونُ واغرَوْرقت عيناه ، فقال له طاهرٌ : ما يُبكِيك يا أميرَ المؤمنين ؟ فلم يخبِرْه ، فأعطَى طاهرٌ حُسينًا الخادمَ مائتى ألفِ درهمٍ حتــى استعلَم له ما كان خَبرُ بكائِه ، فقال له : لا تُخبِرْ به أحدًا[6] أقتُلْك ، ذكَرْتُ [7]مقتَلَ أخى[7] ، وما [٨/١٥٧ظ] ناله مِن الإهانةِ على يدىْ

---

(١) بعده فى الأصل : « عليه » .

(٢) المنتظم ١٠/ ١٦٧.

(٣) فى المنتظم : « وانعم » .

وهو يقال عند الشماتة بسقوط إنسان ، قال الهذلى :

أَصَخْرَ بن عبدِ مَن يَغوِسادرًا يَقُل غير شَكٍّ لليدين وللفم

انظر مجمع الأمثال للميدانى ٢/ ١٤١، واللسان : (فوه) .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « وأضاف إليه زيادة على ما كان ولاه أباه » .

(٥) فى الأصل : « سبعين » . ويقصد سنة خمس وتسعين ومائة ، وانظر ما تقدم فى صفحة ١٠/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٦) بعده فى م : « وإلا » .

(٧ - ٧) فى ب ، م : « قتله لأخى » .

طاهرٍ ، وواللَّهِ لا تَفوتُه منِّى . فلمّا تحقَّق طاهرٌ ذلك سعَى فى النُّقْلةِ مِن بينِ يدَيْه ، ولم يزَلْ حتى ولّاه خراسانَ وأطلَق له خادمًا مِن خُدّامِه ، وعهِد إلى الخادمِ إن رأى منه ما يُرِيبُه أن يَسُمَّه[1] ، فلمّا خطَب [2]يومَ الجمُعةِ[2] طاهرٌ ولم يَدْعُ للمأمونِ ، سمَّه الخادمُ فى كامَخٍ ، فمات مِن ليلتِه .

وقد كان طاهرُ بنُ الحسينِ هذا يقالُ له : ذو اليمينَيْن . [3]وكان[4] بفَرْدِ عينٍ ، فقال فيه عمرُو بنُ بانةَ[5] :

يا ذا اليمينينِ وعينٍ واحده نقصانُ عينٍ ويمينٌ زائدهْ

واختُلِف فى معنى [6]كَوْنِه ذا[6] اليمينين[3] ، فقِيل : لأنَّه ضرَب رجلًا بشِمالِه فقَدَّه نصفَيْن . [7]ويَحتَملُ أنَّه لُقِّب بذلك[7] لأنَّه ولِى العراقَ وخُراسانَ .

وقد كان كريمًا مُمَدَّحًا يحِبُّ [8]الشِّعرَ ويَجزِى عليه[8] الجَزيلَ . ركِب يومًا فى حَرّاقةٍ ، فقال فيه شاعرٌ[9] :

---

(١) بعده فى ب ، م : « ودفع إليه سما لا يطاق » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) بعده فى ب ، م : « أعور » .

(٥) فى ب ، م : « نباته » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٠.

(٦ - ٦) فى ب ، م : « قوله ذو » .

(٧ - ٧) فى ب ، م : « وقيل » .

(٨ - ٨) فى ب ، م : « الشعراء ويعطيهم » .

(٩) هو مقدس بن صيفى الخلوقى ، انظر وفيات الأعيان ٢/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٠٤، وفى تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣: « معدس » بالعين المهملة ، والأبيات فى هذه المصادر جميعا ، باختلاف يسير .

عـجِـبـتُ لحرّاقـةِ ابـنِ الحُسَـيْـ ـنِ لا غَرِقَتْ كيفَ لا[1] تغرَقُ
وبَـحـرانِ مـن فـوقِـهـا[2] واحـدٌ وآخَـرُ مِـن تحـتِـهـا مُـطـبِـقُ
وأعـجـبُ مِـن ذاكَ أعـوادُهـا وقـد مسَّـهـا كـيـفَ لا تُـورِقُ

فأجازَه بثلاثةِ آلافِ دينارٍ، وقال: إنْ زِدْتَنا زِدْناك.

قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: ما أحسنَ ما قاله بعضُ الشعراءِ فى بعضِ الرُّؤساءِ وقد ركِب البحرَ:

ولمّا امتطَى البحرَ ابتهَلْتُ تضرُّعًا إلى اللَّهِ يا مُجرِى الرياحِ بلطفِه
جعَلتَ النَّدَى مِن كفِّهِ مثلَ موجِه فسَلِّمْه واجْعَلْ موجَه مثلَ كفِّه

[4]قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5][4]: مات طاهرُ بنُ الحسينِ هذا يومَ السبتِ لخمسٍ بقِين مِن جمادَى الآخِرةِ سنةَ سبعٍ[6] ومائتين، وكان مولدُه سنةَ تسعٍ[7] وخمسين [4]ومائةٍ[4]. وكان الذى سار إلى ولدِه عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، وهو بأرضِ الرَّقَّةِ يعزِّيه فى أبيه[8] ويُهَنِّيه بوِلايةِ تلك البلادِ، القاضى يحيى بنُ أكثمَ، عن أمرِ المأمونِ.

وفى هذه السنةِ غَلا السِّعْرُ ببغدادَ والكوفةِ والبصرةِ، حتى بلَغ سعرُ القَفِيزِ مِن

---

(١) سقط من: ص.
(٢) فى ص: «قولها».
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥١٩.
(٤ - ٤) سقط من: ب، م.
(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢١.
(٦) فى الأصل: «تسع».
(٧) فى الأصل، م: «سبع».
(٨) فى ص: «أمه».

الحِنطةِ أربعين[1] درهمًا .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو علىٍّ بنُ الرشيدِ ، أخو المأمونِ .

وفيها توفِّى [2]**مِن الأعيانِ**[2] : **بشرُ** بنُ عمرَ[3] الزَّهْرانىُّ[4] . **وجعفرُ** بنُ عونٍ[5] . **وعبدُ الصمدِ** بنُ عبدِ الوارثِ[6] . **وقُرادٌ** أبو[7] نوحٍ . [٨/١٥٨و] **وكثيرُ** ابنُ هشامٍ[8] . **ومحمدُ** بنُ كُناسةَ[9] . **ومحمدُ** بنُ عمرَ الواقدىُّ[10] ، قاضى بغدادَ وصاحبُ السِّيَرِ والمَغازِى . **وأبو النَّضْرِ** هاشمُ بنُ القاسمِ[11] . **والهيثمُ** بنُ

---

(١) بعده فى س ، ص : « إلى خمسين » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى ص : « عمران » .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٠، وطبقات خليفة ٢/ ٥٧٣، وتهذيب الكمال ٤/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٧٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٦، وتهذيب الكمال ٥/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٨٨، والوافى بالوفيات ١١/ ١١٨.

(٦) تهذيب الكمال ١٨/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٤، وغاية النهاية ١/ ٣٤٤.

(٧) فى الأصل ، م : « ابن » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٥٢، وتهذيب الكمال ١٧/ ٣٣٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٣١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٤، وطبقات خليفة ٢/ ٨٥٣، والتاريخ الكبير ٧/ ٢١٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٠٢.

(٩) تاريخ الثقات ٢١٤، والجرح والتعديل ٧/ ٣٠٠، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٠٤، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٥٥.

(١٠) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٢٥، ٧/ ٣٣٤، وتاريخ بغداد ٣/ ٣، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٦١، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٣٨، وغاية النهاية ٢/ ١١٩.

(١١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ١٤/ ٦٣، وتهذيب الكمال ٣/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤١٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٩.

عدىٌّ[1] ، صاحبُ التَّصانيفِ .

ويحيى بنُ زيادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ منظورٍ[2] أبو زكريا ، الكوفىُّ ، نزيلُ بغدادَ ، مولى بنى سعدٍ ، المشهورُ بالفرَّاءِ ، شيخُ النُّحاةِ واللغويِّين والقرَّاءِ ، وكان يقالُ له[3] : أميرُ المؤمنين فى النحوِ . وروَى الحديثَ عن خازمِ[4] بنِ الحسينِ[5] البصرىِّ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ ، عن أنسِ بن مالكٍ ، قال : قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٤] بالألفِ . روَاه الخطيبُ[6] ، قال : وكان ثقةً إمامًا .

وذكِر[7] أنَّ المأمونَ أمَره بوضْعِ كتابٍ فى النحوِ ، فأملَاه ، وكتَبه الناسُ عنه ، وأمَر المأمونُ بكَتْبِه فى الخزائنِ ، وأنَّه كان يؤدِّبُ ولدَيه وَليَّىِ العهدِ ، فقام يومًا ، فابتَدراه أيُّهما يقدِّمُ نعلَيه ، فتَنازعا فى ذلك ثم اصطَلحا على أن يقدِّمَ كلُّ واحدٍ منهما نعلًا ، فأطلَق لهما أبوهما عشرين ألفَ دينارٍ ، وللفرَّاءِ عشَرةَ آلافِ درهمٍ ، وقال له : لا أعزَّ منك إذْ يقدِّمُ نعلَيك وليَّا العهدِ .

---

(١) المعارف ص ٥٣٨، ٥٣٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٥٠، وإنباه الرواة ٣/ ٣٦٥، ووفيات الأعيان ٦/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٢٢، ومرآة الجنان ٢/ ٣٢.

(٢) طبقات الزبيدى ص ١٣١، وتاريخ العلماء النحويين ص ١٨٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٩٣، وإنباه الرواة ٤/ ١، وطبقات القراء ٢/ ٣٧١.

(٣) تاريخ الإسلام ١٤/ ٢٩٤.

(٤) فى النسخ : «حازم» . والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩، وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٤.

(٥) فى ب ، م : «الحسن» ، وانظر المصادر السابقة .

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩.

(٧) المصدر السابق .

وروِى[1] أنَّ بشْرًا المَرِيسىَّ - أو محمدَ بنَ الحسنِ[2] - سأل الفراءَ عن رجلٍ سهَا فى سجدَتَيِ السهوِ، فقال: لا شىءَ عليه. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ أصحابَنا قالوا: المصغَّرُ لا يصغَّرُ. فقال: ما ظنَنتُ[3] أنَّ امرأةً تلِدُ مثلَك.

والمشهورُ أن محمدًا [4]هو الذى[4] سأله عن ذلك، وكان ابنَ خالةِ[5] الفرَّاءِ.

وقال أبو بكرٍ[6] محمدُ بنُ يحيى الصولىُّ[7]: توفِّى الفرَّاءُ سنةَ سبعٍ ومائتين.

قال الخطيبُ[7]: كانتْ وفاتُه ببغدادَ. وقيل[8]: بطريقِ مكةَ. وقد امتَدحوه وأثنَوْا عليه فى مصنَّفاتِه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥١.

(٢) فى الأصل، ب، ص: «الحسين». وانظر تاريخ بغداد ١٥١، ١٥٢.

(٣) فى م: «رأيت».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) هكذا ذكر ابن كثير، وكذلك ذكر الخطيب البغدادى أن محمد بن الحسن كان ابن خالة الفراء. تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٢، لكن السرخسى ذكر أن الكسائى هو الذى كان ابن خالة محمد بن الحسن. انظر شرح السِّيَر الكبير ١/ ٢٥٢.

(٦) بعده فى ب، م: «بن» وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٧.

(٧) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٥.

(٨) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٩٥.

ثم دخلت سنة ثمانٍ ومائتين

فيها[1] ذهَب الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ مصعبٍ أخو طاهرٍ فارًّا مِن خراسانَ إلى كَرْمَانَ فعصَى[2] بها ، فسارَ إليه أحمدُ بنُ أبى خالدٍ فحاصَره حتى نزَل قهرًا ، فذهَب به[3] إلى المأمونِ ، فعفا عنه فاستحسنَ ذلك منه .

وفيها اسْتَعْفَى محمدُ بنُ سَماعةَ مِن القضاءِ ، فأعفاه المأمونُ ، وولَّى مكانَه إسماعيلَ بنَ حمّادِ بنِ أبى حنيفةَ . وفيها ولَّى المأمونُ محمدَ بنَ عبدِ الرحمنِ المخزومىَّ القضاءَ بعسكرِ المهدىِّ فى شهرِ المحرمِ ، ثم عزَله عن قريبٍ وولَّى مكانَه بشرَ[4] بنَ الوليدِ الكندىَّ[5] فى شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ منها . فقال المخزومىُّ فى ذلك[6] : [٨/١٥٨ظ]

يا[7] أيُّها الملكُ الموحدُ ربَّهُ ... قاضيك بشرُ بنُ الوليدِ حمارُ
ينفى شهادةَ مَن يَدينُ بما بهِ ... نطَقَ الكتابُ وجاءتِ الأخبارُ[8]
ويَعُدُّ عَدْلًا مَن يقولُ بأنَّهُ ... شيخٌ يحيطُ بجسمهِ الأقطارُ

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٨/ ٥٩٧، والمنتظم ١٠/ ١٨١، والكامل ٦/ ٣٨٦.
(٢) فى س : « فقضى » ، وانظر نهاية الأرب ٢٢/ ٢١٤.
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) بعده فى النسخ : « بن سعيد » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٨/ ٥٩٧، وانظر أخبار القضاة ٣/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٧٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٨٥.
(٥) فى س : « الكوفى » وانظر الحاشية السابقة .
(٦) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٩٧.
(٧) سقط من : الأصل ، وفى ب ، م : « ألا » .
(٨) فى الأصل ، والكامل : « الآثار » ، وفى ص : « الأبشار » .

و[1] حجَّ بالناسِ [2]فى هذه السنةِ[2] صالحُ بنُ هارونَ الرشيدِ عن أمرِ أخيه المأمونِ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ : **الأسودُ** بنُ عامرٍ[3] . **وسعيدُ** بنُ عامرٍ[4] . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ بكرٍ[5] ، أحدُ مشايخِ الحديثِ . **والفضلُ** بنُ الربيعِ الحاجبُ[6] . **ومحمدُ** بنُ مصعبٍ[7] . **وموسى** بنُ محمدٍ الأمينِ[8] ، الذى كان قد ولَّاه العهدَ مِن بعدِه ولقَّبه بالناطقِ بالحقِّ[9] ، فلم يَتمَّ له أمرُه حتى قُتِلَ أبوه وكان ما كان . **ويحيى** بنُ أبى بُكَيرٍ[10] . **ويحيى** بنُ حسانَ[11] . **ويعقوبُ** بنُ إبراهيمَ

---

(١) بعده فى ب ، م : « فيها » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٤، ٣٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٦٢، والوافى بالوفيات ٩/ ٢٥٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٦، وتهذيب الكمال ١٠/ ٥١٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٧٠، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٣١.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٥، وثقات ابن حبان ٧/ ٦١، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢١١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٣.

(٦) المعارف ص ٣٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٩٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٧، وطبقات الشافعية ٢/ ١٥٠.

(٧) تاريخ بغداد ٣/ ٢٧٦، وتاريخ دمشق ١٠٣٣/١٥ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٧٣، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٢.

(٨) المعارف ص ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٠٧، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٤٥.

(٩) سقط من : م .

(١٠) فى النسخ : « بكر » . وهو يحيى بن أبى بكير بن نسر بن أسِيد . وانظر ترجمته فى ثقات ابن حبان ٩/ ٢٥٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٥٥، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٣٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢.

(١١) ثقات العجلى ٤٧٠، وتاريخ أسماء الثقات ٣٥٥، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٣٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢.

الزهريُّ[1] . ويونسُ بنُ محمدٍ المؤدِّبُ[2] .

وفاةُ السيدةِ نَفِيسةَ[3]

وهى نفيسةُ بنتُ أبى محمدٍ الحسنِ بنِ زيدِ بنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، القرشيةُ الهاشميةُ ، كان أبوها نائبًا للمنصورِ على المدينةِ النَّبويةِ خمسَ سنينَ ، ثم غضِب عليه [4]أبو جعفرٍ[4] المنصورُ ، فعزَله عنها ، وأخَذ منه كلَّ ما كان[5] جمَعه منها ، وأودَعه السجنَ ببغدادَ ، فلم يَزلْ به حتى تُوفِّى المنصورُ ، فأطلَقه المهدىُّ وأطلَق له كلَّ[6] ما كان أُخِذ منه ، وخرَج معه إلى الحجِّ فى سنةِ ثمانٍ وستين ومائةٍ ، فلمَّا كان بالحاجرِ[7] تُوفِّى [8]الحسنُ بنُ زيدٍ[8] ، عن خمسٍ وثمانين سنةً . وقد روَى له النسائىُّ[9] حديثَه ، عن عكرمةَ عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ احتجَم وهو محرمٌ . وقد ضعَّفه ابنُ معينٍ وابنُ عدىٍّ[10] ، ووثَّقه

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٦٨، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٠، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٥٤٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٦٥، والعبر ١/ ٣٥٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١.

(٣) نسب قريش ص ٤٥، ووفيات الأعيان ٥/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤١٤، والعبر ١/ ٣٥٥، وفوات الوفيات ٢/ ٣١٠، ومرآة الجنان ٢/ ٤٣.

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل، س، ص.

(٥) بعده فى ب، م: «يملكه وما كان».

(٦) سقط من: س، ص.

(٧) الحاجر: موضع فى طريق مكة. التاج (ح ج ر).

(٨ - ٨) سقط من: ب، م.

(٩) النسائى فى الكبرى ٢/ ٢٣٣ (٣٢١٥)، وفيه: أن النبى ﷺ احتجم وهو صائم.

(١٠) الكامل ٢/ ٧٣٧، ٧٣٨.

ابنُ حبانَ[1] . وذكَره الزبيرُ بنُ بكارٍ[2] ، وأثنَى عليه فى رياستِه وشهامتِه .

والمقصودُ أنَّ ابنتَه نفيسةَ دخَلتِ الديارَ المصريةَ مع زوجِها المؤتَمنِ ؛ إسحاقَ ابنِ جعفرٍ الصادقِ[3] ، فأقامت بها ، وكانت ذاتَ مالٍ وإحسانٍ إلى الناسِ والجَذْمَى والزَّمْنَى والمرضَى وعمومِ الناسِ ، وكانت عابدةً زاهدةً كثيرةَ الخيرِ . ولمّا ورَد الشافعىُّ مصرَ أحسَنت إليه ، وكان ربَّما صلَّى بها فى شهرِ رمضانَ . وحينَ مات أمَرت بجِنازتِه فأُدخِلت إليها المنزلَ فصلَّت عليه . ولمّا توفِّيت عزَم زوجُها إسحاقُ بنُ جعفرٍ أن ينقُلَها إلى المدينةِ النبويَّةِ ، فمنَعه أهلُ مصرَ مِن ذلك ، وسألوه أن يتركَها عندَهم ، فدُفِنت فى المنزلِ الذى كانت تسكنُه [٨/ ١٥٩و] بمحِلّةٍ كانت تُعْرَفُ قديمًا بدَرْبِ السِّباعِ ، بينَ مصرَ والقاهرةِ [4]اليومَ ، وقد بادت تلك المحَلَّةُ فلم يبقَ سِوى قبرِها[4] . وكانت وفاتُها فى شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فيما ذكَره القاضى شمسُ الدينِ ابنُ خَلِّكانَ فى « وفياتِ الأعيانِ »[5] ، قال : ولأهلِ مصرَ فيها اعتقادٌ . قلتُ : وإلى الآنَ ، وقد بالَغ العامةُ فى أمرِها[6] كثيرًا جدًّا ، و[7]يطلِقون فيها عباراتٍ [8]بشعةً ، فيها مجازفةٌ تؤدِّى إلى الكفرِ والشِّركِ[8] ، وألفاظًا كثيرةً ينبغى أن يعرِفوا [9]بأنَّها لا يجوزُ إطلاقُها فى مثلِ أمرِها[9] . وربَّما

---

(١) الثقات لابن حبان ٦/ ١٦٠.

(٢) تهذيب الكمال ٦/ ١٥٤.

(٣) زيادة من : س ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) وفيات الأعيان ٥/ ٤٢٤.

(٦) فى م : « اعتقادهم فيها وفى غيرها » .

(٧) بعده فى م : « لا سيما عوام مصر فإنهم » .

(٨ - ٨) فى الأصل ، س ، ص : « فيها محاربة » .

(٩ - ٩) فى م : « أنها لا تجوز » .

نسَبها بعضُهم إلى زينِ العابدين ، وليست من سُلالَتِه ، والذى ينبغى أن يُعتقَدَ فيها من الصَّلاحِ ما يليقُ بأمثالِها مِن النساءِ الصالحاتِ ، [1]وأصلُ عبادةِ الأصنامِ من المغالاةِ فى القبورِ وأصحابِها ، وقد أمَر النبىُّ ﷺ بتسويةِ القبورِ وطَمْسِها[2] ، والمغالاةُ فى البَشرِ حرامٌ . ومَن زعَم أنَّها تفكُّ مِن الخَشَبِ ، أو أنَّها تنفعُ أو تضرُّ بغيرِ مشيئةِ اللَّهِ فهو مشركٌ[1] . رحِمها اللَّهُ وأكرمَها وجعَل الجنةَ مُنزَلَها .

الفضلُ بنُ الرَّبيعِ بنِ يونسَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوَةَ - كَيْسَانَ مولى عثمانَ بنِ عفانَ[3] - الذى كان زوالُ دولةِ البرامِكَةِ على يَدَيْه ، وقد وَزَر مرَّةً للرشيدِ ، وقد كان متمكِّنًا من الرشيدِ ، وكان شديدَ التشبُّهِ بالبرامِكةِ ، وكانوا يَسْتَهِينون[4] به ، فلم يزلْ يعملُ جهدَه فيهم حتى هلَكوا كما تقدَّم . وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] أنَّ الفضلَ هذا دخَل يومًا على يحيى بنِ خالدٍ ، وابنُه جعفرٌ ، يوَقِّعُ بينَ يديه ، ومع الفضلِ بنِ الربيعِ عشرُ قِصصٍ[6] ، فلم يَقْضِ له منها واحدةً بل يتعللُ عليه فى كلِّ واحدةٍ منها ، فجَمعهُنَّ الفضلُ بنُ الربيعِ ، وقال : ارجِعْن خائباتٍ خاسئاتٍ . ثم نهَض وهو يقولُ :

عسَى وعسَى يَثْنى الزمانُ عِنانَهُ ... بتصريفِ حالٍ والزمانُ عَثورُ
فتُقضَى لُباناتٌ وتُشفى حَسائفٌ[7] ... وتحدُثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) صحيح مسلم ٩٦٨، ٩٦٩.

(٣) المعارف ص ٣٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٩٥، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٠٧.

(٤) فى الأصل ، ب ، ظ : « يشبهون » ، وفى م ، ص : « يتشبهون » .

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٣٧، ٣٨.

(٦) فى وفيات الأعيان : « رقاع » .

(٧) فى ب ، م : « حزائز » ، وفى س ، ظ : « حشاشة » . =

فسَمِعه الوزيرُ يحيى بنُ خالدٍ فقال له : أقسَمْتُ عليك لَمَا رجَعتَ . فأخَذَ مِن يدِه القِصَصَ فوقَّع عليها . ثم لم يزلْ يَحفِرُ خلفَهم حتى تمكَّن مِنهم ، وتولَّى الوَزارةَ بعدَهم ، وفى ذلك يقولُ أبو نُواسٍ[1] :

ما رعى الدهرُ آلَ برمكَ لمّا ... أن رمَى مُلْكَهم بأمرٍ فظيعِ
إنّ دَهْرًا لم يَرْعَ عهدًا[2] ليحيى ... غيرُ راعٍ ذمامَ آلِ الربيعِ

ثم وزَر من بعدِ الرشيدِ لابنِه الأمينِ ، فلمّا دخَل المأمونُ بغدادَ اختَفى ، فأرسلَ له المأمونُ أمانًا فخَرج[3] ، ولم يزل خامِلًا حتى مات فى هذه السنةِ ، وله ثمانٌ وستون سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

= والحسائف ، جمع حسيفة ، يقال : رجع بحسيفة نفسه . أى : رجع ولم يقض حاجتها .

(١) ديوان أبى نواس ص ١٣٠.

(٢) فى م : « ذمة » .

(٣) بعده فى م : « فجاء فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه » .

ثم دخلَتْ سنةُ تسعٍ ومائتين

فيها[1] حصَر عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ نصرَ بنَ شبَثٍ بعد ما حاربَه خمسَ سنينَ، فلما حصَره فى [٨/١٥٩ظ] هذه السنةِ، وضيَّق عليه جدًّا حتى أَلجأَه إلى أن طلَب منه الأمانَ، فكتَب ابنُ طاهرٍ إلى المأمونِ يُعْلِمَه بذلك، فبعَث إليه المأمونُ يأمرُه بكتابةِ أمانٍ لنصرِ بنِ شَبَثٍ عن أميرِ المؤمنين، فكتَب له عبدُ اللَّهِ ابنُ طاهرٍ كتابَ أمانٍ، فنزَل فأمَر عبدُ اللَّهِ بتخريبِ المدينةِ التى كان مُتَحَصِّنًا بها، وذهَب شرُّه.

وفيها جرَت حروبٌ مع بابَكَ الخُرَّمِىِّ، فأسَر بابَكُ بعضَ أمراءِ الإسلامِ وأحدَ مقدّمِى العساكرِ، فاشتدَّ ذلك على المسلمين.

وفيها حجَّ بالناسِ صالحُ بنُ العباسِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، وهو والى مَكَّةَ.

وفيها توفِّى ملكُ الرُّومِ ميخائيلُ بنُ جورجسَ[2]، وكان له عليهم تسعُ سنين، فمَلَّكوا عليهم ابنَه تَوْفيلَ بنَ ميخائيلَ.

وفيها توفِّى مِن مشايخِ الحديثِ:

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٥٩٨، والمنتظم ١٠/ ١٩٨، والكامل ٦/ ٣٨٨.

(٢) فى الأصل، ب: «مرخور»، وفى س: «جرجس». وفى م: «نقفور (جرجس)» كذا، وفى ظ: «مزحور»، وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٠١.

الحسنُ بنُ موسى الأشيبُ[1] . **وأبو عليٍّ** الحنفيُّ[2] . **وحفصُ** بنُ عبدِ اللَّهِ[3] ، قاضى نَيْسابورَ. **وعثمانُ** بنُ عمرَ بنِ فارسٍ[4] . **ويعلَى** بنُ عبيدٍ الطَّنافِسِيُّ[5] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٧، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٢٦، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١٠٢، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٨٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٩، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٥٣.

(٣) تهذيب الكمال ٧/ ١٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ١١٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٠١.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٦، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٨٠، وتهذيب الكمال ١٩/ ٤٦١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٢٥٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٨.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٧، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٨٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٦٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٤.

ثم دخَلتْ سنةُ عشرٍ ومائتين

فى صفرٍ مِنها[1] دخَل نصرُ بنُ شبَثٍ إلى بغدادَ حين بعَثه عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ [2]مِن الرَّقَّةِ[2] ، فدخَلها ولم يتَلقَّهُ[3] أحدٌ مِن الجندِ بل دخَلها وحدَه ، فأُنزِل فى مدينةِ أبى جعفرٍ ، ثم حُوِّل إلى موضعٍ آخَرَ . وفى هذا الشهرِ ظفِر المأمونُ بجماعةٍ من كبراءِ مَن كان بايَع إبراهيمَ بنَ المهدىِّ فعاقَبهم وحبَسهم فى المطبقِ .

ظهورُ إبراهيمَ بنِ المهدىِّ بعد اختفائِه

ولمّا كان ليلةُ الأحدِ لثلاثَ عشْرةَ [4]ليلةً بقِيت[4] من ربيعٍ الآخِرِ منها اجْتاز إبراهيمُ بنُ المهدىِّ - وكان مختفيًا مدةَ ستِّ سنين وشهورٍ - مُنتقِبًا فى زىِّ امرأةٍ ومعه امرأتان فى بعضِ دروبِ بغدادَ فى أثناءِ الليلِ ، فقام الحارسُ فقال : إلى أين هذه الساعةَ ؟ ومِن أين ؟ ثم أراد أن يُمسِكَهنَّ ، فأعطاه إبراهيمُ خاتَمًا كان فى يدِه مِن ياقوتٍ ، فلمّا نظَر إليه الحارسُ[5] استَراب وقال : إنَّما هذا خاتَمُ رجلٍ كبيرِ الشأنِ . فذهَب بهنَّ إلى متولِّى الليلِ ، فأمَرهن أن يُسفِرنَ عن وجوهِهنَّ ، فتمنَّع

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٠٢، والمنتظم ١٠/ ٢١٠، والكامل ٦/ ٣٩١.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م، وفى س: «إلى الرقة».

(٣) فى الأصل، ب، م، ص: «يتلقاه».

(٤ - ٤) سقط من: ب، م. وانظر المنتظم ١٠/ ٢١١.

(٥) سقط من: ب، م.

إبراهيمُ فكشَفوا عن وجهِه فإذا هو هو، فعرَفه فذهَب به إلى صاحبِ الحرسِ[1] فسلَّمه إليه، فرفَعه الآخَرُ إلى بابِ[2] المأمونِ، فأصبَح فى دارِ الخلافةِ ونقابُه على رأسِه والملحفةُ فى صدرِه ليَراه الناسُ، وليعلَموا كيف أُخِذ. فأمَر المأمونُ بالاحتفاظِ به والاحتراسِ عليه مدةً، ثم أطلَقه ورضِى عنه. هذا وقد صلَب [٨/ ١٦٠و] جماعةً ممَّن كان سجَنَهم بسببِه لكونِهم أرادوا الفتكَ بالموكَّلِين بالسِّجنِ، فصلَب منهم أربعةً.

وقد ذكَروا أنَّ إبراهيمَ بنَ المهدىِّ لمّا أُوقِف بينَ يدَيِ المأمونِ شرَع فى تأنيبِه، فترقَّق له عمُّه إبراهيمُ كثيرًا، وقال: يا أميرَ المؤمنين، إن تُعاقِبْ فبحقِّك، وإن تَعفُ فبفضْلِك. فقال: بل أعفو يا إبراهيمُ، إنَّ القدرةَ تُذهِبُ الحفيظةَ، والندمَ توبةٌ، وبينَهما عفوُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وهو أكبرُ ممَّا تسألُه. فكبَّر إبراهيمُ وسجَد شكرًا للَّهِ عزَّ وجلَّ.

وقد امتدَح إبراهيمُ بنُ المهدىِّ ابنَ أخيه المأمونَ بقصيدةٍ بالَغ فيها، فلمّا سمِعها المأمونُ قال: أقولُ كما قال يوسفُ لإخوتِه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]. وذكَر الحافِظُ ابنُ عساكرَ[3] أنَّ المأمونَ لمّا عفا عن عمِّه إبراهيمَ أمَره أن يُغنِّيَه شيئًا، فقال: إنى تركتُه. فأمَره فأخَذ العودَ فى حَجْرِه وقال:

هـذا مـقـامُ مُـسـوَّدٍ[4] خَـرِبـتْ مـنـازِلُـه ودورُهْ

---

(١) فى الأصل، ب، م، ص: «الجسر».

(٢) فى الأصل، س: «نائب».

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ١٧٢، بنحوه.

(٤) فى الأصل: «سوء». وفى ب، م: «سرور».

نمَّت عليهِ عداتُه كذِبًا فعاقَبَه أميرُهْ

ثم عاد فقال :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منِّى[1] لوَى الدهرُ بى عنها وولَّى بها عنِّى

فإنْ أبكِ نفسى أبكِ نفسًا عزيزةً وإن أحتقِرْها أحتقِرْها على ضَنٍّ[2]

وإنِّى وإن كنتُ المسىءَ[3] بِعَيْنِهِ [4]برِّى - تعالى جَدُّه[4] - حَسَنُ[5] الظنِّ

عَدَوتُ على نفسى فعادَ بعفوِه علىَّ فعادَ العفوُ مَنًّا[6] على منِّ

فقال المأمونُ : أحسَنتَ يا أميرَ المؤمنين حقًّا . فرمَى بالعودِ مِن حِجْرِه[7] ، ووثَب قائمًا فزِعًا مِن هذا الكلامِ ، فقال له المأمونُ : اقعُدْ واسكُنْ ، مرحبًا[8] بك[9] ، لم يكنْ ذلك لشىءٍ تتوهَّمُه ، ووالله لا رأيتَ طولَ أيامِى شيئًا تكرَهُه [10]وتغتمُّ به[10] ، ثم أمَر له بردِّ جميعِ ما كان له مِن الأموالِ والضِّياعِ والدُّورِ ، فرُدَّتْ إليه ، وأَمَر له بعشَرةِ آلافِ دينارٍ وخلَع عليه ، وخرَج مِن عندِه مُكرَمًا مُعَظَّمًا .

---

(١) فى ب ، م : « عنى » .

(٢) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « رصن » ، وفى م : « ضغن » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) فى الأصل : « المسمى » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « فإنى بربى موقن » .

(٥) فى ص : « محسن » .

(٦) فى ص : « منها » .

(٧) فى س : « يده » .

(٨) فى س : « فرحنا » .

(٩) بعده فى ب ، م : « وأهلًا » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ب ، م .

عُرسُ بُورانَ[1]

وفى رمضـــانَ منها بنَى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسنِ بنِ سهلٍ، وقيل: إنَّه خرَج [2]مِن بغدادَ[2] فى رمضانَ إلى معسكرِ الحسنِ بنِ سهلٍ بفَمِ الصِّلْحِ[3]، وكان الحسنُ[4] قد عُوفِى من مرَضِه ذلك، فنزَل المأمونُ عندَه بمَن معَه مِن وجوهِ الأمراءِ والرؤساءِ وأكابرِ بنى هاشمٍ، فدخَل ببُورانَ فى شوالٍ مِن هذه السنةِ فى ليلةٍ عظيمةٍ وقد أُشعِلت بينَ يَدَيْه [٨/ ١٦٠ظ] شموعُ العنبرِ، ونُثِر على رأسِه الدُّرُّ والجوهرُ، فوقَ حُصُرٍ منسوجةٍ بالذَّهبِ الأحمرِ. وكان عددُ الجوهرِ مِنه[5] ألفَ دُرَّةٍ، فأمَر به فجُمِع فى صينيةٍ مِن ذَهَبٍ كان الجوهرُ فيها، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، إنما نثَرناه لتتلَقَّطَه الجوارى. فقال: لا، أنا أُعوِّضُهن خيرًا[6] من ذلك. فجمَع ذلك كلَّه، فلمّا جاءتِ العروسُ ومعها جدَّتُها[7] و[8]زُبَيْدَةُ أمُّ أخيه[9] الأمينِ - من جُمْلةِ مَن جاء معها - فأُجلِسَت إلى جانِبِه، فصَبَّ فى حِجْرِها ذلك

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٠٦، والمنتظم ١٠/ ٢١٦، والكامل ٦/ ٣٩٥.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) نهر كبير فوق واسط بينها وبين جَبُّل، عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون. معجم البلدان ٣/ ٩١٧.

(٤) زيادة من: ب، م.

(٥) فى س: «مئة». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٠٧.

(٦) زيادة من: س.

(٧) فى س، ص: «جدته».

(٨) سقط من: م.

(٩) سقط من: س، ص.

الجَوْهرَ ، وقال لها : هذا نِحْلَةٌ مِنِّى لكِ ، وسَلِى حاجتَك . فأَطْرَقَتْ حَياءً ، فقالت جدّتُها : كلِّمى سيِّدَكِ وسَلِيهِ حاجَتَكِ فقد أَمَرَكِ . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، أسألُك أن تَرْضَى عن عمِّك إبراهيمَ بنِ المهدِىِّ ، وأن ترُدَّه إلى منزلَتِه التى كان فيها قبلَ ذلك . فقال : نعم . قالت : وأمُّ جَعْفَرٍ - تعنى زُبَيْدَةَ - تَأْذَنُ لها فى الحجِّ . قال نعم . فخلَعتْ عليها زُبَيْدَةُ بِذلَتَها الأُمويَّةَ[1] ، وأطلَقتْ لها[2] قريةً مقوَّرةً[3] . وأما والدُ العَروسِ الحسنُ بنُ سَهْلٍ ، فإنه كتَب أسماءَ قُراه[4] وضِياعِه وأملاكِه فى رِقاعٍ ونثَرها على الأُمراءِ ووجوهِ الناسِ ، فمَن وقَعَتْ فى يدِه مِنها رُقْعَةٌ ، بَعَث إلى القريةِ التى فيها نُوَّابُه فسلَّموها إليه مِلْكًا خالصًا . وأنفَق على المأمونِ ومَن كان معه مِن الجيشِ فى مُدّةِ مُقامِه عندَه - [5]سبعةَ عشَرَ يومًا - ما يعادلُ خمسين ألفَ ألفِ درهمٍ . ولمّا أراد المأمونُ الانصرافَ مِن عندِه[5] ، أطلَق له عشَرةَ آلافِ ألفِ درهمٍ ، وأقطَعه البلدةَ التى هو نازلٌ بها ، وهو إقليمُ فَمِ الصِّلْحِ ، مُضافًا إلى ما بيدِه من الإقطاعاتِ . ورجَع المأمونُ إلى بغدادَ فى أواخرِ شوّالٍ مِن هذه السَّنةِ .

وفى هذه السَّنةِ رَكِبَ عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ إلى مصرَ فاستنقذَها[6] بأمرِ المأمونِ من يدِ عبيدِ اللَّهِ[7] بنِ السَّرِىِّ بنِ الحكمِ ، المتغلِّبِ عليها[8] ، واستعادها منه بعدَ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « الأميرية » . وفى س : « الأمرية » . وانظر مصادر التخريج .
(٢) فى م : « له » .
(٣) فى ص : « بقورة » . ويقال قوّر الدار : وسعها . والمعنى : قرية واسعة . التاج (ق و ر) .
(٤) سقط من : ص ، وفى الأصل ، ب : « قراياه » ، وفى س : « قرياته » .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦) فى الأصل : « فاستنفذها » .
(٧) سقط من : س ، ص .
(٨) فى الأصل ، س ، ص : « بها » .

حُروبٍ يطولُ ذِكْرُها .

وفيها تُوُفِّي مِن الأَعْيانِ : **أبو عمرٍو الشَّيبانيُّ**[1] اللُّغويُّ ، واسمُه إسحاقُ بنُ مِرارٍ[2] . **ومروانُ** بنُ محمدٍ الطَّاطَرِيُّ[3] . **ويَحْيَى** بنُ إسحاقَ[4] . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٩٤، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٢٩، وإنباه الرواة ١/ ٢٢١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠١، وتهذيب الكمال ٣٤/ ١٣٤، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٥٤، (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٥٤.

(٢) في س : « نزار » ، وفي م : « مراد » . وانظر مصادر ترجمته في الحاشية السابقة .

(٣) الثقات لابن حبان ٩/ ١٧٩، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٣٨٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٠، وثقات ابن حبان ٩/ ٢٦٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٥٧، وتهذيب الكمال ٣١/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠هـ) ص ٤٣٣.

ثم دخلَتْ سنةُ إحْدى عشْرةَ ومائتين

وفيها توفِّي من الأعيان :

أبو الجوّابِ[1] . **وطَلْقُ** بنُ غنَّامٍ[2] . **وعبدُ الرزَّاقِ** بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانيُّ[3] ، صاحبُ « المصنفِ » و « المسنَدِ » . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ صالحٍ العِجليُّ[4] . **وأبو العتاهيةِ** الشاعرُ المُفْلِقُ المشهورُ[5] ، واسمُه إسماعيلُ بنُ القاسمِ بنِ سويدٍ[6] بنِ كَيْسَانَ ، أصلُه مِن الحجازِ ، [7]وسكَن بغدادَ ، وكان يبيعُ الجِرارَ أولًا ، ثم حظِي عندَ الخُلفاءِ لاسيما المهديُّ[7] ، وقد [٨/ ١٦١و] كان يعشَقُ جاريةً للمهديِّ اسْمُها عُتْبَةُ[8] وقد

---

(١) الثقات لابن حبان ٦/ ٨٩، وتاريخ أسماء الثقات ٧٣، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٥٥، وميزان الاعتدال ١/ ١٦٧.

(٢) تهذيب الكمال ١٣/ ٤٥٦، ٤٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٩٦، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٤، والوافى بالوفيات ١٦/ ٤٩١.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٦، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٦٠، والعبر ١/ ٣٦٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٤.

(٤) تهذيب الكمال ١٥/ ١٠٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢١٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢١٢.

(٥) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٢٨، والشعر والشعراء ٢/ ٧٩١، والأغانى ٤/ ١، وتاريخ بغداد ٦/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٥٨.

(٦) فى س : « سريد » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ص .

(٨) فى س : « عينة » ، وفى ص : « غنية » .

طلَبها مِن الخليفةِ غيرَ[1] مَرَّةٍ، فإذا سمَح له بها لا تريدُه الجاريةُ، وتقولُ للخليفةِ[2]: أَتُعْطِينى لِرَجُلٍ دَميمٍ[3] الخَلْقِ كان يبيعُ الجِرَارَ؟ فكان يُكثِرُ التغزُّلَ فيها، وشاع أمرُه واشْتَهَر بها، وكان المهدىُّ يَفْهَمُ ذلك منه.

وقد اتَّفَق فى بعضِ الأحيانِ أن الخليفةَ المهدىَّ استدعى[4] الشُّعَراءَ إلى مجلسِه فاجتمَعوا، وكان فيهم أبو العتاهِيةِ وبشَّارُ بنُ بُرْدٍ الأَعْمَى، فسَمِع صَوْتَ أَبِى العتاهيةِ، فقال بشَّارٌ لجليسِه[4]: أَثَمَّ هَـاهُنَا أَبو العتاهيةِ؟ قال: نعم. [5]فوجِم لها بشَّارٌ، ثم استَنشَد المهدىُّ أبا العتاهيةِ[5]. فانطلَق يُنْشِدُهُ قَصِيدَتَهُ فيها، التى أولُها:

ألا ما لِسَيِّدَتى ما لَها ... [6]أَدَلَّتْ فَأَحْمِلَ[7] إدْلالَها[6]

فقال بشَّارٌ لجليسِه: ما رَأَيْتُ أجسرَ[8] مِن هذا. حتى انتهَى أبو العتاهيةِ إلى قولِه:

أَتَتْه الخِلافَةُ مُنْقَادَةً ... إلَيه تُجَرِّرُ أَذْيالَها
فلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلَّا له ... ولم يَكُ يَصْلُحُ إلَّا لها
ولو رامَها أَحَدٌ غيرُه ... لَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَها

---

(١) فى ص: «غيره».
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٠.
(٣) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «ذميم». وانظر وفيات الأعيان ١/ ٢٢٠.
(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٢٥٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٢١.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ب، م.
(٦ - ٦) فى ص: «أذلت فاحمل إذلاها».
(٧) فى م: «فأجمل».
(٨) فى ب، س، ظ: «أحسن».

ولو لم تُطِعْهُ بنَاتُ القُلوبِ لَما قَبِلَ اللَّهُ أعْمالَها

فقال بشَّارٌ لجليسِه : انظرْ وَيْحَكَ ، أَطَارَ الخَلِيفَةُ عَن فِراشِه أم لا ؟ قال : فواللَّهِ ما خرَج أَحدٌ مِن الشُّعَراءِ يَوْمَئِذٍ بجائِزةٍ غَيْرُه .

وقال ابنُ خَلِّكَانَ[1] : اجتمَع أبو العتاهيةِ بأبى نُواسٍ - وكان فى طبقتِه وطبقةِ بشَّارٍ - فقال أبو العتاهيةِ لأبى نُوَاسٍ : كم تعملُ فى اليومِ مِن الشِّعرِ ؟ قال : بيتًا أو بيتين . فقال : لكنِّى أعملُ المائةَ والمائتين . فقال أبو نُواسٍ : لأنَّك تعملُ مثلَ قولِك :

يا عُتْبَ مَا لِى ولكِ يا ليتَنى لَمْ أَرَكِ

ولو أردتُ[2] مثلَ هذا[3] الألفَ والألفَيْن ، لقَدَرتُ عليه ، وأنا أعملُ مثلَ قولى :

مِنْ كفِّ ذاتِ حِرٍ فى زىِّ ذى ذَكَرٍ لها مُحِبّانِ [4]لُوطىٌّ وزنَّاءُ[4]

ولو أردتَ مثلَ هذا لأعجَزَكَ الدهرَ .

قال ابنُ خَلِّكَانَ[5] : ومِن لَطيفِ شعرِ أبى العتاهيةِ :

ولقد صَبوتُ إليكِ حتى صار[6] مِن فَرطِ التَّصابى

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٢، بنحوه .

(٢) فى ب ، م : « عملت أنا » .

(٣) بعده فى ب ، م : « لعملت » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٣.

(٦) فى م : « صرت » .

يـجِـدُ الجلِـيـسُ إذَا دَنـا ريحَ الـتَّـصـابِـى فـى ثـيَـابـى

(١) قال ابنُ خَلِّكانَ : وأشعارُه كثيرةٌ (١) ، وكان مولدُه سنةَ ثلاثين ومائةٍ ، وتُوفِّى يومَ الاثنين [٨/١٦١ظ] ثالثَ جُمادَى الآخِرةِ سنةَ إِحْدَى عشْرةَ - وقيلَ : ثلاثَ عشْرةَ - ومائتين . وأوصَى أن يُكْتَبَ على قَبْرِه ببغدادَ :

إنَّ عـيـشًـا يـكـونُ آخـرَهُ المو تُ لَـعَـيْـشٌ مُـعَـجَّـلُ الـتَّـنْـغِـيـصِ

(١ - ١) سقط من : ب ، م . والخبر فى وفيات الأعيان ١/ ٢٢٢.

ثم دخلَتْ سنةُ اثنتى عشْرةَ ومائتين

فيها[1] وجَّه المأمونُ محمدَ بنَ حُميدٍ الطُّوسىَّ على طريقِ المَوْصلِ، لمحاربةِ بابَكَ الخُرَّمىِّ[2] فى أرضِ أَذْرَبِيجانَ، فأخَذ جماعةً مِن[3] المتغلِّبين فيها، فبعَث بهم إلى المأمونِ [4]أُسراءَ إلى بغدادَ[4]. وفى ربيعِ الأولِ [5]من هذه السنةِ[5] أظهَر المأمونُ فى الناسِ بدعتَيْن فَظِيعتَيْن؛ إحداهما أَطَمُّ مِن الأُخرى، وهى القولُ بخَلْقِ القرآنِ، والأُخرى تفضيلُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ علَى الناسِ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقد أَخْطَأَ فى كُلٍّ مِن هذين المذهبَيْن[6] خطأً كبيرًا فاحشًا، وأثِم إِثْمًا عظِيمًا، [7]ومِن العلماءِ مَن يكفِّرُ من يقولُ بخلقِ القرآنِ، كما سيأتى ذلك فى موضعِه[7].

وفيها حجَّ بالنَّاسِ عبدُ اللَّهِ بنُ عبيدِ[8] اللَّهِ بنِ العبَّاسِ [4]بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ العبَّاسِ[4] العباسِىُّ[9].

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦١٩، والمنتظم ١٠/ ٢٤٨، والكامل ٦/ ٤٠٧.

(٢) فى الأصل، ب: «الجرمى»، وفى س، ص: «الحرمى». وانظر ماتقدم فى صفحة ١٤٢.

(٣) سقط من: س، ظ.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

(٥ - ٥) سقط من: م، وفى ب: «منها».

(٦) فى ص: «البيتين المذهبين».

(٧ - ٧) ليست فى الأصل، ب، م. وانظر الشريعة للآجرى ١/ ٤٨٩، والأسماء والصفات للبيهقى ٢٣٩، ومجموع الفتاوى ١٢/ ٤٠٩.

(٨) فى الأصل، ب: «عبد». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦١٥.

(٩) ليست: فى الأصل، س، ص، ظ.

وفيها توفِّىَ [1]مِن الأعيانِ[1] : **أسدُ** بنُ موسى[2] ، الّذِى يقالُ لهُ : أسدُ السُّنَّةِ . و[3]**الحسينُ** بنُ حفصٍ[3] . **وأبو عاصمٍ** النبيلُ[4] ، واسمُه الضَّحَّاكُ بنُ مَخلدٍ[5] . **وأبو المغيرةِ** عبدُ القُدُّوسِ بنُ الحجاجِ الشَّاميُّ الدِّمَشْقِيُّ[6] . **ومحمدُ** بنُ يوسفَ[7] الفِرْيَابيُّ[8] ، شيخُ البخاريِّ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) تهذيب الكمال ٢/ ٥١٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٦٩، والوافى بالوفيات ٩/ ٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٢.

(٣ - ٣) فى ب : «الحسين بن جعفر» ، وفى م : «الحسن بن جعفر» . وانظر ترجمته فى : تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٢٠، والعبر ١/ ٣٦٢، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٦٠، والطبقات السنية ٣/ ١٣٠.

(٤) طبقات الزبيدى ٥٤، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٣٥٦، وإنباه الرواة ٢/ ٩١، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٩١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٦، والجواهر المضية ٢/ ٢٧٢.

(٥) فى الأصل : «مجلد» ، وفى س : «مخلدة» .

(٦) تهذيب الكمال ١٨/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٧٠، والعبر ١/ ٣٦٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٦.

(٧) فى الأصل ، ب ، م : «يونس» .

(٨) فى الأصل : «الفريانى» . وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٩، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٠٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٤٣.

ثم دخلَتْ سنةُ ثلاثَ عشْرةَ ومائتين[1]

فيها ثار رَجُلان [2]بمصرَ، وهما[2] عبدُ السلامِ وابنُ جَليسٍ[3]، فخلَعا المأمونَ واستحوَذَا[4] على الديارِ المِصْريةِ، وبايعهما[5] طائِفةٌ مِن القَيْسِيَّةِ[6] واليَمانِيَّةِ، فوَلَّى المأْمونُ أخاه أبا إسحاقَ نِيابَةَ الشامِ [7]ومصرَ[7]، ووَلَّى ابنَه العباسَ نِيابةَ الجزيرةِ والثُّغورِ والعواصِمِ، وأَطْلَق لكلٍّ منهما، ولعبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ألفَ ألفِ دينارٍ وخمسَمائةِ أَلْفِ دِينارٍ. فلم يُرَ يومًا أكثرَ إطلاقًا منه، أَطلَق فيه لهؤلاءِ الأُمراءِ الثلاثةِ ألفَ ألفِ دينارٍ وخمسَمائةِ ألفِ دينارٍ.

وفِيها وَلَّى المأمونُ[8] السِّندَ[9] غسانَ[10] بنَ عبّادٍ. وحجَّ بالنَّاسِ فيها أميرُ السَّنَةِ الماضِيَةِ، رضى اللَّهُ عنه.

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٠، والمنتظم ١٠/ ٢٥١، والكامل ٦/ ٤٠٩.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «حليس»، وفى ب، ص: «حلبس»، وفى س: «جلبس»، وانظر تاريخ الطبرى، والكامل، ونهاية الأرب ٢٢/ ٢٣٠، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٥، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٩، والولاة والقضاة للكندى ص ١٨٨.

(٤) فى ص: «واستحوذ».

(٥) فى الأصل، ب، م، ص: «تابعهما».

(٦) فى ص: «القسيسية». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٠.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ب.

(٨) ليست فى: الأصل، ب، ص، ظ، م.

(٩) فى الأصل: «السيد».

(١٠) فى الأصل، ب: «عتبان»، وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٠.

وفيها توفِّى مِن الأعيانِ : **عبدُ اللَّهِ** بنُ داودَ الخُرَيْبِىُّ[1] . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ[2] يزيدَ المُقْرِئُ البَصرىُّ[3] . **وعبيدُ**[4] **اللَّهِ** بنُ موسى العَبْسِىُّ[5] . **وعمرُو** بنُ أَبِى سَلَمَةَ الدِّمشقىُّ[6] .

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ [7]فى « الوفياتِ »[7] عن بعضِهم أنَّ فى هذه السَّنةِ تُوفِّى إبراهيمُ بنُ ماهانَ المَوْصِلىُّ النَّدِيمُ ، وأَبو العتاهيةِ ، وأبو عمرٍو الشيبانىُّ النحْوىُّ فى يومٍ واحدٍ ببغدادَ ، ولكنَّه صحَّحَ أنَّ إبراهيمَ النديمَ توفِّى سنةَ ثمانٍ وثمانينَ [٨/ ١٦٢و] ومَائةٍ .

قال السُّهَيْلىُّ : فى هذه السنةِ توفِّى عبدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ رَاوِى السِّيرةِ [8]عن ابنِ إسحاقَ[8] ، حكاه ابنُ خَلِّكانَ[9] عنه . والصَّحيحُ أنَّه توفِّى فى سنةِ ثمانى

---

(١) فى الأصل ، ب : « الحربى » ، وفى س : « الحرنى » ، وفى م : « الجرينى » ، وفى ص : « الحزنى » وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤٥٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٠٥، وغاية النهاية ١/ ٤١٨.

(٢) بعده فى ص : « أبى » .

(٣) فى النسخ : « المصرى » تحريف . وانظر ترجمته فى : تهذيب الكمال ١٦/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٤١، والعبر ١/ ٣٦٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٧، وغاية النهاية ١/ ٤٦٣.

(٤) فى س ، م ، ص : « عبد » .

(٥) تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٨٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٣، وغاية النهاية ١/ ٤٩٣.

(٦) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣١، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٢٣، والعبر ١/ ٣٦٥.

(٧ - ٧) سقط من : ب ، م . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٤٣.

(٨ - ٨) سقط من : ب ، م .

(٩) وفيات الأعيان ٣/ ١٧٧.

عَشْرةَ ومائتين، كما نصَّ عليه أبو سعيدِ بنُ يونُسَ[1] فى «تاريخِ مصرَ».

العَكَوّكُ[2] الشَّاعرُ

أبو الحسنِ بنُ علىِّ بنِ جَبَلةَ[3] [4]بنِ المسلمِ بنِ عبدِ الرحمنِ[4] الخراسانىُّ، ويلقَّبُ بالعَكَوَّكِ [5]لِقِصَرِه وسِمَنِه[5]، وكان مِن المَوالى، ووُلِد أَعْمَى، وقيلَ: بل أصابَه جُدَرِىٌّ وهو ابنُ سَبْعِ سنين فعَمِى[6]، وكان أسودَ أبرصَ، وكان شاعرًا مطبِقًا فصيحًا بليغًا؛ وقد أثنَى عليه فى شعرِه الجاحظُ فمَن بعدَه، قال الجاحظُ[7]: ما رأيتُ بدويًّا ولا حضَريًّا أحسنَ إنشادًا[8] منه. فمِن ذلك قولُه:

بَأبى مَن زارَنِى[9] مكتَتِمًا[10] خائفًا[11] مِن كلِّ شىءٍ جَزِعَا

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٧٧.

(٢) الشعر والشعراء ٨٦٤، وطبقات ابن المعتز ١٧١، والأغانى ٢٠/ ١٤، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٥٩، والمنتظم ٣/ ٢٥٧، ونكت الهميان ص ٢٠٩.

(٣) فى الأصل، ب: «حبلة».

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

(٥ - ٥) سقط من: ب، م. وفى الأصل: «لقصوة وسمية».

(٦) سقط من: ب، م.

(٧) تاريخ بغداد ١١/ ٣٥٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥٠، ونكت الهميان ٢٠٩.

(٨) فى الأصل، ب، م، ص، ظ: «إنشاء». وانظر مصادر التخريج.

(٩) فى الأصل: «رآنى»، وفى ب: «زار».

(١٠) فى الأصل: «ملبسًا»، وفى ب: «مختلسًا» وفى م: «متكتما».

(١١) فى م، ص: «حذرا».

زائـرٌ نَمَّ عـلـيـه حُـسـنُـه كيف يُخْفِى اللَّيلُ بدرًا طَلَعَا
رصَد الغفلةَ[1] حتى أمكَنتْ ورعَى السَّامِرَ[2] حتى هَجَعَا
ركِـب الأهـوالَ[3] فـى زَوْرتِـهِ ثـمَّ مـا سـلَّـمَ حـتـى ودَّعَـا[4]

وهو القائلُ[5] فى أَبى دُلَفٍ القاسمِ بنِ عيسى العِجْلىِّ يمتدحُه[6] :

إنَمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـفٍ [7]بيـنَ[8] مغزاهُ[9] ومُـحْـتَـضَـرِهْ[7]
فـإذا وَلَّـى أَبُـو دُلَـفٍ وَلَّـتِ الـدُّنـيَـا عـلـى أثَـرِهْ
كلُّ مَن فى الأرضِ من عَرَبٍ بـيـنَ بـاديـه إلـى حـضَـرِهْ
[10]مستعيرٌ منك[10] مكرُمةً يـلـبَـسُـهـا[11] يـومَ مُـفْـتَـخَـرِهْ

ولمّا بلَغ المأمونَ هذه الأبياتُ - وهى فى قصيدةٍ طويلةٍ عارَض فيها أبا نُواسٍ الحسنَ بنَ هانئٍ - تطلَّبه المأمونُ ، فهرَب منه كلَّ مَهربٍ ، ثم أُحْضِرَ بينَ يدَيه فقال له : ويحك ! فضَّلت القاسمَ بنَ عيسى علينا ؟ فقال : يا أميرَ

---

(١) فى ص ، م : « الخلوة » .
(٢) فى ص : « السامرى » .
(٣) فى ص : « الأهوا » .
(٤) فى ص : « هجعا » ، وفى م : « رجَعَا » .
(٥) الشعر والشعراء ٢/ ٨٦٤، وطبقات ابن المعتز ١٧٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥١، ونكت الهميان ٢٠٩.
(٦) سقط من : ب .
(٧ - ٨) فى ب : « فى معيب لرد محتضره » . وفى ظ : « من معزاه ومختصره » .
(٨) سقط من : الأصل ، وفى س : « من » .
(٩) فى س ، ص : « معداه » .
(١٠ - ١٠) فى الأصل : « مستغنى نيل » ، وفى م : « يرتجيه نيل » .
(١١) فى م : « يأنسيها » .

المؤمنين ، أنتم أهلُ بيتٍ اصطفاكم اللَّهُ مِن بينِ عبادِه ، وآتاكم مُلْكًا عظيمًا ، وإنما فضَّلْتُه على أشكالِه وأقرانِه . فقال : واللَّهِ ما أبقَيْتَ أحدًا ، ولقد أدخَلتَنا فى الكلِّ حيث تقولُ :

* كلُّ مَن فى الأرضِ مِن عَرَبِ *

البيتين[1] ومع هذا فلا أستحلُّ قتْلَكَ بهذا ، ولكن بكُفْرِك وشِرْكِك ، حيثُ تقولُ فى عبدٍ ذليلٍ :

أنتَ الذى تُنْزِلُ الأيامَ مَنْزِلَها ... وتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِن حالٍ إلى حالِ
وما مدَدتَ مدَى طَرْفٍ إلى أحدٍ ... إلا قضَيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

ذاك اللَّهُ يفعلُه ، أخرِجوا لسانَه مِن قفاه . فأخرَجوا لسانَه [2]مِن قفاه[2] فمات فى هذه [٨/ ١٦٢ظ] السَّنةِ ، [3]سامَحه اللَّهُ[3] .

وقد امتَدَح حميدَ بنَ عبدِ الحميدِ الطوسىَّ :

إنَّما الدُّنيا حميدٌ ... وأيادِيه الجِسامُ
فإذا وَلَّى حميدٌ ... فعلَى الدنيا السّلامُ

[3]وقولُه :

تكَفَّلَ ساكِنى الدُّنيا حُمَيْدٌ ... فقد أضحَوا له فيها عِيالا
كأنَّ أباه آدمَ كان أوْصَى ... إليه أن يَعُولَهمُ فَعالا[3]

---

(١) فى م : « بين باديه إلى حضره » .
(٢ - ٢) فى م : « فى هذه السنة » .
(٣ - ٣) سقط من : م .

ولما ماتَ حميدٌ هذا [1] فى سنةِ عشْرٍ مع المأمونِ بفَمِ الصِّلْحِ ، قال العَكَوَّكُ - يَرثيه - قصيدةً ، منها قولُه :

فأدَّبَنا ما أدَّبَ الناسَ قبْلَنا ... ولكنه لم يَبقَ للصبرِ موضعُ

وقال أبو العتاهيَةِ يرثى حميدًا هذا [1] :

أبا غانمٍ أمّا ذَراكَ [2] فواسِعٌ ... وقَبْرُكَ مَعْمورُ الجوانبِ محكمُ

وما ينفعُ المقبورَ عُمْرانُ قبرِه ... إذا كان فيه جسْمُه يتهدَّمُ

وقد أورد ابنُ خَلِّكانَ [3] لعَكَوَّكٍ هذا أشعارًا جيدةً تركناها اختصارًا .

(١ - ١) فى م : «رثاه أبو العتاهية بقوله» .

(٢) يعنى كنفك .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٠.

ثم دخلَتْ سنةُ أربعَ عشْرةَ ومائتين

فى يومِ السبتِ لخمسٍ بقِين مِن ربيعٍ الأوَّلِ منها[1] التقَى محمدُ بنُ حُميدٍ وبابَكُ الخُرَّميُّ ، لعَنه اللَّهُ ، فقتَل الخرميُّ خلقًا كثيرًا من جيشِه وقتَله أيضًا ، وانهَزَم بقيةُ أصحابِ ابنِ حميدٍ ، [2]فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون[2] ، فبعَث المأمونُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ ويحيى بنَ أكثمَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ يُخيِّرانِه بين خُراسانَ ، ونيابةِ الجبالِ وأَذْرَبِيجانَ وأرمينيَةَ ، لمحاربةِ[3] بابَكَ ، فاختار المُقامَ بخُراسانَ ، لكثرةِ احتياجِها إلى الضَّبطِ ، وللخوفِ مِن ظهورِ الخوارجِ بها[4] .

وفيها دخَل أبو إسحاقَ بنُ الرشيدِ الديارَ المصريةَ ، [5]فافتتَحها واستعادها إلى السَّمعِ والطاعةِ ، وظفِر بعبدِ[5] السلامِ وابنِ جَليسٍ[6] وقتَلهما . وفيها خرَج رجلٌ يقالُ له : بلالٌ الضَّبابيُّ[7] الشاريُّ[8] - فبعَث إليه المأمونُ ابنَه العباسَ فى جماعةٍ مِن الأمراءِ ، فقتَلوا بلالًا [9]وعادُوا سالمين[9] . وفيها ولَّى المأمونُ عليَّ بنَ هشامٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٢، والمنتظم ١٠/ ٢٦٣، والكامل ٦/ ٤١٢.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى م : « ومحاربة » .

(٤) سقط من : ب ، م .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « فانتزعها من يد عبد » .

(٦) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « حليس » وانظر حاشية (٣) ص ١٨٨.

(٧) فى ب : « الصبغانى » . وفى ظ : « الصنعى » .

(٨) سقط من : ب ، م ، وفى الأصل : « الشادنى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٢.

(٩ - ٩) فى ب ، م : « ورجعوا إلى بغداد » .

الجبلَ وقُمَّ[1] وأصبهانَ وأذْرَبِيجانَ . وفيها حجَّ بالناسِ إسحاقُ بنُ العباسِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ .

وممّن تُوفِّي فيها من الأعيانِ : **أحمدُ** بنُ خالدٍ الوهبيُّ[2] .

وحسينُ[3] بنُ مُحمدٍ المرْوَزِيُّ شيخُ الإمامِ أحمدَ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ عبدِ[4] الحكمِ المصريُّ . **ومعاويةُ** بنُ عَمرٍو[5] . **وأحمدُ** بنُ يوسفَ بنِ القاسمِ بنِ صُبَيْحٍ ، أبو جعفرٍ الكاتبُ[6] ، ولِي ديوانَ الرسائلِ للمأمونِ . ترجَمه ابنُ عساكرَ[7] وأورَد مِن شعرِه قولَه :

قد يُرزَقُ المرءُ [8]لا مِن حسنِ حيلتِه[8] ويُصرفُ الرزقُ عن ذى الحيلةِ الدَّاهِى

[٨/١٦٣و] ما مسَّنى من غِنىً يومًا ولا عَدَمٌ إلا وقَوْلِى عليه الحمدُ للَّهِ

---

(١) قم : مدينة إسلامية مستحدثة وتقع بين طراز وكولان ناحية الشمال ، وذكر بعضهم أنها تقع بين أصبهان وساوة . معجم البلدان ٤/ ١٧٥، بتصرف ، والمسالك والممالك لابن خرداذبه ٢٠٥.

(٢) فى ب ، م : « الموهبى » . وفى ص : « الذهبى » . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ٢/ ٢، وثقات ابن حبان ٨/ ٦، وتهذيب الكمال ١/ ٢٩٩، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٢.

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « حسن » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٨، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٧١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٢٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٦.

(٤) سقط من : م . تأتى ترجمته بعد قليل ، انظر حاشية (٩) .

(٥) فى م : « عمر » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤١، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٩٧، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٠٧.

(٦) الأغانى ٢٣/ ١١٨، وتاريخ بغداد ٥/ ٢١٦، ومعجم الأدباء ٥/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٦، والوافى بالوفيات ٢٧٩٤٨.

(٧) تاريخ دمشق ٦/ ١١٤.

(٨ - ٨) فى الأصل : « لا من حيلته » . وفى ب : « لا من حيلة صدرت » . وفى ص : « من حسن حيلته » .

وله أيضًا :

إذا قُلتَ فى شىءٍ نعمْ فأتِمَّهُ ... فإنَّ نَعمْ دَيْنٌ على الحُرِّ واجبُ
(١) وإلّا فقُلْ لا ؛ تسترِحْ وتُرِحْ بها (١) ... لئلا يقولَ الناسُ إنكَ كاذبُ

وله :

إذا المرءُ أفشَى سرَّه بلسانِهِ ... فلامَ عليهِ غيرَه فهْوَ أحمقُ
إذا ضاقَ صدْرُ المرءِ عن سرِّ نفسِهِ ... فصدرُ الذى اسْتَودَعْته (٢) السرَّ أضيقُ

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الحكمِ بنِ أَعْيَنَ بنِ ليثِ بنِ رافعٍ المِصرىُّ (٣) ، أحدُ مَن قرَأ « الموطأَ » على الإمامِ مالكٍ ، وتفقَّه بمذهبِه ، وكان معظَّمًا ببلادِ مصرَ ، وله بها ثروةٌ وأموالٌ وافرةٌ . وحينَ قدِم الشافعىُّ مصرَ أعطاه ألفَ دينارٍ ، وجمَع له مِن أصحابِه ألفَىْ دينارٍ أخرَى (٤) .

وهو والدُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ الذى صَحِب الشافعىَّ . ولمَّا تُوفِّى فى هذه السنةِ دُفِن إلى جانبِ قبرِ الشافعىِّ . ولمَّا تُوفِّى ابنُه عبدُ الرحمنِ دُفِن إلى جانبِ (٥) أبيهِ من القبلةِ (٦) . قال ابنُ خَلِّكانَ (٧) : فهى ثلاثةُ أَقبُرٍ ، الشافعىُّ شاميُّها ، وهما قبلتُه . رحِمهم اللَّهُ .

(١ - ١) فى الأصل : « ولا تقل فاسترح وأرح بها » . وفى م : « وإلا فقل : لا . تستريح بها » . وفى ص ، ظ : « وإلا فقل لا فاسترح وأرح بها » .

(٢) فى ب ، م : « يستودع » . وانظر تاريخ دمشق .

(٣) تقدم ذكره قبل قليل ، وانظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٨ وترتيب المدارك ٣/ ٣٦٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٢٠، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٣٩، والديباج المذهب ١/ ٤١٩.

(٤) فى م : « وأجرى عليه » .

(٥) بعده فى م : « قبر » .

(٦) فى الأصل ، ص : « القبلى » .

(٧) وفيات الأعيان ٣/٣٥ بنحوه .

ثم دخلَت سنةُ خمسَ عشْرةَ ومائتين

فى أواخرِ المحرَّمِ منها[1] ركِب المأمونُ فى العساكرِ مِن بغدادَ قاصدًا بلادَ الرومِ لغزوِهم، واستخلَف على بغدادَ وأعمالِها إسحاقَ بنَ [2]إبراهيمَ بنِ[2] مصعبٍ، فلمَّا كان بتَكرِيتَ تلقَّاه محمدُ بنُ علىِّ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ مِن المدينةِ النبويةِ، فأذِن له المأمونُ فى الدُّخولِ على ابنتِه أمِّ الفضلِ بنتِ المأمونِ - وكان معقودَ العقدِ عليها فى حياةِ أبيه[3] - فدخَل بها، وأخَذها معه إلى بلادِ الحجازِ. وتلقّاه أخوه أبو إسحاقَ بنُ الرشيدِ مِن الدِّيارِ المصريةِ قبلَ وصولِه إلى المَوْصلِ. وسار المأمونُ فى جَحافلَ كثيرةٍ إلى بلادِ طَرَسُوسَ[4] فى جُمادَى الأُولَى منها، وفتَح حصنًا هناك عَنوةً وأمَر بهدمِه، ثم رجَع [5]المأمونُ مِن بلادِ الرومِ[5] إلى دمشقَ، فنزَلها وعمَر دَير مُرَّانَ[6] بسفحِ قاسِيونَ[7]، وأقامَ بدمشقَ مدةً.

[8]وحجَّ بالناسِ فيها عبدُ اللَّهِ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ العباسِ[8] [9]بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[9].

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٣، والمنتظم ١٠/ ٢٦٥، والكامل ٦/ ٤١٧.

(٢ - ٢) سقط من: س. وانظر تاريخ الطبرى الموضع السابق.

(٣) بعده فى ب، م: «على بن موسى».

(٤) بعده فى ب، م: «فدخلها».

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦) فى م: «مرات».

(٧) فى م: «قيسون».

(٨ - ٨) سقط من: س، ظ.

(٩ - ٩) سقط من: س، ظ. وفى: ب، م: «العباسى». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٣.

وممَّن تُوفِّي فيها مِن الأعيانِ :

أبو زيدٍ الأنصاريُّ[1] . [2]**وأبو سليمانَ** الدارانيُّ[2] . [3]**ومحمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ [٨/١٦٣ظ] الأنصاريُّ[3] . **ومحمدُ** بنُ المباركِ الصُّوريُّ[4] . **وقَبِيصةُ** بنُ عقبةَ[5] . **وعليُّ** بنُ الحسنِ بنِ شقيقٍ[6] . **ومكيُّ** بنُ إبراهيمَ[7] .

فأمَّا **أبو زيدٍ الأنصاريُّ** ؛ فهو سعيدُ بنُ أوسِ بنِ ثابتٍ البَصْريُّ اللغويُّ ، أحدُ الثقاتِ الأثباتِ ، ويقالُ[8] : إنه كان يرَى[9] القدَرَ . قال أبو عثمانَ

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٧٧، وإنباه الرواة ٢/ ٣٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٨، وتهذيب الكمال ١٠/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٢٠، وغاية النهاية ١/ ٣٠٥.

(٢ - ٢) سقط من: س، م، ظ. وبعده فى ب: «فى قول». وتقدمت ترجمته فى صفحة ١٤٣، ضمن وفيات سنة خمس ومائتين.

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٦٦، والمغنى فى الضعفاء ٢/ ٥٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٧٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٩٨.

(٤) فى ظ: «المنصورى». وانظر ترجمته فى: حلية الأولياء ٩/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٩١، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٨٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٣، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٧٣، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٤٨١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٥٢.

(٦) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٦٠، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٧١، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٠٧.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٣، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٢٦، وتاريخ بغداد ١٣/ ١١٥، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٧٦، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤١٦.

(٨) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٩.

(٩) بعده فى الأصل، ب، م: «ليلة». وانظر المصدر السابق.

المازنيُّ[1] : رأيتُ الأصمعيَّ جاء إلى مجلسِ[2] أبى زيدٍ الأنصاريِّ ، فقبَّل رأسَه وجلَس بينَ يدَيْه ، وقال : أنتَ رئيسُنا وسيدُنا منذُ [3]خمسين سنةً[3] . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : وله مصنفاتٌ كثيرةٌ ؛ منها « خَلْقُ الإنسانِ » ، [4]و « كتابُ الإبلِ »[4] ، و « كتابُ المياهِ » ، و « كتابُ القَوْسِ[5] والتُّرسِ ، وغيرُ ذلك .

تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وقيل : فى التى قبلَها أو التى بعدَها . وقد جاوَز التسعين ، وقيل : إنَّه قارَب المائةَ[6] .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٩.

(٢) سقط من : ب ، م .

(٣ - ٣) فى س : « خمس سنين » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى ب ، م : « الفرس » .

(٦) بعده فى ب ، م : « وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته » . وانظر ترجمته المتقدمة فى صفحة ١٤٣ .

ثم دخلَت سنةُ ستَّ عشْرةَ ومائتين

فيها[1] عدا مَلِكُ الرومِ وهو تَوفيلُ بنُ مِيخائِيلَ ، فقتَل جماعةً مِن المسلمين فى أرضِ طَرَسوسَ ؛ نحوًا مِن ألفٍ وستِّمائةِ إنسانٍ ، و[2] يقالُ : إنه أيضًا[2] كتَب إلى المأمونِ فبدَأ بنفسِه ، فلمّا قرَأ المأمونُ كتابَه نهَض مِن فورِه ، [2] فركِب فى الجيوشِ[2] إلى بلادِ الرومِ عَوْدًا على بَدءٍ ، وصُحبتُه أخوه أبو إسحاقَ بنُ الرشيدِ نائبُ الشامِ ومصرَ ، فافتتَح بلدانًا كثيرةً صُلحًا وعَنوةً ، وافتتَح أخوه ثلاثين حِصنًا ، وبعَث المأمونُ يَحيى بنَ أكثمَ فى سريَّةٍ إلى طُوانَةَ[3] ، فافتتَح بلادًا كثيرةً وأسَر خلقًا [4] مِن الذرارِى وغيرِهم ، وقتَل خلقًا [5] مِن الرومِ[5][4] ، وحرَّق حصونًا عدةً ، ثم عاد سالمًا مؤيَّدًا إلى العَسكرِ . وأقام المأمونُ ببلادِ الرومِ مِن نصفِ جُمادَى الآخِرةِ إلى نصفِ شعبانَ ، ثم عاد إلى دمشقَ وقد وثَب رجلٌ يقالُ له : عُبْدُوسٌ الفِهرىُّ . فى شعبانَ مِن هذه السنةِ ببلادِ مصرَ ، فتغلَّب على نُوّابِ أبى إسحاقَ بنِ الرشيدِ ، [2] وقوِيتْ شوكتُه[2] ، واتَّبعه خلقٌ كثيرٌ ، فركِب المأمونُ مِن دمشقَ يومَ الأربعاءِ لأربعَ عشْرةَ[6] خلَت مِن ذى الحِجةِ إلى الديارِ المصريةِ ، فكان مِن أمرِه ما سنذكُرُه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٥، والمنتظم ١٠/ ٢٧٤، والكامل ٦/ ٤١٩.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) بلد بثغور المصّيصة. معجم البلدان ٣/ ٥٥٤.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) سقط من: ب.

(٦) بعده فى ب، م: «ليلة».

وفيها كتَب المأمونُ إلى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ نائبِ بغدادَ [1]وما والاها مِن البلادِ[1] ، يأمُرُه أن يأمُرَ الناسَ بالتكبيرِ عَقيبَ الصلواتِ الخمسِ ، فكان أوَّلَ ما بُدئ به فى جامعِ المدينةِ[2] ، والرُّصافةِ يومَ الجمعةِ لأربعَ عشْرةَ ليلةً خلَت مِن رمضانَ ، أنهم لمّا[3] قضَوُا الصلاةَ قام الناسُ قيامًا ، [٨/١٦٤و] فكبَّروا ثلاثَ تكبيراتٍ ، ثمَّ استمَرُّوا على ذلك فى بقيَّةِ الصلواتِ ، وهذه بدعةٌ أحدَثها المأمونُ[4] بلا مُستنَدٍ ولا دليلٍ ولا معتمَدٍ ، فإنَّ هذا لم يفعَلْه قبلَه أحدٌ ، ولكنْ ثبَت فى « الصحيحِ »[5] ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ رفْعَ الصوتِ بالذِّكْرِ كان علَى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ ينصرِفُ الناسُ مِن المكتوبةِ ، وقد استحبَّ هذا طائفةٌ مِن العلماءِ كابنِ حزمٍ وغيرِه . وقال ابنُ بطَّالٍ[6] : المذاهبُ الأربعةُ وغيرُهم[7] على عدمِ استحبابِه . قال النوويُّ[8] : وقد رُوِى عن الشافعيِّ أنّه قال : إنما كان ذلك ليَعلَمَ الناسُ أنَّ الذِّكرَ بعدَ الصلواتِ مشروعٌ ، فلمَّا عُلِم ذلك لم يَبقَ للجهرِ معنًى . وهذا كما رُوِى عن ابنِ عباسٍ[9] أنَّه كان يجهَرُ بالفاتحةِ فى صلاةِ الجِنازةِ ليَعلمَ الناسُ أنَّها سنةٌ ، ولهذا نظائِرُ . واللَّهُ أعلَمُ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « بغداد » . وانظر المنتظم ١٠/ ٢٧٤.

(٣) فى ب ، م : « كانوا إذا » .

(٤) بعده فى ب ، م : « أيضا » .

(٥) البخارى (٨٤١) ، ومسلم (١٢٢/٥٨٣) .

(٦) مسلم بشرح النووى ٥/ ٨٤، وفتح البارى ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٧) سقط من : ب ، م .

(٨) مسلم بشرح النووى ٥/ ٨٤، بنحوه .

(٩) البخارى (١٣٣٥) ، وأبو داود (٣١٩٨) ، والترمذى (١٠٢٧) .

[1] وأمَّا هذه البدعةُ التى أمَر بها المأمونُ ؛ فإنَّها بدعةٌ محدَثةٌ لم يَعمَلْ بها أحدٌ مِن السَّلَفِ .

وفيها وقَع بردٌ شديدٌ جدًّا . وفيها حجَّ بالناسِ الذى حجَّ بهم فى العامِ الماضى ، وقيل : غيرُه . واللَّهُ أعلمُ[1] .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

حَبّانُ بنُ هلالٍ[2] . **وعبدُ الملكِ** بنُ قُريبٍ الأصمعىُّ[3] ، صاحبُ اللغةِ والنحوِ والشعرِ وغيرِ ذلك . **ومحمدُ** بنُ بكَّارِ بنِ بلالٍ[4] . **وهَوذةُ** بنُ خليفةَ[5] .

زبيدةُ امرأةُ هارونَ الرشيدِ وابنةُ عمِّه[6]

وهى ابنةُ جعفرٍ ، أمَةُ[7] العزيزِ - الملقَّبةُ بزُبيدةَ - بنتُ جعفرِ بنِ المنصورِ[8]

(١ - ١) ليست فى الأصل ، س ، ظ . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٩، وتهذيب الكمال ٥/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٠١، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٨٤، وبغية الوعاة ١/ ٤٩٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠، ونزهة الألباء ص ١١٢، وغاية النهاية ١/ ٤٧٠، وإنباه الرواة ٢/ ١٩٧، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٠، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٧٤، وغاية النهاية ١/ ٤٧٠، وبغية الوعاة ٢/ ١١٢.

(٤) فى النسخ : « هلال » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٧، وتاريخ دمشق ١٣٩/١٥ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٦٢، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٥٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٩٤، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٣٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٣٣.

(٦) الأغانى ١٨/ ٣٧٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٥٥، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٧٦.

(٧) فى ب ، م : « أم » . وانظر مصادر الترجمة .

(٨) بعده فى الأصل : « أبى جعفر محمد بن على بن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب » . وفى س ، =

القرشيةُ الهاشميةُ العباسيةُ، امرأةُ هارونَ الرشيدِ وأحَبُّ الناسِ [1]إليه فى زمانِها[1]، [2]مع ما كان[2] معها مِن الحظايا والزوجاتِ، كما ذكَرنا ذلك فى ترجمتهِ[3]، وإنما لُقِّبتْ زُبيدةَ؛ لأنَّ جدَّها أبا جعفرٍ المنصورَ كان يلاعِبُها ويُرقِّصُها [4]وهى صغيرةٌ[4]، ويقولُ: إنَّما أنتِ زُبيدةٌ. لبياضِها[5]، فغلَب ذلك عليها فلا تُعرَفُ إلّا به، وأصلُ اسمِها أمَةُ[6] العزيزِ. كانت[7] مِن الجمالِ والمالِ والخيرِ والدِّيانةِ [8]على جانبٍ، ولها مِن الصدقاتِ والأوقافِ ووجوهِ القُرُباتِ[8] شىءٌ كثيرٌ. وروَى الخطيبُ[9] أنَّها حجَّت، فبلَغت نفقتُها فى ستين يومًا أربعةً وخمسينَ ألفَ ألفِ درهمٍ، وأنَّها لمَّا هنَّأتِ المأمونَ بالخلافةِ [10]حينَ دخَل بغدادَ قالتْ له: لقد[10] هنَّأتُ نفسى [11]بها عنكَ[11] قبلَ أن أراك، ولئِنْ كنتُ فقدتُ ابنًا خليفةً لقد عُوضتُ ابنًا خليفةً لمْ أَلِدْه، وما خَسِر مَن اعتاض مِثلَك، ولا ثكِلتْ أمٌّ ملأتْ يدَها منكَ، وأنا أسألُ اللَّهَ أجرًا على ما أخَذ، وإمتاعًا بما عوَّض. وذكَر أنَّها تُوفِّيت ببغدادَ فى جُمادَى الأولى سنةَ ستَّ عشْرةَ ومائتين.

= ظ: «أبى جعفر عبد اللَّه بن محمد بن على بن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب». وفى ص: «بن أبى جعفر عبد اللَّه بن محمد بن على بن عبد اللَّه بن محمد بن على بن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب».

(١ - ١) فى ب، م: «إلى الرشيد وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر».

(٢ - ٢) فى ب، م: «وكان له».

(٣) تقدم فى صفحة ٤٨.

(٤ - ٤) سقط من: س، ص.

(٥) ليست فى الأصل، س، ص، ظ. وانظر مصادر الترجمة.

(٦) فى ب، م: «أم». وانظر مصادر الترجمة.

(٧) فى ب، م: «كان لها».

(٨ - ٨) فى ب، م: «والصدقة والبر».

(٩) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٣، بنحوه.

(١٠ - ١٠) فى ب، م: «قالت».

(١١ - ١١) فى س: «بك عنها».

ثم قال الخطيبُ[1] : [٨/١٦٤ظ] حدَّثنى الحسينُ[2] بنُ محمدٍ الخَلّالُ - لفظًا - قال : وجدتُ [3]بخطِّ أبى[3] الفتحِ القَوّاسِ : ثنا صدَقةُ بنُ هبيرةَ الموصلىُّ ، ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الواسطىُّ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ الزَّمِنُ[4] : رأيتُ زبيدةَ فى المنامِ ، فقلتُ : ما فعَل اللَّهُ بكِ ؟ فقالتْ : غفَر لى فى أوَّلِ مِعوَلٍ ضُرِبَ فى طريقِ مكةَ . قلتُ : فما هذه الصُّفرةُ [5]فى وجهِكِ[5] ؟ قالتْ : دُفِن بينَ ظَهرانَينا رجلٌ يقالُ له : بشرٌ المَرِيسىُّ . زفَرت عليه جهنمُ زَفرةً ، فاقشعَرَّ لها جسدى ، فهذه الصفرةُ مِن تلك الزَّفرةِ . وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[6] ، أنه كان لها مائةُ جاريةٍ كلُّهن يَحفَظنَ القرآنَ العظيمَ[7] ، ووِرْدُ كلِّ واحدةٍ عُشرُ القرآنِ ، وكان يُسمَعُ لهنَّ فى القصرِ دَوِىٌّ كدَوِىِّ النحلِ[8] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٤. وانظر الحاشية التالية .

(٢) فى س ، ص ، ظ ، والمصدر : « الحسن » . وهو خطأ . وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٠٨، والمنتظم ١٠/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩٧.

(٣ - ٣) فى م : « أبا » .

(٤) سقط من : م . وفى الأصل ، ب : « الدمنى » . وفى ظ : « الزمنى » . وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٤، والمنتظم ١٠/ ٢٧٨.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣١٤.

(٧) بعده فى ب ، م : « غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ » .

(٨) بعده فى ب ، م : « وورد أنها رئيت فى المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته فى طريق الحج ، فقالت : ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله ، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن فى السحر . وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها » .

ثم دخلَت سنةُ سبعَ عشْرةَ ومائتين

فى المحرَّمِ مِنها[1] دخَل المأمونُ الديارَ المصريةَ ، وظفِر بعُبدُوسٍ الفهرىِّ ، فأمَر فضُرِبت عنقُه ، ثم كرَّ راجعًا إلى الشامِ . وفيها ركِب المأمونُ إلى بلادِ الرومِ أيضًا ، فحاصَر لؤلؤةَ[2] مائةَ يومٍ ، ثم ارتحَل عنها واستخلَف على حصارِها عُجَيفًا ، فخدَعته الرومُ فأسَروه ، فأقام فى أيديهم ثمانيةَ أيامٍ ، ثم انفلَتَ مِن أيديهم ، واستمَرَّ مُحاصِرًا لهم ، فجاء مَلِكُ الرومِ بنفْسِه فأحاطَ بجيشِه مِن ورائِه ، فبلَغ المأمونَ فسار إليه ، فلمّا أحسَّ تَوْفيلُ بقُدومِه [3]انصرَف هاربًا مِن وجهِه[3] ، وبعَث [4]إليه الوزيرَ الذى يقالُ له : الصّنغلُ[5][4] . فسأله الأمانَ والمصالحةَ والمهادنةَ ، لكنه بدَأ بنفسِه [6]فى كتابِه[7] إلى[6] المأمونِ ، فرَدَّ عليه المأمونُ كتابًا بليغًا مضمونُه التقريعُ والتوبيخُ ، وأنى إنّما أقبَلُ منك الدخولَ فى الحنيفيةِوإلا فالسيفُ والقتلُ ، والسلامُ على مَن اتَّبَع الهُدَى .

وفيها حجَّ بالناسِ سليمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ [8]بنِ علىٍّ[8] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٢٧، والمنتظم ١١/ ٣، والكامل ٦/ ٤٢١.

(٢) قلعة قرب طرسوس . معجم البلدان ٤/ ٣٧٠.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « هرب » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « وزيره صنغل » .

(٥) فى س : « الصيفل » ، وفى الطبرى : « الفضل » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « قبل » .

(٧) انظر نص كتابه ، ورد المأمون البليغ عليه عند الطبرى ٨/ ٦٢٩، ٦٣٠.

(٨ - ٨) سقط من : س . وبعده فى ص : « واللَّه أعلم » .

وفيها تُوفِّي مِن الأعيانِ : حجَّاجُ[1] بنُ مِنهالٍ . وسُرَيجُ[2] بنُ النعمانِ . وموسى بنُ داودَ الضَّبِّيُّ[3] .

---

(١) في ب ، م : « الحجاج » . وانظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠١، وطبقات خليفة ٢/ ٥٧٣، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٠٦، والوافي بالوفيات ١١/ ٣١٧.

(٢) في النسخ : « شريح » . تصحيف ، وهو كذلك عند ابن سعد في الطبقات ٧/ ٣٤١. وانظر ترجمته في التاريخ الكبير ٤/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ٢/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٦١، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٤٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٦، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣٣، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٢١.

ثم دخلَتْ سنةُ ثمانِ عشْرةَ ومائتين

فى أولِ يومٍ مِن جُمادَى منها[1] وجَّه المأمونُ ابنَه العباسَ إلى بلادِ الرومِ لبناءِ الطُّوانَةِ، وتجديدِ عمارتِها، وبعَث إلى سائرِ الأقاليمِ والآفاقِ[2] فى تجهيزِ الفَعَلةِ مِن كلِّ بلدٍ إليها؛ مِن مصرَ والشامِ والعراقِ وغيرِ ذلك، فاجتَمَع عليها خلقٌ كثيرٌ [3]لا يعلَمُهم إلّا اللَّهُ - عزَّ وجَلَّ[3]، وأمَره أن يَجْعَلَها مِيلًا فى مِيلٍ، وأن يجعَلَ سُورَها ثلاثةَ فراسخَ، وأن [٨/١٦٥و] يجعَلَ لها ثلاثةَ أبوابٍ [3]عندَ كلِّ بابٍ حصنٌ[3].

ذكرُ أوَّلِ المحنةِ[4]

فى هذه السنةِ كتَب المأمونُ إلى نائبِه ببغدادَ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ يأمُرُه أن يمتحِنَ القضاةَ والمحدِّثين بالقولِ بخلقِ القرآنِ، وأن يرسلَ إليه جماعةً منهم [5]إلى الرَّقةِ، ونسخةُ كتابِ المأمونِ إلى نائبِه مطوَّلةٌ[5]، قد سرَدها ابنُ

---

(١) فى ب، م، ط: «الأولى». وانظر الطبرى ٨/ ٦٣١، والمنتظم ١١/ ١٥، والكامل ٦/ ٤٢٣.

(٢) سقط من: ب، م.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) بعده فى م، ص: «والفتنة». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣١، والمنتظم ١١/ ١٥، والكامل ٦/ ٤٢٣. وانظر أيضا خبر هذه المحنة فى مقالات الإسلاميين ٢/ ٥٦، والأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٣٩، ومناقب الإمام أحمد ص ٤١٦، ومحنة الإمام أحمد لتقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى.

(٥ - ٥) فى ب: «وكتب يستحثه فى كتاب مطول وكتب غيرها». وفى م: «وكتب إليه يستحثه فى كتاب مطول وكتب غيره».

جريرٍ[1] ، ومضمونُها الاحتجاجُ على أنَّ القرآنَ مُحْدَثٌ و[2]ليس بقديمٍ ، وعندَه أنَّ[2] كلَّ محْدَثٍ فهو مخلوقٌ ، وهذا أمرٌ[3] لا يوافِقُه عليه كثيرٌ مِن المتكلِّمين [4]ولا[4] المحدِّثين ، فإنَّ القائلين بأنَّ اللَّهَ تعالى تقومُ به الأفعالُ الاختياريةُ لا يقولون بأنَّ فعلَه تعالى القائمَ بذاتِه المقدسةِ - [5]بعد أن لم يكُنْ - مخلوقٌ[5] بل يقولون : هو محدثٌ وليس بمخلوقٍ . بل هو كلامُ اللَّهِ تعالى القائمُ بذاتِه المقدسةِ ، وما كان قائمًا بذاتِه لا يكونُ مخلوقًا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف : ١١] . فالأمرُ بالسجودِ لآدمَ صدَر منه تعالى بعدَ خلقِ آدمَ ، فالكلامُ القائمُ بالذاتِ ليس مخلوقًا ، وهذا له موضعٌ آخَرُ . وقد صنَّف البخاريُّ ، رحِمه اللَّهُ ، كتابًا فى هذا المعنى سماه « خلقُ أفعالِ العبادِ » .

والمقصودُ : أنّ كتابَ المأمونِ لمّا ورَد بغدادَ قُرِئَ على الناسِ ، وقد عيَّن المأمونُ جماعةً مِن المحدِّثين ليُحضِرَهم إليه ؛ وهم : محمدُ بنُ سعدٍ كاتبُ الواقدىِّ ، وأبو مسلمٍ مُستمْلِى[6] يزيدَ بنِ هـارونَ ، ويحيى بنُ معينٍ ، وأبو خيثمةَ زهيرُ بنُ حربٍ ، [7]وإسماعيلُ بنُ داودَ[7] ، وإسماعيلُ بنُ أبى مسعودٍ ، وأحمدُ بنُ إبراهيم

---

(١) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣١.
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .
(٣) فى ب ، م : « احتجاج » .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « فضلا عن » .
(٥ - ٥) فى ب : « مخلوقًا بل لم يكن مخلوقًا » . وفى م : « مخلوق ، بل لم يكن مخلوقًا » .
(٦) فى م : « المستملى و » . وفى ص : « يستملى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٤، والكامل ٦/ ٤٢٣.
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ب ، م . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٤، والكامل ٦/ ٤٢٣.

الدَّوْرَقيُّ . فبعَث بهم إلى المأمونِ إلى الرَّقَّةِ ، فامتحَنهم بالقولِ بخلقِ القرآنِ، فأجابوه إلى ذلك وأظهَروا موافقَتَه ، وهم كارهون ، فرَدَّهم إلى بغدادَ ، وأمَر بإشهارِ أمرِهم بينَ الفقهاءِ ، ففعَل إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ذلك ، وأحضَر خلقًا مِن مشايخِ الحديثِ والفقهاءِ والقضاةِ[1] وأئمةِ المساجدِ وغيرِهم ، فدعاهم إلى ذلك عن أمرِ المأمونِ ، وذكَر لهم موافقةَ أولئك المحدِّثين له على ذلك ، فأجابوا بمثلِ جوابِ أولئكَ موافقةً لهم ، ووقعَت بينَ الناسِ فتنةٌ عظيمةٌ ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون .

ثم كتَب المأمونُ كتابًا ثانيًا إلى إسحاقَ يستدلُّ فيه على القولِ بخلقِ القرآنِ بشُبَهٍ مِن الدلائلِ لا تحقيقَ تحتَها ولا حاصلَ لها ، بل هى مِن المتشابهاتِ[2] ، وأورَد مِن القرآنِ آياتٍ هى حجةٌ عليه [3]لا له - وقد[3] أورَده ابنُ جريرٍ بطولِه - وأمَره[4] أن يقرأَ ذلك على الناسِ وأن يدعوَهم [٨/١٦٥ظ] إليه وإلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، فأحضَر[5] إسحاقُ بنُ إبراهيمَ جماعةً مِن الأئمةِ ؛ وهم أحمدُ بنُ حنبلٍ ، وقتيبةُ ، وأبو حسّانَ[6] الزِّيادىُّ ، وبشرُ بنُ الوليدِ الكندىُّ ، وعلىُّ بنُ أبى مقاتلٍ ، وسعدَوَيْهِ الواسطىُّ ، وعلىُّ بنُ الجعدِ ، وإسحاقُ بنُ أبى إسرائيلَ ، وابنُ الهرْشِ ، وابنُ عُلَيَّةَ الأكبرُ ، ويحيى بنُ عبدِ الحميدِ العُمَرىُّ ، وشيخٌ آخرُ مِن سلالةِ عمرَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ب ، م : « المتشابه » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) فى ب ، م : « أمر نائبه » .

(٥) بعده فى م : « أبو » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧.

(٦) فى ب ، م : « حيان » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧، والكامل ٦/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩٦.

كان قاضيًا على الرَّقَّةِ، وأبو نصرٍ التَّمارُ، وأبو معمرٍ القطيعيُّ[1]، ومحمدُ بنُ حاتمِ بنِ ميمونٍ، ومحمدُ بنُ نوحٍ الجُنْدَيْسابوريُّ المضروبُ، وابنُ الفَرُّخانِ[2]، [3]والنضرُ بنُ شُميلٍ[4]، وابنُ[5] عليِّ بنِ عاصمٍ، وأبو العوامِ البزّازُ[6]، وأبو شجاعٍ[3]، وعبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ وجماعةٌ. فلما دخَلوا على إسحاقَ بنِ إبراهيمَ قرَأ عليهم كتابَ المأمونِ، فلما فهِموه، قال لبشرِ بنِ الوليدِ: ما تقولُ فى القرآنِ؟ فقال: هو كلامُ اللَّهِ. قال: ليس عن هذا أسألُك، إنَّما أسألُك أهو مخلوقٌ؟ قال: ليس بخالقٍ. قال: ولا عن هذا أسألُك. فقال: ما أُحسِنُ غيرَ هذا. وصمَّم على ذلك. فقال: أتشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ أحدًا فردًا لم يكُنْ قبلَه شىءٌ ولا بعدَه شىءٌ ولا يشبِهُه شىءٌ مِن خلقِه فى معنىً مِن المعانى ولا وجهٍ مِن الوجوهِ؟ قال: نعم. فقال للكاتبِ: اكتُبْ بما قال. فكتَب، ثم امتحَنهم رجلًا رجلًا، فأكثرُهم امتنَع مِن القولِ بخلقِ القرآنِ، فكان إذا امتنَع الرجلُ منهم يمتحِنُه بما فى الرُّقعةِ التى وافَق عليها بشرُ بنُ الوليدِ الكندىُّ، مِن أنّه تعالى[7] لا يشبِهُه شىءٌ مِن خلقِه فى معنًى مِن المعانى ولا وجهٍ مِن الوجوهِ، فيقولُ: نعم. كما قال بشرٌ.

---

(١) سقط من: الأصل، ب. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧، والكامل ٦/ ٤٢٤.

(٢) فى الأصل، ب، س، ظ: «الفرحان». وانظر الطبرى ٨/ ٦٣٧، والكامل ٦/ ٤٢٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ب. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧، والكامل ٦/ ٤٢٤.

(٤) كذا فى س، م، ص، ظ، وتاريخ الطبرى، والكامل، وإنما وقعت وفاة النضر بن شميل هذا سنة ثلاث أو أربع ومائتين، فكيف يكون ممن أرسله إسحاق بن إبراهيم نائب المأمون على بغداد - إلى المأمون؟ انظر طبقات الزبيدى ٦١، وإنباه الرواة ٣/ ٣٥١، وإشارة التعيين ٣٦٤.

(٥) فى م: «أبو». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧، والكامل ٦/ ٤٢٤.

(٦) فى م، ص: «البارد».

(٧) فى م: «يقال».

ولما انتهَتِ النوبةُ إلى امتحانِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، قال له: أتقولُ: إن القرآنَ مخلوقٌ؟ فقال: القرآنُ كلامُ اللَّهِ، لا أَزيدُ على هذا. فقال له: ما تقولُ فى هذه الرُّقعةِ؟ فقال أقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فقال رجلٌ مِن المعتزلةِ: إنه يقولُ: سميعٌ بأُذُنٍ، بصيرٌ بعينٍ. (١)فقال له إسحاقُ(٢): ما أردتَ بقولِك: سميعٌ بصيرٌ(١)؟ فقال: أردتُ منها ما أراده اللَّهُ منها، وهو كما وصَف نفسَه، ولا أزيدُ على ذلك. فكتَب جواباتِ القومِ رجلًا رجلًا وبعَث بها إلى المأمونِ.

(٣)**فصلٌ**: قد تقدَّم أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ نائبَ بغدادَ لما امتحَن الجماعةَ فى القولِ بخلقِ القرآنِ، ونفْيِ التشبيهِ، فأجابوا كلُّهم إلى نفْيِ المماثلةِ، وأمّا القولُ بخلقِ القرآنِ فامتنَعوا مِن ذلك، وقالوا كلُّهم: القرآنُ كلامُ اللَّهِ. قال الإمامُ أحمدُ: ولا أزيدُ على هذا حرفًا أبدًا. وقرَأ فى نفيِ المماثلةِ قولَه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فقالوا: ما أردتَ [١٦٦/٨و] بقولِك: السميعُ البصيرُ؟ فقال: أردتُ منها ما أراد اللَّهُ منها(٣). وكان مِن الحاضرين مَن أجاب إلى القولِ بخلقِ القرآنِ (٤مصانعةً، مكرهًا٤)؛ لأنَّهم كانوا يعزِلونَ مَن لا يجيبُ عن وظائِفِه، وإن كان له رزقٌ على بيتِ المالِ قُطِع، وإن كان مُفتيًا مُنِع من الإفتاءِ، وإن كان شيخَ حديثٍ رُدِع عن الإسماعِ والأداءِ، ووقَعت فتنةٌ صمّاءُ ومحنةٌ شنعاءُ وداهيةٌ دهياءُ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ العزيزِ الحكيمِ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سقط من: الأصل، س، ظ. وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٩.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) فى الأصل: «مضايقة مكارهة».

فصــلٌ

(١ وأمَر النائبُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الكاتبَ ، فكتَب عن كلٍّ واحدٍ منهم جوابَه بعينِه ، وبعَث به إلى المأمونِ ، فجاء الجوابُ بمدحِ النائبِ على ما فعَل ، والرَّدِّ ١) على كلِّ فردٍ ، فرَدّ ما قال (٢ فى كتابٍ أرسلَه ٢) ، وأمَر نائبَه أن يمتحِنَهم أيضًا ، فمَن أجاب منهم شُهِر أمرُه فى الناسِ ، ومَن لم يُجِبْ منهم إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، فابعَثْ به إلى عسكرِ أميرِ المؤمنين (٣ مُقيَّدًا ، محتفَظًا به حتى يصِلَ إلى أميرِ المؤمنين ٣) ، فيرَى فيه رأيَه ، ومِن مَذهبِه (٤ أن يضرِبَ عُنقَ مَنْ لم يَقُلْ (٥ بخلقِ القرآنِ . فعقَد الأميرُ ٥) ببغدادَ مجلسًا آخَرَ ، وأحضَر أولئك وفيهم إبراهيمُ ابنُ المهدىِّ ، وكان صاحبًا لبشرِ بنِ الوليدِ الكندىِّ ، وقد نصَّ المأمونُ على قتلِهما إن لم يُجيبا على الفورِ ، فلما امتَحَنهم إسحاقُ (٦ بنُ إبراهيمَ ثانيًا بعدَ قراءةِ كتابِ الخليفةِ ٦) أجابوا كلُّهم مُكرَهين متأوِّلين قولَه تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . إلا أربعةً ؛ وهم : أحمدُ بنُ حنبلٍ ، ومحمدُ ابنُ نوحٍ ، والحسنُ بنُ حمّادٍ سَجّادةُ ، وعبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ القواريرىُّ . فقيَّدهم وأرصَدهم ليبعَثَ بهم إلى المأمونِ ، ثم استدعَى بهم فى اليومِ الثانى فامتحَنهم ، فأجاب سجّادةُ إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، فأَطلَق قيدَه وأطلَقه ، ثم امتحَنهم فى

(١ - ١) فى ب ، م : « فصل : فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بعث إلى نائبه يمدحه على ذلك » .

(٢ - ٢) زيادة من : ب ، م .

(٣ - ٣) سقط من : س .

(٤) فى ب ، م : « رأيه » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « بقوله ، فعند ذلك عقد النائب » .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

اليومِ الثالثِ ، فأجاب القواريرىُّ إلى ذلك ، فأَطلَق قيدَه أيضًا وأطلَقه ، وأصَرَّ أحمدُ بنُ حنبلٍ ، ومحمدُ بنُ نوحٍ الجُندَيْسابورىُّ على الامتناعِ مِن ذلك ، فأكَّد قيودَهما وجمَعهما فى الحديدِ ، وبعَث بهما إلى الخليفةِ وهو بطَرَسوسَ ، وكتَب معهما كتابًا بإرسالِهما إليه ، فسارا مقيَّدَينِ فى مَحارةٍ على جملٍ متعادِلَين ، رضِى اللَّهُ عنهما ، وجعَل الإمامُ أحمدُ يدعو اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، أن لا يجمَعَ بينَهما وبينَ المأمونِ ، وأن لا يرَياه ولا يراهما .

وجاء كتابُ المأمونِ إلى نائبِهِ ؛ أنَّه قد بلَغنى أن القومَ إنَّما أجابوا [٨/١٦٦ظ] مُكرَهين ، متأوِّلين قولَه تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ . وقد أخطَئوا فى ذلك خطأً كبيرًا ، فأرسِلْهم كلَّهم إلى أميرِ المؤمنينَ . فاستدعاهم إسحاقُ وألزَمهم بالمسيرِ إلى طَرَسوسَ ، فساروا إليها ، فلمّا كانوا ببعضِ الطريقِ بلَغهم موتُ المأمونِ فرُدُّوا إلى الرَّقَّةِ ، ثم أُذِن لهم فى الرجوعِ إلى بغدادَ . وكان أحمدُ بنُ حنبلٍ وابنُ نوحٍ قد سبَقا الناسَ ، ولكنْ لم يجتمِعا به (١حتى مات١) ، واستجاب اللَّهُ سبحانَه دعاءَ عبدِه ووَلِيِّه الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، رحِمه اللَّهُ ، فلم (٢يجتمِعوا بالمأمونِ و٢) رُدُّوا إلى بغدادَ . وسيأتى تمامُ ما وقَع مِن الأمرِ الفظيعِ فى أوَّلِ ولايةِ المعتصمِ بنِ الرشيدِ ، وتمامُ الكلامِ على ذلك فى ترجمةِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، عندَ ذِكْرِ وفاتِه فى سنةِ إحدى وأربعين ومائتين ، وباللَّهِ المستعانُ .

(١ - ١) فى ب ، م : « بل أهلكه اللَّه قبل وصولهما إليه » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « يريا المأمون ، ولا رآهما ، بل » .

[1] وهذه ترجمةُ[1] المأمونِ[2]

هو عبدُ اللَّهِ المأمونُ بنُ هارونَ الرشيدِ [3]بنِ محمدٍ المهديِّ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العبّاسِ[3]، القرشيُّ الهاشميُّ العباسيُّ، أبو جعفرٍ، أميرُ المؤمنين. وأمُّه أُمُّ ولدٍ اسمُها[4] مَراجلُ الباذَغِيسِيَّةُ[5]، وكان مَولدُه فى ربيعِ الأوَّلِ سنةَ سبعين ومائةٍ ليلةَ توفِّى عمُّه الهادى، ووَلِى أبوه هارونُ الرشيدُ، وكان ذلك ليلةَ الجُمُعَةِ كما تقدَّم[6].

قال ابنُ عساكرَ[7]: روَى الحديثَ عن أبيهِ، وهُشيمِ[8] بنِ بشيرٍ[9]، وأبى معاويةَ الضريرِ، ويوسفَ بنِ عطيَّةَ[10]، وعبّادِ بنِ العوّامِ، وإسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ، وحجاجِ بنِ محمدٍ الأعورِ.

(١ - ١) فى م: «عبد اللَّه».

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨٣، وتاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٢٢، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٢٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٥٤، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٦.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) فى ب، م: «يقال لها».

(٥) فى الأصل: «البادعسه»، وفى س: «البادغيسية»، وفى ص: «الباذعيسة»، وفى ظ: «البادعيسية»، وفى تاريخ بغداد ٧/ ١٩٢: «البادعسية»، وانظر الأنساب ٢/ ٢٥، ومعجم البلدان ١/ ٤٦١.

(٦) انظر ما تقدم فى ١٣/ ٥٦١.

(٧) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٢٢.

(٨) فى م: «هاشم»، وفى ص: «هشام». وانظر مصدر التخريج، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

(٩) فى م: «بشر».

(١٠) فى م: «قحطبة». وانظر مصدر التخريج، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٣.

وروَى عنه أبو حُذَيفةَ إسحاقُ بنُ بشْرٍ - وهو أسنُّ منه - ويحيى بنُ أكثمَ القاضِى ، [1] وابنُه الفضلُ بنُ المأمونِ ، ومَعْمَرُ بنُ شبيبٍ ، وأبو يوسفَ القاضِى [1] ، وجعفرُ بنُ أبى عثمانَ الطَّيالسىُّ ، وأحمدُ بنُ الحارثِ [2] الشِّيعىُّ [3] ، [4] واليزيدِىُّ [4] ، وعَمْرُو بنُ مَسْعَدةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ طاهرِ بنِ الحسينِ ، ومحمدُ ابنُ إبراهيمَ السُّلَمىُّ ، ودِعْبِلُ [5] بنُ علىٍّ الخُزَاعىُّ .

قال [6] : وقدِم دمشقَ دفَعاتٍ [7] ، وأقام بها مدَّةً .

ثم روَى ابنُ عساكرَ [8] مِن طريقِ أبى القاسمِ البَغوِىِّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِلىُّ قال : سمِعتُ المأمونَ فى الشَّمّاسِيَّةِ [9] ، وقد أجرَى الحَلْبَةَ [10] ، فجعَل ينظُرُ إلى كثرةِ الناسِ فقال ليحيى بنِ أكثمَ : أَمَا ترَى [11] كَثرةَ الناسِ [11] ؟ ثُمَّ [12] قال : حدَّثنا يوسفُ بنُ عطيَّةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « الخلقُ كلُّهم عيالُ اللَّهِ فأحَبُّهم إليه أنفعُهم لِعيالِهِ » [13] .

(١ - ١) سقط من : س ، ظ . وانظر مصدر التخريج .

(٢) فى ص : « الحرس » .

(٣) فى م : « الشعبى » . وانظر مصدر التخريج ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٣.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، وفى م : « أو اليزيدى » . وانظر مصدر التخريج .

(٥) فى س ، ظ : « دعجل » . وانظر مصدر التخريج ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٣.

(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٢٢.

(٧) فى ب ، م : « مرات » .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ٣٩/ ٢٢٤ من طريق الموصلى به .

(٩) فى س ، ظ : « السماسية » .

(١٠) فى الأصل : « الحليفه » . والحلبة ، بالتسكين ، الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة . اللسان (ح ل ب) .

(١١ - ١١) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(١٢) سقط من : م .

(١٣) تقدم فى ١٢/ ٣٨٨.

ومِن حديثِ أبى بكرٍ المَيانَجِىِّ[1] ، عن الحسينِ بنِ أحمدَ المالكىِّ ، عن يحيى ابنِ أكثمَ [٨/١٦٧و] القاضِى ، عن المأمونِ ، عن هُشَيمٍ ، عن[2] منصورٍ ، عن الحسنِ ، عن أبى بَكْرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الحَياءُ مِن الإيمانِ »[3] .

ومِن حديثِ جعفرِ بنِ أبى عثمانَ الطيالسىِّ[4] ، أنَّه صلَّى العصرَ يومَ عرفةَ خلفَ المأمونِ بالرُّصَافَةِ ، فلمَّا سلَّم كبَّر الناسُ ، فجعَل يقولُ : لا يا غَوْغاءُ ، لا يا غَوْغاءُ ، عدَا[5] سُنَّةِ أبى القاسمِ ﷺ . فلمّا كان الغدُ صعِد المِنبرَ فكَبَّر ، ثم قال : أنبأ[6] هُشَيْمُ بنُ بَشيرٍ[6] ، ثنا ابنُ شُبْرُمَةَ ، عن الشعبىِّ ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ ، عن أبى بُرْدَةَ بنِ نِيارٍ[7] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن ذبَح قبلَ أن يُصلِّىَ فإنَّما هو لحمٌ قدَّمَهُ لأهلِه[8] ، ومَن ذبَح بعدَ أن يُصلِّىَ[9] فقد أصاب السُّنَّةَ »[10] . اللَّهُ أكبرُ كبيرًا[11] ، والحمدُ للَّهِ كثيرًا ، وسُبحانَ اللَّهِ بُكْرةً وأصيلًا ، اللَّهمَّ أصْلِحْنى واسْتصْلِحْنى ، وأصلِحْ على يدَىَّ[12] .

---

(١) فى ب ، م : « المنانجى » ، وفى س ، ظ : « اليانجى » ، وفى ص : « السيادحى » . والحديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٢٥، من طريق أبى بكر الميانجى به .

(٢) فى س : « بن » . وانظر مصدر حاشية (٧) .

(٣) أخرجه البخارى (٦١١٨) ، ومسلم (٣٦) ، وأبو داود (٤٧٩٥) ، كلهم من طريق عبد اللَّه بن عمر . والترمذى (٢٠٠٩) ، من طريق أبى هريرة .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٢٢، ٢٢٣. من طريق جعفر بن أبى عثمان الطيالسى ، بنحوه .

(٥) فى ب ، م : « غدا » . وبعده فى ب ، م : « التكبير » .

(٦ - ٦) فى ص : « هشام بن بشر » . حاشية (٨) ص ٢١٤ من هذا الجزء .

(٧) فى م : « دينار » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٧١.

(٨) فى ص : « إلى أهله » .

(٩) بعده فى الأصل ، ب ، م : « الغداة » .

(١٠) أخرجه البخارى (٩٥١) مختصرًا ، و(٩٥٥، ٩٦٥) مطولًا ، وانظر بقية أطرافه عند الحديث الأول المختصر ، ومسلم (١٩٦١) ، كلاهما من حديث الشعبى ، عن البراء بن عازب ، بنحوه .

(١١) فى س ، ظ : « اللَّه أكبر » .

(١٢) بعده فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « وكان مولد المأمون ليلة مات عمه الهادى وولى أبوه الرشيد =

تولَّى المأمونُ الخلافةَ فى المحرَّمِ، لخَمسٍ بقِينَ منه، بعدَ مَقتلِ أخيه سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائةٍ، واستمَرَّ فى الخلافةِ عشْرين سنةً وخمسةَ أشهرٍ. وقد كان فيه تَشَيُّعٌ واعتزالٌ، وجهلٌ بالسُّنَّةِ الصَّحيحةِ، وقد بايَع فى سنةِ إحْدَى ومائتين بولايةِ العهدِ مِن بعدِه لعلىٍّ الرِّضَا بنِ موسى الكاظِمِ بنِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ بنِ علىٍّ زَينِ العابدين بنِ الحسينِ الشهيدِ بنِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ، وخلَع السوادَ، ولَبِس الخُضْرةَ - كما قدَّمنا[1] - فأعظَم ذلك العبّاسيُّون مِن البَغادِدَةِ، وغيرِهم، وخلَعوا المأمونَ، ووَلَّوا عليهم إبراهيمَ بنَ المهدىِّ - [2]كما تقدَّم[2] - [3]ثم ظَفِر المأمونُ بهم، واستقام أمرُه[4] فى الخلافةِ[3]، [5]وذلك بعدَ موتِ علىٍّ الرِّضَا بطُوسَ، وعفا عن عمِّه إبراهيمَ بنِ المهدىِّ، كما تقدَّم[6] بسطُ ذلك فى موضعِه[5].

[7]أمّا كونُه[7] على مذهبِ الاعتزالِ؛ فإنّه اجتمَع بجماعةٍ؛ منهم بِشرُ بنُ غِياثٍ المَرِيسِىُّ[8]، فأخَذ عنهم هذا المذهَبَ الباطلَ، وكان يُحِبُّ العلمَ، ولم يكُنْ له بصيرةٌ نافذةٌ فيه، فدخَل عليه بسببِ ذلك الداخلُ، وراج عندَه

= وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة تسعين ومائة».

(١) تقدم فى صفحة ١١٩.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م. وانظر صفحة ١٢٠.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى ب، م: «له الحال».

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦) تقدم فى ١٢٦.

(٧ - ٧) فى ب، م: «وكان».

(٨) بعده فى ب، م: «فخدعوه».

الباطلُ، ودعا إليه وحمَل الناسَ قهرًا عليه، وذلك فى آخرِ أيامِه وانقضاءِ دولتِه.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[1]: كان المأمونُ أبيضَ ربعةً حسنَ الوجهِ، قد وخَطَه الشَّيبُ، [٨/١٦٧ظ] تعلوهُ صُفْرةٌ، أعينَ طويلَ اللحيةِ رقيقَها، ضَيِّقَ الجَبينِ، على خَدِّهِ خالٌ[2]. أمُّهُ أمُّ ولدٍ يقالُ لها: مَرَاجِلُ.

وروَى الخطيبُ البغدادِىُّ[3]، عن القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبّادٍ، قال: لم يحفَظِ القرآنَ أحدٌ مِن الخلفاءِ غيرُ عثمانَ بنِ عفّانَ والمأمونِ.

وهذا غريبٌ جدًّا[4]. قالوا[5]: كان يتلو فى شهرِ رمضانَ ثلاثًا وثلاثين خَتْمةً.

وجلَس يومًا لإمْلاءِ الحديثِ، فاجتمَع حولَه القاضى يحيى بنُ أكثمَ، وجماعةٌ، فأَمْلَى عليهم مِن حِفْظِه ثلاثينَ حديثًا[6]، وكانت له بصيرةٌ بعلومٍ متعدِّدةٍ؛ مِن فقهٍ، وطبٍّ، وشعرٍ، وفرائضَ، وكلامٍ، ونحوٍ، وعربيةٍ،

---

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٤، ٣٩/ ٢٢٩، بسنده عن ابن أبى الدنيا به، وانظر تاريخ دمشق (ط: مجمع اللغة العربية ٣٩/ ٢٣٤).

(٢) الخال: شامة سوداء تكون فى البدن، وقيل: هى نكتة سوداء فيه. اللسان (خيل).

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٠، ومن طريق الخطيب أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٣٤.

(٤) بعده فى ب، م: «لا يوافق عليه فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء».

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٠.

(٦) انظر الخبر مطولا فى تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٣٤، ٢٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٥.

وغريبٍ[1] ، وعلم النجومِ وإليه يُنْسَبُ الزِّيجُ[2] المأمونيُّ[3] . وقد اخْتَبَرَ مقدارَ الدرجةِ فى وطأةِ[4] سِنْجارٍ[5] ، فاختَلَف عملُه وعملُ الأوائلِ مِن القدماءِ[6] .

وروَى ابنُ عساكرَ[7] أنَّ المأمونَ جلَس يومًا للناسِ ، وفى مجلِسِه العلماءُ والأمراءُ ، فجاءتِ امرأةٌ تتظلَّمُ إليه ، فذكَرتْ أنَّ أخاها توفِّى ، وترَك ستَّمائةِ دينارٍ ، فلم يحصُلْ لها سِوى دينارٍ واحدٍ . فقال لها على البديهةِ : قد وصَل إليكِ حقُّكِ ، كأنّ أخاكِ قد ترَك بنتيْن ، وأُمًّا ، وزوجةً ، واثْنَى عشَرَ أخًا ، وأُختًا وهى أنتِ . قالت : نعم يا أميرَ المؤمنين . فقال : للبنتينِ الثلثانِ أربعُمائةِ دينارٍ ، وللأمِّ السدُسُ مائةُ دينارٍ ، وللزَّوجةِ الثُّمُنُ خمسةٌ وسبعون دينارًا ، يبقَى خمسةٌ وعشرون دينارًا ؛ لكلِّ أخٍ ديناران ، ولكِ دينارٌ . فعجِب الناسُ[8] مِن فِطْنتِه[9] وسُرعةِ جوابِه . وقد رُوِيتْ هذه الحكايةُ عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

ودخَل بعضُ الشعراءِ على المأمونِ وقد قال فيه بيتًا [10]مِن الشعرِ[10] يراهُ

---

(١) بعده فى ب ، م : « حديث » .

(٢) الزيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم ، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة . المعجم الذهبى ص ٣١٩، والوسيط (ز ى ج) .

(٣) فى الأصل ، ب : « الأموى » .

(٤) فى م : « وطئه » .

(٥) فى الأصل : « مسمار » .

(٦) فى م : « الفقهاء » .

(٧) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٣٦، ٢٣٧، بنحوه .

(٨) فى ب ، م : « العلماء » .

(٩) بعده فى ب ، م : « وحدة ذهنه » .

(١٠ - ١٠) زيادة من : م . والقصة فى تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٩، وتاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية =

عظيمًا ، فلمَّا أنشَدَه إيَّاه لم يقَعْ منه هذا البيتُ موقعًا طائلًا ، فخرَج مِن عندِه[1] ، فلقِيَه شاعرٌ آخرُ ، فقال : ألَا أعجِّبُك ؟ أنشَدتُ المأمونَ هذا البيتَ فلم يرفَعْ به رأسًا . فقال : وما هو ؟ قال : قلتُ فيه[2] :

أَضْحى إمامُ الهُدَى المأمونُ[3] مشْتغِلًا بالدِّينِ والناسُ بالدُّنيا مشاغيلُ

فقال له ذلك[4] الشاعرُ الآخرُ : ما زدتَ على أن جعَلتَه عجوزًا فى محرابِها ، فهلَّا قلتَ كما قال جريرٌ فى عبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ[5] :

فلا هُو فى الدُّنيا مُضِيعٌ نصيبَهُ ولا عَرَضُ الدنيا عن الدِّينِ شاغِلُهْ

وقال المأمونُ يومًا لبعضِ جُلسائِه : بيتانِ لاثنينِ ما لحِقهما أحدٌ ؛ قولُ أبى نُواسٍ[6] :

[٨/١٦٨و] إذا اختبَر الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عدوٍّ فى ثيابِ صديقِ

وقولُ شُرَيحٍ :

تهونُ على الدُّنيا المَلامَةُ إنَّهُ حريصٌ على استصْلاحِها مَن يلومُها

قال المأمونُ : وقد ألجأَنى الزِّحامُ يومًا وأنا فى المَوْكِبِ حتَّى خالَطتُ

= بدمشق) ٣٩/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(١) بعده فى ب ، م : «محروما» .

(٢) البيت فى الموازنة ٢/ ٣٥٥، وهو لعبد الله بن السمط بن مروان .

(٣) فى س : «بالدين» .

(٤) سقط من : ب ، م .

(٥) فى ب ، م : «مروان» . والبيت من قصيدة فى ديوان جرير ٢/ ٧٠٣، فى مدح عبد العزيز بن الوليد .

(٦) ديوان أبى نواس ص ١٩٢.

السُّوقةَ[1] ، فرأيتُ رجلًا فى دكّانٍ عليه أثوابٌ خَلِقةٌ ، فنظَر إلىَّ نظَرَ مَن يرحَمُنى أو يتعَجَّبُ مِن أَمْرى ، فقال :

أرى كلَّ مغرورٍ تُمنِّيهِ نفسُهُ إذا ما مضَى عامٌ سلامةَ قابِلِ

وقال يحيى بنُ أَكثمَ[2] : سمِعتُ المأمونَ يومَ عيدٍ خطَب الناسَ فحمِد اللَّهَ ، وأثْنَى عليه ، وصلَّى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم قال : عبادَ اللَّهِ ، عظُم أمرُ الدّارَيْن ، وارتفَع جزاءُ العاملين[3] ، وطالت مدَّةُ الفريقَينِ ، فواللَّهِ إنَّه لَلجِدُّ لا اللَّعبُ ، وإنّه لَلحقُّ لا الكذِبُ ، وما هو إلا الموتُ ، والبعثُ والحسابُ ، والفَصْلُ[4] والصِّراطُ ، ثم العقابُ و[5] الثوابُ ، فمَن نجَا يومئذٍ فقد فاز ، ومَن هوَى يومئذٍ فقد خاب ، الخيرُ كلُّه فى الجنَّةِ ، والشرُّ كلُّه فى النّارِ .

وروَى ابنُ عساكرَ[6] ، مِن طريقِ النَّضْرِ بنِ شُمَيلٍ قال : دخَلتُ على المأمونِ فقال : كيف أصبَحتَ يا نضرُ ؟ قلتُ : بخيرٍ يا أميرَ المؤمنين . فقال : ما الإرْجاءُ ؟ فقلتُ : دينٌ يوافِقُ[7] الملوكَ ، يُصِيبون بهِ مِن دُنياهم ، ويَنقُصون[8] مِن دينِهم . قال : صَدقتَ . ثم قال : يا نضرُ ، أتدرى ما قلتُ فى صَبيحةِ هذا اليومِ ؟ قلتُ :

---

(١) فى الأصل ، ص : « السوق » .
(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٤٨.
(٣) فى م : « العالمين » .
(٤) فى الأصل : « الفضل » . وبعده فى ب ، م : « والميزان » .
(٥) فى م : « أو » .
(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٤٨، ٢٤٩.
(٧) بعده فى ص : « دين » .
(٨) بعده فى ب ، م : « به » .

(١أنَّى لى بعلمِ الغيبِ١) ؟ فقال : قلتُ(٢) :

أصبَح دِينى الذى أَدينُ بهِ ... ولستُ منهُ الغداةَ مُعتذِرا
حُبَّ علىٍّ بعدَ النبى ولا ... أشتِمُ صدِّيقَنا ولا عُمرا
ثمَّ(٣) ابنُ عفّانَ فى الجِنانِ معَ الـ ... أبرارِ ذاكَ القتيلُ مُصطبِرا
(٤لا لا٤) ولا أشتِمُ الزبيرَ ولَا ... طلحةَ إنْ قال قائلٌ غَدَرَا
وعائشُ الأمُّ لستُ أَشْتِمُها ... مَنْ يفترِيها فنحن منهُ بَرَا

وهذا المذهبُ ثانى مراتبِ التشيُّعِ ، وفيه تفضيلُ علىٍّ على عثمانَ(٥) . وقد قال بعضُ(٦) السَّلفِ ، والدارَقُطنىُّ(٧) : مَن فضَّل عليًّا على عثمانَ فقد أزرَى بالمهاجرينَ والأنصارِ ، يعنى فى اجتهادِهم ثلاثةَ أيامٍ ، ثم اتفَقوا على تقديمِ عثمانَ على علىٍّ بعدَ مَقتلِ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهم . وبعدَ ذلك ستَّ عشْرةَ مرتبةً فى التَّشيُّعِ - على ما ذكَره صاحبُ كتابِ [٨/١٦٨ظ] « البلاغِ الأكبرِ والنّاموسِ الأعظَمِ »(٨) - تنتهى إلى أكفرِ الكُفرِ .

وقد روِّينا عن أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه قال(٩) :

(١ - ١) فى الأصل : « إنى لم أعلم الغيب » ، وفى ب ، م : « إنى لمن علم الغيب لبعيد » .
(٢) بعده فى ب ، م : « أبياتا وهى » .
(٣) فى ص ، ظ ، ومصدر التخريج : « و » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « لا » ، وفى ب ، م : « ألا » .
(٥) فى ب ، م : « الصحابة » .
(٦) فى ب ، م : « جماعة من » .
(٧) انظر أقوالهم فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ترجمة عثمان ص ٥١٤ - ٥١٧، وقول الواقدى فى ص ٥١٧، بنحوه .
(٨) بعده فى ب ، م : « وهو كتاب » . ولم نهتد إلى اسم مؤلفه .
(٩) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية) ترجمة عمر بن الخطاب ص ٣١٢.

لا أُوتَى بأحدٍ فضَّلَنى على أبى بكرٍ وعمرَ إلا جَلدْتُه جلْدَ المُفتَرِى . وتواترَ عنه أنَّه قال[1] : خيرُ الناسِ بعدَ النبىِّ ﷺ أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، [2]ثم عثمانُ[2] .

فقد خالَف المأمونُ [2]بنُ الرشيدِ فى مذهبِه[2] الصَّحابةَ كلَّهم ، حتى علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم . وقد أضاف المأمونُ إلى بدْعَتِه هذه التى أزرَى فيها على المهاجرينَ والأنصارِ [2]وخالَفهم فى ذلك[2] ، البدعةَ الأخرى والطّامَّةَ العُظمى ، وهى القولُ بخلقِ القرآنِ ، مع ما فيه مِن الانهماكِ على تعاطى المُسْكِرِ ، وغيرِ ذلك مِن الأفعالِ التى تعَدَّد فيها المُنْكَرُ ، ولكنْ كان فيه شهامةٌ عظيمةٌ ، وقوةٌ جسيمةٌ [2]وله هِمَّةٌ[2] فى القتالِ ، وحصارِ الأعداءِ ومُصابرةِ الرومِ، وحَصْرِهم [2]فى بلدانِهم[2] ، وقتْلِ فرسانِهم[3] ، [4]وأسْرِ ذرارِيهم وولْدانِهم[4] . وكان يقولُ[5] : كان[6] [7]معاويةُ بعَمْرِه[8][7] ، وعبدُ الملكِ بحَجّاجِه[9] ، وأنا بنفسى .

وكان يقصِدُ[10] العدلَ ، ويتولَّى بنفسِه الحكمَ بينَ الناسِ والفصلَ ؛ جاءَته امرأةٌ ضعيفةٌ[11] فتظلَّمت على ابنِه العبّاسِ وهو واقفٌ على رأسِه ، فأمَر الحاجبَ

---

(١) تقدم فى ١١/ ٣٢، ١٢٦، بنحوه.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) فى م: «رجالهم».

(٤ - ٤) سقط من: ب، وفى م: «وسبى نسائهم».

(٥) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٠، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٥٥، وانظر الوافى بالوفيات ١٧/ ٦٥٦.

(٦) سقط من: الأصل، ص، ظ.

(٧ - ٧) فى الأصل: «لعمرو»، وفى ب، م: «لعمر بن عبد العزيز».

(٨) يقصد عمرو بن العاص.

(٩) فى الأصل: «عجاجة»، وفى ب، م: «حجاب». ويقصد الحجاج بن يوسف الثقفى.

(١٠) فى م: «يتحرى».

(١١) انظر الخبر فى تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/٢٥٦ - ٢٥٨.

فأخَذَ[1] بيدِه فأجلَسه معها بينَ يدَيه ، فادَّعت عليه أنَّه أخَذ ضَيْعةً لها واستحوَذ عليها ، فتَناظَرا ساعةً فجعَل صوتُها يعلو على صوتِه ، فزجَرها بعضُ الحاضِرين ، فقال له المأمونُ : اسكُتْ ، فإنَّ الحقَّ أَنطَقها ، والباطلَ أسكَتَه . ثم حكَم لها بحقِّها وأغرَم لها وَلَده بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، وكتَب إلى بعضِ الأمراءِ[2] : ليس من[3] المروءةِ أَنْ يكونَ آنيتُك[4] مِن ذهبٍ وفِضّةٍ وغَرِيمُكَ عارٍ ، وجارُكَ طاوٍ[5] .

ووقَف رجلٌ بينَ يدَيه ، فقال له المأمونُ : واللَّهِ لأَقتُلَنَّكَ . فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، تأنَّ عليَّ فإنَّ الرِّفقَ نصفُ العَفْوِ . فقال : ويلكَ - ويْحكَ ! قد حلَفتُ لأَقتُلَنَّكَ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أن تلقَى اللَّهَ حانِثًا خيرٌ مِن أنْ تلْقاهُ قاتِلًا . فعفا عنه . وكان يقولُ : ليت أهلَ الجرائمِ يعرِفُون أن مَذْهَبى العفوُ ، حتَّى يذهبَ الخوفُ عنهم ويدخُلَ السرورُ إلى قُلوبِهم . ورَكِب يومًا فى حَرّاقَةٍ ، فسمِع مَلّاحًا يقولُ لأصحابِه : ترَوْن هذا المأمونَ ينبُلُ فى عَينى ، وقد قتَل أخاه الأمينَ ؟ يقولُ ذلك ، وهو لا يشعرُ بمكانِ المأمونِ ، فجعَل المأمونُ يتبسَّمُ ويقولُ : [٨/١٦٩و] كيف ترَون الحيلةَ[6] حتَّى أنبُلَ فى عينِ هذا الرجلِ الجليلِ ؟

وحضَر عندَ المأمونِ هُدبَةُ بنُ خالدٍ[7] ليتغَدَّى عندَه ، فلمّا رُفِعتِ المائدةُ جعَل هُدْبَةُ يلتقِطُ ما تناثَر منها[8] ، فقال له المأمونُ : أمَا شبِعْتَ يا شيخُ ؟ فقال : بلى ،

---

(١) فى م : « فأخذه » .
(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٥٨.
(٣) سقط من : م .
(٤) فى م : « بيتك » .
(٥) بعده فى ب ، م : « والفقير جائع » . والطَّوَى : الجوع .
(٦) فى ص : « الخليفة » .
(٧) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٦٦.
(٨) بعده فى ب ، م : « من اللباب وغيره » .

ولكنْ حدَّثنى حمادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « من أكَل ما تحتَ مائدَتِه أمِنَ مِن الفقْرِ »[1] . قال فأمَر له المأمونُ بألفِ دينارٍ .

وروَى ابنُ عساكرَ[2] أنَّ المأمونَ قال يومًا لمحمدِ بنِ عبّادٍ [3]بنِ عبّادٍ[3] بنِ المهَلَّبِ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، قد أعطَيْتُكَ ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، [4]وأنَّ عليك دَينًا[4] ؟ فقال : يا أميرَ المؤْمنين ، إنَّ مَنْعَ الموجودِ سوءُ ظَنٍّ بالمعبودِ . فقال : أحسَنتَ يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أَعْطُوه ألفَ ألفٍ وألفَ ألفٍ[5] .

ولمّا أرادَ المأمونُ أن يدخُلَ ببُورانَ بنتِ الحسنِ بنِ سهلٍ ، جعَل الناسُ يُهدُونَ لأبِيها الأشياءَ النفيسةَ ، وكان مِن جُملةِ مَن [6]يعتزُّ به[6] رجلٌ مِن الأدباءِ ، فأهدَى إليه مِزْودًا فيه مِلْحٌ طَيِّبٌ ، ومِزْودًا فيه أُشْنانٌ جيدٌ ، وكتَب إليه : إنِّى كرِهْتُ أن تُطوَى صحيفةُ أهلِ البِرِّ ولا أُذْكَرَ فيها ، فوجَّهتُ إليكَ بالمبتدأ به ، ليُمنِه وبرَكتِه ، وبالمختُومِ به ، لطيبِه ونظافتِه ، وكتَب إليه[7] :

بِضاعتى تقصُرُ عن هِمَّتى ... وهمَّتى تقصُرُ عن مالى
فالمِلْحُ والأُشْنانُ ياسيِّدى ... أحسنُ ما يُهديه أمْثالى

---

(١) الحديث بسنده أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٦٦، وتحدث عنه ابن حجر فى أطراف المختارة - كما فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٢/٩٠٩ - قال : سنده من هدبة على شرط مسلم، والمتن منكر، فينظر فى من دون هدبة . وانظر تذكرة الموضوعات ص ١٤٢.

(٢) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٦٧.

(٣ - ٣) سقط من: ص، ظ، وفى ب : « بن عبادة » وانظر مصدر التخريج .

(٤ - ٤) فى الأصل : « أن عينك دينا »، وفى ب : « وأعنيتك دينا »، وفى م : « وأعطيتك دينارًا » .

(٥) بعده فى م، ص، ظ : « وألف ألف » .

(٦ - ٦) فى الأصل : « يعثربه »، وفى ب، ظ : « يعتريه »، وفى ص : « يعربه » .

(٧) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٦٨.

قال : فدخَل بهما الحسنُ بنُ سهلٍ على المأمونِ فأعجَبَه ذلك ، وأمَر بالمزودَين ففُرِّغا ومُلِئا دنانيرَ ، وبُعِث بهما إلى ذلك الأديبِ .

ووُلِد للمأمونِ ابنُه جعفرٌ ، فدخَل عليه الناسُ يُهَنِّئونَه بصنوفِ التَّهانى ، ودخَل عليه بعضُ الشعراءِ ، فقال له يُهَنِّئُهِ بولدِه[1] :

مدَّ لكَ اللَّهُ الحياةَ مَدًّا ... حتى ترَى ابنَكَ هذا جَدّا
ثم يُفَدِّى مثلَ ما تُفَدِّى ... كأنَّهُ أنتَ إذا تَبدَّى
أشبهُ منكَ قامةً وقَدًّا ... مُؤْزَرًا بمجدِه مُردًّا

قال : فأمَر له بعشَرةِ آلافِ درهمٍ .

وقدِم عليه ، وهو بدمشقَ ، مالٌ جزيلٌ ، بعدَ ما كان قد أفْلسَ وشكَى إلى أخيه المعتصمِ ذلك ، فورَدت عليه خزائنُ مِن خُراسانَ ، وبها ثلاثونَ ألفَ ألفِ درهمٍ ، فخرَج يستعرِضُها - وقد زُيِّنتِ الجِمالُ والأحمالُ - ومعه يحيى بنُ أكثَمَ القاضِى ، فلمّا دخَلتِ البلدَ ، قال[2] : ليس مِن المروءةِ أن نحوزَ نحنُ هذا كلَّه [٨/١٦٩ظ] والناسُ ينظُرونَ . ثم فرَّق منه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهمٍ ، ورِجْلُه فى الرِّكابِ لم ينزِلْ عن فرسِه .

ومِن لطيفِ شعرِه قولُه[3] :

لسانِى كَتُومٌ لأَسْرارِكم ... ودَمْعِى نَمُومٌ لسِرِّى مُذِيعْ

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٩، ١٩٠، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٦.
(٢) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٥٢، ٦٥٣، بنحوه.
(٣) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٨٠.

فلولا دموعِى كَتَمْتُ الهوَى ولولا الهوَى لم تَكُنْ لى دُموعْ

وقد بعَث خادمًا ليلةً مِن اللَّيالى ليأتِيَهُ بجاريةٍ ، فأطال الخادمُ عندَها المُكْثَ ، وتمنَّعتِ الجاريةُ مِن المجيءِ إليهِ حتى يأتىَ إليها المأمونُ بنفسِه ، فأنشأَ المأمونُ يقولُ[1] :

بعثْتُكَ مُشْتاقًا ففُزْتَ بنظرَةٍ وأغفَلْتَنى حتَّى أسأتُ بكَ الظَّنّا
وناجَيْتَ مَن أهوَى وكنتَ مُقرَّبًا[2] فياليتَ شعْرِى عن دُنوِّكَ ما أَغْنَى
وردَّدتَ طَرْفًا[3] فى محاسِنِ وجْهِها ومَتَّعْتَ باستسماعِ[4] نغْمَتِها أُذْنَا
أَرى أثَرًا [5]فى صِحْنِ خَدِّكَ لم يَكُنْ[5] لقد سرَقتْ عيناكَ[6] مِن حُسْنِها[7] حُسْنَا

ولمّا ابتدَع المأمونُ ما ابتدَع من التشيُّعِ والاعتزالِ ، فرِح بذلك بِشْرٌ المَريسِىُّ - وكان بشْرٌ هذا شيخَ المأمونِ - فأنشأَ المَريسىُّ يقولُ[8] :

قد قالَ مأْمونُنا وسَيِّدُنا قولًا له فى الكتابِ[9] تَصْديقُ
إنَّ عليًّا أعنِى أبا حَسنٍ أفضلُ مَن [10]أرْقَلَتْ به[10] النُّوقُ

---

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٧٩.
(٢) فى م: «مباعدًا».
(٣) فى ص: «وجها».
(٤) فى الأصل، ظ، ومصدر التخريج: «باستمتاع».
(٥ - ٥) فى م: «منه بعينيك بينا».
(٦) فى ب: «خداك».
(٧) فى م: «عينها».
(٨) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٨٢، بنحوه.
(٩) فى م: «الكتب»، وفى ص: «الكتابة».
(١٠ - ١٠) فى ب: «قد قلت»، وفى م: «قد أقلت». وأرقلت الناقة: أسرعت.

بَعدَ نبيِّ الهُدَى وإنَّ لنا أعمالَنا والقرآنُ مَخلُوقُ

فأجابَه بعضُ الشعراءِ مِن أهلِ السُّنةِ ، فقال :

يا أيُّها الناسُ لا قولٌ ولا عَمَلٌ لمَنْ يقولُ كلامُ اللَّهِ مخلوقُ
ما قالَ ذاك أبو بكرٍ ولا عمرٌ ولا النبيُّ ولم يذكُرْه صدِّيقُ
ولم يَقُلْ ذاك إلّا كلُّ مُبتَدِعٍ على الإلَهِ[1] وعندَ اللَّهِ زِنْديقُ
عمدًا[2] أرادَ به إمْحاقَ دِينِكمُ[3] لأنَّ دينَهمُ واللَّهِ مَمْحوقُ
[4]أصحُّ يا قومُ عَقْلًا[4] مِن خَلِيفَتِكُم [5]يُمْسِي ويُصبِحُ[5] فى الأغْلالِ مَوثوقُ

وقد سأَل بِشْرٌ مِن المأمونِ أن يطلُبَ قائلَ هذا فيؤدِّبَه على ذلك ، فقال : وَيْحكَ ! لو كان فقيهًا لأدَّبتُه ولكنَّه شاعرٌ فلستُ أَعرِضُ له .

ولمّا تجهَّز المأمونُ [٨/١٧٠و] للغزْوِ فى آخرِ سَفْرَةٍ سافَرها إلى طَرَسُوسَ ، استَدعى بجاريةٍ كان يُحِبُّها ، وقد اشترَاها فى آخرِ عُمرِه ، فضَمَّها إليه ، فبكَتِ الجاريةُ وقالت : قَتَلْتَنى يا أميرَ المؤْمنين بسَفرِكَ هذا . ثم أنشأَت تقولُ[6] :

سأدعُو[7] دعوةَ المضطرِّ ربًّا يُثيبُ على الدُّعاءِ ويستجِيبُ

---

(١) فى ب ، م : « الرسول » .
(٢) فى ب ، م : « بشر » .
(٣) فى م : « دينهم » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « أصبح يا قوم عملا » ، وفى ب : « يا قوم أصبح عقلا » ، وفى م : « يا قوم أصبح عقل » .
(٥ - ٥) فى ب ، م : « مقيدًا وهو » .
(٦) تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٨٣، ٢٨٤.
(٧) فى م : « سأدعوك » .

لعلَّ اللَّهَ أنْ يكفيكَ حَرْبًا ويَجْمَعَنا كما تهوَى القُلوبُ

فضمَّها إليه وأنشأَ يقولُ مُتمثِّلًا :

فيا حُسْنَها إذ يغسِلُ الدمعُ كُحْلَها وإذ هى تَذْرِى الدمعَ منها الأنامِلُ[1]

صَبيحةَ قالتْ فى العتابِ قَتَلْتَنى وقَتْلِى بما قالتْ هناك تحاوِلُ

ثم أمَر مسرورًا الخادمَ بالإحسانِ إليها والاحتفاظِ عليها حتَّى يرجِعَ ، ثم قال : نحنُ كما قال الأخطلُ :

قومٌ إذا حارَبوا شدّوا مآزِرَهم دونَ النساءِ ولو باتَتْ بأطهارِ

ثم ودَّعها وسار ، فمرِضَتِ الجاريةُ فى غَيْبَتِه هذه ، ومات المأمونُ أيضًا[2] ، فلمَّا جاءَ نَعْيُه إليها تنفَّستِ الصُّعَداءَ وحضَرَتْها الوفاةُ ، وأنشأَت تقولُ وهى فى السِّياقِ :

إنَّ الزمانَ سَقانا مِن مَرارتِه بعدَ الحلاوةِ أنْفاسًا[3] فأَرْوَانا

أبدَى لنا تارةً منه فأَضْحَكَنا ثم انْثَنَى تارةً أُخرَى فأَبْكَانا

إنَّا إلى اللَّهِ فيما لا يزالُ لنا[4] مِن القضاءِ ومِن تلوينِ دُنْيانا

دُنيا تَراها تُرِينا مِن تصرُّفِها ما لا يدومُ مُصافاةً وأحْزانا

ونحنُ فيها كأنَّا لا يُزايِلُنا للعيشِ أحْياؤنا[5] يَبْكونَ مَوْتانا

---

(١) فى الأصل : « الأقامل » .

(٢) بعده فى ب ، م : « فى غيبته هذه » .

(٣) فى م : « كاسات » .

(٤) فى ب ، م : « بنا » .

(٥) فى الأصل ، ب ، م : « أحيا وما » .

وكانت وفاةُ المأمونِ بطَرَسُوسَ فى يومِ الخميسِ وقتَ الظهرِ - وقيل: بعدَ العصرِ - لثلاثَ عشْرَةَ ليلةً بَقِيتْ مِنْ رجبٍ مِن سنةِ ثمانى عشْرةَ ومائتين، وله مِن العُمْرِ نحوٌ مِن ثمانٍ وأرْبَعين سنةً، وكانت مدَّةُ خلافَتِه عشرين سنةً وأشهرًا، وصلَّى عليه أخوه المعتصمُ؛ وهو وَلِىُّ العهدِ مِن بعدِه، ودُفِن بطَرَسُوسَ فى دارِ خاقانَ الخادمِ. وقيل[1]: كانت وفاتُه يومَ[2] الثلاثاءِ - وقيل: يومَ الأربعاءِ - لثمانٍ خَلَوْنَ[3] [4]مِن رجبٍ[4] مِن هذه السنةِ. وقيل[5]: إنَّه مات خارجَ طَرَسُوسَ بأربعِ مراحلَ، فحُمِل إليها فدُفِن بها. وقيل[6]: إنَّه نُقِل بعدَ ذلك إلى أَذَنَةَ[7] فى رمضانَ فدُفِن بها. واللَّهُ أعلمُ [٨/١٧٠ظ].

وقد قال أبو سعيدٍ المخْزُومىُّ[8]:

ما[9] رأيتُ النجومَ أغنَت عن المأ ... مونِ [10]فى عِزِّ[10] مُلْكِه المأسُوسِ
خلَّفوهُ بعَرْصَتَىْ طَرَسُوسٍ ... مثلَ ما خلَّفوا[11] أَباه بطوسِ

---

(١) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٨٩، ٢٩١.
(٢) فى ص: «ليلة».
(٣) فى النسخ: «بقين»، والمثبت من مصدر التخريج.
(٤ - ٤) سقط من: م.
(٥) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٩٢.
(٦) المصدر السابق ٣٩/ ٢٩١.
(٧) أذنة: بلد من الثغور قرب المصيصة، وهو مشهور. معجم البلدان ١/ ١٧٩.
(٨) البيتان فى تاريخ الطبرى ٨/ ٦٥٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٩٢، وتاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٣٩/ ٢٩٢، ومعجم البلدان ٣/ ٥٢٦، باختلاف يسير.
(٩) فى م: «هل».
(١٠ - ١٠) فى م: «شيئًا أو».
(١١) فى الأصل: «خلفوه».

وقد كان أوصَى إلى أخيهِ أبى إسحاقَ المعتصمِ، وكتَب وصيَّتَه[1] بحضرَةِ ابنِه العباسِ وجماعةِ القضاةِ والأمراءِ والوزراءِ والكُتابِ، وفيها القولُ بخلقِ القرآنِ، ولم يَتُبْ مِن ذلك [2]حتى أدرَكه أجَلُه وانقَضَى[2] عملُه، وهو على ذلك لم يَرجِعْ عنه ولم يتُبْ منه، وأوْصَى أن يُكَبِّر عليه الذى يُصلِّى عليه خمسًا، وأوْصَى أخاه أبا إسحاقَ المعتصمَ بتقوَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ والرِّفقِ بالرعيَّةِ، وأن يعتقِدَ ما كان يعتقِدُه أخوه المأمونُ فى القرآنِ، وأن يدعوَ الناسَ إلى ذلك، وأوْصَاه بعبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، وإسحاقَ[3] بنِ إبراهيمَ، وأحمدَ بنِ أبى دُوَادٍ القاضى[4]، وقال: شاوِرْه فى أمورِكَ كلِّها ولا تفارِقْهُ. وحذَّره مِن يحيى بنِ أكثمَ[5]، ونهاه عنه وذَمَّه، وقال[6]: خانَنى[7] ونفَّرَ الناسَ عنِّى، ففارَقتُه غيرَ راضٍ عنه. ثم أوصاه بالعلوِيِّينَ خيرًا؛ أن يَقبَلَ مِن مُحسنِهم ويَتجاوَزَ عن مُسيئِهم، وأن يواصلَهم بصِلَاتِهم فى كلِّ سنةٍ.

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ للمأمونِ ترجمةً حافلةً[8]، أورَد فيها أشياءَ كثيرةً لم يذكُرْها الحافظُ ابنُ عساكرَ مع كثرةِ ما يورِدُه، وفوقَ كلِّ ذى علمٍ عليمٌ.

---

(١) بعده فى ب، م: «بحضرته و».

(٢ - ٢) فى ب، م: «بل مات عليه وانقطع».

(٣) فى الأصل، ب، م: «أحمد». وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٤٩.

(٤) زيادة من: س، ص. وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩.

(٥) بعده فى ب، م: «أن تصحبه».

(٦) تاريخ الطبرى ٨/ ٦٤٩، بنحوه.

(٧) فى س: «جانبنى».

(٨) انظر تاريخ الطبرى ٨/٦٤٦ - ٦٦٦.

خِلافةُ المعتصمِ باللَّهِ أبى إسحاقَ محمدِ[1] بنِ هارونَ الرشيدِ[2]

بُويع له بالخلافةِ يومَ مات أخوه المأمونُ بطَرَسُوسَ يومَ الخميسِ الثامنَ[3] عشَرَ مِن رجبٍ مِن سنةِ ثمانى عشْرةَ ومائتَيْن ، وكان إذ ذاك مريضًا ، وهو الذى صلَّى على أخيهِ المأمونِ ، وقد شغَب[4] بعضُ [5]الجندِ فأرادوا أن يُولُّوا[5] العباسَ بنَ المأمونِ ، فخرَج عليهم العباسُ فقال لهم : ما هذا الحبُّ[6] الباردُ ؟ أنا قد بايعتُ عَمِّى المعتصمَ . فسَكَن الناسُ وخمَدتِ الفتنةُ ، وركِب البُرُدُ بالبيعةِ للمعتصمِ إلى الآفاقِ ، وبالتَّعزيَةِ بالمأمونِ . فأمَر المعتصمُ بهدْمِ ما كان بناهُ المأمونُ فى مدينةِ طُوانَةَ ، [7]وأمَر بإبطالِ ذلك[7] ، ونقَل ما كان حُوِّل إليها مِن السلاحِ وغيرِ ذلك[8] ، وأَذِن للفعَلَةِ بالانصرافِ إلى بُلدانِهم وأقاليمِهم ، ثم ركِب المعتصمُ فى الجنودِ قاصدًا بغدادَ ، وصُحبتُه العباسُ بنُ المأمونِ ، فدخَلَها يومَ السبتِ مُستهَلَّ شهرِ رمضانَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ وتَجمُّلٍ تامٍّ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « الثانى » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٦٧.

(٤) فى ب ، م : « سعى » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « الأمراء فى ولاية » .

(٦) فى ب ، م : « الخلف » . وانظر تاريخ الطبرى ٨/ ٦٦٧.

(٧ - ٧) سقط من : ب ، م .

(٨) بعده فى ب ، م : « إلى حصون المسلمين » .

وفى هذه السنةِ دخَل خلقٌ كثيرٌ مِن أهلِ هَمَذانَ[1] وأصبهانَ وماسَبَذانَ[2] ومِهْرَجانَ[3] فى دينِ الخُرَّميَّةِ[4]، فتجمَّع منهم [٨/١٧١و] بشَرٌ كثيرٌ، فجهَّز إليهم المعتصمُ جيوشًا كثيرةً، [5]آخِرُ مَن جَهَّز إليهم[5] إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ فى جيشٍ عظيمٍ، وعقَد له على الجبالِ، فخرَج [6]مِن بغدادَ[6] فى ذى القَعْدَةِ وقُرِئ كتابُه بالفَتحِ يومَ التَّرْوِيةِ، وأنَّه قهَر الخُرَّميَّةَ، وقتَل مِنهم خلقًا كثيرًا، وهرَب بَقيَّتُهم إلى بلادِ الرومِ، [6]وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ[6]. وعلى يدَيه جرَت فتنةُ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ، رحِمه اللَّهُ، وضُرِب بينَ يدَيه، كما سيأتى بَسْطُ ذلك فى ترجمةِ أحمدَ، [6]عند ذكِر وفاتِه[6] فى سنةِ إحدَى وأربعين ومائتين، إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثقةُ.

[6]وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ صالحُ بنُ العبّاسِ بنِ محمدٍ، وضحَّى أهلُ مكَّةَ يومَ الجُمُعةِ، وأهلُ بغدادَ ضحَّوا يومَ السبتِ[6].

ومِمَّن توفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعيانِ:

بشرٌ المَرِيسِىُّ[7]، [8]وهو بشرُ بنُ غِياثِ بنِ أبى كريمةَ، أبو عبدِ الرحمنِ المَرِيسِىُّ[8]،

---

(١) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «همدان».

(٢) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «ماسندان». وانظر معجم البلدان ٤/ ٣٩٣.

(٣) فى ب: «الخرامية».

(٤ - ٤) فى ب، م: «آخرهم».

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ب، س، م، ظ. وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ٦٦٨.

(٧) تاريخ بغداد ٧/ ٥٦، والفَرق بين الفِرق ص ٢٠٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٨٥، والعبر ١/ ٣٧٣، ومرآة الجنان ٢/ ٧٨، والجواهر المضية ١/ ٤٤٧.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل، س، ص. وانظر مصادر ترجمته السابقة.

المتكَلِّمُ شيخُ المعتزِلةِ ، وأحدُ مَن أضَلَّ المأمونَ . وقد كان هذا الرجلُ ينظُرُ أولًا فى شىءٍ مِن الفقهِ ، وأخَذ عن القاضى أبى يوسُفَ ، وروَى الحديثَ عنهُ ، وعن حمَّادِ ابنِ سلمةَ ، وسفيانِ بنِ عُيَيْنَةَ وغيرِهم ، ثم غلَب عليه عِلْمُ الكلامِ ، وقد نَهاه الشَّافعىُّ عن (١تعَلُّمِه وتعاطِيه١) ، فلم يقبَلْ منه . وقال الشافعىُّ(٢) : لأَنْ يَلْقَى اللَّهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما عدا الشِّرْكَ باللَّهِ أحَبُّ إلىَّ مِن أن يَلْقاه بعِلْمِ الكلامِ . وقد اجتمَع بشرٌ بالشافعىِّ عندَما قدِم الشافعىُّ بغدادَ .

وقال القاضى ابنُ خَلِّكانَ(٣) : جرَّد(٤) القولَ بخلقِ القرآنِ ، وحُكِى عنه أقوالٌ شنيعةٌ ، وكان مُرْجئيًّا ، وإليه تُنسبُ المَريسيَّةُ مِن المُرْجئةِ ، وكان يقولُ : إنَّ السجودَ للشمسِ والقمرِ ليس بكفرٍ ، وإنما هو علامةُ الكفرِ . وكان يناظرُ الإمامَ الشافعىَّ ، وكان لا يُحسِنُ النحوَ ، وكان يلْحَنُ لحنًا فاحشًا ، ويُقال : إنَّ أباه كان يهودِيًّا صبّاغًا(٥) بالكوفةِ . وكان يَسْكُنُ دربَ المَريسِ ببغدادَ(٦) ، والمَريسُ عندَهم هو الخبزُ الرُّقاقُ يُمْرَسُ بالسَّمْنِ والتَّمْرِ . قال : ومَرِّيسُ(٧) ناحيةٌ ببلادِ النُّوبةِ (٨تَهُبُّ عليها٨) فى الشتاءِ رِيحٌ بارِدَةٌ . (٩قلتُ : ثم راجَ بشْرٌ المَرِيسِىُّ عندَ المأمونِ وحظِى٩)

(١ - ١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « تعاطى ذلك » .

(٢) آداب الشافعى ومناقبه ص ١٨٧ ، وحلية الأولياء ٩/ ١١١ ، والسنن الكبرى ١٠/ ٢٠٦ ، ومناقب الشافعى ١/ ٤٥٢ ، وتاريخ دمشق ١٤/ ٨٠٨ (مخطوط) وتقدم نحوه فى صفحة ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٧ .

(٤) فى م : « جدد » .

(٥) فى وفيات الأعيان : « صياغًا » .

(٦) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٨ .

(٧) انظر معجم البلدان ٤/ ٥١٥ .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل . وفى س ، ظ : « يأتى من نحوها » ، وفى ص : « يأتى من جهتها » .

(٩ - ٩) سقط من : ب ، م .

(١) عندَه ، وقُدِّم فى حضرتِه ، ونفَق سُوقُه الكاسِدُ ، واستُجِيدَ ذِهنُه البارِدُ .

ولمّا تُوفِّى فى ذى الحِجّةِ مِن هذا العامِ - أو الذى قبْلَه فى قولٍ - صلَّى عليه رجلٌ مِن المحدِّثينَ يُقال له : عبيدٌ الشُّونيزىُّ . فلامَه بعضُ المحدِّثينَ ، فقال لهم : ألَا تسمَعونَ كيف دعوتُ له فى صَلاتى عليه ؟ قلتُ : اللهمَّ إنَّ عبدَك هذا كان يُنكِرُ عذابَ القبرِ ، اللهمَّ فأَذِقْه مِن عذابِ القبرِ ، وكان يُنكِرُ شفاعةَ نبيِّك فلا تجعَلْه مِن أهلِها ، وكان يُنكِرُ رؤيتَك فى الدّارِ [٨/١٧١ظ] الآخرةِ فاحجُبْ وجهَك الكريمَ عنه . فقالوا له : أصبْتَ . وهذا الذى نطَق به بعضُ السَّلَفِ حيث قالوا : مَن كذَّب بكرامةٍ لم ينَلْها(١) .

وفى هذا العامِ توفِّى : عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ **التِّنِّيسِىُّ**(٢) . **وأبو مُسْهِرٍ**(٣) عبدُ الأعلَى بنُ مُسْهِرٍ الغَسّانىُّ الدِّمَشقىُّ . **ويحيى** بنُ عبدِ اللَّهِ البَابْلُتِّىُّ(٤) .

وأبو محمدٍ عبدُ الملكِ بنُ هشامِ بنِ أيوبَ الحِمْيرِىُّ(٥) **المَعافِرِىُّ** ، راوِى

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « الشيبى » . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ٥/ ٢٣٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٤، والعبر ٢/ ٣٧٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٧٢، وتهذيب الكمال ١٦/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٤٣، وطبقات الحفاظ ص ١٦٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٧، وتاريخ دمشق ١٨/١٤٧ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣١/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٤٤.

وبابُ لُتّ ، بضم اللام وتشديد التاء المثناة : قرية بالجزيرة بين حران والرقة . معجم البلدان ١/ ٤٤٧، وانظر الأنساب ١/ ٢٤٣.

(٥) سقط من : م . وفى باقى النسخ : « الحيرى » . وانظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢/ ٢١١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٨١، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٦.

السيرةِ عن زيادِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَكّائيِّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ مُصنِّفِها ، وإنَّما تُنْسَبُ إليه فيُقالُ : سيرةُ ابنِ هشامٍ . لأنَّه هذَّبها وزادَ فيها ونقَص منها ، وحرَّر أماكِنَ ، واستدرَكَ أشياءَ .

وكان إمامًا فى اللغةِ والنحوِ ، وكان مقيمًا بمصرَ ، وقد اجتَمع به الشافعيُّ حينَ وردَها ، وتَناشدا مِن أشعارِ العربِ شيئًا كثيرًا .

وكانت وفاتُه بمصرَ لثلاثَ عشْرةَ خلَتْ مِن ربيعٍ الآخِرِ[1] مِن هذه السنةِ ، قاله ابنُ يونسَ فى « تاريخِ مصرَ »[2] . وزعَم السُّهيليُّ[3] أنَّه تُوفِّى فى سنةِ ثلاثَ عشْرَةَ - كما تقدَّم[4] - فاللَّهُ أعلَمُ .

---

(١) فى س : « الأول » .

(٢) كتاب « تاريخ مصر » لابن يونس مفقود . وقد أورده ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٣/ ١٧٧، والذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٨٢، وانظر إنباه الرواة ٢/ ٢١٢.

(٣) الروض الأنف ١/ ٤٣.

(٤) تقدم فى صفحة ١٨٩ .

ثم دخلَتْ سنةُ تسعَ عشْرةَ ومائتين

فيها [1] ظهَر محمدُ بنُ القاسمِ [2] بنِ عمرَ بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ بالطَّالَقانِ مِن خُراسانَ يدعو إلى الرِّضا مِن آلِ محمدٍ ، واجتَمَع عليه خَلْقٌ كثيرٌ ، وقاتَلَه قُوَّادُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ مرَّاتٍ متعدِّدَةً ، ثم ظهَرُوا عليه وهرَب ، فأُخِذ ثم بُعِث به إلى عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ، فبَعَث به إلى المعتصمِ ، فدَخَل عليه فى المنتصفِ من ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ ، فأمَر به فحُبِس فى مكانٍ ضيِّقٍ طولُه ثلاثةُ أذرُعٍ فى ذراعينِ ، فمكَث فيه ثلاثًا ، ثم حُوِّل إلى أوسعَ منه وأُجرِىَ عليه رزقُ مَن يخدُمُه ، فلم يَزَلْ محبوسًا هنالك إلى ليلةِ عيدِ الفطرِ ، فاشتَغَل الناسُ بالعيدِ ، فدُلِّىَ له حبلٌ مِن كُوَّةٍ كان يأتِيه الضوءُ منها ، فذَهَب فلم يُدْرَ كيف ذهَب ، وإلى أين صار مِن الأرضِ .

وفى يومِ الأحدِ لإحدَى عشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن جُمادَى الأُولى [3] دخَل إسحاقُ بنُ إبراهيمَ إلى بغدادَ راجعًا مِن قتالِ الخُرَّميَّةِ ، ومعه الأسرى منهم ، وقد قتَل فى حربِه هذا من الخُرَّميَّةِ مائةَ ألفِ مقاتلٍ منهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها بعَث المعتصمُ عُجَيْفًا فى جيشٍ كثيفٍ لقتالِ الزُّطِّ الذين عاثُوا فى بلادِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٧، والمنتظم ١١/ ٤١، والكامل ٦/ ٤٤٢.

(٢) بعده فى الأصل، س، ص: «محمد».

(٣) فى س: «الآخر».

البصرةِ ، وقطَعُوا الطريقَ ونهَبُوا الغَلَّاتِ ، فمكَث فى قتالِهم تسعةَ أشهرٍ ، فقَهَرهم وقمَع شرَّهم [٨/١٧٢و] وأباد خَضْراءَهُم ، وكان القائمَ بأمرِهم رجلٌ يقالُ له : محمدُ بنُ عثمانَ ، ومعه آخرُ يقالُ له : سَمْلقٌ ، وهو داهيتُهم وشيطانُهم ، فأراح اللَّهُ المسلمينَ منهم[1] ومِن شرِّهم[2] .

وفيها تُوفِّى مِن الأعيانِ :

سليمانُ بنُ داودَ الهاشمىُّ[3] ، شيخُ الإمامِ أحمدَ . **وعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ الحُميدىُّ**[4] ، صاحبُ « المسنَدِ » ، وتلميذُ الإمامِ الشافعىِّ . **وعلىُّ بنُ عيَّاشٍ**[5] . **وأبو نُعَيْمٍ الفضلُ بنُ دُكَينٍ**[6] ، شيخُ البُخارِىِّ . **وأبو غسانَ**[7] **النَّهْدىُّ**[8] .

---

(١) سقط من : س ، وفى م : « منه » .

(٢) فى م : « شره » .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٣، وتاريخ بغداد ٩/ ٣١، وتهذيب الكمال ١١/ ٤١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٨٠، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٨٩، وغاية النهاية ١/ ٣١٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٢، وطبقات الفقهاء ص ٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢١١، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٧٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٢/ ١٤٠.

(٥) فى س : « غباس » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٣، وتهذيب الكمال ٢١/ ٨١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣١٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٠، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٦، وتهذيب الكمال ٢٣/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٤٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٢.

(٧) فى الأصل : « مخار » ، وفى م : « بحار » .

(٨) فى م : « الهندى » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٤، وطبقات خليفة ١/ ٤٠٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٣٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ عشرينَ ومائتين مِن الهجرةِ النبويةِ

فى يومِ عاشوراءَ[1] دخَل عُجَيْفٌ فى السُّفُنِ إلى بغدادَ ومعه مِن الزُّطِّ سبعةٌ وعشرون ألفًا قد جاءوا بالأمانِ إلى الخليفةِ، فأُنزِلُوا فى الجانبِ الشَّرقىِّ، ثم نفاهم الخليفةُ إلى [2]عينِ زُرْبةَ[2]، فأغارَتِ الرومُ عليهم فاجتَاحُوهم عن آخرِهم، فلم يَفْلِتْ منهم أحدٌ، فكان آخرَ العهدِ بهم.

وفيها عقَد المعتصمُ للأفشينِ[3] واسْمُه حيدرُ بنُ كاوسَ، على جيشٍ عظيمٍ لقتالِ بابَكَ الخُرَّمِىِّ، لعَنه اللَّهُ، وكان قد استفْحَل أمرُه جدًّا، وقوِيتْ شوكتُه جدًّا، وانتَشَرتْ أتباعُه فى بلادِ أَذْرَبِيجانَ وما وَالَاها، وكان أوَّلُ ظهورِه فى سنةِ إحدى ومائتينِ، وكان زنديقًا كبيرًا وشيطانًا رجيمًا، فسار الأفشينُ وقد أحكَم صناعةَ الحربِ فى الأرصادِ، وعمارةَ الحصونِ، وإيصالَ[4] المَدَدِ، وأرسَل إليه المعتصمُ باللَّهِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٠، والمنتظم ١١/ ٥٠، والكامل ٦/ ٤٤٦.

(٢ - ٢) فى الأصل، ب: «عنذروبة»، وفى م: «عين رومة». وعين زُرْبة - بالضم - أو زَرْبَى: ثغر مشهور قرب المصيصة من الثغور الشامية التاج (ز ر ب)، وضبطها فى القاموس (ز ر ب) «زَرَبة» بفتحتين، وفى معجم البلدان ٢/٩٢٣ «زَرْبة» بفتح أوله وسكون ثانيه، وانظر أيضا معجم البلدان ٣/ ٧٦١.

(٣) فى الأصل: «للأقشين».

(٤) فى الأصل، ص: «اتصال»، وفى م: «إرصاد».

مع بُغا الكبيرِ أموالًا جزيلةً نفقةً لِمَن معه مِن الجندِ والأتباعِ [1]وقد اتَّقَع[1] ، فالتقَى هو وبابَكُ فى هذه السنةِ فاقتَتَلَا قتالًا عظيمًا ، فقَتَل الأفشينُ مِن أصحابِ بابَكَ خلقًا كثيرًا أزيدَ مِن[2] ألفٍ ، وهرَب هو إلى مدينتِه فأوَى إليها مكسورًا ، وكان هذا أوَّلَ ما تضَعْضَع[3] مِن أمرِ بابَكَ ، لعنَه اللَّهُ ، وجرَتْ بينَهما حروبٌ يطولُ ذكْرُها وبَسْطُها ، وقد استقصاها الإمام أبو جعفرِ بنُ جريرٍ[4] ، رحِمه اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ خرَج المعتصمُ مِن بغدادَ ، فنزَل القاطُولَ[5] فأقامَ بها .

وفيها غضِب المعتصمُ على الفضلِ بنِ مروانَ بعدَ المكانةِ العظيمةِ ، وعزَله عن الوَزارةِ وحبَسَه وأخَذ أموالَه ، وجعَل مكانَه محمدَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ الزياتِ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ صالحُ بنُ علىِّ بنِ محمدٍ أميرُ السنةِ الماضيةِ[6] .

وفيها توفِّى مِن الأعيان :

آدمُ بنُ أبى إياس[7] . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ رَجاءٍ[8] . **وعفانُ** بنُ مُسلمٍ[9] .

(١ - ١) سقط من : ب ، م ، وفى س : « وقد ارتفع » .

(٢) بعده فى ب ، م : « مائة » .

(٣) فى ص : « يصنع » .

(٤) تاريخ الطبرى ٩/١١ - ١٧.

(٥) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان فى موضع سامراء قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفره . معجم البلدان ٤/ ١٦.

(٦) بعده فى م : « فى الحج » .

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٩٠، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٧، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٥٩، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٩٧.

(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٠، والتاريخ الكبير ٥/ ٩١، وتهذيب الكمال ١٤/ ٥٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ) ص ٢٥٣.

(٩) فى م : « مسلمة » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٨، وتهذيب الكمال ٢٠/ ١٦٠، =

وقالُون[1] ، أحدُ مشاهيرِ القُرَّاءِ . وأبو حذيفةَ النَّهدىُّ[2] .

= وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٢٩٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٩.

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٣٥٠، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٥٥، ومرآة الجنان ٢/ ٨٠، وغاية النهاية ١/ ٦١٥.

(٢) فى م: «الهندى». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٤، وطبقات خليفة ٢/ ٧٥٦، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ٤٢٣.

ثم دخلَتْ سنةُ إحدى وعشرين ومائتين

فيها[1] كانت وقعةٌ [٨/١٧٢ظ] هائلةٌ بينَ بُغا الكبيرِ وبابَكَ الخُرَّميِّ[2]، فهزَم بابَكُ بُغا وقتَل خلقًا مِن أصحابِه، [3]فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون[3]. ثم اقتتَل الأفشينُ وبابَكُ، فهزَمه أفشينُ وقتَل خلقًا مِن أصحابِه بعدَ حروبٍ طويلةٍ، قد استقصاها [4]أبو جعفرٍ[4] بنُ جريرٍ [5]في تاريخِه[5].

وحجَّ بالناسِ فيها نائبُ مكةَ محمدُ بنُ داودَ بنِ عيسى بنِ موسى [3]بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ[3].

وفيها توفِّي [3]مِن الأعيانِ:[3] عاصمُ بنُ عليٍّ[6]. **وعبدُ اللَّهِ** بنُ مسلمةَ[7]

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٣، والمنتظم ١١/ ٦٤، والكامل ٦/ ٤٥٦.

(٢) سقط من: ب، م.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م. وانظر تاريخ الطبرى ٩/٢٣ - ٢٧.

(٥ - ٥) فى ب، م: «العباسى».

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٦، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٤٧، وتهذيب الكمال ١٣/ ٥٠٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٠٩.

(٧) فى الأصل، س، م، ص: «مسلم». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠، وتهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٤٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٣، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦١٧.

القَعْنَبِيُّ . **وعبدانُ**[1] . **وهشامُ** بنُ عبيدِ اللَّهِ الرازيُّ[2] .

---

(١) تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣١٥.

(٢) تاريخ الثقات للعجلى ص ٤٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٣٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ٤٧.

ثم دخَلتْ سنةُ ثنتين وعشرين ومائتين

فيها[1] وجَّه[2] المعتصمُ جيشًا كثيفًا[3] مددًا للأفشينِ على محاربةِ الخُرَّمِيَّةِ[4]، وبعَث إليه ثلاثين ألفَ ألفِ درهمٍ نفقةً للجندِ [5]والأتباعِ. وفيها اقتتَل الأفشينُ والخُرَّميَّةُ[5] قتالًا عظيمًا، وافتتَح الأفشينُ البَذَّ[6] - مدينةَ بابَكَ - واستباحَ ما فيها، [7]وللَّهِ الحمدُ[7]، وذلك يومَ الجمعةِ لعشْرٍ بَقِين مِن رمضانَ، وذلك بعدَ محاصرةٍ وحروبٍ هائلةٍ وقتالٍ شديدٍ وجهدٍ جهيدٍ، وقد أطال أبو جعفرٍ[8] بسْطَه جدًّا، وحاصلُ الأمرِ أنَّه افتتَح البلدَ وأخَذ جميعَ ما [9]احتوَى عليه[9] مِن الأموالِ [10]مِمَّا قدَر عليه[10].

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٩، والمنتظم ١١/ ٧٣، والكامل ٤/ ٤٦١.

(٢) فى م: «جهز».

(٣) فى ب: «كبيرا»، وفى م: «كثيرا».

(٤) فى ب، م: «بابك».

(٥ - ٥) فى ب، م: «فاقتتلوا».

(٦) فى الأصل: «من البر». والبذُّ: كورة بين أذربيجان وأرّان، بها كان مخرج بابك الخرمى فى أيام المعتصم. معجم البلدان ١/ ٥٢٩.

(٧ - ٧) زيادة من: الأصل، ص.

(٨) تاريخ الطبرى ٩/ ٣١ - ٥١.

(٩ - ٩) فى ب، م: «فيه».

(١٠ - ١٠) سقط من: الأصل، ص.

ذكرُ مَسْكِ بابَكَ [1] الخُرَّمِىّ وأسْرِه وقتلِه [1]

لمّا احتوَى المسلمون على بلدِه المسمَّى بالبَذّ ، وهى دارُ مُلْكِه ومقرُّ سلطانِه ، هرَب بمَن معه مِن أهلِه وولدِه ومعه أمُّه وامرأتُه ، فانفردَ فى شرذمةٍ قليلةٍ [1] مِن خَدَمِه [1] ، ولم يبقَ معهم طعامٌ ، فاجتاز بحَرَّاثٍ ، فبعَث غلامَه إليه [2] ومعه ذهبٌ [2] فقال : أعطِه الذهبَ وخذْ ما معه [3] مِن الخبزِ . فنظَر شريكُ الحرَّاثِ إليه مِن بعيدٍ وهو يأخذُ منه الخبزَ ، فظنَّ أنَّه قد اغتصبَه منه ، فذهَب إلى حصنٍ هناك فيه نائبٌ للخليفةِ يقالُ له : سهلُ بنُ سُنباطَ . ليستعدىَ على ذلك الغلامِ ، فركِب بنفسِه وجاء فوجَد الغلامَ فقال : ما خبرُك ؟ فقال : لا شىءَ ، إنَّما أعطَيتُه دنانيرَ ، وأخَذتُ منه هذا الخبزَ . فقال : ومَن أنت ؟ فأرادَ أن يُعَمِّىَ عليه الخبرَ ، فألحَّ عليه فقال : مِن غلمانِ بابَكَ . فقال : وأين هو ؟ فقال : ها هو ذا جالسٌ يريدُ الغداءَ . فسار إليه سهلُ بنُ سُنباطَ ، فلمّا رآه ترجَّل وجاءه فقبَّل يدَه وقال : يا سيدى أين تريدُ ؟ قال : أريدُ أنْ أدخُلَ بلادَ الرومِ . فقال : إلى عندِ مَن تذهبُ أحرَزُ مِن حصنى وأنا غلامُك وفى خدمتِك ؟ وما زال به حتى خدَعه وأخذَه معه إلى الحصنِ ، فأنزلَه عندَه وأجرَى عليه [٨/١٧٣و] النفقاتِ الكثيرةَ والتُّحفَ وغيرَ ذلك ، وكتَب إلى الأفشينِ يُعلِمُه بذلك [4] ، فأرسَل إليه أميرين لقبضِه ، فنزَلا قريبًا مِن الحصنِ وكتَبا إلى ابنِ سُنباطَ فقال : أقِيما مكانَكما حتى يأتيَكما أمرى . ثم قال لبابَكَ : إنَّك قد

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « وأعطاه ذهبا » .

(٣) بعده فى ص : « فجاء إليه فدفع إليه الدينار وناوله الحراث ما معه » .

(٤) سقط من : م .

حصَل لك غمٌّ[1] وضيقٌ مِن هذا الحصنِ، وقد عزَمتُ على الخروجِ اليومَ إلى الصيدِ ومعنا بُزاةٌ وكلابٌ، فإنْ أحببتَ أن تخرجَ معنا لتنشرحَ[2]. قال: نعم. فخرَجوا وبعَث ابنُ سُنباطَ إلى الأميرين أنْ كونا[3] بمكانِ كذا وكذا، وفى وقتِ كذا وكذا مِن النهارِ، فلما كانوا[4] بذلك الموضعِ أقبَل الأميران بمَن معهما مِن الجنودِ فأحاطوا ببابَكَ وبابنِ[5] سُنباطَ، فلما رأوْه جاءوا إليه فقالوا: ترجَّلْ عن دابتِك. فقال: ومَن أنتما؟ فذكَرا أنهما مِن عندِ الأفشينِ، فترجَّلَ حينَئذٍ عن دابتِه وعليه دُرَّاعةٌ بيضاءُ، [6]وعمامةٌ بيضاءُ[6]، وخفٌّ قصيرٌ، وفى يدِه بازٌ، فنظَر إلى ابنِ سُنباطَ فقال: قبَّحك اللَّهُ، فهلَّا طلبتَ منى مِن المالِ ما شئتَ، فكنتُ أعطيتُك أكثرَ مما يُعطيك هؤلاء. ثم أركَبوه وأخَذُوه معهما إلى الأفشينِ، فلما اقتَربوا [7]مِن بلادِ الأفشينِ[7] خرَج فتلقَّاه، وأمَر الناسَ أنْ يصطفُّوا صَفَّين، وأن يترجَّلَ بابَكُ فيدخلَ بينَ الناسِ وهو ماشٍ، ففعَل ذلك، وكان يومًا مشهودًا جدًّا، وكان ذلك فى شوالٍ مِن هذه السنةِ. ثم احتفَظ به [8]وهو فى السجنِ[8] عندَه. ثم كتَب الأفشينُ إلى المعتصمِ [9]يخبِرُه بأنَّ بابَكَ فى أسرِه وقد استحضَر أخاه عبدَ اللَّهِ أيضًا، فكتَب إليه المعتصمُ يأمرُه أنْ يقدَمَ بهما عليه إلى بغدادَ[9]،

---

(١) فى ب، م: «هم».

(٢) فى ب، م: «لتشرح صدرك وتذهب همك فافعل».

(٣) فى م: «كونوا».

(٤) فى ب، م: «كانا».

(٥) فى الأصل، ب، م: «وهرب ابن».

(٦ - ٦) زيادة من: ص.

(٧ - ٧) فى ب، م: «منه».

(٨ - ٨) فى ب، م: «وسجنه».

(٩ - ٩) فى ب، م: «بذلك فأمره أن يقدم به وبأخيه وكان قد مسكه أيضا وكان اسم أخى بابك عبد الله».

فتجهَّز[1] بهما إلى بغدادَ فى تمامِ هذه السنةِ[2] .

وحجَّ بالناسِ فيها [3]محمدُ بنُ داودَ[3] المتقدمُ ذكرُه[4] .

وفيها توفِّى : أبو اليَمانِ الحكمُ بنُ نافعٍ[5] . **وعمرُ** بنُ حفصِ بنِ غِياثٍ[6] . **ومسلمُ** بنُ إبراهيمَ[7] . **ويحيى** بنُ صالحٍ الوُحَاظىُّ[8] .

---

(١) بعده فى ب ، م : « الأفشين » .

(٢) بعده فى ب ، م : « ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « الأمير » .

(٤) بعده فى ب ، م : « فى التى قبلها » .

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٢، وتاريخ دمشق ١٥/ ٦٩، وتهذيب الكمال ٧/ ١٤٦، والوافى بالوفيات ١٣/ ١١٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٣٩.

(٦) فى الأصل : « عباس » ، وفى م : « عياش » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٣، والثقات لابن حبان ٨/ ٤٤٥، وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٩٥، والعبر ١/ ٣٨٥.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٤، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٠٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٤.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٣، وتاريخ دمشق ١٨/ ١٣٦ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٤٩.

ثم دخَلتْ سنةُ ثلاثٍ وعشرين ومائتين

فى يومِ الخميسِ ثالثِ صفرٍ [1]مِن هذه السنةِ[1] دخَل الأفشينُ على المعتصمِ سامَرّاءَ ، ومعه بابَكُ الخُرَّمِيُّ وأخوه عبدُ اللَّهِ فى تجملٍ عظيمٍ ، وقد أمَر المعتصمُ ابنَه هارونَ الواثقَ أن يتلقَّى الأفشينَ ، وكانت أخبارُه تفِدُ إلى المعتصمِ فى كلِّ يومٍ مِن شدةِ اعتناءِ المعتصمِ بأمرِ بابَكَ ، وقد ركِب المعتصمُ قبلَ وصولِ بابَكَ بيومين على البريدِ حتى دخَل إلى بابَكَ وهو لا يعرفُه ، فنظَر إليه ثم رجَع ، فلما كان يومُ دخولِه عليه تأهَّبَ المعتصمُ [٨/١٧٣ظ] واصطفَّ الناسُ سِماطَين[2] ، وأمَر بابكَ أن يركبَ على فيلٍ ليُشهَرَ أمرُه ويَعرِفوه ، وعليه قَباءُ ديباجٍ وقَلَنسوةُ سَمُّورٍ[3] مدورةٌ ، وقد هُيِّئَ[4] الفيلُ ، وخُضِبتْ[5] أطرافُه ، وأُلبِس[6] مِن الحريرِ والأمتعةِ التى تليقُ به شيئًا كثيرًا ، وقد قال فيه بعضُهم[7] :

(١ - ١) فى ب ، م : « منها » . وانظر سياق هذا الخبر ، وجملة أحداث هذه السنة فى تاريخ الطبرى ٩/ ٥٢، والمنتظم ١١/ ٧٦، والكامل ٦/ ٤٧٧.

(٢) فى الأصل : « صفين » ، وكلاهما بمعنى . انظر التاج (س م ط) .

(٣) السمور : دابة معروفة تكون ببلاد الروس وراء بلاد الترك ، تشبه النمس ويتخذ من جلدها فراء . التاج (س م ر) .

(٤) فى ب ، م : « هيئوا » .

(٥) فى ب ، م : « وخضبوا » .

(٦) فى ب ، م : « لبسوه » .

(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٣.

قد خُضِّبَ الفيلُ كعاداتِه يَحمِلُ شَيْطانَ خُراسانِ
والفيلُ لا تُخضَبُ أَعضاؤهُ إلا لذى شأنٍ مِن الشانِ

ولمّا أُحضِر بينَ يَدي المعتصمِ أمَر بقطعِ يديه ورجليه وحَزِّ رأسِه وشقِّ بطنِه، ثم أمَر بحملِ رأسِه إلى خراسانَ، وصلْبِ جثتِه على خشبةٍ بسامَرَّا، وكان بابَكُ قد شرِب الخمرَ [1]فى ليلةٍ أسفَر صباحُها عن[1] قتلِه، وهى ليلةُ الخميسِ لثلاثَ عشْرةَ خلتْ مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ. وكان هذا الملعونُ قد قتَل مِن المسلمين فى مدةِ ظهورِه، لعَنه اللَّهُ، وهى عشرون سنةً - مائتى ألفٍ وخمسةً وخمسين ألفًا وخمسَمائةِ إنسانٍ[2] - قاله ابنُ جريرٍ[3] - وأسَر خلقًا لا يُحصَوْن كثرةً[4]، وكان مِن جملةِ مَن استَنقَذه الأفشينُ مِن أسرِه نحوٌ مِن سبعةِ آلافٍ وستِّمائةِ إنسانٍ، وأسَر مِن أولادِه سبعةَ عَشرَ رجلًا، ومِن حلائلِه وحلائلِ أولادِه ثلاثًا وعشرين امرأةً مِن الخَواتين، وقد كان أصلُ بابَكَ ابنَ جاريةٍ زَريةِ الشكلِ جدًّا، فآل به الحالُ إلى ما آل به إليه، ثم أراح اللَّهُ المسلمين مِن شرِّه بعدَ ما افتتَن به خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ مِن[5] الطَّغامِ.

ولمَّا قتَله المعتصمُ توَّج الأفشينَ وقلَّده وِشاحين مِن جوهرٍ، وأطلقَ له عشرين ألفَ ألفِ درهمٍ، وكتَب له بولايةِ السِّندِ، وأمَر الشعراءَ أن يدخُلوا عليه فيمدَحوه

(١ - ١) فى ب، م: «ليلة».
(٢) سقط من: الأصل، ب، ص.
(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤، ٥٥.
(٤) سقط من: ب، م.
(٥) بعده فى ب، م: «العوام».

على ما فعَل مِن الخيرِ إلى المسلمين ، وعلى تخريبِه بلدَ بابَكَ التى يُقالُ لها : البَذُّ وترْكِه إيَّاها يَبابًا[1] خرابًا ، فقالوا فى ذلك فأحسَنوا ، وكان مِن جملتِهم أبو تمامٍ الطائىُّ ، وقد أورَد قصيدتَه بتمامِها الإمامُ أبو جعفرٍ - رحِمه اللَّهُ - فى « تاريخِه » ، وهى قولُه[2] :

بـذَّ الجِلادُ الـبـذَّ فـهْـو دَفِيـنُ ... ما إنْ بها إلا الوحوشَ قَطينُ[3]

لم يُقْرَ هذا السيفُ هذا الصبرَ فى ... هَـيْـجـاءَ إلا عـزَّ هـذا الـدِّيـنُ[4]

قد كان عُذْرَةَ سؤْدَدٍ[5] فافتضَّها ... بالسيفِ فَحْلُ المشرقِ الأفشينُ

[١٧٤/٨و] فأعادَها تَعوِى الثعالبُ وسْطَها ... ولقد تُرَى بالأمسِ وهْى عرينُ

هَطَلتْ عليها من جَماجمِ أهلِها ... دِيَمٌ أمـارتْـهـا طِـلـىً وشـئـونُ

كَانت مِن المُهْجاتِ قبلُ مفازةً ... عسِرًا فأضحتْ وهْى منه مَعينُ

وفى هذه السنةِ - أعنى سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومائتين - أوقَع ملكُ الرومِ تَوْفِيلُ ابنُ ميخائيلَ - لعَنه اللَّهُ - بأهلِ مَلَطْيَةَ[6] مِن المسلمين وما والاها ملحمةً عظيمةً ، قتَل فيها منهم[7] خلقًا كثيرًا مِن المسلمين ، وأسَر ما لا يُحْصَوْن كثرةً ، وكان مِن

---

(١) فى ب ، م : « قيعانا » . واليباب : الخراب . التاج (ى ب ب) .

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٥. وانظر ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ٣/ ٣١٦.

(٣) قال التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام ٣/ ٣١٦: بذ : أى سبق وغلب ، والقطين : أهل الدار ، يقصد أن الضِّراب قد غلب هذا المكان وهو موضع بابك .

(٤) يعنى لم يُعط هذا السيفُ صبرَ الضارب به فى الحرب إلا عزَّ الإسلامُ . ديوان أبى تمام بشرح التبريزى .

(٥)فى الديوان : « مغرب » .

(٦) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام . معجم البلدان ٤/ ٦٣٣، ٦٣٤.

(٧) سقط من : ب ، م .

جملةِ مَن أسَر ألفُ امرأةٍ مِن المسلماتِ . ومثَّل بمَن وقَع فى أسرِه مِن المسلمين ، فقطَع آذانَهم وآنافَهم[1] ، وسمَل أعينَهم ، قبَّحه اللَّهُ . وكان سببَ ذلك أنَّ بابَكَ - لعَنه اللَّهُ - لمّا أُحِيطَ به [2]مِن كلِّ جانبٍ[2] فى مدينتِه البَذِّ واستَوسقتِ الجنودُ حولَه ، كتَب إلى ملكِ الرومِ يقولُ له : إنَّ ملكَ العربِ قد جهَّز إلىَّ جمهورَ جيشِه ولم يَبْقَ فى أطرافِ بلادِه مَن يحفَظُها ، فإن كنتَ تريدُ الغنيمةَ فانهضْ سريعًا إلى ما حولَك مِن بلادِه فخُذْها ، فإنَّك لا تجدُ أحدًا يُمانِعُك عنها . فركِب تَوْفِيلُ - لعَنه اللَّهُ - فى مائةِ ألفٍ ، وانضافَ إليه المُحَمِّرةُ[3] الذين كانوا قد خرَجوا فى الجبالِ ، وقاتَلَهم إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ فلم يقدرْ عليهم ، و[4] تحصَّنوا بتلكَ الجبالِ ، فلمَّا قدِم ملكُ الرومِ صاروا معه على المسلمين فوصَلوا إلى زِبَطْرةَ[5] فقتَلوا مِن رجالِها[6] خلقًا كثيرًا وأسَرُوا [7]مِن حريمِها أمَّةً كثيرةً[7] ، فبلَغ ذلك المعتصمَ فانزعَج لذلك جدًّا ، وصرَخ فى قصرِه بالنَّفيرِ ، ونهَض مِن فَورِه فأمَر بتعبئةِ الجيوشِ واستَدعى بالقاضى والعدولِ[8] ، فأشهَدهم أنَّ ما يملِكُه مِن الضِّياعِ ؛ ثلثُه صدقةٌ[9] ، وثلثُه لولدِه ، وثلثُه لمَواليه .

---

(١) فى ب ، م : « أنوفهم » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) المحمرة : فرقة من الخرمية . التاج (ح م ر) .

(٤) فى ب ، م : « لأنهم » .

(٥) فى ب ، م : « ملطية » . وزبطرة : مدينة بين ملطية وسميساط والحَدَث فى طرف بلد الروم . معجم البلدان ٢/ ٩١٤.

(٦) فى ب ، م : « أهلها » .

(٧ - ٧) فى ب ، م : « نساءهم » .

(٨) فى ب ، م : « الشهود » .

(٩) فى الأصل : « فيه » ، وفى ص : « له » .

وخرَج مِن بغدادَ فعسكَر غربيَّ دِجْلةَ يومَ الاثنينِ للَيلَتَين خلتا مِن جمادَى الأُولى ، ووَجَّه بينَ يدَيه عُجَيفًا وطائفةً مِن الأمراءِ ومعهم خلقٌ مِن الجيشِ إعانةً لأهلِ زِبَطْرَةَ ، فأسرَعوا السَّيرَ ، فوجَدوا ملكَ الرومِ قد فعَل ما فعَل وانشمَر[1] إلى بلادِه راجعًا ، وتفارَط الحالُ ولم يمكِنْ الاستدراكُ فيه ، ورجَعوا إلى الخليفةِ لإعلامِه بما وقَع مِن الأمرِ ، فقال للأُمراءِ : أيُّ بلادِ الرومِ أمنَعُ ؟ قالوا : عَمُّورِيةُ ، لم يَعرِضْ لها أحدٌ منذُ كان الإسلامُ ، وهى أشرَفُ عندَهم مِن القُسطنطينيةِ .

ذِكرُ فتحِ عَمُّورِيَةَ على يدَيِ المعتصمِ[2]

لمَّا تفرَّغ المعتصمُ مِن شأنِ بابَكَ - لعَنه اللَّهُ - وقتَله وأخَذ بلادَه ، استَدعى بالجيوشِ إلى بينِ يدَيه ، وتجهَّز جِهازًا [٨/١٧٤ظ] لم يتجهَّزْه أحدٌ كان قبلَه مِن الخلفاءِ ، وأخَذ معه مِن آلاتِ الحربِ والأحْمالِ والجمالِ والقِرَبِ والدَّوابِّ والنِّفطِ والخيلِ والبغالِ شيئًا لم يُسمَعْ بمثلِه ، وسار إليها فى جحافلَ كالجبالِ ، وبعَث الأَفْشِينُ خَيذرَ بنَ كاوسَ مِن ناحيةِ سَرُوجَ[3] ، وعبَّأ الخليفةُ جيشَه تعبئةً لم يُسمَعْ بمثلِها ، وقدَّم بينَ يدَيه الأمراءَ المعروفين بالحربِ[4] ، فانتَهى فى سَيرِه إلى نهرِ اللَّمِسِ[5] وهو قريبٌ مِن طَرَسوسَ ، وذلك فى رجبٍ مِن هذه السنةِ

---

(١) فى الأصل ، ص : « استمر » .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٩/ ٥٧، والكامل ٦/ ٤٨٠.

(٣) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مُضر . معجم البلدان ٣/ ٨٥.

(٤) بعده فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « وخبرته » .

(٥) فى الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ : « اللس » ، وفى م : « اللسى » . وفى الكامل : « السن » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٥٧.

المباركةِ[1] .

وقد ركِب ملكُ الرومِ فى جيشِه ، فقصَد نحوَ المعتصمِ ، فتقارَبا حتى كان بينَ الجيشَين نحوٌ مِن أربعةِ فراسِخَ ، ودخَل الأَفْشِينُ بلادَ الرومِ مِن ناحيةٍ أخرى [2]فجاء مِن وراءِ ملِكِ الرومِ[2] ، [3]فحار فى أمرِه[3] وضاق ذرعُه بسببِ ذلك ؛ إن هو ناجَز الخليفةَ جاءه [4]الأفشينُ مِن خلفِه ، فالتَقيا عليه فيهلِكُ ، وإن [5]سار إلى أحدِهما[5] وترَك الآخرَ أخَذه[4] مِن ورائه ، ثم اقترَب منه الأَفْشينُ ، فسار [6]إليه مَلِكُ الرومِ[6] فى شِرذمةٍ مِن الجيشِ ، واستَخلَف على بقيَّتِه[7] قريبًا له ، فالتَقى[8] هو والأفشينُ فى يومِ الخميسِ لخمسٍ بقِين مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ ، فثبَت الأفشينُ فى ثانى الحالِ ، وقتَل مِن الرومِ خلقًا ، وجرَح آخرين ، [9]وتَفَلَّتَ فئةٌ[9] ملكِ الرومِ ، وبلَغه أن بقيَّةَ الجيشِ قد شرَدوا عن قرابتِه وذهَبوا عنه وتفرَّقوا عليه فأسرَع الأَوْبةَ ، فإذا نظامُ الجيشِ قد انحلَّ ، فغضِب على قرابتِه[10] ، وضرَب عنقَه ، وجاءتِ الأخبارُ بذلك كلِّه إلى المعتصمِ ، فسرَّه ذلك جدًّا ، فركِب مِن

---

(١) سقط من : ب ، م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « فجاءوا فى أثره » .

(٤ - ٤) سقط من : ب .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « اشتغل بأحدهما » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٧) فى ب ، م : « بقية جيشه » .

(٨) فى م : « فالتقيا » .

(٩ - ٩) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « وتغلب فيه » ، وفى م : « وتغلب على » . وما أثبتناه من المخطوط « س » يؤيده السياق بعده .

(١٠) فى ص : « قريبه » .

فورِه وجاء إلى أَنْقِرةَ[1] ووافاه الأَفْشينُ بمَن معه إلى هنالك ، فوجَدوا أهلَها قد هرَبوا [2]منها وتفرَّقوا عنها[2] فتَقوَّوْا منها [3]بطعامٍ وعلوفةٍ كثيرةٍ[3] ، ثم فرَّق المعتصمُ جيشَه ثلاثَ فرقٍ ؛ فالميمنةُ عليها الأفشينُ ، والميسَرةُ عليها أشناسُ ، والمعتصمُ فى القلبِ ، وبينَ كلِّ عسكرَين فَرْسخان ، وأمَر كلَّ أميرٍ مِن الأفشينِ وأشناسَ أن يجعَلَ لجيشِه ميمنةً وميسرةً وقلبًا ومقدَّمةً وساقةً ، وأنَّهم مهما مرُّوا عليه مِن القُرَى حرَّقوا وخرَّبوا وأسَرُوا وغنِموا ، وسار بهم كذلك قاصدًا إلى عَمُّورِيةَ ، وكان بينَها وبينَ[4] أنْقِرَةَ سبعُ مراحلَ ، فأولُ مَن وصلَ إليها مِن الجيوشِ أشناسُ أميرُ الميسرةِ ضَحْوةَ يومِ الخميسِ لخمسٍ خلَون مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فدارَ حولَها دورةً ، ثم نزَل على مِيلَين مِنها ، ثم جاء المعتصمُ صَبيحةَ يومِ الجُمُعةِ بعدَه ، فدارَ حولَها دورةً ، ثم نزَل قريبًا منها ، [5]ثمَّ قدِم الأفشينُ يومَ السبتِ [٨/١٧٥و] فدار حولَها دورةً ثم نزَل قريبًا مِنها[5] وقد تحصَّن أهلُها[6] وملَئوا أبراجَها بالرجالِ والسلاحِ ، وهى مدينةٌ عظيمةٌ جدًّا ذاتُ سورٍ منيعٍ ، وأبراجٍ عاليةٍ كبيرةٍ ، وقسَّم المعتصمُ الأبراجَ على الأمراءِ ، فنزَل كلُّ أميرٍ تُجاهَ الموضعِ الذى أقطَعه وعيَّنه له ، ونزَل المعتصمُ قُبالَه بمكانٍ[7] هناك قد أرشَده[8] إليه بعضُ مَن كان فيها مِن المسلمين الأُسراءِ[9] ، وكان قد تنصَّر عندَهم وتزوَّج منهم ، فلمَّا رأى أميرَ المؤمنين

---

(١) انظر معجم البلدان ١/٣٩٠ ، ٣٩١.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « منه » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « بما وجدوا من طعام وغيره » .

(٤) بعده فى ب ، م : « مدينة » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) بعده فى ب ، م : « تحصنا شديدا » .

(٧) فى ص : « فكان » .

(٨) فى ب ، م : « أرشد » .

(٩) سقط من : م ، ص .

والمسلمين معه[1] رجع إلى الإسلامِ ، وخرَج إلى الخليفةِ ، فأسلَم وأعلَمه بمكانٍ فى السُّورِ كان قد هدَّمه السيلُ ، وبُنِى بناءً فاسدًا[2] بلا أساسٍ ، فنصَب المعتصمُ المجانيقَ حولَ عَمُّورِيةَ ، فكان أولُ موضعٍ انهدَم[3] ذلك الموضعَ الذى [4]نصَح فيه[4] ذلك الأسيرُ ، فبادَر أهلُ البلدِ فسدُّوه بالخُشُبِ الكبارِ المتلاصقةِ فألَحَّ عليها المنجَنيقُ فكسَرها[5] ، فجعَلوا فوقَها البـرادعَ ؛ ليردُّوا حِدَّةَ الحَجرِ ، [6]فلمّا ألحَّ عليها المنجَنيقُ[7] لم تغْنِ شيئًا ، وانهدَم السورُ مِن ذلك الجانبِ وتفسَّخ ، فكتَب نائبُ البلدِ إلى ملكِ الرومِ يعلِمُه بذلك ، وبعَث ذلك مع غلامين مِن قومِهم ، فلمَّا اجتازوا بالجيشِ فى طريقِهم[8] أنكَروا[10] أمْرَهما ، فسألوهما مِمَّن أنتما ؟ فقالا : مِن أصحابِ فلانٍ . [11]لرجلٍ مِن[11] المسلمين ، فحُمِلا إلى المعتصمِ فقرَّرهما ، فإذا معهما كتابُ ياطسَ[12] نائبِ عَمُّورِيةَ إلى ملكِ الرومِ يعلِمُه بما حصَل لهم مِن الحصارِ ، وأنَّه عازِمٌ على الخروجِ مِن أبوابِ البلدِ بمَن معه بغتةً فيُناجِزُ[13] المسلمين[14] كائنًا فى ذلك ما

---

(١) سقط من : ب ، م ، ص .
(٢) فى ب ، م : « ضعيفا » .
(٣) بعده فى ب ، م : « من سورها » .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « دلهم عليه » .
(٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) سقط من : ص .
(٧ - ٧) سقط من : ب ، م ، ص .
(٨) فى ب ، م : « طريقهما » .
(٩) فى ب ، م : « أنكر المسلمون » .
(١٠ - ١٠) فى ب ، م : « لأمير سموه من الأمراء » .
(١١) فى ب : « بناطس » ، وفى س ، ظ : « باطس » ، وفى م : « مناطس » ، وفى ص ، والكامل ٦/ ٤٨٥ : « ناطس » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٩/ ٦٤ .
(١٢) فى ب ، م : « على » ، وفى ظ : « فتناحر » .
(١٣) بعده فى الأصل : « بمن معه » ، وبعده فى ب ، م : « ومناجزهم القتال » .

كان . فلمَّا وقَف المعتصمُ على ذلك أمَر بالغلامين ، فخلَع عليهما ، وأن يُعْطَى كلُّ واحدٍ[1] منهما بَدْرةً[2] ، فأسلَما مِن فورِهما ، فأمَر الخليفةُ أن يُطافَ بهما حولَ البلدِ وعليهما الخِلَعُ ، وأن يوقَفا تحتَ [3]الحصنِ الذى فيه ياطسُ[3] فيُنثَرَ عليهما الدراهمُ والخِلَعُ ، ومعهما الكتابُ الذى كتَب به [4]ياطسُ معهما[4] إلى ملكِ الرومِ ، فجعَلتِ الرومُ تلعَنُهما وتسُبُّهما . ثم أمَر المعتصمُ عندَ ذلك بتجديدِ الحرسِ[5] والاحتفاظِ فيه مِن خروجِ الرومِ بغتةً ، فضاقَتِ الرومُ ذَرْعًا بذلك ، وألحَّ عليهم المسلمون فى الحصارِ ، وقد أعدَّ[6] المعتصمُ [7]عليها المجانيقَ الكثيرةَ[7] والدباباتِ وغيرَ ذلك مِن آلاتِ الحربِ . ولمَّا رأَى المعتصمُ عمْقَ خندقِها وارتفاعَ سورِها عمِل المجانيقَ فى مقاومةِ سورِها ، وكان قد غنِم فى الطريقِ غَنَمًا كثيرًا جدًّا ففرَّقها فى الناسِ ، [8]وقال : ليأكلِ الرجلُ الرأسَ وليجئْ[8] بمِلءِ جلدِه ترابًا فيطرَحَه فى الخندقِ . ففعَل الناسُ ذلك فتساوَى الخندقُ بوجهِ الأرضِ مِن كثرةِ ما طُرِح فيه مِن الأغنامِ ، ثم أمَر بالتُّرابِ فوضِع فوقَ ذلك حتى صار طريقًا [٨/١٧٥ظ] ممهَّدًا ، وأمَر بالدباباتِ أن توضَعَ فوقَه ، فلم يحْوِجِ اللَّهُ إلى ذلك . وبينَما الناسُ فى الحَرْسِ[9] إذ هدَم المنجَنيقُ ذلك

---

(١) فى ب ، م : « غلام » .
(٢) البدرة : كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار . التاج (ب د ر) .
(٣ - ٣) فى ب ، م : « حصن مناطس » .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « مناطس » .
(٥) بعده فى ب ، م : « والاحتياط » .
(٦) فى ب ، م : « زاد » .
(٧ - ٧) فى ب ، م : « فى المجانيق » .
(٨ - ٨) فى ب ، م : « وأمر أن يأكل كل رجل رأسا ويجىء » .
(٩) فى الأصل : « الجسر » ، وفى ب ، م : « الجسر المردوم » .

الموضعَ المعيبَ [1]مِن السورِ[1] ، فلمَّا سقَط ما بينَ البُرْجَين سمِع الناسُ هَدَّةً عظيمةً ، فظنَّها مَن لم يرَها أنَّ الرومَ قد خرَجوا على الناسِ[2] بغتةً ، فبعَث المعتصمُ مَن ينادِى فى الناسِ : إنَّما ذلك سقوطُ السورِ . ففرِح المسلمون بذلك فرَحًا شديدًا ، لكنْ لم يكُنْ [3]يتَّسِعُ أن يدخُلَ منه الجيشُ لضيقِه عنهم ، فأمَر المعتصمُ بالمجانيقِ المتفرقةِ فجُمِعتْ هنالك ونصِبتْ حَولَ ذلك الموضعِ الذى سقَط ، ليضرِبَ بها ما حولَه ليتَّسِعَ لدخولِ[3] الخيلِ والرجالِ[4] . وقوِى الحصارُ هنالك جدًّا وقد وكَّلتِ الرومُ لكلِّ برجٍ مِن أبراجِ السورِ أميرًا يحفَظُه ، [5]واتُّفِق أنَّ[5] ذلك الأميرَ الذى [6]انهدَم ما عندَه[6] مِن السورِ ضعُفَ[7] عن مقاومةِ ما يَلقاه مِن المسلمين[8] ، فذهَب إلى ياطسَ[9] ، فسأَله النجـدةَ ، فامتَنَع أحدٌ مِن الرومِ أن ينجِدَه ، وقالوا : لا نترُكُ ما نحن [10]بصددِه مِن حفظِ أماكِنِنا التى قد عُيِّنتْ لنا[10] .

فلمَّا يئِس مِنهم خرَج إلى المعتصمِ ليجتَمِعَ به ، فلمَّا وصَل إليه أمَر المعتصمُ المسلمين أن يدخُلوا البلدَ مِن تلك الثُّغرةِ التى قد [11]انهدمت وخَلتْ[11] مِن

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « المسلمين » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « ما هدم يسع » .

(٤) بعده فى ب ، م : « إذا دخلوا » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « فضعف » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « هدمت ناحيته » .

(٧) سقط من : ب ، م .

(٨) فى ب ، م : « الحصار » .

(٩) فى الأصل ، س ، ظ : « باطش » ، وفى ب ، م : « مناطس » وفى ص : « ناطش » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٦٧.

(١٠ - ١٠) فى ب ، م : « موكلون فى حفظه » .

(١١ - ١١) فى ب ، م : « خلت » .

المقاتِلةِ ، فركِب المسلمون نحوَها ، فجعَلتِ الرومُ يُشِيرون إليهم [1]لا تَحْيَوا[1] ، ولا يقدِرون على دفاعِهم ، فلم يلتَفِتْ إليهم المسلمون ، ثم تكاثَروا عليهم ودخَلوا البلدَ قهْرًا وتتابَع المسلمون إليها يكبِّرون ، وتفرَّقتِ الرومُ عن أماكنِها ، فجعَلوا[2] يقتُلُونَهم فى كلِّ مكانٍ حيثُ وجَدوهم [3]وأين ثَقِفوهم[3] ، وقد حصَروهم[4] فى كنيسةٍ لهم هائلةٍ ، ففتَحوها قسْرًا وقتَلوا مَن فيها قهرًا[5] ، وأحرَقوا عليهم بابَ الكنيسةِ ، فأُحْرِقوا[6] عن آخرِهم ، ولم يبْقَ فيها موضِعٌ محصَّنٌ سِوى المكانِ الذى فيه النائبُ ، وهو ياطسُ[7] ، فى حصنٍ منيعٍ ، فركِب المعتصمُ فرسَه وجاء حتى وقَف بحذاءِ الحصنِ الذى فيه ياطسُ[7] ، فناداه المنادى : وَيْحَك يا ياطسُ[7] ، هذا أميرُ المؤمنين واقفٌ تُجاهَك . فقال[8] : ليس ياطسُ[7] هـٰهنا . مرتين . فغضِب المعتصمُ مِن ذلك وولَّى ، فنادَى ياطسُ[9] : هذا ياطسُ[9] ، هذا ياطسُ[9] . فرجَع الخليفةُ ونصَب السَّلالمَ على الحصْنِ ، وطلَعتِ الرسلُ إليه ، فقالوا له : وَيْحَك ، انزِلْ على حكمِ أميرِ المؤمنين . فتمَنَّع ، ثم نزَل متقلِّدًا سيفًا ، فوضَع السيفَ مِن[10]

(١ - ١) سقط من : ب ، م ، وفى الأصل : « بحبون » وفى س : « يحئوا » وفى ص : « يحيوا » ، وفى ظ : « نحيوا » . وفى الكامل : « لا تخشوا » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٦٧.

(٢) فى ب ، م : « فجعل المسلمون » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) فى ب ، م : « فحشروهم » .

(٥) سقط من : ب ، م .

(٦) فى ب ، م : « فاحترقت فأحرقوا » ، وفى ص : « فاحترقوا » .

(٧) فى الأصل ، س ، ظ : « باطش » وفى ب ، م : « مناطس » وفى ص : « ناطس » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٦٨.

(٨) فى ب ، م : « فقالوا » .

(٩) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « باطش » ، وفى ب ، م : « بمناطس » .

(١٠) فى ب ، م : « فى » .

عنقِه ، ثم جِيءَ به حتى أُوقِف بينَ يدَيِ المعتصمِ ، فضَرَبه بالسَّوطِ على [٨/١٧٦و] رأسِه ، ثم أمَر به أن يمشِيَ إلى مَضْرِبِ الخليفةِ ، فمشَى[(١)] مُهانًا إلى الوِطاقِ الذى فيه الخليفةُ نازلٌ ، فأُوثِق هناك . وأخَذ المسلمون مِن عَمُّوريَةَ أموالًا[(٢)] عظيمةً وغنائمَ[(٢)] لا تُحدُّ ولا توصَفُ ، فحمَلوا ما أمكَن حمْلُه ، وأمَر المعتصمُ بإحراقِ ما بقِى مِن ذلك ، وبإحراقِ ما هنالك مِن المجانيقِ والدَّباباتِ وآلاتِ الحربِ ؛ لئلَّا يتقوَّى بها الرومُ على شىءٍ مِن حربِ المسلمين ، وانصرَف[(٣)] راجعًا عنها إلى ناحيةِ طَرَسوسَ فى أواخرِ شوالٍ مِن هذه السنةِ ، وكانتْ إقامتُه على عموريةَ خمسةً وخمسين[(٤)] يومًا .

ذكرُ مقتلِ العباسِ بنِ المأمونِ

كان العباسُ بنُ المأمونِ مع عمِّه المعتصمِ فى غزاةِ عَمُّوريَةَ ، وكان عُجَيفُ بنُ عنبسةَ قد ندَّمه إذ لم يأخُذِ الخلافةَ بعدَ أبيه المأمونِ حينَ مات بطَرَسوسَ ، ولامَه على مبايعتِه عمَّه المعتصمَ ، ولم يزَلْ به حتى أجابه إلى الفتْكِ بعمِّه المعتصمِ ، وأخَذَ البيعةَ مِن الأمراءِ له ، وجهَّز رجلًا يقالُ له : الحارثُ السَّمَرْقَندىُّ . وكان نديمًا للعباسِ ، فأخَذ له البيعةَ مِن جماعةٍ مِن الأمراءِ فى الباطنِ ، واستوثَق منهم وتقدَّم إليهم أنَّه يلى [(٥)]متى ما فتَك[(٥)] بعمِّه ، [(٢)]فليقتلْ كلُّ واحدٍ منهم مَن يقدرُ عليه مِن رءوسِ أصحابِ المعتصمِ ؛ كالأفشينِ وأشناسَ وغيرِهم مِن الكبارِ[(٢)] ، فلمَّا كانوا بدربِ الرومِ وهم قاصِدون إلى أنْقِرَةَ ومنها إلى عَمُّوريَةَ ، أشار عُجَيفٌ

---

(١) سقط من : ب ، م .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) بعده فى ب ، م : « المعتصم » .

(٤) فى الأصل ، ب ، م : « عشرين » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٧٠.

(٥ - ٥) فى الأصل : « مافتك » . وفى ب ، م : « الفتك » .

على العباسِ أن يقتُلَ عمَّه فى هذا المضيقِ ، ويأخُذَ له البيعةَ ويرجِعَ إلى بغدادَ ، فقال العباسُ : إنِّى أكرَهُ أن أعطِّلَ على الناسِ هذه الغزوةَ . فلمَّا فتَحوا عَمُّوريَةَ واشتَغَل الناسُ بالمغانمِ أشار عليه أن يفتِكَ[1] ، فوعَده مضيقَ الدّربِ إذا رجَعوا ، فلمَّا رجَعوا فطِن المعتصمُ بالخبرِ ، فأمَر بالاحتفاظِ وقوةِ الحَرْسِ ، وأخَذ بالحزمِ واجتَهَد فى العزمِ ، واستَدعَى بالحارثِ السمرقندىِّ ، فاستَقرَّه فأقرَّ له بجليةِ[2] الأمرِ ، وأنه أخَذ البيعةَ للعباسِ بنِ المأمونِ مِن جماعةٍ مِن الأمراءِ أسمَاهم له ، فاستَكثَرهم المعتصمُ ، واستَدعَى بابنِ أخيه العباسِ بنِ المأمونِ فقيَّده وغضِب عليه وأهانه ، ثم أظهَر له أنَّه قد رضِى عنه وعفا عنه ، فأرسَله مِن القيدِ وأطلَق سَراحَه ، فلمَّا كان مِن الليلِ استَدعاه إلى حضْرتِه فى مجلسِ شرابِه ، واستَخْلاه[3] حتى سقاه واستَحكاه عن الذى [٨/١٧٦ظ] كان قد دبَّره مِن الأمرِ ، فشرَح له القضيَّةَ ، وأنهَى[4] له القصةَ ، فإذا الأمرُ كما ذكَر الحارثُ السمرقندىُّ ، فلمَّا أصبَح استَدعَى بالحارثِ ، فأخْلَاه وسأله عن القضيةِ ثانيًا ، فذكَرها له كما ذكَرها أولَ مرةٍ ، فقال : وَيْحَك ، إنِّى كنتُ حريصًا على ذلك ، فلم أجِدْ إلى ذلك سبيلًا بصدْقِك إيَّاى فى هذه القصةِ . ثم أمَر المعتصمُ حينَئذٍ بابنِ أخيه العباسِ ، فقيِّد ، وسلَّمه إلى الأفشينِ ، وأمَر بعُجَيفٍ وبقيةِ مَن ذكَر مِن الأمراءِ ، [5]فاحتِيطَ عليهم وأُحيطَ بهم ، ثم أخَذ فى أنواعِ[5] النِّقْماتِ يقترحُها لهم ، فقتَل كلَّ إنسانٍ منهم بنوعٍ [6]مِن القِتلاتِ[6] ، ومات العباسُ بنُ المأمونِ بمَنْبِجَ فدُفِن هناك ، وكان سببَ

---

(١) فى ب ، م : « يقتله » .

(٢) فى س : « بحقيقة » . وفى ب ، م : « بجملة » .

(٣) فى ب ، م : « استخلى به » .

(٤) فى ب ، م : « ذكر » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « فاحتفظ عليهم ثم أخذهم بأنواع » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « لم يقتل به الآخر » .

موتِه أنَّه جاع جوعًا شديدًا ، ثم جِيء بأكْلٍ كثيرٍ ، فأكَل وطلَب الماءَ فمُنِع منه حتى مات ، وأمَر المعتصمُ بلَعْنِه على المنابرِ ، وسمَّاه اللعينَ ، وقتَل جماعةً مِن ولدِ المأمونِ أيضًا .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ محمدُ بنُ داودَ ، (١) وفُتِحت فيها عمُّوريةُ ، كما تقدَّم (١) .

وتوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

بابَكُ الخُرَّمِىُّ (٢) ، قتِل وصلِب كما قدَّمنا (١) ذلك مبسوطًا (١) . **وخالدُ** بنُ خِداشٍ (٣) . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ صالحٍ (٤) ، كاتبُ الليثِ بنِ سعدٍ . **ومحمدُ** بنُ سِنانٍ العَوَقىُّ (٥) . **وموسى** بنُ إسماعيلَ (٦) .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٦٢، والفرق بين الفرق ص ٢٦٦. وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٤٩ .

(٣) فى ب ، م : «خراش» . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٧، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٠٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٣١، وتهذيب الكمال ٨/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٤٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٨، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٧٨، وتهذيب الكمال ١٥/ ٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٢٤، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢١٣.

(٥) فى النسخ : «العوفى» . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٢، والأنساب ٤/ ٢٥٩، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٥٨ ، والوافى بالوفيات ٣/ ١٤٠.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/٣٥٣ ، وتهذيب الكمال ٢٩/٢١ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/٣٦٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١- ٢٣٠ هـ) ص ٤١٤ ، وتذكرة الحفاظ ١/٣٩٤ .

ثم دخلتْ سنةُ أربعٍ وعشرين ومائتين

فيها[1] خرَج رجلٌ من آمُلِ طَبَرسْتَانَ يقالُ له: مَازَيارُ بنُ قارنِ بنِ ونداهُرْمزَ[2]، وكان لا يرضَى أن [3]يدفَعَ الخراجَ[3] إلى نائبِ خراسانَ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرِ بنِ الحسينِ، بل يبعَثَه إلى الخليفةِ ليقبِضَه منه، فبعَث الخليفةُ مَن يتلقَّى الحمْلَ إلى بعضِ البلادِ فيقبِضُه منه ثم يدفَعُه إلى عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، ثم توثَّب[4] على تلك البلادِ، وأظهَر المخالفةَ للمعتصمِ. وقد كان المازَيارُ هذا مِمَّن يكاتِبُ بابَكَ الخُرَّميَّ ويعِدُه بالنصرِ. ويقالُ: إنَّ الذى قوَّى رأسَ [5]المازيارِ هو[5] الأفشينُ؛ ليَعْجِزَ عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ[6]، فَيولِّيه المعتصمُ بلادَ خراسانَ مكانَه. فبعَث إليه المعتصمُ محمدَ بنَ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ - أخا إسحاقَ بنِ إبراهيمَ - فى جيشٍ كثيفٍ، فجرَتْ بينَهم حروبٌ طويلةٌ استَقصاها ابنُ جريرٍ[7]، وكان آخرَ ذلك أن أُسِرَ المازَيارُ وحُمِل إلى عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، فاستَقرَّه عن الكتبِ التى بعَثها

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٨٠، والمنتظم ١١/ ٨٨، والكامل ٦/ ٤٩٥.

(٢) سقط من: ب، وفى س، ظ: «زيدا هرمز»، وفى الكامل: «ونداد هرمز». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٨٠.

(٣ - ٣) فى الأصل، س، ص، ظ: «يرفع الحمل».

(٤) فى ب، م: «آل أمره إلى أن وثب».

(٥ - ٥) فى ب، م: «مازيار على ذلك».

(٦) بعده فى ب، م: «عن مقاومته».

(٧) تاريخ الطبرى ٨٠- ١٠١.

إليه الأفشينُ، فأقرَّ بها، فأرسَله (١نحوَ أميرِ المؤمنين١) ومعه مِن أموالِه التى اصطُفيتْ(٢) أشياءُ كثيرةٌ جدًّا؛ مِن الذهبِ والجواهرِ والثيابِ، فلمَّا أوقِف بينَ يدَيِ الخليفةِ سأله عن [١٧٧/٨و] كُتُبِ الأفشينِ إليه فأنكَرها، فأمَر به، فضرِب بالسِّياطِ حتى مات، وصُلِب إلى جانبِ بابَكَ الخُرَّميِّ على جسرِ بغدادَ، وقتَل عيونَ أصحابِه وأتباعِه.

وفى هذه السنةِ تزوَّج الحسنُ(٣) بنُ الأفشينِ بأترجةَ(٤) بنتِ أشناسَ، ودخَل بها فى قصرِ المعتصمِ بسامَرَّا فى جمادَى، وكان عُرْسًا عظيمًا، وَلِيَه (٥أميرُ المؤمنين٥) المعتصمُ بنفسِه، حتى قيل: إنَّهم كانوا يخْضِبون لِحَى العامةِ بالغاليةِ.

وفيها خرَج مَنْكَجورُ الأُشْرُوسَنىُّ قرابةَ الأفشينِ (٦بأرضِ أذْرَبيجانَ، وخلَع الطاعةَ، وذلك أنَّ الأفشينَ كان٦) قد استَنابه على بلادِ أذْرَبيجانَ حينَ فرَغ مِن أمرِ بابَكَ، فظفِر مَنْكَجورُ بمالٍ عظيمٍ مخزونٍ لبابَكَ فى بعضِ البلدانِ، فاحتَجَبه(٧) لنفسِه وأخفاه عن الخليفةِ، وظهَر على ذلك رجلٌ يقالُ له: عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ. وكاتَب الخليفةَ فى ذلك، فكتَب مَنْكجورُ

(١ - ١) فى ب، م: «إلى المعتصم».

(٢) فى م: «احتفظت للخليفة وهى».

(٣) فى الأصل، ب، س، ص، ظ، والكامل: «الحسين»، وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ١٠١، والمنتظم ١١/ ٨٨.

(٤) فى الطبرى ٩/ ١٠١: «أترنجة»، وفى الكامل: «أتراجة». والمثبت موافق لما فى المنتظم ١١/ ٨٨.

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦) نوع من الطِّيب.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) فى ب، م: «فأخذه».

يُكذِّبُه فى ذلك ، وهمَّ به ليقتُلَه ، فامتَنَع منه بأهلِ أرْدَبيلَ ، فلمَّا تحقَّق الخليفةُ كذِبَ مَنْكَجورَ بعَث إليه بُغا الكبيرَ ، فحارَبه وأخَذه بالأمانِ ، وجاء به إلى الخليفةِ .

وفى هذه السنةِ مات ياطِسُ[1] الرومىُّ الذى كان نائبًا على عَمُّورية [2]حينَ فتَحها المعتصمُ ونزَل مِن حصنِه على حكمِ[2] المعتصمِ ، فأخَذه معه أسيرًا ، فاعتَقَله بسامَرَّا حتى توفِّى فى هذا العامِ .

وفى رمضانَ منها تُوفِّى **إبراهيمُ بنُ المهدىِّ بنِ المنصورِ**[3] ، عمُّ المعتصمِ ، ويعرَفُ بابنِ شَكْلَةَ ، وقد كان أسودَ اللونِ ، ضخْمًا فصيحًا فاضلًا ، قال ابنُ ماكولا[4] : وكان يقالُ له : التِّنِّينُ[5] - يعنى لسَوادِه - وقد[6] ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى تاريخِه ترجمةً حافلةً[7] ، وذكَر أنَّه ولِى إمرةَ دمشقَ نيابةً عن أخيه الرشيدِ مدةَ سنتين ، ثم عزِل عنها ، ثم أُعِيد إليها الثانيةَ ، وأقام بها أربعَ سنينَ ، وذكَر مِن عدْلِه وصرامتِه أشياءَ حسنةً ، وأنَّه أقام للناسِ الحجَّ سنةَ أربعٍ وثمانين ، ثم عاد إلى دمشقَ ، [8]وكان قد بايعَه أهلُ بغدادَ[8] فى أولِ خلافةِ المأمونِ سنةَ ثِنتين

---

(١) فى الأصل ، س ، ظ : « باطش » ، وفى ب ، م : « مناطس » ، وفى ص : « باطس » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/١٠٢ .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « وذلك أن » .

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ١٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٦٧، والوافى بالوفيات ٦/ ١١٠، ومرآة الجنان ٢/ ٨٣.

(٤) الإكمال ١/ ٥١٨.

(٥) فى ب ، م : « العينى » .

(٦) بعده فى ب ، م : « كان » .

(٧) تاريخ دمشق ٧/ ١٥٥.

(٨ - ٨) فى ب ، م : « ولما بويع بالخلافة » .

ومائتين، (١كما ذكَرنا. وقد١) قاتَله الحسنُ بنُ سهلٍ نائبُ بغدادَ، فهزَمه إبراهيمُ فقصَده حُمَيدٌ الطُّوسيُّ، فهزَم إبراهيمَ، واختَفَى إبراهيمُ ببغدادَ حينَ قدِمها المأمونُ (١مدةً طويلةً١)، ثم ظفِر به المأمونُ (١سنةَ عشرٍ١)، فعفا عنه وأكرَمه (١واستمرَّ به فى منزلتِه التى كان عليها قبلَ ذلك١).

وكانتْ مدةُ ولايتِه (٢على بغدادَ ومعاملتِها٢) سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا واثنى عشَرَ يومًا، وكان بَدءُ [١٧٧/٨ظ] اختفائِه فى أواخرِ ذى الحِجةِ سنةَ ثلاثٍ ومائتين، (٣وكانت مدةُ اختفائِه٣) ستَّ سنينَ وأربعةَ أشهرٍ وعشرًا، (١وكان الظَّفَرُ به فى ثالثَ عشَرَ ربيعٍ الأولِ مِن سنةِ عشْرٍ ومائتين، وقد جرتْ له فى اختفائِه هذا أمورٌ عجيبةٌ يطولُ بسطُها١).

قال الخطيبُ البغداديُّ(٤): وقد كان إبراهيمُ بنُ المهدىِّ وافرَ الفضلِ، غزيرَ الأدبِ، واسعَ النفسِ، سخِيَّ الكفِّ، وكان معروفًا بصنعةِ الغناءِ حاذِقًا بها، (٥وذكَر الخطيبُ أنَّه٥) قلَّ المالُ على إبراهيمَ بنِ المهدىِّ فى أيامِ خلافتِه ببغدادَ، فألحَّ الأعرابُ عليه فى أخذِ أعطياتِهم، فجعَل يُسوِّفُ بهم، فخرَج إليهم رسولُه يقولُ: إنَّه لا مالَ عندَه اليومَ. فقال بعضُهم: فليخرُجِ الخليفةُ إلينا، فليُغَنِّ لأهلِ هذا الجانبِ ثلاثةَ أصواتٍ، وللجانبِ الآخرِ ثلاثةَ أصواتٍ. فقال فى ذلك دِعبِلُ (٦بنُ علىٍّ٦) - شاعرُ المأمونِ - يذُمُّ إبراهيمَ بنَ المهدىِّ (٦فى ذلك٦):

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢ - ٢) فى ب، م: «الخلافة».

(٣ - ٣) فى ب، م: «فمكث مختفيا».

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ١٤٤.

(٥ - ٥) فى ب، م: «وقد».

(٦ - ٦) سقط من: ب، م. وانظر الأبيات فى تاريخ بغداد ٦/١٤٤.

يا معشرَ الأعرابِ لا تغلَطوا ... خُذوا عَطاياكم ولا تَسخَطوا
فسوف يُعطِيكم حُنَيْنيَّةً[1] ... لا تدخُلُ الكيسَ ولا تُربطُ
والمَعْبَدِيَّاتُ[2] لقُوَّادِكم ... وما بهذا أحدٌ يُغبطُ
فهكذا يرزُقُ أصحابَه ... خليفةٌ مُصْحَفُه البَرْبَطُ[3]

وكتَب إبراهيمُ بنُ المهدىِّ إلى ابنِ أخيه المأمونِ حينَ طال عليه الاختفاءُ: وليُّ الثأرِ محكَّمٌ فى القِصاصِ، والعفْوُ أقربُ للتقوَى، وقد جعَل اللَّهُ أميرَ المؤمنين فوقَ كلِّ ذى عفْوٍ، كما جعَل كلَّ ذى ذَنْبٍ[4] دونَه، فإنْ عفا فبفضْلِه، وإن عاقَب فبحَقِّه.

فوقَّع المأمونُ فى جوابِ ذلك: القدرةُ تُذهِبُ الحفيظةَ، وكفَى بالندمِ إنابةً، وعفْوُ اللَّهِ أوسَعُ مِن كلِّ شىءٍ.

ولمَّا دخَل إبراهيمُ عليه أنشَأ يقولُ:

إن أكُنْ مُذْنبًا فحظِّىَ أخطَأ ... تُ فدَعْ عنك كثرةَ التَّأنيب
قلْ كما قال يوسفُ لبَنى يعـ ... ـقوبَ لمَّا أتَوْه: لا تثريب

فقال المأمونُ: لا تثريبَ.

وروَى الخطيبُ البغدادىُّ[5] أنَّ إبراهيمَ بنَ المهدىِّ لمَّا وقَف بينَ يدَىِ المأمونِ

---

(١) فى تاريخ بغداد: «خنينية». وحنينية: نسبة إلى حنين الحيرى المغنى، يعنى ألحانا حنينية. وانظر تاريخ دمشق ١٦٩/٧.
(٢) المعبديات: نسبة إلى معبد المغنى. انظر تاريخ دمشق ١٧٠/٧.
(٣) البربط: فارسى معرب وهو العود (من آلات الموسيقى). المعجم الذهبى للألفاظ الفارسية ص ١٠٦.
(٤) فى ب، م: «نسب». وانظر تاريخ بغداد ٦/ ١٤٥.
(٥) تاريخ بغداد ٦/ ١٤٥.

شرَع يؤنِّبُه على ما فعَل، فقال: يا أميرَ المؤمنين، حضَرتُ أبى [١٧٨/٨و] وهو جدُّك وقد أتِى برجلٍ ذنْبُه أعظمُ مِن ذنبى، فأمَر بقتْلِه، فقال مباركُ بنُ فَضالةَ: يا أميرَ المؤمنين، إن رأيتَ أن تؤخِّرَ قتْلَ هذا الرجلِ حتى أحدِّثَك حديثًا. فقال: قُلْ. فقال: حدَّثنى الحسنُ البصرىُّ، عن عمرانَ بنِ حصينٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ مِن بُطْنانِ العرشِ: ألَا لِيَقُمِ العافون[1] مِن الخلفاءِ إلى أكرمِ الجزاءِ، فلا يقومُ إلا مَن عفا». فقال المأمونُ: قد قبِلتُ هذا الحديثَ بقبولِه، وعفَوتُ عنك يا عمُّ. وقد ذكَرنا فى سنةِ أربعٍ ومائتين زيادةً على هذا[2]. وقد كانتْ أشعارُه جيِّدةً بليغةً، سامَحه اللَّهُ، وقد ساق مِن ذلك الحافظُ ابنُ عساكرَ [3]فى «تاريخِه» أشياءَ حسنةً كثيرةً[3].

كان مولِدُ إبراهيمَ بنِ المهدىِّ هذا فى مستهَلِّ ذى القَعدةِ سنةَ ثنتين وستين ومائةٍ، وتوفِّى يومَ الجمُعةِ لسبعٍ خَلَون مِن هذه السنةِ، عن ثنتين وستين سنةً.

وممن توفِّى [4]فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ أيضًا[4]: **سعيدُ** بنُ أبى مريمَ المصرىُّ[5]. **وسليمانُ** بنُ حربٍ[6]. **وأبو مَعْمَرٍ** المُقْعَدُ[7].

---

(١) بعده فى ب، م: «عن الناس».

(٢) انظر صفحة ١٣١.

(٣ - ٣) فى ب، م: «جانبا جيدا». وانظر تاريخ دمشق ٧/١٩٠ فما بعدها.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

(٥) تهذيب الكمال ١٠/ ٣٩١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٧٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢١٥، حسن المحاضرة ١/ ٣٤٦.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١- ٢٣٠هـ) ص ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٠، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٦١.

(٧) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤، وتهذيب الكمال ٣٤/ ٣١٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٣٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٩٣، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٨٢.

وعلىُّ بنُ محمدٍ المدائنىُّ الأخبارىُّ[1] ، أحدُ أئمةِ هذا الشأنِ فى زمانِه .

وعمرُو بنُ مرزوقٍ[2] ، شيخُ البخارىِّ ، وقد تزوَّج هذا الرجلُ ألفَ امرأةٍ .

وأبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ البغدادىُّ[3] ، أحدُ أئمةِ اللغةِ والفقهِ والحديثِ والقرآنِ والأخبارِ وأيامِ الناسِ ، وله المصنفاتُ المشهورةُ المنتشرةُ بينَ العلماءِ[4] ، حتى يقالَ : إنَّ الإمامَ أحمدَ كتَب كتابَه فى الغريبِ بيدِه . ولمَّا وقَف عليه عبدُ اللَّهِ ابنُ طاهرٍ رتَّب له فى كلِّ شهرٍ خمسَمائةِ درهمٍ ، وأجرَاها على ذرِّيَّتِه مِن بعدِه .

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[5] أنَّ ابنَ طاهرٍ استَحسَنه[6] ، وقال : ما ينبغى لعقلٍ بعَث صاحبَه على تصنيفِ هذا الكتابِ أن[7] يُحْوِجَ صاحبُه إلى طلبِ المعاشِ . وأجرَى له عشَرةَ آلافِ درهمٍ فى كلِّ شهرٍ . وقال محمدُ بنُ وهبٍ المِسْعَرىُّ[8] : سمِعتُ أبا عبيدٍ يقولُ : مكَثتُ فى تصنيفِ هذا الكتابِ أربعين سنةً .

وقال هلالُ بنُ العلاءِ[9] الرَّقِّىُّ ، مَنَّ اللَّهُ على المسلمين بهؤلاءِ الأربعةِ ؛

---

(١) المعارف ٥٣٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ٥٤، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٨٨، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٦٧، ومرآة الجنان ٢/ ٨٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٥، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٠٣، العبر ١/ ٣٩١.

(٣) مراتب النحويين واللغويين ص ١٤٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣، وإنباه الرواة ٣/ ١٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٠، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٢٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤١٧، وغاية النهاية ٢/ ١٧.

(٤) فى ب ، م : « الناس » .

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٦١.

(٦) فى ب ، م : « استحسن كتابه » .

(٧) فى الأصل ، س ، ظ ، ص : « حقيق ألّا » .

(٨) سقط من : ص ، وفى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « المسعودى » . والمثبت من تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٦١.

(٩) فى ب ، م : « المعلى » . وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٤١٠.

بالشافعيِّ ، تفقَّه[1] فى الحديثِ ، وبأحمدَ بنِ حنبلٍ ، ثبَت[2] فى المحنةِ ، وبيحيى ابنِ معينٍ ، نفَى الكذبَ [3]عن الحديثِ[3] ، وبأبى عبيدٍ ، فسَّر غريبَ الحديثِ ، [٨/١٧٨ظ] ولولا ذلك لاقتَحَم الناسُ [4]فى الخطأِ[4] .

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[5] أنَّ أبا عبيدٍ ولِى القضاءَ بطَرَسوسَ ثمانىَ عشْرةَ سنةً ، وذكَر له مِن العبادةِ والاجتهادِ فى العبادةِ شيئًا كثيرًا .

وقد روَى العربيةَ[6] عن أبى زيدٍ الأنصارىِّ ، والأصمعىِّ ، وأبى عبيدةَ [7]مَعْمَرِ ابنِ المُثَنَّى[7] ، وابنِ الأعرابىِّ ، والفرَّاءِ ، والكِسائىِّ ، وغيرِهم .

وقال إسحاقُ بنُ رَاهويْهِ[8] : نحن نحتاجُ إليه وهو لا يحتاجُ إلينا .

وقدِم بغدادَ وسمِع الناسُ منه مِن تصانيفِه .

وقال إبراهيمُ الحربىُّ[9] : كان كأنَّه جبلٌ نفِخ فيه رُوحٌ ، يحسِنُ كلَّ شىءٍ[10] .

وقال أحمدُ بنُ كاملٍ القاضى[11] : كان أبو عبيدٍ فاضلًا ديِّنًا ربانيًّا عالمًا

---

(١) بعده فى ب ، م : « الفقه و » .
(٢) سقط من : ب ، م .
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، وفى ب ، م : « المهالك » .
(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٦١.
(٦) فى ب ، م : « الغريب » .
(٧ - ٧) زيادة من : ب ، م .
(٨) تاريخ بغداد ١٢/ ٤١١، ووفيات الأعيان ٤/ ٦١.
(٩) تاريخ بغداد ١٢/ ٤١٢.
(١٠) بعده فى تاريخ بغداد : « إلا الحديث صناعة أحمد ويحيى » .
(١١) تاريخ بغداد ١٢/ ٤١١.

متفنِّنًا[1] فى أصنافِ علومِ[2] الإسلامِ ؛ مِن القرآنِ والفقهِ والعربيةِ والأخبارِ[3] ، حسنَ الروايةِ ، صحيحَ النقلِ ، لا أعلَمُ أحدًا طعَن عليه فى شىءٍ مِن علْمِه وكُتُبِه .

وله كتابُ « الأموالِ » ، وكتابُ « فضائلِ القرآنِ ومعانيه » ، وغيرُ ذلك مِن الكتبِ المنتفَعُ بها ، رحِمه اللَّهُ .

توفِّى فى هذه السنةِ - قاله البخارىُّ[4] ، وقيل[5] : فى التى قبلَها - بمكةَ ، وقيل : بالمدينةِ ، وله سبعٌ وستون سنةً ، رحِمه اللَّهُ . وقيل : جاوَز السبعين . فاللَّهُ أعلمُ .

ومحمدُ بنُ عثمانَ أبو الجَماهِرِ الدمشقىُّ الكَفْرَسُوسِىُّ[6] ، أحدُ مشايخِ الحديثِ . **ومحمدُ** بنُ الفضلِ أبو النُّعمانِ السَّدُوسىُّ[7] ، الملقبُ بعارمٍ ، شيخُ البخارىِّ . **ومحمدُ** بنُ عيسى بنِ الطَّبَّاعِ[8] . **ويزيدُ** بنُ عبدِ ربِّه الجُرْجُسىُّ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م : « متقنا » . وفى ظ : « متقيا » .

(٢) بعده فى ب ، م : « أهل الإيمان والإتقان و » .

(٣) فى ب ، م : « الأحاديث » .

(٤) التاريخ الكبير ٧/ ١٧٢.

(٥) تاريخ بغداد ١٢/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣٥٧.

(٦) فى ب ، م : « الكفرنونى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٥/٦٥٩ (مخطوط) ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٦٩، والوافى بالوفيات ٤/ ٨١.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٥، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٧٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٢٢.

(٨) تاريخ بغداد ٢/ ٣٩٥، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٧٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤١١.

الحِمْصِيُّ[1] ، شيخُها فى زمانِه .

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٥، وثقات ابن حبان ٩/ ٢٧٤، وتهذيب الكمال ٣٢/ ١٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٦٥.

ثم دخلتْ سنةُ خمسٍ وعشرين ومائتين

فيها[1] دخَل بُغا الكبيرُ ومعه مَنْكَجورُ، قد أعطَى الطاعةَ بالأمانِ.

وفيها عزَل المعتصمُ جعفرَ بنَ دينارٍ عن نيابةِ اليمنِ، وغضِب عليه، ووَلَّى اليمنَ إيتاخَ.

وفيها وجَّه عبدَ اللَّهِ بنَ طاهرٍ بالمازَيارِ، فدخَل بغدادَ على بغلٍ بإكافٍ، [2]لخمسٍ خلَون مِن ذى القَعدةِ[2]، فضرَبه المعتصمُ بينَ يدَيه أربعَمائةٍ وخمسين سوطًا، ثم سُقِى الماءَ حتى مات، وأمَر بصلْبِه إلى جنْبِ بابَكَ الخُرَّميِّ، وأقرَّ فى ضرْبِه أنَّ الأفشينَ كان يكاتِبُه ويُحسِّنُ له خلْعَ الطاعةِ، فغضِب المعتصمُ على الأَفشينِ وأمَر بسَجْنِه، فبُنِى له مكانٌ كالمنارةِ مِن دارِ الخلافةِ يُسمَّى الكَوَّةَ[3]، إنَّما يسَعُه فقط، وذلك حينَ تحقَّق [4]الخليفةُ أنه كان[4] يريدُ مخالفتَه والخروجَ عليه، وأنَّه يعزِمُ على الذَّهابِ إلى بلادِ الخَزَرِ ليستَجيشَ بهم على المسلمين، فعاجَله الخليفةُ بالقبضِ عليه [٨/١٧٩و] قبلَ ذلك كلِّه، وعقَد له المعتصمُ مجلِسًا[5] فيه قاضِيه أحمدُ بنُ أبى دُوادٍ[6] المعتزليُّ، ووزيرُه محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ الزياتِ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٠٣، والمنتظم ١١/ ٩٨، والكامل ٦/ ٥١٠.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) الكوّة: تفتح وتضم الثقبة فى الحائط، والكوة بلغة الحبشة المشكاة، وقيل: كل كوة غير نافذة مشكاة. المصباح المنير (ك و ى).

(٤ - ٤) فى ب، م: «أنه».

(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ١٠٧، والكامل ٦/ ٥١٣.

(٦) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «داود». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ١٠٧، والتاج (د و د)، وفى المنتظم ١١/ ٩٨، والكامل ٦/ ٥١٣، «دؤاد»، بالهمز.

ونائبُه إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ ، فاتُّهِم الأفشينُ فى هذا المجلسِ بأشياءَ تدلُّ على أنَّه باقٍ على دينِ أجدادِه مِن الفرسِ ؛ منها أنَّه غيرُ مُخْتَتِنٍ ، فاعتَذَر أنَّه يخافُ ألَمَ ذلك ، فقال له الوزيرُ - وهو الذى كان يناظِرُه مِن بينِ القومِ - : فأنت تُطاعِنُ بالرِّماحِ فى الحروبِ ولا تخافُ مِن طعْنِها ، وتخافُ مِن قطْعِ قُلْفةٍ ببَدَنِك ؟! ومنها أنَّه ضرَب رجُلينِ إمامًا ومؤذِّنًا ، كلَّ واحدٍ ألفَ سوطٍ ؛ لأنَّهما هدَما بيتَ أصنامٍ ، فاتَّخَذاه مسجدًا ، وأنَّه عندَه كتابُ « كليلةَ ودِمنةَ » وفيه الكفرُ ، وهو محلًّى بالجواهرِ والذَّهبِ ، فاعتَذَر أنَّه ورِثه مِن آبائِه[1] ، واتُّهم بأنَّ الأعاجمَ يكاتِبونه فتقولُ[2] : إلى[3] إلهِ الآلهةِ مِن عبيدِه[4] . وأنَّه يُقِرُّهم على ذلك ، فجعَل يعتَذِرُ بأنَّه أجراهم على ما كانوا يكاتِبون به آباءَه وأجدادَه ، وخاف أن يأمُرَهم بترْكِ ذلك فيتَّضِعَ عندَهم . فقال له الوزيرُ : وَيْحَك ، فماذا أبقيتَ لفرعونَ[5] حينَ قال : أنا ربُّكم الأعلى ؟ وأنَّه كان يُكاتِبُ المازَيارَ بأن يخرُجَ عن الطاعةِ ، وأنَّه فى ضيْقٍ حتى ينصُرَ دينَ المجوسِ الذى كان قديمًا ، ويظهِرَه على دينِ العربِ [6]والمغاربةِ والأتراكِ[6] ، وأنَّه كان يستَطيبُ المنخنقةَ على المذبوحةِ ، وأنَّه كان فى كلِّ يومِ أربعاءَ يَستَدعى بشاةٍ سوداءَ ، فيضرِبُها بالسيفِ نصفين ويمشى بينَهما ثم يأكُلُهما ، فعندَ ذلك أمَر المعتصمُ بُغا الكبيرَ أنْ يسجُنَه مهانًا ذليلًا ، فجعَل يقولُ : إنِّى كنتُ أتوقَّعُ منكم ذلك .

---

(١) فى م : « آبائهم » .
(٢) فى ب ، م : « وتكتب إليه فى كتبها » .
(٣) فى ب : « أنه » . وفى م : « أنت » .
(٤) فى ب ، م : « العبيد » .
(٥) فى الأصل : « لقارون » .
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

وفى هذه السنةِ حمَل عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ الحسنَ بنَ الأَفْشينِ وزوجتَه أترجةَ[1] بنتَ أشناسَ إلى سَامَرَّا. وحجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ داودَ.

وفيها توفِّى مِن الأعيانِ:

أصْبَغُ بنُ الفَرَجِ[2]. **وسَعْدوَيْهِ**[3]. **ومحمدُ** بنُ سَلَامٍ البِيكَنْدىُّ[4]. [5]شيخُ البخارىِّ[5]. **وأبو عمرَ** الجَرْمىُّ[6]. [7]**وأبو عمرَ** الحوضىُّ[7]. **وأبو دُلَفٍ** العِجْلىُّ التَّميمىُّ الأميرُ[8]، أحدُ الأجوادِ.

وسعيدُ بنُ مَسْعَدَةَ، أبو الحسنِ الأخفشُ الأوسطُ البَلْخىُّ، ثم البصرىُّ

---

(١) سقط من: ب. وفى تاريخ الطبرى ٩/ ١١٠: «أترنجة». وانظر المنتظم ١١/ ٩٩.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازى ١٥٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٠، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٩٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٢٨١.

(٣) هو سعيد بن سليمان المعروف بسعدويه الواسطى، انظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٠، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨١، و تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١-٢٣٠هـ) ص ١٧٦، وتذكرة الحفاظ ١/٣٩٨، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٢٦.

هذا غير سعدويه الطويل، سعيد بن يحيى الأصبهاني، الذى ترجم له الحافظ الذهبى فى نفس الطبقة، ولم يذكر سنة وفاته. انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٨٦.

(٤) تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٥٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٢، والوافى بالوفيات ٣/ ١١٥، العبر ١/ ٣٩٥.

(٥ - ٥) زيادة من: ب، م.

(٦) تأتى ترجمته فى الصفحة التالية.

(٧ - ٧) سقط من: ب، م، وفى ص: «أبو عمرو الحوضى». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٣٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٠١.

(٨) طبقات ابن المعتز ١٧٠، ومعجم الشعراء ٢١٦، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤١٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٣١، وشذرات الذهب ٢/ ٥٧.

النحويُّ[1] ، أخَذ النحوَ عن سِيبوَيْهِ ، وصنَّف كتُبًا كثيرةً ؛ منها كتابٌ فى معانى القرآنِ ، وكتابُ « الأوسطِ » فى النحوِ ، وغيرُ ذلك ، وله كتابٌ فى العَروضِ زاد فيه [١٧٩/٨ظ] بحرَ الخَبَبِ على الخليلِ[2] .

وسُمِّى الأخفشَ لصِغَرِ عينَيه ، وضعْفِ بصرِه ، وكان أيضًا أجلعَ[3] ، وهو الذى لا [4]تنضمُّ شفَتاه[4] على أسنانِه ، كان أولًا يقالُ له : الأخفشُ الصغيرُ . بالنسبةِ إلى الأخفشِ الكبيرِ أبى الخطابِ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ المجيدِ الهَجَرىِّ ، شيخِ سِيبوَيْهِ ، وأبى عُبيدةَ ، فلمَّا ظهَر علىُّ بنُ سليمانَ ولُقِّب بالأخفشِ أيضًا صار سعيدُ بنُ مَسْعَدَةَ هو الأوسطَ ، والهَجَرىُّ الأكبرَ ، وعلىُّ بنُ سليمانَ الأصغرَ . [5]قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] : وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، وقيل : سنةَ إحدَى وعشرين ومائتين .

الجَرْمىُّ النحْوىّ[6]

وهو صالحُ بنُ إسحاقَ البصرىُّ ، قدِم بغدادَ وناظَر بها الفَرَّاءَ ، وكان قد أخَذ

---

(١) كذا أورده المصنف ضمن وفيات سنة خمس وعشرين ومائتين ، فى حين أجمعت مصادر ترجمته على أن وفاته سنة خمس عشرة ومائتين ، وانظر ترجمته فى : مراتب النحويين ص ١١١ ، وطبقات النحويين ص ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٢٤ ، إنباه الرواة ٢/ ٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠هـ) ص ١٧٢ ، ومرآة الجنان ٢/ ٦١ .

(٢) فى م : « الخيل » .

(٣) فى ب : « أدلع » . وفى م : « أدلغ » . وفى ظ : « أجلح » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠٨ .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « يضم شفتيه » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٣٨١ ، وعنده أن وفاته كانت سنة خمس عشرة ومائتين . وانظر حاشية (١) .

(٦) مراتب النحويين ص ١٢٢ ، وأخبار النحويين البصريين ص ٧٢ ، وطبقات الزبيدى ص ٤٦ ، وتاريخ بغداد =

النحوَ عن أبى عُبيدةَ ، وأبى زيدٍ ، والأصمعىِّ ، وصنَّف كتبًا ؛ منها « الفرخُ »[1] - يعنى فرخَ « كتابِ سِيبوَيْهِ » - وكان فقيهًا فاضلًا نحويًّا بارِعًا عالمًا باللغةِ حافظًا لها ، ديِّنًا ورِعًا ، حسنَ المذهبِ ، صحيحَ الاعتقادِ ، وروَى الحديثَ . [2]قاله كلَّه[2] ابنُ خَلِّكانَ[3] ، وروَى عنه المبرِّدُ ، وذكَره أبو نعيمٍ فى « تاريخِ أصْبهانَ »[4] .

= ٩/ ٣١٣، ونزهة الألباء ١٤٣، ومعجم الأدباء ١٢/ ٥، إنباه الرواة ٢/ ٨٠، وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٠١، وغاية النهاية ١/ ٣٣٢.

(١) فى الأصل، س، م، ص، ظ: « الفرح ». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٥.

(٢ - ٢) فى ب، م: « ذكره ».

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٥، ٤٨٦.

(٤) تاريخ أصبهان ١/ ٣٤٦.

ثم دخلت سنة ستٍّ وعشرين ومائتين

فى شعبانَ مِنها[1] تُوفِّى الأفْشينُ فى الحبْسِ ، فأمَر به المعتصمُ ، فصُلِب ، ثم أُحرِق وذُرِّى رمادُه فى دجلةَ ، واحْتِيط على أموالِه وحواصلِه ، فوجَدوا فيها أصنامًا مكلَّلةً بذهبٍ وجواهرَ ، وكتبًا فى فضلِ دينِ المجوسِ ، وَأشياءَ كثيرةً كان يُتَّهَمُ بها ، تدلُّ على كفْرِه وزندقتِه ، ويتحقَّقُ بسببِها ما ذُكِر عنه مِن الانتماءِ إلى دينِ آبائِه المجوسِ [2]لعَنهم اللَّهُ .

وفيها تُوفِّى **محمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرِ بنِ الحسينِ[2(3)] . وحجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ داودَ .

وفيها توفِّى [2]مِن ساداتِ المُحدِّثين[2] :

إسحاقُ الفَرْوىُّ[4] . **وإسماعيلُ** بنُ أبى أُوَيْسٍ[5] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١١١، والمنتظم ١١/ ١١١، والكامل ٦/ ٥١٧.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) لم أجد إلا محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى وهو أمير ابن أمير ابن أمير ، ولى إمارة بغداد فى أيام المتوكل وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائتين . ولم أجد فى وفيات سنة ستّ وعشرين ومائتين أو قريبا منها أحدًا بهذا الاسم . وانظر : تاريخ بغداد ٥/ ٤١٨، والمنتظم ١١/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٩٤، وشذرات الذهب ٢/ ١٢٨.

(٤) فى م : «القروى» . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ١/ ٤٠١، ثقات ابن حبان ٨/ ١١٤، وتهذيب الكمال ٢/ ٤٧١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٨٧.

(٥) فى م : «أوس» . وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٨، وطبقات الفقهاء ١٤٩، وتهذيب الكمال =

وسُنيدُ[1] بنُ داودَ، صاحبُ التفسيرِ. **وغسَّانُ** بنُ الربيعِ[2]. **ويحيى** بنُ يحيى التميميُّ[3]، شيخُ مسلمِ بنِ الحجاجِ[4].

وأبو دُلَفٍ العِجْليُّ[5] [6]القاسمُ بنُ[6] عيسى بنِ إدريسَ بنِ مَعْقِلِ بنِ عُميرِ بنِ شيخِ بنِ معاويةَ بنِ خزاعيٍّ بنِ عبدِ العُزَّى[7] بنِ دُلَفِ بنِ جُشَمِ بنِ قيسِ بنِ سعدِ ابنِ عِجْلِ بنِ لُجَيمٍ، الأميرُ أبو دُلَفٍ العِجْليُّ، أحدُ قوّادِ المأمونِ والمعتصمِ، وإليه يُنسَبُ الأميرُ أبو نصرِ بنُ ماكولا، صاحبُ كتابِ «الإكمالِ».

وكان القاضى جلالُ الدينِ القزوينيُّ خطيبُ دمشقَ يزعُمُ أنَّه مِن سُلالتِه، ويذكُرُ نسبَه إليه، وكان أبو دُلَفٍ هذا كريمًا جوادًا مِعطاءً[8] ممدَّحًا، قد قصَده الشعراءُ مِن كلِّ أوبٍ، وكان أبو تمامٍ الطائيُّ [٨/١٨٠و] مِن جملةِ مَن يغشَاه ويَستمنِحُ نَداه، وكانتْ لدَيه فضيلةٌ فى الأدبِ والغناءِ، وصنَّف كتبًا؛ منها

= ٣/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٩١، والوافى بالوفيات ٩/ ١٤٩.

(١) فى الأصل، ب، م: «محمد». وانظر: الجرح والتعديل ٤/ ٣٢٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٩١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٩، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٣٠٩.

(٢) الجرح والتعديل ٧/ ٥٢، وثقات ابن حبان ٩/ ٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣١٤.

(٣) تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١- ٢٣٠هـ) ص ٤٥٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٥، والعبر ١/ ٣٩٧، ومرآة الجنان ٢/ ٩١.

(٤) بعده فى ب، م: «ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين».

(٥) تقدم ذكره صفحة ١٠/ ٢٩٣، ضمن وفيات سنة خمس وعشرين ومائتين، وقد ترجمناه فى ذلك الموضع، ومصادر ترجمته على أنه توفى سنة خمس وعشرين ومائتين.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) فى النسخ: «العزيز». والمثبت من تاريخ بغداد ١٢/ ٤١٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٧٣.

(٨) سقط من: ب، م.

« سياسةُ الملوكِ » ، ومنها فى « الصيدِ والبُزاةِ » ، وفى « السلاحِ » ، وغيرِ ذلك ، وما أحسَنَ ما قال فيه بكرُ بنُ النَّطَّاحِ[1] الشاعرُ :

يا طالبًا للكيمياءِ وعلمِه ... مَدْحُ ابنِ عيسى الكيمياءُ الأعظَمُ
لو لم يكُنْ فى الأرضِ إلا درهمٌ ... ومدحتَه لأتاكَ ذاك الدرهمُ

فيقالُ : إنَّه أعطاه على ذلك عشَرَةَ آلافِ درهمٍ . وكان شجاعًا فاتكًا ، [2]ومعطاءً لا يَمَلُّ من العطاءِ[2] ، وكان يستَدينُ على ذِمَّتِه ويُعطِى ، وكان أبوه قد شرَع فى بناءِ مدينةِ الكَرَجِ[3] ، فمات ولم يُتِمَّها ، فأتمَّها أبو دُلَفٍ هذا ، وكان فيه تشيُّعٌ ، وكان يقولُ : مَن لم يكُنْ مغاليًا فى التشيُّعِ ، فهو ولدُ زنًا . فقال له ابنُه دُلَفٌ : لستُ على مذهبِك يا أبهْ . فقال : واللَّهِ لقد وطِئتُ أمَّكَ قبلَ أن أَستبرِئَها[4] ، فهذا مِن ذاك .

وقد ذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] أنَّ ولدَه رأى فى المنامِ بعدَ وفاةِ أبيه أنَّ آتيًا أتاه ، فقال : أجبِ الأميرَ . قال : فقُمتُ معه فأدخَلنى دارًا وَحْشةً وعْرةً ، سوداءَ الحيطانِ ، مُقَلَّعةَ[6] السُّقوفِ والأبوابِ ، وأصعَدنى على دَرَجٍ مِنها ثم أدخَلنى غرفةً فى حيطانِها أثرُ النيرانِ ، وفى أرضِها أثرُ الرَّمادِ ، وإذا بأبى فيها وهو عُريانٌ واضعٌ رأسَه بينَ ركبتَيه فقال لى كالمستفهِمِ : دُلَفٌ ؟ فقلتُ : دُلَفٌ . فأنشأ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م : « النطاع » . وانظر وفيات الأعيان ٤/ ٧٤.
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .
(٣) فى النسخ : « الكرخ » . وانظر وفيات الأعيان ٤/ ٧٦.
(٤) فى الأصل ، ب ، م : « أشتريها » .
(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٧٨.
(٦) فى الأصل : « مغلفة » ، وفى ب ، م : « مغلقة » . وانظر المصدر السابق .

يقولُ :

أبلِغَنْ أهلَنا ولا تُخْفِ عنهمْ ما لِقينا فى البَرْزخِ الخنَّاقِ
قد سُئِلنا عن كلِّ ما قد فَعَلنا فارحَموا وَحْشَتى وما قد أُلاقِى

ثم قال : أفهِمتَ ؟ قلتُ : نعم . ثم :

فلوْ أنَّا إذا مِتنا تُرِكْنا لكان الموتُ راحةَ كلِّ حىٍّ
ولكنَّا إذا مِتْنا بُعِثْنا ونُسألُ بعدَه عن كلِّ شىٍّ

ثم قال : أفهِمتَ ؟ قلتُ : نعم . وانتَبَهتُ .

ثم دخلَتْ سنةُ سبعٍ وعشرين ومائتين

فيها[1] خرَج رجلٌ مِن أهلِ الغَورِ بالشامِ، يقالُ له: أبو حربٍ المُبَرْقَعُ اليمانيُّ. فخلَع الطاعةَ، ودعا إلى نفسِه[2]، وكان سببَ خروجِه أنّ رجلًا مِن الجندِ أراد أن ينزِلَ فى منزِلِه [3]وذلك فى غَيبةِ أبى حربٍ[3]، فمانَعتْه المرأةُ، فضرَبها الجنديُّ فى يدِها، فأثَّرتِ الضربةُ فى مِعْصَمِها، [٨/١٨٠ظ] فلمَّا جاء بَعْلُها أبو حربٍ أخبَرتْه، فذهَب إلى الجنديِّ وهو غافلٌ فضرَبه فقتَله، ثم تحصَّن فى رءوسِ الجبالِ وهو مُبَرْقَعٌ، فإذا جاءه أحدٌ دعاه إلى الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكَرِ، ويذُمُّ مِن السلطانِ، فاتَّبعه[4] خلقٌ كثيرٌ مِن الحَرَّاثين وغيرِهم، وقالوا: هذا هو السُّفْيانيُّ المذكورُ أنَّه يملِكُ الشامَ. واستَفحَل أمرُه جدًّا، واتَّبعه نحوٌ مِن مائةِ ألفِ مقاتلٍ، فنَفَّذ إليه الخليفةُ المعتصمُ - وهو فى مرضِ موتِه - جيشًا نحوًا مِن[5] ألفِ مقاتلٍ، فلمَّا قدِم الأميرُ[6] وجَد[7] أُمَّةً كثيرةً[8] قد اجتَمَعوا حولَه، فخشِى أن يُناجزَه[9]

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١١٦، والمنتظم ١١/ ١١٧، والكامل ٦/ ٥٢٢.

(٢) بعده فى س، ظ: «وتسمى بالسفيانى».

(٣ - ٣) فى ب، م: «عند امرأته فى غيبته».

(٤) بعده فى ب، م: «على ذلك».

(٥) بعده فى م: «مائة».

(٦) فى ب، م: «أمير المعتصم بمن معه».

(٧) فى ب، م: «وجدهم».

(٨) بعده فى ب، م: «وطائفة كبيرة».

(٩) فى ب، م: «يواقعه».

والحالةُ هذه ، فانتَظَر حتى جاء وقتُ حرْثِ الأراضِى ، فتصرَّم[1] عنه الناسُ إلى أراضِيهم ، وبقِى فى شِرْذمةٍ قليلةٍ [2]مِن أصحابِه[2] ، فناهَضه ، فأسَره جيشُ الخليفةِ وتفرَّق عنه أصحابُه ، وحمَله أميرُ السَّريَّةِ - وهو رجاءُ بنُ أيوبَ - حتى قدِم به على المعتصم ، فلامَه المعتصمُ فى تأخُّرِه [3]عن مناجزتِه أولَ ما قدِم الشامَ[3] ، [4]فاعتَذَر بأنَّه[4] كان معه مائةُ ألفٍ أو يَزيدون ، فلم [5]يزَلْ يطاوِلُه[5] حتى [6]أمكَن اللَّهُ منه[6] . فشكَره على ذلك . [7]وقد ذكَر قصَّتَه مبسوطةً الحافظُ ابنُ عساكرَ فى ترجمتِه مِن الكُنى[7] .

[8]ذكرُ وفاةِ المعتصمِ[8] .

وفى يومِ الخميسِ - [9]لساعتين مضَتا منه[9] - الثامنَ عشَرَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ كانتْ وفاةُ أبى إسحاقَ محمدٍ المعتصمِ باللَّهِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ المهدىِّ بنِ المنصورِ .

---

(١) فى ب ، م : « تفرق » .
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .
(٣ - ٣) زيادة من : ب ، م .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « فقال » .
(٥ - ٥) فى ب ، م : « أزل أطاوله » .
(٦ - ٦) فى الأصل ، س ، ظ : « أمكنه ذلك » . وفى ص : « أمكنه » .
(٧ - ٧) زيادة من : س ، ظ .
(٨ - ٨) فى ب ، م : « وفيها » .
(٩ - ٩) سقط من : ب ، م ، وفى الأصل : « مضى منه » .

وهذه ترجمةُ الخليفةِ المعتصمِ[1]

هو أميرُ المؤمنين، أبو إسحاقَ محمدٌ المعتصمُ بنُ أميرِ المؤمنين هارونَ الرشيدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المهدىِّ [2]محمّدِ بنِ أميرِ المؤمنين أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ المنصورِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العبّاسِ[2]، يقالُ له: المُثَمَّنُ. [3]لوجوهٍ؛ منها أنَّه[3] ثامِنُ ولدِ العبّاسِ، ومنها أنَّه ثامِنُ الخلفاءِ مِن ذرِّيَّتِه، ومنها أنَّه فتَح ثمانىَ فتوحاتٍ؛ [4]بلادَ بابَكَ على يدِ الأفشينِ، وعمُّوريَةَ بنفسِه، والزُّطَّ بعُجَيفٍ، وبحرَ البصرةِ، وقلعةَ الأجرافِ، وأعرابَ ديارِ ربيعةَ، والشارَكَ[5]، وفتَح مصرَ بعدَ عصيانِها، وقتَل ثمانيةَ أعداءٍ؛ بابَكَ، ومازَيارَ، وياطسَ[6] الرومىَّ، والأفشينَ، وعُجَيفًا، وقارنَ[7]، وقائدَ الرافضةِ[4]، ومنها أنَّه أقامَ فى الخلافةِ ثمانِى سنينَ وثمانيةَ أشهرٍ وثمانيةَ أيامٍ. وقيل: ويومَيْن. وأنَّه ولِد سنةَ ثمانين ومائةٍ فى شعبانَ، وهو الشهرُ الثامِنُ، وأنَّه توفِّى وله مِن

---

(١) المعارف ٣٨٣، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٤٢، والإنباه فى تاريخ الخلفاء ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٩٠، وفوات الوفيات ٤/ ٤٨، والوافى بالوفيات ٥/ ١٣٩، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٣.

(٢ - ٢) فى ب، م: «بن المنصور العباسى».

(٣ - ٣) فى الأصل: «منها أنه»، وفى ب، م: «لأنه».

(٤ - ٤) زيادة من: س، ص، ظ. وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٢، وفوات الوفيات ٤/ ٤٨، والوافى بالوفيات ٥/ ١٤٠.

(٥) فى ص: «الشارر»، وفى تاريخ بغداد: «الشارى». والشارك: بليدة بنواحى بلخ. معجم البلدان ٣/ ٣٣٢.

(٦) فى ص، ظ: «باطش»، وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٦٤.

(٧) فى ص، والوافى بالوفيات: «قارون»، وفى فوات الوفيات: «قاروت». انظر تاريخ الطبرى ٩/ ٩٠، والكامل ٦/ ٤٩٨.

العُمْرِ ثمانيةٌ وأربعون سنةً ، ومنها أنَّه خلَّف ثمانيــةَ بنيـنَ وثمانى بناتٍ ، ومِنها أنَّه دخَل بغدادَ مِن الشامِ وهو خليفةٌ فى مستهَلِّ رمضانَ[1] سنةَ ثمانى عشْرةَ ومائتين بعدَ استكمالِ ثمانيةِ أشهرٍ مِن السنةِ ، بعدَ موتِ أخيه المأمونِ بطَرَسُوسَ ، كما تقدم[2] .

قالوا[3] : وكان أمِّيًّا لا يُحسِنُ الكتابةَ ، وكان سبَبَ ذلك أنَّه كان يتردَّدُ معه إلى الكُتَّابِ غلامٌ ، فمات الغلامُ ، فقال [4] له أبوه الرشيدُ : ما فعَل غلامُك[4] ؟ قال : مات واستَراح مِن الكُتَّابِ . فقال له أبوه الرشيدُ : وقد بلَغ منك كراهَةُ الكُتَّابِ إلى أن تجعَلَ الموتَ راحةً منه ؟ واللَّهِ يا بُنىَّ [٨/١٨١و] لا تذهَبُ إلى الكتَّابِ بعدَها . فترَكوه فكان أمِّيًّا . وقيل[5] : بل كان يكتُبُ كتابةً ضعيفةً .

وقد أسنَد الخطيبُ البغداديُّ مِن طريقِه عن آبائِه حديثَين منكرَين[6] ؛ أحدُهما فى ذمِّ بنى أميَّةَ ، ومدْحِ بنى العبّاسِ مِن الخلفاءِ . والثانى فى النهْيِ عن الحِجامةِ يومَ الخميسِ .

وذكَر بسندِه[7] ، عن المعتصمِ أنَّ ملِكَ الرومِ كتَب إليه كتابًا يتهدَّدُه فيه ،

---

(١) فى ص : « صفر » .
(٢) تقدم فى صفحة ٢٣٢.
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩١، بنحوه .
(٤ - ٤) فى الأصل، س، ص، ظ : « لأبيه » .
(٥) تاريخ الخلفاء ص ٣٣٤.
(٦) أخرجهما الخطيب فى تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٣، ٣٤٤.
(٧) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٤.

فقال للكاتبِ : اكتُبْ ، قد قرَأتُ كتابَك وسمِعتُ[1] خطابَك ، والجوابُ ما ترَى لا ما تسمَعُ ، « وسيعلَمُ الكافِرُ لمَن عقبَى الدارِ »[2] .

قال الخطيبُ[3] : غزا المعتصمُ بلادَ الرومِ فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين ومائتين ، فأنكَى نكايةً عظيمةً فى العدوِّ ، [4]ونصَب على عمُّوريَةَ المجانيقَ وأقام عليها حتى فتَحها ودخَلها فقتَل فيها[4] ثلاثين ألفًا ، وسبَى مثلَهم ، وكان فى سَبْيِه ستُّون بِطْريقًا ، وطرَح النَّارَ فى عَمُّوريَةَ من سائرِ نواحِيها ، فأحرَقها وجاء ببابِها[5] إلى العراقِ[6] وهو باقٍ[7] حتى الآنَ منصوبٌ على أحدِ أبوابِ دارِ الخلافةِ مِمّا يلى المسجدَ الجامعَ فى القصرِ .

ورُوِى عن أحمدَ بنِ أبى دُوادٍ القاضى ، أنَّه قال[8] : ربَّما أَخرَج المعتصمُ ساعِدَه إلىَّ ، وقال لى : عَضَّ يا أبا عبدِ اللَّهِ بكلِّ ما تقدِرُ عليه . فأقولُ : إنَّه لا تَطِيبُ نفسى يا أميرَ المؤمنين[9] . فيقولُ : إنَّه لا يضرُّنى . فأكدُمُ[10] بكلِّ ما أَقدِرُ عليه ، فلا يؤثِّرُ ذلك فى يدِه .

قال[11] : ومرَّ يومًا فى خلافةِ أخيه بمُخَيَّمِ الجندِ ، فإذا امرأةٌ تقولُ : ابنى ابنى .

---

(١) فى م : « فهمت » .

(٢) سورة الرعد ٤٢، وفى ب ، م : الكفار . وهى بالإفراد قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . انظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٥٩.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٤.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) فى ب ، م : « بنائبها » .

(٦) بعده فى ب ، م : « وجاء ببابها أيضا معه » .

(٧) سقط من : ب ، م .

(٨) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٦، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٤.

(٩) بعده فى ب ، م : « أن أعض يدك » ، وبعده فى م : « أن أعض ساعدك » .

(١٠) الكَدْم : العض بأدنى الفم . (مختار الصحاح) .

(١١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٦، بنحوه .

فقال لها : ما شأنُكِ ؟ فقالتْ : ابنى أخَذه صاحبُ هذه الخيمةِ . فجاء إليه المعتصمُ ، فقال له : أطلِقْ هذا الصبىَّ . فامتَنَع عليه ، فقبَض على جسدِه بيدِه ، فسُمِع صوتُ عظامِه مِن تحتِ يدِه ، ثم أرسَله فسقَط ميِّتًا ، وأمَر بإخراجِ الصبىِّ إلى أمِّه .

ولمَّا وَلِى الخلافةَ كان شهْمًا (١فى أيامِه١) له همَّةٌ عاليةٌ(٢) ، ومهابَةٌ عظيمةٌ جدًّا(٣) ، (٤وقال بعضُهم(٥)٤) : إنَّما كانت همَّتُه(٦) فى الحربِ ، لا فى البناءِ ولا فى غيرِه .

وقال القاضى أحمدُ بنُ أبى دُوَادٍ(٧) : تصدَّق المعتصمُ على يدَىَّ ، ووَهَب ما قيمتُه مائةُ ألفِ ألفِ درهمٍ . وقال غيرُه(٨) : كان المعتصمُ إذا غضِب لا يبالى مَن قتَل ولا ما فعَل .

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصلىُّ(٩) : دخَلتُ يومًا على المعتصم وعندَه قَيْنَةٌ له تغنِّيه : فقال لى : كيف تراها ؟ فقلتُ : (١٠يا أميرَ المؤمنين١٠) ، أرَاها تقهَرُه بحِذْقٍ ، وتَخْتُلُه(١١) برِفْقٍ ، ولا تخرُجُ مِن شىءٍ إلَّا إلى أحسنَ منه ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢) بعده فى ب ، م : « فى الحرب » .
(٣) فى ب ، م : « فى القلوب » .
(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .
(٥) تاريخ الخلفاء ص ٣٣٤، بنحوه .
(٦) فى ب ، م : « نهمته فى الإنفاق » ، وفى س ، ظ : « نهمته » .
(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٣.
(٨) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٣.
(٩) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٣.
(١٠ - ١٠) سقط من : ب ، م .
(١١) فى ب : « تجيله » ، وفى م : « تجتله » . والخَتْل : تَخادُع عن غفلة .

وفى صوتِها[1] قطَعُ شُذورٍ، أحسنُ مِن نَظْمِ الدُّرِّ على النُّحور. فقال: [٨/١٨١ظ] واللَّهِ لَصِفتُك لها أحسنُ منها ومِن غنائِها. ثم قال لابنِه هارونَ الواثقِ، وليِّ عهْدِه مِن بعدِه: اسمَعْ هذا الكلامَ.

وقد استخدَم المعتصمُ مِن الأتراكِ خلقًا عظيمًا، كان له مِن المماليكِ التُّركِ قريبٌ مِن عشرين ألفًا، و[1]تمَّ له[1] مِن آلاتِ الحربِ والدَّوابِّ ما لم يتَّفِقْ لغيرِه. ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ جعَل يقولُ[3]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. وقال[4]: لو علِمتُ أنَّ عُمْرى قصيرٌ ما فعَلتُ [5]ما فعَلتُ[5]. وقال[6]: إنِّى أُخِذت [7]مِن بينِ[7] هذا الخلْقِ. وجعَل يقولُ[8]: ذهَبتِ الحيَلُ، ليست[9] حيلةٌ.

وروِى عنه أنَّه قال فى مرضِ موتِه[10]: اللهمَّ إنِّى أخافُك مِن قِبَلى، ولا أخافُك مِن قِبَلِك، وأرجُوك مِن قِبَلِكَ ولا أرجُوك مِن قِبَلى.

وكانت وفاتُه بسُرَّ مَن رأَى فى يومِ الخميسِ ضُحًى لتسعَ[11] عشْرةَ ليلةً خلَت

---

(١) فى الأصل: «صورتها».
(٢ - ٢) فى الأصل: «تم»، وفى ب، م: «ملك».
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٦.
(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ١١٩.
(٥ - ٥) سقط من: م، ص.
(٦) تاريخ الطبرى ٩/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٥.
(٧ - ٧) سقط من: ب، م، وفى الأصل: «من».
(٨) تاريخ الطبرى ٩/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٥.
(٩) فى ب، م: «فلا».
(١٠) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٦.
(١١) فى الأصل، ب، س، ظ: «لسبع»، وفى م: «لسبعة». وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧.

مِن ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ سبعٍ وعشرين ومائتين - وكان مولِدُه يومَ الاثنينِ لعشْرٍ خلَون مِن شعبانَ سنةَ ثمانين ومائةٍ، ووليَ الخلافةَ فى رجبٍ سنةَ ثمانى عشْرةَ ومائتين. وكان المعتصمُ أبيضَ، أصهَبَ اللحيةِ طويلَها، مربوعًا، ومُشْرَبَ اللونِ، أمُّه أمُّ ولدٍ اسمُها مارِدةُ، وهو أحدُ أولادٍ ستةٍ مِن أولادِ الرشيدِ، كلٌّ منهم اسمُه محمدٌ؛ وهم أبو إسحاقَ المعتصمُ، وأبو العباسِ الأمينُ، وأبو عيسى، وأبو أحمدَ، وأبو يعقوبَ، وأبو أيوبَ، قاله هشامُ ابنُ الكلبيِّ[1]. وقد قام بالخلافةِ بعدَه ولدُه هارونُ الواثقُ.

وقد ذكَر ابنُ جريرٍ أنَّ وزيرَه محمدَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ الزَّيَّاتِ رَثَاه فقال[2]:

قد قلتُ إذ غيَّبوكَ واصطَفَقَتْ ... عليكَ [3]أيدِى التُّرابِ[3] والطِّينِ

اذهَبْ فنِعْمَ الحفيظُ كنتَ على الدُّ ... نْيا ونِعْمَ الظهيرُ للدِّينِ

لا جَبَر اللَّهُ أمَّةً فقَدتْ ... مِثلَكَ إلّا بمثلِ هارونِ

وقال مروانُ بنُ أبى الجَنُوبِ - وهو ابنُ أبى[4] حَفْصَةَ[5] -:

أبو إسحاقَ مات ضحًى فمِتْنا ... وأمسَيْنا بهارونٍ حَيينا

لئِن جاء الخميسُ بما كَرِهنا ... لقد جاء الخميسُ بما هَوِينا

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ١١٩، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٩.

(٣ - ٣) فى س: «أيدى الترب»، وفى مصدرى التخريج: «أيد بالترب».

(٤) فى ب، م: «أخى»، وانظر الأغانى ١٢/ ٨٠.

(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٧٧.

خلافةُ الواثقِ هارونَ بنِ المعتصمِ

بويع له بالخلافةِ قبلَ أن مات أبوه [٨/١٨٢و] المعتصمُ يومَ الأربعاءِ لثمانٍ خلَونَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ سبعٍ وعشرين ومائتين - ويُكَنَّى بأبى جعفرٍ، وأمُّه أمُّ ولدٍ رُوميَّةٌ يقالُ لها: قَراطيسُ. وقد خرَجتْ فى هذه السنةِ قاصدةً الحجَّ، فماتَتْ بالحيرةِ، ودُفِنتْ بالكوفةِ فى دارِ داودَ بنِ عيسى، وذلك لأربعٍ خلَونَ مِن ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ، وكان الذى أقام للناسِ الحجَّ فى هذه السنةِ جعفرُ بنُ المعتصمِ.

ومِمَّن توفِّى فى هذه السنةِ مِن المشاهيرِ:

ملكُ الرومِ **تَوْفيلُ بنُ ميخائيلَ**[1]، وكانتْ مدةُ مُلْكِه ثِنتى عشْرةَ سنةً، فملَكت بعدَه امرأتُه تُدُورَةُ[2]، وكان ابنُها ميخائيلُ بنُ تَوْفيلَ صغيرًا.

وفيها توفِّى: **بِشْرٌ الحَافى**، الزاهدُ المشهورُ[3]، وهو بِشْرُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عطاءِ بنِ هلالِ بنِ ماهانَ بنِ عبدِ اللَّهِ المَرْوَزِىُّ، أبو نصرٍ الزاهدُ المعروفُ بالحافى، نزيلُ بغدادَ.

---

(١) خبره فى الطبرى ٩/ ١٢٣، والمنتظم ١١/ ١٢٥، والكامل ٦/ ٥٢٨.

(٢) فى الأصل، س، ظ: «بدوره»، وفى تاريخ الطبرى: «تذوره»، وفى المنتظم: «بدور». والمثبت موافق لما فى الكامل، وفى إحدى نسخه: «بدوره».

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٢، وطبقات الصوفية ص ٣٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٦٧، وتاريخ دمشق ١٠/ ١٧٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٤، وتهذيب الكمال ٤/ ٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٠٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٤٦.

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وكان اسمُ جدِّه عبدِ اللَّهِ بعبورَ[2] ، أسلَم على يدَى علىٍّ ابنِ أبى طالبٍ . قلتُ : وكان مولِدُه ببغدادَ سنةَ خمسين ومائةٍ ، وسمِع بها شيئًا كثيرًا مِن حمّادِ بنِ زيدٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ المبارَكِ ، وابنِ مهدىٍّ ، ومالكٍ ، وأبى بكرِ ابنِ عيّاشٍ ، وغيرِهم .

وعنه جماعةٌ ؛ منهم أبو خيثمةَ[3] زهيرُ بنُ حَرْبٍ ، وسَرِىُّ السَّقَطِىُّ ، والعبّاسُ ابنُ عبدِ العظيمِ ، ومحمدُ بنُ حاتمٍ .

قال محمدُ بنُ سعدٍ[4] : سمِع بشرٌ كثيرًا ، ثم اشتَغَل بالعبادةِ ، واعتَزَل الناسَ ولم يحدِّثْ . وقد أثنَى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ فى عبادتِه وزُهدِه ووَرَعِه ونُسُكِه وتَقَشُّفِه .

قال الإمامُ أحمدُ يومَ بلَغه موتُه[5] : لم يكنْ له نظيرٌ إلَّا عامرُ بنُ عبدِ قَيْسٍ ، ولو تزوَّج [6]لكان قد تمَّ[6] أمرُه[7] . وقال إبراهيمُ الحَربىُّ[8] : ما أخرَجتْ بغدادُ أتمَّ عقلًا ، ولا أحفَظَ للسانِه منه ، ما عُرِف له غِيبةٌ لمسلمٍ ، وكان فى كلِّ شعْرَةٍ منه عقْلٌ ، ولو قُسِم عقلُه على أهلِ بغدادَ لصاروا عقلاءَ ، وما نقَص مِن عقْلِه شىءٌ .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٤.

(٢) سقط من: س، ظ، وفى الأصل، ب: «العبور»، وفى م: «الغيور». والمثبت موافق لمصدر التخريج.

(٣) فى الأصل: «حنيفة»، وبعده فى م، ص: «و». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٠١، ٩/ ٤٠٢.

(٤) فى م، ص: «سعيد». وأورده ابن سعد فى الطبقات ٧/ ٣٤٢، بنحوه.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٧٣، وتاريخ دمشق ١٠/ ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٢.

(٦ - ٦) فى ب، م: «لتم».

(٧) بعده فى ب، م: «وفى رواية عنه أنه قال: ما ترك بعده مثله».

(٨) تاريخ بغداد ٧/ ٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٢.

وذكَر غيرُ واحدٍ[1] : أنّ بشْرًا كان شاطِرًا فى بدْءِ أمْرِه ، وأن سبَبَ توبتِه أنَّه وجَد رُقْعةً فيها اسمُ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فى أتُونِ حمّامٍ ، فرفَعها ورفَع طرَفَه إلى السماءِ وقال : سيِّدى ، اسمُك هـٰهنا مُلْقًى يُداسُ ! ثم ذهَب إلى عطَّارٍ ، فاشترَى بدرهمٍ غاليةً ، وضمَخ تلك الرُّقْعةَ منها ، ووَضَعها حيثُ لا تُنالُ ، فأحيَا اللَّهُ قلبَه ، وألهَمه رُشْدَه ، وصار إلى ما صار إليه مِن العبادةِ والزَّهادةِ .

ومِن كلامِه[2] : مَن أحبَّ الدنيا فليتهيَّأْ للذُّلِّ . وكان بشْرٌ يأكُلُ الخبزَ وحدَه ، فقيل له[3] : [4]بماذا [٨/١٨٢ظ] تأتدِمُ[4] ؟ فقال[5] : أذكُرُ العافيةَ فأجعَلُها أُدْمًا . وكان لا يلبَسُ نعْلًا بل يمشِى حافِيًا ، طرَق يومًا بابًا ، فقيل[6] : مَن ؟ فقال : بشْرٌ الحافى . فقالتْ جاريةٌ صغيرةٌ : [8]أمَا وجَد هذا دانِقَين يشترَى بهما نعْلًا ، ويستريحُ مِن هذا الاسمِ[8] . قالوا[9] : وكان سبَبَ ترْكِه النعْلَ أنَّه جاء إلى حَذَّاءٍ ، فطلَب منه شِراكًا لنعْلِه ، فقال له : ما أكثرَ كُلْفَتَكم[10] على الناسِ ! فطرَح النعْلَ مِن يدِه ، وخلَع الأخرى مِن رجلِه وحلَف لا يلبَسُ نعلًا أبدًا .

قال ابنُ خَلِّكانَ[11] : وكانتْ وفاتُه يومَ عاشوراءَ . وقيل : فى رمضانَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ١٨١، وصفة الصفوة ٢/ ٣٢٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٥. بنحوه .
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥.
(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥.
(٤ - ٤) فى ب ، م : « أمالك أدم » .
(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥.
(٦) بعده فى ب ، م : « بلى » .
(٧) تاريخ بغداد ٧/ ٦٩، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٤.
(٨ - ٨) فى ب ، م : « لو اشترى نعلا بدرهم لذهب عنه اسم الحافى » .
(٩) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥.
(١٠) بعده فى ب ، م : « يا فقراء » .
(١١) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٦، بنحوه .

ببغدادَ . وقيل : بمَرْوَ . قلتُ : الصحيحُ[1] ببغدادَ فى هذه السنةِ . وقيل : فى سنةِ ستٍّ وعشرين . والأوَّلُ أصحُّ . واللَّهُ أعلمُ .

وحينَ مات[2] اجتَمَع فى جِنازتِه أهلُ بغدادَ عن بَكْرةِ أبِيهم ، فأخرِج مِن بعدِ صلاةِ الفجرِ ، فلم يستَقرَّ فى قبرِه إلّا بعدَ العَتَمةِ ، وكان علىُّ [3]بنُ المدينىِّ[3] ، وغيرُه مِن أئمةِ الحديثِ يصِيحُ بأعلَى صوتِه فى الجِنازةِ : هذا واللَّهِ شرَفُ الدنيا قبلَ شرَفِ الآخرةِ . وروِى[4] أنَّ الجنَّ كانت تنُوحُ عليه فى بيتِه الذى كان يسكُنُ فيه ، وأنّه رآه بعضُهم فى المنامِ فقيلَ له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : غفَر لى [5]ولكلِّ مَن شهِد جِنازتى[5] ، ولكلِّ مَن أحبَّنى إلى يومِ القيامةِ .

وذكَر الخطيبُ البَغدادىُّ[6] أنَّه كان له أخواتٌ ثلاثٌ ؛ وهنَّ مَخَّةُ[7] ومُضْغَةُ ، وزُبْدَةُ . وكلُّهن عابداتٌ زاهِداتٌ مثلُه ، وأشدُّ وَرَعًا أيضًا . ذهَبتْ إحداهنَّ [8]فاستأذَنتْ على[8] أحمدَ بنِ حنبلٍ ، رحِمه اللَّهُ ، فقالتْ : إنِّى ربَّما طَفِىء السِّراجُ وأنا أغزلُ ، [9]فإذا كان[9] ضوءُ القمرِ [10]غزَلتُ فيه[10] ، فعلىَّ[11]

---

(١) فى حاشية الأصل : « أقول : تصحيحه صحيح لأنى زرت مرقده ببغداد وهو مدفون بالمقبرة المجاورة للإمام الأعظم ، رحمهما الله تعالى » .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٧٩، ٨٠، وصفة الصفوة ٢/ ٣٣٥ بنحوه .

(٣ - ٣) فى م : « المدائنى » . وانظر مصدرى التخريج .

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٨٠.

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٦، بنحوه .

(٧) فى س ، ظ : « مجة » ، وفى ص : « محنة » .

(٨ - ٨) فى ب ، م : « إلى الإمام » .

(٩ - ٩) فى ب ، م : « على » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ب ، م .

(١١) فى ب ، م : « فهل على » .

عندَ البيعِ أن أَميزَ هذا مِن هذا؟ فقال لها: إنْ كان بينَهما فرْقٌ [1] فأعلِمى به المشترىَ [1]. وقالت له مرةً إحداهُنَّ [2]: ربَّما تمُرُّ بنا مشاعلُ بنى طاهرٍ فى الليلِ ونحن نغزِلُ، فنغزِلُ الطَّاقَ والطَّاقَين والطَّاقاتِ، فخلِّصْنى مِن ذلك. فأمَرها أن تتصدَّقَ بذلك الغزلِ كلِّه لِما اشتَبه عليها مِن معرفةِ ذلك المقدارِ. وسألتْه [3] عن أنينِ المريضِ أفيه شكوَى؟ قال: لا، إنَّما هو شكوَى إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ. ثم خرَجتْ فقال لابنِه عبدِ اللَّهِ: يا بنىَّ، اذهَبْ خلفَها، فاعلَمْ لى مَن هذه المرأةُ؟ قال عبدُ اللَّهِ: فذهَبتُ وراءَها، فإذا هى قد دخَلتْ دارَ بشرٍ الحافى، وإذا هى أختُه [4].

وروَى الخطيبُ البغدادىُّ [5] أيضًا عن زُبْدةَ قالتْ: جاء ليلةً أخى بشْرٌ، فدخَل برجْلِه فى الدارِ، وبقِيتِ الأخرى خارجَ الدارِ، فاستمرَّ كذلك ليلتَه حتى أصبَح، فقلتُ له: فيمَ تفكَّرتَ ليلتَك؟ فقال: تفكَّرتُ فى بشرِ النصرانىِّ، وبشرٍ اليهودىِّ، وبشرٍ [٨/١٨٣و] المجوسىِّ، وفى نفسى - و [6] اسمى بشرٌ - فقلتُ [7]: ما الذى سبَق مِنك [8] حتى خصَّك [9] بالإسلامِ مِن بينِهم؟ فتفكَّرتُ فى تفضُّلِه

(١ - ١) فى ب، م: «فميزى للمشترى».

(٢) فى الأصل، س، ص، ظ: «مر الحرس ليلة بمشعل فغزلت فى ضوئه طاقات».

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) بعده فى الأصل: «فى رواية مخة»، وبعده فى ب، م: «مخة»، وبعده فى ص: «فى رواية محنة».

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٧، ٤٣٨.

(٦) فى ب، م: «لأن».

(٧) بعده فى الأصل، ب، س، م، ظ: «فى نفسى».

(٨) فى ب، م: «لى من الله».

(٩) فى ب، م: «خصنى».

علىَّ ، وحمِدتُه على أن[1] جعَلنى [2]مِن خاصتِه[2] ، وألبَسنى لباسَ أحبابِه .

وقد ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكرَ ، فأطنَب وأطيَب وأطال مِن غيرِ مَلَالٍ ، وقد ذكَر ابنُ عساكرَ أشعارًا حسنةً ، وذكَر أنَّه كان يتمثَّلُ بهذه الأبياتِ[3] :

تعافُ القَذَى فى الماءِ لا تستطيعُه ... وتكرَعُ فى[4] حوضِ الذُّنوبِ فتشرَبُ
وتؤْثِرُ [5]مِن كُلٍّ[5] الطَّعامِ ألذَّه ... ولا تذكُرُ المختارَ مِن أين يَكسِبُ
وترقُدُ يا مسكينُ فوقَ نمارقٍ[6] ... وفى حَشْوِها نارٌ عليكَ تَلهَّبُ
فحتَّى متى لا تستَفِيقُ جَهالةً ... وأنت ابنُ سبعينٍ بدِينِكَ تلعَبُ

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ [7]عبدِ اللَّهِ بنِ[7] يونسَ اليَربوعىُّ[8] . **وإسماعيلُ** بنُ عمرٍو البَجَلىُّ[9] . **وسعيدُ بنُ منصورٍ**[10] ، صاحبُ السُّننِ المشهورةِ التى لا يشارِكُه فى

---

(١) فى ب ، م : « هدانى للإسلام و » .
(٢ - ٢) فى ب ، م : « ممن خصه به » .
(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ٢١٧.
(٤) فى م : « من » .
(٥ - ٥) فى ب : « فى أكل » ، وفى م : « من أكل » ، وفى مصدر التخريج : « فى كل » .
(٦) فى الأصل : « نماره » .
(٧ - ٧) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية .
(٨) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٥، وتهذيب الكمال ١/ ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٤.
(٩) الثقات ٨/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٩٥، ودول الإسلام ١/ ١٣٧، وميزان الاعتدال ١/ ٢٣٩، والوافى بالوفيات ٩/ ١٨٣.
(١٠) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٢، وتهذيب الكمال ١١/ ٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٨٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٦، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٦٣.

مثلِها إلا القليلُ. **ومحمدُ** بنُ الصباحِ الدُّولابيُّ[1]، وله سننٌ أيضًا. **وأبو الوليدِ** الطَّيالسيُّ[2]. **وأبو الهُذيلِ** العَلَّافُ، المتكلِّمُ المعتزليُّ[3].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٢، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٦٥، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٦٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤١، والوافي بالوفيات ٣/ ١٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٠، وطبقات خليفة ٢/ ٥٧٤، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٣٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٢.

(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٥٤، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٦٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٧٣.

ثم دخلَتْ سنةُ ثمانٍ وعشرين ومائتين

فى رمضانَ منها[1] خلَع الخليفةُ الواثقُ على أشناسَ الأميرِ، وتوَّجه وألبَسه وِشاحَينِ مِن جوهرٍ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ محمدُ بنُ داودَ الأميرُ. وغلا السِّعرُ على الناسِ فى طريقِ مكةَ جدًّا، وأصابَهم حرٌّ شديدٌ وهم بعرفةَ، ثم بردٌ شديدٌ، ومطرٌ عظيمٌ[2]، فى ساعةٍ واحدةٍ، ونزَل عليهم وهم بمنًى مطرٌ لم يُرَ مثلُه، وسقَطتْ قطعةٌ مِن الجبلِ عندَ جمرةِ العقبةِ، فقتَلتْ جماعةً مِن الحُجّاجِ.

قال ابنُ جريرٍ[3]: وفيها مات أبو الحسنِ المدائنىُّ[4] فى منزلِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ المَوْصِلىِّ، وحبيبُ بنُ أوسٍ الطائىُّ، أبو تمامٍ الشاعرُ.

قلتُ: أمَّا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ[5] المدائنىُّ، أحدُ أئمةِ هذا الشأنِ، وإمامُ الأخباريِّين فى زمانِه، فتقدَّم ذكْرُ وفاتِه قبلَ هذه السنةِ، فاللَّهُ أعلمُ.

أمَّا أبو تمامٍ الطَّائىُّ الشاعرُ[6]: صاحبُ الحماسةِ التى جمَعها فى

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٤، والمنتظم ١١/ ١٢٩، والكامل ٧/ ٥.

(٢) بعده فى م: «كل ذلك».

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٤.

(٤) بعده فى م: «أحد أئمة هذا الشأن».

(٥) سقط من: م.

(٦) طبقات ابن المعتز ٢٨٣، والأغانى ١٦/ ٣٨٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٤٨، ووفيات الأعيان ٢/ ١١،=

[1] فصلِ الشتاءِ[1] بهَمذَانَ فى دارِ وزيرِها ، فهو حبيبُ بنُ أوسِ بنِ الحارثِ بنِ قيسِ ابنِ الأشجِّ بنِ يحيى [2] بنِ مُرينا[3] بنِ سَهْمِ بنِ خلجانَ[4] بنِ مروانَ بنِ دفافةَ[5] بنِ مُرٍّ بنِ سعدِ بنِ كاهلِ بنِ عمرِو بنِ عَدىٍّ بنِ عمرِو بنِ [٨/ ١٨٣ظ] الحارثِ بنِ طيِّئٍ- وهو جُلهمةُ[6] - بنِ أددَ بنِ زيدِ بنِ يشجبَ[7] بنِ عريبِ[8] بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سبأٍ بنِ يشجبَ بنِ يعربَ بنِ قحطانَ[2] ، أبو تمامٍ الطائىُّ الشاعرُ الأديبُ المشهورُ .

ونقَل الخطيبُ ، عن محمدِ بنِ يحيى الصُّولىِّ أنَّه حكَى عن بعضِ الناسِ أنَّهم قالوا[9] : أبو تمامٍ ، حَبيبُ بنُ تدرُسَ [10] النصرانىُّ ، فسمَّاه [11] أبو تمامٍ[12][11] أوسًا بدَلَ تدرُسَ . قال ابنُ خَلِّكانَ : وأصلُه مِن قريةِ جاسمٍ مِن عملِ الجَيْدُورِ بالقربِ

= وسير أعلام النبلاء ١١/ ٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٢٥، والعبر ١/ ٤١١، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٩٢، ومرآة الجنان ٢/ ١٠٢، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٦١، وحسن المحاضرة ١/ ٥٥٩.

(١ - ١) فى م : « فضل النساء » ، وفى ص : « فضل الشتاء » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى مصدر التخريج : « مزينا » . وانظر جمهرة الأنساب ص ٣٩٩.

(٤) فى الأصل : « صلحان » . وفى ص : « خلكان » ، وفى مصدر التخريج : « ملحان » . وانظر جمهرة الأنساب ص ٣٩٩.

(٥) فى الأصل : « دقامة » .

(٦) فى الأصل ، س ، ظ : « جذيمة » . وانظر اللباب ص ٧٨.

(٧) فى الأصل : « سحت » ، وفى س ، ظ : « تسحب » . وانظر اللباب ص ٧٨.

(٨) فى س : « غريب » .

(٩) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٩.

(١٠) فى مصدر التخريج : « بدوس » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ١١.

(١١ - ١١) فى م : « أبوه حبيب » .

(١٢) فى الأصل ، ب : « حبيب » .

مِن طَبَرِيَّةَ ، وكان بدمشقَ يعمَلُ عندَ حائكٍ ، ثم سار[1] إلى مصرَ فى شَبيبتِه . وابنُ خَلِّكانَ أخَذ ذلك مِن « تاريخِ الحافظِ ابنِ عساكرَ »[2] ، وقد ترجَم[3] أبا[4] تمامٍ ترجمةً حسنةً . وقال الخطيبُ البغداديُّ[5] : وهو شاميُّ الأصلِ ، وكان بمصرَ فى حَداثتِه يسقِى الماءَ فى المسجدِ الجامعِ ، ثم جالَس الأدباءَ ، فأخَذ عنهم [6]وتعلَّم منهم[6] ، وكان فطِنًا فهِمًا ، وكان يُحِبُّ الشعْرَ ، فلم يزَلْ يعانِيه حتى قال الشعرَ فأجاد ، وشاع ذكْرُه [6]وسار شعرُه[6] ، وبلَغ المعتصمَ خبرُه ، فحمَله إليه وهو بسُرَّ مَن رأَى ، فعمِل فيه قصائدَ ، فأجازه المعتصمُ وقدَّمه على شعراءِ وقْتِه ، فقدِم بغدادَ ، فجالَس الأدباءَ ، وعاشَر العلماءَ ، وكان موصوفًا بالظَّرْفِ وحُسْنِ الأخلاقِ [6]وكرمِ النفسِ[6] ، وقد روَى عنه أحمدُ بنُ أبى طاهرٍ وغيرُه أخبارًا مسندةً . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[7] : كان يحفَظُ أربعَ عشْرةَ ألفَ أرجوزةٍ للعربِ ، غيرَ القصائدِ والمقاطيعِ ، وغيرَ ذلك . وكان يقالُ : فى طيِّئٍ ثلاثةٌ ؛ حاتمٌ فى كرمِه ، وداودُ الطائىُّ فى زهْدِه ، وأبو تمامٍ فى شعرِه . قلتُ : وقد كان الشعراءُ فى زمانِه جماعةً ؛ فمِن مشاهيرِهم أبو الشِّيصِ ، ودِعْبِلُ بنُ علىٍّ ، وابنُ أبى قيسٍ ، وقد كان أبو تمامٍ مِن خيارِهم دِينًا وأدبًا وأخلاقًا . ومِن رقيقِ شعرِه قولُه[8] :

---

(١) بعده فى م : « به » .

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٦.

(٣) بعده فى م : « له » .

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « أبو » .

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٨.

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

(٧) وفيات الأعيان ٢/ ١٢.

(٨) تاريخ بغداد ٨/ ٢٥٢، وتاريخ دمشق ١٢/ ٢٨.

يا حَليفَ النَّدى ويا تَوْءَمَ[1] الجُو دِ ويا خيرَ مَن حبوتُ[2] القَريضا
ليت حُمَّاك بى وكان لك الأجـ ـرُ فلا تشتَكى وكنتُ المريضا

وقد ذكَر الخطيبُ[3] عن إبراهيمَ بنِ محمـدِ بنِ عرفةَ أنَّ أبا تمامٍ تُوفِّى فى سنةِ [4]ثمانٍ وعشرين[4] ومائتين - وكذا قال ابنُ جريرٍ[5] - وحكِى عن بعضِهم[6] أنَّه تُوفِّى فى سنةِ إحدى وثلاثين، وقيل: سنةَ ثِنتين وثلاثين. فاللَّهُ أعلمُ.

وكانتْ وفاتُه بالمَوْصلِ، وبُنِيتْ على قبرِه قُبَّةٌ. وحكَى الصوليُّ، عن الوزيرِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ الزَّيَّاتِ أنه قال [٨/١٨٤و] يَرْثِيه[7]:

نبأٌ أتَى مِن أعظمِ الأنباءِ لمَّا ألمَّ مُقَلْقِلُ الأَحْشاءِ
قالوا حبيبٌ قد ثَوى فأجَبتُهم ناشَدتُكُم لا تجعَلوه الطائى

وقال غيرُه[8]:

فُجِع[9] القَريضُ بخاتمِ الشعراءِ وغديرُ رَوْضتِها حبيبُ الطائى
ماتا معًا فتَجاوَرَا فى حُفْرةٍ وكذاك كانا قبلُ فى الأَحْياءِ

---

(١) فى ب، م: «معدن».
(٢) فى م: «حويت»، وفى ظ: «حبرت».
(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٢٥٢.
(٤ - ٤) فى ب، م، ص: «إحدى وثلاثين».
(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٤.
(٦) تاريخ بغداد ٨/ ٢٥٢.
(٧) البيتان فى تاريخ بغداد ٨/ ٢٥٣، وتاريخ دمشق ١٢/ ٣٤.
(٨) هو الحسن بن وهب، والأبيات فى تاريخ بغداد ٨/ ٢٥٣، وتاريخ دمشق ١٢/ ٣٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨.
(٩) فى الأصل: «جمع»، وفى س، ظ وتاريخ دمشق: «فجمع».

وقد جمَع الصُّوليُّ شعرَ أبى تمامٍ على حروفِ المعجمِ. قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : وقد امتَدَح أحمدَ بنَ المعتصمِ - ويقالُ : ابنَ المأمونِ - بقصيدتِه التى يقولُ فيها :

إقدامُ عمرٍو فى سَماحةِ حاتمٍ ... فى حِلْمِ أحنَفَ فى ذَكاءِ إياسِ

فقال له بعضُ الحاضرين : أتقولُ هذا لأميرِ المؤمنين، وهو أكبرُ قدْرًا مِن هؤلاء[2] . فأطرَق ساعةً، ثم قال :

لا تُنكِروا ضَرْبى[3] له مَن دُونَه ... مثلًا شَرودًا[4] فى النَّدى والباسِ
فاللَّهُ قد ضرَب الأقلَّ لنورِه ... مثَلًا مِن المِشْكاةِ والنِّبْراسِ[5]

فلمَّا أخَذوا منه القصيدةَ لم يجِدوا فيها هذين البيتين، وإنَّما قالهما ارتجالًا . فقال بعضُهم : لا يعيشُ هذا بعدَ هذا إلا قليلًا . [6]فكان كذلك . قال القاضى : وقد زعَم بعضُهم أنَّ هذه القصيدةَ امتَدَح بها بعضَ الخلفاءِ، فأقطَعَه[6] المَوْصِلَ[7] ، فأقام بها أربعينَ يومًا . وليس هذا بصحيحٍ، ولا أصلَ له، وإنْ كان قد لهِج به بعضُ الناسِ كالزمخشريِّ وغيرِه . وقد أورَد له الحافظُ ابنُ عساكرَ أشياءَ مُسْتَظْرَفةً مِن شعْرِه الرائقِ ونظمِه الفائقِ؛ فمن ذلك قولُه[8] :

---

(١) الخبر والأبيات فى وفيات الأعيان ٢/ ١٥، والأبيات فى الديوان ٢/٢٤٩ بشرح التبريزى.
(٢) بعده فى ب، م : «فإنك ما زدت على أن شبهته بأجلاف من العرب البوادى».
(٣) فى الأصل : «هذا».
(٤) فى الأصل : «تردد».
(٥) فى الأصل : «وابراس»، وفى ص : «النواس»، وفى ظ : «القرآن».
(٦ - ٦) فى ب، م : «حتى مات، وقيل إن الخليفة أعطاه».
(٧) بعده فى ب، م : «لما مدحه بهذه القصيدة».
(٨) تاريخ دمشق ٤/ ١٥٨، ١٥٩ (مخطوط).

ولو كانتِ الأرزاقُ تَجْرى على الحِجَا هَلَكْنَ إذَنْ مِن جَهْلِهِنَّ البَهَائمُ
ولم يَجتَمِعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لقاصِدٍ ولا المجدُ فى كفِّ امْرىءٍ والدَّراهمُ

ومنه قولُه :

وما أنا بالغَيْرانِ[1] مِن دونِ عِرْسِه إذا أنا لم أُصْبِحْ غَيورًا على العلمِ
طبيبُ فؤادى مُذْ ثلاثين حِجَّةً ومُذهِبُ همِّى والمفرِّجُ للغَمِّ

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ : **أبو نصرٍ** التمَّارُ[2] . **والعَيْشىُّ**[3] . **وأبو الجَهْمِ**[4] . **ومُسَدَّدٌ**[5] . **وداودُ** بنُ عمرٍو الضَّبِّىُّ[6] . **ويَحيى** بنُ عبدِ الحميدِ الحِمَّانىُّ[7] .

---

(١) فى الأصل ، ب ، ظ : « العراق » .
(٢) فى م : « الفارابى » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٠، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٥٤، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٦٨.
(٣) فى الأصل ، س ، م ، ظ : « العبسى » ، وفى ص : « العيسى » . وانظر ترجمته فى : الجرح والتعديل ٥/ ٣٣٥، والأنساب ٥/ ٢٦٩، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٧٢.
(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٠٩، والعبر ١/ ٤٠٣، وشذرات الذهب ٢/ ٦٥.
(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٧، وطبقات خليفة ٢/ ٥٧٧، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٩١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٠٥.
(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٩، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٦٣، وطبقات الحنابلة ١/ ١٥٥، وتهذيب الكمال ٨/ ٤٢٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٣٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٦٠.
(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١١، وطبقات خليفة ١/ ٤٠٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٦٧، وتهذيب الكمال ٣١/ ٤١٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٢٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٥٢.

ثم دخلتْ سنةُ تسعٍ وعشرين ومائتين

فى هذه السنةِ[1] أمَر الواثقُ باللَّهِ بضربِ[2] الدوّاوينِ[3] ، واستخلاصِ الأموالِ منهم[4] ؛ فمنهم مَن ضُرِب ألفَ سَوطٍ[5] ، ومنهم مَن أُخِذ منه ألفُ ألفِ دينارٍ ودونَ ذلك ، [٨/١٨٤ظ] وجاهَر الوزيرُ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ لسائرِ وُلاةِ الشُّرَطِ بالعَداوةِ ، فكُشِفُوا[6] وحُبِسوا ، ولَقُوا جَهْدًا[7] عظيمًا[8] ، وجلَس إسحاقُ بنُ إبراهيمَ للنَّظرِ فى أمْرِهم ، وأُقِيموا للناسِ ، وافتُضِحوا[9] فَضيحةً بليغةً ، وكان سببَ ذلك أنَّ الواثِقَ جلَس ليلةً فى دارِ الخلافةِ فسُمِر[10] عندَه ، فقال[11] : هل مِنكم أحدٌ يعرِفُ سببَ عقوبةِ جدِّى الرشيدِ للبرامكةِ ؟ فقال بعضُ الحاضرين : نعم يا أميرَ المؤمنين ، كان سببَ ذلك أنّ الرشيدَ عُرِضتْ عليه جاريةٌ ، فأعجَبه جمالُها ، فساوَم سيِّدَها فيها ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنِّى أقسَمتُ بكلِّ يمينٍ أن لا

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٥، والمنتظم ١١/ ١٤٤، والكامل فى التاريخ ٧/ ١٠.

(٢) فى ب ، م : « بعقوبة » .

(٣) أى الكُتَّاب .

(٤) بعده فى ب ، م : « لظهور خياناتهم وقلة أماناتهم وإسرافهم فى أمورهم » ، وفى م : « لظهور خياناتهم وإسرافهم فى أمورهم » .

(٥) بعده فى ب ، م : « وأكثر من ذلك وأقل » .

(٦) سقط من : س ، ص ، وفى ب ، م : « فعسفوا » .

(٧) فى ب ، م : « شرا » .

(٨) بعده فى ب ، م : « جهدا جهيدا » .

(٩) بعده فى ب ، م : « هم والدواوين » .

(١٠) فى ب ، م : « وجلسوا يسمرون » .

(١١) تاريخ الطبرى ٩/١٢٦ - ١٢٨.

أبيعَها بأقلَّ مِن مائةِ ألفِ دينارٍ. فاشتَراها مِنه بها، وبعَث إلى يحيى بنِ خالدٍ الوزيرِ؛ ليبعَثَ بها إليه مِن بيتِ المالِ، فاعتَلَّ بأنَّها ليستْ عندَه، فأرسَل الرشيدُ يؤنِّبُه، ويقولُ: أليس فى بيتِ مالى مائةُ ألفِ دينارٍ؟! وألحَّ فى طلبِها، فقال يحيى بنُ خالدٍ: أرسِلوها إليه دراهمَ ليَستَكثِرَ ذلك، ولعلَّه يرُدُّ الجاريةَ. فبعَثوا بمائةِ ألفِ دينارٍ دراهمَ، ووضَعوها فى طريقِ الرشيدِ وهو خارجٌ إلى الصلاةِ، فلمّا اجتَاز بها رأَى كَوْمًا مِن دراهمَ، فقال: ما هذا؟ قالوا: ثمنُ الجاريةِ. فاستَكثَر ذلك، وأمَر بخزْنِها عندَ بعضِ خدَمِه فى دارِ الخلافةِ، وأعجَبه جمعُ المالِ فى حواصِلِه، ثم شرَع فى تَتَبُّعِ أموالِ بيتِ المالِ، فإذا البرامكةُ قد استَهلَكوه، فجعَل يهُمُّ (١) بأخذِهم تارةً و(١) يُحجِمُ أخرى (٢)، حتى كان فى بعضِ الليالى سمَر عندَه رجلٌ يقالُ له: أبو العُودِ. فأطلَق له ثلاثين ألفَ درهمٍ، فذهَب إلى الوزيرِ يحيى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ، فماطَله بها مدَّةً طويلةً، فلمّا كان فى بعضِ الليالى فى السَّمَرِ عرَّض أبو العُودِ فى ذلك للرشيدِ بقولِ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ:

وعَدَتْ هندٌ وما كادَتْ (٣) تعِدْ ... ليت هندًا أنجَزتنا (٤) ما تعِدْ
واستَبَدَّتْ مرَّةً واحدةً ... إنَّما العاجزُ مَن لا يَستَبِدْ

فجعَل الرشيدُ يكرِّرُ قولَه:

* إنَّما العاجِزُ مَن لا يستَبِدْ *

(١ - ١) بعده فى ب، م: «بهم تارة يريد أخذهم وهلاكهم وتارة».
(٢) فى ب، م: «عنهم».
(٣) فى الأصل: «كانت».
(٤) فى ص: «نجرتنا».

ويُعجِبُه ذلك ، فلمَّا كان الصباحُ دخَل عليه يحيى بنُ خالدٍ ، فأَنشَده الرشيدُ هذين البيتين ، وهو يستحسِنُهما[1] ففهِم ذلك يحيى بنُ خالدٍ ، وخاف وسأَل عن مَن أنشَد ذلك للرشيدِ ؟ فقِيل له : أبو العُودِ . فبعَث إليه فأنجَز له الثلاثين ألفًا ، وأعطاه مِن عندِه عشرين ألفًا ، وكذلك ولداه الفضْلُ ، [٨/١٨٥و] وجعفرٌ ، فما كان عن قريبٍ حتى أخَذ الرشيدُ البرامكةَ ، وكان مِن أمرِه وأمرِهم ما كان .

فلمّا سمِع ذلك كلَّه الواثقُ أعجَبه ذلك ، وجعَل يكرِّرُ قولَ الشاعرِ :

إنَّما العاجِزُ مَن لا يستَبِدُّ

ثم بطَش بالكُتَّابِ على إثْرِ ذلك ، وأخَذ مِنهم أموالًا عظيمةً جدًّا .

وحجَّ بالناسِ فى هذه [2]السنةِ محمدُ بنُ داود[2] ، وهو أميرُ الحَجيجِ فى [3]السنين الماضيةِ[3] .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

خلَفُ بنُ هشامٍ البزّارُ[4] ، أحدُ مشاهيرِ القرَّاءِ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ محمدٍ المُسنَدِىُّ[5] .

---

(١) فى ص : « يستحنها » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « أمير السنة الماضية » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « السنتين الماضيتين » .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤١، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٥٤، وغاية النهاية ١/ ٢٧٢.

(٥) فى ب ، م : « السندى » ، وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٠/ ٦٤، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٤٢، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٣٩.

ونُعَيمُ بنُ حمَّادٍ الخُزَاعىُّ[1] ، أحدُ أئمةِ السُّنَّةِ بعدَ أن كان مِن أكابرِ الجَهْميَّةِ ، وله المصنَّفاتُ المشهورةُ فى الفتنِ[2] وغيرِها . **ودينارُ**[3] **بنُ عبدِ اللَّهِ** ، المنسوبُ إليه النسخةُ المكذوبةُ عنه أو منه ، وهى عاليةُ الإسنادِ إليه ، ولكنَّها موضوعةٌ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٩، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٩٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٢٤.

(٢) فى م: «السنن».

(٣) فى الأصل: «دنبار»، وفى ب، م: «بشار». وانظر ترجمته فى: المجروحين لابن حبان ١/ ٢٩٥، والكامل فى ضعفاء الرجال ٣/ ٩٧٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٨١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٧٦، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٦٣، ولسان الميزان ٢/ ٤٣٤، ٤٣٥، وقال ابن حجر: إنه حدث فى حدود الأربعين ومائتين غير أن الذهبى قطع بأن وفاته كانت سنة تسع وعشرين ومائتين.

ثم دخلتْ سنةُ ثلاثين ومائتين

فى جُمادَى[1] مِنها[2] خرَجتْ بنو سُلَيمٍ حولَ المدينةِ النَّبويَّةِ، فعاثُوا فى الأرضِ فسادًا، وأخافوا السُّبُلَ[3]، وقاتَلهم أهلُ المدينةِ، فهزَموا أهلَها، واستَحْوَذوا على[4] ما بينَ المدينةِ ومكةَ وتلك[5] المناهِلِ والقرى، فبعَث إليهم الواثِقُ بُغا الكبيرَ أبا موسى التُّركيَّ فى جيشٍ، فقاتَلهم فى شعبانَ، فقتَل مِنهم خمسين فارسًا، وأسَر مثلَهم[6]، وانهزَم بقيَّتُهم، فدعاهم إلى الأمانِ، وأن يكونوا على حكمِ أميرِ المؤمنين، فاجتَمَع إليه منهم خلْقٌ كثيرٌ، فدخَل بهم المدينةَ، وسجَن رءوسَهم فى دارِ يزيدَ بنِ معاويةَ، وخرَج إلى الحجِّ فى هذه السنةِ، وشهِد معه الموسِمَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ، نائبُ العراقِ.

وحجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ داودَ المتقدِّمُ.

وفى هذه السنةِ توفِّى:

عبدُ اللَّهِ بنُ طاهرِ بنِ الحسينِ[7]، نائبُ خُراسانَ وما وَالَاها من البلدانِ،

---

(١) المقصود: جمادى الآخرة. وانظر مصادر التخريج التالية.

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ١٢٩، والمنتظم ١١/ ١٤٤، والكامل ٧/ ١٠.

(٣) فى ب، م: «السبيل».

(٤) فى م: «عليها».

(٥) فى ب، م: «من».

(٦) فى ب، م: «منهم».

(٧) الولاة والقضاة ص ١٨٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٨٣، وتاريخ دمشق ٢/ ٢١٦، ووفيات الأعيان =

وكان خَراجُ ما تحتَ يدِه[1] ثمانيةً وأربعين ألفَ ألفِ درهمٍ، فوَلَّى الخليفةُ ابنَه طاهرًا، وكانت وفاةُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ الأميرِ بعدَ موتِ أشناسَ التركيِّ بتسعةِ أيامٍ، وذلك يومَ الاثنينِ لإحدى عشْرةَ ليلةً خلَتْ مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ.

وقد حكَى القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] أنَّه تُوفِّى سنةَ ثمانٍ وعشرين بمَرْوَ، وقيل: بنَيسابورَ. وكان كريمًا جوادًا ممدَّحًا، وله شعرٌ حسنٌ [3]أورَد له منه. قال[3]: وقد ولِى نيابةَ مصرَ بعدَ العشرين ومائتين.

وذكَر الوزيرُ أبو القاسمِ بنُ المغربىِّ[4] أن البِطِّيخَ العبدَاللّاوىَّ الذى بمصرَ منسوبٌ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ [٨/١٨٥ظ] هذا. قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5]: إمَّا أنَّه كان يستَطيبُه، أو لأنَّه أوَّلُ مَن زرَعه هناك. واللَّهُ أعلمُ.

ومِن جيِّدِ شعرِه[6]:

اغتَفِرْ[7] زَلَّتى لتُحْرِزَ فضلَ الشُّـــــكْرِ منِّـى ولا يفوتُـكَ أجـرى
لا تَكِلْنى إلى التوسُّلِ بالعُذْ ـرِ لَعَلِّى أنْ لا أقومَ بعُذْرى

= ٣/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٨٤، ٦٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٢٩.

(١) بعده فى ب، م: «فى كل سنة».

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٨٨، بنحوه.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) فى م: «المعزى». والأثر فى وفيات الأعيان ٣/ ٨٨، بنحوه.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٨٨.

(٦) المصدر السابق ٣/ ٨٦.

(٧) فى الأصل: «اعتقد»، وفى ص: «اغفر».

ومِن شعرِه أيضًا قولُه[1] :

نحنُ قومٌ [2]تُلِينُنا الحَدَقُ النُّجْـ ـلُ[2] على أنَّنا نُلِينُ الحديدا
طَوْعَ أيدى الظِّباءِ[3] تقتادُنَا[4] العِيـ ـنُ [5]ونَقْتادُ بالطِّعانِ[5] الأُسودا
نمِلكُ الصِّيدَ ثم تمِلكُنا البِيـ ـضُ المصوناتُ[6] أعْيُنًا وخُدودا
تتَّقِى سُخْطَنا الأسودُ ونخشَى سَخَطَ[7] الخِشْفِ[8] حينَ يُبدِى الصُّدُودا[9]
فتَرانا[10] يومَ الكريهةِ أحرا رًا وفى السِّلمِ للغوانى عَبيدا

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[11] : وكان خُزَاعيًّا مِن موالى طلحةَ الطَّلَحاتِ الخُزَاعىِّ .

وقد كان أبو تمامٍ يمدَحُه[12] ، فدخَل إليه مرَّةً [13]فاعْتاقَه الثلجُ[13] بهَمذَانَ ، فصنَّف كتابَ الحماسةِ عندَ بعضِ رؤسائِها[14] .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٨٥، ٨٦.
(٢ - ٢) فى الأصل : « بلينتا الحد والنحل » ، وفى ب ، م : « يلينتا الخد والنحر » .
(٣) فى الأصل : « الطَّب » ، وفى م : « الصبا » .
(٤) فى الأصل : « تقادتنا » ، وفى ب : « نعودبنا » ، وفى م : « قصيدنا » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « وسادنا قطعان » ، وفى ب ، م : « ومن شأننا نصيد » .
(٦) فى الأصل : « المصيدات » ، وفى ب ، م : « المضيئات » .
(٧) فى م : « سقط » .
(٨) فى الأصل : « الحسن » .
(٩) فى الأصل ، ب : « العقودا » ، وفى م : « القعودا » .
(١٠) فى الأصل : « منرانها » .
(١١) وفيات الأعيان ٣/ ٨٨.
(١٢) المصدر السابق ٣/ ٨٤، ٨٥.
(١٣ - ١٣) فى ب ، م : « فأضافه الملح » .
(١٤) فى ب ، م : « نسائه » .

[1] وروَى له الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] ، ولمّا ولَّاه المأمونُ نيابةَ بلادِ الشامِ وديارِ مصرَ صار إليها ، وقد رسَم له بما فى ديارِ مصرَ مِن الحواصلِ ، فحُمِل إليه وهو فى أثناءِ الطريقِ ثلاثةُ آلافِ ألفِ دينارٍ ، ففرَّقها كلَّها فى مجلسٍ واحدٍ ، وأنَّه لمّا واجَه مصرَ نظَر إليها فاحتَقَرها ، وقال : قبَّح اللَّهُ فرعونَ ، ما كان أخسَّه وأضعَف هِمَّتَه حينَ ملَكَ[2] هذه القريةَ ، وقال : أنا ربُّكم الأعلى[3] .

وممَّن توفِّى فيها :

علىُّ بنُ الجعدِ الجوهرىُّ[4] . **ومحمدُ بنُ سعدٍ**[5] ، كاتبُ الواقدىِّ ، وله كتابُ « الطبقاتِ »وغيرُه مِن المصنفاتِ . **وسعيدُ** بنُ محمدٍ الجَرْمِىُّ[6] ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

(١ - ١) سقط من : ب ، م . والأثر فى تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٢٠، بنحوه .

(٢) فى ب ، م : « تبجح وتعاظم بملك » .

(٣) بعده فى ب ، م : « وقال : أليس لى ملك مصر فكيف لو رأى بغداد وغيرها » .

(٤) طبقات خليفة ٢/ ٨٥٥، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٦٠، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٤١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٧٨.

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ٣٢١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥١، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٣٥٥، وغاية النهاية ٢/ ١٤٢.

(٦) تاريخ بغداد ٩/ ٨٧، وتهذيب الكمال ١١/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ١٨٣، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٥٥، وفيه « الحزمى » .

ثم دخلتْ سنةُ إحدَى وثلاثين ومائتين

فيها[1] وقَعتْ مُفاداةٌ [2]بجماعةٍ مِن[2] المسلمين الذين كانوا بأيدِى الرومِ على يَدىِ الأميرِ خاقانَ الخادمِ، وذلك فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ، وكان عدَّةُ الأُسارَى [3]الذين استُنقِذوا مِن أيدِى الكفّارِ[3] أربعةَ آلافٍ وثلاثَمائةٍ واثنين وستِّين أسيرًا. وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

وفيها كان مقتَلُ أحمدَ بنِ نصرٍ الخُزَاعىِّ، رحِمه اللَّهُ وأكرَمَ مثواه، وكان سببَ ذلك أنَّ هذا الرجلَ - وهو أحمدُ بنُ نصرِ بنِ مالكِ بنِ الهيثمِ الخُزاعىُّ - وجدَّه مالكَ بنَ الهيثمِ مِن أكبرِ الدعاةِ [3]فى الناسِ[3] إلى دولةِ بَنى العباسِ، [5]وكانت له[5] وَجاهةٌ [٨/١٨٦و] ورياسةٌ، وكان أبوه نصرُ بنُ مالكٍ يغشاه أهلُ الحديثِ، وقد بايَعه العامَّةُ فى سنةِ إحدَى ومائتين على القيامِ بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ [3]عن المنكَرِ[3] حينَ كثُرتِ الدُّعّارُ والشُّطّارُ فى [4]أرجاءِ بغدادَ فى زمانِ[4] غيبةِ المأمونِ عن بغدادَ، كما قدمْنا بسطَ ذلك[5]، وبه تُعرَفُ سويقةُ نصرٍ ببغدادَ.

وكان أحمدُ بنُ نصرٍ هذا مِن أهلِ العلمِ والدِّيانةِ والعملِ الصالحِ والاجتهادِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٣٢، والمنتظم ١١/ ١٦٣، والكامل ٧/ ٢٣١.

(٢ - ٢) فى ب، م: «الأسارى».

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) فى ب، م: «الذين قتلوا ولده هذا وكان أحمد بن نصر هذا له».

(٥) تقدم فى صفحة ١١٨.

فى الخيرِ، ومِن أئمةِ [1]المسلِمين وأهلِ[1] السُّنَّةِ الآمِرين بالمعروفِ والنَّاهين عن المنكَرِ، وكان مِمَّن يدعُو إلى القولِ بأنّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، وكان هارونُ الواثِقُ مِن أشدِّ الناسِ فى القولِ بخلْقِ القرآنِ، يدعُو إليه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجِهارًا؛ اعتمادًا على ما كان أبوه المعتصمُ وعمُّه المأمونُ عليه فى ذلك مِن غيرِ دليلٍ ولا برهانٍ، ولا حُجَّةٍ ولا بيانٍ، ولا سُنَّةٍ ولا قرآنٍ، [2]فقام أحمدُ بنُ نصرٍ هذا يدعو إلى اللَّهِ، وإلى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، والقولِ بأنَّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، فى أشياءَ كثيرةٍ دعا الناسَ إليها[2]، فاجتَمَع عليه[3] جماعةٌ مِن أهلِ بغدادَ، والتفَّ عليه مِن الألوفِ أعدادٌ، وانتَصَب للدعوةِ إلى أحمدَ بنِ نصرٍ هذا رجلانِ؛ وهما أبو هارونَ السَّرّاجُ يدعُو أهلَ الجانبِ الشرقيِّ، و[4]طالبٌ يدعُو أهلَ الجانبِ الغربيِّ[5].

ولمَّا كان شهرُ شعبانَ مِن هذه السنةِ انتَظَمتِ البيعةُ لأحمدَ بنِ نصرٍ الخُزَاعيِّ فى السرِّ على القيامِ بالأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكَرِ، والخروجِ على السلطانِ لبدعتِه ودعوتِه إلى القولِ بخلْقِ القرآنِ[6]. فتواعَدوا على أنّه فى الليلةِ الثالثةِ مِن شهرِ شعبانَ - وهى ليلةُ الجُمُعةِ - يُضرَبُ طبلٌ فى الليلِ، فيجتَمِعُ الناسُ الذين بايَعوا فى مكانٍ اتَّفَقوا عليه، وأنفَق طالبٌ وأبو هارونَ فى أصحابِه دينارًا دينارًا، فكان فى جملةِ مَن أعطَوه رجلانِ مِن بنى أشرَسَ، وكانا يتَعاطَيان الشَّرابَ، فلمّا

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢ - ٢) زيادة من: ب، م.

(٣) فى الأصل، س، ص، ظ: «على هذا الرجل».

(٤) بعده فى ب، م: «آخر يقال له».

(٥) بعده فى ب، م: «فاجتمع عليه من الخلائق ألوف كثيرة وجماعات غزيرة».

(٦) بعده فى ب، م: «ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصى والفواحش وغيرها».

كانت ليلةُ الخميسِ شرِبا فى قومٍ مِن أصحابِهم ، واعتَقَدا أنّ تلك الليلةَ هى ليلةُ الوعْدِ ، وكان ذلك قبلَه بليلةٍ ، فقاما يضرِبان على طبلٍ فى الليلِ ؛ ليجتَمِعَ إليهما الناسُ ، فلم يجِئْ أحدٌ ، وانخرَم النِّظامُ ، وسمِع الحرَسُ فى الليلِ ، فأعلَموا نائبَ السَّلْطنةِ - وهو محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ مُصعبٍ نائبُ أخيه إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ؛ لغَيبتِه عن بغدادَ - فأصبَح الناسُ مُتَخَبِّطِين ، واجتَهَد نائبُ السلطَنةِ على إحضارِ ذَينِك الرجلَيْن فأُحْضِرا فعاقَبَهما ، فأقرَّا على أحمدَ بنِ نصرٍ فى الحالِ فطلَبه[1] ، وأخَذ خادمًا له فاستَقرَّه ، فأقرَّ بما أقرَّ به الرجلان ، فجمَع جماعةً مِن رءوسِ أصحابِ [٨/١٨٦ظ] أحمدَ بنِ نصرٍ معَه ، وأرسَل بهم إلى الخليفةِ بسُرَّ مَن رأَى ، وذلك آخرَ [2]يومٍ مِن[2] شعبانَ [2]مِن هذه السنةِ[2] ، فأحضَر له جماعةً مِن الأعيانِ ، وحضَر القاضى أحمدُ بنُ أبى دوادٍ المُعْتزلىُّ[3] ، ولم [4]يظهَرْ منه على أحمدَ بنِ نصرٍ عَتْبٌ[4] ، فلمّا أوقِف أحمدُ بنُ نصرٍ بينَ يدَيِ الخليفةِ الواثقِ لم يعاتِبْه على شىءٍ مِمّا كان مِنه فى [5]أمرِ مبايعةِ العامةِ له[5] على الأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكرِ ، فأعرَض[6] عن ذلك كلِّه ، وقال له : ما تقولُ فى القرآنِ ؟ فقال[7] : هو كلامُ اللَّهِ . قال : أمخلوقٌ هو ؟ قال : هو كلامُ اللَّهِ . وكان أحمدُ بنُ نصرٍ قد

---

(١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « فتطلب أحمد بن نصر » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) بعده فى ب ، م : « وأحضر أحمد بن نصر » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، س : « يظهر منه على أحمد بن نصر » ، وفى ص : « يظهر منه حنة على أحمد بن نصر » ، وفى ظ : « يظهر منه خنه على أحمد بن نصر » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « مبايعته العوام » .

(٦) فى ب ، م : « وغيره بل أعرض » .

(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ١٣٧، ١٣٨.

استَقتَل[1] وحضَر وقد تحنَّط وتنوَّر[2] ، فقال له الواثقُ : فما تقولُ فى ربِّكَ ، أتَراه يومَ القيامةِ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد [3]جاء القرآنُ و[3]الأخبارُ [4]بذلك ، قال اللَّهُ تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4] [القيامة : ٢٢، ٢٣] . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[5] : « إنَّكم ترَون ربَّكم [5]يومَ القيامةِ[5] كما ترَون هذا القمرَ لا تُضامُّون فى رؤيتِه »[6] . فنحن على الخبرِ . زاد الخطيبُ [5]فى إيرادِه[5] : فقال الواثقُ : ويْحَك ، أيُرَى كما يُرَى المحدودُ المتجسِّمُ ؟ ويَحْوِيه مكانٌ ويحصُرُه الناظِرُ ؟ أنا أكفُرُ بربٍّ هذه صفتُه .

قلتُ : و[7]هذا الذى[7] قاله الخليفةُ الواثقُ [8]لا يَرِدُ[8] ، ولا يلزَمُ ، ولا يُردُّ به مثلُ هذا الخبرِ الصحيحِ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم قال أحمدُ بنُ نصرٍ الخُزَاعىُّ للواثقِ[9] : وحدَّثنى سفيانُ بحديثٍ يرفَعُه : « إنَّ قلبَ ابنِ آدمَ [10]بين أُصبُعَينِ[10] مِن أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُه[11] » . وكان النبىُّ ﷺ

---

(١) فى الأصل : « استقل » ، وفى س ، ظ : « استقبل » . وبعده فى ب : « وباع نفسه للَّه » ، وبعده فى م : « وباع نفسه » .

(٢) بعده فى ب ، م : « وشد على عورته ما يسترها » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « جاءت » .

(٤ - ٤) زيادة من : ب ، م .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) البخارى (٥٥٤) ، ومسلم (٦٣٣) .

(٧ - ٧) فى ب ، م : « ما » .

(٨ - ٨) فى ب ، م : « لا يجوز » .

(٩) تاريخ الطبرى ٩/ ١٣٨.

(١٠ - ١٠) فى ب ، م : « بأصبعين » .

(١١) بعده فى ب ، م : « كيف شاء » . والحديث أخرجه الطبرى فى تاريخه ١٣٨/٩ وانظر كتاب السنة ٩٨/١ - ١٠٣ والشريعة ٣/ ١١٦٣.

يقولُ : « يا مقلِّبَ القُلوبِ ثبِّتْ قلبى على دينِك »[1] . فقال له إسحاقُ بنُ إبراهيمَ : ويلَكَ[2] ، انظُرْ ما تقولُ . فقال : أنتَ أمَرتَنى بذلك . فأشفَق إسحاقُ مِن ذلك ، وقال : أنا أمَرتُك بذلك[3] ؟ قال : نعم ، أنتَ أمَرتَنى أن أنصَحَ له . فقال الواثقُ لمَن حولَه : ما تقولون فى هذا ؟ فأكثَروا القولَ فيه ؛ فقال عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ - وكان قاضِيًا على الجانبِ الغربىِّ فعزِل ، وكان مُوَادًّا لأحمدَ بنِ نصرٍ قبلَ ذلك : يا أميرَ المؤمنين ، هو حلالُ الدَّمِ . وقال أبو عبدِ اللَّهِ الأَرْمَنىُّ صاحبُ أحمدَ بنِ أبى دُوَادٍ : اسقِنى دمَه يا أميرَ المؤمنين . فقال الواثقُ : [4]يأتى على[4] ما تُريدُ . وقال القاضى أحمدُ بنُ أبى دُوَادٍ[5] : [5]يا أمير المؤمنين[5] ، هو كافرٌ يُستَتابُ ، لعلَّ به عاهةً ، أو نقْصَ عقلٍ . فقال الواثقُ : إذا رأيتُمونى قمْتُ إليه فلا يقومَنَّ أحدٌ معى ، فإنِّى أحتَسِبُ خُطاىَ . ثم نهَض إليه بالصَّمْصامةِ - وقد كانتْ سيفًا لعمرِو بنِ معدِيكرِبَ الزُّبَيْدىِّ أُهدِيتْ لموسى الهادى فى أيامِ [٨/ ١٨٧و] خلافتِه ، وكانتْ صفيحةً موصولةً[6] فى أسفَلِها ، مسمورةً [7]بثلاثةِ مساميرَ[7] - فلمَّا انتهَى إليه ضرَبه بها على عاتقِه ، وهو مربوطٌ بحبلٍ قد أُوقِف على نِطْعٍ ، ثم ضرَبه أخرى على رأسِه ، ثم طعَنه بالصَّمْصامةِ فى بطْنِه فسقَط ، رحِمه اللَّهُ ، صريعًا على النِّطْعِ ميِّتا ، فإنا للَّهِ وإنّا إليه راجعون[8] .

---

(١) الترمذى (٢١٤٠) ، و (٣٥٢٢) ، وغيره . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٣٩، ٢٧٩٢) .

(٢) فى ب ، م : « ويحك » .

(٣) سقط من : ب ، م .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « لابد أن يأتى » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) فى م : « مسحورة » .

(٧ - ٧) فى ب ، م : « بمسامير » .

(٨) بعده فى ب ، م : « رحمه اللَّه وعفا عنه » .

ثم انتَضَى سِيَما الدِّمشقىُّ سيفَه فضرَب عُنُقَه ، وحزّ رأسَه ، وحمِل مُعْترَضًا (١حتى أُتِى به١) الحظيرةَ التى فيها بابَكُ الخُرَّمِىُّ ، فصُلِب فيها ، وفى رجلَيه زوجُ قُيودٍ ، وعليه سراويلُ وقميصٌ ، وحُمِل رأسُه إلى بغدادَ ، فنُصِب فى الجانبِ الشرقىِّ أيامًا ، وفى الجانبِ الغربىِّ أيامًا ، وعندَه الحرَسُ فى الليلِ والنهارِ ، وفى أُذُنِه رُقْعةٌ مكتوبٌ فيها : هذا رأسُ الكافرِ المشركِ الضالِّ أحمدَ بنِ نصرٍ ، مِمَّن قُتِل على يدَى عبدِ اللَّهِ هارونَ الإمامِ الواثقِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين بعدَ أن أقام عليه الحُجَّةَ فى خلْقِ القرآنِ ، ونفْيِ التشبيهِ ، وعرَض عليه التوبةَ ، ومكَّنه مِن الرجوعِ إلى الحقِّ فأبَى إلا المُعاندةَ والتصريحَ ، فالحمدُ للَّهِ الذى عجَّله إلى نارِه وأليمِ عقابِه بالكفرِ ، فاستَحلَّ بذلك أميرُ المؤمنين دمَه ولعنه .

ثم أمَر الخليفةُ الواثقُ بتَتَبُّعِ رءوسِ أصحابِه ، فأخَذ مِنهم نحوًا مِن سبعةٍ[٢] وعشرين رجُلًا ، فأودِعوا فى السجونِ وسُمُّوا الظُّلمةَ ، ومُنِعوا أن يزورَهم أحدٌ وقُيِّدوا بالحديدِ ، ولم يُجْرَ عليهم شىءٌ مِن الأرزاقِ التى كانتْ تُجْرَى على المَحبوسين ، وهذا ظلمٌ عظيمٌ . [٣هذا ملَخَّصُ ما قاله ابنُ جريرٍ ، رحِمه اللَّهُ٣] .

وقد كان أحمدُ بنُ نصرٍ هذا ، رحِمه اللَّهُ ، مِن أكابرِ العلماءِ العاملين ، [٤ومِمَّن كان قائمًا٤] بالأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكرِ ، وسمِع الحديثَ مِن حمادِ ابنِ زيدٍ ، وسفيانَ بنِ عُيَينةَ ، و[٥هُشَيْمِ بنِ بَشيرٍ٥] ، وكانتْ عندَه مصنَّفاتُه كلُّها ،

(١ - ١) فى س ، ظ : « إلى » .

(٢) فى م : « تسع » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ب ، م . وانظر تاريخ الطبرى ٩/١٣٥ - ١٣٩.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « القائمين » .

(٥ - ٥) فى م : « هاشم بن بشير » ، وفى ص : « هشيم بن بشر » . وانظر تهذيب الكمال ١/٥٠٦.

وسمِع مِن الإمامِ مالكِ بنِ أنَسٍ أحاديثَ جيدةً ، ولم يحدِّثْ بكثيرٍ مِن حديثِه .

وحدَّث عنه أحمدُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرَقيُّ ، وأخوه يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، ويَحيى ابنُ معينٍ ، وذكَره يومًا فترحَّم عليه ، وقال[1] : قد ختَم اللَّهُ له بالشَّهادةِ ، وقد كان لا يحدِّثُ ؛ يقولُ[2] : لستُ أهلَ ذاك . وأحسَن يحيى بنُ معينٍ الثناءَ عليه .

وذكَره الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ يومًا فقال[3] : رحِمه اللَّهُ ، ما كان أسخاه[4] لقد جاد بنفسِه [5]للَّهِ ، عزَّ وجلَّ[5] .

وقال جعفرُ بنُ محمدٍ الصائغُ[6] : بصُر عينَاى وإلا فعَمِيتا[7] ، وسمِع أُذناى وإلّا فصُمَّتا أحمدَ بنَ نصرٍ الخزاعيَّ حيثُ[8] ضُرِبتْ عُنُقُه ، يقولُ رأسُه : [٨/١٨٧ظ] لا إلهَ إلا اللَّهُ .

وقد سمِعه بعضُ الناسِ ، ورأسُه مصلوبٌ يقرَأُ على الجِذعِ[9] : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ١- ٢] . قال : فاقشَعرَّ جِلدى . ورآه بعضُهم فى النومِ فقال له[10] : ما فعَل بك ربُّكَ ؟

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٥٥.
(٢) بعده فى ب ، م : « إنى » . وانظر تاريخ بغداد ٥/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٥٦.
(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٧، وتهذيب الكمال ١/ ٥١٠.
(٤) بعده فى ب ، م : « بنفسه لله » .
(٥ - ٥) فى ب ، م : « له » .
(٦) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٧، وتهذيب الكمال ١/ ٥٠٩.
(٧) فى م : « فقئتا » .
(٨) فى ب ، س ، م ، ظ : « حين » .
(٩) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٩، وتهذيب الكمال ١/ ٥١٢.
(١٠) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٩، وتهذيب الكمال ١/ ٥١٣.

فقال : ما كانتْ إلا غَفْوَةً حتى لِقيتُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فضحِك إليَّ .

ورأَى بعضُ الناسِ فى المنامِ رسولَ اللَّهِ ﷺ ومعه أبو بكرٍ وعمرُ ، وقد مرُّوا على الجِذعِ الذى عليه رأسُ أحمدَ بنِ نصرٍ ، فلمَّا حاذَوه[1] أعرَض رسولُ اللَّهِ ﷺ بوجهِه الكريمِ عنه[2] ، فقيل له[3] : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لك أعرَضتَ عن أحمدَ بنِ نصرٍ ؟ فقال[4] : استحياءً منه حينَ قتَله رجلٌ[5] مِن أهلِ بيتى » .

ولم يزَلْ رأسُ أحمدَ بنِ نصرٍ منصوبًا ببغدادَ[6] مِن يومِ الخميسِ الثامنِ والعشرين مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ إحدَى وثلاثين ومائتين - إلى بعدِ عيدِ الفطرِ بيومٍ أو يومَين مِن سنةِ سبعٍ وثلاثين ومائتين ، فجُمِع بينَ رأسِه وجثَّتِه ، ودُفِن بالجانبِ الشرقىِّ مِن بغدادَ بالمَقبرةِ المعروفةِ بالمالكيَّةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وذلك بأمْرِ المتوكلِ على اللَّهِ الذى ولِى الخلافةَ بعدَ أخيه الواثقِ باللَّهِ ، وقد دخَل عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى الكِنَانىُّ[7] - صاحبُ كتابِ « الحَيْدَةِ » - على أميرِ المؤمنين المتوكلِ على اللَّهِ ، وكان مِن خِيارِ الخلفاءِ ؛ لأنَّه أحسَنَ الصنيعَ لأهلِ السنَّةِ ، بخلافِ أخيه الواثقِ ، وأبيه المعتصمِ ، وعمِّه المأمونِ ، [8]فإنَّهم أساءوا إلى أهلِ السنَّةِ ، وقرَّبوا[8]

---

(١) فى س : « جاوره » ، وفى م : « جاوزوه » ، وفى ظ : « جاوزه » .

(٢) بعده فى س ، ص ، ظ : « إلى الجانب الآخر » .

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٩، وتهذيب الكمال ١/ ٥١٢.

(٤) بعده فى ب ، م : « أعرضت عنه » .

(٥) بعده فى ب ، م : « يزعم أنه » .

(٦) سقط من : ب ، م .

(٧) فى ب ، س : « الكبابى » ، وفى م : « الكتانى » ، وفى ظ : « الكتابى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٢٠، وقال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٩: لم يصح إسناد كتاب « الحيدة » إليه فكأنه وضع عليه . واللَّه أعلم » . وانظر الخبر فى تاريخ بغداد ٥/ ١٧٨.

(٨ - ٨) زيادة من : ب ، م .

(١أهلَ البدَعِ والضلالِ مِن المعتزلةِ وغيرِهم ، فأمَره أن يُنزِلَ جثَّةَ أحمدَ[٢] بنِ نصرٍ ، ويدفِنَه ففعَل ، وقد١) كان المتوكلُ يُكرِمُ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ إكرامًا زائدًا جدًّا ، كما سيأتى بيانُه فى موضعه .

والمقصودُ أنّ عبدَ العزيزِ الكِنَانىَّ[٣] قال للمتوكِّلِ[٤] : يا أميرَ المؤمنين ، ما رُئِىأعجبُ مِن أمْرِ الواثقِ ؛ قتَل أحمدَ بنَ نصرٍ وكان لسانُه يقرَأُ القرآنَ إلى أن دُفِن . فوجَد[٥] المتوكِّلُ مِن ذلك[٦] ، وساءَه ما سمِع فى أخيه الواثقِ ، فلمّا دخَل عليه الوزيرُ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ الزَّيَّاتِ ، قال له المتوكِّلُ : فى قلبى[٧] من قتْلِ أحمدَ بنِ نصرٍ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أحرَقنى اللَّهُ بالنارِ إنْ قتَله أميرُ المؤمنين الواثقُ إلَّا كافرًا . ودخَل عليه هَرْثَمةُ فقال له فى ذلك ، فقال : ٨)يا أميرَ المؤمنين٨) ، قطَّعنى اللَّهُ إرْبًا إرْبًا[٩] إنْ قتَله الواثقُ إلَّا كافرًا . ودخَل عليه القاضى أحمدُ بنُ أبى دوادٍ ، فقال له مثلَ ذلك ، فقال : ضرَبنى اللَّهُ بالفالجِ إنْ قتَله الواثقُ إلّا كافرًا . قال المتوكلُ : فأمَّا ابنُ الزَّيّاتِ فأنا أحرَقتُه بالنارِ [٨/١٨٨و] ، وأمَّا هَرْثمةُ فإنَّه هرَب ٨)وتبدَّى٨) ، فاجتَاز بقبيلةِ خُزاعةَ فعرَفه رجلٌ مِن الحىِّ ، فقال : يا معشرَ خُزَاعةَ ، هذا الذى قتَل ابنَ عمِّكم أحمدَ بنَ نصرٍ فقطِّعوه . فقطَّعوه إرْبًا إرْبًا . وأمّا

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) فى م : « محمد » .

(٣) فى ب ، م : « صاحب كتاب الحيدة » .

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٨، وتهذيب الكمال ١/ ٥١٠، ٥١١.

(٥) فى م : « فوجل » .

(٦) فى ب ، م : « كلامه » .

(٧) بعده فى ب ، م : « شىء » .

(٨ - ٨) سقط من : ب ، م .

(٩) فى م : « بلابا » .

ابنُ أبى دُوادٍ فقد سجَنه اللَّهُ فى جِلْدِه - يعنى بالفالجِ - ضرَبه اللَّهُ به[1] قبلَ موتِه بأربعِ سنينَ ، وصودِر مِن صُلْبِ مالِه بمالٍ جزيلٍ جدًّا ، كما سيأتى بيانُ ذلك فى موضعِه .

وروَى أبو داودَ فى كتابِ « المسائلِ » ، عن أحمدَ بنِ إبراهيمَ الدَّوْرَقىِّ ، عن أحمدَ بنِ نصرٍ قال[2] : سألتُ سفيانَ بنَ عُيَيْنةَ : « القلوبُ بينَ أُصبُعين [3]مِن أصابعِ اللَّهِ[3] ، وإنّ اللَّهَ يضحَكُ مِمَّن يذكُرُه فى الأسواقِ » . فقال : اروُوها[4] كما جاءتْ بلا كيفٍ .

وفى هذه السنةِ كان الواثقُ قد عزَم على الحجِّ ، واستعدَّ لذلك ، فذكِر له أنَّ الماءَ بالطريقِ قليلٌ ، فترَك الحجَّ عامَئذٍ .

وفيها تولَّى[5] جعفرُ[6] بنُ دينارٍ نيابةَ[7] اليمنِ ، فسار إليها فى أربعةِ آلافِ فارسٍ .

وفيها عدَا قومٌ مِن العامَّةِ على بيتِ المالِ ، فأخَذوا منه شيئًا مِن الذَّهبِ والفضَّةِ ، فأُخِذوا وسُجِنوا .

وفيها ظهَر خارجىٌّ ببلادِ ربيعةَ ، فقاتَله نائبُ المَوْصِلِ فكسَره ، وانهزَم بقيَّةُ أصحابِه .

---

(١) سقط من : م .
(٢) أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد ٧/ ١٤٨، ١٤٩، من طريق أبى داود به بنحوه .
(٣ - ٣) زيادة من : ب ، م .
(٤) فى ب ، ص : « أمروها » ، وفى س ، ظ : « أمرها » ، وفى م : « اروها » .
(٥) فى الأصل ، ب ، ص : « توفى » .
(٦) فى ص : « أحمد » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ١٤٠.
(٧) فى الأصل ، ب ، م : « نائب » .

وفيها قدِم وصيفٌ الخادِمُ بجماعةٍ مِن الأكرادِ نحوٍ مِن خمسِمائةٍ فى القيودِ ، كانوا قد أفسَدوا فى الطرُقاتِ وقطَعوها ، فأطلَق الخليفةُ لوصيفٍ الخادمِ خمسةً وسبعين ألفَ دينارٍ ، وخلَع عليه [1]خِلْعَةً سَنِيَّةً[1] .

وفى هذه السنةِ قدِم خاقانُ الخادمُ مِن بلادِ الرومِ ، وقد تمَّ الصلحُ والمفاداةُ بينَه وبينَ الرومِ ، وقدِم معه جماعةٌ مِن رءوسِ أهلِ الثُّغورِ ، فأمَر الواثقُ بامتحانِهم فى القولِ بخلْقِ القرآنِ ، وأنَّ اللَّهَ لا يُرَى فى الآخرةِ ، فأجابوا إلَّا أربعةً ، فأمَر الواثقُ بضرْبِ أعناقِهم إن لم يُجيبوا [2]بمثلِ ما أجابَ به بقيَّتُهم[2] . وأمَر الواثقُ أيضًا بامتحانِ الأُسارى المسلمين[3] الذين [4]فُودِى عنهم بذلك[4] ، فمَن أجابَ إلى القولِ بخلْقِ القرآنِ وأن اللَّهَ لا يُرَى فى الآخرةِ فُودِى ، وإلّا تُرِك فى أيدى الكفّارِ ، وهذه بدعةٌ صَلْعاءُ شَنْعاءُ عَمْياءُ صمّاءُ ، لا مستندَ لها مِن كتابٍ ولا سنَّةٍ ولا عقلٍ صحيحٍ ، بل الكتابُ والسنةُ والعقلُ الصحيحُ بخلافِها ، كما هو مقرَّرٌ فى موضعِه ، وباللَّهِ المستعانُ .

وكان وقوعُ المُفاداةِ عندَ نهرٍ يقالُ له : اللامِسُ . عندَ سَلُوقِيَةَ[5] بالقربِ مِن طَرَسُوسَ ، بدَلُ كلِّ مسلمٍ أو مسلمةٍ فى أيدى الرومِ ، أو ذِمِّىٍّ أو ذِمِّيَّةٍ كان تحتَ [١٨٨/٨ظ] عقْدِ المسلمين أسيرٌ مِن الرومِ كان بأيدِى المسلمين مِمَّن لم يُسلِمْ ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢ - ٢) فى ب ، م : « بالقول بخلق القرآن وأن اللّه لا يرى فى الآخرة » .
(٣) سقط من : ب ، م .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن وأن اللّه لا يرى فى الآخرة » .
(٥) سلوقية : أرض بأنطاكية عند الساحل . معجم البلدان ٣/ ١٣٦ .

فنصَبوا جسرين على النهرِ ، فإذا أرسَل الرومُ [1] رجلًا أو امرأةً [1] فى جسْرِهم فانتَهَى إلى المسلِمين كبَّر وكبَّر المسلمون . ويُرسِلُ المسلمون أسيرًا مِن الرومِ على جسْرِهم ، فإذا انتَهَى إليهم تكلَّم بكلامٍ يشبِهُ التكبيرَ أيضًا ، ولم يزالوا كذلك مدَّةَ أربعةِ أيامٍ ، بدلُ كلِّ نفسٍ نفسٌ ، ثم بقِى مع خاقانَ جماعةٌ مِن الرومِ الأُسارى ، فأطلَقهم للرومِ ؛ ليكونَ له الفضلُ عليهم .

قال ابنُ جريرٍ [2] : فى هذه السنةِ مات الحسَنُ بنُ الحُسينِ ، أخو طاهرِ بنِ الحُسينِ بطبَرِستانَ فى شهرِ رمضانَ . وفيها مات الخطّابُ بنُ وجهِ الفُلْسِ . وفيها مات أبو عبدِ اللَّهِ بنُ الأعرابىِّ الراويةُ يومَ الأربعاءِ لثلاثَ عشْرةَ خلَتْ مِن شعبانَ ، وهو ابنُ ثمانين سنةً . وفيها ماتتْ أمُّ أبيها [3] بنتُ موسى [4] ، أختُ علىِّ بنِ موسى الرِّضا . وفيها مات مُخارِقٌ المُغَنِّى ، وأبو نصرٍ أحمدُ بنُ حاتمٍ راويةُ الأصمعىِّ ، وعمرُو بنُ أبى عمرٍو الشيبانىُّ ، ومحمدُ بنُ سَعْدانَ النحوىُّ .

قلتُ : **وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ أيضًا :**

أحمدُ بنُ نَصرٍ الخزَاعىُّ [5] ، كما ذكَرْنا [6] . **وإبراهيمُ** بنُ محمدِ بنِ

(١ - ١) فى ب ، م : « مسلم أو مسلمة » .

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ١٤٥.

(٣) فى الأصل ، ب : « أمها » ، وفى س : « ابنها » .

(٤) فى ص : « محمد » . وانظر مصدر التخريج .

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ١٧٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٨٠، وتهذيب الكمال ١/ ٥٠٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠) ص ٥٤، والوافى بالوفيات ٨/ ٢١١، وطبقات الشافعية ٢/ ٥١.

(٦) تقدم فى صفحة ٣١٠ .

عَرْعَرَةَ[1] . **وأميَّةُ** بنُ بِسْطامٍ[2] . **وأبو تمامٍ الطائيُّ** الشاعرُ فى قولٍ ، والمشهورُ ما تقدَّم[3] . **وكاملُ** بنُ طلحةَ[4] . **ومحمدُ** بنُ سلّامٍ الجُمَحيُّ[5] . وأخوه **عبدُ الرحمنِ**[6] . **ومحمدُ** بنُ مِنْهالٍ الضريرُ[7] . **ومحمدُ** بنُ مِنهالٍ[8] ، أخو حجَّاجٍ . **وهارونُ** بنُ معروفٍ[9] . **والبُوَيْطيُّ**[10] ، صاحبُ الشافعيِّ ، مات فى السِّجْنِ مقيَّدًا [11] حتى يقولَ[11] بخلقِ القرآنِ ، فامتَنع مِن ذلك ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٩، وتاريخ بغداد ٦/ ١٤٨، وتهذيب الكمال ٢/ ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٦٩.

(٢) الثقات ٨/ ١٢٣، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٠٥، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٠٧.

(٣) تقدم فى صفحة ٢٩٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٣، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٥، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٠٧، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٠. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٠٣.

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٧، وإنباه الرواه ٣/ ١٤٣، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٢٣، والوافى بالوفيات ٣/ ١١٤، وبغية الوعاة ١/ ١١٥.

(٦) المعجم المشتمل لابن عساكر ص ١٦٧، وتهذيب الكمال ١٧/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥٠، والكاشف ٢/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٣٩.

(٧) الثقات ٩/ ٨٥، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٤٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٤٥، والوافى بالوفيات ٥/ ٧٨.

(٨) الثقات ٩/ ١٠٠، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥١٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٤٥، والكاشف ٣/ ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٤٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٧٨.

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٥، والثقات ٩/ ٢٣٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٤، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٨٦.

(١٠) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩، وطبقات الفقهاء ص ٩٨، ووفيات الأعيان ٧/ ٦١، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٤٢٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٢/ ١٦٢.

(١١ - ١١) فى ب، م: «على القول».

ويحيى بنُ [1]عبدِ اللَّهِ بنِ[1] بُكَيْرٍ[2]، راوِى الموطأ عن مالكٍ.

(١ - ١) سقط من: النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته التالية.

(٢) الثقات ٩/ ٢٦٢، والمعجم المشتمل ص ٣٢٠، وتهذيب الكمال ٣١/ ٤٠١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦١٢، والكاشف ٣/ ٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٤٠١.

ثم دخَلت سنةُ ثِنْتَين وثلاثينَ ومائتين

فيها[1] عاثَتْ قبيلةٌ - يقالُ لها: بنو نُمَيْرٍ باليمامةِ [2]فى الأرضِ[2] فسادًا، فكتَب الواثقُ إلى بُغا الكبيرِ وهو مُقيمٌ بأرضِ الحجازِ، فحارَبهم فقتَل مِنهم جماعةً، وأسَر مِنهم آخَرين، وهزَم بقيَّتَهم، ثم الْتَقى مع بنى تميمٍ وهو فى أَلفَىْ فارسٍ وهم فى ثلاثةِ آلافٍ، فكانت[3]، بينَهم حروبٌ طويلةٌ[4]، ثم كان الظَّفَرُ له عليهم آخِرًا، وذلك فى النِّصفِ مِن جُمادَى الآخرةِ، ثم عاد بعدَ ذلك كلِّه إلى بغدادَ ومعَه[5] من أعيانِ [6]رءوسِ العربِ[6] فى الأسْرِ والقُيودِ[7]، وقد [8]قُتِل مِن أشرافِهم[8] فى الوقائعِ [9]المتقدِّمِ ذكرُها[9] ما يُنَيِّفُ على أَلفَىْ رجلٍ مِن بنى سُلَيْمٍ ونُمَيْرٍ، وكلابٍ، ومُرَّةَ، وفَزَارةَ، وثَعْلَبَةَ، وطيِّئٍ، وتميمٍ [٨/١٨٧و]، وغيرِهم.

وفى هذه السنةِ أصاب الحَجيجَ فى الرجوعِ عطشٌ شديدٌ حتى بِيعَت الشَّرْبةُ بالدنانيرِ الكثيرةِ، ومات خلقٌ كثيرٌ من العطشِ، رحِمهم اللَّهُ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٤٦، والمنتظم ١١/ ١٧٦، والكامل ٧/ ٢٧.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى ب، م: «فجرت».

(٤) سقط من: ب، م.

(٥) فى ب، م: «معهم».

(٦ - ٦) فى ب، م: «رءوسهم».

(٧) بعده فى ب، م: «جماعة».

(٨ - ٨) فى ب، م: «فقد من أعيانهم».

(٩ - ٩) سقط من: ب، م، وفى الأصل: «المتقدمة».

وفيها أمَر الواثقُ بتَرْكِ جبايةِ أعشارِ سُفُنِ البحرِ.

وفاةُ الخليفةِ [1]أبى جعفرٍ هارونَ الواثقِ بنِ محمدٍ المعتصمِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ محمدٍ المهدىِّ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ [2]ذى الدَّوانيقِ[2] بنِ محمدٍ الإمامِ بنِ علىٍّ السَّجَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسِ بنِ عبدِ المطلبِ الهاشمىِّ العباسىِّ[1]، كان هلاكُه فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ بعِلَّةِ الاستسقاءِ، فلم يقدِرْ على حضورِ العيدِ عامَئذٍ، فاستَناب فى الصلاةِ بالنّاسِ قاضيَه أحمدَ بنَ أبى دُوادٍ الإيادىَّ المعتزلىَّ. [3]وكانت وفاتُه[3] لستٍّ بقِين مِن [4]ذى الحِجَّةِ[4]، وذلك أنَّه قوِى به الاستسقاءُ فأُقْعِد فى تَنّورٍ قد أُحمِىَ له بحيثُ [5]يمكِنُ إجلاسُه[5] فيه؛ ليَسْكُنَ وجعُه، فلَان عليه أمرُه[6] بعضَ الشىءِ[7]، فلمّا كان مِن الغدِ أمَر بأن يُحمَى أكثرَ مِن العادةِ فأُجلِس فيه، ثم أُخرِج فوضِع فى مِحَفَّةٍ، فحمِل فيها وحولَه أُمراؤُه ووزَراؤُه وقاضيه، فمات وهو [8]محمولٌ فيها، فما شعَروا حتى سقَط جَبينُه على المِحَفَّةِ وهو[8] ميْتٌ، فغمَّض القاضى عينَيهِ بعدَ

(١ - ١) فى ب، م: «الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد أبى جعفر هارون الواثق». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١٤/ ١٥، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١١١، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٧٨، وفوات الوفيات ٤/ ٢٢٨، وتاريخ الخلفاء ص ٣٤٠.

(٢ - ٢) بعده فى الأصل: «ذى العباسى»، وفى س: «ذى التبيان»، وفى ص: «ذى النعمات»، وفى ظ: «البنيات». والمثبت من سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣، وانظر تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩.

(٣ - ٣) فى ب، م: «توفى».

(٤ - ٤) فى الأصل، س، ص، ظ: «الشهر».

(٥ - ٥) فى ب، م: «يمكنه الجلوس».

(٦) سقط من: ب، م.

(٧) بعده فى ب، م: «اليسير».

(٨ - ٨) سقط من: الأصل.

[1] ذلك ، وهو الذى [1] وَلِى غسلَه والصلاةَ عليه ، ودفَنه فى قصرِ الهادى [2] .
وكان أبيضَ اللونِ مُشْرَبًا حُمرةً ، [3] جميلًا رَبْعَةً [3] حسَنَ الجسمِ [4] ، قاتمَ [5]
العينِ اليُسرى ، فيها نكتةٌ بيضاءُ ، وكان مولدُه سنةَ ستٍّ وتسعين ومائةٍ
بطَريقِ مكةَ ، فمات وهو ابنُ ستٍّ وثلاثين سنةً ، وكانت [6] مدَّةُ خلافتِه
خمسَ سنين وتسعةَ أشهرٍ وخمسةَ أيّامٍ ، وقِيل : سبعةَ أيامٍ وثِنتَى عشْرَةَ
ساعةً [7] . وكان [8] قد جمَع أصحابَ النُّجومِ فى زمانِه حينَ اشتَدَّت
علَّتُه [9] ؛ لينظُروا فى مولدِه وما تقتضيهِ صناعةُ النُّجومِ كَمْ تَدومُ أيامُ دولتِه ،
فاجتَمع عندَه من رءوسِهم جماعةٌ ؛ مِنهم الحسنُ بنُ سهلٍ ، والفضلُ بنُ
إسحاقَ الهاشمىُّ ، وإسماعيلُ بنُ نُوبَخْتَ ، ومحمدُ بنُ موسى الخُوارزمىُّ
المجوسىُّ القُطْرُبُّلىُّ ، وسَنَدٌ صاحبُ محمدِ بنِ الهيثمِ ، وعامةُ مَن يتكلّمُ [10]
فى النجومِ ، فنظَروا فى مولدِه ، وما يقتضِيهِ الحالُ عندَهم ، ثم أجْمَعوا أنَّه
يعيشُ [11] دهرًا طويلًا ، وقدَّروا له خمسين سنةً مُستَقبَلةً [12] [13] فلم يلبثْ [13]

(١ - ١) فى ب ، م : « سقوط جبينه و » .
(٢) بعده فى ب ، م : « عليهما من اللّه ما يستحقانه » .
(٣ - ٣) فى ب ، م : « جميل المنظر خبيث القلب » .
(٤) بعده فى ب ، م : « سيئ الطوية » .
(٥) فى الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ : « قائم » .
(٦) سقط من : ب ، م .
(٧) بعده فى ب ، م : « فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة » .
(٨) سقط من : ب ، م .
(٩) بعده فى ب ، م : « وإنما اشتدت علته بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعى ليلحقه إلى بين يدى اللّه فلما جمعهم أمرهم أن » .
(١٠) فى ب ، م : « ينظر » .
(١١) بعده فى ب ، م : « فى الخلافة » .
(١٢) بعده فى ب ، م : « من يوم نظروا نظر من لم يبصر فإنه » .
(١٣ - ١٣) فى ب ، م : « لم يعش » .

بعد قولِهم[1] إلا عشَرةَ أيامٍ حتى مات. ذكَره الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جريرٍ الطبريُّ[2]، رحِمه اللَّهُ.

قال ابنُ جريرٍ[3]: وذكَر الحسينُ بنُ الضَّحّاكِ أنَّه [٨/١٨٧ظ] شهِد الواثقَ بعدَ أن مات المعتصمُ بأيّامٍ، وقد قعَد مجلسًا كان أولَ مجلسٍ قعَده، فكان أوّلَ[4] ما غُنِّي به[4] في ذلك المجلسِ أن تغنَّتْ[5] شارِيَةُ[6]، جاريةُ إبراهيمَ بنِ المهديِّ:

ما درَى الحامِلونَ يومَ استقلّوا نَعْشَهُ للثَّواءِ أمْ للقاءِ[7]
فلْيقُلْ فيكَ باكِياتُكَ ما شِئـ ـنَ صباحًا[8] وعندَ[9] كلِّ مَساءِ

قال: فبكَى وبكَيْنا حتى شغلَنا البكاءُ عن جميعِ ما كُنّا فيه، ثم اندفَع بعضُهم يغنِّي[10]:

وَدِّعْ هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرتحِلُ وهلْ تُطيقُ وداعًا أيُّها الرَّجُلُ؟!

فازدَاد[11] واللَّهِ[11] بُكاؤُه، وقال: ما سمِعتُ كاليومِ قطُّ تعزيةً بأبٍ ونَعْيَ[12]

---

(١) بعده في ب، م: «وتقديرهم».
(٢) تاريخ الطبري ٩/ ١٥٠، ١٥١.
(٣) المصدر السابق ٩/ ١٥١.
(٤ - ٤) في الأصل، س، ص، ظ: «من يغني».
(٥) في ب، م: «غنته».
(٦) سقط من: الأصل، ب، س، ص، ظ.
(٧) في الطبري: «للفناء»، وفي الكامل ٧/ ٣١: «للبقاء».
(٨) في م: «صياحا».
(٩) في ب، م: «في وقت». وفي الطبري: «ووقت». والمثبت موافق لما في الكامل.
(١٠) البيت للأعشى، وانظر ديوانه ص ٥٥.
(١١ - ١١) سقط من: ب، م.
(١٢) في م: «بغي».

نفسٍ . ثم ارْفَضَّ[1] ذلك المجلسُ .

وروَى الخطيبُ البغداديُّ[2] أنَّ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ الشاعرَ لمّا تولَّى[3] الواثقُ عمَد إلى طُومارٍ ، فكتَب فيه أبياتَ شعرٍ ، ثم جاء إلى الحاجبِ فدفَعه إليه ، وقال : أَقْرِئْ أميرَ المؤمنين السلامَ ، وقُلْ : هذه أبياتٌ امتدَحكَ بها دِعْبِلٌ . فلمّا فضَّها الواثقُ إذا فيها :

الحمدُ للَّهِ لا صَبْرٌ ولا جَلدُ ... ولا عَزاءٌ إذا أهلُ الهوَى رَقَدوا
خَليفةٌ ماتَ لم يحزَنْ له أَحَدٌ ... وآخرٌ قامَ لم يفرَحْ بهِ أحَدُ
فمرَّ هذا ومرَّ الشُّؤمُ يتْبَعُهُ ... وقامَ هذا فقامَ الوَيْلُ والنَّكَدُ

قال : فتطلَّبَه الخليفةُ بكُلِّ ما يمكِنُه[4] ، فلم يقدِرْ عليه حتَّى مات الواثقُ . وروَى أيضًا[5] أنَّه لمّا استَخلَف الواثقُ ابنَ أبى دُوادٍ على الصلاةِ فى يومِ العيدِ فرجَع إليه[6] ، قال : كيف كان عيدُكم يا أبا عبدِ اللَّهِ ؟ فقال : كُنّا فى نَهارٍ لا شمسَ فيه . فضَحِك وقال : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أنا مؤيَّدٌ بكَ .

قال الخطيبُ[7] : وكان ابنُ أبى دوادٍ قد استَولَى على الواثقِ ، وحمَله على التَّشديدِ فى المِحْنَةِ ، ودعا الناسَ إلى القولِ بخلقِ القرآنِ . قال[7] : ويُقال : إنَّ

---

(١) أى تفرّق : النهاية ٢/ ٢٤٣.
(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٦.
(٣) فى م ، ص : « توفى » ، وفى تاريخ بغداد : « ولما مات المعتصم وتولى الواثق الخلافة » .
(٤) فى ب ، م : « يقدر عليه من الطلب » .
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧.
(٦) بعده فى ب ، م : « بعد أن قضاها » .
(٧) تاريخ بغداد ١٤/ ١٨.

الواثقَ رجَع عن ذلك قَبْلَ موتِه ، فأخبَرنى [1]عبيدُ اللَّهِ[1] بنُ أبى الفتحِ ، أخبَرنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسنِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عرَفةَ ، حدَّثنى حامدُ بنُ العباسِ ، عن رجلٍ ، عن المهتدى[2] أنَّ الواثقَ مات ، وقد تابَ مِن القولِ بخلقِ القرآنِ .

وروَى[3] أنَّ الواثقَ دخَل عليه يومًا مؤدِّبُه فأكرَمهُ إكرامًا كثيرًا ، فقِيل له فى ذلك ، فقال : هذا أولُ مَنْ فتَق لسانى بذِكرِ اللَّهِ ، وأدْنانى [4]من رحمةِ[4] اللَّهِ .

وكتَب إليه بعضُ الشعراءِ[5] :

[١٨٨/٨و] جذبْتُ دواعِى النفسِ عن طلبِ الغِنى ... وقلتُ لها عِفِّى عن الطَّلَبِ النَّزْرِ
فإنَّ أميرَ المؤمنينَ بكَفِّهِ ... مدارُ رَحَى الأَرْزاقِ دائبةً تجْرِى

فوقَّع له فى رُقْعَتِه : جذَبتْكَ[6] نفسُكَ عن امتهانِها ، [7]ودعَتكَ إلى صَوْنِها[7] ، فخُذْ ما طلَبتَه هنيئًا[8] . وأجزَل له العطاءَ .

ومِن شعِره قولُه[9] :

(١ - ١) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « عبد اللَّه » . والمثبت موافق لما فى تاريخ بغداد .
(٢) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « المهدى » . وفى ظ : « الهندى » . والمثبت موافق لما فى تاريخ بغداد .
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧.
(٤ - ٤) فى ب ، م : « برحمة » .
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٧.
(٦) فى تاريخ بغداد : « جذبك » .
(٧ - ٧) فى تاريخ بغداد : « دعا إلى صونك بسعة فضلى عليك » .
(٨) فى م : « هينا » .
(٩) تاريخ بغداد ١٤/ ١٨.

هى المَقاديرُ تَجْرى فى أَعنَّتِها فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ

ومن شعرِ الواثقِ قولُه[1] :

تنحَّ عنِ الْقبيحِ ولَا تُرِدْهُ ومَن أَولَيْتَه حُسنًا فزِدْهُ
ستُكْفَى مِن عدوِّكَ كلَّ كَيْدٍ إذا كادَ العدوُّ ولمْ تَكِدْهُ

وقال القاضى يحيى بنُ أكثمَ[2] : ما أحْسنَ أحدٌ مِن خلَفاءِ بنى العباسِ إلى آلِ أبى طالبٍ ما أحْسنَ إليهم الواثقُ ، ما مات وفيهم فقيرٌ . ولمّا احتُضِر الواثقُ جعَل يردِّدُ هذين البيتين[3] :

الموتُ فيه جَميعُ الخلقِ مُشْتَرِكُ لا سُوقَةٌ مِنهمُ يَبْقَى ولا مَلِكُ
ما ضرَّ أهْلَ قليلٍ فى تَفاقُرِهمْ[4] وليسَ يُغْنى عنِ الأَمْلَاكِ ما مَلَكُوا

ثم أمَر بالبُسُطِ فطوِيت ثم أَلصَق خدَّهُ بالأرضِ ، وجعَل يقولُ : يا مَن لا يزولُ مُلْكُه ارحَمْ مَن قد زالَ مُلكُه . وقال بعضُهم[5] : لما احتُضِر الواثقُ ونحن حولَه غُشِى عليه ، فقال بعضُنا لبعضٍ : انظُروا هَلْ قضَى نحبَه[6] ؟ قال : فدَنَوْتُ مِن بينِهم إليه لأَنْظرَ هلْ هدَأ نَفَسُه ، فأَفاق فلحَظ إلىَّ بعَينِه فرجَعتُ القهقَرى ؛ خوفًا مِنه ، فتعَلَّقت قائمةُ سَيْفى [7]فى شىءٍ[7] فكِدتُ أن أهلِكَ ، فما كان عن

---

(١)تاريخ بغداد ١٤/١٨ .
(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ١٩.
(٤) فى تاريخ بغداد : « تنافرهم » .
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ١٩، ٢٠، بنحوه .
(٦) سقط من : ب ، م .
(٧ - ٧) فى ب ، م : « بشىء » .

قريبٍ حتى مات، وأُغلِق عليه البابُ الذى هو فيه، وبقِى فيه وحدَه، واشتغَلوا عن تجهيزِه بالبَيْعةِ لأخيه جعفرٍ المتوكِّلِ، وجلَستُ أنا أحرُسُ البابَ فسمِعتُ حركةً مِن داخلِ البيتِ، فدخَلتُ فإذا جُرَذٌ قد أكَل عَيْنَه التى لحَظ إلىَّ بها، وما كان (١بينَ الحالَين إلَّا اليسيرُ١).

وكانت وفاتُه بسُرَّ مَنْ رأَى التى كان يسكُنُها فى القصْرِ الهارونىِّ، فى يومِ الأربعاءِ لستٍّ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السَّنةِ - أعنى سنةَ ثِنْتين وثلاثينَ ومائتَين - عن ستٍّ وثلاثين سنةً، وقِيل: عن ثِنْتين وثلاثين سنةً. وكانت مدَّةُ خلافتِه (٢خمسَ سنين٢) وتسعةَ أشهرٍ وخمسةَ أيامٍ، وقيل(٣): خمسَ سنين وشهرَين وأحدَ وعشرين يومًا. وصلَّى عليه أخوه جعفرٌ المتوكِّلُ على اللَّهِ، واللَّهُ أعلمُ.

خلافةُ المتوكِّلِ [٨/١٨٨ظ] على اللَّهِ جعفرِ بنِ المعتصمِ باللَّهِ

بُويِع له بالخلافةِ بعدَ أخيه هارونَ الواثقِ، (٤وكانت بيعتُه٤) وقتَ زوالِ الشمسِ مِن يومِ الأربعاءِ لستٍّ بقِين من ذى الحِجَّةِ، وكانت الأتراكُ قد عزَموا

(١ - ١) فى الأصل: «من الحاكم إلا البشير»، وفى ب: «من الخدين»، وفى م: «حولها من الخدين».

(٢ - ٢) فى ص: «خمسين سنة».

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠، ٢١.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

على تَولِيَةِ محمدِ بنِ الواثقِ ، فاستَصغَروه فترَكوه ، وعدَلوا إلى جعفرٍ هذا ، وكان عُمْرُه إذْ ذاك ستًّا وعشرين سنةً ، وكان الذى ألبَسه خِلْعَةَ الخلافةِ أحمدُ بنُ أبى دوادٍ القاضى ، وهو أولُ مَن سلَّم عليه بالخلافةِ ، وبايَعه الخاصَّةُ ، ثم العامَّةُ ، وكانوا قد اتَّفقوا على تسمِيَتِه بالمُنتَصِرِ باللَّهِ إلى صَبيحةِ يومِ الجُمُعةِ ، فقال أحمدُ ابنُ أبى دوادٍ : قد رأَيتُ أن يُلقَّبَ (١أميرُ المؤمنين١) بالمتوكِّلِ على اللَّهِ . فاتَّفَقوا على ذلك ، وكتَب به إلى الآفاقِ ، وأمَر بإعطاءِ الشاكريَّةِ مِن الجُندِ ثمانيَةَ شهورٍ ، وللمَغاربةِ أربعةَ شهورٍ ، ولغيرِهم ثلاثةَ شهورٍ ، واستَبشَر الناسُ به .

وقد كان المتوكِّلُ رأَى فى منامِه فى حياةِ أخيه هارونَ الواثقِ كأنَّ شيئًا نزَل عليه من السماءِ مكتوبٌ فيه : جعفرٌ المتوكِّلُ على اللَّهِ ، فعَبَرها ، فقِيل له[٢] : هى الخلافةُ . فبلَغ ذلك أخاه الواثقَ فسجَنه حِينًا ، ثم أرسَله .

وحجَّ بالناسِ (٣فى هذه السنةِ٣) محمدُ بنُ داودَ (٤أميرُ مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ٤) .

وفيها توفِّى (٥**مِن الأعيانِ**٥) : **الحكَمُ** بنُ موسى[٦] . **وعمرُو** بنُ محمدٍ[٧] النّاقِدُ.

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ١٥٥، بنحوه .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « أمير الحجيج » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٢٦، وتاريخ دمشق ١٥/ ٥٢، وتهذيب الكمال ٧/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٤٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ١١٤.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٥، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٩٠.

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وثلاثين ومائتين

فى يومِ الأربعاءِ سابعِ صفرٍ مِنها[1] أمَر الخليفةُ المتوكِّلُ على اللَّهِ بالقَبْضِ على محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ الزيّاتِ وزيرِ الواثقِ ، وكان المتوكِّلُ يُبغِضُه لأمورٍ ؛ مِنها أنَّ أَخاه الواثقَ [2]تغضَّب عليه[2] فى بعضِ الأوقاتِ وكان ابنُ الزياتِ [3]يَزيدُ الواثقَ غضَبًا على أخيه[3] ، فبَقِى ذلك فى نفسِه منه ، ثم كان الذى استَرضَى الواثقَ عليه أحمدُ بنُ أبى دُوَادٍ فحَظِى لذلك عندَه فى أيامِ مُلْكِه ، [4]ومِن ذلك[4] أنَّ ابنَ الزياتِ كان قد أشارَ بخلافةِ محمدِ بنِ الواثقِ بعدَ أبيه ، ولفَّ عليه الناسَ ، وجعفرٌ المتوكِّلُ فى جنْبِ دارِ الخلافةِ[5] ، فلم يتمَّ الأمرُ إلَّا لجعفرٍ المتوكِّلِ على اللَّهِ ، على رغمِ أنفِ ابنِ الزيّاتِ ، فلهذا أمَر بالقَبضِ عليه سريعًا فطلَبه ، فركِب بعدَ غَدائِه يظُنُّ أنَّ الخليفةَ بعَث إليه ، [6]فأتتْ به الرسُلُ[6] إلى دارِ إيتاخَ أميرِ الشُّرطةِ فاحْتِيط عليه[7] وقُيِّد ، وبعَثوا فى الحالِ إلى دارِه فأخِذ جميعُ ما كان فيها مِن الأموالِ واللآلئِ والجواهرِ والحواصلِ والجوارِى والأثاثِ ، ووجَدوا [٨/١٨٩و] فى مَجلِسِه

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٥٦، والمنتظم ١١/ ١٨٩، والكامل ٧/ ٣٦.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « غضب على المتوكل » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « يزيده غضبا عليه » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « ومنها » .

(٥) بعده فى ب ، م : « لم يلتفت إليه » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « فانتهى به الرسول » .

(٧) فى ب ، م : « به » .

الخاصِّ بهِ آلاتِ الشرابِ ، وبعَث الخليفةُ[1] إلى حواصِلِه [2]وضِياعِه بسائرِ الأماكنِ[2] فاحْتِيطَ عليها ، وأمَر به أن يُعذَّبَ ؛ فمُنِع[3] مِن الطعامِ[4] ، وجعَلوا يساهِرونَه كُلّما أراد الرُّقادَ نُخِس بالحديدِ ، ثم وُضِع بعدَ ذلك كُلُّه فى تَنُّورٍ مِن خشبٍ فيه مساميرُ قائمةٌ فى أسفلِه فأُقِيم عليها ، ووُكِّل به مَن يمنعُه مِن[5] الرُّقادِ ، فمكَث كذلك أيّامًا حتى مات وهو كذلك .

ويُقالُ[6] : إنَّه أُخرِج مِن التَّنُّورِ وفيه رَمَقٌ ، فضُرِب على بطنِه ، ثم على ظهرِه حتى مات وهو تحتَ الضَّربِ . ويُقالُ[7] : إنَّه أُحرِق ، ثم دُفِعت جُثَّتُه إلى أولادِه فدفَنوه ، فنبَشت عليه الكلابُ فأكَلت[8] لحمَه وجلْدَه ، سامَحه اللَّهُ ، وكانت وفاتُه لإحْدى عشْرَةَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِنها .

وكان قيمةُ ما وُجِد له مِن الحواصلِ نحوًا مِن تسعين ألفَ ألفِ[9] دينارٍ ، وقد قدَّمنا[10] أنَّ المتوكِّلَ سأَله عن قتلِ [11]أخيه الواثقِ[11] أحمدَ بنَ نصرٍ الخُزاعىَّ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، أحرَقنِى اللَّهُ بالنارِ إن كان الواثقُ قتَله [11]يومَ قتَله[11] إلّا

---

(١) فى ب ، م : « المتوكل فى الحال أيضا » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « بسامرا وضياعه وما فيها » .

(٣) فى ب ، م : « منعوه » .

(٤) فى الأصل ، ب ، م : « الكلام » ، وفى ص : « الطعام والشراب » .

(٥) بعده فى ب ، م : « القعودو » .

(٦) تاريخ الطبرى ٩/ ١٥٩ ، بنحوه .

(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ١٦٠ ، بنحوه ، وليس فيه ذكر الحرق .

(٨) بعده فى ب ، م : « ما بقى من » .

(٩) سقط من : ب ، م .

(١٠) تقدم فى صفحة ٣١٨ .

(١١ - ١١) سقط من : ب ، م .

وهو كافرٌ. [1]قال المتوكِّلُ: فأنا أحرقتُه بالنارِ[1].

وفى جُمادَى الأُولَى مِنها[2] فُلِج أحمدُ بنُ أبى دوادٍ القاضى المعتَزِلىُّ، فلم يَزَلْ كذلك[3] حتَّى مات بعدَ أربعِ سنين وهو كذلك، كما دعا على نفسِه[4] كما تقدَّم[5]. ثم غضِب المتوكِّلُ على جماعةٍ مِن الكتَّابِ[6] والعمالِ، وأخَذ مِنهم أموالًا جَزيلةً جدًّا.

وفيها ولَّى المتوكِّلُ ابنَه محمدًا المُنتصِرَ الحجازَ واليمنَ، وعقَد له على ذلك كلِّه فى رمضانَ مِنها.

وفيها عمَد ملكُ الرومِ ميخائيلُ بنُ تَوْفيلَ إلى أُمِّه تدُورَةَ فأَقامَها بالشمسِ، وألزَمها الدَّيرَ، وقتَل الرجلَ الذى اتَّهَمها بهِ، وكان مُلكُها ستَّ سنين. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ محمدُ بنُ داودَ أميرُ مكةَ، [7]حرَسها اللَّهُ وشرَّفها[7].

وفيها توفِّى:

إبراهيمُ بنُ الحجّاجِ السامىُّ[8]. **وحِبَّانُ**[9] بنُ موسى المَرْوَزِىُّ[10]. **وسليمانُ**

(١ - ١) سقط من: الأصل، س، ص، ظ.

(٢) بعده فى ب، م: «بعد مهلك ابن الزيات».

(٣) فى ب، م: «مفلوجا».

(٤) بعده فى ب، م: «حين سأله المتوكل عن قتل أحمد بن نصر».

(٥) تقدم فى ص ٣١٨.

(٦) فى ب، م: «الدواوين».

(٧ - ٧) سقط من: ب، م.

(٨) فى النسخ: «الشامى». وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٨/ ٧٨، وتهذيب الكمال ٢/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩، والكاشف ١/ ٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٦١، والعبر ١/ ٤١٣.

(٩) فى م، ظ: «حيان».

(١٠) بعده فى الأصل، ب، م: «العربى»، وبعده فى س، ظ: «المغربى»، وبعده فى ص: =

ابنُ عبدِ الرحمنِ الدِّمشقيُّ[1] . **وسهلُ** بنُ عثمانَ العسكريُّ[2] . **ومحمدُ** بنُ سَمَاعةَ القاضى[3] . **ومحمدُ** بنُ عائذٍ الدمشقيُّ[4] ، صاحبُ « المغازى » . **ويحيى** [5]بنُ أيوبَ[5] المَقابِرِيُّ . **ويحيى** بنُ مَعِينٍ[6] ، أحدُ أئمةِ الجَرْحِ والتَّعديلِ ، وأستاذُ أهلِ [7]صناعةِ الحديثِ[7] فى زمانِه .

= « العنزى » . وانظر ترجمته فى : الثقات ٨/ ٢١٤، وتهذيب الكمال ٥/ ٣٤٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٢٤، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٨٤.

(١) الثقات لابن حبان ٨/ ٢٧٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٣٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٨٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٩٨.

(٢) الثقات لابن حبان ٨/ ٢٩٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٥٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٨٩.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٣٤١، تهذيب الكمال ٢٥/ ٣١٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٢٤، والوافى بالوفيات ٣/ ١٣٩.

(٤) تاريخ دمشق ٤٨٦/١٥ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٢٧، والوافى بالوفيات ٣/ ١٨١.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ب ، م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٤/ ١٨٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٤٠٠، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٩٧، وطبقات الحفاظ ص ٢١٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧، وطبقات الحنابلة ١/ ٤٠٢، ووفيات الأعيان ٦/ ١٣٩، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٤٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٧١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٤٠٤.

(٧ - ٧) فى ب ، م : « هذه الصناعة » .

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وثلاثين ومائتين

فيها[1] خرَج محمدُ بنُ البَعيثِ بنِ الجليسِ[2] عن الطاعةِ فى بلادِه مِن أذْرَبيجانَ، وأظهَر أنَّ المتوكِّلَ قد مات، والتفَّ عليه جماعةٌ مِن أهلِ تلك الرساتيقِ، ولجأ إلى مدينةِ مَرَنْدَ[3] فحصَّنها، وجاءته البعوثُ [٨/١٨٩ظ] مِن كلِّ جانبٍ، وأرسَل إليه المتوكِّلُ جيوشًا يتبَعُ بعضُها بعضًا، فنصَبوا على بلدِه المجَانيقَ مِن كلِّ جانبٍ، وحاصَروه محاصَرةً عظيمةً جدًّا، وقاتَلهم مُقاتَلةً هائلةً، وصبَر هو وأصحابُه صبرًا بليغًا، وقدِم بُغا الشَّرَابىُّ لمُحاصَرتِه، فلم يزَلْ به حتَّى أسَره واستبَاح أموالَه وحُرَمَه[4]، وقتَل خلقًا مِن رءوسِ أصحابِه، وأسَر سائرَهم، وانحسَمتْ مادةُ ابنِ البَعيثِ، وللَّهِ الحمدُ. وفى جمادَى الأولى مِنها خرَج المتوكِّلُ إلى المدائنِ.

وفيها حجَّ إيتاخُ أحدُ الأمراءِ الكِبارِ، وهو والى مكةَ [5]والمدينةِ والمَوسِمِ[5]، ودُعِى له على المنابرِ، وقد كان إيتاخُ هذا غلامًا خزَرِيًّا[6]،

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٦٤، والمنتظم ١١/ ٢٠٦، والكامل ٧/ ٤١.

(٢) فى ب، م، وتاريخ الطبرى ٩/ ١٦٤: «حلبس». والمثبت موافق لما فى الكامل ٧/ ٤١.

(٣) فى الأصل، ب: «مربد»، وفى ص: «يزيد». ومرند: من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تبريز يومان. معجم البلدان ٤/ ٥٠٣.

(٤) فى ب، م: «حريمه».

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦) فى الكامل: «حوريا». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ١٦٦.

والخزَر: اسم جيل من كفرة الترك، وقيل غير ذلك. تاج العروس (خ ز ر).

طبّاخًا[1] لرجلٍ يُقالُ له: سلّامٌ الأبرشُ. فاشتراه منه المعتصمُ فى سنةِ تسعٍ وتسعين ومائةٍ، فرفَع منزلَتَه، وحظِى عندَه، وكذلك الواثقُ مِن بعدِ أبيه، ضمَّ إليه أعمالًا كثيرةً، وكذلك عامَلَه المتوكِّلُ على اللَّهِ أيضًا وذلك لرُجْلةِ[2] إيتاخَ وشَهامتِه ونهضتِه[3]، ولمّا كان فى هذه السنةِ شرِب ليلةً مع المتوكِّلِ فعَربَد عليه المتوكِّلُ فهمَّ إيتاخُ بقَتْلِه، فلمَّا كان الصباحُ اعتذَر المتوكِّلُ إليه، وقال له: أنت أبى وأنت ربَّيتَنى. ثم دسَّ إليه مَن يُشيرُ عليه[4] بأن يستأذِنَ للحَجِّ، فاستأذنَ، فأذِن له، وأمَّره على كلِّ بلْدَةٍ يَحُلُّ بها، وخرَج القوَّادُ فى خدمتِه إلى طريقِ الحجِّ حينَ خرَج، وولَّى[5] المتوكِّلُ الحِجابةَ لوصيفٍ الخادمِ عوضًا عن إيتاخَ.

وحجَّ بالنّاسِ فيها محمدُ بنُ داودَ أميرُ مكةَ، وهو أميرُ الحَجيجِ مِن سنين متقدِّمةٍ.

وفيها تُوفِّى [6]مِن الأعيانِ[6]:

أبو خَيثَمةَ زهيرُ بنُ حَربٍ[7]. **وسليمانُ** بنُ داودَ الشَّاذَكُونىُّ[8]، أحدُ

---

(١) بعده فى ب، م: «وكان».

(٢) الرُّجلَة: الرجولة. اللسان (ر ج ل).

(٣) سقط من: ب، م.

(٤) فى ب، م: «إليه».

(٥) فى ب، م: «وكل».

(٦ - ٦) سقط من: ب، م.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٤، وحلية الأولياء ٩/ ١٧١، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٨٢، وتهذيب الكمال ٩/ ٤٠٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٦٤، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢٢٧، وغاية النهاية ١/ ٢٩٥.

(٨) فى م: «الشاركونى»، وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٠، =

الحُفّاظِ . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ محمدٍ النُّفَيليُّ[1] . **وأبو الربيعِ** الزَّهرانيُّ[2] . **وعليُّ** بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ المَدينيُّ[3] ، شيخُ البخاريِّ في صناعةِ الحديثِ . **ومحمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيرٍ[4] . **ومحمدُ** بنُ أبي بكرٍ المُقَدَّميُّ[5] . **والمُعافَى** الرَّسْعَنيُّ[6] . **ويَحيى** بنُ يَحيى اللَّيثيُّ[7] ، راوي الموطأِ للمغاربةِ[8] عن مالكِ بنِ أنسٍ .

= وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٧٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٧٦، والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٧٩.

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٧، وتهذيب الكمال ١٦/ ٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٣٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٢٥، وطبقات الحفاظ ص ١٩٣.

(٢) تهذيب الكمال ١١/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٧٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٨٠، والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٨٩، وغاية النهاية ١/ ٣١٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٨، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٥٨، وتهذيب الكمال ٢١/ ٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٧٦، وطبقات الشافعية ٢/ ١٤٥ - ١٦٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٣، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٢٩، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٥٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٣٠، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣١٢، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٥٩.

(٦) في م : « الرسيعني » . وانظر ترجمته في : الثقات لابن حبان ٩/ ١٩٩، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٤٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٦٤، والعبر ١/ ٤١٩.

(٧) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٧٩، وطبقات الفقهاء ص ١٥٢، ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٤١٤.

(٨) سقط من : ب ، م .

ثم دخلتْ سنةُ خمسٍ وثلاثينَ ومائتينِ

فى جمادَى الآخرةِ مِنها[1] كان هلاكُ إيتاخَ فى السِّجنِ ، وذلك أنَّه رجَع مِن الحجِّ فتلقَّتْه هدايا الخليفةِ ، فلمّا اقترَب يريدُ دخولَ سَامَرّاءَ التى فيها أميرُ المؤمنين بعَث إليه [٨/١٩٠و] إسحاقُ بنُ إبراهيمَ - نائبُ بغدادَ - عن أمرِ الخليفةِ يستَدعِيه إليها ؛ ليتلَقَّاه وجوهُ النَّاسِ وبنى هاشِمٍ ، فدخَلها فى أُبَّهَةٍ عظيمَةٍ ، فقبَض عليه إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، وعلى ابنيه - مُظَفَّرٍ ومَنْصُورٍ - وكاتبَيْه - سليمانَ بنِ وَهْبٍ وقُدامةَ بنِ زِيادٍ النَّصْرانِىِّ - فأسلَم[2] تحتَ العقوبَةِ ، وكان هلاكُ إيتاخَ بالعطَشِ ، وذلك أنَّه أكَل أكْلًا كثيرًا بعدَ جُوعٍ شديدٍ ، ثمَّ استَسْقَى الماءَ فلم يُسْقَ حتى ماتَ ليلةَ الأربعاءِ لخمسٍ خَلَوْنَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِنها . ومكَث ولداه فى السِّجنِ مدةَ خلافةِ المتوكِّلِ ، فلمّا وَلِىَ المنتَصِرُ - وَلَدُ المتوكِّلِ - أخرَجهما .

وفى شَوّالٍ منها قَدِم بُغَا سَامَرّا ومعه محمدُ بنُ البَعِيثِ وأخواه صَقْرٌ وخَالِدٌ ، ونائبُه العَلَاءُ ، ومعهم مِن رءُوسِ أصحابِه نحوٌ مِن مائةٍ وثمانينَ إنسانًا ، فأُدخِلُوا على الجِمَالِ ليَراهُم النَّاسُ ، فلمَّا أوقِفَ ابنُ البَعِيثِ بينَ يدىِ المتوَكِّلِ أمَر بضَرْبِ عُنُقِه ، فأُحضِر السيفُ والنِّطْعُ ، وجاء السيّافونَ فوقَفوا حولَه ، فقال له المتوكِّلُ[3] : وَيْلَك ، ما دَعاكَ إلى ما فعَلْتَ ؟ فقال : الشِّقْوةُ يا أميرَ المؤْمنِينَ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٧٠، والمنتظم ١١/ ٢٢١، والكامل ٧/ ٤٦.

(٢) أى : قدامة .

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ١٧٠، والكامل ٧/ ٤٧.

وأنتَ الحبلُ الممدودُ بينَ اللَّهِ وبينَ خَلْقِه ، وإنَّ لى فيك لظَنَّيْنِ[1] ، أسبقُهما إلى قلبى أَوْلاهما بكَ ؛ وهو العفوُ . ثم اندفَعَ يقولُ بَدِيهَةً[2] :

أَبَى النَّاسُ إلّا أنَّكَ اليومَ قاتِلى ... إمامَ الهُدَى والصفحُ بالمرءِ أجمَلُ
وهل أنا إلّا جُبْلَةٌ مِن خطيَّةٍ ... وعفوُكَ مِن نورِ النبوَّةِ يُجْبَلُ
فإنَّكَ خيرُ السابقينَ إلى العُلَا ... ولا شَكَّ أنْ خيرَ الفَعَالَيْنِ تَفعَلُ

فقال المتوكِّلُ : إنَّ معه لأدَبًا . ثم عفَا عنه ، ويقالُ : بلْ شفَع فيه المعتزُّ بنُ المتوكِّلِ ، فشَفَّعَهُ فيه . ويقالُ : بل أُودِعَ فى السِّجنِ فى قيودٍ ثقيلةٍ ، فلم يزَلْ فيه حتى هرَب بعدَ ذلك ، وقد قال حينَ هرَب[3] :-

كم قد قضيتُ أمورًا كان أهمَلَها ... غيرِى وقدْ أخَذَ الإفلاسُ بالكَظَمِ[4]
لا تَعْذِلِينِىَ فيمَا ليس يَنْفعُنى ... إليكِ عنِّى جرَى المقدارُ بالقَلَمِ
سأُتلِفُ المالَ فى عُسْرٍ وفى يُسُرٍ ... إنَّ الجوَادَ الذى يُعْطِى على العَدَمِ

وفيها أمَر المتوكِّلُ على اللَّهِ أهْلَ الذِّمةِ أن يتميَّزوا عن المسلمينَ فى لِباسِهم وعَمائمِهم وثيابِهم ، وأن يتطَيْلَسوا[5] بالمصبُوغِ بالعَسَلِىِّ[6] ، وأن يكونَ على غِلْمانِهم[7] رِقَاعٌ مخالفةٌ للونِ ثيابِهم مِن خَلْفِهم ومِن بينِ أيديهم ، وأن يُلْزَموا

---

(١) فى الأصل : « لضنين » .
(٢) سقط من : ب ، وفى الأصل : « بهديه » ، وبعده فى ص : « قوله » .
(٣) الأبيات فى تاريخ الطبرى ٩/ ١٧١، والكامل ٧/ ٤٨.
(٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « بالكرم » .
(٥) يتطيلسوا : يلبسون الطيلسان ، والطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة . الوسيط (ط ل س) .
(٦) فى الأصل ، م ، ص : « بالقلى » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ١٧١.
(٧) فى ب ، م : « عمائمهم » .

بالزَّنانِيرِ الخَاصِرَةِ لثيابِهم [٨/١٩٠ظ] كزنانِيرِ الفَلَّاحِين اليومَ، وأن يحمِلوا فى رقابِهم كُرَاتٍ مِن خشَبٍ كثيرةً، وأن لا يركَبوا خَيلًا، ولْتكُنْ رُكُبُهم مِن خشَبٍ، إلى غيرِ ذلكَ مِن الأمورِ (١المُذِلَّةِ لهم المهينةِ لنفوسِهم١)، وأن لا يُستَعمَلوا فى شَىءٍ مِن الدَّواوِينِ التى يكونُ لهم فيها حكمٌ على مسلمٍ، وأمَر بتخريبِ كنائسِهم المحدَثَةِ، وبتضييقِ منازِلِهم المتَّسِعةِ، فيُؤْخَذُ منها العُشْرُ، وأن يُعمَلَ ما كان متَّسعًا(٢) كبيرًا مَسْجِدًا، وأمَر بتسويةِ قبورِهم بالأَرضِ، وكتَب بذلك إلى سائرِ الأقاليمِ والآفاقِ، وإلى كُلِّ بلدٍ ورُستاقٍ.

وفيها خرَج رجلٌ يقالُ له: محمودُ بنُ الفرَجِ النَّيْسابُورِىُّ. وهو ممَّن كان يتردَّدُ إلى خشبةِ بابَكَ الخُرَّمىِّ وهو مصلوبٌ، فيقعُدُ قريبًا منه، وذلك بقُرْبِ دارِ الخلافةِ مِن سُرَّ مَنْ رَأَى، فادَّعى أنَّه نَبِىٌّ، وأنَّه ذُو القَرْنَينِ، وقد اتَّبَعَه على هذه الضَّلالةِ ووافَقَه فى هذه الجَهالةِ جماعةٌ قليلونَ، وهم سبعةٌ(٣) وعشرونَ رجلًا، وقد نظَم لهم كلامًا فى مُصْحَفٍ له - قبَّحَه اللَّهُ - زعَم، لعنَه اللَّهُ - أنَّ جبريلَ، عليه السلامُ، جاءَه به مِن اللَّهِ، فأُخِذ فرُفِعَ أمرُه إلى المتوكِّلِ فأَمَر به فَضُرِب بينَ يَدَيْه بالسِّياطِ؛ فاعترَف بما نُسِب إليه، وما هو مُعوِّلٌ عليه، وأظْهَر التوبةَ مِن ذلك والرُّجُوعَ عنه، فأمَر الخليفَةُ كلَّ واحدٍ مِن أتباعِه (٤أن يصفَعَه عشْرَ صَفَعَاتٍ ففعَلوا٤)، فعليه وعليهم لَعْنَةُ رَبِّ الأرضِ والسَّماواتِ، ثم اتَّفَقَ موتُه فى يومِ الأربعاءِ لثلاثٍ خَلَوْنَ مِن ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السَّنةِ.

(١ - ١) فى الأصل، س، ظ: «القطيعة لهم قبحهم اللّه»، وفى ص: «القطعية بهم قبحهم اللّه».
(٢) بعده فى الأصل: «من ذلك»، وبعده فى ب، م: «من منازلهم».
(٣) فى الأصل، ب، م: «تسعة».
(٤ - ٤) فى الأصل: «فصفعه صفعات»، وفى ب، م: «التسعة والعشرين أن يصفعه فصفعوه عشر صفعات»، وفى ص: «فصفعه عشر صفعات».

وفى يومِ السبتِ لثلاثٍ بقِين مِن ذِى الحِجَّةِ [1]مِن هذه السنةِ المباركَةِ[1] أخَذ الخليفةُ المتوكِّلُ على اللَّهِ العَهْدَ مِن بعدِه لأولادِه الثلاثةِ وهم : محمدٌ المنتَصِرُ ، ثم أبو عبدِ اللَّهِ المعتزُّ - واسمُه محمدٌ ، وقيل : الزُّبيرُ - ثم لإبراهيمَ وسمّاه المؤيَّدَ باللَّهِ ، ولم يَلِ هذا الخلافةَ . وأَعْطَى كلَّ واحدٍ مِنهم طائفةً مِن البلادِ يكونُ نائبًا عليها ونوابُه[2] فيها ، ويضْرِبُ له السِّكَّةَ بها ، وقد عيَّنَ ابنُ جَرِيرٍ[3] ما لكلِّ واحدٍ مِنهم مِن البلدانِ والأَقاليم والرَّساتيقِ[4] ، وعقَدَ لكلِّ واحدٍ مِنهم لوءَايْنِ ؛ لوَاءً أسودَ للعهدِ ، ولواءً أبيضَ[4] للعَمالةِ ، وكتَب بينَهم كتابًا بالرضَا منهم [5]بمبايعةِ الأمراءِ والكبراءِ لهم[5] على ذلك وكان يومًا مشهودًا .

وفيها فى شهرِ ذى الحِجَّةِ هذا منها تغيَّر ماءُ دِجْلَةَ إلى الصُّفْرةِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم صارَ فى لونِ ماءِ المدودِ[6] ، ففزِعَ الناسُ [٨/١٩١و] لذلك .

وفيهَا أتَى المتوكِّلُ بيحيَى بنِ عمرَ بنِ زيدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ مِن بعضِ النَّواحِى ، وكان قداجتمَع إليه قومٌ مِن الشيعةِ فأمَر بضربِه فَضُرِب ثمانِىَ عشْرةَ مِقْرَعَةً ثم حُبِس فى المُطْبِقِ .

وحجَّ بالناسِ محمدُ بنُ داودَ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢) فى ب ، م : « يستنيب » .
(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ١٧٦.
(٤) سقط من : ب ، م .
(٥ - ٥) فى ب ، م : « ومبايعته لأكثر الأمراء » .
(٦) فى الأصل : « لدود » ، وفى ب : « الدرد » ، وفى م : « الدردى » .

قال ابنُ جريرٍ[1] : وفيها تُوفِّى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ صاحبُ الجِسْرِ - يعنى نائبَ بغدادَ - فى يومِ الثلاثاءِ لسبعٍ بقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ ، وصُيِّر ابنُه محمدٌ مكانَه ، وخُلِع عليه خمسُ خِلَعٍ ، وقُلِّدَ سيفًا .

قلتُ : وقد كان [2]له فِى نيابةِ بغدادَ والعراقِ[2] مِن زمنِ المأْمونِ ، وهو مِن أكبرِ[3] الدُّعاةِ تبَعًا لسادتِه وكبرائِه ، إلى القولِ بخَلْقِ القُرْآنِ[4] .

وفيها تُوفِّى :

إسْحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ ماهانَ المَوْصلىُّ النديمُ[5] ، الأديبُ ابنُ الأديبِ النادرُ الشَّكلِ فى وقتِهِ ، المجموعُ الفضائلِ[6] مِن كلِّ فنٍّ يعرِفُه أبناءُ عصرِه ، مِن الفقهِ والحديثِ والجدلِ والكلامِ واللغةِ والشِّعْرِ ، وإنَّما اشتُهِرَ بالغناءِ ؛ لأنَّه لم يكنْ له فى الدُّنيا نَظِيرٌ فيهِ .

قال المعتصمُ[7] : كان إسحاقُ إذا غنَّى يُخيَّلُ إلىَّ أنَّه قد زِيد فى مُلكِى . وقال المأمونُ[8] : لولا اشتهارُه بالغناءِ لولَّيتُه القضاءَ ؛ لِما أعلَمُه من عفَّتِه ونزاهَتِه وأمانَتِه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٨١.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « نائبًا فى العراق » .

(٣) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٤) بعده فى ب ، م : « الذى قال الله تعالى فيهم ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ الآية . وهو الذى كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون » .

(٥) الأغانى ٥/ ٢٦٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٨، وتاريخ دمشق ٨/ ١٤٢، ونزهة الألباء فى طبقات الأدباء ص ١٦٩، ومعجم الأدباء ٦/ ٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٩٢، الأغانى ٥/ ٢٦٨، إنباه الرواة ١/ ٢١٥، طبقات ٣٦٠.

(٦) سقط من : ب ، م .

(٧) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٤.

(٨) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٠.

وله شعرٌ حسَنٌ، وديوانٌ كبيرٌ. وكانت عندَه كتُبٌ كثيرةٌ مِن كلِّ فنٍّ.

تُوفِّى فى هذه السَّنةِ، (١قال ابنُ خَلِّكانَ١): وقيل: فى التى بعدَها[٢].

وقد ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكِرَ ترجمةً حافِلةً[٣]، وذكَر عنه أشياءَ حسَنةً، وأشعارًا بديعةً رائقةً، وحكاياتٍ مُدهشةً يطولُ استقصاؤُهَا. فمِن غريبِ ذلك أنَّه غنَّى يومًا ليحيى بنِ خالدِ بنِ بَرْمَكَ فوقَّعَ له بأَلْفِ أَلْفٍ، ووقَّع له ابنُه جعفرٌ بمثلِها، وابنُه الفَضْلُ بمثلِها، فى حكايةٍ طويلةٍ.

قلتُ: وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ:

سُرَيجُ بنُ يونُسَ[٤]. **وشَيْبَانُ** بنُ فَرُّوخَ[٥]. **وعُبَيْدُ اللَّهِ** بنُ عُمَرَ القَوارِيرِىُّ[٦]. **وأبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ**[٧]، أحدُ الأعلامِ وأئمّةِ الإسلامِ، وصاحِبُ «المصنَّفِ» الذى لم يُصنِّفْ أحدٌ مثلَه قطُّ، لا قبلَه ولا بعدَه.

(١ - ١) فى ب، م: «وقيل فى التى قبلها»، وانظر وفيات الأعيان ١/ ٢٠٤.

(٢) فى الأصل، ص: «قبلها».

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ١٤٢.

(٤) فى النسخ: «شريح». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٩/ ٢١٩، ووفيات الأعيان ١/ ٦٧، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٦٩.

(٥) ثقات ابن حبان ٨/ ٣١٥، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٠٠، وغاية النهاية ١/ ٣٢٩..

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٠، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٤٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٦٤.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٣، وتهذيب الكمال ١٦/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٢٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٤٢.

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين

فيها[1] أمَر المتوكِّلُ بهدْمِ قبرِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ، وما حولَه مِن المنازلِ والدُّورِ، ونوُدِى فى الناسِ: مَن وُجِد هـٰهنا بعدَ ثلاثةِ أيامٍ رُفِع[2] إلى المُطْبِقِ. فلم يبقَ هناك بشَرٌ، واتُّخِذ ذلك الموضِعُ مزرعةً تُحْرَثُ وتُسْتَغَلُّ.

وفيها حجَّ بالناسِ محمدٌ[3] المنتَصِرُ بنُ المتوكِّلِ.

[٨/١٩٠ظ] **وفيها تُوفِّى: محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ مُصعبٍ**[4]، سمَّه ابنُ أخيه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، وكان محمدُ بنُ إبراهيمَ هذا مِن الأمراءِ الكِبارِ.

وفيها تُوفِّى: **الحسنُ**[5] بنُ سَهْلٍ الْوَزيرُ، والدُ بُورَانَ زوجةِ المأمونِ التى تقدم ذكرُهَا[6]، وكان مِن سَراةِ النَّاسِ ورؤسائِهم. ويقالُ: إنّ إسْحَاقَ بنَ إبراهيمَ[7] تُوفِّى فى هذه السَّنَةِ، فاللَّهُ أعلَمُ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٨٣، والمنتظم ١١/ ٢٤٧، والكامل ٧/ ٥٤.

(٢) فى ب، م: «ذهبت به».

(٣) بعده فى م: «بن».

(٤) الطبرى ٩/ ١٨٣، والكامل ٧/ ٥٤.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٣١٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧١، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٣١، والعبر ١/ ٤٢٣.

(٦) تقدم فى ص ١٧٩.

(٧) تقدم فى صفحة ٣٤٤.

وفيها تُوفِّى **أبو سعيدٍ محمدُ بنُ يُوسفَ المَرْوَزِىُّ**[1] فجأةً، فوَلِى ابنُه يوسفُ مكانَه على نيابةِ أرمِينيةَ.

وفيها تُوفِّى أيضًا: **إبراهيمُ** بنُ المنذِرِ الحِزامِىُّ[2]. **ومُصْعَبُ** بنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبيرِىُّ[3]. **وهُدْبَةُ** بنُ خالدٍ القَيْسِىُّ[4]. **وأبو الصَّلْتِ الهَرَوِىُّ**[5]، أحدُ الضُّعَفَاءِ.

---

(١) الطبرى ٩/ ١٨٥، والكامل ٧/ ٥٦.

(٢) فى الأصل، ب، م: «الحرابى»، وفى س، ظ: «الخزامى». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٦/ ١٧٩، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٨٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٧١، والوافى بالوفيات ٦/ ١٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٩، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٦٢، وميزان الاعتدال ٤/ ١٢٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠١، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٩٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٨٨، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٩٤.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦، وتهذيب الكمال ١٨/ ٧٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٤٩، وميزان الاعتدال ٢/ ٦١٦.

ثمَّ دخَلتْ سنةُ سبعٍ وثلاثينَ ومائتينِ

فيها[1] قبَض يوسُفُ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ ، نائِبُ أرمينيَةَ على البِطْريقِ الكبيرِ بها وبعَثه إلى نائِبِ الخليفةِ ، واتَّفَق بعدَ بعثِه إياه ، أن سقَط ثَلْجٌ عظيمٌ على تلك البلادِ ، فتحزَّب أهلُ [2]ذلك البِطريقِ[2] ، وجاءوا فحاصَرُوا البلدَ التى بها يُوسُفُ ابنُ محمدٍ ، فخرَج إليهم ؛ ليُقاتِلَهم ، فقتَلُوه وطائفةً كبيرةً مِن المسلمينَ الذين معه ، وهلَكَ كثيرٌ مِن الناسِ [3]فى الثلْجِ[3] مِن شدَّةِ البرْدِ ، ولمّا بلَغ المتوكِّلَ ما وقَع مِن هذا الأمرِ الفظيعِ ؛ أرسَل إلى أهلِ تلك الناحيةِ بُغَا الكبيرَ فى جيشٍ كثيفٍ جدًّا ، فقتَل مِن أهلِ تلك الناحيةِ - ممَّن حاصَر المدينةَ ، [4]وقتَل الأميرَ[4] - نحوًا مِن ثلاثينَ ألفًا وأسَرَ مِنهم طائفةً كبيرةً ، ثم سارَ إلى بلادِ الباقِ مِن كُورةِ الْبَسْفُرْجانَ[5] ، وسلَك إلى مُدنٍ كثيرةٍ كبارٍ ، ومهَّدَ المَمالكَ ، ووطَّدَ البلادَ والنَّواحِيَ .

وفى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ غَضِبَ المتوكِّلُ على أحمدَ بنِ أبى دُوَادٍ القاضِى المعتزِلىِّ ، وكان على المظالمِ فعزَله عنها ، واستدعَى بيحيَى بنِ أكثمَ فولَّاه قضاءَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٨٧، والمنتظم ١١/ ٢٤٩، والكامل ٧/ ٥٨

(٢ - ٢) فى م : « تلك الطريق » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) فى الأصل ، ب ، س ، ص : « السيرجان » ، وفى ظ : « السيرخان » ، والبسفرجان : كورة بأرض ارّان ومدينتها النشوى . معجم البلدان ١/ ٦٢٤.

القضاةِ والمظالمَ أيضًا .

وفى رَبيعِ الأوَّلِ أمَر الخليفةُ بالاحتياطِ على ضِياعِ ابنِ أبى دُوَادٍ ، وأخَذ ابنَه أبا الوليدِ محمدَ (١ بنَ أحمدَ بنِ أبى دُوَادٍ ١) ، فحبَسه فى يومِ السَّبتِ لثَلاثٍ خَلَوْنَ مِن رَبيعِ الآخَرِ ، وأمَر بمصادرتِه ، فحمَل مائةَ ألفِ دينارٍ وعشرينَ ألفَ دينارٍ ، ومِن الجواهرِ النَّفيسَةِ مَا يُقوَّمُ بعشرِينَ ألفَ دينارٍ ، ثم صُولِح على ستَّةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دِرْهَمٍ ، وكان ابنُ أبى دُوَادٍ قدْ أَصابَه الفالجُ - كما ذَكَرْنا[٢] - ثم نَفَى أهلَه مِن سامَرّا إلى بغدادَ مُهانِينَ .

قال ابنُ جَرِيرٍ[٣] : فقال فى ذلك أبو العتاهِيةِ :

[١٩٢/٨و] لو كنتَ فى الرأْيِ مَنْسُوبًا إلى رشَدٍ ... وكان عَزْمُكَ عزمًا فيه توفِيقُ
لكان فى الفقهِ شغلٌ لو قَنِعْتَ به ... عن أن تَقُولَ كتابُ اللَّهِ مخلوقُ
ماذا عليك وأصلُ الدينِ يجمَعُهُمْ ... ما كان فى الفرعِ لولا الجهلُ والمُوقُ[٤]

وفى يومِ عيدِ الفِطْرِ مِنها أمَر المتوكِّلُ بإنزالِ جُثَّةِ أحمدَ بنِ نصرِ بن مالكِ بنِ الهيثمِ الخُزاعِيِّ ، والجمعِ بينَ رَأْسِه وجسَدِه ، وأن يُسَلَّمَ إلى أوليائِه ، ففَرِح النَّاسُ بذلك فرَحًا شديدًا ، واجتمَع (٥ مِن العامةِ ٥) فى جِنازَتِه خَلْقٌ كثيرٌ جدًّا ، وجعَلوا يتمسَّحونَ (٦ بها ، وبأعوادِ نعشِه وكان يومًا مشهودًا ، ثم أتَوْا إلى الجِذعِ الذى صُلِب عليه فجعَلوا يتمسَّحون به ٦) ، وأرْهَج العامَّةُ فى ذلك فرَحًا وسرورًا ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢) تقدم فى صفحة ٣١٩.
(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ١٨٩.
(٤) الموق : الحمق فى غباوة . اللسان (م و ق) .
(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .
(٦ - ٦) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « بأعواده للبركة وبالجذع الذى كان مصلوبا فوقه » . وهذا التمسح من الوثنية التى أحداثها جهال العوام ، والتى جاء الإسلام بهدمها .

فكتَب المتوكِّلُ إلى نائبِه يأمُرُه برَدْعِهم عن تَعاطِى مثلِ ذلك ، [1]وعن المغالاةِ فى البَشَرِ[1] ، ثم كتَب[2] إلى الآفاقِ بالمنْعِ مِن الكَلامِ ، فى مسألةِ الكَلامِ والكَفِّ عن القولِ بخَلْقِ القرآنِ[3] ، وأظهَر إِكْرامَ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ واستدعاه مِن بغدادَ إليه ، فاجتَمع به فأكرَمه ، وأمرَ له بجائزةٍ سَنيَّةٍ فلم يقبَلْها ، وخلَع عليه خِلْعةً سنيَّةً مِن ملابِسِه ، فاستَحْيا منه أحمدُ كثيرًا ، فلبِسَها إلى الموضِعِ الذى كان نازِلًا فيه ، ثم نزَعها نزْعًا عنيفًا وهو يبكِى ، رَحِمَه اللَّهُ تعالى .

وجعَل المتوكِّلُ فى كلِّ يومٍ يُرسِلُ إليه مِن طَعامِه الخَاصِّ يظُنُّ أنَّه يأكُلُ منه ، وكان الإمامُ أحمدُ لا يأكُلُ لهم طعامًا ، بل كان صائمًا ، مواصِلًا يطوِى تلك الأيّامَ كلَّها ؛ لأنَّه لا يتيسَّرُ له شىءٌ يرتضِى أكلَه ، ولكن كان ابناه[4] صالحٌ وعبدُ اللَّهِ يقبَلانِ تلكَ الجوائزَ ، وهو لا يَشْعُرُ بشىءٍ مِن ذلك ، ولولا أنَّهم أسرَعوا الأَوْبَةَ إلى بغدادَ لخُشِىَ على أحمدَ أن يموتَ جوعًا .

و[5]ارتفَع شأنُ[5] السُّنَّةِ جدًّا فى أيامِ المتوكِّلِ - عفا اللَّهُ عنه - وكان لا يُوَلِّى أحدًا إلّا بعدَ مشُورةِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وكانت ولايةُ يحيى بنِ أكْثَمَ قضاءَ القُضَاةِ مَوضِعَ ابنِ أبى دُوَادٍ عن مَشُورتِه أيضًا ، وقد كان يحيى بنُ أكثمَ هذا مِن أئمَّةِ السُّنَّةِ ، وعلماءِ الناسِ ، ومِن المعظِّمينَ للكتابِ والسنَّةِ والفقهِ والحديثِ واتِّباعِ الأثَرِ ، وكان قد ولِّى مِن جهَتِه حَيّانَ بنَ بِشْرٍ قَضاءَ الشَّرْقيَّةِ ، وسَوَّارَ بنَ

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) بعده فى الأصل ، ص : « به » ، وبعده فى ب ، م : « المتوكل » .

(٣) بعده فى ب ، م : « وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه ، فالمطبق مأواه إلى أن يموت ، وأمر الناس ألا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير » .

(٤) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « ابنه » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « ارتفعت » .

عبدِ اللَّهِ العَنبرِىَّ[1] قَضاءَ الجانِبِ الغَربىِّ[2] ، وكلاهما كان أَعْوَرَ ، فقال فى ذلك بعضُ أصحابِ ابنِ أبى دُوَادٍ[3] :

رأيتُ مِن الكبائرِ[4] قاضِيَيْنِ ... هما أُحْدوثَةٌ فى الخافِقَيْنِ
هما اقتَسما العمَى نِصْفينِ قدًّا ... كما اقتَسَما قَضاءَ الجانِبَيْنِ
[٨/١٩٢ظ] وتَحسَبُ منهما مَن هَزَّ رأْسًا ... لِيَنظُرَ فى مواريثٍ ودَيْنِ
كأنَّكَ قد وضَعْتَ عليه دَنًّا[5] ... فَتَحْتَ بُزَالَهُ[6] مِن فَرْدِ عَيْنِ
هما فَأْلُ الزَّمانِ بهُلْكِ يحيى ... إذِ افتتَحَ القضاءَ بأَعْوَرَيْنِ

وغَزَا الصَّائفةَ فى هذه السَّنةِ علىُّ بنُ يحيى الأَرْمِنىّ .

وحجَّ بالنَّاسِ فيها علىُّ بنُ عِيسَى بنِ جَعْفَرِ بنِ أبى جَعْفَرٍ المَنْصُورِ ، أميرُ الحِجازِ .

وفيها تُوفِّى : حاتمٌ الأَصَمُّ[7] . و[8]عبدُ الأَعْلَى بنُ حَمَّادٍ[9] . وعبيدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) سقط من : ب ، م .
(٢) فى الأصل ، ص : « الشرقى » .
(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ١٨٩، وقد نسبها للجمّاز .
(٤) فى ب ، م : « العجائب » .
(٥) الدَّنُّ : وعاء ضخم للخمر ونحوها .
(٦) البزال : الموضع الذى يخرج منه الشىء المبزول .
(٧) حلية الأولياء ٨/ ٧٣، وطبقات الصوفية ص ٩١، تاريخ بغداد ٨/ ٢٤١، وصفوة الصفوة ٤/ ١٦١، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١١٨.
(٨) بعده فى ب ، م : « ممن توفى فيها » .
(٩) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٠٩، وتاريخ بغداد ١١/ ٧٥، وتهذيب الكمال ١٦/ ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٣٥.

مُعَاذٍ العَنْبَرِيُّ[1] . وأبو كامِلٍ الفُضَيْلُ بنُ الحسينِ الجَحْدَرِيُّ[2] .

---

(١) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٠٦، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٦٦، وغاية النهاية ١/ ٤٩٣.

(٢) الثقات لابن حبان ٩/ ١٠، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٩٦، والعبر ١/ ٤٢٥.

ثم دخلت سنةُ ثمانٍ وثلاثين ومائتينِ

فى ربيعِ الأولِ منها[1] حاصَر بُغا مدينةَ تَفْلِيسَ ، وعلى مقدِّمتِه زَيرَكُ التُّرْكِيُّ ، فخرَج إليه صاحبُ تَفْلِيسَ إسحاقُ بنُ إسماعيلَ فقاتَله ، فأُسِر إسحاقُ ، فأمَر بُغا بضربِ عنُقِه وصلبِه ، وأمَر بإلقاءِ النارِ فى النِّفطِ إلى نحوِ المدينةِ ، وكان أكثرُ بنائِها مِن خشبِ الصَّنَوْبَرِ ، فأحرَق أكثرَها ، وأحرَق مِن أهلِها نحوًا مِن خمسينَ ألفَ إنسانٍ ، وطَفِئَتِ النارُ بعدَ يومينِ ؛ لأنَّ نارَ الصَّنَوْبَرِ لا بقاءَ لها ، ودخَل الجندُ فأسَروا مَن بقِى مِن أهلِها ، واستلَبوهم حتى استلَبوا الموتى[2] . ثم سارَ بُغَا إلى مدنٍ أخرَى مِمَّن كانَ يُمالِئُ أهلُها مع مَن قتَل نائبَ أَرمينيَةَ يوسُفَ بنَ محمدِ بنِ يوسفَ ، أخذًا[3] بثأرِه [4]وعقوبةً لمَن[4] تجرَّأ عليه .

وفيهَا جاءت الفِرِنجُ فى نحوٍ مِن ثلاثِمائةِ مَركَبٍ ، قاصدينَ دِيارَ مصرَ مِن ناحيةِ[5] دِمياطَ ، فدخَلوها فجأةً فقتَلوا مِن أهلِها خلقًا كثيرًا[6] ، وحرَقوا المسجِدَ الجامعَ والمِنبرَ ، وأسَروا مِن النِّساءِ نحوًا مِن ستِّمائةِ امرأةٍ ؛ مِن المسلماتِ مائةٌ وخمسةٌ [7]وعشرون ، والباقياتُ[7] مِن نساءِ القِبْطِ ، وأخَذوا مِن الأسلحةِ والأمتعةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٢، والمنتظم ١١/ ٢٥٨، والكامل ٧/ ٦٧.

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « المواشى » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٣.

(٣) فى ب ، م : « فأخذ » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « وعاقب من » .

(٥) فى م : « جهة » .

(٦) سقط من : ب ، م .

(٧ - ٧) فى ب : « وعشرين ، وسائرهن » . وفى م : « وعشرين امرأةً ، وسائرهن » .

والمغانم شيئًا كثيرًا جدًّا ، وفرَّ الناسُ مِنهم فى كلِّ جهةٍ ، فكان مَن غرِق فى بحيرةِ تِنِّيسَ[1] أكثرَ ممَّن أسَروه ، ثمَّ رجَعوا على حَمِيَّةٍ ، ولم يعرِضْ لهم أحدٌ حتى رجَعوا بلادَهم ، لعَنهم اللَّهُ وقَبَّحهم .

وفى هذه السنةِ غزا الصَّائِفَةَ علىُّ بنُ يحيَى الأرمِنىُّ . [2]وحجَّ بالناسِ أميرُ السنةِ التى[2] قبلَها .

وفيها توُفِّىَ : إسحاقُ بنُ راهَوَيْهِ[3] ، أحدُ الأعلامِ وعلماءِ الإسلامِ ، والمجتهدينَ مِنَ الأنامِ . **وبِشرُ** بنُ الوليدِ[4] ، الفقيهُ الحنفىُّ . **وطالوتُ**[5] بنُ عَبّادٍ . **ومحمدُ** بنُ بكَّارِ بنِ الرَّيّانِ[6] . **ومحمدُ** بنُ الحسينِ[7]

---

(١) جزيرة فى بحر مصر ، قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط والفرما فى شرقيها . معجم البلدان ١/ ٨٨٢.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « وفيها حج بالناسِ الأمير الذى حجّ بهم » .

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ١٠٩، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٧٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٨٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٨٠، وطبقات الفقهاء ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١١٠، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ١/ ٤٥٢.

(٥) فى م : « طالون » ، وفى ظ : « طالق » . وانظر ترجمته فى : التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٣، والثقات ٨/ ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٠٤، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٣٤، والوافى بالوفيات ١٦/ ٣٨٨.

(٦) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « الزيات » . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٧، وتاريخ بغداد ٢/ ١٠٠، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥٢٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣١١، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٥٥، وغاية النهاية ٢/ ١٠٤.

(٧) بياض فى الأصل ، س ، ظ بمقدار كلمة ، وسقط من : ب ، م ، ص . والمثبت من مصادر ترجمته التالية .

البُرْجُلانِيُّ[1] . **ومحمدُ** بنِ أَبِي السَّرِيِّ العَسْقَلانِيُّ[2] .

---

(١) فى الأصل ، ب : « البرجالى » ، وفى م : « البرجانى » ، وفى ظ : « البرهلانى » . وانظر ترجمته فى : الجرح والتعديل ٧/ ٢٢٩، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٢٢، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣١٧، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٢.

(٢) تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٤٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٨٦، وغاية النهاية ٢/ ٢٣٤.

ثم دخلت [٨/١٩٣و] سنةُ

تِسعٍ وثلاثيـنَ ومائتَيْـنِ

فى المحرَّمِ منها[١] زادَ المتوكِّلُ فى التغلـيظِ على أهلِ الذِّمَّةِ فى التَميُّزِ فى اللِّباسِ [٢]عن المسلمين[٢]، وأكَّدَ الأمرَ بتخريبِ الكنائِسِ المُحدَثةِ فى الإسلامِ.

وفيها نفَى المتوكِّلُ علىَّ بنَ الجهمِ إلى خُراسانَ.

وفيها اتَّفَق شعانينُ النَّصارَى ويومُ النيروزِ فى يومٍ واحدٍ وهوَ يومُ الأحدِ لعشرينَ ليلةً خلَت مِن ذى القَعدةِ، وزعَمتِ النَّصارَى أنَّ هذا لم يتَّفِقْ مثلُه فى الإسلامِ إلَّا فى هذا العامِ.

وغزا الصَّائفةَ علىُّ بنُ يحيى المذكورُ.

وفيها حجَّ بالناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ داودَ [٣]بنِ عيسى بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ علىٍّ[٣] والى مكةَ.

قال ابنُ جريرٍ[٤]: وفيها تُوفِّى أبو الوليدِ محمدُ بنُ القاضِى أحمدَ بنِ أبى دُوادٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٦، والمنتظم ١١/ ٢٦٥، والكامل ٧/ ٧١.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٦.

الإيَادِيُّ المعتزِليُّ .

قُلْتُ : ومِمَّن تُوفِّي فِيهَا مِن الأعيانِ :

دَاودُ بنُ رُشَيْدٍ[1] . و[2]**صَفْوانُ بنُ صالحٍ مؤذِّنُ أهلِ دمشقَ**[4] . **وعبدُ الملكِ** بنُ حبيبٍ الفقيهُ المالكيُّ[5] ، أحدُ المشاهيرِ . **وعثمانُ** بنُ أبي شَيْبَةَ[6] ، صاحبُ « التفسيرِ » و« المسندِ » المشهورِ . **ومحمدُ** بنُ مِهرانَ الرزاذيُّ[7] . **ومحمودُ** بنُ غَيْلانَ[8] . **ووهْبُ** بنُ بَقِيَّةَ[9] .

وأحمدُ بنُ عَاصِمٍ الأَنْطَاكيُّ[1] ، أبو عليٍّ الواعظُ الزاهدُ ، أحدُ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٩، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٦٧، وتاريخ دمشق ١٧/ ١٣٥، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٨٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٥٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٧٠.

(٢) الثقات لابن حبان ٨/ ٣٢١، وتاريخ دمشق ٢٤/ ١٣٧، وتهذيب الكمال ١٣/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٠١.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٩، وطبقات الفقهاء للشيرازى ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٠٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٥٧.

(٤) طبقات خليفة ١/ ٤٠٧، وتهذيب الكمال ٩/ ٤٧٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٥١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٧٠، وطبقات المفسرين ١/ ٣٧٩.

(٥) الثقات لابن حبان ٩/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١- ٢٤٠هـ) ص ٣٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٨١.

(٦) الثقات ٩/ ٢٠٢، وتاريخ بغداد ١٣/ ٨٩، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٤٠، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٥٤.

(٧) فى م: « نفية ». وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٩/ ٢٢٩، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٧، وتهذيب الكمال ٣١/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٩٦.

(٨) الثقات لابن حبان ٨/ ٢٠، وطبقات الصوفية ١٣٧، وحلية الأولياء ٩/ ٢٨٠، وصفة الصفوة ٤/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨٧، ١١/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٤٣. وأغفلت مصادر ترجمته الإشارة لسنة وفاته. وقال الذهبى فى السير ١٠/ ٤٨٨: « لم أظفر له =

العُبَّادِ[1] ، له كلامٌ حسنٌ فى الزُّهدِ ومعامَلاتِ القلوبِ ، قال أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُّ[2] : كانَ مِن طبقةِ الحارثِ المحاسِبيِّ ، وبِشْرٍ الحافى . وكانَ أبو سليمانَ الدَّارانيُّ يسمِّيه جاسوسَ القلوبِ ؛ لحدَّةِ فِراستِه .

روَى عن أبى معاويةَ الضَّريرِ وطبقتِهِ ، وعنهُ أحمدُ بنُ أبى[3] الحَوارِيِّ ، ومحمودُ بنُ خالدٍ ، وأبو زُرْعةَ الدمشقِيُّ ، وغيرُهم .

روَى عنه أحمدُ بنُ أبى[3] الحوارِيِّ ، عن مَخْلَدِ بنِ الحسينِ ، عن هشامِ بنِ حسّانَ ، قال[4] : مرَرتُ بالحسنِ البصرِيِّ وهو جالسٌ وقتَ السَّحَرِ ، فقلتُ : يا أبا سعيدٍ ، مثلُك يجلِسُ فى هذا الوقتِ ؟! قال : إنِّى قد توضَّأتُ [5]فأردتُها أن تقومَ فتُصلِّيَ[5] ، فأبَت علىَّ ، وأرادتنى على أن تنامَ فأبيتُ عليْهَا .

ومن مستجادِ كلامِه[6] ؛ قوله : إذا أردتَ صلاحَ قلبِك فاستعِنْ عليه بحفظِ لسانِك[7] . وقال : مِن الغنيمةِ الباردةِ أن تُصلِحَ ما بقِيَ مِن عمرِكَ ، فيُغفَرَ لك ما مضَى مِنه . وقال : يَسيرُ اليقينِ يُخرِجُ الشَّكَّ كلَّه مِن القلبِ[8] ، ويَسِيرُ الشَّكِّ يُخرِجُ اليقينَ كلَّه مِنه . وقال[9] : مَن كان باللَّهِ أعرفَ كان

= بتاريخ وفاة ، ولعله بقى إلى نحو الثلاثين ومائتين » . وأورده ابن كثير هنا فى وفيات تسع وثلاثين ومائتين . فاللَّه أعلم .

(١) بعده فى ب ، م : « والزهاد » .

(٢) طبقات الصوفية ص ١٣٧ .

(٣) سقط من : م .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٨ .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « وأردت نفسى على الصلاة » .

(٦) المصدر السابق .

(٧) فى ب ، م : « جوارحك » .

(٨) فى م : « قلبك » .

(٩) المصدر السابق ٣/ ١٢٩ .

له[1] أخوفَ. وقال[2]: خيرُ صاحبٍ لك فى دنياكَ الهمُّ، يَقطَعُك عن الدنيا، ويُوصِلُك إلى الآخِرةِ [٨/١٩٢ظ]. ومِن شعرِه، رحِمه اللَّهُ[3]:

همَمتُ ولم أَعْزِمْ ولو كنتُ صادقًا ... عزَمتُ ولكن الفِطانَ شديدُ
ولو كان لِى عقلٌ وإيقانُ مُوقِنٍ ... لما كنتُ عن قصدِ الطَّريقِ أَحِيدُ
ولا[4] كان فى [5]شكِّ اليقينِ[5] مَطامِعِى[6] ... ولَكنْ عنِ الأقدَارِ كيفَ أَحِيدُ[7]

ومِن شعرِه أيضًا[8]:

داعياتُ[9] الهَوَى تَخِفُّ عَلَيْنَا ... وخِلافُ الهوَى علينا ثقيلُ
فُقِد الصدقُ[10] فى الأماكنِ حتَّى ... وَصفُهُ اليومَ ما عليهِ دَلِيلُ
لا نَرَى خَائِفًا[3] فيلزَمَنا الخو ... فُ ولا[4] صَادِقًا [11]بما قد[11] يقولُ
فبقِينا[12] مذَبذَبِين[13] حَيَارَى ... نَطلُبُ الصِّدقَ ما إليه سبيلُ[14]

---

(١) فى م: «منه».
(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٢٩/٣.
(٣) المصدر السابق ٣/ ١٣٠.
(٤) فى س، م، ص: «لو».
(٥ - ٥) فى الأصل: «سك الطريق». وفى م: «غير السلوك».
(٦) فى س، ب، م: «أميد».
(٧) فى ب، م: «فدواعى».
(٨) فى الأصل، ب: «الصبر».
(٩) فى الأصل: «الخوف».
(١٠) فى ب، م: «لسنا نرى».
(١١ - ١١) فى ب، م: «على ما».
(١٢) فى ب، م: «قد بقينا».
(١٣) فى س، ص: «ملددين».
(١٤) فى الأصل: «وصول». وتقدم هذا البيت على الثلاثة الأبيات التى قبله فى: ب، م.

ومِن شعرِه أيضًا :

هوِّنْ عليكَ فكُلُّ الأمرِ ينقطِعُ ... وخلِّ عنكَ عِنانَ[1] الهمِّ يندفعُ
فَكُلُّ همٍّ لهُ مِن بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وكلُّ كَرْبٍ إذا مَا ضَاقَ يتَّسِعُ
إنَّ البَلَاءَ وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ ... الموتُ يَقْطَعُهُ أو سَوْفَ يَنقطِعُ

وقد أطال الحافِظُ ابنُ عساكرَ ترجمَتَه[2] ، ولم يؤرِّخْ وفاتَه ، وإنما ذكَرتُه هـٰهنا تقريبًا ، واللَّهُ أعلَمُ بالصوابِ .

---

(١) فى م : « ضباب » .
(٢) سقطت ترجمته من مطبوعة تاريخ دمشق (ط . دار الفكر) ، وكذا من مخطوطة الظاهرية ، ولكنها وردت فى مختصر ابن منظور ٣/١٢٧.

سنةُ أربعينَ ومائتين [1] مِن الهجرةِ النبويَّةِ [1]

فيها[2] عدَا أهلُ حِمصَ على عاملِهم أبى المُغيثِ[3] موسى بنِ إبراهيمَ الرافقِيِّ[4]، وكان قد قتَل رجلًا مِن أشرافِهم فقتَلوا جماعةً مِن أصحابِه، وأخرَجوه مِن بينِ أظهُرِهم، فبعَث إليهم المتوكِّلُ أميرًا عليهم، وقال للسفيرِ معه: إنْ قبِلوا[5] وإلّا فأعلِمْنى. فَقبِلوه[6]، فعمِل فيهم الأعاجِيبَ، وأهانَهم غايةَ الإهانةِ.

وفيها عزَل المتوكلُ يحيى بنَ أكثمَ القاضِى عن قَضاءِ القُضاةِ[7]، وصادَره بما مبلغُه ثمانون ألفَ دينارٍ، وأخَذ منه أراضىَ كثيرةً فى أرضِ البصرةِ، وولَّى مكانَه جعفرَ بنَ عبدِ الواحدِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ بنِ علىٍّ، علَى قضاءِ القضاةِ[7].

قال ابنُ جريرٍ[8]: وفى المحرَّمِ منها تُوفِّى أحمدُ بنُ أبِى دُوادٍ بعدَ

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٧، والمنتظم ١١/ ٢٧٠، والكامل ٧/ ٧٣.

(٣) فى النسخ: «الغيث». وانظر تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٠، وتاريخ الطبرى، والكامل، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٠.

(٤) فى تاريخ الطبرى، والكامل: «الرافعى». والمثبت موافق لإحدى نسخ الكامل، وانظر تاريخ الإسلام، الموضع السابق.

(٥) فى الأصل: «قتلوه».

(٦) فى الأصل، ظ: «فقتلوه».

(٧) فى الأصل: «البصرة».

(٨) تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٧.

ابنِه[1] بعشرينَ يومًا .

وهذه [2]ترجمةُ أحمدَ بنِ أبى دُوادٍ[3] القاضى[2]

هو أحمدُ بن أبى دُوادٍ - واسمُه[4] الفَرَجُ ، وقيل : دُعمِيٌّ . والصحيحُ أنَّ اسمَه كنيتُه - [5]بنِ جريرٍ القاضى ، أبو عبدِ اللَّهِ[5] الإيادىُّ المعتزِلىُّ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[6] فى نسبِهِ : هو أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ أَبى دوادٍ فرج بنِ جريرِ بنِ مالكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبّادِ بنِ سَلّامِ بنِ عبدِ هندِ بنِ عبدِ لَخْمِ[7] بنِ مالكِ [٨/١٩٦و] بنِ قَنَصِ[8] بنِ مَنَعَةَ بنِ بُرجانَ[9] بنِ دَوْسِ[10] بنِ الدُّئِلِ[10] بنِ أميَّةَ

---

(١) فى الأصل ، ص : « أبيه » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « ترجمته » .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٤١، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٤٠، وميزان الاعتدال ١/ ٩٧، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٨١.

(٤) يعنى أبا دواد .

(٥ - ٥) سقط من : م ، وفى الأصل : « بن جرير القاضى » ، وفى ب : « القاضى » .

(٦) وفيات الأعيان ١/ ٨١.

(٧) فى ب ، م ، ص : « نجم » . وانظر مصدر التخريج ، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٦٦.

(٨) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ : « فيض » . وانظر المصدرين السابقين ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٢٨.

(٩) فى الأصل ، ب ، س ، ص ، ظ : « ترجمان » . وانظر المصادر السابقة .

(١٠ - ١٠) فى الأصل : « الذيل » ، وفى ب : « الهذيلى » ، وفى م : « الهذلى » ، وفى س ، ظ : « بن الأيل » ، وفى وفيات الأعيان « بن الديل » . والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٨، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٦٦.

ابنِ [1]حُذاقةَ بنِ زُهْرِ[1] بنِ إيادِ بنِ نِزارِ[2] بنِ مَعَدِّ بنِ عَدنانَ .

قالَ الخطيبُ[3] : وَلِى ابنُ أبى دوادٍ قضاءَ القُضاةِ للمعتصمِ ، ثم للواثقِ ، وكان موصوفًا بالجودِ والسَّخاءِ وحسنِ الخلقِ ووفُورِ الأدبِ ، غيرَ أنَّه أعلَن بمذهبِ الجهميَّةِ ، وحمَل السلطانَ على امتحانِ الناسِ بخَلْقِ القرآنِ[4] . قالَ الصُّوليُّ[5] : لم يكُنْ بعدَ البرامكةِ أكرمُ مِنه ، ولولا ما وضَع مِن نفسِه مِن محبَّةِ المحنةِ لاجتمَعت عليه الأَلْسُنُ[6] . قالُوا : وكان مولدُه فى سنةِ ستِّين ومائةٍ ، وكان أسنَّ مِن يحيى بنِ أكثمَ بعِشْرينَ سنةً .

قال ابنُ خَلِّكانَ[7] : وأصلُه من بِلادِ قِنَّسْرِينَ ، وكانَ أبوه تاجرًا يفِدُ إلى الشامِ ، ثم[8] أخَذ ولدَه هذا معه إلى العراقِ ، فاشتغَل بالعلمِ ، وصحِب هَيَّاجَ بنَ العلَاءِ السُّلَمىَّ ، أحدَ أصحابِ واصلِ بنِ عطاءٍ ، فأخَذ عنه الاعتزالَ . وذكَر أنَّه كان يصحَبُ يحيَى بنَ أكثمَ القاضِىَ ، ويأخُذُ عنه العلمَ ، ثم سرَدَ لهُ ترجمةً طويلةً فى كتابِ « الوفياتِ » .

وقد امتدَحه بعضُ الشعراءِ ، فقالَ[9] :

(١ - ١) فى النسخ : « حذيفة بن زهير » . وفى وفيات الأعيان : « حذافة بن زهر » . والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٨، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٦٦.

(٢) فى م : « أد » . وانظر مصادر التخريج .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٤٢.

(٤) بعده فى ب ، م : « وأن الله لا يُرى فى الآخرة » .

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩، بنحوه .

(٦) فى م : « الأنس » .

(٧) وفيات الأعيان ١/ ٨١، بنحوه .

(٨) بعده فى ب ، م : « وفد إلى العراق و » .

(٩) هو مروان بن أبى الجنوب . وانظر الخبر فى تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ١/ ٨٦، ٨٧ ، =

رسولُ اللَّهِ والخلفاءُ مِنّا ... وَمِنَّا أحمدُ بنُ أبِى دُوادِ

فرَد عليهِ بعضُ الشُّعراءِ، فقال:

فقل للفاخِرِينَ على نِزارٍ ... وهم فى الأرضِ سَادَاتُ العِبادِ
رسولُ اللَّهِ والخلفاءُ منَّا ... ونبرَأُ مِن دَعِيٍّ بنى إيادِ
ومَا مِنّا إِيَادٌ إِذْ[2] أقرّت ... بدعوةِ أحمدَ بنِ أبى دوادِ

فلمّا بلَغ ذلك أحمدَ بنَ أبى دوادٍ قال: لولا أنّى أكرَهُ العقوبةَ لعاقبتُ هذا الشاعرَ عقوبةً ما فعَلها أحدٌ. وعفا عنه.

قالَ الخطيبُ[3]: حدَّثنى الأزهرىُّ، ثنا [4]عمرُ بنُ أحمدَ[4] الواعظُ، حدَّثنا عمرُ بنُ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ مالكٍ، حدَّثنى جريرُ بنُ أحمدَ أبو مالكٍ، قالَ: كان أبِى - يعنى أحمدَ بنَ أبى دوادٍ - إذا صلَّى رفَع يديهِ إلى السَّماءِ، وخاطَب ربَّه، وأنشَأ يقولُ:

ما أنتَ بالسَّببِ الضعيفِ وإنَّما ... نُجْحُ الأمورِ بقُوَّةِ الأسبابِ
واليومَ حاجتُنا إليكَ وإنَّما ... يُدعَى الطبيبُ لساعةِ الأَوْصابِ

ثمَّ روَى الخطيبُ[5] أن أبَا تمّامٍ دخَل على أحمدَ بنِ أبِي دُوادٍ يومًا فقال له:

= ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٦٧، كلهم بنحوه.
(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) فى م: «إذا».
(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣.
(٤ - ٤) فى م: «أحمد بن عمر». وفى ظ: «أحمد عمر بن».
(٥) تاريخ بغداد ٤/ ١٤٤، بنحوه.

أحسَبُك عاتِبًا[1] . فقال : إنَّما يُعتَبُ على واحدٍ ، وأنتَ الناسُ جميعًا . فقال له : أنَّى لكَ هذه ؟ فقال : مِن قولِ أبى نُواسٍ[2] :

وليسَ للَّهِ[3] بمستَنْكَرٍ أن يجمَعَ العالَمَ فى واحدِ

وامتدَحهُ أبو تمَّامٍ يومًا ، فقالَ[4] :

لقد أنْسَتْ مساوئَ كُلِّ دَهْرٍ محاسنُ أحمدَ بنِ أبى دُوادِ
[٨/١٩٣ظ] وما سافَرتُ فى الآفاقِ إلَّا ومِن جَدْواكَ راحِلَتى وزادِى
يُقيمُ[5] الظنُّ عندَك والأمانِى وإنْ قلِقتْ رِكابِىَ فى البلادِ

فقال له : هذا المعنَى تفرَّدتَ به ، أو أخذتَه مِن غيرِك ؟ فقال : هو لى غيرَ أنِّى أَلَمتُ[6] بقولِ أبى نُواسٍ :

وإن جرَتِ الألفاظُ يومًا بِمدحةٍ لغيرِك إنسانًا فأنتَ الَّذِى نَعنِى

وقال محمدُ بنُ يحيى[7] الصُّولىُّ : ومِن مختارِ مديحِ أبى تمَّامٍ لأحمدَ بنِ أبى دُوادٍ قولُه :

أأحمَدُ إنَّ الحاسدينَ كثيرُ وما لَك إن عُدَّ الكِرامُ نظيرُ

---

(١) قوله : « أحسبك عاتبًا » . لأن أبا تمام قد طالت أيامه فى الوقوف بباب أحمد ، ولا يصل إليه . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٨٥.

(٢) تقدم تخريج البيت فى صفحة ٦٨ .

(٣) فى م : « على اللَّه » .

(٤) ديوان أبى تمام ١/ ١٧٤، وتاريخ بغداد ٤/ ١٤٥.

(٥) فى م ، ص : « نعم » ، وفى تاريخ بغداد ٤/ ١٤٥: « مقيم » .

(٦) فى م : « ألمحت » .

(٧) سقط من : م . وانظر تاريخ بغداد ٤/ ١٤٥. والأبيات فى ديوان أبى تمام ٢/ ٢١٨.

حلَلْتَ محلًّا فاضِلًا[1] متقدِّمًا[2] من المجدِ والفخرُ القديمُ فَخُورُ
فكلُّ غَنيٍّ أَوْ فَقيرٍ فإنَّه إليك وإن نالَ السماءَ فقيرُ
إليكَ تَناهَى المجدُ مِن كلِّ وِجهةٍ يَصِيرُ فَما يعدُوكَ حيثُ تصيرُ[3]
وبدرُ إيادٍ أنتَ لا ينكرونَه كذاكَ إيادٌ للأنامِ بُدُورُ
[3]تجنَّبتَ أن تُدعَى الأميرَ تواضُعًا وأنتَ لمَن يُدْعَى الأميرَ أميرُ[3]
فما مِن نَدًى[4] إلّا إليكَ محلُّه[5] ولا[6] رِفْعَةٍ[7] إلَّا إليك تسيرُ[8]

قلتُ : قد أخطَأ الشاعرُ فى هذا خَطَأً كبيرًا ، وأفحَش فى المبالغةِ كثيرًا[9] . وقال أحمدُ بنُ أبِى دُوادٍ يومًا لبعضِهم : لمَ لا تسألُنِى ؟ فقال له : لأنِّى لو سألتُك أعطيتُك ثمنَ [10]ما تُعطِينى[10] . فقالَ له : صدقتَ . وأرسَل إليهِ بخمسةِ آلافِ درهمٍ .

وقال ابنُ الأعرابىِّ[11] : سأَل رجلٌ ابنَ أبى دُوادٍ أن يحمِلَه على عَيرٍ ، فقال :

---

(١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « قاضيا » .
(٢) فى الأصل ، ب ، س ، م ، ظ ، ومصدر التخريج : « متقادما » . وانظر الديوان .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى ب ، م : « يد » .
(٥) فى ب ، م : « ممدة » .
(٦) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « ما » .
(٧) فى ب : « رفعت » . وفى الديوان : « رفقة » .
(٨) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « تشير » .
(٩) بعده فى ب ، م : « ولعله إن اعتقد هذا فى مخلوق ضعيف مسكين ، بل ضال مضل ، أن يكون له جهنم وساءت مصيرا » .
(١٠ - ١٠) فى ب ، م : « صلتك » .
(١١) تاريخ بغداد ٤/ ١٤٧، ١٤٨، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٧٣، كلاهما بنحوه .

يا غلامُ ، أعطِه عَيرًا وبغلًا وبِرْذَوْنًا وفرسًا وجاريةً . ثم قال له : لو أعلَمُ مركوبًا غيرَ هذا لأَعطيتُك . ثم أورَد الخطيبُ بأسانيدِه عن جماعةٍ (١مِن الناسِ١) أخبارًا تدلُّ على كرَمِه وفَصاحتهِ وأدَبِه وحلمِه ومبادَرتِه إلى قضاءِ الحاجاتِ ، وعظيمِ منزلتِه عندَ الخلفاءِ .

وذكَر(٢) عن محمّدٍ المهتدِى(٣) بنِ الواثقِ أن شيخًا دخَل يومًا على الواثقِ ، فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه الواثقُ ، بل قالَ : لا سلَّم اللَّهُ عليكَ . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، بئسَ ما أدَّبك معلمُك ؛ قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء : ٨٦] . فلا حَيَّيتنى بأحسنَ مِنها ولا ردَدتَها . فقالَ ابنُ أبى دُوادٍ : يا أميرَ المؤمنينَ ، الرَّجلُ مُتكلِّمٌ . فقال : ناظِرْهُ . فقال ابنُ أبى دُوادٍ : ما تقولُ يا شيخُ فى القرآنِ ، أمخلوقٌ هو ؟ فقال [١٩٥/٨و] الشيخُ : لم تُنصِفْنى ؛ المسألةُ لى . فقال : قل . فقال : هذا الذى تقولُه ، علِمه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعلِىٌّ أوْ ما علِموه ؟ فقال(٤) : لم يعلَموه . قال : فأنت علِمتَ ما لمْ يعلَموا ؟ فخجِل وسكَت . ثم قالَ : أَقِلْنى ، بل علِموه . قال : فلِمَ لا دعَوا النَّاسَ إليه كما دعَوتهم أنت ، أمَا وَسِعك ما وَسِعهم ؟ (٥فسكَت ابنُ أبى دُوادٍ٥) ، وأمَر الواثقُ له بجائزةٍ نحوٍ مِن أربعِمائةِ دينارٍ(٦) . قال المهتدِى : فدخَل أبى المنزلَ واستلقَى على قفاه(٧) ، وجعَل يكرِّرُ قولَ الشيخِ على نفسِه ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ١٥١، ١٥٢، بنحوه .

(٣) فى ب ، م ، ص : « المهدى » .

(٤) بعده فى ب ، م : « ابن أبى دواد » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « فخجل وسكت » .

(٦) بعده فى ب ، م : « فلم يقبلها » .

(٧) فى الأصل ، ب ، م : « ظهره » .

ويقولُ : أمَا وسِعك ما وَسِعهم ؟ ثم [1]أمَر بإطلاقِ الرَّجلِ وإعطائِه[1] أربعَمائةِ دينارٍ ورَدِّه إلى بلادِه ، وسقَط مِن عينِه ابنُ أبى داودِ ولم يَمتحِنْ بعدَه أحدًا . [2]رواها الخطيبُ البغداديُّ فى تاريخِه بإسنادٍ فيه بعضُ مَن لا أعرِفُه ، وسَاقها مطوَّلةً وفيها نَكارةٌ[2] .

وقد أنشَد ثعلبٌ ، عَن أبى [3]الحجَّاجِ الأعرابىِّ[3] أنَّه قال فى ابنِ أبى دوادٍ :

نكَستَ الدِّينَ يا ابنَ أَبى دُوادِ ... فَأَصبَح مَن أطاعكَ فى ارتِدادِ
زعَمتَ كلامَ ربِّك كان خَلْقًا ... أما لكَ عندَ ربِّكَ مِن مَعادِ
كلامُ اللَّهِ أنزَله بعِلمٍ ... وأنزَله على خيرِ العبادِ
ومَن أمسَى ببابِك مستضِيفًا ... كمَن حلَّ الفلاةَ بغيرِ زادِ
لقد أطرَفتَ[4] يا ابنَ أبى دُوادِ ... بقَولِكَ إننى رَجلٌ إيادِى

ثم قال الخطيبُ : أنبأ القاضى أبو الطيِّبِ طاهرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الطبرىُّ قال : أنشَدنا المُعافَى بنُ زكريّا الجَرِيرىُّ ، عن محمدِ بنِ يحيى الصُّولىِّ لبعضِهم يهجو ابنَ أبى دُوادٍ :

لو كنتَ فى الرأيِ منسوبًا إلى رَشَدٍ ... [5]وكان عزمُكَ عَزْمًا فِيه توفيقُ[5]

(١ - ١) فى الأصل : «أطلق الرجل وعطاه» . وفى ب ، م : «أطلق الشيخ وأعطاه» .
(٢ - ٢) سقط من : ص . وفى ب ، م : «ذكره الخطيب فى تاريخه بإسناد فيه بعض من لا يعرف وساق قصته مطولة» .
(٣ - ٣) فى ب : «حجاج الأعرابى» . وفى م : «حجاج الأغرابى» . وانظر الأثر فى تاريخ بغداد ٤/١٥٣.
(٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : «أطرقت» . وفى مصدر التخريج : «أظرفت» . وأطرف : أتى بالطريف .
(٥ - ٥) فى الأصل : «عن أن تقول كتاب اللَّه مخلوق» .

(١) لكان فى الفقهِ شُغلٌ لو قنِعتَ به عن أن تقولَ كتابُ اللَّهِ مخلوقُ
ماذا عليك وأصلُ الدينِ يجمَعُهم ما كان فى الفرعِ لا فى الجهلِ والموقِ (٢)(١)

وقد تقدَّمت هذِه الأبياتُ (٣) .

وروَى الخطيبُ (٤) عن (٥) يحيى الجلَّاءِ ، أو علىٍّ (٦) بنِ الموفَّقِ (٥) أنه قال : ناظَرنى رجلٌ مِن الواقفيَّةِ فى خلقِ القرآنِ ، فنالنى منه ما أكرَهُ ، فلمّا أمسَيتُ أتيتُ امرأتى ، فوضَعتْ لى العَشاءَ فلم أقدِرْ أنْ أنالَ منه شيئًا ، ونمتُ فرأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ الجامعِ ، وهناك حلقةٌ فيها أحمدُ بنُ حنبلٍ وأصحابُه ، (٧) وحلقةٌ فيها ابنُ أبى دُوادٍ وأصحابُه (٧) فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يقرأُ هذه الآيةَ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [الأنعام : ٨٩] . ويشيرُ إلى حلقةِ ابنِ أبى دُوادٍ [٨/١٩٥ظ] ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ، ويشيرُ إلى حلقةِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وأصحابِه رحِمهم اللَّهُ .

وقالَ بعضهُم (٨) : رأيتُ فى المنامِ (٩) ليلةَ مات ابنُ أبى دُوادٍ (٩) كأَنَّ قائلًا يقولُ : هلَك الليلةَ أحمدُ بنُ أبى دوادٍ . فقلتُ لهُ : وما سبَبُ هلاكِه ؟ فقال : إنه أغضَب

(١ - ١) سقط من : ب ، م ، ص .
(٢) الموق : الحمق فى غباوة .
(٣) تقدمت فى صفحة ٣٤٩ .
(٤) تاريخ بغداد ٤/١٥٣، ١٥٤.
(٥ - ٥) فى ب ، م : « أحمد بن الموفق أو يحيى الجلاء » . وفى س : « يحيى الجلاء وأحمد بن الموفق » .
(٦) فى النسخ : « أحمد » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٧٦.
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ص .
(٨) تاريخ بغداد ٤/ ١٥٦، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٧٨. كلاهما بنحوه .
(٩ - ٩) سقط من : ب ، م .

اللَّهَ عليه فَغضِبَ عليه مِن فوقِ سبعِ سَماواتٍ . وقال بعضُهم[1] : رأيتُ [1]فى تلك الليلةِ[1] كأنَّ النَّارَ زفَرت زَفْرةً عظيمةً ، فخرَج مِنها اللَّهَبُ ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقِيل : هذه اتُّخِذت[2] لابنِ أبى دُوادٍ .

وقد كان موتُه فى يومِ السَّبتِ لسبعٍ بقِين مِن المحرَّمِ مِن هذه السنةِ ، وصلَّى عليه ابنُه العبّاسُ ، ودُفِن فى دارِه ببغدادَ وعمرُه يومَئذٍ ثمانونَ سنةً ، وابتلاه اللَّهُ بالفالجِ قبلَ موتِه بأربعِ سنين ، و[3]بقِى طَرِيحًا فى فراشِه لا يقدِرُ على أَن يحرِّكَ شيئًا مِن جسدِه[4] .

وقد دخَل عليه بعضُهم فقال[5] : واللَّهِ مَا جِئتُك عائدًا وإنَّما [6]جِئتُ لأحمَدَ[6] اللَّهَ على أن سجَنك فى جسدِك[7] . وقدْ صُودِر فى العامِ الماضِى بأموالٍ جزيلةٍ جدًّا ، [8] كما تقدَّم بيانُه[8] .

قال ابنُ خَلِّكانَ[9] : كان مولدُه فى سنةِ ستينَ ومائةٍ . قلتُ : فعلى هذا يكونُ أسنَّ مِن أحمدَ بنِ حنْبلٍ ، ومِن يحيَى بنِ أكثمَ الذى ذكَر ابنُ خَلِّكانِ[10]

(١ - ١) فى ب ، م : « ليلة مات ابن أبى دواد » .
(٢) فى ب ، م : « انجزت » . وفى مصدرى التخريج : « أعدت » .
(٣) فى ب ، م : « حتى » .
(٤) بعده فى ب ، م : « وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك » .
(٥) تاريخ بغداد ٤/ ١٥٥، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٧٨.
(٦ - ٦) فى ب ، م : « جئتك لأعزيك فى نفسك وأحمد » .
(٧) بعده فى ب ، م : « الذى هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعيًا عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه فازداد مرضا إلى مرضه » .
(٨ - ٨) فى ب ، م : « ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل » ، وتقدم فى صفحة ٣١٩.
(٩) وفيات الأعيان ١/ ٨٩، بنحوه .
(١٠) وفيات الأعيان ١/ ٨٤، بنحوه .

أنَّه[1] كانَ سببَ اتِّصالِ ابنِ أبى دُوادٍ بالخليفةِ المأمونِ، فحظِى عندَه، بحيثُ إنَّه أوصَى به إلى أخِيه المعتصمِ، فولَّاه المعتصمُ [2]القضاءَ وعزَل ابنَ أكثمَ، وكان لا يقطَعُ أمرًا دونَه، فكان عندَه خِصِّيصًا؛ ولّاه[2] القضاءَ والمظالمَ، وكانَ ابنُ الزيَّاتِ الوزيرُ يُبغِضُه، وجرَتْ بينَهما منافساتٌ وهجوٌ، [2]كما تقدَّم[3]، وقد بالَغ ابنُ خَلكانَ فى ترجمتِه ومدحِه، وذكَر مِن مآثرِه ومحاسنِه فأطنَب وأكثَر وما أطيَب، ولم يذكُرْ شيئًا مِن مساوئِه، بل ذكَر امتحانَه للإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ذِكرًا موجَزًا بأطرافِ الأناملِ، وهى[2] المحنةُ التى هى أسُّ ما بعدَها مِن المحنِ، والفتنةُ التى فتَحتْ على الناسِ بابَ الفتنِ.

ثمَّ ذكَر ابنُ خَلِّكانَ ما ضُرِب به مِن الفالجِ، وما صُودِر به مِن المالِ الرابحِ[4]، وأن ابنَه أبا الوليدِ محمدًا صُودِر بألفِ ألفِ دينارٍ[5]، وأنه ماتَ قبلَ أبيهِ بشهرٍ[6].

وأمَّا الحافِظُ ابنُ عساكِرَ[7]، فإنه بسَط القولَ فى ترجمتِه وشرَحها شرحًا مليحًا. وقد كان الرجلُ أديبًا فصيحًا كريمًا جوَادًا ممدَّحًا، يؤثِرُ العطَاءَ على المنعِ، والتفرقةَ على الجمعِ، وقدْ روَى [8]ابنُ عساكرَ[8] بإسنادِه[9] أنَّه جلَس

---

(١) فى ب، م: «أن ابن أكثم».

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣ - ٣) فى ب، م: «وقد كان المعتصم لا يقطع أمرا بدونه، وعزل ابن أكثم عن القضاء وولاه مكانه، وهذه».

(٤) سقط من: ب، م. وفى الأصل: «الراجح».

(٥) بعده فى الأصل، ب، م، س، ظ: «ومائتى ألف». وانظر وفيات الأعيان ١/ ٩٠.

(٦) سقط من: س، ظ، وبعده فى الأصل، ص: «أو سبعة». وانظر الوفيات، الموضع السابق.

(٧) سقطت ترجمته من المطبوع والمخطوط، وانظرها فى مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٦٦.

(٨ - ٨) زيادة من: ب، م.

(٩) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٧٤، ٧٥.

[٨/١٩٦و] يومًا مع أصحابِه ينتظِرون خروجَ الواثقِ، فقال ابنُ أبى دُوادٍ: إنه ليُعجِبُنى (١ هذان البيتان ١):

ولِى نظرةٌ لو كان يُحبِلُ ناظِرٌ ... بنظرتِه أنثى لقد حَبِلتْ مِنِّى
فإن ولَدتْ (٢ ما بينَ ٢) تِسْعَةِ أشهرٍ ... إلى (٣ نَظرتى إبنًا ٣) فإنَّ ابنَها مِنِّى

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أبو ثَوْرٍ إبراهيمُ بنُ خالدٍ الكَلْبىُّ(٤)، أحدُ الفقهاءِ المشاهيرِ. قال الإمامُ أحمدُ(٥): هو عندَنا فى مِسْلَاخِ الثَّوْرِىِّ. **وخليفةُ** بنُ خيَّاطٍ(٦)، أحدُ أئمةِ التاريخِ. **وسُوَيدُ** بنُ سعيدٍ(٧) الحَدَثانىُّ(٨). **وسُوَيدُ** بنُ نَصْرٍ(٩). **وعبدُ السلامِ** بنُ

(١ - ١) فى الأصل: «هذا الشان».
(٢ - ٢) فى س، ظ: «من بعد»، وفى م: «بين».
(٣ - ٣) فى الأصل، ب، م: «نظر ابنا». وفى مصدر التخريج: «نظرى أنثى»، وفى حاشية س: «لعلها أنثى».
(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٦٥، وطبقات الفقهاء للشيرازى ١٠١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٦٣، وطبقات الشافعية للسبكى ١/ ٢٥.
(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٦.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٣، وتهذيب الكمال ٨/ ٣١٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٥١، وغاية النهاية ١/ ٢٧٥.
(٧) فى الأصل، م: «سعد».
(٨) فى س: «الحدمانى»، وفى م: «الحدنانى». وفى ص: «الحدينانى». وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٣، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٢٨، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٩٠، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٤٨.
(٩) التاريخ الكبير ٤/ ١٤٨، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٩٥، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ١٩٣.

سعيدٍ[1] ، الملقَّبُ بسُحْنُونٍ ، أحدُ فقهاءِ المالكيةِ المشهورينَ . **وعبدُ الواحدِ** بنُ غِيَاثٍ[2] . **وقتيبةُ** بنُ سعيدٍ[3] ، شيخُ [4]أئمةِ السُّنةِ[4] . **وأبو العَمَيْثَلِ عبدُ اللَّهِ بنُ خُلَيْدٍ**[5] ، كاتبُ عبدِ اللَّهِ بنِ طَاهِرٍ وشَاعرُه ، كان عالماً باللُّغَةِ وله فيها مصنَّفاتٌ عديدةٌ ، أورَد منها القاضى ابنُ خَلِّكانَ جملةً[6] ، ومِن شعرِه يمدَحُ عبدَ اللَّهِ بنَ طَاهرٍ[7] :

يامَن يُحاولُ أن تكُونَ صفاتُهُ ... كصِفَاتِ عبدِ اللَّهِ أَنصِتْ واسمَعِ
فلأَنْصَحنَّكَ فى المَشُورةِ[8] والذى ... حجَّ الحَجِيجُ إليه فاسمَعْ أوْ دَعِ
اصْدُقْ وعِفَّ وبَرَّ واصْبِرْ واحتمِلْ ... واصفَحْ وَكَافِ ودارِ واحلُمْ واشجَعِ
والطُفْ ولِنْ وَتأنَّ وارفُقْ واتَّئِدْ ... واحزِمْ وَجِدَّ وحَامِ واحمِلْ وادفَعِ

---

(١) سقط من: ص. وانظر ترجمته فى: طبقات الفقهاء ١٥٦، وترتيب المدارك ٢/ ٩١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٤٧، ومرآة الجنان ٢/ ١٣١.

(٢) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٢٦، وتاريخ بغداد ١١/ ٥، والإكمال ٧/ ٣١٢، وتهذيب الكمال ١٨/ ٤٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٦٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٩، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٦٤، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٥٢٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢٩٩.

(٤ - ٤) فى ب، م: «الأئمة والسنة». وفى س، ظ: «الأئمة الستة».

(٥) فى الأصل، س، م، ص، ظ: «خالد». وفى ب: «خلد». وانظر ترجمته فى: طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٧، وسمط اللآلئ ١/ ٣٠٨ وفيه: «عبد اللَّه بن خالد»، ووفيات الأعيان ٣/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٢١٥، ومرآة الجنان ٢/ ١٣٠ وفيه: «عبد اللَّه ابن خليل».

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٩٠.

(٧) وفيات الأعيان ٣/ ٨٩.

(٨) فى ب، م: «خصال».

فَلقد محَضتُكَ[1] إنْ قَبِلتَ نَصِيحتِى وهدَيتُ للنَّهْجِ الأَسَدِّ المَهْيَعِ

أمَّا سُحْنُونٌ المَالكيُّ، صاحِبُ المدوَّنةِ، فهو أبو سعيدٍ عبدُ السلامِ بنُ سعيدِ ابنِ حبيبِ[2] بنِ حسَّانَ بنِ هلالِ بنِ بكارِ بنِ ربِيعةَ التَّنُوخِيُّ، أصلُه مِن مدينةِ حِمْصَ، فدخَل به أبوه مع جُندِها بلادَ المغربِ، فأقام بها، وانتهَتْ إليه رياسَةُ مذهبِ مالِكٍ هنالك، وكان قد تفقَّه على ابنِ القاسمِ، وسببُه أنَّه قدِم أسدُ بنُ الفُرَاتِ المالكِيُّ[3] مِن بلادِ العراقِ[4] إلى بلادِ مصرَ، فسأَل عبدَ الرحمنِ بنَ القَاسِمِ صَاحِبَ مَالِكٍ عن أَسئلةٍ كثيرةٍ، فأجابه عنها، فعقَلها عنه ودخَل بها بلادَ المغربِ، فانتسَخها مِنه سُحْنُونٌ، ثم قدِم على ابنِ القاسمِ مصرَ، فأعاد أسئلتَه عليه فزاد فيها ونقَص، ورجَع عن أشياءَ مِنها، فرتَّبها سُحْنُونٌ، ورجَع بها إلى بلادِ المغربِ.

[٨/١٩٥ظ] وكتَب معه ابنُ القَاسِمِ إلى أسدِ بنِ الفراتِ أن يعرِضَ نُسخَتَه علَى نسخةِ سُحْنُونٍ ويُصلِحَها بهَا، فلم يقبَلْ، فدعَا عليه ابنُ القاسمِ، فلم يُنتفَعْ به ولا بكتابِه، وصارتِ الرحلةُ إلى سُحْنُونٍ، وانتشَرتْ عنه المدوَّنةُ، وساد أهلَ ذلك الزمانِ، وتولَّى القضاءَ بالقَيْرَوانِ إلى أن تُوفِّىَ فى هذه السنةِ عن ثمانينَ سنةً، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى ب، م، ص: «نصحتك».
(٢) فى الأصل، ب، م: «جندب». وانظر مصادر ترجمته.
(٣) فى ب، م: «صاحب الإمام مالك».
(٤) فى م: «العرب».

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

فى جُمادَى[1] الآخرةِ مِن هذه السَّنةِ وثَب أهلُ حِمْصَ أيضًا على عاملِهم محمدِ بنِ عبدَوَيْه[2] فأرادوا قتْلَه، وساعَدهم نصارَى أهلِها أيضًا عليه، فكتَب إلى الخليفةِ يُعلِمُه بذلكَ، فكتَب إليه يأمُرُه بمناهضتِهم، وكتَب إلى مُتَولِّى دِمشقَ أن يمُدَّه بجيشٍ مِن عندِه؛ ليساعِدَه على أهلِ حِمْصَ، وكتَب إليه أن يضرِبَ ثلاثةً منهُم - معروفين بالشَّرِّ - بالسِّياطِ حتَّى يموتوا، ثمَّ يصلُبَهم على أبوابِ البلدِ، وأن يضرِبَ عشرين آخرين منهم؛ كلَّ واحدٍ ثلاثَمائةِ ثلاثَمائةٍ[3]، وأن يرسِلَهم إلى سامَرّا مقيَّدِينَ فى الحديدِ، وأنْ يُخرِجَ كلَّ نَصْرانىٍّ بها، ويهدِمَ كنيستَها العظمَى التى إلى جانبِ المسجدِ الجامعِ، ويُضِيفَها إليه، وأمَر له بخمسين ألفَ درهمٍ، وللأمراءِ الذين ساعَدوه بصِلاتٍ سَنِيَّةٍ، فامتثَل ما أمَره به الخليفةُ فيهم.

وفيها أمرَ الخليفةُ المتوكِّلُ على اللَّهِ بضربِ رجلٍ [4]مِن أعيانِ أهلِ[4] بغدادَ يقالُ له: عيسى بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عاصمٍ، فضُرِب ضربًا شديدًا مبرِّحًا، يقالُ: إنَّه ضُرِبَ ألفَ سوطٍ حتَّى ماتَ. وذلك أنَّه شهِدَ عليه سبعةَ عشَرَ رجلًا عندَ

---

(١) بعده فى ب، م: «الأولى أو». وانظر: تاريخ الطبرى ٩/ ١٩٧، والمنتظم ١١/ ٢٨٢، والكامل ٧/ ٧٦.

(٢) فى الأصل: «عبودية». وفى ب، ص: «عبد ربه».

(٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى الأصل، س، ص، ظ: «ببغداد».

قاضِى الشرقيَّةِ أبى حسَّانَ الزِّيادِىِّ أنه يشتُمُ أبا بكرٍ وعمرَ وعائشةَ وحفصةَ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين. فرُفِع أمرُه إلى الخليفةِ، فجاء كتابُ الخليفةِ إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ طاهرِ بنِ الحسينِ، نَائِبِ بغدادَ، يأمُرُه أن يضرِبَ هذا الرجلَ بينَ الناسِ حدَّ السَّبِّ، ثم يُضرَبَ بالسِّياطِ حتى يموتَ، ويُلقَى فى دِجلةَ ولا يُصلَّى عليه، ليرتدِعَ بذلك أهلُ الإلحادِ والمُعاندةِ. ففُعِلَ معه ذلك، قَبَّحه اللَّهُ ولعَنه.

ومثلُ هذا يُكفَّرُ - إن كان قد قذَف عائشةَ أمَّ المؤمنين - بالإجماعِ، وفِى مَنْ قذَف مَن سواها مِن أمهاتِ المؤمنينَ قولانِ، والصَّحيحُ أنّه يُكفَّرُ أيضًا؛ لأنَّهنَّ أزواجُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ورضِى عنهن.

قال ابنُ جريرٍ[1]: [١٩٧/٨و] وفى هذه السَّنةِ انقضَّتِ الكواكبُ ببغدادَ وتناثَرتْ، وذلك ليلةَ الخميسِ، للَيلةٍ خلَتْ مِن جُمادَى الآخرةِ. قال[2]: وفيهَا مُطِر الناسُ فى آبَ مطرًا شديدًا جدًّا. قال[3]: وفيها مات شىءٌ كثيرٌ مِن الدَّوابِّ والبقرِ. قال[3]: وفيها أغارتِ الرُّومُ على عَينِ زَرْبَةَ، فأسَروا مَن بها مِن الزُّطِّ وأخَذوا نساءَهم وذرَارِيَّهم ودوابَّهم. قال[3]: وفيها كان الفداءُ بينَ المسلمينَ والرُّومِ فى بلادِ طَرَسُوسَ بحضرةِ قاضى القضاةِ جعفرِ بنِ عبدِ الواحدِ، عن إذنِ الخليفةِ له فى ذلك، واستنابتِه ابنَ أبِى الشَّوارِبِ. وكانت عدَّةُ الأسرى مِن المسلمينَ سبعَمائةٍ وخمسةً وثمانين رجلًا، ومِن النِّساءِ مائةً وخمسًا وعشرين امرأةً، وقد كانت أمُّ الملكِ تَدُورةُ - لعَنها اللَّهُ - عرَضتِ النَّصرانيَّةَ على مَن كان فى يدِها مِن الأُسارى - وكانوا نحوًا مِن عِشرينَ ألفًا - فمَن أجابها إلى النصرانيَّةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠١.

(٢) المصدر السابق ٩/ ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق ٩/ ٢٠٢.

وإلَّا قتَلَتْه ، فقتَلتْ اثنَىْ عشَرَ ألفًا ، وتنصَّر بعضُهم ، وبقِى منهم هؤلاءِ الذين فُدوا[1] وهم قريبٌ مِن التِّسعِمائةِ[2] ؛ رجالًا ونساءً .

وفيها أغارتِ البُجَةُ على حرسٍ[3] مِن أرضِ مصرَ ، وقد كانتِ البُجَةُ لا يغزونَ المسلمينَ قبلَ هذا ؛ لهُدْنةٍ كانت لهم مِن المسلمينَ ، فنقَضوا الهدنةَ وصرَّحوا بالمخالَفةِ .

والبُجَةُ طائفةٌ مِن سُودانِ بلادِ المغربِ ، وكذا النُّوبةُ والفرويَّةُ[4] ، وبينوزُ[5] ، وزعروينُ[6] ، ويكسومُ[7] وأممٌ كثيرون لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ الذى خلَقهم . وفى بلادِ هؤلاءِ معادنُ الذهبِ والجوهرِ ، وكان عليهم حِملٌ فى كلِّ سنةٍ إلى ديارِ مصرَ مِن هذه المعادنِ ، فلمَّا كانت دولةُ المتوكِّلِ امتنَعوا مِن أداءِ ما عليهم سنينَ متعددةً ، فكتَب نائبُ مصرَ - وهو يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الباذَغِيسىُّ ، مولَى الهادِى وهو المعروفُ بقَوْصَرَةَ - بذلك كلِّه إلى المتوكِّلِ ، فغضِب المتوكِّلُ مِن ذلك غضبًا شديدًا ، وشاوَر فى أمرِ البُجَةِ ، فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّهم قومٌ أهلُ إبلٍ وباديةٍ ، وإنَّ بلادَهم بعيدةٌ ومُعْطِشةٌ ، ويحتاجُ الجيشُ الذَّاهبونَ إليها أن يتزَوَّدوا

---

(١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « ذكرنا » .

(٢) فى الأصل : « السبعمائة » .

(٣) فى ب ، م : « جيش » . وانظر الطبرى ٩/ ٢٠٣.

(٤) سقط من : م ، وفى الأصل ، ب ، س ، ص : « القروبة » . وفى ظ : « العروبه » . من غير نقط ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٣.

(٥) فى الأصل : « ثبون » . وفى س : « بينون » . بدون إعجام ، وفى ب ، م : « شنون » . وفى ص : « يثنون » ، وفى ظ : « ثبنون » . وفى ص : « بثنون » ، والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٣.

(٦) فى الأصل ، ب ، ظ : « زعرير » ، فى س : « بهرير » . وفى م ، ص : « زغرير » ، والمثبت من المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « بلسوم » . وفى س : « بكسوم » بدون إعجام ، وفى ظ : « مكنوم » . بدون إعجام . وعند الطبرى : « بكسوم » .

لمُقامِهم بها طعامًا وماءً . فصدَّه ذلك عن البعثِ إليهم ، ثم بلَغه أنَّهم يُغِيرون على أطرافِ الصعيدِ ، وخشِى أهلُ مصرَ على أنفسِهم[1] منهم ، فجهَّزَ لحربِهم محمدَ ابنَ عبدِ اللَّهِ القُمِّىَّ ، وجعَل إليه نيابةَ تلك البلادِ كلِّها المتاخمةِ لأرضِهم ، وكتَب إلى عمَّالِ مصرَ [٨/١٩٧ظ] أن يُعينوه بجميعِ ما يَحتاجُ إليه مِن الطَّعامِ وغيرِ ذلك ، فتخَلَّص[2] مَعه مِن الجيوشِ الذين[3] انضافوا إليه مِن تلك البلادِ حتى دخَل بلادَهم فى عشرين ألفَ فارسٍ وراجلٍ ، وحمَل معه الطَّعامَ والإدامَ فى مَراكِبَ سبعةٍ ، وأمَر الذين هم بها أن يُلجِّجوا بها فى البحرِ ثم يوافوه بها إذا توسَّط بلادَ البُجَةِ ، ثم سار حتى دخَل بلادَهم ، وجاوَز معادنَهم ، وأقبَل إليه ملكُ البُجَةِ - واسمُه : علىٌّ بابا - فى جَمعٍ عظيمٍ أضعافِ مَن مع محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ القُمِّىِّ ، وهم قومٌ مشركون يَعْبدون الأصنامَ ، فجعَل الملكُ يطاوِلُ المسلمين [4]فى القتالِ[4] لعلَّه تنفَدُ أزوادُهم[5] ، فيأخُذونهم بالأيدى ، فلمَّا نفِد ما عندَ المسلمين وطمِع فيهم السودانُ يسَّر اللَّهُ - وله الحمدُ - بوصولِ تلك المَراكِبِ وفيها مِن الطَّعامِ والتَّمرِ والزَّيتِ وغيرِ ذلك مما يحتاجون إليه شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فقسَمه الأميرُ بينَ المسلمين بحسَبِ حاجاتِهم ، فيَئِس السودانُ مِن هلاكِ المسلمين جوعًا ، فشرَعوا فى التَّأهُّبِ لقتالِ المسلمين ، [6]وكانوا يركَبون على إبلٍ[6] شبيهةٍ بالهُجُنِ زَعِرَةٍ جدًّا كثيرةِ النِّفَارِ ، لا تكادُ ترَى شيئًا ولا تسمَعُ شيئًا إلَّا جَفَلَتْ منه . فلمَّا كان

---

(١) فى ب ، م : « أولادهم » .

(٢) فى ص : « فتلخص » ، وبعده فى ب : « وتلخص » ، وبعده فى م : « وتخلص » .

(٣) فى ظ : « ألفين » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « أزوارهم » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « ومراكبهم الإبل » .

يومُ الحربِ عمَد الأميرُ[1] إلى جميعِ الأجراسِ التى معهم فى الجيشِ ، فجعلَها فى رقابِ الخيلِ ، فلمَّا كانتِ الوقْعةُ حمَل المسلمون حملةَ رجلٍ واحدٍ ، [2]فهرَب السودانُ فرارَ رجلٍ واحدٍ ، ونفَرت[2] إبلُهم مِن أصواتِ تلكَ الأجْراسِ فى كلِّ وجهٍ ، وتفرَّقوا شَذَرَ مَذَرَ[3] ، واتَّبعهُم المسلمون يقتُلُون مَن شاءُوا ، لا يمتنِعُ منهم أحدٌ ، فلا يعلَمُ عددَ مَن قُتِل مِنهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجَلَّ . ثم أصبَحوا وقد اجتَمَعوا رَجَّالةً ، فكبَسَهم القُمِّىُّ مِن حيثُ لا يشعُرونَ ، فقتَل عامَّةَ مَن بَقِى مِنهم ، وأخَذ الملكَ بالأمَانِ ، وأدَّى ما كان عليه مِن الحِملِ ، وأخَذَه معه أسيرًا إلى الخليفةِ ، وكانت هذه الوقعةُ فى أوَّلِ يومٍ مِن هذه السَّنَةِ ، [4]وكان وصولُه إلى الخليفةِ فى أواخرِ هذه السنةِ[4] ، فولَّاه الخليفةُ على بلادِه كما كان ، وجعَل إلى ابنِ القُمِّىِّ أمْرَ تلك النَّاحيةِ ، والنظرَ فى أمرِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

قال ابنُ جريرٍ[5] : وماتَ فى هذه السَّنَةِ يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، المعروفُ بقَوْصَرَّةَ فى جُمَادَى الآخرةِ . قلتُ : وهذا الرجلُ كانَ نائبًا على الدِّيارِ المصريةِ مِن جهَةِ المتوكِّلِ على اللَّهِ . قال[6] : وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ [١٩٨/٨و] بنِ داودَ ، وحجَّ جعفرُ بنُ دينارٍ فيها وهو والى طريقِ مكَّةَ وأحداثِ الموسِمِ .

---

(١) فى ب ، م : « أمير المسلمين » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « ونفرت » . وفى ب ، م : « فنفرت بهم » .

(٣) قال الزبيدى : ومن أمثالهم : « تفرقوا شَذَرَ مَذَرَ » . بالتحريك فيهما ، ويكسر أولهما ، وقد تبدل الميم من (مذر) باءً موحدة ، وقال بعضهم : هو الأصل . لأنه من التبذير ، وهو التفريق ، قاله شيخنا . قلت : والذى يظهر أن الميم هو الأصل لأن المقصود منه إنما هو الإتباع فقط لا ملاحظة المعنى ، فتأمل ، أى : ذهبوا فى كل وجه وتفرقوا . وزاد فى اللسان : ولا يقال ذلك فى الإقبال . تاج العروس (ش ذ ر) .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٦.

(٦) المصدر السابق .

ولم يتعَرَّضْ ابنُ جريرٍ لوفاةِ أحدٍ مِن المحدِّثِينَ فى هذهِ السَّنةِ .

وقدْ تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ[1] . **وجُبَارةُ** بنُ المُغَلِّسِ[2] الحِمَّانِىُّ . **وأبو تَوْبَةَ** الحَلَبِىُّ[3] . **والحسنُ**[4] بنُ حمَّادٍ ، سَجَّادةُ . **ويعقوبُ** بنُ حُمَيْدِ بنِ كاسبٍ[5] .

ولنذكُر شيئًا مِن أخبارِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، رحِمه اللَّهُ، وفضائلِه ومناقبِه ومآثِره على سبيلِ الاختصارِ

فنَقُولُ وباللَّهِ المستعانُ : هو أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلِ بنِ هلالِ بنِ أَسَدِ بنِ إدريسَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حيَّانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسطِ بنِ مَازِنِ بنِ شيبانَ بنِ ذُهلِ بنِ ثعلبةَ بنِ عُكَابةَ بنِ صعبِ بنِ عَلِىِّ بنِ بكرِ بنِ وائلِ بنِ قاسطِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٤، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، وطبقات الحنابلة ١/ ٤، وطبقات الفقهاء ص ١٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٧. ووفيات الأعيان ١/ ٦٣، وتاريخ دمشق ٥/ ٢٥٢، وتهذيب الكمال ١/ ٤٣٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٦١.

(٢) فى م : «المغسل» . وانظر ترجمته فى : طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٤/ ٤٨٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٩٢، والوافى بالوفيات ١١/ ٤٣.

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ١٥٦، وتهذيب الكمال ٩/ ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٧٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٣١٠.

(٤) فى النسخ : «عيسى» . ولعله خلط بين عيسى بن حماد المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين كما فى سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠٧، وبين الحسن بن حماد سجّادة المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين وانظر المنتظم ١١/ ٢٨٩. وانظر فى ترجمة الحسن بن حماد : تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٥، وتهذيب الكمال ٦/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٢٢، وشذرات الذهب ٢/ ٩٩.

(٥) التاريخ الكبير ٨/ ٤٠١، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٥٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٦٦.

ابنِ هِنْبِ بنِ أَفْصَى بنِ دُعْمِيِّ بنِ جَدِيلةَ بنِ أَسَدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ بنِ أُدِّ بنِ أُدَدِ بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ حَمَلِ بنِ النَّبْتِ بنِ قَيْدارِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهما السلامُ، أبو عبدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيُّ ثم المَرْوَزِيُّ ثم البَغْدادِيُّ، هكذا ساق نسبَه الحافظُ الكبيرُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ - رَحِمه اللَّهُ - فى الكتابِ الذى جمعَه فى مناقبِ الإمامِ أحمدَ[1]، عن شيخِه الحافظِ أبى عبدِ اللَّهِ الحاكمِ صاحبِ «المُسْتَدْرَكِ».

ورُوِى عن صالحِ بنِ الإمامِ أحمدَ، قال[2]: رأَى أبى هذا النَّسبَ فى كتابٍ لى، فقال: وما تصنَعُ بهذا؟ ولم يُنكِرِ النَّسَبَ. قالوا[3]: وقَدِمَ به أَبُوه مِن مَرْوَ وهو حَمْلٌ، فوضعَتْه أمُّه ببغدادَ فى رَبيعِ الأوَّلِ مِن سنةِ أَرْبَعٍ وستِّينَ ومائةٍ، وتُوفِّى أبوه وهو ابنُ [4]ثلاثين سنةً[4]، فكَفَلَتْه أمُّه. قال صَالحٌ عن أبيه[5]: فثَقَبَتْ أُذُنَىَّ وجَعَلَتْ فيهما لُؤْلُؤَتَيْنِ، فلمّا كَبِرْتُ دفَعَتْهما إلىَّ فبعتُهما بثلاثِينَ دِرهمًا.

وتُوفِّى أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ حنبلٍ يومَ الجُمُعةِ الثانى عشَرَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن سنةِ إحدَى وأربعينَ ومائتَيْنِ، وله مِن العمْرِ سبعٌ وسبعونَ سنَةً؛ رَحِمه اللَّهُ.

وقد كان فى حداثتِه[6] يختَلِفُ إلى مجلسِ القاضِى أبى يُوسُفَ، ثم ترَكَ ذلك وأقبلَ على سماعِ الحديثِ، فكان أوَّلُ طَلَبِه للحديثِ وأوَّلُ سماعِه مِن

---

(١) بعده فى ص: «من شيخه الإمام أحمد».

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٢٥٦.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٥، وتاريخ دمشق ٥/ ٢٥٩، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ١٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٩.

(٤ - ٤) فى الأصل، ب، م، ظ: «ثلاث سنين». المراد أن عمر أبى أحمد ثلاثين سنة ثم مات وأحمد طفل. وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ١٤٠.

(٥) سير أعلام النبلاء الموضع السابق.

(٦) فى الأصل: «بدايته». وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢٦ بنحوه.

مشايخِه فى سنةِ [1]تسعٍ وسبعينَ[1] ومائةٍ، وله مِن العمْرِ ستَّ عشْرةَ سنةً، وأوَّلُ حَجَّةٍ حجَّها فى سنَةِ سبعٍ وثمانِينَ ومائةٍ، ثم فى سنةِ إحْدَى وتِسْعينَ. وفيها حجَّ الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ، ثم فى سنةِ ستٍّ وتسعينَ، وجاورَ إلى سنةِ سبعٍ وتسعينَ، ثم حجَّ فى سنةِ ثمانٍ وتسْعينَ، وجاوَرَ إلى سنةِ تسْعٍ وتسعينَ، [2]سافر إلى[2] عند عبدِ الرَّزَّاقِ باليمنِ[3]، فكتَب عنه هو ويحيى بنُ [٨/١٩٨ظ] مَعِينٍ، وإسْحَاقُ بنُ رَاهَوَيْهِ.

قال الإمامُ أحمدُ[4]: حَجَجْتُ خمسَ حِجَجٍ؛ منها ثلاثٌ راجلًا، أنفَقْتُ فى إحدَى هذه الحِجَجِ ثلاثينَ دِرْهمًا. قال: وقد ضَلَلْتُ فى بعضِ هذه الحِجَجِ عن الطريقِ وأنا ماشٍ، فجعَلْتُ أقولُ: يا عبادَ اللَّهِ، دُلُّونى[5] على الطريقِ، فلم أزَلْ أقولُ ذلك حتى وقَفتُ على الطَّرِيقِ. قال: وخرَجتُ إلى الكوفةِ فكنتُ فى بَيْتٍ تحتَ رَأسِى لبِنةٌ، ولو كان عندى خمسونَ[6] دِرْهمًا؛ كنتُ رحَلْتُ إلى جريرِ بنِ عبدِ الحميدِ إلى الرَّىِّ، وخرَج بعضُ أصحابِنا ولم يمكِنِّى الخروجُ؛ لأنَّه لم يكُنْ[7] عندى شىءٌ.

وقالَ ابنُ أبى حاتمٍ، عن أبيه، عن حَرْمَلةَ[8]: سمِعتُ الشَّافعىَّ يقولُ:

(١ - ١) فى ب، م، ظ: «سبع وثمانين».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، س، ص، ظ.
(٣) فى ب، م: «إلى اليمن».
(٤) تاريخ دمشق ٥/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٣.
(٥) فى الأصل، س، ص، ظ: «دلونا».
(٦) فى الأصل، ب، م: «تسعون». وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٣.
(٧) فى م: «يمكن».
(٨) آداب الشافعى ومناقبه ص ٨٠.

وعَدَنِى أحمدُ بنُ حنبلٍ أن يقدَمَ علىَّ مصرَ [(١] فلم يقدَمْ[١)] . قال ابنُ أبى حاتمٍ[(٢)] : يُشْبِهُ أن تكُونَ خِفَّةُ ذاتِ اليدِ [(٣] حالتْ بينَه وبينَ الوفاءِ[٣)] بالعِدَةِ .

وقد طاف أحمدُ بنُ حنبلٍ فى البلادِ والآفاقِ ، وسمِعَ مِن مشَايخِ العصْرِ ، وكانوا يُجِلُّونَه ويحترِمونَه فى حالِ سَماعِه منهم .

وقد سرَد شيخُنا فى « تَهْذِيبه » أسماءَ شيوخِه مرتَّبينَ علَى حُرُوفِ المُعْجَمِ ، وكذلك الرُّواةِ عنه[(٤)] .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ ، بعدَ أن ذكَر جماعةً مِن شُيُوخِ الإمامِ أحمدَ : وقد أكثرَ[(٥)] أحمدُ بنُ حنبلٍ فى « المُسْنَدِ » وغيرِه الرِّوايةَ عن الشَّافعىِّ ، وأَخَذ عنه جملةً مِن كلامِه فى أنسابِ قريشٍ ، وأخَذ عنه مِن الفِقْهِ ما هو مشهورٌ . وحينَ تُوفِّى أحمدُ وجَدُوا فى تَرِكَتِه رسالتَى الشَّافعىِّ ؛ القَدِيمَةَ والجَديدَةَ .

قلتُ : قد أُفرِدُ ما رواه الإمامُ أحمدُ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الشَّافِعىِّ ، وهى أحاديثُ لا تبلُغُ عِشْرِينَ حديثًا ؛ ومِن أحسنِ ما رُوِّيناه عن الإمامِ أحمدَ ، عن الإمامِ الشَّافِعىِّ ، عن الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ كَعْبِ بنِ مالكٍ ،عن أبيه ، قال[(٦)] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نسَمَةُ المؤْمنِ طائرٌ تعلَّقَ فى شَجَرِ الجنَّةِ حتى يَرْجِعَه اللَّهُ إلى جَسَدِه يومَ يبعَثُه » .

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) آداب الشافعى ومناقبه ص ٨١.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « منعته أن يفى » .

(٤) تهذيب الكمال ١/ ٤٣٧.

(٥) فى ب ، م : « ذكر » .

(٦) المسند ٣/٤٥٥ (إسناده صحيح) ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، بتحقيقى والشيخ شعيب الأرناؤوط ٢/ ٥٦٦، ٥٦٧.

وقد قال الشَّافعيُّ لأحمدَ لمّا اجتَمع به فى الرِّحلةِ الثانيةِ إلى بغدادَ بعدَ[1] سنةِ تسعين ومائةٍ ، وعُمْرُ أحمدَ إذْ ذاك نَيِّفٌ وثلاثونَ سنةً ، قال له[2] : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، إذا صَحَّ عندَكم الحديثُ فأَعْلِمْنى به ؛ أذهَبُ إليه حجازيًّا كان أو شاميًّا أو عراقيًّا أو يمَنيًّا . يَعْنِى أنَّه لا يقولُ بقولِ فقهاءِ الحجازِ الذينَ لا يقبَلونَ إلَّا روايةَ الحجازِيِّين ويُنزِلُونَ أحادِيثَ مَن سِوَاهم مَنزلَةَ أحاديثِ [٨/١٩٩و] أهلِ الكِتابِ . وقولُ الشَّافِعِيِّ له هذه المقالةَ تعظيمٌ لأحمدَ وإجلالٌ له ، وإنَّه عندَه بهذه المثابةِ ، إذا صَحَّحَ أو ضعَّفَ ، يَرْجِعُ إليهِ فى ذلك . وقد كان الإمامُ أحمدُ بهذه المثابةِ عندَ الأئمةِ والعلماءِ ، كما سيأتِى ثناءُ الأئمةِ عليه واعترافُهم له بعُلُوِّ المكانةِ[3] وارتفاعِ المنزلَةِ[3] فى العلمِ والحديثِ ، رَحِمهم اللَّهُ . وقد بَعُدَ صيتُه فى زمانِه واشتَهَر اسمُه فى شبيبَتِه فى الآفاقِ .

ثم حكَى البَيْهَقِىُّ كلامَ أحمدَ فى الإيمانِ ، وأنَّه قولٌ وعمَلٌ يزيدُ وينقُصُ[4] ، وكلامَه فى أنَّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ[5] ، وإنكارَه على مَن يقولُ[6] : إنَّ لفظَه بالقرآنِ مخلوقٌ ، يريدُ به القرآنَ . قال : وفيما حكَى أبو عمارةَ وأبو جَعْفَرٍ ، أخبرَنا[7] أحمدُ - شيخُنا[8] - السَّرّاجُ ، عن أحمدَ بنِ حنبلٍ أنَّه قال : اللفظُ

---

(١) سقط من : ب ، م .

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٦، وآداب الشافعى ومناقبه ص ٩٤، وحلية الأولياء ٩/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ١١/٢١٣ بنحوهم .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) أورده ابن هانئ فى مسائل الإمام أحمد ٢/ ١٥٦، وابن الخلال فى السنة ٣/ ٥٨١.

(٥) مسائل الإمام أحمد لابن هانئ ٢/ ١٥٦.

(٦) مسائل الإمام أحمد ٢/ ١٥٢، والأسماء والصفات ص ٢٦٦، والاعتقاد للبيهقى ص ٦١.

(٧) فى الأصل ، ص : « ابنا » .

(٨) فى الأصل : « شيخ » .

مُحدَثٌ . واسْتَدَلَّ بقولِه : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] . قال : فاللفظُ ؛ كلامُ الآدميِّينَ . وروَى غيرُهما عن أحمدَ أنَّه قال[١] : القرآنُ كيف ما تصرَّف فيه غيرُ مخلوقٍ ، وأمَّا أفعالُنا فهى مخلوقةٌ .

قلتُ : وقد قرَّر البخاريُّ هذا المعنَى فى أفعالِ العِبادِ[٢] ، وذكَره أيضًا فى « الصَّحِيحِ »[٣] ، واستدلَّ بقولِه ﷺ : « زَيِّنُوا القُرْآنَ بأصواتِكم »[٤] . ولهذا قال غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ[٥] : الكلامُ كلامُ البارِئ ، والصوتُ صوتُ القارِئ . وقد قرَّر البيهقيُّ ذلك أيضًا[٦] .

[٧]وروَى البيهقيُّ مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ السُّلَمِيِّ ، عن أحمدَ أنَّه قال[٨] : مَن قال : القرآنُ محدَثٌ . فهو كافرٌ . ومِن طريقِ أبى الحسنِ المَيْمُونِيِّ ، عن أحمدَ أنَّه أجابَ الجَهْمِيَّةَ حينَ احتجُّوا عليه بقولِه تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء : ٢] . قال[٩] : يحتَمِل أن يكونَ تنزيلُه إلينا هو المحدَثَ ، لا الذكرُ نفسُه هو المحدَثَ[٧] .

---

(١) الأسماء والصفات ص ٢٦٥.

(٢) خلق أفعال العباد للبخارى ص ٩، ٣٣.

(٣) انظر فتح البارى ، كتاب التوحيد ١٣/ ٥٢٧، باب قوله تعالى : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ ، ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ .

(٤) أبو داود (١٤٦٨) ، والنسائى (١٠١٤، ١٠١٥) ، وابن ماجه (١٣٤٢) ، والمسند ٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤ كلهم من طريق البراء بن عازب به ، صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٣٠٣) .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٩٨، ٥٨٤، ٥٨٥، ومختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٠١، ٣٠٦.

(٦) الأسماء والصفات ص ٢٥٩ بنحوه .

(٧ - ٧) ليست فى : الأصل ، ب ، س ، ظ .

(٨) أخرجه ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص ٢٠٧ من طريق إسحاق بن إبراهيم البغوى . وفيه : « مخلوق » بدلًا من : « محدث » .

(٩) أخرجه ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص ٤٣٥، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٥،=

(١) وعن حنبلٍ، عن أحمدَ أنَّه قال: يحتَمِل أن يكونَ ذكرًا آخرَ غيرَ القرآنِ، وهو ذِكْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أو وعْظُه إيّاهُم(١). ثم ذكَر البيهَقيُّ كلامَ الإمامِ أحمدَ فِي إثباتِ رؤيةِ اللَّهِ فِي الدَّارِ الآخرَةِ، واحتَجَّ بحَدِيثِ صُهَيْبٍ فى الرُّؤْيَةِ(٢)، وهى الزيادةُ، وكلامَه فى نَفْيِ التشْبِيه وتَرْكِ الخَوْضِ فى الكَلامِ والتمسُّكِ بما ورَدَ فى الكِتابِ والسُّنَّة (٣)مِن الآثارِ(٣) عن النبيِّ ﷺ وأصحابِه. (٤)وروَى البَيْهَقيُّ، عن الحاكمِ، عن أبِى عمرِو بنِ السَّمّاكِ، عن حَنْبَلٍ(٥)، أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ تَأَوَّلَ قولَ اللَّهِ تعالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. أنه جَاءَ ثَوابُه. ثم قال البيهَقيُّ: وهذا إسنادٌ لا غُبارَ عليه(٤).

وقال الإمامُ أحمدُ(٦): حدثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ، ثنا عاصمٌ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - قال: ما رآه المسلمونَ حسنًا فهو عندَ اللَّهِ حسَنٌ، وما رَأَوْه سيِّئًا فهو عندَ اللَّهِ سَيِّئٌ. وقد رأَى الصَّحابَةُ جميعًا أن يستخلِفُوا أبا بكرٍ رَضِىَ اللَّهُ عنه، إسنادٌ صَحِيحٌ. قلتُ: وهذا الأثرُ فيه حكايةُ إجماعٍ عن الصحابةِ فى تقديمِ الصِّدِّيقِ، رَضِى اللَّهُ عنه، والأمرُ كما قاله ابنُ مسعودٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، وقد نصَّ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ(٧). وقد قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ حينَ

= وعبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى فى محنة الإمام أحمد ص ٨٨، بنحوه.

(١ - ١) ليست فى: الأصل، ب، س، ظ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨١/٢٩٧)، والترمذى (٢٥٥٤)، وأحمد فى المسند ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣، كلهم من حديث صهيب عنه به.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) ليست فى: الأصل، ب، س، ظ.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٣٥٣، والفصل لابن حزم ٢/ ١٧٣.

(٦) المسند ١/ ٣٧٩. (إسناده حسن). انظر الموسوعة الحديثية ٦/ ٨٤.

(٧) الشريعة للآجرى ص ٢٣١٢، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ٤٨٦، والإبانة لأبى الحسن الأشعرى ص ١٠٢.

اجتازَ بحمْصَ ، وقد حُمِل إلى المأمُونِ فى زَمَنِ المحنةِ ، ودخَل عليه عمرُو بنُ عثمانَ الحِمْصِيُّ ، فقال له[1] : ما تقولُ فى الخلافَةِ ؟ فقال الإمامُ أحمدُ : أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم علىٌّ ، ومَن قدَّم عليًّا [٨/١٩٩ظ] على عثمانَ فقد أَزْرَى بأصحابِ الشُّورَى ؛ لأنَّهم قَدَّمُوا عثمانَ ، رَضِى اللَّهُ تعالى عنهم أجمعين .

فصلٌ فى ورَعِه وتقشُّفِه وزُهْدِه ، رحِمه اللَّـهُ ورضِى عنه

روَى البَيْهَقِيُّ[2] مِن طريقِ المُزَنِيِّ ، عن الشَّافِعِيِّ أنَّه قال للرَّشيدِ : إنَّ اليمنَ تحتاجُ إلى قاضٍ . فقال له : اختَرْ رجلًا نُوَلِّه إيَّاها . فقال الشَّافِعِيُّ لأحمدَ بنِ حنبلٍ ، وهو يتردَّدُ إليه فى جملةِ مَن يأخُذُ عنه : ألا تقبَلُ قضاءَ اليمنِ . فامتنَع مِن ذلك امتناعًا شديدًا ، وقال : إنِّى إنَّما أختَلِفُ إليك لأجلِ العلْمِ [3]المزهِّدِ فى الدُّنيا[3] ، أفتأمُرُنى أن أَلِيَ القضاءَ ؟ ولولا العلمُ لَمَا أكلِّمُك بعدَ اليومِ . فاستَحْيَى الشافعيُّ منه .

ورُوِىَ[5] أنَّه كان لا يُصلِّى خلْفَ عمِّه إسحاقَ بنِ حنبلٍ ولا خلفَ بنِيه ، ولا يُكلِّمُهم أيضًا ؛ لأنَّهم أخَذُوا جائزةَ السُّلطانِ .

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢١٨، ومسائل الإمام أحمد لابن هانئ ٢/ ١٧١.
(٢) مناقب الشافعى للبيهقى ١/١٥٤ بنحوه ، ومناقب أحمد لابن الجوزى ص ٣٦٠، بنحوه .
(٣ - ٣) ليست فى : الأصل ، س ، ص ، ظ .
(٤) بعده فى ب ، م : « ولولا العلم لما أكلمك بعد اليوم » .
(٥) حلية الأولياء ٩/١٧٦ بنحوه .

ومكَث[1] مرَّةً ثلاثةَ أيامٍ لا يجِدُ ما يأكلُه حتى بعَث إلى بعضِ أصحابِه فاستَقْرَض منه دقيقًا، فعرَف أهلُه حاجتَه إلى الطَّعامِ فعجَّلُوا وعجَنُوا وخبَزُوا له سريعًا، فقال: ما هذه العجَلَةُ! كيف خَبَزْتُم سريعًا؟ فقالُوا: وجَدْنا تَنُّورَ بيتِ صالحٍ مسجورًا فخبَزْنا لك فيه. فقال: ارفَعُوا. ولم يأكُلْ، وأمَر بسدِّ بابِهِ إلى دارِ صالحٍ. قال البَيْهَقِيُّ: لأنَّ صالحًا أخَذ جائزةَ المتوكِّلِ على اللَّهِ.

وقال عبدُ اللَّهِ[2]: مكَث أبى بالعسكِر عندَ الخليفةِ ستَّةَ عشَرَ يومًا لم يأكُلْ فيها إلّا رُبُعَ مُدٍّ سَويقًا، يُفطِرُ بعدَ كلِّ ثلاثِ ليالٍ على سُفَّةٍ منه حتى رجَع إلى بيتِه، ولم ترجِعْ إليه نفسُه إلّا بعدَ ستَّةِ أشهرٍ. وقد رأيتُ مُوقَيْهِ دخَلتا فى حدقتَيْه.

قال البيهَقىُّ[3]: وقد كان الخليفةُ يبعَثُ لمائدتِه شيئًا كثيرًا، وكان أحمدُ لا يتناولُ مِن طعامِه شيئًا.

وبعَث[4] الخليفةُ المأمونُ مرَّةً ذهبًا؛ ليُقسَمَ على أصحابِ الحديثِ، فما بَقِىَ منهم أحدٌ إلَّا أخَذ، إلَّا أحمدَ بنَ حنبلٍ فإنَّه أَبَى.

وقال سليمانُ الشَّاذَكونىُّ[5]: حضَرْتُ أحمدَ وقد رهَن سَطْلًا له عندَ فَامِىٍّ[6] باليمنِ، فلَمَّا جاءَه بفِكاكِه أخرَج إليه سَطلَيْنِ فقال: خُذْ مَتاعَكَ. فاشتَبَه عليه

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٧٧، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٥٠، بنحوه.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٧٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٠، بنحوه، من طريق حنبل بن إسحاق.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٨١، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٠٥، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٤٧.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٦٩، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٠١، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٣، بنحوه.
(٦) الفامى: نسبة إلى بيع الفواكة اليابسة، ويقال لبائعها: البقال أيضًا. انظر اللباب فى تهذيب الأنساب ٢/ ١٩٥.

أيُّهما الذى له ، فقال له : أنتَ فى حِلٍّ منه ومِن الفِكَاكِ . وتَرَكه .

وحكَى عبدُ اللَّهِ قال[1] : كنَّا فى زمنِ الواثقِ فى ضِيقٍ شديدٍ ، فكتَب رجلٌ إلى أبى : إنَّ عندى أربعةَ آلافِ درهمٍ ورثتُها مِن أبى وليست صدقةً ، ولا زكاةً ، فإن رأيتَ أن تقبَلَها منِّى . فامتنَع مِن ذلك ، وكرَّر عليه فأبَى ، فلَمَّا كان بعدَ حينٍ ذكَرنا ذلك فقال : لو كنَّا قبِلنَاها كانت قد ذهَبَتْ .

وعرَض[2] عليه بعضُ التُّجَّارِ [٨/٢٠٠و] عشَرَةَ آلافِ درهمٍ رَبِحها مِن بضاعةٍ جعَلها باسمِه فأَبَى أَن يقبَلَها ، وقال : نحنُ فى كفايةٍ ، وجزاكَ اللَّهُ عن قصدِكَ خيرًا . وعرَض[3] عليه تاجرٌ آخرُ ثلاثةَ آلافِ دينارٍ ، فامتَنع مِن قَبولِها وقامَ وترَكه .

ونفِدَتْ[4] نفقةُ أحمدَ وهو فى اليمنِ ، فعرَض عليه شيخُه عبدُ الرزَّاقِ مِلْءَ كفِّه دنانيرَ ، فقال : نحنُ فى كفايةٍ ، ولم يقبَلْها . وسُرِقَتْ[5] ثيابُه وهو باليمنِ فجلَس فى بيتِه وردَّ عليه البابَ ، فافتَقَدَه أصحابُه فجَاءُوا إليه فسألُوه فأخبرَهم ، فعرَضُوا عليه ذهبًا فلم يَقْبَلْه ولم يأخُذْ مِنهم إلّا دينارًا واحدًا ؛ ليكتُبَ لهم به فكتَب لهم بالأجرِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقال أبو داودَ : كانت مجالسُ أحمدَ مجالسَ الآخرةِ ، لا يُذكَرُ فيها شىءٌ مِن أمرِ الدُّنيا ، وما رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ ذكَر الدُّنيا قَطُّ .

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٧٨، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣١٥، بنحوه .
(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ، الموضع السابق .
(٣) حلية الأولياء ٩/ ١٧٨، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣١٧.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٧٤، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٠٩.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٧٨، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٠٢.

وروَى البيهَقِىُّ[1] أنَّ أحمدَ سُئِلَ عن التَّوكُّلِ فقال : هو قطْعُ الاستشرافِ باليَأْسِ من النَّاسِ . فقِيلَ له : هل مِن حُجَّةٍ على هذا ؟ قال : نعم ، إنَّ إبراهيمَ لمَّا رُمِىَ به فى النَّارِ مِن المَنْجَنيقِ عرَض له جبريلُ فقال : هل لك مِن حاجةٍ ؟ فقال : أمَّا إليكَ فلا . قال : فسَلْ مَن لك إليه حاجةٌ . فقال : أَحبُّ الأمرَيْنِ إلىَّ أحبُّهما إليه .

وعن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ يعقوبَ الصَّفّارِ قال[2] : كنَّا مع أحمدَ بنِ حنبلٍ بسُرَّ مَنْ رَأَى ، فقلنا : ادْعُ اللَّهَ لنا . فقال : اللهمَّ إنك تعلَمُ أنَّا نعلَمُ أنَّك لنا على أكثرَ ممَّا نُحِبُّ فاجعَلْنا على ما تُحِبُّ . ثم سكَت . فقلنا : زِدْنَا . فقال : اللهمَّ إنا نسألُك بالقُدْرَةِ التى قلتَ للسَّماواتِ والأرضِ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . اللهمَّ وفِّقْنا لمرضاتِكَ ، اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك مِن الفقرِ إلَّا إليكَ ، ونعوذُ بك مِن الذُّلِّ إلّا لك[3] ، اللهمَّ لا تُكثِرْ لنا فنطغَى ، ولا تُقِلَّ علينا فَنَنْسَى ، وهَبْ لنا مِن رحمتِك وسَعَةِ رزقِكَ ما يَكونُ بلاغًا لنا فى دُنيانا وغِنًى مِن فَضْلِك .

قال البيهقىُّ : وفى حكايةِ أبى الفضلِ التَّميمىِّ عن أحمدَ : وكان دعاؤه فى السُّجُودِ : اللَّهمَّ مَن كان مِن هذه الأُمَّةِ على غيرِ الحقِّ وهو يَظُنُّ أنَّه على الحقِّ فرُدَّه إلى الحقِّ ليكونَ مِنْ أهلِ الحقِّ . وكان يقولُ : اللهمَّ إن قبِلْتَ مِن عُصاةِ أمَّةِ محمدٍ ﷺ فداءً فاجْعَلْنِى فداءً لهم . وقال[6] صالحُ بنُ أحمدَ : كان أبى لا يَدَعُ

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٤١٦.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٩٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٢٩، والمنهج الأحمد ١/ ٢٨، بنحوه .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٩ بنحوه .

أحدًا يستَقِى له الماءَ للوضوءِ، بلْ كان يلى ذلك بنَفْسِه، فإذا خرَج الدَّلْوُ ملآنَ قال: الحمدُ للَّهِ. فقلتُ: يا أبَهْ، ما الفائدةُ فى ذلك؟ [٨/٢٠٠ظ] فقال: يا بُنَىَّ، أمَا سمِعتَ قولَ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]. والأخبارُ عنه فى هذا البابِ كثيرةٌ جدًّا.

وقد صنَّف فى الزُّهدِ كتابًا حافلًا عظيمًا لم يُسْبَقْ إلى مثلِه، ولم يَلْحَقْه أحدٌ فيه. والمظنونُ بل المقطوعُ به أنَّه إنما كان يأخُذُ بما أمكنَه من ذلك، رحِمه اللَّهُ، وأكرَم مَثْواه، وجعَل جَنَّةَ الفردوسِ منقلَبَه ومَأْواه.

وقال إسماعيلُ بنُ إسحاقَ السَّرَّاجُ[(١)]: قال لى أحمدُ بنُ حنبلٍ: هل تستطيعُ أن تُرِيَنى الحارثَ المُحاسبىَّ إذا جاء منزلَك؟ فقلتُ: نعم، وفرِحتُ بذلك، ثم ذهَبْتُ إلى الحارثِ فقلتُ: إنِّى أُحِبُّ أن تحضُرَ الليلةَ أنتَ وأصحابُك. فقال: إنَّهم كثيرٌ فأَحضِرْ لهم التمْرَ والكُسْبَ[(٢)]. فلَمَّا كان بين العِشاءينِ جاءوا وكان الإمامُ أحمدُ قد سبَقهم فجلَس فى غرفةٍ [(٣)]بحيثُ يراهم ويسمَعُ كلامَهم ولا يرَوْنَه[(٣)]، فلمّا صلَّوُا العشاءَ لم يصلُّوا بعدَها شيئًا، حتى جاءُوا فجلَسُوا بين يَدَىِ الحارثِ سكوتًا كأنَّما على رُءوسِهم الطَّيرُ، حتى كان قريبًا مِن نصفِ اللَّيلِ، ثم سأَله رجلٌ عن مسألةٍ، فشرَع الحارثُ يتكلَّمُ فيما يتعلَّقُ بالزُّهدِ والوعْظِ، فجعَل هذا يبكِى، وهذا يئِنُّ، وهذا يزعَقُ، قال: فصَعَدْتُ إلى الغُرفةِ، فإذا الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ يبكِى حتى كاد يُغْشَى عليه، ثم لم يزالُوا كذلك حتى الصَّباحِ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٢٦ بنحوه.

(٢) الكسب: عصارة الدهن.

(٣ - ٣) زيادة من: ب، م.

فلمَّا أراد الانصِرافَ قلتُ : كيف رأيتَ هؤلاءِ يا أبا عبدِ اللَّهِ ؟ فقال : ما رأيتُ أحدًا يتكلَّمُ فى الزُّهْدِ مثلَ هذا الرَّجلِ ، وما رأيتُ مثلَ هؤلاءِ ، ومع هذا فلا أرَى لك أن تجتَمِعَ بهم .

قال البيهقىُّ : يحتَمِلُ أنَّه كرِه له صُحْبتَهم ؛ لأنَّ الحارثَ بنَ أسدٍ ، وإن كان زاهدًا ، لكنَّه كان عندَه شىءٌ مِن علمِ الكلامِ ، وكان أحمدُ يكْرَهُ ذلك ، أو كرِه له صحبتَهم ، مِن أجلِ أنَّه لا يطيقُ سلوكَ طريقتِهم وما هم عليه مِن الزُّهْدِ والوَرَعِ . قلتُ : بل إنَّما كرِه ذلك ؛ لأنَّ فى كلامِ بعضِ هؤلاءِ مِن التقشُّفِ (١) الذى لم يرِدْ به (١) الشَّرعُ ، والتَّدْقِيقِ والتنقيرِ والمحاسَبَةِ البليغَةِ ما لم يأْتِ به أمرٌ ؛ ولهذا لَمَّا وقَف أبو زُرْعَةَ الرَّازِىُّ على كتابِ الحارثِ بنِ أسدٍ المُسمَّى « بالرِّعايةِ » قال : هذا بِدْعةٌ . ثم قال للرَّجُلِ الذى جاءه بهِ : عليكَ بما كان عليه مالكٌ ، والثَّورِىُّ ، والأَوزاعىُّ ، والليثُ بنُ سعدٍ ، ودَعْ هذا فإنَّه بدْعَةٌ .

وقال إبراهيمُ الحربىُّ : سمِعْتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ : إن أحبَبْتَ أن يَدُومَ اللَّهُ لكَ على ما تُحِبُّ فَدُمْ له على ما يُحِبُّ . وكان يقولُ : الصَّبرُ على الفقرِ [٨/٢٠١و] مرتَبةٌ لا ينالُها إلَّا الأكابِرُ . وكان يقولُ : الفقرُ (٢) أشرفُ مِن الغِنى ، فإنَّ الصَّبرَ عليهِ أعظَمُ (٣) مرارةً ، وانزعاجُه أعظَمُ حالًا مِن الشكرِ . (٤) وقال : لا أعدِلُ بفَضْلِ الفقْرِ شيئًا (٤) . وكان يقولُ : على العبدِ أن يقبَلَ الرزقَ بعدَ اليأسِ ، ولا يقبَلُه إذا تقدَّمَه طمعٌ أو استشرافٌ . وكان يُحِبُّ التقلُّلَ طلبًا لخِفَّةِ الحِسابِ .

(١ - ١) فى ب ، م : « وشدة السلوك التى لم يرد بها » .

(٢) فى الأصل : « الصبر » .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) زيادة من : ب ، م .

وقال إبراهيمُ : قال رجلٌ لأحمدَ : هذا العلمُ تعلمتَه للَّهِ ؟ فقال : هذا شرْطٌ شديدٌ ، ولكِنْ حُبِّبَ إلَيَّ شيءٌ فجمَعتُه[1] .

وروَى البَيْهَقِيُّ[2] أنَّ رجلًا جاء إلَى الإمامِ أحمدَ فقال : إنَّ أمِّى زَمِنَةٌ مُقعَدَةٌ منذُ عشرينَ سنةً ، وقد بعَثَتْنى إليك لتَدْعُوَ اللَّهَ لها ، فكأنَّه غَضِب مِن ذلك ، وقال : نحنُ أحوَجُ أن تدعُوَ هى لنا . ثم دَعا اللَّهَ ، عزَّ وجَلَّ ، لها . فرجَع الرَّجلُ إلى أمِّه فدَقَّ البابَ فخرَجتْ إليه على رجلَيْها ، وقالت : قد وهَبنى اللَّهُ العافِيَةَ .

ورُوِىَ أن سائِلًا سأَل فأَعطاهُ الإمامُ أحمدُ قطعةً ، فقامَ رجلٌ إلى السائِلِ فقال : هَبْنى هذِه القطعةَ حتى أعطِيَكَ عِوَضَها ، ما يساوى درهمًا ، فأَبَى فرقَّاه إلى خمسينَ وهو يَأْبَى ، فقال : إنِّى أرجُو مِن بركتِها ما ترجُوه أنتَ مِن بركتِها .

قال البيهقىُّ رحِمه اللَّهُ :

بابُ ذِكرِ ما جاء فى محنةِ أبى عبدِ اللَّهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، رضِى اللَّهُ عنه

فى أيامِ المأمونِ ، ثم المعتصمِ ، ثم الواثقِ بسَببِ القرآنِ ، وما أصابَه مِن الحبسِ الطويلِ والضربِ الشديدِ ، والتهديدِ بالقتلِ بسوءِ العذابِ وأليمِ العِقابِ ، وقلَّةِ مبالاتِه بما كان منهم مِن ذلك إليه ، وصبرِه عليه ، وتمسُّكِه بما كان عليه مِن الدِّينِ القويمِ والصراطِ المستقيمِ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « وفى رواية أنه قال : أما للَّه فعزيز ، ولكن حبب إلى شىء فجمعته » .
(٢) مناقب الإمام أحمد ص ٣٩٨ بنحوه .

وكان [1]أحمدُ عالمًا بما ورَد بمثلِ[1] حالِه مِن الآياتِ المتلُوَّةِ، والآثارِ المأثورةِ، وبلَغَه ما أُوصِى به فى المنامِ واليقَظةِ، فرضِىَ وسلَّم إيمانًا واحتسابًا، وفاز بخيرِ الدُّنيا ونعيمِ الآخرةِ، وهيَّأه[2] اللَّهُ بما آتاهُ مِن ذلك لبلوغِ أعلَى منازِلِ أهلِ البلَاءِ فى اللَّهِ مِن أولياءِ اللَّهِ، وأَلحَقَ به مُحبِّيه فيما نالَ مِن كرامةِ اللَّهِ تعالى، إن شَاء اللَّهُ مِن غيرِ بليَّةٍ، وباللَّهِ التوفيقُ والعِصْمةُ.

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت ١- ٣]. وقال اللَّهُ تعالى فى وصيةِ لقمانَ لابنِه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ [٢٠١/٨ظ] مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. فى آيٍ سِواها فِى معنى ما كتَبْنا.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ الممتَحَنُ فى مُسندِه قائلًا[3] فيه: حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، عن شعبةَ، عن عاصِمِ بنِ بهدَلَةَ، سمِعتُ مصعبَ بنَ سعدٍ، يحدِّثُ عن سعدٍ قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ: أىُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ فقال: «الأنبياءُ، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتَلَى الرجلُ على حسَبِ دينِه، فإن كان رقيقَ الدِّينِ ابتُلِىَ على حَسَبِ ذلك، وإن كان صُلْبَ الدِّينِ ابتُلِىَ على حسَبِ ذلك، وما يزالُ البلاءُ بالرَّجلِ حتى يمشِىَ فى الأرضِ وما عليه خطيئةٌ». وقد روى[4] مسلمٌ فى صحيحِه قال: حدَّثَنا عبدُ الوَهَّابِ الثَّقفِىُّ، ثنا أيُّوبُ، عن أبى قِلابَةَ، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه فقد وجَد حلاوةَ الإيمانِ؛ مَن

(١ - ١) فى الأصل، س، ص، ظ: «رحمه اللَّه قد سمع ما ورد فى مثل».
(٢) فى الأصل، س، ص، ظ: «فهنأه».
(٣) المسند ١/ ١٧٣.
(٤) فى الأصل، ب، س، ص، ظ: «رواه». والحديث فى صحيح مسلم ٤٣.

كان اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سِواهُما ، وأن يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّه إلَّا للَّهِ ، وأن يُقْذَفَ فى النَّارِ أحبُّ إليه مِن أن يرجِعَ إلى الكفرِ بعدَ أن أنقذَه اللَّهُ منه » . وأخرَجاه فى الصحيحينِ[1] .

وقال أبو القَاسِمِ البَغَوِىُّ : حدَّثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ ، ثنا أبو المغِيرةِ ، ثنا صفوانُ ابنُ عمرٍو السَّكْسَكِىُّ ، ثنا عمرُو بنُ قَيْسٍ السَّكُونىُّ ، ثنا عاصِمُ بنُ حُمَيدٍ ، قال : سمِعتُ مُعاذَ بنَ جَبلٍ يقولُ : إنَّكُم لم تَرَوْا إلَّا بلاءً وفتنةً ، ولن يزدادَ الأمرُ إلّا شدَّةً ، [2]ولا الأنْفُسُ إلّا شُحًّا[2] . وبه ، قال معاذٌ : « لن تَرَوا مِن الأئمةِ إلَّا غِلظَةً ولن تَرَوا أمرًا يهولُكُم ويشتَدُّ عليكم إلّا حضَر بعدَه ما هو أشدُّ منه » . قال البغوىُّ : سمِعتُ أحمدَ يقولُ : اللهمَّ رضِينا . يمُدُّ بها صوتَه .

وروَى البيهقىُّ ، عن الربيعِ قال[3] : بعَثنى الشافعىُّ بكتابٍ مِن مصرَ إلى أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، فأتيتُه وقد انفتَل مِن صلاةِ الفجرِ ، فدفَعتُ إليه الكتابَ فقال : أقرأتَه ؟ فقلتُ : لا . فأخَذَه فقرأَه فدَمَعت عيناه ، فقلتُ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، وما فيه ؟ فقال : يذكُرُ أنَّه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ ، فقال له : « اكْتُبْ إلى أبى عبدِ اللَّهِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، واقرأْ عليه منِّى السلامَ ، وقل له : إنَّك ستُمتَحَنُ ، وتُدْعَى إلى القولِ بخلقِ القرآنِ فلا تُجِبْهم ، يرفَعُ اللَّهُ لكَ عَلَمًا إلى يومِ القيامةِ . قال الربيعُ : فقلتُ : حلاوةَ البشارةِ . فخلَع قميصَه الذى يلِي جلدَه فأعطانِيه ، فلَمَّا رجَعتُ إلى الشافعِىِّ أخبرتُه فقال : إنِّى لستُ أفجَعُكَ فيه ، ولكنْ بُلَّه بالماءِ وأعطِنيه حتَّى أتبرَّكَ به .

---

(١) البخارى (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ، ومسلم (٤٣) ، كلهم من طريق أنس به .

(٢ - ٢) زيادة من : ب ، م .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥/ ٣١١، وابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص ٦٠٩، وكذب ابن تيمية هذه القصة . انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٤.

(٤) بعده فى ب ، م : « حلاوة » .

ذكرُ ملخَّصِ الفتنةِ والمحنةِ مجموعًا مِن كلامِ أئمةِ [٢٠٢/٨و] السنةِ، رحِمهم اللَّهُ وأثابهم الجنةَ

قد ذكَرنا فيما تقدَّم[(١)] أنَّ المأمونَ كانَ قدْ اجتَمع به واستحوَذ عليه جماعةٌ مِن المعتزلةِ، فأزاغُوه عن طريقِ الحقِّ إلى الباطلِ، وزيَّنوا له القولَ بخلقِ القرآنِ، ونَفْيِ الصِّفاتِ عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

قال الحافظُ البيهقيُّ: ولم يكُنْ فى الخلفاءِ قبلَه - لا[(٢)] مِن بنى أميَّةَ [(٣)]ولَا مِن[(٣)] بنى العبّاسِ - خِليفةٌ إلّا على [(٤)]منهجِ السَّلفِ حتى[(٤)] وَلِىَ هو الخلافةَ، فاجتمَع به هؤلاءِ فحمَلوه على ذلك. قالـوا[(٥)]: واتفَق خروجُه إلى طَرَسُوسَ لغزوِ بلادِ الرومِ، [(٦)]فعَنَّ له أن يكتُبَ إلى نائبِ بغدادَ[(٦)] إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ مصعبٍ يأمُرُه أن يدعوَ الناسَ إلى القَوْلِ بخلقِ القرآنِ، واتفَق ذلك فى آخرِ عمرِه قبلَ موتِه بشهورٍ مِن سنةِ ثمانىَ عشْرةَ ومِائتينِ.

فلمَّا وصَل الكتابُ - كما ذكَرنا - استدعَى جماعةً مِن أئمّةِ الحديثِ فدعاهم إلى ذلك فامتنَعوا، فتهدَّدهم بالضَّربِ وقطعِ الأرزاقِ، فأجابَ أكثرُهم مُكرَهِين، واستَمرَّ على الامتناعِ فى ذلك الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ، ومحمدُ بنُ نوحٍ

---

(١) انظر صفحة ٢٠٧.

(٢) سقط من: ب، م.

(٣ - ٣) فى ب، م: «و».

(٤ - ٤) فى ب، م: «مذهب السلف ومنهاجهم فلما».

(٥) فى ب، م: «وزينوا له».

(٦ - ٦) فى ب، م: «فكتب إلى نائبه ببغداد».

الجُنْدَيْسابوريُّ ، فحُمِلا على بَعيرٍ ، وسَيَّرهما إلى الخليفةِ عن أمرِه بذلك ، وهما مُقيَّدانِ متعادِلان فى مَحْمِلٍ على بعيرٍ واحدٍ ، فلمَّا كانوا ببلادِ الرَّحْبَةِ جاء رجلٌ مِن الأعرابِ مِن عُبَّادِهم يقالُ له : جابرُ بنُ عامرٍ . فسلَّم على الإمامِ أحمدَ ، وقالَ له : يا هذا ، إنَّك وافدُ الناسِ ، فلا تكُنْ مشئومًا عليهم ، وإنَّك رأسُ الناسِ اليومَ ، فإيَّاك أنْ تُجيبَ[1] فيُجِيبوا[2] ، وإنْ كنتَ تحبُّ اللَّهَ فاصبِرْ على ما أنتَ فيه ، فإنَّ ما بينَك وبينَ الجنَّةِ أَنْ تُقتَلَ ، وإنَّك إن لم تُقتَلْ تمُتْ ، وإنْ عِشْتَ عِشْتَ حميدًا . قال الإمامُ أحمدُ : فكان ذلك ما قَوَّى عَزْمِى على ما أنا فيه مِن الامتناعِ مِن ذلك[3] . فلمّا اقتَرَبوا مِن جيشِ المأمونِ ، ونزَلوا دونَه بمرحلَةٍ جاءَ خادمٌ ، وهو يمسَحُ دموعَه بطَرْفِ ثيابِهِ وهو يقولُ[4] : يعِزُّ علىَّ يا أبا عبدِ اللَّهِ أنَّ المأمونَ قد سلَّ سيفًا لم يسُلَّه قبلَ ذلك ، وبسَط نِطْعًا لم يبسُطْه قبلَ ذلك ، وأنَّه يُقسِمُ بقرابتِه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لَئن لم تجِبْه إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ليقتُلَنَّك بذلك السَّيفِ . قال : فجثَا الإمامُ أحمدُ على رُكبتَيْه ورمَق بطرْفِه إلى السماءِ ، ثم قال : سيِّدى ، غرَّ حِلمُك هذا الفاجرَ حتى يتجبَّرَ على أوليائِك بالضربِ والقتلِ ، اللهمَّ فإن يكُنِ القرآنُ كلامُك غيرَ مخلوقٍ فاكفِنا مُؤْنتَه . قالَ [٢٠٢/٨ظ] فجاءهم الصريخُ بموتِ المأمونِ فى الثُّلُثِ الأخيرِ مِن الليلِ .

قال أحمدُ : ففرِحتُ بذلك ، ثم جاءَ الخبرُ بأن المعتصمَ قد ولِى الخلافةَ ، وقد انضمَّ إليه أحمدُ بنُ أبى دُوادٍ ، وأنَّ الأمرَ شديدٌ ، فرَدُّونا إلى بغدادَ فى سفينةٍ مع

---

(١) فى ب ، م : « تجيبهم إلى ما يدعونك إليه » .

(٢) بعده فى ب ، م : « فتحمل أوزارهم يوم القيامة » .

(٣) بعده فى ب ، م : « الذى يدعوننى إليه » .

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٩٥، ومحنة الإمام أحمد للمقدسي ص ٥٨. كلاهما بنحوه .

بعضِ الأُسارَى ، ونالنى معهم أذًى كثيرٌ ، وكانَ فى رجليه القيودُ ، وماتَ صاحبُه محمدُ بنُ نوحٍ فى الطريقِ ، وصلَّى عليه أحمدُ ، فلمَّا رجَع أحمدُ إلى بغدادَ ، دخَلها [1]وهو مريضٌ ، وذلك[1] فى رمضانَ ، فأُودِع السِّجنَ نحوًا مِن ثمانيةٍ وعشرين شهرًا . وقيل : نيِّفًا وثلاثين شهرًا . ثم أُخرِج إلى الضربِ بين يَدَيِ المعتصمِ ، كما سيأتى إن شاء اللَّهُ تعالى وبه الثقةُ . وقد كانَ الإمامُ أحمدُ هو الذى يصلِّى بأهلِ السِّجنِ وعليه قيودُه فى رجليه .

ذكرُ ضربِه ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، بين يَدَىِ المعتصمِ[2]

لمَّا أحضَره المعتصمُ مِن السِّجنِ زِيدَ[3] فى قيودِه ، قالَ أحمدُ[4] : فلم أستَطِعْ أن أمشِىَ بها ، فربَطتُها فى التِّكَّةِ وحملتُها بيَدى ، ثم جاءونى بدابَّةٍ فحُمِلتُ عليها فكِدتُ أنْ أسقُطَ على وجهِى مِن ثِقَلِ القيودِ ، وليس معى أحدٌ يمسِكُنى ، فسلَّمَ اللَّهُ حتى جِئنا دارَ الخلافةِ[5] ، فأُدخِلتُ فى بيتٍ ، وأُغلِق علىَّ ، وليس عندى سِراجٌ ، فأرَدتُ الوُضوءَ فمدَدتُ يدى ، فإذا إناءٌ فيه ماءٌ فتوضَّأتُ منه ، ثم قمتُ أُصلِّى[6] ، ولا أعرِفُ القِبلةَ ، فلمّا أصبَحتُ إذا أنا على القِبلةِ ، وللَّهِ الحمدُ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) بعده فى ب : « عليه من اللَّه ما يستحقه » .

(٣) فى ب ، م : « زاد » .

(٤) حلية الأولياء ١٩٧/٩ - ٢٠٤، ومناقب الإمام أحمد ٤٣٢، ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٤- ٢٦٣، بنحوهم .

(٥) فى ب ، م : « المعتصم » .

(٦) سقط من الأصل ، ب ، م .

قال[1] : ثم دُعِيتُ فأُدخِلتُ على المعتصمِ ، فلمّا نظَر إلىَّ ، وعندَه ابنُ أبى دُوَادٍ قالَ : أليس قد زعَمتُم أنه حدَثُ السنِّ ، وهذا شيخٌ مُكتهِلٌ ؟ فلمّا دنَوتُ منه ، وسلَّمتُ قال لى : ادنُه . فلم يزَلْ يُدنينى حتى قرُبتُ مِنه ، ثم قال : اجلِسْ . فجلَسْتُ وقد أثقَلنى الحديدُ ، فمكَثتُ ساعةً ، ثم قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إلامَ دعَا إليه ابنُ عمِّك رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قالَ : إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلّا اللَّهُ . قلتُ : فإنِّى أشهَدُ أن لا إلَه إلّا اللَّهُ . قالَ : ثم ذكَرتُ له حديثَ ابنِ عبّاسٍ فى وفدِ عبدِ[2] القَيْسِ[3] ، ثم قلتُ : فهذا الذى دعَا إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : ثم تكلَّم ابنُ أبى دُوَادٍ بكلامٍ لم أفهَمْه ، وذلك لأنى لم أتفقَّهْ كلامَه ، ثم قال المعتصمُ : لولا أنّك كنتَ فى يدِ مَن كان قبلى لم [4]أتعرَّضْ إليك[4] ، ثم قال : [٨/٢٠٣و] يا عبدَ الرحمنِ ، ألم آمُرْك أنْ ترفَعَ المِحنةَ ؟ قال أحمدُ : فقلتُ : اللَّهُ أكبرُ ، هذا فرَجٌ للمسلمِين . ثم قال : ناظِروه[5] ، يا عبدَ الرحمنِ ، كلِّمْه . فقال لى عبدُ الرحمنِ : ما تقولُ فى القرآنِ ؟ فلم أُجِبْه ، فقال المعتصِمُ : أَجِبْه . فقلتُ : ما تقولُ فى العلمِ ؟ فسكتَ ، فقلتُ . القرآنُ مِنْ علمِ اللَّهِ ، ومَن زعَم أن علمَ اللَّهِ مخلوقٌ فقد كفَر باللَّهِ . فسكَت ، فقالوا فيما بينهم : يا أميرَ المؤمنين ، [6]كفَّرك وكفَّرنا[6] . فلم يلتفِتْ إلى ذلك ، فقال [7]عبدُ الرحمنِ[7] : كان اللَّهُ ولا قرآنَ ؟ . فقلتُ : كانَ اللَّهُ ولا

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) البخارى (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٥١٠، ٤٣٦٨، ٦١٧٦، ٧٢٦٦، ٧٥٥٦) ، ومسلم (١٧) ، وأبو داود (٤٥١٩) ، وأحمد ١/ ٢٢٨.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « أعرض لك » .

(٥) فى م : « ناظره » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « أكفرك وأكفرنا » .

(٧ - ٧) فى ص : « عبد الله » . وانظر مصادر التخريج .

علمَ ؟ فسكَت . فجعَلوا يتكلَّمون مِن هـٰهنا وهـٰهنا ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، أعطُونى شيئًا مِن كتابِ اللَّهِ ، أو سنَّةِ رسولِ اللَّهِ حتى أقولَ به ، فقال ابنُ أبى دُوَادٍ : وأنتَ لا تقولُ إلّا بهذا وهذا ؟ فقلتُ : وهل يقومُ[1] الإسلامُ إلَّا بهما ؟ .

وجرَتْ بينَهما[2] مناظَراتٌ طويلةٌ ، واحتجُّوا عليه بقولِه : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢] . [3]وعنه فى ذلك أجوبةٌ بِحَدَثِ إنزالِهِ ، أو ذكْرٌ غيرُ القرآنِ مُحْدَثٌ - كما تقدَّم[4] - ورشَّح هذا بقولِه : ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص: ١] - يعنى به القرآنَ - بخلافِ الذكرِ[5] فإنّه غيرُ القرآنِ[3] . وبقولِه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] . وأجابَ بما حاصِلُه أنه عامٌّ مخصوصٌ بقولِه : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] . فقال ابنُ أبى دُوَادٍ : هو واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ضالٌّ مضِلٌّ مبتدِعٌ ، وهؤلاءِ[6] قضاتُك والفقهاءُ فسَلْهم . فقال لهم : ما تقولون فيه ؟ فأجابوا بمثلِ ما قال ابنُ أبى دُوَادٍ ، ثم أحضَروه فى اليومِ الثانى فناظَروه أيضًا ، ثم فى اليومِ الثالثِ [7]فناظَروه أيضًا[7] ، وفى ذلك كلِّه [8]يعلُو صوتُه عليهم ، وتغلِبُ حُجَّتُه حُجَجَهم[8] . قال : فإذا سكَتوا فتَح الكلامَ عليهم ابنُ أبى دُوَادٍ ، وكان مِن [9]أجهلِ النّاسِ[9] بالعلمِ

---

(١) فى الأصل : « يقول » .
(٢) سقط من : م ، وفى الأصل ، ص : « بينهم » .
(٣ - ٣) زيادة من : س ، ص ، ظ . وانظر مصادر التخريج .
(٤) تقدم فى صفحة ٣٨٥، ٣٨٦.
(٥) فى ص : « المنكرة » ، وفى ظ : « النكرة » .
(٦) فى م : « هنا » .
(٧ - ٧) سقط من : ب ، م .
(٨ - ٨) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « يعلو صوته وحجته عليه » .
(٩ - ٩) فى ب ، م : « أجهلهم » .

والكلامِ ، وقد تنوَّعتْ بهمُ المسائلُ فى المجادلةِ ، ولا علمَ لهم بالنَّقْلِ ، فجعَلوا يُنكِرون الآثارَ ، ويرُدُّون الاحتجاجَ بها .

و[1] قال أحمدُ[1] : سمِعتُ مِنهم مقالاتٍ لم أكُنْ أظُنُّ أنّ أحدًا يقولُها ، وقد تكلَّم معى بُرغُوثٌ[2] بكلامٍ طويلٍ ذكَر فيه الجسمَ وغيرَه بما لا فائدةَ فيه ، فقلتُ : لا أدرِى ما تقولُ ، إلّا أنِّى أعلَمُ أنّ اللَّهَ أحدٌ صَمدٌ ، ليسَ كمثلِه شىءٌ ، فسكَت عنِّى .

وقد أورَدتُ لهم حديثَ الرؤيةِ فى الدارِ الآخرةِ ، فحاوَلوا أن يضعِّفوا إسنادَه ، ويلفِّقوا عن بعضِ المحدِّثين كلامًا يتسلَّقون به إلى الطعنِ فيه ، وهيهاتَ ، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [سبأ: ٥٢] . وفىْ غُبُونِ ذلك كلِّه يتلطَّفُ به الخليفةُ ، ويقولُ : يا أحمدُ ، أجِبْنى إلى هذا حتى أجعَلَك مِن خاصَّتى ، ومِمَّن يطَأُ بِساطى . فأقولُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، يأتونى[3] بآيةٍ من كتابِ اللَّهِ ، [٨/٢٠٣ظ] أو سنَّةٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أُجيبَهم إليها .

واحتَجّ أحمدُ عليهم حينَ أنكَروا[4] الاحتجاجَ بالآثارِ[4] بقولِه تعالى ،[1] حكايةً عن إبراهيمَ[1] : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢] . وبقوله : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] . وبقوله :

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « ابن غوث » ، وفى ظ : « بزغوث » . وانظر محنة الإمام أحمد ابن حنبل ص ١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥٤.

(٣) فى الأصل : « يأمرنى » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « الآثار » .

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]. [1] وبقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] [1]. وبقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. [2] إلى غيرِ [2] ذلك مِن الآياتِ. فلمّا لم يقُمْ لهم معه حُجَّةٌ عدَلوا إلى استعمالِ جاهِ الخليفةِ فى ذلك، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، هذا كافرٌ ضالٌّ مضلٌّ. وقال له إسحاقُ بنُ إبراهيمَ نائبُ بغدادَ: يا أميرَ المؤمنين، ليس مِن تدبيرِ الخلافةِ [3] أن تُخلِّىَ سبيلَه، ويغلِبَ خليفتَين، فعندَ ذلك حمِى واشتَدَّ غضبُه، وكان ألينَهم عريكةً، وهو يظُنُّ أنَّهم على شىءٍ. قال أحمدُ: فعندَ ذلك قال لى: لعَنك اللَّهُ، طمِعتُ فيك أن تجيبَنى فلم تجِبْنى. ثم قال: خذُوه واخلَعُوه واسحَبوه.

قال أحمدُ: فأُخِذتُ وسحِبتُ وخُلِعتُ وجِىءَ بالعُقَابيْن [4] والسِّياطِ، وأنا أنظُرُ، وكان معى شَعْرٌ [5] مِن شَعْرِ النبىِّ ﷺ، مَصرورٌ فى ثوبى، فجرَّدونى منه، وصِرْتُ بين العُقَابَين، فقلتُ: يا أميرَ المؤمِنينَ، اللَّهَ اللَّهَ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال [6]: «لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مُسلمٍ يشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ إلّا بإحدى ثلاثٍ ...»، وتلوتُ الحديثَ، وإنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ [7]: «أمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلَه إلا اللَّهُ، فإذا قالوها عصَموا منِّى دماءَهم وأموالَهم».

(١ - ١) سقط من: ب، م، ظ.

(٢ - ٢) فى ب، م: «نحو».

(٣) فى الأصل: «الخليفة».

(٤) فى ب، م: «بالعاقبين». والعقابان: خشبتان يشبح الرجلُ بينهما الجلدَ. اللسان (ع ق ب).

(٥) فى ب، م: «شعرات».

(٦) البخارى (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والنسائى (٤٠٢٧، ٤٠٣١)، وأحمد ١/ ٦١، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ١٦٣، ٣٨٢، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٦٥.

(٧) تقدم فى ٩/ ٤٣٨.

فبِمَ تستحِلُّ دمى ، ولم آتِ شيئًا مِن هذا ؟ يا أميرَ المؤمنين ، اذكُر وقوفَك بين يدَيِ اللَّهِ تعالى كوقوفِى بينَ يدَيك . فكأنَّه أمسَك ، ثم لم يزالُوا يقولون له : يا أميرَ المؤمِنين ، إنّه ضالٌّ مضِلٌّ كافرٌ . فأمَر بى فأُقِمتُ[1] بين العُقابَين ، وجِيءَ بكرسىٍّ فأُقِمتُ عليه ، وأمَرنى بعضُهم أن آخُذَ بيَدَىَّ بأىِّ[2] الخشبتَين فلم أفهَمْ ،فتخَلَّعتْ يدَاى ، وجِيءَ بالضَّرّابين ، ومعهم السِّياطُ فجعَل أحدُهم يضرِبُنى سَوطَين ، ويقولُ له – يعنى المعتصمَ : شُدَّ ، قطَع اللَّهُ يدَك ! ويجىءُ الآخَرُ فيضرِبُنى سَوطَين ثم الآخَرُ كذلك ، فضرَبونى أسواطًا فأُغمِى علىّ ، وذهَب عقلى مِرارًا ، فإذا سكَن الضربُ يعودُ إلىّ[3] عقلى ، وقام المعتصمُ إلىّ يدعُونى إلى قولِهم فلم أُجِبْه ، وجعَلوا يقولون : ويحَك ، الخليفةُ على رأسِك . فلم أقبَلْ ، فأعادوا الضربَ ، ثم عاد إلىَّ فلم أُجِبْه ، فأعادوا الضربَ ، ثم جاء إلىَّ الثالثةَ ، فدعَانِى فلم أعقِلْ ما قالَ مِن شدَّةِ الضربِ ، ثم أعادوا الضربَ فذهبَ عقلِى [٨/٢٠٤و]فلم أُحِسَّ بالضربِ ، وأرعَبَه ذلك من أمرِى ، وأَمَرَ بى فأطلِقتُ ، ولم أشعُرْ إلا وأنا فى حُجرةٍ من بيتٍ ، وقد أُطلِقَتِ الأقيادُ مِن رِجلى ، وكان ذلك فى اليومِ الخامسِ والعشرينَ مِن رمضانَ مِن سنةِ إحدى وعشرينَ ومائتين ، ثم أمَر الخليفةُ بإطلاقِه إلى أهلِه ، وكان جملةُ ما ضُرِبَ نيِّفًا وثلاثين سَوطًا ، وقيل : ثمانين سَوطًا . لكنْ كان ضربًا مُبَرِّحًا شديدًا جِدًّا .

وقد كان الإمامُ أحمدُ رجلًا طُوَالًا رقيقًا أسمرَ اللونِ كثيرَ التواضُعِ ، رحِمه اللَّهُ ،

---

(١) فى س ، م ، ظ : « فقمت » .

(٢) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ ، وفى سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٠ : « ناتئ » . والمثبت موافق لما فى الحلية ٩/ ٢٠٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ – ٢٥٠هـ) ص ١٠٧ .

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « على » .

ورضِى عنه ، وأكرَم مثواه .

ولمّا حُمِل مِن دارِ الخلافةِ إلى دارِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، وهو صائمٌ ، أتَوه بسَوِيقٍ [1]وماءٍ[1] ؛ ليُفطِرَ مِن الضَّعفِ فامتنَع مِن ذلك ، وأتمَّ صومَه ، وحينَ حضَرَتْ صلاةُ الظُّهرِ صلَّى معَهم ، فقال له ابنُ سَمَاعَةَ القاضى[2] : صلَّيتَ فى دَمِك ؟ فقال له أحمدُ : قد صلَّى عمرُ وجرحُه يَثعَبُ دمًا[3] . فسكَتَ .

ويُروَى[4] أنَّه لمّا أُقِيم ليُضرَبَ انقطَعت تِكَّةُ سَراويلِه ، فخَشِى أن يسقُطَ سراويلُه فتنكشِفَ عورتُه ، فحرّك شفتَيه بدُعاءٍ[5] فعاد سراويلُه كما كان . ويُروَى أنه قالَ[6] : يا غيّاثَ المستغيثِين ، يا إلهَ العالَمين ، إنْ كنتَ تعلمُ أنّى قائمٌ لكَ بحقٍّ فلا تَهْتِكْ لِى عَوْرةً .

ولمّا رجَع إلى منزلِه جاءه الجَرّايحِىُّ فقطَع لحمًا ميِّتًا مِن جسَدِه ، وجعَل يداويه ، والنَّائبُ [7]يبعَث كثيرًا[7] فى كلِّ وقتٍ يسأَلُ عنه ، وذلك أنّ المعتصمَ ندِم على ما كان مِنه إلى أحمدَ ندَمًا كثيرًا ، وجعَل يسأَلُ النائبَ عنه ، والنائبُ يستعلِمُ خبرَه ، فلمّا عُوفِى فرِح المعتصمُ والمسلمون بذلك ، ولمّا شفَاهُ اللَّهُ بالعافيةِ بَقِى مدةً ، وإبهاماه يُؤذِيهما البردُ ، وجعَل كلَّ مَن [8]سعَى فى أمرِه[8] فى حِلٍّ إلّا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٠٨، بنحوه .

(٣) موطأ مالك (٥١) .

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٩٥، ١٩٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٥. بنحوهما .

(٥) فى ب ، م : « فدعا لله » .

(٦) محنة الإمام أحمد للمقدسى ص ١٠٩.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٨ - ٨) فى ب ، م : « آذاه » .

أهلَ البدعةِ ، وكان يتلُو فى ذلك قولَه تعالى[1] : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور: ٢٢] . ويقولُ : ماذا ينفَعُك أن يعذَّبَ أخوك المسلمُ [2]فى سبيلِك[2] ؟ وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى : ٤٠] . ويُنادَى[3] يومَ القيامةِ[4] : « ليقُمْ مَن أجرُه على اللَّهِ » . فلا يقومُ إلّا مَن عفَا . وفى صحيحِ مسلمٍ[5] عنْ أبى هريرةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثلاثٌ أقسِمُ عليهن : ما نقَص مالٌ مِن صدَقةٍ ، وما زاد اللَّهُ عبدًا بعفوٍ إلّا عِزًّا ، ومَن تواضَع للَّهِ رفَعَه اللَّهُ » .

وكانَ الذينَ ثبَتوا علَى المحنةِ[6] فلم يُجيبوا بالكلِّيَّةِ أربعةً[7] ؛ أحمدُ بنُ حنبلٍ وهو رئيسُهم ، ومحمدُ بنُ نوحِ بنِ ميمونٍ الجُنْدَيْسَابورِىُّ ، وماتَ فى الطَّريقِ [8]حين ذهَب هو وأحمدُ إلى المأمونِ[8] ، ونُعَيمُ بنُ حمّادٍ الخُزَاعىُّ ، وقد مات فى السِّجْنِ ، وأبو يعقوبَ البُوَيْطىُّ ، وقد ماتَ فى [٨/٢٠٤ظ] سجْنِ الواثقِ على القولِ بخلقِ القرآنِ ، [8]لم يُجبْهم إلى ذلك[8] . وكان مُثْقَلًا بالحديدِ ، [8]وأوصَى أن يُدفَنَ فيها[8] ، [9]وأحمدُ بنُ نَصْرٍ الخُزَاعِىُّ ، وقد ذكَرنا كيفيةَ قتلِه ، رحِمه اللَّهُ ، فى أيامِ الواثقِ[10][9] .

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢٠٤، ومناقب الإمام أحمد ص ٤٦٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٧، ٢٦١.

(٢ - ٢) فى الأصل، ب، س، م، ظ: « بسببك » .

(٣) بعده فى ب، م: « المنادى » .

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٧.

(٥) مسلم (٢٥٨٨) .

(٦) فى ب، م: « الفتنة » .

(٧) كذا بالنسخ: « أربعة » . وقد تقدم ذكر لهم فى صفحة ٢١٢، وهم أحمد بن حنبل، ومحمد ابن نوح، والحسن بن حماد سجادة، وعبيد اللَّه بن عمر القواريرى. والمذكور هنا خمسة، وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٤، و١٠/ ٥٩٥، ١١/ ١٦٦، ١٢/ ٥٨.

(٨ - ٨) سقط من: ب، م.

(٩ - ٩) سقط من: س، ظ.

(١٠) فى ص: « المتوكل »، وبعده فى الأصل: « المتوكل ». وانظر ما تقدم فى صفحة ٣١٥.

ذكرُ ثناءِ الأئمةِ على الإمامِ
أحمدَ بنِ حنبلٍ المعظَّمِ المُبَجَّلِ

قالَ البُخارِيُّ[1] : لمّا ضُرِب أحمدُ بنُ حنبلٍ كنا بالبصرةِ فسمِعتُ أبا الوليدِ الطيالسِيَّ يقولُ : لو كان هذا[2] فى بنى إسرائيلَ لكان أُحدوثةً .

وقال إسماعيلُ بن الخليلِ[3] : لو كانَ أحمدُ بنُ حنبلٍ فى بنى إسرائيلَ لكان عجَبًا[4] .

وقال المُزَنِيُّ[5] : أحمدُ بن حنبلٍ يومَ المحنةِ ، وأبو بكرٍ يومَ الرِّدَّةِ ، وعمرُ يومَ السَّقيفةِ ، وعثمانُ يومَ الدارِ ، وعليٌّ يومَ[6] صِفِّينَ .

وقال حَرْمَلةُ[7] : سَمِعْتُ الشافعيَّ يقولُ : خرجتُ مِن العِراقِ فما [8]خلَّفتُ بها[8] رجُلًا أفضلَ ولا أعلمَ ولا أورعَ ولا أتقَى مِن أحمدَ بنِ حنبلٍ .

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٣١٤، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٩١.

(٢) فى ب ، م : «أحمد» .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٨، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ١٧٩، ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٢، بنحوهم .

(٤) فى ب ، م : «نبيا» .

(٥) مناقب الشافعى للبيهقى ٢/ ٣٥٧، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٠٩، والمناقب لابن الجوزى ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠١.

(٦) بعده فى ب ، م : «الجمل و» .

(٧) مناقب الشافعى ١/ ٥٢٩، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٩، وتاريخ دمشق ٥/ ٢٧٢، والمناقب لابن الجوزى ص ١٤٣، ١٤٤.

(٨ - ٨) فى الأصل : «تركت بها» ، وفى ب ، م : «تركت» .

وقال شيخُه[1] يحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ[2] : ما قدِم عليَّ مِن[3] بغدادَ أحدٌ أحبُّ إليَّ مِن أحمدَ بنِ حنبلٍ .

وقال قتيبةُ[4] : مات سفيانُ الثوريُّ ومات الورعُ ، ومات الشافعيُّ وماتت السُّننُ ، ويموتُ أحمدُ بنُ حنبلٍ وتظهرُ البِدَعُ . و[5]في روايةٍ قال قتيبةُ[6][5] : إنّ أحمدَ بنَ حَنبلٍ قام فى الأمَّةِ مَقامَ النُّبُوَّةِ . قال البيهقيُّ : يعنى فى صبرِه على ما أصابه مِن الأذَى فى ذاتِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال أبو عُمرَ بنُ النَّحّاسِ - وذُكِر أحمدُ يومًا - فقال : رحِمه اللَّهُ[7] [8]فى الدِّينِ ما كان أبصرَه[8] ، وعن الدُّنيا ما كان أصبرَه ، [8]وفى الزهدِ ما كان أخبرُه[8] ، وبالصالحين ما كان ألحقَه ، وبالماضين ما كان أشبهَه ، عُرِضتْ له[9] الدُّنيا فأباها ، والبِدَعُ فنفاها .

وقال بشرُ بنُ الحارثِ الحافِى بعدَ ما ضُرِب أحمدُ بنُ حنبلٍ[10] : أُدخِل أحمدُ الكِيرَ فخرَج ذهَبًا أحمرَ .

---

(١) فى ب ، م : « شيخ أحمد » .

(٢) المناقب لابن الجوزى ص ٩٤، ٩٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٩.

(٣) سقط من : ب ، م .

(٤) مناقب الشافعى ٢/ ٢٥٠، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٧، والمناقب لابن الجوزى ص ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦.

(٥ - ٥) فى ب ، م : « قال » .

(٦) تاريخ دمشق ٥/ ٢٧٧.

(٧) تاريخ دمشق ٥/ ٢٩١ بنحوه .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٩) فى ب ، م : « عليه » .

(١٠) حلية الأولياء ٩/ ١٧٠، والمناقب لابن الجوزى ص ١٥٦، ١٥٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٩٧.

وقالَ الميمونىُّ[1] : قال لى علىُّ بنُ المَدينىِّ بعدَ ما امتُحِن أحمدُ ، و[2]قبلَ أَن يُمتحَنَ : يا ميمونىُّ ، ما قام أحدٌ فى الإسلامِ ما قام أحمدُ بنُ حنبلٍ . فعجِبتُ مِن هذا عجَبًا شديدًا وذهَبتُ إلى أبى عُبَيدِ القاسمِ بنِ سلَّامٍ ، فحكَيتُ له مقالةَ علىِّ بنِ المدينىِّ ، فقال : صدَق ، إنّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ وجَدَ يومَ الردةِ أنصارًا وأعوانًا ، وإنَّ أَحمدَ بنَ حنبلٍ لم [3]يكنْ له أنصارٌ ولا أعوانٌ[3] . ثم أخَذ أبو عُبيدٍ يُطرِى أحمدَ ، ويقولُ : لستُ أعلمُ فى الإسلامِ مثلَه .

وقال إسحاقُ بنُ راهوَيْهِ[4] : أحمدُ بنُ حنبلٍ حُجَّةٌ بينَ اللَّهِ وبينَ عَبيدِه فى أرضِه .

وقال علىُّ بنُ المدينىِّ[5] : إذا ابتلِيتُ بشىءٍ فأفتانى أحمدُ بنُ حنبلٍ لم أبالِ إذا لقِيتُ ربِّى كيف كان . وقال علىٌّ أيضًا[6] : إنِّى اتخذتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ حُجَّةً فيما بينى وبينَ [٨/٢٠٥و] اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ثم قال : ومَن يَقوَى على ما يقوَى عليه أبو عبدِ اللَّهِ ؟

وقال يحيى بنُ معينٍ أيضًا[7] : كان فى أحمدَ بنِ حنبلٍ خِصالٌ ما رأيتُها فى عالِمٍ قَطُّ ، كان محدِّثًا ، وكان حافظًا ، وكان عالمًا ، وكان ورِعًا ، وكان زاهدًا ، وكان عاقلًا .

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٧، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٨، والمناقب لابن الجوزى ص ١٤٨، بنحوه.
(٢) بعده فى م : « قيل » .
(٣ - ٣) فى الأصل، س، ص، ظ : « يجد له أنصارا ولا أعوانا » .
(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٧، والمناقب لابن الجوزى ص ١٥٦.
(٥) تاريخ دمشق ٥/ ٢٧٩.
(٦) تاريخ دمشق ٥/ ٢٧٩، والمناقب لابن الجوزى ص ١٤٦.
(٧) تاريخ دمشق ٥/ ٢٨٠.

وقال يحيى بنُ معينٍ أيضًا[1] : أراد الناسُ منّا أن نكونَ مثلَ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، واللَّهِ ما [2]نقوَى أن نكونَ[2] مثلَ أحمدَ ، ولا [3]نُطِيقُ سلوكَ طريقِه[3] .

وقال [4]محمدُ بنُ يحيى[4] الذُّهْلِيُّ[5] : اتخَذتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ حُجَّةً فيما بينى وبينَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وقال هِلالُ بنُ العلَاءِ[6] الرَّقِّيُّ[7] : مَنَّ اللَّهُ على هذه الأمةِ بأربعةٍ ؛ بالشّافعيِّ فَهِم الأحاديثَ وفسَّرها ، وبيّن المجمَلَ مِن المفسَّرِ ، والخاصَّ مِن العامِّ ، والناسِخَ مِن المنسوخِ ، وبأبى عُبيدٍ [8]عرَّف الغريبَ وفسَّره[8] ، وبيحيى بنِ معينٍ نفَى الكذِبَ عن[9] الأحاديثِ ، وبأحمدَ بنِ حنبلٍ ثبَت فى المحنةِ ، لولا هؤلاءِ الأربعةُ لهلكَ الناسُ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[10] : أحمدُ بنُ حنبلٍ مقدَّمٌ على كلِّ مَن حمَل بيدِه قلَمًا ومِحْبَرَةً ؛ يعنى فى عصرِه .

وقال أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ رجَاءٍ[11] : ما رأيتُ مثلَ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، ولا رأيتُ مَن رأَى مثلَه .

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢٨١، والمناقب لابن الجوزى ص ١٥٤ ، بنحوه .
(٢ - ٢) فى الأصل، س، ظ : « يقوى » .
(٣ - ٣) فى الأصل، س، ص، ظ : « فى طريق أحمد » .
(٤ - ٤) سقط من : ب ، م ، وفى الأصل : « عن » ، وفى ص : « أحمد بن يحيى » .
(٥) تاريخ دمشق ٥/ ٢٩٠، والمناقب لابن الجوزى ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٧.
(٦) فى ب ، م : « المعلى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٤٦.
(٧) مناقب الشافعى ٢/ ٢٧٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤١٠، والمناقب لابن الجوزى ص ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٩، بنحوهم .
(٨ - ٨) فى الأصل : « عرف الغريب » ، وفى ب ، م : « بين غريبها » .
(٩) فى الأصل، س، ص، ظ : « من » .
(١٠) تاريخ دمشق ٥/ ٢٩١.
(١١) المصدر السابق .

وقال أبو زُرْعَةَ الرَّازىُّ[1] : ما أعرِفُ فى أصحابِنا أسودَ الرَّأسِ أفقهَ مِنه .

وروَى البيهقىُّ ، عن الحاكمِ ، عن يَحيى بنِ محمدٍ العَنْبرِىِّ قال[2] : أنشدَنَا أبو عبدِ اللَّهِ البُوشَنْجِىُّ[3] فى أحمدَ بنِ حنبلٍ رحِمه اللَّهُ :

إنّ ابنَ حنبلَ إنْ سألتَ إمامُنا ... وبه الأئمَّةُ فى الأنامِ تمسَّكوا
خلَفَ النبىَّ محمَّدًا بعدَ الأُلى ... كانوا[4] الخلائفَ بعدَهُ واستهلَكُوا
حَذْوَ الشِّراكِ على الشِّراكِ وإنَّما ... يَحْذُو المِثَالَ مثالُهُ المتمسِّكُ[5]

وقد ثبَتَ فى الصحيحِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قالَ[6] : « لا يزالُ طائفةٌ مِن أمَّتى ظاهرين على الحقِّ لا يضُرُّهم مَنْ خذَلهم ولا مَنْ خالَفهم حتى يأتىَ أمرُ اللَّهِ ، وهم كذلك[7] » . [8] قال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ وأحمدُ بنُ حنبلٍ وغيرُهما : هم أهلُ الحديثِ[8] .

وروَى البَيهقىُّ ، عن أبى سعدٍ[9] المالِينىِّ ، عن ابنِ عدىٍّ ، عن أبى القاسم البغوىِّ ، عن أبى الربيعِ الزَّهْرَانىِّ ، عَن حمَّادِ بنِ زيدٍ ، عن بقِيَّةَ بنِ الوليدِ ، عن مُعانِ[10]

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٥.
(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣٢٣.
(٣) فى الأصل ، ب : « البوشندى » ، وفى م : « البوسندى » .
(٤) فى ب ، م : « خلفوا » .
(٥) فى ب ، م : « المستمسك » .
(٦) البخارى (٧٣١١) ، ومسلم (١٠٣٧، ١٩٢٠، ١٩٢٣) .
(٧) فى ب ، م : « على ذلك » .
(٨ - ٨) سقط من : ب ، س ، ظ ، م .
(٩) فى ب ، ظ ، م : « سعيد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٠١.
(١٠) فى النسخ : « معاذ » . والمثبت من مصادر التخريج التالية .

ابنِ رفاعةَ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ العُذْرِيِّ . ح قال البغوِيُّ : وحدَّثنى زيادُ ابنُ أيوبَ ، حدَّثنا مُبَشِّرٌ ، عن مُعانٍ[1] ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ العُذْرِيِّ[2] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يحمِلُ هذا [٨/٢٠٥ظ] العلمَ مِن كُلِّ خلَفٍ عُدولُه ينفُون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المبطِلين ، وتأويلَ الجاهلينَ »[3] . وهذا الحديثُ مُرسَلٌ ، وإسنادُه فيه ضَعْفٌ ، والعجَبُ أنّ ابنَ عبدِ البرِّ صحَّحه ، واحتجَّ به على عدالةِ كلِّ مَن [4]نُسِب إلى[4] حملِ العلمِ ، والإمامُ أحمدُ مِن أئمَّةِ أهلِ العلمِ ، رحِمه اللَّهُ ، وأكرَمَ مثواه .

ذكرُ ما كان مِن أمرِ الإمامِ أحمدَ بعدَ المحنةِ

حينَ أُخرِجَ مِن دارِ الخلافةِ [4]بعدَ الضربِ[4] صار إلى منزلِه فدُووِىَ حتى

---

(١) فى النسخ : « معاذ » . وانظر المصادر التالية .

(٢) بعده فى م : « ح قال البغوى » .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٤٣، ٤٤، والسنن الكبرى ١٠/ ٢٠٩، عن أبى سعد الماليني ، عن ابن عدى ، وهو فى الكامل ١/ ١٥٣، عن البغوى ، ومن طريقه أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد ١/ ٥٩، عن أبى الربيع الزهرانى به .

ومن طريق أبى الربيع أخرجه ابن حبان فى الثقات ٤/ ١٠، والآجرى فى الشريعة (٢) ، وابن عبد البر فى التمهيد ١/ ٥٩، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث (٥٠) ، وابن منده فى الصحابة ، كما فى أسد الغابة ١/ ٥٢.

وأخرجه ابن أبى حاتم فى مقدمة الجرح والتعديل ٢/ ١٧، والدارقطنى ، كما فى مفتاح دار السعادة ص ١٧٨ من طريق مبشر ، بهذا الإسناد .

ورواه إسماعيل بن عياش عن معان به ، أخرجه العقيلى ٤/ ٢٥٦، وابن عدى ١/ ١٥٣، وابن أبى حاتم ٢/ ١٧، وابن عبد البر فى التمهيد ١/ ٥٩، وغيرهم . انظر الإصابة ١/ ٢٢٥. .

وروى عن معان من وجه آخر . انظر الشريعة للآجرى (١) ، ومفتاح دار السعادة ص ١٧٨.

وأخرجه ابن عدى ١/ ١٥٣، والبيهقى فى السنن ١٠/ ٢٠٩، من طريق الوليد بن مسلم ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى ، عن الثقة من أشياخهم .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

بَرِئ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . ولزِمَ منزِلَه فلا يخرُجُ مِنه لا إلى جماعةٍ ولا جُمُعةٍ ، وامْتَنَع مِن التحديثِ ، وكانت غَلَّتُه مِن مِلْكٍ له ؛ فى كلِّ شهرٍ سبعةَ عشَرَ دِرْهمًا يُنفِقُها على عِيالِه ، ويتقَنَّعُ بذلك ، رَحِمه اللَّهُ ، صابرًا محتسِبًا . ولم يزَلْ كذلك مُدَّةَ خلافةِ المعتصِمِ ، وكذلك فى أيامِ ابنِه محمدٍ الواثقِ .

فلمّا وَلِىَ المتوكِّلُ على اللَّهِ (١ جعفرُ بنُ المعتصِمِ ١) استبشَر الناسُ بولايتِه ، فإنَّه كان مُحِبًّا للسنَّةِ وأهلِها ، ورفَع المحنةَ عن الناسِ ، وكتَب إلى الآفاقِ أن لا يتكلَّمَ أحدٌ فى القولِ بخَلْقِ القرآنِ ، ثم كتَب إلى نائِبِه ببغدادَ - وهو إسحاقُ بنُ إبراهيمَ - أن يبعَثَ بأحمدَ بنِ حنبلٍ إليه ، فاستَدْعَى إسحاقُ بالإمامِ أحمدَ إليه ، فأكرمه إسحاقُ وعظَّمه ؛ لِمَا يعلَمُ مِن إعظامِ الخليفةِ له وإجلالِه إيَّاه ، وسأَله فيما بينَه وبينَه عن القرآنِ ، فقال له الإمامُ أحمدُ (٢) : سؤالُ تعَنُّتٍ أو استرشادٍ ؟ فقال : بل سؤالُ استرشادٍ . فقال : هو كلامُ اللَّهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ . فسكَن إلى قولِه فى ذلك ، ثم جهَّزه إلى الخليفةِ بسُرَّ مَن رَأَى ، ثم سبَقه إليه .

وبلَغه أن أحمدَ بنَ حنبلٍ اجتاز بابنِه محمدِ بنِ إسحاقَ فلم يأْتِه ولم يُسَلِّمْ عليه ، فغضِب إسحاقُ بنُ إبراهيمَ مِن ذلك وشكاه إلى الخليفةِ ، فقال المتوكِّلُ (٣) : يُرَدُّ وإن كان قد وَطِئ بِساطِى . فرجَع الإمامُ أحمدُ مِن الطريقِ إلى بغدادَ ، وقد كان الإمامُ أحمدُ (٤ متكَرِّهًا لذلك ٤) ، ولكنْ لم يَهُنْ ذلك على كثيرٍ مِن الناسِ ،

(١ - ١) فى ب ، م : « الخلافة » .

(٢) بعده فى ب ، م : « سؤالك هذا » . وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٨٥ ، ومحنة الإمام أحمد ص ١٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٦ .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « كارهًا لمجيئه إليهم » .

وإنَّما كان رجوعُه عن قولِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الذى كان هو السببَ فى ضربِه .

ثم إنَّ رجلًا مِن المبتدِعَةِ يقالُ له : ابنُ الثَّلْجِىِّ[1] . وَشَى إلى الخليفةِ شيئًا ، فقال[2] : إنَّ رجلًا مِن العَلَوِيِّينَ قد ضَوَى[3] إلى منزلِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وهو يُبايِعُ له الناسَ فى الباطنِ . فأمَر الخليفةُ نائبَ بغدادَ أن يَكبِسَ منزلَ الإمامِ أحمدَ مِن الليلِ . فلم يشعُروا إلَّا بالمشاعِلِ قد أحاطَتْ بالدارِ مِن كلِّ [٢٠٦/٨و] جانبٍ ، حتى مِن فوقِ الأسطِحةِ ، فوجَدوا الإمامَ أحمدَ جالِسًا فى دارِه مع عِيالِه ، فسألوه عمّا ذُكِرَ عنه ، فقال : ليس عندِى مِن هذا عِلمٌ ، وليس مِن هذا شىءٌ [4]ولا هذا مِن نيَّتى[4] ، وإنِّى لأرَى طاعةَ أميرِ المؤْمنينَ فى السرِّ والعلانيةِ ، وفى عُسْرِى ويُسرِى ، ومَنْشَطِى ومَكْرَهِى ، وأثرَةٍ علىَّ ، وإنِّى لأدعُو اللَّهَ له بالتسْديدِ والتوفيقِ فى الليلِ والنهارِ . فى كلامٍ كثيرٍ ، قال : ففتَّشوا منزلَه حتى مكانَ الكُتُبِ وبُيوتَ النساءِ والأسْطِحَةَ وغيرَها فلم يرَوا شيئًا . فلمّا بلَغ المتوكِّلَ ذلك وعَلِم براءتَه ممّا نُسِبَ إليه ؛ عَلِم أنَّهم يكذِبونَ عليه كثيرًا ، فبعَث إليه يعقوبَ بنَ إبراهيمَ المعروفَ بقَوْصَرَّةَ - وهو أحدُ الحجَبَةِ - بعشَرَةِ آلافِ درهمٍ مِن الخليفةِ ، وقال[5] : هو يَقرأُ عليك السلامَ ويقولُ لك : استَنْفِقْ هذه . فامتنَع مِن قَبولِها ، فقال : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، إنِّى أخشَى مِن ردِّك إيّاها أن يقَعَ وحْشةٌ بينَك وبينَه ، والمصلحةُ لك قَبولُها . فوضَعها عندَه ثم ذهَب ، فلمّا كان مِن آخرِ الليلِ استَدْعَى الإمامُ أحمدُ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م : « البلخى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٧.

(٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « وهو أنه يزعم » ، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٨٦، ومحنة الإمام أحمد ص ١٧٦، وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٦.

(٣) فى ب ، م : « أوى » .

(٤ - ٤) زيادة من : ب ، م .

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٩٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٧.

أهلَه وبَنِى عمِّه وعِيالَه ، وقال : لم أَنَمْ هذه الليلةَ [1]مِن هذا المالِ[1] . فجلَسوا معه ، وكتَبوا أسماءَ جماعةٍ مِن المحتاجينَ مِن أهلِ الحديثِ ، وغيرِهم مِن أهلِ بغدادَ والبصرةِ ، ثم أصبَح ففرَّقها فى الناسِ ما بينَ الخمسينَ إلى المائةِ والمائتينِ ، ولم يُبْقِ منها دِرهمًا ، وأعطَى منها لأبى كُرَيْبٍ[2] ؛ وأبى سعيدٍ الأشَجِّ ، وتصدَّق بالكِيسِ الذى كانتْ فيه ، ولم يُعطِ منها لأهلِه شيئًا ، وهم فى غايةِ الفقرِ والحاجةِ[3] ، وجاءَ بُنَىٌّ ابنِه فقال : أعطِنى درهمًا . فنظَرَ أحمدُ إلى ابنِه صالحٍ ، فتَناوَل صالحٌ قطعةً فأعطاها الصبِىَّ ، فسكَت أحمدُ ، رَحِمه اللَّهُ .

وبلَغ الخليفةَ أنَّه قد تصدَّقَ بالجائزةِ كلِّها حتى [4]لم يُبقِ مِنها شيئًا ، وأنَّه تصدَّق بكيسِها[4] ، فقال علىُّ بنُ الجَهمِ[5] : يا أميرَ المؤْمنينَ ، إنَّه قد قبِلَها مِنك وتصدَّق بها عنك ، وما يصنَعُ أحمدُ بالمالِ ؟ إنَّما يكفِيه رغيفٌ . فقال : صدَقْتَ .

فلمّا مات إسحاقُ بنُ إبراهيمَ وابنُه محمدٌ ، ولم يكُنْ بينَهما إلّا القريبُ ، وتولَّى نيابةَ بغدادَ عبدُ اللَّهِ بنُ إسحاقَ ، كتَب المتوكِّلُ إليه ، أن يحمِلَ إليه الإمامَ أحمدَ ، فقال لأحمدَ فى ذلك . فقال[6] : إنِّى شيخٌ كبيرٌ وضعيفٌ . فردَّ الجوابَ على الخليفةِ بذلك ، فأرسَل يعْزِمُ عليه لتأْتِيَنِّى ، وكتَب إلى أحمدَ يقولُ له : إنِّى أُحِبُّ أن آنَسَ بقُرْبِك [7]وبالنظَرِ إليك[7] ، ويحصُلَ لى بركةُ دُعائِك . فسار إليه

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « أيوب » . وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٨.

(٣) فى ب ، م : « الجهد » ، وفى س : « الحمالة » ، وفى ظ : « الجمالة » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « كيسها » .

(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٣.

(٦) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٩٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٩، بنحوه .

(٧ - ٧) زيادة من : ب ، م .

الإمامُ أحمدُ - وهو [٨/٢٠٦ظ] عليلٌ - فى بنيهِ وبعضِ أهلِه ، فلمّا قاربَ العسْكرَ تلقَّاه وَصِيفٌ الخادمُ فى موكبٍ عظيمٍ ، فسَّلم وصيفٌ على الإمامِ أحمدَ ، فرَدَّ السلامَ ، ثم قالَ له وَصيفٌ : قد أمكنَكَ اللَّهُ مِن عدوِّك ابنِ أبى دُوَادٍ . فلم يَرُدَّ عليه جوابًا ، وجعَل ابنُه يدعُو اللَّهَ للخليفةِ ولوَصِيفٍ . فلمّا وصَلوا إلى العسْكَرِ بسُرَّ مَن رأَى ، أُنزِلَ أحمدُ فى دارِ إيتاخَ ، فلمّا عَلِمَ بذلك ارتَحَل مِنها ، وأمَر أن يُسْتَكْرَى له دارٌ غيرُها .

وكان رءُوسُ الأمراءِ فى كلِّ يومٍ يحضُرونَ عندَه ، ويبلِّغُونَه عن الخليفةِ السلامَ، ولا يدخُلونَ عليهِ حتى يخلَعوا ما عليهم مِن الزينةِ والسلاحِ ، وبعَث إليه الخليفةُ بالمفارِشِ الوطيئَةِ وغيرِها مِن الآلاتِ التى تليقُ بتلك الدارِ العظيمةِ .

وأرادَ مِنه الخليفةُ أن يُقِيمَ هناك ليُحدِّثَ الناسَ عِوَضًا عما فاتَهم منه فى أيامِ المحنَةِ وما بعدَها مِن السنينَ الماضيةِ المتطاوِلةِ ، (١)وهو محجوبٌ فى دارِه ، لا يخرُجُ إلى جماعةٍ ولا إلى جُمُعةٍ أيضًا(١) ، فاعتَذَرَ إليهم بأنَّه عليلٌ وأسنانُه تتحَرَّكُ وهو ضعيفٌ . وكان الخليفةُ يبعَثُ إليه فى كلِّ يومٍ مائدةً فيها ألوانُ الأطعمَةِ والفاكهةِ والثلْجُ ، ما يقاوِمُ مائةً وعشرينَ درهمًا فى كلِّ يومٍ ، والخليفةُ يَحْسَبُ أنَّه يأكُلُ مِن ذلك ، ولم يكُنْ أحمدُ(٢) يطعَمُ شيئًا من ذلك بالكُليَّةِ ، بل كان صائمًا يَطْوِى ، فمكَث ثمانيةَ(٣) أيَّامٍ لم يستَطْعِمْ بطعامٍ ، ومع ذلك هو عليلٌ ، ثم أقسَمَ

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى الأصل : « أحد » .

(٣) فى س ، م ، ص : « ثلاثة » . وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٩٥. وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٠.

عليه ولدُه حتى شرِبَ قليلًا مِن السَّوِيقِ بعد ثمانيةِ أيامٍ . وجاءَه [(١)] عبيدُ اللَّهِ [(١)] بنُ يحيى بنِ خاقانَ بمالٍ جزيلٍ مِن الخليفةِ ؛ جائزةً له ، فامتنَعَ مِن قَبولِها ، فألحَّ عليه الأميرُ فلم يقبَلْ ، فأخَذها الأميرُ ففرَّقها على بنيهِ وأهلِه ، وقال : إنَّه لا يمكِنُ [(٢)] أن تُرَدَّ على الخليفةِ جائزتُه [(٢)] . وكتَب الخليفةُ لأهلِه وأولادِه فى كلِّ شهرٍ بأربعةِ آلافِ درهمٍ [(٣)] ، فمانَعَ أبو عبدِ اللَّهِ [(٤)] فى ذلك [(٤)] ، فقال الخليفةُ : لابدَّ مِن ذلك ، وما هذا إلّا لولدِك . فأمْسَك أبو عبدِ اللَّهِ [(٥)] عن ممانعتِه [(٥)] ، ثم أخَذ يلُومُ أهلَه وعمَّه [(٦)] وبَنى عمِّه [(٦)] ، وقال لهم : إنَّما بَقِى لنا أيامٌ قلائِلُ ، وكأنَّنا وقد نزَلَ بنا الموتُ [(٧)] ، فإمّا إلى جنةٍ ، وإمّا إلى نارٍ ، [(٥)] فنخرُجُ مِن الدُّنيا وبطونُنا قد أخَذَتْ مِن مالِ هؤلاءِ [(٥)] . فى كلامٍ طويلٍ يعِظُهم به . فاحتَجّوا عليه بالحديثِ الصحيحِ [(٨)] : « ما جاءَك [(٩)] مِن هذا المالِ [(١٠)] وأنتَ [(١٠)] غيرُ سائلٍ ولا مُستَشْرِفٍ فخُذْه [(١١)] » . وبأنَّ ابنَ عمرَ وابنَ عباسٍ قَبِلا جوائزَ السلطانِ . فقال : ما [(١٢)] هذا وذاك سواءٌ ،

(١ - ١) فى س ، ص : « عبد اللَّه » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « ردها على الخليفة » .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « الخليفة » .

(٥ - ٥) زيادة من : ب ، م .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

(٧) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٨) البخارى (٧١٦٤) ، ومسلم (١١٠، ١١١/ ١٠٤٥) ، والنسائى (٢٦٠٧) من طريق سالم ابن عبد اللَّه بن عمر ، عن عمر بن الخطاب به ، والبخارى (٧١٦٣) ، ومسلم (٠٠٠/١٠٤٥) ، والنسائى (٢٦٠٥، ٢٦٠٦) من طريق عبد اللَّه بن السعدى عن عمر بن الخطاب به .

(٩) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « جاءه » .

(١٠ - ١٠) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « شىء وهو » .

(١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « فليقبله » .

(١٢) فى ب ، م : « وما » ، وفى ص : « ولى فى » .

ولو أعلَمُ أنَّ [٢٠٧/٨و] هذا المالَ أُخِذَ مِن حقِّه ، وليس (١فيه ظلمٌ١) ولا جَوْرٌ لم أُبالِ .

ولمّا استمرَّ ضعْفُ أبى عبدِ اللَّهِ جعَل المتوكِّلُ يبعَثُ إليه بابنِ ماسَوَيْهِ المتطَبِّبِ لينظُرَ فى مرضِه ، فرجَع إليه فقال[٢] : يا أميرَ المؤْمنينَ ، إن أحمدَ بنَ حنبلٍ ليس به عِلَّةٌ فى بدنِه ، وإنَّما عِلَّتُه مِن قلةِ الطعامِ وكثرةِ الصيامِ والعبادةِ . فسكَت المتوكِّلُ ، ثم سألتْ أمُّ الخليفةِ منه أن تَرَى الإمامَ أحمدَ[٢] ، فبعَث المتوكِّلُ إليه يسأَلُه أن يجتَمِعَ بابنِه المعتزِّ ويدعوَ له ، ويكونَ فى حِجْرِه . فتمَنَّعَ مِن ذلك ، ثم أجاب إليه ؛ رجاءَ أن يُعَجِّلَ برجوعِه إلى أهلِه ببغدادَ . وبعَث الخليفةُ إليه بخِلْعَةٍ سَنِيَّةٍ ومَرْكُوبٍ مِن مراكيبِه ، فامتنَع مِن رُكوبِه ؛ لأنَّه عليه مِيثَرَةُ نمورٍ ، فجِىءَ ببَغْلٍ لبعضِ التُّجارِ فركِبه ، وجاءَ إلى مجلسِ المعتزِّ ، وقد جلَس الخليفةُ وأمُّه فى ناحيةٍ فى ذلك المجلسِ ، مِن وراءِ سِتْرٍ رَقيقٍ . فلمّا جاء أحمدُ قال : السلامُ عليكم . وجلَس ولم يُسَلِّمْ عليه بالإمْرَةِ ، فقالتْ أمُّ الخليفةِ : اللَّهَ اللَّهَ يا بُنىَّ فى هذا الرجلِ ! تَرُدُّه إلى أهلِه ، فإنَّ هذا ليس مِمَّن يريدُ ما أنتم فيه . وحينَ رأَى المتوكِّلُ أحمدَ قال لأمِّه : يا أُمَّه ، قد أنارَتِ[٣] الدارُ .

وجاء الخادمُ ومعه خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ مبطَّنةٌ وثوبٌ وقَلَنْسُوةٌ وطيلسانٌ ، فألبَسها الإمامَ أحمدَ بيدِه ، وأحمدُ لا يتحَرَّكُ بالكُلِّيةِ . قال الإمامُ أحمدُ : لمّا جلَستُ إلى

(١ - ١) فى ب ، م : « بظلم » .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧١.
(٣) فى الأصل : « باوست » ، وفى ب ، م : « تأنست » .

المعتزّ قال مؤدِّبُه : أصلَح اللَّهُ الأميرَ ، هذا الذى أمَر الخليفةُ أن يكونَ مؤدِّبَك . فقال : إنْ علَّمنى[1] شيئًا تعلَّمتُه . قال أحمدُ : فعجِبْتُ مِن ذَكائِه فى صِغَرِه ؛ [2]لأنَّه كان صغيرًا جدًّا[2] . ثم خرَج أحمدُ عنهم وهو يستغفِرُ اللَّهَ ، [2]ويستَعيذُ باللَّهِ مِن مقتِه وغضَبِهِ[2] .

ثم بعدَ أيامٍ أَذِن له الخليفةُ بالانصرافِ ، وهيَّأ له حَرّاقةً[3] فلم يقبَلْ[4] أن ينحَدِرَ فيها ، بل رَكِب فى زَورَقٍ فدخَل بغدادَ مُختَفِيًا ، وأمَر أن تُباعَ تلك الخِلْعةُ ، وأن يُتصدَّقَ بثمَنِها على الفقراءِ والمساكينِ . وجعَل أيّامًا يتألَّمُ مِن اجتماعِه بهم ويقولُ : سلِمتُ منهم طُولَ عُمْرِى ثم ابتُلِيتُ بهم فى آخرِه . [5]وكان قد جاعَ عندَهم جُوعًا عظيمًا كثيرًا حتى[5] كادَ يهلِكُ مِن الجوعِ . وقد قال بعضُ الأمراءِ للمتوكِّلِ [6]على اللَّهِ الخليفة[7] : يا أميرَ المؤْمنينَ[6] ،إنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ لا يأْكلُ لك طعامًا ، ولا يشرَبُ لك شرابًا ، ولا يجلِسُ على فُرُشِك ، ويحرِّمُ ما تشرَبُه . فقال لهم : واللَّهِ لو نُشِرَ المعتصمُ ، وكلَّمَنى فى أحمدَ ما قَبِلْتُ منه . وجعَلتْ رُسُلُ الخليفةِ تَفِدُ إليه فى كلِّ يومٍ ؛ تستَعْلِمُ أخبارَه وكيفَ حالُه . وجعَل يستَفْتِيه فى أموالِ ابنِ أبى دُوادٍ فلا يُجِيبُ بشىءٍ . ثم إنَّ المتوكِّلَ أخرَج[8] ابنَ أبى دُوَادٍ مِن سُرَّ مَن رَأَى إلى بغدادَ بعدَ أن أشهَد [٨/٢٠٧ظ] عليه نفسَه ببيعِ

---

(١) فى ص : « علمنى اللَّه » . وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٢.

(٢ - ٢) زيادة من : ب ، م .

(٣) فى م : « حزاقة » .

(٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « يفعل » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

(٧) محنة الإمام أحمد ص ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٧.

(٨) فى الأصل ، س ، ظ : « أحدر » ، وفى ص : « أحضر » .

ضِياعِه وأملاكِه وأخذِ أموالِه كلِّها .

قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[1] : وحينَ رجَع أبى مِن سَامَرّا إلى بغدادَ وجَدنا عينيه قد دَخَلَتا فى مُوقَيْه ، وما رجَعتْ إليه نفسُه إلّا بعدَ ستَّةِ أشهُرٍ . وامتنَع أن يدخُلَ بيتَ قرابتِه ، أو يدخُلَ بيتًا هم فيه ، أو ينتفِعَ بشىءٍ ممّا هم فيه ؛ لأجلِ قَبولِهم أموالَ السلطانِ .

وكان مسيرُ أحمدَ إلى المتوكِّلِ فى سنةِ سبعٍ وثلاثينَ ومائتينِ ، ثم مكَث إلى سنةِ وفاتِه ، قلَّ[2] يومٌ إلّا ورسالةُ[3] المتوكِّلِ تفِدُ إليه فى أمورٍ يُشاوِرُه فيها ، ويستشيرُه [4] فى أشياءَ تقَعُ له[4] .

ولمّا قدِمَ المتوكِّلُ بغدادَ بعَث إليه ابنَ خاقانَ ومعه ألفُ دِينارٍ ؛ ليفرِّقَها على مَن يَرَى ، فامتنَع مِن قَبولِها [4]وتفرِقَتِها[4] ، وقال[5] : إن أميرَ المؤمنينَ قد أعفانى مما أكْرَه فردَّها .

وكتَب رجلٌ رُقْعَةً إلى المتوكِّلِ يقولُ فيها : يا أميرَ المؤْمنينَ ، إنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ يشتُمُ آباءَك ويرمِيهم بالزَّندقَةِ . فكتَب فيها المتوكِّلُ : أمَّا المأمونُ فإنَّه خلَط فسلَّط الناسَ على نفسِه ، وأمّا أبى المعتصمُ فإنّه كان رجُلَ حَرْبٍ ، ولم يكُنْ له بَصَرٌ بالكلامِ ، وأمَّا أخى الواثقُ فإنَّه استحَقَّ ما قيلَ فيه . ثم أمَر أن يُضرَبَ هذا

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٧٩، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٥٠٢.

(٢) فى م : « وكل » ، وفى ص : « دل » .

(٣) فى الأصل : « سأله » ، وفى ب ، م : « يسأل عنه » .

(٤ - ٤) زيادة من : ب ، م .

(٥) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٧٩، ٢٨٠.

الرجلُ الذى رفَع إليه الرقعةَ مائتى سَوْطٍ ، فأخَذه عبدُ اللَّهِ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ فضرَبه خمسَمائةِ سَوْطٍ ، فقال له الخليفةُ : لِمَ ضربتَه خمسَمائةِ سَوْطٍ ؟ فقال : مائتَيْنِ لطاعتِك ومائتينِ لطاعةِ اللَّهِ ورسولِه ، ومائةً لكَوْنِه قذَفَ هذا الشيخَ ؛ الرجُلَ الصالحَ أحمدَ بنَ حنبلٍ .

وقد كتَب الخليفةُ إلى الإمامِ أحمدَ يسألُه عن القولِ فى القرآنِ ؛ سؤالَ استِرْشادٍ واستفادةٍ لا سؤالَ تَعنُّتٍ ولا امتحانٍ ولا عِنادٍ[1] ، فكتَب إليه أحمدُ ، رَحِمه اللَّهُ ، رسالةً حَسَنةً ، فيها آثارٌ عن الصحابةِ وغيرِهم ، وأحاديثُ مرفوعةٌ ، وقد أورَدها ابنُه صالحٌ فى المحنةِ التى ساقَها ، وهى مرويَّةٌ عنه ، وقد نقلَها غيرُ واحدٍ مِن الحفّاظِ .

ذكرُ[2] وفاةِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، رحِمه اللَّهُ

قال ابنُه صالحٌ[3] : كان مرضُه فى أولِ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ مِن سنةِ إحْدى وأربعينَ ومائتينِ ، ودخَلتُ عليه يومَ الأربعاءِ ثانىَ ربيعٍ الأولِ ، وهو محمومٌ يتنفَّسُ الصَّعداءَ وهو ضعيفٌ ، فقلتُ : يا أبتِ ما كان غَداؤُك ؟ فقال : ماءُ الباقِلَّا . ثم[4] ذكَر كثرةَ مجيءِ الناسِ مِن الأكابرِ وعمومِ الناسِ لعِيادتِه ، وكثرةَ

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢١٦، محنة الإمام أحمد ص ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٨١.

(٢) سقط من : م .

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ٥٤٠، ٥٤١، ومحنة الإمام أحمد ص ٢٠٩، ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٤) بعده فى ب ، م : «إن صالحا» .

جزَعِ[1] الناسِ عليهِ ، وكان معه خُرَيقةٌ فيها قُطَيْعاتٌ يُنفِقُ على نفسِه مِنها ، وقد أمَر ولدَه عبدَ اللَّهِ أن يطالبَ سكانَ مِلكِه وأن يُكفِّرَ عنه كفّارةَ يمينٍ ، فأخَذ [٨/ ٢٠٨و] شيئًا مِن الأجرةِ فاشترَى تمرًا وكفَّر عن أبيه ، وفَضَل مِنْ ذلك ثلاثةُ دراهمَ . وكتَب الإمامُ أحمدُ وصيتَه[2] :

(بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا ما أوصَى به أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ ، أوصَى أنه يشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرسَلَه بالهدى ودين الحقِّ ليُظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كرِه المشركونَ . وأوصى مَنْ أطاعه مِنْ أهلِه وقرابتِه أن يعبُدوا اللَّهَ فى العابدينَ ، وأن يحمَدوه فى الحامدين ، وأن ينصَحوا لجماعةِ المسلمينَ ، وأُوصِى أنّى قد رضِيتُ باللَّهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمدٍ نبيًّا ، وأُوصِى أنَّ[3] لعبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ المعروفِ بفُورانَ[4] علىَّ نحوًا مِنْ خمسينَ دينارًا ، وهو مصدَّقٌ [5] فيما قال[5] فيُقضَى ما له علىَّ مِنْ غَلَّةِ الدارِ ، إن شاء اللَّهُ ، فإذا استوفِى أُعطِى ولدُ صالحٍ كلُّ ذكرٍ وأنثى عشَرَةَ دراهمَ .

ثم استَدْعى بالصبيانِ مِن ورثتِه فجعَل يدْعُو لهم ، وكان قد وُلِد له صبىٌّ قبلَ موتِه بخمسينَ يومًا فسمّاه سعيدًا ، وكان له ولدٌ آخرُ اسمُه محمدٌ قد مشَى حينَ مَرِض [6] الإمامُ أحمدُ[6] ، فدعاه فالتزَمَه وقبَّله ، ثم قال : ما كنتُ أصنَعُ بالولدِ على

---

(١) فى الأصل : « خرح » ، وفى ب ، م : « حرج » .
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢١٢، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٢٦، والمناقب لابن الجوزى ص ٥٠٠.
(٣) سقط من : ب ، م .
(٤) فى الأصل ، ب ، م ، والحلية : « بيوران » . وانظر نزهة الألباب ٢/ ٧٥.
(٥ - ٥) فى الأصل : « فيها قال » . وفى ب ، م : « فيها » .
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

كِبَرِ السنِّ ؟ فقيل له : ذريةٌ تكونُ بعدَك يدعونَ لك . قال : وذاك[1] . وجعَل يحمَدُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ . وقد بلَغه فى مرضِه عن طاووسٍ أنه كان [2] كرِه الأنينَ فى المرَضِ[2] ، فترَك الأنينَ فلم يئِنَّ حتى كانتِ الليلةُ التى تُوُفِّى فى صبيحتِها[3] ، وكانت ليلةَ الجُمُعةِ الثانىَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، فأَنَّ حينَ اشتَد عليه الوجَعُ . وقد رُوِى عن ابنِه عبدِ اللَّهِ[4] ، ويُرْوَى عَن صالحٍ ، [5]وقد يكونُ عن كلٍّ مِنهما[5] أنه قال : لمَّا[6] احتُضِر أبى ، رحِمه اللَّهُ ، جعَل يكثِرُ أنْ يقوُلَ : لا بعدُ ، لا بعدُ ، فقلت : يا أبتِ ، ما هذه اللفظةُ التى لهِجتَ[7] بها فى هذه الساعةِ ؟ فقال : يا بُنىَّ ، إن إبليسَ واقفٌ فى زاويةِ البيتِ وهو عاضٌّ على أُصْبُعِه وهو يقولُ : فُتَّنى يا أحمدُ ؟ فأقولُ : لا بعدُ لا بعدُ . يعنى أنَّه[8] لا يفوتُه حتى تخرُجَ رُوحُه[9] مِن جسدِه على التوحيدِ ، كما جاء فى بعضِ الأحاديثِ[10] ، قال إبليسُ : يا ربِّ ، وعزَّتِك وجلالك ما أزالُ أُغوِيهم ما دامتْ أرواحُهم فى أجسادِهم . فقال : وعزَّتِى وجلالِى ولا أزالُ أغفِرُ لهم ما استغفرونى .

---

(١) بعده فى ب ، م : «إن حصل» .

(٢ - ٢) فى ب ، م : «يكره أنين المريض» .

(٣) بعده فى ب ، م : «أن» . وانظر الحلية ٩/ ١٨٣، والمناقب لابن الجوزى ص ٥٤٦.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٨٣، والمناقب لابن الجوزى ص ٥٤٧، وقال فى سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٤١: فهذه حكاية غريبة تفرد بها ابن علم .

(٥ - ٥) فى ب ، م : «أيضا» .

(٦) فى ب ، م : «حين» .

(٧) فى ب ، م : «تلهج» .

(٨) سقط من : ب ، م .

(٩) فى ب ، م : «نفسه» .

(١٠) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٢٩، ٧٦، وقال الشيخ شعيب : حديث حسن (١١٢٣٧، ١١٢٤٤) كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٢٦١.

وأحسَنُ ما كان مِن أمرِه أنه أشَار إلى أهلِه أن يوضِّئوه فجعَلوا يوضِّئونه وهو يشيرُ إليهم أن خلِّلوا أصابعى ، وهو يذكرُ اللَّهَ فى جميعِ ذلك ، فلما أكمَلوا الوضوءَ توُفِّى رحِمه اللَّهُ [٨/٢٠٨ظ] ورضِى عنه .

وقد كانتْ (١ وفاةُ الإمامِ أحمدَ ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه ، صبيحةَ ١) يومِ الجمعةِ حينَ مضَى نحوٌ مِن ساعتينِ (١ مِن النهارِ ١) ، فاجتَمَع الناسُ فى الشوارعِ ، وبعَث محمدُ بنُ (١ عبدِ اللَّهِ بنِ ١) طاهرٍ حاجبَه ومعه غِلمانٌ يحمِلون(٢) مناديلَ فيها أكفانٌ ، وأرسَل يقولُ : هذا نيابةٌ عن الخليفةِ ، فإنه لو كان حاضرًا لبَعث بهذا . فأرسَل أولادُه يقولونَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ كان قد أعفاه فى حياتِه مِمّا يكرَهُ ، (١ وهذا ممَّا يكرَهُ ١) ، وأبَوا أن يكفِّنوه فى تلك الأثوابِ(٣) ، وأتَوا بثوبٍ كان قد غزَلَتْه جاريتُه ، فكفَّنوه فيه ، واشترَوا معه عَوَزَ لِفافةٍ وحَنوطًا ، واشترَوا له راويةَ ماءٍ ، وامتنَعوا أن يغسِّلوه بماءٍ مِن بيوتِهم ؛ لأنه كان قد هجَر بيوتَهم فلا يأكُلُ منها ولا يستعيرُ من أمتعتِهم شيئًا ، وكان لا يزالُ متغضِّبًا عليهم ؛ لأنهم كانوا يتناوَلونَ ما رُتِّب لهم على بيتِ المالِ ، وهو فى كلِّ شهرٍ أربعةُ آلافِ درهمٍ ، (٤ وكانوا عالةً ٤) فقراءَ . وحضَر غُسْلَه نحوٌ مِن مَائةٍ مِن بيتِ الخلافةِ مِن بنى هاشمٍ ، فجعَلوا يقبِّلونَ بين عينيهِ ، ويدعُونَ له ، ويترحَّمون عليه . وخرَج الناسُ بنَعشِه والخلائقُ حولَه مِن الرجالِ والنساءِ ما لا يعلَمُ عددَهم إلا اللَّهُ ، ونائبُ البلدِ محمدُ بنُ

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « ومعهم » .

(٣) فى ب ، م : « الأكفان » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « وكان لهم عيال كثيرة » .

عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ واقفٌ فى[1] الناسِ ، فتقدَّم خُطُواتٍ[2] فعزَّى أولادَ الإمامِ أحمدَ فيه ، وكان هو الذى أمَّ الناسَ فى الصلاةِ عليه ، وقد أعاد جماعةٌ [3]مِن الناسِ[3] الصلاةَ[4] على القبرِ بعد الدفنِ مِن أجلِ ذلك ، ولم يستقرَّ فى قبرِه ، رحِمه اللَّهُ ، إلّا بعدَ صلاةِ العصرِ وذلك لكثرةِ الخلقِ .

وقد روَى البيهقىُّ وغيرُ واحدٍ[5] أن الأميرَ محمدَ بنَ [3]عبدِ اللَّهِ بنِ[3] طاهرٍ أمَر بحَزْرِ الناسِ ، فوُجِدوا ألفَ ألفٍ وثلاثَمائةِ ألفٍ ، وفى روايةٍ : وسبعَمائةِ ألفٍ سِوى مَن كان فى السُّفنِ . [3]وأقلُّ ما قيل : سبعَمائةِ ألفٍ[3] .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[6] : سمِعتُ أبا زُرعةَ يقولُ : بلَغنى أن المتوكِّلَ أمَر أن يُمْسَحَ الموضِعُ الذى وقَف الناسُ عليه[7] حيثُ صُلِّىَ على أحمدَ بنِ حنبلٍ ، فبلَغ مَقامَ[8] ألفَى ألفٍ وخمسِمائةِ ألفٍ .

قال [3]الحافظُ أبو بكرٍ[3] البيهقىُّ ، عن الحاكمِ : سمِعت أبا بكرٍ أحمدَ بنَ كاملٍ القاضِى يقولُ : سمِعتُ محمدَ بنَ يحيى الزَّنْجَانىَّ ، سمِعتُ عبدَ الوهابِ

---

(١) بعده فى ب ، م : « جملة » .
(٢) سقط من : ب ، م .
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤) بعده فى ب ، م : « عليه عند القبر و » .
(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٨٠، والمناقب لابن الجوزى ص ٥٥٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٤٠.
(٦) الجرح والتعديل ١/ ٣١٢.
(٧) فى ب ، م : « فيه » .
(٨) فى م : « مقاسه » .

الورَّاقَ[1] يقولُ : ما بلَغنا أنَّ جمعًا فى الجاهليةِ والإسلامِ كان[2] أكثرَ مِن الجمعِ[3] على جِنازةِ [4]أبى عبدِ اللَّهِ[4] .

وقال [5]أبو محمدٍ[5] عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ[6] : حدَّثنى محمدُ بنُ العباسِ المكىُّ[7] ، سمِعت الوَرْكَانىَّ - جارَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ - قال : أسلَم يومَ مات أحمدُ عشرونَ ألفًا مِن [٨/٢٠٩و] اليهودِ والنصارَى والمجوسِ ، [8]ووقَع المأتَمُ فى المسلمين واليهودِ والنصارى والمجوسِ[8] . وفى بعضِ النسخِ[9] : أسلَم عشَرةُ آلافٍ بدَلَ عشرينَ ألفًا . فاللَّهُ أعلَمُ .

وقال الدَّارَقُطنىُّ[10] : سمِعتُ أبا سهلِ بنَ زيادٍ ، سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ أحمدَ يقولُ : سمِعتُ أبى يقولُ : قولوا لأهلِ البدعِ : بينَنا وبينَكم الجنائزُ[11] . وقد

---

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٢، وابن الجوزى فى المناقب ص ٥٥٨، بسنديهما عن عبد الوهاب الوراق ، بنحوهما ، ولم نجد رواية البيهقى .

(٢) فى ب ، م : « اجتمعوا فى جنازة » ، وفى س : « لم يكن » .

(٣) بعده فى ب ، م : « الذى اجتمع » .

(٤ - ٤) فى ب ، م : « أحمد بن حنبل » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) بعده فى ب ، م : « سمعت أبى يقول » . والأثر فى الجرح والتعديل ١/ ٣١٣.

(٧) فى الأصل : « المالكى » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ب ، م .

(٩) المناقب لابن الجوزى ص ٥٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٤٣ وقال بعده : وهى حكاية منكرة لا أعلم رواها أحد إلا هذا الوركانى . وذكر بعد ذلك أنه كذب لأن الوركانى مات قبل أحمد بدهر فكيف يحكى يوم جنازته .

(١٠) المناقب لابن الجوزى ص ٥٦٠.

(١١) بعده فى ب ، م : « حين تمر » .

صدَّقَ اللَّهُ قولَه فى هذا ، فإنه ، رحِمه اللَّهُ ، كان إمامَ السنةِ فى زمانِه ، وعيونُ مخالفِيه أحمدُ بنُ أبى دوادٍ القاضى[1] لم يحتفِلْ أحدٌ بموتِه ، ولا[2] شيَّعَه [3]أحدٌ مِن الناسِ إلا القليلَ[3] ، وكذلك الحارثُ بنُ أسدٍ المحاسبيُّ مع زهدِه وورعِه وتنقيرِه ومحاسبتِه نفسَه فى خطراتِه وحركاتِه ، لم يصلِّ عليه إلا ثلاثةٌ ، أو أربعةٌ مِن الناسِ[4] ، فللهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ .

وقد روَى البيهقىُّ ، عن حجَّاجِ بنِ محمدٍ الشاعرِ أنه قال : ما كنتُ أُحبُّ أن أُقْتَلَ فى سبيلِ اللَّهِ ولم أصلِّ على الإمامِ أحمدَ . ورُوِى عن رجلٍ من أهلِ العلمِ أنه قال يومَ دُفِنَ أحمدُ : دفِن اليومَ سادسُ خمسةٍ ؛ وهم أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعلىٌّ ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، [5]رحِمهم اللَّهُ[5] . وكان عُمُرُه ، رحِمه اللَّهُ ، يومَ توفِّى سبعًا وسبعين سنةً وأيامًا أقلَّ من شهرٍ .

ذكْرُ ما رئِى مِن المناماتِ [6]الصالحةِ التى رآها الإمامُ أحمدُ ورُئيت له[6]

وقد صحَّ فى الحديثِ : « لم يبقَ مِن النبوةِ إلا المبشِّراتُ - [7]وفى روايةٍ : إلّا[7]

---

(١) فى ب ، م : « وهو قاضى قضاة الدنيا » .
(٢) فى ب ، م : « لم يلتفت إليه ولما مات ما » .
(٣ - ٣) فى ب ، م : « إلا قليل من أعوان السلطان » .
(٤) بعده فى ب ، م : « وكذلك بشر بن غياث المريس لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جدا » .
(٥ - ٥) فى ب ، م : « وأحمد » .
(٦ - ٦) سقط من : م ، وفى ب : « وما رأى هو لنفسه » .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(١) الرؤيا الصالحةُ(١) - يراها المؤمنُ أو تُرَى له »(٢) .

وروَى البيهقيُّ(٣) ، عن الحاكمِ ، سمِعتُ عليَّ بنَ حَمْشاذَ(٤) ، سمِعتُ جعفرَ ابنَ محمدِ بنِ الحسينِ ، سمِعتُ سلَمةَ بنَ شبيبٍ يقولُ : كنا عند أحمدَ بنِ حنبلٍ وجاءه شيخٌ ومعه عكَّازةٌ فسلَّم وجلَس ، فقال : مَن مِنكم أحمدُ بنُ حنبلٍ ؟ فقال أحمدُ : أنا ، ما حاجتُك ؟ فقال : ضرَبتُ إليك مِن أربعِمائةِ فرسخٍ ، أُرِيتُ الخضِرَ فى المنامِ فقال لى : سِرْ(٥) إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ وسَلْ عنه ، وقل له : إن ساكنَ العرشِ(٦) والملائكةَ راضُون عنكَ بما صبرتَ نفسَك للَّهِ ، عزَّ وجلَّ . وعَن أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ خُزَيمةَ الأسكندرانىِّ . قالَ(٧) : لمّا مات أحمدُ بنُ حنبلٍ اغتمَمتُ غمًّا شديدًا ، فرأيتُه فى المنامِ وهو يتبختَرُ فى مِشيتِه فقلتُ له : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أىُّ مِشيةٍ هذه ؟ فقال : مِشيةُ الخُدّامِ فى دارِ السلامِ . فقلتُ : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ قال : غفَر لى وتوّجنى ، وألبَسنى نعلَين مِن ذهبٍ ، وقال لى : يا أحمدُ ، هذا بقولِك : القرآنُ كلامِى . ثم قال لى : يا أحمدُ ، ادعُنى بتلك الدعَواتِ التى بلغَتْك عن سفيانَ الثوريِّ وكنتَ تدعُو بهِنَّ فى دارِ الدنيَا . قال(٩) : قلتُ : يا ربِّ كلُّ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ .

(٢) البخارى (٦٩٩٠) ، مسلم (٤٧٩) .

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٤/ ٤٢١ ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٩/ ١٨٨ ، وابن الجوزى فى المناقب ص ٦١٣ ، ٦١٤ بأسانيدهم عن سلمة بن شبيب به .

(٤) فى س ، ص : « حماد » ، وفى م : « محشاد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٨ .

(٥) فى س ، ص ، ظ : « قم وصر » .

(٦) فى هذا نظر فمثل هذا يحتاج إلى دليل ، فإن صفات اللَّه توقيفية والذى ورد أن اللَّه مستو على عرشه فلا نعدوه إلى غيره . وانظر تعليقنا على ذلك فى المناقب ص ٦١٤ .

(٧) تاريخ دمشق ٥/ ٣٣٦ .

(٨) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٩) سقط من : ب ، م .

شيءٍ ، بقدرتِك على كلِّ شيءٍ ، اغفِر لى كلَّ شيءٍ ، حتى لا تسألَنى عن شيءٍ . فقال لى : يا أحمدُ ، هذه الجنةُ قمْ فادخُلْها[1] . [٢٠٩/٨ظ] فدخَلتُ ، فإذا أنا بسفيانَ الثوريِّ وله جناحان أخضرانِ يطيرُ بهما مِن نخلةٍ إلى نخلةٍ[2] ، وهو يقولُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤] . قال : فقلتُ له[3] : ما فعلَ بِشْرٌ الحافِى ؟ فقال : بَخٍ بَخٍ ، ومَنْ مثلُ بشرٍ ؟ تركتُه بين يَدَى الجليلِ وبينَ يديهِ مائدةٌ مِن الطَّعامِ والجليلُ مقبلٌ عليه وهو يقولُ : كلْ يا مَن لم يأكُلْ ، واشرَبْ يا مَن لم يشرَبْ ، وانعَمْ يا مَن لم ينعَمْ . أو كما قال . وقالَ أبو محمدِ بنُ أبى حاتمٍ[4] ، عَن محمدِ بنِ مسلمِ بن وارةَ قال : لمّا ماتَ أبو زُرعةَ رأيتُه فى المنامِ ، فقلتُ له : ما فعلَ اللَّهُ بك ؟ فقال : قال لىَ الجبارُ : ألحِقوه بأبى عبدِ اللَّهِ ، وأبى عبدِ اللَّهِ ، وأبى عبدِ اللَّهِ ؛ مالكٍ ، والشافعِىِّ ، وأحمدَ بنِ حنبلٍ . وقال عثمانُ[5] بنُ خُرَّزاذَ الأنطاكىُّ : رأيتُ فى المنامِ كأنّ القيامةَ قد قامتْ وقد برَز الربُّ لفصلِ القضاء ، وكأنَّ مناديًا ينادى مِن تحتِ بُطنانِ[6] العرشِ : أدخِلوا أبا عبدِ اللَّهِ ، وأبا عبدِ اللَّهِ ، وأبا عبدِ اللَّهِ ، وأبا عبدِ اللَّهِ الجنةَ . قال فقلتُ لمَلَكٍ إلى جانبى : مَنْ هؤلاءِ ؟ فقالَ : مالكٌ ، والثوريُّ ، والشافعىُّ ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ . وقال[7] أبو بكرِ بنُ أبى خَيثمةَ[8] ، عن

---

(١) فى الأصل ، س : « ادخل إليها » .

(٢) بعده فى ب ، م : « ومن شجرة إلى شجرة » .

(٣) بعده فى تاريخ دمشق : « ما فعل عبد الوهاب الوراق ؟ قال : تركته فى بحر من نوريزار به إلى الملك الغفور قال : فقلت : » .

(٤) الجرح والتعديل ٣٤٦/١ بنحوه .

(٥) فى م : « أحمد » . وانظر تهذيب الكمال ٤١٧/١٩ .

(٦) سقط من : ب ، م .

(٧) فى ب ، م : « روى » .

(٨) حلية الأولياء ١٩٣/٩ .

يحيى بنِ أيوبَ المقدسيِّ قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ وهو نائمٌ وعليه ثوبٌ مغطًّى ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ ويحيَى بنُ مَعينٍ يَذُبَّانِ عنه . وتقدَّمَ فى ترجمةِ أحمدَ بنِ أبى دُوادٍ[1] عن يحيى الجلّاءِ أنه رأَى كأنّ أحمدَ بنَ حنبلٍ فى حَلْقةٍ بالمسجدِ الجامعِ وأحمدَ بنَ أبى دوادٍ فى حلْقةٍ أخرى ، وكأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ واقفٌ بينَ الحلْقتينِ وهو يتلو هذه الآية : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . ويشيرُ إلى حلْقةِ ابنِ أبى دوادٍ وأصحابِه[2] ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] . ويشيرُ إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ وأصحابِه .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٦٩.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) سقط من : ب ، م .

ثم دخلتْ سنةُ ثنتينِ وأربعينَ ومائتينِ[1]

فيها[2] كانت زلازلُ هائلةٌ فى البلادِ، فمِن ذلك ما كان بمدينةِ قُومِسَ، تهدَّمت منها دورٌ كثيرةٌ، ومات مِن أهلِها نحوٌ مِن خمسةٍ وأربعينَ ألفًا وستَّةٍ وتسعينَ نفسًا، وكانت باليمنِ وخُراسَانَ وفارسَ والشامِ وغيرِها مِن البلادِ زلازلُ منكرةٌ.

وفيها أغارَت الرومُ على بلادِ الجزيرةِ، فانتهبوا شيئًا كثيرًا وأسَروا نحوًا مِن [٨/ ٢١٠و] عشَرةِ آلافٍ مِن الذَّرارىِّ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

وحجَّ بالناسِ فيها عبدُ الصمدِ بنُ موسى بنِ [3]محمدِ بنِ[3] إبراهيمَ الإمامِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ نائبُ مكَّةَ.

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحسنُ بنُ علىِّ بنِ الجَعْدِ[4]، قاضى مدينةِ المنصورِ.

وأبو حسَّانَ الزِّيادىُّ[5]، قاضى الشرقيَّةِ. واسمُ أبى حسّانَ الزيادىِّ الحسنُ

---

(١) هنا نهاية الجزء الأول من مخطوطة «برنستون» والمشار إليها بالرمز «ب».

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٧، والمنتظم ١١/ ٢٩٤، والكامل ٧/ ٨١.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٢، تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١٣، والمنتظم ١١/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٣٢.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٦، وتاريخ دمشق ١٣/ ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٣٠، والوافى بالوفيات ١٢/ ٩٨.

ابنُ عثمانَ بنِ حمّادِ بنِ حسّانَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ البغداديُّ، سمِع الوليدَ ابنَ مسلمٍ، ووكيعَ بنَ الجرّاحِ، والواقديَّ، وخلقًا سواهم. وعنه أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا، وعليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ الفَرغانيُّ الحافظُ المعروفُ بكغَطَ[1] وجماعةٌ. ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[2]. قال[3]: وليس هو مِن سلالةِ زيادِ بنِ أبيه، إنما تزوَّجَ بعضُ أجدادِه بأمِّ ولدِ لزيادٍ، فقيل له: الزيادىُّ. ثم أورَد مِن حديثِه بسندِه عن جابرٍ: «الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ» الحديثَ[3]. وروَى عن الخطيبِ أنَّه قال[4]: كان مِن العلماءِ[5] الأفاضلِ مِن أهلِ المعرفةِ والثقةِ والأمانةِ، وَلِى قضاءَ الشرقيَّةِ فى خلافةِ المتوكِّلِ، وله تاريخٌ حسَنٌ[6]، وله حديثٌ كثيرٌ. وقال غيرُه: كان صالحًا ديِّنًا قد عمِل الكتُبَ، وكانت له معرِفةٌ[7] بأيامِ الناسِ، وله تاريخٌ حسنٌ، وكان كريمًا مفضالًا.

وقد ذكَر ابنُ عساكرَ عنه أشياءَ حسنةً؛ منها[8] أنه أنفَذ إليه بعضُ أصحابِه يذكُرُ أنَّه قد أصابته ضائقةٌ فى عيدٍ مِن الأعيادِ، ولم يكنْ عندَه غيرُ مائةِ دينارٍ، فأرسلَها بصُرَّتِها إليه، ثم سأَل ذلك الرجلَ صاحبٌ له أيضًا

---

(١) فى الأصل، س، ص، ظ: «بطغك»، وفى م: «طفل». والمثبت من تاريخ دمشق ١٣/ ١٣٣.
(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ١٣٢.
(٣) المصدر السابق ١٣/ ١٣٣.
(٤) المصدر السابق ١٣/ ١٣٤، ١٣٥. وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٦.
(٥) فى ص: «الفقهاء».
(٦) فى الأصل، س، ظ: «على السنن». وفى م، ص: «على السنين». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٧. وأورد الذهبى فى السير ١١/ ٤٩٧ قول الزيادى عن هذا التاريخ قال: أنا أعمل فى التاريخ من ستين سنة.
(٧) بعده فى م: «جيدة».
(٨) تاريخ دمشق ١٣/ ١٣٨، ١٣٩ بنحوه.

[1]يشكو مثلَ تلك الحالِ[1]، فأرسَل بها إليه[2]، وكتَب أبو حسَّانَ إلى ذلك الرجلِ الذى [3]أخَذ المائةَ[3] يستقرِضُ مِنه شيئًا، وهو لا يشعُرُ بالأمرِ، فأرسَل إليه بالمائةِ فى صرَّتِها، فلمّا رآها تعجَّب مِن أمرِها وركِب إليه وسأَله عن ذلك، فذكَر أنّ فلانًا أرسَلها إليه، فاجتمَع الثلاثةُ واقتسَموا المائةَ دينارٍ، رحِمهم اللَّهُ وجزاهم عن مروءاتِهم خيرًا.

وأبو مصعَبٍ الزُّهرىُّ[4]، أحدُ رواةِ الموطأِ **عن مالكٍ**. **وعبدُ اللَّهِ** بنُ ذكوانَ[5]، أحدُ القُرَّاءِ المشاهيرِ. **ومحمدُ** بنُ أسلَمَ الطوسىُّ[6]. **ومحمدُ** بنُ رُمْحٍ[7]. **ومحمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمارٍ المَوْصلىُّ[8]، أحدُ أئمةِ الجرحِ والتعديلِ. والقاضِى يحيى بنُ أكثمَ[9].

(١ - ١) فى م: «وشكا إليه مثلما شكا إلى الزيادى».

(٢) فى م: «الآخر إلى ذلك الآخر».

(٣ - ٣) فى م: «وصلت إليه أخيرًا».

(٤) تهذيب الكمال ١/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١- ٢٥٠هـ) ص ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٦٩.

(٥) تهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٠٧، والعبر ١/ ٤٣٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٠، وغاية النهاية ١/ ٤٠٤.

(٦) حلية الأولياء ٩/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٠٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٢، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٠٤.

(٧) الإكمال لابن ماكولا ٤/ ٩٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٠، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٣٣.

(٨) تاريخ بغداد ٥/ ٤١٦، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥٠٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٤٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٠٤، وطبقات الحفاظ ص ٢١٥.

(٩) أخبار القضاة ٢/ ١٦١، ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٧، وتهذيب الكمال ٣١/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٣٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٢٤١.

ثم دخَلت سنةُ ثلاثٍ وأربعين ومائتين

فى ذى القَعْدةِ منها[1] توجَّه المتوكِّلُ على اللَّهِ مِن العراقِ قاصدًا مدينةَ دمشقَ ؛ ليجعَلَها دارَ إقامتِه ومحِلَّةَ إمامتِه ، فأدرَكه عيدُ الأضحى [2]وهو بمدينةِ بَلَدَ فضحَّى[2] بها ، وتأسَّف [٨/٢١٠ظ] أهلُ العراقِ على ذلك[3] ، فقال فى ذلك يزيدُ ابنُ محمدٍ المهلَّبىُّ[4] :

أَظُنُّ الشامَ تَشمَتُ بالعراقِ ... إذا عزَمَ الإمامُ على انطلاقِ
فإنْ تَدَعِ العِراقَ وساكِنيها ... فقد تُبْلى المليحةُ بالطّلاقِ

وحجَّ بالناسِ فيها [5]عبدُ الصمدِ المذكورُ[5] فى التى قبلَها وهو نائبُ مكةَ .

قال ابنُ جريرٍ[6] : وفيها تُوفِّى **إبراهيمُ بنُ العباسِ** ، فولِىَ ديوانَ الضِّياعِ الحسنُ بنُ مَخلدِ بنِ الجرّاحِ خليفةُ إبراهيمَ فى شعبانَ . قلتُ : إبراهيمُ بنُ العباسِ ابنِ محمدِ بنِ صُولٍ[7] الصُّولىُّ ، الشاعرُ الكاتبُ المشهورُ ، وهو عمُّ محمدِ بنِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٩، والمنتظم ١١/ ٣٠٥، والكامل ٧/ ٨٣.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « ذهاب الخليفة من بين أظهرهم » .

(٤) البيتان فى : تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٩، والمنتظم ١١/ ٣٠٥، والكامل ٧/ ٨٣، وانظر النجوم الزاهرة ٤/ ١١٤.

(٥ - ٥) فى م : « الذى حجّ بهم » .

(٦) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٩.

(٧) بعده فى الأصل : « بكر » . بدون إعجام . وفى س ، ظ : « تكر » . وفى ص : « بكبر » . ولم أجد =

يحيى الصُّوليّ ، وكان جدُّه صولٌ مِلِكَ جُرجانَ ، وكان أصلُه منها ، ثم تمجَّس ثم أسلَم على يَدَىْ يزيدَ بنِ المهلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ . ولإبراهيمَ هذا ديوانُ شعرٍ ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[1] ، واستجاد مِن شعرِه أشياءَ ؛ منها قولُه[2] :

ولرُبَّ نازلةٍ يَضيقُ بها الفتى ... ذَرْعًا وعندَ اللَّهِ منها مَخْرَجُ
ضاقت[3] فلمَّا استحكَمتْ حلَقاتُها ... فُرِجتْ[4] وكان يظُنُّها[4] لا تُفْرَجُ

ومنها قوله[5] :

كنتَ السَّوادَ لمقْلتى ... فبكَى عليكَ الناظرُ
مَن شاءَ بعدَكَ فليمُتْ ... فعليكَ كنتُ أحاذرُ

ومِن ذلك ما كتَب به إلى وزيرِ المعتصمِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ الزَّيَّاتِ[6] :

وكنتَ أخى بإخاءِ الزمانِ ... فلمّا نبا[7] صِرْتَ حَرْبًا عَوانا
وكنتُ أذمُّ إليكَ الزمانَ ... فأصبحتُ منكَ أذمُّ الزمانا

= لها أى إشارة فى مصادر ترجمته ، وقد قطع ابن كثير بأن متولى ديوان الضياع هو إبراهيم بن العباس الصولى ، بينما جعلهما ابن الجوزى فى المنتظم ١١/ ٣٠٥، ٣٠٦ اثنين وفرق بينهما وجعل لكل منهما ترجمة . وانظر ترجمته فى : الأغانى ١٠/ ٤٣، وتاريخ بغداد ٦/ ١١٧، والأنساب للسمعانى ٣/ ٥٦٧، ومعجم الأدباء ١/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٦٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٤، ومرآة الجنان ٢/ ١٤٣.

(١) وفيات الأعيان ١/ ٤٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٦.

(٣) فى الأصل، ص: «كلمت». وفى س، ظ: «كملت». وانظر مصدر التخريج.

(٤ - ٤) فى م: «وكنت أظنها».

(٥) المصدر السابق ١/ ٤٧.

(٦) المصدر السابق ١/ ٤٦، ومعجم الأدباء ١/ ١٧١.

(٧) فى الأصل، م، ظ: «ثنى». وانظر مصادر التخريج.

وكنتُ أعدُّكَ للنائباتِ فها أنا أطلبُ منكَ الأمانا

وله[1] :

لا يمنعنَّكَ خفضَ العيشِ فى دَعَةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حللْت بها أهلًا بأهلٍ [2]وجيرانًا بجيرانِ[2]

وكانت وفاتُه فى منتصفِ شعبانَ مِن هذه السنةِ بسُرَّ مَن رأَى، رحِمه اللَّهُ[3].

قال[4] : ومات هاشمُ بنُ بنجورٍ[5] فى ذى الحِجَّةِ.

قلت : **وفيها تُوفِّىَ : أحمدُ** بنُ سعيدٍ الرباطىُّ[6]. **والحارثُ** بنُ أسدٍ المُحاسبىُّ[7]، أحدُ أئمةِ الصوفيةِ. **وحَرْمَلَةُ** بنُ يحيَى التُّجيبىُّ[8]، صاحبُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٤٦، ومعجم الأدباء ١/ ١٩٢.

(٢ - ٢) فى م : «وأوطانا بأوطانِ».

(٣) بعده فى الأصل، م، ص : «والحسن بن مخلد بن الجراح خليفة إبراهيم فى شعبان». وهى جملة تتعلق بإبراهيم بن العباس وردت فى بداية ترجمته. والحسن بن مخلد من وفيات إحدى وسبعين ومائتين.

(٤) يعنى ابن جرير. وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢٠٩.

(٥) فى الأصل، س، ص : «تنحور»، وفى م : «فيجور». وفى ظ : «منحور». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر الكامل وفيه : «عاصم بن منجور».

(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٨، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٩٠، وطبقات الحنابلة ١/ ٤٥، وطبقات الحفاظ ٢٣٦.

(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٧٣، وطبقات الصوفية ص ٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٠٥، وميزان الاعتدال ١/ ٤٣٠، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٥٧.

(٨) وفيات الأعيان ٢/ ٦٤، وتهذيب الكمال ٥/ ٥٤٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢١٦، طبقات الشافعية للسبكى ٢/ ١٢٧.

الشافعيُّ. **وعبدُ اللَّهِ** بنُ معاويةَ الجُمَحِيُّ[1]. **ومحمدُ** بنُ عمرَ العَدَنِيُّ[2].
وهارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحمَّالُ[3]. **وهنَّادُ** بنُ السَّرِيِّ[4].

---

(١) تهذيب الكمال ١٦/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣١٨، والعبر ١/ ٤٤٠، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٢٩.

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٢٦٥، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٦٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٨٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠١، ومرآة الجنان ٢/ ١٤٤.

(٣) فى الأصل، ص، ظ: «الجمال». وفى م: «الحمانى». وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٩/ ٢٣٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٢، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥١٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٨.

(٤) الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٤٠٤، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٣١١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٢٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٧.

ثم دخَلتْ سنةُ أربعٍ وأربعين ومائتينِ

فى صفرٍ منها[1] دخَل الخليفةُ المتوكِّلُ [٨/٢١١و] إلى مدينةِ دمشقَ فى أُبَّهةِ الخلافةِ، وكان يومًا مشهودًا - [2]وكان عازمًا[2] على الإقامة بها - وأمَر بنقلِ دواوينِ المُلكِ إليها، وأمَر ببناءِ القصورِ بها، فبُنِيتْ[3] بطريقِ دارَيَّا، [4]فأقام بها مدةً[4]، ثم إنَّه استوخَمها، ورأى أنَّ هواءَها باردٌ نَدِىٌّ وماءَها ثقيلٌ بالنسبةِ إلى هواءِ العراقِ ومائِه، ورأَى الهواءَ بها يتحرَّكُ مِن بعدِ الزَّوالِ فى زمنِ الصيفِ، فلا يزالُ فى اشتدادٍ وغُبارٍ إلى قريبٍ مِن ثلُثِ الليلِ، ورأَى كثرةَ البراغيثِ بها، ودخَل عليه فصلُ الشتاءِ فرأَى مِن كثرةِ الأمطارِ والثلوجِ أمرًا عجيبًا، وغلَتِ الأسعارُ وهو بها[5]، وانقطَعتِ الأجلابُ بسببِ كثرةِ الأمطارِ[6] والثلوجِ، فضجِر مِنها، فجهَّز بُغَا إلى بلادِ الرومِ، ثم رجَع فى آخرِ السنةِ إلى سامَرَّا بعدَ ما أقامَ بدمشقَ شهرين وعشَرةَ أيامٍ، [7]فاللَّهُ أعلَمُ.

وفى هذه السنةِ[7] أُتِى المتوكِّلُ بالحَرْبةِ التى كانت تُحمَلُ[8] بين يَدَى رسولِ اللَّهِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٠، والمنتظم ١١/ ٣٢٢، والكامل ٧/ ٨٥.

(٢ - ٢) فى الأصل، س، ص، ظ: «فعزم».

(٣) فى الأصل، س، ص، ظ: «وهى التى».

(٤ - ٤) زيادة من: م.

(٥) بعده فى م: «لكثرة الخلق الذين معه».

(٦) فى الأصل، س، ص، ظ: «الشتاء».

(٧ - ٧) فى م: «ففرح به أهل بغداد فرحًا شديدًا، وفيها».

(٨) بعده فى م: «بين يدى رسول الله ﷺ، ففرح بها فرحًا شديدًا، وقد كانت تحمل».

ﷺ يومَ العيدِ وغيرَه ، وقد كانت للنجاشِيِّ فوهَبها للزُّبيرِ بنِ العوَّامِ ، فوهَبها الزبيرُ للنبيِّ ﷺ ، [1]فلما صارت إلى المتوكلِ على اللَّهِ فرِح بها فرحًا شديدًا ، و[1] أمرَ صاحبَ الشرطةِ أن يحمِلَها بينَ يَدَيه كما كانت تُحمَلُ بينَ يَدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وفيها غضِبَ المتوكِّلُ على الطبيبِ بَخْتَيْشُوعَ ونفاهُ وأخَذ مالَه .

وحجَّ بالناسِ فيها عبدُ الصمدِ المذكورُ قبلَها .

واتفَقَ فى هذه السنةِ يومُ عيدِ الأضحَى [2]وعيدِ الفطرِ[2] لليهودِ وشعانينِ النَّصارَى ، وهذا أمرٌ[3] عجيبٌ غريبٌ .

وممن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ منيعٍ[4] . **وإسحاقُ** بنُ موسى الخَطْمِيُّ[5] . **وحُمَيْدُ** بنُ مَسْعَدَةَ[6] . **وعبدُ الحميدِ** بنُ بيَانٍ[7] . **وعليُّ** بنُ حُجرٍ[8] . **والوزيرُ محمدُ** بنُ عبدِ الملكِ بنِ

(١ - ١) فى م : « ثم إن المتوكل » .

(٢ - ٢) فى م : « وخميس فطر » .

(٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٦٠، وتهذيب الكمال ١/ ٤٩٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٤٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨١، والوافى بالوفيات ٨/ ١٩٢.

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٧٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٢٧.

(٦) الثقات لابن حبان ٨/ ١٩٧، وطبقات المحدثين بأصبهان ٢/ ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٥٢، والعبر ١/ ٤٤٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٩٧.

(٧) فى م : « سنان » . وانظر ترجمته فى : أخبار القضاة ٣/ ٨٠، وفيه : عبد الحميد بن بنان ، والجرح والتعديل ٦/ ٩، والثقات لابن حبان ٨/ ٤٠١، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٢٢.

(٨) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٦٨، وتاريخ بغداد ١١/ ٤١٦، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٥٥، وسير أعلام =

الزَّيَّاتِ[1] . **ويَعْقُوبُ** بنُ السِّكِّيتِ[2] ، صاحبُ إصلاحِ المنطقِ .

= النبلاء ١١/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٥٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٠.

(١) كذا أورده ابن كثير هنا فى وفيات سنة أربع وأربعين ومائتين فى حين أنه سبق أن ذكر فى أحداث سنة ثلاث وثلاثين ومائتين أن المتوكل أحرقه بالنار . ومصادر ترجمته على تأكيد ذلك وعلى أنه من وفيات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . والله أعلم .

وانظر ترجمة ابن الزيات فى : الأغانى ٢٣/٤٦ - ٧٤، ومعجم الشعراء ٣٦٥، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٤٦، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ١١٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٩٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ) ص ٣٣٣.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٥١، ومرآة الجنان ٢/ ١٤٧.

ثم دخلتْ سنةُ خمسٍ وأربعينَ ومائتينِ

فيها[1] أمَر المتوكلُ ببناءِ مدينةِ المَاحُوزَةِ وحَفْرِ نهرٍ لها ، فيقالُ : إنَّه أنفَق على بنائِها وبناءِ قصرٍ للخلافةِ فيها يقالُ له : اللؤلؤةُ . ألفَى ألفِ دينارٍ .

وفى هذه السنةِ وقَعتْ زلازلُ كثيرةٌ فى بلادٍ شتَّى ، فمِن ذلك بمدينةِ أنطاكِيَةَ بحيثُ[2] سقَط فيها ألفٌ وخمسُمائةِ دارٍ ، وانهدَم مِن سورِها نيِّفٌ وتسعونَ بُرْجًا ، وسُمِعتْ مِن كُوى دُورِها أصواتٌ مُزعجةٌ جدًّا ، فخرَجوا مِن منازِلِهم سراعًا يُهْرَعُون ، وسقَط الجبلُ الذى إلى جانبِها الذى يُقالُ له الأقْرَعُ ، فساخ فى البَحْرِ ، فهاج البحرُ عندَ ذلك وارتفَعَ منه[2] دُخَانٌ أسودُ مظلِمٌ [٨/٢١١ظ] مُنتِنٌ ، وغار نهرٌ على فرسخٍ مِنها ، فلا يُدْرَى أين ذهَب . ذكرَ[3] أبو جَعْفرِ بنُ جريرٍ ، قال[4] : وسمِع فيها أهلُ تِنِّيسَ ضجةً دائمةً طويلةً مات منها خلقٌ كثيرٌ . قال[4] : وزُلزِلت فيها بالِسُ[5] والرَّقَّةُ وحرَّانُ ورأسُ العَيْنِ وحِمْصُ ودِمشْقُ والرُّها[2] وطَرَسُوسُ والمَصِّيصَةُ ، وأَذَنَةُ[6] ، وسواحلُ الشّامِ ، ورجَفت اللَّاذِقيَّةُ[7] فما بقِى

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٢، والمنتظم ١١/ ٣٢٨، والكامل ٧/ ٨٧.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « بالكلية أورده الإمام » .

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٣، بنحوه .

(٥) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « السن » . وفى م : « الرها » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٣، والمنتظم ١١/ ٣٢٩. وانظر معجم البلدان ١/ ٤٧٧.

(٦) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « أدنة » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٣، ومعجم البلدان ١/ ١٧٩.

(٧) بعده فى م : « بأهلها » .

منها منزِلٌ إلا انهدَم، ولا بقِىَ مِن أهلِها إلَّا اليسيرُ، وذهَبت جَبَلةُ بأهلِها.

وفيها غارتْ مُشَاشُ - عينٌ بمكةَ - حتى بلَغ ثَمَنُ القِرْبَةِ بمكةَ ثمانينَ[1] درهمًا. حتى بعَث المتوكلُ فأنفَقَ عليها. قال[2]: وفيها مات إسحاقُ بنُ أبى إسرائيلَ، وسَوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ القَاضى، وهلالٌ الرَّازِىُّ، وفيها هلكَ نجاحُ بنُ سلمةَ، كان على ديوانِ التوقيعِ، وقد كان حظِيًّا عندَ المتوكِّلِ، ثم جرَتْ له كائنةٌ أفضَت به إلى أن أمَر المتوكِّلُ بأخذِ أموالِه وأملاكِه وحواصلِه. وقد أورَد قصتَه ابنُ جَريرٍ مطولةً[3].

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أحمدُ بنُ عبدةَ الضَّبِّىُّ[4]. **وأبو الحسنِ**[5] القوَّاسُ، مُقرِئُ مكةَ. **وأحمدُ** بنُ نصرٍ النَّيْسَابُورىُّ[6]. **وإسحاقُ** بنُ أبى إسرائيلَ[7]، **وإسماعيلُ** بنُ مُوسَى[8]،

---

(١) سقط من: الأصل، س، ص، ظ، وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٣. والمنتظم ١١/ ٣٢٩.

(٢) فى م: «مالا جزيلا حتى خرجت». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٣.

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٤.

(٤) الثقات لابن حبان ٨/ ٢٣، وتهذيب الكمال ١/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٧، والكاشف ١/ ٢٣، والوافى بالوفيات ٧/ ١٦٦.

(٥) فى الأصل، م: «الحيس». ولم أجد له ترجمة ولم أجد له ذكرًا فى وفيات هذا العام.

(٦) تهذيب الكمال ١/ ٤٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١- ٢٥٠هـ) ص ١٥٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٠، وطبقات الحفاظ ٢٣٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ١٠٤.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٣، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٥٦، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٦٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٤.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٢، والثقات لابن حبان ٨/ ١٠٤، وتهذيب الكمال ٣/ ٢١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٧٨، وميزان الاعتدال ١/ ٢٥١.

ابنُ بنتِ السُّدِّىِّ. **وذو النُّونِ** المصرىُّ[1]. [2]**وسوّارٌ** القاضى[2]. **وعبدُ الرحمنِ** ابنُ إبراهيمَ، دُحَيْمٌ[3]. **ومحمدُ** بنُ رافعٍ[4]. **وهشامُ** بنُ عمَّارٍ[5]. **وأبو تُرابٍ** النَّخْشَبِىُّ[6].

وابنُ الرَّاوَنْدِىِّ[7] **الزِّنديقُ**، أحمدُ بنُ يحيىَ بنِ إسحاقَ، أبو الحسينِ بنُ الرّاوَنْدِىِّ[8]، نِسبةً إلى قريةٍ ببلادِ قاسَانَ[9] ثم نشَأ ببغدادَ، كان بها يصنِّفُ الكُتُبَ فى الزَّندقَةِ، وكانت لدَيه فضيلةٌ، لكنه استعمَلها فيما يضُرُّه ولا ينفَعُه فى الدُّنيا والآخرةِ. وقد ذكَرنا له ترجمةً مطوَّلةً حَسَبَ ما ذكرَها ابنُ الجَوزىِّ، وإنَّما

---

(١) ستأتى ترجمته فى الصفحة التالية.

(٢ - ٢) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٠، والإكمال ٦/ ٢٩٧، وتاريخ بغداد ٩/ ٢١٠، وطبقات الفقهاء ٦٥، ٩١، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٩٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٥، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٩٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٢٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٠، وطبقات الحفاظ ٢٠٨.

(٤) الثقات لابن حبان ٩/ ١٠٢، وتهذيب الكمال ٢٥/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٣٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٦٨، وطبقات الحفاظ ٢٢١.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٣، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٢٠، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٢، وطبقات الحفاظ ١٩٧.

(٦) طبقات الصوفية للسلمى ١٤٦، وحلية الأولياء ١٠/ ٢١٩، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٤٩.

(٧) ستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

(٨) ويرد: «الرواندى، الريوندى».

(٩) فى الأصل، س، م، ظ: «قاشان»، وقاسان: ناحية بأصبهان ينسب إليها، وقاشان: مدينة قرب أصبهان تذكر مع قُمّ. وقطع ابن خلكان بأنه من «قاسان». انظر وفيات الأعيان ١/ ٩٤، ٩٥.

ذكَرناه هـٰهنا ؛ لأنَّ القاضِيَ ابنَ خَلِّكانَ ذكَر أنَّه تُوفِّى فى هذه السنةِ ، وقد تلبَّس عليه ولم يُجرِّحْه بشىءٍ أصلًا ، بل مدَحه فقال[1] : أبو الحسينِ أحمدُ [2]بنُ يحيى[2] بنِ إسحاقَ الراوَنْدىُّ العالمُ المشهورُ ، له مقالةٌ فى علمِ الكلامِ ، وكان مِن الفضلاءِ فى عصرِه ، وله مِن الكتُبِ المصنَّفةِ نحوٌ مِن مائةٍ وأربعةَ عشَر كتابًا ، منها كتبُ « فضيحةِ المعتزلةِ » ، وكتابُ « التاجِ » ، وكتابُ « الزُّمردةِ » ، وكتابُ « القصبِ »[3] وغيرُ ذلك ، وله محاسنُ ومحاضراتٌ مع جماعةٍ مِن علماءِ الكلامِ ، وقد انفرَد بمذاهبَ نقَلها عنه أهلُ الكلامِ فى كتبِهم . تُوفِّى سنةَ خمسٍ وأربعينَ [٨/٢١٢و] ومائتينِ ، برحبةِ مالكِ بنِ طَوْقٍ التغلبىِّ[4] ، وقيل : ببغدادَ . [5]وتقديرُ عمرِه أربعونُ سنةً ، وذُكِر فى « البستانِ » أنه تُوفِّى سنةَ خمسين ، فاللَّهُ أعلمُ . هذا لفظُه بحروفِه[5] . وإنَّما أرَّخ ابنُ الجَوْزِىِّ[6] وفاتَه فى سنةِ ثمانٍ وتسعينَ ومائتينِ ، وسيأتى له ترجمةٌ مطوَّلةٌ .

ذو النونِ المصرىُّ[7] ، ثوبانُ بنُ إبراهيمَ - وقيل : الفيضُ[8] بنُ إبراهيمَ - أبو الفيضِ المصرىُّ ، أحدُ المشايخِ [9]المذكورين فى رسالة القشيرىِّ[9] ، وقد ترجَمه

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٩٤.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ص : « النضب » .

(٤) فى الأصل ، س ، ص : « الثعلبى » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٩٤.

(٥ - ٥) فى م : « نقلت ذلك عن ابن خلكان بحروفه وهو غلط » .

(٦) المنتظم ١٣/ ١٠٨.

(٧) تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، وطبقات الصوفية ص ١٥، وتاريخ دمشق ١١/ ١٩٦، ووفيات الأعيان ١/ ٣١٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٦٥.

(٨) فى النسخ : « ابن الفيض » . وانظر مصادر ترجمته .

(٩ - ٩) فى م : « المشهورين » . وانظر رسالة القشيرى ٢/ ٦٠٤ - ٦٠٩، وانظر فهرس رسالة القشيرى ٢/ ٧٧٠.

القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ[1] ، وذكَر شيئًا مِن فضائلِه وأحوالِه ، وأرَّخ وفاتَه فى هذه السنةِ ، وقيل[2] : فى التى بعدَها . وقِيلَ : فى سنةِ ثمانٍ وأربعين ومائتين . واللَّهُ أعلمُ .

وهو معدودٌ فى جملةِ مَن روَى الموطَّأَ عن مالكٍ . وذكَره ابنُ يونُسَ[3] فى « تاريخِ مصرَ » ، وقال : كان أبوه نُوبيًّا . وقيل[4] : مِن أهلِ إخْمِيمَ . وكان حكيمًا[5] فصيحًا . قيل[6] : وسُئِل عن سببِ توبتِه ، فذكَر أنه رأَى قُنْبرةً عَمياءَ نزَلت مِن وكرِها فانشقَّتْ الأرضُ عَن سُكُرَّجَتَيْن[7] مِن ذهَبٍ وفضةٍ فى إحداهما سِمسمٌ ، وفى الأخرَى ماءٌ ، فأكَلتْ مِن هذِه ، وشرِبتْ مِن هذه . وقد شُكِى[8] مرَّةً إلى المتوكِّلِ فأحضَرَه مِن مصرَ إلى العراقِ ، فلمّا دخَل عليه وعَظه فأبكَاه ، فردَّه مُكْرَمًا إلى بلدِه . فكان بعدَ ذلك إذا ذُكِر عندَه بكَى عليه .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣١٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣١٨.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٣.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣.

(٥) فى الأصل، س، ص، ظ : « حليما » .

(٦) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٣، ٥٣٤، وطبقات الأولياء ص ٢١٩.

(٧) السكرَّجة ، فارسى : وهو إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأدم . النهاية ٢/ ٣٨٤.

(٨) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٣.

ثم دخلتْ سنةُ ستٍّ وأربعينَ ومائتينِ

فى يومِ عاشوراءَ منها[1] دخَل المتوكلُ المَاحُوزةَ، فنزَل بقَصرِ الخلافةِ منها، واستدْعَى بالقُرَّاءِ، ثم بالمُطربِينَ، وأعطَى وأطلَقَ، وكان يومًا مشهودًا.

وفى صفرٍ منها وقَع الفداءُ بينَ المسلمين والرومِ، ففُودِى مِن المسلمين نحوٌ مِن أربعةِ آلافِ أسيرٍ.

وفى شعبانَ منها مُطِرتْ بغدادُ مطرًا عظيمًا استمرَّ نحوًا مِن أحدٍ وعشرينَ يومًا، ووقَعَ بأرضِ بَلْخَ مطرٌ ماؤُه دمٌ عبيطٌ[2].

وفيها حجَّ بالناسِ محمدُ بنُ سليمانَ الزَّيْنَبِىُّ[3]، وحجَّ فيها مِن الأعيانِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، وولِى هو أمرَ المَوسِمِ.

وممن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ:

أحمدُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرَقِىُّ[4]. **والحُسينُ** بنُ[5] الحسنِ المَرْوَزِىُّ. **وأبو عُمرَ** الدُّورِىُّ[6]، أحدُ القرّاءِ المشاهيرِ. **ومحمدُ** بنُ مُصَفًّى الحِمْصِىُّ[7].

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢١٩، والمنتظم ١١/ ٣٤٠، والكامل ٧/ ٩٣.

(٢) أى طَرِىٌّ.

(٣) فى م: «الزنيبى».

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦١، وتهذيب الكمال ١/ ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٣٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣١.

(٥) بعده فى م: «أبى». وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٨/ ١٩٠، والمعجم المشتمل لابن عساكر ص ١٠٥، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٦١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٣٨.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٤، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٤٩، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٠٢، وغاية النهاية ١/ ٢٥٥.

(٧) الثقات لابن حبان ٩/ ١٠٠، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٤٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٤، وتاريخ =

ودِعْبِلُ بنُ عليِّ بنِ رزينِ بنِ سليمانَ الخُزاعِيُّ[1]، مولاهم، الشاعرُ الماجِنُ، البليغُ فى المدحِ، وفى الهجاءِ أكثرُ. قال[2]: حضَر يومًا عندَ سهلِ بنِ هارونَ الكاتبِ وكان بخيلًا، فاستدعَى بغَدائِه فإذا ديكٌ فى قَصعةٍ، وإذا هو عاسٍ[3] لا يقطَعُه سِكِّينٌ[4]، ولا يعمَلُ فيه ضِرْسٌ[5]، فُقِد رأسُه، فقال للطباخِ: [٢١٢/٨ظ] ويلَك، ماذا صنَعتَ به؟ [6]أين رأسُه[6]؟ قال: ظنَنتُ أنك لا تأكلُه فألقيتُه. فقال: ويحَك، واللَّهِ إنِّى لأعيبُ على مَن يُلقِى الرجلَيْن فكيف بالرأسِ، وفيه الحواسُّ الأربعُ، ومنه يصوِّتُ وبه فُضِّل، وعيناه يُضرَبُ بهما المثلُ، وعُرْفُه وبه يُتَبرَّكُ، وعظمُه أهشُّ[7] العِظامِ، فإن كنتَ رغِبتَ عن أكلِه فأحضِرْه. فقال: لا أدرى أين هو. فقال: بل أنا أدرِى، هو فى بطنِك، قاتلَك اللَّهُ[8].

أحمدُ بنُ أبى الحَوَارِىِّ[9]، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ ميمونِ بنِ

= الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٧٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٣.

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٥٨، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٢.

(٢) سقط من: م. وانظر الخبر فى: وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٩ بنحوه.

(٣) فى م: «قاس» وهما بمعنى.

(٤) بعده فى م: «إلا بشدة».

(٥) بعده فى م: «فلما حضر بين يديه».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، س، ص، ظ.

(٧) فى م: «أهنى».

(٨) بعده فى م: «فهجاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه».

(٩) صفة الصفوة ٤/ ٢٣٧، وطبقات الصوفية ص ٩٨، وتهذيب الكمال ١/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥١، وطبقات الحنابلة ١/ ٧٨.

عبّاسِ[1] بنِ الحارثِ ، أبو الحسنِ التَّغلِبيُّ الغَطَفانيُّ ، أحدُ[2] الزهادِ المشهورين ، والعبّادِ المذكورين ، والأبرارِ المشكورين ، ذوى الأحوالِ الصالحةِ ، والكراماتِ[3] الصادقةِ[4] ، أصلُه مِن الكوفةِ ، وسكَن دمَشقَ ، [5]وتتلمَذَ للشيخِ أبى[5] سليمانَ الدَّارانيِّ ، رحِمهما اللَّهُ . وروَى الحديثَ عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، ووكيعٍ ، وأبى أسامةَ ، وخلقٍ . وعنه أبو داودَ ، وابنُ ماجه ، وأبو حاتمٍ ، وأبو زُرعةَ الدِّمَشقيُّ ، وأبو زرعةَ الرازِيُّ ، وخلقٌ كثيرٌ . ذكَره أبو حاتمٍ فأثنَى عليه[6] . وقال يحيى بنُ مَعِينٍ : إنِّى لأظُنُّ أن اللَّهَ يسقِى أهلَ الشامِ به . وكان الجُنَيْدُ بنُ محمدٍ يقولُ[7] : هو ريحانةُ الشامِ .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[8] أنَّه كان قد عاهدَ أبا سليمانَ الدَّارَانِيَّ ألا يُغضِبَه ولا يخالفَه ، فجاءَه يومًا وهو يحدِّثُ الناسَ فقال : يا سيِّدى ، قد سجَروا التنُّورَ فماذا تأمُرُ ؟ فلم يرُدَّ عليه أبو سليمانَ ؛ لشغلِه بالناسِ ، ثم أعادَها أحمدُ ثانيةً وثالثةً[9] ، فقال له فى الثالثةِ : اذهَبْ فاقعُدْ فيه . ثم اشتغَل أبو سليمانَ فى حديثِ الناسِ ثم استفاق فقال لمَن حضَره : إنِّى قلتُ لأحمدَ : اذهَبْ فاقعُدْ فى التنُّورِ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « عياش » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٦٩.
(٢) بعده فى م : « العلماء » .
(٣) فى س : « المكرمات » .
(٤) فى م : « الواضحة » .
(٥ - ٥) فى م : « وتخرج بأبى » .
(٦) الجرح والتعديل ٢/ ٤٧.
(٧) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٧، وطبقات الأولياء ص ٢٩.
(٨) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٣، وقال الذهبى بعده : حكاية منكرة .
(٩) سقط من : م .

وإنِّى أخشَى[1] أن يكونَ قد فعَل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهَبوا فوجَدوه جالسًا فى التنُّورِ ، ولم يحترِقْ منه[2] شَعْرةٌ واحدةٌ .

وروَى[3] أيضًا أنّ أحمدَ بنَ أبى الحوَارِىِّ أصبَح ذاتَ يومٍ وقد وُلِدَ له ولدٌ ، ولا يملِكُ شيئًا يُصلِحُ به الولدَ ، فقال لخادِمه : اذهَب فاستَدِنْ لنا وَزْنةً مِن دقيقٍ . فبينما هو فى ذلك إذ جاءَه رجلٌ بمائتَى دِرهمٍ فوضَعها بينَ يَدَيهِ ، فدخَل عليه رجلٌ فى تلك الساعةِ فقال : يا أحمدُ ، إنَّه قد وُلِدَ لى الليلةَ ولدٌ ولا أَملِكُ شيئًا . فرفَع أحمدُ طَرْفَه إلى السماءِ وقال : يا مولاىَ ، هكذا بالعَجَلةِ ! وقال للرجُلِ : خذْ هذه الدراهمَ [4]لك ، ولم يأخذْ [٨/٢١٣و] منها درهمًا[4] ، واستدانَ لأهلِه دقيقًا .

وروَى[5] عنه خادمُه أنه خَرَج إلى الثغرِ للرِّباطِ[6] ، فما زالت الهدايا تفِدُ إليه مِن بَكرةِ النهارِ إلى الزوالِ ، ثم فرَّقها كلَّها إلى وقتِ الغروبِ ، ثم قال لى : كُنْ هكذا لا ترُدَّ على اللَّهِ شيئًا ، ولا تدَّخِرْ عنه شيئًا .

ولما جاءتِ المحنةُ زمَنَ المأمونِ إلى دِمشقَ بخلقِ القرآنِ ، عُيِّنَ فيها أحمدُ بنُ أبى الحوارىِّ ، وهشامُ بنُ عمارٍ ، وسليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ ذكوانَ ، فكلُّهم أجابوا إلّا أحمدَ ابنَ أبى الحوارىِّ ، فحُبِس بدارِ الحجارةِ ، ثم

---

(١) فى م : « أحسب » .
(٢) بعده فى م : « شىء ولا » .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٤، وطبقات الأولياء ص ٣٣.
(٤ - ٤) فى الأصل : « فلم يبق له منها درهما » ، وفى م : « فأعطاه إياها كلها ولم يبق منها شيئًا » .
(٥) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٥.
(٦) فى م : « لأجل الرباط » .

هُدِّدَ فأجاب توريَةً مُكْرهًا ، ثم أُطلِق رحِمه اللَّهُ . وقد قام ليلةً بالثَّغرِ يكررُ هذه الآية : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] . حتى أصبحَ[(١)] . وقد ألقَى كتُبَه فى البحرِ وقال : نِعْمَ الدليلُ كُنتِ لى على اللَّهِ وإليه ، ولكنّ الاشتغالَ بالدليلِ بعدَ معرِفَةِ المدلولِ عليه والوصولِ إليه محالٌ[(٢)] . ومِن كلامِه[(٢)] : لا دليلَ على اللَّهِ سواه ، وإنما يُطلبُ العلمُ لآدابِ الخدمةِ . وقال[(٣)] : مَن عرَف الدنيا زهِد فيها ، ومَن عرَف الآخرةَ رغِب فيها ، ومَن عرَف اللَّهَ آثَر رِضاه . وقال[(٤)] : مَن نظَر إلى الدنيا نظَرَ إرادةٍ وحُبٍّ لها أخرَج اللَّهُ نورَ اليقينِ والزهدَ مِن قلبِه . وقال أيضًا[(٥)] : قلتُ لأبى سليمانَ الدارانىِّ فى ابتداءِ أمْرى : أوْصنى . فقال : أمستوصٍ أنت ؟ قلتُ : نعم إن شاءَ اللَّهُ تعالى . فقال : خالِفْ نفسَك فى كلِّ مرادٍ لها ؛ فإنَّها الأمّارةُ بالسوءِ ، وإياك أن تحقِرَ [(٦)]أحدًا مِن[(٦)] المسلمين ، واجعلْ طاعةَ اللَّهِ دِثارًا ، والخوفَ مِنه شِعارًا ، والإخلاصَ زادًا ، والصدقَ جُنَّةً[(٧)] ، واقبَلْ منِّى هذه الكلمةَ الواحدةَ ولا تفارِقْها ولا تغفُلْ عنها : إنَّه[(٨)] مَن اسْتَحْيَى مِن اللَّهِ فى كلِّ أوقاتِه وأحوالِه وأفعالِه ، بلَّغه إلى مقامِ الأولياءِ مِن عبادِه . قال : فجعَلتُ هذه الكلماتِ أمامى ، ففى كلِّ وقتٍ أذكرُها وأطالبُ نفسِى بها . والصحيحُ أنَّه مات فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ ثلاثين ومائتين . وقيل غيرُ ذلك ، فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٣.

(٢) حلية الأولياء ١٠/٦ بنحوه.

(٣) طبقات الصوفية ص ١٠١.

(٤) حلية الأولياء ١٠/٦.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٥.

(٦ - ٦) فى الأصل، م: «إخوانك».

(٧) فى م: «حسنة».

(٨) سقط من: م.

ثم دخلَت سنةُ سبعٍ وأربعين[1] ومائتين

فى شوالٍ مِنها[2] كان مقتَلُ الخليفةِ المتوكلِ على اللَّهِ على يَدَىْ ولدِه المنتصرِ، وكان سببَ ذلك أنَّه أمَر ابنَه عبدَ اللَّهِ المعتزَّ الذى هو وليُّ العهدِ مِن بعدِه أن يخطُبَ بالناسِ فى يومِ جمعةٍ، فأدَّاها أداءً عظيمًا بليغًا، فبلَغ ذلك مِن المنتصرِ كلَّ مبلغٍ، وحنِق على أبيهِ وأخيه، ثم اتفَق أن أحضَره أبوه بينَ يَدَيه فأهانَه وأمَر بضَرْبِه فى رأسِه وصَفْعِه[3]، [٨/٢١٣ظ] وصرَّح بعزلِه عن ولايةِ العهدِ [4]من بعدِ أخيه[4]، فاشتَدَّ أيضًا حنَقُه أكثرَ ممَّا كان. فلَمَّا كان يومُ عيدِ الفطرِ خطَب الخليفةُ المتوكلُ على اللَّهِ بالناس وعندَه بعضُ التَّشَكِّى مِن علَّةٍ به، ثم عدَل إلى خيامٍ قد ضُرِبتْ له؛ أربعةُ أميالٍ فى مثلِها، فنزَل هناك ثم اسْتَدْعى فى يومِ ثالثِ الشهرِ بندمائِه، وكان على عادتِه فى سَمَرِه وحضرتِه وشُرْبِه، ثم تمالأَ ولدُه المنتصرُ وجماعةٌ مِن الأمراءِ على الفتكِ به، فدخَلُوا عليه فى ليلةِ الأربعاءِ لأربعٍ خَلَوْنَ مِن شوالٍ - ويقالُ: مِن شعبانَ - مِن هذه السنةِ، وهو على السِّماطِ، فابتَدَرُوه بالسيوفِ فقتَلُوه، ثم وَلَّوا بعدَه ولدَه المنتصرَ، على ما سنذكُرُه.

---

(١) فى ص: «سبعين».

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٢٢، والمنتظم ١١/ ٣٥٣، والكامل ٧/ ٩٥.

(٣) فى ص: «ضعفه».

(٤ - ٤) زيادة من: م.

وهذه ترجمةُ المتوكِّلِ على اللَّـهِ[1]

جعفرُ بنُ المعتصمِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ محمدِ المهدىِّ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ، أبو الفضلِ المتوكلُ. وأمُّه أمُّ ولدٍ يقالُ لها: شجاعُ. وكانت من سَرَواتِ[2] النِّساءِ سخاءً[3] وحَزْمًا. كان مولدُه بفمِ الصِّلحِ سنةَ سبعٍ ومائتين، وبُويع له بالخلافةِ بعدَ أخيه الواثقِ فى يومِ الأربعاءِ لستٍّ بقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ سنةَ ثِنتينِ وثلاثين ومائتين، كما تقدَّم. وروَى الخطيبُ[4] مِن طريقِهِ، عن يحيى بنِ أكثمَ، عن محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ، عن سفيانَ، عن الأعمشِ، عن موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ، عن[5] عبدِ الرحمنِ بنِ هلالٍ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن النبىِّ ﷺ قال: «مَن حُرِم الرفقَ حُرِم الخيرَ». ثم أنشأ المتوكِّلُ يقولُ:

الـرفـقُ يمـنٌ والأنـاةُ سَـعَـادةٌ ... فاستأنِ فى رِفقٍ تُلاقِ نَجاحا
لا خيرَ فى حَزمٍ بغيرِ رَوِيَّةٍ ... والشَّكُّ وهْنٌ إنْ أردتَ[6] سَراحا

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٥، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٩٤، والعبر ١/ ٤٤٩، وفوات الوفيات ١/ ٢٩٠، وتاريخ الخلفاء ٣٤٦.

(٢) فى ص: «سيدات».

(٣) فى ص: «شجا»، وفى م: «سنحا».

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٦.

(٥) فى ص: «بن».

(٦) فى الأصل: «أبدت».

وقال الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] فى تاريخِه : وحدَّث عن أبيهِ المعتصمِ ، ويحيى ابنِ أكثمَ القاضى . وروَى عنه علىُّ بنُ الجَهمِ الشاعرُ ، وهشامُ بنُ عمَّارٍ الدمشقىُّ ، وقدِم دمشقَ فى خلافتِه ، وابتَنَى بها قصرًا بأرضِ دارَيَّا . وقال يومًا لبعضِهم[2] : إنَّ الخلفاءَ [3]كانت تتصعَّبُ[3] على الرَّعيَّةِ لِتُطِيعَها[4] ، وإنِّى أَلينُ لهم ليُحِبُّونى ويُطيعُونى . وقال أحمدُ بنُ مروانَ المالكىُّ[5] : ثنا أحمدُ بنُ علىٍّ البصرىُّ قال : وجَّه المتوكلُ إلى أحمدَ بنِ [٨/٢١٤و] المُعَذَّلِ[6] وغيرِه مِن العلماءِ ، فجمَعهم فى دارِه ثم خرَج عليهم فقام الناسُ كلُّهم إليه غيرَ أحمدَ بنِ المُعَذَّلِ ، فقال المتوكلُ لعُبيدِ اللَّهِ : إنَّ هذا لا يرَى بيعَتَنا ؟ فقال له : بلى يا أميرَ المؤمنين ، ولكن فى بَصَرِه سوءٌ . فقال أحمدُ بنُ المعذَّلِ : يا أميرَ المؤمنين ، ما فى بصرِى سوءٌ ، ولكن نزَّهتُكَ[7] مِن عذابِ اللَّهِ ، قال النبىُّ ﷺ[8] : « مَنْ أحَبَّ أنْ يتَمَثَّلَ له الرجالُ قِيَامًا فليتبَوَّأْ مقْعَدَهُ مِن النَّارِ » . فجاء المتوكلُ فجلَس إلى جنبِه .

وروَى الخطيبُ البغدادىُّ[9] : أنَّ علىَّ بنَ الجَهْمِ دخَل على المتوكلِ وفى يدِه دُرَّتانِ يُقلِّبُهما ، فأنشدَه قصيدتَه التى يقولُ فيها :

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٣١ بنحوه .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢، وفوات الوفيات ١/ ٢٩١، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٢.

(٣ - ٣) فى ص : « كانت مصعب » ، وفى م : « تغضب » .

(٤) فى ص : « لأطيعها » .

(٥) تاريخ الخلفاء ص ٣٥٢.

(٦) فى الأصل ، س ، ظ : « المعدل » . وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٥١٩.

(٧) فى الأصل : « نرهبك » .

(٨) أخرجه أبو داود (٥٢٢٩) ، والترمذى (٢٧٥٥) ، كلاهما من طريق أبى مجلز عن معاوية به . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٥٧) . وللحديث طرق وروايات أخرى انظرها فى الفتح ١١/ ٥٠، والسلسلة الصحيحة (٣٥٧) .

(٩) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٧.

وإذا مـرَرْتَ بـبـئـرِ عُـر وةَ فـاسقِـنـى مِـن مـائِـهـا

فأعطاه التى فى يمينِه وكانت تساوى مائةَ ألفٍ ، ثم أنشدَه :

بِسُرَّ من رَا أميرُ عدلٍ[1] تَغْرِفُ[2] من بحرِهِ البحارُ
يُرجَى ويُخشَى لكُلِّ خَطْبٍ كـأنَّـهُ جَـنّـةٌ ونـارٌ
المُلْكُ فيهِ وفى بَنيهِ[3] ما اختلفَ الليلُ والنهارُ
يَداهُ فى الجُودِ ضَرَّتانِ عليه كلتاهما تَغارُ
لم تأتِ منهُ اليمينُ شيئًا إلا أتَتْ مثلَهُ اليسارُ

قال : فأعطَاه التى فى يسارِه أيضًا . وقال الخطيبُ[4] : وقد رُوِيتْ هذه الأبياتُ عن علىّ بن هارون ، للبُحترىّ فى المتوكلِ .

وروَى ابنُ عساكرَ عن علىِّ بنِ الجَهْمِ قال[5] : وقَفَت قبيحةُ[6] حظِيَّةُ المتوكِّلِ بينَ يَدَيْه وقد كتَبَتْ على خدِّها بالغاليةِ : جعفرٌ . فتأمَّلَ ذلك ، ثم أنشَأ يقولُ :

وكاتبةٍ فى الخدِّ بالمِسْكِ جعفرًا بنَفْسِى مَحَطٌّ[7] المِسْكِ مِن حيثُ أثَّرا
لَئِنْ أَوْدَعَتْ سَطْرًا مِن المِسْكِ خَدَّها لقد أَوْدَعَتْ قَلْبِى مِن الحُبِّ أَسْطُرا

---

(١) سقط من : الأصل ، س ، م ، ظ .
(٢) فى ص : « تفرق » .
(٣) فى تاريخ بغداد : « أبيه » .
(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٧ ، والأبيات فى ديوان البحترى ٢/ ١٠١٣ .
(٥) الخبر والأبيات فى الأغانى ١٩/ ٣١١ ، دون البيت الثالث ، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢ ، مع اختلاف فى الرواية ، وكذا فى نسبة الأبيات .
(٦) فى م : « فتحية » .
(٧) فى م : « تحط » .

فيا مَنْ مُناها فى السَّريرةِ جعفرٌ سَقَى[1] اللَّهُ مِنْ سُقيا ثَنَاياكِ جَعْفَرا
ويا مَنْ لِمَمْلُوكٍ[2] لِملكِ يَمينِه مطيعٍ لهُ فيما أسَرَّ وأظْهَرَا

قال : ثم أمَر المتوكلُ عريبًا[3] فغَنَّت به . وقال الفتحُ بنُ خاقانَ[4] : دخَلتُ يومًا على المتوكلِ فإذا هو مُطرِقٌ مفكِّرٌ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، ما لَكَ مُفَكِّرًا ؟ فواللَّهِ ما على الأرضِ أطيبُ منكَ عيشًا ، ولا أنعمُ منكَ بالًا . فقال : أطيبُ منِّى عيشًا رجلٌ له دارٌ واسعةٌ ، وزوجةٌ صالحةٌ ، ومعيشةٌ حاضرةٌ ، لا يعرِفُنا فنُؤْذِيَه ، ولا يحتاجُ إلينا [٨/٢١٤ظ] فنَزْدَرِيَه .

وقد كان المتوكلُ مُحبِّبًا إلى رعيتِه ، قائمًا [5]بالسُّنَّةِ فيهم[5] ، وقد شبَّهه بعضُهم[6] بالصِّدِّيقِ فى [7]ردِّه على[7] أهلِ الرِّدَّةِ[7] ، حتى رجَعُوا إلى الدِّينِ ، وبعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ حينَ ردَّ مظالمَ بنى أميةَ . وهو أظهَرَ السُّنَّةَ بعدَ البدعةِ ، وأخمَد البدعةَ[8] بعدَ انتشارِها واشتهارِها ، فرحِمه اللَّهُ .

وقد رآه بعضُهم فى المنامِ بعدَ موتِه وهو جالسٌ فى نورٍ ، فقال[10] :

---

(١) فى ظ : « سقاها » .
(٢) فى ص : « كمملوك » .
(٣) فى الأصل : « غيرها » ، وفى م : « عربا » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٠.
(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١٦، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٠، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٣.
(٥ - ٥) فى م : « فى نصرة أهل السنة » .
(٦) هو قاضى البصرة إبراهيم بن محمد التيمى . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢، وفوات الوفيات ١/ ٢٩٠، وتاريخ الخلفاء ص ٣٤٦.
(٧ - ٧) فى م : « قتله » .
(٨) بعده فى م : « لأنه نصر الحق ورده عليهم » .
(٩) فى م : « أهل البدع وبدعتهم » .
(١٠) تاريخ بغداد ٧/ ١٧١، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٢، وفوات الوفيات ١/ ٢٩١، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٠ بنحوه .

آلمتوكلُ ؟! فقال : المتوكلُ . قال : فما فعَل بكَ ربُّكَ ؟ قال : غفَر لى . قلتُ : بماذا ؟ قال : بقليلٍ من السُّنَّةِ أحييتُها .

وروَى الخطيبُ[1] عن صالحِ بنِ أحمدَ أنَّه رأَى فى منامِه ليلةَ ماتَ المتوكلُ كأنَّ رجلًا يصعَدُ به إلى السماءِ ، وقائلًا يقولُ :

ملكٌ يقادُ إلى مَليكٍ عادلٍ ... مُتفضِّلٍ فى العَفْوِ ليس بجائرِ

ورُوِى عن عمرِو[2] بنِ شيبانَ الحلبىِّ قال[3] : رأيتُ ليلةَ قُتِل[4] المتوكلُ قائلًا يقولُ :

يا نائمَ العينِ فى أقطارِ[5] جُثمانِ ... أَفِضْ دُموعَكَ يا عمرُو بنَ شيبانِ

أمَا ترى الفِتْيةَ[6] الأرجاسَ ما فعَلُوا ... بالهاشمىِّ وبالفتْحِ بنِ خاقانِ

وافَى إلى اللَّهِ مَظْلومًا فضجَّ له ... أهلُ السمواتِ من مَثْنَى ووُحْدَانِ

وسَوْفَ [7]تأتِيكُمْ أُخْرَى مُسَوَّمةٌ[7] ... تَوقَّعُوها [8] لها شأنٌ مِن الشَّانِ

فابْكُوا على جعفرٍ وارثُوا[9] خليفتَكُم ... فقد بكاهُ جميعُ الإنْسِ والجانِ

قال : فأصبحتُ فأخبَرتُ الناسَ ، فجاء نَعْيُه أنَّه قُتِل فى تلك الليلةِ . قال : ثم

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٧١.

(٢) فى ص : « عمر » .

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ١٧١، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٠. بنحوه .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « أوطان » .

(٦) فى م : « الفئة » .

(٧ - ٧) فى م : « يأتيكم من بعده فتن » .

(٨) فى الأصل : « ترقعوها » .

(٩) فى م : « وابكوا » .

رأيتُه بعدَ هذا بشهرٍ، وهو اقفٌ بينَ يَدَيِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، فقلتُ: ما فعَل بِك ربُّك؟ فقال: غفَر لى. قلتُ: بماذا؟ قال: بقليلٍ مِن السُّنةِ أحييتُها. قلتُ: فما تصنَعُ هـاهنا؟ قال: أنتَظِرُ ابنى محمدًا أخاصمُه إلى اللَّهِ الحليمِ العظيمِ الكريمِ.

وقد ذكَرْنا قريبًا كيفيةَ مقتَلِه، (١وأنَّ ابنَه محمدًا المستنصرَ مالأَ جماعةً من الأمراءِ على قتلِه فقُتِل١) فى ليلةِ الأربعاءِ أوَّلَ الليلِ، لأربعٍ خَلَتْ مِن شوالٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ سبعٍ وأربعينَ ومائتين - بالمتوكليةِ[٢]، وهى الماحوزةُ[٣]. وصُلِّىَ عليه يومَ الأربعاءِ، ودُفِن بالجَعْفَرِيَّةِ[٤]، وله مِن العمرِ أربعونَ سنةً، وكانت مُدَّةُ خلافتِه أربعَ عشْرةَ سنةً وعشَرةَ أشهرٍ وثلاثةَ أيامٍ. وكان أسمرَ، حسَنَ العينينِ، نحيفَ الجسمِ، خفيفَ العارِضَين، أقربَ إلى القِصَرِ. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ.

[٨/٢١٥و] خلافةُ محمدٍ المنتصرِ بنِ المتوكلِ

قد تقدَّم أنَّه تمالأَ هو وجماعةٌ مِن الأمراءِ على قتْلِ أبيه[٥]، وحينَ قتِل الخليفةُ المتوكِّلُ بُويع له بالخلافةِ فى الليلِ، فلمّا كان الصباحُ مِن يومِ الأربعاءِ رابعِ شوّالٍ أُخِذَت له البيعةُ مِن العامَّةِ، وبعَث إلى أخيه المعتزِّ فأحضَره إليه فبايعَه المعتزُّ، وقد

(١ - ١) فى م: «وأنه قتل».

(٢) المتوكلية: مدينة بناها المتوكل على الله قرب سامرا. معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٣) فى م: «الماحوزية».

(٤) فى الأصل، س، ص، ظ: «بالجعفرى». والجعفرية: محلة كبيرة مشهورة فى الجانب الشرقى من بغداد. معجم البلدان ٢/ ٨٨.

(٥) فى ص: «ابنه».

كان المعتزُّ هو وَلِيَّ العهدِ قبلَه[1] ، ولكِنْ أكرَهَه[2] فسلَّم وبايَع . فلمّا أُخِذتِ البيعةُ له كان أوَّلَ ما تكلَّم به أنَّه اتَّهم الفتْحَ بنَ خاقانَ على قتْلِ أبيه ، وقُتِل الفتْحُ أيضًا ، ثم بعَث البيعةَ له إلى الآفاقِ .

وفى ثانى يومٍ مِن خلافتِه وَلَّى المظالمَ لأبى عَمْرةَ أحمدَ بنِ سعيدٍ ، مولَى بنى هاشمٍ ، فقال الشاعرُ[3] :

يا ضَيْعةَ الإسلامِ لمّا وَلِى ... مظالمَ الناسِ أبو عَمْرَهْ
صُيِّرَ مأمونًا على أُمّةٍ ... وليس مأْمُونًا على بَعْرَهْ

وكانتِ البيعةُ له بالمتوَكِّلِيَّةِ ، وهى الماحوزَةُ[4] ، فأقام بها عشَرةَ أيامٍ ثم تحوَّل هو وجميعُ قوّادِه وحشَمِه منها إلى سَامَرّاءَ .

وفى ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ أخرَج المنتصرُ عمَّه علىَّ بنَ المعتصمِ مِن سامَرّاءَ إلى بغدادَ ، ووَكَّلَ به .

وحجَّ بالناسِ محمدُ بنُ سليمانَ الزَّيْنَبِىُّ .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجوهَرِىُّ[5] . **وسفيانُ** بنُ وكيعِ بنِ الجرّاحِ[6] . **وسَلَمَةُ** بنُ

---

(١) فى م : « من بعد أبيه » .
(٢) فى ص : « أكرمه » ، وبعده فى م : « وخاف » .
(٣) البيتان فى تاريخ الطبرى ٩/ ٢٣٩ بلا نسبة .
(٤) فى ص : « المأخوذة » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢٣٩.
(٥) تاريخ بغداد ٦/ ٩٣، وتهذيب الكمال ٢/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٥٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٥٤.
(٦) طبقات الحنابلة ١/ ١٧٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٥٢، وميزان =

شَبيبٍ[1] .

وأبو عثمانَ المازِنىُّ النَّحْوىُّ[2] ، واسمُه : بكرُ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ البصْرىُّ ، شيخُ النُّحاةِ فى زمانِه . أخَذ عن أبى عُبيدةَ والأصمعىِّ وأبى زيدٍ الأنصارىِّ وغيرِهم ، وأخَذ عنه أبو العباسِ المبَرِّدُ وأكثَرَ عنه ، وللمازِنىِّ مصنفاتٌ كثيرةٌ فى هذا الشأْنِ ، وكان شبيهًا بالفقهاءِ ، وَرِعًا زاهدًا ثِقَةً مأْمونًا .

روَى عنه المبرِّدُ[3] أنَّ رجلًا مِن أهلِ الذِّمَّةِ[4] طلَب منه أن يقرَأَ عليه كتابَ سيبوَيْهِ ويُعطِيَه مائةَ دينارٍ ، فامتنَع مِن ذلك ، فلَامَه بعضُ الناسِ فى ذلك ، فقال : إنَّما ترَكْتُ هذا[5] لِمَا فيه مِن آياتِ اللَّهِ تعالى . فاتَّفَق بعدَ هذا أنَّ جاريةً غنَّتْ بحضْرَةِ الواثقِ :

أَظَلومُ إنَّ مُصابَكم رَجُلًا ... ردَّ السَّلامَ تحيّةً ظُلْمُ

فاختَلَف مَن بحضْرَةِ الواثقِ فى إعرابِ هذا البيتِ ، وهل يكونُ « رجلًا » مرفوعًا أو منصوبًا ، وبِمَ نُصِبَ ؟ أهو اسمٌ أو ماذا ؟ وأصرَّتِ الجاريةُ على أنَّ المازِنىَّ حفَّظَها [٨/٢١٥ظ] هذا هكَذا . قال : فأرسَل الخليفةُ إليه ، فلمّا مثَل بينَ يديْه قال

= الاعتدال ٢/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٨٤.

(١) الثقات لابن حبان ٨/ ٢٨٧، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٨٦، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٢٠.

(٢) طبقات الزبيدى ص ٨٧، وتاريخ بغداد ٧/ ٩٣، ومعجم الأدباء ٧/ ١٠٧، وإنباه الرواة ١/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢٨٣، وإشارة التعيين ٦١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٨٦.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٨٤.

(٤) فى الأصل : « المدينة » .

(٥) فى م : « أخذ الأجرة عليه » .

له : أنتَ المازنيُّ ؟ قال : نعم . قال : مِن مازنِ تميم ، أم مِن مازنِ ربيعةَ ، أم مِن مازنِ قيسٍ ؟ فقلتُ : مِن مازنِ ربيعةَ[1] . فأخَذ يكلِّمُني بلُغَتِي ، فقال : بَاسْمُكَ ؟ وهم يقلِبونَ الباءَ ميمًا والميمَ باءً ، فكرِهتُ [2]أن أقولَ[2] : مكرٌ . فقلتُ : بكْرٌ . فأعجَبه إعراضِي عن المكْرِ [3]إلى البَكْرِ[3] ، وعرَف ما أردْتُ . فقال : علَامَ تنصِبُ رجلًا ؟ فقلتُ : لأنَّه معمولُ المصدرِ ؛ « مصابَكم » . فأخَذ اليزيديُّ يعارِضُه ، فعَلَاه المازِنيُّ بالحُجَّةِ ، فأطلقَ له الخليفةُ ألفَ دينارٍ ورَدَّه إلى أهلِه مُكْرَمًا . فعوَّضَه اللَّهُ عن المائةِ دِينارٍ - [4]لمّا ترَكها للَّهِ سبحانَه ، ولم يمكِّنِ الذِّمىَّ مِن قراءةِ الكتابِ ؛ لأجلِ ما فيه مِن القرآنِ[4] - ألفَ دِينارٍ ؛ [3]عشَرةَ أمثالِها[3] .

وروَى المبرِّدُ عنه قال[5] : أقْرَأْتُ رجلًا كتابَ سيبويهِ إلى آخرِه ، فلمّا انتهَى[5] قال لى : أمّا أنتَ [3]أيُّها الشيخُ[3] ، فجزَاك اللَّهُ خيرًا ، وأمّا أَنا ، فواللَّهِ ما فهِمتُ منه حرفًا .

تُوفِّى المازنيُّ فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ ثمانٍ وأربعين ومائتين ، [6]وأغرَبَ مَن قال : سنة ستٍّ وثلاثينَ . فاللَّهُ أعلَمُ بالصوابِ[6] .

---

(١) بعده فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « قال » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لذا قول » .

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٠.

(٥) بعده فى م : « إلى آخره » .

(٦ - ٦) ليست فى : الأصل ، ب ، م . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٢٨٦.

ثم دخلَت سنةُ ثمانٍ وأربعينَ ومائتَيْن

ففيها[1] أغْزَى المنتصرُ وصيفًا التُّركيَّ الصائفةَ لقتالِ الرومِ؛ وذلك أنَّ ملكَ الرومِ قصَد بلادَ الشامِ، فعندَ ذلك جهَّز المنتصرُ وصيفًا وجهَّز معه [2]جيشًا كثيفًا ورجالًا[2] وعُدَدًا، [3]وأمَر له بنفقاتٍ[3] كثيرةٍ، وأمَره إذا فرَغ مِن قتالِ الرومِ أن يُقيمَ بالثَّغْرِ أربعَ سنينَ، وكتَب [4]له إلى[4] محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ، نائبِ العراقِ كتابًا عظيمًا فيه آياتٌ كثيرةٌ فى التحريضِ للناسِ[5] على القتالِ والترغيبِ فيه.

وفى [6]ليلةِ السبتِ[6] لسبعٍ بقِينَ مِن صفَرٍ [3]مِن هذه السنةِ المباركةِ[3] خلَع أبو عبدِ اللَّهِ محمدٌ[7] المعتزُّ والمؤيَّدُ إبراهيمُ - [3]أخوا أميرِ المؤْمنينَ، وَلِيَّا العهدِ[3] - أنفسَهما مِن الخلافةِ، وأشهَدَا عليهما بذلك، وأنَّهما عاجزانِ عن الخلافةِ، وأنَّ المسلمين فى حِلٍّ مِن بيعتِهما، وذلك بعدَ ما تهدَّدَهما أخوهما المنتصرُ، وتوعَّدَهما بالقتْلِ إن لم يفعَلَا ذلك، ومقصودُه توليةُ ابنِه عبدِ الوهابِ بإشارةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٤٠، والمنتظم ١٢/ ٣، والكامل ٧/ ١١١.

(٢ - ٢) فى م: «نفقات».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى ص: «إليه».

(٥) زيادة من: م.

(٦ - ٦) فى ص: «هذه السنة». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢٤٤، والكامل ٧/ ١١٢.

(٧) سقط من: م. وفى ص: «محمد بن».

أمراءِ الأتراكِ بذلك، وخطَب بذلك على رءُوسِ الأشهادِ بحضْرةِ القوّادِ والقضاةِ وأعيانِ [1]بنى هاشمٍ و[1]الناسِ عامَّةً، وكتَب بذلك إلى الآفاقِ والأقاليمِ[2]؛ ليعلَموا بذلك ويخطُبوا له بذلك على المنابرِ، [3]ويتوَالَى على محالِّ[3] الكتابةِ - واللَّهُ غالبٌ على أمرِه - فأرادَ أن يَسْلُبَهما المُلْكَ ويجعَلَه فى عَقِبِه، والأقدارُ تُكْذِبُه وتخالِفُه؛ وذلك أنَّه لم يستَكْمِلْ بعدَ قتْلِ أبيه سوى ستةِ أشهرٍ، ففى أواخرِ صفَرٍ [٨/٢١٦و] مِن هذه السنةِ عرَضَتْ له علَّةٌ، كان فيها حتْفُه، على ما سنذكُرُه.

وقد كان المنتصرُ رَأَى فى منامِه[4] كأنَّه يصعَدُ سُلَّمًا، فبلَغ إلى آخرِ خمسٍ وعشرين درجةً، فقصَّها على بعضِ المعبِّرِينَ، فقال له: هذه خمسٌ وعشرون سنةً تلِى فيها الخلافةَ. وإذا بها مدَّةُ عمْرِه، وقد استكْمَلَها فى هذه السنةِ. وقال بعضُهم[5]: دخَلنا عليه يومًا فإذا هو يَبكِى وينتحِبُ شديدًا، فسأله بعضُ أصحابِه عن بُكائِه، فقال: رأيتُ أبى المتوكِّلَ فى منامِى هذا وهو يقولُ: ويلكَ يا محمدُ قتَلْتَنى وظلَمْتَنى وغصَبْتَنى خلافَتِى، واللَّهِ لا مُتِّعْتَ بها بعدِى إلّا أيامًا يسيرةً ثم مَصِيرُك إلى النارِ. قال: فما أملِكُ [6]عيْنِى ولا جزَعِى[6]. فقال له بعضُ أصحابِه [7]مِن الغرّارينَ الذين يُغرُونَ الناسَ ويَفتِنُونَهم[7]: هذه رُؤْيا وهى تصدُقُ وتكْذِبُ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) فى الأصل، س، ص: «وتزال أسماؤهما عن محل».

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥٢، والكامل ٧/ ١١٥.

(٦ - ٦) فى س: «الآن قوتى لشدة جزعى».

(٧ - ٧) زيادة من: م.

فقُمْ بنا إلى الشرابِ ؛ [1]ليذهَبَ همُّك وحَزَنُك . فأمَر بالشرابِ[1] فأُحضِر ، وجاء ندماؤه ، فأخَذ فى الخمرِ وهو مُنكَسِرُ الهِمَّةِ ، وما زال كذلك مَكْسُورًا حتى مات .

وقد اختَلفوا فى علَّتِه التى كان فيها هَلاكُه ، فقيل[2] : [3]إنَّه أصابه[3] داءٌ فى رأسِه فقُطِّر فى أُذُنِه دُهْنٌ ، فلمّا وصَل إلى دِماغِه عُوجِلَ بالموتِ . وقيل : بل وَرِمتْ مَعِدتُه فانتَهى الوَرَمُ إلى قلبِه فماتَ . وقيل : بل أصابَتْه ذُبْحةٌ فاستمرَّتْ به عشَرةَ أيامٍ فماتَ . وقيل : بل فصدَه الحجّامُ بمِفْصَدٍ مسمومٍ فمات مِن يومِه .

قال ابنُ جريرٍ[4] : أخبرَنى بعضُ أصحابِنا أنَّ هذا الحجّامَ رجَع إلى منزلِه وهو محمُومٌ ، فدَعا تلميذًا[5] له ليفصِدَه فأخَذ مباضِعَ أستاذِه [6]فاختار منها أجودَها ، فإذا به ذلك المِبْضَعُ المسمومُ الذى فصَد به الخليفةَ ، ففصَد أُستاذَه[6] وهو لا يَشْعُرُ ، وأنسَى اللَّهُ سبحانَه الحجَّامَ ، فما ذكَر حتى رآه قد فصَدَه به ، وتحكَّم فيه السُّمُّ ، فأوصَى عندَ ذلك ومات مِن يومِه .

وذكَر ابنُ جريرٍ[7] أنَّ أُمَّ الخليفةِ دخَلت عليه وهو فى مرضِه الذى ماتَ فيه ، فقالت له : كيفَ حالُك ؟ فقال : ذهَبتْ منى الدُّنيا والآخرةُ .

(١ - ١) زيادة من : م .
(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥١، والكامل ٧/ ١١٤.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥١.
(٥) فى الأصل ، ص : «أجيرا» .
(٦ - ٦) فى م : «ففصده به» .
(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥٢.

ويقال[1] : إنَّه أنشَد لمّا أُحيطَ به وأَيِسَ مِن الحياةِ [2]وهو فى السياقِ[2] :

فما فَرِحتْ نفسى بِدُنيا أَصَبْتُها ولكِنْ إلى الربِّ الكريمِ أَصِيرُ

فمات يومَ الأحدِ لخمسٍ مضَيْنَ[3] مِن ربيعِ الآخرِ مِن هذه السنةِ ، وقتَ صلاةِ العصرِ ، عن خمسٍ وعشرين سنةً ، قيل[4] : وستَّةِ أشهرٍ . ولا خلافَ أنَّه إنَّما وَلِى الخلافةَ ستَّةَ أشهرٍ لا أزيدَ منها .

وذكَر ابنُ جريرٍ عن بعضِ أصحابِه[5] أنَّه لم يزَلْ يسمَعُ الناسَ يقولونَ - [٨/ ٢١٦ظ] العامةَ وغيرَهم حينَ وَلِى المنتصرُ -: إنَّه لا يمْكُثُ فى الخلافةِ سوى ستَّةِ أشهرٍ[6] ، كما مكَث شِيرَوَيْهِ[7] بنُ كِسْرَى حينَ قتَل أباه [8]لأجلِ المُلكِ[8] ، وكذلك وقَع سواءً .

وقد كان المنتصرُ أعينَ أقنَى قصيرًا مَهِيبًا جيِّدَ البَدنِ ، وهو أولُ خليفةٍ مِن بنى العباسِ أُبرِزَ قبرُه ، وذلك بإشارةِ أمِّهِ حَبَشِيَّةَ الروميَّةِ .

ومِن جيِّدِ كلامِه قولُه[9] : واللَّهِ ما عَزَّ ذو باطلٍ قطُّ ، ولو طلَع القمرُ مِن جَبِينِه ، ولا ذَلَّ ذو حَقٍّ قطُّ ، ولو أصفَقَ العالَمُ عليه .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥٤، والكامل ٧/ ١١٥.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل، م: «بقين»، وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥١، والكامل ٧/ ١١٤.

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥٣، والكامل ٧/ ١١٥.

(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٥٢.

(٦) بعده فى م: «وذلك مدة خلافة من قتل أباه لأجلها».

(٧) فى الأصل: «تيرويه»، وفى م: «شبرويه».

(٨ - ٨) زيادة من: ب، س، م، ظ.

(٩) الكامل ٧/ ١١٦.

خلافةُ المستعينِ باللَّـهِ

وهو أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ[1] المُعتصِمِ، بُويعَ له بالخلافةِ يومَ مات المُنتصِرُ، بايعَه عُمومُ الناسِ، ثم خرَجتْ عليه شِرْذِمَةٌ مِن الأتْراكِ يقولُونَ: يا معتزُّ، يا منصورُ. فالْتَفَّ عليهم خلقٌ، وقامَ بنَصْرِ المُسْتَعِينِ جمهورُ الجيشِ، فاقْتَتَلُوا قِتالًا شديدًا أيامًا، فقُتِل خلقٌ مِن الفريقينِ، وانْتُهِبتْ أماكنُ كثيرةٌ مِن بغدادَ، وجرَتْ فتنٌ[2] كثيرةٌ جدًّا، ثم استَقرَّ الأمرُ للمُستعينِ فعزَل وولَّى، وقطَع ووصَل، وأمَر ونَهَى[3].

وفيها مات **بُغا الكبيرُ**[4] فى جُمادَى الآخِرةِ، فوَلَّى الخليفةُ مكانَه ولدَه مُوسى بنَ بُغَا، وقد كانت له همَّةٌ عاليةٌ، وآثارٌ سامِيَةٌ، وغزَواتٌ فى المشارِقِ والمغاربِ مُتواليَةٌ.

[5]وفى هذه السنةِ ابتاعَ المستعينُ مِن أبى عبدِ اللَّهِ المعتزِّ شيئًا كثيرًا[5] مِن المتاعِ والأثاثِ[6] والضِّياعِ، بما قِيمتُه عشَرَةُ آلافِ ألفِ دِينارٍ و[7]عَشْرُ حبَّاتِ جَوْهَرٍ،

---

(١) سقط من: س، م، ص.

(٢) بعده فى م: «منتشرة».

(٣) بعده فى م: «أياما ومدة غير طويلة».

(٤) مروج الذهب ٤/ ٧٥، وتاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٥، والمنتظم ١٢/ ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٨٦، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٧٢.

(٥ - ٥) فى م: «وكان له».

(٦) سقط من: م.

(٧) بعده فى م: «ترك».

(١) ومِن إبراهيمَ بما قيمتُه(١) ثلاثةُ آلافِ ألفِ دِينارٍ وثلاثُ حَبّاتٍ(٢) .

وفيها عدَا أهلُ حِمْصَ على عاملِهم فأخْرَجُوه مِن بينِ أظهُرِهم ، فبعَث إليهم المستعينُ فأخَذ منهم مائةَ رجلٍ مِن سَرَاتِهم ، وأمرَ بهَدْمِ سُورِهم .

وفيها حجَّ بالناسِ محمدُ بنُ سُلَيمانَ الزَّيْنَبيُّ .

وفيها توفِّي مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ صالحٍ(٣) . **والحُسينُ** بنُ عليٍّ الكَرابِيسِيُّ(٤) . **وعبدُ الجبّار** بنُ العَلَاءِ(٥) . **وعبدُ الملكِ** بنُ شُعيبٍ(٦) . **وعيسى** بنُ حَمَّادٍ(٧) . **ومحمدُ** بنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ(٨) .

(١ - ١) في م : « قيمتها » .

(٢) بعده في م : « سلا ذهبا وورق » .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٩٥، ١/ ٤٨، وتهذيب الكمال ١/ ٣٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٤، والوافي بالوفيات ٦/ ٤٢٤، وطبقات الشافعية ٢/ ٦.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٦٤، وطبقات الفقهاء ص ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٤١، والوافي بالوفيات ١٢/ ٤٣٠، وطبقات الشافعية ٢/ ١١٧، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٩.

(٥) الثقات ٨/ ٤١٨، والمعجم المشتمل ص ١٦٤، وتهذيب الكمال ١٦/ ٣٩٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٢٢.

(٦) الجرح والتعديل ٥/ ٣٥٤، والمعجم المشتمل ص ١٧٥، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٣٥، والكاشف ٢/ ١٨٤.

(٧) الثقات ٨/ ٤٩٤، والمعجم المشتمل ص ٢١٠، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٥٩٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٨٣، والكاشف ٢/ ٣١٤.

(٨) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٩، والمعجم المشتمل ص ٢٣٦، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٠٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٢٥، والوافي بالوفيات ٣/ ٢٨.

ومحمدُ بنُ زُنْبُورٍ[1] . **ومحمدُ** بنُ العَلَاءِ أبو كُرَيبٍ[2] . **ومحمدُ** بنُ يزيدَ أبو هشامٍ الرِّفاعِيُّ[3] .

وأبو حاتمٍ السِّجِسْتَانِيُّ[4] ، واسمُه سهْلُ بنُ محمدِ بنِ عُثْمانَ بنِ يزيدَ الجُشَميُّ ، أبو حاتمٍ السِّجستانيُّ النحويُّ اللغويُّ ، صاحبُ المُصنَّفاتِ الكثيرةِ ، وكان بارعًا فى اللغة ، اشتغل فيها على أبى عُبَيْدةَ[5] والأَصمَعيِّ ، وأكثرَ الرِّوايةَ عن أبى زيدٍ الأنْصاريِّ ، وأخَذ عنه المُبَرِّدُ ، وابنُ دُرَيدٍ [٨/٢١٧و] ، وغيرُهما .

وكان عبدًا صالحًا ، كثيرَ الصدقةِ والتِّلاوةِ ، يتصدَّقُ كلَّ يومٍ بدينارٍ ، ويقرَأُ فى كلِّ أُسبوعٍ خَتْمةً ، وله شِعرٌ كثيرٌ ؛ منه قولُه[6] :

أَبْـرَزوا وجـهَـهُ الجمـيـ ـلَ و[7] لامُـوا مَـن افْتُتِـنْ

---

(١) فى م : « زينور » . وانظر ترجمته فى : الثقات ٩/ ١٠٨، والمعجم المشتمل ص ٢٤٠، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٣٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٧٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٤، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٥٥، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٥٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٨٢ وفيه : « أبو هاشم » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٨٥، والوافى بالوفيات ٥/ ٢١٦.

(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٩٤، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٦٣، وإنباه الرواة ٢/ ٥٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٠، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٦٢، وقد أورده الذهبى فيهما من وفيات الطبقة السادسة والعشرين .

(٥) فى م : « عبيد » . وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥.

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣١.

(٧) فى الأصل : « ثم » .

لــو أرادُوا صِـيَـانَـتـى ستَـروا وجـهَـهُ الحَسَـنْ

(١ قال ابنُ خَلِّكانَ(٢) : و ١) كانت وفاتُه فى المحرمِ . وقيل : فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٣.

ثم دخلت سنة تسعٍ وأربعين ومائتين

فى يومِ الجمعةِ النصفِ مِن رجَبٍ مِنها[1] التقَى جمعٌ مِن المسلِمين، وخلقٌ مِن الرومِ بالقُرْبِ مِن مَلَطْيَةَ، فاقتتلوا قِتالًا عظيمًا[2]، قُتِل مِن الفريقَين خلقٌ كثيرٌ، وقُتِل أميرُ المسلمينَ عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الأَقْطَعِ، وقُتِل معَه ألفا رجُلٍ مِن المسلمين، وكذلك قُتِل الأميرُ عليُّ بنُ يَحْيى الأَرْمَنيُّ[3] فى طائفةٍ مِن المسلمينَ أيضًا، فإنّا للَّهِ وإنا إليه راجعون، وقد كان هذان الأميران مِن أكبرِ أنصارِ الإسلامِ.

ووقَعتْ فتْنَةٌ عظيمةٌ ببغدادَ فى أوَّلِ يومٍ مِن صفَرٍ مِن هذه السنةِ، وذلك أنَّ العامَّةَ كرِهوا جماعةً مِن الأُمراءِ الذين قد تغلَّبوا على أمرِ الخِلافةِ، وقتَلوا المُتوَكِّلَ، واستضعَفوا المُنتصِرَ والمُستعينَ بعدَه؛ فنهَضوا إلى السِّجنِ، فأخرَجوا مَن فيه، وجاءُوا إلى الجسرِ[4] فقطَعوه، وضرَبوا الآخرَ بالنارِ فأحرَقوه[5]، ونادَوا بالنَّفيرِ، فاجْتمَع خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، ونهَبوا أماكنَ مُتعدِّدةً، وذلك بالجانبِ الشرقيِّ مِن بَغدادَ، ثم جمَع أهلُ اليَسارِ مِن أهلِ بغدادَ أموالًا كثيرةً؛ لتُصرَفَ إلى مَن

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٦١، والمنتظم ١٢/ ٢٠، والكامل ٧/ ١٢١.

(٢) فى م: «شديدا».

(٣) بعده فى م: «وكان أميرا».

(٤) فى م: «أحد الجسرين».

(٥) فى م: «وأحرقوا».

ينهَضُ إلى ثُغورِ [1]الرومِ لقتالِهم[1] عِوضًا عن مَن قُتِل مِن المسلمينَ هناك، فأقبَل خلقٌ كثيرٌ مِن نواحِى الجبالِ والأهوازِ وفارِسَ، وغيرِها لغَزْوِ الرومِ، وذلك أنَّ الخليفةَ والجيشَ [2]تأخَّروا عن النُّهوضِ، فغضِبت العامَّةُ[2] مِن ذلك، وفعَلوا ما ذكَرنا.

ولتِسْعٍ بَقِينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ نهَض عامَّةُ أهلِ سَامَرَّا إلى السِّجنِ، فأخرَجوا مَن فيه[3]، وجاءَهم قومٌ مِن الجيشِ، يقالُ لهم: الزُّرافةُ[4]. فهزَمتهم العامَّةُ، فركِب عندَ ذلك وصيفٌ وبُغَا الصغيرُ وعامَّةُ الأتراكِ، فقتَلوا مِن العامَّةِ خلقًا كثيرًا، وجرَت فتَنٌ طويلةٌ كثيرةٌ، ثم سكَنتْ.

وفى النِّصفِ مِن ربيعٍ الآخرِ وقَعتْ فتنةٌ بينَ الأتراكِ، وذلك أنَّ الخليفةَ المستعينَ كان قد فوَّض أمرَ الخلافةِ والتصرُّفَ فى أمْوالِ [٨/٢١٧ظ] بيتِ المالِ إلى ثلاثةٍ؛ وهم أُتامِشُ[5] التركىُّ، وكان أخَصَّ مَن عندَه[6]، وهو بمنزلَةِ الوزيرِ، وفى حِجْرِه العبّاسُ بنُ المُستعينِ يُربِّيه، ويُعلِّمُه الفُروسيَّةَ. وشاهَكُ الخادِمُ، وأمُّ الخليفةِ، وكان لا يمنَعُها شيئًا تريدُه، وكان لها كاتبٌ يقالُ له: سَلَمةُ بنُ سعيدٍ

(١ - ١) فى م: «المسلمين لقتال العدو».

(٢ - ٢) فى م: «لم ينهضوا إلى بلاد الروم وقتال أعداء الإسلام وقد ضعف جانب الخلافة واشتغلوا بالقيان والملاهى فعند ذلك غضبت العوام».

(٣) بعده فى م: «أيضا كما فعل أهل بغداد».

(٤) فى الأصل: «الرراقه»، وفى س: «الزراقه»، وفى ص، ظ: «الرزاقة». والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٩/ ٢٦٢.

(٥) فى الأصل: «ايلش»، وفى س، ظ: «ايامش»، وفى ص: «اياس»، وفى تاريخ الطبرى: «أوتامش». والمثبت موافق لما فى الكامل ٧/ ١٢٢.

(٦) فى م: «عند الخليفة».

النَّصْرانىُّ . فأقبَل أُتَامِشُ فأسرَف فى أخذِ الأموالِ حتى لم يُبقِ ببيتِ المالِ شيئًا ، فغضِبت الأتراكُ مِن ذلك وغارت منه ، [1] فاجتمعوا عليه عند ذلك [1] ، وركِبوا إليه [2] وأحاطوا بقصرِ الخلافةِ ، وهو عندَ المُستعينِ ، ولم يُمكِنْه منعُه منهم ، ولا دفعُهم عنه ، فأنزَلوه [3] صاغرًا فقتَلوه ، وانتَهَبوا أموالَه وحَواصِلَه ودُورَه ، واستوزَر الخليفةُ بعدَه أبا صالحٍ عبدَ اللَّهِ بنَ محمدِ بنِ يَزْدادَ ، وولَّى بُغا الصغيرَ فِلَسْطينَ ، وولَّى وصيفًا الأَهْوازَ ، وجرَى خَبْطٌ كبيرٌ ووَهْنٌ [4] كثيرٌ [5] مِن أمرِ [5] الخليفةِ [6] .

وتحرَّكتِ المغاربةُ بسامَرَّا فى يومِ الخميسِ لثلاثٍ خَلونَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، فكانوا يجتمِعون فيركَبون ، ثم يتفرَّقون .

وفى يومِ الجمُعةِ لخمسٍ بَقِينَ مِن جُمادَى الأُولَى ، وهو اليومُ السادِسَ عشَرَ مِن تَمُّوزَ [7] ، مُطِرَ أهلُ سامَرَّا مطَرًا عظيمًا برَعدٍ وبَرْقٍ ، والغَيمُ [8] مُطْبِقٌ ، والمطرُ مُسْتَهِلٌّ كثيرٌ مِن أوَّلِ النهارِ إلى اصفِرارِ الشمسِ . وفى ذى الحِجَّةِ أصابَ أهلَ الرَّىِّ زَلزَلةٌ شديدةٌ جدًّا ، ورَجْفَةٌ هائلةٌ تهدَّمَتْ منها الدورُ ، ومات منها خلقٌ كثيرٌ ، وخرَج بقيَّةُ أهلِها إلى الصحراءِ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ موسى بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ

(١ - ١) فى م : « فاجتمعوا » .
(٢) فى م : « عليه » .
(٣) فى م : « فأخذوه » .
(٤) فى م : « شر » .
(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « من » ، وفى م : « هن » .
(٦) بعده فى الأصل : « عليه » ، وبعده فى م : « وضعف » .
(٧) تموز : الشهر العاشر من الشهور السريانية ، يقابله يولية من الشهور الرومية . الوسيط (ت م و ز) .
(٨) فى م : « وغيم منعقد » .

الإمامُ، وهو والى مكَّةَ.

ومِمَّن تُوفِّى مِن الأعْيانِ:

أيُّوبُ بنُ محمدٍ الوَزَّانُ[1]. **والحسنُ** بنُ الصَّبّاحِ البَزّارُ[2]، صاحِبُ كتابِ «السُّنَنِ». **ورَجاءُ** بنُ مُرَجَّى[3] الحافِظُ. **وعَبْدُ** بنُ حُمَيْدٍ[4]، صاحبُ «المسندِ»[5]، و«التفْسيرِ» الحافلِ. **وعمرُو** بنُ علىٍّ الفَلَّاسُ[6].

وعلىُّ بنُ الجَهْمِ[7] **بنِ بدْرِ** [8]**بنِ الجَهْمِ**[8] **بنِ مسعودِ بنِ أسَدٍ القرشىُّ السامىُّ** - مِن ولدِ سامَةَ بنِ لُؤَىٍّ - الخُراسانىُّ، ثم البغدادىُّ، أحدُ الشعراءِ المشهورين، وأهلِ الدِّيانةِ المعتبَرين.

وله ديوانُ شعرٍ فيه أشعارٌ[9] حسَنةٌ، وكان فيه تحامُلٌ على علىِّ بنِ أبى

---

(١) الثقات ٨/ ١٢٧، وتاريخ دمشق ١٠/ ١١٤، وتهذيب الكمال ٣/ ٤٨٩، والكاشف ١/ ٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٨١.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٠، وتهذيب الكمال ٦/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٢٩، والوافى بالوفيات ١٢/ ٦٠.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٤١٠، وتاريخ دمشق ١٨/ ١٢٧، وتهذيب الكمال ٩/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٢٧٤، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٠٣.

(٤) الثقات ٨/ ٤٠١، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٢٤، وطبقات الحفاظ ص ٢٣٤، وقيل: اسمه عبد الحميد بن حميد.

(٥) سقط من: م.

(٦) الثقات ٨/ ٤٨٧، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٧، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٧٧.

(٧) معجم الشعراء ص ١٤٠، وطبقات الشعراء ص ٣١٩، والأغانى ١٠/ ٢٠٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٦٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٥٥.

(٨ - ٨) سقط من: م.

(٩) فى الأصل، س، ص، ظ: «أشياء».

طالبٍ ، رضِيَ اللَّهُ عنه ، وكان له خُصوصيَّةٌ بالمُتوكِّلِ ، ثم غضِب عليه فنفَاه إلى خُراسَانَ ، وأمَر نائبَه بها أن (١يَنصِبَه يومًا١) . مُجرَّدًا ، ففعَل به ذلك ، ومِن مُستجادِ شعرِه(٢) :

بَلاءٌ ليس يعدِلُهُ بَلاءٌ ... عَداوةُ غيرِ ذى حسَبٍ ودِينِ
[٢١٨/٨و] يُبيحُكَ منه عِرضًا لم يَصُنْهُ ... ويَرتَعُ مِنك فى عِرضٍ مَصُونِ

(٣وإنَّما٣) قال ذلك فى مَرْوانَ بنِ أبى(٤) حَفْصَةَ حينَ هجاه ، فقال فى هجائِه له :

لعمرُكَ ما الجَهْمُ بنُ بَدرٍ بشاعرٍ ... وهذا علىٌّ بعدَه يدَّعِى الشِّعْرا
ولكنْ أبِى قد كان جارًا لأمِّهِ ... فلمّا ادَّعَى الأشعارَ أوهَمنى أمْرَا

كان علىُّ بنُ الجَهْمِ قد قدِم الشامَ ، ثم عاد قاصدًا العراقَ ، فلمَّا جاوَز حلَبَ ثار عليه أناسٌ مِن بنى كَلْبٍ ، فقاتَلهم فجُرِح جُرحًا بليغًا فكان فيه حَتْفُه ، فوُجِد (٥بينَ ثيابِه٥) رُقْعَةٌ مكتوبٌ فيها(٦) :

يا رَحْمَتا(٧) للغريبِ (٨فى البلدِ٨) النَّـ ... ـازِحِ ماذا بنفسِه(٩) صَنَعا ؟

(١ - ١) فى م : « يضربه » ، وفى ص : « يصبه يوما » .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٦، ٣٥٧.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) سقط من : م . وانظر مصدر التخريج .
(٥ - ٥) فى الأصل : « ثوبا به » ، وفى م : « فى ثيابه » .
(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٦.
(٧) فى الأصل ، ص : « رحمة » .
(٨ - ٨) فى م : « بالبلد » .
(٩) فى ص : « بأهله » .

فـارَقَ أحْـبـابَـهُ فـمـا انْـتـفَـعُـوا بالعَيْشِ مِن بَعدِه وما انتفَعا

وكانتْ وفاتُه بهذا السَّبَبِ فى هذهِ السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

سنةُ خمسينَ ومائتينِ مِن الهِجْرَةِ

فيها[1] كان ظهورُ أبى الحُسينِ يحيى بنِ عمرَ [2]بنِ يحيى[2] بنِ حُسينِ[3] بنِ زَيْدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ بالكوفةِ[4]، وأمُّه أمُّ الحسينِ فاطمةُ بنتُ الحُسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ، وذلك أنَّه أصابَته فاقَةٌ شديدةٌ فرحَل إلى سامَرّا، فسأَل وصيفًا أن يُجرِىَ عليه رِزْقًا، فأغلَظ[5] له القولَ، فرجَع إلى أرضِ الكوفةِ فاجتمَع عليه خلقٌ مِن الأعرابِ، وخرَج إليه خلقٌ مِن أهلِ الكُوفَةِ، فنزَل على الفَلُّوجةِ[6] وقد كثُر الجمعُ معَه، فكتَب محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ نائبُ العراقِ إلى عاملِ الكوفةِ - وهو[7] أيُّوبُ بنُ الحسنِ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ - يأمُرُه بمقاتلتِه. ودخَل يحيى ابنُ عمرَ قبلَ ذلك فى طائفةٍ مِن أصحابِه إلى الكوفةِ، فاحتَوى على بيتِ مالِها، فلم يجدْ فيه سِوى ألفَىْ دِينارٍ وسبعين ألفَ درهمٍ، وظهَر أمرُه بالكوفةِ، وفتَح

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٦٦، والمنتظم ١٢/ ٣٣، والكامل ٧/ ١٢٦.

(٢ - ٢) سقط من: س، ظ. وانظر المصادر السابقة.

(٣) فى الأصل، س، ص، ظ: «حسن». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٥٨.

(٤) سقط من: م.

(٥) يقصد وصيفًا.

(٦) الفلوجة: الأرض المصلحة للزرع، ومنه سمى موضع على الفرات الفلوجة والجمع فلاليج، والفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر. معجم البلدان ٣/ ٩١٦.

(٧) بعده فى الأصل، م: «أبو». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٢٦٧.

السِّجنين وأطلَق مَن فيهما ، وأخرَج نُوَّابَ الخليفةِ مِنها ، وأخَذ أموالَهم واستحوَذ عليها ، واستحكَم أمرُه بها ، والتَفَّ عليه خلقٌ مِن الزَّيْدِيَّةِ وغيرِهم ، ثم خرَج مِن الكوفةِ إلى سَوادِها ، ثم كرَّ راجِعًا إليها ، فتلقَّاه عبدُ الرحمنِ بنُ الخطّابِ المُلَقَّبُ وَجْهَ الفُلْسِ ، فقاتلَه قِتالًا شديدًا ، فانهزَم وجهُ الفُلسِ ، ودخَل يحيى بنُ عمرَ الكوفةَ ودعَا إلى الرِّضَا مِن آلِ محمدٍ ، وقوِى أمرُه جدًّا ، وصار إليه جماعةٌ [1] مِن الناسِ [1] مِن أهلِ الكوفةِ وغيرِها [2] ، وتولّاه أهلُ بغدادَ [٢١٨/٨ظ] مِن العامَّةِ وغيرِهم ممَّن يُنسَبُ إلى التَّشَيُّعِ ، وأحبُّوه أكثرَ [3] ممَّا كانوا يحبّون أحدًا مِن الخارجين [3] مِن أهلِ البيتِ ، وشرَع فى تحصيلِ السلاحِ ، وإعدادِ آلاتِ الحربِ [4] ، وجمعِ الرِّجالِ ، وقد خرَج نائبُ الكوفَةِ ، مِنها [5] وهو الحسينُ بنُ إسماعيلَ [5] إلى ظاهرِها ، واجتمَع إليه أمدادٌ كثيرٌ مِن جهةِ الخليفةِ ومحمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ، واستراحوا وجمَّت [6] خيولُهم ، فلمّا كان اليومُ الثالثَ عشَرَ مِن رجَبٍ أشار مَن أشارَ على يحيى بنِ عمرَ ممَّن لا رأىَ له ، أنْ يركَبَ فيناجِزَ الحسينَ بنَ إسماعيلَ ويَكبِسَ جيشَه ، فركِب فى جيشٍ كثيرٍ فيه خلقٌ مِن الفرسانِ والمُشاةِ أيضًا مِن عامَّةِ أهلِ الكوفَةِ بغيرِ أسلحةٍ ، فساروا [5] فلمَّا انتهَوا إليهم نهَضوا [5] إليهم ، فاقتتَلوا قِتالًا شديدًا فى ظلْمَةِ آخرِ الليلِ ، فما طلَع الفجرُ إلَّا وقد انكشَف أصحابُ يَحْيَى ابنِ عمرَ و [5] داسَتهم الخيولُ ، ووجَدوا يحيى بنَ عمرَ [5] قد تقنْطَر به فرسُه وطُعِن

(١ - ١) فى م : « كثيرة » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى م : « من كل من خرج قبله » .

(٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « العدد » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « وجمعوا » . وفى ص : « واجتمعت » . وجمَّت : استراحت .

فى ظهرِه فحزُّوا[1] رأسَه ، وحمَلوه إلى الأميرِ ، فبعَثه إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّه بنِ طاهرٍ ، فأرسَله إلى الخليفةِ مِن الغدِ مع رجُلٍ يقالُ له : عمرُ بنُ الخطَّابِ - أخِى عبدِ الرحمنِ بنِ الخطابِ - فنُصِب بسامَرَّا ساعةً مِن النهارِ ، ثم بعَثه إلى بَغْدادَ ؛ ليُنصَبَ عندَ الجسرِ ، فلم يُمكِنْ ذلك مِن كثرةِ العامَّةِ ، فجُعِل فى خَزائنِ السلاحِ . ولمَّا جِىءَ برأسِ يحيى بنِ عمرَ إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ دخَل الناسُ يُهنُّونه بالفتحِ والظَّفَرِ ، فدَخَل عليه أبو هاشمٍ داودُ بنُ الهَيْثَمِ الجَعْفَرىُّ فقالَ له[2] : أيُّها الأميرُ ، إنَّك لتُهَنَّى بقتلِ رجلٍ لو كان رسولُ اللَّهِ ﷺ حيًّا لعُزِّى به . فما رَدَّ عليه شيئًا ، ثم خرَج أبو هاشمٍ الجَعفَرىُّ وهو يقولُ[2] :

يا بَنى طاهرٍ كُلُوهُ وَبِيًّا ... إنَّ لحْمَ النبىِّ غيرُ مَرِىِّ
إنَّ وَتْرًا يكونُ طالبَهُ اللـ ... ـهُ لَوَتْرٌ نَجاحُهُ بالحَرِىِّ

وكان الخليفةُ المستعينُ قد وَجَّه أميرًا إلى الحُسينِ بنِ إسْماعيلَ نائبِ الكوفةِ ، فلمّا قُتِل يَحْيى بنُ عمرَ دخَلوا الكُوفةَ ، فأراد ذلك الأميرُ أنْ يضَعَ فى أهْلِها السيفَ ، فمنَعه الحُسينُ ، وأمَّنَ الأسودَ والأبيضَ ، وأطفَأ اللَّهُ هذه الفِتْنةَ .

[3]ثم خرَج آخَرُ مِن أهلِ البيتِ أيضًا[3]

فلمَّا كان رمضانُ مِن هذه السنةِ خرَج الحسنُ بنُ زَيدِ بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ

---

(١) فى م : « فخر أيضا ، فأخذوه وحزوا » .
(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٧٠.
(٣ - ٣) سقط من : م .

ابنِ الحَسنِ[1] بنِ زيدِ بنِ الحسنِ[2] بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ بناحيةِ طَبَرِسْتانَ ، وكان سببَ ذلك أنَّه لمَّا قُتِل يَحْيى بنُ عمرَ أقطَع المستعينُ لمحمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ طائفةً مِن أرضِ تلك الناحيةِ ، فبعَث كاتِبًا له يقالُ له : جابرُ بنُ هارونَ . وكان نصرانيًّا ؛ [٨/٢١٩و] ليتَسلَّمَ تلك الأراضِى ، فلمَّا انتهَى إليهم كرِهوا ذلك جدًّا ، وراسَلوا الحسَنَ بنَ زيدٍ هذا ، فجاء إليهم فبايَعوه ، والْتَفَّ عليه جملةُ الدَّيْلَمِ وجماعةُ الأُمراءِ فى تلك النواحِى ، فركِبَ فيهم ودخَل آمُلَ طَبَرِسْتانَ وأخَذها قَهْرًا ، وجَبَى خَراجَها ، واستَفحَل أمرُه جدًّا ، ثم خرَج منها طالبًا لقِتالِ سُلَيمانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ أميرِ تلك النَّواحى[3] ، فالتقَيا هنالك ، وكانت بينَهما حروبٌ ، ثم انْهزَم سُلَيمانُ هزيمةً مُنْكرَةً ، وترَك أهلَه ومالَه ولم يرجِعْ دونَ جُرْجانَ ، فدخَل الحسَنُ بنُ زيدٍ سارِيَةَ[4] ، فاستَحوَذ على ما بها مِن الأمْوالِ والحواصِلِ ، وسيَّر أهلَ سُلَيمانَ إليه على مراكِبَ مُكرَمين ، واجتمَع للحسنِ بنِ زيدٍ إمرةُ طَبَرِسْتانَ بكَمالِها ، ثم بعَث إلى الرَّىِّ فأخَذها أيضًا ، وأخرَج مِنها الطاهرِيَّةَ[5] ، وصارَ له[6] إلى حَدِّ[7] هَمَذانَ ، ولمَّا بلَغ خبَرُه المُستعينَ - وكان مُدَبِّرَ مُلْكِه يومَئذٍ وصيفٌ التُّرْكِىُّ - اغْتَمَّ[8] لذلك جدًّا ، واجتَهَد فى بَعْثِ الجُيوشِ والأمدادِ لقِتالِ الحسنِ

---

(١) فى م : « الحسين » . وكذا فى المنتظم ١٢/ ٣٤. وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٠، ٤١.
(٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « الحسين » . وكذا فى الكامل ٧/ ١٣٠، والمنتظم ١٢/ ٣٤. والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٢٧١. وانظر الثقات ٦/ ١٦٠، وجمهرة ابن حزم ، الموضع السابق .
(٣) فى م : « الناحية » .
(٤) سارية : كورة من كور طبرستان بينها وبين آمل ثمانية عشر فرسخًا . معجم البلدان ٣/ ١٠.
(٥) والطاهرية نسبة إلى ابن طاهر .
(٦) سقط من : م .
(٧) فى الأصل ، م : « جند » .
(٨) فى الأصل : « اعتمد » .

ابنِ زيدٍ هذا .

وفى يومِ عرفةَ مِن هذه السنةِ ظهَر بالرَّىِّ أحمدُ بنُ عِيسى بنِ حسينِ الصغيرِ ابنِ علىِّ بنِ الحُسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وإدْرِيسُ بنُ مُوسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ موسى (١ بنِ عبدِ اللَّهِ ١) بنِ حسنِ بنِ حسَنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فصلَّى بالناسِ يومَ العيدِ أحمدُ بنُ عِيسى هذا ، ودعا إلى الرِّضا مِن آلِ محمدٍ ، فحارَبه محمدُ ابنُ علىِّ بنِ طاهرٍ ، فهزَمه أحمدُ بنُ عيسى واستفحَل أمرُه .

وفيها وثَب أهلُ حِمْصَ على عامِلِهم الفضلِ بنِ قارَنَ (٢أخى المازيارِ بنِ قارَنَ٢) فقتَلوه فى رجَبٍ ، فوَجَّه المُسْتَعينُ إليهم مُوسى بنَ بُغا الكبيرِ ، فاقْتتَلوا بأرضِ الرَّسْتَنِ(٣) ، فهزَمهم وقتَل جماعةً مِن أهْلِها ، وأحْرَق أماكنَ كثيرةً منها ، وأسَر أشْرافَ أهْلِها .

وفيها وثَبتِ الشاكريَّةُ والجُنْدُ فى أرضِ فارِسَ على عبدِ اللَّهِ بنِ إسْحاقَ بنِ إبراهيمَ ، فهرَب منهم فانتهَبوا دارَه ، وقتَلوا محمدَ بنَ الحسَنِ بنِ قارَنَ ، وفيها غَضِب الخليفةُ على جعفرِ بنِ عبدِ الواحدِ ، ونفاه إلى البصرةِ .

وفيها أُسقِطتْ مَرْتبَةُ جماعةٍ مِن الأُمَويِّينَ فى دارِ الخلافةِ . وحجَّ بالناسِ فيها جعفرُ بنُ الفضلِ أميرُ مكَّةَ ، شرَّفها اللَّهُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) الرستن : بليدة قديمة كانت على نهر الرميماس ، وهو المعروف اليوم بالعاصى ، بها آثار باقية تدل على جلالتها ، وهى خرابٌ ليس بها ذو مرىً . معجم البلدان ٢/ ٧٧٨.

أبو الطاهرِ أحمدُ بنُ عمرِو بنِ السَّرْحِ[1] . **والبَزِّيُّ**[2] ، أحدُ القُرّاءِ المشاهيرِ . **والحارِثُ** بنُ مِسكينٍ[3] . **وأبو حاتمٍ السِّجِسْتَانيُّ** [4]أحدُ أئمةِ اللغةِ[4] . [5]**وعَبّادُ** بنُ يَعْقُوبَ الرَّواجِنيُّ[5] . **وعمرُو** بنُ بَحْرٍ الجاحِظُ[6] ، صاحبُ الكلامِ والمُصَنَّفاتِ . **وكَثيرُ** بنُ عُبَيْدٍ الحِمْصِيُّ[7] . **ونَصْرُ** [٨/٢١٩ظ] بنُ عليٍّ الجَهْضَمِيُّ[8] .

---

(١) تهذيب الكمال ١/ ٤١٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٢/ ٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ١٤٤، وميزان الاعتدال ١/ ١٤٤، وغاية النهاية ١/ ١١٩، ولسان الميزان ١/ ٢٨٣.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٢١٦، وطبقات الفقهاء ص ١٥٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٦، وتهذيب الكمال ٥/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١- ٢٥٠هـ) ص ٢١٠، وطبقات الحفاظ ص ٢٢٤.

(٤ - ٤) فى م: «وقد تقدم ذكره فى التى قبلها». وقد تقدم فى صفحة ٤٦٦.

(٥ - ٥) فى م: «وعياد بن يعقوب الرواجى». وانظر ترجمته فى: التاريخ الكبير ٦/ ٤٤، وتهذيب الكمال ١٤/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٠١، والعبر ١/ ٤٥٦.

(٦) الفهرست ص ٢٠٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢، ومعجم الأدباء ١٦/ ٧٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٣٧١، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٤٧، ولسان الميزان ٤/ ٣٥٥.

(٧) الثقات ٩/ ٢٧، وتاريخ دمشق ١٤/ ٥٠٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٤٠٠، وغاية النهاية ٢/ ٣١.

(٨) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٧، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٣٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص ٥٠٦.

ثم دخلتْ سنَةُ إحدى وخَمْسينَ ومائتَيْن

فيها[1] اجْتَمَع رأْىُ المُسْتَعِينِ وبُغا الصغيرِ ووَصيفٍ على قَتْلِ باغرَ التُّرْكِىِّ، وكان مِن القوّادِ الكبارِ الذين باشَروا قتْلَ المُتَوكِّلِ، وقد اتَّسعَ إقْطاعُه وكثُرتْ أعْمَالُه، فقُتِل ونُهِبتْ دارُ كاتبِه دُلَيْلِ بنِ يعقوبَ النصرانىِّ، ونُهِبتْ أموالُه وحواصِلُه، فركِب الخليفةُ فى حَرَّاقَةٍ مِن سَامَرَّا إلى بغدادَ؛ فاضْطرَبتِ الأمورُ بسَببِ خُروجِه إليها، وذلك فى خامسِ[2] المحرَّمِ، فنزَل الخليفةُ دارَ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ.

وفى هذه السنةِ وقَعتْ فِتْنَةٌ شَنْعاءُ بينَ جُنْدِ بَغْدادَ وجُنْدِ سَامَرَّا، ودَعا أهلُ سَامَرَّا إلى بيعةِ المعتزِّ، واسْتَقرَّ أمرُ أهلِ بغدادَ على المستعينِ، وأُخرِج المعتزُّ وأخوه المؤَيَّدُ مِن السِّجنِ فبايَع أهلُ سامَرَّا المعتزَّ، واستَحوذَ على حَواصِلِ بيتِ المالِ بها؛ فإذا فيها خمسُمائةِ ألفِ دِينارٍ، وفى خِزانَةِ أُمِّ المستعينِ ألفُ ألفِ دِينارٍ، وفى حَواصِلِ العباسِ بنِ المستعينِ ستُّمائةِ ألفِ دينارٍ، واستَفحَل أمرُ المعتزِّ بسَامَرَّا، وأمَر المستعينُ لمحمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ أن يُحصِّنَ بغدادَ ويعمَلَ فى السُّورَيْنِ والخندقِ، وغرِم على ذلك ثلاثَمائةِ ألفِ دِينارٍ وثلاثينَ ألفَ دِينارٍ، ووَكَّلَ بكلِّ بابٍ أميرًا يحفَظُه، ونصَبَ على السُّورِ خمسةَ مجانيقَ، منها واحدٌ كبيرٌ جدًّا

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٧٨، والمنتظم ١٢/ ٤٢، والكامل ٧/ ١٣٧.

(٢) سقط من: الأصل، م. وانظر الكامل ٧/ ١٤١.

يقالُ له : الغَضْبانُ . وسِتُّ عَرَّادَاتٍ ، وأعَدُّوا آلاتِ الحربِ والحِصارِ والعُدَدَ ، وقُطِعتِ القناطرُ مِن كلِّ ناحيةٍ ؛ لئلَّا يصِلَ الجيشُ إليهم .

وكتَب المعتزُّ إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ يدْعُوه إلى الدخولِ معه فى أمْرِه ، ويُذكِّرُه ما كان أخَذه عليهم أبوه المتوكِّلُ مِن العُهودِ والمواثيقِ [1]أن تكونَ الخلافةُ بعدَ المنتصرِ له[1] ، فلم يلتَفِتْ إليه بل ردَّ عليه واحْتَجَّ بحُجَجٍ يطولُ ذِكْرُها .

وكتَب كلُّ واحدٍ مِن المستعينِ والمعتزِّ إلى موسى بنِ بُغا الكبيرِ وهو مُقيمٌ بأطْرافِ الشامِ لحربِ أهلِ حِمْصَ يدعُوه إلى نفْسِه ، وبعَث إليه بأَلْوِيَةٍ يعْقِدُها لمَن اخْتارَ مِن أصْحابِه ، وكتَب إليه المستعينُ يأمُرُه بالمسيرِ إليه إلى بغدادَ ، ويأمُرُه أن يستنيبَ فى عمَلِه ، فركِبَ مسرعًا فسار إلى سَامَرّا فكان مع المعتزِّ على المستعينِ ، وكذلك هرَبَ عبدُ اللَّهِ بنُ بغا الصغيرِ مِن عندِ أبيه ، مِن بغدادَ إلى سَامَرّا[2] ، وكذلك غيرُه مِن الأمراءِ والأتْراكِ .

وعقَد المعتزُّ لأخيه أبى أحمدَ بنِ المتوكِّلِ على حربِ المستعينِ ، وجهَّز معه جيشًا لذلك ، فسارَ فى خمسةِ آلافٍ مِن الأتْراكِ وغيرِهم [٨/٢٢٠و] نحوَ بغدادَ ، وصلَّى بعُكْبَرَا[3] يومَ الجُمُعَةِ ، ودعَا لأخيه المعتزِّ ، ثم وصَل إلى بغدادَ فى ليلةِ الأحدِ لسَبْعٍ خَلَوْنَ مِن صَفَرٍ ، فاجْتَمَعتِ العساكِرُ هُنالكَ ، وقد قال رجلٌ يقالُ

(١ - ١) فى م : « من أنه ولى العهد بعده » .

(٢) فى م : « المعتز » .

(٣) عكبرا : بليدة من نواحى دجيل قرب صريفين وأوانا ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٣/ ٧٠٥.

له : باذنْجانَةُ . كان فى عسْكَرِ أبى أحمدَ :

يا بَنِى طاهِرٍ أتَتْكم[1] جُنودُ الـ ـلـهِ والموْتُ بينهـا منْثُورُ
وجُيوشٌ أمامَهُنَّ أبو أحـ ـمدَ نِعْمَ المولَى ونِعْمَ النصيرُ

ثم جرَتْ بينَهما حروبٌ طويلةٌ وفتنٌ مَهُولَةٌ جدًّا قد ذكَرها ابنُ جَريرٍ مُطَوَّلَةً[2] ، ثم بعَث المعتزُّ مع مُوسى بنِ أشناسَ[3] ثلاثةَ آلافٍ مدَدًا لأخيه أبى أحمدَ بنِ المتوكِّلِ ، فوصَلوا لليلةٍ بقِيَتْ مِن ربيعٍ الأوَّلِ ، فوقَفوا فى الجانبِ الغربىِّ عندَ بابِ قُطْرَبُّلَ ، وأبو أحمدَ وأصحابُه على بابِ الشَّمّاسيَّةِ ، والحربُ مُستَعِرَةٌ ، والقِتالُ كثيرٌ[4] ، والقتلُ واقِعٌ .

قال ابنُ جريرٍ[5] : وذُكِر أنَّ المعتزَّ كتَب إلى أخيه أبى أحمدَ يلُومُه على التَّقصيرِ فى قِتالِ أهلِ بغدادَ ، فكتَب إليه أبو أحمدَ :

لأمْرِ المنايا علينا طَريقُ وللدَّهْرِ فينا اتساعٌ وضِيقُ
فأيَّامُنا عِبَرٌ للأنامِ فمنها البُكُورُ ومنها الطُّروقُ
ومنها هَنَاتٌ تُشيبُ الوليدَ ويَخْذُلُ فيها الصديقَ الصديقُ
[6]وسورٌ عريضٌ له[6] ذِرْوَةٌ تَفُوتُ العُيونَ وبَحْرٌ عمِيقُ
قِتالٌ مُبِيدٌ[7] وسيْفٌ عَتِيدٌ وخَوْفٌ شديدٌ وحِصْنٌ وثِيقُ

---

(١) سقط من : م .
(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٢٩٢.
(٣) فى م : « ارشناس » .
(٤) بعده فى م : « جدًّا » .
(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ٣١٦.
(٦ - ٦) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « وفتنة دين لها » .
(٧) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « متين » .

وطولُ صِياحٍ لداعِى الصَّباحِ الـ ـسلاحَ السلاحَ فما يَسْتَفِيقُ
فهذا طَرِيحٌ وهذا جَرِيحٌ وهذا حَرِيقٌ وهذا غَرِيقُ
وهذا قَتيلٌ وهذا تَلِيلٌ[1] وآخرُ يشْدُخُهُ المَنْجَنِيقُ
هناك اغْتِصابٌ وثَمَّ انْتِهابٌ ودُورٌ خَرابٌ وكانتْ تَرُوقُ
إذا ما سمَوْنا[2] إلى مَسْلَكٍ وجَدْناه قد سُدَّ عنا الطَّرِيقُ
فبـاللَّهِ نبْلُغُ ما نَرْتَجِيهِ وباللَّهِ ندفَعُ ما لا نُطِيقُ

قال ابنُ جَرِيرٍ[4] : هذا الشعرُ يُنْشَدُ لعلىِّ بنِ أُميَّةَ فى فِتْنَةِ المخْلُوعِ والمأْمُونِ .

وقد استمرَّتِ الفتنةُ والقِتالُ ببغدادَ بينَ أبى أحمدَ أخى المعتزِّ وبينَ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ نائبِ المستعينِ ، والبَلدُ محْصورٌ وأهلُه فى ضيقٍ شديدٍ جدًّا ، بقِيَّةَ شُهورِ هذه السنَةِ ، [٨/٢٢٠ظ] وقُتِل مِن الفريقينِ خلقٌ كثيرٌ فى وَقَعاتٍ مُتَعدِّداتٍ ، وأيامٍ نَحِسَاتٍ ؛ فتارَةً يظهَرُ أصْحابُ أبى أحمدَ ويأخذُون بعضَ الأبوابِ ، فتَحْمِلُ عليهم الطاهِريَّةُ فيُزِيحُونَهم عنها ، ويقْتُلون منهم خلْقًا ، ثم يتَراجَعون إلى مَواقِفِهم ويُصابِرُونَهم مُصابرَةً عظيمةً ، لكِنَّ أهلَ بغدادَ كلُّ ما لهم إلى ضَعْفٍ بسبَبِ قِلَّةِ الميرَةِ والجَلَبِ إلى داخلِ البلدِ .

ثم شاع بينَ العامَّةِ أنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ يريدُ أن يَخْلَعَ المسْتَعِينَ ويُبايعَ للمعتزِّ ، وذلك فى أواخرِ السنَةِ ، فتنَصَّل مِن ذلك ، واعْتذَرَ إلى

---

(١) التليل : الصريع ، وانظر التاج (ت ل ل) .
(٢) فى الأصل : « شمرنا » .
(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٣١٧.

الخليفةِ وإلى العامَّةِ، وحلَف بالأيمانِ الغليظَةِ، فلم تَبْرَأْ ساحتُه مِن ذلك حقَّ البَراءَةِ عندَ العامَّةِ، واجْتَمَعتِ العامَّةُ والغَوْغاءُ إلى دارِ ابنِ طاهرٍ والخليفةُ نازِلٌ بها، فسأَلوا أن يَبْرُزَ لهم الخليفةُ ليَرَوْه ويسْأَلوه عن ابنِ طاهرٍ؛ أهو راضٍ عنه أم لا؟ وما زالَتِ الضَّجَّةُ والأصواتُ مرتفعةً حتى برَز الخليفةُ مِن فَوْقِ المكانِ الذى هم فيه، وعليه السَّوادُ ومِن فوقِه البُرْدَةُ النَّبَوِيَّةُ وبيَدِه القَضِيبُ، وقال لهم فيما خاطَبَهم به[1]: أقْسَمْتُ عليكم بحقِّ صاحبِ هذه البُرْدَةِ والقَضِيبِ، لَمَّا رجَعْتُم إلى مَنازِلِكم ورضِيتُم عن ابنِ طاهرٍ؛ فإنَّه غيرُ متَّهَمٍ لَدَىَّ. فسكَت الغَوْغاءُ ورجَعوا إلى مَنازِلِهم، ثم انتقَل الخليفةُ مِن دارِ ابنِ طاهرٍ إلى دارِ رِزْقٍ الخادِمِ، وذلك فى أوائلِ شهرِ ذى الحِجَّةِ، وصلَّى بهم العيدَ يومَ الأَضْحَى فى الجزيرةِ التى بحِذاءِ دارِ ابنِ طاهرٍ، وبرَزَ الخليفةُ يومَئذٍ للناسِ وبينَ يدَيْه الحرْبَةُ، وعليه البُرْدَةُ وبيَدِه القَضِيبُ، وكان يومًا مشْهُودًا ببغدادَ على ما بأَهْلِها مِن الحِصارِ وغَلاءِ الأسعارِ[2] المُتَرْجَمَينِ عن لباسِ الجُوعِ والخوْفِ، نسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ فى الدنيا والآخرةِ.

ولمَّا تفاقَمَ الأمرُ، واشتَدَّ الحالُ، وضاقَ المجالُ، وجاعَ العِيالُ، وجهَدَ الرِّجالُ، شرَع ابنُ طاهرٍ يُظْهِرُ ما كان كامِنًا فى نفْسِه مِن خَلْعِ المستَعِينِ، فجعَل يُعَرِّضُ له بذلك ولا يُصَرِّحُ، ثم كاشَفَه به وأَظْهَره له، وناظَرَه فيه، وقال له[3]: إنَّ المصْلحَةَ تقْتَضِى أن تُصالِحَ عن الخلافةِ على مالٍ تأخذُه سَلَفًا وتعْجِيلًا، وأن يكونَ لك مِن الخَراجِ فى كلِّ عامٍ ما تختارُه وتحتاجُه. ولم يزَلْ يفْتِلُ له فى الذِّرْوَةِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) بعده فى م: «وقد اجتمع على الناس الخوف والجوع».

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٤٢ - ٣٤٥.

والغارِبِ[1] حتى أجابَ إلى ذلك وأَنابَ . فكتَب بما اشْتَرطَه المستعينُ فى خَلْعِه نفْسَه مِن الخِلافَةِ كتابًا . فلمَّا كان يومُ السبتِ لعَشْرٍ [٢٢١/٨و] بَقِينَ مِن ذى الحِجَّةِ ركِبَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ إلى الرُّصَافَةِ ، وجمَع القُضاةَ والفُقَهاءَ وأدْخَلَهم على المستَعينِ فَوْجًا ، فَوجًا يَشْهَدونَ عليه أنَّه قد صيَّرَ أمْرَه إلى محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ، وكذلك جماعةَ الحُجَّابِ والخَدَمِ ، ثم تسلَّمَ منه جَوْهَرَ الخِلافَةِ ، وأقامَ عندَ المُسْتَعِينِ إلى هَوِىٍّ مِن الليلِ . وأصبح الناسُ يذْكُرونَ[2] ويتنَوَّعُونَ فيما يقولُونَ مِن الأَرَاجِيفِ . وأمّا ابنُ طاهرٍ ، فإنَّه أرْسَل بالكتابِ مع جماعةٍ مِن الأُمراءِ إلى المعتزِّ بسَامَرَّا ، فلمَّا قَدِموا عليه بذلك أكْرَمَهم وخلَع عليهم ، وأجازَهم فأَسْنَى جَوائِزَهم ، وسيأْتِى ما كان مِن أمْرِه أوَّلَ السنَةِ الداخِلَةِ .

وفى هذه السنةِ فى ربيعِ الأولِ منها كان ظهورُ رجُلٍ مِن أهلِ البيتِ أيضًا بأرضِ قَزْوِينَ وزَنْجانَ[3] ؛ وهو الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ إسْماعيلَ بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ الأرْقَطِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، ويُعرَفُ[4] بالكَوْكَبِىِّ . وسيأتى ما كان مِن أمْرِه هناك .

وفيها خرَج إسْماعيلُ بنُ يُوسُفَ العَلَوِىُّ ، وهو ابنُ أختِ مُوسى بنِ [5]عبدِ اللَّهِ[5] الحسَنىِّ[6] . وسيأتى ما كان مِن أمْرِه أيضًا .

---

(١) يقال ذلك للرجل لا يزال يخدع صاحبه حتى يظفر به . جمهرة الأمثال ٢/ ٩٨.

(٢) فى الأصل : « يدوكون » ، وفى س : « يكثرون » ، وفى ص : « يدركون » ، وفى ظ : « يذوكون » .

(٣) زنجان : بلد كبير مشهور من نواحى الجبال بين أذربيجان وبينها وهى قريبة من أبهر وقزوين والعجم يقولون زنكان . معجم البلدان ٢/ ٩٤٨.

(٤) بعده فى الأصل ، س ، ص : « الحسين بن أحمد » ، وفى ظ : « الحسين بن أحمد بن إسماعيل هذا » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٣٤٦.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « عبيد الله » . وانظر الكامل ١٦٤/٧ .

(٦) فى ص ، ظ : « الحسينى » . وانظر الكامل الموضع السابق .

وفيها خرَج بالكُوفَةِ أيضًا رجلٌ مِن الطَّالِبِيِّينَ ؛ وهو الحسينُ بنُ محمدِ بنِ حَمْزَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حُسينِ بنِ عليٍّ (١بنِ الحُسينِ بنِ عليٍّ١) بنِ أبى طالبٍ ، فوَجَّه إليه المُستعينُ مُزاحِمَ بنَ خَاقَانَ ، فاقْتَتلَا فهُزِمَ العلَوِىُّ وقُتل مِن أصْحابِه بشَرٌ كثيرٌ ، ولمَّا دخَل مُزاحِمٌ الكُوفَةَ حرَقَ بها ألفَ دَارٍ ونَهَب أمْوالَ الذين خرَجوا معه ، وباعَ بعضَ جَوارِى الحُسينِ بنِ محمدٍ هذا - وكانت مُعْتَقَةً - (٢على بابِ المسجدِ الجامعِ٢) .

وفيها ظهَر إسْماعيلُ بنُ يُوسُفَ بنِ إبْراهيمَ (٣بنِ موسى٣) بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ بنِ الحسن(٤) بنِ عليٍّ بنِ أبى طالبٍ بمَكَّةَ ، فهرَبَ منه نائبُها جَعْفَرُ بنُ الفَضْلِ بنِ عيسى بنِ موسى ، فانتَهبَ إسماعيلُ بنُ يوسفَ منْزِلَه ومنازلَ أصْحابِه ، وقتَل جماعةً مِن الجُنْدِ وغيرَهم مِن أهلِ مكةَ ، وأخَذ ما فى الكعبةِ مِن الذهبِ والفِضَّةِ والطِّيبِ وكُسْوَةَ الكعبة ، وأخَذ مِن الناسِ نحوًا مِن مائتَىْ ألفِ دِينارٍ ، ثم خرَج إلى المدينةِ النبويَّةِ ، فهرَب منه عاملُها عليُّ بنُ الحُسينِ بنِ(٥) إسماعيلَ ، ثم رجَع إسْماعيلُ بنُ يُوسُفَ إلى مكَّةَ فى رجَبٍ ، فحصَرَ أهْلَها حتى [٢٢١/٨ظ] هلَكُوا جوعًا وعطَشًا ، فبيعَ الخُبْزُ ثلاثُ أوَاقٍ بدِرْهَمٍ ، واللحمُ الرِّطْلُ بأرْبعةٍ ، وشَرْبَةُ الماءِ بثَلاثَةِ دَراهِمَ ، ولَقِى منه أهلُ مكَّةَ كلَّ بَلاءٍ ، ثم رجَع عنهم إلى جُدَّةَ - بعدَ مُقامِ سبعةٍ وخمسين يومًا - فانتهَب أموالَ التُّجّارِ هنالك ، وأخَذ

(١ - ١) سقط من : س ، ص ، وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٣٢٨، والكامل ٧/ ١٦٤.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : النسخ . والمثبت من جمهرة أنساب العرب ص ٤٦.

(٤) فى النسخ : « الحسين » والمثبت من الكامل ٧/ ١٦٥. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٦.

(٥) بعده فى م : « على بن » .

المراكِبَ وقطَع المِيرَةَ عن أهلِ مكةَ [1] حتى جُلِبَتْ إليها مِن اليمنِ [1] ، ثم عادَ إلى مكَّةَ - لا جَزَاه اللَّهُ خيْرًا عن المسلمين - فلمَّا كان يومُ عرَفةَ ، لم يُمَكِّنِ الناسَ مِن الوقوفِ نَهارًا ولا ليْلًا ، وقتَل مِن الحجِيجِ ألفًا ومِائةً ، وسلَبَهم أمْوالَهم ولم يَقِفْ بعرَفةَ عامَئِذٍ سِواه ومَن معه مِن أصحابِه [2] ، لا تقبَّلَ اللَّهُ منهم صَرْفًا ولا عَدْلًا [3] .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

إسْحاقُ بنُ منصورٍ الكوْسَجُ [4] ، **وحُميدُ** بنُ زنْجَوَيْهِ [5] . **وعمرُو** بنُ عثمانَ بنِ كَثيرِ بنِ دِينارٍ الحِمْصِىُّ [6] . **وأبو النَّقىِّ** [7] **هشامُ** بنُ عبدِ الملكِ اليَزَنىُّ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « الحرابة » ، وفى م : « الحرامية » .

(٣) بعده فى م : « وفيها وهن أمر الخلافة جدا » .

(٤) فى م : « الكوننج » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٦/ ٣٦٢، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٨٠، وتهذيب الكمال ٢/ ٤٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٥٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٨٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٢٦.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٦٠، وتاريخ دمشق ١٥/ ٢٧٩، تهذيب الكمال ٧/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٢٦، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٠٠.

(٦) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٨٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٢٢، وطبقات الحفاظ ص ٢٢١.

(٧) فى م : « البقى » . وانظر ترجمته فى : الثقات لابن حبان ٩/ ٢٣٣، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٦٢، وطبقات الحفاظ ص ٢٣١.

ثم دخلتْ سنةُ ثِنتَيْنِ وخمسين ومائتَينِ[1]

«ذِكْرُ خِلافَةِ المعتزِّ باللَّهِ بنِ المتوكِّلِ على اللَّهِ بعدَ خَلْعِ المستَعينِ نفْسَه»

اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ وقد اسْتَقرَّتِ الخلافةُ باسْمِ أبى عبدِ اللَّهِ المُعْتَزِّ محمدِ بنِ جَعْفَرٍ المُتَوكِّلِ بنِ محمدٍ المعتصِمِ بنِ هارُونَ الرَّشيدِ [2]بنِ محمدٍ المهدىِّ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ[2]، وقيل: إنَّ اسمَ المعتزِّ أحمدُ. وقيلَ: الزُّبَيْرُ. وهو الذى عوَّلَ عليه الحافظُ ابنُ عساكِرَ وترْجمَه فى «تاريخِه»[3]. فلمَّا خلَع المُسْتَعِينُ - أحمدُ ابنُ محمدٍ المعتصمِ - نفْسَه مِن الخلافةِ وبايعَ للمعتزِّ، دعَا الخطباءُ يومَ الجُمُعةِ رابعَ المحرمِ مِن هذه السنَةِ بجَوامعِ بغدادَ على المنابرِ للخليفةِ المعتزِّ باللَّهِ. وانْتَقَل المستعينُ مِن الرُّصَافَةِ إلى قَصْرِ الحسَنِ بنِ سَهْلٍ هو وعِيالُه ووَلَدُه وجَوارِيه، ووَكَّلَ بهم سعيدَ بنَ رَجاءٍ فى جَماعَةٍ معه، وأخَذ مِن المستَعينِ البُرْدَةَ والقَضِيبَ والخاتَمَ، وبعَث بذلك إلى المعتزِّ، ثم أرسَل إليه المعْتزُّ يطلُبُ منه خاتَمَيْنِ مِن جَوْهَرٍ ثمينٍ بقِيا[4] عندَه يقالُ لأحَدِهما: بُرْجٌ. وللآخرِ: جبَلٌ. فأرْسَلَهما. وطلَب

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٤٨، والمنتظم ٢/ ٥٥، والكامل ٧/ ١٦٧.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٠٧.

(٤) سقط من: الأصل، م. وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٣٤٩.

المستَعِينُ أنْ يسيرَ إلى مكَّةَ فلم يُمَكَّنْ ، فطلَبَ البصرةَ فقيل له[1] : إنَّها وَبِيئَةٌ . فقال : إنَّ تَرْكَ الخِلافَةِ أوْبَأُ منها . ثم أُذِن له فى المَسِيرِ إلى واسِطٍ ، فخرَج ومعه حرَسٌ يُوصِلُونَه إليها نحوٌ مِن أرْبعِمائةٍ .

واسْتَوْزَرَ المُعْتَزُّ أحمدَ بنَ أبى إسْرائيلَ ، وخلَعَ عليه ، وألْبسَه تاجًا على رأسِه . ولمَّا تمَهَّدَ أمرُ بغدادَ ، واستقرَّتِ البيعةُ للمعتزِّ بها ، ودَانَ له أهلُها [2]واجتمَع شملُها[2] ، وقَدِمَتها المِيرَةُ مِن كلِّ جانبٍ ، واتَّسَع الناسُ فى الأرزاقِ [٨/٢٢٢و] والأطْعمَةِ ، ركِبَ أبو أحمدَ منها فى يومِ السبتِ لاثْنَتَىْ عشْرَةَ ليلةً خلَت مِن المحرَّمِ إلى سامَرَّا ، وشيَّعه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ فى وجوهِ القوّادِ ، فخلَعَ أبو أحمدَ على بنِ طاهرٍ خمسَ خِلَعٍ وسيْفًا ، ورَدَّه مِن الرُّوذبارِ[3] .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ مَدائِحَ الشعراءِ فى المعتزِّ وتَشَفِّيَهم بخَلْعِ المستعِينِ ، فأكثرَ مِن ذلك جدًّا[4] ، فمِن ذلك قولُ محمدِ بنِ مَرْوانَ بنِ أبى الجَنُوبِ بنِ مَرْوانَ فى مدحِ المعتزِّ وذمِّ المستعينِ كما جرَتْ به عادَةُ الشعراءِ[5] :

إنَّ الأُمورَ إلى المعتزِّ قد رجَعَتْ ... والمستَعينُ إلى حالَاتِه رجَعا
وكانَ يعلَمُ أنَّ الملكَ ليس له ... وأنَّه لكَ لكن نفْسَه خدَعا
ومالِكُ المُلْكِ مُؤْتِيه ونازِعُهُ ... آتاكَ مُلْكًا ومنه المُلْكَ قد نزَعا
إنَّ الخِلافةَ كانت لا تُلائمُهُ ... كانت كذَاتِ حَليلٍ زُوِّجَت مُتَعَا

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٤٩.
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) فى م : « الطريق إلى بغداد » . والروذبار : قرية من قرى بغداد . معجم البلدان ٢/ ٨٣١.
(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٥٠ - ٣٥٣.
(٥) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٥١.

ما كان أقبَحَ عندَ الناسِ بيعتَه ... وكان أحسَنَ قولَ الناسِ قد خُلِعا

(١) ليت السَّفِينَ إلى قافٍ دفَعْنَ به ... نفْسِى الفِداءُ لملَّاحٍ به دفَعا

كم ساسَ قبْلَكَ أمْرَ الناسِ مِن مِلِكٍ ... لو كان حُمِّلَ ما حُمِّلْتَهُ ظَلَعا(٢)(١)

أمْسَى بك الناسُ بعدَ الضِّيقِ فى سَعَةٍ ... واللَّهُ يجْعَلُ بعدَ الضِّيقِ مُتَّسَعَا

واللَّهُ يدْفَعُ عنكَ السُّوءَ مِن مَلِكٍ ... فإنَّه بكَ عَنَّا السُّوءَ قد دفَعَا

وكتَب أميرُ المؤمنينَ المعتزُّ مِن سَامرَّا إلى نائبِ بغدادَ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ أن يُسقِطَ اسمَ وَصيفٍ وبُغا ومَن كان فى رسمِهما فى الدَّواوينِ، وعزَمَ على قتْلِهما، ثم اسْتُرْضِى عنهما، فرَضِى عنهما.

وفى رجَبٍ مِن هذه السنَةِ خلَع المعتزُّ أخاه إبْراهيمَ الملقَّبَ بالمُؤَيَّدِ مِن وِلايةِ العَهْدِ وحبَسه، وأخاه أبا أحمدَ، بعدَما ضرَب المؤَيَّدَ أربعينَ مَقْرَعَةً. ولمَّا كان يومُ الجُمُعةِ سابِعُه(٣) خطَب بخَلْعِه، وأمَره أنْ يكتُبَ كِتابًا على نفْسِه بذلك. وكانت وَفاتُه بعدَ ذلك بخمسَةَ عشَرَ يومًا، فقيل(٤): إنَّه أُدْرِجَ فى لحافِ سَمُّورٍ(٥) وأُمْسِكَ طرَفَاه حتى ماتَ غَمًّا. وقيلَ: بل ضُرِبَ بحِجارةٍ مِن ثَلْجٍ حتى ماتَ بَرْدًا. وبعدَ ذلك كلِّه أُخرِجَ مِن السِّجنِ ولا أثَرَ به، فأُحضِرَ القُضاةُ والأعْيانُ فأُشهِدُوا على موْتِه مِن غيرِ سبَبٍ (٦وليس به٦) أثرٌ، ثم حُمِلَ على حِمارٍ ومعه

(١ - ١) سقط من: الأصل، س، ص، ظ. وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٣٥١.

(٢) ظلع: عرج وغمز فى مشيه، وظلعت الأرض بأهلها: ضاقت بهم لكثرتهم.

(٣) سقط من: م.

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٦٢.

(٥) السمور: دابة ببلاد الروس تشبه النمس يتخذ من جلدها فراء مثمنة. تاج العروس (س م ر).

(٦ - ٦) فى م: «ولا».

كفَنُه ، [1] فأُرسِل به [1] إلى أُمِّه فدفَنَتْه .

ذِكْرُ مَقْتَلِ المستعينِ [2]

فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ كتَب المعْتزُّ إلى نائبِه محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ يأمُرُه بتَجْهيزِ جيشٍ نحوَ المستعينِ ، فجهَّزَ أحمدَ بنَ طُولُونَ التُّرْكِيَّ فوافَاه ، فأخْرَجَه لسِتٍّ بَقِينَ مِن رمضانَ فقَدِم به القاطولَ [3] [٨/٢٢٢ظ] لثلاثٍ مَضَيْنَ مِن شَوَّالٍ ثم قُتِل ؛ فقِيل [4] : ضُرِبَ حتى ماتَ ، وقيلَ : بل غُرِّقَ فى دُجَيْلٍ [5] ، وقيلَ : بل ضُرِبتْ عنقُه .

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ [6] أنَّ المُسْتَعِينَ سأَل مِن سعيدِ بنِ صالحٍ التُّرْكِيِّ حينَ أرادَ قتْلَه أن يُمهِلَه حتى يُصلِّيَ ركْعتَيْنِ ، فأمْهلَه ، فلمَّا كان فى السجْدَةِ الأخيرةِ قتَلَه وهو ساجِدٌ ، ودفَن جُثَّتَه فى [7] مكانِ صلاتِه [7] ، وعفا [8] أثَرَه ، وحمَل رأسَه إلى المعتزِّ فدخَل به عليه وهو يلْعَبُ بالشِّطْرَنْجِ ، فقيل : هذا رأسُ المخلُوعِ . فقال :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦.

(٣) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر . معجم البلدان ٤/ ١٦.

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٥) دجيل : نهر مخرجه من أعلى بغداد من تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرا . معجم البلدان ٢/ ٥٥٥.

(٦) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٦٤.

(٧ - ٧) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « مكانها » .

(٨) فى م : « خفى » .

ضَعُوه حتى أفرُغ مِن الدَّسْتِ[1] . فلمَّا فرَغ نظَر إليه ، وأمَر بدَفْنِه ، ثم أطلَق لسعيدِ بنِ صالحٍ الذى قتلَه خمسينَ ألفَ دِرْهَمٍ ، ووَلَّاه مَعُونةَ البَصْرَةِ .

وفى هذه السنةِ ماتَ :

إسْماعيلُ بنُ يُوسُفَ العَلَوِىُّ[2] الذى فعَل بمَكَّةَ ما فعَلَ ، وألحَد فى حرمِ اللَّهِ ما ألحَد - كما تقدَّم[3] - فأهْلَكه اللَّهُ فى هذه السنَةِ عاجِلًا ولم يُنْظِرْه . **وأحمدُ** ابنُ محمدٍ المعتصمِ ، وهو المُسْتَعِينُ باللَّهِ كما تقدَّم . **وإسْحاقُ** بنُ بُهلولٍ[4] ، **وزِيادُ** بنُ أيُّوبَ[5] ، **ومحمدُ** بنُ بَشَّارٍ ، بُنْدارٌ[6] ، **ومحمدُ**[7] بنُ المُثَنَّى الزَّمِنُ ، **ويَعْقُوبُ** بنُ إبراهيمَ الدَّوْرَقِىُّ[8] .

---

(١) الدَّست : الغلبة فى الشطرنج ونحوه .

(٢) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٨، وتاريخ الطبرى ٩/ ٣٧٢، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٦، والمنتظم ١٢/ ٥٧، والكامل ٧/ ١٧٧، ونهاية الأرب ٢٥/ ٧٩.

(٣) تقدم فى ص ٤٨٦.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٨٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٧٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٨.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٩، وتهذيب الكمال ٩/ ٤٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٢٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٤٤، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٧.

(٦) فى الأصل : « بندر » ، وفى م : « غندر » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢/ ١٠١، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٧٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٤٩.

(٧) فى الأصل ، م : « موسى » . وانظر ترجمته فى : الثقات لابن حبان ٩/ ١١١، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٨٣، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٣٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣١٦، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٨٤.

(٨) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٧، وطبقات الحنابلة ١/ ٤١٤، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣١١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٧٧.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وخَمْسِينَ ومائتين

فى رجَبٍ منها[1] عقَد المعتزُّ لموسى بنِ بُغا الكبيرِ على جيشٍ قريبٍ مِن أربعةِ آلافٍ ؛ ليذْهَبُوا إلى قِتالِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى دُلَفَ بناحيةِ هَمَذَانَ[2] ؛ وذلك لأنَّه خرَج عن الطاعةِ ، وهو فى نحْوٍ مِن عشرينَ ألفًا ، فهزَمُوا عبدَ العزيزِ فى أواخرِ [3]هذا الشهرِ[3] هزيمةً فظيعةً . ثم كانت بيْنَهما وَقْعَةٌ أخْرَى فى رمضانَ عندَ الكَرَجِ[4] فهُزِمَ عبدُ العزيزِ أيضًا ، وقُتِل مِن أصْحابِه بشَرٌ كثيرٌ ، وأسَروا ذَرارِىَّ كثيرةً حتى أسَروا أمَّ عبدِ العزيزِ ، وبعَثُوا إلى الخليفةِ سَبْعِينَ[5] حِمْلًا مِنَ الرُّءُوسِ وأعْلامًا كثيرةً ، وأُخِذ من عبدِ العزيزِ ما كان اسْتَحوذَ عليه مِن بلادِ الخليفةِ .

وفى رمضانَ منها خلَع المعتزُّ على بُغا الشرابىِّ ، وألْبَسه التاجَ والوِشاحَيْنِ .

وفى يومِ عيدِ الفطرِ كانتْ وَقْعَةٌ هائلةٌ عندَ البوازيجِ[6] ؛ وذلك أنَّ رجلًا يُقالُ له : مُساوِرُ بنُ عبدِ الحميدِ حكَمَ فيها والْتَفَّ عليه نحوٌ مِن سبعِمائةٍ مِن

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٧٣، والمنتظم ١٢/ ٦٣، والكامل ٧/ ١٧٨.

(٢) فى الأصل ، س ، ص : « همدان » ، وانظر مصادر التخريج .

(٣ - ٣) فى م : « هذه السنة » .

(٤) فى النسخ : « الكرخ » . والمثبت من مصادر التخريج . والكَرَجُ : مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق وإلى همذان أقرب . معجم البلدان ٤/ ٢٥١.

(٥) فى الأصل : « تسعين » ، وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٣٧٣.

(٦) فى الأصل : « التوارنخ » ، وفى س ، ظ : « التراويح » ، والبوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب فى دجلة ، وهى الآن من أعمال الموصل . معجم البلدان ١/ ٧٥٠.

الخوارجِ ، فقصَد له رجلٌ يقالُ له : بُنْدارٌ الطَّبَرِىُّ . فى نحوٍ مِن ثلاثِمائةٍ مِن أصْحابِه ، فالتقَوْا فى هذا اليومِ فاقْتتَلُوا قِتالًا شديدًا ، فقُتِل مِن الخوارِجِ نحْوٌ مِن خمسينَ ، وقُتِل مِن أصحْابِ بُنْدارٍ مائتانِ ، وقيلَ : وخمسونَ رجلًا . وقُتِل بُنْدارٌ فى مَنْ قُتِل ، رحِمه اللَّهُ . ثم صمَد مُساوِرٌ إلى حُلْوانَ ، فقاتلَه أهلُها ، وأعانَهم حُجَّاجُ أهلِ خُراسانَ ، [٨/٢٢٣و] فقتَلَ مُساوِرٌ منهم نَحْوًا مِن أربعِمائَةِ إنسانٍ ، قبَّحَه اللَّهُ . وقُتِل مِن أصحابِه جماعةٌ كثيرون أيضًا . ولثَلاثٍ بقِينَ مِن شَوَّالٍ قُتِل وَصِيفٌ التُّركىُّ ، وأرادَتِ العامَّةُ أن تَنْهَبَ دارَه بسامَرَّا ودُورَ أولادِه ، فلم يُمكِنْهم ذلك ، وجعَل الخليفةُ المعتزُّ ما كان إليه إلى بُغا الشرابىِّ .

وفى ليلةِ أربعَ عشْرَةَ مِن ذى القَعدةِ مِن هذه السَّنَةِ خسَف القمرُ حتى غابَ أكثرُه وغرِقَ نورُه ، وعندَ انْتِهاءِ خُسوفِه ماتَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ نائبُ العراقِ ببغدادَ . وكانت عِلَّتُه قُروحًا فى رأْسِه وحَلْقِه فذَبَحتْه ، ولمَّا أُتِى به ليُصلَّى عليه اختَلَف أخوه عُبَيْدُ اللَّهِ وابنُه طاهِرٌ ، أيهما يُصلِّى عليه ، وتَنازَعا حتى جُذِبتِ السُّيوفُ وتَرامَى الناسُ بالحِجارةِ ، وصاحتِ الغَوْغاءُ : يا طاهِرُ ، يا منْصورُ . فمالَ عبيدُ اللَّهِ إلى الشرقِيَّةِ ومعه القُوَّادُ وأكابِرُ الناسِ ، فدخَل دارَه[1] وكان أخوه[2] قد أوْصَى إليه . وحينَ بلَغ المُعْتَزَّ ما وقَع بعَث بالخِلَعِ والولايةِ إلى عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ، فأَطْلَق عُبيدُ اللَّهِ للذِى قَدِمَ بالخِلَعِ خمسينَ ألفَ درهمٍ .

وفيها نَفَى الخليفةُ المُعْتَزُّ أخاه أبا أحمدَ مِن سُرَّ مَنْ رَأَى إلى وَاسِطٍ ، ثم إلى

---

(١) بعده فى م : « وصلى عليه ابنه » .

(٢) فى م : « أبوه » .

البَصْرَةِ ، [1] ثم رُدَّ إلى بغدادَ ، فأُنزِل فى الشرقيَّةِ فى قصرِ دينارِ بنِ عبدِ اللَّهِ .

وفيها نُفِى علىُّ بنُ المعتصمِ إلى واسطٍ [1] ، ثم رُدَّ إلى بَغْدادَ أيضًا .

وفى يومِ الاثنينِ سَلْخِ ذى القَعْدةِ التقَى موسى بنُ بُغا الكبيرِ هو والحسينُ بنُ أحمدَ الكَوْكَبِىُّ الطَّالِبِىُّ الذى خرَج فى سنةِ إحدَى وخمسينَ عندَ قَزْوِينَ ، فاقْتتَلا قِتالًا شديدًا ، ثم هُزِم الكَوْكَبِىُّ وأخَذ موسى بنُ بُغا قَزْوِينَ ، وهرَبَ الكَوْكَبِىُّ إلى الدَّيْلَمِ . وذكَر ابنُ جَريرٍ [2] عن بعضِ مَن حضَر هذه الوقعةَ أنَّ الكَوكبىَّ حينَ الْتقَى أمَر أصْحابَه أَنْ يَتترَّسُوا بالحَجَفِ ، فكانتِ السِّهامُ لا تعْمَلُ فيهم ، فأمَر موسى بنُ بُغا أصحابَه عندَ ذلك أنْ يطرَحُوا ما معهم مِن النِّفْطِ بالأرضِ ، ثم جاوَلُوهم وأرَوْهم أنَّهم قد انهَزمُوا منهم ، فتَبِعَهم أصْحابُ الكوكبىِّ ، فلمَّا توَسَّطُوا الأرضَ التى فيها النِّفْطُ أمَر عندَ ذلك بإلْقاءِ النارِ فيه ، فجعَلتِ النارُ تحرِقُ أصْحابَ الكَوْكَبِىِّ ، ففرُّوا سِراعًا هارِبينَ ، وكَرَّ عليهم موسى وأصْحابُه فقتَلوا منهم مَقْتَلةً عظيمةً ، وهرَب الكَوْكَبِىُّ إلى الدَّيْلَمِ ، وتسلَّم موسى بنُ بُغا قَزْوِينَ .

وفيها حجَّ بالناسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ الزَّيْنَبِىُّ .

وممَّن تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

أبو الأَشْعَثِ [3] . **وأحمدُ** بنُ سعيدٍ الدَّارِمىُّ [4] .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٧٨.

(٣) هو أحمد بن المقدام بن سليمان بن أشعث ، الإمام المتقن الحافظ ، أبو الأشعث العجلى البصرى . انظر ترجمته فى : الثقات ٨/ ٣٢، وتاريخ بغداد ٥/ ١٦٢، وتهذيب الكمال ١/ ٤٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٦٠.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١٦٦، وتهذيب الكمال ١/ ٣١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٣٣، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٩٠.

وسَرِيٌّ السَّقَطِيُّ[1] ، أحدُ كبارِ مَشايخِ أئمةِ الصوفِيَّةِ ، [2]وهو السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ أبو الحسنِ [٨/٢٢٣ظ] السَّقَطِيُّ البَغداديُّ[2] ، تلميذُ مَعْرُوفٍ الكَرْخِيِّ ، حدَّث عن هُشيمٍ ، وأبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، وعلىِّ بنِ غُرابٍ[3] ، ويحيى بنِ يَمانٍ ، ويزيدَ بنِ هارونَ ، وغيرِهم . وعنه ابنُ أخْتِه الجُنَيْدُ بنُ محمدٍ ، وأبو الحسَنِ النُّوريُّ ، ومحمدُ بنُ الفَضْلِ بنِ جابرٍ السَّقَطِيُّ ، وجماعةٌ .

وكانت[4] له دكَّانٌ يتَّجِرُ فيها ، فمرَّتْ به جاريةٌ قدِ انكَسَر إناءٌ كان معها تشترِى فيه شيئًا لسادَتِها ، فجعَلَت تبكِى ، فأعطاها سرِىٌّ شيئًا تشترِى به بَدلَه ، فنَظر مَعْروفٌ إليه وما صنَع بتلك الجاريةِ ، فقال له : بغَّضَ اللَّهُ إليك الدُّنيا[5] .

وقال سَرِىٌّ[6] : مرَرْتُ فى يومِ عيدٍ ، فإذا مَعروفٌ ومعه صبىٌّ صَغِيرٌ شَعِثُ الحالِ ، فقلتُ : ما هذا ؟ فقال : هذا كان واقِفًا والصِّبيانُ يلْعَبون وهو مُنكسِرٌ ، فقلتُ له : ما لَكَ لا تلْعَبُ[7] ؟ فقال : أنا يتيمٌ ولا شىءَ معى أشْتَرِى به جَوْزًا ألْعَبُ به . فأخَذْتُه لأَجْمَع له نَوًى يشترِى به جَوْزًا يفرَحُ به ، فقلْتُ : ألَا أكْسُوه وأُعْطِيه شيئًا يشْترِى به جَوْزًا ؟ فقال : أوَ تَفعَلُ ؟ فقلتُ :

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨، وحلية الأولياء ١٠/ ١١٦، وتاريخ بغداد ٩/ ١٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٥٠.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « عراب » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٩٠.

(٤) تاريخ بغداد ٩/١٨٨ بنحوه .

(٥) بعده فى م : « فوجد الزهد من يومه » .

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٣، وتاريخ بغداد ٩/ ١٨٨. بنحوهما .

(٧) بعده فى م : « كما يلعبون » .

نعم. فقالَ: خُذْه، أغْنَى اللَّهُ قلبَك. قال: [1]فسويتِ الدُّنيا عندِى[1] أقلَّ شىءٍ.

وكان عندَه مرَّةً لَوزٌ، فساوَمَه رجلٌ على الكُرِّ بثلاثةٍ وسِتِّينَ دِينارًا، ثم ذهَب الرجلُ، فإذا اللَّوْزُ يُساوِى الكُرَّ منه تسْعينَ دِينارًا، فقال له: إنِّى أشْتَرِى منك الكُرَّ بتِسْعِينَ دِينارًا. فقال: إنِّى ساوَمْتُكَ بثلاثةٍ وسِتِّينَ، وإنِّى لا أبِيعُه إلَّا بذلك. فقال الرجلُ: وأنا أشْتَرِى منك بتِسْعِينَ. فقال: لا أبيعُه إلَّا بما ساوَمْتُكَ عليه. فقال الرجلُ: إنَّ مِنَ النُّصْحِ أنْ لا أشْتَرِىَ منك إلَّا بتسعينَ دِينارًا. وذهَب فلم يَشْتَرِ منه.

وجاءَتِ امرأةٌ يومًا إلى سَرِىٍّ فقالتْ[2]: إنَّ ابْنى قد أخَذه الحرسُ، وإنِّى أُحِبُّ أنْ تبْعَثَ إلى صاحبِ الشُّرْطةِ لِئلَّا يُضرَبَ. فقام فكبَّر[3] وطوَّل فى الصَّلاةِ، وجعَلَتِ المرأةُ تحْتَرِقُ فى نفْسِها، فلمَّا انْصرفَ مِن الصلاةِ قالتِ المرأةُ: اللَّهَ اللَّهَ فى ولَدِى. فقالَ [4]هأنذا فى حاجتِك[4]. فما قام مِن مَجلِسِه[5] حتى جاءَتِ امرأةٌ إلى تلك المرأةِ فقالتْ: أبشِرِى، فقد أَطْلقَ المُتولِّى ولدَك[6]. فانْصَرَفتْ إليه. وقال سرىٌّ[7]: أشْتَهِى أنْ آكُلَ أكْلَةً ليس للَّهِ علىَّ فيها تَبِعَةٌ، ولا

(١ - ١) فى الأصل: «فسور عندى الدنيا»، وفى م: «سرى فصغرت عندى الدنيا حتى لهى».
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٨٨، ١٨٩. بنحوه.
(٣) فى الأصل، م: «فصلى».
(٤ - ٤) بياض فى الأصل، وفى م: «لها إنى إنما كنت فى حاجتك».
(٥) بعده فى م: «الذى صلى فيه».
(٦) بعده فى م: «وها هو فى المنزل».
(٧) تاريخ بغداد ٩/ ١٩٠.

لأحَدٍ عليَّ فيها مِنَّةٌ ، فما أجِدُ إلى ذلك سبيلًا . وفى روايةٍ قال : إنِّى لأشتَهِى البَقْلَ منذُ ثلاثينَ سنَةً ، فما أقْدِرُ عليه . وعن السَّرىِّ أنَّه قال : احْتَرَقَ [٨/٢٢٤و] سُوقُنا ، فقَصدْتُ المكانَ الذى فيه دكَّانِى ، فتلَقَّانى رجلٌ فقال : أبْشِرْ ؛ فإنَّ دُكَّانَك قد سَلِمَتْ . فقلتُ : الحمدُ للَّهِ . ثم تذكَّرتُ ذلك التَّحْميدَ[١] ، فأنا أسْتَغْفِرُ اللَّهَ منه منذُ ثلاثينَ سنةً . روَاها الخطيبُ[٢] .

وقال السَّرِىُّ[٣] : صلَّيْتُ وِرْدِى ذاتَ ليلةٍ ثم مدَدْتُ رِجلِى فى المِحْرابِ ، فنُودِيتُ : يا سَرِىُّ ، كذا تجالسُ المُلوكَ ؟ قال : فضمَمْتُ رجْلى ثم قلتُ : وعِزَّتِكَ لا مدَدْتُ رِجْلى أبدًا . وقال الجُنَيْدُ بنُ محمدٍ[٤] : ما رأيتُ أعْبدَ للَّهِ مِن السَّرىِّ السَّقَطِىِّ ؛ أتَتْ عليه ثمانٍ وتسعونَ سنةً ما رُئِىَ مُضْطَجِعًا إلَّا فى عِلَّةِ الموتِ . وقال الخطيبُ : عن أبى نُعَيْمٍ ، عن جَعْفَرٍ الخُلْدِىِّ ، عن الجُنَيْدِ بنِ محمدٍ قال[٥] : دخلتُ عليه أعُودُه ، فقلتُ : كيفَ تجِدُكَ ؟ فقال : كيف[٦] أشْكُو إلى طَبِيبِى ما بى ، والذى قد أصابَنى مِنْ طَبِيبِى .

قال : فأخَذْتُ المِرْوَحَةَ أُروِّحُه ، فقال لى : كيفَ يَجِدُ روحَ[٧] المِرْوَحَةِ مَن جوفُه يَحْترِقُ مِن داخلٍ ؟ ثم أنشأَ يقولُ :

---

(١) بعده فى م : «إذ حمدت اللّه على سلامة دنياى ، وإنى لم أواس الناس فيما هم فيه» .
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٨٨.
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٠، وتاريخ بغداد ٩/ ١٨٧.
(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٩٢، وفيه «الحسن» بدلًا من «الجنيد» ، وانظر صفة الصفوة ٢/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٦.
(٥) تاريخ بغداد ٩/ ١٩١.
(٦) سقط من : ص ، وفى الأصل : «أنا» .
(٧) فى الأصل ، س ، ظ : «ريح» .

القلْبُ مُحْترِقٌ والدَّمْعُ مُسْتَبِقُ والكَرْبُ مُجْتمِعٌ والصَّبْرُ مُفْتَرِقُ
كيفَ القَرارُ على مَنْ لا قَرارَ لهُ مِمَّا جنَاهُ الهَوى والشَّوْقُ والقلَقُ
يا رَبِّ إنْ كانَ شيءٌ فيه لى فرَجٌ فامْنُنْ علىَّ بهِ ما دامَ بى رَمَقُ

قال: وقلتُ له: أوْصنِى. قال: لا تَصْحَبِ الأشْرارَ، ولا تَشْتَغِلْ عنِ اللَّهِ بمُجَالَسةِ الأخْيارِ.

وقد ذكرَ الخطيبُ[1] وفاتَه يومَ الثلاثاءِ لسِتٍّ خلَوْنَ مِن رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ ومِائتَيْنِ بعدَ أذانِ الفجرِ، ودُفِن بعدَ العصرِ. قال: ودُفِن بمقْبرةِ الشُّونيزيَّةِ، وقبْرُه ظاهِرٌ معْروفٌ، وإلى جنْبِه قبرُ الجُنَيْدِ. ورُوِىَ عن [2]القاضى، عن[2] أبى [3]عبيدِ بنِ حَربوَيهِ[3] قال: رأيتُ سَرِيًّا فى المنامِ، فقلتُ: ما فعَل اللَّهُ بكَ؟ فقال: غفَرَ لى ولكُلِّ مَن شهِد جِنازَتِى. قلتُ: فإنِّى مِمَّنْ حضَر جِنازتَكَ وصلَّى عليكَ. قال: فأَخْرَج دُرْجًا فنظَر فيه، فلم يَرَ فيه اسْمِى، فقلتُ: بلَى، قد حضَرْتُ، فإذا اسْمِى فى الحاشِيةِ.

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[4] قوْلًا؛ أنَّ سَرِيًّا تُوفِّى سنةَ إحْدَى وخمسين. وقيل: سنةَ ستٍّ وخَمْسِينَ. فاللَّهُ أعلمُ. قال ابنُ خَلِّكانَ[4]: ومما كان يُنشِدُه السَّرِىُّ، رحِمه اللَّهُ:

---

(١) تاريخ بغداد ٩/١٩٢، بنحوه.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣ - ٣) فى م: «عبيدة بن حريوبه»، وانظر الأثر فى تاريخ بغداد ٩/ ١٩٢، وصفة الصفوة ٢/ ٣٨٥، ٣٨٦.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٩.

(١ إذا ما شْكَوتُ ١) الحُبَّ قالتْ كذَبْتَنِى فَما لِى أرَى الأعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا

[٢٢٤/٨ظ] فلَا حُبَّ حتى يَلْصَقَ الجِلْدُ بالحَشَا وتُذْهَلَ حتَّى لا تُجِيبَ المُنادِيَا

(١ - ١) فى م: «ولما ادعيت».

ثم دخلتْ سنَةُ أربَعٍ وَخمسينَ ومائتين

فيها[1] أمَر الخليفةُ المعتزُّ بقتلِ بُغا الشرابيِّ ، ونصَب رأسَه بسامَرَّا ثم ببَغْدادَ ، وحُرِّقَتْ جثَّتُه ، وأُخِذتْ أمْوالُه وحَواصِلُه .

وفيها وَلِيَ أحمدُ بنُ طولونَ الديارَ المِصْرِيَّةَ ، وهو بانى الجامعِ المَشْهُورِ بها .

وحجَّ بالناسِ فيها عليُّ بنُ الحُسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمدٍ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

زيادُ بنُ [2]يحيى الحسَّانيُّ[2] . **وعليُّ** بنُ محمدِ [3]بنِ عليٍّ[3] بنِ موسى الرِّضا ، يومَ الاثنينِ لأربَعٍ بقِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ ببَغْدادَ . وصلَّى عليه أبو أحمدَ بنُ المُتوكِّلِ فى الشارِعِ المنْسوبِ إلى أبى أحمدَ ، [4]ودُفِنَ بدارِه ببَغْدادَ[4] . **ومحمدُ** بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٧٩، والمنتظم ١٢/ ٧٣، والكامل ٧/ ١٨٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، س ، ظ : « أيوب الحسانى » ، وفى ص : « أيوب الحسيانى » . وانظر ترجمته فى : الجرح والتعديل ٣/ ٥٤٩، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٤٩، والأنساب ٤/ ٢٧٠، وتهذيب الكمال ٩/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٤٦.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٢/ ٥٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧٢، ورجال الطوسى ص ٤٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢١٨، ومرآة الجنان ٢/ ١٥٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٢٨.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

عبدِ اللَّهِ المُخَرِّمىُّ[1] . ومُؤَمَّلُ[2] بنُ إهابٍ .

وأمّا أبو الحسَنِ علىٌّ الهادِى ، فهو ابنُ محمدٍ الجَوادِ بنِ علىٍّ الرِّضَا بنِ مُوسَى الكاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصادِقِ بنِ محمدٍ الباقِرِ بنِ علىٍّ زَيْنِ العابِدين بنِ الحُسَيْنِ الشَّهيدِ بنِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، أحَدُ الأئمَّةِ الاثنَى عَشَرَ ، وهو والدُ الحسَنِ بنِ علىٍّ العسكَرِىِّ المُنتظَرِ عند الفِرقَةِ الضّالَّةِ الجاهليةِ الكاذبةِ الخاطئةِ .

وقد كان عابدًا زاهدًا ، نقَله المُتوكِّلُ إلى سامَرّا ، فأقام بها أزيدَ مِن عِشْرين سنةً بأشهُرٍ ، ومات بها فى هذه السنةِ .

وقد ذُكِر للمتوكِّلِ أنَّ بمنزلِه سِلاحًا وكُتُبًا كثيرةً مِن الناسِ ، فأرسَل فكبسه ، فوجَدوه جالسًا مُستَقبِلَ القِبْلَةِ ، وعليه مِدْرَعَةٌ مِن صُوفٍ ، وهو على [3]بسيطِ الأرضِ[3] ليسِ دونَها حائلٌ ، فأخَذوه كذلك فحمَلوه إلى المُتوكِّلِ ، وهو على شَرابِه ، فلمّا مثُل بيـنَ يديه أجَلَّه وعظَّمه ، وأجلَسه إلى جانبِه ، وناوَله الكأسَ الذى فى يدِه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّه لم يُخالِطْ لحمِى ودمِى قطُّ ، فأعْفِنى منه . فأعْفاه ، ثم قال له : أنشدْنى شِعْرًا . فأنشَده :

باتوا على قُلَلِ الأَجْبالِ تحرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرجالِ فما أغْنَتْهُمُ القُلَلُ
واستُنزِلوا بعدَ عِزٍّ عن معاقِلِهم ... فأُودِعوا حُفَرًا يا بئسَ ما نزَلوا
ناداهُمُ صارِخٌ مِن بعدِ ما قُبِروا ... أيـنَ الأَسِرَّةُ والتِّيجانُ والحُلَلُ

---

(١) فى ص : « الخرمى » . وانظر ترجمته فى : تهذيب الكمال ٥٣٤/٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٦٥/١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٩٥، وتذكرة الحفاظ ٥١٩/٢ .

(٢) فى م : « موهل » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٣/ ١٨١، وتهذيب الكمال ٢٩/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٤٦، والعبر ٢/ ٧، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٢/ ١٢٩.

(٣ - ٣) فى م : « التراب » .

أينَ الوُجوهُ التى كانت مُنعَّمةً ... مِن دُونِها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ[1]

فأفصَحَ القَبْرُ عنهمْ حينَ ساءَلَهمْ ... تلكَ الوُجوهُ عليها الدُّودُ يَقْتَتِلُ

[٨/٢٢٥و] قد طالَ ما أكلُوا دَهْرًا وما شرِبوا[2] ... فأصبَحوا بعدَ طُولِ الأكلِ قد أُكِلوا

قال : فبكَى المُتوكِّلُ حتى بلَّ الثَّرَى ، وبكَى مَن حولَه بحضرَتِه ، وأمَر برفعِ الشَّرابِ ، وأمَر له بأربعةِ آلافِ دِينارٍ[3] ، ورَدَّه إلى منْزِله مُكرَّمًا ، رحِمَه اللَّهُ .

---

(١) الكلل : مفردها كلة ، وهى ستر رقيق يخاط يتوقى فيه من البق . اللسان (ك ل ل) .

(٢) فى م : «لبسوا» .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : «وحالل منه» ، وبعده فى م : «وتحلل منه» .

ثم دخلتْ سنةُ خمسٍ وخَمسينَ ومائتَينِ

فيها[1] كانت وقعَةٌ بين مُفْلِحٍ، وبينَ الحسنِ بنِ زيدٍ الطَّالِبيِّ، فهزَمَه مُفْلِحٌ ودخَل آمُلَ طَبَرِسْتانَ وحرَق منازلَ الحسنِ بنِ زيدٍ، ثم سار وراءَه إلى الدَّيْلَمِ.

وفيها كانت مُحارَبةٌ شديدةٌ بينَ يعقوبَ بنِ الليثِ وبينَ عليِّ بنِ الحُسينِ [2]ابنِ قُرَيشٍ[2] بنِ شِبْلٍ، فبعَثَ عليُّ بنُ الحسينِ رجلًا مِن جهتِه يقالُ له: طَوْقُ بنُ المغلِّسِ، فصابَره أكثرَ مِن شهرٍ، ثم ظفِرَ يعقوبُ بطوقٍ فأسَره وأسَر وُجوهَ أصحابِه، ثم سارَ إلى عليِّ بنِ الحُسينِ هذا فأسَره أيضًا، وأخَذ بلادَه - وهى كَرْمانُ - فأضافَها إلى ما بيدِه مِن مملكةِ[3] سِجسْتَانَ، ثم بعَث يعقوبُ بنُ الليثِ بهديَّةٍ سَنِيَّةٍ إلى المُعْتَزِّ باللَّهِ؛ دَوابَّ وبُزَاةٍ وثيابٍ فاخرةٍ.

وفيها ولَّى الخليفةُ سليمانَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ نيابةَ بغدادَ والسَّوادِ فى ربيعٍ الأوَّلِ منها.

وفيها أخَذ صالِحُ بنُ وصيفٍ أحمدَ بنَ إسرائيلَ كاتبَ المُعتَزِّ، والحسنَ بنَ مَخْلَدٍ كاتبَ قَبِيحَةَ أمِّ المعْتَزِّ، وأبا نوحٍ عيسى بنَ إبراهيمَ، وكانوا قدتمالَئُوا على أكلِ أموالِ بيتِ المالِ، [4]وكانُوا دوَّاوِينَ، وغيرَهم[4]، فضرَبَهم، وأخَذ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٨٢، والمنتظم ١٢/ ٧٩، والكامل ٧/ ١٩١.

(٢ - ٢) فى الأصل: «يونس».

(٣) بعده فى م: «خراسان».

(٤ - ٤) زيادة من: م.

خُطوطَهم بأمْوالٍ جزيلةٍ يحمِلونها، وذلك بغيرِ رِضًى مِن المعتزِّ فى الباطنِ، واحْتِيطَ على أمْوالِهم وحواصِلِهم وضِياعِهم، وسُمَّوا الكُتّابَ الخَوَنَةَ، وولَّى الخليفةُ عن قَهرٍ غيرَهم.

وفى رجَبٍ مِن هذه السنةِ ظهَر عيسى بنُ جعفرٍ، وعلىُّ بنُ زيدٍ الحَسَنِيَّانِ بالكوفَةِ، وقتلا بها عبدَ اللَّهِ بنَ محمدِ بنِ داودَ بنِ عيسى، واستفحَل أمرُهما بها.

مقتلُ الخليفةِ المعتزِّ باللَّهِ[1]

ولثَلاثٍ بَقِينَ مِن رجَبٍ مِن هذه السنَةِ خُلِعَ الخليفةُ المُعْتَزُّ باللَّهِ، ولليْلتَيْنِ مضَتا مِن شعبانَ أُظهِر موتُه. وكان سبَبَ خلْعِه أنّ الجُندَ اجتمَعوا فطلَبوا منه أرزاقَهَم، فلم يكُنْ عندَه ما يُعْطِيهم، فسأَل مِن أمِّه أنْ تُقرِضَه مالًا يدفَعُهم عنه به فلم تُعْطِه، وأظهرَت أنه لا شىءَ عندَها، فاجتمَع الأتراكُ على خَلعِه، فأرسَلوا إليه؛ ليخرُجَ إليهم، فاعتذَر بأنّه قد شرِب دواءً، وأنّ عندَه ضَعْفًا، ولكِن ليدخُلْ إلىَّ بعضُكم. فدخَل إليه بعضُ الأُمَراءِ، [٨/٢٢٥ظ] فتناوَلوه بالدبابيسِ يضرِبونه، وجَرُّوا برِجلِه، وأخرَجوه وعليه قميصٌ مُخرَّقٌ ملَطَّخٌ بالدَّمِ، فأَقاموه فى وَسَطِ دارِ الخلافةِ فى حرٍّ شديدٍ حتى جعَل يراوِحُ بينَ قدَميه مِن شدَّةِ الحرِّ، وجعَل بعضُهم يلطِمُه، وهو يبكِى، ويقولُ له الضارِبُ[2]: اخلَعْها والناسُ مُجتمِعون. ثم

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٢١، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٩١، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٩.
(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٨٩، ٣٩٠.

أدخَلوه حُجرةً مُضيَّقًا عليه فيها .

ومازالوا عليه بأنواعِ العذابِ حتى خلَع نفسَه مِن الخلافةِ ، وولَّى بعدَه المُهتَدِى باللَّهِ ، كما سيأتى ، ثم سلَّموه إلى مَن يسومُه سُوءَ العذابِ بأنواعِ المثُلاتِ ، ومُنِع مِن الطعامِ والشَّرابِ ثلاثةَ أيامٍ حتى جعَل يطلُبُ شرْبَةً مِن ماءِ البئرِ فلم يُسْقَ ، ثم أدخَلوه سِرْبًا فيه جَصُّ جِيرٍ فدَسُّوه فيه ، فأصبَح ميِّتًا ، فاستَلُّوه مِن الجصِّ سليمَ الجسَدِ ، فأشهَدوا عليه جماعةً مِن الأعيانِ أنّه مات ، وليس به أثَرٌ ، وكان ذلك فى اليومِ الثانى مِن شعبانَ مِن هذه السنَةِ ، وكان يومَ السبتِ ، وصلَّى عليه المُهْتَدِى باللَّهِ ، ودُفِنَ مع أخيه المُنتصرِ إلى جانبِ قصرِ الصَّوامعِ ، عن أربعٍ وعِشرين سنةً .

وكانت خلافتُه أربعَ سنينَ وسِتَّةَ أشهُرٍ وثلاثَةً وعِشرينَ يومًا ، وكان طويلًا جَسِيما وَسِيمًا ، أَقْنَى الأنفِ ، مُدَوَّرَ الوجهِ ، حسَنَ الضَّحِكِ ، أبيضَ ، أسودَ الشَّعْرِ جَعْدَه كثيفَه ، كثيفَ اللِّحْيَةِ ، حسَنَ العينَينِ والوجهِ ، ضَيِّقَ الجبينِ ، أحْمرَ الوجنتَينِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد أثْنَى الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ على جَوْدَةِ ذهْنِه ، وحُسنِ فَهمِه وأدَبِه حينَ دخَل عليه فى حياةِ أبِيه المتوَكِّلِ بسامَرَّا ، كما قدَّمْنافى ترجمةِ الإمامِ أحمدَ[1] .

وروَى الخطيبُ البغْدادِىُّ ، عن علىِّ بنِ حربٍ قال[2] : دخَلتُ على المعتزِّ باللَّهِ فما رأيتُ خليفةً أحسنَ وجهًا مِنه ، فلمّا رأيتُه سجَدتُ ، فقال : يا شيخُ ، تسْجُدُ لأحدٍ مِن دونِ اللَّهِ ؟ فقلتُ : حدَّثَنا أبو عاصمٍ الضَّحّاكُ بنُ مَخْلَدٍ النَّبِيلُ ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٤١٨ .

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٢٤.

ثَنا بَكّارُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ أبى بَكْرَةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه . أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا رأَى ما يفرَحُ به ، أو بُشِّر بما يسُرُّه ، سَجَد شُكْرًا للَّهِ ، عزَّ وجلَّ[1] .

وقال الزُّبيرُ بنُ بكّارٍ[2] : صِرْتُ إلى المعتزِّ وهو أميرٌ ، فلمّا سمِعَ بقُدومى خرَج مُسْتعجِلًا إلىَّ فعثَر ، فأنشأَ يقولُ :

يموتُ الفتَى مِن عَثْرَةٍ بلسانِه ... وليسَ يموتُ المرءُ مِن عَثْرَةِ الرِّجلِ
[٨/٢٢٦و] فعَثْرَتُهُ مِن فِيهِ ترْمِى برأْسِه ... وعثْرَتُهُ فى الرِّجْلِ تَبْرَا على مَهْلِ

وذكَر الحافظُ ابنُ عساكِرَ[3] : أنَّ المُعْتَزَّ لمَّا حذَق القرآنَ فى حياةِ أبيه المُتوَكِّلِ اهتمَّ أبوه لذلك ، واجتمَعتِ الأمراءُ والكُبَراءُ والرُّؤَساءُ بسُرَّ مَنْ رَأَى ، واختلفوا لذلك أيامًا عديدةً ، وجرَتْ أحْوالٌ عظيمةٌ . ولمَّا جلَس وهو صبىٌّ على المِنْبَرِ وسلَّم على أبيه بالخلافَةِ ، وخطبَ الناسَ نُثِرَتِ الجواهرُ فى الصوانى ، والذهبُ والفضَّةُ على الخواصِّ والعَوامِّ بدارِ الخلافةِ ، فكان قيمَةُ ما نُثِر مِن الجواهرِ ما يُساوِى مِائةَ ألفِ دِينارٍ ، ومثْلَها ذهَبًا ، وألْفَ ألفِ دِرهمٍ ، غيرَ ما كان مِن خِلَعٍ وأسمِطةٍ وأقمشةٍ مما يفوتُ الحصرَ ، وكان وقتًا مشهودًا لم يكُنْ سرورٌ بدارِ الخلافَةِ أبْهَجَ منه ولا أحسنَ ، وخلَعَ الخليفةُ على أمِّ ولدِه المعتزِّ - وهى قَبِيحَةُ - خِلَعًا سَنِيَّةً ، وأعطاها وأجْزلَ لها العَطاءَ ، وكذلك خلَع على مُؤَدِّبِ المُعتزِّ - وهو محمدُ بنُ عِمرانَ - مِن الجوهرِ والذهبِ وغيرِ ذلك شيئًا كثيرًا جدًّا ، واللَّهُ سبحانَه وتعالَى أعلَمُ .

---

(١) أبو داود (٢٧٧٤) ، والترمذى (١١٥٧٨) ، وابن ماجه (١٣٩٤) بنحوه . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٤١٢) . وانظر إرواء الغليل (٤٧٤) .

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٢٥، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣١٧، وبغية الطلب ٨/ ٣٠٧. وليس فيها إلا البيت الأول ، والبيتان فى وفيات الأعيان ٦/ ٣٩٩ منسوبان إلى يعقوب بن السكيت باختلاف يسير .

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٣١٤ - ٣١٦، مطولًا .

خلَافةُ المُهْتَدِى باللَّهِ أبى[1] عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ الواثقِ هارونَ بنِ المعتصمِ ،

وكانتْ بيعتُه يومَ الأربعاءِ [2]لليلةٍ بقِيتْ[2] مِن رجَبٍ مِن هذه السنَةِ بعدَ خلعِ المعتزِّ نفسَه بينَ يدَيه ، وإشْهادِه على نفسِه بأنّه عاجِزٌ عنِ القيامِ بأمرِ الخلافةِ ، وأنَّه قد رغِب إلى أن يقومَ بأعْبائِها محمدُ بنُ الواثقِ باللَّهِ ، ثم مدَّ يدَه فبايعَه قبلَ الناسِ كلِّهم ، ثم بايَعه الخاصَّةُ ، ثم كانتْ بيعةُ العامَّةِ ، وكُتِب على المعتزِّ كتابٌ أشهِد عليه فيه بالخَلْعِ والعجْزِ ، والمُبايعَةِ للمُهْتَدِى .

وفى آخرِ يومٍ مِن رَجَبٍ هذا وقعَتْ ببغدادَ فِتْنَةٌ هائلةٌ ، وَثَبَت فيها العامَّةُ على نائبِها سليمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ودعَوا إلى بيْعَةِ أبى[3] أحمدَ بنِ المتوكِّلِ أخِى المعتزِّ ؛ وذلك لعدَمِ علمِ أهلِ بغدادَ بما وقَع بسَامَرَّا مِن بيْعَةِ المهتدِى باللَّهِ بنِ الواثقِ ، وقُتِل مِن أهلِ بغدادَ وغرِق منهم خلقٌ كثيرٌ ، ثم لمَّا بايَع النّاسُ بيعةَ العامَّةِ للمهتدِى باللَّهِ فى سابعِ شعبانَ ، وبلَغ أهلَ بغدادَ ذلك ، سكَنوا واستقرَّتِ الأمورُ واسْتقلَّ المهتدِى بالخلافةِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى رمضانَ مِن هذه السنَةِ ظهَر عندَ قَبِيحَةَ أمِّ المعتزِّ أموالٌ عظيمةٌ ، وجَواهِرُ نفيسَةٌ ؛ كان مِن جملةِ ذلك ما يُقاربُ ألفَىْ ألفِ دِينارٍ ، ومِن الزُّمُرُّدِ الذى لم يُرَ مثْلُه مِقْدارُ مَكُّوكٍ ، ومِنَ الحبِّ الكِبارِ مَكُّوكٌ ، وكَيْلَجَةٌ[4] ياقُوتٍ أحمرَ ممَّا لم يُرَ مثلُه أيضًا . [5]وقد كانتْ [٨/٢٢٦ظ] قبلَ ذلك مختفيَةً عندَ صالحِ بنِ وصيفٍ ،[5]

---

(١) بعده فى م : « محمد » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لليلتين بقيتا » ، وفى س ، ظ : « لثلث بقيت » .

(٣) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٣٩٢.

(٤) فى الأصل : « حلجة » . والكيلجة : كيل لأهل العراق يسع مَنًّا وسبعة أثمان مَنٍّ . الوسيط (ك ى ل ج) .

(٥ - ٥) سقط من : م .

[1]ثم نزَحتْ عنه ، فكانت تدعُو عليه ؛ تقولُ[2] : اللهم أخزِ صالحَ بنَ وصيفٍ ، كما هتَك سِترِى ، وقتَل ولدى ، وبدَّد شَملى ، وأخَذ مالِى ، وغرَّبنى عن بلدِى ، وركِب الفاحشةَ منِّى . هذا[1] وقد كانَ [3]الأتراكُ قد[3] طلَبوا مِن ابنِها المعتزِّ خَمسِينَ ألفَ دِينارٍ تُصْرَفُ فى أرْزاقِهم ، وضَمِنوا له أنْ يَقتُلوا صالحَ بنَ وصيفٍ ، فلم يكُنْ عندَه مِن ذلك شىءٌ ، فطلَبَ مِن أمِّه قَبيحَةَ - قبَّحَها اللَّهُ - أن تُقرِضَه ذلك ، فأظْهرَت أنَّه لا شىءَ عندَها . ثم لمّا قُتِل ابنُها - وكان ما كانَ - ظهَر عندَها مِن الأموالِ ما ذكَرْنا . وقد كانَ لها مِن الغَلَّاتِ فى كلِّ سنَةٍ ما يعدِلُ عشَرَةَ آلافِ ألفِ دينارٍ .

واسْتقرَّت الخلافَةُ للمهتدِى باللَّهِ ، وكان - وللَّهِ الحمدُ - خليفةً صالحاً . قال يومًا للأُمَراءِ[4] : إنِّى ليسَتْ لِى أُمٌّ لها مِن الغلَّاتِ ما يقاوِمُ عشَرَةَ آلافِ ألفِ دِينارٍ ، ولستُ أريدُ إلّا القوتَ فقطْ ، ولا أريدُ فضلًا على ذلك إلَّا لإخْوَتِى ، فإنَّهم قد مسَّتْهم الحاجةُ .

وفى يومِ الخميسِ لثَلاثٍ بَقِينَ مِن رمضانَ أمَر صالحُ بنُ وَصيفٍ بضربِ أحمدَ بنِ إسرائيلَ الذى كان وزيرًا ، وأبى نوحٍ عيسى بنِ إبراهيمَ الذى كان نصرانيًّا فأظهَر الإسلامَ ، وكان كاتِبَ قَبِيحَةَ ، فضُرِب كلُّ واحدٍ منهما خمسَمائةِ سَوْطٍ بعدَ استخلاصِ أموالِهما ، ثم طِيف بهما على بغلَينِ مُنكَّسَين فماتا ، وهما كذلك ، ولم يكُن ذلك عن رِضَا المُهتدِى باللَّهِ ، ولكنْ لا يقدِرُ على

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٩٤.

(٣ - ٣) فى م : « الأمراء » .

(٤) تاريخ الطبرى ٩/ ٣٩٦. وفيه : « لجماعة من الموالى » .

الإنكارِ على صالحِ بنِ وَصيفٍ فى بادِئِ الأمرِ .

وفى رمضانَ فى هذه السنَةِ وقَعتْ فتنةٌ ببَغْدادَ أيضًا بينَ محمدِ بنِ أوْسٍ ومَن اتَّبعه مِن الشاكِريَّةِ والجُندِ وغيرِهم ، وبينَ العامَّةِ والرَّعاعِ ، فاجتمَع مِن العامَّةِ نحوٌ مِن مائةِ ألفٍ ، وكان بينَ الناسِ قتالٌ بالنِّبالِ والرِّماحِ والسيوفِ[1] ، وقُتِل خلقٌ كثيرٌ ، ثم انهزَم محمدُ بنُ أوسٍ وأصحابُه ، فنهبَتِ العامَّةُ ما وجَدوا مِن أموالِه ، وكان منه شيءٌ يعدِلُ ألفَىْ ألفٍ ، أو نحوَ ذلك .

ثم اتَّفَق الحالُ على إخراج محمدِ بنِ أوْسٍ مِن بغدادَ إلى أينَما أراد مِن سائرِ البلادِ فخرَج مِنها خائفًا طريدًا ؛ وذلك لأنَّه لم يكُنْ عندَ الناسِ مرْضِيَّ السِّيرَةِ بل كان جبَّارًا عَنِيدًا ، وشيْطانًا مَرِيدًا ، وفاسِقًا شدِيدًا ، وأمَر الخليفةُ المهتدِى باللَّهِ بأن يُنْفَى القِيانُ والمغنِّيون[2] مِن سَامَرّا ، وأمَرَ بقتلِ السِّباعِ والنُّمور التى فى دارِ السلطانِ ، والكلابِ المُعدَّةِ للصيدِ أيضًا ، وإبطالِ الملَاهى ، ورَدِّ المظالمِ ، وأن يُؤمرَ بالمعروفِ ويُنْهَى عن المُنكَرِ ، وجلَس للعامَّةِ .

وكانت ولايتُه و[3]الدنْيا [٨/٢٢٧و] كلُّها مِن أرضِ الشامِ [4]وغيرِها مفترقةٌ[4] ، ثم اسْتَدْعَى الخليفةُ المهتدِى موسى بنَ بُغا الكبيرِ إلى حضرتِه ؛ ليتقوَّى به على مَن عندَه مِن الأتْراكِ ؛ لتجتمِعَ كلمةُ الخِلافةِ واعتذَر مِن استدعائِه بما هو فيه مِن الجِهادِ بتلك البلادِ .

---

(١) فى م : « السوط » .

(٢) هكذا ، ووجهه : « والمُغَنُّون » .

(٣) فى م : « فى » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « مفتونة » .

ذكرُ خارجِيٍّ آخَرَ ادَّعَى أنَّه مِن أهلِ البيتِ، ظهَر بالبصرةِ

وفى النصْفِ مِن شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ ظهَر رجلٌ بظاهرِ البَصرةِ زعَم أنّه علىُّ ابنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عيسى بنِ زيدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، ولم يكُنْ صادقًا فى دعْواه هذا النَّسبَ، وإنَّما كان عبقَسِيًّا[1] - مِن عبدِ القَيْسِ - واسمُه علىُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ، وأمُّه قُرَّةُ[2] بنتُ علىِّ بنِ رَحيبِ بنِ[3] محمدِ بنِ حَكِيمٍ[4] مِن بنى أسدِ بنِ خُزَيمةَ، وأصْلُه مِن قرْيَةٍ مِن قُرَى الرَّىِّ[5]. قالَه ابنُ جريرٍ[6].

قال[7]: وقد خرَج أيضًا فى سنَةِ تِسعٍ وأربعينَ ومِائتَينِ بالبحرين[8]، فادَّعَى أنَّه علىُّ بنُ محمدِ بنِ الفضلِ بنِ الحُسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، فدَعا الناسَ بهَجَرَ[9] إلى طاعَتِه، فاتَّبَعه جماعةٌ مِن أهلِها، فوقَع بسبَبِه قِتالٌ كثيرٌ، وفِتَنٌ كِبارٌ، وحروبٌ كثيرةٌ ومنتشرةٌ.

---

(١) فى م: «عسيفا يعنى أجيرا».
(٢) فى الأصل: «فروة».
(٣) فى م: «من».
(٤) فى الأصل، س، ظ: «حليم».
(٥) فى الأصل: «الروم».
(٦) تاريخ الطبرى ٩/ ٤١٠.
(٧) المصدر السابق.
(٨) فى م: «بالنجدين».
(٩) هجر: مدينة وهى قاعدة البحرين. معجم البلدان ٤/ ٩٥٣.

ولمَّا خرَج خرْجَتَه هذه الثانيةَ بظاهرِ البصرةِ التفَّ عليه خلْقٌ مِن الزَّنْجِ الذينَ كانوا يكسَبحون السِّباخَ ، فعبَر بهم دِجْلَةَ فنزَل الدِّينارِىَّ[1] ، وكان يزْعمُ لبعضِ الجهَلةِ مِن أتباعِه أنَّه يحيَى بنُ عمرَ أبو الحسينِ المقتولُ بناحيةِ الكوفةِ ، وكان يدَّعِى أنَّه حفِظ سُورًا مِن القرآنِ فى ساعَةٍ واحدةٍ جرَى بها لِسانُه لا يحفَظُها غيرُه فى مدةٍ[2] ؛ وهُنَّ سُبْحانَ ، والكَهْفُ ، وص[3] ، وأنَّه فكَّر يومًا ، وهو فى البادِيَةِ إلى أىِّ البلادِ يصيرُ ، فخوطِبَ مِن سحابةٍ أنْ يقْصِدَ إلى البصرَةِ ، فقصَدها ، ولمَّا اقتَرب منها وجَد أهلَها مُفترِقِين على شُعبتَيْنِ ؛ سَعْدِيَّةٍ وبِلاليَّةٍ ، فطمِع أن ينضمَّ إليه إحداهما فيستعينَ بها على الأخْرَى فلم يقدِرْ على ذلك ، فارْتحَل إلى بغدادَ فأقامَ بها سنَةً ، وانتَسب بها إلى محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عيسى بنِ زيدٍ ، وكان يزعُمُ بها أنّه يعلَمُ ما فى ضمائرِ أصحابِه ، وأنّ اللَّهَ يُعلِمُه بذلك ، فتبِعه على ذلك جَهَلَةٌ من الطَّغَامِ ، وطائفةٌ مِن رَعاعِ الناسِ العَوامِّ .

ثم عادَ إلى أرضِ البصرةِ فى رمضانَ مِن هذه السنةِ فاجتمَع معَه بشَرٌ كثيرٌ ، ولكِنْ لم يكُنْ معَهم عُدَدٌ [4]يُقاتلون بها فأتاهم[4] . جيشٌ مِن ناحيةِ البصرةِ فاقتَتَلوا[5] جميعًا ، فلم يكُنْ فى جيشِ هذا الخارجِىِّ سِوَى ثلاثَةِ أسْيافٍ وأولئك الجيشُ معهم عَدَدٌ وعُدَدٌ ولبوسٌ [٨/٢٢٧ظ] ، ومع هذا هزم أصحابُ هذا الخارجىِّ ذلك الجيشَ وكانوا فى أربعةِ آلافِ مُقاتِلٍ ، ثم مضَى نحوَ البَصرةِ بمَن

---

(١) الدينارى : سكة دينار بالرى . معجم البلدان ٢/ ٧١٣.

(٢) بعده فى م : « دهر طويل » .

(٣) بعده فى م : « وعم » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، س ، ص : « يقال إنه تقدم إليهم » .

(٥) فى الأصل ، س ، ص : « فالتقوا » .

معَه ، فأهْدَى له رجلٌ مِن أهلِ جُبَّا[1] فرَسًا ، فلم يجِدْ لها سَرْجًا ولا لجَامًا ، فألقَى عليها حَبْلًا وركِبها ، وشنَق[2] حنَكَها بليفٍ ، ثم صادَر رجلًا فتهدَّده بالقتلِ ، فأخَذ منه مِائةً وخمسينَ دِينارًا وألفَ درهمٍ ، فكان هذا أوّلَ مالٍ غنِمه[3] مِن هذه البلادِ ، وأخَذ مِن آخرَ ثلاثةَ بَراذِينَ ، وأخَذ من موضعٍ آخرَ شيئًا مِن الأسلحةِ والأمتعةِ ، فسار فى جيشِه قليلُ سلاحٍ وخيولٍ ، ثم جرَت بينَه وبينَ جيوشٍ مِن جهةِ نائبِ البَصرةِ وقَعاتٌ مُتعدِّدةٌ ، يهْزِمُهم فيها وكلما[4] لأَمرِه يقوَى ويتزايدُ أصحابُه ويعظُمُ[5] جيشُه ، وهو مع ذلك لا يتعرَّضُ لأموالِ الناسِ[6] ، وإنَّما يريدُ أخْذَ أَمْوالِ السلطانِ .

وقد انهزَم أصحابُه فى بعضِ تلك الحروبِ هزيمةً فظيعةً ثم تراجَعُوا إليه ، واجتمَعوا حولَه ، ثم كَرُّوا إلى أهلِ البصرةِ فهزَموهم ، وقتَلوا منهم خلقًا وأسَروا آخرين ، فكان لا يُؤتَى بأحدٍ من الأسْرى إلّا قتَله ، ثم قَوِى أمرُه بعدَ ذلك ، وخافه أهلُ البصرةِ ، وبعَث الخليفةُ إليها مدَدًا يكونون لهم على صاحبِ الزَّنْجِ - هذا الخارجيِّ قبَّحه اللَّهُ - ثم أشار عليه رءوسُ أصحابِه أن يهجُمَ بهم على أهلِ البصرةِ ، فيدخُلونها عَنوةً ، فهجَّن آراءَهم ، وقال[7] : بل نكونُ منها قريبًا حتى يكونوا هم الذين يطْلُبونَنا إليها ، ويخْطُبوننا عليها . وسيأتى ما كانَ مِن أمرِه ،

---

(١) جُبَّا : بلد أو كورة من عمل خوزستان وهى فى طرف من البصرة . معجم البلدان ٢/ ١٢.
(٢) فى م : « سنف » . وهو صواب أيضا . وشنق : أى شد رأسه بالزمام ليكبحه كما يكبح الفرس . الوسيط (ش ن ق) .
(٣) فى م : « نهبه » .
(٤) فى م « وكل ما » والسّياق مضطرب .
(٥) بعده فى م : « أمره ويكثر » .
(٦) بعده فى م : « ولا يؤذى أحدا » .
(٧) تاريخ الطبرى ٩/ ٤٣٧.

وأمرِ أهل البَصْرَةِ فى السنَةِ المُستقبَلةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ علىُّ بنُ الحسينِ بنِ إسماعيلَ [1] بنِ العبّاسِ [1] بنِ محمدِ [1] بنِ علىٍّ [1] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ .

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

الجاحظُ المتكلِّمُ المُعتزلىُّ [2] ، وإليه تُنسَبُ الفِرْقةُ الجاحِظِيَّةُ مِنهم ، وهو أبو عثمانَ عمرُو بنُ بحرِ بنِ محبوبٍ الكِنانىُّ ، اللَّيثىُّ البصرىُّ ، المعروفُ بالجاحظِ ؛ لجحوظِ [3] عينَيه ، ويقالُ له [4] : الحدَقىُّ . وكان شنيعَ المَنْظَرِ ، سيِّئَ المَخْبَرِ ، ردِىءَ الاعتقادِ ، يُنسَبُ إلى البدعةِ [5] ، وربَّما جاوَز به بعضُهم إلى الانحلالِ حتى يُقالَ فى المثَلِ : ياويحَ مَن كفَّره الجاحظُ . واللَّهُ أعلَمُ بحالِه . وكان بارعًا فاضلًا ، قد أتقنَ علومًا كثيرةً ، وصنَّف كتبًا جَمَّةً ، تدُلُّ على قوةِ ذِهْنِه وجَودةِ تصرُّفِه . ومِن أجَلِّ كتُبِه كتابُ « الحَيوانِ » ، وكتابُ [٨/ ٢٢٨و] « البَيانِ والتَّبْيِينِ » .

قال ابنُ خَلِّكانَ [4] : وهما أحسنُ مُصَنَّفاتِه وأمتعُها ، وقد أطال ترجمتَه بحِكاياتٍ ذكَرها عنه . وذكَر [6] : أنَّه أصابه الفالِجُ فى آخرِ عُمْرِه ، وحكَى عنه أنَّه قال : أنا مِن جانِبى الأيسرِ مفلوجٌ ، لو قُرِض بالمَقارِيضِ ما علِمتُ به ، وجانِبى

(١ - ١) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٤٣٧.

(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٤٧٩ .

(٣) فى الأصل : « لسر » ، وفى س ، ظ : « لسوء » ، وفى ص : « لنثوء » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٧١.

(٥) فى م : « البدع والضلالات » .

(٦) المصدر السابق ٣/ ٤٧٣.

الأيمنُ مُنقَرِسٌ[1] فلو مرَّتْ به الذُّبابَةُ لألِمتُ، وبى حَصاةٌ، وأشدُّ ما علىَّ سِتٌّ وتِسْعُون سنةً. وكان ينْشِدُ:

أتَرْجُو أن تكونَ وأنتَ شيْخٌ ... كما قد كنتَ أيامَ الشبابِ
لقدْ كَذَبَتْكَ نفسُكَ لَيسَ ثَوْبٌ ... دَرِيسٌ كالجديدِ مِن الثِّيابِ

وعبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ أبو محمدٍ الدَّارِمِىُّ[2]، [3]صاحبُ المسندِ المشهورِ، وقد سمِعْناه بِعُلُوٍّ[3]، **وعبدُ اللَّهِ** بنُ هاشمٍ الطُّوسِىُّ[4]. **والخليفةُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدٌ المعتزُّ باللَّهِ بنُ جعفرٍ** المتوكِّلِ على اللَّهِ [5]فى رجَبٍ - كما تقدَّم[5] - **ومحمدُ** بنُ عبدِ الرَّحيمِ[6] الملقَّبُ صاعِقَةَ.

ومحمدُ بنُ كَرَّامٍ[7]، المتكلمُ الذى تُنسَبُ إليه الفِرقَةُ الكَرّامِيَّةُ. وقد نُسِب إليهم جَوازُ وَضْعِ الأحاديثِ على الرسولِ ﷺ وأصْحابِه وغيرِهم؛ وهو محمدُ بنُ كَرّامٍ - بفتحِ الكَافِ وتشْديدِ الرّاءِ، على وَزْنِ جَمَّالٍ - بنِ

---

(١) فى م: «منضرس»، وفى ظ: «منفرش». ومنقرس أى مصاب بالنِّقرس وهو ورم أو وجع. تاج العروس (ن ق ر س).

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٩، وتاريخ دمشق ٢٩/ ٣١٠، وتهذيب الكمال ١٥/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٧٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٤٢.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٣، وتهذيب الكمال ١٦/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٨٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٦٢.

(٥ - ٥) سقط من: م. وتقدم فى صفحة ٥٠٥.

(٦) الثقات ٩/ ١٣٢، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٦٣، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٠٠.

(٧) الفرق بين الفرق ص ٢١٥، وتاريخ دمشق ١٥/٨٧٧ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٧٥.

(١ عِرَاقِ بنِ حُزَابَةَ بنِ البَرَاءِ ١) ، أبو عبدِ اللَّهِ السِّجِستانيُّ العابدُ ، يقالُ(٢) : إنَّه مِن بَنى نِزَارٍ(٣) . ومِنهم مَن يقولُ(٤) : محمدُ بنُ كِرَامٍ - بكَسْرِ الكَافِ وتخفيفِ(٥) الرّاءِ - (٦ جمعُ كريمٍ . وفرَّق البيهقيُّ بينهما ، فجعَل الذى يُنسَب إليه الكرَّاميةُ - بفتحُ الكافِ وتشديد الراء٦) - وهو الذى سَكَن بيتَ المَقدِسِ إلى أنْ مات بها ، وجعَل الآخرَ شيْخًا مِن أهلِ نَيْسَابُورَ . والصحيحُ الذى يظْهَرُ مِن كلامِ الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ الحافظِ ، والحافظِ أبى القاسمِ بنِ عساكِرَ أنَّهما واحدٌ .

وقد روَى ابنُ كَرَّامٍ عن علىِّ بنِ حجَرٍ(٧) ، وعلىِّ بنِ إسْحاقَ الحَنظلىِّ السَّمرقَندىِّ ، سمِع منه التفْسِيرَ عن محمدِ بنِ مَرْوانَ ، عن الكَلْبِىِّ ، وإبْراهيمَ بنِ يُوسُفَ الماكِيَانىِّ(٨) ، ومالكِ(٩) بنِ سُلَيمانَ الهَرَوِىِّ ، وأحمدَ بنِ حَرْبٍ ، وعَتِيقِ ابنِ محمدٍ الجُرَشِىِّ(١٠) ، وأحمدَ بنِ الأزْهرِ النَّيسَابُورِىِّ ، وأحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ الجُوَيْبارِىِّ(١١) ، ومحمدِ بنِ تميمٍ الفارَيانىِّ(١٢) - وكانا كذابَيْنِ وَضَّاعَيْنِ - وغيرِهم .

(١ - ١) فى الأصل : « عراف بن البراء » ، وفى س : « عراف بن حرانه بن البراء » ، وفى م : « عراف بن حزامة » ، وفى الوافى بالوفيات : « عراف بن خراية بن البراء » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣١٠، وتاج العروس (ك ر م) .

(٢) تاريخ دمشق ٨٧٨/١٥ (مخطوط) .

(٣) فى الأصل ، م : « تراب » ، وفى تاريخ دمشق : « برار » . وانظر الأنساب ٥/ ٤٤.

(٤) تاريخ دمشق ٨٧٨/١٥ (مخطوط) . وفيه : « بنصب الكاف وتشديد الراء » .

(٥) فى م : « تشديد » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى م : « حجرد » . وانظر تاريخ دمشق ٨٧٧/١٥ (مخطوط) .

(٨) فى م : « الكنانى » . وانظر تاريخ دمشق ٨٧٧/١٥ (مخطوط) ، والأنساب ٥/ ٤٤.

(٩) فى م : « ملك » . وانظر الأنساب ٥/ ٤٣، وتاريخ دمشق ١٥/ ٨٧٧، ٨٧٨ (مخطوط) .

(١٠) فى الأصل ، م : « الجسرى » . وانظر تاريخ دمشق ٨٧٨/١٥ (مخطوط) .

(١١) فى م : « الحوبيارى » . وانظر الأنساب ٥/ ٤٤.

(١٢) فى م : « القاريانى » .

وعنه محمدُ بنُ إسْماعيلَ بنِ إسْحاقَ ، وأبو إسْحاقَ بنُ سُفْيانَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ القِيراطِيُّ ، وإبراهيمُ بنُ الحَجّاجِ النَّيْسَابُورِيُّ .

وذكَر الحاكمُ[1] : أنَّه حُبِس فى حَبْسِ طاهرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فلمّا أطلَقه ذهَب إلى ثُغورِ الشامِ ، ثم عاد إلى نَيسابُورَ ، فحبَسَه محمدُ بنُ طاهرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، فطال حبسُه ، وكان يتأَهَّبُ لصلاةِ الجمعةِ ، [2]ويأْتى إلى السَّجّانِ ، فيقولُ : دعْنى أَخرُجْ إلى الجُمُعَةِ[2] . فيمنَعُه السَّجّانُ ، فيقولُ : اللَّهُمَّ إنّك تعلَمُ أنَّ المنعَ مِن غيرى . وقال غيرُه[3] : أقام ببيتِ المقدِسِ أربعَ سِنِين ، وكان يجلِسُ للوعظِ عندَ [٨/٢٢٨ظ] العمودِ الذى عندَ مَشْهَدِ عيسى ، عليه السلامُ ، واجْتَمَعَ عليه خَلْقٌ كثيرٌ ، ثم تبيَّنَ لهم أنَّه يقولُ : إنَّ الإيمانَ قولٌ بلا عمل . فترَكه أهلُها ، ونفَاه مُتَوَلِّيها إلى غَوْرِ زغرَ[4] فماتَ بها ، ونُقِل إلى بيتِ المَقدِسِ ، وكانت وفاتُه فى صَفَرٍ مِن هذه السنَةِ .

وقال الحاكِمُ[3] : تُوفِّى ببَيتِ المَقْدِسِ ليلًا ، ودُفِن بيابِ أَرِيحَا[5] عندَ قُبورِ الأنبياءِ ، عليهم السلامُ ، وله ببيتِ المقدِسِ مِن الأَصْحابِ نحْوٌ مِن عشْرِين ألفًا . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/٨٧٨ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣١١ بنحوهما .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) تاريخ دمشق ١٥/٨٧٩ (مخطوط) ، بنحوه .

(٤) زغر : قرية بمشارف الشام . معجم البلدان ٢/ ٩٣٣.

(٥) أريحا : مدينة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام . معجم البلدان ١/٢٢٧ .

ثم دخَلتْ سنةُ ستٍّ وخمسين ومائتين

فى صبيحةِ يومِ الاثنينِ الثانى عشَرَ مِن المحرَّمِ[1] قدِم موسى بنُ بُغا الكبيرِ إلى سَامَرَّا ، فدَخَلَها فى جيشٍ هائلٍ ، قد عبَّاه مَيْمَنَةً ومَيْسَرَةً وقلْبًا وجَناحَيْنِ ، فقصَد دارَ الخلافةِ التى فيها المُهْتَدِى باللَّهِ جالسٌ للعامَّةِ ؛ لكشفِ المَظالمِ ، واستأذنوا عليه فتمادى الإذْنُ ساعةً وتأخَّر عنهم ، فظَنُّوا فى أنفُسِهم أنَّ الخليفةَ إنَّما طلَبهم خدِيعةً منه ؛ ليُسلِّطَ عليهم صالِحَ بنَ وَصيفٍ ، فدخَلوا عليه هَجْمًا فجعَلوا يُراطِنُونَهم بالتُّرْكِيِّ ، ثم عزَموا فأقامُوه مِن مجْلِسِه ، وانْتَهَبُوا ما كان فيه ، ثم أخذُوه مُهانًا إلى دارٍ أخْرَى ، فجعَل يقولُ لموسى بنِ بُغا : ما لَكَ وَيْحَكَ ؟! إنِّى إنَّما جِئْتُ بك لأتقَوَّى بك على صالحِ بنِ وَصِيفٍ . فقالَ : لا بأْسَ عليكَ ، احلِفْ لى أنَّكَ لا تريدُ لى خِلافَ ما أظْهَرْتَ . فحَلَف له الخليفةُ ، فطابَت أنفسُهم ، وبايَعُوه بَيْعةً ثانيةً مُشافَهةً ، وأخَذوا عليه العُهودَ والمَواثِيقَ أنْ لا يُمالِئَ صالحًا عليهم ، واصْطَلَحوا على ذلك ، ثم بعثوا إلى صالحِ بنِ وصيفٍ ؛ ليَحْضُرَهم للمُناظرةِ فى أمرِ المُعْتَزِّ ومَن قتَله صالِحُ بنُ وصيفٍ مِن الكُتَّابِ وغيرِهم ، فوعَدهم أنْ يأْتِيَهم ، ثم اجْتَمَع بجماعةٍ مِن الأُمَراءِ مِن أصْحابِه ، وأخَذ يتأهَّبُ لجمعِ الجُيوشِ عليه ، ثم اختفَى مِن ليْلَتِه ، فلم يدْرِ أحدٌ أين ذهَب فى تلك الساعَةِ ، فبعَث المُنادِيَةَ عليه فى أرْجاءِ البلدِ ، وتهدَّد مَن أخْفاه ، فلم يزَلْ فى خَفاءٍ إلى أواخرِ صفرٍ ، على ما

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٤٣٨، والمنتظم ١٢/ ١٠٠، والكامل ٧/ ٢١٨.

سنَذْكُرُ .

ورُدَّ سليمانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ إلى نِيابةِ بغدادَ ، وسُلِّم الوزيرُ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ يَزْدادَ إلى الحسنِ بنِ مَخْلدٍ الذى كان أرادَ صالحُ بنُ وصيفٍ قتْلَه مع ذَيْنِكَ الرجلَيْن ، فبَقِى فى السجنِ حتى رجَع إلى الوزارةِ .

ولما أبطَأ خبرُ صالحِ بنِ وصيفٍ على موسى بنِ بُغا وأصحابِه قال بعْضُهم لبعضٍ : اخلَعُوا هذا الرجلَ - يعنون المهتدىَ باللَّهِ - فقال بعضُهم : أتقْتُلُونَ رجلًا صَوَّامًا قوَّامًا ، لا يشْرَبُ النبيذَ ، [٨/ ٢٢٩و] ولا يأْتِى الفَواحِشَ ؟! واللَّهِ إنَّ هذا ليس كغيرِه ، ولا يُطاوِعُكُمُ الناسُ عليه . وبلَغ ذلك الخليفةَ ، فخرَج إلى الناسِ وهو مُتقلِّدٌ سيفًا ، فجلَس على السَّريرِ واستدْعَى بموسى بنِ بُغا وأصْحابِه ، فقال : قد بلَغنى ما تَمالأْتُم عليه مِن أمْرِى ، وإنِّى واللَّهِ ما خرَجْتُ إليكم إلَّا وأنا مُتَحنِّطٌ ، وقد أوصيتُ إلى أخى بولَدى ، وهذا سيْفِى ، واللَّهِ لأَضْرِبَنَّ به ما استمسَكَ قائمُه بيَدِى ، واللَّهِ لئِنْ سَقطَ مِن شَعْرى شعْرَةٌ ليَهْلِكَنَّ ، أو لَيَذْهَبَنَّ بها أكْثَرُكم ، أمَا دِينٌ ؟! أمَا حَياءٌ ؟! أما رِعةٌ ؟! كم يكونُ هذا الخلافُ[1] على الخُلَفاءِ ، والإقدامُ والجُرْأَةُ على اللَّهِ ؟! سَواءٌ عندَكم مَن قصَد الإبقاءَ عليكم ، ومَن كان إذا بلَغه هذا عنكم دعا بأَرْطالِ الشَّرابِ ، فشرِبها ؛ سرورًا بمكروهِكم ، واذهبوا فانظروا فى منزلِى ومَنازِلِ إخْوَتِى ومَن يتَّصِلُ بى ؛ هل فيها مِن آلاتِ الخلافةِ أو فُرُشِها شىءٌ غيرُ ما يكونُ فى بُيوتِ آحادِ الناسِ ، وتقولونَ : إنِّى أعلَمُ علْمَ صالحٍ ، وهل هو إلا كَواحدٍ مِنكم ؟ فاذهَبوا فاعلَموا عِلْمَه فابْلُغوا شِفاءَ نفُوسِكم منه ، وأمَّا أنا فلسْتُ أعلَمُ عِلمَه . قالوا : فاحْلِفْ لنا على ذلك . فقال : أمَّا اليمينُ فإنِّى أبْذُلُها لكم ،

---

(١) فى النسخ : « الإقدام » . والمثبت من تاريخ الطبرى والكامل .

ولكِنِّى أُؤَخِّرُها[1] حتى تكونَ بحَضْرَةِ الهاشِميِّينَ والقُضاةِ والمُعَدَّلينَ وأصْحابِ المَراتبِ فى غَدٍ، إذا صلَّيتُ صلاةَ الجُمعةِ. قال: فكأنَّهم لَانُوا لذلك قليلًا.

ولمَّا كان يومُ الأحَدِ لثَمانٍ بقِين مِن صفرٍ ظفِرُوا بصالحِ بنِ وصيفٍ، فقُتلَ وجِىءَ برأسِه إلى المُهْتَدِى باللَّهِ، وقد انْفَتَل مِن صلاةِ المغربِ، فلم يَزِدْ على أنْ قال: وَارُوه. ثم أخَذ فى تسْبِيحِه وذِكْرِه. ولمَّا أصبَح الصباحُ مِن يومِ الاثنينِ رُفِعَ الرأسُ على رُمْحٍ ونُودِى عليه فى أرْجاءِ البلدِ، هذا جَزاءُ مَن قتَلَ مَوْلاه. وما زال الأمرُ مُضْطرِبًا حتّى تفاقم الأمرُ، وعَظُمَ الخطْبُ.

ذِكْرُ خَلْعِ المُهْتَدِى وولايَةِ المُعْتَمِدِ أحمدَ بنِ المُتوكِّلِ، وإيرادُ شىءٍ مِن فضائلِ المُهْتَدِى

لمَّا بلَغ موسى بنَ بُغا أنَّ مُساوِرًا الشَّارِىَ قد عاث بتلك الناحيةِ ركِبَ إليه فى جيشٍ كثيفٍ ومعه مُفْلِحٌ وبايكباكُ[2] التُّرْكىُّ، فاقْتَتَلُوا هم ومُساوِرٌ الخارِجِىُّ، فلم يظْفَرُوا منه بشىءٍ يعجِبُهم، وهرَب مِنهم وأعْجَزهم، وكان قد فعَل قبلَ مجيئِهمُ الأفاعيلَ المُنْكرةَ. والمقصودُ أنَّ الخليفةَ المهتدىَ باللَّهِ أرادَ أنْ يُخالفَ بينَ كلمةِ الأتْراكِ، فكتَب إلى بايكباكَ أنْ يتسلَّمَ الجيشَ مِن موسى بنِ بُغا، ويكونَ هو الأميرَ على الناسِ، وأنْ يُقبِلَ بهم إلى سَامَرَّا، فلمَّا [٨/ ٢٢٩ظ] وصَل إليه الكتابُ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «أدخرها».

(٢) هنا وفيما يأتى فى الأصل، س، ص، والكامل: «بابكيال». وفى ظ: «باكيال». وفى تاريخ اليعقوبى ٢/ ٥٠٥: «بابكباك». وفى تاريخ المسعودى ٤/ ٩٩: «بايكيال». والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ٩/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٩، ونهاية الأرب ٢٢/ ٣٢٤.

أقرَأه موسى بنَ بُغا ، فاشْتَدَّ غضَبُه على المهتدى ، واتَّفَقا عليه وقَصَدا إليه بلَدَ سَامَرَّا ، وترَكا ما كانا فيه[1] . فلمّا بلَغ ذلك المُهتدىَ استخدَم مِن فوْرِه جُنْدًا مِن المَغاربةِ والفَراغِنَةِ والأشْروسنيّةِ والأزكشيَّةِ[2] والأتْراكِ أيضًا ، وركِب فى جيشٍ كثيفٍ ، فلمّا سمِعُوا به رجَع موسى بنُ بُغا إلى طريقِ خُراسانَ ، وأظْهَر بايكباكُ السمعَ والطاعةَ ، فدَخَل فى ثانِى عشَرَ رجَبٍ إلى الخليفةِ سامِعًا مُطِيعًا ، فلما أُوقِف بينَ يدَيْه وحولَه الأمراءُ والسادةُ مِن بنى هاشمٍ ، شاوَرهم فيه ، فقال له صالِحُ بنُ علىٍّ بنِ يعقوبَ بنِ أبى جعفرٍ المنصورِ : يا أميرَ المؤمنين ، لم يبلُغْ أحدٌ مِن الخُلَفاءِ فى الشجاعةِ والإقدامِ ما بلَغت ، وقد كان أبو مسلمٍ الخراسانىُّ شرًّا مِن هذا وأكْثَرَ جُنْدًا ، ولمَّا قتَلَه أبو جعفرٍ المنصورُ سكَنتِ الفِتْنَةُ وخَمَد صوتُ أصْحابِه . فأمَر عندَ ذلك المهتدى باللَّهِ بضربِ عُنُقِ بايكباكَ ، ثم ألْقَى رأسَه إلى الأتْراكِ ، فلمَّا رأَوْا ذلك أعظَمُوه وأصبَحُوا مِنَ الغدِ مُجتمِعين على أخيه طغوتيا[3] ، فخرَجَ إليهم الخليفةُ فيمَن معه ، فلمَّا التقَوا خامَرَتِ الأتراكُ الذينَ كانوا مع الخليفةِ إلى أصْحابِهم ، وصاروا ألْبًا واحِدًا على الخليفةِ وأصحابِه ، فقتَل مِنهم نحْوًا مِن أربعةِ آلافٍ ، ثم حمَلُوا عليهم فهزَمُوهم وانهزَم المهتدى باللَّهِ وبيَدِه السيفُ صَلْتًا ، وهو يُنادِى : يا أيُّها الناسُ ، انْصُروا خليفَتَكم . فدخَل دارَ أحمدَ ابنِ جُمَيلٍ صاحبِ المعونةِ ، فوضَع فيها سِلاحَه ولبِسَ البَياضَ ، وأرادَ أنْ يذْهبَ

---

(١) المذكور فى تاريخ الطبرى أن بايكباك وحده الذى قصد سامرا ، أما موسى بن بغا فقد مضى إلى ناحية طريق خراسان فى نحو من ألفى رجل . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٠.

(٢) فى تاريخ الطبرى : « الأوكشية » .

(٣) سقط من : س . وفى الأصل : « طعوبيا » . وفى ص : « طغوها » . وفى ظ : « طعوبيا » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٤٥٨.

فيَخْتَفِيَ ، فعاجَله أحمدُ بنُ خاقانَ فيها فأخَذه قبلَ أنْ يَذْهَبَ ، ورُمِي بسهمٍ ، وطُعِن فى خاصِرَتِه ، وحُمِل على دابَّةٍ وخلفَه سائسٌ ، وعليه قميصٌ وسَراوِيلُ حتى [1] حصَل فى [1] دارِ أحمدَ بنِ خاقانَ ، فجعَلَ مَن هناك يصْفَعُونه ويبْزُقُون فى وجْهِه ، وأخَذوا خطَّه بسِتِّمائَةِ ألفِ دينارٍ ، وسلَّمُوه إلى رجلٍ فلم يزَلْ يطأُ خُصيتَيْهِ حتّى ماتَ رحِمه اللَّهُ . وذلك يومَ الخميسِ لاثْنَتَيْ عشْرَةَ ليلةً بَقِيتْ مِن رجبٍ .

وكانت خلافتُه أقلَّ مِن سنةٍ بخمسةِ أيامٍ ، ووُلِد فى سنَةِ تِسْعَ عشْرَةَ ، وقيلَ [2] : خمسَ عشْرَةَ ومِائَتَيْنِ . وصلَّى عليه جعفرُ بنُ عبدِ الواحدِ ، ودُفِن بمَقْبرةِ المنتصرِ بنِ المتوكلِ ، وكان أسمرَ رقيقًا ، أَجْلَى ، حسنَ اللحيةِ ، أشهَبَ ، حسنَ العينين ، عظيمَ البطنِ ، عريضَ المَنكِبين ، قصيرًا ، طويلَ اللحيةِ ، يُكنَى أبا عبدِ اللَّهِ .

قال الخطيبُ [3] : وكان مِن أحْسَنِ [٨/٢٣٠و] الخُلَفاءِ مذْهبًا ، وأجملِهم طريقةً ، وأظهرِهم ورَعًا ، وأكثرِهم عِبادةً ، وإنّما روَى حديثًا واحدًا ، ثم أَسْنَد عنه ، قال : حدَّثنى علىُّ بنُ [4] أبى هاشمِ [4] بنِ طِبْراخَ [5] ، عن محمدِ بنِ الحسَنِ الفَقِيهِ ، عنِ ابنِ أبى ليْلَى ، عن [6] داودَ بنِ علىٍّ ، عن أبيه ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال :

(١ - ١) فى م : « أدخلوه » . وفى ظ : « صار فى » .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٨.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٤ - ٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ ، وتاريخ بغداد : « هاشم » ، وفى م : « هشام » . والمثبت من تهذيب الكمال ٢١/ ١٧١.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « طراح » ، وفى س : « طبارح » ، وفى ظ : « طباخ » . والمثبت من تاريخ بغداد . وانظر تهذيب الكمال ، الموضع السابق .

(٦) فى الأصل : « هو » . وفى م : « وهو » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٢١.

قال العبَّاسُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما لَنا فى هذا الأمرِ ؟ قال : « لِىَ النُّبُوَّةُ ، ولكم الخِلَافةُ ، بكم يُفْتَحُ هَذا الأمرُ ، وبكم يُخْتَمُ » . وقال للعبَّاسِ : « مَنْ أَحَبَّكَ نالتْهُ شَفَاعَتِى ، ومَنْ أبْغَضكَ لَا نالتْهُ شَفاعَتى » .

وروَى الخطيبُ[1] أنَّ رجلًا استعدى المُهْتَدِىَ على خَصْمِه ، فحكَم بيْنَهما بالعدْلِ ، فأنْشَأ الرجلُ يقولُ :

حكَّمْتُموهُ فقضَى بينَكم ... أبْلَجُ مثلُ القَمرِ الزاهرِ
لا يقبَلُ الرِّشوةَ فى حُكْمِهِ ... ولا يُبالِى غَبَنَ الخاسِرِ

فقال له المُهْتَدِى باللَّهِ : أمَّا أنتَ أيُّها الرجلُ ، فأحْسَن اللَّهُ مَقالتَك ، وأمَّا أنا فإنِّى ما جلَسْتُ حتى قرأتُ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] . قال : فبكَى الناسُ حولَه . فما رُئى باكيًا أكثرَ مِن ذلك اليومِ .

وقال بعْضُهم[2] : سرَد المُهْتَدِى الصومَ منذُ وَلِى إلى أن قُتِل رحِمه اللَّهُ . وكان يحبُّ الاقْتِداءَ بما سلَكه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الأُمَوِىُّ فى أيامِ خلافَتِه مِن الوَرَعِ والتَّقَشُّفِ وكثرةِ العِبادَةِ وشدَّةِ الاحْتِياطِ .

وقال أحمدُ بنُ سعيدٍ الأُمَوِىُّ[3] : كنَّا جُلُوسًا بمَكَّةَ وعندِى جماعةٌ ونحن نبْحَثُ فى النحوِ وأشْعارِ العربِ ، إذْ وقفَ علينا رجلٌ مجنونٌ ، فأنْشَأ يقولُ :

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٩. وانظر الكامل ٧/ ٢٣٢. والبيتان من قصيدة للأعشى ، فى ديوانه ص ١٤١، مع اختلاف يسير .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٩.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٥١، والمنتظم ١٢/ ١٢٠.

أمَا تَستَحُونَ اللَّهَ يا مَعْدِنَ الجهلِ[1] شُغِلتمْ بذا والناسُ فى أعظمِ الشُّغْلِ
إمامُكمُ أضْحَى قتيلًا مُجدَّلًا وقد أصْبَح الإسْلامُ مُفْتَرِقَ الشَّمْلِ
وأنتمْ على الأشْعارِ والنحوِ عُكَّفٌ تضِجُّونَ[2] بالأصْواتِ[3] فى قلَّةِ العقلِ[3]

قال : فنظَرنا وأرَّخْنا ذلك اليومَ فإذا المُهْتَدِى باللَّهِ قد قُتل فى ذلك اليومِ ، وكان يومَ الاثنينِ لأرْبَعَ عشْرَةَ بَقِيتْ مِن رجبٍ سنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ ومِائتَيْنِ .

خِلافَةُ المُعْتَمِدِ على اللَّـهِ أحمدَ بنِ المُتَوكِّـلِ على اللَّـهِ ، ويُعرفُ بابنِ فِتْيانَ

بُويعَ له بالخلافةِ يومَ الثلاثاءِ لثلاثَ عشْرَةَ خلَتْ مِن رجبٍ من سنةِ ستٍّ وخمسين ومائتين فى دارِ الأميرِ يارجوخَ ، وذلك قبلَ خلعِ المهْتدى بأيامٍ ، ثم كانتْ بيعةُ العامَّةِ [٨/ ٢٣٠ظ] يومَ الاثنينِ لثَمانٍ بقِين[4] مِن رجبٍ .

ولعَشْرٍ بَقِين مِن رجبٍ دخَل مُوسَى بنُ بُغا ومُفْلِحٌ إلى سُرَّ مَنْ رأَى ، فنزَل موسى فى دارِه وسكَن الناسُ ، وخَمَدتِ الفِتْنَةُ هنالك .

وأمَّا صاحبُ الزِّنْجِ المُدَّعِى أنَّه عَلَوىٌّ فهو مُحاصِرٌ للبَصْرَةِ ، والجُيوشُ الخلِيفِيَّةُ فى وجْهِه دُونَها ، وهو فى كلِّ وقتٍ يقْهَرُها ، ويغْنَمُ ما يَفِدُ إليهم فى المراكبِ مِن

---

(١) فى الأصل ، ص : « الحلم » ، وفى س ، ظ : « الحكم » ، وفى م : « النحو » . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٢) فى تاريخ بغداد ، والمنتظم : « تصيحون » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ظ : « فى أنسب السبل » ، وفى م : « فى أحسن السبل » . ومكانه بياض فى : ص . وفى تاريخ بغداد : « فى است أم ذا العقل » . وفى المنتظم : « فلستم بذى عقل » .
(٤) فى م : « مضت » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٤٦٨ .

الأطعمةِ وغيرِها ، واستحوَذ بعدَ ذلك على الأُبُلَّةِ وعَبَّادانَ وغيرِهما مِن البلادِ ، وخاف منه أهلُ البَصْرَةِ خوفًا شديدًا ، وكلُّ ما لأمرِه يقوَى ، ولجيوشِه تكثُرُ ، ولعددِه يتزايدُ ، ولم يزَلْ ذلك دأْبَه إلى انسلاخِها .

وفى هذه السنةِ خرَج رجلٌ آخرُ بالكوفةِ يقالُ له : علىُّ بنُ زَيْدٍ الطَّالِبِىُّ ، وجاءَه جيشٌ مِن جِهةِ الخليفةِ فكسَره الطَّالِبِىُّ ، واستَفْحَل أمرُه بالكُوفَةِ وقوِيتْ شوكَتُه ، وتفاقَم أمرُه .

وفيها وثَب محمدُ بنُ وَاصِلٍ التَّمِيمِىُّ على نائبِ فارسَ[1] الحارِثِ بنِ سيما الشرابِىِّ[2] ، فقتَله واستحوَذ على بلادِ فارسَ[1] .

وفى رمضانَ منها تغلَّب الحسنُ بنُ زيدٍ الطالِبِىُّ على بلادِ الرَّىِّ ، فتوَجَّه إليه موسى بنُ بُغا فى شوَّالٍ مِن عندِ المعتمدِ ، وخرَج الخليفةُ لتوْديعِه .

وفيها كانت وَقْعَةٌ عظيمةٌ على بابِ دمشقَ بينَ أماجورَ[3] نائبِ دمشقَ ، ولم يكُنْ معه إلا قريبٌ مِن أربعِمائَةِ فَارسٍ ، وبينَ ابنِ لعيسى بنِ الشيخِ ، وهو فى قريبٍ مِن عِشْرينَ ألفًا ، فهَزَمَه أماجورُ . وجاءتْ مِن الخليفةِ وِلايةٌ لابنِ الشيخِ ؛ بلادَ أرْمِينيَةَ على أنْ يتركَ أهلَ الشامِ ، فقبِل ذلك وانْصَرف عنهم .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عيسى بنِ أبى جعفرٍ المنْصُورِ ، وكان فى جملةِ الحُجاجِ أبو أحمدَ بنُ المُتَوَكِّلِ ، فتعَجّل وعجّل السيرَ إلى سامَرّا ،

---

(١) فى النسخ : « الأهواز » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٤٧٤، والكامل ٧/ ٢٤٠، والمنتظم ١٢/ ١٠٨.
(٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « الشاريانى » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٤٧٤.
(٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « أماخور » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٤٧٤، والكامل ٧/ ٢٣٨، وانظر أيضا الولاة والقضاة للكندى ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩ وفيه : « ماجور » .

فدخَلها ليلةَ الأرْبعاءِ لثلاثَ عَشْرةَ بقِيتْ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

ومِمّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الخليفةُ المُهْتَدِى باللَّهِ فى رجبٍ ، كما تقدَّم .

والزُّبَيْرُ بنُ بَكّارِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مُصْعَبِ بنِ ثابتِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ ، القُرشِىُّ الزُّبَيْرِىُّ[1] ، قاضى مَكَّةَ ، قَدِم بَغْدادَ وحدَّث بها ، وله كِتابُ « أنْسابِ قُرَيشٍ »[2] ، وكان مِن أعلمِ الناسِ بذلك ، وكِتابُه فى ذلك حافلٌ جدًّا . وقد روَى عنه ابنُ ماجَه وغيرُه ، وقد وثَّقه الدَّارَقُطْنِىُّ والخطيبُ وأثنَى عليه وعلى كتابِه . وتُوفِّى بمَكَّةَ عن أرْبَعٍ وثَمانينَ سنةً فى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِن بمكةَ رحِمه اللَّهُ .

[٨/ ٢٣١و] **البُخارِىُّ صاحبُ « الصَّحيحِ »**[3] ، وقد ذكَرْنا له ترجمةً حافلةً فى أوَّلِ شرْحِنا « لصَحيحِه » ، ولنذكُرْ هـهُنا نُبْذَةً يسِيرةً مِن ذلك ، فنقولُ وباللَّهِ المستَعانُ : هو محمدُ بنُ إسْماعيلَ بنِ إبْراهيمَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ بَرْدِزْبَهَ ، [4]ويقال : بذْدُزْبَهَ[5][4] ، الجُعْفِىُّ مولَاهم ، أبو عبدِ اللَّهِ البُخارِىُّ الحافظُ ، إمامُ أهلِ الحديثِ

---

(١) الفهرست ص ١٢٣، وطبقات النحويين ص ١٨٧، والأغانى ٩/ ٤١، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٦٧، ومعجم الأدباء ١١/ ١٦١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣١١، وتهذيب الكمال ٩/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٣٧، ومرآة الجنان ٢/ ١٦٧.

(٢) هو المعروف بجمهرة نسب قريش.

(٣) الثقات لابن حبان ٩/ ١١٣، وتاريخ بغداد ٢/ ٤، والمنتظم ١٢/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٣٨، وطبقات الشافعية ٢/ ٢١٢، وطبقات الحفاظ ص ٢٤٨.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى س: «بذوديه»، وفى ص: «بزدويه»، وفى ظ: «برودبه». والمثبت من تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١.

فى زَمانِه ، والمُقْتدَى به فى أَوَانِه ، والمُقدَّمُ على سائرِ أضْرابِه وأقْرانِه ، وكتابُه « الصَّحيحُ » يُسْتَسْقى بقراءتِه الغَمام ، وأجْمَع على قَبُولِه وصِحَّةِ ما فيه أهلُ الإسْلام .

وُلِدَ البُخارِىُّ ، رَحِمه اللَّهُ ، فى ليلةِ الجُمُعةِ الثالِثَ عشَرَ مِن شوَّالٍ سنَةَ أرْبَعٍ وتِسْعِينَ ومِائَةٍ ، ومات أبوه وهو صغيرٌ ، فنشَأَ فى حِجْرِ أمِّه ، فأَلهمَه اللَّهُ حفْظَ الحديثِ وهو فى المَكْتَبِ ، وقرأَ الكُتُبَ المشْهورةَ وهو ابنُ سِتَّ عشْرَةَ سنةً حتى قيل[1] : إنَّه كان يحْفَظُ وهو صبىٌّ سَبْعِينَ ألفَ حديثٍ سَرْدًا . وحَجَّ وعُمْرُه ثَمانِى عشْرَةَ سنَةً ، فأقامَ بمَكَّةَ يطْلُبُ بها الحديثَ ، ثم ارتحلَ بعدَ ذلك إلى سائرِ مَشايخِ الحديثِ فى البُلْدانِ التى أمْكنَه الرِّحْلةُ إليها ، وكتَبَ عن أكْثَرَ مِن ألفِ شيخٍ ، ورَوَى عنه خلائقُ وأمَمٌ .

وقد روَى الخطيبُ البغدادِىُّ عنِ الفِرَبْرِىِّ ، أنَّه قال[2] : سمِعَ « الصَّحيحَ » مِن البُخارِىِّ معى نحْوٌ مِن تسعينَ[3] ألفًا ، لم يَبْقَ منهم أحدٌ غيرى .

وقد رُوِىَ « البُخارِىُّ » مِن طريقِ الفِرَبْرِىِّ - كما هى رِوايةُ الناسِ اليومَ مِن طريقِه - وحَمَّادِ بنِ شاكرٍ ، وإبراهيمَ بنِ مَعْقِلٍ ، وطاهرِ بنِ محمدِ بنِ مَخْلَدٍ ، وآخِرُ مَن حدَّث عنه به أبو طَلْحَةَ منْصورُ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ البَزْدَوِىُّ[4] النَّسَفِىُّ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤، ٢٥، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٦٠، ٤٦١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١٧.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٩. وانظر المنتظم ١٢/ ١١٥، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩٠.

(٣) فى س ، م ، ظ : « سبعين » .

(٤) فى م : « البردى » . وفى الإكمال ٧/ ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩٨: « البزدى » . والبزدوى نسبة إلى بَزْدة التى يقال فيها بزدوة . انظر الأنساب ١/ ٣٣٩، ومعجم البلدان ١/ ٦٠٤.

وقد تُوفِّى النَّسَفىُّ هذا فى سنَةِ تِسْعٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمائَةٍ ، ووَثَّقه الأميرُ أبو نَصْرِ بنُ مَاكُولَا[1] . وممن روَى عن البُخارِىِّ مُسْلِمٌ فى غيرِ « الصَّحيحِ »[2] ، وكان مسلمٌ يُتَلْمِذُ له ويُعظِّمُه ، وروَى عنه التِّرْمِذِىُّ فى « جامعِه » ، والنَّسائىُّ فى « سُنَنِه » فى قولِ بعْضِهم[3] .

وقد دخَلَ بغْدادَ ثَمانِ مرَّاتٍ ، وفى كلٍّ منها يجْتمِعُ بالإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ فيَحُثُّه أحمدُ على المُقامِ ببغدادَ ، ويلُومُه على الإقامَةِ بخُرَاسَانَ .

وقد كان البُخارِىُّ يستَيْقِظُ فى الليلةِ الواحدةِ مِن نوْمِه فيُورِى السِّراجَ ، ويكتُبُ الفائدةَ تَمُرُّ بخاطرِه ثم يُطْفِئُ سِراجَه ، ثم يقومُ مرَّةً أُخْرى حتى كان يتَعدَّدُ ذلك منه قريبًا مِن عِشْرِينَ مرَّةً .

وقد كان أُصيبَ بصرُه وهو صغيرٌ ، فرأتْ أمُّه إبراهيمَ الخليلَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فقال[4] : يا هذِه ، قد ردَّ اللَّهُ على وَلَدِكِ بصرَه بكثْرَةِ دُعائِكِ ، [٨/ ٢٣١ظ] أو قال : بُكائِكِ . فأصبَح وهو بصيرٌ .

وقال البُخارِىُّ[5] : فكَّرْتُ البارِحَةَ فإذا أنا قد كتَبتُ فى مصنَّفاتى نحوًا مِن مائتَىْ ألفِ حديثٍ مُسْنَدَةً . وكان يحْفَظُها كلَّها .

ودخَل مرَّةً إلى سَمَرْقَنْدَ فاجتَمع به أربعُمائةٍ مِن عُلماءِ الحديثِ بها ، فركَّبُوا

---

(١) الإكمال ٧/ ٢٤٣.

(٢) انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩٧.

(٣) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٣٦.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٠، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩٢، ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٥٢.

له أسانيدَ وأدخَلُوا إسْنادَ الشامِ فى إسْنادِ العراقِ ، وخلَطوا الرجالَ فى الأسانيدِ ، وجعَلُوا مُتُونَ الأحاديثِ على غيرِ أسانِيدِها ، ثم قرءُوها على البُخَارِىِّ ، فردَّ كلَّ حديثٍ إلى إسْنادِه ، وقوَّمَ تلك الأحاديثَ والأسانيدَ كلَّها ، وما تَعَلَّقوا عليه بسَقْطةٍ فى إسْنادٍ ولا فى مَتْنٍ . وكذلك صنَع بمائةِ مُحَدِّثٍ مِن أهلِ بغدادَ .

وقد ذكَرُوا أنَّه كان ينظُرُ فى الكتابِ مرَّةً واحدةً فيحفَظُ ما فيه مِن نَظْرَةٍ واحدةٍ ، والأخْبارُ عنه فى هذا المعنى كثيرةٌ .

وقد أثْنَى عليه عُلَماءُ زمانِه مِن شيوخِه وأقْرانِه ؛ فقال الإمامُ أحمدُ[1] : ما أخرَجَت خُراسَانُ مثلَه . وقال علىُّ بنُ المَدِينىِّ[2] : لم يرَ البُخارِىُّ مثلَ نفْسِه . وقال إسْحاقُ بنُ راهَوَيْهِ[3] : لو كان فى زَمَنِ الحسَنِ لاحْتاجَ الناسُ إليه لمعرفتِه بالحديثِ وفِقهِه . وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ[4] : ما رأيْنا مثلَه . وقال علىُّ بنُ حُجْرٍ[5] : لا أعلَمُ مثْلَه . وقال محمودُ بنُ النضْرِ أبو[6] سَهْلٍ الشافِعىُّ : دخَلتُ البصرةَ والشامَ والحِجازَ والكُوفَةَ ، ورأيتُ عُلماءَها كلَّما جرَى ذِكْرُ محمدِ بنِ إسْماعيلَ البُخارِىِّ فضَّلُوه على أنفُسِهم . وقال أبو العبَّاسِ الدَّغُولىُّ[7] : كتبَ أهلُ بَغْدادَ إلى البُخارِىِّ :

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢١، والمنتظم ١٢/ ١١٦، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢١.
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٠.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٧، والمنتظم ١٢/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢١.
(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٩، والمنتظم ١٢/ ١١٦، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢١.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢١.
(٦) فى النسخ : « بن » . والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ١٩، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٢.
(٧) تاريخ بغداد ٢/ ٢٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٨.

المسلمونَ بخيرٍ ما حَيِيتَ لهم وليس بعدَك خيرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

وقال الفَلَّاسُ[1] : كلُّ حديثٍ لا يعْرِفُه البُخارِىُّ فليس بحديثٍ . وقال نُعَيْمُ ابنُ حَمَّادٍ[2] : هو فَقِيهُ هذه الأُمَّةِ . وكذا قال يعقوبُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرَقِىُّ[3] . ومنهم مَن فضَّلَه فى الفقْهِ والحديثِ على الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وإسْحاقَ بنِ رَاهَوَيْهِ .

وقال قُتيبةُ بنُ سعيدٍ[4] : رُحِل إلىَّ مِن شرقِ الأرْضِ وغربِها ، فما رحَل إلىَّ مثلُ محمدِ بنِ إسماعيلَ البُخارِىِّ . وقال [5]رَجاءُ بنُ مُرَجَّى[5] : فضْلُ البُخارِىِّ على العُلماءِ - يعنى فى زمانِهِ - كفَضْلِ الرِّجالِ على النِّساءِ . وقال : هو آيةٌ مِن آياتِ اللَّهِ يمشِى على الأرضِ . وقال أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدَّارِمىُّ[6] : محمدُ بنُ إسْماعيلَ البُخارِىُّ أفْقَهُنا وأعْلَمُنا وأغْوَصُنا وأكثرُنا طلبًا .

وقال إسْحاقُ بنُ راهَوَيْهِ[7] : هو أبصَرُ منِّى . وقال أبو حاتمٍ الرَّازِىُّ[8] : محمدُ ابنُ إسْماعيلَ أعلَمُ مَن دخَل [٨/ ٢٣٢و] العراقَ . وقال [9]عُبيدٌ العِجْلُ[9] : رأيتُ

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٠.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١٩.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٩.

(٥ - ٥) فى النسخ : « مرجى بن رجاء » ، والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٧. وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٢٦، ٤٢٧.

(٧) المصدر السابق ١٢/ ٤٢٩.

(٨) المصدر السابق ١٢/ ٤٣١.

(٩ - ٩) فى الأصل، س، ص، ظ : « عبيد العجلى » ، وفى م : « عبد اللَّه العجلى » . والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٢٩، ٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٦. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٩٠، ونزهة الألباب ٢/ ١٦.

أبا حاتمٍ وأبا زُرْعَةَ يجْلِسانِ إليه يَستمِعان ما يقولُ، ولم يكُنْ مُسلمٌ يبلُغُه، وكان أعلمَ مِن محمدِ بنِ يحيى الذُّهْلىِّ بكذا وكذا، وكان دَيِّنًا فاضلًا يُحْسِنُ كلَّ شيءٍ. وقال غيرُه[1]: رأيتُ محمدَ بنَ يحيى الذُّهْلىَّ يسألُ البُخارِىَّ عن الأسَامِى والكُنَى والعِلَلِ، وهو يمرُّ فيه كالسَّهْمِ، كأنَّه يقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وقال أحمدُ بنُ حَمْدونَ القَصَّارُ[2]: رأيتُ مُسلمَ بنَ الحجّاجِ جاءَ إلى البُخارِىِّ فقبَّلَ بينَ عيْنَيْه، وقال: دَعْنِى حتى أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ يا أُسْتاذَ الأُسْتاذِينَ، وسيِّدَ المُحدِّثينَ، وطبيبَ الحديثِ فى عِلَلِه. ثم سألَه عن حديثِ كفَّارَةِ المجْلسِ، فذكَر له عِلَّتَه، فلمَّا فرَغ قال مسلِمٌ: لا يُبْغِضُك إلَّا حاسِدٌ، وأشهَدُ أنَّه ليس فى الدنيا مثلُك. وقال التِّرْمِذِىُّ[3]: لم أرَ بالعراقِ ولا بخُراسانَ فى معنى العِلَلِ والتاريخِ ومعْرفةِ الأسانيدِ أعلمَ مِن البُخارِىِّ. وكنَّا يومًا عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ منيرٍ، فقال للبُخارِىِّ: جعَلكَ اللَّهُ زَيْنَ هذه الأُمَّةِ. قال التِّرْمِذِىُّ: فاسْتُجِيبَ له فيه.

وقال ابنُ خُزَيْمَةَ[4]: ما رأيتُ تحتَ أديمِ السماءِ أعلَمَ بحديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأحْفَظَ له مِن محمدِ بنِ إسْماعيلَ البُخارِىِّ. ولو ذهَبْنا نُسَطِّرُ ما أثنى عليه الأئمةُ فى حفْظِه وإتْقانِه وعلمِه وفقْهِه ووَرَعِه وزُهْدِه وتبحُّرِه لَطالَ علينا، ونحنُ على عَجَلٍ مِن أجْلِ الحوادِثِ، وقد ذكَرنا ذلك مبسوطًا فى أوّلِ شرحِ «الصحيحِ»، واللَّهُ سُبْحانه وتعالى هو المُسْتعانُ.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٢، ٤٥٥.
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٨، ٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٦، ٤٣٧.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٦، ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٢، ٤٣٣.
(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣١.

وقد كان البُخارىُّ ، رَحِمه اللَّهُ ، فى غايَةِ الحياءِ والشجاعةِ والسَّخَاءِ والوَرَعِ والزُّهْدِ فى الدنيا دارِ الفَناءِ ، والرَّغْبَةِ فى الآخرةِ دارِ البَقاءِ . قال[1] : أرجو أن ألْقى اللَّهَ وليس أحدٌ يُطالِبُنى أنِّى اغتَبْتُه . فذُكِر له « التاريخُ » وما ذكَرَ فيه مِن الجرْحِ والتَّعْديلِ وغيرِ ذلك ، فقال[2] : ليس هذا مِن هذا ، قال النبىُّ ﷺ : « ائذَنُوا لَهُ ، فَلَبِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ »[3] . ونحنُ إنما روَيْنا ذلك روايةً ، ولم نَقُلْه مِن عندِ أنفُسِنا .

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ ، يُصلِّى فى كلِّ ليلةٍ ثلاثَ عشْرَةَ ركعةً ، وكان يختِمُ القرآنَ فى كلِّ ليلةٍ مِن رمضانَ خَتْمَةً ، وكانت له جِدَةٌ ومالٌ جيِّدٌ يُنْفِقُ منه سرًّا وجَهْرًا ، وكان يُكثِرُ الصَّدَقةَ بالليلِ والنهارِ سرًّا وعلانيةً ، وكان مُسْتجابَ الدعْوةِ ، مُسَدَّدَ الرَّمْيَةِ ، شريفَ النفْسِ ؛ بعَث إليه بعضُ السلاطينِ ليأتِيَه حتى يسمَعَ أولادُه [٨/ ٢٣٢ظ] عليه ، فأرْسَل إليه[4] : فى بيْتِه (٥يُؤتَى الحكَمُ٥) ، إن كنتم تُرِيدُونَ ذلك فهلُمُّوا إلىَّ . وأبَى أن يذهَبَ إليهم - وهو خالدُ بنُ أحمدَ الذُّهْلىُّ ، نائبُ الظاهِريَّةِ ببُخارَا - فبَقِى فى نفْسِ الأميرِ مِن ذلك ؛ فاتفَق أنْ جاءَه كتابٌ مِن محمدِ بنِ يحيى الذُّهْلىِّ مِن نَيْسابورَ بأنَّ البُخارِىَّ يقولُ بأن لَفْظَه بالقرآنِ مخْلوقٌ - وكان قد وقَعَ بينَ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْلىِّ وبينَ البُخارِىِّ فى ذلك كلامٌ ، وصنَّفَ البُخارِىُّ فى ذلك كتابَه « خلْقَ أفعالِ العِبادِ » - فأرادَ أن يَصْرِفَ الناسَ عنِ السماعِ مِن البُخارِىِّ ، وقد كان الناسُ يُعظِّمُونَه جدًّا ، وحينَ رجَع إليهم نَثَروا على رأسِه الذهَبَ والفضةَ يومَ دخَل بُخارَا عائِدًا إلى أهْلِه ، وكان

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٣، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤١.

(٣) البخارى (٦٠٣٢، ٦٠٥٤، ٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١).

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٣٣، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٦٤، ٤٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦٤، ٤٦٥.

(٥ - ٥) فى م : « العلم والحلم يؤتى يعنى » .

له مجْلِسُ الإمْلاءِ بجامعِها ، فلم يقْبَلُوا مِن الأميرِ ، فأمَر عندَ ذلك بنَفْيِه مِن البلدِ ، فخرَج منها ودَعا على خالدِ بنِ أحمدَ ، فلم يَمْضِ شهرٌ حتى أمَر ابنُ طاهرٍ بأن يُنادَى على خالدِ بنِ أحمدَ على أتانٍ ، وزالَ ملْكُه وسُجِنَ فى بَغْدادَ حتى ماتَ ، ولم يَبْقَ أحدٌ ساعَده على ذلك إلَّا ابْتُلِىَ ببلاءٍ شديدٍ . فنَزَحَ البُخارِىُّ مِن بلَدِه إلى بَلْدَةٍ يقالُ لها : خَرْتَنْكُ[1] . على فَرْسَخَيْنِ مِن سَمَرْقَنْدَ ، فنزَلَ عندَ أقارِبَ له بها ، وجعَلَ يدْعُو اللَّهَ أن يقْبِضَه إليه حينَ رأَى الفِتَنَ ؛ كما جاءَ فى الحديثِ[2] : « وإذا أَرَدْتَ بقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنَا إِلَيْكَ غيرَ مَفْتُونِينَ » .

ثم اتَّفَقَ مرَضُه على إثْرِ ذلك ، فكانت وفاتُه ليلةَ عيدِ الفطرِ ، وكانت ليلةَ السبتِ ، عندَ صلاةِ العِشاءِ ، وصُلِّى عليه يومَ العيدِ بعدَ الظهرِ مِن هذه السنَةِ - أعْنِى سنَةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ ومائتَيْنِ - وكُفِّنَ فى ثلاثةِ أثْوابٍ بِيضٍ ليس فيها قميصٌ ولا عِمامَةٌ ، وَفْقَ ما أوْصَى به ، وحينَ دُفِنَ فاحَتْ مِن قَبْرِه رائحةُ غاليةٍ أطْيبُ مِن المِسْكِ ، فدامَ ذلك أيامًا ، ثم علَتْ سَوارٍ بِيضٌ مستطيلةٌ بحِذاءِ قَبْرِه . وكان عُمْرُه يومَ ماتَ ، رَحِمه اللَّهُ ، ثنتَيْنِ وسِتِّينَ سنةً .

وقد ترَكَ ، رَحِمُه اللَّهُ ، بعدَه عِلْمًا نافعًا لجميعِ المسلمينَ ، فعمَلُه فيه لم ينْقطِعْ بل هو مَوْصُولٌ بما أسْدَاه مِن الصالحاتِ فى الحياةِ ؛ وقد قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُه إِلَّا مِن ثَلَاثٍ ، مِن عِلْمٍ يُنتفَعُ به » الحديث . رواهُ مسلمٌ[3] .

---

(١) خرتنك : قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ . وهذا خلافٌ لما ذكر المصنف من أن بينهما فرسخين . انظر معجم البلدان ٢/ ٤١٨.

(٢) الترمذى (٣٢٣٣، ٣٢٣٥)، والمسند ١/ ٣٦٨، ٤/ ٦٦، ٥/ ٢٤٣، ٣٧٨، والموطأ ١/ ٢١٨ مختصرًا . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٨٠، ٢٥٨٢).

(٣) مسلم (١٦٣١).

وشَرْطُه فى «صحيحِه» هذا أعزُّ مِن شرْطِ كلِّ كتابٍ صُنِّفَ فى «الصَّحيحِ»، لا يُوازِيه فيه غيرُه، لا «صحيحُ مسلمٍ» ولا غيرُه. وما أحسَنَ ما قالَ بعضُ الفُصَحاءِ مِن الشعراءِ[1]:

صحيحُ البُخارِىِّ لو أَنْصَفُوهُ ... لَمَا خُطَّ إلّا بماءِ الذهَبْ
[٨/٢٣٣و] هو الفَرْقُ بينَ الهُدَى والعَمَى ... هو السَّدُّ بينَ الفتى والعَطَبْ
أسانِيدُ مثلُ نُجومِ السماءِ ... أمامَ مُتُونٍ كمثلِ الشُّهُبْ
به قامَ ميزانُ دِينِ الرسولِ ... ودانَ به العُجْمُ بعدَ العَرَبْ
حِجَابٌ مِن النارِ لا شَكَّ فيهِ ... تَمَيَّزَ بينَ الرِّضا والغَضَبْ
وسِتْرٌ رقيقٌ إلى المُصْطَفى ... ونَصٌّ مُبينٌ لكَشْفِ الرِّيَبْ
فيَا عالِمًا أجْمَعَ العالِمُونَ ... على فَضْلِ رُتْبَتِه فى الرُّتَبْ
سَبَقْتَ الأئمةَ فى ما جَمَعْتَ ... وفُزْتَ على رَغْمِهم بالقَصَبْ
نفَيْتَ الضَّعِيفَ مِن النّاقِلينَ ... ومَن كانَ مُتَّهَمًا بالكَذِبْ
وأبْرَزْتَ فى حُسْنِ تَرْتِيبِهِ ... وتَبْوِيبِه عَجَبًا للعَجَبْ
فأعْطاكَ مَوْلاكَ ما تشْتَهِيهِ ... وأجْزَلَ حظَّكَ فيما وَهَبْ

---

(١) الأبيات فى سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٢ دون نسبة لأحد.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

فيها[1] وَلَّى الخليفةُ المُعْتَمِدُ على اللَّهِ ليَعْقُوبَ بنِ اللَّيْثِ بَلْخَ وطَخَارستانَ وما يَلِى ذلك مِن كَرْمانَ وسِجِسْتانَ والسِّنْدِ وغيرِها .

وفى صفَرٍ منها عقَد المُعتمِدُ لأخيه أبى أحمدَ على الكُوفَةِ وطريقِ مَكَّةَ والحَرَمَيْنِ واليمنِ ، وأضافَ إليه فى رمضانَ نِيابةَ بَغْدادَ والسَّوادِ ووَاسِطٍ وكُوَرِ دِجْلَةَ والبصرةِ والأهْوازِ وفارِسَ ، وأذِنَ له أنْ يستنِيبَ فى ذلك كلِّه .

وفيها تواقَعَ سعيدٌ الحاجبُ وصاحبُ الزَّنْجِ فى أراضِى البَصْرَةِ ، فهزَمه سعيدٌ الحاجبُ واسْتَنقذَ مِن يَدِه خلْقًا مِن النساءِ والذُّرِّيةِ ، واسترْجَع منه أمْوالًا جزيلةً ، وأذَلَّ الزَّنْجَ غايةَ الإهانةِ والمذَلَّةِ . ثم إنَّ الزَّنْجَ بيَّتُوا سعيدًا وجيْشَه فقَتَلوا منهم خلْقًا كثيرًا ، ويقالُ[2] : إنَّ سعيدَ بنَ صالحٍ قُتِلَ أيضًا . ثم التقَى مع منْصورِ بنِ جَعْفَرٍ الخَيَّاطِ فى جيشٍ كثيفٍ ، فهزَمَهم هذا الخارجىُّ صاحِبُ الزَّنجِ المُدَّعِى أنَّه طالِبِىٌّ ، وهو كاذبٌ .

قال ابنُ جَريرٍ[3] : وفيها ظُفِرَ ببغدادَ - بمَوْضعٍ يُقالُ له : بِرْكَةُ زَلْزَلٍ - برَجُلٍ خَنَّاقٍ قد قتلَ خلْقًا مِن النساءِ ، فحُمِل إلى المُعتمِدِ فضُرِب بينَ يَدَيْه أَلْفَىْ سَوْطٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٤٧٦، والمنتظم ١٢/ ١٢٣، والكامل ٧/ ٢٤١.

(٢) المنتظم ١٢/ ١٢٤.

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٤٧٩.

وأرْبَعمائةِ أرْزَنٍ[1] ، فلم يَمُتْ حتى ضرَبَ الجلَّادُونَ أُنْثَيَيْه بخَشَبِ العُقابيْن فماتَ ، ورُدَّ إلى بَغْدادَ وصُلِبَ هنالِك ، ثم أُحرِقَتْ جُثَّتُه .

وفى ليلةِ الرابعَ عشَرَ مِن شَوَّالٍ مِن هذه السَّنَةِ كسَفَ القمرُ وغابَ أكثرُه ، [٨/٢٣٣ظ] وفى صَبِيحَةِ هذا اليومِ دخَل جَيشُ الخبيثِ إلى البَصْرَةِ قَهْرًا ، فقتَلوا مِن أهْلِها خَلْقًا كثيرًا وهرَبَ نائبُها بُغْرَاجُ ومَن معه ، وأَحْرَقَتِ الزَّنْجُ جامِعَ البَصْرَةِ ودُورًا كثيرةً وانْتَهَبُوها ، ثم نادَى فيهم إبْراهيمُ بنُ يحيى المُهَلَّبِىُّ أحدُ أصحابِ الخارِجِىِّ : مَن أرادَ الأمانَ فلْيَحْضُرْ . فاجْتمعَ خلقٌ كثيرٌ مِن أهلِها ، فرأَى أنَّه قد أصابَ فُرْصةً فغدَرَ بهم وأمَر بقَتْلِهم ، فلم يُفْلِتْ منهم إلَّا الشَّاذُّ ، كانتِ الزَّنْجُ تحيطُ بالجماعةِ مِن أهلِ البَصْرَةِ ، ثم يقولُ بعضُهم لبعضٍ : كيلُوا - وهى الإشارَةُ بيْنَهم إذا أرادوا قَتْلَ أحدٍ - فيَحْمِلُونَ عليهم بالسيوفِ فلا تَسْمَعُ إلَّا تشهُّدَ أولئكَ وضَجِيجَهم عندَ القتلِ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، وهكذا كلُّ مَحَلَّةٍ مِن مَحالِّ البَصْرَةِ فى عِدَّةِ أيامٍ ، وهرَب الناسُ منهم كلَّ مَهْرَبٍ ، وحرَّقُوا الكَلأَ مِن الجَبَلِ إلى الجبلِ ، فحرَقَتِ النارُ ما وَجدَتْ مِن شىءٍ ؛ مِن إنْسانٍ أو بهيمةٍ أو أثاثٍ أو غيرِ ذلك ، وأحْرَقُوا المسجدَ الجامِعَ أيضًا ، وقد قُتِل فى هؤلاء جماعةٌ كثيرةٌ من الأعيانِ والأدباءِ والفضلاءِ والمُحَدِّثين والعلماءِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وكان هذا الخَبِيثُ قد أوْقَعَ بأهلِ فارِسَ وَقْعَةً عظيمةً ، ثم بلَغه أنَّ أهلَ البصرةِ قد جاءَهم مِن المِيرَةِ شىءٌ كثيرٌ وقدِ اتَّسَعُوا بعدَ الضِّيقِ فحسَدهم على ذلك ، فروَى ابنُ جريرٍ عن مَن سمِعَه يقولُ[2] : دَعَوْتُ اللَّهَ على أهلِ البصرةِ ، فخوطِبْتُ فقيلَ

---

(١) سقط من : م . والأرْزَن : شجر صُلب تُتخذ منه عِصِىٌّ صُلبةٌ . اللسان (رزن » .
(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٤٨١ .

لى : إنَّما أهلُ البصرةِ خُبْزَةٌ تأْكلُها مِن جَوانِبها ، فإذا انْكَسرَ نصفُ الرغيفِ خَرِبتِ البَصْرَةُ . فأوَّلْتُ ذلك بانكسافِ القَمرِ . وقد كان هذا شائعًا فى أصْحابِه حتى وقَع الأمرُ طِبْقَ ذلك ، ولاشكَّ أنَّ هذا كان معه شَيْطانٌ يُخاطِبُه ، كما كان يأْتِى شيطانُ مُسيلمةَ إلى مُسيلمةَ . واللَّهُ أعلمُ .

ولمَّا أوقَع أصحابُه من الزَّنْجِ وغيرِهم ما أوقعوا بأهلِ البصرةِ ، قال لمَنْ معه : إنى صَبِيحَةَ ذلك اليومِ دَعَوْتُ اللَّهَ على أهلِ البصرةِ ، فرُفِعَتْ لى بينَ السماءِ والأرضِ ورأيْتُ أهلَها يُقْتلُونَ ، ورأيْتُ الملائكةَ تُقاتلُ مع أصْحابى ، وإنِّى لمَنْصُورٌ على الناسِ ، والملائكةُ تُقاتِلُ معى ، وتُثَبِّتُ جُيوشِى ، وتُؤيِّدُنى فى حُروبى .

ولمَّا صار إليه العَلَوِيَّةُ الذين كانوا بالبَصْرَةِ انْتَسَبَ حِينَئِذٍ إلى يَحْيَى بنِ زَيْدٍ ، وهو كاذِبٌ فى ذلك بالإجْماعِ ؛ لأنَّ يَحْيَى بنَ زَيْدٍ لم يعقِبْ إلَّا بِنْتًا ماتَتْ ، وهى تَرْضَعُ ، فقَبَّحَ اللَّهُ هذا اللعينَ ، ما أكْذَبه وأفْجرَهُ وأغْدرَهُ !

وفى مُسْتَهلِّ ذى القَعْدَةِ وَجَّهَ الخليفةُ مِن سامَرَّا جيشًا كثيفًا مع الأميرِ محمدٍ المعْروفِ بالمولَّدِ لقِتالِ صاحبِ الزَّنْجِ ، فقبَض فى طريقِه على سعيدِ[1] ابنِ أحمدَ الباهِلِىِّ الذى كان قد تغَلَّب على أرضِ البَطائحِ وأخافَ [٨/ ٢٣٤و] السُّبُلَ .

وفيها خالفَ محمدُ بنُ واصِلٍ السلطانَ بأرضِ فارِسَ وتغَلَّب عليها .

وفيها وثَب رجلٌ مِن الرومِ يقالُ له : بسيلُ الصَّقْلَبِىُّ . على مَلِكِ الرومِ مِيخائِيلَ بنِ تَوفيلَ ، فقتَلَه واسْتَحوذَ على مَمْلَكَةِ الرومِ ، وقد كان لمِيخائِيلَ فى

---

(١) فى النسخ ، والكامل : « سعد » . والمثبت من تاريخ الطبرى . وانظر ما سيأتى فى صفحة ٥٤١ .

مُلْكِ الرومِ أرْبَعٌ وعِشْرونَ سنةً .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الفَضْلُ بنُ إسْحاقَ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ العبَّاسِىُّ .

ومِمَّن توفى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسَنُ بنُ عَرَفَةَ بنِ يَزِيدَ[1] ، صاحبُ الجزءِ المَشْهُورِ المَرْوِىِّ ، وقد جاوَز المائَةَ بعَشْرِ سنينَ ، وقيلَ[2] : بسَبْعٍ . وكان له عشَرَةٌ مِن الوَلَدِ سمَّاهم بأسْماءِ العَشَرَةِ[3] ، رَضِى اللَّهُ عنهم . وقد وثَّقَه يَحْيَى بنُ مَعِينٍ وغيرُه ، وكان يتَرَدَّدُ إلى الإمامِ أحمدَ ، وكان مولدُه فى سنةِ خَمْسينَ ومائَةٍ ، وتُوفِّى فى هذه السنةِ عن مائَةٍ وسَبْعِ سنينَ .

[4]**زيدُ بنُ أخْزمَ**[4] **الطَّائِىُّ . والرُّؤاسِىُّ**[5] ، ذَبَحهُما الزَّنْجُ فى جملةِ مَن قتَلُوا مِن أهلِ البَصْرَةِ ، كما قدمنا قصَّتَهم ، قبَّحَهم اللَّهُ ، وما قتَلوا من المسلمين رحِمهم

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٦، وتهذيب الكمال ٦/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٠٩، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٠٣.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٦، وتهذيب الكمال ٦/ ٢٠٦.

(٣) يقصد العشرة المبشرين بالجنة .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ظ : « يزيد بن أخرم » . وانظر ترجمته فى : أخبار القضاة ٣/ ١٦٣، والثقات ٨/ ٢٥١، وتاريخ بغداد ٨/٤٤٦ ، وتهذيب الكمال ١٠/ ٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٤٧.

(٥) فى الأصل ، س : « الرقاشى » ، وفى ص ، ظ : « الرياشى » . وانظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ١/ ١٧٠، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٨٤، وميزان الاعتدال ٤/ ٦٨.

اللَّه . وعلىُّ بنُ خشْرَمٍ[1] ، وأبو سعيدٍ الأشجُّ[2] ؛ أحدُ مشايخِ مسلمٍ الذين يُكْثِرُ عنهم .

والعبَّاسُ بنُ الفَرَجِ أبو الفضْلِ الرِّياشِيُّ[3] ، النحويُّ اللغويُّ ، كان عالماً بأيامِ العربِ والسِّيَرِ ، وكان كثيرَ الاطِّلاعِ ، ثِقَةً عالماً ، روَى عن الأصْمَعيِّ وأبى عُبَيْدَةَ وغيرِهما ، وعنه إبْراهيمُ الحَرْبِيُّ ، وأبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا وغيرُهما . قُتِل الرياشيُّ بالبَصْرَةِ فى هذه السنَةِ ، قتلَه الزَّنْجُ فيمن قَتَلُوا ، ذكَرَه القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ »[4] ، وحكَى عنه ، عن الأصْمَعِيِّ أنَّه قال : مرَّ بنا أعْرابيٌّ ينْشُدُ ابْنَه ، فقُلْنا له : صِفْه لنا . فقالَ : كأنَّه دُنَيْنيرٌ . فقُلْنا : لم نَرَه . فلم نَلْبَثْ أنْ جاء يحمِلُه على عُنُقِه أُسَيِّدًا كأنَّه جُعَلٌ . فقلنا : لو سألْتَنا عن هذا لأرْشَدْناكَ ،إنَّه منذُ اليومِ يلعَبُ هَـٰهُنا مع الغِلْمانِ . ثم أنْشَد الأصْمَعِيُّ :

نِعْمَ ضَجِيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ الـ ـليلُ سُحَيْرًا وقَرْقَفَ الصَّرِدُ[5]
زَيَّنها اللَّهُ فى الفُؤادِ كما زُيِّنَ فى عَيْنِ وَالدٍ وَلَدُ

---

(١) الثقات لابن حبان ٨/ ٤٧١، والمعجم المشتمل ص ١٩١ ، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٢١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢١٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤١٥، وتهذيب الكمال ١٥/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٧٧، ١٧٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٩٧.

(٣) فى الأصل : « الرقاشى » . وانظر ترجمته فى : أخبار النحويين البصريين ص ٨٩، وطبقات النحويين واللغويين ص ٩٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٧١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧. وانظر الكامل للمبرد ١/ ٢٣٩. والبيت الأول منسوب لعمر بن أبى ربيعة ، وهو فى ملحق ديوانه ص ٤٩١ مع اختلاف فى الألفاظ .

(٥) فى م : « العرد » . وقَرْقَف : أرعد . والصرِد : الذى آله الصَّرْد ؛ وهو البرد . التاج (ص ر د) ، (ق ر ق ف) .

ثم دخلَتْ سنَةُ ثمانٍ وخمسين ومائتين

فى يومِ الاثنينِ[1] لعَشْرٍ بَقِينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ عقَد الخليفةُ المعتمدُ على اللَّهِ لأخِيه أبى أحمدَ على ديارِ مُضرَ[2] وقِنَّسْرِينَ والعواصِمِ، وجلَس يومَ الخميسِ مُسْتَهلَّ ربيعٍ الآخرِ، فخلَع على أخيه وعلى مُفْلِحٍ، ورَكِبا نحوَ البصرةِ فى جيشٍ كثيفٍ فى عدَدٍ وعُدَدٍ، فاقْتَتلُوا قِتالًا شديدًا، فقُتلَ مُفْلِحٌ للنصفِ مِن جُمادَى الأُولَى، [٨/٢٣٤ظ] أصابَه سهمٌ بلا نَصْلٍ فى صَدْرِه، فأصبحَ مَيِّتًا، وحُملتْ جثَّتُه إلى سَامَرَّا ودُفِنَ بها.

وفيها أُسِرَ يحيى بنُ محمدٍ البَحْرانىُّ؛ أحدُ أمراءِ صاحبِ الزَّنْجِ الكِبارِ، وحُمل إلى سَامَرَّا، فضُرِبَ بينَ يدَيِ المُعْتَمِدِ مائتَىْ سَوْطٍ، ثم قُطعتْ يدَاه ورِجْلَاه مِن خِلافٍ، ثم خُبِطَ بالسيوفِ ثم ذُبحَ ثم أُحْرِقَ، وكان الذين أسَرُوه جيشَ أبى أحمدَ فى وَقْعَةٍ هائلةٍ مع الزَّنْجِ، قبَّحَهم اللَّهُ. ولمَّا بلَغ خبَرُه صاحِبَ الزَّنْجِ أسِفَ على ذلك، ثم قال: لقد خُوطِبْتُ فيه، فقِيل لى: قتْلُه كان خَيْرًا لك؛ لأنَّه كان شَرِهًا يُخْفِى مِن المَغانِمِ خِيارَها. وقد كان هذا اللعينُ - أعنى صاحِبَ الزَّنْجِ المدَّعى إلى غيرِ أبيهِ يقولُ لأصْحابه: لقد عُرِضتْ علىَّ النُّبُوَّةُ فخِفْتُ أنْ لا أقومَ بأعْبائِها، فلم أقْبَلْها.

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٤٩٠، والمنتظم ١٢/ ١٣٦، والكامل ٧/ ٢٥٢.

(٢) فى النسخ، والكامل: «مصر». والمثبت من تاريخ الطبرى، والمنتظم، ونهاية الأرب ٢٢/ ٣٢٩. وديار مضر: الجزيرة. معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٩.

وفى رَبيعِ الآخرِ منها وصلَ سعيدُ بنُ أحمدَ الباهِلِيُّ إلى بابِ السلطانِ، فضُرِبَ سَبعَمائَةِ سوطٍ حتى مات، ثم صُلِب.

وفيها قُتِل قاضٍ (١وأرْبَعَةٌ وعِشْرونَ١) رجلًا مِن أصْحابِ صاحبِ الزَّنْجِ عندَ بابِ العامَّةِ بسَامَرَّا.

وفيها رجعَ محمدُ بنُ واصلٍ إلى طاعَةِ السُّلطانِ، وحمَل خَراجَ فارِسَ، وَتَمهَّدَتِ الأُمورُ هناك، واستقَلَّتْ على السَّدادِ.

وفى أواخرِ رجَبٍ كانت بينَ أبى أحمدَ وبينَ الزَّنْجِ وَقْعَةٌ هائلةٌ، قُتل فيها خَلْقٌ مِن الفريقَيْنِ، ثم اسْتَوْخَمَ أبو أحمدَ منْزِلَه، فتحيَّرَ إلى وَاسِطٍ فنزَلَها فى أوائلِ شعبانَ، فوقعَتْ هناك زَلْزَلَةٌ شديدةٌ وهَدَّةٌ عظيمةٌ، تهدَّمَتْ بسببِ ذلك دُورٌ كثيرةٌ، ومات مِن الناسِ نحوٌ مِن عِشْرينَ ألفًا.

وفى هذه السنةِ وقع فى الناسِ وَباءٌ شديدٌ ببَغْدَادَ وسَامَرَّا وَوَاسِطٍ وغيرِها مِن البلادِ. وحصَل للناسِ ببغْدادَ داءٌ يقالُ له: القُفَّاعُ. فإنَّا للَّه وإنا إليه راجعون.

وفى يومِ الخميسِ لسَبْعٍ خَلَوْنَ مِن رمضانَ، أُخِذَ رجلٌ مِن بابِ العامَّةِ بسَامَرَّا ذُكِر عنه أنَّه يَسُبُّ السَّلفَ، فضُرِبَ ألْفَ سوطٍ حتى ماتَ.

وفى يومِ الجُمعةِ ثامنِه تُوفِّى الأميرُ يارْجُوخُ، فصَلَّى عليه أخو الخليفةِ أبو عيسى وحضَره جعفَرُ بنُ المُعْتَمِدِ على اللَّهِ.

وفيها كانتْ وقعةٌ هائلةٌ بينَ موسى بنِ بُغا وبينَ أصحابِ الحسنِ بنِ زَيْدٍ

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى، والمنتظم: «أربعة عشر».

ببلادِ خُرَاسَانَ ، فهزَمهم موسى بنُ بُغا هزيمةً فظيعةً .

وفيها كانت وقعةٌ بينَ مَسْرُورٍ البَلْخِيِّ وبينَ مُساوِرٍ الخارجِيِّ ، فأسَر مَسْرورٌ مِن أصْحابِه جماعةً كثيرةً .

وفيها حجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ إسْحاقَ المُتقدِّمُ .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ [٨/٢٣٥و] بُدَيلٍ[(١)] . وأحمدُ بنُ حَفْصٍ[(٢)] . **وأحمدُ** بنُ سِنانٍ القَطَّانُ[(٣)] . [(٤)]**وأحمدُ** بنُ الفُراتِ[(٥)] . **وحُميدُ** بنُ الربيعِ[(٦)] . **ومحمدُ** بنُ سَنْجَرَ[(٧)] ، صاحبُ المسندِ[(٤)] . **ومحمدُ** بنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ[(٨)] . **ويَحْيَى** بنُ مُعاذٍ الرَّازِيُّ[(٩)] .

---

(١) فى ص : « مؤمل » ، وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٤/ ٤٩، وتهذيب الكمال ١/ ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٦٣.

(٢) تهذيب الكمال ١/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١- ٢٦٠هـ) ص ٤١، والعبر ٢/ ١٦، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٦٠.

(٣) تهذيب الكمال ١/ ٣٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٤٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٤٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٤٠٧.

(٤ - ٤) سقط من : م.

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٣٤٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٥٣، وتهذيب الكمال ١/ ٤٤٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٥١، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٨٠.

(٦) الثقات لابن حبان ٨/ ١٩٧، وتاريخ بغداد ٨/ ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٢٥، وميزان الاعتدال ١/ ٦١١، ولسان الميزان ٢/ ٣٦٣.

(٧) الثقات لابن حبان ٩/ ١٤٧، ودول الإسلام ١/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٩٧، وحسن المحاضرة ١/ ٣٤٨.

(٨) تهذيب الكمال ٢٦/ ٦١٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٣٧، والوافى بالوفيات ٥/ ١٨٦، وطبقات الحفاظ ٢٣٤.

(٩) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨، وصفة الصفوة ٤/ ٩٠، ووفيات الأعيان ٦/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٧٣.

ثم دخلَتْ سَنةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ومائَتَيْن

فى يومِ الجمُعةِ[1] لأربعٍ بَقِينَ مِن رَبيعِ الآخرِ رجَع أبو أحمدَ بنُ المتوكِّلِ مِن واسِطٍ إلى سَامَرّا ، وقد اسْتَخْلَف على حَرْبِ الخبيثِ صاحبِ الزَّنْجِ محمدًا الملقَّبَ بالمولَّدِ ، وكان شُجاعًا شَهْمًا .

وفيها بعَث الخليفةُ إلى كَنْجورَ[2] نائبِ الكوفةِ جماعةً مِن القُوَّادِ فذبَحوه ، وأخَذوا ما كان معه مِن المالِ ، فإذا هو أربَعون ألفَ دِينارٍ .

وفيها تغلَّب رجلٌ جَمّالٌ يقالُ له : شَرْكَبُ . على مدينةِ مَرْوَ فانتهَبها مَن كان معَه مِن أتباعِه ، وتفاقَم أمرُه هناك .

ولثلاثَ عشْرَةَ بقِيَتْ مِن ذى القَعْدَةِ توَجَّه مُوسَى بنُ بُغا الكبيرِ مِن سامَرّا لحربِ الخبيثِ ، وخرَج الخليفةُ المعتمِدُ لتوديعِه ، وخلَع عليه عندَ مُفارقتِه له . وخرَج عبدُ الرحمنِ بنُ مُفْلِحٍ إلى بلادِ الأهوازِ نائبًا عليها ؛ وليكون عوْنًا لمُوسَى بنِ بُغا على حربِ صاحبِ الزَّنْجِ الخبيثِ ، لعَنه اللَّهُ ، فهزَم عبدُ الرحمنِ بنُ مُفْلِحٍ جيشًا للخبيثِ ، وقتَل مِن الزَّنْجِ خلْقًا كثيرًا ، وأسَر طائفةً كثيرةً منهم ، وأرعَبَهم إرعابًا بليغًا بحيثُ لم يتَجاسَروا على مُواقَفتِه مرَّةً ثانيةً ، وقد حرَّضهم الخبيثُ كلَّ التَّحريضِ فلم ينجَعْ ذلك فيهم .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٠٢، والمنتظم ١٢/ ١٥٢، والكامل ٧/ ٢٥٩.

(٢) سقط من : م ، وفى الأصل : « البحور » .

ثم تواقَع عبدُ الرحمنِ بنُ مُفْلِحٍ ، وعليُّ بنُ أبَانٍ المُهَلَّبِيُّ ، وهو مُقدَّمُ جُيوشِ صاحبِ الزَّنْجِ ، فجرَت بينَهما حروبٌ يطولُ شرْحُها ، ثم كانتِ الدائرةُ على الزَّنْجِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، فرجَع عليُّ بنُ أبَانٍ إلى الخبيثِ مفلولًا مقهورًا مذمومًا مدحورًا ، وبعَث عبدُ الرحمنِ بنُ مُفْلِحٍ بالأُسارَى إلى سَامَرّا ، فبادَر إليهم العامَّةُ فقتَلوا أكثرَهم ، وسلَبوهم .

وفيها تدنَّى مَلِكُ الرومِ ، لعَنه اللَّهُ ، إلى بلادِ سُمَيْسَاطَ ثم إلى مَلَطْيَةَ ، فقاتَله أهلُها فهزَموه ، وقتَلوا بِطْرِيقَ البَطارِقَةِ الذى كان معه ، ورجَع إلى بلادِه خاسِئًا وهو حسيرٌ .

وفيها دخَل يعقوبُ بنُ اللَّيْثِ إلى نَيْسَابُورَ ، فظفِر بالخارجِيِّ الذى كان بهرَاةَ ينتحِلُ الخِلافةَ منذُ ثلاثين سنَةً ، فقتَله ، وحُمِل رأسُه على رُمْحٍ ، وطِيف به فى الآفاقِ والأقاليمِ ، ومعه رقعَةٌ مكتوبٌ فيها ذلك .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ[1] بنِ جعفرِ[2] بنِ سليمانَ بنِ[3] عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ .

[٨/٢٣٥ظ] **وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :**

إبراهيمُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ، أبو إسحاقَ الجُوزَجَانِيُّ[4] ، خطيبُ

---

(١) بعده فى م : « بن إبراهيم » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٤.

(٢) فى م : « يعقوب » .

(٣) بعده فى م : « إسحاق بن » .

(٤) تاريخ دمشق ٧/ ٢٧٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٩٨، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٤٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠ هـ) ص ٧١، والوافى بالوفيات ٦/ ١٧٠.

دمشقَ ، وإمامُها وعالمُها ، وله المُصَنَّفاتُ المشْهورةُ المفِيدةُ ، مِنها المترجَمُ فيه علُومٌ غزيرةٌ وفوائدُ كثيرةٌ . (١) **وأحمدُ** بنُ إسماعيلَ السَّهمِيُّ (٢) . **وحجّاجُ** بنُ يُوسُفَ الشاعرُ (٣) . **ومحمودُ** بنُ آدمَ (٤)(١) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢٢، والمعجم المشتمل ص ٣٩، وتهذيب الكمال ١/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٤، وميزان الاعتدال ١/ ٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٤.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٠، وطبقات الحنابلة ١/ ١٤٨، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٠١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠ هـ) ص ١٠٤، والوافى بالوفيات ١١/ ٣١٥.

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٢٩٠، والثقات ٩/ ٢٠٢، والمعجم المشتمل ص ٢٨٧، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠ هـ) ص ٣٤٨.

ثم دخلَتْ سنَةُ ستِّـــينَ ومائَتَيْـنِ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

فيها[1] وقعَ غَلاءٌ عظيمٌ ببلادِ الإسْلامِ كلِّها حتى أجلَى أكثرُ أهلِ البلدانِ منها ينتجِعون غيرَها ، ولم يَبْقَ بمكَّةَ أحدٌ مِن المجاوِرين ومَن يُشبِهُهم ، حتى ارتحَلوا إلى المدينةِ وغيرِها مِن البلادِ ، وخرَج نائبُ مَكَّةَ منها ، وبلغَ كُرُّ الشَّعيرِ ببَغْدادَ مِائةً وعِشرينَ دِينارًا ، واستمرَّ ذلك شهورًا .

وفيها قتَل صاحبُ الزَّنْجِ المستحوذُ على البصرةِ عليَّ[2] بنَ زَيْدٍ صاحبَ الكوفةِ .

وفيها أخَذتِ الرومُ مِن المسلمين حِصنَ لُؤْلُؤَةَ .

وفيها حجَّ بالناسِ إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إسْماعيلَ المذكورُ قبلَها .

وممَّن تُوفِّيَ فيها مِن الأعيانِ :

الحسَنُ بنُ محمدٍ الزَّعفَرانيُّ[3] ، **وعبدُ الرحمنِ** بنُ بشرٍ[4] . **ومالِكُ** بنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥١٠، والمنتظم ١٢/ ١٥٦، والكامل ٧/ ٢٦٨.

(٢) فى الأصل، س، ص، ظ: «لعلى».

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٣١٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١١٤.

(٤) فى م: «شرف». وانظر ترجمته فى: الثقات ٨/ ٣٨٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٧١، والمنتظم =

طَوْقٍ[1] ، الذى تُنسَبُ إليه رَحْبَةُ مالكِ بنِ طَوْقٍ[2] .

وحُنَيْنُ بنُ إسْحاقَ العِبادِىُّ[3] ، الطبيبُ المشهورُ الذى عرَّبَ كِتابَ إقْلِيدسَ ، وحرَّرَه بعدَه ثابتُ بنُ قُرَّة . وعرَّبَ حُنَيْنٌ كتابَ « المَجَسْطِىِّ »[4] أيضًا ، وغيرَ ذلك مِن كُتبِ الطبِّ مِن لُغةِ اليونانِ إلى لُغةِ العربِ ، وكان المأْمُونُ شديدَ الاعْتِناءِ بذلك جدًّا ، وكذلك جَعْفَرٌ البَرمَكىُّ قبلَه ، ولحُنَيْنٍ مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ فى الطبِّ ، وإليه تُنْسبُ مَسائلُ حُنَيْنٍ ، وكان بارعًا فى فنِّه جدًّا ، وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ لسِتٍّ خَلَوْنَ مِن صفرٍ مِن هذه السنَةِ . قالَه ابنُ خَلِّكانَ[5] .

= ١٢/ ١٦١، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٩١.

(١) العقد الفريد ٣/ ٤٣٠، والفرج بعد الشدة ٢/ ٣٦٠، والكامل ٧/ ٢٧٤، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٣٤٧.

(٢) رحبة بن مالك بن طوق : مدينة بين الرقة والعراق على شاطئ الفرات . معجم البلدان ٢/ ٧٦٤.

(٣) طبقات الأطباء ص ٦٨، والمنتظم ١٢/ ١٦٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٢٨، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢١٥.

(٤) المجسطى : اسم لعلم الهيئة وبه سمى الكتاب الذى وضعه بطليموس . الفهرست ص ٣٢٧، والتاج (م ج س ط) .

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٢١٨.

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

فيها[1] انصرف الحسنُ بنُ زيدٍ من بلادِ الدَّيْلَمِ إلى طَبَرِسْتانَ ، وأحرَق مدينةَ شالُوسَ[2] ؛ لِمُمالأتِهم يعقوبَ بنَ اللَّيْثِ عليه .

وفيها قتَل مُساوِرٌ الخارِجِيُّ يَحْيى[3] بنَ حَفْصٍ[4] الذى كان يَلِى طريقَ خُراسَانَ فى جُمادَى الآخرةِ ، فشخَص إليه مَسْرورٌ البَلْخِيُّ ، ثم تبِعه أبو أحمدَ بنُ المُتَوكِّلِ ، فتنحَّى مُساوِرٌ فلم يُلحَقْ .

وفيها كانت وَقْعَةٌ بينَ ابنِ واصِلٍ الذى تغلَّب على فارِسَ ، وبينَ عبدِ الرحمنِ بنِ مُفْلِحٍ ، فكسَره ابنُ واصِلٍ وأسرَه ، وقتَل طاشْتُمُرَ[5] ، واصطلَم الجيشَ الذى كان معهما ، فلم يُفلِتْ منهم إلا اليسيرُ ، ثم سارَ ابنُ واصِلٍ إلى وَاسِطٍ يريدُ حربَ مُوسَى بنِ بُغَا ، فرجَع موسى بنُ بُغَا إلى بابِ السلطانِ ، وسأَل أن يُعفَى مِن نيابةِ بلادِ المشْرِقِ لِمَا رأَى [٨/٢٣٦و] مِن كثرةِ المُتغلِّبين بها ، فعُزِل عنها ، ووَلِى ذلك أبو أحمدَ أخو الخليفةِ المعتمدِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥١٢، والمنتظم ١٢/ ١٦٣، والكامل ٧/ ٢٧٥.

(٢) شالوس : مدينة بجبال طبرستان . معجم البلدان ٣/ ٢٣٧.

(٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « ليحيى » .

(٤) فى الأصل ، س ، ص ، ظ ، وفى الكامل ٧/ ٢٨٨: « جعفر » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى .

(٥) فى الأصل : « طاشم » ، وفى س ، ظ : « طاشيم » ، وفى ص : « طاشتم » .

وفيها سار أبو السَّاجِ لحربِ الزَّنْجِ فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فكسَرتهمُ الزَّنجُ، ودخَلوا الأهوازَ، فقتَلوا خلقًا كثيرًا مِن أهلِها وحرَقوا منازلَهم، ثم صُرِف أبو الساجِ عن نيابةِ الأهوازِ وحربِ الزَّنْجِ، ووَلِى ذلك إبْراهيمُ بنُ سيمَا.

وفيها تجهَّز مسرورٌ البلْخِىُّ فى جيشٍ لقتالِ الزَّنْجِ أيضًا.

وفيها ولَّى الخليفةُ نصرَ بنَ أحمدَ بنِ أسدٍ السّامانىَّ ما وراءَ نهرِ بَلْخَ، وكتَب إليه بذلك فى شهرِ رمضانَ منها.

وفى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ قصَد يعقوبُ بنُ اللَّيْثِ إلى ابنِ واصِلٍ، فالتقيا فى ذى القَعْدَةِ، فهزَمه يعقوبُ، وفلَّ عسكرَه، وأسَر خالَه، وطائفةً مِن حُرَمِه، وأخَذ مِن أموالِه ما قِيمتُه أربعونَ ألفَ ألفِ دِرْهَمٍ، وقتَل مَن كان يُمالِئُه وينْصُرُه مِن أهلِ تلك البلادِ، وأطَّد تلك الناحيةَ، جزاه اللَّهُ خيرًا.

وَلاثْنَتَىْ عشْرَةَ ليلةً خلَتْ مِن شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ ولَّى المُعتمِدُ على اللَّهِ ولدَه جعفَرًا العهدَ مِن بعدِه، وسمَّاه المُفَوَّضَ إلى اللَّهِ، وولّاه المغرِبَ، وضمَّ إليه مُوسى بنَ بُغا، وولّاه إفْريقيَّةَ، ومِصْرَ، والشامَ، والجزيرةَ، والمَوْصِلَ وأرْمِينِيَةَ، وطرِيقَ خُراسانَ، وغيرَ ذلك، وجعَل الأمْرَ مِن بعدِ جعفرٍ إلى أبى أحمدَ بنِ المُتَوَكِّلِ، ولقَبه المُوَفَّقَ باللَّهِ، ووَلَّاه المشْرِقَ، وضمَّ إليه مَسْرورًا البَلْخِىَّ، ووَلَّاه بَغْدادَ، والسَّوادَ، والكُوفَةَ، وطريقَ مكَّةَ، والمدينةَ، واليمنَ، وكَسْكَرَ، وكُوَرَ دِجْلَةَ، والأهْوازَ، وفارِسَ، وأصْبهانَ، وقُمَّ، والكرخَ، والدِّينَوْرَ، والرَّىَّ، وزَنْجانَ، والسِّنْدَ، وكتَب بذلك مُكاتباتٍ وقُرِئَتْ فى الآفاقِ، وعُلِّقَتْ منها نُسْخةٌ بالكعبةِ المعظَّمةِ.

وفيها حجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ إسْحاقَ .

ومِمَّن تُوفِّي فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ سُلَيمانَ الرّهاوِيُّ[1] . **وأحمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ العِجْليُّ[2] . **والحسَنُ** بنُ أبي الشَّوارِبِ[3] بمكَّةَ ، **وداودُ** بنُ القاسمِ[4] الجَعْفَرِيُّ . **وشُعَيْبُ** بنُ أيُّوبَ[5] ، **وعبدُ اللَّهِ** بنُ الواثقِ[6] ، أخو المُهْتَدِي باللَّهِ . **وأبو شُعَيْبٍ** السُّوسِيُّ[7] . **وأبو يَزِيدَ** البِسْطامِيُّ[8] ، أحدُ أئمةِ الصوفِيَّةِ . **وعليُّ** بنُ إشْكابَ[9] ، وأخوه

---

(١) تهذيب الكمال ١/ ٣٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٧٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٤٠١.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٠٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٧٩.

(٣) أخبار القضاة ٣/ ٣٠٣، ٣٢٤، وتاريخ بغداد ٧/ ٤١٠، والمنتظم ١٢/ ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥١٨، والعبر ٢/ ٢٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٢.

(٤) فى النسخ ، والكامل ٧/ ٢٧٩: «سليمان». وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩، ورجال الطوسى ص ٣٧٥، وجمهرة أنساب العرب ص ٦٩، وتاريخ الطبرى ٩/ ٥١٢. وقد أدرجه الذهبى فى وفيات الطبقة السادسة والعشرين من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ١٣٢.

(٥) الثقات ٨/ ٣٠٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٤٤، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٠٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٩، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٠٤، وغاية النهاية ١/ ٣٢٧.

(٦) تاريخ الطبرى ٩/ ٥١٢، والكامل ٧/٢٢٢ - ٢٢٤.

(٧) طبقات الحنابلة ١/ ١٧٦، وتهذيب الكمال ١٣/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٠٨، وغاية النهاية ١/ ٣٣٢.

(٨) طبقات الصوفية ص ٦٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١١١، وطبقات الأولياء ص ٢٤٥، ٣٩٨.

(٩) الثقات ٨/ ٤٧٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٩٢، والمعجم المشتمل ص ١٨٨، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٣٥.

محمدٌ[1] ، ومُسْلِمُ بنُ الحجّاجِ[2] ، صاحبُ « الصَّحيحِ » ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

وهذا ذِكْرُ شيءٍ مِن أخبارِ مسلمِ بنِ الحجّاجِ على سبيلِ الاخْتِصارِ ، رحِمه اللَّهُ ، وأكرَم مَثْواه

هو مسْلِمُ بنُ الحجّاجِ بنِ مسلمٍ ، أبو الحُسينِ القُشيرِىُّ النَّيْسابُورِىُّ ، أحدُ الأئمةِ مِن حفّاظِ الحديثِ ، صاحبُ « الصَّحيحِ » الذى هو [٨/٢٣٦ظ] تِلْوُ « الصحيحِ » للبُخارِىِّ عندَ أكثرِ العُلَماءِ ، وذهَب المغاربةُ ، وأبو علىٍّ النَّيْسَابُورِىُّ شيخُ الحاكمِ النَّيسابورىِّ مِن المشارقةِ إلى تفْضيلِ « صَحيحِ » مسلمٍ على « صَحيحِ » البُخارِىِّ[3] ، فإن أرادوا تقديمَه عليه فى كونِه ليس فيه شىءٌ مِن التَّعليقاتِ إلّا القليلُ ، وأنَّه يسُوقُ الأحاديثَ بتَمامِها فى موضعٍ واحدٍ ، ولا يُقطِّعُها كتقطيعِ البُخارِىِّ لها فى الأبْوابِ ، فهذا القَدْرُ لا يُوازِى قُوَّةَ أسانيدِ البُخارِىِّ ، واختيارَه فى تصحيحِ ما أوردَه فى « جامعِه » معاصرَةَ الراوِى لشيخِه وسَماعَه منه فى الجُملةِ ، فإنَّ مسلمًا لا يشتَرِطُ فى كتابِه الشرطَ الثانى ، كما هو مُقَرَّرٌ فى علومِ الحديثِ ، وقد بسَطْنا ذلك فى أوَّلِ شرْحِ « البُخارِىِّ » ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، فى ترجمةِ الإمامِ البخارىِّ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٣، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٥٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٥٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٣٧، وتاريخ دمشق ١٦/ ٤٨٦ (مخطوط)، ووفيات الأعيان ٥/ ١٩٤، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٨٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٩٤.

والمقصودُ الآنَ أنَّ مُسْلِمًا دخَل إلى العراقِ والحجازِ والشامِ ومِصرَ، وسمِع مِن جماعةٍ كثيرين قد أورَدهم شيْخُنا الحافِظُ المِزِّيُّ فى «تَهْذيبِه»[1] مُرَتَّبِين على حُروفِ المُعجمِ.

وروَى عنه جماعةٌ كثِيرونَ؛ منهم الترمذِيُّ فى «جامعِه» حدِيثًا واحدًا؛ وهو حديثُ محمدِ بنِ عَمْرٍو، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هُريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[2]: «أحْصُوا هلالَ شَعبانَ لرمضانَ». وصالِحُ بنُ محمَّدٍ جزَرَةُ[3]، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ، وابنُ خُزَيْمَةَ، وابنُ صاعِدٍ، وأبو عَوانَةَ الإسْفَرايِينىُّ.

وقال الخطيبُ البغدادىُّ[4]: أخبَرنى محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يَعْقُوبَ، أخْبَرنا محمدُ بنُ نُعَيْمٍ الضَّبِّىُّ، أخْبَرنا أبو الفَضْلِ محمدُ بنُ إبْراهيمَ، سمِعتُ أحمدَ بنَ سَلَمَةَ يقولُ: رأيْتُ أبا زُرْعَةَ وأبا حاتمٍ يقَدِّمانِ مسلمَ بنَ الحجّاجِ فى معْرفةِ الصَّحيحِ على مَشايخِ عصْرِهما.

وأخْبَرنى[5] ابنُ يعقُوبَ، أخبَرَنا محمدُ بنُ نُعَيْمٍ، سمِعتُ الحسينَ بنَ محمدٍ الماسَرْجَسىَّ[6] يقولُ: سمِعْتُ أبى يقولُ: سمِعتُ مُسْلِمَ بنَ الحجَّاجِ يقولُ: صنَّفتُ هذا «المسنَدَ الصَّحيحَ» مِن ثلاثِمائةِ ألفِ حديثٍ مَسْمَوعةٍ.

---

(١) تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٩٩.

(٢) الترمذى (٦٨٧). حسن (صحيح سنن الترمذى ٥٥٤).

(٣) فى الأصل، س، ظ: «حرزه»، وفى م، ص: «حرره». والمثبت من مصادر ترجمته. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣، ونزهة الألباب ١/ ١٧٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠١.

(٥) المصدر السابق ١٣/ ١٠١.

(٦) فى س، م: «الماسرخسى». وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٧.

وروَى الخطيبُ قائلًا[1] : حدَّثَنِى أبو القاسمِ [2]عبدُ اللَّهِ[2] بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ السُّوذَرْجَانىُّ[3] بأَصْبهانَ ، سمِعتُ محمدَ بنَ إسْحاقَ بنِ مَنْدَه ، سمعتُ أبا علىٍّ الحسينَ بنَ علىٍّ النَّيْسابُورِىَّ يقولُ : ما تحتَ أدِيمِ السماءِ أصحُّ مِن كتابِ مُسْلِمِ ابنِ الحجَّاجِ فى علمِ الحديثِ .

وقد ذُكر مسلمٌ عندَ إسْحاقَ بنِ راهَويْهِ ، فقال بالعَجَمِيَّةِ ما معْناه[4] : أىُّ رجُلٍ كان هذا ؟

وقال إسْحاقُ بنُ منْصورٍ [٨/٢٣٧و] لمُسْلمٍ[5] : لن نَعدَمَ الخيرَ ما أبْقاكَ اللَّهُ للمسلمينَ . وقد أثْنَى عليه جماعةٌ مِن علماءِ أهلِ الحديثِ وغيرِهم .

وقال أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يَعقوبَ الأَخْرَمُ[6] : قَلَّ ما يفُوتُ البُخارِىَّ ومُسْلِمًا ممّا[7] يثْبُتُ فى الحديثِ .

وروَى الخطيبُ[8] ، عن أبى عمرٍو محمدِ بنِ [9]أحمدَ بنِ[9] حَمْدانَ الحِيرىِّ[10] قال : سألْتُ أبا العبّاسِ أحمدَ بنَ سعيدِ بنِ عُقْدةَ الحافظَ عن البُخارِىِّ ومُسلمٍ ، أيُّهما أعلمُ ؟ فقال : كان البُخارِىُّ عالمًا ومسلمٌ عالمًا . فكرَّرتُ ذلك

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠١.

(٢ - ٢) فى النسخ : « عبيد الله » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٦.

(٣) فى النسخ : « السودرجانى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الأنساب ٣/ ٣٣٢.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٢، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٠٦.

(٥) تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٦٣.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٦٥، ٥٦٦.

(٧) فى م ، وتاريخ بغداد : « ما » .

(٨) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٢.

(٩ - ٩) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٥٦.

(١٠) فى س ، ظ : « الحربى » .

عليه مِرارًا ، وهو يرُدُّ عليَّ هذا الجوابَ ، ثم قال لى : يا أبا عَمْرٍو ، قد يقَعُ للبُخارِىِّ الغلَطُ فى أهلِ الشامِ ؛ وذلك أنَّه أخَذ كُتُبَهم فنظَر فيها ، فرُبّما ذكَر الواحدَ منهم بكُنيتِه ، ويذْكُرُه فى موضعٍ آخرَ باسْمِه ، ويتوَهَّمُ أنّهما اثنانِ ، فأمّا مسلمٌ فقَلَّ ما يقَعُ له الغلَطُ لأنَّه كتَب (١) المسانيدَ ولم يَكْتُبِ (١) المقاطيعَ والمَراسيلَ .

قال الخطيبُ (٢) : إنَّما قفَا مسلمٌ طريقَ البُخارِىِّ ، ونظَر فى عِلْمِه ، وحَذَا حَذْوَه ، ولمَّا ورَد البُخارِىُّ نَيْسابُورَ فى آخرِ أمرِه لا زَمه مسلمٌ ، وأدامَ الاخْتِلافَ إليه . وقد حدَّثنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عُثْمانَ الصَّيْرَفىُّ قال : سمِعتُ أبا الحسَنِ الدَّارَقُطنِىَّ يقولُ : لولا البُخارِىُّ لَمَا ذهَب مسلمٌ ولا جاءَ .

قال الخطيبُ (٢) : وأخْبرَنى أبو بكرٍ المُنْكَدِرىُّ ، حدَثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنى أبو نَصْرِ بنِ محمدٍ الورَّاقُ (٣) ، سمِعتُ أبا حامِدٍ أحمدَ بنَ حَمْدانَ القَصَّارَ ، سمعتُ مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاجِ ، وجاءَ إلى محمدِ بنِ إسْماعيلَ البُخارِىِّ فقبَّلَ بينَ عيْنَيْه ، وقال : دعْنى حتى أُقبِّلَ رِجليكَ يا أُسْتاذَ الأُسْتاذِين ، وسيِّدَ المُحدِّثين ، وطبيبَ الحديثِ فى عِلِله ، حدَّثك محمدُ بنُ سلَّامٍ ، حدَّثنا مَخْلَدُ بنُ يزِيدَ الحرّانىُّ ، حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُوسَى بنِ عُقْبَةَ ، عن سُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النبىِّ ﷺ فى كفَّارةِ المجْلسِ ، فما علَّتُه ؟ فقال البُخارِىُّ : هذا حديثٌ مليحٌ ، ولا أعلَمُ فى الدنْيا فى هذا البابِ غيرَ هذا

(١ - ١) سقط من : النسخ وتاريخ بغداد . والمثبت من تاريخ دمشق ١٦/ ٤٧٠ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٦٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٢، ١٠٣. وانظر ما تقدم فى صفحة ٥٣١ .

(٣) فى النسخ : « الزراد » . والمثبت من تاريخ بغداد . وانظر هدى السارى ص ٤٨٨، والنكت على كتاب ابن الصلاح ٢/ ٧١٧.

الحديثِ ، إلَّا أنَّه معْلُولٌ ؛ ثنَا به موسى بنُ إسْماعيلَ ، ثنَا وُهيبٌ ، عن سُهَيْلٍ ، عن عونِ بنِ عبدِ اللَّهِ قوْلَه ، قال البُخاريُّ : وهذا أوْلَى ؛ فإنَّه لا يُعْرَفُ لموسى بنِ عُقْبَةَ سماعٌ مِن سُهَيْلٍ .

قلتُ : وقد أفْرَدْتُ لهذا الحديثِ جُزْءًا على حِدَةٍ ، وأوْرَدْتُ فيه طُرقَه وألْفاظَه ومَتْنَه وعِللَه ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

قال الخطيبُ[1] : وقد كان مسلمٌ يُناضِلُ عنِ البُخاريِّ ، رحِمهما اللَّهُ . ثم ذكَر ما كان وقَع بينَ البُخاريِّ ومحمدِ بنِ يَحيى الذُّهْليِّ فى مسألةِ اللفظِ بالقرآنِ فى نَيْسابورَ ، [٨/٢٣٧ظ] وكيفَ نُودِى على البخاريِّ بسببِ ذلك بنَيْسابورَ ، وأنَّ الذُّهليَّ قال يومًا لأهلِ مَجلسِه ، وفيهم مسلمُ بنُ الحجَّاجِ : أَلَا مَن كان يقولُ بقولِ البخاريِّ فى مسْألةِ اللفظِ بالقرآنِ فلْيعتزِلْ مجلِسَنا . فنَهَض مسلمٌ مِن فَوْرِه إلى منزلِه ، وجمَع ما كان سمِعه مِن الذُّهليِّ جميعَه ، وأرسَل به إليه ، وترَكَ الرِّوايةَ عنِ الذُّهليِّ بالكُلِّيَّةِ ، فلم يَروِ عنه شيئًا لا فى « صحيحِه » ، ولا فى غيرِه ، واسْتحكَمت الوَحْشَةُ بيْنَهما . هذا ولم يترُكِ البُخارِيُّ محمدَ بنَ يَحْيَى الذُّهليَّ بل روَى عنه فى « صحيحِه » وغيرِه وعذَره ، رحِمه اللَّهُ .

وقد ذكَر الخطيبُ[2] سبَبَ موْتِ مسلمٍ ، رحِمه اللَّهُ ، أنَّه عُقِد له مجْلسٌ للمُذاكَرةِ ، فسئِل يومًا عن حديثٍ لم يعرِفْه ، فانْصرَفَ إلى منْزِلِه ، فأوْقدَ السِّراجَ ، وقال لأهْلِه : لا يدخُلْ أحدٌ الليلةَ علىَّ . وقد أُهْدِيَتْ له سلَّةٌ مِن تمرٍ فهى عندَه ؛ يأكُلُ منها تمرةً ويكْشِفُ حديثًا ، ثم يأكُلُ أخرى ، ويكشِفُ آخرَ ، ولم

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ١٠٣، ١٠٤.

يزَلْ ذلك دأبَه حتى أصبح وقد أكلَ تلك السَّلَّةَ وهو لا يشعُرُ، فحصَل له بسبَبِ ذلك ثِقَلٌ، ومرِض مِن ذلك حتى كانت وَفاتُه عَشِيَّةَ يومِ الأحدِ، ودُفِن يومَ الاثنينِ لخَمْسٍ بَقِينَ مِن رجَبٍ سنَةَ إحْدَى وسِتِّينَ ومائتَين بنَيْسابُورَ، وكان مولدُه[1] فى السنَةِ التى تُوفِّى فيها الشافعىُّ؛ وهى سنَةُ أربعٍ ومائتَينِ، وكان عُمُرُه سبْعًا وخَمْسِينَ سنةً. رحِمه اللَّهُ تعالى.

أبو يَزِيدَ البِسْطَامِىُّ[2]، اسمُه طَيْفُورُ بنُ عيسى بنِ آدمَ بنِ عيسى بنِ علىٍّ، أحدُ مَشايخِ الصوفِيَّةِ، وكان جَدُّه مجُوسِيًّا فأسْلَمَ، وكان لأبى يَزِيدَ أخوان صالحان عابدان وهو أجلُّ منهما، وقيل له[3]: بأىِّ شىءٍ وصَلْتَ إلى هذه المعْرفةِ؟ فقال: ببَطْنٍ جائعٍ وبَدَنٍ عارٍ. وكان يقولُ[4]: دعوْتُ نفْسِى إلى طاعَةِ اللَّهِ فلم تجِبْنِى، فمنَعْتُها الماءَ سنَةً. وقال[5] أيضًا: إذا نظرتُم إلى الرجلِ أُعْطِىَ مِنَ الكَراماتِ حتى يرْتفعَ فى الهواءِ، فلا تغْتَرُّوا به حتى تنْظُروا كيفَ تجِدُونَه عندَ الأمْرِ والنَّهْى وحفْظِ الحدُودِ وأداءِ الشريعَةِ. قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[6]: وله مَقاماتٌ[7] كثيرةٌ ومُجاهَداتٌ مشْهورةٌ وكَراماتٌ ظاهِرَةٌ، وكانت وفاتُه سنةَ إحْدَى وسِتِّينَ ومائتَيْنِ رحِمه اللَّهُ. قلتُ: قد حُكِىَ عنه كلماتٌ فيها شَطْحٌ، وقد تكلَّم كثيرٌ مِن العلماءِ مِن الصوفِيَّةِ والفقهاءِ عليها؛

---

(١) تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٨.

(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٥٥٠.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، وطبقات الصوفية ص ٨٤.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٨.

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١.

(٧) فى وفيات الأعيان: «مقالات».

فمِن مُتأوِّلٍ على المحاملِ البعيدةِ، أو قائلٍ: إنَّ هذا قاله فى حالِ الاصْطِلامِ والسُّكرِ، ومِنَ مُبَدِّعٍ [٢٣٨/٨و] ومُخَطِّئٍ، واللَّهُ أعلمُ.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْن وسِتّين ومائتَيْن

فيها[1] قَدِمَ يَعْقُوبُ بنُ اللَّيْثِ فى جَحافِلَ فدخَل وَاسِطًا قَهْرًا ، فخرَج الخليفةُ المُعتمِدُ بنفْسِه مِن سَامَرَّا لقِتالِه ، فتَوسَّطَ بينَ بَغْدادَ ووَاسِطٍ ، فانْتَدَبَ له أبو أحمدَ المُوَفَّقُ باللَّهِ أخو الخليفةِ ، فى جيشٍ عظيمٍ على مَيْمَنَتِه موسى بنُ بُغا ، وعلى مَيْسَرَتِه مَسْرورٌ البَلْخِىُّ ، فاقْتَتَلُوا فى رجَبٍ من هذه السنةِ أيامًا قِتالًا عظيمًا هائلًا ، ثم كانتِ الغَلَبةُ على يَعْقُوبَ وأصْحابِه ، وذلك يومَ عيدِ الشَّعانِينِ . فقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرون ، وغَنِم منهم أبو أحمدَ شيئًا كثيرًا مِن الذهبِ والفِضةِ والمسْكِ والدوابِّ . ويقالُ : إنَّهم وجَدُوا فى جيشِ يَعْقُوبَ هذا رَاياتٍ عليها صُلْبانٌ . ثم انْصرفَ المعتمدُ إلى المَدائنِ ورَدَّ محمدَ بنَ طاهرٍ إلى نيابةِ بغدادَ ، وأمَر له بخمسِمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ .

وفيها غلَب يعْقُوبُ بنُ اللَّيْثِ على بلادِ فارِسَ وهرَب ابنُ واصلٍ منها .

وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ صاحبِ الزَّنْجِ وجيشِ الخليفةِ .

وفيها وَلِىَ القَضاءَ علىُّ بنُ محمدِ بنِ أبى الشَّوارِبِ .

وفيها جُمِعَ للقاضى إسماعيلَ بنِ إسحاقَ قَضاءُ جانِبَىْ بَغْدادَ .

وفيها حجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ إسْحاقَ العبَّاسىُّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥١٦، والمنتظم ١٢/ ١٧٣، والكامل ٧/ ٢٩٠.

قال ابنُ جَريرٍ[1] : وفيها وقع بين [2]الحناطين والجزّارين[2] بمَكَّةَ ، فاقْتَتلوا يومَ التَّرْوِيةِ أو قبلَه بيومٍ ، فقُتِل منهم سَبْعَةَ عشرَ نفْسًا ، وخافَ الناسُ أنْ يفُوتَهم الحجُّ بسببِهم ، ثم توادَعُوا إلى ما بعدَ الحجِّ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

صالِحُ بنُ عليِّ بنِ يَعْقوبَ بنِ المنْصُورِ[3] فى رَبيعِ الآخرِ منها . **وعمرُ** بنُ شبَّةَ النُّمَيرِىُّ[4] . **ومحمدُ** بنُ عاصِمٍ[5] . **ويعقُوبُ** بنُ شَيْبَةَ[6] ، صاحِبُ « المُسْنَدِ » الحافلِ المشْهُورِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٢٦، ٥٢٧.

(٢ - ٢) فى م : « الخياطين والخرازين » .

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٢٦، والكامل ٧/ ٢٢٩، ٣٠٥.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٢٠٨، وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٦٧، والوافى بالوفيات ٣/ ١٨٠، والعبر ٢/ ٢٥.

(٦) طبقات الحنابلة ١/ ٤١٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٧٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٠١.

ثم دخلَتْ سنَةُ ثَلاثٍ وستّيـنَ ومائتَيْـنِ

فيها[1] جرَتْ حروبٌ كثيرةٌ مُنْتَشِرَةٌ فى بلدانٍ شتَّى ؛ فمِنْ ذلك مَقْتَلةٌ عظيمةٌ فى الزَّنْجِ ، قبَّحَهم اللَّهُ ، حصَرَهم فى بعضِ المواقفِ بعضُ الأُمَراءِ مِن جهةِ الخليفةِ فقتَل المَوْجُودِينَ عندَه عن آخرِهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها سلَّمَتِ الصَّقالِبَةُ حِصْنَ لُؤْلُؤَةَ إلى طاغِيَةِ الرومِ لعَنه اللَّهُ .

وفيها تغلَّبَ أخو شَرْكَبٍ الجَمَّالِ على نَيْسَابُورَ ، وأخْرَج منها عامِلَها الحُسَيْنَ ابنَ طاهرٍ ، وأَخَذ مِن أهْلِها ثُلُثَ أمْوالِهم مُصادَرَةً ، قبَّحَه اللَّهُ .

وحجَّ بالناسِ فيها الفَضْلُ بنُ إسْحاقَ العبَّاسِيُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

مُساوِرُ بنُ عبدِ الحميدِ الشَّارِى الخارجِيُّ[2] ، وقد كان مِن الأبْطالِ المذكورين والشُّجْعانِ [٢٣٨/٨ظ] المشْهُورِينَ ، والْتَفَّ عليه خَلْقٌ مِن الأعْرابِ وغيرِهم ، وطالتْ مدَّتُه حتى قصَمَه اللَّهُ .

ووَزِيرُ الخلافةِ عبَيْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى بنِ خَاقَانَ[3] ، صدَمَه فى الميدانِ خادِمٌ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٣٠، والمنتظم ١٢/ ١٨٩، والكامل ٧/ ٣٠٧.

(٢) تاريخ اليعقوبى ٢/ ٥٠٢، وتاريخ الطبرى ٩/ ٥٣٢، والكامل ٧/ ٣٠٩، والأعلام ٨/ ١٠٥.

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ٢٠٤، وتاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٤/ ٤٤٧، وسير =

يقالُ له : رشِيقٌ . فسقَط عن دابَّتِه على أمِّ رأْسِه ، فخرَج دِماغُه مِن أُذُنَيْه وأنْفِه ، فمات بعدَ ثلاثِ ساعاتٍ ، وصلَّى عليه أبو أحمدَ المُوفَّقُ بنُ المُتوكلِ ومشَى فى جِنازَتِه ، وذلك يومَ الجُمعةِ لعَشْرٍ خَلَوْنَ مِن ذِى القَعْدَةِ من هذه السنَةِ ، واسْتَوزَر مِن الغَدِ الحسَنَ بنَ مَخْلَدٍ ، فلمَّا قَدِمَ مُوسَى بنُ بُغا سَامَرَّا عزلَه واسْتَوْزَرَ مكانَه سُلَيْمانَ بنَ وَهْبٍ ، وسُلِّمتْ دارُ عُبَيدِ[1] اللَّهِ بنِ يَحْيَى بنِ خَاقَانَ إلى الأميرِ المعْروفِ بكَيْغَلَغَ[2] .

وأحمدُ بنُ الأَزْهرِ[3] . **والحسَنُ** بنُ أبى الرَّبيعِ[4] . **ومُعاوِيَةُ** بنُ صالحٍ الأَشْعَرِىُّ[5] .

= أعلام النبلاء ١٣/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٣٢، والعبر ٢/ ٢٦.

(١) فى م : «عبد» .

(٢) فى م : «كيطلغ» .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٩، وتهذيب الكمال ١/ ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٠.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٤٥٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٣٤، والمنتظم ١٢/ ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٧٩.

(٥) طبقات الحنابلة ١/ ٣٨٩، تاريخ دمشق ١٦/ ٦٧٠ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٩١.

ثم دخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وسِتّيـنَ ومِائتَيْـنِ

فى المُحَرَّمِ منها[1] عَسكَر أبو أحمدَ ومُوسَى بنُ بُغا بسَامَرَّا، وخرَجا منها لليْلَتَيْن مضَتَا مِن صفَرٍ، وخرَج المُعْتَمِدُ لتَوْدِيعِهما، وسارا فلمَّا وصَلا إلى بَغْدادَ تُوفِّى الأميرُ مُوسَى بنُ بُغا بها، وحُمِل إلى سَامَرَّا وَدُفِن بها.

وفيها وُلِّى محمدُ بنُ المولَّدِ وَاسِطًا فحارَبه سُلَيمانُ بنُ جامعٍ نائِبُها مِن جِهةِ الخبيثِ صاحبِ الزَّنْجِ، فهزَمه ابنُ المولَّدِ بعدَ حُروبٍ طويلةٍ بينَهما.

وفيها سار ابنُ الدِّيرانىِّ إلى مدينةِ الدِّينَوَرِ، فاجْتمَعَ عليه دُلَفُ بنُ عبدِ العزيزِ ابنِ أبى دُلَفٍ، وابنُ عِيَاضٍ، فهزَمَاه ونَهَبا أمْوالَه ورجَع مغْلُولًا.

ولمَّا تُوفِّى مُوسَى بنُ بُغا عزَل الخليفةُ المعتمدُ الوزيرَ الذى كان مِن جِهَتِه؛ وهو سُلَيمانُ بنُ وهبٍ[2]، وحبَسه مُقيَّدًا وأمرَ بنهبِ دُورِه ودُورِ أقْربائِه، ورَدَّ الحسَنَ ابنَ مَخْلَدٍ إلى الوزارةِ، فبلَغَ ذلك أبا أحمدَ وهو ببَغْدادَ، فسارَ بمَنْ معه إلى سَامَرَّا؛ فتحصَّن منه أخوه المُعْتَمِدُ بجانِبها الغرْبِىِّ، فلمَّا كان يومُ التَّرْوِيَةِ عبَر جيشُ أبى أحمدَ إلى الجانبِ الذى فيه المُعْتَمِدُ، فلم يكُنْ بينَهم قِتالٌ بلِ اصْطلَحُوا على رَدِّ سُلَيْمانَ بنِ وَهْبٍ إلى الوزارةِ، وهرَب الحسنُ بنُ مَخْلَدٍ فنُهِبتْ أمْوالُه

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٣٣.

(٢) فى الأصل، م: «حرب». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤٠، والكامل ٧/ ٣١٦.

وحَواصِلُه ، واخْتفَى أبو عِيسَى بنُ المُتَوكِّلِ ثم ظَهَر ، وهرَب جماعةٌ مِن الأُمَراءِ إلى المَوْصِلِ ؛ خوفًا مِن أبى أحمدَ .

وحجَّ بالناسِ فيها هارُونُ بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ بنِ مُوسَى بنِ عِيسَى الهاشِمِىُّ الكُوفِىُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وَهْبٍ[1] . [٨/ ٢٣٩و] **وإسْماعيلُ** بنُ يَحْيَى المُزَنِىُّ[2] ، أحدُ رُواةِ الحديثِ عن الشافِعِىِّ مِن أهلِ مِصْرَ ، وقد تَرْجَمْنَاه فى « طبَقاتِ الشافِعِيِّينَ » . وترجَمه ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ أيضا فأحسَن وأطنَب وأطيَب .

وأبو زُرْعَةَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الكَريمِ الرَّازِىُّ[3] ، أحدُ الحُفَّاظِ المشهورِينَ ، قِيل : إنَّه كان يحفظُ سبعَمائةِ ألْفِ حديثٍ . وكان فَقِيهًا وَرِعًا زاهدًا عابدًا خاشِعًا مُتَواضِعًا ، أثنَى عليه أهلُ زَمانِه بالحفْظِ والدِّيانةِ ، وشهِدوا له بالتَّقَدُّمِ على أقرانِه ، وكان فى حالِ شبيبتِه إذا اجْتمَع بأحمدَ بنِ حَنْبلٍ للمذاكرةِ يقتصِرُ أحمدُ على الصَّلَواتِ المكْتُوباتِ ، ولا يفعَلُ المَنْدُوباتِ اكْتِفاءً بالمذاكرةِ عن ذلك . وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ سَلْخَ ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، وكان مولدُه سنةَ

---

(١) طبقات الشافعية ٢/ ٢٦، وتهذيب الكمال ١/ ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣١٧، وميزان الاعتدال ١/ ١١٣، والوافى بالوفيات ٧/ ٤٧، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٧.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١- ٢٨٠هـ) ص ٦٥، والعبر ٢/ ٢٨، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦، وطبقات الحنابلة ١/ ١٩٩، وتهذيب الكمال ١٩/ ٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٦٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٢٤.

مائتين ، وقيل : سنةَ تسعين ومِائةٍ . وقد ذكَرنا ترْجمتَه مبْسُوطةً فى « التَّكْميلِ » .

ومحمدُ بنُ إسْماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ قاضى دمشقَ[1] .

ويُونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى الصَّدفىُّ المِصْرِىُّ[2] ، ممَّنْ روَى عن الشافعىِّ أيضًا ، وقد ذكَرناه فى « التَّكْميلِ » ، وفى « الطَّبَقاتِ » .

وقَبِيحَةُ أمُّ المُعْتزِّ[3] ، إحدَى حظايا المُتَوكِّلِ على اللَّهِ ، جمَعتْ مِن الجواهرِ واللَّآلئِ والذهبِ والمصاغِ ما لم يُعهَدْ لِمثلِها ، ثم سُلِبتْ ذلك كلَّه ، وقُتِل ولَدُها المُعْتَزُّ لأجلِ نفقاتِ الجُنْدِ ، وشَحَّتْ عليه بخمسينَ ألفَ دِينارٍ تُدارِئُ بها عنه . وكانت وفاتُها فى رَبيعِ الأوَّلِ من هذه السنةِ .

---

(١) المعجم المشتمل ٢٢٦، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٥٨، والعبر ٢/ ٢٣٧.

(٢) وفيات الأعيان ٧/ ٢٤٩، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٥١٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢٧، ومرآة الجنان ٢/ ١٧٦، وطبقات الشافعية ٢/ ١٧١، وطبقات الحفاظ ص ٢٣٠.

(٣) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٣٣، والمنتظم ١٢/ ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٨، وأعلام النساء ٤/ ١٨٤.

ثم دخلت سنة خمسٍ وستّين ومائتين[1]

فيها كانت وَقْعَةٌ بين ابنِ لَيثَوَيْهِ عاملِ أبى أحمدَ على جُنْبُلاءَ[2] وبين سُلَيمانَ ابنِ جامعٍ، ظفِر فيها ابنُ لَيثَوَيْهِ بابنِ جامعٍ الذى مِن جهةِ الخبيثِ صاحبِ الزَّنْجِ، فقتَل خلْقًا مِن أصْحابِه وأصاب مِنهم سبعةً وأربعين أسيرًا، وحرَق له مَراكبَ كثيرةً، وغَنِم مِنهم أموالًا جَزِيلةً، ولله الحمدُ والمنّةُ.

وفى المحرّمِ مِن هذه السنَةِ حاصَر أحمدُ بنُ طُولُونَ نائبُ الديارِ المصريَّةِ مدينةَ أنْطاكِيَةَ، وفيها سيما الطَّوِيلُ، فلم يزَلْ حتى فتَحها بعدَ حروبٍ يطولُ ذكرُها، وقتَل سيما المذكورَ. وأقام بها حتى جاءَتْه هَدايَا ملكِ الرومِ وفى جُمْلَتِها أُسارَى مِن المسلمين، مع كلِّ أسيرٍ مُصْحَفٌ، ومِنهم عبدُ اللَّهِ بنُ رَشيدِ بنِ كاوِسَ الذى كان عاملَ الثُّغورِ، فاجتمَع لأحمدَ بنِ طُولُونَ مُلكُ الشامِ بكَمالِه مع الديارِ المِصْرِيةِ؛ لأنَّه لمَّا مات نائبُ دِمشقَ أماجورُ، ركِب ابنُ طُولُونَ مِن مِصرَ، فتلَقَّاه ابنُ أماجورَ إلى الرَّمْلَةِ، فأقرَّه عليها، وسار إلى دِمشقَ فدخَلها، ثم إلى حِمْصَ فتَسلَّمها، ثم إلى حَلَبَ فاستحوَذ عليها، ثم ركِب إلى [٨/٢٣٩ظ] أنْطاكِيَةَ، فكان مِن أمْرِه ما تقدَّم. وكان [3]أحمدُ بْن طُولونَ[3] قدِ استخلَف على الديارِ المصريةِ ابنَه العبَّاسَ، فلمَّا بلغَه قُدومُ أبيه عَلَيْهِ من الشامِ أخَذ ما كان فى بيتِ المالِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤٢، والمنتظم ١٢/١٩٧، والكامل ٧/ ٣٢٢.

(٢) جنبلاء: كورة وبليد، وهو منزل بين واسط والكوفة. معجم البلدان ٢/ ١٢٦.

(٧ - ٧) سقط من: م.

مِن الحَواصلِ ، ووازَره جماعةٌ على ذلك ، فساروا إلى بَرْقةَ خارجًا عن طاعَةِ أبيه ، فبعَث إليه مَن أخَذه ذليلًا حقيرًا ، ورَدُّوه إلى مصرَ فحبَسه ، وقتَل جماعَةً مِن أصحابِه .

وفيها خرَج رجلٌ يقالُ له : القاسِمُ بنُ مَهارةَ علَى دُلَفِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى دُلَفِ العِجْلِىِّ ، فقتَله واسْتحوَذ على أصْبهانَ ، فانتصَر أصحابُ دُلَفٍ له فقتَلوا القاسِمَ هذا ورَأَّسُوا عليهم أحمدَ بنَ عبدِ العزيزِ .

وفيها لحِق محمدُ المولَّدُ بيَعْقُوبَ بنِ اللَّيْثِ فسار إليه فى المحرَّمِ منها ، فأمَر السلطانُ بنَهْبِ حوَاصِلِه وأمْوالِه وأمْلاكِه وضِياعِه .

وفيها دخَل صاحبُ الزَّنْجِ إلى النُّعْمانِيةِ[1] فقتَل وحرَّق ، ثم سارَ إلى جَرْجَرَايَا[2] فانزعَج الناسُ ، ودخَل أهلُ السَّوادِ إلى بَغْدادَ فلجأوا إليها محصورين .

وفيها وَلَّى أبو أحمدَ عمرَو بنَ اللَّيْثِ خُراسانَ وفارسَ وأَصْبهانَ وسِجِسْتانَ وكَرْمَانَ والسِّنْدَ ، ووَجَّهه إليها بذلك وبالخِلَعِ والتحفِ .

وفيها حاصَرتِ الزَّنْج تُستَرَ حتى كادوا يفتحونها[3] ، فَوافَاهم تكينُ البُخارِىُّ ، فلم يضَعْ ثِيابَ سفَره حتى ناجَز الزنجَ فهزَمَهم هزيمةً فظيعةً منكرةً جدًّا ، وقتَل منهم خلقًا لا يُحصَون كثرةً ، وهرَب أمِيرُهم علىُّ بنُ أبانٍ المُهَلَّبِىُّ

---

(١) النعمانية : بليدة بين واسط وبغداد فى نصف الطريق على ضفة دجلة ، معدودة من أعمال الزاب الأعلى . معجم البلدان ٤/ ٧٩٦.

(٢) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى . معجم البلدان ٢/ ٥٤.

(٣) فى م : « يأخذونها » .

مغلولًا مدحورًا مخذولًا . قال ابنُ جَريرٍ[1] : وهذه وَقْعَةُ [2]بابِ كُودَكَ[2] المشهورةُ . ثم إنَّ عليَّ بنَ أبانٍ المُهَلبيَّ أخَذ فى مكاتبةِ تكينَ واسْتِمالَتِه إليه وإلى صاحبِ الزَّنجِ ، فشرَعَ تكينُ فى الإجابةِ إلى ذلك ، فبلَغ خبرُه مَسْرُورًا البَلْخِيَّ ، فسار نحوَه وأظهرَ له الأمانَ حتى أخَذه وقيَّدَه وتفرَّق جيْشُه عنه ؛ فَفِرْقةٌ صارَتْ إلى الزَّنجِ ، وفرقةٌ إلى محمدِ بنِ عُبَيدِ[3] اللَّهِ الكُرْدِيِّ ، وفرقةٌ انضافتْ إلى مَسْرُورٍ البلخيِّ بعدَ إعْطائِه إياهم الأمانَ ، ووَلَّى مكانَه على عمالتِه أميرًا آخرَ يقالُ له : أغرتمشُ .

وحجَّ بالناسِ فيها هارُونُ بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ [4]بنِ مُوسَى بن عيسى[4] .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ مَنْصُورٍ الرَّمادِيُّ[5] ، راويةُ عبدِ الرَّزَّاقِ ، وقد صَحِب الإمامَ أحمدَ ، وكان يُعَدُّ مِنَ الأبْدالِ ، تُوفِّى عن ثلاثٍ وثمانين[6] سنةً .

وسَعْدانُ بنُ نَصْرٍ[7] . **وعبدُ اللَّهِ** بنُ محمدٍ المَخْزُمِيُّ[8] . **وعلىُّ** بنُ حَرْبٍ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « مادمودك » . والمثبت كما فى تاريخ الطبرى ، وفى الكامل ٧/ ٣٢٣: « باب كورك » . والدال والراء قريب من قريب .

(٣) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « عبد » . وانظر : تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤٧، والكامل ٧/ ٣٢٣.

(٤ - ٤) فى م : « بن موسى » . وفى ظ : « بن عيسى » .

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ١٥١، وتهذيب الكمال ١/ ٤٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٥٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٤، والوافى بالوفيات ٨/ ١٩٢.

(٦) فى م : « ستين » .

(٧) ثقات ابن حبان ٨/ ٣٠٥، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٠١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤١.

(٨) فى م ، ص : « المخزومى » . وانظر ترجمته فى : أخبار القضاة ١/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ٨١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٥٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٤٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤١.

الطَّائىُّ [٨/٢٤٠و] المَوْصِلىُّ[١] . **وأبو حَفْصٍ** النَّيْسابُورِىُّ علىُّ بنُ مُوَفَّقٍ الزاهدُ[٢] . **ومحمدُ** بنُ سَحْنُونَ[٣] .

قال ابنُ الأَثيرِ فى « كامِلِه »[٤] : وفيها قُتِل **أبو الفضْلِ**[٥] العبَّاسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشِىُّ - صاحِبُ أبى عُبَيْدَةَ والأَصْمَعِىِّ - قتَله الزِّنْجُ بالبصرةِ .

ويَعْقوبُ بنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ[٦] ، أحدُ المُلوكِ العُقَلاءِ الأبْطالِ ، فتَح بلادًا كثيرةً ؛ مِن ذلك بلَدُ الرُّخَّجِ[٧] التى كان بها مَلِكٌ يُحْمَلُ فى سَريرٍ من ذهَبٍ على رُءوسِ اثْنَىْ عشَرَ رجلًا ، وكان له بيتٌ فى رأسِ جَبَلٍ عالٍ سمَّاه مَكَّةَ ، فما زال حتى قتَله وأخَذ بلَدَه وأسلَم أهلُها على يدَيْه ، ولكِنْ كان قد خرَج عن طاعَةِ الخليفةِ وقاتلَه أبو أحمدَ المُوَفَّقُ كما تقدَّم . ولمَّا مات ولَّوا أخاه عمرَو بنَ اللَّيْثِ ما كان يَلِيه أخوه يَعْقُوبُ مع شُرْطَةِ بَغْدادَ وسامَرَّا ، كما سيأْتى .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤١٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٢٣، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٣٦١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٥١، والعبر ٢/ ٣٠.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣١٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ١١٠، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٣٩، وجامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨.

(٣) طبقات الفقهاء ص ١٥٧، وترتيب المدارك ٣/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٦٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٨٦، والديباج المذهب ٢٣٤.

(٤) الكامل ٧/ ٣٢٨. بنحوه.

(٥) فى الأصل، م: « الفطل » . وفى ص: « حفص الفضل » . وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١٢/ ١٣٨، ومراتب النحويين ص ١٢٣، ومعجم الأدباء ١٢/ ٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٧٢.

(٦) وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١- ٢٨٠هـ) ص ٢٠٣، والعبر ٢/ ١٩، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٠.

(٧) فى الأصل، ظ: « الزنج » . وفى س، م: « الرجح » . وانظر الكامل ٧/ ٣٢٦، وانظر أيضا وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٤. والرُّخَّجُ: كورة ومدينة من نواحى كابل. معجم البلدان ٢/ ٧٧٠.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

فى صفَرٍ منها[1] تغلَّب أساتكينُ على بلَدِ الرَّىِّ وأخرَج عامِلَها منها ، ثم مضَى إلى قَزْوِينَ فصالحه أهلُها فدخَلها وأخَذ مِنها أمْوالًا جزيلةً ، ثم عاد إلى الرَّىِّ فمانَعه أهلُها عن الدُّخولِ إليها فقاتلهم ودخَلها قهرًا .

وفيها أغارتْ سَرِيَّةٌ مِن الرومِ على ناحيةِ دِيارِ رَبِيعَةَ فقتَلُوا وسبوْا ومثَّلُوا وأخَذُوا نحْوًا مِن مِائتَيْن وخمسينَ أسِيرًا ، فنفَر إليهم أهلُ نَصِيبينَ[2] وأهلُ المَوْصِلِ ، فهرَبتْ منهمُ الرومُ ورجَعُوا إلى بلادِهم لعَنهم اللَّهُ .

وفيها وَلَّى عمرُو بنُ اللَّيْثِ شُرطةَ بغْدادَ وسَامَرَّا لعُبَيْدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ، وبعَث إليه أبو أحمدَ بالخِلْعَةِ وخلَع عليه عمرُو بنُ اللَّيْثِ أيضًا ، وأهْدَى إليه عَمُودَين مِن ذهبٍ ، وذلك مُضافًا إلى ما كانَ يَلِيه أخوه مِن البُلْدانِ .

وفيها سار أغرتمشُ لقِتالِ علىِّ بنِ أبانٍ المُهَلَّبِىِّ بتُسْتَرَ ، فأخَذ مَن كان فى السِّجنِ مِن أصحابِ علىِّ بنِ أبانٍ المُهَلَّبِىِّ مِن الأُمَراءِ فقتَلهم عن آخرِهم ، ثم سار إلى علىِّ بنِ أبانٍ فاقتَتلا قتالًا شديدًا فى مرَّاتٍ عديدةٍ ، كان آخِرُها لعلىِّ بنِ أبانٍ المُهَلَّبىِّ ، قتَل خلْقًا مِن أصْحابِ أغرتمشَ وأسَر بعْضَهم فقتَلهم ، وبعَث برءُوسِهم إلى الخبيثِ صاحبِ الزَّنْجِ فنصَب رُءوسَهم على سورِ مدينَتِه ، قبَّحه اللَّهُ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤٩، والمنتظم ١٢/ ، والكامل ٧/ ٣٣٢.

(٢) فى م : « الصين » . وانظر مصدرى التخريج .

وفيها وثَب أهلُ حِمْصَ على عامِلِهم عِيسى الكَرْخِيِّ فقتَلُوه فى شَوَّالٍ منها .

وفيها دعا الحسَنُ بنُ محمدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حسينٍ الأصغَرُ العُقَيْقِيُّ[1] أهلَ طَبَرِسْتانَ إلى نفْسِه وأظْهَر لهم أنَّ الحسنَ[2] بنَ زيدٍ قد أُسِر ولم يبْقَ مَن يقومُ بهذا الأمرِ غيرُه فبايعُوه ، فلمَّا بلَغَ ذلك الحسنَ[2] [٨/٢٤٠ظ] بنَ زيدٍ ، قصَده فقاتَله فقتَله ونهَبَ[3] أمْوالَ مَن اتَّبعَه وحرَّقَ دُورَهم .

وفيها وقعَتْ فِتْنَةٌ بالمدينةِ ونواحِيها بينَ الجَعْفَرِيَّةِ والعَلَوِيَّةِ ، وتغلَّبَ عليها رجلٌ مِن أهلِ البيتِ مِن سُلالةِ الحسَنِ بنِ زيدٍ الذى تغلَّبَ على طَبَرِسْتَانَ ، وجرَتْ شرورٌ كثيرةٌ هنالك بسبَبِ قَتْلِ الجَعْفَرِيَّةِ والعَلَوِيَّةِ يطولُ ذِكْرُها .

وفيها وثبَتْ طائفةٌ مِن الأعْرابِ على كُسْوةِ الكَعْبةِ فانتهَبوها ، وصار بعضُها إلى صاحبِ الزَّنْجِ ، وأصاب الحجِيجَ منهم شدَّةٌ عظيمةٌ وبلاءٌ شديدٌ .

وفيها أغارَت الرومُ أيضًا على دِيارِ رَبيعَةَ .

وفيها دخَل أصْحابُ صاحبِ الزَّنجِ إلى رَامَهُرْمُزَ فافْتتَحُوها بعدَ قتالٍ طويلٍ .

وفيها دخَل ابنُ أبى الساجِ مكَّةَ ، فقاتلَه المَخْزُومِيُّ فقَهَره ابنُ أبى الساجِ وحرَّق دارَه واسْتَباحَ مالَه ، وذلك يومَ التَّرْوِيَةِ فى هذه السنَةِ ، وقد جُعِل إلى ابنِ أبى الساجِ إمرةُ الحرمين من جهةِ الخليفةِ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ هارونُ بنُ محمدٍ المُتقدِّمُ ذِكْرُه قبلَها .

---

(١) فى م : « العقيلى » .
(٢) فى م : « الحسين » .
(٣) بعده فى م : « أمواله و » .

وفيها عَمِل محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الدَّاخلِ - خليفةُ الأنْدَلُسِ وبلادِ المَغْربِ - مَراكِبَ فى نَهْرِ قُرْطُبَةَ ليدْخُلَ بها إلى البحرِ المُحيطِ ؛ لتَسِيرَ الجُيوشُ فى أطْرافِه إلى بعضِ البلدانِ ليقاتِلوهم ، فلمَّا دخَلتِ المراكبُ البحرَ المُحيطَ تكسَّرَتْ وتقطَّعتْ ولم يَنْجُ مِن أهْلِها إلَّا اليسيرُ وغرِق أكثرُهم .

وفيها الْتَقى أسْطُولُ المسلمينَ وأسْطولُ الرومِ ببلادِ صِقِلِّيَّةَ فاقْتَتلُوا ، فقُتِلَ مِن المسلمينَ خلقٌ كثيرٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ .

وفيها حارب لُؤْلُؤٌ غُلامُ أحمدَ بنِ طُولُونَ لموسَى بنِ أتامشَ فكسَر جيشَه وأسرَه لؤْلؤٌ وبعَث به إلى مولاه أحمدَ بنِ طولونَ نائبِ الشامِ ومِصْرَ وإفْرِيقِيَّةَ مِن جهةِ الخلافةِ ، ثم اقتَتل لُؤْلُؤٌ هذا وطائفةٌ مِن الرومِ ، فقتَل مِن العدوِّ خلقًا كثيرًا .

قال ابنُ الأَثيرِ[1] : وفيها اشتَدَّ الحالُ وضاقَ الناسُ ذَرْعًا بكثرَةِ الهَيْجِ ، وتغلَّبَ القُوَّادُ والأجْنادُ على كثيرٍ من البلادِ بسبَبِ ضَعْفِ [2]الخليفةِ المعتمدِ[2] ، واشْتِغالِ أخيه أبى أحمدَ بقتالِ الزَّنْجِ .

وفيها اشْتَدَّ الحرُّ فى تِشْرِينَ الثانى جدًّا ، ثم قَوِى به البردُ حتى جَمَد الماءُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ أُورمَةَ[3] . **وصالِحُ** بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ ، قاضى

---

(١) الكامل ٧/ ٣٣٦، بنحوه .

(٢ - ٢) فى م : « منصب الخلافة » .

(٣) فى الأصل ، س : « أررمة » . وفى م ، ص : « أرومة » . وفى ظ : « أرزمة » . قال ابن حجر فى تبصير المنتبه ١/ ١٣: « إبراهيم بن أُرْمَةَ الأصبهانى الحافظ ، وقد تمد الضمة ، فيقال : أُورْمة . فلا يلبس ، ويجوز حينئذ فتح الراء وتسكينها » . وانظر ترجمته فى : طبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٦٣، وتاريخ بغداد =

أصْبهانَ[1] . **ومحمدُ** بنُ شُجاعٍ الثَّلْجِيُّ[2] ، أحدُ عُبّادِ الجَهْميَّةِ . **ومحمدُ** بنُ عبدِ الملكِ الدَّقيقيُّ[3] .

= ٦/ ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٤٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٥٩.

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٧٣، وذكر أخبار أصبهان ١/ ٣٤٨، وتاريخ دمشق ١٣/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٠٧، والعبر ٢/ ٣٠.

(٢) في النسخ: «البلخي». تصحيف، وانظر الأنساب ١/ ٥١٢، واللباب ١/ ١٩٦. وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٣٥٠، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٦٥، والوافي بالوفيات ٣/ ١٤٨.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٣٤٦، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٠٦، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٧٢.

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وستّينَ ومِائتينِ

[٨/ ٢٤١و] فيها[(١)] وجَّه أبو أحمدَ المُوَفَّقُ ولدَه أبا العباسِ فى نحْوٍ مِن عشَرةِ آلافِ فارسٍ وراجلٍ فى أحسَنِ هيئَةٍ، وأكملِ تجَمُّلٍ لقِتالِ الزَّنْجِ، فساروا نحْوَهم، فكانَ بينَهم مِن القتالِ والنِّزالِ فى أوْقاتٍ مُتَعدِّداتٍ ووَقَعاتٍ مشْهوراتٍ ما يطولُ بسطُه، وقد استقْصاه الإمامُ أبو جعفرٍ بنُ جريرٍ، رحِمه اللَّهُ فى «تاريخِه» مَبْسوطًا.

وحاصِلُ ذلك أنَّه آلَ الحالُ، [(٢)]وانتهَى الحربُ والجِلادُ والجِدالُ والنِّزالُ إلى[(٢)] أن اسْتَحوذَ أبو العبَّاسِ بنُ الموَفَّقِ على ما كان استولَى عليه الزَّنْجُ ببلادِ واسِطٍ وأراضِى دِجْلَةَ، هذا وهو شابٌّ حدَثٌ لا خِبْرَةَ له بالحربِ، ولكِنْ سلَّمه اللَّهُ وغَنَّمَه، وأعْلَى كلمتَه، وسدَّدَ رَمْيتَه، وأجابَ دعْوتَه، وفتَح على يدَيْه، وأسْبَغَ نِعمتَه عليه، وهذا الشابُّ هو الذى ولِىَ الخلافةَ بعدَ عمِّه المُعْتَمِدِ، [(٢)]ولُقِّب بالمعتضِدِ[(٢)] كما سيأتى.

ثم ركِب أبو أحمدَ المُوَفَّقُ ناصرُ دِينِ اللَّهِ مِن بغدادَ فى صفَرٍ مِن هذه السنةِ فى جُيوشٍ كثيفةٍ، فدخَل واسِطًا فى ربيعٍ الأوَّلِ منها، فتلَقَّاه ابنُه وأخْبرَه عنِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٥٥٧، والمنتظم ١٢/ ٢١١، والكامل ٧/ ٣٣٨.

(٢ - ٢) سقط من: م.

الجيوشِ الذينَ معه ، [(١) وما (١)] تحمَّلُوا مِن أعْباءِ الجهادِ ، فخلَع [(٢) عليه و (٢)] على الأمراءِ كلِّهم خِلَعًا سَنِيَّةً ، ثم سارَ بجميعِ الجُيوشِ إلى صاحبِ الزَّنجِ وهو بالمدينةِ التى أنْشأهـا ، وسمَّاهـا **المَنِيعَةَ** ، فقاتَلوا دُونَها قِتالًا عظيمًا فقَهَرهم ، ودخَلها عَنْوَةً وهرَبوا منها ، فبعَث فى آثارِهم جيْشًا فلَحِقوهم إلى البَطائحِ يقتُلونَ ويأسِرونَ ، وغنِمَ أبو أحمدَ مِن المدينةِ شيئًا كثيرًا ، واستنْقَذَ مِن النساءِ المسلماتِ خمسةَ آلافِ امرأةٍ ، وأمَر بإرْسالِهنَّ إلى أهالِيهنَّ بواسطٍ ، ثم أمَر بهَدْمِ سُورِ البلدِ وطمِّ خَندَقِها وجعَلها بَلْقَعًا بعدَما كانت للبَشَرِ [(٣)] مجْمَعًا ، [(٤) وعادَت يَبابًا بعد كونِها للخبيثِ جَنَابًا (٤)] .

ثم سارَ الموفَّقُ إلى المدينةِ التى [(٥)] يُقالُ لها : المَنْصُورَةُ . [(٦) مِن إنشاءِ الزَّنجِ أيضًا (٦)] وبها سلَيمانُ بنُ جامعٍ ، فحاصَرها وقاتلُوه دُونَها فقُتِل خلقٌ كثيرٌ مِن الفريقَين ، ورمَى أبو العباسِ بنُ الموفَّقِ أحمدَ بنَ مَهدىٍّ [(٧)] بسهمٍ فأصابَه فى دِماغِه فقتَله ، وكان مِن أكابرِ أمَراءِ صاحبِ الزَّنجِ ، فشَقَّ ذلك عليه جدًّا ، وأصبح الناسُ مُحاصِرينَ مدينةَ الزَّنْجِ ، وذلك يومَ السبتِ لثلاثٍ بَقِينَ مِن ربيعٍ الآخرِ والجُيوشُ المُوَفَّقيَّةُ مُرَتَّبَةٌ أحسنَ ترتيبٍ ، فتقدَّمَ الموفَّقُ فصلَّى أربعَ رَكَعاتٍ ، وابتَهَل إلى اللَّهِ فى الدعاءِ ، واجتَهد فى [٨/٢٤١ظ] حصارِها ، فهزَمَ اللَّهُ مُقاتِلَتَها ، وانْتَهى إلى

(١ - ١) فى م : « وأنهم نصحوا » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « للشر » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى م : « لصاحب الزنج التى » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى الأصل ، م ، ص ، ظ ، والكامل ٧/ ٣٤٦ : « هندى » ، وفى س : « هند » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٥٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٢ . وهو موافق لبعض نسخ الكامل .

خَنْدَقِها ؛ فإذا هو قد حُصِّنَ غايةَ التَّحصينِ ، وإذا هم قد جعَلوا حولَ البلدِ خمسةَ خنَادِقَ وخمسةَ أسوارٍ ، فجعَل كلَّما جاوزَ سُورًا قاتلُوه دونَ الآخرِ فيقهَرُهم ويجُوزُه إلى الذى يَلِيه ، حتى انْتهَى إلى البلدِ ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وهرَب بقيَّتُهم وأسَر مِن نساءِ الزَّنْجِ ومِن حلائِلِ سليمانَ بنِ جامعٍ وذويه نِساءً كثيرةً وصِبْيانًا ، واسْتَنقذَ مِن أيديهم مِن النساءِ المسلماتِ والصِّبْيانِ مِن أهلِ البصرةِ والكوفةِ [(١) وواسطٍ (١)] نحْوًا مِن عشَرَةِ آلافِ نسَمَةٍ فسيَّرَهم إلى أهالِيهم ، جزَاه اللَّهُ خيْرًا . ثم أمَر بهدمِ خنادقِها[(٢)] وأسْوارِها وردْمِ خنادقِها وأنهارِها ، وأقامَ بها سبعَةَ عشَرَ يومًا ، وبعَث فى آثارِ مَن انْهزمَ مِن الزَّنجِ ، فكان لا يُؤْتَى بأحَدٍ منهم إلَّا اسْتمالَه إلى الخيرِ[(٣)] برفقٍ ولِينٍ وصَفْحٍ ، و[(٤)] أضافَه إلى بعضِ الأمراءِ ، وكان مقصودُه رُجوعَهم إلى الحقِّ[(٥)] ، ثم ركِبَ إلى الأهْوازِ فأجْلاهم عنها ، وطردهم منها ، وقتَل خلْقًا كثيرًا مِن أشْرافِهم ؛ منهم أبو عيسى محمدُ بنُ إبراهيمَ البصرِىُّ ، وكان رئيسًا فيهم مطاعًا ، وغنِم شيئًا كثيرًا مِن أموالِهم ، وكتَب الموفَّقُ إلى صاحبِ الزَّنْجِ ، قبَّحه اللَّهُ ، كتابًا يدْعُوه إلى التوبَةِ [(٦) والإنابةِ ممَّا (٦)] ارْتكَبه مِن المآثِمِ والمَظالِمِ والمَحارِمِ ودَعْوى النبوةِ والرِّسالةِ وخَرابِ البُلدانِ واستِحلالِ الفُروجِ [(٧) والأموالِ (٧)] ، يَبذُلُ[(٨)] له الأمانَ إن هو رجَع إلى الحقِّ ، فلم يرُدَّ عليه صاحبُ الزَّنْجِ جوابًا .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) فى الأصل ، م : « فنادقها » .

(٣) فى م : « الحق » .

(٤) فى م : « فمن أجابه بعده » .

(٥) بعده فى م : « ومن لم يجبه قتله وحبسه » .

(٦ - ٦) فى م : « والرجوع عما » .

(٧ - ٧) فى م : « الحرام » .

(٨) فى م : « نبذ » .

ذكرُ مسيرِ أبى أحمدَ الموفَّقِ إلى المدينةِ التى فيها صاحبُ الزَّنْجِ، وهى المُخْتارَةُ؛ ليُحاصِرَها

لمّا كتَب أبو أحمدَ إلى صاحبِ الزَّنْجِ يدْعُوه إلى الحقِّ فلم يُجِبْه، استهانةً به، ركِب[1] فى جيوشٍ عظيمةٍ قريبٍ مِن خمسينَ ألفَ مُقاتلٍ قاصِدًا إلى [2]مدينتِه التى أنشأَها وسَمَّاها المختارةَ[2]، فلمَّا انْتَهى إليها وجَدها فى غايةِ الإحْكامِ، وقد حوَّط عليها مِن آلاتِ الحِصارِ شيئًا كثيرًا، وقد الْتَفَّ على صاحِبِ الزَّنْجِ نحوٌ مِن ثلاثِمائةِ ألفِ مُقاتلٍ بسَيْفٍ ورُمْحٍ ومِقْلاعٍ، ومَن يكثُرُ سَوادُهم، فقَدَّم الموفقُ ولَدَه أبا العبَّاسِ بينَ يدَيْه، فتقدَّم حتى وقَف تحتَ قصرِ الملكِ فحاصَرَه مُحاصَرةً لم يُرَ مثلُها، وتعجَّبَ الزَّنْجُ مِن إقْدامِه وجُرْأتِه، [3]مع صِغَرِ سنِّه، وحَداثةِ عمرِه[3] فتراكَمتِ الزَّنوجُ عليه مِن كلِّ مكانٍ، فهزَمهم، وأثبتَ بهبوذَ أكبرَ [٨/٢٤٢و] أمَرائِه بالسِّهامِ والحِجارَةِ، ثم خامرَتْ جماعةٌ مِن أمراءِ صاحبِ الزَّنجِ [3]وأجنادِه[3] إلى الموفَّقِ، فأكرَمهم وأعْطاهم خِلَعًا سَنِيَّةً، فرَغِبَ إلى ذلك جماعَةٌ كثيرُونَ فصارُوا إليه، ثم ركِب أبو أحمدَ الموفَّقُ فى يومِ النصفِ مِن شعبانَ، ونادَى فى الناسِ كلِّهم بالأمانِ إلا صاحبَ الزَّنْجِ، فتَحوَّلَ خلقٌ كثيرٌ مِن جيشِه إلى أبى أحمدَ، وللَّهِ الحمدُ.

وابْتنَى الموفَّقُ تجاهَ مدينةِ صاحبِ الزَّنْجِ مدينةً سمَّاها المُوَفَّقِيَّةَ، وأمَر بحَمْلِ الأمْتِعَةِ والتِّجاراتِ إليها، فاجتمَع بها مِن أنواعِ الأشياءِ وصُنُوفِها ما لم يجتمِعْ فى

---

(١) بعده فى م: «من فوره».

(٢ - ٢) فى م: «المختارة مدينة صاحب الزنج».

(٣ - ٣) سقط من: م.

بلدٍ قبلَها ، وعَظُمَ شأْنُها ، وامْتَلأَتْ مِن المَعايشِ والأرزاقِ وصُنوفِ التِّجاراتِ والسكانِ والدوابِّ وغيرِهم ، وإنَّما بناها ليَستعينَ بها على قتالِ صاحبِ الزِّنْجِ ، ثم جرَتْ بينَهم حروبٌ عظيمةٌ ، وما زالتِ الحربُ ناشِبَةً بينَهم حتى انْسلَخَتْ هذه السنةُ وهم مُحاصِرُون [1] البلدَ الخبيثَ ومَن فيه [1] ، وقد تحوَّلَ مِنهم خلقٌ كثيرٌ فصارُوا على صاحبِ الزِّنْجِ بعدَ أن كانُوا معه ، فبلَغ عدَدُهم قريبًا مِن خَمسينَ ألفًا من الأمراءِ الخَواصِّ والأجْنادِ ، والموفَّقُ وأصْحابُه - [2] وللَّه الحمدُ - كلُّ مالَهم [2] في زيادةٍ وقوةٍ ونصرٍ وظَفَرٍ .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنةِ هارونُ بنُ محمدِ [2] بنِ إسحاقَ بنِ موسى بنِ عيسى [2] الهاشِميُّ .

ومِمَّن توفِّي فيها من الأعْيانِ :

إسماعيلُ سَمُّويَه [3] . **وإسحاقُ** بنُ إبراهيمَ [4] شاذانُ . **وبحرُ** [5] بنُ نَصْرٍ الخَوْلَانيُّ . **وعباسٌ التَّرَقُفِيُّ** [6] . **ومحمدُ** بنُ حمَّادِ [7] بنِ بكرِ بنِ حمادٍ أبو بكرٍ

(١ - ١) في م : « للخبيث صاحب الزنج » .

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٢، ٣٣.

(٣) في الأصل ، ص : « بن سمويه » ، وفي م : « بن سيبويه » . وانظر ترجمته في : الجرح والتعديل ٢/ ١٨٠، وتاريخ دمشق ٨/ ٤٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٦٥.

(٤) بعده في الأصل ، م : « بن » . وانظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٢، والعبر ٢/ ٣٥، والوافي بالوفيات ٨/ ٣٩٤، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٢.

(٥) في النسخ : « يحيى » . وانظر ترجمته في : الجرح والتعديل ٢/ ٢١٩، وتهذيب الكمال ٤/ ١٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٠٢، والعبر ٢/ ٣٥، وطبقات الشافعية ٢/ ١١٠.

(٦) في س : « الرفقي » ، وفي ص ، ظ : « البرقي » . وانظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٣، وتاريخ دمشق ٢٦/ ٢٦٩، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١١٥ .

(٧) في الأصل : « خالد » . وانظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٢/ ٢٧٠، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٩١، =

المقرئُ صاحِبُ خلفِ بنِ هشامٍ البَزَّارِ، ببَغْدادَ فى ربيعِ الأولِ، **ومحمدُ** بنُ عُزَيزٍ الأَيْلىُّ[1]. **ويحيى** بنُ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْلىُّ حَيْكانُ[2]، **ويونسُ** بنُ حَبِيبٍ[3] راوِى «مُسْنَدِ أبى داودَ الطَّيَالِسِىِّ» عنه.

= والمنتظم ١٢/ ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٦٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٣.

(١) الثقات ٩/ ١٣٧، وتهذيب الكمال ٢٦/ ١١٣، وميزان الاعتدال ٣/ ٦٤٧، والعبر ٢/ ٣٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٧، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٩٨.

(٣) ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٠٩، والعبر ٢/ ٣٧، وغاية النهاية ٢/ ٤٠٦.

ثم دخلتْ سنةُ ثمانٍ وستّين ومائتين

فى المحرَّمِ منها[1] استأْمَن جعفرُ بنُ إبراهيمَ المعْروفُ بالسَّجَّانِ - وكان مِن أكابرِ أمراءِ صاحبِ الزَّنْجِ وثِقاتِهم فى أنفُسِهم - الموفَّقَ فأمَّنه وفرِحَ به وخلَعَ عليه، وأمَره فركِبَ فى سُمْرتِه فوقَف تُجاهَ قصْرِ الملكِ، فنادَى فى الناسِ وأعْلَمهم بكَذِبِ صاحبِ الزَّنْجِ وفُجورِه، وأنَّه فى غُرورٍ هو ومَنِ اتَّبعَه، فاسْتَأْمَن بسبَبِ ذلك بشَرٌ كثيرٌ منهم، وبرَدَ قِتالُ الزَّنْجِ عندَ ذلك إلى رَبيعٍ الآخرِ. فعندَ ذلك أمَر الموفَّقُ أصْحابَه بمُحاصرَةِ السُّورِ، وأمَرهم إذا نقَبُوا السُّورَ أن لا يدْخُلوا البلدَ حتى يأمُرَهم، فنقَبُوا السُّورَ حتى انْثلَم ثم عجَّلُوا الدخولَ فدَخلُوا، فقاتَلَهم الزَّنْجُ فهزَمَهم المسلمونَ وتقدَّموا إلى وسطِ المدينةِ، فجاءَتْهم الزَّنْجُ مِن كلِّ جانبٍ وخرَجتْ عليهم الكمائنُ مِن أماكِنَ لا يهْتدُونَ إليها، فقتَلُوا مِن المسلمينَ خلْقًا كثيرًا واسْتَلبُوهم، وفرَّ الباقونَ، فلامَهم أبو [٨/٢٤٢ظ] أحمدَ على مُخالفتِه مِن العَجَلَةِ، وأجْرَى الأرْزاقَ على ذُرِّيَّةِ مَن قُتِل منهم، فحسُنَ ذلك عندَ الناسِ جدًّا، وظفِر أبو العباسِ بنُ المُوَفَّقِ بجماعةٍ مِن الأعْرابِ وغيرِهم، كانوا يجْلِبونَ الطعامَ إلى الزَّنْجِ فقتَلهم، وظفِرَ ببَهْبُوذَ[2] بنِ عبدِ الوَهَّابِ فقتَله، وكان ذلك مِن أكبرِ الفَتْحِ عندَ المسلمينَ، وأعظمِ الرَّزايَا عندَ الزَّنْجِ، وللَّهِ الحمدُ.

وبعَثَ عمرُو بنُ اللَّيْثِ إلى أبى أحمدَ الموفَّقِ ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ وخمسينَ مَنًّا مِن مِسْكٍ، وخمسينَ مَنًّا مِن عَنْبَرٍ، ومائتى مَنٍّ مِن عُودٍ، وفِضَّةً بقيمةِ مائةِ[1]

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٦٠١، والمنتظم ١٢/ ٢١٩، والكامل ٧/ ٣٦٤.

(٢) فى الأصل، ص، ظ: «بيهنود». وبعده فى م: «بن عبد الله». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٦٠٩.

ألفٍ ، وثِيابًا مِن وَشْيٍ وغِلْمانًا كثيرةً جدًّا .

وفيها خرَج مَلِكُ الرومِ المعْروفُ بابنِ الصَّقْلَبِيَّةِ فحاصَر أهلَ مَلَطْيَةَ ، فأعانَهم أهلُ مَرْعَشَ ، ففَرَّ الخبيثُ خاسِئًا .

وغزَا الصائِفَةَ مِن ناحيةِ الثُّغورِ عامِلُ ابنِ طُولُونَ فقتَلَ مِن الرومِ سَبْعَةَ عشَرَ ألفًا .

وحجَّ بالناسِ فيها هارونُ بنُ محمدٍ الهاشمىُّ المتقدِّمُ .

وفيها قُتِل **أحمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ الخُجُسْتانىُّ[٢] .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

أحمَدُ بنُ سيّارٍ[٣] . **وأحمدُ** بنُ شَيْبانَ[٤] . **وأحمدُ** بنُ يُونُسَ الضَّبِّىُّ[٥] ، **وعِيسى** بنُ أحمدَ البَلْخِىُّ[٦] ، **ومحمدُ** بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ[٧] ، المصرِىُّ الفَقِيهُ المالِكِىُّ ، وقد صحِبَ الشافِعِىَّ وروَى عنه .

---

(١) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٦٠٦، والكامل ٧/ ٣٧١.

(٢) تاريخ الطبرى ٩/ ٦١٢، والكامل ٧/ ٣٧٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٥١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٤.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٨٧، وتهذيب الكمال ١/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٥، والعبر ٢/ ٣٧.

(٤) الجرح والتعديل ٢/ ٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٦، والعبر ٢/ ٣٨، وميزان الاعتدال ١/ ١٠٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٩.

(٥) الثقات لابن حبان ٨/ ٥١، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٢٣، وتاريخ دمشق ٦/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٥٨.

(٦) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٣، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٥٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٤٦.

(٧) وفيات الأعيان ٤/ ١٩٣، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٦٨، وطبقات الشافعية ٢/ ٦٧ للسبكى .

ثم دخلتْ سنةُ تسعٍ وسِتّيـنَ ومائتَيْـنِ[1]

فى هذه السنةِ اجْتَهد الموفَّقُ - وفَّقه اللَّهُ - فى تخْريبِ سورِ مدينةِ صاحبِ الزَّنْجِ ، فخرَّبَ منه شيئًا كثيرًا ، وتمكَّن الجيوشُ مِن العُبورِ إلى البلدِ ، ولكِنْ جاءَه فى أثْناءِ هذه الحالةِ سَهْمٌ فى صدْرِه مِن يَدِ رجلٍ رُومِيٍّ يقالُ له : قِرْطَاسٌ . فكادَ يقْتُلُه ، فاضْطَربَ الحالُ لذلك وهو يتَجلَّدُ ويحضُّ على القِتالِ مع ذلك . وأقامَ ببلَدِه المُوَفَّقِيَّةِ أيامًا يتَداوَى ، واضطَربَتِ الأحْوالُ ، وخافَ الناسُ جدًّا مِن صاحبِ الزَّنْجِ ، وأشارُوا على الموفَّقِ بالمَسيرِ إلى بَغْدادَ فلم يقبَلْ ، وقوِيت علَّتُه ثم مَنَّ اللَّهُ عليه بالعافيةِ فى شعبانَ ، ففرِحَ المسلمونَ بذلك فرحًا شديدًا ، فنهَضَ مُسْرِعًا إلى الحِصارِ ، فوجَد الخبيثَ قد رَمَّمَ كثيرًا ممَّا كان الموفَّقُ قد خرَّبَه وهدَمَه ، فأمَر بتَخْريبِه وما حولَه وما قَرُبَ منه ، ثم لازَم الحِصارَ وما انفكَّ حتى فتحَ المدينةَ الغربيَّةَ ، وخرَّبَ قُصورَ صاحبِ الزَّنْجِ ودُورَ أمَرائِه ، واستَلَب مِن أمْوالِهم شيئًا كثيرًا ، وغنِم ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كثرَةً ، وأسَرَ خلْقًا مِن نِساءِ الزَّنْجِ ، واستَنْقَذ مِن نِساءِ المسلمينَ وصِبْيانِهم خلْقًا كثيرًا ، فأمَر برَدِّهم إلى أهلِيهم مُكْرَمِينَ . وقد تحوَّلَ صاحِبُ الزَّنْجِ إلى الجانبِ الشرقيِّ وعمِل الجسورَ والقناطِرَ [٨/٢٤٣و] الحائلةَ بينَه وبينَ وُصولِ السُّمَيْرِيّاتِ[2] إليه ، فأمرَ الموفَّقُ بتَخْريبِها وقطْعِ الجُسورِ ، واسْتَمَرَّ الحِصارُ فى هذه السنَةِ وما برِحَ حتى تسلَّمَ الجانِبَ الشرقيَّ أيضًا واسْتَحوَذَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٦١٤، والمنتظم ١٢/ ٢٢، والكامل ٧/ ٣٧٤.

(٢) فى النسخ : « السمريات » ، والسميريات : ضرب من السفن . وانظر الكامل ٧/ ٣٩١.

على حَواصِلِه وأمْوالِه ، وفرَّ الخبيثُ [1]ذاهبًا وكرَّ[1] هارِبًا وترَكَ حَلائلَه وأوْلادَه وحَواصِلَه ، فأخَذَها الموفَّقُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وشَرْحُ ذلك كلِّه يطولُ جدًّا . وقد حرَّرَه مَبْسُوطًا ابنُ جَريرٍ[2] ولخَّصَه مبسوطًا ابنُ الأثيرِ[3] ، واخْتَصَره ابنُ كثيرٍ ، واللَّهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ وإليه المرْجِعُ والمآبُ .

ولمَّا رأَى الخليفةُ المُعْتَمِدُ أنَّ أخاه أبا أحمدَ قد اسْتَحوذَ على أمورِ الخلافَةِ وصارَ هو الحاكِمَ الآمِرَ الناهِيَ الذى إليه تُجْلَبُ الأمْوالُ ويُحمَلُ الخَرَاجُ ، وهو الذى يُوَلِّى ويعْزِلُ ، كتَب إلى أحمدَ بنِ طُولُونَ يشْكُو إليه ذلك ، فكتَب إليه ابنُ طولُونَ أن يتَحوَّلَ إلى عندِه ببلادِ مِصْرَ ووَعدَه النصْرَ والقيامَ معه ، فاسْتَغْنَم غَيْبَةَ أخيه الموفَّقِ وركِبَ فى جمادَى الأُولَى ومعه جماعةٌ مِن القُوَّادِ ، وقد أرْصَد له أحمدُ بنُ طُولُونَ جيشًا بالرَّقَّةِ يتَلَقَّونَه ، فلمَّا اجْتازَ الخليفةُ بإسْحاقَ بنِ كِنْداجَ نائبِ المَوْصِلِ وعامَّةِ الجزيرةِ اعْتَقَله عندَه عن المسيرِ إلى ابنِ طُولُونَ ، وقيَّد أعْيانَ الأُمَراءِ الذين معه ، وعاتَبَ الخليفةَ ولامَه على هذا الصَّنيعِ أشدَّ اللَّوْمِ ، ثم ألْزمَه العَوْدَ إلى سَامَرَّا ومَن معه مِن الأُمَراءِ ، فرجَعُوا إليها فى غايَةِ الذُّلِّ والإهانةِ .

ولمَّا بلَغ المَوَفَّقَ ذلك شكَرَ سَعْيَ إسْحاقَ ووَلَّاه جميعَ أعمالِ أحمدَ بنِ طُولُونَ إلى أقْصَى بلادِ إفْرِيقِيَّةَ ، وكتَب إلى أخيه أن يَلْعَنَ ابنَ طُولُونَ فى دارِ العامَّةِ ، فلم يُمْكِنِ المعتَمِدَ إلَّا إجابتُه إلى ذلك ، وهو كارِهٌ ، وكان ابنُ طُولُونَ قد قطَعَ ذِكْرَ المَوَفَّقِ فى الخُطَبِ وأسْقَطَ اسْمَه عنِ الطِّرازاتِ .

(١ - ١) فى م : « هاربًا غير آيب وخرج منها » .

(٢) تاريخ الطبرى ٩/٦١٤ - ٦٢٠.

(٣) الكامل ٧/ ٣٧٤.

وفيها[1] فى ذِى القَعْدَةِ وقَعتْ فِتْنَةٌ بمكَّةَ بينَ أصْحابِ الموفَّقِ وأصْحابِ ابنِ طُولُونَ ، فقُتِل مِن أصْحابِ ابنِ طُولُونَ مِائَتانِ وهرَب بقيَّتُهم ، واسْتَلَبَهم أصحابُ الموفَّقِ شيئًا كثيرًا .

وفيها قطعَتِ الأعْرابُ على الحَجِيجِ الطريقَ ، وأَخَذُوا منهم خمسَةَ آلافِ بعيرٍ بأحْمالِها .

وفيها تُوفِّى :

إبراهيمُ بنُ مُنْقِذٍ[2] الخَوْلانىُّ[3] ، **وأحمدُ** بنُ مُخالدٍ[4] مَوْلَى المعتصِمِ ، وكان مِن دُعاةِ المعتزِلَةِ ، أخَذَ الكلامَ عن جَعْفَرِ بنِ مبشِّرٍ[5] المُعتَزِلِىِّ . **وسُلَيمانُ** بنُ حَفْصٍ المعتزِلِىُّ[6] صاحبُ بِشْرٍ المرِيسِىِّ وأبى الهُذَيْلِ العَلَّافِ . **وعِيسى** بنُ الشيخِ ابنِ السليلِ[7] الشَّيْبانىُّ نائبُ أرْمِينِيَةَ ودِيارِ بَكْرٍ . **وأبو فَرْوَةَ** يزيدُ بنُ محمدٍ الرَّهاوِىُّ[8] ، أحَدُ الضُّعَفاءِ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٦٥٢، وفيه أن ذلك كان فى ذى الحجة وليس فى ذى القعدة ، وما ذكره المصنف موافق لما ذكره ابن الأثير فى الكامل ٧/ ٣٩٥.

(٢) فى س ، ظ : « سعيد » . وانظر ترجمته فى : الأنساب ٤/ ٣٠٨، والمنتظم ١٢/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٩ ولم يفرد له ترجمة ، والعبر ٢/ ٤٠.

(٣) فى النسخ : « الكنانى » . وانظر مصادر الترجمة السابقة .

(٤) فى الأصل ، ص ، م ، ظ : « خلاد » ، وفى س : « جلاد » . والمثبت من الكامل ٧/ ٣٩٨.

(٥) فى النسخ : « معشر » . والمثبت من الكامل ٧/ ٣٩٨.

(٦) الكامل لابن الأثير ٧/ ٣٩٨.

(٧) تاريخ دمشق ١٤/ ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٤٧، والعبر ٢/ ٤١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٥، .

(٨) الأنساب ٣/ ١٠٩، والجرح والتعديل ٩/ ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٩ ولم يفرد له ترجمة .

سنَةُ سبعِينَ ومائتَيْنِ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ

فيها[1] كان مَقْتَلُ صاحبِ الزَّنْجِ، قبَّحه اللَّهُ، وذلك أنَّ الموفَّقَ لمَّا فرَغ [٨/ ٢٤٣ظ] مِن شأْنِ مدينةِ صاحبِ الزَّنْجِ وهى المُخْتارَةُ، واحتاز ما كان بها مِن الأمْوالِ، وقتَل مَن كان بها مِن الرجالِ، وسَبَى مَن وجَدَ فيها مِن النِّساءِ والأطْفالِ، وقد هرَب صاحبُ الزَّنْجِ عن حَوْمَةِ الجِلادِ والنِّزالِ، وسارَ إلى بعضِ البلادِ طَرِيدًا شرِيدًا بشَرِّ حالٍ، عادَ المُوفَّقُ، وفَّقه اللَّهُ، إلى مدِينَتِه الموَفَّقِيَّةِ مُؤَيَّدًا منْصُورًا، وقَدِمَ عليه لُؤْلُؤَةُ غلامُ أحمدَ بنِ طُولُونَ مُنابِذًا لسيِّدِه سمِيعًا مُطِيعًا للمُوفَّقِ، فكان وُرودُه عليه فى ثالثِ المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ، فأكرَمه وعظَّمه وأعطاه وخلَع عليه وأحسَن إليه، وبعَثه طَلِيعَةً بينَ يدَيْه لقِتالِ صاحبِ الزَّنْجِ، وركِبَ الموفَّقُ فى الجيوشِ الكثيفةِ الهائلَةِ وراءَه، فقَصَدوا الخبيثَ وقد تحَصَّنَ ببَلْدَةٍ أُخْـرَى، فلم يزَلْ مُحاصِرًا له حتى أخْرَجَه مِنها ذَلِيلًا وهو صاغرٌ، واستَحْوَذ على ما كان بها مِن الأمْوالِ والمَغانِمِ، ثم بعَث السَّرايَا والجيوشَ وراءَه[2]، فأسَروا عامَّةَ مَن كان معه مِن خاصَّتِه وحُماتِه[3]؛ مِنهم سُلَيمانُ بنُ جامعٍ، فاسْتَبشَر الناسُ بأسْرِه وكبَّروا[4] فرحًا بالنَّصرِ والفَتْحِ، وحمَلَ المُوَفَّقُ بمَنْ معه حملةً واحدةً على أصْحابِ الخبيثِ فاسْتَحَرَّ فيهم القتْلُ، وما انْجَلَتِ الحربُ حتى جاءَ البشيرُ بقَتْلِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٦٥٤، والمنتظم ١٢/ ٢٢٨، والكامل ٧/ ٣٩٩.

(٢) فى م: «وراء حاجب الزنج».

(٣) فى الأصل: «جماعتهم»، وفى س، م: «جماعته». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٦٥٩.

(٤) بعده فى م: «اللَّه وحمدوه».

الخبيثِ صاحبِ الزَّنْجِ فى المعركةِ، وأُتِى برأسِه مع غلامِ لُؤْلُؤَةَ فتَى أحمدَ بنِ طُولُونَ، فلمَّا تحقَّقَ الموفَّقُ أنَّه رأسُه بعدَ شَهادَةِ الأمَراءِ الذين كانوا معه مِن أصْحابِه بذلك، خَرَّ ساجدًا للَّهِ، عزّ وجلَّ، ثم انْكَفَأ راجِعًا إلى الموفَّقِيَّةِ، ورأسُ الخبيثِ تُحْمَلُ بينَ يدَيْه، وسُلَيمانُ معه أسِيرٌ، فدخَلَ البلدَ وهو كذلك، وكان يومًا مَشْهُودًا، وفرِحَ المسلمونَ بذلك فى المشارقِ والمغاربِ، ثم جِىءَ بأنكلاىَ[1] وَلَدِ صاحبِ الزَّنْجِ، وأَبانِ بنِ علىٍّ المُهَلَّبِىِّ، مُسعِّرِ حرْبِهم، مأْسُورَيْنِ، ومعهما قريبٌ مِن خمسةِ آلافِ أسيرٍ، فتَمَّ السرورُ، وهرَبَ قِرْطاسٌ الذى رَمَى الموفَّقَ فى صَدْرِه بذلك السهمِ إلى رَامَهُرْمُزَ، فأُخِذَ وبُعِثَ به إلى الموفَّقِ فقتَلَه أبو العبَّاسِ ولدُ الموفَّقِ. واستأمَن مَن بَقِىَ مِن جيوشِ[2] الزَّنْجِ فأمَّنهم الموفَّقُ، ونادَى فى الناسِ بالأمانِ، وأن يرجِعَ كلُّ مَن كان أُخْرِجَ مِن دِيارِه بسبَبِ فتنةِ الزَّنجِ إلى أوطانِهم وبُلْدانِهم، ثم قدَّمَ ولدَه أبا العبَّاسِ بينَ يدَيْه إلى بغدادَ، ومعه رأسُ الخبيثِ يُحْمَلُ ليَراه [3]أهلُ بغدادَ[3] فدخَلها لِثِنْتَىْ عشْرَةَ ليلةً بقِيتْ مِن جُمادَى الأُولَى مِن [٨/٢٤٤و] هذه السنَةِ وكان يومًا مشهودًا ببغدادَ، وانْتَهتْ أيامُ صاحبِ الزَّنْجِ المُدَّعِى الكذَّابِ، قبَّحَه اللَّهُ.

وقد كان ظهورُه فى يومِ الأرْبعاءِ لأرْبَعٍ بَقِينَ مِن شهرِ رمضانَ سنةَ خمسٍ وخمسينَ ومائتيْنِ، وقُتِل يومَ السبتِ لليلتيْنِ خَلَتَا مِن صَفَرٍ سنَةَ سَبْعِينَ ومائتينِ. وكانت دوْلَتُه أرْبَعَ عشْرَةَ سنَةً وأرْبَعَةَ أَشهرٍ وسِتَّةَ أيامٍ، وللَّه الحمدُ والمِنَّةُ.

---

(١) فى النسخ: «بأنكلانى». والمثبت من تاريخ الطبرى ٩/ ٦٥٦، وانظر الكامل ٧/ ٤٠٤.

(٢) فى م: «أصحاب صاحب».

(٣ - ٣) فى م: «الناس».

وقد قيل فى انقضاءِ دولةِ الزَّنْجِ وما كان مِن النصرِ عليهم أشْعارٌ كثيرةٌ ؛ مِن ذلك قولُ يَحْيى بنِ محمدٍ الأسْلَمِىِّ[1] :

أَقولُ وقد جاءَ البَشِيرُ بوقْعَةٍ ... أعَزَّتْ مِنَ الإسْلامِ ما كان واهِيَا
جَزَى اللَّهُ خيرَ الناسِ للناسِ بعدَما ... أُبِيحَ حِمَاهُمْ خيرَ ما كان جازِيَا
تَفَرَّدَ - إذْ لم ينصُرِ اللَّهُ - ناصرٌ ... بتَجْديدِ دينٍ كان أصبَح بالِيَا
وتجديدِ[2] مُلكٍ قد وَهَى بعدَ عِزِّه ... وأخذِ بثاراتٍ تُبيرُ[3] الأعادِيَا
وردِّ عِماراتٍ أُزِيلَتْ وأُخْرِبَتْ ... ليرجِعَ فَىْءٌ قد تُخُرِّمَ وافِيَا
وترجِعَ أمصارٌ أُبِيحَتْ وأُحْرِقَتْ ... مِرارًا فقد أَمْسَتْ قَواءً عَوافِيَا
ويَشْفِى صُدورَ المسلمينَ بوقْعَةٍ ... يُقِرُّ بها مِنَّا العيونَ البَواكِيَا
ويُتلَى كتابُ اللَّهِ فى كلِّ مسجِدٍ ... ويُلْقَى دعاءُ الطالِبِيِّينَ خاسِيا
فأعرَضَ عن أحْبابِه ونعيمِه ... وعن لذَّةِ الدُّنيا وأصبَح عارِيَا

[4]وهِى قصيدةٌ طويلةٌ ، هذا طرفٌ منها[4] .

وفى هذه السنةِ أقبَلتِ الرومُ فى مائةِ ألفِ مقاتلٍ ، فنزَلوا قريبًا مِن طرَسوسَ ، فخرَج إليهم المسلمون فبيَّتوهم ، فقَتَلوا منهم فى ليلةٍ واحدةٍ حتى الصباحِ نحوًا مِن سبعين ألفًا مِن المقاتِلةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقُتِل المُقدِّمُ الذى عليهم وهو بِطْرِيقُ البَطارِقَةِ ، وجُرِح أكثرُ الباقين ، وغنِم

---

(١) تاريخ الطبرى ٩/ ٦٦٣، ٦٦٤، والكامل ٧/ ٤٠٥، ٤٠٦.
(٢) فى م ، وتاريخ الطبرى : « تشديد » . والمثبت موافق لما فى الكامل .
(٣) فى س : « تثير » ، وفى ص ، والكامل : « تبين » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

المسلمون منهم غنيمةً عظيمةً ؛ مِن ذلك سبعةُ صُلْبانٍ مِن ذهبٍ وفضَّةٍ ، وصَلِيبُهم الأعظمُ عندَهم ، وهو مِن ذهبٍ صامتٍ مُكَلَّلٍ بالجواهرِ ، وأربعةُ كَراسٍ مِن ذهَبٍ ، ومائتا كُرْسِيٍّ مِن فضَّةٍ ، وآنِيَةٌ كثيرةٌ[1] ، وعشَرَةُ آلافِ عَلَمٍ مِن دِيباجٍ ، وغنِموا حريرًا كثيرًا[2] وخمسةَ عشَرَ ألفَ دابَّةٍ وسُروجًا وسِلاحًا وسُيوفًا مُحَلَّاةً ، [3]وشيئًا كثيرًا جدًّا[3] وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ أولًا وآخِرًا .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ طولونَ[4] ، أبو العبَّاسِ أميرُ الديارِ المصريةِ ، وبانِى الجامعِ بها ، المنسوبِ إليه[5] ، وقد ملَك دمشقَ والعواصمَ والثُّغورَ مدةً طويلةً ، [٨/٢٤٤ظ] وقد كان أبوه طولونُ مِن الأتْراكِ الذين أهْدَاهم نوحُ بنُ أسَدٍ [6]بنِ سامانَ[6] السامانىُّ ، عاملُ بُخارَا إلى المأمونِ فى سنةِ مائتين ، ويقالُ[7] : إلى الرشيدِ فى سنةِ تسعين ومائةٍ .

وُلِد أحمدُ هذا فى سنةِ أربعَ عشْرَةَ ، [6]وقيل[8] : فى سنةِ عشرين[6] ومائتين .

---

(١) بعده فى الأصل ، س ، ص ، ظ : « من فضة » . وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٦٦٦.

(٢) بعده فى م : « وأموالًا جزيلة » .

(٣ - ٣) فى م : « وغير ذلك » .

(٤) الولاة والقضاة للكندى ص ٢١٢، والمنتظم ١٢/ ٢٣٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٦ .

(٥) بعده فى م : « وإنما بناه أحمد ابنه » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٥.

(٨) وفيات الأعيان ١/ ١٧٤.

ومات أبوه طُولونُ فى سنةِ ثلاثين، وقيل[1]: فى سنةِ أربعين ومائتين.

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[2] أنَّه لم يكُنْ ابنَه[3] وإنَّما تَبنَّاه. واللَّهُ أعلمُ.

وحكَى ابنُ عساكرَ[4] أنَّه مِن جاريةٍ تركيَّةٍ اسمُها هاشِمُ.

ونشَأ أحمدُ هذا فى صيانةٍ وعفافٍ ودراسةٍ للقرآنِ العظيمِ، مع حُسْنِ الصوتِ، وكان يعِيبُ على أولادِ التركِ ما يرتَكِبُونه مِن المحرَّماتِ والأشياءِ[5] المُنْكَراتِ، وكانتْ أمُّه جارِيةً اسمُها هاشمُ.

وحكَى الحافظُ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[6] عن بعضِ مشايخِ مصرَ أنَّ طولونَ لم يكُنْ أباه، وإنَّما كان قد تبنَّاه، [7]وأنَّه كان ظاهرَ النَّجابةِ[7] مِن صِغَرِه، وأنَّه اتَّفِق أن بعَثَه طولونُ فى حاجةٍ ليأتِيَه بها مِن قصرِ[8] الإمارةِ، فذَهَب، فإذا حَظِيَّةٌ مِن حَظَايا أبيه مع بعضِ الخدَمِ فى[9] فاحشةٍ، فأخَذ حاجتَه التى أمَره بها، وكَرَّ راجعًا إليه سريعًا، ولم يخبِرْه بشىءٍ مِمَّا رأَى مِن ذلك[10]، فتوَهَّمتِ الحظِيَّةُ أنْ يكونَ أحمدُ قد أخبَر طُولُونَ بما رأَى، فجاءَتْ إلى طولونَ فقالتْ: إنَّ أحمدَ

---

(١) ووفيات الأعيان ١/ ١٧٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٧٤.

(٣) فى س، م، ص، ظ: «أباه».

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٥.

(٥) سقط من: م.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٢.

(٧ - ٧) فى م: «لديانته وحسن صوته بالقرآن وظهور نجابته وصيانته».

(٨) بعده فى الأصل، ص: «دار»، وسقط من: م.

(٩) فى م: «وهما على».

(١٠) فى م: «الحظية والخادم».

جاءنى الآنَ إلى المكانِ الفُلانىِّ وراوَدنى عن نفْسِى، وانصرَفَتْ إلى قصرِها، فوقَع فى نفْسِه صِدْقُها، فاسْتَدْعَى أحمدَ، وكتَب معه كتابًا، وختَمه إلى بعْضِ الأمراءِ، (١أنْ إذا وصَل إليك١) حاملُ هذا الكتابِ فاضرِبْ عُنُقَه، وابعَثْ برأسِه سرِيعًا إلىَّ. فذَهَب أحمدُ(٢) وهو لا يدرِى ما فى الكتابِ، فاجتاز فى طريقِه بقصرِ تلك الحَظِيَّةِ، فاستَدْعَتْه إليها، فقال: إنِّى مشغولٌ بهذا الكتابِ لأُوصِلَه إلى فلانٍ(٣). فقالتْ: هَلُمَّ، فلِى إليك حاجَةٌ - وأرادَتْ أنْ تحبِسَه عندَها؛ ليكتُبَ لها كتابًا، (٤لتُحقِّقَ فى ذِهْنِ المَلِكِ ما ذكَرتْه مِن أمرِه، وأرسَلتْ بذلك الكتابِ مع٤) الخادمِ الذى (٥كانت هى وإيَّاه٥) على الفاحشةِ، (٦وجلَس أحمدُ يكتُبُ لها الكتابَ، وذهَب ذلك الخادمُ إلى ذلك الأميرِ بالكتابِ٦)، فلمَّا قرَأه أمَر بضَرْبِ عُنُقِه، وأرْسَل برأسِه إلى الملكِ طُولُونَ، فتعجَّب الملكُ وقال: أين أحمدُ؟ فطُلِب له، فقال: وَيْحَك، أخبِرْنى كيف صنَعْتَ منذُ خرَجتَ مِن بينِ يدَىَّ؟ فأخْبَره بما جرَى من الأمْرِ، ولمَّا سمِعَتْ تلك الحَظِيَّةُ بأنَّ رأسَ الخادمِ قد أُتِى به إلى الملكِ (٧سُقِط فى يدَيْها٧)، وتوهَّمت أنَّ المِلِكَ قد تَحقَّق الحالَ، فقامَتْ إليه [٨/٢٤٥و]

(١ - ١) فى م: «ولم يواجه أحمد بشىء مما قالت الجارية وكان فى الكتاب أن ساعة وصول».

(٢) فى م: «بالكتاب من عند طولون».

(٣) فى م: «بعض الأمراء».

(٤ - ٤) فى م: «ثم استوهبت من أحمد الكتاب الذى أمره طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير فدفعه إليها فأرسلت به ذلك».

(٥ - ٥) فى م: «وجده معها».

(٦ - ٦) فى م: «وظنت أن به جائزة تريد أن تخص بها الخادم المذكور فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير».

(٧ - ٧) سقط فى يده: مثل يضرب لمن ندم. مجمع الأمثال ٢/ ١٠٢.

تعتذرُ وتَسْتَغفِرُ ممَّا وقَع منها مع الخادمِ، واعْتَرفَتْ بالحقِّ وبرَّأتْ ساحةَ أحمدَ[1]، فحظِى عندَه، وأوْصَى له بالمُلْكِ مِن بعدِه.

ثم وَلِى نِيابةَ الديارِ المصريَّةِ للمُعْتَزِّ، فدَخلها يومَ الأربعاءِ لسَبْعٍ بَقِين مِن رمضانَ سنةَ أربعٍ وخمسين ومائتين، فأحْسَن إلى أهلِها إحسانًا كثيرًا، وأنْفَق فيهم مِن بيتِ المالِ ومِن صَدقاتِه، واسْتَغلَّ الديارَ المصريةَ فى بعْضِ السنينَ أربعةَ آلافِ ألفِ دِينارٍ، وبنَى بها الجامِعَ، وغرِم عليه مائةَ ألفِ دِينارٍ وعشرين ألفَ دينارٍ، وكان فراغُه فى سنةِ تسعٍ وخمسين، وقيل[2]: فى سنةِ ستٍّ وستين. وكانت له مائدةٌ فى كلِّ يومٍ يحضُرُها الخاصُّ والعامُّ، وكان يتصدَّقُ فى كلِّ شهرٍ مِن خالصِ مالِه بألفِ دينارٍ. وقال له وكيلُه يومًا[3]: إنَّه تأْتِينى المرأةُ وعليها الإزارُ وبِذْلةٌ وهيئةٌ فتسْألُنى أفأُعْطِيها؟ فقال: مَن مدَّ يدَه إليك فأعْطِه.

وكان مِن أحْفظِ الناسِ لتلاوةِ القرآنِ، ومِن أطْيَبِهم صوتًا به.

وقد قيل - فيما حكَاه ابنُ خَلِّكانَ[2]: إنَّه قتَل صَبْرًا نحوًا مِن ثمانيةَ عشَرَ ألفَ نفْسٍ. واللَّهُ أعلمُ. وبنَى البيمارستانَ[4]، فغرِم عليه ستين ألفَ دينارٍ، وعلى الميدانِ مائةً وخمسين ألفًا، وكان له صَدقاتٌ كثيرةٌ جدًّا، وإحْسانٌ زائدٌ، ثم مَلَك دمشقَ بعدَ أميرِها أماجورَ فى سنةِ أربعٍ وستين ومائتين، فأحْسَن إليهم أيضًا.

---

(١) بعده فى م: «مما نسبته إليه».

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٧٣.

(٣) المصدر السابق، بنحوه.

(٤) فى م: «المارستان». والبيمارستان: كلمة فارسية مركبة من «بيمار» بمعنى مريض، و«ستان» بمعنى مكان. المعرب للجواليقى ٣٦٠.

واتُّفِق أنَّه وقَع بها حريقٌ عندَ كنيسةِ مريمَ ، فنَهَض بنَفْسِه إليه ومعه أبو زُرْعَةَ عبدُ الرحمنِ بنُ عمرٍو الحافظُ الدِّمَشقيُّ ، وكاتِبُه أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ محمدٍ الواسِطِيُّ ، ثم أمَر كاتِبَه أنْ يُخْرِجَ مِن مالِ الأميرِ سبعين ألفَ دِينارٍ تُصرَفُ إلى أهلِ الدُّورِ والأموالِ التى أُحرِقتْ ، فصُرِف إليهم جميعُ قيمَةِ ما ذكَرُوه ، وبَقِى أربعةَ عشَرَ ألفَ دِينارٍ[1] ، فأمَر بها أنْ تُوزَّعَ عليهم على قَدْرِ حِصَصِهم ، ثم أمَر بمالٍ عظيمٍ يُفَرَّقُ على فقراءِ دمشقَ وغُوطَتِها[2] ، فأقَلُّ ما حصَل للفقيرِ دينارٌ ، رحِمه اللَّهُ .

ثم خرَج إلى أنْطَاكِيَةَ ، فحاصَر بها صاحِبَها سيما حتى قتَله ، وتسلَّم البلدَ - كما ذكَرنا [3]ذلك فيما تقدَّم[4] - ثم كانت وفاتُه[3] بمصرَ فى أوائلِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ مِن عِلَّةٍ أصابَتْه مِن أكْلِ لبنِ الجَواميسِ[5] ، فأصابَه[6] ذَرَبٌ[7] ، فدَاواه الأطباءُ[8] ، فلم يَقْبَلْ منهم ، فكان يأكُلُ منه فى الخُفْيَةِ ، فماتَ . رحِمه اللَّهُ .

وقد ترَك مِن الأمْوالِ والأثاثِ والدوابِّ شيئًا كثيرًا جدًّا ؛ مِن ذلك عشَرَةُ آلافِ ألفِ دِينارٍ[9] ، وكان له ثلاثةٌ وثلاثون ولدًا ؛ منهم سبعةَ عشَرَ ذكَرًا ، فقام

---

(١) بعده فى م : « فاضلة عن ذلك » .

(٢) غوطة دمشق : هى إحدى جنان الأرض بدمشق قل أن يكون بها مزارع ، وهى بالإجماع أنزه بلاد اللَّه وأحسنها منظرا . معجم البلدان ٣/ ٨٢٥.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) تقدم فى صفحة ٥٦٥ .

(٥) بعده فى م : « كان يحبه » .

(٦) بعده فى م : « بسببه » .

(٧) فى الأصل ، م ، ص ، ظ : « درب » ، وذرب : بالتحريك ، داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه . الوسيط (ذ ر ب) .

(٨) بعده فى م : « وأمروه أن يحتمى منه » .

(٩) بعده فى م : « ومن الفضة شيئا كثيرا » .

بالأمْرِ مِن بعدَه ولدُه خُمارَوَيهِ ، وسيأْتى ما كان من أمْرِه .

وكان له مِن الغِلْمانِ [1]أربعةٌ وعشرون ألفَ [٨/٢٤٥ظ] غلامٍ ، ومِن الموالى[1] سبعةُ آلافِ مَوْلًى ، ومِن البِغالِ والخيلِ والجِمالِ [2]شىءٌ كثيرٌ جدًّا[2] .

قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : وإنَّما تغلَّب على البلادِ لاشتِغالِ الموفَّقِ طلحةَ بنِ المتوكِّلِ عنه بحربِ صاحبِ الزَّنْجِ ، وقد كان الموَفَّقُ نائبَ أخيه المُعْتَمِدِ [4]على اللَّهِ - وهو والدُ المعتضِدِ[5] - رحِمهم اللَّهُ[4] .

وأحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الكَريمِ بنِ سهلٍ الكاتبُ[6] ، صاحِبُ كتابِ « الخَراجِ » ، قاله ابنُ خَلِّكان[7] . **وأحمدُ بنُ** عبدِ اللَّهِ بنِ البَرْقىِّ[8] . **وأَسِيدُ** بنُ عاصِمٍ الجمَّالُ[9] . **وبَكَّارُ** بنُ قُتَيْبَةَ المِصْرِىُّ[10] فى ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ .

(١ - ١) سقط من : م ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٤.

(٢ - ٢) فى م : « نحو سبعين ألف دابة وقيل أكثر من ذلك » .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٧٣.

(٤ - ٤) سقط من : م ، وانظر وفيات الأعيان ١/ ١٧٣.

(٥) فى الأصل : « المعتمد » . وانظر المصدر السابق .

(٦) الفهرست ص ١٩٤، ومعجم الأدباء ٤/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ١/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٥٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٩٠.

(٧) وفيات الأعيان ١/ ١٠١.

(٨) الجرح والتعديل ٢/ ٦١، والمنتظم ١٢/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦٠ - ٢٨٠هـ) ص ٥٢، والوافى بالوفيات ٧/ ٨٠.

(٩) الجرح والتعديل ٢/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١- ٢٨٠هـ) ص ٦٨، والعبر ٢/ ٤٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٢٦١.

(١٠) الثقات ٨/ ١٥٢، والولاة والقضاة للكندى ص ٥٠٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٧٠، والعبر ٢/ ٤٤.

والحسنُ بنُ زيدٍ العَلَوىُّ[1] صاحبُ طَبَرِسْتانَ فى رجبٍ مِن هذه السنةِ، وكانت ولايتُه تسعَ عشْرَةَ سنةً وثمانيةَ أشهرٍ وستةَ أيامٍ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه أخوه محمدُ بنُ زيدٍ، وكان الحسَنُ بنُ زيدٍ كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا[2] يعرِفُ الفِقْهَ والعربيةَ، قال له شاعِرٌ فى جملةِ قصيدةٍ مدَحه بها[3]:

* اللَّهُ فَرْدٌ وابنُ زيدٍ فَرْدُ *

فقال له: [4]وَيْلَك، لا تقلْ[4]، هلَّا قلتَ:

* اللَّهُ فَرْدٌ وابنُ زيدٍ عبدُ *

ثم نزَل عن سريرِه، وخَرَّ ساجدًا للَّهِ، عزَّ وجلَّ، وألْصَق خدَّه بالترابِ، ولم يُعْطِ ذلك الشاعَر شيئًا.

وامْتَدَحه بعضُهم فقال فى أولِ قصيدتِه[5]:

لا تَقُلْ بُشْرَى ولكن بُشْرَيانِ ... عِزَّةُ الدَّاعى ويومُ المِهرجانِ

فقال له الحسنُ بنُ زيدٍ: لو ابتَدَأتَ بالمِصْراعِ الثانى لكان أحْسَنَ، وأبعدَ لك أنْ تبتَدئَ شعْرَكَ بحرفِ «لا». فقال له الشاعرُ: ليس فى الدنيا كلمةٌ أجلُّ مِن قولِ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. فقال: أصَبْتَ. وأمَر له بجائزةٍ سَنِيَّةٍ.

---

(١) الفهرست ص ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٧٧، والعبر ٢/ ١٩، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٠.

(٢) سقط من: م.

(٣) الكامل ٧/ ٤٠٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «هذا لا يلب»، وفى م: «اسكت سد اللَّه فاك»، وفى ص: «بفيك إلا ثلب»، وفى ظ: «لا يفبل إلا ثلث».

(٥) الكامل ٧/ ٤٠٨.

والحسَنُ بنُ عليِّ بنِ عَفَّانَ العامِرِيُّ[1] .

وداودُ بنُ عليٍّ[2] الأصبهانيُّ ثم البَغْدادِيُّ الفقيهُ الظاهِرِيُّ ، إمامُ أهلِ الظَّاهِرِ ، روَى عن أبى ثَوْرٍ ، وإبْراهيمَ بنِ خالدٍ ، وإسْحاقَ بنِ رَاهَوَيْهِ ، وسليمانَ ابنِ حربٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ سَلَمةَ القَعْنَبِيِّ ، ومُسَدَّدِ بنِ مُسَرْهَدٍ[3] ، وغيرِ واحدٍ ، وروَى عنه ابنُه الفَقِيهُ أبو بكرِ بنُ داودَ ، وزكريا بنُ يحيى السَّاجِيُّ .

قال الخطيبُ[4] : كان فَقيهًا زاهدًا وفى كتُبِه حديثٌ كثيرٌ ، [5]والروايةُ عنه عزيزةٌ جدًّا ، و[5]كانت وفاتُه ببغدادَ فى هذه السنةِ ، وكان مولِدُه فى سنةِ مائتين ، [6]وقيل[7] : فى سنةِ ثنتَين[8] ومائتين[6] . وذكَر الشيخُ أبو إسحاقَ الشيرازيُّ[9] فى « طَبقاتِه » أنَّ أصلَه مِن أصْبهانَ ، ووُلِد بالكوفةِ ، ونشَأ[10] ببغدادَ وأنَّه انتَهتْ إليه رِياسةُ العلمِ بها ، وكان يحضُرُ مجْلِسَه أربعُمائةِ صاحبٍ[11]

---

(١) الثقات ٨/ ١٨١، وتهذيب الكمال ٦/ ٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤، والعبر ٢/ ٤٤، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٢٢.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩، وطبقات الفقهاء ص ٩٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٩٠.

(٣) فى الأصل : « مسهر » ، وفى س ، ص ، م : « سرهد » ، وفى ظ : « شرهد » ، والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٨. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٤٣.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٥ - ٥) فى م : « دال على غزارة علمه » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٥.

(٨) فى الأصل ، ص : « ثلاثين » .

(٩) فى م : « السيرامى » . وانظر طبقات الفقهاء ص ٩٢.

(١٠) فى الأصل ، ص : « منشأه » .

(١١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر ترجمته .

طَيْلَسَانٍ أخْضَرَ، وكان مِن المُتَعصِّبين للشافعيِّ، وصنَّف مناقبَه.

وقال غيرُه[1]: كان حسَنَ الصلاةِ[2] والتَّواضُعِ.

وقد قال [٨/٢٤٦و] الأَزْدِيُّ[3]: تُرِك حديثُه. ولم يُتابَعِ الأزْدِيُّ على ذلك.

لكن رُوِى عن الإمامِ أحمدَ أنَّه تكلَّم فيه بسببِ كلامِه فى القرآنِ، وأنَّ لفْظَه به مخْلوقٌ، كما نُسِب إلى الإمامِ البُخارِيِّ، رحِمه اللَّهُ. قلتُ: وقد كان مِن الفقهاءِ المشْهُورِين، ولكِنْ حصَر نفْسَه بنَفيِهِ القياسَ الصحيحَ، فضاقَ بذلك ذَرْعُه فى أماكِنَ كثيرةٍ من الفِقْهِ، فلَزِمه القولُ بأشْياءَ قَطْعِيَّةٍ صار إليها بسببِ اتِّباعِه الظاهِرَ المُجرَّدَ مِن غيرِ تفَهُّمٍ لمعْنَى النَّصِّ.

وقدِ اخْتَلف الفُقهاءُ القِياسِيونَ بعدَه فى الاعْتِدادِ بخِلافِه، وأنَّه هل ينْعَقِدُ الإجْماعُ بدونِه مع خلافِه أم لا؟ على أقْوالٍ ليس هذا موْضِعَ بَسْطِها.

وممن تُوفِّى فيها:

الرَّبيعُ بنُ سُليمانَ المُرَادِيُّ[4] صاحِبُ الشافِعيِّ وقد تَرْجَمْناه فى «طبَقاتِ الشافعِيَّةِ». **والقاضى بَكَّارُ بنُ قُتَيْبَةَ**[5] الحاكمُ بالديارِ المصريةِ مِن سنَةِ سِتٍّ

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧١، بنحوه.

(٢) بعده فى م: «كثير الخشوع فيها».

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ١٤.

(٤) طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٩٨، وتهذيب الكمال ٩/ ٨٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٩٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٦، والوافى بالوفيات ١٤/ ٨١، وطبقات الشافعية ٢/ ١٣٢. وقد تقدم ذكره فى ١٠/ ١٦٢، مطبوع فى وفيات سنة ١٧٠.

(٥) تقدم فى صفحة ٥٩٢.

وأرْبَعِينَ ومِائتَيْنِ إلى أنْ تُوفِّىَ مسْجونًا فى حبسِ أحمدَ بنِ طُولُونَ ؛ لكَوْنِه لم يَخْلَعِ المُوَفَّقَ فى سنَةِ سَبْعِينَ ، وكان عالِمًا عابِدًا زاهدًا كثيرَ التِّلاوَةِ والمُحاسبَةِ لنفْسِه ، وقد شغرَ منْصِبُ القَضاءِ بعدَه بمِصْرَ ثلاثَ سنِينَ [1] وقد بسَط ابن خَلِّكانَ ترجمتَه فى الوفياتِ [2] [1] .

ابنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِىُّ [3] عبدُ اللَّهِ بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِىُّ قاضِيها ، النحوىُّ اللغوىُّ صاحبُ المُصَنَّفاتِ البديعةِ المُفيدَةِ المُحْتَوِيَةِ على علُومٍ جَمَّةٍ نافِعَةٍ ، اشتغَل ببَغْدادَ ، وسمِعَ بها الحديثَ على إسْحاقَ بنِ راهَوَيْهِ ، وطبَقَتِه ، وأخَذ اللغةَ عن أبى حاتمٍ السِّجِسْتانِىِّ وذَوِيهِ ، وصنَّفَ وجمَع وألَّفَ الكتبَ [4] الكثيرةَ ؛ فمِن ذلك كتابُ « المعارِفِ » ، و « أدبِ الكاتبِ » الذى شرَحه أبو محمدِ بنُ السِّيدِ البَطْلَيوسِىُّ ، وكتابُ « مُشْكِلِ القرآنِ والحديثِ » ، و« غريبِ القُرآنِ والحديثِ » ، « وعُيونِ الأخْبارِ » ، و « إصْلاحِ الغَلَطِ » ، وكتابُ « الخَيْلِ » [5] ، وكتابُ « الأَنْواءِ » [6] ، وكتابُ « المسائلِ [7] والجَواباتِ » ، وكتابُ « المَيْسِرِ والقداحِ » ، وغيرُ ذلك . وكانت وفاتُه فى هذه السنَةِ ، وقيلَ : فى التى بعدَها . ومولدُه فى سنَةِ ثَلاثَ عشْرَةَ ومائتينِ ، ولم يجاوِزِ السِّتِّين ، وروَى عنه ولَدُه أحمدُ جميعَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٣، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٨١.

(٤) فى م : « المؤلفات » .

(٥) فى الأصل، ص : « الحيل » . والمثبت موافق لما فى المعارف ص ٥١، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٢.

(٦) فى الأصل : « الأموى » ، وفى س : « الأنوا ، وفى م ، ص ، ظ : « الأنوار » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨. وانظر المعارف ص ٥١.

(٧) فى م : « المسلسل » .

مُصَنَّفاتِه . وقد وَلِى [1] ولدُه أحمدُ [1] قضاءَ مِصْرَ سنَةَ إحْدَى وعِشْرِينَ وثلاثِمائةٍ . وتُوفِّى بها بعدَ سنَةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

ومحمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ جعفرٍ الصاغانىُّ [2] . **ومحمدُ** بنُ مسلمِ [3] بنِ وَارَةَ . **ومَصعبُ** بنُ أحمدَ أبو أحمدَ الصُّوفىُّ [4] وكان مِن أقْرانِ الجُنَيْدِ .

وفيها تُوفِّى ملكُ الرومِ ابنُ الصَّقلَبيَّةِ ، لعنَه اللَّهُ .

وفيها ابْتَدَأ إسْماعيلُ [٨/٢٤٦ظ] بنُ مُوسَى ببِنَاءِ مدينةِ لارِدَةَ [5] مِن بلادِ الأنْدَلُسِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، م : « الصفار » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١/ ٢٤٠، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٥٧، والوافى بالوفيات ٢/ ١٩٥.

(٣) فى م : « أسلم » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/ ٢٥٦، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٠٢٧ (مخطوط) . تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٧٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٧.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٦، وتاريخ بغداد ١٣/ ١١٤، والمنتظم ١٢/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٩١.

(٥) لاردة : مدينة مشهورة بالأندلس شرقى قرطبة . معجم البلدان ٤/ ٣٤١.

ثم دخلتْ سنَةُ إحْدَى وسبعِين ومائتَين

فيها[1] عزَل الخليفةُ عمرَو بنَ اللَّيْثِ عن وِلايَةِ خُراسانَ، وأمَر بلعنِه على المنابرِ، وفوَّض أمرَ خُراسانَ إلى محمدِ بنِ طاهرٍ، وبعَث جيشًا إلى عمرِو بنِ اللَّيْثِ فهُزِم عمرٌو.

وفيها كانت وْقعةٌ بينَ أبى العبَّاسِ المُعتضِدِ بنِ المُوَفَّقِ أبى أحمدَ وبينَ خُمارَوَيْهِ بنِ أحمدَ بنِ طولونَ؛ وذلك أنَّ خُمارَوَيْهِ لمّا ملَك بعدَ أبيه بلادَ مصرَ والشامِ جاءَه جيشٌ مِن جِهَةِ الخليفةِ، عليهم إسْحاقُ بنُ كِنْداجَ[2] نائبُ الجزيرةِ وابنُ أبى الساجِ فقاتلُوه بأرْضِ شَيْزَرَ[3]، فامْتنَع مِن تَسليمِ الشامِ إليهم، فاستنجَدوا بأبى العبَّاسِ بنِ المُوَفَّقِ، فقدِمَ إليهم فكسَر جيشَ خُمارَوَيْهِ بنِ أحمدَ، وتسلَّمَ دِمَشْقَ، واحْتازها، ثم سارَ نحوَ خُمارَوَيْهِ إلى بلادِ الرَّملةِ عندَ ماءٍ عليه طَواحِينُ، فاقتتَلوا هنالك، فبذلك تُسَمَّى هذه وَقْعَةَ الطَّواحينِ، ثم كانت النَّوبةُ أوَّلًا لأبى العبّاسِ علَى خُمارَويهِ، فهزَمه حتى هرَب خُمارويهِ، لا يلوِى على شىءٍ، فلم يرجِعْ حتى دخَلَ الديارَ المصريةَ، فأقبلَ أبو العبّاسِ وأصحابُه على نَهبِ مُعسكرِهم، فبينَما هم كذلك إذ أقبَل كمينٌ لجيشِ خُمارَوَيْهِ وهم مشغولون بالغنيمةِ فوَضَعتِ المصريون فيهم السيوفَ، فقُتِل خلقٌ كثيرٌ، وانْهزَمَ

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٧، والمنتظم ١٢/ ٢٤٣، والكامل ٧/ ٤١٣.

(٢) فى الأصل، س، ص، ظ: «كنداجيق». وكذا فى الكامل، وفى بعض نسخه: «كنداج». وانظر تاريخ الطبرى ٩/ ٦٢٠.

(٣) فى الأصل: «شرر»، وفى م: «ويثرز»، وشيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام معجم البلدان ٣/ ٣٥٣.

الجيشُ ، وهرَبَ أبو العبّاسِ المُعتضِدُ ، فلم يرجِعْ حتى وصَل إلى دِمشقَ ، فلم يفتَحْ له أهلُها بابَها ، فانصرَف حتى وصَل إلى طَرَسوسَ ، وبقِى الجيشانِ المصرىُّ والعراقىُّ يقتتِلان ، وليسَ فى واحدٍ منهما أميرٌ . ثم كان الظَّفَرُ للمصريِّين ؛ لأنَّهم أقاموا أبا العشائرِ أخا خُمارَوَيْهِ عليهم أميرًا ، فغَلَبوا بسبَبِ ذلك ، واستقرَّت أيدِيهم على دِمشقَ وسائرِ الشامِ ، وهذه مِن أعْجَبِ الوَقَعاتِ .

وفيها جرَت حروبٌ كثيرةٌ بأرضِ الأندَلُسِ مِن بلادِ المغرِبِ .

وفيها دخَل إلى المدينةِ النبويَّةِ محمدٌ وعلىٌّ ابنا الحسينِ بنِ جعفَرِ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ بن الحُسَيْنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فقتَلا خلقًا كثيرًا مِن أهلِها ، وأخَذا أموالًا جزيلةً ، وتعطَّلتِ الصلَواتُ فى المسجِدِ النبوىِّ أربعَ جُمَعٍ لم يحضُرِ الناسُ فيها جُمُعَةً ولا جَماعَةً ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون .

وجرَت بمكَّةَ فِتنةٌ أخْرى واقْتَتلَ الناسُ على بابِ المسجدِ الحرامِ أيضًا .

وحجَّ بالناس فى هذه السنةِ هارونُ بنُ (١محمدِ بنِ إسحاقَ١) العباسىُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عباسُ بنُ محمدٍ [٢٤٧/٨و] الدُّورىُّ(٢) تلميذُ ابنِ مَعِينٍ وغيرِه من أئمَّةِ الجرحِ

(١ - ١) فى الأصل : « موسى بن إسحاق » ، وفى س ، ص ، ظ : « إسحاق » ، وفى م : « موسى المتقدم » . والمثبت من تاريخ الطبرى ١٠/ ٨. والمنتظم ١٢/ ٢٤٥. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٢، ٣٣.

(٢) فى م : « الدينورى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٤، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٧١، والوافى بالوفيات ١٦/ ٦٥٨.

والتَّعْديلِ ، **وعبدُ الرحمنِ** بنُ محمدِ بنِ مَنْصُورٍ البَصْرِيُّ[1] ، **ومحمدُ** بنُ حمّادٍ الطِّهْرانيُّ[2] ، **ومحمدُ** بنُ سِنَانٍ[3] ، **ويُوسُفُ** بنُ مُسلمٍ[4] .

وبُورَانُ [5]**بنتُ الحسنِ بنِ سهلٍ**[5] ، زَوْجَةُ المأمُونِ ، ويقالُ[6] : إنَّ اسْمَها خديجةُ ، وبُورانُ لقَبٌ لها . والصحيحُ الأوَّلُ . عقَد عليها المأمونُ بفَمِ الصِّلْحِ سنَةَ ثِنتين[7] ومائتَيْنِ ، ولها عشْرُ سنين ، فنثَر أبوها على الناسِ يومَئذٍ بَنادِقَ المِسْكِ ، مَكْتوبٌ فى ورقةٍ وسَطَ كلِّ بُندُقَةٍ اسمُ قَرْيَةٍ ، أو مِلْكٍ ، أو جارِيَةٍ ، أو غُلامٍ ، أو فَرَسٍ ، فمَن التقَط مِن ذلك شيئًا ملَكه ، ونثَر على عامَّةِ الناسِ الدنانيرَ ونوافجَ[8]

---

(١) الجرح والتعديل ٥/ ٢٨٣، والثقات ٨/ ٣٨٣، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٨٦، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٦، ولسان الميزان ٣/ ٤٣٠.

(٢) فى س، ص: «الطبرانى»، وفى ظ: «الظهرانى». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٢/ ٢٧١، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٤٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٤.

(٣) بعده فى الأصل، س، م، ص: «العوفى»، وبعده فى ظ: «الأوفى». وصوابه العوفى وقد تقدمت ترجمته فى صفحة ٢٦١، والمقصود هنا محمد بن سنان القزاز لا العوفى. وانظر ترجمته فى: الثقات ٩/ ١٣٣، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٤٣، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٤، والكاشف ٣/ ٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٤٦.

(٤) هو يوسف بن سعيد بن مسلم. وانظر ترجمته فى: الثقات ٩/ ٢٨١، وحلية الأولياء ٩/ ٣٠٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٨٣، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٩٦.

(٥ - ٥) سقط من: م. وانظر ترجمتها فى: تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٢٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣١٧، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٦.

(٦) وفيات الأعيان ١/ ٢٨٧.

(٧) فى م: «ست».

(٨) مفردها نافجة وهى وعاء المسك فى جسم الظبى، وجزم الجواليقى فى المعرب بأنه معرب، وهو الصحيح، وزعم صاحب المصباح أنها عربية، سميت لنفاستها. المعرب ص ٣٨٩، والمصباح (ن ف ج)، والتاج (ن ف ج).

المسكِ وبِيصَ[1] العنبرِ، وأنْفقَ على المأمونِ وعسْكَرِه مدةَ مُقامِه تلك الأيامَ خمسينَ ألفَ ألفِ درهمٍ. فلمَّا ترَحَّل المأمونُ عنه أطلَق له عشَرةَ آلافِ ألفِ درهمٍ، فأقطَعه فَمَ الصِّلْحِ، وبنَى بها فى سنَةِ عشْرٍ. فلمّا جلَس المأمونُ فرَشوا له حَصيرًا مِن ذهَبٍ، ونثَروا على قدمَيْه ألفَ حبَّةِ جوهرٍ، وهناك تَوْرٌ[2] مِن ذهَبٍ فيه شَمعةٌ مِن عَنبَرٍ زِنَةُ أربعينَ مَنًّا مِن عنبرٍ، فقال: هذا سرَفٌ. ونظَر إلى ذلك الحَبِّ على الحَصيرِ فقال[3]: قاتَل اللَّهُ أبا نُوَاسٍ حيثُ يقولُ فى صفةِ الخمرِ[4]:

كأنّ صُغْرَى وكُبْرَى مِن فَواقِعِها حَصباءُ دُرٍّ على أَرْضٍ مِنَ الذَّهبِ

ثم أمَرَ بالدُّرِّ فجُمِع فوضَعه فى حِجرِها وقال: هذا نِحْلَةٌ منِّى لكِ، وسَلِى حاجَتَكِ. فقالت لها جدَّتُها: سَلِى سيِّدَكِ فقدِ اسْتَنْطَقَكِ. فقالت: أسأَلُ أميرَ المؤمنين أن يرْضَى عن إبراهيمَ بنِ المَهْدِىِّ. فرضِى عنه، ثم أرادَ الاجْتماعَ بها فإذا هى حائضٌ، وكان ذلك فى شهرِ رمضانَ، ثم تُوفِّى المأمونُ فى سنةِ ثمانىَ عشْرةَ ومائتَين، وتأخَّرَت هى بعدَه حتى كانتْ وفاتُها فى هذه السنةِ، ولها ثمانونَ سنةً.

---

(١) الوبيص بالصاد المهملة: البريق. وفى الحديث: رأيت وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم. النهاية ٥/ ١٤٦.

(٢) فى الأصل، س، ص: «ثور». وهو تصحيف. والتور: إناء صغير. التاج (ت و ر).

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) ديوان أبى نواس ص ٢٤٣. وهذا البيت من شواهد النحاة، وانظر شرح المفصل ٦/ ١٠٢، والأشمونى ٣/ ٤٨.

ثم دخَلت سنَةُ ثنتَين وسبعين ومائتَين

فى جُمادَى الأُولَى مِنها[1] سارَ نائبُ قَزْوِينَ وهو أذكوتكينُ[2] فى أربعةِ آلافِ مُقاتلٍ إلى محمدِ بنِ زيدٍ العَلَوِىِّ صاحبِ طَبَرسْتانَ بعدَ أخيه الحسنِ بنِ زيدٍ، وهو بالرَّىِّ، فى جيشٍ عظيمٍ مِن الدَّيْلَمِ وغيرِهم، فاقتتَلوا قِتالًا شديدًا فهزَمَه أذكوتكينُ[2] وغَنِم ما فى مُعسكَرِه، وقتَل مِن أصحابِه سِتَّةَ آلافٍ، ودخَل الرَّىَّ فأخَذ مِن أهلِها مِائَةَ ألفِ ألفِ دينارٍ، وفرَّق عُمَّالَه فى نواحِى الرَّىِّ.

وفيها وقَع بينَ أبى العباسِ بنِ المُوفَّقِ وبينَ صاحبِ ثَغْرِ طَرَسُوسَ - وهو يازمانُ[3] [٢٤٧/٨ظ] الخادِمُ - فثار أهلُ طَرسُوسَ على أبى العباسِ فأخرَجوه عنهم، فرجَع إلى بغدادَ.

وفيها دخَل حَمْدانُ بنُ حَمْدونَ وهارونُ الشّارِى مدينةَ المَوْصِلِ، وصلَّى بهم الشارِى فى جامعِها الأعْظَمِ.

وفيها عاثَت بنو شَيْبانَ فى أرضِ المَوْصِلِ وسعَوْا فى الأرضِ فَسادًا.

وفيها تحرَّكت بَقِيَّةُ الزَّنجِ فى أرضِ البصرَةِ، ونادَوا: يا أنكلايُ، يا منْصورُ.

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٩، والمنتظم ١٢/ ٢٤٩، والكامل ٧/ ٤١٨.

(٢) فى م: «ارلزنكيس».

(٣) فى الأصل، س، ض، ظ، والكامل: «بازمار» وكذا فى المواضع التالية. وانظر مروج الذهب ٤/ ١٢٥، ونهاية الأرب ٢٢/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٨٠) ص ٢٢٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٦٧.

وكان أنكلاىُ ابن صاحبِ الزنجِ ، وسُلَيمانُ بنُ جامعٍ ، وأَبانُ بنُ علىٍّ المُهلَّبىُّ ، وجماعةٌ مِن وجوهِ أمرائِهم فى حَبْسِ[1] المُوَفَّقِ ، فبعَث إليهم ، فقُتِلوا وحُمِلت رُءوسُهم إليه ، وصُلِبتْ أبدانُهم ببَغدادَ ، وسكَنَتِ الشُّرورُ .

وفيها صلَح أمرُ المدينةِ النبويَّةِ ، وتراجَع الناسُ إليها ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها جرَتْ حروبٌ كثيرةٌ ببلادِ الأنْدَلُسِ ، وتسلَّمَتِ الرومُ مِن المسلِمين بلَدَيْنِ عظيمَين مِن الأندَلُسِ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها قَدِم صاعِدُ بنُ مُخَلَّدٍ الكاتبُ مِن فارِسَ إلى وَاسِطٍ ، فأمَر المُوفَّقُ القُوّادَ أن يتلقَّوْه ، فدخَل فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، ولكِنْ ظهَر منه تِيهٌ وعُجْبٌ شديدٌ ، فأمَر المُوَفَّقُ عمّا قريبٍ بالقَبْضِ عليه ، وعلى أهْلِه وأمْوالِه وحواصلِه ، واستَكتَب مكانَه أبا الصَّقرِ إسماعيلَ بنَ بُلْبُلٍ .

وحجَّ بالناسِ فيها هارونُ بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ العبّاسىُّ ، أميرُ الحجِّ منذُ دَهْرٍ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

إبراهيمُ بنُ الوَليدِ الجشّاشُ[2] . **وأحمدُ** بنُ عبدِ الجبَّارِ بنِ محمدِ بنِ عُطارِدٍ العُطارِدِىُّ التَّمِيمِىُّ[3] ، راوِى السِّيرةِ عن يونسَ بنِ بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص ، ظ : « جيش » .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « بن الحسحاس » ، وفى س ، ظ : « الخشخاس » . وانظر ترجمته فى : الثقات ٨/ ٨٠، وتاريخ بغداد ٦/ ١٩٩، والمشتبه ١/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٩٨.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٦٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥٢، وتهذيب الكمال ١/ ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٥٨، وغاية النهاية ١/ ٦٥.

ابنِ يَسَارٍ، وغيرِ ذلك. **وأبو عُتْبَةَ الحِجازِيُّ**[1]. **وسُلَيمانُ بنُ سيفٍ**[2]. **وسُلَيمانُ** بنُ وَهْبٍ[3] الوزيرُ، فى حبسِ الموفَّقِ. **وشُعَيْبُ**[4] بنُ بكَّارٍ، يروِى عن أبى عاصمٍ النَّبيلِ. **ومحمدُ** بنُ صالحِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأنماطِيُّ[5]، ويُلقَّبُ بكِيْلَجَةَ[6]، وهو مِن تلاميذِ يحيى بنِ معينٍ. **ومحمدُ** بنُ عبدِ الوهابِ الفَرّاءُ[7]. **ومحمدُ** بنُ عبيدِ اللَّهِ المُنادِى[8]. **ومحمدُ** بنُ عَوْفٍ الحِمْصِيُّ[9].

وأبو مَعْشَرٍ المُنَجِّمُ[10]، واسمُه جعفرُ بنُ محمدٍ البلْخِيُّ، أستاذُ عصرِه فى صناعةِ التَّنْجِيمِ، وله فيه التصانيفُ المشهورةُ، كـ «المدخلِ»، و «الزِّيجِ»، و «الألوفِ» وغيرِها، وتكلَّم على ما يتعلَّقُ بالتَّسْيِيرِ وكذلك بالأحكامِ.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٣٩، وتاريخ دمشق ٢/ ٧٥، وتهذيب الكمال ٣٤/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٦٩، وتهذيب التهذيب ١/ ٦٧.

(٢) الثقات ٨/ ٢٨١، وتهذيب الكمال ١١/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٦٣، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٩١.

(٣) الأغانى ٢٣/ ١٤٣، والمنتظم ١٢/ ٢٥١، ووفيات الأعيان ٢/ ٤١٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٦٤.

(٤) فى الأصل، م: «شعبة». وانظر ترجمته: فى الكامل ٧/ ٤٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٦٨، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٥، ولسان الميزان ٣/ ١٤٦.

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٣، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٤٨.

(٦) فى النسخ: «بمكحلة». وهو خطأ. والمثبت من مصادر ترجمته السابقة. وانظر نزهة الألباب ٢/ ١٣٠.

(٧) الثقات ٩/ ١٢٨، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٠٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٥٢، والوافى بالوفيات ٤/ ٧٤.

(٨) الثقات ٩/ ١٤٠، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢٦، والمنتظم ١٢/ ١٥٣، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١٧٣.

(٩) الثقات ٩/ ١٤٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٣١٠، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦١٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٥٧، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٩٣.

(١٠) وفيات الأعيان ١/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١- ٢٨٠هـ) ص ٣٢٥، والوافى بالوفيات ١١/ ١٣٣، وشذرات الذهب ٢/ ١٦١.

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : وله إصاباتٌ عجيبةٌ . ثم حكَى أنَّ بعضَ الملوكِ تطَلَّب رجلًا ، فذهَب ذلك الرجلُ فاختَفَى وخاف مِن أبى مَعْشرٍ المُنَجِّمِ أنْ يدُلَّ عليه الملكَ بصنعتِه ، فعَمَد إلى طَسْتٍ فمَلأه دمًا ، ووَضَع أسفلَه هاوَنًا[2] ، وجلَس على ذلك الهاوَنِ ، فاستَدعَى الملكُ [٢٤٨/٨و] أبا معْشَرٍ ، فضَرَب رمْلَه وحرَّر أمرَه ، ثم قال : هذا عجيبٌ ! أجِدُ هذا الرجلَ جالسًا على جبلٍ مِن ذهبٍ فى وَسَطِ بحرٍ مِن دمٍ ، ولكنْ ليس هذا فى الدنيا . ثم أعاد الضرْبَ فوَجَده كذلك ، فتَعجَّب الملكُ أيضًا ، ونادَى فى البلدِ بأمانِ المذكورِ ، فلمَّا مثَل بينَ يدَيِ الملكِ سأله أين اخْتفَى ؟ فأخبَره بأمْرِه ، فتَعجَّب الناسُ مِن ذلك .

قلتُ : والظاهرُ أنَّ الذى يُنسَبُ إلى جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ مِن علمِ الزَّجرِ[3] ، والطرفِ ، واختِلاجِ[4] الأعضاءِ ونحوِ ذلك ، إنَّما هو منسوبٌ إلى جعفرِ بنِ محمدٍ هذا ، وليس بالصادقِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٥٨.

(٢) الهاوَن والهاوُن والهاوُون : الذى يُدَقُّ فيه . التاج (هـ و ن) .

(٣) فى م ، ظ : « الرجز » . الزَّجْر : ضرب من التَّكَهُّن . التاج (ز ج ر) .

(٤) فى الأصل : « اختلاف » ، وعلم اختلاج الأعضاء : - وهو من فروع علم الفراسة - علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم - على الأحوال التى ستقع عليه . انظر كشف الظنون ١/ ٣١، ٣٢.

ثم دخلتْ سنةُ ثلاثٍ وسبعين ومائتين

وفيها[1] وقَع بينَ إسحاقَ بنِ كِنْدَاجَ نائبِ المَوْصِلِ [2]والجزيرةِ[2] وبينَ صاحبِه ابنِ أبى السَّاجِ نائبِ قِنَّسْرِينَ وغيرِها بعدَما كانا مُتَّفِقَيْن ، وكاتَب ابنُ أبى السَّاجِ خُمارَوَيْهِ صاحِبَ مصرَ ، وخطَب له ببِلادِه ، وقَدِم خُمارَوَيْه إلى الشام ، فاجتمَع به ابنُ أبى السَّاجِ ، ثم سار إلى إسحاقَ بنِ كِنْدَاجَ فتَواقَعا ، فانْهزَم ابنُ[3] كِنْدَاجَ ، وهرَب إلى قلعةِ مَارْدِينَ[4] ، فحاصَره بها ، ثم ظهَر أمْرُ ابنِ أبى السَّاجِ ، واستحْوَذ على المَوْصِلِ وبلادِ الجزيرةِ ، وخطَب بها لخُمارَوَيْهِ ، واسْتَفْحَل أمْرُه جدًّا .

وفيها قبَض المُوفَّقُ على لؤلؤٍ غُلامِ ابنِ طُولُونَ ، وصادَره بأربعِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وسجَنه ، فكان يقولُ[5] : ليس لى ذنبٌ إلا كثرةُ مالى . ثم أُخرِج بعدَ ذلك مِن السِّجنِ وهو فقيرٌ ذليلٌ ، فعاد إلى الديارِ المصريةِ فى أيامِ هارونَ بنِ خُمارَوَيْهِ ، ومعه غلامٌ واحدٌ[6] . وهذا جزاءُ كفْرِ نِعْمةِ سيِّدِه عليه .

وفيها عدَا أولادُ ملكِ الرومِ على أبيهم فقتَلوه ، وتمَلَّك بعدَه أحدُ أولادِه .

وفيها كانتْ وفاةُ :

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٢، والمنتظم ١٢/ ٢٥٥، والكامل ٧/ ٤٢٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى م : « فجاء » .

(٥) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٢، والكامل ٧/ ٤٢٥.

(٦) بعده فى م : « فدخلها على برذون » .

محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحكمِ الأُمويِّ[1] ، صاحبِ الأندلسِ عن خمسٍ وستين سنةً ، وكانتْ ولايتُه أربعًا وثلاثين سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا ، وكان أبيضَ مُشْرَبًا بحُمْرَةٍ ، رَبْعَةً أوقَصَ[2] ، يَخْضِبُ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ[3] ، وكان عاقِلًا لَبِيبًا ، وكان يُدْرِكُ الأشياءَ المُشْتَبِهَةَ ، وخلَّف ثلاثًا وثلاثين ذكرًا ، وقام بالأمرِ بعدَه ولدُه المُنْذِرُ ، فأحْسَن إلى الناسِ فأحبُّوه .

وفيها كانتْ وفاةُ : [4]**خالدِ بنِ أحمدَ أبى الهيثمِ الذُّهْلىِّ**[4] ، الذى كان أميرَ خراسانَ فى حبْسِ المُعتمِدِ على اللَّهِ ، وهذا الرجلُ هو الذى أخرجَ البخاريَّ مِن بُخارَا[5] ، فدَعا عليه ، فلم يُفْلِحْ بعدَها ، ولم يَبْقَ فى الإمْرَةِ إلَّا أقلَّ مِن شهرٍ حتى احْتِيطَ عليه [٨/٢٤٨ظ] وعلى أمْوالِه [6]وحواصلِه[6] ، وأُرْكِب حمارًا ونُودِى عليه فى بلدِه ، ثم سُجِن ، فماتَ[7] فيه فى هذه السنةِ ، وهذا جزاءُ مَنْ تعرَّض لأهلِ السنَّةِ وأئمةِ الحديثِ .

وممن توفِّى فيها - أيضًا - مِن الأعيانِ : إسحاقُ بنُ سَيَّارٍ[8] . **وحنبلُ بنُ**

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٥١، والعبر ٢/ ٥٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٢٤، مرآة الجنان ٢/ ١٨٨، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٤.

(٢) وقص يوقص فهو أوقص : قصرت عنقه خلقة . الوسيط (و ق ص) .

(٣) الكتم : جنبة من الفصيلة المرسينية ، قريبة من الآسى ، كانت تستعمل قديما فى الخضاب ، وصنع المداد . الوسيط (ك ت م) .

(٤ - ٤) فى النسخ : « خلف بن أحمد بن خالد » ، وانظر ترجمته فى : الجرح والتعديل ٣/ ٣٢٢، وتاريخ بغداد ٨/ ٣١٤، والمنتظم ١٢/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٨٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٤٧.

(٥) بعده فى م : « وطرده عنها » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى م : « من ذلك الحين فمكث فى السجن حتى مات » .

(٨) الجرح والتعديل ٢/ ٢٢٣، والثقات ٨/ ١٢١، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٠١.

إسحاقَ[1] ، ابنُ[2] عمِّ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وأحدُ الرواةِ المشهورِين عنه ، على أنَّه قد اتُّهِم فى بعضِ ما يرْوِيه ويحْكِيه . واللَّهُ أعلمُ . **وأبو أمَيَّةَ الطَّرَسُوسِىُّ**[3] .

و[4]**الفَتْحُ بنُ شُخْرُفٍ**[5] ، أحدُ مشايخِ الصوفِيَّةِ ذَوِى الأحْوالِ والكَراماتِ [6]والمقاماتِ[6] والكَلِماتِ النافعَاتِ ، ووَهِم ابنُ الأثيرِ فى قولِه فى « كاملِه »[7] : إنَّ أبا داودَ صاحِبَ « السُّنَنِ » توفِّى فى هذه السنةِ ، بل فى سنةِ خمسٍ وسبعين ، كما سيأتى .

ابنُ ماجه القَزْوِينىُّ[8] ، صاحِبُ « السُّنَنِ » ، وهو أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يزيدَ ، ابنُ ماجه [6]القَزْوينىُّ مَوْلى ربيعةَ[6] ، صاحِبُ كتابِ « السُّنَنِ » المشهورةِ ، وهى دالةٌ على عملِه وعلْمِه وتبَحُّرِه واطِّلاعِه واتِّباعِه للسنةِ النبويةِ فى الأصولِ والفروعِ ، ويَشْتَمِلُ على اثنين وثلاثين كتابًا ، وألفٍ وخَمْسِمائةِ بابٍ ، ويَحْتوِى[2] على أربعةِ آلافِ حديثٍ ، كلُّها جِيادٌ سِوى اليسيرِ .

---

(١) وتاريخ بغداد ٨/ ٢٨٦، وطبقات الفقهاء ص ١٧٠، المنتظم ١٢/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٤٣.

(٢) سقط من: م.

(٣) وتاريخ بغداد ١/ ٣٩٤، والمنتظم ١٢/ ٢٥٨، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٢٦.

(٤) بعده فى الأصل، م، ص: «أبو». وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٤.

(٥) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٤، وصفة الصفوة ٢/ ٤٠٢، والمنتظم ١٢/ ٢٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤١٢، وطبقات الأولياء ٢٧٤.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) الكامل ٧/ ٤٢٥.

(٨) تاريخ دمشق ١٦/١٢٥ (مخطوط)، والمنتظم ١٢/ ٢٥٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٩، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٦٧.

وقد حُكِى عن أبى زُرْعَةَ الرَّازِىِّ[1] أنَّه انْتقَد منها بِضْعةَ عشَرَ حديثًا ، رُبَّما يقالُ : إنَّها موضوعةٌ ، أو مُنْكَرَةٌ جدًّا . وله تفْسيرٌ حافلٌ وتاريخٌ كاملٌ مِن لَدُنِ الصحابةِ إلى عصْرِه .

قال أبو يعْلَى الخليلُ بنُ عبدِ اللَّهِ الخَليلىُّ القَزْوينىُّ[2] : أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يزيدَ ، ويُعْرَفُ يزيدُ بمَاجه مَوْلَى رَبيعَةَ ، عالمٌ بهذا الشأنِ ، صاحِبُ التصانيفِ فى التاريخِ ، والسننِ ، ارْتحَل إلى العِراقَيْنِ ومِصْرَ والشامِ . ثم ذكَر[2] طرَفًا مِن مَشايخِه ، وقد ترْجَمْناهم فى كتابِنا « التكميلِ » ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

قال[2] : وقد روَى عنه الكِبارُ القدماءُ ؛ ابنُ سِيبَوَيْهِ[3] ، ومحمدُ بنُ عيسى الصَّفَّارُ ، وإسحاقُ بنُ محمدٍ ، وعلىُّ بنُ إبراهيمَ بنِ سَلَمةَ القَطَّانُ ، وجَدِّى أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، وسليمانُ بنُ يزيدَ .

وقال غيرُه[4] : كانتْ وفاتُه يومَ الاثنين ، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ لثَمانٍ بَقِين مِن رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين ومائتين عن أربعٍ وستين سنةً ، وصلَّى عليه أخوه أبو بكرٍ ، وتوَلَّى دفْنَه مع أخيه الآخرِ أبى عبدِ اللَّهِ ، وابْنِه عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يزيدَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٦.
(٢) تهذيب الكمال ٢٧/ ٤١.
(٣) كذا فى النسخ. ولم أعثر عليه فيمن روى عن ابن ماجه.
(٤) تهذيب الكمال ٢٧/ ٤١. وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٩.

ثم دخلت سنة أربعٍ وسبعين ومائتين

فيها[1] نشِبتِ الحربُ بينَ أبى أحمدَ الموفَّقِ وبينَ عمرِو بنِ الليثِ بفارِسَ، فقصَده أبو أحمدَ، فهَرب منه عمرٌو مِن بلدٍ إلى بلدٍ، ويتبَعُه، ثم لم يقَعْ بينَهما قتالٌ ولا مواجَهةٌ، وقد تَحيَّز إلى أبى أحمدَ الموفَّقِ مُقدَّمُ جيشِ [٨/٢٤٩و] عمرِو بنِ الليثِ، وهو أبو طَلْحَةَ شَرْكَبٌ الجمَّالُ، ثم أراد العَوْدَ، فقَبَض عليه أبو أحمدَ الموفَّقُ، وأباح مالَه لولَدِه أبى العباسِ المُعْتَضِدِ، وذلك بالقُرْبِ مِن شِيرَازَ[2].

وفيها غزَا يازَمانُ الخادمُ - نائبُ طَرَسوسَ - بلادَ الرومِ، فأوْغَل فيها فقتَل وغنِم وسلِم.

وفيها دخَل صِدِّيقٌ الفَرْغانىُّ سَامَرَّا، فنهَب دُورَ التجارِ بها، وكَرَّ راجعًا، وقد كان هذا الرجلُ مِمَّن يحرُسُ الطُّرقاتِ، فترَك ذلك وأقبَل يقطَعُها، وضعُف الجندُ بسَامَرَّا عن مقاومتِه.

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ يحيى [3]بنِ الأصَمِّ[3]، أبو إسحاقَ، قال ابنُ الجوزىِّ فى «المنتظمِ»[4]: كان حافِظًا فاضلًا، روَى عن حَرْمَلةَ وغيرِه، توفِّى فى جُمادَى

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٣، والمنتظم ١٢/ ٢٦١، والكامل ٧/ ٤٢٦.

(٢) شيراز: بلد عظيم مشهور معروف مذكور وهو قصبة بلاد فارس. معجم البلدان ٣/ ٣٤٨.

(٣ - ٣) سقط من: م، وفى الأصل، س، ص، ظ: «الأصم». وانظر ترجمته فى المنتظم ١٢/ ٢٦١.

(٤) المنتظم ١٢/ ٢٦١.

الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ زِيادٍ[1] ، **أبو يعقوبَ** المقرِئُ ، [2]حدَّث عن هُدْبةَ ، وعنه ابنُ مخلدٍ[3][2] . تُوفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ منها .

أيوبُ بنُ سليمانَ بنِ داودَ الصُّغْدِىُّ[4] ، يروِى عن آدَمَ بنِ أبى[5] إياسٍ ، [2]وأبى اليَمانِ ، وعلىِّ بن الجَعْدِ ، وعنه[2] ابنُ صاعدٍ ، وابنُ السَّمَّاكِ ، وكان ثقةً ، توفِّى فى رمضانَ منها .

الحسنُ بنُ مُكْرَمِ بنِ حسَّانَ بنِ علىٍّ البَزَّازُ[6] ، سمِع عفَّانَ ، وأبا النَّضْرِ ، ويزيدَ بنَ هارونَ وغيرَهم ، وعنه المَحَامِلِىُّ ، وابنُ مَخْلَدٍ ، النَّجادُ[7] ، وكان ثِقَةً . توفِّى فى رمضانَ منها عن ثلاثٍ وسبعين سنةً .

خلفُ[8] **بنُ محمدِ بنِ عيسى ، أبو الحسينِ الواسِطِىُّ** ، الملقَّبُ بكُرْدُوسٍ ، روَى عن يزيدَ بنِ هارونَ وغيرِه ، وعنه المَحَامِلِىُّ ، وابنُ مَخْلَدٍ . قال ابنُ أبى حاتمٍ[9] :

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٣٧٦، والمنتظم ١٢/ ٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات (٢٦١- ٢٨٠هـ) ص ٣٠٠.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، المنتظم : « خالد » . وانظر تاريخ بغداد ٦/ ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٠٠.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١١، وأنساب السمعانى ٣/ ٥٤٤، والمنتظم ١٢/ ٢٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣١٠ .

(٥) سقط من : م .

(٦) ثقات ابن حبان ٨/ ١٨٠، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٣٢، والمنتظم ١٢/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٣٦.

(٧) فى م : « البخارى » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٨) تاريخ بغداد ٨/ ٣٣٠، والمنتظم ١٢/ ٢٦٢، وتهذيب الكمال ٨/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٤٥.

(٩) الجرح والتعديل ٧/ ١٧٥.

صدوقٌ . وقال الدَّارَقُطْنيُّ[1] : ثقةٌ . تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ منها وقد نيَّفَ على الثمانين .

عبدُ اللَّهِ بنُ رَوْحِ بنِ [2]عبدِ اللَّهِ أبو[2] محمدٍ المَدَائِنِيُّ ، المعروفُ بعَبْدُوسٍ ، روَى عن شَبَابةَ ، ويزيدَ بنِ هارونَ ، وعنه المَحَامِلِيُّ ، وابنُ السَّمَّاكِ ، وأبو بكرٍ الشافعيُّ ، وكان مِن الثِّقات . تُوفِّى فى جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أبى سعدٍ[3] ، أبو محمدٍ الوَرَّاقُ ، أصلُه مِن بلْخَ ، وسكَن بَغْدادَ ، روَى عن سُرَيْجِ[4] بنِ يونسَ ، وعفَّانَ ، وعلىِّ بنِ الجَعْدِ ، وغيرِهم ، وعنه ابنُ أبى الدنيا ، والبغَوِىُّ ، والمَحَامِلِىُّ ، وكان ثقةً صاحبَ أخْبارٍ وآدابٍ ومُلَحٍ ، تُوفِّى بوَاسِطٍ فى جُمادَى الآخرةِ منها عن سبْعٍ وسبعين سنةً .

محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ زيادٍ[5] ، أبو عبدِ اللَّهِ ، وقيل : أبو بكرٍ الدُّولَابِىُّ ، سمِع أبا النَّضْرِ ، وأبا اليَمَانِ ، وأبا مُسْهِرٍ ، وعنه أبو الحسينِ بنُ[6] المُنادِى ، ومحمدُ بنُ مَخْلَدٍ ، وابنُ السَّمَّاكِ ، وكان [٨/٢٤٩ظ] ثقةً .

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٣٠.

(٢ - ٢) فى م : « عبيد الله بن أبى » . وانظر ترجمته فى : ثقات ابن حبان ٨/ ٣٦٦، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٥٤، والمنتظم ١٢/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٧٦.

(٣) فى م : « سعيد » . وانظر ترجمته فى : أخبار القضاة ٢/ ٦٦، ١١٤، ١٦٧، ٢٠٥، ٢٠٥، ٤١٤، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٥، والمنتظم ١٢/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٧٧.

(٤) فى س ، م ، ص ، ظ : « شريح » وانظر المنتظم ١٢/ ٢٦٣.

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٣٨، والمنتظم ١٢/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٣٨.

(٦) سقط من : م .

ثم دخلت سنة خمسٍ وسبعين ومائتين[1]

فى المحرمِ منها وقَع الخُلْفُ بينَ ابنِ أبى السَّاجِ وبينَ خُمارَوَيْهِ ، فاقْتَتَلَا عندَ ثَنِيَّةِ العُقابِ شرقىَّ دمشقَ ، فغُلِب ابنُ أبى السَّاجِ وانْهزَم ، وكانتْ حواصِلُه بحِمْصَ ، فبعَث خُمارَوَيْهِ مَن سبَقَه إليها ، فأخَذها ومنَع منه حِمْصَ ، فذَهَب إلى حَلَبَ ، فمنَعه خُمارَوَيْهِ ، فسار إلى الرَّقَّةِ ، فاتَّبَعه ، فذهَب إلى المَوْصِلِ ، ثم انْهزَم منها خوفًا مِن خُمارَوَيْهِ ووَصَل خُمارَوَيْهِ إلى بَلَدَ ، واتَّخَذ له بها سَرِيرًا طويلَ القوائمِ ، وكان يجلِسُ عليه فى الفراتِ ، فعندَ ذلك طمِع فيه إسحاقُ بنُ كِنْدَاجَ ، فسار وراءَه ؛ ليظْفَرَ منه بشىءٍ فلم يقدِرْ ، وقد التقَيا فى بعضِ الأيامِ ، فصَبَر له ابنُ أبى السّاجِ صبْرًا عظيمًا ، فسلِم وانصَرف إلى أبى أحمدَ الموفَّقِ ببَغْدادَ ، فأكرَمه وخلَع عليه واستصْحَبه معه إلى الجبلِ ، ورجَع إسْحاقُ بنُ كِنْدَاجَ إلى ديارِ بَكرٍ ومُضَرَ مِن الجزيرةِ .

وفى هذه السنةِ فى شوالٍ منها سجَن أبو أحمدَ الموفقُ ابنَه أبا العباسِ المُعْتَضِدَ فى دارِ الإمارةِ ، وكان سببَ ذلك أنَّه أمَره بالمسيرِ إلى بعضِ الوجوهِ ، فامتَنَع أنْ يسيرَ إلَّا إلى الشامِ التى كان عمُّه المعتمِدُ[2] وَلَّاه إيَّاها ، فغضِب عليهِ وأمَر بسَجنِه ، فثارتِ الأُمراءُ واختبطَتْ بغدادُ ، وركِب الموفَّقُ إلى بغدادَ[3] ، وقال

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/١٤، والمنتظم ١٢/٢٦٤. الكامل ٧/ ٤٢٩.

(٢) فى م : « المعتضد » . وانظر الكامل ٧/ ٤٣٣.

(٣) فى ب ، س ، ص ، والكامل « الميدان » ، وفى تاريخ الطبرى والمنتظم : « الرصافة » ، وكلاهما ببغداد .

للناسِ : أتظُنُّونَ أنَّكم أشْفَقُ على ولَدِى منِّى ؟ فسكَن الناسُ عندَ ذلك وتراجعوا إلى منازِلهم ، ثم أفرَج عنه ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى هذه السنةِ سار رافِعٌ إلى محمدِ بنِ زيدٍ أخى الحسنِ بنِ زيدٍ العَلوِىِّ ، فأخذَ منه مدينةَ جُرْجَانَ ، فهرَب منه إلى أَسْتَراباذَ فحصَرَه بها سنتين[1] ، فغلا بها السِّعْرُ حتى بِيعَ المِلْحُ بها وَزْنُ الدِّرَهمِ بدِرهمين ، فهرَب [2]محمدُ بنُ زيدٍ[2] منها ليلًا إلى ساريةَ ، ثم أخَذ منه رافِعٌ بلادًا كثيرةً بعدَ ذلك فى مدةٍ مُتَطاولةٍ .

وفى المحرمِ مِنها - أو فى صفرٍ - كانتْ وفاةُ **المُنْذِرِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأُقوىِّ**[3] صاحبِ الأنْدَلُسِ عن سِتٍّ وأربعِينَ سنةً . وكانت ولايتُه سنةً وأحَدَ عشَرَ شهرًا وعشَرةَ أيامٍ ، وكان أسمرَ طويلًا ، بوجهِه أثرُ جُدرِىٍّ ، جَوادًا مُمدَّحًا ، يحِبُّ الشعراءَ ويصِلُهم بمالٍ كثيرٍ ، وخلَّف مِن الأولادِ ستةَ ذكورٍ ، وقامَ بالأمرِ مِن بعدِه أخوه عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، فامْتلأتْ بلادُ الأنْدلُسِ فى أيامِه فِتنًا وشرورًا حتى هلَك ، كما سيأتى .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ الحَجَّاجُ المَرْوذِىُّ[4] صاحبُ الإمامِ أحمدَ ، كان مِن الأئمةِ [٨/٢٥٠و] الأذْكِياءِ ، وكان أحمدُ يقدِّمُه على جميعِ أصْحابِه ويأْنَسُ به

---

(١) فى م : « سنين » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٦، وجذوة المقتبس ١١، وبغية الملتمس ١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٨٦ ، والبيان المغرب ٢/ ١١٣.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٧٣، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٩٣.

ويبْعثُه فى الحاجَةِ ويقولُ[1] : قلْ ما شئتَ . وهو الذى أغْمَض الإمامَ أحمدَ وكان فيمَنْ غسَّله أيضًا ، وقد نقَل عن أحمدَ مَسائلَ كثيرةً ، وحصَلتْ له رِفْعَةٌ عظيمةٌ ، شيَّعه[2] إلى سَامَرَّا حينَ أراد الغزوَ خمسون ألفًا .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ غالبِ بنِ خالدِ بنِ مِرْدَاسٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ البَاهِلِىُّ البَصْرِىُّ ، المعْروفُ بغلامِ خليلٍ[3] ، سكَن بَغْدادَ ، وروَى عن سليمانَ بنِ داودَ الشَّاذَكونىِّ ، وشَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ ، وقُرَّةَ بنِ حبيبٍ وغيرِهم ، وعنه ابنُ السَّمَّاكِ ، وابنُ مَخْلَدٍ وغيرُهما ، وقد أنْكَر عليه أبو حاتمٍ وغيرُه أحادِيثَ روَاها منْكَرةً عن شُيوخٍ مجهولين ، قال أبو حاتمٍ[4] : ولم يكُنْ ممَّن يفْتَعِلُ الحديثَ ، كان رجلًا صالحًا . وكذَّبه أبو داودَ وغيرُ واحدٍ[5] . وروَى ابنُ عدىٍّ[6] عنه أنَّه اعْتَرف بوضْعِ الحديثِ ليُرَقِّقَ به قلوبَ الناسِ . وكان عابدًا زاهدًا يقْتاتُ البَاقِلَّاءَ الصِّرْفَ ، وحينَ مات أُغْلِقتْ أسْواقُ بَغْدادَ وحضرَ الناسُ للصلاةِ عليه ، ثم حُمِل فى زَوْرَقٍ إلى البَصْرَةِ فدُفِنَ بها ، وكان ذلك فى رجَبٍ من هذه السنةِ .

وأحمدُ بنُ مُلاعِبٍ[7] ، روَى عن يحيى بنِ معينٍ وغيرِه ، وكان ثقةً ديِّنًا عالمًا فاضِلًا ، انتشَرَ به عِلْمٌ كثيرٌ من الحديثِ .

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٤.

(٢) فى م : «مع أحمد حين طلب» .

(٣) الجرح والتعديل ٢/ ٧٣، وتاريخ بغداد ٥/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٧٦، وميزان الاعتدال ١/ ١٤١.

(٤) الجرح والتعديل ٢/ ٧٣.

(٥) لسان الميزان ١/ ٢٧٣.

(٦) الكامل فى الضعفاء ١/ ١٩٩.

(٧) تاريخ بغداد ٥/ ١٦٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٨٦، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٠٨.

وأبو سعيدٍ الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ[1] السُّكَّرىُّ النحْوىُّ اللغوىُّ، صاحبُ التصانيفِ.

وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ هانئٍ، **أبو يعقوبَ النَّيْسَابُورِىُّ**[2]، كان مِن أخِصَّاءِ أصْحابِ الإمامِ أحمدَ، وعندَه اخْتفَى فى زمنِ المِحْنَةِ.

وعبدُ اللَّهِ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ التَّميمىُّ العَطَّارُ المَوْصِلِىُّ[3]، قال ابنُ الأثيرِ[3]: كان كثيرَ الحديثِ، مُعَدَّلًا عندَ الحكامِ. **ويحيى** بنُ أبى طالبٍ[4].

وأبو داودَ السِّجِسْتَانِىُّ[5] صاحِبُ «السُّنَنِ»، وهو سليمانُ بنُ الأشعثِ بنِ إسحاقَ بنِ بَشِيرِ بنِ شدَّادِ بنِ عمرِو[6] بنِ عِمرانَ، أبو داودَ الأَزْدِىُّ السِّجِسْتانِىُّ، أحدُ أئمَّةِ الحديثِ الرَّحَّالينَ الجوَّالين فى الآفاقِ والأقاليمِ، جمعَ وصنَّف وخرَّج وألَّف، وسمِع الكثيرَ عن مشايخِ البُلْدانِ فى الشامِ ومصرَ والجزيرةِ والعِراقِ وخُراسانَ وغيرِ ذلك. وله «السُّنَنُ» المشْهُورةُ المُتَداوَلةُ بينَ العُلَماءِ، التى قال فيها أبو حامدٍ الغَزالىُّ[7]: يكْفِى المجتهِدَ معْرِفَتُها مِن الأحاديثِ النبويَّةِ. وحدَّث عنه جماعةٌ؛ منهم ابنُه أبو بكرٍ عبدُ اللَّهِ، وأبو عبدِ الرحمنِ النَّسائىُّ، وأحمدُ بنُ

---

(١) بعده فى م: «بن»، وانظر ترجمته فى: طبقات النحويين ١٨٣، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٩٦، وإنباه الرواة ١/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٣٢.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٠٨، والمنتظم ٥/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٠٠.

(٣) الكامل ٧/ ٤٣٥.

(٤) الجرح والتعديل ٩/ ١٣٤، وتاريخ بغداد ٤/ ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٨٩، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٨٦.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٥٥، وتاريخ دمشق ٢٢/ ١٩١. ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٤، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٥٥. وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٠٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٥٧

(٦) فى م: «يحيى». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٧) المستصفى فى أصول الفقه للإمام الغزالى ٢/ ٣٥١ بنحوه.

(١ سلمانَ النَّجَّادُ ١) ، وهو آخِرُ مَن روَى [٨/٢٥٠ظ] عنه فى الدنيا . سكَن أبو داودَ البصرةَ وقَدِمَ بغدادَ غيرَ مرَّةٍ وحدَّث بكتابِه « السُّنَنِ » بها ، ويقالُ : إنه صنَّفه بها ، وعرَضه على الإمامِ أحمدَ فاسْتَجادَه واسْتَحسنَه .

وقال الخطيبُ البَغدادىُّ[٢] : حدَّثَنى أبو بكرٍ محمدُ بنُ علىِّ بنِ إبراهيمَ القارِى الدِّيْنَوَرىُّ ، بلفظِه ، قال : سمِعتُ أبا الحسينِ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ الفرضىَّ[٣] ، قال : سمِعتُ أبا بكرِ بنِ داسَه يقولُ : سمِعتُ أبا داود يقولُ[٤] : كتبْتُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَمِائَةِ ألفِ حديثٍ ، انْتَخَبْتُ منها ما ضمَّنتُه هذا الكتابَ - يعنى كتابَ « السُّنَنِ » - جمعْتُ فيه أرْبَعةَ آلافٍ وثَمانِمائةِ حديثٍ ؛ ذكَرتُ الصحيحَ وما يُشْبِهُه ويُقارِبُه ، ويكْفِى الإنْسانَ لدِينِه مِن ذلك أرْبَعَةُ أحاديثَ ؛ أَحَدُها قولُه عليه السلامُ[٥] : « الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » . والثانى قولُه[٦] : « مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . والثالثُ قولُه[٧] : « لَا يَكُونُ المُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَرْضَى لِأَخِيهِ مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ » . والرابعُ قولُه[٨] : « الْحَلَالُ بَيِّنٌ ، والْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهاتٌ » . وحُدِّثتُ[٩] عن عبدِ العزيزِ بنِ جعفرٍ الحنبلىِّ أنَّ أبا بكرٍ الخَلَّالَ قال : أبو داودَ سليمانُ بنُ الأشعثِ السِّجِسْتانىُّ

(١ - ١) فى م : « سليمان النجار » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٥٧.

(٣) فى م : « القرصى » . وانظر مصدر التخريج .

(٤) انظر رسالة أبى داود إلى أهل مكة فى وصف سننه ، وجامع العلوم والحكم ص ٥١ .

(٥) البخارى (١) وانظر بقية أطرافه هناك ، ومسلم (١٩٠٧) ، وسنن أبى داود (٢٢٠١) .

(٦) الترمذى (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) . صحيح (صحيح سنن الترمذى) .

(٧) البخارى (١٣) ، ومسلم (٤٥/٧١) ، كلاهما بنحوه .

(٨) البخارى (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) ، وسنن أبى داود (٣٣٢٩، ٣٣٣٠) .

(٩) الكلام للخطيب البغدادى . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٥٧.

الإمامُ المُقدَّمُ فى زَمانِه رجلٌ لم يسبِقْه إلى معرفَتِه تخْريجَ العُلومِ وبصَرِه بمواضعِه أحدٌ مِن أهلِ زَمانِه ، رجلٌ وَرِعٌ مُقدَّمٌ ، قد سمِعَ منه أحمدُ بنُ حنبلٍ حدِيثًا واحدًا كان أبو داودَ يذْكُره ، وكان إبراهيمُ[1] الأَصْبهانِىُّ وأبو بكرِ بنُ صَدقَةَ يرْفَعون مِن قدْرِه ويذْكُرونه بمالا يذكرون أحدًا فى زَمانِه مِثْلَه . قلتُ[2] : الحديثُ الذى كتَبه عنه وسمِعه منه الإمامُ أحمدُ هو ما روَاه[3] مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن أبى العُشَراءِ[4] الدَّارِمِىِّ ، عن أبيه «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عن العَتِيرَةِ ، فحَسَّنَهَا[5]» .

وقال إبراهيمُ الحَرْبِىُّ وغيرُه[6] : أُلِينَ لأبى داودَ الحديثُ كما أُلِينَ لداودَ الحديدُ . وقال غيرُه[7] : كان أحدَ حُفَاظِ الإسْلامِ للحديثِ وعِلَلِه وسنَدِه ، فى أعْلى درجةِ النُّسكِ والعَفافِ والصلاحِ والوَرَعِ ، مِن فُرْسانِ الحديثِ . وقال غيرُه[7] : كان ابنُ مسعودٍ يُشَبَّهُ بالنبىِّ ﷺ . فى هدْيِه ودَلِّه وسَمْتِه ، وكان علقَمةُ يُشْبِهُه ، وكان إبراهيمُ يُشْبِهُ عَلْقَمَةَ ، وكان منصورٌ يُشبِهُ إبراهيمَ ، وكان سفيانُ يُشْبِهُ منصورًا ، وكان وَكِيعٌ يشبِهُ سفيانَ ، وكان أحمدُ يشبِهُ وَكِيعًا ، وكان أبو داودَ يُشبه أحمدَ بنَ حنبلٍ .

---

(١) فى م : «أبو بكر» . وانظر مصدر التخريج .

(٢) الكلام للخطيب البغدادى . وانظر تاريخ بغداد ٩/٥٧ .

(٣) بعده فى م : «أبو داود» .

(٤) فى الأصل ، ص ، ظ وتاريخ بغداد : «العشر» . وفى م : «معشر» . والمثبت كما فى تهذيب الكمال ٣٤/ ٨٥، وتاريخ دمشق ٢٢/ ١٩٨، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١١.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٩/ ٥٧، ٥٨، ولم نجده فى السنن ، وقد أشار إلى ذلك الإمام الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٣.

(٦) تاريخ دمشق ٢٢/ ١٩٦، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١٢.

(٧) تاريخ دمشق ٢٢/ ١٩٨.

وقال محمدُ بنُ بكرِ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ[1] : كان لأبى داودَ كُمٌّ واسعٌ وكُمٌّ ضَيِّقٌ ، فقيل له : ما هذا يرحَمُكَ اللَّهُ ؟ فقال : هذا [٨/٢٥١و] الواسِعُ للكُتُبِ ، والآخَرُ لا يُحْتاجُ إليه .

وقد كان مَوْلِدُ أبى داودَ فى سنةِ ثِنْتَيْنِ ومِائَتَيْنِ ، وتُوفِّى بالبَصْرَةِ يومَ الجمعةِ لأرْبَعَ عشْرَةَ بقِيَتْ مِن شَوَّالٍ سنةَ خمسٍ وسبعينَ ومائتينِ ؛ عن ثلاثٍ وسَبْعِينَ سنةً ، ودُفِنَ إلى جانبِ قَبْرِ سفيانَ الثَّوْرِىِّ .

وقد ذكَرْنا ترْجمتَه فى كتابِنا « التَّكْمِيلِ » ، وذكَرْنا ثَناءَ الأئمةِ عليه .

محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ [2]أبو العَنْبَسِ الصَّيمَرِىُّ[2] الشاعرُ ، كان [3]مُجيدًا فى شعرِه ، أديبًا[3] ، كثيرَ المُلَحِ ، وكان هَجَّاءً ، ومِن جيِّدِ شعرِه قولُه :

كم [4]مَرِيضٍ قد[4] عاشَ مِن بعدِ يأْسٍ ... بعدَ موْتِ الطَّبيبِ والعُوَّادِ
قد يُصادُ القَطَا فيَنْجُو سليمًا ... ويَحُلُّ القضاءُ بالصيَّادِ

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٥٨.

(٢ - ٢) فى الأصل : « أبو العنبس الضميرى » . وفى س : « أبو العباس الصيمرى » . وفى م : « بن العنبس الضميرى » . وفى ظ : « أبو العباس الضميرى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١/ ٢٣٨، والمنتظم ١٢/ ٢٧١، ومعجم الأدباء ١٧/ ٨، والوافى بالوفيات ٢/ ١٩١.

(٣ - ٣) فى م : « دينًا » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « مريض » . وفى م : « عليل » ، وفى ص ، ظ : « من مريض قد » . والمثبت من المصادر السابقة .

ثم دخلت سنة ستٍّ وسبعين ومائتين

فى المحرَّمِ منها[1] أُعيدَ عمرُو بنُ الليثِ إلى شُرْطَةِ بَغْدادَ ، وكُتِب اسمُه على الفُرُشِ والمَقاعدِ والسُّتورِ ، ثم أُسْقِطَ اسمُه فى شوَّالٍ منها ، وعُزلَ عن ذلك ووُلِّىَ عبيدُ اللَّهِ بنُ طاهرٍ .

وفيها وَلَّى المُوَفَّقُ ابنَ أبى الساجِ نِيابةَ أَذْرَبِيجَانَ . وفيها قصَد هارونُ الشَّارِى الخَارجىُّ مدينةَ المَوْصِلِ ، فنزَل شَرْقِىَّ دِجلتِها ، فحاصَرها ، فخرَج إليه أشرافُ أهلِها فاسْتَأْمَنُوه فأمَّنَهم ، ورَجَع عنهم .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ هارونُ بنُ محمدٍ العباسِىُّ أميرُ الحرَمَيْنِ والطائفِ ، ولمَّا رجَع حُجَّاجُ اليَمنِ نزَلُوا فى بعضِ الأماكنِ ، فجاءَهم سَيْلٌ فلم يشعُروا به حتى غرَّقهم كلَّهم ، فلم يُفْلِتْ مِنهم أحدٌ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ .

وذكَر ابنُ الجوزىِّ فى « مُنْتَظَمِه » وابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[2] ، أنَّ فى هذه السنَةِ انْفَرجَ تلٌّ[3] فى أرضِ البَصْرَةِ يُعرَفُ بتَلِّ بنى[4] شَقِيقٍ عن سَبْعَةِ أقْبُرٍ فى مثْلِ الحوْضِ ، وفيه سبعةٌ ، أبْدانُهم صحيحةٌ وأكْفانُهم ، يفوحُ منهم رِيحُ المِسْكِ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٦، والمنتظم ١٢/ ٢٧٣، والكامل ٧/ ٤٣٦.

(٢) المنتظم ١٢/ ٢٧٣، والكامل ٧/ ٤٣٧. كما أن الخبر فى تاريخ الطبرى أيضا ١٠/ ١٦.

(٣) بعده فى م : « بنهر الصلة » . وبه ورد الخبر فى تاريخ الطبرى . وفى المنتظم أن التل انفرج بنهر الصراة ، وفى الكامل أنه انفرج بنهر البصرة ، وفى النجوم الزاهرة أن التل انفرج بنهر الصُّلْح عند فَمِ الصلح بالعراق . والله أعلم .

(٤) سقط من : الأصل ، س ، ص ، ظ ، وكذا الكامل . وانظر نهاية الأرب ٢٢/ ٣٤١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٥.

أحدُهم شابٌّ له جُمَّةٌ وعلى شفَتَيه بَلَلٌ كأنَّه قد شرِب ماءً، وكأنَّ عيْنَيه مُكَحَّلَتانِ، وبه ضَرْبةٌ فى خاصِرَتِه، وأراد بعضُ مَن حضَره أن يأخذَ مِن شَعْرِه شيئًا فإذا هو قَوِىٌّ كشعْرِ الحىِّ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ[1] **حازِمِ بنِ أبى غرَزَةَ**، الحافِظُ صاحِبُ «المُسْنَدِ» المشْهورِ، له حديثٌ كثيرٌ ورِوايةٌ عاليةٌ.

وبَقِىُّ بنُ مَخْلَدٍ[2]، أبو عبدِ الرحمنِ الأندلسىُّ الحافظُ الكبيرُ، صاحبُ «المُسْنَدِ» المُبَوَّبِ على الفِقْهِ، روَى فيه عن ألفٍ وسِتِّمائةِ صَحابىٍّ، وقد فضَّله ابنُ حزمٍ على «مُسْنَدِ» الإمامِ أحمدَ[3]، وعِندِى فى ذلك نظَرٌ، والظاهرُ أنَّ «مُسْنَدَ أحمدَ» أجْودُ منه؛ [4]فإنه ليس هو ببلادِهم، ولا وقَع لهم روايتُه، ولو اطَّلع عليه ووقَف على ما فيه لمَا فضَّل عليه مُسْنَدًا من المسنداتِ، اللهُمَّ إلَّا أن يكونَ بَقِىٌّ قد سمِع من أحمدَ جميعَ «المسندِ»، وزاد عليه، كما قد يسَّر اللَّهُ من الزياداتِ التى ألحقناها بـ «مسندِ» الإمامِ أحمدَ. وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ[4]. وقد رحَل بقِىٌّ إلى العراقِ، فسمِع مِن [٨/٢٥١ظ] الإمامِ أحمدَ وغيرِه مِن أئمةِ الحديثِ بالعراقِ

---

(١) بعده فى الأصل: «أبى». وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٨/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٤٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٩٨، وطبقات الحفاظ ٢٦٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩١، وتاريخ دمشق ١٠/ ٣٥٤، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣١١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٨٢، ومرآة الجنان ٢/ ١٩٠، وطبقات المفسرين ١/ ١١٦.

(٣) انظر: «فضائل الأندلس وأهلها» لابن حزم ص ١٢، ١٣.

(٤ - ٤) فى الأصل، م، ص: «وأجمع».

وغيرِها ، يزِيدُونَ على المائتَيْن بأرْبَعَةٍ وثمانينَ[1] شيخًا ، وله تَصانيفُ أُخَرُ ، وكان مع ذلك رجلًا صالحًا عابدًا ، زاهدًا ، مُجَابَ الدعوةِ ؛ [2]ذكَر القُشيرىُّ أنَّ[2] امرأةً جاءَتْه ، فقالتْ : إنَّ ابْنِى قد أسرَتْه الإفْرِنْجُ ، وإنِّى لا أنامُ الليلَ مِن شوْقِى إليه ، ولى دُوَيْرَةٌ أُرِيدُ أنْ أبِيعَها لأسْتَفِكَّه ، فإن رأيْتَ أنْ تَسيرَ إلى أحدٍ بأْخذِها لأسْعَى فى فِكاكِه ، فليس لى ليلٌ ولا نهارٌ ، ولا صَبْرٌ ولا قَرارٌ . فقال : نَعم ، انْصَرِفى حتى ننظُرَ فى ذلك إنْ شاء اللَّهُ . وأطْرَقَ الشيخُ وحرَّك شفَتَيْه يدْعُو اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، لولدِها بالخَلاصِ ، فذهبَتِ المرأةُ ، فما كان إلَّا عن قليلٍ حتى جاءَت وابْنُها معها ، فقالتْ : اسْمَعْ خبرَه يرْحَمْكَ اللَّهُ . فقال : كيفَ كان أمرُكَ ؟ فقال : إنِّى كنتُ فِيمَنْ يخْدُمُ الملكَ ، ونحنُ فى القُيودِ ، فبَيْنَما أنا ذاتَ يومٍ أمْشِى إذْ سقَط القَيْدُ مِن رِجْلَىَّ ، فأقْبَل المُوَكَّلُ بنا فشتَمَنى ، وقال : فكَكتَ القيدَ مِن رجْليكَ ؟ فقلتُ : لا واللَّهِ ولِكنَّه سقَط ولم أَشْعُرْ . فجاءُوا بالحَدَّادِ فأعاده وشدَّ مِسْمارَه وأيَّدَه ، ثم قُمْتُ فسقَط أيضًا ، فأعادُوه وأكَّدُوه ، فسقَط أيضا ، فسأَلُوا رُهْبانَهم فقالُوا : له والدةٌ ؟ فقلتُ : نعم . فقالُوا : إنَّه قد اسْتُجِيبَ دُعاؤُها ، أطْلِقُوه . فأطْلَقُونى وخَفَرُونى حتى وصلتُ إلى بلادِ الإسْلامِ . فسَأَله بَقِىٌّ[3] بنُ مَخْلَدٍ عنِ السَّاعَةِ التى سقَط فيها القَيْدُ مِن رِجْلَيْه ، فإذا هى الساعةُ التى دعَا فيها اللَّهَ له .

صاعِدُ بنُ مَخْلدٍ الكاتبُ[4] ، كان كثيرَ الصَّدقَةِ والصلاةِ ، وقد أثْنَى عليه

---

(١) فى النسخ : « ثلاثين » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٠/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٦.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر الأثر فى الرسالة القشيرية ٢/ ٥٣٤، ٥٣٥، وعن القشيرى أخرجه الحميدى فى جذوة المقتبس ١٧٨، وانظر تاريخ دمشق ١٠/ ٣٥٥، والمنتظم ١٢/ ٢٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣١٦.

(٣) فى الرسالة القشيرية : « تقى » . وهو خطأ .

(٤) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٠، والكامل لابن الأثير ٧/ ٤١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٢٣، وقد أوردوا سيرته فى سنة ثنتين وسبعين ومائتين، والمنتظم ١٢/ ٢٧٥.

أبو الفَرجِ بنُ الجوزِيِّ فى «منتظَمِه»[1]، وتكلَّم فيه ابنُ الأثيرِ فى «كاملِه»[2]، وذكَرَ أنَّه كان فيه تِيهٌ وحُمْقٌ، وقد يُمْكِنُ الجمعُ بينَ القَوْلَيْنِ وهاتين الصِّفتَيْنِ.

[3]**ابنُ قُتَيْبَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمِ بنِ قُتَيْبَةَ، أبو محمدٍ** الدِّينَوَرِيُّ، ثم البَغْدادِيُّ، أحدُ العُلَماءِ والأُدباءِ والحُفّاظِ الأذْكياءِ [4]روَى عن إسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ، وغيرِ واحدٍ، وله التصانيفُ المفيدةُ المشهورةُ الأنيقةُ؛ كـ: «غريبِ القرآنِ» و«مشكلِه» و«المعارفِ»، و«أدبِ الكاتبِ»، و«عيونِ الأخبارِ» وغيرِ ذلك[4]، وكان ثقةً نبيلًا جليلًا مِن الأئمةِ، وكان أهلُ العلمِ يتَّهِمُونَ مَن لم يكُنْ فى منْزِلِه شىءٌ مِن تَصانيفِه، وكان سبَبَ وفاتِه أنَّه أكَل لُقْمَةً مِن هريسةٍ فإذا هى حارَّةٌ، فصاحَ صيْحَةً شديدةً، ثم أُغْمِى عليه إلى وقتِ الظهرِ، ثم أفاقَ ثم لم يزَلْ يتشهَّدُ إلى أنْ ماتَ وقتَ السَّحَرِ، أوَّلَ ليلةٍ مِن رجَبٍ، من هذه السنَة، وقيلَ[6]: إنَّه تُوفِّى فى سنَةِ سَبْعِينَ ومائتَيْنِ. والصحيحُ فى هذه السنةِ[3].

عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو قِلَابةَ الرَّقاشِيُّ[5]، أحدُ [٢٥٢/٨و] الحُفّاظِ، وكان يُكْنَى بأبى محمدٍ، ولكِنْ غلَبَ عليه لَقَبُ أبو قِلَابَةَ. سمِعَ يزيدَ ابنَ هارونَ، ورَوْحَ بنَ عُبادَةَ، وأبا داودَ الطَّيَالِسِيَّ وغيرَهم، وعنه ابنُ صاعدٍ والمَحَامِلِيُّ والبُخارِيُّ وأبو بكرٍ الشافعيُّ وغيرُهم، وكان صدُوقًا عابدًا، يُصلِّى فى

---

(١) المنتظم ١٢/ ٢٧٥.

(٢) الكامل ٧/ ٤١٩.

(٣ - ٣) سقط من: س، ظ. وقد تقدمت ترجمته فى ١١/ ٤٨، والثابت أن وفاته فى هذه السنة وليس كما تقدم فى سنة سبعين ومائتين وهو ما سينص عليه المصنف رحمه الله.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠، والمنتظم ١٢/ ٢٧٧، والكامل ٧/ ٤٣٨.

(٥) فى م: «الرياشى»، وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٨/ ٣٩١، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٥، وتهذيب الكمال ١٨/ ٤٠١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٩١.

كلِّ يومٍ أربعَمائةِ ركْعةٍ ، وروَى مِن حفْظِه سِتِّينَ ألفَ حديثٍ ، غلِطَ فى بعْضِها لا[1] على سبيلِ العَمْدِ ، وكانتْ وفاتُه فى شَوَّالٍ مِن هذه السنَةِ عن سِتٍّ وثَمانينَ سنَةً .

ومحمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبى العوَّامِ[2] ، **ومحمدُ** بنُ إسماعيلَ الصَّائغُ[3] ، **ويزيدُ** ابنُ عبدِ الصمدِ[4] ، **وأبو الرَّدَّادِ** المؤَذِّنُ ، وهو عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الردَّادِ ، المؤَذِّنُ[5] صاحِبُ المِقْياسِ بمِصْرَ ، الذى هو مُسَلَّمٌ إليه وإلى ذُرِّيَّتِه إلى يوْمِنا هذا . قاله القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ »[6] .

---

(١) سقط من : م . وفى الأصل ، ص : « و » .

(٢) الثقات لابن حبان ٩/ ١٣٤، وتاريخ بغداد ١/ ٣٧٢، والأنساب ٣/ ١١١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٢٣.

(٣) الثقات لابن حبان ٩/ ١٣٣، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٨، والمنتظم ١٢/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٣٧.

(٤) الثقات لابن حبان ٩/ ٢٧٧، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٩٢.

(٥) الإكمال ٤/ ٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ١١٢، وخطط المقريزى ٢/ ٦٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ١١٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣١١.

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ١١٢.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سبْعٍ وسَبْعِينَ ومائَتَيْنِ

فيها[1] خطَبَ يازمانُ نائبُ طَرَسوسَ لخُمارَوَيْهِ ؛ وذلك أنَّه هادَاه بذهبٍ كثيرٍ وتُحَفٍ هائلةٍ مِن حريرٍ وغيرِ ذلك .

وفيها قَدِمَ قائدٌ عظيمٌ مِن أصْحابِ خُمارَوَيْهِ إلى بغدادَ .

وفيها وَلِيَ المظالمَ ببغدادَ يوسفُ بنُ يعقوبَ ، ونُودِى فى الناسِ : مَن كانتْ له مَظْلِمَةٌ ولو عندَ الأميرِ الناصِرِ لدينِ اللَّهِ أبى أحمدَ الموفَّقِ ، أو عندَ أحَدٍ مِن الناسِ فَلْيَحْضُرْ .

وسارَ فى الناسِ سِيرةً حسنةً ، وأظْهَر صَرامَةً لم يُرَ مثلُها .

وحجَّ بالناسِ هارونُ بنُ محمدٍ الهاشمىُّ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبراهيمُ[2] **بنُ إسحاقَ** بنِ أبى العَنْبَسِ[3] أبو إسْحاقَ الكُوفِىُّ قاضِى بَغْدادَ بعدَ ابنِ سَماعَةَ . سمِعَ يَعْلَى بنَ عُبيدٍ وغيرَه ، وحدَّثَ عنه ابنُ أبى الدنيا وغيرُه . تُوفِّى عن ثلاثٍ وتِسْعِينَ سنةً ، وكان ثِقَةً فاضلًا دَيِّنًا صالحًا .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٨، والمنتظم ١٢/ ٢٨١، والكامل ٧/ ٤٣٩.

(٢) الثقات لابن حبان ٨/ ٨٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٩١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٦.

(٣) فى النسخ : «العينين» . والمثبت من مصادر الترجمة .

أحمدُ بنُ عِيسى أبو سعيدٍ الخرَّازُ[1] ، أحدُ مشاهيرِ الصوفيَّةِ بالعبادةِ والمجاهَدةِ والوَرَعِ والمُراقَبَةِ ، وله تصانيفُ فى ذلك ، وله كَراماتٌ وأحْوالٌ وصَبْرٌ على الشدائدِ وضيقِ الحالِ . وروَى عن إبراهيمَ بنِ بشَّارٍ صاحِبِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، وغيرِه ، وعنه علىُّ بنُ محمدٍ المصرِىُّ وجماعةٌ .

ومِن جيِّدِ كلامِه قولُه[2] - رحِمه اللَّهُ - : إذا بَكَتْ أعْينُ الخائفِين ، فقد كاتَبُوا اللَّهَ بدُموعِهم . وقولُه[3] : العافيةُ تَسْتُرُ البَرَّ والفاجِرَ ، فإذا جاءتِ البلوى تَبَيَّنَ عندَها الرجالُ . وقولُه[4] : كلُّ باطِنٍ يُخالفُه ظاهِرٌ فهو باطِلٌ . وقولُه[5] : الاشْتغالُ بوَقْتٍ ماضٍ تَضْيِيعُ وَقْتٍ حاضرٍ . وقولُه[6] : ذُنوبُ المُقرَّبِينَ حسَناتُ الأبرارِ . وقال[7] : الرِّضا قبلَ القَضاءِ تَفْوِيضٌ ، والرِّضَا مع القَضاءِ تسْليمٌ .

وقد روَى [٨/٢٥٢ظ] البَيْهَقِىُّ[8] بسنَدِه إليه أنَّه سُئِلَ عن قولِ النبىِّ ﷺ : « جُبِلَت الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحسَنَ إليها »[9] . فقال : يا عجَبًا لمَنْ لم يَرَ مُحْسِنًا غيرَ اللَّهِ ، كيف لا يميلُ إليه بكُلِّيَّتِه ؟! قلتُ : وهذا الحديثُ ليس بصحيحٍ ، ولكِنَّ كلامَه عليه أحْسَنُ .

---

(١) طبقات الصوفية ٢٢٨، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٦، وتاريخ بغداد ٤/ ٢٧٦، وتاريخ دمشق ٥/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١-٢٩٠هـ) ص ٧٧.

(٢) المنتظم ١٢/ ٢٨٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤٣٧.

(٣) المنتظم ١٢/ ٢٨٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤٣٨.

(٤) طبقات الصوفية ٢٣١، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٧٨.

(٥) تاريخ دمشق ٥/ ١٣٢.

(٦) تاريخ بغداد ٤/ ٢٧٧، وتاريخ دمشق ٥/ ١٣٧، وصفة الصفوة ٢/ ٤٣٧.

(٧) تاريخ دمشق ٥/ ١٣٧.

(٨) شعب الإيمان ١/ ٣٨١. كما أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٤/ ٢٧٧.

(٩) الحديث أخرجه ابن عدى فى الكامل ٢/ ٧٠١، وأبو نعيم فى الحلية ٤/ ١٢١، والخطيب فى تاريخ بغداد ٧/ ٣٤٦.

وقال ابنُه سعيدٌ[1] : طلَبْتُ مِن أبى دانِقَ فِضَّةٍ ، فقال : يا بُنَىَّ ، اصْبِرْ فلو أحبَّ أبوكَ أنْ يرْكَبَ الملُوكُ إلى بابِه ما تأَبَّوا عليه .

وروَى الحافظُ ابنُ عساكِرَ[2] عنه قال : أصابَنى مَرَّةً جُوعٌ شديدٌ فهَمَمْتُ أن أسألَ اللَّهَ طَعامًا ، فقلتُ : هذا يُنافِى التَّوَكُّلَ ، فهَمَمْتُ أن أسألَه صَبْرًا ، فهتَف بى هاتِفٌ يقولُ :

ويـزعُـمُ أنّـهُ مِـنَّـا قـريـبٌ وأنَّـا لا نُـضـيِّـعُ مَـن أتَـانـا
ويسألُنا القِرَى جُهْدًا وصَبرًا كـأنَّـا لا نَـراهُ ولا يَـرانـا

قال : فقمتُ ومشيتُ فَراسِخَ بلا زادٍ .

وقال أبو سعيدٍ الخرّازُ[3] : المحبُّ يتعلَّلُ إلى محْبُوبِه بكلِّ شىءٍ ، ولا يتَسَلَّى عنه بشىءٍ ، يتَّبِعُ آثارَه ، ولا يَدَعُ اسْتِخْبارَه ، ثم أنشدَ :

أُسائِلُكم عنها فهل مِن مُخَبِّرٍ فَمالِى بنُعْمَى بعدَ مكَّتِنا عِلْمُ
فلوْ كنتُ أدْرِى أينَ خَيَّمَ أهلُها وأىَّ بلادِ اللَّهِ إذ ظَعَنُوا أَمُّوا
إذًا لَسَلَكْنا مَسْلَكَ الرِّيحِ خلفَها ولو أصبَحتْ نُعْمَى ومِن دُونِها النَّجْمُ

وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ . وقيل[4] : فى سنَةِ سَبْعٍ وأرْبعِينَ . وقيل[4] : فى سنَةِ ستٍّ وثمانينَ . والأوَّلُ أصحُّ .

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ١٣٩.
(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٢٤٠، ٢٤١.
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٨، وتاريخ دمشق ٥/ ١٤٢.
(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٢٧٨.

عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سِنانِ بنِ دَلَّوَيْهِ[1] **بنِ موسى الطَّيالسيُّ الحافظُ**، يُلَقَّبُ: زَغاثَ[2]، سمِع عَفَّانَ وأبا نُعَيْمٍ، وعنه أبو بكرٍ الشافعيُّ وغيرُ واحدٍ، ووَثَّقَه الدَّارَقُطْنِيُّ. كانت وفاتُه فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ عن أربعٍ وثمانين سنةً.

أبو حاتمٍ الرَّازِيُّ محمدُ بنُ إدْرِيسَ بنِ المُنْذِرِ بنِ داودَ بنِ مِهْرانَ، أبو حاتمٍ الحَنْظَلِيُّ الرازِيُّ[3]، أحدُ أئمةِ الحُفَّاظِ الأثْباتِ العارِفينَ بعِلَلِ الحديثِ والجرحِ والتعْدِيلِ، وهو قَرِينُ أبى زُرْعَةَ، الرازِيِّ، تغمَّدهما اللَّهُ برحمتِه، سمِع الكثيرَ وطافَ الأقْطارَ والأمْصارَ، وروَى عن خلقٍ من الكِبارِ، وحدَّث عنه الرَّبيعُ بنُ سُلَيمانَ، ويونسُ بنُ عبدِ الأعلى، وهما أكبرُ منه، وقَدِمَ بَغْدادَ فحدَّثَ بها، وروَى عنه مِن أهْلِها إبْراهيمُ الحَرْبِيُّ، وابنُ أبى الدُّنْيا، والمَحَامِلِيُّ وغيرُهم.

قال لابْنِهِ عبدِ الرحمنِ[4]: يابُنَيَّ، مشيْتُ على قدَمَيَّ فى طلَبِ الحديثِ أكثرَ مِن ألفِ فَرْسَخٍ. وذُكِرَ أنَّه لم يكُنْ له شىءٌ يُنْفِقُ [٢٥٣/٨و] عليه فى بعضِ الأحْيانِ، وأنَّه مكَثَ ثلاثًا لا يأْكلُ شيئًا حتى اسْتَقْرَضَ مِن بعضِ أصْحابِه نِصْفَ دِينارٍ[5]. وقد أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ مِن العُلَماءِ والفُقَهاءِ.

---

(١) فى الأصل، م: «ذكويه». وانظر نزهة الألباب ١/ ٢٦٥.

(٢) فى م: «رعاب». وانظر نزهة الألباب ١/ ٣٤٢. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١١/ ١٧٠، والمنتظم ١٢/ ٢٨٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤١٠، وطبقات الحفاظ ص ٢٧٢.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٧٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٨٤، وتاريخ دمشق ١٥/ ٤٦ (مخطوط)، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٨١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٣٠، والوافى بالوفيات ٢/ ١٨٣.

(٤) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/ ٣٥٩.

(٥) المصدر السابق ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

وكان يتحدَّى مَن حضَر عندَه مِن الحُفّاظِ وغيرِهم ، ويقولُ : مَن أغْرَبَ عليَّ بحديثٍ واحدٍ صحيحٍ فله عليَّ دِرْهمٌ أتَصدَّقُ به . قال : ومُرادِى أن أسمعَ ما ليْسَ عندِى ، فلم يأتِ أحدٌ بشىءٍ مِن ذلك[1] . وكان فى جملةِ مَن حضَر ذلك أبو زُرْعَةَ الرازِىُّ .

كانتْ وفاةُ أبى حاتمٍ فى شعبانَ مِن هذه السَّنَةِ .

محمدُ بنُ الحسينِ[2] بنِ مُوسَى [3]بنِ الحسَنِ[3] أبو جَعْفَرٍ الكُوفِىُّ الخزَّازُ المعْروفُ بالحُنَيْنىِّ[4] ، له مُسْنَدٌ كبيرٌ ، روَى عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مُوسى ، **والقَعْنَبِىِّ** ، وأبى نُعَيْمٍ ، وغيرِهم ، وعنه ابنُ صاعِدٍ ، **والمحَامِلِىُّ** وابنُ السَّمَّاكِ ، وكان ثقةً صدُوقًا .

محمدُ بنُ سعدانَ[5] **أبو جعْفَرٍ البزازُ**[6] ، سمِعَ مِن أكثرَ مِن خَمْسِمِائَةِ شيخٍ ، ولكِنْ لم يُحدِّثْ إلَّا باليَسيرِ ، وتُوفِّى فى شعبانَ منها . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[7] : وثَمَّ[8] محمدُ بنُ سعدانَ البَزَّازُ ، عنِ القَعْنَبِىِّ ، وهو غيرُ مشْهورٍ ، ومحمدُ بنُ سعدانَ النحوىُّ مشْهورٌ . تُوفِّى فى سنَةِ إحْدَى وثلاثينِ[9] ومائَتيْنِ .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٧٥.

(٢) فى م : « الحسن » . وانظر تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٥، والمنتظم ١٢/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٤٢، والعبر ٢/ ٥٨.

(٣ - ٣) ليس فى مصادر ترجمته ، وفى المنتظم ١٢/ ٢٨٦: « محمد بن الحسين بن الحسن بن موسى » .

(٤) فى س : « الخشنى » ، وفى م : « الجندى » . وفى ظ : « الحسنى » . وانظر الأنساب للسمعانى ٢/ ٢٨٢.

(٥) بعده فى الأصل : « البزار » .

(٦) فى الأصل ، م : « الرازى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٥، والمنتظم ١٢/ ٢٨٦.

(٧) المنتظم ١٢/ ٢٨٦.

(٨) فى الأصل ، س ، ظ : « لهم » ، وفى م ، ص : « هم » . والمثبت من المنتظم ١٢/ ٢٨٦.

(٩) سقط من : الأصل ، م .

قال ابنُ الأثيرِ فى « كامله »[1] : وتوفِّى فيها **يَعْقُوبُ بنُ سُفْيانَ** بنِ جُوَانَ[2] الإمامُ الفَسَوىُّ ، وكان يتشَيَّعُ . ويَعْقُوبُ بنُ يُوسُفَ بنِ مَعْقِلٍ الأَمَوىُّ مَوْلاهُم[3] ، والدُ أبى العباسِ أحمدَ[4] الأصَمِّ . **عُرَيبُ** المُغَنِّيَةُ المأْمُونِيَّةُ ، قيل : إنَّها ابنةُ جَعْفَرِ بنِ يَحْيَى البَرْمَكِىِّ . فأمَّا **يَعْقُوبُ بنُ سُفْيانَ**[5] **بنِ جُوَانَ** فهو أبو يُوسُفَ بنُ أبى مُعاوِيَةَ الفارِسِىُّ الفَسَوىُّ ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وروَى عن أكثرَ مِن ألفِ شيخٍ مِن الثِّقاتِ ؛ منهم هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، ودُحَيْمٌ ، وأبو الجُماهِرِ[6] ، وسُلَيمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ الدمشقيون ، وسعيدُ بنُ منصُورٍ ، وأبو عاصِمٍ ، ومَكِّىُّ بنُ إبْراهيمَ ، وسُلَيمانُ بنُ حَرْبٍ ، ومحمدُ بنُ كثيرٍ ، وعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ مُوسَى ، والقَعْنَبِىُّ . وروَى عنه النَّسائىُّ فى سُنَنِه ، وأبو بكرِ بنُ أبى داودَ ، والحسَنُ بنُ سُفْيانَ ، وابنُ خِراشٍ ، وابنُ خُزَيْمَةَ وأبو عَوانَةَ الإسْفِرَايِينى وخلقٌ سواهم ، وصنَّفَ كتابَ « التاريخِ والمعْرفَةِ » ، وغيرَه مِن الكتبِ المُفيدةِ النافعةِ ، وقد رحَل فى طَلبِ الحديثِ إلى البلدانِ النائِيَةِ ، وتغرَّبَ عن وطَنِه فى ذلك نحْوَ ثلاثينَ سنةً ، وقد روَى ابنُ عساكِرَ[7] عنه أنَّه قال : كنتُ أكتُبُ فى الليلِ على ضَوْءِ السِّراجِ فى زَمنِ الرِّحلةِ ، فبَيْنا أنا ذاتَ ليلةٍ إذْ وقَع شىءٌ على بصَرِى فلم أُبْصِرْ معه السِّراجَ ، فجعَلْتُ أبْكِى

---

(١) الكامل ٧/ ٤٤٠.

(٢) فى الأصل ، ص ، م : « حران » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨٦، والكامل ٧/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٩٦.

(٤) بعده فى م ، ظ : « بن » .

(٥) فى الأصل : « يوسف » . وانظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ١/ ٤١٦، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٩٣.

(٦) فى م : « المجاهر » ، وفى ص : « الجماهير » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٠.

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٤٥ ، بنحوه .

على [٨/٢٥٣ظ] ما فاتَنى مِن ذَهابِ بصَرِى ، وما يفُوتُنى بسبَبِ ذلك مِن كتابةِ حديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وما أنا فيه مِن الغُربَةِ ، ثم غلَبَتْنى عيْنى فنِمْتُ ، فرأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ . فقال : مالَكَ ؟ فشكَوْتُ إليه ما أنا فيه مِن الغُرْبَةِ ، وما فاتَنى مِن كتابةِ السُّنَّةِ . فقال : « ادْنُ مِنِّى ، فدَنَوْتُ منه ، فوضَع[1] يدَه على عيْنِى ، وجعَل كأنَّه يقْرَأُ شيئًا مِن القرآنِ ، ثم اسْتَيقظتُ فأبْصَرْتُ وجلَسْتُ أُسَبِّحُ اللَّهَ .

وقد أثْنَى عليه أبو زُرْعَةَ الدِّمشْقِىُّ[2] ، والحاكِمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِىُّ وقال[3] : هو إمامُ أهلِ الحديثِ بفارِسَ ، وقَدِمَ نَيْسَابُورَ وسمِعَ منه مَشايخُنا ، وقد نسَبه بعْضُهم إلى التَّشَيُّعِ . وذكَر ابنُ عساكِرَ[4] أنَّ يَعْقُوبَ بنَ اللَّيْثِ صاحبَ فارِسَ بلَغَه عنه أنَّه يتكلَّمُ فى عُثْمانَ بنِ عفَّانَ ، فأمَر بإحْضارِه ، فقالَ له وزيرُه : أيُّها الأميرُ ، إنَّه لا يتَكلَّمُ فى شيْخِنا عُثْمانَ بنِ عفَّانَ السِّجْزِىِّ ، إنما يتكَّلمُ فى عُثْمانَ بنِ عفَّانَ الصَّحابىِّ . فقال : دَعُوه مالِى وللصَّحابةِ ، إنِّى إنَّما حَسِبْتُه يتَكلَّمُ فى شيْخِنا عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ السِّجْزِىِّ .

قلتُ : وما أظُنُّ هذا صحيحًا عن يَعْقُوبَ بنِ سُفْيَانَ ، فإنَّه إمامٌ مُحدِّثٌ كبيرُ القَدْرِ ، وقد كانت وفاتُه قبلَ أبى حاتمٍ بشَهْرٍ فى رجَبٍ من هذه السنةِ بالبَصْرَةِ ، رحِمه اللَّهُ . وقد رآه بعْضُهم فى المنامِ فقال : ما فعَلَ بك ربُّكَ ؟ فقال : غفَرَ لى

---

(١) فى م : « فجعل » .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٤٥، ٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٢.

(٣) تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٣١، بنحوه .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٢، ١٨٣ وقال الذهبى : « هذه حكاية منقطعة ، وما علمت يعقوب الفسوى إلا سلفيًا ...» .

وأمَرنى أن أُمْلِيَ الحديثَ فى السماءِ كما كنتُ أُمْلِيه فى الأرضِ ، فجلَسْتُ للإمْلاءِ فى السماءِ الرابعةِ ، وجلَسَ حوْلِى جماعةٌ مِن الملائكةِ ؛ منهم جِبْرِيلُ يكتُبون ما أُمْلِيه مِن الحديثِ بأقلامِ الذهبِ .

وأما عُريبُ المأْمُونِيَّةُ[1] فقد ترْجَمها الحافظُ ابنُ عساكِرَ فى « تاريخه »[2] وحكَى قولًا لبعضِهم أنَّها ابنةُ جَعْفَرِ بنِ يحيى بنِ خالدِ البَرْمَكِيِّ ، سُرِقتْ وهى صغيرةٌ عندَ ذَهابِ دَوْلَةِ البَرامِكَةِ ، وبِيعَتْ فاشْتَرَاها المأْمُونُ بنُ الرشيدِ ، ثم روَى[2] عن حمَّادِ بنِ إسْحاقَ ، عن أبيه ، أنَّه قال : ما رأيْتُ امْرأةً قَطُّ أحسَنَ وجْهًا ، وأدَبًا وغناءً وضَرْبًا وشِعْرًا ولَعِبًا بالشِّطْرَنْجِ والنَّرْدِ منها ، وما تَشاءُ أنْ تجِدَ خَصْلَةً حسَنةً طريفةً بارعَةً فى امْرأةٍ إلَّا وجَدْتَها فيها . وقد كانتْ شاعرةً مُطْبِقةً فصيحةً بليغةً ، وكان المأمونُ يتَعَشَّقُها ، ثم أحبَّها بعدَه المُعْتَصِمُ ، وكانت هى تَتعشَّقُ لرجلٍ يقالُ له : محمدُ بنُ حامدٍ[3] ، ورُبَّما أدخلَتْه إليها فى دارِ الخلافةِ ، قبَّحها اللَّهُ ، على ما ذكَره ابنُ عساكِرَ عنها فى « تاريخه »[4] ، ثم تعشَّقَتْ صالحًا المُنْذِرِيَّ ، وتزوَّجَتْه سرًّا ، وكانت تقولُ [٨/٢٥٤و] فيه الشعرَ ، ورُبَّما غنَّتْه[5] بينَ يدَيِ المُتوَكِّلِ وهو لا يشْعُرُ فِيمَنْ هو ، فتَضْحَكُ جوارِيه مِن ذلك فتقولُ : يا سَحَّاقاتُ ، هذا خيرٌ مِن عَمَلِكُنَّ[6] . وقد أوْرَدَ ابنُ عساكِرَ شيئًا كثيرًا مِن شعرِها ، فمِن ذلك قولُها لمَّا

---

(١) طبقات الشعراء ص ٤٢٥، والأغانى ٢١/ ٥٤، وتاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٢٩، ونهاية الأرب ٥/ ٩٤، وأوردها الذهبى فى وفيات الطبقة الثالثة والعشرين فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٢١ - ٢٣٠هـ) ص ٢٧٧.

(٢) تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٢٩.

(٣) فى م: «حماد».

(٤) تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٣١.

(٥) فى م: «ذكرته فى شعرها».

(٦) تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٣٦.

دخلَتْ على المُتوكِّلِ تعودُه مِن [1] حُمَّى أصابَتْه فقالت [1] :

أَتَونى فَقَالوا بالخليفةِ عِلَّةٌ ... فَقُلتُ ونارُ الشوقِ تُوقَدُ فى صَدْرِى
ألَا ليتَ بى حُمَّى الخليفةِ جَعْفَرٍ ... فكانتْ بِىَ الحُمَّى وكان لهُ أجْرِى
كفَى حزَنًا [2] إنْ قيلَ حُمَّ فلم أَمُتْ ... مِنِ الحزنِ إنِّى بعدَ هذا لذُو صَبْرِ
جُعِلْتُ فِداءً للخليفةِ جعفرٍ ... وذاكَ قليلٌ للخليفةِ مِن شُكْرِ

ولمَّا عُوفِى دخَلتْ عليه فغنَّتْه مِن قِيلِها [3] :

شُكْرًا لأنْعُمِ مَن عافاكَ مِن سَقَمِ ... دُمْتَ [4] المُعافى مِن الآلامِ والسَّقَمِ
عادتْ بنورِك [5] للأيَّامِ بهْجَتُها ... واهتزَّ نَبْتُ رِياضِ الجُودِ والكَرَمِ
ما قامَ للدِّينِ بعدَ المصطفَى [6] مَلِكٌ ... أَعفُّ منكَ ولا أَرْعَى على [7] الذِّمَمِ
فعَمَّر اللَّهُ فينا جعفرًا ونَفَى ... بنُورِ سنَّتِهِ [8] عَنَّا دُجَى الظُّلَمِ

ولها فى عافيتِه أيضًا [9] :

حَمِدْنا الذى عافَى الخَليفةَ جَعْفَرًا ... على رغْمِ أشْياخِ الضَّلالةِ والكُفرِ
وما كانَ إلَّا مثلَ بدرٍ أصابَهُ ... كسوفٌ قليلٌ ثم أَجْلَى عَن البَدْرِ

(١ - ١) فى الأصل، س، ص، ظ: «مرض أصابه أنشدته من شعره وغنته به. والأبيات فى تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) فى م: «بى حزن».

(٣) تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٣٣.

(٤) فى تاريخ دمشق: «كنت».

(٥) فى م: «ببرئك».

(٦) سقط من: الأصل، وفى م: «اليوم من».

(٧) فى م: «إلى».

(٨) فى الأصل: «شيبته»، وفى م: «وجنته».

(٩) تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٣٤.

سلامتُهُ للدِّينِ عِزٌّ وقُوَّةٌ وعِلَّتُهُ للدِّينِ قاصِمَةُ الظهرِ
مرِضْتَ فأمْرَضْتَ البرِيَّةَ كلَّها وأظْلَمَتِ الأمْصارُ[1] مِن شدَّةِ النُّعْرِ
فلمَّا استَبانَ الناسُ منكَ إفاقةً أَفاقُوا وكانُوا كالنِّيامِ[2] على الجَمْرِ
سلامةُ دنْيانا سلامةُ جَعْفرٍ فدامَ مُعافًى سَالِمًا آخرَ الدَّهرِ
إمامٌ يعُمُّ[3] الناسَ بالفَضْلِ والتُّقى[4] قَرِيبًا مِنَ التَّقْوَى بعيدًا مِنَ الوِزْرِ

ولها [5]مِن الأشعارِ الرائقةِ الفائقةِ شيءٌ كثيرٌ، وفيما ذكَرنا كِفايةٌ، واللَّهُ الموفِّقُ للصوابِ.

قال ابنُ عساكرَ[6]: بلَغنى أنَّ[5] مولِدَها فى سنَةِ إحْدَى وثمانينَ ومِائَةٍ، وتُوفِّيت [٨/٢٥٤ظ] سنَةَ سَبْعٍ وسبْعِينَ ومِائَتيْنِ بسُرَّ مَنْ رَأَى، ولها ستٌّ وتسْعُونَ سنةً.

---

(١) فى تاريخ دمشق: «الأبصار».
(٢) فى تاريخ دمشق: «كالقيام».
(٣) فى م: «أعم».
(٤) فى م: «الندا».
(٥ - ٥) فى م: «أشعار كثيرة رائعة و».
(٦) تاريخ دمشق، تراجم النساء (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ص ٢٣٩.

ثم دخلتْ سنَةُ ثمانٍ وسَبْعِينَ ومِائَتَيْنِ

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : فى المحرمِ من هذه السنةِ طلَع نجمٌ ذو جُمَّةٍ ، ثم صارَتِ الجُمَّةُ ذُؤابَةً . قال : وفى هذه السنَةِ غارَ ماءُ النيلِ ، وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ مثلُه ولا بلغَنا فى الأخبارِ السالفةِ ، فغَلَتِ الأسْعارُ بمصرَ بسبَبِ ذلك جِدًّا . قال : وفيها خُلِعَ علَى عبدِ اللَّهِ بنِ سُلَيمانَ بنِ وهبٍ بالوزارةِ . وقال : فى المحرمِ منها قَدِمَ المُوَفَّقُ أبو أحمدَ من الغَزْوِ فتلَقَّاه الناسُ إلى النَّهْرَوانِ فدَخَل بَغْدادَ وهو مريضٌ بالنِّقْرِسِ ، فاسْتَمرَّ فى دارِه فى أوائلِ صفَرٍ ، وماتَ بعدَ أيامٍ كما ستأتى ترجمتُه فى هذه السنةِ . قال ابنُ الجوزىِّ : وفى هذه السنةِ تحرَّكتِ القَرَامِطةُ ، قبَّحهم اللَّهُ ، وهم فِرْقَةٌ مِنَ الزَّنادِقةِ المَلاحدَةِ أتْباعِ الفَلاسِفةِ مِن الفُرْسِ الذين يَعْتَقِدُونَ نُبُوَّةَ زَرَادِشْتَ ومَزْدكَ ، وكانا يُبِيحانِ المُحرَّماتِ . ثم هم بعدَ ذلك أتْباعُ كلِّ ناعِقٍ إلى باطلٍ ، وأكثرُ ما يَدخلون مِن جهةِ الرَّافِضةِ ، لأنَّهم أقلُّ الناسِ عندَهم وعندَ غيرِهم عقُولًا ، ويقالُ لهم : الإسْماعِيليةُ ؛ لانْتِسابِهم إلى إسْماعيلَ الأَعْرَجِ بنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ . ويقالُ لهم : القَرَامِطَةُ ، قيلَ : نِسْبَةً إلى قِرْمِطَ بنِ الأَشْعَثِ[2] البَقَّارِ . وقيلَ : إنَّ رئيسَهمْ كان فى أوَّلِ دعْوَتِه يأمُر مَنِ اتَّبعه بخَمْسِينَ صلاةً فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ليَشْغَلَهم بذلك عمَّا يريدُ تدبِيرَه مِن المكيدَةِ . ثم اتَّخذَ نُقَباءَ اثْنَىْ عشَرَ ، وأسَّسَ لأتْباعِه دعوةً ومَسْلكًا ، ودعَا إلى إمامٍ مِن أهلِ البيتِ .

---

(١) المنتظم ١٢/ ٢٨٧.

(٢) فى المنتظم ١٢/ ٢٩٠: «الأشعب» . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٣٤.

ويقالُ لهم : الباطِنِيَّةُ ؛ لأنَّهم يُظْهِرُونَ الرَّفْضَ ويُبْطِنُونَ الكُفْرَ المَحْضَ . والخُرَّمِيَّةُ[1] والبابَكِيَّةُ ، نِسْبَةً إلى بَابَكَ الخُرَّمِيِّ الذى ظهَر فى أيامِ المُعْتصِمِ فلم يَزلْ يبعثُ خلفَه الجيوشَ حتى جىءَ به أسيرًا فقتَله كما ذكَرنا فيما سبَق . ويقالُ لهم : المُحَمِّرَةُ ؛ نسْبَةً إلى صِبْغِ الحُمْرَةِ شِعارًا ، مُضاهاةً لسوادِ بنى العباسِ ويقالُ لهم : التَّعْلِيمِيَّةُ ؛ نسْبَةً إلى التعَلُّمِ مِن الإمامِ المعْصَومِ ، وتَرْكِ الرأيِ ومُقْتَضَى العقلِ . ويقالُ لهمُ : السبْعِيَّةُ ؛ نِسْبَةً إلى القولِ بأنَّ الكواكبَ السبْعَةَ المُتَحَيِّرَةَ السَّيّارةَ مُدَبِّرَةٌ لهذا العالمِ فيما يَزْعُمونَ ، لعنَهم اللَّهُ . وهى القمرُ فى الأُولَى ، وعُطارِدُ فى الثانيةِ ، والزُّهَرَةُ فى الثالثةِ ، والشمسُ فى الرابعةِ ، والمرِّيخُ فى الخامسةِ ، والمُشْتَرِى فى السادِسَةِ ، وزُحَلُ فى السابِعَةِ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وقد بَقِى مِنَ البَابَكِيَّةِ جماعةٌ يقالُ : إنَّهم يجْتَمِعُونَ فى [٢٥٥/٨و] كلِّ سنَةٍ ليلةً هم ونِساؤُهم ، ثم يُطْفِئُونَ المِصْباحَ وينْتَهِبُونَ النساءَ ، فمَنْ وقَع فى يدِه امْرأةٌ حلَّتْ له . ويقُولون : هذا اصْطِيادٌ مُباحٌ . لعنَهم اللَّهُ . وقد بسَط أبو الفرجِ بنُ الجوزىِّ فى هذا الموضعِ مِن تاريخِه المسمَّى بالمنتَظَمِ تفصيلَ قولِهم ، لعَنهم اللَّهُ ، وقد سبَقَه إلى ذلك القاضِى أبو بكرٍ البَاقِلَّانِىُّ المُتكلِّمُ المشْهورُ فى كتابِه « هَتْكِ الأسْتارِ وكشْفِ الأسْرارِ » فى الرَّدِّ على الباطِنِيَّةِ ، ورد على كتابِهم الذى جمعَه بعضُ قُضاتِهم بدِيارِ مصْرَ فى أيامِ الفاطِمِيِّينَ الذى سمَّاه « البَلاغَ الأعْظَمَ والناموسَ الأكبرَ » جعَله سِتَّ عشْرَةَ درجةً ، أوَّلُ درجةٍ أنْ يَدْعوَ مَن يجْتَمِعُ به أوَّلًا - إنْ كان مِن أهلِ السُّنَّةِ - إلى القولِ بتَفْضِيلِ علىٍّ علَى عُثْمانَ ،

---

(١) فى م : « الجرمية » .
(٢) المنتظم ١٢/ ٢٩٢.

ثم يَنْتقلُ إذا وافقَه على ذلك إلى تفضيل عليٍّ علَى الشيْخَيْنِ أبى بكرٍ وعمرَ، ثم يترقَّى بعد ذلك إلى سَبِّهما لأنَّهما ظلَمَا عليًّا وأهلَ البيتِ، ثم يترقَّى به إلى تجْهِيلِ الأمَّةِ وتخْطِئَتِها فى مُوافَقَةِ أكثرِهم على ذلك، ثم يشْرَعُ فى القَدْحِ فى دينِ الإسْلامِ مِن حيثُ هو. وقد ذكَرَ لمُخاطَبتِه لِمَنْ يريدُ أنْ يُخاطبَه بذلك شُبَهًا وضَلالاتٍ، لا تروجُ إلَّا على كلِّ غبيٍّ جاهلٍ شقيٍّ. كما قال تعالَى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات: ٧- ٩] أىْ يَضِلُّ به مَن هو ضالٌّ. وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ١٦١- ١٦٣] وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢- ١١٣] والآياتُ فى هذا المعنى كثيرةٌ، ومضمونُها أنَّ الجهلَ والضَّلالَ لا ينْقادُ لها إلَّا شِرارُ الناس كما قالَ بعضُ الشعراءِ[1]:

إنْ هوُ مُسْتَحْوِذًا على أحدٍ ... إلَّا على أضْعَفِ المجَانِينِ

ثم بعدَ هذا كلِّه لهم مَقامَاتٌ فى الكفرِ والجهلِ والسَّخافَةِ والرعونةِ ما لا ينْبَغِى لضعيفِ عَقْلٍ أو دينٍ أو تصورِ سماعُه، مما فتَح عليهم إبْلِيسُ مِن الأبواب وأنْواعِ الجَهالاتِ، ورُبَّما أفادَ بعضُهم إبْلِيسَ أشْياءَ لم تكُنْ عنده كما قال بعضُهم:

---

(١) البيت مجهول القائل وهو فى المقرب ١/ ١٠٥، وشرح التصريح ١/ ٢٠١، والدرر اللوامع ١/ ٩٦، وفى هذه المصادر: «مستوليا» بدل «مستحوذا».

وكنتُ امْرَأً مِن جُنْدِ إبْلِيسَ برْهَةً مِنَ الدهرِ حتى صارَ إبْلِيسُ مِن جُنْدِى

والمقْصودُ أنَّ هذه الطائفةَ تحرَّكَتْ فى هذه السنَةِ، ثم اسْتَفحَل أمرُهم وتَفاقَمَ الحالُ بهم، على ما سنذْكُرُه، حتى آلَ الحالُ إلى أنْ دخَلُوا المسجِدَ الحرامَ فسفَكُوا [٨/٢٥٥ظ] فيه دماءَ الحجِيجِ فى وَسَطِ المسجدِ حولَ الكَعْبَةِ المكرمةِ وكسَرُوا الحَجَرَ الأسْوَدَ واقْتلَعُوه مِن موْضعِه، وذهَبُوا به إلى بلادِهم فى سنَةِ سَبْعَ عشْرَةَ وثَلَاثِمائَةٍ، ثم لم يزَلْ عندَهم إلى سنَةِ تِسْعٍ وثَلاثِينَ وثَلاثِمائَةٍ، فمكثَ غائبًا عن موْضِعه ثِنْتَيْنِ وعِشْرِينَ سنَةً، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون[1].

واتَّفقَ فى هذه السنَةِ شَيْئانِ؛ أحدُهما ظهورُ هؤلاءِ، والثانى مْوتُ حُسامِ الإسْلامِ وناصِرِ الدِينِ أبى أحمدَ المُوَفَّقِ، تغمدَّه اللَّهُ برحمتِه، وأسكَنه بحبوحةَ جنَّتِه بمَنِّه وكرمِه، لكِن أبقَى اللَّهُ للمسلمينَ بعدَه ولدَه أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ الموفقِ المُلَقَّبَ بالمُعْتَضِدِ. وكان شَهْمًا شُجاعًا فاتكًا كريمًا جوادًا مُمَدَّحًا.

وهذه ترْجَمةُ أبى أحمدَ المُوَفَّقِ[2] رحمِه اللَّهُ.

هو الأميرُ الناصِرُ لدِينِ اللَّهِ المُوَفَّقُ باللَّهِ أبو أحمدَ محمدٌ طَلْحَةُ بنُ المُتَوَكِّلِ على اللَّهِ جَعْفَرِ بنِ محمدٍ المُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرشيدِ، كان موَلِدُه فى يومِ الأرْبعاءِ للَيْلَتَيْنِ خلَتَا مِن رَبيعٍ الأوَّلِ سنَةَ تِسْعٍ وعشْرِينَ ومِائَتيْن، وكان أخوه المُعْتَمِدُ حينَ صارَت إليه الخِلافَةُ قد عهِدَ إليه بالوِلايَةِ بعدَ أخيه جَعْفَرٍ، ولَقَّبه المُوَفَّقَ باللَّهِ، ثم لمَّا قتَل صاحبَ الزَّنْجِ وكسَر جيَشَه تلَقَّبَ بناصِرِ دِينِ اللَّهِ، وصارَ إليه العَقْدُ

---

(١) بعده فى م: «وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم على البلاد وتشتت الأمر».

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٧٩، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٩٤، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٤، وشذرات الذهب ٢/ ١٧٢.

والحَلُّ والوِلايَةُ والعَزْلُ، وإليه يُجْبَى الخَراجُ. وكان يُخْطَبُ له على المنابرِ، فيُقالُ: اللَّهُمَّ أصْلِحِ الأميرَ الناصِرَ لدينِ اللَّهِ أبا أحمدَ المُوَفَّقَ باللَّهِ وَلِيَّ عَهْدِ المسلمينَ أخا أميرِ المؤمنينَ. ثم اتفقَ موْتُه قبلَ أخيه المُعْتَمِدِ بسِتَّةِ أشهرٍ، رحِمه اللَّهُ. وكان غزِيرَ العَقْلِ حسَنَ التَّدْبيرِ كريمًا جوادًا مُمَدَّحًا شجاعًا مِقدامًا رئيسًا، حسنَ المحادثةِ والمجالسةِ عادلًا حسنَ السيرةِ، يجْلِسُ للمَظالمِ وعندَه القُضاةُ فيُنْصِفُ المظلومَ مِن الظالمِ، وكان عالمًا بالأدَبِ والنَّسَبِ والفِقْهِ وسِياسَةِ المُلْكِ، وغيرِ ذلك، وله مَحاسِنُ ومآثِرُ كثيرةٌ جدًّا.

وكان سببَ موْتِه أنَّه أصابَه مرضُ النِّقْرسِ فى السفَرِ، ثم قَدِمَ إلى بَغْدادَ وهو عليلٌ فاسْتَقَرَّ فى دارِه فى أوائلِ صفَرٍ، وقد تزايدَ به المرضُ وتوَرَّمَتْ رِجْلُه حتى عظُمَتْ جدًّا، وكان يوضعُ عليها الأشْياءُ المُبَرِّدَةُ كالثلجِ ونحْوِه، وكان يَحْمِلُ سَرِيرَه، أرْبَعُون رجلًا بالنَّوْبةِ، (١عِشرونَ عشرونَ١). فقالَ لهم ذاتَ يومٍ ما أظُنُّكُم إلَّا قد مَلِلْتُمْ فيَاليتنى كواحدٍ منكم آكُلُ كما تأْكلونَ، وأشْرَبُ كما تشْرَبُون وأرقدُ كما ترقدون، فى عافِيَةٍ. وقال أيضًا: فى ديوانى مائةُ ألفِ مُرْتَزِقٍ ليس فيهم أسْوَأُ حالًا منِّى. ثم كانت وفاتُه فى القَصْرِ الحُسَيْنِيِّ ليلةَ الخميسِ لثَمانٍ بَقِين من صفرٍ. قال ابنُ الجَوْزِيِّ(٢): وله سَبْعٌ وأرْبَعُونَ سنةً تنْقُصُ شهرًا وأيامًا.

ولمَّا تُوفِّى أبو أحمدَ الموفقُ، اجْتَمعَ الأُمَراءُ على أخْذِ البَيْعَةِ بولايةِ العهدِ مِن بعدِه لولَدِه أبى العبَّاسِ [٢٥٦/٨و] أحمدَ، فبايعَ له المُعْتَمِدُ بولايةِ العهدِ بعدَ ابنِه

(١ - ١) سقط من س، ظ، وفى م: «عشرون».

(٢) المنتظم ٣٠٤/١٢.

المفوَّضِ ، وخُطِبَ له على المنابرِ بعدَ المفوَّضِ . وجعَل إليه ما كان إلى أبيه مِن الوِلايَةِ والعَزْلِ والقَطْعِ والوَصْلِ والعقدِ والحَلِّ ، ولُقِّبَ المُعْتَضِدَ باللَّهِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها أيضًا :

إدْرِيسُ بنُ سُلَيْمٍ الفَقْعَسِيُّ[1] المَوْصِلِيُّ . قال ابنُ الأثيرِ[2] : وكان كثيرَ الحديثِ والصَّلاحِ . **وإسْحَاقُ** بنُ كِنداجَ[3] نائبُ الجزيرةِ ، وكان مِن ذَوِى الرأيِ الشُّجعانِ المشهورين ، وقامَ بما كان إليه ولَدُه محمدٌ . **ويازامانُ**[4] نائبُ طَرَسُوسَ جاءَه حَجَرُ مَنْجنيقٍ مِن بَلْدَةٍ كان يُحاصِرُها ببلادِ الرومِ ، فماتَ منه ، وذلك فى رجَبٍ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ بطَرَسُوسَ ، فوَلِىَ نيابةَ الثَّغْرِ بعدَه أحمدُ العُجَيفىُّ[5] بأمْرِ خُمارَوَيْهِ بنِ أحمدَ بنِ طُولُونَ ، ثم عزَلَه عن قريبٍ بابنِ عمِّه مُوسَى بنِ طُولُونَ . **وعبدةُ** بنُ عبدِ الرحيمِ[6] قبَّحَه اللَّهُ . ذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظَمِ »[7] أنَّ هذا الشقِىَّ كان مِن الذين يجاهدون كثيرًا فى بلادِ العدوِّ[8] ، فلمَّا كان فى بعْضِ الغَزَواتِ والمسلمونَ مُحاصِرُون لبلدةٍ مِن بلادِ الرومِ ، إذْ نظَرَ إلى امْرأَةٍ فى

---

(١) فى الأصل ، س ، ص : « القعنبى » ، وفى ظ : « العقبى » ، والمثبت موافق لما فى الكامل ٧/ ٤٥١ ، وترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٩٩ .

(٢) الكامل ٧/ ٤٥١ .

(٣) فى الأصل : « كنداجيق » ، وفى ص ، ظ : « كيداجيق » ، وفى س بلا نقط . ويقال له : كنداج ، وكنداجيق كما فى نسخه من الكامل . ترجمته فى الكامل ٧/ ٤٥١ .

(٤) فى س ، ظ : « مازيار » ، وفى ص ، والكامل ٧/ ٤٤٩ : « بازمار » . وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ٢٧ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٨ .

(٥) فى م : « الجعيفى » ، وهو خطأ . انظر تاريخ الطبرى ١٠/ ٢٧ ، والكامل ٧/ ٤٤٩ .

(٦) المنتظم ١٢/ ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٧) المصدر السابق ١٢/ ٣٠٢ . وفيه أن هذه القصة إنما وقعت لشابٍّ كان فى صحبة « عبدة » ، فالذى تنصَّر إنما هو ذلك الشاب وليس « عبدة بن عبد الرحيم » ، « وعبدة » هو راوى القصة وليس صاحبها .

(٨) فى م : « الروم » .

ذلك الحِصْنِ فهَوِيَها ، فراسَلَها : وما السبيلُ إليْكِ . فقالَتْ : أنْ تتنصَّرَ وتَصْعَدَ إليَّ ، فأجابَها إلى ذلك ، قبَّحه اللَّهُ ، فما راعَ المسلمينَ إلَّا وهو عندَها ، فاغْتَمَّ المسلمونَ بسبَبِ ذلك غَمًّا شديدًا ، وشقَّ عليهم مشقةً عظيمةً ، فلمَّا كان بعدَ مدَّةٍ مرُّوا عليه وهو مع تلك المرأةِ فى ذلك الحِصْنِ ، فقالُوا له : يا فلانُ ما فعَل قراءتُك ؟ (١) ما فعَل عِلْمُكَ (١) ؟ ما فعَل صِيَامُكَ و(٢) صَلاتُكَ ؟ فقال : اعْلَمُوا أنِّى أُنْسِيتُ القرآنَ كلَّه إلَّا قولَه : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٣) [الحجر: ٢، ٣] .

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص، وفى س، ظ: «عملك». والمثبت موافق لما فى المنتظم.

(٢) فى م: «ما فعل جهادك وما فعلت».

(٣) بعده فى م: «وقد صار لى فيهم مال وولد».

ثم دخلَتْ سنَةُ تِسْعٍ وسَبْعِينَ ومِائتَيْن[1]

فى أواخرِ المحرمِ منها خُلِعَ جَعْفَرٌ المُفَوَّضُ مِن العهدِ ، واسْتَقلَّ بوِلايةِ العهدِ مِن بعدِ المُعْتَمِدِ أبو العبَّاسِ بنُ المُوَفَّقِ ، ولقِّب بالمعتضدِ ، وجُعِل إليه السلطنةُ كما كان أبوه ، وخطَب بذلك المعتمدُ على رُءوسِ الأشْهادِ ، وكان يومًا مشهودًا ، ففى ذلك يقولُ يحيى بنُ علىٍّ يُهَنِّئُ المُعْتَضِدَ[2] :

ليهْنِكَ عَقْدٌ أنتَ فيهِ المقدَّمُ ... حَبَاكَ به ربٌّ بفَضْلِكَ أعْلَمُ
فإنْ كنتَ قد أصْبَحْتَ والِىَ عهْدِنا ... فأنتَ غدًا فينا الإمامُ المُعظَّمُ
ولا زالَ مَن والاك فينا مُبَلَّغًا ... مُنَاهُ ومَنْ عادَاكَ يَشْجَى[3] ويندَمُ
وكانَ عَمُودُ الدينِ فيهِ تأوُّدٌ[4] ... فعاد بهذا العَهْدِ وهْوَ مُقَوَّمُ
وأصْبَحَ وجْهُ المُلْكِ جَذْلانَ ضاحِكًا ... يُضِىءُ لنا منهُ الذى كانَ يُظْلِمُ
فدُونَكَ فاشْدُد عقدَ ما قد حوَيْتَهُ ... فإنَّكَ دونَ الناسِ فيه المُحَكَّمُ

وفيها نُودِى ببَغْدادَ أنْ لا يمَكَّنَ أحدٌ من القُصَّاصِ والطُّرُقِيَّةِ والمُنَجِّمِينَ ومَن أشْبَهَهُم مِن الجلوسِ فى المساجدِ ولا فى الطُّرقاتِ ، وأنْ لا تُباعَ كتبُ الكَلامِ

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٨/١٠ ، والمنتظم ٣٠٥/١٢ ، والكامل ٢٧٩/٧ .
(٢) الكامل ٧/ ٤٥٢.
(٣) فى م : « يخزى » .
(٤) فى م : « تعوج » .

والفَلسفةِ والجدَلِ بينَ الناسِ ، وذلك بهِمَّةِ أبى العباسِ المعتضِدِ سلطانِ الإسلامِ .

وفى هذه السنةِ وقَعت حروبٌ بينَ هارونَ الشَّارِى وبينَ بنى شَيْبانَ فى أرضِ المَوْصلِ وقد بسَط ذلك ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[1] .

وفى رجبٍ منها كانت وفاةُ **المعتمدِ على اللَّهِ** ليلةَ الاثنينِ لتسعَ عشْرَةَ ليلةً خلَت منه ، **وهذه ترجمتُه**[2] :

هو أميرُ المؤمنين [٨/٢٥٦ظ] المعتمدُ على اللَّهِ بنُ المتوكِّلِ على اللَّهِ بنِ المعتصمِ ابنِ الرشيدِ ، واسمُه أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ المهدىِّ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ أبى جعفرٍ المنصورِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، استمرت أيامُه فى الخلافةِ ثلاثًا وعشرين سنةً وستَّةَ أيامٍ ، وكان عمرُه يومَ مات خمسين سنةً وستةَ أشهرٍ ، وكان أسنَّ من أخيه أبى أحمدَ الموفقِ بستةِ أشهرٍ ، وتأخَّر بعدَه أقلَّ من سنةٍ ، ولم يكنْ إليه مِن الأمرِ شىءٌ ، وإنَّما كان الأمرُ كلُّه فيما يتعلَّقُ بتدبيرِ الخلافةِ إلى الموَفَّقِ . وقد اتفق أنَّ المعتمدَ طلَب فى بعضِ الأيامِ ثلاثَمائةِ دينارٍ فلم يَحصلْ له ، فقال[3] فى ذلك :

[4]أليس مِن العجائبِ أنَّ مثلى[4] يـرَى مـا قـلَّ مُمـتَنِعًـا عـلـيـه
وتُؤخَذُ باسمِه الدُّنيا جميعًا وما مِن[5] ذاك شىءٌ فى يديه

---

(١) الكامل ٧/ ٤٥٣.
(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٤٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٩٢، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٣.
(٣) بعده فى م: «الشاعر». والأبيات فى تاريخ الخلفاء ص ٣٦٥.
(٤ - ٤) فى م: «ومن العجائب فى الخلافة أن».
(٥) سقط من: م.

إلـيـهِ تُحـمَـلُ الأمْـوالُ طُـرًّا ويُمنَعُ بعضَ ما يُجْبَى إليه

وكان أوَّلَ خليفةٍ انتقَل مِن سامَرَّا إلى بغدادَ بعدَ ما بُنِيت سامَرَّا ، ثم لم يعُدْ إليها أحدٌ مِن الخلفاءِ ، بل جعَلوا دارَ إقامَتِهم ببغدادَ ، وكان سببَ هلاكِه فى ما ذكَر ابنُ الأثيرِ[1] ، أنَّه شَرِب تلك الليلةَ شرابًا كثيرًا وتعشى عشاءً كثيرًا ، وكانت وفاتُه فى القصرِ الحَسَنىِّ[2] من بغدادَ ، وحينَ مات أحضرَ المعتضدُ القضاةَ والأعيانَ وأشهَدهم أنَّه مات حَتْفَ أنفِه ، ثم غُسِّل وكُفِّن وصُلِّى عليه ، ثم حُمِل فدُفِن بسامَرَّا . وفى صَبيحةِ العزاءِ بويع للمعتضدِ باللَّهِ .

خلافةُ المعتضدِ باللَّهِ

أميرِ المؤمنين أبى العبَّاسِ أحمدَ بنِ أبى أحمدَ الموفَّقِ بنِ جعفرِ المُتَوَكِّلِ ، وكان مِن خِيارِ خلفاءِ بنى العبَّاسِ ورجالِهم . وكانت البيعةُ له صَبيحةَ موتِ المعتمدِ ، وذلك لعشرٍ بقِين من رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ تسعٍ وسبعين ومائتين - وقد كان أمرُ الخلافةِ دائِرًا فأحْياه اللَّهُ بهِمَّتِه وعدلِه وشهامتِه وصرامتِه وشجاعتِه ، واسْتَوْزَرَ عُبيدَ اللَّهِ بنَ سليمانَ بنِ وهْبٍ ، ووَلَّى مولَاه بدرًا الشرطةَ فى بغدادَ ، وجاءَتْه هدايا عمرِو بنِ اللَّيْثِ ، وسألَ منه أن يولِّيَه إمرَةَ خُرَاسانَ فأجابَه إلى ذلك ، وبعثَ إليه بالخِلَعِ واللواءِ ، فنصَبه عمرُو بنُ الليثِ فى دارِه ثلاثةَ أيامٍ فرحًا وسرورًا بذلك ، وعزَل رافِعَ بنَ هرْثَمةَ عن إمْرَةِ خُرَاسانَ ، ودخَلها عمرُو بنُ اللَّيْثِ ، فلم يزَلْ يتبعُ رافِعًا مِن بلدٍ إلى بلدٍ حتى قتَلَه فى سنةِ ثلاثٍ وثمانين كما سيأتى ، وبعَث برأسِه إلى المعتضدِ ، وصفَت إمرَةُ خُرَاسانَ لعمرِو بنِ الليثِ .

---

(١) الكامل ٧/ ٤٥٥.

(٢) فى م : « الحسينى » ، وفى ص : « الخشبى » .

وفى هذه السنةِ قدِم الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ المعْروفُ (١بابنِ الجصَّاصِ١) مِن الديارِ المصريةِ بهَدايا عظيمةٍ مِن خُمارَوَيهِ صاحبِ مصرَ إلى المعتضدِ باللَّهِ ، فتزوَّج المعتضدُ بابنةِ خُمارَوَيْهِ ، فجهَّزها أبوها بجَهازٍ لم يُسمَعْ بمثلِه ، حتى قيلَ : إنَّه كان مِن الهواوينِ الذهبِ مائةُ هاوُنٍ ، فحُمِل ذلك كلُّه مِن الديارِ المصريَّةِ إلى بغدادَ صُحبةَ العروسِ ، وكان وقتًا مشهودًا .

وفى هذه السنةِ تملَّك أحمدُ بنُ عيسى بنِ الشيخِ قلعةَ مارْدِينَ ، وكانت قبلَ ذلك لإسحاقَ بنِ كِنْداجَ[٢] .

وفيها حجَّ بالناسِ هارونُ بنُ محمدٍ العبَّاسيُّ وهى آخِرُ حجَّةٍ حجَّها ، وكان يحُجُّ بالناسِ مِن سنةِ أربعٍ وستِّين ومائتَين إلى هذه السنةِ .

وممن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ أميرُ المؤمنين المعتمدُ كما تقدم ترجمتُه قريبًا .

وأبو بكرِ بن أبى خَيْثَمةَ[٣] ، أحمدُ بنُ زُهيرِ بنِ خَيْثَمةَ [٨/٢٥٧و] صاحبُ « التاريخِ » وغيرِه ، سمِع أبا نُعَيمٍ ، وعفَّانَ ، وأخَذْ علمَ الحديثِ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ويحيى بنِ مَعينٍ ، وعلمَ النَّسبِ عن مصعبٍ الزُّبيرِيِّ ، وأيامَ الناسِ عن أبى الحسنِ عليِّ بنِ محمدٍ المدائنيِّ . وأخذ الأدبَ عن محمدِ بنِ سلَّامٍ الجُمحيِّ . وكان ثقةً حافظًا ضابطًا مشهورًا ، وفى « تاريخِه » هذا فوائدُ كثيرةٌ وفرائدُ غزيرةٌ .

(١ - ١) فى م : « بالجصاص » .

(٢) فى الأصل ، ص : « كنداجيق » ، وفى س : « كنداحق » ، وفى ظ : « كيداجيق » .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٥٢، والعبر ٢/ ٦١، ومرآة الجنان ٢/ ١٩٣.

روَى عنه البغوِىُّ ، وابنُ صاعدٍ وابنُ أبى داودَ وابنُ المُنادِى . وقد كانت وفاتُه فى جُمادَى الأولَى مِن هذه السنةِ عن أربعٍ وتسعِين سنةً ، رحمِه اللَّهُ .

وخَاقانُ أبو عبدِ اللَّهِ الصوفىُّ[1] ، كانت له أحوالٌ وكَراماتٌ . [2]**ونصرُ بنُ أحمدَ بنِ أسدِ بنِ سامانَ**[3] ، السامانىُّ ، أحدُ ملوكِهم الأكابرِ ، وقد كانوا مِن سلالةِ الأكاسرةِ ، كان جدُّهم سامانُ مِن أصحابِ أبى مسلمٍ الخراسانىِّ ، وأصلُه مِن ذريةِ بِهْرامَ بنِ أزدشيرَ بنِ سابورَ ، ثم كان ابنُه أسدٌ مِن عقلاءِ الرجالِ ، وخلَّف نوحًا وأحمدَ ويحيى وإلياسَ ، وقد وَلِى كلٌّ واحدٍ مِن هؤلاءِ مملكةَ ناحيةٍ مِن النواحى ، وهم السامانيَّةُ[2] .

البَلاذُرِىُّ[4] **المؤرِّخُ** أحدُ المشاهيرِ ، أحمدُ بنُ يحيى بنِ جابرِ بنِ داودَ أبو الحسَنِ ، ويقالُ : أبو جعفرٍ . ويقالُ : أبو بكرٍ . البغدادِىُّ البلاذُرِىُّ صاحبُ «التاريخِ» المنسوبِ إليه ، سمِع هشامَ بنَ القاسمِ بنِ سلَّامٍ ، وأبا الرَّبيعِ الزَّهرانىَّ وجماعةً ، وعنه يحيى بنُ النديمِ وأحمدُ بنُ عمارٍ وأبو يوسفَ يعقوبُ بنُ نُعَيْمِ بنِ قَرقارةَ الأَزدِىُّ .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[5] : كان أديبًا راويةً[6] ، له كتبٌ جيادٌ ، ومدَح المأمونَ بمدائحَ ، وجالَس المتوكِّلَ ، وتوفِّى أيامَ المعتمدِ ، ووُسْوِسَ فى آخرِ عمرِه .

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٤، والمنتظم ١٢/ ٣٢٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٣) المنتظم ١٢/ ٣٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٨٢.

(٤) تاريخ دمشق ٦/ ٧٤، وبغية الطلب ٣/ ٢٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٨٩، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٣٩.

(٥) تاريخ دمشق ٦/ ٧٥.

(٦) فى م : «ظهرت» .

وروَى ابنُ عساكرَ [1]عن البَلاذُرِىِّ[1] قال : قال لى محمودٌ الورَّاقُ : قُلْ مِن الشعرِ ما يَبقَى لك ذكرُه ، ويزولُ عنك إثمُه فقلتُ :

اسْتعدِّى يا نفسُ للموتِ واسْعَىْ ... لـنـجـاةٍ فـالحازِمُ المُسـتـعِـدُّ
[2]قد تبينتِ أنَّه ليس للحىِّ ... خـلـودٌ ولا مِـن الموتِ بـدُّ[2]
إنَّما أنـتِ مـسـتـعـيـرةٌ مـا سـو ... ف تَـرُدِّيـن والـعَـوارِى تُـرَدُّ
أنتِ تسْهيْنَ والحوادِثُ لاتسْـ ... ـهُـو وتَـلْـهِـيـنَ والمَنـايـا تجِـدُّ[3]
أىُّ مُلْكٍ فى الأرضِ أو أىُّ حظٍّ ... لامرِئٍ حظُّه من الأرضِ لَـحْـدُ
لا تُرَجِّى البقاءَ فى معدِنِ المو ... تِ ودارٍ حـتـوفُـهـا لـك وِرْدُ
كـيـفَ يـهْـوَى امْـرؤٌ لَـذاذةَ أيَّا ... مٍ عـلـيـهِ الأنـفـاسُ فيها تُـعَـدُّ

التِّرمذِىُّ[4] محمدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرةَ بنِ موسى بنِ الضَّحّاكِ ، وقيلَ : محمدُ بنُ عيسى بنِ يزيدَ بنِ سَوْرةَ بنِ السَّكَنِ ، ويُقال : محمدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرةَ بن شدادٍ . أبو[5] عيسى السُّلَمىُّ التِّرْمذِىُّ الضَّريرُ ، ويُقال : إنَّه ولِد أكْمَهَ . وهو أحدُ أئمةِ هذا الشأنِ فى زمانِه ، وله المصنَّفاتُ المشهورةُ منها ؛ « الجامعُ » و« الشمائلُ » ، و « أسماءُ الصَّحابةِ » وغيرُ ذلك . وكتابُ « الجامعِ » أحدُ الكُتبِ الستَّةِ التى يرجعُ إليها العلماءُ فى سائرِ الآفاقِ ، وجَهالةُ ابنِ حزمٍ لأبى عيسى

(١ - ١) سقط من : م . والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٦/ ٧٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى النسخ : « تعد » والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٨، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٥٩. وطبقات الحفاظ ص ٢٧٨.

(٥) فى م : « بن » .

حيثُ قال فى « مُحلَّاه »[1] : ومَن محمدُ بنُ عيسى بنِ سورةَ ؟ لا تضرُّه فى دينِه ودنياه ولا تضَعُ مِن قدْرِه عندَ أهلِ العلمِ ، بل تحُطُّ مِن منزلةِ ابنِ حزمٍ عندَ الحُفَاظِ .

وكيف يصِحُّ فى الأذهانِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ[2]

وقد ذكَرنا مشايخَه فى كتابِنا « التَّكميلِ » . وروَى عنه غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ مِنهم محمدُ بنُ إسْماعيلَ البخاريُّ فى غيرِ « الصَّحيحِ » ، والهيثَمُ بنُ كُليبٍ الشَّاشِيُّ صاحبُ « المسندِ » ، ومحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محبوبٍ المحبوبيُّ ، راوِى « الجامعِ » [٢٥٧/٨ظ] عنه . ومحمدُ بنُ المُنْذرِ[3] شَكَّرُ . قال الحافظُ أبو يَعْلَى الخليلُ بنُ عبدِ اللَّهِ الخَليليُّ القَزوينيُّ فى كتابِهِ « علومِ الحديثِ »[4] : محمدُ بنُ عيسى بنِ سَورةَ بنِ شدَّادٍ الحافِظُ متَّفقٌ عليه ، له كتابٌ فى السننِ وكلامٌ فى الجرحِ والتَّعديلِ ، روَى عنه ابنُ[5] محبوبٍ والأجلَّاءُ ، وهو مشهورٌ بالأمانةِ والعلمِ ، مات بعدَ الثمانين ومائتين . كذا قال فى تاريخِ وفاتِه . وقد قال الحافِظُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سليمانَ الغُنجارُ فى « تاريخِ بُخارَى »[6] : محمدُ بنُ عيسى بنِ سَورةَ بنِ موسى بنِ الضَّحّاك السلَمِيُّ التِّرمذِيُّ الحافِظُ ، دخل بُخارَى وحدَّث بها ، وهو صاحبُ « الجامعِ » و « التاريخِ » ، توفِّى بالتِّرْمِذِ ليلةَ الاثنينِ لثلاثَ عشْرَةَ خَلَت مِن رجبٍ سنةَ تسعٍ وسبعِين ومائتين . وذكَره الحافظُ أبو حاتمٍ

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٢٩٠، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٨. ومقدمة جامع الترمذى ٨٥/١، ٨٦ .

(٢) البيت للمتنبى ، وانظر ديوانه ص ٣٣٤. وفيه : وليس يصح فى الأفهام شىء .

(٣) بعده فى م : « بن » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٥١.

(٤) الإرشاد فى معرفة علماء الحديث ٩٠٤/٣ ، ٩٠٥.

(٥) فى م : « أبو » .

(٦) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص ٩٧ بسنده عن صاحب تاريخ بخارى .

ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ »[1] ، فقال : كان ممَّن جمَع وصنَّف وحفِظ وذاكَر . وقال التِّرمذِىُّ[2] : كتَب عنى البخارىُّ حديثَ عطيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ ؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعلىٍّ : « لَا يَحِلُّ لأحدٍ يُجْنِبُ فى هذا المسجدِ غَيرِى وغيرُك »[3] . وروَى [4]ابنُ نقطةَ فى « تقييدِه »[4] عن الترمذِىِّ أنَّه قال : صنَّفتُ هذا المسندَ الصَّحيحَ فعرَضتُه على علماءِ الحجازِ فرضُوا به ، وعرضتُه على عُلَماءِ العراقِ ، فرَضُوا به ، وعرَضْتُه على عُلَماءِ خُرَاسَانَ فرَضُوا به ، ومَن كان فى بيْتِه هذا الكتابُ فكأنَّما فى بيْتِه نبِىٌّ يتكلَّمُ . قالوا[5] : وجملةُ « الجامعِ » مِائةٌ وأحدٌ وخمسونَ كتابًا . وكتابُ « العِلَلِ » صنَّفه بسَمَرْقَنْدَ ، وكان فَراغُه منه فى يومِ عيدِ الأضْحَى من سنَةِ سَبْعِينَ ومِائَتَيْنِ . قال ابنُ نقطةَ[6] : سمِعْتُ محمدَ بنَ طاهرٍ المَقْدِسِىَّ ، سمِعتُ أبا إسماعيلَ عبدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ الأَنْصارِىَّ يقولُ : كتابُ التِّرْمِذِىِّ عندِى أفيدُ مِن كتابِ البخارِىِّ ومُسْلِمٍ . قلتُ : ولِمَ ؟ قال : لأنَّه لا يصِلُ إلى الفائدةِ منهما إلَّا مَن هو مِن أهلِ المعْرفَةِ التَّامَّةِ ، وهذا كتابٌ قد شرَح أحادِيثَه وبيَّنَها ، فيَصِلُ إليها كلُّ أحدٍ مِن النّاسِ مِن الفُقهاءِ والمحدِّثينَ وغيرِهما . قلتُ : والذى يظْهرُ مِن حالِه أنَّه إنَّما طرَأ عليه العَمَى بعدَ أن رحَل وسمِع وكتَب وذاكَر وناظَر وصنَّف ، ثم اتَّفَق مَوْتُه فى بلَدِه فى رجبٍ من هذه السنةِ على الصَّحيحِ المشهورِ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الثقات ٩/ ١٥٣.

(٢) التقييد ص ٩٨، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٢٥٢.

(٣) الترمذى (٣٧٢٧) ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٧٨) ، وقال الترمذى بعد الحديث المذكور : وسمع منى محمد بن إسماعيل هذا الحديث فاستغربه .

(٤ - ٤) فى الأصل : « ابن عطية فى تفسيره » . وهو فى التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص ٩٧ ، ٩٨.

(٥) التقييد ص ٩٩.

(٦) المصدر السابق ص ٩٨ .

ثم دخلت سنةُ ثمانينَ ومائتين مِن الهِجرةِ

فى المحرمِ منها[1] قتَل المعتضدُ رجلًا مِن أُمراءِ الزَّنْجِ كان قد لجأ إليه بالأمانِ ويعرفُ بشَيلمةَ[2] ، ذُكِر له أنَّه كان يَدْعو إلى رجلٍ لا يُعْرَفُ مَن هو ، وقد أفسَد جماعةً ، فاستَدْعى به فقَرَّره فلم يُقِرَّ ، وقال : لو كان تحتَ قدَمىَّ ما أقَررتُ به . فأمَر به فشُدَّ على عمودِ خيمةٍ ثم لوَّحه على النارِ حتى تساقَط جلْدُه عن عظامِه ، ثم أمَر بضرْبِ عنُقِه وصَلْبِه لسبعِ ليالٍ خَلَوْنَ مِن المحرَّمِ . وفى أوَّلِ صفرٍ ركِب المعتضدُ باللَّهِ أبو العباسِ بنُ الموفَّقِ من بغدادَ قاصدًا بَنِى شَيْبانَ مِن أرضِ المَوْصِلِ ، فأوقَع بهم بأسًا شديدًا عندَ جبلٍ يقالُ له : تَوْبَاذُ[3] . وكان مع المعتضدِ حَادٍ جيِّدُ الحُداءِ ، فقال فى بعضِ تلك الليالى يحْدُو للمعتضدِ[4] :

فأَجهَشْتُ للتَّوْبَاذِ حينَ رأيتُه ... وهَلَّلتُ للرَّحمنِ حينَ رآنِى
وقلتُ له أينَ الذين عَهِدتَهم ... بظِلِّكَ فى أمنٍ ولِينِ زمانِى
فقال مضَوا واسْتَخلَفونى مَكانَهمْ ... ومَن ذا الذى يَبْقَى على الحدَثانِ

قال : فتغرغرت عيْنا المعتضدِ ، وقال : من ذا الذى يبقى على الحدثان .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٢، والمنتظم ١٢/ ٣٣٢، والكامل ٧/ ٤٦١.

(٢) فى الأصل : « بشيملة » ، وفى م : « بسلمة » ، وفى الكامل : « بشميلة » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى والمنتظم .

(٣) فى النسخ : « نوباد » ، وفى معجم ما استعجم ١/٣٢٣ - ٣٢٤: « توباد » . والمثبت موافق لما فى المنتظم ١٢/ ٣٣٢. وانظر معجم البلدان ١/ ٨٨٨، وفيه ذكر الأبيات مع اختلاف فيها .

(٤) الأبيات لمجنون ليلى وهو فى ديوانه ص ٢٧٥، وروايته : « وهلل للرحمن حين رآنى » .

[٢٥٨/٨و] وفى هذه السنةِ أمَر المعتضِدُ بتسهيلِ عَقَبَة حُلْوانَ فغَرِم عليها عشرين ألفَ دينارٍ، وكان الناسُ يلْقونَ منها شدَّةً عظيمةً. وفيها وسَّع المعتضدُ جامعَ المنصورِ بإضافةِ دارِ المنصورِ إليه، وغَرِم عليه عشرين ألفَ دينارٍ، وكانت الدارُ قِبْلِيَّه[1] فبنَاها مسجدًا على حدَةٍ وفتَح بينَهما سبعةَ عشَرَ بابًا، وحوَّل المِنبرَ والمِحرابَ إلى المسجدِ ليكونَ فى قِبلةِ الجامعِ على عادتِه. قال الخطيبُ البغدادىُّ[2]: وزَاد بدرٌ مولَى المعتضدِ المسقطاتِ[3] من قصرِ المنصورِ المعروفةَ بالبَدرِيَّةِ فى هذا الوقتِ.

ذكرُ بناءِ دارِ الخلافةِ ببغدادَ

أوَّلُ مَن بنَاها المعتضدُ فى هذه السنةِ. وكان أوَّلَ مَن سَكَنها مِن الخلفاءِ إلى آخرِ دولتِهم، وكانت أوَّلًا دارًا للحسنِ بنِ سَهْلٍ تُعرفُ بالقَصرِ الحَسَنىِّ، ثم صارت بعدَ ذلك لابنتِه بُورانَ التى تزوَّج بها المأمونُ، فعمَّرت فيها حتى استَنزَلها المعتضدُ عنها فأجابَتْه إلى ذلك، ثم أصلَحت ما وَهَى مِنها ورمَّمت ما كان قد شَعَث فيها، وفرَشت فى كلِّ موضعٍ مِنها ما يليقُ به مِن المفارشِ، وأسكَنت فيه ما يليقُ به من الجوارِى والخدَمِ، وأعدَّت بها المآكلَ الشَّهِيّةَ وما يحسُنُ ادِّخارُه فى ذلك الزمانِ، ثم أرسلَت بمَفاتيحِها إلى المعتضدِ، فلمَّا دخلَها أذهَله ما رأى فيها مِن الخيراتِ، ثم وسَّعَها وزاد فيها وجعَل لها سورًا حولَها، وكانت قَدْرَ مَدينَةِ

---

(١) فى م: «قبلته».

(٢) سقط من: م. وانظر المنتظم ١٢/ ٣٣٤.

(٣) فى الأصل، ص، ظ: «السقطات»، وفى م: «السقفان». والمثبت موافق لما فى المنتظم.

شِيرَازَ ، وبنَى الميدانَ ، ثم بنَى قصرًا مُشرِفًا على دجلةَ ، ثم بنَى المُكتَفِى التاجَ ، ثم كانت أيامُ المقتدرِ فزاد فيها زِياداتٍ عظيمةً جدًّا[1] ، وتأخَّرت آثارُها إلى أيامِ التَّتارِ الذين خرّبوا بغدادَ وسبَوا مَن كان بها من الحرائرِ الآمناتِ . كما سيأتى بيانُه فى موضعِه من سنةِ ستٍّ وخَمسين وستِّمائةٍ . قال الخطيبُ[2] : والذى يشْبهُ أن تكون بُورانُ سلَّمت دارَ الخلافةِ إلى المعتمدِ ، فإنَّها لم تعِشْ إلى [3]أيامِ المعتضدِ[3] .

وفيها زُلزِلت[4] أرْدَبِيلُ سِتَّ مرَّاتٍ فتهدَّمت دُورُها ولم يبقَ منها مائةُ دارٍ ، ومات تحتَ الرَّدمِ مِائةُ ألْفٍ وخَمسون ألفًا ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ . وفيها غارَتِ المياهُ ببلادِ الرَّىِّ وطَبَرِستانَ حتى بِيعَ الماءُ كلُّ ثلاثةِ أرْطالٍ بدِرهمٍ ، وغلَتِ الأسعارُ هُنالك جدًّا .

وفيها غزَا إسْماعيلُ بنُ أحمدَ السامانىُّ بلادَ التّركِ ففتَح مدينةَ ملِكِهم وأسَر امرأتَه الخاتُونَ وأَباه ونحوًا من عشَرَةِ آلافِ أسيرٍ ، وغنِم من الدوابِّ والأمتعةِ والأموالِ شيئًا كثيرًا ، أصاب الفارسُ ألفَ درهمٍ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ هارونَ بنِ إسحاقَ العباسىُّ .

وممن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

أحمدُ بنُ سيّارِ بنِ أيُّوبَ[5] الفقيهُ الشافعىُّ المشهورُ بالعبادَةِ والزهدِ .

---

(١) بعده فى م : « ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة » .
(٢) المنتظم ١٢/ ٣٣٥.
(٣ - ٣) فى م : « أيامه وقد تقدمت وفاتها » .
(٤) تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٤، والكامل ٧/ ٤٦٥، والمنتظم ١٢/ ٣٣٤.
(٥) تاريخ بغداد ٤/ ١٨٧، وتهذيب الكمال ١/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٥، وطبقات الشافعية ٢/ ١٨٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٤.

وأحمدُ بنُ أبى عِمْرانَ مَوسى بنِ عيسى أبو جعفرٍ البغدادىُّ[1] ، كان من أكابرِ الحنَفِيَّةِ ، تفقَّه على محمدِ بنِ سَمَاعةَ ، وهو أسْتاذُ أبى جعفرٍ الطَّحاوِىِّ ، وكان ضرِيرًا ، سمِع الحديثَ من علىِّ بنِ الجعدِ وغيرِه ، وقدِم مصرَ فحدَّث بها من حفظِه ، وتوفِّى بها فى المحرمِ من هذه السنةِ ، وقد وثَّقه ابنُ يونُسَ فى « تاريخِ مصرَ » .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عيسى بنِ الأَزْهَرِ[2] ، [3]**أبو العباسِ البِرْتىُّ**[3] القاضِى بواسِطٍ ، صاحبُ « المسْندِ » ، روَى عن مُسْلمِ بنِ إبراهيمَ ، وأبى سَلَمةَ التبوذَكىِّ ، وأبى نُعَيْمٍ ، وأبى الوليدِ ، وخَلقٍ ، وكان ثقةً ثَبتًا ، تفَقَّه بأبى سلَيمانَ الجُوزْجانىِّ صاحبِ محمدِ بنِ الحسنِ وقد حكَم بالجانبِ الشرقىِّ من بغدادَ فى أيامِ المعتزِّ ، [٨/٢٥٨ظ] فلمّا كان أيامُ المُوَفَّقِ طلَب منه ومِن إسماعيلَ القاضِى أن يُعْطِياه ما بأيدِيهما من أموالِ اليتامَى المَوقوفةِ ، فبادَر إلى ذلك إسماعيلُ القاضى واستَنظَره إلى ذلك أبو العباسِ البِرْتىُّ[4] هذا ، ثم بادَر إلى كلِّ مَن أَنِس منه رُشدًا مِن اليتامَى فدَفع إليه مالَه ، فلمّا طولِب به قال : ليس عندِى منه شىءٌ ، دفَعتُه إلى أهلِه . فعُزِل عنِ القضاءِ ولزِم بيتَه وتعبَّد إلى أنْ تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ مِنها . وقد رآه بعضُهم فى المنامِ وقد دخَل على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقام إليه وصافَحَه وقبَّل بينَ عينَيهِ ، وقال : مرحبًا بمَن يعملُ بسُنَّتِى وأثرِى[5] .

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٤١، والمنتظم ١٢/ ٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٨٥، وطبقات الفقهاء ص ١٤٠.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٦١، والمنتظم ١٢/ ٣٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٢٧٩، وطبقات الحنابلة ١/ ٦٦، وطبقات الحفاظ ص ٢٦٧.

(٣ - ٣) سقط من: م، وفى الأصل، س، ظ: «أبو العباس البرقى». وانظر تبصير المنتبه ١/ ١٣٢.

(٤) فى الأصل، س، م، ظ: «البرقى»، وهو خطأ. وانظر المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ٦٢.

وفيها تُوفِّى جعفرُ بنُ المعتمدِ[1] ، وكان يسامِرُ أباه[2] ، وراشدٌ[3] مولَى الموفَّقِ بمدينةِ الدِّينَوَرِ فحُمِل إلى بغدادَ . وعثمانُ بنُ سعيدٍ الدَّارِمِىُّ[4] مصنِّفُ الرَّدِّ على بشْرٍ المَرِيسِىِّ فيما ابتدَعه من التأويلِ لمذهبِ الجَهميَّةِ ، وقد ذكَرناه فى « طبقاتِ الشافعيَّةِ » . ومسرورٌ الخادمُ[5] وكان من أكابرِ الأمراءِ . ومحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ يوسفَ أبو إسماعيلَ التِّرْمِذِىُّ[6] صاحبُ التَّصانيفِ الحسنَةِ فى رمضانَ من هذه السنةِ . قالَه ابنُ الأثيرِ[7] ، وشيخُنا الذَّهَبِىُّ[8] . وهِلَالُ بنُ العَلاءِ[9] المحدِّثُ المشهورُ . وقد وقَع لنا مِن حديثِه طرَفٌ[10] .

---

(١) فى النسخ : « المعتضد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٢٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٨٥.

(٢) كذا فى النسخ ، وفى الطبرى : أن المعتضد نادم جعفرًا مرارًا .

(٣) تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٤، والكامل ٤/ ٤٦٥.

(٤) تاريخ دمشق (مخطوط) ١١/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٩٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢١، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٢١، وطبقات الحفاظ ص ٢٧٤.

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٧٢.

(٦) تاريخ بغداد ٢/ ٤٢، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٤٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٤، والعبر ٢/ ٦٤، والوافى بالوفيات ٢/ ٢١٢.

(٧) الكامل ٧/ ٤٦٥.

(٨) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٢.

(٩) فى م : « المعلا » . وانظر ترجمته فى : تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٤٨٥، وطبقات الحفاظ ص ٢٦٤.

(١٠) بعده فى ب ، س ، م ، ظ : « وسيبويه أُستاذ النحاة وهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بنى الحارث بن كعب ، وقيل : مولى الربيع بنِ زياد الحارثىِّ البصرِى . ولقب سيبويه لجماله وحمرة وجنتيه كانتا كالتفاحتين . وسيبويه فى لغة فارس رائحة التفاح . وهو الإمام العلامة العلم ، شيخ النحاة من لدن زمانه إلى زمانِنا هذا ، والناس عيال على كتابه المشهور فى هذا الفن . وقد شرح بشروح كثيرة ، وقل من يحيط علما به .

أخذ سيبويه العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه ، وكان إذا قدم يقول الخليل : مرحبا بزائر لا يمل .=

ثم دخلت سنةُ إحْدَى وثمانين ومائتَين

فيها[1] دخَل المسلمون بلادَ الرومِ فغَنِموا وسلِموا وللَّهِ الحمدُ . وفيها تكامَل غَورُ المياهِ ببلادِ الرَّيِّ وطَبَرسْتانَ . وغلَتِ الأسعارُ جدًّا وجهَد الناسُ وقَحَطوا حتى أكلَ بعضُهم بعضًا ، فكان الرجلُ يأكلُ ابنَه وابنتَه ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون .

وفيها حاصَر المعتضدُ قلعةَ مَارْدِينَ وكانت بيدِ حَمْدانَ بنِ حَمْدونَ ، ففتَحها

= وأخذ أيضًا عن عيسى بنِ عمرَ ، ويونس بن حبيب ، وأبى زيد الأنصارى ، وأبى الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم ، قدم من البصرة إلى بغداد أيام كان الكسائى يؤدب الأمين بنَ الرشيدِ ، فجمَع بينَهما ، فتناظَرا فى شىءٍ من مسائلِ النحوِ ، فانتهَى الكلامُ إلى أنْ قال الكسائىُّ : تقولُ العربُ : كنتُ أظنُّ الزُّنبورَ أشدَّ لسْعًا من النَّحلةِ ، فإذا هو إيَّاها . قال سيبويهِ : إنما يقولون : فإذا هو هى . فطال النزاعُ فى ذلك . فقال سيبويْهِ : بيْنى وبينك أعرابىٌّ لم يشُبهُ شىءٌ مِن كلامِ الناسِ المولَّدِ ، وكان الأمينُ يحبُّ نُصْرَةَ أستاذِه ، فسأَل رجلًا مِن الأعرابِ فنطَق بما قال سيبَوَيْهِ . فكرهَ الأمينُ ذلك وقال له : إنَّ الكسائىَّ يقولُ خلافَكَ . فقال : إنَّ لِسانِى لا يُطاوِعُنى على ما يقولُ . فقال : أحبُّ أنْ تحْضُرَ وأنْ تُصوِّبَ كلامَ الكِسَائىِّ . فطاوَعَه على ذلك ، وانْفصَل المجلسُ عن قولِ الأعرابىِّ : إنَّ الكسائىَّ أصابَ . فحمَل سِيبَوَيْهِ على نفسِه وعرَف أنَّهم تعصَّبوا عليه ورحَل عن بغدادَ ، فمات ببلادِ شِيرَازَ فى قريةٍ يقالُ لها : البيضاءُ ، وقيل : إنَّه وُلِدِ بهذه وتوفِّى بمدينةِ ساوةَ فى هذه السنةِ ، وقيل : سنةَ سبعٍ وسبعين ، وقيل : ثمانٍ وثمانين ، وقيل : إحْدَى وتسْعين . وقيل : أربعٍ وتسعين ومائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ ، وقد نيِّفَ على الأربعين ، وقيل : بل إنَّما عمُر ثِنتَين وثلاثين سنةً . فاللَّهُ أعلمُ . قرأ بعضُهم على قبرِه هذا الأبياتَ :

ذهَب الأحبَّةُ بعدَ طولِ تَزاورٍ ... ونأَى المزَارُ فأسلَموكَ وأقشَعوا

ترَكوكَ أوْحَشَ ما تكونُ بقَفْرةٍ ... لمْ يؤنِسوكَ وكُرْبَةً لم يدْفَعوا

قُضِىَ القضاءُ وصِرْتَ صاحبَ حُفرةٍ ... عنكَ الأحبةُ أعرَضوا وتَصدَّعوا

وقد تقدمت ترجمته فى ١٣/ ٦٠٦.

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٨، والمنتظم ١٢/ ٣٣٩، والكامل ٧/ ٤٦٨.

قَسْرًا وأخَذ ما كان فيها ، ثم أمَر بتَخرِيبِها فهُدِّمت . وفى هذه السنةِ وصَلت قَطرُ النَّدَى بنتُ خُمارَوَيْهِ نائبِ الدِّيارِ المصريَّةِ إلى بغدادَ فى تجمُّلٍ عظيمٍ ومعها مِن الجَهازِ شىءٌ عظيمٌ حتى قِيل : إنَّه كان فى الجهازِ مائةُ هاوُنٍ مِن ذهبٍ ، غير الفضةِ وما يتبع ذلك من القماشِ وغيرِ ذلك مما لا يُحْصَى . ثم بعدَ كلِّ حسابٍ معها مائةُ ألفِ دينارٍ لتشتَرِىَ بها مِن العراقِ ما قد تحتاجُ إليه ممَّا لا يتهيأُ مثلُه بالديارِ المصريةِ .

وفيها خرَج المعتضدُ إلى بلادِ الجبلِ ووَلَّى ولَدَه عليًّا المُكْتَفِى نِيابَةَ الرَّىِّ وقَزْوينَ [(١)] وزَنْجانَ وقُمَّ [(١)] وهمذان والدِّينَوَرِ ، وجعَل على كتابتِه أحمدَ بنَ الأصبغِ ، ووَلَّى عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ بنِ أبى دُلَفٍ نيابةَ أصبهانَ ونَهاوَنْدَ والكرخِ ، ثم عاد راجعًا إلى بغدادَ .

وحجَّ بالناسِ محمدُ بنُ هارونَ بنِ إسحاقَ ، وأصابَ الحُجَّاجَ فى الأَجْفُرِ مطَرٌ عظيمٌ فغَرِق كثيرٌ مِنهم ، كان الرجلُ يغرَقُ فى الرَّملِ فلا يقدِرُ أحدٌ على خَلاصِه .

ومِمن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ .

إبراهيمُ بنُ الحسينِ [(٢)] بنِ دِيزِيلَ الحافِظُ صاحبُ كتابِ المصنَّفاتِ ؛ مِنها فى صفِّينَ مجلَّدٌ كبيرٌ . **وأحمدُ** بنُ محمدٍ [(٣)] الطَّائىُّ بالكوفةِ فى جمادَى مِنها .

(١ - ١) فى م : « وأذربيجان » . وزنجان : بلد كبير مشهور من نواحى الجبال بين أذربيجان وبينها ، معجم البلدان ٢/ ٩٤٨. وقم : قيل إنها بين أصبهان وساوة . وانظر معجم البلدان ٤/ ١٧٥.

(٢) فى م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٦/ ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٠٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٤٦.

(٣) تابع ابن كثير ابن الأثير فى كامله على ترجمة أحمد بن محمد فى هذه السنة وترجمة الذهبى فى وفيات سنة ٢٦١هـ فى كتابه « العبر » وقال : « أو فى حدودها » وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب =

وإسحاقُ بْن إبراهيمَ[1] المعْروفُ بابنِ الجَبَّلِيِّ[2]، سمعِ الحديثَ وكان يُفتِى الناسَ بالحديثِ، وكان يُوصَفُ بالفَهمِ والحفظِ.

ابنُ أبى الدُّنْيا[3] **القُرَشِيُّ** مولَى بنِى أميَّةَ؛ وهو عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ سُفيانَ بنِ قَيْسٍ، أبو بكرٍ بنُ أبى الدُّنيَا الحافِظُ المصنِّفُ، المشهورُ، له التّصانيفُ النافعةُ الشائعةُ الذائعةُ فى الرقائقِ وغيرِها تزيدُ على مائةِ مصنَّفٍ[4]، سمِع إبراهيمَ بنِ المُنذِرِ الحِزَامِيَّ، وخالدَ[٨/٢٥٩و] بنَ خِراشٍ، وعلىَّ بنَ الجَعْدِ وخلقًا، وكان مؤدِّبًا للمعتضدِ وابنِه علىِّ بنِ المعتضدِ المُلقَّبِ بالمكتَفى، وكان له عليه [5]فى كلِّ شهرٍ[5] خَمسةَ عشَرَ دينارًا، وكان ثقةً صدوقًا حافظًا ذا مُروءَةٍ، لكن قال صالحُ بنُ محمدٍ جَزَرَةُ[6]: إلَّا أنَّه كان يروِى عن رجلٍ يقالُ له: محمدُ بنُ إسحاقَ البَلْخِيُّ، وكان هذا الرجلُ كذّابًا يضعُ[7] للكلامِ إسنادًا،

= ١/ ٧٩: قلت: «توفى سنة ٢٦١هـ أو فى حدودها ألفيته بخط شيخنا الحافظ أبى الفضل ثم وجدت فى التذهيب للذهبى أنه مات بعد الستين ومائتين، وكل هذا تخمين غير صحيح والحق أنه تأخر عن ذلك فقد أرخ ابن قانع وفاة الأثرم فيمن مات سنة ٢٧٣هـ لكنه لم يسمه وليس فى الطبقة من يلقب بذلك غيره». وانظر ترجمته فى: طبقات الحنابلة ١/ ٦٦، تهذيب الكمال ١/ ٤٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٠، والعبر ٢/ ٢٢، وطبقات الحفاظ ص ٢٥٦.

(١) أخبار القضاة ١/ ٣٢٦، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٧٨، والمنتظم ٥/ ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١١٦، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٩٥.

(٢) فى م: «الجيلى» وهو خطأ، والجبلى: بفتح الجيم وضم الباء المشددة المنقوطة بنقطة واحدة، وهذه النسبة إلى جبل وهى بلدة على الدجلة بين بغداد وواسط اجتزت بها فى انحدارى إلى البصرة. الأنساب ٢/ ٢٠.

(٣) تهذيب الكمال ١٦/ ٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١- ٢٩٠هـ) ص ٢٠٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥١٩، وفوات الوفيات ٢/ ٢٢٨، وطبقات الحفاظ ص ٢٩٤.

(٤) بعده فى م: «وقيل: إنها نحو الثلاثمائة مصنف، وقيل: أكثر، وقيل: أقل».

(٥ - ٥) فى م: «كل يوم».

(٦) تاريخ بغداد: ١٠/ ٩٠ بنحوه.

(٧) بعده فى م: «للأعلام إسنادًا و».

ويروِى أحاديثَ مُنْكَرةً . ومِن شعرِ ابنِ أبى الدُّنْيا أنَّه جلَس أصْحابٌ له ينتظرُونَه ليخرُجَ إليهم ، فجاء المطرُ فحالَ بيْنَه وبينَهم ، فكتَب إليهم رقعةً فيها[1] :

أنا مُشْتاقٌ إلى رُؤْيَتِكُم ... يا أخِلَّائى وسمْعى والبَصَرْ
كيف أَنْساكمْ وقلْبى عندَكُم ... حالَ فيما بيننا هذا المطَرْ

توفِّى ببغدادَ فى جُمَادى الأولَى من هذه السنةِ عن سبعين سنةً ، وصلَّى عليه يوسفُ بنُ يعقوبَ القاضى ودُفِن بالشونيزِيَّةِ ، رحِمهُ اللَّهُ .

عبدُ الرحمنِ بنُ عمرٍو أبو زرعةَ[2] الدِّمشْقِىُّ ، الحافِظُ الكبيرُ الشهيرُ بينَ أهل العلمِ . **محمدُ** بنُ إبراهيمَ[3] ابنُ المَوَّازِ ، الفقيهُ المالكِىُّ ، له اختياراتٌ فى مذهبِ الإمامِ مالكٍ ، فمِن ذلك وجوبُ الصلاةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الصلاةِ .

---

(١) المنتظم ١٢/ ٣٤٢.

(٢) بعده فى م : « البصرى » . وانظر ترجمته فى : تهذيب الكمال ١٧/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢١٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٥٠، والعبر ٢/ ٦٦، والوافى بالوفيات ١/ ٣٣٥، والديباج المذهب ٢/ ١٦٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٧٧.

ثم دخلت سنةُ ثِنْتين وثمانين ومائتين

فى خامسِ ربيعِ الأوَّلِ مِنها[1] يومَ الثلاثاءِ دخَل المعتضدُ باللَّهِ بزَوجتِه ابنةِ خُمارَوَيْهِ ، وكان قُدومُها إلى بغدادَ صُحْبةَ عمِّها وصُحبةَ ابنِ الجَصَّاصِ ، وكان الخليفةُ غائبًا ، وكان دخولُها إليها يومًا مشْهُودًا ، امتنَع الناسُ مِن المُرورِ فى الطُّرقاتِ .

وفيها نَهَى الخليفةُ المُعْتضدُ أن يعمَلَ الناسُ فى يومِ النَّيْروزِ ما كانوا يتَعاطونَه مِن إيقادِ النِّيرانِ ، وصبِّ الماءِ ، وغيرِ ذلك مِن الأفعالِ المُشابِهةِ للمجوسِ ، ومنَع مِن حَمْلِ هَدايا الفلَّاحينَ إلى المُقطَعِين فى هذا اليومِ ، وأمَرَ بتأخيرِ ذلك إلى الحادِى عشَرَ مِن حَزيرانَ ، وسُمِّى النَّيروزَ المُعْتَضدِىَّ ، وكتَب بذلك إلى الآفاقِ وسائرِ العُمّالِ .

فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ قدِم إبراهيمُ بنُ أحمدَ الماذَرائىُّ مِن دِمشقَ على البريدِ ، فأخبَر المعتضدَ باللَّهِ بأنَّ خُمارَوَيْهِ ذبَحه بعضُ خُدّامِه على فراشِه ، ووَلَّوا بعدَه ولَدَه جيشًا ، ثم قتَلوه ونَهبوا دارَه ، ثُم وَلَّوا هارونَ بنَ خمارَوَيْهِ ، وقد التَزم فى كلِّ سنةٍ ألفَ ألفِ دينارٍ وخَمْسَمائةِ ألفِ دينارٍ تُحمَلُ إلى بابِ الخليفةِ ، فأقرَّه المعْتَضدُ على ذلك ، فلمَّا كان المُكْتَفِى ، عزَله ووَلَّى مكانَه محمدَ بنَ سلَيمانَ الواثِقىَّ ، فاصطفَى أموالَ آلِ طولونَ ، وكان ذلك آخِرَ العهدِ بهم .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٩، والمنتظم ١٢/ ٣٤٣، والكامل ٧/ ٤٧٣.

وفيها أُطلِق لُؤلؤٌ غلامُ أحمدَ بنِ طولونَ مِن السِّجنِ ، فعاد إلى مصرَ فى أذلِّ حالٍ ، وحجَّ بالناسِ الأميرُ المتقدِّمُ ذكْرُه .

وممّن توفى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ داودَ أبو حنيفةَ الدِّينَورىُّ اللغوىُّ[1] صاحبُ كتابِ « النَّباتِ » .

إسماعيلُ بنُ إسحاقَ بنِ إسماعيلَ بنِ حمَّادِ بنِ زَيدٍ ، أبو إسحاقَ الأزْدىُّ القاضى[2] ، أصْلُه مِن البصرةِ ونشَأ ببَغدادَ ، وسمِع مسلمَ بنَ إبراهيمَ ، ومحمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنْصارِىَّ ، والقَعْنَبِىَّ ، وعلىَّ بنَ المَدِينىِّ ، وكان حافِظًا فقيهًا مالِكيًّا جمَع وصنَّف وشرَح فى المذهبِ عدَّةَ مُصنَّفاتٍ فى التَّفسيرِ والحديثِ والفقهِ ، وغيرِ ذلك . وقد وَلِىَ القضاءَ أيامَ المتوكِّلِ بعدَ سَوّارِ بنِ عبدِ اللَّهِ ببغدادَ ، ثم عُزِل ، ثم وُلِّىَ وصار مُقدَّمَ القُضاةِ . وكانت وفاتُه فُجاءَةً ليلةَ الأربعاءِ لثمانٍ بَقِين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوز الثمانين رحِمه اللَّهُ .

الحارثُ بنُ محمدِ بنِ أبى أسامةَ[3] ، صاحِبُ « المسندِ » المشهورِ .

خُمارَوَيْهِ بنُ [٨/٢٥٩ظ] **أحمدَ بنِ طولونَ**[4] صاحبُ الديارِ المصريةِ ، بويع

---

(١) معجم الأدباء ٣/ ٢٦، وإنباه الرواة ١/ ٤١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٥٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٧٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٠٦.

(٢) الجرح والتعديل ٢/ ١٥٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٢٨٤، وطبقات الفقهاء ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٢٢، والوافى بالوفيات ٩/ ٩١، وبغية الوعاة ١/ ٤٤٣، وطبقات المفسرين ١/ ١٠٥.

(٣) الثقات ٨/ ١٨٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٢١٨، والمنتظم ١٢/ ٣٥٠، والعبر ٢/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٤٦.

(٤) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٩، والمنتظم ١٢/ ٣٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٧١.

له بمُلْكِ الديارِ المصريةِ بعدَ أبيه سنةَ إحدى وسبعين ومائتين ، فقصَده المعتضدُ بنُ الموفَّقِ فى حياةِ أبيه ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا فى أرضِ الرَّمْلَةِ . وقيل : فى أرضِ الصَّعيدِ . فانهزَم خُمارَوَيْهِ هاربًا على حمارٍ ، وكرّ جيشُه على المعتضِدِ ، فهرَب ، كما قدَّمنا[1] ، ثم تزوَّجَ ابنتَه وتصافيا بعد ذلك ، فلمَّا كان فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ عدَا الخَدَمُ مِنَ الخِصيانِ على خمارَوَيْهِ فذبحوه وهو على فراشِه ؛ وذلك لأنه اتّهمَهم بجواريه ، فمات عن ثِنتيْن وثلاثين سنةً ، فقام بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه هارونُ بنُ خُمارَوَيْهِ ، وهو آخِرُ الطُّولونيَّةِ .

وذكَر ابنُ الأثيرِ[2] فيمَن توفِّى هذه السنةَ **عُثمانَ** بنَ سعيدِ بنِ خالدٍ أبا سعيدٍ الدَّارِمِيَّ[3] الفقيهَ الشافعيَّ ، أخَذ الفقهَ عنِ البُوَيْطِيِّ صاحبِ الشافعيِّ .

الفضلُ بنُ محمدِ بنِ المُسيَّبِ بنِ موسى بنِ زُهَيرِ بنِ يزيدَ بنِ كيْسانَ بنِ باذانَ ملكِ اليمنِ . وقد أسلمَ باذانُ فى حياةِ النبيِّ ﷺ .

أبو محمدٍ الشَّعْرانِيُّ[4] ، الأديبُ الفقيهُ العابدُ الحافظُ الرَّحّالُ ، تَلْمَذ ليحيى ابنِ معينٍ ، رَوَى عنه « الفوائدَ فى الجرحِ والتَّعديلِ » وغيرَ ذلك ، وكذلك أخَذ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ ، وعلىِّ بنِ المَدِينِيِّ ، وقرأَ على خَلَفِ بنِ هشامٍ البَزَّارِ ، وتعلَّمَ اللغةَ مِن ابنِ الأعرابيِّ ، وكان ثقةً كبيرَ القَدْرِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) تقدم فى صفحة ٥٩٨ .

(٢) الكامل ٧/ ٤٧٥.

(٣) الجرح والتعديل ٦/ ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٩، والعبر ٢/ ٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٢١، وطبقات الشافعية للسبكى ٢/ ٣٠٢، وطبقات الحفاظ ٢٧٧.

(٤) الجرح والتعديل ٧/ ٦٩، والإكمال ٤/ ٥٧١، والمنتظم ١٢/ ٣٥١، والعبر ٢/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٣٩.

محمدُ بنُ القاسِمِ بنِ خلَّادٍ أبو العَيْناءِ البصريُّ[1] الضَّريرُ الشاعرُ الأديبُ البليغُ اللغويُّ، تلميذُ الأصمعيِّ، وكنيتُه أبو عبدِ اللَّهِ، وإنَّما لُقِّب بأبى العَيْناءِ؛ لأنه [2]قال لأبى زيدٍ الأنصاريّ: كيفَ تُصغِّرُ عَيْنًا؟ فقال: عُيَيْنًا يا أبا العيناءِ، فبَقِى عليه[2]. وله معرفةٌ تامَّةٌ بالأدبِ والحكاياتِ والمُلَحِ، فأمَّا الحديثُ فليس له منه إلَّا القليلُ.

---

(١) طبقات الشعراء ٤١٥، وتاريخ بغداد ٣/ ١٧٠، والمنتظم ١٢/ ٣٥٢، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٨٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٨٦.

(٢ - ٢) فى النسخ: لأنه سُئِل عن تصغير عيناء، فقال: عبيناء». والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ١٧٢، والمنتظم ١٢/ ٣٥٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤٧، ٣٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٨٧.

ثم دخلتْ سنَةُ ثلاثٍ وثمانين ومائتين

فى المُحَرَّمِ منها[1] خرَج المعتضدُ مِن بغدادَ قاصدًا بلادَ المَوْصِلِ لقتالِ هارونَ الشَّارِى الخارِجِىِّ ، فظفِر به ، وهزَم أصحابَه ، وكتَب بذلك إلى بغدادَ ، فلمَّا رجَع الخليفةُ إلى بغدادَ أمرَ بصَلْبِ هارونَ وكان صُفْرِيًّا . فلمَّا صُلِب قال : لا حُكْمَ إلَّا للَّهِ ولو كَرِه المشركون . وكان الحسينُ بنُ حَمْدانَ بنِ حَمْدونَ قد قاتَل الخوارجَ فى هذه الغزوةِ قِتالًا عظيمًا مع الخليفةِ ، فأطلَق الخليفةُ أباه حَمْدانَ بنَ حَمْدونَ مِن القيودِ بعدَما كان قد سجَنه حينَ أخَذ قلعةَ مَارِدِينَ مِن يدِه وهدَمها عليه فأطْلقَه ، وخلَع عليه ، وأحسَن إليه .

وفيها كتَب المعتضدُ إلى الآفاقِ بردِّ ما فضَل عن سِهامِ ذَوِى الفروضِ ، إذا لم تكُنْ عَصَبَةٌ ، إلى ذَوِى الأرْحامِ ؛ وذلك عن فُتْيا أبى حازمٍ القاضى ، وقد قال فى فُتْيَاه : إنَّ هذا اتِّفاقٌ مِن الصحابةِ إلا زيدَ بنَ ثابتٍ ؛ فإنَّه تفرَّد بردِّ ما فضَل - والحالةُ هذه - إلى بيتِ المالِ . ووافَق علىُّ بنُ محمدِ بنِ أبى الشَّوارِبِ لأبى حازمٍ ، أفتى القاضى يوسفُ بنُ يعقوبَ بقولِ زيدٍ ، فلم يلتَفِتْ إليه المعتضدُ ، وأمْضَى فُتْيَا أبى حازمٍ ، ومع هذا وَلَّى القاضىَ يوسفَ بنَ يعقوبَ قضاءَ الجانبِ الشرقىِّ ، وخلَع عليه خِلَعًا سَنِيَّةً أيضًا ، وقلَّد أبا حازمٍ قضاءَ أماكِنَ كثيرةٍ ، وكذلك لابنِ أبى الشَّوارِبِ ، وخلَع عليه خِلَعًا سَنِيَّةً أيضًا .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٤٣، والمنتظم ١٢/ ٣٥٩، والكامل ٧/ ٤٧٦.

وفيها كان الفِداءُ بينَ المسلمين والرومِ، فاسْتُنْقِذ مِن أيدِيهم مِن المسلمين ألفان وخمسُمائةٍ وأربعةُ أنفُسٍ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وفيها حاصَرتِ الصَّقَالِبةُ الرومَ فى القسطنطينيةِ، فاسْتَعان ملكُ الرومِ بمَن عندَه مِن أُسارَى المسلمين وأعْطاهم سلاحًا كثيرًا، فخرَجوا معهم فهزَمُوا الصَّقالِبةَ، ثم خاف ملكُ الرومِ مِن غائلةِ المسلمين، ففرَّقهم فى البلادِ.

وفيها خرَج عمرُو بنُ الليثِ مِن نيسابورَ لبعضِ [٨/٢٦٠و] أشْغالِه، فخلَفه فيها رافِعُ بنُ هَرْثَمَةَ، ودَعا على منابرِها لمحمدِ بنِ زيدٍ المُطَّلِبيِّ ولولَدِه مِن بعدِه، فرجَع إليه عمرٌو وحاصَره فيها، ولم يزَلْ به حتى أخْرَجه منها وقتَله على بابِها.

وفيها بعَث الخليفةُ المعتضدُ وزيرَه عُبيدَ اللَّهِ بنَ سليمانَ بنِ وهبٍ لقتالِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى دُلَفٍ، فلمَّا وصَل إليه طلَب منه عمرُ الأمانَ، فأمَّنَه وأخَذه معه إلى الخليفةِ، فتلَقّاه الأمراءُ عن أمرِ الخليفةِ، وخلَع عليهِ وأحْسَن إليه.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

إبراهيمُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ مِهْرانَ أبو إسْحاقَ الثَّقَفِيُّ السَّرَّاجُ النَّيسابورِيُّ[1]، كان الإمامُ أحمدُ يدْخُلُ إلى منزلِه - وكان بقَطِيعَةِ الرَّبيعِ فى الجانبِ الغربيِّ مِن بغدادَ - ويَنْبسِطُ فيه ويُفطِرُ عندَه، وكان مِن الثِّقاتِ العلماءِ العُبّادِ، توفِّى فى صفرٍ منها.

إسْحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ حازمٍ أبو القاسمِ الخُتُّلِيُّ[2]، وليس هو

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٦، والمنتظم ١٢/ ٣٦١، وطبقات الحنابلة ١/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٠٠.

(٢) فى م: «الجيلى». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٦/ ٣٨١، وفيه خازم بدلًا من حازم، والمنتظم =

بالذى تقدَّم ذكْرُه فى السنينَ المتقدِّمَةِ ، سمِع داودَ بنَ عمرٍو ، وعلىَّ بنَ الجَعْدِ ، وخلْقًا كثيرًا . وقد لَيَّنه الدَّارَقُطْنِىُّ ، فقال[1] : ليس بالقَوِىِّ . توفِّى فى هذه السنةِ عن نحْوِ ثمانين سنةً .

سهلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يونسَ التُّسْتَرِىُّ أبو محمدٍ[2] أحدُ أئمةِ الصوفيَّةِ ، لقِى ذا النُّونِ المصرىَّ . ومِن كلامِ سهلٍ الحسنِ قولُه[3] : أمْس قد مات ، واليومُ فى النَّزْعِ ، وغدٌ لم يُولَدْ . وهذا كما قال بعضُ الشعراءِ[4] :

مامضَى فاتَ والمُؤمَّلُ غَيبٌ ... ولك الساعةُ التى أنت فيها

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] : وكان سلوكُه على يدى خالِه محمدِ بنِ سَوّارٍ . وقيل : إنّه توفِّى سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ . فاللَّهُ أعلمُ .

عبدُ الرحمنِ بنُ يوسفَ بنِ سعيدِ بنِ خِراشٍ ، أبو محمدٍ الحافظُ المَرْوَزِىُّ[6] أحدُ الجوَّالين الرَّحَّالين حُفَّاظِ الحديثِ والمُتَكلِّمين فى الجرْحِ والتعديلِ ، وقد يتَستَّرُ بشىءٍ من التَّشَيُّعِ . فاللَّهُ أعلمُ .

= ١٢/ ٣٦١، وتاريخ دمشق ٨/ ١١٣، وفيه خازم ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٤٢، وفيه خازم ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١١٥، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٨٦.

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٣٨١.

(٢) طبقات الصوفية ٢٠٦، وحلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، والمنتظم ١٢/ ٣٦٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩، والعبر ٢/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٨٦.

(٣) المنتظم ١٢/ ٣٦٢.

(٤) نسبه محمد بن أيدمر فى الدر الفريد المجلد الخامس ص ٨٤ (مخطوط) بإصدار فؤاد سزكين ، إلى الغزى .

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩.

(٦) أخبار أصبهان ٢/ ١١٢، والكامل لابن عدى ٤/ ١٦٢٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٨٠، والمنتظم ١٢/ ٣٦٢، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢١٣.

روَى الخطيبُ[1] عنه أنَّه قال : شرِبْتُ بَوْلِى فى هذا الشأنِ خمسَ مراتٍ . يعْنى أنَّه اضْطُرَّ إلى ذلك فى الأسْفارِ فى طلبِه الحديثَ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ أبى الشَّوارِبِ عبدِ الملكِ الأُمَوىُّ البَصْرِىُّ[2] قاضى سَامَرَّا ، وقد وَلِى فى بعضِ الأحْيانِ قضاءَ القُضاةِ ، وكان مِن الثقاتِ ، سمِع أبا الوليدِ ، وأبا عمرَ الحَوضِىَّ ، وعنه النَّجَّادُ ، وابنُ صاعِدٍ ، وابنُ قانعٍ ، وحمَل الناسُ عنه عِلْمًا كثيرًا .

ابنُ الرُّومى الشاعرُ[3]

صاحِبُ الديوانِ فى الشعرِ ؛ علىُّ بنُ العبّاسِ بنِ جُرَيجٍ ، أبو الحسنِ ، المعروفُ بابنِ الرومىِّ ، وهو مولَى عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، وكان شاعرًا مشهورًا مُطبقًا فمِن ذلك قولُه[4] :

إذا [5]مامدَحْتَ الباخِلين[5] فإنَّما تُذكِّرُهمْ ما فى سِواهم مِن الفَضْلِ

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨٠ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٩، والمنتظم ١٢/ ٣٦٣، والعبر ٢/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٢٩، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٦٩.

(٣) معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٤٥، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٢٥.

(٤) ديوان ابن الرومى ٥/ ٢٠٢٢.

(٥ - ٥) فى الأصل : « رمت الباذلين » .

وتُهْدِى لهم غمًّا طويلًا وحَسْرَةً[1] فإنْ منَعُوا منك النَّوالَ فبالعَدْلِ

ومِن ذلك قولُه[2] :

إذا ما كسَاك الدهرُ سِرْبالَ صحَّةٍ ولم تخْلُ مِن قُوتٍ يَلَذُّ ويعْذُبُ
فلا تَغْبِطَنَّ المُتْرَفِين فإنَّهُ على قدْرِ ما يكْسُوهم الدهرُ يَسلُبُ

وقال أيضًا[3] :

عدوُّكَ مِن صَديقِك مُسْتَفادٌ فلا تستكْثِرَنَّ مِن الصِّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثرُ ما تَراهُ يكونُ مِن الطعامِ أو الشَّرابِ
[٨/ ٢٦٠ظ] إذا انْقلَب الصَّديقُ غدًا عدوًّا مُبِينًا والأمورُ إلى انْقِلابِ
ولو كان الكثيرُ يطيبُ كانتْ مُصاحَبَةُ الكثيرِ مِن الصَّوابِ
ولكِنْ قَلَّ ما استَكْثَرتَ إلَّا وقَعتَ على ذِئابٍ فى ثيابِ
فدَعْ عنكَ الكثيرَ فَكمْ كثيرٍ يُعافُ وكَمْ قليلٍ مُسْتَطابِ
وما اللُّجَجُ [4]المِلاحُ بمُرويات[4] ويكْفِى الرِّىُّ فى النُّطفِ العِذابِ

وقال أيضًا[5] :

وما الحسَبُ المَوْروثُ [6]لا درَّ درُّهُ[6] بمُحتَسَبٍ إلَّا بآخَرَ مُكْتَسَبْ
فلا تتَّكِلْ إلَّا على ما فعَلتَهُ ولا تَحسبَنَّ المجدَ يُورَثُ بالنَّسَبْ[7]

---

(١) فى الأصل : « مرة » .
(٢) ديوان ابن الرومى ١/ ١٨٧.
(٣) ديوان ابن الرومى ١/ ٢٣١، ٢٣٢.
(٤ - ٤) فى م : « العظام بمزريات » .
(٥) ديوان ابن الرومى ١/ ١٥٠، ١٥١، مع تقديم وتأخير .
(٦ - ٦) فى الأصل : « لا ردرده » ، وفى م : « إلا دردره » ، وفى ظ : « لا ذودرة » .
(٧) فى النسخ : « كالنسب » . والمثبت من الديوان .

فليسَ يسودُ المرءُ إلّا بنفسِهِ[1] وإنْ عَدَّ آباءً كِرامًا ذَوِى حسَبْ
إذا العودُ لم يُثمِرْ وإنْ كان شُعبةً[2] مِن المُثمِراتِ اعْتَدَّهُ الناسُ فى الحَطَبْ
ولِلمجْدِ قومٌ ساوروهُ[3] بأنفُسٍ كِرامٍ ولم يَعْبَوْا[4] بأمٍّ ولا بأَبْ

ومِن لطيفِ شعرِه[5] :

قلْبى مِن الطَّرْفِ السَّقيمِ سقيمُ لو أنَّ مَنْ أَشكُو إليه رَحيمُ
فى وَجْهِها أبدًا نَهارٌ واضحٌ مِن [6]فرعِها ليلٌ عليه[6] بَهيمُ
إنْ أقبَلتْ فالبَدْرُ لَاح وإنْ مشَتْ فالغُصْنُ راحَ وإن رَنَتْ فالرِّيمُ
نَعِمتْ بها عَيْنى فطال عَذابُها ولكَمْ عَذابٌ قدْ جَناهُ نَعيمُ
نظَرتْ فأقصدَتِ الفؤادَ بسهمِها ثمَّ انثَنتْ نحوِى فكِدْتُ أَهيمُ
وَيْلَاهُ إنْ نظَرتْ وإن هى أعرضَت وقعُ السِّهامِ ونَزْعُهُنَّ[7] أَلِيمُ
يا مُستَحِلَّ دَمِى مُحَرِّمَ رحمتِى ما أَنصَفَ التَّحْلِيلُ والتَّحْرِيمُ

[8]وذكَر له ابنُ خَلِّكانَ أشياءَ كثيرةً غيرَما أوردناه ، من ذلك قولُه[9][8] - وكان يزعُمُ أنَّه لم يُسبَقْ إليه -:

---

(١) فى ب ، م : « بفعله » .
(٢) فى ب ، م : « أصله » .
(٣) فى ب ، م : « شيدوه » .
(٤) فى م : « يعنوا » .
(٥) المنتظم ١٢/ ٣٦٧.
(٦ - ٦) فى ب ، م : « شعرها عليه ليل » .
(٧) فى ب ، م : « وقعهن » .
(٨ - ٨) فى م : « وله أيضا » .
(٩) وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٩.

آراؤكمْ ووجوهُكمْ وسُيوفُكمْ فى الحادثاتِ إذا دجَوْنَ[1] نُجومُ
منها معالمُ للهُدَى ومصَابحٌ تجْلُو الدُّجَى والأُخْرَياتُ رُجُومُ

وذكَر أنَّه وُلِد سنةَ إحْدَى وعشرين ومائتين. وأنه مات فى هذه السنةِ، وقيل: فى التى بعدها. وقيلَ: فى سنةِ ستٍّ وسبعين. وذكَر أنَّ سبَبَ وفاتِه أنَّ وزيرَ المعتضدِ القاسمَ بنَ عبيدِ[2] اللَّهِ كان يخافُ مِن هَجْوِه ولسانِه، فدَسَّ إليه مَن أطعَمه وهو بحضرَتِه خُشكَنَانَجَةً[3] مَسْمُومةً، فلمّا أحسَّ بالسُّمِّ قام، فقال له الوزيرُ: إلى أين؟ قال: إلى المكانِ الذى بعَثتَنى إليه. قال: سلِّمْ على والدِى. فقال: لستُ أجتازُ على النارِ.

محمدُ بنُ سُلَيمانَ بنِ الحارثِ[4] أبو بكرٍ الباغَنْدِىُّ الواسِطىُّ، كان مِن الحُفّاظِ، وقد ذُكِر أنَّ أبا داودَ كان يسألُه عنِ الحديثِ، ومع هذا تكلَّموا فيه وضعَّفوه.

محمدُ بنُ غالبِ بنِ حَرْبٍ، أبو جعفرٍ الضَّبِّىُّ المعروفُ بتَمتامٍ[5]، سمِع

---

(١) فى الأصل، ب، ظ: «رجون» وفى م: «زجرن».

(٢) فى م: «عبد».

(٣) فى الأصل: «مسكنانجه»، وفى ب: «خشتنانكة»، وفى ظ: «خشكناجه». والخشكنان: فسره داود فى التذكرة بأنه «دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج، وبسط وملئ بالسكر واللوز والفستق وماء الورد، وجمع وخبز، وأهل الشام تسميه المكفن». تذكرة أولى الألباب ١/ ١٢٩.

(٤) فى ب: «الحرس»، وفى م: «الحرب». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٥/ ٢٩٨، والمنتظم ١٢/ ٣٦٩، والعبر ٢/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٦٢.

(٥) فى الأصل: «بتمام» وفى م: «بتتهام». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٣/ ١٤٣، والمنتظم ١٢/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٨٣، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٠٧.

عفَّانَ[1] ، وقبيصةَ ، والقَعْنَبِيّ ، وكان مِن الثِّقاتِ .

قال الدَّارَقُطْنِيُّ[2] : وربما أخطأَ . تُوفِّى فى رمضانَ عن تسعينَ سنةً .

البُحتُرِيُّ الشاعرُ[3]

صاحبُ الديوانِ المشهورِ ، اسمُه الوليدُ بنُ عُبادَةَ ، ويقالُ : الوليدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ يحيى ، أبو عُبادةَ الطَّائيُّ البُحْترِيُّ الشاعرُ ، أصلُه مِن مَنْبِجٍ ، وقدِم بغدادَ ، ومدَح المتوكِّلَ والرؤساءَ ، وكان شعرُه فى المديحِ خيرًا منه فى المَراثِى ، فقيل له فى ذلك ، فقال[4] : المديحُ للرَّجاءِ ، والمراثِى للوفاءِ ، وبينَهما بُعدٌ . وقد روَى شعرَه المُبَرِّدُ ، وابنُ دَرَسْتَوَيْهِ ، وابنُ المَرزُبانِ . وقِيل له : إنَّهم يقولون[5] : إنَّك أشعَرُ مِن أبى تَمامٍ . فقال : لولَا أبو تمّامٍ ما أكَلتُ [٨/٢٦١و] الخبزَ ، كان أبو تمامٍ أستاذَنا . وقد كان البُحْتُرِيُّ شاعرًا مُطبِقًا فصيحًا بليغًا ، رجَع إلى بلدِه فمات بها فى هذه السنةِ ، وقِيل[6] : فى التى بعدَها عن ثمانين سنةً .

---

(١) فى ب ، م : « سفيان » .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩١، بنحوه .

(٣) الأغانى ٢١/ ٣٧، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٤٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٤٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٣٢٢.

(٤) المنتظم ١٢/ ٣٩٣.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٢٧، والمنتظم ١٢/ ٣٩٢ بنحوهما .

(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٠، والمنتظم ١٢/ ٣٩٧.

ثم دخَلتْ سنةُ أربعٍ وثمانين ومائتين[1]

فى المحرَّمِ مِنها دخَل رأسُ رافعِ بنِ هَرْثَمةَ إلى بغدادَ ، فأمَر الخليفةُ بنَصْبِه فى الجانبِ الشرقىِّ إلى الظُّهرِ ، ثم بالجانبِ الغربىِّ إلى الليلِ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ منها خلَع على محمدِ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ بالقضاءِ بمدينةِ المنصورِ عِوضًا عن ابنِ أبى الشَّوارِبِ بعدَ موتِه بخمسةِ أشهرٍ وأيامٍ ، وهى شاغرَةٌ .

وفى ربيعِ الآخرِ ظهَرتْ بمصرَ ظُلمةٌ شديدةٌ وحُمْرةٌ فى الأفقِ حتى صار الرجلُ ينظُرُ إلى وجهِ صاحبِه فيرَاه أحمرَ اللَّونِ جدًّا ، وكذلك الجُدْرانَ . فمكَثوا كذلك مِن العصرِ إلى الليلِ ، ثم خرَجوا إلى الصحراءِ يدعونَ اللَّهَ ، ويتضرَّعونَ إليه حتى كشَف عنهم .

وفى هذه السنةِ عزَم المُعتضدُ على لَعْنِ معاوِيةَ بنِ أبى سفيانَ على المنابرِ فحذَّره وزيرُه [2]عبيدُ اللَّهِ بنُ سليمانَ[2] بنِ وَهْبٍ من ذلك ؛ فإنَّ العامَّةَ تُنكِرُ قلوبُهم ، وهم يتَرحَّمون عليه[3] فى أسواقِهم ومجامعِهم . فلم يلتَفِتْ إليه ، وأمَر بذلك وأمضاه ، وكُتِبتْ نسخٌ بلَعْن معاويةَ ، وذكَر فيها ذَمَّه وذَمَّ ابنِه يزيدَ بنِ معاويةَ وجماعةٍ مِن بنى أمَيَّةَ ، وأورَد فيها أحاديثَ باطلَةً فى ذمِّ معاويةَ وقُرئت فى

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٥١، والمنتظم ١٢/ ٣٧٠، والكامل ٧/ ٤٨٤.

(٢ - ٢) فى س، ظ: «عبيد الله»، وفى م: «عبد الله». وانظر المنتظم ١٢/ ٣٧٢.

(٣) بعده فى ب، م: «ويترضون عنه».

الجانبينِ مِن بغدادَ ، ونُهِيتِ العامَّةُ عنِ التَّرحُّمِ عليه والتَّرضِّى عنه ، فلم يزَلْ به الوزيرُ حتى قال له فيما قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ هذا الصَّنيعَ[1] ممَّا يُرغِّبُ العامَّةَ فى الطَّالبيِّين وقبولِ الدعوةِ إليهم ، فوَجَم لذلك المعتضدُ ، [2]وترَك ما كان عزَم عليه مِن ذلك لخوفِه[2] على المُلكِ ، وقدَّر اللَّهُ تعالى أنَّ هذا الوزيرَ كان ناصِبيًّا يُبغِضُ[3] عليًّا ، فكان هذا مِن هفَواتِ المُعتَضدِ ، سامَحه اللَّهُ .

وفيها نُودِى فى البلدانِ : لا يجتمِعُ العامَّةُ على قاصٍّ ، ولا كاهنٍ ، ولا مُنجِّمٍ ، ولا جدَليٍّ ، ولا غيرِ ذلك ، وأن لا يهتَمُّوا لأمرِ النَّورُوزِ ، ثم أطلَق لهم أمرَ النَّورُوزِ فكانوا يصُبُّون المياهَ على المارَّةِ فتوسعتِ العامةُ فى ذلك ، وغلَوْا فيه حتى جعَلوا يصُبُّونَ المياهَ على الجُندِ وعلى أصحابِ الشُّرَطِ وغيرِهم ، وهذا أيضًا مِن هفَواتِه .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : وفى هذه السنةِ وعَد المنجِّمون الناسَ أنَّ أكثرَ الأقاليم ستَغرَقُ فى زمنِ الشِّتاءِ مِن كثرةِ الأمطارِ والسيولِ وزيادةِ الأنهارِ[5] ، فأكذَبهم اللَّهُ فى قولِهم هذا ، فلم تكنْ سنةٌ أقلَّ مطرًا منها ، وقلتِ العُيونُ جدًّا وقحَطتِ الناسُ فى كلِّ بُقعةٍ حتى استسقَى الناسُ ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ مِرارًا كثيرةً ، فللهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ .

قال[6] : وفى هذه السنةِ كان يتَبدَّى بالليلِ فى دارِ الخلافةِ شخصٌ بيدِه سيفٌ

---

(١) بعده فى ب ، م : « لم يسبقك أحد من الخلفاء إليه وهو » .
(٢ - ٢) فى م : « تخوفًا » .
(٣) فى ب ، م : « يكفر » .
(٤) المنتظم ١٢/ ٣٧٣.
(٥) بعده فى م : « وأجمعوا على هذا الأمر فأخذ الناس كهوفًا فى الجبال خوفًا من ذلك » .
(٦) المنتظم ١٢/٣٧٢، ٣٧٣ .

مشهورٌ، فإذا أرادوا أخْذَه انْهزَم منهم فدخَل فى بعضِ الأماكنِ والزُّروعِ والأشجارِ والعَطَفاتِ التى بدارِ الخلافةِ، فلا يُطَّلَعُ له على خبَرٍ، فقلِق مِن ذلك المعتضدُ قلقًا شديدًا، وأمَر بتجديدِ سورِ دارِ الخلافةِ والاحتفاظِ به، وأمَر الحرسَ مِن كلِّ جانبٍ بشِدَّةِ الاحتراسِ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا، ثم استدْعَى بالمُعَزِّمين[1] ومَن يُعانى علمَ السِّحرِ وأمْرَ المجانينِ[2] فعزَّموا واجتَهدوا، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا فأعياهم أمرُه، ثم بعدَ مدَّةٍ اطُّلِع على جليَّةِ خبرِه وحقيقَةِ أمرِه، أنه كان خادِمًا خَصِيًّا مِن الخدّامِ، كان يتَعشَّقُ بعضَ الجوارِى مِن خواصِّ الحَظايا اللاتى لا يصِلُ مثلُه إلى النظرِ إليها، فكان قد اتخَذ لحِّى مُخْتلفةَ الألْوانِ فيلبَسُ الواحدةَ[3] ويتَبدَّى فى الليلِ فى شكلٍ مُزْعجٍ، فينزعِجُ [٢٦١/٨ظ] الجوارِى والخدَمُ ويثُورونَ مِن كلِّ جانبٍ، ويقصُدونه فيدخُلُ فى بعضِ العَطَفاتِ [4]ويخلَعُها ويجعلُها[4] فى كُمِّه[5]، ثُم يُظهِرُ أنَّه مِن جملةِ الخدَمِ المُتَطَلِّبينَ لكَشْفِ هذا الأمرِ، ويسأَلُ هذا وهذا، ما الخبرُ؟ والسيفُ فى يَدِه فى صفةِ أنَّه مِن جملةِ مَن رُهِب مِن هذا الأمرِ، وإذا اجْتَمَع الجوارى يتمكَّنُ مِنَ النظرِ إلى تلك المعْشُوقَةِ، وملاحظتِها والإشارَةِ إليها بما يريدُه منها[6]، فلم يزَلْ ذلك دأبَه إلى زَمن المُقْتَدِرِ، فبُعِثَ فى سَرِيَّةٍ إلى طرَسوسَ فنَمَّتْ عليه تلك الجاريةُ، وانْكشَف [7]زيفُه ومِحَالُه[7] وأهْلَكَه اللَّهُ، عزَّ وجلَّ.

---

(١) فى الأصل: «بالمعرفين»، وفى ب، م: «بالمغرمين».

(٢) فى م: «المنجمين».

(٣) فى ب، م: «كل ليلة واحدة، واتخذ لباسًا مزعجًا فكان يلبس ذلك».

(٤ - ٤) فى ب، م: «ثم يلقى ما عليه ويجعله».

(٥) بعده فى ب، م: «أو فى مكان قد أعده لذلك».

(٦) بعده فى ب، م: «وأشارت إليه».

(٧ - ٧) فى ب، م: «أمره وحاله».

وفى هذه السنةِ اضْطَرَب الجيشُ على هارونَ بنِ خُمارَوَيْهِ بمصرَ، فأقامُوا له بعضَ أُمَراءِ أبيه يُدبِّرُ الأُمورَ ويُصلِحُ الأحْوالَ، وهو أَبو جعفرِ بنِ أَبَّا[1]، فبعَث إلى دمشقَ - وكانت قد منَعَتْ [2]بيعةَ جيشٍ[3] بنِ خُمارويهِ فى مدَّةِ ولايتِهِ[2] تِسْعَةَ أشهرٍ بعدَ أبيه، واضْطَربَتْ أحوالُها - فبعثَ إليهم جيشًا كَثِيفًا مع بَدْرٍ الحَمَامِيِّ والحسينِ[4] بنِ أحمدَ المَاذَرائيِّ فأصْلَحَا أمرَها، واسْتَعْمَلا على نِيابَتِها [5]طُغْجَ بنَ جُفٍّ[5]، ورجَعَا إلى الديارِ المصريةِ والأمورُ مُخْتَلِفَةٌ جدًّا، [6]وهكذا يكونُ انقضاءُ الدُّولِ فى أواخرِها: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[6] [الرعد: ١١].

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ المُبارَكِ أبو عمرٍو[7] المُسْتَمْلِى، الزاهدُ النَّيْسَابُورِىُّ، يُلقَّبُ بحَمْكَوَيْهِ[8] العابدِ، سمِعَ قُتَيْبَةَ وأحمدَ وإسحاقَ وغيرَهم، واسْتَمْلَى الزاهدُ النيسابورىُّ على المشايخِ ستًّا وخَمْسِينَ سنةً، وكان فقيرًا رَثَّ الهيئَةِ زاهدًا، دخَل يومًا على أبى عثمانَ سعيدِ بنِ إسماعيلَ وهو فى مجْلسِ التَّذْكيرِ، فبَكَى أبو عثمانَ، وقال[9] للناس: إنَّما أبْكانِى رَثاثَةُ رجلٍ كبيرٍ مِن أهلِ العلمِ، أنا أُجِلُّه

---

(١) فى س، ب، م: «أبان». والمثبت موافق لما فى الكامل ٧/ ٤٨٨.

(٢ - ٢) فى ب، م: «البيعة».

(٣) فى الأصل، ص: «حسن». والمثبت موافق لما فى الكامل ٧/ ٤٨٨.

(٤) فى م: «الحسن».

(٥ - ٥) فى ب: «طفج بن خف»، وفى م، ص: «طفح بن خف».

(٦ - ٦) سقط من م.

(٧) فى ب، م: «عمر». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٢/ ٣٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٧٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٨٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٠٢.

(٨) فى الأصل: «يحمله به»، وفى ص: «بحكويه» وفى ب، م، والمنتظم: «بحكمويه».

(٩) المنتظم ١٢/ ٣٧٤.

مِن أنْ أُسَمِّيَه فى هذا المجلْسِ . فجعَل الناسُ يُلْقُونَ الخواتيمَ والثِّيابَ والدراهِمَ حتى اجْتَمَع مِن ذلك شىءٌ كثيرٌ بينَ يدَيِ الشيخِ أبى عثمانَ ، فنَهض عندَ ذلك أبو عمرٍو المُسْتَمْلِى فقال : أيُّها الناسُ ، أنا الذى قصَدنى الشيخُ بكلامِه ، ولولَا أنِّى كرِهْتُ أن يُتَّهَمَ بإثْمٍ لستَرْتُ ما ستَره . فتعَجَّب الشيخُ مِن إخْلاصِه ، ثم أخَذ أبو عمرٍو ذلك المجْتَمِعَ من المال بينَ يَدَيِ الشيخِ فما خرَج مِن بابِ المسجدِ حتى تصدَّق بجَميعِه على الفقراءِ والمَحاويجِ ،رحِمه اللَّهُ . كانت وفاتُه فى جُمادى الآخرةِ من هذه السنَةِ .

إسحاقُ بنُ الحَسَنِ بنِ ميمونِ بنِ سعدٍ ، أبو يعقوبَ الحربىُّ[1] ، سمِعَ عفانَ ، وأبا نُعَيْمٍ ، وغيرَهما . وكان أسَنَّ مِن إبراهيمَ الحربىِّ بثلاثِ سنِينَ ، ولمَّا تُوفِّى إسحاقُ نُودِى عليه بالبَلدِ ، فقصَد الناسُ دارَه للصلاةِ عليه ، واعْتَقدَ بعضُ العامَّةِ أنَّه إبراهيمُ الحربىُّ فجعَلوا يقْصِدُونَ دارَه فيقولُ لهم إبراهيمُ[2] : ليْسَ إلى هذا المَوْضعِ قصَدْتُم ، وغدًا تأْتونَه أيضًا . فما عُمِّرَ بعدَه إلَّا دونَ السنَةِ ، رحِمهما اللَّهُ .

إسحاقُ بنُ محمدٍ ، أبو[3] يعقوبَ السَّدُوسِىُّ[4] ، عُمِّرَ تِسْعِينَ سنةً ، وكان ثِقَةً صالحًا . **إسحاقُ** بنُ موسى بنِ عِمرانَ[5] الفَقِيهُ ، أبو يعقوبَ الإسْفِرايِينىُّ

---

(١) فى الأصل : « الحرمى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٦/ ٣٨٢، والمنتظم ١٢/ ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١١٩، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٩.

(٢) المنتظم ١٢/ ٣٧٥، ٣٧٦.

(٣) فى ب ، م : « بن » .

(٤) فى النسخ : « الزهرى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٢/ ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٢٠، وفيه إسحاق بن معمر.

(٥) الكامل فى التاريخ ٧/ ٤٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات =

الشافِعيُّ . **عبيدُ**[1] **اللَّهِ** بنُ عليِّ بنِ الحسَنِ بنِ إسْماعيلَ أبو العباسِ الهاشِمِيُّ ، كانت إليه الحِسْبَةُ ببغدادَ وإمامَةُ جامعِ الرُّصافَةِ .

[2]**عبدُ العزيزِ**[2] **بنُ مُعاوِيَةَ العَتّابيُّ** ، مِن وَلدِ عَتَّابِ بنِ أَسِيدٍ ، بصريٌّ ، قَدِمَ بغْدادَ ، وحدَّثَ عن أزْهَرَ السَّمَّانِ ، وأبى عاصمٍ النَّبيلِ .

يزيدُ بنُ الهَيْثَمِ بن طَهْمانَ أبو خالدٍ الدَّقَّاقُ[3] ، ويُعرفُ بالبادا . قال ابنُ الجَوْزِيِّ[4] : والصَّوابُ أنْ يقالَ : البادِى ؛ لأنَّه وُلِدَ تَوْأَمًا [٨/٢٦٢و] فكان هو الأوَّلَ فى الميلادِ . روَى عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ وغيرِه ، وكان ثقةً صالحًا عالمًا عاملًا .

= ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٢٠، والوافى بالوفيات ٨/ ٤١٩، وطبقات الشافعية ٢/ ٢٥٨.

(١) فى ب ، م : «عبد» . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٠/ ٣٣٩، وفيه : «عبيد اللَّه بن على بن الحسين» ، والمنتظم ١٢/ ٣٧٦.

(٢ - ٢) فى الأصل : «عبيد اللَّه» وفى ص : «عبيد اللَّه بن على» ، وانظر ترجمته فى : الثقات لابن حبان ٨/ ٣٩٧، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٢، ٤٥٣، والمنتظم ١٢/ ٣٧٦، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢١٦، ولسان الميزان ٤/ ٣٨.

(٣) أخبار القضاة لوكيع ١/ ٣٥٠، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٤٩، والمنتظم ١٢/ ٣٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٣٣٤.

(٤) المنتظم ١٢/ ٣٧٦، بنحوه .

ثم دخلتْ سنَةُ خَمْسٍ وثمانين ومِائتَين

فيها[1] خرَج صالِحُ بنُ مُدْرِكٍ الطّائيُّ على الحاجِّ[2] بالأَجْفُرِ[3] ، فأخَذ أموالَهم ونساءَهم وخدَمَهم ، يقالُ : إنَّه أخَذ منهم ما قيمتُه ألفا[4] ألفِ دِينارٍ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ منها يومَ الأحدِ لعَشْرٍ بَقِينَ منه ارتفَعتْ بنواحِى الكُوفةِ ظُلمَةٌ شديدةٌ جدًّا ، ثم سقَطَتْ أمطارٌ برُعودٍ وبُروقٍ لم يُرَ مثلُها ، وسقَط فى بعضِ القُرى مع المطرِ حِجارَةٌ بِيضٌ وسُودٌ ، وسقَط بَرَدٌ كِبارٌ ، وَزنُ البرَدةِ مائةٌ وخَمسون درهمًا ، واقتَلعتِ الرياحُ شيئًا كثيرًا مِن النخيلِ ممّا حولَ دِجْلَةَ ، وزادَتْ دِجْلَةُ زِيادةً عظيمةً حتى خِيف على بَغْدادَ مِن الغرَقِ .

وفيها غَزَا راغِبٌ الخادِمُ مَولَى المُوَفَّقِ بلادَ الرومِ ، ففتَح حصونًا كثيرةً ، وأسَر ذَرارِيَّ كثيرةً جدًّا ، وقتَل مِن أُسارَى الرجالِ الذين تُحُصِّلوا[5] معه ثلاثَةَ آلافِ رقبةٍ ، وعادَ سالمًا مُؤيَّدًا منصورًا .

وحجَّ بالناسِ فيها محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ داودَ الهاشِميُّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٦٧، والمنتظم ١٢/ ٣٧٧، والكامل ٧/ ٤٩٠.

(٢) فى ب ، م : « الحجاج » .

(٣) الأجفر : موضع بين فيد والخزيمية بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخا نحو مكة . معجم البلدان ١/ ١٣٥.

(٤) فى ب ، م : « ألف » .

(٥) سقط من : ب ، م .

وفيها تُوفِّى :

أحمدُ بنُ عِيسى بنِ الشَّيْخِ[1] ، صاحبُ آمِدَ ، فقام بأمرِها مِن بعدِه ولَدُه محمدٌ ، فقصَده المُعتضِدُ ومعه ابنُه أبو محمدٍ عليٌّ المكْتَفِى باللَّهِ، فحاصَره بها ، فخرَج إليه سامِعًا مُطيعًا فتَسلَّمها مِنه ، وخلَع عليه وأكرمَ [2]أهلَه ، وأحسنَ إليه[2] ، واستَخلَف عليها ولدَه المُكْتَفِى ، ثم سار إلى قِنَّسْرِينَ والعواصمِ ، فتَسلَّمها عن كتابِ هارونَ بنِ خُمارَوَيْهِ ، وإذْنِه له فى ذلك ومُصالحَتِه له على ذلك .

وفيها غَزَا ابنُ الإخشيدِ بأهلِ طَرَسُوسَ بلادَ الرومِ ، ففتَح اللَّهُ على يدَيْهِ حُصونًا كثيرةً ، وللَّهِ الحمدُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

إبْراهيمُ بنُ إسْحاقَ بنِ بَشِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ دَيْسَمٍ[3] ، **أبو إسْحاقَ الحَرْبِىُّ** ، أحدُ الأئمَّةِ فى الفقهِ والحديثِ ، وغيرِ ذلك ، وكان زاهدًا عابدًا تخرَّج بأحمدَ بنِ حنبلٍ ، وروَى عنه كثيرًا .

قال الدَّارَقُطْنِىُّ[4] : إبراهيمُ الحَرِبىُّ إمامٌ مُصَنِّفٌ ، عالمٌ بكلِّ شىءٍ ، بارِعٌ فى كلِّ علمٍ ، صَدوقٌ ، كان يُقاسُ بأحمدَ بنِ حَنْبَلٍ فى زُهْدِه وعلمِه وورعِه .

---

(١) مروج الذهب ٤/ ١٤٢، وتاريخ الطبرى ١٠/ ٦٨، والكامل ٧/ ٤٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٨٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ١١٦.

(٢ - ٢) فى ب ، م : «أهلها» .

(٣) فى م : «رستم» . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٦/ ٢٧، والمنتظم ١٢/ ٣٧٩، ومعجم الأدباء ١/ ١١٢، وإنباه الرواة ١/ ١٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١-٢٩٠هـ) ص ١٠١، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٢٠.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠، والمنتظم ١٢/ ٣٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٦٠.

وقال إبراهيمُ الحَربيُّ[1] : أجمَعَ عُقَلاءُ كلِّ أمةٍ أنَّ مَن لم يَجْرِ معَ القدرِ لم يتَهَنَّ بعَيْشِهِ . وكان يقول[2] : الرجلُ الذى يُدخِلُ غمَّه على نفسِه ولا يُدخِلُه على عِيالِه ، وقد كانت بى شقيقةٌ منذُ [3]خمسٍ و[3] أربعينَ سنةً ما أخبَرتُ بها أحدًا قطُّ ، ولى [4]عشْرُ سِنين[4] أُبصِرُ بفَردِ عينٍ ما أخبَرتُ بهذا أحدًا قطُّ . وذكَر[5] أنَّه مكَث نَيِّفًا وسبعينَ سنةً مِن عمرِه ما يسْأَلُ أهلَه غَداءً ولا عَشاءً ، بل إنْ جاءوه بشىءٍ أكَله ، وإلَّا طوَى إلى الليلةِ القابلةِ . وذكَر[5] أنَّه أنفَق فى بعضِ الرَّمَضاناتِ على نفسِه وعِيالِه درهمًا واحدًا ، وأرْبعةَ دَوانِيقَ ونصفًا ، وما كنّا نعرِفُ مِن هذه الطَّبائخِ شيئًا ، إنَّما هو باذنْجانٌ مشْوِىٌّ ، أو باقةُ فُجْلٍ ، أو نحوُ هذا .

وقد بعَث إليه أميرُ المُؤمنينَ المُعتَضِدُ فى بعضِ الأحْيانِ بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، فأبَى أنْ يقبلَها وردَّها ، فرجَع الرسولُ وقال[6] : يقولُ لك الخليفةُ : فرِّقْها على مَن تعرِفُ مِن فُقراءِ جِيرانِكَ . فقال : هذا شىءٌ لم نجمَعْه ، ولا نُسأَلُ عن جمعِه ، فلا نُسأَلُ عن تفْريقِه ، قلْ لأميرِ المؤمنينَ : إمّا يتْرُكُنا وإلّا نتَحوَّلُ مِن بلَدِه .

ولمّا حضَرته الوفاةُ دخَل عليه بعضُ أصْحابِه يعودُه ، فقامَت ابنَتُه تشْكُو إليه ما هم فيه مِن الجهدِ ، وأنَّه لا طعامَ لهم إلّا الخبزُ اليابسُ بالمِلْحِ ، ورُبَّما عدِمُوا الملحَ فى بعضِ الأحْيانِ . فقالَ لها [٨/٢٦٢ظ] إبْراهيمُ[7] : يا بُنَيَّةُ تخافينَ الفقرَ؟ انظُرِى

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠، والمنتظم ١٢/ ٣٨١.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣١، والمنتظم الموضع السابق .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى م : « عشرون سنة » . وانظر مصدرى التخريج .

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ٣١، بنحوه .

(٦) المصدر السابق ٦/ ٣٢.

(٧) المصدر السابق ٦/ ٣٣، بنحوه .

إلى تلك الزاويةِ ، ففيها اثْنا عشَر ألفَ جزءٍ قد كتَبتُها فى العلمِ ، ففى كلِّ يومٍ يبِيعى منها جزءًا بدرهَمٍ ، فمَنْ عندَه اثْنا عشَرَ ألفَ درهمٍ فليسَ بفقيرٍ .

ثم كانت وفاتُه لسَبْعٍ بَقِينَ مِن ذِى الحِجَّةِ، وصلَّى عليه يوسُفُ بنُ يعقُوبَ القاضى عندَ بابِ الأنبارِ ، وكان الجمعُ كثيرًا جدًّا .

المُبَرِّدُ النحوىُّ : محمدُ بنُ يزِيدَ بنِ عبدِ الأكْبَرِ ، أبو العبّاسِ الأزدىُّ الثُّمالِىُّ[1] ، المعْروفُ بالمُبرِّدِ ، النحوىُّ البَصْرِىُّ إمامٌ فى اللغةِ والعربيةِ ، أخَذ ذلك عن المازنىِّ ، وأبى حاتمٍ السِّجستانىِّ ، وكان ثقةً ثَبْتًا فيما ينقُلُه ، وكان مُناوِئًا لثَعلَبٍ ، وله كتابُ « الكامِلِ » فى الأدبِ ، وإنَّما سُمِّى بالمُبرِّدِ[2] ؛ لأنَّه اختبَأ مِن الوالى عندَ أبى حاتمٍ تحتَ المُزَمَّلَةِ[3] .

قال المبرِّدُ[4] : دخَلنا يومًا على المجانينِ نزورُهم أنا وأصْحابٌ معى بالرَّقَّةِ ، فإذا فيهم شابٌّ قريبُ عهدٍ بالمكانِ ، عليه ثِيابٌ ناعمةٌ ، فلمّا أبصَر بنا قال : حيّاكُم اللَّهُ ، ممَّنْ أنتم ؟ قلْنا : مِن أهلِ العراقِ . فقال : بأبى العراقُ وأهلُها ، أنْشِدُونى أو أُنشِدُكم ؟ قال المبَرِّدُ : فقلتُ : بل أنشِدْنا أنتَ ، فقال :

اللَّهُ يعلَمُ أنَّنى كَمِدُ ... لا أستطيعُ أَبُثُّ[5] ما أجِدُ

---

(١) مراتب النحويين ص ١٣٥، وطبقات النحويين واللغويين ص ١٠١، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠، والمنتظم ١٢/ ٣٨٨، ومعجم الأدباء ١٩/ ١١١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣١٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٩٩.

(٢) المنتظم ١٢/ ٣٨٩.

(٣) فى س ، م ، ظ : « المزبلة » ، والمزملة : جرة خضراء يبرد فيها الماء .

(٤) معجم البلدان ٢/ ٧٠٧، والعقد الفريد ٦/ ١٦٧، ١٦٨، وتاريخ دمشق ١٦/ ١١٥ (مخطوط) ، والمنتظم ١٢/ ٣٩١، بنحوه .

(٥) فى ب ، م : « بث » .

رُوحانِ لى رُوحٌ تضَمَّنَها ... بلَدٌ وأخرَى حازها بلَدُ
وأرَى المقِيمةَ ليسَ ينْفَعُها ... صبْرٌ ولا يقْوَى لها جلَدُ
وأظُنُّ غائِبَتى كشاهِدتى[1] ... بمكانِها تجِدُ الذى أجِدُ

قال المبرِّدُ : فقلتُ : واللَّهِ إنَّ هذا لظريفٌ ، فزِدْنا منه فأنشَأ يقولُ :

لمّا أناخوا قُبَيْلَ الصُّبحِ عِيرَهُمُ ... ورحَّلوها[2] فثارَتْ بالهَوَى الإبِلُ
وأبرَزتْ مِن خِلالِ السَّجْفِ[3] ناظرَها ... ترْنُو إلىَّ ودمعُ العينِ يَنهمِلُ
وودَّعتْ ببنانٍ عَقْدُهُ عنَمٌ ... ناديتُ لا حمَلتْ رجْلَاكَ يا جمَلُ
وَيلى مِن البَيْنِ ماذا حلَّ بى وبهمْ ... مِن نازلِ البَيْنِ حان البينُ وارتحَلوا
يا راحِلَ العِيسِ عجِّلْ[4] كى أُوَدِّعَهمْ ... يا راحِلَ العِيسِ فى تِرْحالِكَ الأجَلُ
إنِّى على العهدِ لم أنقُضْ مودَّتَهم ... فليْتَ شعْرِى لطولِ العَهْدِ ما فعَلوا

فقال رجلٌ مِن البُغَضاءِ الذين معى : ماتوا . فقال الشابُّ : إذًا أموتُ . فقال له : إنْ شئتَ . فتَمطَّى واسْتَندَ إلى سارِيَةٍ عندَه وماتَ ، وما برِحْنا حتى دفنّاه ، رحِمه اللَّهُ . ومات المُبرِّدُ وقد جاوَز السبعينَ .

---

(١) فى م : « كحاضرتى » .
(٢) فى ب ، م : « حملوها » .
(٣) فى الأصل : « المجف » . والسجف : الستران المقرونان بينهما فرجة . التاج (س ج ف) .
(٤) فى س : « مهلا » ، وفى ظ : « امهل » .

ثم دخَلَتْ سنةُ سِتٍّ وثمانِينَ ومائَتَيْن

فيها وقَع تَسَلُّمُ آمِدَ مِن ابنِ الشَّيخِ فى رَبيعِ الآخرِ ، ووصَل كتابُ هارونَ بنِ خُمارَوَيْهِ بنِ أحمدَ بنِ طُولُونَ مِن مِصْرَ إلى المُعْتَضِدِ وهو مُخَيِّمٌ بآمِدَ ، أنْ يسلِّمَ إليه قِنَّسْرِينَ والعواصمَ على أن يُقِرَّه على إمرةِ الديارِ المِصرِيَّةِ ، فأجابَه إلى ذلك ، ثم ترحَّل عن آمِدَ قاصدًا العراقَ ، وأمَر بهدمِ سُورِ آمِدَ ، فهَدَم البعضَ ، ولم يقدرْ على ذلك ، فقال ابنُ المُعتَزِّ يهنِّئُه بفَتْحِ آمِدَ(٧) :

اسلَمْ أميرَ المؤمنينَ ودُمْ ... فى غِبْطَةٍ وَلْيَهْنِكَ النصرُ
فلَرُبَّ حادثةٍ نهَضْتَ لها ... مُتقدِّمًا فتأخَّر الدهْرُ
لَيْثٌ فرائسُهُ اللُّيوثُ فما ... يبيضُّ مِن دَمِها لهُ ظُفْرُ

ولمّا رجَع الخليفةُ إلى بغدادَ جاءتْه هدِيَّةُ عمرِو بنِ اللَّيْثِ مِن نَيْسابُورَ ، فكانَ وصولُها بَغْدادَ يومَ الخميسِ لثَمانٍ بَقِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، وكان مبلَغُها ما قيمتُه أرْبَعةُ آلافِ ألفِ درهمٍ خارِجًا عن دوابَّ وسُروجٍ ، وغيرِ ذلك .

وفيها تحارَب إسماعيلُ بنُ أحمدَ السّامانىُّ [٨/٢٦٣و] ، وعمرُو بنُ الليثِ ؛ وذلك أنَّ عمرَو بنَ الليثِ لمَّا قتَل رافِعَ بنَ هَرْثَمةَ ، وبعَث برأسِه إلى الخليفةِ ، سأَل منه أن يُعطِيَه ما وراءَ النهرِ مُضافًا إلى ما بيَدِه مِن وِلايَةِ خُرَاسَانَ ، فأجابَه إلى ذلك

---

(٥) تاريخ الطبرى ١٠/ ٧٠، والمنتظم ١٢/ ٣٩٨، والكامل ٧/ ٤٩٣.
(٦) ديوان ابن المعتز ١/ ٤٨٤، طبعة دار المعارف ، والأبيات فى المنتظم ١٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

فانزعَج لذلك إسماعيلُ بنُ أحمدَ السامانىُّ نائبُ ما وراءَ النهرِ، وكتَب إليه: إنَّك قد وُلِّيتَ دُنْيا عريضَةً، فاقتَنِعْ بها عمَّا فى يَدَىَّ مِن هذه البلادِ. فلم يَقْبَلْ، فأقْبَل إليه إسْماعيلُ بنُ أحمدَ السامانىُّ فى جيوشٍ عظيمةٍ جدًّا، فالتقَيا عندَ بلْخَ، فهُزِم أصحابُ عمرٍو، وأُسِر عمرُو بنُ الليثِ، فلمّا جِىءَ به إلى إسماعيلَ بنِ أحمدَ قام إليه، وقبَّل بينَ عينَيْه، وغسَل وجهَه، وخلَع عليه وأمَّنه، وكتَب إلى الخليفةِ فى أمْرِه - يَذكُر أنَّ أهلَ تلك البلادِ قد ملُّوه وضَجِروا مِن ولايَتِه عليهم - فجاءَ كتابُ الخليفةِ بأنْ يتَسلَّمَ حَواصِلَه وأمْوالَه، فسلَّمَه إيَّاها، فآلَ به الحالُ - بعدَ أنْ كان مطبخُه يُحمَلُ على سِتِّمِائَةِ جملٍ - إلى القَيْدِ والسِّجنِ، ومِن العجائبِ أن عمرًا كان معَه خمسونَ ألفَ مُقاتلٍ لم يُصَبْ أحدٌ مِنهم، ولا أُسِر سِواه.

ظهورُ أبى سعيدٍ الجنَّابىِّ رأسِ القَرامِطَةِ، قبَّحهمُ اللَّهُ ولعَنهم، وهم أخبثُ مِن الزَّنْجِ، وأشَدُّ فَسادًا

كان ظهورُه فى جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ بنواحِى البَصْرَةِ، فالتفَّ عليه مِن الأعرابِ وغيرِهم بشَرٌ كثيرٌ، وقوِيتْ شوكَتُه جدًّا، وقتَل مَن حولَه مِن أهلِ القُرَى، ثم صار إلى القَطِيفِ قريبًا مِن البَصْرَةِ، ورامَ دخولَها، فكتَب الخليفةُ المعتضدُ إلى نائبِها يأمرُه بتحصينِ سُورِها، فعمَّروه وجدَّدُوا معالِمَه بنَحْوٍ مِن [1] أرْبَعَةِ آلافِ [1] دِينارٍ، فامتنَعت البصرةُ مِن القَرامِطةِ بسبَبِ ذلك. وتغلَّب أبو سعيدٍ الجنَّابىُّ ومَن معَه مِن القرامِطَةِ على هَجَرَ، وما حولَها مِن البلادِ، و أكثَروا فى الأرضِ الفَسادَ.

(١ - ١) فى تاريخ الطبرى ١٠/ ٧١، والمنتظم ١٢/ ٤٠٢، والكامل ٧/ ٤٩٣: «أربعة عشر ألف».

وكان أصلَ أبى سعيدٍ الجَنّابىِّ هذا أنَّه كان سِمسَارًا فى الطعامِ، يبيعُه ويحسُبُ للناسِ الأثمانَ، فقَدِمَ رجلٌ به يقالُ له: يحيى بنُ المهدىِّ فى سنَةِ إحْدَى وثمانينَ ومِائتَين، فدَعا أهلَ القطيفِ إلى بيعةِ المَهْدِىِّ، فاسْتَجابَ له رجلٌ يقالُ له: علىُّ بنُ العَلَاءِ[1] بنِ حَمْدانَ الزِّيادِىُّ، وساعَده فى الدعوةِ إلى المهدِىِّ، وجمَع الشِّيعَةَ الذين كانوا بالقطيفِ، فاستَجابوا له، فكان مِن جملةِ مَنِ استَجاب له أبو سعيدٍ الجَنّابىُّ هذا، قبَّحَه اللَّهُ، ثم تغلَّب على أمرِهم، وأظهَر فيهمُ القَرْمطةَ، فاستَجابوا له والتفُّوا عليه فتأمَّر عليهم وصار هو المُشارَ إليه فيهم. وأصلُه مِن بلْدَةٍ هناك يُقالُ لها: جَنَّابَةُ[2]. وسيأتى ما يكونُ مِن أمرِه وأمرِ أصحابِه.

قال ابنُ الجوزىِّ فى «المُنتظم»[3]: ومِن عجائبِ ما وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنَةِ - ثم روَى بسَندِه - أنَّ امرأةً تقدَّمتْ إلى قاضى الرَّىِّ، فادَّعتْ على زوْجِها بصَداقِها خمسِمائةِ دينارٍ، فأنكرَه الزوجُ، فجاءَت ببيِّنَةٍ تشهَدُ لها به، فقالوا: نريدُ أنْ تُسْفِرَ لنا عن وَجهِها حتى نعلَمَ أنَّها الزوجةُ أمْ لا. فلمّا صمَّموا على ذلك قال الزوجُ: لا تفعَلوا، هى صادِقَةٌ فيما تدَّعِيه. فأقَرَّ بما ادَّعتْ؛ ليصونَ زوْجتَه عن النَّظرِ إلى وجْهِها. فقالتِ المرأةُ: وإذْ قد أرادَ ذلك، فهو فى حِلٍّ مِن صداقِى عليه فى الدنْيَا والآخرةِ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ المشاهيرِ:

أحمدُ بنُ عِيسَى، أبو سعيدٍ الخرَّازُ، فيما ذكَره شيخُنا الذَّهبِىُّ[4].

---

(١) فى الكامل ٧/ ٤٩٤: «المعلى».

(٢) فى الأصل، ب، ص، والكامل: «جنابا». معجم البلدان ٤/ ٩٥٢، ٩٥٣. وجنابة: بلدة بساحل بحر فارس، ومن قال: إنها بلدة بالبحرين. فقد أخطأ. معجم البلدان ٢/ ١٢٢.

(٣) المنتظم ١٢/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٧٧.

وقد أرَّخه ابنُ الجَوْزِىِّ فى سنَةِ سبعٍ وسبعينَ ومائتين[1] . فاللَّهُ أعلمُ .

إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ أبانٍ ، أبو يعقوبَ النَّخَعِىُّ الأحمرُ[2] ، وإليه تُنسَبُ الطائفةُ الإسحاقيَّةُ مِن الشِّيعَةِ . وقد ذكَر ابنُ النُّوبَخْتِىِّ ، والخطيبُ ، وابنُ الجَوزِىِّ[3] ، أنَّ هذا الرجلَ كان يعتقِدُ إلهِيَّةَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وأنَّه انتقل إلى الحسَنِ ثم إلى الحُسَيْنِ ، وأنَّه كان يظهَرُ فى كلِّ وقتٍ ، وقد اتَّبَعه على هذا الكفرِ خَلْقٌ [٨/٢٦٣ظ] مِن الحَميرِ ، قبَّحه اللَّهُ وقبَّحهم .

وإنَّما قيلَ له : الأحمرُ . لأنَّه كان أبرَصَ ، وكان يطْلِى برَصَه بما يُغيِّرُ لونَه ، وقد أوْرَدَ له النُّوبَخْتِىُّ أقوالًا عظيمةً فى الكفرِ ، لعنَه اللَّهُ . وقد روَى شيئًا مِن الحكاياتِ والمُلَحِ عن المازِنىِّ وطبَقتِه ، ومثلُ هذا أقَلُّ وأذَلُّ مِن أنْ يُروَى عنه .

[4]**بَقِىُّ بنُ مَخْلَدِ بنِ يزيدَ ، أبو عبدِ الرحمنِ الأَنْدَلُسىُّ الحافظُ** ، أحدُ عُلماءِ الغربِ ، له « التفسيرُ » ، و « المسندُ » ، و « السننُ والآثارُ » التى فضَّلها ابنُ حَزْمٍ على « تفسيرِ » ابنِ جريرٍ ، و « مسندِ » أحمدَ ، و « مُصَنَّفِ » ابنِ أبى شيبةَ ، وفيما زعَم ابنُ حزمٍ نَظَرٌ . وقد تَرْجَمه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى « تاريخِه »[5] فأثنى عليه خيرًا ، ووصفَه بالحفظِ والإتقانِ ، وذكَر أنه كان مجابَ الدعوةِ ، رحِمه اللَّهُ[4] ،

---

(١) المنتظم ١٢/ ٢٨١، وتقدمت ترجمته ص ٦٢٦، ضمن أحداث سنة سبع وسبعين ومائتين.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٧٨، والمنتظم ١٢/ ٤٠٤، والضعفاء والمتروكين ١/ ١٠٣، وميزان الاعتدال ١/ ١٩٦، وأدرجه الذهبى فى الطبقة السابعة والعشرين فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص ٣٠٢، وأدرجه أيضا فى الطبقة الثامنة والعشرين فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١- ٢٩٠هـ) ص ١٢٠.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٣٨٠، ٣٨١، والمنتظم ٦/٤٠٤ - ٤٠٦.

(٤ - ٤) سقط من : ب . وقد تقدمت ترجمته ص ٦٢١ ضمن أحداث سنة ست وسبعين ومائتين.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/٣٥٤ - ٣٥٩.

[1] وأَرَّخ وفاتَه بهذه السنةِ[2] عن خمسٍ وسبعين سنةً[1] .

والحسينُ[3] بنُ بَشَّارِ بنِ موسى ، أبو عليٍّ الخيَّاطُ ، روَى عن أبى بِلَالٍ الأشْعَرِىِّ ، وعنه أبو بَكْرٍ الشافعِىُّ ، وكان ثقةً ، رأَى فى منامِه - وقد كانتْ به عِلَّةٌ - قائلًا يقولُ له[4] : كُلْ لا ، واشرَبْ لا . ففسَّره بقولِه تعالَى : ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور : ٣٥] . فأكَل زيتونًا ، وشرِب زيتًا ، فبرَأ من عِلَّتِه تلك .

محمدُ بنُ إبْراهيمَ[5] ، أبو جَعْفَرٍ الأنْماطِىُّ ، المعْروفُ بمُرَبَّعٍ ؛ تلميذُ يَحْيَى بنِ مَعينٍ ، كان ثقةً حافِظًا .

[6] **عبدُ الرحيم البَرْقِىُّ[7]** . **ومحمدُ** بنُ وَضَّاحٍ المُصنِّفُ[8] . **وعلىُّ** بنُ عبدِ العزيزِ البَغَوِىُّ[9] ، صاحِبُ « المُسْنَدِ »[6] .

(١ - ١) سقط من : ب .

(٢) كذا قال المصنف ، رحمه الله ، والصواب أن الحافظ ابن عساكر ، رحمه الله ، أرخ وفاته بسنة ست وسبعين ومائتين . هذا ولم يؤرخ أحد وفاة بقى بهذه السنة ، أعنى سنة ست وثمانين ومائتين .

(٣) فى النسخ : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٨/ ٢٤، والمنتظم ١٢/ ٤٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٥٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٢٠ وفيه : « الحسين بن سيار » .

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٢٥، والمنتظم ١٢/ ٤٠٦.

(٥) الجرح والتعديل ٧/ ١٨٧، وتاريخ بغداد ١/ ٣٨٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٦٦، وأدرجه الذهبى فى وفيات الطبقة السادسة والعشرين فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠هـ) ص ٢٣٦.

(٦ - ٦) سقط من : س ، ظ .

(٧) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢١٥ ، والعبر ٢/ ٧٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٢١، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٣.

(٨) طبقات الفقهاء ص ١٦٣، وتاريخ دمشق ١٦/ ٨٢ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٩٤، والوافى بالوفيات ٥/ ١٧٤، وغاية النهاية ٢/ ٢٧٥.

(٩) الجرح والتعديل ٦/ ١٩٦، والثقات ٨/ ٤٧٧، ونزهة الألباء ٢١٦، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٢، ومعجم الأدباء ١٤/ ١١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٢، وميزان الاعتدال ٣/ ١٤٣.

محمدُ بنُ يُونُسَ بنِ مُوسَى بنِ سُلَيمانَ بنِ عُبيدِ بنِ رَبيعةَ بن كُدَيمٍ ، أبو العباسِ القُرَشِيُّ البَصْرِيُّ الكُدَيمِيُّ[1] ، وهو ابنُ امرأةِ رَوْحِ بنِ عُبادةَ ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ ومِائةٍ ، وسمِع عبدَ اللَّهِ بنَ داودَ الخُرَيْبِيَّ ، ومحمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنْصارِيَّ ، وأبا داودَ الطَّيَالِسيَّ ، والأصمعيَّ ، وخلقًا . وعنه ابنُ السَّمَّاكِ ، والنَّجَّادُ . وآخرُ مَن حدَّثَ عنه أبو بكرِ بنُ مالكٍ القَطِيعيُّ ، وقد كان حافظًا مُكْثِرًا مُغْرِبًا ، تكلَّمَ فيه الناسُ ؛ لإغرابِه فى الرِّواياتِ . وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى كتابِنا « التَّكميلِ » بما فيه الكفايةُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

دُفِن يومَ الجمُعةِ قبلَ الصلاةِ للنصفِ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوزَ المِائَةَ سنةٍ ، وصلَّى عليه يُوسُفُ بنُ يعقوبَ القاضى ، رحِمه اللَّهُ .

يَعْقُوبُ بنُ إسْحاقَ بنِ تحيَّةَ[2] ، **أبو يوسفَ الواسطِيُّ** ، سمِع مِن يزيدَ بنِ هارونَ ، وقدِم بغدادَ فحدَّث بها بأرْبَعَةِ أحاديثَ ، ووعَد الناسَ أن يُحدِّثَهم مِن الغدِ[3] ، فمات مِن ليْلَتِه عن مِائَةٍ واثنتَيْ عشْرَةَ سنَةً ، رحِمه اللَّهُ .

[4]**الوليدُ أبو عُبادةَ البُحْتَرِيُّ** ، فيما ذكَره شيخُنا الذَّهَبِيُّ[5] ، وقد تقدَّم[4]

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٥، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٢٦، والمنتظم ١٢/ ٤٠٨، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٣٠٢، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٩١.

(٢) فى ب : « نحبة » ، وفى م : « نخبة » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨٨، والمنتظم ١٢/ ٤١٠، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٣٣٦، ولسان الميزان ٦/ ٣٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨٩، والمنتظم ١٢/ ٤١٠.

(٤ - ٤) سقط من : س ، ظ .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٣٢٢.

(١ ذِكْرُه[٢] فى سنَةِ ثلاثٍ وثمانينَ ، كما ذكَره ابنُ الجوزِىِّ[٣] . فاللَّهُ أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من: س، ظ.

(٢) تقدم ص ٦٧٠ .

(٣) المنتظم ١٢/ ٣٩٢.

ثم دخلت سنة سبعٍ وثمانين ومائتين

فى رَبيعِ الأوَّلِ منها[1] تَفاقَمَ أمرُ القَرامِطَةِ صُحْبَةِ أبى [٢٦٤/٨و] سعيدٍ الجَنّابىِّ ، فقتَلُوا وَسَبَوا وأفْسَدُوا فى بلادِ هَجَرَ ، فجهَّز الخليفةُ إليهم جيشًا كثيفًا ، وأمَّرَ عليهم العبَّاسَ بنَ عمرٍو الغَنَوِىَّ ، وأمَّرَه على اليَمامَةِ والبَحْرَيْنِ ليُحارِبَ أبا سعيدٍ ، فالْتَقَوا هُنالك ، والعبَّاسُ فى عشَرَةِ آلافِ مُقاتلٍ ، فأسَرهم أبو سعيدٍ كلَّهم فنجا مِن بينِهم كلِّهم الأميرُ وحدَه ، وقُتِل الباقُونَ عن آخرِهم صَبْرًا بينَ يدى أبى سعيدٍ ، قبَّحه اللَّهُ . وهذا عجيبٌ جدًّا ، وهو عكْسُ واقعةِ عمرِو بنِ اللَّيْثِ ؛ فإنَّه أُسِرَ مِن بينِ أصْحابِه[2] وكانُوا خمسينَ ألفًا . ويقالُ[3] : إنَّ العباسَ لمَّا قتَل أبو سعيدٍ أصْحابَه صَبْرًا بينَ يدَيْه والعباسُ ينْظُرُ[4] ، أقامَ عندَ أبى سعيدٍ أيامًا ، ثم أطْلَقَه وحمَله على رَواحِلَ ، وقال : ارْجِعْ إلى صاحبِكَ فأخْبِرْه بما رأيْتَ . وقد كانت هذه الواقِعَةُ فى أواخرِ شعبانَ مِن هذه السنةِ ، فلمَّا وقَع هذا انْزَعج الناسُ لذلك انْزِعاجًا عظيمًا جدًّا . وهَمَّ أهلُ البَصْرَةِ بالجلاءِ[5] منها ، فمنَعهم مِن ذلك نائبُها أحمدُ الواثِقىُّ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . وفيها أغارَتِ الرومُ على بلادِ طَرَسُوسَ ، وكان نائبُها وهو ابنُ الإخْشيدِ[6] قد تُوفِّى فى العامِ الماضى واسْتَخلَف

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٧٥، والمنتظم ١٢/ ٤١١، والكامل ٧/ ٤٩٨.

(٢) بعده فى ب ، م : « وحده ونجوا كلهم » .

(٣) تاريخ الطبرى ١٠/٧٨ - ٧٩، والكامل ٧/ ٥٠٠.

(٤) بعده فى ب ، م : « وكان فى جملة من أسر » .

(٥) فى ب ، م : « بالخروج » .

(٦) فى الأصل ، ص ، والطبرى : « الإخشاد » . والإخشيد : ملك الملوك بلغة أهل فرغانة . التاج (خ ش د) .

على الثَّغْرِ أبا ثابتٍ ، فطمِعتِ الرومُ فى تلك الناحِيَةِ وحشَدُوا عساكِرَهم إلى هنالك ، فالْتقَاهم أبو ثابتٍ فلم يقْدِرْ على مُقاومَتِهم ، فقتَلُوا مِن أَصْحَابِه جماعةً وأسَرُوه فيمَنْ أسَرُوا ، فاجْتَمَع أهلُ الثغرِ على ابنِ الأعْرابِيِّ فوَلَّوه أمرَهم . وذلك فى ربيعِ الآخرِ .

وفيها قُتِل :

محمدُ بنُ زَيْدٍ العَلَوىُّ[1] أميرُ طَبَرِسْتَانَ والدَّيْلَم ؛ وكان سبَبَ ذلك أنَّه لما ظفِر إسماعيلُ بنُ أحمدَ السامانىُّ بعمرِو بنِ اللَّيْثِ [2]نائبِ خُراسانَ[2] ظَنَّ محمدٌ أنَّ إسْماعيلَ لا يُجاوِزُ عملَه ، وأنَّ خُراسانَ قد خَلَتْ له ، فارْتحَل مِن بلَدِه يريدُها ، وسبَقَه [2]إلى خراسانَ[2] إسْماعيلُ بنُ أحمدَ ، وكتَب إليه أنِ الْزَمْ عمَلَكَ ولا تُجاوِزْه إلى غيرِه . فلم يقْبَلْ ، فبعَث إليه جيشًا مع محمدِ بنِ هارونَ الذى كان ينُوبُ عن رافعِ بنِ هَرْثَمةَ ، فلمَّا الْتقَيا هرَب منه محمدُ بنُ هارونَ خَدِيعَةً ، فسارَ الجيشُ وراءَه فى الطَّلَبِ فكَرَّ عليهم راجعًا ، فانْهزَمُوا منه ، فاحتاز ما فى مُعَسْكَرِهم ، وجُرِحَ محمدُ بنُ زيدٍ جِراحاتٍ شديدةً ، فماتَ بسبَبِها بعدَ أيامٍ ، وأُسِر ولَدُه زيدٌ ، فبُعِث به إلى إسماعيلَ بنِ أحمدَ فأكْرَمه [3]وأنزَله بُخارى[3] .

وقد كان محمدُ بنُ زَيْدٍ هذا فاضِلا دَيِّنًا حسَنَ السِّيرةِ فيما وَلِيَه مِن تلك البلادِ ، وكان فيه تشَيُّعٌ ، فتقدَّمَ إليه يومًا خَصْمانِ ؛ اسمُ أحَدِهما مُعاوِيَةُ واسْمُ

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٥٨، والكامل ٧/ ٥٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٦٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٨١، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٢٢.

(٢ - ٢) سقط من ب ، م .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « وأمر له بجائزة » . وانظر الكامل ٧/ ٥٠٤.

الآخرِ عليٌّ ، فقال محمدُ بنُ زيدٍ : إنَّ الحُكْمَ بيْنَكما ظاهِرٌ ، فقال معاويةُ : أيُّها الأميرُ ، لا تغْتَرَّنَّ بنا [٨/٢٦٤ظ] ؛ فإنَّ أبى كان مِن كبارِ الشِّيعَةِ ، وإنَّما سمَّانى معاوِيَةَ مُدارَاةً لمَنْ ببلَدِنا مِنَ[1] السُّنَّةِ . وهذا كان أبُوه مِن كبارِ النَّواصِبِ ، فسمَّاه عليًّا تُقاةً لكم . فتبَسَّم محمدُ بنُ زيدٍ وأحْسَن [2]إليه ، رحِمه اللَّهُ[2] .

قال ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[3] : وممَّنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ **إسْحاقُ** بنُ أيوبَ[4] بنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ العَدَوِىُّ ، عَدِىُّ رَبيعةَ ، وكانَ أميرًا على ديارِ رَبيعةَ مِن الجزيرةِ ، فوُلِّى مكانَه عبدُ اللَّهِ بنُ الهَيْثَمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ المعْتَمِرِ . **وعلىُّ** بنُ **عبدِ العزيزِ** البَغَوِىُّ ، صاحِبُ أبى عُبَيْدٍ القاسِمِ بنِ سلَّامٍ . وفهدُ[5] بنُ أحمدَ بنِ فهدٍ[5] الأزْدِىُّ المَوْصِلِىُّ ، وكان مِن الأعْيانِ . وذكَر هو وأبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِىِّ[6] أنَّ قَطْرَ النَّدَى بنْتَ خُمارَوَيْهِ بنِ أحمدَ بنِ طُولُونَ امْرأةَ المُعْتَضِدِ باللَّهِ تُوفِّيت فى هذه السَنةِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ : لسَبْعٍ خَلَوْنَ مِن رجَبٍ منها ، ودُفِنتْ داخِلَ قَصْرِ الرُّصافَةِ . **ويَعْقُوبُ** بنُ يُوسُفَ بنِ أيُّوبَ ، أبو بكرٍ المُطَّوِّعِىُّ ، سمِعَ أحمدَ بنَ حنبلٍ ، وعلىَّ بنَ المَدِينىِّ ، وعنه النَّجَّادُ والخُلْدِىُّ ، كان وِرْدُه فى كلِّ يومٍ قراءَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إحْدَى وثلاثينَ ألْفَ مَرَّةٍ ، أو إحْدَى وأربعين ألفَ مرَّةٍ .

قلتُ : **وممَّنْ تُوفِّى** فيها : **أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ**[7] صاحِبُ السُّنَّةِ

---

(١) بعده فى م : « أهل » .
(٢ - ٢) فى م : « إليهما » . وانظر الكامل ٧/ ٥٠٤.
(٣) الكامل ٧/ ٥٠٨.
(٤) فى ب ، م : « يعقوب » .
(٥) فى م : « مهدى » . وانظر الكامل ٧/ ٥٠٨.
(٦) الكامل الموضع السابق ، والمنتظم ١٢/ ٤١٣.
(٧) تاريخ دمشق ٥/ ١٠٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٧٥، والعبر ٢/ ٧٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٦٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٥.

والمُصنَّفاتِ ، وهو : **أحمدُ بنُ عَمْرِو بنِ أبى عاصِمٍ الضَّحَّاكِ** بنِ مخلدٍ[1] النَّبيلِ ، له مُصَنَّفاتٌ فى الحديثِ كثيرةٌ ؛ منها كِتابُ « السُّنَّةِ » فى أحاديثِ الصِّفاتِ على طريقةِ السَّلَفِ ، وكان حافِظًا كبيرًا جليلًا ، قد وَلِىَ قضَاءَ أصْبهانَ بعدَ صالحِ بنِ الإمامِ أحمدَ ، وكان قد طاف البلادَ فى طلَبِ الحديثِ ، وصَحِبَ أبا تُرابٍ النَّخشَبِىَّ ، وغيرَه مِن مشايخِ الصوفِيَّةِ ، وقدِ اتَّفَق له مَرَّةً كرامَةٌ هائلةٌ[2] ؛ كان هو واثْنانِ مِن كبارِ الصالحِينَ فى سفَرٍ ، فنَزَلُوا يومًا على رَمْلٍ أبْيَضَ ، فجعَل أبو بكرٍ هذا يُقَلِّبُه بيَدِه ، ويقولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَبِيصًا يكون[3] بلَوْنِ هذا . فلم يكُنْ بأسْرَعَ مِن أنْ أقْبَلَ أعْرابِىٌّ وبيَدِه قَصْعَةٌ فيها خَبِيصٌ بلَوْنِ ذلك الرملِ فى بَياضِه ، فأكَلُوا منه ، رحِمه اللَّهُ . وكان يقولُ : لا أحِبُّ أن يحْضُرَ مجْلِسِى مُبْتَدِعٌ[4] ولا طَعَّانٌ ولا لَعَّانٌ ولا فاحِشٌ ولا بَذِىءٌ ، ولا مُنْحَرِفٌ عنِ الشافعِىِّ وأصحابِ الحديثِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنَةِ بأصْبهانَ ، وقد رآه بعْضُهم بعدَ وفاتِه وهو يصلِّى ، فلمَّا انْصرفَ قال : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : يُؤْنِسُنِى رَبِّى عزَّ وجلَّ[5] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) تاريخ دمشق ٥/١٠٦ .

(٣) بعده فى ب ، م : « غداء على » .

(٤) بعده فى ب ، م : « ولا مدع » .

(٥) تاريخ دمشق ٥/١٠٧ .

ثم دخلتْ سنَةُ ثمانٍ[1] وثَمانِيـنَ ومائَتَيْـنِ

اتفَقَ فى هذه السنَةِ[2] مَصائِبُ عديدةٌ ؛ منها[3] أنَّ الرومَ قصَدُوا بلادَ الرَّقَّةِ فى جَحافِلَ مِن البَرِّ والبحرِ ، فقتَلُوا خَلْقًا وأسَرُوا نَحْوًا مِن خَمْسَةَ عشَرَ ألفًا مِن الذُّرِّيَّةِ . ومنها أنَّ بلادَ أذْرَبِيجانَ أصاب أهلَها وَباءٌ شديدٌ حتى لم يَبْقَ أحدٌ يقدِرُ على دَفْنِ المَوْتَى ، فتُرِكُوا فى الطرقِ لا يُوارَوْنَ [٨/٢٦٥و] [4]عن الأبصارِ[4] . ومنها أنَّ بلادَ أرْدَبِيلَ أصابتْها رِيحٌ شديدةٌ أيضًا مِن بعدِ العصرِ إلى ثُلُثِ الليلِ ، ثم زُلْزِلُوا زِلْزالًا شديدًا ، واسْتَمَرَّ ذلك أيامًا فتَهدَّمَتِ الدورُ والمنازلُ ، وخُسِفَ بآخرِينَ منهم ، وكان جملةُ مَن ماتَ تحتَ الهَدْمِ مِائَةَ ألفٍ وخَمْسِينَ ألفًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ . وفيها اقْتَرَب القَرامِطَةُ مِن البَصْرَةِ ،فخافَ أهلُها خوفًا شديدًا ، وهمُّوا بالرَّحيلِ منها ، فمنَعَهم واليها .

ومِمن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

بِشْرُ بنُ مُوسَى بنِ صالحٍ أبو علىٍّ الأسَدِىُّ[5] وُلِدَ سنةَ تسعين[6] ومِائَةٍ ،

---

(١) فى م : « تسع » .

(٢) بعده فى ب ، م : « آفات و » .

(٣) تاريخ الطبرى ١٠/ ٨٣، والمنتظم ١٢/ ٤١٦، والكامل ٧/ ٢٨٨.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٨٦، والمنتظم ١٢/ ٤١٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٣٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٥٦.

(٦) فى الأصل : « تسع وتسعين » ، وفى ص : « تسع » . وانظر مصادر ترجمته .

وسمِعَ مِن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ حديثًا واحدًا، وسمِعَ الكثيرَ مِن هَوْذَةَ بنِ خليفةَ، والحسَنِ بنِ مُوسَى الأَشْيَبِ، وأبى نُعَيْمٍ، وعلىِّ بنِ الجَعْدِ، والأَصْمَعِىِّ، وغيرِهم، وعنه ابنُ المُنادِى وابنُ مَخْلَدٍ وابنُ صاعِدٍ والنَّجَّادُ وأبو عمرَ[1] الزاهدُ والخُلْدِىُّ والخُطَبِىُّ[2] وأبو بكرٍ الشافعِىُّ وابنُ الصَّوَّافِ وغيرُهم. وكان ثقةً أمِينًا حافِظًا، وكان مِن أهلِ[3] البُيوتاتِ، وكان أحمدُ يكْرِمُه.

ومِن شعرِه[4]:

ضعُفْتُ ومنْ جازَ الثمانينَ يضْعُفُ ... ويُنكَرُ منه كلُّ ما كانَ يُعْرَفُ
ويمشِى رُوَيْدًا كالأسيرِ مقيَّدًا ... يُدانِى خُطَاه فى الحديدِ ويَرْسُفُ

ثابتُ بنُ قُرَّةَ بنِ هارونَ[5] **- ويقالُ: زَهْرُونُ**[6] **- بنِ ثابتِ بنِ كرايا**[7] **بنِ إبراهيمَ الصَّابِئِىُّ الفَيْلَسُوفُ الحَرَّانِىُّ**، صاحبُ التصانيفِ، من جملَتِها أنَّه حرَّرَ كتابَ أُقْلِيدِسَ الذى عرَّبَه حُنَيْنُ بنُ إسْحاقَ العِبادِىُّ. وكان أصلُه [8]صيرفيًّا بحرَّانَ[8] فترَكَ ذلك واشْتَغَل بعلمِ الأوائلِ، فنالَ منه رُتْبَةً سامِيَةً عندَ أهلِه، ثم صارَ

---

(١) فى النسخ: «عمرو». وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٨.

(٢) فى الأصل، س، ص: «الحلبى» وفى ب، م: «السلمى» وفى ظ: «الخطيبى». والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٨٦، والمنتظم ١٢/ ٤١٨. وانظر الأنساب ٢/ ٣٨٢.

(٣) سقط من: م.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٨٧.

(٥) فى الفهرست، وتاريخ الإسلام: «مروان». وانظر ترجمته فى: الفهرست ص ٣٨٠، والمنتظم ١٢/ ٤١٨، ووفيات الأعيان ١/ ٣١٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٣٧، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٦.

(٦) فى الأصل، ص: «زيدون».

(٧) فى م: «كدام»، وفى تاريخ الإسلام: «زكريا»، وانظر الفهرست والوفيات.

(٨ - ٨) فى ب، م: «صوفيا».

إلى بَغْدادَ فعَظُمَ شأْنُه بها ، وكان يدْخُلُ مع المُنجِّمينَ على الخليفةِ ، وهو باقٍ على دِينِ الصَّابِئَةِ ، وحَفِيدُه ثابتُ بنُ سِنانٍ له تاريخٌ أجاد فيه وأحْسَن ، وكان بليغًا ماهِرًا حاذِقًا بالغًا . وعمُّه إبْراهيمُ بنُ ثابتِ بنِ قُرَّةَ كان طَبِيبًا عارفًا أيضًا . وقد سرَدَهم كلَّهم فى هذه الترجمةِ القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] .

الحسَنُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَهْمِ[2] **أبو الحسنِ**[3] **الشِّيعىُّ** ، مِن شِيعَةِ المنْصورِ لا مِنَ الرَّوافِضِ ، حدَّثَ عن علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، وحكَى عن بِشْرٍ الحافِى . وعنه أبو عمرِو بنُ السَّمَّاكِ .

[4]**عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ سُلَيمانَ**[4] **بنِ وَهْبٍ** ، وزيرُ المُعْتَضِدِ ، كان حَظِيًّا عندَه ، وقد عزَّ عليه وفاتُه وتألَّمَ لفَقْدِه ، وأهَمَّه مَن يجْعلُه مِن بعدِه ، فعَقَد لوَلَدِه القاسمِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الوَزارةَ مِن بعدِ أبيه جَبْرًا لمُصابِه به .

وأبو القاسمِ عُثْمانُ بنُ سعيدِ بنِ بَشَّارٍ[5] المعْروفُ بالأَنْماطِىِّ ، أحدُ كبارِ الشافِعيَّةِ . وقد ذكَرْناه فى « طَبَقاتِهم » .

وهارونُ بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ بنِ مُوسَى [٨/٢٦٥ظ] **بنِ عِيسى ، أبو**

---

(١) وفيات الأعيان ١/٣١٣ - ٣١٥.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٦، والمنتظم ١٢/ ٤١٩. تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٥٥.

(٣) فى تاريخ بغداد والمنتظم : « الحسين » . والمثبت موافق لما فى تاريخ الإسلام .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « عبد اللَّه بن وهب بن سليمان » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان - فى ترجمة عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر - ٣/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢١٧، والعبر ٢/ ٧٢، وفوات الوفيات ٢/ ٤٣٤.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٢٩٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٢٢، والعبر ٢/ ٨١، وطبقات الشافعية ٢/ ٣٠١، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٨.

موسى الهاشِمِيُّ[1] ، إمامُ الناسِ فى الحجِّ[2] . سمِعَ وحدَّثَ وتُوفِّى بِمِصْرَ فى رمضانَ مِن هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٢/ ٤٢٠.

(٢) بعده فى ب ، م : «عدة سنين متوالية وقد» .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

فيها[1] عاثَتِ القَرامِطَةُ بسَوادِ الكُوفَةِ ، فظَفِرَ بعضُ العُمَّالِ بطائفةٍ منهم فبَعَث برئيسِهم إلى المُعْتَضِدِ ؛ وكان يقالُ له : أبو الفَوارِسِ . فنالَ مِن العبَّاسِ بينَ يَدَيِ الخليفةِ ، فأمَر به فقُلِعَتْ أضْراسُه وخُلِعَتْ يدَاه ثم قُطِعَتا مع رِجْلَيْه ، ثم قُتِل وصُلِب ببَغْدادَ وأُشْهِر أمرُه .

وفيها قصَدَتِ القَرامِطَةُ دِمَشْقَ فى جَحْفَلٍ عظيمٍ ، فقاتَلَهم نائبُها طُغْجُ بنُ جُفٍّ مِن جهَةِ هارُونَ بنِ خُمارَوَيْهِ ، فهزَمُوه مرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً ، وتَفاقَم الحالُ بينَهم ، وكان ذلك بسِفارَةِ يَحْيَى بنِ زكْرَوَيْهِ بنِ مِهْرَوَيْهِ[2] الذى ادَّعَى عندَ القَرامِطَةِ أنَّه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ بنِ جَعْفَرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وقد كذَب فى ذلك ، وزَعَم لهم أنَّه قدِ اتَّبعه على أمْرِه مائةُ ألفٍ ، وأنَّ ناقتَه مأْمورَةٌ حيثُ ما توَجَّهَتْ به نُصِرَ على أهلِ تلك الناحيةِ . فراجَ ذلك عندَهم ولَقَّبوه الشيخَ ، واتَّبعَه طائفةٌ مِن بَنِى الأصْبَغِ ، وسُمُّوا بالفاطِمِيِّينَ . وقد بعَث إليهم الخليفةُ جَيشًا كثيفًا فهزَموه ، ثم اجْتازُوا بالرُّصافَةِ فأحْرَقوا جامِعَها ، ولم يجْتازُوا بقَرْيَةٍ إلّا انتَهبوها ، ولم يزَلْ ذلك دأبَهم حتى وصَلُوا إلى دِمَشْقَ فقاتَلَهم نائبُها فهزَموه مَرَّاتٍ وقَتلُوا مِن أهْلِها خلْقًا كثيرًا ، وانْتَهبُوا مِن أموالِها شيئًا كثيرًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٨٦، والمنتظم ١٢/ ٤٢١، والكامل ٧/ ٢٨٩.

(٢) فى ب ، س ، م ، ص ، ظ : « بهرويه » . وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ٩٤.

وفى هذه الحالِ الشديدةِ اتَّفقَ موتُ الخليفةِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ فى رَبِيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، أحسَنَ اللَّهُ خاتمَتَها .

وهذه ترجَمةُ المُعْتَضِدِ

أحمد بنِ الأميرِ أبى أحمدَ المُوَفَّقِ المُلَقَّبِ بناصرِ دِينِ اللَّهِ[1] - واسمُ أبى أحمدَ محمدٌ ، وقيل : طَلْحَةُ - بنِ جَعْفَرٍ المُتَوَكِّلِ على اللَّهِ بنِ محمدٍ المُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرشيدِ ، أبو العبَّاسِ أميرُ المؤْمنينَ ، الخليفةُ المعْتَضِدُ باللَّهِ . وُلِدَ فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ . وقيل : ثلاثٍ وأرْبَعِينَ ومائتَيْنِ . وأمُّه أمُّ ولَدٍ . وكان أسْمَرَ نحِيفَ الجِسْمِ مُعْتَدِلَ القامَةِ ، قد وَخَطَه الشيبُ ، وفى مقدَّمِ لحْيَتِه طُولٌ ، وفى رأسِه شامَةٌ بَيْضاءُ .

بُويِعَ له بالخلافةِ صَبيحَةَ يومِ الاثنينِ لإحْدَى عشْرَةَ بَقِيَتْ مِن رجَبٍ سنَةَ تِسْعٍ وسَبْعِينَ ومائتَيْنِ ، فاسْتَوْزَر [2]عبيدَ اللَّهِ بنَ سُلَيمانَ بنِ وهبٍ[2] ، ووَلَّى القضاءَ إسْماعيلَ بنَ إسْحاقَ ، ويُوسُفَ بنَ يَعْقُوبَ ، وابنَ أبى الشَّوارِبِ . وكان أمرُ الخلافةِ قد ضَعُفَ فى أيامِ عمِّه المُعْتَمِدِ على اللَّهِ ، فلمَّا وَلِىَ المُعْتَضِدُ أقامَ شِعارَها ، ورفَع منارَها وشيَّد دعائمَها وحيطانَها ، وأَطَّد أركانَها .

وكان شُجاعًا فاضلًا ، مِن رِجَالاتِ قُرَيْشٍ حَزْمًا وجُرأةً وغزْوًا [٢٦٦/٨و] وعِزًّا وإقْدامًا وحُرْمةً ، وكذلك كان أبوه مِن قبلِه .

وقد أوْرَدَ ابنُ الجَوْزِىِّ بإسْنادِه[3] أنَّ المُعْتَضِدَ اجْتازَ فى بعضِ أسْفارِه بقريةٍ

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٦١، والوافى بالوفيات ٦/ ٤٢٨، وتاريخ الخلفاء ص ٣٧٣.

(٢ - ٢) فى م : «عبد الله بن وهب بن سليمان» . وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ٣٠، والكامل ٧/ ٤٥٦.

(٣) المنتظم ١٢/ ٣٠٧ بنحوه .

فيها مَقْثَأَةٌ ، فوقَفَ صاحِبُها صائحًا مُسْتَصْرِخًا بالخليفةِ ، فاسْتَدْعَى به فسَأَلَه عن أمْرِه ، فقال : إنَّ بعضَ الجيشِ أخَذُوا لى شيئًا مِن القِثَّاءِ وهم مِن غِلْمانِكَ . فقال : أتَعْرِفُهم ؟ قال : نعم . فعرَضَهم عليه فعرَفَ منهم ثلاثةً ، فأمَر الخليفةُ بتَقْييدِهم وحبْسِهم ، فلمَّا كان الصباحُ نظَر الناسُ ثلاثةَ أنْفُسٍ مَصْلُوبينَ على جادَّةِ الطريقِ ، فاسْتَعظمَ الناسُ ذلك واسْتَنْكروه ، وعابُوا ذلك على الخليفةِ ، وقالوا : قتَلَ ثلاثةً بسبَبِ قِثَّاءٍ أخذُوه ؟ فلمَّا كان بعدَ قليلٍ ، (١أمرَ الخوَاصُّ مُسامِرَه١) أنْ يُنْكِرَ عليه ذلك ، وليتَلَطَّفْ فى مُخاطبتِه بذلك(٢) ، فدَخَل عليه ذاتَ ليلةٍ وقد عزَم على ذلك ، ففَهِمَ الخليفةُ ما فى نفْسِه مِن كلامٍ يريدُ أنْ يُبْدِيَه ، فقال له : إنِّى أعرِفُ أنَّ فى نفْسِكَ كلامًا ، فما هو ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنينَ ، وأنا آمِنٌ ؟ قال : نعم . قلتُ له : فإنَّ الناسَ يُنْكِرُونَ عليكَ تسَرُّعَكَ فى سَفْكِ الدماءِ . فقال : واللَّهِ ما سفَكْتُ دمًا حَرامًا منذُ وُلِّيتُ الخلافةَ إلَّا بحقِّه . فقلتُ له : فعَلامَ قتلْتَ أحمدَ ابنَ الطيبِ وقد كان خادِمَكَ ، ولم يظْهَرْ له جنايةٌ(٣) ؟ فقال : وَيْحَكَ ، إنَّه دَعانِى إلى الإلْحادِ والكفرِ باللَّهِ فيما بينِى وبيْنَه ، فقلتُ له : يا هذا أنا ابنُ عمِّ صاحِبِ الشريعةِ ، وأنا مُنْتَصِبٌ فى منْصبِه ، فأكْفُرُ حتى أكونَ من غيرِ قبيلتِه ؟ فقتَلْتُه على الكفرِ والزندَقَة . فقلتُ له : فما بالُ الثَّلاثَةِ الذين قتلْتَهم فى القِثَّاءِ ؟ فقال : واللَّهِ ما كان أولئك الذين أخذُوا القِثَّاءَ ، وإنَّما كانوا لُصوصًا قد قتَلُوا وأخَذُوا المالَ فوجَبَ قتْلُهم ، فبعثتُ فجئتُ بهم مِن السِّجْنِ فقتَلْتُهُم وأَريتُ الناسَ أنَّهم الذين أخَذُوا القِثَّاءَ ، وأَرَدْتُ بذلك أنْ أُرْهِبَ الجيشَ ؛ لِئلَّا يُفْسدُوا فى الأرضِ ويتَعَدَّوا على

(١ - ١) فى ب ، م : « أمر الخواص وهو مسامره » ، وفى س : « أراد بعض الخواص من مسامريه » ، وفى ظ : « أمر بعض الناس من الخواص ممن يسامره » .

(٢) بعده فى ب ، م : « والأمراء حضور » .

(٣) فى ب ، م : « خيانة » .

الناسِ ، ويكُفُّوا عن الأذَى . ثم أمَر بإخْراجِ أولئكَ الذين كان حبَسَهم بسببِ القِثَّاءِ فأطْلقَهم بعدَ ما اسْتَتابَهم وخلَع عليهم ورَدَّهم إلى أرْزاقِهم التى كانت لهم .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وخرَج المُعْتَضِدُ يومًا فعَسْكَرَ ببابِ الشمّاسِيَّةِ ونَهَى أنْ يأْخُذَ أحَدٌ مِن بُسْتَانِ أحدٍ شيئًا ، فأُتِى بأسْوَدَ قد أخَذَ عِذْقًا مِن بُسْرٍ ، فتأمَّلَه طويلًا ثم أمَر بضَرْبِ عُنُقِه ، ثم الْتَفَتَ إلى أصحابِه وقال : إنَّ العامَّةَ يُنْكِرونَ هذا ويقُولُونَ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[2] : « لَا قَطْعَ فى ثَمَرٍ ولا كَثَرٍ » . ولم يكْفِه أن يقْطَعَ يدَه حتى قتَلَه ، وإنِّى لم أقْتُلْ هذا على سَرِقَتِه ، وإنَّما هذا الأسْوَدُ له خبرٌ طريفٌ ، هذا رجلٌ مِن الزَّنْجِ كان قد اسْتأمنَ فى حياةِ أبى ، وإنَّه تَقاوَلَ هو ورجلٌ مِن المسلمينَ فضرَب المسلمَ فقطَعَ يدَه فماتَ المسلمُ ، فأهْدَرَ أبى دَمَ الرجلِ المقْتُولِ تأْلِيفًا للزَّنْجِ ، فآلَيْتُ على نَفْسِى لئنْ أنا قدَرْتُ عليه لأقْتُلَنَّه ، فما وقعَت عينى عليه إلَّا هذه الساعَةَ ، فقَتَلْتُه بذلك الرجلِ .

وقال أبو بكرٍ الخطيبُ[3] : أخْبَرنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يَعْقُوبَ ، حدَّثنَا محمدُ ابنُ نُعَيْمٍ الضَّبِّىُّ ، [٨/٢٦٦ظ] سمِعْتُ أبا الوليدِ حسانَ بنَ محمدٍ الفقيهَ يقولُ : سمِعتُ أبا العباسِ بنَ سُرَيْجٍ يقولُ : سمِعتُ إسْماعيلَ بنَ إسْحاقَ القاضى يقولُ : دخلْتُ على المُعْتَضِدِ وعلى رأسِه أحْداثٌ رُومٌ صِباحُ الوجوهِ ، فنَظرْتُ إليهم ، فرآنى المُعتَضِدُ وأنا أتأمَّلُهم ، فلمَّا أردتُ القيامَ أشارَ إلىَّ فمكثْتُ ساعةً ، فلمَّا خلَا

---

(١) المنتظم ١٢/ ٣٢٤.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٨٨)، والترمذى (١٤٤٩)، والنسائى (٤٩٧٥ - ٤٩٨٥)، صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٨٨).

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٤٠٤.

قال لى : أيُّها القاضِى ، واللَّهِ ما حلَلْتُ سَراوِيلى على حرامٍ قطُّ .

وروَى البَيْهَقِىُّ ، عن الحاكمِ ، عن حسَّانَ بنِ محمدٍ ، عنِ ابنِ سُرَيْجٍ ، عن القاضى إسْماعيلَ بنِ إسْحاقَ ، قال[1] : دخَلتُ يومًا على المُعْتَضِدِ ، فدَفَع إلىَّ كتابًا فقرأتُه ، فإذا قد جُمِع له فيه الرُّخَصُ مِن زَلَلِ العُلَماءِ . فقلتُ : يا أميرَ المؤْمنيـنَ ، إنَّما جمَع هذا زِنْدِيقٌ . فقال : كيفَ ؟ فقلتُ : إنَّ مَن أباحَ النَّبيذَ لم يُبِحِ المتعةَ ، ومَن أباحَ الغناءَ لم يُبِحِ النبيذَ ، ومَن جمَع زَلَلَ العُلَماءِ ثم أخَذَ بها ذهَبَ دِينُه . فأمرَ بتَحْريقِ ذلك الكتابِ .

وروَى الخطيبُ بسنَدِه عن صافِى الحُرَمِىِّ[2] الخادمِ قال : انْتَهى المُعْتَضِدُ وأنا بيـنَ يدَيْه إلى منْزِلِ شغْبٍ[3] ، وابنُه المُقْتَدِرُ جَعْفَرٌ جالسٌ فيه وحولَه نحْوٌ مِن عشْرٍ مِن الوَصائفِ ، والصِّبْيانُ مِن أصْحابِه فى سنِّه عندَه ، وبيـنَ يدَيْه طبَقٌ مِن فِضَّةٍ فيه عُنْقُودُ عنَبٍ ، وكان العنبُ إذْ ذاك عزِيزًا جدًّا ، وهو يأكلُ عِنَبَةً واحدةً ثم يُفَرِّقُ على كلِّ واحدٍ مِن جلسائِه عنبةً عِنَبَةً ، فترَكَه المُعْتَضِدُ وجلَس ناحِيةً فى بيتٍ مَهْمُومًا . فقلتُ له : ما لَكَ يا أميرَ المؤْمنيـنَ ؟ فقال : وَيْحَكَ ، واللَّهِ لوْلَا النارُ والعارُ لأقْتُلَنَّ هذا الغُلامَ ، فإنَّ فى قتْلِه صلاحًا للأُمَّةِ . فقلتُ : أُعِيذُكَ باللَّهِ يا أميرَ المؤمنيـنَ ، الْعَنِ الشيطانَ . فقال : وَيْحَكَ يا صافِى إنَّ هذا الغلامَ فى غايةِ السَّخاءِ لِما أرَاه يَفْعَلُ مع الصِّبْيانِ ؛ فإنَّ طِباعَ الصِّبْيانِ تأبَى الكرَمَ ، وهذا فى غايةِ الكرَمِ ، وإنَّ الناسَ بعدِى لا يُوَلُّونَ عليهم إلَّا مَن هو مِن ولَدِى ، فسيَلِى عليهم المُكْتَفِى ثم

---

(١) أخرجه الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٣/٤٦٥ من طريق إسماعيل بن إسحاق به .

(٢) فى الأصل : « الحربى » ، وفى س ، ص : « الحزمى » . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١١٦ .

(٣) فى الأصل : « شعب » ، وفى ب ، س ، م : « شعث » ، والمثبت موافق لما فى مصدر التخريج . وشغب : أم المقتدر بن المعتضد .

لا تطولُ أيامُه لعِلَّتِه التى به - وهى داءُ[1] الخَنازِيرِ - ثم يموتُ فيُولَّى على الناسِ جَعْفَرٌ هذا ، فيصرِفُ جميعَ أمْوالِ بيتِ المالِ إلى الحظَايَا ؛ لشَغَفِه بهِنَّ ، وقُرْبِ عهْدِه مِن تشبهِه بهِنَّ ، فتضِيعُ أمورُ المسلمينَ وتُعَطَّلُ الثغورُ وتكْثُرُ الفِتَنُ والهرَجُ والخَوارِجُ والشرورُ . قال صافى : فواللَّهِ لقد شاهَدْتُ ما قالَه سَواءً بسَواءٍ .

وروَى ابنُ الجَوْزِىِّ عن بعضِ خدَمِ المُعْتَضِدِ ، قال[2] : كان المُعْتَضِدُ يومًا نائمًا وقْتَ القائلةِ ونحنُ حولَ سريرِه ، فاسْتَيقظَ مذْعُورًا ، فصرَخ بنا ، فجِئْنا إليه ، فقال : وَيْحَكُمْ اذهبُوا إلى دِجْلَةَ فأوَّلُ سفينةٍ تجدونها فارِغَةً مُنْحَدِرَةً فأْتُونى بمَلَّاحِها واحْتَفِظُوا بها . فذَهَبْنا سِراعًا فوَجَدنا ملَّاحًا فى سُمَيْرِيَّةٍ[3] فارِغَةٍ مُنْحَدِرًا فأتَيْنا به الخليفةَ ، فلمَّا رأى الملاحُ الخليفةَ كادَ يتْلَفُ ، فصاحَ به الخليفةُ صَيْحَةً عظيمةً فكادتْ رَوحُ الملَّاحِ تخرُجُ ، فقال له الخليفةُ : وَيْحَكَ يا ملْعونُ ، اصْدُقْنى عن قِصَّتِكَ مع المرأةِ التى قتَلْتَها اليومَ وإلَّا ضرَبْتُ عُنُقَكَ . قال : فتلَعْثَمَ ، ثم قال : نعم يا أميرَ المؤمنينَ ، كنتُ اليومَ سحَرًا فى مشْرَعتِى الفُلانِيَّةِ ، [٨/٢٦٧و] فنزَلَتِ امْرأةٌ لم أرَ مثلَها وعليها ثِيابٌ فاخِرةٌ وحَلْىٌ كثيرٌ وجَوْهَرٌ ، فطمِعتُ فيها واحْتَلْتُ عليها حتى سدَدْتُ فاهَا وغَرَّقْتُها وأخَذْتُ جميعَ ما كان عليها مِن الحَلْىِ والثيابِ ، وخشِيتُ أنْ أرجِعَ به إلى منْزلِى فيَشْتَهِرَ خبَرُها ، فأردْتُ الذَّهابَ إلى واسِطٍ ، فلَقِيَنى هولاءِ الخدَمُ فأخَذُونى . فقال له : وأينَ حَلْيُها ؟ فقال : فى صَدْرِ السفينةِ تحتَ البَوارِىِّ . فأمَر الخليفةُ بإحْضارِ الحَلْىِ ، فجِىءَ به فإذا هو حَلْىٌ كثيرٌ يُساوِى أمْوالًا كثيرةً ، فأمَر الخليفةُ بتَغْريقِ الملَّاحِ فى المكانِ الذى غرَّقَ فيه المرأةَ ،

---

(١) فى ص : « دم » . وداء الخنازير : قروح صلبة تحدث فى الرقبة . التاج (خ ز ر) .
(٢) المنتظم ١٢/ ٣١٢.
(٣) فى الأصل : « سربه » . والسميرية : ضرب من السفن .

وأمَر أنْ يُنادَى على أهلِ المرأةِ ليَحْضُروا حتى يتسَلَّمُوا مالَ وليَّتِهم . فنادَى بذلك ثلاثةَ أيامٍ فى أسْواقِ بَغْدادَ وأَزِقَّتِها ، فحضَرُوا بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، فسَلَّم إليهم ما كان مع تلك المرأةِ من الحَلْيِ والثيابِ فقال له خدَمُه : يا أميرَ المؤْمنينَ ، مِن أينَ علِمتَ هذا ؟ قال : رأيْتُ فى نَوْمى تلك الساعَةَ شيْخًا أبيضَ الرأسِ واللِّحْيَةِ والثِّيابِ وهو يُنادِى : يا أحمدُ يا أحمدُ ، خُذْ أوَّلَ ملَّاحٍ ينْحَدِرُ الساعةَ فاقْبِضْ عليه وقَرِّرْه عن خبرِ المرأةِ التى قتَلَها اليومَ وسلَبَها ، فأقِمْ عليه الحدَّ . فكان ما شاهَدْتُم .

وعن خفيفٍ[1] السَّمَرْقَنْدِىُّ الحاجبُ قال[2] : كنتُ مع مَوْلَاى المُعْتَضِدِ فى بعضِ مُتَصَيَّداتِه ، وكان قد انقْطَعَ عن العسكَرِ وليس معه غيرِى ، إذْ خرَج علينا أسدٌ فقَصَد قصْدَنا ، فقال لى المُعْتَضِدُ : يا خفيفُ أفِيكَ خيرٌ ؟ قلتُ : لا واللَّهِ يا مولَاى . فقال : ولا حتى تُمسِكُ فرَسِى وأنزِلُ أنا ؟ فقلتُ : بلى . قال : فنزَلَ عن فرسِه فأمسكتُها ، وغرَزَ أطْرافَ ثِيابِه فى مِنْطَقَتِه واسْتَلَّ سيفَه ورمَى بقِرابِه إلىَّ ، ثم تقدَّمَ إلى الأسَدِ فوثَب الأسدُ عليه فضرَبَه المعتضِدُ بالسيفِ فأطارَ يدَه ، فاشْتَغلَ الأسدُ بيَدِه ، فضرَبَه ثانيةً فى هامَتِه ففَلَقَها ، فخرَّ الأسدُ صَرِيعًا ، فدَنا منه فمسَحَ سيْفَه فى صُوفِه ، ثم أقْبلَ إلىَّ فأغْمَدَ سيفَه فى قِرابِه ، ثم ركِبَ فرسَه ثم عُدْنا إلى العسكَرِ . قال : وصحِبْتُه إلى أنْ ماتَ فواللَّهِ ما سمِعْتُه ذكَر ذلك لأحَدٍ ، فما أدْرِى مِن أىِّ شىءٍ أعْجَبُ ؛ مِن شَجاعتِه ؟ أم مِن عدَمِ احْتِفالِه بذلك حيثُ لم يذْكُرْه لأحدٍ ؟ أم مِن عدَمِ عَتْبِه علىَّ حيثُ ضَنَنْتُ بنَفْسِى عنه ؟ واللَّهِ ما عاتَبَنى فى ذلك قطُّ .

---

(١) فى الأصل : « حنيف » ،وفى ب ، م : « جعيف » ، وكذا فيما يأتى من مواضع .
(٢) المنتظم ١٢/ ٣١٤.

وروَى الحافظُ ابنُ عساكِرَ، عن أبى الحُسَيْنِ النورِىِّ[1] أنَّه اجْتازَ بزَوْرَقٍ فيه خمْرٌ مع ملَّاحٍ، فقال: ما هذه؟ ولِمَنْ هذه؟ فقال له: هذه خمْرٌ للمُعْتَضِدِ. فصَعِد أبو الحُسَيْنِ إليها فجعَلَ يضْرِبُ الدِّنانَ بعَمُودٍ فى يَدِه حتى كسَرها كلَّها إلَّا دَنًّا واحدًا ترَكَه، واسْتَغاثَ الملَّاحُ، فجاءَتِ الشرطةُ فأخذُوا أبا الحسينِ فأوْقَفُوه بينَ يدَى المُعْتَضِدِ فقال له: مَن أنتَ؟ فقال: مُحتَسِبٌ. فقال: ومَن وَلَّاكَ الحِسْبَةَ؟ فقال: الذى وَلَّاكَ الخلافةَ يا أميرَ المؤْمنينَ. فأطْرَقَ رأسَه ثم رفَعَها فقال: ما الذى حمَلَكَ على ما فعلْتَ؟ فقال: شفَقَةً عليكَ لدفْعِ الضَّررِ عنك. فأطْرَقَ رأسَه ثم رفعَه فقال: ولِمَ ترَكْتَ مِن الدِّنانِ واحدًا فقال: إنِّى أقدْمَتُ عليها فكسَرْتُها إجْلالًا لعظمةِ اللَّهِ تعالى، ولم أبالِ أحدًا مِن الناسِ حتى انْتَهيتُ إلى هذا [٢٦٧/٨ظ] الدَّنِّ، فتخَوَّفتُ على نفْسِى [2]كِبْرًا، على[2] أنِّى أقدمتُ على مثْلِكَ، فترَكْتُه. فقال له المُعْتَضِدُ: اذهَبْ، فقد أطلَقتُ يدَكَ فغيِّرْ ما أحببْتَ أن تغيِّرَه مِن المنكرِ. فقال النورىُّ[1]: الآنَ نقَص عَزْمِى عنِ التَّغْييرِ، فقال: ولِمَ؟ فقال: لأنِّى كنتُ أغيِّرُ عن اللَّهِ، وأنا الآنَ أغيِّرُ عن شُرْطِىٍّ. فقال: سَلْ حاجتَكَ. فقال: أُحِبُّ أنْ تُخْرِجَنى مِن بين يدَيْكَ سالمًا. فأمَر به فأُخرِجَ فصارَ إلى البَصْرَةِ، فأقامَ بها مُخْتَفِيًا خَشْيةَ أن يَشُقَّ عليه أحدٌ فى حاجةٍ عندَ المُعْتَضِدِ. فلمَّا تُوفِّى المُعْتَضِدُ رجَعَ إلى بَغْدادَ.

وذكَرَ القاضِى أبو الحسَنِ محمدُ بنُ عبدِ الواحد الهاشِمىُّ، عن شيخٍ مِن التُّجّارِ، قال[3]: كان لِى على بعْضِ الأُمراءِ مالٌ كثيرٌ، فماطَلَنى ومنَعَنى حقِّى،

---

(١) فى الأصل: «الثورى».

(٢) فى ب، م: «إعجاب من قبيل»، وفى س: «كثيرا».

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ٣١٧/١٢ من طريق القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد به بنحوه.

وجعَل كلَّما جئتُ أطالِبُه حجَبَنى عنه ، ويأمُرُ غِلْمانَه يؤْذُونَنِى ، فاشْتكَيْتُ عليه إلى الوزيرِ ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ، وإلى أوْلياءِ الأمرِ مِن الدولةِ فلم يقْطَعُوا منه شيئًا ، وما زادَه ذلك إلَّا منْعًا وجُحُودًا ، فأيِسْتُ مِن المالِ الذى عليه ، ودخَلَنِى هَمٌّ مِن جهَتِه ، فبيْنَما أنا كذلك وأنا حائرٌ ؛ إلى مَن أشْتَكِى ؟! إذْ قال لى رجلٌ : ألَا تأتى فُلانًا الخيَّاطَ - إمامَ مسجدٍ هناك - فقلتُ : وما عسَى أنْ يصْنَعَ خيَّاطٌ مع هذا الظالمِ ، وأعْيانُ الدولةِ لم يقْطَعُوا فيه ؟ فقال لى : هو أقطَعُ وأخْوَفُ عندَه مِن جميعِ مَن اشْتَكَيتَ إليه ، فاذهَبْ إليه لعلَّكَ أنْ تجِدَ عندَه فرَجًا . قال : فقصَدْتُه غيرَ مُحْتَفِلٍ فى أمْرِه ، فذكَرتُ له حاجَتِى ومالِى ، وما لَقِيتُ مِن هذا الظالمِ ، فقامَ معى ، فحينَ عايَنه الأميرُ قامَ إليه وأكْرَمه واحْتَرَمه وبادَر إلى قَضاءِ حقِّى الذى عليه ، فأعْطانِيه كامِلًا مِن غيرِ أنْ يكُونَ منه إلى الأميرِ كبيرُ أمرٍ ، غيرَ أنَّه قال له : ادْفَعْ إلى هذا الرجلِ حقَّه ، وإلَّا أذَّنْتُ . فتغَيَّرَ لونُ الأميرِ ودفَع إلىَّ حقِّى . قال التّاجِرُ : فعجِبْتُ مِن ذلك الخيَّاطِ مع رَثاثَةِ حالِه وضَعْفِ بِنْيَتِه كيفَ انْطاعَ ذلك الأميرُ له ، ثم إنِّى عرضْتُ عليه شيئًا مِن المالِ فلم يقبَلْ منِّى شيئًا ، وقال : لو أردْتُ هذا لكان لى مِن الأمْوالِ ما لا يُحْصَى . فسألتُه عن خبَرِه وذكَرتُ له تعَجُّبِى منه وألْحَحْتُ عليه ، فقال : إنَّ سببَ ذلك أنَّه كان عندَنا هـٰهنا رجلٌ تُرْكىٌّ شابٌّ حسَنٌ أميرٌ ، فلمّا كان ذاتَ يومٍ أقبَلتِ امرأةٌ حسْناءُ ، قد خرجَتْ مِن الحمَّامِ وعليها ثِيابٌ مُرتَفِعةٌ ذاتُ قيمةٍ ، فقام إليها وهو سَكْرانُ فتعلَّق بها يُرِيدُها على نفْسِها ليُدْخِلَها منْزِلَه ، وهى تأْبَى عليه وتصرُخُ بأعْلَى صوتِها : يا معشرَ المسلمين أنا امرأةٌ ذاتُ زَوْجٍ ، وهذا يريدُنى على نفْسِى ليُدْخِلَنِى منْزِلَه ، وقد حلَف زوْجِى بالطلاقِ أنْ لا أبِيتَ فى غيرِ منزِلِه ، ومتى بِتُّ هـٰهُنا طَلُقْتُ منه ولَحِقَنِى بسبَبِ ذلك عارٌ لا تَدْحَضُه الأيامُ ولا تغْسِلُه المَدامِعُ . قال الخيَّاطُ : فقُمْتُ إليه فأنْكَرتُ

عليه ، وأردتُ خلاصَ المرأةِ مِن يدَيه ، فضرَبنى بدَبُّوسٍ فى يَدِه فشَجَّ رأسِى ، وغلَب المرأةَ على نفْسِها وأدْخَلَها منْزِلَه قَهْرًا ، فرجَعتُ أنا فغسَلْتُ الدمَ عنِّى وعصَبتُ رأسِى ، وصلَّيْتُ بالناسِ العِشاءَ ثم قلتُ لهم : إنَّ هذا قد فعَل ما قد علِمتُم ، فقُومُوا معى إليه لنُنْكِرَ عليه ونُخلِّصَ المرأةَ منه ، فقام الناسُ معى فهجَمنا عليه دارَه ، فثار إلينا فى جماعَةٍ مِن غِلْمانِه ، بأيْدِيهمُ العِصِيُّ والدبابِيسُ يضْرِبونَ الناسَ ، وقصَدنى هو مِن بينِهم فضرَبنى ضرْبًا شديدًا مُبرِّحًا حتى أدْمانِى ، وأُخْرِجْنا مِن منْزِلِه ونحنُ فى غايَةِ الإهانَةِ ، فرجَعتُ إلى منْزِلى وأنا لا أهْتَدِى إلى الطريقِ مِن شدَّةِ الوجعِ وكثرةِ الدماءِ ، فنِمْتُ على فراشِى فلم يأْخُذْنى نومٌ ، وتحيَّرْتُ ؛ ماذا أصنعُ حتى أُنقِذَ هذه المرأةَ مِن يَدِه فى هذه الليلةِ لترجِعَ فتَبِيتَ فى منزِلِها حتى لا يقَعَ على زوْجِها الطلاقُ ، فأُلْهِمْتُ أنْ أُؤَذِّنَ للصبحِ فى أثْناءِ الليلِ لكى يظُنَّ أنَّ الصبحَ قد طلَعَ فيُخْرِجَها مِن منْزِلِه ، فتذْهَبَ إلى منزلِ زوْجِها ، فصَعِدْتُ المنارةَ وجعَلتُ أنظُرُ إلى بابِ دارِه وأنا أتكلَّمُ على عادتِى قبلَ الأذانِ ، هل أرَى المرأةَ قد خرَجتْ ، ثم أذَّنْتُ فلم تخْرُجْ ، ثم صَمَّمْتُ إنْ لم تخْرُجْ أقَمْتُ الصلاةَ حتى يتَحقَّقَ الصباحَ ، فبَيْنَا [٢٦٨/٨و] أنا أنظُرُ هل تخرُجُ المرأةُ أم لا ؟ إذ امْتَلأتِ الطريقُ فُرْسانًا ورَجَّالَةً وهم يقولونَ : أينَ الذى أذَّنَ هذه الساعةَ ؟ فقلتُ : ها أنَا ذا ، وأنا أريدُ أن يُعِينُونى عليه ، فقالُوا : انْزِلْ . فنزَلتُ ، فقالوا : أجِبْ أميرَ المؤمنين . فأخَذُونى وذهَبُوا بى لا أملِكُ مِن نفْسِى شيئًا ، ومازالوا بى حتى أدْخَلُونى على الخليفةِ المعتضدِ باللَّهِ ، فلمَّا رأيتُه جالسًا فى مقامِ الخلافةِ ارْتَعَدتُ مِن الخوفِ وفزَعتُ فزَعًا شديدًا ، فقال : ادْنُ . فدَنَوْتُ ، فقال لى : لِيَسْكُنْ رَوْعُكَ ولْيَهْدَأْ قلْبُكَ . ومازالَ يُلاطِفُنِى حتى اطْمَأنَنْتُ وذهَب خوفِى ، فقالَ : أنتَ الذى أذَّنْتَ هذه الساعةَ ؟ قلتُ : نعم يا أميرَ المؤمنينَ . فقال : ما حَمَلكَ

على أنْ أذَّنْتَ هذه الساعَةَ ، وقد بَقِيَ مِن الليلِ أكثرُ ممَّا مضَى منه ؟ فيغْتَرَّ بذلك الصائمُ والمسافِرُ والمُصلِّى وغيرُهم . فقلتُ : يُؤَمِّنُنِى أميرُ المؤمنينَ حتى أقُصَّ عليه خبَرِى ؟ فقال : أنت آمِنٌ . فذكَرتُ له القصةَ . قال : فغضِبَ غضبًا شديدًا ، وأمَر بإحْضارِ ذلك الأميرِ والمرأةِ من ساعتِه على أىِّ حالَةٍ كانَا ، فأُحْضِرَا سريعًا فبعَثَ بالمرأةِ إلى زوْجِها مع نِسْوَةٍ مِن جِهَتِه ثِقاتٍ ، ومعهنَّ ثِقَةٌ مِن جِهَتِه أيضًا ، وأمَرَه أنْ يأمُرَ زوْجَها بالعَفْوِ والصَّفْحِ عنها والإحْسانِ إليها ، فإنَّها مُكْرَهةٌ ومعْذُورَةٌ ، ثم أقبلَ على ذلك الشابِّ الأميرِ ، فقال له : كم لكَ مِن الرزقِ ؟ وكم عندَك مِن المالِ ؟ وكم عندَك مِن الجَوارِى والزَّوْجاتِ ؟ فذكَر له شيئًا كثيرًا . فقال له : وَيْحَكَ ! أمَا كَفاكَ ما أَنْعمَ اللَّهُ به عليك حتى انتهَكْتَ حُرْمَةَ اللَّهِ وتعدَّيْتَ حدُودَه وتجرَّأْتَ على السلْطانِ ، وما كفاكَ ذلك حتى عَمِدْتَ إلى رجلٍ أمَركَ بالمعْروفِ ونَهَاكَ عن المنكرِ فضرَبْتَه وأَهَنْتَه وأدْمَيْتَه ؟ فلم يكُنْ له جوابٌ . فأمَر به فجُعِلَ فى رِجْلِه قَيْدٌ وفى عُنُقِه غُلٌّ ، ثم أمَر به فأُدْخِلَ فى جَوَالِقَ ، ثم أمَر به فضُرِبَ بالدَّبابيسِ ضرْبًا شديدًا حتى خَفَتَ صوتُه ، ثم أمَر به فأُلْقِىَ فى دِجْلَةَ ، فكان ذلك آخرَ العهدِ به . ثم أمرَ بَدْرًا صاحبَ الشرطةِ أنْ يَحْتاطَ على ما فى دارِه مِن الحواصلِ والأمْوالِ التى كان يتَناولُها مِن بيتِ المالِ بغيرِ حِلِّها ، ثم قال لذلك الرجُلِ الصالحِ الخيَّاطِ : كلَّما رأيتَ مُنْكَرًا صغيرًا كان أو كبيرًا ولو على هذا - وأشارَ إلى صاحبِ الشرطةِ - فأعْلِمْنِى به ، فإنِ اتفقَ اجْتِماعُكَ بى وإلَّا فعلامةُ ما بينى وبيْنَكَ أن تُؤَذِّنَ فى مثلِ وقتِ أذانِكَ هذا . قال : فبهذا السببِ لا آمُرُ أحدًا مِن هؤلاءِ الدولةِ بشىءٍ مِن الخيرِ ، أو أنهاه عن الشرِّ إلّا بادَر إلى امتثالِه وقبولِه ؛ خوفًا مِن المُعْتَضِدِ . وما احْتَجْتُ أنْ أُؤَذِّنَ فى مثلِ تلك الساعةِ إلى الآنَ .

وذكَر الوزيرُ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ سُليمانَ بنِ وَهْبٍ ، قال[1] : كنتُ يومًا عندَ المعتضِدِ ، وخادِمٌ واقفٌ على رأسِه يذُبُّ بمذَبَّةٍ فى يَدِه ، إذْ حرَّكَها فجاءَتْ فى قَلَنْسُوَةِ الخليفةِ فسقَطتْ عن رأسِه ، فأعْظَمْتُ أنا ذلك جدًّا وخِفْتُ مِن هَوْلِ ما وقَع ، ولم يكترِثِ الخليفةُ لذلك ، بل أخَذ قَلَنْسُوتَه فوضَعها على رأسِه ثم قال لبعضِ الخدَمِ : مُرْ هذا البائسَ فليذهَبْ لراحَتِه فإنَّه قد نَعَسَ ، وزِيدُوا فى عِدَّةِ مَن يذُبُّ بالنوْبَةِ . قال الوزيرُ : فأخَذْتُ فى الثَّناءِ على الخليفةِ والشكرِ له على حِلْمِه ، فقال : إنَّ هذا البائسَ لم يتعمَّدْ ما وقَع منه ، وإنَّما نَعَسَ ، وليس العقابُ والمُعاتبةُ إلَّا على المتَعمِّدِ ، لا على المخطِئِ والسَّاهِى .

وقال خفيفٌ[2] السَّمَرْقَنْدِىُّ الحاجبُ : لمَّا جاءَ الخبَرُ إلى المُعْتَضِدِ بموتِ وزيرِه عبيدِ اللَّهِ بنِ سُلَيمانَ وتحقَّق ذلك خَرَّ ساجِدًا طويلًا ، فقيلَ له : يا أميرَ المؤمنينَ ، [٢٦٨/٨ظ] لقد كان عبيدُ اللَّهِ يخْدُمُكَ وينْصَحُ لك . فقال : إنَّما سجدْتُ شُكْرًا للَّهِ أنِّى لم أعْزِلْه ولم أُؤْذِه ، ثم استَشار الحاضرِينَ فيمَن يستوزره مِن بعدِه ، وذكَر هو رجُلين ، أحدُهما جَرادَةُ ، وكان[3] حازِمَ الرأيِ قويًّا ، والآخرُ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ الفُراتِ ، فعدَلَ به بَدْرٌ صاحبُ الشُّرطَةِ عنهما وأشارَ عليه بالقاسمِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فسَفَّه رأيَه ، فألَحَّ عليه ، فوَلَّاه وبعَث إليه يُعَزِّيه فى أبيه ويُهَنِّيه بالوَزارةِ ، فما لَبِثَ القاسِمُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حتى وَلِى المُكْتَفِى الخِلافَةَ مِن بعدِ أبيه المُعْتَضِدِ حتى قتَلَ بدْرًا . وكان المُعْتَضِدُ ينظُرُ إلى ما بيْنَهما مِن العَداوَةِ مِن وَراءِ سِتْرٍ رقيقٍ ، وهذه فِراسَةٌ عظيمةٌ وتوَسُّمٌ قوىٌّ .

---

(١) المنتظم ١٢/ ٣٢٤.

(٢) فى الأصل : « حنيف » ، وفى ب ، م : « جعيف » ، والخبر فى المنتظم ١٢/ ٣٢٢.

(٣) بعده فى ب ، م : « ابن سليمان » .

وقد رُفِعَ يومًا إلى المُعْتَضِدِ أنَّ قومًا يجْتَمِعُونَ على المعْصيةِ ، فاسْتَشارَ وزيرَه فى أمْرِهم ، فقال[1] : ينْبَغِى أنْ يُصْلَبَ بعضُهم ويُحْرَقَ بعضُهم . فقال : وَيْحَكَ لقد بَرَّدْتَ لَهبَ غضَبِى عليهم بقَسْوَتِكَ هذه ، أمَا علِمتَ أنَّ الرَّعِيَّةَ وديعةُ اللَّهِ عندَ سُلْطانِها ، وأنَّه سائلُه عنها . ولم يُقابِلْهم بما قال الوزيرُ فيهم .

ولهذه النِّيَّةِ لمَّا وَلِىَ الخلافةَ كان بيتُ المالِ صِفْرًا مِن المالِ ، وكانتِ الأحْوالُ فاسدةً ، والأعرابُ تَعِيثُ فى الأرضِ فسادًا فى كلِّ جهةٍ ، فلم يزَلْ برأْيِه وتسْديدِه حتى كَثُرَتِ الأمْوالُ فى بيتِ المالِ ، وصلَحَتِ الأحْوالُ فى سائرِ الأقاليمِ والآفاقِ والمحالِّ .

ومِن شعْرِه فى جاريةٍ له تُوفِّيَتْ فوَجَدَ عليها وجْدًا عظيمًا ، فقال[2] :

يا حَبِيبًا لم يكُنْ يعْـ ... ـدِلُه عندِى حبيبُ
أنتَ عن عيْنِى بعيدٌ ... ومِن القلْبِ قريبُ
ليس لى بعدَكَ فى شىْـ ... ـءٍ مَن اللَّهْوِ نصِيبُ
لكَ مِن قلْبِى على قلْبى ... وإنْ بِنْتَ رقيبُ
وخَيالى[3] منكَ مُذْ غِبْـ ... ـتَ [4]خيالٌ ما يغِيبُ[4]
لو تَرانِى كيفَ لى بعـ ... ـدَكَ عوْلٌ ونحِيبُ
وفُؤادِى حشْوُه مِن ... حرَقِ الحزْنِ لَهِيبُ

---

(١) المنتظم ١٢/ ٣٢٥.
(٢) الأبيات فى : المنتظم ١٢/ ٣٢٥، ٣٢٦، وتاريخ الخلفاء ص ٣٧٢.
(٣) فى ب ، م : « حياتى » .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « حياة لا تطيب » .

(١) لتيقَّنْتَ بأنِّى بكَ محزونٌ كئيبُ (١)
ما أرى نفْسِى وإنْ طيَّـ ـبْتُها عنكَ تطيبُ
ليس دمعٌ لِىَ يعصِيـ ـنى وصبْرِى ما يُجِيبُ

وقال فيها أيضًا[٧] :

لم أبكِ للدّارِ ولكِنْ لمَنْ قد كانَ فيها مرَّةً ساكِنَا
فخانَنِى الدهْرُ بفِقْدانِه وكنتُ مِنْ قبلُ له آمِنَا
ودَّعْتُ صبْرِى عند توْديعِه وبانَ[٣] قلبى معه ظاعِنَا

وكتبَ إليه ابنُ المُعْتَزِّ يُعزِّيه ويُسلِّيه عن مُصيبتِه فيها[٤] :

يا إمامَ الهُدَى بنا لا بك الغَمُّ وأفْنَيْتنا وعِشْتَ سَلِيمَا
أنتَ علَّمْتَنا على النِّعَمِ الشكْـ ـرَ وعندَ المصائبِ التَّسْلِيمَا
فاسْلُ[٥] عن ما مضَى فإنَّ التى كا نتْ سُرورًا صارَتْ ثوابًا عَظِيمَا
قد رضينا بأن نموتَ وتَحْيَى إنَّ عندِى فى ذاك حظًّا جَسِيمَا
مَن يَمُتْ طائعًا لديْكَ فقد أُعْـ ـطِىَ فوزًا وماتَ موْتًا كرِيمَا

واجْتَمعَ ليلةً عندَ المُعْتَضِدِ نُدَماؤُه ، فلمَّا انْقَضَى السَّمرُ وصارَ إلى حظَاياه ونامَ القومُ السُّمَّارُ نبَّهَهُم من نومِهم خادِمٌ مِن عندِ الخليفةِ ، وقال[٦] : يقولُ لكم أميرُ المؤمنينَ إنَّه أصابَه أرَقٌ مِن بعدِكم ، وقد عمِل [٢٦٩/٨و] بَيْتًا أعْيَاه ثانيه ، فمَن

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢) الأبيات فى المنتظم ١٢/٣٢٦.
(٣) فى المنتظم : « سار » .
(٤) الأبيات فى المنتظم ١٢/٣٢٦.
(٥) فى الأصل : « فاسأل » ، وفى ب ، م : « فتلسى » ، وفى ص : « فسل » .
(٦) وفيات الأعيان ٢/١٠٨، بنحوه .

عمِل ثانِيَه فله جائزةٌ ؛ وهو هذا البيتُ :

ولمّا انتبهْنا[1] للخيالِ الذى سَرَى إذا الدارُ قَفْرى[2] والمزارُ بعيدُ

قال : فجلَس القومُ مِن فُرُشِهم يفكِّرُونَ فى ثانِيه ، فبدَرَ واحدٌ منهم فقال :

فقلْتُ لعَيْنِى عاوِدى النوْمَ واهْجَعِى لعَلَّ خَيالًا طارِقًا سَيَعودُ

قال : فلمَّا رجَع به الخادِمُ إلى المُعْتَضِدِ وقعَ منه موْقِعًا جيِّدًا وأمرَ له بجائزةٍ سَنِيَّةٍ .

واسْتَعْظَمَ المُعْتَضِدُ يومًا مِن بعضِ الشعراءِ قولَ [3]الحكمِ بنِ عمرٍو[3] المازِنىِّ البَصْرِىِّ :

لَهْفى على مَنْ أطارَ النومَ فامْتَنَعا وزادَ قَلْبى على أوْجَاعِه وَجَعا

كأنَّما الشمسُ مِن أعْطافِه طلَعتْ حُسْنًا أو البَدْرُ مِن أزرارِه طلَعا

[4]مستقبَلٌ بالذى يَهوَى وإن عَظُمَتْ منه الإساءَةُ معذورٌ بما صنَعا[4]

فى وجْهِهِ شافعٌ يمحو إساءتَه مِن القلوبِ وجيهٌ حيثما شفَعا

ولمَّا كان فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ[5] - أعنى سنةَ تسعٍ وثمانين ومائتينِ - اشتَدَّ وجَعُ الخليفةِ المعْتَضِدِ باللَّهِ ، فاجْتَمَعَ رؤساءُ القوّادِ ؛ منهم يُونُسُ الخادِمُ

---

(١) فى الأصل : « انتهينا » .

(٢) فى الأصل : « تغرى » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الحكيم بن ميز » ، وفى ب ، م : « الحسن بن منير » ،و فى ص : « الحكم بن منير » . وفى ظ : « الحكم بن قنبر » . وانظر وفيات الأعيان ٦/ ١٩٩.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) الكامل ٧/ ٥١٣.

وغيرُه إلى الوزيرِ القاسمِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فأشارُوا بأنْ يجتَمِعَ الناسُ لتَجْديدِ البَيْعَةِ للمُكْتَفِى باللَّهِ عليِّ بنِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ ، ففعَل ذلك وتأكَّدَتِ البيعةُ وكان فى ذلك خيرٌ كثيرٌ .

وحينَ حضرَتِ المُعْتَضِدَ الوفاةُ أنشدَ لنفْسِه[1] :

تمتَّعْ مِن الدنْيا فإنكَ لا تَبْقَى ... وخُذْ صَفْوَها ما إن صَفَتْ وَدَعِ الرَّنْقا[2]
ولا تـأمَـنَنَّ الـدهْـرَ إنِّـى أَمِـنـتُـه ... فلم يُبْقِ لى حالًا ولم يَرْعَ لى حقًّا
قتَلْتُ صَنادِيدَ الرجالِ فلم أدَعْ ... عدُوًّا ولم أُمْهِلْ على خُلُقٍ خَلْقا
وأخْلَيْتُ دارَ المُلْكِ مِن كلِّ نازِعٍ ... فشَرَّدْتُـهـمْ غرْبًا ومزَّقْتُـهـمْ شَرْقَا
فلمَّا بلَغْتُ النَّجْمَ عِزًّا ورِفْعَةً ... وصارَتْ رِقابُ الخلْقِ أجمعُ لى رِقًّا
رَمانِى الرَّدَى سَهْمًا فأخْمَدَ جَمْرَتِى ... فهـأنَذا فى حُفْرَتِى عاجِلًا أُلْقَى
ولم يُغْنِ عنِّى ما جمَعتُ ولم أجِدْ ... لِذى مَلِكٍ [3]الأحياءِ فى[3] حينِها[4] رِفْقَا
وأفسَدْتُ دُنْيَاىَ ودِينِى سَفاهَةً ... فمَنْ ذا الذى مِنِّى بمصْرَعِه أشْقَى
فيالَيْتَ شعْرِى بعدَ موْتِىَ [4]ما أَلْقَى[4] ... إلى نعمةٍ للَّهِ أم نارِه أُلْقَى

وكانت وفاتُه رَحِمه اللَّهُ ليلةَ الاثنينِ لثَمانٍ بَقِينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ولم يبلُغِ الخمسينَ . فكانت خلافَتُه تِسْعَ سِنينَ وتِسْعَةَ أشهرٍ وثلاثَةَ عشَرَ يومًا . وخلَّفَ مِن [٢٦٩/٨ظ] الأوْلادِ الذُّكورِ : عليًّا المُكْتَفِى ، وجَعْفَرًا المُقْتَدِرَ ، وهارونَ ، ومِن البناتِ إحدى عشْرَةَ بنْتًا ، ويقالُ : سَبْعَ عشْرَةَ بنْتًا . وترَكَ فى بيتِ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٧٧، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢١.
(٢) الرنق : الماء الكدر .
(٣ - ٣) فى م : «إلا حبانى» .
(٤) فى الأصل : «حيها» . وفى ب ، م ، ظ : «حبها» . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٢.
(٥) فى ب ، م : «هل أصر» ، وفى س : «ما أرى» .

المالِ سَبْعَةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دِينارٍ. وكان يُمْسِكُ عن صرْفِ الأموالِ فى غيرِ وجْهِها؛ فلهذا كان بعضُ الناسِ يُبَخِّلُه، ومِن الناسِ مَن يجعَلُه مِن الخلفَاءِ الراشدين المذكورِين فى الحديثِ، (١)الاثْنى عَشَرَ المنصوصِ عليهم فى(١) حديثِ جابرِ بنِ سَمُرَةَ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد رَثَى أبو العباسِ عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَزِّ العباسِىُّ ابنَ عمِّه(٢) المُعْتَضِدَ بمرْثاةٍ حسنَةٍ يقولُ فيها(٣):

يا دهْرُ وَيْحَكَ ما أبْقَيْتَ لى أحدًا ... وأنتَ والدُ سُوءٍ تأْكُلُ الولَدَا
أستغفرُ اللَّهَ بل ذا كلُّهُ قَدَرٌ ... رضيتُ باللَّهِ رَبًّا واحدًا صمَدَا
يا ساكِنَ القبرِ فى غَبْراءَ مُظْلِمَةٍ ... بالظاهرِيَّةِ مُقْصَى الدارِ مُنْفَرِدَا
أينَ الجُيوشُ التى قد كنتَ تسْحبُها ... أينَ الكُنوزُ التى أحْصيتَها(٤) عدَدَا
أينَ السريرُ الذى قد كنتَ تمْلَؤُه ... مَهابةً مَن رأتْهُ عيْنُه ارْتَعدَا(٥)
أينَ الأعادِى الأُلَى ذَلَّلْتَ صعْبَهمُ ... أينَ اللُّيوثُ(٦) التى صيَّرْتَها نَقَدا(٧)
أينَ الوفودُ على الأبْوابِ عاكفةً ... وِرْدَ القَطا صفوَ ماءٍ جالَ واطَّردَا
أينَ الرجالُ قيامًا فى مراتِبِهمْ ... مَن راحَ منهم ولم يُطْمَر(٨) فقدْ سعِدَا

(١ - ١) سقط من: ب، م. والحديث تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٨٤.
(٢) فى الأصل، م، ص: «عمر».
(٣) ديوانه ص ٣٣٠، وانظر فى تاريخ الخلفاء ص ٣٧٥. وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٧٨.
(٤) فى م: «لم تحصها».
(٥) بعده فى ب، م: «قد أتعبوا كل مرقال مذكرة وجناء تنثر من أشداقها الزبدا».
(٦) فى ب: «الجيوش».
(٧) النقد: صغار الغنم.
(٨) فى ب، ظ: «يقتل».

أينَ الجيادُ التى حجَّلْتَها بدَمٍ ... وكنَّ يحْمِلْنَ منكَ الضَّيْغَمَ الأسدَا
أينَ الرماحُ التى غذَّيْتَها مُهَجًا ... مُذْ مِتَّ ما ورَدَتْ قلْبًا ولا كبِدَا
أينَ السيوفُ وأينَ النَّبْلُ مُرْسَلَةً ... يُصِبْنَ مَن شئتَ مِنْ قِرْنٍ[1] وإنْ بَعُدَا
أينَ المجَانِيقُ أمثالُ الفيولِ[2] إذا ... رَمَيْنَ حائطَ حِصْنٍ قائمٍ قعَدَا[3]
أينَ القصورُ التى شيَّدْتها فعلَتْ ... ولاحَ فيها سنَا الإبْرِيزِ فاتَّقدَا
أينَ الجِنانُ التى تجْرِى جَداوِلُها ... وتَستجيبُ إليها الطائرَ الغرِدَا
أينَ الوصائفُ كالغِزْلانِ رائحةً ... يَسحَبْنَ مِن حُلَلٍ مَوْشِيَّةٍ جُدُدَا
أين الملاهِى وأينَ الرَّاحُ تحْسَبُها ... ياقُوتةً كُسِيَتْ مِن فضَّةٍ زرَدَا
أينَ الوثوبُ إلى الأعْداءِ مُبْتَغِيًا ... صلاحَ مُلكِ بنى العباسِ إذْ فسَدَا
مازلتَ تَقْسِرُ منهم كلَّ قَسْوَرَةٍ ... وتحطِمُ[4] العاتىَ الجبَّارَ مُعْتَمِدَا
ثم انْقَضَيْتَ فلا عَينٌ ولا أثَرٌ ... حتى كأنَّكَ يومًا لم تكُنْ أحدَا
لا شىءَ يبقَى سِوى خيرٍ تُقدِّمُه ... ما دامَ مُلْكٌ لإنسانٍ ولا خَلَدَا

ذكرَها ابنُ عساكِرَ فى «تاريخِه».

خلافةُ المُكْتَفِى باللَّهِ أبى محمدٍ

علىُّ بنِ المعتَضِدِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين، [٢٦٩/٨و] بويع له بالخلافةِ بعدَ موتِ أبيه

---

(١) فى م: «قرب».
(٢) فى ب، م: «السيول».
(٣) بعده فى م: «أين الفعال التى قد كنت تبدعها ولاترى أن عفوًا نافعًا أبدًا».
(٤) فى الأصل، س، ص، ظ: «تحفظ».

فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، وليس فى الخلفاءِ مَن اسمُه علىٌّ سوى هذا وعلىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وليس فيهم مَن يُكنَى بأبى محمدٍ إلَّا هذا ، والحسنُ بنُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، والهادِى ، والمُسْتَضِىءُ بأمْرِ اللَّهِ .

وحينَ وَلِى المُكْتَفِى كثُرَتِ الفِتنُ ، وانتشَرَتْ فى البلادِ . وفى رجبٍ منها زُلْزِلَتِ الأرضُ زَلْزَلَةً عظيمةً جدًّا . وفى رمضانَ تساقَط وَقْتَ السَّحَرِ مِن السماءِ نجومٌ كثيرةٌ ، ولم يزَلِ الأمرُ كذلك حتى طلَعتِ الشمسُ . ولمَّا أفضَتِ الخلافةُ إليه كان بالرَّقَّةِ ، فكتَب إليه الوزيرُ وأعْيانُ الأمراءِ ، فركِب ودخَل بغدادَ فى يومٍ مشهودٍ ، وذلك يومَ الاثنينِ لثَمانٍ خَلَونَ مِن جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ .

وفى هذا اليومِ أمَر بقَتْلِ عمرِو بنِ الليثِ الصَّفَّارِ - وكان مُعْتَقلًا فى سجنِ أبيه - وأمَر بتَخْريبِ المَطامِيرِ[1] التى كان اتَّخَذها أبوه للسَّجنِ ، وأمَر ببناءِ جامعٍ مكانَها ، وخلَع فى هذا اليومِ على الوزيرِ القاسمِ بنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ بنِ وهبٍ ستَّ خِلَعٍ وقلَّده سيْفًا ، وكان عمرُه يومَئذٍ خمسًا وعشرين سنةً وبعضَ شهرٍ .

وفى هذه السنةِ انْتَشرَتِ القَرامِطةُ بعدَ موتِ المعتضدِ فى الآفاقِ ، وقطَعوا الطريقَ على الحَجِيجِ ، وتَسَمَّى بعْضُهم بأميرِ المؤمنين ، فبَعَث المُكْتَفِى إليهم جيوشًا كثيرةً ، وأنْفَق أمْوالًا غزيرةً حتى أطْفَأ اللَّهُ بعضَ شرِّهم ، قبَّحهم اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ خرَج محمدُ بنُ هارونَ عن طاعةِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ السامانىِّ ، وكاتَبه أهلُ الرَّىِّ بعدَ قتْلِه محمدَ بنَ زيدٍ الطَّالِبِىَّ ، فصار إليهم فسلَّموا

---

(١) فى الأصل : « الطايد » . والمطامير : جمع مطمورة ، وهى الحبس . التاج (ظ م ر) .

إليه البلدَ ، فاسْتَحوَذ عليها ، فقصَده إسماعيلُ بنُ أحمدَ بالجيوشِ ، فقهَره وأخْرَجه منها مذمُومًا مدحورًا .

قال ابنُ الجوزىِّ فى « المنتظمِ »[1] . وفى يومِ التاسعِ مِن ذى الحِجَّةِ صلَّى الناسُ العْصرَ فى زمنِ الصيفِ وعليهم ثِيابُ الصيفِ ، فهبَّتْ ريحٌ باردةٌ جدًّا حتى احتاج الناسُ مع ذلك إلى الاصطِلاءِ بالنارِ ، ولبِسوا الفِراءَ والمحْشُوَّاتِ ، وجمَد الماءُ كفصلِ الشتاءِ .

قال ابنُ الأثيرِ[2] : وكذا وقَع بمدينةِ حِمْصَ ؛ قال : وهبَّت ريحٌ عاصفٌ بالبصرَةِ ، فاقتلَعتْ شيئًا كثيرًا مِن نخِيلِها ، وخُسِف بموضعٍ منها ، فمات تحتَه ستةُ[3] آلافِ نسَمَةٍ

قال ابنُ الأثيرِ[2] ، وابنُ الجوزىِّ[1] : وزُلْزِلَتْ بغدادُ فى رجبٍ مِن هذه السنةِ مرَّاتٍ مُتعدِّدَةً ، ثم سكَنتْ . وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الفَضلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشمىُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ[4] ، أحدُ الصوفِيَّةِ الكبارِ .

---

(١) المنتظم ١٣/ ٦.

(٢) الكامل ٧/٥٢٢ بنحوه .

(٣) فى ب ، م : « سبعة » . وانظر الكامل ٧/ ٥٢٢.

(٤) لعله « أبو حمزة الخرسانى » المترجم فى : طبقات الصوفية ص ٣٢٦، والرسالة القشيرية ١/ ١٥٨، والكامل ٧/ ٥٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٣٤٣، وطبقات الأولياء ص ١٥٥.

قال ابنُ الأثيرِ[1] : وهو مِن أقرانِ سَرِىِّ السَقَطِىِّ[2] . **وأحمدُ بنُ محمدٍ[3] المُعْتَضِدُ باللَّهِ**، غلَب عليه سوءُ المزاجِ والجَفافُ لكَثْرَةِ الجِماعِ، وكان الأطباءُ يصِفون له ما يُرَطِّبُ بدَنَه به، فيستعمِلُ ضِدَّ ذلك حتى سقَطتْ قُوَّتُه، وقد ذكَرنا كيفيَّةَ وفاتِه[4] فى ترجمتِه آنفًا.

بدرٌ[5] غلامُ المعتضدِ ورأسُ الجيشِ، كان القاسِمُ بنُ [٨/٢٦٩ظ] عبيدِ اللَّهِ الوزيرُ قد عزَم فى حياةِ المعتضدِ على أنْ يصرِفَ الخلافةَ عن أوْلادِ المُعْتَضِدِ، وفاوَض فى ذلك بدرًا هذا، فامْتنَع عليه، وأبَى إلَّا البيعةَ لأولادِ مَوْلاه، فلمَّا وَلِى المُكْتَفِى خاف الوزيرُ مِن غائلةِ ما كان أسَرَّ به إلى بدرٍ، فعَمِل عليه عندَ المكتفِى، ولم يزَلْ حتى احتاط الخليفةُ على حواصلِه وأمْوالِه وهو بواسِطٍ، ثم بعَث إليه بالأمانِ [8] فقدِم، فأمَر الوزيرُ مَن قتَله، فقُتِل[8] يومَ الجمُعةِ لسِتٍّ خلَون مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ، ثم قطَع رأسَه وبقِيَتْ جُثَّتُه؛ أخَذها أهلُه، ثم بعَثوها فى تابوتٍ إلى مكةَ، فدُفِن بها، وذلك أنَّه أوْصَى بذلك، وكان قد أعْتَق كلَّ مملوكٍ له قبلَ وفاتِه، وحينَ أُرِيد قتْلُه صلَّى ركعتين للَّهِ، عزَّ وجلَّ، ثم قتَلوه.

الحسينُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ فَهْمِ بنِ مُحْرِزِ بنِ إبراهيمَ، أبو علىٍّ، الحافظُ البَغْدادِىُّ[7]، سمِع خلفَ بنَ هشامٍ، ويحيى بنَ معينٍ، ومحمدَ

---

(١) الكامل ٧/ ٥٢٢، وفيه: «أفراد». بدل «أقران».

(٢) بعده فى ب، م: «قال لأن ترد إلى اللَّه ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس».

(٣) وهو طلحة بن جعفر الملقب بالموفق، يسمى محمدا. سير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٩.

(٤) تقدمت وفاته فى ص ٧١٢، ولم يذكر كيفية وفاته.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ١٠٥، والمنتظم ١٣/ ٨، نهاية الأرب ٢٣/ ١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٣٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٩٤.

(٦ - ٦) فى ب، م: «فلما قدم بدر بعث إليه من قتله».

(٧) تاريخ بغداد ٨/ ٩٢، والمنتظم ١٣/ ١١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٦٤٠.

ابنَ سعدٍ وغيرَهم، وعنه الخُطَبِيُّ[1]، والطُّومَارِيُّ، وكان عَسِرًا فى التَّحْديثِ إلَّا لمَن لازَمَه، وكانت له مَعْرفةٌ جيِّدَةٌ بالأخْبارِ والنَّسَبِ والشعرِ وأسْماءِ الرجالِ، يَميلُ إلى مذهبِ العِراقيِّين فى الفقهِ، توفِّى عن ثمانٍ وسبعين سنةً، وقد قال الدَّارَقُطْنىُّ[2]: ليس بالقوىِّ.

عُمارَةُ بنُ وَثِيمَةَ بنِ موسى[3]، أبو رفاعَةَ الفارِسِىُّ، صاحِبُ التاريخِ على السنينَ[4] وقد وُلِد بمصرَ، وحدَّث عن أبى صالحٍ كاتبِ الليثِ وغيرِه.

عمرُو[5] **بنُ الليثِ الصَّفَّارُ**، أحدُ الأمراءِ الكبارِ، قُتِل فى السجنِ أولَ ما قَدِم المُكْتَفِى بغدادَ.

---

(١) فى ب، م: «الحنطبى». وانظر تاريخ بغداد ٨/ ٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٩٧، والمنتظم ١٣/ ١٢.

(٣) المنتظم ١٣/ ١٣، ووفيات الأعيان ٦/ ١٣ ذكره عرضا، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١-١٩٠هـ) ص ٢٣٠، وحسن المحاضرة ١/ ٥٥٣، والأعلام ٥/ ١٩٤.

(٤) فى م: «السنن». وانظر المصادر السابقة.

(٥) فى ب، م: «هارون». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٣/ ١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٣٣، والعبر ٢/ ٨٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٠١.

سنةُ تسعين ومائتين مِن الهجرةِ النبويةِ

فيها[1] أقْبَل يحيى بنُ زَكْرَوَيْهِ بنِ مَهْرَوَيْهِ أبو القاسمِ القِرْمِطِيُّ المعروفُ بالشَّيخِ فى جَحافِلَ عظيمةٍ مِن القَرَامطةِ ، فعاثَ بناحيةِ الرَّقَّةِ فسادًا ، فجهَّز إليه الخليفةُ جيشًا كثيفًا فى نَحْوِ عشَرَةِ آلافِ فارِسٍ .

وفيها ركِب الخليفةُ المُكْتفِى مِن بغْدادَ إلى سَامَرَّا يريدُ الإقامةَ بها ، فثَنَى رأيَه عن ذلك الوزيرُ القاسمُ بنُ عبيدِ اللَّهِ ، ورجَع به إلى بغدادَ .

وفيها قُتِل يحيى بنُ زَكْرَوَيْهِ بنِ مَهْرَوَيْهِ على بابِ دمشقَ ، قتَله جيشُ المصريين ، زَرَقَه رجلٌ مِن المغارِبَةِ بمِزْرَاقٍ[2] من نارٍ فحرَقه ، وذلك بعدَ ما كان قتَل خلقًا كثيرًا مِن جيشِها مِن أصحابِ طُغْجَ بنِ جُفٍّ نائبِها ، ثم مَنَّ اللَّهُ على الناسِ بقتْلِه ، ففرِح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا ، فقامَ بأمْرِ القَرامِطَةِ مِن بعدِه أخوه الحسينُ ، وتَسَمَّى بأحمدَ ، وتكَنَّى بأبى العباسِ ، وتلَقَّب بأميرِ المؤمنين ، وأطاعَتْه القَرامِطَةُ كما كانوا يُطِيعون أخاه ، فحاصَر دمشقَ ، فصالَحه أهلُها على مالٍ ، ثم سارَ إلى حِمْصَ فافْتتَحَها ، وخُطِب له على منابرِها ، ثم سارَ إلى حَمَاةَ ومَعَرَّةِ النُّعْمانِ ، فَقَهَر أهلَ تلك النواحِى ، واسْتَباح أمْوالَهم وحرِيَمهم ، وكان يقتُلُ الدوابَّ والصِّبْيانَ فى المكاتِبِ ، ويُبِيحُ لمَن معه وَطْءَ النساءِ ، فرُبَّما وَطِئ الواحدةَ

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ٩٧، والمنتظم ١٣/ ١٤.

(٢) المزراق : رمح قصير أخف من العَنَزة . المصباح المنير (زرق) .

الجماعةُ الكثيرةُ مِن الرجالِ ، فإذا ولَدَتْ ولدًا هنَّأَ به كلُّ واحدٍ منهم [٨/ ٢٧٠و] الآخرَ ، فكتَبَ أهلُ الشَّامِ إلى الخليفةِ يشْكُون إليه ما يلْقَون مِن هذا اللعينِ ، فجهَّزَ المُكْتَفِى جُيوشًا كثيفةً ، وأنفَقَ أمْوالًا جزيلةً لحربِه ، وركِب فى رمضانَ ، فنَزَل الرَّقَّةَ ، وبثَّ الجيوشَ فى كلِّ جانبٍ لقتالِ القِرْمِطىِّ وكان القِرْمِطىُّ يكتُبُ إلى أصْحابِه : مِن عبدِ اللَّهِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ المهدِىِّ المنْصورِ باللَّهِ ، الناصرِ لدِينِ اللَّهِ ، القائمِ بأمْرِ اللَّهِ ، الحاكمِ بحُكْمِ اللَّهِ ، الدَّاعِى إلى كتابِ اللَّهِ ، الذَّابِّ عن حَرِيمِ اللَّهِ ، المُخْتارِ مِن ولَدِ رسولِ اللَّهِ . وكان يدَّعِى أنَّه مِن سُلالَةِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ مِن فاطمةَ ، وهو كاذِبٌ أفَّاكٌ أثيمٌ ، قبَّحه اللَّهُ ، فإنَّه كان مِن أشدِّ الناسِ عداوةً لقريشٍ ، ثم لبَنِى هاشمٍ ، ثم دخَل سُلَمْيَةَ[1] فلم يدَعْ بها أحدًا مِن بنى هاشِمٍ حتى قتَله وقتَل أوْلادَه واسْتَباح نساءَه .

وفيها وَلِى ثَغْرَ طَرَسُوسَ أبو العشائرِ[2] أحمدُ بنُ نَصْرٍ ، عِوَضًا عن مُظَفَّرِ بنِ حاجٍّ[3] ، لشَكْوَى أهلِ الثغرِ منه .

وحجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ محمدٍ العبَّاسىُّ .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ[4] أبو عبدِ الرحمنِ الشَّيْبانِىُّ ، كان إمامًا

---

(١) سليمة : هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة . معجم البلدان ٣/ ١٢٣.

(٢) فى ب ، م : « عامر » . وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ٩٨.

(٣) فى ب ، م : « جناح » . وانظر الكامل ٧/ ٥٢٨.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥، والمنتظم ١٣/ ١٧، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ١٩٧، والعبر ٢/ ٨٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٤، وطبقات الحنابلة ١/ ١٨٠.

ثقةً حافِظًا ثَبتًا مُكْثِرًا عن أبيه وغيرِه .

قال ابنُ المُنادِى[1] : لم يكُنْ أحدٌ أرْوَى عن أبيه منه . سمِع منه « المسندَ » ثلاثين ألفًا ، و« التفسيرَ » مائةَ ألفِ حديثٍ وعِشرين ألفًا ، مِن ذلك سماعٌ ومِن ذلك وِجَادَةٌ[2] ، ومِن ذلك : « الناسِخُ والمنسوخُ » ، و« المُقَدَّمُ والمُؤَخَّرُ فى كتابِ اللَّهِ » ، و« التاريخُ » ، و« حديثُ شُعبةَ[3] » ، و«[4] جواباتُ القرآنِ[4] » ، و« المَناسِكُ الكبيرُ » ، و« الصغيرُ » ، وغيرُ ذلك مِن التَّصانيفِ ، وحديثِ الشيوخِ .

قال[5] : ومازِلْنا نرَى أكابرَ شيُوخِنا يشْهَدُون له بمعْرفَةِ الرجالِ وعِلَلِ الحديثِ والأسْماءِ والكُنَى ، والمُواظبةِ على طلَبِ الحديثِ فى العراقِ وغيرِها ، ويذْكُرون عن أسْلافِهم الإقْرارَ له بذلك ، حتى إنَّ بعْضَهم أسْرَف فى تقْريظِه إيَّاه بالمعرفةِ ، وزيادةِ السَّماعِ للحديثِ على أبيه .

ولمَّا مرِض قيل له[6] : أين تُدفَنُ ؟ فقال : صحَّ عندِى أنَّ بالقَطِيعةِ[7] نبيًّا مدفونًا ، وَلأنْ أكونَ فى جوارِ نَبىٍّ أحبُّ إلىَّ مِن أنْ أكونَ فى جوارِ أبى . فمات فى جُمادى الآخرةِ مِن هذه السنةِ عن سبعٍ وسبعين سنةً ، كما ماتَ لها أبوه ،

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥.

(٢) فى ب ، س ، م ، ظ : « إجازة » . والوِجادَة هى أن يجد الطالب أحاديث بخط شيخ يرويها ، يعرفه ذلك الطالب ، وليس له سماع منه ولا إجازة . تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان : ص ١٢٥ .

(٣) فى ب ، م : « سبعة » . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥.

(٤ - ٤) فى ب ، م : « كرامات القراء » . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥.

(٦) المنتظم ١٣/ ١٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٢٣.

(٧) فى م: « بالقطعية » . والقطيعة : هى قطيعة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور أم محمد الأمين ، وكانت محلة ببغداد عند باب التبن . معجم البلدان ٤/ ١٤١.

وكان الجمعُ كثيرًا جدًّا، وصلَّى عليه زُهيرٌ ابنُ أخيه، ودُفِن فى مقابرِ بابِ التِّبنِ[1]، رحِمه اللَّهُ.

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ[2]، أبو محمدٍ[3] الرِّباطِىُّ المَرْوَزِىُّ، صَحِب أبا تُرابٍ النَّخْشَبىَّ، وكان الجُنَيْدُ[4] يمدَحُه ويُثْنِى عليه. **عمرُ** بنُ إبْراهيمَ[5]، أبو بكرٍ الحافِظُ، المعْروفُ بأبى الآذانِ، كان ثقةً ثَبتًا. **محمدُ** بنُ الحسينِ بنِ الفَرَجِ[6]، أبو مَيْسَرةَ الهَمْدانىُّ[7]، صاحِبُ «المسندِ»، وكان أحدَ الثِّقاتِ المشْهُورِينَ والمُصنِّفينَ المُنْصِفين.

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ[8] أحدُ أئمةِ الصوفيَّةِ وعُبَّادِهم، رُوِى عن الجُنَيْدِ أنَّه قال[9]: رأيتُ إبليسَ فى المنامِ وكأنَّه عُرْيانٌ، فقلتُ له: أمَا تسْتَحِى مِن الناسِ؟ فقال: هؤلاء أناسٌ وأنا أتلعَّبُ بهم كما يلعبُ الصِّبْيانُ بالكرةِ؟ إنما الناسُ جماعةٌ غيرُ هؤلاءِ. فقلتُ له: مَن هم؟ فقال: قومٌ[10] فى مسْجدِ

---

(١) فى م: «التين». وباب التبن: محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر. معجم البلدان ١/ ٤٤٣.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٤، والمنتظم ١٣/ ١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٠٠.

(٣) فى النسخ: «بحر». والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٤، والمنتظم ١٣/ ١٨.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٤، والمنتظم ١٣/ ١٨.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٢١٥، والمنتظم ١٣/ ١٩، وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ) ص ٢٣١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤٤.

(٦) تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٨، والمنتظم ١٣/ ٢٠.

(٧) فى الأصل، ب: «الهمذانى». وانظر المصادر السابقة.

(٨) فى الأصل، ب، س، م، ص: «الدقاق»، وفى ظ: «الرفاق». والمثبت من تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢، وانظر ترجمته فى: طبقات الصوفية ٢٣٠ ذكره عرضًا، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢، والمنتظم ١٣/ ٢٠.

(٩) تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٣، والمنتظم ١٣/ ٢٠.

(١٠) سقط من النسخ، والمثبت من تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٣، والمنتظم ١٣/ ٢٠.

الشُّونيزىِّ [٨/٢٧٠ظ]قد أضْنَوا قلبى وأنْحلُوا جَسدى ، كلَّما همَمْتُ بهم أشارُوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فأكادُ أحترِقُ . قال : فانتَبَهتُ ، ولبِسْتُ ثيابِى ، وقصَدتُ مسجدَ الشُّوْنيزِىِّ ، فإذا فيه ثلاثةٌ جلوسٌ ورُءوسُهم فى مُرَقَّعاتِهم[1] ، فرفعَ أحدُهم رأسَه مِن جيبِه[2] فقال : يا أبا القاسِمِ[3] ، أنتَ كلَّما قيلَ لك شىءٌ تقبَلُ ؟ فإذا هُمْ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ ، وأبو الحسينِ النُّورِىُّ ، وأبو حمزةَ .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ علويةَ بنِ عبدِ اللَّهِ[4] الجُرْجَانِىُّ ، الفَقِيهُ الشافِعىُّ ، تلميذُ المُزَنِىِّ . ذكَره ابنُ الأثيرِ[4] .

---

(١) فى الأصل : « بيرقعاتهم » .

(٢) فى س ، ص ، ظ : « جثته » .

(٣) بعده فى ب ، م : « لا تغتر بحديث الخبيث و » .

(٤) الكامل ٧/ ٥٢٩.

ثم دخلتْ سنةُ إحدَى وتسعين ومائتينِ

فيها[1] جرَتْ وقعةٌ هائلةٌ بينَ القَرامِطَةِ وجندِ الخليفةِ ، فهُزِمتِ القَرامطةُ هزيمةً عظيمةً ، وأُسِر رئيسُهم الحسينُ[2] بنُ زَكْرَوَيْهِ ، الملقَّبُ بأميرِ المؤمنين الذى يقالُ له : ذو الشامةِ - وقد تَسمَّى كما ذكَرنا بأحمدَ ، وتَكنَّى بأبى العباسِ ، والتفَّ عليه خلائقُ مِن الأعرابِ وغيرِهم ، واستَفحَل أمرُه جدًّا - فلمَّا أُسِر حُمِل إلى الخليفةِ فى جماعةٍ كثيرةٍ مِن رءوسِ أصحابِه ، وأُدخِل بغدادَ على فِيلٍ مشهورٍ للناسِ ، فأمَر الخليفةُ بعمَلِ دَكَّةٍ مرتفعة ، فأُجْلِس عليها القِرْمِطىُّ ، وجِىءَ بأصْحابِه ، فجَعل يضرِبُ أعْناقَهم بينَ يدَيْه وهو ينظُرُ ، وقد جُعِل فى فمِه خشبةٌ مُعْتَرِضةٌ مَشْدودةٌ إلى قَفاه ، ثم أُنزِل ، فضُرِب مائتىْ سوطٍ ، ثم قُطِعَتْ يدَاه ورِجْلاه ، وكُوِى ، ثم أُحرِق ، وحُمِل رأسُه على خشبةٍ وطِيف به فى أرْجاءِ بغدادَ ، وذلك فى شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ .

وفيها قصَدتِ الأتْراكُ بلادَ ما وراءَ النهرِ فى جَحافِلَ عظيمةٍ ، فبَيَّتَهم المسلمون فقتَلوا مِنهم خَلْقًا كثيرًا ، و جمًّا غفيرًا ما لا يُحْصَون كثرةً : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

وفيها بعَث ملكُ الرومِ عشَرَةَ صُلْبانٍ ، مع كلِّ صَليبٍ عشَرَةُ آلافٍ ، فأغارُوا

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٠٨، والمنتظم ١٣/ ٢٢، والكامل ٧/ ٥٣٠.

(٢) فى م : « الحسن » .

على أطْرافِ البلادِ ، وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا ، وسَبَوْا أناسًا مِن الذُّرِيَّةِ .

وفيها دخَل نائبُ طَرَسوسَ بلادَ الرومِ ، ففتَح مدينةَ أنْطَاكِيةَ - وهى مدينةٌ عظيمةٌ على ساحلِ البحرِ تُعادِلُ عندَهم القُسْطَنْطِينِيةَ - وخَلَّص مِن المسلمين خمسةَ آلافِ أسيرٍ ، وأخَذ مِن الرومِ ستين مركبًا ، وغَنِم شيئًا عظيمًا جدًّا ، فبَلَغ نصيبُ كلٍّ مِن الغُزاةِ ألفَ دِينارٍ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِىُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ يحيى بنِ زيدِ بنِ سيَّارٍ[1] ، أبو العباسِ الشَّيْبانِىُّ مولَاهُم ، المُلَقَّبُ بثعلبٍ ، إمامُ الكُوفِيِّين فى النحوِ واللغةِ ، مولِدُه سنةَ مائتين ، سمِع محمدَ بنَ زِيادِ ابنِ الأعْرابىِّ ، والزبيرَ بنَ بَكَّارٍ ، والقَوارِيرىَّ وغيرَهم ، وعنه ابنُ الأَنْبارىِّ ، وابنُ عرَفَةَ ، وأبو عُمر الزاهدُ ، وكان ثقةً حجَّةً دَيِّنًا صالحًا مشهورًا بالصدقِ والحِفْظِ ، وذُكِر[2] أنَّه سمِع مِن القَوارِيرِىِّ مائةَ ألفِ حديثٍ . وكانت وفاتُه يومَ السبتِ لثَلاثَ عشْرَةَ بقِيَتْ مِن جُمَادى الأُولَى مِن هذه السنةِ ، عن إحدَى وتسعِين سنةً . قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : وكان سببَ موتِه أنَّه خرَج مِن الجامعِ وفى يدِه كتابٌ ينظُرُ فيه ، وكان قد أصابَه صَمَمٌ شديدٌ فصدَمَتْه [٨/٢٧١و] فرسٌ فألقَتْه فى هُوَّةٍ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٤، وإنباه الرواة ١/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ١/ ٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٨١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٦.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٥، والمنتظم ١٣/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٠٤.

فاضْطَرب دِماغُه ، فماتَ مِن اليومِ الثانى ، رحِمهُ اللَّهُ . قال[1] : وهو مُصنِّفُ كتابِ « الفَصِيحِ » ، وهو صغيرُ الحَجْمِ كبيرُ الفائدةِ ، وله كتابُ « المَصونِ » ، و « اخْتِلافِ النحوِيِّين » ، و « مَعانى القرآنِ » ، وكتابُ « القِراءَاتِ » ، و « مَعانى الشعرِ » ، و « ما تلْحَنُ فيه العامةُ » وذكَر أشياءَ كثيرةً أيضًا . ومما نُسِب إليه مِن الشعرِ[2] :

إذا كنتَ قُوتَ النفسِ ثم هَجَرتَها ... فكم تلْبَثُ النفسُ التى أنتَ قُوتُها
ستبقى بقاءَ الضَّبِّ[3] فى الماءِ أو كما ... [4]يعيشُ ببيداءِ المهامِهِ[4] حُوتُها[5]
أغرَّكَ [6]منِّى أن[6] تصَبَّرْتُ جاهِدًا ... وفى النفسِ منِّى منكَ ما سيُمِيتُها
فلو كان ما بِى بالصُّخورِ لهَدَّها ... وبالريحِ ما هبَّتْ وطال خُفُوتُها[7]
فصَبْرًا لعلَّ اللَّهَ يجمَعُ بيْنَنا ... فأشكُو هُمومًا منكَ فيكَ لَقِيتُها

القاسمُ بنُ عبيدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ [8]بنِ وَهْبٍ[8] الوزيرُ ، تولَّى بعدَ أبيه الوَزارةَ فى آخرِ أيامِ المُعْتَضِدِ ، ثم وزَر لولدِه المُكْتَفِى مِن بعدِه ، فلَّما كان رمضانُ مِن

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٠٣.
(٢) الأبيات فى وفيات الأعيان ١/ ١٠٣.
(٣) فى م : « النبت » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « أقام لدى ديمومة النبت » ، وفى ب ، م : « أقام لدى ديمومة الماء » ، وفى س ، ص ، ظ : « أقام لدى ديمومة البيت » . والمثبت مصدر التخريج .
(٥) فى م : « صوتها » .
(٦ - ٦) فى النسخ : « أنى قد » . والمثبت مصدر التخريج .
(٧) فى م : « حفوفها » .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ص . وانظر ترجمته فى : الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٤٩ ، والمنتظم ١٣/ ٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٣٠ ، والعبر ٢/ ٨٩ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣ .

هذه السنةِ مرِض، فبعَث إلى السجونِ فأطْلَقَ مَن فيها من المظلومين[1]. ثم كانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ منها، وقد قارَب ثلاثًا وثلاثين سنةً، وقد كان حَظِيًّا عنَد الخليفةِ جدًّا، وخلَّف مِن الأمْلاكِ[2] ما يعدِلُ سبعَمائةِ ألفِ دينارٍ.

ومحمدُ بنُ محمدِ بنِ إسْماعيلَ بنِ شَدَّادٍ[3]، أبو عبدِ اللَّهِ البَصْرِىُّ القاضى بوَاسِطٍ، المعرُوفُ بالجُذُوعِىِّ[4]، حدَّث عن مُسَدَّدٍ، وعلىِّ بنِ المَدِينىِّ، وابنِ نُمَيرٍ وغيرِهم، وكان مِن الثِّقاتِ القُضاةِ الأجْوادِ العُدولِ الأمَناءِ.

ومِمَّن توفِّى فيها:

محمدُ بنُ إبْراهيمَ البُوشَنْجِىُّ[5]. **ومحمدُ** بنُ علىٍّ الصائغُ[6]. **وقُنْبُلٌ**[7]. أحدُ مشاهيرِ القُرَّاءِ، وأئمةِ العلماءِ.

---

(١) فى الأصل، ظ: «المظلمين، وفى ب، م: «المطلبيين»، وفى ص: «المتظلمين»، وفى المنتظم: «العلويين».

(٢) فى ب، م: «الأموال».

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٥، والمنتظم ١٣/ ٢٩١، والكامل ٧/ ٥٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٩٠.

(٤) فى س: «الحداوعى» كذا بدون إعجام، وفى ص: «الخدوعى»، وفى ظ: «الخذوعى». وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٩١.

(٥) الجرح والتعديل ٧/ ١٨٧، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٦٤، والمنتظم ١٣/ ٢٩، وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٠٨، والوافى بالوفيات ١/ ٣٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٣٥، والعبر ٢/ ٩٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٧.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٨٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٩، وشذرات الذهب ٢/ ٢٠٩.

(٧) معجم الأدباء ١٧/ ١٧، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٣٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٩، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٢/ ١٦٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٠.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وتِسْعِينَ ومِائَتَيْنِ

فيها[1] دخَل محمدُ بنُ سُلَيمانَ فى نحوٍ من عشَرَةِ آلافِ مُقاتلٍ مِن جهةِ الخليفةِ المُكْتَفِى إلى الديارِ المصريةِ لقِتالِ هارونَ بنِ خُمارَوَيْهِ، فبَرَز إليه هارونُ فاقْتَتَلا، فقَهَره محمدُ بنُ سُلَيمانَ، وجمَع آلَ طُولُونَ فكانوا سَبْعَةَ عشَرَ رجلًا فقتَلَهم واسْتَحوذَ على أمْوالِهم وأمْلاكِهم. وانقضَتْ دولةُ الطُّولُونِيَّةِ عن الديارِ المصريةِ، وكتَب بالفتحِ إلى المُكْتَفِى. وحجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِىُّ أميرُ الحاجِّ فى السنينَ المُتَقدِّمَةِ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إبْراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُسْلِمٍ أبو مسلمٍ الكَجِّىُّ[2]، أحدُ المشايخِ المُعَمَّرِينَ، كان يحْضُرُ مجْلِسَه نحوٌ مِن خمسين ألفًا مِمَّنْ معه مِحْبَرةٌ، سِوَى النَّظَّارَةِ، ويَسْتَمْلِى عليه سبْعَةُ مُسْتَمْلِينَ؛ كلٌّ يُبَلِّغُ صاحِبَه، ويكتبُ بعضُ الناسِ وهم قِيامٌ، وكان كلَّما حدَّثَ بعشَرَةِ آلافِ حديثٍ تصدَّقَ بصدقَةٍ، ولمَّا فُرِغ مِن قراءةِ السُّنَنِ عليه عمِل مأْدُبَةً غرِمَ عليها ألفَ دِينارٍ، وقال: شهِدْتُ اليومَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقُبِلَتْ شهادَتى وحدِى، أفلا أعمَلُ شكرًا للَّهِ عزَّ وجلَّ؟. وروَى ابنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١١٨، والمنتظم ١٣/ ٣٣، والكامل ٧/ ٥٣٥.

(٢) فى الأصل، ص: «البلخى». وانظر ترجمته فى: الثقات لابن حبان ٨/ ٨٩، وتاريخ بغداد ٦/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٩٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٩، وطبقات المفسرين ٢/ ١١.

الجَوْزِيِّ [٨/٢٧٢ظ] والخطيبُ[1] ، عن أبى مسلمٍ الكَجِّىِّ قال : خرَجتُ ذاتَ ليلةٍ مِنَ المنزلِ بلَيْلٍ ، فمرَرْتُ بحمَّامٍ وعلىَّ جَنابةٌ فدخَلْتُه ، فقلتُ للحمَّامِىِّ : أدَخَل حمَّامَكَ أحدٌ بعدُ ؟ فقال : لا . فدخَلتُ ، فلمَّا فتحتُ بابَ الحمامِ الداخِلِ ؛ إذا قائلٌ يقولُ : أبا مسلمٍ ، أسْلِمْ تَسْلَمْ . ثم أنشأَ يقولُ :

لكَ الحمدُ إمَّا على نِعْمَةٍ ... وإمَّا على نِقْمَةٍ تَدْفَعُ[2]
تشاءُ فتَفْعَلُ ما شِئْتَهُ ... وتَسْمَعُ مِن حيثُ لا تُسْمَعُ[3]

قال : فبادَرْتُ فخرَجتُ فقلتُ للحمَّامىِّ : أنتَ زعمتَ أنَّه لم يدْخُلْ حمَّامَكَ أحدٌ . فقال : نعم ! وما ذاكَ ؟ فقلتُ : إنِّى سمعتُ قائلًا يقولُ كذا . فقال : أوَ سمِعْتَه ؟ قلتُ : نعم . فقال : يا سيِّدِى ، هذا رجلٌ مِنَ الجانِّ يتَبدَّى لنا فى بعضِ الأحْيانِ ، فيُنشدُ الأَشْعارَ ويتكلَّمُ بكلامٍ حسَنٍ فيه مَواعِظُ . فقلتُ : هل حَفِظْتَ مِن شعرِه شيئًا ؟ فقال : نعم . ثم أنشَدنى مِن شعرِه .

أيُّها المُذْنِبُ المُفرِّطُ مَهْلًا ... كم تمادَى وترْكَبُ الذَّنْبَ جَهْلَا
كم وكم تُسْخِطُ الجليلَ بفِعْلٍ ... سَمِجٍ وهْو يُحْسِنُ الصُّنْعَ فِعْلَا
كيف تَهْدا جُفونُ مَن ليسَ يدْرِى ... أرَضِى عنهُ مَن على العَرشِ أَمْ لا

عبدُ الحميدِ بنُ عبدِ العزيزِ ، أبو حازِمٍ[4] القاضى الحنَفِىُّ ، كان مِن خيارِ القَضاةِ وأعْيانِ الفقهاءِ ومِن أئمةِ العلماءِ ، وَرِعًا نَزِهًا كثيرَ الصِّيانَةِ والدِّيانةِ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٦، وتاريخ بغداد ٦/ ١٢٢.
(٢) فى الأصل ، ص : « تقفل » .
(٣) فى م : « يسمع » .
(٤) فى م : « حاتم » . وانظر ترجمته فى : طبقات الفقهاء ١٤١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٨٩، والجواهر المضية ٢/ ٣٦٦، وفيه « خازم » ، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٠.

والأمانةِ . وقد أورَد له ابنُ الجَوْزِيِّ فى « المنتظمِ » آثارًا حسنةً وأفْعالًا جميلةً[1] ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٣/٣٨ - ٤٣.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين

فيها[1] الْتَفَّ على أَخِى الحُسَينِ القِرمِطِىِّ المعْروفِ بذِى الشَّامَةِ - الذى قَدَّمنا ذِكْرَ مقتلِه فى السنةِ الماضيةِ - خَلائقُ مِنَ القَرامِطَةِ والأعرابِ واللصوصِ بطَرِيقِ الفُراتِ ، فعاث بهم فى الأرضِ فَسادًا ، ثم قصَد طَبَرِيَّةَ فامْتنَعُوا مِن إيوائِه ، فدَخَلها قَهْرًا وقَتَل بها خَلْقًا مِن الرجالِ ، وأخَذ شيئًا كثيرًا مِن الأمْوالِ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى البادِيَةِ ، ودخَلتْ فرقةٌ أخْرَى منهم إلى هِيتَ[2] ، فقتَلُوا أهلَها إلَّا القليلَ ، وأخَذوا منها أمْوالًا جزيلةً حمَلُوها على ثلاثَةِ آلافِ بعيرٍ ، فبعَث إليهم الخليفةُ المُكْتَفِى جيشًا فقاتَلُوهم وأخَذُوا رئيسَهم ، فضُرِبتْ عنُقُه ، ونبَغ رجلٌ مِنَ القَرامِطَةِ يقالُ له : الدَّاعِيَةُ باليَمنِ ، فحاصَر صَنْعَاءَ فدخَلها قَهْرًا وقتلَ خَلْقًا مِن أهْلِها ، ثم سار إلى بقِيَّةِ مُدُنِ اليَمنِ فأكثرَ فيها الفسادَ وقتَل خَلْقًا مِن العِبادِ ، ثم قاتَله أهلُ صَنْعَاءَ فظَفِرُوا به وهزَمُوه ، فانحاز إلى بعضِ مُدنِها ، وبعَث الخليفةُ إليها المُظَفَّرَ بنَ حاجٍّ نائبًا وخلَع عليه ، فسَارَ إليها فلم يزَلْ بها حتى ماتَ .

وفى يومِ عيدِ الأضْحَى دخَلتْ طائفةٌ مِن القرامِطةِ ؛ نحوٌ مِن ثمانِمائةٍ إلى الكوفةِ والناسُ فى عيدِهم ، فنادَوا : يا ثارَاتِ الحُسَيْنِ - يعْنُون المَصْلُوبَ ببَغْدادَ - وشِعارُهم : يا أحمدُ يا محمدُ - يعْنُونَ الذين قُتِلوا مَعَه - فبادَر الناسُ الدُّخولَ إلى الكُوفَةِ [٨/٢٧٣و] فولَج خلْفَهم القرامِطةُ ، فرَمَتْهُمُ العامَّةُ بالحجارَةِ ، وغيرِ ذلك ،

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٢١، والمنتظم ١٣/ ٤٤، والكامل ٧/ ٥٣٨.

(٢) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار ذات نخل وخيرات . معجم البلدان ٤/ ٩٩٧.

فقتَلوا مِنهم نَحْوًا مِن عشرين ، ورجَع الباقونَ خاسِئينَ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها ظهرَ رجلٌ بِمصْرَ يقالُ له : الخَلَنْجِيُّ[1] : فخَلَع الطاعةَ ، واجْتمَع إليه طائفةٌ مِن الجُنْدِ ، فأمَر الخليفةُ أحمدَ بنَ كَيْغَلَغَ نائبَ دِمَشْقَ وأعْمالِها فركِبَ إليه فاقْتَتلا بظاهرِ مِصْرَ ، فهزَمه الخَلَنْجِيُّ هزيمةً منكرةً ، فبعَث الخليفةُ إليه جيشًا آخرَ فهزَمُوا الخَلَنْجِيَّ وهرَب فاستترَ بمصرَ فأُحضِر ، وسُلِّم إلى الأميرِ الخليفةِ وانْطَفأَ خبَرُه ، وللَّهِ الحمدُ .

ولمَّا اشْتَغَل الجيشُ بأمرِ الديارِ المصريةِ ، بعَث زكرويهِ بنُ مِهرويهِ - بعدَ مقتلِ ابنِه الحسينِ ببغدادَ - جيشًا صحبةَ رجلٍ كان يُعلِّمُ الصبيانَ ، يقالُ له : عبدُ اللَّهِ ابنُ سعيدٍ ، فقصَد بُصرَى وأَذْرِعاتَ والبَثْنِيَّةَ ، فحارَبَه أهلُها . ثم أمَّنَهم ، فلمَّا أنْ تمكَّنَ مِنهم قتلَ المُقاتِلَةَ ، ورام الدُّخولَ إلى دِمَشْقَ ، فقاتَله نائبُ أحمدَ بنِ كَيْغلَغَ بدمشقَ . وهو صالِحُ بنُ الفَضْلِ ، فهزَمه القِرمِطِيُّ ، وقُتِل صالِحٌ ، فيمَن قُتِل ، وحاصَر دِمَشْقَ فلم يُمْكِنْه فتْحُها ، فانْصَرَف إلى طَبَرِيَّةَ فقتَلُوا أكثرَ أهْلِها كما ذكَرْنا ونَهبُوا منها شيئًا كثيرًا ، ثم سارُوا إلى هِيتَ ففَعلُوا كذلك ، ثم جهَّز الخليفةُ إليهم جيشًا فأخَذ رئيسَهم مِن بينِهم ونجا بقيتُهم ، ثم سارُوا إلى الكُوفَةِ فى يومِ عيدِ الأضْحَى كما ذكَرْنا ، فلمْ يَنْتَجِ لهم أمرٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وكلُّ ذلك بإشارَةِ زكْرَوَيْهِ بنِ مِهْرَوَيْهِ وهو مُخْتَفٍ فى بلَدِه بينَ ظَهْرَانَىْ قومِه مِن القَرامِطَةِ ، إذا أُلِحَّ فى طلبِه نزَل بِئْرًا قدِ اتَّخذَها ، وعلى بابِه تَنُّورٌ فتقُومُ امرأةٌ تَسْجُرُه وتخْبِزُ فيه فلا يشْعُرُ أحدٌ بأمرِه أصْلًا ، فبعَث الخليفةُ إليه جَيْشًا كثيفًا فقاتَلَهم زكْرَوَيْهِ بنفْسِه

---

(١) فى ب ، م ، ظ ، وتاريخ الطبرى ١٠/ ١٢٨: « الخليجى » . والمثبت موافق لما فى الكامل ٧/ ٥٤٠. وانظر اللباب ١/ ٣٨٢.

ومَن أطاعَه ، فهَزَم جيشَ الخليفةِ وغَنِمَ مِن أمْوالِهم شيئًا كثيرًا جدًّا فتقَوَّى به واشْتَدَّ أمْرُه ، فندَبَ الخليفةُ إليه جيْشًا كثيفًا آخرَ ، فكانَ مِن أمْرِه وأمْرِهم ما سنَذْكُره .

وفيها افتتَح إسْماعيلُ بنُ أحمدَ السامانيُّ نائبُ خُرَاسَانَ وما وراءَ النهرِ طائفةً مِن بلادِ الأتْراكِ .

وفيها أغارَتِ الرومُ على بعضِ أعْمالِ حَلَبَ .

وفيها حجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِيُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو العبَّاسِ الناشِى الشاعِرُ[1] ، عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، أبو العبَّاسِ المُعْتَزِلِيُّ ، أصلُه مِن الأنْبَارِ وأقامَ ببَغْدادَ مدةً ، ثم انْتَقَل إلى مِصْرَ فماتَ بها ، وكان يُعاكِسُ الشعراءَ ويرُدُّ على المَنْطِقِيِّينَ والعَروضِيِّينَ ، وكان شاعرًا مُطبقًا إلَّا أنَّه كان فيه هَوَسٌ ، وله قصيدةٌ حسنةٌ فى نَسَبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد ذكَرْناها فى « السِّيرَةِ »[2] .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : كان متبحِّرًا فى عِدَّةِ علُومٍ ، مِن جُملَتِها علمُ المَنْطِقِ ، وكان ذكِيًّا فطِنًا ، وله قصيدةٌ فى فُنونٍ مِن العلومِ على رَوِيٍّ واحدٍ تبلُغُ أربعةَ آلافِ بيتٍ ، وله عدَّةُ تَصانِيفَ [٨/٢٧٣ظ] جميلةٌ وأشعارٌ كثيرةٌ . قال : وأمَّا الناشى الأصغرُ فسيأتى .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٩٢، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٩١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٨١، والعبر ٢/ ٩٥، ولسان الميزان ٣/ ٣٣٤.

(٢) تقدم فى ٣/ ٢٠٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٩١، بنحوه .

٦ **عُبيدُ**[1] **بنُ محمدِ بنِ خَلَفٍ، أبو محمدٍ البَزَّارُ**، أحدُ الفقهاءِ، مِن أصْحابِ أبى ثَوْرٍ، كان عندَه فِقْهُ أبى ثَوْرٍ، وكان مِن الثِّقاتِ النُّبلاءِ.

نَصْرُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ، أبو محمدٍ الكِنْدىُّ[2]، الحافِظُ المعْروفُ بِنَصْرَك، كان أحدَ حُفَّاظِ الحديثِ المشْهورِينَ، وكان الأميرُ خالدُ بنُ أحمدَ الذهْلىُّ نائبُ بُخارى قد ضَمَّه إليه، وصنَّفَ له «المُسْنَدَ». وكانت وفاتُه ببُخارى فى هذه السنَةِ.

---

(١) فى الأصل، ص، ظ: «عبيد اللَّه»، وفى ب: «عبد»، وفى س: «عبد اللَّه». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١١/ ١٠٠، والمنتظم ١٣/٤٦ وفيه «عبيد اللَّه»، وتهذيب الكمال ٢/٨١ ترجمة أبى ثور.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٩٣، والمنتظم ١٣/ ٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٣١٧.

ثم دخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وتِسْعِينَ ومائتينِ

فى المحرمِ مِن هذه السنَةِ[1] اعْترَض زكْرَوَيْهِ - لعَنه اللَّهُ - وأصحابُه الحُجَّاجَ مِن أهلِ خُرَاسَانَ ، وهم قافِلُونَ مِن مَكَّةَ ، فقتَلهم عن آخرِهم وأخَذ أمْوالَهم وسبَى نِساءَهم ، فكانَ قِيمَةُ ما أخَذه منهم ألْفَىْ ألفِ دِينارٍ ، وعِدَّةُ مَن قتَل عِشْرِينَ ألفَ إنْسانٍ ، وكانتْ نِساءُ القَرامِطَةِ يَطُفْنَ بينَ القتْلَى مِن الحُجَّاجِ بالماءِ صِفَةَ أنَّهُنَّ يَسْقِينَ الجرحَى ، فمَنْ كلَّمَهُنَّ مِن الجَرْحَى قتَلْنَه وأجْهَزْنَ عليه ، لَعَنَهُنَّ اللَّهُ وقبَّح أزْواجَهُنَّ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ زَكْرَوَيْهِ ، لعَنه اللَّهُ

لمَّا بلَغ الخليفةَ خبَرُ الحَجِيجِ وما أوْقَعَ بهمُ الخبيثُ زَكْرَوَيهِ جهَّزَ إليه جيشًا كثيفًا فالْتَقَوا معه ، فاقتتَلُوا قِتالًا شديدًا جدًّا ، قُتِل مِنَ القَرامطةِ[2] خَلْقٌ كثيرٌ ولم يَبْقَ إلَّا القليلُ ، وذلك فى أوَّلِ رَبيعِ الأوَّلِ منها ، وضُرِب زَكْرَوَيْهِ - لعَنه اللَّهُ - بالسيفِ فى رأسِه فوصَلتِ الضربةُ إلى دِماغِه ، وأُخِذ أسِيرًا ، فماتَ بعدَ خمسةِ أيامٍ ، ففتَحوا عن بطْنِه وصبَرُوه وحمَلُوه فى جماعَةٍ مِن رُءوسِ أصْحابِه إلى بغدادَ ، واحْتَوَى العسْكَرُ على ما كان بأيْدِى القَرامِطَةِ مِن الأمْوالِ والحواصِلِ ،

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٣٠، والمنتظم ١٣/ ٤٩، والكامل ٧/ ٥٤٨.

(٢) فى الأصل، ص: «الفريقين».

وللَّهِ الحمدُ . وأمرَ الخليفةُ بقَتْلِ أصْحابِ القِرمِطِيِّ ، وأنْ يُطافَ برأسِ القِرمِطِيِّ فى سائرِ بلادِ خُراسانَ ؛ لِئَلَّا يمتنِعَ الناسُ عنِ الحجِّ بسببِ ما وقَع . وأَطْلَق مَن كان بأيْدِى القَرامِطَةِ مِن النساءِ والصِّبْيانِ الذين أسَرُوهم .

وفيها غَزَا أحمدُ بنُ كَيْغَلغَ نائبُ دِمَشْقَ بلادَ الرومِ من ناحيةِ طَرَسُوسَ ، فقتَل منهم نَحْوًا مِن أرْبَعةِ[1] آلافٍ ، وأسرَ مِن ذَرارِيِّهم نحْوًا مِن خمسين ألفًا ، وأسلَمَ بعضُ البَطارِقَةِ مِن الرومِ ، وجاء معه بنَحْوِ مِن مِائَتَىْ أسيرٍ كانوا فى حصنِه[2] ، فأرْسَل ملكُ الرومِ جيشًا فى طلَبِه[3] ، فركِب هو فى جماعةٍ مِن المسلمينَ ، وكبَس الرومَ فقتَل منهم مقْتَلَةً عظيمةً ، وغَنِم منهم غنيمةً كثيرةً جدًّا ، ولمَّا قَدِمَ على الخليفةِ أكْرَمه وأحسَن إليه ، وأعْطَاه ما تَمَنَّاه .

وفيها ظهَر بالشامِ رجلٌ فادَّعَى أنَّه السُّفْيانِىُّ ، فأُخِذ وبُعِثَ به إلى بَغْدادَ ، فادَّعَى أنَّه مُوَسْوِسٌ .

وحجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِىُّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسينُ بنُ محمدِ بنِ حاتمِ بنِ يزيدَ بنِ علىِّ بنِ مَرْوَانَ[4] ، أبو علىٍّ المعْروفُ بعُبَيْدٍ العِجْلِ[5] ، كان حافظًا مُكْثِرًا مُتْقِنًا ثقةً مُقَدَّمًا فى حِفْظِ

---

(١) فى الأصل ، ص : « عشرة » . وانظر الكامل ٧/ ٥٥٢.

(٢) فى ب ، م : « حبسه من المسلمين » .

(٣) فى ب ، م : « طلب ذلك البطريق » .

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٩٣، والمنتظم ١٣/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٩٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٠٢.

(٥) فى الأصل ، س ، م ، ص ، ظ ، والنجوم الزاهرة : « العجلى » . ومصادر ترجمته على أنه « العجل » .

المُسْنَداتِ ، تُوفِّى فى صَفَرٍ منها .

صالِحُ بنُ محمدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَبيبٍ ، أبو علىٍّ الأسَدِىُّ[1] - [2]أسَدُ خُزَيْـمَةَ[2] - المعْروفُ بجَزَرَةَ ؛ لأنَّه قرأَ على [٢٧٤/٨و] بعضِ المشايخِ أنّ أبا أُمامةَ كانتْ له خَرَزَةٌ يَرْقِى بها المريضَ ، فقرَأها هو جزرةً ؛ تصْحِيفًا منه ، فلُقِّبَ بذلك لذلك ، وقد كان حافِظًا مُكْثِرًا جَوَّالًا رَحَّالًا ، طافَ الشامَ ومِصْرَ وخُرَاسَانَ ، وانْتَقلَ من بغدادَ فسكن بخارى ، وكان ثقةً صدُوقًا أمينًا ، وله روايةٌ كثيرةٌ عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ ، وسُؤَالاتٌ كثيرةٌ ، كان مؤْلدهُ بالكوفةِ[3] سنةَ عَشْرٍ ومِائتينِ .

وتُوفِّى فى هذه السنَةِ **محمدُ بنُ عِيسَى بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العبَّاسِ**[4] ، المعْروفُ بالبَيَاضِىِّ ؛ لأنَّه حضَر مجلسَ الخليفةِ وعليه ثِيابُ البَياضِ ، فقال الخليفةُ : مَنْ ذاكَ البَياضِىُّ ؟ فعُرِفَ به . وكان ثقةً ، روَى عنِ ابنِ الأنْبَارِىِّ وابنِ مُقسمٍ . قتَلَتْه القَرامِطَةُ فى هذه السنَةِ .

محمدُ بنُ الإمامِ إسْحاقَ بنِ راهَويهِ[5] ، سمِعَ أباه ، وأحمدَ بنَ حَنْبَلٍ وغيرَهما ، وكان عالمًا بالفِقْهِ والحديثِ ، جميلَ الطريقةِ ، وقدِم بغدادَ فحدَّث

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢، وتاريخ دمشق ٢٣/ ٣٨٥، والمنتظم ١٣/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٦١.

(٢ - ٢) كذا بالنسخ وفى مصادر ترجمته أنه كان مولى لأسد بن خزيمة .

(٣) فى ب ، م : « بالرقة » . وانظر المنتظم ١٣/ ٥٢.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٤٠١، والمنتظم ١٣/ ٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٨٧، وغاية النهاية ٢/ ٢٢٥، وتقريب التهذيب ٢/ ١٩٨.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٤٤، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٦٩، والمنتظم ١٣/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٥٢، والوافى بالوفيات ٢/ ١٩٦.

بها ، وقتلَتْه القَرامِطَةُ هذه السنةَ فى مَن قتَلُوا مِن الحَجيجِ .

محمدُ بنُ نَصْرٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ المَرْوَزِىُّ[1] ، الفقيهُ ، وُلد ببغدادَ ونشَأ بنَيْسَابُورَ واسْتَوْطَنَ سَمَرْقَنْدَ ، وكان مِن أعلمِ الناسِ باخْتِلافِ الصَّحابَةِ والتابعينَ فمَنْ بعدَهم مِن أئمةِ الإسْلامِ [2]فى الأحْكامِ[2] ، وقد رحَل إلى الآفاقِ وسمِعَ مِن المشايخِ الكثيرَ النافِعَ ، وصنَّفَ الكُتبَ المفيدةَ الحافلةَ النافعةَ ، وكان مِن أحسنِ الناسِ صلاةً وأكْثَرِهم فيها خُشُوعًا ، وقد صنَّفَ كتابًا عظيمًا فى الصلاةِ .

روَى عنه الخطيبُ البَغدادىُّ[3] أنَّه قال : خرَجْتُ مِن مِصْرَ قاصدًا مَكَّةَ فركِبتُ البحرَ ومعِى جاريةٌ لى فغَرِقَتِ السفينةُ فذهَب لِى فى الماءِ ألفَا جُزْءٍ ، وسَلِمْتُ أنا والجاريةُ ، فلجَأنا إلى جزيرةٍ ،فطلَبْنا بها ماءً فلم نجِدْ ، فوضَعْتُ رأسِى على فَخِذِ الجاريةِ وَيِئِسْتُ مِنَ الحياةِ ، فبَيْنا أنا كذلكَ إذا رجلٌ قد أقْبَل وفى يَدِه كوزٌ فقال : هاه . فأخَذْتُه فشرِبْتُ منه وسَقَيْتُ الجارِيةَ ، ثم ذهَب فلم أدْرِ مِن أين أقبَل ولا إلى أين ذهَب . وقد كان مِن أكرمِ الناسِ وأسْخَاهم نفْسًا . وكان إسْماعيلُ بنُ أحمدَ يصِلُه فى كلِّ سنَةٍ بأربعةِ آلافٍ ، ويَصِلُه أخوه إسْحاقُ بنُ أحمدَ بأربعةِ آلافٍ أيضًا ، ويَصِلُه أهلُ سَمَرْقَنْدَ بأربعةِ آلافٍ ، فيُنْفِقُ ذلك كلَّه ، فقيلَ له : لوِ ادَّخرتَ منها شيئًا لنائبَةٍ ؟ فقال : يا سُبْحانَ اللَّهِ ! أنا كنتُ بمِصرَ أُنفِقُ فيها فى كلِّ سنَةٍ عشرين دِرْهمًا ، فرأيتُ إذا لم يحصُلْ لى شىءٌ مِن هذا لا يتَهَيَّأُ لى فى السنةِ عِشْرونَ دِرْهمًا . وكان محمدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِىُّ إذا دخَل على

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٥، وطبقات الشيرازى ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٩٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٠، والوافى بالوفيات ٥/ ١١١، وطبقات الشافعية ٢/ ٢٤٦.

(٢ - ٢) فى الأصل، س، ص، ظ : « بالأحكام » . وفى ب، م : « وكان عالماً بالأحكام » . والمثبت من المنتظم ١٣/ ٥٤.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٧.

إسْماعيلَ بنِ أحمدَ السامانىِّ ينْهَضُ له ويكرِمُه ، فعاتبَه يومًا أخوه إسْحاقُ ، فقال له[1] : تقومُ لرجلٍ فى مجْلسِ حُكْمِكَ وأنتَ مَلكُ خُرَاسَانَ ؟ قال إسماعيلُ : فبِتُّ تلكَ الليلةَ وأنا مُشَتَّتُ القلبِ[2] فرأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ ، وهو يقولُ : « يا إسْماعِيلُ ثبَتَ مُلْكُك ومُلْكُ بَنِيكَ بتَعْظيمِكَ محمدَ بنَ نَصْرٍ ، وذهَب مُلكُ أخيكَ باسْتِخْفافِه بمحمدِ بنِ نصرٍ » .

وقدِ رُوِى[3] أنه اجتمَع بالديارِ المصريةِ محمدُ بنُ نصرٍ ، ومحمدُ بنُ جَرِيرٍ[4] ، ومحمدُ بنُ المُنْذِرِ[5] ، [٢٧٤/٨ظ] فجلَسُوا فى بيتٍ يكتُبون الحديثَ ولم يكُنْ عندَهم فى ذلك اليومِ شىءٌ يقْتاتُونَه ، فاقْترَعُوا فيما بيْنَهم مَن يسْعَى لهم فى شىءٍ يأْكُلُونَه ؛ ليدفعوا عنهم ضرورتَهم ، فجاءت القُرْعَةُ على أحدِهم[6] ، فنهَض إلى الصلاةِ فجعَل يُصلِّى ويدْعُو اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، وذلكَ وقتَ القيلولةِ ، فرأَى نائبُ مصرَ - وأظنُّه أحمدَ بنَ طُولُونَ - فى منامِه فى ذلك الوقتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ له : « [7]أنت هـاهنا ، والمحمَّدون ليس عندَهم شىءٌ يقتاتونه[7] ؟ » .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٨، والمنتظم ١٣/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨.

(٢) بعده فى ب ، م : « من قول أخى وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر ، قال » .

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٢/ ٢٥٠.

(٤) بعده فى ب ، م : « الطبرى » .

(٥) فى الأصل ، ص : « المنكدر » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤. ولم يرد فى مصدرى التخريج ذكر لمحمد بن المنذر ولا لابن المنكدر . وإنما المصادر على أن المجتمعين بمصر فى تلك الحادثة محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزى ، ومحمد بن هارون الروياني . فاللَّه أعلم .

(٦) فى ب ، م : « محمد بن نصر » ، ومصدر التخريج على أنه ابن خزيمة . فاللَّه أعلم .

(٧ - ٧) فى ب ، م : « أدرك المحدثين فإنهم ليس عندهم ما يقتاتونه » . وليس فى مصدرى التخريج أنه رأى النبى ، ﷺ .

فانْتَبَه الأميرُ مِن منامِه ، فسألَ : مَن هٰهنا مِن المُحدِّثينَ ؟ فذُكِرَ له هؤلاءِ الثلاثةُ ، فأرْسَل إليهم فى الساعَةِ الراهِنَةِ بألفِ دينارٍ ، فدخَل بها عليهم وأزالَ اللَّهُ ضرورَتَهم ويَسَّرَ عليهم[1] .

وقد بلَغ محمدُ بنُ نَصْرٍ سِنًّا عاليةً ، وكان يسْألُ اللَّهَ ولدًا ، فأتَاه يومًا إنْسانٌ فبَشَّرَه بوَلَدِ ذَكرٍ قد وُلِد له ، فرفَع يدَيْه فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، وقال[2] : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم : ٣٩] . فاسْتَفاد الحاضِرُونَ من ذلك فوائدَ ؛ منها أنَّه قد وُلِدَ له على كِبَرِ السنِّ ولَدٌ ذَكَرٌ بعدَ ما كان يسْألُ اللَّهَ فى ذلك ، ومنها أنَّه سمَّاه يومَ مولِدِه ، كما سمَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ولَدَه إبْراهيمَ قبلَ السابعِ ، ومنها اقْتِداؤُه بالخليلِ [3]فى تسميتِه[3] أوَّلَ وَلدٍ له إسماعيلَ .

مُوسى بنُ هارونَ بنِ عبدِ اللَّهِ[4] ، أبو عِمْرانَ المعْروفُ والدُه بالحَمَّالِ ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرَةَ ومائتين ، وسمِع أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ ، ويحيى بنَ مَعينٍ وغيرَهما ، وكان إمامَ أهلِ عصرِه فى حفظِ الحديثِ ومعرفةِ الرِّجالِ والإتقانِ ، وكان ثقةً شديدَ الوَرَعِ عظيمَ الهيبةِ ، قال عبدُ الغنىِّ بنُ سعيدٍ الحافِظُ المِصْرِىُّ[5] : كان أحسنَ الناسِ كلامًا على الحديثِ[6] علىُّ بنُ المَدِينىِّ ، ثم مُوسَى بنُ هارونَ ، ثم الدَّارَقُطْنِىُّ .

---

(١) فى ب ، م : « أمرهم واشترى طولون تلك الدار وبناها مسجدًا وجعلها على أهل الحديث وأوقف عليها أوقافًا جزيلة » .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٥٢، وانظر المنتظم ١٣/ ٥٥.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠، والمنتظم ١٣/ ٥٧، وتذكرة الحفاظ ٢٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٣١٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٣.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٥١، والمنتظم ١٣/ ٥٨.

(٦) بعده فى ب ، م : « أثنى عليه » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

فيها[1] كانتِ المُفادَاةُ بينَ المسلمينَ والرومِ، وكان مِن جملةِ مَنِ اسْتُنْقِذَ مِن أيْدِى الرومِ مِن نِساءٍ ورِجالٍ نحوٌ مِن ثلاثةِ آلافِ نسَمَةٍ[2] وللَّهِ الحمدُ.

فى المنتصفِ مِن صَفَرٍ منها كانتْ وفاةُ إسْماعيلَ بنِ أحمدَ السامانىِّ[3] أميرِ خُرَاسَانَ[4]، وقد كان عاقِلًا عادِلًا حسنَ السِّيرةِ فى رَعِيَّتِه، حَلِيمًا كريمًا. جوادًا مُمَدَّحًا، وهو الذى كان يُحْسِنُ إلى محمدِ بنِ نَصْرٍ المَرْوَزِىِّ ويُعظِّمُه ويكرِمُه ويحْترِمُه ويقومُ له فى مجْلسِ مُلْكِه، وقد وَلِى بعدَه ولَدُه أحمدُ بنُ إسْماعيلَ بنِ أحمدَ السامانىُّ، وبعثَ إليه الخليفةُ المكتفى باللَّهِ بالولايةِ والتشريفِ. وقد تذاكَر الناسُ عندَ إسْماعِيلَ بنِ أحمدَ ذاتَ ليلةٍ الفَخْرَ بالأنْسابِ، فقال[5]: ينْبَغِى أنْ يكونَ الإنْسانُ عِصَامِيًّا لا عِظَامِيًّا - أىْ ينْبَغِى أنْ يفْتَخِرَ بنَفْسِه لا بنَسَبِه وبلَدِه وجَدِّه - كما قال بعضُهم[6]:

وبجِدِّى سمَوْتُ لا بجُدودِى

وقال آخرُ:

حَسْبِى فَخارًا وشِيمَتِى أدَبِى ... ولسْتُ من هاشِمٍ ولا العربِ

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٣٧، والمنتظم ١٣/ ٥٩، والكامل ٨/ ١٣.

(٢) فى تاريخ الطبرى: «ثلاثمائة آلاف نفس».

(٣) ووفيات الأعيان ٥/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٠٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٦٣.

(٤) بعده فى ب، م: «وما وراء النهر».

(٥) الكامل ٨/ ٦.

(٦) الشعر للمتنبى فى ديوانه ١/ ٣٢٢، وصدر البيت: «لا بقومى شرفت بل شرفوا بى».

إنَّ الفَتَى مَن يقولُ هـأنذا ذا ... ليسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كانَ أبى

وفى ذى القَعْدَةِ منها كانت : **وَفاةُ الخليفةِ المُكْتَفِى باللَّهِ أبى محمدٍ علىٍّ**[1] **ابنِ المُعْتَضِدِ**[2] ، وهذه [٨/٢٧٥و] ترجمتُه وذِكْرُ وَفاتِه :

أبو محمدٍ علىُّ بنُ أميرِ المؤمنين المعتضدِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ أبى أحمدَ الموفقِ بنِ المتوكلِ بنِ المعتصمِ بنِ الرشيدِ هارونَ بنِ المهدىِّ بنِ المنصورِ ، رحِمهم اللَّهُ ، وقد ذكَرْنا أنَّه ليسَ مِنَ الخُلفاءِ العباسيين مَنِ اسمُه علىٌّ سِوَاه بعدَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ولم يكنْ فى الخُلفاءِ مَنْ يُكنَى بأبى محمدٍ سِوَى الحسَنِ بنِ علىٍّ ، وموسى الهادى والمستضىءِ بأمرِ اللَّهِ ، وكان مَوْلِدُه فى رجَبٍ مِن سنَةِ أرْبَعٍ وسِتِّينَ ومِائَتَيْن ، وبُويِعَ له بالخلافةِ بعدَ أبيه - فى حياتِه - فى يومِ الجُمعةِ لإحْدَى عشْرَةَ بَقِيَتْ من ربيعٍ الآخرِ مِن سنَةِ تِسْعٍ وثمانينَ ومِائَتَيْنِ ، وعمرُه نحوٌ مِن خمسٍ وعِشْرِينَ سنةً ، وكان رَبْعَةً مِن الرجالِ جميلًا رقيقَ اللونِ حسَنَ الشَّعْرِ ، وافِرَ اللِّحْيَةِ عرِيضَها . ولمَّا ماتَ أبوه المُعْتَضِدُ ، وباشَر هو منصبَ الخلافةِ ، دخَل عليه بعضُ الشعراءِ فأنشدَه[3] :

أجَلُّ الرَّزَايا أنْ يموتَ إمامُ ... وأسْنَى العَطايا أنْ يقومَ إمامُ

فأسقَى الذى ماتَ الغمامُ وجادَهُ[4] ... ودامتْ تحِيَّاتٌ لهُ وسَلامُ

وأبْقَى الذى قامَ الإلَهُ وزادَهُ ... مَواهِبَ لا يفْنَى لَهُنَّ دوامُ

وتمَّتْ له الآمالُ واتَّصلَتْ بها ... فوائدُ موْصُولٌ بهنَّ تَمَامُ

هو المُكْتَفِى باللَّهِ يكْفِيهِ كُلَّما ... عناهُ بركنٍ منهُ ليسَ يُرامُ

---

(١) سقط من : ب ، م ، ص .

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣١٦، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩٠ - ٣٠٠هـ) ص ٢٠٤، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٤، وتاريخ الخلفاء ص ٣٧٦.

(٣) المنتظم ١٣/ ٤.

(٤) فى ب ، م : « وجوده » .

فأمَر له بجائزةٍ سَنِيَّةٍ .

وقد كان يقولُ الشعرَ ، فمِنْ ذلك قولُه[1] :

مَنْ لى بأنْ يعلَمَ ما ألْقَى فيعرِفُ الصبوةَ[2] والعِشْقَا
ما زالَ لى عبْدًا وحُبِّى لهُ صَيَّرَنِى عبْدًا لهُ رِقَّا
[3]العِتْقُ مِنْ شأْنِى[3] ولكِنَّنِى مِنْ حُبِّهِ لا أملِكُ العِتْقَا

وكان نقْشُ خاتَمِه : علىٌّ متوكِّلٌ على رَبِّه . وكان له مِن الوَلَدِ محمدٌ ، وجَعْفَرٌ ، وعبدُ الصَّمَدِ ، ومُوسَى ، وعبدُ اللَّهِ ، وهارونُ ، والفَضْلُ ، وعِيسَى ، والعبَّاسُ ، وعبدُ الملكِ .

وفى أيامِه فُتِحَتْ أنْطاكِيَةُ [4]واستُنْقِذت من أيدى الرومِ[4] وكان فيها مِن أُسارَى المسلمينَ بشَرٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ [4]وأخَذ المسلمون مِن غنائمِهم شيئًا كثيرًا جدًّا كما تقدَّم[4] . ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ سأَل عن أخيه أبى الفَضْلِ جَعْفَرِ بنِ المُعْتَضِدِ فصحَّ عندَه أنَّه بالغٌ ، فأحْضَرَه فى يومِ الجمعةِ لإحْدَى عشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ، وأحْضَر القُضاةَ وأشْهَدهم على نفْسِه بأنَّه قد جعَل الخلافةَ إليه مِن بعدِه ، ولقَّبَه بالمُقْتَدِرِ باللَّهِ . وتُوفِّى المكتفى باللَّهِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، رحِمه اللَّهُ ، وقيلَ : فى آخرِ يومِ السبتِ بينَ الظهرِ والعصرِ . وقيلَ : بعدَ المغربِ ، [4]ليلةَ الأحدِ[4] لاثْنتَىْ عشْرَةَ خلَت مِن ذى القَعْدَةِ ، ودُفِن فى دارِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ ، عن ثِنْتَيْنِ ، وقيل : عن ثلاثٍ وثلاثينَ سنَةً ، وكانت خلافَتُه سِتَّ سِنِينَ وسِتَّةَ أشهرٍ وتِسْعَةَ عشَرَ يومًا . وكان قد أوْصَى بصدَقَةٍ مِن خالصِ مالِه ؛ سِتِّمِائَةِ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٤ .
(٢) فى م : « منى الصبابة » .
(٣ - ٣) فى المنتظم : « أعتق من رقى » .
(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

ألفِ دِينارٍ، كان جَمَعها وهو صغيرٌ، وكان مرَضُه بداءِ الخَنازِيرِ، رحِمه اللَّهُ.

خلافةُ المُقْتَدِرِ باللَّهِ [٨/٢٧٥ظ] أميرِ المؤمنين أبى الفَضْلِ جَعْفَرِ بنِ المُعْتَضِدِ

جُدِّدَتْ له البيعةُ بعدَ موتِ أخيه وَقْتَ السَّحَرِ لأَرْبَعَ عشْرَةَ ليلةً خلَتْ مِن ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومِائَتَيْن - وعمرُه إذْ ذاك ثلاثَ عشْرَةَ سنةً وشهرٌ وأحدٌ وعشرون[1] يومًا، ولم يلِ الخِلافةَ أحدٌ قبلَه أصْغَرُ سنًّا منه، ولمَّا أُجلِسَ فى مَنْصِبِ الخِلافَةِ صلَّى أرْبَعَ رَكعاتٍ ثم سلَّم ورفَع صوْتَه بالدعاءِ والاسْتِخَارَةِ، ثم بايَعه الناسُ بيعةَ العامَّةِ، وكُتِب اسمُه على الرُّقُومِ وغيرِها: المُقْتَدِرُ باللَّهِ، وكان فى بيتِ مالِ الخاصَّةِ خَمْسَةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دِينارٍ، وفى بيتِ مالِ العامَّةِ سِتُّمِائَةِ ألفِ دِينارٍ ونَيِّفٌ، وكانتِ الجواهرُ الثمينةُ فى الحواصِلِ مِن لَدُنْ بنى أمَيَّةَ وأيامِ بنى العبَّاسِ، قد تَناهَى جَمْعُها، فما زالَ يُفرِّقُها فى حَظَاياه وأصْحابِه حتى أنْفَدَها[2]، وقد اسْتَوْزَرَ جماعةً مِن الكُتَّابِ يكْثُرُ تَعْدادُهم؛ منهم أبو الحسَنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ الفُرَاتِ، وَلَّاه ثم عزَله بغيرِه، ثم أعادَه، ثم عزَلَه [3]بغيرِه، ثم أعاده، ثم عزَله[3]، ثم قتلَه، وقد تَقَصَّى ذِكْرَهم أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِىِّ[4]. وكان له مِنَ الخدَمِ والحُجّابِ والحُشْمَةِ التامَّةِ شىءٌ كثيرٌ

---

(١) فى الأصل، س، ص، ظ: «عشر». والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى ١٠/ ١٣٩.

(٢) بعده فى ب، م: «وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة».

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) المنتظم ١٣/ ٦١.

جدًّا ، وكان كَرِيمًا جدًّا وفيه عِبادَةٌ - مع هذا كلِّه - وكثرةُ صلاةٍ وصيامُ تطَوُّعٍ .

وفى يومِ عَرَفَةَ أوَّلَ ولايَتِه فرَّقَ مِنَ الأغْنامِ والأبْقارِ ثلاثينَ ألْفَ رأسٍ ، ومِنَ الإبلِ ألْفَىْ بعيرٍ ، ورَدَّ الرسُومَ والكُلفَ والأرْزاقَ إلى ما كانتْ عليه فى (١أوائلِ العباسيِّين١) ، وأطْلَق أهلَ الحبُوسِ الذين يجوزُ إطْلاقُهم ، ووكَلَ أمرَ ذلك إلى القاضى أبى عمرَ محمدِ بنِ يُوسُفَ ، وكان قد بُنِيَتْ أبَنِيَةٌ فى الرَّحْبَةِ دَخلُها[٢] فى كلِّ شهرٍ ألْفُ دِينارٍ ، فأمرَ بهَدْمِها ليُوَسِّعَ على المسلمينَ الطُّرُقاتِ ، وسيَأْتى ذِكْرُ شىءٍ مِن أيامِه وترجَمِته فيما بعدُ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ نُوحٍ[٣] بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو إسحاقَ المُزَكِّى الحافِظُ الزاهدُ ، إمامُ أهلِ عصرِه بنَيْسابُورَ ، فى معرفةِ الحديثِ والرِّجالِ والعللِ ، وقد سمِع خلْقًا مِن المشايخِ الكبارِ ، ودخَل على الإمامِ أحمدَ وذاكَرَه ، وكان مجْلِسُه مَهِيبًا ، ويقالُ[٤] : إنَّه كان مُجابَ الدعوةِ ، وكان لا يَمْلِكُ إلَّا دارَه التى كان يسْكُنُها وحانُوتًا يسْتَغِلُّه كلَّ شهرٍ سبْعَةَ عشَرَ دِرْهَمًا يُنْفِقُها على نفْسِه وعِيالِه ، وكان لا يقبَلُ مِن أحدٍ شيئًا ، وكان يُطْبَخُ له الجزَرُ بالخلِّ فيتأدَّمُ به طولَ الشِّتاءِ ، وقال أبو علىٍّ الحسينُ بنُ علىٍّ الحافظُ النيسابورىُّ[٤] : لم تَرَ عَيْناى مثلَه .

(١ - ١) فى ب ، م : « زمن الأوائل من بنى العباس » .

(٢) فى ب ، م : « صرف عليها » . والمثبت موافق لما فى المنتظم ١٣/ ٦٢.

(٣) فى ب ، م : « يحيى بن سختويه » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٣/ ٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠ هـ) ص ٩٤ وفيه : « إبراهيم بن أبى طالب محمد بن نوح بن عبدان » ، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٨.

(٤) المنتظم ١٣/ ٧٣.

أبو الحُسَيْنِ النُّورِىُّ[1] **أحدُ أئمةِ الصُّوفِيَّةِ** أحمدُ بنُ محمدٍ ، ويقالُ[2] : محمدُ بنُ محمدٍ ، والأوَّلُ أصحُّ . أبو الحسينِ النُّورىُّ ويُعرَفُ بابنِ البَغَوِىِّ ، أصلُه مِن خُرَاسَانَ ، وحدَّث عن سَرِىٍّ السَّقَطِىِّ ، ثم صارَ هو مِن أكابرِ أئمةِ القومِ ، قال أبو أحمدَ المَغَازِلِىُّ[3] : ما رأيْتُ أحدًا قطُّ أعْبَدَ مِن أبى الحسينِ النُّورِىِّ ، قيلَ له : ولا الجُنَيْدُ ؟ قال : ولا الجنيدُ[4] . وقال غيرُه[5] : صامَ عشرينَ سنةً لا يعلَمُ به أحَدٌ لا مِن أهْلِه ، [٨/٢٧٦و] ولا غيرِهم . وتُوفِّى فى مسجدٍ وهو مُقَنَّعٌ ، فلم يعْلَمْ به أحدٌ إلَّا بعدَ أرْبَعةِ أيامٍ .

إسْماعِيلُ بنُ أحمدَ بنِ أسدِ بنِ سامانَ السامانىُّ[6] أحدُ ملُوكِ خُرَاسَانَ للخلفاءِ ، وهو الذى قتَل عَمْرَو بنَ اللَّيْثِ الصَّفَّارَ الخارِجِىَّ ، وكتَب بذلك إلى الخليفةِ المُعْتَضِدِ فوَلَّاه خُرَاسَانَ ، ثم وَلَّاه المُكْتَفِى الرَّىَّ وما وراءَ النهرِ وبلادَ التركِ[7] فأوْقَعَ بهم بأسًا شديدًا ، وبنَى الرُّبُطَ فى الطُّرُقاتِ ، يسَعُ الرِّباطُ منها ألفَ فارِسٍ ، وأوْقَفَ عليها أوْقافًا جزِيلَةً ، وقد أهْدَى إليه طاهرُ بنُ محمدِ بنِ عَمْرِو بنِ اللَّيْثِ هدايَا عظيمةً ، منها ثلاثَ عشْرَةَ جَوْهَرَةً ، زِنَةُ كلِّ واحدةٍ منها ما بينَ السبعةِ مَثاقِيلَ إلى العشَرَةِ ، وبعضُها أحمرُ وبعضُها أزْرَقُ ؛ قِيمَتُها مِائَةُ ألفِ دِينارٍ ،

---

(١) طبقات الصوفية ص ١٦٤، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٩، وتاريخ بغداد ٥/ ١٣٠، والمنتظم ١٣/ ٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠ هـ) ص ٦٦.

(٢) المنتظم ١٣/ ٧٣.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٣١، والمنتظم ١٣/ ٧٣.

(٤) بعده فى ب ، م : «ولا غيره» .

(٥) المنتظم ١٣/ ٧٣، بنحوه .

(٦) المنتظم ١٣/ ٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٠٨، والعبر ٢/ ١٠٢، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٨.

(٧) بعده فى ب ، م : «وقد غزا بلادهم» .

فبعَث بها إلى الخليفةِ المُعْتَضِدِ وشفَع فى طاهرٍ فشَفَّعَه فيه . ولمَّا ماتَ إسْماعيلُ بنُ أحمدَ وبلَغَ المُكْتِفى موْتُه تمثَّلَ بقولِ أبى نواسٍ[1] :

لنْ يَخلُفَ الدهرُ مثْلَهمْ أبدًا هَيْهاتَ[2] هيهاتَ شأنُهمْ عجَبُ

المَعْمَرِىُّ الحافِظُ[3] **صاحبُ «عَمَلِ يومٍ وليلةٍ»** وهو الحسَنُ بنُ علىِّ بنِ شَبِيبٍ ، أبو علىٍّ المَعْمَرِىُّ الحافظُ ، رحَل وسمِع مِن الشيوخِ وأدْرَكَ خلْقًا ؛ منهم علىُّ بنُ المَدِينِىِّ ، ويَحْيَى بنُ مَعِينٍ ، وعنه ابنُ صاعدٍ ، والنَّجَّادُ ، والخُلْدِىُّ ، وكان مِن بُحورِ العلمِ وحُفاظِ الحديثِ ، صدُوقًا ثَبتًا ، وقد كان يُشبِّكُ أسْنانَه بالذهبِ مِن الكِبَرِ ؛ لأنَّه جاوَز الثمانينَ ، وكان يُكنَى أوَّلًا بأبى القاسِمِ ، ثم بأبِى علىٍّ ، وقد وَلِىَ القَضاءَ للبَرْتِىِّ على القصرِ[4] وأعْمالِها وإنَّما قيلَ له : المَعْمَرِىُّ . بأُمِّه أمِّ الحسَنِ بنْتِ أبى سُفْيانَ[5] صاحبِ مَعْمَرِ بنِ راشدٍ . [6]وكانت وفاتُه[6] لإحْدَى عشْرَةَ ليلةً بَقِيَتْ مِن المحرَّمِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ بنِ أحمدَ بنِ أبى شُعَيْبٍ[7] ، واسمُ أبى شُعَيْبٍ عبدُ اللَّه ابنُ مسلمٍ ، أبو شُعَيْبٍ الأُمَوِىُّ الحرَّانِىُّ المؤَدِّبُ المحدِّثُ ابنُ المحدِّثِ ، وُلِدَ سَنةَ

---

(١) ديوان أبى نواس ص ٢٤٢.

(٢) فى الديوان : «على» .

(٣) تاريخ بغدد ٧/ ٣٦٩، وتاريخ دمشق ١٣/ ١٥٥، والمنتظم ١٣/ ٧٥، وسير أعم النبلاء ١٣/ ٥١٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠ هـ) ص ١٢٦.

(٤) فى المنتظم ١٣/ ٧٦: «البصرة» . والقصر : مدينة كبيرة بالمغرب ، وتمسى : القصر الصغير ، وقصر الجواز . تاج العروس (ق ص ر) ، وانظر : مسالك الأبصار ٢/ ٢.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٤.

(٦ - ٦) فى ب ، م : «وقد صنف المعمرى كتاب جيدًا فى عمل يوم وليلة ، واسمه الحسن بن على بن شبيب أبو على المعمرى توفى» .

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٥، والمنتظم ١٣/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٧٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٣٦.

سِتٍّ وثمانينَ ومِائَتَيْنِ، وسمِعَ أباه، وجَدَّه، وعفَّانَ بنَ مسلمٍ، وأبا خَيْثَمَةَ، كان صدُوقًا ثقةً مأمونًا. تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ منها.

علىُّ بنُ أحمدَ المُكْتَفِى بنِ المعتضدِ، تقدَّم ذكْرُ[1] ترجمتِه قريبًا مِن هذه السنةِ. **أبو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِىُّ محمدُ بنُ أحمدَ[2] بنِ نَصْرٍ**، أبو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِىُّ الفقيهُ الشافعِىُّ، وكان مِن أهلِ العلمِ والزهدِ، قال الدارقطنىُّ[3]: هو ثقةٌ، كان مأمونًا ناسِكًا، وقال القاضى أحمدُ بنُ كاملٍ[4]: لم يكُنْ لأصْحابِ الشافِعىِّ بالعراقِ أرْأَسُ منه، ولا أشدُّ ورعًا، وكان من التقللِ فى المطعَمِ على حالةٍ عظيمةٍ فقْرًا وورَعًا وصَبْرًا، وكان يُنفِقُ فى كلِّ شهرٍ أرْبَعةَ دَرَاهِمَ، وكان لا يسْأَلُ أحدًا شيئًا، وكان قدِ اخْتَلطَ فى آخرِ عمرِه. تُوفِّى فى المحرمِ من هذه السنةِ.

---

(١) تقدم فى ص ٧٤٢.

(٢) فى ب، م: «محمد». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١/ ٣٦٥، والمنتظم ١٣/ ٧٧، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٤٤، وطبقات الشافعية ٢/ ١٨٧.

(٣) المنتظم ١٣/ ٧٧.

(٤) المنتظم ١٣/ ٧٨.

ثم دخلتْ سنَةُ ستٍّ وتِسْعِينَ ومائتَيْنِ

فى ربيعِ الأوَّلِ منها[1] اجْتَمَع جماعةٌ مِن القُوَّادِ والجُنْدِ[2] على خَلْعِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ، وتوْلِيَةِ [٨/٢٧٧ظ] عبدِ اللَّهِ بنِ المُعْتَزِّ الخِلافةَ عِوضًا عنه، فأجابَهم على أنَّه لا يُسْفَكُ بسببِه دَمٌ. وكان المُقْتَدِرُ قد خرَج للَّعبِ بالصوالجةِ فقَصَد إليه الحسينُ[3] ابنُ حمدَانَ؛ يريدُ أن يفْتِكَ به، فلمّا سمِعَ المُقْتَدِرُ الضَّجةَ بادَر إلى دارِ الخلافةِ فأغْلَقها دونَ الجيشِ، واجْتمَعَ القوادُ والأعْيانُ والقُضاةُ فى دارِ الخلافةِ، فبايَعُوا عبدَ اللَّهِ بنَ المُعْتَزِّ، وخُوطِبَ بالخلافةِ، ولُقِّبَ بالمُرْتَضِى باللَّهِ. وقال الصوليُّ[4]: إنَّما لقَّبُوه المُنْتَصِفَ باللَّهِ، واسْتَوْزَرَ أبا (٥عبدِ اللَّهِ٥) محمدَ بنَ داودَ، وبعَث إلى المُقْتَدِرِ يأمرُه بالتَّحَوُّلِ مِن دارِ الخلافةِ إلى دارِ ابنِ طاهرٍ؛ ليَنْتَقِلَ هو إليها، فأُجِيب بالسمعِ والطاعَةِ، فرَكِب الحسينُ[6] بنُ حمدانَ مِن الغَدِ إلى دارِ الخلافةِ ليتَسلَّمها، فقاتَلَه الخدَمُ ومَن فيها، ولم يُسلِّمُوها إليه، وهزَمُوه فلم يقْدِرْ على تخْليصِ أهْلِه وبعضِ مالِه إلَّا بالجَهدِ الجَهيدِ. (٧فلمَّا قدَر عليهم٧) ارْتَحَل مِن فوْرِه إلى المَوْصِلِ، فتفرَّقَ نظامُ ابنِ المُعْتَزِّ وجماعتِه، فأرادَ ابنُ المُعْتَزِّ أن يتَحوَّلَ إلى سَامَرَّا

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٠، والمنتظم ١٣/ ٧٩، والكامل ٨/ ١٤.

(٢) بعد فى ب، م: «والأمراء».

(٣) فى م: «الحسن».

(٤) المنتظم ١٣/ ٨٠.

(٥ - ٥) فى الأصل، ب، م: «عبيد الله». وبعده فى ص: «بن».

(٦) فى م: «الحسن».

(٧ - ٧) فى ب، م: «ثم».

ليَنْزِلَها ، فلم يتْبَعْه أحدٌ مِن الأُمَراءِ ، فدخَل إلى دارِ ابنِ الجصّاصِ فاسْتَجارَ به ، ووقَع النهْبُ بالبلَدِ ، واخْتَبَط الناسُ ، وبعَث المُقْتَدِرُ إلى أصْحابِ ابنِ المُعْتَزِّ فقبَض عليهم وقتَل أكثرَهم ، وأعادَ ابنَ الفُرَاتِ إلى الوزارةِ فجدَّدَ البَيْعَةَ للمُقْتَدِرِ ، وأرْسَلَ إلى دارِ ابنِ الجصّاصِ فكبَسها[1] وأحْضَرَ ابنَ المُعْتَزِّ وابنَ الجصّاصِ ، فصادَرَ ابنَ الجصاصِ بمالٍ جزيلٍ جدًّا ، يقالُ : إنَّه وزنُ سِتَّةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دِرْهَمٍ . ثم أطْلَقه ، واعْتَقَل ابنَ المُعْتَزِّ ، فلمَّا دخَل فى ربيعِ الآخرِ ليْلتانِ ظهَر للناسِ موْتُه وأُخْرِجَتْ جثَّتُه فسُلِّمَتْ إلى أهْلِه فدُفِنَ ، وصفَح المُقْتَدِرُ عن بَقِيَّةِ مَن بقِى فى هذه الفِتْنَةِ حتى لا تفْسُدَ نِيَّاتُ الناسِ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : ولا يُعْرَفُ خليفةٌ خُلِع ثم أُعيدَ سوى الأمينِ والمُقْتَدِرِ .

وفى يومِ السبتِ لأربَعٍ بَقِينَ مِن ربيعِ الأوَّلِ سقَط ببَغْدادَ ثلْجٌ عظيمٌ حتى اجْتَمَع على الأسْطِحَةِ منه نحوٌ مِن أربعِ أصابعَ وهذا يُستَغْرَبُ فى بَغْدادَ جدًّا ، ولم تخْرُجِ السنةُ حتى خرَج الناسُ للاستسقاءِ مِن تأخُّرِ المطَرِ عن أيامِهِ .

وفى شعبانَ منها خُلِعَ علَى مؤْنسٍ[3] الخادِمِ ، وأُمِرَ بالمَسِيرِ إلى طَرَسُوسَ لغزوِ الرومِ .

وفى هذه السنةِ أمَر المُقتدِرُ بأنْ لا يُستخدَمَ أحدٌ مِن اليهودِ والنصارَى فى الدَّواوينِ ، وأُلْزِمُوا بُيوتَهم ، وأُمِرُوا بلُبسِ العسلىِّ وجعْلِ الرقاعِ بينَ أظْهُرِهم

---

(١) فى ب ، م : « فتسلمها » .

(٢) المنتظم ١٣/ ٨١.

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « يونس » . وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٢، والمنتظم ١٣/ ٨٢، والكامل ٨/ ٥٤.

ليُعْرَفُوا بها [1] وألزموا بالذُّلِّ حيثُ كانوا [1] .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِىُّ ، ورجَع كثيرٌ مِن الناسِ مِن قِلَّةِ الماءِ بالطريقِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ زكريا بنِ أبى عتابٍ ، أبو بكرٍ البَغْدادِىُّ [2] ، الحافِظُ ، ويُعرَفُ بأَخِى [3] مَيْمُونَ . روَى عن نَصرِ بنِ علىٍّ الجَهْضَمِىِّ وغيرِه ، وروَى عنه الطبرانىُّ ، وكان يمتنِعُ مِن أن يحدِّثَ ، وإنَّما يُسمَعُ منه [4] فى المذاكراتِ ، تُوفِّى فى شوَّالٍ منها .

أبو بكرٍ الأثْرَمُ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ هانِئٍ أبو بكرٍ الطَّائىُّ الأَثْرَمُ [5] ، تلميذُ الإمامِ أحمدَ . سمِع عفَّانَ وأبا الوليدِ والقَعْنَبِىَّ وأبا نُعَيْمٍ [٢٧٨/٨و] وخلقًا كثيرًا ، وكان حاذقًا [6] صادِقًا قوِىَّ الذاكرةِ ، كان ابنُ مَعينٍ يقولُ عنه [7] : كان أحدُ أبَوَيْهِ جِنِّيًّا ؛ لسُرْعَةِ فَهْمِه وحفظِه وحِذقِه ، وله كتُبٌ مُصنَّفةٌ فى العلَلِ والناسخِ والمنسُوخِ ، وكان مِن بُحورِ العلمِ .

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٨، والمنتظم ١٣/ ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٧٢، ٧٣.

(٣) فى الأصل : « بأبى » .

(٤) فى الأصل ، ص : « للَّه » .

(٥) الجرح والتعديل ٢/ ٧٢، وتهذيب الكمال ١/ ٤٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٣، والعبر ٢/ ٢٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٠.

(٦) فى ب ، م : « حافظًا » .

(٧) المنتظم ١٣/ ٨٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧١.

خَلَفُ بنُ عَمْرِو بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عيسى[1] ، أبو محمدٍ العُكْبَرِىُّ[2] ، سمِع الحديثَ ، وكان ظريفًا ، له ثلاثونَ خاتمًا وثلاثونَ عُكَّازًا ، يلْبَسُ فى كلِّ يومٍ مِن الشهرِ خاتمًا ، ويأخُذُ فى يدِه عكازًا ، ثم يستَأْنِفُ ذلك فى الشهرِ الثانى ، وكان له سَوْطٌ معلَّقٌ فى منْزِلِه ، فإذا سُئِلَ عن ذلك ، يقولُ : ليَرْهَبَ العِيالُ منه .

ابنُ المُعْتَزِّ الشاعرُ[3] ، الذى بُويع بالخلافةِ

عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَزِّ باللَّهِ محمدِ بنِ المُتَوَكِّلِ على اللَّهِ جَعْفَرِ بنِ المعتصمِ باللَّهِ محمدِ بنِ الرشيدِ هارونَ ، يُكنَى ابنُ المعتزِّ أبا العباسِ ، الشاعرُ الهاشِمِىُّ العباسِىُّ ، الفصيحُ البليغُ المطبِقُ ، وقريشٌ قادةُ الناسِ فى الخيرِ ودفْعِ الشرِّ . وقد سمِع المُبَرِّدَ وثَعْلَبًا ، وقد رُوِى عنه مِن الحِكَمِ والآدابِ شىءٌ كثيرٌ ، فمِن ذلك قولُه[4] : أنْفاسُ الحَىِّ خُطاه[5] . أهلُ الدنيا رَكْبٌ يُسارُ بهم وهم نِيامٌ . رُبَّما أوْرَدَ الطمَعُ ولم يُصْدِرْ . رُبَّما شرِقَ شارِبُ الماءِ قبلَ رِيِّه . مَن تجاوزَ الكَفافَ لم يُغْنِه الإكْثارُ . كلَّما عَظُمَ قدْرُ المنافَسِ فيه عَظُمَتِ الفَجِيعَةُ به . مَن ارْتَحَله الحِرْصُ أضْناه الطلَبُ[6] . الحِرْصُ يَنْقُص مِن قدْرِ الإنْسانِ ولا يزيدُ فى حظِّه . أشْقَى الناسِ أقْرَبُهم مِن

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٣١، والمنتظم ١٣/ ٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٤٣، والعبر ٢/ ١٠٦.

(٢) فى الأصل : « العسكرى » .

(٣) الأغانى ١٠/ ٢٧٤، وتاريخ بغداد ١٠/ ٩٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٨٦.

(٤) المنتظم ١٣/ ٨٥.

(٥) فى ص : « خطايناه » ، وفى م : « خطايا » .

(٦) بعده فى ب ، م : « وروى أنضاه الطلب أى أضعفه ، والأول معناه أمرضه » .

السلْطانِ ، كما أنَّ أقربَ الأشياءِ إلى النارِ أسرَعُها احتراقًا . مَن شارَكَ السلطانَ فى عزِّ الدنيا شارَكَه فى ذُلِّ الآخرةِ . يكْفِيكَ مِن الحاسدِ أنَّه يغْتَمُّ وقتَ سُرورِكَ . الفُرْصةُ سريعةُ الفَوْتِ بعيدةُ العَوْدِ . الأسْرارُ إذا كثُرَ خُزَّانُها ازْدادَتْ ضَياعًا . العزلُ يَضحَكُ[1] مِن تِيهِ الولايةِ . الجزَعُ أتْعَبُ مِن الصبرِ . لا تَشِنْ وَجْهَ العفوِ بالتَّقْريعِ ، تَرِكَةُ الميِّتِ عِزٌّ للورثةِ[2] . إلى غيرِ ذلك مِن كلامِه وحكَمِه .

ومِن شعرِه فى الحكَمِ ممَّا يناسِبُ هذا المعْنَى الأخيرَ قولُه[3] :

سابِقْ إلى مالِكَ ورَّاثَه[4] ... ما المرْءُ فى الدنيا بلَبَّاثِ
كم صامتٍ[5] يخنُقُ أكياسَه ... قد صاحَ[6] فى ميزانِ مِيراثِ

وله أيضًا[7] :

ياذا الغِنَى والسطْوَةِ القاهِرَهْ ... والدولةِ الناهِيَةِ الآمِرَهْ
ويا شياطينَ بنِى آدمٍ ... ويا عَبيدَ الشهْوَةِ الفاجِرَهْ[8]
انْتَظِرُوا[9] الدنْيا فقد أقرَبَتْ[10] ... وعن قليلٍ تَلِدُ الآخِرَه

وله أيضًا[11] :

---

(١) فى ب ، م : « نصحك » .
(٢) بعده فى ب ، م : « وذل له » .
(٣) المنتظم ١٣/ ٨٨.
(٤) فى ب : « وارثه » ، وفى م : « ورثه » .
(٥) فى ب ، م : « جامع » .
(٦) فى ب ، م : « صار » .
(٧) المنتظم ١٣/ ٨٨.
(٨) فى الأصل ، ص : « الفاخرة » .
(٩) فى الأصل : « انظروا » .
(١٠) فى ب ، م : « أدبرت » .
(١١) المنتظم ١٣/ ٨٨ باختلاف فى الرواية .

ابْـكِ[1] يـا نـفـسُ وهـاتِـى تـوْبَـةً قـبـلَ المماتِ
قـبـلَ أن يـفْـجَـعَـنـا الـدَّهْـ ـرُ بـبَـيْـنٍ وشَـتَـاتِ
لا تـخُـونـيـنِـى إذا مِـتُّ وقـامَـتْ بـى نُـعـاتِـى
إنَّمـا الـوافـى بـعَـهْـدِى مَـنْ وَفَـى بـعـدَ وَفـاتِـى

[٢٧٨/٨ظ] قال الصولىُّ[2] : نظَر ابنُ المعتزِّ فى حياةِ أبيه الخليفةِ إلى جاريَةٍ فأعْجَبَتْه ، فمرِضَ مِن حبِّها ، فدخَل أبوه عليه عائدًا ، فقال له : كيف تجِدُكَ ؟ فأنشأَ يقولُ :

أيُّـهـا الـعـاذِلُـونَ لا تَـعْـذِلُـونـى وانْظُروا حُسْنَ وجْهِها تَعْذُرونى
وانْظُروا هل ترَوْنَ أحسنَ منها إنْ رأيْتُم شَبِيهَـهـا فاعْذِلُـونـى

قال : ففَحَص أبوه عنِ القضيةِ ، واسْتَعْلَمَ خبرَ الجاريةِ ، ثم بعَث إلى سيِّدِها فاشْتَراها بسَبْعَةِ آلافِ دينارٍ ، وبعَثها إليه .

وقد ذكَرْنا أنَّ فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ اجْتَمَع [3]القوّادُ والأعيانُ[3] والقضاةُ على خَلْعِ المقتدرِ وتَوْليةِ عبدِ اللَّهِ بنِ المعتزِّ هذا ، ولُقِّبَ بالمُرْتَضِى أو المُنْتَصِفِ باللَّهِ ، فما مكَث فى الخلافَةِ إلَّا يومًا أو بعضَ يومٍ ، ثم غالَب المقتدرُ وقتَل عامَّةَ مَن خرَج عليه ، واعتقَله فى دارِ السلطانِ ، ووَكَّلَ به يونسَ الخادِمَ ، فقُتِلَ فى أوائلِ ربيعٍ الآخرِ للَيْلَتَيْنِ خَلَتا منه ، ويقالُ[4] : إنَّه أنشدَ فى آخرِ يومٍ مِن حياتِه :

---

(١) فى الأصل ، س ، ص ، ظ : «أعط» .
(٢) المنتظم ١٣/ ٨٦.
(٣ - ٣) فى ب ، م : «الأمراء» .
(٤) المنتظم ١٣/ ٩٠، ووفيات الأعيان ١٠/ ١٠٠.

يا نفسُ صبرًا لعلَّ الخيرَ عُقْباكِ ... خانَتْك مِن بعدِ طولِ الأمْنِ دُنْياكِ
مرَّتْ بنا سحَرًا طيْرٌ فقلتُ لها ... طُوباكِ يالَيْتَنى إيَّاكِ طُوباكِ
إن كان قصْدُكِ شرقًا فالسَّلامُ على ... شاطِى الصراةِ ابلِغى إنْ كان مَسْراكِ
مِن مُوثَقٍ بالمَنايَا لا فِكاكَ لهُ ... يبْكِى الدِّماءَ على إلْفٍ لهُ باكِى
فرُبَّ آمِنَةٍ جاءَتْ مَنيَّتُها ... ورُبَّ مُفْلِتَةٍ مِنْ بينِ أشْراكِ
أظنُّهَ آخرَ الأيامِ من عمُرِى ... وأوْشَكَ اليومَ أنْ يبْكِى لِىَ الباكِى

ولما قُدِّم ليُقتَلَ أنشأَ يقولُ[1] :

فقُلْ للشامِتينَ بنا رُوَيدًا ... أمامَكُمُ المَصائِبُ والخُطُوبُ
هوَ الدهْرُ الذى[2] لابُدَّ مِن أن ... يكونَ إليكُمُ منهُ ذُنوبُ

ثم كان ظهورُ قتْلِه للَيْلَتَيْنِ خَلَتا مِن ربيعِ الآخَرِ[3] مِن هذه السنةِ . وقد ذكَر له القاضى ابنُ خَلِّكانَ مصنَّفاتٍ كثيرةً منها[4] : « طبَقاتُ الشعراءِ » ، وكتابُ « أشْعارِ الملوكِ » ، وكتابُ « الآدابِ » ، وكتابُ « البَديعِ » ، وكتابٌ فى الغِناءِ وغيرُ ذلك . وذكَر أنَّ طائفةً مِن الأمراءِ خلَعُوا المُقْتَدِرَ ، وبايعُوه يومًا وليلةً ، ثم تمزَّقَ شملُه واخْتَفى فى بيتِ ابنِ الجصَّاصِ الجَوْهرِىِّ ، ثم ظُهِرَ عليه فقُتِل ، وصُودِرَ ابنُ الجصَّاصِ بألْفَىْ ألفِ[2] دِينارٍ ، وبَقِىَ معه سبعُمائةِ[5] ألفِ دينارٍ .

قيل : وكان أسمرَ اللونِ مَسْنُونَ[6] الوَجْهِ ، يخضِبُ بالسَّوادِ ، عاشَ خمسينَ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٩٠، ووفيات الأعيان ١٠/ ١٠٠.
(٢) سقط من : م .
(٣) فى الأصل ، ص : « الأول » .
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٧٧.
(٥) فى ب ، م : « ستمائة » .
(٦) فى ب ، م : « مدور » .

سنةً . وذكَر شيئًا مِن كلامِه وأشْعارِه ، رحِمَهُ اللَّهُ .

محمدُ بنُ الحسينِ بنِ حَبِيبٍ ، أبو حُصَيْنٍ الوادعِىُّ القاضى[1] ، صاحبُ « المُسْنَدِ » ، مِن أهلِ الكُوفَةِ ، قَدِمَ بَغْدادَ وحدَّث [٢٧٩/٨و] بها عن أحمدَ بنِ يُونُسَ اليَرْبُوعِىِّ ، ويَحْيَى بنِ عبدِ الحميدِ ، وجَنْدَلِ بنِ والقٍ[2] . وعنه ابنُ صاعِدٍ ، والنَّجَّادُ ، والمَحامِلِىُّ ، قال الدَّارقطنىُّ[3] : كان ثقةً . تُوفِّى بالكُوفَةِ فى هذه السنةِ .

محمدُ بنُ داودَ بنِ الجَرَّاحِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الكاتبُ[4] ، عمُّ الوزيرِ علىِّ بنِ عيسى ، كان مِن أعلمِ الناسِ بالأخْبارِ وأيامِ الخُلَفاءِ ، له مُصنَّفاتٌ فى ذلك . روَى عن عمرَ بنِ شَبَّةَ[5] وغيرِه . كانت وفاتُه فى ربيعٍ الأوَّلِ منها عن ثلاثٍ وخمسينَ سنةً . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٩، والمنتظم ١٣/ ٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٦١، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٧٢.

(٢) فى ص: « والى » .

(٣) المنتظم ١٣/ ٩١.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٥، والمنتظم ١٣/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٦٣، والعبر ٢/ ١٠٦، والوافى بالوفيات ٣/ ٦١.

(٥) فى ب، م: « شيبة » .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

فيها[1] غزا القاسمُ بنُ سيما الصائفةَ . وفادَى مؤنسٌ[2] الخادِمُ الأُسارَى الذين بأيْدِى الرومِ .

وحكَى ابنُ الجَوْزِىِّ عن ثابتِ بنِ سنانٍ ، أنَّه رأى فى أيامِ المُقْتَدِرِ ببغدادَ امرأةً بلا ذِراعَيْنِ ولا عضُدينِ ، وإنَّما كفَّاها مُلْصَقانِ بكَتِفَيْها ، لكن لا تعمَلُ بهما شيئًا ، وإنَّما كانت تعمَلُ برِجْلَيْها ما تعْمَلُه النساءُ بأيْدِيهِنَّ ؛ مِن الغَزْلِ[3] ومَشْطِ الرأسِ وغيرِ ذلك .

وتأخَّرَتِ الأمطارُ عن بَغْدادَ فى هذه السنةِ وارْتَفَعتِ الأسعارُ بها ، وجاءَتِ الأخْبارُ بأنَّ مَكَّةَ شرَّفها اللَّهُ تعالى ، جاءَها سيلٌ عظيمٌ بحيثُ إنَّ أركانَ البيتِ غرِقتْ مِن السيولِ ، وإنَّ زمزمَ فاضَتْ ، ولم يُرَ ذلك قبلَ هذه السنَةِ . وحجَّ بالناسِ الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِىُّ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

محمدُ بنُ داودَ بنِ علىٍّ أبو بكرٍ[4] الفَقِيهُ ابنُ الفَقِيهِ ، الظاهرىُّ ابنُ

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٣، والمنتظم ١٣/ ٩٣، والكامل ٨/ ٥٨.

(٢) فى الأصل، ص، ب، م: «يونس» وانظر مصادر التخريج.

(٣) بعده فى ب، م: «والفتل».

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦، والمنتظم ١٣/ ٩٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٦٣.

الظاهِرِىِّ ، كان عالمًا بارِعًا أدِيبًا شاعرًا فَقِيهًا ماهرًا ، وهو مصنِّفُ كتابِ « الزَّهَرَة » ، اشْتَغَل على أبيه وتَبِعَه فى مذْهبِه وما كان يسلُكُه ويختارُه مِن الطريقِ ويرتضِيه ، وكان أبوه يُحِبُّه ويُقرِّبُه ويُدْنِيه . قال رويمُ بنُ محمدٍ[1] : كنَّا يومًا عندَ داودَ إذ دخَل ابنُه محمدٌ باكيًا ، فقال : ما لَكَ ؟ فقال : إنَّ الصِّبيانَ يُلَقِّبُونَنِى : عصْفُورَ الشَّوْكِ . فضحِكَ أبوه ، فاشْتَدَّ غضَبُ ولدِه ، وقال : أنتَ أضَرُّ علىَّ منهم . فضَمَّه أبوه إليه ، وقال : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، ما الألْقَابُ إلَّا مِن السماءِ ، ما أنتَ يا بُنَىَّ إلَّا عُصْفُورُ الشَّوكِ .

ولمَّا تُوفِّى أبوه أُجْلِسَ ابنُه محمدٌ هذا فى مكانِه فى الحَلْقَةِ ، فاستَصغَره الناسُ عن ذلك ، فسأَلَه سائلٌ يومًا عن حدِّ السُّكْرِ ، فقال[2] : إذا عزَبَتْ[3] عنه الهمومُ[4] وباحَ بسرِّه المكْتُومِ . فاستُحسِن ذلك منه ، وعَظُمَ فى أعْيُنِ الناسِ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ فى المُنتظمِ[5] : وقد ابْتُلِىَ بحُبِّ صبىٍّ اسمُه محمدُ بنُ جامعٍ ، ويقالُ : محمدُ بنُ زخرفٍ . فاسْتَعمَل العفافَ والدِّينَ فى حُبِّه ، ولم يزَلْ ذلك دأبَه فيه حتى كان سبَبُ وفاتِه فى ذلك .

قلتُ : فدخَل فى الحديثِ المَرْوِىِّ عن ابنِ عباسٍ موْقُوفًا عليه ومرْفُوعًا عنه[6] :

---

(١) وتاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦، والمنتظم ١٣/ ٩٨.

(*) هنا نهاية المخطوطة السعدية والتى يرمز لها بالرمز « س » .

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦، والمنتظم ١٣/ ٩٩.

(٣) فى م : « غربت » .

(٤) فى م : « الفهوم » .

(٥) المنتظم ١٣/ ٩٩.

(٦) تقدم ص ٧١ .

« مَن عَشِقَ فكتَم ، فَعَفَّ فمات ، مات شَهِيدًا » . وقد قيل عنه : إنَّه كان يُبِيحُ العشقَ بشرطِ العَفافِ .

وحكَى هو عن نفسِه[1] أنَّه لم يزَلْ [٨/٢٧٩ظ] يتَعشَّقُ منذُ كان فى الكُتَّابِ ، وأنَّه صنَّفَ كتابَ « الزُّهَرَة » فى ذلك مِن صِغَرِه ، وربَّما وقَف أبوه داودُ على بعضِ ذلك ، وكان يتَناظرُ هو وأبو العباسِ بنُ سُريجٍ[2] كثيرًا بحضْرَةِ القاضى أبى عمرَ محمدِ بنِ يُوسُفَ ، فيتعجَّبُ الناسُ مِن مُناظَرتِهما وحُسْنِها ، وقد قال له ابنُ سُريجٍ[2] يومًا فى مُناظَرتِه : أنتَ بكتابِ « الزُّهَرَة » أشهرُ منكَ بهذا . فقال له : تُعَيِّرُنِى بكتابِ « الزهرةِ » وأنتَ لا تُحْسِنُ تَشْتِمُ[3] قراءَتَه ، وهو كتابٌ جَمعناه هَزْلًا ، فاجْمَعْ أنتَ مثلَه جِدًّا .

وقال القاضى أبو عمرَ محمدُ بنُ يوسفَ[4] : كنتُ يومًا أنا وأبو بكرِ بنُ داودَ راكِبَيْنِ ، فإذا جاريةٌ تُغنِّى بشىءٍ مِن شعرِه :

أشْكُو عليلَ[5] فؤادٍ أنت مُتْلِفُهُ ... شكْوَى عَليلٍ إلى إلْفٍ يُعَلِّلُهُ
سُقْمِى تزيدُ على الأيامِ كثْرَتُهُ ... وأنتَ فى عُظْمِ ما ألْقَى تُقَلِّلُهُ
اللَّهُ حرَّمَ قتْلِى فى الهوَى أسَفًا ... وأنتَ يا قاتِلى[6] ظُلْمًا تُحَلِّلُهُ

فقال أبو بكرٍ محمدُ بنُ داودَ : كيفَ السبيلُ إلى اسْتِرْجاعِ هذا ؟ فقلتُ :

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٠٠.
(٢) فى ص ، ب ، م ، ظ : « شريح » وانظر المنتظم ١٣/ ١٠١.
(٣) فى ب ، م : « تشتم » .
(٤) المنتظم ١٣/ ١٠٠.
(٥) فى ب ، م : « إليك » .
(٦) فى الأصل : « يا فاتنى » .

هَيْهاتَ سارتْ به الرُّكْبانُ .

كانت وفاةُ محمدِ بنِ داودَ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى ، فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وجلَس ابنُ سُريجٍ لعزَاه ، وقال[1] : ما آسَى[2] إلَّا على الترابِ الذى أكَلَ لسانَ محمدِ بنِ داودَ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شيبةَ أبو جعفرٍ[3] ، حدَّث عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ ، وعلىِّ بنِ المَدِينىِّ ، وخَلْقٍ ، وعنه ابنُ صاعدٍ ، والخُلْدِىُّ ، والباغَنْدِىُّ ، وغيرُهم ، وله كتابٌ فى التاريخِ ، وغيرُه مِن المُصَنَّفاتِ ، وقد وَثَّقَه صالِحُ بنُ محمدٍ جَزَرةُ وغيرُه ، وكذَّبَه عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ ، فقال[4] : هو كذَّابٌ بيِّنُ الأمْرِ . وتعجَّبَ (٥ ممَّنْ يروِى عنه ٥) . وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ .

محمدُ بنُ طاهرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[6] **بنِ مصعبٍ** ، مِن بيتِ الإمارةِ والحشمةِ ، باشَر نيابةَ العراقِ مدَّةً ثم خراسانَ ، ثم ظَفِرَ به يعقوبُ بنُ اللَّيْثِ فى سنةِ ثَمانٍ وخمسينَ فأسَره ، وبَقِىَ معه يطوفُ به فى الآفاقِ أربعَ سنينَ ، ثم نجا فى بعضِ الوَقعاتِ بنفْسِه ، ولم يزَلْ مُقِيمًا ببَغْدادَ إلى أن تُوفِّىَ فى هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٠١.

(٢) فى ب ، م : « أثنى » .

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢، والمنتظم ١٣/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٢.

(٤) المنتظم ١٣/ ١٠٢.

(٥ - ٥) فى الأصل : « مما يرويه » .

(٦) فى م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٧، والمنتظم ١٣/ ١٠٢، العبر ٢/ ١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٧٢، والوافى بالوفيات ٣/ ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٨.

مُوسى بنُ إسْحَاقَ بنِ موسى بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو بكرٍ الأنْصارِيُّ الخَطْمِيُّ[1]، مؤْلِدُه سنَةَ عشْرٍ ومائتَيْن، سمِع أباه وأحمدَ بنَ حنبلٍ وعليَّ بنَ الجَعْدِ وغيرَهم، وحدَّث عنه الناسُ وهو شابٌّ، وقرَءُوا عليه القرآنَ، وكان ينْتَحِلُ[2] مذْهبَ الشافِعيِّ، ووَلِى قضاءَ الرَّيِّ والأَهْوازِ، وكان ثقةً فاضلًا نبيلًا عفيفًا فصِيحًا كثيرَ الحديثِ. تُوفِّى فى المحرمِ مِن هذه السنةِ.

يوسفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ إسْماعيلَ بنِ حَمَّادِ بنِ زيْدٍ[3]، [4]والدُ القاضى[4] أبى عمرَ، [5]محمدِ بنِ يوسفَ، قاتلِ[5] الحَلَّاجِ، وكان يوسفُ بنُ يعقوبَ هذا مِن أكابرِ القضاةِ وأعيانِ العُلَماءِ، وُلِد سنةَ ثَمانٍ ومائتينِ، وسمِع سليمانَ بنَ حَرْبٍ وعمرَو بنَ مَرْزُوقٍ وهُدْبةَ ومُسَدَّدًا، وغيرَهم[5]، وكان ثقةً، وقد وَلِىَ قَضاءَ [٨/٢٨٠و] البَصْرَةِ وواسِطٍ والجانِبِ الشرقىِّ مِن بَغْدادَ، وكان ثقةً نزِهًا عفيفًا شديدَ الحُرْمَةِ، جاءَه يومًا بعْضُ خدَمِ الخليفةِ المُعْتَضِدِ، فرُفِع فى المجلسِ[6] فأمَرَه حاجِبُ القاضى أن يُساوِىَ خَصْمَه، فامْتَنَع إدْلَالًا بجاهِه عندَه فنَهَرَه القاضى، وقال[7]: ائْتُونِى بدَلَّالِ النَّخْسِ حتى أبيعَ هذا العبدَ وأبْعَثَ بثَمَنِه إلى الخليفةِ، وجاءَ حاجِبُ القاضى فأخذَه بيدِه وأجْلَسه مع خَصْمِه، فلمَّا انْقَضَتِ الحُكُومَةُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٢، والمنتظم ١٣/ ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٣١٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٢/ ٣٤٥.

(٢) فى الأصل: «يجل».

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٠، والمنتظم ١٣/ ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٨٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٣٢٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «والدراقطنى».

(٥ - ٥) فى ب، م: «وهو الذى قتل».

(٦) سقط من: ب، م.

(٧) بعده فى ب، م: «على خصمه».

(٨) المنتظم ١٣/ ١٠٤.

رجع الخادِمُ إلى المُعْتَضِدِ فبَكَى بينَ يدَيْه[1] وأخْبَره [2]بما قال[2] القاضى ، فقالَ : واللَّهِ لو باعَكَ لأجَزْتُ بيْعَه ولَمَا اسْتَرْجَعْتُكَ أبدًا ، فليسَ خُصُوصِيَّتُكَ عندِى تُزيلُ مَرْتَبَةَ الحُكْمِ[3] ؛ فإنَّه عمودُ السلْطانِ وقِوامُ الأدْيانِ . كانت وفاتُه فى رمضانَ مِن هذه السنةِ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « فقال له : مالك » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى ب ، م : « الشرع » .

ثم دخلتْ سنةُ ثمانٍ وتِسْعِينَ ومِائَتَيْنِ

فيها[1] قدِم القاسِمُ بنُ سيما مِن بلادِ الرومِ ، فدخَل بغدادَ ومعه الأُسارَى والعُلُوجُ ، بأيديهم أعلامٌ عليها صُلْبَانٌ مِن ذهَبٍ ، وخلقٌ مِن الأُسارَى .

وفيها قدِمت هدايا مِن نائبِ خُراسَانَ أحمدَ بنِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ السامانيِّ ؛ مِن ذلك مِائةٌ وعشرون غلامًا بمَراكبِهم[2] وأسلحتِهم ، وما يحتاجون إليه ، وخمسونَ بَازِيًا وخمسونَ جمَلًا تحمِلُ مِن مُرتفِعِ الثيابِ ، وخمسونَ رِطلًا مِن مِسكٍ ، وغيرِ ذلك .

وفيها فُلِج القاضى عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشَّوارِبِ ، فقُلِّد مكانَه على الجانبِ الشرقىِّ والكرْخِ ابنُه محمدٌ .

وفى شعبانَ مِنها أُخِذ رجلانِ ، يقالُ لأحَدِهما : أبو كَثيرةَ[3] والآخر يُعرَفُ بالشِّمرىِّ[4] . فذكَرا[5] أنَّهما مِن أصحابِ رجلٍ ، يقالُ له : محمدُ بنُ بشرٍ . وأنَّه يدَّعِى الرُّبوبيَّةَ .

وفيها ورَدت الأخبارُ بأنَّ الرومَ قصَدت اللَّاذقيَّةَ .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٤، والمنتظم ١٣/ ١٠٥، والكامل ٨/ ٦٠.

(٢) فى م : « بحرابهم » .

(٣) فى الأصل : « كره » ، وفى ب ، م : « كبيرة » ، وفى ظ ، ص : « كسرة » . والمثبت من المنتظم ١٣/ ١٠٦.

(٤) فى ب ، م : « السمرى » .

(٥) فى م : « فذكروا » .

وفيها ورَدت الأَخبارُ بأنَّ رِيحًا صفراءَ هبَّت بحديثةِ[1] المَوْصِلِ، فماتَ مِن حَرِّها بشرٌ كثيرٌ.

وفيها حجَّ بالناسِ الفَضلُ الهاشِمِيُّ.

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ:

ابنُ الرَّاوَنْدِىِّ[2] [3]**الزِّنديقُ أحمدُ بنُ يحيى بنِ إسحاقَ أبو الحسينِ المعروفُ بابنِ الراوندِىِّ**[3]: أحدُ مشاهيرِ الزَّنادِقَةِ [4]الملحِدين، عليه اللعنةُ مِن ربِّ العالمين[4]، كان أبُوه يهودِيًّا فأظهَر الإسلامَ، فيُقالُ: إنَّه حرَّف فى التوراةِ، كما عادَى ابنُه القُرآنَ بالقرآنِ وألْحَدَ فيه، وصنَّفَ كتابًا فى الرَّدِّ على القرآنِ سمّاه «الدَّامِغَ». وكتابًا فى الرَّدِّ على الشريعةِ والاعتراضِ عليها سمّاه «الزُّمُرُّدَ»[5]. وله كتابُ «التّاجِ» فى معنى ذلك، وله كتابُ «الفريدِ»، وكتابُ «إمامَةِ المَفْضُولِ»[6].

وقد انتصَبَ للرَّدِّ على[7] كتُبِه هذه جماعةٌ؛ منهم الشيخُ أبو علىٍّ محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ الجُبَّائىُّ[8] شيخُ المُعْتَزلةِ فى زمانِه، وقد أجادَ فى ذلك، وكذلك ولَدُه

---

(١) فى م: «بمدينة». وحديثة الموصل: بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقى. معجم البلدان ٢/ ٢٢٢.

(٢) المنتظم ١٣/١٠٨ وفيه: «ابن الريوندى»، ووفيات الأعيان ١/ ٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٩، والعبر ٢/ ١١٦، وفيهما: «ابن الريوندى»، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٨٤.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

(٥) فى ب، م: «الزمردة».

(٦) بعده فى ب، م: «الفاضل».

(٧) فى الأصل، ب، ص، ظ: «عليه فى».

(٨) فى الأصل: «الجيانى»، وفى ب: «الجيابى»، وفى ظ: «الحنابى». وانظر تاريخ الإسلام، المصدر السابق ص ٨٧.

أبو هاشمٍ عبدُ السلامِ بنُ أبى علىٍّ ، قال الشيخُ أبو علىٍّ الجُبّائىُّ[1] : قرأتُ كتابَ المُلحِدِ الجاهلِ السَّفِيهِ ابنِ الراوَنْدِىِّ ، فلم أجِدْ فيه إلّا السَّفَهَ والكَذِبَ والافْتِراءَ . قال[1] : وقد وضَع كتابًا فى قِدَمِ العالمِ ونَفْيِ الصانعِ ، وتَصحيحِ مَذهَبِ الدَّهْرِيَّةِ[2] والردِّ على أهلِ التوحيدِ ، ووضَع [٨/٢٨٠ظ] كتابًا فى الرَّدِّ على محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى سبعةَ عشَرَ موضِعًا [3]مِن كتابِه[3] ، ونسَبه إلى الكذِبِ[4] ، وطعَن على القرآنِ ، ووضَع كتابًا لليهودِ والنصارَى [5]وفَضَّل دِينَهم[5] على المسلمين ؛ يَحتَجُّ لهم فيها على إبطالِ نُبوَّةِ محمدٍ ﷺ ، إلى غيرِ ذلك مِن الكُتُبِ التى تُبَيِّنُ خروجَه عن الإسلامِ . نقلَه ابنُ الجوزِىِّ عنه[6] .

وقد أورَد ابنُ الجوزِىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[7] طرَفًا مِن كلامِه وزَنْدَقتِه وطعنِه على الآياتِ والشريعةِ . ورَدَّ عليه فى ذلك ، وهو أقلُّ وأخَسُّ [8]وأذَلُّ مِن أن[8] يُلتفَتَ إليه ، وإلى جَهلِه وكلامِه وهَذَيانِه وسفَهِه [9]وخِذلانِه[9] وتمويهِه [9]وترويجِه وطُغيانِه[9] .

وقد أُسنِد إليه حكاياتٌ مِن المَسْخَرَةِ[10] والاستِهتارِ[11] والكُفْرِ والكبائرِ[11] ؛ منها ما هو صحيحٌ عنه ، ومنها ما هو مُفْتَعَلٌ عليه ممَّن هو مثلُه ، وعلى طريقِه ومَسلكِه

---

(١) المنتظم ١٣/ ١١١.
(٢) فى الأصل ، ص ، ظ : « الدهر » .
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤) بعده فى م : « يعنى النبى ﷺ » .
(٥ - ٥) زيادة من : ب ، م .
(٦) المنتظم ١٣/ ١١١.
(٧) المصدر السابق ١٣/ ١١٢- ١١٧.
(٨ - ٨) فى الأصل ، ص : « ممن » .
(٩ - ٩) سقط من : ب ، م .
(١٠) فى الأصل ، ص ، ظ : « المزغرة » .
(١١ - ١١) فى الأصل ، ص ، ظ : « الكفريات والكبار » .

فى الكفرِ والتستُّرِ بالمَسْخَرَةِ ، [1]وقد[1] قال اللَّهُ تعالى فيهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥، ٦٦] .

وقد كان أبو عيسى الوَرّاقُ مُصاحِبًا لابنِ الراوَنْدِىِّ ، قبَّحهما اللَّهُ ، فلمّا علِم الناسُ بأمرِهما طلَب السلطانُ أبا عيسى ، فأُودِع السِّجنَ إلى أن مات ، وأمّا ابنُ الرَّاوَنْدِىِّ فهرَب ، ولجأ إلى ابنِ لاوِى اليهودِىِّ ، وصنَّف له - فى مدَّةِ مُقامِه عنده - كتابَه الذى سمّاه « الدَّامِغَ للقرآنِ » فلم يلبَثْ بعدَه إلَّا أيَّامًا يسيرةً حتى مات ، [2]لعَنه اللَّهُ[2] . ويقالُ[3] : إنَّه أُخِذ وصُلِب .

قال أبو الوفاءِ بنُ عَقيلٍ[3] : ورأَيتُ فى كتابٍ مُحَقَّقٍ أنَّه عاش سِتًّا وثلاثينَ سنةً ، مع ما انتَهى إليه مِن التَّوَغُّلِ فى المَخازِى[4] ، لعَنه اللَّهُ وقبَّحه ، ولا رحِم عِظامَه .

وقد ذكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ »[5] ودلَّس[6] عليه ، ولم يُجرِّحْه[7] بشَىءٍ [8]ولا كأنَّ الكلبَ أكَل له عجِينًا ، على عادتِه فى العلماءِ والشعراءِ ؛ فالشعراءُ يُطيلُ تراجمَهم ، والعلماءُ يذكُرُ لهم ترجمةً يسيرةً[8] ،

(١ - ١) فى ب ، م : « يخرجونها فى قوالب مسخرة ، وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة ، وهذا كثير موجود فيمن يدعى الإسلام وهو منافق ، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه وهؤلاء ممن » .

(٢ - ٢) فى ب : « إلى النار » .

(٣) المنتظم ١٣/ ١١٧، بنحوه .

(٤) بعده فى ب ، م : « فى هذا العمر القصير » .

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٩٤.

(٦) فى ب ، م ، ظ : « قلس » ، وفى ص : « ملس » .

(٧) فى ب ، م ، ص ، ظ : « يخرجه » .

(٨ - ٨) زيادة من : ب ، م .

[1] والزنادقةُ يترُكُ ذكْرَ زندقَتِهم [1] ، وأرَّخَ [2] وفاتَه فى سنةِ خمسٍ وأربعين ومِائتين [1] وقد وَهِم وهْمًا فاحِشًا ، والصحيحُ أنَّه تُوفِّى فى هذه السنةِ ، كما أرَّخه ابنُ الجوزىِّ وغيرُه [1] .

[3] **الجُنَيدُ شيخُ الصوفيةِ ، رحِمه اللَّهُ** [3] ، الجُنَيْدُ بنُ محمدِ بنِ الجُنَيْدِ ، أبو القاسِمِ الخَزَّازُ ، ويُقالُ : القَوارِيرِىُّ . أصلُه مِن نَهاوَنْدَ ، ووِلِد ببغدادَ ، ونشَأ بها . وسمِع الحديثَ مِن الحسَنِ [4] بنِ عَرفَةَ . وتفقَّه بأبى ثَوْرٍ إبراهيمَ بنِ خالدٍ الكَلْبِىِّ ، وكان يُفْتِى بحَضْرَتِه وعمرُه عشرونَ سنةً ، وقد ذكَرْناه فى « طَبَقاتِ الشافِعيَّةِ » ، واشتُهِر بصُحْبَةِ الحارثِ [5] بنِ أسدٍ [5] المحاسِبىِّ ، وخالِه [6] سَرِىِّ السَّقَطِىِّ ، ولازَم التعبُّدَ [7] ، وتكلَّم على طريقةِ التصوُّفِ . وكان وِرْدُه فى كلِّ يومٍ ثلاثَمائةِ ركْعَةٍ ، وثَلاثِين ألفَ تَسبِيحَةٍ . ومكَث أربعين سنةً لا يأْوِى إلى فِراشٍ [8] ، وكان [9] مع ذلك [9] يعرِفُ سائرَ فُنونِ العلمِ ، رحِمه اللَّهُ [10] .

(١ - ١) ليست فى : الأصل ، ص ، ظ .

(٢) بعده فى ب ، م : « ابن خلكان تاريخ » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ١٥٥ ، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١ ، وصفة الصفوة ٢/ ٤١٦ ، والمنتظم ١٣/ ١١٨ ، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١١٨ ، وطبقات الشافعية ٢/ ٢٦٠ .

(٤) فى م : « الحسين » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠ .

(٦) سقط من : ب ، ظ .

(٧) بعده فى ب ، م : « ففتح اللَّه عليه بسبب ذلك علومًا كثيرة » .

(٨) بعده فى ب ، م : « ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره فى زمانه » .

(٩ - ٩) سقط من : ب ، م .

(١٠) بعده فى ب ، م : « وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة ، حتى كان يقول فى المسألة الواحدة وجوها كثيرة لم تخطر للعلماء ببال ، وكذلك فى التصوف وغيره » .

ولمّا حضرَتْه الوفاةُ جعَل[1] يتلُو القرآنَ ، فقِيلَ له[2] : لو رفَقتَ بنفسِكَ[3] . فقال : ما أحدٌ أحوَجَ إلى ذلك مِنِّى الآنَ ، وهذا أوانُ طَىِّ صحِيفَتِى .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : أخَذَ الفِقْهَ عن أبى ثَوْرٍ صاحبِ الشافعىِّ ، ويقالُ : كان يتفقَّهُ على مذهبِ سفيانَ الثَّورِىِّ . وكان ابنُ سُرَيجٍ[5] يَصْحَبُه ويُلازِمُه[6] .

قال[4] : وسُئِل الجُنَيْدُ عن العارفِ ، فقال : مَن نطَق عن سِرِّك وأنتَ ساكتٌ . وكان يقولُ[7] : مذهَبُنا هذا مُقيَّدٌ بالكتابِ [٨/٢٨١و] والسنَّةِ ، [8]فمَن لم يقرَأِ القرآنَ ، ويكتُبِ الحديثَ لا يُقْتَدى به فى مذهبِنا وطريقتِنا[8] . ورأَى بعضُهم معه سُبْحَةً ، فقيل له[9] : أنتَ مع شَرفِكَ تتَّخِذُ سُبحةً ؟ فقال : طريقٌ وصَلتُ به إلى اللَّهِ لا أُفارِقُه .

---

(١) فى الأصل : « جعلوا » وبعده فى ب ، م : « يصلى و » .
(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٨، والمنتظم ١٣/ ١١٩.
(٣) بعده فى ب ، م : « فى مثل هذا الحال » .
(٤) وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣.
(٥) فى م : « سريح » ،وفى ص ، ظ : « شريح » .
(٦) بعده فى ب ، م : « وربما استفاد منه أشياء فى الفقه لم تخطر له ببال ، ويقال : إنه سأله مرة عن مسألة ، فأجابه فيها بجوابات كثيرة ، فقال : يا أبا القاسم ، ألم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت ؟ فأعدها على . فأعادها بجوابات أخرى كثيرة ، فقال : واللَّه ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده . فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك ، فقال له : لم أسمع بمثل هذا فأمله على حتى أكتبه . فقال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه ، أى : إن اللَّه هو الذى يجرى ذلك على قلبى وينطق به لسانى ، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلُّم ، وإنما هذا من فضل اللَّه ، عز وجل ، يلهمنيه ويجريه على لسانى . فقال : فمن أين استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى اللَّه أربعين سنة . والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثورى وطريقه . واللَّه أعلم » .
(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، وتاريخ بغداد ٧/٢٤٣ بنحوه .
(٨ - ٨) ليست فى : الأصل ، ص ، ظ .
(٩) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٥، وطبقات الأولياء ص ١٢٨.

وقال له خالُه السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ[1] : تكلَّمْ على الناسِ . فلم يَرَ نفسَه لذلك مَوْضِعًا ، فرأَى فى المنامِ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو يقولُ له : تكلَّمْ على الناسِ . فغَدا على خالِه ، فقال له خالُه : لم تُصدِّقْنا[2] حتى [3]قيل لك[3] . قال : فتكلَّمَ على الناسِ ، فجاءَه يومًا شابٌّ نصرانيٌّ فى صورةِ مسلمٍ ، فقال له : يا أبا القاسمِ ، ما معنَى قولِ النبيِّ ﷺ : « اتَّقوا فِراسةَ المؤمِنِ ؛ فإنَّه ينظُرُ بنورِ اللَّهِ »[4] ؟ قال : فأطرَقْتُ ، ثم رفَعتُ رأسى إليه فقلتُ له : أَسْلِمْ فقد آنَ وقتُ إسلامِك . قال : فأسلَم الغلامُ . وقال الجُنَيْدُ[5] : ما انتفَعتُ بشىءٍ كانتفاعى بأبياتٍ سمِعتُها مِن جاريةٍ تُغَنِّى بها فى غُرفَةٍ وهى تقولُ :

إذا قلتُ : أهْدَى [6]الهَجْرُ لى[6] حُلَلَ البِلَى ... تقُولينَ : لولا الهجْرُ لم يَطِبِ الحُبُّ

وإن قلتُ : هذا القلْبُ أَحْرَقَه الجَوَى ... [7]تقولى بنيرانِ[7] الجَوى شَرُف القلبُ

وإن قلتُ : ما أذْنَبْتُ قلتِ[8] مُجِيبَةً : ... حياتُكَ ذنْبٌ لا يُقاسُ به ذَنْبُ

قال : فصَعِقْتُ وصِحتُ ، فخرَج صاحبُ الدارِ ، فقال : يا سيِّدى ما لَكَ ؟ قلتُ : ممَّا سمِعتُ . فقال : هى هِبَةٌ مِنِّى إليك . فقلتُ : قد قَبِلْتُها وهى حُرَّةٌ لوَجْهِ اللَّهِ . ثم زوَّجتُها لرجلٍ ، فأولَدها ولدًا صالحًا حجَّ على قدَمَيْه ثلاثينَ حَجَّةً[9] .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣، ٣٧٤، وطبقات الأولياء ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) فى ب ، م : « تسمع منا » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « قال لك رسول الله ﷺ » .

(٤) الترمذى (٣١٢٧) ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٠٧) .

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٣٧٤.

(٦ - ٦) فى الأصل : « الجهر » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص ، ظ : « تقولين نيران » ، وفى ب ، م : « تقولين لى إن » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) فى النسخ : « قالت » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٩) بعده فى ب ، م : « وفيها توفى » .

سعيدُ بنُ إسْماعيلَ بنِ سعيدِ بنِ مَنْصُورٍ ، أبو عُثْمانَ الواعِظُ[1] وُلِد بالرَّىِّ ، ونشَأَ بها ، ثم انتقَل إلى نيسابُورَ فسكَنها إلى أن مات بها ، وقد دخَل بغدادَ ، ويقالُ[2] : إنَّه كان مُجابَ الدعوةِ .

قال الخطيبُ[3] : أخْبَرنا عبدُ الكَريمِ بنُ هَوازِنَ ، قال : [4] سمِعتُ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيَّ يقولُ : سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ الشَّعرانيَّ يقولُ : [4] سمِعتُ أبا عثمانَ يقولُ : منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَنِى اللَّهُ فى حال فكرِهتُه ، ولا نقَلنِى إلى غيرِه فسخِطتُه .

وكان أبو عُثمانَ يُنشِدُ[5] :

أسأتُ ولم أُحسِنْ وجِئْتُكَ هارِبًا ... وأينَ لعبدٍ مِن مَوالِيهِ مَهْرَبُ ؟
يُؤَمِّلُ غُفْرانًا ، فإنْ خابَ ظنُّه ... فما أحَدٌ مِنه على الأرضِ أخْيَبُ

وروَى الخطيبُ عنه أنه سُئِل[6] : أىُّ أعمالِك أرْجَى عندَك ؟ فقال : إنِّى لمَّا تَرعْرَعْتُ وأنا بالرَّىِّ [7] وكانوا يريدُونَنِى علىَّ التَّزويجِ[7] فأمتنِعُ ، فجاءَتْنى امرأةٌ فقالتْ : يا أبا عُثْمانَ ، قد أحْبَبْتُكَ حُبًّا أذْهَبَ نوْمِى وقَرارِى ، وأنا أسألُك بمقَلِّبِ القُلوبِ ، [8] وأتوسَّلُ به إليك[8] لَمَا تزوَّجتَنى . فقلتُ : ألَكِ والدٌ ؟ قالتْ : نعَم .

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٩٩، والمنتظم ١٣/ ١١٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٤٩.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٠٠، والمنتظم ١٣/ ١٢٠.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٠١.
(٤ - ٤) سقط من النسخ والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ١٠١.
(٥) المنتظم ١٣/ ١٢١.
(٦) تاريخ بغداد ٩/ ١٠١.
(٧ - ٧) فى الأصل، ب، ص، ظ: «كنت أخطب لأزوج».
(٨ - ٨) سقط من: الأصل، ب، ص، ظ.

فأحضَرتْه ، فاستدعَى بالشهودِ فتزوَّجتُها ، فلمّا خلَوْتُ بها إذا هى عَوْراءُ ، عَرْجاءُ[1] ، مُشَوَّهَةُ الخَلْقِ ، فقلتُ : اللهُمَّ لك الحمدُ على ما قدَّرْتَه لى . وكان أهلُ بيتى يلومونَنى على تزويجِى بها ، فكُنتُ أزِيدُها بِرًّا وإكرامًا ، ورُبَّما احتبَسْتُنى عندَها ، ومنَعتْنِى مِن الحُضورِ إلى بعضِ المجالسِ ، وكأنِّى[2] فى بعضِ أوقاتِى على الجَمرِ ، وأنا لا أُبدِى لها مِن ذلك شيئًا ، فمكَثْتُ كذلك خَمْسَ عشْرَةَ سنةً ، [3]فما شىءٌ[3] أرجَى عندِى مِن حفظِى عليها ما كان فى قلبِها مِن جِهَتِى[4] .

سَمنُونُ بنُ حَمْزَةَ[5] ، ويقالُ : ابنُ عبدِ اللَّهِ ، أحدُ مشايخِ الصوفِيَّةِ ، كان وِرْدُه فى كلِّ يومٍ [٢٨١/٨ظ] وليْلةٍ خَمْسَمائَةِ ركْعَةٍ ، وسمَّى نفْسَه سَمنونًا الكذَّابَ [6]لدعواه فى قوله[6] :

فليْسَ لى فى سِواكَ حَظٌّ ... فكَيْفَما شئتَ فامتحِنِّى

فابْتُلِىَ بعِسارِ[7] البولِ ، فكانَ يدورُ على المكاتِبِ ويقولُ للصِّبْيانِ : ادعُوا لعَمِّكُم الكذّابِ . وله كلامٌ متينٌ فى المحبَّةِ ، ووُسوِسَ فى آخرِ عمرِه ، وله كلامٌ فى المحبَّةِ مستقيمٌ[8] .

---

(١) بعده فى م : « شوهاء » .

(٢) بعده فى ب ، م : « كنت » .

(٣ -٣) فى الأصل : « فهى » .

(٤) بعده فى ب ، م : « وفيها توفى » .

(٥) طبقات الصوفية ص ١٩٥، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤، والمنتظم ١٣/ ١٢١، وصفة الصفوة ٢/ ٤٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٥٦.

(٦ - ٦) فى ب ، م : « لقوله » . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٥، والمنتظم ١٣/ ١٢١.

(٧) فى الأصل : « بحصار » ، وفى ب : « بعصار » .

(٨) بعده فى الأصل ، ص ، ظ : « كما كان » وبعده .

صافى الحُرَمِىُّ[1] ، كان مِن أَكابرِ أمراءِ الدولةِ العباسِيَّةِ [2]ورءوسِ الدولةِ المُقتدرِيَّةِ[2] ، أوصَى فى مرَضِه أن ليس له عندَ غُلامِه القاسمِ شىءٌ ، فلمَّا تُوفِّى حمَل غلامُه القاسِمُ إلى الوزيرِ مِائةَ ألفِ دِينارٍ وسَبعَمائةٍ وعِشرِين مِنْطَقةً مِن ذهبٍ مُكَلَّلَةً ، فاستَمرَّ غلامُه على إمْرَتِه ومنزلَتِه .

إسحَاقُ بنُ حُنَيْنِ بنِ إسحاقَ أبو يَعقوبَ العِبادِىُّ[3] ، نِسْبَةً إلى قبائلِ الحيرة[4] ، الطبيبُ بنُ الطبيبِ ، له ولأبِيه مُصنَّفاتٌ كثيرةٌ فى هذا الفَنِّ ، وكان أبوه يُعرِّبُ كلامَ أرُسْطاطالِيسَ[5] وغيرِه مِن حُكَماءِ اليونانِ . تُوفِّى فى هذه السنَةِ .

الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زكَرِيَّا أبو عبدِ اللَّهِ الشِّيعِىُّ[6] ، الذى أقام الدعوةَ للمَهْدِىِّ ؛ وهو [7]عبيدُ اللَّهِ[7] بنُ مَيْمُونَ الذى يزْعُمُ أنَّه فاطِمِىٌّ ، وقد زعَم غيرُ واحدٍ مِن أهلِ التاريخِ أنَّه كان يهودِيًّا صبَّاغًا بسَلَمْيَةَ ، والمقصودُ الآنَ أنَّ أبا عبدِ اللَّهِ الشِّيعِىَّ هذا دخَل بلادَ إفْرِيقِيَّةَ وحدَه لا مالَ معه ولا رِجالَ ، فلم يزَلْ يُعمِلُ الحِيلَةَ حتى انْتزَعَ المُلْكَ مِن يَدِ أبى مُضَرَ[8] زِيادَةِ اللَّهِ ، آخرِ ملُوكِ بنى الأغْلَبِ على بلادِ إفْرِيقِيَّةَ ، واسْتَدْعَى حِينَئذٍ مخْدُومَه المَهْدِىَّ مِن بلادِ الشرقِ ،

---

(١) فى ب ، م : « الحربى » ، وفى ص : « الحزمى » . وانظر ترجمته فى : الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٥٣، والمنتظم ١٣/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٦١، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٤٥، وتبصير المنتبه ١/ ٣٢٧.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) طبقات الأطباء والحكماء ص ٦٨، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٧٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٠٧.

(٤) فى النسخ « الجزيرة » والتصحيح من وفيات الأعيان وغيره . والمراد : قبائل « العِباد » بالحيرة .

(٥) فى ب ، م : « أرسططاليس » ، وفى ص ، ظ : « أرسطاليس » .

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٨، ونهاية الأرب ، ٢٤/ ١٥٤، والعبر ٢/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٣٣.

(٧ - ٧) فى م : « عبد الله » .

(٨) فى ب ، م : « نصر » .

فقَدِمَ فلم يَخلُصْ إليه إلَّا بعدَ شدائدَ طِوالٍ ، وحُبِسَ فى أثْناءِ الطريقِ ، فاسْتَنْقَذَه الشِّيعِىُّ وسلَّمه المَملَكةَ[1] ، فنَدَّمَه أخوه أحمدُ وقال له : ماذا صنَعْتَ ؟ وهَلَّا كنتَ [2]اسْتَبَدَدْتَ بالأمرِ دونَ هذا ؟ فنَدِم وشرَع يُعمِلُ الحيلَةَ فى[3] المَهْدِىِّ ، فاسْتَشْعَرَ المهدىُّ[2] بذلك فدَسَّ إليهما مَن قتَلهما فى هذه السنَةِ بمدينةِ رَقّادَةَ[4] مِن بلادِ القَيْروانِ ، مِن إقْليمِ إفرِيقيَّةَ . هذا مُلَخَّصُ ما ذكَره ابنُ خَلِّكانَ .

---

(١) فى ب ، م : « من الهلكة » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ص : « ففهم » ، وفى ب : « على » .

(٤) بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال . معجم البلدان ٢/ ٧٩٧.

ثم دخلتْ سنَةُ تِسْعٍ وتِسْعِين ومائتين

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وفيها ظهَرتْ ثلاثة كواكبَ مُذَنَّبَةٍ ؛ أحدُها فى رمضانَ ، واثنان فى ذى القَعْدَةِ ، تبْقَى أيامًا ثم تَضْمَحِلُّ .

وفيها وقَع طاعونٌ بأرضِ فارِسَ ماتَ بسببِه سبعةُ آلافِ إنْسانٍ .

وفيها غضِب الخليفةُ على الوزيرِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الفُراتِ ، وعزَله عنِ الوزارةِ ، وأمَر بنَهْبِ دارِه فنُهِبَتْ أقْبَحَ نهْبٍ ، واسْتَوْزَرَ أبا علىٍّ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ ابنِ يَحْيى بنِ خاقانَ ، وكان قد الْتزَمَ لأمِّ ولدِ المقتدرِ[2] بمائةِ ألفِ دِينارٍ ، حتى سعَتْ فى وِلايَتِه .

وفيها ورَدت هدايا كثيرةٌ مِن الأقاليمِ مِن ديارِ مصرَ وخُراسانَ وغيرِها ؛ مِن ذلك خَمْسُمائةِ ألفِ دِينارٍ مِن الديارِ المصريةِ ، اسْتُخرِجَتْ مِن كَنْزٍ وُجِدَ هناك مِن غيرِ مَوانِعَ ، كما يدَّعِيه كثيرٌ مِن جهلَةِ [3]بنى آدمَ ، حِيلةً و[3] مَكْرًا وخَدِيعةً ؛ ليأْكلُوا أمْوالَ [4]الأغشامِ والجهَلَةِ الطَّغامِ مِن قليلى العقولِ والأحلامِ[4] ، وقد وُجِدَ فى هذا الكَنْزِ ضِلَعُ إنسانٍ طولُه أربعةُ أشْبارٍ وعرضُه [٨/٢٨٢و] شِبْرٌ ، وذُكِر أنَّه مِن قومِ عادٍ ، فاللَّهُ أعلمُ . وكان مِن جُمْلةِ هَدِيَّةِ مصرَ تَيْسٌ له ضَرْعٌ يحلُبُ لبَنًا ، ومِن

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٢٤. وانظر تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٥، والكامل ٨/ ٦٣.

(٢) فى م : « المعتضد » . وانظر الكامل ٨/ ٦٣، ٦٤.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « العوام وغيرهم من ضعيفى الأحلام » .

(٤ - ٤) فى م : « الطغام والعوام أهل الطمع والآثام » .

ذلك بِساطٌ أرْسَله[1] ابنُ أبى الساجِ - فى جملةِ هداياه - طولُه سبعونَ ذِراعًا وعرضُه ستُّونَ ذِراعًا ، عُمِل فى عَشْرِ سِنينَ ، لا قِيمةَ له ، وهدايا فاخِرَةٌ ، أرْسَلَها أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ السامانىُّ مِن بلادِ خُراسانَ ، كثيرةٌ جدًّا .

وحَجَّ بالناسِ فيها الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشمىُّ أميرُ الحَجِيجِ مِن مدةٍ طويلةٍ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ نَصْرِ بنِ إبراهيمَ ، أبو عمرٍو الخفَّافُ[2] الحافِظُ ، كان يُذاكِرُ بمِائةِ ألفِ حديثٍ ، سمِع إسحاقَ بنَ راهوَيهِ وطبقَتَه ، وكان كثيرَ الصيامِ ؛ سَرَدَه نَيِّفًا وثلاثينَ سنةً ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ ؛ سألَه سائلٌ فأعْطاه دِرْهمينِ ، فحمِدَ اللَّهَ ، فجعَلها خمسةً ، فحمِد اللَّهَ فجعَلها عَشَرةً ، ثم ما زالَ يزيدُه ويحمَدُ السائلُ اللَّهَ حتى جعَلها مِائةً ، فقال : جعَل اللَّهُ عليكَ واقِيَةً باقِيَةً . فقال للسائلِ : واللَّهِ لو لزِمْتَ الحمدَ لأزِيدَنَّكَ ، ولو إلى عشَرَةِ آلافِ درهمٍ .

البُهْلُولُ بنُ إسحاقَ بنِ البُهلُولِ بنِ حسَّانَ بنِ سِنَانٍ ، أبو محمدٍ التَّنُوخِىُّ[3] ، سمِع إسماعيلَ بنَ أبى أُوَيْسٍ ، وسعيدَ بنَ منصورٍ ، ومُصْعَبًا الزُّبَيْرِىَّ وغيرَهم ، وعنه جماعةٌ آخِرُهم أبو بكرٍ الإسْماعِيلىُّ الجُرْجانىُّ الحافظُ . وكان ثقةً حافِظًا ضابِطًا بلِيغًا فصِيحًا فى خُطَبِه ، تُوفِّى فيها عن خمسٍ وتسعينَ سنةً رحِمه اللَّهُ ، آمين .

---

(١) بعده فى الأصل : « إلى » .

(٢) الجرح والتعديل ٢/ ٧٩، والمنتظم ١٣/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٧٨.

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ١٠٩، والمنتظم ١٣/ ١٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١١٢، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢٨.

الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، أبو عليٍّ الخِرَقِيُّ[1] صاحِبُ « المُخْتَصَرِ » فى الفِقْهِ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ . كان خليفةً للمَرُّوذِيِّ . تُوفِّى يومَ عيدِ الفطرِ ، ودُفِن عندَ قبرِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ .

محمدُ بنُ إسماعيلَ ، أبو[2] **عبدِ اللَّهِ المغربيُّ**[3] ، حجَّ على قدمَيْه سبعًا وتسعينَ حَجَّةً ، وكان يَمْشِى فى الليلِ المُظْلِمِ حافِيًا ، كما يَمْشِى الرجلُ فى ضوءِ النهارِ ، وكان المُشَاةُ يأْتَمُّون به فيُرْشِدُهم إلى الطريقِ ، وقال : ما رأيْتُ ظُلمةً منذُ سِنينَ كثيرةٍ . وكانت قدماه مع كثرةِ مشيِه كأنَّهما قدما عَرُوسٍ مُتْرَفَةٍ ، وله كلامٌ مَلِيحٌ نافعٌ ، ولمَّا ماتَ أوْصَى أن يُدفَنَ إلى جانبِ شيخِه عليِّ بنِ رزينٍ ، فهما على جَبَلِ الطورِ .

محمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ أبى خَيْثَمَةَ[4] ، أبو عبدِ اللَّهِ ، الحافِظُ بنُ الحافظِ ، كان أبوه يَسْتَعِينُ به فى جمعِ التاريخِ ، وكان فَهِمًا حاذِقًا حافِظًا ، تُوفِّى فى ذى القَعدةِ منها .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ كَيْسانَ النحوىُّ[5] ، أحدُ حُفَّاظِه والمكثرين منه ، كان يحفَظُ طريقةَ البَصْرِيِّينَ والكُوفِيِّينَ معًا ، قال ابنُ مُجاهِدٍ[6] : كان ابنُ كيسانَ أنْحَى مِن الشيخين ؛ المُبرِّدِ وثَعْلَبٍ .

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٥٩، والمنتظم ١٣/ ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٣، وطبقات الفقهاء ص ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٣٧.

(٢) بعده فى ص : « على » .

(٣) طبقات الصوفية ص ٢٤٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥، والمنتظم ١٣/ ١٢٨، وطبقات الأولياء ص ٤٠٢، والمنتظم ١٣/ ١٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٥٣.

(٤) فى م : « خثيمة » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١/ ٣٠٣، والمنتظم ١٣/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤٢، والعبر ٢/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٤٦. وقد ذكره الخطيب البغدادى، والذهبى فى وفيات سنة ٢٩٧هـ.

(٥) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٣، وتاريخ بغداد ١/ ٣٣٥، والمنتظم ١٣/ ١٣٠، ومعجم الأدباء ١٧/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٢٤٧، والوافى بالوفيات ٢/ ٣١.

(٦) طبقات النحويين واللغويين ١٥٣، والمنتظم ١٣/ ١٣٠.

محمدُ بنُ يَحْيَى أبو سعيدٍ[1] ، سكَن دِمَشْقَ ، روَى عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ الجَوْهَرِيِّ ، وأحمدَ بنِ منيعٍ ، وابنِ أبى شَيْبَةَ وغيرِهم ، روَى عنه أبو بكرٍ النَّقَّاشُ وغيرُه ، وكان محمدُ بنُ يحيى هذا يُدْعَى بحاملِ كفَنِه ، وذلك ما ذكَره الخطيبُ ، قال[2] : بلَغَنى أنَّه تُوفِّى فغُسِّلَ وكُفِّنَ وصُلِّى عليه ودُفِن ، فلمَّا كان الليلُ جاءَ نبَّاشٌ ليَسْرِقَ كفنَه ، ففتَح عليه قبرَه ، فلمَّا حلَّ عنه كفَنَه اسْتَوَى جالِسًا ، وفرَّ النَّبَّاشُ هارِبًا مِن الفزَعِ ، ونهَض محمدُ بنُ يَحيى هذا فأخَذ كفنَه معه ، وخرَج مِن القبرِ ، وقصَد منزلَه ، فوجَد أهلَه يبْكُون عليه ، فدقَّ عليهم البابَ ، فقالُوا : مَن هذا ؟ فقال : أنا فلانٌ . فقالُوا : يا هذا لا يحِلُّ لك أن تَزِيدَنا حُزْنًا إلى حزنِنا . فقال : افْتَحُوا ، واللَّهِ أنا فلانٌ . فعرَفُوا صوْتَه ، فلمَّا رأَوْه فرِحُوا به فرَحًا شديدًا ، وأبْدَلَ اللَّهُ حُزْنَهم سُرورًا ، ثم ذكَر لهم ما كان مِن أمْرِه وأمرِ النَّبَّاشِ . وكأنَّه قد أصابَتْه سكْتَةٌ ولم يكُنْ قد ماتَ حقيقةً ، فقَدَّرَ اللَّهُ بحَوْلِه وقوَّتِه أن بعَث هذا النَّبَّاشَ ففتَح عليه قبرَه ، فكان ذلك سببَ حَياتِه ، فعاشَ بعدَ ذلك عدَّةَ سنين ، ثم كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ .

فاطِمَةُ القهْرمانةُ[3] ، غَضِب عليها المُقْتَدِرُ مرَّةً فصادَرَها ، وكان فى جملةِ ما أخَذ منها مائتا ألفِ دِينارٍ ثم غرِقَتْ فى طيارةٍ[4] لها فى هذه السنةِ .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٣، والمنتظم ١٣/ ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٤٢٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٤.

(٣) المنتظم ١٣/ ١٢٧.

(٤) الطيارة : من أنواع السفن ، أخذت اسمها من ميزتها الموصوفة بسرعة الحركة . معجم المصطلحات والألقاب التاريخية : ٣١١.

[٩/١ظ] ثم(*) دخلتْ سنةُ ثلاثمائةٍ مِن الهِجْرَةِ النبويّةِ

فيها[١] كثُر ماءُ دِجْلَةَ وتراكَمتِ الأمْطارُ ببغدادَ ، وتناثَرتْ نجومٌ كثيرةٌ فى ليلةِ الأرْبعاءِ لسَبْعٍ بَقِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ .

وفيها كثُرَتِ الأمراضُ ببَغدادَ والأسْقامُ والآلامُ وكَلِبَتِ الكلابُ ، حتى الذِّئابُ بالبادِيَةِ ، وكانت تقْصِدُ الناسَ والبهائمَ بالنهارِ ، فمَن عضَّتْه أهلكَتْه[٢] .

وفيها انْحَسَر جبَلٌ بالدِّينَورِ يُعرَفُ بالتلِّ ، فخرَج مِن تحتِه ماءٌ عظيمٌ غرَّق عدَّةً مِن القُرَى .

وفيها سقَطَتْ شِرْذِمَةٌ[٣] مِن جبلِ لُبْنانَ إلى البحرِ .

وفيها حمَلتْ بغْلَةٌ ووضَعت مُهْرَةً .

وفيها صُلِب الحسينُ بنُ منصورٍ الحلَّاجُ وهو حىٌّ أربعةَ أيامٍ ؛ يَوْمَيْن فى الجانِب الشرقِىِّ ، ويومين فى الجانبِ الغربىِّ ، وذلك فى ربيعِ الأوَّلِ منها .

وحَجَّ بالناسِ أميرُ الحجيجِ المتقدِّمُ ذكْرُه فى السنينَ قبلَها ، وهو الفَضْلُ بنُ

(*) من هنا يبدأ الجزء التاسع من المخطوط الأحمدية المشار إليها برمز : الأصل .

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٦، والمنتظم ١٣/ ١٣٢، والكامل ٨/ ٧٤.

(٢) فى ب ، م : « أكلبته » .

(٣) بعده فى م : « أى قطعة » .

عبدِ الملك الهاشِمِيُّ العباسِيُّ أثابَه اللَّهُ، وتقبَّلَ منه.

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ:

الأحْوَصُ بنُ المُفَضَّلِ[1] [2]**بنِ غسّانَ بنِ المُفضَّلِ بنِ معاويةَ بنِ**[2] [3]**عمرِو بنِ خالدِ بنِ غَلّابٍ**[3]، **أبو أُمَيَّةَ الغَلّابِيُّ** القاضى بالبصرةِ وغيرِها. روَى عن أبيه التاريخَ. اسْتَتَر عندَه مرةً ابنُ الفُراتِ، فلمَّا أُعِيدَ إلى الوزارةِ ولَّاه قضاءَ البصرةِ والأهْوازِ وواسِطٍ، وكان عفيفًا نَزِهًا، فلمَّا نُكِب ابنُ الفُراتِ قبَض عليه نائبُ البصرةِ فأوْدَعَه السِّجنَ، فلم يَزَلْ به حتى مات فيه. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4]: ولا نَعلَمُ قاضِيًا ماتَ فى السِّجنِ سِواه.

عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ مُصْعَبٍ، أبو أحمدَ الخُزاعِىُّ[5]، وَلِى إمْرَةَ بغدادَ، وحدَّث عن الزُّبَيْرِ بنِ بَكَّارٍ، وعنه الصُّولِىُّ والطَّبَرانِىُّ، وكان أدِيبًا فاضلًا شاعرًا، ومِن شعرِه[6]:

حقُّ التَّنائى بينَ أهلِ الهَوى ... تكاتُبٌ يُسْخِنُ عينَ النَّوَى
وفى التَّدانِى لا انْقَضَى عُمْرُهُ ... تزاوُرٌ يَشْفِى غَلِيلَ الجَوَى

---

(١) فى ب، م: «الفضل». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٧/ ٥٠، والمنتظم ١٣/ ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ٣٧، ولم يفرد الذهبى له ترجمة، والوافى بالوفيات ٨/ ٣١٠.

(٢ - ٢) فى م: «ابن معاوية بن خالد بن غسان».

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) المنتظم ١٣/ ١٣٤.

(٥) الأغانى ٩/ ٤٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٠، والمنتظم ١٣/ ١٣٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠هـ) ص ١٩٨.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٢، والمنتظم ١٣/ ١٣٥.

وقد اتفق له مرةً أنَّ جارِيةً له مرِضَتْ فاشْتَهَتْ ثلْجًا ، وكانت حظِيَّةً عندَه جدًّا ، فلم يُوجَدْ إلَّا عندَ رجلٍ ، فساوَمَه الوكيلُ على رِطْلٍ منه ، فامْتَنعَ مِن بَيْعِه إلَّا كلَّ رِطْلٍ بالعراقيِّ[1] بخَمْسَةِ آلافِ دِرْهَمٍ - وذلك لعلْمِ صاحبِ [2]الثلْجِ بحاجتِهم إليه[2] - فرجَع الوَكِيلُ ليُشاوِرَه ، فقال : وَيْحَكَ ! اشْتَرِ ولو بما عساه أن يكونَ . فرجَع فقال له صاحبُ الثَّلجِ : لا أبِيعُه إلَّا بعشَرَةِ آلافٍ . فاشْتَراه بعشَرَةِ آلافٍ ، ثم اشْتَهَتِ الجارِيَةُ ثلْجًا أيضًا - وذلك لمُوافقَتِه لها - فرجَع فاشْتَرى منه رِطْلًا آخرَ بعشَرَةِ آلافٍ . ثم آخرَ بعشَرَةٍ أخرى ، وبَقِيَ عندَ صاحبِ الثلجِ رِطْلانِ ، فنطفَتْ نفْسُه إلى أكلِ رِطْلٍ منه ليقولَ : أكلْتُ رِطْلًا مِن الثلجِ بعشَرَةِ آلافٍ . فأكلَه وبَقِيَ عندَه رِطلٌ آخرُ ، فجاءَه الوَكِيلُ فامْتَنعَ أن يبيعَ الرِّطْلَ إلَّا بثلاثينَ ألفًا ، فاشْتَراه منه ، فشُفِيَتِ الجارِيَةُ وتصدَّقَتْ بمالٍ جزيلٍ ، فاسْتَدْعَى سيِّدُها صاحِبَ الثلج فأعطاه مِن تلك الصدقَةِ مالًا جزيلًا جدًّا ، فصارَ مِن أغنى الناسِ بعدَ ذلك وأكثرِهم مالًا ، واسْتَخدَمه ابنُ طاهرٍ عندَه . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّي في حُدودِ الثلاثِمائةِ تقريبًا :

الصَّنَوْبَرِيُّ الشاعِرُ[3] وهو[4] أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ مَرَّارٍ[5] ، أبو بكرٍ الضَّبِّيُّ الصَّنَوْبَرِيُّ الحَلَبِيُّ[6] . قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[7] : كان شاعرًا مُحْسِنًا ،

---

(١) زيادة من : ب ، م .

(٢ - ٢) في الأصل ، ص ، ظ : « البضاعة بالحال » .

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٢٣٩، والعبر ٢/ ٢٣٧، وفوات الوفيات ١/ ١٢٢، والوافي ٧/ ٣٧٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٥. وقد ذكروا أنه توفي سنة ٣٣٤هـ ، ماعدا ابن عساكر فإنه لم يذكر سنة وفاته خلال ترجمته له .

(٤) بعده في م : « محمد بن » .

(٥) في الأصل : « سوار » وفي ص ، م : « مراد » .

(٦) في م ، ص : « الحنبلي » . وانظر مصادر ترجمته .

(٧) تاريخ دمشق ٥/ ٢٣٩.

وقد حكَى عن عليِّ بنِ سليمانَ الأخفشِ. ثم ذكَر أشياءَ مِن لطائفِ أشعارِه؛ فمِن ذلك قولُه[1] [٩/٢و]:

لا النومُ أدرِى به ولا الأرَقُ ... يدْرِى بهذَيْنِ مَن به رَمَقُ
إنَّ دُموعِى مِن طولِ ما اسْتَبَقَتْ ... كَلَّتْ فما تسْطِيعُ تسْتَبِقُ
ولى مليكٌ[2] لم تبدُ صورَتُه ... مذْ كان إلا صَلَّتْ له الحدَقُ
نويتُ تقْبِيلَ نارِ وجْنَتِه ... وخِفْتُ أدْنُو منها فأحْتَرِقُ

وله أيضًا[3]:

شمسٌ غدا يشرَبُ[4] شمسًا غدَتْ ... وحدُّها فى النورِ مِنْ حدِّهِ
تغِيبُ فى فيه ولكنها ... مِن بعدِ ذا تطلُعُ فى خدِّهِ

وقد روَى الحافظُ البيهقيُّ عن شيخِه الحاكمِ، عن أبى الفَضْلِ نَصْرِ بنِ محمدٍ الطُّوسِيِّ قال[5]: أنشدَنا أبو بكرٍ الصَّنَوْبَرِيُّ فقال:

هدَمَ الشيبُ ما بناهُ الشبابُ ... والغَوانِى [6]وما عُضِبْنَ[6] غِضابُ[7]
قلَبَ الآبِنُوسَ عاجًا فلِلأعْيـ ... ـنِ منه وللقلُوبِ انْقِلابُ
وضلالٌ فى الرأيِ أن يُشنأَ البا ... زِى على حُسنِه ويُهْوَى الغرابُ

وله أيضًا، وقد أوردَه ابنُ عساكِرَفى ابنٍ له فُطِم فجعَل يبْكِى على ثَدْيِه[8]:

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢٤١.
(٢) فى م: «ملك».
(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٤٢.
(٤) فى م: «يشبه» والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق.
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥/ ٢٤٣، من طريق البيهقى به.
(٦ - ٦) فى الأصل، م، ص: «ما عصين». والمثبت من مصدر التخريج.
(٧) فى م: «خضاب».
(٨) تاريخ دمشق ٥/ ٢٤٥، ٢٤٦.

مـنَـعُـوهُ أحَـبَّ شـيءٍ إلـيـهِ مِن جميعِ الوَرَى ومِن والِدَيْهِ
مـنَـعـوهُ غِـذاءَه ولـقـد كـا ن مُـبـاحًـا لَـهُ وبـيـنَ يـدَيْـهِ
عجَبًا [1]منه ذا[1] على صِغَرِ السِّـ ـنِّ هوَى فاهْتدَى الفِراقُ إليهِ

إبْراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ المُوَلَّدِ[2]، أبو إسْحاقَ الصوفِيُّ الواعِظُ الرَّقِّيُّ أحدُ مشايخِها، روَى الحديثَ، وصحِبَ أبا عبدِ اللَّهِ بنَ الجَلَّاءِ الدِّمَشْقِيَّ، والجُنَيْدَ وغيرَ واحدٍ. وروَى عنه تَمَّامُ بنُ محمدٍ، وأبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ. وقد أورَد ابنُ عساكِرَ مِن شعرِه قولَه[3]:

لكَ منِّي على البِعادِ نصيبُ لم ينَلْهُ على الدُّنُوِّ حَبِيبُ
وعلى الطرفِ مِن سِواكَ حِجابٌ وعلى القلبِ مِن هَواكَ رقيبُ
زِينَ فى ناظِرِى هواكَ وقلْبى والـهـوَى فيه زائغٌ ومَـشُـوبُ
كيفَ يُغْنِى قُرْبُ الطبيبِ عليلًا أنتَ أسْقَمْتَهُ وأنتَ الطبيبُ

وقولَه[4]:

الصَّمْتُ أمنٌ مِن كلِّ نازِلَةٍ مَن نالَهُ نالَ أفضلَ القِسَمِ[5]
ما نزلَتْ بالرِّجالِ نازِلَةٌ أعْظَمُ ضُرًّا مِن لفْظَةٍ بفَمِ[6]
عثْرَةُ هذا اللسانِ مُهْلِكَةٌ ليسَتْ لدَيْنا كعَثْرَةِ القَدَمِ

(١ - ١) فى الأصل: «ذا له» وفى ص: «لله»، وفى م: «له». والمثبت من مصدر التخريج.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٤، وتاريخ دمشق ٦/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٨٧، والعبر ٢/ ٦٤، وشذرات الذهب ٢/ ٣٦٢، وقد ذكروا أنه توفى سنة ٣٤٢هـ، فاللَّه أعلم.
(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٢٧٠.
(٤) المصدر السابق ٦/ ٢٧١.
(٥) فى م: «الغنم».
(٦) فى م: «نعم».

احفَظْ لسانًا يُلْقِيكَ فى تلَفٍ فَرُبَّ قولٍ أذَلَّ ذا كَرَمِ[1]

---

(١) بعده فى الأصل: «فصل: اختلف الناس أيما أفضل؛ الغنى الشاكر أو الفقير الصابر، على قولين مشهورين، وقيل: هما سواء. وقيل: أفضلهما أتقاهما للّه فيما هو فيه. فإن استويا فهما سواء. و قد سئل أبو على الدقاق عن هذه المسألة فقال: الغنى أفضل؛ لأن الغنى من صفات اللّه، قال اللّه تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى اللّه واللّه هو الغنى الحميد﴾. قال: ولكن الغنى الذى يكون واثقًا بما عند اللّه لا بما فى يديه، يعنى ما قاله رسول اللّه ﷺ فى الحديث المتفق عليه: «ليس الغنى [٩/ ٢ظ] عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس». وما أحسن ما قال بعضهم:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم وإن الغنى العالى عن الشىء لا به

وقال الآخر:

وإذا تذللت الرقاب تواضعًا منا إليك فعزها فى ذلها

وقال الآخر:

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى فإنك لا تدرى أتصبح أم تمسى

فليس الغنى عن كثرة المال إنَّما يكون الغنى والفقر من قبل النفسِ

ثم دخَلتْ سنةُ إحدَى وثلاثِمائةٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ(*)

فيها[1] غزَا الحسينُ بنُ حَمْدانَ الصائفةَ ، ففَتَح حُصونًا كثيرةً مِن بلادِ الرومِ ، وقتَل أُمَمًا لا يُحْصَونَ كثرةً .

وفيها عزَلَ المُقْتَدِرُ محمدَ بنَ [2]عبيدِ اللَّهِ[2] عن وزارتِه [3]وقلَّدها عليَّ بنَ عيسى[3] وكان مِن خيارِ الوزراءِ وأقْصَدِهم للعدلِ والإحْسانِ واتِّباعِ الحقِّ .

وفيها كثُرَتِ الأمْراضُ الدمويَّةُ[4] ببَغْدادَ فى تمُّوزَ وآبَ ، فماتَ مِن ذلك خَلْقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ مِن أهْلِها .

وفيها وصَلتْ هدَايا صاحبِ عمانَ ؛ [5]وفيها ببَّغَةٌ[5] بَيْضاءُ وغزالٌ أسْوَدُ .

وفى شعبانَ منها ركِبَ المُقْتَدِرُ إلى بابِ الشمّاسيَّةِ على الخَيْلِ ثم انْحدَر إلى دارِه فى دِجْلَةَ ، وكانت أوَّلَ رَكْبَةٍ ركِبَها جَهْرَةً للعامَّةِ .

وفيها اسْتَأذَن الوزيرُ عليُّ بنُ عِيسى المقتدرَ باللَّهِ فى مُكاتَبَةِ رأسِ القَرامِطَةِ أبى سعيدِ الحسَنِ بنِ بهْرَامَ الجنَّابىِّ فأَذِنَ له ، فكتَب إليه كتابًا طويلًا يدْعُوه فيه إلى

(*) هنا نهاية الجزء الثامن من المخطوطة الأحمدية المشار إليها بـ « الأصل » .

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٧، والمنتظم ١٣/ ١٤١.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « عبد الله » والمثبت موافق لما فى تاريخ الطبرى .

(٣ - ٣) سقط من : ظ . وفى الأصل : « وقلدها عيسى » وفى م : « وقلدها عيسى بن على » .

(٤) فى ص : « المذمومة » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « ومن جملتها بغلة » .

السمعِ والطاعةِ ، ويُوَبِّخُه على ما يتَعاطَاه أصحابُه مِن تركِ الصلواتِ والزكَواتِ وارْتِكابِ المُنْكَراتِ ، وإنْكارِهم على مَن يذْكُرُ اللَّهَ ويُسبِّحُه ويحْمَدُه ، واسْتِهْزائِهم بالدِّينِ واسْتِرْقاقِهم الحرائرَ ، ثم توعَّدَه بالحربِ وتهدَّدَه بالقتْلِ ، فلمّا سارَ بالكتابِ نحوَه ، قُتِل أبو سعيدٍ قبلَ أن يصِلَه ، قتَله بعضُ خدَمِه ، وعهِدَ بالأمرِ مِن بعدِه لولَدِه سعيدٍ ، فغَلَبه على ذلك أخوه أبو طاهرٍ سُلَيمانُ بنُ أبى سعيدٍ ، فلمَّا قرَأَ كتابَ الوزيرِ إليهم أجابَه بما حاصِلُه : إنَّ هذا الذى تنْسِبُ إلينا ممَّا ذكَرْتُم لم يثْبُتْ عندَكم إلَّا مِن طريقِ مَن يُشَنِّعُ علينا ، وإذا كان الخليفةُ ينْسِبُنا إلى الكفرِ باللَّهِ فكيفَ يدْعُونا إلى السمعِ والطاعةِ له ؟ .

وفيها جِيءَ بالحسينِ بنِ مَنْصُورٍ الحلَّاجِ إلى بَغْدادَ ، وهو مشْهورٌ ، على جَمَلٍ ، وغلامٍ له راكبٍ جملًا آخرَ ، يُنادَى عليه : هذا أحدُ دُعاةِ القَرامِطَةِ فاعْرِفُوه . ثم حُبِس ثم أُحضِر إلى مجلسِ الوزيرِ ، فناظَرَه فإذا هو لا يقْرأُ القرآنَ ولا يعرِفُ مِن الحديثِ ولا الفِقْهِ ، ولا اللغةِ ولا الأخْبارِ ولا الشعرِ شيئًا ، وكان الذى نُقِمَ عليه أنَّه وُجِدتْ له رِقاعٌ يدْعُو فيها الناسَ إلى الضَّلالَةِ والجَهالَةِ بأنْواعٍ مِن الرموزِ ، يقولُ فى مُكاتَباتِه كثيرًا[1] : تَبارَكَ ذو النورِ الشَّعْشَعانِيِّ . فقال له الوزيرُ علىُّ بنُ عيسى : تعَلُّمُكَ الطُّهورَ والفُروضَ أجْدَى عليكَ مِن رسائلَ لا تدْرِى ما تقولُ فيها ، وما أحْوَجَكَ إلى الأدبِ . ثم أمرَ به فصُلِبَ حيًّا صَلْبَ الاشْتِهارِ لا القتلِ ، ثم أُنزِلَ فأُجْلِسَ فى دارِ الخلافةِ ، فجعَلَ يُظْهِرُ لهم أنَّه على السُّنَّةِ ، وأنَّه زاهدٌ ، حتى اغْتَرَّ به كثيرٌ مِن الخدّامِ وغيرِهم مِن أهلِ دارِ الخلافةِ مِن الجَهَلَةِ والطَّغامِ ؛ حتى صارُوا يتَبَرَّكُونَ به ويتمَسَّحُونَ بثِيابِه . وسيأْتى ما صارَ إليه أمرُه

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٤٤.

حتى قُتِل [٣/٩و] بإجْماعِ الفُقَهاءِ[(١)] .

ووقَع فى هذه السنَةِ فى آخرِها ببَغْدادَ وَباءٌ شديدٌ جدًّا ماتَ بسببِه بشَرٌ كثيرٌ ، ولا سِيَّما بالحَرْبِيَّةِ ، غُلِّقتْ عامَّةُ دُورِها .

وحجَّ بالناسِ فيها الفضلُ بنُ عبدِ الملك الهاشمىُّ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

إبراهيمُ بنُ [(٢)]هانىءِ بنِ[(٢)] خالدٍ الشافعىُّ ، جمَع العلمَ والزهدَ . مِن [(٣)]تلاميذِه أبو بكرٍ[(٣)] الإسْماعِيلىُّ .

جَعْفَرُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ[(٤)] بنِ المُسْتَفاضِ ، أبو بكرٍ الفِرْيابِىُّ قاضى الدِّينَورِ ، طافَ البلادَ فى طلبِ العلم ، وسمِعَ الكثيرَ مِن المشايخِ الكثيرينَ ؛ مثل قُتَيْبَةَ وأبى كُريبٍ وعلىِّ بنِ المَدِينىِّ[(٥)] ، وعنه أبو الحسينِ بنُ المُنادِى والنَّجَّادُ وأبو بكرٍ الشافِعىُّ وخَلْقٌ . واسْتَوطَن بَغْدادَ ، وكان ثقةً حافِظًا حُجَّةً ، وكان عِدَّةُ مَن يحضُرُ مجْلِسَه نحْوًا مِن ثلاثينَ ألفًا ، والمُسْتَمْلُونَ عنه[(٦)] فوقَ الثَّلاثِمائَةِ ،

---

(١) بعده فى ب ، م : « وأكثر الصوفية » .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . وانظر ترجمته فى : تاريخ جرجان ص ٩١، والأنساب ٥/ ٤١٩، والمنتظم ١٣/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٥٨.

(٣ - ٣) فى م : « من تلاميذ أبى بكر » .

(٤) فى النسخ والمنتظم : « الحسين » وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٧/ ١٩٩، والمنتظم ١٣/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٦٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٢.

(٥) بعده فى الأصل، ص، ظ : « ونبدار » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٩٧.

(٦) فى ب ، م : « عليه منهم » .

وأصْحابُ المَحابِرِ نَحْوًا مِن عشَرَةِ آلافٍ . وكانت وفاتُه فى المحرمِ مِن هذه السنةِعن أرْبعٍ وتِسْعينَ سنةً ، وكان قد حفَرَ لنفْسِه قبْرًا قبلَ وَفاتِه بخمسِ سِنينَ ، وكان يأتيه فيَقِفُ عندَه . ثم لم يُقْضَ له الدفنُ فيه ، بل دُفِنَ فى مكانٍ آخرَ . رحِمه اللَّهُ حيثُ كان .

أبو سعيدٍ الجَنَّابِىُّ القِرْمِطِىُّ[1] وهو الحسنُ بنُ بَهْرامَ ، قبَّحه اللَّهُ ، وهو رأسُ القَرامِطَةِ ، والذى يُعَوَّلُ عليه فى بلادِ البَحْرَيْنِ وما وَالاها .

علىُّ بنُ أحمدَ الرَّاسِبِىُّ[2] كان يَلِى بلادَ واسِطٍ إلى شَهْرَزُورَ وغيرِها ، وقد خلَّفَ مِن الأمْوالِ شيئًا كثيرًا ؛ فمِن ذلك ألفُ ألفِ دِينارٍ ، ومِن آنيةِ الذهبِ والفضةِ نحْوُ مائَةِ ألفِ دِينارٍ ، [3]ومِن الخزِّ ألفُ ثوبٍ[3] ، ومِن الخيْلِ والبِغالِ والجِمَالِ ألفُ رأسٍ .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ [4]بنِ عبدِ الملكِ[4] بنِ أبى الشَّوارِبِ يعرَفُ بالأحْنَفِ . كان قد وَلِىَ قضاءَ مدينةِ المَنْصُورِ نِيابةً عن أبيه حِينَ فُلِجَ ، فماتَ فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ . وتُوفِّى أبوه فى رَجَبٍ منها ، بينَهما ثلاثَةٌ وسَبْعُونَ يومًا ، ودُفِنَا فى موضعٍ واحدٍ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

---

(١) الأنساب ٢/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٠، والعبر ٢/ ١١٧، والوافى بالوفيات ١١/ ٤١٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٣٨.

(٢) المنتظم ١٣/ ١٤٧، ودول الإسلام ١/ ١٨٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٧.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « ومن البقر ألف ثور » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٥/ ٤٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٧٨، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤٥.

أبو بكرٍ أحمدُ[1] بنُ هارونَ البَرْدَعِيُّ[2] الحافِظُ. **وابنُ ناجِيَةَ**[3].

---

(١) فى النسخ: «محمد». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٥/ ١٩٤، وتاريخ دمشق ٦/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٥٤، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٢٣.

(٢) فى الأصل: «البرذعى»، وفى بعض المصادر بالذال وفى بعضها الآخر بالدال وكلاهما صحيح، وانظر حاشية الإكمال ١/ ٤٧٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ١٠٤، والمنتظم ١٣/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٦٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٧٤.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وثلاثمائةٍ

فيها[1] ورَد كتابُ مُؤْنِسٍ[2] الخادِمِ بأنَّه قد أوْقَعَ بالرومِ بأْسًا شديدًا ، وأنَّه قد أسَر منهم مائةً وخمسينَ بِطْرِيقًا[3] ، ففرِحَ المسلمونَ بذلك[4] .

وفيها ختَنَ الخليفةُ المقتدرُ خمسةً مِن أوْلادِه ، فغَرِمَ على هذا الختانِ ستَّمِائةِ ألفِ دينارٍ ، مِن ذلك خمسةُ آلافِ نِثارًا ومائةُ ألفِ درهمٍ ، وقد ختَنَ قبْلَهم ومعهم خلْقًا مِن الأولادِ اليتامَى ، وأحْسَنَ إليهم بالمالِ والكساوِى ، وهذا صَنِيعٌ حسَنٌ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها صادَرَ الخليفةُ أبا عليٍّ بنَ الجَصَّاصِ بسِتَّةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دِينارٍ غيرَ الآنِيَةِ والثِّيابِ الثمينةِ .

وفيها أرسَل الخليفةُ المقتدرُ أوْلادَه إلى المكْتَبِ وكان يومًا مشْهُودًا .

وفيها بنَى الوزيرُ المارَسْتَانَ بالحرْبِيَّةِ[5] مِن بغدادَ ، وأنفَقَ عليه أمْوالًا جزيلةً

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٤٩، والمنتظم ١٣/ ١٥٠، والكامل ٨/ ٩٠.

(٢) فى الأصل : « يونس » .

(٣) بعده فى ب ، م : « أى أميرا » .

(٤) كذا فى النسخ ، والذى فى المصادر أن الذى غزا بلاد الروم وغنم وسبى وأسر هو بشر الخادم ، وأما مؤنس (أو يانس) فقد قتل من الأعراب من بنى شيبان خلقا كثيرا بناحية وادى الذئاب ، ونهب بيوتهم ، وأصاب فيها من أموال التجار التى أخذوها بقطع الطريق عليهم .

(٥) الحربية : منسوبة ، محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافى وأحمد بن حنبل وغيرهما تنسب إلى حرب بن عبد اللَّه البلخى ويعرف بالرواندى . معجم البلدان ٢/ ٢٣٤.

جدًّا ، جزَاه اللَّهُ خيْرًا .

وحجَّ بالناسِ فيها الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشميُّ . وقطَعتِ الأعْرابُ وطائفةٌ مِن القَرامِطَةِ الطريقَ على الراجِعينَ مِن الحجِيجِ ، وأَخذوا منهم أموالًا كثيرةً ، وقتَلُوا منهم خلْقًا وأسَرُوا أكثرَ مِن مِائَتَي امرأةٍ حُرَّةٍ ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

بِشْرُ بنُ نصْرِ بنِ مَنْصُورٍ ، أبو القاسِمِ الفَقِيهُ الشافِعِىُّ[1] ، مِن أهلِ مِصْرَ يُعرَفُ بغُلامِ عِرْقٍ ؛ وعِرْقٌ خادِمٌ مِن خدّامِ السلطانِ كان يَلِى البريدَ ، فقَدِمَ معه بهذا الرجلِ مِصْرَ فأقامَ بها حتى كانت وفاتُه فيها .

بدْعةُ[2] جارِيةُ عُرَيْب ، المُغَنِّيَةُ ، بُذِلَ لسيِّدَتِها فيها مِائَةُ ألْفِ دِينارٍ وعِشْرونَ ألفَ دِينارٍ مِن بعضِ مَن رغِبَ فيها فعرَضت[3] ذلك عليها ، فكَرِهَتْ مُفارَقَةَ سيِّدَتِها ، فأعْتَقَتْها سيِّدَتُها فى يومِها[4] ذلك ، وتأخَّرَتْ وفاتُها إلى هذه السنَةِ ، وقد ترَكتْ مِن العَيْنِ والأمْلاكِ ما لم يمْلِكْه رجلٌ .

القاضِى أبو زُرْعَةَ محمدُ بنُ عُثْمانَ الشافِعِىُّ[5] ، قاضِى مِصْرَ ثم دِمَشْقَ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٨٨، والمنتظم ١٣/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٨٧.

(٢) المنتظم ١٣/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٨٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٩٩، وأعلام النساء ١/ ١٢١.

(٣) فى ب ، م : « من الخلفاء فعرض » .

(٤) فى ب ، م : « موتها » .

(٥) تاريخ دمشق ١٥/٦٥٢ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٠٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٢، طبقات الشافعية للسبكى ٣/ ١٩٦.

وهو أوَّلُ مَن حكَم بمذهبِ الشافِعيِّ بالشامِ، وأشاعَه به - وقد كانَ أهلُ الشّامِ على مذهَبِ الأوْزاعيِّ مِن حينَ مات إلى هذه السنةِ، وثبَت على مذهبِ الأوْزاعيِّ بقايا كثيرونَ لم يفارِقُوه - وكان ثقةً عَدْلًا مِن ساداتِ القُضاةِ، وكان أصلُه مِن أهلِ الكتابِ اليهودِ ثم أسلَم، وصار إلى ما صار إليه، وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى «طبَقاتِ الشافِعيَّةِ».

ثم دخلتْ سنةُ ثلاثٍ وثلاثمائةٍ

فيها[1] وقَف المقتدرُ باللَّهِ أمْوالًا جزيلةً وضِياعًا على الحرَمَيْنِ الشريفَيْنِ، واسْتَدْعَى بالقُضاةِ والأعْيانِ، وأشْهَدهم على نفسِه بما وَقَفَه مِن ذلك.

وفيها قُدِم إليه بجماعَةٍ مِن الأُسارَى مِن الأعْرابِ الذين كانوا قد عَدَوا على الحجِيجِ فى تلك السنةِ، فلم تتَمالَكِ العامَّةُ أن عدَتْ عليهم فقتَلُوهم، فأُخِذَ بعضُهم فعُوقِبَ لكَونِه افْتاتَ على السلْطانِ.

وفيها وقَع حريقٌ شديدٌ فى سُوقِ النَّجَّارِين ببغدادَ فاحترَق السوقُ بكَمالِه. وفى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ مرِض المقْتَدِرُ باللَّهِ ثلاثَةَ عشَرَ يومًا، ولم يمرَضْ فى مُدَّةِ خِلافتِه - مع طُولِها - إلّا هذه المرْضَةَ.

وحجَّ بالناسِ فيها الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمىُّ، ولمَّا خافَ الوزيرُ على الحُجَّاجِ مِن شأنِ القَرامِطَةِ كتَب إليهم رِسالةً ليَشْغَلَهم بها عن أمرِ الحجِّ، فاتَّهَمه بعضُ الكُتَّابِ بمُراسلَتِه القَرامِطَةَ، فلمَّا انْكشَفَ أمرُه وما قصَده حَظِىَ عندَ الناسِ بذلك جدًّا.

وممَّنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ:

النَّسائِىُّ أحمدُ[2] بنُ شُعَيْبِ بنِ علىِّ بنِ سِنَانِ بنِ بَحْرِ بنِ دِينارٍ، أبو

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٥٤، والكامل ٨/ ٩٥.

(٢) بعده فى النسخ: «بن على». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٣/ ١٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ٧٧، =

عبدِ الرحمنِ النَّسائِيُّ : صاحبُ «السُّنَنِ» ، الإمامُ فى عصْرِه ، والمُقَدَّمُ على أضْرابِه وأشْكالِه وفُضَلاءِ دهْرِه ، رحَل إلى الآفاقِ ، واشْتَغل بسماعِ الحديثِ والاجْتماعِ بالأئمةِ الحُذَّاقِ . ومَشايخُه الذين روَى عنهم مُشافَهةً ، قد ذكَرْناهم فى كتابِنا «التَّكْميلِ» ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، وترْجَمْناه أيضًا هنالك ، وروَى عنه خلْقٌ كثيرٌ ، وجَمٌّ غفيرٌ ، وقد جمَع السُّنَنَ الكبيرَ ، وانْتخَبَ منه ما هو أقلُّ حَجْمًا منه بمرَّاتٍ ، وقد وقَع لنا سماعُ كلٍّ منهما ، وقد أبانَ فى تصْنيفِه عن حِفْظٍ وإتْقانٍ وصِدْقٍ وإيمانٍ وتوفيقٍ وعلمٍ وعِرْفانٍ . قال الحاكمُ عنِ الدَّارقُطْنِيِّ[1] : أبو عبدِ الرحمنِ النَّسائِيُّ مُقدَّمٌ على كلِّ مَن يُذْكَرُ بهذا العلمِ مِن أهلِ عصرِه . وكان يسمِّى كِتابَه الصَّحِيحَ[2] . وقال أبو علىٍّ الحافِظُ[3] : إنَّ للنَّسائِيِّ شَرْطًا فى الرِّجالِ أشدَّ مِن شرطِ مسلمِ بنِ الحَجَّاجِ ، وكان مِن أئمةِ المسلمين . وقال أيضًا : هو الإمامُ فى الحديثِ بلا مُدافَعَةٍ . وقال أبو الحسينِ محمدُ بنُ المُظَفَّرِ الحافظُ[4] : سمِعْتُ مَشايخَنا بمصرَ يعْتَرِفُونَ له بالتقَدُّمِ والإمامَةِ[5] ، ويصِفُونَ مِن اجْتِهادِه فى العِبادَةِ [٩/٤و] باللَّيلِ والنَّهارِ ومُواظَبَتِه على الحجِّ والاجتهادِ[6] . وقال غيرُه : كان يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا ، وكانت له

= وتهذيب الكمال ١/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٠٥.

(١) أخرجه ابن نقطة فى التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص ١٤٠، والمزى فى تهذيب الكمال ١/ ٣٣٤.

(٢) التقييد لابن نقطة ١٤١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٠٨، وفيهما أن القول منسوب إلى «سعد بن على الزنجانى» . وكذا فى مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٠٢.

(٤) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣١، ١٣٢، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٠٨.

(٥) فى الأصل، ب، ص: «الأمانة» .

(٦) فى ب، م: «الجهاد» .

أرْبعُ زَوْجاتٍ وسُرِّيَّتان، وكان كثيرَ الجِماعِ، حسَنَ الوَجْهِ مُشْرِقَ اللونِ. قالوا: وكان يَقْسِمُ للإماءِ كما يقْسِمُ للحرائرِ. وقال الدَّارَقُطْنِيُّ[1]: كان أبو بكرِ بنُ الحدَّادِ كثيرَ الحديثِ، ولم يُحدِّثْ عن أحدٍ سِوى النَّسائيِّ، وقال: رضِيتُ به حُجَّةً بينى وبينَ اللَّهِ، عزَّ وجلّ. وقال ابنُ يونسَ[2]: كان النَّسائيُّ إمامًا فى الحديثِ ثقةً ثَبتًا حافظًا، وكان خُروجُه مِن مصرَ فى سنَةِ ثِنْتَين وثَلاثِمائَةٍ. وقال ابنُ عَدِيٍّ[3]: سمِعتُ مَنْصُورًا الفَقِيهَ وأحمدَ بنَ محمدِ بنِ سَلامَةَ الطَّحَاوِيَّ يقُولان: أبو عبدِ الرحمنِ النَّسائيُّ إمامٌ مِن أئمةِ المسلمينَ. وكذلك أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ، وشهِدُوا له بالفَضْلِ والتقَدُّمِ فى هذا الشأنِ والحفظِ والمعرفةِ.

وقد وَلِى الحكْمَ بمدينةِ حِمْصَ، سمِعْتُه مِن شيخِنا الحافظِ أبى الحجّاجِ المِزِّيِّ - رحمةُ اللَّهِ عليه - عن رِوايَةِ الطَّبَرانِيِّ فى «مُعْجَمِه الأوسطِ» حيثُ قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ شُعَيْبٍ الحاكمُ بحِمْصَ.

وذكَرُوا أنَّه كان له مِن النساءِ أربعُ نِسوةٍ، وكان فى غايةِ الحُسْنِ، وجهُه كأنَّه قِنْدِيلٌ، وكان يأْكُلُ فى كلِّ يومٍ دِيكًا، ويشْرَبُ عليه نَقِيعَ الزَّبِيبِ الحلالَ، وقد قيلَ عنه: إنَّه كان يُنْسَبُ إلى شىءٍ مِن التَّشَيُّعِ. قالوا: ودخَل إلى دمشقَ، فسأَله أهلُها أن يُحدِّثَهم بشىءٍ مِن فضائلِ معاويةَ، فقال: أما يَكْفِى معاويةَ أن يَذْهَبَ رأسًا برأسٍ حتى يُروَى له فضائلُ؟ فقاموا إليه، فجعَلُوا يطْعُنونَ فى

---

(١) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١- ٣٠٠هـ) ص ١٠٩.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٧٨، وتهذيب الكمال ١/ ٣٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٣.

(٣) التقييد ص ١٤٠، وتهذيب الكمال ١/ ٣٣٣.

حِضْنَيْه[1] حتى أُخْرِجَ مِن المسجدِ الجامعِ ، فسار مِن عندِهم ، فقصَد مكَّةَ ، فماتَ بها فى هذه السنَةِ ، وقبْرُه بها . هكذا حكَاه الحاكمُ عن محمدِ بنِ إسْحاقَ الأصْبهانىِّ عن مشايخِه[2] . وقال الدَّارَقُطْنىُّ[3] : كان أفْقَهَ مشايخِ مصرَ فى عصرِه ، وأعْرَفَهم بالصحيحِ والسَّقيمِ مِن الآثارِ ، وأعْرَفَهم بالرِّجالِ . فلمَّا بلَغ هذا المبلغَ حسَدُوه ، فخرَج إلى الرَّمْلَةِ ، فسُئِل عن فَضائلِ مُعاوِيَةَ فأمْسَكَ عنه ، فضرَبُوه فى الجامعِ ، فقال : أخْرِجُونِى إلى مَكَّةَ ، فأخْرَجُوه وهو عليلٌ ، فتُوفِّى بمَكَّةَ مقْتُولًا شهيدًا . قال الحاكمُ[4] : مع ما رُزِقَ النَّسائىُّ منَ الفضائلِ رُزِق الشَّهادَةَ فى آخرِ عُمُره ، ماتَ بمَكَّةَ سنةَ ثلاثٍ وثَلاثِمائةٍ . قال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الغَنِىِّ ابنِ نُقْطَةَ فى « تَقْيِيدِه »[5] : نقَلْتُ مِن خطِّ أبى عامرٍ محمدِ بنِ سَعْدُونَ العَبْدَرِىِّ الحافِظِ : ماتَ أبو عبدِ الرحمنِ النَّسائىُّ بالرَّمْلَةِ مدينةِ فلسطينَ يومَ الاثنينِ لثَلاثَ عشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن صفرٍ سنَةَ ثلاثٍ وثَلاثِمائَةٍ ، ودُفِن ببيتِ المقدِسِ .

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفيات » أنَّه تُوفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنَةِ ، وأنَّه إنَّما صنَّف « الخصائِصَ » فى فَضْلِ علىٍّ وأهلِ البيتِ ؛ لأنَّه رأَى أهلَ دِمَشْقَ حينَ قَدِمَها فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وثَلاثِمائَةٍ عندَهم نُفْرَةٌ مِن علىٍّ ، وسأَلُوه عن مُعاوِيَةَ فقال ما قال ، فدفَعوا[7] فى حِضْنَيْه فماتَ . وهكذا ذكَر ابنُ يونسَ ، وأبو جعفرٍ الطَّحَاوِىُّ[8]

---

(١) فى ب ، م : « خصيتيه » . و « الحِضن » : الجنب . وانظر تهذيب الكمال ١/٣٣٩ حاشية (١) .
(٢) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٩.
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٣٨.
(٤) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٩.
(٥) التقييد ص : ١٤٣.
(٦) وفيات الأعيان ١/ ٧٧، ٧٨.
(٧) فى م : « فدققوا » .
(٨) وفيات الأعيان ١/ ٧٨، وتهذيب الكمال ١/ ٣٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٣.

أنَّه تُوفِّى بفلسطينَ فى صفرٍ مِن هذه السنَةِ . وكان مولدُ النَّسائىِّ فى سنةِ خمسَ عشْرَةَ أو أربعَ عشْرَةَ ومائتَيْنِ تقريبًا ، عن قولِه[1] ، رحِمه اللَّهُ ، فكان عمرُه ثمانِيًا وثمانينَ سنةً [٩/٤ظ] .

الحسنُ بنُ سفيانَ بنِ عامِرِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ النُّعْمانِ بنِ عَطاءٍ ، أبو العباسِ الشَّيْبانِىُّ النَّسَوِىُّ[2] ، مُحَدِّثُ خُراسانَ ، والذى كان يُضْرَبُ آباطُ الإبلِ إليه فى معْرفةِ الحديثِ والفِقْهِ . رحَل إلى الآفاقِ ، وتفَقَّه على أبى ثَوْرٍ ، وكان يُفْتِى بمذهبِه ، وأخَذ الأدبَ عن أصحابِ النَّضْرِ بنِ شُمَيلٍ ، وكانت إليه الرِّحْلَةُ بخُراسانَ . ومِن غريبِ ما اتفَق له[3] - أنَّه كان هو وجماعةٌ مِن أصحابِه بمِصرَ فى رحلتِهم لطلَبِ الحديثِ ، فضاقَ عليهم الحالُ حتى مكَثُوا ثلاثةَ أيامٍ لا يأْكُلُون فيها شيئًا ، ولا يجِدون ما يبِيعونه للقُوتِ ، واضْطَرَّهم الحالُ إلى تجَشُّمِ السؤالِ ، وأنِفَتْ أنفُسُهم مِن ذلك وعزَّتْ عليهم ، وامْتنَعتْ كلَّ الامْتِناعِ ، والحاجَةُ تضطَرُّهم إلى تَعاطِى ذلك ، فاقْترَعُوا فيما بينَهم أيُّهم يقومُ بأعْباءِ هذا الأمْرِ ، فوقَعت القُرْعَةُ على الحسنِ بنِ سفيانَ ، فقام عنهم فاخْتَلَى فى زاويةِ المسجدِ الذى هم فيه ، فصلَّى ركعتيْنِ أطالَ فيهما ، واسْتَغاث باللَّهِ عزَّ وجل ، وسألَه بأسمائِه العِظامِ ، فما انْصرَف مِن الصلاةِ حتى دخَل المسجدَ شابٌّ حسَنُ الهَيْئَةِ مليحُ

---

(١) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٨.

(٢) الثقات لابن حبان ٨/ ١٧١، وتاريخ دمشق ١٣/ ٩٩، والمنتظم ١٣/ ١٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١١٦.

(٣) ذكر هذه القصة بطولها ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ١٠٣ - ١٠٥، وابن الجوزى فى المنتظم ١٣/ ١٥٨ - ١٦١ والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٦١ - ١٦٢ وعلق عليها قائلًا : فاللَّه أعلم بصحتها ، ولم يَلِ طولون مصر ، وأما ابنه أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية ولا أعرف ناقلها ، وذلك ممكن .

الوَجْهِ فقال : أين الحسنُ بنُ سفيانَ ؟ فقلتُ : أنا . فقال : الأميرُ طُولُونُ يقْرَأُ عليكمُ السلامَ ، ويَعتذِرُ إليكم فى تقْصيرِه عنكم ، وهذه مائةُ دِينارٍ لكلِّ واحدٍ منكم . فقُلْنا له : ما الحامِلُ له على هذا ؟ فقال : إنَّه أحَبَّ أن يَختلِيَ اليومَ بنفسِه ، فبينما هو الآن نائمٌ إذ جاءه فارسٌ فى الهواءِ بيَدِه رُمْحٌ فدخَل عليه المنزلَ ووضَع عُقْبَ الرمحِ فى خاصِرَتِه فوَكَزه وقال : قُمْ فأدْرِكِ الحسنَ بنَ سفْيانَ وأصحابَه ، قُمْ فأدْرِكْهم ، قُمْ فأدْرِكْهم ؛ فإنَّهم منذُ ثلاثةِ أيامٍ جِياعٌ فى المسجدِ الفُلانىِّ . فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا رِضوانُ خازِنُ الجنةِ . فاسْتَيقَظ الأميرُ وخاصِرَتُه تُؤْلِمُه ألمًا شديدًا ، فبعَث بالنَّفَقةِ فى الحالِ إليكم . ثم جاءَ لزِيارَتِهم ، واشْتَرى ما حولَ ذلك المسجدِ[1] ووقَفه على الوارِدين عليه مِن أهلِ الحديثِ ، جزَاه اللَّهُ خَيْرًا .

وقد كان الحسنُ بنُ سفيانَ ، رحِمه اللَّهُ ، مِن أئمةِ هذا الشأْنِ وفُرْسانِه وحُفَّاظِه ، وقد اجتمَع عندَه جماعةٌ مِن الحُفَّاظِ ؛ منهم [2]ابنُ خُزَيمةَ[2] وغيرُه ، فقرَءوا عليه شيئًا مِن الحديثِ ، وجعَلُوا يقْلِبُونَ الأسانيدَ ليَسْتَعْلِموا ما عندَه مِن العلمِ ، فما قلَبُوا شيئًا إلّا ردَّهم فيه إلى الصَّوابِ ، وعُمْرُه إذْ ذاكَ تسعون[3] سنةً ، وهو فى هذا السنِّ حافِظٌ ضابِطٌ لا يشِذُّ عنه شىءٌ مِن حديثِه . ومِن فوائدِه : العَبْسِىُّ كُوفىٌّ ، والعيشىُّ بصْرِىٌّ ، والعَنْسِىُّ مِصْرِىٌّ .

رُوَيمُ بنُ أحمدَ[4] - ويقالُ : ابنُ[5] محمدِ - بنِ [6]يزيدَ بنِ[6] رُويمِ بنِ يَزِيدَ ،

---

(١) فى م : « المجلس » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « ابن جرير الطبرى » .

(٣) فى م : « سبعون » .

(٤) طبقات الصوفية ص ١٨٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٣٠، والمنتظم ١٣/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٢٠.

(٥) فى الأصل، ص : « أبو » .

(٦ - ٦) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته .

أبو الحسنِ ، ويقالُ : أبو الحسينِ . ويقالُ : أبو محمدٍ . أحدُ أئمّةِ الصوفِيَّةِ ، كان عالماً بالقرآنِ ومَعانِيه ، وكان متفقِّهًا على مذهبِ داودَ بنِ عليٍّ الظَّاهِرِيِّ ، قال بعضُهم : كان رويمٌ يكْتُمُ حبَّ الدنْيا أربعينَ سنةً ؛ ومعناه أنَّه تصوَّفَ أربعين سنةً . ثم لمَّا وَلِيَ إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القَضاءَ ببغدادَ جعَله وكِيلًا فى بابِه ، فترَكَ التصَوُّفَ ولبِس الخزَّ والقَصَبَ والدَّيبقيَّ[1] ورَكِب الخيلَ وأكَل الطَّيِّبَاتِ وبنَى الدُّورَ .

زُهَيْرُ بنُ صالحِ بنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ[2] ، روَى عن أبيه ، وعنه أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سليمانَ النَّجَّادُ . قال الدارقطنيُّ : كان ثِقةً ، مات وهو شابٌّ .

أبو عليٍّ الجُبَّائى[3] شيخُ المعتزلَةِ ، وهو محمدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، شيخُ الطائفَةِ [٩/٥و] المعتزلةِ فى زمانِه ، وعليه اشْتَغل أبو الحسنِ الأشْعَرِيُّ ، ثم رجَع عنه ، وللجُبَّائيِّ تفْسِيرٌ حافلٌ مُطَوَّلٌ ، له فيه اخْتِياراتٌ غرِيبةٌ فى التفْسيرِ ، وقد ردَّ عليه الشيخُ أبو الحسنِ الأشْعَرِيُّ فيه ، وقال : كأنَّ القرآنَ نزَلَ بلغةِ أهلِ جُبّاءَ . كان مولدُ الشيخِ أبى عليٍّ فى سنةِ خمسٍ وثلاثينَ ومائتينِ ، وماتَ فى هذه السنَةِ .

ابنُ بسّامٍ الشاعرُ[4] ، أبو الحسين عليُّ بنُ أحمدَ بنِ منصورِ بنِ نَصْرِ بنِ بسّامٍ

---

(١) فى م : « الديبقى » . و الديبقى : من دِقِّ ثياب مصر معروفة تنسب إلى دبيق . تاج العروس (د ب ق) .

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٦، والمنتظم ١٣/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٢١.

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٨٣، والملل والنحل ١/ ١١٨، والمنتظم ١٣/ ١٦٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٢٦.

(٤) معجم الشعراء ص ١٥٤، وتاريخ بغداد ١٢/ ٦٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١١٢، ١٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٩٣. وقد ذكر أصحاب معجم الشعراء وتاريخ بغداد والوفيات وتاريخ الإسلام أن اسمه : على بن محمد بن منصور . وله ترجمتان فى سير أعلام النبلاء ؛ الأولى على أنه على بن محمد ، والثانية على أنه على بن أحمد . فاللَّه أعلم .

البَسَّامىُّ ، الشاعِرُ المُطْبِقُ للهِجاءِ ، فلم يتْرُكْ أحدًا حتى هجَاه ، حتى أباه وأمَّه أُمامَةَ بنتَ حَمْدُونَ النَّدِيمِ . وقد أوْرَدَ له ابنُ خَلِّكانَ أشْياءَ كثيرةً مِن شِعرِه ، فمِن ذلك قولُه فى تخْرِيبِ المُتَوكِّلِ قبرَ الحسينِ[1] بنِ علىٍّ وأمْرِه بأن يزْرَعَ ويُمْحَى رسْمُه ، وكان شدِيدَ التَّحاملِ على علىٍّ ووَلَدِه ، فلمَّا وقَع ما ذكَرْناه ، وكان ذلك سنةَ سِتٍّ وثلاثينَ ومائتَيْنِ ، قال ابنُ بسّامٍ هذا فى ذلك[2] :

تاللَّهِ إنْ كانت أُمَيَّةُ قد أتَتْ ... قَتْلَ ابنِ بِنْتِ نَبِيِّها مظْلُوما
فلقد أتاهُ بنُو أبيهِ بمِثْلِهِ ... هذا لَعمْرُكَ قبْرُه مهْدُوما
أسِفُوا على أن لا يكُونُوا شارَكُوا ... فى قَتْلِه فتَتَبَّعُوهُ رَمِيما

(١) فى م : « الحسن » .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٥.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة

فيها[1] عزَل الخليفةُ المقتدرُ باللَّهِ وزيرَه أبا الحسَنِ عليَّ بنَ عِيسى بنِ الجرَّاحِ ؛ وذلك لأنَّه وقَعتْ بيْنَه وبينَ أُمِّ مُوسى القهْرَمانةِ نُفْرَةٌ شديدَةٌ ، فسأَل الوزيرُ أنْ يُعْفَى مِن الوَزارةِ ، فعُزِلَ ولم يُتعرَّضْ لشيءٍ مِن أمْلاكِه .

وطُلِبَ أبو الحسَنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ الفُراتِ فأُعيدَ إلى الوزارةِ بعدَ عزْلِه عنها خمسَ سنِينَ ، وخلَعَ عليه الخليفةُ يومَ التَّرْوِيَةِ سَبْعَ خِلَعٍ ، وأطْلَقَ له ثَلاثَمِائَةِ ألفِ دِرْهَمٍ ، وعشَرَةَ تُخُوتِ ثِيابٍ ، ومِنَ الخيلِ والبِغالِ والجمالِ شيءٌ كثيرٌ ، وأُقْطِعَ الدارَ التى بالمُخَرِّمِ[2] فسكَنَها ، فعمِل فيها ضِيافةً تلك الليلةَ ، فسَقَى فيها أرْبَعِينَ ألْفَ رِطْلٍ مِن الثلجِ .

وفى الصيفِ مِن هذه السنَةِ اشْتَهَرَ ببَغْدادَ أنَّ حَيوانًا عجيبًا يقالُ له : الزَّبْزَبُ[3] . يطوفُ بالليلِ يأكُلُ الأطْفالَ مِن الأَسِرَّةِ ، ويعْدُو على النائمِ ، فرُبَّما قطَع يدَ الرجلِ وثَدْىَ المرأةِ وهو نائمٌ ، فجعَل الناسُ يضْرِبُونَ على أسطحَتِهم بالنُّحاسِ مِن الهَواوِينِ والطسوتِ وغيرِ ذلك يُنَفِّرُونَه عنهم ، حتى كانت بَغْدادُ

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٦٦، والكامل ٨/ ٩٨، والصلة ص ٥٩، والتكملة ص ٢١٠.

(٢) فى ب ، م : « بالحريم » . والمخرِّم : محلة كانت ببغداد بين الرُّصافة ونهر المُعَلَّى . معجم البلدان ٤/ ٤٤١.

(٣) فى ب ، م : « الزرنب » . والزبزب : دابة كالسنور ، وهى بلقاء بسواد ، قصيرة اليدين والرجلين . انظر تاج العروس (ز ب ب) ، وحياة الحيوان ص ٥٣٢.

ترْتَجُّ مِن شرْقِها وغرْبِها ، واصْطَنَع الناسُ لأوْلادِهم مكَبَّاتٍ مِن السعَفِ وغيرِ ذلك ، واغْتَنَمَتِ اللصوصُ هذه الشَّوْشةَ ، فكَثُرَ النُّقوبُ وأَخْذُ الأمْوالِ ، فأمَر الخليفةُ بأنْ يُؤْخَذَ حَيوانٌ من كلابِ الماءِ فيُصْلَبَ على الجسرِ ليَسْكُنَ الناسُ عن ذلك ، فَفُعِل فسكَن أمرُ الناسِ ورجَعُوا إلى أنفُسِهم ، واسْتَراحَ الناسُ مِن ذلك .

وقُلِّد ثابتُ بنُ سِنَانٍ الطَّبيبُ المُؤَرِّخُ أمرَ المارسْتاناتِ ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ ، وكانت خمسةً .

ورَدَ كتابٌ مِن خُرَاسَانَ بأنَهم وجَدُوا قُبورَ شُهَداءَ قُتِلُوا فى سنَةِ سَبْعِينَ مِن الهجرةِ مكْتُوبةٌ أسْماؤُهم فى رِقاعٍ مرْبُوطَةٍ بآذانِهم ، وأجْسادُهُم طَرِيَّةٌ كما هى .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الهَيْثَم بنِ صالحِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُصينِ بنِ عَلْقَمَةَ بنِ لبيدِ بنِ نُعَيْمِ بنِ عطاردَ بنِ حاجِبِ بنِ زرارةَ أبو الحسَنِ التَّميمىُّ[1] [٩/ ٥ظ] المُلَقَّبُ فَرُّوجةَ[2] ، قدِمَ بغَدادَ وحدَّث بها ، وكان ثقةً حافظًا .

يُوسُفُ بنُ الحسينِ بنِ علىٍّ أبو يَعْقُوبَ الرَّازِىُّ[3] ، سمِعَ أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ ، وصحِبَ ذا النونِ المصرىَّ ، وروَى عنه أبو بكرٍ النَّجَّادُ . روَى الخطيبُ[4] بسندِه

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٧٠، والمنتظم ١٣/ ١٧٠.

(٢) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « فورجة » ، والمثبت من تاريخ بغداد ، والمنتظم وانظر نزهة الألباب ٢/ ٦٩، وتبصير المنتبه ٣/ ١٠٨٧.

(٣) طبقات الصوفية ص ١٨٥، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٣٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣١٤، والمنتظم ١٣/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٥١.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٦، ٣١٧، والمنتظم ١٣/ ١٧١، ١٧٢.

إليه أنَّه بلَغَه أنَّ ذا النونِ يحفَظُ اسمَ اللَّهِ الأعْظَمَ فقصَده ؛ ليُعَلِّمَه إيَّاه ، قال : فلمَّا ورَدْتُ عليه اسْتَهانَ بى ، وكان لى لِحْيَةٌ طويلةٌ ومعى رِكْوَةٌ طويلةٌ . فجاءَ رجلٌ يومًا فناظَرَ ذا النونِ فأسْكَتَ ذا النونِ ، فناظَرتُ أنا الرجلَ فأسكتُّه ، فقامَ ذو النونِ فجلَس بينَ يدَىَّ وهو شيخٌ وأنا شابٌّ ، واعْتذَرَ إلىَّ ، فخدَمْتُه سنةً ، ثم سألْتُه أنْ يُعلِّمَنى الاسمَ الأعظمَ ، فلم يبعُدْ منِّى ووَعَدنى ، فمكَثْتُ بعدَ ذلك سِتَّةَ أشهرٍ ، ثم أخرَج إلىَّ طبقًا عليه مكبَّةٌ مشدودًا بمِنْدِيلٍ ، وقال لى : اذْهَبْ بهذا إلى صاحِبِنا فُلانٍ . قال : فجعَلْتُ أُفَكِّرُ فى الطريقِ ؛ ما هذا الذى قد أَرْسَلَنى به ؟ فلمَّا وصَلْتُ الجسرَ فتَحْتُه ، فإذا فيه فأْرَةٌ فقفَزَتْ وذهبَتْ ، فاغْتَظْتُ غيْظًا شديدًا ، وقلتُ : ذو النون يسخَرُ بى ، فرجَعْتُ إليه وأنا حَنِقٌ ، فقالَ لى : وَيْحَكَ ، إنَّما اخْتَبَرْتُكَ ، فإذا لم تكُنْ أمِينًا على فأرةٍ فأَنْ لا تكونَ أمِينًا على الاسمِ الأعْظَمِ بطَرِيقِ الأَوْلَى ، اذْهَبْ عنِّى فلا أراكَ بعدَها .

وقد رُئِى أبو الحسينِ الرازىُّ هذا فى المنامِ بعدَ موْتِه فقيلَ[1] له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال : غفَرَ لى بقَوْلِى عندَ الموتِ : اللَّهُمَّ إنِّى نصَحْتُ للناسِ قوْلًا ، وخُنْتُ نفْسِى فِعْلًا ، فهبَ لى خِيانَةَ فعْلِى لنُصْحِ قَوْلِى .

يَمُوتُ بنُ المُزَرَّعِ بنِ يَمُوتَ أبو بكرٍ العَبْدِىُّ[2] مِن عبدِ القَيْسِ ، وهو ثَوْرِىٌّ ، كان ابنَ أختِ الجاحظِ . قَدِمَ بَغْدادَ وحدَّثَ بها عن أبى عثمانَ المازنىِّ ، وأبى حاتمٍ السِّجِسْتَانِىِّ ، وأبى الفَضْلِ الرِّياشىِّ ، وكان صاحِبَ أخْبارٍ وآدابٍ ومُلَحٍ ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٨، ٣١٩، والمنتظم ١٣/ ١٧٢.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٢١٥، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٠٨، وفيه : « محمد بن المزرع » ، والمنتظم ١٣/ ١٧٢، ووفيات الأعيان ٧/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٥٠.

وقد كانَ غيَّرَ اسمَه بمحمدٍ، فلم يغلِبْ عليه إلَّا الأوَّلُ، وكان إذا ذهَب يعودُ مريضًا فدَقَّ البابَ فقيل: مَن؟ فيقولُ: ابنُ المزرَّعِ. ولا يذْكُرُ اسمَه؛ لِقَلَّا يتفاءلَ[1] أهلُ المريضِ بسماعِ ذلك.

(١) هكذا فى النسخ، والأولى «يتشاءم» والعبارة فى سير أعلام النبلاء: «وكان لا يعود مريضا كيلا يقع فى التطير باسمه».

ثم دخلتْ سنَةُ خَمْسٍ وثَلاثِمائَةٍ

فيها[1] قَدِمَ رسولُ ملكِ الرومِ فى طلَبِ المُفادَاةِ والهُدْنَةِ، وهو شابٌّ حدَثُ السنِّ، ومعه شيْخٌ منهم وعِشْرُونَ غُلامًا، فلمَّا ورَد بَغْدادَ شاهدَ أمْرًا هائلًا جدًّا؛ وذلك أنَّ الخليفةَ المقتدرَ باللَّهِ أمرَ بالاحْتِفالِ بذلك ليُشاهَدَ ما فيه إرْهابُ الأعْداءِ، فركِب الجيشُ بكَمالِه يومَئذٍ وكان مِائَةَ ألفٍ وسِتِّينَ ألفًا، ما بينَ فارِسٍ وراجلٍ، فى الأسْلِحَةِ التامَّةِ، وغِلمانُ الخليفةِ سبْعَةُ آلافٍ؛ أرْبَعَةُ آلافٍ بِيضٌ، وثلاثَةُ آلافٍ سُودٌ، وهم فى غايَةِ المَلابسِ والعُدَدِ، والحَجَبَةُ يَوْمَئِذٍ سَبْعُمِائَةِ حاجبٍ، وأمَّا الطياراتُ التى بدِجْلَةَ والزَّبازبُ[2] والسُّمَيرِيّاتُ فشىءٌ كثيرٌ مُزَيَّنَةٌ، فحِينَ دخلَ الرسولُ دارَ الخلافةِ شاهَد أمْرًا أدْهشَه، ورأَى مِن الحِشمةِ والزينةِ والحُرمَةِ ما يَبْهَرُ الأبْصارَ، وحينَ اجْتازَ بالحاجِبِ ظنَّ أنَّه الخليفةُ، فقيلَ له: هذا الحاجِبُ الكبيرُ. فمرَّ بالوزيرِ فى أُبَّهَتِه فظنَّه الخليفةَ، فقيلَ له: هذا الوزيرُ. وقد زُيِّنَتْ دارُ الخلافَةِ بزينةٍ لم يُسْمَعْ بمثلِها، كان فيها مِن السُّتورِ يَوْمَئِذٍ ثمانيَةٌ وثلاثُونَ ألفَ سِتْرٍ؛ منها اثنا عَشَرَ ألفَ سِتْرٍ وخَمْسُمِائَةٍ مُذَهَّبَةٌ، وقد بُسِطَ فيها اثْنانِ وعشرونَ ألفَ بِساطٍ، وفيها مِن الوُحوشِ قُطْعانٌ مُتآنِسَةٌ بالناسِ - بحيثُ تأكلُ مِن بينِ أيْدِيهم - [٦/٩و] ومِائَةُ سَبُعٍ مع

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٧٤، والكامل ٨/ ١٠٧، والصلة ص ٦٢.

(٢) فى ب، م: «الزيارب»، وفى ظ: «الزيادات». والزبازب: جمع زبزب، وهو ضرب من السفن. انظر تاج العروس (ز ب ب).

السّباعَةِ ، ثم أُدْخِلَ إلى دارِ الشجَرَةِ ؛ وهى عِبارَةٌ عن بِرْكَةٍ فيها ماءٌ صافٍ وفى وَسَطِ ذلك الماءِ شجَرَةٌ مِن ذهَبٍ وفِضَّةٍ لها ثمانِيَةَ عشَرَ غُصْنًا أكثرُها مِن ذهبٍ ، وفيها الشَّمارِيخُ والأَوْراقُ المُلَوَّنَةُ عليها طيورٌ مصبوغةٌ مِن الذَّهبِ والفضةِ واللَّآلِئِ ، وهى تُصوِّتُ بأنْواعِ الأصْواتِ ؛ مِن الماءِ المُسَلَّطِ عليها ، والشجرةُ بكَمالِها تتَمايلُ كما تتمايلُ الأشْجارُ بحَرَكاتٍ عجيبةٍ تُدْهِشُ مَن يرَاها ، ثم أُدخِلَ إلى مَكانٍ يُسَمُّونَه الفِرْدَوْسَ ، فيه مِن أنْواعِ المَفارِشِ والآلاتِ مالا يُحَدُّ ولا يوصفُ كثرةً وحُسْنًا ، وفى دَهالِيزِه ثمانيةَ عشَرَ ألفَ جَوْشَنٍ[1] مُذَهَّبَةً ، فما زالَ كلَّما مرَّ على مكانٍ أدْهشَه وأخَذ ببَصرِه حتى انْتَهى إلى الخليفةِ المقتدرِ باللَّهِ وهو جالسٌ على سَرِيرٍ من آبِنُوسَ ، قد فُرِشَ بالدَّيبِقىِّ المُطَرَّزِ ، وعن يمِينِ السريرِ تسعةُ عقودٍ مَعلَّقَةٌ ، وعن يَسارِه تسعةٌ أخرى مِن أفخرِ الجواهرِ ، يعْلُو ضوْؤُها على ضوءِ النهارِ ، فأُوقِف الرسولُ والذى معه بينَ يَدَى الخليفةِ على نحوٍ مِن مائةِ ذراعٍ ، والوزيرُ علىُّ بنُ محمدِ بنِ الفُراتِ واقفٌ بينَ يدَيِ الخليفةِ ، والتُّرْجُمانُ دونَ الوزيرِ ، فجعَل الخليفةُ يُخاطِبُ الوزيرَ ، والوزيرُ يخاطبُ الترجمانَ ، والترجمانُ يخاطِبُهما ، ثم خلَع عليهما وأطْلَق لهما خَمْسِينَ سقرقًا[2] فى كلِّ سقرقٍ خَمْسَةُ آلافِ دِرْهَمٍ ، وأُخْرِجَا مِن بينِ يدَيْه وطِيفَ بهما فى بَقِيَّةِ دارِ الخلافةِ ، وعلى حافاتِ دِجْلَةَ الفِيَلَةُ والزَّرافاتُ والسِّباعُ والفُهودُ وغيرُ ذلك ، وهذا مِن أغْرَبِ ما وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنَةِ . وحجَّ بالناسِ فيها الفَضْلُ الهاشِمىُّ .

---

(١) الجوش : الدِّرع . اللسان (ج ش ن) .

(٢) فى ص : « سقرفا » . وفى المنتظم ١٣/ ١٧٥ : « سقروقا » . لم أقف عليها ، ولعلها : صَدوقا ، وقد ورد فى إحدى نسخ المنتظم أنه حُمل إليهما خمسون بدرة ورقا فى كل بدرة خمسة آلاف درهم . وهو موافق لما فى نهاية الأرب ٢٣/ ٤٩.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

[1]سليمانُ بنُ[1] محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو موسَى النحوىُّ الكُوفِىُّ المعْروفُ بالحامضِ ، صحِبَ ثَعْلَبًا أرْبَعِينَ سنةً ، وخلَفَه فى حَلْقَتِه ، وصنَّفَ « غَرِيبَ الحديثِ » ، و « خلْقَ الإنْسانِ » ، و « الوُحوشَ » ، و « النَّباتَ » ، وكان دَيِّنًا صالحًا ، روَى عنه أبو عمرَ الزَّاهدُ . تُوفِّى ببَغْدادَ فى ذى الحِجَّةِ منها ، ودُفِنَ ببابِ التِّبْنِ[2] .

وعبدُ اللَّهِ [3]بنُ شِيرَوْيهِ[3] الحافظُ . وعِمْرَانُ بنُ مُجَاشِعٍ[4] . وأبو خليفةَ الفضْلُ بنُ الحُبَابِ[5] . وقاسِمُ بنُ زكريا بنِ يَحْيى المُطَرِّزُ المُقْرِئُ ، أحدُ الثِّقاتِ الأثْبَاتِ ، سمِع أبا كُرَيْبٍ ، وسُوَيْدَ بنَ سعيدٍ ، وعنه الخُلْدِىُّ ، وابنُ الجِعَابِىِّ ، تُوفِّى ببَغْدادَ فى هذه السنةِ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى : طبقات النحويين ص ١٥٢، وتاريخ بغداد ٩/ ٦١، والمنتظم ١٣/ ١٧٦، وإنباه الرواة ٢/ ٢١، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٥٩، وبغية الوعاة ١/ ٦٠١.

(٢) فى ب ، م ، ظ : « التين » .

(٣ - ٣) فى ب : « بن شرويه » ، وفى م : « بشرويه » . وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٦٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٦٢، والعبر ٢/ ١٢٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٧٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٦٥، والعبر ٢/ ١٢٩، وطبقات الحفاظ ص ٣٢٠.

(٥) المعجم الصغير للطبرانى ١/ ١٦١، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٦٦، والعبر ٢/ ١٣٠.

(٦) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٤١، والمنتظم ١٣/ ١٧٧، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٤٩، وفيه : القاسم بن زكريا بن عيسى ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٦٨، وغاية النهاية ٢/ ١٧.

ثم دخلتْ سنةُ ستٍّ وثلاثمائةٍ[1]

فى أوَّلِ يومٍ مِن المحرمِ، وهو مُستَهَلُّ هذه السنةِ فُتح المَارِسْتَانُ الذى بنَتْه السيدةُ أمُّ المقتدِرِ، وجلَس فيه سِنَانُ بنُ ثابتٍ الطَّبيبُ، ورُتِّبَتِ الأطباءُ والخدَمُ والقَوَمَةُ، وكانتْ نفقَتُه فى كلِّ شهرٍ ستَّمائةِ دِينارٍ، وأشارَ سِنَانُ بنُ ثابتٍ علَى الخليفةِ ببناءِ مَارستانَ، فقَبِلَ منه، وبُنى وسُمِّىَ المُقْتَدِرىَّ. وفيها وردَتِ الأخْبارُ عن أُمراءِ الصَّوائفِ بما فتَح اللَّهُ عليهم مِن الحُصونِ فى بلادِ الرومِ. وفيها شغَب العامَّةُ وأَرجَفوا[2] بموتِ المقتدِرِ، فركِبَ فى الجَحافِلِ حتى بلَغ الثُّرَيَّا[3] ورجَع من بابِ العامَّةِ، ووقفَ طويلًا ليَرَاه الناسُ، ثم ركِب [٩/ ٦ظ] إلى الشماسِيَّةِ وانْحدَرَ إلى دارِ الخلافةِ فى دِجْلَةَ فسكنَتِ الفِتَنُ. وفيها قلَّد المقتدرُ حامدَ بنَ العباسِ الوزارةَ وخلَع عليه، وخرَج مِن عندِه وخلْفَه أرْبَعُمائَةِ غُلامٍ لنفْسِه، ثم تبَيَّنَ عجزَه فأخرَج علىَّ بنَ عيسى وجعَله معه ليُنفِذَ الأمورَ ويَنْظُرَ معه فى الأعْمالِ، وكان أبو علىٍّ بنِ مقلةَ ممَّنْ يكتُبُ أيضًا بحضْرَةِ حامدِ بنِ العباسِ الوزيرِ، ثم صارَت المنزِلَةُ كلُّها لعلىِّ بنِ عيسى، واسْتَقلَّ بالوزارةِ فى السَّنةِ الآتيةِ. وفيها أمَرتِ السيدةُ أمُّ المُقْتَدِرِ قَهْرَمانَةً لها تُعرَفُ بثملَ أنْ تجلسَ فى التُّرْبَةِ التى بنَتْها بالرُّصافَةِ فى كلِّ يومِ جمُعةٍ، وأنْ تنظُرَ فى المظالمِ التى تُرفَعُ إليها فى القصصِ، وحضَر فى مجْلِسها

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٧٨، والكامل ٨/ ١١٥، والصلة ص ٦٧، والتكملة ص ٢١٣.

(٢) أرجفوا فى الشىء، وبه: إذا خاضوا فيه. تاج العروس (ر ج ف).

(٣) الثريا: أبنية بناها المعتضد قرب التاج. معجم البلدان ١/ ٩٣٤.

القُضاةُ والفُقَهاءُ. وحجَّ بالناسِ فيها الفَضْلُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشمِيُّ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ:

إبْراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ الحارثِ، أبو القاسمِ الكِلابيُّ الشافِعيُّ[1]، سمِعَ الحارِثَ بنَ مِسْكينٍ وغيرَه، وكان رجلًا صالحًا ثقةً، على مذْهبِ الشافِعيِّ وكان يُحِبُّ الخَلْوَةَ والانْقِباضَ، تُوفِّى فى شعبانَ منها. **أحمدُ بنُ الحسَنِ الصوفِيُّ**[2]، أحدُ مشايخِ الحديثِ المُكْثِرينَ المُعَمَّرِينَ.

أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُرَيْجٍ[3]، أبو العباسِ القاضى بشِيرَازَ، وله نحْوُ أرْبَعِمائَةِ مصنَّفٍ، وكان أحدَ أئمةِ الشافعِيَّةِ، وكان يُلَقَّبُ بالبازِ الأشْهَبِ، وكان قد أخذَ الفِقْهَ عن أبى القاسمِ الأنْماطِيِّ، وعن أصْحابِ الشافِعيِّ، كالمُزَنِيِّ وغيرِه، وعنه انْتَشرَ مذْهبُ الشافعِيِّ فى الآفاقِ، وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى طبقاتِ الشافعيةِ بما فيه مَقْنعٌ. تُوفِّى فى جُمادَى الأُولَى منها عن سَبْعٍ وخمسينَ سنةً وستَّةِ أشهرٍ، رحِمه اللَّهُ. قال ابنُ خَلِّكانَ[4]: تُوفِّى يومَ الاثنينِ الخامسَ والعِشْرِينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ، وعُمرُه سبْعٌ وخَمْسُونَ سنةً وستةُ أشهرٍ، وقَبْرُه يُزارُ.

أحمدُ بنُ يَحْيى، أبو عبدِ اللَّهِ الجَلَّاءُ[5]، بَغْدادِيٌّ، سكَن الشامَ وصحِبَ أبا

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٨٣.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٨٢، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٦، والمنتظم ١٣/ ١٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٢، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٠٥.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٧، طبقات الفقهاء ص ١٠٨، ووفيات الأعيان ١/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٧٧.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٦٧، وقد ذكر ابن خلكان هذا القول بصيغة التضعيف فقال: «وقيل»، وذكر قولًا آخر قبله بصيغة الجزم فقال: «توفى لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة».

(٥) فى م: «الجلاد». وانظر ترجمته فى: طبقات الصوفية للسلمى ١٧٦، وتاريخ بغداد ٥/ ٢١٣، =

تُرابِ النَّخشَبيَّ ، وذا النونِ المِصْرِيَّ . روَى أَبو نُعَيْمٍ[1] بسنَدِه عنه قال : قلتُ لأبَوَيَّ وأنا شابٌّ : إنِّى أُحِبُّ أنْ تَهبَانِى للَّهِ عزَّ وجلَّ فقالَا : قد وهَبْنَاكَ للَّهِ . فغِبْتُ عنهما مدَّةً طويلةً ، ثم رجَعْتُ إلى بلَدِنا عِشاءً فى ليلةٍ مَطِيرَةٍ ، فانْتَهَيْتُ إلى البابِ فدققتُه فقالا : مَن هذا ؟ فقلتُ : أنا ولَدُكما فلانٌ ، فقالَا : إنَّه قد كان لنا ولدٌ ووهبْنَاه للَّهِ عزَّ وجلَّ ، ونحنُ مِن العربِ لا نرجِعُ فيما وهَبْنا . ولم يفْتَحا لى البابَ .

الحسينُ بنُ يُوسفَ [2]بنِ يعقوبَ[2] بنِ إسْماعيلَ بنِ حمَّادِ بنِ زَيْدٍ ، القاضى أبو يَعْلَى ، وهو أخو القاضى أبى عمرَ محمدِ بنِ يُوسُفَ ، كان إليه وِلايةُ القَضاءِ بالأُرْدُنِّ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ موسى بنِ زيادٍ ، أبو محمدٍ الجواليقىُّ القاضى ، المعْروفُ بعَبْدانَ ، الأهْوازِىُّ[3] ، وُلد سنةَ سِتَّ عشْرَةَ ومِائتَيْنِ ، كان أحدَ الحُفَّاظِ الأثْباتِ ، يحفَظُ مائةَ ألفِ حديثٍ ، جمعَ المشايخَ والأبْوابَ ، روَى عن هُدْبَةَ ، وكامِلِ بنِ طلحةَ وغيرِهم [٩/٧و] ، وعنه ابنُ صاعدٍ ، والمحَامِلِىُّ وغيرُهما .

محمدُ بنُ بابشاذَ ، أبو عُبَيْدِ اللَّهِ البَصْرِىُّ[4] سكَن بَغْدادَ وحدَّثَ بها عن

= وحلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، والمنتظم ١٣/ ١٨١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٨١.

(١) الحلية ١٠/ ٣١٥.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ ، والمثبت من : المنتظم ١٣/ ١٨٤، وتاريخ بغداد ٨/ ١٤٧.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٩، والمنتظم ١٣/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٦٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٢٣٢، والعبر ٢/ ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٨٨.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٠٥، والمنتظم ١٣/ ١٨٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٩٣، ولسان الميزان ٥/ ٨٨.

عُبَيدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ العَنْبَرِىِّ وبِشْرِ بنِ مُعاذٍ العقدىِّ وغيرِهما ، وفى حديثِه غَرائِبُ وَمناكِيرُ . تُوفِّى فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

محمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ شَهْرَيارَ ، أبو بكرٍ القطَّانُ[1] **البَلْخِىُّ الأصْلِ** ، روَى عن الفَلَّاسِ وبِشْرِ بنِ مُعاذٍ . وعنه أبو بكرٍ الشافعىُّ وابنُ الجِعابىِّ . كذَّبَه ابنُ ناجِيَةَ ، وقال الدَّارَقُطْنِىُّ[2] : ليْسَ به بأسٌ .

محمدُ بنُ خلَفِ بنِ حَيَّانَ بنِ صدقةَ بنِ زِيادٍ ، أبو بكرٍ الضَّبِّىُّ القاضى المعرُوفُ بوَكِيعٍ[3] ، كان عالمًا فاضلًا عارِفًا بأيامِ الناسِ ، فَقِيهًا قارِئًا نحْوِيًّا ، له مُصَنَّفاتٌ ، منها كتابُ « العددِ » ، وَلِىَ القَضاءَ بالأَهْوازِ ، وحدَّث عن الحسَنِ بنِ عرَفَةَ ، والزُّبَيْرِ بنِ بَكَّارٍ وغيرِهما ، وعنه أحمدُ بنُ كامِلٍ ، وأبو علىٍّ الصَّوَّافُ ، وغيرُهما . ومِن شعرِه قولُه[4] :

إذا ما غدَتْ طلَّابةُ العلمِ تَبْتَغِى ... مِنَ العلمِ يومًا ما يُخَلَّدُ فى الكُتْبِ
غدَوْتُ بتَشْمِيرٍ وجدٍّ عليهِمُ ... ومِحْبَرَتِى أُذْنِى ودفترُها قلبى

مَنْصُورُ بنُ إسْماعيلَ بنِ عمرَ ، أبو الحسَنِ الفقيهُ[5] ، أحدُ أئمةِ الشافِعيَّةِ ، وله مُصنَّفاتٌ فى المذهبِ ، وله الشعرُ الحسَنُ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[6] : ويظْهَرُ فى

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٢، والمنتظم ١٣/ ١٨٦، ولسان الميزان ٥/ ١٣٨.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٢، والمنتظم ١٣/ ١٨٦.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٢٣٦، والمنتظم ١٣/ ١٨٦، وإنباه الرواة ٣/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٩٤، الوافى بالوفيات ٣/ ٤٣، وغاية النهاية ٢/ ١٣٧.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٢٣٧، والمنتظم ١٣/١٨٦ - ١٨٧.

(٥) فى م: «الفقير». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٣/ ١٨٧، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٨٥، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٩، وطبقات السبكى ٣/ ٤٧٨، وشذرات الذهب ٢/ ٢٤٩.

(٦) المنتظم ١٣/ ١٨٧.

شعرِه التَّشَيُّعُ ، وكان جُنْدِيًّا كُفَّ بصَرُه وسكَن الرَّمْلَةَ ، ثم قَدِمَ مِصْرَ حتى كانت وفاتُه بها .

أبو نَصْرٍ المُحِبُّ[1] أحدُ مشايخِ الصوفِيَّةِ ، كان له كرَمٌ وسَخاءٌ ومُروءَةٌ ، ومرَّ بسائلٍ سألَ وهو يقولُ : شَفِيعِى إليْكمُ رسولُ اللَّهِ ﷺ . فشَقَّ أبو نَصْرٍ إزارَه وأعْطَاه نصْفَه ، ثم مشَى خُطْوَتَيْنِ ، ثم رجَع إليه فأعْطَاه النصفَ الآخرَ ، وقال : هذا نَذَالَةٌ[2] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٢٠، والمنتظم ١٣/ ١٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ، الموضع السابق .

ثم دخلتْ سنةُ سَبْعٍ وثَلاثِمائَةٍ

فى صفَر منها[1] وقَع حريقٌ بالكَرْخِ فى البَاقلانيين ، هلَك فيه خلْقٌ كثيرٌ مِن الناسِ . وفى رَبيعِ الآخرِ منها دُخِلَ بأُسارَى مِن الكَرْخِ نحوٍ مِن مائَةٍ وخَمْسِينَ أسيرًا أنْقَذهم الأميرُ بَدْرٌ الحمَامِىُّ . وفى ذى القَعْدَةِ انْقَضَّ كوكبٌ عظيمٌ غالبُ الضوءِ وتقَطَّعَ ثلاثَ قِطَعٍ ، وسُمِع بعدَ انْقِضاضِه صوتُ رَعْدٍ شديدٍ هائلٍ مِن غيرِ غَيْمٍ . ذكَره ابنُ الجَوْزِىِّ[2] . وفيها دخَلتِ القَرامطةُ إلى البصرةِ فأكثَرُوا فيها الفسادَ . وفيها عُزِل حامِدُ بنُ العباسِ عن الوزارةِ وأُعِيد إليها أبو الحسَنِ بنُ الفُراتِ المرَّةَ الثالثةَ . وفيها كسرَتِ العامَّةُ أبْوابَ السجُونِ فأخْرَجوا مَن كان بها ، فأدرَكتِ الشرطةُ الذين أُخرِجُوا مِن السجنِ فلم يَفُتْهم أحدٌ منهم ، بلْ رُدُّوا كلُّهم إلى السجونِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أحمدُ بنُ العباسِ أخو أمِّ مُوسى القَهْرَمَانَةِ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ علىِّ بنِ المُثَنَّى ، أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[3] ، صاحبُ « المُسْنَدِ » المشهورِ ، سمع الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ وطَبقتَه ، وكان حافِظًا خَيِّرًا ، حسَنَ

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٨٩، والكامل ٨/ ١٢١.

(٢) المنتظم ١٣/ ١٨٩.

(٣) الثقات ٨/ ٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٧٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٠٠، والعبر ٢/ ١٣٤، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٤١، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، وطبقات الحفاظ ٣٠٦.

التصْنيفِ ، ثقةً ، عدْلًا فيما يرْوِيه ، ضابِطًا لِمَا يحدِّثُ به .

إسْحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَمةَ أبو يَعْقُوبَ البَزَّازُ[1] **الكُوفِيُّ** ، رحَل إلى الشامِ ومِصْرَ ، وكتَب الكثيرَ وصنَّف « المُسْنَدَ » ، [٩/ ٧ظ] واسْتَوْطَن بغْدادَ ، وكان مِن الثِّقاتِ ، روَى عنه ابنُ المُظَفَّرِ الحافظُ ، [1] وكانت وفاتُه فى شوالٍ مِنها .

جعفرُ بنُ محمدُ بنِ موسى أبو محمدٍ الأعرجُ النَّيْسابورِىُّ الحافظُ[2] ، قَدِمَ بَغْدادَ ، وروَى عنه الطَّبَرانِىُّ والأزدىُّ وغيرُهما مِن الحُفَّاظِ ، وكان ثقةً حافظًا عارفًا . تُوفِّى بحَلَبَ فى هذه السنَةِ .

زكَرِيَّا بنُ يَحْيى السَّاجِىُّ[3] الفَقِيهُ المحدِّثُ ، شيخُ أبى الحسَنِ الأشْعَرِىِّ فى السُّنَّةِ والحديثِ .

علىُّ بنُ سَهْلِ بنِ الأزْهَرِ أبو الحسَنِ الأَصْبهانىُّ[4] ، كان أوَّلًا مُتْرَفًا ثم كان زاهدًا عابِدًا يبْقَى الأيامَ لا يأكلُ شيئًا ، وكان يقولُ : ألْهانى الشوقُ عنِ الطَّعامِ والشرابِ . وكان يقولُ : أنا لا أموتُ بما يموتُونَ ؛ بالأعْلالِ والأسْقامِ ، إنَّما هو

---

(١) فى ب ، م : ظ : « البزار » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٦/ ٣٨٨، والمنتظم ١٣/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٠٤.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٠٣، والمنتظم ١٣/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٠٥.

(٣) الجرح والتعديل ٣/ ٦٠١، وطبقات الفقهاء ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٠٩، والعبر ٢/ ١٣٤، وطبقات السبكى ٣/ ٢٩٩، وطبقات الحفاظ ٣٠٦.

(٤) المعجم الصغير للطبرانى ١/ ٢٠٨، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ١٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢١٤.

دُعاءٌ وإجابَةٌ ، أُدْعَى فأجِيبُ . فكانَ كما قال ؛ بيْنَما هِو جالِسٌ فى جماعَةٍ إذْ قال : لَبَّيْكَ . ووَقَع مَيِّتًا .

ومحمدُ بنُ هارونَ الرُّويَانِىُّ[1] صاحِبُ «المُسْنَدِ» . **وابنُ ذَرِيحٍ**[2] العُكْبَرِىُّ . **والهَيْثَمُ** بنُ خَلَفٍ[3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٠٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٢١، والعبر ٢/ ١٣٥، والوافى بالوفيات ٥/ ١٤٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، وطبقات الحفاظ ٣١٦.

(٢) فى م : «دريج» . وهو تصحيف ، واسمه محمد بن صالح بن ذريح أبو جعفر العكبرى ، وقد اختلف المترجمون له فى تحديد سنة وفاته فقيل : سنة ستٍّ أو سبعٍ أو ثمانٍ وثلاثمائة . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٥/ ٣٦١، والأنساب ٤/ ٢٢٢، والمنتظم ١٣/ ١٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢١٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٦٣، والمنتظم ١٣/ ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٢٥، والعبر ٢/ ١٣٥، ولسان الميزان ٦/ ٢٠٦.

ثم دخلتْ سنَةُ ثَمانٍ وثلاثمِائَةٍ

غلَتِ الأسْعارُ فى هذه السنَةِ[1] ببَغْدادَ ؛ فاضْطرَبَتِ العامَّةُ ، وقصَدُوا دارَ حامدِ بنِ العبَّاسِ الذى ضَمِن قَرايا[2] مِن الخليفةِ ، فغَلَتِ الأسْعارُ بسبَبِ ذلك ، وعَدَوْا فى ذلك اليومِ - وكان يومَ الجُمُعةِ - على الخطيبِ ، فمنَعُوه الخُطْبَةَ وكسَرُوا المَنابرَ ودِكَكَ الشرطِ ، وحرَقُوا جُسورًا كثيرةً ، وأمَر الخليفةُ بقِتالِ العامَّةِ ثم نقَض الضَّمانَ الذى كان حامدُ بنُ العباسِ ضَمِنه ، فانْحَطَّتِ الأَسْعارُ ، وبيعَ الكُرُّ بناقصِ خَمْسَةِ دنانيرَ ، فطابَتْ أنفسُ العامَّةِ بذلكِ وسكَنُوا . وفى تَمُّوزَ مِن هذه السنةِ وقَع بردٌ شديدٌ جدًّا حتى نزَلَ الناسُ من الأسطحَةِ وتدَثَّرُوا باللُّحُفِ والأَكْسِيَةِ ، ووَقَع فى شتاءِ هذه السنةِ ثَلْجٌ عظيمٌ ، وكان فيها برْدٌ شديدٌ جدًّا بحيثُ أضرَّ ذلك ببعضِ النَّخيلِ . وحجَّ بالناسِ فيها أحمدُ بنُ العباسِ أخو القَهْرَمَانَةِ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ الفَقيهُ[3] راوِى « صَحِيحِ مسلمٍ » عنه .

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٩٤، والصلة ص ٧٧، والتكملة ص ٢١٧ مختصرًا .

(٢) فى الأصل : « سرايا » وفى ب : « براثا » . وفى م : « برائى » . وفى ص : « ترايا » . وقرا الأرض تتبعها أرضا أرضا ، وسار فيها ينظر حالها وأمرها . اللسان (ق ر ا) . وقرايا : لعلها جمع قَرِيَّة (فعيلة بمعنى مفعولة) أى متتبَّعة ومنظور فى حالها ، والله أعلم . وانظر ما يأتى ١٦/ ٤٥ (حوادث سنة ٤٦٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٢٨، والعبر ٢/ ١٣٦، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥٢.

أحمدُ بنُ الصَّلْتِ بنِ المُغَلِّسِ، أبو العباسِ الحِمّانيُّ[1] أحدُ الوَضّاعِين للأحاديثِ، روَى عن خالِه جُبَارَةَ بنِ المُغَلِّسِ، وأبى نُعيمٍ، ومُسلمِ بنِ إبراهيمَ، وأبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ، وأبى عُبَيْدٍ القاسِمِ بنِ سَلّامٍ وغيرِهم أحاديثَ، كلُّها وضَعها هو فى مَناقِبِ أبى حنيفةَ، وغيرِ ذلك. وحكَى عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ، وعلىِّ بنِ المَدِينىِّ، وبِشْرِ بنِ الحارِثِ أخْبارًا كلُّها كَذِبٌ. قال أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِىِّ[2]: قال لى محمدُ بنُ أبى الفَوارِسِ: كان أحمدُ بنُ الصَّلْتِ يضَعُ الحديثَ.

وإسْحاقُ بنُ أحمدَ الخُزَاعِىُّ[3]. **والمُفَضَّلُ** الجَنَدِىُّ[4]. **وعبدُ اللَّهِ** بنُ محمدِ بنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِىُّ[5].

وعبدُ اللَّهِ بنُ ثابتِ بنِ يَعْقُوبَ أبو عبدِ اللَّهِ المُقْرِئُ[6] النحوىُّ التَّوَّزِىُّ، سكَن بغدادَ، وروَى عن عُمَرَ بنِ شَبَّةَ، وعنه أبو عمرٍو بن السَّمَّاكِ. ومن شعرِه[7]:

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٧، ٥/ ٣٣، ١٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٢٧، وميزان الاعتدال ١/ ١٠٥، ١٤٠، ولسان الميزان ١/ ١٨٨، ٢٦٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٥٩.

(٢) المنتظم ١٣/ ١٩٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٢٩، ومعرفة القراء الكبار للذهبى ١/ ١٨٤، والعبر ٢/ ١٣٦، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٣، وغاية النهاية ١/ ١٥٦.

(٤) الأنساب ٢/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٤٥، والعبر ٢/ ١٣٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٥٠، وغاية النهاية ٢/ ٣٠٧، ولسان الميزان ٦/ ٨١.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٣٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٤، والعبر ٢/ ١٣٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥٢.

(٦) تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٦، والمنتظم ١٣/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٣٦.

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٦، والمنتظم ١٣/ ١٩٨.

إذا لم تكُنْ حافِظًا واعِيًا فعِلْمُكَ فى البيتِ لا ينفَعُ
وتحْضُرُ بالجهْلِ فى مجْلِسٍ وعِلْمُكَ فى الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ
[٩/٨و] ومَنْ يَكُ فى دهْرِه هكذا يكُنْ دهْرَهُ القَهْقَرَى يرجِعُ

(البداية والنهاية ١٤/٥٢)

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فيها[1] وقَع حريقٌ كثيرٌ فى نواحِى بَغْدادَ بسبَبِ زِنْدِيقٍ قُتِل ، فألْقَى مَن كان مِن جِهَتِه الحريقَ فى أماكِنَ كثيرةٍ ، فهَلَك بسبَبِ ذلك خَلْقٌ كثيرٌ مِن الناسِ . وفى جُمادَى الأُولَى مِنها قلَّد المقتدرُ باللَّهِ مُؤْنِسًا الخادمَ بلادَ مِصْرَ والشامِ ، ولقَّبه المُظَفَّرَ ، وكتَب بذلك فى المُراسَلاتِ إلى الآفاقِ . وفى ذى القَعْدَةِ أُحْضِر أبو جَعْفَرٍ محمدُ بنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، إلى دارِ الوزيرِ عيسى بنِ علىٍّ لمُناظَرَةِ الحنابلةِ فى أشْياءَ نقَمُوها عليه ، فلم يَحْضُروا ولا واحدٌ مِنهم . وقدَّمَ الوزيرُ حامدُ بنُ العباسِ للخليفةِ بُسْتانًا بنَاه وسمَّاه النَّاعُورَةَ ، قِيمتُه مِائَةُ ألفِ دينارٍ ، وفرَش مساكِنَه بأنْواعِ المفارِشِ المُفْتخَرَةِ .

وفيها كان مقتلُ الحسينِ بنِ منصورٍ الحلَّاجِ ، وَلْنَذكُرْ شيئًا مِن ترجمتِه وسيرَتِه ، وكيفيَّةِ قتلِه ، على وجهِ الإيجاز - وبيانِ المقْصُودِ ، [2]بطريقِ الإنْصافِ والعَدْلِ[2] .

[3]وهذه نُبذةٌ مِن سيرتِه وأحوالِه وكشفِ سريرتِه وأقوالِه[3]

الحسينُ بنُ منصورِ بنِ مَحْمِىٍّ الحلَّاجُ أبو مُغِيثٍ[4] ، ويقالُ : أبو عبدِ اللَّهِ ،

---

(١) المنتظم ١٣/ ١٩٩، والكامل ٨/ ١٢٩.

(٢ - ٢) سقط من الأصل . وبعده فى ب ، م : « من غير تحمل ولا هوى ولا جور » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « ترجمة الحلاج . ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله أو نتحمل عليه فى أقواله وأفعاله فنقول : هو » .

(٤) طبقات الصوفية ٣٠٧، وتاريخ بغداد ٨/ ١١٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٠، واللباب ١/ ٣٣٠، =

كان جَدُّه مَجُوسِيًّا، اسمُه مَحمِيٌّ مِن أهلِ فارِسَ[1]، نشأ بواسِطٍ، ويقالُ: بتُسْتَرَ. ودخَل بَغْدادَ وتردَّد إلى مَكَّةَ مِرارًا للحَجِّ وجاوَر بها[2] سَنَواتٍ مُتفرِّقَةً، وكان يُصابِرُ نفْسَه ويُجاهِدُها؛ فلا يجلِسُ إلّا تحتَ السماءِ فى وَسَطِ المسجدِ [3]فى البَردِ والحرِّ[3]، ولا يأكُلُ إلا بعضَ قُرَصٍ، ويشرَبُ قليلًا مِن الماءِ معه وذلك وقتَ الفطورِ مدَّةَ سنَةٍ كامِلَةٍ، ويجلِسُ على صَخْرَةٍ فى قُبالةِ الحرمِ فى جَبَلِ أبى قُبَيْسٍ، وقد صحِبَ جماعةً مِن ساداتِ مشايخِ الصوفِيَّةِ، كالجُنَيْدِ بنِ محمدٍ، وعمرِو بنِ عُثمانَ المكِّيِّ، وأبى الحسينِ النُّورِيِّ.

قال الخطيبُ البَغْدادِيُّ[4]: والصوفِيَّةُ مُخْتلفُونَ فيه؛ فأكْثَرُهم نفَى أنْ يكونَ الحلّاجُ منهم، وأبى أنْ يعُدَّه فيهم، وقَبِله مِن مُتَقدِّميهم أبو العباسِ بنُ عَطاءٍ البَغْدادِيُّ، ومحمدُ بنُ خفيفٍ[5] الشِّيرازِيُّ، وإبْراهيمُ بنُ محمدٍ النَّصْرَاباذِيُّ النَّيْسابُورِيُّ، وصحَّحُوا له حالَه، ودوَّنُوا كلامَه، حتى قال ابنُ خفيفٍ: الحسينُ ابنُ مَنْصُورٍ عالِمٌ رَبَّانِيٌّ.

وقال أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ[6]؛ واسمُه محمدُ بنُ الحسينِ: سمِعتُ إبْراهيمَ بنَ محمدٍ النَّصْرَاباذِيَّ، وعُوتِب فى شيءٍ حُكِى عن الحلّاجِ فى الرُّوحِ،

= وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٥٢، والعبر ٢/ ١٣٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٥٣، ولسان الميزان ٢/ ٣١٤، وطبقات المفسرين ٢/ ١٣٨.

(١) بعده فى ب، م: «من بلدة يقال لها البيضاء».

(٢) بعده فى ب، م: «فى وسط المسجد فى البرد والحر، مكث على ذلك».

(٣ - ٣) فى ب، م: «الحرام».

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١١٢. وانظر طبقات الصوفية للسلمى ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥) فى الأصل، تاريخ بغداد: «حفيف». وانظر الأنساب ٣/ ٤٩٢.

(٦) تاريخ بغداد ٨/ ١٢١.

فقال لِمَنْ عاتَبه : إنْ كان بعدَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ مُوَحِّدٌ فهو الحَلَّاجُ . قال أبو عبدِ الرحمنِ : وسمِعتُ منْصورَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : سمِعتُ الشِّبْلِيَّ يقولُ : كنتُ أنا والحسينُ بنُ مَنْصُورٍ شيئًا واحدًا ، إلَّا أنَّه أظْهَر وكتَمْتُ . وقد رُوِى عنِ الشِّبْلِيِّ مِن وجهٍ آخرَ أنَّه قال ، وقد رأَى الحلَّاجَ مصْلُوبًا : ألم ننهَك عن العالَمِينَ ؟

قال الخطيبُ[1] : والذين نفَوْه مِن الصوفِيَّةِ نسَبُوه إلى الشَّعْبَذَةِ فى فعْلِه ، وإلى الزَّنْدَقَةِ فى عقْدِه[2] . قال : وله إلى الآنَ أصْحابٌ يُنْسَبونَ إليه ويَغلُونَ فيه . وقد كان الحلَّاجُ حسنَ العبارةِ حُلْوَ المنطقِ ، وله شِعْرٌ على طريقةِ التصوُّفِ .

قلتُ : لم يزَلِ الناسُ [٨/٩ظ] منذُ قُتِل الحلَّاجُ مُختلفين فى أمْرِه ؛ فأمَّا الفُقَهاءُ ، فقد حُكِى عن غيرِ واحدٍ من[3] الأئمةِ إجْماعُهم على قَتْلِه ، وأنَّه كان كافِرًا مُمَخْرِقًا مُمَوِّهًا[4] مُشعْبِذًا[5] ، وكذلك قولُ أكثرِ الصوفيةِ مِنهم . ومنهم طائفةٌ ، كما تقدَّم ، أجْمَلُوا القَولَ فيه ، وغرَّهم ظاهِرُه ولم يطَّلِعُوا على باطِنِه ، وقد كان فى ابْتِداءِ أمْرِه فيه تعَبُّدٌ وتَأَلُّهٌ وسلُوكٌ ، ولكِنْ لم يكُنْ له عِلمٌ ، [6]يسلُكُ به فى عبادتِه ، فدخَل عليه الداخلُ بسببِ ذلك ، كما قال بعضُ السلفِ : مَن عبَد اللَّهَ بغيرِ علمٍ[6] كان ما يُفسِدُه أكثرَ ممَّا يُصْلِحُه . وعن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١١٢.

(٢) فى الأصل : « عقله » . وفى ب ، م : « عقيدته وعقده » .

(٣) بعده فى ب ، م : « العلماء و » .

(٤) المُمَخرِقُ : المُمَوِّه . وكلاهما بمعنى ، وهو الملَبِّسُ بالباطلِ المُزَيِّن . وهى المخرقة ؛ مأخوذة من مخاريق الصبيان . وانظر اللسان (م خ ر ق) . والوسيط (م و هـ) .

(٥) شعبذ وشعوذ : مهر فى الاحتيال وأرى الشىءَ على غير حقيقته معتمدًا على خداع الحواس ، وزين الباطل لإيهام أنه حق . الوسيط (ش ع ب ذ) .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « ولا بنى أمره وحاله على تقوى من اللَّه ورضوان ، فلهذا » .

قال[1] : مَن فسَد مِن عُلَمائِنا كان فيه شبَهٌ مِن اليهودِ ، ومَن فسَد مِن عُبَّادِنا كان فيه شَبَهٌ مِن النَّصارَى ، ولهذا دخَل على الحلَّاجِ بابُ الحلُولِ والاتحادِ ، فصار مِن أهلِ الانْحِلالِ والإلحادِ .

وقد ورَد مِن غيرِ وَجْهٍ أنَّه تقلَّبَتْ به الأحْوالُ وترَدَّد إلى البُلْدانِ ، وهو فى ذلك كلِّه يُظْهِرُ للناسِ أنَّه مِنَ الدُّعاةِ إلى اللَّهِ عزَّ وجَلَّ . وصحَّ أنَّه دخَل إلى الهِنْدِ ليتعلَّم السِّحْرَ ، وقال : أدْعُو به إلى اللَّهِ عزّ وجلّ . وكان أهلُ الهِنْدِ يُكاتِبونَه بالمُغِيثِ ، ويكاتِبُه أهلُ تركستانَ[2] بالمُقيتِ ، ويكاتِبُه أهلُ خُراسانَ بالمُمَيِّزِ ، وأهلُ فارِسَ بأبى عبدِ اللَّهِ الزاهدِ ، وأهْلُ خُوزَسْتَانَ [3] بأبى عبدِ اللَّهِ الزاهدِ[3] حَلَّاجِ الأسْرارِ . وكان بعضُ البَغادِدَةِ حينَ كان عندَهم يقولُونَ له : المُصْطَلِمُ . وأهلُ البَصْرَةِ يقولُونَ له : المُحَيِّرُ .

ويقالُ : إنَّما سمَّاه الحلَّاجَ أهلُ الأهْوازِ ؛ لأنَّه كان يُكاشِفُهم عن ما فى ضمائِرِهم . وقيلَ : لأنَّه قال لحلّاجٍ : اذْهَبْ لى فى حاجَةِ كذا وكذا ، فقال : إنِّى مشغولٌ . فقال : اذْهَبْ فأنا أَسُدُّ عنك . فذهَب ورجَع سرِيعًا فإذا جميعُ ما فى ذلك المخْزَنِ قد حلَجه ، يقالُ : إنَّه أشارَ بالمِرْوَدِ ، فامْتازَ الحَبُّ عنِ القطنِ . وفى صحةِ هذا نَظَرٌ[4] ، وقيلَ : لأنَّ أباه كان حَلَّاجًا . وممَّا يدُلُّ على أنَّه كان ذا حُلُول[5]

---

(١) ذكره ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥، وعزاه إلى سفيان ابن عيينة وغيره .

(٢) فى الأصل : « خراسان » . وفى ب ، م : « سركسان » . ومكانه بياض فى (ص) . وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١١٣.

(٣ - ٣) كذا بالنسخ . وفى تاريخ بغداد ٨/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٥: « بالشيخ » .

(٤) فى ب ، م : « ونسبته إليه نظر وإن كان قد جرى مثل هذا فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم » .

(٥) فى الأصل ، ص ، ظ : « سلوك » .

فى بَدْءِ أمرِه أشْياءُ كثيرةٌ ، منها شعْرُه ، فمِنْ ذلك قولُه[1] :

جُبِلتْ رُوحُكَ فى رُوحِى كما ... يُجْبَلُ العَنْبرُ بالمسكِ الفَتِقْ
فإذا مسَّكَ شىءٌ مسَّنِى ... فإذا أنتَ أنا لا نفْترِقْ

وقوله أيضًا[1] :

مُزِجتْ رُوحُكَ فى رُوحِى كما ... تُمْزَجُ الخَمْرةُ بالماءِ الزُّلالْ
فإذا مسَّكَ شىءٌ مسَّنِى ... فإذا أنتَ أنا فى كلِّ حالْ

وله أيضًا[1] :

قد تحقَّقْتُكَ فى سِرِّ ... ى فخاطبْكَ لسانِى
فاجتَمَعْنا لمَعانٍ ... وافْترَقنا لمَعانِ
إنْ يكُنْ غيَّبَكَ التعْـ ... ـظيمُ عن لحظِ العَيانِ
فلقد صيَّركَ الوجـ ... ـدُ منَ الأحشاءِ دانِ

وقد أُنشِد لابنِ عَطاءٍ قولُ الحلَّاجِ[2] :

أُرِيدُكَ لا أُرِيدُكَ للثَّوابِ ... ولكنِّى أُرِيدُكَ للعِقابِ
وكلُّ مآرِبى قد نِلْتُ منها ... سِوَى مَلْذُوذِ وجْدِى بالعَذابِ

فقال ابنُ عَطاءٍ : هذا ممّا يتزايَدُ به عذابُ الشَّغِفِ ، وهُيامُ الكَلِفِ ، واحْتِراقُ الأسِفِ ، فإذا صفا ووَفا عَلا إلى مشربِ عَذْبٍ وهَطْلٍ مِنَ الحقِّ دائمٍ سَكِبٍ .

وقد أُنشِد لأبى عبدِ اللَّهِ بنِ خفيفٍ قولُ الحلَّاجِ :

---

(١) تاريخ بغداد ٨/١١٥ - ١١٦.
(٢) تاريخ بغداد ٨/١١٦.

سُبْحانَ مَن أظهَر ناسُوتُه سِرَّسَنَا لاهُوتِه الثاقبِ
ثم بَدا فى خلْقِه ظاهِرًا فى صورةِ الآكلِ والشّاربِ
حتى لقَدْ عايَنهُ خلْقُهُ كلَحْظَةِ الحاجِبِ بالحاجبِ

فقال ابنُ خفيفٍ : علَى مَن يقولُ هذا لعنَةُ اللَّهِ . فقيلَ له : إنَّ هذا مِن شعرِ الحسينِ بنِ منصورٍ . فقال : ربما يكونُ مَقُولًا عليه .

ومِمّا يُنْسَبُ إليه مِن الشعرِ قولُه[1] :

أرسَلتَ[2] تسألُ عنِّى كيفَ كنتُ وما لاقَيتُ بعدَكَ مِن همٍّ ومِن حَزَنِ
لا كنتُ إنْ كنتُ أدْرِى كيفَ كنتُ ولا لا كُنتُ [3]إنْ كُنتُ[3] أدْرِى كيفَ لم أكنِ

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : ويُروَى لسَمْنُونٍ لا للحَلَّاجِ .

ومِن شعرِه أيضًا قولُه[5] :

متى سهِرتْ عيْنِى لغيرِكَ أو بكَت فلا أُعْطِيَتْ ما أمَّلَتْ وتمَنَّتِ
وإنْ أضْمَرتْ نَفْسِى سواكَ فلا رَعَتْ[6] رِياضَ المُنَى مِن وَجْنتَيْكَ وجُنَّتِ

ومِن شعرِه أيضًا[7] :

---

(١) جاء هذان البيتان فى الأصل فى صورة تفسد الوزن وتسىء إليه . وانظر وفيات الأعيان ٢/١٤٣ - ١٤٤.
(٢) فى ب ، م : « أوشكت » .
(٣ - ٣) سقط من ب ، م .
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٤.
(٥) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٦.
(٦) فى ب ، م : « زكت » .
(٧) تاريخ بغداد ٨/١١٧ - ١١٨.

دُنْيـــا تُـغالِطُـنـى كـأنِّـــى لـسْـتُ أعـرِفُ حـالَـهـا
حـظَـر المليـكُ حَـرامَـهـا وأنـا احْـتـمَـيْـتُ حَـلالَـهـا
فـوجَـدْتُـهـا مُـحْـتـاجـةً فـوهـبْـتُ لـذَّتَـهـا لـهـا

وقد كان الحلَّاجُ يتلوَّنُ فى ملابسِه ، فتارةً يلْبَسُ لِباسَ الصوفيةِ ، وتارةً يتجرَّدُ فى ملابِسَ زَرِيَّةٍ ، وتارةً فى لِباسِ الأجْنادِ ، ويُعاشِرُ أبْناءَ الدنيا[1] . وقد رآه بعضُهم فى لباسٍ رَثٍّ وبيدِه رِكْوَةٌ وعُكَّازٌ وهو سائحٌ ، فقال له : ما هذه الحالَةُ ياحلَّاجُ ؟ فأنشَأ يقولُ[2] :

لئِنَ أمسَيْتُ فى ثَوْبَىْ عديمٍ لـقـد بـلِـيَـا عـلـى حُـرٍّ كـريمِ
فلا يغْرُرْكَ أنْ أبْصَرْتَ حالًا مُـغَـيَّـرَةً عـن الحالِ الـقـديمِ
فلى نفْسٌ ستَتْلَفُ أَوْ ستَرْقَى لعَـمْـرُكَ بى إلى أمرٍ جسيـمِ

ومِن مُسْتَجادِ كلامِه قولُه ، وقد سأَله رجلٌ أنْ يوصِيَه بشىءٍ ينفَعُه[3] : عليكَ بنفْسِك ؛ إنْ لم تشْغَلْها بالحقِّ شغَلَتْكَ عنِ الحقِّ . وقال له رجلٌ : عِظْنى . فقال : كُنْ مع الحقِّ بحكمِ ما أوْجَب .

وروَى الخطيبُ بسنَدِه إليه أنَّه قال[4] : عِلْمُ الأوَّلينَ والآخرِينَ مرْجِعُه إلى أرْبَعِ كلماتٍ ؛ حبِّ الجَليلِ ، وبُغْضِ القَليلِ ، واتِّباعِ التَّنْزيلِ ، وخَوْفِ التَّحْويلِ . قلتُ : وقد أُصِيب[5] الحلَّاجُ فى المقامَيْنِ الأخِيرَيْنِ ، فلم يتَّبِعِ التنزيلَ ، ولم يَبْقَ على

---

(١) فى ب ، م : « الأغنياء والملوك والأجناد » .
(٢) تاريخ بغداد ٨/ ١١٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٢٦، ٣٢٧.
(٣) بعده فى ب ، م : « اللّه به فقال » . وانظر الأثر فى تاريخ بغداد ٨/ ١١٤.
(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١١٤- ١١٥.
(٥) فى ب ، م : « أخطأ » .

الاسْتِقامةِ ، بل تحوَّلَ منها إلى الاعْوِجاجِ والبِدْعَةِ ، نسْألُ اللَّهَ العافيةَ .

قال أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ[1] : حُكِى عن عمرِو بنِ عُثْمانَ المكِّيِّ أنَّه قال : كنتُ أُماشِى الحلَّاجَ فى بعضِ أزِقَّةِ مَكَّةَ ، وكنتُ أقرأُ القرآنَ ، فسمِع قراءَتِى فقال : يمْكِنُنِى أنْ أقولَ مثلَ هذا . ففارَقْتُه . قال الخطيبُ[1] : وحدَّثَنِى مَسْعودُ بنُ ناصِرٍ ، أنْبأنَا [٩/ ٩ظ] ابنُ باكُويه الشِّيرازِىُّ ، سمعتُ أبا زُرْعَةَ الطَّبرِىَّ يقولُ : الناسُ فيه - يعْنِى حسينَ بنَ منصورٍ - بينَ قَبُولٍ ورَدٍّ ، ولكِنْ سمِعْتُ محمدَ بنَ يَحْيى الرَّازِىَّ يقولُ : سمِعتُ عمرَو بنَ عُثْمانَ يلْعَنُه ويقولُ : لو قدَرْتُ عليه لقَتَلتُه بِيَدَىَّ . فقلتُ : أَيْشِ الذى وجَد الشيخُ عليه ؟ قال : قرأتُ آيَةً مِن كتابِ اللَّهِ ، فقال : يُمْكِنُنِى أنْ أُؤلِّفَ مثلَه وأتكلَّمَ به . قال أبو زُرْعَةَ الطَّبَرِىُّ[1] : وسمِعْتُ أبا يَعْقُوبَ الأَقْطَعَ يقولُ : زوَّجْتُ ابْنَتِى مِن الحسينِ بنِ منصورٍ لِمَا رأيْتُ مِن حُسنِ طريقَتِه واجْتِهادِه ، فبَان لى بعدَ مدَّةٍ يسيرةٍ أنَّه ساحِرٌ مُحْتالٌ ، خبيثٌ كافرٌ .

قلتُ : كان تزْوِيجُه بها بمَكَّةَ ، وهى أمُّ الحسينِ بنتُ أبى يَعْقُوبَ الأَقْطَعِ ، فأوْلَدها ولَدَه أحمدَ بنَ الحسينِ بنِ مَنْصُورٍ ، وقد ذكَر سِيرَةَ أبِيه كما ساقَها من طريقِه[2] الخطيبُ[3] .

وقد ذكَر أبو القاسِمِ القُشَيْرِىُّ فى كتابِ « الرسالةِ » فى بابِ « حِفْظِ قلُوبِ المشايخِ » أنَّ عمرَو بنَ عُثْمانَ دخَل على الحلَّاجِ وهو بمَكَّةَ ، وهو يكْتُبُ شيئًا فى

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٢١.

(٢) فى م : « طريق » .

(٣) تاريخ بغداد ٨/١١٢ - ١١٤. ومن طريق الخطيب أخرجها الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٦.

أوْراقٍ ، فقال له[1] : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارِضُ القرآنَ . قال : فدَعَا عليه ، فلم يُفْلِحْ بعدَها ، وأنْكَر على أبى يَعْقُوبَ الأقْطَعِ تزْوِيجَه إيَّاه ابنَتَه ، وكتَب إلى الآفاقِ كُتُبًا كثيرةً يلْعَنُه فيها ويُحَذِّرُ الناسَ منه ، فشرَد الحلَّاجُ فى البلادِ فعاثَ يمينًا وشِمالًا ، وجعَل يُظهِرُ للناسِ أنَّه يدْعُو إلى اللَّهِ عزّ وجلَّ ، ويسْتَعِينُ بأنْواعٍ مِن الحيَلِ ، ولم يزَلْ ذلك دأْبَه وشأْنَه حتى أحَلَّ اللَّهُ به بأْسَه الذى لا يُرَدُّ عنِ القومِ المجْرِمينَ ، فقتَله بسَيْفِ الشرعِ الذى لا يقَعُ إلَّا بينَ كَتِفَىْ زِنْدِيقٍ ، واللَّهُ أكرمُ مِن أنْ يسلِّطَه على صِدِّيقٍ ، كيْفَ وقد تهجَّمَ على القرآنِ العظيمِ ، وأرادَ مُعارضَتَه فى البلدِ الحرامِ الكريمِ[2] ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] ولا إلحادَ أعظمُ مِن هذا . وقد أشْبَهَ فى حالِه هذا كفّارَ قريشٍ فى مُعاندتِهم ، الذين قال تعالى فيهم : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال : ٣١] .

ذِكْرُ أشْياءَ من حِيَلِ الحَلَّاجِ

روَى الخطيبُ البَغْدادِىُّ[3] أنَّ الحلّاجَ أنفَذ رجلًا بينَ يدَيْه إلى بعضِ بلادِ الجبلِ ، فأقام بتلك البلدةِ يُظْهِرُ لهم الصَّلاحَ والنُّسُكَ ويقرَأُ القرآنَ ، فأقام مُدَّةً على

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٦٣٦.

(٢) فى ب ، م : «حيث نزل به جبريل» .

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٢، ١٢٣، بنحوه .

ذلك ، ثم أظهَر لهم أنَّه قد عَمِى ، فمكَث حِينًا على ذلك ، ثم أظهَر أنَّه قد زَمِن ، وكان أوَّلًا يُقادُ إلى المسجدِ ثم صار يُحمَلُ ، فمكَث سنةً كذلك ، ثم قال لهم : إنى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو يقولُ : سيَرِدُ إلى هذه البلدةِ رجلٌ صالحٌ ، يكونُ شفاؤك على يدَيْه . فما كان عن قريبٍ حتى كان الوقتُ الذى واعَده فيه الحلّاجُ ، ودخَل الحلّاجُ البلدةَ مُختفِيًا وعليه ثيابُ صوفٍ بيضٌ ، فلزِم ساريةً مِن المسجدِ يتعبَّدُ فيها ، لا يَلتفِتُ إلى أحدٍ ، فابتدَر الناسُ إلى ذلك المتعامِى المتزامِنِ ، فقيل له : قدِم رجلٌ صالحٌ ، فهَلُمَّ إليه . فحمَلوه حتى وضَعوه بينَ يدَيْه ، فكلَّمه ، فعرَفه ، فقال له : يا عبدَ اللَّهِ ، إنى رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ ، وهو يقولُ لى كذا وكذا ، فعسى أن يكونَ أنتَ إيّاه . فرفَع يدَيْه ودعا [٩/ ١٠و] اللَّهَ عزَّ وجَلَّ ، والناسُ حضورٌ متكاثِرون ينظُرون ماذا يكونُ من أمرِه ، ففتَح الرجلُ عينَيْه ، وقام قائمًا على قدمَيْه ، فضَجَّ الناسُ ، وعظَّموا الحلّاجَ تعظيمًا زائدًا ، وليس ذلك بحقٍّ ، فأقام عندهم مُدَّةً ثم خرَج من بين أظهرِهم ، وبقِى ذلك الرجلُ عندَهم عدةَ شهورٍ ، ثم قال : إنَّ مِن نعمةِ اللَّهِ علىَّ أن ردَّ علىّ بصرى ، وشفانى ، وينبغى أن أجاهِدَ فى سبيلِه بثَغْرِ طَرَسُوسَ . فعزَم على ذلك فجمَعوا له من بينِهم مالًا جزيلًا ؛ ألوفًا مِن الذهبِ والفضةِ ، ثم ودَّعهم وودَّعوه ، فذهَب إلى الحلّاجِ ، فاقتسَما ذلك المالَ .

ورُوِى عن بَعْضِهم ، قال[1] : كنتُ أسمَعُ أنَّ الحلَّاجَ له أحْوالٌ ، فأحْبَبْتُ أن أخْتَبِرَه ، فجِئْتُه فسلَّمْتُ عليه ، فقال لى : تشَهَّ علىَّ الساعَةَ شيئًا . فقلتُ : أشْتَهِى سَمَكًا طَرِيًّا . فدخَل منزِلَه فغابَ ساعةً ، ثم خرَج ومعه سمَكَةٌ تضْطَرِبُ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٣، ١٢٤.

ورِجْلاه عليهما الطِّينُ ، فقال : دعَوْتُ اللَّهَ ، فأمَرنى أن آتِىَ البَطائحَ لآتِيَك بهذه ، فخُضْتُ الأهْوازَ ، وهذا الطِّينُ منها . فقلتُ : إن شِئْتَ أدْخَلْتَنى منزِلَك لأكشِفَ أمرَك ، فإن ظهَرتُ على شىءٍ وإلّا آمَنْتُ بك . فقال : ادْخُلْ . فدخَلْتُ فلم أجِدْ فى البيتِ مَنْفَذًا إلى غيرِه ، فتحيَّرْتُ فى أمْرِه ثم نظَرتُ ؛ فإذا تأزيرٌ[1] ، فكشَفتُه فإذا مِن ورائِه بابٌ فدخَلتُ ، فخرجت منه إلى بُسْتانٍ هائلٍ ، فيه مِن سائرِ الثِّمارِ الجديدةِ والمُعتَّقَةِ ، قد أُحسِن إبْقاؤها ، وإذا أشياءُ كثيرةٌ مُعَدَّةٌ للأكْلِ ، وإذا هناك بِرْكَةٌ كبيرةٌ فيها سمَكٌ كثيرٌ كِبارٌ ، فدخَلْتُها فأخرَجْتُ منها واحدةً ، فنال رِجْلَىَّ مِن الطينِ كما نالَ رِجْلَيْه ، وجئْتُ إلى البابِ ، فقلتُ له : افْتَحْ ، فقد آمَنْتُ بك . فلمَّا خَرَجْتُ ورآنى على مثلِ حالِه جرَى ورائى ليقتُلَنى ، فضرَبْتُه بالسَّمكةِ فى وَجْهِه ، وقلتُ : يا عَدُوَّ اللَّهِ أتْعَبْتَنى فى هذا اليومِ . ولمَّا خلَصْتُ منه لَقِيَنى بعدَ ذلك فضاحَكنِى ، وقال : لا تُفْشِ هذا لأحَدٍ أبعَثْ[2] إليكَ مَن يقْتُلُك على فِراشِك . قال[3] : فلم أحدِّثْ به أحدًا حتى صُلِب . وقد قال يومًا لرجلٍ[4] : آمِنْ بى حتى أبعَثَ لك بعُصْفُورَةٍ تأخُذُ مِن ذَرْقِها[5] وَزْنَ حَبَّةٍ فتضَعُه على كذا [6]وكذا رِطلًا[6] مِن نحاسٍ فيَصِيرُ ذهَبًا . فقالَ له الرجلُ : آمِنْ بى أنت حتى أبعَثَ إليك بفِيلٍ إذا اسْتَلْقَى على قَفاه بلَغَتْ قَوائمُهُ السماءَ ، وإذا أرَدْتَ أن تُخْفِيَه وضَعْتَه فى إحدى عيْنَيْك . قال : فبُهِتَ وسكَت .

---

(١) فى م : « أنا بتأزيرة وكان مؤزرًا بإزار ساج فحركتها فانفلقت » . والتأزير : التغطية ومن المجاز : التأزير : (التقوية) وقد أزر الحائط إذا قواه بتحويط يلزق به . التاج (أ ز ر) .

(٢) فى ب ، م : « وإلا بعثت » .

(٣) بعده فى ب ، م : « فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه » .

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٦ .

(٥) فى ص : « رزقها » . وذرق الطائر : خُرْؤه .

(٦ - ٦) فى م : « منا » .

ولمَّا ورَد بَغْدادَ جعلَ يدْعُو إلى نفسِه ويُظهِرُ أشْياءَ مِن المَخارِيقِ ، وغيرِها مِن الأحْوالِ الشَّيْطانِيَّةِ ، وأكثرُ ما كان يروجُ على الرافِضَةِ ؛ لِقلَّةِ عقُولِهم وضعفِ تَمْيِيزِهم بينَ الحقِّ والباطلِ ، فاسْتَدْعَى يومًا برئيسٍ مِن الرّافِضَةِ ، فدَعاه إلى الإيمانِ به ، فقالَ له الرجلُ[1] : إنِّى رجلٌ أحِبُّ النساءَ ، وإنى أصْلَعُ الرأسِ ، وقد شِبْتُ ، فإن أنت أذْهَبْتَ عنِّى هذا وهذا آمَنْتُ أنَّكَ الإمامُ المعْصومُ ، وإن شئتَ قلْتُ : إنَّك نَبِيٌّ ، وإنْ شئتَ قلتُ : إنَّكَ أنتَ اللَّهُ . [٩/١٠ظ] قال : فبُهِت الحلَّاجُ ولم يُحِرْ إليه جَوابًا .

قال الشيخُ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِىِّ[2] : كان الحلّاجُ مُتَلَوِّنًا كثيرَ التلَوُّنِ ، تارةً يَلْبَسُ المُسُوحَ ، وتارةً يلبَسُ الدُّرَّاعَةَ ، وتارةً يلبَسُ القَبَاءَ ، وهو مع كلِّ قومٍ على مذَهبِهم ؛ إن كانوا أهْلَ سُنَّةٍ أو رافِضَةً أو مُعْتَزِلَةً أو غيرَ ذلك .

ولما أقام بالأهْوَازِ جعَل يُنفِقُ مِن دَرَاهمَ يُخْرِجُها ، يُسمِّيها دَراهِمَ القُدْرَةِ ، فسُئِل الشيخُ أبو علىٍّ الجُبَّائىُّ عن ذلك ، فقال[3] : إنَّ هذا كلَّه مِمَّا يُنالُ بالحيلةِ ، ولكِنْ أدْخِلُوه بَيْتًا لا مَنْفَذَ له ، ثم سلُوه أن يُخرِجَ لكم جَوْزَتَين مِن شَوْكٍ . فلمَّا بلَغ الحلّاجَ كلامُ أبى علىٍّ الجُبّائىِّ فيه ، تحوَّلَ مِن الأهْوازِ .

قال الخطيبُ[4] : أنبأنا إبراهيمُ بنُ مخلدٍ ، أنبأنا إسماعيلُ بنُ علىٍّ الخُطَبىُّ[5]

---

(١) تاريخ بغداد ٨/١٢٤ - ١٢٥.
(٢) المنتظم ١٣/٢٠١ - ٢٠٢، بنحوه.
(٣) المنتظم ١٣/ ٢٠٣، بنحوه.
(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٦، ١٢٧. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣٥، ٣٣٦.
(٥) فى م : « الخطيب ».

فى « تاريخِه » ، قال : وظهَر أمرُ رجلٍ يُعرَفُ بالحلّاجِ ، يقالُ له : الحسينُ بنُ منصورٍ . وكان فى حبسِ السلطانِ بسِعايةٍ وقَعت به ، وذلك فى وزارةِ علىِّ بنِ عيسى الأُولَى ، وذُكِر عنه ضُروبٌ مِن الزَّنْدَقَةِ ووَضْعِ الحيَلِ على تَضْليلِ الناسِ ، مِن جِهَاتٍ تُشْبِهُ الشَّعْوَذَةَ والسحرَ ، وادِّعاءَ النُّبُوَّةِ ، فكشَفه علىُّ بنُ عِيسى عندَ قبْضِه عليه ، وانتهَى خبرُه إلى السلْطانِ - يعْنِى المقتدرَ باللَّهِ - فلم يُقِرَّ بما رُمِى به مِن ذلك ، فعاقَبه وصلَبه حيًّا أيامًا مُتَواليةً فى رَحْبَةِ الجِسْرِ ، فى كلِّ يومٍ غُدْوَةً ، ويُنادَى عليه بما ذُكِر عنه ، ثم يُنزَلُ به ثم يُحبَسُ ، فأقامَ فى الحبسِ سنينَ كثيرةً ؛ يُنْقَلُ مِن حبسٍ إلى حبسٍ ، (١) حتى حُبِس بأَخَرةٍ (١) فى دارِ السلْطانِ ، فاسْتَغْوَى جماعةً مِن غِلْمان السلْطانِ ، ومَوَّهَ عليهم ، واسْتمالَهم بضُروبٍ مِن حِيَلِه ، حتى صارُوا يحْمُونَه ويدْفَعُونَ عنه ويُرَفِّهُونَه ، ثم راسَل جماعةً مِن الكُتَّابِ وغيرِهم ببغدادَ وغيرِها ، فاسْتَجابوا له وتراقَى به الأمرُ حتى ذُكِر أنَّه ادَّعَى الرُّبوبيَّةَ ، وسُعِى بجماعَةٍ مِن أصحابِه إلى السلْطانِ فقُبِض عليهم ، وَوُجِد عندَ بعضِهم كتبٌ تدلُّ على تصْديقِ ما ذُكِر عنه ، وأَقرَّ بعضُهم بلِسانِه بذلك ، وانْتَشَر خبرُه وتكلَّم الناسُ فى قتْلِه ، فأمَر أميرُ المؤمنين بتَسْليمِه إلى حامِدِ بنِ العباسِ ، وأمَر أن يكْشِفَه بحضْرَةِ القضاةِ ، ويجمَعَ بينَه وبينَ أصحابِه ، فجرَى فى ذلك خُطوبٌ طِوالٌ ، ثم اسْتَيْقَن السلطانُ أمرَه ووَقَف على ما ذُكِر له عنه (٢) ، فأمَر بقتْلِه وإحْراقِه بالنارِ ، فأُحْضِر مجلِسَ الشرطةِ بالجانبِ الغربىِّ يومَ الثلاثاءِ لسبعٍ (٣) بَقِين مِن ذى القَعْدَةِ سنةَ تِسْعٍ وثَلاثِمائةٍ ، فضُرِب بالسِّياطِ نحْوًا مِن ألفِ سوطٍ ، وقُطِعتْ يدَاه

(١ - ١) فى ب ، م : « خوفًا من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم إلى أن حبس آخر حبسة » .

(٢) بعده فى ب ، م : « وثبت ذلك على يد القضاة وأفتى به العلماء » .

(٣) فى ب ، م : « لتسع » . وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٢٧.

ورِجْلاه ، وضُرِبتُ عنقُه ، وأُحْرِقَتْ جثَّتُه بالنارِ ، ونُصِب رأسُه للناسِ على سورِ الجِسْرِ الجديدِ ، وعُلِّقَتْ يَداه ورِجْلاه إلى جانبِ رأسِه .

وقال أبو عبدِ الرحمنِ [1]محمدُ بنُ الحسينِ[1] السُّلَمِيُّ[2] : سمِعتُ إبراهيمَ بنَ محمدٍ الواعِظَ يقولُ : قال أبو القاسمِ الرَّازِيُّ : قال أبو بكرِ بنُ مُمْشاذٍ : حضَر عندَنا بالدِّينَوَرِ رجلٌ ومعه مِخْلَاةٌ ، فما كان يفارِقُها بالليلِ ولا بالنهارِ ، ففَتَّشُوا المِخلاةَ فوجَدُوا فيها كتابًا للحَلَّاجِ عنوانُه : مِن الرحمنِ الرحيمِ إلى فُلانِ بنِ فلانٍ[3] . فبُعِثَ به إلى بغدادَ ، فسُئِل الحلَّاجُ عن ذلك فأقَرَّ أنَّه كتَبه [٩/١١و] فقالُوا له : كنتَ تدَّعِي النبوةَ ، فصِرْتَ تدَّعِي الأُلوهِيَّةَ والرُّبوبِيَّةَ ؟! فقال : لا ، ولكِنْ هذا عَيْنُ الجمعِ عندَنا ، هل الكاتبُ إلَّا اللَّهُ ، وأنا واليَدُ آلَةٌ ؟ فقيلَ له : معك على هذا أحدٌ ؟ قال : نعم ؛ ابنُ عَطاءٍ وأبو محمدٍ الجرِيرِيُّ وأبو بكرٍ الشِّبْلِيُّ . فسُئل الجرِيرِيُّ عن ذلك ، فقال : مَن يقولُ بهذا كافرٌ . وسُئل الشبلِيُّ عن ذلك فقال : مَن يقولُ بهذا يُمنَعُ . وسُئل ابنُ عطاءٍ عن ذلك فقال بقولِ الحلَّاجِ فى ذلك ، فعُوقِبَ حتى كان سبَبَ هلاكِه .

ثم روَى أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ[4] ، عن محمدِ بنِ [5]عبدِ اللَّهِ[5] الرَّازِيِّ أنَّ الوزيرَ حامِدَ بنَ العباسِ لمَّا حضَر الحلَّاجُ سأَلَه عنِ اعْتِقادِه ، فأقَرَّ به ، فكتَبه ، فسأل عن ذلك فقهاءَ بغدادَ ،فأنْكَرُوا ذلك ، وقيل للوزيرِ : إنَّ أبا العباسِ بنَ عَطاءٍ يقولُ

(١ - ١) فى م : « بن الحسن » .

(٢) تاريخ بغداد ٨/١٢٧ - ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٢٨.

(٣) بعده فى ب ، م : « يدعوه إلى الضلالة والإيمان به » .

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/٣٢٨ - ٣٢٩.

(٥ - ٥) فى ب ، م : « عبد الرحمن » .

بهذا[1] . فطلَبه إلى منزِله ، وجاء فجلَس فى صَدْرِ المجلسِ ، وسأله عن ذلك فقال : مَن لا يقولُ بهذا فهو بلا اعْتِقادٍ . فقال له الوزيرُ : وَيْحَكَ تُصَوِّبُ مثلَ هذا الاعْتِقادِ ؟ فقالَ : مالَكَ ولهذا ، عليكَ بما نُصِّبْتَ له مِن أخْذِ أمْوالِ الناسِ وظُلْمِهم وقتْلِهم ، فمالَكَ ولِكَلامِ هؤلاء السادَةِ[2] ؟ فأمَر الوزيرُ بضَرْبِ شِدْقَيْه ونَزْعِ خُفَّيْه وأن يُضْرَبَ بهما على رأسِه ، فما زالَ يُفْعَلُ ذلك به حتى سالَ الدمُ مِن مَنْخَرَيْه ، وأمَر بسَجْنِه ، فقيل له : أيها الوزيرُ ، إنَّ العامَّةَ [3]تتشوّشُ بهذا[3] . فحُمِلَ إلى منزِله ، فقال ابنُ عَطاءٍ : اللَّهُمَّ اقْتُلْه أخبث قِتلَةٍ ، واقْطَعْ يدَيْه ورِجْلَيْه . فماتَ ابنُ عَطاءٍ بعدَ سبعةِ أيامٍ ، وقُتِل الوزيرُ بعدَ ذلك شرَّ قِتلةٍ ، وقُطِعَتْ يَداه ورِجْلَاه وأُحْرِقَتْ دَارُه[4] . وقدِ اتَّفَق عُلَماءُ بغدادَ على كفرِ الحلاجِ وزَنْدَقَتِه ، وأجْمَعُوا على قتْلِه وصلْبِه .

قال أبو بكرٍ محمدُ بنُ داودَ الظَّاهِرِىُّ[5] : حينَ أُحْضِرَ الحَلَّاجُ فى المرةِ الأُولَى قبلَ وفاةِ أبى بكرٍ ، وسُئل عنه ، فقال : إن كان ما أنزَل اللَّهُ على نبيِّه ﷺ حقًّا ، وما جاء به حقًّا ، فما يقولُه الحلّاجُ باطِلٌ . وكان شديدًا عليه .

وقال أبو بكرٍ الصُّولىُّ[6] : قد رأيْتُ الحلَّاجَ وخاطَبْتُه ، فرأيْتُه جاهلًا يتعاقَلُ ،

---

(١) بعده فى ب ، م : « فقالوا : من قال بهذا فهو كافر » .

(٢) بعده فى ب ، م : « من الأولياء » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « تستوحش من هذا ولا يعجبها » .

(٤) بعده فى ب ، م : « وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء على عادتهم فى مرائيهم فيمن أوذى ممن لهم معه هوى ، بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذى ابن عربى أو يحط على حسين الحلاج أو غيره : هذا بخطيئة فلان » .

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣٠.

(٦) المنتظم ١٣/ ٢٠٢، والصلة ٨٨ - ٨٩، كلاهما بنحوه .

وغَبيًّا يتَبالَغُ ، وفاجِرًا يتَعبَّدُ .

ولمَّا صُلِب فى أوَّلِ مرَّةٍ ونُودِى عليه أربعةَ أيامٍ سمِعَه بعضُهم[1] ، وقدجِيءَ به ليُصْلَبَ وهو راكبٌ على بقَرَةٍ ، يقولُ : ما أنا بالحلَّاجِ ، ولكِن أُلْقِى علىَّ شبَهُه وغابَ . فلمَّا أُدْنِىَ إلى الخشَبَةِ ليُصْلَبَ عليها ، سمِعْتُه[2] يقولُ : يا مُعِينَ الضَّنا علىَّ أعِنِّى على الضَّنا . وقال بعضهُم[3] : سمِعْتُه وهو مصلوبٌ يقولُ : إلَهِى ، أصبحتُ فى دارِ الرَّغائبِ ، أنْظُرُ إلى العجائبِ ، إلَهِى ، إنكَ تتَوَدَّدُ إلى مَن يُؤْذِيكَ ، فكيف بمَن يُؤْذَى فيك .

ذِكرُ صِفَةِ مَقْتَلِ الحَلَّاجِ

قال الخطيبُ البغدادىُّ وغيرُه[4] : كان الحلّاجُ قد قَدِم آخرَ قَدْمَةٍ إلى بغدادَ ، فصَحِب الصوفيَّةَ وانتَسَب إليهم ، وكان الوزيرُ إذْ ذاك حامِدَ[5] بنَ العباسِ ، فبَلَغه أنَّ الحلّاجَ قد أضَلَّ خلْقًا مِنَ الحشَمِ والحُجَّابِ فى دارِ السلْطانِ ، ومِن غِلْمانِ نَصْرٍ القُشُورِىِّ[6] الحاجبِ ، وزعَم لهم أنه يُحْيِى الموْتَى ، وأنَّ الجِنَّ يخْدِمونَه ،

---

(١) هو أبو محمد الياقوتى ، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٨.

(٢) الكلام لأبى محمد الياقوتى ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القلانسى الرازى ، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٥.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، والكامل ٨/ ١٢٧، ١٢٨. والصلة ص ٧ فما بعده ، والتكملة ص ٢١٩، ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣٦.

(٥) فى الأصل : «أحمد» .

(٦) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : «القسورى» . وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٣٢. وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٣٤.

ويُحْضِرونَ له ما يَختارُه ويشْتَهِيه . وقال : إنَّه قد أحْيا عدَّةً مِن الطيرِ . وذُكِرَ لعليِّ بنِ عِيسَى أنَّ رجلًا يقالُ له : محمدُ بنُ عليٍّ القُنَّائيُّ[1] الكاتبُ يعْبُدُ الحلَّاجَ ويدْعُو الناسَ إلى ذلك فطلَبه ، وكبَس منْزِلَه فأقَرَّ أنَّه مِن أصْحابِ الحلّاجِ ، ووجَد فى منْزِله أشْياءَ بخطِّ الحلّاجِ مُكتَتَبةً بماءِ الذهبِ فى وَرَقِ الحرِيرِ ، مُجلَّدَةً بأفْخرِ الجلُودِ ، ووجَد عندَه سَفَطًا فيه مِن رَجيعِ الحلّاجِ[2] وبَوْلِه ، وأشياءَ مِن آثارِه ، وبقيةِ خُبْزٍ مِن زادِه ، فطلَبَ الوزيرُ مِن الخليفةِ المُقْتَدِرِ أنْ يتكلَّم فى أمرِ الحلَّاجِ ، ففوَّضَ أمْرَه إليه ، فاسْتَدْعَى بجماعَةٍ مِن أصْحابِ الحلّاجِ فتَهدَّدَهم ، فاعْترَفُوا له أنَّه قد صحَّ عندَهم أنَّه إلَهٌ ، وأنَّه يُحْيِى الموْتَى ، وأنَّهم كاشَفُوا الحلّاجَ بذلك[3] فجحَد وكذَّبَهم ، وقال : أعوذُ باللَّهِ أنْ أدَّعِىَ الرُّبوبِيَّةَ أو النُّبُوَّةَ ، وإنَّما أنا رجلٌ أعبُدُ اللَّهَ وأُكْثِرُ الصومَ والصلاةَ وفعلَ الخيرِ ، ولا أعرِفُ غيرَ ذلك . وجعَل لا يَزيدُ على الشَّهادتَيْنِ والتَّوْحيدِ ، ويُكثِرُ أنْ يقولَ : سُبْحَانكَ لا إلَهَ إلَّا أنتَ ، عمِلتُ سُوءًا وظلَمْتُ نفْسِى ، فاغْفِرْ لِى إنَّه لا يغفِرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ . وكانت عليه مِدْرَعَةٌ سَوْداءُ ، وفى رِجْلَيْه ثلاثَةَ عشَرَ قيدًا ، وهى واصلَةٌ إلى رُكْبَتَيْه[4] ، وكان مع ذلك يُصلِّى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعةٍ .

وكان قبلَ احْتِياطِ الوزيرِ حامدِ بنِ العباسِ عليه فى حُجْرَةٍ مِن دارِ نَصْرٍ القُشُورِىِّ الحاجبِ مأْذُونًا لِمَنْ يدخُلُ إليه ، وكان يُسمِّى نفْسَه تارةً بالحسينِ بنِ منْصورٍ ، وتارةً محمدَ بنَ أحمدَ الفارِسِىَّ ، وكان نَصْرٌ الحاجِبُ قدِ افْتُتِن به ،

---

(١) فى ب ، ظ : « القبانى » . وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٣٣.

(٢) بعده فى ب ، م : « وعذرته » .

(٣) بعده فى ب ، م : « ورموه به فى وجهه » .

(٤) بعده فى ب ، م : « والقيود واصلة إلى ركبتيه أيضًا » .

وظَنَّ أنَّه رجلٌ صالحٌ ، وكان قد أدْخله على المُقْتَدِرِ باللَّهِ فرَقَاه مِن وجَعٍ حصَل له فاتَّفَق زَوالُه ، وكذلكَ وقَع لوالدته السيدةِ أمِّ المقتدِرِ فزالَتْ عِلَّتُها ، فنفَق سُوقُه وحَظِيَ فى دارِ السلْطانِ ، فلمَّا انْتَشَر الكلامُ فيه سُلِّمَ إلى الوزيرِ حامدِ بنِ العباسِ ، فحبَسَه فى قُيودٍ كثيرةٍ فى رِجْلَيْه ، وجمَع له الفُقَهاءَ ، فأجْمَعُوا على كُفْرِه وزَنْدَقَتِه ، وأنَّه ساحِرٌ مُمَخْرِقٌ . ورجَع رَجُلانِ صالحانِ ممَّن كان اتَّبَعه ؛ أحدُهما أبو عليٍّ هارُونُ بنُ عبدِ العزيزِ الأُوراجِيُّ ، والآخَرُ يقالُ له : الدَّبّاسُ . فذكَرا مِن فَضائِحه وما كان يدْعُو إليه الناسَ مِن الكَذِبِ والفُجورِ والمُخْرَقَةِ والسحرِ شيئًا كثيرًا ، وكذلك أُحْضِرَتْ زوجةُ ابنِه سليمانَ ، فذكَرتْ عنه فَضائِحَ كثيرةً ؛ مِن ذلك أنَّه أرادَ أنْ يغْشَاها ، وهى نائمةٌ فانْتَبَهتْ ، فقال : قُومِى إلى الصلاةِ . وإنَّما كان يريدُ أنْ يطَأَها ، (١وأمَرتها ابنتُه١) بالسجودِ له ، فقالت : أَوَ يَسْجُدُ بشرٌ لبشرٍ ؟ فقال : نَعَمْ ، إلَهٌ فى السماءِ وإلَهٌ فى الأرضِ . ثم أمَرها أن تأخُذَ مِن تحتِ بارِيَةٍ هُنالك ما أحبَّتْ ، فوجَدتْ تحتَها دَنانِيرَ كثيرةً مَبْدُورَةً .

ولمَّا كان مُعْتَقَلًا فى دارِ حامدِ بنِ العباسِ دخَل عليه بعضُ الغِلْمانِ ومعه طبَقٌ فيه طعامٌ ليأْكُلَ منه ، فوجَده قد مَلأ البيتَ مِن سَقْفِه إلى أرْضِه ، فذُعِر ذلك الغلامُ(٢) ، وألقَى ما كانَ فى يَدِه مِن ذلك الطبقِ والطعامِ ، ورجَع مَحْمُومًا فمرِض عدةَ أيامٍ .

ولمَّا كان آخرُ مجلسٍ أُحْضِر [٩/١١ظ] القاضى أبو عمرَ محمدُ بنُ يُوسُفَ ، وجِيءَ بالحلَّاجِ وقد أُحْضِر له كتابٌ مِن دُورِ بعضِ أصْحابِه وفيه : مَن أرادَ الحجَّ

(١ - ١) فى الأصل ، ص ، ظ : « وأمرتها ابنتها » . وفى ب : « وأمرها ابنه » . وفى م : « وأمر ابنتها » . والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ١٣٥ ، وانظر الصلة ص ٨١ فى الحاشية ، والتكملة ص ٢١٩.

(٢) بعده فى ب ، م : « وفزع فزعًا شديدًا » .

ولم يتَيَسَّرْ له فَلْيَبْنِ فى دارِه بَيْتًا لا ينالُه شىءٌ مِنَ النَّجاسَةِ ، ولا يُمَكِّنُ أحدًا مِن دخُولِه ، فإذا كان فى أيامِ الحجِّ فَلْيَصُمْ ثلاثَةَ أيامٍ وَلْيَطُفْ به كما يُطافُ بالكَعْبَةِ ، ثم يفْعَلُ فى دارِه ما يفعَلُ الحَجِيجُ بمَكَّةَ ، ثم يَستَدعِى بثلاثينَ يَتِيمًا فيُطْعِمُهم مِن طعامِه ، ويتوَلَّى خِدْمتَهم بنفْسِه ، ثم يكسُوهم قميصًا قميصًا ، ويُعْطِى كلَّ واحدٍ منهم سبعةَ دراهِمَ - أو قالَ : ثلاثةَ دراهِمَ - فإذا فعَل ذلك قامَ له مَقامَ الحجِّ ، وإنَّ مَن صامَ ثلاثةَ أيامٍ لا يُفطِرُ إلَّا فى اليومِ الرابعِ على وَرَقاتِ هِنْدَبا[1] أجزَأه ذلك عن صيامِ رمضانَ ، ومَن صلَّى فى ليلةٍ ركعتَينِ مِن أوَّلِ الليلِ إلى آخرِه أجزَأه ذلك عن الصلاةِ بعدَ ذلك ، وأنَّ مَن جاوَرَ بمقابرِ الشُّهداءِ[2] بمقابرِ قُرَيْشٍ عشَرَةَ أيامٍ يُصلِّى ويدْعُو ويصومُ ، ثم لا يُفطِرُ إلَّا على شىءٍ مِن خُبْزِ الشَّعِيرِ والمِلْحِ الجَرِيشِ ، أغْنَاه ذلك عن العبادَةِ فى بَقِيَّةِ عُمُرِه . فقالَ له القاضى أبو عمرَ : مِن أينَ لكَ هذا ؟ فقال : مِن كتابِ « الإخْلاصِ » للحَسَنِ البَصْرِىِّ . فقال له : كذَبْتَ يا حَلَالَ الدمِ ، قد سمِعْنا كتابَ « الإخْلاصِ » للحسَنِ بمَكَّةَ ، ليسَ فيه شىءٌ مِن هذا . فأقبَلَ الوزيرُ حامدُ بنُ العباسِ على القاضى أبى عمرَ فقالَ له : قد قلْتَ يا حَلالَ الدمِ ، فاكتُبْ ذلك فى هذه الورَقةِ ، وألَحَّ عليه وقدَّم له الدَّوَاةَ ، فكتَب ذلك فى تلك الورَقَةِ ، وكتَب من حضَر خُطوطَهم فيها ، وأنْفَذها الوزيرُ إلى المقتدرِ ، وجعَل الحلّاجُ يقولُ لهم : ظَهْرِى حِمًى ، ودَمِى حَرامٌ ، وما يحِلُّ لكم أنْ تتَأَوَّلُوا علَىَّ[3] ، واعْتِقادِى الإسْلامُ ، ومذْهَبِى السُّنَّةُ ، وتفْضِيلُ أبى بكرٍ وعمرَ وعُثْمانَ وعلىٍّ وطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وسَعْدٍ وسعيدٍ وعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ وأبى عُبَيْدَةَ بن

---

(١) الهندبا ، مقصورة وتمد : بقلة معتدلة نافعة للمعدة والكبد والطحال أكلا وللسعة العقرب ضمادا . الواحدة هندباة . القاموس المحيط (هـ ن ب) .

(٢) بعده فى ب ، م : « و » .

(٣) بعده فى م : « ما يبيحه » .

الجَرَّاحِ ، ولى كتُبٌ فى السُّنَّةِ موجودَةٌ فى الوَرّاقين ، فاللَّهَ اللَّهَ فى دَمِى . فلا يلْتَفِتُونَ إلى شىءٍ ممَّا يقولُ ، وجعَل يكرِّرُ ذلك وهم يكْتُبونَ خُطُوطَهم بما كان مِن الأمْرِ ، وَرُدَّ الحلّاجُ إلى مَحْبسِه ، وتأخَّرَ جوابُ المقتدرِ ثلاثةَ أيامٍ حتى ساءَ ظَنُّ الوزيرِ حامدِ بنِ العباسِ ، فكتَبَ إلى الخليفةِ يقولُ : إنَّ أمْرَ الحلّاجِ قد اشْتُهِر ، ولم يخْتَلِفْ فيه اثْنانِ ، وقدِ افْتُتِنَ كثيرٌ مِنَ الناسِ به . فجاءَ الجوابُ بأنْ يُسلَّمَ إلى محمدِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ صاحبِ الشرطةِ ، فَلْيَضْرِبْه ألْفَ سَوْطٍ ، فإنْ ماتَ وإلَّا ضُرِبتْ عنُقُه . ففرِحَ الوزيرُ بذلك وطلَب صاحبَ الشرطةِ فسلَّمه إليه ، وبعَث مَعَه طائفةً مِن غِلْمانِه يُوَصِّلونه مَعَه إلى محَلِّ الشرطةِ مِن الجانبِ الغربىِّ خوفًا مِن أنْ يُسْتَنْقَذَ مِن أيْدِيهم ، وذلك بعدَ عِشاءِ الآخرةِ فى ليْلةِ الثلاثاءِ لسِتٍّ بَقِينَ مِن ذى القَعْدَةِ مِن هذه السَّنَةِ ، وركِب على بَغْلٍ عليه إكافٌ وحولَه جماعةٌ مِن السُّيّاسَةِ ، على مثلِ شَكْلِه [٩/١٢ظ] ، فاسْتَقَرَّ مُنْزَلُه بدارِ الشرطةِ فى هذه الليلةِ ، فذُكِر أنَّه باتَ يُصلِّى فى هذه الليلةِ ويدْعَو دعاءً كثيرًا .

قال أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىُّ[1] : سمعتُ أبا بكرٍ الشَّاشِىَّ يقولُ : قالَ أبو الحديدِ - يعْنِى المِصْرِىَّ - لمَّا كانت الليلةُ التى قُتِلَ فى صبِيحَتِها الحسينُ بنُ منصورٍ ، قام مِن الليلِ فصلَّى ما شاءَ اللَّهُ ، فلمَّا كان آخرُ الليلِ قامَ قائمًا فتغَطَّى بكِسائِه ومدَّ يدَه نحوَ القِبْلَةِ فتكلَّمَ بكلامٍ جائزِ الحفْظِ ، فكانَ ممَّا حفِظْتُ أنْ قال : نحنُ شَواهِدُكَ [2]فلوْ دَلَّتْنا عِزَّتُكَ[2] لتَبَدَّى ما شِئْتَ مِن شأْنِكَ ومَشِيئَتِكَ ، وأنتَ الذى فى السماءِ إلَهٌ وفى الأرْضِ إلَهٌ ، تتَجَلَّى لِمَا تَشاءُ مثلَ تجَلِّيكَ فى مَشِيئَتِكَ

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٩، ١٣٠. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢ - ٢) فى ب : « نلوذ لسنا عزتك » . وفى ظ : « نلوذ بسناعزك » . وفى سير أعلام النبلاء : « نلوذ بسنا عزتك » .

كأحْسَنِ الصورةِ ، والصورةُ فيها الرُّوحُ الناطِقَةُ بالعلمِ والبَيانِ والقُدْرَةِ ، ثُمَّ أوْعَزْتَ إلَيَّ شاهدَكَ ؛ لأنِّى فى ذَاتِكَ الهُوِىّ . كيفَ أنتَ إذَا مَثَلْتَ بذاتِى عندَ عَقيبِ كَراتِى ، ودَعَوْتَ إلى ذاتِى بذَاتِى ، وأبْدَيْتَ حقَائقَ علُومِى ومُعْجِزَاتِى ، صاعِدًا فى مَعارِجِى إلى عُروشِ أزليَّاتِى[1] عندَ القولِ مِن بَرِيَّاتِى ، إنِّى احْتُضِرْتُ وقُتِلتُ وصُلِبتُ وأُحْرِقتُ واحْتُمِلتُ سَافِيَاتِى الذَّارِياتِ . ولجَجْتُ فى الجَارِيَاتِ ، وإنَّ ذَرَّةً مِن ينجوجِ [2]مكانَ هالُوكِ مُتَجَلِّياتِى[2] ، لأَعْظَمُ مِن الرَّاسِياتِ . ثم أنشَأ يقولُ :

أنْعَى إليْكَ نفُوسًا طاحَ شاهِدُها ... فيما [3]ورا الحَيْثِ[3] أوْ فى شاهِدِ القِدَمِ[4]

أنْعَى إليكَ قلُوبًا طالمَا هطَلَتْ ... سَحائِبُ الوَحْيِ فيها أبْحُرُ الحِكَمِ

أنْعَى إليكَ لِسانَ الحقِّ منكَ ومَن ... أودَى وتَذْكارُه فى الوهمِ كالعدمِ

أنْعَى إليكَ بَيانًا تَستكِينُ لهُ ... أقْوالُ كلِّ فَصِيحٍ مِقْوَلٍ فَهِمِ

أنْعَى إليكَ إشاراتِ العقُولِ معًا ... لم يَبْقَ منهنَّ إلَّا دارِسُ العَلَمِ

أنْعَى وحبِّكَ أخْلاقًا لطائفَةٍ ... كانتْ مَطايَاهُمُ مِن مَكْمَدِ الكِظَمِ

مضَى الجميعُ فلا عَيْنٌ ولا أثَرٌ ... مُضِىَّ عادٍ وفِقْدانَ الأُلَى إرَمِ

وخلَّفُوا معْشَرًا يحْذُونَ لِبْسَتَهمْ ... أعْمَى مِن البَهْمِ بلْ أعْمَى مِنَ النَّعَمِ

قالوا[5] : ولمَّا أُخْرِجَ الحلَّاجُ مِن المنزلِ الذى باتَ فيه ليُذْهَبَ به إلى القتلِ أنشَد :

---

(١) فى الأصل ، ب ، ص : « أوليائى » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « سامتاتى مكان هاكول متجلياتى » . وفى ب : « من مكان ماكرك منى لبالى » . وفى ظ : « من مكان هاكرك متجلياتى » . وفى تاريخ بغداد « مكان هاكول متحلياتى » . وفى سير أعلام النبلاء : « مظان هيكل متجلياتى » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « درى الحب » . وفى ب : « در الحكم » ، وفى سير أعلام النبلاء « ورا الغيب » .

(٤) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « العدم » .

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٣٠، والمنتظم ١٣/ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٦.

طَلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بكلِّ أرضٍ فلمْ أَرَ لى بأرضٍ مُسْتَقَرًّا[1]
أطَعْتُ مَطامِعى فاسْتَعْبَدتْنِى ولو أنِّى قنَعْتُ لَعِشْتُ حُرًّا

وقيل[2] : إنَّه قالها حينَ قُدِّمَ إلى الجِذْعِ ليُصْلَبَ عليه . والمشهورُ ما ذَكَرْنا . ثم مشَى وهو يَتَبَخْتَرُ فى مِشْيَتِه ، وفى رِجْلَيْه ثلاثَةَ عشَرَ قيْدًا وجعَل يُنشِدُ ويتمايلُ[3] :

نَدِيمِى غيرُ مَنْسُوبٍ إلى شىءٍ مِنَ الحَيْفِ
سقَانِى مثلَ ما يشْرَ بُ فعلَ الضيفِ بالضيفِ [٩/ ١٣و]
فلمَّا دارَتِ الكأسُ[4] دعَا بالنِّطْعِ والسَّيْفِ
كذا مَن يشْرَبُ الرَّاحَ مع التِّنِّينِ فى الصيفِ

ثم قال : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورى : ١٨] . ثم ما نطَق بعدَ ذلك حتى فُعِل به ما فُعِل .

قالُوا[5] : ثم قُدِّمَ فضُرِب ألفَ سَوْطٍ ، ثم قُطِعتْ يدَاه ورِجْلاه وهو فى ذلك كلِّه ساكتٌ ما نطقَ بكلمةٍ ، ولم يتغيَّرْ لَوْنُه ، ويقالُ : إنَّه جعَل يقولُ مع كلِّ سوطٍ : أحَدٌ أحدٌ .

---

(١) بعده فى ب ، م :
« وذقت من الزمان وذاق منى وجدت مذاقه حلوا ومرًّا »

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٤.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، ١٣٢، والمنتظم ١٣/ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٥، ٣٤٦.

(٤) فى الأصل ، ص ، ظ : « الخمر » . وفى ب : « السكر » .

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، ١٤٠، والكامل ٨/ ١٢٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٠.

وقال أبو عبدِ الرحمنِ[1] : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمِعتُ عيسَى القَصَّارَ يقولُ : آخِرُ كلمةٍ تكلَّم بها الحلاجُ حِينَ قُتل أنْ قالَ : حَسْبُ الواحِدِ إفْرادُ الواحدِ له . فما سمِعَ بهذه الكلمةِ أحَدٌ مِنَ المشايخِ إلَّا رَقَّ له ، واسْتَحْسَن هذا الكلامَ منه .

وقال السُّلَمِيُّ[2] : سمِعتُ أبا بكرٍ البَجَليَّ يقولُ : سمِعتُ أبا الفَاتِكِ البَغْدَاديَّ - وكان صاحِبَ الحَلَّاجِ - قال : رأيْتُ فى النومِ ، بعدَ ثَلاثٍ مِن قتلِ الحلَّاجِ ، كأنِّى واقِفٌ بينَ يدَىْ رَبِّى عزّ وجل أَقولُ : يا رَبِّ ، ما فعَل الحسينُ بنُ مَنْصُورٍ ؟ فقال : كاشَفْتُه بمعْنًى ، فدَعا الخَلْقَ إلى نفْسِه ، فأَنزَلتُ به ما رأيْتَ .

ومِنهم مَن قال : بل جَزِعَ عندَ ذلك جَزَعًا شديدًا وبَكَى بُكاءً كثيرًا . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الخطيبُ[3] : ثَنا عبيدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الصَّيْرَفِيُّ ، قال : قال لنا أبو عمرَ بنُ حيّوَيْهِ : لمَّا أُخرِجَ الحسينُ الحلَّاجُ ليُقْتَلَ مضَيْتُ فى جملةِ الناسِ ، ولم أزَلْ أُزاحِمُ حتى رأَيْتُه ، فقالَ لأصْحابِه : لا يَهُولنَّكُم هذا ، فإنِّى عائدٌ إليْكُم بعدَ ثلاثينَ يومًا . ثم قُتِلَ .

وذكَرَ الخطيبُ أنَّه قال[4] وهو يُضرَبُ لِمحمدِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ والى الشرطةِ : ادْعُ بى إليكَ فإنَّ عندِى نَصِيحَةً تَعْدِلُ فتحَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ . فقالَ له : قد قيلَ لى

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٢.
(٢) تاريخ بغداد ٨/ ١٣٢. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٥١.
(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٣١.
(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٤٠، ١٤١.

إنَّكَ ستقولُ مثلَ هذا، وليسَ إلى رَفْعِ الضربِ عنكَ سبيلٌ. ثم قُطِعتْ يدَاه ورِجْلَاه وحُزَّ رأسُه وأُحْرِقَتْ جثَّتُه وأُلْقِى برَمادِها فى دِجْلَةَ، ونُصِبَ الرأسُ يومينِ ببَغْدادَ على الجسرِ، ثم حُمِل إلى خُرَاسَانَ وطِيفَ به فى تلك النَّواحِى، وجعَل أصْحابُه يَعِدُونَ أنفسَهم برُجوعِه إليهم بعدَ أربعينَ يومًا.

وزَعَم بعضُهم[1] أنَّه رأى الحلّاجَ مِن آخِر ذلكَ اليومِ وهو راكبٌ على حمارٍ فى طريقِ النَّهْرَوانِ، فقال: لعَلَّكَ مِن هؤلاءِ البَقَرِ الذينَ ظنُّوا أنِّى أنا هو المَضْروبُ المقْتولُ! إنِّى لسْتُ به، وإنَّما أُلْقِى شَبَهِى على رجلٍ، ففُعِلِ به ما رأيْتُم. فكانوا بجَهْلِهم يقُولُونَ: إنَّما قُتِل عدُوٌّ مِن أعداءِ الحلّاجِ. وقال بعضُ علماءِ ذلك الزمانِ: إنْ كانَ هذا الرأىُ صادِقًا فلعل دابةً - يعنى مِن الشياطينِ - تبدَّى على صورتِه ليُضِلَّ به الناسَ، كما ضلَّتْ فرقةُ النَّصارَى بالمصْلُوبِ.

قال الخطيبُ[2]: واتَّفَقَ أنَّ دِجْلَةَ زادَتْ فى هذا العامِ زِيادةً كثيرةً، فقالوا: إنَّما زادَتْ لأنَّ رَمادَ الحلّاجِ خالَطَها[3]. ونُودِى[4] ببَغْدادَ ألَّا يشترِى أحَدٌ مِن كتبِ الحلّاجِ شيئًا ولا يبيعَه. وكان قَتْلُ الحلّاجِ فى يومِ الثلاثاءِ لسِتٍّ بَقِينَ مِن ذى القَعدةِ [٩/ ١٣ظ] من سنةِ تسعٍ وثلاثِمائةٍ ببغْدادَ. وذكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى «الوفياتِ»[5] وحكَى اخْتِلافَ الناسِ فيه، ونقَل عن الغَزالىِّ فى «مشْكَاةِ الأنْوارِ» أنه كان يتأوَّلُ كلامَه ويحمِلُه على ما يليقُ، ثم نقَل عن إمامِ الحرَمَيْنِ أنَّه

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٤١، والكامل ٨/ ١٢٩، والصلة ص ٨٤، والتكملة ص ٢٢١، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤١.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ١٤١.

(٣) بعده فى ب، م: «وللعوام فى مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديمًا وحديثًا».

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ١٤١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤١، بنحوه.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠ - ١٥٦.

كان يذُمُّه ، ويقولُ : إنَّه اتفَق هو والجنّابيُّ[1] وابنُ المُقَفَّعِ على إفْسادِ عقائدِ الناسِ ، وتفرَّقُوا فى البلادِ ، فكانَ الجنّابيُّ[1] فى هَجَرَ والبَحْرَيْنِ ، وابنُ المُقَفَّعِ ببلادِ التركِ ، ودخَل الحلَّاجُ العراقَ ، فحكَم صاحباه عليه بالهلَكَةِ لعدمِ انخداعِ أهلِ العراقِ بالباطلِ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : وهذا لا ينْتَظِمُ ؛ فإنَّ ابنَ المُقَفَّعِ كان قبلَ الحلَّاجِ بدَهْرٍ ، فإنه كان فى أيامِ السَّفَّاحِ والمَنْصُورِ ، ومات سنَةَ خَمْسٍ وأرْبَعِينَ ومِائةٍ[3] أو قبلَها ، ولعَلَّ إمامَ الحرَمَيْنِ أرادَ ابنَ المقَنَّعِ[4] الخُرَاسَانِىَّ الذى ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ ، [5]وأدنى القمرَ[5] ، واسْمُه عَطاءٌ ، وقد قَتلَ نفْسَه بالسُّمِّ فى سنَةِ ثلاثٍ وسِتِّينَ ومِائَةٍ ، ولا يُمكِنُ اجْتماعُه مع الحلَّاجِ ، وإذا أرَدْنا أن نُصحِّحَ كَلامَ إمامِ الحرمَيْنِ ونذكُرَ ثلاثةً قد اجْتَمَعُوا فى وقتٍ على ما[6] ذكَر[7] ، فيكونُ أراد بذلك الحلَّاجَ ، وابنَ الشَّلْمغَانىِّ[8] - يعْنى أبا جَعْفرٍ محمدَ بنَ علىٍّ - والقِرمِطىَّ الجنَّابىَّ ، وهو أبو طاهِرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الحسنِ بنِ بَهرامَ الذى قتَل الحُجَّاجَ ، وأخذَ الحَجَرَ وردَم زَمْزَمَ بالقَتْلَى ونَهب أسْتارَ الكعبةِ ، [9]كما سيأتى ذلك مبسوطًا ، ذكَره القاضى مُلَخَّصًا هـاهنا[9] .

---

(١) فى الأصل ، ص : « الجبائى » .
(٢) وفيات الأعيان ٢/١٤٦ - ١٥٦.
(٣) فى ب ، م : « مائتين » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥٣.
(٤) فى النسخ : « المقفع » . والمثبت من وفيات الأعيان ٢/ ١٥٥.
(٥ - ٥) فى ب ، م : « وأوتى العمر » . وفى ص : « وأوى القمر » .
(٦) فى ب ، م : « إضلال الناس وإفساد العقائد كما » .
(٧) وفيات الأعيان ٢/ ١٥٥.
(٨) فى م : « السمعانى » . وفى ب : « الشمغانى » . والمثبت موافق لما فى مصدر التخريج .
(٩ - ٩) فى ب ، م : « فهؤلاء يمكن اجتماعهم فى وقت واحد كما ذكرنا ذلك مبسوطا وذكره ابن خلكان ملخصا » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ١٤٦، ١٤٧.

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

أبو العبَّاسِ بنُ عَطاءٍ[1] ، **أحدُ أئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ** ، هو أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عَطاءٍ الأدَمِيُّ . حدَّث عن يُوسُفَ بنِ موسى القَطَّانِ ، والفضلِ بنِ زِيادٍ وغيرِهما . وكان يقْرَأُ فى كلِّ يومٍ خَتْمَةً ، وفى شهرِ رمضانَ يقرأُ فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ خَتَماتٍ ، وكانت له ختمةٌ يَتَدَبَّرُ فيها معانِىَ القرآنِ ، يتلوها من سبعَ عشْرةَ سنةً وماتَ ولم يخْتِمْها ، وهذا الرجلُ كان قد اشتَبَه عليه أمرُ الحَلَّاجِ وأظْهَر موافقَتَه ، فعاقَبه الوزيرُ حامِدُ بنُ العباسِ بالضربِ على شِدْقَيْه ، وأمَر بنَزْعِ خُفَّيْه وضَرْبِه بهما على رأسِه حتى سالَ الدمُ مِن مَنْخِرَيْه ، ومات بعدَ سبعةِ أيامٍ مِن ذلك ، وكان قد دَعَا على الوزيرِ بأنْ تُقْطَعَ يدَاه ورِجْلَاه ويُقْتَلَ شرَّ قِتلةٍ . فما مات الوزيرُ إلَّا كذلكَ .

وأبو إسْحاقَ إبراهيمُ بنُ هارونَ الطبِيبُ الحَرَّانِىُّ[2] . **وأبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ** بنُ حَمْدُونَ النديمُ[2]

---

(١) طبقات الصوفية للسلمى ص ٢٦٥، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٦، والمنتظم ١٣/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٤٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٤.

(٢) الكامل ٨/ ١٣٠.

ثم دخَلَتْ سنَةُ عَشْرٍ وَثلاثمائةٍ[1]

فيها أُطْلِقَ يُوسُفُ بنُ أبى السَّاجِ مِنَ الضيقِ ، وكان مُعْتَقلًا ، ورُدَّتْ إليه أمْوالُه وأُعيدَ إلى عملِه وأُضِيف إليه بُلْدانٌ أُخْرَى ، ووُظِّفَ عليه فى كلِّ سنَةٍ خَمْسُمائَةِ ألفِ دِينارٍ يحْمِلُها إلى الحَضْرَةِ ، فبعَث حينَئذٍ إلى مُؤْنسِ الخادِمِ يطْلُبُ منه أبا بكرِ ابنَ الأدَمىِّ القارِئَ ، وكان قد قرَأ بينَ يدَيْه حِينَ اعْتُقِلَ وأُشْهِر فى سنَةِ إحْدى وسبعين[2] ومِائَتَيْنِ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[هود : ١٠٢] . فخافَ القارِئُ سَطْوَتَه واسْتَعْفَى مِن مُؤْنِسٍ الخادمِ ، فقالَ له مُؤْنِسٌ : اذْهَبْ وأنا شَرِيكُكَ فى الجائزةِ . فلمَّا دخَل عليه [٩/ ١٤و] قَرَأ بينَ يدَيهِ : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ [يوسف : ٥٤] . فقالَ : بل أُحِبُّ أنْ تقرَأ ذلكَ العشرَ الذى قرَأتَه عندَ إشْهارِى ؛ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ فإنَّ ذلك كان سببَ تَوْبَتِى إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكان ذلك على يَديْكَ . ثم أمَر له بمالٍ جزيلٍ وأحْسَنَ إليه .

وفيها مرِضَ علىُّ بنُ عِيسى الوزيرُ ، فجاءَه هارُونُ بنُ المقتدرِ ؛ ليَعُودَه فبسَطَ له الطريقَ ، فلَّما اقْتَرَب مِن دارِه تحامَل وخرَج إليه فبلَّغَه سلامَ الخليفةِ ، وجاء مُؤْنِسٌ الخادِمُ معه ، ثم جاءَ الخبَرُ بأنَّ الخليفةَ قد عزَم على عِيادَتِه ، فاسْتَعْفَى مِن

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢٠٨، والكامل ٨/ ١٣٦، وتكملة تاريخ الطبرى ص ٢٢٥.

(٢) فى ب ، م : « وستين » .

مؤنسِ الخادمِ ، وركِب على جهدٍ عظيمٍ حتى سلَّم على الخليفةِ ؛ حتى لا يكلِّفَه الركوبَ إليه . وفى هذه السنةِ قُبِض على القَهْرَمانَةِ أمِّ مُوسَى ، ومَن ينتَسِبُ إليها ، فكان حاصِلُ ما حُمِلَ إلى بيتِ المالِ مِن جِهَتِها ألفَ ألفِ دِينارٍ . وفى يومِ الخميسِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِن ربيعٍ الآخرِ وَلَّى المقتدرُ منْصِبَ القَضاءِ أبا الحُسَيْنِ عمرَ ابنَ الحسينِ بنِ علىٍّ الشَّيْبانِىَّ المعْروفَ بابنِ الأُشْنانِىِّ ، وكان مِن حُفَّاظِ الحديثِ وفُقَهاءِ الناسِ ، ولكنَّه عُزِل بعدَ ثلاثَةِ أيامٍ ، وكان قبلَ ذلك مُحْتَسِبًا ببَغْدادَ . وفيها عُزل محمدُ بنُ عبدِ الصَّمَدِ عن شرطةِ بَغْدادَ ووليَها نازوكُ وخُلِعَ عليه .

وفى جُمادَى الآخرةِ ظهَر كوكَبٌ له ذَنَبٌ طولُه ذِراعانِ ، وذلك فى بُرجِ السُّنْبُلَةِ . وفى هذه السنةِ فى شعبانَ منها وصلَتْ هدَايا نائبِ مِصرَ ؛ وهو الحُسَيْنُ ابنُ الماذَرائىُّ ، وفيها بَغْلَةٌ معها فَلُوُّها ، وغلامٌ يصِلُ لسانُه إلى طَرَفِ أنْفِه . وفى هذا الشهرِ قُرِئتِ الكتبُ على المنابرِ بما كان مِنَ الفُتوحِ ببلادِ الرومِ . وفى هذه السنةِ ورَدَ الخبَرُ بأنَّه انْشَقَّ بأرضِ وَاسِطٍ فلُوعٌ[1] مِن الأرضِ سبْعَةَ عشَرَ موْضِعًا ، أكْبَرها طولُه ألفُ ذِراعٍ ، وأقلُّها مِائَتَا ذِراعٍ ، وأنَّه غرِقَ مِن أمَّهاتِ القُرَى ألفٌ وثلاثُمائةِ قريةٍ . وحجَّ بالناسِ إسْحاقُ بنُ عبدِ الملكِ الهاشِمِىُّ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو بِشْرٍ الدُّولابِىُّ[2] محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حَمَّادِ بنِ سعيدٍ أبو بِشْرٍ الدُّولَابِىُّ ، مولَى الأنْصارِ ، ويُعرفُ بالوَرَّاقِ ، أحدُ أئمةِ حُفاظِ الحديثِ ، وله

---

(١) الفلوع : جمع فلع ، بالفتح ويكسر : الشق فى القدم وغيرها . تاج العروس (ف ل ع) .
(٢) المنتظم ١٣/ ٢١٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٠٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٧٥.

تَصانيفُ حسنَةٌ فى التاريخِ وغيرِ ذلك. وروَى عن جماعةٍ كثيرةٍ. قال ابنُ يُونُسَ[1]. وكان يُضَعَّفُ، وتُوفِّى وهو قاصِدٌ إلى الحجِّ بينَ مَكةَ والمدينةِ بالعَرْجِ فى ذى القَعْدَةِ.

أبو جَعْفَرِ بنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِىُّ[2] رحِمه اللَّهُ

محمدُ بنُ جرِيرِ بنِ يَزِيدَ بنِ كَثيرِ بنِ غالِبٍ، الإمامُ أبو جعفرٍ الطَّبَرِىُّ، مولِدُه فى سنَةِ أربعٍ وعشرينَ ومائتَيْن، وكان أسْمَرَ أعْيَنَ، مَلِيحَ الجسمِ، مديدَ القامَةِ، فصِيحَ اللسانِ، روَى الكثيرَ عنِ الجَمِّ الغَفِيرِ، ورحَل إلى الآفاقِ فى طلَبِ الحديثِ، وله «التاريخُ» الحافِلُ، «والتفْسِيرُ» الكاملُ وغيرُهما مِن المصنَّفاتِ النافعةِ فى الأُصولِ والفُروعِ، ومِن ذلك «تَهْذِيبُ الآثارِ» لكن لم يُتِمَّه. وقد رُوِى[3] عنه أنَّه مكَث أربعينَ سنةً [٩/ ١٤ظ] يكتُبُ فى كلِّ يومٍ أربعينَ ورقةً. قال الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ[3]: اسْتَوْطَنَ ابنُ جريرٍ بَغْدادَ، وأقام بها إلى حينِ وَفاتِه، وكان أحدَ أئمةِ العلماءِ، يُحكَمُ بقولِه، ويُرجَعُ إليه؛ لمعرفتِه وفضْلِه، وكان قد جمَع مِن العلُومِ ما لم يُشارِكْه فيه أحدٌ مِن أهلِ عَصْرِه، وكان حافظًا لكِتابِ اللَّهِ، عارِفًا بالقراءاتِ، بَصِيرًا بالمعانِى، فَقِيهًا فى الأحْكامِ، عالمًا بالسُّنَنِ وطُرُقِها، وصَحِيحِها وسقيمِها، وناسخِها ومنسُوخِها، عارفًا بأقْوالِ الصحابةِ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢١٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، والمنتظم ١٣/ ٢١٥، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ٢٢٩. وطبقات الشافعية ٣/ ١٢٠.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣.

والتابِعينَ ومَن بعدَهم، عارِفًا بأيامِ الناسِ وأخْبارِهم. وله الكتابُ المشْهورُ فى تاريخِ الأمَمِ والمُلوكِ، وكتابٌ فى التفْسيرِ لم يُصَنِّفْ أحدٌ مثلَه، وكتابٌ سمَّاه «تَهْذِيبَ الآثارِ» لم أرَ سِوَاه فى مَعْناه، إلَّا أنَّه لم يُتمَّه، وله فى أُصُولِ الفقَهِ وفُروعِه كتبٌ كثيرةٌ واخْتِياراتٌ، وتفرَّدَ بمسائلَ حُفِظتْ عنه.

قال الخطيبُ[1]: وبلَغنى عن الشيخِ أبى حامدٍ أحمدَ بنِ أبى طاهرٍ الفقيهِ الإسْفِرَايينىِّ، أنَّه قال: لو سافرَ رجلٌ إلى الصينِ حتى يحصُلَ له كتابُ تفْسِيرِ محمدِ بنِ جريرٍ الطَّبَرِىِّ لم يكُنْ ذلك كثيرًا. أو كلامًا هذا معناه. وروَى الخطيبُ[2] عن إمامِ الأئمةِ أبى بكرٍ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزَيْمَةَ أنَّه طالعَ «التفسيرَ» لابنِ جريرٍ فى سِنِينَ مِن أوَّلِه إلى آخرِه، ثم قال: ما أعلمُ على أَدِيمِ الأرضِ أعْلَمَ مِن ابنِ جريرٍ، ولقد ظَلَمَتْهُ الحنابِلَةُ. وقال[3] لرجُلٍ رحَل إلى بغْدادَ يكْتُبُ الحديثَ عن المشايخِ - ولم يتَّفِقْ له سماعٌ مِن ابنِ جريرٍ؛ لأنَّ الحنابِلَةَ كانُوا يمْنَعُونَ أنْ يجْتَمِعَ به أحدٌ - فقال: لو كتبْتَ عنه لكان خيْرًا لك مِن كلِّ مَن كتبْتَ عنه. قلتُ: وكان مِن العِبادَةِ والزَّهادةِ والوَرَعِ والقيامِ فى الحقِّ، لا تأْخُذُه فى اللَّهِ لَوْمَةُ لائمٍ، وحُسْنِ القراءَةِ، على أحْسَنِ الصفاتِ، وكان مِن كبارِ الصالِحِينَ، وهو أحدُ المُحدِّثينَ الذين اجْتَمعُوا بمِصْرَ فى أيامِ الأميرِ طُولُونَ؛ وهم: محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ خُزَيْمَةَ، ومحمدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِىُّ، ومحمدُ بنُ هارُونَ الرُّويانِىُّ، ومحمدُ بنُ جَرِيرٍ هذا. وقد ذكَرنا[4] ذلك فى ترجمةِ محمدِ بنِ نصرٍ

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٦٤.

(٣) المصدر السابق، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٢.

(٤) تقدم فى ص ٧٣٩.

المروزِىِّ ، وكان الذى قامَ يُصلِّى محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ خُزَيْمةَ ، وقيل : محمدُ ابنُ نصَرٍ ، فرَزَقَهمُ اللَّهُ ببركةِ صَلاتِه . وقد أرادَ الخليفةُ المقتدرُ باللَّهِ فى بعضِ الأحيانِ أن يكتُبَ كتابَ وقْفٍ ، تكون شُروطُه مُتَّفَقًا عليها بينَ الفقهاءِ ، فقيل[1] له : لا يقْدِرُ على اسْتِحْضارِ هذا إلَّا محمدُ بنُ جَرِيرٍ . وطلَب منه ذلك فكتَبَها ، فاسْتَدْعاه الخليفةُ إليه . وقال له : سَلْ حاجَتَكَ ، فقالَ : لا حاجَةَ لى . فقالَ : لابُدَّ أنْ تسألَنِى شيئًا . فقال : أسْألُ مِن أميرِ المؤمنينَ أنْ يتقدَّمَ أمْرُه إلى الشرطةِ حتى يمْنَعُوا السُّؤَّالَ يومَ الجمعةِ أن يدخلُوا إلى مقْصُورَةِ الجامعِ . فأمرَ الخليفةُ بذلك . وكان يُنفِقُ على نفْسِه مِن مَغَلِّ قرْيَةٍ ترَكَها له أبوه بطَبَرِسْتانَ . ومِن شعرِه[2] :

إذا أعسَرْتُ لم يَعلمْ رَفِيقِى ... وأَستَغْنِى فيَسْتَغْنِى صَدِيقى
حَيائى حافظٌ لى ماءَ وَجْهِى ... ورِفْقِى فى مُطالَبَتى رَفِيقِى
ولو أنِّى سَمَحْتُ ببَذْلِ وَجْهِى ... لكُنتُ إلى الغِنَى سَهْلَ الطريقِ [٩/ ١٥و]

ومِن شعرِه أيضًا[2] :

خُلُقانِ لا أرْضَى طرِيقَهما ... بَطَرُ الغِنَى ومَذَلَّةُ الفَقْرِ
فإذا غَنِيتَ فلا تَكُنْ بَطِرًا ... وإذا افْتقَرْتَ فَتِه على الدَّهْرِ

وقد كانت وفاتُه وقتَ[3] المغربِ مِن عشيةِ يومِ الأحَدِ ليومينِ بَقِيَا مِن شَوَّالٍ مِن سنَةِ عَشْرٍ وثَلَاثِمائَةٍ . وقد جاوزَ الثمانينَ سنةً بخَمْسٍ أو سِتٍّ سِنينَ ، وفى

---

(١) طبقات الشافعية ٣/ ١٢٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٥، والمنتظم ٦/ ١٧١، ومعجم الأدباء ١٨/ ٤٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٦.

(٣) فى الأصل : « قبل » .

شَعْرِ رأسِه ولِحيتِه سَوادٌ كثيرٌ، ودُفن فى دارِه؛ لأنَّ بعضَ الرَّعاعِ مِن عَوامِّ الحنابِلَةِ منَعُوا مِن دَفْنِه نَهارًا، ونسَبُوه إلى الرَّفْضِ، ومِن الجهَلَةِ مَنْ رمَاه بالإلْحادِ، وحاشَاه مِن هذا ومن ذاك أيضًا، بل كان أحدَ أئمةِ الإسْلامِ فى العلمِ بكتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسولِه، وإنَّما تقَلَّدُوا ذلك عن أبى بكرٍ محمدِ بنِ داودَ، حيثُ كان يتكلَّمُ فيه ويَرْمِيه بالعَظائمِ ويرمِيه بالرفضِ. ولمَّا تُوفِّى اجْتمعَ الناسُ مِن سائرِ البلدِ وصلَّوا عليه بدارِه ودُفن بها، ومكَث الناسُ يتَردَّدون إلى قبْرِه شُهورًا يصلُّونَ عليه، رحِمه اللَّهُ، قلتُ: وقد رأيْتُ له كتابًا جمَع فيه أحادِيثَ غَدِيرِ خُمٍّ فى مُجَلَّدَيْنِ ضَخْمَيْنِ، وكتابًا جمَع فيه طُرُقَ حديثِ الطيرِ. ونُسِب إليه أنَّه يقولُ بجَوازِ مَسْحِ القدَمَيْنِ فى الوُضوءِ، وأنَّه لا يُوجِبُ الغَسْلَ، وقد اشْتَهَرَ عنه هذا. فمِنَ العُلَماءِ مَن يزعُمُ أنَّ ابنَ جَرِيرٍ اثْنانِ؛ أحدُهما شِيعِىٌّ وإليه يُنْسَبُ ذلك، ويُنَزِّهُون أبا جَعْفَرٍ هذا مِن هذه الصِّفاتِ. والذى عُوِّلَ عليه كلامُه فى التفسيرِ[1]، أنَّه يُوجِبُ غسْلَ القدمَيْنِ ويُوجِبُ مع الغَسْلِ دَلْكَهما، ولكِنَّه عبَّرَ عنِ الدَّلْكِ بالمَسْحِ، فلم يفْهَمْ كثيرٌ مِنَ الناسِ مُرادَه جَيِّدًا، فنَقَلُوا عنه أنَّه يُوجِبُ الجمعَ بينَ الغَسْلِ والمَسْحِ، واللَّهُ أعلمُ. وقد رَثاه جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ، منهمُ ابنُ الأعْرابىِّ حيثُ يقولُ[2]:

حدَثٌ مُفظِعٌ وخَطْبٌ جَليلٌ ... دقَّ عن مِثلِهِ اصْطِبارُ الصَّبُورِ
قام ناعِى العُلومِ أجْمعِ لمَّا ... قامَ ناعِى محمدِ بنِ جريرِ
فهوَتْ أنجمٌ لها زاهراتٌ ... مؤذِنَاتٌ رُسُومُها بالدُّثورِ
وتغَشَّى ضياءَها النَّيِّرَ الإشـ ... ـراقِ ثوبُ الدُّجُنَّةِ الدَّيْجُورِ

---

(١) تفسير الطبرى ١٠/ ٦١، ٦٢ بتحقيق الشيخين أحمد ومحمود شاكر.
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٦.

وغدَا روَضُها الأنِيقُ هَشِيمًا ثم عادَتْ سُهولُها كالوُعُورِ
يا أبا جعفرٍ مضَيْتَ حَمِيدًا غيرَ وَانٍ فى الجِدِّ والتَّشْمِيرِ
بينَ أجْرٍ على اجْتِهادِكَ موْفُو رٍ وسعْيٍ إلى التُّقَى مشْكُورِ
مُسْتَحِقًّا به الخُلودَ لدى جنـ ـةِ عدْنٍ فى غِبْطَةٍ وسُرورِ

ولأبى بكرِ بنِ دريدٍ، رَحِمه اللَّهُ، فيه مَرْثاةٌ طويلةٌ طنَّانةٌ، أوْرَدَها الخطيبُ البَغْدادِىُّ[1] بتَمامِها. واللَّهُ سُبْحانُه أعلمُ.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

[٩/١٥ظ] ثم دخَلَت سنةُ إحدى عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فيها[١] دخَل أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الجنَّابىُّ أميرُ القَرامِطةِ فى ألفٍ وسبعِمائةِ فارسٍ إلى البَصْرةِ ليلًا ، نصَب السَّلالمَ الشعْرَ فى سُورِها ، فدخَلها قومُه وفتَحوا أبْوابَها ، وقتَلوا من لَقُوه مِن أهلِها ، وهرَب أكثرُ الناسِ ، فألْقَوْا أنْفُسَهم فى الماءِ ، فغرِق كثيرٌ منهم ، ومكَث بها سبعةَ عشَرَ يومًا يَقْتُلُ ويَأْسِرُ مَن شاء مِن نِسائِها وذَراريِّها ، ويَغْنَمُ ما يَخْتارُه مِن أموالِ أهلِها ، ثم عاد إلى بلدِه هَجَرَ ، وذلك لما بعَث إليه الخَليفةُ جندًا مِن قِبَلِه فرَّ وترَك البلدَ يَبابًا[٢] ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفى هذه السنةِ عزَل المُقْتَدِرُ عن الوَزارةِ حامدَ بنَ العباسِ وعلىَّ بنَ عيسى ، وردَّ إلى الوزارَةِ أبا الحسنِ ابنَ الفُراتِ الولايةَ الثالثةَ ، وسلَّم إليه حامدَ بنَ العَبّاسِ ، وعلىَّ بنَ عيسى ، فأمَّا حامدٌ فإن المُحَسِّنَ بنَ الوَزيرِ ضمِنه مِن المُقْتَدِرِ بخمسِمائةِ ألفِ[٣] دِينارٍ ، وتسَلّمه فعاقَبه بأنواعِ العُقوباتِ ، وأخَذ منه أموالًا جَزيلةً لا تُحْصَى

---

(١) المنتظم ١٣/٢١٨ - ٢٢٠، والكامل ٨/١٣٩ - ١٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣١٠) ص ٣٤٧ - ٣٥١. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٢٨ - ٢٤١ .

(٢) يبابا : خرابا . تاج العروس (ى ب ب) .

(٣) فى النسخ : « ألف ألف » . والمثبت من الكامل ٨/ ١٤١.

كَثْرةً ، ثم أرْسَل به مع مُوَكَّلِين عليه إلى واسِطٍ ليَحْتاطوا على أمْوالِه هناك وحَواصِلِه ، وأمَرهم أن يَسْقُوه سُمًّا فى الطريقِ ، فسقَوْه ذلك فى بَيْضٍ مَشْوِىٍّ كان قد طلَبه منهم ، فمات فى رَمضانَ مِن هذه السنةِ . وأمَّا علىُّ بنُ عيسى فإنه صُودِر بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وصُودِر قومٌ آخَرون مِن كُتَّابِه ، فكان جُمْلةُ ما أُخِذ مِن هؤلاء مع ما كان صُودِرَت به القَهْرَمانةُ مِن الذهبِ شيئًا كثيرًا جدًّا ، آلافَ ألفٍ مِن الدَّنانيرِ ، وغيرَ ذلك ، وأشار الوزيرُ ابنُ الفُراتِ على الخَليفةِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ أن يُبْعِدَ عنه مُؤْنِسًا الخادمَ [1] ويأمرَه بالذَّهابِ [1] إلى الشامِ - وكان قد قدِم مِن بلادِ الرومِ ، وقد فتَح شيئًا كثيرًا مِن بُلْدانِهم ، وغنِم مَغانمَ كثيرةً جدًّا - فسأل أن يُنْظَرَ إلى سَلْخِ رَمضانَ ، وكان قد أعْلَم الخَليفةَ بما كان يَعْتَمِدُه ابنُ الوزيرِ من تَعْذيبِ الناسِ ومُصادَرتِهم الأموالَ ، فأجاب الخليفةُ الوزيرَ إلى إبعادِ مؤنسٍ فأخرجه إلى الشامِ .

وفيها كثُر الجَرادُ ، وأفْسَد كثيرًا مِن الغَلَّاتِ .

وفى رمضانَ منها أمَر بردِّ بقيةِ المواريثِ إلى ذوى الأرحامِ .

وفيها فى النِّصفِ مِن رمضانَ أُحرِق على بابِ العامَّةِ [2] صورةُ مانى [2] وأرْبعةُ أعْدالٍ مِن كُتُبِ الزَّنادقةِ [3] ، فسقَط منها ذهَبٌ كثيرٌ كانتْ مُحَلَّاةً به .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « مائتين » . ومانى تنسب إليه المانوية وهم من الثنوية الذين يزعمون أن للعالَم إلهين النور والظلمة وأنهما أزليان ، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام ، ومانى هو ابن فاتك ، الحكيم الذى ظهر فى زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . انظر الملل والنحل ١/ ٦١٨، ٦١٩.

(٣) بعده فى ب ، م : « منها ما كان صنفه الحلاج وغيره » .

وفيها اتَّخَذ أبو الحسنِ بنُ الفُراتِ الوزيرُ مارَسْتانًا فى دَرْبِ الفَضْلِ ، يُنْفِقُ عليه مِن مالِه فى كلِّ شهرٍ مائتَىْ دِينارٍ .

وممَّن تُوفى فيها مِن الأعْيانِ :

الخَلَّالُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ هارونَ ، أبو بكرٍ الخَلَّالُ[1] ، صاحبُ كِتابِ « الجامعِ لعُلومِ الإمامِ أحمدَ » ، ولم يُصَنَّفْ فى مَذْهَبِ الإمامِ أحمدَ مثلُ [٩/١٦و] هذا الكتابِ ، وقد سمِع الحديثَ مِن الحسنِ بنِ عَرَفةَ وسَعْدانَ بنِ نصرٍ وغيرِهما . وكانت وفاتُه يومَ الجمُعةِ قبلَ الصلاةِ ليومَيْن مضَيا مِن ربيعٍ الأولِ منها .

أبو محمدٍ الجَرِيرِىُّ[2] **أحدُ أئمةِ الصُّوفيةِ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ ، أبو محمدٍ الجَرِيرِىُّ**[2] ، أحدُ كِبارِ الصُّوفيةِ ، صحِب سَرِيًّا السَّقَطىَّ ، وكان الجُنَيْدُ يُكْرِمُه ويَحْتَرِمُه . ولما حضَرَت الجُنَيْدَ الوَفاةُ أوْصَى أن يُجالَسَ الجَرِيرِىُّ[2] . وقد اشْتَبَه[3] على الجَرِيرِىِّ هذا شَأْنُ الحلَّاجِ ، فكان ممَّن أجْمَل القولَ فيه ، على أن الجَرِيرِىَّ هذا مَذْكورٌ بالصلاحِ والدِّيانةِ وحُسْنِ الأدبِ مع اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

الزَّجَّاجُ صاحبُ « معانى القرآنِ » ، إبراهيمُ بنُ السَّرِىِّ بنِ سهلٍ ، أبو إسْحاقَ الزَّجَّاجُ[4] ، كان فاضلًا دَيِّنًا حَسَنَ الاعْتقادِ ، وله المُصَنَّفاتُ الحَسَنةُ ،

---

(١) طبقات الفقهاء ص ١٧١ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٢ ، وتاريخ بغداد ٥/ ١١٢ ، والمنتظم ١٣/ ٢٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٠٦ ، والوافى بالوفيات ٨/ ٩٩ .

(٢) فى الأصل ، ص ، ظ : « الحريرى » . وانظر ترجمته فى : طبقات الصوفية ص ٢٥٩ ، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧ ، وتاريخ بغداد ٤/ ٤٣٠ ، والمنتظم ١٣/ ٢٢١ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٠٤ ، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٧٨ .

(٣) انظر ما تقدم فى ١٤/ ٨٣١ .

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٨٩ ، وطبقات النحويين واللغويين ص ١١١ ، والمنتظم ١٣/ ٢٢٣ ، وإنباه الرواة ١/ ١٥٩ ، ووفيات الأعيان ١/ ٤٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٠٧ ، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٤٧ .

منها كِتابُ « معانى القرآنِ » وغيرُه مِن المُصَنَّفاتِ العَديدةِ المُفِيدةِ ، وقد كان فى أولِ أمْرِه يَخْرُطُ الزُّجاجَ ، فأحَبَّ علمَ النَّحْوِ ، فذهَب إلى المُبَرِّدِ ، فكان يُعْطِى المُبَرِّدَ كلَّ يومٍ دِرْهمًا ، ثم اسْتَغْنَى الزَّجَّاجُ وكَثُر مالُه ، ولم يَقْطَعْ عن المُبَرِّدِ ذلك الدرهمَ حتى مات المُبَرِّدُ . وقد كان الزَّجَّاجُ مُؤَدِّبًا للقاسمِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، فلما ولِىَ الوَزارةَ كان الناسُ يَأْتُونه بالرِّقاعِ ليُقَدِّمَها إلى الوزيرِ ، فحصَل له بسببِ ذلك ما يَزيدُ على أرْبَعين ألفَ دِينارٍ . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأُولَى[1] مِن هذه السنةِ . وعنه أخَذ أبو علىٍّ الفارسىُّ النَّحْوىُّ ، وأبو[2] القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ إسْحاقَ الزَّجَّاجىُّ ، [3]نُسِب إليه[3] ؛ لأخْذِه عنه ، وهو[4] صاحبُ كتابِ « الجُمَلِ » فى النَّحْوِ .

بدْرٌ مَوْلَى المُعْتَضِدِ ،وهو بدرٌ الحَمَامىُّ[5] ، ويقالُ له : بدرٌ الكَبيرُ . كان فى آخِرِ وقتٍ على نِيابةِ فارسَ ، وولِى مِن بعدِه ولدُه محمدٌ .

حامِدُ بنُ العَبَّاسِ[6] ، اسْتَوْزَره المُقْتَدِرُ فى سنةِ ستٍّ وثلاثِمائةٍ ، وكان كثيرَ المالِ والغِلْمانِ ، كثيرَ النَّفَقاتِ كريمًا سَخِيًّا ، كثيرَ المُروءةِ ، وله حِكاياتٌ تَدُلُّ على بَذْلِه وإعْطائِه الأمْوالَ الجَزيلةَ ، ومع هذا كان يَجمَعُ شيئًا كثيرًا ، وُجِد له فى مَطْمورَةٍ[7] أُلوفٌ مِن الذهبِ ، كان فى كلِّ يومٍ إذا دخَل إليها ألْقَى فيها ألفَ

---

(١) كذا فى النسخ . وفى مصادر ترجمته : « الآخرة » .

(٢) فى ب ، م : « ابن » . و انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٥.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص ، ظ .

(٤) أى أبو القاسم الزجاجى .

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ١٠٥، والمنتظم ١٣/ ٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤١٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ٩٤.

(٦) المنتظم ١٣/ ٢٢٨، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤١٠، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٧٤.

(٧) فى الأصل ، ص ، ظ : « مطهرة » . والمطمورة : حفيرة تحت الأرض يوسع أسافلها تخبأ فيها الحبوب . تاج العروس (ط م ر) .

دينارٍ ، فلما امْتَلات طمَّها ، فلما صُودِر دلَّ عليها ، فاسْتُخرِج منها مالٌ جزيلٌ جدًّا ، ومِن أكبرِ مَناقبِه أنه كان مِن أكبرِ السُّعاةِ فى الحسينِ بنِ منصورٍ الحلَّاجِ حتى قُتِل ، كما ذكَرْنا قبلَ هذا[1] ثم كانت وفاةُ الوَزيرِ حامدِ بنِ العباسِ فى رمضانَ من هذه السنةِ مَسْمومًا .

وفيها تُوُفِّى عمرُ بنُ محمدِ بنِ [2]بُجَيْرٍ البُجَيْرىُّ[2] صاحبُ « الصَّحيحِ » .

ابنُ خُزَيْمةَ ، محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ خُزَيْمةَ بنِ المُغيرةِ بنِ صالحِ بنِ بكرٍ السُّلَمىُّ ، مَوْلى مُجَشِّرٍ[3] بنِ مُزاحِمٍ ، الإمامُ أبو بكرٍ بنُ خُزَيْمةَ المُلَقَّبُ بإمامِ الأئمةِ ، كان مِن أوعيةِ العلمِ وبحورِه ، وممن طاف البلدانَ ، ورحَل إلى الآفاقِ فى طَلَبِ العلمِ وسَماعِ الحديثِ ، وكتَب الكثيرَ وصنَّف وجمَع ، وله كتابُ « الصَّحيحِ » مِن أنْفَعِ الكُتبِ وأجَلِّها ، وهو مِن المُجْتَهِدين فى دينِ الإسلامِ ، وحكَى الشيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازىُّ فى « طَبقاتِ الشافعيةِ »[4] عنه أنه قال : ما قلَّدْتُ أحدًا [٩/١٦ظ] منذ بلغتُ ستَّ عشْرةَ سنةً . وقد ذكرْنا ترجمتَه مُطَوَّلَةً فى كتابنا « طبقاتِ الشافعيةِ » بما فيه كفايةٌ ، وهو الذى قام يصلى حينَ وقعَت القُرْعَةُ عليه ليسترزقَ اللَّهَ فى صلاتِه حينَ أَرْمَل[5] هو ومحمدُ بنُ نصرٍ ، ومحمدُ

---

(١) تقدم فى ١٤/٨٣٣ وما بعدها .

(٢ - ٢) فى الأصل : « يحيى البحيرى » ، وفى ب ، م : « بحر البحترى » ، وفى ص : « بخير البخيرى » . وانظر تاج العروس (ب ج ر) ، وترجمته فى : الأنساب ١/ ٢٨٦ ، وتاريخ دمشق ١٣/٣٤٩ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤١٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٩ .

(٣) فى النسخ : « محسن » وهو تحريف والمثبت من المنتظم ١٣/ ٢٣٣ . وانظر ترجمته فى : المنتظم الموضع السابق ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٢٢ .

(٤) طبقات الفقهاء ص ١٠٦ .

(٥) أرمل : نفذ زاده . انظر اللسان (ر م ل) .

ابنُ جريرٍ ، ومحمدُ بنُ هارونَ الرُّويانِيُّ ، وقد أوْردها ابنُ الجوزيِّ مِن طريقين فى ترجمتِه[1] ، وذلك ببلدِ مصرَ فى دولةِ أحمدَ بنِ طولونَ ، فرزقهم اللَّهُ على يدَيه . وقد ذكَرنا نحوَ ذلك فى ترجمةِ الحسنِ بنِ سفيانَ[2] .

وفيها تُوفِّى محمدُ بنُ زكريا الطبيبُ[3] ، صاحبُ المصنَّفِ الكبيرِ فى الطِّبِّ .

---

(١) المنتظم ١٣/٢٣٤ - ٢٣٦.

(٢) تقدم فى ١٤/٧٩٦.

(٣) طبقات الأطباء ص ٤١٤، ووفيات الأعيان ٥/١٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٢٦، والوافى بالوفيات ٣/٧٥، وهو المعروف بأبى بكر الرازى .

ثم دخَلَت سنةُ ثِنتَىْ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] اعْتَرَض القِرْمِطىُّ أبو طاهرٍ سليمانُ[2] بنُ أبى سعيدٍ الجنَّابىُّ - لعَنه اللَّهُ، ولعَن معه أباه[3] - للحَجيجِ وهم راجِعون مِن بيتِ اللَّهِ الحَرامِ قد أدَّوْا فَرْضَ اللَّهِ عليهم، فقطَع عليهم الطَّريقَ، فقاتَلوه دَفْعًا عن أمْوالِهم وأنْفُسِهم وحَريمِهم، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، وأسَر مِن نِسائِهم وأبنائِهم ما اخْتاره، واصْطَفى مِن أمْوالِهم ما أراد، فكان مَبْلَغُ ما أخَذ مِن الأمْوالِ ما يُقاوِمُ ألفَ ألفِ دِينارٍ، ومِن الأمْتعةِ والمَتاجِرِ نحوَ ذلك، وترَك بقيةَ الناسِ - بعدَما أخَذ جِمالَهم وزادَهم وأمْوالَهم ونِساءَهم على بُعْدِ[4] الدِّيارِ فى البَرِّيَّةِ - بلا زادٍ ولا ماءٍ ولا مَحْمَلٍ. وقد حاجَف عن الناسِ نائبُ الكوفةِ أبو الهَيْجاءِ عبدُ اللَّهِ بنُ حَمْدانَ، فقهَره وأسَره، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. وكان عِدَّةُ مَن مع القِرْمِطىِّ ثَمانَمائةِ مُقاتِلٍ، وعمرُه إذ ذاك سبعَ عشْرةَ سنةً، قصَمه اللَّهُ.

ولما انْتَهَى خبرُهم إلى بَغْدادَ قام نِساؤُهم وأَهالِيهم فى النِّياحةِ، ونشَرْنَ شُعورَهن، ولطَمْنَ وُجوهَهنَّ، وانْضاف إليهنَّ نِساءُ الذين نُكِبوا على يَدَىِ

---

(١) المنتظم ١٣/٢٣٨ - ٢٤٠، والكامل ٨/١٤٦ - ١٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٥٢ - ٣٥٥. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٤٢ - ٢٤٧.

(٢) فى الأصل، ب، م، ظ: «الحسين»، وفى ص: «الحسن». والمثبت مما تقدم صفحة ٥. وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٢٠.

(٣) وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى.

(٤) فى الأصل، ب، ظ: «برد».

الوزيرِ [1]ابنِ الفُراتِ[1] ، فكان ببَغْدادَ يومٌ مَشْهودٌ بسببِ ذلك فى غايةِ الفَظاعةِ والشَّناعةِ ، ولمّا سأَل الخَليفةُ عن الخبرِ ، ذُكِر له أنَّ هذه نِسوةُ الحَجيجِ ، ومعهن نِساءُ الذين صادَرهم ابنُ الفُراتِ ، وجاءَت على يدِ الحاجبِ نصرٍ القَشْورىِّ[2] المَشورةُ[3] على الوزيرِ وقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما اسْتَوْلَى هذا القِرْمِطىُّ بسببِ إبْعادِك المُظَفَّرَ مُؤْنِسًا الخادمَ ، فطمِع هؤلاء فى الأَطْرافِ ، وما أشار عليك بإبْعادِه إلا ابنُ الفُراتِ . وبعَث الخَليفةُ المُقْتَدِرُ إلى الوزيرِ ابنِ الفُراتِ يقولُ له : إن الناسَ يَتَكَلَّمون فيك لنُصْحِك إياى[4] . وأرْسَل يُطَيِّبُ قلبَه ، فركِب هو وولدُه إلى الخليفةِ فدخَلا عليه ، فأكْرَمهما وطيَّب قُلوبَهما ، وخرَجا مِن عندِه ، فناله[5] أذًى كثيرٌ مِن نصرٍ الحاجبِ وغيرِه مِن كبارِ الأُمراءِ ، وجلَس الوزيرُ فى دَسْتِه[6] ، فحكَم بينَ الناسِ على عادَتِه ، وبات ليلتَه تلك مُفَكِّرًا فى أَمْرِه ، وأصْبَح كذلك وهو يُنْشِدُ :

فأصْبَح لا يَدْرِى وإن كان حازمًا ... أَقُدَّامَه خيرٌ له أمْ وَراءَه

ثم جاءَه فى ذلك اليومِ أمِيران مِن جهةِ الخليفةِ المقتدرِ فدخَلا عليه دارَه إلى بينِ حرَمِه ، [٩/١٧و] وأخْرَجوه مَكْشُوفًا رأسُه ، وهو فى غايةِ المَذَلَّةِ والإهانةِ ، فأرْكَبوه فى حَرَّاقةٍ[7] إلى الجانبِ الآخرِ . وفهِم الناسُ ذلك ، فرجَموا ابنَ الفُراتِ

(١ - ١) فى ب ، م : « وابنه » .

(٢) فى ب ، م : « بن القشورى » وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٤٠.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من الكامل ٨/ ١٤٨. وانظر نهاية الأرب ٢٣/ ٦٧.

(٤) ذكر فى الكامل ٨/١٤٩ أن ابن الفرات هو الذى كتب إلى المقتدر بذلك الكلام .

(٥) فى ب ، م ، ص ، ظ : « فنالهما » .

(٦) الدست : صدر المجلس . الوسيط (د س ت) .

(٧) الحرّاقة : سفينة خفيفة المرّ وفيها مرامى نيران يرمى بها العدو . تاج العروس (ح ر ق) .

بالآجُرِّ، وتعَطَّلَت الجَوامعُ، وسَخَّمت[1] العامَّةُ المحَارِيبَ، ولم يُصَلِّ الناسُ الجمعةَ فيها، وأُخِذ خَطُّه[2] بألْفَيْ ألفِ دِينارٍ، وأُخِذ خَطُّ ابنِه بثلاثةِ آلافِ ألفِ دينارٍ، وسُلِّما إلى نازوكَ أميرِ الشُّرْطةِ، فاعْتُقلا حِينًا، وخلَّص منهما الأمْوالَ، [3]فلمّا قَدِم مُؤْنِسٌ الخادمُ سُلِّم إليه الوزيرُ ابنُ الفراتِ، فأهانَه[3] غايةَ الإهانةِ بالضَّرْبِ والتَّقْرِيعِ له ولولدِه المُحَسِّنِ[4] المجْرِمِ الذى ليس بمُحَسِّنٍ، ثم قُتِلا بعدَ ذلك. [5]فكانت وِزارَتُه هذه الثالثةُ؛ عشَرةَ أشهرٍ وأيامًا[5]. واستُوزِرَ أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ خاقانَ، وذلك فى تاسعِ ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ.

وكان الخليفةُ قد أرسلَ إلى مُؤْنسٍ الخادمِ ليَحْضُرَ، فدخَل بغدادَ فى تَجَمُّلٍ عظيمٍ [5]وسلَّم إليه ابنَ الفراتِ كما ذكرنا، فعاقَبه[5] وشفَع إلى الخاقانىِّ فى أن يُرْسِلَ إلى علىِّ بنِ عيسى - وكان قد صار إلى صَنْعاءَ مِن اليمنِ مَطْرودًا - فعاد إلى مكةَ، وبعَث إليه الوزيرُ أن يَنْظُرَ فى أمْرِ الشامِ ومصرَ، وأمَر الخَليفةُ مُؤْنِسًا الخادمَ بالمسيرِ إلى ناحيةِ الكُوفةِ لأجلِ القَرامِطةِ، وأنْفَق على خُروجِه إلى هنالِك ألفَ ألفِ دينارٍ، وأطْلَق القِرْمِطىُّ مَن كان أسَره مِن الحَجيجِ، وكانوا ألْفَيْ رجلٍ وخمسَمائةِ[6] امرأةٍ، وأطْلَق أبا الهَيْجاءِ نائبَ الكوفةِ معهم أيضًا، وكتَب إلى الخليفةِ يَسْأَلُ منه البَصْرةَ والأهْوازَ، فلم يُجَبْ إلى ذلك، وركِب المُظَفَّرُ مُؤْنِسٌ

---

(١) فى الأصل: «سحمت»، وفى ب، م: «خربت». وسخمت، وسحمت: سودت. اللسان (س خ م)، (س ح م).

(٢) أى: أُخذ إقرار بخطه.

(٣ - ٣) فى ب، م: «ثم أرسل الخليفة خلف مؤنس الخادم فلما قدم سلمهما إليه فأهانهما».

(٤) سقط من: ب، م. وفى ص: «النجس».

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦) فى ظ: «ستمائة».

الخادمُ فى جَحافِلَ إلى بلادِ الكوفةِ ، فسكَن أمْرُها ، ثم انْحَدَر إلى واسطٍ ؛ [1] خَوْفًا عليها مِن القرامِطةِ [1] ، واسْتَناب على الكوفةِ ياقوتَ الخادمَ ، فتمَهَّدَت الأُمورُ وانْصَلَحت .

وفى هذه السنةِ ظهَر رجلٌ بينَ الكوفةِ وبَغْدادَ ، فادَّعَى أنه محمدُ بنُ إسماعيلَ ابنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ [2] بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، وصدَّقه على ذلك طائفةٌ مِن الأعْرابِ والطَّغامِ ، والْتَفُّوا عليه ، وقوِيَت شَوْكتُه فى شَوَّالٍ ، فأرْسَل إليه الوزيرُ جيشًا ، فقاتَلوه فهزَموه [3] ، وقتَلوا خَلْقًا مِن أصْحابِه ، وتفرَّق بَقِيَّتُهم . وهذا المُدَّعِى المَذكورُ هو رئيسُ الإسْماعِيليةِ وأولُهم . وظفِر نازوكُ نائبُ الشُّرْطةِ بثلاثةٍ مِن أصْحابِ الحلَّاجِ ؛ وهم حَيْدرةُ ، والشَّعْرانىُّ ، وابنُ منصورٍ ، فطالَبهم بالرجوعِ ، فلم يَرْجِعوا ، فضرَب أعناقَهم ، وصلَبهم فى الجانبِ الشرقىِّ . ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ ؛ لكثرةِ خوفِ الناسِ مِن القَرامِطةِ ، لعنهم اللَّهُ .

ومِمَّن توفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

إبراهيمُ بنُ حَمْشٍ [4] ، **أبو إسْحاقَ** الواعظُ الزاهدُ النَّيسابورىُّ ، كان يَعِظُ الناسَ ، فكان مِن جُملةِ كلامِه الحسنِ قولُه : يَضْحَكُ القَضاءُ مِن الحَذَرِ ، ويَضْحَكُ الأجَلُ مِن الأملِ ، ويَضْحَكُ التَّقْدِيرُ مِن التَّدْبيرِ ، وتَضْحَكُ القِسْمةُ مِن الجَهْدِ والعَناءِ .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « محمد » . وانظر المنتظم ١٣/ ٢٤٠، والكامل ٨/ ١٥٧.

(٣) فى ظ : « فهزمهم ثم هزموه » .

(٤) فى ب ، م ، ظ : « خميس » وفى المنتظم ١٣/ ٣٤٠، وتبصير المنتبه ٢/ ٥٣٨: « خمش » . وانظر حاشية الإكمال ٢/ ٥٣٥، نقلا عن الاستدراك لابن نقطة . وترجمته فى : المنتظم الموضع السابق ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٣٢.

[٩/١٧ظ] **عليُّ بنُ محمدِ بنِ الفُراتِ ، أبو الحسنِ الوزيرُ**[(١)] ، ولَّاه المُقْتَدِرُ الوِزارةَ ثم عزَله ثم ولَّاه ثم عزَله ، [(٢)]ثم ولَّاه ثم عزَله[(٢)] هذه السنةَ وقتَله[(٣)] ، وكان ذا مالٍ جَزيلٍ جدًّا ، ملَك عشَرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وكان يَدْخُلُه مِن ضِياعِه فى كلِّ سنةٍ ألفا[(٤)] ألفِ دينارٍ ، وكان يُنْفِقُ على خمسةِ آلافٍ مِن العُلَماءِ والعُبَّادِ ويُجْرِى عليهم الأَرزاقَ فى كلِّ شهرٍ ، أثابه اللَّهُ ، وكان فيه كِفايةٌ ونَهْضَةٌ ومَعْرفةٌ بالوِزارةِ والحِسابِ ، يقالُ : إنه نظَر يومًا فى ألفِ كتابٍ ، ووقَّع على ألفِ رُقْعةٍ ، فتعَجَّب مَن حضَره مِن ذلك ، وكانتْ فيه مُروءةٌ وكَرمٌ وحُسْنُ سِيرةٍ فى وِلاياتِه ، غيرَ المَرَّةِ الثالثةِ ، فإنه ظلَم وغشَم وصادَر الناسَ عن أمْوالِهم ، فأخَذه اللَّهُ أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ . وقد كان فيه كرمٌ وسَعَةٌ فى النَّفَقةِ ، ذُكر عندَه ذاتَ ليلةٍ أهلُ الحَديثِ والصُّوفيةُ وأهلُ الأدبِ [(٥)]والشعراءُ والفقهاءُ[(٥)] فأطْلَق مِن مالِه لكلِّ طائفةٍ عشرين ألفًا .

وكتَب رجلٌ على لِسانِه إلى نائبِ مصرَ كتابًا فيه الوصيةُ به إليه ، فلما وقَف عليه المكْتوبُ إليه اسْتَراب به ، وقال : ما هذا خَطُّه . وأرْسَل به إلى الوزيرِ ، فلما وقَف عليه الوزيرُ عرَف أنه كَذِبٌ وزُورٌ ، واسْتَشار الحاضِرين عندَه فى الذى زوَّر عليه ، فقال بعضُهم : يَنْبَغى أن تُقْطَعَ يدُه . وقال غيرُه : يُقْطَعُ إبهامُه . وقال الآخَرُ : يُضْرَبُ ضَرْبًا عَنيفًا . فقال الوزيرُ : أوَ خيرٌ مِن ذلك ؟ فأخَذ الكِتابَ ،

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٢١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص . وبعده فى ب : « ثم ولاه ثم قتله فى » ، وبعده فى م : « ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم قتله فى » .

(٣) فى ب ، م : « قتل ولده » .

(٤) فى ب ، م ، ظ : « ألف » . وهو موافق لما فى المنتظم ١٣/ ٢٤١. وانظر وفيات الأعيان ، وتاريخ الإسلام .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

وكتَب عليه : نعم هذا خَطِّى ، وهو مِن أخَصِّ أصْحابى ، فلا تَتْرُكْ شيئًا مما تَقْدِرُ عليه مِن الإحسانِ إلا وصَلْتَه به . فلما عاد الكتابُ أحْسَن نائبُ مصرَ إلى ذلك الرجلِ ، ووصَله بنَحْوٍ مِن عِشرين ألفَ دينارٍ .

واسْتَدْعَى ابنُ الفُراتِ يومًا ببعضِ الكُتَّابِ فقال له : ويْحَك ! إن نِيَّتى فيك سَيِّئةٌ ، وإنى فى كلِّ وقتٍ أُريدُ أن أَقْبِضَ عليك وأُصادِرَك مالَك ، فرأيتُ فى المَنامِ مِن ليالٍ أنى قد أَمرتُ بالقبضِ عليك ، فجعَلْتَ تَمْتَنِعُ منى ، فأمَرْتُ جُنْدِى أن تُقاتِلَ ، فجعَلوا كلما ضرَبوك بشىءٍ مِن سهامٍ أو غيرِها مِن السلاحِ تَتَّقِى الضَّرْبَ برَغيفٍ فى يدِك ، فلا يَصِلُ إليك بِسببِه شىءٌ ، فأعْلِمْنى ما قصةُ هذا الرغيفِ ؟ فقال : أيُّها الوزيرُ ، إن أُمِّى منذُ كنتُ صَغيرًا كانت تَضَعُ فى كلِّ ليلةٍ تحتَ وِسادتى رَغيفًا ، ثم تُصبِحُ فتتصدَّقُ به عنِّى ، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَها حتى ماتَتْ . ففعلتُه بعدَها ، فأنا فى كلِّ ليلةٍ أُبيِّتُ تحتَ وِسادتى رَغيفًا ، ثم أُصْبِحُ فأَتَصَدَّقُ به . فعجِب الوزيرُ مِن ذلك وقال : واللَّهِ لا يَنالُك منى سُوءٌ أبدًا ، ولقد حَسُنَت نِيَّتى فيك ، وأحْبَبْتُك . وقد أطال ابنُ خَلِّكانَ تَرْجمتَه ، وذكَر بعضَ ما أوْرَدْناه[1] .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أبو بكرٍ الأزْدِىُّ الواسِطىُّ[2] ، المَعْروفُ بالباغَنْدىِّ ، سمِع محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، وابنَ أبى شَيْبةَ ، وشَيْبانَ بنَ فَرُّوخَ ، وعلىَّ بنَ المدينىِّ ، وخَلْقًا مِن أهلِ الشامِ ومصرَ والكوفةِ [٩/١٨و]والبصْرةِ وبَغْدادَ ، ورحَل إلى الأمْصارِ البَعيدةِ ، وعُنِىَ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٢١ - ٤٢٩.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٩، والمنتظم ١٣/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٤٢، والوافى بالوفيات ١/ ٩٩.

بهذا الشأنِ ، واشْتَغل فيه فأفْرَط ، حتى قيل : إنه كان ربما سرَد بعضَ الأحاديثِ بأَسانيدِها فى الصلاةِ[1] وهو لا يَشْعُرُ ، فيُسَبِّحُ به حتى يَتَذَكَّرَ أنه فى الصلاةِ . وكان يقولُ : أنا أُجِيبُ فى ثلاثِمائةِ ألفِ مسألةٍ مِن الحديثِ[2] . وقد رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ ، فقال له : يا رسولَ اللَّهِ ، أَيّما أَثْبَتُ فى الحديثِ مَنْصورٌ أو الأعْمَشُ ؟ فقال له : منصورٌ ، منصورٌ[3] . وقد كان يُعابُ بالتَّدْليسِ حتى قال الدارَقُطْنىُّ[4] : هو كثيرُ التَّدْليسِ ، يُحَدِّثُ بما لم يَسْمَعْ ، وربما سرَق بعضَ الأحاديثِ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « والنوم » .

(٢) بعده فى ب ، م : « لا أتجاوزه إلى غيره » .

(٣) سقط من : ب ، م .

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٢١٢.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : لِلَيْلةٍ بقِيَت[3] مِن المحَرَّمِ انْقَضَّ كوكبٌ مِن ناحيةِ الجنوبِ إلى الشمالِ قبلَ مَغيبِ الشمسِ ، فأضاءَت الدُّنيا منه ، وسُمِع له صوتٌ كصوتِ الرَّعْدِ الشديدِ .

وفى صَفَرٍ بلَغ الخَليفةَ المقْتدِرَ باللَّهِ أن جَماعةً مِن الرافضةِ يَجْتَمِعون فى مسجدِ بَرَاثا ، فيَنالُون مِن الصَّحابةِ ، ولا يُصَلُّون الجمعةَ ، ويُكاتِبون القَرامِطةَ ، ويَدْعُون إلى ولايةِ محمدِ بنِ إسماعيلَ الذى ظهَر بينَ الكوفةِ وبَغْدادَ ، ويَدَّعُون أنه المَهْدىُّ ، ويَتَبَرَّءون مِن المُقْتَدِرِ وممَّن يَتَّبعُه ، فأمَر بالاحْتِياطِ عليهم ، واسْتَفْتَى العُلَماءَ [4]فى المسجدِ المذكورِ[4] ، فأفْتَوْا بأنه مسجدُ ضِرارٍ [5]يُهدَمُ كما هُدِم مسجدُ الضرارِ[5] ، فضرَب مَن قدَر عليه منهم الضَّربَ المُبَرِّحَ ، ونُودِىَ عليهم ، وأمَر الخليفةُ بهَدْمِ المسجدِ المذْكورِ فهدمه نازوكُ ، وأمَر الوزيرَ الخاقانىَّ ، فجعَل مكانَه مَقْبَرةً ، فدُفِن فيه جَماعةٌ مِن المَوتى[6] .

وخرَج الناسُ للحجِّ فى ذى القَعْدةِ ، فاعْتَرَضهم أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ

---

(١) المنتظم ١٣/٢٤٧ - ٢٤٩، والكامل ٨/١٥٨ - ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٥٦، ٣٥٧. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٤٨ .

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٤٧.

(٣) فى ص : « خلت » .

(٤ - ٤) فى ص : « فى تخريب المسجد المذكور » . فى ب ، م : « بالمسجد ».

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) فى ب ، م : « الموالى » .

الجنَّابيُّ القِرْمِطيُّ لعنَهما اللَّهُ ، فرجَع أكثرُ الناسِ إلى بُلْدانِهم ولم يُمكنْهم الحَجُّ عامَهم هذا ، ويقالُ : إن بعضَهم سأَل منه الأمانَ ليَذْهَبوا فأمَّنَهم . وقد قاتَله جُنْدُ الخَليفةِ فلم يُفِدْ ذلك فيه شيئًا ؛ لتَمرُّدِه وشِدةِ بأْسِ من معه ، وانْزَعَج أهلُ بَغْدادَ مِن ذلك ، وترَحَّل أهلُ الجانبِ الغربيِّ إلى الجانبِ الشرقيِّ خوفًا من القرامِطةِ ، ودخَل القِرْمِطيُّ إلى الكوفةِ ، فأقام بها ستَّةَ أيامٍ[1] يَأْخُذُ مِن أمْوالِها ما يحتاجُ إليه .

قال ابنُ الجَوْزيِّ[2] : وكثُرَ الرُّطَبُ فى هذه السنةِ ببغدادَ حتى بِيعَ كلُّ ثمانيةِ أرْطالٍ بحَبَّةٍ[3] ، وعُمِل منه تَمْرٌ وحُمِل إلى البَصْرةِ .

وعزَل المُقْتدِرُ وزيرَه الخَاقانيَّ عن الوِزارةِ بعد سنةٍ وستةِ أشْهُرٍ ويومين ، ووَلِى مكانَه [4]أبو العباسِ[4] أحمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ الخَصيبِ الخَصِيبيُّ ، لأجلِ مالٍ بذَله مِن جهةِ زَوْجةِ المُحَسِّنِ بنِ الفُراتِ ، وكان ذلك المالُ سبعَمائةِ ألفِ دينارٍ ، فأَقَرَّ الخَصِيبيُّ عليَّ بنَ عيسى على الإشرافِ على ديارِ مصرَ وبلادِ الشامِ ، وهو مُقِيمٌ بمكةَ يَسِيرُ إليها فى بعضِ الأوقاتِ [٩/١٨ظ] فيَعْمَلُ ما يَنْبَغِى عمَلُه ، ثم يَرْجِعُ إلى مكةَ ، شرَّفَها اللَّهُ سبحانه وتعالى .

ذِكْرُ من تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

علىُّ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ ، أبو الحسنِ الغَضائرىُّ[5] ،

---

(١) فى الأصل ، ظ : « سنة » ، وفى ب ، م : « شهرا » ، وفى المنتظم بلفظ : « وأقام بظاهر الكوفة سبعة أيام » . والمثبت من ص موافق لما فى نسختين من المنتظم ١٣/٢٤٨ حاشية (١٢) ، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ٧٢.

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٤٩.

(٣) قال فى المحيط : والحبة : سدُس ثمُن درهم ؛ وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءًا من درهم . المحيط (م ك ك) .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أبو القاسم » . والمثبت من المنتظم والكامل . وانظر صلة تاريخ الطبرى ص ١٠٩.

(٥) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٩، والمنتظم ١٣/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٥٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٢٣.

سمِع القَوارِيرىَّ وعباسًا العَنْبَرىَّ ، وكان مِن العُبَّادِ الثِّقاتِ . قال : جئتُ يومًا إلى السَّرِىِّ السَّقَطىِّ ، فدقَقْتُ عليه بابَه ، فخرَج إلىَّ ، ووضَع يدَه على عِضادَتَىِ البابِ ، وهو يقولُ : اللهم اشْغَلْ مَن شغَلنى عنك بك . قال : فنالَتْنى بَرَكةُ هذه الدَّعْوةِ ، فحجَجْتُ على قدمى مِن حلَبَ إلى مكةَ أرْبَعين حَجَّةً ذاهبًا وآيِبًا .

أبو العباسِ السَّرَّاجُ الحافظُ ، محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ مِهْرانَ بنِ عبدِ اللَّهِ الثَّقَفىُّ مولاهم ، أبو العباسِ السَّرَّاجُ[1] ، أحدُ الأئمةِ الثِّقاتِ الحُفَّاظِ ، مولدُه سنةَ ثمانىَ عشْرةَ ومائتين[2] ، سمِع قُتَيْبةَ وإسْحاقَ بنَ راهَوَيْهِ وخَلْقًا كثيرًا مِن أهلِ خُراسانَ وبَغْدادَ والكوفةِ والبَصْرةِ والحِجازِ ، وقد حدَّث عنه البُخارىُّ ومسلمٌ ، وهما أكبرُ منه وأقْدَمُ مِيلادًا ووَفاةً ، وله مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ نافعةٌ جدًّا ، وكان يُعَدُّ مِن مُجابى الدَّعوةِ .

وقد رأَى فى مَنامِه كأنه يَرْقَى فى سُلَّمٍ ، فصعِد فيه تسعًا وتسعين درجةً ، فما أوَّلها على أحدٍ إلا قال له : تَعِيشُ تسعًا وتسعين سنةً . فكان كذلك . وقد وُلِد له ابنُه أبو عمرٍو ، وعُمرُه ثلاثٌ وثمانون سنةً . قال الحاكمُ[3] : فسمِعْتُ أبا عمرٍو يقولُ : فكنتُ إذا دخَلْتُ المسجدَ على أبى والناسُ عندَه يقولُ لهم : هذا عمِلْتُه فى ليلةٍ ، ولى مِن العُمرِ ثلاثٌ وثمانون سنةً .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٤٨، والمنتظم ١٣/ ٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٦٢.

(٢) ذكر الذهبى فى سير أعلام النبلاء أن مولده كان فى سنة ست عشرة ومائتين.

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ١٣/٢٥٣ من طريق الحاكم به.

ثم دخَلَت سنةُ أرْبعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ[1]

كتَب مَلِكُ الرومِ ، وهو الدُّمُسْتُقُ ، لعَنه اللَّهُ ، إلى أهلِ السَّواحلِ أن يَحْمِلوا إليه الخَراجَ وإلَّا قاتلَهم ، فأبَوا عليه ، فركِب إليهم فى أولِ هذه السنةِ ، فعاث فى الأرضِ فَسادًا ، ودخَل مَلَطْيةَ ، فقتَل مِن أهْلِها كثيرًا وأسَر وأقام بها ستةَ عشَرَ يومًا ، وجاء أهلُها إلى بَغْدادَ يَسْتَنْجِدون الخليفةَ عليه .

ووقَع ببَغْدادَ حَريقٌ فى مكانَيْن ، مات بسببِه خَلْقٌ كثيرٌ ، واحترق بأحدِهما ألفُ دارٍ ودُكَّانٍ ، وجاءَتِ الكُتُبُ بموتِ الدُّمُسْتُقِ مَلِكِ النَّصارَى ، لعنه اللَّهُ ، فقُرِئَت الكتبُ على المَنابرِ بذلك ، وجاءَت الكتبُ مِن مكةَ أن أهلَها فى غايةِ الانْزِعاجِ بسببِ اقْتِرابِ القِرمِطىِّ إليهم وقَصْدِه إياهم ، فرحَلوا منها إلى الطائفِ وتلك النَّواحِى ، وهبَّت ريحٌ عظيمةٌ بنَصِيبِينَ اقْتَلَعَت الأشجارَ وهدَمَت البُيوتَ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وفى يومِ الأحدِ لثمانٍ مضَيْن مِن شَوَّالٍ منها - وهو سابعُ كانونَ الأولِ[3] - سقَط ببَغْدادَ ثلجٌ عظيمٌ جدًّا وحصَل بسببِه بَرْدٌ شديدٌ ، بحيث أتْلَف كثيرًا مِن النَّخيلِ والأشْجارِ ، وجمَدَت الأدْهانُ حتى الأشْرِبةُ ، وماءُ الوردِ والخَلُّ ، والخِلْجانُ الكِبارُ ، ودِجلةُ . وعقَد بعضُ مَشايخِ الحديثِ [٩/١٩و]

---

(١) المنتظم ١٣/٢٥٥ - ٢٥٩، والكامل ٨/١٦٢ - ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٥٨ - ٣٦٠. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٤٩ .

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٥٥.

(٣) كانون الأول : شهر ديسمبر.

مَجلِسَ التَّحْديثِ على مَتْنِ دِجْلةَ مِن فوقِ الجَمْدِ ، وكُتِب عنه الحديثُ هنالك ، ثم انْكَسَر البَرْدُ بمطرٍ وقَع ، فأزال ذلك كلَّه ، وللَّهِ الحمدُ .

وقدِم الحُجَّاجُ مِن خُراسانَ إلى بَغْدادَ ، فاعْتَذَر إليهم مُؤْنِسٌ الخادمُ بأن القَرامِطةَ قد قصَدوا مكةَ ، فرجَعوا ولم يَتَهيَّأ الحجُّ فى هذه السنةِ مِن ناحيةِ العراقِ بالكُلِّيَّةِ .

وفى ذى القَعْدةِ عزَل الخليفةُ وزيرَه أبا العباسِ الخَصِيبىَّ بعدَ سنةٍ وشهرين ، وأمَر بالقبضِ عليه وحَبْسِه ، وذلك لإهْمالِه أمْرَ الوِزارةِ والنَّظَرَ فى المَصالحِ ؛ لاشْتِغالِه بالخمرِ فى كلِّ ليلةٍ فيُصْبِحُ مَخْمورًا لا عَقْلَ له ، وقد وكَل الأُمورَ إلى نُوَّابِه ، فخانوا وعمِلوا مَصالحَهم ، وولَّى مكانَه أبا القاسمِ عُبيدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ الكلْوَذانىَّ نِيابةً عن علىِّ بنِ عيسى حتى يَقْدَمَ ، ثم أرْسَل فى طلبِ علىِّ بنِ عيسى وهو فى دِمشقَ ، فقدِم بَغْدادَ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، فنظَر فى المصالحِ العامةِ والخاصةِ ، وردَّ الأُمورَ إلى السَّدادِ والاستقامةِ وتَمَهَّدَتِ القواعدُ ، واسْتَدْعَى بالخصِيبىِّ فتهَدَّده ولامَه وناقَشه على ما كان يَعْتَمِدُه ويَفْعَلُه فى خاصَّةِ نَفْسِه[1] ، وفى الأُمورِ العامَّةِ ، وذلك بحَضْرةِ القُضاةِ والأعْيانِ ، ثم ردَّه إلى السِّجْنِ .

وفيها أخَذ نصرُ بنُ أحمدَ السامانىُّ المُلَقَّبُ بالسَّعيدِ[2] بلادَ الرَّىِّ ، وسكَنها إلى سنةِ ستَّ عشْرةَ .

وفيها غزَت الصائفةُ مِن بلادِ طَرَسوسَ بلادَ الرومِ ، فغَنِموا وسَلِموا . ولم

---

(١) بعده فى ب ، م : « من معاصى اللَّه عز وجل » .
(٢) فى الأصل ، ص ، ظ : « السعد » .

يَحُجَّ رَكْبُ العراقِ ؛ خوفًا مِن القَرامِطةِ ، لعنهم اللَّهُ .

وممن تُوفِّىَ فيها مِن الأعْيانِ :

سعيدٌ[1] **النُّوبىُّ** ،صاحبُ بابِ النُّوبىِّ مِن دارِ الخلافةِ ببَغْدادَ ، تُوُفِّىَ فى صَفَرٍ من هذه السنةِ ، وأُقِيم أخوه مكانَه فى حفظِ هذا البابِ الذى صار يُنْسَبُ بعدَه إليه .

ومحمدُ بنُ محمدٍ الباهلىُّ[2] . **ومحمدُ** بنُ عمرَ بنِ لُبابةَ القُرْطبىُّ[3] . **ونصرُ** ابنُ القاسمِ الفَرائضىُّ الحَنَفىُّ أبو الليثِ[4] ، سمِع القَوارِيرىَّ ، وكان ثقةً عالمًا بالفَرائِضِ على مَذْهَبِ أبى حَنيفةَ ، مُقْرئًا جَليلًا .

---

(١) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من مصدرى ترجمته ؛ المنتظم ١٣/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٧٧.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢١٤، والمنتظم ١٣/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٨٤.

(٣) فى ب ، م : « القرمطى » وهو خطأ وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٨٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٩٥، والمنتظم ١٣/ ٢٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٨٦.

ثم دخَلَت سنةُ خمسَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فى صَفَرٍ منها[1] كان قُدومُ علىِّ بنِ عيسى الوزيرِ مِن دمشقَ إلى بغدادَ ، وقد تلَقَّاه الناسُ إلى أثناءِ الطريقِ ، فمنهم مَن لقِيَه إلى الأنْبارِ ، ومنهم دونَ ذلك . وحينَ دخَل إلى الخَليفةِ المقتدرِ خاطَبه الخليفةُ فأحْسَن مُخاطَبتَه ، ثم انْصَرف إلى منزلِه ، فبعَث وراءَه بالفُرُشِ والقُماشِ وعِشْرين ألفَ دينارٍ ، واسْتَدْعاه مِن الغدِ ، فخلَع عليه ، فأنْشَد وهو فى الخِلْعةِ[2] :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحِبِها ... فكيفما[3] انْقَلَبَت يومًا[4] به انْقَلَبوا

يُعَظِّمون أخا الدنيا فإن وثَبَتْ ... يومًا عليه بما لا يُشْتَهَى وثَبُوا

وجاءتِ الكتبُ بأن الرومَ دخَلوا سُمَيْساطَ[5] ، وأخَذوا جميعَ ما فيها ، ونصَبوا فيها خَيْمةَ المَلِكِ ، وضرَبوا الناقوسَ فى الجامعِ بها ، فأمَر الخَليفةُ مُؤْنِسًا الخادمَ بالتَّجْهيزِ للمسيرِ إليهم ، وخلَع [٩/١٩ظ] عليه خِلْعةً سَنِيَّةً ، ثم جاءتِ الكتُبُ بأن المسلمين وثَبوا على الرومِ ، فقتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا وغنِموا غنائمَ كثيرةً جدًّا ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) المنتظم ١٣/٢٦٠ - ٢٦٥، والكامل ٨/١٦٩ - ١٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٦١ - ٣٦٥. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٥٠ - ٢٥٥ .

(٢) البيتان فى العقد الفريد ٣/ ٣١، ١٧٤.

(٣) فى العقد : « فحيثما » .

(٤) سقط من : م .

(٥) سميساط : مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات . انظر معجم البلدان ٣/ ١٥١، ١٥٢.

ولما تجهَّز مُؤْنِسٌ للمَسيرِ جاءه بعضُ الخَدَمِ ، فأعْلَمه بأنَّ الخَليفةَ يريدُ أن يَقْبِضَ عليه إذا دخَل لوَداعِه ، وقد حُفِرَت له زُبْيَةٌ فى دارِ الخِلافةِ مُغَطَّاةٌ ؛ ليتردَّى فيها ، فأحْجَم عن الذَّهابِ ، وجاءتِ الأُمراءُ إليه مِن كلِّ جانبٍ ليَكونوا معه على الخَليفةِ ، فبعَث إليه المقتدرُ رُقْعةً بخطِّهِ يَحْلِفُ له فيها أن هذا الأمْرَ الذى بلَغه ليس بصحيحٍ ، فطابَت نفسُه ، وركِب إلى دارِ الخِلافةِ فى غِلْمانٍ قلائلَ ، فلما دخَل على الخليفةِ خاطَبه مُخاطَبةً عظيمةً ، وحلَف له أنه طَيِّبُ القَلْبِ عليه ، وله عندَه الصَّفاءُ الذى يَعْرِفُه ، وخرَج مِن بينِ يديه مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا ، وركِب [1]أبو العباسِ[1] ابنُ المقتدرِ والوزيرُ علىُّ بنُ عيسى ، ونصرٌ الحاجبُ فى خِدْمتِه لتَوْديعِه ، وكبارُ الأُمراءِ بينَ يديْه مثلُ الحَجَبةِ ، وكان خُروجُه يومًا مَشْهودًا ، قاصدًا بلادَ الثُّغورِ لقتالِ الرومِ[2] .

وفى جُمادَى الأولى قُبِض على رجلٍ خَنَّاقٍ قد قتَل خَلْقًا مِن النِّساءِ ؛ لأنه ادَّعَى أنه يَعْرِفُ العَطْفَ والتَّنْجيمَ ، فقصَده النساءُ لذلك ، فإذا انْفَرَد بالمرأةِ قام إليها[3] ، فخنَقها بوَتَرٍ ، وأعانَتْه امرأتُه على ذلك ، ثم حفَر لها فى دارِه فدفَنها ، فإذا امْتَلأَت تلك الدارُ انتقلَ عنها إلى غيرِها . ولما ظُهِر عليه وُجِد فى دارِه سبعَ عشْرةَ امرأةً قد خَنَقهنَّ ، ثم تُتُبِّعَتِ الدُّورُ التى سكَنها ، فوجَدوا شيئًا كثيرًا قد قُتِل مِن النِّساءِ ، فضُرِب ألفَ سَوْطٍ ، ثم صُلب حيًّا حتى مات ، قبَّحه اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ كان ظُهورُ الدَّيْلَمِ ببلادِ الرَّىِّ ، فكان فيهم ملِكٌ غلَب على أمْرِهم يُقالُ له : مَرْداوِيجُ . يَجْلِسُ على سَريرٍ مِن ذهبٍ ، وبينَ يديه سَريرٌ مِن

(١ - ١) فى النسخ : « العباس » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٥١.

(٢) بعده فى الأصل ، ص ، ظ : « ظفره اللّه بهم وأيده عليهم » .

(٣) بعده فى ب ، م : « ففعل معها الفاحشة » .

فِضَّةٍ ، ويقولُ : أنا سليمانُ بنُ داودَ . وقد سار فى أهلِ الرَّىِّ وقَزْوِينَ وأصْبَهانَ سِيرةً قبيحةً جدًّا ، فكان يَقْتُلُ النِّساءَ ، والصِّبْيانَ فى المُهُودِ ، ويَأْخُذُ أمْوالَ الناسِ ، وهو فى غايةِ الجَبَروتِ والشِّدةِ والجُرْأةِ على مَحارمِ اللَّهِ ، عَزَّ وجَلَّ ، فقتَلَه الأتْراكُ ، وأراح اللَّهُ المسلمين مِن شرِّه . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى هذه السنةِ كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بينَ يوسُفَ بنِ أبى الساجِ وبينَ أبى طاهرٍ القِرْمِطىِّ عندَ الكوفةِ ؛ سبَقه إليها أبو طاهرٍ ، فحال بينَه وبينَها ، فكتَب إليه يوسفُ بنُ أبى الساجِ : اسْمَعْ وأَطِعْ ، وإلا فاسْتَعِدَّ للقتالِ يومَ السبتِ تاسعَ شوالٍ من هذه السنةِ . فقال : هَلُمَّ . فلما تَراءَى الجَمْعانِ اسْتَقَلَّ يوسفُ بنُ أبى الساجِ ، وكان معه عشرون ألفًا ، جيشَ القِرْمِطىِّ وكان معه ألفُ فارسٍ وخمسُمائةِ راجلٍ ، فقال : وما قِيمةُ هؤلاءِ الكِلابِ ؟ وأمَر الكاتبَ أن يَكْتُبَ بالفتحِ قبلَ اللقاءِ [٩/٢٠و] إلى الخليفةِ ، فلما اقْتتلوا ثبَتتِ القَرامِطةُ ثباتًا عظيمًا ، ونزَل أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الجنَّابىُّ ، لعنه اللَّهُ ، فحرَّض أصْحابَه ، وحمَل بهم حَملةً صادقةً ، فهزَموا جُنْدَ الخَليفةِ ، وأسَروا يوسفَ بنَ أبى الساجِ وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا مِن جُنْدِ الخليفةِ ، واسْتَحْوَذ على الكوفةِ ، وجاءَتِ الأخبارُ بذلك إلى بَغْدادَ ، وشاع بينَ الناسِ أن القِرْمِطىَّ يريدُ أن يَقصِدَ بغدادَ ليأخُذَها ، فانْزَعَج المسلمون لذلك وظنُّوا صِدْقَه ، فاجْتَمع الوزيرُ بالخليفةِ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن الأمْوالَ إنما تُدَّخَرُ لِتَكونَ عَوْنًا على قِتالِ أعْداءِ اللَّهِ ، وإن هذا الأمرَ لم يَقَعْ بعدَ زمنِ الصَّحابةِ أفْظَعُ منه ، قد قطَع هذا الكافرُ طريقَ الحجِّ على الناسِ ، وفتَك فى المسلمين مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ، وإن بيتَ المالِ ليس فيه شىءٌ ، فاتَّقِ اللَّهَ يا أميرَ المؤمنين ، وخاطِبِ السيدةَ - يعنى أُمَّه - فإن كان عندها مالٌ قد ادَّخَرَتْه لشدَّةٍ ، فهذا وقتُه . فدخَل على أمِّه ، فكانتْ هى التى ابْتَدَأَته بذلك ، وبذَلَت له خمسَمائةِ ألفِ

دينارٍ ، وكان فى بيتِ المالِ مثلُها ، فسلَّمها الخَليفةُ إلى الوزيرِ ليَصْرِفَها فى تنفيذِ الجُيوشِ نحوَ القَرامِطةِ ، فجهَّز الوزيرُ جيشًا ؛ أرْبَعين ألفًا مع أميرٍ يقالُ له : يَلْبَقُ . فأخذوا عليه الطُّرقاتِ وكان يريدُ دُخولَ بَغدادَ ، ثم الْتَقَوْا معه ، فلم يَلْبَثْ جيشُ الخليفةِ أن انْهَزَم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وكان يوسفُ بنُ أبى الساجِ معهم مُقَيَّدًا فى خَيْمةٍ ، فجعَل يَنْظُرُ إلى مَحَلِّ الوَقْعةِ ، فلما رجَع القِرْمِطىُّ قال : أرَدْتَ أن تَهْرُبَ ؟! ثم أمر به فضُربَت عنقُه ، ورجَع القِرْمِطىُّ مِن ناحيةِ بَغْدادَ إلى الأنبارِ ، ثم انْصَرَف إلى هِيتَ ، فأكْثَر أهلُ بَغْدادَ الصَّدَقةَ ، وكذلك الخليفةُ وأمُّه والوزيرُ ؛ شُكْرًا للَّهِ عزَّ وجلَّ على صَرْفِه عنهم هذا الخبيثَ . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى هذه السنةِ بعَث المَهْدىُّ المُدَّعِى أنه فاطِمىٌّ - الذى ظهر ببلادِ المغربِ - ولدَه أبا القاسمِ فى جيشٍ[1] ، فانْهَزَم جيشُه ، وقُتِل مِن أصحابِه خَلْقٌ كثيرٌ .

واختُطَّت فى هذه السنةِ المدينةُ المُحَمّديةُ .

وفيها حاصَر عبدُ الرحمنِ بنُ الداخلِ الأُمويُّ مدينةَ طُلَيْطُلَةَ ، وكانوا مُسْلِمين لكنهم نقَضوا ما كانوا عاهدوه عليه ، ففتَحها قَهْرًا ، وقتَل خلقًا مِن أهلِها .

وممن تُوفِّىَ فيها من الأعيانِ :

ابنُ الجَصَّاصِ الجَوْهرىُّ ، الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الجَصَّاصِ الجَوْهرىُّ أبو عبدِ اللَّهِ البَغْدادىُّ[2] ، كان ذا مالٍ عظيمٍ وثَرْوةٍ مُتَّسعةٍ جدًّا ، وكان أصْلُ نِعْمتِه مِن بيتِ أحمدَ بنِ طُولُونَ ، كان قد جعَله جَوْهَرِيًّا له يتَسَّوقُ له ما يقعُ مِن نفائسِ

---

(١) بعده فى ب ، م : «إلى بلاد منها» .

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٦٦.

الجواهرِ بمصرَ ، فاكْتَسَب بسببِ ذلك أمْوالًا جَزيلةً جدًّا .

قال ابنُ الجَصَّاصِ : كنتُ يومًا ببابِ ابنِ طُولُونَ إذ خرَجَت القَهْرَمانةُ ، وبيدِها عِقْدٌ فيه مائةُ حَبَّةٍ مِن الجَوْهَرِ ، تُساوِى كلُّ واحدةٍ ألفَ[1] دينارٍ ، فقالت : أُرِيدُ أن تَأْخُذَ هذا فتَخْرُطَه حتى يكونَ أصْغَرَ [٩/٢٠ظ] مِن هذا الحجمِ ، فإن هذا نافرٌ على ما يُرِيدونه . فأخَذْتُه منها ، وذهَبْتُ به إلى المنزلِ وحصَّلْتُ جَواهِرَ أصْغَرَ منها تُساوِى [2]أقلَّ من[2] عُشْرِ قيمةِ تلك الجواهرِ بكثيرٍ ، فدفَعْتُها إليها ، وفُزْتُ أنا بذلك الذى جاءَت به[3] ، فكانتْ قيمتُه مائتَىْ ألفِ دينارٍ . وقد اتَّفَق أنه صُودِر فى زمانِ المُقْتَدِرِ مُصادَرةً عظيمةً ، أُخِذ منه ما يُقاوِمُ ستةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ ، وبَقِىَ معه مِن الأمْوالِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا .

قال بعضُهم : دخَلْتُ عليه وهو يَتَرَدَّدُ فى منزِله كأنه مَجْنونٌ ، فقلتُ له : مالك ؟! فقال : ويحَك ! أُخِذ منى كذا وكذا ؛ فأنا أُحِسُّ أن رُوحى ستَخْرُجُ . فعذَرْتُه ثم أخَذْتُ فى تَسْلِيتِه فقلتُ له : إنَّ دارَك وبَساتِينَك وضِياعَك الباقيةَ لك تُساوِى سبعَمائةِ ألفِ دينارٍ ، واصْدُقْنى كم بقِى عندَك مِن الجَواهرِ والمَتاعِ . فإذا هو يُساوِى ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ[4] ، فقلتُ : إن هذا الأمْرَ لا يُشارِكُك فيه أحدٌ مِن التُّجارِ ببَغْدادَ ، مع ما لَك مِن الوَجاهةِ عندَ الدَّوْلةِ والناسِ . قال : فسُرِّى عنه ، وتَسَلَّى عما كان عليه وأكَل ، وكان له ثلاثةُ أيامٍ لم يَأْكُلْ شيئًا ، ولما خلَص مِن مُصادَرةِ المُقْتَدِرِ بشَفاعةِ أُمِّه السيدةِ فيه حكَى عن نَفْسِه قال : نظَرْتُ فى دارِ الخِلافةِ إلى مائةِ خَيْشَةٍ ، فيها مَتاعٌ رَثٌّ مما حُمِل إلىَّ مِن مِصْرَ ، وهو عندَهم بدارِ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « ألفى » . والمثبت موافق لما فى مصادر التخريج .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص ، ظ .

(٣) بعده فى ب ، م : « وأرادت خرطه وإتلافه » .

(٤) بعده فى ب ، م : « غير ما بقى من الذهب والفضة المصكوكة » .

مَضِيعةٍ، وكان لى فى كلِّ حِمْلٍ ألفُ دينارٍ مَوْضوعةٌ فيه من مصرَ لا يَشْعُرُ بها أحدٌ، فاسْتَوْهَبْتُ ذلك مِن أمِّ المُقتَدِرِ، فكلَّمَت فى ذلك ولدَها، فأطْلَقَه لى فتَسَلَّمْتُه، فإذا الذهبُ لم يَنْقُصْ منه شىءٌ[1].

وقد كان مع ذلك مُغَفَّلًا شديدَ التَّغَفُّلِ فى كلامِه وأفْعالِه، وقد ذُكِر عنه أشْياءُ تَدُلُّ على ذلك، وقيل: إنه إنما كان يَفعلُ ذلك ليُظهِرَ أنه مُغَفَّلٌ. وقيل: إنه كان يقولُ ذلك على سبيلِ البَسْطِ والدُّعابةِ. واللَّهُ تعالى أعْلَمُ.

وفيها تُوُفِّىَ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ القَزْوِينىُّ[2].

وعلىُّ بنُ سليمانَ بنِ الفَضْلِ[3] **أبو الحسنِ الأخْفَشُ**، روَى عن المُبَرِّدِ وثَعْلبٍ واليَزيدىِّ وغيرِهم، وعنه المَرْزُبانىُّ[4] والمُعافَى وغيرُهما، وكان ثِقةً فى نَقْلِه، فَقيرًا فى ذاتِ يدِه، تَوَصَّل إلى أبى علىِّ بنِ مُقْلةَ حتى كلَّم فيه الوزيرَ علىَّ ابنَ عيسى فى أن يُرَتِّبَ له شىءٌ فلم يُجِبْه إلى ذلك، وضاق به الحالُ حتى كان يَأْكُلُ اللِّفْتَ النِّيئَ، فمات فجأةً مِن كثرةِ أكْلِه، وذلك فى شَعْبانَ من هذه السنةِ، وهذا هو الأخْفَشُ الصغيرُ، والأوْسَطُ هو سعيدُ بنُ مَسْعَدةَ تلميذُ

---

(١) انظر القصة فى المنتظم ١٣/ ٢٦٧، ٢٦٨، فهى أوضح وأطول من هذا السياق.

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٩٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٧٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٣٢٠. وبعده فى الأصل، ص: «وفيها كان مقتل الحسن بن القاسم الداعى العلوى، صاحب الرى على يدى الديلم وسلطانهم يومئذ من مرداويج المجرم قبحه اللَّه». وهو سهو وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وثلاثمائة.

(٣) فى ب، م، ص: «المفضل». وانظر ترجمته فى: طبقات النحويين ص ١١٥ وتاريخ بغداد ١١/ ٤٣٣، والمنتظم ١٣/ ٢٧١، وإنباه الرواة ٢/ ٢٧٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٤٩٧.

(٤) فى النسخ: «الرويانى». والمثبت من مصادر ترجمته. وانظر إنباه الرواة ٣/ ١٨٠.

سِيبَوَيْهِ ، [٢١/٩و] وأما الأكبرُ فهو أبو الخَطَّابِ عبدُ الحميدِ بنُ عبدِ المجيدِ ، مِن أهلِ هَجَرَ ، وهو شيخُ سِيبَوَيْهِ وأبى عُبَيدةَ وغيرِهما .

وأبو بكرٍ محمدُ بنُ السَّرِىِّ السَّرَّاجِ النَّحْوىُّ[1] ، صاحبُ « الأُصولِ » فى النَّحْوِ . قاله ابنُ الأثيرِ[1] . **ومحمدُ** بنُ المُسَيَّبِ الأَرْغِيانىُّ[2] .

---

(١) الكامل ٨/ ١٨٠، وذكره فى وفيات سنة خمس عشرة وثلاثمائة وسنة ست عشرة وثلاثمائة ، وانظر ترجمته فى : طبقات النحويين ص ١١٢، وتاريخ بغداد ٥/ ٣١٩، وإنباه الرواة ٣/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٢٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٠٣، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٠، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٥٥.

ثم دخَلَت سنةُ ستَّ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فيها[1] عاث القِرْمِطىُّ - لعنه اللَّهُ ، وهو أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الجنَّابىُّ - فى الأرضِ فَسادًا ، حاصَر الرَّحْبةَ[2] ، فدخَلها قَهْرًا ، وقتَل مِن أهلِها خَلْقًا كثيرًا ، وطلَب منه أهلُ قِرْقِيسِيَا الأمانَ فأمَّنَهم ، وبعَث سَرايا إلى ما حولَها مِن الأعرابِ ، فقتَل منهم خَلْقًا أيضًا ، حتى صاروا إذا سمِعوا بذِكْرِه يَهْرُبون مِن سَماعِ اسمِه ، وقرَّر على الأعْرابِ إتاوةً يَحْمِلونها إلى هَجَرَ فى كلِّ سنةٍ ، عن كلِّ رأسٍ دِيناران[3] . وعاث فى نَواحِى المَوْصِلِ وسِنْجارَ[4] وتلك الديارِ ، وقتَل وسَلب ونهَب ، فقصَده مُؤْنِسٌ الخادمُ ، فلم يَتَواجَها ، ثم رجَع إلى بلدِه ، فابْتَنَى بها دارًا سمَّاها دارَ الهِجْرةِ ، ودعا إلى المَهْدىِّ الذى ببلادِ المغربِ بانى المَهْديّةِ ، وتَفاقَم أمْرُه وكثُرَ أتْباعُه ، وصاروا يَكْبِسون القريةَ مِن أرضِ السَّوادِ فيَقْتُلون أهلَها ويَنْهَبون أمْوالَها ، ورام فى نفسِه دُخولَ الكوفةِ وأخْذَها فلم يَقْدِرْ على ذلك ، وعصَمها اللَّهُ منه . ولما رأى الوزيرُ علىُّ بنُ عيسى ما يَفْعَلُ هذا الهَجَرىُّ القِرْمِطىُّ ببلادِ الإسْلامِ ، والخَليفةُ وجيشُه ضعفاءُ عن مقاومتِه ، استَعفَى من الوِزارةِ وعزَل نَفْسَه عنها ، فسعَى فيها أبو علىٍّ بنُ مُقْلةَ الكاتبُ المَشْهورُ ، فوليَها بسِفارةِ نصرٍ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢٧٢، ٢٧٣، والكامل ٨/١٨١ - ١٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٢٧٢ - ٢٧٤. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

(٢) الرَّحْبَة : هى رحبة مالك بن طَوْق وهى بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات أسفل من قرقيسيا . معجم البلدان ٢/ ٧٦٤.

(٣) فى الكامل : « دينار » .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . معجم البلدان ٣/ ١٥٨.

الحاجبِ وأبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ - بالباءِ المُوَحَّدةِ ، مِن البَرِيدِ - ويُقالُ : اليَزيدىُّ . لخِدْمةِ جَدِّه يزيدَ بنِ منصورٍ الحِمْيَرىِّ[1] . ثم جهَّز الخَليفةُ جيشًا كَثيفًا مع مُؤْنِسٍ الخادمِ ، فاقتَتَلوا مع القَرامِطةِ ، فقتَلوا مِن القَرامِطةِ خلقًا كثيرًا ، وأسَروا منهم طائفةً كثيرةً مِن أشْرافِهم ، ودخَلوا مع مُؤْنِسٍ الخادمِ إلى بَغْدادَ ، والأُسارى بين يديه[2] ، وأعْلامٌ مِن أعْلامِهم بِيضٌ مُنَكَّسةٌ مَكْتوبٌ عليها : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] ففرِح المسلمون بذلك فرَحا شَديدًا ، وطابَتْ أنْفُسُ أهلِ بغدادَ ، وانْكَسَر شرُّ القَرامِطةِ الذين كانوا قد نشَئوا وكَثُروا وأظهروا رءُوسَهم بأرضِ العراقِ ، ونَهَبوا كثيرًا من القرى ، وفوَّضوا أمْرَهم إلى رجلٍ يُقالُ له : حُرَيْثُ بنُ مَسْعودٍ - لا أسعده اللَّهُ - ودعَوا إلى المَهْدىِّ الذى ظهَر ببلادِ المغربِ وبنى المهْدِيَّةَ جَدِّ الخلفاءِ الفاطِمِيِّين ، وهم أدْعِياءُ فيما ذَكَروا لهم من النَّسَبِ ، كما نَصَّ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن أئمةِ العُلماءِ ، كما سيَأْتى تَفْصيلُه وبيانُه فى مَوْضعِه .

وفيها وقَعَت وَحْشةٌ بينَ مُؤْنِسٍ الخادمِ والمُقْتَدِرِ ، وسببُ ذلك أن نازوكَ أميرَ الشُّرْطةِ وقَع بينَه وبينَ هارونَ بنِ غَرِيبٍ[3] [٩/٢١ظ] - وهو ابنُ خالِ المُقْتَدِرِ - فانْتَصَر هارونُ على نازوكَ ، وشاع بينَ العامَّةِ أن هارونَ سيَصِيرُ أميرَ الأُمراءِ ، فبلَغ ذلك مُؤْنِسًا الخادمَ وهو بالرَّقَّةِ ، فأسْرَع الأَوْبَةَ إلى بَغْدادَ ، واجْتَمَع بالخَليفةِ فتصالَحا ، ثم إن الخَليفةَ نقَل هارونَ إلى دارِ الخِلافةِ ، فقَوِيَت الوَحْشةُ بينَهما ، وانْضَمَّ إلى مُؤْنِسٍ جَماعةٌ مِن الأُمراءِ وتَرَدَّدَت الرُّسُلُ بينَهما ، وانْقَضَت هذه السنةُ والأَمْرُ كذلك . وهذا كلُّه مِن ضَعْفِ الأُمورِ واضْطرابِها وكثرةِ الفِتَنِ

---

(١) سقط من : الأصل . وفى ب ، م : « الجهيرى » . وانظر الكامل ٨/ ١٨٦.

(٢) الذى فى المصادر أن هارون بن غريب هو الذى قاتلهم فقتلهم وأسرهم ودخل بهم بغداد .

(٣) فى النسخ هنا وفيما يأتى : « عريب » . والمثبت من مصادر التخريج .

وانْتِشارِها .

(١ وفيها كان مَقْتَلُ **الحسنِ**(٢) بنِ القاسمِ الداعى العَلَوىِّ صاحبِ الرَّىِّ ، على يدِ صاحبِ الدَّيْلَمِ وسُلْطانِهم مَرْداوِيجَ المُجْرِمِ ، قبَّحه اللَّهُ ١) .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

بُنــانُ بنُ محمدِ بنِ حَمْدانَ بنِ سعيدٍ أبو الحسنِ الزاهدُ(٣) ، ويُعْرَفُ بالحَمَّالِ ، (٤ روَى الحديثَ عن الحسنِ بنِ عَرَفةَ ، وكان يُضربُ بزهدِه المثلُ ٤) ، وكانت له كَراماتٌ كثيرةٌ ، (٥ ومَنْزلةٌ كَبيرةٌ عندَ الناسِ ٥) ، وكان لا يَقْبَلُ مِن السُّلْطانِ شيئًا ، وقد أنْكَر يومًا على ابنِ طُولُونَ شيئًا مِن المُنْكَراتِ ، وأمَره بالمَعْروفِ ، فأمَر به فأُلْقِى بينَ يدىِ الأسدِ ، فكان الأسدُ يَشَمُّه ويُحْجِمُ عنه ، فرُفِع مِن بينِ يديه ، وعظَّمه الناسُ جدًّا .

وقد سأَله بعضُ الناسِ : كيف كان حالُك وأنت بينَ يدىِ الأسدِ ؟ فقال : لم يَكُنْ علىَّ بأْسٌ ، قد كنتُ أُفَكِّرُ فى سُؤْرِ السِّباعِ أهو(٦) طاهرٌ أم نَجِسٌ .

قالوا(٧) : وجاءَه رجلٌ فقال له : إن لى على رجلٍ مائةَ دينارٍ ، وقد ذهَبَت

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ب ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى الكامل ٨/ ١٨٩، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٠٥.

(٣) طبقات الصوفية ص ٢٩١، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، وتاريخ بغداد ٧/ ١٠٠، والمنتظم ١٣/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٠٨.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ظ .

(٦) فى ب ، م : « واختلاف العلماء فيه هل هو » .

(٧) تاريخ بغداد ١٠٢/٧ ، والمنتظم ٢٧٤/١٣ .

الوَثيقةُ ، وأنا أخْشَى أن يُنْكِرَ الرجلُ ، فأَسْأَلُك الدعاءَ . فقال له : إنى رجلٌ قد كبِرْتُ ، وأنا أُحِبُّ الحَلْواءَ ، فاذْهَبْ فاشْتَرِ لى منها رِطْلًا وأْتِنى به حتى أدْعُوَ لك . فذهَب الرجلُ فاشْتَرَى ، ثم جاء ففتَح الورَقةَ [1] التى فيها الحَلْواءُ [1] ، فإذا هى حُجَّتُه بالمائةِ دينارٍ ، فقال له الشيخُ : أهذه حُجَّتُك ؟ قال : نعم . قال : خُذْها وخُذِ الحَلْواءَ فأَطْعِمْها صِبْيانَك . ولما تُوُفِّىَ خرَج أهلُ مصرَ فى جِنازتِه تَعْظيمًا لشأْنِه وإكْرامًا له .

[2] **ومحمدُ** بنُ خُرَيمٍ [2] **ومحمدُ** بنُ عَقِيلٍ البَلْخىُّ [3] . **وأبو بكرِ** بنُ أبى داودَ السِّجِسْتانىُّ [4] الحافظُ ابنُ الحافظِ ، رحمهما اللَّهُ . **وأبو عَوانةَ يَعقوبُ** بنُ إسْحاقَ ابنِ إبراهيمَ الإسْفَرايِينىُّ [5] ، صاحبُ « الصَّحيحِ » المخرَّجِ على « صحيحِ مسلمٍ » ، وقد كان مِن الحُفَّاظِ المُكْثِرين ، والأئمةِ المَشْهُورين . **ونصرٌ** [6] الحاجبُ للخليفةِ المقتدِرِ ، كان مِن خِيارِ الأُمراءِ ، دَيِّنًا عاقلًا ، أنْفَق مِن مالِه فى حربِ القَرامِطةِ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وخرَج بنَفْسِه مُحْتَسِبًا ، فمات فى أثناءِ الطريقِ فى هذه السنةِ .

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٢٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٢٤، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٧.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٤٦٤، وتاريخ دمشق ٣٤/ ٧٣ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، والمنتظم ١٣/ ٢٧٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٤، فى ترجمة أبيه ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥١٢.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٢٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٧٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٤٨٧.

(٦) المنتظم ١٣/ ٢٧٨.

ثم دخَلَت سنةُ سبعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فيها[1] كان خَلْعُ المُقْتَدِرِ وتَوْليةُ القاهِرِ محمدِ بنِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أخى المقتدِرِ باللَّهِ. فى المُحَرَّمِ من هذه السنةِ اشْتَدَّت الوَحْشةُ بينَ مُؤْنِسِ الخادمِ والخليفةِ، فالْتَفَّ الأمراءُ على مُؤْنِسِ الخادمِ، وتَفاقَم الحالُ وآل إلى أن اجْتَمَعوا على خَلْعِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ وتَوليةِ محمدِ بنِ المُعْتَضِدِ، فبايَعوه بالخلافةِ وسلَّموا عليه بها، ولقَّبوه القاهِرَ باللَّهِ، وذلك ليلةَ السبتِ للنِّصْفِ مِن المُحَرَّمِ من هذه [٢٢/٩و] السنةِ، وقُلِّد أبو علىٍّ بنُ مُقْلَةَ وِزارَتَه، ونُهِبَت دارُ المُقْتَدِرِ، وأخَذوا منها شيئًا كثيرًا، ووُجِدَ لأمِّ المُقْتَدِرِ ستُّمائةِ[2] ألفِ دينارٍ قد دفَنَتْها فى قبرٍ بتُرْبتِها، فحُمِلَت إلى بيتِ المالِ، وأُخْرِج المُقْتَدِرُ وأمُّه وخالتُه وخَواصُّ جَوارِيه مِن دارِ الخِلافةِ، وذلك بعدَ مُحاصَرةِ دارِ الخِلافةِ، وهرَب مَن كان بها مِن الحَجَبةِ والخَدَمِ منها، وولِى نازوكُ الحُجوبةَ مُضافًا إلى ما بيدِه مِن الشُّرْطةِ، وألْزَم المُقْتَدِرَ بأن كَتَب على نَفْسِه كتابًا بالخَلْعِ مِن الخِلافةِ، وأشْهَد على نفْسِه بذلك جَماعةً مِن الأُمراءِ، وسلَّم الكتابَ إلى القاضى أبى عمرَ محمدِ بنِ يوسُفَ، فقال لولدِه أبى الحُسَينِ: احْتَفِظْ بهذا الكِتابِ فلا يَرَيَنَّه أحدٌ مِن خَلْقِ اللَّهِ. فلما أُعِيد المُقْتَدِرُ إلى الخِلافةِ بعدَ يومَيْن ردَّه إليه، فشكَره على ذلك جدًّا وولَّاه قَضاءَ القُضاةِ. ولما كان يومُ الأحدِ السادسَ عشَرَ مِن المُحَرَّمِ جلَس القاهرُ باللَّهِ فى مَنْصِبِ الخِلافةِ، وجلَس بينَ يديه الوزيرُ أبو علىٍّ

---

(١) المنتظم ٢٧٩/١٣ - ٢٨١، والكامل ٢٠٠/٨ - ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١- ٣٢٠) ص ٣٧٥ - ٣٨٠، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٥٩ - ٢٦٤.

(٢) فى م: «خمسائة».

ابنُ مُقْلةَ ، وكتَب إلى العُمَّالِ بالآفاقِ يُخْبِرُهم بِولايةِ القاهِرِ بالخِلافةِ عِوَضًا عن المُقْتَدِرِ ، وأطْلَق عليَّ بنَ عيسى مِن السِّجْنِ ، وزاد فى أقْطاعِ جَماعةٍ مِن الأُمراءِ الذين قاموا بنَصْرِه ، منهم أبو الهَيْجاءِ بنُ حَمْدانَ .

فلما كان يومُ الاثنَين جاء الجُنْدُ فطلَبوا أرْزاقَهم وشغَبوا ، وسارعوا إلى نازوكَ فقتَلوه - وكان مخْمُورًا - ثم صلَبوه ، وهرَب الوزيرُ ابنُ مُقْلةَ والحَجَبةُ ، ونادَوْا : يا مُقْتَدِرُ يا مَنْصورُ . ولم يَكُنْ مُؤْنِسٌ يومَئذٍ حاضرًا ، وجاءت الجنودُ إلى بابِه يُطالِبونه بالمُقْتَدِرِ ، فأغْلَق بابَه ، وحاجَف دونَه خَدَمُه ، فلما رأى مُؤْنِسٌ أنه لابد مِن تَسْليمِ المُقْتَدِرِ إليهم أمَره بالخُروجِ ، فخاف أن يَكونَ حِيلةً عليه ، ثم تَجاسَر فخرَج فحمَله الرجالُ على أعْناقِهم حتى أدْخَلوه دارَ الخِلافةِ ، فسأَل عن أخيه القاهِرِ وأبى الهَيْجاءِ بنِ حَمْدانَ لِيَكْتُبَ لهما أمانًا ، فما كان عن قريبٍ حتى جاءه خادمٌ ومعه رأسُ أبى الهَيْجاءِ قد احْتَزَّه وأخْرَجه مِن بينِ كَتِفَيه ، (١) وجاء المقتدرُ باللَّهِ فجلس فى الدَّسْتِ (١) ، واسْتَدْعَى بالقاهِرِ فأجْلَسَه بينَ يديه واسْتدناه إليه ، وقبَّل بينَ عينَيْه وقال : يا أخى ، أنت لا ذَنْبَ لك ، وقد علِمْتُ أنك قُهِرْت . والقاهِرُ يَقولُ : اللَّهَ اللَّهَ ، نَفْسى نفسى يا أميرَ المؤمنين . فقال : وحَقِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ لا جرَى عليك منى سُوءٌ أبدًا . وعاد ابنُ مُقْلةَ ، فكتَب إلى الآفاقِ يُعْلِمُهم بعَوْدِ المُقْتَدِرِ ، وتراجَعَت الأمورُ إلى حالِها الأولِ ببغدادَ ، واستقرَّ المُقْتَدِرُ فى الخلافةِ كما كان ، وحُمِل رأسُ نازوكَ وأبى الهَيْجاءِ بنِ حَمْدانَ ، فنُودِى عليهما : هذا جزاءُ مَن عصَى مَوْلاه . وهرَب أبو السَّرايا بنُ حَمْدانَ إلى المَوْصِلِ ، وكان ابنُ نَفيسٍ مِن أشَدِّ الناسِ على المُقْتَدِرِ ، فلما عاد إلى الخِلافةِ [٩/٢٢ظ] خرَج

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

مِن بَغدادَ مُتَنَكِّرًا، فدخَل المَوْصِلَ، ثم صار إلى أَرْمِينِيَةَ، ثم لحِق بمدينةِ القُسْطَنْطِينيةِ، فتنَصَّر مع أهلِها، لعنه اللَّهُ وإيَّاهم. وأما مُؤْنِسٌ فإنه لم يَكُنْ فى الباطِنِ على المُقْتَدِرِ، وإنما وافَق جَماعةَ الأُمراءِ مُكْرَهًا، ولهذا لـمَّا أُودِع المُقْتَدِرُ فى دارِه لم يَنَلْه منه سوءٌ، بل كان يُطَيِّبُ قلبَه، ولو شاء لَقَتَلَه لمَّا طُلِب مِن دارِه؛ فلهذا لما عاد إلى الخِلافةِ رجَع إلى دارِ مُؤْنِسٍ، فبات بها عندَه، لثِقَتِه به. وقرَّر أبا علىٍّ بنَ مُقْلةَ على الوِزارةِ، وولَّى محمدَ بنَ يوسُفَ أبا عمرَ قَضاءَ القُضاةِ، وجعَل محمدًا أخاه - وهو القاهِرُ باللَّهِ - عندَ والدتِه بصفةِ مُحْتَبَسٍ عندَها، فكانت تُحْسِنُ إليه غايةَ الإحسانِ، وتَشْتَرِى له السَّرارِىَّ، وتُكْرِمُه غايةَ الإكْرامِ.

ذِكْرُ أخْذِ القَرامِطةِ الحَجَرَ الأسودَ إلى بلادِهم (١وما كان منهم إلى الحجيجِ، لعَن اللَّهُ القرامطةَ١) فيها(٢) خرَج رَكْبُ العراقِ وأميرُهم مَنْصورٌ الدَّيْلَمىُّ، فوصَلوا إلى مكةَ سالمين، وتَوافَت الرُّكوبُ هناك مِن كلِّ جانبٍ، فما شعَروا إلا بالقِرْمِطىِّ قد خرَج عليهم فى جَماعتِه يومَ التَّرْوِيةِ، فانْتَهَب أموالَهم واسْتَباح قِتالَهم، فقتَل الناسَ فى رِحابِ مكةَ وشِعابِها حتى فى المسجدِ الحَرامِ وفى جَوْفِ الكعبةِ، وجلَس أمِيرُهم أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الجنَّابىُّ - لعنَه اللَّهُ - على بابِ الكعبةِ، والرِّجالُ تُصْرَعُ حولَه فى المسجدِ الحَرامِ فى الشهرِ الحرامِ ثم فى يومِ التَّرْوِيةِ، الذى هو مِن أشْرفِ الأيامِ، وهو

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) المنتظم ١٣/٢٨١ - ٢٨٣، والكامل ٨/ ٢٠٧، ٢٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٨٠ - ٣٨٣.

يقولُ :

أنَـا بـالـلَّـهِ[1] وبـالـلَّـهِ أنـا يَخْلُقُ[2] الخلقَ وأُفْنِيهم أنا

فكان الناسُ يَفِرّون فيَتَعَلَّقون بأسْتارِ الكعبةِ فلا يُجْدِى ذلك عنهم شيئًا ، بل يُقْتَلون وهم كذلك ، ويَطوفون فيُقْتَلون فى الطَّوافِ ، وقد كان بعضُ أهلِ الحَديثِ[3] يومَئذٍ يَطوفُ ، فلما قضَى طَوافَه أخَذَتْه السيوفُ ، فلما وجَب أنْشَد وهو كذلك :

ترَى المُحِبِّين صَرْعَى فى دِيارِهِمُ كفِتْيَةِ الكهفِ لا يَدْرُون كم لَبِثوا

ثم أمر القِرْمِطىُّ - لعنه اللَّهُ - أن تُدْفَنَ القَتْلَى ببئرِ زَمْزَمَ ، ودفَن كثيرًا منهم فى أماكنِهم وحتى فى المسجدِ الحَرامِ - وياحبَّذا تلك القِتْلةُ وتلك الضِّجْعةُ - ولم يُغَسَّلوا ولم يُكَفَّنوا ولم يُصَلَّ عليهم ؛ لأنهم[4] شُهَداءُ فى نَفْسِ الأمْرِ ، [5]بل من خيارِ الشهداءِ[5] ، وهدَم قُبَّةَ زمزمَ ، وأمَر بقَلْعِ بابِ الكعبةِ ونَزْعِ كُسْوتِها عنها ، وشقَّقها بينَ أصحابِه ، وأمَر رجلًا أن يَصْعَدَ إلى مِيزابِ الكعبةِ[6] فأراد أن يَقْتَلِعَه ، فسقَط على أُمِّ رأسِه ، فمات لعَنه اللَّهُ وصار إلى أمِّه الهاويةِ ، فانكفَّ اللعينُ عند ذلك عن الـمِيزابِ ، ثم أمَر بأن يُقلَعَ الحَجَرُ الأسْودُ ، وجاءه رجلٌ فضرَب الحجرَ بمُثَقَّلٍ فى يدِه وقال : أين الطَّيْرُ الأَبابيلُ ؟

---

(١) فى الأصل ، ص ، ظ : « للّه » ، وفى ب ، م : « اللّه » ، والمثبت من تاريخ الإسلام .

(٢) فى ب ، م : « أخلق » .

(٣) هو على بن بابويه . وانظر المنتظم وتاريخ الإسلام .

(٤) بعده فى ب ، م : « محرمون » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) ميزاب الكعبة : مصب ماء المطر . اللسان (أ ز ب) .

أين الحِجارةُ مِن سِجِّيلٍ؟ ثم قلَع الحجرَ الأسْودَ، شرَّفه اللَّهُ وكرَّمه وعظَّمه، وأخَذوه معـهم حينَ راحوا إلى بلادِهم، فكان عندَهم ثنتَيْن وعشرين سنةً [٢٣/٩و] حتى ردُّوه، كما سنَذْكُرُه فى موضعِه فى سنةِ تسعٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

ولما رجَع القِرْمِطىُّ إلى بلادِه، تبِعه أميرُ مكةَ هو وأهلُ بيتِه وجُنْدُه وسأَله وتشَفَّع إليه فى أن يَرُدَّ الحجرَ ليُوضَعَ فى مكانِه، وبذَل له جَميعَ ما عندَه مِن الأموالِ، فلم يفعلْ - لعنه اللَّهُ - فقاتَله أميرُ مكةَ فقتَله القِرْمِطىُّ وقتَل أكثرَ أهلِه وجُنْدِه، واستَمَرَّ ذاهبًا إلى بلادِه ومعه الحجرُ الأسودُ وأمْوالُ الحَجيجِ.

وقد ألْحَد هذا اللَّعِينُ فى المسجدِ الحَرامِ إلْحادًا لم يَسْبِقْه إليه أحدٌ ولا يَلْحَقُه فيه، وسيُجازِيه على ذلك الذى لا يُعَذِّبُ عَذابَه أحدٌ، ولا يُوثِقُ وَثاقَه أحدٌ، وإنما حمَل هؤلاء على هذا الصَّنيعِ؛ أنهم كانوا كُفَّارًا زَنادِقةً، وقد كانوا مُمالِئِين للفاطِمِيِّين الذين نبَغوا فى هذه السنين ببلادِ إفْرِيقِيَّةَ مِن أرضِ المغربِ، ويُلَقَّبُ أميرُهم بالمَهْدىِّ، وهو أبو محمدٍ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ مَيْمونِ القَدَّاحُ، وقد كان صَبَّاغًا بسَلَمْيَةَ يَهوديًّا فادَّعَى أنه أسْلَم، ثم سار منها إلى بلادِ إفْرِيقيَّةَ، فادَّعَى أنه شريفٌ فاطمىٌّ، فصدَّقه على ذلك طائفةٌ كثيرةٌ مِن البَرْبَرِ وغيرِهم مِن الجَهَلةِ، وصارتْ له دَوْلةٌ، فملَك مدينةَ سِجِلْماسَةَ[1]، ثم ابْتَنَى مدينةً وسمَّاها المَهْديةَ، وكان قَرارُ مُلْكِه بها، وكان هؤلاء القَرامِطةُ يُراسِلونه ويَدْعُون إليه ويَتَرامَوْن عليه، ويُقالُ: إنهم إنما كانوا يَفْعَلون ذلك سِياسةً ودَوْلةً لا حقيقةَ له.

---

(١) سِجِلْماسة: مدينة جنوب المغرب بينها وبين فاس عشرة أيام. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٥.

وذكَر ابنُ الأثِير[1] أن المهدىَّ هذا كتَب إلى أبى طاهرٍ القِرْمِطِىِّ يَلومُه على فعلِه بمكةَ ، حيث سلَّط الناسَ على الكَلامِ فى عِرضِهم ، وانْكَشَفَت أسْرارُهم التى كانوا يُبْطِنونها بما ظهَر مِن صَنيعِهم هذا القبيحِ ، وأمَره بردِّ ما أخَذ منها ، وعَوْدِه إليها ، فكتَب إليه بالسَّمْعِ والطاعةِ ، وأنه قد قَبِل ما أشار إليه مِن ذلك .

وقد أُسِر بعضُ أهلِ الحديثِ فى أيدى القَرامِطةِ ، فمكَث فى أيديهم مدةً ، ثم فرَّج اللَّهُ عنه ، وكان يَحْكِى[2] أن الذى أسرَه كان يَسْتَخْدِمُه فى أشَقِّ الخِدْمةِ وأشَدِّها ، وكان يُعَرْبِدُ عليه إذا سَكِر ، فقال لى ذاتَ ليلةٍ وهو سَكْرانُ : ما تَقولُ فى محمدِكم ؟ فقلتُ : لا أدْرِى . فقال : كان رجلًا سائِسًا . ثم قال : ما تَقولُ فى أبى بكرٍ ؟ فقلتُ : لا أدْرِى . فقال : كان ضَعِيفًا مَهِينًا ، وكان عمرُ فظًّا غَليظًا ، وكان عثمانُ جاهلًا أحْمَقَ ، وكان علىٌّ مُمَخْرَقًا ، أليس كان عندَه أحدٌ يُعَلِّمُه ما ادَّعَى أنه فى صدرِه مِن العلمِ ؟ أمَا كان يُمْكِنُه أن يُعَلِّمَ هذا كلمةً وهذا كلمةً ؟ ثم قال : هذا كلُّه مَخْرَقةٌ . فلما كان الغدُ قال لى : لا تُخْبِرْ بهذا الذى قلتُه لك أحدًا . رواه ابنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[3] .

ورَوَى[4] عن بعضِهم أنه قال : كنتُ فى المسجدِ الحرامِ يومَ [5]اقْتُلِع الحجرُ الأسودُ ، إذ دخَل رجلٌ وهو سكرانُ راكبٌ على فرسِه ، فَصفَّر لها حتى بالتْ فى المسجدِ الحرامِ[5] فى مكانِ الطَّوافِ ، ثم حمَل على رجلٍ كان إلى جانبى فقتَله

---

(١) الكامل ٨/ ٢٠٨.

(٢) بعده فى ب ، م : « عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم و » .

(٣) المنتظم ١٣/٢٨٢ ، ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٨١، ٢٨٢، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٥ - ٥) فى ب ، م : « التروية » .

[٢٣/٩ظ]، ثم نادى بأعلى صوتِه : يا حَمِيرُ، أليس قلْتُم فى بيتِكم هذا ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران : ٩٧]؟ فأين الأَمْنُ؟ قال : فقلتُ له : (١)أتسْمَعُ جَوابًا(١)؟ قال : نعم. قلتُ : إنما أراد اللَّهُ : فأَمِّنوه. قال : فثنَى رأسَ فرسِه وانْصَرَف.

وقد سأَل بعضُهم ههنا سؤالًا فقال : قد أحَلَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بأصْحابِ الفيلِ - وكانوا نَصارَى وهؤلاء شرٌّ منهم - ما ذكَره فى كِتابِه العزيزِ حيثُ يقولُ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، ومَعْلومٌ أن القَرامِطةَ شرٌّ مِن اليهودِ والنَّصارَى والمجوسِ، بل ومِن عَبَدةِ الأصنامِ(٢)، فهلَّا عُوجِلوا بالعُقوبةِ كما عُوجِل أصحابُ الفيلِ؟ وقد أُجِيب عن ذلك بأن أصحابَ الفيلِ إنما عُوقِبوا إظْهارًا لشَرَفِ البيتِ الحرامِ، ولِمَا يُرادُ به مِن التَّشْرِيفِ والتعظيمِ بإرْسالِ النبىِّ الكريمِ ﷺ، مِن البلدِ الذى كان هذا البيتُ فيه؛ ليُعلَمَ شرفُ هذا الرسولِ الكريمِ الذى هو خاتمُ الأنبياءِ، فلما أراد هؤلاء إهانةَ هذه البُقْعةِ التى يُرادُ تَشْريفُها عمَّا قريبٍ أهْلَكهم اللَّهُ سريعًا عاجلًا غيرَ آجلٍ، (٣)كما ذكَر فى كتابِه(٣)، وأما هؤلاء فكان مِن أمرِهم ما كان بعدَ تَقْريرِ الشَّرائعِ وتَمْهيدِ القَواعِدِ، والعلمِ بالضَّرورةِ مِن دينِ اللَّهِ بشرَفِ مكةَ والكعبةِ، وكلُّ مُؤْمنٍ يَعْلَمُ أن هؤلاء(٤) مِن أكبرِ المُلْحِدِين الكافِرين، بما تبيَّنَ مِن كتابِ اللَّهِ تعالى وسنةِ

(١ - ١) فى ب، م : «تسمع جوابك».

(٢) بعده فى ب، م : «وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد».

(٣ - ٣) فى ب، م : «ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله».

(٤) بعده فى ب، م : «قد ألحدوا فى الحرم إلحادا بالغا عظيما وأنهم».

رسولِه ﷺ ، فلهذا لم يَحْتَجِ الحالُ إلى مُعاجَلتِهم بالعُقوبةِ ، بل أخَّرَهم الربُّ جلَّ جلالُه ليومٍ تَشْخَصُ فيه الأبْصارُ ، واللَّهُ سبحانه وتعالى يُمْهِلُ ويُمْلِي ويَسْتَدْرِجُ ، ثم يَأْخُذُ أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ ، كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ[1] : « إن اللَّهَ لَيُمْلِي للظالمِ حتى إذا أخَذه لم يُفْلِتْه » . ثم قرأ[2] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2] [هود: ١٠٢] .

[3]وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا أحدَ أصبرُ على أذًى سمِعَه من اللَّهِ ؛ إنهم يَجْعَلون له ولدًا وهو يَرْزقُهم ويُعافيهم » . وقال تعالى[3] : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧] . وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] . وقال : ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٧٠] .

وفيها[4] وقَعَت فِتْنةٌ ببغدادَ بينَ أصْحابِ أبى بكرٍ المَرْوَزِىِّ الحَنْبلىِّ ، وبينَ طائفةٍ مِن العامَّةِ ، اخْتَلَفوا فى تَفْسيرِ قولِه تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] . فقالتِ الحَنابلةُ : يُجْلِسُه معه على العرشِ . وقال الآخَرون : المرادُ بذلك الشَّفاعةُ العُظْمَى . فاقْتَتَلوا بسببِ ذلك ، وقُتِل بينَهم

---

(١) البخارى (٤٦٨٦) ، ومسلم (٢٥٨٣) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . والحديث تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٦٤.

(٤) الكامل ٨/ ٢١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٨٤.

قَتْلَى ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وقد ثبَت [٢٤/٩و] فى « صَحيحِ البُخارىِّ »[١] أن المرادَ بذلك مَقامُ الشَّفاعةِ العُظْمَى ، يَشفعُ عندَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ فى أن يأتىَ لفَصْلِ القَضاءِ بينَ عِبادِه ، وهو المَقامُ الذى يَرْغَبُ إليه فيه الخَلْقُ كلُّهم ، حتى إبراهيمُ الخليلُ عليه الصلاةُ والسلامُ ، ويَغْبِطُه به الأوَّلون والآخِرُون .

وفيها[٢] وقَعَت فِتْنةٌ بالمَوْصِلِ بينَ العامَّةِ فيما يَتَعَلَّقُ بأمْرِ المَعاشِ ، وانتَشَرَت وكثُر أهلُ الشَّرِّ فيها واسْتَظْهَروا ، وجرَت بينَهم شُرورٌ ، ثم سكَنَت .

وفيها[٣] وقَعَت فِتْنةٌ ببلادِ خُراسانَ بينَ بنى سامانَ[٤] وأميرِهم نصرِ بنِ أحمدَ المُلَقَّبِ بالسعيدِ .

وخرَج فى شَعْبانَ خارجىٌّ بالمَوْصِلِ ، وخرَج آخَرُ بالبوازيجِ[٥] ، فقاتَلهم أهلُ تلك الناحيةِ حتى سكَن شرُّهم ، وتفرَّق أصحابُهم .

وفيها[٦] الْتَقَى مُفْلِحٌ الساجِىُّ ومَلِكُ الرُّومِ الدُّمُسْتُقُ ، فهزَمه مُفْلِحٌ وطرَد وراءَه إلى أرضِ الرومِ ، وقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا . وللَّهِ الحمدُ .

وفيها[٧] هبَّت ريحٌ شديدةٌ ببغدادَ تَحْمِلُ رَملًا أحْمرَ يُشْبِهُ رَمْلَ أرضِ الحِجازِ ، فامْتَلأَت منه البُيوتُ .

---

(١) البخارى (١٤٧٥، ٤٧١٨، ٦٥٦٥، ٧٤٤٠) .
(٢) الكامل ٨/ ٢١٢، ٢١٣.
(٣) المصدر السابق ٨/٢٠٨ - ٢١٢.
(٤) فى ب ، م : « ساسان » .
(٥) البوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأصغر حيث يصب فى دجلة . معجم البلدان ١/ ٥٧٠.
(٦) الكامل ٨/ ٢١٤.
(٧) الكامل ٨/ ٢١٤، ٢١٥.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ الفرجِ بنِ شُقَيْرٍ أبو بكرٍ النَّحْوىُّ[1] ، كان عالمًا بمَذْهَبِ الكُوفيِّين ، وله فيه تَصانِيفُ .

أحمدُ بنُ مَهْدىِّ بنِ رُسْتمَ ، العابدُ الزاهدُ[2] ، أنْفَق فى طلبِ العلمِ ثلاثَمائةِ ألفِ درهمٍ ، ومكَث أرْبَعين سنةً لا يَأْوِى إلى فِراشٍ .

وقد روَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ بسندِه عنه[3] أنه جاءَتْه امْرأةٌ ذاتَ ليلةٍ ، فقالتْ له : إنى قد امْتُحِنْتُ بِمِحْنةٍ ؛ أُكْرِهْتُ على الزِّنَى وأنا حُبْلَى منه ، وقد تستَّرْتُ بك ، وزعَمْتُ أنك زوجى ، وأن هذا الحَمْلَ منك ، فاسْتُرْنى ستَرك اللَّهُ ولا تَفْضَحْنى . فسكَتُّ عنها ، فلما وضَعَت جاءَنى أهلُ المحَلَّةِ وإمامُ مَسْجِدِهم يُهَنِّئوننى بالولدِ ، فأظْهَرْتُ البِشْرَ ، وبعَثْتُ فاشْتَرَيْتُ بدينارَيْن شيئًا حُلْوًا وجعلتُ أُرْسِلُ إليها مع إمامِ المسجدِ كلَّ شهرٍ دينارَيْن صِفةَ نَفَقَةِ الولدِ ، [4]وأقولُ : أَقْرِئْها منىَ السلامَ ، فإنه قد سبَق منى ما فرَّق بينى وبينَها[4] . فمكَثْتُ كذلك سنتَيْن ، ثم مات المولودُ ، فجاءونى يُعَزُّوننى فيه ، فأظْهَرْتُ التَّغَمُّمَ والحُزْنَ عليه ، ثم جاءَتْنى المرأةُ بالدَّنانيرِ التى كنتُ أُرْسِلُ بها إليها قد جعلَتها عندَها ، [4]فقالتْ لى : ستَرك اللَّهُ وجزاك خيرًا ، وهذه الدنانيرُ التى كنتَ تُرْسِلُ بها[4] . فقلتُ : يا هذه ، إنى إنما كنتُ

---

(١) إنباه الرواة ١/ ٣٤، وتاريخ بغداد ٤/ ٨٩، والكامل ٨/ ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٢٧.

(٢) الجرح والتعديل ٢/ ٧٩، وذكر أخبار أصبهان ١/ ٨٥، وتاريخ دمشق ٦/ ٤٠، والمنتظم ١٣/ ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨١) ص ٢٨٣. وقد اتفقت هذه المصادر - عدا المنتظم - على أن وفاته كانت فى سنة ٢٧٢، ولعل المصنف تابع ابن الجوزى فى المنتظم.

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ١٣/ ٢٨٤، من طريق أبى نعيم به.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص، ظ.

أُرْسِلُ بها صِلةً للولدِ، فَخُذِيها[1] فافْعَلى بها ما شئتِ.

بدرُ بنُ الهَيْثَمِ بنِ خلفِ بنِ خالدِ بنِ راشدِ بنِ الضَّحَّاكِ بنِ النُّعمانِ [2]بن مُحرِّقِ بنِ النعمانِ بنِ المنذِرِ[2]، أبو القاسمِ اللخْمِيُّ القاضى الكوفيُّ، نزَل بَغْدادَ وحدَّث بها عن أبى كُرَيْبٍ وغيرِه، وكان سَماعُه للحَديثِ بعدَ ما جاوَز أرْبَعين سنةً، وكان ثقةً نَبيلًا، عاش مائةَ سنةٍ وسبعَ عشْرةَ سنةً. وكانت وفاتُه فى شوالٍ من هذه السنةِ بالكوفةِ.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ المَرْزُبانِ بنِ سابورَ بنِ شاهِنْشاهْ أبو القاسمِ البَغَوىُّ[3]، ويُعْرَفُ بابنِ بنتِ [4]أحمدَ بنِ مَنِيعٍ[4]، وُلِد سنةَ ثلاثَ عشْرةَ - وقيل: أربعَ عشْرةَ - ومائتَيْن، ورأَى أبا عُبَيدٍ القاسمَ بنَ سَلَّامٍ ولم يَسْمَعْ منه، وسمِع مِن أحمدَ بنِ حَنْبلٍ، وعلىِّ بنِ المَدِينىِّ، ويحْيَى بنِ مَعينٍ، وعلىِّ بنِ الجَعْدِ، وخَلفِ بنِ هشامٍ [٩/٢٤ظ] البَزَّارِ، وخَلْقٍ، وكان معه جُزْءٌ فيه سَماعُه مِن ابنِ مَعينٍ، فأخَذه منه موسى بنُ هارونَ الحافِظُ، فرَماه فى دِجْلةَ، وقال: أتريدُ أن تَجْمَعَ بينَ الثلاثةِ[5]؟! وقد تفرَّد عن سبعٍ وثمانين شيخًا، وكان ثقةً حافِظًا ضابطًا، روَى عنه الحُفَّاظُ، وله مُصَنَّفاتٌ.

قال موسى بنُ هارونَ الحافِظُ[6]: كان ابنُ مَنيعٍ ثقةً صَدوقًا. فقيل له: إن

---

(١) فى ب، م: «وقد مات وأنت ترثينه فهى لك».

(٢ - ٢) زيادة من: م. وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٧/ ١٠٧، والمنتظم ١٣/ ٢٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٣١.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ١١١، وطبقات الحنابلة ١/ ١٩٠، والمنتظم ١٣/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٣٨.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٥) أى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى. وانظر مصادر ترجمته.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ١١٥، والمنتظم ١٣/ ٢٨٧، ٢٨٨.

ههنا ناسًا يَتَكَلَّمون فيه . فقال : يَحْسُدونه ، ابنُ مَنيعٍ لا يَقولُ إلا الحَقَّ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ وغيرُه[1] : يَدْخلُ[2] فى الصَّحيحِ .

وقال الدارَقُطْنىُّ[3] : كان البَغَوىُّ قلَّما يَتَكَلَّمُ على الحديثِ ، فإذا تكَلَّم كان كلامُه كالمِسْمارِ فى الساجِ . وقد ذكَره ابنُ عدِىٍّ فى « كامِلِه »[4] ، فتكَلَّم فيه وقال : حدَّث بأشياءَ أُنْكِرَت عليه ، وكان معه طَرَفٌ مِن مَعْرِفةِ الحديثِ والتَّصانِيفِ . وقد انْتَدَب ابنُ الجَوْزىِّ للردِّ على ابنِ عدىٍّ فى هذا الكلامِ[5] ، وذكَر أنه تُوُفِّى ليلةَ عيدِ الفِطْرِ منها ، وقد اسْتَكْمَل مائةَ سنةٍ وثلاثَ سنين وشُهورًا ، وهو مع ذلك صحيحُ السمعِ والبَصَرِ والأسْنانِ ، يَطَأُ الإماءَ . وكانت وفاتُه ببَغْدادَ ، ودُفِن بمَقْبَرةِ بابِ التِّبْنِ ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه .

محمدُ بنُ أبى الحسينِ بنِ محمدِ بنِ عمَّارٍ الشَّهيدُ الحافظُ أبو الفَضْلِ الهَرَوىُّ[6] ، يُعْرَفُ بابنِ أبى سعدٍ ، قدِم بغْدادَ ، وحدَّث بها عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنْصارىِّ ، وحدَّث عنه ابنُ المُظَفَّرِ الحافِظُ ، وكان مِن الثِّقاتِ الأثْباتِ الحُفَّاظِ المُتْقِنِين ، له مُناقَشاتٌ على [7]بضعةٍ وثلاثين[7] حديثًا مِن « صحيحِ

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١١٦، والمنتظم ١٣/ ٢٨٨.

(٢) فى ب ، م : « أحاديثه تدخل » .

(٣) انظر المصدرين السابقين .

(٤) الكامل ٤/ ١٥٧٨، ١٥٧٩.

(٥) المنتظم ١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٦) تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٦، والمنتظم ١٣/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٤٦.

(٧ - ٧) فى النسخ : « بضعة عشر » . والمثبت من تاريخ الإسلام . وهذه المناقشات فى كتاب له مطبوع بعنوان : « علل الأحاديث فى كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج » . وعدد الأحاديث فى الكتاب ستة وثلاثون حديثًا .

مسلم » ، قتَلَتْه القَرامِطةُ يومَ التَّرْوِيةِ بمكةَ فى هذه السنةِ فى جملةِ مَن قتَلوا ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه ، وجعَل جناتِ الفردَوسِ مُتقلبَه ومَثْواه .

الكَعْبِىُّ المُتَكَلِّمُ ، هو أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمودٍ البَلْخىُّ الكَعْبىُّ[1] ، نِسْبةً إلى بنى كعبٍ ، وهو أحدُ مَشايخِ المُعْتَزِلةِ ، وتُنْسَبُ إليه الطائفةُ الكَعْبيةُ منهم .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : كان مِن كِبارِ المُتَكَلِّمِين، وله اخْتِياراتٌ فى علمِ الكَلامِ ؛ مِن ذلك أنه كان يَزْعُمُ أن أفعالَ اللَّهِ تعالى تَقَعُ بلا اخْتِيارٍ منه ولا مَشيئةٍ . هكذا أَوْرَدَه عنه ، وقد خالَف الكعبىُّ نصَّ القرآنِ فى غيرِ ما مَوْضِعٍ ؛ قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] . وقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة : ١٣] ، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] ، إلى غيرِ ذلك مما هو مَعْلومٌ بالضَّرورةِ بصَريحِ العَقْلِ والنَّقْلِ .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٨١، والملل والنحل ١/ ١١٦، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٨٤، والمنتظم ١٣/ ٣٠١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، ١٥/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٨٤.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانِىَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فيها[1] عزَل الخَليفةُ المُقْتَدِرُ باللَّهِ وزيرَه أبا علىٍّ بنَ مُقْلَةَ ، فكانتْ مُدةُ وِزارتِه سنتين وأربعةَ أشْهرٍ وثلاثةَ أيامٍ ، واسْتَوْزَر مكانَه سليمانَ بنَ الحسنِ بنِ مَخْلَدٍ ، وجعَل علىَّ بنَ عيسى [٩/٢٥و] ناظِرًا معه .

وفى جُمادَى الأولى منها أُحْرِقَت دارُ أبى علىٍّ بنِ مُقْلةَ ، وكان قد أنْفَق عليها مائةَ ألفِ دينارٍ ، فانْتَهَب الناسُ أخْشابَها وما وجَدوا فيها مِن حَديدٍ ورَصاصٍ وغيرِ ذلك ، وصادَره الخَليفةُ بمائتَىْ ألفِ دينارٍ .

وفيها طرَد الخليفةُ الرَّجَّالةَ الذين كانوا بدارِ الخِلافةِ عن بغْدادَ ، وذلك أنهم لما ردُّوا المقتـدرَ إلى الخِلافةِ شرَعوا يُنَفِّسون بكلامٍ كثيرٍ عليه ؛ يقولون : مَن أعان ظالمًا سُلِّط عليه ، ومَن أصْعَد الحِمارَ إلى السَّطْحِ يَقْدِر يُنْزِلُه . فأمَر بإخْراجِهم عن بَغْدادَ ، ومَن أقام منهم عُوقِب ، فأُحْرِقَت دُورٌ كثيرةٌ مِن قَراباتِهم ، واحْتَرَق بعضُ نِسائِهم وأوْلادِهم ، فخرَجوا منها فى غايةِ الإهانةِ ، فنزَلوا واسِطًا وتغَلَّبوا عليها ، وأخْرَجوا عامِلَها منها ، فركب إليهم مُؤْنِسٌ الخادمُ ، فأوْقَع بهم بَأْسًا شديدًا ، وقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا ، فلم تَقُمْ لهم بعدَ ذلك رايةٌ .

وفى ربيعِ الأولِ منها عزَل الخَليفةُ ناصرَ الدَّوْلةِ بنَ حَمْدانَ عن المَوْصِلِ ، وولَّى

---

(١) المنتظم ١٣/٢٩١ - ٢٩٨، والكامل ٨/٢١٦ - ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٨٧، ٣٨٨. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٦٥ - ٢٧٥.

عليها عَمَّيْه سعيدًا ونَصْرًا ابنَىْ حَمْدانَ . وولَّاه دِيارَ رَبيعةَ ؛ نَصِيبِينَ[1] وسِنْجارَ والخابورَ ورأسَ العَيْنِ ، ومعها[2] مَيَّافارِقِينَ ، وأَرْزَنَ ، ضمِن ذلك مِن الخَليفةِ بمالٍ يَحْمِلُه فى كلِّ سنةٍ .

وفى جُمادَى الأُولَى خرَج رجلٌ ببلادِ البوازيجِ يُقالُ له : صالحُ بنُ محمودٍ . فاجْتَمَع عليه جَماعةٌ مِن بنى مالكٍ ، ثم سار إلى سِنْجارَ ، فحاصَرها ، فدخَلها وأخَذ شيئًا كثيرًا مِن أمْوالِها ، وخطَب بها خُطْبةً ، ووعَظ فيها وذكَّر وحذَّر ، فكان فى جُمْلةِ ما قال : نتَوَلَّى الشيخَيْن ، ونتبَرَّأُ مِن الخَبِيثَيْنِ[3] ، ولا نَرَى المسحَ على الخُفَّيْنِ . ثم سار فعاث فى الأرضِ فَسادًا . فانْتَدَب له نصرُ بنُ حَمْدانَ فقاتَله ، فأُسِر صالحُ بنُ محمودٍ ومعه ابنان له ، فحُمِل إلى بَغْدادَ ، فدخَلها وقد اشْتَهَر شُهْرةً فَظيعةً .

وخرَج آخرُ ببلادِ المَوْصِلِ ، فاتَّبعه ألفُ رجلٍ ، فحاصَر أهلَ نَصِيبِينَ ، فخرَجوا إليه فاقْتَتَلوا معه ، فقتَل منهم مائةً وأسَر ألفًا ، ثم باعَهم نُفوسَهم وصادَر أهْلَها بأربعِمائةِ ألفِ درهمٍ ، فانْتَدَب ناصرُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ ، فقاتَله فظفِر به فأسَره ، وسيَّره إلى بَغْدادَ أيضًا . وللَّهِ الحمدُ .

وفيها خلَع الخَليفةُ على ابنِه هارونَ ، وركِب معه الوزيرُ والجيشُ ، وأعْطاه نِيابةَ فارسَ وكَرْمانَ وسِجِسْتانَ ومُكْرانَ ، وخلَع على ابنِه أبى العباسِ الراضى ، وجعَله نائبَ بلادِ المغربِ ومصرَ والشامِ ، ويكونُ مُؤْنسٌ الخادمُ يَسُدُّ عنه أُمورَها .

---

(١) فى الكامل : « ونصيبين » . وانظر معجم البلدان ٢/ ٦٣٧.

(٢) بعده فى الكامل : « من ديار بكر » .

(٣) فى النسخ : « الحسين » ، والمثبت من الكامل ٨/ ٢٢٠، ونهاية الأرب ٢٣/ ٩٢.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ عبدُ السَّميعِ بنُ أيوبَ بنِ عبدِ العزيزِ الهاشميُّ ، وخرَج الحَجيجُ [1] بخُفَارةٍ وبَذْرقةٍ [1] حتى سَلِموا [2] فى الذَّهابِ والإيابِ مِن القَرامِطةِ . وللَّهِ الحمدُ .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ البُهْلولِ بنِ حَسَّانَ بنِ أبى سِنانٍ أبو جعفرٍ التَّنُوخىُّ [3] ، القاضى الحَنَفىُّ ، العَدْلُ الثِّقةُ الرِّضى . وكان فَقِيهًا ثقةً [4] نَبيلًا ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وروَى عن أبى كُرَيْبٍ حَديثًا واحدًا ، وكان عالمًا بالنَّحْوِ ، فَصيحَ العِبارةِ [٩/٢٥ظ] ، جيدَ الشِّعرِ ، مَحْمودًا فى الأحكامِ . اتَّفَق أن السَّيِّدةَ أمَّ المُقْتَدِرِ وقَفَت وَقْفًا ، وجعَل الحاكمُ [5] هذا عندَه نُسْخةً به فى سَلَّةِ الحُكْمِ ، ثم أرادَتْ أن تَنْقُضَ ذلك الوَقْفَ ، فطلَبَت الحاكمَ وأن يُحْضِرَ معه كتابَ الوَقْفِ لتَأْخُذَه منه فتُعْدِمَه ، فلما حضَر مِن وراءِ السِّتارةِ فهِم المَقْصودَ ، فقال لها : لا يُمْكِنُ هذا ؛ لأنى خازنُ المسلمين ، فإمَّا أن تَعْزِلونى عن القَضاءِ وتُوَلُّوا على هذا غيرى ، وإمَّا أن تَتْرُكوا هذا الذى تُرِيدونَه ، فلا سَبيلَ إليه وأنا حاكمٌ . فشكَتْه إلى ولدِها المُقْتَدِرِ ، فشفَع عندَه المُقْتَدِرُ فى ذلك ، فذكَر له صُورةَ الحالِ ، فرجَع إلى أُمِّه فقال لها : إن هذا الرجلَ ممَّن يُرْغَبُ فيه ، ولا سَبيلَ إلى عَزْلِه ولا التَّلاعُبِ به . فرضِيَتْ عنه ، وبعَثَت تَشْكُرُه على ما صنَع مِن ذلك ، فقال : مَن قدَّم أمْرَ اللَّهِ على

(١ - ١) فى ب : « بغفارة بذرقة » ، وفى م : « بغفارة بدرقة » . والخفارة والبذرقة بمعنى الأمان والإجارة .

(٢) فى ب ، م : « يسلموا فى الدرب » .

(٣) تاريخ بغداد ٣٠/٤ ، والمنتظم ٢٩٢/١٣ ، ومعجم الأدباء ١٣٨/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٥٤ ، والجواهر المضية ١٣٧/١ ، وبغية الوعاة ١٣٧/١ .

(٤) سقط من : ب ، م .

(٥) سقط من : م . والحاكم هنا : القاضى .

أمْرِ العِبادِ كفاه اللَّهُ شرَّهم . وقد كانتْ وَفاتُه فى هذه السنةِ ، وقد جاوَز الثمانين .

يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ صاعدٍ أبو محمدٍ[1] ، مَوْلى أبى جعفرٍ المنصورِ ، رحَل فى طلبِ الحديثِ ، وكتَب وسمِع وحفِظ ، وكان مِن كِبارِ الحُفَّاظِ وشُيوخِ الرِّوايةِ ، وكتَب عنه جَماعةٌ مِن الأكابرِ ، وله تَصانِيفُ تَدُلُّ على حِفْظِه وفِقْهِه وفَهْمِه ، وكانت وفاتُه بالكوفةِ فى هذه السنةِ وله تسعون[2] سنةً .

الحسنُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ بَشَّارِ بنِ زيادٍ[3] ، المَعْروفُ بابنِ العَلَّافِ ، الضَّريرُ النَّهْروانىُّ ، الشاعرُ المَشْهورُ ، وكان أحدَ سُمَّارِ الخليفةِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ ، وله مَرْثاةٌ طَنَّانةٌ فى هِرٍّ له قتَله جِيرانُه ؛ لأكْلِه أفْراخَ الحمامِ مِن أبراجِهم ، وفيها آدابٌ ورِقَّةٌ ، ويقالُ : إنه أراد بها رِثاءَ ابنِ المُعْتَزِّ لكنه لم يَتَجاسَرْ أن يَنْسِبَها إليه مِن الخليفةِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ حينَ قتَله ، وأولُها :

يا هِرُّ فارَقْتَنا ولم تَعُدِ ... وكنتَ عندى بمنزلِ الولدِ

وهى خمسةٌ وستون بيتًا .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٣١، والمنتظم ١٣/ ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٠١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٧٤.

(٢) فى م : « سبعون » .

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٣٧٨، والمنتظم ١٣/ ٣٠٠ وفيات سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٥٩.

ثم دخَلَت سنةُ تسعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ

فى المُحَرَّمِ من هذه السنةِ[1] دخَل الحَجيجُ بغدادَ ، وقد خرَج مُؤْنِسٌ الخادمُ إلى الحجِّ فى هذه السنةِ فى جيشٍ كثيفٍ ، خوفًا مِن القَرامِطةِ ، ففرِح المسلمون بذلك ، وزُيِّنَت بغدادُ يومَئذٍ ، وضُرِبَت الخيامُ والقِبابُ لمُؤْنِسٍ الخادمِ ، وقد بلَغ مُؤْنِسًا فى أثناءِ الطريقِ أن القَرامِطةَ أمامَه ، فعدَل بالناسِ عن جادَّةِ الطريقِ ، فأخَذ بهم فى شِعابٍ وأوْديةٍ فتاهوا هنالك أيامًا ، فشاهَد الناسُ هنالك عَجائبَ وغَرائبَ ؛ رأَوْا عِظامًا فى غايةِ الضَّخامةِ ، وشاهَدوا ناسًا قد مُسِخوا حِجارةً ، ورأَى بعضُهم امرأةً واقفةً على تَنُّورٍ قد مُسِخَت حَجَرًا ، والتَّنُّورُ قد صار حَجَرًا ، وحمَل مُؤْنِسٌ مِن ذلك شيئًا كثيرًا إلى الحَضْرةِ ليُصَدَّقَ ما يُخْبِرُ به مِن ذلك . ذكَره ابنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[2] . فيُقالُ : إنهم مِن قومِ عادٍ[3] أو مِن ثَمودَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها عزَل المُقْتَدِرُ سليمانَ بنَ الحسنِ الوزيرَ بعدَ سنةٍ وشهرين وتسعةِ أيامٍ [٢٦/٩و] ، واسْتَوْزَر مكانَه أبا القاسمِ عُبَيدَ اللَّهِ بنَ محمدٍ الكَلْوَذانىَّ ، ثم عزَله بعدَ شهرين وثلاثةِ أيامٍ ، واسْتَوْزَر الحسينَ بنَ القاسمِ ، ثم عزَله أيضًا .

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢٩٩، والكامل ٨/٢٢٤ - ٢٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٨٩ - ٣٩٣. وانظر صلة تاريخ الطبرى ص ١٣٦ - ١٤١.

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٩٩.

(٣) بعده فى ب ، م : «أو من قوم شعيب» .

وفيها وقَعَت وَحْشَةٌ بينَ الخليفةِ ومُؤْنِسٍ الخادمِ، بسببِ أن الخَليفةَ ولَّى الحِسْبةَ لرجلٍ اسمُه محمدُ بنُ ياقوتَ، وكان أميرًا على الشُّرْطةِ أيضًا، فقال مُؤْنِسٌ: إن الحِسْبةَ لا يتَوَلَّاها إلا القُضاةُ والعُدولُ، وهذا لا يَصْلُحُ لها. ولم يَزَلْ بالخَليفةِ حتى عزَل محمدَ بنَ ياقوتَ عن الحِسْبةِ والشُّرْطةِ أيضًا، وانْصَلَح الحالُ بينَهما، ثم تجَدَّدَت الوَحْشةُ بينَهما فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ، ومازالَتْ تَتزايَدُ حتى آل الحالُ إلى قَتْلِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ كما سنَذْكُرُه.

وفى هذه السنةِ أوْقَع ثملٌ مُتَوَلِّى طَرَسُوسَ بالرومِ وَقْعةً عَظيمةً جدًّا، قتَل منهم خَلْقًا كثيرًا، وأسَر نحوًا مِن ثلاثةِ آلافٍ، وغنِم مِن الذهبِ والفضةِ والدِّيباجِ شيئًا كثيرًا جدًّا، ثم أوْقَع بهم مرةً ثانيةً كذلك. وكتَب ابنُ الدَّيْرانىِّ الأرْمَنىُّ إلى الرومِ يَحُضُّهم على الدُّخولِ إلى بلادِ الإسلامِ، ووعَدهم منه النَّصْرَ والإعانةَ، فدخَلوا فى جَحافِلَ كثيرةٍ جدًّا، وانضاف إليهم الأرمنُ، فركِب إليهم مُفْلِحٌ غلامُ يوسُفَ بنِ أبى الساجِ، وهو يومَئذٍ نائبُ أَذْرَبِيجانَ، واتَّبعه خَلْقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ، فقصَد أولًا بلدَ ابنِ الدَّيْرانىِّ، فقتَل مِن الأَرْمَنِ نحوًا مِن مائةِ ألفٍ، وأسَر خلقًا كثيرًا، وغنِم أمْوالًا جَزيلةً جدًّا، وتحَصَّن ابنُ الدَّيْرانىِّ بقَلْعةٍ له هنالك، وجاءت الرومُ، فوصَلوا إلى سُمَيْساطَ فحاصَروها، فبعَث أهلُها يَسْتَصْرِخون بسعيدِ بنِ حَمْدانَ نائبِ المَوْصِلِ، فسار إليهم مُسْرِعًا، فوجَد الرومَ قد كادوا يَفْتَحونها، فلما علِموا بقُدومِه أجْلَوا عنها واجْتازوا بمَلَطْيةَ فنهَبوها، ورجَعوا خاسِئِين إلى بلادِهم، ومعهم ابنُ نَفيسٍ المُتَنَصِّرُ، وقد كان مِن أهلِ بَغْدادَ قبل ذلك كما ذكرناه قبلُ[1]. وركِب ابنُ حَمْدانَ فى آثارِ الرومِ. فدخَل

---

(١) تقدم فى صفحتى ٣٦، ٣٧.

بلادَهم ، فقتَل خَلْقًا كثيرًا منهم ، وغنِم أشْياءَ كثيرةً .

قال ابنُ الأثيرِ[1] : فى هذه السنةِ فى شَوَّالٍ جاء سَيْلٌ عظيمٌ إلى تَكْرِيتَ ، ارْتَفَع فى أسْواقِها أربعةَ عشَرَ شِبْرًا ، وغرِق بسببِه أربعُمائةِ دارٍ ، وخَلْقٌ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ ، حتى كان المسلمون والنَّصارَى يُدْفَنون جميعًا ، لا يُعْرَف هذا مِن هذا . قال[2] : وفيها هاجَت بالموصِلِ ريحٌ فيها حُمرةٌ ، ثم اسْوَدَّت حتى كان الإنسانُ لا يُبْصِرُ صاحبَه ، وظنَّ الناسُ أن القيامةَ قد قامت ، ثم انْجَلَى ذلك بمطرٍ أرْسَله اللَّهُ عليهم .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسينُ [3]بنُ الحسينِ[3] بنِ عبدِ الرحمنِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأنْطاكىُّ ، قاضى ثُغورِ الشامِ ، يُعْرَفُ بابنِ الصابونىِّ ، وكان ثِقةً نَبيلًا ، قدِم بَغْدادَ وحدَّث بها .

علىُّ بنُ الحسينِ بنِ حربِ بنِ عيسى ، [4]أبو عبيدِ بنُ حَرْبُويْهِ[4] ، القاضى بمصرَ ، تولَّى القَضاءَ بمصرَ مُدةً طَويلةً جدًّا ، وكان ثِقةً عالمًا [٩/٢٦ظ] جليلًا ، مِن خِيارِ القُضاةِ وأعْدلِهم ، وكان يَتفقَّهُ على مَذْهَبِ أبى ثَوْرٍ ، وقد ذكَرْناه فى

---

(١) الكامل ٨/ ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٢٣٦.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ٣٩، وتاريخ دمشق ١٤/ ٥٦، والمنتظم ١٣/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٨٢.

(٤ - ٤) سقط من : م . وفى ب : «عبيد بن جويرية» وانظر ترجمته فى الولاة والقضاة ص ٤٨١، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٩٥، وطبقات الفقهاء ص ١١٠، والمنتظم ١٣/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٤٤٦، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٣، ٣٠٤.

« طَبَقاتِ الشافعيةِ » بما فيه مَقْنَعٌ وكفايةٌ ، وقد اسْتَعْفَى عن القَضاءِ ، فعُزِل عنه فى سنةِ إحدى عشْرَةَ وثلاثِمائةٍ ، ورجَع إلى بَغْدادَ فأقام بها حتى مات بها فى هذه السنةِ فى صَفَرٍ ، وصلَّى عليه أبو سعيدٍ الإصْطَخْرِىُّ ، ودُفِن بدارِه .

قال الدارَقُطْنىُّ[1] : حدَّث عنه أبو عبدِ الرحمنِ النَّسائىُّ فى الصحيحِ ، ولعله مات قبلَه بعِشْرين سنةً . وذكَر مِن جَلالتِه وفَضْلِه ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ الفَضْلِ بنِ العباسِ أبو عبدِ اللَّهِ البَلْخىُّ الزاهدُ[2] ، حُكِى عنه أنه مكَث أرْبَعين سنةً لم يَخْطُ فيها خُطْوةً لغيرِ اللَّهِ ، ولا نظَر فى شىءٍ فاسْتَحْسَنه ؛ حياءً مِن اللَّهِ عز وجل ، وأنه مكَث ثلاثين سنةً لم يُمْلِ على مَلَكَيْه قَبيحًا .

محمدُ بنُ سعدٍ أبو الحسينِ الوَرَّاقُ[3] ، صاحبُ أبى عثمانَ النَّيْسابورىِّ ، وكان فَقيهًا يَتَكَلَّمُ على المُعامَلاتِ .

ومِن جيدِ كلامِه قولُه : مَن غضَّ بصرَه عن مُحَرَّمٍ أوْرَثه اللَّهُ بذلك حِكْمةً على لِسانِه يَهْتَدِى بها سامِعوه ، ومَن غضَّ بصرَه عن شُبْهةٍ نوَّر اللَّهُ قَلْبَه بنورٍ يَهْتَدِى به إلى طريقِ مرضاتِه .

يَحْيَى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ موسى ، أبو زكريا الفارسىُّ[4] ، كتَب بمِصْرَ عن الربيعِ بنِ سليمانَ ، وكان ثقةً صدوقًا حسنَ الصلاةِ ، عَدْلًا عندَ الحُكَّامِ[5] .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٧، والمنتظم ١٣/ ٣٠٣.

(٢) طبقات الصوفية ص ٢١٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢، والمنتظم ١٣/ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٤٩ ضمن وفيات سنة ٣١٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٢٣، والعبر ٢/ ١٧٦ ضمن وفيات سنة ٣١٩.

(٣) طبقات الصوفية ص ٢٩٩، والمنتظم ١٣/ ٣٠٤.

(٤) المنتظم ١٣/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٩٤.

(٥) بعده فى ظ : « ابن مسرة المغربى محمد بن عبد اللَّه بن مسرة أبو عبد اللَّه مولى قريش ، أحد أفراد =

= زمانه وبلغاء عصره وأوانه، له المصنفات العديدة والفوائد فى الأصول والفروع والتصوف، وله اليد الطولى فى التفسير والحديث والكلام على أحوال القلوب والمعاملات، وقد أطراه ابن عبد الرزاق أحد أولياء العهد بالأندلس فى «طبقاته»، وذكر عنه أعاجيب قال: وجملة القول فيه أنه عالم الدهر، وحبر العصر، وبديع البشر، وربانى الأمة، وعلم الهدى، وكهف التقى، وبحر العلم، ومعدن الحلم، والسراج المنير، والطود المنيف، ومن جعل القرآن عصمته، والسنة قبلته، والآخرة همته، والزهد ذخيرته، وكان كثير العلم بالأخبار والرواية للآثار، فيلسوفا عليما طبيبًا حكيما منطقيا جدليا منجما فلكيا شاعرًا مفلقا خطيبا مطبقا. ثم أطنب فيما ذكر عنه إلى أن قال: وقد أولع به قوم غِيَرةٌ جهلة من أهل مصرنا وعصرنا فيقولون ويسبون وينسبون إليه ما لا يعلمون. إلى أن قال: وصاحب أين كان هو الجماعة والإجماع. وذكره محمد بن الحارث بن أسد القيروانى الفقيه أحد أهل الشورى بقرطبة فى «تاريخ الأندلس» فقال: الناس فيه فرقتان، فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة فى العلم والزهد؛ لما ظهر لها من براعته فى العلم وصدقه فى الزهد، وفرقة تطعن عليه بالبدع؛ لما ظهر لها من كلامه فى الوعد والوعيد وتأويلات يذكرها فى الكتاب والسنة ومخالفته العلوم المشهورة بالأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم. قال: وكان محمد بن ميسرة قد رحل عن حاضرته قرطبة إلى مكان من جبلها وانقبض عن أكثر الناس وكانت وفاته فى شوال سنة تسع عشرة وثلاثمائة». وانظر ترجمته فى تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٣٩، وجذوة المقتبس ص ٦٣، وبغية الملتمس ص ٨٨، وقد اتفق أصحاب هذه الكتب على تبديعه ومخالفته للسنة.

ثم دخلت سنة
عشرين وثلاثمائة مِن الهِجْرةِ

فيها[1] كان مَقْتَلُ الخَليفةِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ، وكان سببَ ذلك أن مُؤْنِسًا الخادمَ خرَج مِن بغدادَ فى المُحَرَّمِ من هذه السنةِ مُغاضِبًا للخليفةِ فى مَمَالِيكِه وحَشَمِه، مُتَوَجِّهًا نحوَ المَوْصِلِ، وردَّ مِن أثْناءِ الطَّريقِ مَوْلاه بُشْرَى إلى المُقْتَدِرِ ليَسْتَعْلِمَ له، وبعَث معه رِسالةً يُخاطِبُ بها أميرَ المؤمنين، فلمَّا وصَل أمَرَه الوزيرُ الحسينُ بنُ القاسمِ - وكان مِن أكبرِ أعْداءِ مُؤْنِسٍ - بأن يُؤَدِّيَها إليه، فامْتَنَع مِن أدائِها إلا إلى الخَليفةِ، فأحْضَرَه بينَ يديه، فأمَره أن يَقولَها للوزيرِ، فامْتَنَع وقال: ما أَمَرنى صاحبى بهذا. فشتَمه الوزيرُ وشتَم صاحبَه، وأمَر بضربِه ومُصادَرتِه بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ، وأخَذ خطَّه بها، وأمَر بنَهْبِ دارِه، ثم أمَر الوزيرُ بالقَبْضِ على أقْطاعِ مُؤْنِسٍ وأمْلاكِه وأمْلاكِ مَن معه، فحصَل مِن ذلك مالٌ عظيم، وارْتَفع أمْرُ الوزيرِ عندَ المُقْتَدِرِ، ولقَّبه عَميدَ الدولةِ، وضرَب اسمَه على الدراهمِ والدنانيرِ، وتمكَّن مِن الأُمورِ جدًّا، فعزَل وولَّى، وقطَع ووصَل، وفرِح بنَفْسِه حينًا قليلًا. وأرْسَل إلى هارونَ بنِ غَريبٍ فى الحالِ، وإلى محمدِ بنِ ياقوتَ يَسْتَحْضِرُهما إلى الحَضْرةِ عِوَضًا عن مُؤْنِسٍ، فصمَّم المُظَفَّرُ مُؤْنِسٌ فى مَسيرِه إلى المَوْصِلِ، وجعَل يَقولُ لأُمراءِ الأعْرابِ: إن الخليفةَ قد ولَّانى المَوْصِلَ ودِيارَ ربيعةَ. فالْتَفَّ عليه خَلْقٌ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٠٥، والكامل ٨/٢٣٧ - ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٩٤ - ٣٩٧. وانظر صلة تاريخ الطبرى ص ١٤٣ - ١٥٣.

كثيرٌ، [٢٧/٩و] وجعَل يُنْفِقُ فيهم الأمْوالَ الجَزيلةَ، وله إليهم قبلَ ذلك أيادٍ سابغةٌ.

وقد كتَب الوزيرُ إلى آلِ حَمْدانَ - وهم وُلاةُ المَوْصِلِ وتلك النَّواحى - يَأْمُرُهم بمحاربةِ مؤنسِ الخادمِ، فركِبوا إليه فى ثلاثين ألفًا، وواجَههم مُؤْنِسٌ فى ثمانِمائةٍ مِن مَماليكِه وخَدَمِه، فهزَمهم ولم يُقْتَلْ منهم سِوَى رجلٍ واحدٍ يقالُ له: داودُ[1]. كان مِن أشْجَعِهم، وقد كان مُؤْنِسٌ ربَّاه وهو صغيرٌ. ودخَل مُؤْنِسٌ الموصلَ، فقصَدَته العَساكِرُ مِن كلِّ جانبٍ يَدْخُلون فى طاعتِه؛ لإحْسانِه إليهم قبلَ ذلك، مِن أهلِ بغدادَ والشامِ ومِصْرَ ومِن الأعْرابِ، حتى صار فى جَحافِلَ مِن الجُنودِ.

وأما الوزيرُ الحسينُ بنُ القاسمِ فإنه ظهَرَت خِيانتُه وعجزُه، فعزَله المُقْتَدِرُ فى ربيعِ الآخِرِ، وولَّى مكانَه الفضلَ بنَ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الفُراتِ، فكان آخرَ وُزراءِ المُقْتَدِرِ. وأقام مُؤْنِسٌ بالموصلِ تسعةَ أشهرٍ، ثم ركِب فى الجُيوشِ فى شوالٍ قاصدًا بَغْدادَ؛ ليُطالِبَ المُقْتَدِرَ بأرْزاقِ الأجْنادِ وإنْصافِهم، فسار - وقد بَعث بينَ يديه الطَّلائعَ - حتى جاء فنزَل ببابِ الشَّمَّاسِيَّةِ مِن بغدادَ، وقابَله عندَه ابنُ ياقوتَ وهارونُ بنُ غَرِيبٍ - عن كُرْهٍ منه - وأُشِير على الخَليفةِ بأن يَسْتَدِينَ مِن والدتِه ما يُنفِقُ فى الأجْنادِ، فقال: لم يَبْقَ عندَها شىءٌ. وعزَم الخليفةُ على الهربِ إلى واسطٍ، وأن يَتْرُكَ بَغْدادَ لمُؤْنِسٍ حتى يَتَراجَعَ أمْرُ الناسِ، ثم يَعودَ إليها. فردَّه عن ذلك ابنُ ياقوتَ، وأشار عليه بمُواجَهةِ مُؤْنِسٍ وأصحابِه، فإنهم متى ما رأَوه كَرُّوا كلُّهم إليه، وترَكوا مُؤْنِسًا. فركِب وهو كارِهٌ، وبينَ يديه الفُقهاءُ، ومعهم

---

(١) وهو داود بن حمدان أخو سعيد بن حمدان و عم ناصر الدولة بن عبد الله بن حمدان.

المَصاحِفُ مُنشَّرةً ، وعليه البُرْدُ والناسُ حولَه ، فوقَف على تَلٍّ عالٍ بعيدٍ مِن المعركةِ ، ونُودِى فى جيشِه : مَن جاء برأسٍ فله خمسةُ دَنانيرَ ، ومَن جاء بأسيرٍ فله عشَرةُ دَنانيرَ . ثم بعَث إليه أُمراؤُه يَعْزِمون عليه أن يَتَقَدَّمَ ، فامْتَنَعَ مِن التَّقَدُّمِ إلى مَحَلَّةِ المعركةِ ، ثم ألَحُّوا عليه ، فجاء بعدَ تَمَنُّعٍ شديدٍ ، فما وصَل إليهم حتى انْهَزَموا وفرُّوا راجِعين ، ولم يَلْتَفِتوا إليه ولا عطَفوا عليه ، فكان أولَ مَن لقِيه مِن أُمراءِ مُؤْنِسٍ علىُّ بنُ يَلْبَقَ ، فلما رآه ترَجَّل ، وقبَّل الأرضَ بينَ يديه وقال : لعَن اللَّهُ مَن أشار عليك بالخُروجِ فى هذا اليومِ . ثم وكَّل به قومًا مِن المَغاربةِ البَرْبَرِ ، فلما ترَكهم وإياه شهَروا عليه السلاحَ ، فقال لهم : ويلَكم ! أنا الخليفةُ . فقالوا : قد عرفْناك يا سَفِلةُ ، إنما أنت خليفةُ إبْليسَ ، تُنادِى فى جيشِك : مَن جاء برأسٍ فله خمسةُ دَنانيرَ ، (١) ومن جاء بأسيرٍ فله عشَرةُ دنانيرَ (١) ؟! وضرَبه أحدُهم بسيفِه على عاتقِه ، فسقَط إلى الأرضِ ، وذبَحه آخرُ ، وترَكوا جُثَّتَه وقد سلَبوه كلَّ شىءٍ كان عليه ، حتى سَراويلَه ، وبقِى مَكْشوفَ العَوْرةِ [٩/٢٧ظ] مُجَدَّلًا على الأرضِ ، حتى جاء رجلٌ فغطَّى عورتَه بحَشيشٍ ، ثم دفَنه فى موضِعِه وعفا أثَرَه ، وأخَذَت المغارِبةُ رأسَ المُقْتَدِرِ على خَشَبةٍ قد رفَعوها وهم يَلْعَنونه ، فلما انْتَهَوْا به إلى مُؤْنِسٍ - ولم يَكُنْ حاضِرًا الوَقعةَ - فحينَ نظَر إلى رأسِ المُقْتدِرِ لطَم رأسَه ووجهَه وقال : ويلَكم ! لم آمُرْكم بهذا ، لعَنكم اللَّهُ قَتَلْتُموه ! واللَّهِ لَنُقْتَلَنَّ كلُّنا . ثم ركِب ووقَف عندَ دارِ الخِلافةِ حتى لا تُنْهَبَ ، وهرَب عبدُ الواحدِ بنُ المُقْتَدِرِ وهارونُ بنُ غَريبٍ وابْنا رائقٍ ، إلى المدائنِ ، وكان صَنيعُ مُؤْنِسٍ هذا سببًا لطمعِ أصحابِ الأطْرافِ فى الخُلفاءِ ، وضعُف أمْرُ الخِلافةِ جدًّا ، مع ما كان المُقْتَدِرُ يَعْتَمِدُه مِن التَّبْذيرِ والتَّفْريطِ فى الأموالِ ، وطاعةِ النساءِ ، وعَزْلِ الوُزراءِ ، حتى

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ب ، م ، ص .

قيل : إن جملةَ ما صرَفه فى الوُجوهِ الفاسدةِ والتبذيرِ ما يُقارِبُ ثمانين ألفَ ألفِ دينارٍ .

وهذه ترجمةُ المُقْتَدِرِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين[1]

هو جعفرٌ أميرُ المؤمنين المُقْتَدِرُ باللَّهِ بنُ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أحمدَ بنِ أبى أحمدَ المُوَفَّقِ ابنِ جعفرٍ المُتَوَكِّلِ بنِ محمدٍ المُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ محمدٍ المهدىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ أبى جعفرٍ المنصورِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبد اللَّهِ بن عباسٍ ، يُكَنَّى أبا الفَضْلِ العَبَّاسىَّ ، مَوْلِدُه فى ليلةِ الجمعةِ لثمانٍ بقِين مِن رَمضانَ سنةَ ثنتَيْن وثمانين ومائتين ، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمُها شَغَبُ ، ولُقِّبَت فى خِلافةِ ولدِها بالسَّيِّدةِ ، بُويع له بالخِلافةِ بعدَ أخيه المُكْتَفِى يومَ الأحدِ لأربعَ عشْرةَ مضَت مِن ذى القَعْدةِ ، سنةَ خمسٍ وتسعين ومائتين ، وهو يومَئذٍ ابنُ ثلاثَ عشْرةَ سنةً وشهرٍ وأيامٍ ؛ ولهذا أراد الجُنْدُ خَلْعَه فى ربيعٍ الأولِ مِن سنةِ ستٍّ وتسعين مُحْتَجِّين بصغرِه وعدمِ بُلوغِه ، وتَوْليةَ عبدِ اللَّهِ بنِ المُعْتَزِّ ، فلم يَتِمَّ ذلك ، وانْتَقَض الأمْرُ فى ذلك اليومِ كما ذكَرْنا[2] . ثم لما كان شهرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ مِن سنةِ سبعَ عشْرةَ وثَلاثِمائةٍ ، أحضره مؤنسٌ واجتمَع الأمراءُ والقُوَّادُ وألزموه بخلْعِ نفسِه ، وأحضروا أخاه محمدَ بنَ المُعْتضِدِ ، فبايَعوه بالخلافةِ ولَقَّبوه القاهرَ ، فلم يَتِمَّ ذلك سوى يومَيْن ، ثم رجَع المُقْتَدِرُ إلى الخِلافةِ كما ذكَرْنا . وقد كان المُقْتَدِرُ باللَّهِ رَبْعةً مِن الرجالِ ، حسَنَ

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢١٣، والمنتظم ١٣/٦٣ - ٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٦٠٣.

(٢) تقدم فى ١٤/٧٤٩ ، ٧٥٠ .

الوجهِ والعينَيْن ، بعيدَ ما بينَ المَنْكِبَيْن ، حسَنَ الشعرِ ، مُدَوَّرَ الوجهِ ، مُشْرَبًا بحُمْرةٍ ، حسَنَ الخَلْقِ ، قد شاب رأسُه وعارِضاه ، وقد كان كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، له عقلٌ جيدٌ وفَهْمٌ وافرٌ وذِهْنٌ صحيحٌ ، وقد كان كثيرَ التَّحَجُّبِ والتَّوَسُّعِ فى النَّفَقاتِ ، وزاد فى رُسومِ الخِلافةِ وأُمورِ الرِّياسةِ ، وما زاد شىءٌ إلا نقَص . كان فى دارِه أحدَ عشَرَ ألفَ خادمٍ خصِىٍّ ، غيرَ الصَّقالبةِ[1] والرومِ والسُّودانِ ، وكان له دارٌ يُقالُ لها : دارُ الشَّجَرةِ . فيها مِن الأثاثِ [٩/٢٨و] والأمْتِعةِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، كما ذكَرْنا ذلك فى سنةِ خمسٍ وثلاثِمائةٍ ، حينَ قدِم رسولُ ملكِ الرومِ . وقد ركِب المُقْتَدِرُ يومًا فى حَرّاقةٍ ، وجعَل يَسْتَعْجِلُ الطعامَ ، فأبْطَئوا به ، فقال لملَّاحِ حَرّاقتِه : ويلَك ! أعندك شىءٌ نأكُلُه ؟ قال : نعم . فأتاه بشىءٍ مِن لحمِ الجَدْيِ[2] وخُبْزٍ حسَنٍ ومُلُوحاتٍ وغيرِ ذلك ، فأعْجَبه ، ثم اسْتَدْعاه فقال : هل عندَك شىءٌ مِن الحَلْواءِ ؛ فإنى لا أُحِسُّ بالشِّبَعِ حتى آكُلَ شيئًا مِن الحَلْواءِ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما حَلاوتُنا التمرُ والكُسْبُ[3] . فقال : هذا شىءٌ لا أُطِيقُه . ثم جِىء بطعامِه ، فأكَل منه وأُتِىَ بالحَلْواءِ ، فأكَل وأطْعَم الملَّاحِين ، وأمَر بترتيبِ حلاوةٍ تُعملُ فى كلِّ يومٍ تكونُ فى الحَرّاقةِ بنحوِ مائتى درهمٍ ، إذا اتَّفَق رُكوبُه فيها يأْكُلُ منها ، فكان الملَّاحُ يَأْخُذُ ذلك فى كلِّ يومٍ مُدَّةَ سِنينَ مُتَعَدِّدةٍ ، ولم يَتَّفِقْ رُكوبُ المقتدِرِ فيها مرةً أخرى .

وقد أراد بعضُ خَواصِّه أن يُطَهِّرَ ولدَه ، فعمِل أشْياءَ هائلةً ، ثم طلَب مِن أمِّ

---

(١) بعده فى ب ، م : « وأبناء فارس » .

(٢) فى الأصل ، ب ، ص ، ظ : « الحداية » ، والخبر فى تاريخ بغداد ٧/ ٢١٥، ٢١٦، والمنتظم ١٣/ ٦٨، ٦٩.

(٣) الكسب : عصارة الدهن ، اللسان (ك س ب) .

الخليفةِ أن يُعارَ القَرْيةَ التى عُمِلَت فى طُهورِ المُقْتَدرِ مِن فضةٍ ؛ ليَراها الناسُ فى هذا المُهِمِّ ، فتلَطَّفَت أمُّ المُقْتَدِرِ عندَه حتى أطْلَقَها له بالكُلِّيةِ ، وكانتْ صفةَ قريةٍ مِن القُرَى ، كلُّها مِن فضةٍ ، بيوتُها وأهاليها[1] ، وأبْقارُها ، وأغنامُها ، وجِمالُها ، وخُيولُها ، وزُروعُها ، وثمارُها ، وأنْهارُها ، وما يَتْبَعُ ذلك مما يَكونُ فى القُرَى ، الجميعُ مِن فضةٍ مُصَوَّرٌ ، وأمَر بنقلِ سِماطِه إلى دارِ هذا الرجلِ ، وأن لا يُكَلَّفَ شيئًا مِن المَطاعِمِ سِوَى سمكٍ طَرِيٍّ ، فاشْتَرَى الرجلُ بثلاثِمائةِ دينارٍ سمكًا ، وكان جُمْلةُ ما أنْفَق الرجلُ على سِماطِ المُقْتَدِرِ يومَئذٍ ألفًا وخمسَمائةِ دينارٍ[2] .

وكان كثيرَ الصَّدَقةِ والإحْسانِ إلى أهلِ الحرَمَيْن وأرْبابِ الوَظائفِ ، وكان كثيرَ التَّنَفُّلِ بالصلاةِ والصيامِ والعِبادةِ ، ولكنه كان مُؤْثِرًا لشَهَواتِه ، مُطِيعًا لحَظِيّاتِه ، كثيرَ التلَوُّنِ والوِلايةِ والعَزْلِ ، وما زال ذلك دَأْبَه حتى كان هَلاكُه على يدى مُؤْنِسٍ الخادمِ كما ذكَرنا ، فقُتِل عندَ بابِ الشَّمَّاسِيَّةِ لليلتَيْن بقِيتا مِن شوالٍ مِن هذه السنةِ - أعْنى سنةَ عشرين وثلاثِمائةٍ - وله مِن العمرِ ثمانٌ وثلاثون سنةً وشهرٌ وخمسةُ أيامٍ ، وكانت مدةُ خِلافتِه أربعًا وعشرين سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا وأربعةَ عشَرَ يومًا ، فكان أكثرَ مُدةً مِمَّن تقَدَّمَه مِن الخُلَفاءِ .

خِلافةُ القاهرِ[3]

لما قُتِل المُقْتَدِرُ باللَّهِ كما ذكَرنا عزَم مُؤْنِسٌ الخادمُ على تَوْليةِ أبى العباسِ بنِ

---

(١) فى ب : « أغاليقها » ، وفى م : « أعاليقها » .

(٢) بعده فى ب ، م : « والجميع من عند المقتدر » .

(٣) المنتظم ١٣/ ٣٠٥، ٣٠٦، والكامل ٨/ ٢٤٤ - ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٣٩٨ - ٤٠٠.

المُقْتَدِرِ بعدَ أبيه ؛ ليُطَيِّبَ قلبَ أمِّ المُقْتَدِرِ ، فعدَل عن ذلك جُمْهورُ مَن حضَر مِن الأُمراءِ ، فقال له أبو يَعْقوبَ إسْحاقُ بنُ إسْماعيلَ النُّوبَخْتيُّ : بعدَ التَّعبِ والكَدِّ نُبايعُ لخليفةٍ له أمٌّ وخالاتٌ يُطِيعُهن ويُشاوِرُهن ؟ ! ثم أُحْضِر محمدُ بنُ المُعْتَضِدِ - وهو أخو المُقْتَدِرِ - فبايعَه القُضاةُ والأُمراءُ والوُزراءُ ، ولقَّبوه [٢٨/٩ظ] القاهرَ باللَّهِ ، وذلك فى سَحَرِ يومِ الخميسِ لليلتَيْن بقِيَتا مِن شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، سنةِ عشرين وثلاثمائةٍ ، واسْتُوزِر له أبو عليٍّ بنُ مُقْلةَ ، ثم أبو جعفرٍ محمدُ بنُ القاسمِ ابنِ عُبيدِ اللَّهِ ، ثم أبو العباسِ بنُ الخَصِيبِ ، وشرَع القاهرُ فى مُصادَرةِ أصحابِ المُقْتَدِرِ وتَتَبُّعِ أوْلادِه ، واسْتَدْعى بأمِّ المُقْتَدِرِ وهى مَريضةٌ بالاسْتِسْقاءِ ، وقد تَزايَد بها الوَجَعُ مِن شدةِ جَزَعِها على ولدِها حينَ بلَغَها قَتْلُه ، وكيف بقِى مَكْشوفَ العَوْرةِ ، فبقِيَت أيامًا لا تَأْكُلُ شيئًا ، ثم وعَظها النساءُ حتى أكَلَت شيئًا يسيرًا مِن الخبزِ والمِلْحِ ، ومع هذا كلِّه اسْتَدْعَى بها القاهرُ ، فقرَّرَها على أمْوالِها ، فذكَرَت له ما يَكونُ للنساءِ مِن الحُلِيِّ والمَصاغِ والثيابِ ، ولم تُقِرَّ بشىءٍ مِن الأمْوالِ والجَواهِرِ ، وقالت له : لو كان عندى مِن هذا شىءٌ ما سلَّمْتُ ولدى[1] . فأمَر بضَرْبِها وعُلِّقَت برجلَيْها ، ومَسَّها بعذابٍ شديدٍ مِن العُقوبةِ ، وأشْهَدَت على نفْسِها ببيعِ أمْلاكِها ، فأخَذَه الجُنْدُ مما يُحاسَبون به مِن أرْزاقِهم ، وأرادها على بيعِ أوْقافِها ، فامْتَنَعَت مِن ذلك ، وأبَتْ أشدَّ الإباءِ ، واسْتَدْعَى القاهرُ بجماعةٍ مِن أوْلادِ المُقْتَدِرِ ، منهم ؛ أبو العباسِ الراضِى ، وهارونُ ، والعباسُ ، وعليٌّ ، والفَضْلُ ، وإبراهيمُ ، فأمَر بمُصادَرَتِهم وحبْسِهم ، وسلَّمهم إلى حاجِبِه عليِّ بنِ يَلْبَقَ ، وتمكَّن الوزيرُ أبو عليٍّ بنُ مُقْلةَ ، فعزَل وولَّى ، وأخَذ وأعْطَى أيامًا ، ومنَع

---

(١) هذه العبارة قالتها أم المقتدر - كما جاء فى الكامل - بعد أن ضُربت .

بنى[1] البريدىِّ مِن أعمالِهم .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

أحمدُ بنُ عُمَيْرِ بنِ جَوْصَاءَ أبو الحسنِ الدِّمشقىُّ[2] ، أحدُ المُحَدِّثين الحُفَّاظِ ، والرُّواةِ الأيْقاظِ .

إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ بَطْحاءَ بنِ علىِّ بنِ مُقْلةَ ، أبو إسْحاقَ التَّمِيمىُّ[3] ، المُحْتَسِبُ ببَغْدادَ ، روَى عن عباسٍ الدُّورىِّ وعلىِّ بنِ حربٍ وغيرِهما ، وكان ثِقةً فاضلًا . مرَّ يومًا على بابِ القاضى أبى عمرَ محمدِ بنِ يُوسفَ والخُصومُ عُكوفٌ على بابِه ، والشمسُ قد ارْتَفَعَت عليهم ، فبعَث حاجبَه إليه يَقولُ له : إمَّا أن تَخْرُجَ فتَفْصِلَ بينهم ، وإمَّا أن تَبعَثَ فتَعْتَذِرَ إليهم إن كان لك عُذْرٌ حتى يَعُودوا إليك بعدَ هذا الوقتِ .

أبو علىِّ بنُ خَيْرانَ[4] الفَقيهُ الشافعىُّ ، أحدُ أئمةِ المَذْهَبِ ، هو الحسينُ بنُ صالحِ بنِ خَيْرانَ أبو علىٍّ ، الفقيهُ الكبيرُ الوَرِعُ البارعُ ، عُرِض عليه مَنْصِبُ

---

(١) سقط من : م . وفى ب ، ص ، ظ : « ابن » .

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ١٠٩، والمنتظم ١٣/ ٣٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٣٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٥٩٦.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٤، والمنتظم ١٣/ ٣٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) وذكر الخطيب البغدادى والحافظ الذهبى أنه توفى فى سنة ٣٣٢.

(٤) فى م : « خيزران » ، وفى ص : « حران » . وانظر الإكمال ٣/ ٢٠٩، وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ٥٣، وطبقات الفقهاء ص ١١٠، والمنتظم ١٣/ ٣١٠، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٦١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٧١.

القَضاءِ فلم يَقْبَلْ ، فختَم الوزيرُ عليٌّ بنُ عيسى على بابِه ، فبقِى كذلك ستةَ عشَرَ يومًا ، ولم يَجِدْ أهلُه ماءً إلا مِن بُيوتِ الجِيرانِ ، وهو مع ذلك كلِّه يَتَمَنَّعُ عليه وعليهم ، ولم يَلِ لهم شيئًا ، فقال الوزيرُ : إنما أرَدْنا أن نُعْلِمَ الناسَ أن ببلدِنا وفى مَمْلكتِنا مَن عُرِض عليه قَضاءُ القضاةِ شرقًا وغربًا فلم يَقْبَلْ . وقد كانت وفاتُه فى ذى الحِجةِ مِن هذه السنةِ ، وقد ذكَرْنا تَرْجَمتَه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » [٩/٢٩و] بما فيه كِفايةٌ ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ عَدِيٍّ ، الفقيهُ الإسْتِراباذىُّ[1] ، أحدُ أئمةِ المسلمين والحُفَّاظِ المُحَدِّثِين ، وقد ذكَرْناه أيضًا فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » .

القاضى أبو عمرَ المالكىُّ محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ يعقوبَ بنِ إسْماعيلَ بنِ حمادِ بنِ زيدٍ[2] ، أبو عمرَ القاضى ببغْدادَ ومُعاملاتِها فى سائرِ البلادِ ، كان مِن أئمةِ الإسْلامِ عِلْمًا ، ومَعْرفةً ، وفَصاحةً ، وبَلاغةً ، وعقلًا ، ورِياسةً ، بحيث كان يُضْرَبُ بعقلِه وحِلْمِه المَثَلُ ، وقد روَى الكثيرَ عن المَشايخِ ، وحدَّث عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه مِن الحُفَّاظِ ، وحمَل الناسُ عنه علمًا كثيرًا مِن الفقهِ والحديثِ ، وقد جُمِع له قَضاءُ القُضاةِ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ ، وله مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ . وجمَع مُسْنَدًا حافلًا ، وكان إذا جلَس للتحديثِ جلَس أبو القاسمِ البَغَوىُّ عن يمينِه ، وهو

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٨، وطبقات الفقهاء ص ١٠٤، وتاريخ دمشق ٢٢٦/٤٣ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، والمنتظم ١٣/ ٣١١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣٣٥، وقد اختلف فى سنة وفاته؛ فالخطيب البغدادى وابن الجوزى ذكرا أنه توفى فى سنة ٣٢٠، وسائر المصادر - وكذا المنتظم أيضًا ٣٥٤/١٣ - على أنه توفى فى سنة ٣٢٣.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤٠١، والمنتظم ١٣/ ٣١٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠) ص ٦١٥، والعبر ٢/ ١٨٣.

قريبٌ مِن سنِّ أبيه ، وعن يَسارِه ابنُ صاعدٍ ، وبينَ يديه أبو بكرٍ النَّيْسابوريُّ ، وسائرُ الحُفَّاظِ حولَ سَريرِه مِن كلِّ جانبٍ . قالوا : ولم يُنْتَقَدْ عليه حُكْمٌ مِن أحْكامِه أخْطَأ فيه .

قلتُ : وكان مِن أعظمِ صَوابِ أحْكامِه قتلُه الحسينَ بنَ منصورٍ الحلَّاجَ ، قبحه اللَّهُ وأخزاه ، وذلك فى سنةِ تسعٍ وثلاثِمائةٍ كما تقَدَّم[1] .

وقد كان جَميلَ الأخْلاقِ ، حسَنَ المُعاشَرةِ ؛ اجْتَمَع يومًا عندَه أصحابُه ، فجِيء بثوبٍ فاخرٍ ليَشْتَرِيَه بنحوٍ مِن خمسين دِينارًا ، فاسْتَحْسَنه الحاضِرون ، فاسْتَدْعى بالقَلانِسيِّ ، وأمَره أن يَقْطَعَ ذلك الثوبَ قَلانِسَ بعددِ الحاضِرين . وله مَناقِبُ ومَحاسِنُ رحِمه اللَّهُ تعالى . وكانت وفاتُه فى رَمضانَ من هذه السنةِ عن ثمانٍ وسبعين سنةً ، وقد رآه بعضُهم فى المَنامِ فقال له : ما فعَل بك ربُّك ؟ فقال : غفَر لى بدعوةِ الرجلِ الصالحِ إبراهيمَ الحَرْبيِّ . رحِمهما اللَّهُ .

---

(١) تقدم فى ١٤/٨٣٥ ، ٨٣٦ .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وعِشْرين وثلاثِمائةٍ

فى صفَرٍ منها[1] أحْضَر الخليفةُ رجلًا كان يَقْطَعُ الطريقَ بدجلةَ ، فضُرِب بينَ يديه ألفَ سَوْطٍ ، ثم ضُرِبَت عنقُه وقُطِعت أيْدى أصحابِه وأرْجُلُهم .

وفيها أمَر القاهرُ باللَّهِ بإبْطالِ الخُمورِ والمَغانى والقِيانِ ، وأمَر ببيعِ الجَوارِى المُغَنِّياتِ فى سوقِ النَّخْسِ على أنهن سَواذِجُ ، قال ابنُ الأثيرِ[2] : وإنما فعَل القاهرُ ذلك لأنه كان مُحِبًّا للغِناءِ ، فأراد أن يشترىَ الجوارىَ المغنياتِ بأرخصِ الأثْمانِ ، نَعوذُ باللَّهِ مِن هذه الأخلاقِ .

وفيها أشاعَت العامَّةُ بينَهم بأن الحاجِبَ علىَّ بنَ يَلْبَقَ يُرِيدُ أن يَلْعَنَ مُعاويةَ على المَنابرِ ، فلمَّا بلَغ ذلك الحاجبَ بعَث إلى رئيسِ الحَنابِلةِ أبى محمدٍ البَرْبَهارِىِّ الواعِظِ ليُقابِلَه على ذلك ، فهرَب واخْتَفَى ، فأمَر بجَماعةٍ مِن أصحابِه فحُدِروا إلى البصرةِ .

وفيها عظَّم الخليفةُ وزيرَه أبا علىٍّ بنَ مُقْلةَ [٩/٢٩ظ] وخاطَبه بالاحتِرامِ والإكرامِ ، ثم إن الوزيرَ ومؤْنِسًا الخادمَ وعلىَّ بنَ يَلْبَقَ وجَماعةً مِن الأُمراءِ اشْتَوَروا فيما بينَهم على خَلْعِ القاهرِ باللَّهِ وتَوْليةِ أبى أحمدَ بنِ المُكْتَفِى ، وبايَعوه فيما

---

(١) المنتظم ١٣/٣١٦ - ٣١٨، والكامل ٨/٢٤٨ - ٢٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٥ - ١١. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٧٦ - ٢٨٩ .

(٢) الكامل ٨/ ٢٧٣.

بينَهم سرًّا ، وضيَّقوا على القاهرِ باللَّهِ فى رِزْقِه ومَن يَجْتَمِعُ به ، وأرادوا القبضَ عليه سريعًا ، فبلَغ ذلك الخَليفَةَ على يَدَىْ طَرِيفٍ السبكرىِّ[1] ، فسعَى فى القبضِ عليهم ، فوقَع فى مَخاليبِه الأميرُ الكبيرُ المُظَفَّرُ مُؤنِسٌ الخادمُ ، وأمَر بحبسِه قبلَ أن يَراه والاحْتِياطِ على دُورِه وأمْلاكِه ، وكانتْ فيه عَجَلةٌ وجُرْأَةٌ وهَوَجٌ وخُرْقٌ شديدٌ ، وجعَل فى منزلتِه - إمرةِ الأُمراءِ ورِياسةِ الجيشِ - طريفًا السبكرىَّ ، وقد كان أحدَ [2]الأمراءِ عندَ مؤنسٍ[2] الخادمِ قبلَ ذلك . وقبَض على يَلْبَقَ ، واخْتَفَى ولدُه علىُّ بنُ يَلْبَقَ ، وكذا هرَب الوزيرُ أبو علىٍّ بنُ مُقْلةَ ، فاسْتَوْزَر بَدَلَه أبا جعفرٍ محمدَ بنَ القاسمِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ فى مُسْتَهَلِّ شعبانَ ، وخلَع عليه ، وأمَر بتَحْريقِ دارِ أبى علىِّ بنِ مُقْلةَ ، ووقَع النَّهْبُ ببَغدادَ ، وهاجَت الفِتْنةُ ، وأمَر القاهرُ بأن يُجْعَلَ أبو أحمدَ بنُ المُكْتَفِى بينَ حائطَيْن ، ويُسَدَّ عليه بالآجُرِّ والكِلْسِ وهو حىٌّ ، فمات ، وأَرسَل إلى المُخْتَفِين فنادَى : إنَّ مَن أخْفاهم خُرِّبَت دارُه . فوُقِع بعلىِّ بنِ يَلْبَقَ فقتَله ، ذُبح بينَ يديه كما تُذْبَحُ الشاةُ ، فأُخِذ رأسُه فى طَسْتٍ ، ودخَل القاهرُ بنفسِه على أبيه يَلْبَقَ ، فوضِعَ الرَّأسُ بينَ يديه ، فلما رآه بكَى ، وأخَذ يُقَبِّلُه ويَتَرَشَّفُه ، فأمَر بذَبْحِه أيضًا فذُبِح ، ثم أخَذ الرأْسَيْن فى طَسْتَيْن ، فدخَل بهما على مُؤْنِسٍ الخادِمِ ، فلما رآهما تشَهَّد ولعَن قاتلَهما ، فقال القاهرُ عندَ ذلك : جُرُّوا برجلِ الكلبِ . فأُخِذ فذُبح أيضًا ، وأُخِذ رأسُه فوُضِع فى طَسْتٍ ، وطِيف بالرءوسِ فى بغدادَ ، ونُودِى عليهم : هذا جَزاءُ مَن يَخُونُ الإمامَ ، ويَسْعَى فى الدولةِ فَسادًا . ثم أُعِيدَت الرءوسُ إلى خَزائنِ السلاحِ .

---

(١) فى ب ، م ، ص ، ظ : « اليشكرى » - وانظر المنتظم ١٣/ ٣١٧، والكامل ٨/ ٢٥٤، وتكملة تاريخ الطبرى ٢٨٠، ونهاية الأرب ٢٣/ ١١٥.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « الأعداء لمؤنس » .

وفى ذى القَعْدةِ قبَض القاهرُ على الوزيرِ أبى جعفرٍ محمدِ بنِ القاسمِ بنِ عبيدِ اللَّهِ وسجَنه، وكان مَرِيضًا بالقُولَنْجِ[1]، فبَقِى ثمانيةَ عشَرَ يومًا ومات، فكانتْ وِزارتُه ثلاثةَ أشْهرٍ واثنَىْ عشَرَ يومًا، واسْتَوْزَر مكانَه أبا العباسِ أحمدَ بنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ الخَصِيبىَّ، ثم قبَض على طَرِيفٍ السبكرىِّ وسجَنه[2]، فلم يَزَل السبكرىُّ فيه حتى خُلِع القاهرُ.

وفيها جاء الخبرُ بموتِ تِكِين الخاصةِ بديارِ مصرَ، وأن ابنَه محمدًا قد قام بالأمرِ بعدَه فيها، وسارَت الخِلَعُ إليه مِن القاهرِ باللَّهِ تَنْفيذًا لِولايتِه واسْتِقرارِها.

ذِكرُ ابْتِداءِ أمْرِ بنى بُوَيْهِ وظُهورِ دولتِهم فى هذه السنةِ[3]

وهم ثلاثةُ إخْوةٍ؛ عِمادُ الدَّوْلةِ أبو الحسنِ علىٌّ، ورُكْنُ الدَّولةِ أبو علىٍّ الحسنُ، [٩/٣٠و] ومُعِزُّ الدولةِ أبو الحسنِ[4] أحمدُ، أولادُ أبى شُجاعٍ بُوَيْهِ بنِ فنّاخُسْرُو بنِ تَمّامِ بنِ كوهى بنِ شيرزيلَ الأصْغَرِ بنِ شيركندَهْ[5] بنِ شيرزيلَ الأكبرِ بنِ شيران شاه بنِ شيرفَنَّه[6] بنِ سَسْتان شاه[7] بنِ سيسَ بنِ فَيْروزَ بنِ

---

(١) القولنج: مرض مِعَوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون. تاج العروس، والوسيط (ق ل ج).

(٢) بعده فى ب، م: «ولهذا قيل: من أعان ظالما سلطه اللَّه عليه».

(٣) الكامل ٨/٢٦٤ - ٢٧٢.

(٤) فى الأصل، ب، م: «الحسين».

(٥) فى ب، م: «شيركيده»، وفى الإكمال ١/ ٣٧٢: «شيركذه».

(٦) فى ب، م: والكامل: «شيرويه».

(٧) فى الأصل، ب، ص، ظ: «سنان شاه»، وفى م: «سيسان شاه». وفى الكامل: «سشتان شاه»، والمثبت من الإكمال. الموضع السابق.

شَرْوَزيلَ بنِ سَسْناذَرَ[1] بنِ بَهْرام جُورَ الملكِ بنِ يَزْدَجِرْدَ الملكِ[2] بنِ سابورَ الملكِ ابنِ سابورَ ذى الأكتافِ الفارسىِّ . كذا نسَبهم الأميرُ أبو نصرِ بنُ ماكُولا فى « كتابِه »[3] . وإنما قيل لهم : الدَّيالمةُ . لأنهم جاوَروا الدَّيْلَمَ ، وكانوا بينَ أظْهُرِهم مُدةً ، وقد كان أبوهم أبو شُجاعٍ بُويْهِ فقيرًا مُدْقَعًا ، يَصْطادُ السمكَ ويَحْتَطِبُ بنوه الحَطَبَ على رُءوسِهم ، فماتَت امرأتُه ، وخلَّفَت له هؤلاء الأوْلادَ الثلاثةَ ، فحزِن عليها ، فبينما هو ذاتَ يومٍ عندَ بعضِ أصْحابِه ، وهو شَهْرِيارُ بنُ رُسْتُمَ الدَّيْلَمىُّ ، إذ مرَّ مُنَجِّمٌ فاسْتَدْعاه ، فقال له : إنى رأيْتُ مَنامًا غريبًا ؛ رأيْتُ كأنى أَبولُ فخرَج مِن ذكَرى نارٌ عظيمةٌ حتى كادَتْ تَبْلُغُ عَنانَ السماءِ ، ثم انْفَرَقَت ثلاثَ شُعَبٍ ، ثم انْتَشَرَت كلُّ شُعْبةٍ إلى شُعَبٍ كثيرةٍ ، فأضاءَت الدنيا بتلك النارِ ، ورأيْتُ البِلادَ والعِبادَ قد خضَعَت لهذه النارِ . فقال له المُنَجِّمُ : هذا مَنامٌ عظيمٌ لا أُفَسِّرُه لك إلا بمالٍ جَزيلٍ . فقال : واللَّهِ لا شىءَ عندى أُعْطِيك ، ولا أَمْلِكُ غيرَ فرَسى هذه[4] . فقال : هذا يَدُلُّ على أنه يَمْلِكُ مِن صُلْبِك ثلاثةُ مُلوكٍ ، ثم يَكونُ مِن سُلالةِ كلِّ واحدٍ منهم مُلوكٌ عِدَّةٌ . فقال له : ويحَك ! أتَسْخَرُ بى ؟ وأمَر بنيه فصفَعوه ، ثم أعْطاه عشَرةَ دَراهمَ ، فقال لهم المُنَجِّمُ : اذْكُروا هذا إذا قدِمْتُ عليكم وأنْتم مُلوكٌ . وخرَج وترَكهم . وهذا مِن أعْجبِ الأشياءِ ، وذلك أن هؤلاء الإخْوةَ الثلاثةَ كانوا عندَ مَلِكٍ يُقالُ له : ماكانُ بنُ كالى[5] . فى بلادِ

---

(١) فى الأصل : « سسا » ، وفى ب ، م : « سيسان » ، وفى ص : « سيسار » ، وفى ظ : « سنسار » ، وفى الكامل : « سنباذ » والمثبت من الإكمال ١/ ٣٧٢.

(٢) بعده فى الإكمال : « بن هرمز الملك كرمانشاه » ، وبعده فى الكامل : « بن هرمز الملك » . وانظر الأخبار الطوال للدينورى ص ٥١.

(٣) الإكمال ١/ ٣٧٢.

(٤) فى الكامل أن أبا شجاع قال : واللَّه ما أملك إلا الثياب التى على جسدى .

(٥) فى ب : « كاثى » ، وفى م ، ظ : « كانى » .

طَبَرِسْتانَ ، فتسَلَّط عليه مَرْداوِيجُ ، فضعُف أمرُ ماكانَ ، فشاوَروه فى مُفارقَتِه حتى يَكونَ مِن أمْرِه خيرٌ ، فخرَجوا عنه ومعهم جَماعةٌ مِن الأُمراءِ ، فصاروا إلى مَرْداوِيجَ ، فأكْرَمَهم واسْتَعْمَلهم على الأعْمالِ فى البُلْدانِ ، فأعْطَى عِمادَ الدولةِ علىَّ بنَ بُوَيْهِ نِيابةَ الكَرَجِ[1] ، فأحْسَن فيها السِّيرةَ ، والْتَفَّ عليه الناسُ وأحَبُّوه ، فحسَده مَرْداوِيجُ ، وبعَث إليه يَعْزِلُه عنها ، ويَسْتَدْعِيه إليه ، فامْتَنَع مِن القُدومِ عليه ، وصار إلى أصْبَهانَ ، فحارَبه نائبُها ، فقهَره عِمادُ الدولةِ واسْتَوْلَى عليها ، وإنما كان معه تسعُمائةِ[2] فارسٍ ، فردَّ بها عشَرةَ آلافٍ ، وعظُم فى أعْيُنِ الناسِ ، فلما بلَغ ذلك مَرْداويجَ قلِق منه ، وأرْسَل إليه جيشًا ، فأخْرَجوه مِن أصْبَهانَ ، وقصَد أَرَّجانَ[3] فأخَذها مِن نائبِها ، وحصَل له مِن الأمْوالِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، ثم أخَذ بُلْدانًا كثيرةً ، واشْتَهَر أمْرُه ، وبعُد صِيتُه ، وحسُنَت سِيرتُه ، واجتمعَ إليه مِن الجُنْدِ خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ ، وقد آل بهم الحالُ إلى أن مَلكوا بَغْدادَ مِن أيدى الخُلَفاءِ العباسيِّينِ ، لهم القَطْعُ والوَصْلُ ، والوِلايةُ والعَزْلُ ، وإليهم تُجْبَى الأمْوالُ ، ويُرْجَعُ إليهم فى سائرِ الأمورِ [٩/٣٠ظ] والأحْوالِ ، على ما سنَذْكُرُ ذلك مَبْسوطًا . واللَّهُ المُسْتعانُ والمحمودُ على كلِّ حالٍ .

وممن توفى فى هذه السنة مِن الأعْيانِ :

الطَّحاوىُّ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سَلَامةَ بنِ سَلَمَةَ بنِ عبدِ الملكِ أبو جعفرٍ

---

(١) فى ب ، ص ، ظ : « كرخ » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٢٥٠.

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « سبعمائة » . والذى فى الكامل أن ابن بويه لم يحارب مرداويج ، بل حارب ابن ياقوت وهزمه بعدما ترك كَرَج وسار إلى أصبهان حيث ابن ياقوت .

(٣) فى ب : « أزرنجان » ، وفى م : « أذربيجان » ، وفى ظ : « أذرجان » . وانظر معجم البلدان ١/ ١٩٣.

الطَّحاوىُّ[1] ، نِسْبةً إلى طَحَا ، وهى قريةٌ بصَعيدِ مصرَ ، الفَقِيهُ الحَنَفىُّ ، صاحبُ المُصَنَّفاتِ المُفيدةِ والفوائدِ ، وهو أحدُ الثِّقاتِ الأثْباتِ ، والحُفَّاظِ الجَهابِذةِ ، وهو ابنُ أختِ المُزَنىِّ ، رحِمهما اللَّهُ ، وكانت وفاتُه فى مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ عن ثنتَيْن وثمانين سنةً .

وذكَر أبو سعدٍ السَّمْعانىُّ[2] أنه وُلِد فى سنةِ تسعٍ وعشرين[3] ومائتين ، فعلى هذا يَكونُ قد جاوَز التِّسْعين . واللَّهُ أعلمُ .

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ »[4] أن سببَ انْتِقالِه إلى مَذْهَبِ أبى حَنيفةَ ورُجوعِه عن مَذْهَبِ خالِه المُزَنىِّ ، أن خالَه قال له يومًا : واللَّهِ لا يَجِىءُ منك شىءٌ . فغضِب واشْتَغل على أبى جعفرِ بنِ أبى عِمْرانَ الحَنَفىِّ ، حتى بَرَع وفاق أهلَ زَمانِه ، وصنَّف كتُبًا كثيرةً منها « أحْكامُ القرآنِ » ، و « اخْتِلافُ العُلَماءِ » ، و « مَعانى الآثارِ » ، و « التاريخُ الكبِيرُ » . وله فى الشُّروطِ كتابٌ ، وكان بارِعًا فيها[5] . وقد كتَب للقاضى أبى [6]عبيدِ اللَّهِ[6] محمدِ بنِ عبدةَ . وعدَّله القاضى أبو عُبَيدِ بنُ حَرْبُوَيْهِ . وكان يَقولُ : رحِم اللَّهُ المُزَنىَّ ، لو كان حيًّا لكفَّر عن يمينِه .

وكانت وفاتُه فى مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدةِ ، ودُفِن بالقَرافةِ ، وقبرُه مشهورٌ بها ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وترْجَمه ابنُ عَساكرَ[7] ، وذكَر أنه قدِم دمشقَ سنةَ ثمانٍ وستين

---

(١) طبقات الفقهاء ص ١٤٢، وتاريخ دمشق ٣١٧/٧ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، والمنتظم ١٣/ ٣١٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٧٧، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٢٧١/١ - ٢٧٧.

(٢) الأنساب ٤/ ٥٣.

(٣) فى الأنساب : « ثلاثين » .

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٧١.

(٥) فى ص : « فقيها » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « عبد اللَّه » وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠٨.

(٧) انظر تاريخ دمشق ٣١٧/٧ .

ومائتين، وأخَذ الفِقْهَ عن قاضيها أبى خازمٍ[1]، رحِمه اللَّهُ.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ موسى بنِ النَّضْرِ بنِ حَكيمِ بنِ علىِّ بنِ زَرْبىٍّ[2] **أبو بكرٍ بنُ أبى حامدٍ**، صاحبُ بيتِ المالِ. سمِع عباسًا الدُّورىَّ وخَلْقًا، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه، وكان ثِقةً صَدوقًا، جَوَادًا مُمَدَّحًا؛ اتَّفَق فى أيامِه أن رجلًا مِن أهلِ العلمِ كانتْ له جاريةٌ يُحِبُّها حبًّا شديدًا، فرَكِبَتْه ديونٌ كثيرةٌ اقتضى الحالُ أن باع تلك الجاريةَ فى الدَّيْنِ، فلمَّا قبَض ثمنَها ندِم نَدامةً عظيمةً جدًّا، وبقِى مُتَحَيِّرًا فى أمْرِه، فباعها الذى كانت عندَه، فبلغ سيدَها أنَّ الجاريةَ قد اشتراها ابنُ أبى حامدٍ صاحبُ بيتِ المالِ، فتشَفَّع إليه ببعضِ أصحابِه فى أن يَرُدَّها إليه بثمنِها[3]، فلمَّا قال له ذلك لم يَكُنْ عندَه شُعورٌ بها، وذلك أن امْرأتَه كانتِ اشْتَرَتْها له، ولم تُعْلِمْه بعدُ بأمْرِها حتى تَحِلَّ مِن اسْتِبْرائِها، وكان ذلك اليومُ آخرَه[4]، فلبَّسوها الحَلْىَ والمَصاغَ، وصنَّعوها له، وحينَ شفَع عندَه فى أمْرِها بُهِت؛ لعدمِ علمِه بها، ثم دخَل يَسْتَكْشِفُ خبرَها مِن منزلِه، فإذا بها قد هُيِّئَت له وزُخْرِفَت، ففرِح فَرَحًا شديدًا إذ وَجَدَها، مِن أجلِ ذلك الرجلِ، فأخْرَجَها معه وهو يُظْهِرُ السُّرورَ، فقال لسيدِها: هذه جاريتُك؟ فلما رآها اضْطَرَب كلامُه، واخْتَلَط فى عقْلِه مما رأَى مِن حُسْنِ مَنْظَرِها وهَيْئَتِها، وقال: نعم. قال: خُذْها، بارَك [٩/٣١و]اللَّهُ لك فيها. ففرِح الفتى فَرَحًا شديدًا، وقال: يا سيدى، تَأْمرُ مَن يَحْمِلُ معى المالَ؟ فقال: لا حاجةَ لى به، وأنت فى حِلٍّ منه، فإنى

---

(١) فى الأصل، ب، م، ظ: «حازم». وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٩١، والمنتظم ١٣/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٧٩.

(٣) بعده فى ب، م: «وذكر له أنه يحبها وأنه من أهل العلم وإنما باعها فى دين ركبه لم يجد له وفاء».

(٤) أى آخر مدة الاستبراء.

أخْشَى إن لم يَبْقَ معك شيءٌ أن تَبِيعَها ثانيةً ممَّن لا يَرُدُّها عليك. فقال: يا سيدى، فهذا الحَلْىُ والمَصاغُ الذى عليها؟ فقال: هذا شيءٌ وهَبْناه لها لا نَعودُ فيه أبدًا. فاشْتَدَّ فرَحُ الفتى، وأخَذها معه، فلما وَدَّعَ ابنَ أبى حامدٍ قال للجاريةِ: أيّما كان أحَبَّ إليك؛ نحن أو سيدُك هذا؟ فقالتْ: أما أنتم فأغْنَيْتمونى، فجَزاكم اللَّهُ خيرًا، وأما سيدى هذا فلو أنى ملكْتُ منه ما ملَك منى لم أَبِعْه بالأمْوالِ الجَزيلةِ. فاسْتَحْسن الحاضِرون ذلك مِن قولِها مع صِغَرِ سنِّها.

شَغَبُ أمِّ أميرِ المؤمنين المُقْتَدِرِ باللَّهِ المُلَقَّبَةُ بالسَّيِّدةِ[1]، كان دَخْلُ أمْلاكِها فى كلِّ سنةٍ ألفَ ألفِ دينارٍ، وكانتْ تَتَصَدَّقُ بأكثرِ ذلك على الحَجيجِ فى أشْرِبةٍ وأزْوادٍ وأطِبَّاءَ يَكُونون معهم، وتَسْهيلِ الطُّرُقاتِ والمَوارِدِ.

وكانتْ فى غايةِ الحِشْمةِ والرِّياسةِ ونُفوذِ الكلمةِ أيامَ خلافةِ ولدِها، فلما قُتِل كانتْ مَريضةً فزادها مَرَضًا إلى مَرَضِها، ولما اسْتَقَرَّ أمْرُ القاهرِ فى الخِلافةِ - وهو ابنُ زوجِها المُعْتَضِدِ وأخو ابنِها، وقد كانتْ حضَنَتْه حينَ تُوُفِّيَت أمُّه، وخلَّصَتْه مِن ابنِها لما [2]كان مؤنسٌ قد بايعَه ولم يَتِمَّ ذلك[2] - عاقَبها القاهرُ عُقوبةً عظيمةً جدًّا، حتى كان يُعَلِّقُها برجلِها ورأسُها مَنْكوسٌ، فربما بالتْ فيَنْحَدِرُ على وجهِها؛ ليُقَرِّرَها على الأمْوالِ التى فى يدِها، فلم يَجِدْ لها شيئًا سوى ثيابِها ومَصاغِها وحُلِيِّها فى صَناديقَ لها، قيمتُها مائةُ ألفٍ وثلاثون ألفَ دينارٍ، [3]وجميعُ ما كان يدخلُها تَتَصدقُ به، ووقفَت شيئًا كثيرًا، ولكنْ كان لها[3]

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٢١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٩.

(٢ - ٢) فى ب، م: «أخذت البيعة بالخلافة له ثم رجع ابنها إلى الخلافة فشفعت فى القاهر وأخذته إلى عندها فكانت تكرمه وتشترى له الجوارى، فلما قتل ابنها وتولى مكانه طلبها وهى مريضة».

(٣ - ٣) فى ب، م: «وكان لها غير ذلك».

أمْلاكٌ أمَر ببيعِها ، وأتَى بالشُّهودِ ليَشْهَدوا عليها بالتَّوْكيلِ فى بيعِها ، فامْتَنَع الشُّهودُ مِن أداءِ الشَّهادةِ حتى يُحَلُّوها[1] ، فرُفِع السِّتْرُ بإذنِ الخَليفةِ ، فقالوا لها : أنت شَغَبُ جاريةُ المُعْتَضِدِ أمُّ جعفرٍ المُقْتَدِرِ ؟ فبكَتْ بُكاءً طَويلًا ثم قالتْ : نعم . وكتَبوا حِلْيَتَها ؛ عَجوزٌ ، سَمْراءُ اللونِ ، دَقيقةُ الجَبينِ . وبكَى الشُّهودُ وتفَكَّروا فى تَقلُّبِ الزَّمانِ ، وتَنَقُّلِ الحَدَثانِ[2] . وكانت وفاتُها فى جُمادَى الأولَى مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَت بالرُّصافةِ ، رحِمها اللَّهُ .

عبدُ السلامِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ سَلَامِ بنِ خالدِ بنِ حُمْرانَ بنِ أبانٍ مولى عُثمانَ بنِ عفانَ ، وهو أبو هاشمِ بنُ أبى علىٍّ الجُبَّائىُّ[3] ، المُتَكَلِّمُ ابنُ المُتَكَلِّمِ ، المُعْتَزِلىُّ ابنُ المُعْتَزِلىِّ ، وإليه تُنْسَبُ البَهْشَمِيَّةُ[4] مِن المُعْتَزِلةِ ، وله مُصَنَّفاتٌ فى الاعْتِزالِ كما لأبيه مِن قَبْلِه ، مولدُه فى سنةِ سبعٍ وأربعين ومائتين ، وتُوُفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنةِ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[5] : وكان له ابنٌ يُقالُ له : أبو علىٍّ . دخَل يومًا على الصاحبِ بنِ عَبَّادٍ فأكْرَمه واحْتَرَمه ، وسأَله عن شىءٍ ، فقال : لا أعْرِفُ : [٩/ ٣١ظ] نصفُ العلمِ . فقال : صدَقْتَ وسبَقك أبوك إلى النِّصْفِ الآخَرِ !

---

(١) يحلوها : يَصِفوها . انظر اللسان (ح ل ى) .

(٢) بعده فى ب ، م : « وأن الدنيا دار بلاء ، لا يفى مرجوها بمخوفها ، ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، من ركن إليها أحرقته بنارها ، ولم يذكر القاهر شيئا من إحسانها إليه رحمها اللَّه وعفا عنها » . وحدثان الدهر : نوائبه وحوادثه . الوسيط (ح د ث) .

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٥٥، وطبقات المعتزلة ص ٣٠٤، والمنتظم ١٣/ ٣٢٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٨٥.

(٤) فى الأصل : « الهشمية » ، وفى ب ، م : « الهاشمية » . والبهشمية : نسبة إلى أبى هاشم ، وانظر الملل والنحل ١/ ١١٨، والأنساب ١/ ٤٢١.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ١٨٣.

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيْدِ بنِ عَتاهِيَةَ أبو بكرِ بنُ دُرَيْدِ الأَزْدِىُّ[1] اللُّغوىُّ النَّحْوىُّ الشاعرُ صاحبُ المَقْصورةِ[2] ، وُلِد بالبَصْرةِ فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين ومائتين ، وتنَقَّل فى البلادِ لطلبِ العلمِ والأدبِ ، وكان أبوه مِن ذَوِى اليَسارِ ، وقدِم بَغْدادَ وقد أسَنَّ ، فأقام بها إلى أن تُوُفِّى . روَى عن عبدِ الرحمنِ بنِ أخى الأصْمَعىِّ ، وأبى حاتمٍ ، و الرِّياشىِّ . وعنه أبو سعيدٍ السِّيرافىُّ ، وأبو بكرِ بنُ شاذانَ ، وأبو عُبَيدِ اللَّهِ المَرْزُبانىُّ وغيرُهم . ويُقالُ : كان أعْلَمَ الشعَراءِ وأشعَرَ العُلماءِ . وقد كان مُتَهَتِّكًا فى الشَّرابِ ، قال أبو مَنْصورٍ الأزْهرىُّ[3] : دخَلْتُ عليه فوجَدْتُه سَكْرانَ ، فلم أَعُدْ إليه .

وسُئِل عنه الدارَقُطْنىُّ فقال[4] : تكَلَّموا فيه . وقال ابنُ شاهِينَ[3] : كنا نَدْخُلُ عليه فنَسْتَحِى مما نرَى مِن العِيدانِ المُعَلَّقةِ والشَّرابِ المُصَفَّى ، وقد جاوَز التِّسْعين وقارَب المائةَ . وكانت وفاتُه فى يومِ الأرْبعاءِ لثنتَىْ عشْرةَ بقِيَت مِن شعبانَ .

وفى هذا اليومِ كانت وفاةُ أبى هاشمِ بنِ أبى علىٍّ ، فصُلِّى عليهما معًا ، ودُفِنا فى مَقْبَرةِ الخَيْزُرانيةِ ، وقال الناسُ : مات اليومَ عِلْمُ[5] اللُّغةِ ، وعِلْمُ[5] الكَلامِ . وكان ذلك يومًا مَطِيرًا . ومِن مُصَنَّفاتِ ابنِ دُرَيْدٍ « الجَمْهرةُ » فى اللُّغةِ ، فى نحوِ عشْرِ مُجَلَّداتٍ ، وكتابُ « المطرِ » ، والمَقْصورةُ ، والقَصِيدةُ الأخرى فى المَقْصورِ والمَمْدودِ ، وغيرُ ذلك ، سامَحه اللَّهُ .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٣، وتاريخ بغداد ٢/ ١٩٥، والمنتظم ١٣/ ٣٢٩، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٢٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٨٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ١٣٨.

(٢) المقصورة قصيدة يمدح ابن دريد بها الشاه ابن ميكال وولده . انظر وفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٣) تهذيب اللغة ١/ ٣١، والمنتظم ١٣/ ٣٣٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٩٢، والمنتظم ١٣/ ٣٣٠.

(٥) فى ب ، م : « عالم » .

ثم دخَلت سنةُ
ثِنْتَيْـن وعشرين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] قصَد ملكُ الرومِ مَلَطْيةَ فى خمسين ألفًا ، فحاصَرها ثم أعْطاهم الأمانَ حتى تمكَّن منهم ، فقتَل خَلْقًا كثيرًا ، وأسَر ما لا يُحْصَوْن كثرةً ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها ورَدَت الأخبارُ بأن مَرْدَاوِيجَ قد تسَلَّم أصْبَهانَ ، وانْتَزَعها مِن علىِّ بنِ بُوَيْهِ ، وأن علىَّ بنَ بُوَيْهِ توَجَّه إلى أَرَّجانَ فأخَذَها ، وقد أرْسَل ابنُ بُوَيْهِ إلى الحَضرةِ الخليفيَّةِ بالطاعةِ والمَعُونةِ ، وإن أمْكَن أن يُقَبِّلَ العَتَبةَ الشَّريفةَ ويَحْضُرَ بينَ يَدَىِ الخليفةِ إن رسَم ، أو يَذْهَبَ إلى شِيرازَ فيكونَ مع ياقوتَ . ثم اتَّفَق الحالُ بعدَ ذلك أن صار إلى شِيرازَ ، وأخَذَها مِن نائبِها ياقوتَ بعدَ قتالٍ عظيمٍ ظفِر فيه ابنُ بُوَيْهِ بياقوتَ وأصحابِه ، فقتَل منهم خلقًا ، وأسَر جماعةً ، فلما تمكَّن أطْلَقهم ، وأحْسَن إليهم ، وخلَع عليهم ، وعدَل فى الناسِ .

وكانتْ معه أمْوالٌ كثيرةٌ قد اسْتَفادها مِن أصْبَهانَ ، وقبلَها مِن الكَرَجِ[2] ومِن هَمَذان وغيرِها . إلا أنه كان كريمًا جَوَادًا مِعْطاءً للجُيوشِ الذين قد الْتَفُّوا عليه ، ثم

---

(١) المنتظم ١٣/٣٣٤ - ٣٤٢، والكامل ٨/٢٧٥ - ٢٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٣ - ٢٧. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٧٦ - ٢٨٩ .

(٢) فى ب ، م ، ص ، ظ : «الكرخ» . وانظر ما تقدم فى صفحة ٧١.

إنه أمْلَق[1] فى بعضِ الأحْيانِ وهو بشِيرازَ، وطالَبه الجندُ بأرْزاقِهم، وخاف أن يَنْحَلَّ نِظامُ أمْرِه، فاسْتَلْقَى يومًا على قَفاه مُفَكِّرًا فى أمْرِه، وإذا حَيَّةٌ قد خرَجَت مِن سَقْفِ المكانِ الذى هو فيه، ودخَلَت فى آخَرَ، فأمَر بنَزْعِ تلك السُّقوفِ، فوجَد هنالك مَكانًا فيه مِن الذهبِ شىءٌ كثيرٌ [2]جدًّا نحوٌ مِن خمسِمائةِ[3] ألفِ دينارٍ، فأنْفَق فى جيشِه [٩/٣٢و]ما أراد، وبقِىَ عندَه شىءٌ كثيرٌ[2].

وركِب ذاتَ يومٍ يَتَفَرَّجُ فى خِرابِ[4] البلدِ، ويَنْظُرُ إلى أَبْنِيَةِ الأوائلِ، ويَتَّعِظُ بمَن كان قبلَه، فانْخَسَفَت الأرضُ مِن تحتِ قائمةِ جَوادِه، فأمَر فحُفِرَ هنالك فوجَد مِن الأمْوالِ شيئًا كثيرًا أيضًا. واسْتَعْمل عندَ رجلٍ خَيَّاطٍ قُماشًا ليَلْبَسَه، فاسْتَبْطَأه فأمَر بإحْضارِه، فلما وقَف بينَ يديه تهَدَّده، وكان الرجلُ أصَمَّ لا يَسْمَعُ جيدًا، فقال: واللَّهِ ما لابنِ ياقوتَ عندى سوى اثنَىْ عشَرَ صُنْدوقًا، لا أدْرِى ما فيها. فأمَر بإحْضارِها فإذا فيها أمْوالٌ عظيمةٌ تقاربُ ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ.

واطَّلَع على وَدائِعَ كانتْ ليعقوبَ [5]وعمرٍو ابنىِ[5] الليثِ، فيها مِن الأمْوالِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كَثْرةً، فقوِى أمْرُه، وعظُم سُلْطانُه جدًّا، وهذا كلُّه مِن الأُمورِ المُقَدَّرةِ لما يريدُه اللَّهُ بهم مِن السَّعادةِ الدُّنْيويةِ. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. و﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

وكتَب إلى الراضى ووزيرِه أبى علىِّ بنِ مُقْلةَ يَطْلُبُ أن يُقاطَعَ على ما قِبَلَه مِن البلادِ على ألفِ ألفٍ فى كلِّ سنةٍ، فأجابه الراضى إلى ذلك، وبعَث إليه بالخِلَعِ

---

(١) أملق: افتقر. المحيط (و ل ق).

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى المنتظم ١٣/ ٣٤١: «خمسون».

(٤) فى ب، م، ظ: «جوانب». والخراب بكسر الخاء: جمع خَرِبة، والمراد: الأبنية القديمة المهجورة.

(٥ - ٥) فى الأصل: «وعمرو بن»، وفى ب، م: «بن»، وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥١٣، ٥١٦.

واللِّواءِ وأُبَّهةِ المُلْكِ .

وفيها قتَل القاهرُ باللَّهِ أميرَيْن كبيرَيْن ؛ وهما إسحاقُ بنُ إسماعيلَ النُّوبَخْتيُّ ، وهو الذى كان قد أشار على الأمراءِ بخِلافةِ القاهرِ ، وأبو السَّرايا بنُ حَمْدانَ أصْغَرُ وَلَدِ أبيه ، وكان فى نفسِ القاهرِ منهما ؛ بسببِ أنهما زايَداه مرَّةً مِن قبلِ أن يَلِيَ الخِلافةَ فى جاريتَيْن مُغَنِّيَتَيْن ، فاسْتَدْعاهما إلى المُسامَرةِ فتَطيَّبا وحضَرا ، فأمَر بإلْقائِهما فى بئرٍ هنالك ، فتَضَرَّعا إليه فلم يَرْحَمْهما ، بل أُلْقِيا فيها ، وطَيَّنها عليهما .

ذِكْرُ خَلْعِ القاهرِ وسَمْلِ عَيْنَيْه[1]

وكان سببَ ذلك أن الوزيرَ أبا عليٍّ بنَ مُقْلَةَ كان قد هرَب مِن القاهرِ حينَ قبَض على مُؤْنسِ الخادِمِ، واخْتَفَى فى دارِه ، وكان يُراسِلُ الجُنْدَ ويُكاتِبُهم ويُغْرِيهم بالقاهرِ ، ويُخَوِّفُهم سَطْوتَه وإقْدامَه وسُرْعَةَ بَطْشِه ، وأخبرَهم أن القاهرَ قد أعَدَّ لأكابرِ الأُمراءِ أماكنَ يَسْجُنُهم فيها ، فهيَّجَهم ذلك وأَشَبَهُم[2] على القَبْضِ على القاهِرِ ، فاجْتَمَعوا وأجْمَعوا رأيَهم على مُناجَزَتِه فى هذه الساعةِ ، وركِبوا مع الأميرِ المَعْروفِ بسيما ، وقصَدوا دارَ الخلافةِ فأحاطوا بها ، ثم هجَموا على القاهرِ مِن سائرِ أبوابِها ، فخرَج الوزيرُ الخَصيبيُّ مُستَتِرًا فى زيِّ امرأةٍ ، وانهزَم القاهِرُ وهو مَخْمورٌ ، فاخْتَفَى فى سطحِ حمامٍ ، فظهَروا عليه فقبَضوه وحبَسوه فى مكانِ طريفِ السبكرىِّ ، وأخْرَجوا طرِيفًا ، واضْطَرَبَت بَغْدادُ ونُهِبَت ، وذلك يومَ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٣٤، ٣٣٥، والكامل ٨/٢٧٩ - ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٥ - ١٧.

(٢) سقط من : ب ، م . وفى الأصل ، ص : «أسهم» . وأشب : جمع ، والتَّأَشُّب : الالتفاف والتجمع . انظر اللسان (أ ش ب) .

السبتِ لثلاثٍ خلَوْن مِن جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، [1]ثم أحضَروه فسمَلوا[1] عَيْنَيْه حتى سالَتا على خَدَّيْه ، وارْتُكِب منه أمْرٌ عظيمٌ لم يُسْمَعْ بمثلِه فى الإسْلامِ ، ثم أرْسَلوه ، فكان تارةً يُحْبَسُ ، وتارةً يُخَلَّى سَبيلُه ، وقد تأَخَّر موتُه إلى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ . وافْتَقَر حتى قام يومًا بجامعِ المنصورِ ، [٣٢/٩ظ] فسأل فأعْطاه رجلٌ خمسَمائةِ دِرهمٍ ، ويقالُ : إنه إنما أراد بهذا الصنيعِ التَّشْنيعَ على المُسْتَكْفِى باللَّهِ . فاللَّهُ أعلمُ . وستأتى ترجمتُه إذا ذكَرْنا وفاتَه .

خِلافةُ الراضى باللَّـهِ أبى العباس محمدِ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّـهِ[2]

لما خلَعَت الجُنْدُ القاهرَ ، وسمَلوه أحْضَروا أبا العباسِ محمدَ بنَ المُقْتَدِرِ باللَّهِ ، فبايَعوه على الخلافةِ ، ولقَّبوه الراضىَ باللَّهِ ، وكان أبو بكرٍ الصُّولىُّ قد أشار بأن يُلَقَّبَ بالمَرْضِىِّ باللَّهِ ، فلم يَقْبَلْ وعَدَل إلى هذا اللَّقبِ ، وذلك يومَ الأرْبعاءِ لستٍّ خَلْون مِن جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ - أعنى سنةَ ثنتين وعشرين وثلاثِمائةٍ - وجاءُوا بالقاهرِ وهو أعْمَى قد سُمِلت عَيْناه ، فأُوقِف بينَ يديْه ، فسلَّم عليه بالخلافةِ ، وسلَّمها إليه ، فقام الراضى بأعْبائِها ، وكان مِن خِيارِ الخُلَفاءِ على ما سنَذْكُرُه ، وأمَر بإحْضارِ أبى علىِّ بنِ مُقْلَةَ ، فولَّاه الوِزارةَ ، وجعَل علىَّ بنَ عيسى

(١ - ١) فى ب ، م : « فى الشهر الذى ماتت فيه شغب فلم يكن بين موتها و القبض عليه وسمل عينيه وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة وانتقم الله منه ثم أمروا بإحضاره فلما حضر سملوا » .

(٢) المنتظم ٣٣٥/١٣ - ٣٣٨، والكامل ٢٨٢/٨ - ٢٨٤، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٦، ١٧.

ناظِرًا عليه ، وأطْلَق كلَّ مَن كان فى حبسِ القاهرِ ، واسْتَدْعَى عيسى طَبيبَ القاهرِ ، فصادَره بمائتَىْ ألفِ دينارٍ ، وتسَلَّم منه الوَديعةَ التى كان القاهرُ أوْدَعها عندَه ، وكانت جُملةً مُسْتَكْثَرةً مِن الذهبِ والفضةِ والنفائِسِ .

وفى هذه السنةِ عظُم أمْرُ مَرْداوِيجَ بأصْبَهانَ ، وتحَدَّث الناسُ أنه يُرِيدُ قَصْدَ بَغْدادَ ، وأنه مُمالِئٌ لصاحبِ البحْرَيْن ، وقد اتَّفَقا على رَدِّ الدَّوْلةِ مِن العربِ إلى العَجَمِ ، وأساء السِّيرةَ فى رعيتِه ، لا سِيَّما فى خَواصِّه مِن الأتراكِ ، فتمالَئوا على قتلِه فقتَلوه ، قبَّحه اللَّهُ ، وكان القائمُ بأعباءِ ذلك أخَصَّ مَماليكِه وأحْظاهم عندَه ، وهو بَجْكَمُ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه ، وهذا الأميرُ هو الذى اسْتَنْقَذ الحجرَ الأسْودَ مِن أيدى القَرامِطةِ ، وافْتَداه منهم بخمسين ألفَ دينارٍ ، (1) بذَلها لهم حتى رَدُّوه إلى مكةَ كما سيأتى (1) . ولما قُتِل مَرْداوِيجُ بنُ زيَّارَ (2) الدَّيْلَمىُّ عظُم أمْرُ علىِّ بنِ بُوَيْهِ ، وارْتَفَعَ قدْرُه بينَ الناسِ ، وعلا شَأْنُه فى المُلوكِ ، وسيَأْتى ما آل إليه حالُه .

ولما خُلِع القاهرُ ووَلِىَ الراضى ، طمِع هارونُ بنُ غَريبٍ فى الخِلافةِ ؛ لكونِه ابنَ خالِ المُقْتَدِرِ ، وكان نائبًا على (3) ماهِ الكوفةِ الدِّينَوَرِ (3) وماسَبَذانَ ، فدعا إلى ذلك واتَّبعه خلقٌ مِن الجُنْدِ والأُمراءِ ، وجبَى الأمْوالَ ، واسْتَفْحل أمرُه ، وقوِيَت شَوْكتُه ، وقصَد بَغْدادَ ، فخرَج إليه محمدُ بنُ ياقوتَ رأسُ الحَجَبةِ فى جميعِ جيشِ بَغْدادَ ، فاقْتَتَلوا هنالك ، فخرَج فى بعضِ الأيامِ هارونُ بنُ غَريبٍ يَتَقَصَّدُ

(1 - 1) سقط من : ب ، م .

(2) سقط من : ب ، م . وفى ص : « ديار » ، وفى ظ : « زياد » . وانظر سير أعلام النبلاء 15/ 215.

(3 - 3) فى الأصل : « الكوفة والدينور » ، وفى ب ، م : « ماه الكوفة والدينور » ، وفى ص : « مال الكوفة والدينور » ، وفى ظ : « نيابة الكوفة والدينور » . والمثبت من الكامل . وماهُ الكوفة هى الدينور ، والدينور : من فتوح أهل البصرة ، فلما كثر الناس بالكوفة احتاجوا إلى أن يرتادوا من النواحى التى صولح على خراجها فصُيِّرت لهم الدينور وعوض أهل البصرة نهاوند . انظر معجم البلدان 4/ 407، 827.

لعله يَعْمَلُ حِيلةً فى أسْرِ محمدِ بنِ ياقوتَ ، فتَقَنْطَر به فرسُه ، فسقَط فى نهرٍ ، فضرَبه غلامٌ له حتى قتَله ، وأخَذ رأسَه ، وجاء به إلى محمدِ بنِ ياقوتَ ، فانْهَزَم أصحابُ هارونَ ، ورجَع محمدُ بنُ ياقوتَ ، فدخَل بغدادَ ورأسُ هارونَ بنِ غَريبٍ يُحمَلُ بينَ يدَيه على رُمْحٍ ، ففرِح الناسُ بذلك ، وكان يومًا مشهودًا .

وفيها ظهَر رجلٌ ببغدادَ يُعْرَفُ بأبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ الشَّلْمَغانىِّ ، ويقالُ له : (١) ابنُ أبى العَزاقِرِ (١) . فذُكِر عنه أنه يَدَّعِى ما كان يَدَّعِيه الحلَّاجُ مِن الإلَهيةِ ، وكان قد مُسِك [٩/٣٣و] فى دولةِ المُقْتَدِرِ عندَ حامدِ بنِ العباسِ ، واتُّهِم بأنه يَقولُ بالتَّناسُخِ فأنْكَر ذلك . ولما كانتْ هذه المرةُ أحْضَره الراضى ، وادَّعَى عليه بما ذُكِر عنه ، فأنْكَرَ ، ثم أَقَرَّ بأشْياءَ ، فأفْتَى قومٌ أن دمَه حلالٌ إلا أن يَتوبَ مِن هذه المَقالةِ (٢) ، فضُرِب ثمانين سَوْطًا ، ثم ضُرِبَت عنقُه وصُلِبَ ، وأُلْحِق بالحلَّاجِ قبَّحهما اللَّهُ ، وقُتِل معه صاحبُه ابنُ أبى عَوْنٍ ، لعَنه اللَّهُ ، وكان هذا اللَّعينُ مِن جُملةِ طائفةٍ قد اتَّبعوه وصدَّقوه فيما يَزْعُمُه مِن الكُفرِ ، لعنَهم اللَّهُ .

وقد بسَط ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه » (٣) مَذْهَبَ هؤلاء الكَفَرةِ بَسْطًا جيدًا ، وشبَّه مَذْهَبَهم بمذهَبِ النُّصَيْرِيةِ ، لعنَهم اللَّهُ أجمعين .

وادَّعَى رجلٌ ببلادِ الشاشِ (٤) النُّبوةَ ، وأظْهَر مَخارِيقَ وأشْياءَ كثيرةً مِن الحِيَلِ ،

(١ - ١) فى ب : « ابن الغراقه » ، وفى م : « ابن العرافة » ، وفى ص : « الفراقر » ، وفى المنتظم ١٣/ ٣٤٢ : « العزاقير » ، وفى الكامل ٨/ ٢٩٠ : « القراقر » . والمثبت موافق لإحدى نسخ الكامل . وانظر اللباب ٢/ ٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٦٦ .

(٢) بعده فى ب ، م : « فأبى أن يتوب » .

(٣) الكامل ٨/ ٢٩٠ - ٢٩٤ .

(٤) فى الأصل ، ص : « الشاس » ، وفى ظ : « الساس » ، وانظر معجم البلدان ٣/ ٢٣٣ .

فجاءتْه الجُيوشُ فقاتَلوه ، فقتَلُوه[1] ، وانطَفأ خَبَرُه واضْمَحَلَّ أمرُه .

وفاةُ المَهْدىّ صاحبِ إفْرِيقِيَّة أولِ خُلَفاءِ الفاطميّين [2]فيما زعَموا

وفيها مات[2] أبو محمدٍ عُبيدُ اللَّهِ[3] ، المُدَّعِى أنه عَلَوىٌّ - المُلَقَّبُ بالمهدىِّ - بانى المَهْديةِ - بمدينَتِه المهديَّةِ ، عن ثلاثٍ وستين سنةً ، وكانتْ وِلايتُه ، منذُ دخَل رَقَّادةَ[4] وادَّعَى الإمامةَ ، أربعًا وعشرين سنةً وشهرًا وعشرين يومًا ، [5]وهو أولُ الخلفاءِ الفاطِميِّينَ[5] .

وقد كان شَهْمًا شُجاعًا ، ظفِر بجَماعةٍ ممَّن خالَفه وناوَأه وقاتَله وعاداه ، وقد قام بأمْرِ الخِلافةِ مِن بعدِه ولدُه أبو القاسمِ المُلَقَّبُ بالخليفةِ القائمِ بأمْرِ اللَّهِ . وحينَ تُوُفِّى أبوه كتَم موتَه سنةً حتى دبَّر ما أراده مِن الأُمورِ ، ثم أظْهَر ذلك ، وعزَّاه الناسُ فيه . وقد كان شَهْمًا شُجاعًا كأبيه ، فتَح البلادَ ، وأرْسَل السَّرايا إلى بلادِ الرومِ ، ورام أخْذَ الديارِ المصريةِ ، فلم يَتَّفِقْ له ذلك ، وإنما جرَى ذلك على يَدَىِ ابنِ ابنِه المُعِزِّ الفاطمىِّ الذى بنَى القاهرةَ المُعِزِّيةَ ، كما سنَذْكُره ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) سقط من : م ، ظ .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « الأدعياء الكذبة وهو » .

(٣) البيان المغرب لابن عِذارِى المَرَّاكُشى ١٥٨/١ - ١٦٠، ٢٠٦ - ٢٠٨، ووفيات الأعيان ٣/ ١١٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٠٨.

(٤) فى ص، ظ : « رفادة » . ورقَّادة : « بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال » . معجم البلدان ٢/ ٧٩٧.

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى «الوَفَياتِ»[1] : وقد اخْتُلِف فى نسبِ المهدىِّ هذا اخْتِلافًا كثيرًا جدًّا ؛ فقال صاحبُ «تاريخِ القَيْرَوانِ» : هو عُبَيدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ[2] بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ . وقال غيرُه : هو [3]عُبَيدُ اللَّهِ بنُ التَّقِىِّ ، وهو الحسينُ بنُ الوَفىِّ[3] أحمدَ بنِ الرَّضِىِّ عبدِ اللَّهِ ، وهؤلاء الثلاثةُ يُقالُ لهم : المَستُورون . لخوفِهم مِن خلفاءِ بنى العَبَّاسِ ، والرَّضىُّ عبدُ اللَّهِ هذا هو ابنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ الصادقِ . وقيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : والمُحَقِّقون يُنْكِرون دَعْواه فى النَّسَبِ .

قلتُ : قد كتَب غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، منهم الشيخُ أبو حامدٍ الإسْفَرايِينىُّ والقاضى الباقِلَّانىُّ ، والقُدُورىُّ ، أن هؤلاء أدْعِياءُ ليس لهم نَسَبٌ صحيحٌ فيما يَزْعُمونه ، وأن والدَ عُبَيدِ اللَّهِ هذا كان يَهوديًّا صَبَّاغًا بسَلَمْيَةَ ، وقيل : كان اسمُه سعيدًا[5] ، وإنما لُقِّب بعُبَيدِ اللَّهِ . وكان زوجُ أمِّه الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَيْمونٍ [٩/٣٣ظ] القَدَّاحِ ، وسُمِّى القَدَّاحَ ؛ لأنَّه كان كحَّالًا يَقْدَحُ العُيونَ ، وكان الذى وَطَّأ له الأمْرَ بتلك البلادِ أبو عبدِ اللَّهِ الشِّيعىُّ كما قدَّمْنا ذلك ، ثم اسْتَدْعاه فلما قدِم مِن بلادِ المَشْرِقِ وقَع فى يدِ صاحبِ سِجِلْماسَةَ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١١٧.

(٢) بعده فى وفيات الأعيان : «بن على» .

(٣ - ٣) فى ص : «عبد اللَّه بن المتقى وهو الحسين بن الوفى» ، وفى ظ : «عبيد اللَّه بن التقى وهو الحسين بن الموفى» . وبعده فى ب ، م : «بن» .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١١٧، ١١٨.

(٥) فى النسخ : «سعدا» . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ١١٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٤٦، وغيرهما .

فسجَنه ، فلم يَزَلِ الشِّيعىُّ حتى اسْتَنْقَذه وسلَّم إليه الأمْرَ ، ثم ندِم الشِّيعىُّ وهمَّ بقَتْلِه ، ففطِن عبيدُ اللَّهِ له فَقَتله وقتَل معه أخاه . ويقالُ : إن الشِّيعىَّ لما دخَل السجنَ وجَد صاحبَ سِجِلْماسَةَ قد قتَله ، ووجَد فى السجنِ رجلًا مجهولًا ، فأخْرَجه للناسِ وقال : هذا هو المهدىُّ . [1] ورَوَّج به الأمرَ [1] ، فهؤلاء مِن سُلالتِه . [2] حَكاه القاضى ابنُ خَلِّكانَ [2] .

وكان مولدُ المهدىِّ هذا فى سنةِ ستين ومائتين . وقيل : قبلَها . وقيل : بعدَها . بسَلَمْيةَ . وقيل : بالكوفةِ . وأولُ ما دُعِى له على مَنابرِ رَقَّادةَ والقَيْرَوانِ يومَ الجمعةِ لتسعٍ [3] بقِين مِن ربيعٍ الآخِرِ [4] سنةَ سبعٍ وتسعين ومائتين ، بعدَ رُجوعِه مِن سِجِلْماسَةَ ، وكان ظُهورُه بها فى ذى الحِجَّةِ مِن السنةِ الماضيةِ ، سنةِ ستٍّ وتسعين ، وزالتْ دَوْلةُ بنى العباسِ مِن تلك الناحيةِ مِن هذا الحينِ إلى أن هلَك [5] العاضِدُ فى سنةِ سبعٍ وستين وخمسِمائةٍ .

وكانت وفاتُه بِالمَهْديةِ - التى بناها فى أيامِه - ليلةَ الثلاثاءِ للنِّصفِ مِن ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوَز الستين على المشهور ، وإلى اللَّهِ عاقبةُ الأمور ، وسيَفْصِلُ بينَ الآمِرِ والمَأْمور ، يومَ البَعْثِ والنُّشور .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمِ بنِ قُتَيْبةَ الدِّينَوَرىُّ [6] ، قاضى مصرَ ، حدَّث

(١ - ١) فى ب ، م : « وكان قد أوصاه أن لا يتكلم إلا بما يأمره به وإلا قتله فراج أمره فهذه قصته » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ١١٨.

(٣) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « لسبع » .

(٤) فى الأصل ، ظ : « الأول » .

(٥) فى ب ، م ، ص : « ملك » . والعاضد هو خاتم الدولة العبيدية . انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٧.

(٦) الولاة والقضاة ص ٤٨٥، ٥٤٦، وتاريخ بغداد ٤/ ٢٢٩، والمنتظم ١٣/ ٣٤٢، ووفيات الأعيان =

عن أبيه بكُتبِه المَشْهورةِ ، وتُوُفِّى وهو على قَضاءِ الديارِ المصريةِ فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ القاسمِ أبو علىٍّ الرُّوذْبارىُّ[1] ، وقيل : اسمُه أحمدُ بنُ محمدٍ . ويُقالُ : الحسنُ بنُ هَمَّامٍ . والصحيحُ الأولُ ، أصْلُه مِن بَغْدادَ ، وسكَن مصرَ ، وكان مِن أبْناءِ الرُّؤساءِ والوُزراءِ والكَتَبةِ ، وصحِب الجُنَيْدَ ، وسمِع الحديثَ ، وحفِظ منه كثيرًا ، وتفقَّه بإبراهيمَ الحَرْبىِّ ، وأخَذ النَّحْوَ عن ثَعْلبٍ ، وكان كثيرَ الصَّدَقةِ والبِرِّ للفُقَراءِ ، وكان إذا أعْطَى الفقيرَ شيئًا جعَله فى كفِّه ، ثم يَتَناوَلُه الفقيرُ ، يُرِيدُ أن لا تَكونَ يدُ الفقيرِ تحتَ يدِه[2] .

= ٣/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٩٩.

(١) طبقات الصوفية ص ٣٥٤، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، وتاريخ بغداد ١/ ٣٢٩، والمنتظم ١٣/ ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٥.

(٢) بعده فى ب ، م : « قال أبو نعيم : سئل أبو على الروذبارى عمن يسمع الملاهى ، ويقول : إنه وصل إلى منزلة لا تؤثر فيه اختلاف الأحوال . فقال : نعم ، وصل ولكن إلى سقر . وقال : الإشارة الإبانةُ ، لما تضمنه الوجد من المشار إليه لا غير ، وفى الحقيقة أن الإشارة تصحبها العلل ، والعلل بعيدةٌ من غير الحقائق .

وقال : من الاغترار أن تسىء فيحسن إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح فى الهفوات ، وترى أن ذلك فى بسط الحق لك . وقال : تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق ، فألقيت إليها الأسامى ، فركنت إليها مشغوفين بها عن الذات إلى أوان التجلى ، فذلك قوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ . فوقفوا معها عن إدراك الحقائق ، فأظهر الأسامى ، وأبداها للخلق ، لتسكين شوق المحبين إليه ، وتأنيس قلوب العارفين به .

وقال : لا رضى لمن لا يصبر ، ولا كمال لمن لا يشكر ، وباللَّهِ وصل العارفون إلى محبته ، وشكروه على نعمته .

وقال : إن المشتاقين إلى اللَّهِ يجدون حلاوة الشوق - عند ورود المكاشف لهم عن روح الوصال إلى قربه - أحلى من الشهد .

وقال : من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات ؛ بطن جائع معه قلب قانع ، وفقر دائم معه زهد حاضر ، وصبر كامل معه قناعة دائمة .

وقال : فى اكتساب الدنيا مذلة النفوس ، وفى اكتساب الآخرة عزها ، فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى على العز فى طلب ما يبقى » . ولعله من زيادات الناسخ .

ومِن شِعْرِه[1] :

ولو مضَى الكلُّ منى لم يَكُنْ عَجَبًا وإنما عَجَبى فى البَعْضِ كيف بقِى
أَدْرِكْ بقيةَ رُوحٍ منك قد تلِفَت قبلَ الفِراقِ فهذا آخِرُ الرَّمَقِ

محمدُ بنُ إسماعيلَ[2] المعروفُ بخيرِ النَّسَّاجِ أبو الحسنِ الصُّوفىُّ، مِن كِبارِ المشايخِ ذَوِى الأحْوالِ الصالحةِ، والكَراماتِ المَشْهورةِ، أدْرَك سَرِيًّا السَّقَطىَّ وغيرَه مِن مَشايخِ القومِ، وعاش مائةً وعشرين سنةً. ولما حضَرَتْه الوَفاةُ نظَر إلى زاويةِ البيتِ فقال: قِفْ رحِمك اللَّهُ، فإنك عبدٌ مَأْمورٌ، وأنا عبدٌ مَأْمورٌ، وما أُمِرْتَ به لا يَفوتُ، وما أُمِرْتُ به يَفوتُ. ثم قام فتوَضَّأ وصلَّى، وتَمَدَّد فمات، رحِمه اللَّهُ. وقد رآه بعضُهم فى المَنامِ فقال له: ما فعَل اللَّهُ بك؟ فقال: اسْتَرَحْنا مِن دُنياكم [٩/٣٤و] الوَضِرةِ[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٣٢، والمنتظم ١٣/ ٣٤٥.
(٢) طبقات الصوفية ص ٣٢٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧، وتاريخ بغداد ٢/ ٤٨، ٨/ ٣٤٥، والمنتظم ١٣/ ٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٩.
(٣) الوضرة: الوسخة. المحيط (و ض ر).

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وعِشْرين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] أُحْضِر ابنُ شَنَبوذَ المُقْرِىء، فأنْكَر جَماعةٌ مِن الفُقهاءِوالقُرَّاءِ عليه حُروفًا انْفَرَد بها، فاعْتَرَف ببعضِها، وأنْكَر بعضَها، فاسْتُتِيب مِن ذلك، واسْتُكْتِب بخطِّه بالرجوعِ عما نُقِم عليه، وضُرِب سبعَ دِرَرٍ بإشارةِ الوزيرِ أبى علىٍّ بنِ مُقْلةَ، ونُفِى إلى البَصْرةِ أو غيرِها، فدعا على الوزيرِ أن تُقْطَعَ يدُه ويُشَتَّتَ شَمْلُه، فكان ذلك عما قريبٍ.

وفيها فى جُمادَى الآخِرةِ نادَى بدرٌ الخَرْشَنىُّ[2] صاحبُ الشُّرْطةِ فى الجانبَيْن مِن بَغْدادَ أن لا يَجْتَمِعَ اثنان مِن أصْحابِ أبى محمدٍ البَرْبَهارىِّ الواعِظِ الحَنْبلىِّ، وحبَس منهم جَماعةً، واسْتترَ البَرْبَهارىُّ، فلم يَظْهَرْ مدةً[3].

قال ابنُ الجَوْزىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[4]: وفى شهرِ أيَّارَ تكاثَفَت الغُيومُ، واشْتَدَّ الحَرُّ جدًّا، فلما كان آخرُ يومٍ منه - وهو الخامسُ والعشرون مِن جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ - هَبَّتْ رِيحٌ شديدةٌ جدًّا، وأظْلَمَت، واسْوَدَّت إلى بعدِ العصرِ،

---

(١) المنتظم ١٣/٣٤٨ - ٣٥٠، والكامل ٨/٣٠٧ - ٣١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠) ص ٢٨ - ٣٢، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٩٠ - ٢٩٧. وانظر ما يأتى فى ص ١٢٢.

(٢) فى الأصل، ص: «الخرسى»، والمثبت من الكامل وتاريخ الإسلام.

(٣) كان سبب ذلك أن الحنابلة عظم أمرهم وقويت شوكتهم، وصاروا يكبسون دور القُوّاد والعامة، وإن وجدوا نبيذا أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، وأنكرت عليهم أشياء غير ذلك. انظر الكامل ٨/٣٠٧، ٣٠٨.

(٤) المنتظم ١٣/٣٤٩.

ثم خفَّت ، ثم عادَت إلى بعدِ عشاءِ الآخِرةِ .

وفيها اسْتَبْطَأ الأجْنادُ أرْزاقَهم ، فقصَدوا دارَ الوزيرِ أبى علىٍّ بنِ مُقْلةَ ، فنقَبوها وأخَذوا ما فيها .

ووقَع حريقٌ عظيمٌ فى طريقِ البَزَّازِين ، فاحْتَرَق بسببِه للناسِ شىءٌ كثيرٌ ، فعوَّض عليهم الراضى باللَّهِ بعضَ ما كان ذهَب لهم .

وفى رَمضانَ اجْتَمَع جَماعةٌ مِن الأُمراءِ على بَيْعةِ جعفرِ بنِ المُكْتَفِى ، وظهَر الوزيرُ على أمْرِهم ، فحبَس جعفرًا ، ونُهِبَت دارُه ، وحبَس جَماعةً ممَّن كان بايَعه ، وانْطَفَأت نارُه .

وخرَج الحُجَّاجُ فى خُفارةِ الأميرِ لُؤْلُؤَ ، فاعْتَرَضهم أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الجنَّابىُّ ، لعنَه اللَّهُ ، فقتَل أكْثرَهم ، ورجَع مَن انْهَزَم منهم إلى بَغْدادَ ، وبطَل الحجُّ فى هذه السنةِ مِن طريقِ العراقِ (١) وكان قتلُه لهم فى ليلةِ الأربعاءِ لِثِنْتَىْ عشْرةَ خلتْ مِن ذى القَعدةِ (١) .

قال ابنُ الجَوْزىِّ (٢) : وفى هذه السنةِ بعينِها تَساقَطَت كَواكِبُ كثيرةٌ ببَغْدادَ والكُوفةِ على صِفةٍ لم يُرَ مثلُها ولا ما يُقارِبُها . قال (٢) : وغلا السِّعرُ فى هذه السنةِ حتى بيعَ الكُرُّ (٣) مِن الحِنْطةِ بمائةٍ وعشرين دِينارًا .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) المنتظم ١٣/ ٣٥٠.

(٣) الكر : مكيال لأهل العراق ، وهو ستة أوقار - والوِقْر الحمل الثقيل - وقال ابن سيده : يكون بالمصرى أربعين أردبا . انظر اللسان (ك ر ر) .

وفيها على الصَّحيحِ[1] كان مَقْتَلُ مَرْداوِيجَ بنِ زَيّارَ الدَّيْلمىِّ ، وكان قبَّحه اللَّهُ ، سَيِّئَ السِّيرةِ والسَّريرةِ ، يَزْعُمُ أن رُوحَ سليمانَ بنِ داودَ حلَّت فيه ، وله سَريرٌ مِن ذهبٍ يَجْلِسُ عليه والأتْراكُ بينَ يديه ، ويَزْعُمُ أنهم الجِنُّ الذين سُخِّروا لسليمانَ بنِ داودَ ، وكان يُسِيءُ المُعامَلةَ لهم ، ويَحْتَقِرُهم غايةَ الاحتِقارِ ، فما زال ذلك دَأْبَه حتى أمْكَنَهم اللَّهُ منه ، فقتَلوه فى حَمامٍ ، وكان الذى مالأ على قتلِه غُلامُه بَجْكمُ التُّرْكىُّ جزاه اللَّهُ عن الإسلامِ وأهلِه خيرًا ، وكان رُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ رَهينةً عندَه ، فلما قُتِل أُطْلِق من السجنِ والقَيدِ ، [٣٤/٩ظ] فذهَب إلى أخيه عِمادِ الدولةِ ، وذهَبَت طائفةٌ مِن الأتْراكِ معه إلى أخيه ، والْتَفَّت طائفةٌ أخرى من الأتراكِ على بَجْكمَ ، فسار بهم إلى بَغْدادَ بإذنِ الخَليفةِ له فى ذلك ، ثم صُرِفوا إلى البَصْرةِ فكانوا بها .

وأمَّا الدَّيْلَمُ فإنهم بعَثوا إلى أخى مَرْداوِيجَ ، وهو وُشْمَكيرُ ، فلما قدِم عليهم تلَقَّوْه إلى أثناءِ الطَّريقِ حُفاةً مُشاةً ، فملَّكوه عليهم لئلا يَذْهَبَ مُلْكُهم ، فانْتَدَب لمُحارَبتِه السَّعيدُ نصرُ بنُ أحمدَ السامانىُّ نائبُ خُراسانَ وما والاها مِن تلك البلادِ والأقاليمِ ، فانْتَزَع منه بُلْدانًا هائلةً .

وفيها بعَث القائمُ بأمْرِ اللَّهِ الفاطِمىُّ جيشًا مِن إفْرِيقِيَّةَ فى البَحْرِ إلى ناحيةِ الفِرَنْجِ ، ففَتَحوا مدينةَ جَنَوَةَ ، وغنِموا غَنائمَ كثيرةً وثَرْوةً ، ورجَعوا سالمين غانِمين .

وفيها بعَث عِمادُ الدَّوْلةِ [2]بنُ بُويهِ أخاه ركنَ الدولةِ[2] إلى أصْبَهانَ ، فاسْتَوْلى

---

(١) الكامل ٢٩٨/٨ - ٣٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢١.
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

عليها وعلى بلادِ الجَبَلِ ، واتَّسعَت مملكةُ عمادِ الدولةِ ، وقَوِيت شوكتُه ، وعَظُمت منزلتُه .

وفيها كان غَلاءٌ شديدٌ بخُراسانَ ، وفَناءٌ كثيرٌ ، بحيث كان يَهُمُّهم أمْرُ دَفْنِ المَوْتَى .

وفيها قتَل ناصرُ الدولةِ أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حَمْدانَ نائبُ المَوْصِلِ عمَّه أبا العَلاءِ سعيدَ بنَ حَمْدانَ ؛ لأنه أراد أن يَنْتَزِعَها منه ، فبعَث إليه الخَليفةُ وَزيرَه أبا عليٍّ بنَ مُقْلةَ فى جُيوشٍ ، فهرَب منه ناصرُ الدَّوْلةِ ، فلما طال مُقامُ ابنِ مُقْلةَ بالمَوْصِلِ رجَع إلى بَغْدادَ ، فاسْتَقَرَّت يدُ ناصِرِ الدَّوْلةِ على المَوْصِلِ ، وبعَث إلى الخَليفةِ يسألُ أن يَضْمَنَ تلك الناحيةَ ، فأُجِيب إلى ذلك ، واسْتَمَرَّ الحالُ على ما كان .

وخرَج الحَجيجُ[1] فلقِيَهم القِرْمِطيُّ فى القادسيةِ فقاتَلوه ، فظفِر بهم ، فسأَلوه الأمانَ ، فأمَّنَهم على أن يَرْجِعوا إلى بغْدادَ فرجَعوا ، وتعَطَّل عليهم الحجُّ عامَهم ذلك .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

نِفْطَوَيْهِ النَّحْوىُّ ، إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عَرَفةَ بنِ سليمانَ بنِ المُغيرةِ بنِ حَبيبِ بنِ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرةَ الأَزْدىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ العَتَكىُّ[2] ، المَعْروفُ

---

(١) ذكر المصنف حادثة الحجيج مع أبى طاهر القرمطى فى بداية هذه السنة نقلا من كتاب المنتظم لابن الجوزى ، ثم عاد هنا ليذكر نفس الحادثة من كتاب الكامل لابن الأثير على غير عادة المصنف فى ذكر حوادث السنين ، فلعل هذا وقع منه سهوا ، رحمه اللَّه ، واللَّه أعلم .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٤ ، وتاريخ بغداد ٦/ ١٥٩ ، والمنتظم ١٣/ ٣٥٠ ، وإنباه الرواة =

بنِفْطَوَيْهِ النَّحْوىِّ ، له مُصَنَّفاتٌ فيه ، وقد سمِع الحَديثَ ، وروَى عن المَشايخِ ، وحدَّث عنه الثِّقاتُ مِن الناسِ ، وكان صَدوقًا ، وله أشْعارٌ حَسَنةٌ .

وروَى الخَطِيبُ[1] عن نِفْطَوَيْهِ أنه مَرَّ يومًا على بَقَّالٍ فقال له : أيُّها الشيخُ ، كيف الطَّريقُ إلى دَرْبِ الرَّوَّاسين - يعنى دَرْبَ الرَّوَّاسِين - فالْتَفَت البَقَّالُ إلى جارِه فقال له : قبَّح اللَّهُ غلامى ، أبْطَأ علىَّ بالسِّلْقِ[2] ، ولو كان عندى لَصفَعْتُ هذا بجُرْزةٍ[3] منه . فانْصَرَف عنه نِفْطَوَيْهِ ، ولم يَرُدَّ عليه . تُوُفِّى نِفْطَوَيهِ فى صَفَرٍ مِن هذه السنةِ عن ثلاثٍ وثمانين سنةً ، وصلَّى عليه البَرْبَهارىُّ رئيسُ الحَنابِلةِ ، ودُفِن بمَقابرِ بابِ الكُوفةِ .

ومما أنْشَدَه له أبو علىٍّ القالىُّ فى « الأمالى »[4] :

قلْبى أرَقُّ عليك مِن خَدَّيْكا ... وقُواىَ[5] أوْهَى مِن قُوَى جَفْنَيْكا
لِمَ لا تَرِقُّ لمَن يُعَذِّبُ نَفْسَه ... ظُلْمًا ويَعْطِفُه هَواه عليكا

قال ابنُ خَلِّكانَ[6] : وفى نِفْطَوَيْهِ يَقولُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ زيدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ الواسِطىُّ المُتَكَلِّمُ المَشْهورُ [٩/٣٥و] صاحبُ « الإمامةِ » و « إعْجازِ القُرآنِ » وغيرِ ذلك :

= ١/ ١٧٦، ومعجم الأدباء ١/ ٢٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٢٥.

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٦١.

(٢) السِّلْق : نَبْت له ورق طوال يطبخ . انظر اللسان (س ل ق) .

(٣) فى ب ، م : « بحزمة » . والجرزة والحُزْمة بمعنًى . انظر اللسان (ج ر ز) .

(٤) الأمالى ١/ ٢٠٩.

(٥) فى م : « فؤادى » .

(٦) وفيات الأعيان ١/ ٤٨.

مَن سَرَّه أن لا يَرَى فاسِقًا فلْيَجْتَهِدْ أن لا يَرَى نِفْطَوَيْهْ
أحْرَقه اللَّهُ بنِصْفِ اسمِه وصَيَّر الباقى صُراخًا عليهْ

قال الثَّعالِبِىُّ[1] : إنما سُمِّى نِفْطَوَيْهِ لدَمامتِه وأُدْمَتِه . وقال ابنُ خالَوَيْهِ[2] : [3]لا يُعْرَفُ[3] مَن اسمُه إبراهيمُ وكُنْيتُه أبو عبدِ اللَّهِ سِواه .

[4]**عُبيدُ اللَّهِ**[4] **بنُ عبدِ الصَّمَدِ بنِ المُهْتَدِى باللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الهاشمىُّ العَبَّاسىُّ** ، حدَّث عن سَيَّارِ بنِ نَصْرٍ الحَلَبىِّ وغيرِه ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان ثِقةً فاضِلًا فَقِيهًا شافعيًّا .

عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ عَدِىٍّ ، أبو نُعَيمٍ الإسْتِراباذىُّ[5] ، المُحَدِّثُ الفَقِيهُ الشافعىُّ أيضًا ، تُوُفِّى عن ثلاثٍ وثمانين سنةً .

علىُّ بنُ الفَضْلِ بنِ طاهرِ بنِ نصرِ بنِ محمدٍ ، أبو الحسنِ البَلْخىُّ[6] ، كان مِن الجَوَّالِين فى طلبِ الحديثِ ، وكان ثِقةً حافظًا ، سمِع أبا حاتمٍ الرازىَّ وغيرَه ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أسدٍ ، أبو بكرٍ الحافظُ[7] ، ويُعْرَفُ بابنِ البُسْتَنْبانِ ، سمِع الزبيرَ بنَ بَكَّارٍ وغيرَه ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه . جاوَز الثمانين سنةً .

---

(١) لطائف المعارف للثعالبى ص ٤٧. وانظر وفيات الأعيان ١/ ٤٨، ٤٩.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٨.
(٣ - ٣) فى وفيات الأعيان : «ليس فى العلماء» .
(٤ - ٤) فى النسخ : «عبد اللَّه» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ١٠/ ٣٥١، والمنتظم ١٣/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٣٢.
(٥) تقدم فى وفيات سنة ٣٢٠ صفحة ٦٥ .
(٦) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧، والمنتظم ١٣/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٣٣.
(٧) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٩، والمنتظم ١٣/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٣٥.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] جاءَت الجُنْدُ ،فأحْدَقوا بدارِ الخِلافةِ ، وقالوا : لِيَخْرُجْ إلينا الخَليفةُ الراضى بنَفْسِه فيُصَلِّ بالناسِ . فخرَج فصلَّى بهم وخطَبَهم ، وقبَض الغلمانُ على الوزيرِ أبى علىٍّ بنِ مُقْلةَ ، وسألوا مِن الخَليفةِ أن يَسْتَوْزِرَ غيرَه فردَّ الخِيَرةَ إليهم ، فاخْتاروا علىَّ بنَ عيسى فلم يَقْبَلْ ، وأشار بأخيه عبدِ الرحمنِ بنِ عيسى فاسْتَوْزَره ، وأُحْرِقَت دارُ ابنِ مُقْلةَ ، وسُلِّم هو إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عيسى ، فضُرِب ضَرْبًا عَنيفًا ، وأُخِذ خطُّه بألفِ ألفِ دينارٍ ، ثم عجَز عبدُ الرحمنِ بنُ عيسى ، فعُزِل بعدَ خمسين يومًا ، وقُلِّد الوِزارةَ أبو جعفرٍ محمدُ بنُ القاسمِ الكَرْخىُّ ، فصادَر علىَّ بنَ عيسى بمائةِ ألفِ دينارٍ ، وصادَر أخاه عبدَ الرحمنِ بنَ عيسى بسبعين[2] ألفَ دينارٍ ، ثم عُزِل بعدَ ثلاثةِ أشهرٍ ونصفٍ ، وقُلِّد سليمانُ بنُ الحَسنِ ، ثم عُزِل بأبى الفَتْحِ الفَضْلِ بنِ جعفرِ بنِ الفُراتِ ، ولكن فى السنةِ الآتيةِ ، وأُحْرِقَت دارُه كما أُحْرِقَت دارُ ابنِ مُقْلةَ فى اليومِ الذى أُحْرِقَت تلك فيه ، بينَهما سنةٌ واحدةٌ . وهذا كلُّه مِن تَخْبيطِ الأتْراكِ والغِلْمانِ . ولما أُحْرِقَت دارُ ابنِ مُقْلةَ فى هذه السنةِ كتَب بعضُ الناسِ على بعضِ جُدْرانِها :

أحْسَنْتَ ظَنَّك بالأيامِ إذ حَسُنَت ... ولم تَخَفْ [3]سُوءَ ما[3] يَأْتى به القَدَرُ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٥٦، ٣٥٧، والكامل ٨/ ٣١٤ - ٣٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٣٦. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٩٨ - ٣٠٤.

(٢) فى ص، ظ: «بتسعين».

(٣ - ٣) فى ب، م: «يوما».

وسالَمَتْكَ الليالى فاغْتَرَرْتَ بها وعندَ صَفْوِ الليالى يَحْدُثُ الكَدَرُ

وضَعُف أمْرُ الخِلافةِ جدًّا، وبعَث الراضى إلى محمدِ بنِ رائقٍ - وكان بواسطِ - يَسْتَدْعيه إليه لِيُوَلِّيَه إمْرةَ الأُمراءِ ببَغْدادَ، وأمْرَ الخَراجِ، والمُعاوِنَ فى جميعِ البلادِ والدَّواوِينِ، وأمَر أن يُخْطَبَ له على جَميعِ المَنابرِ، وأنْفَذ إليه بالخِلَعِ، فقدِم ابنُ رائقٍ إلى بَغْدادَ على ذلك كلِّه، ومعه الأميرُ بَجْكمُ التُّرْكىُّ غلامُ مَرْداوِيجَ، وهو الذى ساعَد على قتلِه وأراح المسلمين منه، [٩/٣٥ظ] واسْتَحْوَذ ابنُ رائقٍ على أمْرِ العراقِ بكَمالِه، ونقَل أمْوالَ بيتِ المالِ إلى دارِه، ولم يَبْقَ للوزيرِ تَصَرُّفٌ فى شىءٍ بالكُلِّيةِ، ووهَى أمْرُ الخِلافةِ جدًّا، واسْتَقَلَّ نُوَّابُ الأطْرافِ بالتَّصَرُّفِ فيها، ولم يَبْقَ للخَليفةِ حُكْمٌ فى غيرِ بَغْدادَ ومُعاملاتِها، ومع هذا ليس له مع ابنِ رائقٍ نُفوذٌ فى شىءٍ، ولا كلمةٌ تُطاعُ، وإنما يَحْمِلُ إليه ابنُ رائقٍ ما يَحْتاجُ إليه مِن الأمْوالِ والنَّفَقاتِ وغيرِها، وهكذا صار أمْرُ مَن جاء بعدَه مِن أُمراءِ الأمراءِ[(١)]، وأما بَقيةُ الأطْرافِ؛ فالبَصْرةُ مع ابنِ رائقٍ هذا، وأمرُ خُوزِسْتانَ فى يدَى أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ، وقد غلَب ياقوتَ[(٢)] فى هذه السنةِ على ما كان بيدِه مِن مَمْلكةِ تُسْتَرَ وغيرِها، واسْتَحْوَذ على حَواصِلِه وأمْوالِه، وأمْرُ فارسَ إلى عِمادِ الدولةِ [(٣)]أبى الحسنِ علىِّ بنِ بُوَيْهِ، والرَّىُّ وأصبهانُ والجبلُ بيدِ أخيه ركنِ الدولةِ[(٣)] ابنِ بُوَيْهِ، ومُنازِعُه فى ذلك وُشْمَكيرُ أخو مَرْداوِيجَ، وكَرْمانُ بيدِ أبى علىٍّ محمدِ ابنِ إلْياسَ بنِ الْيَسَعِ، وبلادُ المَوْصِلِ والجَزيرةُ وديارُ بكرٍ ومُضَرَ ورَبيعةَ مع بنى حَمْدانَ، ومصرُ والشامُ فى يدِ محمدِ بن طُغْجٍ، وبلادُ إفْرِيقِيَّةَ والمَغْربُ فى يدِ

---

(١) فى ب، م: «الأكابر».

(٢) أى غلب أبو عبد اللَّه البريدى ياقوتَ، وقتله رجال البريدى. انظر الكامل ٨/ ٣٢١.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

القائمِ بأمْرِ اللَّهِ بنِ المهدىِّ المُدَّعِى أنه فاطمىٌّ ، وقد تَلَقَّب بأميرِ المؤمنين ، والأنْدَلُسُ فى يدِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ ، المُلَقَّبِ بالناصرِ الأُمَوىِّ ، وخُراسانُ وما وراءَ النهرِ فى يدِ السعيدِ نصرِ بنِ أحمدَ السامانىِّ ، وطَبَرِسْتانُ وجُرْجانُ فى يدِ الدَّيْلَمِ . والبَحْرَيْن واليَمامةُ وهَجَرُ فى يدِ أبى طاهرٍ سليمانَ بنِ أبى سعيدٍ الجَنَّابىِّ القِرْمِطىِّ ، لعنه اللَّهُ .

وفيها وقَع ببَغْدادَ غَلاءٌ عظيمٌ وفَناءٌ كثيرٌ بحيث عُدِم الخُبْزُ منها خمسةَ أيامٍ ، ومات مِن أهلِ البلدِ خَلْقٌ كثيرٌ ، وأكثرُ ذلك كان فى الضُّعَفاءِ ، وكان المَوْتَى يُلْقَوْن فى الطُّرقاتِ ليس لهم مَن يَقومُ بأمرِهم ، ويُحْمَلُ على الجِنازةِ الواحدةِ الاثنانِ مِن المَوْتَى ، وربما يُوضَعُ بينَهم صبىٌّ ، وربما حُفِرَت الحُفْرةُ الواحدةُ فتُوَسَّعُ حتى يُوضَعَ فيها جَماعةٌ ، ومات مِن أصْبَهانَ نحوُ مائتَىْ ألفِ إنسانٍ .

ووقَع فيها حَريقٌ بعُمانَ احترَق فيه مِن السُّودانِ ألفٌ [1] ، ومِن البِيضانِ خَلْقٌ كثيرٌ ، وكان من جُملةِ ما احترَق فيه أربعُمائةِ حِمْلِ كافورٍ .

وعزَل الخليفةُ أحمدَ بنَ كَيْغَلَغَ عن نِيابةِ الشامِ ، وأضاف ذلك إلى ابنِ طُغْجٍ نائبِ الدِّيارِ المِصْريةِ .

وفيها وُلِد عَضُدُ الدولةِ أبو شُجاعٍ فَنَّاخُسْرُو بنُ رُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ بأصْبَهانَ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ مُجاهِدٍ المُقْرِئُ ، أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى بنِ العباسِ بنِ مُجاهِدٍ

---

(١) فى المنتظم : « اثنا عشر ألفًا » .

المُقْرِئُ[1] ، أحدُ الأئمةِ فى هذا الشَّأْنِ . حدَّث عن خَلْقٍ كثيرٍ ، وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان ثِقةً مَأْمونًا ، سكَن الجانبَ الشَّرْقىَّ مِن بَغْدادَ ، وكان ثَعْلَبٌ يَقولُ[2] : ما بقِى فى عَصْرِنا أحدٌ أعْلَمَ بكتابِ اللَّهِ منه . وكانت وفاتُه يومَ الأرْبِعاءِ ، وأُخْرِج يومَ الخميسِ لعشْرٍ [٩/٣٦و] بقِين مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ . وقد رآه بعضُهم فى المَنامِ وهو يَقْرَأُ ، فقال له : أمَا مِتَّ ؟ فقال : بلى ، ولكن كنتُ أَدْعُو اللَّهَ عَقِبَ كلِّ خَتْمةٍ أن أَكُونَ مِمَّن يَقْرَأُ فى قبرِه ، فأنا مِمَّن يَقْرَأُ فى قبرِه . رحِمه اللَّهُ .

جَحْظَةُ ، الشاعرُ البَرْمَكىُّ[3] ؛ أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ موسى بنِ يَحْيَى بنِ خالدِ ابنِ بَرْمَكَ البَرْمَكىُّ ، أبو الحسنِ النَّدِيمُ المَعْروفُ بجَحْظَةَ ، الشاعرُ الماهرُ الأدِيبُ الأَخْبارِىُّ ، ذو الفُنونِ فى العلومِ والنَّوادِرِ الحاضِرةِ ، وكان جيدَ الغِناءِ ، ومِن شعرِه[4] :

قد نادَت الدنيا على نفسِها ... لو كان فى العالَمِ مَن يَسْمَعُ
كَمْ [5]واثقٍ فى العُمرِ وارَيْتُه[5] ... وجامعٍ بدَّدْتُ ما يَجْمَعُ

وكتَب له بعضُ المُلوكِ رُقْعةً على صَيْرَفىٍّ بمالٍ أَطْلَقه له ، فلم يَتَحَصَّلْ منها على شىءٍ وتَعَذَّر عليه قَبْضُها ، فكتَب إلى الملكِ يَذْكُرُ له صورةَ الحالِ[6] :

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٤٤، والمنتظم ١٣/ ٣٥٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٤٤، وطبقات القراء ١/ ١٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ١٤٧، والمنتظم ١٣/ ٣٥٧.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٦٥، والمنتظم ١٣/ ٣٥٩، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ١/ ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٤٢.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٦٥، معجم الأدباء ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٥ - ٥) فى ب ، م : «آمل خيبت آماله» .

(٦) معجم الأدباء ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥.

إذا كانتْ صِلاتُكمُ رِقاعًا تُخَطَّطُ بالأناملِ والأَكُفِّ
ولم تُجْدِ الرِّقاعُ عليَّ نفعًا فها خطِّى خذُوه بألفِ ألفِ

ومِن شعرِه يَهْجو صَديقًا له، ويَذُمُّه على شدةِ بُخْلِه وحِرْصِه[1] :

لنا صاحبٌ مِن أبْرَعِ الناسِ فى البُخْلِ [2]وأفضلِهم فيه و[2] ليس بذى فَضْلِ
دعانى كما يَدْعُو الصديقُ صَديقَه فجئتُ كما يَأْتى إلى مثلِه مِثْلى
فلما جلَسْنا للغَداءِ رأيْتُه يَرَى أنما مِن بعضِ أعْضائِه أكْلى
ويَغْتاظُ أحْيانًا ويَشْتِمُ عبدَه وأَعْلَمُ أن الغَيْظَ والشَّتْمَ مِن أجْلى
أمُدُّ يدى سِرًّا لآكُلَ لُقْمةً فيَلْحَظُنى شَزْرًا فأَعْبَثُ بالبَقْلِ
إلى أن جنَت كَفِّى لِحِيْنِى[3] جِنايةً وذلك أنَّ الجُوعَ أعْدَمَنى عَقْلى
فأهْوَت يَمينى نحوَ رِجْلِ دَجاجةٍ [4]فَجُرَّتْ كما جَرَّت يدى رِجْلَها رجلى[4]

ومِن قَوِىِّ شعرِه وجيِّدِه قولُه[5] :

رحَلْتُم فكم مِن أَنَّةٍ بعدَ حَنَّةٍ مُبَيِّنَةٍ للناسِ حُزْنى عليكمُ
وقد كنتُ أعْتَقْتُ الجُفونَ مِن البُكا فقد ردَّها فى الرِّقِّ شَوْقى إليكمُ

ومِمَّا أوْرَده له القاضى ابنُ خَلِّكانَ مِن الشعرِ الرائقِ قولُه[6] :

فقلتُ لها بخِلْتِ علىَّ يَقْظَى فجُودِى فى المَنامِ لمُشْتَهامِ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٦١، ٣٦٢.
(٢ - ٢) فى ب، م: «يسمى بفضل وهو».
(٣) فى ب، م: «علىَّ»، والحَيْنُ: الهلاكُ.
(٤ - ٤) فى ب، م: «فجرت رجلها كما جرت يدى رجلى».
(٥) معجم الأدباء ٢/ ٢٦٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٨٨.
(٦) وفيات الأعيان ١/ ١٣٣.

فقالتْ لى وصِرْتَ تَنامُ أيضًا وتَطْمَعُ أن أَزُورَكَ فى المَنامِ

قال[1] : وإنما لقَّبه بجَحْظَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ المُعْتَزِّ . وذلك لسُوءِ مَنْظَرِه ، كما قال فيه بعضُ مَن هجاه[2] :

[٩/٣٦ظ] نُبِّئْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعيرُ جُحُوظَهُ مِن فِيلِ شِطْرَنْجٍ ومِن سَرَطانِ

وارَحْمتَا لمُنادِميه تحَمَّلوا أَلَمَ العُيونِ للذةِ الآذانِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : وكانت وفاتُه فى سنةِ ستٍّ وعشرين . وقيل : سنةَ أربعٍ وعشرين . وثلاثِمائةٍ ، بواسِطٍ ، [4]وحُمِل إلى بغدادَ . قال الخطيبُ[5] : وكان مولِدُه فى سنةِ أربعٍ وعشرين ومائتين[4] .

ابنُ المُغَلِّسِ ، الفَقِيهُ الظاهِرىُّ[6] ، [4]عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ المُغَلِّسِ أبو الحسنِ ، الفقيهُ الظاهرىُّ[4] المشهورُ ، له المُصَنَّفاتُ المُفِيدةُ فى مَذْهَبِه ، أَخَذ الفِقْهَ عن أبى بكرِ بنِ داودَ ، وروَى عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، وعلىِّ بنِ داودَ القَنْطَرىِّ ، وأبى قِلابةَ الرَّقاشىِّ[7] ، وآخَرِين . وكان فقيهًا[8] ثِقةً فاضِلًا ، وهو الذى نشَر علمَ داودَ فى تلك البلادِ . تُوُفِّى بالسَّكْتةِ[9] .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٣٤.

(٢) وهو ابن الرومى ، وانظر المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٦٩.

(٦) تاريخ بغداد ٩/ ٣٨٥، وطبقات الفقهاء ص ١٧٧، والمنتظم ١٣/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٤٩.

(٧) فى ب ، م : «الرياشى» . وانظر الأنساب ٣/ ٨٢.

(٨) فى المنتظم : «فهما» .

(٩) السكتة : الموت الفجأة . الوسيط (س ك ت) .

أبو بكرِ بنُ زِيادٍ النَّيْسابورِيُّ[1] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ زِيادِ بنِ واصِلِ بنِ مَيْمونٍ أبو بكرٍ، الفَقِيهُ الشافعيُّ النَّيْسابُورِيُّ، مولى أَبانِ بنِ عُثمانَ، رحَل إلى العراقِ والشامِ ومِصْرَ، وسكَن بَغْدادَ، وحدَّث عن محمدِ بنِ يحيى الذُّهْلِيِّ وعباسٍ الدُّورِيِّ، وخَلْقٍ، وعنه الدارَقُطْنِيُّ وغيرُ واحدٍ مِن الحُفَّاظِ.

قال الدارَقُطْنِيُّ[2]: لم نَر فى مَشايخِنا أحْفَظَ منه للأَسانيدِ والمُتونِ، وكان أَفْقَهَ المَشايخِ، جالَس المُزَنِيَّ والربيعَ.

وقال أبو عبدِ اللَّهِ بنُ بَطَّةَ[3]: كنا نَحْضُرُ مَجْلِسَ ابنِ زِيادٍ، وكان يُحزَرُ[4] مَن يَحْضُرُه مِن أصحابِ المَحابِرِ ثلاثين ألفًا.

وقال الخَطيبُ[5]: أخْبَرَنا أبو سعدٍ الماليِنيُّ، أنا يوسُفُ بنُ عمرَ بنِ مَسْرورٍ، سمِعْتُ أبا بكرِ بنَ زِيادٍ النَّيْسابوريَّ يَقولُ: أَعْرِفُ مَن قام الليلَ أرْبَعين سنةً لم يَنَمْ إلا جاثِيًا، ويَتَقَوَّتُ كلَّ يومٍ خمسَ حَبَّاتٍ، ويُصَلِّى صلاةَ الغداةِ بطَهارةِ العِشاءِ. ثم يَقولُ: أنا هو، هذا كلُّه قبلَ أن أَعْرِفَ أمَّ عبدِ الرحمنِ، أَيْش أَقولُ لمن زوَّجَنى! ثم قال فى إثْرِ هذا: ما أراد إلا الخيرَ. تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن ستٍّ وثمانين سنةً.

عَفَّانُ بنُ سليمانَ بنِ أيوبَ أبو الحَسنِ[6] التاجرُ، أقام بمصرَ، وأَوْقَف بها

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠، وطبقات الفقهاء ص ١١٣، والمنتظم ١٣/ ٣٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣١٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢١، والمنتظم ١٣/ ٣٦٣.

(٣) المنتظم ١٣/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٤) يحزر: يقدر بالحَدْس. اللسان (ح ز ر).

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٢. وانظر المنتظم ١٣/ ٣٦٣.

(٦) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧٨، والمنتظم ١٣/ ٣٦٤.

أوْقافًا دارَّةً على أهلِ الحديثِ، وعلى سُلالةِ العشَرةِ، رضِى اللَّهُ عنهم. وكان تاجرًا مُوَسَّعًا عليه، مَقْبولَ الشَّهادةِ عندَ الحُكَّامِ، تُوُفِّى فى شعبانَ من هذه السنةِ.

أبو الحسنِ الأشْعَرىُّ[1] علىُّ بنُ إسماعيلَ بنِ أبى بِشْرٍ إسحاقَ بنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ موسى بنِ بلالِ بنِ أبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسى عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ الأشعرىُّ، قدِم بَغْدادَ، وأخَذ الحديثَ عن زكريا بنِ يحيى الساجىِّ، وتفَقَّه بابنِ سُرَيْجٍ. وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى «طَبَقاتِ الشافعيةِ».

وقد ذكر القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى «الوَفَياتِ»[2] أنه كان يَجْلِسُ فى حَلْقةِ الشيخِ أبى إسْحاقَ المَرْوَزىِّ، وقد كان مُعْتَزِلِيًّا قبلَ ذلك، فتاب منه بالبَصْرةِ فوقَ المِنْبَرِ، ثم أظْهَر فضائحَهم وقَبائحَهم، وذكَر له من التصانيفِ «المُوجَزَ» وغيرَه [٩/٣٧و]. وحَكَى عن ابنِ حَزْمٍ أنه صنَّف خمسةً وخمسين تَصْنيفًا، وذكَر أن مُغَلَّه فى كلِّ [3]سنةٍ كان سبعةَ عشَرَ درهمًا[3]، وأنه كان مِن أكثرِ الناسِ دُعابةً، وأنه وُلِد سنةَ سبعين ومائتين، وقيل: سنةَ ستين ومائتين. ومات فى هذه السنةِ، وقيل: فى سنةِ ثلاثين. وقيل: فى سنةِ بِضعٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

محمدُ بنُ الفَضْلِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو ذَرٍّ التَّمِيمىُّ[4]، كان رئيسَ جُرْجانَ،

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٥٤، والعبر ٢/ ٢٠٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٣٤٧. وانظر تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى، للحافظ ابن عساكر.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٣ - ٣) فى ب، م: «سنة سبعة عشر ألف درهم»، وفى وفيات الأعيان: «يوم سبعة عشر درهما». وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٧، وتبيين كذب المفترى ص ١٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١- ٣٣٠) ص ١٥٦.

(٤) المنتظم ١٣/ ٣٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٣٦٤.

سمِع الكثيرَ، وتفَقَّه بمذْهَبِ الشافعيِّ، وكانت دارُه مَجْمَعَ العلماءِ، وله إفْضالٌ كثيرٌ على طَلَبةِ العلمِ مِن أهلِ زَمانِه.

هارونُ بنُ المُقْتَدِرِ[1]، أخو الخَليفةِ الراضى، تُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ منها، فحزِن عليه أخوه الراضى، وأمَر بنَفْيِ بَخْتَيْشُوعَ بنِ يَحْيَى المُتَطَبِّبِ إلى الأنْبارِ؛ لأنه اتُّهِم فى عِلاجِه، ثم شفَعَت فيه أمُّ الراضى، فردَّه.

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٣٤.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] خرَج الخليفةُ الراضى وأميرُ الأُمَراءِ محمدُ بنُ رائقٍ مِن بَغْدادَ قاصِدَيْن واسطًا لقتالِ أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ نائبِ الأهْوازِ، الذى قد تجبَّر بها، ومنَع الخَراجَ، فلما سار ابنُ رائقٍ إلى واسطٍ خرَج [2]عليه الحُجَرِيَّةُ[2] وقاتَلوه، فسلَّط عليهم بَجْكَمَ فطحَنهم، ورجَع فَلُّهم إلى بَغْدادَ فتلَقَّاهم لُؤْلُؤٌ أميرُ الشُّرْطةِ، فاحْتاط على أكْثرِهم، ونُهِبَت دُورُهم، ولم يَبْقَ لهم رأسٌ يَرْتَفِعُ، وقُطِعَت أرْزاقُهم مِن بيتِ المالِ بالكُلِّيَّةِ.

وبعَث الخليفةُ وابنُ رائقٍ إلى أبى عبدِ اللَّهِ البَريدىِّ يَتَهَدَّدانِه، فأجاب إلى حَمْلِ كلِّ سنةٍ ثلاثَمائةِ ألفٍ وستين ألفَ دِينارٍ، يقومُ بِحَمْلِ كلِّ شهرٍ على حِدَتِه، وإلى أن يُجَهِّزَ جيشًا إلى قتالِ عَضُدِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ، [3]فلما رجَع الخَليفةُ إلى بَغْدادَ لم يَحْمِلْ شيئًا، ولم يَبْعَثْ أحدًا، ثم بعَث ابنُ رائقٍ بَجْكَمَ وبَدْرًا الخَرْشَنىَّ[4] لقتالِ البَرِيدىِّ، فجرَت بينَهم حُروبٌ وخُطوبٌ، وأُمورٌ يَطولُ ذِكْرُها. ثم لجأَ البَرِيدىُّ إلى عِمادِ الدولةِ[3] واسْتَجار به، واسْتَحْوَذ بَجْكَمُ على بلادِ الأهْوازِ، وجعَل إليه ابنُ رائقٍ خَراجَها، وكان بَجْكَمُ هذا شُجاعًا فاتِكًا.

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٦٦، ٣٦٧، والكامل ٨/ ٣٢٩ - ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٤٢ - ٤٧. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٠٥ - ٣١٣.

(٢ - ٢) فى ب: «الحجوبة»، وفى م: «الحجون»، وفى ظ: «الحجرة».

(٣ - ٣) سقط من: ظ.

(٤) فى الأصل: «الحرسنى»، وفى ب، ص: «الحرسى»، وفى م: «الحسينى» والمثبت مما تقدم فى صفحة ٨٨.

وفى ربيعِ الأولِ خلَع الخليفةُ على بَجْكَمَ، وعقَد له الإمارةَ ببغدادَ، وولَّاه نِيابةَ المَشْرِقِ إلى خُراسانَ.

وفيها تُوُفِّى مِن الأعْيانِ:

أبو حامدِ بنُ الشَّرْقىِّ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ، أبو حامدِ بنُ الشرقىِّ[1]، مولدُه سنةَ أربعين ومائتين، وكان حافِظًا كبيرَ القَدْرِ، كثيرَ الحِفْظِ، كثيرَ الحجِّ، رحَل إلى الأمْصارِ، وجاب الأقْطارَ، وسمِع مِن الكِبارِ. نظَر إليه ابنُ خُزَيْمةَ يومًا فقال[2]: حياةُ أبى حامدٍ تَحجُزُ بينَ الناسِ وبينَ الكذبِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سُفْيانَ، أبو الحسنِ الخزَّازُ[3] النَّحْوىُّ، حدَّث عن المُبَرِّدِ وثَعْلبٍ، وكان ثقةً، له مُصَنَّفاتٌ فى عُلومِ القرآنِ غَزيرةُ الفَوائدِ.

محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ يَحْيَى، أبو الطَّيِّبِ النَّحْوىُّ، [4]ابنُ الوشَّاءِ[4]، له مُصَنَّفاتٌ مَلِيحةٌ [٩/٣٧ظ] فى الأخْبارِ، وقد حدَّث عن الحارثِ بنِ [5]أبى أسامةَ والـمُبَرِّدِ[5] وثَعْلَبٍ وغيرِهم.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٦، والمنتظم ١٣/ ٣٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٦٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٤١.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٧، والمنتظم ١٣/ ٣٦٧.

(٣) فى الأصل: «الخراز»، وفى ب: «الحراز»، وفى م، ص: «الحرار»، وفى ظ: «الحزاز»، وفى الكامل: «الجزاز»، وفى إحدى نسخه: «الحراز». والمثبت من مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٣، والمنتظم ١٣/ ٣٦٩، وإنباه الرواة ٢/ ١٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٧٣.

(٤ - ٤) فى ب، م: «قال أبو الوفا». وانظر مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ١/ ٢٥٣، والمنتظم ١٣/ ٣٦٩، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٢، وطبقات النحاة للقاضى شهبة ص ٧٠.

(٥ - ٥) فى ب، م: «أبى المبرد وأسامة».

محمدُ [1]**بنُ أحمدَ**[1] **بنِ هارونَ ، أبو بكرٍ العَسْكرىُّ** ، الفَقِيهُ على مَذْهَبِ أبى ثَوْرٍ ، روَى عن الحسنِ بنِ عَرَفةَ وعباسٍ الدُّورىِّ ، وعنه[2] الدارَقُطْنىُّ والآجُرِّىُّ وغيرُهما .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١/ ٣٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٧٦.

(٢) فى م : «عن» .

ثم دخَلت سنةُ ستٍّ وعشرين وثلاثمائةٍ

فيها[1] ورَد كتابٌ مِن ملكِ الرومِ إلى الخليفةِ الراضِى مَكْتوبٌ بالرُّوميةِ والتَّفْسيرُ بالعَربيةِ، فأمَّا الرُّوميُّ فبالذَّهبِ، والعربيُّ بالفِضةِ، وحاصِلُه طلبُ الهُدْنةِ بينَه وبينَه، ووجَّه مع الكتابِ بهَدايا وأَلْطافٍ كثيرةٍ فاخرةٍ، فأجابه الخليفةُ إلى ذلك، وفُودِى مِن المسلمـــين ستةُ آلافِ أَسيرٍ، ما بينَ ذكرٍ وأُنْثى على [2]نهرِ البدندون[2].

وفيها ارْتَحَل الوزيرُ أبو الفَتْحِ بنُ الفُراتِ مِن بغدادَ إلى الشامِ، وترَك الوِزارةَ، فوليها أبو علىٍّ بنُ مُقْلةَ، وكانت وِلايتُه ضَعيفةً جدًّا، ليس له من الأمْرِ شىءٌ مع ابنِ رائقٍ، وطلَب مِن ابنِ رائقٍ أن يَفْرُغَ له عن أمْلاكِه، فجعَل يُماطِلُه، فكتَب إلى بَجْكمَ يُطْمِعُه فى بَغْدادَ، وأن يكونَ عِوَضًا عن ابنِ رائقٍ، وكتَب ابنُ مُقْلةَ أيضًا إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه أن يُسَلِّمَ إليه ابنَ رائقٍ وابنَ مُقاتِلٍ، ويَضْمَنَهم [3]بألْفَى ألفِ دينارٍ[3]، فبلَغ ذلك ابنَ رائقٍ، فأخَذه فقطَع يدَه، وقال: هذا أفْسَد فى الأرضِ. ثم جعَل يُحَسِّنُ للخليفةِ أن يَسْتَوْزِرَه، وأنَّ قَطْعَ يدِه لا يَمْنَعُه مِن الكِتابةِ، وأنه يَشُدُّ القلمَ على يدِه اليُمْنَى المقطوعةِ

---

(١) المنتظم ١٣/٣٧٣ - ٣٧٦، والكامل ٨/٣٤٠ - ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠) ص ٤٨ - ٥٢. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣١٤ - ٣١٦.

(٢ - ٢) فى الأصل: «نهر السندوندون»، وفى ص: «أنهما ليزيدون»، وفى ظ: «فهر البريدون». والمثبت موافق لما فى الكامل. وانظر مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ٢٤/١٤١.

(٣ - ٣) فى م: «ألفى دينار»، وفى تكملة الطبرى والكامل: «ثلاثة آلاف ألف دينار».

فيَكْتُبُ بها . [1] ثم بلَغ ابنَ رائقٍ أنه قد كتَب إلى بَجْكمَ بما تقدَّم ، وأنه يَدْعُو عليه [1] ، فأخَذه فقطَع لسانَه ، وسجَنه فى مكانٍ ضَيِّقٍ ، وليس عندَه مَن يَخْدُمُه ، فكان يَسْتَقِى الماءَ بنَفْسِه ؛ يَتَناوَلُ [2] الحبلَ مِن البئرِ [2] بيدِه اليُسْرَى ، ثم يُمْسِكُه بفيه ، ولقِى شِدَّةً وعَناءً ، ومات فى مَحْبِسِه هذا وَحيدًا ، فدُفِن هناك ، ثم سأَل أهلُه نَقْلَه فدُفِن فى دارِه ، ثم نُقِل منها إلى غيرِها ، فاتَّفَق له أشْياءُ غَريبةٌ ؛ منها أنه وَزَر ثلاثَ مَرَّاتٍ ، وعُزِل ثلاثَ مَرَّاتٍ ، وولِى لثلاثةٍ مِن الخُلَفاءِ [3] ، ودُفِن ثلاثَ مراتٍ ، وسافَر فى عمرِه ثلاثَ سَفَراتٍ ؛ مرتينَ مَنْفِيًّا ، ومرةً فى وِزارتِه إلى المَوْصِلِ كما تقدَّم .

وفيها دخَل بَجْكمُ بغدادَ ، فقلَّده الراضى إمْرةَ الأُمَراءِ مكانَ ابنِ رائقٍ ، وقد كان بَجْكمُ هذا مِن غِلْمانِ أبى علىٍّ العارِضِ وزيرِ ماكانَ بنِ كالى الدَّيْلَمىِّ ، فاسْتَوْهَبه ماكانُ مِن الوزيرِ ، فوهَبه له ، ثم فارَق ماكانَ ، ولحِق بمَرْداوِيجَ ، وكان فى جُمْلةِ مَن قتَله فى الحَمَّامِ ، كما تقدَّم [4] .

وسكَن بَجْكمُ بدارِ مُؤْنِسِ الخادمِ ، وعظُم أمْرُه جدًّا ، وانْفَصَل ابنُ رائقٍ ، وكانت أيامُه سنةً وعشَرةَ أشْهرٍ وستةَ عشَرَ يومًا .

وفيها بعَث عِمادُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ أخاه مُعِزَّ الدولةِ ، فأخَذ بلادَ الأهْوازِ لأبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ ، وانْتَزَعها مِن يدِ بجكمَ ، وأعادها إليه .

وفيها اسْتَوْلَى [٣٨/٩و] لَشْكَرى [5] أحدُ أُمَراءِ وُشْمَكِيرَ الدَّيْلَمىِّ على بلادِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص ، ظ . والدعاء كان على ابن رائق .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « الدلو » .

(٣) والخلفاء هم : المقتدر والقاهر والراضى ، كما سيأتى فى صفحة ١٢٣ .

(٤) تقدم فى صفحتى ٨١ ، ٩٠ .

(٥) فى ظ : « كشكرى » ، وفى إحدى نسخ الكامل : « السبكرى » .

أَذْرَبِيجانَ ، وانْتَزَعَها مِن رُسْتُمَ[1] بنِ إبراهيمَ الكُرْدِيِّ ، أحدِ أصْحابِ ابنِ أبى الساجِ ، بعدَ قِتالٍ طَويلٍ .

وفيها اضْطَرَب أمْرُ القَرامِطةِ جدًّا ، وقتَل بعضُهم بعضًا ، وانْكَفُّوا بسببِ قلَّتِهم عن التَّعَرُّضِ للفَسادِ فى الأرضِ ، ولزِموا بلدَهم هَجَرَ ، لا يَرُومون منه انْتِقالًا إلى غيرِه . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها تُوفِّى أحمدُ بنُ زِيادِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأَنْدَلُسىُّ[2] ، كان أبوه مِن أصْحابِ مالكٍ ، وهذا الرجلُ هو أولُ مَن أدْخَل فِقْهَ مالكٍ إلى الأَنْدَلُسِ ، وقد عُرِض عليه القَضاءُ بها فلم يَقْبَلْ .

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى مصدر التخريج : « ديسم » .

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ص ٢٣، والمنتظم ١٣/ ٣٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ١٨٥.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وعشرين وثلاثمائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] خرَج الراضى باللَّهِ أميرُ المؤمنين مِن بغدادَ إلى المَوْصِلِ لمُحارَبةِ ناصرِ الدولةِ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَمْدانَ نائبِها ، وبينَ يديه بَجْكمُ أميرُ الأُمَراءِ ، وقاضى القُضاةِ أبو الحُسَيْنِ عمرُ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ ، وقد اسْتَخْلَف على بغدادَ ولدَه القاضىَ أبا نصرٍ يوسفَ بنَ عمرَ ، عن أمْرِ الخليفةِ له بذلك . وكان عالِمًا فاضِلًا ، ولما انْتَهَى بَجْكمُ إلى الموصِلِ [2]والجزيرةِ[2] واقَع الحسنَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حَمْدانَ ، فهزَم بَجْكمُ الحسنَ بنَ حَمْدانَ ، وقرَّر الخليفةُ أمْرَ المَوْصِلِ والجَزيرةِ .

وأمَّا محمدُ بنُ رائقٍ فإنه اغْتَنَمَ غَيْبَةَ الخَليفةِ عن بغدادَ ، واستَجاش بألفٍ مِن القَرامِطةِ ، وجاء فدخل بهم بغدادَ ، فأكْثَر فيها الفسادَ ، غيرَ أنه لم يَتَعَرَّضْ لدارِ الخِلافةِ ، ثم بعَث إلى الخَليفةِ يَطْلُبُ منه المُصالحةَ والعَفْوَ عما جنَى ، فأجابه إلى ذلك ، وبعَث إليه قاضىَ القُضاةِ أبا الحسينِ عمرَ بنَ محمدِ بنِ يوسُفَ ، وترَحَّل ابنُ رائقٍ عن بغدادَ ، ودخَلها الخَليفةُ فى جُمادَى الأُولَى من هذه السنةِ ، ففرِح المسلمون بذلك .

ونزَل عندَ غُروبِ الشمسِ أولَ ليلةٍ مِن شهرِ آذارَ[3] وذلك فى جُمادَى

---

(١) المنتظم ٣٧٧/١٣ - ٣٨١، والكامل ٣٥٣/٨ - ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠) ص ٥٣ - ٥٥. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣١٧ - ٣١٩.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م ، ظ .

(٣) آذار : هو شهر مارس من الشهور الرومية (الميلادية) .

الأُولَى ، مَطَرٌ عَظيمٌ ، وبَرَدٌ كِبارٌ ، كلُّ واحدةٍ نحوَ الأُوقِيَّتَين ، واسْتَمَرَّ فسقَط بسببِه دُورٌ كثيرةٌ مِن بغدادَ . وظهَر جَرادٌ كثيرٌ فى هذه السنةِ ، وكان الحجُّ مِن جهةِ دَرْبِ العِراقِ قد تَعطَّل مِن سنةِ سبعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ إلى هذه السنةِ ، فشفَع الشَّريفُ أبو علىٍّ عمرُ بنُ يَحْيَى العَلَوِىُّ عندَ القَرامِطةِ ، وكانوا يُحِبُّونه لشَجاعتِه وكَرَمِه ، فى أن يُمَكِّنوا الحَجيجَ مِن الحجِّ ، وأن يكونَ لهم على كلِّ جَمَلٍ خمسةُ دَنانِيرَ ، وعلى المحْمِلِ سَبْعةُ دَنانيرَ ، فخرج الناسُ للحَجِّ فى هذه السنةِ على هذا الشَّرْطِ ، فكان من جُمْلةِ مَن خرَج الشيخُ أبو علىٍّ بنُ أبى هُرَيرةَ أحدُ أئمةِ الشافعيةِ ، فلما اجْتاز بهم طالَبوه بالخُفارةِ[1] ، فثنَى رأسَ راحِلَتِه ورجَع ، وقال : ما رجَعْتُ شُحًّا ، ولكن سقَط عنى وجوبُ الحَجِّ بطَلَبِ هذه الخُفارةِ .

وفى هذه السنةِ وقَعَت فِتْنةٌ بالأنْدَلُسِ ، وذلك أن عبدَ الرحمنِ الأُمَوىَّ صاحبَ الأَنْدَلُسِ المُلَقَّبَ بالناصرِ لدينِ اللَّهِ ، قتَل وزيرَه أحمدَ ، فغضِب له أخوه أُمَيةُ بنُ إسْحاقَ - وكان نائبًا على مدينةِ شَنْتَرِينَ[2] - فارْتَدَّ ودخَل بلادَ النَّصارَى ، واجْتَمَع بمِلِكِهم رُدميرَ ، ودَلَّه على عَوْراتِ المسلمين ، فسار إليهم فى جيشٍ كَثيفٍ مِن الجَلالِقةِ ؛ فخرَج إليه الأُمَوِىُّ ، [٩/٣٨ظ] فأوْقَع به بَأْسًا شديدًا ، وقتَل مِن الجَلالِقةِ خَلْقًا كثيرًا ، ثم كرَّ الفِرَنْجُ على المسلمين ، فقتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا قريبًا ممن قتَلوا منهم ، ثم والَى المسلمون الغاراتِ على بلادِ الجَلالِقةِ ، فقتَلوا منهم أُمَمًا لا يُحْصَون كَثْرةً ، ثم ندِم أُميةُ بنُ إسْحاقَ على ما صنَع ، وطلَب الأمانَ مِن عبدِ الرحمنِ ، فبعَث إليه بالأمانِ ، فلما قدِم عليه قبِله واحْتَرَمه .

---

(١) الخفارة : أجرة الخفير . والمراد هنا أخذ المُكْس من الحجاج . الوسيط (خ ف ر) .

(٢) شنترين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة فى غربى الأندلس ثم غربى قرطبة . معجم البلدان ٣/ ٣٢٧.

وممَّن تُوفِّىَ فى هذه السنةِ من الأعيانِ :

الحسنُ بنُ (١) القاسمِ بنِ دُحَيْمٍ (١) ، أبو علىٍّ الدِّمشقىُّ ، مِن أبْناءِ المحدِّثِين ، وكان أخْبارِيًّا ، له فى ذلك مُصَنَّفاتٌ ، وقد حدَّث عن العباسِ بنِ الوليدِ البَيْروتىِّ (٢) وغيرِه . وكانت وفاتُه بمصرَ فى مُحَرَّمِ هذه السنةِ ، وقد أناف على الثمانين سنةً .

الحسينُ بنُ القاسمِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ خالدِ بنِ بشرٍ ، أبو علىٍّ الكَوْكَبِىُّ الكاتبُ (٣) ، صاحبُ الأخْبارِ والآدابِ ، روَى عن أحمدَ بنِ أبى خَيْثَمةَ وأبى العَيْناءِ وابنِ أبى الدنيا . وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه .

عثمانُ بنُ الخَطَّابِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عمرٍو البَلَوىُّ المَغْرِبىُّ الأشَجُّ (٤) ، ويُعْرَفُ (٥ بأبى الدنيا ٥) . قدمِ هذا الرجلُ بغْدادَ بعدَ الثلاثِمائةِ ، وزعَم أنه وُلِد أولَ خِلافةِ أبى بكرٍ الصديقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، ببلادِ المغربِ ، وأنه وفَد هو وأبوه إلى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فأصابَهم فى الطريقِ عَطَشٌ شديدٌ فذهَب

(١ - ١) فى النسخ : « القاسم بن جعفر بن دحيم » . ولعله انتقال نظر من الناسخ إلى الترجمة التالية لهذه الترجمة . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ دمشق ١٣/ ٣٤٧، والمنتظم ١٣/ ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٠٣، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٠٣.

(٢) فى الأصل : « السدوسى » ، وفى ص ، ظ : « البيرونى » ، وكذا وقع فى الوافى بالوفيات ، وأشار محققه أن « السدوسى ، والبيرونى تحريف » والصواب ما ذكرناه . وانظر الأنساب ١/ ٤٢٨. واللباب ١/ ١٦٠.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٨٦، والمنتظم ١٣/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٠٤.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٢٩٧، والمنتظم ١٣/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢١٠.

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص ، ظ : « بابن أبى الدنيا » . وانظر مصادر ترجمته .

يَرْتادُ لأبيه ماءً، فرأَى عينًا، فشرِب منها واغْتَسل، ثم جاء إلى أبيه ليَسْقِيَه، فمات أبوه، وقدِم هو على عليِّ بنِ أبى طالبٍ، فأراد أن يُقَبِّلَ رُكْبتَه، فصدَمه الرِّكابُ، فشجَّ رأسَه، فكان يُعْرَفُ بالأَشَجِّ.

وصدَّقَه فى هذا الزعْمِ طائفةٌ مِن الناسِ، ورَوَوْا عنه نُسْخةً فيها أحاديثُ مِن رِوايتِه عن عليٍّ؛ ممَّن صدَّقه فى ذلك الحافظُ محمدُ بنُ أحمدَ المُفِيدُ[1]، ورَواها عنه، ولكن كان المُفِيدُ مُتَّهَمًا بالتَّشَيُّعِ، فسمَح له فى ذلك لانْتِسابِه إلى عليٍّ، وأما جُمْهورُ المحدِّثين قديمًا وحديثًا، فكذَّبوه فى ذلك، وردُّوا عليه كَذِبَه، ونصُّوا على أن النُّسْخةَ التى رواها مَوْضوعةٌ؛ منهم الحافظُ أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ السِّلَفىُّ، وأَشْياخُنا الذين أدْرَكْناهم[2]؛ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، والجِهْبِذُ أبو الحَجَّاجِ المِزِّىُّ، والحافظُ مُؤَرِّخُ الإسْلامِ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ، وقد حرَّرْتُ ذلك فى كتابى «التَّكْميلِ». وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

قال المُفِيدُ[3]: بلَغَنى أن الأَشَجَّ هذا مات سنةَ سبعٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ، وهو راجِعٌ إلى بلدِه.

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ سهلٍ، أبو بكرٍ الخَرائِطىُّ[4]، صاحبُ المُصَنَّفاتِ، أصْلُه مِن أهلِ سُرَّ مَن رأَى[5]، وسكَن الشامَ، وحدَّث بها عن الحسنِ

---

(١) فى ب، م، ص: «بن المفيد».

(٢) بعده فى ب، م: «جهبذ الوقت».

(٣) المنتظم ١٣/ ٣٨١.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٣٩، والمنتظم ١٣/ ٣٨١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢١٤.

(٥) سر من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة، وسامَرَّاء لغة فيها. معجم البلدان ٣/ ١٤.

ابنِ عَرَفةَ وغيرِه .

وممَّن تُوفِّى فيها :

الحافظُ الكبيرُ ابنُ الحافظِ الكبيرِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ محمدِ بنِ إدْرِيسَ الرازىُّ[1] ، صاحبُ كتابِ « الجَرْحِ والتَّعْديلِ » ، وهو مِن أجَلِّ الكتبِ المَصنَّفةِ فى هذا الشَّأْنِ ، وله التَّفْسيرُ الحافِلُ الذى اشْتَمَل على النَّقْلِ الكاملِ ، الذى يُرْبِى[2] فيه على تفْسيرِ ابنِ جَريرٍ وغيرِه مِن المُفَسِّرين ، [٩/٣٩و] وله كتابُ « العِلَلِ » المُصَنَّفَةِ المُرَتَّبةِ على أبْوابِ الفِقْهِ ، وغيرُ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ النافعةِ ، وكان مِن العِبادةِ والزَّهادةِ والوَرَعِ والحِفْظِ والكَراماتِ الكثيرةِ المَشْهورةِ على جانبٍ كبيرٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكرمَ مثواه .

وقد صلَّى مرةً ، فلما سلَّم قال له رجلٌ مِن بعضِ مَن صلَّى معه : لقد أطَلْتَ علينا ، وقد سبَّحْتُ فى سُجودى سبعين مَرَّةً . فقال عبدُ الرحمنِ : لكنى واللَّهِ ما سبَّحْتُ إلا ثلاثَ مراتٍ . وتهدَّم سُورُ بعضِ بلادِ الثُّغورِ فتكلَّمَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ يومًا على الناسِ وحثَّهم على عِمارتِه[3] ؛ فقال : مَن يَعْمُره وأَضْمَنُ له على اللَّهِ الجنةَ ؟ فقام رجلٌ مِن التُّجَّارِ فقال : اكْتُبْ لى بخَطِّك هذا الضَّمانَ ، وهذه ألفُ دينارٍ لِعمارتِه . فكتَب له رُقْعةً بذلك وعمَر ذلك السورَ ، ثم اتَّفَق مَوْتُ ذلك الرجلِ عمّا قَريبٍ ، فلما حضَر الناسُ جِنازَتَه طارَتْ مِن كَفَنِه رُقْعةٌ ، وهى

---

(١) طبقات الحنابلة ٢/ ٥٥، وتاريخ دمشق ٣٣٦/٤١ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٠٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٣٢٤، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٧٩.

(٢) فى ظ : « يروى » ، وفى م : « يربو » .

(٣) بعده فى ب ، م : « فرأى عندهم تأخرًا » .

التى كان كتَبها ابنُ أبى حاتمٍ ، (١ وإذا فى ظَهْرِها مَكْتوبٌ ١) : قد أمْضَيْنا لك هذا الضَّمانَ ، ولا تَعُدْ إلى ذلك .

(١ - ١) فى الأصل، ص، ظ : «ثم عادت وقد كتب فى ظاهرها» .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[2] : فى غُرَّةِ المُحَرَّمِ منها ظهَرت فى الجَوِّ حُمْرةٌ شَديدةٌ مِن ناحيةِ الشَّمالِ والمغربِ ، وفيها أَعْمِدةٌ بِيضٌ عَظيمةٌ كثيرةُ العددِ .

وفيها وصَل الخبرُ بأن رُكْنَ الدولةِ أبا علىٍّ الحسنَ بنَ بُوَيْهِ الدَّيْلمىَّ وصَل إلى واسِطٍ ، فركِب الخليفةُ وبَجْكمُ لقتالِه فانْصَرَف راجعًا[3] ، ورجعا إلى بغدادَ .

وفى هذه السنةِ ملَك رُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ مدينةَ أصْبَهانَ ، أخَذها مِن وُشْمَكيرَ أخى مَرْداوِيجَ ؛ لقلةِ جيشِه فى ذلك الحينِ .

وفى شعبانَ زادَت دِجْلةُ زِيادةً عظيمةً ، وانْتَشَرت فى الجانبِ الغرْبىِّ ، وسقَطَت دُورٌ كثيرةٌ ، وانْبَثَق بَثْقٌ[4] مِن نَواحى الأنْبارِ ، فغرَّق قُرًى كثيرةً ، وهلَك بسببِه حَيواناتٌ وسِباعٌ كثيرةٌ فى البَرِّيَّةِ .

وفيها تزَوَّج بَجْكمُ بسارَةَ بنتِ أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ ، وهو محمدُ بنُ أحمدَ ابنِ يَعْقوبَ الوزيرُ يومَئذٍ ببَغْدادَ ، ثم صُرِف عن الوِزارةِ بسليمانَ بنِ الحسنِ ، وضمِن البَرِيدىُّ بلادَ واسطٍ وأعْمالَها بستِّمائةِ ألفِ دينارٍ .

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٨٢، والكامل ٨/ ٣٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٥٦. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ٣٢٠.

(٢) المنتظم ١٣/ ٣٨٢.

(٣) بعده فى ب ، م : « إلى الأهواز » .

(٤) البثق : موضع انبثاق الماء من نهر ونحوه . الوسيط (ب ث ق) .

وفيها تُوُفِّى قاضى القُضاةِ (١أبو الحسينِ١) عمرُ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ ، وتوَلَّى مكانَه ولدُه أبو نصرٍ يوسُفُ بنُ عمرَ بنِ محمدِ بنِ يوسُفَ ، وخلَع عليه الراضى يومَ الخميسِ لخمسٍ بقِين مِن شعبانَ منها . ولما خرَج أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ إلى واسِطٍ كتَب إلى بَجْكمَ يَحُثُّه على الخروجِ إلى بلادِ الجَبَلِ (٢) ليَفْتَحَها ويُساعِدَه هو على أخْذِ الأهْوازِ مِن يدِ عِمادِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، وإنما كان مَقْصودَه أن يسْتَغْيِبَه عن بَغْدادَ ليَأْخُذَها ، فلما انْفَصَل بَجْكمُ بالجُنودِ بلَغه ما يُؤَمِّلُه أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ مِن المَكيدةِ ، فرجَع سريعًا إلى بغدادَ ، وركِب فى جيشٍ كَثيفٍ إليه ، وأخَذ الطرقَ مِن كلِّ جانبٍ ؛ لئلا يَشْعُرَ به إلا وهو (٣عنده على حافَّةِ السفينةِ٣) ، فاتَّفَق أنه كان راكبًا فى زَوْرقٍ ، وعندَه كاتبٌ له إذ سقَطَت حَمامةٌ على جانبِ السفينةِ فى ذَنَبِها كتابٌ ، فأخَذه بَجْكمُ ، [٣٩/٩ظ] (٤فقرَأه فإذا فيه كتابٌ مِن هذا الكاتبِ إلى بعضِ أصْحابِ البَرِيدىِّ يُعْلِمُهم بخبرِ بَجْكمَ٤) ، فقال له : ويحَك ! أهذا خطُّك ؟ قال : نعم . ولم يَقْدِرْ على الإنكارِ ، فأمَر بقَتْلِه ، فقُتِل وأُلْقِىَ فى دِجْلةَ . وحين أحسَّ البَرِيدىُّ بقُدومِ بَجْكمَ هرَب إلى البَصْرةِ ، ولم يُقِمْ بها أيضًا ، فاستولى بَجْكمُ على بلادِ واسطٍ ، وتسَلَّط الدَّيْلَمُ على جيشِه الذين خلَّفهم بالجبلِ ، ففرُّوا سِراعًا إلى بغدادَ .

وفى هذه السنةِ اسْتَوْلَى محمدُ بنُ رائقٍ على بلادِ الشامِ ، فدخَل حمصَ أولًا

(١ - ١) فى النسخ : « أبو الحسن » وهو خطأ ، وقد تقدم ذكره فى صفحة ١٠٩. وستأتى ترجمته فى صفحة ١٩٤.

(٢) فى ص ، ظ : « الخيل » . قال ياقوت فى معجم البلدان ٢/ ٢٢: « الجبل هو اسم جامع لهذه الأعمال التى يقال لها الجبال ... والعامة فى أيامنا يسمونها العراق » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « عليه » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ظ .

فأخَذها ، ثم جاء إلى دمشقَ وعليها بدرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الإخْشِيدِيُّ المعروفُ ببُدَيرٍ ، من جهةِ الإخْشِيدِ[1] محمدِ بنِ طُغْجٍ ، فأخْرَجه ابنُ رائقٍ منها قَهْرًا ، واسْتَوْلَى عليها .

ثم ركِب فى جيشٍ إلى الرَّمْلةِ فأخَذها ، ثم قصَد عَرِيشَ مصرَ ؛ ليَدخُلَها فلقِيَه محمدُ بنُ طُغْجٍ ، فاقْتَتلا هنالك ، فهزَمه ابنُ رائقٍ ، واشْتَغل أصْحابُه بالنَّهْبِ ، ونزَلوا فى خِيامِ المِصْريين ، فكرَّ عليهم المِصْريون ، فقتَلوهم قَتْلًا عظيمًا ، وهرَب محمدُ بنُ رائقٍ فى سبعين رجلًا مِن أصْحابِه ، فدخَل دمشقَ فى أسْوَأِ حالةٍ وشرٍّها ، وسيَّر إليه محمدُ بنُ طُغْجٍ أخاه نصرَ بنَ طُغْجٍ فى جيشٍ ، فاقْتَتلوا عندَ اللَّجُّونِ[2] فى رابعِ ذى الحِجَّةِ ، فهُزِم المِصريون وقُتِل أخو الإخْشِيدِ فيمَن قُتِل ، فغسَّله محمدُ بنُ رائقٍ وكفَّنه ، وبعَث به إلى أخيه بمصرَ ، وأرْسَل معه ولدَه ، وكتَب إليه يَحْلِفُ له أنه ما أراد قَتْلَه[3] ، وهذا وَلَدى فاقْتَدْ منه . فأكْرَم الإخْشِيدُ ولدَ محمدِ بنِ رائقٍ ، واصْطَلَحا على أن تكونَ الرَّمْلةُ وما بعدَها [4]إلى دِيارِ مصرَ[4] للإخْشِيدِ ، ويَحْمِلَ إليه الإخْشِيدُ فى كلِّ سنةٍ مائةَ ألفِ دينارٍ وأرْبَعين ألفَ دينارٍ ، وما بعدَ الرَّمْلةِ[5] يكونُ لمحمدِ بنِ رائقٍ .

ومِمن تُوفِّى فى هذه السنةِ :

جعفرٌ المُرْتَعِشُ ، أبو محمدٍ[6] أحدُ مشايخِ الصُّوفيةِ ، كذا ذكَره الخطيبُ .

---

(١) الإخشيد : ملك الملوك بلغة أهل فرغانة . انظر تاج العروس (خ ش د) .

(٢) اللجون : بلد بالأردن . معجم البلدان ٤/ ٣٥١.

(٣) بعده فى ب ، م : «ولقد شق عليه» .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص ، ظ .

(٥) بعده فى ب ، م : «إلى جهة دمشق» .

(٦) طبقات الصوفية ص ٣٤٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٢١، والمنتظم ١٣/ ٣٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٥٢.

وقال أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمىُّ[1] : اسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، أبو محمدٍ النَّيْسابورِىُّ ، كان مِن ذَوِى الأمْوالِ ، فتخَلَّى عنها ، وصحِب الجُنَيْدَ وأبا حفصٍ وأبا عثمانَ ، وأقام ببَغْدادَ حتى صار شيخَ الصُّوفيةِ ، فكان يقالُ : عَجائبُ بغدادَ ثلاثٌ ؛ إشاراتُ الشِّبْلىِّ ، ونُكَتُ المُرْتَعِشِ ، وحكاياتُ جعفرٍ الخَوَّاصِ .

سمِعْتُ [2]أبا الفرجِ[2] الصائغَ يقولُ : قال المُرْتَعِشُ : مَن ظنَّ أن أفْعالَه تُنَجِّيه مِن النارِ أو تُبَلِّغُه الرِّضوانَ فقد جعَل لنفسِه ولفِعْلِه خَطَرًا ، ومَن اعْتَمَد على فَضْلِ اللَّهِ بلَّغَه اللَّهُ أقْصَى مَنازِلِ الرِّضْوانِ .

وقيل للمُرْتَعِشِ : إن فلانًا يَمْشِى على الماءِ . فقال : إن مُخالَفةَ الهَوَى أعْظَمُ مِن المَشْيِ على الماءِ[3] .

ولما حضَرَتْه الوَفاةُ وهو بمسجدِ الشُّونيزِيَّةِ[4] حسَبوا ما عليه مِن الدَّيْنِ ، فإذا عليه سبعةَ[5] عشَرَ درهمًا ، فقال : بِيعوا خُرَيْقاتى هذه واقْضُوا بها دَيْنى ، وأَرْجُو أن يرْزُقَنى اللَّهُ كَفَنًا ، وقد سأَلْتُ اللَّهَ ثلاثًا ؛ سألتُه أن يُميتَنى وأنا فَقِيرٌ ، وأن يَجْعَلَ وَفاتى فى هذا المسجدِ ، فإنى صحِبْتُ فيه أقوامًا ، وأن يَجْعَلَ عندى مَن آنَسُ به وأُحِبُّه . ثم غمَّض عينَيْه ومات .

أبو سعيدٍ الإصْطَخْرىُّ ، الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ يزيدَ بنِ عيسى بنِ الفَضْلِ بنِ بَشارٍ[6] ، أبو سعيدٍ [٩/٤٠و] الإصْطَخْرىُّ ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ ، وكان زاهدًا

---

(١) طبقات الصوفية ص ٣٤٩.

(٢ - ٢) فى ب ، م ، ظ : « أبا جعفر » . والمثبت موافق لما فى المنتظم .

(٣) بعده فى ب ، م : « والطيران فى الهواء » .

(٤) الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربى دفن فيها جماعة من الصالحين . معجم البلدان ٣/ ٣٣٨.

(٥) فى المنتظم : « بضعة » .

(٦) فى النسخ : « يسار » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٨، وطبقات الفقهاء ص ١١١،=

ورِعًا ناسِكًا عابدًا ، ولِىَ القضاءَ بقُمَّ[1] ، ثم حِسْبةَ بغدادَ ، فكان يَدورُ بها ويُصَلِّى على بَغْلَتِه وهو سائرٌ بينَ الأَزِقَّةِ ، وكان مُتَقَلِّلًا جدًّا . وقد ذكَرْنا تَرْجَمتَه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » بما فيه كفايةٌ ، وله كتابُ « القَضاءِ » لم يُصَنَّفْ مثلُه فى بابِه . تُوُفِّى وقد قارَب التِّسْعين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

علىُّ بنُ محمدٍ ، أبو الحسنِ المُزَيِّنُ الصغيرُ[2] أحدُ مَشايخِ الصُّوفيةِ ، أصْلُه مِن بغدادَ ، وصحِب الجُنَيْدَ وسَهْلًا التُّسْتَرِىَّ ، وجاوَر بمكةَ حتى تُوُفِّى بها فى هذه السنةِ وقال - ويَحْكِى عن نَفْسِه - : ورَدْتُ بئرًا فى أرضِ تَبوكَ ، فلمَّا دنَوْتُ منها زلَقْتُ فسقَطْتُ فى البئرِ ، وليس أحدٌ يرَانى ، فلما كنتُ فى أسْفَلِها إذا فيها مِصْطَبَةٌ ، فعلوتُها وقلتُ : إن مِتُّ لا أُفْسِدْ على الناسِ الماءَ . وسكَنتْ نَفْسى ، وطابَت للموتِ ، فبَيْنا أنا كذلك إذا أفْعًى قد تدَلَّت علىَّ فلفَّت علىَّ ذنَبَها ، ثم رفَعَتْنى حتى أخْرَجَتْنى إلى وجهِ الأرضِ ، وانْسابَت فلم أَدْرِ أين ذهَبَت ، ولا مِن أين جاءَت .

وفى مشايخِ الصُّوفيةِ آخَرُ يقالُ له : أبو جعفرٍ المُزَيِّنُ الكبيرُ[3] ، جاوَر بمكةَ ، ومات بها أيضًا ، وكان مِن العُبَّادِ .

= والمنتظم ١٣/ ٣٨٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٢٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٢٣٠.

(١) قم : كلمة فارسية ، وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها . وأول من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعرى . انظر معجم البلدان ٤/ ١٧٥.

(٢) طبقات الصوفية ص ٣٨٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ٧٣، والمنتظم ١٣/ ٣٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٥١.

(٣) رجح الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء أنهما واحد . وانظر المنتظم الموضع السابق وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٥١.

روَى الخَطيبُ[1] عن عليِّ بنِ أبى عليٍّ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ الطَّبَرىِّ ، عن جعفرٍ الخُلْدِىِّ قال : ودَّعْتُ فى بعضِ حَجَّاتى المُزَيِّنَ الكبيرَ فقلتُ له : زَوِّدْنى . فقال لى : إذا فقَدْتَ شيئًا فقلْ : يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه ، إن اللَّهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ ، اجْمَعْ بينى وبينَ كذا . فإن اللَّهَ يَجْمَعُ بينَك وبينَ ذلك الشىءِ . قال : فجئْتُ إلى الكَتَّانىِّ ، فودَّعْتُه وسألْتُه أن يُزَوِّدَنى ، فأعْطانى خاتَمًا على فَصِّه نَقْشٌ فقال : إذا اغْتَمَمْتَ فانْظُرْ إلى هذا الفَصِّ يَزُلْ غَمُّك[2] . قال : فكنتُ لا أَدْعُو بذلك الدُّعاءِ إلا اسْتُجِيب لى ، ولا أَنْظُرُ إلى ذلك الفَصِّ إلا زال عنِّى ما أجدُه ، فبينا أنا ذاتَ يومٍ فى سُمَيْرِيَّةٍ[3] إذ هبَّت ريحٌ شديدةٌ ، فأخْرَجْتُ الخاتَمَ لأَنْظُرَ إليه ، فلم أَدْرِ كيف ذهَب ، فجعَلْتُ أَدْعُو بذلك الدُّعاءِ يومى كلَّه ، فلما رجَعْتُ إلى المنزلِ فتَّشْتُ المتاعَ الذى فى المَنْزِلِ ، فإذا الخاتَمُ فى بعضِ ثيابى التى كانتْ بالمَنْزِلِ .

صاحبُ كتابِ « العِقْدِ الفريدِ » أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ رَبِّه بنِ حَبيبِ بنِ حُدَيْرِ بنِ سالمٍ ، أبو عمرَ القُرْطُبىُّ[4] ، مَوْلَى هشامِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُعاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكَمِ الأُمَوىِّ ، كان مِن الفُضَلاءِ المُكْثِرين ، والعُلَماءِ بأخْبارِ الأوَّلين والمُتَأَخِّرين ، وكِتابُه « العِقْدُ » يَدُلُّ على فَضائلَ جَمَّةٍ ،

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ١٣/ ٣٨٨، ٣٨٩، من طريق الخطيب البغدادى أحمد بن على بن ثابت به .

(٢) فى الأصل ، ص ، ظ : « همك » .

(٣) السُّمَيْرِيَّة : ضرب من السفن . الوسيط (س م ر) .

(٤) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٨، ويتيمة الدهر للثعالبى ٢/ ٥، وجذوة المقتبس ص ١٠١، ومعجم الأدباء ٤/ ٢١١، ووفيات الأعيان ١/ ١١٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٢١، والوافى بالوفيات ٨/ ١٠.

وعُلومٍ كثيرةٍ مُهِمَّةٍ ، ولكنه يَدُلُّ كثيرٌ مِن كلامِه على تَشَيُّعٍ فيه ، ومَيْلٍ إلى الحَطِّ على بنى أُمَيةَ ، وهذا عَجيبٌ منه ؛ لأنه أحدُ مَوالِيهم ، وكان الأَوْلَى به أن يَكونَ مِمَّن يُوالِيهم لا مِمَّن يُعادِيهم .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : وله دِيوانُ شعرٍ حَسَنٌ . ثم أَوْرَد منه أَشْعارًا فى التَّغَزُّلِ فى المُرْدانِ والنِّسْوانِ أيْضًا ، وكان مَولِدُه فى رَمضانَ سنةَ ستٍّ وأربعين ومائتَيْن ، وتُوُفِّى بقُرْطُبةَ يومَ الأحدِ [٩/٤٠ظ] ثامنَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ .

عمرُ بنُ أبى عمرَ محمدِ بنِ يوسُفَ بنِ يَعْقوبَ بنِ إسماعيلَ بنِ حمَّادِ بنِ زيدِ بنِ دِرْهمٍ ، أبو الحسينِ الأَزْدِىُّ[2] ، الفَقيهُ المالكىُّ القاضى ابنُ القاضى ، ناب عن أبيه وعمرُه عشرون سنةً ، وكان حافِظًا للقُرآنِ والحديثِ والفِقْهِ على مَذْهَبِ مالكٍ ، والفَرائِضِ والحسابِ واللُّغةِ والنَّحْوِ والشِّعْرِ . وصنَّف مُسْنَدًا ، ورُزِق قوةَ الفَهْمِ وجَوْدةَ القَرِيحةِ ، وشَرَفَ الأَخْلاقِ ، وله الشعرُ الرائقُ الحسَنُ ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ فى القَضاءِ ، عَدْلًا ثِقةً إمامًا .

قال الخَطيبُ[3] : أَخْبَرَنا أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرىُّ : سمِعْتُ المُعافَى بنَ زكريا الجَرِيرىَّ يَقولُ : كنا نَجْلِسُ فى حَضْرةِ القاضى أبى الحسينِ ، فجِئْنا يومًا نَنْتَظِرُه على العادةِ ، فجلَسْنا عندَ بابِه ، وإذا أعْرابىٌّ جالسٌ كأنَّ له حاجةً ، إذ وقَع غُرابٌ على نَخْلةٍ فى الدارِ ، فصرَخ ثم طار . فقال الأعْرابىُّ : هذا الغُرابُ يقولُ إنَّ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١١٠.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٢٩، والمنتظم ١٣/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٣٣، والعبر ٢/ ٢١٣.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٢.

صاحبَ هذه الدارِ يَموتُ بعدَ سبعةِ أيامٍ . قال : فزبَرْناه[1] ، فقام وانْصَرَف ، ثم خرَج الإذْنُ مِن القاضى إلينا أن هَلُمَّ فادخلوا ، فدخَلْنا فإذا به مُتَغيِّرُ اللونِ مُغْتَمٌّ ، فقلْنا : ما الخبرُ؟ فقال : إنى رأيْتُ البارحةَ فى المَنامِ شخصًا يَقولُ :

مَنازلَ آلِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ على أهْلِيك والنِّعَمِ السَّلامُ

وقد ضاق لذلك صَدْرى . قال : فدعَوْنا له وانْصَرَفْنا . فلما كان اليومُ السابعُ مِن ذلك اليومِ دُفِن .

وقد كانت وفاتُه ليومِ الخميسِ لسبعَ عشْرةَ مضَت مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ تسعٌ وثلاثون سنةً ، وصلَّى عليه ابنُه أبو نصرٍ ، وولِى بعدَه القَضاءَ .

قال الصُّولىُّ[2] : بلَغ القاضى أبو الحسينِ مِن العلمِ مَبْلَغًا عظيمًا مع حَداثةِ السِّنِّ ، وحينَ تُوُفِّى كان الراضى يَبْكِى عليه بحضْرتِنا ويَقولُ : كنتُ أَضِيقُ بالشىءِ ذَرْعًا فيُوَسِّعُه علىَّ . ثم يَقولُ : واللَّهِ لا بقِيتُ بعدَه[3] .

ابنُ شَنَبُوذَ المُقْرِئُ ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ بنِ الصَّلْتِ أبو الحسنِ المُقْرِئُ[4] ، المَعْروفُ بابنِ شَنَبُوذَ . روَى عن أبى مسلمٍ الكَجِّىِّ ، وبشرِ بنِ موسى وخَلْقٍ ، وكان يخْتارُ حُروفًا أنكرها أهلُ زمانِه عليه ، وصنَّف أبو بكرِ بنُ

---

(١) زبرناه : انتهرناه . المحيط (ز ب ر) .

(٢) المنتظم ١٣/ ٣٩١.

(٣) بعده فى ب ، م : « فتوفى الراضى بعده فى نصف ربيع الأول من هذه السنة الآتية ، رحمهما اللّه ، وكان الراضى أيضا حدث السن » .

(٤) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠، وتاريخ دمشق ٦٧٢/١٤ مخطوط ، والمنتظم ٣/ ٣٩٢، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٦٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٩، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٣٣.

الأنْبارىِّ كتابًا فى الرَّدِّ عليه ، وقد ذكَرْنا فيما تقَدَّم[1] كيف أنه عُقِد له مجلسٌ فى دارِ الوزيرِ أبى علىٍّ محمدِ بنِ علىِّ بنِ مُقْلةَ ، وأنه ضُرِب حتى رجَع عن كثيرٍ من القراءاتِ الشاذَّةِ التى أنْكَرها القُرَّاءُ من أهلِ عَصْرِه عليه . وكانت وفاتُه فى صَفَرٍ منها ، وقد دعا ابنُ شَنَبُوذَ على ابنِ مُقْلةَ حينَ أمَر بضَرْبِه ، فلم يُفْلِحِ ابنُ مُقْلةَ بعدَها[2] .

ابنُ مُقْلةَ الوزيرُ أحدُ الكُتَّابِ المَشاهِيرِ ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسنِ[3] بنِ عبدِ اللَّهِ أبو علىٍّ ، المعروفُ بابنِ مُقْلةَ الوزيرِ ، وقد كان فى أولِ عمرِه ضَعيفَ الحالِ ، ثم آل به الحالُ إلى أن وَلِىَ الوِزارةَ لثلاثةٍ مِن الخلفاءِ ، وهم المُقْتَدِرُ ، والقاهرُ ، والراضى ، وعُزِل ثلاثَ مراتٍ ، وقُطِعَت يدُه ولسانُه فى آخرِ أمرِه وحُبِس ، فكان يَسْتَقِى الماءَ بيدِه اليسرى وأسنانِه ، وكان مع ذلك يَكْتُبُ بيدِه اليُمْنَى بعدَ قَطْعِها ، كما كان يَكْتُبُ وهى صحيحةٌ ، [٩/٤١و] وقد كان خطُّه مِن أقوَى الخطوطِ ، كما هو مشهورٌ عنه ، وقد بنَى له دارًا فى زمنِ وِزارتِه ، فجمَع عندَ بنائِها خَلْقًا مِن المُنَجِّمِين ، فاتَّفقوا على أن تُبْنَى فى الوقتِ الفُلانىِّ ، فأسَّس جُدْرانَها بينَ العِشاءَيْن كما أشاروا ، فما لبِث بعد استِتمامِها إلا يَسيرًا حتى خَرِبَت وصارَت كَوْمًا ، كما ذكرْنا ذلك وذكرْنا ما كتَبوا على جُدْرانِها[4] ، وقد

---

(١) تقدم فى صفحة ٨٨ .

(٢) بعده فى ب ، م : « بل عوقب بأنواع من العقوبات وقطعت يده ولسانه وحبس حتى مات فى هذه السنة التى مات فيها ابن شنبوذ وهذه ترجمته » . وقد تقدم ذكر ذلك فى صفحتى ٨٨، ٩٤.

(٣) فى ص : « الحسين » . وكذا فى ترجمته فى المنتظم ١٣/ ٣٩٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١١٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٣٩، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٠٩.

(٤) تقدم فى صفحة ٩٤ .

كان له بُسْتانٌ كبيرٌ جدًّا ، فيه عِدَّةُ أَجْرِبَةٍ - أى فَدادِينَ - وعليه جميعِه شَبَكةٌ مِن إبْرِيسَم[1] ، وفيه مِن الطيورِ مِن القَمَارِىِّ والهَزَارِ والبَبْغِ والبَلابِلِ والطَّواوِيسِ والقَبْجِ[2] شىءٌ كثيرٌ ، وفى أرضِه مِن الغِزْلانِ ، وبقرِ الوَحْشِ وحَميرِه ، والنَّعامِ والإبِلِ شىءٌ كثيرٌ أيضًا . ثم صار هذا كلُّه عما قريبٍ بعدَ النَّضْرةِ والبَهاءِ إلى الهلاكِ والفناءِ[3] . وقد أنشَد فيه بعضُ الشعراءِ حينَ بنَى دارَه :

قلْ لابنِ مُقْلةَ مَهْلًا[4] لا تَكُنْ عَجِلًا ... واصْبِرْ فإنك فى أضْغاثِ أحلامِ
تَبْنى بأنقاضِ دُورِ الناسِ مُجْتَهِدًا ... دارًا ستُنقَضُ أيضًا بعدَ أيامِ
ما زِلْتَ تَخْتارُ سَعْدَ المُشْتَرِىِّ لها ... فلم تُوَقَّ به مِن نَحْسِ بَهْرامِ
إن القُرَانَ وبطليموسَ ما اجتَمَعا ... فى حالِ نَقْضٍ ولا فى حالِ إبْرامِ

فعُزِل ابنُ مُقْلةَ عن وِزارتِه ، وخُرِّبَت دارُه ، وأُتْلِفتْ أشجارُه ، وقُطِعَت يدُه ، ثم قُطِع لسانُه ، وأُغْرِمَ بألفِ ألفِ دينارٍ ، ثم سُجِن وحدَه ، مع الكِبَرِ والضَّعفِ والضرورةِ ، فكان يَسْتَقِى الماءَ لنفسِه مِن بئرٍ عميقٍ ، فكان يَمُدُّ الحبلَ بيدِه اليُسرى ، ويُمْسِكُه بفِيه . وقاسَى جَهْدًا جَهِيدًا بعدَما ذاق عَيْشًا رَغِيدًا . ومِن شعرِه حينَ قُطِعَت يدُه :

ما سئِمْتُ الحَياةَ لكنْ تَوَثَّقْـ ... ـتُ بأيمانِهِمْ فبانَت يَمِينى
بِعْتُ دِينى لهم بدُنْياىَ حتى ... حرَمونى دُنْياهُمُ بعدَ دِينى

---

(١) الإبْرِيْسَم : أحسن الحرير . الوسيط (إبريسم) .
(٢) فى ب ، م : « غير ذلك » . والقمارى : جمع قُمْرِىّ ، وهو ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت . والهزار : طائر حسن الصوت ، فارسى معرب . والقبج : الكروان . انظر اللسان (ق م ر) ، (ق ب ج) . وتاج العروس (هـ ز ر) .
(٣) بعده فى ب ، م : « والزوال ، وهذه سنة اللّه فى المغترين الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء والغرور » .
(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المنتظم وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام .

ولقد حُطْتُ ما استَطَعتُ بجَهْدى حِفْظَ أرواحِهم فما حفِظونى
ليس بعدَ اليَمينِ لَذَّةُ عيشٍ يا حَياتى بانَتْ يَمِينى فبِينى

وكان يَبْكِى على يدِه كثيرًا، ويَقولُ: بعدَما خَدَمْتُ بها ثلاثةً من الخلفاءِ، وكتَبْتُ بها القرآنَ مرتين، تُقْطَعُ كما تُقْطَعُ أيْدِى اللصوصِ! ثم يُنْشِدُ[1]:

إذا ما مات بعضُك فابْكِ بعضًا فإن البعضَ مِن بعضٍ قريبُ

وقد مات رَحِمه اللَّهُ فى مَحْبِسِه هذا، ودُفِن فى دارِ السلطانِ، ثم سأَل ولدُه أبو الحسينِ أن يُحَوَّلَ فأُجِيب، فنبَشوه ودفَنه ولدُه عندَه فى دارِه، ثم سأَلَت زوجتُه المعروفةُ بالدِّينارِيَّةِ أن يُدْفَنَ فى دارِها، فنُبِش ودُفِن عندَها، فهذه ثلاثُ مراتٍ أيضًا[2]. مات رحمه اللَّهُ وله مِن العمرِ ستٌّ وخمسون سنةً.

أبو بكرِ بنُ الأنْبارىِّ محمدُ بنُ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ بَشَّارِ بنِ الحسنِ بنِ بَيَانِ ابنِ سَمَاعةَ بنِ فَرْوَةَ بنِ قَطَنِ بنِ دِعامةَ، أبو بكرٍ الأنْبارىُّ[3]، صاحبُ كتابِ «الوَقفِ والابتِداءِ» وغيرِ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ، وكان مِن بُحورِ العلمِ فى اللغةِ والعربيةِ وغيرِ ذلك. سَمِع الكُدَيْمِىَّ وإسماعيلَ القاضىَ وثَعْلَبًا وغيرَهم، وكان ثِقةً صَدوقًا أدِيبًا، [٩/٤١ظ] دَيِّنًا فاضِلًا، مِن أهلِ السُّنَّةِ، مِن أعْلَمِ الناسِ بالنَّحْوِ والأدَبِ وأكْثَرِهم حِفْظًا له، وكانت له مِن المَحافِيظِ مُجَلَّداتٌ عظيمةٌ كثيرةٌ

---

(١) البيت فى التمثيل والمحاضرة ص ٨٤، وخاص الخاص للثعالبى ص ٩٠ وفيهما أن البيت لأبى يعقوب الخريمى.

(٢) سقط من: ب، م. والمراد أنه كما وزر لثلاثة من الخلفاء، وعزل عن الوزارة ثلاث مرات، فقد دفن ثلاث مرات أيضا.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦٩، وتاريخ بغداد ٣/ ١٨١، والمنتظم ١٣/ ٣٩٧، وإنباه الرواة ٣/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٤٧، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٤٤.

أحْمالُ أجْمالٍ ، وكان لا يَأْكُلُ إلَّا التَّقالِيَ[1] ، ولا يَشْرَبُ ماءً إلى قُرِيبِ العَصْرِ ؛ مُراعاةً لحِفْظِه ، ويُقالُ[2] : إنه كان يَحْفَظُ مائةً وعشرين تفسيرًا . وحَفِظ تَعْبيرَ الرُّؤْيا فى ليلةٍ ، وكان يَحْفَظُ فى كلِّ جمعةٍ عشَرةَ آلافِ ورقةٍ . وكانت وفاتُه ليلةَ عيدِ النَّحْرِ مِن هذه السنةِ .

أمُّ عيسى بنتُ إبراهيمَ الحَرْبيِّ[3] ، كانتْ عالمةً فاضلةً ، تُفْتِى فى الفِقْهِ . تُوُفِّيَت فى رجبٍ منها ، ودُفِنَت إلى جانبِ أبيها ، رَحِمهما اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « النقالى » ، وفى ظ : « البقالى » . والمذكور فى المصادر ، أنه كانت تُسوَّى له - أو تُشوَى - قَلِيَّةٌ يابسة . ويقال : قلَى البُرَّ بالمِقْلَى والمِقلاة إذا شواه . المغرب فى ترتيب المعرب (ق ل ى) . وانظر لسان العرب (ق ل ى) .

(٢) انظر طبقات الحنابلة ٢/ ٧٠، وتاريخ بغداد ٣/ ١٨٤، والمنتظم ١٣/ ٣٩٩، وإنباه الرواة ٣/ ٢٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٢، والمنتظم ١٣/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٥٣.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وعشرين وثلاثمائةٍ

فى المُنْتَصَفِ مِن ربيعِ الأولِ منها[1] كانتْ وَفاةُ الخليفةِ الراضى باللَّهِ أميرِ المؤمنين أبى العباسِ أحمدَ[2] بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ جعفرِ بنِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أحمدَ بنِ المُوَفَّقِ أبى أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ المُتَوَكِّلِ بنِ المُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرَّشيدِ بنِ المهدىِّ بنِ المنصورِ العباسىِّ ، اسْتُخْلِف بعدَ عمِّه القاهِرِ لستٍّ خلَوْن مِن جُمادَى الأولى سنةَ ثنتَيْن وعشرين وثلاثِمائةٍ ، وأمُّه أمُّ ولدٍ رُومِيَّةٌ تُسَمَّى ظَلومَ ، كان مَوْلِدُه فى رجبٍ سنةَ سبعٍ وتسعين ومائتين ، فكانتْ خِلافتُه ستَّ سنين وعشَرةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ ، وعمرُه يومَ مات إحدى وثلاثون سنةً وعشَرةُ أشهرٍ .

وكان أسمرَ رَقيقَ السُّمْرةِ ، دُرِّىَّ اللونِ ، أسودَ الشَّعْرِ سَبْطَه ، قصيرَ القامةِ ، نَحِيفَ الجسمِ ، فى وجهِه طُولٌ ، وفى مُقَدَّمِ لحيتِه تَمامٌ ، وفى شَعرِها رِقَّةٌ . هكذا وصَفه مَن شاهَده .

قال الخَطيبُ البَغْدادىُّ[3] : كان للراضى فَضائلُ كثيرةٌ ، وختَم الخلفاءَ فى أمورٍ عِدَّةٍ ؛ فمنها أنه كان آخرَ خَليفةٍ له شِعرٌ مُدَوَّنٌ ، وآخِرَ خليفةٍ انفَرَد بتَدْبيرِ

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٢، والمنتظم ١٣/ ٣٣٥، ١٤/ ١٧، والكامل ٨/ ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٦٧، والعبر ٢/ ٢١٨، وفوات الوفيات ٣/ ٣٢١، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٩٧.

(٢) كذا فى النسخ والكامل. وقد تقدم عند ذكر خلافته صفحة ٨٠ أن اسمه محمد. وذكر الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام والعبر أن الراضى باللَّه اسمه محمد، وقيل: أحمد.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٣.

الجُيوشِ والأَمْوالِ ، وآخرَ خليفةٍ خطَب على مِنْبرٍ يومَ الجمعةِ ، وآخرَ خليفةٍ جالَس الجُلَساءَ ووصَل إليه النُّدَماءَ ، وآخرَ خليفةٍ كانتْ نَفَقتُه وجَوائزُه وعَطاياه وجِراياتُه وخَزائنُه ومَطابخُه ومَجالِسُه وخَدَمُه وحُجَّابُه[1] وأُمورُه ، كلُّ ذلك يجرى على تَرْتيبِ المُتَقَدِّمين مِن الخُلفاءِ .

وقال غيرُه[2] : كان فَصيحًا بَليغًا كريمًا جَوادًا مُمَدَّحًا .

ومِن جيِّدِ كلامِه الذى سمِعه منه محمدُ بنُ يَحْيَى الصُّوليُّ[3] : للَّهِ أقْوامٌ هم مَفاتيحُ الخيرِ ، وأقوامٌ مَفاتيحُ الشَّرِّ ، فمَن أراد اللَّهُ به خيرًا قصَد به أهلَ الخيرِ ، وجعَله الوسيلةَ إلينا ، فنَقْضِى حاجتَه ، فهو الشَّريكُ فى الثَّوابِ والشُّكْرِ ، ومَن أراد اللَّهُ به شرًّا عدَل به إلى غيرِنا ، فهو الشَّريكُ فى الوِزْرِ والإثْمِ ، واللَّهُ المُستعانُ على كلِّ حالٍ .

ومِن أَلْطَفِ الاعْتِذاراتِ ما كتَب به الراضى إلى أخيه المُتَّقِى ، وهما فى المَكْتَبِ[4] - وكان المُتَّقِى قد اعْتَدَى على الراضى ، والراضى هو الكبيرُ منهما - فكتَب إليه الراضى : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، أنا مُعْتَرِفٌ لك بالعُبودِيَّةِ فَرْضًا ، وأنت مُعْتَرِفٌ لى بالأُخُوَّةِ فَضْلًا ، والعبدُ يُذْنِبُ والمَوْلَى يَعْفُو ، وقد قال الشاعرُ :

يا ذا الذى يَغْضَبُ مِن غيرِ شَىْ ... اعْتِبْ فعُتْباك حَبيبٌ إلىَّ
أنت على أنك لى ظالمٌ ... أعَزُّ خَلْقِ اللَّهِ طُرًّا علىَّ

[٩/٤٢و] قال : فجاء إليه أخوه المُتَّقِى ، فأكَبَّ عليه يُقَبِّلُ يديه ، وتعانَقا واصْطَلَحا .

---

(١) فى ب ، م : « أصحابه » .
(٢) انظر المنتظم ١٣/ ٣٣٦.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٣.
(٤) المكتب : الكُتّاب . والخبر فى تاريخ بغداد ٢/ ١٤٤.

ومِن لَطيفِ شعرِه قولُه فيما ذكَره ابنُ الأثيرِ فى «الكاملِ»[1] :

يَصْفَرُّ وَجْهى إذا تأمَّله ... طَرْفى ويَحْمَرُّ وجهُه خَجَلَا
حتى كأنّ الذى بوَجْنتِه ... مِن دمِ جسمى إليه قد نُقِلا

قال : ومما رثَى به أباه المُقْتَدِرَ[2] :

ولو أن حيًّا كان قبرًا لميتٍ ... لَصَيَّرْتُ أحْشائى لأَعْظُمِه قبرَا
ولو أن عُمرى كان طَوْعَ مَشِيئتى ... وساعَدَنى المَقْدورُ[3] قاسَمْتُه العُمرَا
بنَفْسِى ثَرًى ضاجَعْتَ فى تُرْبِه البِلَى ... لقد ضمَّ منك الغَيْثَ واللَّيْثَ والبَدْرَا

ومما أنْشَده له ابنُ الجَوْزىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[4] :

(٥لا تَعْذِلى كَرَمى٥) على الإسْرافِ ... رِبْحُ المَحامِدِ مَتْجَرُ الأشْرافِ
أَجرى كآبائى الخلائفِ سابقًا ... وأَشِيدُ ما قد أسَّسَتْ أسْلافى
إنى مِن القومِ الذين أَكُفُّهمْ ... مُعْتادةُ الإخلافِ والإتْلافِ

ومِن شعرِه الذى رواه الخَطيبُ مِن طريقِ أبى بكرٍ محمدِ بنِ يَحْيَى الصُّولىِّ النَّديمِ عنه قولُه[6] :

---

(١) الكامل ٨/ ٣٦٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) فى الأصل، ص: «المقدار». وفى ظ، وإحدى نسخ الكامل: «الأقدار»، وفى الكامل: «التقدير». والمثبت من ب، م موافق لإحدى نسخ الكامل.
(٤) المنتظم ١٣/ ٣٣٧.
(٥ - ٥) فى ب، م: «لا تكثرن لومى».
(٦) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٤.

كـلُّ صَـفْـوٍ إلـى كَـدَرْ كـلُّ أَمْـنٍ إلـى حَـذَرْ
ومَـصـيـرُ الـشـبـابِ لـلـ ـمـوتِ فيهِ أو الـكِـبَـرْ
درَّ دَرُّ المَشِـيـبِ مِـن واعـظٍ يُـنْـذِرُ الـبَـشَـرْ
أيُّـهـا الآمِـلُ الـذى تـاهَ فـى لُجَّةِ الـغَـرَرْ
أيـن مَـن كـان قـبـلَـنـا درَس الـعـيـنُ والأثَـرْ
سـيَـرُدُّ المُعـارَ[1] مَـن عـمـرُه كـلُّـه خَـطَـرْ
ربِّ إنـى ذَخَـرْتُ عـنـ ـدَكَ أرْجُـوكَ مُـدَّخَـرْ
إنـنـى مُـؤْمِـنٌ بمـا بيَّـنَ الوَحْىُ فى السُّوَرْ
واعْـتِـرافـى بـتـركِ نَـفْـ ـعـى وإيـثـارِى الـضُّـرَرْ
ربِّ فـاغْـفِـرْ لـى الخَطـيـ ـئَـةَ يـا خـيـرَ مَـن غـفَـرْ

وقد كانتْ وَفاتُه بعِلَّةِ الاسْتِسْقاءِ فى ليلةِ السادسَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ من هذه السنةِ ، وكان قد أرْسَل إلى بَجْكمَ وهو بواسِطٍ ؛ ليَعْهَدَ إلى ولدِه الأصْغَرِ أبى الفَضْلِ ، فلم يَتَّفِقْ له ذلك ، وبايَع الناسُ أخاه المُتَّقِىَ للَّهِ إبراهيمَ بنَ المُقْتَدِرِ . وكان أمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدورًا .

---

(١) فى ب ، م ، ظ : « المعاد » .

(١) ذكرُ خلافةِ المُتَّقى أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ المقتدرِ باللَّهِ (١)

لما مات أخوه الراضى اجْتَمَع القُضاةُ والأعْيانُ بدارِ بَجْكمَ ، واشْتَوَروا فيمَن يُوَلُّون عليهم ، [٩/٤٢ظ] فاتَّفَق رأْيُهم كلِّهم على المُتَّقِى للَّهِ إبراهيمَ هذا ، فأحْضَروه إلى دارِ الخِلافةِ ، وأرادوا بَيْعتَه ، فصلَّى ركعتَيْن ، صَلاةَ الاسْتِخارةِ (٢) وهو على الأرضِ لم يصعَدْ إلى الكُرْسىِّ بَعْدُ ، ثم صعِد إلى السَّريرِ ، وبايَعه الناسُ ، وكان ذلك يومَ الأربِعاءِ لعشْرٍ بقِين مِن ربيعِ الأولِ من هذه السنةِ ، أعنى سنةَ تسعٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ ، فلم يُغَيِّرْ على أحدٍ شيئًا ، ولا غدَر بأحدٍ ، حتى ولا على سُرِّيَّتِه لم يُغَيِّرْها ، ولم يَتَسَرَّ عليها .

وكان كما سُمِّى المُـتَّقِىَ للَّهِ ؛ كثيرَ الصلاةِ والصِّيامِ والتَّعَبُّدِ ، وقال : لا أُرِيدُ أحدًا من الجُـلَساءِ ، حَسْبىَ المُصْحَفُ نَديمى ، لا أُرِيدُ نَديمًا غيرَه . فقعَد (٣) عنه الجُلَساءُ والنُّدَماءُ (٤) والْتَفُّوا على بَجْكمَ ، وكان يُجالِسُهم فيُحادِثونه ويَتَناشَدون عندَه الأشْعارَ ، فكان لا يَفْهَمُ كثيرَ شىءٍ مما يَقولون ؛ لعُجْمتِه ، وكان فى جُمْلتِهم سِنانُ بنُ ثابتٍ الصابئُ المُتَطَبِّبُ ، وكان بَجْكَمُ يَشْكو إليه قوةَ النَّفْسِ الغَضَبيةَ فيه ، فكانَ سِنانٌ يُهَذِّبُ مِن أخْلاقِه ويُسَكِّنُ جَأْشَه ، ويُرَوِّضُ نفسَه حتى

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ذكر خلافته فى المنتظم ١٤/٣، والكامل ٨/٣٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٦٠.

(٢) لم يذكر فى المصادر أن الركعتين كانتا صلاة استخارة .

(٣) فى ب ، م : « فانقطع » ، وفى ص ، ظ : « فبعد » . وقعد عن فلان : تركه . انظر الوسيط (ق ع د) .

(٤) فى ب ، م : « السمار والشعراء والوزراء » .

يَسْكُنَ عن بعضِ ما كان يَتَعاطاه مِن سَفْكِ الدماءِ، وكان الـمُتَّقِى للَّهِ حسَنَ الوجهِ، مُعْتَدِلَ الخَلْقِ، قَصيرَ الأنْفِ، أبيضَ مُشْرَبًا حُمْرةً، وفى شَعرِه شُقْرةٌ وجُعودةٌ، كَثَّ اللِّحيةِ، أشْهَلَ العيْنَيْن[1]، أَبِىَّ النَّفْسِ، لم يَشْرَب النبيذَ قطُّ، فالْتَقَى فيه الاسمُ والفعلُ. وللَّهِ الحمدُ.

ولما اسْتَقَرَّ المُتَّقِى فى الخِلافةِ أنْفَذ الرُّسُلَ والخِلَعَ إلى بَجْكمَ وهو بواسِطٍ، ونفَذَت المُكاتَباتُ إلى الآفاقِ بولايةِ المتَّقى للَّهِ.

وفى هذه السنةِ[2] تَحارَب أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ وبَجْكمُ بناحيةِ الأهْوازِ، فقُتِل بَجْكمُ فى الحربِ، واسْتَظْهَر البَرِيدىُّ عليه، وقوِى أمْرُه، فاحْتاط الخليفةُ على حَواصِلِ بَجْكمَ، فكان فى جُملةِ ما أخَذ مِن أمْوالِه ألفُ ألفِ دينارٍ ومائتا ألفِ دينارٍ. وكانتْ أيامُ بَجْكمَ على بَغْدادَ سنتين وثمانيةَ أشهرٍ وتسعةَ أيامٍ.

ثم إن البَرِيدىَّ حدَّثَتْه نَفْسُه ببَغْدادَ، فأنْفَق الخليفةُ أمْوالًا جَزيلةً فى الجُنْدِ ليَمْنَعوه مِن ذلك، وركِب بنَفْسِه، فخرَج إلى أثْناءِ الطريقِ ليَمْنعَه مِن ذلك، فخالَفه البَرِيدىُّ، ودخَل بَغْدادَ فى ثانى رَمضانَ، ونزَل بالشفيعى، فلما تحقَّق الـمُتَّقِى ذلك بعَث إليه يُهَنِّئُه، وأرْسَل إليه بالأطْعِمةِ، وخُوطِب بالوَزيرِ، ولم يُخاطَبْ بإمْرةِ الأُمراءِ، فأرْسَل البَرِيدىُّ يَطْلُبُ مِن الخليفةِ خمسَمائةِ ألفِ دينارٍ، فامْتَنع الخليفةُ مِن ذلك، فبعَث يَتَهَدَّدُه ويَتَوَعَّدُه ويُذَكِّرُه ما حلَّ بالمُعْتَزِّ[3] والمُسْتَعِينِ والـمُهْتَدِى[4]، واخْتَلَفَت الرسلُ بينَهما، ثم كان آخرَ ذلك أن بعَث إليه

---

(١) أشهل العينين: فى عينه شُهْلَةٌ، وهى حمرة فى سواد العين. النهاية ٢/ ٥١٦.

(٢) الكامل ٨/ ٣٧١ - ٣٧٧.

(٣) فى النسخ: «بالمعز»، وهو خطأ.

(٤) بعده فى ب، م: «والقاهر».

الخليفةُ بذلك قَهْرًا ، ولم يَتَّفِقِ اجْتِماعُ الخليفةِ والبَرِيدىِّ ببَغْدادَ حتى خرَج البَرِيدىُّ منها إلى واسِطٍ ، وذلك أنه ثارَت عليه الدَّيالمةُ ، والْتَفُّوا على كبيرِهم كُورْتَكِين ، ورامُوا حريقَ دارِ البَرِيدىِّ حين قبَض المالَ مِن الخليفةِ ولم يُعْطِهم شيئًا ، وكانتْ البَجْكَمِيةُ طائفةً أخرى قد اخْتَلَفت معه أيضًا ، وهم والدَّيالمُ قد صاروا حِزْبَيْن ، فانْهَزَم البَرِيدىُّ مِن بَغْدادَ يومَ سَلْخِ رمضانَ ، فاسْتَوْلَى كُورْتَكِين على الأُمورِ ببَغْدادَ ، ودخَل إلى المُتَّقِى ، فقلَّده إمْرةَ الأُمراءِ [٩/٤٣و] ، وخلَع عليه ، واسْتَدْعَى المُتَّقِى للَّهِ علىَّ بنَ عيسى وأخاه عبدَ الرحمنِ ، ففوَّض إلى عبدِ الرحمنِ تَدْبيرَ الأُمورِ مِن غيرِ تَسْميةٍ بوزارةٍ ، ثم قبَض كُورْتَكِين على رئيسِ الأتْراكِ تكينك غُلامِ بَجْكَمَ وغرَّقه . ثم تظَلَّمَت العامَّةُ مِن الدَّيْلَمِ ؛ أنهم يَأْخُذون منهم دُورَهم ، فشكَوْا ذلك إلى كُورْتَكِين ، فلم يُشْكِهم[1] ، فمنَعَت العامَّةُ الخُطَباءَ أن يُصَلُّوا فى الجَوامعِ ، واقْتَتل الدَّيْلَمُ والعامَّةُ ، فقُتِل مِن الفريقَيْن خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ .

وكان الخليفةُ قد كتَب إلى أبى بكرٍ محمدِ بنِ رائقٍ صاحبِ الشامِ يَسْتَدْعِيه إليه ليُخَلِّصَه مِن الدَّيْلَمِ والبَرِيدىِّ ، فركِب إلى بَغْدادَ فى العِشْرين مِن رمضانَ ، ومعه جيشٌ عظيمٌ ، وقد صار إليه مِن الأتْراكِ البَجْكمِيةِ خَلْقٌ كثيرٌ ، وحينَ وصَل إلى المَوْصِلِ حاد عن طَريقِه ناصرُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ ، فتَراسَلا ثم اصْطَلَحا ، وحَمل ابنُ حَمْدانَ [2]إلى ابنِ رائقٍ[2] مائةَ ألفِ دينارٍ ، فلما اقْتَرَب ابنُ رائقٍ مِن بَغْدادَ خرَج كُورْتَكِين فى جيشِه ليُقاتِلَه ، فدخَل ابنُ رائقٍ بَغْدادَ مِن غربيِّها ، ورجَع كُورْتَكِين بجيشِه مِن شرقِيِّها ، ثم تَصافُّوا ببَغْدادَ للقِتالِ ، فساعَدَت العامةُ ابنَ رائقٍ على كُورْتَكِين ، فانْهَزَمَ الدَّيْلَمُ ، وقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، وهرَب

---

(١) أى لم يعمل على إزالة شكواهم .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

كُورْتَكِين فاخْتَفَى ، واسْتَقَرَّ أمْرُ ابنِ رائقٍ على بغدادَ ، وخلَع عليه الخَليفةُ ، وركِب هو وإياه فى دِجْلَة ، وظفِر ابنُ رائقٍ بكُورْتَكِين ، فأوْدَعه السِّجْنَ الذى فى دارِ الخِلافةِ .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : وفى يومِ الجمعةِ الثانى عشَرَ مِن جُمادَى الأولَى حضَر الناسُ لصلاةِ الجمعةِ بجامعِ بَرَاثَا ، وقد كان المُقْتَدِرُ أحْرَق هذا المسجدَ ؛ لأنه كُبِس فوُجِد فيه جَماعةٌ مِن الشِّيعةِ يَجْتَمِعون فيه للسَّبِّ والشَّتْمِ ، فلم يَزَلْ خَرابًا حتى عَمَره بَجْكمُ فى أيامِ الراضى ، ثم أمَر المُتَّقِى بوضعِ مِنْبرٍ فيه كان عليه اسمُ الرَّشيدِ ، وصلَّى الناسُ فيه هذه الجمعةَ . قال : فلم يَزَلْ تُقامُ فيه إلى ما بعدَ سنةِ خمسين وأربعِمائةٍ .

قال ابنُ الجوزىِّ[2] : وفى جُمادَى الآخِرةِ فى ليلةِ سابعِه كانت ليلةُ بردٍ ورَعْدٍ وبرْقٍ ، فسقَطَت القُبَّةُ الخَضْراءُ مِن قصرِ المنصورِ ، وقد كانتْ هذه القُبَّةُ تاجَ بَغْدادَ ، [3]وعَلَمَ البلدِ[3] ، ومَأْثُرَةً مِن مآثِرِ بنى العباسِ عظيمةً ، بُنِيَت أولَ مُلْكِهم ، وكان بينَ بِنائِها وسُقوطِها مائةٌ وسبعٌ وثمانون سنةً .

وقال ابنُ الجوزىِّ[4] : وخرَج التَّشْرِينانِ والكانُونانِ[5] مِن هذه السنةِ ولم تُمْطَرْ بغدادُ فيها شيئًا سِوَى مَطْرةٍ واحدةٍ [6]لم يَسِلْ منها مِيزابٌ[7] ، فغلَتِ الأسْعارُ ببَغْدادَ[6]

---

(١) المنتظم ١٤/ ٤، ٥.

(٢) المصدر السابق ١٤/ ٥، ٦.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٦، ٧.

(٥) بعده فى المنتظم : « وشباط » .

(٦ - ٦) سقط من : ظ .

(٧) فى الأصل ، ب ، م ، ص : « التراب » . والمثبت من المنتظم .

حتى بِيعَ الكُرُّ بمائةٍ وثلاثين دِينارًا ، ووقَع الفَناءُ فى الناسِ حتى كان الجَماعةُ يُدْفَنون فى القبرِ الواحدِ مِن غيرِ غُسْلٍ ولا صلاةٍ ، وبِيعَ العَقارُ والأثاثُ بأرْخَصِ الأسْعارِ ، واشْتُرِىَ بالدرهمِ ما كان يُساوِى الدِّينارَ ، ورأَتِ امرأةٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَنامِها وهو يَأْمُرُها بخُروجِ الناسِ إلى الصَّحْراءِ لصلاةِ الاسْتِسْقاءِ ، فأمَر الخليفةُ بامتِثالِ ذلك ، فصلَّى الناسُ ، واسْتَسْقَوْا ، فجاءتِ الأمْطارُ ، فزادت الفُراتَ شيئًا لم يُرَ مِثْلُه ، وغرِقَت العَبَّاسيةُ ، ودخَل الماءُ شوارعَ ببَغْدادَ ، فسقَطَت القَنْطَرةُ العَتيقةُ والجَديدةُ ، وقطَعَت الأكْرادُ [٩/٤٣ظ] على قافلةٍ مِن خُراسانَ الطريقَ ، فأخَذوا منهم ما قِيمتُه ثلاثةُ آلافِ[1] دينارٍ ، وكان أكثرَ ذلك مِن أموالِ بَجْكمَ التُّرْكىِّ .

وخرَج الناسُ للحجِّ ، فى هذه السنةِ ، ثم رجَعوا مِن أثناءِ الطريقِ ، بسببِ رجلٍ مِن العَلَوِيِّين قد ظهَر بالمدينةِ النبويةِ ، ودعا إلى نفسِه ، وخرَج عن الطاعةِ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ نَوْمَرْدَ[2] الفَقِيهُ ، أحدُ أصْحابِ ابنِ سُرَيْجٍ ، خرَج مِن الحَمَّامِ ، فسقَط عليه ، فمات مِن فَوْرِه ، رحمه اللَّهُ .

بَجْكَمُ التُّرْكِىُّ[3] الذى تولَّى إمْرةَ الأُمراءِ ببَغْدادَ قَبلَ بنى بُوَيْهِ ، وكان عاقلًا يَفْهَمُ بالعربيةِ ولا يَتَكَلَّمُ بها ، يَقولُ : أَخافُ أن أُخْطِئَ ، والخَطَأُ مِن الرئيسِ قَبيحٌ .

---

(١) بعده فى الأصل ، ص ، ظ : « ألف » .

(٢) فى الأصل : « يزمرد » ، وفى ب ، م : « تزمرد » ، وفى ص : « بزبر » ، وفى ظ : « برمرد » . وانظر ترجمته فى تاريخ جرجان ص ٤٩ ، والأنساب ٥/ ٥٤٠ ، والمنتظم ١٤/ ٩ ، وفيه : « تومرد » . وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٩ .

(٣) المنتظم ١٤/ ٩ ، والكامل ٨/ ٣٧١ ، ٣٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٦٤ ، ٦٥ ، والوافى بالوفيات ١٠/ ٧٧ .

وكان مع ذلك يُحِبُّ العِلْمَ وأهلَه ، وكان كثيرَ الأمْوالِ والصَّدَقاتِ ، ابْتَدَأ بِعَمَلِ مارَسْتانَ ببَغْدادَ فلم يَتِمَّ ، فجدَّده عَضُدُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ .

وكان يقولُ : العَدْلُ أربَحُ للسُّلْطانِ فى الدنيا والآخِرةِ . وكان يَدْفِنُ أمْوالًا كثيرةً فى الصَّحارِى ، فلما مات لم يُدْرَ أين هى ، وكان نُدَماءُ الراضى قد انحدروا إلى بَجْكمَ وهو بواسِطٍ ، وكان قد ضمِنها بثمانِمائةِ ألفِ دينارٍ ، فكانوا يُسامِرونه كالخليفةِ ، فكان لا يَفْهَمُ أكثرَ ما يَقولون ، وراض له مِزاجَه الطبيبُ سِنانُ بنُ ثابتٍ الصابئُ حتى لان خُلُقُه ، وحسُنَتْ سِيرتُه ، وقلَّت سَطْوتُه ، ولكن لم يُعَمَّرْ إلا قليلًا بعدَ ذلك .

ودخَل عليه مرةً رجلٌ فوعَظه فأبْكاه ، فأمَر له بألفِ[1] درهمٍ ، فلحِقه بها الغُلامُ ، فقال بَجْكمُ لجُلَسائِه : ما أَظُنُّه يَقْبَلُها ولا يُرِيدُها ، وما يَصْنَعُ هذا بالدنيا ؟ هذا[2] مُحَرَّقٌ بالعبادةِ . فرَجَع الغلامُ وليس معه شىءٌ ، فقال : قبِلها ؟ قال : نعم . فقال بَجْكمُ : كلُّنا صَيَّادون ولكنَّ الشِّباكَ تَخْتَلِفُ .

وكانت وفاتُه لسبعٍ بقِين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وسببُ مَوْتِه أنه خرَج يَتَصَيَّدُ ، فلقِى طائفةً مِن الأكْرادِ فاسْتَهان بهم ، فقاتَلوه فضرَبه رجلٌ منهم فقتَله . وكانت إمْرتُه على بَغْدادَ سنتين وثمانيةَ أشْهرٍ وتسعةَ أيامٍ ، وخلَّف مِن الأمْوالِ والحَواصِلِ ما يُنَيِّفُ على ألْفَىْ ألفِ دينارٍ ، أخَذها المتَّقى للَّهِ كلَّها .

---

(١) فى ب ، م : « بمائة ألف » .

(٢) من هنا خرم فى (ب) حتى صفحة ١٧٤.

أبو محمدٍ البَرْبَهارِىُّ[1] [2]**الواعظُ ، الحسنُ بنُ علىِّ بنِ خَلَفٍ ، أبو محمدٍ البَرْبَهارِىُّ**[2] ، العالمُ الزاهدُ الفَقيهُ الحَنْبَلىُّ الواعِظُ ، صاحَب المَرُّوذِىَّ[3] وسَهْلًا التُّسْتَرِىَّ ، وتنَزَّه عن مِيراثِ أبيه - وكان سبعين ألفًا - لأمْرٍ كرِهه . وكان شديدًا على أهلِ البِدَعِ والمَعاصِى ، وكان كبيرَ القَدْرِ عند الخاصَّةِ والعامَّةِ ، وقد عطَس يومًا وهو يَعِظُ الناسَ ، فشمَّتَه الحاضِرون ، ثم شمَّته مَن سمِعَهم حتى شمَّته أهلُ بَغْدادَ ، فانتَهَت الضَّجَّةُ إلى دارِ الخِلافةِ ، فغار الخليفةُ مِن ذلك ، وتكَلَّم فيه جَماعةٌ مِن أرْبابِ الدَّوْلةِ ، فطُلِب فاسْتَتَر عندَ أخْتِ تُوزُونَ[4] شهرًا ، ثم أخَذه القِيامُ[5] فمات عندَها ، فأمَرَت خادمَها أن يُصَلِّىَ عليه ، فصلَّى عليه ، فامْتَلأَت الدارُ رِجالًا عليهم ثِيابٌ بِيضٌ[6] ، فدفَنَته عندَها ، ثم أوْصَت أن تُدْفَنَ عندَه ، وكان عمرُه يومَ مات ستًّا وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

يوسُفُ بنُ يَعْقوبَ بنِ إسْحاقَ بنِ البُهْلولِ[7] **أبو بكرٍ الأزْرَقُ** - [٩/٤٤و] لأنه كان أزْرَقَ العينَيْن - التَّنُوخىُّ الكاتبُ ، سمِع جدَّه ، والزبيرَ بنَ بَكَّارٍ ،

---

(١) طبقات الحنابلة ٢/ ١٨، والمنتظم ١٤/ ١٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٥٨.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م، ص: «المروزى».

(٤) فى الأصل، م، ظ: «بوران»، وفى ص، وإحدى نسخ المنتظم: «بوزان». والمثبت من طبقات الحنابلة ٢/ ٤٥، والمنتظم، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام.

(٥) فى طبقات الحنابلة، والمنتظم: «قيام الدم». يقال: قام بى ظهرى: أى أوجعنى. وقامت بى عيناى. وكل ما أوجعك من جسدك فقد قام بك. التكملة والذيل والصلة للصغانى (ق و م).

(٦) بعده فى الطبقات والمنتظم: «وخضر». وجاء فى الطبقات والمنتظم تلميحا أن هؤلاء الرجال كانوا ملائكة.

(٧) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢١، والمنتظم ١٤/ ١٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٧٤، والجواهر المضية ٣/ ٦٤٣.

والحسنَ بنَ عَرَفةَ وغيرَهم، وكان خَشِنَ العيشِ، كثيرَ الصَّدَقةِ، يُقالُ: إنه تصَدَّق بمائةِ ألفِ دينارٍ. وكان أَمَّارًا بالمَعْروفِ، نَهَّاءً عن المُنْكَرِ، روَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه مِن الحُفَّاظِ، وكان ثِقةً عَدْلًا. تُوُفِّى فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ عن ثنتَيْن وتسعين سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثين وثلاثِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : فى المُحَرَّمِ منها ظهَر كَوْكَبٌ بذَنَبٍ، رأسُه إلى الغربِ وذَنَبُه إلى الشرقِ ، وكان عظيمًا جدًّا ، وذَنَبُه مُنْتَشِرٌ ، وبقِى ثلاثةَ عشَرَ يومًا إلى أن اضْمَحَلَّ .

قال : وفى نصفِ ربيعِ الأولِ بلَغ الكُرُّ مِن الحِنْطةِ مائتَىْ دينارٍ [3]وعشَرةَ دنانيرَ ، ومِن الشعيرِ مائةً وعشرين دينارًا ، ثُم بلَغ كُرُّ الحِنطةِ ثلاثَمائةٍ وستةَ عشَرَ دينارًا[3] ، وأكَل الضُّعَفاءُ المَيْتةَ ، ودام الغَلاءُ وكثُر الموتُ ، وتقَطَّعَت السُّبُلُ ، وشُغِل الناسُ بالمرضِ والفقرِ ، وتُرِكَ دَفْنُ المَوْتَى ، وشُغِل الناسُ عن المَلاهى واللَّعِبِ . قال : ثم جاء مَطَرٌ كأفْواهِ القِرَبِ ، وبلَغَت زِيادةُ دِجْلةَ عشرين ذِراعًا وثُلُثًا .

وذكَر ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[4] أن محمدَ بنَ رائقٍ - الذى هو أميرُ الأمراءِ ببغدادَ حينئذٍ - وقعتْ بينَه وبينَ أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ الذى بواسطٍ وَحْشةٌ بسببِ مَنْعِ البَرِيدىِّ الخَراجَ الذى عندَه ، فرَكِب إليه ابنُ رائقٍ ليَتَسَلَّمَ ما عندَه مِن

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٩، ٢٠، والكامل ٨/٣٧٩ - ٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٦٧ - ٧٣، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٣١ - ٣٣٤.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٩.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الكامل ٨/ ٣٧٩، ٣٨٠.

المالِ ، فوقَعَت مُصالَحَةٌ ، ورجَع ابنُ رائقٍ ، فطالَبه الجُنْدُ بأرْزاقِهم ، وضاق عليه حالُه ، وتحيَّز جَماعةٌ مِن الأتْراكِ إلى البَرِيدىِّ ، فضعُف جانبُ ابنِ رائقٍ ، فكاتَب البَريدىَّ بالوِزارةِ ببغدادَ ، ثم قطَع اسمَ الوِزارةِ عنه ، فاشْتَدَّ حَنَقُ البَرِيدىِّ ، وعزَم على أخْذِ بَغْدادَ ، فبعَث أخاه أبا الحسينِ فى جيشٍ ، فتحَصَّن ابنُ رائقٍ مع الخَليفةِ بدارِ الخِلافةِ ، ونَصَب فيها المَجانيقَ والعَرَّاداتِ ، وعلى دِجْلةَ أيضًا ، فاضْطَرَبت بَغْدادُ ، ونهَب الناسُ بعضُهم بعضًا ليلًا ونَهارًا ، وجاء أبو الحسينِ أخو أبى عبدِ اللَّهِ البَريدىِّ بمَن معه ، فقاتَلَهم الناسُ فى البَرِّ وفى دِجْلةَ ، وتفاقَم الحالُ ، واشتدَّ الخَطْبُ جدًّا ، مع الغَلاءِ والوَباءِ والفَناءِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ثم إنَّ الخَليفةَ وابنَ رائقٍ انْهَزَما فى جُمادَى الآخِرةِ - ومع الخليفةِ ابنُه أبو[1] مَنْصورٍ - فى عشرين فارسًا ، فقصَدوا نحوَ المَوْصِلِ ، واسْتَحْوَذ أبو الحسينِ على دارِ الخِلافةِ ، فقتَل أصحابُ البريدىِّ مَن وَجَدوا بدارِ الخلافةِ مِن الحاشيةِ ، ونهَبوها حتى وصَل النَّهْبُ إلى الحَرِيمِ ، ولم يَتَعَرَّضوا للقاهرِ ، وهو إذ ذاك مَكْفوفٌ ، وأخْرَجوا كُورْتَكِين مِن الحبسِ ، فبعَثه أبو الحسينِ إلى أخيه أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ ، فكان آخرَ العهدِ به ، ونهَبوا بَغْدادَ جِهارًا عَلانيةً ، ونزَل أبو الحسينِ بدارِ مُؤْنِسٍ التى كان يَسْكُنُها ابنُ رائقٍ ، وكانوا يَكْبِسون الدُّورَ ويَأْخُذون ما فيها مِن الأمْوالِ ، [2]فكثُر الجَوْرُ[2] ، وغلَت الأسْعارُ جدًّا ، وضرَب أبو الحسينِ المَكْسَ على الحِنْطةِ والشَّعيرِ ، وذاق أهلُ بغدادَ لِباسَ الجُوعِ والخوفِ . وكان مع أبى الحسينِ فى الجيشِ طائفةٌ كثيرةٌ مِن القَرامِطةِ ، فأفْسَدوا فى البلدِ فَسادًا عظيمًا ، فوقَعَتْ بينَهم وبينَ الأتْراكِ حرُوبٌ طويلةٌ [٩/٤٤ظ] شديدةٌ ، فغَلَبتْهم

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « والحور » ، وفى ظ : « والحواصل والجوارى » .

التُّرْكُ ، وأخْرَجوهم مِن بغدادَ ، ووقَعَتِ الحربُ بينَ العامَّةِ والدَّيْلَمِ أيضًا .

وفى شعبانَ مِن هذه السنةِ اشْتَدَّ الحالُ أيضًا ، ونُهِبَتِ المَساكِنُ ، وكُبِس أهلُها ليلًا ونَهارًا ، وَخَرَجتِ الجُنْدُ مِن أصحابِ البَرِيدىِّ ، فنهَبوا الغَلَّاتِ مِن القُرَى والحَيواناتِ ، وجرَى ظُلْمٌ لم يُسمَعْ بمثلِه ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون .

قال ابنُ الأثيرِ[1] : وإنما ذكَرْنا هذا ؛ ليَعْلَمَ الظَّلَمةُ أن أخْبارَهم [2]تُنْقَلُ وتَبْقَى بعدَهم على وجهِ الدَّهْرِ ، فرُبّما تَرَكوا[2] الظلمَ لهذا إن لم يَتْرُكوه للَّهِ عزَّ وجلَّ .

وقد كان الخَليفةُ أرْسَل وهو ببغدادَ إلى ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ نائبِ الموصِلِ والجزيرةِ يَسْتَمِدُّه ، [3]ويَسْتَجيشُ به[3] على البَرِيدىِّ ، فأرْسَل ناصرُ الدولةِ أخاه سيفَ الدولةِ عليًّا فى جيشٍ كثيفٍ ، فلما كان بتَكْرِيتَ إذا الخليفةُ وابنُ رائقٍ قد هرَبا ، فرجَع معهما سيفُ الدولةِ إلى أخيه ، وقدَّم سيفُ الدولةِ للخليفةِ المُتَّقِى للَّهِ خِدْمةً عظيمةً فى مَسيرِه هذا ، ولمَّا وَصَلوا إلى المَوْصِلِ خرَج عنها ناصرُ الدولةِ ، فنَزَل شَرْقِيَّها ، وأرْسَل التُّحَفَ والضِّيافاتِ ، ولم يَجِئْ خوفًا مِن الغائلةِ مِن جهةِ ابنِ رائقٍ نائبِ العراقِ وصاحبِ الشامِ ، فأرْسَل الخليفةُ ولدَه أبا منصورٍ ومعه ابنُ رائقٍ للسلامِ على ناصرِ الدولةِ ، فأمَر أن يُنْثَرَ الذهبُ والفضةُ على رأسِ ولدِ الخليفةِ ، وجلَسا عندَه ساعةً ، ثم قاما ليَرْجِعا ، فرَكِب ابنُ الخليفةِ ، وأراد ابنُ رائقٍ أن يَرْكَبَ معه ، فقال له ناصرُ الدولةِ : اجْلِسِ اليومَ عندى حتى نُفَكِّرَ فيما نَصْنَعُ

---

(١) الكامل ٨/ ٣٨٢.

(٢ - ٢) فى م : « الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض وفى الكتب ، ليذكروا بها ويذموا ويعابوا ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، وأمرهم إلى الله ، لعلهم أن يتركوا » . وفى ظ : « تنقل وتبقى على وجه الأرض ، وربما تركوا » .

(٣ - ٣) فى م : « ويستحثه » .

فى أمْرِنا هذا. فاعْتَذَر إليه بابنِ الخليفةِ، واسْتَراب الأمرَ، فقبَض ابنُ حَمْدانَ بكُمِّه، فجبَذه ابنُ رائقٍ منه، فانْقَطَع كُمُّه، وركِب سريعًا، فسقَط عن فرسِه، فأمَر ناصرُ الدولةِ بقتلِه فقُتِل، وذلك يومَ الاثنين لسبعٍ بقِين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ.

فأرْسَل الخليفةُ إلى ابنِ حَمْدانَ فاسْتَحْضره[1]، وخلَع عليه، ولَقَّبه ناصرَ الدولةِ يومَئذٍ، وجعَله أميرَ الأُمراءِ، وخلَع على أخيه أبى الحسنِ[2] علىٍّ ولقَّبه سيفَ الدولةِ يومَئذٍ أيضًا، ولما قُتِل ابنُ رائقٍ، وبلَغ خبرُ قتلِه إلى صاحبِ مصرَ الإخْشِيدِ محمدِ بنِ طُغْجٍ، ركِب إلى دمشقَ، فتَسَلَّمها مِن محمدِ بنِ يَزْدادَ نائبِ ابنِ رائقٍ، ولم يَنْتَطِحْ فيها عَنْزانِ.

ولما بلَغ خبرُ مَقْتَلِه إلى بغدادَ فارَق أكثرُ الأتْراكِ أبا الحسينِ البَرِيدىَّ لسُوءِ سِيرتِه، وخُبثِ سَرِيرتِه، قَبَّحه اللَّهُ، وقصَدوا الخليفةَ وابنَ حَمْدانَ فى الموصلِ، فقَوِىَ بهم ناصرُ الدولةِ ورَكِب هو والخليفةُ المُتَّقِى للَّهِ إلى بَغْدادَ، فلمَّا اقْتَرَبوا منها هرَب عنها أبو الحسينِ البَرِيدىُّ، ودخَل الخليفةُ المُتَّقِى للَّهِ إلى بغدادَ ومعه بنو حَمْدانَ فى جُيوشٍ كثيرةٍ، وذلك فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ، ففَرِح به المسلمون فرَحًا شديدًا، وبعَث إلى أهلِه - وقد كان أخْرَجَهم إلى سامَرَّاءَ - فردَّهم، وتراجَع أعْيانُ الناسِ إلى بغدادَ بعدَما كانوا قد رَحَلوا عنها، وردَّ الخليفةُ أبا إسْحاقَ القَرارِيطِىَّ[3] إلى الوِزارةِ، وولَّى تُوزونَ شُرْطةَ جانبَىْ بَغْدادَ، وبعَث ناصرُ

---

(١) وذلك بعدما أرسل ابن حمدان للخليفة يُعلمه أن ابن رائق كان يريد اغتياله - أى الخليفة - ففعل به ابن حمدان ما فعل.

(٢) فى الكامل: «الحسين».

(٣) فى م: «الفزارى».

الدولةِ أخاه سيفَ الدولةِ فى جيشٍ وراءَ أبى الحسينِ البَريدىِّ ، فلَقِيَه عندَ المَدائِنِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا فى أيامٍ نَحِساتٍ ، ثُم كان آخرَ الأمْرِ أن انْهَزَم أبو الحسينِ إلى أخيه بواسِطٍ ، وقد ركِب ناصرُ الدولةِ بنَفْسِه ، فنزَل [٩/٤٥و] المَدائنَ قوةً لأخيه .

وقد انْهَزم سيفُ الدولةِ مرةً مِن أبى الحُسينِ فردَّه أخوه ، وزاده جيشًا آخرَ حتى كسَر البَريدىَّ ، وأسَر جَماعةً مِن أعْيانِ أصْحابِه ، وقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ ، ثم أرْسَل أخاه سيفَ الدولةِ إلى واسطٍ لقِتالِ أبى عبدِ اللَّهِ البريدىِّ ، فانْهَزَم منه البَريدىُّ وأخوه إلى البَصْرةِ ، وتسَلَّم سيفُ الدولةِ واسِطًا ، وسيأتى ما كان مِن خَبَرِه مع البَريدىِّ فى السنةِ الآتيةِ إن شاء اللَّهُ تعالى .

وأما ناصرُ الدولةِ فإنه عاد إلى بَغْدادَ ، فدخَلها فى ثالثَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، وبينَ يديه الأُسارَى على الجِمالِ ، ففرِح الناسُ واطْمَأَنُّوا ، ونظَر فى المَصالحِ العامَّةِ ، وأصْلَح مِعْيارَ الدِّينارِ ، وذلك أنه وجَده قد غُيِّر عما كان عليه ، فضرَب دَنانيرَ سمَّاها الإبْرِيزيَّةَ ، فكانتْ تُباعُ كلُّ دِينارٍ بثلاثةَ عشَرَ درهمًا ، وإنما كان يُباعُ التى قبلَها بعشَرةٍ .

وعزَل الخليفةُ بدرًا الخَرَشَنِىَّ عن الحِجابةِ ، وولَّاها سَلَامةَ الطُّولُونىَّ ، وجعَل بدرًا على طريقِ الفُراتِ ، فسار إلى الإخْشِيدِ ، فأكْرَمه واسْتَنابه على دمشقَ ، فمات بها .

وفيها وصَلَت الرومُ إلى قَرِيب حَلَبَ ، فقتَلوا خَلْقًا ، وأسَروا نحوًا مِن خمسةَ عشَرَ ألفَ إنسانٍ . فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

وفيها دخَل الثملىُّ مِن طَرَسُوسَ إلى بلادِ الرومِ ، فقتَل وسبَى وغنِم وسلِم ، وأسَر مِن بَطارقتِهم المَشْهورِين فيهم خَلْقًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

إسْحاقُ بنُ محمدٍ أبو يَعقوبَ النَّهْرَجُورِىُّ[1] ، أحدُ مَشايخِ الصُّوفيةِ ، صحِب الجُنَيْدَ بنَ محمدٍ وغيرَه مِن أئمةِ القومِ ، وجاوَر بمكةَ حتى مات بها .

ومِن كلامِه الحسنِ قولُه[2] : مَفاوِزُ الدنيا تُقْطَعُ بالأقدامِ ، ومَفاوِزُ الآخِرةِ تُقْطَعُ بالقلوبِ .

الحسينُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ سعيدِ بنِ أبانٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الضَّبِّىُّ القاضى المَحَامِلِىُّ[3] ، الفَقيهُ الشافعىُّ المُحَدِّثُ ، سمِع الكثيرَ ، وأدْرَك خَلْقًا مِن أصْحابِ ابنِ عُيَيْنةَ نحوًا مِن سبعين رجلًا ، وروَى عن جَماعةٍ مِن الأئمةِ ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وخَلْقٌ ، وكان يَحْضُرُ مَجْلِسَه نحوٌ مِن عشَرةِ آلافٍ ، وكان صَدوقًا دَيِّنًا فَقِيهًا مُحَدِّثًا ، ولِى قَضاءَ الكوفةِ ستين سنةً ، وأُضِيف إليه قَضاءُ فارِسَ وأعْمالِها ، ثم اسْتَعْفَى مِن ذلك كلِّه ، ولزِم منزلَه ، واقْتَصَر على إسْماعِ الحديثِ . وكانت وفاتُه فى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً ، رَحِمه اللَّهُ .

وقد تَناظَر هو وبعضُ الشِّيعةِ[4] بحَضْرةِ بعضِ الأكابرِ ، فجعَل الشِّيعىُّ يَذْكُرُ مَواقِفَ علىٍّ يومَ بدرٍ وأُحدٍ والخَنْدقِ وخَيْبرَ وحُنَيْنٍ وشَجاعتَه ، ثم قال للمَحامِلِىِّ : أتَعْرِفُها ؟ قال : نعم ، ولكن أتَعْرِفُ أين كان الصِّدِّيقُ يومَ بدرٍ ؟ كان

---

(١) طبقات الصوفية ص ٣٧٨، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، والمنتظم ١٤/ ٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٧٨.

(٢) انظر طبقات الصوفية ص ٣٧٩، والمنتظم ١٤/ ٢٠.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٩، والمنتظم ١٤/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٥٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٨١، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٨٤.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٢١، ٢٢، والمنتظم ١٤/ ٢١، ٢٢.

مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى العَرِيشِ بمنزلةِ الرئيسِ الذى يُحامَى عنه [1] كما يُحامَى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ [1] ، وعلىٌّ فى مَقامِ المُبارَزةِ ، ولو فُرِض أنه انْهَزَم أو قُتِل ، لم يُهْزَمِ الجيشُ بسببِه . فأُفْحِمَ الشِّيعىُّ ، وقال له المحَامِلىُّ : وقد قدَّمه الذين روَوْا لنا الصلاةَ والزكاةَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حيث لا مالَ له ولا عبيدَ ولا عَشيرةَ تَمْنَعُه [٩/٤٥ظ] وتُحاجِفُ عنه ، وإنما قدَّموه لعِلْمِهم أنَّه خيرُهم . فأُفْحِم أيضًا .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ سهلٍ أبو الحسنِ الصائغُ [2] ، أحدُ العُبَّادِ الزهادِ أصحابِ الكَراماتِ ، رُوِى عن مُمْشادَ [3] الدِّينَوَرىِّ أنه شاهَد أبا الحسنِ الصائغَ يُصَلِّى فى الصحراءِ فى شدةِ الحرِّ ، ونَسْرٌ قد نشَر جَناحَه يُظِلُّه مِن الحرِّ .

قال ابنُ الأثيرِ [4] : وفيها تُوُفِّى علىُّ بنُ إسماعيلَ الأشْعَرىُّ المُتَكَلِّمُ صاحبُ المذهبِ المَشْهورِ ، وكان مَوْلِدُه سنةَ ستين ومائتين ، وهو مِن ولدِ أبى موسى الأشْعَرىِّ .

قلتُ : والصَّحيحُ أن الأشْعَرىَّ تُوُفِّى سنةَ أربعٍ وعشرين [5] ، كما تقدَّم .

قال [6] : وفيها تُوُفِّى **محمدُ بنُ يوسفَ بنِ النَّضْرِ الهَرَوىُّ** [7] الفَقِيهُ الشافعىُّ ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) طبقات الصوفية ص ٣١٢، وحلية الأولياء ١٠/٣٥٣، والمنتظم ١٤/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٥٦. وقد ذكره الحافظ الذهبى فى وفيات ٣٣١.

(٣) فى الأصل : «حمشاد» ، وفى المنتظم : «ممشاذ» . وقد اختلف فى ضبط الدال بين الإهمال والإعجام ، ففى صفة الصفوة ٤/ ٧٨، وحلية الأولياء ، والرسالة القشيرية بالدال المهملة ، وفى طبقات الصوفية ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠) ص ٣١٢، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٨٨ بالذال المعجمة .

(٤) الكامل ٨/ ٣٩٢.

(٥) بعده فى م : «ومائتين» . وهو خطأ . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٠١ .

(٦) الكامل ٨/ ٣٩٣.

(٧) تاريخ بغداد ٣/ ٤٠٥، وتاريخ دمشق ١٦/١٤١ مخطوط ، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٥٢، =

وكان مَوْلِدُه سنةَ تسعٍ وعشرين ومائتين، وأخَذ عن الربيعِ بنِ سليمانَ صاحبِ الشافعيِّ.

قلتُ: وقد **تُوُفِّي فيها أبو حامدِ** بنُ بلالٍ[1]، **وزكريا** بنُ أحمدَ البَلْخيُّ[2]، **وعبدُ الغافرِ** بنُ سَلَامةَ الحافِظُ[3]، **ومحمدُ** بنُ رائقٍ الأميرُ[4]، والشيخُ **أبو صالحٍ** مُفْلِحٌ الحَنْبليُّ[5]، واقِفُ مسجدِ أبي صالحٍ ظاهِرَ بابِ شَرْقيٍّ مِن دمشقَ، وكانتْ له كَراماتٌ وأحْوالٌ ومَقاماتٌ. وهذه ترجمةُ أبي صالحٍ الدمشقيِّ الذي يُنْسَبُ إليه المسجدُ ظاهرَ بابِ شرقيٍّ بدمشقَ:

مُفْلِحُ بنُ عبدِ اللَّهِ أبو صالحٍ المُتَعَبِّدُ، صحِب الشيخَ أبا بكرٍ محمدَ بنَ سيِّدِ حَمْدَوَيْهِ الدمشقيَّ، وتأَدَّب به، وروَى عنه المُوَحِّدُ بنُ إسْحاقَ بنِ البُرِّيِّ، وأبو الحسنِ عليُّ بنُ القُجَّةِ قَيِّمُ المسجدِ، وأبو بكرٍ محمدُ بنُ داودَ الدِّينَوَرِيُّ الدُّقِّيُّ.

= وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٩٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٢٤.

(١) الأنساب ٢/ ٣٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٧٨، والعبر ٢/ ٢٢١.

(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٨٣، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢٠٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٣٩٨.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ١٣٦، وتاريخ دمشق ١٠/ ٤٠٤ مخطوط، والمنتظم ١٤/ ٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٨٥.

(٤) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٢٤ مخطوط، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٨٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٦٩.

(٥) تاريخ دمشق ١٩/ ٨٠ مخطوط، ومختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠) ص ٢٩٤.

روَى الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] مِن طريقِ الدُّقِّيِّ، عن الشيخِ أبى صالحٍ قال: كنتُ أَطُوفُ بجبلِ اللُّكَّامِ[2] أَطْلُبُ الزُّهَّادَ، فمررْتُ برجلٍ وهو جالسٌ على صَخْرةٍ مُطْرِقًا، فقلتُ له: ما تَصْنَعُ هـٰهنا؟ فقال: أَنْظُرُ وأَرْعَى. فقلتُ له: لا أَرَى بينَ يديك إلاَّ الحِجارةَ. فقال: أَنْظُرُ خَواطِرَ قلْبى، وأرْعَى أوامِرَ ربى، وبحَقِّ الذى أَظْهَرَك علىَّ إلَّا جُزْتَ عنى. فقلتُ له: كَلِّمْنى بشىءٍ أَنْتَفِعُ به حتى أَمْضِىَ. فقال لى: مَن لَزِم البابَ أُثْبِت فى الخَدَم، ومَن أَكْثَر ذِكْرَ الذنوبِ[3] أَكْثَرَ النَّدَم، ومَن اسْتَغْنَى باللَّهِ أَمِن العَدَم. ثم تَرَكنى ومضَى.

وعن الشيخِ أبى صالحٍ قال[4]: مكَثْتُ ستةَ أو سبعةَ أيامٍ لم آكُلْ ولم أَشْرَبْ، ولحِقنى عَطَشٌ عظيمٌ، فجئتُ النهرَ الذى وراءَ المسجدِ، فجلَسْتُ أَنْظُرُ إلى الماءِ، فتَذَكَّرْتُ قولَه تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. فذهَب عنى العَطَشُ، فمكَثْتُ تَمامَ العشَرةِ أيامٍ.

وعنه قال[5]: مكَثْتُ مرةً أرْبعين يومًا لم أَشْرَبْ ماءً، فلَقِيَنى الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ سيِّدٍ حَمْدَوَيْهِ، فأخَذ بيدى وأدْخَلَنى منزلَه، وجاءنى بماءٍ وقال لى: اشْرَبْ. فشَرِبْتُ، فأخَذ فَضْلَتى وذهَب إلى امْرأتِه وقال لها: اشْرَبى فَضْلَ رجلٍ قد مكَث أرْبَعين يومًا لم يَشْربِ الماءَ. قال أبو صالحٍ: ولم يَكُنِ اطَّلَع على ذلك منِّى أحدٌ إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/٨٠ مخطوط.
(٢) اللكام: الجبل المشرف على أنطاكية والمصِّيصة وطرسوس. انظر معجم البلدان ٤/٣٦٤.
(٣) فى م: «الموت».
(٤) انظر تاريخ دمشق ١٩/٨٠ مخطوط، ومختصره ٢٩/١٦.
(٥) انظر تاريخ دمشق ١٩/ ٨٠، ٨١ مخطوط، ومختصر تاريخ دمشق ٢٩/١٧.

ومِن كلامِ أبى صالحٍ[1] : الدنيا حَرامٌ على القُلوبِ ، حَلالٌ على النُّفوسِ ؛ لأنَّ كلَّ شىءٍ يَحِلُّ لك أن تَنْظُرَ إليه[2] بعينِ رأسِك ، فيَحْرُمُ عليك [٩/٤٦و] أن تَنْظُرَ إليه[2] بعينِ قَلْبِك .

وكان يَقولُ[3] : البدَنُ لِباسُ القلبِ ، والقلبُ لِباسُ الفُؤادِ ، والفُؤادُ لِباسُ الضَّميرِ ، والضَّميرُ لِباسُ السِّرِّ ، والسِّرُّ لِباسُ المَعْرفةِ .

ولأبى صالحٍ مَناقِبُ كثيرةٌ ، رحِمه اللَّهُ . وقد كانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ١٩/٨٠ مخطوط ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٩/١٦.
(٢) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .
(٣) انظر المصدرين السابقين .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وثلاثين وثلاثمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] دخَل سيفُ الدولةِ إلى واسِطٍ وقد انْهَزَم عنها أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ وأخوه أبو الحسينِ، ثم اخْتَلَف التُّرْكُ على سيفِ الدولةِ ومالُوا إلى تُوزُونَ، وهَمَّ بالقبضِ على سيفِ الدولةِ، فهرَب منهم قاصِدًا إلى بغدادَ، وبلَغ أخاه [2] ناصرَ الدولةِ أبا محمدٍ الحسنَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ حَمْدانَ المُلَقَّبَ [2] بأميرِ الأمراءِ ببغدادَ الخبرُ، فخرَج مِن بغدادَ إلى المَوْصِلِ، فنُهِبَت دارُه ببغدادَ، وكانتْ إمارةُ ناصرِ الدولةِ على بغدادَ ثلاثةَ عشَرَ شهرًا وخمسةَ أيامٍ، وجاء أخوه سيفُ الدولةِ بعدَ خروجِه منها، فنزَل ببابِ حَرْبٍ، وطلَب مِن الخليفةِ المُتَّقِى للَّهِ أن يُمِدَّه بمالٍ يَتَقَوَّى به على حربِ تُوزُونَ، فبعَث إليه بأربعِمائةِ ألفِ درهمٍ، ففرَّقها فى أصحابِه. وحينَ سمِع بقُدومِ تُوزُونَ خرَج مِن بغدادَ، ودخَلها تُوزُونُ فى الخامسِ والعشرين مِن رمضانَ، فخلَع عليه الخليفةُ، وجعَله أميرَ الأمراءِ، واستَقَرَّ أمرُه ببغدادَ، وعندَ ذلك رجَع أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ إلى واسِطٍ، وأخرَج مَن كان بها مِن أصحابِ تُوزُونَ، وكان فى أسْرِ تُوزُونَ غلامٌ لسيفِ الدولةِ يقالُ له: ثِمالٌ. فأرسَلَه إلى مَوْلاه، فحَسُن موقعُ ذلك عندَ آلِ حَمْدانَ.

---

(١) المنتظم ١٤/٢٦ - ٢٨، والكامل ٨/٣٩٤ - ٤٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٥ - ٨. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٣٥ - ٣٤٠.

(٢ - ٢) سقط من: م. وفى الأصل، ص، ظ: «أبا عبد اللَّه الحسين بن سعد بن حمدان الملقب». والمثبت من مصادر ترجمته. انظر وفيات الأعيان ٢/ ١١٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٨٦، والوافى بالوفيات ١٢/ ٨٩، والكامل ٨/ ٥٩٣. وأبو عبد اللَّه الحسين بن سعيد - وليس سعدا - بن حمدان هو ابن عم ناصر الدولة. انظر الكامل ٨/ ٤٠٦.

وفيها كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ ببلادِ نَسَا، سقَط منها عِماراتٌ كثيرةٌ، وهلَك بسببِها خلقٌ كثيرٌ.

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1]: وكان ببغدادَ فى أَيْلُولَ[2] وتَشْرِينَ حرٌّ شديدٌ يَأْخُذُ بالأنفاسِ، وفى صفَرٍ ورَد الخبرُ بوُرودِ الرومِ إلى أَرْزَنَ ومَيَّافارِقِينَ، وأنهم سَبَوْا وأَحرَقوا. وفى ربيعِ الآخِرِ من هذه السنةِ عُقِدَ عَقْدُ أبى منصورٍ إسحاقَ بنِ الخليفةِ المُتَّقِى للَّهِ على علويةَ بنتِ ناصرِ الدولةِ بنِ محمدِ بنِ حَمْدانَ، على صَداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ وألفِ ألفِ درهمٍ[3]، وولِى العَقْدَ على الجاريةِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أبى موسى الهاشمىُّ، ولم يَحْضُرْ ناصرُ الدولةِ. وضرَب ناصرُ الدولةِ سِكَّةً، زاد فى الكتابةِ عليها: عبدُ آلِ محمدٍ.

قال ابنُ الجَوْزىِّ[4]: وفى آذارَ[5] مِن هذه السنةِ غلَت الأسعارُ حتى أكَل الناسُ الكلابَ، ووقَع الوَباءُ فى الناسِ، ووافَى مِن الجرادِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا، حتى بِيعَ منه كلُّ خمسين رِطْلًا بدرهمٍ، فارْتَفَق الناسُ به فى الغَلاءِ.

وفيها ورَد كتابُ ملكِ الرومِ إلى الخَليفةِ يَطْلُبُ فيه مِنْديلًا بكنيسةِ الرُّهَا كان المَسِيحُ قد مسَح وجهَه به، فصارَت صورةُ وجهِه فيه، ويَعِدُ المسلمين أنه إذا أُرْسِل إليه يَبْعَثُ من أُسارَى المسلمين خَلْقًا كثيرًا، فأحْضَر الخليفةُ العلماءَ، فاستشارهم فى ذلك؛ فمِن قائلٍ: نحن أحَقُّ بعيسى منهم، وفى بعثِه إليهم

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٦.

(٢) أيلول: سبتمبر.

(٣) فى المنتظم: «مائة ألف دينار وخمسمائة درهم». وانظر الكامل ٨/ ٤٠٤.

(٤) المنتظم ١٤/ ٢٧.

(٥) آذار: مارس.

غَضاضةٌ [٤٦/٩ظ] على المسلمين ووَهَنٌ. فقال عليُّ بنُ عيسى الوزيرُ: يا أميرَ المؤمنين، إنقاذُ أُسارَى المسلمين مِن أيدى الكفارِ خيرٌ وأنْفَعُ للناسِ مِن بقاءِ ذلك المِنديلِ بتلك الكنيسةِ. فأمَرالخليفةُ بإرسالِ ذلك المِنديلِ إليهم وتخليصِ الأُسارَى مِن أيديهم.

قال الصُّوليُّ[1]: ووصَل الخبرُ بأن القِرْمِطيَّ وُلِد له مولودٌ، فأهْدَى إليه أبو عبدِ اللَّهِ البَريدىُّ هَدايا عظيمةً، منها مَهْدٌ مِن ذهَبٍ، مُرَصَّعٌ بالجَوْهرِ[2]. وكَثُر الرَّفْضُ ببغدادَ، فنُودِى بها: مَن ذكَر أحدًا مِن الصحابةِ بسُوءٍ فقد برِئَت منه الذِّمَّةُ.

وبعَث الخليفةُ إلى عِمادِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ خِلَعًا، فقبِلها ولبِسها بحَضْرةِ القُضاةِ والأعْيانِ.

وفيها[3] كانت وفاةُ **السعيدِ نصرِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ السامانىِّ** صاحبِ خُراسانَ وما وراءَ النهرِ، وقد مرِض قبلَ موتِه بالسِّلِّ سنةً وشهرًا، واتَّخَذ فى دارِه بيتًا سمَّاه بيتَ العِبادةِ، فكان يَلْبَسُ ثيابًا نِظافًا، ويَمْشِى إليه حافيًا، ويُصَلِّى فيه، ويَتَضَرَّعُ ويُكْثِرُ الصلاةَ، وكان يَجْتَنِبُ المنكَراتِ والآثامَ إلى أن مات، رحِمه اللَّهُ، فقام بالأمرِ مِن بعدِه ولدُه نوحُ بنُ نصرٍ السامانىُّ، ولُقِّب بالأميرِ الحَميدِ، فقتَل محمدَ بنَ أحمدَ النَّسَفىَّ[4] - وكان قد طُعِن فيه عندَه - وصلَبه.

---

(١) المنتظم ٢٧/١٤.

(٢) بعده فى م: «وجلاله منسوج بالذهب محلى باليواقيت وغير ذلك، وفيها».

(٣) الكامل ٤٠١/٨ - ٤٠٣.

(٤) بعده فى الأصل، ص: «الردهى»، وبعده فى ظ: «الرديفى»، وفى الكامل ٤٠٤/٨: «البردهى».

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

(١ **سِنانُ بنُ ثابتِ** ١) **بنِ قُرَّةَ الصابِئُ أبو سعيدٍ المُتَطَبِّبُ** ، أسلَم على يدِ القاهرِ باللَّهِ ، ولم يُسْلِمْ ولدُه ولا أحدٌ مِن أهلِ بيتِه ، وقد كان مُقَدَّمًا فى الطِّبِّ وفى علومٍ كثيرةٍ . وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ بعِلَّةِ الذَّرَبِ[٢] ، فلم تُغْنِ عنه صناعتُه شيئًا حينَ جاءه الموتُ . وما أحسَنَ ما قال بعضُ الشعراءِ فى هذا المعنَى :

قلْ للذى صنَع الدواءَ[٣] بكَفِّه ... أتَرُدُّ مَقْدورًا عليك قد جرَى

مات المُدَاوَى والمُداوِى والذى ... صنَع الدواءَ[٣] بكفِّه ومَن اشْتَرَى

أبو الحسنِ الأشعرىُّ[٤] ، ذكَر ابنُ الجَوْزىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[٥] وَفاةَ الأشْعَرىِّ فى هذه السنةِ ، وتكَلَّم فيه ، وحطَّ عليه كما جرَت عادةُ الحَنابلةِ ؛ يَتكَلَّمون فى الأشْعَريةِ قديمًا وحَديثًا . وذكَر أنه وُلِد سنةَ ستين ومائتَيْن ، وأنه تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وأنه صَحِب الجُبَّائىَّ أربعين سنةً ، ثم رجَع عنه ، وأنه تُوُفِّى ببغدادَ ، ودُفِن بمَشْرَعةِ الرَّوَايا[٦] .

(١ - ١) فى النسخ : « ثابت بن سنان » . والمثبت من مصادر ترجمته : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٠٠، والفهرست لابن النديم ص ٣٥٩، والمنتظم ١٤/ ٢٨، والكامل ٨/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٨.

وسيأتى ذكر وفاة ثابت بن سنان - وهو ابن سنان بن ثابت - ضمن وفيات سنة ٣٦٥.

(٢) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه . اللسان (ذ ر ب) .

(٣) فى الأصل ، ص ، ظ : « الشراب » .

(٤) تقدمت ترجمته فى وفيات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ص ١٠١.

(٥) المنتظم ١٤/ ٢٩.

(٦) فى م ، ب : « السروانى » .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ بنِ شَيْبةَ بنِ الصَّلْتِ السَّدوسيُّ مولاهم أبو بكرٍ[1] ، سمِع جدَّه وعباسًا الدُّوريَّ وغيرَهما ، وعنه أبو عمرَ بنُ مَهْديٍّ ، وكان ثِقةً .

وروَى الخَطيبُ[2] أن والدَ محمدٍ هذا حينَ وُلِد أخَذ طالعَ مَوْلِدِه المُنَجِّمون ، فحسَبوا عمرَه وقالوا : إنه يَعِيشُ كذا وكذا . فأرْصَد له أبوه حُبًّا[3] ، فيه عن كلِّ يومٍ مِن عمرِه دينارٌ ، ثم أرْصَد له حُبًّا آخرَ كذلك ، ثم آخرَ كذلك ، فكان يَعْدِلُ كلَّ يومٍ بثلاثةِ دَنانيرَ ، ومع هذا ما أفادَه شيئًا ، بل افْتَقَر حتى صار يَسْتَعْطِى مِن الناسِ ، وكان يَحْضُرُ مجلسَ السَّماعِ عليه بلا إزارٍ ، يَتَصَدَّقُ عليه أهلُ المجلسِ بشيءٍ يَقومُ بأَوَدِه . والسعيدُ مَن أسعَده اللَّهُ .

محمدُ بنُ مَخْلَدِ [٩/٤٧و] **بنِ حَفْصٍ أبو عمرَ الدُّوريُّ العَطَّارُ**[4] ، كان يَسْكُنُ الدُّورَ ، وهى مَحَلَّةٌ بطَرَفِ بغدادَ . سمِع الحسنَ بنَ عَرفةَ والزُّبيرَ بنَ بَكَّارٍ ومسلمَ بنَ الحَجَّاجِ وغيرَهم ، وعنه الدارَقُطْنيُّ وجَماعةٌ من الحُفَّاظِ ، وكان ثِقةً فَهِمًا واسعَ الروايةِ ، مَشْكورَ الديانةِ ، مشهورًا بالعبادةِ . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ ، وقد استَكمَل سبعًا وتِسعين[5] سنةً وثمانيةَ أشهرٍ وأحدًا وعشرين يومًا .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٧٣، والأنساب ٣/ ٢٣٧، والمنتظم ١٤/ ٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٥٧.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٧٤.

(٣) فى م : «جبا» ، وفى ظ : «صافية» . والحُبّ : الجرة الضخمة . اللسان (ح ب ب) .

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٣٠١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٣، والمنتظم ١٤/ ٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٦٢.

(٥) فى م : «سبعين» .

المجنونُ البَغْدادىُّ[1] ، روَى ابنُ الجَوْزىِّ مِن طريقِ أبى بكرٍ الشِّبْلىِّ قال : رأيتُ مَجنونًا عندَ جامعِ الرُّصافةِ وهو عُرْيانٌ ، وهو يقولُ : أنا مجنونُ اللَّهِ ، أنا مجنونُ اللَّهِ . فقلتُ له : ما لك ؟ ألا تَسْتَتِرُ وتَدْخُلُ الجامعَ وتُصَلِّى ؟ فأنْشَأ يقولُ :

يَقُولُون زُرْنا واقْضِ واجبَ حَقِّنا ... وقد أَسقَطَت حالى حُقوقَهمُ عنى
إذا هم رأَوْا حالى ولم يَأْنَفوا لها ... ولم يَأْنَفوا منها أَنِفْتُ لهمْ منى

(١) المنتظم ١٤/٣٣ ، وسيأتى فى ص ١٨٦.

ثم دخَلت سنةُ ثنتَيْن وثلاثين وثلاثمائةٍ

فيها[1] خرَج المُتَّقِى للَّهِ مِن بغدادَ إلى المَوْصِلِ مُغاضِبًا لتُوزُونَ أميرِ الأمراءِ، وكان إذ ذاك بواسِطٍ، وقد زوَّج ابنتَه مِن أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىِّ، وصارا يدًا واحدةً على الخليفةِ، وأرسَل ابنَ شِيرزادَ فى ثلاثِمائةٍ إلى بغدادَ، فأفسَد فيها وقطَع ووصَل، واستَقَلَّ بالأمورِ مِن غيرِ مراجَعةِ المُتَّقى للَّهِ، فغضِب المُتَّقى، وخرَج منها مُغاضِبًا بأهلِه وأولادِه ووزيرِه ومَن اتَّبَعه مِن الأُمراءِ وأعيانِ أهلِ بغدادَ قاصدًا بنى حَمْدانَ، فتَلَقَّاه سيفُ الدولةِ إلى تَكْرِيتَ، ثم جاءه ناصرُ الدولةِ وهو بتَكْرِيتَ أيضًا، وحينَ خرَج المُتَّقى مِن بغدادَ أكثرَ ابنُ شِيرزادَ الفسادَ، وظلَم أهلَها وصادَرهم، وأرسَل يُعْلِمُ تُوزُونَ، فأقْبَل مسرعًا نحو تَكْرِيتَ، فتواقَع هو وسيفُ الدولةِ، فهزَم تُوزونُ سيفَ الدولةِ، وأخَذ مُعَسْكرَه ومُعَسْكرَ أخيه ناصرِ الدولةِ، ثم كرَّ إليه سيفُ الدولةِ، فهزَمه تُوزونُ أيضًا، وانهَزَم الخليفةُ المُتَّقى وناصرُ الدولةِ وسيفُ الدولةِ مِن المَوْصِلِ إلى نَصِيبينَ، وجاء تُوزونُ فدخَل المَوْصِلَ، وأرسَل إلى الخليفةِ يَطْلُبُ رِضاه، فأرْسَل الخليفةُ يقولُ: لا سبيلَ إلى ذلك إلا أن تُصالحَ بنى حَمْدانَ. فاصطلَحوا، وضمِن ناصرُ الدولةِ بلادَ المَوْصِلِ بثلاثةِ آلافِ ألفٍ وستِّمائةِ ألفٍ، ورجَع تُوزونُ إلى بغدادَ، وأقام الخليفةُ عندَ بنى حَمْدانَ.

وفى غَيْبةِ تُوزونَ عن واسِطٍ أقبَل إليها مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ فى خَلْقٍ مِن الدَّيْلَمِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٤، ٣٥، والكامل ٨/٤٠٦ - ٤١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٩ - ١٨. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ٣٤١، ٣٤٢.

كَثيرين ، فانحدَر تُوزونُ مسرعًا إلى واسِطٍ ، فاقتَتل مع مُعِزِّ الدولةِ بِضْعةَ عشَرَ يومًا ، فكان آخرَ الأمرِ أن انهَزم مُعِزُّ الدولةِ ، ونُهِبَت حَواصِلُه ، وقُتِل مِن جيشِه خَلْقٌ كثيرٌ ، وأُسِر جماعةٌ مِن أشرافِ أصحابِه ، ثم عاوَد تُوزُونَ ما كان يَعْتَرِيه مِن مرضِ الصَّرْعِ ، فشُغِل بنفسِه ، فرجَع إلى بغدادَ .

وفيها قتَل أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ أخاه أبا يوسُفَ ، [٩/٤٧ظ] وكان سببَ ذلك أن أبا عبدِ اللَّهِ قلَّ ما فى يدِه مِن الأمْوالِ ، فكان يَستَقْرِضُ مِن أخيه أبى يوسُفَ ، فيُقْرِضُه القليلَ ثم يُشَنِّعُ عليه ويَذُمُّ تَصَرُّفَه ، فمال الجندُ إلى أبى يوسُفَ ، وأعرَضوا عن أبى عبدِ اللَّهِ ، فخشِى أبو عبدِ اللَّهِ أن يُبايِعوه ويَتْركوه ، فأرسَل إليه طائفةً مِن غِلمانِه فقتَلوه غِيلةً ، ثم انتَقَل إلى دارِه ،وأخَذ جميعَ حَواصِلِه وأموالِه ، فكان قيمةُ ما استَحوَذ عليه مِن الأموالِ يُقارِبُ (١ ثلاثةَ آلافِ ١) ألفِ دينارٍ ، ولم يُمَتَّعْ بعده إلا ثمانيةَ أشهرٍ ، مرِض فيها مرَضًا شديدًا بالحُمَّى الحادَّةِ ، حتى كانت وفاتُه فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، فقام بالأمرِ بعدَه أخوه أبو الحسينِ ، قبَّحه اللَّهُ ، فأساء السيرةَ فى أصحابِه ، فثاروا به فلجَأ إلى القَرامِطةِ ، فاستَجار بهم ، فقام بالأمرِ مِن بعدِه أبو القاسمِ بنُ أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ فى بلادِ واسِطٍ والبَصْرةِ وتلك النَّواحى مِن الأهْوازِ وغيرِها .

وأما الخليفةُ المُتَّقِى للَّهِ فإنه لما أقام عندَ آلِ حَمْدانَ بالمَوْصِلِ ظهَر له منهم تَضَجُّرٌ ، وأنهم يَرْغَبون فى مُفارقتِه ، فكتَب إلى تُوزُونَ فى الصلحِ ، فاجتَمع تُوزُونُ مع القضاةِ والأعيانِ ببغدادَ ، وقرَءُوا كتابَ الخليفةِ ، وقابَله بالسمعِ والطاعةِ ، وحلَف له ووضَع خَطَّه بالإقرارِ له ولمَن معه بالإكرامِ والاحترامِ

(١ - ١) فى الأصل : « ثلاثمائة آلاف » ، وفى م : « ثلاثمائة ألف » . وانظر المنتظم ١٤/ ٣٥.

والخضوعِ ، فكان مِن الخليفةِ ودخولِه إلى بغدادَ ما سيأْتى فى السنةِ الآتيةِ .

وفى هذه السنةِ أقْبَلَت طائفةٌ مِن الرُّوسِ فى البحرِ إلى نَواحى أَذْرَبِيجانَ ، فقصَدوا بَرْدَعةَ فحاصَروها ، فلما ظفِروا بأهلِها قتَلوهم عن آخِرِهم ، وغنِموا أموالَهم ، وسبَوْا مَن استَحسَنوا مِن نسائِهم ، ثم مالوا إلى مَرَاغةَ ، فوجَدوا فيها ثمارًا كثيرةً ، فأكَلوا منها ، فأصابهم وباءٌ شديدٌ ، فمات أكثرُهم ، فكان إذا مات أحدُهم دفَنوا معه سلاحَه ومالَه ، فيأْخُذُه المسلمون ، وأقبَل إليهم المَرْزُبانُ بنُ محمدٍ فقاتَلَهم ، فقتَل منهم (١ خلقًا كثيرًا أيضًا ، مع ما أصابَهم من الوباءِ الشديدِ ، وطَهَّر اللَّهُ تلك البلادَ منهم ١) .

وفى ربيعِ الأولِ من هذه السنةِ جاء الدُّمُسْتُقُ ملكُ الرومِ إلى رأسِ العَيْنِ فى ثمانين ألفًا ، فدخَلها ونهَب ما فيها ، وقتَل أهلَها وسبَى منهم نحوًا مِن خمسةَ عشَرَ ألفًا ، وأقام بها ثلاثةَ أيامٍ ، فقصَدَتْه الأعرابُ مِن كلِّ وجهٍ ، فقاتَلوه قتالًا عظيمًا حتى انجَلَى عنها .

وفى جُمادَى الأُولى منها غلَت الأسعارُ ببغدادَ جدًّا ، وكثُرَت الأمطارُ جدًّا حتى تهَدَّم البناءُ ، ومات كثيرٌ مِن الناسِ تحتَ الهَدْمِ ، وتعَطَّلَت كثيرٌ من الحَمَّاماتِ والمساجدِ مِن قِلَّةِ الناسِ ، ونقَصَت قيمةُ العَقارِ حتى كان يُباعُ بالدرهمِ ما كان يُساوِى الدينارَ ، وخَلت أكثرُ الدُّورِ ، فكان المُلَّاكُ يُعْطُون مَن يَسْكُنُها أُجْرةً ليَحْفَظَها عليهم مِن الداخلِين إليها لتخريبِها . وكثُرت الكَبَساتُ مِن اللصوصِ بالليلِ ، حتى كان الناسُ يَتَحارَسون بالبُوقاتِ والطُّبولِ ، وكثُرَت الفتنُ مِن كلِّ جهةٍ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ونعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا .

(١ - ١) سقط من : م .

وفى رمضانَ مِن هذه [٩/٤٨و] السنةِ كانت وفاةُ أبى طاهرٍ سليمانَ بنِ أبى سعيدٍ الحسنِ الجنَّابىِّ الهَجَرىِّ القِرْمِطىِّ رئيسِ القَرامِطةِ، لعَنه اللَّهُ، وهذا هو الذى قتَل الحَجيجَ حولَ الكعبةِ وفيها، وسلَبها سُتُورَها وبابَها وحليتَها، واقتَلَع الحجرَ الأسودَ مِن ركنِها، وحمَله إلى بلدِه هَجَرَ، وهو فى هذه المدةِ كلِّها عندَه مِن سنةِ سَبْعَ عشْرةَ كما ذكَرنا، ولم يَرُدَّه إلى سنةِ تسعٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ كما سيأْتى. ولما مات أبو طاهرٍ هذا قام بالأمرِ مِن بعدِه فى القرامطةِ إخوتُه الثلاثةُ؛ وهم أبو العباسِ الفَضْلُ، وأبو القاسمِ سعيدٌ، وأبو يَعْقوبَ يوسُفُ، بنو أبى سعيدٍ الجنَّابِىِّ، لعَنَهم اللَّهُ، وكان أبو العباسِ ضعيفَ البدَنِ، مُقْبِلًا على قراءةِ الكتبِ، وكان أبو يعقوبَ مقبِلًا على اللهوِ واللعبِ، ومع هذا كلمةُ الثلاثةِ واحدةٌ لا يَخْتَلِفون فى شىءٍ، وكان لهم سبعةٌ مِن الوزراءِ مُتَّفِقون أيضًا، قَبَّحهم اللَّهُ أجمعين.

وفى شوَّالٍ منها تُوُفِّى أبو عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ كما ذكَرنا، فاستَراح المسلمون مِن هذا وهذا.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أبو العباسِ بنُ عُقْدةَ الحافِظُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، أبو العباسِ الكوفىُّ[1]، المعروفُ بابنِ عُقْدةَ، لُقِّب أبوه بذلك مِن أجلِ تَعْقيدِه فى التَّصْريفِ والنحوِ، وكان عُقْدةُ وَرِعًا ناسكًا، وكان أبو العباسِ بنُ عُقْدةَ مِن الحفَّاظِ الكبارِ، سمِع الحديثَ الكثيرَ، ورحَل فسمِع مِن خلائقَ مِن المشايخِ،

---

(١) الكامل فى الضعفاء ١/ ٢٠٨، وتاريخ بغداد ٥/ ١٤، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ١/ ٨٥، والمنتظم ١٤/ ٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٦٧، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٩٥.

وسمِع منه الطَّبَرانىُّ والدارَقُطْنىُّ وابنُ الجِعَابىِّ وابنُ عَدِىٍّ وابنُ المُظَفَّرِ وابنُ شاهِينَ .

قال الدارَقُطْنىُّ[1] : أجْمَع أهلُ الكوفةِ أنه لم يُرَ مِن زمنِ ابنِ مسعودٍ إلى زمانِ ابنِ عُقْدةَ أحفَظُ منه .

ويقالُ[2] : إنه كان يَحْفَظُ نحوًا مِن ستِّمائةِ ألفِ حديثٍ ، منها ثلاثُمائةِ ألفٍ فى فضائلِ أهلِ البيتِ ، بما فيها مِن الصِّحاحِ والضِّعافِ ، وكانت كُتُبُه ستَّمائةِ حِمْلِ جملٍ ، وكان يُنْسَبُ مع هذا كلِّه إلى التَّشَيُّعِ[3] .

قال الدارَقُطْنىُّ[4] : كان رجلَ سَوْءٍ .

ونسَبه ابنُ عَدِىٍّ[5] إلى أنه كان يُسَوِّى النُّسَخَ لأشياخٍ ، ويَأْمُرُهم برِوايتِها .

وقال الخَطيبُ[6] : حدَّثنى علىُّ بنُ محمدِ بنِ نصرٍ قال : سمِعْتُ حمزةَ بنَ يوسُفَ ، سمِعْتُ أبا عمرَ بنَ حَيُّوْيَةَ يقولُ : كان ابنُ عُقْدةَ يَجْلِسُ فى جامعِ بَرَاثا يُمْلِى مَثالِبَ الصحابةِ - أو قال : الشيخَيْن - فترَكْتُ حديثَه لا أُحَدِّثُ عنه بشىءٍ .

قلتُ : وقد حرَّرْتُ الكلامَ فيه بما فيه كفايةٌ فى كتابى « التَّكْميلِ » . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ منها .

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٦، والمنتظم ١٤/ ٣٦.
(٢) تاريخ بغداد ٥/ ١٦، ١٧.
(٣) بعده فى م : « والمغالاة » .
(٤) المصدر السابق ٥/ ٢٢، والمنتظم ١٤/ ٣٧.
(٥) الكامل ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.
(٦) تاريخ بغداد ٥/ ٢٢.

أحمدُ بنُ عامرِ بنِ بِشْرِ بنِ حامدٍ أبو حامدٍ المَرْوَرُّوذىُّ[1] ، نِسْبةً إلى مَرْوِالرُّوذِ - والرُّوذُ النهرُ - الفقيهُ الشافعىُّ تلميذُ الشيخِ أبى إسحاقَ المَرْوَزىِّ ، نِسبةً إلى مَرْوِالشاهِجانِ ، وهى أعظمُ مِن تلك . شرَح « مُخْتَصرَ المُزَنىِّ » ، وله كتابُ « الجامعِ » فى المَذْهَبِ ، وصنَّف فى أُصولِ الفقهِ ، وكان إمامًا لا يُشَقُّ غُبارُه . تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) طبقات الفقهاء ص ١١٤، ووفيات الأعيان ١/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٦٦، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٦٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ١٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٧٧. وفى هذه المصادر كلها - عدا طبقات الفقهاء ووفيات الأعيان وتاريخ الإسلام - جاء اسمه : « أحمد بن بشر بن عامر » . وذكر السبكى والإسنوى فى الطبقات أن الشيخ أبا إسحاق جعل عامرًا أباه وبشرا جدَّه . وذكر الإسنوى أن الصواب العكس . وقد ترجمه الذهبى مرة أخرى باسم : « أحمد بن عامر بن بشر » فى تاريخه ضمن وفيات سنة ٣٦٢. وهو العام الذى أوردته فيه جميع مصادر الترجمة المذكورة .

[٤٨/٩ظ] ثم دخَلَت سنةُ

ثلاثٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ

فيها[١] رجَع الخليفةُ المُتَّقِى إلى بغدادَ ، وخُلِع مِن الخِلافةِ وسُمِلَت عيناه . كان المُتَّقِى وهو مُقِيمٌ بالموصِلِ قد أرْسَل إلى الإخْشِيدِ محمدِ بنِ طُغْجٍ صاحبِ الديارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ ، فأقْبَل إليه وقَدِم عليه فى المُنْتَصَفِ مِن المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، وخضَع للخليفةِ غايةَ الخُضوعِ ، وكان يَقومُ بينَ يديه كما يَقومُ الغِلمانُ ، ويَمشِى والخليفةُ راكبٌ ، ثم عرَض عليه أن يَسِيرَ[٢] معه إلى الديارِ المصريةِ أو يُقِيمَ ببلادِ الشامِ ، فأبَى عليه ذلك ، فأشار عليه بالمُقامِ بمكانِه الذى هو فيه ، ولا يَذْهَبُ إلى تُوزُونَ ببغدادَ ، وحذَّره مِن تُوزُونَ ومَكْرِه وخَديعتِه ، فلم يَقْبَلْ ، وكذلك أشار [٣]على الوزيرِ أبى حسينٍ[٣] بنِ مُقْلةَ فلم يَسْمَعْ ، فأهْدَى ابنُ طُغْجٍ للخليفةِ هدايا كثيرةً فاخرةً ، وكذلك إلى الأمراءِ والكُبراءِ والوزيرِ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى بلادِه . وقد اجتاز بحَلَبَ ، فانحاز عنها صاحبُها أبو عبدِ اللَّهِ بنُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ ، وكان ابنُ مُقاتِلٍ بها ، فأرْسَله إلى الديارِ المصريةِ نائبًا عنه حتى يَعودَ إليها .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٩، ٤٠، والكامل ٤١٨/٨ - ٤٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٥٠) ص ١٩ - ٢٣، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٤٧ - ٣٥١.

(٢) فى الأصل، م، ظ: «يصير».

(٣ - ٣) فى م: «عليه وزيره أبو حسين».

وأما الخليفةُ فإنه ركِب مِن الرَّقَّةِ فى دِجْلةَ إلى بَغدادَ ، وأرسَل إلى تُوزُونَ فاستَوثَق منه ما كان حلَف مِن الأيمانِ ، فأكَّدَها وقرَّرها ، فلما اقترَب منها خرَج إليه تُوزُونُ ومعه العساكرُ ، فلما رأَى الخليفةَ قبَّل الأرضَ بينَ يديه ، وأظْهَر له أنه قد وفَّى له بما كان حلَف عليه ، وأنْزَله فى مِضْرَبِه[1] ، ثم جاء فاحتاط على مَن معه مِن الكُبَراءِ ، وأمَر بسَمْلِ عَيْنَيِ الخليفةِ فسُمِلَت عَيْناه ، فصاح صَيْحةً عظيمةً سمِعها الحُرَمُ ، فضَجَّتِ الأصواتُ بالبكاءِ ، فأمَر تُوزُونُ بضربِ الدَّبادِبِ حتى لا تُسْمَعَ أصواتُ الحُرَمِ ، ثم انحَدر مِن فَوْرِه إلى بَغدادَ فبايَع للمُسْتَكْفِى باللَّهِ ، فكانت خلافةُ المُتَّقى للَّهِ ثلاثَ سنين وخمسةَ أشهرٍ وعشرين يومًا ، وقيل[2] : وأحدَ عشَرَ شهرًا . وستأتى ترجمتُه عندَ ذِكرِ وفاتِه .

خِلافةُ المُسْتَكْفِى باللَّهِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُكْتَفِى بنِ المُعْتَضِدِ[3]

لما رجَع تُوزُونُ إلى بغدادَ وقد خلَع المُتَّقِىَ للَّهِ وسَمَلَه ، اسْتَدعَى بعبدِ اللَّهِ بنِ المُكْتَفِى فبايَعه على الخلافةِ ، ولُقِّب بالمُسْتَكْفِى باللَّهِ ، وذلك فى العَشْرِ الأواخِرِ مِن صفَرٍ مِن هذه السنةِ ، وجلَس تُوزُونُ بينَ يديه ، وخلَع عليه المُسْتَكْفِى خِلْعةً سَنِيَّةً ، وكان المُسْتَكْفِى مَليحَ الشَّكْلِ رَبْعةً ، حسنَ الجسمِ والوجهِ ، أبيضَ اللونِ

---

(١) فى م : « منظرته » . والمضرب : فسطاط المَلِك . اللسان (ض ر ب) .
(٢) المنتظم ١٤/ ٣٩.
(٣) المنتظم ١٤/ ٤٠، والكامل ٨/ ٤٢٠ - ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٢٠، ٢١. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٤٩.

مُشْرَبًا حُمْرةً ، أكْحَلَ ، أقْنَى الأنفِ ، خَفِيفَ العارِضَيْن ، وكان عمرُه يومَ بُويع بالخِلافةِ إحدى وأربَعين سنةً ، وأُحضِر المُتَّقى بينَ يديه ، وبايَعه وأخَذ منه البُرْدةَ والقَضيبَ ، واستَوزَر أبا الفرجِ محمدَ بنَ عليٍّ السامَرِّيَّ[1] ، ولم يَكُنْ إليه مِن الأمرِ شيءٌ ، وإنما الذى يَتَوَلَّى الأمورَ ابنُ شِيرْزادَ ، وحُبِس المُتَّقِى فى السجنِ ، وطلَب المُسْتَكْفِى أبا القاسمِ الفَضْلَ بنَ المُقْتَدِرِ - وهو الذى ولِى الخلافةَ بعدَ ذلك ، ولُقِّب المُطِيعَ للَّهِ - فاختَفَى منه ، ولم يَظْهَرْ مدةَ خلافةِ المُسْتَكْفِى ، فأمَر المُسْتَكْفِى [٤٩/٩و] بهدمِ دارِه التى عندَ دِجْلةَ .

موتُ القائمِ الفاطمىّ وولايةُ ولدِه المنصورِ

وفى رمضانَ من هذه السنةِ[2] - والصحيحُ فى شوالٍ من التى بعدَها - تُوُفِّى القائمُ بأمرِ اللَّهِ القاسمُ بنُ المَهْدِىِّ ، وقد عَهِد بالأمرِ من بعدِه لولدِه المنصورِ إسماعيلَ ، فكتَم موتَ أبيه مدةً حتى استَقَرَّ أمرُه ، ثم أظهَره . وقد كان أبو يزيدَ الخارجىُّ قد حارَبهم فى هذه السنةِ ، وأخَذ منهم مُدُنًا كِبارًا ، وكسَروه مِرارًا مُتَعددةً ، ثم يَثُورُ عليهم ، ويَجْمَعُ الرجالَ ويُقاتِلُهم بمن قدَر عليه ، فانتَدَب المنصورُ لقتالِ أبى يزيدَ بنفسِه ، ورَكِب فى الجيوشِ ، وجرَت بينَهم حروبٌ يَطولُ ذكرُها ، وقد بسَطها ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[2] . وقد انهَزَم فى بعضِ الأحيانِ جيشُ المنصورِ عنه ، ولم يَبْقَ إلا فى عشرين نفْسًا ، فقاتَل بنَفْسِه قتالًا عظيمًا ، فهزَم أبا يزيدَ بعدَما كاد يَقْتُلُه ، وثبَت المَنْصورُ ثَباتًا عظيمًا ، فعظُم فى أعْيُنِ

---

(١) فى تكملة تاريخ الطبرى : « السر مزراى » ، وفى الكامل : « السارى » .
(٢) الكامل ٤٣٤/٨ - ٤٤١.

الناسِ، وزادَت حُرمتُه وهَيْبتُه، واستَنْقَذ بلادَ القَيْرَوانِ منه، وما زال يُحارِبُه المَنْصورُ حتى ظفِر به وقتَله. ولما جِيء برأسِه سجَد شكرًا للَّهِ عز وجل. وكان أبو يزيدَ هذا قَبيحَ الشكلِ أعْرَجَ قَصيرًا، خارجِيًّا شَديدًا، يَرَى تكفيرَ أهلِ المِلَّةِ، قَبَّحَه اللَّهُ فى الدنيا والآخرةِ.

وفى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ[1] قُتِل أبو الحسينِ البَريدىُّ وصُلِب ثم أُحْرِق، وذلك لأنه قدِم بَغْدادَ يستَنْجِدُ بتُوزُونَ وأبى جعفرِ بنِ شِيرْزادَ على ابنِ أخيه، فوعَدوه النصرَ، ثم شرَع يُفْسِدُ ما بينَ تُوزُونَ وابنِ شِيرْزادَ، فعلِم بذلك ابنُ شِيرْزادَ، فأمرَ بسَجْنِه وضَرْبِه، وأحضَر له بعضُ الفقهاءِ فُتْيَا عليها خطوطُ الفقهاءِ بإباحةِ دمِه، فاستَظهَر عليه بذلك وأمَر بقتلِه وصَلْبِه، ثم أحْرَقه، وانقَضَت أيامُ البَريديِّين وزالَت دَوْلتُهم، لا جمَع اللَّهُ بهم شَمْلًا.

وفيها[1] أخْرَج المُسْتَكْفِى باللَّهِ القاهرَ من دارِ الخلافةِ - الذى كان خليفةً ثم سُمِلَتْ عيناه - وأنْزَله بدارِ ابنِ طاهرٍ، وقد افْتَقَر حتى لمْ يَبْقَ له مِن اللباسِ سِوَى قُطْنِ جُبَّةٍ يَلْتَفُّ بها، وفى رجلِه قَبْقَابٌ مِن خشبٍ[2].

وفى هذه السنةِ[3] رِكِب مُعِزُّ الدولةِ فى رجبٍ منها إلى واسِطٍ ليُحاصِرَها، فبلَغ خبرُه إلى تُوزُونَ، فرِكِب هو والمُسْتَكْفِى باللَّهِ، فلما سمِع بهم مُعِزُّ الدولةِ رجَع عنها إلى بلادِه، وتسَلَّمها الخَليفةُ، وضمِنها[4] أبو القاسمِ بنُ أبى عبدِ اللَّهِ

---

(١) الكامل ٨/ ٤٤٢.

(٢) بعده فى م: «وفيها اشتد البرد والحر».

(٣) الكامل ٨/ ٤٤٥.

(٤) الذى فى الكامل؛ أن البريدى أرسل يضمن البصرة. فلعل المصنف قصد أنها داخلة فى ضمان البصرة، فواسط تقع بين بغداد والبصرة، سُميت بذلك لأن بينها وبين الكوفة فرسخًا، وبينها وبين البصرة مثل ذلك. انظر معجم ما استعجم ٤/ ١٣٦٣.

فضَمَّنه تُوزُونُ ، ثم رجَع هو والخليفةُ إلى بغدادَ فى شَوَّالٍ من هذه السنةِ .

وفيها[1] ركِب سيفُ الدولةِ علىُّ بنُ أبى الهَيْجاءِ عبدُ اللَّهِ بنُ حَمْدانَ إلى حَلَبَ ، فتسَلَّمها مِن يَأْنَسَ المُؤْنِسىِّ ، ثم سار إلى حِمْصَ ليَأْخُذَها ، فجاءتْه جيوشُ الإخْشِيدِ محمدِ بنِ طُغْجٍ مع مولاه كافُورٍ ، فاقْتَتَلوا [2] فانهَزَم كافورٌ الإخْشِيدىُّ ، واستَولَى سيفُ الدولةِ على حِمْصَ ، ثم رَكِب إلى دمَشقَ فحاصَرَها ، فلم يَفْتَحْها أهلُها له ، فرجَع عنها ، وقصَده الإخْشِيدُ بجيوشٍ كثيفةٍ ، فالتَقَيا[2] بقِنَّسْرِينَ ، فلم يَظْفَرْ أحدٌ منهما بالآخَرِ ، ورجَع سيفُ الدولةِ إلى الجزيرةِ ، ثم عاد إلى حلَبَ ، فاستَقَرَّ مُلْكُه بها ، فقصَدَته الرومُ فى جَحافِلَ عظيمةٍ ، فالْتَقَى معهم ، فظفِر بهم فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا[3] .

---

(١) الكامل ٨/ ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل : « وممن توفى فيها من الأعيان » . ثم كلام غير واضح بمقدار نصف سطر . ثم تنتهى هذه الصفحة فى الأصل ، وتبدأ [٩/ ٤٩ظ] ونصف الصفحة الأول فيها غير واضح بالمرة ، أقرب ما يكون لنقاط سوداء باهتة .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ

فى المُحَرَّمِ منها[1] زاد الخَليفةُ فى لقَبِه إمامَ الحَقِّ، وكتَب ذلك على سِكَّةِ المعامَلِة، وقاله الخُطَباءُ على المَنابرِ أيامَ الجُمَعِ.

وفى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ مات تُوزُونُ التُّرْكىُّ فى دارِه ببغدادَ، وكانت إمارتُه سنتين وأربعةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ[2]. وكان ابنُ شِيرْزادَ كاتبَه، وكان بِهِيتَ لتَخْليصِ المالِ، فلما بلَغه الخبرُ أراد أن يَعْقِدَ البَيْعةَ لناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ، فاضْطَرَبَت الأجنادُ، وعُقِدَت الرِّياسةُ لنفْسِه ودخَلَ بغدادَ فى مُسْتَهَلِّ صفَرٍ، وخرَج إليه الأجْنادُ كلُّهم وحلَفوا له، وحلَف له الخليفةُ والقُضاةُ والأعيانُ، ودخَل على الخليفةِ، فخاطَبه بأميرِ الأُمراءِ، فزاد فى أرْزاقِ الأجنادِ، وبعَث إلى ناصرِ الدولةِ يُطالِبُه بالخَراجِ، فبعَث إليه بخمسِمائةِ ألفِ درهمٍ وبطعامٍ ففرَّقَه فى الناسِ، وأمَر ونهَى وولَّى وعزَل وقطَع ووصَل، وفرِح بنَفْسِه ثلاثةَ أشهرٍ وعشرين يومًا، ثم جاءتِ الأخْبارُ بأن مُعِزَّ الدولةِ بنَ بُوَيْهِ قد أقْبَل فى الجُيوشِ قاصِدًا إلى بغدادَ، فاخْتَفَى ابنُ شِيرْزادَ والخليفةُ أيضًا، وخرَج أكثرُ الأتْراكِ قاصِدِين إلى المَوْصِلِ ليَكونوا مع ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ.

---

(١) المنتظم ١٤/٤٢ - ٤٨، والكامل ٨/٤٤٨ - ٤٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٢٤ - ٢٧. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٥٢ - ٣٥٨.

(٢) فى الكامل ٨/٤٤٨، ونهاية الأرب ٢٣/١٨٢: «تسعة عشر يومًا». وفى التكملة: «سبعة وعشرين يومًا».

ذكرُ أولِ دولةِ بنى بُوَيْهِ وحُكْمِهم ببغدادَ

أقْبَل مُعِزُّ الدولةِ أبو الحسينِ أحمدُ بنُ بُوَيْهِ فى جَحافِلَ ، فلما اقْتَرَب مِن بغدادَ بعَث إليه الخليفةُ المُسْتَكْفِى باللَّهِ الهَدايا والإنزالاتِ[1] ، وقال للرسولِ : أخْبِرْه أنى مَسْرورٌ به ، وأنى إنما اخْتَفَيْتُ مِن شرِّ الأتْراكِ الذين انْصَرَفوا إلى المَوْصِلِ . وبعَث إليه بالخِلَعِ والتُّحَفِ ، ودخَل مُعِزُّ الدولةِ [٩/ ٥٠و] بنُ بُوَيْهِ بغدادَ فى حادى عشَرَ جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، فنزَل بيابِ الشمَّاسِيةِ ، ودخَل مِن الغدِ إلى الخليفةِ فبايَعه ، وخلَع عليه المُسْتَكْفِى ، ولقَّبه بمُعِزِّ الدولةِ ، ولقَّب أخاه أبا الحسنِ عليًّا بعِمادِ الدولةِ ، وأخاه أبا علىٍّ الحسنَ برُكْنِ الدولةِ ، وكتَب ألْقابَهم على الدراهمِ والدنانيرِ .

ونزَل مُعِزُّ الدولةِ بدارِ مُؤْنِسٍ الخادمِ ، ونزلَ أصحابُه مِن الدَّيْلَمِ فى دُورِ الناسِ ، فلقِى الناسُ مِن ذلك كُلْفَةً شديدةً ، وأمَّن مُعِزُّ الدولةِ ابنَ شِيرْزادَ ، فلما ظهَر اسْتَكْتَبه على الخَراجِ ، ورتَّب للخليفةِ بسببِ نَفَقاتِه خمسةَ آلافٍ فى كلِّ يومٍ ، واسْتَقَرَّت الأُمورُ على هذا النِّظامِ .

ذكرُ القبضِ على الخليفةِ المُسْتَكْفِى وخَلْعِه[2]

لما كان اليومُ الثانى والعشرون مِن جُمادَى الآخِرةِ حضَر مُعِزُّ الدولةِ إلى

---

(١) فى الأصل ، ظ : « الأتراك » ، وفى ص : « الأموال » ، وفى تاريخ الإسلام : « الإقامات » ، وفى العبر ٢/ ٢٣٥ : « التقاديم » .

(٢) المنتظم ١٤/ ٤٥، والكامل ٨/ ٤٥٠، ٤٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٢٦، ٢٧.

الحَضْرةِ ، فجلَس على سَريرٍ بين يدى الخليفةِ ، وجاء رجلان مِن الدَّيْلَم ، فمدَّا أيْديَهما إلى الخليفةِ ، فأنْزَلاه عن كُرْسيِّه ، وسحَباه فتحَزَّبَت[1] عِمامتُه فى حَلْقِه ، ونهَض مُعِزُّ الدولةِ ، واضْطَرَبَت دارُ الخِلافةِ حتى خُلِص إلى الحَرِيم ، وتَفاقَم الحالُ ، وسِيق الخليفةُ ماشيًا إلى دارِ مُعِزِّ الدولةِ ، فاعْتُقِل بها ، وأُحْضِر أبو القاسمِ الفَضْلُ بنُ المُقْتَدِرِ ، فبُويع بالخِلافةِ ، وسُمِلَت عينا المُسْتَكْفِى ، وأُودِع السِّجْنَ ، فلم يَزَلْ به مَسْجونًا حتى كانتْ وَفاتُه فى سنةِ ثمانٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، كما سيأتى بيانُه وذِكْرُ ترجَمتِه هنالك .

خلافةُ المُطِيعِ للَّهِ[2]

لما قدِم مُعِزُّ الدولةِ بَغْدادَ وقبَض على المُسْتَكْفِى وسُمِلَت عَيْناه ، اسْتَدْعى بأبى القاسمِ الفضلِ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ ، وقد كان مُخْتَفِيًا مِن المُسْتَكْفِى ، وهو يَحُثُّ فى طَلبِه ويَجْتَهِدُ ، فلم يَقْدِرْ عليه ، ويقالُ : إنه اجْتَمَع بمُعِزِّ الدولةِ سرًّا ، فحرَّضه على المُسْتَكْفِى حتى كان مِن أمْرِه ما كان ، فأُحضِر أبو القاسمِ بنُ المقْتدِرِ فبُويعَ بالخِلافةِ ولُقِّب بالمُطِيعِ للَّهِ ، وبايَعه الأُمراءُ والأعْيانُ ومُعِزُّ الدولةِ والعامَّةُ ، وضعُف أمْرُ الخِلافةِ جدًّا حتى لم يَبْقَ للخَليفةِ أمْرٌ ولا نَهْىٌ ولا وَزيرٌ أيضًا ، وإنما يَكونُ له كاتبٌ على أقْطاعِه فقط ، وإنما مَوْرِدُ أمورِ المَمْلَكةِ ومَصْدرُها راجِعٌ إلى مُعِزِّ الدولةِ ، وإنما كان ذلك لأن بنى بُوَيْهِ ومَن معهم مِن الدَّيْلَم فيهم تَشَيُّعٌ شديدٌ ، فكانوا يَرَوْن أن بنى العباسِ قد غصَبوا الأمْرَ مِن العَلَوِيِّين ، حتى عزَم مُعِزُّ الدولةِ

---

(١) فى م : « فتحربت » . وتحزبت : أى تجمعت واشتدت . اللسان (ح ز ب) .

(٢) المنتظم ١٤/٤٦ - ٤٨، والكامل ٨/٤٥١ - ٤٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٢٨، ٢٩.

على تحْويلِ الخِلافةِ عنهم إلى العَلَوِيِّين ، واسْتَشار أصْحابَه فى ذلك ، فكلُّهم أشار عليه بذلك ، إلا رجلًا مِن أصحابِه ، كان سَديدَ الرأيِ فيهم ، فإنه قال له : لا أَرَى لك هذا . قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأن هذا خَليفةٌ تَرَى أنت وأصحابُك أنه غيرُ صَحيحِ الإمارةِ ، فمتى أمَرْتَ بقتلِه قتَله أصحابُك ، ولو ولَّيْتَ رجلًا مِن العَلَوِيِّين لكنتَ أنت وأصْحابُك تَعتَقِدون صِحَّةَ ولايتِه ، فلو أمَر بقتلِك لقَتَلك أصحابُك . فلما فهِم ذلك صرَفه عن رأْيِه الأولِ ، للدنيا لا للَّهِ عزَّ وجل .

ثم نشِبَت الحربُ بينَ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ وبينَ مُعِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، فركِب ناصرُ الدولةِ [٩/٥٠ظ] بعدَما خرَج مُعِزُّ الدولةِ والخليفةُ المُطيعُ إلى عُكْبَرا[1] ، فدخَل بَغْدادَ ، فأخَذ الجانبَ الشَّرْقيَّ ثم الغَرْبيَّ ، وضعُف أمْرُ مُعِزِّ الدولةِ والدَّيالِمَةِ الذين معه ، ثم مكَر به مُعِزُّ الدولةِ وخدَعه حتى اسْتَظهَر عليه ، وانْتَصَر أصحابُه ، فنهَبوا بَغْدادَ وما قدَروا عليه مِن أمْوالِ التُّجَّارِ وغيرِهم ، فكان قيمةُ ما أخَذ أصحابُ مُعِزِّ الدولةِ مِن الناسِ عشَرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، ثم وقَع الصُّلْحُ بينَ ناصرِ الدولةِ ومُعِزِّ الدولةِ ، ورجَع ابنُ حَمْدانَ إلى بلدِه المَوْصلِ ، واسْتَقَرَّ مُعِزُّ الدولةِ بمدينةِ السَّلامِ بغدادَ ، ثم شرَع فى استِعمالِ السُّعاةِ ليُبلِّغوا أخاه رُكْنَ الدولةِ أخْبارَه ، فغوَى العامَّةُ فى ذلك ، وعلَّموا أبْناءَهم ذلك ، حتى كان مِن الناسِ مَن يَقْطَعُ نَيِّفًا وثلاثين فَرْسَخًا فى يومٍ ، وأعْجَبه المُصارِعون والمُلاكِمون وغيرُ ذلك مِن أرْبابِ هذه الصِّناعاتِ التى لا يُنْتَفَعُ بها إلا [2]قليلًا ؛ كالسِّباحةِ[2] ونحوِها ، وكانتْ تُضْرَبُ الطُّبولُ بينَ يديه ويُصارَعُ بين الرِّجالِ ، والكُوساتُ[3]

---

(١) عكبرا : اسم بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٣/ ٧٠٥.

(٢ - ٢) فى م : « كل قليل العقل فاسد المروءة وتعلموا السباحة » .

(٣) الكوسات : الطبول .

تُدَقُّ حولَ سُورِ المكانِ الذى هو فيه ، وهذه رُعونةٌ شديدةٌ وسَخافَةُ عَقْلٍ منه وممَّن وافقَه على ذلك ، ثم احْتاج مُعِزُّ الدولةِ إلى صَرْفِ أموالٍ فى أرزاقِ الأَجنادِ ، فأقْطَعهم البلادَ عِوَضًا عن أرْزاقِهم ، فأدَّى ذلك إلى تخريبِها وتَرْكِ عِمارتِها ، إلا الأراضىَ التى بأيْدِى أصحابِ الجاهاتِ .

وفى هذه السنةِ وقَع غَلاءٌ شَديدٌ ببغدادَ حتى أكَلوا المَيْتةَ والكِلابَ والسَّنانيرَ ، وكان مِن الناسِ مَن يَسْرِقُ الأوْلادَ فيَشْوِيهم ويَأْكُلُهم ، وكثُر الموتُ[1] فى الناسِ حتى كان لا يَدْفِنُ أحدٌ أحدًا ، بل يُتْرَكون على الطُّرُقاتِ فيَأْكُلُ كثيرًا منهم الكِلابُ ، وبِيعَت الدُّورُ والعَقارُ بالخبزِ ، وانْتَجَع الناسُ البصرةَ ، فكان منهم مَن يموتُ فى الطريقِ ، ومَن وصَل منهم مات بعدَ مُدَيْدَةٍ .

وفيها كانت وَفاةُ القائمِ بأمْرِ اللَّهِ أبى القاسمِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ المَهْدىِّ ، وولِى الأمرَ مِن بعدِه ولدُه المنصورُ إسماعيلُ ، وكان حازِمَ الرأيِ شَديدًا شُجاعًا كما ذكَرْنا ذلك فى السنةِ الماضيةِ ، وكانت وَفاتُه فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ على الصحيحِ .

وفيها تُوُفِّى الإخْشِيدُ محمدُ بنُ طُغْجٍ صاحبُ الديارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ ، وكانت وفاتُه بدمشقَ وله مِن العمرِ بضعٌ وستون سنةً ، وأُقِيم ولدُه أبو القاسمِ أُنوجُورُ - وكان صغيرًا - وأُقِيم كافورٌ الإخْشِيدىُّ أَتابِكَه[2] ، فكان

---

(١) فى م : « الوباء » .

(٢) قال صاحب المختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٨٩: أتابك أصلها أطابك ، ومعناه الوالد الأمين .

قال القلقشندى فى صبح الأعشى ٤/ ١٨: « وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة ، ولقبه بألقاب هذا منها . وقيل : أطابك معناه أميرٌ أبٌ . والمراد أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رفعة المحل وعلو المقام » .

يُدَبِّرُ المَمالِكَ بالبلادِ كلِّها ، واسْتَحْوَذ على الأُمورِ كلِّها ، وسار إلى مصرَ ، فقصَد سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ دمشقَ ، فأخَذها مِن أصحابِ الإخْشِيدِ ، ففرِح بها فرَحًا شديدًا ، واجْتَمَع بمحمدِ بنِ محمدِ بنِ نصرٍ الفارَابِيِّ التُّرْكيِّ الفيلسوفِ بها ، وركِب سيفُ الدولةِ يومًا مع الشَّريفِ العَقيقيِّ[1] فى بعضِ نواحِى دمشقَ ، فنظَر سيفُ الدولةِ إلى الغُوطةِ فأعجَبَته ، وقال : يَنْبَغى أن تكونَ هذه كلُّها لدِيوانِ السُّلْطانِ . كأنه يُعَرِّضُ بأخْذِها مِن مُلَّاكها ، فأوْعزَ ذلك العَقيقيُّ[1] إلى أهلِ دمشقَ ، فكتَبوا إلى كافورٍ الإخْشِيدىِّ يَسْتَنْجِدونه ، فأقْبَل إليهم فى جُيوشٍ كثيرةٍ كثيفةٍ ، فأَجْلَى عنهم سيفَ الدولةِ ، وطرَده عن حَلَبَ أيضًا ، واسْتَناب عليها ، ثم كرَّ راجِعًا فاسْتَناب على دِمشقَ بَدْرًا الإخْشِيدىَّ - ويُعْرَفُ ببُدَيْرٍ - فلما صار كافورٌ إلى الدِّيارِ المصريةِ رجَع سيفُ الدولةِ إلى حَلَبَ فأخَذها كما كانت أولًا له ، ولم يَبْقَ له فى دمَشقَ شىءٌ . وكافورٌ هذا [٩/٥١و] هو الذى هجاه المُتَنَبِّى ، ومدَحه أيضًا .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الـخِرَقِىُّ صاحبُ « المختصرِ » المشهورِ فى الفقهِ ، عمرُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو القاسمِ الـخِرَقِىُّ[2] ، صاحبُ « المُخْتَصَرِ » فى الفِقْهِ على مَذْهَبِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حَنْبَلٍ ، وقد شرَحه القاضى أبو يَعْلَى بنُ الفَرَّاءِ ، والشيخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بنُ قُدامةَ الـمَقْدِسىُّ ، وقد كان الخِرَقِىُّ هذا مِن ساداتِ الفُقهاءِ والعُبَّادِ ، كثيرَ الفَضائلِ

---

(١) فى م ، والكامل : « العقيلى » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦١٩، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٤٧، وتاج العروس (ع ق ق) . وسيأتى ذكر وفاته وترجمته فى صفحة ٣٩٧.

(٢) طبقات الفقهاء ص ١٧١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٥، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤، وتاريخ دمشق ١٢/ ٧٠٢ مخطوط ، والمنتظم ١٤/ ٤٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٠٩.

والعِبادةِ ، خرَج مِن بَغْدادَ لمّا كثُر بها السَّبُّ للصحابةِ ، وأوْدَع كتبَه ببَغْدادَ ، فاحْتَرَقَت الدارُ التى هى فيها ، وعُدِمَت مُصَنَّفاتُه ، وقصَد دمشقَ ، فأقام بها حتى مات فى هذه السنةِ ، وقبرُه ببابِ الصغيرِ يُزارُ قريبًا مِن قُبورِ الشُّهَداءِ .

وفى مصَنَّفِه هذا « المُختصرِ » فى كتابِ الحجِّ : ويَأْتى الحَجَرَ الأسْودَ ويُقَبِّلُه إن كان هناك[1] . وإنما قال ذلك لأن تَصْنيفَه لهذا الكِتابِ كان حالَ كَونِ الحجرِ الأسْودِ بأيدى القرامِطةِ حينَ أخَذوه مِن مكانِه فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ كما ذكرنا ، ولم يَرُدُّوه إلا سنةَ تسعٍ[2] وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، كما سيَأْتى بَيانُه فى مَوْضِعِه .

قال الخَطيبُ[3] : قال لى القاضى أبو يَعْلَى : كانتْ له مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ وتَخْرِيجاتٌ على المَذْهَبِ لم تَظْهَرْ ؛ لأنه خرَج عن مدينةِ السلامِ لمّا ظهَر سبُّ الصَّحابةِ ، وأوْدَع كتبَه ، فاحْتَرَقَت الدارُ التى هى فيها ، واحْتَرَقَت الكتبُ فيها ولم تَكُنْ قد انْتَشَرَت ؛ لبُعْدِه عن البلدِ .

ثم روَى الخَطيبُ مِن طَريقِه[4] ، عن أبى الفَضْلِ بنِ[5] عبدِ السَّميعِ الهاشِمىِّ ، عن الفتحِ بنِ شخرفٍ[6] ، قال : رأيْتُ أميرَ المؤمنين علىَّ بنَ أبى طالبٍ

---

(١) المغنى ٥/ ٢١٢، ٢١٤.

(٢) فى م : « سبع » .

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤.

(٤) أى من طريق أبى القاسم الخرقى . المصدر السابق . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٧٠٢ مخطوط ، من طريق الخطيب به .

(٥) سقط من : الأصل ، م ، ص ، ظ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦) بعده فى م : « عن الخرقى » .

فى المَنامِ فقال لى : ما أحْسَنَ تَواضُعَ الأغنياءِ للفُقراءِ ! [1] قال : قلتُ : زِدْنى يا أميرَ المؤمنين . قال [1] : وأحْسَنُ مِن ذلك تِيهُ الفُقراءِ على الأغْنياءِ . قال : ورفَع لى كفَّه فإذا فيها مَكْتوبٌ :

قد كنتَ ميّتًا فصِرْتَ حيًّا ... وعن قليلٍ تَصيرُ ميْتَا
فابْنِ بدارِ البَقاءِ بيتًا ... ودَعْ بدارِ الفَناءِ بيتَا

قال ابنُ بَطَّةَ [2] : مات الخِرَقىُّ بدمشقَ سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، وزرْتُ قبرَه .

محمدُ بنُ عيسى أبو عبدِ اللَّهِ بنُ أبى موسى [3] الفَقيهُ الحَنَفىُّ ، أحدُ أئمةِ العِراقِيِّين فى زَمانِه ، وولِى القَضاءَ ببغدادَ للمُتَّقِى ، ثم للمُسْتَكْفِى ، وكان ثِقةً فاضلًا ، كبَسَت اللُّصوصُ دارَه فظَنُّوه أنه ذو مالٍ ، فضرَبه بعضُهم ضرْبةً أثْخَنَتْه [4] فهرَب منهم إلى السُّطوحِ [4] ، فألْقَى نَفْسَه مِن شدةِ الفَزَعِ إلى الأرضِ ، فمات رحِمه اللَّهُ ، وذلك فى ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ [5] **أحمدَ بنِ** [5] **عبدِ اللَّهِ أبو الفَضْلِ السُّلَمىُّ** ، الوزيرُ الفَقيهُ المُحَدِّثُ الشاعرُ ، سمِع الكثيرَ وجمَع وصنَّف ، وكان يَصومُ الاثنين والخميسَ ، ولا يَدَعُ صلاةَ الليلِ والتَّصْنيفَ ، وكان يَسْأَلُ اللَّهَ الشَّهادةَ كثيرًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص ، ظ .
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٤٠٣، والمنتظم ١٤/ ٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١١٣، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٩٦، والجواهر المضية ٣/ ٢٩٦.
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٤/ ٤٩، والأنساب ٣/ ٤٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١١٣، والجواهر المضية ٣/ ٣١٣.

فوَلِىَ الوِزارةَ للسُّلْطانِ ، فقصَده الأجْنادُ يُطالِبونه بأرزاقِهم ، واجْتَمَع منهم ببابِه خلْقٌ كثيرٌ ، فاسْتَدْعَى بحَلَّاقٍ ، فحلَق رأسَه وتنَوَّر[1] وتطَيَّب ولبِس كفنَه ، وقام يُصَلِّى ، فدخَلوا عليه ، فقتَلوه وهو ساجدٌ - رحِمه اللَّهُ - فى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ [٩/٥١ظ] .

الإخْشِيدُ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طُغْجِ بنِ جُفَّ أبو بكرٍ[2] ، المُلَقَّبُ بالإخْشِيدِ ، ومعناه ملكُ الملوكِ ، لقَّبه بذلك الراضى[3] ؛ لأنه كان ملَكَ فَرْغانةَ ، وكلُّ مَن ملَكها كان يُسَمَّى الإخْشِيدَ ، كما أنَّ مَن ملَك أُشْرُوسَنَةَ[4] يُسَمَّى الإفْشِينَ ، ومَن ملَك خُوارَزْمَ يُسَمَّى خُوارَزْمَ شاه ، ومن ملَك جُرْجانَ يُسَمَّى صُولَ ، ومَن ملَك أَذْرَبِيجانَ يُسَمَّى إصْبَهْبَذَ ، ومَن ملَك طَبَرسْتانَ يُسَمَّى سالَارَ[5] . قاله ابنُ الجَوْزىِّ فى « المنتظَمِ »[6] .

قال السُّهَيْلىُّ[7] : وكانت العربُ تُسَمِّى مَن ملَك الشامَ مع الجَزيرةِ كافرًا قَيْصرَ ، ومَن ملَك الفُرْسَ يُسمَّى كِسْرَى ، ومَن ملَك اليمنَ يُسَمَّى تُبَّعًا ، ومَن ملَك الحَبَشةَ يُسَمَّى النَّجاشىَّ ، ومَن ملَك الهندَ يُسَمَّى بَطْلَيْمُوسَ ، ومَن ملَك

---

(١) تنور : حلق شعر عانته بالنُّورَة . انظر تاج العروس (ن و ر) .

(٢) تاريخ دمشق ١٥/٤٨٤ مخطوط ، والمنتظم ١٤/ ٥٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١١١.

(٣) إلى هنا انتهى الخرم الذى فى المخطوطة « ب » المشار إليه فى صفحة ١٣٦.

(٤) أشروسنة : هى بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهَيَاطلة بين سيحون وسمرقند وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا . معجم البلدان ١/ ٢٧٨. وانظر نزهة الألباب فى الألقاب ١/ ٩٢، ٩٣.

(٥) فى الأصل، ب، ص، ظ : « رسلان »، وفى م : « أرسلان » . والمثبت من المنتظم . وانظر تاج العروس (س ل ر) .

(٦) المنتظم ١٤/ ٥٠.

(٧) انظر الروض الأنف ٣/ ٢٢٢. وانظر ما تقدم فى ٤/ ١٩٢.

مصرَ كافرًا يُسَمَّى فِرْعونَ ، ومَن ملَك إسْكَنْدَرِيَّةَ يُسَمَّى الـمُـقَوْقِسَ . وذكَر غيرَ ذلك .

وكانت وفاتُه بدمشقَ ، ونُقِل إلى بيتِ المَقْدِسِ فدُفِن هناك ، رحِمه اللَّهُ .

أبو بكرٍ الشِّبْلِيُّ[1] ، أحدُ مَشايخِ الصُّوفيةِ ، اخْتَلَفوا فى اسمِه على أقْوالٍ ، فقيل : [2]دُلَفُ بنُ جَعْفرٍ . ويُقالُ : دُلَفُ بنُ جَحْدَرٍ . وقيل : جعفرُ[2] بنُ يونُسَ . أصْلُه مِن قريةٍ يُقالُ لها : شِبْلِيَّةُ[3] . مِن بلادِ أُشْرُوسَنَةَ مِن خُراسانَ ، ووُلِد بسامَرَّاءَ ، وكان أبوه حاجبَ الحُجَّابِ للمُوَفَّقِ ، وكان خالُه نائبَ إسْكَنْدَرِيَّةَ ، وكانتْ تَوْبةُ الشِّبْلِيِّ على يَدَىْ خيرِ النَّسَّاجِ ، سمِعَه يَعِظُ ، فوقَع كلامُه فى قلبِه ، فتاب مِن فَوْرِه[4] ، ثم صحِب الفقراءَ والمشايخَ ، ثم كان بعدَ ذلك مِن أئمةِ القومِ .

---

(١) طبقات الصوفية ص ٣٣٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧، والمنتظم ١٤/ ٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١١٦.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «دلف بن جحدر وقيل ابن جعفر»، وفى ظ: «دلف بن جحدر وقيل عكسه أو ابن جعفر بن يونس».

(٣) فى م: «شبلة». وانظر معجم البلدان ٣/ ٢٥٦.

(٤) بعده فى ظ: «وقد كان مالكى المذهب، وكتب الحديث الكثير، ثم أقبل على العبادة والمجاهدة، وترك ذلك كله وغسل كتبه، وقد ترك أبوه شيئا كثيرا من الذهب والضياع، فأنفقها كلها على الصوفية والمحتاجين. قال الشبلى: رأيت باليمن دار الإمارة والناس عكوف على بابها، فأشرفهم الملك من طاقة، وأومأ إليهم بيده للسلام فسجدوا له، ثم رأيته بعد بالشام قد اشترى لحما بدرهم وأمسكه بيده، فقلت: أنت ذلك الرجل؟ فقال: نعم، ومن رأى ذلك ورأى هذا فلا يغترنَّ بالدنيا. ورأى الشبلى حجاما يحجم بعض الصوفية، فلما فرغ ناوله الشبلى أربعين دينارا فى صرة، فردها عليه وقال: إنى إنما عملت ما عملت مع اللَّه، لا أنقض عهدى مع اللَّه من أجل هذه الدنانير. فصك الشبلى وجهه وقال: كل إنسان خير من الشبلى حتى الحجام. ورأى الشبلى رجلا راكبا، فقال الناس: هذا مسخرة الأمير. فتقدم الشبلى فقبَّل فخذه، فترجل الرجل من دابته وقال: يا سيدى، لعلك لم تعرفنى. فقال: بلى، أنت الذى تأكل الدنيا بما يساويها، وأنت خير ممن يأكل الدنيا بالدين».

قال الجُنَيْدُ بنُ محمدٍ[1] : كان الشِّبْلىُّ تاجَ هؤلاء.

وقال الخَطيبُ[2] : أخْبَرَنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمودٍ الزَّوْزَنىُّ قال : سمِعْتُ علىَّ بنَ المُثَنَّى التَّمِيمىَّ يقولُ : دخَلْتُ على الشِّبْلىِّ فى دارِه ، وهو يَهيجُ ويَقولُ :

على بُعْدِك لا يَصْبِـ ـرُ مَن عادتُه القُرْبُ
ولا يَقْوَى على حجبِـ ـك[3] مَن تيَّمه الحُبُّ
فإن لم تَرَكَ العينُ فقد يُبْصِرُك القلبُ

وقد ذُكِر له أحْوالٌ وكَراماتٌ[4] . وقد ذكَرْنا أنه ممَّن اشْتَبه عليه أمْرُ الحلَّاجِ ووافَقَه فى بعضِ ما نُسِب إليه مِن الأقْوالِ مِن غيرِ تأمُّلٍ لما تحتَها[5] ، مما كان الحلَّاجُ يُحاوِلُه مِن الإلْحادِ والاتِّحادِ.

ولما حضَرَتْه الوَفاةُ قال لخادمِه[6] : قد كان علىَّ درهمٌ مِن مَظْلِمةٍ ، فتصَدَّقْتُ عن صاحبِه بأُلوفٍ ، ومع هذا ما على قَلْبى شُغُلٌ أعْظَمَ منه . ثم أمَره أن يُوَضِّئَه ، فوضَّأَه وترَك تَخْليلَ لحيتِه ، فرفَع يدَه - وكان قد اعْتُقِل

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فى م : « هجرك » ، وفى ظ ، وتاريخ بغداد : « حبك » . وانظر المنتظم ١٤/ ٥١.

(٤) بعده فى ظ : « فذكر الحافظ ابن عساكر قال : قلت لراهب : لمن احتسبت نفسك؟ فقال : للمسيح . فقلت : لم أفردته للعبادة دون اللّه تعالى ؟ فقال : لأنه مكث أربعين يومًا لا يأكل ولا يشرب . فقلت : عدها على . فمكثت نحو صومعته أربعين يومًا لا آكل ولا أشرب ، فنزل إلى فقال : ما دينك ؟ فقلت : محمدى . فأسلم ، فجئت به إلى دمشق ، فجمعوا له مالًا وتركته مع الصوفية . قال وأُخِذْنا مرة فجعل القطاع يعرضون على أميرهم تلك الأموال ويأكلون مما فيها من السكر واللوز وهو لا يأكل . فقلت : لم لا تأكل مع أصحابك ؟ فقال : إنى صائم . فقلت : تقتل الرجال وتأخذ الأموال وأنت صائم ؟! فقال : يا شيخ ، أجعل للصلح موضعًا . فلما كان بعد مدة رأيته متعلقا بأستار الكعبة وهو كالشن البالى من العبادة ، فقلت : أنت ذاك الرجل ؟ فقال : ذاك الصوم هو الذى بلغنى إلى ههنا » .

(٥) فى ب ، م : « فيها » .

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٤، ١٩٥.

لسانُه - فجعَل يُخَلِّلُ لحيةَ نفسِه .

وذكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ »[1] ، وحكَى عنه أنه دخَل يومًا على الجُنَيْدِ ، فوقَف بينَ يديه ، وصفَّق وأنْشَد :

عَوَّدُونى الوِصالَ والوَصْلُ عذْبُ ... ورَمَونى بالصَّدِّ والصَّدُّ صَعْبُ
زعَموا حينَ أَزْمَعوا أن ذَنْبى ... فرْطُ حُبِّى لهم وما ذاك ذَنْبُ
[٩/٥٢و] لا وحقِّ الخُضوعِ عندَ التَّلاقى ... ما جَزا مَن يُحِبُّ إلا يُحَبُّ

و[2] مما كان يُنشِدُه الشِّبْلىُّ من الأشعارِ الرقيقةِ . وقد أورده ابنُ عساكرَ فى ترجمتِه من « تاريخِه »[3] :

أسائلُكُم عنها فهل مِن مُخَبِّرٍ ... فما لى بنُعْمَى بعدَ مُكْثَتِنا علمُ
فلو كنتُ أدرى أين خَيَّم أهلُها ... وأىَّ بلادِ اللَّهِ إذ ظَعَنوا أَمُّوا
إذًا لسلَكْنا مَسْلَكَ الريحِ خلفَها ... ولو أصبحتْ نُعْمى ومِن دونِها النجمُ

ومِن ذلك[4] :

أُسائلُ عن سَلْمى فهل من مُخَبِّرٍ ... بأنَّ له علمًا بها أين تَنزلُ

ثم يقولُ : لا وعزتك ، وما فى الدارَين عنك مُخَبِّرٌ .

قلتُ : وفى هذا شَطْحٌ ؛ فقد خبَّرت عنه تعالى الرسلُ بالحقِّ ونطَقوا

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣.

(٢) من هنا زيادة من : ظ - تنتهى فى صفحة ١٨٦- أثبتناها لما فيها من تصريح بأنها من كلام المصنف حيث قال - كما سيأتى فى صفحة ١٨٤ - : وكان الشبلى ينشد ، وسمعته كثيرا من شيخنا العلامة أبى العباس بن تيمية ، رحمه اللَّه ،...

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٠.

(٤) المصدر السابق ٢٨/ ١٧٩.

بالصدقِ. وكان يقولُ[1]: ليس لعارفٍ علامةٌ، ولا لمحبٍّ شكوى، ولا لعبدٍ دعوى، ولا لخائفٍ قرار، ولا مِن اللّهِ فرار.

وكان الشِّبْلىُّ يقولُ[1]: العارفُ صدرُه مشروح، وقلبُه مجروح، وجسدُه مطروح، والعارفُ مَن عرَف اللّه، وعرَف مرادَ اللّه، وعمِل بما أمَر اللّه، وأعرَض عمَّا نهى اللّه، ودعا عبادَ اللّهِ إلى اللّه، والصوفىُّ مَن صفَّى قلبَه مِن الكدرِ فصفا، وسلكَ طريقَ المصطفى، ورمَى الدنيا خلْفَ القفا، وأذاقَ الهوى طعمَ الجَفا.

وقال أيضًا[1]: الصوفىُّ مَن صفا مِن الكَدَر، وخلَص مِن الغِيَر، وامتلأ مِن الفِكَر، وتساوى عنده الذهبُ والمَدَر.

ومما كان يُنشِده[2]:

أظلَّت علينا منك يومًا سحابةٌ ... أضاءت لنا برقًا وأبطا رشاشُها
فلا غيمُها يَجْلُو فيَيْأَسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتى فيَرْوَى عِطاشُها

وسُئل[3]: هل يَتحققُ العارفُ بما يبدو له مِن الآثارِ؟ فقال: كيف يَتحققُ بما لا يَثبتُ؟ وكيف يَطْمَئِنُّ إلى ما لا يَظهرُ؟ وكيف يَأنسُ بما يَخفَى؟ فهو الظاهرُ الباطنُ. ثم أنشأ يقولُ:

فمن كان فى طولِ الهوى ذاق سَلوةً ... فإنِّىَ مِن لَيلَى لها غيرُ ذائقِ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨١.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٤.
(٣) طبقات الصوفية ص ٣٤٧.

وأكثرُ شيءٍ نِلتُه مِن وِصالِها[1] أمانيٌّ لم تصدقْ كلَمحةِ بارقِ

وكان يقولُ[2] : الدنيا خيال ، وظلُّها وبال ، وتَرْكُها[3] جَمال ، والإعراضُ عنها كمال ، والمعرفةُ باللَّهِ اتصال :

لتُحشَرَنَّ عِظامى بعدَ إذ بليَتْ يومَ الحسابِ وفيها حبُّكمْ عَلِقُ

وسئل الشِّبْلىُّ[4] : هل يَتسلَّى الحبيبُ بشيءٍ مِن حبيبِه دونَ مشاهدتِه ؟ فأنشَد :

واللَّهِ لو أنك تَوَّجْتَنى بتاجِ كسرى ملكِ المشرقِ
ولو بأموالِ الورَى جُدْتَ لى أموالِ مَن بادَ ومَن قد بَقِى
وقلتَ لا نَلْتَقى[5] ساعةً اخترتُ يا مولاىَ أن نلتَقِى

وكان يُنشِدُ أيضًا[6] :

إذا نحن أدْلجْنا وأنت أمامَنا كفى لمطايانا بذكرِك هاديا

وكان يُنشِدُ أيضًا[6] :

ولو أنَّ ركبًا أمَّموك لقادَهم نسيمُك حتى يَستدِلَّ بك الركبُ
إذا أبصرتْك العينُ مِن بعدِ غايةٍ وعارَض فيك الشكُّ أثْبَتَكَ القلبُ

---

(١) فى ظ : « نوالها » . والمثبت من طبقات الصوفية .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٢.
(٣) فى النسخ : « ترحها » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٢.
(٥) فى ظ : « تلتفت » . والمثبت من المختصر .
(٦) المصدر السابق ٢٨/ ١٨٤. والبيت لعمرو بن شأس الأسدى . انظر ديوان المعانى ١/٢٢٤.

وكان يُنشِدُ أيضًا[1] :

ليس تَخْلو جوارحى منك وقتًا ... هىَ مَشْغُولةٌ بحملِ هَواكَا
ليس يَجرى على لسانىَ شىءٌ ... عَلِمَ اللَّهُ ذا سِوى ذِكراكَا
وتَمَثَّلتَ حيث كنتَ بعينى ... فهْى إن غبتَ أو حضرتَ تراكَا

وكان يُنشِدُ أيضًا[2] :

عجبتُ لمن يقولُ نسيتُ إلفى ... وهل أَنسَى فأذكرَ مَن هَوِيتُ
أموتُ إذا ذكرتكَ ثم أحيا ... ولولا ما أُؤَمِّل ما حَيِيتُ
فأحيا بالمُنى وأموتُ شوقًا ... فكم أحيا عليكَ وكم أموتُ
جعلتُ الصمتَ سِترَ الحبِّ حتى ... تكلَّمتِ الجفونُ بما لَقيتُ
شربتُ الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ ... فما نفِد الشرابُ وما رَوِيتُ

وقال أيضًا[3] : التصوُّفُ ترويحُ القلبِ بمراوحِ الصفاء، وتجليلُ[4] الخواطرِ بأرديةِ الوفاء، والتخلُّقُ بالسَّخاء، والبِشْرُ فى اللقاء.

ونظر يومًا إلى جماعةٍ مِن المتصوفةِ فأنشأ[5] :

أما الخيامُ فإنها كخيامِهم ... وأرى نساءَ الحىِّ غيرَ نسائِها

وقال أيضًا[6] :

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٠، ٣٩١.
(٢) لم نجده.
(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٩١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٥.
(٤) فى ظ : «تخليل».
(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٥. وانظر معجم الأدباء ص ١٦٤٦، فى ترجمة «أبى الحسن الفالى».
(٦) صفة الصفوة ٢/ ٤٥٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٦.

إذا أردتَ أن تنظرَ إلى الدنيا بحذافيرِها ، فانظرْ إلى المزبلةِ ، وإذا أردتَ أن تَنْظُرَ إلى نفسِك فخُذْ كفًّا مِن ترابٍ ؛ فإنك مِنها خُلقتَ ، وفيها تعودُ ، ومنها تُخْرَجُ ، وإذا أردتَ أن تعرِفَ ما أنت ، فانظرْ إلى ما يَخْرُجُ منك عند الخلاءِ ، فلا تَتطاوَلْ ولا تَتكَبَّرْ على مَن هو مِثلُك .

وكان يُنشِدُ[1] :

وتحسَبنى حيًّا وإنى لميِّتٌ ... وبعضِى مِن الهِجرانِ يَبكى على بعضِ

وأنْشدَ أيضًا[2] :

وكذَّبتُ طَرْفِى فيك والطَّرْفُ صادقٌ ... وأسمعتُ أُذْنى فيك ما ليس تَسمعُ
ولم أَسْكُنِ الأرضَ التى تَسْكُنونها ... لكى لا يقولوا إننى بك مولعُ
فلا كبدى تَهْدا ولا فيك رحمةٌ ... ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمعُ

وأنشَد أيضًا[3] :

فيا ساقىَ القومِ لا تنسَنى ... ويا رَبَّةَ الخِدْرِ غَنِّى رَمَلْ
خليلَىَّ إن دام هذا الصدودُ ... على ما أراه سريعًا قَتَلْ
وقد كان شيئًا يُسمَّى السرورَ ... قديمًا سمعْنا به ما فعلْ

وسُئل[4] الشِّبْلىُّ عن الرجلِ يسمعُ الشىءَ فلا يَفهمُه ، ويتواجدُ مع ذلك ، فأنشأ يقولُ :

---

(١) طبقات الصوفية ص ٣٤٥، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٦.
(٢) طبقات الصوفية ص ٢٧٦، ٣٤٧.
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٧.
(٤) المصدر السابق ٢٨/ ١٨٨.

رُبَّ وَرْقاءَ هَتُوفٍ بالضُّحَى ذاتِ شَجْوٍ صَدَحتْ فى فَنَنِ
ذكَرَتْ إلفًا ودهرًا صالحًا فبكتْ حُزْنًا فهاجتْ حَزَنى
فبكائى رُبّما أرّقها وبكاها رُبّما أرّقَنِى
ولقد أشكو فما أُفهِمُها ولقد تشكو فما تُفهِمُنى
غيرَ أنِّى بالجَوَى[1] أعرِفُها وهْى أيضًا بالجوى تعرِفُنى

ووُجد فى كلامِ الشِّبْلىِّ[2] : ما ظنُّك بمعانٍ هى شموسٌ كلُّها ؛ بل الشموسُ فيها[3] ظلمةٌ .

وقال أيضًا[4] : الوَجْدُ[5] اصطلامٌ . ثم أنشأ يقولُ :

الوجدُ عنى جحودٌ ما لم يكنْ عن شهودِ
وشاهدُ الحقِّ عندى يُفْنِى شهودَ الوجودِ

وكان يُنشِدُ :

الكلُّ منى بلائى وراحتى فى فَنائى

وسمِع القوَّالَ يومًا[6] ، فتواجد كثيرًا والمشايخُ سكوتٌ لم يتواجدْ منهم أحدٌ ، فعاتبه بعضُ المشايخِ فى ذلك ، فأنشأ يقولُ :

لو يَسْمَعون كما سمعتُ حديثَها خرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وسجودَا[7]

---

(١) الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن . اللسان (ج و ى) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٨.
(٣) فى ظ : « كلها » . والمثبت من المختصر .
(٤) المصدر السابق .
(٥) فى ظ : « الواحد » . والمثبت من المختصر . والاصطلام : هو الإبادة والاستئصال . اللسان (ص ل م) .
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٨، ١٨٩.
(٧) البيت لكثير عزة ، فى ديوانه ص ٤٤٢.

وأنشأ يقولُ :

لى سكرتان وللنَّدْمانِ واحدةٌ ... شىءٌ خُصِصْتُ به مِن بينِهم وَحْدِى

وكان يقولُ :

وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ لعلَّةٍ ... فأفنيتُ عِلَّاتى فكيف أقولُ
إذا لم يكنْ بينى وبينَك مرسَلٌ ... فريحُ الصَّبا منِّى إليك رسولُ

ومنه أيضًا :

وكم كَذْبةٍ لى فيك لا أَستَقِيلها ... أقولُ لمَن ألقاه إنىَ صالحُ
فأىُّ صلاحٍ لى وجسمىَ ناحلُ ... وقلبى مَشْغوفٌ ودمعِىَ سافحُ

وأنشَد يومًا ، وجلَس عنده شابٌّ أمردُ ، وعليه ثيابٌ حسانٌ ، فطرَده مِن عندِه ، ثم قال :

طَرَحُوا اللَّحْمَ للبُزا ... ةِ على ذِرْوَتَىْ عَدَنْ
ثم لامُوا البزاةَ كم ... طَوَّلوا فيهمُ الرَّسَنْ
لو أرادُوا صلاحَنا ... سَرُّوا وجهَهُ الحَسَنْ

وقد روَى ابنُ عساكرَ[1] عن أبى علىٍّ بنِ مُقلةَ الكاتبِ أنه أنشَد له فى معنى هذا بيتين أخطأ فيهما :

يا ربِّ تَخْلُقُ أقمارَ ليلٍ ... وأغصانَ بانٍ وكُثبانَ رمْلِ
وتُبْدِعُ فى كلِّ طَرْفٍ بسِحْرٍ ... وفى كلِّ قَدٍّ رَشِيقٍ بكلِّ
وتَنْهَى عبادَك أن يَعْشَقُوا ... أيا حَكَمَ العَدْلِ أحْكُمْ بعَدْلِ

---

(١) ليس فى مختصر تاريخ دمشق .

قلتُ : نعم ، إن اللَّهَ إنما يَنْهَى عن الفحشاءِ ، وهو الحكمُ بالعدلِ فى كلِّ ما أمَر به وكلِّ ما يَنْهَى عنه .

وللشِّبلِىِّ[1] :

فيومًا تَرانا فى الخُزُوزِ نَجُرُّها ويومًا تَرانا فى الحديدِ عوابسَا
ويومًا ترانا للثريدِ نبشُّه ويومًا ترانا نَأْكُلُ الخبزَ يابسَا

وسافَر الشِّبْلىُّ مرةً إلى البصرةِ[2] ، فلما عاد إلى بغدادَ سمِع جاريةً للخليفةِ المُقْتَدِرِ تُغنِّيه وهو فى التاجِ مِن دارِ الخِلافةِ :

أيا قادمًا مِن سفرةِ الهجرِ مرحبًا أيا ذاك لا أنْساك ما هبَّتِ الصَّبا
قدِمْتَ على قَلْبى كما قد ترَكْتَه كئيبًا حزينًا بالصبابةِ مُتْعَبَا

فصاح الشِّبْلىُّ صَيْحةً ، وخرَّ مَغْشِيًّا عليه فى دِجْلةَ ، فتدارَكه الناسُ ، فأخرجوه ، وأمَر الخليفةُ بإحْضارِه ، فقال : أنت مَجْنونٌ . قال : لا ، ولكنى قدِمْتُ مِن سفرٍ ، فسمِعْتُ هذه تُغَنِّيك بهذين البيتَيْن ، فحصَل لى ما حصَل . فبكَى الخليفةُ .

وكان الشِّبْلىُّ يُنْشِدُ ، وسمِعْتُه كثيرًا مِن شيخِنا العَلَّامةِ أبى العباسِ ابنِ تَيْميةَ ، رحِمه اللَّهُ ، يُنْشِدُ :

عوَى الذئبُ فاسْتَأْنَسْتُ للذئبِ إذ عَوَى وصوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أَطيرُ[3]

وله أيضًا[4] :

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩١.
(٢) المصدر السابق ، وطبقات الأولياء ص ٢٠٩.
(٣) البيت للأحمير السعدى . الشعر والشعراء ص ٧٨٧، وانظر بهجة المجالس ١/ ٦٨٠.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٢.

الناسُ بالعيدِ قد سُرُّوا وقد فَرِحوا وما سُرِرْتُ به والواحدِ الصمدِ
لمّا تَيَقَّنْتُ أنّى لا أُعايِنُكمْ غَمَّضْتُ عَيْنِى فلا أَنْظُرْ إلى أحدِ

وقيل له[1] : إن فلانًا مات فُجَاءةً . فأنْشَأ يقولُ :

قضَى اللَّهُ فى القَتْلَى قِصاصَ دمائِهم ولكنْ دماءُ العاشِقِين جُبارُ[2]

وله أيضًا[3] :

جُنِنّا على ليلى وجُنَّتْ بغيرِنا وأخرى بنا مجنونةٌ ما نُرِيدُها

وله أيضًا :

يا راحتى وعذابى مِن عذابى أنت ما بى فكيف أكتُمُ ما بى

وله أيضًا[4] :

فلو قلتَ طَأْ فى النارِ بادَرْتُ نحوَها سُرورًا لأنى قد خطَرْتُ ببالِكا

ولما مرِض الشِّبْلِىُّ[5] بعَث إليه المُقْتَدِرُ طَبيبًا نَصْرانيًّا ، فقال له الطبيبُ : فلو علِمْتُ أن قطعَ بعضِ جسَدى يَشْفِيك لقطَعْتُه . فقال له : يَشْفِينى قطْعُ ما هو أيْسَرُ عليك مِن ذلك . فقال : وما هو ؟ قال : قطْعُ زُنّارِك . فقطَعه وأسْلَم ، فبلَغ ذلك الخليفةَ فقال : بعَثْنا طبيبًا إلى عليلٍ ، فإذا هو عليلٌ إلى طبيبٍ .

قالوا[5] : ولما احْتُضِر جعَل مَن عندَه يقولون : قل : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فقال :

إن بيتًا أنت ساكنُه غيرُ مُحتاجٍ إلى السُّرُجِ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٩٢/٢٨ .
(٢) أى هَدَرٌ .
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٢.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٥، ١٧٦.
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٦، والرسالة القشيرية ٢/ ٥٩٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٥.

وجـهُـك المأمـولُ حُـجَّـتُنا يـومَ يـأتـى الـنـاسُ بـالحُجَـجِ

وقد ذكَر ابنُ عَساكرَ أنه كان يَقولُ[1] : أَخْشَى أن أَمُوتَ بينَ النَّفْيِ والإثْبـاتِ ؛ لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وإنما كان ذكرُه : اللَّهْ اللَّهْ ، ويَحْتَجُّ بقولِه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وفيما نحاه نَظَرٌ ، فقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] وقال النبىُّ ﷺ[2] : « أفْضَلُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّون قبْلى : لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له »[3] .

ذُكِر عنه أنه قال[4] : رأيْتُ مَجْنونًا على بابِ جامعِ الرُّصافةِ يومَ جمعةٍ وهو عُرْيانٌ ، وهو يَقولُ : أنا مَجْنونُ اللَّهِ ، أنا مَجنونُ اللَّهِ . فقلتُ : ألا تَسْتَتِرُ وتَدْخُلُ مع الناسِ فتُصَلِّىَ ، فأنشأ يقولُ :

يَقُولون زُرْنا واقْضِ واجبَ حقِّنا وقد أسْقَطَتْ حالى حُقوقَهمُ عنى
إذا أبْصَروا حالى ولم يَأْنَفوا لها ولم يَأْنَفوا منها[5] أنِفْتُ لهم منى

وذكَر الخَطيبُ فى « تاريخِه »[6] عنه أنه أنْشَد لنَفْسِه :

مضَتِ الشَّبيبةُ والحَبيبةُ فانْبَرَى دَمْعانِ فى الأجْفانِ يَزْدَحمانِ
ما أنْصَفَتْنى الحادِثاتُ رمَيْنَنى بمُوَدِّعَيْـن ولـيس لـى قَـلْـبانِ

وكانت وفاتُه ، رحِمه اللَّهُ ، ليلةَ الجمعةِ لليلتَيْن بقِيَتا مِن هذه السنةِ ، وله سبعٌ وثمانون سنةً ، ودُفِن فى مقْبَرةِ الخَيْزُرانِ ببَغْدادَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٨.
(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٥٧٥.
(٣) هنا تنتهى زيادة ظ المشار إليها فى صفحة ١٧٧ .
(٤) وفيات الأعيان ٢/٢٧٦. تقدم فى ص ١٥٤.
(٥) فى ب ، م : « منى » .
(٦) تاريخ بغداد ٦/ ٣١٥، ٣١٦.

ثم دَخَلَتْ سنةُ خمسٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] اسْتَقَرَّ أمْرُ الخَليفةِ المُطِيعِ للَّهِ فى دارِ الخِلافةِ ، واصْطَلَح مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ وناصرُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ على ذلك ، ثُم حارَب ناصرُ الدولةِ تَكِينَ التُّرْكىَّ ، فاقْتَتلا مراتٍ مُتَعَدِّدةً ، ثم ظفِر ناصرُ الدولةِ بتَكِينَ ، فسَمَلَه بينَ يديه ، واسْتَقَرَّ أمْرُه بالموصلِ والجَزيرةِ .

وفيها اسْتَحْوَذ رُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ على الرَّىِّ وانْتَزَعها مِن الخُراسانيةِ ، فاتَّسَعَتْ مَمْلكةُ بنى بُوَيْهِ ؛ فإنه صار بأيْديهم أعْمالُ الرَّىِّ والجَبَلِ وأصْبَهانَ وفارسَ والأهْوازِ والعراقِ ، ويُحْمَلُ إليهم ضَمانُ المَوْصِلِ ودِيارِ [2]مُضَرَ و[2] رَبيعةَ[3] مِن الجَزيرةِ .

ثم اقْتَتل جيشُ مُعِزِّ الدولةِ وجيشُ أبى القاسمِ بنِ البَرِيدىِّ ، فهُزِم أصحابُ البريدىِّ ، وأُسِر مِن أعيانِهم جماعةٌ كثيرةٌ .

وفيها وقَع الفِداءُ بينَ الرومِ والمسلمين على يدِ نصرٍ الثملىِّ أميرِ الثُّغورِ لسيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فكان عِدَّةُ الأُسارَى نحوًا مِن ألفين وخمسِمائةِ مسلمٍ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) المنتظم ١٤/٥٣ - ٥٥، والكامل ٨/٤٦٦ - ٤٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٣٤ - ٣٦. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٥٩ - ٣٦٥.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) فى الكامل: «بكر».

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسنُ بنُ حَمُّوَيْهِ بنِ الحسينِ، القاضى الإسْتِراباذىُّ[1] ، روَى الكثيرَ وحدَّث ، وكان له مَجْلِسٌ للإمْلاءِ ، وحكَم ببلدِه مدةً طويلةً ، وكان مِن المُتَهَجِّدِين بالأسحارِ ، ويُضْرَبُ به المَثَلُ فى [2]مُروءتِه ووَجاهَتِه[2] ، وقد مات فَجْأةً على صدرِ جاريتِه عندَ إنْزالِه ، رَحِمه اللَّهُ .

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ أبو عبدِ اللَّهِ الخُتُّلىُّ[3] ، سمِع ابنَ أبى الدنيا وغيرَه ، وحدَّث عنه الدارَقُطْنىُّ وخَلْقٌ ، وكان ثِقةً ثَبتًا[4] حافظًا ، حدَّث مِن حفظِه بخمسين ألفَ حديثٍ .

عبدُ السلامِ بنُ رَغْبانَ بنِ عبدِ السلامِ بنِ حبيبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَغْبانَ بنِ زيدِ بنِ تَميمٍ أبو محمدٍ الكَلْبىُّ[5] ، المُلَقَّبُ بدِيكِ الجِنِّ ، الشاعرُ الماجِنُ الشِّيعىُّ ، ويُقالُ : إنه مِن مَـوالى بنى تَميمٍ . وكانت له أشْعارٌ قويةٌ خُمارِيَّةٌ وغيرُ خُمارِيَّةٍ ، [٩/٥٢ ظ] وقد اسْتَجاد أبو نُوَاسٍ مِن شعرِه فى الخُمارِيّاتِ .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٢٢.

(٢ - ٢) فى ب : «ظروفته وفكاهته» . وفى م : «ظرفه وفكاهته» .

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٩٠، والمنتظم ١٤/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٢٠٣. ولم يؤرخ وفاته إلا ابن الجوزى فى المنتظم. وقال الحافظ الذهبى فى السِّيَر: لم أر أحدًا أرّخ وفاته، وكأنها فى سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة.

(٤) فى ب، م: «نبيلا» .

(٥) الأغانى ١٤/ ٥١، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٣٥ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ووفيات الأعيان ٣/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠) ص ٢٤٤، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٢٢. وقد ذكر ابن خلكان أنه توفى فى سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين، وكذا قال الذهبى. فيكون إيراد المصنف له فى وفيات هذه السنة محض الخطأ. ويؤكد هذا الخطأ ذكر المصنف أن أبا نواس كان من معاصريه.

عليُّ بنُ عيسى بنِ داودَ بنِ الجرَّاحِ، أبو الحسنِ الوزيرُ[1]، وزَر للمُقْتَدِرِ والقاهِرِ، وُلِد سنةَ خمسٍ وأرْبَعين ومائتين، وسمِع الكثيرَ، وعنه الطَّبَرانيُّ وغيرُه، وكان ثِقةً ثَبتًا فاضِلًا عَفِيفًا، كثيرَ التِّلاوةِ والصَّلاةِ والصِّيامِ، يُحِبُّ أهلَ العلمِ ويُكْثِرُ مُجالَستَهم، وكان أصْلُه مِن الفُرْسِ، وكان مِن أكْبرِ القائمِين على الحلَّاجِ[2].

وقد رُوِى عنه أنه قال[3]: مَلَكْتُ سبعَمائةِ ألفِ دينارٍ، أنْفَقْتُ منها فى وُجوهِ الخيرِ ستَّمائةِ ألفٍ وثمانين ألفًا.

ولَمَّا دخَل مكةَ[4] حينَ نُفِى مِن بَغْدادَ طاف بالبيتِ وبالصَّفا والمَرْوةِ، وكان حَرٌّ شديدٌ، فجاء المنزِلَ، فألْقَى نفْسَه كالمَيِّتِ وقال: أَشْتَهِى على اللَّهِ شَرْبةً بثَلْجٍ. فقال له بعضُ أصحابِه: إنَّ هذا مِمَّا لا يَتَهَيَّأُ هـٰهنا. فقال: أَعْرِفُ، (٥ولكنِّى اسْتَرْوَحْتُ إلى المُنَى٥). فلما كان فى أثناءِ النهارِ جاءَت سحابةٌ فأمْطَرَتْ، ثُم سقَط بَرَدٌ شديدٌ كثيرٌ، فجمَع له صاحبُه ذاك مِن البَرَدِ شيئًا كثيرًا وخبَّأَه له، وكان الوزيرُ صائمًا، فلما أمْسَى جاء المسجدَ، فأقْبَل إليه صاحبُه بأنواعٍ مِن الأشْربةِ كلِّها بثَلْجٍ، فجعَل يَسْقِيه مَن حولَه مِن الصُّوفيةِ والمُجاوِرين، ولم يَشْرَبْ هو شيئًا مِن ذلك، فلمَّا رجَع إلى المَنْزِلِ، جِئْتُه بشىءٍ مِن ذلك الشَّرابِ كنا قد

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١٤، وتاريخ دمشق ١٢/٤٨٦ مخطوط، والمنتظم ١٤/ ٥٦، ومعجم الأدباء ١٤/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٠٦، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٦٨.

(٢) انظر ما تقدم فى ١٤/ ٨٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ١٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٤٩٠ مخطوط، والمنتظم ١٤/ ٥٧.

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٤، ١٥، وتاريخ دمشق ١٢/ ٤٨٧، ٤٨٨، والمنتظم ١٤/ ٥٧، ٥٨.

(٥ - ٥) فى ب، م: «ولكن سيأتى به الله إذا شاء وأصبر إلى المساء».

خبأْناه له ، وأقْسَمْتُ عليه ليَشْرَبَنَّه ، فشرِبه بعدَ جَهْدٍ ، وقال : كنتُ أَشْتَهِى لو كنتُ تَمَنَّيْتُ المَغْفِرةَ . رحِمه اللَّهُ وغفَر له .

ومِن شعرِ الوزيرِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ عيسى قولُه[1] :

فمَن كان عنى سائلًا بشَماتةٍ ... لِمَا نابَنى أو شامتًا غيرَ سائلِ
فقد أبْرَزَت منى الخُطُوبُ ابنَ حُرَّةٍ ... صَبورًا على أهْوالِ تلك الزَّلازِلِ

وقد روَى أبو القاسمِ علىُّ بنُ المُحسِّنِ[2] التَّنُوخىُّ ، عن أبيه ، عن جَماعةٍ ، أن عَطَّارًا مِن أهلِ الكَرْخِ كان مَشْهورًا بالسُّنَّةِ[3] ، رِكبه ستُّمائةِ دينارٍ دَيْنًا ، فغَلَّق دُكَّانَه ، وانكَسَر عن كَسْبِه ، ولَزِم منزلَه ، وأقْبَل على الدعاءِ والتضرُّعِ والصلاةِ ليالىَ كثيرةً ، فلما كان فى بعضِ تلك الليالى رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ وهو يَقولُ له : اقْصِدْ علىَّ بنَ عيسى الوزيرَ ، فقد أمَرْتُه لك بأربعِمائةِ دينارٍ . فلما أصبَح الرجلُ قصَد بابَ الوزيرِ ، فلم يَعْرِفْه أحدٌ ، فجلَس لعل أحدًا يَسْتَأْذِنُ له عليه حتى طال عليه المَجْلِسُ ، وهمَّ بالانصِرافِ ، ثُم إنه قال لبعضِ الحَجَبةِ : قُلْ للوَزيرِ : إنى رجلٌ رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ ، وأنا أُرِيدُ أن أَقُصَّه على الوزيرِ . فقال له الحاجِبُ : وأنت الرائى ؟ إن الوزيرَ قد أنْفَذ فى طَلَبِك رُسُلًا مُتَعدِّدةً . ثم دخَل ، فما كان بأسْرَعَ مِن أن أدْخَلَنى عليه . فأقْبَل عليه الوَزيرُ يَسْتَعْلِمُ عن اسمِه وصفتِه ومَنْزِلِه ، فذكَر ذلك له ، فقال له الوزيرُ : إنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يَأْمُرُنى

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٥، ١٦، وتاريخ دمشق ١٢/ ٤٨٩، والمنتظم ١٤/ ٥٨، ومعجم الأدباء ١٤/ ٦٩، ٧٠.

(٢) فى م، ص: «الحسن». وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ١١٥، والمشتبه ٢/ ٥٧٦، وتبصير المنتبه ٤/ ١٢٦٤. والخبر فى المنتظم ١٤/ ٦٠، ٦١، من طريق أبى القاسم به، وفى الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨ لأبيه المحسن بن على التنوخى بنحوه.

(٣) فى مصدرى التخريج : « بالستر » .

بإعطائِك أربعَمائةِ دينارٍ ، فأصْبَحْتُ لا أدْرِى مَن أَسْأَلُ عنك ، [٩/٥٣و]وقد أرْسَلْتُ فى طَلَبِك إلى الآن عِدَّةً مِن الرُّسُلِ ، فجَزاك اللَّهُ خيرًا فى قَصْدِك إياىَ . ثم أمَر بإحضارِ ألفِ دينارٍ ، فقال : هذه أربعُمائةِ دينارٍ لأمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وستُّمائةٍ هِبَةً مِن عندى . فقال الرجلُ : لا واللَّهِ ، لا أَزِيدُ على ما أمَرَنى به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فإنى أرْجُو الخيرَ والبركةَ فيه . ثم أخَذ منها أربعَمائةِ دينارٍ ، فقال الوزيرُ : هذا هو الصدقُ واليقينُ . فخرَج الرجلُ ، فعرَض على أربابِ الدُّيونِ أمْوالَهم فقالوا : نحن نَصْبِرُ عليك ثلاثَ سنين ، وافْتَحْ بهذا الذَّهَبِ دُكَّانَك ، ودُمْ على كَسْبِك . فأبَى إلَّا أن يُعْطِيَهم مِن أموالِهم الثُّلُثَ ، فدفَع إليهم مائتَىْ دينارٍ ، وفتَح الدُّكّانَ بالمائتين الأُخرى ، فما حال الحَوْلُ حتى كَسَب ألفَ دينارٍ .

ولعلىٍّ بنِ عيسى أخبارٌ كثيرةٌ صالحةٌ . وكانت وَفاتُه فى هذه السنةِ عن تسعين سنةً . ويقالُ[1] : فى التى قبلَها . واللَّهُ أعلمُ .

محمدُ بنُ إسْماعيلَ بنِ إسْحاقَ بنِ بَحْرٍ أبو عبدِ اللَّهِ الفارِسىُّ[2] ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، كان ثِقةً ثَبتًا فاضِلًا ، سمِع أبا زُرْعةَ الدمشقىَّ وغيرَه ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وآخِرُ مَن حدَّث عنه أبو عمرَ بنُ مَهْدىٍّ . وكانت وفاتُه فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

هارونُ بنُ محمدِ[3] **بنِ هارونَ بنِ علىِّ بنِ موسى بنِ عَمْرِو بنِ جابرِ بنِ**

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ١٦، والمنتظم ١٤/ ٦١.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٥٠، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٠٥، والمنتظم ١٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٢٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ١٢٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٣، والمنتظم ١٤/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٣٢.

يَزيدَ بنِ جابرِ بنِ عامرِ بنِ أسيدِ [1]**بنِ تَيْمِ**[1] **بنِ صُبْحِ بنِ ذُهْلِ بنِ مالكِ** [2]**بنِ بكرِ**[2] **بنِ سعدِ بنِ ضَبَّةَ أبو جعفرٍ**، والدُ القاضى أبى عبدِ اللَّهِ الحُسينِ[3] بنِ هارونَ.

كان أسْلافُه مُلوكَ عُمانَ فى قَديمِ الزمانِ، ويزيدُ بنُ جابرٍ أدْرَكَه الإسلامُ، فأسْلم وحسُن إسلامُه. وكان هارونُ هذا أولَ مَن انتَقَل مِن أهلِه مِن عُمَانَ، فنزَل بَغْدادَ، وحدَّث بها، وروَى [4]عنه ابنُه[4]، وكان فاضِلًا مُتَضَلِّعًا مِن كلِّ فنٍّ، وكانت دارُه مَجْمَعَ العلماءِ فى سائرِ الفنونِ، ونَفَقاتُه دارَّةٌ عليهم، وكانت له مَنْزلةٌ عاليةٌ، ومَهابةٌ وافرةٌ ببغدادَ، وقد أثْنَى عليه الدارَقُطْنىُّ ثَناءً كثيرًا، وقال: كان مُبَرِّزًا فى النَّحْوِ واللغةِ والشعرِ ومعانى القرآنِ والكَلامِ.

قال ابنُ الأثيرِ[5]: وفيها تُوُفِّى أبو بكرٍ محمدُ بنُ [6]يحيى بنِ[6] عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ صُول الصُّولىُّ، وكان عالمًا بفُنونِ الآدابِ والأخْبارِ. وإنما ذكَره ابنُ الجَوْزىِّ فى التى بعدَها[7]، كما سيأْتى.

أبو العباسِ بنُ القاصِّ[8] **أحمدُ بنُ أبى أحمدَ الطَّبَرىُّ**، الفَقيهُ الشافعىُّ،

(١ - ١) فى الأصل، ص: «إبراهيم»، وفى ب، م، ظ: «تميم»، وفى تاريخ بغداد: «بن سالم بن قيم»، وفى تاريخ الإسلام ذكر الاسم مختصرا. والمثبت من المنتظم. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٠٥.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم. وانظر جمهرة أنساب العرب، الموضع السابق.

(٣) فى م: «الحسن».

(٤ - ٤) فى ب، م: «عن أبيه».

(٥) الكامل ٨/ ٤٦٨.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من الكامل. وانظر ما سيأتى فى وفيات السنة القادمة.

(٧) المنتظم ١٤/ ٦٨.

(٨) فى ب، م، ظ: «القاضى». وانظر ترجمته فى طبقات الفقهاء ص ١١١، والأنساب ٤/ ٤٣٠، =

تِلْميذُ ابنِ سُرَيْجٍ، له كِتابُ «التَّلْخيصِ»، وكتابُ «المِفْتاحِ»، وهو مُخْتَصَرٌ شرَحه أبو عبدِ اللَّهِ الختَنُ[1]، وأبو عليٍّ السِّنْجِيُّ أيضًا، وكان أبوه يَقُصُّ على الناسِ الأخْبارَ والآثارَ، وأمَّا هو فتولَّى قَضاءَ طَرَسوسَ، وكان يَعِظُ الناسَ أيضًا فحصَل له خُشوعٌ، فسقَط مَغْشِيًّا عليه، فمات فى سنةِ خمسٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ. [2]وقيل: سنةَ ستٍّ وثلاثين. فاللَّهُ تعالى أعلمُ[2].

= ووفيات الأعيان ١/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٢١، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٥٩.

(١) فى الأصل، م، ص، ظ: «الحسين». وفى ب: «الحسينى». والمثبت من مصادر ترجمة أبى العباس. وأبو عبد اللَّه الختن هو محمد بن الحسن بن إبراهيم، توفى سنة ٣٨٦.

وقيل له: الختن. لأنه كان ختن الإمام أبى بكر الإسماعيلى مُصنِّف «المستخرج»، والمختصر الذى شرحه الختن والسنجى هو «التلخيص» لا «المفتاح» كما ذكر المصنف. انظر طبقات الفقهاء ص ١١١، ووفيات الأعيان ١/ ٦٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٧، ٨، ١٣٦.

(٢ - ٢) زيادة من: ص. وانظر وفيات الأعيان ١/ ٦٨.

ثم دخَلت سنةُ ستٍّ وثلاثين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] خرَج مُعِزُّ الدولةِ والمطِيعُ للَّهِ مِن بغدادَ إلى البَصْرةِ ، فاسْتَنْقذاها مِن يدِ أبى القاسمِ بنِ البَرِيدىِّ ، وهرَب هو وأكثرُ أصحابِه ، واسْتَوْلَى مُعِزُّ الدولةِ على البَصْرةِ ، وبعَث يَتَهَدَّدُ القَرامِطةَ ، [٩/٥٣ظ] ويَتَوَعَّدُهم بأَخْذِ بلادِهم ، وزاد فى أقْطاعِ الخَليفةِ ضِياعًا تَعْمَلُ فى السنةِ مائتَىْ ألفِ دينارٍ ، ثُم سار مُعِزُّ الدولةِ لتلَقِّى أخيه عِمادِ الدولةِ بالأهْوازِ ، فقبَّل الأرضَ بيـنَ يدى أخيه ، وقام ماثِلًا أيضًا ، ويَأْمُرُه بالجُلوسِ فلا يَفْعَلُ . ثم عاد إلى بغدادَ ، ورجَع الخليفةُ إليها أيضًا وقد تَمَهَّدَتْ أُمورٌ جيدةٌ .

وفى هذه السنةِ اسْتَحْوَذ رُكْنُ الدولةِ على بلادِ طَبَرِسْتانَ وجُرْجانَ وانْتَزَعَها مِن يدِ وُشْمَكِيرَ أخى مَرْداوِيجَ ملكِ الدَّيْلَمِ ، فذهَب وُشْمَكِيرُ إلى خُراسانَ يَسْتَنْجِدُ بصاحِبِها .

ومِمَّن تُوُفى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو الحسينِ بنُ المُنادِى ، أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ يَزِيدَ[2] ،

---

(١) المنتظم ١٤/ ٦٤، ٦٥، والكامل ٨/٤٦٩ - ٤٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٣٧، ٣٨. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٦٦.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٦٩، وطبقات الفقهاء ص ١٧٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ٣، والمنتظم ١٤/ ٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٣٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٩٠.

سمِع جدَّه وعباسًا الدُّوريَّ ومحمدَ بنَ إسحاقَ الصاغانيَّ . وكان ثِقةً أمينًا حُجَّةً صادقًا ، صنَّف كثيرًا ، وجمَع عُلومًا جَمَّةً ، ولم يَسْمَعِ الناسُ منها إلا اليَسيرَ ، وذلك لشَراسةِ أخلاقِه ، وآخِرُ مَن روَى عنه محمدُ بنُ فارسٍ الغُوريُّ[1] .

ونقَل ابنُ الجَوْزيِّ[2] ، عن أبى يوسُفَ القَزْوينيِّ أنه قال : صنَّف أبو الحسينِ ابنُ المُنادِى فى عُلومِ القرآنِ أربعَمائةِ كتابٍ ونَيِّفًا وأربعين كتابًا ، ولا يُوجَدُ فى كلامِه حَشْوٌ ، بل هو نَقيُّ الكلامِ ، جمَع بينَ الرِّوايةِ والدِّرايةِ .

وقال ابنُ الجَوْزيِّ[2] : ومَن وقَف على مُصَنَّفاتِه علِم فَضْلَه واطِّلاعَه ، ووقَف على فَوائدَ لا تُوجَدُ فى غيرِ كُتُبِه . كانت وفاتُه فى مُحَرَّمِ هذه السنةِ عن ثمانين سنةً .

الصُّوليُّ محمدُ [3]بنُ يحيى[3] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ محمدِ بنِ صُول أبو بكرٍ الصُّوليُّ ، كان أحدَ العلماءِ بفنونِ الأدبِ ، حَسَنَ المَعْرفةِ بأخْبارِ المُلوكِ وأيامِ الخُلَفاءِ ومآثِرِ الأشرافِ وطَبَقاتِ الشعراءِ . روَى عن أبى داودَ السِّجِسْتانيِّ والمُبَرِّدِ وثَعْلبٍ وأبى العَيْناءِ وغيرِهم ، وكان واسعَ الرِّوايةِ ، جيدَ الحِفْظِ ، حاذِقًا بتَصْنيفِ الكتبِ . وله كتبٌ كثيرةٌ هائلةٌ ، ونادَم جَماعةً مِن الخُلَفاءِ ، وحظِى عندَهم . وكان جدُّه صُول وأهلُه مُلوكًا بجُرْجانَ ، ثم كان أوْلادُه مِن أكابرِ

---

(١) فى الأصل ، ب ، م ، ظ : « اللغوى » . وفى ص : « الصولى » . وفى تاريخ بغداد : « المغورى » . والمثبت من المنتظم ، وسير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام ، وانظر الأنساب ٤/ ٣١٩.

(٢) المنتظم ١٤/ ٦٦.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى معجم الشعراء ص ٤٣١، وتاريخ بغداد ٣/ ٤٢٧، والمنتظم ١٤/ ٦٨، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٠٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٣٠.

الكُتَّابِ . وكان الصُّولىُّ هذا جيدَ الاعْتِقادِ ، حسنَ الطَّريقةِ ، وله شعرٌ حسنٌ ، وقد روَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه مِن الحُفَّاظِ .

ومِن شعرِه قولُه[1] :

أحْبَبْتُ مِن أجْلِه مَن كان يُشْبِهُهُ ... وكلُّ شىءٍ مِن المَعْشوقِ مَعْشوقُ
حتى حكَيْتُ بجِسْمى ما بمُقْلَتِه ... كأنَّ سُقْمِىَ مِن عينَيْه مَسْروقُ

خرَج الصُّولىُّ مِن بغدادَ إلى البَصْرةِ لحاجةٍ لَحِقَتْه ، فمات بها فى هذه السنةِ .

وفيها كانت وَفاةُ ابنةِ الشيخِ أبى الحسنِ[2] الزاهدِ المكىِّ ، وكانت مِن العابداتِ الناسِكاتِ المُقيماتِ بمكةَ ، وإنما كانت تَقْتاتُ مِن كَسبِ أبيها ، مما كان يَكْتَسِبُه مِن عملِ الخُوصِ فى كلِّ سنةٍ بثلاثين درهمًا يُرْسِلُها إليها ، فاتَّفَق أن أرْسَلَها مرةً مع بعضِ أصحابِه ، فزاد عليها ذلك الرجلُ عِشْرين درهمًا - يُرِيدُ بذلك بِرَّها وزِيادةً [٩/٥٤و] فى نفقتِها - فلما اخْتَبَرَتْها قالت : هل وضَعْتَ على هذه شيئًا ؟ اصْدُقْنى بحقِّ الذى حَجَجْتَ له . فقال : نعم . فقالت : ارْجِعْ بها فلا حاجةَ لى فيها ، ولولا أنَّك قصَدْتَ الخيرَ لَدَعَوْتُ عليك ؛ فإنَّك أجَعْتَنى عامى هذا ، ولم يَبْقَ لى رِزْقٌ إلا مِن المَزابِلِ إلى قابِلٍ . فقلتُ : ألا تَأْخُذِى منها الثلاثين درهمًا . فقالت : إنها قد اخْتَلَطَتْ بمالِك ، ولا أدْرِى ما هو . قال الرجلُ : فرجَعْتُ بها إلى أبيها ، فأبَى أن يَقْبَلَها ، وقال : شَقَقْتَ يا هذا علىَّ ، وضيَّقْتَ عليها ، ولكن اذْهَبْ فتصَدَّقْ بها[*] .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٩، والمنتظم ١٤/ ٦٩.

(٢) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى المنتظم ١٤/ ٧٠، وصفة الصفوة ٢/ ٢٧٥.

(*) هنا انتهت نسخة المكتبة الظاهرية والمشار إليها بـ « ظ » .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ

فيها[1] ركِب مُعِزُّ الدولةِ مِن بغدادَ إلى الموصلِ ، فانهَزَم منه ناصرُ الدولةِ إلى نَصِيبِينَ ، فتمَلَّك مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ المَوْصِلَ فى رمضانَ من هذه السنةِ ، فعسَف أهلَها ، وأخَذ أموالَهم ، وكثُر الدعاءُ عليه ، ثم عزَم على أخْذِ البلادِ كلِّها مِن يدِ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فجاءه خبرٌ مِن أخيه رُكْنِ الدولةِ يَسْتَنْجِدُه على مَن قِبَلَه مِن الخُراسانيةِ ، فاحْتاج إلى مُصالحةِ ناصرِ الدولةِ على أن يَحْمِلَ عمَّا تحتَ يدِه مِن بلادِ الجَزيرةِ والشامِ فى كلِّ سنةٍ ثمانيةَ آلافِ ألفِ درهمٍ ، وأن يُخْطَبَ له ولأخويه عِمادِ الدولةِ ورُكْنِ الدولةِ على مَنابرِ بلادِه كلِّها ، ففعَل وعاد مُعِزُّ الدولةِ إلى بغدادَ ، وبعَث إلى أخيه بجيشٍ هائلٍ ، وأخَذ له عهدَ الخليفةِ بولايةِ خراسانَ .

وفيها دخَل سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ صاحبُ حَلَبَ إلى بلادِ الرومِ ، فلقِيه جَمْعٌ كَثيفٌ مِن الرومِ ، فاقْتَتَلوا قتالًا شديدًا ، فانْهَزم سيفُ الدولةِ ، وأخَذَت الرومُ مَرْعَشَ ، وأوْقَعوا بأهلِ طَرَسُوسَ بأسًا شديدًا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : وفى رمضانَ انْتَهَت زيادةُ دِجْلةَ إلى إحدى وعشرين ذِراعًا وثُلُثٍ ، [3]فغَرِقت الضِّياعُ والدورُ التى عليها ، وأشرَف الجانبُ الشرقىُّ[4] على الغرقِ ، وهَمَّ الناسُ بالهربِ منه[3] .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

(١) المنتظم ١٤/ ٧٢، والكامل ٨/٤٧٧ - ٤٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٣٩، ٤٠. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) المنتظم ١٤/ ٧٢.

(٣ - ٣) سقط من: ب ، م .

(٤) فى ص: «الغربى» .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ حَمْدَوَيْهِ بنِ نُعَيْمِ بنِ الحَكَمِ ، أبو محمدٍ البَيِّعُ[1] ، وهو والدُ الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ النَّيْسابوريِّ ، أذَّن ثلاثًا وثلاثين[2] سنةً ، وغزا اثنتَيْن وعشرين غَزْوةً ، وأنْفَق على العُلَماءِ مائةَ ألفٍ ، وكان يَقومُ الليلَ ، كثيرَ الصَّدَقةِ ، أدْرَك عبدَ اللَّهِ بنَ أحمدَ ومسلمَ بنَ الحَجَّاجِ ، وروَى عن ابنِ خُزَيْمةَ وغيرِه ، وتُوُفِّى عن ثلاثٍ وتسعين سنةً .

قُدامةُ الكاتبُ المشهورُ[3] ، هو قُدامةُ بنُ جعفرِ بنِ قُدامةَ ، أبو الفرجِ الكاتبُ ، له مُصَنَّفٌ فى الخَراجِ وصِناعةِ الكِتابةِ ، وبه يَقْتَدِى علماءُ هذا الشأنِ ، وقد سأَل ثعلبًا عن أشياءَ .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ عمرَ ، أبو علىٍّ[4] ، المُذَكِّرُ الواعِظُ بنَيْسابورَ ، كان كثيرَ التَّدْليسِ عن المَشايخِ الذين لم يَلْقَهم . تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن مائةٍ وسبعِ سنين ، سامَحه اللَّهُ .

محمدُ بنُ مُطَهَّرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو النَّجاءِ[6] ، الفَقيهُ الفَرَضىُّ الضَّريرُ المالكىُّ ، [٩/٥٤ظ] له كتابٌ فى الفقهِ على مذهبِ مالكٍ ، وله مُصَنَّفاتٌ فى الفرائضِ قليلةُ النَّظيرِ ، وكان أديبًا فَهِمًا[7] فاضِلًا صادقًا ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٧٣، وقد أورده الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٧٤ فى وفيات سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

(٢) فى م ، وتاريخ الإسلام : « ستين » .

(٣) المنتظم ١٤/ ٧٣، ومعجم الأدباء ١٧/ ١٢.

(٤) المنتظم ١٤/ ٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٥١، والعبر ٢/ ٢٤٥.

(٥) فى الأصل : « وستين » .

(٦) فى ب ، م : « المنجا » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٤/ ٧٤، وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١١٤ فى وفيات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

(٧) فى ب ، م : « إماما » .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ

فى ربيعِ الأولِ منها[1] وقَعَت فِتْنةٌ بينَ الشِّيعةِ وأهلِ السُّنَّةِ ، ونُهِبَت الكَرْخُ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ تقَلَّد القاضى أبو السائبِ عُتْبةُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ الهَمْدانىُّ قَضاءَ القُضاةِ .

وفيها خرَج رجلٌ يُقالُ له : عِمْرانُ بنُ شاهِينَ . كان قد اسْتَوْجَب بعضَ العُقوباتِ ، فهرَب مِن السلطانِ إلى ناحيةِ البَطائحِ ، فكان يَقْتاتُ مما يَصِيدُه مِن السمكِ والطُّيورِ ، والْتَفَّ عليه خَلْقٌ مِن الصَّيَّادِين وقُطَّاعِ الطريقِ ، فقوِيَت شَوْكتُه ، واسْتَعْمَله أبو القاسمِ بنُ البَرِيدىِّ على جِبايةِ بعضِ تلك النَّواحِى ، وأرْسَل إليه مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ جيشًا مع وزيرِه أبى جعفرٍ الصَّيمَرىِّ[2] ، فهُزِم الوزيرُ ، لكنَّه دهَمه أمرٌ ، اشتغَل به عنه ، وذلك **وفاةُ عمادِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ**[3] .

وهو **أبو الحسنِ علىُّ بنُ بُوَيْهِ** ، أكبرُ أوْلادِ بُوَيْهِ ، وأولُ مَن تمَلَّك منهم ، وكان عاقلًا حازمًا ، حَميدَ السِّيرةِ ، رئيسًا فى نفسِه ، كان أولُ ظُهورِه فى سنةِ ثنتَيْن وعشرين وثلاثِمائةٍ كما ذكَرْنا .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٧٥، والكامل ٨/ ٤٨١ - ٤٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٤١، ٤٣. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) فى ب ، م : «بن بويه الضميرى» .

(٣) المنتظم ١٤/ ٧٧، والكامل ٨/ ٤٨٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٦٢.

فلما كان فى هذا العامِ قوِيَت عليه الأسقامُ وتواتَرَت لَديه الآلامُ ، فأحَسَّ مِن نَفْسِه بالهَلاكِ ، ولم يعادِلْ ما هو فيه من الملكِ وكثرةِ الأموالِ والرجالِ من الديالمِ والأتراكِ ، ولم يُحصِّلوا له الفِكاكَ ، ولم يَكُنْ له ولدٌ ذَكَرٌ ، فأرْسَل إلى أخيه رُكْنِ الدولةِ (١يَسْتَدْعى ولدَه١) عَضُدَ الدولةِ ، ليَجْعَلَه وليَّ عهدِه مِن بعدِه ، فلما قدِم عليه فرِح به فرَحًا شديدًا ، وخرَج بنفسِه فى جَميعِ جيشِه لِتَلَقِّيه ، فلما دخَل به دارَ المَمْلكةِ أجْلَسه على السَّريرِ ، وقام بينَ يديه كأحدِ الأُمراءِ ؛ ليَرْفَعَ مِن شأنِه عندَ أُمرائِه ووُزرائِه وأعْوانِه ، ثم عقَد له البَيْعةَ على ما يَمْلِكُه مِن البلدانِ والأموالِ وتَدْبيرِ المُلْكِ والرجالِ ، وفَهِم مِن بعضِ رُءوسِ الأُمراءِ كراهيةً لذلك ، فشرَع فى القَبْضِ عليهم ، وقتَل مَن شاء منهم وسجَن آخرين ، حتى تَمهَّدَتِ الأمورُ لعَضُدِ الدولةِ ، ثم كانت وفاةُ عِمادِ الدولةِ بشِيرازَ فى هذه السنةِ عن سبعٍ وخمسين سنةً ، وكانت مدةُ مُلْكِه ستَّ عشْرةَ سنةً ، وكان مِن خِيارِ المُلوكِ فى زمانِه ، وممَّن حاز قَصَبَ السَّبْقِ دون أقْرانِه ، وكان هو فى الحقيقةِ أميرَ الأُمراءِ ، وبذلك كان يُكاتِبُه الخُلَفاءُ ، ولكنْ أخوه مُعِزُّ الدولةِ كان يَنوبُ عنه ببغدادَ والعراقِ والسَّوادِ .

ولما مات عِمادُ الدولةِ اشْتَغل الوزيرُ أبو جعفرٍ الصَّيْمَرىُّ عن مُحارَبةِ عِمْرانَ ابنِ شاهينَ ، وقد كتَب إليه مُعِزُّ الدولةِ أن يَسِيرَ إلى شِيرازَ ويَضْبِطَ أمورَها ، فقوِىَ أمْرُ عِمْرانَ بعدَ ضَعْفِه ، وكان مِن أمْرِه ما سيأْتى بيانُه فى موضعِه .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو جعفرٍ النَّحَّاسُ النَّحْوىُّ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ يونُسَ

(١ - ١) فى ب ، م : « يستدعيه إليه وولده » .

أبو جعفرٍ المُرادىُّ المِصْرىُّ النحوىُّ، المَعْروفُ بالنَّحَّاسِ[1]، اللُّغوىُّ المُفَسِّرُ الأدِيبُ، [٩/ ٥٥و] له مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ فى التَّفْسيرِ وغيرِه، وقد سمِع الحديثَ ولقِىَ أصحابَ المُبَرِّدِ.

وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ.

قال ابنُ خَلِّكانَ[2]: لخمسٍ خلَوْن منها يومَ السبتِ، وكان سببَ وفاتِه أنه جلَس عندَ المِقْياسِ يُقَطِّعُ شيئًا مِن العَروضِ، فظنَّه بعضُ العامَّةِ يَسْحَرُ النِّيلَ؛ لئلَّا يُوفِى، فرفَسَه برِجْلِه فسقَط، فغرِق ولم يُدْرَ أين ذهَب، رحمه اللَّه تعالى.

وكان قد أخَذ النَّحْوَ عن علىِّ بنِ سليمانَ الأخْفَشِ[3] وأبى بكرِ بنِ الأنْبارىِّ وأبى إسحاقَ الزَّجَّاجِ ونِفْطَوَيْهِ وغيرِهم، وله مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ مُفيدةٌ؛ منها «تَفْسيرُ القرآنِ»، و«الناسخُ والمَنْسوخُ»، و«شرحُ أبياتِ سِيبَوَيْهِ»، ولم يُصَنَّفْ مثلُه، و«شرْحُ المُعَلَّقاتِ»، و«الدَّواوِينِ العشَرةِ»، وغيرُ ذلك. وروَى الحديثَ عن النَّسائىِّ. وكان بَخِيلًا جدًّا، وانْتَفَع الناسُ به، رحمه اللَّهُ.

وفيها كانت وفاةُ الخليفةِ المُسْتَكْفِى باللَّهِ[4]

عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ المكتفى باللَّهِ، وقد ولِى الخِلافةَ سنةً وأربعةَ أشهرٍ ويومين،

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢٠، والمنتظم ١٤/ ٧٥، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٢٤، وإنباه الرواة ١/ ١٠١، ووفيات الأعيان ١/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٥٥.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٠٠.

(٣) فى الأصل: «الأحفص»، وفى ب، م: «الأحوص»، وفى ص: «الأخفص». والمثبت من وفيات الأعيان. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٠، والمنتظم ١٤/ ٧٦، والكامل ٨/ ٤٨٤، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٤٢، ١٠٣، ١٦١.

ثم خُلِع وسُمِلَت عيناه كما تقدَّم ذِكْرُه[1] ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وهو مُعْتَقَلٌ فى دارِه ، وله مِن العمرِ ستٌّ وأرْبعون سنةً وشهران .

علىُّ بنُ [2]حَمْشَاذِ بنِ سَخْتوَيْهِ[2] بنِ نصرٍ ، أبو الحسنِ المُعَدَّلُ ، مُحَدِّثُ عصْرِه بنَيْسابورَ ، رحَل إلى البُلْدانِ ، وسمِع الكثيرَ ، وحدَّث وصنَّف مُسْنَدًا فى أربعِمائةِ جزءٍ ، وله غيرُ ذلك مع شدةِ الإتقانِ والحِفْظِ وكثرةِ العِبادةِ والصِّيانةِ والخَشْيةِ للَّهِ ، عز وجل .

قال بعضُهم[3] : صحِبْتُه فى السَّفَرِ والحَضَرِ ، فما أعْلَمُ أن الملائكةَ كتَبَت عليه خَطيئةً .

وله تَفْسيرٌ فى مائتَىْ جزءٍ ونيِّفٍ ، دخَل الحمَّامَ مِن غيرِ مرضٍ فتُوُفِّى فيه فَجأةً ، وذلك يومَ الجمعةِ الرابعَ عشَرَ مِن شوالٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ ، أبو الحسنِ الواعِظُ البَغْدادىُّ[4] ، ارْتَحل إلى مِصْرَ ، فأقام بها حتى عُرِف بالمِصْرىِّ ، [5]ثم رجع إلى بغدادَ ، وقد[5] سمِع الكثيرَ ، وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان له مَجْلِسُ وَعْظٍ يَحْضُرُ فيه

---

(١) تقدم فى صفحة ١٦٨.

(٢ - ٢) فى ب : « خشاذ بن سحنونه » ، وفى م : « ممشاد بن سحنون » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٤/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٦٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٥.

(٣) المنتظم ١٤/ ٧٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٧٥، والمنتظم ١٤/ ٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٦٤.

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

الرجالُ والنساءُ ، وكان يَتَكَلَّمُ وهو متبَرْقِعٌ ؛ لئلا يَرَى النساءُ حُسْنَه وجمالَه ، وقد حضَر وعْظَه أبو بكرٍ النَّقَّاشُ مُسْتَخْفِيًا ، فلما سمِع كلامَه قام قائمًا وشهَر نَفْسَه ، وقال له : القَصَصُ بعدَك حَرامٌ .

قال الخَطيبُ[1] : وكان ثِقةً أَمِينًا عارِفًا ، جمَع حديثَ الليثِ وابنِ لَهِيعةَ ، وله كتبٌ كثيرةٌ فى الزُّهْدِ . وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ منها وله سبعٌ وثمانون سنةً .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٧٦.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ

فى هذه السنةِ المُبارَكةِ فى ذى القَعْدةِ منها[1] رُدَّ الحجرُ الأسودُ المَكىُّ إلى مكانِه، وكانت القَرامِطةُ قد أخَذُوه فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ كما تقَدَّم، وكان ملِكَهم إذ ذاك أبو طاهرٍ سليمانُ بنُ أبى سعيدٍ الحسنِ الجنَّابىُّ، ولما وقَع ذلك أعْظَم المسلمون ذلك جدًّا، وقد بذَل لهم الأميرُ بَجْكَمُ التركىُّ خمسين ألفَ دينارٍ ليَرُدُّوه إلى موضِعِه، [٩/٥٥ظ] فلم يَقْبَلوا، وقالوا: نحن أخَذْناه بأمْرٍ، ولا نَرُدُّه إلَّا بأمْرِ مَن أخَذْناه بأمْرِه.

فلما كان فى هذا العامِ حمَلوه إلى الكوفةِ، وعلَّقوه على الأُسْطُوانةِ السابعةِ مِن جامعِها ليَراه الناسُ، وكتَب إخوةُ[2] أبى طاهرٍ كتابًا فيه: إنا أخَذْنا هذا الحجرَ بأمْرٍ، وقد ردَدْناه بأمْرِ مَن أمَرَنا بأخْذِه؛ ليَتِمَّ حجُّ الناسِ ومَناسِكُهم. ثم أرْسَلوه إلى مكةَ بغيرِ شىءٍ على قَعودٍ، فوصَل فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، وكان مُدَّةُ مُقَامِه عندَهم ثنتَيْن وعشرين سنةً[3]، ففرِح المسلمون بذلك فرَحًا شديدًا.

وقد ذكَر غيرُ واحدٍ[3] أن القَرامِطةَ حين أخَذوه حمَلوه على عدةِ جمالٍ،

---

(١) المنتظم ١٤/ ٨٠، ٨١، والكامل ٨/٤٨٥ - ٤٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٤٣ - ٤٦، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) فى ب، م: «أخو».

(٣) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٠١ - ٣٢٠) ص ٣٨١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٦٥.

فعطِبَت تحتَه ، واعْتَرَى أَسْنِمَتَها العَقْرُ[1] ، ولما ردُّوه حمَله قَعودٌ واحدٌ لم يُصِبْه بأسٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفيها دخَل سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ بجَيْشٍ كثيفٍ نحوِ مِن ثلاثين ألفًا إلى بلادِ الرومِ ، فوغَل فيها ، وفتَح حُصونًا ، وقتَل خَلْقًا ، وأسَر أُمَمًا ، وغنِم شيئًا كثيرًا ، ثم رجَع ، فأخَذَت الرومُ عليه الدَّرْبَ[2] الذى يخرجُ منه ، فقتَلوا عامَّةَ مَن معه ، وأسَروا بقِيَّتَهم ، واسْتَرَدُّوا ما كان أخَذه لهم ، ونجا سيفُ الدولةِ فى نفَرٍ يسيرٍ مِن أصحابِه ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها مات الوزيرُ أبو جعفرٍ الصَّيْمَرِىُّ[3] ، فاسْتَوْزر مُعِزُّ الدولةِ مكانَه أبا محمدٍ الحسنَ بنَ محمدٍ المُهَلَّبِىَّ فى جُمادَى الأولى ، فاسْتَفْحَل أمْرُ عِمْرانَ بنِ شاهينَ الصَّيادِ[4] ، وتفاقَم الحالُ به ، وبعَث إليه مُعِزُّ الدولةِ جيشًا بعدَ جيشٍ ، يَهْزِمُهم مرةً بعدَ مرةٍ ، ثم عدَل مُعِزُّ الدولةِ إلى مُصالحتِه واسْتِعْمالِه له على بعضِ تلك النَّواحِى[5] .

ومِمَّن تُوُفى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسنُ بنُ داودَ بنِ بابشاذَ[6] [7]أبو سعيدٍ[7] المِصْرِىُّ ، قدِم بَغْدادَ ، وكان مِن

---

(١) فى ب ، م : « القرح » . وهما بمعنى . وانظر اللسان (ع ق ر) ، (ق ر ح) .

(٢) الدرب : كل مدخل إلى الروم أو النافذ منه . المحيط (د ر ب) .

(٣) فى ب ، م : « الضميرى » . وانظر الأنساب ٣/ ٥٧٦.

(٤) فى الأصل ، ص : « أيضا » .

(٥) بعده فى ب ، م : « ثم كان من أمره ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى » .

(٦) قال ابن خلكان : وبابشاذ : بباءين موحدتين بينهما ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة ، وهى كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور . وفيات الأعيان ٢/ ٥١٧، وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٧، والمنتظم ١٤/ ٨١، والجواهر المضية ٢/ ٥٣. والطبقات السنية ٣/ ٥٧.

(٧ - ٧) فى النسخ : « أبو الحسن » ، والمثبت من مصادر الترجمة . وأبو الحسن هو ابن بابشاذ النحوى ، غير أبى سعيد بن بابشاذ هذا صاحب الترجمة . انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٩.

أفاضلِ الناسِ وعُلَمائِهم بمذهبِ أبى حَنيفةَ ، مُفْرِطَ الذَّكاءِ ، قوِىَّ الفَهْمِ ، كتَب الحديثَ ، وكان ثقةً .

مات ببغدادَ فى هذه السنةِ ، ودُفِن بمَقْبَرةِ الشُّونيزِيَّةِ ، ولم يَبْلُغْ مِن العمرِ أرْبَعين سنةً .

محمدٌ القاهِرُ باللَّهِ أميرُ المؤمنين[1] ابنُ المُعْتَضِدِ باللَّهِ ، ولِى الخلافةَ سنةً وستةَ أشهرٍ وسبعةَ أيامٍ ، وكان بَطَّاشًا سريعَ الانْتِقامِ ، فخاف منه وزيرُه أبو علىٍّ بنُ مُقْلةَ فاسْتَتَر وشرَع فى العملِ عليه عندَ الأتْراكِ ، فخلَعوه وسمَلوا عينَيْه ، وأُودِع دارَ الخِلافةِ بُرْهةً مِن الدهْرِ ، ثم أُخْرِج فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين إلى دارِ ابنِ طاهرٍ ، وقد نالَتْه فاقةٌ وحاجةٌ شديدةٌ ، وسأَل فى بعضِ الأيامِ ، ثم كانت وفاتُه فى هذا العامِ وله ثنتان وخمسون سنةً ، ودُفِن إلى جانبِ أبيه المُعْتَضِدِ .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، أبو عبدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ الأصْبَهانىُّ[2] ، مُحَدِّثُ عَصْرِه بخُراسانَ ، سمِع الكثيرَ ، وحدَّث عن ابنِ أبى الدنيا ببعضِ كتبِه ، وكان مُجابَ الدَّعْوةِ ، ومكَث لا يَرْفَعُ رأسَه إلى السماءِ نَيِّفًا وأربعين سنةً .

وكان يقولُ : اسمى محمدٌ ، واسمُ أبى عبدُ اللَّهِ ، واسمُ أمى آمِنةُ . يَفْرَحُ بهذه المُوافَقةِ فى الاسمِ واسمِ الأبِ والأمِّ[3] .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٣٩، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٦١، والمنتظم ١٤/ ٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٧٧، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٤.

(٢) ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٧١، والمنتظم ١٤/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٧٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٣١٦.

(٣) بعده فى ب ، م : «لأن النبى ﷺ كان اسمه محمد واسم أبيه عبد اللَّه ، وأمه اسمها آمنة» .

أبو نصرٍ الفارابىُّ[1] [٩/٥٦و] [2]**محمدُ بنُ محمدٍ ، أبو نصرٍ الفارابىُّ**[2] التُّرْكىُّ الفَيْلَسُوفُ ، وكان مِن أعْلَمِ الناسِ بالمُوسِيقَى ، بحيث كان يَتَوَسَّلُ[3] بصِناعتِه إلى التأثيرِ[4] فى الحاضِرين مِن مُسْتَمعيه ، إن شاء حرَّك ما يُبْكِى أو ما يُضْحِكُ أو ما يُنَوِّمُ .

وكان حاذِقًا فى الفَلْسَفةِ ، ومِن كُتُبِه تفَقَّه ابنُ سِينا .

وكان يقولُ بالمَعادِ الرُّوحانىِّ لا الجُثْمانىِّ ، ويُخَصِّصُ بالمَعادِ الأرْواحَ العالمةَ لا الجاهلةَ ، وله مَذاهِبُ فى ذلك يُخالِفُ المسلمين والفَلاسِفةَ مِن سَلَفِه الأقْدَمِين ، فعليه إن كان مات على ذلك لَعْنَةُ ربِّ العالمين .

مات بدمشقَ فيما قاله ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[5] ، ولم أرَ الحافظَ ابنَ عساكرَ ذكَره فى ؛ تاريخِه لنَتْنِه وقَباحتِه . فاللَّهُ أعْلمُ .

---

(١) الكامل ٨/ ٤٩١، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٠٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٨١، ومرآة الجنان ٢/ ٣٢٨.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) بعده فى ب، م: «به و».

(٤) فى الأصل، ب، م: «الناس».

(٥) الكامل ٨/ ٤٩١.

سنةُ أرْبعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] قصَد صاحبُ عُمَانَ البَصْرةَ ليَأْخُذَها فى مَراكِبَ كثيرةٍ ، وجاء لنَصْرِه أبو يَعْقوبَ الهَجَرىُّ ، فمانَعَه عنها الوزيرُ أبو محمدٍ المُهَلَّبىُّ وصدَّه عنها ، وأسَر جماعةً مِن أصحابِه وسبَى كثيرًا مِن مَراكبِه ، فساقها معه فى دِجْلَةَ ، ودخَل بها إلى بغدادَ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ . وللَّهِ الحمدُ .

وفيها رُفِع إلى الوزيرِ أبى محمدٍ المُهَلَّبىِّ رجلٌ مِن أتباعِ أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أبى العَزاقِرِ[3] الذى كان قُتِل على الزَّنْدَقةِ كما قُتِل الحلَّاجُ ، وأن هذا الرجلَ يَدَّعِى ما كان يَدَّعِيه ابنُ أبى العَزاقِرِ ، وقد اتَّبعه جَماعةٌ مِن الجَهَلةِ ببغدادَ ، وصدَّقوه فى دَعْواه الرُّبوبيةَ ، وأن أرْواحَ الأنبياءِ والصِّدِّيقين انتقلت إليهم ، ووُجِد فى مَنْزِلِه كتبٌ تَدُلُّ على ذلك .

فلما تحقَّق أنه هالكٌ ادَّعَى أنه شِيعىٌّ ليَحْظَى[3] عندَ مُعِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، وقد كان يحُبُّ الرَّافِضةَ ، قبَّحه اللَّهُ ، فلما اشْتُهِر ذلك لم يَتَمَكَّنِ الوزيرُ منه خوفًا على نَفْسِه مِن مُعِزِّ الدولةِ ، وأن تقومَ عليه الشِّيعةُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، غيرَ أنه

---

(١) المنتظم ١٤/ ٨٤، والكامل ٨/ ٤٩٢، ٤٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ٤٧، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٧٣.

(٢) فى ب ، م : « العز » ، وفى الكامل : « القراقر » ، والمثبت موافق لنسختين من الكامل ، وانظر اللباب ٢/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦.

(٣) فى ب ، م : « ليحضر » .

احْتاط على شيءٍ مِن أمْوالِهم ، فكان يُسَمِّيها أمْوالَ الزَّنادِقةِ .

قال ابنُ الجَوْزيِّ[1] : وفى رمضانَ وقَعَت فِتْنةٌ عظيمةٌ بسببِ المَذْهَبِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ[2] :

أبو الحسنِ الكَرْخيُّ ، عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ دلَّالِ بنِ دَلْهمٍ ، أبو الحسنِ الكَرْخِيُّ[3] ، أحدُ أئمةِ الحَنَفيةِ المَشْهورِين ، وُلِد سنةَ ستين ومائتين ، وسكَن بغدادَ ، ودرَس بها فقهَ أبى حَنيفةَ ، وانتَهَت إليه رِئاسةُ أصحابِه [4]وانتشر أصحابُه ببغدادَ[4] ، وكان مُتَعَبِّدًا ؛ كثيرَ الصَّلاةِ والصومِ ، صَبورًا على الفقرِ ، عَزوفًا عما فى أيْدِى الناسِ ، وكان مع ذلك رَأْسًا فى الاعْتِزالِ ، وقد سمِع الحديثَ مِن إسماعيلَ بنِ إسْحاقَ القاضى ، وروَى عنه [5]ابنُ حَيُّوَيهِ[5] وابنُ شاهينَ .

وأصابه الفالِجُ[6] فى آخرِ عمرِه ، فاجتمَع عندَه بعضُ أصحابِه ، واشْتَوَروا فيما بينَهم أن يَكتُبوا إلى سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ؛ ليُساعِدَه بشيءٍ يَسْتَعِينُ به فى مرضِه ، [٩/٥٦ظ] فلما علِم بذلك رفَع رأسَه إلى السماءِ وقال : اللهم لا تَجْعَلْ

---

(١) المنتظم ١٣/ ٨٤.

(٢) زيد بعده فى النسخ : « أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم ، أبو عمرو العامرى نسبة إلى عامر ابن لؤى ، كان أحد الفقهاء المشهورين من المالكية ، وكانت وفاته فى شعبان منها » . ولعل المصنف تابع ابن الجوزى فى ذكر وفاة أشهب فى هذه السنة ، وهو وهم منه رحمه اللّه . والصواب ما تقدم فى ١٤/ ١٤٠، فقد ذكره المصنف هناك ضمن وفيات سنة أربع ومائتين . وانظر مصادر ترجمته فيما تقدم .

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٥٣، وطبقات الفقهاء ص ١٤٢، والمنتظم ١٤/ ٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٩٧.

(٤ - ٤) فى م : « فى البلاد » .

(٥ - ٥) فى م : « حيوة » .

(٦) الفالج : شلل يصيب أحد شقى الجسم طولًا . الوسيط (ف ل ج) .

رِزْقى إلا مِن حيثُ عوَّدْتَنى . فمات عقِبَ ذلك قبلَ أن يَصِلَ إليه ما أرْسَل به سيفُ الدولةِ ، وهو عشَرةُ آلافِ درهمٍ ، فتُصدِّقَ بها بعدَ وفاتِه ، وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانين سنةً ، وصلَّى عليه أبو تَمَّامٍ الحسنُ بنُ محمدٍ الزَّيْنَبِىُّ ، وكان صاحبَه ، ودُفِن فى دَرْبِ أبى زَيْدٍ على نهرِ الواسِطِيِّين .

محمدُ بنُ صالحِ بنِ زيدٍ ، أبو جعفرٍ الوَرَّاقُ[1] ، سمِع الكثيرَ ، وكان يَفْهَمُ ويَحْفَظُ ، وكان ثقةً زاهدًا ، لا يَأْكُلُ إلا مِن كَسْبِ يدِه ، ولا يَقْطَعُ صلاةَ الليلِ .

وقال بعضُهم : صحِبْتُه سِنينَ كثيرةً ، فما رأيْتُه فعَل ما لا يُرْضِى اللَّهَ عز وجل ، ولا قال إلا ما يُسْأَلُ عنه ، وكان يقومُ أكثرَ الليلِ .

وفيها كانت وفاةُ مَنْصورِ بنِ قراتِكين[2] صاحبِ الجيوشِ الخُراسانيةِ مِن جهةِ الأميرِ نوحٍ السامانىِّ ، وكانت وفاتُه لمرضٍ حصَل له ، وقيل : لأنه أدْمَن شُرْبَ الخمرِ أيامًا مُتَتابعةً ، فهلَك بسببِ ذلك ، فأُقِيم بعدَه فى الجُيوشِ أبو علىٍّ بنُ مُحْتاجٍ .

الزَّجَّاجىُّ مُصَنِّفُ « الجُمَلِ » ، وهو أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ إسْحاقَ النَّحْوىُّ[3] **البغدادىُّ الأصلِ ، ثم الدمشقىُّ** ، مُصَنِّفُ « الجُمَلِ » فى النحوِ ، وهو كتابٌ نافعٌ ، كثيرُ الفائدةِ ، صنَّفه بمكةَ ، وكان يَطوفُ بعدَ كلِّ بابٍ منه ، ويَدْعو اللَّهَ تعالى أن يَنْفَعَ به .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٨٦.

(٢) الكامل ٨/ ٤٩٢. وتكملة تاريخ الطبرى ص ٣٧٣.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٩، وتاريخ دمشق ٤٠/ ١٦١ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، وإنباه الرواة ٢/ ١٦٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٩١.

أخَذ النحوَ أولًا عن محمدِ بنِ العباسِ اليَزيدىِّ ، و[1] أبى بكرِ بنِ دُرَيْدٍ ، وابنِ الأنْبارىِّ .

وكانت وفاتُه فى رجبٍ سنةَ سبعٍ ، وقيل : سنةَ تسعٍ وثلاثين[2] . وقيل : سنةَ أرْبَعين[3] . تُوُفِّى فى دمشقَ ، وقيل : بطَبَرِيَّةَ . وقد شُرِحت « الجُمَلُ » بشُروحٍ كثيرةٍ ، مِن أحْسنِها وأجْمعِها ما وضَعه ابنُ عُصْفورٍ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى ص : « مولى » .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٤٠/ ١٦٤.

(٢) انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٣٦.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وأرْبَعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] ملَكَت الرومُ سَرُوجَ[2] ، وقتَلوا أهْلَها وخرَّبوا مَساجدَها .

قال ابنُ الأثيرِ[3] : وفيها قصَد صاحبُ عُمَانَ البَصْرةَ ، فمنَعه منها المُهَلَّبيُّ كما تقَدَّم .

قال[4] : وفيها نقَم مُعِزُّ الدولةِ على وزيرِه ، فضرَبه مائةً وخمسين مِقْرعةً[5] ولم يَعْزِلْه ، بل رسَم عليه .

وفيها اخْتَصَم المِصْريون والعِراقيون بمكةَ ، فخُطِب لصاحبِ مصرَ ، ثم غلَبهم العراقِيون ، فخطَبوا لرُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ .

وفيها كانت وفاةُ المنصورِ الفاطميِّ ، وهو أبو طاهرٍ إسماعيلُ بنُ القائمِ بأمْرِ اللَّهِ أبى القاسمِ محمدِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ المَهْدىِّ[6] صاحبِ المغربِ ، وله مِن العمرِ تِسْعٌ وثلاثون سنةً ، وكانت خِلافتُه سبعَ سنين وستةَ عشَرَ يومًا ، وكان عاقلًا شُجاعًا فاتِكًا ، قهَر أبا يزيدَ الخارجيَّ الذى كان لا يُطاقُ شَجاعةً وإقْدامًا وصَبْرًا ، وكان

---

(١) المنتظم ١٤/٨٧ - ٨٩، والكامل ٨/٤٩٦ - ٤٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٤٥) ص ٢١٣، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٧٥.

(٢) سروج : بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر. انظر معجم البلدان ٣/ ٨٥.

(٣) الكامل ٨/ ٤٩٦.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٤٩٩.

(٥) فى ب، م: «سوطًا».

(٦) ستأتى ترجمته فى صفحة ٢١٦

فَصيحًا بَليغًا ، يَرْتَجِلُ الخُطْبةَ على البَديهةِ فى الساعةِ الراهنةِ .

وكان سببَ موتِه ضَعْفُ الحَرارةِ الغَرِيزيةِ ، كما أوْرَده ابنُ الأثيرِ فى « كامِلِه »[1] ، فاخْتَلَف عليه الأطِبَّاءُ ، وقد عَهِد بالأمْرِ من بعدِه لولدِه المُعِزِّ الفاطميِّ ، وهو بانى القاهرةِ المُعِزِّيةِ ، كما سيأْتى بَيانُ ذلك واسمُه مَعَدٌّ ، وكان عمرُه إذ ذاك أربعًا وعشرين سنةً ، وكان شُجاعًا [٩/٥٧و] عاقلًا أيضًا حازِمَ الرأيِ ، أطاعه مِن البَرْبَرِ وأهلِ تلك النَّاحيةِ خَلْقٌ كثيرٌ ، وبعَث مولاه جَوْهَرًا القائدَ فبنَى له القاهرةَ المُتاخِمةَ لمصرَ ، واتَّخَذ له فيها دارَ المُلْكِ ، وهما القَصْران اللذان هنالك[2] ، وذلك فى سنةِ أربعٍ وستين وثلاثِمائةٍ كما سيأتى بيانُه .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ زيادِ بنِ بشرِ بنِ دِرْهمٍ ، أبو سعيدٍ بنُ الأعرابىِّ البصرىُّ[3] ، سكَن مكةَ ، وصار شيخَ الحَرَمِ ، وصَحِب الجُنَيْدَ بنَ محمدٍ والنُّورِىَّ[4] وغيرَهما ، وأسند الحديثَ ، وصنَّف كُتُبًا للصوفيةِ .

إسْماعيلُ بنُ محمدِ بنِ إسْماعيلَ بنِ صالحٍ ، أبو علىٍّ الصَّفَّارُ النحوىُّ[5] أحدُ المُحَدِّثين ، لقِى المُبَرِّدَ ، واشْتَهَر بصُحْبتِه ، وكان مَوْلِدُه فى سنةِ سبعٍ وأرْبَعين

---

(١) الكامل ٨/ ٤٩٧، ٤٩٨.

(٢) بعده فى م : « اللذان يقال لهما : بين القصرين اليوم » .

(٣) طبقات الصوفية ص ٤٢٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٥٣، والمنتظم ١٤/ ٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ١٨٤، ١٨٥، وطبقات الأولياء ص ٧٧.

(٤) فى ص : « التوزى » . وانظر طبقات الصوفية ص ١٦٤.

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠٢، والمنتظم ١٤/ ٨٨، ومعجم الأدباء ٧/ ٣٣، وإنباه الرواة ١/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٤٠.

ومائتين ، وسمِع الحسنَ بنَ عَرَفةَ وعباسًا الدُّوريَّ وغيرَهما ، وروَى عنه جَماعةٌ ، منهم الدارَقُطْنيُّ .

وقال[1] : صام أربعةً وثمانين رَمضانًا ، وقد كانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن أربعٍ وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

إسماعيلُ بنُ القائمِ بنِ المَهْدىِّ المُلَقَّبُ بالمنصورِ العُبَيدىِّ[2] الذى يَزْعُمُ أنه فاطِميٌّ ، صاحبُ بلادِ المغربِ ، وهو والدُ المُعِزِّ بانى القاهرةِ ، وهو بانى المَنْصوريةِ بالمغربِ .

كان شجاعًا فصيحًا بليغًا ، قال أبو جعفرٍ المَرْوَرُّوذِىُّ[3] : خرَجْتُ معه لما كسَر أبا يَزِيدَ الخارجىَّ ، فبينما أنا أَسِيرُ معه إذ سقَط رُمْحُه ، فنزَلْتُ فناوَلْتُه إياه ، وذهَبْتُ أُفاكِهُه بقولِ الشاعرِ[4] :

فأَلْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابِ المُسافِرُ

فقال : هلَّا قلتَ كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٧- ١١٩] قال : فقلتُ له : أنت ابنُ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلتَ كما علِمْتَ ، وأنا قلتُ بما بلَغ إليه عِلْمى .

قال ابنُ خَلِّكانَ[5] : وهذا كما جرَى لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ حينَ أمَر الحَجَّاجَ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٨٨، ٨٩.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٤١.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٤.

(٤) انظر ما تقدم فى ١٣/ ٣١٢.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

أن يَبْنىَ بابًا ببيتِ المَقْدِسِ ويَكْتُبَ عليه اسمَه ، فبنَى له بابًا ، [1]وبنَى لنفسِه بابًا[1] آخرَ ، فوقَعَت صاعقةٌ على بابِ عبدِ الملكِ فأحْرَقَته ، فكتَب إليه الحَجَّاجُ من العراقِ يُسلِّيه[2] عما أهَمَّه مِن ذلك ؛ يقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، ما أنا وأنت إلا كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ [المائدة : ٢٧] . قال : فسُرِّىَ عن الخليفةِ . كانت وفاةُ المنصورِ هذا فى هذه السنةِ لمّا أصابه بَرْدٌ شديدٌ فمات به .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى ب ، م : « يسأله » .

ثم دخَلَت سنةُ اثنتين وأربعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] دخَل سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ صاحبُ حَلَبَ إلى بلادِ الرومِ ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا ، وأسَر آخَرِين ، وغنِم أمْوالًا جَزيلةً ، ورجَع سالمًا غانمًا .

وفيها اخْتَلَف الحَجِيجُ بمكةَ ، ووقَعَت حربٌ بينَ أصحابِ ابنِ طُغْجٍ وأصحابِ مُعِزِّ الدولةِ ، فغلَبَهم العِراقِيون ، [2]وخطَبوا لمُعِزِّ الدولةِ[2] ، ثم بعدَ انْقِضاءِ الحجِّ اخْتَلَفوا[3] ، فغلَبَهم العراقِيُّون أيضًا ، وجرَت حروبٌ كثيرةٌ وخُطُوبٌ كبيرةٌ بينَ الخُراسانيةِ والسامانيةِ ، تقصَّى ذِكرَها ابنُ الأَثيرِ فى « كاملِه »[4] . واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

[٩/٥٧ظ] **وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :**

علىُّ بنُ محمدِ بنِ أبى الفَهْمِ ، أبو القاسمِ التَّنُوخىُّ[5] ، جَدُّ القاضى أبى القاسمِ التَّنُوخىِّ شيخِ الخَطيبِ[6] ، وُلِد بأنْطاكِيَةَ ، وقدِم بغدادَ فتفَقَّه بها على

---

(١) المنتظم ١٤/ ٩٠، والكامل ٨/ ٥٠٠ - ٥٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢١٥، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى الأصل، ص: «اتفقوا».

(٤) الكامل ٨/ ٥٠٦.

(٥) يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٥، وتاريخ بغداد ١٢/ ٧٧، والمنتظم ١٤/ ٩٠، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٦٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٦٥، والجواهر المضية ٢/ ٦٠٠.

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ١١٥ .

مذهبِ أبى حَنيفةَ ، وكان يَعْرِفُ الكلامَ على طريقةِ المُعْتَزلةِ ، ويَعْرِفُ النُّجومَ ، ويقولُ الشعرَ ، ولِى القَضاءَ بالأهْوازِ وغيرِها ، وقد سمِع الحديثَ مِن البَغَوىِّ وغيرِه ، وكان فَهِمًا ذكِيًّا ، حفِظ وهو ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً قَصيدةً لدِعْبِلِ الشاعرِ فى ليلةٍ واحدةٍ ، وهى ستُّمائةِ بيتٍ ، وعرَضها على أبيه صَبيحتَها ، فقام إليه وضمَّه وقبَّل بينَ عينيه ، وقال : يا بنىَّ ، لا تُخْبِرْ بهذا أحدًا لئلا تُصِيبَك العينُ .

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[1] أنه كان نَدِيمًا للوزيرِ المُهَلَّبىِّ ، ووفَد على سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فأكْرَمه وأحْسَن إليه ، وأوْرَد له مِن شعرِه أشياءَ حسَنةً ، فمِن ذلك قولُه فى الخمرِ[2] :

وراحٍ مِن الشمسِ مَخْلوقةٌ ... بدَت لك فى قَدَحٍ مِن نهارِ
هـواءٌ ولـكـنَّـه جـامـدٌ ... ومـاءٌ ولـكـنـه غـيـرُ جـارِ
كـأنَّ المُديـرَ لـه بـاليـمـينِ ... إذا مال للسَّقْيِ أو باليسارِ
تدَرَّعَ ثوبًا مِن الياسَمينِ ... له فردُ كُمٍّ مِن الجُلَّنَارِ[3]

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ الحسنِ بنِ [4]عبدِ الخَالقِ[4]، أبو الفرجِ البَغدادىُّ الفَقيهُ الشافعىُّ ، يُعْرَفُ بابنِ سُكَّرَةَ ، سكَن مصرَ وحدَّث بها ، وسمِع منه أبو الفتحِ بنُ مَسْرورٍ ، وذكَر أن فيه لِينًا .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) رويت هذه الأبيات لغيره ، فقيل : إنها لأبى النصر الأنطاكى النحوى وغيره . انظر معجم الأدباء ١٤/ ١٩١.

(٣) الجلنار : زهر الرُّمَّان . تاج العروس (جلنر) .

(٤ - ٤) فى النسخ : « عبد الخلاق » . والمثبت من مصدرى ترجمته : تاريخ بغداد ١/ ٤١٢، والمنتظم ١٤/ ٩٢.

محمدُ بنُ موسى بنِ يعقوبَ بنِ المأمونِ بنِ الرشيدِ هارونَ ، أبو بكرٍ[1] ، ولِى إمْرةَ مكةَ فى سنةِ ثمانٍ وستين ومائتين ، وقدِم مصرَ ، فحدَّث بها عن علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ البَغَوىِّ بموطأ **مالكٍ ، وكان ثِقةً مَأْمونًا . تُوُفِّى بمصرَ فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ .**

---

(١) المنتظم ١٤/ ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٧١.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وأرْبعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] كانت وَقْعةٌ بينَ سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ وبينَ الدُّمُسْتُقِ ، فقتَل خَلْقًا مِن أصحابِ الدُّمُسْتُقِ ، وأسَر جَماعةً مِن رُءوساءِ بَطارِقتِه ، وللَّهِ الحمدُ . وكان فى جملةِ مَن قَتَل قُسْطَنْطِينُ بنُ الدُّمُسْتُقِ ، وسَبَى خَلْقًا كثيرًا وأسَر آخَرِين ، وذلك فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، ثم جمَع الدُّمُسْتُقُ خَلْقًا كثيرًا ، فالْتَقَوْا مع سيفِ الدولةِ فى شعبانَ ، فجرَت بينَهم حُروبٌ عظيمةٌ وقِتالٌ شديدٌ ، فكانت الدائرةُ للمسلمين ، وخذَل اللَّهُ الكافرين ، فقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، وأُسِر جَماعةٌ مِن الرُّءوسِ ، وكان منهم صِهْرُ الدُّمُسْتُقِ وابنُ بنتِه أيضًا .

وفيها حصَل للناسِ أمْراضٌ كثيرةٌ وحمياتٌ وأوْجاعٌ فى الحَلْقِ .

وفيها مات الأميرُ الحميدُ نوحُ بنُ نصرٍ السامانىُّ ، صاحبُ خُراسانَ وما وراءَ النهرِ ، وقام بالأمرِ مِن بعدِه ولدُه عبدُ الملكِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسنُ بنُ أحمدَ ، أبو علىٍّ الكاتبُ المِصْرىُّ[2] ، صحِب أبا علىٍّ الرُّوذْبارىَّ وغيرَه ، وكان أبو عثمانَ المَغْربىُّ يُعَظِّمُ أمْرَه ، ويقولُ : أبو علىٍّ [٩/٥٨و] الكاتبُ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٩٤، والكامل ٨/٥٠٧ - ٥٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢١٧، ٢١٨. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٧٨، ٣٧٩.

(٢) طبقات الصوفية ص ٣٨٦، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، والرسالة القشيرية ١/ ١٧٠، والمنتظم ١٤/ ٩٤، وصفة الصفوة ٤/ ٣٢٣.

مِن السالِكِين .

ومِن كلامِه الذى حكاه عنه أبو عبدِ الرحمنِ السُّلمىُّ قولُه[1] : رَوائحُ نَسيمِ المَحَبَّةِ تَفوحُ مِن المُحِبِّين وإن كتَموها ، وتظْهَرُ عليهم دَلائلُها وإن أخْفَوْها ، وتَبْدُو عليهم وإن ستَروها . وأنْشَد :

إذا ما أسَرَّتْ[2] أنْفُسُ الناسِ ذِكْرَه ... تَبيَّنَتَه فيهم ولم يَتَكَلَّموا
[3]تَطِيبُ به[3] أنْفاسُهم فيُذِيعُها ... وهل سِرُّ مِسْكٍ أُودِعَ الرِّيحَ يُكْتَمُ

علىُّ بنُ محمدِ [4]بنِ محمدِ[4] بنِ عُقْبةَ بنِ هَمَّامٍ ، أبو الحسنِ الشَّيْبانىُّ الكوفىُّ ، قدِم بغدادَ ، فحدَّث بها عن جَماعةٍ ، وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ .

وكان ثقةً عَدْلًا ، كثيرَ التِّلاوةِ فَقيهًا ، ومكَث يَشْهَدُ على الحُكَّامِ ثلاثًا وسبعين سنةً ، مَقْبولًا عندَهم ، وأذَّنَ فى مسجدِ حَمْزةَ الزَّيَّاتِ نَيِّفًا وسبعين سنةً ، وكذلك أبوه مِن قبلِه .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ أبو[6] العباسِ الكَرْخىُّ الأَدِيبُ ، كان عالمًا زاهدًا

---

(١) طبقات الصوفية ص ٣٨٧، ٣٨٨، كما أخرجه ابن الجوزى فى المنتظم ١٤/٩٥ عن السلمى .

(٢) فى النسخ : « استسرت » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ب ، م : « تطيبهم » ، وفى ص : « تطيبه » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ١٢/ ٧٩، والمنتظم ١٤/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٨٢، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٣٣.

(٥) فى تاريخ بغداد والمنتظم أن الذى أذَّن من قبله جده .

(٦) فى النسخ : « بن » . والمثبت من مصدرى ترجمته : المنتظم ١٤/ ٩٦، وإنباه الرواة ٣/ ١٨٥. وقد جاء فى المنتظم : « حماد » ، بدل « أحمد » . والمثبت موافق لما فى إحدى نسخ المنتظم ولما فى الإنباه .

وَرِعًا ، يَخْتِمُ القرآنَ كلَّ يومٍ ، ويُدِيمُ الصومَ ، سمِع الحديثَ مِن عَبْدانَ وأقْرانِه .

أبو الخيرِ التِّيناتِيُّ[1] العابدُ الزاهدُ ، أصْلُه مِن المغربِ ، وكان مُقيمًا بقريةٍ يُقالُ لها : تِيناتُ[2] . مِن عملِ أنْطاكِيَةَ ، ويُعْرَفُ بالأقْطَعِ ؛ لأنه كان مَقْطوعَ اليدِ ، كان قد عاهَد اللَّهَ عَهْدًا ، ثم نكَثه ، فاتَّفق أن مُسِك جَماعةٌ مِن اللُّصوصِ فى الصَّحْراءِ وهو هناك[3] ، فأُخِذ معهم ، فقُطِعَت يدُه معهم . وكانت له أحْوالٌ وكَراماتٌ ، وكان يَنْسِجُ الخُوصَ بيدِه الواحدةِ . ودخَل عليه بعضُهم فشاهَد منه ذلك ، فأخَذ عليه العهدَ أن لا يُخْبِرَ به أحدًا ما دام حيًّا ، فوفَّى له بذلك .

---

(١) فى ب ، م : « التينانى » . وانظر ترجمته فى : طبقات الصوفية ص ٣٧٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨، والمنتظم ١٤/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٨٤. وإنما ذكره فى وفيات سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، صاحب المنتظم فقط ، وبعض المصادر الأخرى لم تذكر سنة وفاته ، والبعض الآخر اختلف فيها تأريخ وفاته .

(٢) فى ب ، م : « تينان » . وتينات : مدينة على بحر الشام قرب المصيصة . انظر معجم البلدان ١/ ٩١٠.

(٣) بعده فى ب ، م : « سائح يتعبد » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وأربعين وثلاثِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : فيها شمَل الناسَ ، ببغدادَ وواسِطٍ وأصْبَهانَ والأهْوازِ ، داءٌ مُرَكَّبٌ مِن دمٍ وصَفْراءَ ووَباءٌ ، مات بسببِ ذلك خَلْقٌ كثيرٌ ، بحيث كان يَموتُ فى كلِّ يومٍ [3]قريبٌ مِن[3] ألفِ نَفْسٍ ، وجاء فيها جَرادٌ عظيمٌ أكَل الخَضْراواتِ والأشجارَ والثِّمارَ .

وفى المُحَرَّمِ عقَدَ مُعِزُّ الدولةِ لابنِه أبى منصورٍ بَخْتِيارَ الأمرَ مِن بعدِه بإمرةِ الأمراءِ .

وفيها خرَج رجلٌ بأَذْرَبِيجانَ ادَّعَى أنه يَعْلَمُ الغيبَ ، وكان يُحَرِّمُ اللَّحمَ وما يَخْرُجُ مِن الحيواناتِ ، فأضافه مرةً رجلٌ ، فجاءه بطعامٍ كَشْكِيَّةٍ[4] بشَحْمٍ فأكَله ، فقال له الرجلُ بحَضْرةِ مَن معه : إنك تَدَّعِى أنك تَعْلَمُ الغيبَ ، وهذا الطعامُ فيه شَحْمٌ ، وأنت تُحَرِّمُه فلمَ لا عَلِمْتَه ؟ ! قال : فتفرَّق الناسُ عنه .

وفيها جرَت حُروبٌ كثيرةٌ بينَ المُعِزِّ الفاطمىِّ وبينَ صاحبِ الأنْدَلُسِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ الأُموىِّ ، استَقْصاها ابنُ الأثيرِ[5] .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٩٨، والكامل ٨/ ٥١٠ - ٥١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢١٩، ٢٢٠. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٨٠.

(٢) المنتظم ١٤/ ٩٨.

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى المنتظم.

(٤) الكشك : طعام يصنع من الدقيق واللبن ويُجفَّف حتى يطبخ متى احتيج إليه ، وربما عُمل من الشعير . فارسى معرب . انظر الوسيط (ك ش ك) .

(٥) الكامل ٨/ ٥١٢، ٥١٣.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عثمانُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يَزيدَ ، أبو عمرٍو الدَّقَّاقُ[1] ، المَعْروفُ بابنِ السَّمَّاكِ ، روَى عن حَنْبلِ بنِ إسحاقَ وغيرِه ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان ثِقةً ثَبتًا ، كتَب المُصَنَّفاتِ الكثيرةَ بخطِّه ، تُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ من هذه السنةِ ، ودُفِن بمَقْبَرةِ بابِ التِّبْنِ[2] ، وحضَر جِنازَتَه خمسون ألفًا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو جعفرٍ القاضى السِّمَنانىُّ[3] ، وُلِد سنةَ [٩/٥٨ظ] إحدى وستين ومائتين ، وسكَن بغدادَ وحدَّث بها ، وكان ثقةً عالمًا سَخِيًّا حسَنَ الكلامِ ، عِراقىَّ المَذْهَبِ ، وكانت دارُه مَجْمَعًا للعلماءِ ، ثم وَلى قضاءَ المَوْصِلِ ، وتُوُفِّى بها فى هذه السنةِ فى ربيعِ الأولِ منها .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ بُطَّةَ بنِ إسحاقَ الأصْبَهانىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ[4] ، سكَن نَيْسابورَ ، ثم عاد إلى أصْبَهانَ ، وليس هذا (٥بأبى عبدِ اللَّهِ٥) بنِ بَطَّةَ

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٢، والمنتظم ١٤/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٠٠، وغاية النهاية ١/ ٥٠١.

(٢) فى تاريخ بغداد والمنتظم : « الدير » ، ولم تذكر المصادر الأخرى مكان دفنه . وباب التبن : محلة كبيرة كانت ببغداد . انظر معجم البلدان ١/ ٤٤٣.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٥، والأنساب ٣/ ٣٠٦، والمنتظم ١٤/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ٢/ ٦٥. وسنة وفاته فى هذه المصادر - سوى المنتظم - أربع وأربعون وأربعمائة . وزاد فى تاريخ بغداد والأنساب بذكر ميلاده سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

(٤) ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٨٢، وفيه أنه توفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، والإكمال ١/ ٣٣٠، ٣٣١، والمنتظم ١٤/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٠١، والمشتبه ١/ ٨٤، وتبصير المنتبه ١/ ٩٥.

(٥ - ٥) فى م : « بعبد اللَّه » .

العُكْبَرِىِّ[1] ، وهذا بضَمِّ الباءِ مِن بُطَّةَ ، والفَقيهُ الحَنْبلىُّ بفتحِها . وقد كان جَدُّ هذا ، وهو[2] بُطَّةُ بنُ إسحاقَ أبو سعيدٍ ، مِن المُحَدِّثين أيضًا . ذكَره ابنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[3] .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ بنِ الحَجَّاجِ ، أبو النَّضْرِ الفَقيهُ الطُّوسىُّ[4] ، كان فقيهًا عالمًا ثِقةً عابدًا ، يَصومُ النَّهارَ ويَقومُ الليلَ ، ويَتَصَدَّقُ بالفاضلِ مِن قُوتِه ، ويَأْمُرُ بالمَعْروفِ ويَنْهَى عن المنكرِ ، وقد رحَل فى طلبِ الحديثِ إلى الأقاليمِ النائيةِ والبُلْدانِ المتباينةِ ، وكان قد جزَّأ الليلَ ثلاثةَ أجْزاءٍ ، فثُلُثٌ للنومِ ، وثُلُثٌ للتَّصْنيفِ ، وثُلُثٌ للقراءةِ .

وقد رآه بعضُهم فى المنامِ بعدَ وفاتِه ، فقال له : وصَلْتَ إلى ما طلَبْتَه ؟ فقال : إى واللَّهِ ، نحن عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد عرَضْتُ مُصَنَّفاتى فى الحديثِ عليه ، فقبِلها .

أبو بكرِ بنُ الحَدَّادِ ، الفقيهُ الشافعىُّ[5] ، **هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ أبو بكرِ بنُ الحَدَّادِ** ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ ، روَى عن النَّسائىِّ ، وقال[6] : رضِيتُ به حُجَّةً بينى وبينَ اللَّهِ عز وجل .

وقد كان ابنُ الحَدَّادِ فَقيهًا فُروعيًّا ، ومُحَدِّثًا ونَحْويًّا ، وفَصيحًا فى العِبارةِ

---

(١) بعده فى الأصل ، ب ، م : « هذا مقدم على الآخر ، هذا شيخ الطبرانى ، وابن بطة يروى عن الطبرانى .
(٢) بعده فى م : « ابن » .
(٣) المنتظم ١٤/ ١٠٠.
(٤) الأنساب ٤/ ٨٠، والمنتظم ١٤/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣١١، والوافى بالوفيات ١/ ٢١٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٦٢.
(٥) المنتظم ١٤/ ١٠١، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٠٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٧٩.
(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٠٣، وطبقات الشافعية ٣/ ٨٠.

دَقيقَ النَّظَرِ فى الفُروعِ ، له كتابٌ فى ذلك غريبُ الشَّكْلِ ، وقد ولِى القَضاءَ بمصرَ نِيابةً عن أبى عُبَيدِ بنِ حَرْبُويْهِ[1] ، وذكَرْناه فى « طبقاتِ الشافعيةِ » .

أبو يعقوبَ الأَذْرَعِىُّ إسْحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ هاشمِ بنِ يعقوبَ بنِ إبراهيمَ النَّهْدىُّ[2] ، قال ابنُ عَساكرَ[3] : مِن أهلِ أَذْرِعاتٍ ؛ مدينةٍ بالبَلْقاءِ ، أحدُ الثِّقاتِ مِن عبادِ اللَّهِ الصالحين ، رحَل وحدَّث عن[4] جَماعةٍ ، [5]وعنه آخرون .

وقال غيرُه[6] : كان[5] مِن أجِلَّةِ أهلِ دمشقَ وعُبَّادِها وعُلَمائِها .

وقد روَى عنه ابنُ عَساكرَ أشْياءَ تَدُلُّ على صَلاحِه وخَرْقِ العادةِ له ، فمِن ذلك أنه قال[7] : إنى سَأَلْتُ اللَّهَ أن يَقْبِضَ بَصَرى فعَمِيتُ ، فلما اسْتَضْرَرْتُ بالطَّهارةِ سأَلتُ اللَّهَ عَوْدَه ، فردَّه علىَّ . تُوُفِّى بدمشقَ فى هذه السنةِ [8]سنةِ أرْبَعٍ وأربعين وثلاثِمائةٍ[8] ، وصحَّحه ابنُ عَساكرَ ، وقد نَيَّف على التِّسْعين .

---

(١) المذكور فى مصادر ترجمته التى ذكرت ولايته القضاء ؛ أنه ولى القضاء بمصر نيابة لابن هروان الرملى .

(٢) الأنساب ١/ ١٠٣، وتاريخ دمشق ٨/ ١٦٦، وبغية الطلب ٣/ ٤٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٩٤، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٩٨.

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ١٦٦.

(٤) فى م : « عنه » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) هو أبو الحسين الرازى . وانظر تاريخ دمشق ٨/ ١٦٩، وبغية الطلب ٣/ ٤٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٩.

(٧) تاريخ دمشق ٨/ ١٦٩.

(٨ - ٨) فى الأصل، ص : « وقيل : سنة أربع وأربعين وثلاثمائة » ، وفى ب : « وقيل : سنة أربع وخمسين » . وفى م : « سنة أربع وخمسين » . والمثبت موافق لمعنى ما فى تاريخ دمشق، لأنه ذكر قولاً بأن الوفاة كانت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ثم صحح وفاته سنة أربع وأربعين وثلاثمائة . ولم يذكر أحد فى مصادر ترجمته وفاته سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

ثم دَخلت سنةُ خمسٍ وأرْبعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] عصَى الرُّوزْبَهَانُ على مُعِزِّ الدولةِ ، وانْحازَ إلى الأهْوازِ ، ولحِق به عامَّةُ مَن كان مع المُهَلَّبِيِّ الذى كان يُحارِبُه ، فلما بلَغ ذلك مُعِزَّ الدولةِ لم يُصَدِّقْ ؛ لأنه كان قد أحْسَن إليه ، ورفَع مِن قَدْرِه بعدَ الضَّعَةِ والخُمولِ ، ثم ركِب إليه لقِتالِه ، فاتبعَه الخَليفةُ المُطِيعُ للَّهِ خوْفًا مِن ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فإنه بلَغه [٩/٥٩و] أنه قد جهَّز جيشًا مع ولدِه أبى المُرَجَّى جابرٍ إلى بغدادَ ليَأْخُذَها حين بلَغَه أن معزَّ الدولةِ قد خرَج منها ، فأرْسَل مُعِزُّ الدولةِ حاجِبَه سُبُكْتِكِين إلى بغدادَ ليحفظَها ، وقصَد مُعِزُّ الدولةِ إلى الرُّوزْبَهَانِ ، فاقْتَتَلوا قِتالًا عظيمًا ، فهزَمه مُعِزُّ الدولةِ ، وفرَّق أصْحابَه ، وأخَذه أسيرًا إلى بغدادَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ فسجَنه ، ثم أخْرَجه ليلًا وغرَّقه ؛ لأن الدَّيْلَمَ أرادوا إخْراجَه مِن السجنِ قَهْرًا ، وانْطَوَى ذِكْرُ رُوزْبَهانَ وإخْوتِه ، وكان قد اشْتَعَل اشْتِعالَ النارِ ، وحظِيَت الأتْراكُ عندَ مُعِزِّ الدولةِ ، وانْحَطَّت الدَّيْلَمُ عندَه ؛ لأنه ظهَر له خِيانتُهم فى أمْرِ الرُّوزْبَهانِ وإخْوتِه .

وفيها دخَل سيفُ الدولةِ إلى بلادِ الرومِ ، فقتَل وسبَى ، ورجَع إلى [2]أَذَنَةَ ، ثم عاد[2] إلى حَلَبَ ، فحمِيَت الرومُ ، فجمَعوا وأقْبَلوا إلى مَيَّافارِقِينَ ، فقتَلوا وسبَوْا وحرَّقوا ورجَعوا ، وركِبوا فى البحرِ إلى طَرَسُوسَ ، فقتَلوا مِن أهلِها ألفًا وثمانمائةٍ ،

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٠٢، والكامل ٨/ ٥١٤ - ٥١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٢١، ٢٢٢. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م. وأَذَنَةُ: بلد من الثغور قرب المصِّيصة. انظر معجم البلدان ١/ ١٧٩.

وسبَوْا وحرَّقوا قُرًى كثيرةً .

وفيها زُلْزِلَت هَمَذانُ زِلْزالًا عظيمًا ؛ انهَدمَت البُيوتُ ، وانْشَقَّ قصرُ شيرينَ بصاعقةٍ ، ومات تحتَ الهَدْمِ خَلْقٌ كثيرٌ لا يُحْصَوْن كثْرةً ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ووقَعَت فِتْنةٌ عظيمةٌ بينَ أهلِ أصْبَهانَ وأهْلِ قُمَّ ، بسببِ سَبِّ الصَّحابةِ مِن أهلِ قُمَّ ، فثار عليهم أهلُ أصْبَهانَ فقتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا ، ونهَبوا أمْوالَ التُّجَّارِ ، فغضِب رُكْنُ الدولةِ لأهلِ قُمَّ ؛ لأنَّه كان شِيعيًّا ، فصادَر أهْلَ أصْبَهانَ بأمْوالٍ كثيرةٍ ، واللَّه تعالى أعلمُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

غلامُ ثعلبٍ ، محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ أبى هاشمٍ أبو عمرَ[1] الزاهدُ ، غلامُ ثَعْلبٍ ، روَى عن الكُدَيْمِىِّ وموسى بنِ سهلٍ الوَشَّاءِ وغيرِهما ، وروَى عنه جَماعةٌ ، وآخِرُ مَن حدَّث عنه أبو علىٍّ بنُ شاذانَ .

وكان كثيرَ العلمِ والزُّهْدِ ، حافِظًا مُطبِّقًا ، يُمْلِى مِن حِفْظِه شيئًا كثيرًا ، ضابِطًا لِما يَحْفَظُه .

ولكثرةِ إغْرابِه اتَّهَمه بعضهم ورماه بالكذبِ ، وقد اتَّفَق له مع القاضى أبى عمرَ - وكان يُؤَدِّبُ ولدَه - أنه أمْلَى مِن حفظِه ثلاثين مَسْألةً بشَواهدِها وأدِلَّتِها

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٥٦، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦٧، والمنتظم ١٤/ ١٠٣، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٢٦، وإنباه الرواة ٣/ ١٧١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٣٤.

مِن لُغةِ العربِ ، واسْتَشْهَد على بعضِها ببيتَيْن غريبَيْن جدًّا ، فعرضها القاضى أبو عمرَ على ابنِ دُرَيْدٍ وابنِ الأنْبارىِّ وابنِ مِقْسَمٍ ، فلم يَعْرِفوا منها شيئًا ، حتى قال ابنُ دُرَيْدٍ : هذا ما وضَعه أبو عمرَ[1] مِن عندِه . فلما جاء أبو عمرَ ذكَر له القاضى ما قاله ابنُ دُرَيْدٍ عنه ، فطلَب أبو عمرَ من القاضى أن يُحْضِرَ له مِن كُتُبِه دَواوينَ العربِ . فلم يَزَلْ يَأْتيه بشاهدٍ لما ذكَره بعدَ شاهدٍ ، حتى خرَج مِن الثلاثين مسألةً ، ثم قال : وأما البيتان فإن ثَعْلبًا أنْشَدَناهما وأنت حاضرٌ ، فكتَبْتَهما فى دَفْترِك . فطلَب القاضى دَفْترَه ، فإذا هما فيه ، فلما بلَغ ذلك ابنَ دُرَيْدٍ كفَّ لسانَه عن أبى عمرَ الزاهدِ ، فلم يَذْكُرْه حتى مات .

وتُوُفِّى أبو عمرَ هذا يومَ الأحدِ ، ودُفِن يومَ الاثنين الثالثَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ ، ودُفِن فى الصُّفَّةِ[2] المُقابِلةِ لقبرِ مَعْروفٍ الكَرْخىِّ ببغدادَ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ رُسْتُمَ[3] ، أبو بكرٍ المادَرَائىُّ[4] الكاتبُ ، كان مولدُه فى سنةِ سبعٍ[5] وخمسين ومائتين بالعراقِ ، ثم صار إلى مصرَ هو وأخوه [٩/٥٩ظ] أحمدُ مع أبيهما ، وكان على الخَراجِ لخُمارَوَيْهِ بنِ أحمدَ بنِ طُولونَ ، ثم صار هذا الرجلُ مِن رُؤساءِ الناسِ وأكابرِهم ، وقد سمِع الحديثَ مِن أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ وطَبَقتِه .

---

(١) أى غلامُ ثعلب المُترجَمُ له .

(٢) الصُّفَّة : البهو الواسع العالى السقف . انظر الوسيط (ص ف ف) .

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٧٩، والأنساب ٥/ ١٦٠، وتاريخ دمشق ١٥/٦٧٧ مخطوط، والمنتظم ١٤/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٣٦، والوافى بالوفيات ٤/ ١١٥.

(٤) فى تاريخ بغداد والمنتظم والوافى : « الماذرائى » .

(٥) فى ب ، م : « خمس » .

وقد روَى الخَطيبُ[1] عنه أنه قال : كان ببابى شيخٌ كبيرٌ مِن الكُتَّابِ قد بطَل عن وَظيفتِه ، فرأيْتُ والدى فى المَنامِ وهو يَقولُ : يا بُنىَّ ، أما تَتَّقِى اللَّهَ ؟ أنت مَشْغولٌ بلَذَّاتِك ، والناسُ ببابِك يَهْلِكون مِن العُرْيِ والجُوعِ ، هذا فلانٌ قد تقَطَّع سَراوِيلُه ولا يَقْدِرُ على إبْدالِه ، فلا تُهْمِلْ أمْرَه . فاسْتَيْقَظْتُ مَذْعورًا ، وأنا ناوٍ له الإحسانَ ، فنمتُ ثم استيقظتُ وقد أُنسيتُ المَنامَ ، فبينا أنا أَسِيرُ إلى دارِ الملكِ ، إذا بذلك الشيخِ على دابَّةٍ ضَعيفةٍ ، فلما رآنى أراد أن يَتَرَجَّلَ فبدا لى فخِذُه ، وقد لبِس الخُفَّ بلا سَراوِيلَ ، فلما رأيتُه ذكَرْتُ المَنامَ . فاسْتَدْعَى به عندَ ذلك وأطْلَق له ألفَ دينارٍ وثِيابًا ، ورتَّبَ له على وَظيفتِه مائتَىْ دينارٍ كلَّ شهرٍ ، ووَعَده بخيرٍ فى الآجِلِ أيضًا .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ طَبَاطَبَا بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ابنِ حسنِ بنِ حسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ[2] ، الشَّريفُ الحَسَنىُّ الرَّسِّىُّ - قبيلةٌ مِن الأشْرافِ - أبو القاسمِ المِصْرىُّ الشاعرُ ، كان نَقيبَ الطالبِيِّين بمصرَ .

ومِن شعرِه قولُه[3] :

قالت لِطَيْفِ خَيالٍ زارنى ومضَى ... باللَّهِ صِفْه ولا تَنْقُصْ ولا تَزِدِ
فقال أبْصَرْتُه لو مات مِن ظَمَأٍ ... وقلتِ قِفْ لا تَرِدْ للماءِ[4] لم يَرِدِ

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٨٠، ٨١.

(٢) يتيمة الدهر ١/ ٤١٢، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٢٢.

(٣) يتيمة الدهر ١/ ١٢٩، ١٣٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٩، ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٤) انظر وفيات الأعيان.

قالت صدَقْتَ وفاءُ الحُبِّ عادتُه يا بردَ ذاك الذى قالت على كَبِدِى

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ لخمسٍ بقِين [2]من شعبانَ[2] مِن هذه السنةِ .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٣٠.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وأرْبَعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] كانت فِتْنةٌ بينَ أهلِ الكَرْخِ وأهلِ السُّنَّةِ فى المذهبِ ، بسببِ السَّبِّ ، فقُتِل مِن الفريقَيْن خَلْقٌ كثيرٌ .

وفيها نقَص البحرُ ثمانين ذراعًا . ويقالُ[2] : باعًا . فبدَت فيه جبالٌ وجَزائرُ لم تَكُنْ تُرَى قبلَ ذلك .

وفيها كانت بالعراقِ وبلادِ الرَّىِّ والجَبَلِ[3] وقُمَّ ونحوِها زَلازلُ كثيرةٌ مُسْتمِرةٌ نحوَ أرْبعين يومًا ، تَسْكُنُ ثم تَعودُ ، فتهَدَّمَت بسببِ ذلك أبْنِيةٌ كثيرةٌ ، وغارَت مياهٌ كثيرةٌ ، ومات خَلْقٌ كثيرٌ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

وفيها تجَهَّز مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ لقتالِ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ الذى بالموصِلِ ، فراسَله ناصرُ الدولةِ ، والْتَزَم له بأموالٍ يَحْمِلُها إليه كلَّ سنةٍ ، ثم إنه منَع حملَ ما اشْتَرَط على نَفْسِه ، فقصَده معزُّ الدولةِ فى السنةِ الآتيةِ كما سيأتى .

وفيها فى تَشْرِينَ منها كثُرَت فى الناسِ أوجاعٌ فى الحلقِ ، والماشَرَا[4] ، وكثُر موتُ الفَجْأةِ ، حتى إن لصًّا نقَب دارًا ليَدْخُلَها ، فمات وهو فى النَّقْبِ . ولبِس

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٠٩، ١١٠، والكامل ٨/٥١٩ - ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٢٣، ٢٢٤. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٨٣.

(٢) الكامل ٨/ ٥٢٠.

(٣) فى الأصل: «الحلى». وانظر ما تقدم صفحة ١١٦.

(٤) الماشَرَا: يُطلق فى العرف على ورم حار عن دم صفراوى يعمُّ الوجه، وربما غطَّى العينين، وتلزمه الحُمَّى. الموجز فى الطب لابن النفيس ص ١٧٤.

القاضى خِلْعةَ القَضاءِ ليَخْرُجَ للحُكْمِ بين الناسِ ، فلبِس إحدى خُفَّيْه ، فمات قبلَ أن يَلْبَسَ الأُخْرى .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ[1] ، **أبو هُرَيرةَ** [٩/٦٠و] **العَدَوِىُّ**[2] ، المُسْتَمْلِى على المَشايخِ ، كتَب عن أبى مسلمٍ الكَجِّىِّ وغيرِه ، وكان ثقةً . تُوُفِّى فى ربيعٍ الآخرِ[3] منها .

الحسنُ بنُ خلَفِ بنِ شاذانَ ، أبو علىٍّ الواسِطىُّ[4] ، روَى عن إسْحاقَ الأزْرَقِ ويزيدَ بنِ هارونَ وغيرِهما ، وروَى عنه البُخارىُّ فى « صحيحِه » . تُوُفِّى فى هذه السنةِ . هكذا رأيْتُ هذه الترجمةَ فى هذه السنةِ من « المنتظمِ »[5] لأبى الفرجِ بن الجوزىِّ . واللَّهُ أعلمُ .

أبو العباسِ الأَصَمُّ[6] ، **محمدُ بنُ يَعْقوبَ بنِ يوسُفَ بنِ مَعْقِلِ بنِ**

---

(١) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته : الأنساب ٤/ ١٦٨، والمنتظم ١٤/ ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٤٤.

(٢) فى النسخ : « العذرى » . والمثبت من المصادر السابقة .

(٣) فى النسخ : « الأول » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٥، والمعجم المشتمل لابن عساكر ص ٩٨، والمنتظم ١٤/ ١١٠، وتهذيب الكمال ٦/ ١٣٨.

ذكر المصنف - رحمه اللَّه - وفاة الحسن بن خلف هذا، فى هذه السنة تبعا لابن الجوزى كما سيأتى ، وقد أطبقت بقية مصادر ترجمته على أن وفاته كانت سنة ست وأربعين ومائتين . وانظر على ما تقدم الكامل لابن عدى ٢/ ٧٤٦. وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٣.

(٥) المنتظم ١٤/ ١١٠.

(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ١٣٢ مخطوط ، ومختصره ٢٣/ ٣٦١، والمنتظم ١٤/ ١١٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٦٢، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٢٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٧٦.

سِنانِ[1] بنِ عبدِ اللَّهِ الأُمَوىُّ ، مَوْلاهم أبو العباسِ الأصَمُّ ، مَوْلِدُه فى سنةِ سبعٍ وأرْبَعين ومائتين ، ورأَى الذُّهْلىَّ ، ولم يَسْمَعْ منه ، ورحَل به أبوه إلى أَصْبَهانَ ومكةَ ومصرَ والشامِ والجَزيرةِ وبغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، فسمِع الكثيرَ عن الجَمِّ الغَفيرِ ، ثم رجَع إلى خُراسانَ وهو ابنُ ثلاثين سنةً ، وقد صار مُحَدِّثًا كبيرًا ، ثم طرَأ عليه الصَّمَمُ واستَحْكم حتى كان لا يَسْمَعُ نَهِيقَ الحِمارِ ، وكان مُؤَذِّنًا فى مسجدِه سبعين[2] سنةً ، وحدَّث ستًّا وسبعين سنةً ، فأَلْحَق الأحْفادَ بالأجْدادِ ، وكان ثِقةً صادقًا ضابِطًا لمَا سمِعه ويَسْمَعُه ، ثم كُفَّ بَصَرُه قبلَ موتِه بشهرٍ ، وكان يُحَدِّثُ مِن حِفْظِه بأربعةَ عشَرَ حديثًا ، وسبعِ حِكاياتٍ ، ومات وقد بقى له سنةٌ مِن المائةِ .

---

(١) بعده فى المنتظم : « بن عنان » . وذكر محققاه فى الحاشية أنها سقطت من أربع نسخ من نسخ المنتظم .

(٢) فى الأصل ، ص : « ستين » . وفى ب ، م : « ثلاثين » . والمثبت من مصادر ترجمته . وقد وقع فى تاريخ دمشق : « سبعين مرة » . وهو تصحيف .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وأرْبَعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] كانت زَلْزلةٌ ببغدادَ فى شهرِ نَيْسانَ وفى غيرِها مِن البلادِ الشرْقيةِ، فمات بسببِها خَلْقٌ كثيرٌ، وخَرِبَت دُورٌ كثيرةٌ، وظهَر فى آخرِ نَيْسانَ وشهرِ أيَّارَ جَرادٌ كثيرٌ أتْلَف الغَلَّاتِ الصَّيفيةَ والثِّمارَ. ودخَلَت الرومُ آمِدَ، ومَيَّافارِقِينَ، فقتَلوا ألفًا وخمسَمائةِ إنسانٍ، وأخَذوا مدينةَ سُمَيْسَاطَ وأخْرَبوها. فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفى المُحَرَّمِ منها ركِب مُعِزُّ الدولةِ إلى الموصِلِ، فأخَذها مِن يدِ ناصرِ الدولةِ، وهرَب ناصرُ الدولةِ إلى نَصِيبِينَ، ثم إلى ميَّافارِقِينَ، ثم لَحِقه مُعِزُّ الدولةِ، فصار إلى أخيه سيفِ الدولةِ بحلبَ، ثم راسلَ سيفُ الدولةِ مُعِزَّ الدولةِ فى المصالحَةِ بينَه وبينَ أخيه ناصرِ الدَّولةِ، فوقَع الصُّلْحُ على حَمْلِ كلِّ سنةٍ ألْفَى ألفٍ وتسْعَمائةِ ألفٍ، ورجَع مُعِزُّ الدولةِ إلى بغدادَ بعدَ انْعِقادِ الصُّلْحِ[2].

وفيها بعَث المُعِزُّ الفاطميُّ مولاه أبا الحسنِ جَوْهَرًا القائدَ فى جُيوشٍ، ومعه زِيرِى بنُ مَنادٍ الصِّنْهاجيُّ، ففتَحوا بلادًا كثيرةً مِن أقْصَى المغربِ، حتى انْتَهَوا إلى البحرِ المُحيطِ، فأمَر جَوْهَرٌ بأن يُصْطادَ له منه سمكٌ، فأرْسَل به فى قِلالِ الماءِ إلى

---

(١) المنتظم ١٤/ ١١٤، والكامل ٨/٥٢٢ - ٥٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٢٥ - ٢٢٧. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٨٤ - ٣٨٦.

(٢) بعده فى ب، م: «وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بنى بويه وبنى حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرا وشاما وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضا، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة».

المُعِزِّ الفاطميِّ ، وحظِى جَوْهَرٌ عندَه ، وعظُم شأنُه حتى صار له بمَنْزلةِ الوزيرِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الزُّبيرُ بنُ [1]عبدِ الواحدِ[1] بنِ محمدِ بنِ زكريا بنِ صالحِ بنِ إبراهيمَ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأسداباذىُّ[2] ، رحَل وسمِع الحديثَ ، وطوَّف الأقاليمَ ، سمِع الحسنَ ابنَ سُفيانَ وابنَ خُزَيْمةَ وأبا يَعْلَى وخَلْقًا ، وكان حافِظًا مُتْقِنًا صَدوقًا ، صنَّف الشُّروحَ والأبوابَ .

أبو سعيدِ بنُ يُونُسَ[3] صاحبُ « تاريخِ مصرَ » : هو عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ ابنِ يونُسَ [٩/ ٦٠ظ] **بنِ عبدِ الأعْلَى الصَّدَفىُّ المِصْرىُّ المُؤَرِّخُ** ، كان حافِظًا مُكْثِرًا خَبيرًا بأيامِ الناسِ وتَواريخِهم ، له تاريخٌ مُفيدٌ جدًّا لأهلِ مصرَ ومَن ورَد إليها .

وله ولدٌ يُقالُ له : أبو الحسنِ علىٌّ . كان مُنَجِّمًا ، له زِيجٌ[4] مُفيدٌ يَرْجِعُ إليه أصحابُ هذا الفَنِّ ، كما يَرْجِعُ المحدِّثون إلى أقْوالِ أبيه وما يُؤَرِّخُه ويَنْقُلُه ويَحْكِيه ، وُلِد سنةَ إحدى وثمانين ومائتين ، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ يومَ الاثنين السادسَ والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ بالقاهرةِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ النَّحْوىُّ ، عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ دَرَسْتَوَيْهِ بنِ المَرْزُبانِ ،

(١ - ١) فى ب ، م : « عبد الرحمن » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٢، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٢٨، والمنتظم ١٤/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٧٦.

(٢) فى ب ، م : « الاستراباذى » .

(٣) الأنساب ٣/ ٥٢٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٨١.

(٤) الزِّيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم . انظر الوسيط (ز ى ج) .

أبو محمدٍ الفارسىُّ النَّحْوىُّ[1] ، سكَن بغدادَ ، وسمِع عباسًا الدُّورىَّ وابنَ قُتَيْبةَ والمُبَرِّدَ ، وسمِع منه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه مِن الحُفَّاظِ ، وأثْنَى عليه غيرُ واحدٍ ، منهم أبو عبدِ اللَّهِ ابنُ مَنْدَه ، وكانتْ وفاتُه فى صفَرٍ من هذه السنةِ ، وذكَر له القاضى ابنُ خَلِّكانَ مُصَنَّفاتٍ كثيرةً مُفيدةً ، فيما يَتَعَلَّقُ باللغةِ والنحوِ وغيرِ ذلك .

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشَّوارِبِ ، أبو الحسنِ القُرَشىُّ الأُمَوىُّ[2] قاضى بغدادَ ، كان حسَنَ الأخْلاقِ ، طَلَّابةً للحديثِ ، ومع هذا نُسب إلى أخْذِ الرِّشْوةِ فى الأحْكامِ والوِلاياتِ ، واللَّهُ تعالَى أعلمُ بالصوابِ .

[3]**محمدُ بنُ علىٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ الهاشمىُّ الخاطِبُ الدِّمشقىُّ**[4] ، وأَظُنُّه الذى تُنْسَبُ إليه حارةُ الخاطِبِ مِن نواحِى بابِ الصَّغيرِ ، كان خَطيبَ دمشقَ فى أيامِ الإخْشِيدِ ، وكان شابًّا حسَنَ الوجهِ ، مَليحَ الشَّكْلِ ، كاملَ الخَلْقِ .

تُوُفِّى يومَ الجمعةِ السابعَ والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ ، وحضَر جِنازتَه نائبُ السَّلْطنةِ وخَلْقٌ كثيرٌ لا يُحْصَون كَثْرةً ، هكذا أرَّخه ابنُ عَساكرَ ، ودُفِن ببابِ الصَّغيرِ[3] .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٦، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨، والمنتظم ١٤/ ١١٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٧٩، وطبقات المفسرين ١/ ٢٢٣.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٠، والمنتظم ١٤/ ١١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٨٧.

(٣ - ٣) زيادة من: ب، م.

(٤) تاريخ دمشق ١٥/ ٧٦٩ مخطوط.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وأرْبَعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] كانت فِتْنةٌ بينَ الرافِضةِ وأهلِ السُّنَّةِ، قُتِل فيها خَلْقٌ كثيرٌ، ووقَع حَريقٌ ببابِ الطَّاقِ[2]، وغَرِق فى دِجلةَ خَلْقٌ كثيرٌ مِن الحُجَّاجِ مِن أهلِ المَوْصِلِ، نحوٌ مِن ستِّمائةِ نفسٍ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفيها دخَلَت الرومُ طَرَسوسَ والرُّهَا فقتَلوا وسبَوْا، وغنِموا ورجَعوا سالمين، لعنهم اللَّهُ.

وفيها قلَّت الأمْطارُ وغلَت الأسْعارُ، واسْتَسْقَى الناسُ فلم يُسْقَوْا، وظهَر جَرادٌ عظيمٌ فى آذارَ، فأكَل ما نبَت مِن الخَضْراواتِ، فاشْتَدَّ الأمْرُ جدًّا، فما شاء اللَّهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ.

وفيها عاد مُعِزُّ الدولةِ إلى بغدادَ مِن الموصِلِ، وزوَّج ابنتَه مِن ابنِ أخيه مُؤَيِّدِ الدولةِ بنِ مُعِزِّ الدولةِ، وسيَّرها معه إلى الرَّىِّ[3].

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إبراهيمُ بنُ شَيْبانَ، [4]أبو إسحاقَ[4] القِرْمِيسِينىُّ، شيخُ الصُّوفيَّةِ بالجَبَلِ،

---

(١) المنتظم ١٤/ ١١٨، والكامل ٨/ ٥٢٧، ٥٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٢٨ - ٢٣٠. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٨٧ - ٣٩٠.

(٢) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد، بالجانب الشرقى تعرف بطاق أسماء. معجم البلدان ١/ ٤٤٥.

(٣) فى ب، م: «بغداد».

(٤ - ٤) سقط من: م. وانظر ترجمته فى طبقات الصوفية ص ٤٠٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، =

صحِب أبا عبدِ اللَّهِ المَغْربىَّ . ومِن جيدِ كلامِه قولُه[1] : إذا سكَن الخَوْفُ القلبَ أحْرَق مواضِعَ الشَّهَواتِ منه ، وطرَد عنه الرَّغْبةَ فى الدنيا .

أبو بكرٍ النَّجَّادُ ، أحمدُ بنُ سلـمانَ[2] بنِ الحسنِ بنِ إسْرائيلَ بنِ يونُسَ ، أبو بكرٍ النَّجَّادُ الفَقيهُ ، أحدُ أئمةِ الحَنابِلةِ ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وخمسين ومائتين ، سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ أحمدَ وأبا داودَ ، والباغَنْدىَّ وابنَ أبى الدنيا وخَلْقًا كثيرًا ، [٩/ ٦١و] وكان يَطْلُبُ الحَديثَ ماشِيًا حافِيًا ، وقد جمَع المُسْنَدَ ، وصنَّف فى السُّنَنِ كتابًا كبيرًا ، وكانت له بجامعِ المنصورِ حَلْقتان ؛ واحدةٌ للفقهِ وأخرى لإمْلاءِ الحديثِ .

وحدَّث عنه الدارَقُطنىُّ وابنُ رَزْقَوَيْهِ وابنُ شاهينَ وأبو بكرِ بنُ مالكٍ القَطِيعىُّ وغيرُهم ، وكان يَصومُ الدَّهْرَ ، ويُفْطِرُ كلَّ ليلةٍ [٩/٦١و] على رغيفٍ ، ويَعْزِلُ منه لُقْمةً ، فإذا كان ليلةُ الجُمعةِ أكَل تلك اللُّقَمَ ، وتصَدَّق برغيفٍ ليلةَ الجمعةِ .

وكانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ لعشرٍ بقينَ مِن ذى الحِجَّةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ بِشرِ بنِ الحارثِ الحافى ، رحِمه اللَّهُ .

جعفرُ بنُ محمدِ بنِ نُصَيْرِ بنِ القاسمِ ، أبو محمدٍ الخوَّاصُ[3] المَعروفُ

= والرسالة القشيرية ١/ ١٧٤، والمنتظم ١٤/ ١١٩، وطبقات الأولياء ص ٢١.

(١) طبقات الصوفية ص ٤٠٤، والمنتظم ١٤/ ١١٩.

(٢) فى ب ، م : « سليمان » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/ ١٨٩، وطبقات الفقهاء ص ١٧٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧، والمنتظم ١٤/ ١١٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٩٢.

(٣) طبقات الصوفية ص ٤٣٤، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، والرسالة القشيرية =

بالخُلْدىِّ ، سمِع الكثيرَ ، وحدَّث كثيرًا ، وحجَّ ستين حَجَّةً ، وكان ثِقةً صَدوقًا دَيِّنًا .

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسُفَ بنِ محمدٍ ، أبو عَمْرٍو[1] الزَّجَّاجىُّ النَّيْسابورىُّ[2] ، صحِب أبا عثمانَ والجُنَيْدَ والنُّورِىَّ والخَوَّاصَ وغيرَهم ، وأقام بمكةَ ، وكان شيخَ الصُّوفيةِ بها ، وحجَّ ستين حَجةً ، ويقالُ : إنه مكَث أرْبَعين سنةً لم يَتَغَوَّطْ ولم يَبُلْ إلا خارجَ الحَرَمِ بالكُلِّيةِ[2] .

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ فَضالةَ بنِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، أبو بكرٍ الأَدَمىُّ[3] ، صاحبُ الألْحانِ ، وكان من أحسنِ الناسِ صوتًا بتِلاوةِ القرآنِ ، وربما سَمِع أهلُ كَلْواذَا صوتَه من بغدادَ فى الليلِ .

وحجَّ مرةً مع أبى القاسمِ البَغَوىِّ ، فلما كانوا بالمدينةِ رَأَوْا شيخًا أعْمَى يَقُصُّ على الناسِ أخْبارًا مَوْضوعةً ، فقال البَغَوىُّ : يَنْبَغى الإنْكارُ عليه . فقال له بعضُ الجماعةِ : إنك لسْتَ ببَغْدادَ يَعْرِفُك الناسُ ، والجَمْعُ كثيرٌ هـٰهنا ، ولكن أرى أن تَأْمُرَ أبا بكرٍ الأَدَمىَّ فيَقْرَأَ لنا . فاسْتَفْتَح ، فقرَأ فانْجَفَل الناسُ إليه وتركوا

= ١/ ١٧٨، والمنتظم ١٤/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١- ٣٥٠) ص ٣٩٦، وطبقات الأولياء ص ١٧٠، وغاية النهاية ١/ ١٩٧.

(١) فى ب، م، ص: «عمر».

(٢) طبقات الصوفية ص ٤٣١، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧١، والرسالة القشيرية ١/ ١٧٧، والمنتظم ١٤/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٠٥، والوافى بالوفيات ١/ ٣٤٦، وطبقات الأولياء ص ١٥٦.

(٢) فى ب، م: «بمكة».

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٧، والأنساب ١/ ١٠١، والمنتظم ١٤/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٠٦، والعبر ٢/ ٢٧٩.

الأعْمَى فلم يَبْقَ عنده أحدٌ، فأخَذ الأعْمَى بيدِ قائدِه وقال له: اذْهَبْ بى، هكذا تَزُولُ النِّعَمُ.

وكانت وفاتُه يومَ الأرْبعاءِ لليلتَيْن بقِيَتا مِن ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ، عن ثمانٍ وثمانين سنةً.

وقد رآه بعضُهم فى المَنامِ بعد موتِه بمدةٍ فقال له: ما فعَل بك ربُّك؟ فقال: أوقَفَنى بينَ يديه، وقاسَيْتُ شَدائدَ. فقلتُ له: فتلك الليالى والمَواقِفُ والقراءةُ؟ فقال: ما كان شىءٌ أضَرَّ علىَّ منها؛ لأنها كانت للدنيا. فقلتُ: فإلى أىِّ شىءٍ انتَهَى أمْرُك. فقال: قال لى اللَّهُ عز وجل: آلَيْتُ على نَفْسى أن لا أُعَذِّبَ أبْناءَ الثمانين.

(١) أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ (٢) طَبَاطَبَا بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ الهاشمىُّ المِصْرىُّ، كان مِن ساداتِها وكُرمائِها وأجوادِها، لا تَزالُ الحَلْواءُ تُعْقَدُ بدارِه، ولايَزالُ رجلٌ يَكْسِرُ اللَّوْزَ بسببِها كلَّ يومٍ ببابِه، وللناسِ عليه رَواتِبُ الحَلْواءِ، فمنهم مَن يُهْدَى إليه كلَّ يومٍ، ومنهم فى الجمعةِ، وفى الشهرِ (١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) بعده فى الأصل، ب، م: «بن». والمثبت كما تقدم فى صفحة ٢٢٩ فى ترجمة «أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا. وانظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ٣/ ٨١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٩٨.

(١ وكان لكافورِ الإخْشِيدِىِّ (٢ فى كلِّ يومٍ ٢) جامَان(٣) ورَغيفٌ مِن الحُوَّارَى(٤) ١) ، ولما قدِم المُعِزُّ الفاطمىُّ إلى القاهرةِ ، تلَقَّاه وسأَله : إلى مَن يَنْتَسِبُ مولانا مِن أهلِ البيتِ ؟ فقال : الجوابُ إلى أهلِ البلدِ . فلما دخَل القصرَ جمَع الأشْرافَ ، وسلَّ نصفَ سيفِه ، وقال : هذا نَسَبى . ثم نثَر عليهم الذهبَ ، وقال : هذا حَسَبى . فقالوا : سمِعْنا وأطَعْنا . والصَّحيحُ أن القائلَ للمُعِزِّ هذا الكلامِ ابنُ هذا أو شَريفٌ آخَرُ ، واللَّهُ أعلمُ ؛ [٩/ ٦١ظ] فإن وفاةَ هذا كانت فى هذا العامِ عن ثنتين وستين سنةً ، والمُعِزُّ إنما قدِم مصرَ فى سنةِ ثنتين وستين وثلاثِمائةٍ ، كما سيأْتى ١) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى الأصل : « كل يومين عليه » .

(٣) جامان : مثنى جام وهو الإناء من فضة . انظر اللسان (ج و م) .

(٤) فى الأصل : « الجوارى » . وفى م : « الحلوى » . والحُوَّارى : الدقيق الأبيض ، وهو لُباب الدقيق وأجوده وأخلصه . انظر اللسان (ح و ر) .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وأرْبَعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] ظهَر رجلٌ بأذْرَبِيجانَ مِن أولادِ عيسى بنِ المُكْتَفِى باللَّهِ، فتَلَقَّب بالمُسْتَجيرِ باللَّهِ، ودعا إلى الرِّضا مِن آلِ محمدٍ، وذلك لفَسادِ دولةِ المَرْزُبانِ فى ذلك الزمانِ، فاقْتَتَلوا قِتالًا كثيرًا، ثم انْهَزم أصحابُ المُسْتَجيرِ، وأُخِذ أسيرًا فمات، واضْمَحَلَّ أمْرُه. وللَّهِ الحمدُ.

وفيها دخَل سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ بلادَ الرومِ، فقتَل مِن أهلِها خَلْقًا كثيرًا، وفتَح حُصونًا، وأحْرَق بلادًا كثيرةً، وسبَى وغنِم، وكرَّ راجعًا، فأخَذَتْ عليه الرومُ الدَّرْبَ فمَنَعوه مِن الرُّجوعِ، ووضَعوا السيفَ فى أصْحابِه، فما نجا فى ثلاثِمائةِ فارسٍ إلا بعدَ جَهْدٍ جَهيدٍ.

وفيها كانت فِتْنةٌ عظيمةٌ ببغدادَ بينَ الرافِضةِ والسُّنةِ، قُتِل فيها خَلْقٌ كثيرٌ.

وفيها فى آخرِها تُوُفِّى أَنُوجُورُ بنُ الإخْشِيدِ صاحبُ مصرَ، وقام بالأمْرِ بعدَه أخوه علىٌّ.

وفيها مات أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى عبدِ اللَّهِ البَرِيدىُّ الذى كان صاحبَ الأهْوازِ وواسِطٍ.

وفيها رجَع حَجيجُ مصرَ مِن مكةَ، فنزَلوا واديًا، فجاءهم سَيْلٌ فأخَذَهم

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٢٦، ١٢٧، والكامل ٨/ ٥٢٩ - ٥٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٣١ - ٢٣٣. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٩١.

كلَّهم ، فألْقاهم فى البحرِ عن آخِرِهم .

وفيها أسْلَم مِن التُّركِ مائتا ألفِ خَرْكاه[1] ، فسُمُّوا تُرْكَ إيمان ، ثم خُفِّف اللفظُ بذلك ، فقيل : تُرْكُمانُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

جعفرُ بنُ حربٍ الكاتبُ[2] ، كانت له نِعْمةٌ وثَرْوةٌ عظيمةٌ تُقارِبُ أُبَّهةَ الوزراءِ ، فاجْتاز يومًا وهو راكبٌ فى مَوْكِبٍ له عظيمٍ ، فسمِع رجلًا يَقْرَأُ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] . فصاح : اللهم بلى . وكرَّرها دَفَعاتٍ ، ثم بكَى ، ثم نزَل عن دابتِه ، ونزَع ثِيابَه ودخَل إلى دِجْلةَ ، فاسْتَتَر بالماءِ ، ولم يَخْرُجْ منه حتى فرَّق جميعَ مالِه فى المَظالِمِ التى كانت عليه ، وردَّها إلى أهْلِها ، وتصَدَّق بالباقى ، ولم يَبْقَ له شىءٌ بالكُليةِ ، فاجْتاز به رجلٌ فتَصَدَّق عليه بثوبَيْن ، فلبِسهما وخرَج ، فانْقَطَع إلى العلمِ والعِبادةِ حتى مات ، رحِمه اللَّهُ .

أبو علىٍّ الحافظُ الحسينُ[3] **بنُ علىِّ بنِ يزيدَ بنِ داودَ ، أبو علىٍّ الحافظُ النَّيْسابورىُّ** ، أحدُ الأئمةِ الحُفَّاظِ المُتْقِنِين المُكثِرين المُصَنِّفِين .

قال الدارَقُطْنىُّ[4] : كان إمامًا مُهَذَّبًا .

---

(١) خركاه : خيمة كبيرة . المعجم الذهبى ص ٢٣٧.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٢٧.

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٨/ ٧١، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٧١، والمنتظم ١٤/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤١٩، والوافى بالوفيات ١٢/ ٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٧٦.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٧١، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٧٤، والمنتظم ١٤/ ١٢٨.

وكان ابنُ عُقْدةَ لا يَتَواضَعُ لأحدٍ كتَواضُعِه له . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ[1] مِن هذه السنةِ عن ثنتَيْن وسبعين[2] سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

حَسَّانُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ هارونَ[3] ، أبو الوليدِ القُرَشيُّ ، الفقيهُ الشافعيُّ ، إمامُ أهلِ الحديثِ بخُراسانَ فى زمانِه ، وأزْهدُهم وأعْبَدُهم ، أخَذ الفقهَ عن ابنِ سُرَيْجٍ ، وسمِع الحديثَ مِن الحسنِ بنِ سُفيانَ وغيرِه ، وله التَّصانِيفُ المُفيدةُ ، وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى طبقاتِ الشافِعِيِّين .

وكانت وَفاتُه ليلةَ الجمعةِ لخمسٍ مضَيْن [٩/ ٦٢و] مِن ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، عن ثِنتَيْن وسبعين سنةً .

حَمْدُ[4] بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الخطابِ ، أبو سليمانَ الخَطَّابيُّ ، سمِع الكثيرَ ، وصنَّف التَّصانيفَ ، منها : « المَعالِمُ » شرَح فيها سننَ أبى داودَ ،

---

(١) فى المصادر أنه توفى فى جمادى الأولى . والمثبت موافق لما فى إحدى نسخ المنتظم ، كما ذكر محققاه فى الحاشية .

(٢) فى النسخ : « خمسين » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وهذا بيِّن فقد أجمعت المصادر على مولده سنة سبع وسبعين ومائتين ووفاته سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . كما نصّ الحافظ الذهبى فى السير ١٦/ ٥٦ على أنه عاش ثنتين وسبعين سنة .

(٣) فى ب ، م : « مروان » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٤/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٩٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٩٥، وجعل وفاته فى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٢٦.

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر ترجمته فى يتيمة الدهر ٤/ ٣٣٤، والمنتظم ١٤/ ١٢٩، ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٦٨، وإنباه الرواة ١/ ١٢٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٨٢.

وأما ما ذُكِر فى إنباه الرواة ويتيمة الدهر باسم « أحمد » فقد ذكَر فى وفيات الأعيان ٢/ ٢١٥، أن الخطابى قال : اسمى الذى سُمِّيت به « حمد » ، ولكن الناس كتبوا « أحمد » ، فتركتُه عليه . وقد جعله فى الإنباه من وفيات سنة أربعمائة ، أما المصادر الأخرى فجعلته من وفيات ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وزاد فى معجم الأدباء قولًا آخر - وضعَّفه - أنه سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

و « الأعْلامُ » شرَح فيه البُخاريَّ ، و « غَريبُ الحديثِ » . وله فهْمٌ مَليحٌ وعلمٌ غَزيرٌ ومَعرفةٌ باللغةِ والمعانى والفقهِ .

ومِن أشْعارِه[1] :

ما دُمْتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهمُ ... فإنما أنت فى دارِ المُداراةِ
مَن يَدْرِ دارَى ومَن لم يَدْرِ سوف يُرَى ... عما قليلٍ نَديمًا للنَّداماتِ

هكذا ترْجَمه أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِىِّ فى مُنتَظَمِه حرفًا بحرفٍ .

عبدُ الواحدِ بنُ عمرَ بنِ محمدِ بنِ أبى هاشمٍ[2] ، كان مِن أعْلمِ الناسِ بحُروفِ القرآنِ ووجوهِ القِراءاتِ ، وله فى ذلك مُصَنَّفاتٌ ، وكان مِن الأُمَناءِ الثِّقاتِ ، روى عن ابنِ مُجاهدٍ وأبى بكرِ بنِ أبى داودَ ، وعنه أبو الحسنِ الحَمَّامِىُّ[3] . تُوُفِّى فى شَوَّالٍ منها ، ودُفِن بمَقْبَرةِ الخيْزُرانِ .

أبو أحمدَ العَسَّالُ الحافظُ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ سليمانَ بنِ محمدٍ ، أبو أحمدَ العَسَّالُ الأصْبَهانىُّ[4] ، أحدُ أئمةِ الحُفاظِ وأكابرِ العُلماءِ ، سمِع الحديثَ وحدَّث به .

---

(١) البيت الأول فى التمثيل والمحاضرة ص ٤١٩، وخاص الخاص للثعالبى ص ١٢.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٧، والمنتظم ١٤/ ١٢٩، وإنباه الرواة ٢/ ٢١٥ وفيه أنه توفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٢٣. وجاء فى المنتظم وحده: « هشام » بدلًا من : « هاشم » .

(٣) فى ب ، م : « الحمانى » .

(٤) طبقات المحدثين بأصبهان ٤/ ٣٥٥، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٨٣، وتاريخ بغداد ١/ ٢٧٠، والمنتظم ١٤/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٢٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٤١، وطبقات المفسرين ٢/ ٥١، وفيه أنه توفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ثم ذكر قول ابن مردويه فى وفاته سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

قال ابنُ مَنْدَه[1] : كتَبْتُ عن ألفِ شيخٍ لم أَرَ فيهم أَتْقَنَ مِن أبى أحمدَ العَسَّالِ . تُوُفِّى فى رَمضانَ منها .

(١) انظر تاريخ بغداد ١/ ٢٧٠، والمنتظم ١٤/ ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٢٦.

ثم دخَلَت سنةُ خمسين وثلاثمائةٍ

فى المُحرَّمِ منها[1] مرِض مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ بانحِصارِ البولِ ، فقلِق مِن ذلك ، وجمَع بينَ حاجبِه سُبُكْتِكين ووزيرِه المُهَلَّبىِّ ، وأصْلَح بينَهما ووصَّاهما بولدِه بَخْتِيارَ خيرًا ، ثم عُوفى مِن ذلك ، فعزَم على الرَّحيلِ إلى الأهْوازِ ، واعتقَد أن ما أصابه مِن هواءِ بغدادَ ومائِها ، فأُشير عليه بالمُقامِ بها ، وأن يبْنىَ بها دارًا فى أعلاها حيث الهواءُ أرَقُّ والماءُ أصْفَى ، فبنَى له دارًا غرِم عليها ثلاثةَ عشرَ ألفَ ألفِ درهمٍ ، فاحتاج لذلك أن يُصادِرَ بعضَ أصحابِه ، ويقالُ[2] : أنْفَق على هذه الدارِ ألْفَىْ ألفِ دينارٍ ، ومات وهو يَبْنِى فيها ، وقد خرَّب أشياءَ كثيرةً مِن مَعالمِ بغدادَ فى بنائِها ، وكان مما خرَّب فيها المَعْشوقُ مِن سُرَّ مَن رَأَى ، وقلَع الأبْوابَ الحديدَ التى على مدينةِ المنصورِ والرُّصافةِ وقَصْرِها ، وحوَّلَها إلى دارِه هذه ، لا تمَّت فرحتُه بها .

وفيها مات القاضى أبو السائبِ عُتْبةُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وقُبِضَت أملاكُه ، وولِى بعدَه القَضاءَ أبو عبدِ اللَّهِ الحسنُ بنُ أبى الشَّوارِبِ ، وضمِن أن يُؤَدِّىَ فى كلِّ سنةٍ إلى مُعِزِّ الدولةِ مائتَىْ ألفِ درهمٍ ، فخلَع عليه مُعِزُّ الدولةِ ، وسار ومعه الدَّبادِبُ والبُوقاتُ إلى مَنْزِلِه ، وهو أولُ مَن ضمِن القَضاءَ ، ولم يَأْذَنْ له الخَليفةُ المُطِيعُ للَّهِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٣٢، والكامل ٨/٥٣٤ - ٥٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٣٤ - ٢٣٦. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٩٢.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٣٢. وفيه أنه أنفق مائة ألف ألف دينار.

فى الحُضورِ عندَه ولا فى حُضورِ المَوْكِبِ لأجلِ ذلك، ثم ضمِن مُعِزُّ الدولةِ الشُّرْطةَ وضَمِن الحِسْبةَ أيضًا.

وفيها سار قَفَلٌ[1] مِن أنْطاكِيَةَ يُرِيدُون طَرَسُوسَ، وفيهم نائبُ أَنْطاكِيَةَ، فثار عليهم الفِرَنْجُ، فأخَذوهم عن بَكْرةِ أبيهم، فلم يُفْلِتْ منهم سوى النائبِ [٩/ ٦٢ظ] جَريحًا فى مَواضِعَ مِن بدنِه.

وفيها دخَل نَجَا غلامُ سيفِ الدولةِ بلادَ الرومِ، فقتَل وسبَى وغنِم، ورجَع سالمًا.

وفيها تُوُفِّى الأميرُ [2]عبدُ الملكِ بنُ نوحٍ[2]، صاحبُ خُراسانَ[3]، سقَط عن فرسِه فمات، فقام بالأمْرِ مِن بعدِه أخوه منصورُ بنُ نوحٍ السامانىُّ.

وفيها تُوُفِّى الناصرُ لدينِ اللَّهِ عبدُ الرحمنِ الأُمَوىُّ[4]، صاحبُ الأَنْدَلُسِ، وكانت خِلافتُه خمسين سنةً وستةَ أشهرٍ، وله مِن العمرِ يومَ مات ثلاثٌ وسبعون سنةً، وترَك أحدَ عشَرَ ولدًا، وكان أبيضَ حسَنَ الوجهِ، عظيمَ الجسمِ، طويلَ الظهرِ، قَصير الساقَيْن، وهو أولُ مَن تَلَقَّب بأميرِ المؤمنين مِن أولادِ الأُمَويين الداخلِين إلى المَغْرِبِ، وذلك حينَ بلَغه ضَعْفُ الخلفاءِ بالعراقِ، وتَغَلُّبُ الفاطِمِيِّين ببلاد المغرب، فتَلقَّب بأميرِ المؤمنين قبلَ موتِه بثلاثٍ وعشرين سنةً. ولما تُوُفِّى قام

---

(١) القفل: اسم جمع للقافل؛ من قفل أى رجع. انظر القاموس المحيط (ق ف ل).

(٢ - ٢) فى ب، م: «نوح بن عبد الملك». وانظر ترجمته فى: الكامل ٨/ ٥٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٤٦.

(٣) بعده فى ب، م: «وغزنة وما وراء النهر».

(٤) العقد الفريد ٤/ ٤٩٨، والكامل ٨/ ٥٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٣٧، ٤٤٣.

بالأمرِ مِن بعدِه ولدُه الحكَمُ، وتلَقَّب بالمُستَنْصِرِ[1]، [2]ومن جملةِ أولادِ الناصرِ عبدُ اللَّهِ، وكان[2] شافعيَّ المَذْهَبِ، ناسِكًا شاعرًا، ولا يُعْرَفُ فى الخُلفاءِ أطْولُ مدةً من الناصرِ الأُمَوِيِّ - فإنه مكَث خمسين سنةً - سوى المُسْتَنْصِرِ بنِ الحاكمِ الفاطميِّ صاحبِ مصرَ، فإنه مكَث ستين سنةً، كما سيأْتى بيانُ ذلك فى موضِعِه.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أبو سهلِ بنُ زيادٍ القَطَّانُ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ زِيادٍ، أبو سهلٍ القَطَّانُ[3]، كان ثِقةً حافظًا كثيرَ التِّلاوةِ للقرآنِ، حسَنَ الانْتِزاعِ للمَعانى منه، فمِن ذلك أنه اسْتَدَلَّ على تَكْفيرِ المُعْتَزِلةِ بقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

إسماعيلُ بنُ علىِّ بنِ إسماعيلَ بنِ بَيانٍ، أبو محمدٍ الخُطَبِىُّ[4]، سمِع الحارثَ بنَ أبى أسامةَ وعبدَ اللَّهِ بنَ أحمدَ الكُدَيْمِىَّ وغيرَهم، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه من الحفَّاظِ، وكان ثقةً حافظًا فاضِلًا نَبيلًا عارفًا بأيَّامِ الناسِ والخلفاءِ، وله تاريخٌ مُرَتَّبٌ على السِّنين، وكان أدِيبًا لبِيبًا عاقلًا صدوقًا. وكانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ عن إحدى وثمانين سنةً، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى النسخ: «المنتصر». والمثبت من مصادر ترجمته. وسيأتى ذكر وفاته فى صفحة ٣٧٢.

(٢ - ٢) فى ب، م: «وكان الناصر».

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٤٥، والمنتظم ١٤/ ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٣٥، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٤.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠٤، وطبقات الحنابلة ٢/ ١١٨، والمنتظم ١٤/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٣٧.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، أبو بكرٍ القُرشىُّ الوَرَّاقُ[1] ، ويُعْرَفُ بابنِ فُطَيْسٍ ، وكان حسَنَ الكِتابةِ مَشْهورًا بها ، وكان يَكْتُبُ الحَديثَ لابنِ جَوْصا ، ترْجَمه ابنُ عَساكرَ ، وأرَّخ وَفاتَه بثانى شوالٍ مِن هذه السنةِ .

تَمَّامُ بنُ محمدِ بنِ [2]**سليمانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ - بنِ عبيدِ اللَّهِ - بنِ العباسِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ**[2] **بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، أبو بكرٍ الهاشمىُّ العباسىُّ** ، حدَّث عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، وعنه ابنُ رَزْقَوَيْهِ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن إحدى وثمانين سنةً أيضًا ، رحِمه اللَّهُ .

الحسينُ بنُ القاسمِ ، أبو علىٍّ الطَّبَرىُّ[3] ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، أحدُ الأئمةِ ، له « المُحَرَّرُ » فى الخِلافِ ، وهو أولُ مصنَّفٍ فيه ، وله « الإفْصاحُ »[4] فى المَذْهَبِ ، وكتابٌ فى الجَدَلِ ، وكتابٌ فى أُصولِ الفِقهِ ، وغيرُ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ ، وقد ذكَرْناه [٩/٦٣و] فى « الطَّبَقاتِ » .

عبدُ اللَّهِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ عيسى بنِ جعفرِ بنِ أبى جعفرٍ

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٣٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٧/ ١٣٩، والمنتظم ١٤/ ١٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٣٩.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٨٧، وطبقات الفقهاء ص ١١٥، والمنتظم ١٤/ ١٣٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٤٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٨٠. وجاء فى طبقات الفقهاء ووفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام أن اسمه الحسن. قال ابن خلكان : ورأيت فى عدة كتب من طبقات الفقهاء أن اسمه الحسن كما هو هٰهنا ، ورأيت الخطيب فى تاريخ بغداد قد عدَّه فى جملة من اسمه حسين.

(٤) فى النسخ : « الإيضاح » ، والمثبت من مصادر ترجمته .

المَنصورِ، أبو جعفرٍ الهاشميُّ الإمامُ[1]، ويُعْرَفُ بابنِ بُرَيْهِ[2]، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستين ومائتين، روَى عن ابنِ أبى الدنيا وغيرِه، وعنه ابنُ رَزْقَوَيْه، وكان خَطيبًا بجامعِ المنصورِ مدةً طويلةً، وقد خطَب فيه سنةَ ثلاثين وثلاثِمائةٍ، وقبلَها بمائةِ سنةٍ خطَب فيه الواثقُ سنةَ ثلاثين ومائتين، وهما فى النَّسَبِ إلى المنصورِ سَواءٌ. تُوُفِّى فى صفَرٍ منها.

عُتْبةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ موسى بنِ عبيدِ اللَّهِ، أبو السائبِ الهَمَذانىُّ[3]، القاضى، الشافعىُّ، كان فاضِلًا بارِعًا، تقدم. وولِى القَضاءَ، وكان فيه تَخْليطٌ فى الأُمورِ، وقد رآه بعضُهم فى المنامِ فقال: ما فعَل اللَّهُ بك؟ قال: غفَر لى، وأمَر بى إلى الجنةِ على ما كان منى مِن التَّخْليطِ، وقال لى: إنى آلَيْتُ أن لا أُعَذِّبَ أبناءَ الثمانين.

وهذا الرجلُ أولُ مَن ولِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ مِن الشافعيةِ.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ خَنْبٍ[4] **بنِ أحمدَ بنِ راجِيانَ**[5]، أبو بكرٍ الدِّهْقانُ،

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٤١٠، والمنتظم ١٤/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٤١.

(٢) فى النسخ: «بويه». وفى المنتظم: «برية». والمثبت من تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام. وانظر الإكمال ١/ ٢٣٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٠، والمنتظم ١٤/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٤٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٣٤٣. وجاء فى المنتظم وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام وطبقات الشافعية أن اسم أبيه عبيد اللَّه.

(٤) سقط من: ب، م. وفى ص: «حبيب». وانظر الإكمال ٢/ ١٥٧. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١/ ٢٩٦، والمنتظم ١٤/ ١٣٨ - وفيه: «حبيب» - وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٤٤٩.

(٥) فى النسخ: «حيان». وفى المنتظم: «راجبان». والمثبت من تاريخ بغداد. وانظر الإكمال، الموضع السابق.

بغداديٌّ ، سكَن بُخارَى ، وحدَّث بها عن يحيى بنِ أبى طالبٍ والحسنِ بنِ مُكْرَمٍ وغيرِهما ، وتُوُفِّى عن سبعٍ وثمانين سنةً .

أبو علىٍّ الخازنُ[1] ، تُوُفِّى فى شعبانَ منها ، فوُجِد فى دارِه مِن الدَّفائنِ وعندَ الناسِ مِن الوَدائعِ ما يُقارِبُ أربعَمائةِ ألفِ دينارٍ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) لم نجد له ترجمة بهذه الكنية ولا بهذا اللقب ، وفى تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٩٢، والمنتظم ١٤/ ١٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٢٣٥ أن اسمه محمد بن على بن مقاتل ، وكنيته أبو بكر المقرئ . فلعله اشتهر بكنيتين ولقبين . واللَّه أعلم .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وخمسين وثلاثِمائةٍ

دخولُ الرومِ إلى حلبَ

فيها[1] دخَل الدُّمُسْتُقُ ملكُ الرومِ، لعَنه اللَّهُ، إلى حلبَ فى مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ، وكان سببَ ذلك أنه ورَد عليها بَغْتةً، فنهَض إليه سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ بمَن حضَر مِن أصحابِه فقاتَلَه فلم يَقْوَ به لكثرةِ جُنودِه، وقتَل مِن أصحابِ سيفِ الدولةِ خَلْقًا كثيرًا، وكان سيفُ الدولةِ قليلَ الصَّبرِ، ففرَّ مُنْهَزِمًا فى نَفَرٍ يَسيرٍ مِن أصحابِه، فكان أولَ ما اسْتَفْتَح به أن اسْتَحْوَذ على دارِ سيفِ الدولةِ ظاهرَ البلدِ، فأخَذ منها أموالًا عظيمةً وحواصِلَ، وعُدَدًا للحربِ لا تُحْصَى كَثْرةً، ثُم تَدَنَّى فحاصَر السورَ، فقاتَل أهلُ البلدِ دونَه قتالًا عظيمًا، وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا مِن الرومِ، وثلَمَتِ الرومُ فى السورِ ثُلْمةً عظيمةً، فوقَف فيها الرومُ، فحمَل المسلمون عليهم، فأزاحوهم عنها، فلمَّا جَنَّ الليلُ جَدَّ المسلمون فى عِمارَتِها، فما أصْبَح الصباحُ إلَّا وهى كما كانت، وحَفِظوا السورَ حِفْظًا عظيمًا، ثُم بلَغ المسلمين أن رَجّالَةَ الشُّرَطِ قد عاثُوا فى البلدِ يَنْهَبون الدُّورَ، فرجَع الناسُ إلى منازِلِهم يَمْنَعونها منهم، وغَلَبَتِ الرومُ على السُّورِ، فَعَلَوْه ودخَلوا البلدَ يَقْتُلون مَن لَقُوه، فقتَلوا مِن المسلمين خَلْقًا كثيرًا، وانْتَهَبوا الأموالَ والأولادَ والنساءَ، وخَلَّصوا مَن كان

---

(١) المنتظم ١٤/١٣٩ - ١٤١، والكامل ٨/٥٣٨ - ٥٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١-٣٨٠) ص ٥ - ١٠، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٩٣ - ٣٩٦.

بأيْدِى المسلمين مِن أُسارَى الرومِ ، وكانوا ألفًا وأربعَمائةٍ ، فأخَذوا السيوفَ فقاتلوا مع قومِهم ، وكانوا أضْرَى على المسلمين ، وأسَروا نحوًا مِن بِضْعةَ عشَرَ ألفًا ما بينَ صبيٍّ وصَبيةٍ ، ومِن النساءِ شيئًا كثيرًا ، ومِن الرجالِ ألفَيْن ، وخرَّبوا المساجدَ وأحْرَقوها ، وصبُّوا فى جِبابِ الزيتِ الماءَ حتى فاض الزيتُ على وجهِ الأرضِ وهَلَك ، وكلُّ شيءٍ لا يَقْدِرون على حَمْلِه أحْرَقوه ، وأقاموا فى البلدِ [٩/٦٣ظ] تسعةَ أيامٍ يَفْعَلون هذه المَفاسِدَ العظيمةَ[١] ، ثم عزَم الدُّمُسْتُقُ على الانصرافِ خوفًا مِن رجوعِ سيفِ الدولةِ ، فقال له ابنُ أختِه[٢] : أتَذْهَبُ وتَتْرُكُ القَلْعةَ وراءَك ؟ فقال له : إنا قد بَلَغْنا فوقَ ما كنا نُؤَمِّلُه ، وإن بها مُقاتِلةً ورِجالًا غُزاةً . فقال : لا بدَّ لنا منها . فقال له : اذْهَبْ إليها . فصَمَد[٣] إليها ليُحاصِرَها فرَمَوْه بحجرٍ ، فقَتَلَه فى الساعةِ الراهنةِ مِن بينِ الجيشِ كلِّه ، فغضِب الدُّمُسْتُقُ عندَ ذلك وأمَر بإحضارِ مَن كان فى أيديهم مِن أُسارَى المسلمين ، وكانوا قريبًا مِن ألفين[٤] ، فضُرِبَتْ أعناقُهم بينَ يديه ، ثم كرَّ راجعًا ، قَبَّحه اللَّهُ ولعنةُ اللَّهِ عليه .

وقد دخَلوا عينَ زَرْبَةَ[٥] قبلَ ذلك فى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، فاسْتَأمَنَهم أهلُها فأمَّنَهم الملكُ ، وأمَر بأن يَدْخُلوا كلُّهم إلى المسجدِ ، ومَن بَقِىَ فى منزلِه قُتِل ، فصار أهلُها كلُّهم فى المسجدِ ، ومَن تَأَخَّر منهم قُتِل ، ثم قال : لا يَبْقَيَنَّ أحدٌ منكم اليومَ إلا ذهَب حيثُ شاء ، ومَن تَأَخَّر قُتِل . فازْدَحموا فى خُروجِهم مِن

---

(١) بعده فى ب ، م : « كل ذلك بسبب فعل البلاحية والشرط فى البلد قاتلهم اللَّه ، وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضيا يحب الشيعة ويبغض أهل السنة ، فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب » .

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « أخيه » وفى المصادر : « ابن أخت الملك » .

(٣) فى م : « فصعد » . انظر اللسان (ص م د) .

(٤) فى المنتظم أنهم كانوا ألفين ومائتين ، وفى الكامل وتاريخ الإسلام أنهم كانوا ألفًا ومائتين . ولم يُذْكر عددهم فى تكملة تاريخ الطبرى .

(٥) عين زربة : بلد بالثغر من نواحى المصيصة . معجم البلدان ٣/ ٧٦١.

المسجدِ ، فمات كثيرٌ منهم ، وخرَجوا على وجُوهِهم لا يَدْرون أين يذْهَبون ، فمات فى الطُّرُقاتِ منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، ثم هدَم الجامعَ ، وكسَر المنبرَ ، وقطَع مِن حولِ البلدِ أرْبَعين ألفَ نَخْلةٍ ، وهدَم سُورَ البلدِ والمَنازلَ المُشارَ إليها منها ، وأقام بها مدةً ، وفتَح حولَها أربعةً وخمسين حِصْنًا ؛ بعضُها بالسيفِ وبعضُها بالأمانِ ، وقتَل خَلْقًا كثيرًا ، وأسَرَتِ الرومُ أبا فِراسِ بنَ سعيدِ بنِ حَمْدانَ نائبَ مَنْبِج مِن جهةِ سيفِ الدولةِ ، وكان شاعرًا مُطَبِّقًا ، له ديوانٌ حسنٌ . وكان مُدَّةُ مُقامِه بعينِ زرْبةَ أحدًا وعشرين يومًا ، ثم سار إلى قَيْسارِيَّةَ ، فلقِيه أربعةُ آلافٍ مِن أهلِ طَرَسُوسَ مع نائبِها ابنِ الزَّيَّاتِ ، فقتَل أكثرَهم ، وأدْرَكه صومُ النَّصارَى فاشْتَغل به حتى فرَغ منه ، ثم هجَم على حَلَبَ بَغْتةً ، فكان مِن أمْرِه ما ذكَرْناه أيضًا .

وفى هذه السنةِ كتَبَت العامَّةُ مِن الرَّوافضِ على أبوابِ المساجدِ ببغدادَ : لَعَن اللَّهُ مُعاويةَ بنَ أبى سفيانَ ، ولعَن مَن غصَب فاطمةَ فَدَكَ[1] - يَعْنون أبا بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه - ومَن أخْرَج العباسَ مِن الشُّورَى - يَعْنُون عمرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه - ومَن نفَى أبا ذرٍّ - يَعْنون عُثمانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه - ومَن منَع دَفْنَ الحسنِ عندَ جَدِّه - يَعْنُون مَرْوانَ بنَ الحكمِ . ولَمَّا بلَغ ذلك مُعِزَّ الدولةِ لم يُنْكِرْه ولم يُغَيِّرْه ، ثم بلَغه أن أهلَ السُّنةِ محَوْا ذلك ، فأمَر بأن يُكْتَبَ : لعَن اللَّهُ الظالمين لآلِ محمدٍ مِن الأوَّلِين والآخِرين . والتَّصْريحِ باسمِ مُعاويةَ فى اللَّعْنِ . فكُتِب ذلك . قبَّح اللَّهُ مُعزَّ الدَّوْلةِ وشِيعَتَه مِن الرَّوافضِ . وكذلك سيفُ الدولةِ بنُ حَمْدانَ بحَلَبَ فيه تَشَيُّعٌ ومَيْلٌ إلى الرَّوافِضِ ، ولا جَرَمَ أن اللَّهَ لا يَنْصُرُ أمْثالَ هؤلاء ، ويُدِيلُ عليهم أعداءَهم ؛ لمتابَعتِهم أهْواءَهم ، وتَقْليدِهم سادتَهم وكُبراءَهم وآباءَهم ، وتَرْكِ

---

(١) فى ب ، م : « حقها » .

مُتابَعَتِهم أنبياءَهم وعُلماءَهم ، ولهذا لمّا مَلَكَتِ الفاطِمِيَّةُ بلادَ[1] الشامِ ؛ اسْتَحْوَذ على سَواحِلِها كلِّها حتى بيتِ المَقْدِسِ الفِرَنْجُ ، ولم يَبْقَ مع المسلمين سِوَى حَلَبَ وحِمْصَ وحَمَاةَ ودمشقَ وبعضِ أعْمالِها ، وجميعُ السَّواحلِ مع الفِرَنْجِ ، [٩/٦٤و] والنَّواقِيسُ النَّصْرانيةُ والقُسُوسُ الإنْجِيليَّةُ تَنْعَرُ فى الشَّواهِقِ مِن الحُصونِ والقِلاعِ ، وتَكْنُو[2] فى أماكنِ المساجدِ وشَريفِ البِقاعِ[3] .

وفيها وقَعت فتنةٌ بينَ أهلِ البَصْرةِ بسببِ المذاهبِ[4] ، فقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ .

وفيها أعاد سيفُ الدولةِ بناءَ عينِ زَرْبةَ ، وبعَث مولاه نَجَا ، فدخَل بلادَ الرومِ ، فقتَل منهم خَلْقًا كثيرًا وسبَى جَمًّا غفيرًا ، وغنِم وسلِم ، وبعَث حاجبَه مع جيشٍ طَرَسوسَ ، فدخَلوا بلادَ الرومِ ، فغنِموا وسبَوْا ورجَعوا سالمين ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها فتَح المُعِزُّ الفاطميُّ حصنَ طَبَرْمِينَ مِن بلادِ المغربِ - وكان مِن أحصنِ بلادِ الفِرَنْجِ - افْتَتَحَه قَسْرًا بعدَ مُحاصَرةٍ سبعةَ أشهرٍ ونصفَ شهرٍ . وقَصَدتِ الفِرَنْجُ جزيرةَ أَقْرِيطِشَ ، فاسْتَنْجَد أهلُها بالمُعِزِّ ، فسَيَّر إليهم جيشًا ، فانْتَصَروا على الفِرَنْجِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) بعده فى ب ، م : « مصر و » .

(٢) فى ب ، م ، ص : « تكفر » . وتكنو : تستتر . انظر اللسان (ك ن ى) .

(٣) بعده فى ب ، م : « والناس معهم فى حصر عظيم وضيق من الدين ، وأهل هذه المدن التى فى يد المسلمين فى خوف شديد فى ليلهم ونهارهم من الفزع ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون ، وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصى والذنوب ، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء » .

(٤) فى النسخ : « السب » . والمثبت من الكامل .

الحسنُ بنُ محمدِ بنِ هارونَ ، أبو محمدٍ المُهَلَّبيُّ[1] ، الوزيرُ لمُعِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، مكَث فى وِزارتِه ثلاثَ عشْرةَ سنةً ، وكان فيه حِلْمٌ وكرمٌ وأَناةٌ .

حكَى أبو إسحاقَ الصابئُ قال[2] : كنتُ يومًا عندَه وقد جِيء بدَواةٍ قد صُنِعت له ومِرْفَعٍ[3] قد حُلِّيا بحِلْيةٍ كثيرةٍ ، فقال لى أبو محمدٍ[4] الفَضْلُ بنُ عبدِ الرحمنِ الشِّيرازيُّ - سرًّا بينى وبينَه -: ما كان أحْوَجَنى إليها لأَبِيعَها وأَنْتَفِعَ بها . فقلتُ : وأىُّ شىءٍ يَفْعَلُ الوزيرُ ؟ فقال : (٥يَدْخُلُ فى حِرِ أُمِّه٥) . فسمِعها الوزيرُ وهو مُصْغٍ إلينا ولا نَشْعُرُ ، فلما أمْسَى بعَث بالدَّواةِ إلى أبى محمدٍ[4] الشِّيرازيِّ ومِرْفَعِها وعشَرةِ ثيابٍ وخمسةِ آلافِ درهمٍ ، واصْطَنَع له غيرَها ، فاجْتَمَعْنا يومًا آخرَ عندَه ، وهو يُوَقِّعُ مِن تلك الدَّواةِ الجَديدةِ ، فنظَر إلينا فقال : هِيهِ[6] مَن منكما يُرِيدُها (٧مع الإعْفاءِ[8] مِن الدخولِ٧) ؟ قال : فاسْتَحْيَيْنا ، وعَلِمْنا أنه كان سَمِع كلامَنا يومئذٍ ، وقلْنا : بل يُمَتِّعُ اللَّهُ الوزيرَ بها ، ويُبْقِيه ليَهَبَ ألفًا مثلَها .

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٣، والمنتظم ١٤/ ١٤٢، ومعجم الأدباء ٩/ ١١٨، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٧٠. وفى المصادر - عدا المنتظم - أنه توفى سنة ٣٥٢. ولم يذكر وفاته فى يتيمة الدهر.

(٢) انظر معجم الأدباء ٩/ ١٣٠، ١٣٣، والمنتظم ١٤/ ١٤٢، ١٤٣.

(٣) المرفع : كل شىء رفعت به شيئا فجعلته عليه . جمهرة اللغة ٢/ ٣٨٠. ولعله هنا شىء توضع عليه الدواة .

(٤) فى المنتظم ومعجم الأدباء : «أحمد» .

(٥ - ٥) فى ب : «تدخل فى خزانته» . وفى م : «تدخل فى خزانتها» . وفى المنتظم : «يدخل فى خزانته» . والحر : فرج المرأة .

(٦) سقط من : ب ، م . وفى الأصل ، ص : «هى» . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٧ - ٧) سقط من : ب ، م . ويقصد بالدخول ما قيل من كلام قبيح أول مرة .

(٨) فى الأصل ، ص : «العفا» . والمثبت من مصدرى التخريج .

تُوُفِّى أبو محمدٍ المُهَلَّبىُّ فى هذه السنةِ عن أربعٍ وستين سنةً .

دَعْلَجُ بنُ أحمدَ بنِ دَعْلَجِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أبو محمدٍ السِّجِسْتانىُّ المُعَدِّلُ[1] ، سمِع بخُراسانَ وحُلْوانَ وبغدادَ والبصرةِ والكوفةِ ومكةَ ، وكان مِن ذَوِى اليَسارِ والمشهورِين بالبِرِّ والإفضالِ ، وله صَدَقاتٌ جاريةٌ ، وأوقافٌ دارَّةٌ على أهلِ الحديثِ ببغدادَ ومكةَ وسِجِسْتانَ .

وكانت له دارٌ عظيمةٌ ببغدادَ ، فكان يَقولُ[2] : ليس فى الدنيا مِثْلُها ؛ لأنه ليس فى الدنيا مثلُ بَغدادَ ، ولا فى بغدادَ مثلُ القَطِيعةِ ، ولا فى القَطِيعةِ مثلُ دَرْبِ أبى خَلَفٍ ، وليس فى دربِ أبى خَلَفٍ مثلُ دارى .

وصنَّف الدارقُطْنىُّ له مُسْنَدًا ، وكان إذا شكَّ فى حدَيثٍ ترَكه ، فكان الدارَقُطْنىُّ يَقولُ[3] : لم أرَ فى مشايخِنا أثْبَتَ منه .

وقد أنْفَق فى أهلِ العلمِ وذَوى الحاجاتِ أموالًا جَزيلةً كثيرةً جدًّا ، اقْتَرَض منه[4] بعضُ التُّجَّارِ [٩/٦٤ظ] عشَرةَ آلافِ دينارٍ فضَمِن بها ضِياعًا ، فربح فى مدةِ ثلاثِ سنين ثلاثين ألفَ دينارٍ ، فعزَل منها عشَرةَ آلافِ دينارٍ ، وجاءه بها ، فأضافه دَعْلَجٌ ضِيافةً حَسَنةً ، فلما فرَغ مِن شأنِها قال : ما شأنُك ؟ قال له : هذه الدنانيرُ التى تفَضَّلْتَ بها قد حَضَرَتْ . فقال : يا سبحانَ اللَّهِ ! إنى لم أُعْطِكها لتَرُدَّها ،

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٧، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٧٧، والمنتظم ١٤/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٢٩١.

(٢) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٩، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٢، والمنتظم ١٤/ ١٤٣.

(٣) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٨، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٠، ٢٨١، والمنتظم ١٤/ ١٤٤.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٨/٣٩٠ - ٣٩٢، وتاريخ دمشق ١٧/٢٨٣ - ٢٨٥، والمنتظم ١٤/١٤٥ - ١٤٧.

فحَلٍّ[1] بها الأهلَ . فقال : إنى قد رَبِحْتُ ثلاثين ألفَ دينارٍ ، فهذه منها . فقال له دَعْلَجٌ : اذْهَبْ بها ، بارَكَ اللَّهُ لك . فقال له : كيف يَتَّسِعُ مالُك لهذا ؟ ومِن أين أَفَدْتَ هذا المالَ ؟ فقال : إنى كنتُ فى حَداثةِ سنِّى أَطْلُبُ الحديثَ ، فجاءنى رجلٌ تاجرٌ مِن أهلِ البَحْرِ ، فدفَع إلىَّ ألفَ ألفِ درهمٍ ، وقال : اتَّجِرْ فى هذه ، فما كان مِن ربحٍ فبينى وبينَك ، وما كان مِن خَسارةٍ فعلىَّ دونَك ، وعليك عهدُ اللَّهِ ومِيثاقُه إن وجَدْت حاجةً أو خَلَّةً فسُدَّها مِن مالى هذا . ثم جاءنى فقال : إنى سأَرْكَبُ فى البحرِ ، فإن هلَكْتُ فالمالُ فى يدِك على ما شرَطْتُ عليك . فهو فى يدى على ما قال . ثم قال لى : لا تُخْبِرْ بهذا أحدًا مدةَ حياتى . فلم أُخْبِرْ به أحدًا حتى مات .

وقد كانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ عن أربعٍ أو خمسٍ وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ الباقى بنُ قانعِ بنِ مَرْزوقٍ [2]أبو الحسينِ[2] الأُمَوىُّ مولاهم ، سمِع الحارثَ بنَ أبى أُسامةَ ، وعنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان مِن أهلِ الثقةِ والأمانةِ والحفظِ ، ولكنه تغَيَّر فى آخرِ عمرِه .

قال الدارَقُطْنىُّ[3] : كان يُخْطِئُ ، ويُصِرُّ على الخَطأِ . تُوُفِّى فى شَوَّالٍ منها .

أبو بكرٍ النَّقَّاشُ المُفَسِّرُ ، محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ زيادِ بنِ هارونَ

---

(١) فى م : « فصل » . وحل : أى اتخذ بها لأهلك حَلْيًا .

(٢ - ٢) فى النسخ والمنتظم ١٤/ ١٤٧ : « أبو الحسن » . والمثبت من سائر مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ١١/ ٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٨، والجواهر المضية ٢/ ٣٥٥.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٨٩، والمنتظم ١٤/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢٧.

بنِ جعفرٍ ، **أبو بكرٍ النَّقَّاشُ**[1] المُفَسِّرُ المُقْرِئُ ، مَوْلى أبى دُجانةَ سِماكِ بنِ خَرَشةَ ، وأصْلُه مِن المَوْصِلِ ، وكان عالمًا بالتَّفْسيرِ والقراءاتِ ، وسمِع الكثيرَ فى بُلْدانٍ شَتَّى عن خَلْقٍ مِن المَشايخِ ، وحدَّث عنه أبو بكرِ بنُ مُجاهدٍ والخُلْدىُّ وابنُ شاهِينَ وابنُ رَزْقَوَيْهِ وخَلْقٌ ، وآخِرُ مَن حدَّث عنه أبو علىٍّ بنُ شاذانَ ، وتفرَّد بأشياءَ مُنْكَرةٍ ، وقد وَقَفه[2] الدارَقُطْنىُّ على كثيرٍ مِن أخطائِه ، فرجَع عن ذلك ، وصرَّح بعضُهم بتكذيبِه . فاللَّهُ أعلمُ . وله كتابُ التَّفْسيرِ الذى سمَّاه « شِفاءَ الصُّدورِ » ، فقال بعضُهم : بل هو إشْفاءُ[3] الصُّدورِ .

وقد كان رجلًا صالحًا فى نَفْسِه عابدًا ناسِكًا ، حكَى مَن حضَره يَجودُ بنَفْسِه ، وهو يَدْعُو بدعاءٍ ، ثم رفَع صوتَه يقولُ :﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] يُرَدِّدُها ثلاثَ مراتٍ ، ثم خرَجَت رُوحُه ، رحِمه اللَّهُ . وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ الثانىَ مِن شوالٍ منها ، ودُفِن فى دارِه بدارِ القُطْنِ .

محمدُ بنُ سعيدٍ أبو بكرٍ الحَرْبىُّ[4] الزاهدُ ، ويُعْرَفُ بابنِ الضَّريرِ ، كان ثقةً عابدًا . ومِن قولِه[5] : دافَعْتُ الشهواتِ حتى صارت شَهْوتى المُدافعةَ .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠١، وتاريخ دمشق ١٥/ ٢٤٠ مخطوط ، والمنتظم ١٤/ ١٤٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ١٤٥. وطبقات المفسرين ٢/ ١٣١.

(٢) فى ب ، م : « وثقه » .

(٣) فى ب ، م : « سقام » . وفى سير أعلام النبلاء « إشفى » بالقصر ، وهو المثقب الذى يستعمله الخراز ، يثقب به .

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٣١٢، والمنتظم ١٤/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٩٦.

(٥) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣١٢، والمنتظم ١٤/ ١٤٩.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْـن وخمسين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ[1] أمَر مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ، قبَّحه اللَّهُ، أن تُغْلَقَ الأسْواقُ وأن يَلْبَسَ الناسُ المُسُوحَ[2] مِن الشَّعْرِ، وأن تخرجَ النساءُ [٩/٦٥و] حاسِراتٍ عن وُجوهِهِن، ناشِراتٍ شُعورَهن فى الأسواقِ يَلْطِمْنَ وُجوهَهن، يَنُحْنَ على الحسينِ بنِ علىٍّ، فَفُعِل ذلك، ولم يُمْكِنْ أهلَ السُّنَّةِ مَنْعُ ذلك؛ لكثرةِ الشِّيعةِ، وكونِ السُّلْطانِ معهم.

وفى ثامنَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ منها أمَر مُعِزُّ الدولةِ بإظْهارِ الزِّينةِ ببغدادَ وأن تُفْتَحَ الأسْواقُ بالليلِ كما فى الأعْيادِ، وأن تُضْرَبَ الدَّبادِبُ والبُوقاتُ، وأن تُشْعَلَ النِّيرانُ بأبْوابِ الأُمراءِ وعندَ الشُّرَطِ؛ فرَحًا بعيدِ الغَديرِ - [3]غَدِيرِ خُمٍّ[3] - فكان وقْتًا عَجيبًا ويومًا مَشْهودًا، وبِدْعةً ظاهرةً مُنْكَرةً.

وفيها أغارَت الأرمنُ[4] على الرُّهَا، فقتَلوا وأسَروا، ورجَعوا مُوقَرِين لعنهم اللَّهُ، وثارَت الرومُ بمَلِكِهم فقتَلوه، وولَّوْا غيرَه، ومات الدُّمُسْتُقُ ملكُ الأَرْمَنِ[5]، واسمُه النِّقْفُورُ، وهو الذى أخَذ حَلَبَ [6]ولتُكْتَبْ ترجمتُه فى آخرِ الجزءِ[6].

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٥٠، ١٥١، والكامل ٨/٥٤٦ - ٥٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١١، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٩٧- ٤٠٠.

(٢) المسوح: جمع مسح وهو الكساء. اللسان (م س ح).

(٣ - ٣) زيادة من: ب، م.

(٤) فى النسخ: «الروم». والمثبت موافق لما فى المنتظم، والكامل.

(٥) فى الأصل: «الأمراء».

(٦ - ٦) لم ترد هذه العبارة إلا فى الأصل، وعليه فقد جاءت ترجمة النقفور هذا فى نهاية الجزء - فى =

وفيها عُزِل ابنُ أبى الشَّوارِبِ عن القَضاءِ، ونُقِضَت سِجِلَّاتُه، وأُبْطِلَت أحْكامُه مدةَ أيامِه، ووليَ القضاءَ أبو بشرٍ عمرُ[1] بنُ أكْثَمَ بلا[2] رِزْقٍ، ورُفِع عنه ما كان يَحْمِلُه ابنُ أبى الشَّوارِبِ فى كلِّ سنةٍ، وللَّهِ الحمدُ.

وفى ذى الحِجَّةِ اسْتَسْقَى الناسُ لتأَخُّرِ المطرِ وذلك فى كانونَ الثانى[3].

وحكَى ابنُ الجَوْزىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[4] عن ثابتِ بنِ سِنانٍ المؤَرِّخِ قال: حدَّثنى جَماعةٌ من أهلِ المَوْصلِ ممَّن أَثِقُ بهم أن بعضَ بَطارِقةِ الأَرْمَنِ أنْفَذ فى سنةِ ثنتَيْن وخمسين وثلاثِمائةٍ إلى ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ رجلَيْن مِن الأرْمَنِ مُلْتَصِقَيْن، سِنُّهما[5] خمسٌ وعشرون سنةً، مُلْتَحِمَيْن، ومعهما أبوهما، ولهما سُرَّتان وبَطْنان ومَعِدَتان، وجُوعُهما يَخْتلفُ، وكان أحدُهما يَمِيلُ إلى النِّساءِ، والآخرُ يَمِيلُ إلى الغِلْمانِ، وكان يقَع بينَهما خُصومةٌ وتَشاجُرٌ، وربما حلفَ أحدُهما لا يُكَلِّمُ الآخَرَ، فيَمْكُثُ كذلك أيامًا، ثم يَصْطَلِحان، فوهَبَهما ناصرُ الدولةِ أَلْفَىْ درهمٍ، وخلَع عليهما، ودعاهما إلى الإسلامِ، فيقالُ: إنهما أسْلَما. وأراد أن يَبْعَثَهما إلى بغدادَ، ليَراهما الناسُ، ثم رجَع عن ذلك، ثم إنهما رجَعا إلى بلدِهما

= الأصل، ب كما ذكر المصنف - الذى ينتهى بانتهاء حوادث ووفيات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. أما فى م، ص فجاءت ترجمته فى هذا الموضع من هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة - وهذا على غير عادة المصنف إذ إنه يختم حوادث السنوات بتراجم المتوفين، فآثرنا تأخير الترجمة فى مكانها كما ذكر المصنف فى نسخة الأصل.

(١) فى الكامل: «عمرو».

(٢) فى م: «بن». وقوله: «بلا رزق» أى بلا أجر ولا راتب.

(٣) بعده فى ب، م: «فلم يسقوا».

(٤) أورد ابن الجوزى روايتين لهذا الخبر، إحداهما عن ثابت بن سنان، والأخرى عن محمد بن أبى طاهر، جعلهما المصنف هنا رواية واحدة ولفق بين لفظيهما، والظاهر أنهما خبران؛ وقع أحدهما فى هذه السنة، والآخر سنة نيف وأربعين و ثلاثمائة. انظر المنتظم ١٤/ ١٥١، ١٥٢.

(٥) فى مصدر التخريج: «بينهما». وهو تحريف.

مع أبيهما ، فاعْتَلَّ أحدُهما ، ومات وأنْتَن رِيحُه ، وبقى الآخَرُ لا يُمْكِنُه التَّخَلُّصُ منه ، وكان اتِّصالُ ما بينَهما مِن الخاصِرَتَيْن ، وقد كان ناصرُ الدولةِ أراد فَصْلَ أحدِهما عن الآخَرِ ، وجمَع الأطِبَّاءَ لذلك فلم يُمْكِنْ ، فلما مات أحدُهما حار أبوهما فى فَصْلِه عن أخيه ، فاتَّفَق اعْتِلالُ الآخَرِ مِن غَمِّه ونَتْنِ رائحةِ أخيه ، فمات غَمًّا ، فدُفِنا جميعًا فى قبرٍ واحدٍ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عمرُ بنُ أكْثَمَ بنِ أحمدَ بنِ حَيَّانَ بنِ بِشْرٍ ، أبو بشرٍ الأسَدىُّ[1] الفقيهُ الشافعىُّ ، وُلِد سنةَ أربعٍ وثمانين ومائتين ، وولِىَ القَضاءَ فى زمنِ المُطِيعِ نِيابةً عن أبى السائبِ عُتْبةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ ، ثم ولِى قَضاءَ القُضاةِ ، وهو أولُ من ولِى قَضاءَ القُضاةِ مِن الشافعيةِ سوى أبى السائبِ ، وكان محمودَ السِّيرةِ فى القَضاءِ ، وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأولِ من هذه السنةِ .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٢٤٩، والمنتظم ١٤/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٦٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٤٧٠. وأطبقت مصادر ترجمته على أن وفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمائة عدا «المنتظم». وانظر الصفحة السابقة، ففيها أنه ولى القضاء فى هذه السنة (٣٥٢)، فلو كان توفى فى هذه السنة نفسها لنص على ذلك ابن كثير.

[٩/٦٥ظ] ثم دخَلَت سنةُ

ثلاثٍ وخمسين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ المُحَرَّمِ[(١)] منها عمِلَت الرافِضةُ عزاءَ الحُسَينِ كما تقَدَّم فى السنةِ الماضيةِ، فاقْتَتل الرَّوافِضُ وأهلُ السُّنَّةِ فى هذا اليومِ قِتالًا شديدًا، وانْتُهِبَت الأمْوالُ.

وفيها عصَى نَجَا غلامُ سيفِ الدولةِ عليه، وذلك أنه كان فى العامِ الماضى قد صادَر أهلَ حَرَّانَ، وأخَذ منهم أمْوالًا كثيرةً فتمَرَّد بها، وذهَب إلى بلادِ أَذْرَبِيجانَ، فأخَذ طائفةً منها مِن يدِ رجلٍ مِن الأعْرابِ يقالُ له: أبو الوَرْدِ. فقتَله وأخَذ مِن أمْوالِه شيئًا كثيرًا، وقَوِيَت شَوْكتُه بسببِ ذلك، فسار إليه سيفُ الدولةِ، فأخَذه، وأمَر بقتلِه، فقُتِل بيـنَ يديه، وأُلْقِيَت جيفتُه فى الأقْذارِ[(٢)] ومحلِّ الجِيَفِ والنتَـنِ[(٢)].

وفيها جاء الدُّمُسْتُقُ إلى المِصِّيصةِ[(٣)] فى جيشٍ كثيفٍ[(٣)] فحاصَرها ونقَب سُورَها، فدافَعه أهلُها، فأحْرَق رُسْتاقَها، وقتَل مـمَّن حولَها خمسةَ عشَرَ ألفَ

---

(١) المنتظم ١٤/١٥٥ - ١٦٠، والكامل ٨/٥٥١ - ٥٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١-٣٨٠) ص ١٣ - ١٥، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٠١، ٤٠٢.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣ - ٣) سقط من: م.

إنسانٍ ، وعاثوا فَسادًا فى بلادِ أَذَنَةَ وطَرَسُوسَ ، وكرّوا راجعين إلى بلادِهم ، قبَّحهم اللَّهُ .

وفيها قصَد مُعِزُّ الدولةِ المَوْصِلَ وجَزيرةَ ابنِ عمرَ [1] فأخذها مِن يدِ ناصرِ الدولةِ ابنِ حمدانَ ، ثم سار فى طلبِ ناصرِ الدولةِ ، فكرَّ ناصرُ الدولةِ فى جيشٍ قد هيَّأه ، فاسْتَرْجع المُلْكَ مِن يدِ معزِّ الدولةِ ، فعاد معزُّ الدولةِ [1] فأخَذ المَوْصِلَ ، وأقامَ بها ، فراسَله فى الصُّلْحِ صاحبُها ، فاصْطَلَحا على أن يكونَ الحِمْلُ فى كلِّ سنةٍ ، وأن يكونَ أبو تَغْلِبَ بنُ ناصرِ الدولةِ وَلِيَّ عهدِ أبيه مِن بعدِه ، فأجاب مُعِزُّ الدولةِ إلى ذلك ، وكرَّ راجعًا إلى بغدادَ بعدَ ما جرَت له خُطوبٌ عظيمةٌ طويلةٌ قد اسْتَقْصاها ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه » [2] وبسَطها .

وفيها ظهَر رجلٌ ببلادِ الدَّيْلَمِ ، وهو [3] أبو عبدِ اللَّهِ [3] محمدُ بنُ الحسينِ مِن أولادِ الحسنِ [4] بنِ علىٍّ ، ويُعْرَفُ بابنِ الدّاعِى [5] ، فالْتَفَّ عليه خَلْقٌ كثيرٌ ، ودَعا إلى نَفْسِه ، وتَسَمَّى بالمَهْدىِّ ، وكان أصلُه مِن بَغْدادَ ، [6] وعظُم شَأْنُه [6] بتلك البلادِ ، وهرَب منه ابنُ الناصرِ العَلَوىُّ .

وفيها قصَد مَلِكُ الرومِ ، وفى صُحْبتِه الدُّمُسْتُقُ ملكُ الأرْمَنِ بلادَ طَرَسُوسَ ، فحاصروها مدةً ، ثم غلَت عليهم الأسْعارُ ، وأخَذ فيهم الوَباءُ ، فمات كثيرٌ منهم ، فكرُّوا راجِعِين ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) انظر الكامل ٨/ ٥٥٣، ٥٥٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « أبو عبيد اللَّه » .

(٤) فى ب ، م : « الحسين » . وانظر الكامل ٨/ ٥٥٥.

(٥) فى ب ، م : « الراعى » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ب ، ص : « وانتظم له شأن » .

يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وكان مِن عَزْمِهم أنّهم يَسْتَحْوِذون على البلادِ كلِّها[(١)]، فرجَعوا خاسئين.

وفيها كانت وَقْعةُ المجَازِ[(٢)] ببلادِ صِقِلِّيَّةَ، وذلك أنَّه أقْبَل مِن الرُّومِ خَلْقٌ كثيرٌ ومِن الفِرَنجِ ما يُقارِبُ المائةَ ألفٍ، فبعَث أهلُ صِقِلِّيَّةَ إلى المُعِزِّ الفاطميِّ يَسْتَنْجِدونه، فبعَث إليهم بجُيوشٍ كثيرةٍ فى الأُسْطُولِ، فكانت بينَ المسلمين والمشركين وَقْعةٌ عظيمةٌ صبَر فيها الفَرِيقانِ مِن أولِ النَّهارِ إلى العصرِ، ثم قُتِل أميرُ الرومِ منويلُ[(٣)]، وفرَّت الرومُ، وانْهَزموا هَزيمةً قَبيحةً، فقتَل المسلمون منهم خَلْقًا كثيرًا، وسقَط الفِرَنجُ فى وادٍ [(٤) من الماءِ (٤)] عميقٍ فغرِق[(٥)] أكثرُهم، وركِب الباقون فى المَراكِبِ، فبعَث الأميرُ أحمدُ صاحبُ صِقِلِّيَّةَ فى آثارِهم مَراكِبَ أُخَرَ، فقتَلوا أكثرَ المشركين فى البحرِ أيضًا، وغنِم المسلمون فى هذه الغزوةِ شيئًا كثيرًا؛ مِن الأمْوالِ والحيواناتِ والأمْتِعةِ والأسلحةِ، فكان [٦٦/٩و] فى جملةِ ذلك سيفٌ مكتوبٌ عليه: هذا سيفٌ هِنْدىٌّ زِنَتُه مائةٌ وسبعون مِثْقالًا، طالما قُوتِل به بينَ يدى رسولِ اللَّهِ ﷺ. فبُعِث فى جُملةِ تُحَفٍ إلى المُعِزِّ الفاطميِّ إلى إفْرِيقِيَّةَ.

وفيها قصَدَت القَرامِطةُ مدينةَ طَبَرِيَّةَ ليأْخُذوها مِن يدِ الإخْشِيدِ صاحبِ مصرَ والشامِ، وطلَبوا مِن سيفِ الدولةِ أن يُمِدَّهم بحَديدٍ يَتَّخِذون منه سِلاحًا، فقلَع لهم أبوابَ الرَّقَّةِ - وكانت مِن حديدٍ[(٦)]، حتى أخَذ أَواقِىَ الباعةِ[(٧)]، وأرْسَل

---

(١) بعده فى ب، م: «وذلك لسوء حكامها وفساد عقائدهم فى الصحابة فسلم الله».
(٢) فى ب، م: «المختار».
(٣) فى م: «مويل».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.
(٥) فى الأصل، ص: «فهلك».
(٦) بعده فى ب، م، ص: «صامت».
(٧) بعده فى ب، م: «والأسواق».

بذلك كلِّه إليهم حتى قالوا : اكْتَفَيْنا .

وفيها طلَب مُعِزُّ الدولةِ مِن الخليفةِ المطيعِ للَّهِ أن يَأْذَنَ له فى دُخولِ دارِ الخِلافةِ ليَتَفَرَّجَ فيها [1] فأذِنَ له فدَخلها [1] ، فبعَث خادمَه وحاجبَه معه ، فطافوا معه فيها ، وهو مُسْرِعٌ خائفٌ [2] ، ثم خرَج وقد خاف مِن غائلةِ ذلك ، وخشِىَ أن يُقْتَلَ فى بعضِ الدَّهاليزِ ، فتصَدَّق بعشَرةِ آلافٍ لما خرَج شُكْرًا للَّهِ على سَلامتِه ، وازْداد حبًّا فى الخَليفةِ المُطِيعِ للَّهِ مِن يَومِئذٍ ، فكان فى جُملةِ ما رأَى مِن العَجائبِ بها صَنَمٌ مِن نُحاسٍ على صُورةِ امرأةٍ حَسْناءَ جدًّا ، وحولَها أصْنامٌ صِغارٌ [3] فى هيئةِ الخَدَم لها [3] ، كان قد أُتِى به فى زمنِ المُقْتَدِرِ ، فأُقِيمَ هناك ليَتَفَرَّجَ عليه الجَوارِى والنِّساءُ ، فهَمَّ المُعِزُّ أن يَطْلُبَه مِن الخليفةِ ، ثم ارْتَأَى فترَك ذلك .

وفى ذى الحِجَّةِ منها خرَج رجلٌ بالكوفةِ ، فادَّعَى أنه عَلَوِىٌّ ، وكان يَتَبَرْقَعُ ، فسُمِّى المُبَرْقَعَ ، وغلُظَت قضيتُه [4] وبعُد صِيتُه ، وذلك فى غَيْبَةِ مُعِزِّ الدولةِ عن بغدادَ واشْتِغالِه بأمْرِ المَوْصلِ [5] وناصرِ الدولةِ بنِ حَمدانَ ، فلمَّا توطدت الأمورُ وعاد [5] إلى بغدادَ اخْتَفَى المُبَرْقَعُ ، وذهَب فى البلادِ ، فلم يُفْتَحْ له أمْرٌ بعدَ ذلك .

ومِمَّن تُوُفى فيها مِن الأعْيانِ :

بَكَّارُ بنُ أحمدَ بنِ بَكَّارِ بنِ بُنانِ [6] بنِ بَكَّارِ [7] بنِ زيادِ [7] بنِ دَرَسْتَوَيْهِ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى ب ، م : « فتنته » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « كما تقدم فلما رجع » .

(٦) فى ب ، م : « بيان » . وهو تصحيف . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٣٤/٧، والمنتظم ١٥٧/١٤، ومعرفة القراء ٢٤٦/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١- ٣٨٠) ص ٨٦، والوافى بالوفيات ١٨٦/١٠.

(٧ - ٧) سقط من : م .

أبو[1] **عيسى المُقْرِئُ**، روَى الحديثَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ، وعنه أبو الحسنِ الحَمَّامِيُّ[2]، وكان ثِقةً، أقْرَأ القرآنَ أزْيَدَ مِن ستين سنةً، رحِمه اللَّهُ. وكانت وفاتُه فى ربيعِ الأولِ منها وقد جاوَز السبعين وقارَب الثمانين، ودُفِن بمَقْبَرةِ الخَيْزُرانِ عندَ قبرِ أبى حَنيفةَ.

أبو إسْحاقَ الهُجَيمِيُّ[3]، وُلِد سنةَ خمسين ومائتين، وسمِع الحديثَ، وكان إذا سُئِل أن يُحَدِّثَ يُقْسِمُ أن لا يُحَدِّثَ حتى يُجاوِزَ المائةَ، فأبَرَّ اللَّهُ قَسَمَه، وجاوَزها فأسْمَع. تُوُفِّى عن مائةِ سنةٍ [4]وثلاثِ سنين[4]، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى النسخ: «ابن». والمثبت من مصادر ترجمته السابقة.

(٢) فى ب، م: «الحمانى». وانظر الأنساب ٢/ ٢٥٥.

(٣) فى ب: «الجهيمى»، وفى م: «الجهمى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ٢٣/٧، وسير أعلام النبلاء ٥٢٥/١٥، والعبر ٢٩١/٢، والوافى بالوفيات ٥٧/٦، واسمه: إبراهيم بن على بن عبد اللَّه البصرى، وذكروا وفاته سنة (٣٥١).

(٤ - ٤) فى م: «ثلاثين سنة».

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ المُحَرَّمِ منها[1] عمِلَت الشِّيعةُ المآتمَ على ما تقَدَّم فى السنتين الأَوَّلتين ، وغُلِّقَت الأسْواقُ وعُلِّقَت المُسوحُ ، وخرَجَت النِّساءُ سافِراتٍ ناشِراتٍ ، يَنُحْنَ ويَلْطِمْنَ وُجوهَهن فى الأسْواقِ والأَزِقَّةِ[2] ، وهذا تَكَلُّفٌ لا حاجةَ إليه فى الدينِ ولا فى الدنيا ، ولو كان هذا أمرًا محمودًا لكان صَدْرُ هذه الأمةِ وخِيرتُها أوْلَى به ؛ إذ لو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وأهلُ السُّنَّةِ يَقْتَدُون ولا يَبْتَدِعون ، وتسَلَّطَت أهلُ السُّنةِ على الرَّوافِضِ ، فكبَسوا مسجدَ بَرَاثا [٩/٦٦ظ] الذى هو عُشُّ الرَّوافِضِ ، وقتَلوا بعضَ مَن كان فيه مِن القَوَمةِ .

وفيها فى رجَبٍ منها جاء ملكُ الرومِ بجيوشٍ كثيفةٍ إلى المِصِّيصةِ ، ففتحها قَسْرًا ، وقتَل مِن أهْلِها خلقًا ، واسْتاق بقيتَهم معه أُسارَى ، وكانوا قريبًا مِن مائتَى ألفِ إنسانٍ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وجاء إلى طَرَسوسَ ، فسأَل أهْلُها منه الأمانَ ، فأمَّنهم ، وأمَرهم بالجلاءِ عنها والانْتِقالِ منها ، فاتَّخَذ الجامعَ إسْطَبْلًا لخُيولِه ، وحرَّق المنبرَ ، ونقَل قَنادِيلَه إلى كَنائِسِ بلدِه ، وتنَصَّر بعضُ أهلِها معه ، لعَنه اللَّهُ .

وكان أهلُ طَرَسوسَ والمِصِّيصةِ قد أصابهم قبلَ هذا البلاءِ غَلاءٌ عظيمٌ ووَباءٌ

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٦١، ١٦٢، والكامل ٨/٥٦٠ - ٥٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٧. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٠٣ .

(٢) بعده فى ب ، م : «على الحسين» .

شديدٌ ، بحيث كان يَموتُ منهم فى اليومِ الواحدِ ثلاثُمائةِ[1] نفَرٍ ، ثم دهَمهم هذا الأمْرُ الشديدُ ، فانْتَقَلوا مِن شَهادةٍ إلى شهادةٍ أعْظمَ منها .

وعزَم ملكُ الرومِ على المُقامِ بطَرَسوسَ ليَكونَ أقْرَبَ إلى بلادِ المسلمين ، ثم عنَّ له ، فسار إلى القُسْطَنْطِينيَّةِ ، وفى خِدْمتِه الدُّمُسْتُقُ ملكُ الأرْمَنِ ، لعَنهما اللَّهُ .

وفيها جُعِل أمْرُ تَسْفيرِ الحَجيجِ إلى نَقيبِ الطالِبيِّين ، وكُتِب له مَنْشورٌ بالنقابةِ والحَجيجِ ، وهو أبو أحمدَ الحسينُ[2] بنُ موسى المُوسَوِىُّ[3] ، وهو والدُ الرَّضِىِّ[4] والمُرْتَضَى .

وفيها تُوُفِّيَت أخْتُ مُعِزِّ الدولةِ ، فركِب الخليفةُ فى طَيَّارةٍ ، وجاء إليه فعزاه ، فقبَّل مُعِزُّ الدولةِ الأرضَ بينَ يديه ، وشكَر له سَعْيَه إليه ، وصَدَقاتِه عليه .

وفى ثامنَ[5] عشَرَ ذى الحِجَّةِ عمِلت الرَّوافِضُ عيدَ غَديرِ خُمٍّ على العادةِ الجاريةِ التى ذكَرْناها .

وفيها تغَلَّب على أنْطاكِيَةَ رجلٌ يقالُ له : رَشِيقٌ النَّسَيْمىُّ . بمُساعدةِ رجلٍ يقالُ له : ابنُ الأهْوازىِّ . كان يَضْمَنُ الطَّوَاحِينَ ، فأعْطاه أمْوالًا ، وأطْمَعه فى أخْذِ أنْطاكِيَةَ ، وأخْبَره أن سيفَ الدولةِ قد اشْتَغَل بمُيَّافارِقِينَ ، وعجَز عن الرُّجوعِ إلى حَلَبَ ، فتمَّ لهما ما راماه مِن أخْذِ أنْطاكِيَةَ ، ثم ركِبا منها فى جُيوشٍ إلى حَلَبَ ، فجرَت بينَهما وبينَ نائبِ سيفِ الدولةِ حُروبٌ عظيمةٌ ، ثم أخَذ البلدَ ،

---

(١) فى ب ، م : « ثمانمائة » .

(٢) فى ب ، م : « الحسن » . وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٧٥.

(٣) فى الأصل : « الدينورى » . وانظر المصدر السابق .

(٤) فى الأصل ، ص : « الراضى » .

(٥) فى ب ، م : « ثانى » . وانظر ما تقدم فى ٧/ ٦٦٦.

وتحَصَّن النائبُ بالقَلْعةِ ، وجاءَت النّجْدةُ مِن سيفِ الدولةِ إلى حلبَ مع غلامٍ له اسمُه بِشارةُ ، فانْهَزم رَشِيقٌ ، فسقَط عن فرَسِه ، فابْتَدَره بعضُ الأعْرابِ ، فقتَله وأخَذ رأسَه ، فجاء به إلى حَلَبَ ، واستقلَّ[1] ابنُ الأهْوازيِّ سائرًا إلى أنْطاكِيَةَ ، فأقام رجلًا مِن الرومِ اسمُه دزبرُ[2] ، فسمَّاه الأميرَ ، وأقام آخرَ مِن العَلَوِيِّين ليَجْعَلَه خَليفةً ، وسمَّاه الأُسْتاذَ[3] ، فقصَدَه نائبُ حَلَبَ ، وهو قَرْعُوَيْهِ[4] ، فاقْتَتَلا قِتالًا شديدًا ، فهزمَه ابنُ الأهْوازيِّ واسْتَقَرَّ بأنْطاكِيَةَ ، فلما عاد سيفُ الدولةِ إلى حَلَبَ لم يَبِتْ بها إلا ليلةً واحدةً حتى سار إلى أنْطاكِيَةَ[5] ، فاقْتَتَلوا قِتالًا عظيمًا ، ثم انْهَزَم دزبرُ[2] وابنُ الأهْوازيِّ ، وأُسِرا فقتَلهما سيفُ الدولةِ بنُ حَمدانَ .

وفيها ثار رجلٌ مِن القَرامِطةِ اسمُه مَرْوانُ ، كان يَحْفَظُ الطُّرُقاتِ لسيفِ الدولةِ بحمْصَ ، فملَكها وما حولَها ، فقصَده جيشٌ مِن حلبَ مع الأميرِ بدرٍ ، فاقْتَتَلوا معه ، [٩/٦٧و] فرماه بدرٌ بسهمٍ مَسْمومٍ فأصابه ، واتَّفَق أن أسَر أصحابُ مَرْوانَ بدرًا ، فقتَله مَرْوانُ بينَ يديه صَبْرًا ، ومات مَرْوانُ بعدَ أيامٍ ، وتفرَّق أصحابُه ، قبَّحهم اللَّهُ .

وفيها عصَى أهلُ سِجِسْتانَ أميرَهم خلفَ بنَ أحمدَ ، وذلك أنه حجَّ فى سنةِ ثلاثٍ وخمسين ، واسْتَخْلَف عليهم طاهرَ بنَ الحسينِ ، فطمِع فى المُلْكِ بعدَه ، واسْتَمال أهلَ البلدِ ، فلما رجَع مِن الحجِّ لم يُسَلِّمْه البلدَ ، وعصَى عليه ، فذهَب

---

(١) فى ص : « انتقل » .

(٢) فى الأصل ، ص ، ب : « وزبر » . وانظر الكامل ٨/ ٥٦٢.

(٣) فى الأصل ، ص : « أولا » .

(٤) فى ب : « فرغونه » .

(٥) بعده فى ب ، م : « فالتقاه ابن الأهوازى » .

إلى بُخارَى إلى الأميرِ منصورِ بنِ نوحٍ السامانيِّ ، فاسْتَنْجَده ، فبعَث معه جيشًا ، فاسْتَنْقَذ البلدَ مِن طاهرٍ ، وسلَّمها إلى الأميرِ خلَفِ بنِ أحمدَ - وقد كان خلفٌ عالمًا مُحِبًّا للعُلَماءِ - فذهَب طاهرٌ ، فجمَع جُموعًا ، ثم جاء فحاصَر خلَفًا ، وأخَذ منه البلدَ ، فرجَع خلفٌ إلى الأميرِ منصورٍ السامانيِّ ، فبعَث معه مَن اسْتَرْجَع له البلدَ ثانيةً ، وسلَّمها إليه ، فلما اسْتَقَرَّ خلفٌ بها وتمكَّن فيها منَع ما كان يَحْمِلُه مِن الهدايا والتُّحَفِ والخِلَعِ إلى الأميرِ منصورٍ السامانيِّ ببُخارَى ، فبعَث إليه جيشًا ، فتَحَصَّن خلفٌ فى حِصنٍ يقالُ له : حصنُ أَرْكَ[1] . فنازَله الجيشُ فيه تسعَ سنين لم يَقْدِروا عليه ، وذلك لمَناعةِ هذا الحصنِ وصُعوبتِه وعُمْقِ خَنْدقِه وارْتِفاعِه ، وسيَأْتى ما آلَ إليه أمْرُه بعدَ ذلك .

وفيها قصَدَت طائفةٌ مِن التُّرْكِ بلادَ الخزَرِ ، فاسْتَنْجَد الخزَرُ بأهلِ خُوارِزمَ ، فقالوا : لو أسْلَمْتُم لنصَرْناكم . فأسْلَموا إلا مِلكَهم ، فقاتَلوا معهم التُّرْكَ ، فأجْلَوْهم عنهم ، ثم أسْلَم المَلِكُ بعدَ ذلك . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

المُتَنَبِّى الشاعرُ المَشْهورُ[2] أحمدُ بنُ الحسينِ [3]بنِ الحسنِ[3] بنِ عبدِ الصمَدِ أبو الطَّيِّبِ الجُعْفىُّ[4] الشاعرُ المَعْروفُ بالمُتَنَبِّى ، كان أبوه يُعْرَفُ بعِيدانَ السَّقَّاء ،

---

(١) فى م ، ص : « أراك » . وانظر الكامل ٨/ ٥٦٤، ومعجم البلدان ١/ ٢١٠.

(٢) بعده فى ص : « الحسن بن » . وانظر مصادر ترجمته الآتية .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) يتيمة الدهر ١/ ١١٠ - ٢٢٤، وتاريخ بغداد ٤/ ١٠٢ - ١٠٥، والمنتظم ١٤/ ١٦٢ - ١٦٩، وبغية الطلب ٢/ ٤٥ - ٩٥، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٤٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٠ - ١٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٩ - ٢٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٠٢- ١٠٨.

وكان يستقى الماءَ لأهلِ الكوفةِ على بعيرٍ له وهو شيخٌ كبيرٌ.

وعِيدانُ هذا، قال ابنُ ماكولا والخَطيبُ[1]: هو بكسرِ العينِ وبعدَها ياءٌ مُثَنَّاةٌ مِن تحتُ. وقيل: بفتحِ العينِ لا كسرِها. فاللَّهُ أعلمُ.

كان مَوْلِدُ المُتَنَبِّى بالكوفةِ سنةَ ستٍّ وثلاثِمائةٍ، ونشَأ بالشامِ بالباديةِ، وطلَب الأدَبَ، ففاق أهلَ زمانِه فيه، ولزِم جَنابَ سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ وامْتَدَحه، وحظِى عندَه، ثم صار إلى مصرَ، فامتَدَح كافورًا الإخْشيدِىَّ، ثم هجاه، وهرَب منه، وورَد بغدادَ، فامْتَدَح بعضَ أهلِها، [2]وقُرِئ عليه ديوانُه فيها[2].

وقدِم الكوفةَ، فامتدح ابنَ العَميدِ، فوصَله مِن جهتِه ثلاثون ألفَ دينارٍ، ثم سار إلى فارسَ، فامْتَدح عَضُدَ الدولةِ بنَ بُوَيْهِ، فأطْلَق له أمْوالًا جَزيلةً تُقارِبُ مائتَىْ ألفِ درهمٍ، وقيل: بل حصَل له نحوٌ مِن ثلاثين ألفَ دينارٍ. ثم دسَّ إليه مَن يَسْأَلُه: أيُّما أحْسَنُ؛ عَطايا عَضُدِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ أو عَطايا سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ؟ فقال: هذه أجْزَلُ ولكن فيها تَكَلُّفٌ، وتلك أقَلُّ ولكن عن طِيبِ نَفْسٍ مِن مُعْطِيها؛ لأنها عن طَبيعةٍ وهذه عن تَكَلُّفٍ. فذُكِر ذلك [٩/٦٧ظ] لعَضُدِ الدولةِ، فتغَيَّظ عليه، ودسَّ إليه طائفةً مِن الأعْرابِ، فوقَفوا له فى أثناءِ الطريقِ وهو راجعٌ إلى بغدادَ، ويقالُ[3]: إنه قد كان هجَا مُقَدَّمَهم ابنَ فاتِكٍ الأسَدىَّ - وقد كانوا يَقْطَعون الطريقَ - فلهذا أوْعَز إليهم عَضُدُ الدولةِ أن يَتَعَرَّضوا له فيَقْتُلوه، ويَأْخُذوا ما معه مِن الأمْوالِ، فانْتَهَوا إليه وهم ستون راكبًا فى يومِ

---

(١) الإكمال ٦/ ٩٩، وأخرج قول الخطيب ابن العديم فى بغية الطلب ٢/ ٤٥، وانظر تبصير المنتبه ٣/ ٩٠٥.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م. وفى الأصل، ص: «وسمع عليه ديوانه». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) انظر المنتظم ١٤/ ١٦٥.

الأرْبعاءِ ، وقد بقِى مِن رمضانَ ثلاثةُ أيامٍ . وقيل : بل قُتِل فى يومِ الاثنين[1] لخمسٍ بقِين مِن رمضانَ . ويقالُ : بل كان ذلك فى شعبانَ . وقد نزَل عندَ عينٍ تحتَ شجرةِ إنجاصٍ[2] وقد وُضعت سُفْرَتُه ليتغدَّى ومعه ولدُه مُحَسَّدٌ[3] وخمسةَ عشَرَ غلامًا له ، فلما رآهم قال : هلُمُّوا يا وُجوهَ العربِ . فلما لم يُكَلِّموه أحَسَّ بالشرِّ فنهَض إلى سلاحِه وخيلِه ، فتواقَفوا ساعةً ، فقُتِل ابنُه محسَّدٌ[3] وبعضُ غِلْمانِه ، وأراد هو أن يَنْهَزِمَ ، فقال له مَوْلًى له : أين تَذْهَبُ ، وأنت القائلُ :

فالخيلُ والليلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُنى ... والحربُ[4] والضَّرْبُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ

فقال : ويحَك ! قتَلْتَنى . ثم كرَّ راجعًا ، فطَعَن[5] زعيمَ القومِ برُمْحٍ فى عنقِه ، فقتَله ، فاجتمَعوا عليه فشجَروه[6] بالرِّماحِ حتى قتَلوه ، وأخَذوا جميعَ ما كان معه من الأموالِ ، وذلك بالقُرْبِ مِن النُّعْمانِيَّةِ[7] ، وهو آيِبٌ إلى بغدادَ ، ودُفِن هنالِك وله مِن العمرِ ثمانٍ وأرْبعون سنةً .

وذكَر ابنُ عساكرَ[8] أنه لما نزَل فى المَنْزِلةِ التى كانت قبلَ مَنْزِلتِه هذه ؛ سأَله بعضُ الأعْرابِ أن يُعْطِيَهم خمسين درهمًا ويَخْفِرونه ، فمنَعه الشُّحُّ والكِبْرُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « الأربعاء » ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٥٢، وبغية الطلب ٢/ ٨٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٣.

(٢) الإنجاص : الإجَّاص . شجر من الفصيلة الوردية ، ثمره حلو لذيذ ، يطلق فى سورية ، وفلسطين وسيناء على الكمَّثْرى وشجرها . الوسيط (أ ج ص) .

(٣) فى النسخ : « محسن » . والمثبت من بغية الطلب ، ووفيات الأعيان والوافى وسير أعلام النبلاء .

(٤) فى ب : « السيف » ، وفى م ، ص : « الطعن » . وانظر ديوان المتنبى ص ٣٢٤.

(٥) فى ب ، م : « فطعنه » . وانظر المنتظم ١٤/ ١٦٧.

(٦) فى ب ، م : « فطعنوه » ، وشجروه بالرماح : طعنوه بها . انظر اللسان (ش ج ر) .

(٧) النُّعمانية : بليدة بين واسط وبغداد فى نصف الطريق على ضفة دجلة . معجم البلدان ٤/ ٧٩٦.

(٨) سقطت ترجمة المتنبى من مخطوطة تاريخ دمشق وكذا المطبوعة . والخبر فى بغية الطلب ٢/ ٨٩.

ودَعْوى الشَّجاعةِ مِن ذلك .

وقد كان المُتَنَبِّى جُعْفىَّ النَّسَبِ ، صُلْبُه منهم ، وقد ادَّعَى حين كان مع بَنِى كلْبٍ بأرضِ السَّماوةِ قريبًا مِن حمصَ أنه عَلَوىٌّ[1] ثم حَسَنىٌّ[1] ، ثم ادَّعَى أنه نبىٌّ ، فاتَّبَعه جماعةٌ مِن جَهَلتِهم وسَفِلتِهم ، وزعَم أنه أُنْزِل عليه قرآنٌ ، فمِن ذلك : والنَّجْمِ السَّيَّار ، والفَلَكِ الدَّوَّار ، والليلِ والنهار ، إن الكافرَ لَفى أخطار[2] ، امْضِ على سُنَّتِك واقْفُ أثَرَ مَن كان قبلَك مِن المُرْسَلِين ، فإن اللَّهَ قامِعٌ بك مَن أَلْحَد فى دينِه ، وضلَّ عن سبيلِه . وهذا مِن خُذْلانِه ، وكثرةِ هَذَيانِه [3]فى قرآنِه[3] ، ولو لزِم قافيةَ مدحِه[4] ، والهِجاء[5] ، لكان أشْعَرَ الشُّعراء ، وأفْصَحَ الفُصَحاء ، ولكن أراد بجهلِه وقلةِ عقلِه أن يقولَ ما يُشْبِهُ كلامَ ربِّ [6]الأرضِ والسَّماء ، الذى لا يشبهُه شىءٌ من الأشياء ، لا فى ذاتِه ولا فى صفاته ، ولا فى أفعالِه وأحواله ، تعالى اللَّهُ خالقُ الأشياء[6] .

ولمَا اشْتَهَر خبرُه بأرضِ السَّماوةِ ، وأنه قد الْتَفَّ عليه جَماعةٌ مِن أهلِ الغَباوَةِ ، خرَج إليه نائبُ حِمْصَ مِن جهةِ بنى الإخْشيدِ ، وهو الأميرُ لُؤْلُؤٌ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه ، فقاتَله وشرَّد شَمْلَه ، وأسَره وسجَنه دَهرًا طويلًا ، فمرِض فى السجنِ ، وأشْرَف على التَّلَفِ ، فاسْتَحْضَره واسْتَتابه ، وكتَب عليه كتابًا اعْتَرَف فيه ببُطْلانِ

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « خَسارٍ » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « وفُشَاره » ، والفشار : كخراب بمعنى الهذيان . تاج العروس (ف ش ر) .

(٤) بعده فى ب ، م : « النافق بالنفاق » .

(٥) بعده فى ب ، م : « بالكذب والشقاق » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « العالمين الذى لو اجتمعت الجن والإنس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورةٍ من أقصر سوره لما استطاعوا » .

ما ادَّعاه ، وأنه قد تاب مِن ذلك ، ورجَع إلى دينِ الإسلامِ ، وأطلَق سَراحَه ، [٩/ ٦٨و] فكان بعدَ ذلك إذا ذُكِّر بهذا يَجْحَدُه إن أمْكَنه جَحْدُه وإلا اعْتَذر منه واسْتَحْيا ، وقد اشتُهِر بلفظةٍ تَدُلُّ على كَذِبِه فيما كان ادَّعاه مِن الإفْكِ والبُهْتانِ ، وهى لَفْظةُ « المُتَنَبِّى » ، الدالةُ على الكذبِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد قال بعضُهم يَهْجُوه[1] :

أىُّ فَضْلٍ لشاعرٍ يَطْلُبُ الْفَضْـ ... ـلَ مِن الناسِ بُكْرةً وعَشِيًّا
عاش حينًا يَبِيعُ فى الكوفةِ الما ... ءَ وحينًا يَبِيعُ ماءَ المُحَيَّا

وللمُتَنَبِّى دِيوانٌ مَشْهورٌ فى الشِّعرِ ، فيه أشْعارٌ رائقةٌ ومَعانٍ ليست بمَسْبوقةٍ ، بل مُبْتَكَرةٌ سابقةٌ[2] ، وهو فى الشُّعَراءِ المُحْدَثين كامْرِئِ القيسِ فى الشُّعراءِ المتَقَدِّمِين - وهو عندى بخطِّ يدِهِ - فيما ذكَر مَن له خِبْرةٌ بهذه الأشْياءِ ، مع تقَدُّمِ أمْرِه . وقد ذكَر أبو الفرجِ بنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[3] قِطَعًا رائقةً اسْتَحْسَنها مِن ديوانِه ، وكذلك الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ شيخُ إقْليمِه وحافظُ زمانِهِ .

فممَّا استملَحه أستاذُ الوعاظِ الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزىِّ قولُ المتنبِّى[4] :

عزيزٌ أَسَى مَن داؤُه[5] الحَدَقُ النُّجْلُ ... عَياءٌ به مات المُحِبُّون مِن قبلُ
فمَن شاء [6]فلْيَنْظُرْ[6] إلىَّ فمَنْظَرى ... نَذيرٌ إلى مَن ظنَّ أن الهَوَى سَهْلُ

---

(١) انظر وفيات الأعيان ١/ ١٢٤.
(٢) فى ب ، م : « شائقة » .
(٣) المنتظم ١٤/ ١٦٧.
(٤) الأبيات ليست موجودة فى مختصر تاريخ دمشق ، ولا فى المنتظم ، وهى فى ديوانه ص ٣٩، ٤٠.
(٥) فى ص : « دواؤه » . والمثبت موافق لما فى الديوان .
(٦ - ٦) فى ص : « أن ينظر » . والمثبت موافق لما فى الديوان .

جرَى حبُّها مَجْرَى دَمى فى مَفاصِلى فأصْبَح لى عن كلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ
ومِن جَسَدى لم يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرةً فما فوقَها[1] إلا وفيه له فِعْلُ
كأنَّ رَقيبًا منكِ سدَّ مَسامِعى عن العَذْلِ حتى ليس يَدْخُلُها العَذْلُ
كأنَّ سُهادَ الليلِ يَعْشَقُ مُقْلَتى فبينَهما فى كلِّ هَجْرٍ لنا[2] وَصْلُ

ومِن ذلك قولُه[3] :

كشَفَتْ ثلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعْرِها فى ليلةٍ فأرَتْ ليالىَ أرْبَعَا
واسْتَقْبَلَتْ قمرَ السماءِ بوجْهِها فأرَتْنىَ القمرَيْن فى وقتٍ معَا

ومِن ذلك قولُه[4] :

ما نال أهلُ الجاهليةِ كلُّهم شِعْرى ولا سمِعَت بسِحْرىَ بابِلُ
وإذا أتَتْك مَذَمَّتى مِن ناقِصٍ فهى الشَّهادةُ لى بأنىَ فاضلُ[5]
مَن لى بفَهْمِ أُهَيْلِ عصرٍ يَدَّعِى أن يَحْسُبَ الهِنْدِىَّ منهم[6] باقِلُ

ومِن ذلك قولُه[7] :

ومِن نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أن يَرَى عدُوًّا له ما مِن صَداقتِه بُدُّ

وقولُه[8] :

---

(١) فى الديوان : « دونها » .
(٢) فى الأصل ، ص : « له » . والمثبت موافق لما فى الديوان .
(٣) ديوان المتنبى ص ١٠٧، ١٠٨.
(٤) ديوان المتنبى ص ١٦٦، وورد البيتان الأول والثانى فى المنتظم ١٤/ ١٦٨.
(٥) فى ب ، م : « كاملٌ » . وهو موافق لإحدى نسخ الديوان .
(٦) فى الديوان : « فيهم » .
(٧) الديوان ص ١٨٤.
(٨) الديوان ص ٢٤٩، والمنتظم ١٤/ ١٦٨.

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا تعِبَت فى مُرادِها الأجْسامُ

وقولُه[1] :

ومَن صحِب الدنيا طَويلًا تقَلَّبَت على عينِه حتى[2] يرَى صدقَها كِذْبَا

وله أيضًا[3] :

خُذْ ما تَراه ودَعْ شيئًا سمِعْتَ به فى طَلْعةِ الشمسِ ما يُغْنِيك عن زُحَلِ

وله فى مَدْحِ بعضِ المُلوكِ الذين كانوا يُستمنحُ منهم العطاءُ[4] :

[٦٨/٩ظ] تَمْضِى المَواكبُ[5] والأبْصارُ شاخصةٌ[6] منها إلى المِلِكِ المَيْمونِ طائرُهُ

قد حِزْنَ فى بَشَرٍ فى تاجِه قمر فى دِرْعِه أسدٌ تَدْمَى أظافِرُهُ

حُلْوٍ خَلائقُه شُوسٍ حقائقُه يُحْصَى الحصَى قبلَ أن تُحْصَى مآثِرُهُ

ومنها قولُه[7] :

يا مَن أَلوذُ به فيما أُؤَمِّلُه ومَن أَعوذُ به مما أُحاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ الناسُ عظمًا أنتَ كاسِرُه ولا يَهِيضون عظمًا أنتَ جابِرُهُ

وقد بلَغَنى عن شيخِنا العَلَّامةِ أبى العباسِ أحمدَ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، أنه

---

(١) الديوان ص ٣١٨.

(٢) سقط من : ب ، م .

(٣) الديوان ص ٣٣٠.

(٤) المصدر السابق ص ٣٧. والبيتان الأول والأخير فى المنتظم ١٤/ ١٦٧.

(٥) فى النسخ : « الكواكب » . والمثبت من الديوان ، وهو ما يقتضيه المعنى . انظر شرح الديوان ١/ ١٥٥ لأبى العلاء المعرى ، و٢/ ١١٩ لأبى البقاء العكبرى .

(٦) فى الديوان : « خاشعة » .

(٧) الديوان ص ٣٨، ٣٩.

كان يُنْكِرُ على الـمُتَنَبِّى هذه المُبالغةَ[1] ويقولُ : إنما يَصْلُحُ هذا لجَنابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

وأخْبَرنى العَلَّامةُ شَمْسُ الدِّينِ بنُ القَيِّم ، رحِمه اللَّهُ ، أنه سمِع الشيخَ[2] يقولُ : ربما قلتُ هذين البيتَيْن فى السجودِ[3] .

ومما أوْرَده الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عَساكرَ من شعرِ المتنبِّى فى تَرْجَمتِه قولُه[4] :

(5) وبِعَيْنِ (5) مُفْتَقِرٍ إليكَ رأَيْتَنى (6) فهجَرتَنى ونزلتَ بى (6) مِن حالقِ[7]

لستَ المَلومَ أنا الملومُ لأننى أنْزَلْتُ حاجاتِى[8] بغيرِ الخالقِ

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[9] : وهذان البيتان ليسا فى دِيوانِه ، وقد عزاهما الحافظُ الكِنْدىُّ إليه بسندٍ صحيحٍ .

ومِن ذلك قولُه[10] :

إذا غامرتَ[11] فى شرفٍ مَرومٍ فلا تَقْنَعْ بما دونَ النجومِ

---

(١) بعده فى ب ، م : « فى مخلوق » .

(٢) بعده فى ب ، م : « تقى الدين المذكور » .

(٣) بعده فى ب ، م : « أدعو اللَّه بما تضمناه من الذلِّ والخضوع » .

(٤) البيتان ليسا فى مختصر تاريخ دمشق ولا ديوانه ، وهما فى وفيات الأعيان ١/ ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٠٤.

(٥ - ٥) فى ب ، م : « أبعين » وهو لفظ رواية وفيات الأعيان .

(٦ - ٦) فى ب ، م ، ووفيات الأعيان : « فأهنتنى وقذفتنى » ، وفى تاريخ الإسلام : « فهجرتنى ورميت بى » .

(٧) الحالق : المكان المرتفع المُنيفُ . الوسيط (ح ل ق) .

(٨) فى ب ، م : « آمالى » . وهو لفظ رواية وفيات الأعيان .

(٩) وفيات الأعيان ١/ ١٢١.

(١٠) الديوان ص ٢١٦.

(١١) فى ب ، م : « ما كنت » . والمثبت موافق لما فى الديوان .

فطَعْمُ الموتِ فى أمْرٍ حَقيرٍ كطَعْمِ الموتِ فى أمْرٍ عظيمِ

ومِن ذلك قولُه[1] :

وما أنا بالباغى على الحُبِّ رِشْوةً [2]قَبيحٌ هَوًى يُرْجَى عليه ثَوابُ[2]

إذا نِلْتُ منك الوُدَّ فالمالُ[3] هَيِّنٌ وكلُّ الذى فوقَ الترابِ تُرابُ

وقد تقدَّم أنه وُلِد بالكوفةِ سنةَ ستٍّ وثلاثِمائةٍ ، وأنه قُتِل فى رمضانَ سنةَ أربعٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وقد فارَق سيفَ الدولةِ بنَ حَمْدانَ سنةَ [5]ستٍّ وأربعين[5] لما كان مِن ابنِ خالَوَيْهِ ما كان مِن ضَرْبِه إياه بمِفْتاحٍ فى وجهِه فأدْماه ، فصار إلى مصرَ ، فامْتَدَح كافورًا الإخْشِيدىَّ وأقام عندَه أربعَ سنينَ ، وكان المُتَنَبِّى يَرْكَبُ فى جَماعةٍ مِن مَماليكِه ، فتَوَهَّم منه كافورٌ فَجْأةً[6] ، فخاف منه المُتَنَبِّى فهرَب ، فأرْسَل فى إثرِه فأعْجَزه ، فقيل لكافورٍ : ما قيمةُ هذا حتى تَتوهَّمَ منه ؟ فقال : هذا رجلٌ أراد أن يكونَ نَبِيًّا بعدَ محمدٍ ﷺ ، أفلا يَرومُ أن يكونَ مَلِكًا بديارِ مصرَ[7] ؟

ثم صار المُتَنَبِّى إلى عَضُدِ الدولةِ ، فامْتَدَحه فأعْطاه مالًا كثيرًا ، ثم رجَع مِن عندِه ، فعرَض له فاتكُ بنُ أبى الجَهْلِ الأسَدىُّ ، فقتَله وابنَه محسَّدًا وغلامَه

---

(١) الديوان ص ٤٨١، ٤٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٠٣.

(٢ - ٢) فى الديوان : « ضعيفٌ هوًى يبغى عليه ثوابُ » .

(٣) فى ب ، م : « فالكل » .

(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٢٢، ١٢٣.

(٥ - ٥) فى ب ، م : « أربع وخمسين » .

(٦) فى الأصل : « فجفاه » .

(٧) بعده فى ب ، م : « والملك أقل وأذل من النبوة » .

مُفْلِحًا يومَ الأرْبعاءِ لستٍّ بَقِين مِن رمضانَ ، وقيل : لليلتَيْن [٩/٦٩و] . [1] بقيتا مِن رمضانَ . وقيل : يوم الاثنين لثمانٍ - وقيل : لخمسٍ - بقين منه . وذلك [1] بسَوادِ بغدادَ .

وقد رثاه الشُّعراءُ ، وقد شرَح دِيوانَه العُلَماءُ بالشعرِ واللُّغةِ نحوًا مِن ستين شرحًا وَجيزًا وبَسيطًا .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ أيضًا : أبو حاتمٍ البُسْتىُّ بنُ حِبَّانَ صاحبُ الصَّحيحِ .

محمدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أحمدَ بنِ حِبَّانَ بنِ مُعاذِ بنِ مَعْبَدٍ ، أبو حاتمٍ البُسْتىُّ [2] صاحبُ « الأنْواعِ والتَّقاسيمِ » ، وأحدُ الحُفَّاظِ الكبارِ المُصَنِّفين المُجْتَهِدين ، رحَل إلى البُلْدانِ ، وسمِع الكثيرَ مِن المَشايخِ ، ثم ولِى قَضاءَ بلدِه ، ومات بها فى هذه السنةِ ، وقد حاوَل بعضُهم الكَلامَ فيه مِن جهةِ مُعْتَقَدِه ، ونسَبَه إلى القولِ بأنَّ النُّبوةَ مُكْتَسَبةٌ ، وهى نَزْغةٌ فَلْسَفِيَّةٌ . واللَّهُ أعلمُ بصحتِها عنه . وقد ذكَرْتُه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » .

محمدُ بنُ الحسنِ [3] **بنِ يعقوبَ بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ بنِ مِقْسَمٍ ، أبو بكرٍ ابنُ مِقْسَمٍ** العطَّارُ المُقْرِئُ ، وُلِد سنةَ خمسٍ [4] وستين [4] ومائتَيْن ، وسمِع الكثيرَ مِن

(١ - ١) سقط من : م . وفى ب : « بقيتا من رمضان » .

(٢) الأنساب ١/ ٣٤٨، ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١١٢، ولسان الميزان ٥/ ١١٢، والوافى بالوفيات ٢/ ٣١٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ١٣١.

(٣) فى الأصل : « الحسين » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٦، والمنتظم ١٤/ ١٧٠، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١١٤، ولسان الميزان ٥/ ١٣٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٣٧.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

المشايخِ ، وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان مِن أعْرَفِ الناسِ بالقِراءاتِ ، وله كِتابٌ فى النحوِ على طريقةِ الكوفيِّين ، سمَّاه كتابَ « الأنوارِ » .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : ما رأيْتُ مثلَه ، وله تَصانيفُ أخرى ، ولكن تكَلَّم الناسُ فيه بسببِ تَفَرُّدِه بقِراءاتٍ لا تَجوزُ عندَ الجَميعِ ، وكان يَذْهَبُ إلى أنَّ كلَّ ما لا يُخالِفُ الرَّسْمَ ويَسوغُ مِن حيث المَعْنى [2]واللفظُ تصحُّ القراءةُ به[2] كقولِه تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨٠] أى يَتَناجَوْن . قال : لو قُرِئَ نَجِيبًا ، مِن النَّجابةِ لكان قويًّا . وقد ادُّعِى عليه ، وكُتِب عليه مَكْتوبٌ أنه قد رجَع عن مثلِ ذلك ، ومع هذا لم يَنْتَهِ عما كان يَذْهَبُ إليه حتى مات . قاله ابنُ الجَوْزىِّ .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ بنِ عَبْدُوَيْهِ[3] بنِ موسى ، أبو بكرٍ الشافعىُّ[4] ، وُلِد بجَبُّلَ[5] سنةَ ستين ومائتين ، وسمِع الكثيرَ ، وسكَن بغدادَ ، وكان ثقةً ثَبتًا كثيرَ الرِّوايةِ ، سمِع منه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه مِن الحفَّاظِ ، وكان يُحَدِّثُ بفَضائلِ الصحابةِ حينَ مَنَعَت الدَّيلمُ مِن ذلك جَهْرةً فى الجامعِ بمدينةِ المنصورِ مُخالفةً لهم ، وكذلك فى مسجدِه ببابِ الشامِ . وتُوُفِّى فى هذه السنةِ عن أربعٍ وتسعين[6] سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى بمنِّه وكرمِه .

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٧٠.

(٢ - ٢) فى ب ، م : « تجوز » .

(٣) فى ب ، م ، ص : « عبد ربه » . وانظر مصادر ترجمته الآتية .

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٤٥٦، والمنتظم ١٤/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠)، ص ١١٥ ، والعبر ٢/ ٣٠١، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤٧.

(٥) فى ب ، م : « بحبلان » . وجَبُّل : بليدة بين النعمانية وواسط فى الجانب الشرقى . معجم البلدان ٢/ ٢٣.

(٦) فى الأصل : « سبعين » . وانظر مصادر ترجمته .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ

فى عاشرِ المحُرَّمِ[1] عمِلَت الرَّوافِضُ ببغدادَ بِدْعتَهم الشَّنْعاءَ وفتنتَهم الصَّلْعاءَ .

وفيها [2]أخَذَتِ القَرامِطةُ الهَجَرِيُّون عُمَانَ[2] .

وفيها قصَدَتِ الرومُ آمِدَ فحاصَروها ، فلم يَقْدِروا عليها ، ولكن قتَلوا مِن أهلِها ثلاثَمائةٍ وأسَروا منهم أربعَمائةٍ ، ثم ساروا إلى نَصِيبِينَ وفيها سيفُ الدولةِ ، فهمَّ بالهربِ مع العربِ ، ثم تأخَّر مجِيءُ الرومِ ، فثبَت مكانَه ، وقد كادوا يُزِيلون أركانَه .

وفيها ورَدَت طائفةٌ مِن جيشِ خُراسانَ فى بِضْعةَ عشَرَ ألفًا ، يُظْهِرون أنهم يُرِيدون غَزْوَ الرومِ ، فأكْرَمهم رُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ ، وأمِنوا إليهم ، فنهَضوا إليهم ، ليَأْخُذوا الدَّيْلَمَ على غِرَّةٍ ، فقاتَلَهم رُكْنُ الدولةِ ، فظفِر بهم - لأنَّ البَغْىَ مَصْرَعَةٌ[3] - [٩/٦٩ظ] وهرَب أكثرُهم .

وفيها خرَج مُعِزُّ الدولةِ مِن بغدادَ إلى واسِطٍ لِقتالِ عِمْرانَ بنِ شاهِينَ حينَ تفاقَم الحالُ بأمرِه ، واشْتَهَر فى تلك النَّواحِى صِيتُ ذِكْرِه ، فقوِى المرضُ بمُعِزِّ الدولةِ ، فاستَناب على الحربِ ، ورجَع إلى بغدادَ ، فكانت وفاتُه فى السنةِ الآتيةِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ١٧٤، ١٧٥، والكامل ٨/٥٦٧ - ٥٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢١ - ٢٥، ٣٥، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٠٤ - ٤٠٦.

(٢ - ٢) فى ب ، م : «أجلى القرامطة الهجريين من عمان» .

(٣) فى ب : «له مصرع» . وفى م : «له مصرع وخيم» .

كما سنَذْكُرُه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وفيها قوِى أمْرُ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ الداعى ببلادِ الدَّيْلَمِ ، وأظهَر النُّسُكَ والعبادةَ ، ولبِس الصوفَ ، وكتَب إلى الآفاقِ - حتى إلى بغدادَ - يَدْعُو إلى الجِهادِ .

وفيها تَمَّ الفداءُ بينَ سيفِ الدولةِ وبينَ الرومِ ، فاسْتَنْقَذ منهم أُسارَى كثيرةً ، منهم ابنُ عمِّه أبو فِراسِ بنُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ ، وأبو الهَيْثَمِ بنُ [1]حصنٍ القاضى[1] ، وذلك فى رجبٍ منها .

وفى جُمادَى الآخِرةِ نُودِىَ برَفْعِ المواريثِ الحَشْرِيَّةِ[2] ، وأن تُرَدَّ إلى ذوى الأرحامِ .

وفيها ابْتَدَأ مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ فى بناءِ مارَسْتانٍ ، وأرْصَد له أوقافًا جَزيلةً .

وفيها قطَعَت بنو سُلَيمٍ السابلةَ على الحَجيجِ مِن أهلِ الشامِ ومصرَ والمغربِ ، وأخَذوا منهم عشرين ألفَ بعيرٍ بأحمالِها ، وكان عليها مِن الأموالِ والأمتِعةِ ما لا يُقَوَّمُ كَثْرةً ، وكان لرجلٍ يقالُ له : ابنُ الخَواتِيمىِّ . قاضى طَرَسُوسَ ، مائةُ ألفِ دينارٍ وعشرون ألفَ دينارٍ عيْنًا ، وذلك أنه أراد التَّحَوُّلَ مِن بلادِ الشامِ إلى العراقِ بعدَ الحجِّ ، وكذلك وَقَع لكثيرٍ مِن الناسِ ، وحينَ أُخِذَتِ الجِمالُ ترَكوهم على بردِ الدِّيارِ لا شىءَ لهم ، فقلَّ منهم مَن سلِم ، وما أكْثَرَ مَن عطِب ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الشريفُ أبو أحمدَ نَقِيبُ الطالبِيِّين مِن ناحيةِ العراقِ .

(١ - ١) فى المنتظم : « أبى حصين بن القاضى » ، وفى الكامل : « القاضى أبى الحصين » . ولم تذكره بقية المصادر .

(٢) المواريث الحشرية : هى مال مَن يموت وليس له وارث خاص ؛ بقرابة أو نكاح أو ولاء ، أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصبَ له . صبح الأعشى ٣/٤٦٠ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسنُ بنُ داودَ بنِ علىِّ بنِ عيسى بنِ محمدِ بنِ القاسمِ بنِ الحسنِ بنِ زيدِ ابنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ العَلَوىُّ الحَسَنىُّ[1] . قال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابورىُّ[2] : كان شيخَ آلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى عصرِه بخُراسانَ ، وسيدَ العَلَوِيَّةِ فى زمانِه ، وكان مِن أكثرِ الناسِ صَلاةً وصَدَقةً ومَحَبَّةً للصحابةِ ، وصَحِبْتُه مدةً ، فما سَمِعْتُه ذكَر عثمانَ إلا قال : الشَّهيدُ . وبَكَى ، وما سمِعْتُه ذكَر عائشةَ إلا قال : الصِّدِّيقةُ بنتُ الصِّدِّيقِ ، حَبيبةُ حبيبِ اللَّهِ . وبَكَى .

وقد سمِع الحديثَ مِن ابنِ خُزَيْمةَ وطَبَقتِه ، وكان آباؤُه بخُراسانَ وفى سائرِ بلدانِهم ساداتٍ نُجَباءَ ، حيث كانوا مِن آلِ بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، منهم ، لهم دانَتْ رِقابُ بنى مَعَدٍّ .

محمدُ بنُ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ يَحْيَى بنِ حَسَّانَ بنِ الوَضَّاحِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأنْبارىُّ[3] ، الشاعرُ المَعْروفُ بالوَضَّاحىِّ ، كان يَذْكُرُ أنه سمِع الحديثَ مِن المَحامِلىِّ وابنِ مَخْلَدٍ وأبى رَوْقٍ ، وروَى عنه الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ شيئًا مِن شعرِه ، وكان أشْعَرَ مَن فى وقتِه .

ومِن شعرِه :

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٦، والمنتظم ١٤/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٢٢، والوافى بالوفيات ١٢/٣٦٥ وفيه وفى المنتظم أن اسم المترجم له «الحسين»، وفرق بينهما الخطيب البغدادى فأورد ترجمة الحسين فى ٨/٤٥ من تاريخه.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٢٢.

(٣) يتيمة الدهر ٤/ ٣٨٢، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٤١، والأنساب ٥/ ٦٠٨، والمنتظم ١٤/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٢٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٥. وقد وقع فى سير أعلام النبلاء: «محمد بن الحسن».

سقَى اللَّهُ بابَ الكَرْخِ رَبْعًا ومنزلًا ومَن حَلَّه صَوْبَ السَّحابِ المُجَلْجِلِ[1]
فلو أن باكى دِمْنَةِ الدارِ[2] باللِّوَى وجارتِها أُمِّ الرَّبابِ بمَأْسَلِ[3]
رَأَى عَرَصاتِ الكَرْخِ أو حَلَّ أرْضَها لأَمْسَكَ عن ذِكْرِ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ[4]

[٩/٧٠و] **أبو بكرِ بنُ الجِعابىِّ**[5] **: محمدُ بنُ عمرَ**[6] **بنِ محمدِ**[6] **بنِ سَلْمِ**[7] **ابنِ البَراءِ بنِ سَبْرةَ بنِ سَيَّارٍ ، أبو بكرِ بنُ الجِعابىِّ** ، قاضى المَوْصِلِ ، وُلِد فى صفرٍ سنةَ أربعٍ وثمانين ومائتين ، سمِع الكثيرَ ، وتخرَّج بأبى العَبَّاسِ بنِ عُقْدةَ ، وأخَذ عنه علمَ الحديثِ وشيئًا مِن التَّشَيُّعِ أيضًا ، وكان حافظًا مُكْثِرًا مُطَبِّقًا ، يُقالُ[8] : إنه كان يَحْفَظُ أربعَمائةِ ألفِ حديثٍ بأسانيدِها ومُتونِها ، ويُذاكِرُ بستِّمائةِ ألفِ حديثٍ ، ويَحْفَظُ مِن المَراسِيلِ والمَقاطِيعِ والحكاياتِ قريبًا مِن ذلك ، ويَحْفَظُ أسماءَ الرجالِ وجَرْحَهم وتَعْديلَهم وأوْقاتَ وَفَياتِهم ومَذاهبَهم ، حتى تقَدَّم على أهلِ زمانِه ، وفاق سائرَ أقْرانِه .

وكان يَجْلِسُ للإمْلاءِ فيَزْدَحِمُ الناسُ عندَ منزلِه ، وإنما كان يُمْلِى مِن حِفْظِه

---

(١) فى ب ، م : « المجلل » . والمجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . والصوب : المطر . انظر اللسان (ص و ب) ، (ج ل ل) .
(٢) دمنة الدار : أثرُها . انظر اللسان (د م ن) .
(٣) مأسل : اسم جبل . تاج العروس (أ س ل) .
(٤) الدخول وحومل : موضعان . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٥٩.
(٥) تاريخ بغداد ٣/ ٢٦، وتاريخ دمشق ١٥/ ٧٧٧ مخطوط ، والأنساب ٢/ ٦٥، والمنتظم ١٤/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٨٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٢٦.
(٦ - ٦) سقط من النسخ والمنتظم . والمثبت من سائر مصادر الترجمة .
(٧) فى تاريخ بغداد والمنتظم : « سالم » ، وفى تاريخ دمشق : « سلام » ، وفى تاريخ الإسلام : « مسلم » .
(٨) تاريخ بغداد ٣/ ٢٨، والمنتظم ١٤/ ١٧٩، ١٨٠.

إسنادَ الحديثِ ومَتْنَه مُحَرَّرًا جيدًا صَحيحًا . وقد نُسِب إلى التَّشَيُّعِ كأُسْتاذِه ابنِ عُقْدةَ ، وكان يسْكُنُ بابَ البَصْرةِ عندَهم .

وقد سُئِل الدارَقُطْنيُّ عنه فقال[1] : خلَّط .

وقال أبو بكرٍ البَرْقانيُّ[2] : كان صاحبَ غَرائِبَ ، ومَذْهَبُه مَعْروفٌ فى التَّشَيُّعِ . وقد حُكِى عنه قِلَّةُ دِينٍ وشُرْبُ خمرٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

ولَمَّا احْتُضِرَ أوْصَى أن تُحْرَقَ كتبُه فحُرِقت ، وحُرِق معها كتبُ كثيرٍ مِن الناسِ كانت عنده . فبِئْس ما عمِل . وحين أُخْرِج بجِنازتِه كانت سُكَينةُ نائحةُ الرافضةِ تَنوحُ عليه فى جِنازتِه .

ترجمةُ النِّقْفورِ ملكِ الأَرْمَنِ ، واسمُه الدُّمُسْتُقُ[3]

[4]الذى تُوُفِّى فى سنةِ ثنتين[5] - وقيل : ستٍّ - وخمسين وثلاثِمائةٍ . لا رحِمه اللَّهُ[4] .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣١، والمنتظم ١٤/ ١٨٠.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٣٠، والمنتظم ١٤/ ١٨٠.

(٣) قال ابن الأثير فى الكامل ٨/ ٦٠٦، ٦٠٧ عن النقفور هذا : « ولم يكن من أهل بيت المملكة ، وإنما كان دمستقًا ، والدمستق عندهم الذى كان يلى بلاد الروم التى هى شرقى خليج القسطنطينية ، وكان كل من يليها يُلقَّب بالدمستق » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) بعده فى ب ، م : « وقيل خمس » . وإنما جاءت ترجمته فى الأصل ، ب عقب أحداث سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وجاءت فى م ، ص عقب أحداث سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة . فالمتسق هنا عدم إثباتها . وقد ذكر مقتل النقفور سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فى المنتظم ١٤/ ٢٠١، والكامل =

كان هذا الملّعونُ مِن أغْلَظِ المُلوكِ قلبًا، وأشَدِّهم كُفْرًا، وأقْواهم بأسًا، وأَحَدِّهم شَوْكةً، وأكثرِهم قِتالًا للمسلمين فى زمانِه، اسْتَحْوَذ فى أيامِه، لعَنه اللَّهُ، على كثيرٍ مِن السَّواحلِ، أو أكثرِها، وانْتَزَعَها مِن أيدى المسلمين قَسْرًا، واسْتَمَرَّت فى يدِه قَهْرًا، وأُضِيفَت إلى مَمْلكةِ الرومِ قَدَرًا، وذلك لتقْصيرِ أهلِ ذلك الزمانِ، وظُهورِ البِدَعِ الشَّنيعةِ (١فيهم وكثرة العِصْيانِ١) .

وقد وردَ حَلَبَ فى مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ بَغْتةً فى سنةِ إحدى وخمسين(٢)، وجال فيها جَوْلةً، ففرَّ مِن بينِ يديه صاحبُها سيفُ الدولةِ، ففتَحها اللَّعينُ عَنْوةً، وقتَل مِن أهلِها مِن الرجالِ والنِّساءِ ما لا يَعْلَمُه إلا اللَّهُ، وخرَّب دارَ سيفِ الدولةِ التى كانتْ ظاهرَ حَلَبَ، وأخَذ أمْوالَها وحَواصلَها وعُدَدَها، وبدَّد شَمْلَها، وفرَّق عِدَدَها، واسْتَفْحَل أمْرُ الملّعونِ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. وبالَغ فى الاجْتِهادِ فى قِتالِ الإسلامِ وأهلِه، وجَدَّ فى التَّشْمِيرِ، فالحكمُ للَّهِ العلىِّ الكبيرِ.

وقد كان، لعَنه اللَّهُ، لا يَدْخُلُ فى بلْدةٍ إلا قتَل المُقاتِلةَ وبَقيةَ الرجالِ، وسبَى النِّساءَ والأطْفالَ، وجعَل جامِعَها إصْطَبْلًا لخُيولِه، وكسَر مِنْبرَها، وأسكت مؤذِّنيها بخيلِه ورَجِلِه وطُبولِه. ولم يَزَلْ ذلك مِن دَأْبِه ودَيدَنِه حتى سلَّط اللَّهُ عليه

= ٨/ ٦٠٦، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١١١، ونهاية الأرب ٢٣/ ١٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٥، والعبر ٢/ ٣١٣. وأورده فى المنتظم أيضا فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. ولم نجده فى هذه المصادر مذكورًا، لا فى سنة خمس وخمسين، ولا فى سنة ست وخمسين.

(١ - ١) فى ب، م: «فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد، مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلة إلا فى خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة. فاللَّه المستعان».

(٢) المنتظم ١٤/ ١٤٠، ١٤١، والكامل ٨/ ٥٤٠ - ٥٤٢، وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٥٣.

زوْجتَه ، فقتَلَتْه بجَوارِيها فى وسَطِ مَسْكنِه ، وأراح اللَّهُ منه الإسْلامَ وأهلَه ، وأزاح عنهم قَتامَ ذلك الغَمامِ ، ومزَّق شَمْلَه ، فللهِ النِّعْمةُ والإفْضالُ ، [٩/٧٠ظ] وله الحمدُ على كلِّ حالٍ .

واتَّفَق فى سنةِ وفاتِه موتُ صاحبِ القُسْطَنْطِينيَّةِ ، فتكامَلَتِ المَسَرَّاتُ وحصلتِ الأُمْنِيَّةُ ، فالحمدُ للَّهِ الذى بنِعْمتِه تَتِمُّ الصالحاتُ وتَذْهَبُ السَّيِّئاتُ ، وبرحمتِه تُغْفَرُ الزَّلَّاتُ .

(١ والمقصودُ أن هذا اللَّعينَ - أعْنِى النِّقْفورَ المُلَقَّبَ بالدُّمُسْتُقِ ملكَ الأرْمَنِ - كان قد أرْسَل قَصيدةً ١) إلى الخليفةِ المُطِيعِ للَّهِ ، نظَمها له بعضُ كُتَّابِه ممَّن كان قد خذَله اللَّهُ وأذَلَّه ، وختَم على سمعِه وقلبِه ، وجعَل على بصرِه غِشاوةً ، وصرَفه عن الإسْلامِ (٢ وأصْلِه ، يَفْتَخِرُ ٢) فيها لهذا اللَّعينِ ، ويَتَعَرَّضُ لسبِّ الإسلامِ والمسلمين ، ويَتَوَعَّدُ فيها أهلَ حَوْزةِ الإسْلامِ بأنه سَيَمْلِكُها كلَّها حتى الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن ، عما قريبٍ مِن الأعْوامِ ، وهو أقلُّ وأذَلُّ وأخَسُّ وأضَلُّ مِن الأنْعامِ ، ويَزْعُمُ أنه يَنْتَصِرُ لدينِ المسيحِ ، عليه السلامُ ، ابنِ البَتولِ . وربما يُعَرِّضُ فيها بجَنابِ الرسولِ ، عليه مِن ربِّه التحيةُ والإكْرامُ ودوامُ الصَّلاةِ مدَى الأيامِ ، ولم يَبْلُغْنى عن أحدٍ مِن أهلِ ذلك العصرِ أنه ردَّ عليه جَوابَه ، ربما أنَّها لم تَشْتَهِرْ ، أو أنهم رأَوا أنه

(١ - ١) فى ب : « والخطيئات . وهذا من حول اللَّه وقوته وبفضله على ضعفاء المسلمين ، وتحقيقًا لما أعطى محمدًا خاتم النبيين من سؤاله لربه أن لا يُسلّط على أمته عدوًّا من غيرهم فيستبيح بيضتهم ، فإن هذا اللعين كان من عزمه أن يملك الأرض كلها ، ويجعل أهلها نصارى ، ويطفئ الإسلام ويَظهر الشرك ، كما ذكره فى قصيدته التى أرسلها » .

(٢ - ٢) كذا بالنسخ ، ولعله : « وأهله ينتصر » .

أقلُّ مِن أن يَرُدُّوا خِطابَه[1] ؛ لأنه كالمُعاندِ الجاحدِ ، ونَفَسُ ناظمِها يَدُلُّ على أنه شيطانٌ ماردٌ . وقد انْتَخَى للجَوابِ عنها فيما بعدَ ذلك أبو محمدِ بنُ حَزْمٍ الظاهريُّ ، فأفاد وأجاد ، وأجاب عن كلِّ فَصْلٍ باطلٍ بالصوابِ والسَّداد ، فبَلَّ اللَّهُ بالرَّحمةِ ثَراه ، وجعَل الجنةَ مُنْقَلَبَه ومَثْواه .

وها أنا أَذْكُرُ القَصيدةَ الأَرْمَنيةَ المَخْذولةَ المَلْعونةَ ، وأُتْبِعُها بالفَريدةِ الإسْلاميةِ المنصورةِ المَيْمونةِ .

قال المُرْتَدُّ الكافرُ الأَرْمَنيُّ على لسانِ مَلِكِه - لعَنهما اللَّهُ وأهلَ مِلَّتِهم أجْمَعين أكْتَعِين أبْتَعِين أبْصَعِين ، آمينَ يا ربَّ العالمين . ومِن خَطِّ ابنِ عَساكرَ كتَبْتُها ، وقد نقَلوها مِن كتابِ « صلةِ الصِّلَةِ » للفَرْغانيِّ[2] -:

مِن الملكِ الطُّهْرِ المَسِيحيِّ مالكٍ ... إلى خلَفِ الأَمْلاكِ مِن آلِ هاشمِ
إلى الملكِ الفَضْلِ المُطِيعِ أخي العُلَا ... ومَن يُرْتَجَى للمُعْضِلاتِ العَظائمِ
أمَا سمِعَتْ أُذْناك ما أنا صانعٌ ... بلَى فدهاك الوَهْنُ عن فعلِ حازمِ

---

(١) كذا قال المصنف - رحمه اللَّه تعالى - وكأنه لم يبلغه ما ذكره السبكى فى طبقات الشافعية ٣/ ٢٠٩ - ٢١٣- أثناء ترجمته لمحمد بن على بن إسماعيل القَفَّال الكبير الشَّاشِىّ المولود سنة إحدى وتسعين ومائتين ، والمتوفى سنة خمس وستين وثلاثمائة . على ما صوبه السبكى - من أن القفال الشاشى ردَّ على هذه القصيدة بقصيدة من نظمه تبلغ أربعا وسبعين بيتا ، أولها :

أتانى مقالٌ لامرئٍ غير عالمٍ ... بطرق مجارى القول عند التخاصم

وذكر السبكى فى هذه القصة التى ساقها بسنده ٣/٢٠٥ أنه بعد وصول جواب الشيخ القفال إليهم اجتمع أحبارهم على عبد الملك بن محمد الشاعر - الذى انتهى إليه إسناد السبكى - يسألون عن الشيخ القفال ويتعجبون من قصيدته .

(٢) ذكر السبكى القصيدة فى طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٠٥ - ٢٠٩ فى سياق القصة التى ذكرها بإسناده ، والتى ذكرناها فى الحاشية السابقة . وعلى هذا ، فمعتمدنا على رواية القصيدة التى ذكرها السبكى ، والتى تختلف اختلافات يسيرة لا داعى لذكرها عن رواية صلة الصلة .

فإن تَكُ عما قد تقلَّدْتَ نائمًا ... فإنِّىَ عما همَّنى غيرُ نائمِ
ثُغورُكمُ لم يبْقَ فيها لِوَهْنِكم ... وضَعْفِكُمُ إلا رُسومُ المَعالمِ
فتَحْنا الثُّغورَ الأرْمَنيةَ كلَّها ... بفِتْيانِ صِدْقٍ كاللُّيوثِ الضَّراغِمِ
ونحن جلَبْنا الخيلَ تَعْلُكُ لُجُمَها ... ويَبْلُغُ منها قَضْمُها للشكائمِ
[٩/٧١و] إلى كلِّ ثَغْرٍ بالجَزيرةِ آهِلٍ ... إلى جندِ قِنَّسْرِينِكمْ فالعواصمِ
مَلَطْيَةَ معَ سْمَيْساطَ مِن بعدِ كَرْكَرٍ ... وفى البحرِ أضْعافُ الفُتوحِ التَّواخِمِ
وبالحَدَثِ الحمراءِ جالَت عَساكِرى ... وكَيْسومَ بعد الجعْفَرِىِّ المعالمِ[1]
وكم قد ذلَلْنا مِن أعِزَّةِ أهلِها ... فصاروا لنا مِن بينِ عبدٍ وخادمِ
وسدٍّ سروجٍ إذ خَرَبْنا بجَمْعِنا ... لِمَذَنةٍ[2] تَعْلُو على كلِّ قائمِ
وأهلُ الرُّهَا لاذُوا بنا وتحزَّموا[3] ... بمِنْديلِ مولًى جَلَّ عن وَصْفِ آدَمِ
وصَبَّحَ رأسَ العَينِ[4] مِنَّا بَطارِقٌ ... ببيضٍ غَذَوْناها[5] بضربِ الجَماجِمِ
ودارَا ومَيَّافارِقِين وأرزنا ... [6]صَبَحْناهُمُ بالخيلِ مثلِ الضَّراغِمِ[7][6]
وأَقْرِيطِشٌ[8] جرت إليها مَراكِبى ... على ظهرِ بحرٍ مُزْبِدٍ مُتَلاطِمِ

---

(١) كيسوم: قرية مستطيلة من أعمال سميساط. والجعفرى: اسم قصر بناه أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة. انظر معجم البلدان ٢/ ٨٦، ٤/ ٣٣٣.

(٢) فى ب، م: «لنا رتبة».

(٣) فى م: «تحزبوا».

(٤) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنَيْسر. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٣١.

(٥) فى الأصل، ب: «غدوناها». وفى م: «غزوناها».

(٦ - ٦) فى ب، م: «أذقناهم بالخيل طعم العلاقم».

(٧) فى الأصل، ص: «الملاغم». والمثبت من مصدر التخريج. والملاغم: هى ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه. والملاغم من كل شىء: الفم والأنف والأشداق. انظر اللسان (ل غ م).

(٨) أقريطش: بفتح الهمز، وتكسر: اسم جزيرة فى بحر المغرب. معجم البلدان ١/ ٣٣٦.

فحُزْتُهمُ أَسْرَى وسِيقَت نِساؤُهم ... ذواتُ الشُّعورِ المُسْبَلاتِ الفواحِمِ[1]

هناك فتَحْنا عينَ زَرْبةَ عَنْوةً ... نَعمْ وأبَدْنا كلَّ طاغٍ وظالمِ

إلى حَلَبٍ حتى اسْتَبَحْنا حَريمَها ... وهدَّم منها سُورَها كلُّ هادمِ

[2]أخَذْنا النِّسا ثم البَناتِ نَسُوقُهم ... وصِبْيانَهم مثلَ المَماليكِ خادمِ[2]

وقد فرَّ عنها سيفُ دولةِ دينِكم ... وناصرُها منا على رَغْمِ راغمِ

ومِلْنا على طَرْسوسَ مَيْلةَ هائلٍ[3] ... أذَقْنا لمن فيها لِحَزِّ الحَلاقمِ

فكم ذاتِ عِزٍّ حُرَّةٍ عَلَويةٍ ... مُنَعَّمةِ الأطْرافِ رَيَّا المَعاصمِ

سبَيْنا فسُقْنا خاضِعاتٍ حَواسِرًا ... بغيرِ مُهورٍ لا ولا حُكْمِ حاكمِ

وكم مِن قَتِيلٍ قد ترَكْنا مُجَدَّلًا[4] ... يَصُبُّ دمًا بينَ اللَّهَا واللَّهازِمِ[5]

وكم وَقْعةٍ فى الدَّرْبِ أفْنَت كُماتَكم ... وسُقْناهمُ قَسْرًا كسَوْقِ البَهائمِ

ومِلْنا على أرْتاحِكم[6] وحَريمُها ... مُدَوَّخةٌ تحتَ العَجاجِ السَّواهمِ

فأهْوَت أعاليها وبُدِّل رسمُها ... مِن الأُنْسِ وَحْشًا بعدَ بِيضٍ نَواعِمِ

إذا صاح فيها البُومُ جاوَبه الصَّدَى ... وأَتْبَعه فى الرَّبْعِ نَوْحُ الحَمائمِ

وأنْطاكُ لم تَبْعُدْ علىَّ وإننى ... سأَفْتَحُها يومًا بهَتْكِ المَحارِمِ

ومَسْكَنُ آبائى دمشقُ فإننى ... سأَرْجِعُ فيها مُلْكَنا تحتَ خاتَمى

---

(١) فى ب، م: «النواعم».

(٢ - ٢) زيادة من: ب، م.

(٣) فى ب، م: «حازم».

(٤) فى م: «مجندلا».

(٥) اللَّها: جمع لهاةٍ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق. وقيل: هى ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم. واللهازم: أصول الحَنَكَيْنِ؛ جمع لِهْزِمَة. واللهزمتان قيل: هما عظمان ناتِئَانِ فى اللَّحْيَيْنِ تحت الأذنين. اللسان (ل هـ و)، (لهزم).

(٦) فى ب: «أزواجكم». وأرتاح: حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب. معجم البلدان ١/ ١٩٠.

ومصرٌ سأفْتَحُها بسيفىَ عَنْوةً وآخُذُ أمْوالًا بها لبَهائمى
وأَجْزِىَ كافورًا بما يَسْتَحِقُّه بمُشْطٍ ومِقْراضٍ ومصٍّ مَحاجِمِ
[٩/٧١ظ] ألا شَمِّروا يا أهلَ حرّانَ شَمِّروا أتَتْكمْ جُيوشُ الرومِ مثلَ الغَمائمِ
فإن تَهْرُبوا تَنْجُوْا كِرامًا وتَسْلَموا مِن المَلِكِ الضّارى[1] بقتلِ المُسالِمِ
هناك[2] نَصِيبينٌ ومَوْصِلُها إلى جَزيرةِ آبائى ومُلْكِ الأقادمِ
سأَفْتَحُ سامَرًّا وكُوثَى وعُكْبَرًا وتَكْرِيتَها معْ [3]مارِدِين العَواصِمِ[3]
وأَقْتُلُ أهْليها الرِّجالَ بأسْرِهمْ وأَغْنَمُ أمْوالًا بها لكتايمِ[4]
ألا شَمِّروا يا أهلَ بغداد ويْلَكمْ فكلُّكمُ مُسْتَضْعَفٌ غيرُ رائمِ
رضِيتمْ بحُكْمِ الدَّيْلَمىِّ خليفةً فصِرْتُم عَبيدًا للعبيدِ الدَّيالمِ
ويا قاطِنى الرَّمْلاتِ ويْلَكمُ ارْجِعوا إلى أرضِ صَنْعاءَ وأرضِ التَّهائِمِ
وعُودوا إلى أرضِ الحِجازِ أَذِلَّةً وخَلُّوا بلادَ الرُّومِ أهلِ المَكارِمِ
سأُلْقى جُيُوشى نحوَ بغدادَ سائرًا إلى بابِ طاقٍ حيث دارُ القُماقِمِ[5]
وأُحْرِقُ أعْلاها وأَهْدِمُ سُورَها [6]وأَسْبِى ذَرارِيها على رَغْمِ راغمِ
وأُحْرِزُ أمْوالًا بها وأَسِرَّةً[6] وأَقْتُلُ مَن فيها بسيفِ النَّقائمِ
وأَسْرِى بجَيْشى نحوَ الأَهْوازِ مُسْرِعًا لإحرازِ دِيباجٍ وخَزٍّ السَّواسِمِ

---

(١) فى م : « الصادى » .
(٢) فى ب ، م : « كذاك » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « جبل والنظائم » .
(٤) فى ب ، م : « وحرائم » .
(٥) القُماقم من الرجال : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل . اللسان (ق م م) .
(٦ - ٦) سقط من : ص .

وأُشْعِلُها نهبًا وأُخْرِبْ قُصورَها ... وأَسْبِى ذَرارِيها كفعلِ الأقادمِ
ومنها إلى شِيرازَ والرَّىِّ فاعْلَموا ... خُراسانُ قَصْدى[1] والجُيوشُ لخادمِ[2]
إلى شـاسِ بلخٍ بعدَها وَخَواتِها ... وفَرْغانةٍ مع مَرْوِها والمَخازِمِ
فسابورُ أُخرِبُها وأَهْدِمُ حِصنَها ... وأُورِدُها يومًا كيومِ المسارمِ
[3]إلى السوسِ[4] أقصاها أُدمِّرُ[5] مُلْكَها ... إلى أصبهانَ الأرضِ شرقَ الأعاجمِ[3]
وكَرْمانُ لا أَنسَى سجِسْتانَ كلَّها ... وكابُلَها الثانى[6] ومُلكَ الأعاجمِ
[7]من المشرقِ الأقْصَى إلى المغربِ انْثَنى ... إلى قيروانَ الأرضِ عُرْبِ الكَتائمِ[7]
أَسِيرُ بجُنْدى نحوَ بَصْرتِها التى ... لها بحرُ عاجٍ رائعٍ مُتلازِمِ
إلى واسِطٍ وسْطَ العراقِ وكوفةٍ ... بما كان يومًا جَدُّنا ذو العَزائمِ
وأُسرِعُ منها نحوَ مكةَ سائرًا ... أَجُرُّ جُيوشًا كالليالى السَّواجِمِ
فأَمْلِكُها دَهْرًا عَزيزًا مُسلَّمًا ... أُقِيمُ بها للحَقِّ كرسىَّ عالمِ
وأحْوِىَ نجدًا كلَّها وتِهامَها ... وسرْواتِها من مَذْحِجٍ وقَحاطمِ
[٧٢/٩و] وأَغْزُو يَمانًا كلَّها وزَبيدَها ... وصَنْعاءَها معْ صَعْدةٍ والتهائمِ[8]
[9]إلى حَضْرَمَوْتٍ سَهْلِها وجبالِها ... إلى هَجَرٍ أحسائِها والتَّهائِمِ[9]

---

(١) فى النسخ : « قصرى » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٢) فى ب ، م : « بحارم » .
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤) السوس : بلدة بخوزستان . معجم البلدان ١٨٨/٣ .
(٥) فى ص : « أدبر » .
(٦) فى م : « النائى » .
(٧ - ٧) سقط من : ب ، م .
(٨) فى الأصل : « اللعائم » .
(٩ - ٩) سقط من : م .

فأتْرُكُها أيضًا يبابًا بَلاقِعًا ... خلاءً مِنَ الأَهْلِين أرْضَ نَعائمِ
وأحوِىَ أمْوالَ اليمانين كلَّها ... وما جمَع القِرْماطُ يومَ محارمِ
أَعُودُ إلى القُدْسِ التى شَرُفَت لنا ... بعزٍّ مَكينٍ ثابتِ الأصلِ قائمِ
وأَغْلُو سَريرى للسُّجودِ (١) فيَشْتَفِى ... ملوكُ بنى حوّا بحَمْلِ الدراهمِ (١)
هنالِك تَخْلُو الأرضُ مِن كلِّ مسلمٍ ... لكلِّ نقىٍّ (٢) الدِّينِ أغلفَ ناعمِ
نُصِرْنا عليكم حينَ جار وُلاتُكمْ ... وأعْلَنْتُمُ بالمُنْكَراتِ العَظائمِ
قُضاتُكُمُ باعوا القَضاءَ بدِينِهم ... كبيعِ ابنِ يَعْقوبٍ ببَخْسِ الدَّراهمِ
عُدُولُكمُ بالزُّورِ يَشْهَدُ (٣) كلُّهم ... وبالبِرِّ (٣) والبِرْطِيلِ (٤) معْ كلِّ قائِمِ
سأَفْتَحُ أرضَ اللَّهِ شرقًا ومغربًا ... وأَنْشُرُ (٥) دِينَ الصَّلْبِ نَشْرَ العَمائِمِ (٥)(٦)
فعيسى علا فوقَ السَّمواتِ عَرْشُه ... ففاز الذى والاه يومَ الخَصائِمِ
وصاحبُكم فى التُّرْبِ أوْدَى به الثَّرَى ... فصار رُفاتًا بينَ تلك الرَّمائمِ
تَناولْتُمُ أصحابَه بعدَ موتِه ... بسبٍّ وقَذْفٍ وانْتِهاكِ محارِمِ

هذا آخِرُها، لعَن اللَّهُ ناظمَها وأسْكَنه النارَ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢]، يومَ يَدْعو ناظِمُها ثُبورا، ويَصْلَى سَعِيرا، ويباشرُ ذلًا طويلا، ﴿يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ

(١ - ١) فى ب، م: «معظما وتبقى ملوك الأرض مثل الخوارم».
(٢) فى الأصل، ب: «تقى».
(٣ - ٣) فى ب، م: «ظاهر وبالإفك».
(٤) البرطيل: الرشوة. الوسيط (برطل).
(٥ - ٥) فى ب، م: «دينا للصليب بصارمى».
(٦) فى الأصل: «الغمايم».

أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1] .

وهذا جوابُها لأبى محمدِ بنِ حَزْمٍ الفَقيهِ الظاهرىِّ الأَنْدَلُسىِّ ، قالها ارْتِجَالًا حينَ بلَغَتْه هذه المَلْعُونةُ ؛ غَضَبًا للَّهِ ولرسولِه ، كما شاهَدَه مَن رآه ، فرحِمه اللَّهُ وأَكْرَم مَثْواه ، وغَفَر له زَلَلَه وخَطاياه[2] :

مِن المُحْتَمِى باللَّهِ ربِّ العَوالِمِ ... ودِينِ رسولِ اللَّهِ مِن آلِ هاشمِ
محمدٍ الهادى إلى اللَّهِ بالتُّقَى ... وبالرُّشْدِ والإسْلامِ أفضلِ قائمِ
عليه مِن اللَّهِ السلامُ مُرَدَّدًا ... إلى أن يُوافِى البعثَ كلُّ العَوالِمِ
[٧٢/٩ظ] إلى قائلٍ بالإفْكِ جَهْلًا وضِلَّةً ... عن النِّقفورِ المُفْتَرِى فى الأعاجمِ
دعَوْتَ إمامًا ليس مِن أمرِ آلِه ... بِكَفَّيْه إلا كالرُّسومِ الطَّواسِمِ
دهَتْه الدَّواهى فى خِلافتِه كما ... دهَتْ قبلَه الأمْلاكَ دُهْمُ الدَّواهمِ
ولا عَجَبٌ مِن نَكْبةٍ أو مُلِمَّةٍ ... تُصِيبُ الكَريمَ الحُرَّ وابنَ الأكارمِ
ولو أنه فى حالِ ماضى جُدودِه ... لَجَرَّعْتُمُ منه سُمومَ[3] الأراقِمِ
عسى عَطْفةٌ للَّهِ فى أهلِ دينِه ... تُجَدِّدُ منهم دارِساتِ المَعالِمِ
فَخَرْتُمْ بما لو كان [4]فَهْمٌ يُرِيكمُ[4] ... [5]حقائقَ حكمِ[5] اللَّهِ أحْكَمِ حاكمِ
إذَنْ لعَرَتْكمْ خَجْلةٌ عندَ ذِكْرِه ... وأُخْرِس منكم كلُّ فاهٍ مُخاصِمِ

---

(١) بعده فى ب ، م : « إن كان مات كافرًا » .

(٢) انظر القصيدة فى طبقات الشافعية للسبكى ٢١٤/٣ - ٢٢٢ .

(٣) فى الأصل ، ص : « سمام » . وفى ب : « سهام » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « برتكم حقائق » . وفى ب ، م : « فيكم حقيقة » . وفى ص : « فيهم برتكم » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « لكان بفضل » .

سلَبْناكُمُ كَرًّا فَفُزْتُم بغِرَّةٍ[1] مِن الكَرِّ أفعالَ الضِّعافِ العَزائمِ
فَطِرْتُمْ سُرورًا عند ذاكَ ونَخْوةً[2] كفِعْلِ المَهِينِ النَّاقِصِ المُتَعَاظِمِ[3]
وما ذاك إلا فى تَضاعِيفِ غَفْلةٍ عَرَتْنا وصَرْفُ الدهرِ جَمُّ المَلاحِمِ
ولما تنازَعْنا الأُمورَ تَخاذُلًا ودالتْ[4] لأهلِ الجهلِ دَوْلةُ ظالمِ
وقد شغَلَت فينا الخَلائفَ فِتْنةٌ لعُبْدانِهم مِن تُرْكِهمْ والدَّيالمِ
بكُفْرِ أَيادِيهمْ وجَحْدِ حُقوقِهم بمَن رفَعوه مِن حَضيضِ البَهائمِ
وثَبْتُم على أَطْرافِنا عندَ ذاكمُ وُثوبَ لُصوصٍ عندَ غَفْلةِ نائمِ
ألم نَنْتَزِعْ منكم بأيدٍ وقُوةٍ جميعَ بلادِ الشامِ ضَرْبةَ لازمِ
ومِصْرَ وأرضَ القَيْرَوانِ بأسْرِها وأَنْدَلُسًا قَسْرًا بضَرْبِ الجَماجِمِ
ألم تنتصِفْ منكمْ على ضعفِ حالِها صِقِلِّيَّةٌ فى بحرِها المُتلاطِمِ
[5]أحلَّتْ بقُسْطَنْطِينَةٍ كلَّ نَكْبةٍ وسامتْكمُ سُوءَ العذابِ المُلازمِ[5]
مَشاهدُ تقْدِيساتِكم وبُيوتُها لنا وبأيدينا على رَغْمِ راغِمِ
أمَا بيتُ لَحْمٍ والقُمامَةُ بعدَها بأيْدِى رجالِ المسلمين الأعاظمِ
[6]وكُرسِيُّكُمْ[6] فى أرضِ إِسْكَنْدَرِيَّةٍ وكُرْسِيُّكم فى القُدْسِ فى أُورَشالِمِ[7]

---

(١) فى الأصل ، ص : « بيرة » .
(٢) فى م : « نشوة » .
(٣) فى ب ، م : « المتعالم » .
(٤) فى الأصل ، ب ، م : « دانت » . وفى ص : « زالت » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « وسر كيسكم » .
(٧) أُورِيشَلِم : بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة ، ويروى بالفتح ، وميم ؛ وهو اسم للبيت المقدس بالعبرانية ، إلا أنهم يُسكِّنون فيقولون : أُورِيشَلْم . معجم البلدان ١/٤٠٢ .

ضمَمْناهُمُ قَسْرًا برَغْمِ أُنوفِكم ... (١) كما ضمَّتِ الساقَينِ سُودُ الأداهمِ (١)

(٢) وكُرسيٌّ أنْطاكِيَّةٍ كان بُرهَةً ... ودهرًا بأيْدينا بذُلِّ الملاغمِ

فليس سِوى كُرسِيِّ رُومةَ فيكمُ ... وكُرسيّ قُسْطَنْطِينةٍ فى المقادِمِ (٣)(٢)

[٩/٧٣و] ولا بدَّ مِن عَوْدِ الجَميعِ بأسْرِه ... إلينا بعِزٍّ قاهِرٍ مُتَعاظِمِ

أليس يَزِيدٌ حَلَّ وسْطَ دِيارِكمْ ... على بابِ قُسْطَنْطِينةٍ بالصَّوارمِ

ومَسْلَمةٌ قد داسها بعدَ ذاكُمُ ... بجيشٍ (٤) لُهامٍ كاللُّيوثِ الضَّراغِمِ (٤)

وأخْدَمَكمْ بالذُّلِّ مَسْجدَنا الذى ... بُنى فيكمُ فى عَصْرِه المُتَقادِمِ

إلى جنبِ قَصْرِ المُلْكِ مِن دارِ مُلْكِكُمْ ... ألا هذه حقًّا صَريمةُ صارِمِ

وأدَّى لهارونَ الرَّشيدِ مَلِيكُكم ... إتاوةَ مَغْلوبٍ وجِزْيةَ غارِمِ

سلَبْناكمُ (٥) مَسْرَى شُهورًا (٥) بقُوَّةٍ ... حبانًا بها الرحمنُ أرْحَمُ راحمِ

إلى بيتِ يَعْقوبٍ وأرْيافِ دُومةٍ ... إلى لُجَّةِ البَحْرِ (٦) البعيدِ المَحارِمِ (٦)

فهل سِرْتُمُ فى أرْضِنا قطُّ جُمْعةً ... أبَى اللَّهُ ذاكمْ يا بَقايا الهَزائمِ

فما لكمُ إلا الأمانىُّ وحدَها ... بَضائعَ نَوْكَى (٧) تلك أحْلامُ نائمِ

رُوَيْدًا يَعُدْ نحوَ الخِلافةِ نُورُها ... ويُسفرُ مُغْبَرٌّ (٨) الوُجوهِ السواهمِ (٨)

(١ - ١) فى ب : « وكرسى قسطنطينية فى المعاوم » . وفى م : « وكرسى قسطنطينية فى المعادم » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى الأصل : « المعاوم » ، وفى ص : « المقاوم » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤ - ٤) فى ب : « تهام كالدوى الضراغم » . وفى م : « تهام قد روى بالضراغم » .

(٥ - ٥) فى م : « مصرا شهود » .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « المحيط المحاوم » .

(٧) النوكى : جمع أنْوَك ، وهو الأحمق . انظر المحيط (ن و ك) .

(٨ - ٨) فى ب : « الوجوه الهواشم » ، وفى م : « وجوه الهواشم » .

وحينَئذٍ تَدْرُونَ كيف فِرارُكمْ ... إذا صَدَمَتكُم خيلُ جيشٍ مُصادِمِ
على سالفِ العاداتِ مِنَّا ومنْكمُ ... ليالىَ أنتم فى عِدادِ الغَنائمِ
سُبِيتُم سَبايا يَحْصَرُ العَدُّ دونَها ... وسبْيُكمُ فينا كقَطْرِ الغَمائمِ
فلو رام خَلْقٌ عَدَّها رام مُعْجِزًا ... وأَنَّى بتَعْدادٍ لرِيشِ الحَمائمِ
بأَبناءِ حَمْدانَ وكافورَ صُلْتُمُ ... أَراذِلَ أنْجاسٍ قِصارِ المَعاصِمِ
دَعِيٌّ وحَجَّامٌ سطَوْتُم عليهما ... وما قَدْرُ مَصَّاصٍ دِماءَ المَحاجِمِ
فهَلَّا على دِمْيَانةٍ[1] قبلَ ذاك أو ... على [2]مَحَلٍ أربا رُماةُ الضَّراغمِ[2][3]
ليالىَ قادوكم كما [4]اقتاد جازِرٌ ... حلائبَ أتْياسٍ لِحَزٍّ[4] الحَلاقِمِ
وساقوا على رِسْلٍ بناتِ مُلوكِكم ... سَبايا كما سِيقَت ظِباءُ الصَّرائمِ
ولكن سَلُوا عنا هِرَقْلًا ومَن خَلا ... لكم مِن مُلوكٍ مُكْرَمِين قُماقِمِ
يُخَبِّرْكمُ عنا [5]المُتَوَّجُ مِنكمُ ... وقَيْصَرُكُمْ عن سَبْيِنا للكَرائمِ[5]
وعمَّا فتَحْنا مِن مَنيعِ بلادِكم ... وعمّا أَقَمْنا فيكمُ مِن مآتمِ
ودَعْ كلَّ نَذْلٍ مُفْتَرٍ لا تَعُدَّه ... إمامًا ولا [6]مِن مُحكَماتِ الدَّعائمِ[6]
فهيهاتَ سامرّا وتَكْرِيتُ منكمُ ... إلى جبلٍ تِلْكُمْ أمانىُّ هائمِ
متى يَتَمنّاها الضَّعيفُ ودُونَها ... تَطايُرُ هاماتٍ وحَزُّ الغَلاصمِ[7]

---

(١) دميانة : إقليم من أقاليم أكشونة بالأندلس . معجم البلدان ٦٠٦/٢ .
(٢ - ٢) فى الأصل : « ثمل أو يا زمان الضراغم » . وفى ب : « نمل أربا رماد الضراغم » . وفى ص : « على ثمل أو يا زماز الضراغم » .
(٣) هذا البيت زيادة من النسخ ليست فى مصدر التخريج .
(٤ - ٤) فى ب ، م : « اقتادكم أقيال جرجان بحز » .
(٥ - ٥) فى ب ، م : « التنوخ وقيصر وكم قد سبينا من نساء كرائم » .
(٦ - ٦) فى ب ، م : « الدعوى له بالتقادم » .
(٧) الغلاصم : جمع غَلْصَمة وهى اللحم بين الرأس والعنق ، أو العُجْرَة - أى العقدة - على ملتقى =

(١) ومن دونِ بغدادٍ سيوفٌ حَديدةٌ (١) مَسيرةَ شهرٍ للفنيقِ (٢) القَواصمِ
مَحَلَّةُ أهلِ الزُّهْدِ والخيرِ والتُّقَى ومَنْزِلةٌ مُحْتَلُّها (٣) كلُّ عالمِ
دعُوا الرَّمْلةَ الصَّهْباءَ عنكم فدونها مِن المسلمين الصِّيدِ كلُّ مُقاوِمِ
ودون دمشقٍ جمعُ جيشٍ كأنه سحائبُ طيرٍ تَنْتَحِى بالقوادمِ
وضَرْبٌ يُلَقِّى الكُفْرَ كلَّ مَذَلَّةٍ كما ضَرَبَ السِّكِّيُّ بِيضَ الدراهمِ
ومِن دُونِ أكْنافِ الحجازِ جَحافِلٌ كقطْرِ الغُيوثِ الهاملاتِ السَّواجِمِ
بها مِن بنى عَدْنانَ كلُّ سَمَيْدَعٍ (٤) ومِن حَىِّ قحطانٍ كرامُ العمائمِ
وأموالُكمْ حِلٌّ لهم ودماؤُكُمْ بها يُشْتَفَى حَرُّ النفوسِ الحوائمِ (٥)
(٦) ولو قد لَقِيتُمْ مِن قُضاعَةَ كُبَّةً لَقِيتُمْ ضِرامًا فى يَبِيسِ الهشائمِ (٦)
إذا صَبَّحُوكمْ ذَكَّروكُمْ بما خَلا لَهُمْ مَعكُمْ مِن مأزقٍ مُتلاحِمِ
زمانَ يقودُونَ الصّوافِنَ نَحْوَكمْ فجِئْتُمْ ضَمانًا أنَّكمْ فى المَغانمِ
سَيأتِيكُمُ منهمْ قريبًا عَصائِبٌ تُنَسِّيكُمُ تَذْكارَ أخْذِ العَواصِمِ
وأرضُكُمُ حقًّا سَيقْتسِمُونَها كما فَعَلوا دَهْرًا بعَدْلِ المُقاسمِ
ولو طَرَقتْكمْ مِن خُراسانَ عُصْبَةٌ وشِيرازَ والرَّىِّ القِلاعِ القَوائمِ
لمَا كان منكُمْ عنْد ذلك غيرُ ما عهِدْنا لكمْ ذُلٌّ وعَضُّ الأَباهِمِ

= اللَّهاة والمرىء ، أو رأس الحلقوم بشواربه وحَزْقَدَته - أى عُقْدة الحنجرة - أو أصل اللسان . انظر المحيط (غلصم) .

(١ - ١) فى ب : « تردون بغداد سوق حديدة » . وفى م : « تريدون بغداد سوقا جديدة » .

(٢) الفَنِيق : الفحل من الإبل . انظر الوسيط (ف ن ق) .

(٣) فى ب ، م : « يختارها » .

(٤) السميدع : الكريم السَّيِّد الجميل المُوَطَّأ الأكناف ، وقيل : هو الشجاع . اللسان (سمدع) .

(٥) الحوائم : من الحَوْم وهو العطش . انظر الوسيط (ح و م) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ب .

فقد طالَ ما زارُوكُمُ فى ديارِكُمْ ... مَسِيرةَ عامٍ بالخيولِ الصَّلادِمِ
وأما سِجِسْتانٌ وكَرْمانُ والأُلَى ... بكابُلَ حَلُّوا فى بِلادِ البَرَاهِمِ
وفى فارسٍ والسُّوسِ جَمْعٌ عَرَمْرَمٌ ... وفى أَصْبَهانٍ كلُّ أَرْوَعَ عازِمِ
فلو قد أتاكمْ جمعُهمْ لغدَوْتُمُ ... فَرائِسَ (١لِلْآسادِ مِثْلَ١) البَهائمِ
وبالبصْرةِ الزَّهْراءِ والكُوفةِ التى ... سمَتْ وبأدنى واسِطٍ كالكَظائِمِ
جمُوعٌ تُسامِى الرَّمْلَ جَمٌّ عَدِيدُها ... فما أحدٌ (٢يَنْوِى لِقاهمْ٢) بسالمِ
ومِن دونِ بيتِ اللَّهِ فى مكةَ التى ... حَباها بمَجْدٍ للثُّرَيَّا مُزاحِمِ
مَحَلٌّ جميعِ الأرضِ منها تَيقُّنًا ... مَحَلَّةُ سُفْلِ الخُفِّ مِن فَصِّ خاتَمِ
دِفاعٌ مِن الرحمنِ عنها بحقِّها ... فما هوَ عنها كَرَّ طِرْفٍ(٣) برَائمِ
[٧٤/٩و] بها دفَع الأُحْبوشَ عنها وقَبْلهُمْ ... بحَصْباءِ طَيْرٍ فى ذُرَا الجَوِّ حائمِ
وجمعٍ كموجِ(٤) البحرِ ماضٍ عَرَمْرَمٍ ... حَمَى سُرَّةَ البَطْحاءِ ذاتِ المَحارِمِ
ومِن دونِ قبرِ المُصْطَفَى وسْطَ طَيْبةٍ ... جموعٌ كَمُسْوَدٍّ مِن اللَّيلِ فاحِمِ
يَقُودُهمُ جيشُ المَلائكةِ العُلَا ... كِفاحًا ودَفْعًا عن مُصَلٍّ وصائمِ
فلو قد لَقيناكمْ لعُدْتُمْ رَمائمًا ... بمَن فى أعالى نَجْدِنا والتَّهائمِ
وباليَمَنِ المَمْنوعِ فِتْيانُ غارَةٍ ... إذا ما لقُوكمْ كنتمُ كالمَطاعِمِ
وفى حِلَّتَىْ أرضِ اليَمامةِ عُصْبَةٌ ... مَغاوِرُ أنجادٍ طِوالُ البَراجِمِ
ستُفْنِيكُمُ والقِرْمِطِيِّين دولةٌ ... تَعُودُ لميمونِ النَّقيبَةِ حازمِ

(١ - ١) فى النسخ : « كالآساد فوق » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « تنويه منها » . وفى ب ، م : « عادوه منه » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٣) الطرف : الكريم من الخيل . المحيط (ط ر ف) .
(٤) فى النسخ : « كجمع » . والمثبت من مصدر التخريج .

خليفةُ حقٍّ يَنْصُرُ الدينَ حكمُه ... ولا يَتَّقى فى اللَّهِ لَوْمةَ لائم
إلى ولدِ العباسِ تُنْمَى جُدودُه ... بفخرٍ عَميمٍ (١أو لزُهْرِ العَباشِمِ١)
ملوكٌ جرَى بالنصرِ طائرُ سَعْدِهم ... فأهْلًا بماضٍ منهمُ وبقادمِ
مَحِلَّتُهم فى مسجدِ القدسِ أو لَدَى ... مَنازِلِ بغدادٍ مَحَلُّ المكارِمِ
وإن كان مِن عُلْيا عَدِيٍّ وتَيْمِها ... ومِن أسَدِ أهلِ الصَّلاحِ الحَضارِمِ
(٢فأهْلًا وسَهلًا ثم نُعْمَى ومرحبًا ... بهمْ مِن خيارٍ سالِفِينَ أقادِمِ٢)
هُمُ نصَروا الإسلامَ نصْرًا مُؤَزَّرًا ... وهم فتَحوا البُلْدانَ فَتْحَ المُراغِمِ
رُوَيْدًا فوعْدُ اللَّهِ بالصدقِ وارِدٌ ... بتَجْريعِ أهلِ الكفرِ طَعْمَ العَلاقِمِ
سنَفْتَحُ قُسْطَنْطِينةً وذَواتِها ... ونَجْعَلُكم قوتَ النُّسورِ القشاعمِ
ونمِلكُ أقصى أرضِكُم وبلادِكُم ... ونُلْزِمُكم ذُلَّ الجِزَى والمَغارِمِ
ونَفْتَحُ أرضَ الصِّينِ والهِنْدِ عَنْوةً ... بجيشٍ لأرضِ الترْكِ والخَزْرِ حاطِمِ
مَواعِيدُ للرحمنِ فينا صَحيحةٌ ... وليْسَت كأمثالِ العُقولِ السَّقائمِ
إلى أن يُرَى الإسلامُ قد عَمَّ حُكْمُهُ ... جميعَ البلادِ بالجيوشِ الصوارمِ
أَتَقْرِنُ يا مَخْذولُ دِينَ مُثَلِّثٍ ... بعيدًا عنِ المَعْقُولِ بَادِى المآثِمِ
تَدِينُ لمخلوقٍ يَدينُ عبادهُ(٣) ... فيالك سُحْقًا ليس يَخْفى لكاتِمِ
أناجِيلُكم مصنوعةٌ بِتَكاذُبٍ(٤) ... كلامِ الأُلَى فيها أتَوْا بالعظائِمِ

(١ - ١) فى ب ، م : « مزبد الموج فاعم » .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣) فى ب ، م : « لغيره » .
(٤) فى الأصل : « متأكذب » . وفى ص : « متكاذب » . وفى ب ، م : « قد تشابهت » . والمثبت من مصدر التخريج .

وَعُودُ صليبٍ ما تزالونَ سُجَّدًا ... له يا عقولَ الهامِلاتِ السَّوائمِ

[٩/٧٤ظ] تدِينون تَضْلالًا بصَلْبِ إلهِكم ... بأيْدِى يهودٍ أرْذَلينَ ألائِمِ

إلى مِلَّةِ الإسلامِ توحيدِ ربِّنا ... فما دينُ ذى دينٍ لنا[1] بمُقاوِمِ

وصِدْقِ رسالاتِ الذى جاءَ بالهُدَى ... محمدٍ الآتِى بِدَفْعِ المَظالِمِ

وأذْعنَتِ الأملاكُ طَوْعًا لدينِه ... بِبُرْهانِ صِدْقٍ ظاهرٍ فى المَواسمِ

كما دَانَ فى صَنْعاءَ مالكُ دولةٍ ... وأهلُ عُمانٍ حيثُ رَهْطُ الجَهاضِمِ[2]

وسائرُ أمْلاكِ اليمانِينَ أسْلَموا ... ومِن بلدِ البحْرَينِ قَوْمُ اللَّهازِمِ

أجابُوا لِدينِ اللَّهِ دُون مخافةٍ ... ولا رَغْبةٍ تَحْظَى بها كَفُّ عادِمِ

فحلُّوا عُرَى التِّيجانِ طوْعًا ورَغْبةً ... بحقٍّ يقينٍ بالبراهينِ ناجِمِ

وحاباهُ بالنَّصْرِ المكينِ إلهُهُ ... وصيَّرَ مَن عاداهُ تحتَ المَناسِمِ

فقيرٌ وحيدٌ لم تُعِنْهُ عشِيرَةٌ ... ولا دَفعوا عنْهُ شَتِيمةَ شاتِمِ

ولا عندَهُ مالٌ عَتِيدٌ لناصرٍ ... ولا دَفْعِ مَرْهُوبٍ ولا لِمُسالِمِ

ولا وَعَدَ الأنصارَ مالًا يَخُصُّهُمْ ... بلى كان مَعْصُومًا لأقْدَرِ عاصمِ

فلم تَمْتَهِنْهُ قطُّ قوةُ آسرٍ ... ولا مُكِّنَتْ من جِسْمِهِ يَدُ لاطِمِ

كما يفترِى إفْكًا وزورًا وضِلَّةً ... على وجْهِ عيسى منكُمُ كلُّ آثِمِ[3]

على أنَّكُمْ قد قلتمُ هو ربُّكُمْ ... فيا لَضَلالٍ فى الحماقةِ عائمِ

أبَى اللَّهُ أن يُدْعَى له ابنٌ وصاحِبٌ ... ستَلْقَى دُعاةُ الكفرِ حالةَ نادِمِ

---

(١) فى النسخ : « لها » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) الجهاضم : جمع جهضم وهو الضخم الهامة المستدير الوجه والرحب الجانبين الواسع الصدر . انظر القاموس المحيط (جهضم) .

(٣) فى النسخ : « لاطم » . والمثبت من مصدر التخريج .

ولكنَّهُ عبدٌ نبيٌّ مُكَرَّمٌ ... من الناسِ مخلوقٌ ولا قولَ زاعمِ
أَيُلْطَمُ وجهُ الرَّبِّ تَبًّا لِنَوْكِكم ... لقد فُقْتُمُ فى ظُلْمِكُمْ كلَّ ظالمِ
وكم آيةٍ أبْدَى النبيُّ محمدٌ ... وكمْ عَلَمٍ أبداهُ للشِّرْكِ حاطمِ
تساوَى جميعُ الناسِ فى نصْرِ حقِّهِ ... فلِلْكُلِّ فى إعظامِهِ حالُ خادِمِ
فَعُرْبٌ وأُحْبُوشٌ وفُرْسٌ وبَرْبَرٌ ... وكُرْدِيُّهمْ قد فازَ قِدْحُ المَراحِمِ
وقِبْطٌ وأنْباطٌ وخَزْرٌ ودَيْلَمٌ ... ورُومٌ رَمَوْكُمْ دونَه بالقواصِمِ
أبَوا كُفْرَ أسْلافٍ لهمْ فتحنَّفوا ... فآبُوا بحظٍّ فى السعادةِ جائمِ
بهِ دخَلُوا فى مِلَّةِ الحقِّ كُلُّهمْ ... ودانُوا لأحْكامِ الإلهِ اللَّوازِمِ
به صحَّ تَفْسيرُ المنامِ الذى أتَى ... به دَانِيالٌ قَبْلَهُ خَتْمِ خاتمِ
وسِنْدٌ وهِنْدٌ أسْلَموا وتدَيَّنوا ... بدينِ الهُدَى فى رَفْضِ دينِ الأعاجِمِ
[٩/ ٧٥و] وشَقَّ لنا بدرَ السمواتِ آيةً ... وأشْبَعَ مِن صاعٍ له كلَّ طاعِمِ
وسالتْ عيونُ الماءِ فى وَسْطِ كفِّه ... فأرْوَى به جَيْشًا كثيرَ الهَمَاهِمِ[1]
وجاءَ بما تقْضِى العقولُ بصِدْقِهِ ... ولا كدَعاوٍ غيرِ ذاتِ قوائمِ
عليه سلامُ اللَّهِ ما ذرَّ شارِقٌ ... تَعاقَبَهُ ظلماءُ أسْحَمَ قاتمِ
براهينُهُ كالشَّمسِ لا مثلُ قولِكُمْ ... وتَخْلِيطِكمْ فى جَوْهَرٍ وأقانمِ
لنا كلُّ عِلمٍ من قديمٍ ومُحدَثٍ ... وأنتمْ حَمِيرٌ داميَاتُ المحازِمِ
أتيتمْ بشِعْرٍ باردٍ مُتخاذِلٍ ... ضعيفِ معانى النَّظْمِ جَمِّ البَلاغِمِ
فدونكَها كالعِقْدِ فيه زُمُرُّدٌ ... ودُرٌّ وياقوتٌ بإحكامِ حاكِمِ

---

(١) فى مصدر التخريج : « القماقم » . والهماهم : صوت من أصوات الرعد . انظر الوسيط (هـ م م) .

ثم دخلت سنةُ ستٍّ وخمسين وثلاثمائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] والخَليفةُ المُطِيعُ للَّهِ ، والسلطانُ مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمىُّ .

وعمِلَت الرَّوافِضُ فى يومِ عاشُوراءَ عَزاءَ الحسينِ ، على ما ابْتَدَعوه مِن النَّوْحِ .

ولَمَّا كان ثالثَ عشَرَ ربيعِ الأولِ من هذه السنةِ تُوُفِّى **مُعِزُّ الدَّوْلةِ أبو الحسنِ أحمدُ بنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِىُّ**[2] - الذى أظْهَر الرَّفْضَ ، ويُقالُ له : مُعِزُّ الدولةِ - بعِلَّةِ الذَّرَبِ ، فصار لا يَثْبُتُ فى مَعِدتِه شىءٌ بالكُلِّيةِ ، ولَمَّا أحَسَّ بالموتِ أظْهَر التَّوْبةَ ، وأناب إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وردَّ كثيرًا مِن المَظالِمِ ، وتصَدَّق بكثيرٍ مِن أموالِه ، وأعْتَق خَلْقًا كثيرًا مِن مَماليكِه ، وعهِد إلى ابنِه بَخْتِيارَ عِزِّ الدولةِ .

وقد اجْتَمَع ببعضِ العلُمَاءِ ، فكلَّمه فى السُّنَّةِ ، وأخْبَره أنَّ عليًّا زَوَّجَ ابنتَه أُمَّ كُلْثومٍ مِن عمرَ بنِ الخطابِ ، فقال : واللَّهِ ما سمِعْتُ بهذا قطُّ . ورجَع إلى السُّنَّةِ ومُتابَعَتِها ، ولَمَّا حضَر وقتُ الصلاةِ خرَج ذلك الرجلُ إلى الصلاةِ ، فقال له : أمَا

---

(١) المنتظم ١٨٢/١٤ ، والكامل ٥٧٥/٨ - ٥٨١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٧ - ٢٩ ، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٠٧ - ٤١٣ .

(٢) المنتظم ١٨٢/١٤ ، ووفيات الأعيان ١٧٤/١ ، والمختصر فى أخبار البشر ١٠٦/٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٩/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٣٦ ، والوافى بالوفيات ٢٧٨/٦ ، ومرآة الجنان ٣٥٨/٢ .

تُصَلِّى هـٰهنا ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : لأن دارَك مَغْصوبةٌ . فاسْتَحْسَن منه ذلك .

وكان مُعِزُّ الدولةِ حَليمًا كريمًا عاقلًا ، وكانت إحدى يديه مَقْطوعةً ، وهو أولُ مَن أحْدَثَ السُّعاةَ بينَ يَدَيِ الملوكِ ؛ ليَبْعَثَ بأخْبارِه إلى أخيه رُكْنِ الدولةِ إلى شِيرازَ سَريعًا ، وحظِى عندَه أهلُ هذه الصِّناعةِ ، (١) وتَعَلَّم أهلُ بغدادَ ذلك ، حتى كان بعضُهم يَجْرى فى اليومِ الواحدِ نَيِّفًا وأربعين فَرْسخًا (١) ، وكان فى البلدِ ساعِيان ماهران ، وهما فَضْلٌ ومَرْعوشٌ ، يَتَعَصَّبُ لهذا عَوامُّ أهلِ السُّنَّةِ ، ولهذا عَوامُّ أهلِ الشِّيعةِ ، وجرَت لهما مَناصِفُ (٢) ومَواقِفُ .

ولَمَّا مات مُعِزُّ الدولةِ دُفِن ببابِ التِّبْنِ فى مَقابرِ قريشٍ ، وجلَس ابنُه للعَزاءِ ، وأصاب الناسَ مَطَرٌ ثلاثةَ أيامٍ تِباعًا ، فبَعَث عِزُّ الدولةِ إلى رُءوسِ الدَّوْلةِ فى هذه الأيامِ بمالٍ جَزيلٍ ؛ لئلا تَجْتَمِعَ الدولةُ على مُخالفتِه قبلَ استحكامِ مُبايعتِه ، وهذا مِن عقلِه ودَهائِه .

وكان عمرُ مُعِزِّ الدولةِ ثلاثًا وخمسين سنةً ، ومدةُ وِلايتِه إحدى وعشرين سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا ويومين ، [٩/ ٧٥ظ] وكان قد نادَى فى أيامِه بردِّ المواريثِ إلى ذَوِى الأرحامِ قَبْلَ بيتِ المالِ .

وقد سمِع بعضُ الناسِ ليلةَ تُوُفِّى مُعِزُّ الدولةِ هاتفًا يَقولُ (٣) :

لما بلَغْتَ أبا الحُسَيْـ ـنِ مُرادَ نَفْسِك فى الطَّلَبْ

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) المَناصِفُ : جمع مَنْصَف ، كمَقْعَد : اختلاس الحقِّ بحيلةٍ . عامِّيَّةٌ . انظر تاج العروس (ن ص ف) .

(٣) انظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٠٧ ، والمنتظم ١٤/١٨٣ ، ووفيات الأعيان ١/١٧٦ .

وأمِنْتَ مِن حَدَثِ الليا لى واحْتَجَبْتَ عن النُّوَبْ
مُدَّتْ إليك يدُ الرَّدَى وأُخِذْتَ مِن (١ بيتِ الذَّهَبْ ١)

ولَمَّا مات مُعِزُّ الدَّوْلةِ قام بالأمْرِ بعدَه ولدُه عِزُّ الدولةِ ، فأقْبَل على اللهوِ واللَّعِبِ والاشتغالِ بأمرِ النساءِ ، فتَفَرَّق شَمْلُه ، واخْتَلَفَت الكلمةُ عليه ، وطمِع الأميرُ مَنْصورُ بنُ نُوحٍ السامانيُّ ، صاحبُ بلادِ خُراسانَ ، فى مُلْكِ بنى بُوَيْهِ ، وأرْسَل الجُيوشَ الكَثيفةَ صُحْبةَ الملكِ وُشْمَكِيرَ ، فلَمَّا علِم بذلك رُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ أرْسَل إلى ابنِه عَضُدِ الدولةِ وابنِ أخيه عِزِّ الدولةِ يسْتَنْجِدُهما ، فأرْسَلا إليه بجنودٍ كثيرةٍ ، فركِب فيها رُكْنُ الدولةِ ، وبعَث إليه وُشْمكيرُ يَتَهَدَّدُه ويَتَوَعَّدُه ، ويَقولُ : لَئِنْ قدَرْتُ عليك لأَفْعَلَنَّ بك ولأَفْعَلَنَّ . فكَتَب إليه رُكْنُ الدولةِ : لكنِّى إن قَدرْتُ عليك لأُحْسِنَنَّ إليك ولأَصْفَحَنَّ عنك . فكانت العاقبةُ لهذا ، فدفَع اللَّهُ عنه شرَّه ؛ وذلك أن وُشْمكيرَ ركِب فرسًا صَعْبةً فتَصَيَّد عليها ، فحمَل عليه خِنْزيرٌ ، فنَفَرَتِ الفرسُ ، فألقتْه على الأرضِ ، فخرج الدمُ مِن أذنيه ، فمات مِن ساعتِه ، وتفَرَّقَت العَساكرُ .

وبعَث ابنُ وُشْمَكِيرَ يَطلُبُ الأمانَ مِن رُكْنِ الدولةِ ، فأمَّنَه وأرْسَلَ إليه بالمالِ والرجالِ ، ووفَّى بما قال ، وصرَف اللَّه عنه كيدَ السامانِيَّةِ ، وذلك بصِدْقِ النيَّةِ وحُسْنِ الطَّوِيَّةِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أبو الفرجِ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الهيثمِ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ مَرْوانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَرْوانَ بنِ محمدِ بنِ مَرْوانَ بنِ الحكمِ الأُمويُّ

(١ - ١) فى م ، وحاشية ب : « بين الرتب » .

الأصبهانىُّ[1] ، صاحبُ كتابِ « الأغانى » وكتابِ « أيامِ العربِ » ذكَر فيه ألفًا وسبعَمائةِ يومٍ من أيامِهم ووقائِعِهم ، وكان شاعرًا أديبًا كاتبًا ، عالمًا بالأخْبارِ وأيامِ الناسِ ، إلا أنَّه كان يتَشَيَّعُ .

قال ابنُ الجوزىِّ[2] : ومثلُه لا يُوثَقُ به ؛ فإنه يُصَرِّحُ فى كُتُبِه بما يُوجِبُ عليه الفسقَ ، ويُهَوِّنُ شربَ الخمرِ ، وربما حكَى ذلك عن نفسِه ، ومَن تأمَّل كتابَ « الأغانى » رأَى كلَّ قَبيحٍ ومُنْكَرٍ . وقد روَى الحديثَ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ مُطَيِّنٍ وخَلْقٍ ، وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه .

تُوُفِّى فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ . وقال ابنُ خَلِّكانَ[3] : وقيل : فى التى بعدَها ، وكان مولدُه فى سنةِ أربعٍ وثمانين ومائتين ، التى تُوُفِّى فيها البُحْتُرىُّ الشاعرُ . وقد ذكَر له مُصَنَّفاتٍ عَديدةً ؛ منها « الأغانى » ، و « الدِّياراتُ » ، و « أيامُ العربِ » ، وغيرُ ذلك .

سيفُ الدولةِ[4] **بنُ حَمْدانَ ، صاحبُ حلبَ ، أبو الحسنِ علىُّ بنُ أبى الهَيْجاءِ عبدِ اللَّهِ**[5] **بنِ حَمْدانَ بنِ حَمْدونَ التَّغْلِبىُّ الرَّبَعىُّ**[4] ، المُلَقَّبُ بسيفِ

---

(١) ذكر أخبار أصبهان ٢٢/٢ وفيه أنه توفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، ويتيمة الدهر ١٠٩/٣ ، وتاريخ بغداد ٣٩٨/١١ ، والمنتظم ١٤/ ١٨٥، ومعجم الأدباء ٩٤/١٣ ، ووفيات الأعيان ٣٠٧/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠١/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٤٣ .

(٢) المنتظم ١٨٥/١٤ .

(٣) وفيات الأعيان ٣٠٨/٣ ، ٣٠٩ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : يتيمة الدهر ١٥/١ ، وتاريخ دمشق ٤٤٣/١٢ مخطوط ، والمنتظم ١٨٥/١٤ ، وزبدة الحلب ١١١/١ ، ووفيات الأعيان ٤٠١/٣ ، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٧/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٤٥، ومرآة الجنان ٣٦٠/٢ .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « بن أحمد » .

الدولةِ ، أحدُ الأُمراءِ الشجعانِ ، والملوكِ الكَثيرِى الإحسانِ ، [٧٦/٩و] على ما كان فيه مِن تَشَيُّعٍ ، وقد ملَك دمشقَ فى بعضِ الأوقاتِ ، واتَّفَق له أشياءُ غَريبةٌ ؛ منها أن خَطيبَه[(١)] كان مُصَنِّفَ « الخُطَبِ النُّباتِيَّةِ » أحدَ الفُصحاءِ البُلَغاءِ ، وشاعرَه المُتَنَبِّى ، ومُطْرِبَه أبو نَصْرٍ الفارابىُّ . وكان كريمًا جَوادًا مُعْطِيًا للجَزيلِ .

ومِن شعرِه فى أخيه ناصرِ الدولةِ صاحبِ المَوْصِلِ[(٢)] :

رَضِيتُ لك العَلْيا وقد كنتَ أهْلَها ... وقلتُ لهم بينى وبينَ أخى فَرْقُ
وما كان لى عنها نُكُولٌ وإنما ... تَجاوَزْتُ عن حقِّى فتَمَّ لك الحَقُّ[(٣)]
أمَا كنتَ تَرْضَى أن أَكُونَ مُصَلِّيًا[(٤)] ... إذا كنتُ أَرْضَى أن يَكونَ لك السَّبْقُ

وله أيضا :

قد جَرَى فى دَمْعِه دمُهُ ... فإلى كم أنت تَظْلِمُهُ
رُدَّ عنه الطَّرْفَ منك فقدْ ... جرَحَتْه منك أسْهُمُهُ
كيف يَسْطِيعُ التَّجَلُّدَ مَنْ ... خَطَراتُ الوَهْمِ تُؤْلِمُهُ

وكان سببَ موتِه الفالجُ ، وقيل : عُسْرُ البولِ . وتُوُفِّى بحلَبَ ، وحُمِل تابوتُه إلى مَيَّافارِقِينَ فدُفِن بها وعمرُه ثلاثٌ وخمسون سنةً ، وقام بمُلْكِ حَلَبَ مِن بعدِه ولدُه سعدُ الدولةِ أبو المَعالى شَريفٌ ، ثم تغَلَّب عليه مَوْلى أبيه قَرْعُوَيهِ ، فأخْرَجه مِن حَلَبَ إلى أُمِّه بمَيَّافارِقِينَ ، ثم عاد إليها كما سيأْتى بيانُه .

---

(١) فى ص : « حظيه » . وخطيبه هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نُباتَة الفارقى ، توفى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة . انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٣٢١/١٦ .

(٢) انظر يتيمة الدهر ٣٣/١ ، وتاريخ دمشق ٤٤٤/١٢ مخطوط .

(٣) فى م ، ويتيمة الدهر : « السبق » .

(٤) الفرس المصلِّى : الذى يتلو الفرس السابقَ . القاموس المحيط (ص ل ى) .

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ شيئًا كثيرًا مما قاله سيفُ الدولةِ وقيل فيه، قال[1] : ولم يَجْتَمِعْ ببابِ أحدٍ مِن المُلوكِ بعدَ الخُلَفاءِ ما اجْتَمَع ببابِه مِن الشعراءِ. وقد أجاز لجَماعةٍ مِن الكِبارِ منهم؛ [2]كالمُتَنَبِّى، والخالِدِيَّيْنِ[3]، والسَّرِىِّ الرَّفَّاءِ، والنامِى، والبَبْغَاءِ، والوَأْوَاءِ، وغيرِهم[2]. وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[4] أنَّه وُلِد سنةَ ثلاثٍ - وقيل: إحدى - وثلاثِمائةٍ، وأنه ملَك حَلَبَ بعدَ الثلاثين وثلاثِمائةٍ، وكان قبلَ ذلك يَمْلِكُ واسطًا ونَواحِيَها، ثم تَنَقَّلَتْ به الأحْوالُ حتى ملَك حَلَبَ - انْتَزَعَها مِن يدِ أحمدَ بنِ سعيدٍ الكِلابىِّ صاحبِ الإخْشِيدِ - ومَلَك دمشقَ فى وقتٍ. وقد قال يومًا لنُدَمائِه[5] : أيُّكم يُجِيزُ قولى؟ وما أَظُنُّ أحدًا يُجِيزُه:

لك جِسْمى تُعِلُّهُ ... فدمى لِمْ تُحِلُّهُ

فقال أبو فِراسٍ أخوه[6] بَدِيهةً:

قال إن كنتُ مالِكًا ... فلِىَ الأمْرُ كُلُّهُ

وفيها تُوُفِّى كافورٌ الإخْشِيدىُّ[7]، مَوْلَى محمدِ بنِ طُغْجٍ الإخْشِيدِ، وقد قام

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٠١.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) فى ص: «الحمال بن سفيان». والخالديان هما أبو بكر محمد، وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم بن وعلة. انظر ترجمة محمد بن هاشم فى فوات الوفيات ٥/١٤٩، وترجمة سعيد بن هاشم فى ١٥/٢٦٣ من فوات الوفيات أيضًا.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٤٠٥، ٤٠٦.

(٥) انظر يتيمة الدهر ١/٢٠، ٢١، ووفيات الأعيان ٣/٤٠٣.

(٦) كذا فى النسخ. وأبو فراس هو ابن عمّ سيف الدولة. وانظر ما سيورده المصنِّف فى صفحة ٣١٨ فقد صرح بأن أبا فراس هذا ابن عم سيف الدولة، وانظر كذلك المختصر فى أخبار البشر ٢/١٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٨٨.

(٧) تاريخ دمشق ١٤/٤٩٣ مخطوط وفيه توفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، والمنتظم ١٤/١٩٩، وفيه أنه توفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ووفيات الأعيان ٤/٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٤٩.

بالأمرِ مِن بعدِه مَوْلاه لصِغَرِ أولادِه، فمَلَك كافورٌ مصرَ ودمشقَ، وناوَأَ سيفَ الدولةِ وغيرَه.

وقد كُتِب على قبرِه[1]:

انْظُر إلى غِيَرِ الأيامِ ما صَنَعَتْ ... أفْنَتْ أُناسًا[2] بها كانوا وما فَنِيَتْ

دُنْياهُمُ ضَحِكَتْ أيامَ دولتِهِمْ ... حتى إذا فَنِيَتْ ناحَتْ لهم وبَكَتْ

أبو عليٍّ القالىُّ[3] **صاحبُ «الأمالى» إسماعيلُ بنُ القاسمِ بنِ عَيْذُونَ**[4] **ابنِ هارونَ بنِ عيسى بنِ محمدِ بنِ سليمانَ، أبو عليٍّ القالىُّ** [٩/٧٦ظ] اللُّغَوىُّ الأُمَوىُّ مَوْلاهم؛ لأن سليمانَ هذا كان مولًى لعبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ، والقالىُّ نِسْبةٌ إلى قاليقلَا، ويُقالُ[5]: إنها أَرْزَنُ الرومِ. فاللَّهُ أعلمُ.

وكان مولدُه بمَنازْجِرْدَ[6] مِن أرضِ الجَزيرةِ مِن ديارِ بكرٍ، وسمِع الحديثَ على أبى يَعْلَى المَوْصلىِّ وغيرِه، وأخَذ النحوَ واللغةَ عن ابنِ دُرَيْدٍ وأبى بكرِ بنِ الأنْبارىِّ ونِفْطَوَيْهِ وغيرِهم، وصنَّف «الأمالى» وهو مَشْهورٌ، وكتابَ «البارعِ»[7] على حروفِ المُعْجَمِ، فى خمسةِ آلافِ ورقةٍ، وغيرَ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ فى اللغةِ.

ودخَل بغدادَ وسمِع بها، ثم ارْتَحل إلى قُرْطُبةَ، فدخَلها فى سنةِ ثلاثين

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٤٩٤ مخطوط.

(٢) فى ب، م: «قرونا».

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٥، وتاريخ علماء الأندلس ١/٦٩، وبغية الملتمس ص ٢٣١، ومعجم الأدباء ٧/٢٥، وإنباه الرواة ١/٢٠٤، ووفيات الأعيان ١/٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٣٨، ومرآة الجنان ٢/٣٥٩.

(٤) فى النسخ: «عبدون». والمثبت من مصادر الترجمة. وانظر الإكمال ٦/٨٧.

(٥) انظر وفيات الأعيان ١/٢٢٧.

(٦) فى ب، م: «بميافارقين».

(٧) فى النسخ: «التاريخ». والمثبت من مصادر ترجمته. وانظر كشف الظنون ١/٢١٦.

وثلاثِمائةٍ واسْتَوْطَنها ، وصنَّف كتبًا كثيرةً فيها ، إلى أن تُوُفِّى بها فى هذه السنةِ عن ثمانٍ وستين سنةً . قاله ابنُ خَلِّكانَ[1] .

وفيها تُوُفِّى أبو علىٍّ محمدُ بنُ إلْياسَ[2] صاحبُ بلادِ كَرْمانَ ومُعامَلاتِها ،فأخَذ عَضُدُ الدولةِ بنُ رُكنِ الدولةِ بلادَ كَرْمانَ مِن أولادِ محمدِ بنِ إلياسَ ، وهم ثلاثةٌ ؛ الْيَسَعُ ، وإلْياسُ ، وسليمانُ .

والملكُ الكبيرُ **وُشْمَكيرُ** ، كما قدَّمْنا ذكْرَه فى هذه السنةِ .

وممَّن تُوُفِّىَ فيها مِن الملوكِ

الحسنُ بنُ الفِيرَزانِ [3]**صاحبُ بلادِ جُرجان**[4] ، و[3] .

مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمىُّ ، كما تَقَدَّم ذِكرُه .

وسيفُ الدَّوْلةِ بنُ حَمْدانَ صاحبُ حلبَ ، كما قَدَّمْنا ذِكْرَ ذلك .

قال ابنُ الأثيرِ[5] : وفيها هلَكَ النِّقْفُورُ ملكُ الرُّومِ . يعنى الدُّمُسْتُقَ [6]صاحبَ بلادِ الأرْمَنِ ، وقد ذكرْنا ترجمتَه وما ورَد عنه مِن الشِّعرِ ، وأورْدنا جوابَها[6] للإمامِ العَلّامةِ أبى محمدِ بنِ حزمٍ الفَقِيهِ الظاهِرىِّ ، رحمَه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوُفِّىَ بها **كافورٌ الإخْشِيدىُّ** ، فى قولِ ابنِ خَلِّكانَ[7] .

---

(١) وفيات الأعيان ١/٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) الكامل ٨/٥٨٠ .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « فكانت هذه السنة محل موت الملوك ، مات فيها » .

(٤) بياض فى الأصل ، ص . فقد جاء فى تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٥١ فى أحداث سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة أنه ورد كتاب نوح صاحب خراسان بفتحه جرجان وطبرستان وكان بها الحسن بن الفيرزان الديلمى وملك الرى . وجاء فيه أيضا ص ٤١٥ فى أحداث سنة سبع وخمسين وثلاثمائة أنه ورد الخبر بوفاة الحسن بن الفيرزان بالبلاد التى تغلب عليها من جرجان . وانظر معجم البلدان ٤/٤٩٦ .

(٥) الكامل ٨/٥٨٠ .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

(٧) وفيات الأعيان ٤/١٠٥ .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] شاع الخبرُ ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ أن رجلًا ظهَر يُقالُ له : محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ . وتلَقَّب بالمَهْدىِّ ، وزعَم أنه المَوعودُ به فى الحديثِ الوارِدِ فى المَهدىِّ ، وأنه يَدْعُو إلى الخيرِ ويَنْهَى عن الشرِّ ، ودعا إليه ناسٌ ببغدادَ ؛ فإن دَعوا سُنِّيًّا قالوا : هو مِن سُلالَةِ العَباسِ . وإن كان المَدْعُو شيعيًّا قالوا له : علوىٌّ . وكان هذا الرجلُ إذ ذاك مُقيمًا بمصرَ عندَ كافورِ الإخْشِيدىِّ قبلَ أن يَموتَ ، وكان يُكْرِمُه ، وكان مِن جُملةِ المُسْتَحْسِنين له سُبُكْتِكِين الحاجِبُ ، وكان شيعيًّا ، فظنَّه عَلَويًّا ، وكتَب إليه أن يَقْدَمَ إلى بغدادَ ليَأْخُذَ له البلادَ ، فترَحَّل مِن مصرَ فلقِيَه سُبُكْتِكِين إلى قَرِيب الأنْبارِ ، فلما رآه عرَفه ، وإذا هو محمدُ بنُ المُسْتَكْفِى باللَّهِ العباسىُّ ، فلمَّا تحقَّق أنه عباسىٌّ وليس بعَلَوىٍّ انثنى رأيُه عنه ، فتفرَّق شَمْلُه ، وتمزَّق أصحابُه كلَّ مُمَزَّقٍ ، وحُمِل إلى عِزِّ الدولةِ بنِ مُعِزِّ الدولةِ فأمَّنه ، وتَسلَّمه المُطِيعُ للَّهِ ، فجدَع أنفَه ، واخْتَفَى أمْرُه ، فلم يَظْهَرْ له خبرٌ بالكليَّةِ بعدَ ذلك .

وفيها ورَدَت طائفةٌ مِن الرومِ ، لعنهم اللَّهُ ،إلى بلادِ أنْطاكِيَةَ ، فقتَلوا خَلْقًا مِن حَواضِرِها ، وسبَوا اثْنَىْ عشَرَ ألفًا مِن أهلِها ، ورجَعوا إلى بلادِهم ، ولم يَعْرِضْ لهم أحدٌ .

---

(١) المنتظم ١٤/١٨٩ ، ١٩٠ ، والكامل ٨/٥٨٣ - ٥٨٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١- ٣٨٠) ص ٣١ - ٣٣ ، ٣٩ - ٤١ . وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤١٤ .

وعمِلَت الرَّوافِضُ فى عاشوراءَ المأْتَمَ ، وفى يومِ غَدِيرِ خُمٍّ الهَناءَ والسُّرورَ .

وفيها عرَض للناسِ فى تَشرينَ داءُ الماشَرَا ، فمات به خَلْقٌ كثيرٌ فَجأةً ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ .

وفيها مات أكثرُ جِمالِ الحَجيجِ فى الطريقِ مِن العَطَشِ ، ولم يَصِلْ منهم إلى مكةَ إلا القليلُ ، ومات أكثرُ مَن وصَل منهم عامَه ذلك ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

[٩/٧٧و] وفيها اقْتَتَل أبو المَعالى شريفُ بنُ سيفِ الدولةِ هو وخالُه وابنُ عمِّ أبيه أبو فِراسٍ (١) بنُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ الشاعرُ ، عند قريةٍ يقالُ لها : صَدَرُ (٢) . فقُتِلَ أبو فِراسٍ (١) فى المعركةِ .

قال ابنُ الأثيرِ (٣) : وقد صدَق مَن قال : إن المُلْكَ عَقيمٌ .

(٤) وفيها أظهرَت الشيعةُ الحزنَ الشديدَ يومَ عاشوراءَ من المحرمِ وعمِلوا عيدَ غديرِ خُمٍّ فى اليومِ الثامنَ عشَر مِن ذى الحِجَّةِ وأظهروا الفرَحَ والسرورَ (٤) .

وممَّن تُوُفِّى فِيها أيضًا :

إبراهيمُ المُتَّقِى للَّهِ بنُ جعفرٍ المُقْتَدِرِ (٥) ، وكان قد ولِى الخلافةَ ، ثم أُلجِئَ إلى أنه خُلِع عنها فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، كما ذكَرنا ، ولَزِم بيتَه ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « صدد » . وصدر : قرية من قرى بيت المقدس . معجم البلدان ٣/٣٧٥ .

(٣) الكامل ٨/٥٨٨ .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل ، ص . وهو تكرار لما تقدم فى هذه الصفحة .

(٥) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٦٨ ، والمنتظم ١٤/١٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٠٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٥٨ ، والوافى بالوفيات ٥/٣٤١ .

فمات فى هذه السنةِ ، ودُفِن بدارِه عن ستين سنةً .

عمرُ بنُ جعفرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى السَّرِىِّ ، أبو جعفرٍ البَصْرىُّ[1] **الحافظُ** ، وُلِد سنةَ ثمانين ومائتين ، [2]وكان يَنْتَخِبُ على المَشايخِ[2] ، حدَّث عن أبى خليفةَ الفَضْلِ بنِ الحُبابِ وغيرِه ، وقد انْتُقِد عليه مائةُ مَوْضِعٍ[3] . قال الدارَقُطْنىُّ : فنظَرْتُ فيها ، فإذا الصَّوابُ مع عمرَ بنِ جعفرٍ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ مَخْلَدٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الجَوْهرىُّ[4] المُحْتَسِبُ ، ويُعْرَفُ بابنِ المُحْرِمِ[5] ، كان أحدَ أصحابِ ابنِ جَريرٍ الطَّبَرىِّ ، وقد روَى عن الكُدَيْمىِّ وغيرِه ، وقد اتَّفَق أنه تزَوَّج امرأةً ، فلما أُدْخِلَت عليه جلَس يَكْتُبُ الحَديثَ ، فجاءت أُمُّها ، فأخَذَت الدَّواةَ فرمَت بها وقالت : هذه أضَرُّ على ابنتى مِن ثلاثِمائةِ ضَرَّةٍ . وقد تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن ثلاثٍ وتسعين سنةً ، وكان يُضَعَّفُ فى الحَديثِ .

---

(١) تاريخ بغداد ٢٤٤/١١ ، والمنتظم ١٩١/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٢/١٦ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٦٥ .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . والانتخاب أن يكتب الطالب عن المحدِّث المكثِر المتعسر الرواية ما لا يجده عند غيره ويتجنب المُعاد من رواياته . انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١٥٥/٢.

(٣) الذى فى تاريخ بغداد ٢٤٤/١١ ، ٢٤٥ ، أن عمر بن جعفر انتَخَب نحو عشرين جزءا على ابن الصواف ، فتَقالَّها الدراقطنىُّ ، وقال بأنه سينتخب على ابن الصواف مائة جزء ولا يكون فيما ينتخبه حديث واحد مما انتخبه عمر بن جعفر . وفعل ذلك .

وفى خبر آخر ذكر الخطيب أن الدارقطنى كان يتتبع خطأ عمر ، وعمل فيه رسالة ، ونظر الخطيب فى الرسالة فوجد الصواب مع ما ذكره الدارقطنى غير موضعين أو ثلاثة . وأن ابن الجعابى جمع أيضا أوهام عمر فيما حدَّث به ، ونظر الخطيب فى ذلك فوجد أكثرها قد حدث به عمرُ على الصواب . وانظر المنتظم ١٩١/١٤ ، ١٩٢ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٢٠/١ ، والمنتظم ١٩٢/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٦٠/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٦٧ ، وميزان الاعتدال ٤٦٢/٣ .

(٥) فى النسخ : « المخرم » . والمثبت من مصادر الترجمة . وانظر الإكمال ٢٢١/٧ .

كافورُ بنُ عبدِ اللَّهِ الإخْشِيدىُّ[1] ، كان مَوْلى السلطانِ محمدِ بنِ طُغْجِ الإخْشِيدىِّ ، اشْتَراه مِن بعضِ أهلِ مصرَ بثمانيةَ عشَرَ دينارًا ، وقرَّبه وأدْناه ، واخْتَصَّه مِن بينِ المَوالى واصْطَفاه ، ثم جعَله أتابَكًا حينَ ملَك ولَداه ، ثم اسْتَقَلَّ بالأُمورِ بعدَ موتِهما فى سنةِ خمسٍ وخمسين ، واسْتَقَرَّت المَمْلَكةُ باسمِه ، يُدْعَى له على المَنابرِ بالديارِ المصريةِ والشاميةِ وبلادِ الحجازِ جميعًا ، وكان شَهْمًا ذكِيًّا فاتِكًا[2] جيِّدَ السِّيرةِ ، مدَحه الشعراءُ ، ووفَد إليه المُتَنَبِّى ، حينَ ذهَب مُغاضِبًا على سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فآوى إلى كافورٍ وحصَل له منه رِفْدٌ[3] ، ثم تَغَيَّرَ عليه فأبعدَه كافورٌ ، فهَجاه ورحَل عنه ، وصار إلى عَضُدِ الدولةِ بنِ بويهِ ، فكان هناك حتفُه كما تَقَدَّم بيانُه . وأما كافورٌ فإنه لمّا توفِّى دُفِنَ بتُرْبتِه المَشْهورةِ به ، وقام بالمُلْكِ بعدَه أبو الحسنِ علىُّ بنُ الإخْشِيدِ ، ومنه أخَذ الفاطِمِيُّون الأدْعِياءُ بلادَ مصرَ كما سيأتى . وكانت مَمْلَكةُ كافورٍ سنتين وثلاثةَ أشهرٍ رحِمه اللَّهُ .

---

(١) تقدم ذكر وفاته فى السنة التى قبل هذه .

(٢) سقط من : ب ، م . والفاتك : الجرىء . اللسان (ف ت ك) .

(٣) الرفد : العطاء والصلة . تاج العروس (ر ف د) .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وخمسين وثلاثمائةٍ[1]

فى عاشُوراءَ عَمِلَتِ الرَّوافِضُ بِدْعتَهم ، وفى يومِ غَديرِ خُمٍّ عمِلوا الفَرَحَ المُبْتَدَعَ .

وحصَل بالعراقِ غَلاءٌ عظيمٌ ، كان يُعْدَمُ الخُبزُ بالكُلِّيةِ . وعاثتِ الرومُ فى البلادِ فَسادًا ، وحرَّقوا حِمْصَ ، وأفْسَدوا فيها فَسادًا عَريضًا ، وسبَوْا مِن المسلمين نحوًا مِن مائةِ ألفِ إنسانٍ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

دخولُ جَوْهرِ القائدِ إلى الدّيارِ المِصْريةِ

ودخَل أبو الحسنِ جَوْهَرٌ القائدُ الرُّومىُّ فى جيشٍ كثيفٍ ، مِن جهةِ المُعِزِّ الفاطمىِّ إلى ديارِ مصرَ يومَ الثلاثاءِ [٩/٧٧ظ] لثلاثَ عشْرةَ ليلةً بقِيَت مِن شعبانَ ، فلما كان يومُ الجمعةِ خُطِب للمُعِزِّ الفاطمىِّ على مَنابرِ الديارِ المصريةِ وسائرِ أعْمالِها ، وأمَر جَوْهَرٌ المُؤَذِّنين [2]بالجامِعِ العَتِيقِ وبجامعِ ابنِ طولونَ[2] أن يُؤَذِّنوا بحىَّ على خيرِ العملِ ، وأن يَجْهَرَ الأئمةُ بالبَسْمَلةِ[3] ، وذلك أنه لما تُوُفِّىَ كافورٌ

---

(١) المنتظم ١٤/١٩٦ - ١٩٨ ، والكامل ٨/٥٩٠ - ٦٠٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٣، ٤٤. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤١٧ - ٤١٩ .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « بالجوامع » .

(٣) فى ب ، م : « بالتسليمة الأولى » .

الإخْشِيدىُّ ، لم يَبْقَ بمصرَ مَن تَجْتَمِعُ القلوبُ عليه ، وأصابهم غَلاءٌ شديدٌ أضْعَفهم ، (١) فلما بلَغ ذلك المُعِزَّ (٢) وهو ببلادِ إفريقيَّةَ (٢) بعَث جَوْهَرًا القائِدَ الرُّومىَّ مولى أبيه المنصورِ فى جيشٍ كَثيفٍ إلى الدِّيارِ المصريةِ (١) ، فلما بلَغ ذلك أصحابَ كافورٍ هرَبوا منها قبلَ وُصولِ جَوْهَرٍ إليها ، فدخَلها فأخَذها بلا ضَرْبةٍ ولا طَعْنةٍ ولا مُمانَعةٍ ، ففعَل ما ذكَرْنا مِن الأمورِ ، واسْتَقَرَّت أيديهم على تلك البلادِ بعد كافورٍ الإخْشيدىِّ .

وفى هذه السنةِ شرَع جَوْهَرٌ القائدُ فى بناءِ القاهرةِ المُعِزِّيةِ ، وبناءِ القَصْرَيْن عندَها ، على ما سنذْكُرُه . وهيَّأ الإقاماتِ لمولاه المُعِزِّ الفاطمىِّ .

وأرْسَل جَوْهَرٌ جعفرَ بنَ فَلَاحٍ فى جيشٍ كثيفٍ إلى الشامِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا شديدًا ، وكان بدِمشقَ الشَّريفُ أبو القاسمِ بنُ أبى (٣) يَعْلَى الهاشمىُّ ، وكان مُطاعًا فيهم ، فحاجَف عن العباسيِّين مدةً طويلةً ، ثم آل الحالُ إلى أن خُطِبَ للمُعِزِّ بدمشقَ ، وحُمِل الشريفُ أبو القاسمِ إلى الديارِ المِصْريةِ ، وأُسِر الحسنُ بنُ (٤) عبدِ اللَّه بنِ (٤) طُغْجٍ وجَماعةٌ مِن الأُمراءِ فحُمِلوا إلى الديارِ المصْريةِ ، فحمَلهم جَوْهَرٌ إلى المُعِزِّ بإفْرِيقِيَّةَ ، واسْتَقَرَّت يدُ الفاطِميِّين على دِمَشقَ فى سنةِ ستين ، كما سيأتى ، وأُذِّن بها : حىَّ على خيرِ العملِ ، أكثرَ مِن سبعين (٥) سنةً ، وكُتِبَتْ لَعْنةُ

(١ - ١) سقط من : ب .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤١٧ ، والكامل ٥٩١/٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٣، وورد فى مصادر ترجمته « عبيد اللَّه » . انظر تاريخ دمشق ١٣٠/١٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢٣، والوافى بالوفيات ١٢/ ٩٧، وتهذيب تاريخ دمشق الكبير ٤/ ١٩٣.

(٥) فى ب ، م : « مائة » .

الشيخَيْن - رضِى اللَّه عنهما ولعَن مَن لعَنهما - على أبْوابِ الجَوامعِ بها وأبوابِ المَساجدِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ولم يَزَلْ ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولةُ الأتْراكِ[1] ، على ما سيأْتى بيانُه وتفصيلُه فى مَوضِعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفيها دخَلَتِ الرومُ إلى حِمْصَ ، فوجَدوا أكثرَ أهلِها قد جَلَوْا عنها وانْتَقَلوا منها ، فحرَّقوها وأسَروا ممَّن بقِى فيها ومِن حولِها نحوًا مِن مائةِ ألفِ إنسانٍ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

[2]وفى ذى الحِجَّةِ نقَل عِزُّ الدولةِ والدَه مُعِزَّ الدولةِ بنَ بُوَيْهِ مِن دارِه إلى تُرْبتِه بمَقابرِ قريشٍ[2] .

[3]وممَّن توفى فيها مِن الأعيانِ على ما ذكَره ابنُ الجَوزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[4] **كافورٌ الإخشيدىُّ** ؛ قال ابنُ الجوزىِّ[5] : وقد رأيتُ مِدَحَ المُتَنبِّى لكافورٍ تَحْملُ الذمَّ والمَدْحَ ، وكأنه تَلَعَّبَ به ، واللَّهُ تعالى أعلمُ[3] .

---

(١) بعده فى ب ، م : « والأكراد نور الدين الشهيد وصلاح الدين بن أيوب » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وقد تقدم ذكر المصنف له - ذكرًا عارضا - فى صفحة ٢١٣، ثم أورده فى صفحة ٣١٩ ضمن وفيات سنة سبع وخمسين وثلاثمائة مُترجمًا له هناك .

(٤) المنتظم ١٤/١٩٩ .

(٥) المنتظم ١٤/١٩٩ ، ٢٠٠ .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ المُحَرَّمِ منها[1] عمِلَت الرَّوافِضُ بِدْعتَهم الشَّنْعاءَ ، فغُلِّقَتِ الأسْواقُ ، وتعَطَّلَتِ المَعايشُ ، ودارتِ النِّساءُ سافِراتٍ عن وجُوهِهِنَّ يَنُحْنَ على الحسينِ بنِ عليٍّ ، ويَلْطِمْنَ وجُوهَهن ، والمُسوحُ مُعَلَّقةٌ فى الأسْواقِ ، والتِّبْنُ مَذْرورٌ فيها .

وفيها دخَلَت الرومُ المَلاعينُ أنْطاكِيَةَ ، فنَفَوْا[2] مِن أهلِها الشُّيوخَ والعَجائزَ ، وسبَوا مِن النساءِ والأطْفالِ نحوًا مِن عِشْرين ألفًا ؛ وذلك كلُّه بتَدْبيرِ ملكِ الأرمَنِ نِقْفورَ ، لعنه اللَّهُ[3] .

[٧٨/٩و] قال ابنُ الجَوْزىِّ[4] : وكان قد قهَر وطغا وتمرَّد ، وقد تزَوَّج مع ذلك بامرأةِ الملكِ الذى كان قبلَه ، ولها منه ابنانِ ، فأراد أن يَخصيَهما ويَجعلَهما فى الكنيسةِ ؛ لِئَلّا يَصْلُحا بعدَ ذلك للمُلْكِ ، فلما فهِمَت ذلك أمُّهما عمِلَت عليه ، وسلَّلَت[5] عليه الأُمراءَ ، فقتَلوه وهو نائمٌ ، وملَّكوا عليهم أكبرَ ولدَيْها .

وفى ربيعِ الأولِ صُرِف عن القَضاءِ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سَيَّارٍ وأُعِيد إليه أبو

---

(١) المنتظم ٢٠١/١٤ ، ٢٠٢ ، والكامل ٦٠٣/٨ - ٦١٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١-٣٨٠) ص ٤٥ ، ٤٦ . وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٢) فى ب ، م : « فقتلوا » .

(٣) بعده فى ب ، م : « وكل هذا فى ذمة ملوك الأرض أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله » .

(٤) المنتظم ٢٠١/١٤ .

(٥) فى ب ، م : « وسلطت » .

وفى ربيعِ الأولِ صُرِف عن القَضاءِ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سَيَّارٍ ، وأُعِيد إليه أبو محمدِ بنُ مَعْروفٍ .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : وفى هذه السنةِ نقَصَت دِجْلةُ حتى غارَت الآبارُ .

وحجَّ بالناسِ الشريفُ أبو أحمدَ النَّقِيبُ .

قال[2] : وانْقَضَّ كَوْكَبٌ فى ذى الحِجَّةِ ، فأضاءت منه الدنيا حتى بَقِىَ له شُعاعٌ كالشمسِ ، ثم سُمِع له صوتٌ كالرَّعْدِ .

قال ابنُ الأثيرِ[3] : وفى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ خُطِب للمُعِزِّ الفاطمىِّ بدمشقَ عن أمْرِ جعفرِ بنِ فَلَاحٍ الذى سَيَّره جَوْهَرٌ القائدُ مِن مصرَ [4]إلى الشامِ[4] ، فقاتَله أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طُغْجٍ بالرَّمْلةِ ، فغلَبه ابنُ فَلَاحٍ ، وأسَره وسيَّره إلى جَوْهَرٍ ، فأرْسَله جَوْهَرٌ إلى المُعِزِّ وهو بإفْرِيقِيَّةَ [5]واستَقَرَّت يدُ الفاطِميين على دمشقَ أيضًا بعدَ حروبٍ يَطولُ ذكرُها ، تطاوَل أمرُها إلى آخرِ هذه السنةِ[5] .

وفى هذه السنةِ[6] وقَعت المُنافَرةُ بينَ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ وبينَ ابنِه أبى تَغْلِبَ ، وسببُه أنه لما مات مُعِزُّ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ ببغدادَ ، عزَم أبو تَغْلِبَ ومَن وافَقه مِن أهلِ بيتِه على الدُّخولِ إلى بَغْدادَ وأَخْذِ مَمْلَكةِ العراقِ ، فقال لهم أبوهم : إن

---

(١) المنتظم ١٤/٢٠٢ .

(٢) سقط من : ب ، م . وانظر المصدر السابق .

(٣) الكامل ٨/٥٩١ حوادث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) الكامل ٨/٥٧٩ ، ٥٨٠ . حوادث سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، و ٨/٥٩٣ حوادث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

مُعِزَّ الدولةِ قد ترَك لابنِه أمْوالًا جَزيلةً ، لا تَقْدِرون عليه ما دامت فى يدِه ، ولكن اصْبِروا حتى يُنْفِقَها فإنه مُبَذِّرٌ ، فإذا أفْلَس فثُوروا عليه ، فإنكم تَغْلِبونه لا مَحالَةَ . فحقَد عليه ولدُه أبو تَغْلِبَ بسببِ ذلك ، ولم يَزَلْ بأبيه حتى سجَنه بالقَلْعةِ ، فاخْتَلَف أوْلادُه بينَهم ، وصاروا أحْزابًا ، وضعُفوا عن حفظِ ما بأيديهم حتى بعَث أبو تَغْلِبَ إلى عِزِّ الدولةِ فَضمِن منه بلادَ المَوْصِلِ (١بألفِ ألفِ دِرهمٍ١) كلَّ سنةٍ يَحمِلُها إليه ، واتَّفَق موتُ أبيه ناصرِ الدولةِ فى هذه السنةِ ، واسْتَقَرَّ أبو تَغْلِبَ بالمَوْصِلِ وملكها ، إلا أنهم فيما بينَهم مُخْتَلِفون مُتَحارِبون .

وفى هذه السنةِ(٢) دخَل ملكُ الرومِ إلى طَرابُلُسَ ، فأحْرَق كثيرًا منها ، (٣وملَك قلعَةَ عِرْقَةَ ، ونهَبها وسَبَى أهلَها وكان فى قلعَتِها صاحبُ طرابُلُسَ ، كان لجأ إليها حينَ٣) أخْرَجَه أهلُ طرابلسَ منها لشدةِ ظُلْمِه ، فأسَرَتْه الرومُ ، واسْتَحْوَذوا على جميعِ أمْوالِه وحَواصِلِه ، وكانت كثيرةً جدًّا ، ثم مالوا على السَّواحِلِ ، فملَكوا ثمانيةَ عشَرَ مِنبَرًا(٤) سِوَى القُرَى ، وتنَصَّر خَلْقٌ كثيرٌ على أيْديهم ، لعَنهم اللَّهُ تعالى .

وجاءُوا إلى حِمْصَ ، فحرَّقوا ونهَبوا . ومكَث مَلِكُ الرومِ شهرين يأْخُذُ ما شاء مِن البلادِ ، ويَأْسِرُ مَن قدَر عليه من العبادِ ، وصارت له مَهابةٌ عظيمةٌ فى قُلوبِ الناسِ ، ثم عاد إلى بلادِه ومعه مِن السَّبْيِ نحوٌ مِن مائةِ ألفِ صَبيٍّ وصَبِيةٍ ، وكان سببَ عَوْدِه إلى بلادِه كَثْرةُ الأمْراضِ فى جيشِه واشْتِياقُهم إلى أوْلادِهم

(١ - ١) فى الكامل : « بألف ألف ومائتى ألف درهم » .

(٢) انظر الكامل ٥٩٦/٨ - ٥٩٨ حوادث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

(٣ - ٣) فى م : « وقتل خلقا وكان صاحب طرابلس » .

(٤) فى ب ، م : « بلدا » .

وأهلِيهم وأَوطانِهم .

وبعَث سَرِيَّةً إلى الجَزيرةِ ، فنهَبوا وسبَوْا ، وكان قَرعُويهِ غلامُ سيفِ الدولةِ قد اسْتَحْوَذ على حَلبَ ، وأخْرَج منها [٩/٧٨ظ] ابنَ أُسْتاذِه أبا المعالى شَريفَ بنَ سيفِ الدولةِ ، فسار إلى حَرّانَ[1] ، وهى تحتَ حُكْمِه ، فأبَوْا أن يُدْخِلوه إليهم ، فذهَب إلى أمِّه بمَيّافارِقِينَ ، وهى ابنةُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ ، فمكَث عندَها حينًا ، ثم سار إلى حَمَاةَ فملَكها ، ثم عاد إلى حَلَبَ بعدَ سنتين[2] كما سنذكُره فيما بعدُ .

ولما عاثَت الرومُ فى هذه السنةِ بالشامِ صانَعهم قَرعُويهِ عن حَلَبَ ، وبَعث إليهم بأمْوالٍ وتُحَفٍ ، ثم عادوا إلى أنْطاكِيَةَ ، فملَكوها وقتَلوا خَلْقًا كثيرًا منها ، وسبَوْا عامَّةَ أهْلِها ، وركِبوا إلى حَلَبَ وأبو المعالى شَريفٌ مُحاصِرٌ غُلامَهم قَرعُويهِ بها ، فخافَهم أبو المَعالى فهرَب عنها ، وحاصَرها الرومُ ، فأخَذوا البلدَ ، وامْتَنَعَت القَلْعةُ عليهم ، ثم اصْطَلَحوا مع قَرعُويهِ على هُدْنَةٍ مُؤبَّدَةٍ ومالٍ يَحْمِلُه إليهم كلَّ سنةٍ ، وسلَّموا إليه البلدَ ، ورجَعوا عنه .

وفى هذه السنةِ[3] خرَج على المُعِزِّ الفاطمىِّ وهو بإفْرِيقِيَّةَ ، رجلٌ يُقالُ له : أبو خزرٍ ، فنهَض إليه المُعِزُّ بنَفْسِه وجُنودِه [4]فهرَب منه فأرسَل فى طلبِه يوسفَ بنَ بلكينَ بنَ زِيرِى فشَرَّده[4] ، وطرَدَه ، ثم عاد فاسْتَأْمَن ، فقبِل منه المُعِزُّ ذلك ، وصفَح عنه ، وجاء الرسولُ مِن جَوْهَرِ القائدِ إلى المُعِزِّ فى هذه السنةِ يُبَشِّرُه بفَتْحِ الدِّيارِ

---

(١) فى م : « طرف » .

(٢) إنما ذكر ابن الأثير فى الكامل ٨/٦٨٢ عودة أبى المعالى إلى حلب ، ضمن حوادث سنة ست وستين وثلاثمائة .

(٣) الكامل ٨/٥٩٨ حوادث سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . لكن ذكر ابن الأثير أن طلب الأمان من المعز كان فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

المصريةِ وإقامةِ الدَّعْوةِ له بها ، وطَلَبِه إليها ، ففرِح بذلك المُعِزُّ الفاطميُّ فرحًا شديدًا ، وامْتَدَحه الشُّعراءُ ، فكان ممَّن امْتَدَحه شاعرُه محمدُ بنُ هانئٍ فى قَصيدةٍ أولُها[1] :

يَقولُ بنو العباسِ هل فُتِحَت مصرُ فقلْ لبنى العباسِ قد قُضِىَ الأمْرُ

وذكَر ابنُ الأثيرِ[2] أن فى هذه السنةِ تُوفِّى النِّقْفُورُ الذى كان دُمُستُقًا ، ثم صار ملكَ الرومِ ، [3]وأراد قَتْلَ ابنِي[3] الملكِ الذى كان قبلَه . فغارت أمُّهما لهما فقتَلته غِيلَةً . قال : وقد كان هذا اللَّعينُ مِن أبْناءِ المسلمين ، كان أبوه مِن أهلِ طَرَسُوسَ مِن خِيارِ المسلمين يُعْرَفُ بابنِ الفقاسِ ، فتنصَّر ولدُه هذا وحظِى عندَ النَّصارَى حتى صار مِن أمْرِه ما صار ، وكان مِن أشَدِّ الناسِ على المسلمين ، وقد أخَذ بلادًا كثيرةً عَنْوةً ، مِن ذلك طَرَسُوسُ ، وأَذَنةُ ، وعينُ زَرْبَةَ ، والمِصِّيصةُ ، وغيرُ ذلك مِن البلادِ ، وقتَل خلقًا كثيرًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عَزَّ وجلَّ ، وسبَى مِن المسلمين والمسلماتِ مالا يَعْلَمُ عَدَدَهم إلا الذى خلقَهم[4] . وهذا اللعينُ هو الذى بعَث تلك القصيدةَ إلى المُطيعِ [5]للَّهِ ، وقد أَوْرَدناها فى آخِرِ الجزءِ الذى قبلَ هذا فى سنةِ خمسٍ وخمسينَ وثلاثِمائةٍ[6] ، ثم انتَدب لها فيما بعدَ ذلك الفقيهُ الإمامُ أبو محمدِ بنُ حزمٍ الظاهرىُّ ، فأجاب عنها جَوابًا شافيًا كافِيًا ، فجَزَاه اللَّهُ عن الإسلامِ خيرًا[5] .

---

(١) ديوان ابن هانئ ص ٧٨ .

(٢) الكامل ٨/٦٠٦ - ٦٠٨ . وعاد المصنف هنا ليوافق حوادث سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، كما فى الكامل .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « إلى ابن » .

(٤) بعده فى ب ، م : « وتنصروا أو غالبهم » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « كما تقدم » .

(٦) تقدم فى صفحة ٢٩٠ ، وأورد المصنف عقبها أيضًا قصيدة ابن حزم فى صفحة ٢٩٦.

وفيها رام عِزُّ الدولةِ صاحبُ بغداد مُحاصَرةَ عِمْرانَ بنِ شاهين، فلم يَقْدِرْ عليه، فصالَحَه ورجَع إلى بغدادَ.

وفيها اصْطَلَح قَرعُوَيهِ وأبو المعالى شريفٌ، فخطَب له قَرعُوَيهِ بحلبَ، [1]وخطَبا جميعًا فى[1] مُعامَلَتَيْها للمُعِزِّ الفاطِميِّ بحلبَ وحِمْصَ، وخُطِب بمكةَ للمُطِيعِ للَّهِ وللقرامطةِ أيضًا، وبالمدينةِ للمُعزِّ الفاطميِّ، وخطَب [٩/ ٧٩و] أبو أحمدَ المُوسَوىُّ بظاهِرِها للمُطِيعِ للَّهِ.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ[2] **بنِ إسْحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو علىٍّ الصَّوَّافُ**، روَى عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ وطَبَقتِه، وعنه خَلقٌ؛ منهم الدارَقُطْنىُّ وقال[3]: ما رأَت عَيْناىَ مثلَه فى تَحَرُّزِه ودِينِه. وقد بلَغ تسعًا وثمانين سنةً، رحِمَه اللَّهُ تعالى.

مُحاربُ بنُ محمدِ بنِ محُارِبٍ، أبو العَلاءِ[4] القاضى الفَقيهُ الشافعىُّ، مِن ذُريةِ مُحارِبِ بنِ دِثارٍ، وكان ثِقةً عالمًا فاضلًا، روَى عن جعفرٍ الفِرْيابىِّ وغيرِه.

أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمدٍ[5]، المعروفُ بابنِ القَطَّانِ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ،

(١ - ١) فى ب، م: «وجميع».

(٢) فى النسخ: «الحسين». والمثبت من مصادر ترجمته: تاريخ بغداد ٢٨٩/١، والأنساب ٥٦١/٣، والمنتظم ٢٠٣/١٤، وسير أعلام النبلاء ١٨٤/١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٩٥، والوافى بالوفيات ٤٤/٢، وفيه: «الحسين». وفى جميع هذه المصادر يعرف بأبى على بن الصواف.

(٣) انظر تاريخ بغداد ٢٨٩/١، والمنتظم ٢٠٤/١٤.

(٤) تاريخ بغداد ٢٧٦/١٣، والمنتظم ٢٠٤/١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤٧٧/٣.

(٥) تاريخ بغداد ٣٦٥/٤، وطبقات الفقهاء ص ١١٣، ووفيات الأعيان ٧٠/١، وتاريخ الإسلام =

تفَقَّه بابنِ سُرَيْجٍ ، ثم بالشيخِ أبى إسْحاقَ المرْوَزِىِّ[1] ، وتفَرَّد برِياسةِ المَذْهَبِ بعدَ موتِ أبى القاسمِ الدّارَكىِّ[2] ، وصنَّف فى أُصُولِ الفقهِ وفُروعِه ، وكانت الرحلةُ إليه ببَغْدادَ ، ودرَّس بها ، وكتَب شيئًا كثيرًا ، وكانت وفاتُه ، رحِمَه اللَّهُ تعالى ، فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ .

= (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٨٩ ، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٢١، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٩٨.

(١) فى ب ، م : « الشيرازى » .

(٢) فى م : « الدارانى » .

ثم دَخَلَتْ سنةُ ستين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ محرمٍ منها[1] عَمِلَتِ الرافضةُ بِدْعتَهم المحُرَّمةَ على عادتِهم المُتقدِّمِ ذكرُها .

وفى ذى القَعْدةِ منها أخَذَتِ القَرامِطةُ دِمشقَ ، وقتَلوا نائبَها جعفرَ بنَ فَلَاحٍ مِن جهةِ المُعزِّ الفاطميِّ ، وكان رئيسَ القَرامِطةِ وأميرَهم الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ بَهْرامٍ ، وقد أمَدَّه عِزُّ الدولةِ مِن بغدادَ بسلاحٍ وعُدَدٍ كثيرةٍ ، ثم ساروا إلى الرَّمْلةِ ، فأخَذوها وتحَصَّن مَن كان فيها مِن المَغارِبةِ بيافا[2] ، فترَكوا عليها مَن يَحْصُرُها ، ثم ساروا نحوَ الدِّيارِ المِصْريةِ فى جَمْعٍ كثيرٍ مِن الأعْرابِ والإخْشِيديَّةِ والكافورِيَّةِ ، فوصَلوا عينَ شَمْسٍ ، فاقْتَتَلوا هم وجُنودُ جَوْهرٍ قتالًا شديدًا ، والظَّفَرُ للقَرامِطةِ ، وحصَروا المَغارِبةَ حَصْرًا عظيمًا .

ثم حمَلت المَغارِبةُ فى بعضِ الأيامِ على مَيْمَنةِ القَرامِطةِ فهَزَمَتْها ، ورجَعَتِ القَرامِطةُ إلى الشامِ ، فجَدُّوا فى حِصارِ يافا[3] ، فأرْسَل جَوْهَرٌ إلى أصحابِه خمسةَ عشَرَ مَرْكَبًا ، مِيرةً لأصحابِه ، فأخَذَتْها مراكبُ القَرامِطةِ ، سوى مَرْكَبَيْن أخَذَتْها الفِرَنْجُ . وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ .

---

(١) المنتظم ١٤/٢٠٥ ، ٢٠٦ ، والكامل ٨/٦١٣ - ٦١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١- ٣٨٠) ص ٤٧ ، ٤٨ . وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٢٢ - ٤٢٦ .

(٢) فى ب : « نيابا » ، وفى م : « نوابا » .

(٣) فى ب ، م : « باقى المغاربة » .

ومِن شعرِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ بَهْرامٍ أميرِ القَرامِطةِ[1] :

زَعَمَتْ رِجالُ الغَرْبِ أنِّى هِبْتُها فدَمى إِذَنْ ما بينَهم مَطْلولُ
يا مِصرُ إن لم أَسْقِ أرْضَك مِن دمٍ يَرْوِى ثَراكِ فلا سَقَانى النِّيلُ

وفيها تزَوَّج أبو تَغْلِبَ بنُ حَمْدانَ ابنةَ بَخْتِيارَ عزِّ الدولةِ ، وعمرُها ثلاثُ سنين ، على صَداقٍ مائةِ ألفِ دينارٍ ، ووقَع العَقْدُ فى صَفَرٍ .

وفيها اسْتَوْزَر مُؤَيِّدُ الدولةِ بنُ رُكْنِ الدولةِ الصاحبَ أبا القاسمِ بنَ عَبَّادٍ ، فأصْلَح أُمورَه كُلَّها وساس دَوْلتَه جيدًا .

وفيها أُذِّن بدمشقَ وسائرِ الشامِ بحىَّ على خيرِ العملِ .

قال الحافظُ ابنُ عَساكرَ فى ترجمةِ جعفرِ بنِ فَلَاحٍ نائبِ دِمشقَ : أولُ مَن تأَمَّر بها عن الفاطمِيِّين [٩/ ٧٩ظ] [2]وهو الذى أمَر بذلك نيابةً عن المعزِّ الفاطمىِّ صاحبِ القاهرةِ[2] ، أخْبَرَنا [3]أبو محمدِ بنُ الألْهانىِّ[3] قال : قال أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ شرامٍ : وفى يومِ الخميسِ لخمسٍ خلَوْنَ مِن صفرٍ سنةَ ستينَ وثلاثِمائةٍ أعْلَن المُؤَذِّنون فى الجامعِ بدِمشقَ وسائرِ مآذِنِ البلدِ ، ومآذنِ المساجدِ بحىَّ على خيرِ العملِ ، بعدَ حىَّ على الفَلاحِ ، أمَرهم بذلك جعفرُ بنُ فَلاحٍ ، ولم يَقْدِروا على مُخالفتِه ، ولا وجَدوا مِن المُسارَعةِ إلى طاعتِه بُدًّا .

وفى يومِ الجمعةِ ، الثامنِ مِن جُمادَى الآخِرةِ منها أُمِر المُؤَذِّنون أن يُثَنُّوا الأذانَ

---

(١) انظر الكامل ٦١٦/٨ .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣ - ٣) فى ب : « أبو محمد بن الأكفانى » ، وفى م : « أبو محمد الأكفانى » ، وفى ص : « محمد ابن الألفانى » .

والتَّكْبيرَ فى الإقامةِ مَثْنَى مَثْنَى ، وأن يَقولوا فى الإقامةِ : حيَّ على خيرِ العملِ . فاسْتَعْظَم الناسُ ذلك ، وصبَروا على حُكمِ اللَّهِ تبارك وتعالى ، واللَّهُ أعلمُ .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الرَّفَّاءُ الشاعرُ ، السَّرِىُّ بنُ أحمدَ بنِ السَّرِىِّ ، أبو الحسنِ الكِنْدىُّ الرَّفَّاءُ الشاعرُ المَوْصِلىُّ ، أرَّخ وفاتَه ابنُ الأثيرِ فى هذه السنةِ[1] ، أعنى سنةَ ستين وثلاثِمائةٍ [2]وكانت وفاتُه ببغدادَ ، ذكرَ ابنُ الجَوْزىِّ[3] أنه تُوفِّىَ سنةَ ثِنْتَيْنِ[4] وستين وثلاثِمائةٍ[2] كما سيأتى .

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الهَيْثمِ بنِ عِمْرانَ بنِ يَزيدَ ، أبو بكرٍ البُنْدارُ[5] ، أَصْلُه أَنبارىٌّ ، سمِع مِن أحمدَ بنِ الخَليلِ البُرْجُلانىِّ ، ومحمدِ بنِ أبى[6] العَوَّامِ الرِّياحىِّ ، وجعفرِ بنِ محمدٍ الصائغِ ، وأبى إسماعيلَ التِّرْمذىِّ .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[7] : وهو آخِرُ مَن روَى عنهم . قالوا[8] : وكانت أُصولُه جِيادًا بخطِّ أبيه ، وسَماعُه صَحيحًا ، وقد انْتقى عليه عمرُ البَصْرىُّ . وكانت وفاتُه فَجْأةً يومَ عاشُوراءَ وقد جاوَز التِّسْعين .

---

(١) الكامل ٦١٧/٨ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) المنتظم ٢١٨/١٤ حوادث سنة ثنتين وستين وثلاثمائة .

(٤) فى الأصل : « ثلاث » .

(٥) فى ب : « بن البندر » ، وفى م : « بن المنذر » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٥٠/٢ ، وفيه « بريدة » بدل « يزيد » ، والمنتظم ٢٠٧/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٦٣/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢١٤ .

(٦) سقط من : النسخ . والمثبت من المصادر السابقة .

(٧) المنتظم ٢٠٧/١٤ .

(٨) تاريخ بغداد ١٥١/٢ ، والمنتظم ٢٠٧/١٤ ، ٢٠٨ .

محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ[1] سمِع جعفرًا[2] الفِرْيابيَّ، وأبا شُعَيْبٍ الحَرَّانيَّ، وأبا مسلمٍ الكَجِّيَّ وخَلْقًا، وكان ثِقةً صدوقًا دَيِّنًا، وله تصانيفُ كثيرةٌ مُفيدةٌ، منها «الأربَعون الآجُرِّيَّةُ»، وقد حدَّث ببَغْدادَ قبلَ سنةِ [3]ثلاثين وثلاثِمائةٍ، ثم انْتَقَل إلى مكةَ، فأقام بها حتى مات بعدَ إقامتِه بها[3] ثلاثين سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ [4]بنِ مُظْفرٍ[4]. أبو عمرٍو الزاهدُ، سمِع الكثيرَ، ورحَل إلى الآفاقِ المُتَنائيةِ، وسمِع منه الحُفَّاظُ الكِبارُ، وكان فقيرًا مُتَقَلِّلًا، يَضْرِبُ اللَّبِنَ لِقُبورِ الفُقراءِ، ويَتَقَوَّتُ برَغيفٍ بجَزَرةٍ أو بَصَلةٍ، ويَقومُ الليلَ كلَّه، وكانت وفاتُه في جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً.

محمدُ بنُ داودَ، أبو بكرٍ الصُّوفيُّ، ويُعْرَفُ بالدُّقيِّ[5] أصْلُه مِن الدِّينَوَرِ، وأقام ببغدادَ، ثم انْتَقَل إلى دِمشقَ، وقد قرَأ على ابنِ مُجاهدٍ، وسمِع الحديثَ مِن محمدِ بنِ جعفرٍ الخَرائِطيِّ، وصحِبَ ابنَ الجَلَّاءِ والدَّقَّاقَ، وكانت وفاتُه في هذه السنةِ، وقد جاوَز المائةَ، رحمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٤٣، والمنتظم ١٤/٢٠٨، ووفيات الأعيان ٤/٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢١٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/١٤٩.

(٢) فى تاريخ الإسلام: «حفص».

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: ب، م. وانظر ترجمته فى المنتظم ١٤/٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢١٣، والوافى بالوفيات ٢/٣٠٢، وفى السير وتاريخ الإسلام: «مطر» بدل «مظفر».

(٥) طبقات الصوفية ص ٤٤٨، وتاريخ بغداد ٥/٢٦٦، والأنساب ٢/٤٨٦، والمنتظم ١٤/٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢١٧، والوافى بالوفيات ٣/ ٦٣. وقد تصحفت «الدقى» فى تاريخ بغداد إلى: «الذقى» ونقلها عنه ابن الجوزى فى المنتظم.

محمدُ بنُ الفَرُّخانِ بنِ رُوزْبه ، أبو الطيِّبِ الدُّورىُّ[1] ، دخَل بغدادَ ، وحدَّث بها عن أبيه بأحاديثَ مُنْكَرةٍ ، وروى عن الجُنَيدِ وابنِ مسروقٍ ، قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : وكان فيه ظَرْفٌ ولَباقةٌ ، غيرَ أنهم كانوا يَتَّهِمونه بوَضْعِ الحديثِ .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الطَّبَرانِىُّ ، سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ ، أبو القاسمِ الطبرانىُّ اللَّخْمِىُّ[3] الحافظُ الكبيرُ ، صاحبُ المَعاجِمِ الثلاثةِ ؛ « الكبيرِ » و « الأَوْسَطِ » ، و « الصغيرِ » و كتابِ « السُّنةِ » وكتابِ [٩/ ٨٠و] « مُسْنَدِ الشاميِّين » وغيرِ ذلك من المُصنَّفاتِ المُفيدةِ .

عُمِّر مائةَ سنةٍ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ بأصْبَهانَ ، ودُفِن على بابِها عندَ قبرِ حُمَمَةَ الدَّوسىِّ الصَّحابىِّ ، رضى اللَّهُ عنه ، قاله أبو الفرَجِ بنُ الجَوْزىِّ فى « المنتظمِ »[4] .

قال ابنُ خَلِّكانَ[5] : وسمِع من ألفِ شيخٍ . قال : وكانت وَفاتُه فى يومِ السبتِ لليلتَينِ بقيتا مِن ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ ، وقيل : فى شوالٍ منها[6] .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الفتحِ - ويقالُ : ابنُ أبى الفَتْحِ - بنِ خاقانَ ، أبو العباسِ بنُ النَّجَّادِ[7] ، إمامُ جامعِ دمشقَ .

---

(١) تاريخ بغداد ١٦٧/٣ ، والمنتظم ٢٠٩/١٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٢٠ .
(٢) المنتظم ٢٠٩/١٤ .
(٣) تاريخ دمشق ١٦٣/٢٢ ، والمنتظم ٢٠٦/١٤ ، ووفيات الأعيان ٤٠٧/٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٠٢ .
(٤) المنتظم ٢٠٦/١٤ .
(٥) وفيات الأعيان ٤٠٧/٢ .
(٦) بعده فى ب ، م : « وكان مولده ، فى سنة ستين ومائتين ، فمات وله من العمر مائة سنة » .
(٧) تاريخ بغداد ٣٤٥/٤ ، وتاريخ دمشق ٤٣٩/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٩٩ .

قال ابنُ عَساكرَ[1] : كان عابدًا صالحًا . وذكَر أن جَماعةً جاءوا لزيارتِه ، فسمِعوه يَتَأَوَّهُ مِن وَجَعٍ كان به ، فأنْكَروا عليه ، فلما خرَج إليهم قال لهم : إن آهِ اسمٌ مِن أسماءِ اللَّهِ يَسْتَرِوحُ إليه الأعِلَّاءُ[2] . قال : فزاد فى أعْيُنِهم وعَظَّموه .

قلتُ : هذا الذى قاله لا يُؤْخَذُ عنه مُسَلَّمًا بلا دليلٍ ، بل يَحْتاجُ إلى نَقْلٍ صحيحٍ عن المَعْصومِ ، فإن أسماءَ اللَّهِ تعالى تَوْقِيفيةٌ ، على الصَّحيحِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

---

(١) تاريخ دمشق : ٤٣٩/٥ .

(٢) الأعِلَّاء : جمع عليل وهو المريض . الوسيط (ع ل ل) .

ثم دَخلت سنةُ إحدى وستين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ المُحَرَّمِ منها[1] عمِلَت الرَّوافِضُ ببغدادَ البدعةَ التى تقررت من النَّوحِ على الحسينِ بنِ عَلىٍّ ، رضىَ اللَّهُ عنه وقبَّحهم . وفى المُحَرَّمِ منها أغارَت الرومُ على الجَزيرةِ وديارِ بكرٍ ، فقتَلوا خَلْقًا كثيرًا مِن أهلِ الرُّهَا ، وساروا فى البلادِ كذلك يَقْتُلون ويَأْسِرون ويَغْنَمون ، إلى أن وصَلوا نَصِيبِينَ ، وفعَلوا كذلك ببلادِ بَكْرٍ ، ولم يُغْنِ عن أهلِ تلك النَّواحِى أبو تَغْلِبَ بنُ حَمْدانَ مُتَوَلِّيها شيئًا ، ولم يكُن عندَه دفاعٌ ولا له قوةٌ ، فعندَ ذلك ذهَب أهلُ الجَزيرةِ إلى بغدادَ[2] ، يَسْتَنْصِرون ويَسْتَصْرِخون ، فرثَى لهم أهلُ بغدادَ ، وأرادوا إدخالَهم على الخليفةِ المطيعِ للَّهِ فلم يُمْكِنْ ذلك ، وكان بَخْتِيارُ بنُ مُعِزِّ الدولةِ مَشْغولًا بالصيدِ ، فذهَبَت الرسلُ وراءَه ، فبعَث الحاجبُ سُبُكْتِكِين يَسْتَنْفِرُ الناسَ ، فتجَهَّز خَلْقٌ كثيرٌ مِن العامَّةِ ، وكتَب إلى أبى تَغْلِبَ أن يُعِدَّ الـمِيرةَ والإقاماتِ ، فأظْهَر السُّرورَ بذلك والفرحَ والابتهاجَ ، ولما تجَهَّزَت العامَّةُ للغَزاةِ ، وقَعَت بينَهم فِتْنةٌ شديدةٌ ؛ بينَ الرَّوافضِ والسُّنَّةِ ، فأحْرَقَت السُّنَّةُ دُورَ الرَّوافِضِ بالكَرْخِ وقَالوا : الشرُّ كلُّه منكم . وصارت العَيَّارون ببَغْدادَ يَأْخُذون أمْوالَ الناسِ ، وتناقَض[3] النَّقِيبُ أبو أحمدَ

---

(١) المنتظم ١٤/٢١٠ ، والكامل ٨/٦١٨ - ٦٢٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٢٧ .

(٢) بعده فى ب ، م : « وأرادوا أن يدخلوا على الخليفةِ المطيع للّه وغيره » .

(٣) فى الأصل ، ص : « تنافس » .

المُوسَوىُّ والوزيرُ أبو الفَضْلِ الشِّيرازىُّ ، وأرْسَل بَخْتِيارُ بنُ مُعِزِّ الدولةِ إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه أمْوالًا يَسْتَعِينُ بها فى هذه الغزواتِ ، فبعَث إليه يَقولُ : لو كان الخَراجُ يُجْبَى إلىَّ لَدَفَعْتُ منه ما يَحْتاجُ المسلمون إليه ، ولكن أنت تَصْرِفُ منه [1]ما للمسلمين به[1] ضَرورةٌ ، وأمَّا أنا فليس عندى شىءٌ أبعَثُ به إليك . فتَرَدَّدَت البُرُدُ بينَهما ، وأغْلَظ بَخْتِيارُ للخليفةِ فى ذلك وتَهَدَّدَه ، فاحْتاج الخَليفةُ أن يُحَصِّلَ له شيئًا ، فباع بعضَ ثيابِ بدنِه وشيئًا مِن أثاثِه ، ونقَض بعضَ سُقوفِ دارِه ،وحصَّل أربعَمائةِ ألفِ درهمٍ ، فصرَفها بَخْتِيارُ فى مَصالحِ نَفْسِه ، وأبْطَلَ تلك الغَزاةَ ، فتَغَمَّمَ[2] الناسُ للخَليفةِ ، وساءَهم ما فعَل ابنُ بُوَيْهِ مِن أخْذِه مالَ الخليفةِ وتَرْكِه الجِهادَ فى سبيلِ اللَّهِ ، فلا جزاه اللَّهُ خيرًا عن المسلمين ، ولا عن إمامِهم .

وفيها تسَلَّم أبو تَغْلِبَ [٩/ ٨٠ظ]بنُ حَمْدانَ قَلْعةَ مارِدِينَ ، فنقَل حَواصِلَها وما فيها إلى المَوْصِلِ .

وفيها اصْطَلَح الأميرُ منصورُ بنُ نوحٍ السامانىُّ صاحبُ خُراسانَ هو ورُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ وابنُه عَضُدُ الدولةِ ، على أن يَحْمِلا إليه فى كلِّ سنةٍ مائةَ ألفِ دينارٍ وخمسين ألفَ دينارٍ ، وتزَوَّج بابنةِ رُكْنِ الدولةِ ، فحمَل إليه مِن الهَدايا والتُّحَفِ ما لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ .

وفى شوالٍ منها خرَج المُعِزُّ الفاطمىُّ بأهلِه وحاشيتِه وجُنودِه مِن مدينةِ

(١ - ١) فى ب ، م : « فى وجوهٍ ليس بالمسلمين إليها » ، وفى ص : « إليه » .
(٢) تَغَمَّمَ : من الغَمِّ . والغَمّ : الكَرْب . انظر اللسان (غ م م) .

المنصورةِ[1] مِن بلادِ المغربِ قاصدًا البلادَ المِصْرِيةَ ، بعدَما مهَّد له مولاه جَوْهَرٌ القائدُ أمْرَها ، وأطَّدها له وبنَى له بها القَصْرَيْن ، واسْتَخْلَف المُعِزُّ الفاطِميُّ على بلادِ المغربِ ونَواحِيها وصِقِلِّيةَ وأعْمالِها نُوَّابًا مِن حِزْبِه وأنْصارِه مِن أهلِ تلك البلادِ ، واسْتَصْحَب معه شاعرَه محمدَ بنَ هانئٍ الأنْدَلُسيَّ ، فتُوُفِّى فى أثناءِ الطريقِ ، على ما سنذكُرُه ، وكان قُدومُ المُعِزِّ إلى القاهرةِ فى رَمضانَ مِن السنةِ الآتيةِ ، على ما سيأتى .

وفيها حجَّ بالناسِ الشريفُ أبو أحمدَ المُوسَوىُّ النَّقيبُ على الطالبِيِّين كلِّهم .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ الجَنَّابىُّ ، أبو القاسمِ القِرْمِطىُّ الهَجَرىُّ[2] ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه أخوه أبو يَعْقوبَ يوسُفُ ، ولم يَبْقَ مِن سُلالةِ أبى سعيدٍ سواه .

عثمانُ بنُ عمرَ بنِ خَفِيفٍ ، أبو عمرٍو[3] المُقْرِئُ المَعْروفُ بالدَّرَّاجِ ، حدَّث عن أبى بكرِ بنِ أبى داودَ ، وعنه ابنُ رَزْقَوَيْهِ ، وكان مِن أهلِ القرآنِ والفقهِ والدِّرايةِ والدِّيانةِ والسترِ ، جميلَ المذهبِ ، وكان يُعَدُّ مِن الأبْدالِ . وكانت وفاتُه يومَ الجمعةِ فى رمضانَ من هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الكامل : « المنصورية » . وهما بلدة واحدة لها الاسمان ؛ انظر معجم البلدان ٤/ ٦٦٤. وتقدم ذكر المصنف لها فى صفحة ٢١٦ باسم « المنصورية » . ولم يذكر هذا الخبر فى المصادر الأخرى .

(٢) المنتظم ١٤/ ٢١٠، والكامل ٦٨٨/٨ وذكره فى وفيات سنة ست وستين وثلاثمائة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٤٥.

(٣) فى ب ، م : « عمر » . وانظر ترجمته فى : الأنساب ٢/ ٤٦٦، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٥، والمنتظم ١٤/ ٢١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٨٢، والعبر ٢/ ٣٢٤.

عليُّ بنُ إسحاقَ بنِ خَلَفٍ[1] **أبو الحسنِ**[2] **القَطَّانُ**، الشاعرُ المَعْروفُ بالزَّاهى. ومِن شعرِه[3]:

قُم نُهَنِّئْ عاشقَيْنِ أصْبَحا مُصْطَحِبَيْنِ[4]
جُمِعَا بعدَ فِراقٍ فُجِعَا منه وبَيْنِ[5]
ثم عادا فى سُرورٍ مِن صُدودٍ آمِنَيْنِ
فهما رُوحٌ ولكنْ رُكِّبَتْ فى بدنَيْنِ

[6]**محمدُ بنُ**[6] **حُمَيْدِ**[7] **بنِ سهلِ**[8] [9]**بنِ إسماعيلَ**[9] **بنِ شَدَّادٍ، أبو بكرٍ المُخَرِّمِيُّ**، سمِع أبا خَليفةَ وجعفرًا الفِرْيابيَّ[10]، وابنَ جَريرٍ وغيرَهم، وعنه الدارَقُطْنيُّ وابنُ رَزْقَوَيْهِ وأبو نُعَيْمٍ. وقد ضعَّفه البَرْقانيُّ وابنُ [11]أبى الفوارسِ[11] وغيرُهما.

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٥٠، والأنساب ٣/ ١٢٦، والمنتظم ١٤/ ٢١٢، واللباب ١/ ٤٩١، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٧٥. وجاءت وفاته في وفيات الأعيان والسيرة وتاريخ الإسلام سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة.

(٢) فى النسخ: «الحسين». والمثبت من المصادر السابقة عدا يتيمة الدهر ووفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام، فقد جاءت كنيته فيها: «أبو القاسم».

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٥٠، والمنتظم ١٤/ ٢١٢.

(٤) فى الأصل: «مصطبحين». وفى تاريخ بغداد والمنتظم: «مصطلحين».

(٥) فى ب، م، والمنتظم: «بين».

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ٢/ ٢٦٤، والأنساب ٥/ ٢٢٤، والمنتظم ١٤/ ٢١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٨٤.

(٧) فى ب، ص: «حمد»، وفى م: «أحمد».

(٨) فى تاريخ بغداد، وإحدى نسخ المنتظم التى أشار لها محققاه فى الحاشية: «سهيل».

(٩ - ٩) سقط من النسخ وإحدى نسخ المنتظم. والمثبت من مصادر الترجمة.

(١٠) بعده فى ب، م: «وابن أبى الفوارس».

(١١ - ١١) فى ب، م: «الجوزى».

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وستين وثلاثمائةٍ[1]

عمِلت الرَّوافِضُ بِدْعتَهم فى عاشوراءَ مِن النِّياحةِ وتَعْليقِ المُسوحِ وغَلْقِ الأسْواقِ .

[٩/ ٨١و] وفيها اجْتَمَع الفَقيهُ أبو بكرٍ الرازىُّ الحَنَفىُّ وأبو الحسنِ علىُّ بنُ عيسى الرُّمَّانىُّ وابنُ الدَّقّاقِ الحَنْبلىُّ بعِزِّ الدولةِ بَخْتِيارَ بنِ معزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، وحرَّضوه على غَزْوِ الرومِ ، فبعَث جيشًا لقِتالِهم ، فأظْفَرَه اللَّهُ بهم ، وقتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا ، وبعَثوا برُءوسِهم إلى بغدادَ ، فسكَنَت أنْفُسُ الناسِ . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفيها سارت الرومُ مع الدُّمُسْتُقِ ، لعنه اللَّهُ ، إلى حِصارِ آمِدَ ، وعليها هَزارِمَرْدُ غلامُ أبى الهَيْجاءِ بنِ حَمْدانَ ، فكتَب إلى أبى تَغْلِبَ يَسْتَصرِخُه ، فبعَث إليه أخاه أبا القاسمِ هِبَةَ اللَّهِ بنَ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فاجْتَمَعا لقِتالِه ، فلقِياه فى آخِرِ يومٍ مِن رمضانَ فى مكانٍ ضيقٍ لا مَجالَ للخيلِ فيه ، فاقْتَتَلوا مع الرومِ قِتالًا شديدًا ، فعزَمَت الرومُ على الفِرارِ ، فلم تَقدِرْ ، فاسْتَحَرَّ فيهم القَتْلُ ، وأُخِذ الدُّمُسْتُقُ أسيرًا ، فأُودِع فى السجنِ ، فلم يَزَلْ فيه حتى مرِض ، ومات فى السنةِ القابلةِ ، وقد جمَع له أبو تَغْلِبَ الأطِبَّاءَ فلم يَنْفَعْه شىءٌ .

---

(١) المنتظم ١٤/٢١٤ - ٢١٦، والكامل ٨/٦٢٧ - ٦٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٤٧ - ٢٥٠. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٢٨ - ٤٣٠.

وفيها احْترقَ الكَرْخُ ببغدادَ ، وكان سببَه أن صاحبَ المَعونةِ ضرَب رجلًا مِن العامَّةِ فمات ، فثارَ به العامَّةُ وجَماعةٌ مِن الأتْراكِ ، فهرَب منهم ، فدخَل دارًا ، فأخْرَجوه مَسْحوبًا ، وقتَلوه وحرَّقوه ، فركِب الوزيرُ أبو الفَضْلِ الشِّيرازىُّ - وكان شديدَ التَّعصُّبِ للسُّنَّةِ - وبعَث حاجبَه إلى أهلِ الكَرْخِ ، فألْقَى فى دُورِهم النارَ ، فاحْتَرَقَت طائفةٌ كثيرةٌ مِن الدُّورِ والأمْوالِ ، مِن ذلك ثلاثُمائةِ دُكانٍ وثلاثةٌ وثلاثون مسجدًا ، وسبعةَ عشَرَ ألفَ إنسانٍ ، فعندَ ذلك عزلَ عزُّ الدولةِ بَخْتِيارُ ابنُ معزِّ الدولةِ وزيرَه هذا عن الوِزارةِ ، وولَّاها محمدَ بنَ بَقِيَّةَ ، فتَعَجَّب الناسُ مِن ذلك كثيرًا ، وذلك أن هذا الرجلَ كان وَضيعًا عندَ الناسِ لا حُرْمةَ له ، كان أبوه فلَّاحًا بقريةِ أوانا[1] ، وكان هو ممَّن يَخْدِمُ عِزَّ الدولةِ ؛ يُقَدِّمُ له الطعامَ ، ويَحْمِلُ مِنْديلَ الزفرِ على كتفِه إلى أن وَلِىَ الوِزارةَ ، ومع هذا كان أشدَّ ظُلْمًا للرَّعِيةِ مِن الذى قبلَه ، وكثُر فى زمانِه العَيَّارون ببغدادَ ، وفسَدَت الأُمورُ ببغدادَ . ووقَع الخِلافُ بينَ عِزِّ الدولةِ وبينَ حاجبِه سُبُكْتِكِين ، ثم اصْطَلَحا على دَخَنٍ .

وفيها كان دُخولُ المُعِزِّ الفاطمىِّ إلى الديارِ المِصْريةِ ، وصُحْبتُه تَوابيتُ آبائِه ، فوصَل إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ فى شعبانَ منها[2] ، وقد تلَقَّاه أعْيانُ مصرَ إليها ، فخطَب الناسَ هنالك خُطْبةً بَليغةً ارْتِجالًا ، ذكَر فيها فَضْلَهم وشَرَفَهم ، وقد كذَب فقال فيها إن اللَّهَ أغاث الرَّعايا بهم وبدَوْلتِهم ، وحكَى ذلك عنه قاضى

---

(١) فى الأصل ، ب ، ص : « وإنا » . وفى حاشية ب ، م : « كوثا » . والمثبت من الكامل ، وأوانا : بُلَيدة كثيرة البساتين والشجر نزهة من نواحى دُجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت . انظر معجم البلدان ١/ ٣٩٥.

(٢) انظر الكامل ٨/ ٦٢٢، وفيه أن المعز وصل فى شعبان من سنة ثنتين وستين وثلاثمائة .

بلادِ مصرَ[1] ، وكان جالسًا إلى جَنْبِه ، فسأَله : هل رأيْتَ خَليفةً أفضلَ منى ؟ [٩/ ٨١ظ] فقال : لم أَر أحدًا مِن الخلائفِ سوى أميرِ المؤمنين . فقال له : أحَجَجْتَ ؟ قال : نعم . قال : وزُرْتَ قبرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وقبرَ أبى بكرٍ وعمرَ ؟ قال : فتحَيَّرْتُ ماذا أَقولُ ، ثم نظرتُ فإذا ابنُه قائمٌ مع كِبارِ الأُمراءِ ، فقلتُ : شغَلَنى عنهما رسولُ اللَّهِ ﷺ كما شغَلَنى أميرُ المؤمنين عن السلامِ على وَلِىِّ العَهْدِ . ونهَضْتُ إليه ، فسلَّمْتُ عليه ، ورجَعْتُ ، فانْفَسَح المَجْلِسُ إلى غيرِى .

ثم سار مِن الإسْكَنْدَرِيَّةِ إلى مصرَ ، فدخَلَها فى الخامسِ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فنزَل القَصْرَيْن ، فقيل : إنه أولَ ما دخَل إلى مَحَلِّ مُلْكِه خرَّ ساجدًا شُكْرًا للَّهِ عز وجل .

ثم كان أولَ حُكومةٍ[2] انْتَهَت إليه أن أمْرأةَ كافورِ الإخْشيدىِّ تقدمت إليه فذكَرَت له أنها كانت أوْدَعَت رجلًا مِن اليَهودِ الصُّوَّاغِ قَباءً مِن لُؤْلُؤٍ مَنْسوجٍ بالذهبِ ، وأنه جحَدَ ذلك ، فاسْتَحْضَرَه وقرَّرَه فجحَد اليهودىُّ ذلك وأنْكَرَه ، فأمَر عند ذلك المعزُّ بأن تُحْفَرَ دارُه ، ويُسْتَخْرَجَ ما فيها ، فوجَدوا القَباءَ بعينِه قد جعَلَه فى جَرَّةٍ ودفَنها فيها ، فسلَّمه المعِزُّ إليها ، فقدَّمتْه إليه وعرَضتْه عليه ، فأبَى أن يَقْبَلَه منها وردَّه عليها ، فاسْتَحْسنَ منه ذلك الحاضرون من مؤمنٍ وكافرٍ . وقد ثبَت فى الحديثِ[3] عن النبىِّ ﷺ : « إن اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ » .

---

(١) هو قاضى مصر أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد اللَّه بن نصر بن بجير الذهلى ، والقصة ذكرها الحافظ الذهبى والصفدى فى ترجمتهما لأبى الطاهر ؛ انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٠٧، والوافى بالوفيات ٢/ ٤٥.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٦٢، ١٦٣.

(٣) البخارى (٤٢٠٣) .

وممن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السَّرىُّ الرفَّاءُ الشاعرُ بنُ أحمدَ بنِ السَّرِىِّ، أبو الحسنِ الكِنْدىُّ المَوْصِلىُّ[1] ، الشاعرُ ، له مَدائِحُ فى سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ وغيرِه مِن المُلوكِ والأُمراءِ ،وقد قدِم بغدادَ ، فاتَّفق موتُه بها فى هذه السنةِ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وقيل : فى سنةِ أربعٍ - وقيل : خمسٍ - وستين . وقيل : سنةَ أربعٍ وأربعين . قال[3] : وكانت بينَه وبينَ محمدٍ وسعيدٍ ابنَىْ هاشمٍ الخالديَّينِ المَوْصِليَّينِ مُعاداةٌ ، وادَّعَى عليهما سَرِقةَ شِعْرِه[4] ، وكان مُعْتَنِيًا بنسخِ دِيوانِ كُشاجِمَ الشاعرِ ، وربما زاد فيه مِن شعرِ الخالديَّين ليَكْثُرَ حَجْمُه ويَزُنَّهما[5] بالكذبِ .

وكان قد امتدح سيفَ الدولةِ فأجرى له رِزْقًا فلم يزل به الخالديَّان حتى قطَعا رَسْمَه من عندِه ، فدخَل بغدادَ وامتَدحَ الوزيرَ المُهَلَّبىَّ ، فرحلا وراءَه فلم يزالا فى ثَلْبِه عندَه حتى هجَره وقلَاه ، فركِبَه الدَّيْنُ ومات فى هذه السنةِ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[6] : وللسَّرِىِّ الرَّفَّاءِ هذا ديوانُ شِعْرٍ كبيرٌ جيِّدٌ ، فمِن شعرِه قولُه[7] :

يَلقَى النَّدَى برقيقِ وجهٍ مُسْفِرٍ ... فإذا التَقَى الجَمْعانِ عاد صَفِيقا

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ١١٧، وتاريخ بغداد ٩/ ١٩٤، والمنتظم ١٤/ ٢١٨، ومعجم الأدباء ١١/ ١٨٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٥٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٦٠.

(٤) انظر طبقات الشافعية ٩/ ٣٦٧.

(٥) يزنهما : يَتَّهِمهما . انظر الوسيط (ز ن ن) .

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٧) ديوان السرى الرفاء ٢/ ٤٨٢.

رَحْبُ المنازلِ[1] ما أقام فإنْ سَرَى فى جحْفَلٍ تَركَ الفضاءَ مَضِيقا

[2]وقولُه[3] :

ألبَسْتَنى نِعَمًا رأيتُ بها الدُّجى صُبحًا وكنتُ أرى الصباحَ بَهيما[4]

[٩/٨٢و] فغدَوتُ يَحسُدُنى الصديقُ وقبلَها قد كان يَلقانِى العدوُّ رحيما

وقولُه[5] :

بنفسىَ مَنْ أجودُ له بنفسى ويَبْخَلُ بالتحيةِ والسلامِ

وحَتفِى كامِنٌ فى مُقلَتَيه كُمُونَ الموتِ فى حَدِّ[6] الحُسامِ[2]

محمدُ بنُ هانئٍ الأَنْدَلُسىُّ الشاعرُ[7] ، كان قد اسْتَصْحَبه المُعِزُّ الفاطمىُّ مِن بلادِ القَيْرَوانِ وتلك النواحى حينَ توَجَّه إلى الديارِ المصريةِ ، فلمّا كان ببعضِ الطريقِ ، وُجِد محمدُ بنُ هانئٍ مَقْتولًا مُجَدَّلًا على حافَّةِ البحرِ ، وذلك فى رجبٍ منها ،وقد كان شاعرًا مُطَبِّقًا قوىَّ النَّظْمِ ، إلا أنه كفَّره غيرُ واحدٍ مِن العُلماءِ فى مبالغاتِه فى مدائحِه ، فمِن ذلك قولُه يَمْدَحُ المُعِزَّ قبّحهما اللَّهُ[8] :

ما شِئْتَ لا ما شاءت الأقْدارُ فاحْكُمْ فأنت الواحدُ القَهَّارُ

وهذا خطأٌ كبيرٌ ، وكفرٌ كثيرٌ .

---

(١) فى الديوان : « المجالس » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) الديوان ٢/٦٢٩

(٤) البهيم : الأسود . الوسيط (ب هـ م) .

(٥) الديوان ٢/ ٦٨٦، وخاص الخاص للثعالبى ص ١٢١.

(٦) فى الديوان : « السيف » .

(٧) معجم الأدباء ١٩/ ٩٢، والكامل ٨/ ٦٢١، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٢١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٩٩.

(٨) ديوانه ص ٣٦، وانظر الكامل ٨/ ٦٢١.

وقال أيضًا ، قبَّحه اللَّهُ وأخْزاه ، وفضَّ فاه[1] :

ولَـطـالما زاحَـمْـتُ تحـ ـتَ رِكـابِـه جِـبْـرِيـلَا

ومِن ذلك قولُه[2] - قال ابنُ الأثيرِ[3] : ولم أَجِدْ ذلك فى ديوانِه - :

حـلّ بـرَقّـادةَ المسـيـحُ حـلّ بـهـا آدمٌ ونـوحُ

حلّ بها اللَّهُ ذو المعالى فـكـلُّ شـىءٍ سِـواه رِيـحُ

قال ابنُ الأثيرِ[4] : وقد شرَع بعضُ المتعصِّبين فى الاعتذارِ عنه . فاللَّهُ أعلمُ . قلتُ : هذا الشعرُ إن صحَّ عنه ، فليس عنه اعْتِذارٌ ، لا فى الدارِ الآخِرةِ ، ولا فى هذه الدارِ .

وممن توفِّى فيها :

إبراهيمُ[5] بنُ محمدِ[6] بنِ سَخْتَوَيْهِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُزَكِّى أحدُ الحُفَّاظِ المبرَّزين ، أنْفَقَ على الحديثِ وأهلِه أمْوالًا جَزيلةً ، وسمِع الناسُ بتَخْريجِه ، وعُقِد له مَجْلِسُ الإمْلاءِ بنَيْسابورَ ، ورحَل وسمِع مِن المشايخِ شرقًا وغربًا ، ومِن مَشايخِه ابنُ جَريرٍ وابنُ أبى حاتمٍ ، وكان يَحْضُرُ مَجْلِسَه خَلْقٌ كثيرٌ مِن كبارِ المحُدِّثين ، منهم أبو العباسِ الأصَمُّ وأضْرابُه ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن سبعٍ وستين سنةً .

سعيدُ بنُ القاسمِ بنِ العلاءِ بنِ خالدٍ ، أبو عمرٍوالبَرْذَعىُّ[7] ، أحدُ

---

(١) ديوانه ص ١٤٤، وانظر الكامل ٨/ ٦٢١.

(٢) ديوانه ص ٣٦.

(٣) الكامل ٨/ ٦٢١.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٦٢٢.

(٥) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٨، والمنتظم ١٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٨٩، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٣.

(٦) بعده فى مصادر ترجمته - عدا المنتظم - : «يحيى». وقد تابع المصنف هنا المنتظم.

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ١١٠، والمنتظم ١٤/ ٢١٨، وعنده «عمر» بدل «عمرو»، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٩٢.

الحُـفَّاظِ ، روَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه .

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ كَوْثَرِ بنِ علىٍّ ، أبو بَحْرٍ البَرْبَهارىُّ[1] ، رَوى عن إبراهيمَ الحَرْبىِّ [2]وتمتام[2] والباغَنْدِىِّ والكُدَيْمىِّ وغيرِهم ، وقد روَى عنه ابنُ رَزْقَوَيْهِ وأبو نُعَيْمٍ ، وانْتَخَب عليه الدارقُطْنىُّ ، وقال : اقْتَصِروا على ما خرَّجْتُه له فقد اخْتَلَط صحيحُ سَماعِه بفاسدِه . وقد تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ مِن حُفَّاظِ زمانِه بسببِ تَخْليطِه وغَفْلتِه ، واتَّهَمَه بعضُهم بالكذبِ أيضًا .

[3]**القاضى الحسينُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو علىٍّ المَرْوَرُّوذىُّ**[4] ، أحدُ[3] [5]مشايخِ المذهبِ فى زمانِه ، وله التعليقةُ [٩/ ٨٢ظ] المشهورةُ ، تَفقَّه بأبى بكرٍ القفَّالِ المَرْوزىِّ ، وأخَذ عنه جماعةٌ منهم البغوىُّ صاحبُ « التهذيبِ » و « التفسيرِ » و « شرحِ السُّنَّةِ » و « المصابيحِ » وغيرِ ذلك ، وقد ذكرتُه فى الطبقاتِ بما فيه كفايةٌ . قال ابنُ خلِّكانَ[6] : وإذا قال الإمامُ[7] والغزّالىُّ : قال القاضى . فهو هذا . واللَّهُ تعالى أعلمُ[5] .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٩، والأنساب ١/ ٣٠٧، والمنتظم ١٤/ ٢١٩ وفيه «أبى الحسن» بدل «الحسن»، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤١، وميزان الاعتدال ٣/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٩٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، وغير واضحة فى ص. وفى ب، م: «تمام». والمثبت من المصادر السابقة. وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٠.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (القسم الأول من الجزء الأول) ص ١٦٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠) ص ٦٢، والعبر ٣/ ٢٤٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٥٦. وعندهم فى وفيات سنة ثنتين وستين وأربعمائة.

(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ١٣٤.

(٧) أى إمام الحرمين، كما فى وفيات الأعيان.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وستين وثلاثمائةٍ

فيها[1] عُمِلَتِ البِدْعةُ الشَّنْعاءُ على عادةِ الرَّوافِضِ، ووقَعَت فِتْنةٌ عظيمةٌ ببغدادَ بينَ أهلِ السُّنَّةِ والروافضِ، وكلا الفريقَيْن قليلُ عَقْلٍ، بعيدٌ عن السَّدادِ، وذلك أن جَماعةً مِن السُّنَّةِ أرْكَبوا امرأةً وسمَّوْها عائشةَ، وتسَمَّى بعضُهم بطَلْحةَ، وبعضُهم بالزبيرِ، وقالوا: نُقاتِلُ أصحابَ عليِّ بنِ أبى طالبٍ. فقُتِل مِن الفريقَيْن خَلْقٌ كثيرٌ، وعاثت العَيّارون فى البلدِ بالفسادِ ونَهْبِ الأموالِ وقَتْلِ الرجالِ، ثم أُخِذ جماعةٌ منهم فقُتِلوا وصُلِبوا، فسكَنَت النُّفوسُ.

وفيها أخَذ عِزُّ الدولةِ بَخْتِيارُ بنُ مُعِزِّ الدولةِ المَوْصِلَ، وزوَّج ابنتَه مِن[2] أبى تَغْلِبَ بنِ حَمْدانَ.

وفيها وقَعَت الفِتْنةُ بالبصرةِ بينَ الدَّيالِمِ والأتراكِ، فقوِيَت الدَّيْلَمُ على التركِ بسببِ أن المُلْكَ فيهم، فقتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا، وحبَسوا رُءوسَهم، ونَهَبوا كثيرًا مِن أموالِهم، وكتَب عِزُّ الدولةِ إلى أهلِه: إنى سأَكْتُبُ إليكم أنى قد مِتُّ، فإذا وصَل إليكم الكتابُ فأظْهِروا النَّوْحَ، واجْلِسوا للعَزاءِ، فإذا جاء سُبُكتِكِين للتَّعْزِيَةِ فاقْبِضوا عليه، فإنه رُكْنُ الأتراكِ ورأسُهم. فلما جاء البريدُ إلى بغدادَ بذلك أظْهَروا النَّوْحَ والصُّراخَ، ففهِم سُبُكْتِكِين أن هذه مَكيدةٌ فلم يَقْرَبْهم،

---

(١) المنتظم ١٤/٢٢١ - ٢٢٧، والكامل ٨/٦٣١ - ٦٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٥١ - ٢٥٥. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٣١ - ٤٣٣.

(٢) فى الأصل: «ابن»، وفى ب، م: «بابن».

وتحقَّق العَداوةَ بينَه وبينَ عِزِّ الدولةِ ، وركِب مِن فَوْرِه فى الأتراكِ ، فحاصَروا دارَ عِزِّ الدولةِ ببغدادَ يومين ، ثم أنْزَل أهلَه منها ، ونهَب ما فيها ، وأحْدَرَهم مِن دِجْلةَ إلى واسطِ مَنْفِيِّين ، وكان قد عزَم على بَعْثِ (١الخليفةِ إليه١) ، فعفا عنه وأقَرَّه بدارِه ، وقوِيَت شَوْكةُ سُبُكْتِكِين والأتراكِ ببغدادَ ، ونَهَبَتِ الأتْراكُ دُورَ الدَّيْلم ، وخلَع سُبُكْتِكِين على رُؤساءِ العامَّةِ ، لأنهم كانوا معه على الدَّيْلَم ، وقوِيَت السُّنَّةُ على الشِّيعةِ ، وأحْرَقوا الكَرْخَ حريقًا ثانيًا ، وظهَرَت السُّنَّةُ على أيدى الأتراكِ ، وخُلِع المُطِيعُ ، ووُلِّى ولدُه الطائِعُ للَّهِ ، على ما سنَذْكُرُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

خلافةُ الطائِع وخَلْعُ أبيه المُطِيعِ للَّـهِ

ذكَر ابنُ الأثِيرِ(٢) أنَّه لَمَّا كان اليومُ الثالثَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ - وقال ابنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »(٣) : كان ذلك يومَ الثلاثاءِ التاسعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ - خُلِع المُطِيعُ للَّهِ ، وذلك لفالِجٍ أصابَه ، فثَقُل لسانُه ، فسأَله سُبُكْتِكِين أن يَخْلَعَ نَفْسَه ويُوَلِّىَ مِن بعدِه ولدَه الطائعَ ، فأجاب ، [٩/ ٨٣و] فعُقِدَتِ البَيْعةُ للطائعِ بدارِ الخِلافةِ على يَدَىِ الحاجبِ سُبُكْتِكِين ، وخُلِع أبوه المُطِيعُ بعدَ تسعٍ وعشرين سنةً كانت له فى الخِلافةِ ، ولكن تَعَوَّض منها بوِلايةِ ولدِه .

واسمُ الطائعِ (٤أبو بكرٍ٤) عبدُ الكَريمِ بنُ المُطِيعِ للَّهِ أبى القاسمِ الفَضْلِ بنِ المُقْتَدِرِ

(١ - ١) فى الأصل : « الخليفة المطيع معهم فتوسل الخليفة إليه » . وفى ب ، م : « الخليفة المطيع معهم فتوسل إليه الخليفة » .

(٢) الكامل ٨/ ٦٣٧.

(٣) المنتظم ١٤/ ٢٢٥.

(٤ - ٤) فى الكامل : « أبو الفضل » .

باللَّهِ جعفرِ بنِ المُعْتَضِدِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ أبى أحمدَ المُوَفَّقِ بنِ المُتَوكِّلِ بنِ المُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرشيدِ، ولم يَلِ الخِلافةَ مَن اسمُه عبدُ الكَريمِ سِواه، ولا مَن أبوه حيٌّ سِواه[1] وسِوى أبى بكرٍ الصِّديقِ، رضِى اللَّهُ عنه، ولم يَلِ الخِلافةَ مِن بنى العباسِ أسَنُّ منه حالَ الولايةِ، كان عمرُه ثمانيًا وأربعين سنةً، وكانت أُمُّه أمَّ ولدٍ اسمُها عُتْبُ[2]، وكانت تَعيشُ أيضًا يومَ بُويِعَ بالخلافةِ. ولما بُويع الطائعُ ركِب وعليه البُرْدَةُ، وبينَ يديه سُبُكْتِكِين والجيشُ، ثم خلَع مِن الغدِ على سُبُكْتِكِين خِلَعَ المُلوكِ، ولقَّبه نَصْرَ[3] الدولةِ، وعقَد له لواءَ الإمارةِ. ولَمَّا حضَر الأضْحَى ركِب الطائعُ وعليه السَّوادُ، فخطَب الناسَ بعدَ الصلاةِ خُطْبةً خَفيفةً حسنةً.

وحكَى ابنُ الجَوْزىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[4] أن المُطِيعَ للَّهِ كان يُسَمَّى بعدَ خَلْعِه بالشيخِ الفاضلِ.

ذِكْرُ الحربِ بينَ المُعِزِّ الفاطمىِّ والحسنِ[5] بنِ أحمدَ القِرْمِطِىِّ[6]

لَمَّا اسْتَقَرَّ المُعِزُّ الفاطمىُّ بالديارِ المصريةِ، وابْتَنَى فيها القاهرةَ والقَصْرَيْن،

---

(١) بعده فى ب، م: «ولا من كنيته أبو بكر سواه».

(٢) فى ب، م: «غيث». وانظر تبصير المنتبه ٣/ ٩٢٨.

(٣) فى ب، م: «ناصر». وفى الكامل: «نصير».

(٤) المنتظم ١٤/ ٢٢٤.

(٥) هنا وفيما يأتى فى ب، م: «الحسين».

(٦) الكامل ٨/ ٦٣٨، ٦٣٩.

وتَأَطَّد مُلْكُه ، سار إليه الحسنُ بنُ أحمدَ القِرْمِطىُّ مِن الأَحْساءِ فى جمعٍ كَثيفٍ مِن أصحابِه ، والْتَفَّ معه أميرُ العربِ ببلادِ الشامِ ، وهو حَسَّانُ بنُ الجَرَّاحِ الطائىُّ ، فى عربِ الشامِ بكمالِهم ، فلما سمِع بهم المُعِزُّ الفاطمىُّ أُسْقِط فى يدِه لكَثْرتِهم ، وكتَب إلى القِرْمِطىِّ يَسْتَمِيلُه ويقولُ له : إن دَعْوةَ آبائِك إنما كانت إلى آبائى قديمًا ، فدَعْوَتُنا واحدةٌ . ويَذْكُرُ فيه فَضْلَه وفضلَ آبائِه ، فردَّ الجَوابَ : وصَل كتابُك الذى كثُر تَفْضيلُه[1] ، وقَلَّ تَحْصيلُه ، ونحن سائرون إليك على إثْرِه ، والسلامُ . فلَمَّا انْتَهَوا إلى ديارِ مصرَ عاثُوا فيها قَتْلًا ونَهْبًا وإفسادًا ، وحار المُعِزُّ ماذا يَصْنَعُ ؛ لكَثْرَةِ مَن مع القِرْمِطىِّ ، وضَعْفِ جيشِه عن مقاومتِهم ، فعدَل إلى المَكيدةِ والخَديعةِ ، فراسَل حسَّانَ بنَ الجَرَّاحِ أميرَ العربِ ، ووعَده بمائةِ ألفِ دينارٍ إن هو خذَّل بينَ الناسِ ، فأرْسَل إليه أن ابْعَثْ إلىَّ بما الْتَزَمْتَ ، وتعالَ بمَن معك ، فإذا الْتَقَيْنا انْهَزَمْتُ بمَن معى . فأرْسَل إليه المُعِزُّ بمائةِ ألفِ دينارٍ فى أكْياسٍ ، ولكن أكثرُها زَغَلٌ ؛ ضَرَبَ النُّحاسَ ولَبَّسَه الذَّهَبَ ، وجعَله فى أسْفَلِ الأكياسِ ، ووَضَع فى رُءُوسِ الأكياسِ الدنانيرَ الخالصةَ ، ولَمَّا [٩/ ٨٣ظ] بعَثها إليه ركِب فى إثْرِها بجيشِه ، فالْتَقَى الناسُ ، ولَمَّا تَواجَه الفريقان ونَشِبَتِ الحربُ بينَهم ، انْهَزَم حَسَّانُ ابنُ الجَرَّاحِ بالعربِ ، فضعُف جانبُ القِرْمِطىِّ ، وقَوِىَ عليه المُعِزُّ الفاطمىُّ فكَسَره ، وانْهَزَمَت القَرامِطةُ بينَ يَدَيْه ، فرجَعوا إلى أَذْرِعاتٍ فى أذَلِّ حالٍ [2]وأَقَلِّه[2] ، وبعَث المُعِزُّ فى آثارِهم القائدَ أبا [3]محمودٍ إبراهيمَ[3] بنَ جعفرٍ فى عشَرةِ آلافِ فارسٍ ؛ ليَحْسِمَ مادّةَ القَرامِطةِ .

---

(١) فى الأصل : « تفصيله » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، وفى ب ، م : « وأرذله » .

(٣ - ٣) فى النسخ : « محمود بن إبراهيم » . وفى الكامل : « محمد بن إبراهيم » . والمثبت من ترجمته فى تاريخ دمشق ٦/ ٣٧٦. وانظر كنز الدرر ٦/ ١٦٠.

مُلْكُ المُعِزّ الفاطمىّ دمشقَ

وانْتِزاعُه إيّاها مِن يَدِ القَرامِطةِ[1]

لما انْهَزم القِرْمِطىُّ وأصحابُه، بعَث المُعِزُّ سَرِيَّةً، عليهم ظالمُ بنُ مَوْهوبٍ العُقَيْلىُّ أميرًا على دِمشقَ، فتسَلَّمها مِن القَرامِطةِ بعدَ حِصارٍ شديدٍ، واعْتَقَل مُتَولِّيَها أبا المُنَجّا[2] القِرْمِطىَّ وابنَه، واعْتَقَل رجلًا يقالُ له: أبو بكرٍ[3]. مِن أهلِ نابُلُسَ، كان يَتَكَلَّمُ فى الفاطِميِّين ويقولُ: لو كان معى عشَرةُ أسْهمٍ لَرَمَيْتُ الرومَ بسهمٍ ورَمَيْتُ المَغارِبَةَ - يَعْنى الفاطميِّين - بتسعةٍ. فسُلِخ بينَ يدى المُعِزِّ، وحُشِى جلدُه تِبْنًا، وصُلِب بعدَ ذلك.

ولَمَّا تفرَّغ أبو محمودٍ القائدُ من قِتالِ القَرامِطةِ أقْبَلَ نحوَ دمشقَ، فخرَجَ إليه ظالمُ بنُ مَوْهوبٍ، فتلَقَّاه إلى ظاهرِ البلدِ، وأكْرَمه وأنْزَله ظاهرَ دمشقَ، فأفْسَد أصحابُه فى الغُوطَةِ والمَرْجِ ونَهَبوا الفلَّاحِين، وقطَعوا الطُّرُقاتِ على الناسِ، وتَحَوَّل أهلُ الغُوطةِ إلى البلدِ مِن كَثْرةِ النَّهْبِ، وجِىءَ بجَماعةٍ مِن القَتْلَى فأُلْقُوا فى الجامعِ فكثُر الضَّجِيجُ، وغُلِّقَتِ الأسواقُ، واجْتَمَعَت العامَّةُ للقتالِ، والْتَقَوْا مع المَغارِبةِ، فقُتِل مِن الفريقَيْنِ جَماعةٌ، وانْهَزَمَتِ العامَّةُ غيرَ مرةٍ، وأحْرَقَتِ المَغارِبةُ

---

(١) الكامل ٨/٦٤٠ - ٦٤٣.

(٢) فى النسخ: «الهيجاء». والمثبت من الكامل. وانظر ترجمته فى تاريخ دمشق ١٩/١٨٦ مخطوط.

(٣) بعده بياض فى «ص» بمقدار ثلاث كلمات. وأبو بكر هو الإمام القدوة الشهيد الحافظ محمد بن أحمد بن سهل الرَّمْلى، ويعرف بابن النابلسى. وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ١٤/٦٨٧ مخطوط، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣١٠.

والعجب أن المصنف لم يورد له ترجمة، ولكنه سيورد قصته أثناء ترجمة المعز الفاطمى فى صفحة ٣٧١، ٣٧٢.

ناحيةَ بابِ الفَرادِيسِ ،فاحْتَرَق شيءٌ كثيرٌ مِن الأموالِ والدُّورِ ، ولَبِثَتِ الحربُ بينَهم إلى سنةِ أربعٍ وستين ، وأُحْرِقَ البلدُ مرةً أخرى بعدَ عَزْلِ ظالمِ بنِ مَوْهوبٍ وتَوليةِ جَيْشِ بنِ صَمْصامَةَ ابنِ أختِ أبى محمودٍ ، قبَّحه اللَّهُ ، وقُطِعت القَنَواتُ وسائرُ المِياهِ عن البلدِ ،ومات كثيرٌ مِن الفقراءِ فى الطُّرُقاتِ مِن كَثْرةِ الجُوعِ والعَطَشِ ، ولم يَزَلِ الحالُ كذلك حتى وَلِىَ عليهم الطَّواشِى[1] رَيَّانُ الخادمُ ، مِن جهةِ المُعزِّ ، فسكَنَت الأمورُ . وللَّهِ الحمدُ .

ولَمَّا قَوِيَت الأتراكُ ببغدادَ[2] تحَيَّر عِزُّ الدولةِ بَخْتِيارُ بنُ مُعِزِّ الدولةِ فى أمْرِه وما يَصْنَعُ ، وهو بالأهْوازِ ، فأرْسَل إلى عمِّه رُكْنِ الدولةِ يَسْتَنْجِدُه ، فأرْسَل إليه بعَسْكَرٍ مع وزيرِه أبى الفتحِ بنِ العَمِيدِ ، وأرْسَل إلى ابنِ عمِّه عَضُدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ الدولةِ ، فتَباطَأَ عليه ، وأرْسَل إلى عِمْرانَ بنِ شاهينَ ، فلم يُجِبْه ، وإلى أبى تَغْلِبَ ابنِ حَمْدانَ ، فأظْهَر نصرَه ، وإنما يُرِيدُ فى الباطنِ [٩/ ٨٤و] أخْذَ بغدادَ ، وخرَجَت الأتْراكُ مِن بغدادَ فى جَحْفلٍ كثيرٍ ، ومعهم الخليفةُ الطائعُ وأبوه المُطِيعُ ، فلمَّا انْتَهَوا إلى واسِطٍ تُوُفِّى المُطِيعُ للَّهِ ، وبعدَ أيامٍ تُوُفِّى سُبُكْتِكِين أيضًا ، فحُمِلا إلى بغدادَ ، فالْتَفَّتِ التُّرْكُ على أميرٍ يقالُ له : أَفْتِكين[3] . فاجْتَمَع شَمْلُهم ، والْتَقَوْا مع بَخْتِيارَ ، فضعُف أمْرُه جدًّا ، وقوِى عليه ابنُ عمِّه عَضُدُ الدولةِ ، فأخَذ منه مُلْكَ العراقِ ، وتَمَزَّق شَمْلُه ، وتفرَّق أمْرُه .

وفيها خُطِب للمُعِزِّ الفاطمىِّ بالحرمَيْن مكةَ والمدينةِ النبويةِ .

---

(١) زيادة من النسخ ليست فى الكامل . والطواشى : الخَصِىّ . انظر الوسيط (ط و ش) .

(٢) الكامل ٨/٦٤٣ - ٦٤٥.

(٣) فى الأصل ، ب : « كفتكين » ، وفى ص : « كبتكين » ، وفى الكامل : « الفتكين » . وانظر المختصر فى أخبار البشر ٢/ ١١٤، ١١٥. وترجم له الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٦/٣٠٧ وقال : هفتكين ، ويقال : أفتكين .

وفيها خرَج جَمْعٌ مِن بنى هِلالٍ وطائفةٌ مِن العربِ على الحُجَّاجِ ، فقتَلوا منهم خَلْقًا كثيرًا ، وعطَّلوا على مَن بقى منهم الحجَّ فى هذا العامِ .

وفيها انْتَهَى « تاريخُ » ثابتِ بنِ سِنانِ بنِ ثابتِ بنِ قُرَّةَ ، وأولُه مِن أولِ دولةِ المُقْتَدِرِ سنةَ خمسٍ وتسعين ومائتين .

وفيها كانت زَلْزلةٌ شديدةٌ بواسِطٍ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الشَّريفُ أبو أحمدَ المُوسَوىُّ ، ولم يَحْصُلْ لأحدٍ حجٌّ فى هذه السنةِ سوى مَن كان معه على دَرْبِ العراقِ ، وقد أخَذ بالناسِ على طريقِ المدينةِ ، فتَمَّ حجُّهم .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

العباسُ بنُ الحسينِ ، أبو الفَضْلِ الشِّيرازىُّ[1] ، الوزيرُ لعِزِّ الدولةِ بَخْتِيارَ بنِ مُعِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، وكان مِن المُتَعَصِّبين للسُّنَّةِ ، عَكْسَ مَخْدومِه ، فعزَله وولَّى محمدَ ابنَ بَقِيَّةَ البابا كما تقَدَّم ، وحبَس هذا ، فقُتِل فى مَحْبِسِه فى ربيعٍ الآخِرِ منها ، عن تسعٍ وخمسين سنةً ، وكان فيه ظُلْمٌ وحَيْفٌ . فاللَّهُ أعلمُ .

أبو بكرٍ عبدُ العزيزِ بنُ [2]**جعفرِ بنِ أحمدَ**[2] **الفَقيهُ الحَنْبَلىُّ** ، المعروفُ بغُلامِ

---

(١) فى ب ، م : « السيراجى » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٤/ ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢٢، ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٠٧.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « أحمد بن جعفر » ، وكذا وقع فى نسختين من نسخ المنتظم فى ترجمته . كما فى حاشية المنتظم ١٤/ ٢٣٠. وفى ب ، م : « جعفر » ، وكذا وقع فى ترجمته فى طبقات الفقهاء ص ١٧٢. والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٠٨، وطبقات المفسرين ١/ ٣٠٦.

الخَلَّالِ، أحدُ مَشاهيرِ الحَنابلةِ الأعْيانِ، وممَّن صَنَّف وجمَع وناظَر، وسَمِع الحديثَ مِن أبى القاسمِ البَغَوىِّ وطَبَقَتِه، وكان عمرُه يومَ تُوُفِّىَ فوقَ الثمانين.

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1]: وله «المُقْنِعُ» فى [2]مائةِ جزءٍ[2]، و «الشافى» فى [3]ثمانين جُزْءًا[3]، و «زادُ المُسافِرِ»، و «الخِلافُ مع الشافعىِّ»، وكتابُ «القولَيْن» و «مُخْتَصرُ السُّنَّةِ»، وغيرُ ذلك فى التفسيرِ والأصولِ.

علىُّ بنُ محمدٍ، أبو الفَتْحِ البُسْتىُّ[4]، الشاعرُ المَشْهورُ، له دِيوانٌ جيدٌ قوىٌّ، له فى المُطابَقةِ والمُجانَسةِ يدٌ طُولَى، ومُبْتَكراتٌ أُولَى. وقد ذكَر ابنُ الجَوْزىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[5] مِن ذلك قطعةً كبيرةً مُرَتَّبةً على حروفِ المُعْجَمِ، فمِن ذلك قولُه[6]:

إذا قَنِعْتُ بمَيْسورٍ مِن القُوتِ ... بَقِيتُ فى الناسِ حُرًّا غيرَ مَمْقوتِ
يا قُوتَ يومى إذا ما دَرَّ خَلْفُك لى ... فلستُ آسَى على دُرٍّ وياقوتِ

[٨٤/٩ظ] وله[7]:

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٣١.

(٢ - ٢) فى الأصل: «ثمانية أجزاء». وعبارته فى المنتظم تقريبية: «نحو مائة جزء».

(٣ - ٣) فى ص: «مائة جزء»، وفى المنتظم: «نحو مائتى جزء».

(٤) فى ص: «أحمد». وهو مما قيل فى اسمه، على ما ذكره فى ترجمته ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/٥٠٤ مخطوط، والسبكى فى طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٩٣.

وانظر فى ترجمته: يتيمة الدهر ٤/ ٣٠٢، والمنتظم ١٤/ ٢٣١، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٤٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٢٢١. وفى مصادر ترجمته - عدا المنتظم - ذُكرت وفاته فى سنة أربعمائة أو إحدى وأربعمائة. وستأتى ترجمته فى صفحة ٥٤٢ فى وفيات سنة إحدى وأربعمائة.

(٥) المنتظم ١٤/٢٣١ - ٢٣٣.

(٦) البيتان ليسا فى المنتظم، وهما فى طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٩٦.

(٧) ديوان البستى ص ٥٧، ويتيمة الدهر ٤/ ٣٣٢، والمنتظم ١٤/ ٢٣٢.

يا أيُّها السائلُ عن مَذْهَبى ... لِيُقْتَدَى فيه بِمِنْهاجى
مِنْهاجىَ العدلُ[1] وقَمْعُ الهَوَى ... فهل لِمِنْهاجىَ مِن هاجِى

وله[2] :

أفِدْ طَبْعَك المَكْدودَ بالجِدِّ راحةً ... تَجُمَّ وعلِّلْه بشىءٍ مِن المَزْحِ
ولكن إذا أَعْطَيْتَ ذلك فلْيَكُنْ ... بِمِقْدارِ ما تُعْطِى الطَّعامَ مِن المِلْحِ

[3]وله[4] :

إذا خَدَمْتَ المُلُوكَ فالْبَسْ ... مِن التَّوَقِّى أعَزَّ مَلْبَسْ
وادْخُلْ عليهم وأنت أعْمَى ... واخْرُجْ إذا ما خَرَجْتَ أخْرَسْ

وله :

إذا شِئْتَ أن تَلْقَى عَدُوَّك راغِمًا ... وتَقْتُلَه هَمًّا وتَحْرِقَه غَمّا
فسامِ العُلا وازْدَدْ مِن الفَضْلِ إنَّه ... مَن ازداد فضلًا زاد حاسِدُه غَمّا

وله[5] :

إن أسيافَنا العِضابَ[6] الدَّوامى ... [7]صَيَّرَتْ مُلْكَنا طويلَ[7] الدَّوامِ
لم نَزَلْ نحن فى سَدادِ ثغورٍ ... واصْطِلامِ الأعداءِ مِن وَسْطِ لامِ[8][3]

---

(١) فى ب ، م : « الحق » .
(٢) الديوان ص ٥٩، ويتيمة الدهر ٤/ ٣٣٠.
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤) الديوان ص ١٠٦، والمنتظم ١٤/ ٢٣٢.
(٥) الديوان ص ١٦٤، ١٦٧.
(٦) فى الأصل : « القصار » . والعضاب : جمع العَضْب ، وهو السيف القاطع . اللسان (ع ض ب) .
(٧ - ٧) فى ص : « قرنت ملكنا بطول » . وفى صفحة ١٦٤ من الديوان : « جعلت ملكنا قديم » .
(٨) الاصطلام : الاستئصال . واللام : اللأم : جمع لأمة ، وهى الدِّرع . انظر اللسان (ص ل م) ، (ل أ م) .

(١) واقتحامِ الأهوالِ مِن وقتِ حامِ واقْتِسامِ الأموالِ مِن وقتِ سامِ

وله[٢] :

يا خادِمَ الجِسْمِ كم تَشْقَى بخِدْمَتِه أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمّا فيه خُسْرانُ
أَقْبِلْ على النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضائِلَها فأنت بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إنسانُ (١)

أبو فِراسِ بنُ حَمْدانَ الشاعرُ[٣] ، له دِيوانٌ مَشْهورٌ ، اسْتَنابه أخوه[٤] سيفُ الدولةِ على حَرَّانَ ومَنْبِجَ ، فقاتَل مرةً الرومَ فأُسِرَ ، ثم اسْتَنْقَذه سيفُ الدولةِ ، واتَّفَق موتُه فى هذه السنةِ عن ثمانٍ وأرْبَعين سنةً[٥] ، وله شِعرٌ رائقٌ ، ومَعانٍ حسنةٌ .

وقد رثاه أخوه سيفُ الدولةِ[٦] :

المرءُ نَصْبُ[٧] مَصائبٍ لا تَنْقَضِى حتى يُوارَى جِسْمُه فى رَمْسِهِ
فمُؤَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى فى غيرِه[٨] ومُعَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى[٩] فى نَفْسِهِ

(١ - ١) سقط من : ب ، م .
(٢) الديوان ص ٧٧.
(٣) يتيمة الدهر ١/ ٣٥، وتاريخ دمشق ١١/ ٤٢١، والمنتظم ١٤/ ٢٢٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٠٥، وقد ذكر وفاته فى تاريخ دمشق سنة خمسين وثلاثمائة ، وفى سائر المصادر - عدا المنتظم - ذكر وفاته فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .
(٤) كذا فى النسخ . والصواب أنه ابن عمه .
(٥) الذى فى المصادر أنه لم يبلغ الأربعين .
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٦٣، والمنتظم ١٤/ ٢٢٧.
(٧) فى م : « رهن » .
(٨) فى م : « أهله » .
(٩) فى ب ، م : « الأذى » .

واتَّفَق أنَّه كان عندَ سيفِ الدولةِ رجلٌ مِن العربِ ، فقال : قلْ فى مَعْناهما . فقال الأعرابىُّ :

مَن يَتَمَنَّ العمرَ فلْيَتَّخِذْ ... صَبْرًا على فَقْدِ أحِبّائِهِ
ومَن يُعَمَّرْ يَلْقَ فى نَفْسِه ... ما يَتَمَنَّاه لأعْدائِهِ

كذا ذكَر ابنُ الساعى هذَيْن البيتَيْن مِن شعرِ سيفِ الدولةِ فى أخيه أبى فِراسٍ ، وإنما ذكَرها ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المُنْتَظَم » مِن شعرِ أبى فِراسٍ نَفْسِه ، وأن الأعْرابىَّ أجازهما بالبيتَيْن المذكورَيْن بعدَهما .

وذَكَر مِن شِعرِ أبى فراسٍ أشياءَ حسنةً ؛ فمِن ذلك قولُه فى قصيدةٍ[1] :

[2]سيَفْقِدُنى قومى إذا جَدَّ جِدُّهم[2] ... وفى الليلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ
[٩/٨٥و]ولو سَدَّ غيرى ما سَدَدْتُ اكْتَفَوْا به ... وما [3]كان[4] يَغْلو التِّبْرُ لو نَفَق الصُّفْرُ[3]

ومِن ذلك قولُه فى قَصيدةٍ[5] :

إلى اللَّهِ أشْكُو أنَّنا فى مَنازِلٍ ... تَحَكَّمُ فى آسادِهِنَّ كِلابُ
فلَيْتَك تَحْلو والحَياةُ مَريرةٌ ... وليتَك تَرْضَى والأنامُ غِضابُ
وليتَ الذى بينى وبينَك عامرٌ ... وبينى وبينَ العالمين خَرابُ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٢٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٠٦.
(٢ - ٢) فى المنتظم ، وتاريخ الإسلام : « سيذكرنى قومى إذا جد جدها » .
(٣ - ٣) فى ب ، م : « فعل النسر الرفيق مع الصقر » .
(٤) سقط من الأصل ، ص . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥) المنتظم ١٤/ ٢٣٠.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وستين وثَلاثِمائةٍ

فيها[1] جاء عَضُدُ الدولةِ بنُ رُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ إلى واسِطٍ ، ومعه وزيرُ أبيه أبو الفتحِ بنُ العَميدِ ، فهرَب منه أفتِكين[2] فى جماعةِ الأتراكِ إلى بغدادَ ، فسار وراءَهم ، فنزَل بالجانبِ الشَّرْقىِّ ، وأمَر بَخْتِيارَ أن يَنْزِلَ على الجانبِ الغَرْبىِّ ، وحصَر التُّرْكَ حَصْرًا شديدًا ، وأمَر أُمراءَ الأعْرابِ أن يُغِيروا على الأطْرافِ ، ويَقْطَعوا الميرةَ الواصِلةَ إلى بغدادَ ، فغلَت الأسْعارُ ببغدادَ جدًّا ، وامْتَنَع الناسُ مِن المَعاشِ مِن كثرةِ العَيَّارِين والنَّهبِ ، وكبَس أفتِكين البيوتَ لطلَبِ الطعامِ ، واشْتَدَّ الحالُ جدًّا ، ثم الْتَقَت الأتْراكُ وعَضُدُ الدولةِ ، فكسَرَهم وهرَبوا إلى تَكْرِيتَ ، واسْتَحْوَذ عضدُ الدولةِ على بغدادَ وما والاها مِن البلادِ ، وكانت التُّركُ قد أخْرَجوا معهم الخليفةَ ، فردَّه عَضُدُ الدولةِ إلى دارِ الخِلافةِ مُكَرَّمًا ، ونزَل هو بدارِ الملكِ ، فضعُف أمْرُ بَخْتِيارَ جدًّا ، ولم يَبْقَ معه شىءٌ بالكُلِّيةِ ، فأغْلَق بابَه ، وطرَد الحَجَبةَ والكَتَبَةَ عن بابِه ، واسْتَعْفَى عن الإمارةِ ، وكان ذلك بمَشورةِ عضدِ الدولةِ ، فاسْتَعْطَفَه عضدُ الدولةِ فى الظاهرِ ، وقد أشار عليه فى الباطنِ أن لا يَقْبَلَ ، فلم يَقْبَلْ .

وتَرَدَّدَت الرسلُ بينَهما ، فصمَّم بَخْتِيارُ على [3]الامْتِناعِ ظاهرًا ، فألزَمه عضدُ الدولةِ بذلك ، وأظْهَر للناسِ أنه إنما يَفْعَلُ[3] هذا عجزًا منه عن القيامِ بأعْباءِ المُلْكِ ،

---

(١) المنتظم ١٤/٢٣٤ - ٢٣٧، والكامل ٨/٦٤٨ - ٦٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٥٧ - ٢٦٠. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٣٤ - ٤٤٥.

(٢) فى الأصل، ب: «كفتكين».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

فأمَر بالقبضِ على بَخْتِيارَ وعلى أهلِه وإخْوتِه ، ففرِح بذلك الخليفةُ الطائعُ للَّهِ ، وسُرَّ به ، وأظْهَر عَضُدُ الدولةِ مِن تَعْظِيمِ الخلافةِ ما كان دارسًا ، وجدَّد دارَ الخلافةِ حتى صار كلُّ مَحَلٍّ منها آنِسًا ، وأرْسَل إلى الخَليفةِ بالأمْوالِ الكثيرةِ والأمْتِعةِ الحَسَنةِ ، وقتَل جماعةَ المُفْسِدين مِن مَرَدَةِ التركِ وشُطَّارِ العَيَّارِين .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : وفى هذه السنةِ عظُم البَلاءُ بالعَيَّارِين ببغدادَ ، وأحْرَقوا سُوقَ بابِ الشَّعيرِ ، وأخَذوا أمْوالًا كثيرةً ، وركِبوا الخُيولَ ، وتَلَقَّبوا بالقُوَّادِ ، وأخَذوا الخُفَرَ مِن الأسْواقِ والدُّروبِ ، وعظُمَت المِحْنةُ بهم جدًّا ، واسْتَفْحَل أمْرُهم كثيرًا ، حتى إن رجلًا منهم أسْوَدَ كان مُسْتَضْعَفًا نجَم[2] فيهم ، فكَثُر مالُه حتى اشْتَرَى جاريةً بألفِ دينارٍ ، فلما حصَلَت [٩/ ٨٥ظ] عندَه حاوَلها عن نَفْسِها ، فأبَتْ عليه ، فقال لها : ما تَكْرَهِين منى ؟ قالت : أَكْرَهُك كلَّك . فقال : فما تُحِبِّين ؟ قالت : تَبِيعُنى . قال : أوَ خيرٌ مِن ذلك ؟ فحمَلها إلى القاضى ، فأعْتَقَها وأعْطاها ألفَ دينارٍ وأطْلَقها ، فتعَجَّب الناسُ مِن حِلْمِه وكرمِه مع فِسْقِه وتَمرُّدِه .

قال[3] : وورَد الخبرُ فى المُحَرَّمِ بأنه خُطِب للمُعِزِّ الفاطمىِّ بمكةَ والمدينةِ فى المَوْسِمِ ، ولم يُخْطَبْ للطائعِ .

قال[3] : وفى رجبٍ منها غلَتِ الأسْعارُ ببغدادَ جدًّا حتى بِيعَ الكُرُّ الدقيقُ الحُوَّارَى بمائةٍ ونَيِّفٍ وسبعين دينارًا .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) نجم : نشأ وظهر . الوسيط (ن ج م) .

(٣) انظر المنتظم ١٤/ ٢٣٥، ٢٣٦.

قال[1] : وفيها اضْمَحَلَّ أمْرُ عَضُدِ الدولةِ [2]بنِ ركنِ الدولةِ[2] بنِ بُوَيْهِ ، وتفرَّق جُنْدُه عنه ، ولم يَبْقَ معه سِوَى بغدادَ وحدَها ، فبعث إلى أبيه يَشْكُو له ذلك ، فأرْسَل يَلومُه على الغَدْرِ بابنِ عمِّه عزِّ الدولةِ ، فلمَّا بلَغه ذلك خرَج مِن بغدادَ إلى فارسَ[3] بعدَما أخْرَج ابنَ عمِّه بَختيارَ مِن السجنِ ، وخلَع عليه ، وأعاده إلى ما كان عليه ، وشرَط عليه أن يكونَ نائبًا له بالعراقِ يَخْطُبُ له بها ، وجعَل معه أخاه أبا إسْحاقَ أميرَ الجيوشِ لضَعْفِ بَخْتِيارَ عن تَدْبِيرِ الأمورِ ، واسْتَمَرَّ ذاهبًا إلى بلادِ فارسَ ، وذلك كلُّه عن أمْرِ أبيه له بذلك ، وغضَبِه عليه بسببِ غَدْرِه بابنِ عمِّه وتَكْرارِ مُكاتَباتِه إليه فى ذلك .

ولما سار عضدُ الدولةِ ترَك بعدَه وزيرَ أبيه أبا الفَتْحِ بنَ العَمِيدِ [2]ليلحقَه بعد ثلاثٍ ، فتشاغلَ بالقصفِ مع عزِّ الدولةِ واللعبِ واللهوِ ، فأوجبَ ذلك وَحْشَةً بين عضُدِ الدولةِ وبين ابنِ العميدِ ، فكان ذلك سببَ هلاكِ ابنِ العميدِ[2] ، ولمَّا اسْتَقَر أمرُ عزِّ الدولةِ بَخْتِيارَ ببغدادَ وملَك العراقَ لم يَفِ لابنِ عَمِّه عَضُدِ الدولةِ بشىءٍ مما كانَ عاهدَه عليه ، ولا ما كان الْتَزَم له به بينَ يديه ، بل تمادَى فى ضَلالِه القديمِ ، واسْتَمَرَّ على سَننِه[4] الذى هو غيرُ مُسْتَقيمٍ .

قال[5] : وفى يومِ الخميسِ لعَشْرٍ خلَوْن مِن ذى القَعْدةِ تزَوَّج الخليفةُ الطائعُ للَّهِ شاهْ نازَ[6] بنتَ عِزِّ الدولةِ على صَداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ .

---

(١) انظر المنتظم ١٤/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) سقط من: ص.

(٤) فى ب، م، ص: «مشيه».

(٥) انظر المنتظم ١٤/ ٢٣٦.

(٦) فى ب: «شاه بار»، وفى م: «شاه باز». وفى المنتظم ١٤/٢٣٦ : «شاه زنان»، وفى إحدى =

وفى سَلْخِ ذى القَعْدةِ عُزِل القاضى أبو الحسنِ محمدُ بنُ صالحِ بنِ أمِّ شَيْبانَ ، وقُلِّده أبو محمدِ بنُ مَعْروفٍ .

وأقام الحجَّ فى هذه السنةِ أصحابُ المعزِّ الفاطميِّ ، وخُطِب له بالحرمَيْن الشَّريفَيْن دون الخليفةِ الطائعِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

ذِكْرُ أخْذِ دمشقَ مِن أيدى الفاطمِيين

ذكَر ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[1] أن أفتكِين غلامَ مُعِزِّ الدولةِ الذى كان قد خرَج عن طاعتِه كما تقَدَّم ، والتَفَّ عليه عساكرُ وجُيوشٌ مِن الدَّيْلَمِ والتُّركِ والأعْرابِ ، نزَل فى هذه السنةِ على دمشقَ ليأخذَها من أيدى الفاطميين ، وكان عليها رَيَّانُ[2] الخادمُ [3]من جهةِ المعزِّ الفاطميِّ[3] ، فلما نزَل [٩/٨٦و] بظاهرِها خرَج إليه كُبَراؤها وشُيوخُها ، فذكَروا ما هم فيه مِن الظُّلْمِ والغَشْمِ ومُخالفةِ الاعْتِقادِ بسببِ مُلْكِ الفاطمِيِّين عليهم ، وسأَلوه أن يُصَمِّمَ على أخْذِ البلدِ ليَسْتَنْقِذَها منهم ، فعندَ ذلك صمَّم على أخْذِها ، ولم يَزَلْ حتى أخَذها ، وأخْرَج رَيَّانَ الخادمَ منها ، واستقل بأمرِها وكسَر أهلَ الشرِّ ، ورفَع أهلَ الخيرِ ، ووضَع العَدْلَ فيهم ، وقمَع أهلَ اللَّعِبِ واللَّهْوِ ، وكفَّ أيدىَ الأعْرابِ الذين كانوا قد عاثُوا فى البلادِ فَسادًا ، وأخَذوا عامَّةَ المَرْجِ والغُوطَةَ ، ونهَبوا أهلَها .

= نسخه « شاه تان » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٧١.

(١) الكامل ٨/ ٦٥٦.

(٢) فى الأصل، ص: « زيَّان » .

(٣ - ٣) سقط من: ص.

ولما استقامَت الأُمورُ على يديه ، وصلَح أمْرُ أهلِ الشامِ عليه كتَب إليه المُعِزُّ الفاطميُّ من مصرَ يَشْكُرُ سَعْيَه ، ويَطْلُبُه إليه ليَخْلَعَ عليه ، ويَجْعَلَه نائبًا مِن جهتِه ، فلم يُجِبْه إلى ذلك وخاف غائِلتَه ، وقطَع خُطْبتَه مِن الشامِ ، وخطَب للطائعِ العباسيِّ ، وقصَد صَيْدَا ، وبها خَلْقٌ مِن المَغاربةِ عليهم ابنُ الشيخِ ، وفيهم ظالمُ بنُ مَوهوبٍ العُقَيْليُّ - الذى كان نائبًا على دمشقَ للمُعِزِّ الفاطميِّ كما تقدَّم ، فأساء بها السِّيرةَ - فحاصَرهم ولم يَزَلْ حتى أخَذ البلدَ منهم ، وقتَل منهم نحوًا مِن أربعةِ آلافٍ من سَراتِهم ، ثم قصَد طَبَرِيَّةَ ، ففعَل بأهلِها مثلَ ذلك ، فعندَ ذلك عزَم المُعِزُّ الفاطميُّ على المَسيرِ إليه وقتالِه ، فبينما هو يَجْمَعُ له ويرتِّبُ الجيوشَ إذ تُوُفِّى المُعِزُّ بمصرَ فى سنةِ خمسٍ وستين ، كما سيأْتى ، وقام بعدَه ولدُه العَزيزُ ، فاطْمأَنَّ عندَ ذلك أفتِكين بالشامِ ، واسْتَفْحَل أمْرُه ، وقوِيَت شَوْكتُه ، فتشاوَر المصريون فى أمرِه ، فاتفق رأيُهم على أن بعَثوا جوهرًا القائدَ إليه ، وذلك عن رأيِ الوزيرِ يعقوبَ ابنِ كِلِّسٍ ، فلمَّا تَجهَّز جوهرٌ القائدُ لقَصدِ الشامِ حلَّف أفتِكين أهلَ دمشقَ على مناصَرَتِه ومناصحَتِه ، فحلفوا له بذلك ، وجاء جَوْهَرٌ ، فحصَر دمشقَ سبعةَ أشهرٍ حَصْرًا شَديدًا ، ورأى مِن شَجاعةِ أفتِكين ما بهَره ، وحين طال الحالُ أشار مَن أشار مِن الدَّماشِقةِ على أفتِكين أن يَكْتُبَ إلى الحسنِ بنِ أحمدَ القِرْمِطيِّ وهو بالأحساءِ ، ليجيءَ إليه ، فلما كتَب إليه أقْبَل لنَصْرِه ، فحين سمِع جَوْهَرٌ بقدومِه لم يُمْكِنْه أن يَبْقَى بينَ عدُوَّيْن مِن داخلِ البلدِ ومن خارجِها ، فارْتَحل قاصدًا الرَّمْلةَ ، فتبِعه أفتِكين والقِرْمِطيُّ فى نحوٍ مِن خمسين ألفًا ، فتواقَعوا عندَ نهرِ الطَّوَاحِينِ على ثلاثةِ فَراسِخَ مِن الرَّمْلةِ ، وحصَروا جَوْهَرًا بالرَّمْلةِ ، فضاق حالُه جدًّا مِن قلةِ الطعامِ والشرابِ ، حتى أشْرَف هو ومَن معه على الهَلاكِ سريعًا ، فسأَل أن يَجْتَمِعَ هو وأفتِكين على ظهُورِ الخَيْلِ ، فأجابه إلى ذلك ، فلم يَزَلْ يَتَرَفَّقُ

له أن يُطْلِقَه ليرجعَ بمَن معه مِن أصحابِه إلى أُستاذِه شاكرًا له مُثْنِيًا [٩/ ٨٦ظ] عليه الخيرَ ، ولا يَسْمَعَ مِن القِرْمِطيِّ رأيَه فيه - وكان جَوْهَرٌ داهيةً - فأجابه إلى ذلك ، فندَّمَه القِرْمِطيُّ وقال : الرَّأىُ أنَّا كنا نَحْصُرُهم حتى يَمُوتوا عن آخِرِهم ، فإنه الآنَ سيذهبُ إلى سيِّدِهِ فيخبِرُه ، ثم يُخْرِجُه إلينا ، ولا طاقةَ لنا به . فكانَ الأمْرُ كما قال ؛ فإنه لما أطْلَقه أفتِكين مِن الحَصْرِ لم يَكُنْ له دَأْبٌ إلا أنه حثَّ العزيزَ على الخُروجِ إلى أفتِكين بنفسِه وجيوشِه ، فأقْبَل فى جَحافِلَ أمثالِ الجبالِ ، وكثرةٍ مِن الرجالِ والعُدَدِ والأثْقالِ والأمْوالِ ، وعلى مُقَدِّمتِه جَوْهَرٌ القائدُ . وجمَع أفتِكين والقِرْمِطِيُّ الجُيوشَ والأعْرابَ ، وسارا إلى الرَّمْلةِ ، فالتقَوا فى مُحَرَّمِ سنةَ سبعٍ وستين ، ولما تواجَهوا رأَى العَزيزُ مِن شجاعةِ أفتِكين ما بهَره ، فأرْسَل إليه يَعْرِضُ عليه إن أطاعه ورجَع إليه أن يَجْعَلَه مُقَدَّمَ عَساكرِه ، وأن يُحْسِنَ إليه غايةَ الإحْسانِ . فترَجَّل أفتِكين عن فرسِه بينَ الصفَّيْنِ ، وقبَّل الأرضَ نحوَ العزيزِ ، وأرْسَل إليه يقولُ : لو كان هذا قبلَ هذا لأمْكَنَنى وسارَعْتُ وأطَعْتُ ، وأمَّا الآن فلا . ثم ركِب فرسَه ، وحمَل على الميسرةِ ففرَّق شَمْلَها ، وبدَّد خيلَها ورَجِلَها ، فبرَز عندَ ذلك العزيزُ مِن القَلْبِ ، وأمَر المَيْمَنةَ ، فحمَلَت حَمْلةً صادقةً ، فانْهَزَم القِرْمِطيُّ ، وتبِعه بقيةُ الشاميِّين ، (١) وركِبَت المَغارِبةُ أقْفِيتَهم يَقْتُلون ويَأْسِرون مَن شاءوا ، وتحوَّل العزيزُ فنزَل خِيامَ الشاميِّين بمَن (١) معه من الجيوشِ ، وأرْسَل السَّرايا وراءَهم ، وجعَل العزيزُ لا يُؤْتَى بأسيرٍ إلا خلَع على مَن جاء به ، وجعَل لمن جاءه بأفتِكين مائةَ ألفِ دينارٍ ، فاتَّفَق أنَّ أفتِكين عطِش وهو منهزمٌ عَطَشًا شديدًا ، فاجْتاز بمُفَرِّجِ بنِ دَغْفَلٍ (٢) ، وكان صاحبَه ، فاسْتَسْقاه فسَقاه ماءً وأنْزَله عندَه فى

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ب : « دعفل » ، وفى ص : « دعبل » . والمثبت موافق لما فى الكامل ٨/ ٦٦٠ .

بُيوتِه ، وأرْسَل إلى العزيزِ يُخْبِرُه بأن الذى يطلبُ عندَه ، فلْيَحْمِلْ إليه الذهبَ ، فأرْسَل إليه بمائةِ ألفِ دينارٍ ، وجاء مَن تسَلَّمه منه ، فلما أُحِيط بأفتِكين لم يَشُكَّ أنه مَقْتولٌ ، فما هو إلا أن حضَر عندَ العزيزِ أكْرَمه غايةَ الإكْرامِ واحترَمه غايةَ الاحترامِ ، وردَّ إليه حَواصِلَه وأمْوالَه لم يَفْقِدْ منها شيئًا ، وجعَله مِن أخصِّ أصحابِه وأُمرائِه ، وأنْزَلَه إلى جانبِ منزلِه ، ورجَع به إلى الديارِ المصريةِ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا ، وأقْطَعه هنالك إقْطاعاتٍ جَزيلةً ، وأرْسَل إلى القِرْمِطىِّ يَعْرِضُ عليه أن يَقْدَمَ عليه ويُكْرِمَه كما أكْرَم أفتِكين ، فامْتَنع وخاف على نفسِه ، فأرْسَل إليه بعشرين ألفَ دينارٍ ، وجعَلها له فى كلِّ سنةٍ ، يَكُفُّ بها شَرَّه ، ولم يَزَلْ أفتِكين مُكَرَّمًا عندَ العزيزِ حتى وقَع بينَه وبينَ الوزيرِ يعقوبَ بنِ كِلِّسٍ ، فعمِل عليه حتى سقاه سُمًّا فمات ، وحينَ علِم الخليفةُ بذلك غضِب على الوزيرِ ، وحبَسه [٩/ ٨٧و] بِضْعًا وأربعين يومًا ، وأخَذ منه خمسَمائةِ ألفِ دينارٍ ، ثم رأَى أنه لا غِنَى به عن الوزيرِ ، فأخرَجه من السجنِ وأعاده إلى الوِزارةِ وذهب أفتِكين فى حالِ سبيلِه ، رحِمه اللَّهُ . هذا مُلَخَّصُ ما ذكَره ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه » .

ومِمَّن توفِّى فى هذه السَّنةِ مِن الأعْيانِ :

سُبُكْتِكِين الحاجبُ التُّركىُّ ، مولى المُعِزِّ الدَّيْلَمِىِّ وحاجبُه[1] ، وقد ترَقَّى فى المَراتبِ حتى آل به الحالُ إلى أن قلَّده الطائعُ الإمارةَ وخلَع عليه ، وأعْطاه اللِّواءَ ، ولقَّبه بنُورِ الدولةِ ، وكانت مدةُ دولتِه فى هذا المَقامِ شهرين وثلاثةَ عشَرَ يومًا ، ودُفِن ببغدادَ ، ودارُه هى دارُ المُلْكِ ببغدادَ ، وهى دارٌ عظيمةٌ جدًّا ، وقد اتَّفَق له

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٠٥، وتاريخ دمشق ٢٠/ ١٣٧، والمنتظم ١٤/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٢٣، والوافى بالوفيات ١٥/ ١١٦.

أنه سقَط يومًا عن فرسِه ، فانْكَسَر ضِلَعُه ، فداواه الطَّبيبُ حتى استقام ظهْرُه ، وقدَر على الصَّلاةِ إلا أنه لم يَسْتَطِعِ الركوعَ ، فأعْطاه شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ ، وكان يقولُ للطَّبيبِ : إذا ذكَرْتُ مَرَضِى ومُداواتَك لى لا أَقْدِرُ على مُكافأتِك ، ولكن إذا تذَكَّرْتُ وضْعَك قدميْك على ظَهْرى اشْتَدَّ غَيْظِى مِنك .

وكانت وفاتُه ليلةَ الثلاثاءِ لسبعٍ بقِين مِن المُحَرَّمِ ، وقد ترَك مِن الأمْوالِ شيئًا كثيرًا جدًّا ، مِن ذلك ألفُ ألفِ دينارٍ وعشَرةُ آلافِ ألفِ درهمٍ ، وصُنْدوقان[1] مِن جَوْهَرٍ ، وخمسةَ عشَرَ صُنْدوقًا مِن البَلُّورِ ، وخمسةٌ وأربعون صُنْدوقًا مِن آنيةِ الذهبِ ، ومائةٌ وثلاثون مركبًا[2] مِن ذهبٍ ، منها خمسون ؛ وزنُ[3] كلِّ واحدٍ ألفُ دينارٍ ، وستُّمائةِ مَرْكَبِ فضةٍ ، وأربعةُ آلافِ ثوبٍ دِيباجًا ، وعشَرةُ آلافِ دَبِيقىٍّ وعِتَّابىٍّ ، وثلاثُمائةِ عِدْلٍ مَعْكومةٍ مِن الفُرُشِ ، وثلاثةُ آلافِ فرسٍ وبغلٍ ، وألفُ جملٍ ، وثلاثُمائةِ غلامٍ وأربعون خادمًا ، وذلك غيرُ ما أوْدَع عندَ أبى بكرٍ البَزَّارِ صاحبِه ، واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) فى ص : « صندوقًا » .

(٢) فى ب ، م : « كوكبا » .

(٣) فى الأصل : « درجًا فى » ، وفى ب : « درى » . والمثبت موافق لما فى المنتظم .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ

فيها[1] قسَم رُكْنُ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ مَمالِكَه بينَ أوْلادِه عندَما كبِرَت سنُّه، فجعَل لولدِه عَضُدِ الدولةِ [2]بلادَ فارسَ وكَرْمانَ وأَرَّجانَ، ولولدِه مُؤَيِّدِ الدولةِ[2] الرَّيَّ وأصْبَهانَ، ولفَخْرِ الدولةِ هَمَذانَ والدِّينَوَرَ، وجعَل ولدَه أبا العَبَّاسِ فى كَنَفِ عَضُدِ الدولةِ وأوْصاه به.

وفيها جلَس قاضى القُضاةِ ببغدادَ أبو محمدِ بنُ مَعْروفٍ فى دارِ عِزِّ الدولةِ وفى مجلسِه عن أمرِه له فى ذلك لفَصْلِ الحُكوماتِ، وحكَم بينَ الناسِ بينَ يديه.

وفيها حجَّ بالناسِ أميرُ المِصْريِّين مِن جهةِ العزيزِ بنِ المعزِّ الفاطميِّ بعدَما حُوصِر أهلُ مكةَ، ولقُوا شدةً عظيمةً، وغلَت الأسْعارُ عندهم جدًّا.

وذكَر ابنُ الأثيرِ[3] أن [٩/ ٨٧ظ] فى هذه السنةِ ذهب يوسفُ بُلُكِّين - نائبُ المُعِزِّ الفاطميِّ على بلادِ إفْريقِيَّةَ - إلى سَبْتَةَ، فأشْرَف عليها مِن جبلٍ مُطِلٍّ عليها، فجعَل يَتَأَمَّلُ مِن أين يُحاصِرُها[4] نصفَ يومٍ، فخافه أهْلُها خوفًا شديدًا، ثم انْصَرَف عنها إلى مدينةٍ هنالك يقالُ لها: بَصْرةُ. فى المغربِ، فأمَر بهدْمِها

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٤٣، والكامل ٨/ ٦٦٣، ٦٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٦١، وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٤٦ - ٤٤٩.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) الكامل ٨/ ٦٦٥.

(٤) بعده فى م، ص: «فحاصرها».

ونَهْبِها ، ثم سار إلى مدينةِ بَرْغَوَاطَةَ[1] ، وبها رجلٌ يقال له : عيسى[2] بنُ أمِّ الأنصارِ . وهو مَلِكُها ، وقد اشْتَدَّت المِحْنةُ به لسِحْرِه وشَعْبَذتِه ، وادَّعى أنه نبيٌّ ، فأطاعوه ، ووضَع لهم شَريعةً يَقْتَدون به فيها ، فقاتَلهم بُلُكِّين ، فهزَمهم وقتَل هذا الفاجرَ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، ونهَب أموالَهم ، وسبىَ ذَرارِيَّهم ، فلم يُرَ سَبْيٌ أحْسَنُ أشْكالًا منهم ، فيما ذكَر أهلُ تلك البلادِ فى ذلك الزمانِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ سَلْمٍ[3] ، **أبو بكرٍ الخُتُّلىُّ**[4] ، له مُسْنَدٌ كبيرٌ ، روَى عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ وأبى محمدٍ الكَجِّىِّ وخَلْقٍ ، وروَى عنه الدارَقُطْنىُّ وغيرُه ، وكان ثِقةً ، قارَب التِّسْعين .

ثابتُ بنُ سِنانِ بنِ ثابتِ بنِ قُرَّةَ الصابئُ ، المؤَرِّخُ ، فيما ذكَره ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ »[5] .

الحسينُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو علىٍّ الماسَرْجِسِىُّ[6] الحافظُ ، رحَل وسمِع الكثيرَ ، وصنَّف مُسْنَدًا فى ألفٍ وثلاثِمائةِ جُزْءٍ بطرقِه وعِلَلِه ،وله

---

(١) فى ب : « عرناطة » . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) فى الكامل : « عبس » .

(٣) فى الأصل ، ص ، والمنتظم : « مسلم » ، وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٤/ ٧١، والمنتظم ١٤/ ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٣٣، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٩٠، وغاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٤٤.

(٤) فى ب ، م : « الحنبلى » ، وفى ص : « الجيلى » . وانظر الأنساب ٢/ ٣٢٢.

(٥) الكامل ٨/ ٦٦٨. وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٨٥.

(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٩٢، والمنتظم ١٤/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٣٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣١.

« المَغازى » و « القَبائلُ » ، وخرَّج على [1]الصحيحينِ وغيرِهما[1] .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : وفى بيتِه وسَلَفِه[3] تسعةَ عشَرَ مُحَدِّثًا . تُوُفِّى فى رجبٍ من هذه السنةِ .

الحافظُ أبو أحمدَ [4]عبدُ اللَّهِ[4] بنُ عدىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عدىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ محمدِ بنِ أبى أحمدَ الجُرْجانىُّ الكبيرُ المفيدُ الإمامُ العالمُ الجَوَّالُ النَّقَّالُ الرَّحَّالُ ، له كتابُ « الكاملِ » فى الجرحِ و التَّعْديلِ ، لم يُسْبَقْ إلى مثلِه ، ولا يُلْحَقُ فى شكلِه .

قال حمزةُ ، عن الدارَقطْنىِّ[5] : فيه كِفايةٌ لا يُزادُ عليه . وُلِد ابنُ عَدِىٍّ فى سنةِ سبعٍ وسبعين[6] ومائتين ، وهى السنةُ التى تُوُفِّى فيها أبو حاتمٍ الرازىُّ ، وتُوُفِّى ابنُ عَدِىٍّ فى جُمادى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ .

المُعِزُّ الفاطمىُّ

بانى القاهرةِ المُعِزِّيةِ ، مَعَدُّ بنُ إسماعيلَ بنِ سعيدِ[7] بنِ [8]عبيدِ اللَّهِ[8] أبو تميمٍ ،

(١ - ١) فى ب ، م : « الصحيح وغيره » .

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٩٢.

(٣) السَّلَفُ : من تقدمك من آبائك وذوى قرابتك الذين هم فوقك فى السن والفضل . اللسان (س ل ف) .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م ، ص . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٩/٧٧١ مخطوط ، والمنتظم ١٤/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٣٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣١٨.

(٥) تاريخ جرجان ص ٢٢٦، كما أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/٧٧٢ مخطوط .

(٦) فى المنتظم : « ستين » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق وتاريخ الإسلام .

(٧) ليست فى مصادر التخريج . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٤/ ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٤٨.

(٨ - ٨) فى النسخ : « عبد الله » .

المُدَّعِى أنه فاطميٌّ ، صاحبُ الديارِ المصريةِ ، وهو أولُ مَن ملَكها مِن الفاطميِّين ، وكان مُلكُهم ببلادِ إفريقِيَّةَ وما والاها مِن بلادِ المغربِ ، فلما كان فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ ، بعَث بينَ يديه جَوْهَرًا القائدَ ، فأخَذ له البلادَ المصريةَ من كافورِ الإخْشِيدىِّ بعدَ حروبٍ تقَدَّم ذِكْرُها[1] ، واسْتَقَرَّت يدُ جوهرٍ القائدِ عليها ، فبنَى بها القاهرةَ المعزِّيةَ ، ونَزَل الملكُ المكانَ المسَمَّى بالقَصْرين ، ثم أُقيمت الخُطْبةُ للمُعِزِّ فى سنةِ ثنتَيْن وستين وثلاثِمائةٍ ، [٩/٨٨و] وقدِم المُعِزُّ ، كما ذكرْنا[2] فى جَحافلَ عظيمةٍ ، ومعه الأمراءُ مِن المَغارِبةِ والأكابرِ والقُوَّادُ ، وحينَ نزَل الإسْكَنْدَريةَ تلَقَّاه وجوهُ الناسِ إليها فخطَبهم فيها خُطْبةً بَليغةً [3]افتخَر فيها بنَسبِهِ[4] وملْكِه و[3] ادَّعَى أنه يَعْدِلُ ويُنْصِفُ المَظْلومَ مِن ظالمِه ، وأن اللَّهَ قد رحِم الأُمَّةَ بهم ، [3]واستنقَذهم من أيدى الظلمةِ إلى عدلِهم وإنصافِهم[3] ، وهو مع ذلك يَدَّعى ظاهرَ الرفضِ ، ويُبْطِنُ - كما قال القاضى الباقِلَّانىُّ - الكُفْرَ المَحْضَ ، وكذلك أهلُ طاعتِه ومَن نَصَره ووالاه ، [3]واتَّبعه فى مذهبِه[3] ، قبَّحَهم اللَّهُ وإياه .

وقد أُحْضِر إلى بينِ يديه الزاهدُ العابدُ التَّقِىُّ أبو بكرٍ النابُلُسِىُّ[5] ، فأُوقِف بين يديه ، فقال له المُعِزُّ : بلَغَنى أنك قلتَ : لو كان معى عشَرةُ أسهمٍ لرمَيْتُ الرومَ [6]بسهمٍ ، ورمَيْتُ المعزِّيِّين[7] بتسعةٍ[6] فقال : ما قلتُ هذا . فظنَّ أنه قد رجَع ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٢) تقدم فى صفحة ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) فى ب ، م ، ص : « بنفسه » .

(٥) انظر المنتظم ١٤/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٦ - ٦) فى ب ، م : « بتسعة ، ورميت المصريين بسهم » .

(٧) فى الأصل : « المصريين » .

وقال : فكيف قلتَ ؟ قال : قلتُ : يَنْبَغى أن يَرْمِيَكم بتسعةٍ ، ثم يَرْمِيَكم بالعاشرِ . قال : ولمَ ؟ قال : لأنكم [1] غيَّرْتُم دينَ الأُمَّةِ [1] ، وقتَلْتُم الصالحين ، وادَّعَيْتم [2] نورَ الإلَهيةِ . فأمَر بإشهارِه فى أولِ يومٍ ، ثم ضُرِب بالسِّياطِ فى اليومِ الثانى ضَرْبًا شديدًا مُبَرِّحًا ، ثم أمَر بسَلْخِه فى اليومِ الثالثِ ، فجىء بيهودىٍّ ، فجعَل يَسْلُخُه وهو يَقْرأُ القرآنَ ، قال اليهودىُّ : فأخذَتْنى رِقَّةٌ عليه ، فلما بلَغْتُ تِلْقاءَ قَلْبِه طعَنْتُه بالسِّكِّينِ فمات . رحِمه اللَّهُ تعالى . فقيل له : الشَّهيدُ . وإليه يُنْسَبُ بنو الشهيدِ مِن أهلِ نابُلُسَ إلى اليومِ [3] .

وقد كان المُعِزُّ ذا شَهامةٍ وقوةٍ وشِدَّةِ عَزْمٍ ، وله سِياسةٌ ، ويُظْهِرُ أنه يَعْدِلُ ويَنْصُرُ الحقَّ ، ولكنه مع ذلك كان مُنَجِّمًا يَعتَمِدُ ما يُرْصَدُ من حَرَكاتِ النُّجومِ ، قال له مُنَجِّمُه : إن عليك قُطْعًا [4] فى هذه السنةِ فتوارَ عن وجهِ الأرضِ حتى تَنْقَضِىَ هذه المدةُ . فعَمِل له سِرْدابًا ، وأحْضَر الأُمراءَ وأوْصاهم بولدِه نِزارٍ ، ولقَّبه بالعزيزِ ، وفوَّض إليه الأمْرَ حتى يعودَ إليهم ، فبايَعوه على ذلك ، ودخَل ذلك السِّرْدابَ ، فتوارَى فيه سنةً ، فكانت المَغارِبةُ إذا رأى الفارسُ منهم سحابًا ساريًا تَرجَّلَ عن فرسِه ، وأوْمَأ إليه بالسلامِ ظانِّين أن المُعزَّ فى ذلك الغَمامِ ، ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف : ٥٤] . ثم برَز إلى الناسِ بعد مُضىِّ سنةٍ ، وجلَس فى مَقامِ المُلْكِ ، وحكَم على عادتِه ، ولكنَّه لم تَطُلْ مُدَّتُه بعد ذلك ، بل عاجَله القَضاءُ المَحْتومُ ، والحَيْنُ [5] المَقسومُ ، فكانت وَفاتُه فى هذه السنةِ ، وكانت مدةُ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « عثرتم الأمة » .

(٢) فى ب ، م : « أطفأتم » .

(٣) بعده فى ب ، م : « ولم تزل فيهم بقايا خير » .

(٤) فى ب : « فطعا » ، وبعده فى م : « أى خوفا » .

(٥) فى ب ، م : « وناله رزقه » . والحين : الهلاك . اللسان (ح ى ن) .

أيامِه فى الملكِ[1] ثلاثًا وعشرين سنةً وخمسةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ ، منها بمصرَ سنتان وتسعةُ أشهرٍ[2] ، وجملةُ عمرِه كلِّه خمسٌ وأربعون سنةً وستةُ أشهرٍ ؛ لأنه وُلِد بإفْرِيقِيَّةَ فى حادى عشرَ رمضانَ سنةَ تسعَ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ ، وكانت وفاتُه بمصرَ فى [٩/٨٨ظ] اليومِ السابعَ عشَرَ مِن ربيعٍ الآخِرِ سنةَ خمسٍ وستين وثلاثِمائةٍ ، وهى هذه السنةُ .

---

(١) بعده فى ب ، م : « قبل أن يملك مصر وبعدما ملكها » .

(٢) بعده فى ب ، م : « والباقى ببلاد المغرب » .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وستين وثلاثمائةٍ

فيها[1] تُوُفِّى رُكْنُ الدولةِ أبو علىٍّ بنُ بُوَيْهِ ، وقد جاوَز السبعين[2] ، وكانت أيامُ وِلايتِه نَيِّفًا وأرْبَعين سنةً ، وقبلَ موتِه فى السنةِ الماضيةِ قسَم ممالكَه بينَ أولادِه كما ذكَرْنا ، وقد عُمِلَتْ ضِيافةٌ فى دارِ ابنِ العَميدِ بأصبهانَ حافلةٌ ، حضَرها رُكْنُ الدولةِ وبنوه وأعْيانُ دولتِه ، فعهِد فى هذا اليومِ إلى ابنِه عَضُدِ الدولةِ ، وخلَع عَضُدُ الدولةِ على إخوتِه وسائرِ الأُمراءِ الأَقْبِيةَ والأكْسِيةَ على عادةِ الدَّيْلَم ، وحَيَّوْه بالرَّيْحانِ على عادتِهم أيضًا ، وكان يومًا مَشْهودًا ، ثم تُوفِّى رُكْنُ الدولةِ بعدَه بقليلٍ فى هذه السنةِ ، وقد كان سائسًا حَليمًا وَقورًا ، كثيرَ الصَّدَقاتِ ، مُحِبًّا للعُلماءِ ، فيه إيثارٌ وكرمٌ كثيرٌ ، وحسنُ عِشْرةٍ ورِياسةٍ على أقاربِه ودولتِه ورَعِيَّتِه .

وحينَ تمكَّن ابنُه عَضُدُ الدولةِ[3] قصَد العراقَ ليَأْخُذَها مِن ابنِ عمِّه عزِّ الدولةِ بَخْتِيارَ لسُوءِ سِيرتِه ورَداءةِ سَريرتِه ، فالْتَقَوْا فى هذه السنةِ بأرضِ الأهْوازِ ، فهزَمه عَضُدُ الدولةِ ، وأخَذ أثْقالَه وأمْوالَه ، وبعَث إلى البصرةِ فأخَذَها ، وأصْلَح بينَ أهلِها حَيَّىْ رَبيعةَ ومُضَرَ ، وقد كان بينَهما خُلْفٌ مُتَقادِمٌ مِن نحوِ مائةٍ وعشرين سنةً ، وكانت مُضَرُ تَميلُ إليه ، ورَبيعةُ عليه ، ثم اتَّفَق

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٤٧، ٢٤٨، والكامل ٨/ ٦٦٩ - ٦٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٦٣ - ٢٦٥. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ٤٥٠ - ٤٥٧.

(٢) فى ب ، م : « التسعين » .

(٣) الكامل ٨/ ٦٧١ - ٦٧٣.

الحيَّانِ واجتمع عليه الفريقان وقوِيَت شَوْكةُ عضدِ الدولِة ، فعَزَل عزَّ الدولةِ ، وقَبَض[1] على وزيرِه ابنِ بَقِيةَ ؛ لأنه اسْتَحْوَذ على الأمورِ دونه ، وجبَى الأمْوالَ إلى خَزائنِه ، فاسْتَظْهَر عزٌّ[2] الدولةِ بما وجَده من الحَواصِلِ لابنِ بَقِيةَ ، ولم يُبْقِ له منها بقيةً .

وكذلك أمَر[3] عَضُدُ[4] الدولةِ بالقَبْضِ على وزيرِ أبيه أبى الفتحِ بنِ العَميدِ لمَوْجِدَةٍ تقَدَّمَت منه إليه ، وقد سلَف ذِكْرُها[5] . فلم يَبْقَ لبنى العميدِ أيضًا فى الأرضِ بقيةٌ ، وقد كانت الأكابرُ تَتَّقى منهم التَّقِيَّةَ ، وقد كان ابنُ العَميدِ مِن الفُسوقِ والعِصْيانِ بأوْفَرِ مكانٍ ، فخانَتْه المَقادِيرُ ، وعاجَلَه غَضَبُ السُّلطانِ ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن غضَبِ الرحمنِ .

وفى مُنْتَصفِ شَوَّالٍ من هذه السنةِ[6] تُوُفِّى الأميرُ مَنْصورُ بنُ نوحٍ السامانىُّ - صاحبُ بلادِ خُراسانَ - ببُخارَى[7] ، وكانت وِلايتُه خمسَ عشْرةَ سنةً ، وقام بالأمْرِ بعدَه ولدُه أبو القاسمِ نوحٌ ، وكان عمرُه إذ ذاك ثلاثَ عشْرةَ سنةً ، ولُقِّب بالمنصورِ .

---

(١) أى عزا الدولة بختيار ، كما فى المصادر المتقدمة .

(٢) فى ب ، م : « عضد » .

(٣) الكامل ٨/ ٦٧٥، ٦٧٦.

(٤) فى النسخ : « ركن » . والمثبت من تكملة تاريخ الطبرى والكامل .

(٥) تقدم ذكر ذلك فى صفحة ٣٦٢ .

(٦) الكامل ٨/ ٦٧٣.

(٧) فى ب ، م : « وبخارى وغيرها » .

وفيها تُوُفِّي[1] [2]الحكمُ، ولقبُه[2] المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ بنُ الناصرِ لدينِ اللَّهِ عبدِ الرحمنِ الأُمويِّ، وقد كان هذا مِن خِيارِ المُلوكِ وعُلمائِهم، عالمًا بالفقهِ والخِلافِ والتَّواريخِ، مُحِبًّا للعُلماءِ، مُحْسِنًا إليهم. وكانت وفاتُه وله مِن العمرِ ثلاثٌ وستون سنةً [٩/٨٩و] وسبعةُ أشهرٍ، مدةُ خِلافتِه منها خمسَ عشْرةَ سنةً وخمسةُ أشهرٍ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه ولدُه هشامٌ وله عشْرُ سنين، ولُقِّب بالمُؤَيَّدِ باللَّهِ، وقد اخْتُلِف عليه فى أيامِه، واضْطَرَبت الرَّعايا، وحُبِس مدةً، ثم أُخْرِج وأُعِيد إلى الخِلافةِ، وقام بأعْباءِ أمْرِه حاجبُه المنصورُ أبو عامرٍ محمدُ بنُ أبى عامرٍ المَعافِرِىُّ، وابناه المُظَفَّرُ والناصرُ[3]، فساس الرَّعايا جيدًا، وعَدَل فيهم، وغزَا الأعداءَ، واسْتَقَرَّ لهم الحالُ كذلك نحوًا مِن ستٍّ وعشرين سنةً. وقد ساق ابنُ الأثيرِ[4] هـٰهنا قِطْعةً مِن أخْبارِهم وأطال شَرْحَها.

وفيها رجَع مُلْكُ حَلَبَ[5] إلى أبى المَعالى شريفِ بنِ سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ، وذلك أنه لما مات أبوه وقام مِن بعدِه تغَلَّب مولاهم قَرْعُوَيهِ عليهم، وأخْرَجَه منها خائفًا يَتَرَقَّبُ، [6]فسار إلى أمِّه بميّافارِقِينَ فى سنةِ سبعٍ وخمسين[6]،

---

(١) الكامل ٨/٦٧٧ - ٦٧٩.

(٢ - ٢) فى ب، م، والكامل: «الحاكم وهو». وانظر ترجمة الحكم هذا فى: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ١/ ٧، وجذوة المقتبس للحميدى ص ١٣، وبغية الملتمس ص ١٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٥٨.

(٣) المظفر والناصر هما ابنا المنصور أبى عامر، وكذلك قول المصنف: فساس... وعدل... وغزا. يعود على المنصور وهو المقصود به كما فى الكامل.

(٤) الكامل ٨/٦٧٧ - ٦٨٢.

(٥) الكامل ٨/٦٨٢، ٦٨٣.

(٦ - ٦) سقط من: ب، م.

ثُم جاء فنزَل حَماةَ ، وكانت الرومُ قد خرَّبَت حمصَ ، فسعَى فى عِمارتِها وتَرْميمِها وسكَنها ، ثم [1] إنَّ قرعويهِ استناب فى حَلَبَ مولًى له يقالُ له : بكجورُ . فتغلب عليه وسجَن مولاه قرعويهِ بقلعتِها نحوًا من ستِّ سنين ، فكتب [1] أهلُ حَلَبَ إلى أبى المَعالى وهو بحمصَ يسألونه أن يأتىَ إليهم ، فسار فحاصَر حلَبَ أربعةَ أشهرٍ ، فافْتَتَحها وامْتَنَعَت القَلْعةُ عليه ، وقد تحَصَّن بها بكجورُ ، ثم اصْطَلَح مع أبى المعالى على أن يُؤَمِّنَه على نفسِه ويَسْتَنِيبَه بحمصَ [2] ففعَل ، فناب له بكجورُ بحمصَ [2] ، ثم انْتَقَل فى وقتٍ إلى نيابةِ دمشقَ ، وإليه تُنْسَبُ هذه المَزْرعةُ ظاهرَ دمشقَ [2] مِن غَرْبِها [2] التى تُعْرَفُ بالقَصْرِ البكجوريِّ .

ابْتِداءُ مُلْكِ سُبُكْتِكِين والدِ محمودٍ صاحبِ غَزْنَةَ [3]

وقد كان سُبُكْتِكِين هذا مولًى للأميرِ أبى إسْحاقَ بنِ ألبتِكِين صاحبِ جيشِ غَزْنةَ وأعْمالِها للسامانيةِ ، وليس هذا بحاجبِ مُعِزِّ الدولةِ ، ذاك تُوُفِّى قبلَ هذه السنةِ كما قدَّمنا ، وأما هذا فإنه لما مات مولاه لم يَتْرُكْ أحدًا يَصْلُحُ للملكِ مِن بعدِه مِن ولدِه ولا مِن قومِه ، فاصْطَلَح الجيشُ على مُبايَعةِ سُبُكْتِكِين هذا لخَيرِه فيهم وحُسْنِ سِيرتِه ، وكَمالِ عقلِه وشَجاعتِه ودِيانتِه ، فاسْتَقَرَّ الملكُ بيدِه ، واسْتَمَرَّ مِن بعدِه فى ولدِه السعيدِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكين ، وقد غزا سُبُكتِكين هذا

(١ - ١) فى ب ، م : « لما اختلفت الأمور على قرعويه كتب » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) الكامل ٨/٦٨٣ - ٦٨٧.

بلادَ الهندِ ، ففتَح شيئًا كثيرًا مِن حُصونِهم ، وغنِم شيئًا كثيرًا مِن أموالِهم ، وكسَر مِن أصْنامِهم ونُذورِهم أمْرًا هائلًا ، وباشَر بمَن معه مِن الجُيوشِ حروبًا تُشَيِّبُ الولدانَ ، وقد قصَده جيبالُ ملكُ الهندِ بنفسِه [٩/٨٩ظ] وجُنودِه التى تَعُمُّ السُّهولَ والجبالَ ، فكسَره مرتين ، وردَّهم إلى بلادِهم فى أسوأِ حالٍ وأَرْدأِ بالٍ .

وذكَر ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[1] أن سُبُكْتِكِين لما الْتَقَى مع جيبالَ ملكِ الهندِ فى بعضِ الغَزَواتِ كان بالقُرْبِ منهم عينٌ فى عَقَبةِ غوركَ[2] ، مِن عادتِهم أنه إذا وُضِعَت فيها نَجاسةٌ أو قَذَرٌ ، اكْفَهَرَّت السماءُ وأَرْعَدَت وأبْرَقَت وأمْطَرَت ، ولا تَزالُ كذلك حتى تُطَهَّرَ تلك العينُ مِن ذلك الشىءِ الذى أُلْقِى فيها ، وأنَّ سُبُكْتِكِينَ أمر بإلقاءِ نَجاسةٍ فى تلك العينِ عند ذلك - وكانت قريبةً مِن نَحْرِ[3] العدوِّ - فلم يَزالوا فى رُعودٍ وبُروقٍ وأمْطارٍ وصَواعِقَ ، حتى ألْجأهم ذلك الحالُ إلى الهربِ والرُّجوعِ إلى بلادِهم خائبِين هارِبين ، وأرْسَل ملكُ الهندِ يَطْلُبُ مِن سُبُكْتِكِين الصُّلْحَ ، فأجابه بعد امْتِناعٍ مِن ولدِه محمودٍ ، على مالٍ جَزيلٍ يَحْمِلُه إليه ، وبلادٍ كثيرةٍ يُسَلِّمُها إليه ، وخمسين فِيلًا ورَهائنَ مِن رُءوسِ قومِه يَتْرُكُها عندَه حتى يَقومَ له بما الْتَزَم له مِن ذلك .

وفيها تُوُفِّى أبو يَعقوبَ[4] يوسفُ بنُ الحسنِ[5] الجَنَّابىُّ ، صاحبُ هَجَرَ

---

(١) الكامل ٨/ ٦٨٦.

(٢) فى م : « باغورك » .

(٣) سقط من : الأصل . وفى م : « نحو » . وهما قريبا المعنى فى هذا السياق ؛ يقال : جلس فى نحر فلان : أى قُبالَتَه . وما أقابله إلا فى نحر الشهر : أى أوَّله . والنحو : الجهة . انظر الوسيط (ن ح ر) ، (ن ح و) .

(٤) المنتظم ١٤/ ٢٥٢، والكامل ٨/ ٦٨٨، وفيه أن وفاته كانت سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٦٧، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٢٩.

(٥) فى ب ، م : « الحسين » .

ومُقَدَّمُ القَرامِطةِ ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه ستةٌ مِن قومِه ، وكانوا يُسَمَّوْن بالسادةِ ، وقد اتَّفَقوا على تَدْبيرِ الأمْرِ مِن بعدِه ، ولم يَخْتَلِفوا ، فمشَى حالُهم .

وفيها كانت وفاةُ **الحسنِ**[1] **بنِ أحمدَ بنِ أبى سعيدٍ الجَنَّابىِّ ، أبى محمدٍ القِرْمِطىِّ** ، قال ابنُ عَساكرَ[2] : واسمُ أبى سعيدٍ الحسنُ[3] بنُ بَهْرامٍ . ويقالُ : الحسنُ بنُ أحمدَ [4]بنِ الحسنِ بنِ يوسفَ بنِ كُوذْكارَ[4] . يُقالُ : أصْلُه[5] مِن الفرسِ . [4]قال : ويُعرفُ أبو محمدٍ هذا بالأعصمِ . قال : وولِد بالأحْساءِ فى سنةِ ثمانٍ وسبعين ومائتين[4] . وقد تغَلَّب على[6] الشامِ فى سنةِ سبعٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ ، ثم عاد إلى الأحْساءِ بعدَ سنةٍ ، ثم عاد إلى دمشقَ فى سنةِ ستين ، وكسَر جيشَ جعفرِ بنِ فَلَاحٍ أولِ مَن ناب بالشامِ عن المُعِزِّ الفاطمىِّ ، وقتَله ، ثم توَجَّه إلى مصرَ ، فحاصَرها فى مُسْتَهَلِّ ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدى وستين ، واسْتَمَرَّ مُحاصِرَها شُهورًا ، وقد كان اسْتَخْلَف على دمشقَ ظالمَ بنَ مَوْهوبٍ[7] العُقَيلىَّ ،

---

(١) فى ب ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٣/ ٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٥٧، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٧٣، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٢٨. والظاهر أن كنيته مختلف فيها ففى تاريخ دمشق « أبو محمد » وساق ابن عساكر له خبرا أثناء ترجمته كُنِّى فيه بـ« أبى على » . وذكره الحافظ الذهبى فى السير بـ« أبى على » فقط ، وفى تاريخ الإسلام بـ« أبى محمد » فقط . ونص صاحب الوافى أن كنيته هى « أبو محمد » ، و « أبو على » فى قول ، وعكس كلام صاحب الوافى مصنفُ النجوم الزاهرة .

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٦.

(٣) فى ب ، م : « الحسين » .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) فى النسخ : « أصلهم » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) بعده فى الأصل ، ص : « دمشق و » .

(٧) فى ب ، وتاريخ دمشق : « مرهوب » .

ثم عاد إلى الأَحْساءِ، ثم رجَع إلى الرَّمْلةِ، فتُوُفِّى بها فى هذه السنةِ، وقد قارَب[1] التسعين، وهو يُظْهِرُ طاعةَ عبدِ الكريمِ الطائعِ للَّهِ بنِ المطيعِ.

وقد أوْرَد له ابنُ عساكرَ[2] أشْعارًا حسنةً رائقةً فائقةً، مِن ذلك ما كتَب به إلى جعفرِ بنِ فَلَاحٍ قبلَ الحربِ بينَهما:

الكتْبُ مُعْذِرةٌ والرسْلُ مُخْبِرةٌ ... والحقُّ مُتَّبَعٌ والخيرُ موجودُ[3]

والحربُ ساكِنةٌ والخيلُ صافِنةٌ[4] ... والسِّلْمُ مُبْتَذَلٌ والظِّلُّ مَمْدودُ

فإن أنَبْتُم فمَقْبولٌ إنابتُكم ... وإن أبَيْتُم فهذا الكُورُ مَشْدودُ

[٩٠/٩و] على ظُهورِ المَطايا[5] أو تَرِدْنَ بنا ... دمشقَ والبابُ مَهدومٌ[6] ومَرْدودُ

إنى امرُؤٌ ليس مِن شأنى ولا أَرَبى ... طَبْلٌ يَرِنُّ ولا نايٌ ولا عُودُ

ولا اعْتِكافٌ على خمرٍ ومِجْمَرةٍ[7] ... وذاتِ دَلٍّ لها دَلٌّ[8] وتَفْنِيدُ

ولا أَبِيتُ بَطِينَ البطنِ مِن شِبَعٍ ... ولى رَفيقٌ خَمِيصُ البَطْنِ مَجْهودُ

ولا تسامَت بىَ الدنيا إلى طَمَعٍ ... يومًا ولا غرَّنى فيها المَواعِيدُ

ومِن شعرِه أيضًا:

---

(١) فى ب، م: «جاوز».

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٧، ٨.

(٣) فى ب، م: «محمود».

(٤) فى تاريخ دمشق: «صافية». والصافنة: التى تقوم على ثلاث قوائم وطرفِ حافر الرابعة. المحيط (ص ف ن).

(٥) فى ب، م: «المنايا».

(٦) فى ب، م: «مسدود». وفى تاريخ دمشق: «ممدود».

(٧) فى ب، م: «مخمرة». والمجمرة: التى يوضع فيها الجمر مع البخور. انظر الوسيط (ج م ر). يعنى أنه ليس من المترفين ذوى التنعُّم.

(٨) فى ب، م: «غنج».

يا ساكنَ البلدِ المُنيفِ تَعَزُّزًا بقِلاعِه وحُصونِه وكُهوفِهِ
لا عِزَّ إلا للعزيزِ بنَفْسِه وبخَيلِه وبرَجْلِه وسُيوفِهِ
وبقُبَّةٍ بَيْضاءَ قد ضُرِبَت على شَرَفِ الخيامِ بجارِه وحليفِهِ[1]
قَرْمٌ[2] إذا اشْتَدَّ الوَغَى أرْدَى العِدا وشفَى النُّفوسَ بضربِه ووقوفِهِ[3]
لم يَرْضَ بالشَّرَفِ التَّليدِ لنفسِه حتى أشاد تَليدُه بطريفِهِ

وفيها تَمَلَّك قابوسُ بنُ وُشْمَكِيرَ بلادَ جُرْجانَ وطَبَرِسْتانَ وتلك النَّواحى.

وفيها دخَل الخليفةُ الطائعُ للَّهِ بشاهْ نازَ[4] بنتِ عِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ، وكان عُرْسًا حافلًا.

وفى هذه السنةِ حجَّت جَميلةُ بنتُ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ فى تجَمُّلٍ عظيمٍ، كان يُضْرَبُ المَثَلُ بحجِّها، وذلك أنها عمِلَت أربعَمائةِ مَحْمَلٍ، فلا يُدْرَى فى أيِّها هى، ولما وصَلَت إلى الكعبةِ نثَرَت عليها عشَرةَ آلافِ دينارٍ، وكسَت المُجاوِرين بالحرمَيْن كلَّهم، وأنْفَقَت أمْوالًا جَزيلةً فى ذَهابِها وإيابِها.

وحجَّ بالناسِ مِن العراقِ الشَّريفُ أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ أبى[5] الحسينِ بنِ[6] محمدِ [7]بنِ عبدِ اللَّهِ[7] العَلَوىُّ، وكذلك حجَّ بالناسِ إلى سنةِ ثمانين وثلاثِمائةٍ،

---

(١) فى ب، م: «ضيوفه».
(٢) فى ب، م: «قوم». والقرم: السيد. المحيط (ق ر م).
(٣) فى ب، م: «زحوفه».
(٤) فى ب، م: «بشاه بار». ولم يُذكر هذا الاسم فى المصادر. وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٧١.
(٥) سقط من: ب، م، ص.
(٦) زيادة من النسخ ليست فى المنتظم.
(٧ - ٧) سقط من: ب، م. وفى المنتظم - وهو المصدر الذى ذكر الاسم تفصيلًا -: «بن عبيد اللَّه». والمثبت موافق لإحدى نسخ المنتظم. كما أشار لذلك محققاه فى الحاشية.

وكانت الخُطْبةُ فى هذه السنةِ بالحرمَيْن للفاطميِّين أصحابِ مصرَ دونَ العباسيِّين .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إسماعيلُ بنُ نُجَيْدٍ[1] **بنِ أحمدَ بنِ يوسُفَ** [2]**بنِ سالمٍ**[2] **، أبو عمرٍو**[3] **السُّلَمىُّ** ، صحِب الجُنَيْدَ وغيرَه ، وروَى الحديثَ ، وكان ثقةً .

ومِن جيدِ كلامِه[4] : مَن لم تُهَذِّبْك رُؤْيتُه فليس بمُهذَّبٍ .

وقد احْتاج شيخُه أبو عثمانَ[5] مرةً إلى شيءٍ ، فسأل أصحابَه فيه ، فجاءه ابنُ نُجَيْدٍ بكِيسٍ فيه ألفا درهمٍ ، فقبَضه منه ، وجعَل يَشْكُرُه إلى أصحابِه ، فقال له ابنُ نُجَيْدٍ : ياسيدى ، إن المالَ الذى دفَعْتُه إليك كان مِن مالِ أمى ، وهى كارهةٌ ، فأُحِبُّ أن تَرُدَّه إليها . فأعْطاه تلك الدراهمَ ، فلما [٩/٩٠ظ] كان الليلُ جاءه بها ، وقال : أُحِبُّ أن تَصْرِفَها فى أمْرِك ، مِن غيرِ أن يعلَمَ بذلك أحدٌ . فكان أبو عثمانَ يَقولُ : أنا أَخْشَى مِن هِمَّةِ أبى عمرِو بنِ نُجَيْدٍ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

---

(١) طبقات الصوفية ص ٤٥٤، والرسالة القشيرية ١/ ١٨٢، والمنتظم ١٤/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٣٥، والوافى بالوفيات ٩/ ٢٣١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٢٢، وطبقات الأولياء ص ١٠٧. وقد ترجمه فى السير وتاريخ الإسلام والوافى وطبقات الشافعية وطبقات الأولياء فى وفيات سنةِ خمس وستين وثلاثمائة ، وزاد فى طبقات الأولياء : وقيل : ست . ولم يتعرض لذكر سنة وفاته فى طبقات الصوفية والرسالة القشيرية .

(٢ - ٢) سقط من : م . وفى السير وتاريخ الإسلام والوافى وطبقات الشافعية : « بن خالد » . وجاء فى طبقات الصوفية : « بن سالم بن خالد » . وذكر اسمه مختصرا فى الرسالة القشيرية وطبقات الأولياء . وقد تابع المصنف هنا ما فى طبقات الصوفية والمنتظم .

(٣) فى ص ، والمنتظم : « عمر » . والمثبت موافق لما فى مصادر ترجمته .

(٤) انظر طبقات الصوفية ص ٤٥٤، والمنتظم ١٤/ ٢٤٩.

(٥) انظر المنتظم ١٤/ ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٣٦.

الحسنُ بنُ بُوَيْهِ، أبو عليٍّ رُكنُ الدولةِ بنُ بُويهِ[1]، عرَض له قُولَنْجٌ، فمات ليلةَ السبتِ الثامنَ والعشرين مِن المُحَرَّمِ منها، وكانت مدةُ إمارتِه أربعًا وأربعين سنةً وشهرًا وتسعةَ أيامٍ[2]، ومدةُ عمرِه ثمانٌ وسبعون سنةً، وكان حَليمًا كريمًا.

محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهِيمَ بنِ أفْلَحَ بنِ رافعٍ[3] **بنِ إبراهيمَ بنِ أفْلَحَ بنِ عبدِ الرحمنِ** [4]**بنِ عبيدٍ**[4] **بنِ رِفاعةَ بنِ رافعٍ، أبو الحسنِ الأنْصاريُّ الزُّرَقيُّ**، كان نَقيبَ الأنْصارِ ببغدادَ[5]، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى القاسمِ البَغَوىِّ وغيرِه، وكان ثقةً، يَعْرِفُ أيامَ الأنْصارِ ومَناقبَهم وأمورَهم، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ.

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ، أبو الحسنِ السَّرَّاجُ[6]، سمِع يوسُفَ بنَ يَعْقوبَ القاضىَ وغيرَه، وكان شديدَ الاجْتِهادِ فى العِبادةِ، صلَّى حتى أُقْعِد، وبكَى حتى عَمِىَ، كانت وفاتُه يومَ عاشُوراءَ من هذه السنةِ.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٤٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٠٣، والوافى بالوفيات ١١/ ٤١١.

(٢) تابع المصنف هنا تقديرات المنتظم فى مدة الإمارة والعمر. ووافقهما الوافى فى مدة الإمارة.

(٣) بعده فى ب، م: «بن رافع». وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١/ ٢٥٩، والمنتظم ١٤/ ٢٥٠.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: ب، م، ص.

(٦) المنتظم ١٤/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٦٤، والعبر ٢/ ٣٤٢، ومرآة الجنان ٢/ ٣٨٧.

القاضى مُنْذِرُ [(١)] **بنُ سعيدٍ ، أبو الحَكَم** [(١)] **البَلُّوطىُّ** ، [(٢)] الظاهرىُّ مذهبًا [(٢)] ، قاضى قُضاةِ الأَنْدَلُسِ ، وكان إمامًا فقيهًا عالمًا ، فَصيحًا خطيبًا شاعرًا ديِّنًا ، كثيرَ الفَضْلِ ، وله مُصَنَّفاتٌ واخْتِياراتٌ ، منها أن الجنةَ التى أُدخلها آدمُ وأُخْرِج منها كانت فى الأرضِ ، وله فى ذلك مُصَنَّفٌ مُفْرَدٌ ، له وَقْعٌ فى النُّفوسِ ، [(٣)] وله تفسيرُ القرآنِ وغيرُ ذلك [(٣)] .

دخَل يومًا على الناصرِ [(٤)] لدينِ اللَّهِ عبدِ الرحمنِ الأُمَوىِّ ، وقد فرَغ مِن بناءِ المدينةِ الزَّهْراءِ وقُصورِها ، وقد بُنِى له فيها قصرٌ عظيمٌ مُنيفٌ ، وزُخْرِف بأنواعِ الدِّهاناتِ ، والسُّتورِ ، وجلَس عندَه رُءوسُ دَوْلتِه وأُمراؤُه ، وجاء القاضى ، فجلَس إلى جانبِه ، وجعَل الحاضِرون يُثْنون على هذا البِناءِ ، والقاضى ساكتٌ لا يَتَكَلَّمُ ، فالْتَفَت إليه الملكُ وقال : ما تَقولُ يا أبا الحَكَمِ ؟ فبكَى القاضى ، وانْحَدَرَت دُموعُه على لحيتِه وقال : ما كنتُ أَظُنُّ أن الشيطانَ ، أخْزاه اللَّهُ تعالى ، يَبْلُغُ منك هذا المَبْلَغَ ، ولا أنَّك تُمَكِّنُه مِن قِيادِك هذا التمكينَ ، مع ما آتاك اللَّهُ ، وفضَّلك به ، حتى أنْزَلَك مَنازِلَ الكافِرين ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا

(١ - ١) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٩٥، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ١٤٤، وجذوة المقتبس ص ٣٤٨، وبغية الملتمس ص ٤٦٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٧٤، والكامل ٨/ ٦٧٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ١٣٣. وقد جاءت وفاته فى هذه المصادر - عدا طبقات النحويين والجذوة والبغية فلم تذكر سنة وفاته - فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل . والذى فى المصادر أن له كتاب « الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب اللَّه » وكتاب « الناسخ والمنسوخ » إلى غير ذلك مما لم تسمه المصادر .

(٤) انظر الكامل ٨/ ٦٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٧٧.

يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف ٣٣- ٣٥]. قال: فوجَم الملكُ عندَ ذلك وبكَى، وقال: جَزاك اللَّهُ خيرًا، وأكْثَر فى المسلمين مثلَك.

وقد قحَط الناسُ[(١)] فى بعضِ السنين، فأمَر الملكُ القاضىَ منذرَ بنَ سعيدٍ البَلُّوطىَّ أن يَسْتَسْقِىَ بالناسِ، فلما جاءَتْه الرِّسالةُ بذلك ليخرجَ من الغدِ، قال للرسولِ: كيف [٩١/٩و] ترَكْتَ الملكَ وما حالُه؟ فقال: رأيتُه أخْشَعَ ما يَكونُ وأكْثَرَه دُعاءً. فقال القاضى: رُحِمْتُم وسُقِيتم واللَّهِ، إذا خشَع جَبَّارُ الأرضِ رحِم جَبَّارُ السماءِ. ثم قال لغُلامِه: [(٢)]اخرُجْ بالمِمْطَرِ معك[(٣)]. فلما خرَج الناسُ[(٢)]، وجاء القاضى صعِد المنبرَ، والناسُ يَنْظُرون إليه، ويَسْتَمِعون لما يَقولُ، فلما أقْبَل عليهم كان أولَ ما خاطبَهم به أن قال: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤] ثم أعادها، فأخَذ الناسُ فى البُكاءِ والنَّحِيبِ والتَّوْبةِ والإنابةِ، فلم يَزالوا كذلك حتى سُقُوا، ورجَعوا يَخُوضون الماءَ. [(٤)]وقد صنَّف الحافظُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ مُصَنَّفًا فى مناقبِه، رحِمه اللَّهُ[(٤)].

أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ المَرْزُبانِ البغدادىُّ[(٥)] الفَقيهُ الشافعىُّ، تفَقَّه بأبى الحسينِ بنِ القَطَّانِ، وأخَذ عنه الشيخُ أبو حامدٍ الإسفَرايِينىُّ.

---

(١) انظر الكامل ٨/ ٦٧٤، ٦٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢ - ٢) فى ب، م: «ناد فى الناس الصلاة. فجاء الناس إلى محل الاستسقاء».

(٣) الممطر: ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به من المطر. تاج العروس (م ط ر).

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٥، وطبقات الفقهاء ص ١١٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٦٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٣٤٦.

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : كان وَرِعًا زاهدًا ، ليس لأحدٍ عنده مَظْلِمةٌ ، وله وجهٌ فى المَذْهَبِ ، وكان له دَرْسٌ ببغدادَ . تُوُفِّى فى رجبٍ من هذه السنةِ .

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨١.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وستين وثلاثمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] دخَل عَضُدُ الدولةِ إلى بغدادَ ، وخرَج منها عِزُّ الدولةِ بَخْتِيارُ ابنُ مُعِزِّ الدولةِ ، واتَّبَعه عَضُدُ الدولةِ ليقاتِلَه ، وأخَذ معه الخليفةَ الطائعَ للَّهِ فاسْتَعْفاه الخليفةُ مِن الخروجِ فأعفاه ، وسار عَضُدُ الدولةِ وراءَه ، فأخَذه أسيرًا ، ثم قُتِل سَريعًا ، وتصَرَّمَت دولتُه ، واسْتَقَرَّ أمرُ عَضُدِ الدولةِ ببغدادَ ، وخلَع عليه الخليفةُ الخِلَعَ السَّنِيَّةَ والأَسْوِرَةَ فى يديه والطَّوْقَ فى عُنُقِه ، وأعْطاه لواءَيْن ؛ أحدُهما فِضَّةٌ والآخَرُ ذَهَبٌ ، ولم يَكُنْ هذا الثانى يَصْنَعُه إلا لأولياءِ العَهْدِ ، وأرْسَل إليه الخليفةُ بتُحَفٍ سَنِيَّةٍ ، وبعَث عَضُدُ الدولةِ إلى الخليفةِ أمْوالًا جَزيلةً من الذهبِ والفضةِ ، واسْتَقَرَّت يدُه على بغدادَ وما والاها مِن البلادِ .

وزُلْزِلَت بغدادُ مِرارًا فى هذه السنةِ .

وزادت دِجْلةُ زيادةً كثيرةً [2]وانْبَثَقَتْ بُثُوقٌ كثيرةٌ[2] ، غرِق بسببِها خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ .

وقيل لعَضُدِ الدولةِ : إن أهلَ بغدادَ قد قلُّوا كثيرًا بسببِ الطاعونِ وما وقَع بينَهم مِن الفتنِ بسببِ الرَّفْضِ والسُّنةِ ، وأصابهم حَريقٌ وغَرَقٌ . فقال : إنما يُهَيِّجُ

---

(١) المنتظم ١٤/٢٥٢ - ٢٥٥، والكامل ٨/٦٨٩ - ٦٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٦٧ - ٢٦٩. وانظر تكملة تاريخ الطبرى ص ٤٥٨.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م. وفى الأصل: «وانتقضت بيوت كثيرة فى البلد و». وانبثق: انثقب وانشقَّ. والبُثُوق: جمع بَثْق، وهو موضع انبثاق الماء من نهرٍ ونحوه. انظر الوسيط (ب ث ق).

بينَ الناسِ فى السُّنَّةِ والرَّوافِضِ هؤلاء القُصَّاصُ والوُعَّاظُ . ثم رسَم أن أحدًا لا يَقُصُّ ولا يَعِظُ فى سائرِ بغدادَ ، ولا يَسْأَلُ سائلٌ باسمِ أحدٍ مِن الصحابةِ ، وإنما يَقْرَأُ السائلُ القرآنَ ، فمَن أعْطاه أخَذ منه .

فعُمِل بذلك فى البلدِ ، ثم بلَغه أن أبا الحسينِ بنَ سَمْعونَ الواعظَ - وكان مِن الصالحين - قد اسْتَمَرَّ [٩/٩١ظ] يَعِظُ الناسَ على عادتِه ، فأرْسَل إليه مَن جاء به ، فأُخِذ مِن مجلِسِه ، وقيل له : إذا دخَلْتَ على الملكِ ، فقَبِّلِ الترابَ ، وتواضعْ فى الخطابِ والجوابِ . فلما دخَل دارَ الملكِ وجَد السُّلطانَ قد جلَس فى حُجرةٍ وحدَه ، لئلا يَنْدُرَ مِن ابنِ سَمْعونَ فى حقِّه كلامٌ بحَضْرةِ الناسِ يُؤْثَرُ عنه ، ودخَل الحاجِبُ بينَ يديه ، ليَسْتَأْذِنَ له عليه ، فوجَده قد دخَل وراءَه ، فإذا المَلِكُ جالسٌ وحدَه ، فتَنحّى ابنُ سمعونَ بوجهِه نحوَ دارِ عزِّ الدولةِ ، ثم اسْتَفْتَح القِراءةَ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] ثم استدارَ نحوَ المَلِكِ ، وقال : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤] . ثم أخَذ فى مُخاطبةِ الملكِ ووعْظِه ، فبكَى عَضُدُ الدولةِ بُكاءً كثيرًا ، وجزاه خيرًا .

فلما خرَج مِن عندِه قال للحاجبِ : اذْهَبْ فخذْ ثلاثةَ آلافِ درهمٍ وعشَرةَ أثوابٍ ، وادْفَعْها إليه ؛ لنفسِه أو لنَفَقةِ أهلِه ، فإن قبِلها جِئْنى برأسِه . قال الحاجبُ : فجئتُه فقلتُ : هذه أثوابٌ أَرسَل بها إليك المَلِكُ لتلْبَسَها . فقال : لا حاجةَ لى بها ، هذه ثِيابى مِن عهدِ أبى منذُ أربعين سنةً ، كلما خرَجْتُ إلى الناسِ لبِسْتُها ، فإذا رجَعْتُ طوَيْتُها . (١ قلتُ : وهذه نَفَقَةٌ . فقال : لا حاجةَ لى فيها ١) ؛

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

لى دارٌ آكلُ مِن أُجْرتِها ، ترَكها لى أبى فأنا فى غُنْيَةٍ عنها . فقلتُ : فرِّقْها فى فُقراءِ أهْلِك . فقال : أهلُه أحَقُّ مِن أهْلى ، وأفْقَرُ إليها منهم . فرجَعْتُ إلى الملكِ لأُشاوِرَه وأُخْبِرَه بما قال ، فسكَت ساعةً ثم قال : الحمدُ للَّهِ الذى سلَّمه منا ، وسلَّمَنا منه .

(١) ثم إن عَضُدَ الدولةِ أخَذ ابنَ بَقِيةَ الوزيرَ لعِزِّ الدولةِ ، فأمَر به ، فوُضِع بينَ قَوائمِ الفِيَلةِ ، فتخَبَّطَتْه بأرْجلِها حتى هلَك ، ثم صُلِب على رأسِ الجِسْرِ فى شوالٍ منها ، فرثاه أبو الحسينِ بنُ الأنْبارىِّ بأبياتٍ يقولُ فيها :

عُلُوٌّ فى الحياةِ وفى المَماتِ ... بحقٍّ أنت إحدى المُعْجِزاتِ
كأن الناسَ حولَك حينَ قاموا ... وُفودُ نَداك أيامَ الصِّلاتِ
كأنك واقفٌ فيهم خَطيبًا ... وكلُّهمُ وُقوفٌ للصَّلاةِ
مدَدْتَ يدَيْك نحوَهمُ احْتِفاءً ... كمدِّهما إليهمْ بالهِباتِ

وهى قصيدةٌ طويلةٌ أوْرَد كثيرًا منها ابنُ الأثيرِ فى « كامِله[٢] »[١] .

صفةُ مَقْتلِ عِزّ الدولةِ بَخْتِيارَ (٣)بنِ معزّ الدولةِ ، وأَخْذِ عَضُدِ الدولةِ المَوْصِلَ وأعمالَها(٣)

لما دخَل عَضُدُ الدولةِ بغدادَ وتسَلَّمها مِن عزِّ الدولةِ وأخرجه منها ذَليلًا طَريدًا

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .
(٢) الكامل ٨/ ٦٩٠.
(٣ - ٣) سقط من : م .

فى فَلٍّ مِن الناسِ ، ومِن عزمِ عزِّ الدولةِ أن يَمضِىَ إلى الشامِ فيأْخُذَها ، وقد حَلَّفه عَضُدُ الدولةِ أن لا يَتَعَرَّضَ لأبى تَغْلِبَ صاحبِ المَوْصِلِ ؛ وذلك لمَودَّةٍ كانت بينَهما ومكاتَبَةٍ ومُراسلاتٍ منهما ، فحلَف له على ذلك ، وحينَ خرَج مِن بغدادَ كان معه حَمْدانُ بنُ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، فحسَّن لعِزِّ الدولةِ أخْذَ بلادِ المَوْصِلِ ؛ لأنها أطْيَبُ وأكْثرُ مالًا وأقْرَبُ إليه الآنَ ، وكان عِزُّ الدولةِ ضعيفَ العقلِ قليلَ الدِّينِ ، فلما بلَغ ذلك أبا تَغْلِبَ أرْسَل إلى عِزِّ الدولةِ يقولُ له : لئن بعَثْتَ إلىَّ بأخى[1] حَمْدانَ بنِ ناصرِ الدولةِ أعَنْتُك بجَيْشى وبنفسى حتى أرُدَّك إلى مُلْكِ بغدادَ ، وأقاتِلَ معك عَضُدَ الدولةِ . فأمْسَك حَمْدانَ ، وأرْسله إلى عمِّه[2] أبى تَغْلِبَ ، فسجَنه [٩/٩٢و] فى بعضِ القِلاعِ ، وبلَغ ذلك عَضُدَ الدولةِ وأنهما قد اجتَمعا على حَرْبِه ، فركِب إليهما بجيشِه ، وأراد إخْراجَ الخليفةِ الطائعِ معه ، فاسْتَعْفاه فأعْفاه ، واستمرَّ هو ذاهبًا إليهما فالْتَقَى معهما ، فكسَرهما وهزَمهما ، وأخَذ عِزَّ الدولةِ أسِيرًا ، فلما جىء به لم يَأذنْ له ، بل أرسَل إليه مَن قتَله فى الحالِ ، ثم سار مِن فَوْرِه فأخَذَ المَوْصِلَ ومُعامَلتَها ، وكان قد حمَل معه مِيرةً كثيرةً ، وتَشَرَّد أبو تَغْلِبَ فى البلادِ ، وبعَث وراءَه السَّرايا مِن كلِّ جِهَةٍ ، وأقام عَضُدُ الدولةِ بالمَوْصِلِ وضيَّق على أبى تَغْلِبَ تلك البلادَ ، واستحوذ على أكثرِ تلك الناحيةِ بصرامَتِه وشجاعتِه وهِمَّتِه وعزيمَتِه ، وأقامَ بالـمَوْصلِ إلى أواخِرِ سنةِ ثمانٍ وستين ، وفتَح[3] مَيَّافارِقِينَ وآمِدَ وغيرَهما مِن بلادِ بَكْرٍ ورَبيعةَ ، وتسَلَّم بلادَ مُضَرَ مِن أيدى نُوَّابِ أبى تَغْلِبَ ، وأخَذ منهم الرَّحْبةَ[4] ، وردَّ بقيتَها على صاحبِ

---

(١) فى ب ، م : « ابن أخى » .

(٢) كذا فى النسخ . وتقدم السياق على الصواب منذ قليل .

(٣) انظر الكامل ٨/٦٩٥ - ٦٩٧ . حوادث السنة الثامنة والستين والثلاثمائة .

(٤) فى الكامل أن عضد الدولة أخذ لنفسه الرقة حَسْبُ ، وردَّ باقيها إلى سعد الدولة ، ثم استولى =

حَلَبَ سعدِ الدولةِ بنِ سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، وتسَلَّط سعدُ الدولةِ [1] على بلادِ عَمِّه أبى تَغْلِبَ يتَسلَّمُها بلدًا بلدًا [1] ، وحينَ رجَع عَضُدُ الدولةِ مِن المَوْصِلِ اسْتَناب عليها أبا الوَفاءِ ، وعاد إلى بغدادَ ، فتلَقَّاه الخليفةُ الطائعُ للَّهِ ورءوسُ الناسِ إلى ظاهرِ البلدِ ، وكان يومًا مَشْهودًا .

ومما وقَع مِن الحَوادثِ فى هذه السنةِ الوَقْعةُ التى كانت بينَ العَزيزِ بنِ المُعِزِّ الفاطميِّ وبينَ أفتِكين غلامِ مُعِزِّ الدولةِ صاحبِ دمشقَ ، فهزَمه وأسَره ، وأخَذه معه إلى الديارِ المِصْريةِ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا كما تقَدَّم [2] ، وتسَلَّم العزيزُ دمشقَ وأعْمالَها ، وقد تقَدَّم فى سنةِ أربعٍ وستين بسطُ هذه الكائنةِ بما أغنَى عن إعادَتِه .

وفيها خُلِع على القاضى عبدِ الجَبَّارِ بنِ أحمدَ المُعْتَزِلىِّ بقَضاءِ قُضاةِ الرَّىِّ وما تحتَ حُكْمِ مُؤَيِّدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ الدولةِ بنِ بويهِ مِن البلادِ ، وله مُصَنَّفاتٌ حَسَنةٌ ، منها : « دَلائلُ النُّبوةِ » و « عُمُدُ الأدلةِ » وغيرُهما .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نائبُ المِصْريين ، وهو الأميرُ بادِيسُ بنُ زِيرِى أخو يوسُفَ [3] بُلُكِّين .

ولما دخَل مكةَ اجْتَمَع إليه اللُّصوصُ ، وسأَلوا منه أن يُضَمِّنَهم الموسمَ هذا العامَ بما شاء مِن الأمْوالِ ، فأظهَر لهم الإجابةَ إلى ما سألوا ، وقال لهم : اجْتَمِعوا كلُّكم حتى أُضَمِّنَكم كلَّكم . فاجْتَمَع عندَه بِضعٌ وثلاثون حَرامِيًّا ، فقال : هل بقى منكم أحدٌ ؟ فحلَفوا له أنه لم يَبْقَ منهم أحدٌ ، فعندَ ذلك أمَر بقَطْعِ أيديهم

= عضد الدولة على الرحبة .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) تقدم فى ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٣) بعده فى ب ، م : « بن » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٢٨٦.

كلِّهم ، ونِعم ما فعَل . وكانت الخُطْبةُ فى [1]هذه السنةِ[1] للفاطميِّين بمكةَ والمدينةِ دونَ العباسيِّين .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

[٩/٩٢ظ] **الملكُ عِزُّ الدولةِ بَخْتِيارُ [2]بنُ معزِّ الدولةِ أبى الحسينِ أحمدَ[2] ابنِ بويهِ الديلميُّ** ، ملَك بعدَ أبيه ، وعمرُه فوقَ [3]العشرين سنةً[3] بقليلٍ ، وكان حسَنَ الجِسْمِ ، شديدَ البَطْشِ ، قوىَّ القلبِ جدًّا ، يقالُ : إنه كان يَأْخُذُ بقَوائمِ الثَّوْرِ الشديدِ ، فيُلْقِيه إلى الأرضِ مِن غيرِ أعْوانٍ ، ويَتَقَصَّدُ الأُسودَ فى مُتَصَيَّداتِه ، ولكنه كان كثيرَ اللَّهْوِ واللَّعِبِ والإقْبالِ على اللَّذاتِ .

ولما كسَره ابنُ عمِّه ببلادِ الأهْوازِ[4] كان فيما أخَذ مِن أموالِه غلامٌ له كان يُحِبُّه حُبًّا شَديدًا ، فبعَث يَترَقَّقُ لابنِ عمِّه فيه حتى يَرُدَّه ، وأرْسَل إليه بتُحَفٍ عظيمةٍ وأمْوالٍ جَزيلةٍ وجاريتَيْن عَوَّادَتَيْن[5] لا قيمةَ لهما ، [6]وبعَث نقيبَ الأشرافِ فى ذلك[6] ، فردَّ عليه الغلامَ المَذكورَ ، فكثُر تَعْنيفُ الناسِ لعزِّ الدولةِ ، وسقَط مِن أعينِ الملوكِ ، فإنه كان يقولُ : ذَهابُ هذا الغلامِ أشدُّ علىَّ مما جرَى مِن أخْذِ بغدادَ ، بل وأرضِ العراقِ . ثم آلَ مِن أمْرِه أنه أسَره ابنُ عمِّه عَضُدُ الدولةِ ،

(١ - ١) فى ب ، م : « الحجاز » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى يتيمة الدهر ٢/ ٢١٨، والمنتظم ١٤/ ٢٥٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٧١، والوافى بالوفيات ١٠/ ٨٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « العشر » ، وفى ص : « العشرة » . وقد توفى بختيار عن ست وثلاثين سنة وملك إحدى عشرة سنة وشهورا كما فى المصادر فيكون عمره حين ملك خمسًا وعشرين سنة والله أعلم .

(٤) انظر الكامل ٨/ ٦٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٢.

(٥) العوّادة : التى تضرب بالعود . انظر الوسيط (ع و د) .

(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .

كما ذكَرْنا ، وأمَر بقَتْلِه سَريعًا ، فكانت مدةُ حياتِه ستًّا وثلاثين سنةً ، ومدةُ دولتِه منها إحدى عَشْرةَ[1] سنةً وشهورٌ[2] .

محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أبو بكرٍ القاضى المَعْروفُ بابنِ قُرَيْعةَ[3] ، ولِى القَضاءَ بالسِّنْدِيَّةِ ، وكان فَصيحًا يَأْتى بالكلامِ المَسْجوعِ مِن غيرِ تَكَلُّفٍ ولا تَرَدُّدٍ ، وكان جَميلَ المُعاشَرةِ ظريفَ المُحاضرةِ .

ومِن شعرِه[4] :

لى حِيلةٌ فى مَن يَنِمُّ ... وليس فى الكَذَّابِ حِيلهْ
مَن كان يَخْلُقُ ما يَقو ... لُ[5] فحِيلتى فيه قَليلهْ

وكان يقولُ للرجلِ مِن أصحابِه إذا تَماشَيا : إن تقَدَّمْتُ فحاجبٌ ، وإن تأَخَّرتُ فواجبٌ . وكانت وفاتُه يومَ السبتِ لعشرٍ بقِين مِن جُمادَى الآخِرةِ منها ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى النسخ : « وعشرين » . والمثبت من مصادر ترجمته .
(٢) بعده فى ب ، م : « وهو الذى أظهر الرفض ببغداد وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم » .
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٣١٧، والمنتظم ١٤/ ٢٥٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٨٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٢٧.
(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٣١٩، والمنتظم ١٤/ ٢٥٩. والبيتان ينسبان إلى الفقيه الشافعى منصور بن إسماعيل ، وإلى غيره . انظر طبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٤٨٢.
(٥) خلق القولَ : افتراه . الوسيط (خ ل ق) .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وستين وثلاثِمائةٍ[1]

فى شعبانَ منها أمَر الطائعُ للَّهِ أن يُدْعَى لعَضُدِ الدولةِ بعدَ الخليفةِ على المَنابِرِ ببغدادَ ، وأن تُضْرَبَ الدَّبادِبُ على بابِه وقتَ الفجرِ وبعدَ المغربِ وبعدَ العشاءِ .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : وهذا شىءٌ لم يَتَّفِقْ لغيرِه مِن بنى بُوَيْهِ ، وقد كان مُعِزُّ الدولةِ سأَل مِن المطيعِ للَّهِ أن يَضْرِبَ الدَّبادبَ على بابِه ببغدادَ ، فلم يَأْذَنْ له فى ذلك .

وقد افْتَتَح [3]عضدُ الدولةِ[3] فى هذه السنةِ - وهو مُقِيمٌ بالمَوْصِلِ - أكثرَ بلادِ أبى تَغْلِبَ بنِ حَمْدانَ ، كآمِدَ وميَّافارِقِينَ والرَّحْبةِ وغيرِ ذلك [4]من المدنِ الكبارِ والصغارِ ، وحين عزَم على العَودِ إلى بغدادَ استناب على الموصلِ أبا الوفاءِ الحاجبَ ، ورجعَ إلى بغدادَ فدخلَها[4] فى سَلْخِ ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ [٩/ ٩٣و] ، وتلَقَّاه الخليفةُ والأعيانُ إلى أثناءِ الطريقِ ، وكان يومًا مشهودًا .

ذكرُ مُلكِ قَسَّامِ التُّرَّابِ لدِمَشْقَ[5] فى هذه السنةِ ، لمَّا اتَّقع أفتكين مع العزيزِ بأرضِ الرملةِ ، وانهزم أفتكين والحَسَنُ القِرْمِطِىُّ معه ، وأُسِر أفتكين فذهَب مع

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٦٠، والكامل ٨/٦٩٥ - ٦٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٧١.

(٢) المنتظم، الموضع السابق.

(٣ - ٣) فى ب ، م : «عز الدولة» .

(٤ - ٤) فى ب ، م : «ثم دخل بغداد» .

(٥) الكامل ٨/ ٦٩٧، ٦٩٨، وتاريخ الإسلام الموضع السابق .

العزيزِ إلى ديارِ مصرَ نَهض رجلٌ مِن أهلِ دِمشقَ يقالُ له : قَسَّامٌ التَّرَّابُ . كان أفتكين يُقَرِّبُه ويُدْنيه ويأتمِنُه على أسْرارِه ، فاسْتَحْوَذ على دِمشقَ ، وطاوَعه أهلُها ، وقصَدَتْه عَساكرُ العزيزِ مِن مصرَ ، فحاصَروه بها فلم يَتَمَكَّنوا منه بشيءٍ ، وجاء أبو تَغْلِبَ بنُ ناصرِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ فحاصَره ، فلم يمكِنْه أن يَدْخُلَ دمشقَ ، فانْصَرَف عنه خائبًا إلى طَبَرِيَّةَ ، فوقَع بينَه وبينَ بنى عُقَيْلٍ وغيرِهم مِن العربِ حروبٌ طويلةٌ ، آل به الحالُ إلى أن قُتِل أبو تَغْلِبَ ، وكانت معه أختُه [1] جَميلةُ ، وامرأتُه [1] ، وهى بنتُ عمِّه سيفِ الدولةِ ، فرُدَّتا إلى سعدِ الدولةِ بنِ سيفِ الدولةِ بحلَبَ ، فأخَذ أختَه ، وبعَث بجَميلةَ إلى بغدادَ ، فحُبِسَت فى دارٍ وأُخِذ منها أموالٌ جَزيلةٌ .

وأما قَسَّامٌ - وهو الحارثىُّ ، وأصلُه من بنى الحارثِ بنِ كعبٍ مِن اليمنِ - فأقام بدمشقَ يَسُدُّ خَلَلَها ، ويقومُ بمَصالحِها مدةَ سنين عديدةٍ ، وكان مَجْلِسُه بالجامعِ ، ويَجْتَمِعُ الناسُ عندَه فيَأْمُرُهم ويَنْهاهم ، ويقومُ فيمْتَثِلون ما يرسُمُ به .

قال ابنُ عَساكرَ [2] : أصْلُه مِن قريةِ تَلْفِيتَا [3] ، وكان ترَّابًا .

قلتُ : والعامَّةُ يقولون : اسمُه قُسَيْمٌ الزَّبَّالُ . وإنما هو قَسَّامٌ ، ولم يَكُنْ زَبَّالًا ؛ بل تَرَّابًا مِن قريةِ تلْفِيتَا بالقربِ مِن قريةِ مَنِينَ [4] . وكان بُدُوَّ أمْرِه أنه انْتَمَى إلى رجلٍ مِن أحداثِ دمشقَ يقالُ له : أحمدُ بنُ الجَسطارِ [5] . فكان مِن حِزْبِه ، ثم

(١ - ١) فى ب ، م : « وكانت معه أخته وجميلة امرأته » .

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٤٢٠ مخطوط .

(٣) تَلْفيتا : من قرى سَنِّير من أعمال دمشق . معجم البلدان ١/ ٨٦٨.

(٤) منين : قرية فى جبل سنير من أعمال الشام ، وقيل : من أعمال دمشق . معجم البلدان ٤/ ٦٧٤.

(٥) فى الأصل ، ص : « الجطاوة » ، وفى ب : « المطارة » ، وفى م : « المسطان » . والمثبت من تاريخ دمشق ١٤/ ٤٢٠ مخطوط ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٩٦ .

اسْتَحْوَذ على الأُمورِ ، وغلَب الوُلاةَ والأُمراءَ ، وصارت إليه أَزِمَّةُ الأَحكامِ ، إلى أن قدِم بُلُكِّينُ[1] التُّرْكيُّ مِن مصرَ فى يومِ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن المُحَرَّمِ سنةَ ستٍّ وسبعين وثلاثِمائةٍ ، فأخَذها منه ودخَلها ، واخْتَفَى قَسَّامٌ التُّرَّابُ مدةً ثم ظهَر ، فأخَذه أسِيرًا وأرْسَله مُقَيَّدًا إلى الديارِ المصريةِ ، فأُطْلِق وأُحْسِن إليه وأقام بها أيضًا مُكَرَّمًا . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ جعفرِ [2]بنِ حَمدانَ[2] بنِ مالكِ بنِ شَبِيبِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو بكرٍ ابنُ مالكٍ القَطِيعيُّ - مِن قَطِيعةِ الدَّقيقِ ببغدادَ - راوى « مسندِ أحمدَ » عن ابنِه عبدِ اللَّهِ ، وقد روَى عنه غيرَ ذلك مِن مُصَنَّفاتِ أحمدَ ، وحدَّث عن غيرِه مِن المشايخِ أيضًا ، وكان ثقةً كثيرَ الحديثِ ، وقد حدَّث عنه [٩/٩٣ظ] الدارَقُطْنيُّ وابنُ شاهينَ والبَرْقانيُّ وأبو نُعَيْمٍ والحاكمُ ، ولم يَمْتَنِعْ أحدٌ مِن الروايةِ عنه ، ولا الْتَفَتوا إلى ما شغَب به بعضُهم من الكلامِ فيه ، بسببِ غَرَقِ بعضِ كتبِه حين غرِقَت القَطِيعةُ بالماءِ الأسودِ ، فاسْتَحْدَث بعضَها مِن نُسَخٍ أُخَرَ ، وهذا ليس بشىءٍ ؛ لأنها قد تَكونُ مُعارَضةً على كتبِه التى غرِقَت . واللَّهُ أعلمُ . ويُقالُ : إنه تغَيَّر فى آخرِ عمرِه ، فكان لا يَدْرِى ما قُرِئَ عليه . وقد جاوَز التسعين ، رحِمَه اللَّهُ .

تَمِيمُ بنُ المُعِزِّ الفاطميُّ[3] ، وبه كان يُكَنَّى ، وقد كان مِن أكابرِ أُمراءِ دولةِ أبيه

---

(١) فى الأصل ، ص : « ييلكين » . وفى ب : « بلكتين » . وفى م : « بلكتكين » . والمثبت من ترجمته فى وفيات الأعيان ١/ ٢٨٦، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢٨٨.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٤/ ٧٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦، والمنتظم ١٤/ ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٨٩، والعبر ٢/ ٣٤٦، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٩٠.

(٣) المنتظم ١٤/ ٢٦٢، والحلة السِّيَراء لابن الأبار ١/ ٢٩١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٠١.

وأخيه العزيزِ ، وفيه كرمٌ وله فضيلةٌ ، وقد اتفَقَت له كائنةٌ غريبةٌ ، وهى أنه أرْسَل إلى بغدادَ فاشْتُرِيَت له جاريةٌ مُغَنِّيةٌ بمبلغ جَزيلٍ ، فلما حضَرَت عندَه أضاف أصحابَه ، ثم أمَرها فغنَّت - وكانت تُحِبُّ شخصًا ببغدادَ - :

وبَدَا له مِن بعدِ ما انْدَمَلَ[1] الهَوَى ... بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مُـوهِـنًـا لَمَعـانُـهُ
يَبْدُو كَحاشيةِ الرِّداءِ[2] ودونَه ... صعبُ الذُّرى مُتَمَنِّعٌ أرْكانُهُ
فبدا ليَنْظُرَ كيفَ لاح فلم يُطِقْ ... نَـظَـرًا إلـيـه وصـدَّه أشْـجـانُـهُ
فالنارُ ما اشْتَمَلَت عليه ضُلوعُه ... والماءُ ما سمَحَتْ بهِ أجْفانُهُ

ثم غنَّته بأبياتٍ أُخَرَ ، فاشْتَدَّ طَرَبُ تَميمٍ وقال لها : لا بد أن تَسْأَلِينى حاجةً . فقالت : عافِيَتَك .

فقال : ومع هذا . وألحّ عليها . فقالت : تَرُدُّنى إلى بغدادَ حتى أُغَنِّىَ بهذه الأبياتِ . فوجَم ، ثم لم يَجِدْ بُدًّا مِن الوَفاءِ ، فأرسَلها مع بعضِ أصحابِه فأحَجَّها ، ثم سار بها إلى بغدادَ على طريقِ العراقِ ، فلما أمْسَوْا فى الليلةِ التى يَدْخُلون مِن صَبيحتِها بغدادَ ذهَبَت فى الليلِ ، فلم يَدْرِ أين ذهَبَت ، فلما راح الخبرُ إلى مولاها تألَّم ألمًا شديدًا ، وندِم حيثُ لا يَنْفَعُه الندمُ .

العَقِيقىُّ[3] صاحبُ الحَمَّامِ والدارِ المَنْسوبتَيْن إليه بمَحَلَّةِ بابِ البريدِ بدمشقَ ، واسمُه أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ محمدٍ العَقِيقىِّ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ

---

(١) فى ب ، م : « انتقل » .

(٢) فى ب ، م : « اللواء » ، وفى ص : « الوراء » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٤٥، وبغية الطلب ٢/ ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦١٩، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٤٧. وذُكِرت وفاته فى هذه المصادر سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة . فلعل المصنف وهم فى ذكره فى وفيات هذه السنة .

اللَّهِ بنِ الحسينِ الأصغرِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، الشريفُ أبو القاسمِ الحُسَيْنىُّ العقيقىُّ .

قال ابنُ عَساكرَ[1] : كان مِن وُجوهِ الأشرافِ بدمَشقَ ، وإليه تُنْسَبُ الدارُ والحمَّامُ بمَحَلَّةِ البريدِ ، وقد امتَدحه الوَأْواءُ الدِّمَشْقِىُّ . وذكَر أنه تُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ لأربعٍ خَلَوْنَ من جُمادَى الأولى من هذه السنةِ[2] ، وأنه دُفِن مِن الغدِ ، وأُغْلِق البلدُ بسببِ جِنازتِهِ ، وحضَرها بَكْجُورُ وأصحابُه - يعنى نائبَ دمشقَ - ودُفِن خارجَ بابِ الصغيرِ .

قلتُ : وقد اشْتَرَى الملكُ الظاهرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْسُ دارَه ، وبناها مدرسةً ودارَ حديثٍ وتربةً ، وبها قبرُه ، وذلك [٩/٩٤و] فى حدودِ سنةِ سبعين وستِّمائةٍ كما سيأتى بيانُه .

أبو سعيدٍ السِّيرافىُّ النَّحْوىُّ : الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المَرْزُبانِ[3] ، **أبو سعيدٍ السيرافىُّ النحوىُّ القاضى** ، سكَن بغدادَ ، وولِى القَضاءَ بها نِيابةً ، وله « شرحُ كتابِ سِيبَوَيْهِ » ، و « طَبَقاتُ النُّحاةِ »[4] .

وروَى عن أبى بكرِ بنِ دُرَيْدٍ وغيرِه ، وكان أبوه مَجوسيًّا ، وكان أبو سعيدٍ السيرافىُّ هذا عالمًا باللغةِ والقِراءاتِ والنَّحْوِ والعَروضِ والفَرائِضِ والحسابِ وغيرِ ذلك مِن فُنونِ العلمِ .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٤٥، ٤٦.

(٢) أى سنة ثمان وسبعين ، كما فى المصادر .

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ١١٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٤١، والمنتظم ١٤/ ٢٦٤، وإنباه الرواة ١/ ٣١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٩٤، والجواهر المضية ٢/ ١٦٦، وطبقات القراء ١/ ٢١٨.

(٤) هو المنشور باسم : أخبار النحويين البصريين .

وكان زاهدًا لا يَأْكُلُ إلا مِن عملِ يدِه، كان يَنْسَخُ كلَّ يومٍ عشْرَ ورَقاتٍ بعشَرةِ دراهمَ، تَكونُ منها نفقتُه وقوتُه، رحمَه اللَّهُ تعالَى، وكان مِن أعلمِ الناسِ بنحوِ البَصْريِّين، ويَنْتَحِلُ مذهبَ أهلِ العراقِ فى الفقهِ، وقرأ القرآنَ[1] على ابنِ مُجاهِدٍ، واللغةَ على ابنِ دُرَيْدٍ، والنَّحْوَ على ابنِ السَّرَّاجِ والمَبْرَمانِ[2]، ونسَبه بعضُهم إلى الاعْتِزالِ، وأنْكَره آخرون.

وكانت وفاتُه فى رجبٍ من هِذهِ السنةِ عن أربعٍ وثمانين سنةً، ودُفِن بمَقْبَرةِ الخَيْزُرانِ.

عبدُ اللَّهِ بنُ إبراهيمَ بنِ أبى القاسمِ الزَّنْجَانىُّ، ويُعْرَفُ بالآبَنْدُونىِّ[3]، رحَل فى طلبِ الحديثِ إلى الآفاقِ، ورافَق ابنَ عَدِىٍّ فى بعضِ ذلك، ثم سكَن بغدادَ، وحدَّث بها عن أبى يَعْلَى والحسنِ بنِ سفيانَ وابنِ خُزَيْمةَ وغيرِهم.

وكان ثقةً ثَبتًا له مُصَنَّفاتٌ، زاهدًا، روَى عنه البَرْقانىُّ، وأثْنَى عليه خيرًا، وذكَر أن أكثرَ أكلِه الخبزُ المأْدومُ بمَرَقِ الباقِلّاءِ، وذكَر أشياءَ مِن تَقَلُّلِه وزُهْدِه وورَعِه. وتُوُفِّى عن خمسٍ وتسعين سنةً، رحمه اللَّهُ تعالى.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ وَرْقاءَ، الأميرُ أبو أحمدَ الشَّيْبانىُّ[4]، مِن أهلِ

---

(١) فى النسخ: «القراءات». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٢) فى النسخ: «ابن المرزبان». والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم. والمبرمان هو أبو بكر محمد بن على ابن إسماعيل العسكرى. انظر نزهة الألباب فى الألقاب ٢/ ١٤٩، وطبقات النحويين واللغويين ص ١١٤، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٤.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٤٠٧، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٦٨، والمنتظم ١٤/ ٢٦٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٩٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٩، والمنتظم ١٤/ ٢٦٥.

البُيوتاتِ والحُشْمةِ، بلَغ التسعين، روَى عن ابنِ الأعْرابىِّ أنه أنْشَد فى صفةِ النِّساءِ:

هى الضِّلَعُ العَوْجاءُ لستَ تُقِيمُها ... ألَا إن تَقْويمَ الضُّلوعِ انْكِسارُها
أيَجْمَعْن ضَعْفًا واقْتِدارًا على الفتَى ... أليس عجيبًا ضعفُها واقْتِدارُها

قلتُ: وهذا الشاعرُ أخَذ هذا المعنى مِن الحديثِ الصحيحِ[1]: «إن المرأةَ خُلِقَت مِن ضِلَعٍ أعْوجَ، وإنَّ أعْوجَ شىءٍ فى الضِّلَعِ أعْلاه، فإن ذهَبْتَ تُقِيمُه كسَرْتَه، وإن اسْتَمتَعْتَ بها اسْتَمتَعْتَ بها وفيها عِوَجٌ».

وفيها تُوفِّى محمدُ بنُ عيسى بنِ عَمْرَوَيْهِ الجُلُودىُّ[2]، راوى «صحيحِ مسلمٍ» عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ سفيانَ الفَقيهِ، عن مسلمِ بنِ الحَجَّاجِ، وكان مِن الزُّهَّادِ، يَأْكُلُ مِن كَسْبِ يدِه مِن النَّسْخِ، وبلَغ ثمانين سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيَّانا بمنِّه وكرمِه.

---

(١) البخارى (٣٣٣١، ٥١٨٤، ٥١٨٦)، ومسلم (٦٠ - ٦٢، ١٤٦٨).
(٢) المنتظم ١٤/ ٢٦٧، والكامل ٨/ ٧١١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٠٤، والعبر ٢/ ٣٤٨، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٩٧.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وستين وثلاثمائةٍ[1]

[٩/٩٤ظ] فى المُحَرَّمِ منها تُوُفِّى الأميرُ عِمْرانُ[2] بنُ شاهِينَ صاحبُ بلادِ البَطِيحةِ منذ أربعين سنةً، تغلَّب عليها، وعجَز عنه الأُمراءُ والملوكُ والخلفاءُ، وبُعِثت إليه الجنودُ والسرايا والجيوشُ غيرَ مرةٍ، فكلُّ ذلك يَفُلُّها ويَكْسِرُها، وكلُّ ما له فى تَمَكُّنٍ وقوةٍ، ومكَث كذلك هذه المدةَ كلَّها، ومع هذا كلِّه مات على فراشِه حَتْفَ أنْفِه، فلا نامت أعْيُنُ الجُبَناءِ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه ولدُه الحسنُ، فرام عَضُدُ الدولةِ أن يَنْتَزِعَ المُلْكَ مِن يَدِه، فأرْسَل إليه سَرِيةً فيها خلقٌ مِن الجنودِ، فكسَرهم الحسنُ بنُ عِمْرانَ[2] بنِ شاهِينَ وردَّهم خائبين، وكاد أن يُتْلِفَهم بالكُلِّيةِ حتى أرْسَل إليه عَضُدُ الدولةِ، فصالَحه على مالٍ يُرسِلُه إليه كلَّ سنةٍ، [3]وأخذوها من عضُدِ الدولةِ على ذلك[3]، وهذا مِن العَجائبِ الغَريبةِ.

وفى صَفرٍ قُبِض على الشَّريفِ أبى أحمدَ الحسينِ[4] بنِ موسى المُوسَوىِّ نقيبِ الطالبيِّين[5]، واتُّهِم بأنه يُفْشِى الأسرارَ، وأن عِزَّ الدولةِ أوْدَع عندَه عِقْدًا ثمينًا، وأُتِىَ بكتابٍ أنه خطُّه فى إفشاءِ الأسرارِ، فأنْكَر أنه خطُّه، وكان مُزَوَّرًا عليه،

---

(١) المنتظم ١٤/٢٦٨ - ٢٧٢، والكامل ٨/٦٩٩ - ٧١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٢) فى النسخ: «عمر». والمثبت من الكامل.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) فى ب، م: «الحسن». وانظر المنتظم ١٤/ ٢٦٨.

(٥) بعده فى ب، م: «وقد كان أمير الحج مدة سنين».

واعْتَرَف بالعِقْدِ ، فأُخِذ منه ، وعُزِل عن النِّقابةِ ، ووُلِّىَ غيرُه فيها ، وكان مَظْلومًا فى ذلك .

وفى هذا الشهرِ أيضًا عزَل عَضُدُ الدولةِ قاضىَ القُضاةِ أبا محمدِ بنَ مَعْروفٍ ، وولَّى غيرَه .

وفى شعبانَ ورَد البَريدُ مِن مصرَ إلى عَضُدِ الدولةِ بمُراسَلاتٍ كثيرةٍ ، فردَّ الجوابَ بما مَضْمونُه صِدْقُ النِّيةِ وحُسْنُ الطَّوِيَّةِ ، ثم سأَل عَضُدُ الدولةِ مِن الطائعِ أن يُجَدِّدَ عليه الخِلَعَ والجَواهِرَ ، وأن يَزِيدَ فى ألقابِه تاجَ الدولةِ ، فأجابه إلى ذلك كُلِّه ، فخلَع عليه مِن أنواعِ الملابسِ ما لم يَتَمَكَّنْ مِن تَقْبيلِ الأرضِ من كثرتِها ، وفوَّض إليه ما وراءَ دارِه مِن الأمورِ ومَصالحِ المسلمين فى مَشارقِ الأرضِ ومَغاربِها ، وحضَر ذلك الرؤساءُ والأمراءُ وأعْيانُ الناسِ ، وكان يومًا مشهودًا .

وأرْسَل فى رمضانَ إلى الذُّعّارِ من الأعرابِ مِن بنى شَيْبانَ وغيرِهم ، فعقَرهم وكسَرهم وقهَرهم ، وكان أميرُهم ضَبَّةُ[1] بنُ محمدٍ الأَسَدىُّ مُتَحَصِّنًا بعينِ التمرِ نَيِّفًا وثلاثين سنةً ، فأُخِذت دِيارُهم وأُخِذَت أمْوالُهم وحالت[2] أحوالُهم . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى يومِ الثلاثاءِ لتسعٍ[3] بقِين مِن ذى القَعْدةِ تزَوَّج الخليفةُ الطائعُ للَّهِ بنتَ عَضُدِ الدولةِ الكُبْرَى ، وعُقِد العقدُ بحَضْرةِ الأعيانِ والرؤساءِ ، وكان عقدًا هائلًا حافلًا ، على صَداقٍ مَبْلَغُه مائةُ ألفِ دينارٍ ، ويقالُ : مائتا ألفِ دينارٍ . وكان وكيلَ عضُدِ الدولةِ الشيخُ أبو علىٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الفارسىُّ النَّحوىُّ ، صاحبُ

---

(١) فى ب ، م ، ص : « منبه » .
(٢) فى الأصل : « مالت » . وحال الشىءُ : تغيَّر . الوسيط (ح و ل) .
(٣) فى ب ، م : « لسبع » . وانظر المنتظم ١٤/ ٢٧١.

احبُ «الإيضاحِ والتَّكْمِلةِ»، وكان الذى خطَب خُطْبةَ العَقْدِ القاضى أبو علىٍّ المُحَسِّنُ[1] بنُ علىٍّ التَّنوخىُّ، [2]وكانَ يومًا مشهودًا.

[٩/٩٥و] وفيها كان مقتلُ أبى تغلِبَ بنِ ناصرِ الدولةِ بنِ حمدانَ بالشامِ، قريبًا من نَوى وأعمالِها، وكانت معه أختُه جميلةُ وزوجتُه بنتُ عمِّه سيفِ الدولةِ، فَرُدَّتا إلى ابنِ عمِّه سعدِ الدولةِ بنِ سيفِ الدولةِ صاحبِ حلبَ[2].

قال ابنُ الأثيرِ[3]: وفيها جدَّد عَضُدُ الدولةِ عِمارةَ بغدادَ ومَحاسنَها، وجدَّد المساجدَ والمَشاهِدَ، وأجْرَى على الفقهاءِ والأئمةِ الأرزاقَ والجراياتِ، مِن الفُقهاءِ والمُحَدِّثين والمتكلِّمين والأطباءِ والحُسَّابِ وغيرِهم، وأطْلَق الصِّلاتِ لأربابِ البُيوتاتِ والشَّرَفِ، وألْزَم أصحابَ الأمْلاكِ ببغدادَ بعِمارةِ بُيوتِهم ودُورِهم، ومهَّد الطُّرُقاتِ، وأطْلَق المُكوسَ، وأصْلَح طريقَ الحُجّاجِ مِن بغدادَ إلى مكةَ، وأَرْسَل الصدقاتِ والصِّلاتِ للمُجاوِرين بالحرمَيْن. قال: فأذِن لوزيرِه نصرِ بنِ هارونَ، وكان نصرانيًّا، بعِمارةِ البِيَعِ والدِّيَرةِ وإطلاقِ الأموالِ لفقرائِهم.

وفيها تُوُفِّى حَسْنَوَيْهِ بنُ الحسينِ الكُرْدىُّ، وكان قد اسْتَحْوَذ على نواحِى بلادِ الدِّينَوَرِ وهَمَذانَ ونَهاوَنْدَ مدةَ خمسين سنةً، وكان حسَنَ السِّيرةِ، كثيرَ الصدقةِ بالحرمَيْن وغيرِهما، فلما تُوُفِّى اخْتَلَف أولادُه مِن بعدِه، وتمَزَّق شَمْلُهم، وتمَكَّن عَضُدُ الدولةِ مِن أكثرِ بلادِه، وقوِيَت شَوْكتُه فى الأرضِ.

وفى هذه السنةِ ركِب عَضُدُ الدولةِ فى جُيوشٍ كثيفةٍ إلى بلادِ أخيه فَخْرِ

---

(١) فى النسخ: «الحسن». والمثبت من المنتظم. وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ٤/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٤.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) الكامل ٨/ ٧٠٤، ٧٠٥.

الدولةِ ، وذلك لِمَا كان بلَغه مِن مُمالَآتِ عزِّ الدولةِ واتِّفاقِهما عليه ، فلما تفرغ من أعدائِه ركِب فتسَلَّم بلادَ أخيه فخرِ الدولةِ ؛ هَمَذانَ والرَّيَّ وما بينَهما مِن البلادِ ، وسلَّم ذلك إلى أخيه مؤيِّدِ الدولةِ بويهِ بنِ ركنِ الدولةِ ؛ ليَكونَ نائبَه عليها ، ثم سار إلى بلادِ حَسْنَوَيْهِ الكُرْدِيِّ ، فتسَلَّم بلادَه وأخَذ حَواصِلَه وذَخائرَه ، وكانت جليلةً كبيرةً جدًّا ، وحبَس بعضَ أولادِه ، وأمَّر بعضَهم ، وأرْسَل إلى الأكرادِ الهَكَّارِيَّةِ[1] ، فأخَذ منهم بعضَ بلادِهم ، وعظُم شأنُ عضُدِ الدولةِ وارْتَفع صِيتُه وذكرُه ، إلا أنه أصابه فى هذه السَّفْرةِ داءُ الصَّرْعِ ، وقد كان تقدَّم له مثلُه فى المَوْصِلِ ، فكان يَكْتُمُه ، ولكنَّه غلَب به كثرةُ النِّسيانِ ، فلا يَذْكُرُ الشىءَ إلا بعدَ جَهْدٍ جَهيدٍ ، والدنيا لا تَسُرُّ بقَدْرِ ما تَضُرُّ :

دارٌ متى ما أضْحَكَت فى يومِها ... أبْكَت غدًا بُعْدًا لها مِن دارِ

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ عطاءِ بنِ أحمدَ أبو عبدِ اللَّهِ الرُّوذْبارىُّ[2] - ابنُ أختِ أبى علىٍّ الرُّوذْبارىِّ - أسْنَد الحديثَ ، وكان يَتَكَلَّمُ على مَذْهَبِ الصُّوفيةِ ، وقد انْتَقَل مِن بَغدادَ ، فأقام بصُورَ ، فتُوُفِّى بها فى هذه السنةِ[3] .

---

(١) الهكارية : ناحية وقرى فوق الموصل ، وإليها ينتسب الأكراد الهكارية . انظر الأنساب ٥/ ٦٤٥، وتاج العروس (هـ ك ر) .

(٢) طبقات الصوفية ص ٤٩٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٣٦، وتاريخ دمشق ٥/ ١٦، والمنتظم ١٤/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤١٠.

(٣) بعده فى ب ، م : « قال : رأيت فى المنام كأن قائلا يقول : أى شىء أصح فى الصلاة ؟ فقلت : صحة القصد . فسمعت قائلا يقول : رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم .

وقال : مجالسة الأضداد ذوبان الروح ، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول ، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة ، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار =

[٩/ ٩٥ظ] **أحمدُ** (١**بنُ فارسٍ**١) **بنِ زكريا ، أبو الحسينِ اللُّغويُّ** ، صاحبُ كتابِ « المُجْمَلِ » فى اللغةِ وغيرِه ، ومِن شعرِه قبلَ موتِه بيومَيْن :

يا ربِّ إنَّ ذُنوبى قد أحَطْتَ بها ... علمًا وبى وبإعْلانى وإسْرارى
أنا المُوَحِّدُ لكنِّى المُقِرُّ بها ... فهَبْ ذنوبى لتَوْحيدى وإقْرارِى

ذكَره ابنُ الأثيرِ(٢) .

(٣**الحسنُ بنُ علىٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ البصْرىُّ**(٤)٣) ، أحدُ مشايخِ المعتزلةِ ، ويُعْرَفُ بالجُعَلِ ، سكن بغدادَ ، وانتحل مذهبَ العراقيين ، فصنَّف للمعتزلةِ ، وكان اشتغالُه فى الفروعِ على أبى الحسينِ الكرخِىِّ وعندَه دُفِن ، وقد قاربَ الثمانين .

ثابتُ بنُ إبراهيمَ ، أبو الحسنِ الحرَّانىُّ الصابِئُ(٥) المتطبِّبُ . الحاذقُ فى فنِّه ، توفِّى وقد جاوَز الثمانين(٣) .

= إلا الأمناء فقط . وقال : الخُشوعُ فى الصلاةِ عَلامةُ الفَلاحِ ، قال تعالى : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ وترك الخشوع فى الصلاة علامة النفاق وخراب القلب ، قال تعالى : ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ » .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ يتيمة الدهر ٣/ ٣٩٧، والمنتظم ١٤/ ٢٧٤، والكامل ٨/ ٧١١ ، وفيهما : أحمد بن زكريا بن فارس ، ومعجم الأدباء ٤/ ٨٠، وإنباه الرواة ١/ ٩٢، ووفيات الأعيان ١/ ١١٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٠٩. وذكرت هذه المصادر ، عدا المنتظم وفاته فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وسيورد المصنف ترجمته مرة أخرى فى وفيات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

(٢) الكامل ٨/ ٧١.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٧٣، وطبقات الفقهاء ص ١٤٣، والمنتظم ١٤/ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤١٣، والعبر ٢/ ٤٥١.

(٥) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٣٥٦ ، وقد ذكره فى وفيات سنة ست وستين وثلاثمائة ، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٦٥.

(١ **حَسْنَوَيْهِ بنُ الحسينِ الكُرْدِيُّ**(٢) ، أميرُ تلك البلادِ ، وكان كثيرَ الصدقاتِ كما قدمنا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ١) .

عبدُ اللَّهِ بنُ إبراهيمَ بنِ أيوبَ بنِ ماسى ، أبو محمدٍ البَزَّازُ(٣) ، أسْنَد الكثيرَ ، وبلَغ خمسًا وتسعين سنةً ، وكان ثِقةً ثَبتًا ، تُوُفِّى فى رجبٍ من هذه السنةِ .

محمدُ بنُ صالحِ بنِ علىِّ بنِ يحيى ، أبو الحسنِ الهاشمىُّ(٤) ، قاضى بغدادَ ، ويُعْرَفُ بابنِ أمِّ شَيْبانَ ، وكان عالمًا فاضلًا ، له تَصانيفُ ، وقد وَلِى الحكمَ ببغدادَ قديمًا ، وكان جيدَ السِّيرةِ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ وقد جاوَز السبعين وقارَب الثمانين ، رحِمه اللَّهُ وإيانا بمنِّه .

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٧٢، والكامل ٨/ ٧٠٥.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٤٠٨، والمنتظم ١٤/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤١٨.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٢، والمنتظم ١٤/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٢٦، والوافى بالوفيات ٣/ ١٥٦.

ثم دخَلت سنةُ سبعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] ورَد الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ مِن جهةِ مُؤَيِّدِ الدولةِ إلى أخيه عَضُدِ الدولةِ، فتَلَقَّاه عضدُ الدولةِ إلى ظاهرِ البلدِ، وأكْرَمه وأمَر الدولةَ[2] باحْتِرامِه، وخلَع عليه وزاد فى أقطاعِه، وردَّ معه هَدايا كثيرةً جدًّا.

وفى جُمادَى الآخِرةِ منها رجَع عضدُ الدولةِ إلى بغدادَ، فتلَقَّاه الخليفةُ الطائعُ، وضُرِبت له القِبابُ، وزُيِّنَت الأسْواقُ.

[3]وفى هذا الشهرِ دخَل الخليفةُ بزوجتِه بنتِ عَضُدِ الدولةِ وحُمِل معها من الجِهازِ شىءٌ عظيمٌ[3]. وفى هذا الشهرِ أيضًا وصَلَت هدايا مِن صاحبِ اليمنِ إلى عضدِ الدولةِ وفيها أشياءُ حسنةٌ. وكانت الخُطْبةُ بالحرمَيْن فى هذه السنةِ لصاحبِ مصرَ، وهو العزيزُ بنُ المُعِزِّ الفاطمىِّ.

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ من الأعيانِ:

أحمدُ بنُ علىٍّ، أبو بكرٍ الفَقيهُ الحَنَفىُّ الرازىُّ[4]، أحدُ أئمةِ أصحابِ الرأىِ[5]،

---

(١) المنتظم ١٤/٢٧٥ - ٢٧٧، والكامل ٩/٥ - ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) فى ب، م: «الأعيان». وهما بمعنًى.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣١٤، وطبقات الفقهاء ص ١٤٤، والمنتظم ١٤/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٣١.

(٥) فى ب، م: «أبى حنيفة».

وله من المُصَنَّفاتِ المفيدةِ كتابُ «أحْكامِ القرآنِ»، وهو تلميذُ أبى الحسنِ الكَرْخىِّ، وكان عابدًا زاهدًا وَرِعًا، انتَهَت إليه رِياسةُ الحَنَفيةِ فى وقتِه، ورحَل إليه الطَّلَبةُ مِن الآفاقِ، وقد سمِع الحديثَ [٩/ ٩٦و] مِن أبى العباسِ الأصَمِّ وأبى القاسمِ الطَّبَرانىِّ وغيرِهما، وقد أراده الطائعُ للَّهِ على أن يُوَلِّيَه القضاءَ، فلم يَقْبَلْ.

وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ مِن هذا العامِ، وصلَّى عليه أبو بكرِ بنُ محمدِ ابنِ موسى الخُوارِزْمىُّ.

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ زكريا، أبو بكرٍ الوَرَّاقُ[1]، ويُلَقَّبُ بغُنْدَرٍ أيضًا، كان جَوَّالًا رَحَّالًا، سمِع الحديثَ الكثيرَ ببلادِ فارسَ وخُراسانَ، وسمِع الباغَنْدىَّ وابنَ صاعدٍ وابنَ دُرَيْدٍ وغيرَهم، وعنه الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصْفَهانىُّ، وكان ثِقةً حافظًا، رحِمه اللَّهُ تعالى.

ابنُ خالَوَيْهِ: الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ خالَوَيْهِ، أبو عبدِ اللَّهِ النَّحْوىُّ اللُّغوىُّ[2]، صاحبُ المُصَنَّفاتِ، أصْلُه مِن هَمَذانَ، ثم دخَل بغدادَ، فأدْرَك بها مشايخَ هذا الشأنِ؛ كأبى بكرِ بنِ الأنبارىِّ وابنِ دُرَيْدٍ وابنِ مُجاهدٍ، وأبى عمرَ الزاهدِ، واشْتَغل على أبى سعيدٍ السِّيرافىِّ، ثم صار إلى حَلَبَ، فعظُمَت مكانتُه عندَ آلِ حَمْدانَ، وكان سيفُ الدولةِ يُكْرِمُه وهو أحدُ جُلَسائِه، وله مع المُتَنَبِّى مُناظَراتٌ.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٢، وتاريخ دمشق ١٥/ ١٧٤ مخطوط، والمنتظم ١٤/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٤٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٧٨، ومعجم الأدباء ٩/ ٢٠٠، وإنباه الرواة ١/ ٣٢٤، وفيه: «الحسين بن محمد»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٣٩، والعبر ٢/ ٣٥٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٢٦٩.

وقد سرَد له ابنُ خَلِّكانَ مُصَنَّفاتٍ كثيرةً منها « كتابُ ليس » ؛ لأنَّه كان يُكْثِرُ أن يَقولَ فيه : ليس فى كلامِ العربِ كذا ، « وكتابُ الآلِ » تكَلَّم فيه على أقْسامِه وترْجَم فيه الأئمةَ الاثْنَىْ عشَرَ ، وإعراب ثلاثين سُورةً مِن القرآنِ ، وشرح الدُّرَيْدِيَّة وغير ذلك ، وله شِعْرٌ حسنٌ ، وكان (١فَرْدًا فى زمانِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى١) .

(١ - ١) فى ب ، م : « به داء كانت به وفاته » .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وسبعين وثلاثِمائةٍ[1]

فى ربيعِ الأولِ منها وقَع حَريقٌ عظيمٌ بالكَرْخِ من بغدادَ .

وفيها سُرِق شىءٌ نَفيسٌ لعَضُدِ الدولةِ ، فعَجِب الناسُ مِن ذلك ؛ لشدةِ هَيْبةِ عَضُدِ الدولةِ ، ثم مع هذا اجْتَهَدوا كلَّ الاجْتِهادِ ، فلم يُعْرفْ مَن أخَذه . ويقالُ : إن صاحبَ مصرَ بعَث مَن فعَل هذا . فاللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ ، أبو بكرٍ الإسْماعِيلىُّ الجُرْجانىُّ[2] الحافظُ الكبيرُ الرَّحَّالُ الجَوَّالُ ، سمِع الكثيرَ ، وحدَّث وخرَّج وصنَّف ، فأفاد وأجاد ، وأحْسَن الانْتِقادَ و الاعْتِقادَ ، صنَّف كتابًا على « صحيحِ البُخارىِّ » فيه فَوائدُ كثيرةٌ ، وعلومٌ غَزيرةٌ .

قال الدارَقُطْنىُّ[3] : كنتُ عزَمْتُ غيرَ مرةٍ على الرِّحْلةِ إليه ، فلم أُرْزَقْ .

وكانت وفاتُه يومَ السبتِ عاشرَ[4] رجبٍ سنةَ إحدى وسبعين وثلاثِمائةٍ ، وهو

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٨١، والكامل ٩/ ١٠ - ١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٧١.

(٢) تاريخ جرجان ص ٦٩، والمنتظم ١٤/ ٢٨١، والكامل ٨/ ١٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٨٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٣/ ٧.

(٣) المنتظم ١٤/ ٢٨٢.

(٤) فى المنتظم : « غرة » .

ابنُ أربعٍ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

[٩/ ٩٦ظ] **الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ صالحٍ ، أبو محمدٍ السَّبِيعيُّ**[١] ، سمِع ابنَ جَريرٍ وقاسمًا المُطَرِّزَ وغيرَهما ، وعنه الدارَقُطْنيُّ والبَرْقانيُّ ، وكان ثقةً حافظًا مُكْثِرًا ، وكان عَسِرَ الروايةِ ، رحِمه اللَّهُ .

الحسنُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ الهَيْثمِ بنِ طَهْمانَ ، أبو عبدِ اللَّهِ الشاهدُ ، المعروفُ بالبادى[٢] ، سمِع الحديثَ ، وكان ثقةً ، عُمِّر سبعًا وتسعين سنةً ، منها خمسَ عشْرةَ سنةً مُقْعدًا أعمى ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ محمدٍ ، أبو بكرٍ الضَّبِّيُّ القاضى[٣] ، وَلى الحكمَ [٤]بِعدَّةِ بلادٍ كثيرةٍ[٤] ، وكان عَفيفًا نَزِهًا صَيِّنًا دَيِّنًا .

عبدُ العزيزِ بنُ الحارثِ بنِ أسدِ بنِ الليثِ ، أبو الحسنِ التَّميميُّ[٥] الفَقيهُ الحَنْبليُّ ، له كلامٌ ومُصَنَّفٌ فى الخِلافِ ، وسمِع الحديثَ ، وروَى عنه غيرُ واحدٍ .

وقد ذكَر الخطيبُ البَغْداديُّ[٦] أنه وضَع حديثًا ، وردَّ ذلك أبو الفرجِ بنُ الجَوْزيِّ[٧] وقال : ما زال هذا دَأْبَ الخطيبِ فى أصحابِ أحمدَ بنِ حنبلٍ . قال :

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٥٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ١٠، والمنتظم ١٤/ ٢٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٩٤.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٨٨، والمنتظم ١٤/٢٨٣ وفيهما : «ابن البادا» بدل «البادى»، وهو مما يقال فى اسمه، انظر الأنساب ١/ ٢٥٠.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٤٤٠، والمنتظم ١٤/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٠٠.

(٤ - ٤) فى ب، م: «ببغداد».

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦١، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٣٩، والمنتظم ١٤/ ٢٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٠١.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٧) المنتظم ١٤/ ٢٨٤، ٢٨٥.

وشيخُ الخطيبِ الذى حُكِى عنه هذا هو أبو القاسمِ عبدُ الواحدِ بنُ أسدٍ العُكْبَرِىُّ لا يُعْتَمَدُ على قولِه ، فإنه كان مُعْتَزِلِيًّا ، وليس مِن أهلِ الحديثِ ، وكان يقولُ بأن الكُفارَ لايُخَلَّدون فى النارِ .

قلتُ : وهذا غريبٌ ؛ فإن المُعْتَزِلةَ يقولون بوجوبِ تخليدِ أصحابِ الكبائرِ فكيف لا يقولُ هذا بتخليدِ الكفارِ[1] ! قال[2] : وعنه حُكِى الكلامُ فى ابنِ بَطَّةَ أيضًا .

علىُّ بنُ إبراهيمَ أبو الحسنِ الحُصْرِىُّ الصوفىُّ الواعِظُ[3] ، شيخُ المُتَصَوِّفةِ ببغدادَ ، أصلُه مِن البصرةِ ، صحِب الشِّبْلىَّ وغيرَه ، وكان يَعِظُ الناسَ بالجامعِ ، ثم لما كبِرَت سِنُّه بُنِى له الرِّباطُ المُقابِلُ لجامعِ المنصورِ ، ثم عُرِف بصاحبِه الزَّوزَنىِّ[4] ، وكان لا يَخْرُجُ إلا مِن الجمعةِ إلى الجمعةِ ، وله كلامٌ جيدٌ فى التَّصَوُّفِ على طريقِهم .

ومما نقَله ابنُ الجوزىِّ عنه أنه قال[5] : ما علىَّ منِّى ؟ وأىُّ شىءٍ لى فىَّ حتى [6]أخافَ وأرْجُوَ[6] ، إن رحِم رحِم ما لَه ، وإن عذَّب عذَّب ما لَه .

تُوُفِّى فى ذى الحِجَّةِ ، وقد نيَّف على الثمانين ، ودُفِن بمَقْبَرةِ حَرْبٍ مِن بغدادَ .

---

(١) انظر العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٢٤.

(٢) أى ابن الجوزى رحمه اللّه .

(٣) طبقات الصوفية ص ٤٨٩، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠، والرسالة القشيرية ١/ ١٩٥، والمنتظم ١٤/ ٢٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٠٢.

(٤) فى الأصل، ب، م: «المروزى». وانظر ما سيأتى فى صفحة ٧٧٥.

(٥) المنتظم ١٤/ ٢٨٦.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ، وفى المنتظم: «حتى أخاف عليه، وأرجو له».

عليُّ بنُ محمدٍ الأحْدَبُ المُزَوِّرُ[1] ، كان قوِيَّ الخطِّ ، له مَلَكةٌ على التَّزْويرِ ، لا يَشاءُ يَكْتُبُ على كتابةِ أحدٍ إلا فعَل ، فلا يَشُكُّ ذلك المُزَوَّرُ عليه أنه خطُّه ، وبَلا الناسَ ببَلاءٍ عظيمٍ ، وختَم السلطانُ على يدِه مرارًا فلم يُفِدْ ، ثم كانت وفاتُه في هذه السنةِ .

الشيخُ أبو زيدٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ المَرْوَزِيُّ الشافعيُّ[2] ، شيخُ الشافعيةِ في زمانِه ، وإمامُ أهلِ عصرِه في الفقهِ والزهدِ والعِبادةِ والوَرَعِ ، سمِع الحديثَ ، ودخَل بغدادَ ، وحدَّث بها ، فسمِع منه الدارقُطْنيُّ وغيرُه .

قال أبو بكرٍ البَزَّارُ[3] : عادلْتُ[4] الشيخَ أبا زيدٍ في طريقِ الحجِّ فما أعْلَمُ أن الملائكةَ كتَبَت عليه خَطيئةً .

وقد ذكَرْتُ ترجمتَه بكَمالِها في « طَبَقاتِ الشافعيةِ » . قال الشيخُ أبو نُعَيْمٍ[3] : تُوُفِّي بمَرْوَ يومَ الجمعةِ[5] الثالثَ عشَرَ مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمَه اللَّهُ وأكرَم مثواه .

[٩/٩٧و] **محمدُ بنُ خَفِيفٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الشِّيرازيُّ**[6] ، أحدُ مَشاهيرِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٨، والكامل ٩/ ٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٢. وذكر فيهما أن وفاته كانت سنة سبعين وثلاثمائة .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣١٤، والمنتظم ١٤/ ٢٨٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٠٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٧١.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٣١٤، والمنتظم ١٤/ ٢٨٧.

(٤) عادلْتُ : ركِبْتُ معه . انظر الوسيط (ع د ن) .

(٥) في تاريخ بغداد : « الخميس » .

(٦) طبقات الصوفية ص ٤٦٢، والمنتظم ١٤/ ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٠٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٥٠.

الصُّوفيةِ ، صحِب الجَريرىَّ وابنَ عَطاءٍ وغيرَهما .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : وقد ذكَرْتُ فى كتابى المُسَمَّى بـ« تَلْبيسِ إبْليسَ » عنه حِكاياتٍ تَدُلُّ على أنه يَذْهَبُ مذهبَ الإباحيةِ[2] .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٨٨.

(٢) انظر تلبيس إبليس ص ٣٥٨ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وسبعين وثلاثِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزيِّ[2] : فى المُحَرَّمِ جرَى الماءُ الذى ساقه عَضُدُ الدولةِ إلى دارِه وبُسْتانِه .

وفى صفَرٍ فُتِح المارَسْتانُ الذى أنْشَأه عَضُدُ الدولةِ فى الجانبِ الغربيِّ مِن بغدادَ ، وقد رتَّب فيه الأطِبَّاءَ والخَدَمَ ، ونُقِلَ إليه مِن الأدْويةِ والأشْرِبةِ والعَقاقيرِ شىءٌ كثيرٌ .

وقال[2] : وفيها تُوُفِّى عَضُدُ الدولةِ ، فكتَم أصحابُه وفاتَه حتى أحْضَروا ولدَه صَمْصامَ الدولةِ فولَّوه الأمرَ ، وراسَلوا الخليفةَ ، فبعَث إليه بالخِلَعِ والوِلايةِ .

ذكرُ شىءٍ مِن أخْبارِ عَضُدِ الدولةِ

أبو شُجاعِ بنُ رُكْنِ الدولةِ أبى علىٍّ الحسَنِ بنِ بُوَيْهِ الدَّيْلمىُّ[3] ، صاحبُ العراقِ ، ومَلَك بغدادَ وغيرَها .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٨٩، ٢٩٠، والكامل ٩/ ١٧ - ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٧٣، ٤٧٤.

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٨٩.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٢١٦، والمنتظم ١٤/ ٢٩٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٢٢.

وهو أولُ مَن تسَمَّى «شاهِنْشاهْ»، ومعناه مَلِكُ المُلوكِ. وقد ثبَت فى الصَّحيحِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال[1]: «أوْضَعُ اسمٍ - وفى روايةٍ: أخْنَعُ اسمٍ - عندَ اللَّهِ رجلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأمْلاكِ، لا مـلِكَ إلا اللَّهُ عز وجل». وهو أولُ مَن ضُرِبَت له الدَّبادِبُ ببغدادَ، وأولُ مَن خُطِب له بها مع الخليفةِ.

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[2] أنه امْتَدَحه الشُّعراءُ بمَدائحَ هائلةٍ كالمُتَنَبِّى وغيرِه، فمِن ذلك قولُ أبى الحسنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ السَّلَامىِّ فى قصيدةٍ له:

إليك طَوَى عرْضَ البسيطةِ جاعلٌ ... قُصارَى المَطايا أن يَلُوحَ لها القَصْرُ
فكنتُ وعَزْمى فى الظلامِ وصارِمى ... ثلاثةَ أشياءٍ كما اجْتَمَع النَّسْرُ
وبشَّرْتُ آمالى بمَلْكٍ هو الوَرَى ... ودارٍ هى الدنيا ويومٍ هو الدَّهْرُ

ثم قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: وهذا هو السحرُ الحلالُ.

وقال المُتَنَبِّى[4]:

هى الغَرَضُ الأقْصَى ورُؤْيَتُك المُنَى ... ومَنْزِلُك الدنيا وأنت الخَلائقُ

[5]قال ابنُ خلِّكانَ[3]: وليس فى الطِّلاوةِ كقولِ السَّلامىِّ، ولا استوفى المعنى كلَّه؛ فإنه لم يَذكرِ الدَّهرَ[5].

وقال أبو بكرٍ أحمدُ الأَرَّجانىُّ القاضى فى قصيدةٍ له بيتًا، فلم يَلْحَقِ السَّلَامىَّ

---

(١) البخارى (٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٥٢.
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٥٣.
(٤) ديوان المتنبى ص ٨٠ وفيه أنه يمدح الحسين بن إسحاق التنوخى.
(٥ - ٥) سقط من: ب، م.

أيضًا ، وهو قولُه :

لقِيتُه فرأيْتُ الناسَ فى رَجُلٍ والدَّهْرَ فى ساعةٍ والأرضَ فى دارِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وكتَب إليه أفتكين مولى أخيه صاحبِ دمشقَ يَسْتَمِدُّه بجيشٍ [٩/٩٧ظ] يُقاتِلُ به الفاطمِيِّين ، فكتَب إليه عَضُدُ الدولةِ : غرَّك عِزُّك ، فصار قُصارُ ذلك ذُلَّك ، فاخْشَ فاحِشَ فِعْلِك ، فعلَّك بهذا تُهْدَا . قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : ولقد أبْدَع فيها كلَّ الإبْداعِ .

وقد جرَى له مِن التَّعْظيمِ مِن الخليفةِ ما لم يَقَعْ لأحدٍ مِمَّن كان قبلَه ، وقد ذكرنا أنه كان ذا همةٍ وصرامةٍ وعزمٍ ، اجْتَهَد فى عِمارةِ بغدادَ والطُّرقاتِ ، وأجْرَى النَّفَقاتِ والصدقاتِ على المجاورين بالحرمَين وأهلِ البيوتاتِ ، وحفَر الأنهارَ ، وبنى المارَسْتانَ العَضُدىَّ ، وأدار السُّورَ على مدينةِ الرسولِ ﷺ ، وهذا كلُّه فى مدةِ مُلْكِه على العراقِ ، وكانت خمسَ سنين ، وقد كان عاقلًا فاضِلًا ، حسَنَ السِّياسةِ ، شديدَ الهَيْبةِ ، بعيدَ الهِمَّةِ ، إلا أنه كان يَتَجاوَزُ فى سياستِه الأمورَ الشَّرْعيةَ ؛ كان يُحِبُّ جاريةً ، فألْهَتْه عن تَدْبيرِ المَمْلَكةِ ، فأمَر بتَغْريقِها .

وبلَغه أن غلامًا له أخَذ لرجلٍ بِطِّيخةً ، فضرَبه بسيفٍ فقطَعه نصفين ، وهذه مُبالغةٌ .

وكان سببَ موتِه داءُ الصَّرْعِ ، وحينَ أخذتْه علةُ موتِه لم يَكُنْ له كلامٌ سوى تلاوةِ قولِه تعالى : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾[2] [الحاقة : ٢٨، ٢٩] .

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٥٤.

(٢) بعده فى ب ، م : « فكان هذا هِجِّيراه حتى مات » .

وحكَى ابنُ الجَوْزىِّ[1] أنه كان يُحِبُّ العلمَ والفَضيلةَ، وكان يُقْرَأُ عندَه «كتابُ إقليدِسَ» وكتابُ النحوِ لأبى علىٍّ الفارسىِّ، وهو «الإيضاحُ والتَّكْمِلةُ» الذى صنَّفه له، وغيرُ ذلك.

وقد ذكر أن له شعرًا، فمنه قولُه وقد خرَج مرةً إلى بُسْتانٍ له فقال: أَوَدُّ لو جاء المطرُ. فنزَل المطرُ فأنْشَأ يقولُ[2]:

ليس شربُ الكأسِ إلا فى المطرْ ... وغناءٌ مِن جَوارٍ فى السَّحَرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهَى ... ناغِماتٍ[3] فى تَضاعيفِ الوَتَرْ
راقصاتٍ زاهراتٍ نُجَّلٍ ... رافلاتٍ فى أفانينِ الحِبَرْ
مُطْرِباتٍ مُحْسِناتٍ مُجَّنٍ ... رافضاتِ الهمِّ إبّانَ الفِكَرْ
مُبْرِزاتِ الكأسِ مِن مَخْزَنِها[4] ... مُسْقِياتِ الخمرِ مَن فاق البَشَرْ
عَضُدُ الدولةِ وابنُ رُكْنِها ... مالِكُ الأمْلاكِ غَلَّابُ القَدَرْ
سهَّل اللَّهُ [5]له بُغْيتَه[5] ... فى مُلوكِ الأرضِ ما دار القَمَرْ
وأراه الخيرَ فى أوْلادِه ... لِيُساسَ الملكُ فيهم بالغُرَرْ

قال[6]: فيقالُ: إنه منْذُ قال: غلابُ القدَرْ. لم يُفلِحْ بعدها. وذكَر غيرُه[7]

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٩٣.

(٢) الأبيات فى يتيمة الدهر ٢/ ٢١٨، ومعاهد التنصيص ٣/ ٣٤. وقد وصفها الذهبى فى السير بأنها أبيات كفرية.

(٣) ناغمات: نغم فى الغناء: أى طَرَّب فيه. الوسيط (ن غ م).

(٤) فى ب، م، ويتيمة الدهر، ووفيات الأعيان: «مطلعها». والمثبت موافق لما فى المنتظم.

(٥ - ٥) فى ب، م: «إليه نصره».

(٦) المنتظم ١٤/ ٢٩٤.

(٧) انظر وفيات الأعيان ٤/ ٥٤.

أن هذه الأبياتَ آخرُ ما أُنْشدتْ فيه بين يديه، ثم كانت وفاتُه عقِب ذلك، وكانت وفاتُه فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ، عن سبعٍ أو ثمانٍ وأربعين سنةً، وحُمِل إلى مَشْهدِ علىٍّ، فدُفِن فيه.

وقد كُتِب على قبرِه [٩/ ٩٨و] فى التربةِ التى بُنيت له عندَ مَشْهَدِ علىٍّ: هذا قبرُ عَضُدِ الدولةِ وتاجِ المَمْلَكةِ أبى شُجاعِ بنِ رُكْنِ الدولةِ، أحَبَّ مُجاوَرةَ هذا الإمامِ المُتَّقِى لطمَعِه فى الخَلاصِ ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١] والحمدُ للَّهِ وصلواتُه على محمدٍ وعِتْرتِه الطاهرةِ.

وقد تمثَّل عندَ موتِه بهذه الأبياتِ، وهى للقاسمِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ:

قتَلْتُ صَناديدَ الرجالِ فلم أدَعْ ... عدُوًّا ولم أُمْهِلْ على ظنِّه خَلْقَا
وأخْلَيْتُ دُورَ الملكِ مِن كلِّ نازلٍ ... فشرَّدْتُهم غربًا وشرَّدْتُهم شرقَا
فلما بلَغْتُ النَّجْمَ عِزًّا ورِفْعةً ... وصارت رِقابُ الخَلْقِ أجْمَعَ لى رِقًّا
رمانى الرَّدَى سهمًا فأخْمَد جَمْرتى ... فها أنا ذا فى حُفْرتى عاطلًا مُلْقَى
فأذْهَبْتُ دُنْياىَ ودينى سَفاهةً ... فمَن ذا الذى منى بمَصْرَعِه أشْقَى

ثم جعَل يُكَرِّرُ هذه الآيةَ: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴾. إلى أن مات كما ذكرنا.

وأُجْلِس[1] ابنُه صَمْصامُ[2] الدولةِ على الأرضِ، وعليه ثِيابُ السَّوادِ، وجاءه الخليفةُ الطائعُ مُعَزِّيًا، وناح النساءُ عليه فى الأسْواقِ أيامًا كثيرةً، ولما انْقَضَى العَزاءُ

---

(١) ذكر ذلك فى المنتظم، وتاريخ الإسلام فى حوادث السنة التالية.

(٢) فى ب، ص: «صمصامة». والصمصام والصمصامة: السيف الصارم لا ينثنى. الوسيط (صمصم).

ركِب صَمْصامةُ إلى دارِالخِلافةِ ، فخلَع عليه الخليفةُ سبعَ خِلَعٍ ، وطُوِّق وسُوِّر وألْبَسه التاجَ ، ولقَّبه شمسَ الدولةِ ، وولَّاه ما كان يَتَوَلَّاه أبوه من قبلِه ، وكان يومًا مشهودًا .

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ الحسنِ بنِ وَهْبٍ ، أبو بكرٍ الحَريرىُّ المعروفُ بزَوْجِ الحُرَّةِ[1] ، سمِع ابنَ جَريرٍ والبَغَوىَّ وابنَ أبى داودَ وغيرَهم ، وعنه ابنُ رَزْقَوَيْهِ وابنُ شاذانَ[2] والبَرْقانىُّ ، وقال : كان جليلًا ، أحدَ العُدولِ الثِّقاتِ .

قال الخطيبُ وابنُ الجَوْزىِّ[3] : سببُ تَسْميتِه بزَوْجِ الحُرَّةِ أنه كان يدخلُ إلى مَطْبَخِ ابنةِ بدرٍ مولى المعتضدِ ، التى كانت زوجةَ المُقْتَدِرِ باللَّهِ ، فلما تُوُفِّى المُقْتَدِرُ ، بقِيَت هذه المرأةُ سالمةً مِن الكُتَّابِ والمُصادراتِ ، كثيرةَ الأموالِ ، وكان هذا وهو غلامٌ شابٌّ حَدَثُ السنِّ يَحْمِلُ شيئًا مِن حَوائجِ الطعامِ على رأسِه ، فيَدْخُلُ به إلى مَطْبَخِها مع جملةِ الخَدَمِ ، وكان شابًّا رَشيقًا حَرِكًا ، فنفَق على القَهْرَمانَةِ فقدَّمتْه حتى جعَلَتْه كاتبًا على المطبخِ ، ثم ترَقَّت به الحالُ إلى أن صار وَكيلًا يَنظُرُ فى الضياعِ والعَقارِ ، ثم آل به الحالُ حتى صارت السِّتُّ تُحَدِّثُه مِن وراءِ حِجابٍ ، فَعلِقَت به وأحَبَّتْه ، وسألَتْه أن يَتَزَوَّجَ بها ، فاسْتَصْغَر نفسَه ، وخاف مِن غائلةِ ذلك ، فشجَّعَته وأعْطَتْه مالًا جزيلًا ليُظْهِرَ مِن الحُشْمةِ والسعادةِ ما يُناسِبُها ، ليَتَأَهَّلَ لذلك ، ثم شرَعَت تُهادِى القُضاةَ والأكابرَ ، ثم عزَمَت على

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٣، والمنتظم ١٤/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٢٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٠٣.

(٢) فى النسخ : « شاهين » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٣، والمنتظم ١٤/ ٢٩٧.

تَزْويجِه ، ورضِيَت به عندَ حُضورِ القُضاةِ ، [٩/ ٩٨ظ] واعْتَرَض أولياؤُها عليها ، فغلَبَتهم بالمُكارَماتِ والهدايا ، ودخَل عليها فمكثَت معه دَهْرًا طويلًا ، ثم تُوفِّيت قبلَه ، فورِث منها نحوًا من ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وطال عمرُه بعدَها حتى كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، رحمه اللَّهُ تعالى وإيانا بمنِّه وكرمِه .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وسبعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] غلَت الأسعارُ ببغدادَ حتى بلَغ الكُرُّ مِن الطعامِ إلى أربعةِ آلافٍ وثمانِمائةٍ، ومات كثيرٌ مِن الناسِ من الضعفِ فى الطُّرُقاتِ جُوعًا، ثم تساهَل الحالُ فى ذى الحِجَّةِ منها. وجاء الخبرُ بموتِ مُؤَيِّدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ الدولةِ، وأن أبا القاسمِ بنَ عَبَّادٍ الوزيرَ بعَث إلى أخيه فخرِ الدولةِ، فولَّاه المُلْكَ مكانَ أخيه، فاسْتَوْزَر ابنَ عَبَّادٍ أيضًا على ما كان عليه، وخلَع عليه، وأحسَن إليه. ولما بلَغ القَرامِطَةَ موتُ عَضُدِ الدولةِ قصَدوا البصرةَ ليأْخُذوها مع الكوفةِ، فلم يَتِمَّ لهم ذلك، ولكن صُولحوا على مالٍ كثيرٍ، فأخَذوه وانْصَرَفوا.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

بُوَيْهِ مُؤَيِّدُ الدولةِ بنُ رُكْنِ الدولةِ[2]، كان مَلِكًا على بعضِ ما كان أبوه يَمْلِكُه كما تقَدم، وكان الصاحبُ أبو القاسمِ بنُ عَبَّادٍ وزيرَه، وقد تَزَوَّج مُؤَيِّدُ الدولةِ هذا بزُبَيْدَةَ بنتِ عمِّه مُعِزِّ الدولةِ، فغرِم على عُرْسِه بها سبعَمائةِ ألفِ دينارٍ، وهذا سَرَفٌ عظيمٌ.

بُلُكِّين بنُ زِيرِى بنِ مَنادٍ[3] **الحِمْيَرِىُّ الصِّنْهاجِىُّ**، ويُسَمَّى أيضًا يوسفَ،

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٠٠ - ٣٠٢، والكامل ٩/ ٢٦ - ٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٧٥، ٤٧٦.

(٢) المنتظم ١٤/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٣٧، والعبر ٢/ ٣٦٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٢٦.

(٣) فى ب، م: «منادى»، وفى ص: «هناد». وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١/ ٢٨٦، وتاريخ =

وكان مِن أكابرِ أُمراءِ المُعِزِّ، وقد اسْتَخْلَفه على بلادِ إفرِيقِيَّةَ حينَ سار إلى القاهرةِ، وكان حسَنَ السِّيرةِ، له أربعُمائةِ حَظِيَّةٍ، وقد بُشِّر فى ليلةٍ واحدةٍ بسبعةَ[1] عشَرَ ولدًا، وهو جَدُّ بادِيسَ المَـغْرِبيِّ.

سعيدُ بنُ سلَّامٍ، أبو عثمانَ المَـغْربيُّ[2]، أصلُه مِن بلادِ القَيْرَوانِ، ودخَل الشامَ، وصحِب [3]أبا الخيرِ[3] الأقْطَعَ، وجاوَر بمكةَ مدةَ سنين، وكان لا يَظْهَرُ فى المواسمِ، وكانت له كراماتٌ، وقد أثْنَى عليه أبو سليمانَ الخَطَّابيُّ وغيرُه، ورُوِى له أحوالٌ صالحةٌ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ المُخْتارِ، أبو محمدٍ المُزَنيُّ الواسطيُّ[4]، يُعْرَفُ بابنِ السَّقَّا، سمِع عَبْدانَ وأبا يَعْلَى الموصليَّ وابنَ أبى داودَ والبَغَوِيَّ، وكان فَهِمًا حافظًا، دخَل بغدادَ، فحدَّث بها مجالسَ كثيرةً مِن حفظِه، وكان يَحْضُرُه الدارَقُطْنيُّ وغيرُه مِن الحُـفَّاظِ، فلم يُنْكِروا عليه شيئًا، غيرَ أنه حدَّث مرةً عن أبى يَعْلَى بحديثٍ أنْكَروه عليه، ثم وجَدوه فى أصلِه بخَطِّ الصِّبا[5] كما حدَّث به سَواءً، فبرِئَ مِن عُهْدتِه، رحِمه اللَّهُ تعالى، واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ.

= الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٣٦، والعبر ٢/ ٣٦٤. وانظر الكامل ٩/ ٣٤.

(١) فى م: «بتسعة».

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١١٢، والمنتظم ١٤/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٣٩، والعبر ٢/ ٣٦٥. وانظر الكامل ٩/ ٣٧.

(٣) فى الأصل، ص: «الحر». وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٣٠، والمنتظم ١٤/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٤١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٨٧.

(٥) فى الأصل، ب، م: «الضبى»، وفى ص، والمنتظم: «الصبى». والمثبت من تاريخ بغداد.

[٩/ ٩٩و] ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ

فيها[١] جرَى الصُّلْحُ بينَ صَمْصَامِ[٢] الدولةِ الملقَّبِ بشمسِ الدولةِ وبين عمِّه فخرِ الدولةِ بنِ ركنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ، فأرْسَل الخليفةُ لفخرِ الدولةِ خِلَعًا سَنيَّةً وتُحَفًا.

قال ابنُ الجوزيِّ[٣]: وفى رجبٍ منها عُمِل عُرْسٌ فى دَرْبِ رَباحٍ[٤]، فسقَطَت الدارُ على مَن فيها، فهلَك أكثرُ النساءِ بها، ونُبِشْن مِن تحتِ الرَّدْمِ، فكانت المُصيبةُ عامةً.

وفيها كانت وفاةُ الحافظِ أبى الفَتْحِ محمدِ بنِ الحسينِ[٥] بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ الأزْدِيِّ المَوْصليِّ، المُصنِّفِ فى الجَرْحِ والتَّعْديلِ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى يَعْلَى وَطَبقتِه، وضعَّفه كثيرٌ مِن حُفَّاظِ زمانِه، واتَّهَمه بعضُهم بوَضْعِ حديثٍ رواه لابنِ بُوَيْهِ حين قدِم عليه بغدادَ، فساق بإسنادِه عن النبيِّ ﷺ أن جبريلَ كان

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٠٦، والكامل ٩/ ٣٨ - ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٧٧.

(٢) فى النسخ هنا وفيما يأتى: «صمصامة». والمثبت من المصادر.

(٣) المنتظم ١٤/ ٣٠٦.

(٤) فى ب، م: «رياح»، وفى ص: «رماح».

(٥) فى ب، م: «الحسن». وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣، والمنتظم ١٤/ ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٧، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٦٤.

يَنْزِلُ عليه فى مثلِ صورةِ ذلك الأميرِ . فأجازه وأعْطاه دراهمَ كثيرةً . والعَجَبُ - إن كان هذا صحيحًا - كيف راج هذا على أحدٍ ممَّن له أدْنَى فَهْمٍ وعقلٍ ، وقد أرَّخ ابنُ الجوزىِّ وفاتَه فى هذه السنةِ ، وقد قيل : إنه تُوُفِّى سنةَ تسعٍ وستين .

وممن تُوفِّىَ فيها من الأعيانِ :

[1] الخطيبُ أبو يحيى عبدُ الرحيمِ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ نُبَاتَةَ - بطنٌ مِن قُضاعةَ . وقيل : من إيادٍ - الفارِقىُّ [1] ، خطيبُ حَلَبَ أيامَ سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ ، ولهذا أكْثرُ دِيوانِه الخطبُ الجِهاديةُ ، ولم يُسْبَقْ إلى مثلِ دِيوانِه هذا ، ولا يُلْحَقُ فيه - إلا أن يَشاءَ اللَّهُ - لأنَّه كان فصيحًا بليغًا ذكيًّا دَيِّنًا وَرِعًا . روَى الشيخُ تاجُ الدينِ الكِنْدىُّ عنه[2] أنه خطَب يومَ جمعةٍ بخُطبةِ المَنامِ ، ثم رأَى فى ليلةِ السبتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى جَماعةٍ مِن أصحابِه بينَ المَقابرِ ، فلما أقْبَل عليه قال له : مرحبًا بخطيبِ الخُطَباءِ . ثم أوْمَأ إلى القُبورِ ، فقال لابنِ نُباتةَ : [3]كيف تقولُ ؟ قال : فقلت[3] : كأنهم لم يَكونوا للعيونِ قُرَّةً ، ولم يُعَدُّوا فى الأحياءِ مرَّةً . فتمَّمَ الكلامَ ابنُ نُباتةَ حتى انْتَهَى إلى قولِه : يومَ تكونون شهداءَ على الناسِ - وأشار إلى الصحابةِ - ويكونُ الرسولُ عليكم شهيدًا . وأشار إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال : أحْسَنْتَ أحْسَنْتَ ، ادْنُهْ ادْنُهْ . فقبَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ وجهَه ، وتفَل فى فِيهِ ، وقال : وفَّقك اللَّهُ . فاسْتَيْقَظ وبه مِن السُّرورِ أمْرٌ كبيرٌ ، وعلى وجهِه نورٌ وبهاءٌ ، ولم يَعِشْ بعدَ ذلك إلا ثمانيةَ[4] عشَرَ يومًا ، لم يَسْتَطْعِمْ فيها بطعامٍ ،

(١ - ١) فى م : « الخطيب بن نباتة الحذاء » . وانظر ترجمته فى وفيات الأعيان ٣/ ١٥٦، ومرآة الجنان ٢/ ٤٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٥٩.

(٢) انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٥٦، ١٥٧.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من وفيات الأعيان بتصرف .

(٤) فى ب ، م : « سبعة » .

ويُوجَدُ مِن فِيه مثلُ رائحةِ المِسْكِ حتى مات ، رحِمه اللَّهُ .

قال ابنُ الأزْرقِ الفارقىُّ[1] : وُلِد ابنُ نُباتةَ فى سنةِ خمسٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، وتُوُفِّى فى سنةِ أربعٍ وسبعين . [٩/٩٩ظ] وهى هذه السنةُ ، رحمه اللَّهُ وإيانا . حكاه ابنُ خَلِّكانَ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٥٧.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وسبعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] خلَع الخليفةُ على صَمْصامِ الدولةِ، وسوَّره وطوَّقه، وأُرْكب على فرسٍ بسَرْجِ ذهبٍ، وبينَ يديه جَنيبٌ مثلُه[2].

وفيها ورَد الخبرُ بأن اثنين مِن سادةِ القَرامِطةِ - وهما إسحاقُ وجعفرٌ - دخَلا الكوفةَ فى جَحْفلٍ كبيرٍ، فانْزَعَجَت النُّفوسُ بسببِ ذلك، وذلك لصَرامتِهم وشَهامتِهم، ولأن عَضُدَ الدولةِ مع شَجاعتِه قد كان يُصانِعُهم، وأقْطَعهم أراضىَ مِن واسِطٍ، وكذلك عزُّ الدولةِ مِن قبلِه أيضًا، فجُهِّز إليهم جيشٌ من بغدادَ، فطرَدوهم عن تلك النَّواحى التى قد أكْثَروا فيها الفَسادَ، وبطَل ما كان فى النفوسِ منهم، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وفيها عزَم صَمْصامُ الدولةِ على أن يَضَعَ مَكْسًا على الثيابِ الإبْرَيْسَمِيَّاتِ، فاجْتَمَع الناسُ بجامعِ المنصورِ، وهمُّوا بتبطيلِ الجمعةِ، وكادت الفتنةُ تَقَعُ بينَهم، فأُعْفُوا مِن ذلك.

وفى ذى الحِجَّةِ ورَد الخبرُ بموتِ ابنِ[3] مُؤَيِّدِ الدولةِ، فجلَس صَمْصامُ الدولةِ للعَزاءِ، وجاء إليه الخليفةُ الطائعُ فى ثيابِ السوادِ والقُرَّاءُ والأولياءُ بين يديه فقام

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣١٠، ٣١١، والكامل ٩/ ٤١ - ٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٧٧.

(٢) أى فرس يقاد إلى جنب الفرس الذى هو راكبه. انظر الوسيط (ج ن ب).

(٣) سقط من: ب، م.

إليه صَمْصامُ الدولةِ ، وقبَّل الأرضَ بينَ يديه وتخاطَبا فى العَزاءِ بألفاظٍ حسَنةٍ ، [1]وانصَرف الخليفةُ راجعًا إلى دارِه ، وكان وقتًا مشهودًا[1] .

وفيها تُوفى الشيخُ أبو علىٍّ بنُ أبى هريرةَ[2] ، واسمُه الحسنُ بنُ الحسينِ ، أحدُ مَشَايخِ الشافعيةِ ، وله اختياراتٌ كثيرةٌ غريبةٌ ، وقد ترْجَمْناه فى « الطبَقاتِ » بما فيه كفايةٌ . وللَّهِ الحمدُ .

الحسينُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يَحْيَى ، أبو أحمدَ النَّيْسابورىُّ ، المَعْروفُ بحُسَيْنَكْ[3] ، كانت تربيتُه عندَ ابنِ خزيمةَ وتِلْميذًا له ، وكان يُقَدِّمُه على أولادِه ، ويَقْرَأُ له ما لا يَقْرَأُه لغيرِه ، وإذا تخَلَّف ابنُ خُزَيْمةَ عن مَجالسِ السلطانِ بعَث حُسَيْنَكْ مكانَه . ولما تُوُفِّى ابنُ خُزيمةَ كان عمرُ حُسَيْنَكْ ثلاثًا وعشرين سنةً ، ثم عُمِّر بعدَه دَهْرًا طويلًا ، وكان مِن أكثرِ الناسِ عِبادةً وقراءةً ، لا يَتْرُكُ قيامَ الليلِ فى حَضَرٍ ولا سَفَرٍ ، [4]ولا صيفٍ ولا شتاءٍ[4] ، كثيرَ الصَّدَقاتِ والبِرِّ والصِّلاتِ ، وكان يَحْكِى وضوءَ ابنِ خُزيمةَ وصلاتَه ، ولم يُرَ فى الأغنياءِ أحسنُ صلاةً منه ، رحِمه اللَّهُ وأكرَم مثواه ، وصلَّى عليه الحافظُ أبو أحمدَ النَّيْسابورىُّ .

أبو القاسمِ الدَّارَكىُّ[5] **: عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، أبو القاسمِ**

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٨، والمنتظم ١٤/ ٣١١، والكامل ٩/ ٤٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٤١ - ٣٥٠) ص ٣٢٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٥٦. وذكرت هذه المصادر ، عدا المنتظم والكامل وفاته فى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٧٤، والمنتظم ١٤/ ٣١٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٧١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٧٤.

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٣، والمنتظم ١٤/ ٣١٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٨٨، وسير أعلام النبلاء =

الدارَكيُّ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ فى زمانِه، نزَل نَيْسابورَ، ثم سكَن بغدادَ إلى أن مات بها، قال الشيخُ أبو حامدٍ الإسْفَراييِنيُّ[1]: ما رأيْتُ أفقهَ منه. وحكَى الخطيبُ [٩/١٠٠و] عنه أنه كان يُسْأَلُ عن الفَتْوى فيُجِيبُ بعدَ تفَكُّرٍ طويلٍ، فربما كانت فَتْواه مُخالِفةً لمذهبِ الشافعيِّ وأبى حنيفةَ، فيُقالُ له فى ذلك، فيقولُ: ويْلَكم[2]! روَى فلانٌ عن فلانٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ كذا وكذا، فالأخْذُ به أوْلَى مِن القولِ بمذهبِ الشافعيِّ وأبى حنيفةَ، ومخالفتُهما أسهلُ مِن مخالفةِ الحديثِ.

وقال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3]: وله فى المذهبِ وجُوهٌ جيدةٌ دالةٌ على مَتانةِ علمِه، وكان يُتَّهَمُ بالاعتِزالِ، وكان قد أخَذ الفِقْهَ عن الشيخِ أبى إسحاقَ المَرْوَزيِّ، والحديثَ عن جدِّه لأمِّه الحسنِ بنِ محمدٍ الدارَكيِّ، وهو أحدُ مشايخِ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَراييِنيِّ، وأخَذ عنه عامةُ شيوخِ بغدادَ وغيرُهم مِن أهلِ الآفاقِ، وكانت وفاتُه فى شوالٍ - وقيل: فى ذى القَعْدةِ - من هذه السنةِ، وقد نيَّف على السبعين، رحِمه اللَّهُ تعالى.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حَسْنَوَيْهِ، أبو سهلٍ النَّيْسابوريُّ[4]، ويُعْرَفُ بالحَسْنَوِيِّ، كان فقيهًا شافعيًّا أديبًا مُحَدِّثًا، مُشْتَغِلًا بنفسِه عمَّا لا يَعْنِيه، رحمه اللَّهُ تعالى.

= ١٦/ ٤٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٢/ ٢٤٠.

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٤، والمنتظم ١٤/ ٣١٤.

(٢) فى مصادر التخريج: «ويحكم».

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٨٩.

(٤) الأنساب ٢/ ٢٢١، والمنتظم ١٤/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٨٠.

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ صالحٍ ، أبو بكـرٍ[1] ، الفقيهُ المالكيُّ ، سمِع مِن [2]أبى عَروبَةَ[2] ، والباغَنْدىِّ وأبى بكرِ بنِ أبى داودَ وغيرِهم ، وعنه البَرْقانىُّ ، وله تَصانِيفُ فى شرحِ مذهبِ مالكٍ ، وانْتَهَت إليه رِياسةُ مذهبِ مالكٍ ، وعُرِض عليه القَضاءُ فأباه ، وأشار بأبى بكرٍ الرازىِّ الحنفىِّ ، فلم يَقْبَلِ الآخرُ أيضًا . وكانت وفاتُه فى شوالٍ منها عن ستٍّ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٢، وترتيب المدارك ٤/ ٤٦٦، والمنتظم ١٤/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٨٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٠٨.

(٢ - ٢) فى الأصل: «ابن أبى عروبة»، وفى ب، م: «ابن أبى عمرويه». وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥١٠.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وسبعين وثلاثمائةٍ[1]

قال ابنُ الجوزىِّ[2] : فى المحرَّمِ منها كثُرَت الحُمَّيَّاتُ[3] فى بغدادَ ، فهلَك خَلْقٌ كثيرٌ . ولسبعٍ خلَوْن مِن ربيعِ الأولِ ، وهو العشرون مِن تَمُّوزَ ، وقَع مطرٌ كثيرٌ ببَرْقٍ . وفى رجبٍ غلَت الأسعارُ جدًّا ببغدادَ ، وورَد الخبرُ فيه بأنه كانت بالموصلِ زَلْزلةٌ عظيمةٌ سقَط منها عُمْرانٌ كثيرٌ ، ومات مِن أهلِها أُمَّةٌ عظيمةٌ .

وفيها وقَع بينَ صَمْصامِ[4] الدولةِ وبينَ أخيه شَرَفِ الدولةِ ، فاقْتَتلا فغلَبه شَرَفُ الدولةِ ، وأسَره ودخَل بغدادَ ، فتلَقَّاه الخَليفةُ ، وهنَّأه بالسَّلامةِ ، ثم اسْتَدْعَى شَرَفُ الدولةِ بفرّاشٍ ليُكَحِّلَ صَمْصامَ[4] الدولةِ ، فاتَّفَق موتُه[5] ، فكُحِّل بعدَ موتِه ، وهذا مِن غريبِ ما وقَع[6] .

وفى ذى الحِجَّةِ قبِل قاضى القُضاةِ أبو محمدِ بنُ مَعْروفٍ شَهادةَ الحافظِ أبى الحسنِ الدارَقُطْنىِّ وأبى محمدِ بنِ عُقْبةَ ، فذُكِر أن الدارَقُطْنىَّ ندِم على ذلك وقال : كان يُقْبَلُ قولى على رسولِ اللَّهِ ﷺ وحدى ، فصار لا يُقْبَلُ قولى على نَقْلى إلا مع غيرى . فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ .

---

(١) المنتظم ١٤/٣١٧، ٣١٨، والكامل ٩/٤٨ - ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٧٩، ٤٨٠.

(٢) المنتظم ١٤/٣١٧.

(٣) فى ب ، م ، ص : « الحيات » .

(٤) فى الأصل ، ص : « صمصامة » .

(٥) أى موت شرف الدولة . وفى الكامل أن ذلك كان فى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة .

(٦) وجه الغرابة ، كما فى المنتظم ، إمضاء أمر ملك قد مات .

[٩/١٠٠ظ] ثم دخَلَتْ سنةُ سبعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ

فى صفَرٍ منها[1] عُقِد مجلسٌ بحَضْرةِ الخليفةِ، فيه القضاةُ وأعيانُ الدولةِ، وجُدِّدَتِ البَيْعةُ بينَ الطائعِ للَّهِ وبينَ شرفِ الدولةِ بنِ عَضُدِ الدولةِ، وكان يومًا مشهودًا.

ثم فى ربيعٍ الأولِ منها ركِب شرفُ الدولةِ مِن دارِه فى طَيَّارٍ إلى دارِ الخليفةِ، وزُيِّنَت البلدُ، وضُرِبَت الطُّبولُ والدَّبادِبُ، فخلَع عليه الخليفةُ وطَوَّقَه وسوَّره وأعطاه لواءَيْن، وعقَد له على ما وراءَ دارِه، واسْتَخْلَفَه على ذلك، وكان فى جُملةِ مَن قدِم مع شَرَفِ الدولةِ القاضى أبو محمدٍ عُبَيدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ مَعْروفٍ، فلَمَّا رآه الخليفةُ قال:

مرحبًا بالأحِبَّةِ القادِمِينا ... أوْحَشونا وطالما آنَسونا

فقَبَّل الأرضَ بينَ يدى الخليفةِ، ولَمَّا قُضِيَتِ البيعةُ دخَل شرفُ الدولةِ إلى عندِ أختِه امرأةِ الخليفةِ، فمَكَث عندَها إلى العصرِ، والناسُ يَنْتَظِرونه، ثم خرَج وسار إلى دارِه للتَّهْنئةِ، وجاء الخاصَّةُ والعامَّةُ يُهَنِّئونَه.

وفى هذه السنةِ اشْتَدَّ الغَلاءُ جدًّا، ثم لحِقه فَناءٌ كثيرٌ.

---

(١) المنتظم ١٤/٣٢١ - ٣٢٣، والكامل ٩/٥٢ - ٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٨١، ٤٨٢.

وفيها تُوُفِّيَت أمُّ شَرَفِ الدولةِ ، وكانت تُرْكيةً أمَّ ولدٍ ، فجاءه الخليفةُ فعزَّاه فيها .

وفيها وُلِد لشرفِ الدولةِ ابنان تَوْأَمان ، فهُنِّئَ بهما . واللَّهُ أعلمُ .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ علىٍّ ، أبو حامدٍ المَرْوَزِىُّ[1] ، ويُعْرَفُ بابنِ الطَّبَرىِّ ، كان حافظًا للحديثِ مُجْتَهِدًا فى العبادةِ ، مُتْقِنًا ، بصيرًا بالأثَرِ ، مُتَفَنِّنًا ، فقيهًا حَنَفيًّا ، درَس على أبى الحسنِ الكَرْخىِّ ، وصنَّف كتبًا فى الفقهِ والتاريخِ ، ووَلِىَ قَضاءَ القُضاةِ بخُراسانَ ، ثُم دخَل بغدادَ وقد عَلَتْ سِنُّه ، فحدَّث بها وكتَب الناسُ عنه بانْتِخابِ الدارَقُطْنىِّ .

إسحاقُ بنُ المُقْتَدِرِ باللَّهِ[2] ، كانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ لسبعَ عشْرةَ مِن ذى الحِجَّةِ عن ستين سنةً ، وصلَّى عليه ابنُه القادرُ باللَّهِ ، وهو إذ ذاك أميرٌ ، ودُفِن فى تربةِ جَدتِه شَغَبَ أُمِّ المُقْتَدِرِ ، وحضَر جِنازتَه الأُمراءُ والحُجّابُ والأعيانُ مِن جِهَةِ الخليفةِ ومِن جهةِ شَرَفِ الدولةِ ، وأرْسَل شرَفُ الدولةِ مَن عَزَّى الخليفةَ فيه ، واعْتَذَر إليه مِن عَدَمِ الحُضورِ لوَجَعٍ حصَل له .

جعفرُ بنُ المُكْتَفِى باللَّهِ[3] ، وكان فاضلًا ، تُوُفى فى هذه السنةِ أيضًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٠٧، والمنتظم ١٤/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٥٣٤ وذكره فى وفيات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وأشار إلى أنه سيذكره أيضا فى وفيات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، ولكن لم نجده فيها ، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٤٧، والجواهر المضية ١/ ١٦١.

(٢) المنتظم ١٤/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٠٦، والعبر ٣/ ٤، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٨. والمذكور فى المصادر أنه توفى فى ذى القعدة لا فى ذى الحجة.

(٣) المنتظم ١٤/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٠٧، والوافى بالوفيات ١١/ ١١٣.

أبو عليٍّ الفارِسيُّ : [1]**الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الغفارِ بنِ سليمانَ**[1] **أبو عليٍّ**، النحْويُّ، صاحبُ المُصَنَّفاتِ؛ منها: «الإيضاحُ والتَّكْمِلَةُ». وُلِد ببلدِه[2]، ثم دخَل بغدادَ، وخدَم الملوكَ، وحَظِيَ عندَ [٩/١٠١و] عَضُدِ الدولةِ، بحيث كان يقولُ[3]: أنا غلامُ أبى علىٍّ فى النحوِ. وحَصَّل له الأموالَ، وقد اتَّهَمه قومٌ بالاعْتِزالِ، وفضَّله قومٌ مِن النُّحاةِ مِن أصحابِه على المُبَرِّدِ. وممَّن أخَذ عنه: أبو الفَتْحِ[4] عثمانُ بنُ جِنِّى وغيرُه. وكانتْ وفاتُه فى هذه السنةِ عن بِضْعٍ وتسعين سنةً، رَحِمَه اللَّهُ تعالى.

سُتَيْتَةُ بنتُ القاضى أبى عبدِ اللَّهِ الحسينِ بنِ إسماعيلَ المَحامِلِىِّ[5]، وتُكَنَّى أَمَةَ الواحدِ، قرَأَت القرآنَ، وحَفِظَتِ الفِقْهَ والفَرائِضَ والحِسابَ والدَّوْرَ[6] والنحوَ وغيرَ ذلك، وكانت مِن أعلمِ الناسِ فى وقتِها بمذهبِ الشافعىِّ، وكانت تُفْتِى به مع الشيخِ أبى علىِّ بنِ أبى هريرةَ، وكانت فاضلةً فى نفسِها، كثيرةَ الصَّدَقةِ، مسارِعةً إلى فعلِ الخيراتِ، وقد سمِعَت الحديثَ وحَدَّثَتْ أيضًا. وكانت وفاتُها فى رمضانَ[7] عن بضعٍ وتسعين سنةً. رحِمها اللَّهُ تعالى.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٠، وتاريخ العلماء النحويين ص ٢٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، والمنتظم ١٤/ ٣٢٤، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٧٩، وميزان الاعتدال ١/ ٤٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٠٨، وغاية النهاية ١/ ٢٠٦.

(٢) بلده هى «فَسا». كما ذكر ذلك الخطيب البغدادى وغيره.

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، ٢٧٦، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٨٠.

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ العلماء النحويين ص ٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٠٩.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٢، والمنتظم ١٤/ ٣٢٥، والعبر ٣/ ٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٠٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٨٧، ومرآة الجنان ٢/ ٤٠٧.

(٦) فى م: «الدرر». والدور: مصطلح عند المناطقة يعنى توقف كل من الشيئين على الآخر. الوسيط (دور)، وانظر التعريفات للجرجانى ص ٤٧.

(٧) فى ب، م: «رجب».

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وسبعين وثلاثمائةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] كثُر الغَلاءُ والفَناءُ ببغدادَ، وفى شعبانَ كثُرت الرِّياحُ العَواصِفُ، بحيث هَدَّمَتْ شيئًا كثيرًا مِن الأبْنيةِ، وغَرَّقَتْ سُفُنًا كثيرةً، واحْتَمَلَتْ بعضَ الزَّوارِقِ فألْقَتْه بالأرضِ مِن ناحيةِ جُوخَى[2]، وهذا أمْرٌ هائلٌ وخَطْبٌ شاملٌ. وفى هذا الوقتِ لحِق أهلَ البصرةِ حَرٌّ شديدٌ، بحيث سقَط كثيرٌ مِن الناسِ فى الطُّرُقاتِ، وماتوا مِن شِدَّةِ الحرِّ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحسينُ[3] بنُ علىِّ بنِ ثابتٍ، أبو عبدِ اللَّهِ المُقْرِئُ الحافظُ، وُلِد أعْمَى، وكان يَحْضُرُ مجلسَ ابنِ الأنْبارىِّ، فيَحْفَظُ ما يُمْلِيه كلَّه. وكان ظَريفًا حسَنَ الزِّىِّ، وقد سبَق الشاطبىَّ إلى قَصيدةٍ عَمِلَها فى القِراءاتِ السبعِ، وذلك فى حياةِ النَّقَّاشِ المُفَسِّرِ، وكانت تُعْجِبُه وتُعْجِبُ شُيوخَ زمانِه.

الخليلُ بنُ أحمدَ القاضى[4]، شيخُ الحَنَفيةِ فى زمانِه، وكان مُقَدَّمًا فى الفقهِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٢٩، والكامل ٩/ ٥٧ - ٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٨٣.

(٢) جوخى: بالضم وقد يُفتح، اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد. معجم البلدان ٢/ ١٤٣.

(٣) فى النسخ: «الحسن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ٨/ ٧٥، والمنتظم ١٤/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٢٢.

(٤) يتيمة الدهر ٤/ ٣٣٨، والمنتظم ١٤/ ٣٣٠، ومعجم الأدباء ١١/ ٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣٧ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٢٣، والجواهر المضية ٢/ ١٧٨.

والحديثِ ، سمِع ابنَ خُزَيْمَةَ والبَغَوىَّ وابنَ صاعدٍ وغيرَهم ، وهذا سَمِىُّ النَّحْوىِّ المتقدِّمِ .

زيادُ بنُ محمدِ بنِ زِيادِ بنِ الهيثمِ ، أبو العباسِ الخَرْخانىُّ[1] ؛ بخاءَيْن مُعْجَمَتَيْن ، نسبةً إلى قريةٍ مِن قُرَى قُومِسَ ، ولهم الجُرْجانىُّ بجِيمَيْن ، وهم جَماعةٌ ، ولهم الخَرْجانىُّ بخاءٍ ثم جيمٍ . وقد حرَّر هذا المَوضِعَ الشيخُ أبو الفرجِ ابنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظِمِه »[2] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٢٤.
(٢) المنتظم ١٤/ ٣٣٠، ٣٣١. وانظر تاريخ جرجان ص ٤٦٤، والإكمال ٣/ ٢٣١.

ثم دَخَلَتْ سنةُ تسعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ شَرَفِ الدولةِ بنِ عَضُدِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ الدَّيْلمىِّ ، وكان قد انْتَقَل إلى قصرِ مُعِزِّ الدولةِ عن إشارةِ الأطِبَّاءِ لصحةِ الهَواءِ ، وذلك لشدةِ ما كان يَجِدُه مِن الداءِ ، فلما كان فى جُمادَى [٩/١٠١ظ] الأولى تزايَد به المرضُ ومات فى هذا الشهرِ[2] ، وقد عهِد إلى ابنِه أبى نصرٍ ، وجاء الخليفةُ فى طَيَّارٍ لتَعْزِيةِ أبى نصرٍ فى والدِه شرفِ الدولةِ ، فتلَقَّاه أبو نصرٍ ، والتُّرْكُ والدَّيْلَمُ بينَ يديه ، فقبَّل الأرضَ بينَ يدى الخليفةِ ، وكذلك بقيةُ العَسْكرِ ، والخليفةُ فى الطَّيَّارِ وهم يُقَبِّلون الأرضَ إلى ناحيتِه . وجاء الرئيسُ أبو الحسنِ[3] علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ مِن عندِ الخليفةِإلى أبى نصرٍ ، فبَلَّغَه تَعْزِيَةَ الخليفةِ له فقبَّل الأرضَ ثانيةً ، وعاد الرسولُ إلى الخليفةِ ، فبلَّغه شُكْرَ أبى نصرٍ ، ثم عاد الرسولُ مِن جهةِ الخليفةِ لتَوْديعِ أبى نصرٍ ، فقبَّل الأرضَ ثالثًا ، ورجَع الخليفةُ فى طيّارِه إلى دارِه .

فلما كان يومُ السبتِ عاشِرُ هذا الشهرِ ، ركِب الأميرُ أبو نصرٍ إلى حَضْرةِ الخليفةِ الطائعِ للَّهِ ، ومعه الأشرافُ والأعيانُ والقضاةُ والأمراءُ ، وجلَس الخليفةُ فى الرِّواقِ ، فلَمَّا وصَل الأميرُ أبو نصرِ بنُ شرفِ الدولةِ بنِ عَضُدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ

---

(١) المنتظم ١٤/٣٣٧ - ٣٣٩، والكامل ٩/٦١ - ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) الذى فى المصادر أنه زاد مرضه فى جمادى الأولى وتوفى فى جمادى الآخرة كما سيأتى فى ترجمته قريبا .

(٣) فى م : « الحسين » .

الدولةِ بنِ بُويْهِ خلَع عليه الخليفةُ سبعَ خِلَعٍ ، أعْلاهن السَّوادُ وعِمامةٌ سوداءُ ، وفى عنقِه طَوْقٌ ، وفى يدِه سِواران ، ومشَى الحُجَّابُ بينَ يديه بالسيوفِ والمَناطِقِ ، [1] فلَمَّا حَصَل بينَ يَدَيِ الخليفةِ قَبَّل الأرضَ ، فأومأ إليه بالجلوسِ [1] ، فقبَّل الأرضَ ثانيةً ، ووُضِع له كرسيٌّ فجلَس عليه ، وقرأ الرئيسُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ عهدَه ، وقدَّم إلى الطائعِ لواءَه ، فعقَده بيدِه ، ولقَّبه بَهاءَ الدولةِ وضِياءَ المِلَّةِ ، ثم خرَج مِن بينِ يديه ، والعَسْكَرُ معه حتى عاد إلى دارِ المَمْلكةِ ، وأقَرَّ الوزيرَ أبا مَنْصورِ بنَ صالِحانَ[2] على الوِزارةِ ، وخلَع عليه .

وفى هذه السنةِ بُنِى جامعُ القَطيعةِ - قَطِيعةِ أُمِّ جعفرٍ - بالجانبِ الغربىِّ مِن بغدادَ ، وكان أصْلَ بنائِه مسجدًا أن امرأةً رَأَتْ فى المنامِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذلك المكانِ يُصَلِّى ، ووضَع يدَه فى جدارٍ هناك ، فلما أصْبَحَتْ ، تَذَكَّرَتْ ذلك المنامَ ، فوجَدوا أثرَ الكَفِّ فى ذلك الموضعِ ، فبُنِى مسجدًا ، ثم تُوُفِّيَت تلك المرأةُ فى ذلك اليومِ ، ثم إن الشريفَ أبا أحمدَ المُوسَوِىَّ جَدَّد هذا المسجدَ ، فوَسَّعَه وجَعَله جامعًا ، واسْتَأْذَن الخليفةَ الطائعَ للَّهِ فى عقدِ جمُعةٍ فيه فأذِن له ، وصُلِّى بالناسِ فيه فى هذه السنةِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

شَرَفُ الدولةِ بنُ عَضُدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ الدَّيْلمىُّ[3] ، تَمَلَّك بغدادَ بعدَ أبيه ، وكان يُحِبُّ الخيرَ ويُبْغِضُ الشرَّ ، وأمَر بتركِ المُصادَراتِ ، وكان

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « صالح » .

(٣) المنتظم ١٤/ ٣٤٠، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٤٤، والعبر ٣/ ١١، ومرآة الجنان ٢/ ٤٠٨.

مرضُه بالاستِسقاءِ، فتزايَد به حتى كانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ الثانىَ مِن جُمادَى الآخِرةِ عن ثمانٍ وعشرين سنةً وخمسةِ أشهرٍ، [١٠٢/٩و] وكانت مدةُ مُلْكِه سنتين وثمانيةَ أشهرٍ، وحُمِل تابوتُه إلى تربةِ أبيه بمشهدِ علىٍّ، وكلُّهم فيه تَشَيُّعٌ.

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ العباسِ بنِ جعفرٍ، أبو بكرٍ النَّجَّارُ[١]، ويُلَقَّبُ غُنْدَرًا أيضًا، روَى عن أبى بكرٍ النَّيْسابورىِّ وطَبَقَتِه[٢]، وكان فَهِمًا يَحْفَظُ القرآنَ حِفْظًا حسَنًا، ومِن ثِقاتِ الناسِ.

[٣]**محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدٍ**[٣] **بنِ عبدِ الكريمِ بنِ بُدَيْلٍ، أبو الفَضْلِ الخُزاعىُّ الجُرْجانىُّ**، قدِم بغدادَ، وحدَّث بها. قال الخطيبُ[٤]: كانت له عِنايةٌ بالقِراءاتِ، وصنَّف أسانيدَها، ثم ذُكر لى أنه كان يَخْلِطُ، ولم يَكُنْ مَأْمونًا على ما يَرْوِيه، وأنه وضَع كتابًا فى الحروفِ، ونسَبه إلى أبى حَنيفةَ، فكتَب الدارَقُطْنىُّ وجَماعةٌ أن هذا الكتابَ مَوْضوعٌ لا أصلَ له، فافْتَضَح وخرَج من بغدادَ إلى الجَبَلِ، فاشْتَهَر أمْرُه هناك، وحبِطَت مَنزِلتُه، وكان يُسَمِّى نفسَه أولًا كُمَيْلًا[٥]، ثم غيَّره إلى محمدٍ.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٥١، والأنساب ٥/ ٤٥٨، والمنتظم ١٤/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٤٩.

(٢) بعده فى الأصل: «وعنه الناس».

(٣ - ٣) فى ب: «محمد بن جعفر بن عبد الكريم». وفى م: «عبد الكريم». وانظر ترجمته فى تاريخ جرجان ص ٤١٦، وتاريخ بغداد ٢/ ١٥٧، والمنتظم ١٤/ ٣٤٢، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٠١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٧٩، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٠٥، ومرآة الجنان ٣/ ٥٠١. وقد ذكرته جميع هذه المصادر - عدا المنتظم - فى وفيات سنة ثمان وأربعمائة.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٨.

(٥) فى ب، م: «جميلا».

محمدُ بنُ المُظَفَّرِ[1] **بنِ موسى بنِ عيسى بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَمةَ ابنِ إياسٍ ، أبو الحسينِ البَزَّازُ**[2] الحافظُ ، وُلِد فى مُحَرَّمِ سنةِ ثلاثِمائةٍ ورحَل إلى بلادٍ شَتَّى ، وروَى عن ابنِ جَريرٍ والبَغَوىِّ وخَلْقٍ ، وروَى عنه جَماعةٌ مِن الحُفَّاظِ - منهم الدارَقُطْنىُّ - شيئًا كثيرًا ، وكان يُعَظِّمُه ويُجِلُّه ولا يَسْتَنِدُ بحَضْرَتِه ، وكان ابنُ المظفَّرِ ثِقةً ثَبتًا ، وكان قديمًا يَنْتَقِى[3] على المَشايخِ ، ثم كانت وفاتُه يومَ الجمعةِ ، ودُفِن يومَ السبتِ لثلاثٍ خلَوْن مِن جُمادَى الأُولى أو الآخِرَةِ مِن هذه السنةِ .

---

(١) فى م : « المطرف » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/ ٢٦٢، وتاريخ دمشق ١٦/ ٤ مخطوط ، والمنتظم ١٤/ ٣٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤١٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٥٢.

(٢) فى النسخ : « البزار » . والمثبت من تاريخ بغداد وتاريخ دمشق والمنتظم .

(٣) فى ب ، م : « ينتقد » . وينتقى ؛ أى ينتخب . انظر التعليق المتقدم فى صفحة ٣١٩.

ثم استَهلَّتْ سنةُ ثمانين وثلاثمائةٍ مِن الهجرةِ

فيها[1] قُلِّد الشريفُ أبو أحمدَ الحسنُ بنُ موسى المُوسَوىُّ نِقابةَ الأشرافِ الطالبِيِّين ، والنَّظرَ فى المَظالمِ وإمْرةَ الحاجِّ ، وكُتِب عهدُه بذلك ، واسْتُخْلِف له ولداه المُرْتَضَى أبو القاسمِ والرَّضِىُّ أبو الحسنِ[2] على النِّقابةِ ، وخُلِع عليهما من دارِ الخلافةِ .

وفيها تفاقَم أمْرُ العيَّارِين ببغدادَ ، وصار الناسُ أحزابًا ، فى كلِّ مَحَلَّةٍ أميرٌ مُقَدَّمٌ ، واقْتَتل الناسُ ، وأُخِذَت الأموالُ ، واتَّصَلَت الكَبَساتُ ، وأُحْرِقَت الدورُ الكِبارُ ، ووقَع حريقٌ بالنهارِ فى نهرِ الدَّجاجِ ، فاحْتَرَق بسببِه شىءٌ كثيرٌ للناسِ .

وممن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

يعقوبُ بنُ يوسُفَ ، أبو الفرجِ[3] بنُ كِلِّسٍ ، وزيرُ صاحبِ مصرَ العزيزِ بنِ المعزِّ الفاطمىِّ ، وكان شَهْمًا فَهِمًا ، ذا همَّةٍ عاليةٍ ، وتَدْبيرٍ جيدٍ ، وكلمةٍ نافذةٍ عندَ مَخْدومِه ، وقد فوَّض إليه أُمورَه فى سائرِ مَمْلَكتِه ، ولما مرِض عاده العزيزُ ، ووصَّاه الوزيرُ فيما يتعلَّقُ بمَمْلكتِه ، ولما مات دفَنه فى قصرِه ، وتولَّى دَفْنَه بيدِه ، وحزِن عليه كثيرًا ، وأغْلَق الديوانَ أيامًا مِن شدةِ حُزْنِه عليه .

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٤٤، والكامل ٩/ ٧٠ - ٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٤٨٧.

(٢) فى النسخ : «الحسين» . والمثبت من المنتظم . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨٥.

(٣) فى النسخ : «الفتوح» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٤/ ٣٤٧، والكامل ٩/ ٧٧، ووفيات الأعيان ٧/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠) ص ٦٦٨. وكان ابن كِلّس هذا يهوديا فأسلم .

[٩/١٠٢ظ] ثم دخَلَت سنةُ

إحدى وثمانين وثلاثِمائةٍ

فيها[١] كان القَبْضُ على الخليفةِ الطائعِ للَّهِ، وخِلافةُ القادرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ، وكان ذلك فى يومِ السبتِ التاسعَ عشَرَ مِن شعبانَ من هذه السنةِ[٢]؛ وذلك أنه جلَس الخليفةُ على عادتِه فى الرِّواقِ، وقعَد الملكُ بَهاءُ الدولةِ على السَّريرِ، ثم أرْسل مَن اجْتَذب الخليفةَ بحَمائلِ سيفِه عن السَّريرِ، ولفُّوه فى كِساءٍ، وحمَلوه إلى الخِزانةِ بدارِ المَمْلكةِ، وتَشاغَل الناسُ بالنَّهْبِ، ولم يَدْرِ أكثرُ الناسِ ما الخَطْبُ ولا ما الخبرُ، حتى إن كثيرًا منهم يظنُّ أنَّ الملكَ بهاءَ الدولةِ هو الذى مُسِك، فنُهِبَت الخَزائنُ والحَواصِلُ وشىءٌ كثيرٌ مِن أثاثِ دارِ الخِلافةِ، حتى أُخِذَت ثيابُ الأعْيانِ والقُضاةِ والشُّهودِ، وجرَت كائنةٌ عظيمةٌ جدًّا، ورجَع بَهاءُ الدولةِ إلى دارِه، وكتَب على الطائعِ كتابًا بالخَلْعِ، وشهِد عليه الأشْرافُ والقضاةُ أنه قد خلَع نفسَه عن الخِلافةِ وسلَّمها إلى القادرِ باللَّهِ، ونُودِى بذلك فى الأسْواقِ، وتشغَّبت الدَّيْلَمُ والأتراكُ، وطالَبوا برسْمِ البَيْعةِ، وراسَلوا بهاءَ الدولةِ فى ذلك، وتطاوَل الأمْرُ إلى يومِ الجمعةِ، فلم يُمَكِّنوا

---

(١) المنتظم ١٤/٣٤٨ - ٣٥٢، والكامل ٩/٧٩ - ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٥ - ١١.

(٢) ذكر ابن الجوزى وابن الأثير أن ذلك فى الثالث عشر من رمضان. انظر المنتظم ١٤/ ٣٥٣، والكامل ٩/ ٨١.

مِن الدعاءِ له على المنبرِ بصَريحِ اسمِه ، بل قيل : اللهم أصْلِحْ عبدَك وخليفتَك القادرَ باللَّهِ . ولم يُسمَّ ، ثم أرْضَى وُجوهَهم وأكابرَهم ، وأُخِذَت البَيْعةُ على الجماعةِ ، واتَّفَقَت الكلمةُ ، وأمَر بَهاءُ الدولةِ بتَحْـويلِ جميعِ ما فى دار الخِلافةِ مِن الأَوانى والفُرشِ والأثاثِ وغيرِ ذلك إلى دارِه ، وأُبِيحَت للعامَّةِ والخاصَّةِ ، فقلَعوا أبوابَها وشبابيكَها وشعَّثوا أبْنيتَها ، ثم مُنعوا بعدَ ذلك ، هذا كلُّه والخليفةُ القادرُ باللَّهِ قد هرَب إلى أرضِ البَطيحةِ مِن الطائعِ حينَ كان يَطْلُبُه ، ولما ركِب إلى بغدادَ منَعَتْه الدَّيْلَمُ مِن الدخولِ إليها حتى يُعْطِيَهم رَسْمَ البَيْعةِ ، وجرَت بينَهم خُطوبٌ طويلةٌ ، ثم رضُوا عنه ، ودخَل بغدادَ ، وكان يومًا مشهودًا ، وكانت مدةُ هربِه بأرضِ البَطيحةِ قريبًا مِن ثلاثِ سنين ، وجلَس فى اليومِ الثانى من مَقْدَمِه جُلوسًا عامًّا للتَّهْنئةِ وسَماعِ المَدائحِ والقَصائدِ فيه ، وذلك فى العشرِ الأواخرِ مِن رمضانَ ، وفى العشرِ الأواخرِ من شوالٍ اجتمع الناسُ لبيعةِ بهاءِ الدولةِ وتفويضِ الخليفةِ إليه ما وراءَ بابِه ، وكان يومًا مشهودًا .

وقد كان الخليفةُ القادرُ باللَّهِ مِن خِيارِ الخلفاءِ وساداتِ العلماءِ فى أهلِ زمانِه وأقرانِه ، رحمه اللَّهُ ، وكان كثيرَ الصَّدَقةِ ، حسَنَ الاعْتقادِ ، وصنَّف عقيدةً[1] فيها فَضائلُ الصَّحابةِ وغيرُ ذلك ، فكانت تُقْرَأُ فى حِلَقِ أصحابِ الحديثِ كلَّ جمعةٍ فى جامعِ المَهْدىِّ ، وتَجْتَمِعُ الناسُ لسَماعِها مدةَ خلافتِه ، وكان يُنْشِدُ هذه الأبياتَ يَتَرَنَّمُ بها ، وهى لسابقِ البَرْبَرىِّ[2] :

[٩/١٠٣و] سبَق القَضاءُ بكلِّ ما هو كائنُ واللَّهُ يا هذا لرِزقِك ضامنُ

---

(١) فى م : « قصيدة » .

(٢) انظر المنتظم ١٤/ ٣٥٥، ٣٥٦.

تُغْنَى بما تُكْفَى وتَتْرُكُ ما به تَغْنَى[1] كأنك للحوادِثِ آمِنُ
أوَ ما ترَى الدنيا ومَصْرَعَ أهلِها فاعْمَلْ ليومِ فراقِها يا خائنُ
واعْلَمْ بأنك لا أبا لك فى الذى أصْبَحْتَ تَجْمَعُه لغيرِك خازنُ
يا عامرَ الدنيا أتَعْمُرُ مَنْزِلًا لم يَبْقَ فيه مع المَنِيةِ ساكنُ
الموتُ شىءٌ أنت تَعْلَمُ أنه حقٌّ وأنت بذِكْرِه مُتَهاوِنُ
إن المَنِيَّةَ لا تُؤامِرُ من أتَت فى نفسِه يومًا ولا تَسْتَأْذِنُ

وفى اليومِ الثامنَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ - وهو يومُ غَديرِ خُمٍّ - جرَت فِتْنةٌ بينَ الرَّوافِضِ والسُّنَّةِ، واقْتَتَلوا فقُتِل خَلْقٌ كثيرٌ. واسْتَظْهَر أهلُ بابِ البصرةِ، وخرَّقوا[2] أعْلامَ السُّلطانِ، فقُتِل جماعةٌ اتُّهِموا بفعلِ ذلك، وصُلِبوا على القَنطرَةِ ليَرْتَدِعَ أمثالُهم.

وفيها ظهَر أبو الفتوحِ الحسنُ بنُ جعفرٍ العَلَوىُّ أميرُ مكةَ، وادَّعَى أنه خَليفةٌ، وسمَّى نفسَه بالراشدِ باللَّهِ، فمالأه أهلُ مكةَ، وحصَل له أموالٌ مِن رجلٍ أوْصَى له بها، فانْتَظَم أمْرُه بسببِها، وتقَلَّد سيفًا زعَم أنه ذو الفَقَارِ، وأخَذ فى يدِه قَضيبًا زعَم أنه كان لرسولِ اللَّهِ ﷺ، ثم قصَد بلادَ الرَّمْلةِ ليَسْتَعينَ بعربِ الشامِ، فتلقَّوه بالرُّحْبِ وقبَّلوا له الأرضَ، وسلَّموا عليه بأميرِ المؤمنين، وأظْهَر الأمرَ بالمعروفِ والنهىَ عن المنكرِ وإقامةَ الحدودِ، ثم إن الحاكمَ[3] صاحبَ مصرَ - وكان قد قام

---

(١) فى المنتظم: «تعيى». وفى ب، م: «تعنى».
(٢) فى الأصل، ب، م: «حرقوا».
(٣) سقط من: الأصل. وذكر ابن الجوزى والذهبى أن ذلك حدث فى عهد العزيز سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وذكر ابن الأثير أن ذلك حدث فى عهد الحاكم سنة ست وثمانين وثلاثمائة. وانظر المنتظم ١٤/ ٣٥٦، ٣٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٩، ١٠، والكامل ٩/ ١٢٣.

بالأمرِ مِن بعدِ أبيه العزيزِ فى هذه السنةِ[1] - كتب إلى عربِ الشامِ ملَطَّفاتٍ، ووعَدهم مِن الذهبِ بألوفٍ ومئاتٍ[2]، وكذلك إلى عربِ الحِجازِ، واسْتَناب على مكةَ أميرًا، وبعَث إليه بجاريةٍ وخمسين ألفَ دينارٍ، فانْتَظَم أمْرُ الحاكمِ[3]، وتمزَّق شملُ الراشدِ، وتسَحَّب إلى بلادِه كما بدَأ منها، وعاد إليها، وكان عودُه إليها كما رحَل عنها، واضْمَحَلَّ حالُه، وانْتَقَضَت حِبالُه، وتفرَّق عنه رجالُه، واللَّهُ يفعَلُ ما يشاءُ ويختارُ.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أحمدُ بنُ الحسينِ[4] بنِ مِهْرانَ، أبو بكرٍ المُقْرِئُ، وكانت وفاتُه فى شوَّالٍ منها عن ستٍّ وثمانين سنةً، واتَّفَق له أنه مات فى يومِ وفاتِه أبو الحسنِ العامرىُّ الفَيْلَسوفُ، فرأَى بعضُ الصالحين أحمدَ بنَ الحسينِ هذا فى المَنامِ، فقال له: يا أُستاذُ، أىُّ شىءٍ فعَل اللَّهُ بك؟ فقال: أقام أبا الحسنِ العامرىَّ إلى جانبى وقال: هذا فداؤُك مِن النَّارِ.

[5]عُبيدُ اللَّهِ[5] بنُ أحمدَ بنِ معروفٍ، أبو محمدٍ، قاضى القُضاةِ [٩/١٠٣ظ]

---

(١) كذا فى النسخ، والمذكور فى المصادر أن الحاكم تولى بعد موت أبيه فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

(٢) فى الأصل، ص: «ثياب».

(٣) فى حاشية الأصل: «لم يتقدم ما يدل على هذا الحاكم الفاطمى ولا كيف وصلت إليه مصر».

(٤) فى م: «الحسن». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٤/ ٣٥٨، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٥٥، ومعجم الأدباء ٣/ ١٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٧٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٧.

(٥ - ٥) فى ب، م، ص: «عبد الله». وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦٥، والمنتظم ٧/ ١٦٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٥.

ببغْدادَ ، روَى عن ابنِ صاعدٍ ، وعنه الخلَّالُ والأزْهَرىُّ وغيرُهما ، وكان مِن العلماءِ الثِّقاتِ الأَلِبّاءِ العُقلاءِ الفُطَناءِ ، حسنَ الشَّكلِ ، جَميلَ الملبَسِ ، عَفيفًا عن الأموالِ ، وكان عمرُه يومَ تُوُفى خمسًا وسبعين سنةً ، وصلَّى عليه أبو أحمدَ المُوسَوىُّ ، فكبَّر عليه خمسًا ، ثم صلَّى عليه ابنُه بجامعِ المنصورِ ، فكبَّر عليه أربعًا ، ثم دُفِن فى دارِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

جَوْهَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ القائدُ[1] ، بانى القاهرةِ المعزِّيةِ ، أصلُه رومىٌّ ، ويُعْرَفُ بالكاتبِ ،أرسَله مولاه المعزُّ بنُ المنصورِ بنِ القائمِ بن المهدىِّ المُدَّعِى أنَّه فاطمىٌّ من إفريقيَّةَ لأخذِ مصرَ عند اضطرابِ جيشِها بعدَ موتِ كافورِ الإخْشِيدىِّ ، فأقاموا عليهم أحمدَ بنَ علىِّ بنِ الإخشيدِ ، فلم يجتمعوا عليه ، فأرسل بعضُهم إلى المعِزِّ يَستَنْجِدُ به ، فأرسل مولاه جوهرًا هذا فى ربيعِ الأولِ سنةَ ثمانٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ ، فوصَل إلى القاهرةِ فى شعبانَ منها فى مائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، ومعه مِن الأموالِ ألفٌ ومائتا صُنْدوقٍ ليُنْفِقَه فى ذلك ، فانزعَج الناسُ وأرسلوا يطلُبون منه الأمانَ فأمَّنَهم ، فلم يَرْضَ الجيشُ بذلك[2] ، وبرَزوا لقتالِه فكسَرهم ، وجدَّد الأمانَ لأهلِها ، ودخَلها يومَ الثلاثاءِ لثمانَ عشْرةَ خلَت مِن شعبانَ ، فشقَّ مِصْرَ ، ونزَل فى مكانِ القاهرةِ اليومَ ، وأسَّس مِن ليلتِه القَصْرَيْن ، وخطَب يومَ الجمعةِ الآتيةِ ، فقطَع خُطْبةَ بنى العباسِ وعَوَّض بمولاه ، وذكَر الأئمةَ الاثْنَىْ عشَرَ ، وأذَّن بحىَّ على خيرِ العملِ ، وكان يُظْهِرُ الإحسانَ إلى الناسِ ، ويَجْلِسُ كلَّ يومِ سبتٍ مع الوزيرِ جعفرِ بنِ الفُراتِ والقاضى ، واجْتَهَد فى تَكْميلِ القاهرةِ ، وفرَغ مِن

---

(١) تاريخ دمشق ١١/ ٣٣٨، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٠، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٢٤.

(٢) أى جيش الإخشيدية .

جامعِها سريعًا ، وخطَب به فى سنةِ إحدى وستين ، وهو الذى يُقالُ له : جامعُ الأزهرِ . ثم أرْسَل جعفرَ بنَ فَلَاحٍ إلى الشامِ فأخَذها للمعزِّ ، وقدِم مولاه المُعِزُّ فى سنةِ ثنتين وستين كما تقَدَّم[1] ، فنزَل بالقَصْرَيْن ، ولم تَزَلْ مَنْزِلتُه عاليةً عندَه ، ثم كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، وقام فى منصبِه وعظمتِه ابنُه الحسينُ الذى كان يقالُ له : قائدُ القُوَّادِ . وهو أكبرُ أُمراءِ الحاكمِ بنِ العزيزِ بنِ المعزِّ ، ثم كان قتْلُه على يديه فى سنةِ إحدى وأربعمائةٍ ، وقُتِل معه صِهْرُه زوجُ أختِه القاضى عبدُ العزيزِ بنُ النُّعْمانِ ، وأَظُنُّ هذا القاضىَ هو مصنِّفَ كتابِ « البَلاغِ الأكبرِ والناموسِ الأعظمِ » ، الذى فيه مِن الكُفْرِ ما لم يَصِلْ إبليسُ إلى مثلِه ، وقد ردَّ على هذا الكتابِ القاضى أبو بكرٍ الباقِلَّانىُّ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٣٨ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وثمانين وثلاثمائةٍ

فى عاشرِ المحرَّمِ منها[1] رسَم الوزيرُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ الكَوْكَبىُّ - ويُعْرَفُ بابنِ المُعَلِّمِ ، وكان قد اسْتَحوذ على أمورِ السُّلطانِ - لأهلِ الكَرْخِ وبابِ الطاقِ مِن الرافِضةِ بأن لا يَفْعَلوا [٩/١٠٤و] شيئًا مِن تلك البِدَعِ التى كانوا يَتَعاطَوْنَها فى عاشُوراءَ ؛ مِن تَعْليقِ المُسوحِ وتَغْليقِ الأسواقِ والنِّياحةِ على الحسينِ ، فلم يَفْعَلوا شيئًا مِن ذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

وكان هذا الرجلُ مِن أهلِ السُّنةِ إلا أنه كان طَمَّاعًا ؛ رسَم بأن لا يُقْبَلَ أحدٌ مِن الشهودِ ممَّن استَحْدَثَ عَدالتَه بعدَ ابنِ مَعْروفٍ ، وكان كثيرٌ منهم قد بذَل أموالًا جَزيلةً فى ذلك ، فاحتاجوا إلى أن جمَعوا له شيئًا ، فوقَّع لهم بالاستمرارِ .

ولما كان فى جُمادَى الآخِرةِ سعَت الدَّيْلَمُ والتركُ على ابنِ المُعَلِّمِ هذا ، وخرَجوا بخِيامِهم إلى بابِ الشَّمَّاسِيةِ ، وراسَلوا بَهاءَ الدولةِ ليُسَلِّمَه إليهم ، لسوءِ معاملتِه إياهم ، فدافَع عنه السلطانُ مُدافَعةً عظيمةً فى مراتٍ مُتَعددةٍ ، ولم يَزالوا يُراسِلونه فى أمْرِه حتى خنَق أبا الحسنِ بنَ المعلِّمِ فى حَبْلٍ ، ومات ودُفِن بالمُخَرِّمِ[2] .

وفى رجبٍ من هذه السنةِ سُلِّم الخليفةُ الطائعُ للَّهِ الذى خُلِع إلى أميرِ المؤمنين خليفةِ الوقتِ أبى العباسِ القادرِ باللَّهِ ، فأمَر بوَضْعِه فى حُجْرةٍ مِن دارِ الخِلافةِ ،

---

(١) المنتظم ١٤/٣٦١ - ٣٦٣، والكامل ٩/٩٢ - ٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٢، ١٣.

(٢) المخرم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المُعَلَّى . معجم البلدان ٤/ ٤٤١.

وأمَر أن تُجْرَى عليه الأرْزاقُ والتُّحَفُ والألْطافُ ، مما يَسْتَعْمِلُه الخليفةُ القادرُ مِن مَأْكَلٍ ومَلْبَسٍ وطِيبٍ ، ووكَّل به مَن يَحْفَظُه ويَخْدُمُه ، وكان يَتَعَنَّتُ ويَتَعَتَّبُ على القادرِ فى تَقَلُّلِه فى المأْكَلِ والمَلْبَسِ ، فرتَّب مَن يخدُمُه ويُحْضِرُ له ما يَشْتَهِيه مِن سائرِ الأنواعِ ، ولم يَزلْ كذلك حتى تُوُفِّى وهو فى السجنِ .

وفى شوالٍ منها وُلِد للخليفةِ القادرِ وَلَدٌ ذكرٌ ، وهو أبو الفضلِ محمدُ بنُ القادرِ باللَّهِ ، وقد ولَّاه العهدَ مِن بعدِه ، وسمَّاه الغالبَ باللَّهِ ، فلم يَتِمَّ له الأمْرُ .

وفى هذا الوقتِ غلَت الأسعارُ ببغدادَ حتى بِيع رِطْلُ الخبزِ بأربعين درهمًا ، والحَوزَةُ[1] بدرهمٍ .

وفى ذى القَعْدةِ قدِم صاحبُ الأُصَيفِرُ[2] الأعرابىُّ ، والْتَزَم بحِراسةِ الحُجَّاجِ فى ذَهابِهم وإيابِهم ، وبشرطِ أن يُخْطَبَ للقادرِ مِن اليَمامةِ والبَحْرَيْنِ إلى الكوفةِ ، فأُجِيب إلى ذلك ، وأُطْلِقَت له الخِلَعُ والأموالُ والألويةُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

محمدُ بنُ العباسِ بنِ محمدِ[3] بنِ زكريا بنِ يحيى بنِ مُعاذٍ ، أبو عُمرَ الخزّازُ[4] ، المعروفُ بابنِ حَيُّوَيْهِ ، سمِع البَغَوىَّ والباغَنْدىَّ وابنَ صاعدٍ وخَلْقًا

---

(١) فى الأصل ، ص : « الجزرة » ، وفى ب ، م : « الجزر » . والمثبت من المنتظم ١٤/ ٣٦٣. والحوزة : عنب ليس بعظيم الحب . الوسيط (ح و ز) .

(٢) فى الأصل ، ص : « الأصفر » ، وفى ب ، م : « الصفراء » . والمثبت من المنتظم ١٤/ ٣٦٣، وانظر ما سيأتى فى صفحة ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٣) بعده فى النسخ : « بن محمد » . وانظر مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ٣/ ١٢١، والمنتظم ١٤/ ٣٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٥٤، والوافى بالوفيات ٣/ ١٩٩.

(٤) فى الأصل ، ب ، م : « القزاز » ، وفى ص : « البزار » . والمثبت من مصادر ترجمته .

كثيرًا ، وانْتَقَى عليه الدارَقُطْنىُّ ، وسمِع منه الأعْيانُ ، وكان ثقةً دَيِّنًا مُتَيَقِّظًا ، ذا مُروءةٍ ، وكتَب مِن الكتبِ الكِبارِ كثيرًا بيدِه ، وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الآخِرِ منها ، وقد قارَب التِّسْعين ، رحمه اللَّهُ .

الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ ، أبو أحمدَ العَسْكرىُّ[1] ، أحدُ الأئمةِ فى اللغةِ والأدبِ والنحوِ والنَّوادرِ ، وله فى ذلك تَصانيفُ مُفيدةٌ ، منها « التَّصْحيفُ »[2] وغيرُه ، وكان الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ يَوَدُّ الاجتماعَ به [٩/ ١٠٤ظ] ، فسافَر إلى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ[3] حتى اجْتَمَع به ، فأكْرَمه وراسَله بالأشعارِ . تُوُفِّى فيها وله تسعون سنةً . كذا أرَّخه القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] ، وذكَره ابنُ الجَوْزىِّ[5] فيمَن تُوُفِّى فى سنةِ سبعٍ وثمانين كما سيأتى ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) ستأتى ترجمته فى صفحة ٤٧٠ .

(٢) هو المطبوع باسم : شرح ما يقع فيه التصحيف . وله أيضا وهو مطبوع : تصحيفات المحدِّثين .

(٣) فى ب ، م : « خلفه » . وعسكر مكرم : بلد مشهور من نواحى خوزستان . معجم البلدان ٣/ ٦٧٦.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٨٣.

(٥) المنتظم ١٤/ ٣٨٧. وانظر ما يأتى ص ٤٧٠ .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائةٍ

فيها[1] أمَر القادرُ باللَّهِ بعِمارةِ مسجدِ الحَرْبيةِ وكِسْوتِه ، وأن يُجْرَى مُجْرَى الجَوامِعِ فى الخُطَبِ وغيرِها ، وذلك بعدَ أن اسْتَفْتَى العُلماءَ فى جَوازِ ذلك ، فلمّا أَفْتَوْه به فعَله وأمَر به .

قال الخطيبُ البَغْدادىُّ[2] : أدْرَكْتُ الجمعةَ تُقامُ ببغدادَ فى مسجدِ المدينةِ ، ومسجدِ الرُّصافةِ ، ومسجدِ دارِ الخِلافةِ ، ومسجدِ بَرَاثَا ، ومسجدِ قَطِيعةِ أمِّ جعفرٍ ، ومسجدِ الحَرْبيةِ . قال : ولم يَزَلِ الأمرُ على هذا إلى سنةِ إحدى وخمسين وأربعِمائةٍ ، فتعَطَّلَت فى مسجدِ بَراثَا .

وفى جُمادَى الأولى فُرِغَ مِن الجِسْرِ الذى بناه بَهاءُ الدولةِ فى مَشْرَعةِ القَطَّانين ، واجْتاز عليه هو بنفسِه ، وقد زُيِّن المكانُ واحتُفِل به . وفى جُمادَى الآخِرةِ شَغَبت الدَّيالمُ والأتْراكُ لتأخُّرِ العَطاءِ عنهم ، وغَلاءِ الأسعارِ ، وراسَلوا بَهاءَ الدولةِ ، فأُزِيحَت أعْذَارُهم وعِللُهم .

وفى يومِ الخميسِ الثانى مِن ذى الحجةِ[3] مِن هذه السنةِ تزَوَّج الخليفةُ سُكَيْنةَ بنتَ بَهاءِ الدولةِ ، على صَداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، وكان وَكيلَ أبيها الشريفُ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٦٥، ٣٦٦، والكامل ٩/٩٦ - ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٥، ١٦.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١١١.

(٣) فى النسخ : « القعدة » . والمثبت من المنتظم وتاريخ الإسلام ، وهما اللذان ذكرا الشهر فى سياقهما .

أبو أحمدَ المُوسَوىُّ ، وقد تُوُفِّيَت هذه المرأةُ قبلَ دُخولِ الخليفةِ بها .

وفى هذه السنةِ ابتاع الوزيرُ أبو نصرٍ سابورُ بنُ أَزدَشِيرَ[1] دارًا بالكَرْخِ ، وجدَّد عِمارتَها وبيَّضَها ، ونقَل إليها كتبًا كثيرةً ، ووقَفَها على الفُقهاءِ ، وسمَّاها دارَ العلمِ . وأَظُنُّ أن هذه أولُ مدرسةٍ وُقِفَت على الفُقهاءِ ، واللَّهُ أعلمُ . وارْتفَعَت الأسْعارُ فى أواخِرِ هذه السنةِ جدًّا ، وضاق الحالُ ، وجاع العِيالُ .

وممَّن تُوفى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ إبراهيمَ[2] بنِ الحسنِ بنِ[3] شاذانَ بنِ حربِ بنِ مِهْرانَ ، أبو بكرٍ البَزَّازُ[4] ، سمِع الكثيرَ مِن البَغَوىِّ وابنِ صاعدٍ وابنِ دُرَيْدٍ وابنِ أبى داودَ ، وعنه الدارَقُطْنىُّ والبَرْقانىُّ والأزْهَرىُّ وغيرُهم ، وكان ثِقَةً ثَبتًا صَحيحَ السَّماعِ ، كثيرَ الحديثِ ، مُتَحَرِّيًا وَرِعًا . تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى مصادر التخريج : « أردشير » .

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ١٨، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٠، والمنتظم ١٤/ ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٥٧.

(٣) بعده فى مصادر الترجمة ، عدا المنتظم : « محمد بن » . وقد تابع المصنف هنا المنتظم .

(٤) فى الأصل : « البرار » . وفى ب ، م ، ص ، وتاريخ بغداد : « البزار » . والمثبت من سائر مصادر الترجمة . وقد ذكر فى مختصر تاريخ دمشق وتاريخ الإسلام أنه كان يجهز البزَّ إلى مصر .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثمانين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] عظُم الخَطْبُ بأمرِ العَيَّارِين ، وعاثُوا ببغدادَ فسَادًا ، وأخَذوا العُمْلاتِ الثِّقالَ ليلًا ونهارًا ، وحرَّقوا أماكِنَ كثيرةً ، وأخَذوا مِن الأسْواقِ الجِبايَاتِ ، وتطَلَّبَهم الشُّرَطُ ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ، ولا فكَّروا فيهم ، بل استمَرُّوا على ما هم عليه مِن أخْذِ الأموالِ ، وقَتْلِ الرجالِ ، وإرْعابِ النساءِ والأطفالِ ، فى سائرِ المَحالِّ . فلما تفاقَم الحالُ بهم تطَلَّبهم السلطانُ بَهاءُ الدولةِ ، [٩/١٠٥و] وألَحَّ فى طلَبِهم ، فهرَبوا مِن بينِ يديه ، واسْتَراح الناسُ مِن شرِّهم[2] .

وفى ذى القَعْدةِ عُزِل الشَّريفُ [3]أبو أحمدَ الحسينُ بنُ موسى[3] المُوسَوىُّ ووَلَداه اللذان كانا وَلِيَّىْ عهدِه مِن بعدِه عن نِقابةِ الطالبِيِّين .

ورجَع رَكْبُ العراقِ فى هذه السنةِ مِن أثناءِ الطريقِ بعدَ ما فاتهم وَقْتُ الحجِّ ، وذلك أن الأُصَيْفِرَ[4] الأعْرابىَّ الذى كان قد تكَفَّل بحِراستِهم اعْتَرَض لهم فى أثناءِ الطريقِ ، وذكَر لهم أن الدَّنانيرَ التى كانت أُطْلِقَت له مِن دارِ الخِلافةِ كانت دراهمَ مَطْلِيَّةً ، وأنه يُرِيدُ بَدَلها مِن الحَجيجِ ، وإلا لم يتركْهم يُجاوِزوا هذا

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٦٩، ٣٧٠، والكامل ٩/١٠٢ - ١٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٧، ١٨.

(٢) بعده فى ب ، م : « وأظن هذه الحكايات التى يذكرها بعض الناس عن أحمد الدنف عنهم ، أو كان منهم . والله أعلم » .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) فى الأصل ، ب ، ص : « الأصفر » .

الموضعَ ، فمانَعوه وراجعوه ، فحبَسهم عن المسيرِ حتى ضاق الوقتُ ، ولم يَبْقَ منه ما يَلْحَقوا الحَجَّ فيه ، فرجَعوا إلى بلادِهم ، ولم يَحُجَّ منهم أحدٌ ، وكذلك لم يَحُجَّ مِن الرَّكْبِ الشامِيِّ ولا أهلِ اليمنِ أحدٌ ، وإنما حجَّ أهلُ مصرَ والمغربِ خاصَّةً .

وفى يومِ عرفةَ قُلِّد الشريفُ أبو الحسنِ[1] الزَّيْنَبِيُّ محمدُ بنُ علىِّ بنِ أبى تَمَّامٍ الزَّيْنَبِيُّ نِقابةَ العباسيين ، وقُرِئَ عهدُه بينَ يدى الخليفةِ بحَضْرةِ القُضاةِ والأعْيانِ .

ومِمَّن توفى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو إسحاقَ إبراهيمُ[2] بنُ هلالِ بنِ إبراهيمَ بنِ زَهْرونَ بنِ حَبُّونَ[3] الحَرَّانِيُّ الكاتبُ الصابِئُ ، صاحبُ التَّصانِيفِ والرسائلِ للخليفةِ ولعِزِّ[4] الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، وكان على دينِ الصابئةِ إلى مماتِه ، وكان مع هذا يَصومُ رَمضانَ ويَقْرَأُ القرآنَ مِن حفظِه ، وكان يَحْفَظُه حفظًا حسَنًا ، ويَسْتَعْمِلُ منه فى رسائلِه ، وكانوا يَحْرِصون على أن يُسْلِمَ ، فلم يَفْعَلْ ، وله شعرٌ جيدٌ قوىٌّ . وكانت وَفاتُه فى شوالٍ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوَز السبعين . وقد رثاه الشريفُ الرَّضِىُّ ، وقال[5] : إنما رثَيْتُ فضائلَه[6] .

---

(١) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٢٤١، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٠، ووفيات الأعيان ١/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٧٤، والوافى بالوفيات ٦/ ١٥٨. وجاء اسمه فى اليتيمة : « إبراهيم بن هلال بن هارون » ، وفى معجم الأدباء : « إبراهيم بن هلال بن زهرون » .

(٣) فى الأصل ، ب ، ص : « حيون » .

(٤) فى ب ، م ، ص : « ولمعز » .

(٥) انظر وفيات الأعيان ١/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٤، والوافى بالوفيات ٦/ ١٦١.

(٦) فى ص : « فضيلة » . وفى مصادر التخريج : « فضله » . وبعده فى ب ، م : « وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة » .

(١ عبيدُ اللَّهِ ١) بنُ محمدِ بنِ نافعِ بنِ مُكْرَمٍ ، أبو العباسِ البُشْتىُّ (٢) الزاهدُ ، ورِث مِن آبائِه أموالًا كثيرةً ، فأنفقَها كلَّها فى وُجوهِ الخيرِ والقُرُباتِ ، وكان كثيرَ العبادةِ ، يُقالُ : إنه مكَث سبعين سنةً لا يسْتَنِدُ إلى حائطٍ ولا إلى شىءٍ ، ولا يَتكئُ على وِسادةٍ ، وحجَّ مِن نَيْسابورَ ماشيًا حافيًا ، ودخَل الشامَ ، وأقام ببيتِ المَقْدسِ شُهورًا ، ثم دخَل مصرَ وبلادَ المغربِ ، وحجَّ مِن هناك ، ثم رجَع إلى بلَدِه بُشْتَ (٣) ، وكانت له بقيةُ أموالٍ وأملاكٍ ، فتصَدَّق بها . ولما حضَرَته الوفاةُ جعَل يَتَألَّمُ ويَتَوَجَّعُ ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أَرَى بينَ يدَىَّ أُمورًا هائلةً ، ولا أَدْرِى كيف أَنْجُو منها .

وكانت وفاتُه فى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً . وليلةَ موتِه رأَت امرأةٌ أمَّها بعدَ وفاتِها وعليها ثيابٌ حِسانٌ وزِينةٌ فقالت : يا أُمَّهْ ، ما هذا ؟ فقالت : نحن فى عيدٍ مِن قُدومِ عُبَيدِ اللَّهِ الزاهدِ علينا . رحِمه اللَّهُ تعالى .

علىُّ (٣) بنُ عيسى (٤ بنِ علىٍّ ٤) بنِ [٩/١٠٥ظ] (٥ عبدِ اللَّهِ ٥) أبو الحسنِ (٦)

(١ - ١) فى م : « عبد اللَّه » . وانظر ترجمته فى : الإكمال ١/ ٤٣٣، والأنساب ١/ ٣٦٠، والمنتظم ١٤/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٧٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٩١، وعنده أيضا « عبد اللَّه » . وانظر تبصير المنتبه ١/ ١٥٠.

(٢) فى النسخ ، والمنتظم : « البستى » ، وفى تاريخ الإسلام : « البشنى » . والمثبت من مصادر ترجمته ، والبشتى نسبة إلى بشت : قرية بنيسابور .

(٣) فى النسخ ، والمنتظم وتاريخ الإسلام : « بست » . والمثبت من باقى المصادر .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢/ ١٦، والمنتظم ١٤/ ٣٧١، ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٣، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٣، وميزان الاعتدال ٣/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٨٢، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٨١.

(٥ - ٥) فى م : « عبيد اللَّه » .

(٦) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته .

النَّحْوىُّ المعروفُ بالرُّمَّانىِّ ، روَى عن ابنِ دُرَيْدٍ ، وكانت له يدٌ طُولَى فى النحوِ واللغةِ والمَنْطِقِ والكلامِ ، وله تفسيرٌ كبيرٌ ، وشهِد عندَ ابنِ مَعْروفٍ فقبِله ، وروَى عنه التَّنُوخىُّ والجَوْهَرىُّ . تُوُفِّى عن ثمانٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن فى الشُّونِيزِيَّةِ عندَ قبرِ أبى علىٍّ الفارسىِّ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : والرُّمَّانىُّ نسبةً إلى بيعِ الرُّمَّانِ ، أو إلى قَصْرِ الرُّمَّانِ بواسِطٍ .

محمدُ بنُ العباسِ بنِ أحمدَ بنِ [2]محمدِ بنِ الفُراتِ[2] ، أبو الحسنِ الكاتبُ المُحَدِّثُ الثِّقةُ المأْمونُ . قال الخطيبُ البغدادىُّ[3] : كان ثقةً ، كتَب الكثيرَ ، وجمَع ما لم يَجْمَعْه أحدٌ فى وقتِه ، بلَغَنى أنه كتَب مائةَ تفسيرٍ ومائةَ تاريخٍ ، وخلَّف ثمانيةَ عشَرَ صُنْدوقًا مَمْلوءةً كتبًا ، أكثرُها بخطِّه سوى ما سُرِق منه ، وكان خَطُّه فى غايةِ الصِّحةِ ، ومع هذا كان له جاريةٌ تُعارِضُ معه ما يَكْتُبُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ عِمْرانَ[4] بنِ موسى بنِ [5]عُبَيدِ اللَّهِ[5] أبو [6]عُبيدِ اللَّهِ[6] ، الكاتبُ المعروفُ بابنِ المَرْزُبانِ ، روَى عن البَغَوىِّ وابنِ دُرَيْدٍ وغيرِهما ، وكان صاحبَ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٩.

(٢ - ٢) فى ب : « الفرات » ، وفى م : « القزاز » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٣/ ١٢٢، والمنتظم ١٤/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٨٤، والوافى بالوفيات ٣/ ١٩٦.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٢، ١٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٣٥، والمنتظم ١٤/ ٣٧٢، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٦٨، وإنباه الرواة ٣/ ١٨٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٨٦، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٣٥.

(٥ - ٥) فى معجم الأدباء : « سعيد » . وفى سائر المصادر ، عدا المنتظم ووفيات الأعيان : « عبيد » .

(٦ - ٦) فى النسخ ، ومعجم الأدباء : « عبد الله » . والمثبت من باقى المصادر .

أخْبارِ وآدابٍ ، وصنَّف كتبًا كثيرةً فى فُنونٍ مُسْتَحْسَنةٍ[1] . وكان مَشايخُه وغيرُهم يَحْضُرون عندَه ، ويَبِيتون فى دارِه فى فُرُشٍ وأطْعِمةٍ وغيرِ ذلك ، وكان عَضُدُ الدولةِ إذا مرّ بدارِه لا يجتازُ حتى يُرْسِلَ إليه ليخرجَ فيُسَلِّمَ عليه ، وكان أبو علىٍّ الفارسىُّ يَقولُ[2] : هو مِن مَحاسنِ الدنيا . وقال العتيقىُّ[3] : كان ثقةً . وقال الأزْهرىُّ[4] : ما كان ثقةً . وقال ابنُ الجَوْزىِّ[5] : لم يكنْ مِن الكذَّابين ، وإنما كان فيه تَشَيُّعٌ واعْتِزالٌ ، ويَخْلِطُ السَّماعَ بالإجازَةِ ، وبلَغ ثمانيةً وثمانينَ سنةً . رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) بعده فى ب ، م : « وهو مصنف كتاب تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » .

(٢) انظر تاريخ بغداد ٣/ ١٣٥، والمنتظم ١٤/ ٣٧٢.

(٣) فى م : « العقيقى » ، وفى ص : « القعنبى » . وانظر قول العتيقى فى تاريخ بغداد ٣/ ١٣٦، والمنتظم ١٤/ ٣٧٢.

(٤) انظر المصدرين السابقين .

(٥) المنتظم ١٤/ ٣٧٢.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثمانين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] اسْتَوْزَر فخرُ الدولةِ بنُ رُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ أبا العباسِ أحمدَ بنَ إبراهيمَ الضَّبِّيَّ المُلَقَّبَ بالكافى، وذلك بعدَ وفاةِ الصاحبِ إسماعيلَ بنِ عَبَّادٍ، وكان مِن مَشاهيرِ الوُزراءِ.

وفيها قبَض بهاءُ الدولةِ[2] على القاضى عبدِ الجبَّارِ، وصادَره بأموالٍ جَزيلةٍ، فكان مِن جملةِ ما بِيع فى المُصادَرةِ ألفُ طَيْلَسانٍ وألفُ ثوبٍ مَغْربىٍّ[3].

[4]وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ وما قبلَها وما بعدَها المصريون، والخُطْبةُ فى الحرمَيْن لهم[4].

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ[5]:

الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ[6] وهو إسماعيلُ بنُ عَبَّادِ بنِ عباسِ بنِ عَبَّادِ بنِ أحمدَ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٧٤، والكامل ٩/١٠٧ - ١١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٩.

(٢) الذى فى الكامل أن الذى قبض على عبد الجبار هو فخر الدولة.

(٣) فى ب، م: «معدنى». والكامل، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك: «صوف رفيع».

(٤ - ٤) فى ب، م: «ولم يحج فى هذه السنة وما قبلها وما بعدها ركب العراق والخطبة فى الحرمين للفاطميين».

(٥) بعده فى ص: «الجوهرى صاحب الصحاح إسماعيل بن حماد». وهو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركى الأُترارى، الجوهرى مصنف الصحاح. توفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وقيل: ثمان وتسعين وثلاثمائة، وقيل: فى حدود الأربعمائة. انظر إنباه الرواة ١/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٨٠.

(٦) يتيمة الدهر ٣/ ١٨٨، والأنساب ٤/ ٣٠، والمنتظم ١٤/ ٣٧٥، ومعجم الأدباء ٦/ ١٦٨، =

ابنِ إدْريسَ الطالَقانيُّ ، أبو القاسمِ الوزيرُ الشهيرُ الملقبُ بكافى الكُفاةِ ، وزَر لمُؤَيِّدِ الدولةِ بنِ رُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ . وقد كان مِن العلمِ والفَضيلةِ والبَراعةِ والكَرَمِ والإحْسانِ إلى العلماءِ على جانبٍ عظيمٍ ، كان يَبْعَثُ فى كلِّ سنةٍ [٩/١٠٦و] إلى بغدادَ بخمسةِ آلافِ دينارٍ لتُفَرَّقَ على أهلِ العلمِ ، وله اليدُ الطُّولَى فى الأدَبِ ، وله مُصَنَّفاتٌ فى فُنونِ العلمِ ، واقْتَنَى كتبًا كثيرةً كانت تُحْمَلُ على أربعِمائةِ بعيرٍ ، ولم يَكُنْ فى وُزراءِ بنى بُوَيْهِ الدَّيالمةِ مثلُه ولا قريبٌ منه فى مَجْموعِ فَضائلِه ، وقد كانت دولةُ بنى بُوَيْهِ مائةً وعشرين سنةً (١وكانت وزارتُه ثمانيةَ عشرَ سنةً١) وأشهرًا ، وفتَح خمسين قَلْعةً لمَخْدومِه مُؤَيِّدِ الدولةِ ، وابنِه فخرِ الدولةِ ، لصَرامتِه وشهامتِه وحُسْنِ تدبيرِه وجَوْدةِ آرائِه ، وكان(٢) يُحِبُّ العلومَ الشرعيةَ ، ويُبغِضُ الفَلْسفةَ وما يُشبِهُها مِن(٣) الآراءِ البِدْعيةِ ، وقد مرِض مرةً بالإسْهالِ ، فكان كلما قام عن المِطْهَرَةِ وضَع عندَها عشَرةَ دنانيرَ ؛ لئلا يَتَبَرَّمَ به الفرَّاشون ، فكانوا يَودُّون أن لو طالت عِلَّتُه ، ولما عُوفى أنْهَب دارَه الفقراءَ ، وكان قيمةُ ما تحتوى عليه نحوًا مِن خمسين ألفَ دينارٍ ، وقد سمِع الحديثَ مِن المَشايخِ الجِيادِ عوالى الإسْنادِ ، وعُقِد له فى وقتٍ مَجْلِسٌ للإمْلاءِ ، فاحْتَفل الناسُ بحضورِه ، فلما خرَج لبِس زيَّ الفقهاءِ ، وأشْهَد على نفسِه بالتوبةِ والإنابةِ مما يُعانِيه مِن أُمورِ السُّلطانِ ، وذكَر

= والكامل ٩/ ١١٠، وإنباه الرواة ١/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٩٢.

(١ - ١) سقط من: ب، م.

(٢) فى حاشية الأصل: «المشهور عنه عند الثقات أنه كان معتزليا رافضيا وله فى ذلك مصنفات. لأبى حيان التوحيدى مجلد فى مثالبه ومثالب أستاذه ابن العميد أفاد فيه وأجاد». وكلام الحافظ الذهبى عنه فى السير يدلُّ على ذلك؛ قال: «كان شيعيًّا معتزلا مبتدعا، تَيّاهًا صلفًا جبارًا، قيل: إنه ذُكر له البخارى فقال: ومن البخارى؟! حشوىٌّ لا يُعوّل عليه».

(٣) بعده فى ب، م: «علم الكلام و».

للناسِ أنه إنما يَأْكُلُ مِن حينَ نشَأ إلى يومِه هذا مِن أموالِ أبيه وجَدِّه ، ولكن يُخالِطُ السلطانَ ، وهو تائبٌ مما مارَسَه من شئونِه ، واتَّخَذ بيتًا فى دارِه سمَّاه بيتَ التوبةِ ، ووضَع العلماءُ خُطوطَهم بصحةِ توبتِه ، وحينَ حدَّث اسْتَمْلَى عليه جماعةٌ لكثرةِ مَجْلِسِه ، فكان من جملةِ مَن يَكْتُبُ ذلك اليومَ من الطلبةِ القاضى عبدُ الجبارِ الهَمَذانىُّ[1] ومن شابهه من رُءوسِ الفُضَلاءِ وساداتِ المُحَدِّثِين والفُقهاءِ .

وقد بعَث إليه قاضى قَزْوِينَ[2] بهديةٍ ؛ كتبٍ كثيرةٍ ، وكتَب معها :

العُمَيرىُّ[3] عبدُ كافى الكُفاةِ ... وإن اعْتَلَّ[4] فى وُجوهِ القُضاةِ
خدَم المجلسَ الرفيعَ بكُتْبٍ ... مُفْعَماتٍ مِن حُسْنِها مُتْرَعاتِ[5]

فلما وصَلَت إليه أخَذ منها كتابًا واحدًا ، وردَّ باقيَها ، وكتَب تحتَ البيتَيْن :

قد قبِلْنا مِن الجميعِ كتابًا ... وردَدْنا لوقتِها الباقياتِ
لستُ أَسْتَغْنِمُ الكثيرَ وطَبْعى ... قولُ خُذْ ليس مَذْهَبى قولَ هاتِ

وجلَس الوزيرُ ابنُ عبّادٍ[6] مرةً فى مَجْلِسِ شَرابٍ ، فناوَله الساقى كأسًا ، فلما أراد شُرْبَها قال له بعضُ خُدامِه[7] : يا سيدى ، إن هذا الذى فى يدِك مَسْمومٌ .

---

(١) فى الأصل ، ب ، م : « الهمدانى » . ولم يُذكر أمر حضور القاضى عبد الجبار إلا فى المنتظم وتاريخ الإسلام وذكر بغير هذه النسبة . وانظر ترجمة الهمذانى هذا فى الأنساب ١/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٩٧.

(٢) انظر يتيمة الدهر ٣/ ١٩٤، والمنتظم ١٤/ ٣٧٦، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) فى النسخ : « العميدى » . والمثبت من المصادر السابقة .

(٤) فى مصادر التخريج : « اعتد » .

(٥) المفعمات والمترعات : الممتلئات . انظر الوسيط (ف ع م) ، (ت ر ع) .

(٦) انظر المنتظم ١٤/ ٣٧٦.

(٧) فى المنتظم : « خواصه » .

قال : وما الشاهدُ على صحةِ قولِك ؟ قال : تُجَرِّبُه . قال : فيمَن ؟ قال : فى الساقى . قال : ويحَك ! لا أَسْتَحِلُّ ذلك . قال : [٩/١٠٦ظ] ففى دَجاجةٍ . قال : إن التَّمثيلَ بالحيوانِ لا يَجوزُ . ثم أمَر بصبِّ ما فى ذلك القَدَحِ ، وقال للساقى : لا تَدْخُلْ دارى بعد هذا . ولم يَقْطَعْ عنه مَعْلومَه .

وقد عمِل عليه الوزيرُ[(١)] أبو الفتحِ بنُ ذى الكفايتين حتى عزَله عن وِزارةِ مُؤَيِّدِ الدولةِ ، وباشَرها عِوَضَه ، واسْتَمَرَّ مدةً ، فبينما هو ليلةً فى بعضِ أيامِه قد اجْتَمَع عندَه أصحابُه ونُدَماؤه وهو فى أَتَمِّ سرورٍ ، قد هُيِّئ له مجلسٌ حافلٌ بأنواعِ اللذَّاتِ ؛ من المآكلِ والمشاربِ والملابسِ والتحفِ ، وقد نظَم أبياتًا ، والمُغَنُّون [(٢)]يُلحِّنونَها له[(٢)] ، وهو فى غايةِ الطَّرَبِ والسرورِ والفرَحِ ، وهى هذه :

دعَوْتُ الهَنا[(٣)] ودعَوْتُ العُلا[(٤)] ... فلما أجابا دعَوْتُ القَدَحْ
وقلتُ لأيامِ شرْخِ الشبابِ ... إلـيَّ فـهـذا أوانُ الـفَـرَحْ
إذا بـلَـغ المرءُ آمـالَـه ... فليس له بعدَها مُنْتَزَحْ[(٥)]

ثم قال لأصحابِه : باكِرونى غدًا إلى الصَّبوحِ . ونهَض إلى بيتِ مَنامِه ، فما أصْبَح حتى قبَض عليه مُؤَيِّدُ الدولةِ ، وأخَذ جميعَ ما فى دارِه مِن الحَواصِلِ والأموالِ ، وجعَله مُثْلةً فى العِبادِ ، وأعاد إلى وِزارتِه الصاحبَ بنَ عَبَّادٍ .

وقد ذكَر ابنُ الجَوْزىِّ[(٦)] أن الصاحبَ بنَ عَبَّادٍ حينَ حضَرَتْه الوَفاةُ جاءه

---

(١) انظر المنتظم ١٤/ ٣٧٥.
(٢ - ٢) فى ب ، م : « يغنونه بها » .
(٣) فى المنتظم : « المنا » .
(٤) فى المنتظم : « الطلا » .
(٥) فى المنتظم : « مقترح » . ومنتزح : مُبتَعَد . انظر اللسان (ن ز ح) .
(٦) المنتظم ١٤/ ٣٧٧.

المِلِكُ فخرُ الدولةِ بنُ مُؤَيِّدِ الدولةِ يَعودُه ليُوَصِّيَه فى أُمورِه ، فقال له : إنى مُوَصِّيك أن تَسْتَمِرَّ فى الأُمورِ على ما تَرَكْتُها عليه ، ولا تُغَيِّرْها ، فإنك إن اسْتَمْرَرتَ بها نُسِبَت إليك مِن أولِ الأمرِ إلى آخِرِه ، وإن غيَّرْتَها وسلَكْتَ غيرَها نُسِبَتْ هى والخيرُ المُتَقَدِّمُ إلىَّ لا إليك ، وأنا أُحِبُّ أن تَكونَ نِسْبةُ الخيرِ إليك ، وإن كنتُ أنا المُشِيرَ بها عليك . فأعْجَبه منه ذلك واسْتَمَرَّ على ما أوْصاه به مِن الخيرِ ، وكانت وفاتُه فى عَشِيةِ يومِ الجمعةِ لستٍّ بقِين مِن صفَرٍ منها .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وهو أولُ مَن سُمِّىَ مِن الوُزراءِ بالصاحبِ ، ثم اسْتُعْمِل بعدَه فيهم ، وإنما سُمِّى بذلك لكثرةِ صُحْبتِه الوزيرَ أبا الفَضْلِ بنَ العَميدِ ، فكان يقالُ له : صاحبُ ابنِ العميدِ . ثم أُطْلِق عليه أيامَ وِزارتِه ، وقال الصابئُ فى كتابِه « التاجى » : إنما سمَّاه الصاحبَ مُؤَيِّدُ الدولةِ بنُ بويهِ ؛ لأنه كان صاحبَه مِن الصِّغَرِ ، فكان يُسَمِّيه الصاحبَ ، فلما ملَك واسْتَوْزَره سمَّاه الصاحبَ ، فاشْتُهِر به ، وتَسمَّى به الوُزراءُ بعدَه . ثم ذكَر ابنُ خَلِّكانَ[2] قِطعةً صالحةً مِن مَكارِمِه وفَضائِلِه وثَناءِ الناسِ عليه ، وعدَّد له مُصَنَّفاتٍ كثيرةً ، منها كتابُه « المُحيطُ » فى اللغةِ فى سبعةِ مُجلداتٍ ، يَحْتَوِى على أكثرِ اللغةِ ، وأوْرَد مِن شعرِه أشياءَ ، منها قولُه وهو صنيعٌ لطيفٌ :

[٩/١٠٧و] رقَّ الزُّجاجُ ورقَّتِ[3] الخمرُ ... وتشابَها فتَشاكَلَ الأمْرُ
فكأنما خمْرٌ ولا قَدَحٌ ... وكأنما قَدَحٌ ولا خمْرُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٩.
(٢) المصدر السابق ١/٢٢٩ - ٢٣١.
(٣) فى م : « راقت » . وهو موافق لإحدى نسخ الوفيات ، كما أشار لذلك محققه فى الحاشية .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : تُوُفِّى بالرَّىِّ فى هذه السنةِ ، وله نحوُ ستين سنةً ، ونُقِل إلى أصْبَهانَ ، رحِمه اللَّهُ .

الحسنُ بنُ حامدِ [2]**بنِ الحسنِ بنِ حامدٍ**[2] **أبو محمدٍ** ، الأدِيبُ ، كان شاعرًا مُتَمَوِّلًا[3] كثيرَ المكارِمِ ، روَى عن علىِّ بنِ محمدِ بنِ سعيدٍ المَوْصِلىِّ ، وعنه الصُّورىُّ ، وكان صَدوقًا . وهو الذى أنْزَل المُتَنَبِّىَ فى دارِه حينَ قدِم بغدادَ ، وأحْسَن إليه [4]وأجرى عليه النفقاتِ[4] حتى قال له المُتَنَبِّى : لو كنتُ مادحًا تاجرًا لمدَحْتُك . وقد كان أبو محمدٍ هذا شاعرًا ماهرًا ، فمِن جيدِ شعرِه قولُه[5] :

شَرَيْتُ المعالى غيرَ مُنْتَظِرٍ بها ... كَسادًا ولا سُوقًا يُقامُ لها أخرَى
وما أنا مِن أهلِ المكاسِبِ[6] كُلَّما ... توَفَّرَتِ الأثْمانُ كنتُ لها أَشْرَى

ابنُ شاهينَ الواعِظُ[7] **عمرُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ بنِ** [8]**أحمدَ بنِ محمدِ ابنِ أيوبَ بنِ أزداذَ**[9] ، **أبو حفصٍ بنُ شاهينَ** ، الواعظُ المشهورُ ، سمِع الكثيرَ ،

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٣١.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٧، والمنتظم ١٤/ ٣٧٧.

(٣) المتمول : كثير المال . انظر اللسان (م و ل) .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) انظر تاريخ دمشق ١٣/ ٤٨، والمنتظم ١٤/ ٣٧٧.

(٦) فى مصدرى التخريج : «المكاس و» .

(٧) تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٥، وتاريخ دمشق ١٢/ ٦٨٨ مخطوط ، والمنتظم ١٤/ ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٣١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٠٥، وغاية النهاية ١/ ٥٨٨، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ٢. وفيه أن وفاته سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

(٨ - ٨) فى الأصل ، ب ، ص ، وتاريخ الإسلام : «أحمد» ، وفى م ، والمنتظم : «محمد» ، والمثبت من تاريخ بغداد ، وتاريخ دمشق ، وسير أعلام النبلاء .

(٩) فى الأصل ، ب : «زادان» ، وفى م : «زذان» ، وفى ص : «زاذان» . وفى تاريخ دمشق : =

وحدَّث عن الباغَنْدىِّ وأبى بكرِ بنِ أبى داودَ والبَغَوىِّ ، وابنِ صاعدٍ ، وخَلْقٍ . وكان ثقةً أمينًا ، يَسْكُنُ الجانبَ الشَّرْقىَّ مِن بغدادَ ، وكانت له المُصَنَّفاتُ العَديدةُ المفيدةُ . ذُكِر عنه أنه صنَّف ثلاثَمائةٍ وثلاثين مُصَنَّفًا ؛ من ذلك « التَّفْسيرُ » فى ألفِ جُزءٍ ، و « المُسْنَدُ » فى ألفٍ وخمسِمائةِ جزءٍ ، و « التاريخُ » فى مائةٍ وخمسين جزءًا ، و « الزُّهْدُ » فى مائةِ جزءٍ . تُوُفِّى وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ منها ، وقد قارَب التسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الحافظُ الدارَقُطْنىُّ ، علىُّ[1] بنُ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ مَهْدىِّ بنِ مسعودِ[2] بنِ النُّعْمانِ[2] بنِ دينارِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو الحسنِ الدَّارَقُطْنىُّ ، الحافظُ الكبيرُ ، أستاذُ هذه الصناعةِ ، فى زمانِه ، وقبلَها بمدةٍ وبعدَها إلى زمانِنا هذا ، سمِع الكثيرَ ، وجمَع وصنَّف وألَّف وأجاد وأفاد ، وأحْسَن النَّظَرَ والتَّعْليلَ ، والانتقاءَ والانْتِقادَ والاعْتِقادَ ، وكان فَريدَ عصرِه ، ونَسِيجَ وَحْدِه ، وإمامَ أهلِ دَهْرِه فى أسماءِ الرجالِ وصِناعةِ التَّعْليلِ ، والجَرْحِ والتَّعْديلِ ، وحُسْنِ التَّصْنيفِ والتَّأليفِ ، واتِّساعِ الرِّوايةِ ، والاطِّلاعِ التامِّ فى الدِّرايةِ ، له [3]كتابُ « السُّننِ الكبيرِ » المَشْهورُ[3] ، مِن أحْسَنِ المُصَنَّفاتِ فى بابِه ، لم يُسْبَقْ إلى مثلِه ، ولا يُلْحَقُ فى شَكلِه ، إلا مَن اسْتَمَدَّ مِن بحرِه ، وعمِل كعملِه ، وله كتابُ « العِلَلِ » بيَّن فيه الصوابَ مِن

= « ازداد » . والمثبت من تاريخ بغداد ، والمنتظم ، وسير أعلام النبلاء .

(١) بعده فى المنتظم : « بن محمد » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤، والمنتظم ١٤/ ٣٧٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٠١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٤٦٢، وغاية النهاية ١/ ٥٥٨.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم والسير وتاريخ الإسلام وطبقات الشافعية .

(٣ - ٣) فى ب : « كتاب الشهور » ، وفى م : « كتابه المشهور » ، وفى ص : « كتاب السير المشهور » .

الزَّلِلِ، والمتصلَ مِن المُرْسَلِ والمُنْقَطِعِ والمُعْضَلِ، وكتابُ «الأفرادِ» الذى لا يَفْهَمُه، فَضْلًا عن أن يَنْظِمَه، إلا مَن هو مِن الحُفَّاظِ الأفْرادِ، والأئمةِ النُّقَّادِ، والجَهابذةِ الجِيادِ، وله غيرُ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ التى هى كالعُقودِ فى الأجْيادِ.

وقد كان الدارقطنىُّ مِن صِغَرِه مَوْصوفًا بالحفظِ الباهرِ؛ [٩/١٠٧ظ] جلَس مرةً[١] فى مجلسِ إسماعيلَ الصَّفَّارِ، وهو يُمْلِى على الناسِ الأحاديثَ، والدارَقُطْنىُّ يَنْسَخُ فى جزءِ حديثٍ[٢]، فقال له بعضُ المُحَدِّثِين فى أثناءِ المَجْلِسِ: إنَّ سَماعَك لا يَصِحُّ وأنت تَنْسَخُ. فقال الدارَقُطْنىُّ: [٣]فَهْمِى خِلافُ فهمِك[٣]، أتَحْفَظُ كم أَمْلَى حديثًا؟ [٤]فقال: لا[٤]. فقال: إنه أَمْلَى ثمانيةَ عشَرَ حديثًا إلى الآنَ، فالحديثُ الأولُ منها عن فلانٍ عن فلانٍ. ثم ساقها كلَّها بأسانيدِها وألْفاظِها. فتعَجَّب الناسُ منه.

وقال الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ النَّيْسابورىُّ[٥]: لم يَرَ الدارَقُطْنىُّ مثلَ نفسِه. وقال ابنُ الجَوْزىِّ[٦]: وقد اجْتَمَع له مع معرفةِ الحديثِ العلمُ بالقِراءاتِ والنَّحْوِ والفِقهِ والشعرِ، مع الأمانةِ[٧] والعَدالةِ، وصحةِ العَقيدةِ، وقد كانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ السابعَ مِن ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ، وله مِن العمرِ تسعٌ[٨] وسبعون سنةً

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٦، ٣٧، والمنتظم ١٤/ ٣٧٩.

(٢) فى ص: «حديثه».

(٣ - ٣) فى ب: «فهمى للإملاء أحسن من فهمك وأحضر ثم قال لذلك الرجل». وفى م: «فهمى للإملاء أحسن من فهمك وأحضر ثم قال له ذلك الرجل».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٥، ٣٦، والمنتظم ١٤/ ٣٧٩.

(٦) المنتظم ١٤/ ٣٨٠.

(٧) فى ب، م، ص: «الإمامة».

(٨) فى ب، م: «سبع».

ويومان ، ودُفِن مِن الغدِ بمَقْبَرةِ مَعْروفٍ الكَرْخىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وقد رحَل إلى الديارِ المصريةِ فأكْرَمه الوزيرُ أبو الفضلِ جعفرُ بنُ [2]الفضلِ ابنِ[2] حِنْزابةَ[3] وزيرُ كافورِ الإخْشِيدىِّ ، وساعَده هو والحافظُ عبدُ الغنىِّ على إكْمالِ « مُسْنَدِه » ، وحصَل للدارَقُطْنىِّ منه مالٌ جَزيلٌ . قال[4] : والدارَقُطْنىُّ : نسبةً إلى دارِ القُطْنِ ، وهى مَحَلَّةٌ كبيرةٌ ببغدادَ .

وقال عبدُ الغنىِّ بنُ سعيدٍ المصرىُّ[5] : لم يَتَكَلَّمْ على الأحاديثِ مثلُ علىِّ بنِ المَدينىِّ فى زمانِه ، وموسى بنِ هارونَ فى زمانِه ، والدارَقُطْنىِّ فى زمانِه .

وسُئِل الدارَقُطْنىُّ[6] : هل رأَى مثلَ نفسِه ؟ قال : أمَّا فى فنٍّ واحدٍ فربما رأيْتُ مَن هو أفْضلُ منى ، وأما فيما اجْتَمَع فىَّ مِن الفنونِ فلا .

وقد روَى الخطيبُ البَغْدادىُّ[7] عن الأميرِ أبى نصرٍ [8]علىِّ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ جعفرِ بنِ ماكولا[8] قال : رأيْتُ فى المَنامِ كأنى أَسْأَلُ عن حالِ أبى الحسنِ الدارَقُطْنىِّ ، وما آل إليه أمْرُه فى الآخِرةِ ، فقيل لى : ذاك يُدْعَى فى الجنةِ الإمامَ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، ص : « حزابة » ، وفى ب : « حرابه » ، وفى م : « خنزابة » . والمثبت من وفيات الأعيان . وحنزابة : هى أمُّ الفضلِ والدِ الوزير . والحنزابة فى اللغة : المرأة القصيرة الغليظة . وفيات الأعيان ١/ ٣٤٩.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٥) فى ب ، م ، ص : « الضرير » . وانظر قوله فى تاريخ بغداد ١٢/ ٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٨.

(٦) انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٥، والمنتظم ١٤/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٧) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠.

(٨ - ٨) فى الأصل : « بن على بن هبة اللَّه بن ماكولا » ، وفى ب ، م : « هبة اللَّه بن ماكولا » ، وفى ص : « على بن هبة اللَّه بن ماكولا » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٩.

رحِمه اللَّهُ ورضِيَ عنه .

عَبَّادُ بنُ عباسِ بنِ عَبَّادٍ ، أبو الحسنِ الطالَقانيُّ[1] ، والدُ الوزيرِ إسماعيلَ بنِ عَبَّادٍ ، سمِع أبا خَليفةَ الفضلَ بنَ الحُبابِ وغيرَه مِن البغدادِيين والأصْفَهانِيِّين والرَّازِيِّين وغيرِهم ، وحدَّث عنه ابنُه الوزيرُ أبو[2] القاسمِ ، وأبو بكرِ بنُ مَرْدَوَيْهِ ، ولعَبَّادٍ هذا كتابٌ فى أحْكامِ القرآنِ ، وقد اتَّفَق موتُه وموتُ ابنِه فى هذه السنةِ ، رحِمهما اللَّهُ .

عقيلُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ ، أبو الحسنِ الأحْنَفُ العُكْبَرِيُّ[3] الشاعرُ المشهورُ ، له دِيوانٌ مُفْرَدٌ ، ومِن مُسْتَجادِ شعرِه ما ذكَره الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِيِّ فى « المُنْتَظَمِ »[4] قولُه :

أَقْضَى علىَّ مِن الأجَلْ ... عَذْلُ العَذولِ إذا عَذَلْ
وأشَدُّ مِن عَذْلِ العَذو ... لِ صُدودُ إلْفٍ قد وصَلْ
[٩/١٠٨و] وأشَدُّ مِن هذا وذا ... طَلَبُ النَّوالِ مِن السَّفَلْ

ومِن شعرِه الجيِّدِ أيضًا قولُه[4] :

مَن أراد الملكَ[5] والرا ... حةَ مِن هَمٍّ طويلِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٣١ - ٣٤٠) ص ١٠٣، ١٢٤ ضمن وفيات سنة أربع وثلاثين، وخمس وثلاثين وثلاثمائة على التوالى، وكذا ذكره ص ٢٠٣ فى المتوفين تقريبًا، وقال: « توفى سنة أربع أو خمسٍ وثلاثين »، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٧٢.

(٢) بعده فى ب، م: « الفضل ».

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠١، والمنتظم ١٤/ ٣٨٠، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٧٣.

(٤) المنتظم. الموضع السابق.

(٥) فى ب، م: « العزَّ ».

فلْيَكُنْ فَرْدًا من[1] النا سِ ويَرْضَى بالقليلِ
[2]ويرَى أنَّ [3]قليلًا نافعًا غيرُ[3] قليلِ[2]
ويَرَى بالحَزْمِ أن الْـ ـحزم فى تركِ الفُضولِ
ويُداوِى مرَضَ الوَحْـ ـدة بالصبرِ الجميلِ
لا يُمارِى أحدًا ما عاش فى قالٍ وقيلِ
يَلْزَمُ الصَّمْتَ فإن الصَّـ ـمتَ تَهْذيبُ العقولِ
يَذَرُ الكِبْرَ لأهليـ ـه[4] ويَرْضَى بالخُمولِ
أىُّ عيشٍ لامرئٍ يُصْـ ـبِحُ فى حالٍ ذَليلِ
بينَ قصدٍ مِن عدوٍّ ومُداراةِ جَهولِ
واعْتِلالٍ مِن صديقٍ وتجَنٍّ مِن مَلولِ
واحْتِراسٍ مِن ظُنونِ السَّـ ـوْءِ مَعْ عَذْلِ العَذولِ
ومُماشاةِ[5] بَغيضٍ ومُقاساةِ[6] ثَقيلِ
أُفٍّ مِن معرفةِ النا سِ على كلِّ سبيلِ
وتَمامُ الأمْرِ لا يَعْـ ـرِفُ سَمْحًا مِن بَخيلِ
فإذا [7]أكْمَلَ هذا كان فى ملكٍ جليلِ[7]

---

(١) فى ب، م: «فى».
(٢ - ٢) سقط من: ص.
(٣ - ٣) فى ب، م: «سيرى كافيًا عمًّا».
(٤) فى ب، م: «لأهل الكبر».
(٥) فى ب، م: «مقاساة».
(٦) فى ب، م: «مداناة».
(٧ - ٧) فى الأصل: «أكملت هذا عشت فى ملك جليل»، وفى ب: «أكمل هذا كان فى ملك ظليل». وفى م: «أكمل هذا كان فى ظل ظليل».

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سُكَّرَةَ ، أبو الحسنِ[1] **الهاشميُّ** ، مِن ولدِ عليِّ بنِ المَهْدىِّ باللَّهِ ، كان شاعرًا أديبًا خَليعًا ظَريفًا ، وكان يَنوبُ فى نِقابةِ الهاشميِّين ، فتَرافع إليه رجلٌ اسمُه عليٌّ وامرأةٌ اسمُها عائشةُ يَتَحاكمان فى جملٍ فقال : هذه قضيةٌ لا أَحْكُمُ فيها بشىءٍ لئلا يَعودَ الحالُ خُدْعةً[2] .

ومِن مُسْتَجادِ شعرِه ولَطيفِه قولُه[3] :

فى وجهِ إنسانةٍ كلِفْتُ بها ... أربعةٌ ما اجْتَمَعْنَ فى أحدِ
الوجهُ بدرٌ والصُّدْغُ غاليةٌ ... والرِّيقُ خَمْرٌ والثَّغْرُ مِن بَرَدِ

ومن مُجونِ شعرِه قولُه وقد دخَل حَمَّامًا ، فسُرِق نعلُه ، فعاد إلى منزلِه حافيًا فقال[4] :

[٩/١٠٨ظ] إليك أَذُمُّ حَمَّامَ ابنِ موسى ... وإن فاق المُنى طِيبًا وحَرًّا
تكاثَرَتِ اللُّصوصُ عليهِ حتى ... ليَحْفَى مَن يُطِيفُ به ويَعْرَى
ولم أَفقِدْ به ثوبًا ولكن ... دخَلْتُ محمدًا وخرَجْتُ بِشْرًا[5]

---

(١) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية عدا تاريخ الإسلام : يتيمة الدهر ٣/ ٣، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٦٥، والمنتظم ١٤/ ٣٨٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٠٩، وكنيته فيه : « أبو العباس » ، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٠٨.

(٢) فى الأصل : « جذعة » ، وفى ص : « خذعة » .

(٣) انظر تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٣٩٠) ص ١٠٩.

(٤) انظر تاريخ بغداد الموضع السابق ، والمنتظم ١٤/ ٣٨٢.

(٥) ذكر فى حاشية تاريخ بغداد ؛ أن بهامش الأصل عنده جاء : « يلوح إلى بشر الحافى الزاهد المشهور ، رضى الله عنه » .

يوسفُ بنُ عمرَ بنِ مسرورٍ ، أبو الفتْحِ القَوَّاسُ[1] ، سمِع البَغَوىَّ[2] وابنَ أبى داودَ وابنَ صاعدٍ وغيرَهم ، وعنه الخلَّالُ والعُشَارىُّ والتَّنُوخىُّ وغيرُهم ، وكان ثقةً نبيلًا ، يُعَدُّ مِن الأبْدالِ . قال الدارَقُطْنىُّ[3] : كنا نَتَبَرَّكُ به وهو صغيرٌ . وكانت وفاتُه لثلاثٍ بَقِين مِن ربيعٍ الآخِرِ عن خمسٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن ببابِ حربٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

يوسفُ بنُ أبى سعيدٍ السِّيرافىُّ ، أبو محمدٍ النَّحْوىُّ[4] **بنُ النحوىِّ**[4] ، وهو الذى تَمَّم شرحَ أبيه لكتابِ سِيبَوَيْهِ ، وكان يَرْجِعُ إلى علمٍ ودينٍ ، وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأولِ منها عن خمسٍ وخمسين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيَّانا بمنِّه وكرمِه .

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٤٢، والمنتظم ١٤/ ٣٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١١٣.

(٢) هو أبو القاسم عبد اللَّه بن محمد بن عبد العزيز البغوى ، كما فى طبقات الحنابلة .

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٦، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٤٣.

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر مصادر ترجمته : المنتظم ١٤/ ٣٨٢، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٦٠، وإنباه الرواة ٤/ ٦١، ووفيات الأعيان ٧/ ٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١١٣، والجواهر المضية ٣/ ٦٢٥.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وثمانين وثلاثمائةٍ[1]

فى المحرَّمِ من هذه السنةِ كشَف أهلُ البصرةِ عن قبرِ عَتيقٍ، فإذا هم بميتٍ طَرِيٍّ، عليه ثيابُه وسيفُه، فظنُّوه الزبيرَ بنَ العَوَّامِ، فأخْرَجوه وكفَّنوه ودفَنوه، واتَّخَذوا عندَ قبرِه مسجدًا، ووُقِفت عليه أوقافٌ كثيرةٌ، وجُعِل عندَه خُدَّامٌ وقُوَّامٌ وفُرُشٌ وتَنْويرٌ.

وفيها ملَك الحاكمُ العُبَيدىُّ بلادَ مصرَ بعدَ أن هلَك أبوه العزيزُ بنُ المُعِزِّ الفاطمىُّ، وكان عمرُه إذ ذاك إحدى عشْرةَ سنةً وستةَ أشهرٍ، وقام بتَدْبيرِ المَمْلَكةِ معه أَرْجَوانُ الخادمُ، وأمينُ الدولةِ الحسنُ بنُ عَمَّارٍ شيخُ كُتامةَ[2]، فلما تمكَّن الحاكمُ قتَلهما وأقام غيرَهما، ثم قتَل خَلْقًا، حتى اسْتَقام له الأمْرُ على ما سنَذْكُرُه، إن شاء اللَّهُ تعالى.

[3]وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ الذى مِن جهةِ المِصْريين، والخُطْبةُ لهم[3].

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ سَخْتَوَيْهِ، أبو حامدِ بنُ أبى

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٣، والكامل ٩/ ١١٦ - ١٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٩.

(٢) فى الأصل: «كنانة». وكُتامة: قبيلة من البربر. تاج العروس (ك ت م).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

إسحاقَ المُزَكِّى النَّيْسابورىُّ[1] ، سمِع الأصَمَّ وطبقتَه ، وكان كثيرَ العِبادةِ مِن صِغَرِه إلى كِبَرِه ، وصام من دهرِه سَرْدًا تسعًا وعشرين سنةً ، قال الحاكمُ[2] : وعندى أن الملائِكةَ لم تَكْتُبْ عليه خطيئةً . تُوُفِّى فى شعبانَ من هذه السنةِ عن ثلاثٍ وستين سنةً .

أبو طالبٍ المكِّىُّ ، صاحبُ « قُوتِ القُلوبِ » ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ عَطِيةَ ، أبو طالبٍ المكِّىُّ[3] **، الواعِظُ المُذَكِّرُ ، الزَّاهِدُ المُتَعَبِّدُ ، الرجلُ الصالحُ** ، سمِع الحديثَ ، وروَى عنه غيرُ واحدٍ .

قال العَتِيقىُّ[4] : كان رجلًا صالحاً ، مُجْتَهِدًا فى العبادةِ .

وصنَّف كتابًا سمَّاه « قُوتَ القلوبِ » ، وذكَر فيه أحاديثَ لا أصْلَ لها ، وكان يَعِظُ الناسَ فى الجامعِ ببغدادَ .

[٩/١٠٩و] وحكَى ابنُ الجَوْزىِّ[5] أن أصْلَه مِن الجَبَلِ ، وأنه نشَأ بمكةَ ، وأنه دخَل البصرةَ بعدَ وفاةِ أبى الحسنِ بنِ سالمٍ ، فانْتَمَى إلى مَقالتِه ، ودخَل بغدادَ فاجْتَمَع عليه الناسُ ، وعُقِد له مجلسُ الوَعْظِ ، فغلِط فى كلامِه ، وحُفِظ عنه أنه قال : ليس على المَخْلُوقين أضَرُّ مِن الخالقِ . فبدَّعه الناسُ وهجَروه ، وامْتَنع مِن

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٠ وفيه : « سحتويه » ، والمنتظم ١٤/ ٣٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٦ وفيه فى ترجمة أبيه المزكى ١٦/ ١٦٣: « مختويه » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١١٥.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢٠، ٢١، والمنتظم ١٤/ ٣٨٤.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٨٩، والمنتظم ١٤/ ٣٨٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٢٧، والوافى بالوفيات ٤/ ١١٦.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٨٩، والمنتظم ١٤/ ٣٨٥.

(٥) المنتظم ١٤/ ٣٨٥.

الكلامِ على الناسِ، وقد كان أبو طالبٍ ممَّن يُبِيحُ السَّماعَ، فدخل عليه عبدُ الصمدِ بنُ عليٍّ، فعاتَبه فى ذلك، فأنْشَد أبو طالبٍ:

فيا ليلُ كم فيك مِن مُتْعَةٍ[1] ... ويا صُبْحُ ليتك لم تَقْرَبِ

فخرَج عبدُ الصمدِ مُغْضَبًا.

وقال أبو القاسمِ بنُ بِشرانَ[2]: دخَلْتُ على شيخِنا أبى طالبٍ المكىِّ وهو يَموتُ، فقلتُ: أوْصنِى. فقال: إذا خُتِم لى بخيرٍ فانْثُرْ على جِنازتى لَوْزًا وسُكَّرًا. فقلتُ: كيف أَعْلَمُ ذلك؟ فقال: اجْلِسْ عندى، ويدُك فى يدى، فإن قبَضْتُ على يدِك، فاعْلَمْ أنه قد خُتِم لى بخيرٍ. قال: فجلَستُ عندَه ويدى فى يدِه، فلما حان فِراقُه، قبَض على يدى قَبْضًا شديدًا، فلما رُفِع على جِنازتِه، نثَرْتُ اللَّوزَ والسُّكَّرَ على نَعْشِه. قال ابنُ الجَوْزىِّ: تُوُفى فى جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ، وقبرُه ظاهرٌ بالقربِ من جامعِ الرُّصافةِ. واللَّهُ أعلمُ.

العزيزُ صاحِبُ مصرَ

نِزارُ بنُ المُعِزِّ مَعَدٌّ أبى تميمٍ[3]، ويُكَنَّى نِزارٌ هذا بأبى منصورٍ، ويُلَقَّبُ بالعزيزِ، تُوُفِّى عن ثنتين وأربعين سنةً، منها وِلايتُه بعدَ أبيه إحدى وعشرون سنةً وخمسةُ أشهرٍ وعشَرةُ أيامٍ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه ولدُه الحاكمُ، والحاكمُ هو الذى

---

(١) فى ب، م: «متعب».

(٢) المصدر السابق، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٧.

(٣) المنتظم ١٤/ ٣٨٦، والكامل ٩/ ١١٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٢٩، ومرآة الجنان ٢/ ٤٣٠.

تُنْسَبُ إليه الفِرْقةُ الضالَّةُ المُضِلَّةُ الزَّنادِقةُ الحاكِميةُ ، وإليه يُنْسَبُ[1] أهلُ وادى التيمِ مِن الدَّرْزِيَّةِ أتْباعِ هستكين[2] غُلامِ الحاكمِ الذى بعَثه إليهم يَدْعُوهم إلى الكُفْرِ المَحْضِ فأجابوه ، لعَنه اللَّهُ وإياهم ، وأما العزيزُ هذا فإنه كان قد اسْتَوْزَر رجلًا نصرانيًّا يقالُ له : عيسى بنُ نِسْطُورِسَ . وآخرَ يهوديًّا اسمُه مِيشا[3] ، فعزَّ بسببِهما أهلُ هاتين المِلَّتيْن فى ذلك الزمانِ على المسلمين ، حتى كتَبَت إليه امرأةٌ قِصَّةً فى حاجةٍ لها تَقولُ فيها : بالذى أعَزَّ النصارَى بعيسى بنِ نِسْطُورِسَ ، واليهودَ بميشا ، وأذَلَّ المسلمين بك إلّا ما كشَفْتَ ظُلَامَتى . فعندَ ذلك أمَر بالقبضِ على هذين الرجلَيْن ، وأخَذ مِن النصرانىِّ ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ .

وفيها تُوُفِّيَت بنتُ عَضُدِ الدولةِ التى كانت زوجةَ الطائعِ للَّهِ ، فحُمِلت تَرِكتُها إلى ابنِ أخيها بَهاءِ الدولةِ ، وكان فيها جَوْهَرٌ كثيرٌ وتحفٌ ولطائفُ وغيرُ ذلك . [٩/ ١٠٩ظ] واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « نسبة » .

(٢) فى ب ، م : « هستكر » . وفى ص : « مستكين » . وانظر مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٦١، وفيه : « هشتكين » .

(٣) كذا فى النسخ ، والمنتظم ١٤/ ٣٨٦، وفى الكامل ٩/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٦٨: « مُنَشًّا » .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ

فيها[1] تُوُفِّى فخرُ الدولةِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ رُكْنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ، ورُتِّب ولدُه رُسْتُمُ فى الملكِ بعدَه، وكان عمرُه أربعَ سنين، وقام خواصُّ أبيه بتَدْبيرِ الممالكِ والرَّعايا.

وممَّن تُوُفى فيها مِن الأعيانِ:

أبو أحمدَ العَسْكرىُّ اللُّغوىُّ، وهو الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ، أبو أحمدَ العَسْكرىُّ اللُّغوىُّ[2]، العَلَّامةُ فى فنِّه وتَصانيفِه المُفيدةِ فى اللغةِ وغيرِها، ويقالُ: إنه كان يَميلُ إلى المعتزلةِ. ولما قدِم الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ هو وفخرُ الدولةِ البَلْدةَ التى كان فيها أبو أحمدَ العَسْكرىُّ - وقد كبِر وأسَنَّ - بعَث إليه الصاحبُ ابنُ عَبَّادٍ برُقْعةٍ فيها هذه الأبياتُ:

ولما أبَيتم أن تَزُوروا وقلتُمُ ... ضعُفْنا فما نَقْوَى على الوَخَدانِ[3]
أتَيْناكمُ مِن بُعْدِ أرضٍ نَزُورُكم ... فَكَم مَنْزِلٍ بِكْرٍ لنا وعَوَانِ
نُناشِدُكمُ هل مِن قِرًى لنَزِيلِكم ... بطُولِ جِوارٍ لا بمِلْءِ جِفانِ

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٧، والكامل ٩/ ١٢٩ - ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢١، ٢٢.

(٢) المنتظم ١٤/ ٣٨٧، وإنباه الرواة ١/ ٣١٠، ومعجم الأدباء ٨/ ٢٣٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٤٩.

(٣) فى ب، م: «الوحدان». والوخدان: الإسراع وسَعة الخَطو. تاج العروس (و خ د).

(١) فكتَب العسكريُّ الجوابَ فى ظهرِها :

أرومُ نهوضًا ثم يَثْنِى عزيمتى ... تعوُّذُ[٢] أعضائى من الرَّجَفَانِ[١]

فَضَمَّنْتُ بيتَ ابنِ الشَّريد[٣] كأنما ... تَعَمَّدَ تَشْبِيهى به وعَنانى

أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُه ... وقد حِيل بينَ العَيْرِ والنزَوانِ

ثم تحامَل وركِب بغلتَه ، وصار إلى الصاحبِ ، فوجَده مشغولًا فى خيمتِه بأُبَّهةِ الوِزارةِ ، فصعِد أَكَمَةً ، ثم نادَى بأعلى صوتِه مُتَمَثِّلًا بقولِ أبى تمامٍ[٤] :

ما لى أَرَى القُبَّةَ الفَيْحاءَ مُقْفَلةً ... دونى وقد طال ما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَها

كأنها جنةُ الفِرْدوسِ مُعْرِضةً ... وليس لى عملٌ زاكٍ فأدْخُلَها

فلما سمِع الصاحبُ صوتَه ناداه : ادْخُلْها يا أبا أحمدَ ، فلك السابقةُ الأُولى . فلما صار إليه وقدِم عليه أكرَمه وعظَّمه وأحْسَن إليه .

تُوُفِّى العسكريُّ يومَ التَّرْوِيةِ من هذه السنةِ ، وقال ابنُ خَلِّكانَ[٥] : وُلِد سنةَ ثلاثٍ[٦] وتسعين ومائتين ، وتُوُفِّى سنةَ ثِنْتين وثمانين[٧] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « تعود » ، وفى ب : « قعودًا و » ، وفى المنتظم : « قعود و » . والمثبت من معجم الأدباء .

(٣) فى النسخ ، والمنتظم : « الرشيد » . والمثبت من معجم الأدباء . وابن الشريد هو صخر بن عمرو بن الشريد أخى الخنساء ، والبيت المقصود هو البيت التالى : أهم بأمر الحزم ...

وهو من جملة أبيات قالها صخر وكان سبب ذلك أنه أصابته طعنة فمرض منها طويلا ، فضجرت منه زوجته ، فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله ، فقالت : لا هو حى فيُرجَى ، ولا ميت فينسى . فسمعها صخر فأنشد أبياتا منها هذا البيت . انظر وفيات الأعيان ٢/ ٨٤.

(٤) ديوان أبى تمام ٣/ ٤٨.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٨٤.

(٦) فى الأصل ، ب ، ص : « ثنتين » .

(٧) انظر ما سبق ص ٤٤٥ .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زِيادِ بنِ مِهْرانَ ، أبو القاسمِ الشاهدُ ، المعروفُ بابنِ الثَّلَّاجِ[1] ؛ لأن جدَّه أهْدَى لبعضِ الخُلفاءِ ثَلْجًا ، فوقَع منه مَوْقِعًا ، فعُرِف عندَ الخليفةِ بالثَّلَّاجِ ، وقد سمِع أبو القاسمِ هذا مِن البَغَوىِّ وابنِ صاعدٍ وابنِ أبى داودَ ، [٩/١١٠و] وحدَّث عنه التَّنوخىُّ والأزْهَرىُّ والعَتِيقِىُّ[2] وغيرُهم مِن الحُفَّاظِ . قال ابنُ الجَوْزىِّ[3] : وقد اتَّهَمه المُحَدِّثون ، منهم الدارَقُطْنىُّ ، ونسَبوه إلى أنه كان يُرَكِّبُ الإسنادَ ، ويَضَعُ الحديثَ على الرجالِ ، فاللَّهُ أعلمُ . وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأولِ فجأةً .

ابنُ زُولاقٍ ، الحسنُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ خلَفِ بنِ راشدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ بنِ زُولاقٍ ، أبو محمدٍ المِصْرىُّ الحافظُ[4] ، صنَّف كتابًا فى قُضاةِ مصرَ ، ذيَّل به على كتابِ أبى عمرَ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ الكِنْدىِّ فى ذلك ، انتهى الكندىُّ إلى سنةِ ستٍّ وأربعين ومائتين ، وذيَّل ابنُ زُولاقٍ مِن القاضى بَكَّارٍ إلى سنةِ ستٍّ وثمانين وثلاثِمائةٍ ، مُبَلِّغًا به أيامَ محمدِ بنِ النُّعْمانِ قاضى العُبَيْدِيِّين ، وأظنُّه مصنِّفَ كتابِ « البلاغِ » الذى انْتَصَب للردِّ عليه القاضى الباقِلَّانىُّ ، أو هو مصنِّفُه عبدُ العزيزِ بنُ النُّعمانِ . واللَّهُ أعلمُ .

كانت وفاةُ ابنِ زُولاقٍ فى أواخِرِ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ عن إحدى

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٣٥، والمنتظم ١٤/ ٣٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٦١، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٤١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٩٧.

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « العقيقى » ، وهو أحمد بن محمد العتيقى . وانظر الأنساب ٤/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٩.

(٣) المنتظم ١٤/ ٣٨٩.

(٤) معجم الأدباء ٧/ ٢٢٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٩١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١١٨، ١٣٦.

وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ بَطَّةَ ، عُبَيدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ حَمدانَ ، أبو عبدِ اللَّهِ العُكْبَرىُّ[1] ، المَعْروفُ بابنِ بَطَّةَ ، أحدُ علماءِ الحَنابلةِ ، وله الكتبُ والتَّصانيفُ الكثيرةُ الحافِلةُ فى فُنونٍ مِن العلمِ ، سمِع الحديثَ مِن البَغَوىِّ وأبى بكرٍ النَّيْسابورىِّ وابنِ صاعدٍ وخَلْقٍ فى أقاليمَ مُتَعَددةٍ ، وعنه جماعةٌ مِن الحُفَّاظِ ؛ منهم أبو الفتحِ بنُ أبى الفَوارِسِ ، والأَزَجِىُّ ، والبَرْمَكىُّ ، وأثْنَى عليه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، وكان ممَّن يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المنكرِ ، وقد رأَى بعضُهم فى المنامِ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد اخْتَلَفَتْ علَينا المَذاهِبُ . فقال : عليك بأبى عبدِ اللَّهِ بنِ بَطَّةَ . فلما أصْبَح ذهَب إليه ليُبَشِّرَه بالمَنامِ ، فحينَ رآه ابنُ بَطَّةَ تبَسَّم إليه وقال له قبلَ أن يُخاطِبَه : صدَق رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثلاثَ مراتٍ . وقد تصَدَّى الخطيبُ البَغْدادىُّ للكلامِ فى ابنِ بَطَّةَ والطَّعْنِ فيه ؛ بسببِ ادِّعائِه سماعَ « السُّننِ » لرجاءَ ابنِ مُرَجَّى و « معجمِ البَغَوىِّ » ، وأسنَد بعضَ الجرحِ فيه إلى شيخِه عبدِ الواحدِ بنِ علىٍّ الأسَدىِّ المعروفِ بابنِ بَرْهانَ اللُّغوىِّ ، فانْتَدَب ابنُ الجوزىِّ[2] للردِّ على الخطيبِ والطعنِ عليه أيضًا ، بسببِ بعضِ مَشايخِه ، والانْتِصارِ لابنِ بَطَّةَ ، فحكَى عن أبى الوَفَاءِ بنِ عَقيلٍ أن ابنَ بَرْهانَ كان يَرَى مذهبَ مُرْجِئةِ المُعْتَزِلةِ ، فى أن الكفارَ لا يُخَلَّدون فى النارِ دائمًا ، وقالوا : لأن دوامَ ذلك ممن لا يَتَشَفَّى لا معنَى له هنا ؛ مع أنه قد وصَف نفسَه بأنه أرْحَمُ الراحمين . ثم شرَع ابنُ عَقيلٍ يَرُدُّ

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧١، وطبقات الفقهاء ص ١٧٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٤٤، والمنتظم ١٤/ ٣٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٤٤. وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٢٣.

(٢) المنتظم ١٤/٣٩١ - ٣٩٣.

على ابنِ بَرْهانَ . قال ابنُ الجوزىِّ : فكيف يُقْبَلُ الجرحُ والتعديلُ مِن مثلِ هذا ؟ ! . ثم روَى ابنُ الجوزىِّ بسندِه عن ابنِ بَطةَ أنه سمِع « المُعْجَمَ » مِن البغوىِّ ، قال : والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النافى . قال [٩/ ١١٠ظ] الخطيبُ[1] : وحدَّثنى عبدُ الواحدِ بنُ بَرْهانَ قال : قال محمدُ بنُ أبى الفَوارِسِ : روَى ابنُ بَطةَ ، عن البغوىِّ ، عن أبى مُصْعَبٍ ، عن مالكٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « طلَبُ العلمِ فَريضةٌ على كلِّ مسلمٍ »[2] . قال الخطيبُ : وهذا باطلٌ مِن حديثِ مالكٍ ، والحَمْلُ فيه على ابنِ بَطةَ . قال ابنُ الجوزىِّ : وجوابُ هذا مِن وجهين ؛ أحدُهما ، أنه وُجِد بخطِّ ابنِ بَرْهانَ أنَّ ما حكاه عنه الخطيبُ من القَدْحِ فى ابنِ بَطةَ باطلٌ ، وهو شيخى أخَذْتُ عنه العلمَ فى البدايةِ . الثانى ، أن ابنَ بَرْهانَ قد تقَدَّم القَدْحُ فيه بما خالف فيه الإجماعَ ، فكيف قَبِلْتَ منه القولَ فى رجلٍ قد حكَيْتَ عن مَشايخِ العلماءِ أنه رجلٌ صالحٌ مُجابُ الدعوةِ ، نَعوذُ باللَّهِ مِن الهَوَى .

علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْدَكَ[3] ، **أبو الحسنِ البَرْذَعىُّ** ، روَى عن ابنِ أبى حاتمٍ وغيرِه ، وكان كثيرَ المالِ ، فترَك الدنيا ، وأقْبَل على الاعتكافِ فى المسجدِ ، وكثرةِ الصلاةِ والعبادةِ .

فخرُ الدولةِ علىُّ بنُ رُكْنِ الدولةِ[4] **بنِ بُوَيْهِ الدَّيْلمىُّ** ، مِلكُ بلادِ الرَّىِّ ونواحِيها ، وحينَ مات أخوه مُؤَيِّدُ الدولةِ كتَب الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ بالإسْراعِ إليه ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٧٥ .

(٢) روى هذا الحديث من طرق كثيرة عن عدة من الصحابة . وحسن متنه الشيخ شعيب بشواهده وطرقه فى سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣١. وانظر طرق الحديث فى جامع بيان العلم ١/٢٣ - ٣٨، وفيض القدير ٤/ ٢٦٧.

(٣) فى ب ، م : « مدرك » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠، والمنتظم ١٤/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٤٩.

(٤) المنتظم ١٤/ ٣٩٤، والكامل ٩/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٥٠، والعبر ٣/ ٣٥، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٩٧، ١٩٨.

فولَّاه المُلْكَ بعدَ أخيهِ ، واسْتَوْزَر ابنَ عَبَّادٍ على ما كان عليه فى أيامِ أخيه مؤيدِ الدولةِ . توفى عن ستٍّ وأربعين سنةً ، منها مدةُ مُلْكِه ثلاثَ عشْرةَ سنةً وعشَرةُ أشهرٍ وسبعةَ عشَرَ يومًا ، وترَك مِن الأموالِ شيئًا كثيرًا ؛ مِن ذلك مِن الذهبِ ما يُقارِبُ ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، ومِن الجَواهرِ نحوًا مِن خمسةَ عشَرَ ألفَ قطعةٍ ، يُقارِبُ قيمتُها ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وغيرَ ذلك مِن أوانى الذهبِ زِنَتُه ألفُ ألفِ دينارٍ ، ومِن الفضةِ زِنَتُه ثلاثةُ آلافِ ألفِ درهمٍ ، ومِن الثيابِ ثلاثةُ آلافِ حِمْلٍ ، وخِزانةُ السلاحِ ألفَا حِمْلٍ ، ومِن الفُرُشِ ألفٌ وخمسُمائةِ حِمْلٍ ، ومِن الأمْتِعةِ ما يَلِيقُ بالملوكِ ، ومع هذا ليلةَ توفِّى لم يكنْ لهم وصولٌ إلى شىءٍ مِن المالِ ، ولم يَحْصُلْ له كفَنٌ إلا ثوبُ رجلٍ مِن المجاوِرين فى المسجدِ ، واشْتَغلوا عنه بالمُلْكِ حتى تم لولدِه رُسْتُمَ مِن بعدِه ، فأنْتَن المَلِكُ ، ولم يَتَمَكَّنْ أحدٌ مِن الوصولِ إليه ، فربَطوه فى حبالٍ ، وجرُّوه على دَرَجِ القَلْعةِ ، فتقَطَّع ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ .

ابنُ سَمْعُونَ الواعِظُ ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيلَ[1] **، أبو الحسينِ بنُ سَمْعونَ الواعِظُ** ، أحدُ الصُّلَحاءِ والعُلَماءِ ، وكان يقالُ له : الناطِقُ بالحِكْمةِ . روَى عن أبى بكرِ بنِ أبى داودَ وطبَقتِه ، وكان له يدٌ طُولَى فى الوعظِ والتَّدْقيقِ فى المُعامَلاتِ ، وكانت له كراماتٌ ومُكاشَفاتٌ ؛ كان يومًا وهو يَعِظُ الناسَ على المِنْبرِ ، وتحتَه أبو الفتحِ بنُ القَوَّاسِ ، وكان مِن الصالحين المشهورين ، فنعَس ابنُ القَوَّاسِ ، فأمْسَك ابنُ سَمْعونَ عن الوَعْظِ حتى اسْتَيْقَظ ، فحينَ استيقظ [٩/١١١و]

---

(١) بعده فى الأصل : « عثمان بن إسماعيل » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥، والمنتظم ١٥/ ٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٥٢.

قال ابنُ سَمْعونَ : رأيْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَنامِك ؟ قال : نعم . قال : فلهذا أمْسَكْتُ عن الوعْظِ حتى لا أُزْعِجَك عما كنتَ فيه .

وكان لرجلٍ ابنةٌ مريضةٌ مُدْنِفةٌ[1] ، فرأَى أبوها رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ وهو يقولُ له :اذْهَبْ إلى ابنِ سَمْعونَ ليأتىَ منزلَك ، فيَدْعُوَ لابنتِك ، وهى تَبْرَأُ بإذنِ اللَّهِ تعالى . فلما أصْبَح ذهَب إلى ابنِ سمعونَ ليأتىَ ، فلما رآه ، نهَض ولبِس ثيابَه وخرَج معه ، فظن الرجلُ أنه يَذْهَبُ إلى مجلسِ وعْظِه ، فقال : أقولُ له فى أثناءِ الطريقِ . فلما مر بدارِ الرجلِ دخَل إليها الشيخُ فأحْضَر إليه ابنتَه ، فدعا لها وانْصَرف ، فبرَأَتْ مِن ساعتِها .

وبعَث إليه الخليفةُ الطائعُ للَّهِ مَن أحْضَره وهو مُغْضَبٌ ، فخِيف على ابنِ سَمْعونَ منه ، فلما جلَس بينَ يَدَى الخليفةِ أخَذ فى الوعظِ ، فكان أكثرَ ما أوْرَده مِن كلامِ أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، فبكَى الخليفةُ حتى سُمِع شهيقُه ، ثم خرَج مِن بينِ يديه وهو مُكْرَمٌ ، فقيل للخليفةِ : رأَيْناك طلَبْتَه وأنت غَضْبانُ . فقال : بلَغنى أنه يَتَنَقَّصُ عليًّا ، فأرَدْتُ أن أُعاقِبَه ، فلما حضَر أكْثَر مِن ذكرِ علىٍّ ، فعلِمْتُ أنه مُوَفَّقٌ ، قد كُوشِف بما كان فى خاطِرى عليه .

ورأَى بعضُهم فى المَنامِ رسولَ اللَّهِ ﷺ وإلى جانبِه عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السلامُ ، وهو يَقولُ : أليس مِن أُمَّتى الأحْبارُ ؟ أليسَ من أمتى الرهبانُ ؟ أليس مِن أُمَّتى أصحابُ الصَّوامعِ ؟ فبينما هما كذلك إذ دخَل ابنُ سَمْعونَ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : أفى أمَّتِك مثلُ هذا ؟ فسكَت عيسى عليه السلامُ .

كان مولدُ ابنِ سَمْعونَ فى سنةِ ثلاثِمائةٍ ، وتُوُفِّى يومَ الخميسِ الرابعَ عشَرَ مِن

---

(١) مدنِفة ومدنَفة : براها المرض حتى أشفاها على الموت . اللسان (د ن ف) .

ذى القَعْدةِ فى هذه السنةِ، ودُفِن بدارِه. قال ابنُ الجَوْزىِّ[1]: ثم أُخْرِج بعدَ سنين[2] إلى مَقْبَرةِ أحمدَ، وأكْفانُه لم تَبْلَ، رحِمه اللَّهُ تعالَى.

آخرُ مُلُوكِ السامانيةِ نوحُ بنُ منصورِ بنِ نوحِ بنِ نصرِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ، أبو القاسمِ السامانىُّ[3]، مَلِكُ خُراسانَ وغَزْنةَ وما وراءَ النهرِ، ولِى الملكَ وله ثلاثَ عشْرةَ سنةً، واسْتَمرَّ فى الملكِ إحدى وعشرين سنةً وتسعةَ أشهرٍ، ثم قبَض عليه خَواصُّه، وأجْلَسوا أخاه عبدَ الملكِ مكانَه، فقصَدهم محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين، فانْتَزَع الملكَ مِن أيديهم، وقد كان لهم فى الملكِ [4]مائةُ سنةٍ وسنتين وشهورًا[4]، فباد مُلْكُهم فى هذا العامِ، وللَّهِ النَّقْضُ والإبرامُ.

أبو الطَّيِّبِ سهلُ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ الصُّعْلُوكىُّ الفَقيهُ الشافعىُّ[5]، إمامُ أهلِ نَيْسابورَ، وشيخُ أهلِ تلك الناحيةِ، كان يَحْضُرُ فى مَجْلِسِه نحوٌ من خمسِمائةِ مِحْبَرةٍ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ على المشهورِ، وقال الحافظُ أبو يَعْلَى الخَلِيلىُّ فى «الإرْشادِ»[6]: إنه مات فى سنةِ ثنتين[7] وأربعِمائةٍ. فاللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٦.

(٢) فى الأصل: «سنة»، وفى ب، م، ص: «سنتين». والمثبت من المنتظم. وانظر تاريخ بغداد ١/ ٢٧٧، ففيه أنه نقل من داره سنة ست وعشرين وأربعمائة.

(٣) المنتظم ١٥/ ٧، والكامل ٩/ ١٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٥٩.

(٤ - ٤) فى ب، م: «مائة وستين سنة». والمثبت حقه أن يكون: وسنتان وشهور.

(٥) طبقات الفقهاء ص ١٢٠، وتبيين كذب المفترى ص ٢١١، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٠١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٩٣.

(٦) الإرشاد ٣/ ٨٦٢.

(٧) فى الأصل: «ثلاثين»، وفى ب، م: «ستين». وقد ذكر ابن خلكان أنه توفى فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وذكر الحافظ الذهبى والسبكى أنه توفى فى سنة أربع وأربعمائة.

[٩/ ١١١ظ] ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ[١]

قال ابنُ الجَوْزىِّ[٢] : فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ سقَط فى بغدادَ بَرَدٌ شديدٌ ، بحيث جمَد الماءُ فى الحماماتِ وبولُ الدَّوابِّ فى الطُّرقاتِ .

وفيها جاءت رسلُ أبى طالبٍ رُستمَ بنِ فخرِ الدولةِ فبايَعه الخليفةُ ، وأقَرَّه على مُعامَلَتِه ببلادِ الرَّىِّ ، ولقَّبَه مجدَ الدولةِ و[٣]كَهْفَ الأُمَّةِ ، وبعَث إليه بالخِلَعِ والولايةِ ، وكذلك لبدرِ بنِ حَسْنَوَيْهِ ، ولقَّبه ناصرَ الدينِ والدولةِ ، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ .

وفيها هرَب [٤]عبدُ اللَّهِ[٤] بنُ جعفرٍ - المعروفُ بابنِ الوَثَّابِ ، المُنْتَسِبُ إلى جدِّه[٥] الطائعِ - مِن السجنِ بدارِ الخِلافةِ إلى البَطيحةِ ، فآواه صاحبُها مُهَذِّبُ الدولةِ ، ثم أرْسَل القادرُ باللَّهِ ، فجىء به مُضَيَّقًا عليه فاعْتَقله ، ثم هرَب مِن الاعْتِقالِ أيضًا ، فذهَب إلى بلادِ كيلانَ ، فادَّعَى أنه الطائعُ للَّهِ ، فصدَّقوه

---

(١) المنتظم ١٥/ ٨، ٩، والكامل ٩/ ١٣٨ - ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٣، ٢٤.

(٢) المنتظم ١٥/ ٨.

(٣) سقطت من النسخ. والمثبت من المنتظم ١٥/ ٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «عبيد اللَّه»، وفى م، والكامل: «أبو عبد اللَّه».

(٥) فى الأصل، ص: «خدمة».

وبايَعوه ، وأدَّوْا إليه العُشْرَ ، وغيرَ ذلك مِن الحقوقِ ، ثم اتَّفَق مجىءُ بعضِهم إلى بغدادَ ، فسألوا عن الأمْرِ ، فإذا به ليس له صِحَّةٌ ولا حقيقةٌ ، فرجَعوا عنه ، واضْمَحَلَّ أمرُه ، وفسَد حالُه ، فانْهَزم عنهم .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أميرُ المِصْريين ، والخطبةُ بالحرمين للحاكمِ العُبَيْدىِّ ، قبَّحه اللَّهُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أبو سليمانَ حَمْدُ – ويُقالُ : أحمدُ – بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الخطَّابِ الخَطَّابىُّ البُسْتىُّ[1] ، أحدُ المَشاهيرِ الأعْيانِ ، والفُقهاءِ المُحدِّثين المُكْثِرين ، له مِن المُصَنَّفاتِ « مَعالمُ السُّننِ » و « شَرْحُ البخارىِّ » ، وغيرُ ذلك مِن التصانيفِ النافعةِ المُفيدةِ ، وله شعرٌ حسنٌ ، فمنه قولُه :

ما دُمْتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهمُ ... فإنما أنت فى دارِ المُداراةِ
مَن يدرِ دارَى ومَن لم يَدْرِ سوف يُرَى ... عما قليلٍ نديمًا للنَّداماتِ

وكانت وفاتُه بمدينةِ بُسْتَ فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ . قاله ابنُ خَلِّكانَ[2] .

الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ [3]بُكَيْرٍ ، أبو[3] عبدِ اللَّهِ

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ٢٥٨، وإنباه الرواة ١/ ١٢٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٦٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٨٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢١٥.

(٣ - ٣) فى الأصل : « بكر أبو » ، وفى ب ، م : « بكر بن » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ١٣، والمنتظم ١٥/ ٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٦٤، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٣٩.

الصَّيْرفيُّ الحافظُ المُطَبِّقُ، سمِع إسماعيلَ الصَّفَّارَ وابنَ السَّمَّاكِ والنَّجَّادَ والخُلْدىَّ وأبا بكرٍ الشافعىَّ. وعنه ابنُ شاهِينَ والأزْهَرىُّ والتَّنُوخىُّ، وحكَى الأزْهَرِىُّ[1] أنه دخَل عليه وبينَ يديه أجزاءٌ كِبارٌ، فجعَل إذا ساق إسنادًا أوْرَد مَتْنَه مِن حفظِه، وإذا سرَد مَتْنًا ساق إسنادَه. قال: وفعَلْتُ هذا معه مِرارًا، كلُّ ذلك يُورِدُ الحديثَ إسنادًا ومَتْنًا كما فى كتابِه. قال: وكان ثِقةً، فحسَدوه وتكَلَّموا فيه. وحكَى الخطيبُ[2] أن ابنَ أبى الفَوارِسِ اتَّهَمه بأنه يَزِيدُ فى سَماعِ الشيوخِ، ويُلْحِقُ رجالًا فى الأسانيدِ، ويَصِلُ المَقاطِيعَ. وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الآخِرِ[3] منها عن إحدى وستين[4] سنةً.

[٩/١١٢و] **صَمْصامُ[5] الدولةِ بنُ عَضُدِ الدولةِ** صاحبُ بلادِ فارسَ، خرَج عليه ابنُ عمِّه أبو نصرِ بنُ بَخْتِيارَ، فهرَب منه، ولجأ إلى جماعةٍ مِن الأكرادِ، فلما وغَلوا به فى بلادِهم نهَبوا خَزائنَه وحَواصلَه، ولحِقه أصحابُ ابنِ بَخْتِيارَ، فقتَلوه وحمَلوا رأسَه فى طَسْتٍ، فلما وُضِعَ بينَ يدَيِ ابنِ بَخْتِيارَ قال: هذه سُنَّةٌ سنَّها أبوك. وكان ذلك فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ، وكان عمرُه يومَ قُتِل خمسًا وثلاثين سنةً، ومدةُ مُلْكِه منها تسعُ سنين وأشهرٌ.

عبدُ العزيزِ بنُ يوسُفَ الجكّارُ[6] أبو القاسمِ، كاتبُ الإنشاءِ لعَضُدِ الدولةِ،

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٣، ١٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٩.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ١٤.

(٣) فى النسخ: «الأول». والمثبت من المصادر السابقة.

(٤) فى الأصل، ب، م: «سبعين»، وفى ص: «أربعين». والمثبت من المصادر السابقة.

(٥) فى ب، م: «صمصامة». وانظر ترجمته فى المنتظم ١٥/ ١٠، والكامل ٩/ ١٤٢، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٣٤.

(٦) فى الأصل، ب، ص: «الحكار»، وفى م: «الحطان». والمثبت من مصادر ترجمته؛ المنتظم ١٥/ ١٠، والكامل ٩/ ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٦٩.

ثم وزَر لابنِه بَهاءِ الدولةِ خمسةَ أشهرٍ، وكان يَقولُ الشعرَ. تُوُفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنةِ.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ، أبو الفَرَجِ[1]، المعروفُ بغلامِ الشَّنَبُوذِىِّ، كان عالمًا بالقِراءاتِ وتفسيرِها، يقالُ: إنه كان يَحْفَظُ خمسين ألفَ بيتٍ مِن الشعرِ، شَواهدَ للقرآنِ. ومع هذا تكَلَّموا فى روايتِه عن أبى الحسنِ بنِ شَنَبُوذَ، وأساء الدارَقُطْنىُّ القولَ فيه. تُوُفِّى فى صفرٍ مِن هذه السنةِ، وكان مولدُه سنةَ ثلاثِمائةٍ[2].

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٧١، والمنتظم ١٥/ ١١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٧١.

(٢) فى الأصل، ص: «إحدى وثلاثمائة»، وفى ب، م: «إحدى وثلاثين وثلاثمائة». والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ٢٧٢، والمنتظم ١٥/ ١١، وتاريخ الإسلام ص ١٧١.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] قصَد محمودُ بنُ سُبُكْتِكين بلادَ خُراسانَ ، فاسْتَلَب مُلْكَها مِن أيدى السامانيةِ ، وواقَعَهم مرَّاتٍ مُتَعددةً فى هذه السنةِ وما قبلَها ، حتى أزال اسمَهم ورسْمَهم عن البلادِ بالكُليةِ ، وانْقرَضَت دولتُهم على يديه ثم صمَد لقتالِهم[2] إيلكُ[3] مَلِكُ التركِ بما وراءَ النهرِ - وذلك بعدَ موتِ الخانِ الكبيرِ الذى يقالُ له : فائقٌ[4] - وجرَت له معهم حروبٌ وخُطوبٌ .

وفيها اسْتَوْلَى بَهاءُ الدولةِ على بلادِ فارسَ وخُوزِسْتانَ .

وفيها أرادت الشيعةُ أن تعملَ ما كانوا يَصْنَعونه مِن الزِّينةِ يومَ غَديرِ خُمٍّ ، وهو اليومُ الثامنَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ فيما يَزْعُمونه ، فقاتَلَهم جَهَلةٌ آخَرون مِن المُنْتَسِبين للسنةِ ، فادَّعَوْا أن فى مثلِ هذا اليومِ حُصِر النبىُّ ﷺ وأبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى الغارِ ، فامْتَنَعوا مِن ذلك ، وهذا أيضًا جهلٌ مِن هؤلاء ، فإن هذا إنما كان فى أوائلِ شهرِ ربيعٍ الأولِ مِن أولِ سِنِى الهجرةِ ، فإنهما أقاما فيه ثلاثًا ، وحينَ خرَجا منه قصَدا المدينةَ فدخَلاها بعدَ ثمانيةِ أيامٍ أو نحوِها ، وكان دخولُهما المدينةَ فى

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٤، ١٥، والكامل ٩/١٤٥ - ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٥.

(٢) فى النسخ : «لقتال» . والمثبت من الكامل ٩/ ١٤٩.

(٣) سقط من : ب ، م ، وفى الأصل ، ص : « أتلك » . والمثبت من الكامل ٩/ ١٤٨: «أيلك» .

(٤) ذكر فى الكامل ٩/١٤٩ أن فائقًا كان خصيًا من موالى نوح بن نصر . وليس كما ذكر المصنف أنه الخان الكبير . فاللَّه أعلم .

اليومِ الثانىَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ ، وهذا أمرٌ معلومٌ مُقَرَّرٌ[1] . ولما كانت الشِّيعةُ يَصْنَعون فى يومِ عاشوراءَ مَأْتَمًا يُظْهِرون فيه الحُزْنَ على الحسينِ بنِ علىٍّ ، قابَلَتهم طائفةٌ أخرى مِن جَهَلةِ أهلِ السنةِ ، فادَّعَوا أن فى اليومِ الثامِنَ[2] عشَرَ مِن المُحَرَّمِ قُتِل مُصْعَبُ بنُ الزبيرِ ، فعمِلوا له مَأْتَمًا كما تَعملُ الشِّيعةُ للحسينِ ، وزاروا قبرَه كما يُزارُ قبرُ الحسينِ ، وهذا مِن بابِ [٩/١١٢ظ] مُقابَلةِ البِدْعةِ ببدعةٍ مثلِها ، ولا يَرْفَعُ البدعةَ إلا السُّنَّةُ الصحيحةُ . وباللَّهِ التوفيقُ .

وفيها وقَع بَرَدٌ شديدٌ مع غَيْمٍ مُطْبِقٍ ورِيحٍ قويةٍ جدًّا ، بحيث أتْلَفَت شيئًا كثيرًا مِن النَّخيلِ ببغدادَ ، فلم يَتَراجَعْ حَمْلُها إلى عادتِها إلا بعدَ سنين[3] .

وحجَّ برَكْبِ العراقِ الشَّرِيفان الرَّضِىُّ والمُرْتَضَى ، فاعْتَقَلَهما أميرُ الأعرابِ ابنُ الجَرَّاحِ ، فافْتَدَيا منه بتسعةِ آلافِ دينارٍ مِن أموالِهما فأطلَقَهما .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

زاهِرُ[4] بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى السَّرْخَسِىُّ المُقْرِئُ الفقيهُ المُحَدِّثُ[5] ، شيخُ عصرِه بخُراسانَ ، قرَأ على ابنِ مُجاهِدٍ ، وتفَقَّه بأبى إسحاقَ المَرْوَزِىِّ إمامِ الشافعيةِ ، وأخَذ عِلْمَ اللغةِ والأدَبِ والنحوِ عن أبى بكرِ بنِ

---

(١) بعده فى ب ، م : « محرر » . وانظر ما تقدم فى ٤/ ٤٥٧.

(٢) فى م : « الثانى » .

(٣) فى ب ، م : « سنتين » .

(٤) فى م : « زاهد بن عبد الله » . وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٩٢. وفيه : « زاهر بن محمد بن أحمد بن عيسى » . وانظر مصادر ترجمته فى الحاشية الآتية .

(٥) المنتظم ١٥/ ١٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٨٠، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٦٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٢٩٣، وغاية النهاية ١/ ٢٨٨.

الأنْبارىِّ . وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الآخِرِ عن ستٍّ وتسعين سنةً .

عُبيْدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ سليمانَ بنِ مَخْلَدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مَرْوانَ ، أبو القاسمِ المَعْروفُ بابنِ حَبَابةَ[1] ، روَى عن أبى القاسِمِ البغوىِّ وأبى بكرِ بنِ أبى داودَ وطبقتِهما ، وكان ثقةً مأمونًا مُسْنِدًا ، وُلِد ببغدادَ سنةَ تسعٍ وتسعين ومائتين . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ عن تسعين سنةً ، وصلَّى عليه الشيخُ أبو حامدٍ الإسْفَرايِينىُّ شيخُ الشافعيةِ ، ودُفِن فى مُقابلِ[2] جامعِ المنصورِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى ب ، م : « مروز » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٧، والمنتظم ١٥/ ١٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٨٥.

(٢) فى الأصل ، ب ، م : « مقابر » .

ثم دخَلَت سنةُ تسعين وثلاثِمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] ظهَر بأرضِ سِجِسْتانَ مَعْدِنٌ مِن ذهبٍ كانوا يَحْفِرون فيه مثلَ الآبارِ، ويُخْرِجون منه ذهبًا أحمرَ.

وفيها قُتِل الأميرُ أبو نصرِ بنُ بَخْتِيارَ صاحبُ بلادِ فارسَ، واسْتَوْلَى عليها بَهاءُ الدولةِ.

وفيها قلَّد القادرُ باللَّهِ القضاءَ بواسِطٍ وأعمالِها لأبى خازمٍ[2] محمدِ بنِ الحسنِ الواسِطىِّ، وقُرِئ عهدُه بدارِ الخلافةِ، وكتَب له القادرُ وَصيةً حسَنةً طويلةً، أوْرَدها بحروفِها الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجوزىِّ فى «مُنْتَظَمِه»[3]، وفيها مَواعِظُ وأوامِرُ ونواهٍ حسنةٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبى موسى، أبو بكرٍ الهاشمىُّ[4]، الفقيهُ المالكىُّ، القاضى بالمَدائِنِ وغيرِها، وخطَب بجامعِ المنصورِ، وسمِع الكثيرَ، وروَى عنه

---

(١) المنتظم ١٥/١٧ - ١٩، والكامل ٩/١٥٦ - ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٦.

(٢) فى الأصل، م: «حازم». وهو موافق لنسختين من المنتظم، كما أشار لذلك محققاه فى الحاشية.

(٣) المنتظم ١٥/١٨، ١٩.

(٤) تاريخ بغداد ٥/٦٤، والمنتظم ١٥/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٩٤.

الجَمُّ الغَفِيرُ [(١)] بانْتِخابِ أبى الحسنِ الدارَقُطْنىِّ الحافظِ الكبيرِ [(١)] ، وكان عَفيفًا نَزِهًا ثقةً دَيِّنًا . تُوُفى فى مُحَرَّمِ هذه السنةِ عن خمسٍ وسبعين سنةً .

عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ يَحْيَى ، أبو القاسمِ الدَّقَّاقُ [(٢)] ، ويُعْرَفُ بابنِ جَنِيقا [(٣)] .

قال العَلَّامةُ القاضى أبو يَعْلَى بنُ الفَرَّاءِ [(٤)] - وهذا جَدُّه [(٥)] - : [(٦)] والصوابُ جَليقا [(٧)] باللامِ ، لا بالنونِ [(٦)] . وقد سمِع الحديثَ سَماعًا صحيحًا . وروَى عنه الأزْهَرىُّ [(٨)] والعتيقىُّ . قال [(٩)] ابنُ أبى الفوارسِ [(٩)(٨)] : وكان ثقةً مَأمونًا حسَنَ الخُلُقِ ، [٩/١١٣و] ما رأَيْنا مثلَه فى معناه .

الحسينُ بنُ محمدِ بنِ خَلَفِ بنِ الفَرَّاءِ [(١٠)] ، والدُ القاضى أبى يَعْلَى ، وكان صالحًا فقيهًا على مذهبِ أبى حنيفةَ، أسْنَد الحديثَ ، وروَى عنه [(١١)] ابنُه أبو خازمٍ [(١١)]

(١ - ١) فى ب : « وبانتخاب أبى الحسن الدارقطنى الكثير » . وفى م : « وعنه الدارقطنى الكبير » .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٧، والمنتظم ١٥/ ٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٠٠.

(٣) فى الأصل، ص : « حنيقا » . وفى ب ، م : « حنيفا » . وفى تاريخ الإسلام : « جنيفا » . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم . وانظر تاج العروس (ج ن ق) .

(٤) المنتظم ١٥/ ٢٠.

(٥) أى عبيد اللّه بن عثمان هذا جد أبى يعلى لأمه . انظر المنتظم الموضع السابق .

(٦ - ٦) فى ب ، م : « وروى باللام لا بالنون حليفا » .

(٧) فى الأصل، ص : « حليقا » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٨ - ٨) سقط من : ب ، م .

(٩ - ٩) فى الأصل، ص : « الزهرى » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(١٠) المنتظم ١٥/ ٢٠، والجواهر المضية ٢/ ١٢٨، والطبقات السنية ٣/ ١٦٠. كما أورد له سبطُه ابنُ أبى يعلى مصنفُ طبقات الحنابلة ترجمةً - أثناء ترجمته لأبيه أبى يعلى - فى الطبقات ٢/ ١٩٤.

(١١ - ١١) فى الأصل، ص : « ابنه وأبو حازم » ، وفى ب ، م : « ابنه أبو حازم » . والمثبت من المنتظم، وقد ذكر محققاه فى الحاشية « حازم » على أنها فى نسختين من نسخ المنتظم . والصواب ما أثبتناه فى المتن ؛ فقد ذكر الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٥ أثناء ترجمته لأبى خازم محمد بن أبى =

محمدُ بنُ الحسينِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ البغدادىُّ[1] ، نَزيلُ مصرَ ، حدَّث بها ، فسمِع منه الحافِظُ عبدُ الغنىِّ بنُ سعيدٍ المِصرىُّ .

عمرُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، أبو حَفصٍ[2] ، **المعروفُ بالكَتَّانىِّ المُقْرِئُ** ، وُلِد سنةَ ثلاثِمائةٍ ، روَى عن البَغَوىِّ وابنِ مُجاهدٍ وابنِ صاعدٍ ، وعنه الأزْهرىُّ وغيرُه ، وكان ثقةً صالحاً .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هارونَ ، أبو الحسينِ الدَّقَّاقُ[3] ، المعروفُ بابنِ أخى مِيمِى ، سمِع البغوىَّ وغيرَه ، وعنه جماعةٌ ، ولم يَزَلْ على كِبَرِ سنِّه يَكْتُبُ الحديثَ إلى أن تُوُفى وله تسعون سنةً[4] ، وكان ثقةً مأمونًا دَيِّنًا فاضلًا ، حسَنَ الأخْلاقِ . وكانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ لثمانٍ وعشرين مِن شعبانِ هذه السنةِ .

= يعلى - وهو أخو أبى الحسين محمد بن أبى يعلى صاحب طبقات الحنابلة - أنه كُنِّى بكُنْية عَمِّه أبى خازم محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الراوى عن الدارقطنى . انظر طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠١.

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٩٥، والمنتظم ١٥/ ٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٩٨.

(٢) فى م : « نصر » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٩، والمنتظم ١٥/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٨٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٠٢.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٩، والمنتظم ١٥/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٠٤ ، والعبر ٣/ ٤٧.

(٤) المذكور فى تاريخ بغداد والمنتظم أنه ولد سنة ٣٠٤، ولم يذكر فى تاريخ الإسلام مولده ، فعلى هذا يكون أقل من التسعين حين وفاته . ولعلَّ العبارة التى استند إليها المصنف هنا هى قول الحافظ الذهبى فى السير ١٦/ ٥٦٥: كان من أبناء التسعين .

محمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيى[1] **بنِ الحسينِ**[2] **بنِ أحمدَ**[3] **بنِ يحيى بنِ الحسينِ**[2] **بنِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، الشريفُ أبوالحسنِ**[4] **العَلَوىُّ** ، الكوفىُّ ، وُلِد سنةَ خمسَ عشْرةَ ، وسمِع مِن أبى العباسِ بنِ عُقْدةَ وغيرِه ، وسكَن بغدادَ ، وكانت له أمْوالٌ كثيرةٌ وضِياعٌ ، ودخْلٌ عظيمٌ ، وحُشْمةٌ وافرةٌ ، وهِمةٌ عاليةٌ ، وكان مُقَدَّمًا على الطالِبيِّين فى وقتِه ، وقد صادَره عَضُدُ الدولةِ فى وقتٍ ، واسْتَحْوَذ على جُمْهورِ أمْوالِه وسجَنه ، ثم أطْلَقه شرَفُ الدولةِ بنُ عَضُدِ الدولةِ ، ثم صادَره بَهاءُ الدولةِ بألفِ ألفِ دينارٍ وأكثرَ ، ثم سجَنه ، ثم أطْلَقه واسْتَنابه على بغدادَ ، ويقالُ : إن غِلَالَه كانت تُساوِى فى كلِّ سنةٍ ألفَىْ ألفِ دينارٍ ، وله وَجاهةٌ كبيرةٌ جدًّا ورِياسةٌ باذخةٌ .

الأُستاذُ أبو الفُتوحِ بَرْجَوَانُ[5] ، الناظرُ فى الأمورِ بالديارِ المِصْريةِ فى الدولةِ الحاكميةِ ، وإليه تُنْسَبُ حارةُ بَرْجَوانَ بالقاهرةِ المُعِزِّيةِ . كان أولًا مِن غِلْمانِ العزيزِ ابنِ المُعِزِّ ، ثم صار عندَ الحاكمِ نافذَ الأمرِ مُطاعًا كبيرًا فى الدولةِ ، ثم أمَر بقتلِه فى القَصْرِ فضرَبه الأميرُ رَيْدانُ - الذى تُنْسَبُ إليه الرَّيْدانيةُ خارجَ بابِ الفُتوحِ - بسِكِّينٍ فى بطنِه فقتَله . وقد ترَك شيئًا كثيرًا مِن الأثاثِ والثِّيابِ ، مِن ذلك ألفُ

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤، والمنتظم ١٥/ ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٠٥، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٤٤.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م، ص. والمثبت موافق لما فى تاريخ الإسلام والوافى بالوفيات. وانظر الحاشية القادمة.

(٣) بعده فى تاريخ بغداد والمنتظم: «بن عمر».

(٤) فى م: «الحسين».

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ١٠/ ١١٠.

سَراوِيلَ (١دَبِيقِيٍّ بألفٍ١) تِكَّةٍ مِن حريرٍ. قاله ابنُ خَلِّكانَ فى كتابِه[٢]. وولَّى الحاكمُ بعدَه فى مَنْصبِه الأميرَ حسينَ بنَ القائدِ جَوْهَرٍ.

الجَرِيرىُّ المعروفُ بابنِ طَرَارا[٣]، اسمُه المُعافَى بنُ زكريا بنِ يحيى بنِ حُمَيْدِ ابنِ حَمَّادِ بنِ داودَ، أبو الفرجِ النَّهْرَوانىُّ القاضى؛ لأنه ناب فى الحُكْمِ، المعروفُ بابنِ طَرارا الجَرِيرىُّ؛ لاشْتِغالِه على ابنِ جريرٍ الطَّبَرىِّ، وسُلُوكِه وراءَه فى مذهبِه، سمِع الحديثَ مِن البغوىِّ وابنِ صاعدٍ [٩/١١٣ظ] وخَلْقٍ، وروَى عنه جماعةٌ، وكان ثقةً عالمًا فاضلًا كثيرَ الآدابِ والتَّفَنُّنِ فى أصْنافِ العُلومِ، وله المُصَنَّفاتُ الكثيرةُ، منها كتابُه المُسَمَّى بـ«الجَلِيسِ والأَنيسِ»، فيه فوائدُ جَمَّةٌ كثيرةٌ.

وكان الشيخُ أبو محمدٍ البافىُّ[٤] أحدُ أئمةِ الشافعيةِ يقولُ: إذا حضَر المُعافَى فقد حضَرَت العلومُ كلُّها، ولو أوْصَى رجلٌ بثُلُثِ مالِه لأَعْلَمِ الناسِ لَوجَب أن

(١ - ١) فى الأصل، ص: «لها ألف»، وفى ب: «وألف»، وفى م: «بيدقى بألف». والمثبت من وفيات الأعيان والوافى. والدبيقى: نسبة إلى دَبِيق، وهى بُليدة كانت بين الفرما وتِنِّيس من أعمال مصر يُنسب إليها الثياب الدبيقية. انظر معجم البلدان ٢/ ٥٤٨، والوسيط (د ب ق).

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٣) فى ب: «طراز»، وفى م: «طرار». والمثبت موافق لأكثر مصادر الترجمة. وجاء فى بعضها كما فى نسختى ب، م قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٥/ ٢٢٤: بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الألف راء ثانية مفتوحة ثم ألف مقصورة، وبعضهم يكتبه بالهاء بدلا من الألف فيقول: طرارة، والله أعلم. انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠، وطبقات الفقهاء ص ٩٣، والمنتظم ١٥/ ٢٤، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٥١، وإنباه الرواة ٣/ ٢٩٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٠٦، وغاية النهاية ٢/ ٣٠٢، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٢٣.

(٤) فى الأصل: «البالى»، وفى ب: «النابى»، وفى م، ص: «الباقلانى». والمثبت من تاريخ بغداد، وإنباه الرواة، وسير أعلام النبلاء، وغيرهم. وهو أبو محمد عبد الله بن محمد البخارى النحوى الفقيه الشاعر، المعروف بالبافىّ. والبافى نسبة إلى باف، قرية من قرى خوارزم. توفى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

يُصْرَفَ إليه .

قال غيرُه[1] : اجْتَمَع جماعةٌ مِن الفُضلاءِ فى دارِ بعضِ الرُّؤساءِ وفيهم المُعافَى ، فقالوا : هَلُمَّ نَتَذاكَرْ فى فنٍّ مِن العلومِ . فقال المُعافَى لصاحبِ المنزلِ - وكانتْ عندَه كتبٌ كثيرةٌ فى خِزانةٍ عظيمةٍ - : مُرْ غلامَك هذا أن يَأْتِىَ بكتابٍ مِن هذه الكتبِ أىِّ كتابٍ ، فنَتَذاكَرَ فيه . فتعَجَّب الحاضرون مِن هذا التَّمَكُّنِ والتَّبَحُّرِ .

وقال الخطيبُ البغدادىُّ[2] : أنْشَدَنا الشيخُ أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرىُّ ، قال : أنْشَدَنا المُعافَى بنُ زكريا لنفسِه :

ألا قُلْ لمَن كان لى حاسدًا ... أتَدْرِى على مَن أسَأْتَ الأدَبْ
أسَأْتَ على اللَّهِ [3]فى فِعْلِهِ[3] ... لأنَّك [4]لم تَرْضَ[4] لى ما وَهَبْ
فجازاك عنى[5] بأن زادَنى ... وسدَّ عليك وُجوهَ الطَّلَبْ

وكانتْ وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

ابنُ فارسٍ ، صاحبُ « المُجْمَلِ » ، وقيل : إنه تُوُفِّى فى سنةِ خمسٍ وتسعين كما سيَأْتى .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠، والمنتظم ١٥/ ٢٥.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠. والأبيات فى المنتظم ١٥/ ٢٥.
(٣ - ٣) فى ب ، م : « سبحانه » .
(٤ - ٤) فى م : « لا ترضى » .
(٥) فى تاريخ بغداد : « عنه » . والمثبت موافق لما فى المنتظم .

[1]أَمَةُ السلامِ[1] بنتُ القاضى أبى بكرٍ أحمدَ بنِ كاملِ بنِ خَلَفِ بنِ شَجَرةَ[2]، أمُّ الفتحِ، سمِعَت مِن محمدِ بنِ إسماعيلَ البَصَلانىِّ[3] وغيرِه، وعنها الأزْهَرىُّ والتَّنُوخىُّ وأبو يَعْلَى بنُ الفَرَّاءِ وغيرُهم، وأثْنَى عليها غيرُ واحدٍ فى دينِها وفضلِها وسِيادتِها، وكان مَوْلدُها فى رجبٍ مِن سنةِ ثمانٍ وتسعين[4]، وتُوُفِّيت فى رجبٍ أيضًا مِن هذه السنةِ عن ثنتَيْن وتسعين سنةً، رحِمها اللَّهُ تعالى.

(١ - ١) فى م: «أم السلامة». وانظر ترجمتها فى تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٣، والمنتظم ١٥/ ٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ١٩٥، والعبر ٣/ ٤٦، ومرآة الجنان ٢/ ٤٤٣. وفيه «أمة الإسلام».

(٢) فى م: «شنخرة».

(٣) فى م: «النصلانى».

(٤) أى سنة ثمان وتسعين ومائتين، كما فى مصادر الترجمة.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] بايَع الخليفةُ القادرُ باللَّهِ لولدِه أبى الفضلِ بوِلايةِ العهدِ مِن بعدِه، وخطَب له، ولُقِّب الغالبَ باللَّهِ، وكان عمرُه حينئذٍ ثمانىَ سنين وشُهورًا، ولم يَتِمَّ له ذلك، وكان سببَ هذه العجلةِ أن رجلًا يقالُ له: عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ الواثقىُّ. ذهَب إلى بعضِ الأطْرافِ مِن بلادِ التُّرْكِ، وادَّعَى أن القادرَ باللَّهِ جعَله ولىَّ عهدِه مِن بعدِه، فخَطبوا له هنالك، فلما بلَغ القادرَ أمْرُه بعَث يَتَطَلَّبُه، فهرَب منه فى الآفاقِ وتمزَّق شملُه، ثم أخَذه بعضُ الملوكِ، فسجَنه فى قَلْعةٍ إلى أن مات، فلهذا بادَر القادرُ إلى هذه البَيْعةِ.

[٩/١١٤و] وفى يومِ الخميسِ الثامنَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ وُلِد الأميرُ أبو جعفرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ القادرِ باللَّهِ، وهذا هو الذى صارت إليه الخِلافةُ، وهو القائمُ بأمرِ اللَّهِ.

وفيها قُتِل الأميرُ حُسامُ الدولةِ المُقَلَّدُ بنُ المُسَيَّبِ العُقَيْلىُّ غِيلةً ببلادِ الأنْبارِ، وكان قد عظُم شأنُه بتلك البلادِ، ورام المَمْلكةَ، فجاءه القَدَرُ المَحْتومُ، فقتَله بعضُ غِلْمانِه الأتْراكِ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه ولدُه قِرْواشٌ. وحجَّ بالناسِ المِصْريون.

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦، ٢٧، والكامل ٩/ ١٦٤ - ١٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٢٣.

جعفرُ بنُ الفضلِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الفُراتِ ، أبو الفَضْلِ ، المَعْروفُ بابنِ حِنْزابةَ الوزيرُ[1] ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وثلاثِمائةٍ ببغدادَ ، ونزَل الديارَ المِصْريةَ ، ووزَر بها لأميرِها كافورٍ الإخشيديِّ ، وكان أبوه وزيرًا للمُقْتَدِرِ ، وقد سمِع الحديثَ مِن محمدِ بنِ هارونَ الحَضْرميِّ وطَبَقَتِه من البَغْداديين ، وكان قد سمِع مَجْلِسًا مِن البَغَويِّ ، ولم يَكُنْ عندَه ، فكان يقولُ : مَن جاءنى به أغْنَيْتُه . وكان له مَجْلِسٌ لإمْلاءِ الحديثِ بديارِ مِصرَ ، وبسببِه رحَل الدارَقُطْنيُّ إلى هناك فنزَل عندَه ، وخرَّج له مُسْنَدًا ، وحصَل له منه مالٌ جَزيلٌ ، وحدَّث عنه الدارَقُطْنيُّ وغيرُه مِن الأكابرِ . ومِن مُسْتَجادِ شعرِه قولُه :

من أحْمَل النَّفْسَ أحْياها وروَّحَها ... ولم يَبِتْ طاويًا منها على ضَجَرِ
إن الرِّياحَ إذا اشْتَدَّت عَواصِفُها ... فليس تَرْمِى سوى العالى مِن الشَّجَرِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : كانت وفاتُه فى صَفَرٍ - وقيل : فى ربيعٍ الأولِ - من هذه السنةِ ، عن ثنتَيْن وثمانين سنةً ، ودُفِن بالقَرافَةِ ، وقيل : بدارِه . قال : وقيل : إنه كان قد اشْتَرَى دارًا بالمدينةِ النبويةِ ، فجعَلها تُرْبةً له ، فلما نُقِل إليها تلَقَّتْه الأشْرافُ لإحْسانِه إليهم ، فحمَلوه وحجُّوا به ، وأوقَفوه بعَرَفاتٍ ، ثم أعادوه إلى المدينةِ ، فدفَنوه بتُرْبتِه .

ابنُ الحَجَّاجِ الشاعرُ ، الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ الحَجَّاجِ ، أبو عبدِ اللَّهِ[3]

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٤، والمنتظم ١٥/ ٢٧، ومعجم الأدباء ٧/ ١٦٣، ووفيات الأعيان ١/ ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٤٩.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٣٤٩.

(٣) الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ١/ ١٣٧، ويتيمة الدهر ٣/ ٣٠، وتاريخ بغداد ٨/ ١٤، والمنتظم ١٥/ ٢٨، ومعجم الأدباء ٩/ ٢٠٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٦٨ ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٥٢.

الشاعرُ الماجنُ المُقْذِعُ فى نَظْمِه بألفاظٍ يَسْتَنْكِفُ اللسانُ عن التَّلَفُّظِ بها ، والأُذُنان عن الاسْتِماعِ إليها ، وقد كان أبوه مِن كِبارِ العُمَّالِ ، وولِىَ هو حِسْبةَ بغدادَ فى أيامِ عِزِّ الدولةِ بنِ معزِّ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ ، فاسْتَخْلَف عليها نوابًا ستةً ، وتَشاغَل هو بالشعرِ السَّخيفِ والرأيِ الضعيفِ ، إلا (١أن شعرَه جيدٌ١) مِن حيث اللفظُ ، وفيه قوةٌ جَيِّدةٌ تَدُلُّ على تَمَكُّنٍ واقْتِدارٍ على سَبْكِ المعانى القَبيحةِ ، التى هى فى غايةِ الفَضيحةِ ، فى الألفاظِ الفَصيحةِ ، وله غيرُ ذلك مِن الأشعارِ [٩/١١٤ظ] المُسْتَجادةِ . وقد امْتَدح صاحبَ مصرَ ، فبعَث إليه بألفِ دينارٍ .

وقولُ القاضى ابنِ خَلِّكانَ(٢) : ويقالُ : إنه عُزِل عن حِسْبةِ بغدادَ (٣بأبى سعيدٍ الإصْطَخْرىِّ . قولٌ ضعيفٌ لا يُسامَحُ بمثلِه القاضى ، فإن أبا سعيدٍ تُوُفى سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاثِمائةٍ ، فكيف يُعْزَلُ به ابنُ الحَجَّاجِ٣) ؟! وهو لا يُمْكِنُ عادةً(٤) أن يَلِىَ الحِسْبةَ (٥بعدَ أبى سعيدٍ٥) الإصْطَخْرىِّ ؛ ولكبرِ قدرِ ابنِ خَلِّكانَ فى هذه الصناعةِ ناقَشْناه ، فإنَّه أرَّخَ وفاةَ هذا الشاعرِ بهذه السنةِ ، ووفاةَ الإصْطَخْرىِّ بما تقَدَّم . وقد جمَع الشَّريفُ الرَّضِىُّ أشْعارَه الجيدةَ على حِدَةٍ فى دِيوانٍ مُفْرَدٍ ، ورثاه حينَ تُوُفِّى هو وغيرُه مِن الشعراءِ .

عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ ، أبو(٦) الحسنِ الخَوْزىُّ(٧) القاضى

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « أنه صنعا » .

(٢) انظر وفيات الأعيان ٢/١٦٩ - ١٧٢.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى ب ، م : « إدعاء » .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « بعده أبو سعيد » .

(٦) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ١٠/٤٦٦ ، وطبقات الفقهاء ص ١٧٨ ، والمنتظم ١٥/٣٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٥٦.

(٧) فى النسخ : « الجزرى » . وتصحفت كذلك فى مصادر ترجمته عدا مرآة الجنان فلقد نص اليافعى =

بالمُخَرِّمِ[1] وحريمِ دارِ الخِلافةِ وغيرِ ذلك مِن الجهاتِ ، وكان ظاهريًّا على مذهبِ داودَ ، وكان لطيفًا ظريفًا ، تحاكم إليه وكِيلان ، فبكَى أحدُهما فى أثناءِ الخُصومةِ ، فقال له القاضى : أَرِنى وَكالتَك . فناولَه فقرَأها ثم قال له : لم يَجْعَلْ إليك أن تَبْكىَ عنه . فاسْتَضْحك الناسَ ، ونهَض الوَكيلُ خَجِلًا .

عيسى بنُ الوزيرِ علىِّ بنِ عيسى بنِ داودَ بنِ الجَرَّاحِ ، أبو القاسمِ البَغْدادىُّ[2] ، كان أبوه مِن كِبارِ الوُزراءِ ، وكتَب هو للطائعِ أيضًا ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكان صحيحَ السَّماعِ ، كثيرَ العُلومِ ، وكان عارفًا بالمَنْطِقِ وعلمِ الأوائلِ ، فرمَوه بشىءٍ مِن مذهبِ الفَلاسِفةِ . ومِن جيدِ شعرِه قولُه :

رُبَّ مَيْتٍ قد صار بالعلمِ حيًّا ... ومُبَقًّى قد مات جهلًا وغَيًّا
فاقْتَنوا العلمَ كى تَنالوا خُلودًا ... لا تَعُدُّوا الحياةَ فى الجهلِ شيًّا

كان مولدُه فى سنةِ ثنتَيْن وثلاثِمائةٍ ، وتُوُفِّىَ فى هذه السنةِ عن تسعٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن فى دارِه ببغدادَ .

= عليه فقال : الخوزى : بالخاء المعجمة والزاى .

(١) فى ب ، م : « الحرم » . والمخرم : محلة ببغداد . انظر ما تقدم فى ص ٤٤٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ١/ ٣٦، وتاريخ بغداد ١١/ ١٧٩، والمنتظم ١٥/ ٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٥٧.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وتسعين وثلاثِمائةٍ[1]

فى المحرَّمِ منها غَزا يَمِينُ الدولةِ محمودُ بنُ سُبُكْتِكين بلادَ الهندِ ، فصمَد له مَلِكُها جيبالُ فى جيشٍ عظيمٍ ، فاقْتَتلوا قتالًا شديدًا ، ففتَح اللَّهُ للمسلمين ، وانْهَزَمَت الهُنودُ ، وأُسِر ملكُهم جيبالُ ، وأُخِذ مِن عُنقِه قِلادةٌ قيمتُها ثمانون ألفَ دينارٍ[2] ، وغنِم المسلمون منهم أموالًا عظيمةً ، وفتَحوا بلادًا كثيرةً ، ثم أطلق محمودٌ ملكَ الهندِ ؛ احْتِقارًا له واستِهانةً به ، ليَراه أهلُ مَمْلكتِه فى لباسِ المَذَلَّةِ ، فحينَ وصَل جيبالُ ، لعنه اللَّهُ ، إلى بلادِه ألْقَى نفسَه فى النارِ التى يَعْبُدونها مِن دونِ اللَّهِ فاحْتَرَق ، لعَنه اللَّهُ .

وفى [3]ربيعِ الآخِرِ[3] منها ثارَت العَوامُّ على النَّصارَى ببغدادَ ، فنهَبوا كَنيستَهم التى بقَطيعةِ الرقيقِ[4] وأحْرَقوها ، [٩/١١٥و] فسقَطَت على خَلْقٍ فماتوا ، وفيهم جَماعةٌ مِن المسلمين ؛ رجالٌ ونساءٌ وصِبْيانٌ . وفى رمضانَ منها قوِى أمرُ العَيَّارِين ، وكثُرَت العَمَلاتُ والنهبُ ببغدادَ ، وانْتَشَرَت الفِتنةُ .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[5] : وفى ليلةِ الاثنين ثالثِ ذى القَعْدةِ انْقَضَّ كوكبٌ أضاء

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٢، ٣٣، والكامل ٩/١٦٩ - ١٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) ورد فى الكامل أنها قُوِّمت بمائتى ألف دينار.

(٣ - ٣) فى ب ، م : «ربيع الأول» . وانظر المنتظم ١٥/ ٣٢.

(٤) فى النسخ والمنتظم : «الدقيق» وهو تصحيف ، وقطيعة الرقيق : بلد ببغداد . انظر معجم البلدان ٤/ ١٤١.

(٥) المنتظم ١٥/ ٣٢.

كضوءِ القمرِ ليلةَ التَّمامِ، ومضَى الضياءُ وبقِى جِرْمُه يَتَمَوَّجُ نحوَ ذراعَيْن فى ذراعٍ برَأْيِ العينِ، ثم توارَى بعدَ ساعةٍ.

وفى هذا الشهرِ قدِم الحُجَّاجُ مِن خُراسانَ إلى بغدادَ ليَسِيروا إلى الحِجازِ، فبلَغهم عَيْثُ الأعْرابِ بالفَسادِ، وأنه لا قاهرَ لهم ولا ناظرَ يَنْظُرُ فى أمورِهم، فرجَعوا إلى بلادِهم، ولم يَحُجَّ مِن بلادِ المشْرقِ أحدٌ فى هذه السنةِ.

وفى يومِ عرفةَ ولِد لبهاءِ الدولةِ ابنان توْأَمان؛ فمات أحدُهما بعدَ سبعِ سنين، وبقِىَ الآخرُ حتى قام بالأمرِ مِن بعدِ أبيه، ولُقِّب مُشرِّفُ[1] الدولةِ. وحجَّ المِصْريون فيها بالناسِ.

ومِمن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعيانِ:

أبو الفتحِ عثمانُ بنُ جِنِّى المَوْصِلِىُّ النَّحْوىُّ اللُّغوىُّ[2]، صاحبُ التَّصانيفِ الفائقةِ المُتَداوَلةِ فى النحوِ واللغةِ، وكان أبوه جِنِّى عبدًا رُوميًّا مَمْلوكًا لسليمانَ بنِ فَهْدِ بنِ أحمدَ الأزْدىِّ المَوْصلىِّ. ومِن شعرِه فى ذلك قولُه:

فإن أُصْبِحْ بلا نسَبٍ ... فعِلْمى فى الوَرَى نسَبى
على أنى أَؤُولُ إلى ... قُرُومٍ سادةٍ نُجُبِ
قَياصِرةٍ إذا نطَقوا ... أرمَّ[3] الدهرُ ذو[4] الخُطُبِ

---

(١) فى ب، م، ص: «شرف».

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣١٢، والمنتظم ١٥/ ٣٣، والكامل ٩/ ١٧٩، وفيه أنه توفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ومعجم الأدباء ١٢/ ٨١، وإنباه الرواة ٢/ ٣٣٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٧٠.

(٣) فى ب، ص: «أزم»، وفى م: «أرمو». وأرمَّ: أسكت. القاموس المحيط (ر م م).

(٤) فى الأصل، ب، ص، والمنتظم: «فى». والمثبت موافق لما فى تاريخ بغداد، وإنباه الرواة.

أُولاك دعـا الـنـبـيُّ لـهـم كـفَـى شـرفًـا دُعـاءُ نَـبِـى

وقد أقام ببغدادَ ، ودرَس بها العلمَ إلى أن تُوُفِّى ليلةَ الجمعةِ لليلتين خلَتا مِن صفرٍ منها ، قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : ويقالُ : إنه كان أعْوَرَ . وله فى ذلك :

صُدودُك عنِّى ولا ذنْبَ لى يَـدُلُّ عـلـى نـيـةٍ فـاسِـدَه
فقد وحَياتِك مما بَكَيتُ خشِيتُ على عينىَ الواحدَه
ولـولا مَـخـافـةُ أن لا أَراك لمَا كان فى تَرْكِها فائِدَه

ويقالُ : إن هذه الأبياتَ لغيرِه[2] .

وله فى مملوكٍ حسنِ الصورةِ أعْوَرَ :

له عينٌ أصابَت كلَّ عينٍ وعينٌ قد أصابَتْها العُيونُ

أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ الجُرْجانىُّ ، القاضى بالرَّىِّ ، الشاعرُ الماهرُ[3] ، سمِع الحديثَ وترَقَّى [٩/١١٥ظ] فى العلومِ حتى أقَرَّ له الناسُ بالتَّفَرُّدِ ، وله أشْعارٌ حِسانٌ ، مِن ذلك قولُه :

يقولُون لى فيك انْقِباضٌ وإنما رأَوْا رجلًا عن مَوْقفِ الذُّلِّ أحْجَما
أَرَى الناسَ مَن داناهمُ هان عندَهمْ ومَن أكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النفسِ أُكْرِما
ولم أقْضِ حقَّ العلمِ إنْ كان كُلَّما بدا طمَعٌ صيَّرْتُه لىَ سُلَّمَا
إذا قيل هذا مَنْهَلٌ قلتُ قد أَرَى ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦.

(٢) بعده فى ب ، م : « وكان قائلها أعور » .

(٣) يتيمة الدهر ٤/ ٣، وطبقات الفقهاء ص ١٢٢، والمنتظم ١٥/ ٣٤، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٧١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/ ٤٥٩.

ولم أَبْتَذِلْ فى خِدْمةِ العلمِ مُهْجَتى ... لأَخْدُمَ مَن لاقَيْتُ لكن لأُخْدَما
أَأَشْقَى به غَرْسًا وأَجْنِيه ذِلَّةً ... إذًا فاتِّباعُ الجهلِ قد كان أحْزَما
ولو أن أهلَ العلمِ صانوهُ صانَهمْ ... ولو عظَّموه فى النفوسِ لعُظِّما
ولكن أهانوه[1] فهان ودنَّسوا ... مُحَيَّاهُ بالأطْماعِ حتى تَجَهَّما

ومِن مُسْتَجادِ شعرِه أيضًا قولُه :

ما تطَعَّمْتُ لَذَّةَ العيشِ حتى ... صِرْتُ للبيتِ والكتابِ جَليسَا
ليس [2]شىءٌ أعَزَّ عندى[2] مِن العِلْـ ... ـمِ فما أَبْتَغِى سِواه أَنِيسَا
[3]إنما الذُّلُّ فى مُخَالَطَةِ النَّا ... سِ فَدَعْهمْ وَعِشْ عزيزًا رئيسَا[3]

ومِن شعرِه أيضًا :

إذا شئتَ أن تَسْتَقْرِضَ المالَ مُنْفِقًا ... على شَهواتِ النفسِ فى زمَنِ العُسْرِ
فسَلْ نفسَك الإنْفاقَ مِن كنزِ صبرِها ... عليك وإنْظارًا إلى زمَنِ اليُسْرِ
فإن فعَلَتْ كنتَ الغنىَّ وإن أبَتْ ... فكلُّ مَنُوعٍ بعدَها واسعُ العُذْرِ

[4]تُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى هذه السنةِ ، وحُمِل تابوتُه إلى جُرْجانَ ، فدُفِن بها[4] .

---

(١) فى الأصل ، ص : « أذلوه » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « شى عندى ألذ » . وفى ب ، م : « عندى شىء ألذ » . والمثبت من مصادر ترجمته فى الصفحة السابقة .
(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .
(٤ - ٤) زيادة من : ب ، م .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الطائعِ للَّهِ على ما سنذْكُرُه .

وفيها منَع عَميدُ الجُيوشِ الشِّيعةَ مِن النَّوْحِ على الحسينِ فى عاشوراءَ ، ومنَع جَهَلَةَ السُّنَّةِ ببابِ البصرةِ وبابِ الشَّعيرِ[2] مِن النِّياحةِ على مُصْعبِ بنِ الزبيرِ بعدَ ذلك بثمانيةِ أيامٍ ، فامْتَنع الفرِيقان ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ .

وفى أواخرِ المُحَرَّمِ خلَع بَهاءُ الدولةِ وزيرَه أبا غالبٍ محمدَ بنَ خلَفٍ عن الوِزارةِ ، وصادرَه بمائةِ ألفِ دينارٍ قاسانيةٍ[3] .

وفى أوائلِ صفَرٍ منها غلَت الأسعارُ ببغدادَ جدًّا ، وعُدِمَت الحِنْطةُ حتى بِيع الكُرُّ منها بمائةٍ وعشرين دينارًا .

وفيها برَز عَمِيدُ الجيوشِ إلى سُورا[4] ، واسْتَدْعَى سيدَ الدولةِ أبا الحسنِ علىَّ ابنَ مَزْيَدٍ ، وقرَّر عليه فى كلِّ سنةٍ أربعين ألفَ [٩/١١٦و] دينارٍ ، فالْتَزم ذلك وقرَّره على بلادِه .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٧، ٣٨، والكامل ٩/١٧٢ - ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) باب الشعير: محلة ببغداد. معجم البلدان ١/ ٤٤٥.

(٣) فى ب، م، ص: «قاشانية». وهى لغة فيها. انظر تاج العروس (ق ش ن).

(٤) فى ب، م: «سر من رأى». وسورا: موضع بالعراق بأرض بابل وهى مدينة السريانيين. معجم البلدان ٣/ ١٨٤.

وفيها هرَب أبو العباسِ الضَّبِّيُّ وزيرُ مَجْدِ الدولةِ بنِ فخرِ الدولةِ مِن الرَّيِّ إلى بدرِ بنِ حَسْنَوَيْهِ ، فأكْرَمه ، وولى بعدَ ذلك وِزارةَ مجدِ الدولةِ أبو عليٍّ الخطيرُ .

وفيها اسْتَناب الحاكمُ على دمشقَ وجُيوشِ الشامِ أبا محمدٍ الأسودَ ، ثم بلَغه أنه عزَّر رجلًا مَغْربيًّا [1] على حبِّه [1] أبا بكرٍ وعمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، وطاف به فى البلدِ ، فخاف مِن مَعَرَّةِ ذلك ، فبعَث إليه ، فعزَله مَكْرًا وخَديعةً . وانْقَطَع الحجُّ فى هذه السنةِ مِن العراقِ بسببِ الأعْرابِ .

ومِمَّن تُوُفى فيها مِن الأعْيانِ :

إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ ، أبو إسحاقَ الطَّبَرىُّ [2] ، الفقيهُ المالكىُّ ، مُقَدَّمُ المُعَدِّلِين ببغدادَ ، وشيخُ القِراءاتِ ، وقد سمِع الكثيرَ مِن الحديثِ ، وخرَّج له الدارَقُطْنىُّ خمسَمائةِ جزءِ حديثٍ ، وكان كريمًا مُفَضَّلًا على أهلِ العلمِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الطائعُ للَّهِ عبدُ الكريمِ بنُ المُطِيعِ [3] ، تقَدَّم [4] [5] كيف خلَعه بهاءُ الدولةِ أبو نصرِ بنُ عضدِ الدولةِ ، وأنَّه أُودِع فى غرفةٍ بدارِ الخلافةِ وأُجرِى عليه أرزاقٌ كثيرةٌ وألطافٌ غزيرةٌ إلى أنْ [5] تُوُفِّى ليلةَ عيدِ الفطرِ مِن هذه السنةِ

(١ - ١) فى ب ، م : « سب » . وهو خطأ .

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٧، والمنتظم ١٥/ ٣٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٧٩، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٧٩، والمنتظم ١٥/ ٣٩، ونهاية الأرب ٢٣/ ٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٨٦، وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٥.

(٤) تقدم فى صفحتى ٤٣٧ ، ٤٤٣ .

(٥ - ٥) فى ب ، م : « خلعه وذكر ما جرى له » .

عن [1]ستٍّ وسبعين سنةً[1]، وقد باشَر الخلافةَ سبعَ عشْرةَ سنةً وستةَ أشهرٍ وخمسةَ أيامٍ، وصلَّى عليه القادرُ باللَّهِ، فكبَّر عليه خمسًا، وشهِد جِنازتَه الأكابرُ والأعيانُ، ودُفِن بالرُّصافةِ.

محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ العباسِ [2]بنِ عبدِ الرحمنِ[2] بنِ زكريا، أبو طاهرٍ المُخَلِّصُ[3]، شيخٌ كبيرٌ كثيرُ الرِّوايةِ، سمِع البغويَّ وابنَ صاعدٍ وخَلْقًا، وعنه البَرْقانيُّ والأزْهَريُّ والخَلَّالُ والتَّنوخيُّ، وكان ثقةً مِن الصالحين، تُوُفِّي في رمضانَ من هذه السنةِ عن ثمانٍ وثمانين سنةً، رحِمه اللَّهُ.

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، أبو الحسنِ السَّلَامِيُّ[4]، الشاعرُ المُجِيدُ، له شعرٌ مشهورٌ، ومَدائحُ في عَضُدِ الدولةِ وغيرِه.

مَيْمونةُ بنتُ شاقولةَ[5]، الواعظةُ، التي هي للقرآنِ حافظةٌ، ذكَرَت يومًا في وَعْظِها أن ثوبَها الذي عليها - وأشارَت إليه - له في صُحْبتِها تَلْبَسُه منذُ سبعٍ وأربعين سنةً وما تغيَّر، وأنه كان مِن غَزْلِ أمِّها. قالت: والثوبُ إذا لم يُعْصَ اللَّهُ فيه لا يَتَخَرَّقُ سريعًا. وقال ابنُها عبدُ الصمدِ: كان في دارِنا حائطٌ يُرِيدُ أن يَنْقَضَّ، فقلتُ لها: ألا نَدْعُو البَنَّاءَ ليُصْلِحَ هذا الجدارَ؟ فأخَذَت رُقْعةً، فكتَبَت

(١ - ١) في ب، م: «خمس أو ست وسبعين سنة».

(٢ - ٢) سقط من: النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٢، والمنتظم ١٥/ ٤١، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٨.

(٣) انظر تبصير المنتبه ٤/ ١٣٤٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٩٢، والوافي بالوفيات ٣/ ٢٣٠.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٣٣٥، وفيه: «محمد بن عبيد اللَّه»، والمنتظم ١٥/ ٤١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٩٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٠٣.

(٥) المنتظم ١٥/ ٤٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٩، وفيهما ساقولة بالسين المهملة وانظر تاج العروس (ش ق ل) بالشين المعجمة.

فيها شيئًا ، ثم أمرَتنى أن أَضَعَها فى موضعٍ مِن الجدارِ ، فوضَعْتُها ، فمكَث على ذلك عشرين سنةً ، فلما تُوُفِّيَت أرَدْتُ أن أَسْتَعْلِمَ ما كتَبَت فى الرُّقْعةِ ، فحينَ أخَذْتُها مِن الجدارِ سقَط ، وإذا فى الرُّقْعةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ [٩/١١٦ظ] أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر: ٤١] . بسمِ اللَّهِ يا مُمْسِكَ السَّماواتِ والأرضِ أمْسِكْه .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] ولَّى بَهاءُ الدولةِ الشريفَ أبا أحمدَ الحسينَ[2] بنَ أحمدَ بنِ موسى المُوسَوىَّ قَضاءَ القُضاةِ، والحجَّ والمَظالمَ، ونِقابةَ الطالبِيِّين، ولُقِّب بالطاهرِ الأوْحدِ ذى المَناقبِ، وكان التَّقْليدُ له بشيرازَ[3]. فلما وصَل الكتابُ إلى بغدادَ لم يَأْذَنْ له الخليفةُ القادرُ فى قَضاءِ القُضاةِ، فتوَقَّف حالُه بسببِ ذلك.

وفيها ملَك أبو العباسِ بنُ واصِلٍ بلادَ البَطيحةِ وأخْرَج منها مُهَذِّبَ الدولةِ، فقصَده زعيمُ الجيوشِ ليأْخُذَها منه، فهزمَه ابنُ واصِلٍ، ونهَب أموالَه وحَواصِلَه، وكان فى جُملةِ ما أصاب فى خَيْمةِ الخِزانةِ ثلاثون ألفَ دينارٍ وخمسون ألفَ درهمٍ.

وفيها خرَج الرَّكْبُ العراقىُّ فى جَحْفلٍ كبيرٍ وتَجَمُّلٍ كثيرٍ، فاعْتَرَضهم الأُصَيْفِرُ أميرُ الأعْرابِ لينهَبَهم، فبعَثوا إليه بشابَّين قارئَيْن مُجِيدَيْن كانا معهم - يقالُ لهما: أبو الحسينِ[4] بنُ الرَّفَّاءِ، وأبو عبدِ اللَّهِ بنُ الدجّاجىِّ[5]. وكانا مِن أحسنِ الناسِ قراءةً - ليُكَلِّماه فى شىءٍ يَأْخُذُه مِن الحَجيجِ، ويُطْلِقُ سَراحَهم

---

(١) المنتظم ١٥/٤٣ - ٤٥، والكامل ٩/١٨٠ - ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) فى ب، م: «الحسن»، وانظر المصادر السابقة.

(٣) فى ب، م: «بسيراج».

(٤) فى ب، م، ص: «الحسن». وانظر المنتظم ١٥/٤٣، وما سيأتى فى صفحة ٥٣١.

(٥) فى ب، م، ص: «الزجاجى». وانظر المنتظم ١٥/١٥١.

ليُدْرِكوا الحجَّ ، فلما جلَسا بينَ يديه قرأا جميعًا عَشْرًا بأصْواتٍ هائلةٍ مَطْبوعةٍ ، فأدْهَشه ذلك وأعْجَبه جدًّا ، وقال لهما : كيف عيشُكما ببغدادَ ؟ فقالا : بخيرٍ ، لا يَزالُ الناسُ يُكْرِموننا ويَبْعَثون إلينا بالذهبِ والدراهمِ والتُّحفِ . فقال : هل أطْلَق لكما أحدٌ منهم ألفَ[1] ألفِ دينارٍ ؟ فقالا : لا ، ولا ألفَ دينارٍ فى يومٍ واحدٍ . قال : فإنِّى أُطْلِقُ لكما ألفَ ألفِ دينارٍ[2] . فأطْلَق بسببِهما الحجيجَ ، فلم يَعرِضْ لأحدٍ منهم ، وذهَب الناسُ وهم سالمون شاكرون لذَيْنِك الرجلَيْن المُقْرِئَيْن . ولما وقَف الناسُ بعرفاتٍ قرَأ هذان الرجلان قراءةً عظيمةً على جبلِ الرحمةِ فضجَّ الناسُ[3] مِن سائرِ الرُّكوبِ لقراءتِهما ، وقالوا[4] لأهلِ العراقِ : ما كان يَنْبَغِى أن تَخْرُجوا بهذين الرجلين فى سَفْرةٍ واحدةٍ ؛ لاحْتمالِ أن يُصابا جميعًا ، بل كان يَنْبَغِى أن تخْرُجوا بأحدِهما ، فإذا أُصِيب سلِم الآخرُ . وكانت الحَجَّةُ والخُطْبةُ فى هذه السنةِ أيضًا للمِصْريِّين كما هى لهم مِن سنين مُتَقدمةٍ .

وقد كان أميرُ العراقيِّين عزَم على العَوْدِ سريعًا إلى بغدادَ على طريقِهم التى جاءوا منها ، وأن لا يَسِيرَ إلى المدينةِ النبويةِ ؛ خوفًا مِن الأعْرابِ ، وكثرةِ الخِفاراتِ ، فشقَّ ذلك على الناسِ ، فوقَف هذان القارِئان على جادَّةِ الطريقِ التى منها يُعْدَلُ إلى المدينةِ النبويةِ ، وقرَآ : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة : ١٢٠] الآياتِ . [٩/١١٧و] فضجَّ الناسُ بالبُكاءِ ، وأمالت النُّوقُ أعْناقَها نحوَهما ، فمال

---

(١) فى الأصل : « مائة ألف » .

(٢) بعده فى ب ، م : « فى هذه اللحظة أطلق لكما الحجيج كله ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار » .

(٣) بعده فى ب ، م : « بالبكاء » .

(٤) فى المنتظم : « قال أهل مكة وأهل مصر والشام » ، وفى تاريخ الإسلام : « قال أهل مصر والشام » .

الناسُ والأميرُ بأجمعِهم مَيلةً واحدةً إلى المدينةِ النبويةِ ، فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادِهم . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ولما رجَع هذان القارئان رتَّبهما وَلِيُّ الأمْرِ مع أبى بكرِ بنِ البُهْلولِ - وكان مُقْرِئًا مُجِيدًا أيضًا - ليُصَلُّوا بالناسِ صلاةَ التَّراويحِ فى رمضانَ ، فكثُر الجَمْعُ وراءَهم لحُسْنِ تِلاوتِهم ، (١) وكانوا يَتَناوَبون فى الإمامةِ (١) .

وقد قرَأ ابنُ البُهْلولِ يومًا فى جامعِ المنصورِ قولَه تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] فنهَض إليه رجلٌ صُوفىٌّ وهو يَتمايَلُ فقال : كيف قلتَ ؟ فأعاد الآيةَ ، فقال الصُّوفىُّ : بلى واللَّهِ . وسقَط ميتًا ، رحِمه اللَّهُ . قال ابنُ الجَوْزىِّ (٢) : وكذلك وقَع لأبى الحسنِ ابنِ الخَشَّابِ شيخِ ابنِ الرَّفَّا ، وكان تِلْميذًا لأبى بكرِ بنِ الآدَمىِّ المتقدمِ ذِكْرُه ، وكان جيدَ القِراءةِ حسَنَ الصوتِ أيضًا ، قرَأ ابنُ الخَشَّابِ ليلةً فى جامعِ الرُّصافةِ فى الإحْياءِ هذه الآيةَ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فتواجَد رجلٌ صُوفىٌّ وقال : بلَى قد آن . وجلَس وبكَى بُكاءً طويلًا ، ثم سكَت سَكْتةً ، فحرَّكوه فإذا هو ميتٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسنُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ ، أبو علىٍّ الإسْكافىُّ (٣) ، ويُلَقَّبُ بالمُوَفَّقِ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل . وفى ب ، م : « يطيلون الصلاة جدًّا ويتناوبون فى الإمامة ، يقرءون فى كل ركعة بقدر ثلاثين آية والناس لا ينصرفون من التراويح إلا فى الثلث الأول من الليل أو قريب النصف منه » .

(٢) المنتظم ١٥/ ٤٤.

(٣) المنتظم ١٥/ ٤٥، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢١١.

كان مُقَدَّمًا عندَ بهاءِ الدولةِ ، فولَّاه بغدادَ ، فأخَذ أموالًا كثيرةً مِن اليهودِ ، ثم هربَ إلى البَطِيحةِ ، فأقام بها سنَتَيْن ، ثم قدِم بغدادَ ، فولَّاه بهاءُ الدولةِ الوِزارةَ ، وكان شَهْمًا مَنْصورًا فى الحروبِ ، ثم عاقَبه بعدَ ذلك وقتَله فى هذه السنةِ ، عن تسعٍ وأربعين سنةً .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ

فيها[1] عاد مُهَذِّبُ الدولةِ إلى البَطِيحةِ، ولم يُمانِعْه ابنُ واصِلٍ، وتقرَّر عليه فى كلِّ سنةٍ لِبَهاءِ الدولةِ خمسون ألفَ دينارٍ. وفيها كان غَلاءٌ عظيمٌ وفَناءٌ ببلادِ إفْرِيقِيَّةَ، بحيث تعَطَّلَت المَخابزُ والحَمَّاماتُ، وذهَب خَلْقٌ كثيرٌ مِن الفَناءِ، وهلَك آخرون مِن شدةِ الغَلاءِ، فللهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وهو المسئولُ المأمولُ أن يُحْسِنَ العاقِبةَ.

وفيها أصاب الحَجِيجَ فى الطريقِ عَطَشٌ شديدٌ بحيث هلَك كثيرٌ منهم. وكانت الخُطْبةُ للمِصْريين، كما تقدم.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ [2]محمدِ بنِ[2] موسى بنِ جعفرٍ، أبو نصرٍ البُخارىُّ، المَعروفُ بالمَلاحِمىِّ، أحدُ الحُفَّاظِ، قدِم بغدادَ، وحدَّث بها عن محمودِ بنِ إسحاقَ، عن البُخارىِّ، وروَى عن الهيثمِ بنِ كُلَيْبٍ وغيرِه، وحدَّث [٩/١١٧ظ] عنه الدارَقُطْنىُّ، وكان مِن أعْيانِ أصحابِ الحديثِ. تُوُفِّى ببُخارَى فى شعبانَ من هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٤٦، والكامل ٩/ ١٨٣، ١٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٣١ - ٢٣٣.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١/ ٣٥٠، والمنتظم ١٥/ ٤٧، واللباب لابن الأثير ٣/ ١٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣١٩.

محمدُ بنُ أبى إسْماعيلَ[1] **علىِّ بنِ الحسينِ بنِ الحسنِ بنِ القاسمِ، أبو الحسنِ العَلَوىُّ**، وُلِد بهَمَذانَ، ونشَأ ببغدادَ، وكتَب الحديثَ عن جعفرٍ الخُلْدىِّ وغيرِه، وسمِع بنَيْسابورَ مِن الأصَمِّ وغيرِه، ودرَس فقهَ الشافعىِّ على أبى[2] علىِّ ابنِ أبى هريرةَ، ثم دخَل الشامَ، فصحِب الصوفيةَ حتى صار مِن كِبارِهم، وحج مراتٍ على الوَحْدةِ[3]، وكانت وفاتُه فى مُحَرَّمِ هذه السنةِ.

ابنُ فارسٍ: أبو الحسينِ أحمدُ بنُ فارسِ بنِ زكريا بنِ محمدِ بنِ حَبيبٍ الرازىُّ اللُّغوىُّ[4]، صاحبُ «المُجْمَلِ» فى اللغةِ، وكان مُقيمًا بهَمَذانَ، وله رَسائلُ حِسانٌ، أخَذ عنه البَديعُ صاحبُ «المَقاماتِ»، ومِن رائقِ شعرِه قولُه[5]:

مرَّت بنا هَيْفاءُ مَجْدولةٌ ... تُرْكِيّةٌ تَنْمِى لتركىِّ
تَرْنُو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ ... أضْعَفَ مِن حُجَّةِ نَحْوِىٍّ

وله أيضًا:

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلًا ... وأنت بها كَلِفٌ مُغْرَمُ
فأَرْسِلْ حَكيمًا ولا تُوصِهِ ... وذاك الحكيمُ هو الدرهمُ

قال ابنُ خَلِّكانَ[5]: تُوُفى سنةَ تسعين وثلاثِمائةٍ. وقيل: سنةَ خمسٍ وتسعين[6]. والأولُ أشهرُ.

---

(١) بعده فى الأصل، ص: «بن»، وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٣/ ٩٠، وتاريخ دمشق ١٥/٧١٣ مخطوط، والمنتظم ١٥/ ٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٢٤.

(٢) سقط من: ب، م.

(٣) كذا فى النسخ وتاريخ بغداد والمنتظم. وفى تاريخ دمشق ١٥/ ٧١٥: «الواحدة».

(٤) تقدمت ترجمته فى صفحة ٤٠٠.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ١١٩.

(٦) فى مصدر التخريج: «سبعين».

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وتسعين وثلاثمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : فى ليلةِ الجمعةِ مُسْتَهَلِّ شعبانَ طلَع نجمٌ يُشْبِهُ الزُّهَرةَ فى كِبَرِه وضَوْئِه عن يَسْرةِ القِبْلةِ يَتَمَوَّجُ ، وله شُعاعٌ على الأرضِ كشُعاعِ القمرِ ، وثبَت إلى النصفِ مِن ذى القَعْدةِ ، ثم غاب .

وفيها ولِى محمدُ بنُ الأَكْفانِىِّ قضاءَ جميعِ بغدادَ . وفيها جلَس القادرُ للأميرِ قِرْواشِ بنِ أبى حَسَّانَ وأفْرَده[3] فى إمارةِ الكوفةِ ، ولقَّبه مُعْتَمِدَ الدولةِ .

وفيها قُلِّد الشَّريفُ الرَّضِىُّ نِقابةَ الطالبِيِّين ، ولُقِّب بالرَّضِىِّ ذى الحَسَبَيْن[4] ، ولُقِّب أخوه المُرْتَضَى ذا المَجْدَيْن . وفيها غزا يَمِينُ الدولةِ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين بلادَ الهندِ ، فافْتَتَح مدنًا كِبارًا منها ، وأخَذ أموالًا جَزيلةً ، وأسَر بعضَ مُلوكِهم ، وهو ملكُ كوَاشَى[5] حينَ هرَب منه لما افْتَتَحها ، وكسَر أصْنامَها ، فألْبَسه مِنْطَقةً ، وشدَّها على وسطِه بعدَ تمَنُّعٍ شديدٍ ، وقطَع خِنْصَرَه ، ثم أطْلَقه إهانةً له ، وإظْهارًا لعظَمةِ الإسلامِ وأهلِه .

وفيها كانت الخُطْبةُ بالحرمَيْن للحاكمِ العُبَيدىِّ ، وتجَدَّد فى حالِ الخُطْبةِ أنه

---

(١) المنتظم ١٥/ ٤٩، والكامل ٩/١٨٦ - ١٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٣٤.

(٢) المنتظم ١٥/ ٤٩.

(٣) فى ب ، م : «أقره» .

(٤) فى ب : «الحسنتين» ، وفى م : «الحسنيين» .

(٥) فى م : «كراشى» . وانظر تاج العروس (ك و ش) .

إذا ذكَر الخطيبُ الحاكمَ يقومُ الناسُ كلُّهم، وكذلك بديارِ مصرَ مع زيادةِ السُّجودِ، [٩/١١٨و] فكانوا يَسْجُدون عندَ ذِكْرِه؛ يَسْجُدُ مَن هو فى الصلاةِ، ومَن هو فى الأسواقِ أيضًا يَسْجُدون لسُجودِهم، لعَنهم اللَّهُ سبحانه وتعالى.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أبو سعدٍ[(١)] [(٢)]**إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ**[(٢)] **إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ أبو سعدٍ الجُرْجانىُّ**، المعروفُ بالإسماعيلىِّ، ورَد بغدادَ والدارَقُطْنىُّ حىٌّ، وحدَّث عن أبيه أبى بكرٍ الإسْماعيلىِّ والأصَمِّ و[(٣)]ابنِ عَدِىٍّ، وحدَّث عنه الخَلَّالُ والتَّنوخىُّ، وكان ثقةً فاضلًا، فقيهًا على مذهبِ الشافعىِّ، عارفًا بالعربيةِ، سَخِيًّا جَوادًا على أهلِ العلم، وله ورَعٌ، والرياسةُ إلى اليومِ فى بلدِه فى ولدِه. قال الخطيبُ البغدادىُّ[(٤)]: سمِعْتُ الشيخَ أبا الطيبِ الطبرىَّ يقولُ: ورَد أبو سعدٍ الإسْماعيلىُّ بغدادَ، فعقَد له الفُقهاءُ مجلسَيْن؛ تولَّى أحدَهما أبو حامدٍ الإسْفَراييِنىُّ، وتولَّى الثانىَ أبو محمدٍ البافىُّ[(٥)] فبعَث البافىُّ إلى القاضى المُعافَى بنِ زكريا الجَرِيرىِّ يَسْتَدْعِيه إلى حُضورِ المجلسِ؛ ليتجَمَّلَ بحضورِه، وكانت الرسالةُ مع ولدِه أبى الفضلِ، وكتَب [(٦)]على يدِه[(٦)] هذين البيتَيْن:

---

(١) فى ب، م: «سعيد». وانظر ترجمته فى: تاريخ جرجان ص ١٠٦، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٠٩، وطبقات الفقهاء ص ١٢١، والمنتظم ١٥/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٣٠، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥١.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) سقط من: م.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٣١٠.

(٥) فى ب، م: «الباجى»، وفى ص: «البانى». وانظر ما تقدم فى ص ٤٨٩.

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: «فيها».

إذا أكْرَم القاضى الجليلُ وليَّه وصاحبَه ألْفاه للشكرِ مَوْضِعَا
ولى حاجةٌ يأتى بُنَىَّ بذكرِها ويَسْأَلُه فيها التَّطَوُّلَ أجمعَا

فأجابه الجَريرىُّ مع ولدِ الشيخِ :

دعا الشيخُ مِطْواعًا سَميعًا لأمرِه يُواتِيه باعًا حيث يرسُمُ أصْبُعَا[1]
وها أنا غادٍ فى غدٍ نحوَ دارِه أُبادِرُ ما قد حَدَّه لىَ مسرعَا

وكانت وفاةُ أبى سعدٍ الإسْماعيلِىِّ فجأةً بجُرْجانَ فى ربيعٍ الآخِرِ وهو قائمٌ يُصَلِّى فى المِحرابِ ، فى صلاةِ المغربِ ، فلما قرَأ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] فاضَت نَفْسُه فمات ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ بَحِيرٍ ، أبو عَمرٍو المُزَكِّى[2] ، الحافظُ النَّيْسابورىُّ ، ويُعْرَفُ بالبَحِيرىِّ ، رحَل إلى الآفاقِ فى طلبِ العلمِ ، وكان حافظًا جيدَ المُذاكَرةِ ، ثقةً ثبتًا ، حدَّث ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، وتُوُفِّى فى شعبانِ هذه السنةِ عن ثلاثٍ وستين[3] سنةً .

أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه الحافظُ : محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ مَنْدَه ، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْفَهانىُّ الحافظُ[4] ، (٥مِن بيتِ٥) الحديثِ والحفظِ ، رحَل

---

(١) فى ب ، م : « أصنعا » .
(٢) المنتظم ١٥/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٣٦، والعبر ٣/ ٦١، ومرآة الجنان ٢/ ٤٤٨، وشذرات الذهب ٣/ ١٤٨.
(٣) فى ب ، م : « سبعين » .
(٤) أخبار أصبهان ٢/ ٣٠٦، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧، وتاريخ دمشق ١٥/ ٦١ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨. وانظر الكامل ٩/ ١٩٠.
(٥ - ٥) فى م : « كان ثبت » .

إلى البلادِ الشاسِعةِ ، وسمِع الكثيرَ ، وصنَّف « التاريخَ » ، و « الشيوخَ »[1] . قال أبو العباسِ جعفرُ بنُ محمدٍ الحافظُ : ما رأيْتُ أحفظَ مِن أبى عبدِ اللَّهِ بنِ مَنْدَه . تُوُفِّى بأصْفَهانَ فى صفرٍ من هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيانا برحمتِه .

---

(١) فى ب ، م : « الناسخ والمنسوخ » .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وتسعين وثلاثمائةٍ

[٩/١١٨ظ] فيها[١] كان خروجُ أبى رَكْوةَ على الحاكمِ العُبَيدىِّ صاحبِ مصرَ. ومُلَخَّصُ أمرِ هذا الرجلِ أنه كان مِن سُلالةِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ الأُمَوىِّ، واسمُه الوليدُ، وإنما لُقِّب بأبى رَكْوةَ لرَكْوَةٍ كان يستَصْحِبُها فى أسْفارِه على طريقةِ الصُّوفيةِ، وقد كان سمِع الحديثَ بالديارِ المِصْريةِ، ثم أقام بمكةَ، ثم باليمنِ، ثم دخَل الشامَ، وهو فى غُبُونِ هذا كلِّه يُبايِعُ مَن انْقاد له، ممَّن يَرَى عندَه همةً ونَهْضةً [٢]للقائمِ مِن[٢] ولدِ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ الأُمَوىِّ، ثم إنه أقام ببعضِ بلادِ مصرَ فى حَلَّةٍ مِن حِلالِ العربِ، يُعَلِّمُ الصِّبيانَ، ويُظْهِرُ النُّسُكَ والتَّقَشُّفَ والعبادةَ والوَرَعَ، ويُخْبِرُ بشىءٍ مِن المُغَيَّباتِ، حتى خضَعوا له وعظَّموه جدًّا، ثم دعا إلى نفسِه، وذكَر لهم أنه الذى يدعو إليه من الأمويين، فاستجابوا له وخضَعوا، وخاطَبوه بأميرِ المؤمنين، ولُقِّب بالثائرِ بأمرِ اللَّهِ المُنْتَصِرِ مِن أعْداءِ اللَّهِ، ودخَل بَرْقَةَ[٣] فى جَحْفلٍ، فجمع له أهلُها نحوًا مِن مائتَىْ ألفِ دينارٍ، وأخَذ رجلًا مِن اليهودِ اتَّهِم بشىءٍ مِن الوَدائعِ، فأخَذ منه مائتَىْ ألفِ دينارٍ أيضًا، ونقَشوا الدراهمَ والدنانيرَ بألْقابِه، وخطَب بالناسِ يومَ الجمعةِ، ولعَن الحاكمَ فى الخطبةِ، ونِعِمَّا فعَل، فالْتَفَّ على أبى رَكْوةَ مِن الجُنودِ نحوٌ مِن ستةَ عشَرَ ألفًا،

---

(١) المنتظم ١٥/٥٣ - ٥٥، والكامل ٩/١٩١ - ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢ - ٢) فى ب، م: «للقيام فى نصرة»، وفى ص: «للنسائم من».

(٣) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. معجم البلدان ١/٥٧٣.

فلما بلَغ الحاكمَ أمرُه وما آل إليه حالُه بعَث بخمسِمائةِ ألفِ دينارٍ وخمسةِ آلافِ ثوبٍ مِن الحريرِ إلى مُقَدَّمِ جُيوشِ أبى رَكْوةَ ، وهو الفضلُ بنُ عبدِ اللَّهِ[1] يَسْتَمِيلُه إليه ويَثْنِيه عن أبى رَكْوةَ ، فحينَ وصَلَتْه الأموالُ مِن الحاكمِ رجَع عن أبى رَكْوةَ وقال : إنا لا طاقةَ لنا بالحاكمِ ، وما دُمْتَ بينَ أظهرِنا فنحن مَطْلوبون بسببِك ، فاخْتَرْ لنفسِك بلدًا تكونُ فيها . فسأَل أن يَبْعَثوا معه فارسَيْن يُوصِلانه إلى النُّوبَةِ فإن بينَه وبينَ مَلِكِها مَوَدةً وصُحْبةً ، فأرْسَله ، ثم بعَث وراءَه مَن ردَّه إلى الحاكمِ بمصرَ ، فلما وصَل إليه أرْكَبه جملًا وأشهَره ، ثم قتَله فى اليومِ الثانى ، ثم أكْرَم الحاكمُ الفَضْلَ ، وأقْطَعه إقطاعاتٍ كثيرةً . واتَّفَق مرَضُ الفضلِ ، فعاده الحاكمُ مرتين ، فلما عُوفِىَ قتَله ، وألْحَقه بصاحبِه أيضًا ، وكافأه مُكافأةَ التِّمْساحِ[2] .

وفى رمضانَ عُزِل قِرْواشٌ عما كان بيدِه ووليه أبو الحسنِ علىُّ بنُ مَزْيَدٍ[3] ، ولُقِّب بسَنَدِ الدولةِ .

وفيها هزَم يَمِينُ الدولةِ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين أتلكَ[4] ملكَ التركِ عن بلادِ خُراسانَ ، وقتَل مِن الأتراكِ خلقًا كثيرًا .

وفيها قُتِل أبو العباسِ بنُ واصِلٍ صاحبُ البصرةِ ، وحُمِل رأسُه إلى بَهاءِ الدولةِ ، فطِيف به بخُراسانَ[5] وفارسَ .

وفيها ثارت على الحَجيجِ وهم بالطريقِ رِيحٌ سوداءُ مُظْلمةٌ جدًّا ، واعْتَرَضهم

---

(١) الذى فى مصادر التخريج ؛ أن الفضل من قواد الحاكم ، وليس من قواد أبى ركوة .

(٢) مثلٌ يُضرب لمن يقابل الإحسان بالإساءة ، وذُكِر هذا المثل لِمَا حُكِى عن التمساح أنه يأكل اللحم ، فيدخل فى خلال أسنانه ، فيفتح فاه فيجىء طائر فيسقط عليها فيخللها ويأكل اللحم ، فيكون طعامًا للطائر ، وراحة للتمساح ، فربما ضم التمساح فمه على الطائر فيقتله . انظر الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ١/ ٢٩٥.

(٣) فى ب ، ص ، م : « يزيد » .

(٤) سقط من : ب . وفى الكامل ، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك : « أيلك » .

(٥) فى الكامل : « خوزستان » .

ابنُ الجَرَّاحِ أميرُ الأعرابِ فاعْتاقهم عن الذَّهاب [٩/١١٩و] ففاتهم الحجُّ فى هذا العامِ ورجَعوا إلى بغدادَ، فدخَلوها فى يومِ التَّرْوِيةِ. وكانت الخُطْبةُ بالحرمَيْن للمِصْريين.

ومِمن توفى فيها مِن الأعْيانِ:

عبدُ الصمدِ بنُ عمرَ بن محمدِ بنِ إسحاقَ، أبو القاسمِ الدِّينَوَرِىُّ[1]، الواعظُ الزاهدُ، قرَأ القرآنَ، ودرَس مذهبَ الشافعىِّ على أبى سعيدٍ الإصْطَخْرىِّ، وسمِع الحديثَ مِن [2]أبى بكرٍ أحمدَ بنِ سلمانَ[2] النَّجَّادِ، وروَى عنه [2]الأَزَجِىُّ و[2] الصَّيْمَرىُّ، وكان ثقةً صالحًا، يُضْربُ به المَثَلُ فى مُجاهَدةِ النفسِ، واسْتِعْمالِ الصِّدْقِ[3] المَحْضِ، والتَّعَفُّفِ والتَّقَشُّفِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وحُسْنِ وعْظِه ونَفْعِه فى القلوبِ.

جاءه يومًا[4] رجلٌ بمائةِ دينارٍ فقال: أنا غنىٌّ عنها. فقال: خُذْها ففرِّقْها على أصحابِك هؤلاء. فقال: ضَعْها على الأرضِ. فوضَعها ثم قال للجماعةِ: لِيَأْخُذْ كلُّ واحدٍ منكم حاجتَه منها. فجعَلوا يَأْخُذون بقَدْرِ حاجاتِهم حتى أنْفَدوها، وجاء ولدُه بعدَ ذلك، فشكَى إليه حاجتَهم فقال: اذْهَبْ إلى البَقَّالِ، فخُذْ علىَّ رُبُعَ رِطْلِ تمرٍ.

ورآه رجلٌ[5] وقد اشْتَرى دَجاجةً وحَلْواءَ، فتعَجَّب مِن ذلك، فاتَّبعه فانتهى

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤٣، والمنتظم ١٥/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٤٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢١٧.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) فى المنتظم: «الجد».

(٤) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٤٤، والمنتظم ١٥/ ٥٦.

(٥) انظر المنتظم ١٥/ ٥٦، ٥٧.

إلى دارٍ فيها أرامِلُ وأيْتامٌ ، فدفَعها إليهم . وقد كان يَدُقُّ السُّعْدَ[1] للعطَّارِين بالأُجْرةِ ويَقْتاتُ مِن ذلك . ولما حضَرَته الوَفاةُ جعلَ يقولُ : سيِّدى ، لهذه الساعةِ خبَأْتُك . وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ لسبعٍ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وصُلِّى عليه بجامعِ المَنْصورِ ، ودُفِن بمقبرةِ الإمامِ أحمدَ .

أبو العباسِ بنُ واصِلٍ[2] صاحبُ سِيرافَ[3] والبصرةِ وغيرِهما مِن البلادِ ، كان أولًا يَخْدُمُ بالكَرْخِ[4] ، وكان مُتَصَوِّرًا له أنه سَيَمْلِكُ ، فكان أصحابُه يَهْزءون به [5]ويمجُنون عليه[5] ، فيقولُ أحدُهم : إذا ملَكْتَ[6] فاسْتَخْدِمْنى . ويقولُ الآخرُ : اخْلَعْ علىَّ . [5]ويقولُ الآخرُ : عاقِبْنى[5] . فقُدِّر له أن تتقَلَّبَ به الأحوالُ إلى أن ملَك سِيرافَ ثم البصرةَ ، وأخَذ بلادَ البَطيحةِ مِن مُهَذِّبِ الدولةِ ، وأخْرَجه منها طَريدًا ، بحيث إنه احْتاج فى أثناءِ الطريقِ إلى أن رِكِب بقرةً . واسْتَحْوذ ابنُ واصلٍ على ما هنالك مِن الأموالِ والحواصلِ ، وقصَد الأهْوازَ ، وهزَم بَهاءَ الدولةِ بها ، ثم ظفِر به بَهاءُ الدولةِ ، فقتَله فى شعبانَ[7] مِن هذه السنةِ ، وطِيف برأسِه فى البلادِ .

---

(١) السعد : نبت له أصل تحت الأرض أسود طيِّب الريح . انظر اللسان (س ع د) .

(٢) المنتظم ١٥/ ٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٤٨، والعبر ٣/ ٦٤.

(٣) سيراف : مدينة على ساحل بحر فارس . انظر معجم البلدان ٣/ ٢١١.

(٤) فى المنتظم : « الكرج » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) بعده فى ب ، م : « فأى شىء تعطينى ويقول الآخر ولنى ويقول الآخر استخدمنى » .

(٧) فى مصادر التخريج : « صفر » .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وتسعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] غزا يَمينُ الدولةِ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِينَ بلادَ الهندِ، ففتَح حُصونًا كثيرةً، وأخَذ أموالًا جَزيلةً وجَواهرَ نَفيسةً، وكان فى جُملةِ ما وجَد بيتٌ طولُه ثلاثون ذراعًا، وعرضُه خمسةَ عشَرَ ذراعًا مملوءًا فِضةً، ولما رجَع إلى غَزْنةَ بسَط هذه الحواصِلَ كلَّها [٩/ ١١٩ظ] فى صَحْنِ دارِه، وأذِن لرسلِ المُلوكِ، فدخَلوا عليه فرأَوْا ما بهَرهم وهالهم.

وفى يومِ الأربعاءِ الحادى عشَرَ[2] مِن ربيعٍ الآخِرِ[3] وقَع ببغدادَ ثَلْجٌ عظيمٌ، بحيث بقِى على وجهِ الأرضِ ذراعًا ونصفًا، ومكَث أسبوعًا لم يَذُبْ، وبلَغ سُقوطُه إلى تَكْرِيتَ والكوفةِ وعَبَّادانَ والنَّهْرَواناتِ[4]. وفى هذا الشهرِ كثُرت العَمَلاتُ خُفْيَةً وجَهْرَةً، حتى مِن المساجدِ والمَشاهِدِ، ثم ظفِر أصحابُ الشُّرْطةِ بكثيرٍ منهم فقطَعوا أيديَهم [5]وكحَلوهم[5] [6]وشَهَروهم[6]، فخَمَدَتِ الفتنةُ. وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

---

(١) المنتظم ١٥/٥٨ - ٦٢، والكامل ٩/٢٠٦ - ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

(٢) فى الأصل، ب، ص: «والعشرين».

(٣) فى المنتظم، والكامل: «الأول». والمثبت موافق لما فى تاريخ الإسلام.

(٤) فى ب، م: «النهروان». وفى المنتظم: «مهروبان». قال فى معجم البلدان ٤/ ٨٤٦: نهروان، وهى ثلاث نهروانات؛ الأعلى والأوسط والأسفل. أما مهروبان فهى فى موضعين؛ أحدهما على ساحل البحر بين عَبّادان وسيراف؛ بليدةٌ صغيرة. ومهروبان الثانية ناحية مشتملة على عدة قرى بهمذان. انظر معجم البلدان ٤/ ٦٩٩.

(٥ - ٥) فى الأصل: «وسمروهم»، وفى ص: «ويجعلوهم».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ب، م.

قصةُ مصحفِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، رضِى اللَّهُ عنه، وتَحْريقِه

عن فُتْيا الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ مما ذكَره ابنُ الجوزىِّ فى «المُنتَظَمِ»[1]

وفى عاشرِ رجبٍ جرَت فتنةٌ بينَ الرافِضَةِ والسنةِ، سببُها أن بعضَ الهاشميين قصَد أبا عبدِ اللَّهِ محمدَ بنَ النُّعْمانِ، المَعْروفَ بابنِ المُعَلِّمِ - وكان فقيهَ الشِّيعةِ - فى مسجدِه بدربِ رِيَاحٍ[2]، فعرَض له بالسَّبِّ، فثار أصحابُه له، واسْتَنْفَر أصحابَ الكَرْخِ، وصاروا إلى دارِ القاضى أبى محمدٍ[3] بنِ الأكْفانىِّ[3] والشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ، وجرَت فتنةٌ طويلةٌ، وأحْضَرَت الشِّيعةُ مُصْحفًا ذكَروا أنه مُصْحَفُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، وهو يُخالِفُ المَصاحفَ كلَّها، فجُمِع الأشْرافُ والقُضاةُ والفُقهاءُ فى يومِ جمعةٍ لليلةٍ بقِيت مِن رجبٍ، وعُرِض المصْحَفُ عليهم، فأشار الشيخُ أبو حامدٍ الإسْفَرايِينىُّ والفُقهاءُ بتَحْريقِه، ففعَل ذلك بمَحْضَرٍ منهم، فغَضِبت الشِّيعةُ مِن ذلك غضَبًا شديدًا، وجعَلوا يَدْعُون ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ على مَن فعَل ذلك ويَسُبُّونه، وقصَد جماعةٌ مِن أحْداثِهم دارَ الشيخِ أبى حامدٍ ليُؤْذُوه، فانْتَقَل منها إلى دارِ القُطْنِ، وصاحوا: يا حاكمُ يا منصورُ. وبلَغ ذلك الخليفةَ، فغضِب وبعَث أعوانَه لنصرةِ أهلِ السُّنةِ، فحُرِّقت

---

(١) المنتظم ١٥/ ٥٨، ٥٩.

(٢) فى الأصل، ب غير منقوطة، وفى م، ص: «رباح». والمثبت من مصدر التخريج.

(٣ - ٣) فى ب، م، وتاريخ الإسلام: «الأكفانى». والمثبت من نسختى الأصل، ص موافق لما فى المنتظم والكامل.

دورٌ كثيرةٌ من دورِ الشيعةِ ، وجرَت خطوبٌ شديدةٌ وبعَث عَمِيدَ الجُيوشِ إلى بغدادَ ليَنْفِيَ عنها ابنَ المُعَلِّمِ ، فأُخْرِج منها ، ثم شُفِع فيه ، ومُنِعَت القُصَّاصُ مِن التَّعَرُّضِ للفِتَنِ والسؤالِ باسمِ (١أَحَدٍ مِن الصحابةِ١) ، وعاد الشيخُ أبو حامدٍ إلى دارِه على عادتِه .

وفى شعبانَ زُلْزِلَت الدِّينَوَرُ زِلزالًا شديدًا ، سقَطَت منها دُورٌ كثيرةٌ ، (٢وهلَك تحتَ الهَدْمِ ستةَ عشَرَ ألفًا غيرَ مَن ساخت به الأرضُ٢) وهلَك للناسِ شيءٌ كثيرٌ من الأثاثِ والأمتعةِ .

وهبَّت ريحٌ سوداءُ بدَقُوقاءَ(٣) وتَكْرِيتَ وشيرازَ ، فقَلَعَتْ كثيرًا مِن المَنازِلِ والنَّخيلِ والزَّيتونِ ، وقتَلَت خلقًا كثيرًا .

وسقَط بعضُ شِيرازَ . ووقَعَت رَجْفةٌ بشِيرازَ ، غرِق بسببِها مَراكِبُ كثيرةٌ فى البحرِ . ووقَع بواسِطٍ بَرَدٌ زِنَةُ الواحدةِ مائةُ درهمٍ [٩/١٢٠و] وستةُ دَراهمَ .

ووقَع ببغدادَ فى رمضانَ - وذلك فى أيَّارَ - مطرٌ عظيمٌ سالَت منه المَزارِيبُ(٤) .

(١ - ١) فى ب ، م ، ص : « الشيخين ، وعلى رضى الله عنهم » . وذكر فى المنتظم والكامل ؛ أنه بعد ذلك رُسم للقصاص عودهم لعادتهم من الكلام بعدما شرط عليهم ترك التعرض للفتن .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) دقوقاء : بألف ممدودة ومقصورة ؛ مدينة بين أربل وبغداد . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٨١ .

(٤) فى المنتظم : « المآزيب » . وهما واحد ، والمزاريب : جمع مزراب وهو أنبوبة من الحديد ونحوه ، تُركَّب فى جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمِّع . انظر الوسيط (زرب) ، (زوب) .

ذكرُ تَخْريبِ قُمامَةَ فى هذه السنةِ

وفيها أمَر الحاكمُ العُبَيْدىُّ بتَخْريبِ كنيسةِ القُمامةِ مِن بيتِ المقدسِ، وأباح للعامَّةِ ما كان فيها مِن الأموالِ والأمتعةِ وغيرِ ذلك، وكان سببَ ذلك ما أُنْهِى مِن البُهْتانِ الذى يَتَعاطاه النصارى فى يومِ الفِصْحِ مِن النارِ التى يَحْتالون لها، بحيثُ يَتَوهَّمُ الأغمارُ[1] مِن جَهَلَتِهم أنها نزَلَت مِن السماءِ، وإنما هى مَصْنوعةٌ بدُهْنِ البَلَسانِ فى خُيوطِ الإبْرَيْسَمِ الرِّفاعِ المَدْهونةِ بالكِبريتِ وغيرِه، بالصَّنْعةِ اللَّطيفةِ التى تَروجُ على الطَّغامِ منهم والعوامِّ، وهم إلى الآن يَسْتَعْمِلونها فى ذلك المكانِ بعينِه. وكذلك أمَر بهَدْمِ عِدَّةِ كَنائسَ فى هذه السنةِ ببلادِ مصرَ، ونُودِى فى النصارى بمصْرَ: مَن أحَبَّ الدخولَ فى دينِ الإسلامِ دخَل، ومَن لا يَدْخُلْ فلْيَرْجِعْ إلى بلادِ الرومِ آمِنًا[2]، ومَن أقام منهم على دينِه فلْيَلْتَزِمْ بما شُرِط عليهم مِن الشروطِ التى زاد فيها على العُمَريَّةِ، مِن تَعْليقِ الصُّلْبانِ على صدورِهم، مِن خَشَبٍ زِنَةُ الصَّليبِ منهم أربعةُ أرْطالٍ، وعلى اليهودِ تَعْليقُ رأسِ العِجْلِ زِنتُه ستةُ أرْطالٍ. وفى الحَمَّامِ يَكونُ فى عُنُقِ الواحدِ منهم [3]قِرْبةٌ[4] زِنةُ خمسةِ أرْطالٍ، و[3] أجْراسٌ، وأن لا يَرْكَبوا خيلًا. ثم بعدَ هذا كلِّه أمَر بإعادةِ بناءِ الكَنائسِ التى هدَمها، وأذِن لمن أسْلَم منهم فى الارْتِدادِ إلى دينِه. وقال: نُنَزِّهُ مَساجدَنا أن يَدْخُلَها مَن لا نِيةَ له. قبَّحه اللَّهُ تعالى.

---

(١) الأغمار: جمع غُمْر؛ وهو الجاهل الغِرّ الذى لم يجرب الأمور. انظر اللسان (غ م ر).

(٢) فى ص: «آسفا».

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى مصادر التخريج.

(٤) فى الأصل: «قرمية»، وفى ص: «قرصة».

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ؛ أبو محمدٍ البافىُّ[1] البُخارىُّ الخُوارِزْمىُّ ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ فى وقْتِه ، تفَقَّه على أبى القاسمِ الدارَكىِّ ، ودرَّس مكانَه ، وله مَعْرفةٌ جيدةٌ بالأدبِ والفَصاحةِ والشعرِ .

جاء مرةً[2] ليَزورَ بعضَ أصحابِه فلم يَجِدْه فكتَب إليه :

قد[3] حضَرْنا وليس يَقْضِى التّلاقى ... نَسْأَلُ اللَّهَ خيرَ هذا الفِراقِ

إن [4]تَغِبْ لم أَغِبْ وإن لم تَغِبْ[4] غِبْـ ... ـتُ كأنَّ[5] افْتِراقَنا باتِّفاقِ

وقد كانت وفاتُه فى مُحَرَّمِ هذه السنةِ ، وقد ذكَرْنا ترجمتَه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » .

[6]**عبيدُ اللَّهِ**[6] **بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ ، أبو القاسمِ المُقْرئُ المعروفُ بالصَّيْدَلانىِّ** ، وهو آخرُ مَن حدَّث عن ابنِ صاعدٍ مِن الثِّقاتِ ، وروَى عنه الأزْهَرىُّ ، وكان ثقةً مأمونًا صالحًا . تُوُفِّى فى رجبٍ مِن هذه السنةِ وقد جاوَز

---

(١) فى ب ، م : « الباجى » . وانظر ترجمته فى يتيمة الدهر ٣/ ١٢٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٣٩، وطبقات الفقهاء ص ١٢٣، والمنتظم ١٥/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣/٣١٧ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ١٠/ ١٣٩، ١٤٠، والمنتظم ١٥/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٥٨.

(٣) فى تاريخ بغداد ، والمنتظم : « كم » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « نغب لم تغب وإن لم نغب » ، وفى تاريخ بغداد : « أغب لم تغب وإن لم تغب » . وفى المنتظم : « أغب لم تغب وإن لم نغب » .

(٥) فى المنتظم ، وتاريخ الإسلام : « وكان » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « عبد الله » . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٨، والمنتظم ١٥/ ٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٥٩ .

التسعين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

البَبَّغَاءُ ، عبدُ الواحدِ بنُ نصرِ بنِ محمدٍ ، أبو الفرجِ المَخْزوميُّ[1] ، الشاعِرُ المُلَقَّبُ بالبَبَّغَاءِ ، تُوُفِّى فى شعبانَ مِن هذه [٩/١٢٠ظ] السنةِ ، وكان أديبًا فاضلًا مُتَرَسِّلًا شاعرًا مُجيدًا ، فمِن ذلك قولُه :

يا مَن تشابَه منه الخَلْقُ والخُلُقُ ... فما تُسافِرُ إلا نحوَه الحَدَقُ
تَوريدُ دَمْعىَ مِن خدَّيك مُخْتَلَسٌ ... وسُقْمُ جسمىَ مِن جَفْنَيْك مُسْتَرَقُ
لم يَبْقَ لى رَمَقٌ أشْكُو هَواك به ... وإنما يَتَشَكَّى مَن به رَمَقُ

محمدُ بنُ يحيى ، أبو عبدِ اللَّهِ الجُرْجانيُّ[2] ، أحدُ العُلماءِ الزُّهَّادِ العُبَّادِ ، المُناظِرين لأبى بكرٍ الرازىِّ ، وكان يُدَرِّسُ فى قَطيعةِ الربيعِ ، وقد فُلِج[3] فى آخرِ عمرِه ، وحينَ مات دُفِن مع أبى حَنيفةَ .

أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ يحيى بنِ سعيدٍ ، أبو الفضلِ الهَمَذانيُّ[4] ، الحافظُ المعروفُ ببَديعِ الزمانِ ، صاحبُ الرسائلِ الرائقةِ ، والمَقاماتِ الفائقةِ ، وعلى مِنْوالِه نسَج الحَريرىُّ ، واقْتَفَى أثرَه وشكَر تقَدُّمَه ، واعْتَرَف بفضلِه ، وكان قد أخَذ اللغةَ عن ابنِ فارسٍ ، ثم برَّز ، وكان أحدَ الفُضَلاءِ الفُصَحاءِ ، ويُذْكَرُ[5] أنه سُمَّ ،

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٦، وتاريخ بغداد ١١/ ١١، والمنتظم ١٥/ ٦٤، وتاريخ دمشق ١٠/٥٨٢ مخطوط ، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٥٨ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٣، والمنتظم ١٥/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٦١ .

(٣) فُلِج : أصابه داء الفالج وهو شَلَل يُصيب أحد شِقَّى الجسم طُولًا . انظر الوسيط (ف ل ج) .

(٤) يتيمة الدهر ٤/٢٥٦ ، ومعجم الأدباء ٢/١٦١ ، ووفيات الأعيان ١/١٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٦٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٤٩ ، والوافى بالوفيات ٦/٣٥٥ .

(٥) فى ب ، م : « ويقال » .

وأخَذتْه سَكْتةٌ ، فدُفِن سَريعًا ، ثم عاش فى قبرِه ، وسمِعوا صُراخَه ، فنبَشوا عنه ، فإذا هو قد مات ، وهو آخِذٌ على لحيتِه مِن هَوْلِ القبرِ ، وذلك يومَ الجمعةِ الحادى عشَرَ مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وعفا عنه وسامَحه وإيّانا بمَنِّه .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وتسعين وثلاثمائةٍ

فيها[1] قُتِل أبو عليٍّ بنُ ثمالٍ نائبُ الرَّحْبةِ مِن طرَفِ الحاكمِ العُبَيدىِّ ، قتَله عيسى بنُ خلاطٍ العُقَيْلىُّ ، وملَكها ، فأخْرَجه منها عباسُ بنُ مِرْداسٍ صاحبُ حَلَبَ وملَكها .

وفيها صُرِف عَمْرُو[2] بنُ عبدِ الواحدِ عن قَضاءِ البصرةِ ، ووليه أبو الحسنِ بنُ أبى الشَّوارِبِ ، فذهَب الناسُ يُهَنُّون هذا ويُعَزُّون هذا ، فقال فى ذلك العُصْفُرىُّ :

عندى حديثٌ طَريفٌ ... بمثلِه يُتَغَنَّى
مِن قاضيَيْن يُعَزَّى ... هذا وهذا يُهَنَّا
فذا يَقولُ اكْرَهونا ... وذا يَقولُ اسْتَرَحْنا
ويَكْذِبان ونهذِى ... فمَن يُصَدَّقُ منا

وفى شعبانَ مِن هذه السنةِ عصَفَت ريحٌ شديدةٌ فألْقَت رمْلًا أحمرَ فى طُرُقاتِ بغدادَ .

وفيها هبَّت على الحُجَّاجِ رِيحٌ سوداءُ مُظْلمةٌ ، واعْتَرَضهم الأعْرابُ ، فصدُّوهم عن السبيلِ ، واعتاقوهم حتى فاتَهم الحجُّ فى هذه السنةِ أيضًا فرجَعوا ،

---

(١) المنتظم ١٥/ ٦٧، ٦٨، والكامل ٩/ ٢١٠ - ٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) فى الأصل: «عمر». وفى المنتظم والكامل: «أبو عمر»، وفى تاريخ الإسلام: «أبو عمرو». والمثبت موافق لإحدى نسخ تاريخ الإسلام، كما أشار لذلك محققه فى الحاشية.

وأخَذَت بنو هِلالٍ طائفةً مِن حُجاجِ البصرةِ نحوًا مِن ستِّمائةِ واحدٍ[1] ، وأخَذوا منهم نحوًا مِن ألفِ ألفِ دينارٍ . والخُطْبةُ بالحَرَمَيْن للمِصْريين .

[٩/ ١٢١و] **ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :**

عبدُ اللَّهِ بنُ بكرِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ ، أبو أحمدَ الطَّبَرانىُّ[2] ، سمِع ببغدادَ ومكةَ وغيرِهما مِن البلادِ ، وكان مُكْثِرًا[3] ، سمِع منه الدارقُطْنىُّ وعبدُ الغنىِّ بنُ سعيدٍ ، ثم أقام بالشامِ بالقربِ مِن جبلٍ عندَ بانياسَ يَعْبُدُ اللَّهَ تعالى إلى أن مات فى ربيعِ الأولِ من هذه السنةِ .

محمدُ [4]**بنُ أحمدَ**[4] **بنِ علىِّ بنِ الحسينِ ، أبو مسلمٍ** ، كاتبُ الوزيرِ ابنِ حِنْزابةَ ، روَى عن البَغَوىِّ وابنِ صاعدٍ وابنِ دُرَيْدٍ وابنِ أبى داودَ وابنِ عَرَفةَ وابنِ مُجاهِدٍ وغيرِهم ، وكان آخرَ مَن بقى مِن أصحابِ البَغَوىِّ ، وكان مِن أهلِ العلمِ والحديثِ والمعرفةِ والفَهمِ ، وقد تكَلَّم بعضُهم فى روايتِه عن البغوىِّ ؛ لأن أصولَه كان غالبُها مَفْسودًا . وذكَر الصُّورىُّ أنه خلَط فى آخرِ عمرِه . واللَّهُ أعلمُ .

أبو الحسنِ علىُّ بنُ أبى سعيدٍ [5]**عبدِ الرحمنِ**[5] **بنِ أحمدَ بنِ يونُسَ بنِ عبدِ**

---

(١) فى المنتظم وتاريخ الإسلام أن العدد المذكور كان عدد بنى هلال لا الحجاج ولم يذكر ذلك فى الكامل .

(٢) تاريخ بغداد ٩/٤٢٣ وفيه : « بن أبى بكر » بدل « بن بكر » . وتاريخ دمشق ٩/١٤ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٧٢.

(٣) فى ب ، م : « مكرمًا » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ١/ ٣٢٣، والمنتظم ١٥/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٧٧، والعبر ٣/ ٧١، والوافى بالوفيات ٢/ ٥٢.

(٥ - ٥) فى ب ، م : « عبد الواحد » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٣٧٦، ومرآة الجنان ٢/ ٤٥١، وشذرات الذهب ٣/ ١٥٦.

الأعْلَى الصَّدَفيُّ المِصْريُّ، صاحبُ كتابِ «الزِّيجِ الحاكميِّ» فى أربعِ مُجَلَّداتٍ، كان أبوه مِن أكابرِ المُحَدِّثين من الحُفاظِ، وقد أرَّخ لمصرَ تاريخًا نافعًا يَرْجِعُ إليه العُلَماءُ، وأما هذا فَاشْتَغل بعلمِ النُّجومِ فنال مِن شأنِه مَنالًا جيدًا، وكان شديدَ الاعْتِناءِ بعلمِ الرَّصْدِ، وكان مع هذا مُغَفَّلًا سَيِّئَ الحالِ، رَثَّ الثيابِ، طويلًا يَتَعَمَّمُ على طُرْطُورٍ طويلٍ، ويَتَطَيْلَسُ فوقَه، ويَرْكَبُ حمارًا، فمَن رآه ضحِك منه، وكان يَدْخُلُ على الحاكمِ فيُكْرِمُه، ويَذْكُرُ مِن تَغَفُّلِه ما يَدُلُّ على عدمِ[1] اعتنائِه بأمرِ نفسِه، وكان شاهدًا مُعَدَّلًا، وله شعرٌ جيدٌ، فمنه ما ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[2]:

أُحَمِّلُ نَشْرَ الرِّيحِ عندَ هُبوبِه ... رسالةَ مُشْتاقٍ لوجهِ حَبيبِهِ
بنَفْسىَ مَن تَحْيا النُّفوسُ بقربِه ... ومَن طابتِ الدنيا به وبطِيبِهِ
وجدَّد وَجْدى طائفٌ منهُ فى الكَرَى ... سَرَى مَوْهِنًا[3] فى خُفْيَةٍ مِن رقيبِهِ
لَعَمْرى لقد عَطَّلْتُ كأسىَ بعدَه ... وغَيَّبْتُها عنِّى لطولِ مَغِيبِهِ

تَمَنِّى أمُّ أميرِ المؤمنين القادرِ باللَّهِ[4] مَولاةُ عبدِ الواحدِ بنِ المُقْتَدِرِ، كانت مِن العابداتِ الصالحاتِ، ومِن أهلِ الفضلِ والدِّينِ؛ تُوُفِّيَت ليلةَ الخميسِ الثانى والعشرين مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ، وصلَّى عليها ابنُها القادِرُ، وحُمِلَت بعدَ العِشاءِ إلى الرُّصافةِ.

---

(١) سقط من: م.
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٩.
(٣) الموهن: نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه. الوسيط (و هـ ن).
(٤) المنتظم ١٥/ ٦٨، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٢١، وفيه: «يمنى».

سنةُ أربعِمائةٍ مِن الهجرةِ النبوية[1]

على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ

فى [2]ربيعِ الآخِرِ[2] نقَصَت دِجْلةُ نقصًا كثيرًا، حتى ظهَرت جَزائرُ لم تكنْ تُعرفُ، وامْتَنع سيرُ [٩/ ١٢١ظ] السفنِ فى أماكنِها مِن أوانا والرَّاشديةِ[3]، فأُمِر بكَرْيِ تلك الأماكنِ ولم تُكْرَ قبلَ ذلك.

وفيها كمَل السورُ على [4]المشهدِ بالحائرِ، وكان الذى بناه أبو محمدٍ الحسنُ ابنُ الفضلِ بنِ سهلانَ عن نذرٍ نذرَه حينَ زارَه[4].

وفى رمضانَ أَرْجَف الناسُ بالخليفةِ القادرِ باللَّهِ، فجلَس للناسِ يومَ جمعةٍ بعدَ الصلاةِ وعليه البُرْدَةُ، وبيدِه القَضيبُ، وجاء الشيخُ أبو حامدٍ الإسْفَرايِينىُّ، فقبَّل الأرضَ بينَ يديه، وقرأ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١] فتَباكَى الناسُ، ودعَوْا وانْصَرَفوا.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٧٠، ٧١، والكامل ٩/٢١٣ - ٢٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٢٤٣ - ٢٤٦.

(٢ - ٢) فى المنتظم: «ربيع الأول» ولم يشر فى الكامل إلى الشهر.

(٣) الراشدية: قرية من قرى بغداد. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٣٤.

(٤ - ٤) فى م: «مشهد أمير المؤمنين علىّ عليه السلام الذى بناه أبو إسحاق الأجّانى، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض فنذر إن عوفى ليبنينّه فعوفى».

وفى هذه السنةِ ورَد الخبرُ بأن الحاكمَ أنْفَذ إلى دارِ جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ بالمدينةِ، فأخَذ منها مُصْحفًا وآلاتٍ كانت بها، وهذه الدارُ لم تُفْتَحْ بعدَ موتِ صاحبِها إلى هذه المدةِ، وكان مع المصحفِ قَعْبٌ خشبٌ مُطَوَّقٌ بحديدٍ، ودَرَقةٌ خَيْزُرانٌ وحَرْبةٌ وسَريرٌ، حمَل ذلك كلَّه جَماعةٌ مِن العَلَويين إليه إلى الديارِ المصريةِ، فأطْلَق لهم أنعامًا كثيرةً ونَفَقاتٍ زائدةً، وردَّ السريرَ، وأخَذ الباقىَ، وقال: أنا أحَقُّ به. فرُدُّوا وهم ذامُّون له داعون عليه[1].

وبنَى الحاكمُ فى هذه السنةِ دارَ العلمِ، وأجْلَس فيها الفُقهاءَ، ثم بعدَ ثلاثِ سنين هدَمها، وقتَل خلقًا كثيرًا ممَّن كان فيها مِن الفُقهاءِ والمُحَدِّثين وأهلِ الخيرِ والديانةِ.

وعَمَّر الجامعَ المنسوبَ إليه بالديارِ المصريةِ وهو جامعُ الحاكمِ، وتأنَّق فى بنائِه فى هذه السنةِ. وفى ذى الحِجَّةِ منها أُعِيد المُؤَيَّدُ هشامُ بنُ الحكمِ[2] بنِ عبدِ الرحمنِ الأُمَوىُّ إلى مُلْكِه بعدَ خَلْعِه وحَبْسِه مدةً طويلةً.

وكانت الخطبةُ بالحرمين فى هذه السنةِ للحاكمِ العُبيدىِّ صاحبِ مصرَ والشَّامِ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحسينُ[3] بنُ موسى بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرٍ، أبو أحمدَ المُوسَوىُّ النَّقيبُ، والدُ الرَّضِىِّ والمُرْتَضَى، ولِى نِقابةَ الطالبِيِّين مراتٍ ببغدادَ نحوًا مِن خمسِ مراتٍ، يُعْزَلُ ويُعادُ، ثم أضَرَّ فى آخِرِ عمرِه، وتُوُفِّى عن

---

(١) وإنما حصل ذلك منهم؛ لأنه كان وعدهم أن يردَّ لهم هذه الأشياء بعد رؤيتها ولكنه لم يفعل، كما فى المنتظم وتاريخ الإسلام.

(٢) فى الكامل: «الحاكم». وانظر ما تقدم فى ص ٣٧١.

(٣) فى م: «الحسن». وانظر ترجمته فى المنتظم ١٥/ ٧١، والكامل ٩/ ٢١٩.

سبعٍ وتسعين سنةً ، وصلَّى عليه ابنُه المُرْتَضَى ، ودُفِن فى مشهدِ الحسينِ .

وقد رثاه ابنُه المُرْتَضَى هذا بقصيدةٍ حسنةٍ قويةِ المَنْزِعِ والمَطْلِعِ منها قولُه[1] :

سلامُ اللَّهِ تَنْقُلُه الليالى ... ويَهْدِيه الغُدُوُّ إلى الرَّواحِ
على جَدَثٍ تَشَبَّث مِن لُؤَىٍّ ... بيَنْبُوعِ[2] العِبادةِ والصَّلاحِ
فتًى لم يَرْوَ إلا مِن حلالٍ ... ولم يَكُ زادُه غيرَ[3] المباحِ
ولا دَنِست له إزْرٌ بوِزْرٍ ... ولا عَلِقَت له راحٌ براحِ
[٩/ ١٢٢و] خَفيفُ الظهرِ مِن ثِقْلِ الخَطايا ... وعُرْيانُ الجَوانحِ مِن جُناحِ
مَشوقٌ[4] فى الأمورِ إلى عُلاها ... ومَدْلولٌ على بابِ النجاحِ
مِن القومِ الذين لهم قلوبٌ ... بذكرِ اللَّهِ عامرةُ النَّواحِ
بأجْسامٍ مِن التَّقْوى مِراضٍ ... لمُبْصِرِها وأديانٍ صِحاحِ

رحِمه اللَّهُ تعالَى ورضِى عنه وتجاوز بمنِّه وكرمِه .

الحجاجُ بنُ هُرْمُزَ ، أبو جعفرٍ[5] نائبُ بَهاءِ الدولةِ على العراقِ ، وكان يَنتدِبُه لقتالِ الأعْرابِ والأكْرادِ ، وكان مِن المُقَدَّمين على عهدِ عَضُدِ الدولةِ ، وكانت له خبرةٌ تامةٌ بالحربِ ، وحُرْمةٌ شديدةٌ ، وشَجاعةٌ وافرةٌ ، وهِمَّةٌ عاليةٌ ، وآراءٌ سَديدةٌ . ولما خرَج عن بغدادَ فى سنةِ ثنتين وتسعين[6] وثلاثِمائةٍ كثُرَت بها الفتنُ والشرورُ . وكانت وفاتُه بالأهْوازِ فى هذه السنةِ عن مائةِ سنةٍ وخمسِ سنين . رحِمه اللَّهُ .

---

(١) انظر المنتظم ١٥/ ٧٢.
(٢) فى النسخ : « لينبوع » . والمثبت من المنتظم .
(٣) فى النسخ : « إلا » . والمثبت من المنتظم .
(٤) فى المنتظم : « مسوق » .
(٥) المنتظم ١٥/ ٧٢، والكامل ٩/ ٢١٩.
(٦) فى ب ، م : « سبعين » .

أبو عبدِ اللَّهِ القُمِّيُّ[1] **المصريُّ التاجرُ** كان ذا مالٍ جَزيلٍ جدًّا، اشْتَمَلت تَرِكتُه على أَزْيَدَ مِن ألفِ ألفِ دينارٍ، مِن سائرِ أنواعِ الأموالِ. وكانت وفاتُه بأرضِ الحجازِ، ودُفِن بالمدينةِ النبويةِ عندَ قبرِ الحسنِ بنِ عليٍّ، رضِى اللَّهُ تعالى عنهم.

أبو الحسينِ بنُ الرَّفَّاءِ المُقْرِئُ[2] المتقَدِّمُ ذكرُه، كان مِن أحسنِ الناسِ صوتًا بالقرآنِ وأحْلاهم أداءً، رحِمه اللَّهُ تعالى، وقد تقدم ذكرُه فى سنةِ أربعٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ[3] بما أغنَى عن إعادتِه هنا.

---

(١) فى الأصل، ص: «بن القمرىّ». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٥/ ٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ - ٤٠٠) ص ٤٠٠.

(٢) المنتظم ١٥/ ٧٣، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٢٤.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٥٠٤.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وأربعِمائةٍ

فى يومِ الجمعةِ الرابعِ مِن المُحَرَّمِ منها[1] خُطِب بالموصِلِ للحاكمِ العُبَيْدىِّ عن أمْرِ صاحبِها قِرْواشِ بنِ مُقَلَّدٍ أبى مَنيعٍ، وقهَر رَعِيتَه على ذلك، وقد سرَد ابنُ الجَوْزىِّ صفةَ الخُطْبةِ يومَئذٍ بحروفِها، وفى آخرِ الخطبةِ صلَّوا على آبائِه من الخلفاءِ؛ المهدىِّ، ثم ابنِه القائمِ، ثم ابنِه المنصورِ، ثم ابنِه المُعِزِّ، ثم ابنِه العزيزِ، ثم على ابنِه الحاكمِ صاحبِ الوقتِ، وبالَغوا فى الدعاءِ لهم، ولا سيَّما للحاكمِ المذكورِ، وكذلك ببقيةِ أعْمالِه مِن الأنْبارِ والمَدائنِ وغيرِهما. وكان سببَ ذلك أن الحاكمَ تردَّدَت مُكاتَباتُه ورسلُه وهَداياه إلى قِرْواشٍ يَسْتَمِيلُه إليه، ولِيُقْبِلَ بوجهِه عليه، حتى فعَل ما فعلَ مما ذكَرنا، فلما بلَغ الخبرُ القادرَ باللَّهِ العباسىَّ كتَب يُعاتِبُ قِرْواشَ بنَ مُقَلَّدٍ على ما صنَع، ونفَذ بَهاءُ الدولةِ إلى عَميدِ الجُيوشِ بمائةِ ألفِ دينارٍ لمُحارَبةِ قِرْواشٍ، فلما بلَغ ذلك قِرْواشًا رجَع عن رأيِه، وندِم على ما كان منه، وأمَر بقطعِ الخطبةِ الحاكميةِ مِن بلادِه، وأعادها إلى القادرِ العباسىِّ على عادتِه.

[٩/ ١٢٢ظ] قال ابنُ الجَوْزىِّ[2]: ولخمسٍ بقِين مِن رجبٍ زادت دجلةُ زيادةً كثيرةً، واسْتَمَرَّت الزيادةُ إلى رمضانَ، وبلَغَت أحدًا وعشرين ذراعًا وثلثًا،

---

(١) المنتظم ١٥/٧٤ - ٧٨، والكامل ٩/٢٢١ - ٢٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٥.

(٢) المنتظم ١٥/ ٧٧.

ودخَل الماءُ إلى أكثرِ دُورِ بغدادَ .

وفيها رجَع الوزيرُ أبو غالبِ بنُ خلفٍ إلى بغدادَ ، ولُقِّب فخرَ المُلكِ بعدَ عَميدِ الجُيوشِ .

وفيها عصَى أبو الفتحِ الحسنُ بنُ جعفرٍ العَلَويُّ ، ودَعا إلى نفسِه وتلَقَّب بالراشدِ باللَّهِ . ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ أيضا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والأشرافِ :

أبو مسعودٍ الدمشقيُّ ، إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عُبَيدٍ ، أبو مسعودٍ الدمشقيُّ[1] ، الحافظُ الكبيرُ ، مُصَنِّفُ كتابِ « الأطرافِ على الصحيحَيْن » ، رحَل إلى بلادٍ شَتَّى كبغدادَ والبصرةِ والكوفةِ وواسِطٍ والأهوازِ وأصبهانَ وخُراسانَ ، وكان مِن الحُفَّاظِ الصادقين الأُمَناءِ الضابِطِين ، ولم يَرْوِ إلا اليَسيرَ ، روَى عنه أبو القاسمِ الطبرىُّ[2] وأبو ذَرٍّ الهَرَوىُّ ، وحمزةُ السَّهْمىُّ ، وغيرُهم . وكانتْ وفاتُه ببغدادَ فى رجبٍ ، وأوْصَى إلى الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ فصلَّى عليه ، ودُفِن فى مقبرةِ جامعِ المنصورِ قريبًا مِن السِّكَكِ رحِمه اللَّهُ . وقد ترْجَمه ابنُ عَساكرَ وأثْنَى عليه . واللَّهُ أعلمُ .

عميدُ الجُيوشِ ، الحسنُ بنُ أبى جعفرٍ أُستاذ هُرْمُزَ ، أبو علىٍّ[3] ، الملقَّبُ

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٧٢، وتاريخ دمشق ٧/ ١٩٩، والمنتظم ١٥/ ٧٨، والكامل ٩/ ٢٢٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٣٩.

(٢) سقط من: م، وفى ص: « الطبرانى ». وهو: أبو القاسم هبة اللّه بن الحسن بن منصور الطبرى الرازى الشافعى اللّالكائىّ. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٢٨، ٤١٩.

(٣) المنتظم ١٥/ ٧٨، والكامل ٩/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٨.

بعميدِ الجيوشِ ، وزيرُ بهاءِ الدولةِ ، وُلِد سنةَ خمسين وثلاثِمائةٍ ، وكان أبوه مِن حُجَّابِ عَضُدِ الدولةِ ، وولَّاه بَهاءُ الدولةِ النظرَ فى وِزارتِ سنةَ ثنتين وتسعين ، والشرورُ عامةٌ كثيرةٌ ، فمهَّد البلادَ وأخَافَ العَيَّارين ، واستقامت به الأمورُ ، وأمرَ بعضَ غِلْمانِه أن يَحْمِلَ صِينِيَّةً فيها دراهِمُ[1] مكشوفةٌ ، مِن أولِ بغدادَ إلى آخرِها ، فى أزقَّتِها ، فإن اعْتَرَضه أحدٌ فلْيَدْفَعْها إليه ، ولْيَعْرِفْ ذلك المكانَ ، فذهَب الغلامُ ، فلم يَعْترِضْه أحدٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، ومنَع الرَّوافِضَ مما كانُوا يتعاطَونه من النِّياحةِ فى عاشُوراءَ ، وإقامةِ العيدِ المبتدَعِ فى اليومِ الثامنَ عشَرَ من ذى الحِجَّةِ الذى يُقالُ له : غَديرُ خُمٍّ . وكان عادلًا مُنْصِفًا ، رحِمه اللَّهُ .

خلفُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ حَمْدُونَ ، أبو محمدٍ الواسطىُّ[2] ، رحَل إلى البلادِ ، وسمِع الكثيرَ ، ثم عاد إلى بغدادَ ، ثم رحَل إلى الشامِ ومصرَ ، وكتَب الناسُ بانتِخابِه ، وصنَّف أطْرافًا على « الصحيحَيْن » ، وكانت له معرفةٌ تامةٌ ، وحفظٌ جيدٌ ، ثم عاد إلى بغدادَ ، واشْتَغل بالتجارةِ ، وترَك النظرَ فى العلمِ حتى تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ وسامَحه . وممن روَى عنه الأزْهَرىُّ .

أبو عُبَيدٍ الهَرَوىُّ ، صاحبُ « الغَرِيبَيْن » ، **أحمدُ بنُ محمدِ**[3] **بنِ محمدِ ابنِ أبى عُبَيدٍ العَبْدىُّ** ، اللُّغوىُّ البارعُ ، كان مِن عُلماءِ الناسِ فى الأدبِ واللغةِ ،

---

(١) فى الأصل : « فضة » . وانظر المنتظم ١٥/ ٧٩.

(٢) أخبار أصبهان ١/ ٣١٠، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٣٤، وتاريخ دمشق ١٧/ ١٦، والمنتظم ١٥/ ٨٠، والكامل ٩/ ٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٢٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٧.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م ، ص . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٣٨، والعبر ٣/ ٧٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٨٤. قال ابن خلكان : ورأيت على ظهر كتابه « الغريبين » أنه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن . والله أعلم . وكذا ورد ذكر اسمه فى السير وتاريخ الإسلام .

وكتابُه «الغَريبَيْن» فى معرفةِ غَريبِ [٩/١٢٣و] القرآنِ والحديثِ، يَدُلُّ على اطِّلاعِه وتَبَحُّرِه فى هذا الشأنِ، وكان مِن تَلامذةِ أبى منصورٍ الأزْهرىِّ.

قال ابنُ خَلِّكانَ[١]: وقيل: إنه كان يُحِبُّ البِذْلةَ[٢] ويَتَناوَلُ فى الخَلْوةِ، ويُعاشِرُ أهلَ الأدبِ فى مجالِسِ اللَّذَّةِ والطَّرَبِ. سامَحه اللَّهُ تَعالى.

قال: وكانت وفاتُه فى رجبٍ سنةَ إحدى وأربعِمائةٍ.

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[٣] فى هذه السنةِ أو التى قبلَها وفاةَ أبى الفتحِ البُسْتىِّ الشاعرِ وهو:

علىُّ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ يوسُفَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ الكاتبُ، صاحبُ الطريقةِ الأَنِيقةِ فى التَّجْنِيسِ الأَنِيسِ، البَديعِ التَّأْسيسِ، والحَذاقةِ والنَّظْمِ والنَّثْرِ، وقد أسلفْنا ذكرَه، وممَّا أوْرَد له ابنُ خَلِّكانَ[٤] قولُه: مَن أصْلَح فاسِدَه أرْغَم حاسِدَه. مَن أطاع غضَبَه أضاع أدبَه. مِن سَعادةِ جَدِّك وُقوفُك عندَ حَدِّك. المَنِيَّةُ تَضْحَكُ مِن الأُمْنِيَّةِ. الرِّشْوةُ رِشاءُ الحاجاتِ. حَدُّ العَفافِ الرِّضا بالكَفافِ. ومِن شعرِه[٥]:

إنْ هزَّ أقلامَه يومًا ليُعْمِلَها ... أنساكَ كلَّ كَمِيٍّ[٦] هزَّ عامِلَهُ
وإن أقَرَّ[٧] على رَقٍّ أناملَه ... أقر بالرِّقِّ كُتّابُ الأنامِ لهُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/٩٦.
(٢) فى ب، م: «التنزه». والبِذْلة، بكسر الباء: ما يُمْتهن من الثياب، ومنه: الابتذال.
(٣) تقدم فى صفحة ٣٥٦.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٦، ٣٧٧.
(٥) الديوان ص ٦٥.
(٦) الكمى: لابس السلاح. الوسيط (ك م ى).
(٧) فى ب، م: «أمرَّ».

وله[1] :

إذا تحَدَّثْتَ فى قومٍ لتُؤْنِسَهم بما تُحَدِّثُ مِن ماضٍ ومِن آتِ
فلا تَعُدْ لحديثٍ إنَّ طبعَهمُ مُوَكَّلٌ بمُعاداةِ المُعاداتِ

(١) البيتان فى يتيمة الدهر ٣٣٣/٤ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَيْن وأربعِمائةٍ

فى المُحَرَّمِ[1] أذِن فخرُ المُلْكِ للرَّوافضِ أن يَعْمَلوا البِدْعةَ الشَّنْعاء، والفَضِيحةَ الصَّلْعاء، مِن الانْتِحابِ والنَّوْحِ والبُكاء، وتَعْليقِ المُسوحِ، وتغْليقِ الأسواقِ مِن الصباحِ إلى المساء، ودورانِ النساءِ حاسِراتٍ عن وُجوهِهن ورُءوسِهن، يَلْطِمْنَ خُدودَهن، كفعلِ الجاهليةِ الجَهْلاء، فلا جزاه اللَّهُ عن السنةِ خيرًا، وسَوَّد اللَّهُ وجهَه يومَ الجزاء، إنه سميعُ الدعاء، ربُّ الأرضِ والسماء.

وفى ربيعِ الآخِرِ أمَر القادرُ باللَّهِ بعِمارةِ مسجدِ الكفِّ بقَطِيعةِ الدقيقِ، وأن يُعادَ إلى أحسنِ ما كان، ففُعِل ذلك وزُخْرِف زَخْرفةً عظيمةً جدًّا.

ذكرُ الطَّعْنِ فى نسبِ الفاطمِيّين مِن أئمةِ بغدادَ وغيرِها مِن البلادِ

وفى ربيعِ الآخِرِ منها كتَب هؤلاء ببغدادَ مَحاضِرَ تَتَضَمَّنُ الطعنَ والقَدْحَ فى نسبِ الخلفاءِ المصريين الذين يدَّعون أنهم فاطميُّون وليسوا كذلك، ونسبتُهم[2] إلى دَيْصانَ بنِ سعيدٍ الخُرَّميِّ، وكتَب فى ذلك جماعةٌ مِن العُلماءِ والقُضاةِ

---

(١) المنتظم ١٥/٨٢ - ٨٥، والكامل ٩/٢٢٧ - ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١١.

(٢) من هنا خرم فى مخطوطة (ب) ينتهى عند قول المصنف فى صفحة ٥٥١: «فأمر بإحضار ابن أبى إسرائيل فامتنع».

والفقهاءِ والأشرافِ والأَماثلِ والمعدِّلين والصالحين، شهِدوا جميعًا أن الناجمَ بمصرَ - و[1] هو منصورُ بنُ نِزارٍ المُلَقَّبُ بالحاكمِ، حكَم اللَّهُ عليه بالبَوارِ [٩/ ١٢٣ظ] والخِزْيِ والدَّمارِ، والنَّكالِ والاستئصالِ، ابنِ مَعَدِّ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ، لا أسْعَده اللَّهُ، فإنه لما صار إلى بلادِ المغربِ تسَمَّى بعُبَيدِ اللَّهِ، وتلَقَّب بالمهديِّ - ومَن تقَدَّم مِن سَلَفِه مِن الأنجاسِ والأرجاسِ، عليه وعليهم لعنةُ اللَّهِ ولعنةُ اللاعنين، أدْعِياءُ خَوارجُ، لا نسَبَ لهم فى ولدِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ، ولا يَتَعَلَّقون منه بسببٍ، وأنه مُنَزَّهٌ عن باطلِهم، وأن الذى ادَّعَوْه مِن الانتسابِ إليه باطلٌ وزُورٌ، وأنهم لا يَعْلَمون أحدًا مِن أهلِ بُيوتاتِ الطالبيين توَقَّف عن إطْلاقِ القولِ فى هؤلاء الخَوارِجِ أنَّهم أدعياءُ، وقد كان هذا الإنْكارُ لباطلِهم شائعًا فى الحرمَيْن، وفى أولِ أمْرِهم بالمغربِ مُنْتَشِرًا انْتِشارًا يَمْنَعُ من أن يُدَلَّسَ على أحدٍ كذِبُهم، أو يَذْهَبَ وَهْمٌ إلى تَصْديقِهم فيما ادَّعَوْه، وأن هذا الناجمَ بمصرَ هو وسَلَفَه كفارٌ فُسَّاقٌ فُجَّارٌ، مُلْحِدون زَنادِقةٌ مُعَطِّلون، وللإسلامِ جاحِدون، ولمذهَبِ الثَّنَوِيةِ والمَجوسِيةِ مُعْتَقِدون، قد عطَّلوا الحدودَ، وأباحوا الفُروجَ، وأحَلُّوا الخمورَ، وسفَكوا الدماءَ، وسبُّوا الأنبياءَ، ولعَنوا السلفَ، وادَّعَوُا الربوبيةَ، وكُتِب فى ربيعِ الآخرِ سنةَ اثنتَيْن وأربعِمائةٍ.

وقد كتَب خَطَّه فى المحْضَرِ خلقٌ كثيرٌ، فمِن العَلَوِيِّين المُرْتَضَى والرَّضِيُّ وابنُ الأزْرَقِ المُوسَوىُّ، وأبو طاهرِ بنُ أبى الطَّيبِ، ومحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ، وابنُ أبى يَعْلَى. ومِن القُضاةِ أبو محمدِ بنُ الأكْفانىِّ، وأبو القاسمِ الخَزَرِىُّ[2]، وأبو العباسِ بنُ السورىِّ. ومِن الفُقهاءِ أبو حامدٍ الإسْفَرايِينىُّ، وأبو محمدِ بنُ

---

(١) سقط من: الأصل، م، ص. والمثبت من المنتظم.

(٢) فى م، وتاريخ الإسلام: «الجزرى».

الكَشْفُلىّ ، وأبو الحسينِ القُدُورىُّ ، وأبو عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرىُّ ، وأبو عبدِ اللَّهِ البَيْضاوىُّ ، وأبو علىٍّ بنُ حَمَكانَ . ومِن الشُّهودِ أبو القاسمِ التَّنُوخىُّ ، فى خلقٍ كثيرٍ ، وقُرِئَ بالبصرةِ وكتَب فيه خَلْقٌ كثيرٌ . هذه عبارةُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ .

قلتُ : ومما يَدُلُّ على أن هؤلاء أدْعِياءُ ، كما ذكَر هؤلاء السادةُ العلماءُ ، والأئمةُ الفُضلاءُ ، وأنهم لا نسَبَ لهم إلى علىٍّ ولا إلى فاطمةَ كما يَزْعُمُون ، قولُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ للحسينِ بنِ علىٍّ حينَ أراد الدخولَ إلى العراقِ[1] ، وذلك عن كتُبِ عوامِّ أهلِ الكوفةِ إليه بالبَيْعةِ له ، فقال له ابنُ عمرَ : لا تَذْهَبْ إليهم فإنى أَخافُ عليك أن تُقْتَلَ ، وإنَّ جَدَّك قد خُيِّر بينَ الدنيا والآخِرةِ فاخْتار الآخِرةَ على الدنيا ، وأنت بَضْعةٌ منه ، وإنه واللَّهِ لا تَنالُها لا أنت ولا أحدٌ مِن أهلِ بيتِك . فهذا الكلامُ الحسنُ الصحيحُ المُتَوَجِّهُ المَعْقولُ مِن هذا الصحابىِّ الجَليلِ ، يَقْتَضِى أنه لا يَلِى الخِلافةَ أحدٌ مِن أهلِ البيتِ إلا محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ المَهْدىَّ ، الذى يكونُ فى آخرِ الزمانِ وقتَ نزولِ عيسى ابنِ مريمَ من السماءِ إلى الأرضِ ، كما سيأتى بيانُ ذلك مُفَصَّلًا فى أحاديثِ الملاحمِ ، ومَعلومٌ أن هؤلاء قد ملكوا ديارَ مصرَ مدةً طويلةً ، فدل ذلك دَلالةً قويةً ظاهرةً أنهم [٩/١٢٤و] ليسوا مِن أهلِ بيتِ النبوةِ ، كما نص عليه سادةُ القضاةِ والشهودِ والفقهاءِ والكبراءِ ، وقد صنَّف القاضى الباقِلَّانىُّ كتابًا فى الردِّ على هؤلاء القومِ المنتسبين إلى الفاطميين وسمَّاه « كشْفَ الأسْرارِ وهَتْكَ الأسْتارِ » نثَر فيه فَضائحَهم وقَبائحَهم ، ووضَّح أمْرَهم لكلِّ أحدٍ يفهَمُ شيئًا من مَطاوِى أفعالِهم وأقوالِهم ، وقد كان يقولُ فى عبارتِه : هؤلاء قومٌ

---

(١) انظر ما تقدم فى ٩/ ٢٤٠، ٢٤١، و١١/ ٢٩٧، ٢٩٨.

يُظْهِرون الرَّفْضَ ويُبْطِنون الكفرَ المَحْضَ .

وفى رجبٍ وشعبانَ ورمضانَ أخرَج الوزيرُ فخرُ المُلْكِ صَدَقاتٍ كثيرةً على الفقراءِ والمَساكينِ والمقيمينَ بالمَشاهِدِ والمقابرِ ، وزار بنفسِه المساجدَ والمشاهدَ وغيرَ ذلك ، وأخْرَج خلقًا مِن المسجونين بالحُبوسِ ، وأظْهَر نُسُكًا كثيرًا ، وعمَّر دارًا عظيمةً عندَ سوقِ الدقيقِ هائلةً .

وفى شوالٍ عصَفَت ريحٌ شديدةٌ سوداءُ ، فقصَفَت شيئًا كثيرًا مِن النخلِ ، أكثرَ مِن عشَرةِ آلافٍ .

وورَد كتابٌ مِن يَمينِ الدولةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين صاحبِ غَزْنةَ ، أيَّده اللَّهُ تعالى ، بأنَّه ركِب بجيشِه إلى دارِ العدوِّ ، فاجتاز بهم فى مفازةٍ ، فأعْوَزهم فيها الماءُ حتى كادوا أن يَهْلِكوا عَطَشًا ، فبعَث اللَّهُ لهم سَحابةً ، فأمْطَرت عليهم حتى شرِبوا ورَوُوا ، ثم تواقَفوا هم وعدوُّهم ، ومع الأعداءِ نحوٌ مِن ستِّمائةِ فيلٍ ، فهزَموهم ، وغنِموا منهم شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وعمِلَت الشيعةُ يومَ غَديرِ خُمٍّ - وهو اليومُ الثامنَ عشَرَ مِن ذى الحجةِ - البدعةَ التى ابتدعوها لا لابتغاءِ وجهِ اللَّهِ ، وزُيِّنَت الحَوانِيتُ ، وتمكَّنوا بسببِ الوزيرِ وكثيرٍ مِن الأتراكِ تمكُّنًا كثيرًا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسنُ بنُ الحسينِ[1] بنِ علىِّ بنِ العباسِ بنِ إسماعيلَ بنِ أبى سهلِ بنِ نُوبَخْتَ ، أبو محمدٍ النُّوبَخْتىُّ الكاتبُ ، وُلِد سنةَ عشرين وثلاثِمائةٍ ، وروَى عن

---

(١) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٩، والمنتظم ١٥/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٥٨.

المَحامِلِيّ وغيرِه ، وعنه البَرْقانيّ ، وقال : كان شيعيًّا مُعْتَزِليًّا ، إلا أنه تبيَّنَ لى أنه كان صَدوقًا . والأزْهَرِيُّ ، وقال : كان رافضيًّا رَدِىءَ المذهبِ . وقال العَتِيقيُّ : كان ثقةً فى الحديثِ ويَذْهَبُ إلى الاعْتِزالِ .

عثمانُ بنُ عيسى ، أبو عمرٍو الباقِلَّانِيُّ[1] ، أحدُ الزُّهَّادِ الكِبارِ المَشْهورين ، كانت له نَخَلاتٌ يَأْكُلُ منهن ، ويَعْمَلُ بيدِه فى البَوارِيِّ ، ويَأْكُلُ مِن ذلك ، وكان فى غايةِ الزَّهادةِ والعِبادةِ الكثيرةِ ، وكان لا يَخْرُجُ مِن مسجدِه إلا مِن الجمعةِ إلى الجمعةِ ، يصلى فى الجامعِ ، ثم يَعودُ إلى مسجدِه ، وكان مسجدُه لا يحصلُ له شىءٌ يُشْعلُه فيه ، فطلَب منه بعضُ الأمراءِ أن يقْبَلَ منه شيئًا ولو زيتًا يُشْعِلُه فى قَناديلِه ، فأبَى الشيخُ ذلك .

ولما مات رأَى بعضُهم بعضَ الأمواتِ [٩/١٢٤ظ] مِن جيرانِ قبرِه ، فسأله عن جِوارِه فقال : وأين هو ؟! لما وُضِع فى قبرِه سمِعْنا قائلًا يقولُ : الفِرْدوسَ الأعلى . أو كما قال ، وكانت وفاتُه فى رجبٍ من هذه السنةِ عن ستةٍ وثمانين سنةً .

محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ هارونَ بنِ فرْوَةَ بنِ ناجيةَ ، أبو الحسنِ النَّحْوِيُّ[2] ، المَعْروفُ بابنِ النَّجَّارِ التَّمِيمِيُّ الكوفيُّ ، قدِم بغدادَ ، وروَى عن ابنِ دُرَيْدٍ والصُّوليِّ ونِفْطَوَيْهِ وغيرِهم ، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى من هذه

---

(١) فى الأصل ، المنتظم : « الباقلاوى » ، وفى ص : « البلا » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١١/ ٣١٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٦٩، والمنتظم ١٥/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٦٢، والعبر ٣/ ٧٩.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٨، والمنتظم ١٥/ ٨٨، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٠٣، وإنباه الرواة ٣/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٦٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٠٥.

السنةِ عن [1]تسعٍ وتسعين[1] سنةً .

أبو الطَّيِّبِ سهلُ بنُ محمدٍ الصُّعْلُوكيُّ النَّيْسابوريُّ[2] ، قال أبو يَعْلَى الخَليليُّ : تُوُفِّى فيها . وقد تقدم فى سنةِ سبعٍ وثمانين وثلاثِمائةٍ .

(١ - ١) فى م : « سبع وسبعين » .

(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٤٧٧.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وأربعِمائةٍ

فى سادسَ عشَرَ المُحرَّمِ[1] قُلِّد الشريفُ الرَّضِىُّ أبو الحسنِ المُوسَوىُّ نِقابةَ الطالبِيِّين فى سائرِ المَمالِكِ، وقُرِئَ تَقْليدُه فى دارِ الوزيرِ فَخرِ المُلْكِ، بمَحْضَرِ القضاةِ والأعيانِ، وخُلِع عليه السَّوادُ، وهو أولُ طالبىٍّ خُلِع عليه السَّوادُ.

وفيها جِىء بأميرِ بنى خَفاجةَ أبى فُلَيتةَ، قبَّحه اللَّهُ، وجماعةٍ مِن رُءوسِ قومِه أُسارَى، وكانوا قد اعْتَرَضوا الحَجيجَ فى السنةِ الماضيةِ[2] وهم راجِعون، وغوَّروا المَناهِلَ التى يَرِدُها الحُجَّاجُ، ووضَعوا فيها الحَنْظلَ، بحيث إنه مات مِن العطشِ نحوٌ مِن خمسةَ عشَرَ ألفًا، وأخَذوا بقيتَهم، فجعَلوهم رُعاةً لمَواشِيهم فى أسوأِ حالٍ، وأخَذوا جميعَ ما كان معهم من الأحمالِ والجمالِ، فحينَ أحْضرَهم الوزيرُ فخرُ المُلْكِ سجَنهم ومنَعهم الماءَ، ثم صلَبهم تِلْقاءَ دجلةَ يَرَوْن صَفاءَ الماءِ، ولا يَقْدِرون على شىءٍ منه، حتى ماتوا كذلك جَزاءً وِفاقًا، ولقد أحْسَن فخرُ المُلْكِ فى هذا الصنيعِ واقتدى بحديثِ أنسٍ[3] فى الرِّعاءِ الذين كانوا فى زمنِ النبىِّ ﷺ، والحديثُ[3] فى «الصحيحَيْن»[4]. ثم بعَث إلى أولئك الذين اعْتُقِلوا فى بلادِ بنى خفاجةَ مِن الحُجاجِ فجِىء بهم، وقد تَزَوَّجَت نساؤُهم، وقُسِمَت

---

(١) المنتظم ١٥/٨٩ - ٩٢، والكامل ٩/٢٣٨، ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٥ - ١٨.

(٢) فى المنتظم وتاريخ الإسلام أنهم اعترضوا الحجاج فى صفر من هذه السنة.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) تقدم فى ٦/٢٤٣.

أموالُهم ، فرُدُّوا إلى أهاليهم وأموالِهم . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : وفى رمضانَ انْقَضَّ كوكبٌ مِن المشرقِ إلى المغربِ ، غلَب ضَوْءُه على ضوءِ القمرِ ، وتقَطَّع قِطَعًا ، وبقِى ساعةً طويلةً .

قال : وفى شوالٍ تُوُفِّيَت زوجةُ بعضِ رُؤساءِ النصارَى ، فخرَجَت النَّوائحُ والصُّلُبُ معها جَهْرةً ، فأنْكَر ذلك بعضُ الهاشميين ، فضرَبه بعضُ غِلْمانِ ذلك الرئيسِ النصرانىِّ بدَبُّوسٍ فى رأسِه فشجَّه ، فثار المسلمون بهم ، فانْهَزَموا ولجَئوا إلى كنيسةٍ لهم هناك ، فدخَلَت العامَّةُ إليها فنهَبوا ما فيها وما قرُب منها مِن دُورِ النَّصارَى ، وتتَبعوا النصارَى فى البلدِ ، وقصَدوا دارَ المُناصِحِ[2] وابنِ أبى إسْرائيلَ[3] ، فقاتَلهم غِلْمانُهم ، وانْتَشَرَت الفِتْنةُ ببغدادَ ، ورفَع المسلمون المَصاحِفَ فى الأسواقِ [٩/١٢٥و] ، وعُطِّلَت الجُمعةُ فى بعضِ الأيامِ ، واسْتَعانوا بالخليفةِ ، فأمَر بإحْضارِ ابنِ أبى إسْرائيلَ فامْتَنع ، فعزَم الخليفةُ على الخروجِ مِن بغدادَ ، وقوِيَت الفتنةُ جدًّا ، ونُهِبَت دُورٌ كثيرةٌ مِن النصارَى ، ثم أُحْضِر ابنُ أبى إسْرائيلَ ، فبذَل أموالًا جَزيلةً ، فعُفِى عنه ، وسكَنَت الفتنةُ .

وَفى ذى القَعْدةِ ورَد كتابٌ من يَمِينِ الدولةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين إلى الخليفةِ يَذْكُرُ أنه ورَد إليه رسولٌ مِن الحاكمِ صاحبِ مصرَ ، يَدْعُوه إلى طاعتِه ، فبصَق فيه وأمَر بتَحْريقِه ، وأسْمَع رسولَه غَليظَ ما يقالُ .

وفيها قُلِّد أبو نصرِ بنُ مَرْوانَ الكُرْدىُّ إِمْرَةَ آمِدَ ومَيَّافارِقينَ وديارِ بكرٍ ، وخُلِع

---

(١) المنتظم ١٥/ ٩١.

(٢) فى م ، وتاريخ الإسلام : « الناصح » .

(٣) كذا فى النسخ هنا وفيما يأتى . وفى المنتظم وتاريخ الإسلام : « ابن إسرائيل » .

عليه بطَوْقٍ وسِوارٍ، ولُقِّب نصيرَ الدولةِ.

ولم يَتَمَكَّنْ رَكْبُ العراقِ وخُراسانَ فى هذه السنةِ مِن الذَّهابِ إلى الحجِّ (١)لفَسادِ الطريقِ، وغَيْبةِ فخرِ المُلْكِ فى إصلاحِ الأراضى(١).

وفى هذه السنةِ عادَت مَمْلكةُ الأُمَويين بالأَنْدَلُسِ، فتوَلَّى فيها سليمانُ بنُ الحكمِ بنِ سليمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ الأُمَوىُّ، ولُقِّب بالمُسْتَعِينِ باللَّهِ، وبايَعه الناسُ بقُرْطُبةَ.

وفيها مات بَهاءُ الدولةِ أبو نصرٍ فَيْروزُ بنُ عَضُدِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمىُّ صاحبُ بغدادَ والعراقِ، وقام بالأمرِ مِن بعدِه ولدُه سلطانُ الدولةِ أبو شُجاعٍ.

وفيها مات ملكُ التركِ الأعْظمُ إيلك خان، فولىَ أمرَهم من بعدِه أخوه طُغان خان.

وفيها هلَك شمسُ المعالى قابوسُ بنُ وُشْمَكيرَ؛ أُدْخِل بيتًا باردًا فى الشتاءِ وليس عليه شىءٌ من اللباسِ حتى مات كذلك، وولِى الأمرَ مِن بعدِه ولدُه مِنُوجِهْرُ، ولُقِّب فُلْكَ المَعالى، وخطَب لمحمودِ بنِ سُبُكْتِكِين، وقد كان شمسُ المَعالى قابوسُ عالمًا فاضِلًا أديبًا شاعرًا، فمِن شعرِه قولُه(٢):

قلْ للذى بصُروفِ الدهرِ عيَّرَنا ... هل عانَد الدهرُ إلا مَن له خطَرُ
أما تَرَى البحرَ يَطْفُو فوقَه جِيَفٌ ... ويَسْتَقِرُّ بأَقْصَى قَعْرِه الدُّرَرُ
فإن تَكُنْ نَشِبَت أيدى الخُطوبِ بنا ... ومسَّنا مِن تَوالى صَرْفِها ضَرَرُ
ففى السماءِ نجومٌ غيرُ ذى عَدَدٍ ... وليس يَكْسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) الأبيات فى يتيمة الدهر ٤/ ٦١.

ومِن شعرِه المستجادِ قولُه[1] :

خَطَراتُ ذِكْرِكَ تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتى ... فأُحِسُّ منها فى الفؤادِ دَبيبَا
لا عضوَ لى إلا وفيه صَبابةٌ ... فكأنَّ أعْضائى خُلِقْنَ قُلوبَا

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ علىٍّ ، أبو الحسنِ البَتِّىُّ[2] ، كان يَكْتُبُ للقادرِ وهو بالبَطيحةِ ، ثم كتَب له على دِيوانِ الخَبرِ[3] والبَريدِ ، وكان يَحْفَظُ القرآنَ حِفْظًا حسنًا ، مَليحَ الصوتِ والتِّلاوةِ ، حسنَ المُجالَسةِ [٩/١٢٥ظ] ، ظريفَ النادرةِ والمجَانةِ ؛ خرَج فى بعضِ الأيامِ هو والشَّرِيفان الرَّضِىُّ والمُرْتَضَى وجَماعةٌ مِن رءوسِ الأكابرِ لتَلَقِّى بعضِ الملوكِ ، فخرَج عليهم بعضُ اللُّصوصِ ، فجعَلوا يَرْمُونهم بالحذَّافاتِ ويَقولُون : يا أزْواجَ القِحَابِ[4] . فقال البَتِّىُّ : ما خرَج هؤلاء علينا إلا بعينٍ . فقالوا : ومِن أين علِمْتَ هذا ؟ فقال : وإلا مِن أين علِموا أننا أزواجُ قِحابٍ .

الحسنُ بنُ حامدِ بنِ علىِّ بنِ مَرْوانَ ، أبو عبدِ اللَّهِ الوَرَّاقُ الحَنْبلىُّ[5] ، كان مُدَرِّسَ أصحابِ أحمدَ وفَقيهَهم فى زمانِه ، وله المُصَنَّفاتُ المشهورةُ ، منها كتابُ « الجامعِ » فى اخْتِلافِ العلماءِ فى أربعِمائةِ جزءٍ ، وله فى أصولِ الدينِ والفقهِ ،

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر ٤/ ٦١، ومعجم الأدباء ١٦/ ٢٢١.

(٢) فى ب ، م : « الليثى » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/ ٣٢٠، والأنساب ١/ ٢٨١، والمنتظم ١٥/ ٩٣، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٠٨. وفيهم جميعا - عدا معجم الأدباء والمنتظم - توفى سنة خمس وأربعمائة

(٣) فى ب ، م : « الخراج » .

(٤) القحاب : جمع قَحْبة ، وهى البَغِىّ . الوسيط (ق ح ب) .

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧١، والمنتظم ١٥/ ٩٤، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٦٨٩، والكامل ٩/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٧٨.

وعليه اشْتَغل القاضى أبو يَعْلَى بنُ الفَرَّاءِ ، وكان مُعَظَّمًا فى النفوسِ ، مُقَدَّمًا عندَ السلطانِ ، ولا يَأْكُلُ إلا مِن كَسْبِ يَدِه مِن النَّسْجِ ، وروَى الحديثَ عن أبى بكرٍ الشافعىِّ ، وابنِ مالكٍ القَطِيعىِّ ، وغيرِهما ، وخرَج فى هذه السنةِ إلى الحجِّ ، فلما عطِش الناسُ فى الطريقِ اسْتَند هو إلى حَجرٍ هناك فى الحرِّ الشديدِ ، فجاءه رجلٌ بقليلٍ مِن ماءٍ فقال له ابنُ حامدٍ : مِن أين لك هذا ؟ فقال : ما هذا وقتَه ، اشْرَبْ . فقال : بلى ، هذا وقتُه عندَ لقاءِ اللَّهِ تعالى . فلم يَشْرَبْ ومات مِن فَوْرِه ، رحِمه اللَّهُ .

الحسينُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ حَليمٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الحَلِيمىُّ[1] ، صاحبُ « المِنْهاجِ » فى أصولِ الدِّيانةِ ، كان أحدَ مَشايخِ الشافعيةِ ، وُلِد بجُرْجانَ ، وحُمِل إلى بُخارَى ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ حتى انْتَهَت إليه رِياسةُ المُحَدِّثين فى عصرِه ، وولِى القَضاءَ ببُخارَى . قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : انْتَهَت إليه الرِّياسةُ فيما وراءَ النهرِ ، وله وُجوهٌ حسَنةٌ فى المَذْهبِ ، وروَى عنه الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

فَيْروزُ ، أبو نصرٍ المُلَقَّبُ بَهاءَ الدولةِ بنُ عَضُدِ الدولةِ الدَّيْلَمىُّ[3] ، صاحبُ بغدادَ والعراقِ ، وهو الذى قبَض على الطائعِ وولَّى القادرَ ، وكان يُحِبُّ المُصادَراتِ ، فجمَع مِن الأموالِ ما لم يَجْمَعْه أحدٌ قبلَه مِن بنى بُوَيْهِ ، وكان بَخيلًا جدًّا ، تُوُفِّى بأَرَّجانَ فى جمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ عن ثنتين وأربعين سنةً وتسعةِ[4] أشهرٍ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٩٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٣٣.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٣٧، ١٣٨.

(٣) المنتظم ١٥/ ٩٥، والكامل ٩/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٧٧، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٩١.

(٤) فى ب ، م : « ثلاثة » ، وفى المنتظم : « ستة » .

(١وعشرين يومًا ، وكانت مدةُ مُلكِه أربعًا وعشرين سنةً وثلاثةَ أيامٍ١) ، وكان مَرَضُه بالصَّرْعِ ، ودُفِن بمشْهَدِ عليٍّ إلى جانبِ أبيه .

قابوسُ بنُ وُشْمَكيرَ(٢) ، كان أهلُ دولتِه قد تغيَّروا عليه ، فبايَعوا ولدَه مِنُوجِهْرَ ، وقتَلوا أباه كما ذكَرْنا فى الحوادثِ ، وكان قد نظَر فى النجومِ فرأَى أن ولدَه يَقْتُلُه ، وكان يَتَوَهَّمُ أنه ولدُه دارا ؛ لما يَرَى مِن مُخالفتِه له ، ولا يَخْطِرُ ببالِه مِنُوجِهْرُ ؛ لما يَرَى مِن طاعتِه له ، فكان هَلاكُه على يديه ، وقد قدَّمْنا شيئًا مِن شعرِه الحسنِ الجيدِ ، فى الحَوادثِ .

القاضى أبو بكرٍ الباقِلَّانىُّ ، محمدُ بنُ الطَّيِّبِ(٣) ، رأسُ المُتَكَلِّمين على مذهبِ (٤الشيخِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ إسماعيلَ الأَشْعَرىِّ٤) ، [٩/١٢٦و] ومِن أكثرِ الناسِ كلامًا وتَصْنيفًا فى الكلامِ ، يُقالُ : إنه كان لا يَنامُ كلَّ ليلةٍ حتى يَكْتُبَ عشرين ورقةً ، فى مدةٍ طويلةٍ مِن عمرِه . فانْتَشَرت عنه تَصانيفُ كثيرةٌ ، من جيِّدِها كتابُ « التَّبْصِرةِ » ، و « دَقائقُ الحَقائقِ » ، و « التَّمْهيدُ » فى أصولِ الفقهِ ، و « شَرْحُ الإبانةِ » ، وغيرُ ذلك مِن المَجاميعِ الكِبارِ والصِّغارِ ، ومِن أحْسنِ تصانيفِه كتابُه فى الردِّ على الباطنيةِ ، الذى سماه « كشفَ الأسْرارِ وهَتْكَ الأسْتارِ » ، وقد اخْتَلَفوا فى مذهبِه فى الفُروعِ ؛ فقيل : شافعىٌّ . وقيل : مالكىٌّ . حكَى ذلك عنه

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) يتيمة الدهر ٤/ ٥٩، والمنتظم ١٥/ ٩٥، والكامل ٩/ ٢٣٨، ومعجم الأدباء ١٦/ ٢١٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٧٩.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩، وترتيب المدارك ٤/ ٥٨٦، وتبيين كذب المفترى ص ٢١٧، والمنتظم ١٥/ ٩٦، والكامل ٩/ ٢٤٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٨٨.

(٤ - ٤) فى م : « الشافعى » .

أبو ذَرٍّ الهَرَوىُّ ، وقد قيل : إنه كان يَكْتُبُ على الفَتاوَى : كتَبه محمدُ بنُ الطيبِ الحنبلىُّ . وهذا غريبٌ جدًّا . وقد كان فى غايةِ الذَّكاءِ والفِطْنةِ ، ذكَر الخطيبُ البغدادىُّ[1] وغيرُه عنه أن عَضُدَ الدولةِ بعَثه فى رسالةٍ إلى ملكِ الرومِ ، فلما انْتَهَى إليه إذا هو يَدْخُلُ عليه مِن بابٍ قصيرٍ ، ففهِم أن مُرادَه بذلك أن يَنْحَنىَ كهيئةِ الراكعِ للمَلِكِ ، فدخَل البابَ بظهرِه وجعل يمشى القَهْقَرَى إلى نحوِ الملكِ ، ثم انْفَتَل فسلَّم عليه ، فعرَف الملكُ مكانَه مِن العلمِ والفَهمِ ، فعظَّمه .

ويُذكَرُ أن الملكَ أحْضَر إلى بينِ يديه آلةَ الطَّرَبِ المُسَمَّاةَ بالأُرْغُلِ ، ليَسْتَفِزَّ عقلَه بها ، فلما سمِعها الباقِلَّانىُّ خاف أن تَظْهَرَ منه حركةٌ ناقصةٌ بحَضْرةِ الملكِ ، فجعَل لا يَأْلُو جَهْدًا أن جرَح رجلَه حتى خرَج منها الدمُ الكثيرُ ، فاشْتَغَل بالألمِ عن الطَّرَبِ ، ولم يَظْهَرْ عليه شىءٌ مِن النقصِ والخِفَّةِ ، فعجِب الملكُ مِن كمالِ عقلِه ، ثم استكشف الملكُ عن أمرِه فإذا هو قد جرَح نفسَه بما أشْغَله عن الطَّرَبِ ، فتحَقَّق وُفورَ علمِه وعُلُوَّ فَهمِه .

وقد سأَله بعضُ الأساقِفةِ بحَضْرةِ ملكِهم فقال : ما فعَلَت زوجةُ نبيِّكم ؟ وما كان مِن أمرِها فيما رُمِيَت به مِن الإفْكِ ؟ فقال مُجِيبًا له على البَديهةِ : هما امرأتان ذُكِرَتا بسُوءٍ ؛ مريمُ وعائشةُ ، فبرَّأَهما اللَّهُ عز وجل ، وكانت عائشةُ ذاتَ زوجٍ ولم تأتِ بولدٍ ، وأتَت مريمُ بولدٍ ولم يَكُنْ لها زوجٌ . يعنى أن عائشةَ أوْلى بالبَراءةِ مِن مريمَ ، عليهما السلامُ ، فإن تطَرَّق فى الذِّهْنِ الفاسدِ احْتمالٌ إلى هذه فهو إلى تلك أسرعُ ، وهما بحمدِ اللَّهِ مُبَرَّأَتان مِن السماءِ بوَحْيٍ من اللَّهِ عز وجل ، رضى اللَّهُ عنهما .

---

(١) تاريخ بغداد ٥/٣٧٩ .

وقد سمِع الباقِلَّانىُّ الحديثَ مِن أبى بكرِ بنِ مالكٍ القَطِيعىِّ وأبى محمدِ بنِ ماسِى وغيرِهما ، وقد قبَّله الدارَقُطْنىُّ يومًا بين عينَيه وقال : هذا يَرُدُّ على أهلِ الأهواءِ باطلَهم . ودعا له . وكانت وفاةُ الباقِلّانىِّ يومَ السبتِ لسبعٍ[1] بقِين مِن ذى القَعْدةِ ، ودُفِن بدارِه ، ثم نُقِل إلى مَقْبرةِ بابِ حربٍ .

محمدُ بنُ موسى بنِ محمدٍ ، أبو بكرٍ الخُوارَزْمىُّ[2] ، شيخُ الحَنَفيةِ وفَقيهُهم ، وقد أخَذ العلمَ عن أبى بكرٍ أحمدَ بنِ علىٍّ الرازىِّ ، وانْتَهَت إليه رِياسةُ الحَنَفيةِ ببغدادَ ، وكان [٩/١٢٦ظ] مُعَظَّمًا عندَ الملوكِ ، ومِن تَلامِذتِه الرَّضِىُّ والصَّيْمَرىُّ ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى بكرٍ الشافعىِّ وغيرِه ، وكان ثقةً دَيِّنًا على طريقةِ السَّلَفِ ، ويَقولُ : دِينُنا دينُ العَجائزِ ، لسْنا مِن الكلامِ فى شىءٍ . وكان فَصيحًا حسَنَ التَّدْريسِ ، دُعِى إلى وِلايةِ القَضاءِ غيرَ مرةٍ فلم يَقْبَلْ . وكانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ الثامنَ عشَرَ مِن جُمادَى الأولى سنةَ ثلاثٍ وأربعِمائةٍ ، ودُفِن بدارِه مِن دَرْبِ عَبدةَ .

الحافظُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ خَلَفٍ المَعافِرىُّ القابِسىُّ[3] ، مُصَنِّفُ « التلخيصِ »[4] ، أصْلُه قَرَوِىٌّ[5] ، وإنما غلَب عليه القابسىُّ ؛ لأن عمَّه كان يَتَعَمَّمُ قابسيةً ، فقيل لهم ذلك ، وقد كان حافظًا بارعًا فى علمِ الحديثِ ، رجلًا صالحًا

---

(١) فى الأصل ، ص : « لتسع » .

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٧، والمنتظم ١٥/ ٩٦، والكامل ٩/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٩١، والوافى بالوفيات ٥/ ٩٣، والجواهر المضية ٣/ ٣٧٤.

(٣) ترتيب المدارك ٤/ ٦١٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٨٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٩، وطبقات القراء ١/ ٥٦٧.

(٤) فى مصادر ترجمته : « الملخص » .

(٥) فى الأصل : « قرمينى » ، وفى ب ، م : « قروينى » . وقروى : نسبة إلى القيروان ، البلد المعروف بالمغرب . الأنساب ٤/ ٤٨٢.

جَليلَ القَدْرِ ، ولما تُوُفِّى فى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ عكَف الناسُ على قبرِه ليالىَ يَقْرَءُون القرآنَ ويَدْعُون له ، وجاء الشُّعراءُ مِن كلِّ أوْبٍ يَرْثُون ويَتَرَحَّمون .

ولما أُجْلِس للمُناظَرةِ أنْشَد لغيرِه[1] :

لعَمْرُ أبيك ما نُسِب المُعَلَّى ... إلى كـــرمٍ وفى الدنيا كريمُ
ولكنَّ البلادَ إذا اقْشَعَرَّت ... وصوَّح[2] نَبْتُها رُعِىَ الهشيمُ

[3]ثم بكَى وأبْكَى ، وجعَل يقولُ : أنا الهَشِيمُ ، أنا الهَشِيمُ . رحِمه اللَّهُ تعالى[3] .

الحافظُ ابنُ الفَرَضىِّ ، أبو الوليدِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ نصرٍ الأزْدىُّ الفَرَضىُّ[4] ، قاضى بَلَنْسِيَةَ[5] ، سمِع الكثيرَ ، وجمَع وحصَّل وصنَّف « التاريخَ » ، وفى المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ ، ومُشْتَبِهِ النِّسْبةِ وغيرِ ذلك ، وكان عَلَّامةَ زمانِه ، قُتِل شهيدًا على يدِ البَرْبَرِ ، فسُمِع ، وهو جَريحٌ طَريحٌ ، يَقْرَأُ على نفسِه الحديثَ الذى فى الصَّحيحِ[6] : « ما يُكْلَمُ أحدٌ فى سبيلِ اللَّهِ ، واللَّهُ أعلمُ بمَن يُكْلَمُ فى سبيلِه ، إلا جاء يومَ القيامةِ وكَلْمُه يَدْمَى ، اللونُ لونُ الدمِ ، والرِّيحُ ريحُ المِسْكِ » . وقد كان سأَل اللَّهَ تعالى الشهادةَ عندَ أستارِ الكعبةِ ، فأعْطاه اللَّهُ ذلك ، ومِن شعرِه قولُه[7] :

---

(١) هو أبو على البصير : الفضل بن جعفر . والمعلى : هو المعلى بن أيوب ، صاحب العرض والجيش فى أيام المأمون . انظر أمالى القالى ٢/٢٨٧ ، ومعجم الأدباء ٣/ ٨٩.

(٢) صَوَّح : تشقق . وصوَّح البقلُ : يَبِس أعلاه . المحيط (ص و ح) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) جذوة المقتبس ص ٢٥٤، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٢/ ٦١٤، والصلة لابن بشكوال ١/ ٢٥١، وبغية الملتمس ص ٣٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٨٢.

(٥) بلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس . معجم البلدان ١/ ٧٣٠.

(٦) البخارى (٢٨٠٣، ٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦/١٠٣) .

(٧) الأبيات فى نفح الطيب ٢/ ١٢٩.

أَسِيرُ الخَطايا عندَ بابِك واقفُ على وَجَلٍ مما به أنت عارِفُ
يَخافُ ذُنوبًا لم يَغِبْ عنك غيبُها ويَرْجُوك فيها فهْو راجٍ وخائفُ
ومَن ذا الذى يُرْجَى سواك ويُتَّقَى وما لك فى فَصْلِ القَضاءِ مُخالِفُ
فيا سيِّدى لا تُخْزِنى فى صَحِيفتى إذا نُشِرَت يومَ الحِسابِ الصَّحائِفُ
وكُنْ مُؤْنِسى فى ظُلْمةِ القَبْرِ عندَما يَصُدُّ ذَوُوا القُرْبَى ويجْفُو المُؤالِفُ
لئن ضاق عنى عَفْوُك الواسعُ الذى أُرَجِّى لإسْرافى فإنىَ تالِفُ

ثم دَخَلَت سنةُ أربعٍ وأربعِمائةٍ

فى يومِ الخميسِ غُرَّةِ ربيعِ الأولِ منها[1] جلَس الخليفةُ القادرُ باللَّهِ فى أُبَّهَةِ الخِلافةِ، وأُحْضِر إلى [٩/١٢٧و] بينِ يديه [2]فَخْرُ المُلْكِ[2] والحَجَبةُ بينَ يديه، فخلَع عليه سبعَ خِلَعٍ على العادةِ، وعمامةً سَوداءَ. وسيفًا وتاجًا مُرَصَّعًا، وسِوارَيْن، وطَوْقًا، ولواءَيْن خلَعهما الخليفةُ بيدِه، ثم أعْطاه سيفًا، وقال للخادمِ: قلِّدْه به، فهو شَرَفٌ له ولعَقِبِه، يَفْتَحُ به شرقَ الأرضِ وغربَها. وكان ذلك يومًا مشهودًا بمحْضَرٍ من القُضاةِ والأُمراءِ والوُزراءِ. والأماثلِ والأعيانِ والكبراءِ بدارِ الخلافةِ.

وفيها غزا محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين بلادَ الهندِ، ففتَح وقتَل وسبَى وغنِم وسلِم، وكتَب إلى الخليفةِ القادرِ باللَّهِ أن يُوَلِّيَه ما بيدِه مِن مَمْلكةِ خُراسانَ وغيرِها مِن البلادِ، فأجابه إلى ذلك.

وفيها عاثَت بنو خَفاجَةَ ببلادِ الكوفةِ، فبرَز إليهم نائبُها أبو الحسنِ بنُ مَزْيَدٍ[3] فواقعَهم، فقتَل منهم خلقًا وأسَر محمدَ بنَ ثمالٍ وجماعةً مِن رُءوسِهم، وانْهَزم الباقون، فأرْسَل اللَّهُ عليهم ريحًا حارَّةً، فأهْلكت منهم خمسَمائةِ إنسانٍ.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٩٨، والكامل ٩/ ٢٤٤ - ٢٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٩.

(٢ - ٢) فى النسخ: «سلطان الدولة بن بهاء الدولة». والمثبت من المنتظم وتاريخ الإسلام.

(٣) فى الأصل، ص: «يزيد».

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسنِ الأَقْساسىُّ[1] .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحسينُ[2] بنُ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، المَعروفُ بابنِ البغدادىِّ ، سمِع الحديثَ ، وكان زاهدًا عابدًا كثيرَ المُجاهَدةِ ، لا يَنامُ إلا عن غَلَبةٍ ، وكان لا يَدْخُلُ الحَمَّامَ ، ولا يَغْسِلُ ثيابَه إلا بالماءِ وَحْده ، رحِمه اللَّهُ .

الحسينُ بنُ عثمانَ بنِ علىٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المُقْرِئُ الضَّريرُ المُجاهِدىُّ[3] ، قرَأ على ابنِ مُجاهِدٍ القرآنَ وهو صغيرٌ ، وكان آخرَ مَن بقى مِن أصحابِه ، تُوُفِّى فى جُمادَى الأولى من هذه السنةِ وقد جاوَز المائةَ سنةٍ ، ودُفِن فى مَقابرِ الفَرَاديسِ[4] .

علىُّ بنُ سعيدٍ الإصْطَخْرىُّ[5] أحدُ شيوخِ المُعْتزلةِ ، صنَّف للقادرِ باللَّهِ « الردَّ على الباطنيةِ » ، فأجْرَى عليه جِرايةً سَنِيةً ، وكان يَسْكُنُ دربَ رَباحٍ ، تُوُفِّى فى شوالٍ وقد جاوَز الثمانين .

---

(١) فى ب ، م : « الأفساسى » . وانظر الأنساب ١/ ٢٠٠.

(٢) فى م : « الحسن » ، وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٨/ ١٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧٨، والمنتظم ١٥/ ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٩٩.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٨٤، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٠٢، والمنتظم ١٥/ ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٩٩، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٦٠.

(٤) فى الأصل ، ص : « الرزازين » ، وفى ب ، م : « الزرادين » ، وغير واضحة فى ص . والمثبت من تاريخ بغداد وتاريخ دمشق والمنتظم . والفراديس : موضع بقرب دمشق . معجم البلدان ٣/ ٨٦٢.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٤٣١، والمنتظم ١٥/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٠٤. وانظر الكامل ٩/ ٢٤٦.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وأربعِمائةٍ

فيها[1] منَع الحاكمُ صاحبُ مصرَ النساءَ مِن الخروجِ مِن المنازلِ ، أو أن يَطَّلِعْنَ مِن الأَسْطِحةِ أو الطاقاتِ ، ومنَع الخفَّافِين مِن عملِ الأَخْفافِ لهن ، ومنعهنَّ مِن الخروجِ إلى الحَمَّاماتِ ، وقتَل خلقًا مِن النساءِ على مُخالفتِه فى ذلك ، وهدَم بعضَ الحَمَّاماتِ عليهن ، وجهَّز عجائزَ كثيرةً يَطُفْن فى البيوتِ ؛ يستَعْلِمْنَ أحوالَ النساءِ من منهنَّ تَعْشَقُ أو تُعْشَقُ ، بأسمائِهن وأسماءِ مَن يَتَعَرَّضُ لهن ، فمَن وجَد منهن كذلك أطْفاها[2] ، وأكْثَر مِن الدَّوَرانِ فى الليلِ فى البلدِ فى طلبِ ذلك ، وغرَّق خلقًا ممن يَطَّلِعُ على فسقِهم من الرجالِ والنساءِ ، فضاق النِّطَاقُ على النساءِ والفُسَّاقِ ، ولم يَتَمَكَّنْ أحدٌ أن [٩/١٢٧ظ] يَصِلَ إلى أحدٍ إلا نادرًا ، حتى إن امرأةً نادتْ قاضىَ القضاةِ بالدِّيارِ المصريةِ ، وهو مالكُ بنُ سعيدٍ الفارقىُّ ، وحَلَفتْ بحقِّ الحاكمِ لمَا وقَف لها واسْتَمع كلامَها ، فوقَف لها ، فبكَت بُكاءً شديدًا وقالت : إن لى أخًا ليس لى غيرُه وهو فى السِّياقِ ، وأنا أَسْأَلُك لمَا وَصَّلْتَنى إليه ؛ لأَنْظُرَ إليه قبلَ الموتِ ، فرقَّ لها القاضى رِقَّةً شديدةً ، وأمَر رجلَيْن معه أن يَكُونا معها حتى يُبْلِغاها إلى المنزلِ الذى تُرِيدُه ، فأغْلَقَت بابَها ، وأعْطَت المِفْتاحَ جارتَها ، وذهَبَت حتى وصَلَت مع الرجلين إلى منزلٍ ، فطرَقَت ودخَلَت ، وقالت لهما : اذْهَبا راشِدَيْن . فإذا هو منزلُ رجلٍ تَهْواه ويَهْواها ، فأخْبَرَته بما احْتالت به

---

(١) المنتظم ١٥/١٠١ - ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢١، ٢٢، والعبر ٣/ ٨٨، ٨٩.

(٢) أطفاها : قتلها . انظر المحيط (ط ف ا) .

مِن الحيلةِ على القاضى ، فأعْجَبَه ذلك ، وجاء زوجُها مِن آخرِ النهارِ فوجَد بابَه مُغْلَقًا ، فسأَل عن أمْرِها ، فذُكِر له ما صنَعَتْ ، فاستغاث على القاضى وذهَب إليه ، وقال له : ما أُرِيدُ امرأتى إلا منك ، فإنها ليس لها أخٌ بالكُلِّيةِ ، وإنما ذهَبَت إلى عشيقِها . فخاف القاضى مِن مَعَرَّةِ هذا الأمرِ ، فركِب إلى الحاكمِ وبكَى لديه ، فسأَله عن شأنِه ، فأخْـبَره بما اتَّفَق له مِن الأمرِ ، فأرْسَل الحاكمُ مع الرجلَيْن [1] اللذَيْن سارا بها من جهةِ القاضى [1] مَن يُحْضِرُ الرجلَ والمرأةَ جميعًا على أىِّ حالٍ كانا عليه ، فوجدوهما مُتَعانقَيْن سُكارَى ، فسأَلهما الحاكمُ عن أمرِهما ، فأخَذا يَعْتَذِران بما لا يُجْدِى شيئًا ، فأمَر بتَحْريقِ المرأةِ فى باريَّةٍ [2] ، وضرَب الرجلَ بالسياطِ ضربًا مُبَرِّحًا ، وازْداد احْتياطُ الحاكمِ على النساءِ حتى مات . ذكَره ابنُ الجَوْزىِّ [3] .

وفى رجبٍ منها ولِى أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبى الشَّواربِ قَضاءَ الحَضْرةِ بعدَ موتِ أبى محمدِ بنِ [4] الأَكْفانىِّ .

وفيها عمَّر فخرُ المُلْكِ مسجدَ الشرقيةِ ، ونصَب عليه شَبابيكَ مِن حديدٍ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

بكرُ بنُ شاذانَ بنِ بكرٍ ، أبو القاسمِ المُقْرِئُ الواعظُ [5] ، سمِع أبا بكرٍ

(١ - ١) سقط من : ب ، م ، ص .

(٢) البارية : الحصير المنسوج . اللسان (ب ر ى) .

(٣) المنتظم ١٥/١٠١ - ١٠٣.

(٤) سقط من : ب ، م .

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٩٦، والمنتظم ١٥/ ١٠٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١١٠، والعبر ٣/ ٩٠.

الشافعىّ ، وجعفرًا الخُلْدىّ ، وعنه الأزْهرىُّ والخَلَّالُ ، وكان ثقةً أمينًا صالحًا عابدًا زاهدًا ، له قِيامُ ليلٍ ، وكَريمُ أخْلاقٍ . مات فى هذه السنةِ وقد نَيَّفَ على الثمانين ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

بدرُ بنُ حَسْنَوَيْهِ بنِ الحسينِ ، أبو النَّجْمِ الكُرْدىُّ[1] ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ بناحيةِ الدِّينَوَرِ وهَمَذانَ ، له سِياسةٌ وصَدَقةٌ كثيرةٌ ، كنَّاه القادرُ باللَّهِ أبا النَّجْمِ ، ولقَّبه ناصرَ الدولةِ ، وعقَد له لواءً وأنْفَذه إليه ، وكانت أعمالُه[2] فى غايةِ الأمنِ ، بحيث إذا أعْيَا جملُ أحدٍ مِن المسافرِين فتركه بما عليه فى البَرِّيَّةِ ، رُدَّ إليه - ولو بعدَ حينٍ - بما كان عليه لا يَنْقُصُ منه شىءٌ . ولما عاثَت أُمراؤُه فى البلادِ فَسادًا عمِل لهم ضِيافةً حسنةً ، فقدَّمها إليهم ولم يَأْتِهم بخبزٍ ، فجلَسوا يَنْتَظِرون [٩/ ١٢٨و] الخبزَ ، فلما طال ذلك سألوا عنه ، فقال : إذا كنتم تُهْلِكون الحَرْثَ ، فمِن أين تُؤْتَوْن بخبزٍ ؟ ! ثم قال : لا أَسْمَعُ بأحدٍ أفْسَد فى الأرضِ إلا أرَقْتُ دمَه .

واجْتاز مرةً فى بعضِ أسْفارِه برجلٍ قد حمَل حُزمْةَ حطبٍ وهو يَبْكى ، فقال له : ما لك ؟ فقال : إنى كان معى رَغِيفان أُرِيدُ أن أَتَقَوَّتَ بهما ، فأخَذهما منى بعضُ الجندِ . فقال له : أتَعْرِفُه إذا رأيتَه ؟ قال : نعم . فوقَف به فى مَضِيقٍ حتى مرَّ عليه الجندُ ، فلما اجتاز به ذلك الرجلُ الذى أخَذ منه الرغيفين ، قال : هذا هو . فأمَر به أن يَنْزِلَ عن فرسِه ، وأن يَحْمِلَ هذه الحُزْمةَ من الحَطَّابِ حتى يَبْلُغَ بها إلى المدينةِ ، فأراد أن يَفْتَدِىَ مِن ذلك بمالٍ جَزيلٍ ، فلم يَقْبَلْ منه ، حتى تأَدَّب به الجيشُ كلُّهم .

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٠٤، والكامل ٩/ ٢٤٨.

(٢) أى البلاد التى يليها .

وكان يَصْرِفُ فى كلِّ جمعةٍ عشَرةَ آلافِ درهمٍ على الفقراءِ والأَراملِ والأيتامِ، وفى كلِّ شهرٍ عشرين ألفَ درهمٍ فى تَكفينِ المَوْتَى، ويَصْرِفُ فى كلِّ سنةٍ ألفَ دينارٍ إلى عشرين نَفْسًا يحُجُّون عن والديْه[1] وعن عَضُدِ الدولةِ؛ لأنه كان السببَ فى تَمْليكِه، وثلاثةَ آلافِ دينارٍ فى كلِّ سنةٍ إلى الحَدَّادِين والحَذَّائِين للمنقطِعين بين هَمَذانَ وبغدادَ، يُصْلِحون لهم الأحْذيةَ ونِعالَ دَوابِّهم، ويَصْرِفُ فى كلِّ سنةٍ مائةَ ألفِ دينارٍ إلى الحرمَيْن صَدَقةً على المُجاوِرين، وعِمارةِ المَصانعِ، وإصلاحِ المياهِ فى طريقِ الحِجازِ، [2]وإطلاقًا لأهلِ المنازلِ[2]، وحفْرِ الآبارِ وإصلاحِها، وما اجْتاز فى طريقِه بماءٍ جارٍ إلا بنَى عندَه قَرْيةً، وعُمِّر فى أيامِه مِن المساجدِ والخاناتِ ما يُنَيِّفُ على ألفَىْ مسجدٍ وخانٍ، هذا كلُّه خارجًا عما يَصْرِفُ مِن دِيوانِه مِن الجِراياتِ، والنَّفَقاتِ والصَّدَقاتِ، والبِرِّ والصِّلاتِ، على أصْنافِ الناسِ، مِن الفُقهاءِ، والقضاةِ، والمُؤَذِّنين، والأشْرافِ، والشُّهودِ، والفقراءِ، والمساكينِ، والأيْتامِ، والضعفاءِ. وكان كثيرَ الصلاةِ والذِّكْرِ، وكان له مِن الدوابِّ المَرْتبِطةِ فى سبيلِ اللَّهِ وفى الجَشَرِ[3] ما يُنَيِّفُ عن عشرين ألفًا. وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ[4]، ومدَّةُ إمارتِه اثنتان وثلاثون سنةً، ودُفِن بمَشْهَدِ عليٍّ، وترَك مِن الأموالِ أربعةَ عشَرَ ألفَ بَدْرَةٍ، ونَيِّفًا وأرْبعين بَدْرَةً، البَدْرَةُ عشَرةُ آلافٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الحسنُ بنُ الحسينِ بنِ حَمَكانَ، أبو علىٍّ الهَمَذانىُّ[5]، أحدُ الفُقهاءِ

---

(١) فى المنتظم: «والدته».

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

(٣) الجشر: المال الذى يَرعَى فى مكانه لا يرجع إلى أهله بالليل. تاج العروس (ج ش ر).

(٤) قتله أصحابه، كما فى المصادر.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٩، وطبقات الفقهاء ص ١١٩، والمنتظم ١٥/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام =

الشافعيين ببغدادَ ، عُنِىَ أولًا بالحديثِ ، فسمِع شيئًا كثيرًا ، حتى قيل : إنه كتَب بالبصرةِ عن نحوٍ من خمسِمائةِ شيخٍ . ثم اشتغَل بالفقهِ على أبى حامدٍ المَرْوَرُّوذِىِّ ، وروَى عنه الأزْهَرىُّ ، وقال : كان ضعيفًا ، ليس بشىءٍ فى الحديثِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ ، أبو محمدٍ الأسَدىُّ[1] ، المعروفُ بابنِ الأَكْفانىِّ ، قاضى قُضاةِ بغدادَ ، وُلِد سنةَ ستَّ عشْرةَ وثلاثِمائةٍ ، [٩/١٢٨ظ] وروَى عن القاضى المَحامِلىِّ ، ومحمدِ بنِ مَخْلَدٍ ، وابنِ عُقْدةَ وغيرِهم ، وعنه البَرْقانىُّ والتَّنوخىُّ ، يقال : إنه أنْفَق على طلبِ العلمِ مائةَ ألفِ دينارٍ . وكان عَفيفًا نَزِهًا ، صَيِّنَ العِرْضِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً ، ولِى الحكمَ منها أربعين سنةً نِيابةً واستِقلالًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إدْريسَ ، أبو[2] **سعدٍ الحافظُ الإسْتِراباذىُّ** ، المعروفُ بالإدْرِيسىِّ ، رحَل فى طلبِ الحديثِ وعُنِىَ به ، وسمِع الأصَمَّ وغيرَه ، وسكَن سَمَرْقَنْدَ ، وصنَّف لها تاريخًا ، وعرَضه على الدارَقُطْنىِّ فاسْتَحْسَنَه ، وحدَّث ببغدادَ ، فسمِع منه الأزْهَرىُّ والتَّنوخىُّ ، وكان ثقةً حافظًا ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو نصرٍ ، عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ[3] **بنِ محمدٍ**[3] **بنِ أحمدَ بنِ نُباتةَ السعدىُّ ،**

= (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١١١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٠٤.

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٤١، والأنساب ١/ ٢٠٣، والمنتظم ١٥/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١١٤، والعبر ٣/ ٩٠.

(٢) فى النسخ : « بن » ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ جرجان ص ٢١٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٢، والمنتظم ١٥/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٢٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١١٥.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى يتيمة الدهر ٢/ ٣٧٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٦، =

الشاعرُ المشهورُ، امْتَدَح سيفَ الدولةِ وغيرَه من الأكابرِ والأمراءِ والوزراءِ[1] وشعرُه المشهورُ بالجَودةِ والإحسانِ[1]، وهو القائلُ البيتَ المَطْروقَ المشهورَ[2]:

ومَن لم يَمُتْ بالسيفِ مات بغيرِه ... تَعَدَّدَتِ[3] الأسْبابُ والداءُ[4] واحدُ

ومن شعرِه أيضًا قولُه:

وإذا عجَزْتَ عن العدوِّ فدارِه ... وامْزَحْ له إن المِزاحَ وِفاقُ
فالماءُ[5] بالنارِ الذى هو ضدُّها ... تُعْطِى النِّضاجَ وطبعُها الإحْراقُ

وكانت وفاتُه فى شوالٍ من هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ.

عبدُ الغَفَّارِ بنُ عبدِ الرحمنِ، أبو بكرٍ الدِّينَوَرِىُّ[6]، الفَقيهُ السُّفْيانىُّ، وهو آخرُ مَن كان يُفْتِى على مذهبِ سُفيانَ الثَّوْرِىِّ ببغدادَ فى جامعِ المنصورِ، وكان إليه النَّظَرُ فى الجامعِ والقيامُ بأمرِه. وكانت وفاتُه فى شوالٍ من هذه السنةِ، ودُفِن خلفَ الجامعِ، رحِمه اللَّهُ.

الحاكمُ النَّيْسابورىُّ، صاحبُ «المُسْتَدْرَكِ»[7] محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ

= والأنساب ٥/ ٤٥٢، والمنتظم ١٥/ ١٠٨، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١١٦.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٩٣.

(٣) فى م، ووفيات الأعيان: «تنوعت».

(٤) فى ب، م: «الموت».

(٥) فى ب، م: «كالماء».

(٦) المنتظم ١٥/ ١٠٨.

(٧) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣، وتبيين كذب المفترى ص ٢٢٧، والمنتظم ١٥/ ١٠٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ١٥٥، وطبقات القراء ٢/ ١٨٤.

ابنِ حَمْدَوَيْهِ بنِ نُعَيْمِ بنِ الحكمِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الحاكمُ الضَّبِّيُّ الحافظُ ، ويُعْرَفُ بابنِ البَيِّعِ ، مِن أهلِ نَيْسابورَ ، وكان مِن أهلِ العلمِ والحفظِ للحديثِ ، وُلِد سنةَ إحدى وعشرين وثلاثِمائةٍ ، وأولُ سماعِه فى سنةِ ثلاثين وثلاثِمائةٍ ، سمِع الكثيرَ ، وطَوَّفَ فى الآفاقِ ، وصنَّف الكتبَ الكِبارَ والصِّغارَ ، فمن ذلك « المُسْتَدْرَكُ على الصحيحَيْن » ، و « علومُ الحديثِ » و « الإكْليلُ » و « تاريخُ نَيْسابورَ » ، وقد روَى عنه مِن مَشايخِه الدارَقُطْنيُّ وابنُ أبى الفَوارِسِ وغيرُهما ، وقد كان مِن أهل العلمِ والحفظِ والأمانةِ والديانةِ والصِّيانةِ ، والضَّبْطِ ، والثقةِ ، والتَّحَرُّزِ ، والوَرَعِ ، رحمه اللَّهُ ، لكن قال الخطيبُ البغداديُّ[1] : كان ابنُ البَيِّعِ يَميلُ إلى التَّشيُّعِ ، فحدَّثنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدٍ الأُرْمَوىُّ قال : جمَع الحاكمُ أبو عبدِ اللَّهِ أحاديثَ زعَم أنها صِحاحٌ على شرطِ البُخاريِّ ومسلمٍ ، يُلْزِمُهما إخْراجَها [١٢٩/٩و] فى « صحيحَيْهما » ، فمنها حديثُ الطيرِ ، و « من كنتُ مَوْلاه فعليٌّ مَوْلاه » ، فأنْكَر عليه أصحابُ الحديثِ ، ولم يَلْتَفِتوا إلى قولِه ولا صَوَّبوه فى فعلِه .

وقال محمدُ بنُ طاهرٍ المَقْدِسيُّ[2] : قال الحاكمُ : حديثُ الطيرِ لم يُخَرَّجْ فى « الصحيحِ » ، وهو صحيحٌ . قال ابنُ طاهرٍ : بل مَوْضوعٌ ، لا يُرْوَى إلا عن سُقَّاطِ أهلِ الكوفةِ مِن المَجاهِيلِ ، عن أنسٍ ، فإن كان الحاكمُ لا يَعْرِفُ هذا فهو جاهلٌ ، وإلا فهو مُعانِدٌ كَذَّابٌ .

وقال أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمىُّ[3] : دخَلْتُ على الحاكمِ وهو مُخْتَفٍ مِن الكَرَّاميةِ ، لا يستَطِيعُ أن يَخْرُجَ منهم ، فقلتُ له : لو خرَجْتَ فأَمْلَيْتَ حديثًا فى

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٤.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٠٩.

(٣) المصدر السابق ١٥/ ١١٠.

فَضائلِ مُعاويةَ لَاسْتَرَحْتَ مما أنت فيه . فقال : لا يَجِيءُ مِن قَلْبى ، لا يَجِيءُ مِن قَلْبِى . تُوُفِّى فى صفرٍ من هذه السنةِ عن أربعٍ وثمانين سنةً .

يوسفُ بنُ أحمدَ بنِ كَجٍّ ، أبو القاسمِ القاضى[1] ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ ، وله وجُوهٌ غَريبةٌ يحكيها فى المذهبِ ، وكانت له نِعْمةٌ عظيمةٌ جدًّا ، وولِى القَضاءَ بالدِّينَوَرِ لبدرِ بنِ حَسْنَوَيْهِ ، فلما تغَيَّرت البلادُ بعدَ موتِ بدرٍ وثَب عليه جماعةٌ مِن العيَّارِين فقتَلوه ليلةَ سبعٍ وعشرين مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) طبقات الفقهاء ص ١١٨، والأنساب ٥/ ٣٦، والمنتظم ١٥/ ١١٠، ووفيات الأعيان ٧/ ٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٣٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٣٥٩.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وأربعِمائةٍ[1]

فى يومِ الثلاثاءِ مُسْتَهَلَّ المحَرَّمِ من هذه السنةِ وقَعَت فتنةٌ بينَ أهلِ السنةِ والرَّوافضِ ، فسكَّن الفتنةَ الوزيرُ فخرُ المُلْكِ ، على أن تَعْمَلَ الرَّوافضُ بدعتَهم يومَ عاشوراءَ مِن تَعْليقِ المُسوحِ والنَّوْحِ[2] .

وفى هذا الشهرِ ورَد الخبرُ بوقوعِ وَباءٍ شديدٍ فى البصرةِ أعْجَز الحفَّارِين والناسَ عن دفنِ موتاهم ، وأنه أظَلَّت البلدَ سَحابةٌ فى حَزِيرانَ ، فأمْطَرَتهم مطرًا شديدًا كثيرًا .

وفى يومِ السبتِ ثالثَ صفَرٍ قُلِّد الشريفُ المُرْتَضَى أبو القاسمِ نِقابةَ الطالبِيِّين والمَظالمَ والحجَّ ، وجميعَ ما كان يتَوَلَّاه أخوه الرَّضِىُّ ، وقُرِئَ تَقْليدُه بمَحْضَرٍ من الوزيرِ فخرِ المُلْكِ والقضاةِ والأعيانِ ، وكان يومًا مشهودًا .

وفيها ورَد الخبرُ عن الحجيجِ بأنه هلَك منهم بسببِ العطشِ أربعةَ عشَرَ ألفًا ، وسلِم منهم ستةُ آلافٍ ، وأنهم شرِبوا أبوالَ الجِمالِ مِن العطشِ .

وفى هذه السنةِ غزا محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين بلادَ الهندِ ، فسلك به الأدِلَّاءُ على بلادٍ غريبةٍ ، فانْتَهَوا إلى أرضٍ قد غمرَها الماءُ مِن البحرِ ، فخاض بنفسِه الماءَ أيامًا ،

---

(١) المنتظم ١٥/ ١١١، ١١٢، والكامل ٩/٢٥٣ - ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٣، ٢٤.

(٢) الذى فى مصادر التخريج ، أنه استقرّ الأمر على كفهم ، وشرَط عليهم أن لا يعلقوا المسوح ولا يقيموا النواح .

حتى خلَصوا بعد ما غرِق كثيرٌ مِن جيشِه ، وعاد إلى خُراسانَ بعدَ جَهْدٍ جَهيدٍ .

ولم يذهب الركبُ فى هذه السنةِ مِنْ العراقِ ، لفَسادِ البلادِ مِن الأعْرابِ . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

[٩/ ١٢٩ظ] **الشيخُ أبو حامدٍ الإسْفَرايينىُّ**[(١)] **أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ** ، الشيخُ أبو حامدٍ ، إمامُ الشافعيةِ فى زمانِه ، ومولدُه فى سنةِ أربعٍ وأربعين وثلاثِمائةٍ ، قدِم بغدادَ وهو صغيرٌ سنةَ ثلاثٍ أو أربعٍ وستين وثلاثِمائةٍ ، فدرَس الفقهَ على أبى الحسنِ بنِ المَرْزُبانِ ، ثم على أبى القاسمِ الدَّارَكىِّ ، ولم يَزَلْ يَتَرَقَّى به الحالُ حتى صارَت إليه رِياسةُ الشافعيةِ ، وعظُم جاهُه عندَ السلطانِ والعوامِّ ، وكان ثقةً إمامًا فقيهًا جليلًا[(٢)] نبيلًا ، شرَح المُزَنىَّ فى تَعْليقةٍ حافلةٍ نحوٍ مِن خمسين مجلدًا ، وله تَعْليقةٌ أخرى فى أصولِ الفقهِ ، وروَى عن أبى بكرٍ الإسْماعيلىِّ وغيرِه .

قال الخطيبُ البغدادىُّ[(٣)] : ورأيْتُه غيرَ مرةٍ ، وحضَرْتُ تدْريسَه بمسجدِ عبدِ اللَّهِ بنِ المبارَكِ ، فى صدرِ قَطيعةِ الرَّبيعِ ، وحدَّثنا عنه الأزَجىُّ والخَلَّالُ ، وسمِعْتُ مَن يَذْكُرُ أنه كان يَحْضُرُ تَدْريسَه سبعُمائةِ مُتَفَقِّهٍ ، وكان الناسُ يقولون : لو رآه الشافعىُّ لَفرِح به .

وقال أبو الحسينِ القُدُورىُّ[(٤)] : ما رأيْتُ فى الشافعيين أفقهَ من أبى حامدٍ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨، وطبقات الفقهاء ص ١٢٣، والمنتظم ١٥/ ١١٢، ووفيات الأعيان ١/ ٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٣٥، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٦١.

(٢) فى ب ، م : « جميلا » .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٩، ٣٧٠، والمنتظم ١٥/ ١١٣.

رحِمه اللَّهُ . وقد ذكَرْتُ ترجمتَه مُسْتَقْصاةً فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » ، وللَّهِ الحمدُ .

وذكَر ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ[1] أن القُدُورىَّ قال : هو أفقهُ وأنْظَرُ مِن الشافعىِّ . قال الشيخُ أبو إسحاقَ : وليسَ هذا مُسَلَّمًا إلى القُدُورىِّ ؛ فإن أبا حامدٍ وأمثالَه بالنسبةِ إلى الشافعىِّ كما قال الشاعرُ[2] :

نزَلوا بمكةَ فى قَبائلِ نَوْفلٍ ... ونَزَلْتُ بالبَيْداءِ[3] أبعدَ مَنزلِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وله من المُصَنَّفاتِ ؛ « التَّعْليقةُ الكبرى » ، وله كتابُ « البُسْتانِ » وهو صغيرٌ ، فيه غَرائبُ . قال : وقد اعتذَر إليه بعضُ الفُقهاءِ فى بعضِ المُناظَراتِ ، فأنشأ الشيخُ أبو حامدٍ يقولُ :

جَفاءٌ جرَى جَهْرًا لَدَى الناسِ وانْبَسَطْ ... وعُذْرٌ أتَى سرًّا فأكَّد ما فَرَطْ

ومَن ظنَّ أن يَمْحُو جَلِىَّ جَفائِه ... خَفِىُّ اعْتِذارٍ فهْو فى أعظمِ الغَلَطْ

وكانت وفاتُه ليلةَ السبتِ لإحْدى عشْرةَ ليلةً بقِيَت مِن شَوالٍ من هذه السنةِ ، ودُفِن بدارِه بعدَ ما صُلِّى عليه بالصَّحْراءِ ، وكان الجَمْعُ كثيرًا والبُكاءُ غَزيرًا ، ثم نُقِل إلى مقبرةِ بابِ حربٍ فى سنةِ عشْرٍ[5] وأربعِمائةٍ .

قال ابنُ الجوزىِّ[6] : وبلَغ مِن العمرِ إحدى وستين سنةً وأشْهُرًا ، رحِمَه اللَّهُ تعالَى .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٧٣.

(٢) هو عبيد الله بن إسحاق بن سلام . والبيت فى الأمالى للقالى ١/ ٢٠٢ .

(٣) فى الأمالى : « خلف البئر » .

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٧٣ ، ٧٤.

(٥) فى المنتظم : « ستة عشر » . والمثبت موافق لبقية المصادر التى ذكرت ذلك .

(٦) المنتظم ١٥/ ١١٣.

أبو أحمدَ الفَرَضيُّ ، عبدُ الرحمنِ[1] **بنُ محمدِ بنِ أحمدَ**[2] **بنِ عليٍّ**[2] **بنِ مِهْرانَ ، أبو أحمدَ بنُ أبى مسلمٍ الفَرَضيُّ المُقْرئُ** ، سمِع المَحامِليَّ ، ويوسُفَ بنَ يعقوبَ ، وحضَر مجلسَ أبى بكرِ بنِ الأنْباريِّ ، وكان إمامًا ثقةً ، وَرِعًا وَقورًا ، كثيرَ الخيرِ ، يُقْرئُ القرآنَ ، ثم يُسمِعُ الحديثَ ، وكان معظَّمًا جليلًا ؛ إذا قدِم على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَراييِنيِّ ، نهَض إليه حافيًا فتلَقَّاه إلى بابِ المسجدِ ، تُوُفِّى وقد جاوَز الثمانين . رحِمه اللَّهُ .

[٩/ ١٣٠و] **الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ**[3] **محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ موسى بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ ابنِ أبى طالبٍ** ، أبو الحسنِ العَلَوِيُّ ، لقَّبه بَهاءُ الدولةِ بالرَّضِيِّ ذى الحَسَبَيْن ، ولقَّب أخاه بالمُرْتَضَى ذى المَجْدَيْن ، وكان نقيبَ الطالبِيِّين ببغدادَ بعدَ أبيه ، وكان فاضلًا دَيِّنًا ، قرأ القرآنَ بعد ثلاثين سنةً من عمرِه ، وحفظ طرفًا جيدًا من الفقهِ وفُنونِ العلمِ . وكان شاعرًا مُطَبِّقًا ، سَخِيًّا جَوَادًا ورعًا .

وقد قال بعضُهم[4] : كان الشَّريفُ الرضيُّ فى كثرةِ شعرِه أشْعَرَ قريشٍ . فمِن شعرِه المُسْتَجادِ قولُه[5] :

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٠، والمنتظم ١٥/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٤٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٣٣، وغاية النهاية ١/ ٤٩١. وجاء اسمه فى المنتظم فقط - كما هو عندنا - : «عبد الرحمن»، وفى باقى المصادر: «عبيد اللَّه»، وانظر الحاشية القادمة.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص، وسائر المصادر عدا تاريخ بغداد والمنتظم: «بن محمد بن على». وفى تاريخ بغداد: «بن محمد». والمثبت من ب، م موافق لما فى المنتظم.

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ١٣١، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦، والمنتظم ١٥/ ١١٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٤١٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٤٩.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦، والمنتظم ١٥/ ١١٦.

(٥) انظر يتيمة الدهر ٣/ ١٥٠، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٤٧، والمنتظم ١٥/ ١١٦. ولم نجده فى ديوانه.

اشْتَرِ العِزَّ بما شئْـ ـتَ فما العِزُّ بِغالِ
بالقِصارِ الصُّفْرِ إن شئْـ ـتَ أوِ السُّمْرِ الطِّوالِ
ليس بالمَغْبونِ عقلًا مَن شرَى عِزًّا بمالِ
إنما يُدَّخَرُ المالُ لحاجاتِ الرجالِ
والفتى مَن جعَل الأمـ ـوالَ أثْمانَ المَعالى

ومن شعرِه[1]، رحِمه اللَّهُ تعالى:

يا طائرَ البانِ غِرِّيدًا على فَنَنِ ما هاج نَوْحُك لى يا طائرَ البانِ
هل أنت مُبْلِغُ مَن هام الفؤادُ به أن الطَّليقَ يُؤَدِّى حاجةَ العَانِى
جِنايةً ما جَناها غيرُ مُقْلَتِهِ يومَ الوَداعِ وواشَوْقِى إلى الجانِى
لولا تَذَكُّرُ أيامى بذى سَلَمٍ[2] وعندَ رامةَ أوطارى وأوْطانِى
لمَا قدَحْتُ بنارِ الوَجْدِ فى كَبِدِي ولا بلَلْتُ بماءِ الدمعِ أجْفانِى

وقد نُسِب إلى الرَّضِىِّ قَصيدةٌ يَتَرامَى فيها على الحاكمِ العُبَيْدىِّ[3]، ويَودُّ أن لو كانَ ببلدِه وفى حوزتِه، ويا ليت أن ذلك كان، حتى يرى كيف تكونُ منزلتُه عندَه، ولو أنَّ الخليفةَ العباسىَّ أجادَ السياسةَ، لسَيَّرَه إليه ليَقْضِىَ مُرادَه ويعلمَ الناسُ كيف حالُه، لكن حِلْمُ العباسيين غزيرٌ. يقول فى هذه القصيدةِ[4]:

ألْبَسُ الذُّلَّ فى بلادِ الأعادِى وبمصرَ الخليفةُ العَلَوىُّ

---

(١) انظر المنتظم ١٥/ ١١٧، وديوانه ص ٥١٧، ٥١٨.
(٢) ذو سلم: وادٍ ينحدر على الذنائب، والذنائب فى أرض بنى البكَّاء على طريق البصرة إلى مكة. انظر معجم البلدان ٣/ ١٢٢، ١٢٣.
(٣) انظر المنتظم ١٥/١١٧ - ١١٩.
(٤) الديوان ص ٥٤٦.

مَنْ أبوهُ أبى ومولاه مولا ... ىَ إذا ضامَنى البَعيدُ القَصِىُّ
(1)لَفَّ عِرْقى بعِرْقِهِ سيِّدُ النا ... سِ جميعًا محمدٌ وعلىُّ
إنَّ خوفى بذلك الرَّبعِ أَمْنٌ ... وأُوَامِى(2) بذلك الوِرْدِ رِىٌّ(1)

[٩/ ١٣٠ظ] فلما سمِع الخليفةُ القادرُ بأمرِ هذه القصيدةِ انْزَعَج، وبعَث إلى أبيه الشَّرِيفِ الطَّاهرِ أبى أحمدَ المُوسَوىِّ يُعاتِبُه، فأرْسَل إلى ابنِه الرَّضِىِّ، فأنْكَر أن يَكُونَ قالَ ذلك بمَرَّةٍ، والرَّوافِضُ مِن شأنِهم التَّقِيَّةُ(3). فقال له أبوه: فإذا لم تَكُنْ قلتَها فقلْ أبياتًا تَذْكُرُ فيها أن الحاكمَ بمصرَ دَعِىٌّ لا نسَبَ له. فقال: إنِّى أَخافُ من غائلةِ ذلك. وأصَرَّ على أن لا يَقولَ ما أمَره به أبوه، وتردَّدت الرسلُ مِن الخليفةِ إليهم فى ذلك، وهم يُنْكِرون، حتى بعَث الشيخَ أبا حامدٍ الإسْفَراييِنىَّ والقاضىَ أبا بكرٍ إليه، فأحلفاه باللَّهِ وبالأيمانِ المُؤَكَّدةِ أنه ما قالها. واللَّهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ.

تُوُفِّى فى خامسِ المُحَرَّمِ من هذه السنةِ عن سبعٍ وأربعين سنةً، وحضَر جِنازتَه الوزيرُ والقُضاةُ والأعيانُ، وصلَّى عليه الوزيرُ فخرُ المُلْكِ، ودُفِن بدارِه بمسجدِ الأنْبارِ، وولِى أخوه الشريفُ المُرْتَضَى ما كان يَلِيه، وزِيدعلى ذلك مَناصبَ أُخَرَ، وقد رثاه أخوه رحِمه اللَّهُ، بمرثاةٍ حسنةِ المطلعِ.

بادِيسُ بنُ منصورِ بنِ بُلُكِّين بنِ زيرِى بنِ مَنَادِ الحِمْيَرِىُّ(4) أبو المعزِّ مَنَادِ بنِ

(١ - ١) سقط من: ب، م.
(٢) الأُوام: العَطَش. أو حَرُّه. المحيط (أ و م).
(٣) فى ب، م: «التزوير».
(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٣٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٦٨.

بادِيسَ ، نائبُ الحاكمِ على بلادِ إفْرِيقِيَّةَ وابنُ نائبِها ، ولقَّبه الحاكمُ نَصِيرَ الدولةِ ، وكان ذا هَيْبَةٍ وسَطْوةٍ وحُرْمةٍ وافرةٍ ، كان إذا هزَّ رُمْحًا كسَره ، كانت وفاتُه بغتةً ليلةَ الأربعاءِ سَلْخَ ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ ، ويقالُ[1] : إن بعضَ الصالحين دعا عليه تلك الليلةَ . وقام بالأمرِ مِن بعدِه ولدُه المُعِزُّ .

---

(١) انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٧.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وأربعِمائةٍ[1]

فى ربيعِ الأَوَّلِ منها ، احْتَرَق مَشْهدُ الحسينِ بنِ علىٍّ بكَرْبَلاءَ وأَرْوِقَتُه ، وكان سببَه أن القَوَمةَ أشْعَلوا شَمْعَتَين كبيرتَيْن ، فمالَتا فى الليلِ على التأزِيرِ فاحترق ، ونفَذَتِ النارُ منه إلى غيرِه حتى كان منه ما كان .

وفى هذا الشهرِ أيضًا احْتَرَقَت دارُ القُطْنِ ببغدادَ وأماكنُ كثيرةٌ ببابِ البصرةِ ، واحْتَرَق جامعُ سامَرَّا .

وفى هذا الشَّهرِ ورَد الخبرُ بتَشْعيثِ الركنِ اليَمانىِّ مِن المسجدِ الحَرامِ ، وسُقوطِ جِدارٍ بينَ يدى قبرِ النَّبىِّ ﷺ ، وأنه سقَطَت القُبَّةُ الكبيرةُ على صخرةِ بيتِ المَقْدسِ ، وهذا مِن أغْربِ الاتفاقاتِ وأعجبِها .

وفى هذه السنةِ قُتِلَت الشِّيعةُ الذين ببلادِ إفْرِيقِيَّةَ ونُهِبَت أموالُهم ، ولم يُتْرَكْ منهم إلا مَن لا يُعْرَفُ .

وفيها كان امتدادُ دولةِ العَلَوِيِّين بالأنْدَلُسِ ، ولِيَها علىُّ بنُ حَمُّودِ بنِ أبى العيشِ العَلَوىُّ ، فدخَل قُرْطبةَ فى المُحَرَّمِ من هذه السنةِ ، وقتَل سليمانَ بنَ الحكمِ الأُمَوىَّ ، وقتَل أباه أيضًا ، وكان شيخًا صالحًا ، وبايَعه الناسُ ، وتلَقَّب بالمتوكلِ [٩/ ١٣١و] على اللَّهِ ، ثم قُتِل فى الحَمَّامِ فى ثامنَ عشرَ ذى القَعْدةِ[2] من هذه

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٢٠، ١٢١، والكامل ٩/٢٦٤ - ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٥، ٢٦.

(٢) فى الكامل - وهو المصدر المنفرد بذكر هذه الوقائع - أن مقتله كان فى الثامن والعشرين من ذى القعدة .

السنةِ عن ثمانٍ وأربعين سنةً ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه أخوه القاسمُ بنُ حَمُّودٍ ، وتلقَّب بالمأمونِ ، فأقام فى المُلْكِ ستَّ سنينَ ، ثم كان ابنُ أخِيه يحيى ثم إدريسُ أخو يحيى ، ثم ملَك الأُمَويون ثم أجانبُ حتى ملَك أميرُ المسلمين علىُّ بنُ يوسُفَ بنِ تاشِفِين .

وفى هذه السنةِ ملَك محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين يمينُ الدولةِ بلادَ خُوارَزْمَ بعدَ مَلِكِها خُوارَزْمَ شاهِ مأمونٍ .

وفيها اسْتَوْزَر سلطانُ الدولةِ أبو شجاعٍ أبا الحسنِ علىَّ بنَ الفضلِ الرامَهُرْمُزىَّ ، عِوضًا عن فخرِ المُلْكِ ، وخلَع عليه خِلَعَ الوِزارةِ ، ولم يَحُجَّ أحدٌ فى هذه السنةِ مِن بلادِ العراقِ لفَسادِ البلادِ والطُّرُقاتِ ، وعَيْثِ الأعرابِ .

وممن توفى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ بنِ دُوسْتَ[1] **أبو عبدِ اللَّهِ البَزَّازُ**[2] ، أحدُ حُفَّاظِ الحديثِ والفُقهاءِ على مذهَبِ مالِكٍ ، وكان يُذاكِرُ بحَضْرَةِ الدارَقُطْنىِّ ، ويَتَكَلَّمُ فى علمِ الحديثِ ، فيقالُ : إن الدارَقُطْنىَّ تكَلَّم فيه بذلك السببِ ، وقد تكَلَّم فيه غيرُه بما لا يَقْدَحُ فيه كبيرَ شىءٍ . قال الأزْهَرىُّ[3] : رأيْتُ كتبَه كلَّها طَرِيَّةً ، وكان يَذْكُرُ أنّ أصولَه العُتُقَ غرِقَت . وقد أمْلَى الحديثَ مِن حِفْظِه والمُخَلِّصُ وابنُ شَاهِينَ حيَّان مَوْجودان . وكانت وفاتُه فى رمضانَ عن أربعٍ وثمانينَ سنةً .

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٢٤، والإكمال ٣/ ٣٢٤، والمنتظم ١٥/ ١٢١، وميزان الاعتدال ١/ ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٥٦. والمثبت موافق لما فى الإكمال وتاريخ الإسلام. وجاء اسمه فى بقية المصادر هكذا: «أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن دوست».

(٢) فى النسخ: «البزار». والمثبت من مصادر ترجمته، عدا الإكمال فلم يذكر نسبته.

(٣) انظر تاريخ بغداد ٥/ ١٢٥، والمنتظم ١٥/ ١٢١.

الوزيرُ فَخْرُ المُلْكِ محمدُ بنُ عليِّ بنِ خلفٍ ، أبو غالبٍ[1] كان من أهْلِ وَاسِطٍ ، وكان أبوه صَيْرَفيًّا ، فتنَقَّلَت به الأحْوالُ إلى أن وزَر لبَهاءِ الدولةِ بنِ عضدِ الدولةِ ، واقْتَنَى أموالًا جزيلةً ، وبنى دارًا عظيمةً تُعْرَفُ بالفَخْرِيةِ ، وكانت أولًا للخليفةِ المُتَّقى للَّهِ ، فأَنْفَق عليها أموالًا كثيرةً ونفقاتٍ غزيرةً ، وكان كريمًا جَوَادًا بذَّالًا ، كثيرَ الصدقاتِ ، كسا فى يومٍ ألفَ فقيرٍ ، وكان كثيرَ الصلاةِ أيضًا ، وهو أولُ مَن فرَّق الحَلاوةَ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ[2] ، وكان فيه ميْلٌ إلى التَّشَيُّعِ ، وقد قتَله سُلْطانُ الدولةِ فى هذه السنةِ بالأهْوازِ ، وأخَذ من أموالِه شيئًا كثيرًا ؛ من ذلك أزْيَدُ مِن ستِّمائةِ ألفِ دينارٍ ، خارجًا عن الأمْلاكِ والأثاثاتِ والمَتاعِ ، وكان عمرُه يومَ قُتِل ثنتَيْن وخمسين سنةً وأشهرًا ، وقد قيل : إن سببَ هَلاكِه أن رجلًا قتَله بعضُ غِلْمانِه ، فاسْتَعْدَت امرأةُ الرجلِ عليه إلى الوزيرِ ، ورفَعَت إليه قِصصًا ، وكلُّ ذلك لا يَلْتَفِتُ إليها ، فقالت له ذاتَ يومٍ : أرَأَيْتَ القِصصَ التى رفَعْتُها إليك ولا تَلْتَفِتُ إليها ، قد رفَعْتُها إلى اللَّهِ ، وأنا أَنْتَظِرُ التَّوقيعَ عليها . فلما مُسِك الوزيرُ قال : قد واللَّهِ خرَج تَوْقيعُ المرأةِ . فكان مِن أمرِه ما كان .

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٢٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٦٨، والوافى بالوفيات ٤/ ١١٨.

(٢) فى المنتظم، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك : «رمضان» .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وأربعِمائةٍ

[٩/ ١٣١ظ] فيها[(١)] وقَعَت فِتنةٌ عظيمةٌ بينَ السنةِ والروافضِ ببغدادَ ، فقُتِل خَلْقٌ كثيرٌ مِن الفريقين .

وفيها ملَك أبو المُظَفَّرِ [(٢)]أرسلان خان[(٢)] بلادَ ما وراءَ النهرِ وغيرَها ، وتلَقَّب بشرفِ الدولةِ ، وذلك بعدَ وفاةِ أخيه طُغان خان ، وقد كان طُغان خان هذا دَيِّنًا[(٣)] فاضلًا ، يُحِبُّ أهلَ العلمِ والدِّينِ ، وقد غزا التركَ مرةً ، فقتَل منهم مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ ، وأسَر منهم مائةَ ألفٍ ، وغنِم مِن أوانى الذهبِ والفضةِ ، وأوانى الصينِ شيئًا لم يُعْهَدْ لأحدٍ مثلُه ، فلما مات ظهرَت ملوكُ التركِ فى البلادِ الشرقيةِ .

وفى جُمادَى الأولى منها ولِى أبو الحسينِ أحمدُ بنُ مُهَذِّبِ الدولةِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ نصرٍ بلادَ البَطائحِ بعدَ أبيه ، فقاتَله ابنُ عَمَّتِه[(٤)] فغلَبه عليها ، وضرَبه حتى قتَله ، ثم لم تَطُلْ مدتُه فيها حتى قُتِل[(٥)] ، ثم آلت بعدَ ذلك إلى سلطانِ الدولةِ صاحبِ بغدادَ .

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٢٥، ١٢٦، والكامل ٩/٢٩٧ - ٣٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٧، ٢٨.

(٢ - ٢) فى الأصل، ب، ص: «بن أرسلان خاقان». وفى م: «بن خاقان». والمثبت من الكامل، وهو المنفرد بذكر هذه الوقائع.

(٣) فى الأصل، ص: «أديبا».

(٤) فى النسخ: «عمه». والمثبت من الكامل.

(٥) الذى فى الكامل؛ أنه مات بالذبحة.

(١ وفى هذه السنةِ ضَعُف أمرُ الدَّيْلَمِ ببغدادَ ١) ، وطمِع فيهم العامَّةُ ، فنزَلوا إلى واسِطٍ فقاتلهم أهلُها مع التركِ أيضًا .

وفيها ولِى نورُ الدولةِ أبو الأغَرِّ دُبَيْسُ بنُ أبى الحسنِ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ بعدَ وفاةِ أبيه .

وفيها قدِم سلطانُ الدولةِ إلى بغدادَ ، وضُرِب الطَّبْلُ أوقاتَ الصَّلواتِ ، ولم تَجْرِ بذلك عادةٌ ، وعقَد عَقْدَه على بنتِ قِرْواشٍ ، على صَداقٍ مَبْلَغُه خمسون ألفَ دينارٍ .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ لفَسادِ البلادِ ، وعَيْثِ الأعرابِ ، وضَعْفِ الدولةِ .

وقال أبو الفرَجِ بنُ الجوزىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[٢] : أخبرَنا سعدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ البَزَّازُ[٣] ، أنبأ أبو بكرٍ الطُّرَيْثِيثىُّ ، أخبرَنا هِبَةُ اللَّهِ بنُ الحسنِ الطَّبَرىُّ قال : وفى سنةِ ثمانٍ وأربعِمائةٍ اسْتَتاب القادرُ باللَّهِ أميرُ المؤمنين فُقهاءَ المُعْتَزِلةِ الحَنَفِيَّةَ[٤] ، فأظْهَروا الرُّجوعَ ، وتبَرَّءوا مِن الاعتزالِ والرَّفْضِ والمَقالاتِ المُخالِفةِ للإسلامِ ، وأخَذ خُطوطَهم بذلك ، وأنهم متى خالَفوه حَلَّ بهم مِن النَّكالِ والعُقوبةِ ما يَتَّعِظُ به أمْثالُهم ، وامْتَثَل يمينُ الدولةِ وأمينُ المِلَّةِ أبو القاسمِ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين أمْرَ أميرِ المؤمنين ، واسْتَنَّ بسُنتِه فى أعمالِه التى اسْتَخْلفه عليها مِن خُراسانَ وغيرِها ، فى قتلِ المعتزلةِ والرافضةِ والإسماعيليةِ والقَرامطةِ والجَهْمِيةِ والمُشَبِّهةِ ، وصلَبهم

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) المنتظم ١٥/ ١٢٥، ١٢٦.

(٣) فى ب ، م ، ص : « البزار » .

(٤) سقط من : م .

وحبَسهم ونفاهم ، وأمَر بلعنِهم على مَنابِرِ المسلمينَ ، وإبعادِ[1] كلِّ طائفةٍ مِن أهلِ البدعِ ، وطَرْدِهم عن دِيارِهم ، وصار ذلك سُنَّةً فى الإسلامِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحاجبُ الكبيرُ شباشى[2] أبو طاهرٍ[3] مولى شرفِ الدولةِ ، ولقَّبه بَهاءُ الدولةِ بالسَّعيدِ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ والأوْقافِ على وُجوهِ القُرُباتِ ، فمِن ذلك أنه وقَف دَبَاهَا[4] على المارَسْتانِ ، [٩/١٣٢و] وكانت تُغِلُّ شيئًا كثيرًا مِن الزُّروعِ والثِّمارِ والخَراجِ ، وبنَى قَنْطَرةَ الخَنْدَقِ والياسِرِيَّةِ وغيرَ ذلك . ولما دُفِن بمقَبْرَةِ الإمامِ أحمدَ ، أوْصَى أن لا يُبْنَى عليه فخالَفوه ، فعقَدوا على قبرِه قُبَّةً فسقَطَت بعدَ موتِه بنحوٍ مِن سبعِين[5] سنةً ، واجْتَمَع نِسْوةٌ عندَ قبرِه يَنُحْنَ ويَبْكِين ، فلما رجَعْنَ رأَت عَجوزٌ منهن - كانت هى المُقَدَّمةَ فيهن - فى المنامِ كأن تُرْكيًّا خرَج إليها مِن قبرِه ومعه دَبُّوسٌ ، فحمَل عليها وزجَرها ، فإذا هو الحاجبُ السعيدُ ، فانْتَبَهت مَذْعورةً .

---

(١) فى المنتظم : « إيعاد » .

(٢) فى الأصل : « ساسى » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٥/ ١٢٦، والكامل ٩/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٣. واسمه فى الكامل : « سباشى » .

(٣) فى النسخ : « نصر » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وإنما « أبو نصر » كنية بهاء الدولة ، كما فى المنتظم . وانظر ترجمة بهاء الدولة أبى نصر فى سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٥.

(٤) فى المنتظم ، وهو المنفرد بذكر ذلك : « جبايتها » . ودباها : قرية من نواحى بغداد . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٤٥.

(٥) فى المنتظم : « تسعين » . والذى فيه سقوط القبة بغير توقيت ؛ بعد كذا سنة . والتوقيت لاجتماع النسوة ، وهو الذى كان بعد تسعين سنة .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وأربعِمائةٍ

فى يومِ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن المُحرَّمِ[1] قُرِئَ بدارِ الخِلافةِ فى المَوْكِبِ كتابٌ فى مَذْهَبِ أهلِ السنةِ، وفيه أن مَن قال: إن القرآنَ مخلوقٌ. فهو كافرٌ حَلالُ الدمِ.

وفى النصفِ مِن جُمادَى الأولى من هذه السنةِ فاض ماءُ البحرِ المالحِ ووافى الأُبُلَّةَ، ودخَل البصرةَ بعدَ يومين.

وفيها غزا محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين بلادَ الهندِ، وتواقَع هو وملكُ مُلوكِ الهندِ، فاقْتَتل الناسُ قِتالًا عظيمًا، ثم انْجَلَت عن هزيمةِ الهندِ، فأخَذ المسلمون منهم أموالًا عظيمةً مِن الجواهِرِ والذهبِ والفضةِ، ومائتَىْ فيلٍ، واقْتَصُّوا آثارَ المُنْهزِمين منهم، وهدَموا مَعاقِلَ كثيرةً جدًّا، ثم عاد إلى غَزْنةَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا. وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

[2]وفيها استَوزَر سلطانُ الدولةِ ذا السعادَتَين أبا غالبٍ الحسنَ بنَ منصورٍ[2]، ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ؛ لفَسادِ البلادِ وعَيْثِ الأعْرابِ.

ومِمَّنْ تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

---

(١) المنتظم ١٥/١٢٨، والكامل ٩/٣٠٦ - ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٩ - ٣٢.

(٢ - ٢) سقط من: م.

رَجاءُ بنُ عيسى بنِ محمدٍ[1] أبو العباسِ الأنْصِناوىُّ[2]، نسبةً إلى قريةٍ مِن قُرَى مصرَ يقالُ لها: أنْصِنا[3]. قدِم بغدادَ فحدَّث بها، وسمِع منه الحُفَّاظُ، وكان ثقةً، فَقيهًا مالكِيًّا، عَدْلًا مَقْبولًا عندَ الحُكامِ مَرْضِيًّا، فرَضِيًّا. ثم عاد إلى بلدِه، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين، رحِمَه اللَّهُ تعالى.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أبى عَلَّانَ[4] أبو أحمدَ قاضى الأهْوازِ، كان ذا يُسْرَةٍ كثيرةٍ، وله مُصَنَّفاتٌ، منها كتابٌ فى مُعْجِزاتِ النبىِّ ﷺ، جمَع فيه ألفَ مُعْجِزةٍ، وكان مِن كبارِ شيوخِ المعتزلةِ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن تسعٍ وثمانين سنةً.

علىُّ بنُ نصرٍ [5]أبو الحسنِ[5]، مُهَذَّبُ الدولةِ، صاحبُ بلادِ البَطيحةِ، كانت له مَكارِمُ كثيرةٌ، وكان الناسُ يَلْجَئون إليه فى الشَّدائدِ، فيُؤْوِيهم ويُحْسِنُ إليهم، ومِن أكبرِ مَناقبِه فى ذلك إحْسانُه إلى أميرِ المؤمنين القادرِ باللَّهِ حينَ اسْتَجار به، ونزَل عندَه بالبَطائحِ فارًّا مِن الطائعِ للَّهِ، فآواه وأحْسَن إليه، وكان فى خِدْمتِه حتى ولِى إمْرةَ المؤمنين، فكانت له بها عندَه اليدُ البيضاءُ، وقد ولِى البَطائحَ [٩/١٣٢ظ] ثنتين وثلاثين سنةً وشهورًا، وتُوُفِّى فى هذا العامِ عن ثِنْتين

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٤١٣، والمنتظم ١٥/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٨٦.

(٢) فى الأصل، ب، ص: «الأنصارى». وفى تاريخ الإسلام: «الأنصنائى». وهى نسبة صحيحة أيضًا.

(٣) فى الأصل، ب، ص: «أنصار». وانظر معجم ما استعجم ١/ ١٩٩، ومعجم البلدان ١/ ٣٨١.

(٤) فى الأصل، ب، ص: «غلاب». وانظر ترجمته فى المنتظم ١٥/ ١٢٩، والكامل ٩/ ٣١١.

(٥ - ٥) فى النسخ: «بن أبى الحسن». والمثبت مما تقدم فى حوادث سنة ثمان وأربعمائة صفحة ٥٨٠، ومن مصادر ترجمته الآتية: المنتظم ١٥/ ١٢٩، والكامل ٩/ ٣٠٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٤.

وسبعين سنةً ، وكان سببَ موتِه أنه افْتَصَد فانْتَفَخ ذراعُه حتى مات ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدِ بنِ عليِّ بنِ سعيدِ بنِ بشرِ بنِ مَرْوانَ بنِ عبدِ العزيزِ ، أبو محمدٍ الأزْدِيُّ[1] المِصْريُّ الحافظُ ، كان عالمًا بالحديثِ وفُنونِه ، وله فيه المُصَنَّفاتُ الكثيرةُ الشَّهيرةُ .

قال أبو عبدِ اللَّهِ الصُّوريُّ الحافظُ[2] : ما رأَت عَيْناىَ مثلَه فى معناه . وقال الدارَقُطْنيُّ[3] : ما رأيْتُ بمصرَ مثلَ شابٍّ يقالُ له : عبدُ الغنيِّ . كأنه شُعْلةُ نارٍ . وجعَل يُفَخِّمُ أمْرَه ويَرْفَعُ ذِكْرَه .

وقد صنَّف الحافظُ عبدُ الغنيِّ هذا كتابًا فيه أوْهامُ الحاكمِ ، فلما وقَف عليه الحاكمُ جعَل يَقْرَؤُه على الناسِ ، ويَعْتَرِفُ لعبدِ الغنيِّ بالفضلِ ، ويَشْكُرُه على ذلك ، ويَرْجِعُ إلى ما أصاب فيه مِن الردِّ عليه ، رحِمهما اللَّهُ . وُلِد الحافظُ عبدُ الغنيِّ لليلتين بقِيتا مِن ذى القَعْدةِ سنةَ ثنتين [4]وثلاثين[4] وثَلاثِمائةٍ ، وتُوُفِّى فى صفَرٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أميرِ المؤمنين القادرِ باللَّهِ[5] ويُكَنَّى بأبى الفَضْلِ ، كان أبوه قد

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٤١٠ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ١٣٠ وفيه : « بشران » بدل « بشر » ، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٨ ، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٤٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٨٨ .

(٢) المنتظم ١٥/ ١٣٠ . ولكن من قول الطيورى ، وهو أبو سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد . انظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٧ . وقد ذكر فى المنتظم الصورى ولكن محدِّثا عن غيره . وهو أبو عبد اللَّه محمد بن على الصورى . انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٧ .

(٣) انظر تاريخ دمشق ١٠/ ٤١١ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ١٣١ .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، م .

(٥) المنتظم ١٥/ ١٣١ ، والكامل ٩/ ٣١١ .

جعَله ولىَّ عهدِه مِن بعدِه، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه، وخطَب له الخُطباءُ على المَنابرِ، ولُقِّب بالغالبِ باللَّهِ، فلم يُقَدَّرْ ذلك. وتُوُفِّى فى هذه السنةِ عن سبعٍ وعشرين سنةً.

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ يزيدَ[1] **أبو الفتحِ البَزَّازُ**[2] الطَّرَسُوسىُّ، ويُعْرَفُ بابنِ البَصْرِىِّ، سمِع الكثيرَ عن المشايخِ، وسمِع منه الصُّورىُّ ببيتِ المَقْدِسِ حينَ أقام به، وكان ثقةً مأمونًا، رحِمه اللَّهُ تعالى ورحِمنا أجمعينَ بمَنِّه وكَرَمِه.

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤١٥، ووفاته عنده نحو سنة عشر وأربعمائة، وتاريخ دمشق ١٤/٧٧٢ مخطوط وذكر وفاته فى سنة سبع أو ثمان أو تسع أو عشر بعضها على الشك، والمنتظم ١٥/ ١٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٠٩.

(٢) فى الأصل: «البرار». وفى ب، م، ص: «البزار». والمثبت من مصادر ترجمته.

ثم دخَلَت سنةُ عشرٍ وأربعِمائةٍ

فيها[1] ورَد كتابٌ مِن يَمينِ الدولةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين ، يَذْكُرُ فيه ما افْتَتَحه مِن بلادِ الهندِ فى السنةِ الخاليةِ ، وفيه أنه دخَل مدينةً ، وجَد بها ألفَ قصرٍ مَشيدٍ ، وألفَ بيتٍ للأصنامِ ، ومَبْلَغُ ما فى الصنمِ مِن الذهبِ يُقارِبُ مائةَ ألفِ دينارٍ ، ومَبْلَغُ الأصنامِ الفضةِ زيادةٌ على ألفِ صنمٍ ، وعندَهم صنمٌ مُعَظَّمٌ يُؤَرِّخون مُدَّتَه بجَهالتِهم بثلاثِمائةِ ألفِ عامٍ ، وقد عَمَّ المجاهِدون هذه المدينةَ بالإحْراقِ ، فلم يَبْقَ منها إلا الرُّسومُ ، وبلَغ عددُ الهالكين مِن الهندِ خمسين ألفًا ، وأسْلَم منهم نحوٌ مِن عشرين ألفًا ، وأُفْرِد خُمُسُ الرَّقيقِ فبلَغ ثلاثًا وخمسين ألفًا ، واستُعْرِض مِن الأفيالِ ثلاثُمائةٍ وستّةٌ وخمسون فيلًا ، وحُصِّل مِن الأموالِ عشرون ألفَ ألفِ درهمٍ .

وفى ربيعِ الآخِرِ[2] جلَس القادِرُ باللَّهِ وقُرِئَ عهدُ الملكِ أبى الفَوارِسِ ، ولُقِّب قِوامَ الدولةِ ، وخُلِع عليه بخِلَعٍ حُمِلَت إليه بوِلايةِ كَرْمانَ ، [٩/١٣٣و] ولم يَحُجَّ أحدٌ فى هذه السنةِ مِن العراقِ ؛ لفسادِ الأعرابِ فى الطُّرُقاتِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأُصَيْفِرُ المُنْتَفِقِىُّ[3] الذى كان يَخْفِرُ الحاجَّ .

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٣٣، ١٣٤، والكامل ٩/ ٣١٢، ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٣٣، ٣٤.

(٢) أرَّخه فى المنتظم بربيع الأول، ولم يذكر تاريخه فى الكامل، ولم يذكر الخبر فى تاريخ الإسلام.

(٣) المنتظم ١٥/ ١٣٤، والكامل ٩/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) =

أحمدُ بنُ موسى بنِ مَرْدَوَيْهِ بنِ فُورَك ، أبو بكرٍ الحافظُ الأصْبَهانيُّ[1] ، تُوُفِّى فى رمضانِ هذه السنةِ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ سَلَامةَ ، أبو القاسمِ[2] الضَّرِيرُ المُقْرِئُ المُفَسِّرُ ، كان مِن أعلمِ الناسِ وأحْفظِهم للتفسيرِ ، وكانت له حَلْقةٌ فى جامعِ المنصورِ .

روَى ابنُ الجوزىِّ بسندِه إليه قال[3] : كان لنا شيخٌ نَقْرَأُ عليه ، فمات بعضُ أصحابِه ، فرآه فى النومِ ، فقال له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ قال : غفَر لى . قال : فما كان حالُك مع مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ ؟ قال : لما أجْلَسانى وسألانى أَلْهَمنى اللَّهُ تعالى أن قلتُ : بحقِّ أبى بكرٍ وعمرَ دعانى . فقال أحدُهما للآخَرِ : قد أقْسَم علينا بعظيمٍ فدَعْه . فترَكانى وذهَبا .

= ص ٣٤. وفى الكامل أنه الذى كان يؤذى الحاج ، ويفسره ما فى تاريخ الإسلام أنه الذى كان يأخذ الخفارة من الحاج . أى لكى لا يؤذيهم ويدعهم يسافرون .

(١) أخبار أصبهان ١/ ١٦٨، والمنتظم ١٥/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٠٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٠٠، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٠١، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، والمنتظم ١٥/ ١٣٨، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢١٥، وغاية النهاية ٢/ ٣٥١.

(٣) المنتظم ١٥/ ١٣٨.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فيها[1] عُدِم الحاكمُ العُبيدىُّ صاحبُ مصرَ، وذلك أنه لما كان ليلةُ الثلاثاءِ لليلتين بقِيتا مِن شوالٍ فُقِد الحاكمُ بنُ العزيزِ بنِ المعزِّ الفاطمىُّ صاحبُ مصرَ، فاسْتَبْشَر المؤمنون والمسلمون بذلك؛ وذلك لأنه كان جبارًا عَنيدًا، وشيطانًا مَريدًا، ولْنَذْكُرْ شيئًا مِن صفاتِه القَبيحةِ، وسِيرتِه الملْعونةِ[2]:

كان قبَّحه اللَّهُ كثيرَ التَّلَوُّنِ فى أفعالِه وأقوالِه، جائرًا[3] فى كيفيةِ بلوغِه ما يأملُه مِن ضميرِه الملعونِ؛ لأنه[3] كان يَرومُ أن يَدَّعِيَ الأُلوهيةَ كما ادَّعاها فِرْعونُ فى زمانِ موسى، عليه السلامُ.

وكانَ قد أمَر الرعيةَ إذا ذكَره الخطيبُ على المنبرِ أن يقومَ الناسُ على أقْدامِهم صُفوفًا؛ إعْظامًا لذِكْرِه واحْترامًا لاسمِه، فكان يُفْعلُ هذا فى سائرِ مَمالِكِه حتى فى الحرمَيْن الشريفين، وكان أهلُ مصرَ على الخُصوصِ إذا قاموا خَرُّوا سُجودًا، حتى إنه لَيَسْجُدُ بسُجودِهم مَن فى الأَسْواقِ مِن الرَّعاعِ وغيرِهم[4].

---

(١) المنتظم ١٥/١٣٩ - ١٤٣، والكامل ٩/٣١٤ - ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٣٧ - ٢٤٤.

(٢) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ٥/ ٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٨٣، والعبر ٣/ ١٠٤.

(٣ - ٣) فى ب، م: «وقد».

(٤) بعده فى ب، م: «ممن كان لا يصلى الجمعة وكانوا يتركون السجود للَّه فى يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم».

وأمَر فى وقتٍ أهلَ الكتابين بالدُّخولِ فى دينِ الإسْلامِ كُرْهًا ، ثم أذِن لهم فى العَوْدِ إلى أديانِهم ، وخرَّب الكنائسَ ، ثم عمَّرها ، وخرَّب قُمامةَ ، ثم أعادها ، وابْتَنى المَدارِسَ وجعَل فيها الفُقهاءَ والمشايخَ ، ثم قتَلهم وخرَّبها .

وألْزَم الناسَ بإغلاقِ الأسْواقِ نَهارًا ، وفَتْحِها ليلًا ، فامْتَثَلوا ذلك دَهْرًا طويلًا ، حتى اجْتازَ مرَّةً بشيخٍ يَعْمَلُ النِّجارةَ فى أثناءِ النهارِ ، [٩/١٣٣ظ] فوقَف عليه فقال : ألم ننْهَكم عن هذا ؟ فقال : يا سيدى ، أما كان الناسُ يسهَرون لمَّا كانوا يتعيشون بالنهارِ ، فهذا مِن جُمْلةِ السَّهَرِ . فتبَسَّم وترَكه ، وأعاد الناسَ إلى أمْرِهم الأولِ ، وكلُّ هذا تَغْييرٌ للرُّسومِ ، واخْتِبارٌ لطاعةِ العامَّةِ ، ليَرْقَى فى ذلك إلى ما هو أطمُّ من ذلك ، لعَنه اللَّهُ ، وقد كان يَعْمَلُ الحِسبةَ بنفسِه ؛ يَدُورُ فى الأسْواقِ على حِمارٍ له ، وكان لا يَرْكَبُ إلا حمارًا ، فمَن وجَده قد غشَّ فى مَعيشتِه أمَر عبدًا أسْودَ معه يقالُ له : مسعودٌ . أن يَفْعَلَ به الفاحشةَ العُظْمَى جِهارًا ، وهذا أمْرٌ مُنْكَرٌ مَلْعونٌ ، لم يُسْبَقْ إليه ، وكان قد منَع النساءَ مِن الخروجِ مِن مَنازِلِهن ، وقطَع الأعْنابَ حتى لا يَتَّخِذَ الناسُ خمرًا ، ومنَعهم مِن طبخِ المُلُوخِيَّةِ ، وأشْياءَ مِن الرُّعُوناتِ التى (١) لا تنضبِطُ ولا تنحصِرُ (١) ، وكانتِ العامةُ مَوْتُورِين منه يُبْغِضُونه كثيرًا ، ويَكْتُبون له الأوْراقَ التى فيها الشَّتيمةُ البليغةُ له ولأسْلافِه وحريمِه فى صُورةِ قِصصٍ ، فإذا قرَأها ازْداد حَنَقًا عليهم ، حتى إن أهلَ مصرَ عمِلوا صُورةَ امرأةٍ مِن وَرَقٍ بخُفَّيْها وإزارِها ، وفى يدِها قِصَّةٌ فيها مِن الشَّتْمِ واللعنِ والمُخالَفةِ له شىءٌ كثيرٌ ، فلما رآها ظنَّها امرأةً ، فذهَب مِن ناحيتِها ، وأخَذ القِصَّةَ مِن يدِها ، فقرأَها فرأَى ما فيها ، فأغْضَبه ذلك ، فأمَر بقتلِ تلك المرأةِ ، فلما تحقَّقها مِن وَرَقٍ

(١ - ١) فى ب ، م : « من أحسنها منع النساء من الخروج وكراهة الخمر » .

ازْداد أيضًا غضبًا على غضبِه ، ثم لما وصَل إلى القاهرةِ أمرَ العبيدَ مِن السُّودانِ أن يَذْهَبوا إلى مصرَ فيُحَرِّقوها ويَنْهَبوا ما فيها مِن الأموالِ والحريمِ ، فذهَبت العبيدُ فامْتَثَلوا ما أمَرهم به ، فقاتَلهم أهلُ مصرَ قِتالًا عظيمًا ثلاثةَ أيامٍ ، والنارُ تَعْمَلُ فى الدُّورِ والحَريمِ فى كلِّ يومٍ ، يخرجُ هو بنفسِه ، قبحه اللَّهُ ، فيَقِفُ مِن بعيدٍ ويَبْكى ويَقولُ : مَن أمَر هؤلاء العَبيدَ بهذا؟ ثم اجْتَمع الناسُ فى الجَوامعِ ، ورفَعوا المَصاحِفَ ، وجأروا إلى اللَّهِ عز وجل ، واسْتغاثوا به ، فرقَّ لهم التركُ والمَشارِقةُ وانْحازوا إليهم ، فقاتَلوا معهم عن حَريمِهم ودُورِهم ، وتفاقَم الحالُ جدًّا ، ثم ركِب الحاكمُ ، لعَنه اللَّهُ ، يَفصِلُ بينَ الفريقَيْن ، وكفَّ العَبيدَ عنهم ، وقد كان يُظْهِرُ التَّنَصُّلَ من القصةِ ، وأنَّ العبيدَ ارْتَكبوا ذلك عن غيرِ علمِه وإذنِه ، وكان يُنْفِذُ لهم السلاحَ ويَحُثُّهم على ذلك فى الباطنِ ، لعَنه اللَّهُ تعالى ، فما انجلَى الحالُ حتى أُحرِق مِن مصرَ نحوٌ من ثلثِها ، ونُهِب قريبٌ مِن نصفِها ، وسُبِيتْ حريمُ خلقٍ كثيرٍ ، ففُعل بهن الفَواحِشُ والمُنْـكَراتُ ، حتى إنَّ منهن من قتَلَت نفسَها [٩/١٣٤و] خوفًا مِن العارِ والفَضيحةِ ، واشْتَرَى الرجالُ منهم مَن سُبِى لهم مِن النساءِ والحَريمِ من أيدى العبيدِ .

قال ابنُ الجوزىِّ[1] : ثم زاد ظلمُ الحاكمِ ، وعنَّ له أن يَدَّعِىَ الربوبيةَ ، فصار قومٌ مِن الجُهَّالِ إذا رأَوْه يقولون : يا واحدُ يا أحدُ ، يا مُحْيى يا مُميتُ .

صفةُ مَقْتَلِه ، لعَنه اللَّـهُ

كان قد تعَدَّى شرُّه إلى الناسِ حتى إلى أختِه ، يَتَّهِمُها بالفاحشةِ ، ويُسْمِعُها

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٤٠.

أغْلظَ الكلامِ ، فتَبَرَّمَت منه ، وعمِلت على قتلِه ، فراسَلَت فيه أكبرَ الأُمراءِ ، يقالُ له : ابنُ دَوَّاسٍ . فتوافَقَت هى وهو على قتلِه ، وتواطَآ على ذلك ، فجهَّز مِن عندِه عبدَيْن أسودَيْن من عبيدِه شَهْمَيْن ، فقالت لهما : إذا كان فى الليلةِ الفلانيةِ فكُونا بجبلِ المُقَطَّمِ ، ففى تلك الليلةَ يَكونُ الحاكمُ هناك فى الليلِ ليَنْظُرَ فى النجومِ ، وليس معه أحدٌ إلا رِكابيٌّ وصبيٌّ ، فاقْتُلاه واقْتُلاهما معه . واتَّفق الحالُ على ذلك وتقرَّر ، فلما كانت تلك الليلةُ قال الحاكمُ لأُمِّه : عليَّ فى هذه الليلةِ قطعٌ عظيمٌ ، فإن نجَوْتُ منه عُمِّرْتُ نحوًا مِن ثمانين سنةً ، ومع هذا فانْقُلى حَواصِلى إليك ، فإن أخْوفَ ما أَخافُ عليك مِن أختى . فنقَل حَواصلَه إلى أُمِّه ، وكان له فى صنادِيقَ قريبٌ مِن ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ وجَواهرُ ، فقالت له أُمُّه : يا مَوْلانا ، إذا كان الأمْرُ كما تقولُ فارْحَمْنى ولا تركَبْ فى ليلتِك هذه إلى موضعٍ [1] وكان يُحِبُّها ، فقال : أَفْعَلُ [1] . وكان مِن عادتِه أن يَدورَ حولَ القصرِ كلَّ ليلةٍ ، فدار ثم عاد إلى القصرِ ، فنام إلى قريبٍ مِن ثلثِ الليلِ الأخيرِ ، فاسْتَيْقَظَ وقال : إن لم أَرْكَبِ الليلةَ فاضَت نَفْسى . فركِب فرسًا وصحِبه صبيٌّ ، وصعِد الجبلَ المُقَطَّمَ فاسْتَقْبَله ذانِك العبدان ، فأنْزلاه عن مَرْكوبِه ، وقطَعا يديه ورجليه ، وبقَرا جوفَه ، وحمَلاه فأَتَيا به مولاهما ابنَ دَوَّاسٍ ، فحمَله إلى أختِه ، فدفَنَته فى مجلسِ دارِها ، واسْتَدْعَت الأُمراءَ والأكابرَ والوزيرَ ، وقد أطْلَعَته على الحِيلةِ ، فبايَعهم لولدِ الحاكمِ أبى الحسنِ عليٍّ ، ولُقِّب بالظاهرِ لإعْزازِ دينِ اللَّهِ ، وكان بدمشقَ ، فاسْتَدْعَت به وجعَلَت تَقولُ للناسِ : إن الحاكمَ قال لى : إنه يَغِيبُ سبعةَ أيامٍ ثم يَعودُ . فاطْمَأنَّ الناسُ ، وجعَلَت تُرْسِلُ رِكابِيِّين يصعَدون الجبلَ ويجيئون ويَقولون : ترَكْناه بالموضعِ الفلانيِّ . ويقولُ الذين بعدَهم : ترَكْناه فى

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

موضع كذا . حتى اطْمَأن الناسُ ، وقدِم ابنُ أخيها وقد اسْتَصْحَب معه مِن تِنِّيسَ[1] ألفَ ألفِ دينارٍ وألْفَيْ ألفِ درهمٍ ، فحينَ [٩/١٣٤ظ] وصَل ألْبَسَته تاجَ المعزِّ جدِّ أبيه ، وحُلَّةً عظيمةً ، وأجْلَسَته على السَّريرِ ، وبايَعه الأُمراءُ والرؤساءُ ، وأطْلَق لهم الأموالَ الجزيلةَ ، وخلَعَت على ابنِ دَوَّاسٍ خِلْعةً سَنِيةً هائلةً ، وعمِلَت عَزاءَ أخيها الحاكمِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم أرْسَلَت إلى ابنِ دَوَّاسٍ طائفةً مِن الجندِ ليَكونوا بينَ يديه بسيوفِهم وُقوفًا فى خدمتِه ، ثم أمرتْهم فى بعضِ الأيامِ أن يقولوا له : أنت قاتلُ مولانا . ثم يَهْبُرُونه بسيوفِهم ، ففعَلوا ذلك ، وقتَلَت كلَّ مَن اطَّلَع على سرِّها فى قتلِ أخيها ، فعظُمَت هَيْبتُها ، وقوِيَت حُرْمتُها ، وثبَتَت دولتُها . وقد كان عمرُ الحاكمِ حين قُتِل سبعًا وثلاثين سنةً ، وكانت مدةُ مُلْكِه مِن ذلك خمسًا وعِشرين سنةً ، لعنه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى ب ، م : « دمشق » .

ثم دخَلَت سنةُ اثنتى عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فيها[1] توَلَّى القاضى أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ السِّمَنانىُّ الحِسْبةَ والمَواريثَ ببغدادَ ، وخُلِع عليه بالسَّوادِ .

وفيها قال جَماعةٌ مِن المسلمين للملكِ الكبيرِ يَمينِ الدولَةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين : أنت أكبرُ مُلوكِ الأرضِ ، وفى كلِّ سنةٍ تَفْتَحُ طائفةً مِن بلادِ الكفرِ ، وهذه طريقُ الحجِّ قد تعَطَّلَت مِن مدةِ سنين ، وفتحُك لها أوجَبُ مِن غيرِها . فتقَدَّم إلى قاضى القُضاةِ بعملِه أبى محمدٍ الناصحىِّ أن يَكونَ أميرَ الحجِّ فى هذه السنةِ ، وبعَث معه بثلاثين ألفَ دينارٍ للأعرابِ ، غيرَ ما جهَّز مِن الصدقاتِ إلى الحَرَمَيْن ، فسار الناسُ صُحْبتَه ، فلما كانوا بفَيْدَ[2] اعْتَرَضهم الأعْرابُ ، فصالَحهم القاضى أبو محمدٍ الناصحىُّ بخمسةِ آلافِ دينارٍ فامْتَنَعوا ، وصمَّم كبيرُهم ، وهو جَمّازُ بنُ عدىٍّ ، على أخْذِ الحَجيجِ ، وركِب فرسَه ، وجال جولةً واسْتَنْهَض من معه من شَياطينِ العربِ ، فتقَدَّم إليه غلامٌ مِن أهلِ سَمَرْقَنْدَ ، فرماه بسهمٍ فوصَل إلى قلبِه ، فسقَط ميِّتًا ، وانْهَزَمَت الأعْرابُ ، وسلَك الحجيجُ الطريقَ ، فحجُّوا ورجَعوا سالمين آمنين . وللَّهِ الحمدُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٤٥، ١٤٦، والكامل ٩/٣٢٣ - ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) فيد : بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة . معجم البلدان ٣/ ٩٢٧.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ [1]**بنِ عبدِ اللَّهِ**[1] **بنِ إسماعيلَ بنِ حفصٍ ، أبو سعدٍ المالِينيُّ الصوفيُّ** ، ومالِينُ قريةٌ مِن قُرَى هَراةَ ، كان مِن الحُفَّاظِ المُكْثِرين الرحّالين فى طلبِ الحديثِ إلى الآفاقِ ، وكتَب كثيرًا ، وكان ثقةً صدوقًا صالحًا ، مات بمصرَ فى شوالٍ من هذه السنةِ .

الحسنُ بنُ الحسينِ[2] **بنِ محمدِ بنِ الحسينِ**[2] **بنِ رامِينَ القاضى ، أبو محمدٍ الإسْتِراباذىُّ** ، نزَل بغدادَ ، وحدَّث [٩/١٣٥و] بها عن الإسماعيلىِّ وغيرِه ، وكان من كبارِ الشافعيةِ ، فاضلًا صالحًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الحسنُ بنُ منصورٍ ، أبو[3] **غالبٍ** ، الوزيرُ المُلَقَّبُ ذا السَّعادتَيْن ، وُلِد بسِيرافَ سنةَ ثنتين وخمسين وثلاثِمائةٍ ، وتنقلت به الأحوالُ حتى وزَر ببغدادَ ، ثم قُتِل وصُودِر ابنُه[4] على ثمانين ألفَ دينارٍ .

الحسينُ بنُ عمرَ[5] ، أبو عبدِ اللَّهِ الغَزَّالُ[6] ، سمِع النَّجَّادَ ، والخُلْدىَّ ، وابنَ السَّمَّاكِ وغيرَهم . قال الخطيبُ[6] : كتَبْتُ عنه ، وكان شيخًا ثقةً صالحًا كثيرَ

(١ - ١) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٤/ ٣٧١، وتاريخ دمشق ٥/ ١٩٢، والمنتظم ١٥/ ١٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٩٢، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٥٩.

(٢) فى الأصل : «الحسن» . وانظر مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٠، وتاريخ دمشق ١٣/ ٧٨، والمنتظم ١٥/١٤٦ - وفيه : «الحسين بن الحسين» - والوافى بالوفيات ١١/ ٤٢٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٠٤.

(٣) فى النسخ : «بن» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٥/ ١٤٧، والكامل ٩/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٢٩٦، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٧٦.

(٤) فى النسخ : «أبوه» . والمثبت من المنتظم، والكامل وفيه - أى فى الكامل - أنه صودر على ثلاثين ألف دينار .

(٥) فى النسخ : «عمرو» وهى موافقة لما فى المنتظم ١٥/١٤٧ . والمثبت من سائر مصادر الترجمة ؛ تاريخ بغداد ٨/٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٢٦٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٩٦ .

(٦) تاريخ بغداد ٨/ ٨٣.

البُكاءِ عندَ الذِّكْرِ.

محمدُ بنُ عمرَ، أبو بكرٍ العَنْبرىُّ الشاعرُ[1]، كان أديبًا ظريفًا، حسنَ الشعرِ، فمِن ذلك قولُه:

إنى نظَرْتُ إلى الزما ... نِ وأهلِه نظرًا كفانى
فعرَفْتُه وعرَفْتُهمْ ... وعرَفْتُ عِزِّىَ مِن هَوانى
فلذاك أَطَّرِحُ الصديـ ... ـقَ فلا أَراه ولا يَرانى
وزهِدْتُ فيما فى يديـ ... ـه ودونَه نَيْلُ الأمانى
فتعَجَّبوا لمُغالِبٍ ... وهَب الأقاصِىَ للأدانى
وانْسَلَّ مِن بينِ الزِّحا ... مِ فما له فى الكونِ[2] ثانى

قال ابنُ الجوزىِّ[3]: وكان مُتَصَوِّفًا، ثم خرَج عنهم، وذمَّهم بقَصائدَ ذكَرْتُها فى «تَلْبيسِ إبليسَ». تُوُفِّى يومَ الخميسِ ثانىَ عشَرَ جُمادَى الأولى من هذه السنةِ.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ رَزقٍ[4] **بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ بنِ خالدٍ، أبو الحسنِ البَزَّازُ**، المعروفُ بابنِ رَزْقَوَيْهِ. قال الخَطيبُ[5]: هو أولُ شيخٍ كتَبْتُ عنه فى سنةِ ثلاثٍ وأربعِمائةٍ، وكان يَذْكُرُ أنه درَس القرآنَ، ودرَس الفقهَ

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٦، والمنتظم ١٥/ ١٤٨.

(٢) فى ب، م: «الغلب»، وفى ص: «القلب». وفى تاريخ بغداد والمنتظم: «الخلق».

(٣) المنتظم ١٥/ ١٤٨. وانظر تلبيس إبليس ص ٣٦٣.

(٤) فى ب، م: «روق»، وفى ص: «رزق اللَّه». وانظر مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ١/ ٣٥١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٥٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٣٠١، والوافى بالوفيات ٢/ ٦٠.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٢.

على مذهبِ الشافعيِّ ، وكان ثقةً صدوقًا ، كثيرَ السَّماعِ والكِتابةِ ، حسَنَ الاعْتِقادِ ، جميلَ المذهبِ ، مُديمًا لتلاوةِ القرآنِ ، شديدًا على أهلِ البِدَعِ ، ومكَث دهرًا على الحديثِ ، وكان يقولُ : لا أُحِبُّ الدنيا إلا لذكرِ اللَّهِ وتِلاوةِ القرآنِ وقِراءتى عليكم الحديثَ . وقد بعَث بعضُ الأمراءِ إلى العلماءِ بذهبٍ ، فقبِلوا كلُّهم غيرَه ، فإنه لم يَقْبَلْ منه شيئًا . وكانت وفاتُه يومَ الاثنين السادسَ عشَرَ مِن جُمادَى الأولى من هذه السنةِ ، عن سبعٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن بالقربِ مِن مَقْبرةِ مَعْروفٍ الكَرْخيِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَميُّ ، محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ موسى النَّيْسابوريُّ[1] ، روَى عن الأصَمِّ وغيرِه ، وعنه مَشايخُ البَغَادِدةِ ، كالأزهريِّ والعُشَاريِّ وغيرِهما ، وروَى [٩/١٣٥ظ] عنه البَيْهقِيُّ وغيرُه .

قال ابنُ الجَوْزيِّ[2] : كانت له عِنايةٌ بأخبارِ الصُّوفيةِ ، فصنَّف لهم تفسيرًا ، وسُنَنًا وتاريخًا ، وجمَع شُيوخًا وتَراجمَ وأبوابًا ، له بنَيْسابورَ دارٌ مَعْروفةٌ ، وفيها صُوفِيةٌ ، وبها قبرُه . ثم ذكَر كلامَ الناسِ فى تَضْعيفِه فى الروايةِ ، فحكَى عن الخطيبِ ، عن محمدِ بنِ يوسفَ القَطَّانِ أنه قال : لم يَكُنْ بثقةٍ ، ولم يَكُنْ سمِع مِن الأصَمِّ كثيرًا ، فلما مات الحاكمُ روَى عنه أشياءَ كثيرةً ، وكان يَضَعُ للصوفيةِ الأحاديثَ . قال ابنُ الجَوْزيِّ[3] : وكانت وفاتُه فى ثالثِ شعبانَ من هذه السنةِ .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، والمنتظم ١٥/ ١٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٣٠٤، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٨٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ١٤٣.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٥١.

(٣) المصدر السابق.

أبو عليٍّ ، الحسنُ بنُ عليٍّ الدَّقَّاقُ النَّيْسابوريُّ[1] ، كان يَعِظُ ويَتَكلَّمُ على الأحوالِ والمعرفةِ ، فمِن كلامِه[2] : مَن تواضَع لأحدٍ لأجلِ دنياه ذهَب ثُلُثا دينِه ؛ لأنه خضَع له بلسانِه وأركانِه ، فلو خضَع له بقلبِه ذهَب دينُه كلُّه .

وقال فى قولِه تعالَى[2] : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] : اذْكُرونى وأنتم أحْياءٌ أَذْكُرْكم وأنتم تحتَ الترابِ .

وقال : البَلاءُ الأكبرُ أن تُرِيدَ ولا تُرادَ ، وتَدْنُوَ فتُرَدَّ إلى الإبْعادِ .

وأنْشَد عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٤] :

جُنِنّا بليلى وهْى جُنَّت بغيرِنا ... وأخرى بنا مَجْنونةٌ لا نُرِيدُها

وقال فى قولِه ﷺ[3] : « حُفَّت الجنةُ بالمَكارِهِ » . إذا كان المخلوقُ لا وصولَ إليه إلا بتَحَمُّلِ المَشاقِّ ، فما ظنُّك [4]بمَن لم يَزُلْ[4][5] ؟!

صَرِيعُ الدِّلاءِ[6] **الشاعرُ أبو الحسنِ ، علىُّ بنُ عبدِ الواحدِ ، الفَقيهُ**

---

(١) تبيين كذب المفترى ص ٢٢٦، والمنتظم ١٥/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ١٤٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٢٩.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٥١، ١٥٢.

(٣) مسلم (٢٨٢٢) .

(٤ - ٤) فى الأصل : « بالخلاق » .

(٥) بعده فى ب ، م : « وقال فى قوله عليه السلام : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » . يا عجبا لمن لم ير محسنا غير اللّه كيف لا يميل بكليته إليه ؟! قلت : كلامه على هذا الحديث جيد ، والحديث لا يصح بالكلية .

(٦) فى ب ، م ، ص : « الدلال » . وانظر مصادر ترجمته ؛ وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٣، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) =

البَغْداديُّ ، الشاعرُ الماجنُ ، المعروفُ بصَرِيعِ الدِّلاءِ[1] ، قَتيلِ الغَواشى[2] ذى الرَّقاعَتَيْن ، له قَصيدةٌ مَقْصورةٌ فى الهزلِ ، عارَض بها قصيدةَ أبى بكرِ بنِ دُرَيْدٍ ، يَقولُ فيها[3] :

وألفُ حِمْلٍ مِن متاعِ تُسْتَرِ ... أنفعُ للمِسْكينِ مِن لَقْطِ النَّوَى
مَن طبَخ الدِّيكَ ولا يَذْبَحُهُ ... طار مِن القِدْرِ إلى حيث انْتَهَى
مَن دخَلَت فى عينِه مِسَلَّةٌ ... فسَلْه مِن ساعتِه كيف العَمَى
والذَّقْنُ شعرٌ فى الوُجوهِ طالعٌ ... كذلك العِقْصةُ مِن خلفِ القَفَا
من أكَل الكِرْشَ ولا يَغْسِلُهُ ... سال على لحيتِهِ شِبْهُ الخَرَا[4]

إلى أن ختَمها بالبيتِ الذى حُسِد عليه ، وهو قولُه :

مَن فاته العلمُ وأخْطَاه الغِنَى ... فذاك والكلبُ على حَدٍّ سَوَا

قدِم مصرَ فى سنةِ ثِنْتَيْ عشْرةَ وأربعِمائةٍ ، وامْتَدَح فيها خليفتَها الظاهرَ لإعْزازِ دينِ اللَّهِ بنَ الحاكمِ ، واتَّفَقَت وفاتُه بها فى رجبِ هذه السنةِ ، سامَحَه اللَّهُ .

= ص ٣٠٨، والوافى بالوفيات ٤/ ٦١. وجاء اسمه فى السير، وتاريخ الإسلام: «محمد بن عبد الواحد». وفى المختصر: «على بن عبد الرحمن».

(١) فى ب ، م ، ص : « الدلال » .

(٢) فى ب ، م : « الغوانى » . وصريع الغوانى هو مسلم بن الوليد الأنصارى . انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٣.

(٣) الأبيات فى سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، والوافى بالوفيات .

(٤) هذا البيت ليس فى مصادر التخريج السابقة ولكنه فى الأصل .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

[٩/١٣٦و] فيها[(١)] جرَت كائنةٌ غَريبةٌ، ومُصيبةٌ عظيمةٌ، وهى أن رجلًا مِن المصريين مِن أصحابِ الحاكمِ اتَّفَق مع جَماعةٍ مِن الحُجَّاجِ المصريين على أمْرِ سَوْءٍ[(٢)]، وذلك أنه لما كان يومُ الجمعةِ وهو يومُ النَّفْرِ الأوَّلِ طاف هذا الرجلُ بالبيتِ، فلما انتهى إلى الحجرِ الأسودِ جاء ليُقَبِّلَه، فضرَبه بدَبُّوسٍ كان معه ثلاثَ ضَرَباتٍ مُتَوالياتٍ، وقال: إلى متى يُعبَدُ هذا الحجرُ؟ ولا محمدٌ ولا عليٌّ يَمْنَعَنى مما أفْعَلُه، فإنى أَهْدِمُ اليومَ هذا البيتَ. وجعَل يَرْتَعِدُ، فاتَّقاه أكثرُ الحاضِرين، وتأَخَّروا عنه؛ وذلك أنَّه كان رجلًا طُوَالًا جَسيمًا، أحمرَ اللونِ، أشْقرَ الشعرِ، وعلى بابِ المسجدِ جَماعةٌ مِن الفُرْسانِ وُقوفٌ ليَمْنَعوه ممَّن أراده بسُوءٍ، فتَقَدَّم إليه رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ معه خَنْجَرٌ، فوجَأه بها، وتَكاثر عليه الناسُ، فقتَلوه وقطَّعوه قِطَعًا وحرَّقوه، وتتَبَّعوا أصحابَه، فقُتِلَ منهم جَماعةٌ، ونهَبَت أهلُ مكةَ ركبَ المصريين، وتعَدَّى النَّهْبُ إلى غيرِهم أيضًا، وجرَت خَبْطةٌ عظيمةٌ وفتنةٌ كبيرةٌ جدًّا، ثم سكَن الحالُ بعدَ أن تُتُبِّع أولئك النَّفَرُ الذين تمالَئوا على الإلْحادِ فى أشْرفِ البلادِ، غيرَ أنه سقَط مِن الحجرِ ثلاثُ فِلَقٍ مثلُ الأظْفارِ، وبدا ما تحتَها أسْمَرَ يَضْرِبُ إلى صُفْرةٍ، مُحَبَّبًا مثلَ الخَشْخَاشِ، فأخَذ

---

(١) المنتظم ١٥/١٥٣، ١٥٤، والكامل ٩/٣٢٧ - ٣٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٤٧ - ٢٤٩.

(٢) فى الأصل: «فضيح».

بنو شَيْبةَ تلك الفِلَقَ فعجَنوها بالمِسْكِ واللَّكِّ[1] ، وحشَوْا بها تلك الشُّقوقَ التى بدَت ، فاسْتَمْسَك الحَجرُ[2] واسْتَمَرَّ على ما هو عليه الآنَ ، وهو ظاهرٌ لمَن تأمَّله .

وفى هذه السنةِ فُتِح المارَسْتانُ الذى بناه الوزيرُ مُؤَيِّدُ المُلْكِ أبو علىٍّ الحسنُ الرُّخَّجِىُّ وزيرُ شرفِ المُلْكِ بواسِطٍ ، ورتَّب له الخُزَّانَ والأشْرِبةَ والعَقاقيرَ ، وغيرَ ذلك مما يُحْتاجُ إليه ، واللَّهُ تعالى أعلمُ ، وهو حسبُنا ونِعْمَ الوكيلُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ البَوَّابِ الكاتبُ ، علىُّ بنُ هلالٍ ، أبو الحسنِ بنُ البَوَّابِ[3] ، صاحبُ الخطِّ المنسوبِ ، صَحِبَ أبَا الحسينِ بنَ سَمْعونَ الواعظَ ، وكان يقصُّ بجامعِ المدينةِ ، وقد أَثْنَى على ابنِ البَوَّابِ غيرُ واحدٍ فى دينِه ، وأمَّا خَطُّه وطَريقتُه فأَشْهَرُ مِن أن ينبَّهَ عليه ، وخطُّه أوْضَحُ تَعْرِيبًا مِن خطِّ أبى علىِّ بنِ مُقْلةَ ، ولم يَكُنْ بعدَه أكْتَبُ منه ، وعلى طريقتِه الناسُ اليومَ فى سائرِ الأقاليمِ إلا القليلَ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : تُوُفِّى يومَ السبتِ ثانىَ جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ ، ودُفِن بمَقْبرةِ بابِ حربٍ ، وقد رَثاه بعضُهم بأبياتٍ منها :

فلِلقُلوبِ التى أبْهَجْتَها حَزَنٌ[5] ... وللعيونِ التى أقْرَرْتَها سَهَرُ

---

(١) اللَّك : صبغ أحمر يصبغ به جلود المعزى للخِفاف وغيرها ، واللُّك : ثُفْله يُرَكَّب به النصل فى النصاب . انظر اللسان (ل ك ك) .

(٢) فى الأصل ، ص : « الحال » .

(٣) المنتظم ١٥/ ١٥٥ ، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٢٠ ، والكامل ٩/ ٣٢٤ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٢٦ .

(٤) المنتظم ١٥/ ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٥) فى ب ، م : « حرق » ، وفى ص : « حسن » .

[٩/١٣٦ظ] فما لعيشٍ وقد ودَّعْتَه أرَجٌ وما لليلٍ وقد فارَقْتَه سَحَرُ

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : ويقالُ له : ابنُ السِّتْرىِّ . لأن أباه كان مُلازمًا لسِتْرِ البابِ ، ويقالُ له : ابنُ البَوَّابِ . وكان قد أخَذ الخطَّ عن أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ أسدِ بنِ علىِّ بنِ سعيدٍ البَزَّارِ ، وقد سمِع ابنُ أسدٍ هذا على النَّجَّادِ وغيرِه ، وتُوُفِّى فى سنةِ عشْرٍ وأربعِمائةٍ ، وأمَّا ابنُ البَوَّابِ فإنه تُوُفى فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين وأربعِمائةٍ . وقد رثاه بعضُهم فقال :

اسْتَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدَك سالفًا وقضَتْ بصِحةِ ذلك الأيامُ
فلذاك سُوِّدَتِ الدُّوِىُّ كآبةً أسَفًا عليك وشُقَّتِ الأقْلامُ

ثم ذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] أولَ مَن كتَب بالعربيةِ ، فقيل : إسماعيلُ عليه السلامُ . وقيل : أولُ مَن كتَب بالعربيةِ مِن قريشٍ حربُ بنُ أميَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، أخَذها مِن بلادِ الحيرةِ عن رجلٍ يقالُ له : أسْلَمُ بنُ سِدْرةَ . وسُئِل عمَّن اقتبسها ؟ فقال : مِن واضعِها ؛ رجلٍ يقالُ له : مُرامِرُ بنُ مُرَّةَ . وهو رجلٌ مِن أهلِ الأنْبارِ . فأصلُ الكِتابةِ فى العربِ مِن الأنْبارِ . وقال الهَيْثمُ بنُ عَدِىٍّ : وقد كان لحِمْيرَ كتابةٌ يُسَمُّونها المُسْنَدَ ، وهى حروفٌ مُتَّصِلةٌ غيرُ مُنْفَصلةٍ ، وكانوا يَمْنَعون العامَّةَ مِن تَعَلُّمِها ، وجميعُ كِتاباتِ الناسِ تَنْتَهِى إلى اثْنَىْ عشَرَ صِنْفًا ؛ وهى العربيةُ ، والحِمْيَرِيَّةُ ، واليُونانيةُ ، والفارسيةُ ، والسُّريانيَّةُ ، والعِبْرانيةُ ، والرُّوميةُ ، والقِبْطِيةُ ، والبَرْبَرِيَّةُ ، والهِنْدِيةُ ، والأنْدَلُسيةُ ، والصِّينِيَّةُ . وقد انْدَرَس كثيرٌ منها ، فقلَّ مَن يَعْرِفُ كثيرًا منها .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٤٢ ، ٣٤٣.
(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٤٤.

عليُّ بنُ عيسى بنِ سليمانَ بنِ محمدِ بنِ أبانٍ ، أبو الحسنِ[1] **الفارسيُّ** ، المعروفُ بالسُّكَّرِيِّ ، الشاعرُ ، وكان يَحْفَظُ القرآنَ ، ويَعْرِفُ القِراءاتِ ، وصحِب القاضيَ أبا بكرٍ الباقِلَّانيَّ ، وأكثرُ شعرِه فى مَديحِ الصحابةِ وذَمِّ الرافِضةِ . وكانت وفاتُه فى شعبانَ[2] مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالقربِ مِن قبرِ معروفٍ الكرخيِّ ، وقد أوْصَى أن يُكْتَبَ على قبرِه هذه الأبياتُ التى عمِلها ، وهى قولُه :

نفسُ يا نفسُ كم تَمادَيْـــنَ فى الغَيِّ ... وتـأتين[3] فـى الـفَـعـالِ المَعيـبِ
راقِبى اللَّهَ واحْذَرى موقفَ العَرْ ... ضِ وخافى يومَ الحِسابِ العَصيبِ
لا تَغُرَّنَّكِ السَّلامةُ فى العيـ ... ـشِ فإن السليمَ رَهْنُ الخُطوبِ
كـلُّ حـيٍّ فـلـلـمَـنـونِ ولا يَـدْ ... فَعُ كأسَ المَنونِ كيدُ الأريبِ
واعْـلَـمـى أن لـلـمَـنِـيَّـةِ وقـتًـا ... سوف يأْتى عَجْلانَ غيرَ هَيوبِ
[٩/١٣٧و] إنَّ حُبَّ الصِّدِّيقِ فى موقفِ الحَشْـ ... ـرِ أمـانٌ لـلـخـائـفِ المطـلـوبِ

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ منصورٍ ، أبو جعفرٍ ، البَيِّعُ[4] ، ويُعْرَفُ بالعَتيقيِّ ، وُلِد سنةَ إحدى وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، وأقام بطَرَسوسَ مدةً ، وسمِع بها وبغيرِها ، وحدَّث بشىءٍ يَسيرٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل ، ص : « الحسين » ، وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢/ ١٧، والمنتظم ١٥/ ١٥٦، والكامل ٩/ ٣٢٩، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٢٥.

(٢) فى ب ، م : « شوال » . وانظر مصادر الترجمة .

(٣) فى ب ، م : « تمشين » ، وانظر المنتظم .

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٩، والأنساب ٤/ ١٥٦، والمنتظم ١٥/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠٢، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٥٨.

(١) **محمدُ بنُ محمدِ بنِ النُّعْمانِ ، أبو عبدِ اللَّهِ ، المعروفُ بابنِ المُعَلِّمِ**(١) ، شيخُ الإماميَّةِ الرافضةِ ، والمُصَنِّفُ لهم ، والمُحامِى عن حَوْزَتِهم ، وكانت له وَجاهةٌ عندَ مُلوكِ الأطرافِ ؛ لميلِ كثيرٍ منهم إلى التَّشَيُّعِ ، وكان مَجْلِسُه يَحْضُرُه كثيرٌ مِن العلماءِ مِن سائرِ الطَّوائفِ ، وكان مِن جملةِ تَلاميذِه الشَّريفُ(٢) المُرْتَضَى ، وقد رثاه بقصيدةٍ بعدَ وفاتِه فى رمضانَ من هذه السنةِ ، منها قولُه :

مَن لفضلٍ أخرجتَ منه حسامًا ... ومعانٍ فضَضْتَ عنها خِتامَا
مَن يُثيرُ العقولَ مِن بعدِ ما كنَّ هُمُودًا ويَفْتَحُ الأفْهامَا
مَن يُعِيرُ الصَّديقَ رأيًا إذا ما ... سلَّه فى الخُطوبِ كان حُسامَا

(١ - ١) فى ب : « ابن المعلم » ، وفى م : « ابن النعمان » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١، والمنتظم ١٥/ ١٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٣٢، والعبر ٣/ ١١٤، والوافى بالوفيات ١/ ١١٦.

(٢) بعده فى م : « الرضى و » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فيها[1] قدِم الملكُ مشرِّفُ[2] الدولةِ إلى بغدادَ، فخرَج الخليفةُ فى الطَّيَّار لتَلَقِّيه، وصَحِبَتْه الأُمراءُ والقُضاةُ والفُقهاءُ والوزراءُ والرؤساءُ، فلمَّا واجَهه مُشرِّفُ الدولةِ قبَّل الأرضَ بينَ يَدَى الخليفةِ مَرَّاتٍ والجيشُ واقفٌ برُمَّتِه، والعامَّةُ فى الجانبَيْن [3]والخليفةُ يبعَث الرسلَ إليه بالسلامِ عليه، وكان يومًا مشهودًا[3].

وفيها ورَد كتابٌ مِن يَمينِ الدولةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكين إلى الخليفةِ، يَذْكُرُ فيه أنه دخَل بلادَ الهندِ أيضًا، وأنه فتَح بلادًا، وقتَل خلقًا منهم، وأنه صالَحه بعضُ ملوكِهم، وبعَث إليه بهدايا سَنِيَّةٍ، فيها فُيولٌ عديدةٌ، ومنها طائرٌ على هيئةِ القُمْرِىِّ، إذا وُضِع عندَ الخِوانِ وفيه سُمٌّ دمَعَت عيناه وجرَى منهما ماءٌ، [4]وتحَجَّر، و[4] يُحَكُّ ويُؤْخَذُ ما تَحَصَّل منه، فيُطْلَى به الجِراحاتُ ذواتُ الأفْواهِ الواسعةِ فيَلْحُمُها، وغيرُ ذلك.

وحجَّ أهلُ العراقِ فى هذه السَّنةِ، ولكن رجَعوا على طريقِ الشامِ لاحْتِياجِهم إلى ذلك. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٥٨، ١٥٩، والكامل ٩/ ٣٣٠ - ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

(٢) فى النسخ وفيما يأتى: «شرف». والمثبت من المصادر السابقة.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤ - ٤) فى النسخ: «ومنها حجر». وانظر المصادر المتقدمة.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسنُ بنُ الفضلِ بنِ سَهْلانَ ، أبو محمدٍ الرامَهُرْمُزِىُّ[1] ، وزيرُ سُلطانِ الدولةِ ، وهو الذى بنَى سورَ الحائرِ عندَ مَشْهَدِ الحسينِ ، قُتِل فى شعبانَ من هذه السنةِ .

الحسينُ[2] **بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الكَشْفُلِىُّ الطَّبَرِىُّ** ، الفقيهُ الشافعىُّ ، تفَقَّه على أبى القاسمِ الدارَكىِّ ، وكان [٩/١٣٧ظ] فهِمًا فاضِلًا صالحًا زاهدًا ، وهو الذى درَّس بعدَ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ فى مسجدِه ، مسجدِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ فى قَطيعةِ الربيعِ[3] ، وكان الطَّلَبَةُ عندَه مُكْرَمِين ، اشْتَكَى بعضُهم إليه حاجةً ، وأنه قد تأَخَّرَت عنه نفَقتُه التى تَرِدُ إليه مِن أبيه ، فأخَذ بيدِه ، وذهَب إلى بعضِ التُّجَّارِ بقطيعةِ الربيعِ ، فاسْتَقْرَض له منه خمسين دينارًا ، فقال التاجرُ : حتى تَأْكُلَ شيئًا . ومدَّ سِماطًا ، فأكَلوا ، ثم قال : يا جاريةُ هاتى المالَ . فأحْضَرتْ شيئًا مِن المالِ ، فوزَن منه خمسين[4] دينارًا ، ودفَعها إلى الشيخِ ، فلما قاما إذا بوجهِ ذلك الفقيهِ قد تغَيَّر . فقال له الكَشْفُلِىُّ : ما لك ؟ فقال : يا سيدى ، قد سكَن قلبى حبُّ هذه الجاريةِ . فرجَع به إلى التاجرِ ، فقال : قد وقَعْنا فى فتنةٍ أخرى . قال : وما هى ؟ فقال : إن الفقيهَ قد هوِى الجاريةَ . فأمَر التاجرُ أن تَخْرُجَ ،

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٥٩، والكامل ٩/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٤٠، ونهاية الأرب ٢٦/ ٢٤٧. وفيه : « الحسين » .

(٢) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٨/ ١٠٥، والأنساب ٥/ ٧٤، والمنتظم ١٥/ ١٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٧٢.

(٣) قطيعة الربيع : منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهى من قرية يقال لها بياورى من أعمال بَادُورَيَا ، وبادوريا : طسُوجٌ - ناحية - من كورة الأُستان بالجانب الغربى من بغداد . انظر معجم البلدان ٤/ ١٤٢، ١/ ٤٦٠، والقاموس المحيط (ط س ج) .

(٤) فى المنتظم : « عشرين » . والمثبت موافق لبعض نُسَخِه .

فسَلَّمَها إليه ، وقال : ربما يكونُ قد وقَع فى قلبِها منه مثلُ الذى قد وقَع فى قلبِه منها . فلما كان عن قريبٍ قدِمتْ على الفقيه النفقةُ مِن أبيه ستُّمائةِ دينارٍ ، فوفَّى التاجرَ ما كان له عليه مِن ثمنِ الجاريةِ والقَرْضِ ، وذلك بسِفارةِ الشيخِ . وكانت وفاتُه فى ربيعِ الآخِرِ من هذه السنةِ ، ودُفِن بمقبرةِ بابِ حربٍ .

علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جَهْضَمٍ ، أبو الحسنِ الصوفىُّ المكىُّ[1] ، صاحبُ « بَهْجةِ الأسْرارِ » ، كان شيخَ الصوفيةِ بمكةَ ، وبها تُوُفِّى .

قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : وقد ذكَروا أنه كان كذَّابًا ، ويقالُ : إنه الذى وضَع حديثَ صلاةِ الرَّغائبِ[3] .

القاسمُ بنُ جعفرِ بنِ عبدِ الواحدِ ، أبو عمرَ الهاشمىُّ البَصْرىُّ[4] ، قاضى البصرةِ ، سمِع الكثيرَ ، وكان ثقةً أمينًا ، وهو راوى سننِ أبى داودَ ، عن أبى علىٍّ اللُّؤلُؤىِّ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وقد جاوَز التسعين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ يحيى بنِ عبدِ الجبارِ ، أبو الفرجِ القاضى الشافعىُّ[5] ، ويُعْرَفُ بابنِ سُمَيْكةَ ، روَى عن النَّجَّادِ وغيرِه ، وكان ثقةً ، تُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ منها ، ودُفِن بمقبرةِ بابِ حربٍ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٢/ ٤٤٠ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٥٠، ولسان الميزان ٤/ ٢٣٨.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٦١.

(٣) انظر الموضوعات لابن الجوزى ٢/ ١٢٤ - ١٢٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٥١، والمنتظم ١٥/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٥٦، والعبر ٣/ ١١٧.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٩، والمنتظم ١٥/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٥٧.

محمدُ بنُ أحمدَ ، أبو جعفرٍ النَّسَفيُّ[1] ، عالمُ الحَنَفيةِ فى زمانِه ، وله طريقةٌ فى الخِلافِ ، وكان فقيرًا مُتَزَهِّدًا ، بات ليلةً قَلِقًا لما عندَه مِن الفقرِ والحاجةِ ، فعرَض له فكرٌ فى فرعٍ مِن الفُروعِ كان أشْكَل عليه ، فانْفَتَح له ، فقام يَرْقُصُ ويقولُ : أين الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ؟ فسألَتْه امرأتُه عن خبرِه ، فأعْلَمها بما حصَل له ، فتعَجَّبَت مِن شأنِه[2] ، رحِمه اللَّهُ ، وكانت وفاتُه فى شعبانَ من هذه السنةِ .

هلالُ بنُ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ سَعْدانَ ، أبو الفتحِ الحفَّارُ[3] ، سمِع إسماعيلَ الصَّفَّارَ والنَّجَّادَ [4]وابنَ السَّمَّاكِ[4] وابنَ الصَّوَّافِ ، [٩/١٣٨و] وكان ثقةً ، تُوُفِّى فى صفرٍ من هذه السنةِ عن اثنتين وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ وإيانا بمنِّه .

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٦٢، والكامل ٩/ ٣٣٤.

(٢) فى الأصل : « عقله » .

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٥، والمنتظم ١٥/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٦١.

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر تاريخ الإسلام الموضع السابق .

ثم دخَلَت سنةُ خمسَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فيها[1] ألْزَم الوزيرُ المغربيُّ جماعةً من الأتراكِ والمُوَلَّدِين[2] والشَّريفَ المُرْتَضَى ونظامَ الحَضْرةِ أبا الحسنِ الزَّيْنَبيَّ وقاضىَ القُضاةِ أبا الحسنِ بنَ أبى الشَّوارِبِ والشُّهودَ، بالحُضورِ لتَجْديدِ البَيْعةِ لمشرَّفِ الدولةِ، فلما بلَغ ذلك الخليفةَ توَهَّم أن تكونَ هذه البيعةُ لنيَّةٍ فاسدةٍ مِن أجلِه، فبعَث إلى القاضى والرؤساءِ يَنْهاهم عن الحُضورِ، فاخْتَلَفَت الكلمةُ بينَ الخليفةِ ومشرَّفِ الدولةِ، ثم اصْطَلَحا وتصافَيا، وجُدِّدَت البيعةُ لكلٍّ منهما مِن الآخَرِ.

ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ من رَكْبِ[3] خُراسانَ أحدٌ، واتَّفَق أن بعضَ الأمراءِ مِن جهةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين شهِد المَوسمَ فى هذه السنةِ، فبعَث إليه صاحبُ مصرَ بخِلَعٍ عظيمةٍ ليَحْمِلَها للملكِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين، فلما رجَع بها إلى أستاذِه الملكِ محمودٍ أرْسَل بها إلى بغدادَ، فحُرِّقَت بالنارِ[4] على بابِ النُّوبى للخليفةِ القادرِ باللَّهِ العباسىِّ، رحِمه اللَّهُ تعالى وجزاه خيرًا عن قصدِه وسيرتِه الحسنةِ[4].

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

---

(١) المنتظم ١٥/١٦٣، ١٦٤، والكامل ٩/٣٣٥ - ٣٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) المولَّد: من كان عربيًّا غير محضٍ. تاج العروس (و ل د).

(٣) بعده فى ب، م: «العراق ولا».

(٤ - ٤) سقط من: ب، م.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ الحسنِ [1]**بنِ عبيدِ بنِ عَمرِو بنِ خالدِ بنِ الرُّفَيْلِ**[1]، **أبو الفرجِ** المُعَدِّلُ المَعْروفُ بابنِ المُسْلِمةِ، وُلِد سنةَ سبعٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ، وسمِع أباه وأحمدَ بنَ كاملٍ والنَّجَّادَ والخُطَبيَّ[2] ودَعْلَجَ بنَ أحمدَ وغيرَهم، وكان ثقةً، يسكُنُ الجانبَ الشرقيَّ مِن بغدادَ، ويُمْلى فى أولِ كلِّ سنةٍ مجلسًا فى المُحَرَّمِ، وكان عاقلًا فاضلًا، كثيرَ المعروفِ، دارُه مَأْلَفٌ لأهلِ العلمِ، وكان قد تفقَّه بأبى بكرٍ الرازىِّ، وكان يَصومُ الدهرَ، ويَقْرَأُ فى كلِّ يومٍ سُبُعًا، ويُعِيدُه بعينِه فى تهَجُّدِه، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ القاسمِ بنِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ ابنِ سعيدِ بنِ أبانٍ الضَّبِّيُّ، أبو الحسنِ المَحامِلِيُّ[3] نسبةً إلى بيعِ المَحامِلِ، تفقَّه على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ، وبرَع فى الفقهِ، حتى كان الشيخُ أبو حامدٍ يقولُ: هو أحْفظُ للفقهِ منى. وله المصنفاتُ المشهورةُ، منها «اللُّبابُ» و «الأوْسطُ» و «المُقْنِعُ»، وله فى الخِلافِ، وعلَّق عن الشيخِ أبى حامدٍ تَعْليقةً كبيرةً. قاله ابنُ خَلِّكانَ[4].

وُلِد سنةَ ثمانٍ وستين وثلاثِمائةٍ، وتُوُفِّى يومَ الأربعاءِ لتسعٍ بقِين مِن ربيعٍ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٥/ ٦٧، والمنتظم ١٥/ ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٧٠، والجواهر المضية ١/ ٢٩٦.

(٢) فى ب، م: «الجهضمى».

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٢، وطبقات الفقهاء ص ١٢٩، والمنتظم ١٥/ ١٦٥، ووفيات الأعيان ١/ ٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٦٦، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٤٨.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٧٥.

الآخِرِ من هذه السنةِ، وهو شابٌّ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

(١ **سلطانُ الدولةِ بنُ بهاءِ الدولةِ**، تُوفِّى بشيرازَ، عن ثِنْتين وثلاثين سنةً وخمسةِ أشهرٍ ١).

عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ، أبو القاسمِ الخَفَّافُ(٢) **المَعْروفُ بابنِ النَّقيبِ**، كان مِن أئمةِ السُّنةِ، [٩/ ١٣٨ظ] وحينَ بلَغه موتُ ابنِ المُعَلِّمِ(٣) جلَس للتَّهْنئةِ، وقال: ما أُبالى أىَّ وقتٍ مِتُّ بعدَ أن شاهَدْتُ موتَ ابنِ المُعَلِّمِ. ومكَث دهرًا طويلًا يُصَلِّى الفجرَ بوُضوءِ العِشاءِ.

قال الخطيبُ(٤): وسألتُه عن مَوْلِدِه فقال: فى سنةِ خمسٍ وثلاثِمائةٍ، وأَذْكُرُ مِن الخُلفاءِ المُقْتَدِرَ والقاهرَ والرَّاضِىَ والمُتَّقىَ والمُسْتَكْفىَ والمُطيعَ والطائعَ والقادرَ والغالبَ باللَّهِ. خُطِب له بولايةِ العهدِ، وكانت وفاتُه فى سَلْخِ شعبانَ من هذه السنةِ عن مائةٍ وعشْرِ سنين.

عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ (٥**بنِ تَعْوِيذٍ**٥)**، أبو حفصٍ الدَّلَّالُ**. قال: سمِعْتُ الشِّبْلىَّ يُنْشِدُ قولَه:

(١ - ١) سقط من: ب، م، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٥/ ١٦٥، والكامل ٩/ ٣٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٤٥، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٦١.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٢، والمنتظم ١٥/ ١٦٦، والكامل ٩/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٧٩.

(٣) بعده فى ب، م: «فقيه الشيعة سجد للّه شكرا و».

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٣.

(٥ - ٥) سقط من: ب، م. وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ١١/ ٢٧١ برقم (٦٠٣٩) كما فى الفهرس فإن الترجمة سقطت من المطبوعة، والمنتظم ١٥/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٣٨٤.

وقد كان شيءٌ يُسمَّى السرورَ قديمًا سمِعْنا به ما فَعَلْ
خَليليَّ إن دام هَمُّ النُّفوسِ قليلًا على ما نَراه قَتَلْ
يُؤَمِّلُ دُنْيا لتَبْقَى لهُ فمات المُؤَمِّلُ قبلَ الأمَلْ

محمدُ بنُ الحسنِ ، أبو الحسنِ الأَقْساسِيُّ العَلَوِيُّ[1] نائبُ الشَّريفِ المُرْتَضَى فى إمْرةِ الحَجِّ ، فحجَّ بالناسِ فى سنين مُتَعددةٍ ، وله فَصاحةٌ وشعرٌ جيدٌ ، وهو مِن سُلالةِ زَيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ .

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٦٨.

ثم دخَلَت سنةُ ستَّ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فيها[1] قوِى أمْرُ العَيَّارِين ببغدادَ، ونهَبوا الدُّورَ جَهْرةً، واسْتَهانوا بأمرِ السُّلطانِ، وفى ربيعِ الأوَّلِ منها تُوُفِّى مشرَّفِ الدولةِ بنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمىُّ صاحبُ بغدادَ والعراقِ وغيرِ ذلك، فكَثُرَت الشُّرورُ ببغدادَ، ونُهِبَت الخزائنُ، واستقرَّ الأمْرُ على توليةِ جَلالِ الدولةِ أبى الطاهرِ، وخُطِب له على المَنابِرِ، وهو على البصرةِ، وخلَع على شرفِ المُلْكِ أبى سعيدِ بنِ ماكُولا وزيرِه، ولُقِّب علَمَ الدينِ، سعدَ الدولةِ، أمينَ المِلَّةِ، شَرَفَ المُلْكِ، وهو أولُ مَن لُقِّب بالألْقابِ الكثيرةِ، ثم طلَب مِن الخليفةِ أن يُبايِعَ لأبى كاليجارَ إذ كان وليَّ عهدِ أبيه سُلطانِ الدولةِ، الذى اسْتَخْلَفه بَهاءُ الدولةِ عليهم، فتوَقَّف الجوابُ، ثم وافَقهم على ما أرادوا من ذلك، وأُقِيمَت الخُطْبةُ للملكِ أبى كاليجارَ يومَ الجمعةِ سادسَ عشرَ شوالٍ من هذه السنةِ، ثم تفاقَم أمرُ العيَّارين ببغدادَ، وكبَسوا الدُّور ليلًا ونهارًا، وضرَبوا أهلَها كما يُضْربُ المُصادَرون، ويَسْتغِيثُ أحدُهم فلا يُغاثُ، واشْتَدَّ الحالُ، وهرَبَت الشُّرَطُ مِن بغدادَ، ولم تُغْنِ الأتراكُ شيئًا، وعُمِلَت الشَّرايجُ[2] على أفْواهِ السِّكَكِ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا، وأُحْرِقَت [٩/١٣٩و] دارُ الشريفِ المُرْتَضَى، فانْتقل منها، وغلتِ الأسعارُ ببغدادَ جدًّا، ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ [3]العراقِ و[3]

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٠، ١٧١، والكامل ٩/٣٤٢ - ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٢) فى م: «السرايج». والشرايج: واحدتها الشريجة، وهى شىء ينسج من سَعف النخل. انظر اللسان (ش ر ج).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

خُراسانَ ، فى هذه السنةِ . واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

سابورُ بنُ أَرْدَشِيرَ[1] وزَر لِبَهَاءِ الدولةِ أبى نصرِ بنِ عضُدِ الدولةِ ثلاث مرَّاتٍ ، ووزَر لمشرَّفِ الدولةِ أيضًا ، وكان كاتبًا سديدًا[2] عَفيفًا عن الأموالِ ، كثيرَ الخيرِ ، سليمَ الباطنِ[3] ،وكان إذا سمِع المؤذنَ لا يَشْغلُه شىءٌ عن الصلاةِ ، وقد وقَف دارًا للعلمِ فى سنةِ إحدى وثمانين وثلاثِمائةٍ ، وجعل فيها كتبًا كثيرةً جدًّا ، ووقَف عليها غلَّةً كثيرةً ، فبَقِيت سبعين سنةً ، ثم أُحْرِقَت عندَ مَجِىءِ الملكِ طُغْرُلْبَك فى سنةِ خمسين وأربعِمائةٍ ، وكانت محَلَّتُها بين السُّورَين ، وقد كان جيِّدَ المُعاشرةِ إلا أنه كان يَعْزِلُ عُمَّالَه سَريعًا[4] ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وقد قارَب التسعين[5] .

عثمانُ النَّيْسابورىُّ الخَرْكوشىُّ[6] **الواعِظُ** ، قال ابنُ الجَوْزىِّ[7] : صنَّف كتابًا فى الوعْظِ مِن أبْرَدِ الأشْياءِ ، وفيه أحاديثُ كثيرةٌ مَوْضوعةٌ ، وكلماتٌ مرْذُولةٌ ، إلا أنه كان خَيِّرًا صالحًا ،وكانت له وجاهةٌ عند الخلفاءِ والمُلوكِ ، وكان الملكُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين إذا رآه قام له ، وكانت محَلَّتُه حِمًى يُحْتَمى بها مِن

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٠١.

(٢) فى الأصل، م، ص: «شديدا». وانظر الكامل ٩/ ٣٥٠.

(٣) فى ب، م: «الخاطر».

(٤) بعده فى ب، م: «خوفا عليهم من الأشر والبطر».

(٥) كذا فى النسخ، وفى المنتظم: «السبعين». وفى وفيات الأعيان والسير: «الثمانين».

(٦) المنتظم ١٥/ ١٧٢.

(٧) المنتظم الموضع السابق.

الظَّلَمةِ ، وقد وقَع فى بلدَتِه نَيْسابورَ موتٌ ، وكان يُغَسِّلُ المَوْتَى مُحْتَسِبًا ، فغسَّل نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ ميتٍ ،رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ صالحانَ ، أبو منصورٍ[1] ، الوزيرُ لمشرَّفِ الدولةِ ولبَهاءِ الدولةِ أيضًا ، كان وزيرَ صِدْقٍ جيِّدَ المُباشَرةِ ، حسنَ الصلاةِ ، مُحافظًا على أوقاتِها ، وكان مُحْسِنًا إلى الشعراءِ والعلماءِ ، تُوُفِّى ببغدادَ فى هذه السنةِ عن ستٍّ وسبعين سنةً .

الملكُ مُشرَّفُ الدولةِ ، أبو علىِّ بنُ بَهاءِ الدولةِ ، أبى نصرِ بنِ عَضُدِ الدولةِ ابنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمىُّ[2] ، صاحبُ بغداد وغيرِها من البلادِ ، أصابه مرضٌ حادٌّ[3] ، فتُوُفِّى لثمانٍ بقِين مِن ربيعٍ الآخرِ عن [4]ثلاثٍ وعشرين سنةً وثلاثةِ أشهرٍ [5]وخَمسةٍ[5] وعشرين يومًا[4] .

التِّهامىُّ ، علىُّ بنُ محمدٍ التِّهامىُّ ، أبو الحسن[6] ، له ديوانٌ مشهورٌ ، وله مَرْثاةٌ فى ولدِه ، وكان قد مات صغيرًا ، أولُها[7] :

حكمُ المَنِيَّةِ فى البَرِيَّةِ جارِى ... ما هذه الدنيا بدارِ قَرارِ

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٣، والكامل ٩/ ٣٤٩.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٧٤، والكامل ٩/ ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤١١، ونهاية الأرب ٢٦/ ٢٥٠.

(٣) فى ب ، م : «حار» .

(٤ - ٤) فى المنتظم : «عن ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يومًا ، وكانت مدة إمارته خمس سنين وشهرًا وخمسة وعشرين يومًا» .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

(٦) دمية القصر ١/ ١١٠، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ٨/ ٥٣٧، وتاريخ دمشق ١٢/ ٥٣٧ مخطوط ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٠٤.

(٧) البيت فى ديوانه ص ٣٠٨، ومعاهد التنصيص ٤/ ٢٤٢.

ومنها[1] :

إنى لَأَرْحَمُ حاسِدِىَّ لحَرِّ ما ضَمَّت صدورُهم مِن الأوْغارِ
نَظروا صَنيعَ اللَّهِ بى فعيونُهم فى جنةٍ وقُلُوبُهمْ فى نارِ

[٩/١٣٩ظ] ومنها فى ذمِّ الدنيا[2] ، وكلُّ هذه القصيدةِ مَلِيحٌ مُخْتارٌ :

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تُريدُها صَفْوًا مِن الأقْذارِ والأكْدارِ
ومُكَلِّفُ الأيامِ ضدَّ طِباعِها مُتَطَلِّبٌ فى الماءِ جَذْوةَ نارِ
وإذا رجَوْتَ المُستحيلَ فإنما تَبْنى الرَّجاءَ على شفيرِ هارِ

ومنها قولُه فى ولدِه بعد موتِه[3] :

جاوَرْتُ أعْدائى وجاوَر ربَّه شَتَّانَ بينَ جِوارِه وجِوارِى

وقد ذكَر ابنُ خَلِّكانَ[4] أن بعضَهم رآه فى النومِ فى هيئةٍ حسنةٍ ، فقال : بم نِلْتَ ذلك . قال : بهذا البيتِ[5] . [6]تُوفِّى بحبسِ خِزانةِ البُنُودِ[7] من القاهرةِ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ[6] .

---

(١) ديوان أبى الحسن التهامى ص ٣١٦.
(٢) الديوان ص ٣٠٨، ومعاهد التنصيص ٤/ ٢٤٢.
(٣) الديوان ص ٣١٠.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨١.
(٥) أى قوله : « جاورتُ أعدائى ...» .
(٦ - ٦) سقط من : ب ، م .
(٧) فى الأصل ، ص : « النبود » . والمثبت من وفيات الأعيان وتاريخ الإسلام . وانظر النجوم الزاهرة ٤/ ٤٧.

ثم دخَلَت سنةُ سبعَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فى العشرِين مِن المُحَرَّمِ[1] وقَعَت فتنةٌ عظيمةٌ بين الأَسْفَهْسِلَارِيَّةِ[2] وبينَ العَيَّارِين، ورَكِبَت لهم الأتراكُ بالدَّبادِبِ، كما يُفْعَلُ فى الحربِ، وأُحْرِقَت أبوابٌ كثيرةٌ مِن الدُّورِ التى احْتَمَى فيها العَيَّارون، وأُحْرِق مِن الكَرْخِ جانبٌ كبيرٌ، ونُهِب أهلُه، وتَعَدَّى النهبُ إلى غيرِه أيضًا، وكانت فتنةٌ هائلةٌ شَنِيعةٌ ثُم خمَدَت فى اليومِ الثانى، وقُرِّر على أهلِ الكَرْخِ مائةُ ألفِ دينارٍ مُصادرَةً؛ لإثارتِهم الفتنَ والشُّرورَ.

وفى شهرِ ربيعٍ الآخِرِ شهِدَ أبو عبدِ اللَّهِ الحسينُ بنُ علىٍّ الصَّيْمَرىُّ عندَ قاضى القُضاةِ ابنِ أبى الشَّوارِبِ بعدَما كان اسْتَتابه عما ذُكِر عنه مِن الاعْتِزالِ.

وفى رمضانَ انقَضَّ كوكبٌ سُمِع له دَوِىٌّ كدَوِىِّ الرعدِ، ووقَع فى سَلْخِ شوالٍ بَرْدٌ لم يُعْهَدْ مثلُه، واسْتَمَرَّ ذلك إلى العشرين مِن ذى الحِجَّةِ، وجمَد الماءُ طُولَ هذه المدةِ، حتى حافَّاتِ دجلةَ والأنهارِ الكِبارِ، وقاسَى الناسُ شدةً عظيمةً، وتأَخَّر المطرُ وزيادةُ[3] دِجْلةَ، وقلَّت الزراعةُ، وامْتَنع كثيرٌ مِن الناسِ عن

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٥، ١٧٦، والكامل ٩/ ٣٥١ - ٣٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) فى ب، م: «الاسفهلارية»، وفى المنتظم: «الأصفهلارية». والاسفهسلار: من ألقاب أرباب السيوف، وكان فى الدولة الفاطمية لقبًا على صاحب وظيفةٍ تلى صاحب الباب، ومعناه: مُقدَّم العَسْكر، وهو مركب من لفظين؛ فارسى، وتركى، فأَسْفَهْ بالفارسية بمعنى المقدم، وسِلار بالتركية بمعنى العسكر، والإسفهسلارى: نسبة إليه للمبالغة. انظر صبح الأعشى ٦/ ٧، ٨.

(٣) فى الأصل: «وزادت».

التَّصَرُّفِ . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن العراقِ وخُراسانَ فى هذه السنةِ لفَسادِ البلادِ والطرقاتِ . واللَّهُ أعلمُ .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

قاضى القُضاةِ ابنُ أبى الشَّوارِبِ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ ابنِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشَّوارِبِ ، أبو الحسنِ القرشىُّ الأُمَوىُّ[1] ، قاضى قُضاةِ بغدادَ بعدَ ابنِ الأكْفانىِّ بثنتَىْ عشْرةَ سنةً ، وكان عَفيفًا نَزِهًا ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى عمرَ الزاهدِ وعبدِ الباقى بنِ قانعٍ ، إلا أنَّه لم يُحَدِّثْ . قاله ابنُ الجَوْزىِّ[2] .

وحكَى الخطيبُ البغدادىُّ[3] عن شيخِه أبى العَلاءِ [٩/ ١٤٠و] الواسطىِّ أن أبا الحسنِ هذا آخِرُ مَن ولِى الحكمَ ببغدادَ مِن سُلالةِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشَّوارِبِ ، وقد ولِى الحكمَ مِن سُلالتِه أربعةٌ وعشرون ، منهم ثمانيةٌ وُلُّوا قَضاءَ قُضاةِ بغدادَ . قال أبو العَلاءِ : ما رأيْنا مثلَ أبى الحسنِ هذا ؛ جَلالةً ونَزاهةً وصيانةً وشرَفًا .

وقد ذكَر القاضى الماوَرْدىُّ أنه كان له صديقًا وصاحبًا ، وأن رجلًا مِن خِيارِ الناسِ أوْصَى له بمائتى دينارٍ ، فحمَلها إليه الماوَرْدىُّ ، فأبَى القاضى أن يَقْبلَهَا ، فجهَد عليه كلَّ الجَهْدِ فلم يَفْعَلْ ، وقال : أسألُك باللَّهِ لا تَذْكُرْ هذا لأحدٍ ما دُمْتُ

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧، والمنتظم ١٥/ ١٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤١٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٧٧.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٤٨.

حيًّا . ففعَل ، فلم يُخْبِرْ عنه إلا بعدَ موتِه . [1]وكان ابنُ أبى الشَّوارِبِ فقيرًا إليها وإلى ما هو دونَها ، فلم يَقْبَلْها ، رحِمه اللَّهُ[1] . وقد تُوُفِّى فى شوالٍ من هذه السنةِ .

جعفرُ بنُ بَاى[2] ، **أبو مسلمٍ الجِيلىُّ**[3] ، سمِع ابنَ بَطَّةَ ، ودرَس فقهَ الشافعىِّ على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، وكان ثقةً دَيِّنًا فاضِلًا ، تُوُفِّى فى رمضانَ من هذه السنةِ .

عمرُ بنُ أحمدَ بنِ [4]إبراهيمَ بنِ[4] عَبْدَوَيْهِ[5] ، **أبو حازمٍ الهُذَلىُّ النَّيْسابورِىُّ** ، سمِع ابنَ نُجَيْدٍ والإسْماعيلىَّ وخَلْقًا ، وسمِع منه الخطيبُ وغيرُه ، وكان الناسُ يسمَعون بإفادتِه وانْتِخابِه ، تُوُفِّى يومَ عيدِ الفطرِ منها .

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ ، أبو الحسنِ المُقْرِئُ المعروفُ بالحَمَّامىِّ[6] ، سمِع النَّجَّادَ و الخُلْدىَّ وابنَ السَّمَّاكِ وغيرَهم ، وكان صدوقًا فاضلًا ، حسَنَ الاعْتِقادِ ، وتفرَّد بأسانيدِ القِراءاتِ وعُلُوِّها ، تُوُفِّى فى شَعْبانَ من

(١ - ١) زيادة من : ب ، م .

(٢) فى الأصل : « بان » ، وفى ب ، م ، ص : « أبان » . والمثبت من الإكمال ١/ ١٦١، والمشتبه ١/ ٣٨، وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٧/ ٢٣٥، وفيه : « جعفر بن بابا » ، والمنتظم ١٥/١٧٨ وفيه : « جعفر بن بأبى » ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٢٩٧، ووقع فى اللباب ١/ ٢٦٤، ومعجم البلدان ٢/ ١٧٩: « جعفر بن بابى » .

(٣) فى ب ، م ، والمنتظم : « الختلى » . وانظر ما تقدم من مصادر ترجمته .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ١١/ ٢٧٢، وتبيين كذب المفترى ص ٢٤١، والمنتظم ١٥/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٣٠٠، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٢١.

(٥) فى الأصل : « عبد ربه » .

(٦) وقع فى بعض مصادر ترجمته : « ابن الحمامى » . انظر الإكمال ٣/ ٢٨٩، والأنساب ٢/ ٢٥٥، وترجمته فى تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٩، والمنتظم ١٥/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٢٦، وغاية النهاية ١/ ٥٢١.

هذه السنةِ عن تسعٍ وثمانين سنةً .

صاعدُ بنُ الحسنِ بنِ عيسى الرَّبَعىُّ البغدادىُّ اللُّغوىُّ[1] ، صاحبُ كتابِ « الفُصوصِ » فى اللغةِ على طريقةِ القالى فى « الأمالى » صنَّفه للمنصورِ بنِ أبى عامرٍ ، فأجازه عليه خمسةَ آلافِ دينارٍ ، ثم قيل له : إنه كذابٌ مُتَّهَمٌ فيما ينقُلُه ، فأمرَ بإلقاءِ الكتابِ فى النهرِ . فقال فى ذلك بعضُ الشعراءِ[2] :

قد غاص فى الماءِ كتابُ الفُصوصْ ... وهكذا كلُّ ثقيلٍ يَغُوصْ

فلما بلَغ صاعدًا هذا البيتُ أنْشَد :

عاد إلى عُنْصُرِه إنَّما ... يَخْرُجُ مِن قَعْرِ البُحورِ الفُصوصْ

قلتُ : كأنه سمَّى هذا الكتابَ بهذا الاسمِ ليُشاكِلَ به « الصِّحاحَ » للجَوْهرىِّ ، لكنه كان مع فَصاحتِه[3] وبَلاغتِه وعلمِه مُتَّهَمًا بالكذبِ فيما يَرِويه ويَنقُلُه ، فلهذا رفَض الناسُ كتابَه ، ولم يَشْتَهِرْ بينهم ، وقد كان ظريفًا ماجِنًا سريعَ الجوابِ ، سأَله رجلٌ أعْمَى على سبيلِ التَّهَكُّمِ بحضرةِ جماعةٍ ، فقال له : ما الجَرَنْفُلُ ؟ فأطْرَقَ ساعةً ، وعرَف أنه افْتَعَل هذه [٩/ ١٤٠ظ] اللفْظَةَ ، ثم رفَع رأسَه إليه فقال : هو الذى يأتى نساءَ العُمْيانِ ، ولا يَتَعَدَّاهن إلى غيرِهن . فاستحيى ذلك الأعْمى ، وضحِك الحاضِرون . وقد كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، سامَحه اللَّهُ تعالى ، واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ .

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ٧/ ٨، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٨١، وإنباه الرواة ٢/ ٨٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٢٠، ونفح الطِّيب ٣/ ٧٥.

(٢) هو ابن العَرِيف . كما فى معجم الأدباء ١١/ ٢٨٤.

(٣) فى الأصل، ص : « فضيلته » .

القَفَّالُ المَرْوَزِىُّ [1] هو أبو بكرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ القَفَّالُ [1] ، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ الكِبارِ ، علمًا ورُشْدًا وحفظًا وتَصْنيفًا ووَرَعًا ، وإليه تُنْسَبُ الطريقةُ الخُراسانيةُ ، ومِن أصحابِه الشيخُ أبو محمدٍ الجُوَيْنىُّ ، والقاضى حسينٌ ، وأبو علىٍّ السِّنْجِىُّ ، قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ [2] : وأخَذَ عنه إمامُ الحرمَيْن [3] . [4] وفيما قاله نظرٌ ؛ لأن سِنَّ إمامِ الحرمَيْن [4] لا يَحْتَمِلُ ذلك ؛ فإنَّ القَفَّالَ هذا تُوفِّىَ فى هذه السنةِ ، وله تسعون سنةً ، ودُفِن بسِجِسْتانَ ، وإمامُ الحرمَيْن وُلِد سنةَ تسعَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ [5] بعد وفاةِ القَفَّالِ بسنتين .ومات سنةَ ثمانٍ وسبعين [5] كما سيأتى ، وإنما قيل له : القَفَّالُ . لأنه كان أولًا يَعْمَلُ الأقْفالَ ، ولم يَشْتَغِلْ إلا وهو ابنُ ثلاثين سنةً ، ثم أقبل على الاشتغالِ بعد ذلك رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٣/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٢٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٥٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٦.

(٣) كذا فى النسخ . والذى فى وفيات الأعيان : « أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين » . فلعله سبق نظر من المصنف رحمه اللَّه .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانِ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فى ربيعِ الأولِ[1] وقَع بَرَدٌ أهْلَك شيئًا كثيرًا مِن الزُّروعِ والثمارِ، وقتَل خلقًا كثيرًا مِن الغَنَمِ والوحوشِ.

قال ابنُ الجَوزىِّ[2]: وقد قيل: إنه كان فى كلِّ بَردةٍ رِطْلان وأكثرُ، وفى واسِطٍ بلَغَت البَردةُ أرْطالًا، وفى بغدادَ بقَدْرِ البَيْضِ.

وفى ربيعِ الآخِرِ سألَت الأَسفَهْسِلَارِيَّةُ والغِلْمانُ الخليفةَ أن يَعْزِلَ عنهم أبا كاليجارَ؛ لتهاونِه بأمْرِهم، وفسادِه وفسادِ الأمورِ فى أيامِه، ويُوَلِّىَ جَلالَ الدولةِ، الذى كانوا قد عدَلوا عنه أوَّلَ مرةٍ، فماطَلهم الخليفةُ فى ذلك، وكتَب إلى أبى كاليجارَ أن يَتَدارَكَ أمْرَه، وأن يُسْرِعَ الأَوْبةَ إلى بغدادَ قبلَ أن يَفوتَ الأمرُ، وألحَّ أولئك على الخليفةِ فى تَوْليةِ جَلالِ الدولةِ، وأقاموا له الخطبةَ ببغدادَ، وتَفاقَم الحالُ، وفسَد النِّظامُ.

وفى هذه السنةِ ورَد كتابٌ مِن يمينِ الدولةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين أنه دخَل بلادَ الهندِ أيضًا، وأنَّه كسَر الصنمَ الأعْظمَ الذى لهم المُسَمَّى بسومناتَ، وقد كانوا يَفِدون إليه مِن كلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، ويُنْفِقون عندَه من الأموالِ شيئًا كثيرًا جدًّا، وكان عليه مِن الأوْقافِ عشَرةُ آلافِ قريةٍ مشهورةٍ، وقد امْتَلأَت خَزائنُه أموالًا،

---

(١) المنتظم ١٥/١٨١ - ١٨٤ - وفيه: ربيع الآخر - والكامل ٩/٣٥٧ - ٣٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٠١ - ٤١٠) ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٨١.

وعندَه ألفُ رجلٍ يَخْدُمونه ، وثلاثُمائةٍ يَحْلِقون حَجيجِه ، وثلاثُمائةٍ وخمسون يُغَنُّون ويَرْقُصون على بابِ الصنمِ ، وقد كان العبدُ - يعنى الملكَ محمودَ بنَ سُبُكْتِكين - يَتمنَّى قلْعَ هذا الصنمَ ، وكان يَعُوقُه [٩/ ١٤١و] عنه طُولُ المَفاوِزِ وكثرةُ الموانعِ ، ثم اسْتَخار اللَّهَ تعالى وتَجَشَّم بجيشِه تلك الأهْوالَ إليه فى ثلاثين ألفًا ممن اخْتارهم سوى المطَّوِّعةِ ، فسلَّم اللَّهُ تعالى حتى انْتَهينا إلى بلدِ هذا الوَثَنِ ، فمَلَكْناه وقتَلْنا مِن أهلِه خمسين ألفًا ، وقلَعْنا هذا الوَثَنَ وأوْقَدْنا تحتَه النارَ .

وقد ذكَر غيرُ واحدٍ أن الهندَ بذلوا أموالًا جزيلةً للمِلكِ محمودِ بنِ سُبُكتِكين ليَتْركَ لهم هذا الصنمَ الأعْظمَ ، فأشار من أشار من الأُمَراءِ بقَبولِ تلك الأموالِ الجزيلةِ ، فقال : حتى أستخيرَ اللَّهَ تعالى . فلما أصبَح قال : إنى فكرتُ فى هذا الأمرِ فرأيتُ إذا نُوديتُ يومَ القيامةِ فيُقالُ : أين محمودٌ الذى كَسَر الصنمَ ؟ أحبُّ إلىَّ من أن يُقالَ : أين محمودٌ الذى ترك الصنمَ ؟ ثم عَزَم فكسَره ، فوجَد عليه وفيه من الذهبِ واللآلئِ والجواهرِ النَّفيسةِ ما يُنَيِّفُ على ما بذَلوه بأضْعافٍ مُضاعَفةٍ ، مع ما ادَّخر اللَّهُ تعالى له من الأجرِ الجزيلِ فى الآخرةِ والثناءِ الجميلِ فى الأولى ، فرحِمه اللَّهُ ، وأكْرَم مَثْواه .

وفى يومِ السبتِ ثالثَ رَمضانَ دخَل جَلالُ الدولةِ إلى بغدادَ ، فتَلَقَّاه الخليفةُ فى دِجْلةَ فى الطيَّارِ ومعه الأكابرُ والأعيانُ ، فلما واجَه جَلالَ الدولةِ قبَّل الأرضَ دَفَعاتٍ ، ثم سار إلى دارِ الملكِ ، وعاد الخليفةُ إلى دارِه ، وأمَر جلالُ الدولةِ أن يُضْرَبَ له الطَّبْلُ فى أوقاتِ الصلواتِ الثلاثِ ، كما كان الأمْرُ فى زمنِ عَضُدِ الدولةِ وصَمْصامِها وشرفِها وبَهائِها ، وكان الخليفةُ يُضْرَبُ له الطَّبْلُ فى أوقاتِ الصَّلَواتِ الخمسِ ، فأراد جَلالُ الدولةِ ذلك ، فقيل : لا يَحسُنُ مساواةُ الخليفةِ . ثم صمَّم على ذلك فى أوقاتِ الصلواتِ الخمسِ .

قال ابنُ الجوزىِّ[1] : وفيها وقَع بَرْدٌ شديدٌ حتى جمَد الخلُّ والنَّبيذُ وأبوالُ الدوابِّ والمياهُ الكبارُ وحافَّاتُ دجلةَ .

ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ أحدٌ مِن أهلِ المَشْرِقِ .

وممن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الصمدِ بنِ المُهْتَدِى باللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الشاهدُ[2] ، خَطَب فى جامعِ المنصورِ فى سنةِ ستٍّ وثمانين وثلاثِمائةٍ ، ولم يكن يخْطُبُ إلا بخُطْبةٍ واحدةٍ فى كلِّ جمعةٍ ، فإذا سمِعها الناسُ منه ضجُّوا بالبُكاءِ ، وخشَعوا لصوتِه .

الحسينُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ ، أبو القاسمِ الوزيرُ المغْرِبىُّ[3] ، وُلِد بمصرَ فى ذى الحِجَّة سنةَ سبعين وثلاثِمائةٍ ، وهرَب منها حينَ قَتَل صاحبُها أباه وعمَّه ، وقصَد مكةَ ثم الشامَ ، ووزَر فى عدةِ أماكنَ ، وقد وزَر لشرَفِ الدولةِ بعد الرُّخَّجِىِّ ، وكان يقولُ الشعرَ الحسنَ ، وقد تَذاكَر [٩/١٤١ظ] هو وبعضُ الصالحين ، فأنْشَده ذلك الرجلُ الصالحُ شعرًا[4] :

إذا شئتَ أن تَحْيا غَنيًّا فلا تَكُنْ ... على حالةٍ إلا رَضِيتَ بدونِها

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٨٣، ١٨٤.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٤٩، والمنتظم ١٥/ ١٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٣٥.

(٣) دمية القصر ١/ ٩٤، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ٨/ ٤٧٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٠٥، والمنتظم ١٥/ ١٨٥، ومعجم الأدباء ١٠/ ٧٩ وفيه : « الحسين بن على بن الحسن » ، ووفيات الأعيان ٢/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٤٠.

(٤) المنتظم ١٥/ ١٨٦.

فاعْتَزَل المَناصبَ والسلطانَ ، فقال له بعضُ أصحابِه : ترَكْتَ المناصبَ فى عُنْفُوانِ شبابِك . فأنْشَأ يقولُ[1] :

كنتُ فى سَفْرَةِ البطالةِ والجهْـ ـلِ زمانًا فحان منِّى القُدومُ
تُبْتُ مِن كلِّ مَأْثَمٍ فعسَى يُمْـ ـحَى بهذا الحديثِ ذاك القديمُ
بعد خمسٍ وأربعين لَقَدْ ما طَلْتُ إلا أن الغَرِيمَ كريمُ

وقد كانت وفاتُه بمَيَّافارِقِينَ فى رمضانَ من هذه السنةِ عن خمسٍ[2] وأربعين سنةً ، ودُفِن بمشهدِ علىٍّ ، بحيلةٍ احتالَها قبلَ وفاتِه ، رحِمَه اللَّهُ .

محمدُ بنُ الحسينِ[3] بنِ إبراهيمَ ، أبو بكرٍ الوَرَّاقُ المعروفُ بابنِ الخَفَّافِ ، روَى عن القَطِيعىِّ وغيرِه ، وقد اتَّهَموه بوَضْعِ الأسانيدِ والأحاديثِ ، قاله الخطيبُ وغيرُه .

أبو القاسمِ اللَّالَكائِىُّ ، هِبةُ اللَّهِ بنُ الحسنِ بنِ منصورٍ الرازىُّ[4] ، وهو طبَرىُّ الأصلِ ، أحدُ تَلامذةِ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، وكان يَفْهَمُ ويَحْفَظُ ، وعُنِى بالحديثِ ، فصنَّف فيه أشياءَ كثيرةً ، ولكن عاجَلَته المَنِيةُ قبلَ أن تَنتشرَ أكثرُ كتبِه ، وله كتابٌ فى السُّنَّةِ وشرحِها[5] ، وذكَر طريقةَ السلفِ الصالحِ فى ذلك ، وقَع لنا سَماعُه علَى الحَجَّار[6] ، عاليًا عنه ، وقد كانت وفاتُه بالدِّينَوَرِ فى رمضانَ

---

(١) الأبيات فى الذخيرة ٨/ ٥١٤، والمنتظم ١٥/ ١٨٦، ومعجم الأدباء ١٠/ ٨٢، ٨٣، ووفيات الأعيان ٢/ ١٧٦.

(٢) فى المنتظم : « ست » .

(٣) فى الأصل ، ب ، م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠، والمنتظم ١٥/ ١٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٥١.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، والأنساب ٥/ ٦٦٩، والمنتظم ١٥/ ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٥٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٦٦.

(٥) سماه : « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » طبع سنة ١٤١١ هـ بتحقيق د. أحمد سعد حمدان .

(٦) هو أحمد بن أبى طالب بن نعمة ، شيخ ابن كثير . انظر مقدمة التحقيق ص ١٩ .

من هذه السنةِ ، ورآه بعضُهم فى المنامِ فقال له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ قال : غفَر لى . قال : بماذا ؟ قال : بالسُّنةِ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو القاسمِ بنُ أميرِ المؤمنين القادرِ باللَّهِ[1] ، تُوُفِّى ليلةَ الأحدِ الثانى من جُمادَى الآخِرةِ ، وصُلِّى عليه غيرَ مرةٍ ، ومشَى الناسُ فى جِنازتِه ، وحزِن عليه أبوه حُزْنًا شديدًا ، وقُطِع الطَّبْلُ أيامًا .

ابنُ طَبَاطَبَا الشَّريفُ[2] ، كان شاعرًا مُجيدًا ، وله شعرٌ حسنٌ .

الأُستاذُ أبو إسحاقَ الإسْفَرايِينىُّ ، إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مِهْرانَ[3] ، الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ ، رُكْنُ الدينِ الفَقيهُ الشافعىُّ ، المتكلمُ الأُصولىُّ ، صاحبُ التَّصانيفِ فى الأصْلَيْن ؛ منها « جامعُ الجَلِى[4] » فى خمسِ مُجَلَّداتٍ ، وتعْليقةٌ نافعةٌ فى أصولِ الفقهِ ، وغيرُ ذلك ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ من أبى بكرٍ الإسْماعيلىِّ ودَعْلَجٍ وغيرِهما ، وأخَذ عنه البَيْهقىُّ ، والشيخُ أبو الطيبِ الطَّبرىُّ ، والحاكمُ النَّيْسابورىُّ وأثْنَى عليه ، وكانت وفاتُه يومَ عاشوراءَ فى هذه السنةِ بنَيْسابورَ ، [١٤٢/٩و] ثم نُقِل إلى بلدِه فدُفِن فى مشهدِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ حَمْدانَ ، أبو الحسينِ[5] **القُدُورِىُّ ،**

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٨٨.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٨٨، والكامل ٩/ ٣٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٥٧.

(٣) تبيين كذب المفترى ص ٢٤٣، وطبقات الفقهاء ص ١٢٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٣٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٢٥٦.

(٤) فى م، ص: «الحلى». وهو كتاب: جامع الجلى والخفى فى أصول الدين والردّ على الملحدين. انظر كشف الظنون ١/ ٥٣٩.

(٥) فى الأصل، ب، م: «الحسن» وستأتى ترجمته فى صفحة ٦٦٢ ضمن وفيات سنة ثمان =

الفقيهُ الحَنَفيُّ ، صاحبُ المُصَنَّفِ المُخْتَصَرِ الذى يُحْفَظُ ، كان إمامًا بارعًا عالمًا ، ديِّنًا مُناظِرًا ، وكان هو الذى تولى مُناظَرَةَ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، وكان يُطْرِيه ويقولُ : هو أعلمُ وأنظرُ مِن الشافعىِّ . وكانت وفاتُه يومَ الأحدِ الخامسِ مِن رجبٍ من هذه السنةِ عن ستٍّ وستين[1] سنةً ، ودُفِن إلى جانبِ الفقيهِ أبى بكرٍ الخُوارَزْمىِّ الحَنَفىِّ .

= وعشرين وأربعمائة . ولم يذكر فى سنة وفاته خلاف ، بل تواترت مصادر ترجمته على أنه توفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

(١) فى النسخ : « خمسين » . والمثبت مما سيأتى على الصواب ومن مصادر ترجمته .

ثم دخَلَت سنةُ تسعَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ

فيها[1] وقَع بينَ الجيشِ وبينَ جَلالِ الدولةِ ، ونهَبوا دارَ وزيرِه ، وجرَت أمورٌ طويلةٌ آل الحالُ فيها إلى أنهم اتَّفَقوا على إخْراجِه مِن البلدِ ، فهُيِّئ له زَبْزَبٌ[2] رَثٌّ ، فخرَج وفى يدِه طَبَرٌ[3] نهارًا ، فجعَلوا لا يَلْتَفِتون إليه ، ولا يُفَكِّرون فيه ، فلما عزَم فى الرُّكوبِ فى ذلك الزَّبْزَبِ الرَّثِّ رَثَوْا له ورَقُّوا عليه ، فجاءوا إليه ، وقبَّلوا الأرضَ بينَ يديه ، وانْصَلَحت قضيتُه بعدَ فَسادِها .

وفى هذه السنةِ قلَّ الرُّطَبُ جدًّا بسببِ هلاكِ النخلِ فى السنةِ الماضيةِ بالبَرَدِ ، فبِيعَ الرُّطَبُ كلُّ ثلاثةِ أرْطالٍ بدينارٍ جلاليٍّ ، ووقَع بَرَدٌ شديدٌ أيضًا فأهْلَك شيئًا كثيرًا مِن النَّخلِ أيضًا ، فإنا للَّه وإنا إليه راجِعون .

ولم يَحجَّ أحدٌ مِن أهلِ المَشْرِقِ ولا مِن أهلِ الديارِ المصريةِ فى هذه السنةِ ، إلا أن قومًا مِن خُراسانَ ركِبوا فى البحرِ مِن مدينةِ مكْرانَ ، فانْتَهَوا إلى جُدَّةَ فحجُّوا ، رَضِى اللَّهُ عنهم ورحِمهم بمنِّهِ وكرمِه .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٩٠، ١٩١، والكامل ٩/٣٦٥ - ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) فى ب ، م : « برذون » والزبزب : ضرب من السفن . اللسان (ز ب ب) .

(٣) فى النسخ : « طير » . والمثبت من : المنتظم ١٥/ ١٩١، والكامل ٩/ ٣٦٦، والطبر : نوع قديم من السلاح يشبه الفأس . الوسيط (ط ب ر) .

حمزةُ بنُ إبراهيمَ ، أبو الخَطَّابِ المُنَجِّمُ[1] ، حظِى عندَ بَهاءِ الدولةِ وعِلْمُه[2] النجومَ ، وكان ذا وَجاهَةٍ عندَه ، حتى إن الوُزراءَ كانوا يُكارِمُونه ويُراسِلونه ويَتَوَسَّلون به إليه فى أمورِهم ، ثم [3]حار أمرُه[3] ، حتى مات - يومَ مات بالكَرْخِ مِن سامَرَّا - غريبًا فقيرًا مَفْلوجًا ، قد ذهَب مالُه وجاهُه .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مَخْلَدٍ ، أبو الحسنِ[4] التاجرُ ، سمِع الكثيرَ على المشايخِ المُتَقَدِّمينِ ، وتفرَّد بعلوِّ الإسْنادِ ، وكان ذا مالٍ جَزيلٍ ، فخاف مِن المُصادَرةِ ببغدادَ ، فانْتَقَل إلى مصرَ ، فأقام بها سنةً ، ثم عاد إلى بغدادَ ، فاتَّفَقَ مُصادرةُ أهلِ مَحَلَّتِه ، فقُسِّط عليه ما أفْقَرَه ، ومات حينَ مات ولم يُوجَدْ له كَفَنٌ ، رحمه اللَّهُ .

مُبارَكٌ الأَنْماطِيُّ[5] ، كان ذا مالٍ جَزيلٍ ، خَلَّف يومَ تُوفِّى ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ ، ولم يَتْرُكْ وارِثًا سوى ابنةٍ واحدةٍ ببغدادَ ، وكانت وفاتُه بمصرَ .

[١٤٢/٩ظ] **أبو الفَوارِسِ بنُ بَهاءِ الدولةِ**[6] ، كان ظالمًا ، [7]وكان[7] إذا سكِر يَضْرِبُ الرجلَ مِن أصحابِه أو وزيرَه مائتَى مِقْرَعةٍ ، بعدَ أن يُحَلِّفَه بالطلاقِ أنه لا يَتَأَوَّهُ ، ولا يُخْبِرُ بذلك أحدًا . فيقالُ : إن حَواشِيَه سمُّوه . فلمَّا مات نادَوْا

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٩٢.

(٢) فى م : « علماء » . وفى مصدر التخريج : « بعلمه » .

(٣ - ٣) فى ب ، م : « صار أمره طريدا بعيدا » .

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١، والمنتظم ١٥/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٧٢، والوافى بالوفيات ١/ ١١٨. وجاء اسمه فى تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام : « محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد » .

(٥) المنتظم ١٥/ ١٩٢.

(٦) المنتظم ١٥/ ١٩٣، والكامل ٩/ ٣٦٨.

(٧ - ٧) فى الأصل، ص : « ماردا » .

بشِعارِ [1]ابنِ أخيه أبى كاليجارَ[1] .

[2]أبو محمدٍ[2] بنُ باشاذَ[3] وزيرُ أبى[4] كاليجارَ، لقَّبه مُعِزُّ الدينِ فَلَكَ الدولةِ سيدَ الأُمَّةِ وزيرَ الوُزراءِ عِمادَ المُلْكِ، ثم سُلِّم إلى جَلالِ الدولةِ فاعْتَقَله ،ومات فى هذه السنةِ .

أبو عبدِ اللَّهِ المتكلِّمُ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ . هكذا رأيْتُ ابنَ الجَوْزىِّ ترْجَمه مُخْتَصَرًا[5] .

ابنُ غَلْبُونَ الشاعرُ، أبو محمدٍ عبدُ المُحْسِنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ غالبِ ابنِ غلبونَ الشامىُّ ثم الصُّورىُّ[6]، الشاعرُ المُطَبِّقُ، له دِيوانُ شِعْرٍ مَليحٍ بليغٍ، كان قد نظَم قصيدةً بليغةً فى بعضِ الرؤساءِ، ثم أنْشَدها لرئيسٍ آخَرَ يقالُ له : ذو المَنْقَبَتين[7] . وزاد فيها بيتًا واحدًا يقولُ فيه :

ولـك المَنـاقِـبُ كـلُّـهـا فلمَ اقْتَصَرْتَ على اثنتَيْـنِ

فأجازه جائزةً سَنِيةً، فقيل له : إنها ليست فيك . فقال : إن هذا البيتَ وحدَه بقصيدةٍ .

(١ - ١) فى الأصل، ب، ص : «أخيه كالنجار»، وفى م : «أخيه كاليجار» . والمثبت من : المنتظم .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى المنتظم ١٥/١٩٣ - مصدر الترجمة - «محمد» .

(٣) فى الأصل : «بابشاذ»، وفى ب : «السادور»، وفى م : «الساد» .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المنتظم .

(٥) المنتظم ١٥/ ١٩٣.

(٦) يتيمة الدهر ١/ ٢٩٦، وتاريخ دمشق ٤٣/١٤١ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٦٣.

(٧) فى ب، م : «النعمتين» .

وله أيضًا فى بَخيلٍ نزَل عندَه :

وأخٍ مسَّه نُزولى بقَرْحٍ ... مثلَ ما مسَّنى مِن الجوعِ قَرْحُ
بِتُّ ضيفًا له كما حكَم الدهـ ... ـرُ وفى حُكمِه على الحُرِّ قُبْحُ
فابْتَدانى يقولُ وهْو مِن السُّكْرِ بالهمِّ طافِحٌ ليس يَصْحُو
لِمْ تغَرَّبْتَ قلتُ قال رسولُ الـ ... ـلَّهِ والقولُ منه نُصْحٌ ونُجْحُ
« سافِروا تَغْنَموا » فقال وقد قا ... ل تَمامَ الحديثِ « صُوموا تَصِحُّوا »[1]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٨٩٣٣) بلفظ : « سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا » . وأخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط ١٤٤/٩ (٨٣٠٨) بلفظ : « اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا » كلاهما عن أبى هريرة ، وأخرجه ابن عدى فى الكامل ١٢٩٢/٣ بلفظ : « سافروا تصحوا » من حديث أبى سعيد الخدرى . والحديث ضعيف (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٥٣ - ٢٥٥) .

ثم دخَلَت سنةُ عشرين وأربعِمائةٍ

فيها[1] سقَط بناحيةِ المَشْرقِ مَطَرٌ شديدٌ ، معه بَرَدٌ كِبارٌ . قال ابنُ الجَوْزىِّ[2] : حُزِرَتِ البَرَدةُ الواحدةُ منه بمائةٍ وخمسين رِطْلًا ، وغاصَت فى الأرضِ نحوًا مِن ذراعٍ .

وورَد كتابٌ مِن يمينِ الدولةِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين أنه أحَلَّ بطائفةٍ مِن أهلِ الرَّىِّ مِن الباطنيةِ والرَّوافِضِ قتلًا ذريعًا ، وصَلْبًا شَنِيعًا ، وأنه انْتَهَب أموالَ رئيسِهم رُسْتُمَ بنِ علىٍّ الدَّيْلَمِىِّ ، فحصَّل ما يُقارِبُ ألفَ ألفِ دينارٍ ، وقد كان فى حِبالتِه نحوٌ مِن خمسين امرأةً حُرَّةً ، وقد ولَدْنَ له ثلاثًا وثلاثين ولدًا مِن ذكرٍ وأنثى ، وكانوا يَرَوْن إباحةَ ذلك .

وفى رجبٍ منها انقضَّت كواكِبُ كثيرةٌ شديدةُ الصوتِ قويةُ الضوءِ .

وفى شعبانَ كثُرَت [٩/١٤٣و] العَمَلاتُ ، وضعُفَت رجالُ المَعونةِ عن مُقاومةِ العَيَّارِين .

وفى يومِ الاثنين [3]ثامنَ عشَرَ منه[3] غار ماءُ دجلةَ حتى لم يَبْقَ منه إلا القليلُ ، ووقَفَت الأرْحاءُ ، وتعَذَّر الطَّحْنُ .

---

(١) المنتظم ١٥/١٩٤ - ٢٠٢، والكامل ٩/٣٧١ - ٣٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٢٦٦ - ٢٧١.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٩٤.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «الثامن والعشرين».

وفى هذا اليومِ جُمِعَ القُضاةُ والعُلماءُ فى دارِ الخلافةِ ، وقُرِئَ عليهم كتابٌ جمَعه أميرُ المؤمنين القادرُ باللَّهِ ، فيه مواعِظُ وتَفاصيلُ مذاهبِ أهلِ السُّنَّةِ ، والرَّدُّ على أهلِ البِدَعِ (١) مِن المعتزلةِ و غيرِهم .

وفى العشرين مِن رمضانَ جُمِعوا أيضًا ، وقُرِئَ عليهم كتابٌ آخرُ جمَعه الخليفةُ أيضًا فيه أخبارٌ ومواعظُ ، والرَّدُّ على أهلِ البدعِ (١) ، وتَفْسيقُ مَن قال بخَلقِ القرآنِ ، وصفةُ ما وقَع بينَ بِشْرٍ المَرِيسىِّ وعبدِ العزيزِ بنِ أحمد (٢) الكَتّانِىِّ مِن المُناظَرةِ ، ثم ختَم القولَ بالوَعْظِ والأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكرِ ، وأخَذ خُطوطَ الحاضِرين بالمُوافَقةِ لِما سمِعوه .

وفى يومِ الاثنين غرَّةِ ذى القَعْدةِ جُمِعوا أيضًا كلُّهم ، وقُرِئَ عليهم كتابٌ آخَرُ طويلٌ يَتَضَمَّنُ بيانَ السُّنةِ ، والردَّ على أهلِ البِدَعِ ، ومُناظَرةَ بِشْرٍ المرِيسىِّ والكَتَّانىِّ ،والأمرَ بالمعروفِ والنهْىَ عن المنكرِ ، وفَضْلَ الصَّحابةِ ، وذِكْرَ فَضائلِ أبى بكرٍ وعمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، ولم يَفْرُغوا منه إلا بعدَ العَتَمةِ ، وأُخِذَت خُطوطُهم بموافقةِ ما سمِعوه ، وعُزِل خُطَباءُ الشِّيعةِ ، ووُلِّى خُطَباءُ غيرُهم مِن أهلِ السُّنةِ .

وجرَت فِتْنةٌ عظيمةٌ بمسجدِ بَرَاثَا ، وضرَبوا الخَطيبَ السُّنِّىَّ بالآجُرِّ حتى كسَروا أنفَه وخلَعوا كَتِفَه ، فانْتَصَر له الخليفةُ وأهان الشِّيعةَ وأذَلَّهم ، حتى جاءُوا يَعْتَذِرون مما صنَعوا ، وأنه ما تَعاطاه إلا سفَهاؤُهم وسَقَطُهم .

ولم يَتَمَكَّنْ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ وخُراسانَ فى هذه السنةِ مِن الحجِّ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وممن تُوفى فيها مِن الأعيانِ :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى النسخ : « يحيى » . والمثبت مما يأتى فى ترجمته ١٦/٤٥ .

الحسنُ بنُ أبى الهُبَيْشِ[1] ، **أبو علىٍّ الزاهدُ** ، أحدُ العُبَّادِ والزُّهَّادِ وأصحابِ الأحْوالِ ، دخَل عليه بعضُ الوُزراءِ فقبَّل يدَه ، فعُوتِب الوزيرُ فى ذلك ، فقال : كيف لا أُقَبِّلُ يدًا ما امْتَدَّت قَطُّ إلا إلى اللَّهِ تعالى ؟!

علىُّ بنُ عيسى بنِ الفَرَجِ بنِ صالحٍ ، أبو الحسنِ الرَّبَعىُّ النحْوىُّ[2] ، أخَذ العربيةَ أولًا عن أبى سعيدٍ السِّيرافىِّ ، ثم عن أبى علىٍّ الفارسىِّ ، ولازمَه عشرين سنةً حتى كان يقولُ[3] : قولوا له : لو سار مِن المَشْرِقِ إلى المغربِ لم يَجِدْ أَنْحَى منه[4] . وكان يومًا يَمْشِى على شاطئِ دِجلةَ إذ نظَر إلى الشريفَيْن الرَّضِىِّ والمُرْتَضَى فى سفينةٍ ، ومعهما عثمانُ بنُ جِنِّىٍّ ، فقال لهما : مِن أعجبِ الأشْياءِ أن عثمانَ معكما ، وعلىٌّ بعيدٌ منكما يَمْشِى على شاطئِ دِجْلَةَ ! [٩/١٤٣ظ] وكانت وفاتُه فى المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ عن ثنتين وتسعين سنةً ، ودفِن ببابِ الدَّيْرِ ، ويقالُ : إنه لم يَتْبَعْ جِنازتَه سِوَى ثلاثةِ أنْفُسٍ .

أسدُ الدولةِ أبو علىٍّ ، صالحُ بنُ مِرْداسِ بنِ إدْريسَ الكِلابىُّ[5] ، أولُ مُلوكِ بنى مِرْداسٍ بحلَبَ ، انْتَزَعها مِن يدى نائبِها الظاهرِ بنِ الحاكمِ العُبَيدىِّ ، فى ذى الحِجَّةِ سنةَ سبعَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ ، ثم جاءه جيشٌ كثيفٌ مِن مصرَ فاقْتَتلوا ، فقُتِل أسدُ الدولةِ هذا فى سنةِ تسعَ عشْرةَ ، وقام حفيدُه نصرٌ .

---

(١) فى الأصل : « العيس » ، وفى ب ، م : « القين » ، وفى ص : « الغيس » . والمثبت من مصدرى ترجمته ؛ المنتظم ١٥/ ٢٠٢، والكامل ٩/ ٣٩٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١٧، والمنتظم ١٥/ ٢٠٣، ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٨، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٨٦.

(٣) أى : أبو على الفارسى .

(٤) أى : من على بن عيسى .

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١١ - ٤٢٠) ص ٤٨٠.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وعشرين وأربعِمائةٍ

لما كان فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ[1] تُوُفِّى الملكُ العادلُ الكبيرُ المُثاغِرُ[2] المُرابِطُ المُؤَيَّدُ المنصورُ المجاهدُ يَمينُ الدولةِ أبو القاسمِ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين، صاحبُ بلادِ غَزْنةَ وتلك المَمالِكِ الكِبارِ، وفاتحُ أكثرِ بلادِ الهندِ قَهْرًا، وكاسرُ بُدودِهم[3] وأوثانِهم كسرًا، وقاهرُ هُنودِهم وسُلطانِهم الأعْظَمِ قَهْرًا، وقد تَمرَّض نحوًا مِن سنتين لم يَضْطَجِعْ فيهما على فراشٍ، ولا توَسَّد وِسادًا، بل كان ينامُ قاعدًا حتى مات كذلك، وذلك لشَهامتِه وصَرامتِه وقوةِ عزمِه، وله مِن العمرِ ستون سنةً، رحِمه اللَّهُ، وقد عهِد بالأمرِ مِن بعدِه لولدِه محمدٍ، فلم يَتِمَّ أمرُه حتى غافَصَه[4] أخوه مسعودُ بنُ محمودٍ، فاسْتَحْوَذ على مَمالِكِ أبيه، مع ما كان إليه مما يليه وفتَحه هو بنفسِه مِن بلادِ الكُفارِ؛ مِن الرَّساتِيقِ الكِبارِ والصِّغارِ، فاسْتَقَرَّت له المَمالكُ شرقًا وغربًا فى تلك النَّواحِى، فى أواخِرِ هذا العامِ، وجاءَته الرسلُ مِن كلِّ ناحيةٍ ومِن كلِّ ملكٍ هُمام، بالتحيةِ والسلامِ والإكْرامِ، وستأتى ترجمةُ الملكِ محمودٍ فى الوَفَياتِ.

وفيها اسْتَحْوَذت السَّرِيةُ التى كان بعَثها الملكُ محمودٌ إلى بلادِ الهندِ على

---

(١) المنتظم ١٥/٢٠٤ - ٢٠٩، والكامل ٩/٣٩٥ - ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٥ - ٨.

(٢) أى: المرابط على الثغور.

(٣) البدود: جمع البُدّ، بضم الباء، وهو الصنم، بالفارسية.

(٤) فى م: «عافصة». وغافصه: فاجأه وأخذه على غرة فرِكَبه بمساءةٍ. الوسيط (غ ف ص).

أكبرِ مدائنِهم وهى المُسَمَّاةُ نَرْسَى ، دخَلوها فى نحوِ مائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ما بينَ فارسٍ وراجلٍ ، فنهَبوا سُوقَ العِطْرِ والجَوْهَرِ بها نَهارًا كاملًا ، ولم [1] يَستَطيعوا أن يُحَوِّلوا ما فيه من أنواعِ الطِّيبِ والمسكِ والجواهرِ واللآلئِ واليَوَاقِيتِ ، ومع هذا لم [1] يَدْرِ أكثرُ أهلِها بشىءٍ مِن ذلك لاتِّساعِها ، وذلك أنها كانت فى غايةِ الكِبَرِ ، طولُها مَسيرةُ مَنْزِلةٍ مِن مَنازِلِ الهندِ ، وعرضُها كذلك ، وأُخِذَ مِن الأموالِ والتُّحَفِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، حتى قيل : إنهم اقْتَسَموا الذهبَ والفضةَ بالكَيْلِ . ولم يَصِلْ جيشٌ مِن جيوشِ المسلمينِ إلى هذه المدينةِ لا قبلَ هذه السنةِ ولا بعدَها [2] .

وفيها عمِلت الرافضةُ بدعتَهم الشَّنْعاء ، وحادثتَهم الصَّلْعاء فى يومِ عاشوراء ، مِن تعليقِ المُسُوحِ وتَغْليقِ الأسواقِ والنَّوْحِ والبُكاء ، فى الأَزِقَّةِ والأرجاء ، فأقْبَل إليهم أهلُ [٩/١٤٤و] السنةِ فى الحديدِ ، واقْتَتلوا قتالًا شديدًا ، فقُتِل مِن الفريقَيْن طَوائفُ كثيرةٌ ، وجرَت فتنٌ كبيرةٌ وشُرورٌ مُسْتَطِيرةٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفى هذه السنةِ مرِض أميرُ المؤمنين القادرُ باللَّهِ ، وعهِد بولايةِ العهدِ مِن بعدِه إلى ولدِه أبى جعفرٍ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، بمَحْضَرٍ مِن القُضاةِ والوُزراءِ والأمراءِ والكبراءِ ، وخُطِب له بذلك على المنابرِ ، وضُرِب اسمُه على السِّكَّةِ المُتَعامَلِ بها فى البادى والحاضرِ .

وفيها أقْبَلَ ملكُ الرومِ مِن قُسْطَنْطِينِيَّةَ فى ثلاثِمائةِ [3] ألفِ مُقاتِلٍ ، فسار حتى

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) بعده فى ب ، م : « وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيرًا ومالًا ، بل قيل : إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالًا ورزقًا مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام ، فليسلِّم المؤمن على الدنيا سلام ، وقد كانت محل الملك ، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات ما لا يحصى كثرةً » .

(٣) فى ب ، م : « مائة » .

بلَغ بلادَ حلبَ ، وعليها شِبْلُ الدولةِ نصرُ بنُ صالحِ بنِ مِرْداسٍ ، فنزَلوا على مَسيرةِ يومٍ منها ، ومِن عَزْمِ ملكِ الرومِ ، قبَّحه اللَّهُ ، أن يَسْتحْوِذَ علي بلادِ الشامِ بكمالِها ، وأن يَسْتَرِدَّها إلى ما كانت عليه فى أيديهم قبلَ الإسلامِ ، وقد قال رسولُ اللَّه ﷺ : « إذا هلَك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه »[1] . وقيصرُ هو مَن ملَك الشامَ مع بلادِ الرومِ ، فلا سبيلَ لِملِكِ الرومِ إلى هذا الرَّومِ الذى أراده هذا المذمومُ ، فلما نزَل بجيشِه قريبًا مِن حلَبَ كما ذكَرْنا أرْسَل اللَّهُ عليهم عطَشًا شديدًا ، وخالَف بينَ كلمتِهم ؛ وذلك أنه كان معه الدُّمُسْتُقُ ، فعامَل طائفةً مِن الجيشِ على قتلِه ليَسْتَقِلَّ بالأمْرِ مِن بعدِه ، ففهِم ذلك ملكُ الرُّومِ ، فكرَّ مِن فَوْرِه راجِعًا ، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] ، ولمَّا كرُّوا راجعين إلى بلادِهم ، اتَّبَعَهم الأعْرابُ يَنْهَبونهم ليلًا ونَهارًا وصباحًا ومساءً ، وكان فى جُملةِ ما أخَذوا منهم أربعُمائةِ بغلٍ مُحَمَّلةٌ مالًا وثيابًا للملكِ ، وهلَك أكثرُ الرومِ جوعًا وعطَشًا ، ونهبهم الأعرابُ مِن كلِّ جانبٍ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها ملَك جَلالُ الدولةِ واسطًا واسْتَناب ولدَه عليها ، وبعَث وزيرَه أبا عليٍّ ابنَ ماكُولا إلى البَطائحِ والبصرةِ ، ففتَح البطائحَ وسار فى الماءِ إلى البصرةِ ، وعليها نائبٌ لأبى كاليجارَ ، فهزَمهم البصريون ، فسار إليهم جَلالُ الدولةِ بنفسِه ، فدخَلها فى شعبانِ هذه السنةِ ، ودقَّت البشائِرُ فرَحًا ببغدادَ ؛ فرحًا بنصرِه .

وفيها جاء سَيْلٌ عظيمٌ بغَزْنةَ ، فأهْلَك شيئًا كثيرًا مِن الزُّروعِ والأشجارِ .

وفى رمضانَ منها تصَدَّق مسعودُ بنُ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين بألفِ ألفِ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٣٣، ٩/ ١١٦.

درهمٍ ، وأجرى أرْزاقًا للفُقهاءِ والعلماءِ ببلادِه ، على عادةِ أبيه مِن قبلِه ، وفتَح بلدانًا كثيرةً ، واتَّسَعَت مَمالِكُه جدًّا ، وعظُم شَأنُه ، وقوِيَت أرْكانُه ، وكثُرت جُنودُه وأعْوانُه .

وفيها دخَل خَلْقٌ كثيرٌ مِن الأكْرادِ إلى بغدادَ يَسْرِقون خيلَ الأتراكِ ليلًا ، فتحَصَّن الناسُ منهم ، وحصَّنوا [٩/ ١٤٤ظ] خيولَهم حتى خيلَ السلطانِ .

وفيها سقَط جسرٌ ببغدادَ ، وهو الذى عند الزَّيَّاتِين على نهرِ عيسى .

وفيها وقَعَت فِتنةٌ بينَ الأتْراكِ النازِلِين ببابِ البَصْرَةِ وبينَ الهاشِميِّين ، فرفَعوا المَصاحِفَ ، ورمَتْهم الأتْراكُ بالنُّشَّابِ ، وجرَت خَبْطةٌ عظيمةٌ ، ثم اصطلحتِ الحالُ بينَ الفريقَيْن .

وفيها كثُرَت العَمَلاتُ ببغدادَ ، وأُخِذَت الدُّورُ جَهْرةً ، وكثُرَ العَيَّارون ولُصوصُ الأكْرادِ .

وفيها تعَطَّل الحجُّ أيضًا مِن بلادِ العراقِ [1] وخراسانَ لفسادِ البلادِ ، ولم يحجَّ أحدٌ سوى سريَّةٍ مِن أهلِ العراقِ [1] ؛ ركِبوا مِن جِمالِ الباديةِ مع الأعرابِ مخاطرةً ، ففازوا بالحجِّ . واللَّهُ أعلمُ .

ذِكْرُ مَن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، أبو الحسنِ الواعِظُ ، المعروفُ بابنِ الرَّانِ [2] ،

(١ - ١) سقط من : ب ، م .

(٢) فى ب ، م : « أكرات » . وانظر ترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٤٦ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٢ .

صاحبُ كراماتٍ ومُعامَلاتٍ ، كان مِن أهلِ الجَزيرةِ ، فسكَن دمشقَ ، وكان يَعِظُ الناسَ بالزيادةِ القِبليةِ حيث كان يَجْلِسُ القُصَّاصُ . قال ذاك الحافظُ ابنُ عَساكرَ[1] . قال : وصنَّف كُتُبًا فى الوَعْظِ ، وحكَى حِكاياتٍ كثيرةً [2]قال : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ السمرقنديِّ يقولُ : سمعت أبا طاهرٍ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ أبى الصقرِ يقولُ[2] : سمِعْتُ أبا الحسنِ أحمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الرانِ الواعِظَ يُنْشِدُ هذه الأبياتِ :

أنا ما أَصْنَعُ باللَّذَّاتِ شُغْلى بالذُّنوبِ
إنما العيدُ لمن فاز بوَصْلٍ مِن حَبيبِ
أصْبَح الناسُ على رَوْحٍ ورَيْحانٍ وطِيبِ
ثم أصْبَحْتُ على نَوْحٍ وحُزْنٍ ونَحيبِ
فرِحوا حِينَ أهَلُّوا شهرَهم بعدَ المَغيبِ
وهِلالى مُتَوارٍ مِن وَرَا حُجْبِ الغُيوبِ
فلهذا يا خليلِى قلتُ لِلَّذَّاتِ غيبى
وجعَلْتُ الهمَّ والحُزْنَ مِن الدنيا نَصِيبى
يا حَياتى ومَماتى وشَقائى وطَبِيبى
جُدْ لصَبٍّ يتَلَظَّى منك بالرَّحْبِ الرَّحيبِ

ثم أرَّخ وفاتَه لعشرٍ بقِين من جمادى الأولى من هذه السنةِ ، ودُفِنِ بمسجدِ القدمِ .

---

(١) لم نجد له ترجمة فى تاريخ دمشق ولا فى مختصره .
(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

الحسينُ بنُ محمدٍ الخالِعُ[1] الشاعرُ، له ديوانُ شعرٍ حسنٌ مليحٌ، عُمِّر طويلًا، ووفاتُه فى هذه السنةِ عن سنٍّ عاليةٍ.

[٩/١٤٥و] **الملكُ الكبيرُ**[2] **العادلُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين، أبو القاسمِ، المُلَقَّبُ بيمينِ الدولةِ وأمينِ المِلَّةِ**، صاحبُ بلادِ غَزْنةَ وما والَاها، وجيشُه يقالُ لهم: السامانِيَّةُ. وكان أبوه قد تَمَلَّك عليهم، وتُوُفى سنةَ [3]سبعٍ وثمانين[3] وثلاثِمائةٍ، فتمَلَّك بعدَه ولدُه هذا، فسار فيهم وفى سائرِ الرعايا سِيرةً عادلةً، وقام بأعباءِ الإسلامِ قِيامًا تامًّا، وفتَح فُتوحاتٍ كثيرةً فى بلادِ الهندِ وغيرِها، وعظُم شأنُه فى العالمين، واتَّسعَت مَمْلَكتُه، وامْتَدَّتْ رَعاياه، وطالَت أيامُه، ولِلَّه الحمدُ والمنةُ، وكان يُخْطَبُ فى سائرِ مَمالِكِه للخَليفةِ العباسىِّ القادرِ باللَّهِ، وكانت رسلُ الفاطِميِّين مِن الدِّيارِ المصريةِ تَفِدُ إليه بالكتبِ والهَدايا والتحفِ، فيُحْرِقُ بهم، ويقطع كتبَهم، ويُخَرِّقُ حللَهم، وقد اتَّفق له فى بلادِ الهندِ فُتوحاتٌ لم تتَّفِقْ لغيرِه مِن الملوكِ، لا قبلَه ولا بعدَه، وغنِم مَغانمَ كثيرةً لا تَنْحَصِرُ ولا تَنْضَبِطُ كثرةً، مِن الذهبِ واللآلئِ والسَّبْيِ، وكسَّر مِن أصنامِهم وأبدادِهم[4]

---

(١) فى النسخ: «الخليع». والمثبت من مصادر ترجمته؛ تاريخ بغداد ٨/ ١٠٥، والمنتظم ١٥/ ٢١٠، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ١/ ٢١٧، وميزان الاعتدال ١/ ٥٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٨٠.

والخليع لقب الحسين بن الضحاك بن ياسر الشاعر المتوفى سنة خمسين ومائتين وهو الذى له ديوان شعر، أما الخالع فلم يذكر أن له ديوانًا. انظر ترجمة الخليع فى الأغانى ٧/ ١٤٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩١.

(٢) بعده فى الأصل: «الشهيد». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٥/ ٢١١، والكامل ٩/ ٣٩٨، ٤٠١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٦٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٣١٤، والجواهر المضية ٣/ ٤٣٨.

(٣ - ٣) فى الأصل: «ستة وثمانين»، وفى ب، م: «سبع وثلاثين». وانظر المنتظم ١٥/ ٢١١.

(٤) هى الأصنام أيضا.

وأوثانِهم شيئًا كثيرًا جدًّا ، بيَّض اللَّهُ وجهَه وأكرم مثواه . وقد ذكرنا ذلك مُفَصَّلًا فيما سلفَ مفرَّقًا فى السنينَ ، كان فى جملةِ ما كسَر مِن أصْنامِهم بُدٌّ عظيمٌ للهنودِ يقالُ له : سُومَناتُ . بلَغ ما تحَصَّل منه مِن الذهبِ عشرين ألفَ ألفِ دينارٍ ، وكسَر ملكَ الهندِ الكبيرَ الذى يقالُ له : جيبالُ . وقهَر ملكَ التركِ الأعظمَ الذى يقالُ له : إيلك خان . وأباد مُلْكَ السامانيةِ ، وقد ملَكوا بخراسانَ مائةَ سنةٍ بلادَ سَمَرْقَنْدَ وما حولَها ، ثم هلَكوا ، وبنَى على جَيحُونَ جِسْرًا غرِم عليه ألْفَىْ ألفِ دينارٍ ، وهذا شىءٌ لم يَتَّفِقْ لغيرِه من الملوكِ ، وكان معه فى جيشِه أربعُمائةِ فيلٍ تُقاتِلُ ، وهذه عظيمةٌ هائلةٌ ومرتبةٌ طائلةٌ ، وجرَت له فصولٌ ذكْرُ تفصيلِها يَطولُ ، وكان فى غايةِ الدِّيانةِ والصِّيانةِ ، يُحِبُّ العلماءَ والمُحَدِّثين ، ويُكْرِمُهم ويُجالِسُهم ، ويُحْسِنُ إليهم ، وكان حنفىَّ المذهبِ ، ثم صار شافعيًّا على يدى أبى بكرٍ القَفَّالِ الصغيرِ ، على ما ذكَره إمامُ الحرمَيْن وغيرُه ، وكان كَرّاميًّا على اعتقادِهم ، وكان مِن جملةِ مَن يُجالِسُه منهم محمدُ بنُ الهَيْضَمِ ، وتناظر هو وأبو بكرِ بنُ فُورَكَ بينَ يدى الملكِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكين فى مسألةِ العرشِ مناظرةً طويلةً ذكرَها ابنُ الهَيْضَمِ فى مصنَّفٍ له ، فمال السلطانُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكين إلى قولِ ابنِ الهَيْضَمِ ، ونقَم على ابنِ فُورَكَ كلامَه ، وأمَر بطردِه وإخْراجِه ؛ لموافَقتِه لرأيِ الجَهْميةِ .

وكانت مَعْدِلتُه جيدةً ؛ اشْتَكَى إليه رجلٌ أن ابنَ أختِ الملكِ يَهْجُمُ عليه وعلى أهلِه فى كلِّ وقتٍ ، فيُخْرِجُه مِن البيتِ ويَخْتلى بامرأتِه ، وقد حار فى أمرِه ، وكلما اشْتَكاه إلى أحدٍ [٩/١٤٥ظ] مِن أُولى الأمرِ لا يتجاسَرُ على إقامةِ الحدِّ عليه ؛ يهابون الملكَ . فقال له الملكُ : ويحَك ! متى جاءك فائْتِنى فأَعْلِمْنى ، ولا تَسْمَعَنَّ مِن أحدٍ منَعَك مِن الوصولِ إلىَّ ولو كان فى الليلِ . وتقَدَّمَ إلى الحَجَبَةِ

أن هذا لا يَمنَعُه أحدٌ متى جاء مِن ليلٍ أو نهارٍ . فذهَب الرجلُ مَسْرورًا ، فما كان إلا ليلةٌ أو ليلتان حتى هجَم عليه ذلك الشابُّ فأخرجه واخْتَلَى بأهلِه ، فذهَب باكِيًا إلى دارِ الملكِ ، فقيل له : إن الملكَ نائمٌ . فقال : قد تقَدَّم إليكم بما سمعتم . فأَنبَهُوا الملكَ ، فخرج معه بنفسِه وحدَه ، وجاء منزلَ ذلك الرجلِ ، فنظَر إلى الغلامِ وهو نائمٌ مع المرأةِ فى فِراشِ الرجلِ ، وعندَهما شَمْعةٌ تَقِدُ ، فتقَدَّم الملكُ فأَطْفَأ الضوءَ ، ثم جاء فاحْتَزَّ رأسَ الغلامِ ، وقال للرجلِ : ويحَك ! الْحَقْنى بشَرْبةٍ من ماءٍ . فسقاه ثم انْطَلَقَ ليَذْهَبَ ، فقال له الرجلُ : سألتُك باللَّهِ لمَ أَطْفَأْتَ الشَّمْعةَ ؟ فقال : ويحَك ! إنه ابنُ أختى ، وكَرِهْتُ أن أُشاهِدَه حالةَ الذَّبحِ . قال : ولمَ طلَبْتَ الماءَ سريعًا ؟ فقال : إنِّى كنتُ آلَيْتُ منذُ أخْبَرْتَنى أن لا أَطْعَمَ طعامًا ولا أَشْرَبَ شرابًا حتى أَقُومَ بحقِّك ، فكنتُ عَطْشانَ هذه الأيامَ ، حتى كان ما رأيْتَ . فدعا له ، وانصرف ، رحمه اللَّهُ .

وكان مرضُه سُوءَ مِزاجٍ اعْتَراه وانْطِلاقَ البطنِ سنتين ، فكان فيهما لا يَضْطَجِعُ على فراشٍ ، ولا يَتَّكِئُ على شىءٍ لقوةِ بأسِه ، بل كان يَسْتَنِدُ إلى مَخادَّ تُوضَعُ له ، ويَحْضُرُ مَجْلسَ مُلكِه ، ويَفْصِلُ بينَ الناسِ على عادتِه ، حتى مات وهو كذلك فى يومِ الخميسِ لسبعٍ بَقِينَ مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ ، عن ثلاثٍ وستين سنةً ، مَلَكَ منها ثلاثًا وثلاثين سنةً ، وخلَّف مِن الأموالِ شيئًا كثيرًا ، مِن ذلك سبعون رَطلًا مِن جوهرٍ ، سامَحه اللَّهُ تعالى ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه ولدُه محمدٌ ، ثم صار المُلكُ إلى ابنِه الآخَرِ مسعودِ بنِ محمودٍ ، فأشْبَه أباه ، وقد صنَّف بعضُ[1] العلماءِ مجلدًا فى سِيرتِه وأيَّامِه وأحكامِه وفُتوحاتِه ومَمالكِه ، فأفادَ .

---

(١) هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العُتبى ، واسم كتابه « الكتاب اليمينى » . انظر طبقات الشافعية للسبكى ٥/٣١٥ ، ٣١٦ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وعشرين وأربعِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ القادرِ باللَّهِ[2] وخِلافةُ ابنِه القائمِ بأمرِ اللَّهِ، على ما سيأتى تفصيلُه وبَيانُه.

وفيها وقَعَت فِتْنةٌ عظيمةٌ بينَ السنةِ والرَّوافِضِ، وقوِيت عليهم السُّنَّةُ، وقتَلوا خلقًا منهم، ونهَبوا الكَرْخَ ودارَ الشَّريفِ المُرْتَضَى، ونهَبَت العامَّةُ دُورَ اليَهودِ لأنَّهم نُسِبوا إلى مُعاونةِ أهلِ الكرخِ مِن الرَّوافضِ، وتعَدَّى النَّهْبُ إلى دُورٍ كثيرةٍ، وانتَشَرَت الفِتْنةُ جدًّا، ثم سكَنَت بعدَ ذلك.

وفيها كَثُرت العَمَلاتُ وانْتَشَرت المحنةُ بأمْرِ العَيَّارِين فى أرْجاءِ البلدِ، وتجاسَروا على أُمورٍ كثيرةٍ، [٩/١٤٦و] ونهَبوا دُورًا وأماكنَ سرًّا وجهرًا، ليلًا ونهارًا، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ.

خلافةُ القائمِ باللَّـهِ

أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ باللَّهِ، بُويع له بالخِلافةِ لما تُوُفِّى أبوه القادرُ باللَّهِ

---

(١) المنتظم ١٥/٢١٣ - ٢١٦، والكامل ٩/٤١٤ - ٤١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٩ - ١١.

(٢) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/ ٣٧، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٨٣، والمنتظم ١٥/ ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٧٦، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٣٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٥.

أبو العباسِ أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ بنِ المُعْتَضِدِ بنِ الأميرِ[1] أبى أحمدَ المُوَفَّقِ بنِ المُتَوَكِّلِ بنِ المُعْتَصِمِ بنِ الرشيدِ بنِ المَهْدىِّ بنِ المنصورِ، فى ليلةِ الاثنين الحادى عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ، عن ستٍّ وثمانين سنةً وعشَرةِ أشهرٍ وأحدٍ وعشَرين يومًا، ولم يُعَمَّرْ أحدٌ مِن الخُلَفاءِ قبلَه هذا العمرَ ولا بعدَه، مِن ذلك فى الخلافةِ إحدى وأربعون سنةً وثلاثةُ أشهرٍ، وهذا أيضًا شىءٌ لم يَسْبِقْه أحدٌ إليه، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمُها تَمَنِّى[2]، مَوْلاةُ عبدِ الواحدِ بنِ المُقْتَدِرِ، وقد كان، رحِمه اللَّهُ، مُحِبًّا لأهلِ العلمِ والدينِ والصَّلاحِ، يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكَرِ، وكان على طريقةِ السلفِ فى الاعْتِقادِ، وله فى ذلك مُصَنَّفاتٌ كانت تُقْرَأُ على الناسِ، وكان أبيضَ، حسَنَ الجسمِ، طويلَ اللِّحْيةِ عَريضَها يَخْضِبُها، وكان يَقومُ الليلَ، كثيرَ الصَّدَقةِ، مُحِبًّا للسنةِ وأهلِها، يُبْغِضُ البدْعةَ والقائمين بها، وكان يُكثِرُ الصومَ ويَبَرُّ الفُقراءَ مِن أقْطاعِه، يَبْعَثُ منه إلى المُجاوِرين بجامعِ المنصورِ وجامعِ الرُّصافةِ، وكان يَخْرُجُ مِن دارِه فى زِىِّ العامَّةِ، فيَزُورُ قُبورَ الصالحين، وقد ذكَرْنا طَرَفًا صالحًا مِن سيرتِه عندَ ذكرِ ولايتِه فى سنةِ إحدى وثمانين وثلاثِمائةٍ، وجلَسوا فى عزائِه سبعةَ أيامٍ لعِظَمِ المصيبةِ به، ولتَوْطِيدِ البَيْعةِ لولدِه القائمِ باللَّهِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ، وأمُّه قَطْرُ النَّدَى أرْمنِيَّةٌ، أَدْرَكَت خِلافتَه، وكان مولدُه يومَ الجمعةِ الثامنَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ سنةَ إحدى وتسعين وثلاثِمائةٍ، وكانت بيعتُه بحَضْرَةِ القُضاةِ والأُمراءِ والكُبَراءِ والأعيانِ، وكان أولَ مَن بايعَه الشريفُ المُرْتَضَى، وأنْشَده أبياتًا[3]:

---

(١) فى ب، م: «الأمين».

(٢) فى م، وتاريخ بغداد: «يمنى»، وفى الكامل ٩/ ٨٠: «دمنة. وقيل: تمنى».

(٣) الأبيات فى المنتظم ١٥/ ٢١٨، والكامل ٩/ ٤١٧، ٤١٨.

فإمَّا مضَى جَبَلٌ وانْقَضَى ... فمنك لنا جَبَلٌ قد رسَا
وإمَّا فُجِعْنا ببدرِ التَّمامِ ... فقد بقِيَت منه شمسُ الضُّحَى
لنا حَزَنٌ فى مَحَلِّ السُّرورِ ... فكم ضحِكٌ فى خلالِ[1] البُكَا
فيا صارمًا أغْمَدَتْه يدٌ ... لنا بعدَك الصارمُ المُنْتَضَى
ولما حضَرْناك عقدَ البِياعِ ... عرَفْنا بهَدْيِك طُرْقَ الهُدَى
[٩/١٤٦ظ] فقابَلْتَنا بوَقارِ المَشيبِ ... كمالًا وسِنُّك سنُّ الفَتَى

طالَبَتْه الأتْراكُ برَسْمِ البيعةِ، فلم يَكُنْ مع الخليفةِ شىءٌ؛ لأنَّ أباه لم يَتْرُكْ مالًا، فكادَت الفتنةُ تقَعُ بينَ الناسِ بسببِ ذلك، حتى دفَع عنهَ الملكُ جَلالُ الدولةِ مالًا جَزيلًا، نحوًا مِن ثلاثةِ آلافِ ألفِ دينارٍ، واسْتَوْزَر الخليفةُ أبا طالبٍ محمدَ بنَ أيوبَ، واسْتَقْضَى ابنَ ماكُولا.

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ المَشْرِقِ سوى شِرْذِمةٍ خرَجوا مِن الكوفةِ مع العربِ.

وممن توفى فيها من الأعيانِ والكبراءِ غيرِ الخليفةِ، رحِمه اللَّهُ:

الحسنُ بنُ [2]علىِّ بنِ[2] جعفرٍ، أبو علىِّ بنُ ماكُولا، الوزيرُ لجَلالِ الدولةِ، [3]وقد تقدم أنَّه بُعِث إلى البَطِيحةِ ففتَحها، ورام أخذَ البصرةِ فلم يمكنْه ذلك، وقاتَلوه دونَها فأسَروه، فسأل أن يُذهَبَ به إلى الملكِ أبى كاليجارَ، فعفا عنه وأطلَقه، فلما صار إلى الأهوازِ تعامل عليه غلامٌ له وجاريةٌ[3]، فقتَلاه فى ذى الحِجةِ من هذه السنةِ عن ستٍّ وخمسين سنةً.

---

(١) فى ب، م: «محل».
(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته؛ المنتظم ١٥/ ٢٢١، وانظر الكامل ٩/ ٤٠٦.
(٣ - ٣) فى ب، م: «قتله غلام له وجارية تعاملا عليه».

عبدُ الوَهَّابِ بنُ عليِّ بنِ نصرِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ هارونَ بنِ مالكِ بنِ طَوْقٍ[1] ، صاحبِ الرَّحْبةِ ، التَّغْلِبيُّ البَغْداديُّ ، أحدُ أئمةِ المالكيةِ ومُصَنِّفِيهم ، له كتابُ « التَّلْقِينِ » يَحْفَظُه الطَّلَبةُ ، وله غيرُه فى الفُروعِ والأصولِ ، وقد أقام ببغدادَ دَهْرًا ، وولِى قَضاءَ بادَرَايا وباكُسايَا[2] ، ثم خرَج مِن بغدادَ لضِيقِ حالِه ، فدخَل مصرَ ، فأكْرَمه المَغارِبةُ ، وأعْطَوْه ذهبًا كثيرًا ، فتمَوَّل جدًّا ، فأنْشَأ يقولُ مُتَشَوِّقًا إلى بغدادَ :

سلامٌ على بغدادَ فى كلِّ مَوْقِفٍ ... وحُقَّ لها منى السلامُ مُضاعَفُ
فواللَّهِ ما فارقْتُها عن [3]قِلًى لها[3] ... وإنى بشَطَّىْ جانِبَيْها لَعارفُ
ولكنها ضاقَت علىَّ بأسْرِها ... ولم تَكُنِ الأرْزاقُ فيها تُساعِفُ
فكانت كخِلٍّ كنتُ أهْوَى دُنُوَّه ... وأخلاقُه تَنْأَى به وتُخالِفُ

قال الخطيبُ البغداديُّ[4] : سمِع القاضى عبدُ الوَهَّابِ مِن ابنِ السَّمَّاكِ[5] ، وكتَبْتُ عنه ، وكان ثقةً ، ولم تَرَ المالكيةُ أحدًا أفْقهَ منه .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ » عنه[6] : وعندَما وصَل إلى الديارِ

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣١، وطبقات الفقهاء ص ١٦٨، وترتيب المدارك ٤/ ٦٩١، وتبيين كذب المفترى ص ٢٤٩، وتاريخ دمشق ٤٤/١٠٣ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، والمنتظم ١٥/ ٢٢١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٨٥.

(٢) بادرايا وباكُسايا : بلدتان قرب واسط وبغداد . انظر معجم البلدان ١/ ٤٥٩، ٤٧٧.

(٣ - ٣) فى ب ، م : « ملالة » .

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣١.

(٥) كذا فى النسخ . وفى تاريخ بغداد أنه سمع من أبى عبد اللَّه بن العسكرى وعمر بن محمد بن سبنك وابن شاهين .

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٠.

المصريةِ وحصَل له شيءٌ مِن المالِ ، وحسُن حالُه ، مرِض مِن أكْلةٍ اشْتَهاها ، فذُكِر عنه أنه كان يَتَقَلَّبُ ويقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، [٩/١٤٧و] عندَما عِشْنا مِتْنا . قال : وله أشْعارٌ رائقةٌ طريفةٌ ، فمن ذلك قولُه :

ونـائـمـةٍ قـبَّـلْـتُـهـا فـتَنَبَّـهَـت ... فقالت تَعالَوْا واطْلُبوا اللِّصَّ بالحَدِّ
فقلتُ لها إنى (١فدَيْتُك غاصِبٌ١) ... وما حكَموا فى غاصِبٍ بسِوى الرَّدِّ
خُذِيها وكُفِّى عن أَثيمٍ ظُلَامةً ... وإن أنت لم تَرْضَىْ فألْفًا على العَدِّ
فقالت قِصاصٌ يَشْهَدُ العَقْلُ أنه ... على كبدِ الجانى ألذُّ مِن الشَّهْدِ
فباتَت يَمينى وهْىَ هِمْيانُ خِصْرِها ... وباتَت يَسارِى وهْىَ واسِطةُ العِقْدِ
فقالت ألم أُخبرْ بأنك زاهدٌ ... فقلتُ بلى ما زِلْتُ أَزْهَدُ فى الزُّهْدِ

ومما أنْشَده ابنُ خَلِّكانَ للقاضى عبدِ الوَهَّابِ(٢) :

بغدادُ دارٌ لأهلِ المالِ طَيِّبةٌ ... وللمَفاليسِ دارُ الضَّنْكِ والضِّيقِ
ظلَلْتُ حَيْرانَ أمْشِى فى أَزِقَّتِها ... كأننى مُصحفٌ فى بيتِ زِنْديقِ

(١ - ١) فى الأصل : «لثمتك غاصبا» .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢١.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وعشرين وأربعِمائةٍ

فى سادسِ المُحَرَّمِ[1] اسْتَسْقَى أهلُ بغدادَ لتَأَخُّرِ المطرِ عن أوانِه فلم يُسْقَوْا، وكثُر الموتُ فى الناسِ.

ولما كان يومُ عاشوراءَ عمِلَت الرَّوافضُ البدعةَ الشنعاءَ، وكثُر النَّوْحُ والبُكاءُ، وامْتَلأَت بذلك الطُّرُقاتُ والأسْواقُ والأرجاءُ.

وفى صفرٍ أُمِر الناسُ بالخروجِ إلى الاسْتِسْقاءِ لقحوطِ الأمطارِ، فلم يَخْرُجْ مِن أهلِ بغدادَ باتِّساعِها [2]مائةُ إنسانٍ فى الجوامعِ كلِّها[2].

وفيها وقَع بينَ الجيشِ وبينَ جَلالِ الدولةِ، فاتَّفق الحالُ على خُروجِه إلى البصرةِ، فردَّ كثيرًا مِن جَوارِيه إلى أستاذِهن قبلَه، واسْتَبْقَى بعضَهن معه، وخرَج مِن بغدادَ ليلةَ الاثنينِ سادسَ ربيعِ الأولِ منها، وكتَب الغلمانُ الأسْفَهْسِلَارِيَّةُ إلى الملكِ أبى كاليجارَ ليَقدَمَ عليهم، فلما قدِم تمَهَّدت البلادُ، ولم يَبْقَ أحدٌ مِن أهلِ العِنادِ [3]والإلْحادِ[3]، ونهَبوا دارَ جَلالِ الدولةِ وغيرَها، وتأَخَّر مَجِيءُ[4] أبى كاليجارَ، وذلك أن وزيرَه [5]العادلَ بنَ مافنّةَ[5] أشار عليه بعدمِ القُدومِ إلى بغدادَ،

---

(١) المنتظم ١٥/٢٢٢ - ٢٣٠، والكامل ٩/٤٢٣ - ٤٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٦ - ٢٤.

(٢ - ٢) فى ب، م: «واحد».

(٣ - ٣) فى الأصل: «ولا الحساد».

(٤) من هنا خرم فى «ب» ينتهى فى صفحة ٧٠١ عند قول المصنف: «وممن توفى فيها من الأعيان».

(٥ - ٥) سقط من: م، وفى ص: «العادل بن قثاقة». وفى المنتظم ١٥/ ٢٢٤: «أبو منصور بن =

فكثُر العَيَّارون ببغدادَ وتفاقَم الحالُ بهم ، وفسَد البلدُ ، وافْتَقَر جَلالُ الدولةِ بحيث إنه احتاج إلى أن باع بعضَ ثيابِه فى الأسواقِ ، وجعَل أبو كاليجارَ يَتَوَهَّمُ مِن الأتْراكِ ، ويَطْلُبُ منهم رَهائنَ ، فلم يَتَّفِقْ ذلك ، وطال الفَصْلُ ، فرجَعوا إلى مُكاتبةِ جَلالِ الدولةِ أن يَرْجِعَ إلى بلدِه ،وشرَعوا فى الاعتذارِ إليه ، وخطَبوا له فى البلدِ على عادتِه ، [١٤٧/٩ظ] (١) ثم رجَع بعدَ ثلاثٍ وأربعين ليلةً إلى بغدادَ (١) ، وأرْسَل الخليفةُ الرسلَ إلى الملكِ أبى كاليجارَ ، وممن بعَث إليه القاضى أبو الحسنِ الماوَرْدِىُّ ، يُسَلِّمُ عليه ويسْتَوْحِشُ منه ، فدخلوا عليه وقد تحَمَّل أمْرًا عظيمًا ، فسأَل أن يُلَقَّبَ بالسلطانِ المعظمِ مالكِ الأُمم ، فقال الماوَردِىُّ : هذا لا يُمْكِنُ ؛ لأنَّ السلطانَ المُعَظَّمَ الخليفةُ ، وكذلك مالكُ الأُمم . ثم اتَّفَقوا على تَلْقِيبِه بملكِ الدولةِ ، فأرْسَل مع الماوَردِىِّ تُحَفًا عظيمةً ؛ منها ألفُ ألفِ دينارٍ سابُورِيَّةٍ ، وغيرُ ذلك مِن الدراهمِ آلافٌ ، وتحفٌ وألطافٌ ، واجْتَمَع الجُندُ على طلَبِ أرزاقِهم مِن الخليفةِ فتعَذَّر ذلك ، فرامُوا أن يَقْطَعوا خطبتَه ، فلم تُصَلَّ الجمعةُ فى هذا الوقتِ ، ثم خُطِب له مِن الجمعةِ القابلةِ ، وتخَبَّط البلدُ جدًّا وكثُر العَيَّارون .

ثم فى ربيعِ الآخِرِ من هذه السنةِ حلَف الخليفةُ لجَلالِ الدولةِ بخُلوصِ النيةِ وصَفائِها ، وأنه على ما يُحِبُّ مِن الصِّدْقِ وصَلاحِ النيةِ والسَّريرةِ ، ثم وقَع بينَهما بسببِ لعِبِ جَلالِ الدولةِ وشُرْبِه النَّبيذَ وتَهَتُّكِه به ، ثم اعْتَذر إلى الخليفةِ ، واصْطَلَحا على فسادٍ .

وفى رجبٍ غلَت الأسعارُ جدًّا ببَغدادَ وغيرِها من أراضى العراقِ ، ولم يَحُجَّ

= فنة » ، والمثبت موافق لما فى الكامل ٤٢٣/٩ ، وانظر ما سيأتى فى صفحة ٦٩٦ ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٧: « ابن قبة » .

(١ - ١) سقط من : م .

أحدٌ منها .

وفى هذه السنةِ وقَع مُوتانٌ عظيمٌ ببلادِ الهندِ وغَزْنةَ وخُراسانَ وجُرْجانَ والرَّىِّ وأصْبَهانَ ، خرَج منها فى أدْنَى مدةٍ أربعون ألفَ جِنازةٍ ، وفى نواحِى الجَبَلِ والمَوْصلِ وبغدادَ طرفٌ قوىٌّ من ذلك بالجُدَرِىِّ ، بحيث لم تَخْلُ دارٌ مِن مُصابٍ ، واسْتَمَرَّ ذلك فى حزِيرانَ وتَمُّوزَ وآبَ[1] وأيْلُولَ وتَشْرِينَ الأولِ والثانى ، وكان فى الصيفِ أكثرَ منه فى الخريفِ . قاله ابنُ الجَوْزىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[2] . وقد رأَى رجلٌ فى مَنامِه مِن أهلِ أصْبَهَانَ فى هذه السنةِ مُناديًا يُنادِى بصوتٍ جَهْوَرِىٍّ : يا أهلَ أصْبَهانَ ، سكَت ، نطَق ، سكَت ، نطَق . فانْتَبه الرجلُ مَذْعورًا ، فلم يَدْرِ أحدٌ تأويلَها ، حتى قيل ذلك لرجلٍ لبيبٍ فقال : احْذَروا يا أهلَ أصْبَهانَ ، فإنى قرأْتُ فى شعرِ أبى العَتاهيةِ قولَه[3] :

سكَت الدهرُ زمانًا عنهمُ ثم أبْكاهم دمًا حينَ نَطَقْ

فما كان غيرُ قليلٍ حتى جاء الملكُ مسعودُ بنُ محمودِ بنِ سُبُكتِكين ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، حتى قتَل الناسَ فى الجوامعِ .

وفى هذه السنةِ ظفِر الملكُ أبو كاليجارَ بالخادمِ صنْدَلٍ[4] فقتَله ، وكان قد اسْتَحْوَذ على مَمْلَكتِه ، ولم يَبْقَ معه سوى الاسمِ ، فاسْتَراح منه .

وفيها مات ملكُ التركِ الكبيرُ صاحبُ بلادِ ما وراءَ النهرِ ، واسمُه قدرخان .

[١٤٨/٩و] **وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :**

---

(١) فى م : « آذار » ، وآب : أغسطس .

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٣٠.

(٣) ليس فى ديوان أبى العتاهية . والبيت فى المنتظم ١٥/ ٢٣٠.

(٤) فى م : « جندل » . وانظر الكامل ٩/ ٤٢٧.

رَوْحُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو زُرْعةَ الرازىُّ[1] ، قال الخطيبُ[2] : سمِع جَماعةً ، وقَدِم علينا حاجًّا فكتَبْتُ عنه ، وكان صَدوقًا فَهِمًا أَدِيبًا ، يَتَفَقَّهُ على مذهبِ الشافعىِّ ، وولِى قضاءَ أصْبَهانَ . قال : وبلَغَنى أنه مات بالكَرْخِ سنةَ ثلاثٍ وعشرين وأربعِمائةٍ .

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ نُعَيْمٍ ، أبو الحسنِ البصرىُّ[3] ، المعروفُ بالنُّعَيْمىِّ ، الحافظُ الشاعرُ المتكلمُ الفقيهُ الشافعىُّ . قال البَرْقانىُّ[4] : هو كاملٌ فى كلِّ شىءٍ لولا بأْوٌ[5] فيه ، وقد سمِع على جَماعةٍ .

ومِن شعرِه قولُه[6] :

إذا أظْمَأَتْك أَكُفُّ اللِّئامِ ... كفَتْك القَناعةُ شِبْعًا ورِيًّا
فكُنْ رجلًا رِجْلُه فى الثَّرَى ... وهامةُ هِمَّتِه فى الثُّرَيَّا
أَبِيًّا لنائلِ[7] ذى ثروةٍ ... تَراه بما فى يديه أَبِيًّا
فإنَّ إراقةَ ماءِ الحيا ... ةِ دونَ إراقةِ ماءِ المُحَيَّا

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٤١٠، والمنتظم ١٥/ ٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٠٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٧٩.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٤١٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣١، وطبقات الفقهاء ص ١٣١، وتبيين كذب المفترى ص ٢٥٠، والمنتظم ١٥/ ٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٤٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٠٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٣٧.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٢.

(٥) فى م : « بادرة » . والبأو : الكِبْر والفخر . اللسان (ب أ و) .

(٦) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٢، والمنتظم ١٥/ ٢٣٢.

(٧) فى الأصل ، ص : « لتأميل » .

محمدُ بنُ الطَّيِّبِ بنِ سعيدِ[1] **بنِ موسى ، أبو بكرٍ الصَّبَّاغُ** ، حدَّث عن النَّجَّادِ وأبى بكرٍ الشافعىِّ ، وكان صَدوقًا ، وقد حكَى الخطيبُ البغدادىُّ أنه تَزَوَّج تسعَمائةِ[2] امرأةٍ ، وذكَر أنَّه تُوُفِّى عن خمسٍ وتسعين سنةً[3] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

علىُّ بنُ هلالٍ[4] ، الكاتبُ المشهورُ ، ذكَر ابنُ خَلِّكانَ[5] أنه تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وقيل : فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ . كما قدَّمنا .

---

(١) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٣، والمنتظم ١٥/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١١٤.

(٢) فى الأصل، ص : « بسبعمائة » .

(٣) كذا فى النسخ . وفى تاريخ بغداد وقع أنه ولد فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، فيكون عمره تسعين سنة . وفى تاريخ الإسلام أنه عاش خمسا وسبعين سنة .

(٤) تقدمت ترجمته فى صفحة ٥٩٤ .

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٢.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وعشرين وأرْبعِمائةٍ

فيها[1] تفاقَم الحالُ بأمرِ العَيَّارِين، وتزايدَ أمْرُهم وأخْذُهم العَمَلاتِ، وقوِى أمرُ مُقَدَّمِهم البُرْجُمىِّ، وقتَل صاحبَ الشُّرطةِ غِيلةً، وتواتَرَت النَّهَباتُ[2] فى الليلِ والنهارِ، واحتفَظ الناسُ بدُورِهم وحرَسوها حتى دارَ الخليفةِ وسورَ البلدِ، وعظُم الخَطْبُ بهم جدًّا، وكان مِن شأنِ هذا البُرْجُمىِّ أنَّه لا يُؤْذِى امرأةً، ولا يَأْخُذُ مما عليها شيئًا، وهذه مُروءةٌ فى الظلمِ، فيُقال له كما قال الشاعرُ[3]:

* حَنانَيْك بعضُ الشرِّ أهونُ مِن بعضِ *

وفيها أخَذ جَلالُ الدولةِ البصرةَ، وأرْسَل إليها ولدَه العزيزَ، فأقام بها الخُطْبةَ لأبيه، وقُطِعت منها خُطْبةُ أبى كاليجارَ هذه السنةَ والتى بعدَها، ثم اسْتُرْجِعَت من يدِ جلالِ الدولةِ، وأُخْرِج منها ولدُه، [4]ورجَعت الخطبةُ لأبى كاليجارَ[4].

وفى هذه السنةِ ثارَت الأتْراكُ بالملكِ جَلالِ الدولةِ؛ لتَأَخُّرِ أرْزاقِهم، وأخْرَجوه مِن دارِه، ورسَموا عليه فى مسجدِه، وأُخْرِجَت حَريمُه، فذهَب

---

(١) المنتظم ١٥/٢٣٣ - ٢٣٧، والكامل ٩/٤٣٠ - ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٧، والعبر ٣/١٥٣، ١٥٤.

(٢) فى م، ص: «العملات».

(٣) طرفة بن العبد، وصدر البيت:

* أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا *

ديوانه ص ١٧٢.

(٤ - ٤) سقط من: م.

[١٤٨/٩ظ] فى الليلِ إلى دارِ الشريفِ المُرْتَضَى فنزلَ بها ، ثم اصْطَلَحَت الأتْراكُ عليه ، وحلَفوا له على السمعِ والطاعةِ ، ورجَع إلى دارِه ، وكثُرت العَيَّارون ببغدادَ ، واسْتَطالوا على الناسِ ليلًا ونهارًا وسرًّا وجِهارًا . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ وخُراسانَ هذه السنةَ ؛ لفَسادِ البلادِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ ، أبو الحسينِ[1] ، الواعِظُ المعروفُ بابنِ السَّمَّاكِ ، وُلِد سنةَ ثلاثين وثلاثِمائةٍ ، وسمِع جعفرًا الخُلْدىَّ وغيرَه ، وكان يَعِظُ بجامعِ المنصورِ وجامعِ المهدىِّ ، ويَتَكَلَّمُ على طريقةِ التصوُّفِ ، وقد تكَلَّم بعضُ الأئمةِ فيه ، ونسَب إليه الكذبَ . تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن أربعٍ وتسعين سنةً ، ودُفِن ببابِ حربٍ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١١٠، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٤٦، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ١/ ٦٩، والمنتظم ١٥/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٢٤.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وعشرين وأربعِمائةٍ

فيها[1] غزا السلطانُ مسعودُ بنُ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين بلادَ الهندِ، وفتَح حصونًا كثيرةً، فكان مِن جملتِها أنه حاصَر قَلْعةً حصينةً، فخرَجَت مِن السُّورِ عَجوزٌ كبيرةٌ ساحرةٌ، وأخَذت مِكْنَسةً فبَلَّتْها ورشَّتْها على ناحيةِ جيشِ المسلمين، فمرِض السلطانُ مسعودٌ تلك الليلةَ مرضًا شديدًا، فارْتَحَل عن تلك القَلْعةِ، فلما اسْتَقَل ذاهِبًا عنها عُوفِيَ عافيةً كاملةً، ورجَع إلى غَزْنةَ سالمًا.

وفيها تَوَلَّى البَساسِيرِيُّ حمايةَ الجانبِ الغربيِّ[2] مِن بغدادَ لمّا تفاقَم أمرُ العَيَّارِين وكثُر شرُّهم وفسادُهم.

وفيها وَلِي سِنانُ بنُ سيفِ الدولةِ غريبِ بنِ محمدِ بنِ مَقْنٍ بعدَ وفاةِ أبيه، فقصَد عمَّه قِرْواشًا[3]، فأقَرَّه وساعَده على استقامةِ أمورِه.

وفيها هلَك ملكُ الرومِ أرمانوسُ، فملكهم مِن بعدِه رجلٌ ليس مِن بيتِ مُلْكِهم، قد كان صَيْرَفِيًّا في بعضِ الأحيانِ، إلا أنه مِن سُلالةِ الملكِ قُسْطَنْطِينَ

---

(١) المنتظم ١٥/٢٣٩ - ٢٤٢، والكامل ٩/٤٣٣ - ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٩ - ٣٢.

(٢) في م: «الشرقي».

(٣) الذى فى الكامل أنه توفى سيف الدولة أبو سنان غريب بن محمد بن مقن وقام بالأمر بعده أبو الريان. وفيها توفى بدران بن المقلد، وقصد ولده عمه قرواشا، وأنه أقره ودفع عنه بنى نمير. انتهى مختصرا.

فقرواش عم ولد بدران بن المقلد، وليس عم أبى الريان بن سيف الدولة. فلعله انتقال نظر من المصنف. والله أعلم.

بانى المدينةِ التى لهم[1] .

وفيها كثُرَت الزَّلازلُ بمصرَ والشامِ ، فهدَمَت شيئًا كثيرًا ، ومات تحتَ الرَّدْمِ خلقٌ كثيرٌ ، وانْهَدَم مِن الرَّمْلَةِ ثلثُها ، وتقَطَّع جامعُها تَقْطيعًا ، وخرَج أهلُها منها ، فأقاموا ظاهرَها ثمانيةَ أيامٍ ، ثم سكَن الحالُ فعادُوا إليها ، وسقَط بعضُ حائطِ بيتِ المقدسِ ، ووقَع مِن مِحْرابِ داودَ قطعةٌ كبيرةٌ ، ومِن مسجدِ إبراهيمَ قطعةٌ ، وسَلِمَت الحُجْرةُ ، وسقَطَت مَنارةُ عَسْقلانَ ، ورأسُ مَنارةِ غَزَّةَ ، وسقَط نصفُ بُنْيانِ نابُلُسَ ، وخُسِف بقريةٍ بإزائِها[2] وبأهلِها وبقَرِها وغنمِها ، وساخَت فى الأرضِ ، وكذلك قُرًى كثيرةٌ هنالك . ذكَره ابنُ الجوزىِّ[3] .

[٩/١٤٩و] وكان غَلاءٌ شديدٌ ببلادِ إفْرِيقِيَّةَ ، وعصَفَت ريحٌ سَوْداءُ بنَصِيبِينَ ، فألْقَتْ[4] شيئًا كثيرًا مِن الأشجارِ كالتُّوتِ والجَوْزِ والعُنَّابِ ، واقْتَلَعَت قصرًا مَشيدًا بحِجارةٍ وآجُرٍّ وكِلْسٍ ، ثم سقَط مطرٌ معه بَرَدٌ أمثالُ الأَكُفِّ والزُّنودِ والأصابعِ ، وجزَر البحرُ مِن تلك الناحيةِ ثلاثةَ فَراسخَ ، فذهَب الناسُ خلفَ السمكِ ، فرجَع الماءُ عليهم فهلَك خلقٌ كثيرٌ .

وفيها كثُر الموتُ بالخَوانِيقِ[5] ، حتى كان يُغْلَقُ البابُ على مَن فى الدارِ ، كلُّهم قد مات ، وكان أكثرُ ذلك ببغدادَ ، فمات مِن أهلِها فى شهرِ ذى الحِجَّةِ

---

(١) لم يذكر فى الكامل أن هذا الرجل من سلالة قسطنطين ، بل إن بنت قسطنطين هى التى اختارته .

(٢) فى النسخ : « البازان » . والمثبت من المنتظم . وبإزائها أى : بإزاء نابلس . ولم نجد فى معجم ما استعجم ومعجم البلدان قرية أو بلدا تسمى البازان .

(٣) المنتظم ١٥/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) فى الأصل : « فأتلفت » .

(٥) الخوانيق : جمع خُنَاق ، كل داء يمتنع معه نفوذ النَّفَس إلى الرئة . الوسيط (خ ن ق) .

سبعون[1] ألفًا .

وفيها وقَعَت الفتنةُ بينَ السُّنَّةِ والرَّوافضِ حتى بينَ العَيَّارِين مِن الفريقَيْن ، ومَنَع ابنا الأصبهانيِّ - وهما مُقَدَّما عيَّارِى أهلِ السُّنَّةِ - أهلَ الكَرْخِ مِن وُرودِ ماءِ دِجْلةَ ، فضاق عليهم النِّطاقُ . وقُتِل ابنُ البُرْجُميِّ وأخوه فى هذه السنةِ . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ .

ومِمن تُوُفِّى فيها من الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ غالبٍ الحافظُ ، أبو بكرٍ[2] المعروفُ بالبَرْقانيِّ ، وُلِد سنةَ ستٍّ وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، سمِع الكثيرَ ، ورحَل إلى البلادِ ، وجمَع كتبًا كثيرةً جدًّا ، وكان عالمًا بالقرآنِ والحديثِ والفقهِ والنحوِ ، وله مُصَنَّفاتٌ فى الحديثِ حسنةٌ نافعةٌ . قال الأزْهَرِيُّ[3] : إذا مات البَرْقانيُّ ذهَب هذا الشأنُ ، وما رأيْتُ أتقنَ منه . وقال غيرُه[3] : ما رأيْتُ أعبدَ منه فى أهلِ الحديثِ . تُوُفِّى يومَ الخميسِ[4] مُسْتَهَلَّ رجبٍ ، وصلَّى عليه أبو عليٍّ بنُ أبى موسى الهاشميُّ ، ودُفِن فى مَقْبرةِ الجامعِ ببغدادَ ، وقد أوْرَد له الحافظُ ابنُ عَساكرَ مِن شعرِه قولَه[5] :

أُعَلِّلُ نفسى بكَتْبِ الحديثِ ... وأَحْمِلُ[6] فيه لها المَوْعِدَا

---

(١) فى الأصل ، ص : « تسعون » .

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٣، وطبقات الفقهاء ص ١٢٧، وتاريخ دمشق ٧/١٦٨ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، والمنتظم ١٥/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٤٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٤٧.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٥.

(٤) فى تاريخ بغداد والمنتظم أنه توفى يوم الأربعاء ، وزاد فى تاريخ بغداد أنه دفن يوم الخميس .

(٥) تاريخ دمشق ٧/ ١٦٨.

(٦) فى الأصل ، م : « أجمل » .

وأَشْغَلُ نفسى بتَصْنيفِه وتَخْريجِه دائمًا سَرْمَدَا
فطَوْرًا أُصَنِّفُه فى الشيوخِ وطَوْرًا أُصَنِّفُه مُسْنَدَا
وأَقْفُو البُخارىَّ فيما نحَاه وصنَّفه جاهِدًا مُجْهَدَا
ومُسْلِمَ إذ كان زَيْنَ الأنامِ بتَصْنيفِه مُسْلِمًا مُرْشِدَا
ومالىَ فيه سوى أننى أراه هَوًى صادَف المَقْصِدَا
وأَرْجُو الثَّوابَ بكَتْبِ الصلاةِ على السيدِ المُصْطَفى أحْمَدَا
(١وأسألُ ربِّى إلهَ العبا دِ جزْيًا على ما به عوَّدَا١)

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ، أبو العباسِ الأَبِيوَرْدىُّ(٢)، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ، مِن تلاميذِ [٩/١٤٩ظ] الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ، كانت له حَلْقةٌ فى جامعِ المنصورِ للفُتْيَا، وكان يُدَرِّسُ فى قَطيعةِ الربيعِ، ووَلِى الحكمَ ببغدادَ نيابةً عن ابنِ الأَكْفانىِّ، وقد سمِع الحديثَ، وكان حسَنَ الاعْتِقادِ، جميلَ الطَّريقةِ، فَصيحَ اللسانِ، صَبورًا على الفقرِ كاتمًا له، وكان يَقولُ الشعرَ الجيدَ، وكان كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. تُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ، ودُفِن بمقبرةِ بابِ حربٍ.

أبو علىٍّ البَنْدَنِيجىُّ، الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يحيى، الشيخُ أبو علىٍّ البَنْدَنِيجىُّ(٣)، أحدُ أئمةِ الشافعيةِ، وتلميذُ أبى حامدٍ الإسفَرايِينىِّ أيضًا، ولم

(١ - ١) زيادة من مصادر الترجمة، ليست فى النسخ.
(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٥١، وطبقات الفقهاء ص ١٢٩، والمنتظم ١٥/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٤٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٨١.
(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٣٤٣، وطبقات الفقهاء ص ١٢٩، والمنتظم ١٥/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٠٥.

يَكُنْ فى أصحابِه مثلُه ، درَّس وأفْتَى وحكَم ببغدادَ ، وكان دَيِّنًا وَرِعًا . تُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ أيضًا .

عبدُ الوَهَّابِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ[1] **الحارثِ بنِ أسدٍ ، أبو الفَرَجِ التَّمِيمىُّ**[2] ، الفقيهُ الحَنْبلىُّ الواعظُ ، سمِع مِن أبيه أثرًا مُسَلْسَلًا عن علىٍّ[3] : الحنَّانُ الذى يُقْبِلُ على مَن أعْرَض عنه ، والمَنَّانُ الذى يَبْدَأُ بالنَّوَالِ قبلَ السُّؤالِ . تُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ ، ودُفِن فى مَقْبَرةِ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ .

غَريبُ بنُ محمدِ بنِ مَقْنٍ سيفُ الدولةِ ، أبو سِنانٍ[4] ، كان قد ضرَب السِّكةَ باسمِه ، وكان مَلِكًا مُتَمَكِّنًا فى الدولةِ ، وخلَّف خمسَمائةِ ألفِ دينارٍ ، [5]وقام ابنُه سِنانٌ بعدَه ، وتقَوَّى بعمِّه قِرْواشٍ ، واسْتَقامت أمورُه به[5] ، تُوُفِّى بكَرْخِ سابورَ عن سبعين سنةً .

---

(١) سقط من : م . وفى ص بياض .

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٢، والمنتظم ١٥/ ٢٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٦١.

(٣) وهذه صورة الأثر المسلسل كما كتبها عنه الخطيب فى تاريخ بغداد : حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن عبد الله التميمى من لفظه قال : سمعت أبى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت على بن أبى طالب وقد سئل عن الحنان المنان فقال :... الأثر .

(٤) تقدم ذكره فى حوادث هذه السنة . وانظر الكامل ٩/ ٤٣٨.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وعشرين وأربعِمائةٍ[1]

فى المُحَرَّمِ كثُر تَرَدُّدُ الأعرابِ فى قطعِ الطريقِ إلى حَواشِى بغدادَ وما حولَها ، بحيث كانوا يَسْتَلِبون ما على النساءِ ، ومَن أسَرُوه أخَذوا ما معه وطالَبوه بفِداءِ نفسِه ، واسْتَفْحَل أمرُ العَيَّارِين ببغدادَ ، وكثُرَت شُرورُهم وإفسادُهم .

وفى مُسْتَهَلِّ صفَرٍ زادَت دِجلةُ بحيث ارْتَفَع الماءُ على الضِّياعِ ذراعين ، وسقَط مِن البصرةِ فى مدةِ [2]ثلاثةِ أيامٍ[2] نحوٌ مِن ألْفَىْ دارٍ .

وفى شعبانَ منها ورَد كتابٌ من مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكين بأنه قد فتَح فتحًا عظيمًا فى الهندِ ، وقتَل منهم خمسين ألفًا ، وأسَر تسعين[3] ألفًا ، وغنِم شيئًا كثيرًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ووقَعَت فتنةٌ بينَ أهلِ بغدادَ والعيَّارِين ، ووقَع حريقٌ كثيرٌ فى أماكنَ مُتَعَدِّدةٍ منها ، [4]واتَّسَع الخَرْقُ على الراقعِ[4] . ولم يحُجَّ أحدٌ مِن هؤلاء ولا مِن أهلِ خُراسانَ فى هذا العامِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٤٥، ٢٤٦، والكامل ٩/ ٤٤٠ - ٤٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٣٣ - ٣٥.

(٢ - ٢) فى المنتظم : « فى هذا اليوم وليلته » . ولم يُذكر هذا الخبر فى المصدرين الآخرين .

(٣) فى المنتظم : « سبعين » .

(٤ - ٤) هذه العبارة مَثَل ، يُضرَب فى الأمر الذى لا يُستطاع تداركه لتفاقمه . انظر المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى ١/ ٣٥.

أحمدُ بنُ كُلَيْبٍ الشاعرُ[1] أحدُ مَن هلَك بالعِشْقِ، روَى ابنُ الجَوزىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[2] بسندِه [٩/١٥٠و] [3]مِن طريقِ أبى عبدِ اللَّهِ الحُميدىِّ بسَنَدِه[3] أن أحمدَ بنَ كُلَيْبٍ هذا المسكينَ العَثَرىَّ[4] تَعَشَّق شابًّا يقالُ له: أسلمُ [5]بنُ أبى الجَعْدِ. مِن بنى خالدٍ[5]، وكان فيهم وِزارةٌ وحِجَابَةٌ، فأنْشَد فيه أشعارًا تحَدَّث الناسُ بها، وكان أسْلَمُ هذا يَطْلُبُ العلمَ فى مَجالسِ المَشايخِ، فاسْتَحْيا مِن الناسِ وانْقَطَع فى دارِه[6]، فلا يَجْتَمعُ بأحدٍ مِن الناسِ، فازْدادَ غَرامُ ابنِ كُلَيْبٍ به حتى مرِض مِن ذلك مَرَضًا شديدًا، عادَه الناسُ منه، وكان فى جملةِ مَن عادَه بعضُ المَشايخِ، فسأَله عن مرضِه فقال: أنتم تعْلَمون دائِى ودَوائى، لو زارَنى أسْلَمُ ونظَر إلىَّ نظرةً، ونظَرْتُه نظرةً واحدةً برِئْتُ، وإلا فأنا هالكٌ. فرأى ذلك الشيخُ مِن المصلحةِ أن لو دخَل عليه وسأله أن يَزورَه ولو مرةً واحدةً مُخْتَفِيًا، ولم يَزَلْ به حتى انْطَلَقا إليه، فلما دخَلا دَرْبَه تغيَّر الغلامُ واسْتَحْيا مِن الدخولِ عليه جدًّا،

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٤٦، وبغية الملتمس ص ٢٠٢، ومعجم الأدباء ٤/ ١٠٨، والكامل ٩/ ٤٤٤، وإنباه الرواة ١/ ٩٦، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٨١.

(٢) المنتظم ١٥/٢٤٦ - ٢٤٩. وانظر القصة أيضا فى البغية ص ٢٠٢ - ٢٠٦، ومعجم الأدباء ٤/ ١٠٩ - ١١٥.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) العثرى: الذى لا يجدّ فى طلب دنيا ولا آخرة. اللسان (ع ث ر).

(٥ - ٥) فى المنتظم: «بن أحمد بن سعيد بن قاضى قضاة الأندلس»، وفى بغية الملتمس ومعجم الأدباء: «بن أحمد بن سعيد بن قاضى الجماعة». وما فى المصادر، وما عندنا صواب؛ فوالد «سعيد» جد «أسلم» هذا، هو ابن قاضى قضاة الأندلس أو قاضى الجماعة، واسمه أسلم بن عبد العزيز، وقيل: هو أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد اللَّه بن خالد بن عبد اللَّه بن حسن بن الجعد. وصحح هذه التسمية الثانية الضبى فى البغية. فاسم «أسلم» صاحب الحكاية هنا مذكور على الاختصار والشهرة، واللَّه أعلم. انظر بغية الملتمس ص ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٤٩.

(٦) فى الأصل، م، ص: «دارهم». والمثبت من معنى ما فى مصادر التخريج.

(١ ورجَع ١) ، فحرَص به الرجلُ كلَّ الحِرْصِ ليُدْخِلَهُ عليه ، فأبى (٢) وانْصَرف فدخَل الرجلُ على ابنِ كُلَيْبٍ ، فذكَر له ما كان مِن أمْرِه ، وقد كان غلامُه دخل إليه فبشَّره بقُدومِ أسْلَمَ عليه ، ففرِح جدًّا ، فلما تحقَّق رُجوعَه اخْتَلَط كلامُه واضْطَرَب فى نفسِه ، ثم قال لذلك الرجلِ : اسْمَعْ يا أبا عبدِ اللَّهِ منِّى واحْفَظْ عنى . ثم أَنشَأ يقولُ :

أسْلَمُ يا راحةَ العَليلِ ... رِفْقًا على الهائمِ النَّحِيلِ
وَصْلُك أشْهَى إلى فُؤادى ... مِن رحمةِ الخالقِ الجَليلِ

فقال له الرجلُ : اتَّقِ اللَّهَ ، ما هذه العظيمةُ ؟! فقال : قد كان . فخرَج الرجلُ مِن عندِه ، فما توَسَّط الدَّرْبَ حتى سمِع الصُّراخَ عليه ، وقد فارَق الدنيا .

وهذه زَلَّةٌ شَنْعاءُ ، وعَظيمةٌ صَلْعاءُ ، وداهيةٌ دَهْياءُ ، ولولا أنَّ هؤلاءِ الأئمةَ ذكَروها لما ذكَرْتُها ، ولكن فيها عِبْرةٌ لأُولى الألبابِ ، وتَنبيهٌ لذَوِى العقولِ أن يَسْأَلوا اللَّهَ رحمتَه ولُطْفَه بهم أن يُثَبِّتَهم على الخيرِ والإسلامِ والسُّنَّةِ عندَ المَماتِ ، إنه كريمٌ جَوَادٌ .

قال الحُمَيْدىُّ (٣) : وأنْشَدَنى أبو محمدٍ علىُّ بنُ أحمدَ قال : أنْشَدَنى محمدُ ابنُ عبدِ الرحمنِ النَّحْوِىُّ (٤) لأحمدَ بنِ كُلَيْبٍ ، وقد أهْدَى إلى أسْلَمَ كتابَ

(١ - ١) فى م : « وقال للرجل العالم لا أدخل عليه ، وقد ذكرنى ونوه باسمى وهذا مكان ريبة وتهمة وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم » .

(٢) بعده فى م : « عليه فقال له : إنه ميت لا محالة فإذا دخلت عليه أحييته فقال يموت وأنا لا أدخل فلا يسخط اللَّه على ويغضبه وأبى أن يدخل » .

(٣) المنتظم ١٥/ ٢٤٩. وانظر بغية الملتمس ص ٢٠٦، ٢٠٧، ومعجم الأدباء ٤/ ١١٦.

(٤) سقط من : م . وفى الأصل ، ص : « النحيى » . والمثبت من المنتظم .

« الفَصيحِ » لثعلبٍ :

هـذا كـتـابُ الـفَـصـيـحِ بـكـلِّ لـفـظٍ مَـلـيـحِ
وهَـبْـتُـه لـك طَـوْعًـا كـمـا وهَـبْـتُـك رُوحـى

الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ شاذانَ بنِ حربِ بنِ مِهْرانَ ، أبو عليٍّ بنُ [٩/١٥٠ظ] **شاذانَ البَزَّازُ**[1] ، أحدُ مَشايخِ الحديثِ ، سمِع الكثيرَ ، وكان ثقةً صَدوقًا ، جاءه يومًا شابٌّ غريبٌ فقال له : إنى رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ ، فقال لى : اذْهَبْ إلى أبى علىِّ بنِ شاذانَ فسَلْ عنه ، وأقْرِئْه منى السلامَ . ثم انْصَرَف الشابُّ ، فبكَى الشيخُ وقال : ما أَعْلَمُ لى عملًا أَسْتَحِقُّ به هذا غيرَ صبرى على إسْماعِ الحديثِ ، وصَلاتى على رسولِ اللَّهِ ﷺ كلما ذُكِر . ثم تُوُفِّى بعدَ شهرين أو ثلاثةٍ مِن هذه الرُّؤْيا ، فى مُحَرَّمِ هذه السنةِ عن سبعٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن ببابِ الدَّيْرِ ، رحمه اللَّهُ تعالى .

الحسنُ بنُ عثمانَ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ سَوْرَةَ ، أبو عمرَ[2] **الواعِظُ المعروفُ بابنِ الفَلْوِ** ، سمِع الحديثَ مِن جَماعةٍ . قال ابنُ الجَوْزىِّ[3] : وكان يَعِظُ ، وله بَلاغةٌ ، وفيه كرمٌ ، [4]وكان ثِقةً يأمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكرِ[4] ،

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٩، والمنتظم ١٥/ ٢٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٥٠، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٩٤، والجواهر المضية ٢/ ٣٨. وجاء فى تاريخ بغداد « الحسن بن إبراهيم بن أحمد » .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٢، والإكمال ٧/ ٧١، والمنتظم ١٥/ ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٧٣، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٨٢. وجاء فى المنتظم « بن الحسن » بدل « بن الحسين » ، وأشار محققاه أنه فى نسختين للمنتظم « بن الحسين » . وجاء الاسم فى تاريخ الإسلام مختصرا « الحسن بن عثمان بن سورة » .

(٣) المنتظم ١٥/ ٢٥٠.

(٤ - ٤) فى م : « وأمر بمعروف ونهى عن منكر » . والمثبت من الأصل ، ص ، زيادة ليست فى المنتظم .

ومِن شعرِه :

دخَلْتُ على السلطانِ فى دارِ عِزِّه بفقرٍ ولم أُجْلِبْ بخيلٍ ولا رَجْلِ
وقلتُ انْظُروا ما بينَ فَقْرى ومُلْكِكم بمقدارِ ما بينَ الوِلايةِ والعَزْلِ

تُوُفِّى فى صفَرٍ ، وقد قارَب الثمانين ، ودُفِن بمقْبرةِ بابِ حربٍ إلى جانبِ ابنِ السَّمَّاكِ .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وعشرين وأربعِمائةٍ[1]

فى المُحَرَّمِ تكامَلَت عِمارةُ قَنْطَرةِ عيسى التى كانت قد سقَطَت ، وكان الذى يَلى مُشارفةَ الإنفاقِ عليها الشيخُ أبو الحسينِ[2] القُدُورىُّ الحَنَفىُّ .

وفيه وفيما بعدَه[3] تفاقَم أمْرُ العَيَّارِين ، وكبَسوا الدُّورَ ، وتزايدَ شرُّهم وعَمَلاتُهم .

وفيها تُوُفِّى صاحبُ مصرَ الظاهرُ لإعْزازِ دينِ اللَّهِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ الحاكمِ ابنِ العزيزِ بنِ المعزِ الفاطمىُّ ، وله مِن العمرِ ثلاثٌ وثلاثون سنةً [4]وأشهرٌ ، وكانت مدةُ ولايَتِه ستَّ عشْرةَ سنةً وتسعةَ أشهرٍ ، وكانت سيرتُه جيدةً[4] ، وقام بالأمرِ مِن بعدِه ولدُه المُسْتَنْصِرُ ، وعمرُه سبعُ سنين ، واسمُه مَعَدٌّ ، وكنيتُه أبو تَميمٍ ، وتكَفَّل

---

(١) المنتظم ١٥/٢٥٣ - ٢٥٥، والكامل ٩/٤٤٦ - ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٣٦، ٣٧.

(٢) فى الأصل، ص: «الحسن». وفى الأصل حاشية: «هذه من عجائب الدنيا، أرخ وفاة القدورى فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة، وبعد وفاته بتسع سنين ولاه مشرفا على هذه القنطرة». والمثبت من م موافق لما فى المنتظم، ولم يُذكر ذلك فى الكامل، وتاريخ الإسلام، فالمصنف هنا تابع ابن الجوزى فى سياق هذه القصة، وصنيع كليهما صواب، فلا خلاف على وفاة القدورى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، كما سيورده المصنف فى وفيات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، فاللَّه أعلم لماذا ذكره المصنف فى وفيات سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ص ٦٢٦، ٦٢٧.

(٣) الذى فى المنتظم، وتاريخ الإسلام؛ أن دخول العيارين بعد المرة الأولى فى المحرم، كان فى شهر ربيع الآخر. ولم يتعرض صاحب الكامل لذكر ذلك.

(٤ - ٤) سقط من: م. وعمر الظاهر حين وفاته ثلاث وثلاثون سنة، كما فى الكامل. وفى المنتظم ذكر أنه توفى عن ثلاثين سنة إلا أشهرًا. ولم يذكر عن الظاهر شيئا فى تاريخ الإسلام. ومدة ولايته موافقة لما ذكر فى المنتظم. وأما فى الكامل؛ فمدة ولايته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يومًا. وتولى ابنه المستنصر وسنه سبع عشرة سنة؛ لأنه ذكر فى الكامل مولد المستنصر سنة عشر وأربعمائة. ولم يذكره فى المنتظم.

بأعْباءِ المَمْلكةِ بينَ يديه الأفضلُ أميرُ الجُيوشِ ، واسمُه بدرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الجَمَالىُّ ، وكان الظاهرُ المذكورُ قد اسْتَوْزَر الصاحبَ أبا القاسمِ علىَّ بنَ أحمدَ الجَرْجَرَائىَّ - وكان مَقْطوعَ اليدين مِن المرْفَقين - فى سنةِ ثمانى عشْرةَ ، فاسْتَمَرَّ فى الوِزارةِ مدةَ وِلايةِ الظاهرِ ، ثم لولدِه المُسْتَنْصِرِ ، حتى تُوُفِّى الوزيرُ الجَرْجَرَائىُّ المذكورُ فى سنةِ ستٍّ وثلاثين ، وكان قد سلَك فى وِزارتِه العِفَّةَ العظيمةَ ، وكان الذى يُعَلِّمُ عنه القاضى أبو عبدِ اللَّهِ القُضَاعىُّ صاحبُ كتاب « الشِّهابِ » ، وكانت علامتَه عنه : الحمدُ للَّهِ شكرًا لنِعمتِه . وكان الذى قطَع يديه مِن المرْفقين الحاكمُ ؛ لخيانةٍ ظهرَت منه فى سنةِ أربعٍ وأربعِمائةٍ ، ثم اسْتَعْمَله [١٥١/٩و] فى بعضِ الأعمالِ سنةَ تسعٍ ، فلما فُقِد الحاكمُ ، لعنه اللَّهُ ، فى السابعِ والعشرين مِن شوالٍ سنةَ إحدى عشْرةَ ثم تملّك من بعدِه ولدُه الظاهرُ المذكورُ ، تنَقَّلَت بالجَرْجَرَائىِّ المذكورِ الأحوالُ حتى اسْتُوزِر سنةَ ثمانى عشْرةَ كما ذكَرْنا .

وقد هجاه بعضُ الشعراءِ فقال :

يا أحمقًا إسْمعْ وقُلْ ... ودَعِ الرَّقاعةَ[1] والتَّحامُقْ
أأقَمْتَ نفسَك فى الثِّقا ... تِ وهَبْك فيما قلتَ صادقْ
فَمِن الأمانةِ و التُّقَى ... قُطِعَت يداك مِن المَرافِقْ

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ الثَّعالِبىُّ[2] ، ويقالُ[3] : الثَّعْلبىُّ - وهو لقَبٌ

---

(١) الرقاعة : الحمق . انظر المحيط (ر ق ع) .
(٢) معجم الأدباء ٥/ ٣٦، وإنباه الرواة ١/ ١١٩، ووفيات الأعيان ١/ ٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ١٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٥٨، وغاية النهاية ١/ ١٠٠، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٨.
(٣) انظر اللباب ١/ ١٩٤. وعنده : « الثعلبى ، ويقال : الثعالبى » .

وليس بِنِسْبةٍ - النَّيْسابوريُّ المُفَسِّرُ المشهورُ، له «التَّفسيرُ الكبيرُ»، وله كتابُ «العَرائسِ» فى قَصصِ الأنبياءِ، وغيرُ ذلك، وكان كثيرَ الحديثِ، واسعَ السَّماعِ؛ ولهذا يُوجَدُ فى كتبِه مِن الغَرائبِ شيءٌ كثيرٌ. ذكَره عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ الفارسيُّ فى «تاريخِ نَيْسابورَ»، وأثْنَى عليه، وقال: هو صحيحُ النَّقْلِ مَوْثُوقٌ به. تُوُفِّى سنةَ سبعٍ وعشرين وأربعِمائةٍ. وقال غيرُه[1]: تُوُفِّى يومَ الأرْبعاءِ لسبعٍ بقِين مِن المحرمِ منها، ورُئِيَتْ له مَناماتٌ صالحةٌ، وقال السَّمْعانيُّ[2]: ونَيْسابورُ كانت مَقْصَبةً[3]، فأمَر سابورُ الثانى ببنائِها مدينةً، [4]و«نَىْ» هو القصبُ بالفارسيةِ. واللَّهُ أعلمُ[4].

---

(١) انظر وفيات الأعيان ١/ ٨٠.

(٢) الأنساب ٥/ ٥٥٠.

(٣) المَقْصَبَة: مَنْبِت القصب. ويقال: أرضٌ مَقْصَبَةٌ: كثيرة القصب. الوسيط (ق ص ب).

(٤ - ٤) سقط من: م.

ثم دخَلت سنةُ ثمانٍ وعشرين وأربعِمائةٍ

فيها[1] خلَع الخليفةُ على أبى تَمَّامٍ محمدِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ الزَّيْنَبىِّ ، وقلَّده ما كان إلى أبيه مِن نِقابةِ العباسيين والصلاةِ .

وفيها وقعَت الفُرْقةُ بينَ الجُنْدِ وبينَ جَلالِ الدولةِ ، وقطَعوا خُطْبتَه وخطبةَ الملكِ أبى كالِيجارَ[2] ، ثم أعادُوا الخُطبةَ [3]لهما وصلَحت حالُ جلالِ الدولةِ ، وحلَف الخليفةُ له وعزلَ وزيرَه ابنَ ماكُولا[3] واسْتَوْزَر أبا المعالى بنَ عبدِ الرحيمِ . وكان جَلالُ الدولةِ قد جمَع خلقًا كثيرًا معه ، منهم البَساسِيرىُّ ، ودُبَيْسُ بنُ علىٍّ ابنِ مَزْيَدٍ ، وقِرْواشُ بنُ مُقَلَّدٍ العُقَيلىُّ ، ونازَل بَغدادَ مِن جانبِها الغربىِّ حتى أخَذها قهرًا ، واصْطَلَح هو وأبو كاليجارَ على يدى أقضَى القُضاةِ الماوَرْدىِّ ، وتزَوَّج أبو منصورِ بنُ أبى كاليجارَ بابنةِ جَلالِ الدولةِ على صَداقٍ خمسين ألفَ دينارٍ ، واتَّفَقَت كلمتُهما ، وحسُن حالُ الدولةِ .

وفيها نزَل مَطَرٌ ببلادِ فَمِ الصِّلْحِ[4] ، ومعه سمكٌ وزْنُ السمكةِ رَطلٌ ورَطْلان .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٥٦، ٢٥٧، والكامل ٩/٤٥٣ - ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٣٨، ٣٩.

(٢) المذكور فى المنتظم ، وتاريخ الإسلام ؛ أن الجند قطعوا خطبة جلال الدولة وخطبوا لأبى كاليجار . وعبارة التاريخ «آل الأمر إلى أن قطعوا خطبته وخطبوا للملك أبى كاليجار» وهى أدق ، ويؤيِّدها - ويؤيد صنيع المصنف هنا - تضمُّن ما فى الكامل لهذا المعنى ؛ أن الخطباء أُكرهوا على الخطبة لأبى كاليجار .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط بينها وبين جَبُّل عليه عدة قرى . انظر معجم البلدان ٣/ ٩١٧.

وفيها بعَث صاحبُ مصرَ بمالٍ ليُنْفَقَ على نهرٍ بالكوفةِ إن أذِن الخليفةُ العباسيُّ فى ذلك، فجمَع [٩/١٥١ظ] القائمُ باللَّهِ الفُقهاءَ، وسألَهم عن هذا المالِ، فأفْتَوْا بأن هذا المالَ فَىءٌ للمسلمين، يُصْرَفُ فى مصالحِهم، فأذِن فى صرْفِه فى مَصالحِ المسلمين.

وفيها ثار العَيَّارون ببغدادَ، وفتَحوا السجنَ بالجانبِ الشرقىِّ، وأخَذوا منه رجالًا، وقتَلوا مِن رَجّالةِ الشُّرَطِ[(١)] سبعةَ عشَرَ رجلًا، وانْتَشَرَت الفتنُ والشُّرورُ فى البلدِ جدًّا.

[(٢)]وفيها وَلِى عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ سلامةَ إمارةَ تِهامةَ بعد أبيه، وفيها وَلِى عُمانَ القاسمُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ مُكْرَمٍ بعد وفاةِ أبيه أيضًا[(٢)]. ولم يَحجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ؛ لفسادِ البلادِ واختلافِ الكلمةِ.

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

القُدُورىُّ[(٣)] الحنفىُّ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرٍ، أبو الحسينِ القُدُورىُّ.

[(٢)]قال الخطيبُ[(٤)]: سمعَ الحديثَ من [(٥)]عُبيدِ اللَّهِ[(٥)] بنِ محمدٍ الحَوْشَبىِّ[(٦)(٢)]، ولم

---

(١) فى المنتظم: «المعونة». ولم يتعرض لذكر ذلك فى الكامل.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل حاشية: «تقدم ذكر وفاته فى سنة ثمان عشرة ولم ينبه المصنف على ذلك». راجع حاشية ٢ ص ٦٦٦. وانظر ترجمته فى المصادر الآتية: تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٧، والمنتظم ١٥/ ٢٥٧، ووفيات الأعيان ١/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢١١، والجواهر المضية ١/ ٢٤٧. وقد جاءت كنيته فى الأصل، ص، والمنتظم: «أبو الحسن». والمثبت من م موافق لسائر مصادر ترجمته.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٧.

(٥ - ٥) فى الأصل، ص: «عبد الله». والمثبت من المصادر التى ذكرت ذلك فى ترجمة القدورى. وانظر ترجمة الحوشبى هذا فى تاريخ بغداد ١٠/ ٣٦١.

(٦) فى الأصل، ص: «الحرسى». والمثبت من مصادر ترجمة القدورى التى ذكرت ذلك، =

يُحَدِّثْ إلا بشىءٍ يسيرٍ، كتَبْتُ عنه، [1]وكان صدُوقًا، وكان ممن أَنْجَبَ[2] فى الفقهِ؛ لذكائِه، وانتهت إليه فى العراقِ رياسةُ أصحابِ أبى حنيفةَ وارْتَفَع جاهُه. وكان بَرَّز فى القراءاتِ. توفِّى يومَ الأحدِ الخامسَ[3] من رجبٍ من هذه السنةِ عن ستٍّ وستين سنةً[1]، ودُفِن بدارِه فى دربِ خلفٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الحسنُ بنُ شِهابِ بنِ الحسنِ بنِ علىٍّ، أبو علىٍّ العُكْبَرىُّ، الفقيهُ الحَنْبلىُّ الشاعرُ[4]، وُلِد سنةَ خمسٍ وثلاثين وثلاثِمائةٍ، سمِع مِن [5]أبى بكرِ بنِ مالكٍ[5] وغيرِه، وكان ثقةً أمينًا، كما قال البَرْقانىُّ، وكان يَسْتَرْزِقُ مِن الوِرَاقةِ - وهو النَّسْخُ - يقالُ: إنه كان يَكْتُبُ دِيوانَ المُتَنَبِّى فى ثلاثِ ليالٍ، فيَبِيعُه بمائتَىْ درهمٍ. ولما تُوُفِّى أخَذ السلطانُ مِن تَرِكتِه ألفَ دينارٍ سوى الأمْلاكِ، وكان قد أوْصَى بثلثِ مالِه فى نَفَقَةِ الحَنابلةِ، فلم يُصْرَفْ ذلك.

لُطْفُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عيسى، أبو الفضلِ الهاشمىُّ[6]، ولِى القَضاءَ

= وانظر الحاشية السابقة.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أنجب: أى صار نجيبًا وبرع فيه.

(٣) فى الأصل، ص: «الخامس عشر». والمثبت مما تقدم صفحة ٦٢٧، ومن مصادر ترجمته.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٦، والمنتظم ١٥/ ٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢١٧، والوافى بالوفيات ١٢/ ٥٥.

(٥ - ٥) فى تاريخ بغداد والمنتظم: «ابن مالك القطيعى». وفى سير أعلام النبلاء: «أبى بكر القطيعى». وفى تاريخ الإسلام: «أحمد بن جعفر القطيعى». ولم يُذكر ذلك فى طبقات الحنابلة والوافى. وهذه الأسماء الأربعة لشخص واحد؛ هو أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادى القطيعى الحنبلى. انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٠.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ١٩، والمنتظم ١٥/ ٢٥٨.

والخِطابةَ بدَرْزِيجانَ[1] ، وكان ذا لسانٍ ، وقد أضَرَّ فى آخرِ عمرِه ، وكان يَرْوِى حِكاياتٍ وأناشيدَ مِن حفظِه ، وتُوُفِّى فى صفرٍ منها .

محمدُ بنُ أحمدَ[2] بنِ محمدِ[3] بنِ أبى موسى [4]عيسى بنِ أحمدَ بنِ موسى[5] بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدِ بنِ العباسِ[4] بنِ عبدِ المطلبِ ، [6]أبو علىٍّ الهاشمىُّ ، القاضى ، أحدُ أئمةِ الحنابلةِ .

محمدُ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ موسى ، أبو الحسنِ الأهْوازىُّ[7] ، ويُعْرَفُ بابنِ[6] أبى علىٍّ الأصْبَهانىِّ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وأربعين وثلاثِمائةٍ ، وقدِم بغدادَ ، وخرَّج له أبو الحسنِ النُّعَيْمىُّ أجْزاءً مِن حديثِه ، فسمِع منه البَرْقانىُّ ، إلا أنه بان كذبُه ، حتى كان بعضُهم يُسَمِّيه جِرابَ الكذبِ . أقام ببغدادَ سبعَ سنين ، ثم عاد إلى الأهْوازِ ، فمات بها فى هذه السنةِ .

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « بدرب ريحان » . وفى مصدرى ترجمته : « بدرزنجان » . والمثبت من معجم البلدان ٢/ ٥٦٧؛ قال ياقوت - بتصرف - : درزيجان : بفتح أوله وسكون ثانيه وزاى مكسورة وياء مثناة من تحت وجيم وآخره نون ؛ قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربى ، منها كان والد أبى بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادى ، وكان أبوه يخطب بها ، ورأيتُها أنا . أصلها درزيندان فعُرِّبت على درزيجان .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٤، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٢، والمنتظم ١٥/ ٢٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٤٠.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « على » . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم ، وقد ورد اسمه فى المصدرين الآخرين مختصرًا .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى الأصل : « بن محمد بن موسى » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) تاريخ بغداد ٢/ ٢١٨، والأنساب ١/ ٢٣٢، والمنتظم ١٥/ ٢٥٩، وكنيته عنده «أبو الحسن» ، وميزان الاعتدال ٣/ ٥١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٤٢.

[٩/ ١٥٢و] **مِهْيارُ الدَّيْلمىُّ الشاعرُ، مِهْيارُ بنُ مَرْزَوَيْهِ، أبو الحسنِ**[١] الكاتبُ الفارسىُّ، ويقالُ له: الدَّيْلَمىُّ. كان مَجُوسِيًّا فأسْلَم، إلا أنه سلَك سبيلَ الرافضةِ، فكان يَنْظِمُ الشعرَ القوىَّ الفَحْلَ فى شىءٍ من مَذَاهِبِهم مِن سبِّ الصَّحابةِ وغيرِ ذلك، حتى قال له أبو القاسمِ بنُ بَرْهانَ: يا مِهْيارُ، انْتَقَلْتَ مِن زاويةٍ فى النارِ إلى زاويةٍ أخرى؛ كنتَ مجوسِيًّا، فأسْلَمْتَ فصِرْتَ تَسُبُّ الصحابةَ. وقد كان منزلُه بدرْبِ رَباحٍ مِن الكَرْخِ، وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ مشهورٌ، فمنه قولُه[٢]:

أَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ فيكمْ وهْو مَغْلوبُ ... وأَسأَلُ النَّومَ عنكم وهْو مَسْلوبُ
وأَبْتَغِى عندَكمْ قلبًا سمَحْتُ به ... وكيف يَرْجِعُ شىءٌ وهْو مَوْهوبُ
ما كنتُ أَعْرِفُ ما مِقْدارُ وَصْلِكمُ ... حتى هجَرْتُمْ وبعضُ الهَجْرِ تَأْديبُ

ولمهيارَ أيضًا قولُه:

أجارَتَنا[٣] بالغَوْرِ والرَّكْبُ مُتْهِمُ ... أيَعْلَمُ خالٍ كيف بات المُتَيَّمُ
رحَلْتمُ وعمرُ الليلِ فينا وفيكمُ ... سواءٌ ولكن ساهِرون ونُوَّمُ
بنا أنتمُ مِنْ ظاعِنِين وخَلَّفوا ... قلوبًا أبَتْ أن تَعْرِفَ الصبرَ عنهمُ
ولما جلا التوديعُ عمَّا حَذِرْتُه ... ولم يَبْقَ إلا نَظْرةٌ تُتَغَنَّمُ
بكَيْتُ على الوادى فحرَّمْتُ ماءَه ... وكيف يَحِلُّ الماءُ أكثرُه دمُ

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦، ودمية القصر ١/ ٢١٨ لأبى الحسن الباخرزى، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٨/ ٥٤٩، والمنتظم ١٥/ ٢٦٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٤٦.

(٢) انظر المنتظم ١٥/ ٢٦٠، ٢٦١. وهى فى ديوانه ١/ ٢٤، ٣/ ٣٤٤.

(٣) فى مصدرى التخريج: «أجيراننا».

قال ابنُ الجوزىِّ[1] : ولما كان شعرُه كلُّه جيدًا اقْتَصَرْتُ منه على هذا القَدْرِ .

وكانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ .

هِبةُ اللَّهِ بنُ الحسنِ ، أبو الحسينِ المعروفُ بالحاجبِ[2] ، كان مِن أهلِ الفضلِ والأدبِ والتدَيُّنِ ، وله شعرٌ حسنٌ ، فمنه قولُه[3] :

يا ليلةً سلَك الزما ... نُ بطِيبِها فى كلِّ مَسْلَكْ
إذْ أرْتَعِى[4] رَوْضَ المسرَّ ... ةِ مُدْرِكًا ما ليس يُدْرَكْ
والبَدْرُ قد فَضَح الظلا ... مَ فسِتْرُه فيه مُهَتَّكْ
وكأنَّما زُهْرُ النُّجو ... مِ بلَمْعِها شُعَلٌ تُحَرَّكْ
والغَيْمُ أحيانًا يَلو ... حُ كأنه ثوبٌ مُمَسَّكْ
وكأنَّ تَجْعيدَ الريا ... حِ لدجلةٍ ثوبٌ مُفَرَّكْ
وكأنَّ نَشْرَ المِسْكِ يَنْـ ... ـفَحُ فى النَّسيمِ إذا تَحرَّكْ
وكأنما المنثورُ مُصْـ ... ـفَرَّ الذُّرا ذهبٌ مُشَبَّكْ
[٩/١٥٢ظ] والنَّوْرُ يَبْسِمُ فى الرِّيا ... ضِ فإنْ نَظَرْتَ إليه سَرَّكْ
شارطتُ نَفْسِىَ أنْ أقُو ... مَ بحقِّها والشَّرْطُ أمْلَكْ
حتى تولَّى الليلُ مُنْـ ... ـهَزِمًا وجاء الصبحُ يَضْحَكْ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦١.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٧١، ونزهة الألباء ص ٣٤٨، والمنتظم ١٥/ ٢٦١، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٧١، وإنباه الرواة ٣/ ٣٥٨. وفى معجم الأدباء والإنباه كنيته «أبو الحسن».

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٧١، ٧٢، ونزهة الألباء ص ٣٤٨، ٣٤٩، والمنتظم ١٥/ ٢٦١، ٢٦٢، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٧١، ٢٧٢، وإنباه الرواة ٣/ ٣٥٩.

(٤) فى الأصل : «يزتعى» ، وفى م : «ترتقى» ، وفى ص : «يرتعى» . والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم . وفى بقية المصادر : «أرتقى» .

واهِ الفتى لو أنه في (١ظِلِّ طِيبِ١) العَيْشِ يُتْرَكْ
والدهرُ يَحْسُبُ عُمرَه فإذا أتاه الشيبُ فَذْلَكْ[٢]

[٣]وكانت وفاتُه في رمضانَ من هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالَى[٣].

أبو عليٍّ بنُ سِينا، الطَّبِيبُ الفَيْلَسوفُ، الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سِينا[٤] الشيخُ الرئيسُ الذى كان نادرةً فى زمانِه، كان أبوه مِن أهلِ بَلْخَ، وانْتَقَل إلى بُخارَى، واشْتَغل بها ابنُ سينا، فقرَأ القُرآنَ وأتقنَ علومَه وهو ابنُ عشْرٍ، وأتْقَن الحسابَ والجَبْرَ والمُقابلةَ و«إقْليدِسَ» و«المَجَسْطِى»[٥]، ثم اشْتَغل على أبى عبدِ اللَّهِ الناتِلِىِّ[٦] الحكيمِ، فبرَع فيه، وفاق أهلَ زمانِه، وتردَّد الناسُ إليه، واشْتَغلوا عليه، وهو ابنُ ستَّ عشْرةَ سنةً، وقد عالَج بعضَ الملوكِ السَّامانيةِ، وهو الأميرُ نوحُ بنُ نصرٍ، فأعْطاه جائزةً سَنِيةً، وحكَّمه فى خِزانةِ كتبِه، فرأَى فيها مِن العَجائبِ، فيقالُ[٧]: إنه عزا بعضَ تلك الكتبِ إلى نفسِه. وله فى الإلَهِيَّاتِ والطَّبيعياتِ كتبٌ كثيرةٌ.

(١ - ١) فى الأصل، ص: طيب ظل، وفى م: «طيب». والمثبت من مصادر التخريج.
(٢) فذلك الحساب: أنهاه وفرغ منه؛ وهى منعوتة من قوله: فذلك كذا وكذا إذا أجمل حسابه. الوسيط (فذلك).
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٣٧، ووفيات الأعيان ٢/١٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢١٨، والوافى بالوفيات ١٢/٣٩١، والجواهر المضية ٢/٦٣ وعنده «الحسن» بدل «الحسين»، ولسان الميزان ٢/٢٩١، وخزانة الأدب ١١/ ١٦٥.
(٥) إقليدس: المراد به كتاب إقليدس. والمجسطى: اسم لعلم الهيئة، وبه سمى الكتاب الذى وضعه بطليموس الحكيم وعُرِّب فى زمن المأمون. انظر تاج العروس (قلدس)، (مجسط).
(٦) فى الأصل، ص: «النوفلى». وفى عيون الأنباء: «الناتلى». والمثبت من م موافق لما فى وفيات الأعيان وتاريخ الإسلام ولسان الميزان وخزانة الأدب. ولم تتعرض باقى المصادر لذكره.
(٧) انظر وفيات الأعيان ٢/ ١٥٨.

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : له نحوٌ مِن مائةِ مُصَنَّفٍ ؛ صِغارٍ وكبارٍ ، منها « القانونُ » ، و « الشِّفاء » ، و « النَّجاةُ » ، و « الإشاراتُ » ، و « سلامانُ وإبْسالُ » ، و « حيُّ بنُ يَقْظانَ » ، وغيرُ ذلك . قال : وكان مِن فَلاسفةِ الإسلامِ . ثم أوْرَد له مِن الأشعارِ قصيدتَه التى يَقولُ فيها :

هبَطَتْ إليك مِن المحلِّ الأرْفَعِ ... وَرْقاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتَمَنُّعِ
مَحْجوبةٌ عن كلِّ مُقْلَةِ عارفٍ ... وهى التى سفَرَت فلم تَتَبَرْقَعِ
وصَلَتْ على كُرْهٍ إليك وربما ... كرِهَتْ فِراقَك وهْى ذاتُ تَفَجُّعِ

وهى طويلةٌ . وقولَه أيضًا[2] :

اجْعَلْ غِذاءَك كلَّ يومٍ مرةً ... واحْذَرْ طَعامًا قبلَ هَضْمِ طعامِ
واحْفَظْ مَنِيَّك ما اسْتَطَعْتَ فإنه ... ماءُ الحياةِ يُراقُ[3] فى الأرْحامِ

وذكَر[2] أنه مات بالقُولَنْجِ فى هَمَذانَ . وقيل : بأصْبَهانَ . والأولُ أصحُّ . يومَ الجمعةِ فى شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وعشرين وأربعِمائةٍ ، عن ثمانٍ وخمسين سنةً . قلتُ : وقد لَخَّص الغَزّالىُّ كلامَه فى « مَقاصدِ الفَلاسِفةِ » ، ثم ردَّ عليه فى « تَهافُتِ الفَلاسِفةِ » فى عشرين مسألةً ، كفَّره [٩/١٥٣و] فى ثلاثِ مسائلَ منهن ؛ وهى قولُه بقِدَمِ العالمِ ، وعدمِ المَعادِ الجُسْمانىِّ ، وأن اللَّهَ لا يَعْلَمُ الجُزْئياتِ ، وبدَّعه فى البَواقى ، ويُقالُ : إنه تاب عندَ الموتِ . فاللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٦٠.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٦١.
(٣) فى الأصل ، ص : « يصب » .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وعشرين وأربعِمائةٍ

فيها[1] بُدُوُّ مُلْكِ السَّلاجِقةِ.

وفيها اسْتَوْلى رُكْنُ الدولةِ أبو طالبٍ طُغْرُلْبَك محمدُ بنُ مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ على نَيْسابورَ، وجلَس على سَريرِ مُلْكِها، وبعَث أخاه داودَ إلى سائرِ بلادِ خُراسانَ، فملَكها وانْتَزعها مِن نُوَّابِ الملكِ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين.

وفيها قَتْلُ جيشِ المِصريين لصاحبِ حَلَبَ، وهو شِبْلُ الدولةِ نصرُ بنُ صالحِ ابنِ مِرْداسٍ، واسْتَوْلَوا على حلبَ وأعمالِها.

وفيها سأَل جَلالُ الدولةِ الخليفةَ أن يُلَقَّبَ بملكِ الدولةِ، فأجابه إلى ذلك بعدَ تَمَنُّعٍ.

وفيها اسْتَدْعى الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ القُضاةَ والفُقهاءَ، وأحْضَر جاثَلِيقَ[2] النَّصارَى ورأسَ جالوتِ اليهودِ، وأُلْزِموا بالغيارِ[3].

وفى رمضانَ لُقِّب جَلالُ الدولةِ شاهِنْشاه الأعظمَ ملكَ الملوكِ بأمرِ الخليفةِ، وخُطِب بذلك على المَنابرِ، فنفَرَت العامَّةُ مِن ذلك، ورَمَوُا الخُطباءَ بالآجُرِّ، ووقَعَت فتنةٌ بسببِ ذلك، واستُفْتِى الفقهاءُ فى ذلك، فأفْتَى أبو عبدِ اللَّهِ

---

(١) المنتظم ١٥/٢٦٣ - ٢٦٦، والكامل ٩/٤٥٧ - ٤٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٤٠، ٤١.

(٢) الجاثليق عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية: مقدم الأساقفة.

(٣) الغيار: علامة أهل الذمة، كالزُّنّار للمجوسى ونحوه يشده على وسطه. الوسيط (غ ى ر).

الصَّيْمَرىُّ أن هذه الأسماءَ يُعْتَبَرُ فيها القصدُ والنيةُ ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة : ٢٤٧] . وقال : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهف : ٧٩] وإذا كان فى الأرض ملوكٌ جاز أن يَكونَ بعضُهم فوقَ بعضٍ ؛ (١) لتفاضلِهم فى القوةِ والإمكانِ ، وجاز أن يكون بعضُهم (١) أعْظمَ مِن بعضٍ ، وليس فى ذلك ما يُوجِبُ التَّكَبُّرَ ولا المُماثَلةَ بينَ الخالقِ والمخلوقين . وكتَب القاضى أبو الطيبِ الطَّبَرىُّ : إن إطلاقَ ملكِ الملوكِ جائزٌ ، ويَكونُ معناه ملكَ مُلوكِ الأرضِ ، وإذا جاز أن يقالَ : كافى الكُفاةِ وقاضى القُضاةِ . جاز ملكُ الملوكِ . وإذا كان فى اللفظِ ما يَدُلُّ على أن المرادَ به مُلوكُ الأرضِ زالت الشُّبْهةُ ، ومنه قولُهم : اللهم أَصْلِحِ المَلِكَ . فيُصْرَفُ الكلامُ إلى المخلوقين ، وكتَب التَّمِيمىُّ الحَنْبلىُّ نحوَ ذلك أيضًا ، وأما القاضى الماوَرْدِىُّ صاحبُ « الحاوِى الكبيرِ » فَنُقِل عنه أنه أجاز ذلك أيضًا ، والمشهورُ عنه ما نقَله ابنُ الجوزىِّ (٢) والشيخُ أبو عمرٍو (٣) ابنُ الصَّلاحِ فى « أدبِ المُفْتِى » أنه منَع مِن ذلك ، وأصَرَّ على المنعِ ، مع صُحْبتِه للملكِ جَلالِ الدولةِ ، وكَثْرةِ تَرْدادِه إليه ، ووَجاهتِه عندَه ، وأنه امْتَنَع مِن الحُضورِ فى مجلسِه حتى اسْتَدْعاه جَلالُ الدولةِ فى يومِ عيدٍ ، فلما دخَل عليه ، دخَل وهو وَجِلٌ خائفٌ أن يُوقِعَ به مكروهًا ، فلما واجَهَه قال له : قد علِمْتُ أنه إنما منَعَك [٩/١٥٣ظ] مِن مُوافقةِ الذين جوَّزوا ذلك ، مع صُحْبتِك إياى ووَجاهتِك عندى ، دينُك واتِّباعُك الحقَّ ، ولو حابَيْتَ أحدًا مِن الناسِ لحابَيْتَنى ، وقد زادك ذلك

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٦٥. وانظر طبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٧١ .

(٣) فى م : « منصور » ، وهو تقى الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزورى الشافعى المتوفى ٦٤٣هـ . وكتابه : أدب المفتى والمستفتى . انظر كشف الظنون ١/ ٤٨. وانظر أدب الفتوى - الاسم الذى طبع به الكتاب - ص ٦٢.

عندى محَبةً ومَكانةً .

قلتُ : والذى صار إليه القاضى الماوَرْدِىُّ من المنعِ من ذلك هو السنةُ التى ورَدَت بها الأحاديثُ الصَّحيحةُ مِن غيرِ وجهٍ ؛ قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ فى « مسندِه »[1] : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « أخْنَعُ اسمٍ عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ رجلٌ تسَمَّى بملكِ الأمْلاكِ » قال أحمدُ : سألْتُ أبا عمرٍو الشَّيْبانىَّ عن « أخْنَعُ اسمٍ » قال : أوْضَعُ . وقد رواه البخارىُّ[2] عن علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، وأخْرَجه مسلمٌ[3] مِن طريقِ هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « أغيظُ رجلٍ على اللَّهِ يومَ القيامةِ وأخْبثُه رجلٌ تسَمَّى بملكِ الأمْلاكِ ، لا مَلِكَ إلا [4]اللَّهُ عز وجل[4] » . وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا عَوْفٌ ، عن خِلَاسٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْتَدَّ غضبُ اللَّهِ على مَن قتَله نبيُّه ، واشْتَدَّ غضَبُ اللَّهِ على رجلٍ تسَمَّى بملكِ الأمْلاكِ ، لا ملكَ إلا اللَّهُ عز وجل » ، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الثَّعالبىُّ ، صاحبُ « يَتِيمةِ الدَّهْرِ » أبو منصورٍ عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ

---

(١) المسند ٢/ ٢٤٤. (إسناده صحيح) . وقد تقدم تخريجه على صحيحى البخارى ومسلم فى صفحة ٤١٦.

(٢) البخارى (٦٢٠٦) .

(٣) مسلم ٢١/ ٢١٤٣.

(٤ - ٤) فى ص : « للَّه تبارك وتعالى » . والمثبت هو لفظ الحديث فى مسلم (٢٠/٢١٤٣) ولكن رواية ابن أبى شيبة عن سفيان بن عيينة به ، وفيها : « مالك » بدل « ملك » .

(٥) المسند ٢/ ٤٩٢.

إسماعيلَ الثَّعالبيُّ النَّيْسابوريُّ[1] ، كان إمامًا فى اللغةِ والأخبارِ وأيامِ الناسِ ، بارعًا مُفيدًا ، له التَّصانيفُ الكِبارُ فى النَّظْمِ والنَّثْرِ والبَلاغةِ والفَصاحةِ ، وأكبرُ كتبِه « يَتيمةُ الدهرِ فى مَحاسِنِ أهلِ العصرِ » . وفيها يقولُ بعضُهم[2] :

أبياتُ أشعارِ اليتيمهْ ... أبكارُ أفكارٍ قديمهْ
ماتوا وعاشَت بعدَهم ... فلذاك سُمِّيَت اليَتِيمهْ

وإنَّما سُمِّى الثَّعالبيَّ ؛ لأنه كان فرَّاءً[3] يَخِيطُ جلودَ الثَّعالبِ ، وله أشعارٌ كثيرةٌ مَليحةٌ ، وُلِد سنةَ خمسين وثلاثِمائةٍ ، ومات فى هذه السنةِ .

الأستاذُ أبو منصورٍ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغدادىُّ ، الفَقيهُ الشافعىُّ[4] ، أحدُ الأئمةِ فى الأصولِ والفروعِ ، وكان ماهرًا فى فُنونٍ كثيرةٍ ، منها علمُ الحسابِ والفَرائضِ ، وكان ذا مالٍ وثَرْوةٍ ، أنْفَقه كلَّه على أهلِ العلمِ ، وصنَّف فى العلومِ ، ودرَّس فى سبعةَ عشَرَ علمًا ، وكان اشْتغالُه على الأستاذِ أبى إسحاقَ الإسْفَراييِنىِّ ، وأخَذ [٩/ ١٥٤و] عنه ناصرٌ المَرْوَزىُّ وغيرُه .

---

(١) دمية القصر ٢/ ٢٢٨، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ٨/ ٥٦٠، وعنده : « عبد الملك بن إسماعيل » ، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٧ ووفاته عنده سنة ثلاثين ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٦٦، ٢٩١، فى سنتى تسع وعشرين وثلاثين على التوالى ، وصحح وفاته فى سنة ثلاثين .

(٢) انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٨٠.

(٣) فى م : « رفاء » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٣ وعنده « عبد القاهر بن محمد » ، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٦٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٣٦.

ثم دخلت سنة ثلاثين
وأربعمائة من الهجرة النبوية

فيها[1] الْتَقَى الملكُ مسعودُ بنُ محمودِ بنُ سُبُكْتِكِين والملكُ طُغْرُلْبَك السَّلْجوقىُّ ومعه أخوه داودُ فى شعبانَ ، فهزمَهما مسعودٌ ، وقتَل مِن أصحابِهما خلقًا كثيرًا .

وفى هذه السنةِ خطَبَ شَبيبُ بنُ وثَّابٍ للقائمِ بأمرِ اللَّهِ بحَرَّانَ والرَّقَّةِ[2] وقطَع خُطبةَ المستنصِرِ العُبَيدىِّ .

وفيها خُوطِب أبو منصورِ بنُ جَلالِ الدولةِ بالملكِ العزيزِ ، وهو مُقيمٌ بواسِطٍ ، وهذا العزيزُ هو الذى كان آخِرَ مَن تملَّك مِن بنى بُوَيْهِ ببغدادَ ، لمّا طغَوْا وبغَوْا وتمرَّدوا وتسمَّوا بملكِ الأملاكِ ، وهو اسمٌ يُبْغِضُه اللَّهُ ، فسلَبهم ما كان أنْعَم به عليهم ، وجعَل المُلْكَ إلى غيرِهم ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

وفيها خلَع الخليفةُ على قاضى القضاةِ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ ماكُولَا خِلْعةَ تَشْريفٍ .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦٧، ٢٦٨، والكامل ٩/ ٤٦٢ - ٤٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٤٢، ٤٣.

(٢) فى م، ص: «الرحبة».

وفيها وقَع ثلجٌ عظيمٌ ببغدادَ مِقْدارَ شِبْرٍ على الأسطحةِ حتى جرفَه الناسُ.

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1]: وفى جُمادَى الآخرةِ مَلَك بنوسَلْجُوقَ بلادَ خُراسانَ والجبلَ، وتقَسَّموا الأطْرافَ، وهو أولُ مُلكِ السَّلْجُوقيةِ.

ولم يَحُجَّ أحدٌ فى هذه السنةِ مِن أهلِ العراقِ وخُراسانَ، ولا مِن الشامِ ومصرَ إلا القليلُ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحافظُ أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانىُّ، أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ موسى بنِ مِهْرانَ، أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانىُّ[2]، الحافظُ الكبيرُ ذو التَّصانيفِ المُفيدةِ الكثيرةِ الشَّهيرةِ، من ذلك «حِلْيةُ الأوْلياءِ» فى مُجَلَّداتٍ كثيرةٍ، دلَّت على اتِّساعِ رِوايتِه، وكثرةِ مَشايخِه، وقوةِ اطِّلاعِه على مَخارجِ الأحاديثِ، وتَشَعُّبِ طرقِها، وله «مُعْجَمُ الصَّحابةِ»، وهو عندى بخطِّه، وله «صفةُ الجنةِ»، [3]و«دلائلُ النبوة»[3]، وكتابٌ فى الطِّبِّ، وغيرُ ذلك مِن المصنَّفاتِ المفيدةِ.

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البَغْدادىُّ[4]: كان أبو نُعَيْمٍ يَخْلِطُ المَسْموعَ له بالمُجازِ، ولا يُوَضِّحُ أحدَهما مِن الآخَرِ.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦٧.

(٢) تبيين كذب المفترى ٢٤٦، والمنتظم ١٥/ ٢٦٨، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ١/ ٧٣، والكامل ٩/ ٤٦٦، ووفيات الأعيان ١/ ٩١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ١٨.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) المنتظم ١٥/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦٠.

وقال عبدُ العزيزِ النَّخْشَبىُّ[1] : لم يَسْمَعْ أبو نُعَيْم « مسندَ الحارثِ بنِ أبى أسامةَ » مِن أبى بكرِ بنِ خَلَّادٍ بتَمامِه ، فحدَّث به كلِّه .

وقال الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزىِّ[1] : سمِع الكثيرَ ، وصنَّف الكثيرَ ، وكان يَميلُ إلى مذهبِ الأشْعرىِّ مَيْلًا كثيرًا . وكانت وفاتُه فى الثامن عشرَ[2] مِن المُحَرَّمِ منها ، عن أربعٍ وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ ؛ [٩/ ١٥٤ظ] لأنه وُلِد فيما ذكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] فى سنةِ ستٍّ وثلاثين وثلاثِمائةٍ ، قال : وله « تاريخُ أصْبَهانَ » . وذكَر أبو نُعَيمٍ[4] فى ترجمةِ والدِه أن مِهْرانَ أسْلَمَ ، وأن ولاءَهم لعبدِ اللَّهِ بنِ مُعاويةَ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ . وذكَر أن معنى أصْبَهانَ - وأصلُه بالفارسيةِ سباهان - أىْ مَجْمعُ العَسَاكرِ ، وأن إسْكَنْدَرَ بناها ، قاله السَّمْعَانىُّ[5] .

الحسنُ بنُ الحسينِ ، أبو علىٍّ الرُّخَّجِىُّ[6] ، وزَر لشرفِ الدولةِ بنِ علىِّ بنِ بهاءِ الدولةِ سنتين ثم عُزِل ، وكان عظيمَ الجاهِ فى زمانِ عطلتِه ، وهو الذى بنَى المارَسْتانَ بواسِطٍ ، ورتَّب فيه الأشْرِبةَ والأطِبَّاءَ والأدْويةَ وغيرَ ذلك مما يحتاجُ إليه ، ووقَف عليه كِفايتَه ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد قارَب الثمانين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الحسنُ بنُ حفصٍ ، أبو الفتوحِ العلوىُّ ، أميرُ مكةَ[7] .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦٨.
(٢) فى م : « والعشرين » .
(٣) وفيات الأعيان ١/ ٩٢.
(٤) انظر ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٩٣.
(٥) الأنساب ١/ ١٧٥.
(٦) فى م : « البرجمى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٥/ ٢٦٩.
(٧) المنتظم ١٥/ ٢٦٩، والكامل ٩/ ٤٦٦.

الحسينُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ ، أبو[1] **عبدِ اللَّهِ المؤَدِّبُ ، وهو** [2]**أخو أبى**[2] **محمدٍ ، الخَلَّالُ** ، سمِع « صحيحَ البُخاريِّ » مِن إسماعيلَ بنِ محمدٍ الكُشْمَيهَنِيِّ ، وسمِع غيرَه . تُوُفِّى فى جُمادَى الأولى ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ بِشْرانَ[3] بنِ مِهْرانَ ، أبو القاسمِ الواعِظُ ، سمِع النَّجَّادَ ودَعْلَجَ بنَ أحمدَ والآجُرِّيَّ وغيرَهم ، وكان ثقةً صَدوقًا ، وكان يَشْهَدُ عندَ الحكامِ ، فترَك ذلك رَغْبةً عنه ، ومات فى ربيعٍ الآخِرِ من هذه السنةِ وقد جاوَز التسعين ، وصُلِّى عليه فى جامعِ الرُّصافةِ ، وكان الجَمْعُ حافلًا ، ودُفِن إلى جانبِ أبى طالبٍ المكيِّ ، وكان أوْصَى بذلك .

محمدُ بنُ الحسينِ بنِ خلفِ بنِ الفَرَّاءِ ، [4]**أبو خازمٍ**[4] أخو القاضى أبى يَعْلَى ، الحَنْبلىُّ ، سمِع الدارَقُطْنىَّ وابنَ شاهِينَ . قال الخطيبُ[5] : كان لا بأسَ به ، ورأيْتُ له أُصولًا سَماعُه فيها ، ثم بلَغَنا أنه خلَط فى الحديثِ بمصرَ ، واشْتَرَى مِن الوَرَّاقِين صُحُفًا فروَى منها ، وكان يَذْهَبُ إلى الاعْتزالِ . وكانت وفاتُه فى المحرَّم مِن هذه السنةِ بتِنِّيسَ مِن بلادِ مصرَ .

---

(١) فى النسخ : « بن » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٨/ ١٠٨، والمنتظم ١٥/ ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٨٦.

(٢ - ٢) فى النسخ : « أبو » . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر ترجمة أخيه أبى محمد الحسن بن محمد فى تاريخ بغداد ٧/ ٤٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩٣.

(٣) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٢، والمنتظم ١٥/ ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٩٠، والعبر ٣/ ١٧١.

(٤ - ٤) فى النسخ : « حازم » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ دمشق ١٥/ ٢٥٩ مخطوط ، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٥٢، والمنتظم ١٥/ ٢٧١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٩٥.

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٢.

محمدُ بنُ [1] **عبيدِ اللَّهِ** [1] أبو بكرٍ الدِّينَوَرِىُّ الزاهدُ، كان خشِنَ [2] العيشِ، وكان ابنُ القَزْوِينىِّ يُثْنِى عليه، وكان جَلالُ الدَّولةِ صاحبُ بغدادَ يَزُورُه، وقد سأَله مرةً أن يُطْلِقَ للناسِ مَكْسَ المِلْحِ [3]، وكان فى السنةِ أَلْفى دينارٍ، فترَكه مِن أجْلِه، ولما تُوُفِّى اجْتَمَع أهلُ البلدِ لجِنازتِه، وصُلِّى عليه مراتٍ، ودُفِن ببابِ حربٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الفضلُ بنُ منصورٍ، أبو الرِّضَا، ويُعْرَفُ بابنِ الظَّريفِ [4]، وكان شاعرًا ظَريفًا، ومن شعرِه الفائقِ ونَظْمِه الرائقِ قولُه:

[٩/ ١٥٥و] يا قالَةَ الشعرِ قد نصَحْتُ لكم ... ولستُ أُدْهَى إلا مِن النُّصْحِ
قد ذهَب الدهرُ بالكِرامِ وفى ... ذاك أُمورٌ طويلةُ الشَّرْحِ
وتَطْلُبون النَّوَالَ مِن رجلٍ ... قد طُبِعَت نفسُه على الشُّحِّ
وأنتمُ تَمْدَحون بالحُسْنِ والـ ... ـظَّرْفِ وُجوهًا فى غايةِ القُبْحِ
مِن أجلِ ذا تُحْرَمونَ رِزقَكمُ ... لأنكمْ تَكْذِبون فى المَدْحِ
صُونوا القَوافى فما أَرَى أحدًا ... يَغْترُّ فيه الرَّجَاءُ بالنُّجْحِ
فإن شكَكْتمْ فيما أَقولُ لكمْ ... فكذِّبونى بواحدٍ سَمْحِ

هِبةُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ جعفرٍ، أبو القاسمِ بنُ ماكُولَا [4]، وزَر لجَلالِ الدولةِ مِرارًا، وكان حافظًا للقرآنِ، عارفًا بالشِّعرِ والأَخْبارِ، خُنِق بهِيتَ [5] فى جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ.

(١ - ١) فى م، ص: «عبد اللَّه»، والمثبت موافق لما فى المنتظم ١٥/ ٢٧١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٩٦، ٢٩٧. وفيه «محمد بن على».

(٢) فى م، ص، والمنتظم: «حسن». وهو تصحيف، وانظر تاريخ الإسلام الموضع السابق.

(٣) فى ص: «الثلج». وانظر المنتظم الموضع السابق.

(٤) المنتظم ١٥/ ٢٧٢، والكامل ٩/ ٤٦٦.

(٥) هيت: بلدة على الفرات من نواحى بغداد. معجم البلدان ٤/ ٩٩٧.

أبو زيدٍ الدَّبُوسيُّ ، عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ[1] **بنِ عيسى** ، الفَقِيهُ الحَنَفيُّ ، أوَّلُ مَن وضَع علمَ الخلافِ ، وأبْرَزَه إلى الوُجودِ . قاله ابنُ خَلِّكانَ[2] ، قال : وكان يُضْرَبُ به المَثَلُ ، والدَّبُوسيُّ : نِسبةٌ إلى قريةٍ مِن أعمالِ بُخارَى . قال : وله كتابُ « الأسْرارِ » و « تَقْويمِ الأدلةِ » . وغيرُ ذلك مِن التَّصانيفِ والتَّعاليقِ . قال : ورُوِى أنه ناظَر الفقهاءَ فبقِى بعضُهم كلما ألْزَمه أبو زيدٍ إلزامًا تبَسَّم أو ضحِك ، فأنْشَد أبو زيدٍ :

ما لى إذا ألْزَمْتُه حُجَّةً ... قابَلَنى بالضِّحْكِ والقَهْقَهَهْ
إن كان ضِحْكُ المَرْءِ مِن فِقْهِه ... فالدُّبُّ فى الصَّحْراءِ ما أفْقَهَهْ

الحَوْفيُّ[3] **صاحبُ « إعْرابِ القرآنِ » أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدِ ابنِ يوسُفَ الحَوْفيُّ النَّحْويُّ** ، له كتابٌ فى النَّحوِ كبيرٌ ، و « إعرابُ القرآنِ » فى عشْرِ مُجَلَّداتٍ ، وله « تَفْسيرُ القرآنِ » أيضًا ، وكان إمامًا فى العربيةِ والنحوِ والأدبِ ، وله تَصانيفُ كثيرةٌ انْتَفَع الناسُ بها ، قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : والحَوْفيُّ : نِسبةٌ إلى ناحيةٍ بمصرَ يقالُ لها : الشَّرْقيَّةُ . وقَصَبَتُها مدينةُ بُلْبَيْسَ ، فجميعُ ريفِها يُسَمَّوْن الحَوْفَ[5] ، واحدُهم حَوْفيٌّ ، وهو مِن قريةٍ يقالُ لها : شَبْرَا اللنجةِ[6] مِن أعمالِ الشَّرْقِيَّةِ المذكورةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيَّانا بمنِّه ورحمتِه ، آمين .

---

(١) فى ص : « عمرو » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٣/ ٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٨٧ - ٢٨٩، والجواهر المضية ٢/ ٤٩٩.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٨.

(٣) فى الأصل : « الجَوْفى » . وهو تصحيف ، وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٢/ ٢٢١، وإنباه الرواة ٢/ ٢١٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٩٣، وطبقات المفسرين ١/ ٣٨١.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٠.

(٥) فى النسخ : « حوف » . والمثبت من الوفيات .

(٦) فى الأصل، ص : « المليحة » ، وفى م ، وتاج العروس (ش ب ر) : « النخلة » . والمثبت من وفيات الأعيان . وقال محققه كذا - أى اللنجة - بخط المؤلف وضبطه والنسخ . فاللَّه أعلم .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] زادت دِجْلةُ زيادةً عظيمةً بحيث حمَلَت الجِسْرَ ومَن عليه، فألْقَتْهم بأسفلِ البلدِ وسلِموا.

وفيها وقَع بينَ الجُنْدِ وبينَ الملكِ جَلالِ الدولةِ شَغَبٌ، وقُتِل مِن الفريقَيْن [٩/ ١٥٥ظ] خَلْقٌ كثيرٌ، وجرَت شُرورٌ طويلةٌ وفَسادٌ عَريضٌ، واتَّسَع الخَرْقُ على الرَّاقعِ، ونَهبَتْ الأتراكُ دُورَ الناسِ، ولم يَبْقَ للمَلِكِ عندَهم حُرْمةٌ ولا كلمةٌ، وغلَتِ الأسعارُ ببغدادَ جدًّا.

وفيها بعَث الملكُ أبو كاليجارَ وزيرَه العادلَ [2]بنَ مافَنَّةَ[2] إلى البصرةِ، فملَكها له. وفيها زار الملكُ أبو طاهرٍ مشهدَ عليٍّ ومشهدَ الحسينِ، ومشى حافيًا فى بعضِ تلك الزياراتِ، ولم يحجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو عبدِ الرحمنِ الضَّرِيرُ الحِيرىُّ[3]،

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٧٣، ٢٧٤، والكامل ٩/ ٤٦٧ - ٤٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٣١٩.

(٢ - ٢) فى الأصل: «بن نافنه»، وفى ص: «بن بامن». والمثبت من الكامل ٩/ ٤٦٧. وانظر ترجمته الآتية ص ٦٩٦.

(٣) فى م: «الخيرى»، وفى ص: «الحرى»، وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٦/ ٣١٣، والمنتظم ١٥/ ٢٧٤، ومعجم الأدباء ٦/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٢١ - ٤٣٠) ص ٢٨٢، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٤، وطبقات المفسرين ١/ ١٠٤.

مِن أهلِ نَيْسابورَ ، كان مِن أعيانِ الفُضَلاءِ الأذْكياءِ ، والثِّقاتِ الأُمَناءِ ، قدِم بغدادَ حاجًّا فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين وأربعِمائةٍ ، فقرَأ عليه الخطيبُ البغدادىُّ جميعَ « صَحيحِ البُخارىِّ » فى ثلاثَةِ مَجالِسَ بروايتِه عن أبى الهَيْثمِ الكُشْمَيهَنىِّ ، عن الفِرَبْرىِّ ، عن البُخارىِّ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، وقد جاوَز السبعين[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

بُشْرَى الفاتنىُّ[2] وهو بُشْرَى بنُ مَسِيسَ ، مِن سَبْيِ الرومِ ، أهْداه بعضُ أُمراءِ بنى حَمْدانَ لفاتنَ غُلامِ المُطيعِ ، فأدَّبه ، وسمِع الحديثَ عن جَماعةٍ مِن المَشايخِ ، وروَى عنه الخطيبُ ، وقال : كان صَدوقًا صالحًا دَيِّنًا . وكانت وفاتُه يومَ عيدِ الفطرِ ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ يعقوبَ بنِ مَرْوانَ ، أبو العَلاءِ الواسطىُّ[3] ، وأصلُه مِن فَمِ الصِّلْحِ ، سمِع الحديثَ ، وقرَأ القراءاتِ ورَوَاها ، وقد تكَلَّموا فى روايتِه فى القِراءاتِ والحديثِ . فاللَّهُ أعلمُ . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين ، واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) فى م : « التسعين » . وانظر مصادر ترجمته .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ١٣٥، والمنتظم ١٥/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٣٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ١٥٩.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٩٥، والمنتظم ١٥/ ٢٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٥٢، والعبر ٣/ ١٧٥، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٩١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٢٢.

ثم دخَلَت سنةُ ثِنْتين وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] عظُم شأنُ السَّلْجُوقِيةِ، وارْتَفَع شأنُ مَلِكِهم طُغْرُلْبَك محمدٍ وأخيه [2]جَغريبَك[2] داودَ، وهما ابنا مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ بنِ دُقاقَ[3]، وقد كان جدُّهم دُقاقُ[3] هذا مِن مَشايخِ التُّرْكِ القُدَماءِ الذين لهم الرأىُ والمكيدةُ والمكانةُ عند ملكِهم الأعظمِ، ونشَأ [4]ولدُه سَلْجُوقُ[4] نَجِيبًا شَهْمًا، فقدَّمه الملكُ ولقَّبه سُباشى[5]، فأطاعَتْه الجُيوشُ، وانقَادتْ له الناسُ بحيث تخَوَّف منه الملكُ، وأراد قتلَه، فهرَب منه إلى بلادِ المسلمين، فأسْلَم فازْداد عِزًّا وعُلُوًّا، ثم تُوُفِّى عن مائةٍ وسبعِ سنينَ، وخلَّف أرْسَلانَ ومِيكائيلَ وموسى، فأما مِيكائيلُ فإنه اعْتَنى بقتالِ الكفارِ مِن الأتراكِ، حتى قُتِل شَهيدًا، وخلَّف ولديه طُغْرُلْبك محمدًا، وجَغْريبَك داودَ، فعظُم شأنُهما فى بنى عمِّهما، واجْتَمَع عليهما [٩/١٥٦و] التركُ مِن المؤمنين، وهم تركُ الإيمانِ الذين يقالُ لهم اليومَ: تُرْكُمان. وهم السَّلاجِقةُ بنو سَلْجُوقَ جَدِّهم هذا، ففتَحوا بلادَ خُراسانَ بكَمالِها بعدَ موتِ محمودِ بنِ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٧٧، ٢٧٨، والكامل ٩/ ٤٧٣، ٤٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢٠.

(٢ - ٢) سقط من: م. وفى الأصل: «جعفر بك»، وفى ص: «جعفر جر جعرى بك». والمثبت من الكامل ٩/ ٤٧٣. وانظر نهاية الأرب ٢٦/ ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٦.

(٣) فى الأصل، م: «بغاق»، وفى ص: «مغاق». وفى الكامل ٩/ ٤٧٣: «تقاق». والمثبت من وفيات الأعيان ٥/ ٦٣. وانظر نهاية الأرب ٢٦/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٦.

(٤ - ٤) فى ص: «والده إسحاق».

(٥) فى الأصل: «شبائى»، وفى م، ص: «شباسى». والمثبت من الكامل.

سُبُكْتِكِين ، فقد كان يَتَخَوَّفُ منهم الملكُ محمودٌ بعضَ التَّخَوُّفِ ، فلما تُوفِّى وقام ولدُه مسعودٌ من بعدِه قاتَلهم وقاتلوه مِرارًا ، فيَهزِمونه فى أكثرِ المَواقِفِ ، واسْتُكْمِل لهم مُلْكُ خُراسانَ بأسْرِها ، ثم قصَدهم مسعودٌ فى جُنودٍ يَضِيقُ بهم الفَضاءُ فكسَروه فيها ، وكبَسه مرةً داودُ ، فانْهَزم منه مسعودٌ ، فاسْتَحْوذ على حَواصلِه وخيامِه ، وجلَس على سَريرِه ، وفرَّق الغَنائمَ ، ومكَث جيشُه على خيولِهم ثلاثةَ أيامٍ ، لا يَنْزِلون عنها ؛ خوفًا مِن دُهْمةِ العدوِّ ، وبمثلِ هذا الاحتراسِ تمَّ لهم ما رامُوه ، وكمَل جميعُ ما أمَّلوه ، ثم كان مِن سَعادتِهم أن الملكَ مسعودًا توَجَّه نحوَ بلادِ الهندِ ليُشتِّىَ بها ، وترَك مع ولدِه مَوْدودٍ جيشًا كثيفًا بسببِ قتالِ السَّلاجِقةِ ، فلما عبَر الجِسْرَ الذى على سَيْحُونَ نهَبَت جنودُه حَواصلَه ، واجْتَمَعوا على أخيه محمدٍ ، وخلَعوا مسعودًا ، فرجَع إليهم مسعودٌ ، فقاتَلهم فهزَموه وأسَروه ، فقال له أخوه : واللَّهِ لأقاتلنّك على سوءِ صَنيعِك إلىَّ ، ولكن اخْتَرْ لنفسِك أىَّ بلدٍ تكونُ فيه أنت وعِيالُك . فاخْتارَ قَلْعةَ كبرى[1] فكان بها ، ثم إن الملكَ محمدًا جعَل لولدِه أحمدَ الأمرَ من بعدِه ، وبايَع الجيشُ له ، وقد كان فى أحمدَ هَوَجٌ وقلةُ عقلٍ ، فاتَّفَق هو وعمُّهم يوسُفُ بنُ سُبُكْتِكِين على قتلِ مسعودٍ ليَصْفُوَ لهم الأمرُ ، ويَتِمَّ لهم الملكُ ، فسار إليه أحمدُ عن غيرِ علمٍ من أبيه فقتَله ، فلما علِم أبوه غاظه ذلك وعتَب على ابنِه عَتْبًا شديدًا ، وبعَث إلى ابنِ أخِيه يَعْتَذِرُ إليه ، ويُقْسِمُ أنه لم يَعْلَمْ بذلك حتى كان . فكتَب إليه مَوْدودُ بنُ مسعودٍ يقولُ : رزَق اللَّهُ ولدَك المَعْتوهَ عقلًا يَعِيشُ به ، فقد ارْتَكَب أمْرًا عظيمًا ، وأقدَم على إراقةِ دمِ ملكٍ مثلِ والدى ، لَقَّبه أميرُ المؤمنين بسيدِ الملوكِ والسَّلاطينِ ، وستَعْلَمون أىَّ حَتْفٍ تورَّطْتُم وأىَّ شرٍّ تأبَّطْتُم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

---

(١) فى ص : « كذا » ، وفى الكامل : « كيكى » . والمثبت كما فى نسختى الكامل ٩/٤٨٥ حاشية (٥) .

[الشعراء: ٢٢٧] . ثم سار إليهم فى جُنودٍ عظيمةً ، فقاتَلهم فقهرَهم وأسَرهم ، فقتَل عمَّه محمدًا وابنَه أحمدَ وبنى عمِّه كلَّهم ، إلا (١عبدَ الرحيمِ١) وخَلْقًا مِن رءوسِ أُمرائِهم ، وابْتَنَى قريةً هنالك سمَّاها فتحا بادا ، ثم سار إلى غَزْنةَ ، فدخَلها فى شَعْبانَ ، فأظهَر العدلَ وسلَك سيرةَ جدِّه محمودٍ ، فأطاعه الناسُ ، وكتَب إليه أصحابُ الأطرافِ بالانقيادِ والاتِّباعِ ، غيرَ أنه أهْلَك قومَه بيدِه ، وكانَ [٩/ ١٥٦ظ] هذا مِن جملةِ سَعادةِ السَّلاجِقةِ .

وفيها خالف أولادُ حَمَّادٍ على (٢المعزِّ بنِ٢) بادِيسَ صاحبِ إفريقيةَ ، فسار إليهم فحاصَرهم قريبًا مِن سنتين ، ووقَع بإفْرِيقِيَّةَ فى هذه السنةِ غَلاءٌ شديدٌ بسببِ تأَخُّرِ الأمطارِ عنهم .

ووقَع ببغدادَ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ الروافِضِ والسُّنةِ مِن أهلِ الكَرْخِ وأهلِ بابِ البصرةِ ، فقُتِل خلقٌ كثيرٌ مِن الفريقَيْن . ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ وضواحيها .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيَانِ :

محمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ الفضلِ بنِ العبَّاسِ ، أبو يَعْلَى البَصْرىُّ الصُّوفىُّ[٣] ، أذْهَب عمرَه فى السفَرِ والتَّغْريبِ ، وقدِم بغدادَ فى سنةِ ثنتين وثلاثين ، فحدَّث بها عن أبى بكرِ بنِ أبى الحَديدِ الدِّمَشْقىِّ ، وأبى الحسينِ بنِ جُمَيْعٍ الغَسَّانىِّ ، وكان ثقةً صدوقًا أديبًا[٤] حسَنَ الشِّعرِ .

(١ - ١) فى م : « عبد الرحمن » . وانظر الكامل ٩/ ٤٨٨.

(٢ - ٢) فى م : « العزيز » . وانظر المصدر السابق ٩/ ٤٩٢.

(٣) تاريخ دمشق ١٥/٢٣٧ مخطوط ، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٢٠، والمنتظم ١٥/ ٢٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٦٩.

(٤) فى م : « دينا » ، وفى ص : « أمينا » . وانظر المنتظم ١٥/ ٢٧٨.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وثَلاثِين وأربَعِمائةٍ

فيها[1] ملَك طُغْرُلْبَك جُرْجانَ وطبَرِسْتانَ ، ثم عاد إلى نَيْسابورَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا .

وفيها وَلِيَ [2]ظَهيرُ الدَّولةِ[2] أبو منصورِ بنُ علاءِ الدولةِ أبى جعفرِ بنِ كاكوَيْهِ[3] بعدَ وفاةِ أبيه ، فوقَع الخُلْفُ بينَه وبينَ أخْوَيْه ؛ أبى كاليجارَ وكرشاسف[4] .

وفيها دخَل أبو كاليجارَ هَمَذانَ ، ودفَع الغُزَّ عنها . وفيها شَغَبَتْ الأتراكُ[5] ببغدادَ بسببِ تأَخُّرِ العَطاءِ عنهم . وسقَطَت قَنْطَرةُ بنى زُرَيْقٍ على نهرِ عيسى ، وكذا القَنْطَرةُ العتيقةُ التى تقاربها .

وفيها دخَل بغدادَ رجلٌ مِن البَلْغَرِ[6] يريدُ الحجَّ ، وذكَر أنه مِن كِبارِهم ، فأُنْزِل بدارِ الخِلافةِ ، وأُجرىَ عليه الأرزاقُ ، وذكَر أنهم مولَّدون من التركِ والصقالبةِ ، وأنهم فى أقصى بلادِ التركِ ، وأن النهارَ يَقْصُرُ عندَهم حتى يكونَ ستَّ ساعاتٍ ،

---

(١) المنتظم ١٥/٢٧٩ - ٢٨٢، والكامل ٩/٤٩٦ - ٥٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢٢.

(٢ - ٢) فى الكامل: «ظهير الدين».

(٣) فى م، ص: «كالويه». وانظر الكامل ٩/ ٤٩٥.

(٤) فى الأصل: «كرساسف»، وفى ص: «كرساشف»، وفى م: «كرسانيف». والمثبت من الكامل ٩/ ٤٩٦.

(٥) فى م: «الأكراد». وانظر المنتظم ١٥/ ٢٧٩.

(٦) فى م، ص: «البرغل». وانظر المنتظم ١٥/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢١، وفى الكامل ٩/ ٥٠٢: «البلغار».

وكذا الليلُ ، وعندَهم عُيونٌ وزُروعٌ وثمارٌ على المطرِ والسَقْيِ . وفى هذه السنةِ قُرِئَ الاعْتِقادُ القادِرىُّ الذى كان جمَعه الخليفةُ القادرُ باللَّهِ أميرُ المؤمنين ، وأُخِذَت خُطوطُ العلماءِ والزُّهَّادِ بأنه اعْتِقادُ المسلمين ، ومَن خالَفه فقد فسَق وكفَر ، فكان أولَ مَن كتَب عليه الشيخُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ عمرَ القَزوينىُّ ، ثم كتَب بعدَه العلماءُ ، وقد سرَده أبو الفرجِ بنُ الجَوْزىِّ فى « مُنْتَظَمِه »[1] بتمامِه ، وفيه جملةٌ جيدةٌ مِن اعْتِقادِ السَّلَفِ .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

بَهْرامُ بنُ مافَنَّةَ[2] ، **أبو منصورٍ الوزيرُ لأبى كاليجارَ** ، كان عَفيفًا نَزِهًا صَيِّنًا ، عادلًا فى [٩/١٥٧و] سِيرتِه ، وقد وقَف خِزانةَ كُتُبٍ فى مدينةِ فِيرُوزاباذَ[3] ، تَشْتَمِلُ على سبعةِ آلافِ مُجَلَّدٍ ، مِن ذلك أربعةُ آلافِ ورقةٍ بخطِّ أبى علىٍّ وأبى عبدِ اللَّهِ ابنَىْ مُقْلةَ .

محمدُ بنُ جعفرٍ ، **أبو**[4] **الحسينِ** المعروفُ بالجَهْرَمىِّ ، قال الخطيبُ البغدادىُّ[5] : هو أحدُ الشعراءِ الذين لقِيناهم وسمِعْنا منهم ، وكان يُجِيدُ القولَ ، ومِن شعرِه :

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) فى م : « منافية » ، وفى ص : « منافنة » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٥/ ٢٨٢، والكامل ٩/ ٥٠٢.

(٣) فى م : « فيروزباذ » . وانظر المنتظم والكامل . وفيروزاباذ : بلدة بفارس قرب شيراز . انظر معجم البلدان ٣/ ٩٢٨.

(٤) فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩، والمنتظم ١٥/ ٢٨٣، والكامل ٩/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٩١.

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩.

يا ويحَ قلْبىَ مِن تقَلُّبِه أبدًا يَحِنُّ إلى مُعَذِّبِهِ
قالوا كتَمْتَ هَواه عن جَلَدٍ لو أن لى جَلَدًا لبُحْتُ بهِ
(١بأبى حبيبٍ١) غيرَ مُكْتَرِثٍ عنِّى ويُكْثِرُ مِن تَعَتُّبِهِ
حسبى رضاه مِن الحياةِ ويا قلقى ومَوْتِىَ مِن تَغَضُّبِهِ

مسعودٌ الملكُ بنُ الملكِ محمودِ بنِ الملكِ سُبُكْتِكِين[٢] ، صاحبُ بلادِ غَزْنةَ وابنُ صاحبِها ، قتَله ابنُ عمِّه أحمدُ بنُ محمدِ بنِ محمودٍ ، فانْتَقَم له ابنُه مَوْدودُ ابنُ مسعودٍ ، فقتَل عمَّه[٣] وابنَ عمِّه وأهلَ بيتِه مِن أجلِ أبيه ، واسْتَتَبَّ له الأمرُ وحدَه مِن غيرِ مُنازعٍ مِن قومِه كما تقدَّم .

بنتُ أميرِ المؤمنين المُتَّقِى للَّهِ[٤] ، تأخَّرَت مدَّتُها حتى كانت وفاتُها فى رجبٍ من هذه السنةِ عن إحدى وتسعين سنةً بالحَرِيمِ الطاهرى[٥] ، ودُفِنَت بالرُّصافةِ ، رحمَها اللَّهُ وإيانا بمنِّه وكرمِه لا إله إلَّا هو .

(١ - ١) فى م : « ما بى جننت » .

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٢٩٣، والعبر ٣/ ١٨٠.

(٣) فى م : « قاتل أبيه وعمَّه » .

(٤) المنتظم ١٥/ ٢٨٤.

(٥) فى النسخ : « الظاهر » . وهو بفتح الطاء نسبة إلى طاهر بن الحسين . وهو اسم موضع بالجانب الغربى من بغداد . انظر الجواهر المضية ٤/ ٢٥٥.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] أمَر الملكُ جَلالُ الدولةِ أبو طاهرٍ بجِبايةِ أموالِ الجوالى ، ومنَع أصحابَ الخليفةِ مِن قبضِها ، فانْزَعَج القائمُ بأمرِ اللَّهِ ، وعزَم على الخروجِ مِن بغدادَ ، [2]وأرسَل للفقهاءِ والقضاةِ والأعيانِ فى التأهُّبِ للخروجِ صحبتَه ، وارتَجَّت بغدادُ بسببِ ذلك[2] .

وفيها كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ بمدينةِ تِبْرِيزَ[3] ، هدَمت قلعتَها وسورَها وأسواقَها ودُورَها ، حتى مِن دارِ الإمارةِ عامَّةَ قُصورِها ، ومات تحتَ الهَدمِ خمسون ألفًا ، ولبِس أهلُها المُسوحَ لشدةِ مُصابِهم .

وفيها اسْتَوْلى السلطانُ طُغْرُلْبَك على أكثرِ البلادِ الشرقيةِ ، فمِن ذلك مدينةُ خُوارَزمَ ودِهِسْتانُ وطَبَسُ والرَّىُّ وبلادُ الجَبَلِ وكَرْمانُ وأعمالُها وقَزْوِينُ . وخُطِب له فى تلك النَّواحى كلِّها ، وعظُم شأنُه جدًّا ، واتَّسَع صِيتُه .

وفيها ملَك سِماكُ بنُ صالحِ بنِ مِرْداسٍ حلَبَ ، أخَذها مِن الفاطمِيِّين ، فبعَث إليه المصريون مَن حارَبه .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٨٩، ٢٩٠، والكامل ٩/ ٥٠٤ - ٥١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالأَجرّ والجصّ وفى وسطها عدة أنهار جارية ، والبساتين محيطة بها . معجم البلدان ١/ ٨٢٢.

ولم يَحُجَّ أحدٌ فى هذه السنةِ ولا فيما قبلَها .

[١٥٧/٩ظ] **وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :**

أبو ذرٍّ الهَرَوىُّ[١] **عبدُ**[٢] **بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الحافظُ الفقيهُ المالكىُّ** ، سمِع الكثيرَ ، ورحَل إلى الأقاليم ، وخرَج إلى مكةَ ، ثم تزَوَّج [٣]فى العربِ وأقام بالسَّرَواتِ[٣] وكان يَحُجُّ كلَّ سنةٍ ، ويُقِيمُ بمكةَ أيامَ المَوْسِمِ ، ويَسْمَعُ الناسُ عليه ، وأخَذ عنه المَغارِبةُ [٤]مذهبَ الشيخِ أبى الحسنِ الأشعرىِّ عن القاضى الباقِلَّانىِّ[٤] وكان يقولُ إنه أخَذ مذهبَ مالكٍ عن الباقِلَّانىِّ ، وقد كان ثقةً حافظًا ضابطًا ، تُوُفِّى فى ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ .

محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ جعفرٍ ، أبو الفتحِ الشَّيْبانىُّ العَطَّارُ[٥] ، ويُعْرَفُ بقُطَيْطٍ ، سافَر الكثيرَ إلى البلادِ الشاسعةِ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان شيخًا ظَريفًا ، يَسْلُكُ طريقَ التَّصَوُّفِ ، وكان يقولُ : لما وُلِدْتُ سُمِّيتُ قُطَيْطًا على أسماءِ الباديةِ ، ثم سمَّانى بعضُ أهلى محمدًا .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٤١، وترتيب المدارك ٤/ ٦٩٦، وتبيين كذب المفترى ص ٢٥٥، والمنتظم ١٥/ ٢٨٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٠٤.

(٢) فى النسخ والمنتظم وترتيب المدارك : « عبد اللَّه » . والمثبت من باقى المصادر . وانظر المشتبه ٢/ ٤٨٦، وتبصير المنتبه ٣/ ١٠٤٧.

(٣ - ٣) فى م : « فى العرب » ، وفى ص : « فى المغرب وأقام فى السودان » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « مذهب مالك ومذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى عن القاضى الباقلانى » . وفى م : « مذهب الأشعرى عنه » .

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٣، مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ١١٩، والمنتظم ١٥/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٠٩.

ثم دخَلَت سنة خمسٍ وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] رُدَّت الجوالى إلى نُوَّابِ الخليفةِ . وفيها ورَد كتابٌ مِن جلالِ الملكِ طُغْرُلْبَك إلى جَلالِ الدولةِ يَأْمُرُه بالإحْسانِ إلى الرَّعايا والوَصاةِ بهم[2] .

ذِكْرُ مُلْكِ أبى كاليجارَ بغدادَ بعدَ وفاةِ أخيه جَلالِ الدولةِ بنِ بهاءِ الدولةِ

وفيها تُوُفِّى جَلالُ الدولةِ أبو طاهرِ بنُ بَهاءِ الدولةِ ، فملَك بغدادَ بعدَه أخوه سلطانُ الدولةِ أبو كاليجارَ بنُ بَهاءِ الدولةِ ، وخُطِب له بها عن مُمَالأةِ أمرائِها ، وأخْرَجوا الملكَ العَزيزَ أبا منصورِ بنَ جَلالِ الدولةِ ، فتنَقَّل فى البلادِ ، وتشرَّد مِن مَمْلكتِه إلى غيرِها حتى تُوُفِّى سنةَ إحدى وأربعين ، وحُمِل فدُفِن عندَ أبيه بمقابرِ قريشٍ .

وفيها أرْسَل الملكُ مَوْدودُ بنُ مسعودٍ عَسْكرًا كَثيفًا إلى خُراسانَ ، فبرَز إليهم ألْب[3] أرْسَلان بنُ داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سلجوقَ فى عسكرٍ آخرَ ، فاقْتَتَلا قِتالًا عظيمًا .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٨٩، ٢٩٠، والكامل ٩/٥١٥ - ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) بعده فى م : «قبل أن يحل به ما يسوءه» .

(٣) سقط من : الأصل ، ص .

وفيها فى صفَرٍ منها أسْلَم مِن التركِ الذين كانوا يَطْرُقون بلادَ المسلمين نحوٌ مِن عشرةِ آلافِ خَرْكاه ، وضحَّوا فى يومِ عيدِ الأضْحَى بعشرين ألفَ رأسٍ مِن غنمٍ ، وتفرَّقوا فى البلادِ ، ولم يُسْلِمْ مِن الخطا والتَّتَرِ أحدٌ ، وهم بنَواحى الصِّينِ .

وفيها نفَى ملكُ الرومِ مِن القُسْطَنْطِينِيَّةِ كلَّ غريبٍ له دون العشرين[1] سنةً فيها .

وفيها خطَب المُعِزُّ أبو تَميمِ بنُ باديسَ صاحبُ إفْريقِيةَ ببلادِه للخليفةِ العباسىِّ ، وقطَع خُطْبةَ الفاطمِيِّين [٩/١٥٨و] وأحْرَق أعْلامَهم ، وأرْسَل إليه القائمُ بأمرِ اللَّهِ الخِلَعَ واللِّواءَ والمَنْشورَ ، وفيه تَعْظيمٌ له وثَناءٌ عليه .

وفيها أرْسَل الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ أقْضى القضاةِ أبا الحسنِ علىَّ بنَ محمدِ ابنِ حَبيبٍ الماوَرْدىَّ قبلَ وفاةِ جَلالِ الدولةِ إلى المَلِكِ طُغْرُلْبَك ليُصْلِحَ بينَه وبينَ جَلالِ الدولةِ وأبى كاليجارَ ، فسار إليه فالْتقاه بجُرْجانَ ، فتَلَقَّاه الملكُ على أربعةِ فَراسِخَ إكْرامًا لمن أرسلَه ، وأقام عندَه إلى السنةِ الآتيةِ . فلما قدِم أخْبَره بطاعتِه وإكرامِه له واحترامِه من أجلِ الخليفةِ .

ومِمن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ :

الحسينُ بنُ عثمانَ بنِ سهلِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى دُلَفٍ العِجْلِىُّ[2] ، أبو سعدٍ ، أحدُ الرحَّالِين فى طلبِ الحديثِ إلى البلادِ المُتَباينةِ ، ثم أقام ببغدادَ مدةً وحدَّث بها ، وروَى عنه الخطيبُ ، وقال : كان صَدوقًا ، ثم انْتَقَل فى

---

(١) فى الكامل : « ثلاثين » .

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٨٤، والمنتظم ١٥/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤١٦.

آخِرِ عمرِه إلى مكةَ ، فسكَنها حتى مات بها فى شوالٍ من هذه السنةِ .

[1]عُبَيدُ اللَّهِ[1] بنُ أبى الفتحِ أحمدَ بنِ عثمانَ بنِ الفرجِ بنِ الأزْهَرِ ، أبو القاسمِ الأزْهَرىُّ ، الحافظُ المُحَدِّثُ الشهيرُ ، ويُعْرَفُ بابنِ السَّوادِىِّ[2] ، سمِع مِن أبى بكرِ بنِ مالكٍ وخلقٍ يَطُولُ ذِكرُهم ، وكان ثقةً صَدوقًا دَيِّنًا ، صحيحَ الاعْتِقادِ حسنَ السِّيرةِ ، وكانت وفاتُه ليلةَ الثلاثاءِ التاسعَ عشَرَ من صفرٍ من هذه السنةِ عن ثمانين سنةً وعشَرةِ أيامٍ .

الملكُ جلالُ الدولةِ ، أبو طاهرِ بنُ بهاءِ الدولةِ بنِ عَضُدِ الدولةِ بنِ ركنِ الدولةِ بنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمىُّ[3] ، صاحبُ بغدادَ وغيرِها من البلادِ ، كان فيه محبةٌ عظيمةٌ للعُبَّادِ ويَزُورُهم ، ويَلْتَمِسُ الدعاءَ منهم ، وقد نُكِب مراتٍ عديدةً ، وخالَفه الأتراكُ غيرَ مرةٍ وأخرجوه من دارِه ومِن بغدادَ بالكُليةِ غيرَ ما طريقٍ ، ثم يَعودُ إليهم ويرضَون عنه حتى اعْتراه وَجَعٌ فى كبدِه ، هذه السنةَ ، فمات مِن ذلك فى ليلةِ الجمعةِ الخامسِ مِن شعبانَ هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ إحدى وخمسون سنةً وأشهرٌ ، وولِىَ بغدادَ مِن ذلك ستَّ عشْرةَ سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا .

(١ - ١) فى النسخ : « عبد الله » . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٥، والمنتظم ١٥/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٣٢.

(٢) فى الأصل : « الواحد » ، وفى م ، ص : « السوارى » . والمثبت من مصادر الترجمة ، وانظر الأنساب ١/ ١٢٥، ٣/ ٣٢٨.

(٣) المنتظم ١٥/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢٨، ٤١١، ونهاية الأرب ٢٦/ ٢٥٨.

ثم دخَلَتْ سنةُ ستٍّ وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] دخَل الملكُ أبو كاليجارَ بغدادَ، وأمَر بضَرْبِ الطَّبْلِ فى أوقاتِ الصَّلَواتِ الخمسِ، ولم تَكُنِ الملوكُ قبلَه تفعلُه، إنما كان يُضْرَبُ لعَضُدِ الدولةِ ثلاثَةَ أوقاتٍ، وما كان يُضْرَبُ فى الأوقاتِ الخمسِ إلا للخليفةِ، وكان دخولُه فى رمضانَ، وقد فرَّق على الجُنْدِ أمْوالًا [٩/١٥٨ظ] جَزيلةً، وبعَث إلى الخليفةِ بعشَرةِ آلافِ دينارٍ، وخلَع على مُقَدَّمى الجيوشِ، وهم البَساسِيرىُّ، والنشاووريُّ[2]، والهُمامُ أبو اللقاءِ، ولقَّبه الخليفةُ مُحْيِىَ الدولةِ، وخُطِب له فى بلادٍ كثيرةٍ بأمْرِ مُلوكِها، وخُطِب له بهَمَذانَ، ولم يَبْقَ لنُوَّابِ طُغْرُلْبَك فيها أمرٌ.

وفيها اسْتَوْزَر طُغْرُلْبَك أبا القاسمِ علىَّ بنَ عبدِ اللَّهِ الجُوَيْنىَّ، وهو أولُ وزيرٍ وزَر له.

وفيها وزَر أبو نصرٍ أحمدُ بنُ يوسفَ لصاحبِ مِصرَ، وكان يَهوديًّا، فأسْلَم بعدَ موتِ الجَرْجَرائىِّ.

وفيها تولَّى نِقابةَ العَلَوِيِّينَ الشريفُ أبو أحمدَ بنُ عَدْنانَ بنِ الشريفِ الرَّضِىِّ، وذلك بعدَ وفاةِ عمِّه المُرْتَضَى أبى القاسمِ علىٍّ. وستأتى تَرْجَمَتُه.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٩٢، ٢٩٣، والكامل ٩/ ٥٢٤ - ٥٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) سقط من: الأصل، وفى م، ص: «والنشاورى». والمثبت من الكامل ٩/ ٥٢٥.

وفيها ولِىَ القَضاءَ أبو الطيبِ الطَّبَرىُّ ؛ قَضاءَ الكَرْخِ ، مُضافًا إلى ما كان يَتَوَلَّاه مِن القَضاءِ ببابِ الطاقِ ، وذلك بعدَ موتِ القاضى أبى عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرىِّ .

وفيها نظَر رئيسُ الرؤساءِ أبو القاسمِ بنُ المُسْلِمة فى كتابَةِ دِيوانِ الخَليفةِ ، وكان عندَه بمنزلةٍ عاليةٍ . ولم يَحُجَّ فى هذه السنةِ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسينُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ جعفرٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرىُّ[1] ، نسبةً إلى نهرٍ بالبَصْرةِ يقالُ له : الصَّيْمَرُ . عليه عِدَّةُ قُرًى ، أحدُ أئمةِ الحَنَفيةِ ، وَلِى قَضاءَ المَدائنِ ، ثم قَضاءَ رَبْعِ الكَرْخِ ، وحدَّث عن أبى بكرٍ المُفِيدِ ، وابنِ شاهِينَ وغيرِهما ، وكان صَدوقًا ، وافرَ العقلِ ، جَميلَ المُعاشَرةِ ، حسَنَ العِبارَةِ[2] ، عارفًا بحقوقِ العلماءِ . تُوُفِّى فى شوالٍ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

عبدُ الوَهَّابِ بنُ منصورِ بنِ أحمدَ ، أبو الحسينِ[3] ، المعروفُ بابنِ المُشْتَرِى ، الأهْوازىُّ ، كان على قضاءِ الأَهْوازِ ونَواحِيها ، شافعىُّ المذهبِ ، كان له مَنْزلةٌ[4] كبيرةٌ عندَ السلطانِ ، وكان صَدوقًا كثيرَ المالِ ، حسنَ السِّيرةِ ، رحِمه اللَّه تعالى .

الشريفُ المُرْتَضَى ، علىُّ بنُ الحسينِ بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ،

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٧٨، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٦٤، والمنتظم ١٥/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٢٥، والجواهر المضية ٢/ ١١٦.

(٢) فى م، ص: «العبادة».

(٣) فى ب، م: «الحسن». وانظر ترجمته فى المنتظم ١٥/ ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٣٠.

(٤) فى الأصل، ص: «محلة».

الشَّريفُ المُوسَوىُّ[1] ، المُلَقَّبُ بالمُرْتَضَى ذى المَجْدَيْن - كان أكبرَ مِن أخيه الرَّضِىِّ - ذى الحَسَبين ، [2]نقيبُ الطالِبِيِّينَ[2] ، وكان جيدَ الشعرِ ، على مذهبِ الإماميةِ والاعتزالِ ، يُناظِرُ على ذلك ، وكان يُناظَرُ عندَه فى كلِّ المذاهبِ ، وله تَصانِيفُ فى التَّشَيُّعِ ؛ أصولًا وفُروعًا ، وقد نقَل ابنُ الجوزىِّ فى ترجَمَتِه أشياءَ مِن تَفَرُّداتِه فى التَّشَيُّعِ ، فمِن ذلك أنه لا يَصِحُّ السجودُ إلا على الأرضِ أو ما كان مِن جنسِها ، وأن الاسْتِجْمارَ إنما يُجْزِئُ فى الغائطِ لا فى البولِ ، وأن الكِتابيَّاتِ حرامٌ ، وذَبائحُ أهلِ الكتابِ حرامٌ ، وكذا ما وَلُوه هم [٩/١٥٩و] وسائرُ الكفارِ مِن الأطعمةِ ، وأن الطلاقَ لا يَقَعُ إلا بحَضْرةِ شاهدَيْن ، والمُعَلَّقَ منه لا يَقَعُ وإن وُجِد شرطُه ، ومَن نام عن صلاةِ العشاءِ حتى انْتَصَف الليلُ وجَب قضاؤُها ، ويَجِبُ عليه أن يُصْبِحَ صائمًا كفارةً لما وقَع منه . ومِن ذلك أن المرأةَ إذا جزَّت شعرَها يَجِبُ عليها كفارةُ قَتْلِ الخطأِ ، ومَن شقَّ ثوبَه فى مُصيبةٍ وجَب عليه كَفارةُ يمينٍ ، ومن تزَوَّج امرأةً لها زوجٌ لا يَعْلَمُه وجَب عليه أن يَتَصَدَّقَ بخمسةِ دراهمَ ، وأنَّ قَطْعَ السارقِ مِن أصولِ[3] الأصابعِ . قال ابنُ الجوزىِّ[4] : نَقَلْتُها مِن خطِّ أبى الوَفاءِ بنِ عَقيلٍ . قال : وهذه مَذاهبُ عَجيبةٌ تَخْرِقُ الإجْماعَ ، وأعْجَبُ منها ذمُّ الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم . ثم سرَد مِن كلامِه شيئًا قبيحًا فى تَكْفيرِ عمرَ وعثمانَ وعائشةَ وحَفْصةَ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، وقَبَّحه وأمثالَه إن لم يَكُنْ تاب ، فقد

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٢، ودمية القصر ١/ ٢٧٩، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ٨/ ٤٦٥، والمنتظم ١٥/ ٢٩٤، ومعجم الأدباء ١٣/ ١٤٦، وإنباه الرواة ٢/ ٢٤٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣١٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٣٣.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) فى ب ، م : « رءوس » .

(٤) المنتظم ١٥/ ٢٩٤.

روَى ابنُ الجوزىِّ[1] قال : أنْبَأَنا ابنُ ناصرٍ ، عن أبى الحسنِ بنِ الطُّيُورىِّ قال : سمِعْتُ أبا القاسمِ بنَ بَرْهانَ يقولُ : دخَلْتُ على الشريفِ المُرْتَضَى أبى القاسمِ العلوىِّ فى مرضِه ، وإذا قد حوَّل وجهَه إلى الجدارِ ، فسمعتُه يقولُ : أبو بكرٍ وعمرُ وليا فعدَلا ، واسْتُرْحِما فرَحِما ، أفأنا أقولُ : ارْتَدَّا بعدَما أسْلَما ؟! قال : فقمتُ فما بلَغْتُ عَتَبَةَ البابِ حتى سمِعْتُ الزَّعْقةَ عليه . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن إحدى وثمانين سنةً . وقد ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[2] ، وأوْرَد شيئًا مِن أشْعارِه الرائقةِ . قال : ويقالُ : إنه هو الذى وضَع كتابَ « نَهْجِ البَلاغةِ » .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ شُعَيْبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الفضلِ ، أبو منصورٍ الرُّويانىُّ[3] ، صاحبُ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَراييِنىِّ . قال الخطيبُ[4] : سكَن بغدادَ وحدَّث بها ، وكتَبْنا عنه ، وكان صَدوقًا يَسْكُنُ قَطيعةَ الرَّبيعِ . ومات فى ربيعٍ الأولِ من هذه السنةِ ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

أبو الحسينِ البَصْرىُّ المعتزلىُّ ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ الطيبِ[5] ، **أبو الحسينِ البَصْرىُّ المتكلِّمُ** ، شيخُ المعتزلةِ والمُنْتَصِرُ لهم ، والحامِى عن ذِمارِهم بالتَّصانيفِ الكثيرةِ ، وقد كانت وفاتُه فى ربيعٍ الآخِرِ من هذه السنةِ ، وصلَّى عليه القاضى

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٠٠.

(٢) بعده فى ب ، م : « فملس عليه على عادته مع الشعراء فى الثناء عليهم » . انظر وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٣٠٧، والمنتظم ١٥/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٣٦، وفيه : « محمد بن أحمد بن أبى شعيب » ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٩٦.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥) فى م : « الخطيب » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠، وطبقات المعتزلة ص ٣٨٣، والمنتظم ١٥/ ٣٠٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٣٩.

أبو عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرِيُّ ، ودُفِن فى الشُّونيزيةِ ، وليس له مِن روايةِ الحديثِ سِوَى حديثٍ واحدٍ ، رواه عنه الخطيبُ البغداديُّ فى « تاريخِه »[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ علىِّ بنِ الطَّيِّبِ ، قُرِئَ على هلالِ بنِ محمدِ ابنِ أخى هلالٍ الرأيِ بالبَصْرةِ وأنا أَسْمَعُ ، قيل له : حدَّثكم أبو مسلمٍ الكَجِّيُّ وأبو خَليفةَ الفضلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحيُّ والغَلَابيُّ والمازنيُّ والزُّرَيْقيُّ قالوا : حدَّثنا القَعْنَبِيُّ ، عن شعبةَ ، عن منصورٍ ، عن رِبْعيٍّ ، عن أبى مسعودٍ البَدْرِيِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٩/ ١٥٩ظ] « إنَّ ممَّا أدْرَكَ الناسُ مِن كلامِ النبوةِ الأولى : إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شئتَ » . والغَلَابيُّ اسمُه محمدٌ ، والمازنيُّ اسمُه محمدُ بنُ حيَّانَ ، والزُّرَيْقيُّ أبو علىٍّ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ خالدٍ البصريُّ .

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠. وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/٢٧٣ من طريق الفضل بن الحباب به ، وأخرجه أبو داود (٤٧٩٧) ، من طريق القعنبى به . كما أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٤٨٤) ، (٦١٢٠) ، من طريق شعبة به .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] بعَث السلطانُ طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقيُّ أخاه إبراهيمَ يَنّال إلى بلادِ الجبلِ ، فملَكَها وأخْرَج منها صاحبَها كرشاسفَ بنَ عَلاءِ الدولةِ ، فالْتَحق بالأكْرادِ ، ثم سار إبراهيمُ يَنّال إلى الدِّينَوَرِ فملكها ، وأخْرَج منها صاحبَها وهو أبو الشَّوْكِ ، فسار إلى حُلْوانَ ، فتبِعه إبراهيمُ ، فملكها عليه قَهْرًا ، وأحْرَق دارَه ، وغنِم أموالَه ، فعندَ ذلك تجَهَّز الملكُ أبو كاليجارَ صاحبُ بغدادَ لقتالِ السَّلاجِقةِ الذين غزَوا أنصارَه ، فلم يُمْكِنْه ذلك لِقلَّةِ الظَّهْرِ ، وذلك أنَّ الآفةَ اعْتَرَت فى هذه السنةِ الخيلَ ، فمات له فيها نحوٌ مِن اثنَىْ عشَرَ ألفَ فرسٍ ، بحيث جافَت بغدادُ مِن نتَنِ الخيلِ .

وفيها وقَع ببغدادَ بينَ الرَّوافضِ والسُّنةِ ، ثم اتَّفَق الفريقان على نَهْبِ دُورِ اليهودِ ، وإحْراقِ الكَنيسةِ العَتيقةِ التى لهم ، واتَّفَق فى هذه السنةِ موتُ رجلٍ مِن أكابرِ النَّصارَى بواسِطٍ ، فجلَس أهلُه لعَزائِه على بابِ مسجدٍ هناك ، وأخْرَجوا جِنازتَه جَهْرةً ، ومعها طائفةٌ مِن الأتْراكِ يحْرُسونها ، فحمَلَت عليهم العامَّةُ ، فأخَذوا الميتَ منهم ، واسْتَخْرجُوه مِن أكْفانِه فأحْرَقوه ، ورمَوْه فى دجلةَ ، ومضَوْا إلى الدَّيْرِ فنهَبوه ، وعجَز الأتْراكُ عن دَفْعِهم . ولم يَحُجَّ أهلُ العراقِ فى هذا العامِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٠٢، والكامل ٩/ ٥٢٨، ٥٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٣١.

فارسُ بنُ محمدِ بنِ عنانٍ[1] ، صاحبُ الدِّينَوَرِ وحُلوانَ ، وكانت وفاتُه فى هذا الأوانِ .

خديجةُ بنتُ موسى بنِ عبدِ اللَّهِ الواعِظةُ[2] ، وتُعْرَفُ ببنتِ البَقَّالِ ، وتُكَنَّى أمَّ سَلَمةَ ، قال الخطيبُ : كتَبْتُ عنها ، وكانت فَقيرةً صالحةً فاضلةً .

أحمدُ بنُ يوسُفَ المَنَازِىُّ[3] ، الشاعرُ الكاتبُ ، وزيرُ أحمدَ بنِ مَرْوانَ الكُرْدِىِّ صاحبِ مَيَّافارِقِينَ وديارِ بكرٍ ، كان فاضلًا بارعًا لطيفًا ، تَرَدَّد فى التَّرَسُّلِ إلى القُسْطَنْطِينِيَّةِ غيرَ مرةٍ ، وحصَّل كتبًا كثيرةً أوْقَفَها على جامعَىْ آمِدَ ومَيَّافارِقِينَ ، ودخَل يومًا على أبى العَلاءِ المَعَرِّىِّ فقال له : إنى مُعْتَزِلٌ الناسَ ، وهم يُؤْذُوننى . فقال : ولِمَ وقد ترَكْتَ لهم الدنيا والآخِرةَ ؟! وله دِيوانُ شعرٍ قليلُ النَّظيرِ عَزيزُ الوُجودِ ، حرَص عليه القاضى الفاضلُ فلم يَقْدِرْ عليه ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ . ومِن شعرِه فى وادى بُزاعا قولُه[4] :

[٩/١٦٠و] وقانا لَفْحَةَ الرَّمْضاءِ وادٍ ... وقاه مُضاعَفُ النبتِ العَميمِ
نزَلْنا دَوْحَهُ فحَنا علينا ... حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفَطيمِ
وأرْشَفَنا على ظمأٍ زُلالًا ... ألَذَّ مِن المُدامةِ للنَّديمِ[5]

---

(١) فى م : « عناز » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٥/ ٣٠٤، والكامل ٩/ ٥٣١ وفيه : « مناز » ، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٦٨، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٤٩ وفيه : « بن عناز » .

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٦، والمنتظم ١٥/ ٣٠٣.

(٣) فى ب ، ص : « المازنى » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/ ١٤٣، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٤٤، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٤٩.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٤٣، ١٤٤.

(٥) هذا البيت زيادة من : ب ، م .

يُراعِى الشمسَ أنَّى قابَلَتْه فيَحْجُبُها ويَأذَنُ للنَّسيمِ
تَروعُ حَصاه حاليةَ العَذَارَى فتَلْمَسُ جانبَ العِقْدِ النَّظيمِ

قال ابنُ خَلِّكانَ : وهذه الأبياتُ بَديعةٌ فى بابِها .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثلاثين وأربعِمائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] و المُوتانُ كثيرٌ فى الدوابِّ جدًّا حتى جافَت بغدادُ . قال ابنُ الجوزىِّ[2] : ورُبما أحْضَر بعضُ الناسِ الأطِبَّاءَ إلى دوابِّهم فيَسْقُونها ماءَ الشَّعيرِ ويُطَبِّبُونها .

وفيها حاصَر السلطانُ ابنُ طُغْرُلْبَك أصْبَهانَ ، فصالَحه أهلُها على مالٍ يَحْمِلونه إليه ، وأن يُخْطَبَ له بها ، فأجابوه إلى ذلك .

وفيها ملَك مُهَلْهِلٌ قَرْمِيسِينَ[3] والدِّينَوَرَ .

وفيها تأمَّر على بنى خَفاجةَ رجلٌ يقالُ له : رجبُ بنُ أبى مَنيعِ بنِ ثُمالٍ . بعدَ وفاةِ بَدْرانَ بنِ سُلْطانَ بنِ ثُمالٍ ، وهؤلاء الأعْرابُ هم أكثرُ مَن يَصُدُّ الحجيجَ عن البيتِ الحَرامِ ، فلا جَزاهم اللَّهُ خيرًا ، وقبحهم يومَ يقومُ الأشهادُ ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [سورة غافر : ٥٢] .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ أبو محمدٍ ، عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ بنِ محمدِ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٠٥، ٣٠٦، والكامل ٩/٥٣٢ - ٥٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) المنتظم ١٥/ ٣٠٥.

(٣) قرميسين : تعريب كرمان شاهان بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخًا قرب الدينور . معجم البلدان ٤/ ٦٩.

ابنِ حَيَّوَيْهِ[1] ، الشيخُ أبو محمدٍ الجُوَيْنيُّ إمامُ الشافعيةِ فى زمانِه ، وهو والدُ إمامِ الحرمَيْن أبى المَعالى عبدِ الملكِ بنِ أبى محمدٍ ، وأصلُه مِن قَبيلةٍ يقالُ لها : سِنْبِسُ . وجُوَيْنُ مِن نَواحى نَيْسابورَ ، سمِع الحديثَ فى بلادٍ شَتَّى على جماعةٍ ، وقرَأ الأدبَ على أبيه ، وتفَقَّه بأبى الطَّيِّبِ سهلِ بنِ محمدٍ الصُّعْلُوكيِّ ، ثم خرَج إلى مَرْوَ إلى أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ القَفَّالِ ، ثم عاد إلى نَيْسابورَ ، وعقَد مجلسَ المُناظَرةِ ، وكان مَهيبًا لا يَجْرِى بينَ يديه إلا الجِدُّ ، وصنَّف التَّصانيفَ الكثيرةَ فى أنواعٍ مِن العلومِ ، وكان ورِعًا زاهدًا شديدَ الاحْتِياطِ ، ربما أخْرَج الزكاةَ مرتين . وقد ذكَرْتُه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » وما قاله الأئمةُ فى مدحِه ، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ منها . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : صنَّف « التَّفْسيرَ الكبيرَ » المُشْتَمِلَ على أنواعِ العلومِ ، وله فى الفقهِ « التَّبْصِرةُ » و « التَّذْكِرةُ » ، و « مُخْتَصَرُ المُخْتَصَرِ » ، و « الفرقُ والجمعُ » ، و « السِّلْسِلةُ » ، وغيرُ ذلك ،وكان إمامًا فى الفقهِ والأصولِ والأدبِ والعربيةِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ - وقيل : سنةِ أربعٍ وثلاثين ، قاله السَّمْعانيُّ [٩/١٦٠ظ] فى « الأنْسابِ »[3] - وهو فى سنِّ الكُهولةِ .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٨، وتبيين كذب المفترى ص ٢٥٧، والمنتظم ١٥/ ٣٠٦، وإنباه الرواة ٢/ ١٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٧٣، وطبقات المفسرين ١/ ٢٥٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٧.

(٣) الأنساب ٢/ ١٢٩.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثلاثين وأربعِمائةٍ

فيها[1] اصْطَلَح الملكُ طُغْرُلْبَك السَّلجوقِيُّ وأبو كاليجارَ صاحبُ بغدادَ، وتزَوَّج طُغْرُلْبَكُ بابنةِ أبى كاليجارَ، وتزَوَّج أبو مَنصورِ بنُ أبى كاليجارَ بابنةِ الملكِ داودَ أخى طُغْرُلْبَكَ.

وفيها أسَرَت الأكْرادُ سُرْخابَ أخا أبى الشَّوْكِ، وأحْضَروه بينَ يدى إبراهيمَ يَنَّالَ، فأمَر بقَلْعِ إحدى عينيه.

وفيها اسْتَوْلى أبو كاليجارَ على بلادِ البَطيحةِ، ونجا صاحبُها أبو نصرٍ بنفسِه.

وفيها ظهَر رجلٌ يقالُ له: الأصفَرُ التَّغْلِبِيُّ. وادَّعَى أنه مِن المَذكورين فى الكتبِ، فاسْتَغْوَى خلقًا من الناسِ، وقصَد بلادَ الرومِ، فغنِم منها أموالًا، فقوِىَ بها، وعظُم أمرُه، واتَّفَقَ أنه أُسِر وحُمِل إلى نصرِ الدولةِ بنِ مَرْوانَ صاحبِ ديارِ بكرٍ، فاعْتَقَله وسدَّ عليه بابَ السجنِ.

وفيها كان وَباءٌ شديدٌ بالعراقِ والجَزيرةِ وبغدادَ فمات خلقٌ كثيرٌ، حتى خلَت الأسْواقُ، وغلتِ الأشياءُ التى يَحْتاجُ إليها المَرْضَى، وورَد كتابٌ مِن المَوْصِلِ بأنه لا يُصَلِّى الجمعةَ مِن أهلِها إلا نحوُ أربعِمائةٍ، وأن أهلَ الذِّمَّةِ لم يَبْقَ منهم إلا نحوُ مائةٍ وعشرين نفسًا.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٠٨، والكامل ٩/ ٥٣٦ - ٥٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٣٤.

وفيها وقَع غلاءٌ شديدٌ أيضًا ، وجرت فتنةٌ بينَ السنةِ والروافضِ ببغدادَ ، قُتِل فيها خلقٌ كثيرٌ . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن رَكْبِ العراقِ فى هذا العامِ . فلا قوةَ إلا باللَّهِ .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، أبو الفضلِ القاضى الهاشمىُّ الرَّشِيدىُّ[1] ، مِن ولدِ الرَّشيدِ ، وَلِى القَضاءَ بسِجِسْتانَ ، وسمِع الحديثَ مِن الغِطْرِيفىِّ وغيرِه . قال الخطيبُ[2] : وأنْشَدَنى لنفسِه :

قالوا اقْتَصِدْ فى الجُودِ إنك مُنْصِفٌ ... عَدْلٌ وذو الإنْصافِ ليس يَجُورُ
فأجَبْتُهم إنى سُلالةُ مَعْشَرٍ ... لهمُ لواءٌ فى النَّدَى مَنْشورُ
تاللَّهِ إنى شائدٌ ما قَدْ بنَى ... جَدِّى الرَّشيدُ وقبلَه المنصورُ

عبدُ الواحدِ بنُ محمدِ بنِ يحيى بنِ أيوبَ ، أبو القاسمِ ، الشاعرُ المعروفُ بالمُطَرِّزِ[3] ، ومِن شعرِه الذى رواه عنه الخطيبُ قولُه :

يا عبدُ كم لك مِن ذنبٍ ومَعْصِيةٍ ... إن كنتَ ناسيَها فاللَّهُ أحْصاها
لا بدَّ يا عبدُ مِن يومٍ تَقُومُ له ... ووَقْفةٍ لك يُدْمِى القلبَ ذِكْراها
إذا عرَضْتُ على قلْبى تذَكُّرَها ... وساء ظنى فقلتُ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ

محمدُ بنُ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ الرحيمِ ، أبو سعدٍ الوزيرُ[4] ، وزَر

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٤٣، ٤٥٧.
(٢) المنتظم ١٥/ ٣٠٩.
(٣) تاريخ بغداد ١١/ ١٦، والمنتظم ١٥/ ٣١٠، والكامل ٩/ ٥٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٧٤.
(٤) المنتظم ١٥/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٧٦، والوافى بالوفيات ٣/ ٨.

للملكِ أبى طاهرٍ سِتَّ مراتٍ ، [٩/١٦١و] ثم كان موتُه بجَزيرةِ ابنِ عمرَ فى هذه السنةِ ، عن ستٍّ وخمسين سنةً .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ موسى ، أبو عبدِ اللَّهِ الواعِظُ الشِّيرازىُّ[1] ، قال الخطيبُ : قدِم بغدادَ ، وأظْهَر الزهدَ والتَّقَشُّفَ والوَرَعَ وعُزوفَ النفسِ عن الدنيا ، فافْتَتَن الناسُ به ، وكان يَحْضُرُ مَجْلِسَه خلقٌ كثيرٌ ، ثم إنه قَبِل ما كان يُعْرَضُ عليه فيأْبَى قَبُولَه ، فكثُرَت أموالُه ، ولبِس الثيابَ الناعمةَ ، وجرَت له أمورٌ ، وكثُرَت أتْباعُه ، وأظهَر أنه يُرِيدُ الغَزْوَ ، فاتَّبَعه خلقٌ كثيرٌ ، فبَرز ظاهرَ البلدِ ناحيةً منها ، وكان يُضْرَبُ له الطَّبْلُ فى أوقاتِ الصلواتِ ، وسار إلى ناحيةِ بلادِ أذْرَبِيجانَ ، فالْتَفَّ عليه خلقٌ كثيرٌ ، وضاهى أميرَ تلك الناحيةِ ، وكانت وفاتُه هنالك فى هذه السنةِ .

قال الخطيبُ[2] : وقد حدَّث ببغدادَ ، وكتَبْتُ عنه أحاديثَ يَسيرةً ، وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا عنه بشىءٍ يَدُلُّ على ضعفِه فى الحديثِ ، وأنْشَدنى هو لبعضِهم :

إذا ما أطَعْتَ النفسَ فى كلِّ لذَّةٍ ... نُسِبْتَ إلى غيرِ الحِجَا[3] والتَّكَرُّمِ
إذا ما أجَبْتَ النفسَ فى كلِّ دَعْوةٍ ... دعَتْك إلى الأمرِ القَبيحِ المُحَرَّمِ

محمدُ[4] **بنُ الحسينِ بنِ عمرَ بنِ بَرْهانَ ، أبو الحسنِ الغَزَّالُ** ، سمِع محمدَ ابنَ المُظَفَّرِ وغيرَه ، وكان صَدوقًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٩، والمنتظم ١٥/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٧٦.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٦٠.

(٣) الحجا : العقل والفطنة . المحيط (ح ج و) .

(٤) فى ب ، م : «المظفر» . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢/ ٥٤، والمنتظم ١٥/ ٣١٢.

محمدُ بنُ عليِّ بنِ إبراهيمَ ، أبو الخطَّابِ الجَبَّليُّ[1] الشاعرُ ، فمن شعرِه قولُه :

ما حكَم الحُبُّ فهْو مُمْتَثَلُ ... وما جناه الحبيبُ مُحْتَمَلُ
يَهْوَى ويَشْكُو الضَّنَى وكلُّ هَوًى ... لا يُنْحِلُ الجسمَ فهْوَ مُنْتَحَلُ

وقد سافَر إلى الشامِ ، فاجْتاز بمَعَرَّةِ النُّعمانِ ، فامْتَدَح أبا العَلاءِ بنَ سليمانَ بأبياتٍ ، فأجابه عنها . وقد كان حسَنَ العينَيْن حينَ سافَر ، فما عاد إلا وهو أعْمَى . وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ ، ويقالُ : إنه كان شديدَ الرَّفْضِ . فاللَّهُ أعلمُ .

الشيخُ أبو عليٍّ السِّنْجيُّ ، الحسينُ بنُ شُعَيْبِ بنِ محمدٍ[2] ، شيخُ الشافعيةِ فى زمانِه ، أخَذ عن أبى بكرٍ القَفَّالِ ، وشرَح « الفُروعَ » لابنِ الحَدَّادِ ، وقد شرَحها قبلَه شيخُه ، وبعده[3] القاضى أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرِىُّ ، وشرَح أبو عليٍّ السِّنْجيُّ كتابَ « التَّلْخيصِ » لابنِ القاصِّ شرْحًا كبيرًا ، وله كتابُ « المجموعِ » وأخَذ منه الغَزَّاليُّ فى « الوَسيطِ » . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وهو أولُ مَن جَمع بينَ طريقتى العراقِ وخُراسانَ . وكانت وفاتُه سنةَ بضعٍ وثلاثين وأربعِمائةٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى النسخ : « الحنبلى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٣/ ١٠١، والأنساب ٢/ ٢٠، وتاريخ دمشق ٧٥٦/١٥ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ٣١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٧٨.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٦٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٤٤.

(٣) فى ب ، م : « قبله » .

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ١٣٥.

ثم دخلت سنةُ أربعين وأربعِمائةٍ[1]

فى جمادَى الأولى منها مرِض الملكُ أبو كاليجارَ صاحبُ بغدادَ ، وهو فى بَرِّيَّةٍ ، ففُصِد فى يومٍ [٩/١٦١ظ] ثلاثَ مراتٍ ، وحُمِل فى مِحَفَّةٍ ، مات ليلةَ الخميسِ ، وانتهَبت الغِلمانُ الخزائنَ ، وأحْرَق الجَوارِى الخِيامَ ، سِوَى الخَيْمةِ التى هو فيها والخَرْكاه التى كان بها ، وولِى بعدَه ابنُه أبو نصرٍ ، وسمَّوْه الملكَ الرحيمَ ، ودخَل دارَ الخِلافةِ فى يومٍ مشهودٍ ، وخلَع عليه الخليفةُ سبعَ خِلَعٍ ، وسوَّره وطوَّقه ، وجعَل على رأسِه التاجَ والعِمامةَ السوداءَ الرَّصافيةَ ، ووصَّاه الخليفةُ ، ورجَع إلى دارِه ، وجاء الناسُ لتهنئتِه .

وفيها دار السُّورُ على شِيرازَ ، وكان دَوْرُه اثنَىْ عشَرَ ألفَ ذراعٍ ، وارتفاعُه ثمانيةَ أذرعٍ ، وعَرْضُه ستةَ أذرعٍ ، وفيه أحدَ عشَرَ بابًا .

وفيها غزا إبراهيمُ ينّال بلادَ الرومِ ، فغنِم مائةَ ألفِ رأسٍ ، وأربعةَ آلافِ دِرْعٍ ، وقيل : تسعةَ عشَرَ ألفَ درعٍ . ولم يَبْقَ بينَه وبينَ القُسْطَنْطِينيَّةِ إلا خمسةَ عشَرَ يومًا ، وحمَل ما حصَل له من المغانمِ على عشَرةِ آلافِ عَجَلةٍ .

وفيها خُطِب لذَخيرةِ الدِّينِ أبى العباسِ محمدٍ[2] ابنِ الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ على المَنابِرِ بوِلايةِ العهدِ بعدَ أبيه ، وحُيِّىَ بذلك .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣١٣، ٣١٤، والكامل ٩/ ٥٤٥ - ٥٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٣٦، ٣٣٨.

(٢) فى النسخ : «أحمد» . والمثبت من المنتظم ، والكامل .

وفيها اقْتَتَل الرَّوافضُ والسنَّةُ، وجرَت ببغدادَ فتنٌ يَطولُ ذكرُها. ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذا العامِ أيضًا.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

السيدُ الكبيرُ الحسنُ بنُ عيسى بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ، أبو محمدٍ العَبَّاسِىُّ[1]، وُلِد فى المحرمِ سنةَ ثلاثٍ وأربعين وثلاثِمائةٍ، وسمِع مِن مُؤَدِّبِه أحمدَ بنِ منصورٍ اليَشْكُرِىِّ[2]، وأبى الأزْهَرِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ عبدِ الرحمنِ الكاتبِ، وكان فاضلًا دَيِّنًا حافظًا لأخبارِ الخلفاءِ، عالمًا بأيامِ الناسِ، صالحًا، أعْرَض عن ولايةِ الخِلافةِ عن قُدرةٍ، وآثَر بها القادرَ باللَّهِ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن سبعٍ وتسعين سنةً، وأوْصَى أن يُدْفَنَ ببابِ حربٍ بغيرِ تابوتٍ، فدُفِن قريبًا مِن قبرِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ. [3]وكان يومُ جِنازتِه مشهودًا؛ مشى الأمراءُ والوزراءُ والبساسِيرىُّ إلى المقبرةِ، وجلَس رئيسُ الرؤساءِ أبو القاسمِ بنُ المُسْلمةِ للعزاءِ من الغدِ[3].

عبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ عثمانَ، أبو القاسمِ الواعِظُ المعروفُ بابنِ شاهِينَ[4]، سمِع مِن أبى بكرِ بنِ مالكٍ وابنِ ماسِى وأبى بحرٍ البَرْبَهارىِّ وابنِ المظفَّرِ. قال الخطيبُ[5]: كتَبْتُ عنه، وكان صدوقًا. وكان مولدُه فى سنةِ إحدى وخمسين وثلاثِمائةٍ، وتُوُفِّى فى [6]ربيعٍ الآخِرِ[6] من هذه السنةِ، ودُفِن

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٤، والمنتظم ١٥/ ٣١٤، والكامل ٩/ ٥٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٨٣، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٩٩.

(٢) فى النسخ: «السكرى». والمثبت من المصادر السابقة.

(٣ - ٣) سقط من: ب، م.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٦، والمنتظم ١٥/ ٣١٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٨٥.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٦.

(٦ - ٦) فى تاريخ بغداد: «ربيع الأول»، وكذا فى سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام نقلًا عن الخطيب.

ببابِ حربٍ ، رحِمه اللَّهُ .

عليُّ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ المُنْتابِ ، أبو القاسمِ ، المعروفُ بابنِ أبى عثمانَ الدَّقَّاقُ[1] . قال الخطيبُ[2] : سمِع القَطِيعىَّ وغيرَه ، وكان شيخًا صالحًا ، صدوقًا دَيِّنًا ، حسَنَ المَذْهَبِ .

[٩/١٦٢و] **محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبى الفرجِ بنِ فَسانْجسَ الوزيرُ ، أبو الفرجِ المُلَقَّبُ بذِى السَّعاداتِ**[3] ، وزَر لأبى كاليجارَ بفارسَ وبغدادَ ، وكان ذا مُروءةٍ غَزيرةٍ ، مليحَ الشعرِ والتَّرَسُّلِ ، ومِن مَحاسنِه أنه كُتِب إليه فى رجلٍ مات عن ولدٍ له ثمانيةُ أشهرٍ ، وله مِن المالِ ما يُقاربُ مائةَ ألفِ دينارٍ[4] ، فإن رأَى الوزيرُ أن يَقْتَرِضَ من العينِ إلى حينِ بُلوغِ الطفلِ ، فكتَب على ظهرِ الورقةِ : المُتَوَفَّى رحِمه اللَّهُ ، والطفلُ جبَره اللَّهُ ، والمالُ ثمَّره اللَّهُ ، والساعى لعَنه اللَّهُ ، ولا حاجةَ لنا إلى مالِ الأيتامِ . اعْتُقِل ثم قُتِل فى رمَضانَ من هذه السنةِ عن إحدى وخمسين سنةً .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ غَيْلانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ غَيْلانَ بنِ حكيمِ بنِ غَيْلانَ ، أبو طالبٍ البَزَّارُ[5] ، روَى عن جَماعةٍ ، وهو آخِرُ مَن حدَّث عن أبى بكرٍ

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٠، وتبيين كذب المفترى ص ٢٥٨، والمنتظم ١٥/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٣٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٠.

(٣) دمية القصر ١/ ٢١٠، والمنتظم ١٥/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٨٩، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٠٤.

(٤) بعده فى ب ، م : «فكتب إليه الموصى ، وقيل : غيره . إن فلانًا قد مات وخلف ولدًا عمره ثمانية أشهر ، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار» .

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٤، وفيه : «أبو طاهر» بدلا من: «أبو طالب» ، والمنتظم ١٥/ ٣١٧، والكامل ٩/ ٥٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٩٢، والوافى بالوفيات ١/ ١١٩.

الشافعيِّ ، وكان صدوقًا دَيِّنًا صالحًا ، قوِيَّ النفسِ على كِبَرِ السنِّ ، كان يَمْلِكُ ألفَ دينارٍ ، فكان يَصُبُّها كلَّ يومٍ فى حِجْرِه فيُقَبِّلُها ، ثم يَرُدُّها إلى موضعِها ، وقد خرَّج له الدارَقطنىُّ الأَجْزاءَ الغَيْلانِيَّاتِ ، وهى سماعُنا . وكانت وفاتُه يومَ الاثنين سادسَ شوالٍ من هذه السنةِ عن أربعٍ وتسعين سنةً ، ويقالُ : إنه بلَغ مائةً وخمسَ سنين . فاللَّهُ أعلمُ .

الملكُ أبو كاليجارَ واسمُه المَرْزُبانُ بنُ سلطانِ الدولةِ بنِ بَهاءِ الدولةِ بنِ عَضُدِ الدولةِ[1] ، كانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن أربعين سنةً وأشهرٍ ، وقد ولِى العراقَ نحوًا مِن أربعِ سنين ، ونُهِبَت له قَلْعةٌ كان فيها ما يَزيدُ على ألفِ ألفِ دينارٍ ، وقام بالأمرِ مِن بعدِه ابنُه الملكُ الرحيمُ أبو نصرٍ .

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣١٧، والكامل ٩/ ٥٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٣١ - ٤٤٠) ص ٤٧٩، ٤٩٨.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وأربعين وأربعِمائةٍ

فى عاشرِ المحرَّمِ[1] تُقُدِّم إلى أهلِ الكَرْخِ أن لا يَعْمَلوا بِدْعَةَ النَّوْحِ ، فجرَت بينَهم وبينَ أهلِ بابِ البصرةِ ما يَزيدُ على الحدِّ ؛ مِن الجِراحِ والقتلِ .

وفيها بنَى أهلُ الكرخِ سُورًا عليه ، وبنَى أهلُ السُّنةِ سورًا على سوقِ القَلَّائِين ، ونقَض كلٌّ مِن الفريقَيْن أبنِيتَه ، وحمَلوا الآجُرَّ إلى مَواضعَ بالطُّبولِ والمَزاميرِ ، وجرَت بينَهم مُفاخَراتٌ فى ذلك وسُخْفٌ لا تَنْحَصِرُ ولا تَنْضَبِطُ ، ثم وقَعَت بينَهم فتنٌ يَطولُ ذكرُها ، وأحْرَقوا دُورًا كثيرةً جدًّا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها وقَعَت وَحْشةٌ بينَ الملكِ طُغْرُلْبَك وأخيه [2]إبراهيمَ يَنّال ، فأمَر طُغْرُلْبَك بضربِه وسَمْلِ إحدى عينيه وقطْعِ شَفَتَيه ، فسارَ إبراهيمُ[2] فجمَع جُموعًا كثيرةً ، فاقْتَتَل هو وأخوه فهزمه طُغْرُلْبَك ، ثم أسَره مِن قلعةٍ قد تحَصَّن بها ، بعدَ مُحاصَرةِ أربعةَ أيامٍ ، فاسْتَنْزَله مقهورًا ، فأحْسَن إليه وأكْرَمه ، وأقام عندَ أخيه مُكرَّمًا .

وكتَب ملكُ الرومِ إلى طُغْرُلْبَك [٩/١٦٢ظ] فى فداءِ بعضِ مُلوكِهم ممَّن كان أسَره إبراهيمُ يَنَّال ، ويَبْذُلُ له فيه قطعةً كثيرةً من المالِ ، فبعَثه إليه مجّانًا مِن غيرِ عِوَضٍ اشْتَرَطه عليه ، فأرْسَل ملكُ الرومِ هَدايا كثيرةً وتحَفًا غزيرةً ، وأمَر بعِمارةِ المسجدِ الذى بالقُسْطَنْطِينيةِ ، وأُقِيمَت فيه الصلاةُ والجمعةُ ، وخُطِب فيه للملكِ

---

(١) المنتظم ١٥/٢١٩ - ٣٢١، والكامل ٩/٥٥٣ - ٥٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٥.

(٢ - ٢) سقط من: ب، م.

طُغْرُلْبَك ، فبلَغ هذا الأمرُ العَجيبُ سائرَ الملوكِ ، فعظَّموا الملكَ طُغْرُلْبَك تَعْظيمًا زائدًا ، وخطَب له نصرُ الدولةِ بنُ مرْوانَ بالجَزيرةِ .

وفيها ولِى مسعودُ بنُ مَوْدودِ بنِ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين المُلْكَ بعدَ وفاةِ أبيه ، وكان صغيرًا ، فمكَث أيامًا ، ثم عُدِل عنه إلى عمِّه علىِّ بنِ مسعودٍ ، [1]ثم نازَعه عمُّه عبدُ الرشيدِ بنُ محمودٍ ، فاستقر الملكُ بيدِه وانعَزل علىُّ بنُ مسعودٍ[1] ، وهذا أمرٌ غريبٌ جدًّا ، فللهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

وفيها ملَك المِصْريون مدينةَ حلَبَ ، وأجْلَوْا عنها صاحبَها ثُمالَ بنَ صالحِ بنِ مِرْداسٍ .

[2]وفيها كان بينَ البَساسِيرىِّ وبينَ بنى عُقَيْلٍ حربٌ[2] .

وفيها ملَك البَساسِيرىُّ الأنْبارَ مِن يدِ قِرْواشٍ ، فأصْلَح أمورَها .

وفى شعبانَ منها سار البَساسِيرىُّ إلى طريقِ خُراسانَ ، وقصَد ناحيةَ الدَّزْدارِ[3] وملَكها ، وغنِم مالًا كثيرًا كان فيها ، وكان سُعْدَى بنُ أبى الشَّوْكِ قد حصَّنها .

قال ابنُ الجوزىِّ[4] : فى ذى الحِجَّةِ ارْتَفَعَت سَحابةٌ سوداءُ ليلًا ، فزادَت على ظلمةِ الليلِ ، وظهَر فى جَوانبِ السماءِ كالنارِ المُضْرَمةِ[5] ، فانْزَعَج الناسُ لذلك ، وخافوا وأخَذوا فى الدعاءِ والتَّضَرُّعِ ، فانْكَشَف فى باقى الليلِ بعدَ ساعةٍ[6] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل ـ ص : « الذردار » ، وفى ب ، م : « الدوران » . والمثبت من الكامل . ولعلها : « دُوزْدان » كما فى معجم البلدان ٣/٣٤٠ فى معرض كلامه عن « شهرزور » .

(٤) كذا فى النسخ ، بل قال هذا ابن الأثير فى الكامل ٩/ ٥٦٠. ولعلها سبق قلم من المصنف رحمه اللَّه .

(٥) فى الأصل ، ب ، م : « المضيئة » .

(٦) بعده فى الأصل ، ص : « جيدة » .

وكانت قد هبَّت ريحٌ شديدةٌ جدًّا قبلَ ذلك ، فأتْلَفَت شيئًا كثيرًا مِن الأشجارِ ، وهدَمت رَواشنَ[1] كثيرةً من دارِ الخِلافةِ ودارِ المَمْلكةِ .

[2]ولم يحُجَّ أحدٌ من أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ[2] .

وممن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ [3]أحمدَ بنِ[3] منصورٍ أبو الحسنِ ، المعروفُ بالعَتِيقىِّ ؛ نسبةً إلى جدٍّ له كان يُسَمَّى عَتِيقًا ، سمِع مِن ابنِ شاهِينَ وغيرِه ، وكان صدوقًا . تُوُفِّى فى صفرٍ منها وقد جاوَز السبعين[4] .

علىُّ [5]بنُ عبدِ اللَّهِ[5] بنِ الحسينِ[6] أبو القاسمِ العَلَوىُّ ، ويُعْرَفُ بابنِ الشَّبيهِ[7] . قال الخطيبُ[8] : سمِع مِن ابنِ مُظَفَّرٍ وكتَبتُ عنه ، وكان صدوقًا دَيِّنًا حسَنَ الاعْتقادِ ، يُوَرِّقُ بالأُجْرةِ ويَأْكُلُ منه ويَتَصَدَّقُ . تُوُفِّى فى رجبٍ منها وقد جاوَز الثمانين .

عبدُ الوهَّابِ بنُ أقضى القضاةِ أبى الحسنِ الماوردىِّ[9] يُكَنَّى أبا الفائزِ ،

---

(١) الرواشن : جمع رَوْشن ، وهو : الشُّرْفة . الوسيط (ر ش ن) .

(٢ - ٢) سقط من : ص . ولم يذكر فى المصادر شىء عن الحج فى هذه السنة .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٩، وتاريخ دمشق ٥/ ٢٠٠، والمنتظم ١٥/ ٣٢١، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٤٠، والعبر ٣/ ١٩٥، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٥٨.

(٤) فى ب ، م : « التسعين » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، م . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢/ ٩، والمنتظم ١٥/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٤٧.

(٦) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٧) فى الأصل : « يحيى الشبيه » ، وفى ب ، م : « محيى السنة » . وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٩.

(٨) تاريخ بغداد ١٢/ ٩.

(٩) المنتظم ١٥/ ٣٢٢، والكامل ٩/ ٥٦١.

شهِد عندَ ابنِ ماكولا فى سنةِ إحدى وثلاثين ، فأجاز شهادتَه احْتِرامًا لأبيه ، تُوُفِّى فى المُحَرَّمِ من هذه السنةِ .

الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ الصُّورىُّ الحافظُ[1] ، طلَب الحديثَ بنفسِه بعدَ ما كبِر [٩/١٦٣و] وأسَنَّ ، فرحَل فى طلبِ الحديثِ إلى الآفاقِ ، وكتَب الكثيرَ ، وصنَّف واسْتَفاد على الحافظِ عبدِ الغنىِّ بنِ سعيدٍ المصرىِّ ، وكتَب عنه شيخُه عبدُ الغنىِّ شيئًا فى[2] تَصانيفِه ، وكان مِن أعظمِ أهلِ الحديثِ هِمَّةً فى الطَّلَبِ وهو شابٌّ ، ثم كان مِن أقْوَى الناسِ عَزيمةً على العملِ الصالحِ ، كان يَسْرُدُ الصومَ كلَّ يومٍ إلا يومَي العيدين وأيامَ التَّشْريقِ ، وكان مع ذلك حسَنَ الخُلُقِ جَميلَ المُعاشَرةِ ، وقد ذهَبَت إحدى عينيه ، فكان يَكْتُبُ بالأخرى المُجَلَّدَ فى جزءٍ . قال أبو الحسنِ بنُ الطُّيُورِىِّ[3] : يُقالُ : إن عامَّةَ كُتبِ الخطيبِ سِوَى « التاريخِ » مُسْتَفادةٌ مِن كتبِ أبى عبدِ اللَّهِ الصُّورىِّ . كان قد مات الصُّورىُّ وترَك كتبَه اثنَىْ عشَرَ عِدْلًا عندَ أخيه[4] ، فلما صار الخطيبُ إلى الشامِ أَعْطَى أخاه[4] شيئًا ، وأخَذ بعضَ تلك الكتبِ ، فحوَّلها فى كتبِه .

ومِن شعرِ أبى عبد اللَّهِ الصُّورىِّ[5] :

تَوَلَّى الشبابُ بريْعانِهِ ... وجاء المَشِيبُ بأحْزانِهِ
فقلْبى لفُقْدانِ ذا مُؤْلَمٌ ... كَئيبٌ بهذا ووِجْدانِهِ

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/٧٥٠ مخطوط ، والمنتظم ١٥/ ٣٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٥٢.

(٢) فى النسخ : « من » . والمثبت من المصادر .

(٣) المنتظم ١٥/ ٣٢٢.

(٤) كذا فى النسخ . وفى مصادر الترجمة : « أخته » .

(٥) المنتظم ١٥/ ٣٢٣.

وإن كان ما جار فى سيرِه ... ولا جاء فى غيرِ إبَّانِهِ
ولكن أتَى مُؤْذِنًا بالرحيلِ ... فوَيْلىَ مِن قربِ إيذانِهِ
ولولا ذنوبٌ تحَمَّلْتُها ... لمَا راعَنى حالَ إتْيانِهِ
ولكنَّ ظَهْرِى ثقيلٌ بما ... جَناه شبابى بطُغْيانِهِ
فمَن كان يَبْكى شَبابًا[1] مضَى ... ويَنْدُبُ طَيِّبَ أزمانِهِ
فليس بُكائى وما قد ترَوْ ... ن منِّى لوَحْشةِ فُقْدانِهِ
ولكن لِمَا كان قد جرَّهُ ... علىَّ بوَثْباتِ شَيْطانِهِ[2]
فوَيْلى وعَوْلىَ[3] إن لم يَجُدْ ... علىَّ مَلِيكى برِضْوانِهِ
ولم يتَغَمَّدْ ذُنوبى وما ... جَنَيْتُ بواسعِ غُفْرانِهِ
ويَجْعَلْ مَصيرى إلى جنةٍ ... يُحِلُّ بها أهلَ قربانِهِ
وإن كنتُ ما لىَ مِن قُرْبةٍ[4] ... سِوى حسنِ ظنِّى بإحسانِه
وأنِّى مُقِرٌّ بتوحيدِه ... عليمٌ بعِزَّةِ سُلطانِهِ
أُخالِفُ فى ذاك أهلَ الجحودِ[5] ... وأهلَ الفسُوقِ وعُدْوانِهِ
وأَرْجُو به الفوزَ فى منزلٍ ... مُقِرٍّ لأعينِ سُكّانِهِ
ولن يَجْمَعَ اللَّهُ أهلَ الجُحودِ ... ومَن قد أقرَّ بإيمانِهِ
[٩/١٦٣ظ] فهذا يُنَجِّيه إيمانُه ... وهذا يَبُوءُ بخُسْرانِهِ

---

(١) فى المنتظم: «زمانا».
(٢) بعده فى المنتظم:
«فولَّى وأبقى علىَّ الهموم ... بما قد تحملت فى شأنه».
(٣) فى ب، م: «وَيْحِى».
(٤) فى ب، م: «طاعة».
(٥) فى ب، م: «الهوى».

وهـذا يُـنَـعَّـمُ فـى جـنـةٍ (١)وذلـك فـى قَـعـرِ نـيـرانِـهِ(١)

ومِن شعرِه أيضًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى :

قل لمَن عانَد الحديثَ وأضْحَى عـائبًا أهـلَـه ومَـن يَـدَّعِـيـهِ
أبعلمٍ تقولُ هذا أَبِنْ لى أم بجهلٍ فالجهلُ خُلْقُ السَّفيهِ
أَيُعابُ الذين هم حفِظوا الديـ ـنَ مِن التُّرَّهاتِ والتَّمْويهِ
وإلى قولِهم وما قد روَوْه راجـعٌ كـلُّ عـالمٍ وفـقـيـهِ

وكان سببَ وفاتِه رحِمه اللَّهُ أنه افْتَصَد ، فورِمَت يدُه ، لأنه - على ما ذُكر - كانت رِيشةُ الحاجِمِ مَسْمومةً لغيرِه ، فغلِط ففصَده بها ، فكانت فيها مَنِيَّتُه بإذنِ اللَّهِ وقدرِه ، فحُمِل إلى المارَسْتانِ ، فمات به فى يومِ الأربعاءِ سَلْخَ جمادى الآخِرةِ من هذه السنةِ ، ودُفِن بمقبرةِ جامعِ المدينةِ ، وقد نيَّف على الستين سنةً ، أسأل اللَّهَ تعالى أن يرحمَه وإيَّانا بمنِّه وكرمِه ، آمين .

(١ - ١) فى ب ، م : « وذاك قرين لشيطانه » .

ثم دخَلت سنةُ ثنتين وأربعين وأربعِمائةٍ

فيها[1] فتَح السلطانُ طُغْرُلْبَك أصْبَهانَ بعدَ حِصارِ سنةٍ ، فنقَل إليها حَواصِلَه مِن الرَّىِّ ، وجعَلها دارَ إقامتِه ، وخرَّب قطعةً مِن سُورِها ، وقال : إنما يَحتاجُ إلى السُّورِ مَن تَضْعُفُ قوتُه ، وإنما حِصْنى عَساكِرى وسيفى . وقد كان فيها أبو منصورٍ قرامرز[2] بنُ علاءِ الدولةِ أبى جعفرِ بنِ كاكَوَيِه[3] ، فأخْرَجه منها وأقْطَعَه بعضَ بلادِها .

وفيها سار الملكُ الرحيمُ إلى الأهْوازِ ، وأطاعه عَسْكرُ فارسَ وملَك عسكرَ مُكرمٍ .

وفيها اسْتَوْلَت الخوارجُ على عُمانَ ، وأخْرَبوا دارَ الإمارةِ فيها ، وأسَروا أبا المُظَفَّرِ بنَ أبى كاليجارَ .

وفيها دخَلَت العربُ بإذنِ المُسْتَنْصِرِ الفاطمىِّ بلادَ إفْرِيقِيَّةَ ، وجرَت بينَهم وبينَ المُعِزِّ بنِ باديسَ حروبٌ طويلةٌ ، وعاثوا فى الأرضِ فَسادًا عدةَ سنين .

وفيها اصْطَلَح الرَّوافضُ والسنَّةُ ببغدادَ ، وذهَبوا كلُّهم لزيارةِ مشهدِ علىٍّ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٢٥، ٣٢٦، والكامل ٩/٥٦٢ - ٥٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٧، ٨.

(٢) فى ب ، م ، ص : « قرامز » . وفى الكامل : « فرامرز » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٣٢.

(٣) فى النسخ : « كالويه » . والمثبت من ترجمة علاء الدولة فى الكامل ٩/ ٤٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٣٨٤.

ومشهدِ الحسينِ ، وترَضَّوا فى الكَرْخِ عن الصَّحابةِ كلِّهم ، وترَحَّموا عليهم ، وهذا عجيبٌ جدًّا ، إلا أن يَكونَ مِن بابِ التَّقِيَّةِ .

ورخُصَت الأسعارُ ببغدادَ جدًّا . ولم يحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

علىُّ بنُ عمرَ [1]**بنِ محمدٍ**[1] **بنِ الحسنِ ، أبو الحسنِ الحَرْبىُّ** ، المعروفُ بالقَزْوِينىِّ ، وُلِد فى مُسْتَهَلِّ المحُرَّمِ فى سنةِ [٩/١٦٤و] ستين وثلاثِمائةٍ ، وهى الليلةُ التى تُوفِّى فيها أبو بكرٍ الآجُرِّىُّ ، وسمِع أبا بكرِ بنَ شاذانَ وأبا حفصٍ [2]بنَ الزَّيَّاتَ و[2] ابنَ حَيَّوَيْهِ ، وكان وافرَ العقلِ ، مِن كبارِ عبادِ اللَّهِ الصالحين ، له كَراماتٌ كثيرةٌ ، وكان يُقْرِئُ القرآنَ ويَرْوِى الحديثَ ، ولا يَخْرُجُ إلا للصلاةِ . وكانت وفاتُه فى شعبانَ من هذه السنةِ ، فغُلِّقَت بغدادُ يومَئذٍ ، وحضَر الناسُ جِنازتَه ، وكان يومًا مَشْهودًا ، رحِمه اللَّهُ .

عمرُ بنُ ثابتٍ الثَّمانِينىُّ[3] ، النَّحْوىُّ الضَّريرُ ، شارحُ « اللُّمَعِ » ، كان فى غايةِ العلمِ بالنحوِ ، وكان يَأْتَجِرُ عليه . وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[4] أنه اشْتَغل على ابنِ جِنِّىٍّ ، وشرَح كلامَه ، وكان ماهرًا فى صناعةِ النحوِ ، قال : وهذه النسبةُ إلى قريةٍ مِن نَواحى جزيرةِ ابنِ عمرَ عندَ الجبلِ الجُودِىِّ ، يقالُ لها : ثَمانِينَ . باسمِ الثَّمانِينَ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ١٢/ ٤٣، والمنتظم ١٥/ ٣٢٦، والتدوين فى أخبار قزوين للرافعى ٣/ ٣٨٩، والكامل ٩/ ٥٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٦٤.

(٢ - ٢) سقط من : ب ، م .

(٣) المنتظم ١٥/ ٣٢٦، ومعجم الأدباء ١٦/ ٥٧، والكامل ٩/ ٥٧١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٦٨ .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٤.

الذين كانوا مع نوحٍ عليه السلامُ فى السفينةِ ، واللَّهُ أعلمُ .

قِرْواشُ بنُ مُقَلَّدٍ ، أبو المَنِيعِ[1] ، صاحبُ الموصلِ والكوفةِ وغيرِهما ، كان مِن الجَبَّارِين ، وقد كاتَبه الحاكمُ صاحبُ مصرَ فى بعضِ الأحيانِ ، فاسْتَماله إليه ، فخطَب له ببلادِه ، ثم ترَكه ، واعْتَذَر إلى القادرِ فعذَره ، وقد جمَع هذا الجبّارُ بينَ أختَيْن فى النكاحِ ، فلامَتْه العربُ ، فقال : وأىُّ شىءٍ نعمَلُه ممّا هو مُباحٌ فى الشريعةِ ؟! وقد نُكِب فى أيامِ المُعِزِّ الفاطمىِّ ، ونُهِبَت حَواصلُه ، وحينَ تُوُفِّى قام بالأمرِ بعدَه ابنُ أخيه قُريشُ بنُ بَدْرانَ بنِ مُقَلَّدٍ .

مَوْدودُ بنُ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين[2] ، صاحبُ غَزْنةَ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وقام بالأمْرِ مِن بعدِه عمُّه عبدُ الرشيدِ بنُ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين .

---

(١) دمية القصر ١/ ١٣٠، والمنتظم ١٥/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٤٨.

(٢) المنتظم ١٥/ ٣٢٨، والكامل ٩/ ٥٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٥٦.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وأربعين وأربعِمائةٍ

فى صفَرٍ منها[1] وقَع الحربُ بينَ الرَّوافضِ والسنةِ، فقُتِل مِن الفريقَيْن خلقٌ كثيرٌ، وذلك أن الروافضَ نصَبوا أبْراجًا، وكتَبوا عليها بالذهبِ: محمدٌ وعليٌّ خيرُ البشرِ، فمَن رضِى فقد شكَر، ومَن أبَى فقد كفَر. فأنْكَرَت السنَّةُ اقْترانَ عليٍّ مع النبىِّ ﷺ فى هذا، فنَشِبت الحربُ بينَهم، واسْتَمَرَّ القِتالُ بينَهم إلى ربيعِ الأولِ، فقُتِل رجلٌ هاشمىٌّ، فدُفِن عندَ الإمامِ أحمدَ، ورجَع السنةُ مِن دفنِه، فنهَبوا مشهدَ موسى بنِ جعفرٍ وأحرَقوه، وأحْرَقوا ضَريحَ موسى ومحمدٍ الجَوَادِ، وقبورَ ملوكِ بنى بُوَيْهِ مَن هناك مِن الوُزراءِ، وأُحْرِق قبرُ جعفرِ بنِ المنصورِ، ومحمدٍ الأمينِ، وأمِّه زُبَيْدةَ، وقبورٌ كثيرةٌ جدًّا، وانْتَشَرَت الفتنةُ وتجاوَزت الحدَّ، وقد قابَلَهم أولئك أيضًا بمَفاسدَ كثيرةٍ، فأحرقوا محالَّ كثيرةً وبعْثَروا قَبورًا قديمةً، وأحْرَقوا مَن فيها مِن الصالحين، حتى هَمُّوا بقبرِ الإمامِ أحمدَ، فمنَعهم [٩/١٦٤ظ] النَّقيبُ، وخاف مِن غائلةِ ذلك، وتسَلَّط على الرافضةِ عَيَّارٌ يقالُ له: الطقيطقىُّ[2]. وكان يَتَتَبَّعُ رُءوسَهم وكِبارَهم فيَقْتُلُهم جِهارًا غِيلةً، وعظُمَت المحنةُ بسببِه جدًّا، ولم يَقْدِرْ عليه أحدٌ، وكان فى غايةِ الشجاعةِ والبأْسِ والمكْرِ، ولما بلَغ ذلك دُبَيْسَ بنَ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ، وكان رافِضِيًّا،

---

(١) المنتظم ١٥/٣٢٩ - ٣٣٢، والكامل ٩/٥٧٢ - ٥٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٩، ١٠.

(٢) فى ب، م: «القطيعى». وفى المنتظم: «الطقطقى».

قطَع خطبةَ الخليفةِ القائمِ باللَّهِ ، ثم رُوسِل فأعادها .

وفى رمضانَ جاءت الهدايا مِن الملكِ طُغْرُلْبَك إلى الخليفةِ شكرًا له على إنْعامِه عليه وإحسانِه إليه بما كان بعَثه له مِن الخِلَعِ والتَّقْليدِ ، وأرْسَل إلى الخليفةِ بعشرين ألفَ دينارٍ[1] ، وإلى الحاشيةِ بخمسةِ آلافٍ ، وإلى رئيسِ الرُّؤساءِ بألْفَىْ دينارٍ ، وقد كان طُغْرُلْبَك حينَ عمَّر الرَّىَّ وخرَّب فيها أماكنَ ليُصلحَها وجَد فيها دَفائِنَ كثيرةً مِن الذهبِ والجَوهرِ ، فعظُم شأنُه بذلك ، وقوِى ملكُه بسببِه .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو الحسنِ الشاعرُ البُصْرَوىُّ[2] ؛ نسبةً إلى قريةٍ دونَ عُكْبَرَا يقالُ لها : بُصْرَى . باسمِ المدينةِ التى هى أمُّ حَوْرانَ ، وقد سكَن بغدادَ ، وكان مُتَكَلِّمًا مَطْبوعًا ، له نَوادِرُ ، ومِن شعرِه الذى رواه عنه الخطيبُ[3] :

تَرَى الدنيا وزهرتَها[4] فتَصْبُو ... وما يَخْلُو مِن الشَّهَواتِ قلبُ
فُضولُ العيشِ أكثَرُها هُمومٌ ... وأكثرُ ما يَضُرُّك ما تُحِبُّ
فلا يَغْرُرْك زُخْرفُ ما تراه ... وعيشٌ ليِّنُ الأعطافِ رَطْبُ
إذا ما بُلْغةٌ جاءتك عفْوًا ... فخُذْها فالغِنَى مَرْعًى وشِرْبُ
إذا اتَّفَق القليلُ وفيه سِلْمٌ ... فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حَرْبُ

---

(١) كذا فى المنتظم ، والكامل : « عشرة آلاف دينار » .
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٦، والمنتظم ١٥/ ٣٣٢، والكامل ٩/ ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٨٤.
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٦.
(٤) فى ب ، م : « شهوتها » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وأربعين وأربعِمائةٍ

فيها[1] كُتِبَت محاضرُ بذكرِ الخلفاءِ المصريين، وأنهم أدْعِياءُ لا نسَبَ لهم صحيحًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكتَب فيها القُضاةُ والفُقهاءُ والأشْرافُ.

وفيها كانت زَلازلُ عظيمةٌ بنَواحِى أرَّجانَ والأهْوازِ وتلك البلادِ، تهَدَّم بسببِها شىءٌ كثيرٌ من العُمْرانِ والدورِ وشُرُفاتِ القُصورِ، وحكَى بعضُ مَن يُعْتَمَدُ قولُه أنه انْفَرَج إيوانُه وهو يُشاهِدُ ذلك، حتى رأَى السماءَ منه، ثم عاد إلى حالِه لم يَتَغَيَّرْ.

وفى ذى القَعْدةِ منها تجَدَّدَت الحربُ بينَ الرَّوافِضِ وأهلِ السنةِ، وأحْرَقوا أماكنَ كثيرةً، وقُتِل مِن الفريقَيْن خَلائقُ، وكتَبوا على مساجدِهم: محمدٌ وعلىٌّ خيرُ البشرِ. وأذَّنوا بحىَّ على خيرِ العملِ، واسْتَمَرَّت الحربُ [٩/١٦٥و] بينَهم، وتسَلَّط الطقيطقىُّ[2] العَيَّارُ على الرَّوافضِ بحيث إنه لم يَقِرَّ لهم معه قَرارٌ، وهذا مِن جملةِ ما جرَت به الأقْدارُ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحسنُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ وهبِ بنِ شُبيلِ بنِ فروةَ[3]

---

(١) المنتظم ١٥/٣٣٤ - ٣٣٦، والكامل ٩/٥٨٢ - ٥٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١١، ١٢.

(٢) فى ب، م: «القطيعى»، وفى ص: «الطيطقى»، وفى المنتظم، والكامل: «الطقطقى».

(٣) فى النسخ، والمنتظم: «قرة». والمثبت من مصادر ترجمته، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠، والمنتظم ١٥/ ٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٠، وميزان الاعتدال ١/ ٥١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٨٨، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٢١.

ابنِ واقدٍ ، أبو عليٍّ التَّميميُّ ، الواعظُ المعروفُ بابنِ المُذْهِبِ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وخمسين وثلاثِمائةٍ ، وسمِع « مسندَ الإمامِ أحمدَ » مِن أبى بكرِ بنِ مالكٍ القَطِيعىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الإمامِ أحمدَ ، عن أبيه ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى محمدِ بنِ ماسِى وابنِ شاهِينَ والدارَقُطْنىِّ وخَلْقٍ ، وكان دَيِّنًا خَيِّرًا ، وقد ذكَر الخطيبُ[1] أنه كان صَحيحَ السَّماعِ لـ « مسندِ أحمدَ » مِن القَطيعىِّ ، غيرَ أنه ألْحَق اسمَه فى أجْزاءٍ . قال ابنُ الجوزىِّ[2] : وليس هذا بقَدْحٍ ؛ لأنه إذا تحقَّق سماعُه جاز أن يُلْحِقَ اسمَه [3]الذى غفَل عنه الكاتبُ ، والعجبُ أن يُجازَ قولُ الشيخِ : أخبرنى فلانٌ . ولا يُسْمَعُ منه إلحاقُه اسمَه[3] فيما تحقَّق سماعُه له . وقد عاب عليه الخطيبُ أشياءَ لا حاجةَ إليها .

علىُّ بنُ الحسينِ بنِ محمدٍ ، أبو الحسنِ المعروفُ بالشباشِ[4] ، البغدادىُّ ، وقد أقام بالبصرةِ فاسْتَحْوَذ هو وعمُّه عليها وعلى أهلِها ، وعمِل أشياءَ مِن الحِيَلِ يُوهِمُ بها أنه من ذَوِى الأحْوالِ والمُكاشَفاتِ ، وهو فى ذلك كاذبٌ فاجرٌ ، قبَّحه اللَّهُ وقبَّح عمَّه ، وقد كان مع هذا رافِضِيًّا خَبِيثًا قِرْمِطِيًّا ، لا كثَّر اللَّهُ من أمثالِه فى العالمين . كانت وفاتُه فى هذا العامِ ، فللهِ الحمدُ والشكرُ على الإنْعامِ .

القاضى أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ[5] **أبو جعفرٍ السِّمْنانىُّ**

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠.

(٢) المنتظم ١٥/ ٣٣٧.

(٣ - ٣) سقط من : ب ، م .

(٤) فى ب ، م : « الشاشى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٥/ ٣٣٤.

(٥) فى النسخ : « أحمد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١/ ٣٥٥، وتبيين كذب المفترى ص ٢٥٩، والمنتظم ١٥/ ٣٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ٢/ ٦٥.

القاضى، أحدُ المُتَكَلِّمين على طريقةِ الشيخِ أبى الحسنِ الأشْعَرِىِّ، وقد سمِع الحديثَ من الدارَقُطْنىِّ وغيرِه، كان عالمًا فاضلًا سَخِيًّا، تولَّى القَضاءَ بالموصلِ، وكان له فى دارِه مجلسٌ للمُناظَرةِ، وتوُفِّى بعدَ ما كُفَّ بصرُه بالموصِلِ، وهو قاضِيها فى هذه السنةِ فى ربيعِ الأولِ، وقد بلَغ خمسًا وثمانين سنةً[1].

(١) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم أنه ولد سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فيكون عمره ثلاثا وثمانين سنة، ونص على ذلك الذهبى فى تاريخه وسير أعلام النبلاء.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وأربعين وأربعِمائةٍ

فيها[1] تجدَّد الشرُّ والقِتالُ والحَريقُ بينَ الرَّوافضِ والسنَّةِ وقَوِى، وتفاقَم الحالُ.

وورَدَت الأخبارُ بأن الغُزَّ[2] على قصدِ العراقِ.

وفيها نُقِل إلى الملكِ طُغْرُلْبَك أن الشيخَ أبا الحسنِ الأشْعرىَّ يقولُ بكذا وكذا، وذُكِر أشياءُ مِن الأمورِ التى أنكرها الملكُ، فأمَر بلعنِه، وصرَّح أهلُ نَيْسابورَ بتَكْفيرِ مَن يقولُ ذلك، فضجَّ أبو القاسمِ القُشَيْرىُّ عبدُ الكريمِ بنُ هَوازِنَ، وصنَّف رسالةً سماها «شِكايةَ أهلِ السنةِ لِما نالَهم مِن المِحْنةِ[3]»، واسْتَدْعَى السلطانُ جماعةً مِن رُءوسِ الأشاعرةِ، منهم القُشَيْرىُّ، فسألَهم [٩/ ١٦٥ظ] عما أُنْهِىَ إليه مِن ذلك، فأنْكَروا أن يكونَ الأشْعرىُّ قال ذلك، فقال: نحن إنما لعنَّا مَن يقولُ بذلك. وجرَت فتنٌ طويلةٌ.

وفيها اسْتَوْلى فولاستونُ[4] أبو منصورِ بنُ الملكِ أبى كاليجارَ على شِيرازَ، وخرَج منها أخوه أبو سعدٍ.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٤٠، ٣٤١، والكامل ٩/٥٩٣ - ٥٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٣، ١٤.

(٢) فى ب، م: «المعز الفاطمى عازم». والغز: جنس من الترك. اللسان (غ ز ز).

(٣) أوردها كلها تاج الدين السبكى فى طبقات الشافعية ٣/٤٠٠.

(٤) فى الأصل، ص: «فولاسون»، وفى م: «فولا بسون». وانظر الكامل ٩/ ٥٩٥.

وفى[1] شوالٍ سار البَساسِيرىُّ إلى أكْرادٍ وأعْرابٍ أفْسَدوا بالبوازيجِ ، فهزمَهم وأخَذ أموالَهم . ولم يَحُجَّ فيها أحدٌ مِن أهلِ العراقِ أيضًا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ عمرَ بنِ رَوْحٍ ، أبو الحسينِ النَّهْرَوانِىُّ[2] ، كان يَنْظُرُ فى العِيَارِ بدارِ الضَّرْبِ ، وله شعرٌ حسنٌ . قال : كنتُ يومًا على شطِّ النَّهْروانِ ، فسمِعْتُ رجلًا يَتَغَنَّى فى سفينةٍ مُنْحَدِرةٍ :

وما طلَبوا سِوَى قَتْلى ... فهان علىَّ ما طلَبوا

فاسْتَوْقَفْتُه وقلتُ : أَضِفْ إليه أيضًا :

على قتلى الأحبةُ بالتَّـ ... ـمادى فى الجَفا غلبوا
وبالهِجْرانِ طيبُ النو ... مِ من عَينىَّ قد سلَبوا
وما طلَبوا سِوى قتلى ... فهان علىَّ ما طلَبوا

إسماعيلُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ زَنْجُويهِ ، [3]أبو سعدٍ[3] الرازىُّ ، المعروفُ بالسَّمَّانِ ، شيخُ المُعْتَزلةِ ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكتَب عن أربعةِ آلافِ شيخٍ ، وكان عالمًا بارعًا فاضلًا مع اعتزالِه ، ومِن كلامِه : مَن لم يَكْتُبِ الحديثَ لم يَتَغَرْغَرْ بحَلاوةِ الإسلامِ . وكان حنفىَّ المذهبِ ، عالمًا بالخِلافِ والفَرائضِ

---

(١) بعده فى الأصل : « شعبان أو » .

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩٦، والمنتظم ١٥/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٠٩. وانظر الكامل ٩/ ٦٠٤ وفيه أنه توفى سنة ست وأربعين وأربعمائة .

(٣ - ٣) فى ب ، م ، ص : « أبو سعيد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٩/ ٢١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١١١، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٠٨، والجواهر المضية ١/ ٤٢٤، وطبقات المفسرين ١/ ١٠٩.

والحسابِ وأسماءِ الرجالِ ، وقد ترْجَمه ابنُ عَساكرَ فى « تاريخِه » فأطْنَب فى شكرِه والثَّناءِ عليه .

عمرُ بنُ الشيخِ أبى طالبِ المكىِّ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عَطِيةَ[1] ، سمِع أباه وابنَ شاهينَ ، وكان صَدوقًا ، يُكَنَّى بأبى حفصٍ[2] .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ بنِ الفرجِ بنِ الأزْهَرِ ، أبو طالبٍ[3] ، المعروفُ بابنِ السَّوادِىِّ ، وهو أخو أبى القاسمِ الأزْهَرىِّ ، تُوُفِّى عن نَيِّفٍ وثمانين سنةً .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أبى تَمّامٍ ، أبو تمّامٍ الزَّيْنَبىُّ[4] ، نَقيبُ النُّقَباءِ ، قام ابنُه مَكانَه فى النِّقابةِ .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٢٧٥، والمنتظم ١٥/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١١٦.

(٢) فى النسخ : « جعفر » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٣١٩، والمنتظم ١٥/ ٣٤٢، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١١٦.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٧، والمنتظم ١٥/ ٣٤٢، والكامل ٩/ ٥٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٣١٨، وفى تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام أن كنيته أبو منصور، وأنه توفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وأربعين وأربعِمائةٍ

فيها[1] غزا السلطانُ طُغْرُلْبَك بلادَ الرومِ بعدَ أخْذِه بلادَ أذْرَبِيجانَ ، فغنِم مِن بلادِ الرومِ وسبَى ، وعمِل أشياءَ حسَنةً ، ثم عاد سالمًا إلى أَذْرَبِيجانَ فأقام بها سنةً .

وفيها أخَذ قُرَيشُ بنُ بَدْرانَ الأنْبارَ ، وخطَب بها وبالموصلِ للسلطانِ طُغْرُلْبَك ، وأخْرَج منها نُوَّابَ البَساسِيرىِّ .

وفيها دخَل أبو الحارثِ المظفَّرُ البَساسِيرىُّ إلى بغدادَ مع بنى [٩/١٦٦و] خَفاجةَ مُنْصَرَفَه مِن الوَقْعةِ ، وظهَرت منه آثارُ النَّفْرةِ للخِلافةِ ، فراسَله الخليفةُ لتَطِيبَ نفسُه ، وخرَج فى ذى الحِجَّةِ إلى الأنْبارِ فأخَذها ، وكان معه دُبَيْسُ بنُ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ ، وخرَّب أماكنَ ، وحرَّق غيرَها ، ثم أذِن له فى الدخولِ إلى بيتِ النُّوبةِ لِيخْلعَ عليه ، فجاء إلى أن حاذَى بيتَ النُّوبةِ ، فخدَم وانْصَرَف ولم يَعْبُرْ ، فقوِيَت الوَحْشةُ .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ أيضًا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسينُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ [2]بنِ جعفرِ[2] بن داودَ ، أبو عبدِ اللَّهِ

---

(١) المنتظم ١٥/٣٤٣ - ٣٤٦، والكامل ٩/٥٩٧ - ٦٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٥ - ١٩.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٨/ ٢٩، والأنساب ٣/ ٢٧٥، والمنتظم ١٥/ ٣٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٣٠.

السَّلَمَاسيُّ، سمِع ابنَ شاهينَ وابنَ حَيُّويْهِ والدارَقطنيَّ، وكان ثقةً أمينًا، مشهورًا باصْطِناعِ المعروفِ، وفعْلِ الخيرِ، وافْتِقادِ الفقراءِ، وكثرةِ الصَّدقةِ، وكان قد أُرِيد على الشهادةِ، فأبَى من ذلك[1]. فى كل شهرٍ عشَرةُ دنانيرَ نفقةً لأهلِه.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْبَهانيُّ[2]، المعروفُ بابنِ اللَّبَّانِ، أحدُ تَلامذةِ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينيِّ، ولِى قضاءَ إيذجَ[3]، وكان يُصَلِّى بالناسِ التَّراويحَ، ثم يقومُ بعدَهم إلى الفجرِ، فربما انْقَضَى الشهرُ عنه ولم يَضْطَجِعْ إلى الأرضِ، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) لعل هنا سقطا من النسخ، أو انتقال نظر من المصنف عند نقله الترجمة من المنتظم، فبعد أن ذكر ابن الجوزى إباء أبى عبد اللَّه السلماسى الشهادة، ذكر رجلا فقيرا أرادوا أن يعرفوا من أين له ما ينفق، فعرفوا بعدما مات أبو عبد اللَّه السلماسى، فقد وجدوا فى سِجِلَّاته أنه كان يخصص عشرة دنانير كل شهر نفقة لهذا الرجل.

وبهذا يتم الربط بين الجملتين.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٤، وتبيين كذب المفترى ص ٢٦١، والمنتظم ١٥/ ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٣٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٧٢، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥٠٣. وفيهم - عدا المنتظم - «أبو محمد» بدلا من «أبى عبد اللَّه».

(٣) فى ب، م: «الكرخ». وإيذج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان. معجم البلدان ١/ ٤١٦.

[1] ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وأربعين وأربعِمائةٍ

فيها[2] ملَك طُغْرُلْبَك بغدادَ، وهو أولُ ملوكِ السَّلْجُوقيةِ لبلادِ العراقِ [٩/ ١٦٧و] وآخرُ مُلكِ بنى بُويه[1].

وفيها تأكَّدَت الوَحْشةُ بينَ البَساسيرىِّ وبينَ الخليفةِ، واشْتَكَت الأتْراكُ منه، وأطْلَق رئيسُ الرؤساءِ عبارتَه فيه، وذكَر قَبيحَ أفعالِه، وأنه كاتَب المِصْريِّين بالطاعةِ، وخلَع ما كان عليه مِن بيعةِ العباسِيِّين، وقال الخليفةُ: ليس إلّا[3] إهلاكُه.

وفيها غلَت الأسعارُ بنَواحِى الأهْوازِ، حتى بِيع الكُرُّ فى مدينةِ شِيرازَ بألفِ دينارٍ.

وفيها وقَعَت الفِتنةُ بينَ السنَّةِ والرافضةِ على العادةِ، فاقتَتَلوا قِتالًا شديدًا مُسْتَمرًّا، ولا تمكَّن الدولةُ أن يَحْجِزوا بينَ الفريقَيْن.

وفيها* وقَعَت الفتنةُ بينَ الأشاعرةِ والحَنابلةِ، وكان جانبُ الحنابلةِ قويًّا بحيث إنه كان لا يتمكنُ أحدٌ مِن الأشاعرةِ شهودَ الجماعاتِ. قاله ابنُ الجوزىِّ

(١ - ١) سقط من نسخة الأصل فى هذا الموضع، وجاء فى موضع آخر منها، فأثبتنا أرقام المخطوطة كما هى، وفيها تقديم وتأخير.

(٢) المنتظم ١٥/٣٤٧ - ٣٥١، والكامل ٩/٦٠٥ - ٦١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٠ - ٢٣.

(٣) فى المنتظم: «الآن».

* من هنا تبدأ نسخة المكتبة الخليلية التى يرمز لها بالرمز (خ).

فى المنتظَمِ[1] .

قال الخطيبُ[2] : كان أرْسلانُ التركيُّ المعروفُ بالبَساسيرىِّ قد عظُم أمرُه واسْتَفْحل ، لعدمِ أقْرانِه مِن متقَدِّمى الأتراكِ ، واسْتَوْلَى على البلادِ ، وطار اسمُه ، وتهيَّبتْه أمراءُ العربِ والعجمِ ، ودُعِى له على كثيرٍ مِن المنابرِ العراقيةِ والأهْوازِ ونواحِيها ، وجبى الأموالَ ، ولم يَكُنِ الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ يقطَعُ أمرًا دونَه ، ثم صحَّ عندَ الخليفةِ سوءُ عقيدتِه ، وشهِد عندَه جماعةٌ مِن الأتراكِ عرَّفهم وهو بواسطٍ عزمَه على نهْبِ دارِ الخِلافةِ والقبضِ على الخليفةِ ، فكاتَب الخليفةُ أبا طالبٍ محمدَ بنَ مِيكائيلَ بنِ سَلْجوقَ المُلَقَّبَ طُغْرُلْبَك ، يَسْتَنْهِضُه على المَسيرِ إلى العراقِ ، فانْفَضَّ أكثرُ مَن كان مع البَساسِيرىِّ ، وعادوا إلى بغدادَ سريعًا ، ثم أجْمَع رأيُهم على قصدِ دارِ البَساسِيرىِّ ، وهى [١٦٦/٩ظ] فى الجانبِ الغربىِّ فأحْرَقوها ، وهدَموا أبنيتَها .

ووصَل طُغْرُلْبَك إلى بغدادَ فى رمضانَ سنةَ سبعٍ وأربعين ، وقد تلَقَّاه إلى أثناءِ الطريقِ الأُمراءُ والوُزراءُ والحُجَّابُ ، ودخَل بغدادَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ جدًّا ، وخُطِب له بها ، ثم بعدَه للملكِ الرَّحيمِ ، ثم قُطِعَت خُطبةُ الملكِ الرحيمِ فى أواخرِ شهرِ رمضانَ ، ورُفِع إلى القلْعةِ مُعْتَقَلًا ، وكان آخرَ مُلوكِ بنى بُوَيْهِ ، وكانت مدةُ وِلايتِه[3] لبغدادَ ستَّ سنين وعشَرةَ أيامٍ ، وطُغْرُلْبَك أولُ ملوكِ السلجوقيةِ ، ونزَل طُغْرُلْبَك دارَ المَمْلكةِ بعدَ الفَراغِ مِن عِمارتِها ، ونزَل أصحابُه دورَ الأتْراكِ ، وكان معه ثمانيةُ أفيلةٍ ، ووقَعَت الفِتنةُ بينَ الأتراكِ والعامَّةِ ، ونُهِب الجانبُ الشرقىُّ

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٤٧.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ٣٤٨.

(٣) فى ب ، خ ، م : « ولا يتهم قريب المائة والعشر سنين ، وكان ملك الملك الرحيم » .

بكمالِه ، وجرَت خطوبٌ وخبْطةٌ عظيمةٌ . وأمَّا البَساسِيرىُّ فإنه فرَّ مِن الخليفةِ إلى ناحيةِ بلادِ الرَّحْبَةِ ، وكَتَب إلى صاحبِ مصرَ بأنه على إقامةِ الدَّعْوة له بالعراقِ ، فأرْسَل إليه بولايةِ الرَّحْبةِ ونِيابتِه بها ؛ ليكونَ على أُهْبَةِ التمكنِ من الأمرِ الذى يحاولُه ، قبَّحهما اللَّهُ تعالى .

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشرِ ذى القَعْدةِ قُلِّد أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ علىٍّ الدَّامَغَانىُّ قضاءَ القُضاةِ ، وخُلِع عليه به ، وذلك بعدَ موتِ أبى عبدِ اللَّهِ الحسينِ بنِ علىٍّ بنِ ماكولا ، ثم خُلِع على الملكِ طُغْرُلْبَك بعدَ دُخولِه بغدادَ بيومٍ ، ورجَع إلى دارِه وبينَ يديه الدَّبادِبُ والبُوقاتُ .

وفى هذا الشهرِ تُوُفِّى ذَخيرةُ الدِّينِ أبو العباسِ محمدُ بنُ أميرِ المؤمنين القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، وهو ولىُّ عهدِ أبيه ، فعظُمَت الرَّزِيَّةُ به ، (١)وجلَس رئيسُ الرؤساءِ للعزاءِ ، وجاء الناسُ ، وقد أُمروا بتخريقِ ثيابِهم ونشرِ عمائمِهم والتَّحَفِّى(٢) ، وقُطِعت الدبادبُ أيامَ العزاءِ بدارِ الخلافةِ ودارِ الملكِ حزنًا على ولىِّ عهدِ الخلافةِ(١) .

وفى هذه السنةِ اسْتَوَلى أبو كاملٍ علىُّ بنُ محمدٍ الصُّلَيْحىُّ الهَمْدانىُّ على أكثرِ أعمالِ اليمنِ ، وخطَب فيها للفاطمِيِّين ، وقطَع خُطبةَ العباسِيِّين .

وفيها كثُر فَسادُ الغُزِّ (٣)ونهْبُهم ، فثاورهم العوامُّ واقتتلوا ، ونَهَبوا(٤) العامةَ(٣) حتى أُبِيع الثَّوْرُ بخمسةِ قَراريطَ ، والحمارُ بقيراطين إلى خمسةِ قراريطَ .

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢) التحفى : أن يمشوا حفاةً .

(٣ - ٣) فى ب ، خ ، م : « ونهبوا دواب الناس » .

(٤) فى الأصل ، ص : « نهبتهم » . والمثبت موافق لسياق الكامل .

وفيها اشتدَّ الغَلاءُ بمكةَ ، وعُدِمَت الأقْواتُ ، فأرْسَل اللَّهُ عليهم جَرادًا مِلْءَ الأرضِ ، فتعَوَّضوا به عن الطعامِ .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ أيضًا .

ومِمن تُوفى فيها من الأعيانِ :

الحسينُ بنُ علىِّ بنِ جعفرِ بنِ عَلَّكانَ[1] بنِ محمدِ بنِ دُلَفَ بنِ أبى دُلَفَ العِجْلىُّ ، قاضى القُضاةِ ، أبو عبدِ اللَّهِ المعروفُ بابنِ ماكُولَا الشافعىُّ ، أصلُه من أهلِ جَرْباذَقانَ ، وولِى القَضاءَ بالبصرةِ ، ثم ولَّاه القادرُ باللَّهِ قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ سنةَ عشرين وأربعِمائةٍ ، وأقَرَّه ابنُه القائمُ بأمرِ اللَّهِ إلى أن مات فى هذه السنةِ عن تسعٍ وسبعين سنةً ، منها فى القَضاءِ سبعٌ وعشرون سنةً ، وكان صَيِّنًا دَيِّنًا ، لا يَقْبَلُ مِن أحدٍ هديةً ولا مِن الخليفةِ ، وكان يَذْكُرُ أنه سمِع مِن أبى عبدِ اللَّهِ بنِ مَنْدَه ، وله شعرٌ حسنٌ ، فمنه :

تَصابَى بُرْهَةً مِن بعدِ شيبٍ ... فما أغْنَى[2] مع الشَّيبِ[2] التَّصابى
وسوَّد عارِضَيْهِ بلونِ خَضْبٍ[3] ... فلم يَنْفَعْه تَسْويدُ الخِضابِ
وأبْدَى للأحِبَّة كلَّ لُطْفٍ ... فما زادوا سِوَى فَرْطِ اجْتِنابِ
سلامُ اللَّهِ عَوْدًا بعدَ بِدْءٍ ... على أيامِ رَيْعانِ الشبابِ

---

(١) فى النسخ : «على» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٨/ ٨٠، والمنتظم ١٥/ ٣٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٤٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٤٩.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «المشيب مع»، وفى ب، خ، م: «المشيب عن». والمثبت من المنتظم.

(٣) فى الأصل، خ، ص: «خطٍّ»، وفى المنتظم: «خضر».

تولَّى [1]غيرَ مذمومٍ[1] وأبْقَى بقلبى حَسْرةً [2]تحت الحِجابِ[2]

علىُّ بنُ المُحَسِّنِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ أبى الفَهْمِ ، أبو القاسمِ التَّنُوخِىُّ[3] ، قال ابنُ الجَوْزىِّ[4] : وتَنوخُ اسمٌ لعِدَّةِ قَبائلَ اجْتَمَعوا بالبحْرَيْن ، وتَحالَفوا على التَّناصُرِ والتآزُرِ ، فسُمُّوا تَنوخًا . وُلِد بالبصرةِ سنةَ خمسٍ وستين[5] وثلاثِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ سنةَ سبعين ، وقُبِلت شهادتُه عندَ الحُكَّامِ فى حَداثتِه ، وولِى القَضاءَ بالمَدائنِ وغيرِها ، وكان صدوقًا مُحْتاطًا ، إلا أنه كان يَمِيلُ إلى الاعْتِزالِ والرفضِ .

(١ - ١) فى ب ، م : « عزمه يوما » .

(٢ - ٢) فى ب ، م : « ثم اكتئاب » .

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ١١٧، والأنساب ١/ ٤٨٤، والمنتظم ١٥/ ٣٥٣، وميزان الاعتدال ٣/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٦١، وفوات الوفيات ٣/ ٦٠.

(٤) المنتظم ١٢/ ٣٥٣.

(٥) فى ب ، خ ، م : « خمسين » .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وأربعين وأربعِمائةٍ

فى يومِ الخميسِ لثمانٍ بقِين مِن المحرَّم[1] عُقِد عقدُ الخليفةِ على خَديجةَ بنتِ أخى السلطانِ طُغْرُلْبَك - [2]وقيل: ابنةُ[3] أخيه داودَ، واسمُها خديجةُ، الملقَّبةُ أَرسلان خاتون[2] - على [٩/١٦٧ظ] صَداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ، وحضَر هذا العقدَ عَميدُ[4] المُلْكِ الكُنْدُرىُّ وزيرُ طُغْرُلْبَك، ونقيبُ العَلَوِيِّين، ونقيبُ الهاشميِّين، وقاضى القُضاةِ الدَّامَغَانىُّ، وأقضى القُضاةِ الماوَرْدىُّ، ورئيسُ الرُّؤساءِ ابنُ المُسْلِمةِ وهو الذى خَطَب الخُطْبةَ، وقَبِل الخليفةُ العقدَ، فلما كان شعبانُ ذهَب رئيسُ الرُّؤساءِ إلى الملكِ طُغْرُلْبَك وقال: يقولُ لك أميرُ المؤمنين: قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. وقد أذِن فى نقْلِ الوَديعةِ الكريمةِ إلى دارِه العزيزةِ. فقال: السمعُ والطاعةُ. فذهَبَت أمُّ الخليفةِ إلى دارِ المملكةِ لاسْتِدْعاءِ العَروسِ، فجاءت معَها، وفى خدمتِها الوزيرُ عَميدُ[5] المُلْكِ والحَشَمُ، فدخَلوا دارَه، وشافَهَ الخليفةَ ابنُ عمِّها يسألُ معاملتَها باللطفِ والإحْسانِ، فلما دخَلَت عليه قبَّلَت الأرضَ بينَ يديه مِرارًا، فأدْناها إليه، وأجْلَسها إلى جانبِه، وأفاض عليها خِلْعةً سَنِيةً وتاجًا مِن جَوْهَرٍ، وأعْطاها مِن

---

(١) المنتظم ١٦/٣ - ٩. والكامل ٩/٦١٧ - ٦٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٤ - ٢٦.

(٢ - ٢) سقط من: ب، خ، م.

(٣) فى الأصل، ص: «امرأة». والمثبت من المنتظم والكامل وتاريخ الإسلام.

(٤) فى الأصل، ب، خ، ص: «عبد»، وانظر دمية القصر ٢/١٣٨.

(٥) فى الأصل، ص: «عبد».

الغَدِ مائةَ ثوبٍ دِيباجًا ، وقَصَباتٍ[1] مِن ذهبٍ ، وطاسةَ ذهبٍ قد نبَت فيها الجَوْهَرُ والياقوتُ والفَيْرُوزَجُ ، وأقْطَعها فى كلِّ سنةٍ مِن عملِ الفراتِ اثنى عشَرَ ألفَ دينارٍ .

وفى هذه السنةِ أمَر السُّلطانُ طُغْرُلْبَك ببناءِ دارِ المُلْكِ العضُديةِ ، فخرِبَت مَحالٌّ كثيرةٌ فى عِمارتِها ، ونهَبَت العامَّةُ أخشابًا كثيرةً بسببِها مِن دُورِ الأتراكِ والجانبِ الغَرْبىِّ ، وباعوه على الخبَّازِين وغيرِهم .

وفى هذه السنةِ وقَع غَلاءٌ شديدٌ وخَوفٌ ونَهْبٌ كثيرٌ ببغدادَ ، ثم عَقَب ذلك فَناءٌ عظيمٌ بحيث دُفِن كثيرٌ مِن الناسِ بغيرِ غَسْلٍ ولا تَكْفينٍ ، وغلَت الأشْربةُ وما يَحْتاجُ إليه المَرْضَى كثيرًا ، واغْبَرَّ الجوُّ ، وفسَد الهواءُ [2]وكثُر الذبابُ[2] . قال ابنُ الجَوْزىِّ فى « منتظِمه »[3] : وعمَّ هذا الوَباءُ والغَلاءُ مكةَ والحِجازَ وديارَ بكرٍ والموصلَ [4]وبلادَ الرومِ[4] وخُراسانَ والجبالَ والدنيا كلَّها . هذا لفظُه فى « المُنْتَظَمِ » . قال : وورَد كتابٌ مِن مصرَ أن ثلاثةً مِن اللُّصوصِ نقَبوا بعضَ الدُّورِ ، فوُجِدوا عندَ الصَّباحِ مَوْتَى ؛ أحدُهم على بابِ النَّقْبِ ، والثانى على رأسِ الدُّرْجَةِ[5] ، والثالثُ على الثِّيابِ المكوَّرةِ[6] .

وفيها أمَرَ رئيسُ الرُّؤساءِ بأن تُنْصَبَ أعْلامٌ سُودٌ فى الكَرْخِ ، فانْزَعَج أهلُه لذلك ، وكان كثيرَ الأذِيةِ للرافضةِ ، وإنما كان يُدافِعُ عنهم عميدُ[7] المُلْكِ

---

(١) فى الأصل : « قضبان » .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، خ ، م .

(٣) المنتظم ١٦/ ٥.

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى المنتظم .

(٥) الدرجة : المِرْقاةُ .

(٦) فى ب ، خ ، م : « التى كورها ليأخذها فلم يمهل » .

(٧) فى ص : « عبد » .

الكُنْدُرىُّ وزيرُ طُغْرُلْبَك .

وفيها هبَّت ريحٌ شديدةٌ ، وارْتَفَعَتْ سَحابةٌ تُرابِيةٌ ، فأظْلَمَت الدنيا ، واحْتاج الناسُ فى الأسواقِ إلى السُّرُجِ فى النهارِ .

قال ابنُ الجوزىِّ فى « المنتظَمِ »[1] : [٩/١٦٨و] وفيها فى العشرِ الثانى مِن جُمادَى الآخِرةِ ظهَر وقتَ السَّحَرِ نَجْمٌ له ذُؤابةٌ طولُها فى رَأْيِ العينِ نحوٌ مِن عشَرةِ أذرعٍ ، وفى عَرْضِ نحوِ الذراعِ ، ولبِث على هذه الحالِ إلى النصفِ مِن رجبٍ ثم اضْمَحَلَّ ، وكانوا يقولون : إنه طلَع مثلُ هذا بمصرَ فمُلِكت . وكذلك بغدادُ لما طلَع فيها هذا مُلِكت وخُطِب بها للمصريين .

وفيها أُلْزِم الرَّوافضُ بتَرْكِ الأذانِ بحىَّ على خيرِ العملِ ، وأُمِروا أن يُنادِىَ المؤذِّنون فى الصبحِ بعدَ الحَيْعَلَتَين : الصلاةُ خيرٌ مِن النومِ . مرَّتَين ، وأُزِيل ما كان على أبوابِ مَساجدِهم ومشاهدِهم وأبوابِهم مِن كتابةِ : محمدٌ وعلىٌّ خيرُ البشرِ . ودخَل المُنْشِدون مِن بابِ البصرةِ إلى الكَرْخِ ، فأنشدوا بفضائلِ الصحابةِ فى مدائحَ لهم ، وذلك أن النَّوءَ الأولَ اضْمَحَلَّ ؛ كانت بنو بُوَيْهِ تُقوِّيهم وتنصرُهم ، فزالوا وبادوا ، وأذهب اللَّهُ دولتَهم ، وجاء اللَّهُ بقومٍ آخرين مِن الأتراكِ السَّلْجوقيةِ يُحِبُّون السنةَ ويُوالُون أهلَها ، ويعترفون برِفعةِ قدرِها ، ويَرْفَعون مَحِلَّها ، واللَّهُ المحمودُ أبدًا على طولِ المَدَى .

وأمَر رئيسُ الرؤساءِ وزيرُ الخلافةِ للوالى بقتلِ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ الجُلَّابِ شيخِ البزَّازين ببابِ الطاقِ ؛ لِما كان يتَظاهرُ به مِن الغلوِّ فى الرَّفْضِ ، فقُتِل وصُلِب على بابِ دُكَّانِه ، وهرَب أبو جعفرٍ الطُّوسِىُّ ونُهِبَت دارُه ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٦.

وفيها جاء البَساسِيرىُّ ، قبَّحه اللَّهُ ، إلى الموصلِ ، ومعه نورُ الدولةِ دُبَيْسٌ ، فى جيشٍ كثيفٍ ، فاقْتَتل مع صاحبِها قُرَيْشٍ ونصَره قُتُلْمِشُ بنُ عمِّ طُغْرُلْبَك ، وهو جَدُّ مُلوكِ الروم ، فهزمَهما البَساسِيرىُّ ، وأخَذ البلدَ قهرًا ، فخطَب بها للمصريين الفاطميين - (١) وأخْرَج كاتبَه مِن السجنِ ، وكان قد أظْهَر الإسلامَ ظنًّا منه أن ذلك يَنْفَعُه ، فلم يَنْفَعْه ، فقُتِل (١) - وكذلك خُطِب للمصريين فى هذه السنةِ بالكوفةِ وواسِطٍ وغيرِهما من البلاد ، وعزَم طُغْرُلْبَك الملكُ على المسيرِ إلى الموصلِ لمُناجَزةِ البَساسِيرىِّ ، فنهاه الخليفةُ عن الخروجِ ، ذلك لضِيقِ الحالِ وغَلاءِ الأسعارِ ، فلم يَقْبَلْ ، فخرَج بجيشِه قاصدًا الموصلَ فى جَحْفلٍ عظيمٍ ، ومعه الفِيَلةُ والمَنْجَنِيقاتُ ، وكان جيشُه لكثرتِهم يَنْهَبون القُرَى ، وربما سطَوْا على بعضِ الحَرِيمِ ، فكتَب الخليفةُ إلى السلطانِ يَنْهاه عن ذلك ، فبعَث يَعْتَذِرُ بكثرةِ مَن معه ، واتَّفَق أنه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ ، فسلَّم عليه ، فأعْرَض عنه ، وقال له : يُحَكِّمُك اللَّهُ فى البلادِ ، ثم لا ترْفُقُ بخلقِه ولا تَخافُ مِن جَلالِ اللَّهِ عز وجل ؟ ! فاسْتَيْقَظ مَذْعورًا ، وأمَر وزيرَه أن يُنادِىَ فى الجيشِ بالعَدْلِ ، وأن لا يَظْلِمَ أحدٌ أحدًا . ولما اقْتَرَب مِن المَوصِلِ فتَح دونَها بلادًا ، ثم [٩/١٦٨ظ] فتَحها وسلَّمها إلى أخيه داودَ (٢) ، ثم سار منها إلى بلادِ بكرٍ ، ففتَح أماكنَ كثيرةً هنالك .

وفيها ظهرَت دولةُ المُلَثَّمِين ببلادِ المغربِ ، وأظْهَروا إعْزازَ الدينِ وكلمةَ الحقِّ ، واسْتَوْلَوْا على بلادٍ كثيرةٍ بالمغربِ ، منها سِجِلْماسَةُ وأعمالُها والسُّوسُ ، وقتَلوا خلقًا كثيرًا مِن أهلِها ، وأولُ مُلوكِ المُلَثَّمِين رجلٌ يقالُ له : أبو بكرِ بنُ عمرَ . وقد أقام بسِجِلْماسَةَ إلى أن تُوُفِّى سنةَ ثِنْتَيْن وستين كما سيأتى بيانُه ، وولِى

(١ - ١) لم نجد هذه العبارة أو معناها فى المصادر ، ولعلها مقحمة .

(٢) الذى فى الكامل أنه سلمها إلى أخيه إبراهيم ينال .

بعدَه أبو نصرٍ يوسفُ بنُ تاشِفِين ، وتلَقَّب بأميرِ المسلمين[1] ، وقوِى أمرُه ، وعلا قَدْرُه ببلادِ المغربِ .

وفيها أُلْزِم أهلُ الذِّمَّةِ بلُبْسِ الغِيَارِ ببغدادَ عن أمرِ السلطانِ طُغْرُلْبَك ، بيَّضَ اللَّهُ وجهَه .

وفيها ولِد لذَخيرةِ الدِّينِ - بعدَ موتِه مِن جاريةٍ له - ولدٌ ذكَرٌ ، وهو أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ .

وفيها كان الغَلاءُ والفَناءُ مستمرَّيْن ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ على ما كان عليه الأمرُ فى السنةِ الماضيةِ .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ :

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ سَلْكٍ ، أبو الحسنِ المُؤَدِّبُ[2] ، المعروفُ بالفالىِّ[3] ، صاحبُ « الأمالى »[4] ، وفالَةُ[5] قريةٌ قريبةٌ مِن إيذَجَ[6] ، أقام بالبصرةِ مدةً ، وسمِع بها مِن أبى عمرَ بنِ عبدِ الواحدِ الهاشمىِّ وغيرِه ، وقدِم بغدادَ فاستَوْطَنها ، وكان ثقةً فى نفسِه ، كثيرَ الفَضائلِ . ومن شعرِه :

---

(١) فى النسخ : « المؤمنين » . والمثبت من الكامل . وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٤، والأنساب ٤/ ٣٤٢، والمنتظم ١٦/ ٩، والكامل ٩/ ٣٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٨٣.

(٣) فى الأصل ، ب ، خ ، ص : « القالى » .

(٤) كذا فى النسخ وهو خطأ . وصاحب الأمالى هو إسماعيل بن القاسم بن عبدون أبو على القالى - بالقاف - وقد تقدمت ترجمته فى وفيات سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

(٥) فى الأصل ، ب ، خ ، ص : « قالة » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٨٤٦.

(٦) فى الأصل : « إيدخ » .

لما تبدَّلَت المجالِسُ أوْجُهًا غيرَ الذين عهِدْتُ مِن عُلمائِها
ورأيْتُها مَحْفوفةً بسِوَى الأولى كانوا وُلاةَ صُدورِها وفَنائِها
أنْشَدْتُ بيتًا سائرًا مُتَقَدِّمًا والعينُ قد شرِقَت بجارى مائِها
« أما الخيامُ فإنها كخِيامِهم وأرَى نساءَ الحىِّ غيرَ نسائِها »[1]

ومِن شعرِه أيضًا قولُه :

تصَدَّر للتَّدْريسِ كلُّ مُهَوَّسٍ بَليدٍ تسَمَّى بالفقيهِ المُدَرِّسِ
فحقٌّ لأهلِ العلمِ أن يتَمَثَّلوا ببيتٍ قديمٍ شاع فى كلِّ مجلسِ
« لقد هُزِلَت حتى بدا مِن هُزالِها كُلاها[2] وحتى سَامَها كلُّ مُفْلِسِ »

محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ محمدِ بنِ[3] الصَّبَّاغِ، الفقيهُ الشافعىُّ، وليس هذا بصاحبِ « الشاملِ »، ذاك متأخرٌ[4]، وهذا كان مِن تلامذةِ الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَراييِنىِّ، وكانت له حَلْقةٌ للفَتْوى بجامعِ المدينةِ، وشهِد عندَ قاضى القُضاةِ أبى عبدِ اللَّهِ الدَّامَغَانىِّ الحَنَفىِّ فقبِله، وقد سمِع الحديثَ [٩/١٦٩و] مِن ابنِ شاهِينَ وغيرِه، وكان ثقةً جليلَ المقْدارِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

هلالُ بنُ المُحَسِّنِ بنِ إبراهيمَ بنِ هِلالٍ[5]، أبو الخيرِ الكاتبُ الصابئُ، صاحبُ « التاريخِ »، وجدُّه أبو إسحاقَ الصابئُ صاحبُ الرَّسائلِ، وأبوه كان

---

(١) انظر ص ١٨٠ .
(٢) أى الكُليتان .
(٣) سقط من : ب ، خ ، م ، وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/ ٣٦٢، والمنتظم ١٦/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٩٢، والوافى بالوفيات ٤/ ٦٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٨٨.
(٤) وهو ابنُ صاحبِ الترجمة، وستأتى ترجمته فى وفيات سنة سبع وسبعين وأربعمائة .
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٦، والمنتظم ١٦/ ١٣، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٩٤، ووفيات الأعيان ٦/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٩٦.

صابِئيًّا أيضًا ، وأسْلَم هلالٌ هذا متأخِّرًا ، وحسُن إسلامُه ، وقد كان سمِع فى حالِ كفرِه مِن جماعةٍ مِن المَشايخِ ، وذلك أنه كان يَتَرَدَّدُ إليهم يَطْلُبُ الأدبَ ، فلما أسْلَم نفَعه ذلك ، وكان سببَ إسلامِه على ما ذكَره ابنُ الجوزىِّ فى « منتظَمِه »[1] بسنَدِه مُطَوَّلًا أنه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ مِرارًا يَدْعُوه إلى اللَّهِ عز وجل ، ويَأْمُرُه بالدخولِ فى الإسلامِ ، ويَقولُ له : أنت رجلٌ عاقلٌ ، فلِمَ تَدَعُ دينَ الإسلامِ الذى قامَت عليه الدَّلائلُ . وأَراه آياتٍ فى المنامِ شاهَدها فى اليَقَظةِ ، فمن ذلك أنه قال له : إن امرأتَك حاملٌ بذَكَرٍ ، فسمِّه محمدًا . فولَدَت ذَكرًا ، فسمَّاه محمدًا ، وكنَّاه أبا الحسنِ . فى أشياءَ كثيرةٍ سرَدها ابنُ الجوزىِّ مطوَّلةً ، فأسْلم وحسُن إسلامُه ، وكان صَدوقًا . تُوُفِّى فى هذه السنةِ وله تسعون سنةً ، منها فى الإسلامِ نَيِّفٌ وأربعون سنةً ، تَغَمَّده اللَّهُ برحمتِه .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وأربعين وأربعِمائةٍ

فيها[1] كان الغَلاءُ والفَناءُ مستمرَّيْن ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ بحيث خلَت أكثرُ الدُّورِ وسُدَّت على أهلِها [2]أبوابُها بما فيها، وأهلُها[2] فيها مَوْتَى، وصار المارُّ فى الطريقِ لا يَلْقَى إلا الواحدَ بعدَ الواحدِ، وأكَل الناسُ الجِيَفَ والمَيْتاتِ مِن قلةِ الطعامِ، ووُجِدَ مع امرأةٍ فَخِذُ كلبٍ قد اخْضَرَّ وأَرْوَحَ[3]، وشوَى رجلٌ صَبِيَّةً فى الأَتُونِ وأكلَها فقُتل، وسقَط طائرٌ ميتٌ مِن سَطْحٍ، فاحْتَوَشه خمسةُ أنفسٍ، فاقْتَسَموه وأكَلُوه. وورَد كتابٌ مِن بُخارَى أنه مات فى يومٍ واحدٍ منها ومِن مُعامَلتِها ثمانيةَ عشَرَ ألفَ إنسانٍ، وأُحْصِى مَن مات فى هذا الوَباءِ إلى أن كُتِب هذا الكتابُ - [4]يعنى الوَارِدَ مِن بُخارَى[4] - بألفِ ألفٍ وخَمسِمائةِ ألفٍ وخمسين ألفَ إنسانٍ، والناسُ يَمُرُّون فى هذه البلادِ فلا يَرَوْن إلا أسواقًا فارغةً وطُرُقاتٍ خاليةً، وأبوابًا مغلَّقةً، حكاه ابنُ الجَوْزىِّ. قال[5]: وجاء الخبرُ مِن أَذْرَبِيجانَ وتلك البلادِ بالوَباءِ العظيمِ، وأنَّه لم يَسْلَمْ إلا العددُ القليلُ. قال: ووقَع وَباءٌ بالأهْوازِ[6] وأعْمالِها وبواسطٍ

---

(١) المنتظم ١٦/١٦ - ٢٢، والكامل ٩/٦٣٣ - ٦٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٧، ٢٨.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) سقط من ب، خ، م. وأروح: أنتن.

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٧.

(٦) بعده فى ب، خ، م: «وبواط».

[1]والنيلِ والكوفةِ[1] وطبَّق الأرضَ، وكان أكثرَ سببِ ذلك الجوعُ، حتى كان الفُقراءُ يَشْوُون الكلابَ، ويَنْبُشون القُبورَ، ويَشْوُون المَوْتَى ويَأْكُلونهم، وليس للناسِ شغلٌ فى الليلِ والنهارِ إلا غَسْلُ الأمْواتِ وتَجْهيزُهم ودفْنُهم [٩/١٦٩ظ]، وقد كانت تُحْفَرُ الحَفِيرَةُ، فيُدْفَنُ فيها العشرون والثلاثون، وكان الإنسانُ يكونُ قاعدًا فينشَقُّ قلبُه عن دمِ المُهْجَةِ، فيَخْرُجُ إلى الفَمِ منه قَطْرةٌ، فيَموتُ الإنسانُ مِن وقتِه، وتاب الناسُ، وتصَدَّقوا بأكثرِ أموالِهم[2]، وأراقوا الخمورَ وكسَروا المَعازِفَ وتَصالحوا[3]، ولزِموا المساجدَ لقراءةِ القرآنِ، وقلَّ دارٌ يكونُ فيها خمرٌ إلا مات أهلُها كلُّهم. ودُخِل على مريضٍ له سبعةُ أيامٍ فى النَّزْعِ، فأشار بيدِه إلى مكانٍ، فوجَدوا فيه خابِيةً[4] مِن خمرٍ، فأراقوها فمات مِن فورِه بسهولةٍ. ومات رجلٌ بمسجدٍ، فوُجِدَ معه خمسون ألفَ درهمٍ، فلم يَقْبَلْها أحدٌ، فتُرِكَت فى المسجدِ تسعةَ أيامٍ لا يُرِيدُها أحدٌ، فدخَل أربعةٌ فأخذُوها، فماتوا عليها.

وكان الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ الجَبَّارِ بنُ محمدٍ يَشْتَغِلُ عليه سبُعمائةِ مُتَفَقِّهٍ، فمات وماتوا كلُّهم إلا اثنَىْ عشَرَ نفرًا منهم، رحِمهم اللَّهُ تعالى.

ولما اصْطَلَح دُبَيْسُ بنُ علىٍّ مع الملكِ طُغْرُلْبَك رجَع إلى بلادِه، فوجَدها خَرابًا لقلةِ أهلِها، فأرْسَل رسولًا منه إلى بعضِ النَّواحِى، فتَلَقَّاه طائفةٌ، فقتَلوه وأكَلوه.

(١ - ١) سقط من: ب، خ، م.

(٢) بعده فى ب، خ، م: «فلم يجدوا أحد يقبل منهم وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول: أنا أريد كسرة، أريد ما يسد جوعى فلا يجد ذلك».

(٣) زيادة من: الأصل، ص.

(٤) الخابية: الجرَّة. انظر القاموس المحيط (خ ب أ).

قال ابنُ الجوزىِّ[1] : وفى يومِ الأربعاءِ لسبعٍ بقِين مِن جُمادَى الآخِرةِ احْتَرَقَت قَطِيعةُ عيسى ، [2]وسُوقُ الطعامِ ، والكنيسُ[3] ، وأصحابُ السُّقْطِ ، وبابُ الشَّعيرِ ، وسوقُ العَطَّارِين[2] ، وسوقُ العَروسِ ، والأنْماطِ ، والخشَّابِين ، والجزَّارِين[4] ، والتَّمَّارِين ، والقَطيعةُ وسوقُ مُحَوَّلٍ[5] ونهرُ الدَّجاجِ[6] وسُوَيْقةُ غالبٍ والصَّفَّارِين والصَّبَّاغِين وغيرُ ذلك مِن المواضِعِ ، وهذه مُصيبةٌ أخرى إلى ما بالناسِ مِن الغَلاءِ والفَناءِ .

وفيها كثُر العَيَّارون ببغدادَ ، وأخَذوا الأموالَ جِهارًا ، وكبَسوا الدُّورَ ليلًا ونهارًا ، وكُبِست دارُ أبى جعفرٍ الطُّوسىِّ متكلمِ الشِّيعةِ ، وأُحْرِقَت كتبُه ومَنابِرُه[7] ودَفاترُه التى كان يَسْتَعْمِلُها فى بِدْعتِه ، ويَدْعُو إليها أهلَ[8] نِحْلتِه ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها دخَل الملكُ طُغْرُلْبَك بغدادَ عائدًا إليها مِن الموصلِ [9]وقد تسلَّمها واستَعادها مِن البساسيرىِّ وسلّمها إلى أخيه[10] إبراهيمَ ينَّالَ ، فأحسنَ فيهم السيرةَ وحسُنت منه العلانيةُ والسريرةُ ، فللهِ الحمدُ[9] ، فتلَقَّاه الأمراءُ والوُزراءُ إلى أثْناءِ الطريقِ ، وأحْضَرَ له رئيسُ الرُّؤساءِ خِلْعةً مِن الخليفةِ فَرَجِيَّةً[11] مُجَوهَرَةً فلبِسها ،

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٨، ١٩.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ص : « اللباس » ، وفى المنتظم : « الكبش » .

(٤) فى الأصل ، ص : « والخزازين » .

(٥) فى ب ، م ، ص : « مخول » . وانظر معجم البلدان ١/ ٤٥١.

(٦) فى ب ، خ ، م ، ص : « الزجاج » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٨٣٨.

(٧) سقط من : الأصل ، وفى ب ، خ : « مياثره » ، وفى م : « مآثره » .

(٨) بعده فى ب ، خ ، م ، ص : « ملته و » .

(٩ - ٩) سقط من : ب ، خ ، م .

(١٠) فى المنتظم : « ابن أخيه » . والمثبت موافق لما فى الكامل . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١١٢.

(١١) الفرجية : ثوب واسع طويل الأكمام يتزيًّا به علماء الدين . الوسيط (ف ر ج) .

وقبَّل الأرضَ ، ثم بعدَ ذلك دخَل دارَ الخِلافةِ ، وقد ركِب إليها فرسًا مِن مَراكِبِ الخليفةِ ، فلما دخَل على الخليفةِ إذا هو على سَريرٍ طولُه سبعةُ أذرعٍ ، وعلى كَتِفَيه البُرْدَةُ النَّبويةُ ، وبيدِه القَضيبُ ، فقبَّل الأرضَ ، ثم أُجلس على سَريرٍ دونَ سَريرِ الخليفةِ ، ثم قال الخليفةُ لرئيسِ الرؤساءِ : قُلْ له : أميرُ المؤمنين [٩/١٧٠و] حامِدٌ لسَعْيِك شاكرٌ لفِعلِك ، آنِسٌ بقُرْبِك ، وقد ولَّاك جميعَ ما ولَّاه اللَّهُ مِن بلادِه ، فاتَّقِ اللَّهَ فيما ولَّاك ، واجْتَهِدْ فى عِمارةِ البلادِ وإصْلاحِ العبادِ ونشْرِ العَدْلِ ، وكفِّ الظلمِ . ففسَّر له عَميدُ الدولةِ ما قاله ، فقام وقبَّل الأرضَ وقال : أنا خادمُ أميرِ المؤمنين وعبدُه[1] ، ومُتَصَرِّفٌ عن أمرِه ونهيِه ، ومُتَشَرِّفٌ بما أهَّلَنى له ، واسْتَخْدَمنى فيه ، ومِن اللَّهِ أَسْتَمِدُّ[2] المَعونةَ والتَّوفيقَ . ثم أذِن الخليفةُ فى أن يَنْهَضَ للُبْسِ الخِلْعةِ ، فقام إلى بيتٍ فى ذلك البهْوِ ، فأُفِيض عليه سبعُ خِلَعٍ وتاجٌ ، ثم عاد فجلَس على السَّريرِ بعدَ ما قبَّل يدَ الخليفةِ ، ورام تَقْبيلَ الأرضِ ، فلم يَتَمَكَّنْ مِن التاجِ ، فأخْرَج الخليفةُ سيفًا ، فقلَّده إياه وخَاطبه بمِلكِ الشرقِ والغربِ ، وأُحْضِرَت ثلاثةُ أَلْويةٍ ، فعقَد منها الخليفةُ بيدِه لواءً [3]يقالُ له : لواءُ الحمدِ[3] . وأُحْضِر العهدُ فسُلِّم إلى الملكِ ، وأوْصاه الخليفةُ بتَقْوى اللَّهِ تعالى ، والقيامِ بالحقِّ فى ذلك العَهدِ ، وقُرِئ بين يَدَيِ الخليفةِ بحضرةِ المَلِكِ ، ثم نهَض فقبَّل يدَ الخليفةِ ، ووضَعها على عينَيْه ، ثم خرَج فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ[4] وبينَ يديه الحُجَّابُ والجيشُ بكمالِه ، وجاء الناسُ للسلامِ عليه والتَّهْنِئَةِ ، وأرْسَل إلى الخليفةِ بتُحَفٍ عظيمةٍ ؛ منها خمسون ألفَ دينارٍ ، وخمسون غلامًا أتْراكًا بمراكِبِهم

---

(١) فى ص : « وعبد اللَّه » .

(٢) فى الأصل ، ص : « استهد » ، وفى المنتظم : « استهداء » . والمثبت موافق لإحدى نسخه .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، خ ، م .

(٤) بعده فى ب ، خ ، م : « إلى داره » .

وسلاحِهم ومَناطقِهم، وخمسُمائةِ ثوبٍ أنواعًا، وأعْطَى رئيسَ الرُّؤساءِ خمسةَ آلافِ دينارٍ، وخمسين قطعةَ قُماشٍ.

وفيها قبَض صاحبُ مصرَ على وزيرِه أبى محمدٍ الحسنِ بنِ عبدِ الرحمنِ البازورِىِّ[1]، وأخَذ خَطَّه بثلاثةِ آلافِ ألفِ[2] دينارٍ، وأُحِيط على ثمانين مِن أصحابِه، وقد كان هذا الوزيرُ فَقيهًا حنفيًّا، يُحْسِنُ إلى أهلِ العلمِ وأهلِ الحرمَيْن، وقد كان الشيخُ أبو يوسُفَ القَزْوِينىُّ يُثْنِى عليه ويَمْدَحُه.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ[3] بنِ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ داودَ بنِ المُطَهَّرِ بنِ زيادِ بنِ رَبيعةَ بنِ الحارثِ بنِ ربيعةَ بنِ أنْورَ[4] بنِ أسْحَمَ بنِ أرْقَمَ بنِ النُّعمانِ بنِ عَدِىِّ بنِ غَطَفانَ بنِ عمرِو بنِ بَرِيحِ[5] بنِ جَذِيمةَ[6] بنِ تَيْمِ اللَّهِ بنِ أسدِ بنِ وَبْرةَ بنِ تَغْلِبَ[7] بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بنِ الْحَافِ بنِ قُضاعَةَ، أبو العَلاءِ المَعَرِّىُّ التَّنُوخىُّ الشاعرُ، المشهورُ بالزَّنْدَقةِ، اللُّغوىُّ، صاحبُ الدَّواوِينِ والمُصَنَّفاتِ فى الشعرِ واللغةِ، وُلِد يومَ الجمعةِ عندَ

---

(١) فى م: «البازرى».

(٢) سقط من: م.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٠، ودمية القصر ١/ ٢٠١، ونزهة الألباء ص ٣٥٣، والمنتظم ١٦/ ٢٢، ومعجم الأدباء ٣/ ١٠٧، وإنباه الرواة ١/ ٤٦، ووفيات الأعيان ١/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ١٩٨.

(٤) فى تاريخ بغداد: «أيوب».

(٥) فى ص: «شريح». وانظر سير أعلام النبلاء الموضع السابق.

(٦) فى ص: «خزيمة». وكذا وقع فى معجم الأدباء. وانظر تاج العروس (ج ذ م).

(٧) فى ص، خ: «ثعلبة»، وفى تاريخ بغداد: «ثعلب». وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٥٣.

غروبِ الشمسِ لثلاثٍ بقين مِن ربيعٍ الأولِ سنةَ ثلاثٍ وستين وثلاثِمائةٍ ، وأصابه [٩/١٧٠ظ] جُدَرِيٌّ وله أربعٌ أو ستٌّ أو سبعٌ ، فذهَب بصرُه ، وقال الشعرَ وله إحدى عشْرةَ أو ثنتا عشْرةَ سنةً ، ودخَل بغدادَ سنةَ تسعٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ ، فأقام بها سنةً وسبعةَ أشهرٍ ، ثم خرَج منها طَريدًا مُنْهزمًا ؛ لأنه قال شِعرًا يَدُلُّ على قلةِ دينِه وعلمِه وعقلِه ، وهو قولُه[1] :

تَناقُضٌ ما لنا إلا السُّكوتُ له ... وأن نَعوذَ بمَوْلانا مِن النارِ
يدٌ بخمسِ مئِينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ ... ما بالُها قُطِعَت فى ربعِ دينارِ

يقولُ : اليدُ دِيَتُها خمسُمائةِ دينارٍ ، فما لكم تَقْطَعونها إذا سرَقَت ربعَ دينارٍ . وهذا مِن قلةِ عقلِه[2] ، وعَمَى بَصيرتِه ؛ وذلك أنها إذا جُنِى عليها يُناسِبُ أن يكونَ دِيَتُها كثيرةً ؛ ليَنْزَجِرَ الناسُ عن العُدْوانِ ، وأما إذا جنَت بالسرقةِ فيُناسِبُ أن تَقِلَّ قيمتُها ؛ ليُنْزَجَرَ عن أخذِ الأموالِ ، وتُصانَ أموالُ الناسِ ، ولهذا قال بعضُهم[3] : كانت ثمينةً لمَّا كانت أمينةً ، فلما خانَت هانَت . ولما عزَم الفُقهاءُ على أخْذِه بهذا الكلامِ هرَب ورجَع إلى بلدِه ، ولزِم منزلَه ، فكان لا يَخْرُجُ منه .

[4]وكان يومًا عندَ الخليفة ؛ وكان الخليفةُ يَكْرَهُ المُتَنَبِّىَ ، ويَضَعُ منه ، وكان أبو العَلاءِ يُحِبُّ المُتَنَبِّىَ ويَرْفَعُ مِن قَدْرِه ويَمْدَحُه ، فجرَى ذِكْرُ المُتَنَبِّى فى ذلك المجلسِ ، فذمَّه الخليفةُ ، فقال أبو العَلاءِ : لو لم يَكُنْ للمُتَنَبِّى إلا قصيدتُه التى أولُها[5][4] .

---

(١) البيتان فى اللزوميات ١/ ٣٨٦.
(٢) بعده فى الأصل، ص: «وعلمه».
(٣) هو القاضى عبد الوهاب المالكى. انظر التفسير ٣/ ١٠٣.
(٤ - ٤) زيادة من: ب، خ، م.
(٥) انظر ديوان المتنبى ص ١٦٣. وهو صدر بيت عجزه:
... ... أقفرت أنت وهن منك أواهل

(١) * لك يا مَنازِلُ فى القلوبِ مَنازِلُ *

لكفاه ذلك . فغضِب الخليفةُ ، وأمَر به فسُحِب برِجْلِه على وجهِه ، وقال : أخْرِجوا عنى هذا الكلبَ . وقال الخليفةُ : أتَدْرُون ما أراد هذا الكلبُ مِن هذه القصيدةِ ، وذِكْرِه لها ؟ أراد قولَ المُتَنَبِّى فيها[٢] :

وإذا أتَتْك مَذَمَّتى مِن ناقصٍ (٣) فهْىَ الدليلُ علىَّ أنىَ كاملُ (٣)

وإلا فالمُتَنَبِّى له قَصائدُ أحسنُ مِن هذه ، وإنما أراد هذا . وهذا مِن فَرْطِ ذَكاءِ الخليفةِ ، حيث تنبَّه لهذا . وقد كان المعَرِّىُّ أيضًا مِن الأذْكِياءِ[١] ، ومكَث المَعَرِّىُّ خمسًا وأربعين سنةً مِن عمرِه لا يَأْكُلُ لحمًا ولا لبنًا ولا بيضًا ولا شيئًا مِن حَيوانٍ ، على طريقةِ البَراهِمةِ من الفَلاسِفةِ ، ويقالُ : إن راهبًا اجتمع به فى بعضِ الصَّوامِعِ ؛ آواه الليلُ إليه ، فشكَّكه فى دينِه[٤] ، وكان يَتَقَوَّتُ بالنباتِ ، وأكثرُ ما كان يَأْكُلُ العَدَسَ ويَتَحَلَّى[٥] بالدِّبْسِ وبالتِّينِ ، ولا يَأْكُلُ بحَضْرةِ أحدٍ ، ويقولُ : أكْلُ الأعْمَى عَوْرةٌ . وكان فى غايةِ الذَّكاءِ المُفْرِطِ ، على ما ذُكِر ، وأمَّا ما يُنقلُ عنه مِن الأشياءِ المَكْذوبةِ المُخْتَلَقَةِ مِن أنه وُضِع تحتَ سَريرِه دِرْهمٌ ، فقال : إمَّا أن تكونَ السماءُ قد انْخَفَضَت مِقدارَ درهمٍ أو ارتفعت الأرضُ مثلَ ذلك[٦] . فهذا لا أصلَ له وهو كذبٌ عليه ، وكذلك يَذْكُرون أنه مرَّ فى بعضِ أسْفارِه بمكانٍ فطَأْطأ

(١ - ١) زيادة من: ب ، خ ، م .

(٢) ديوان المتنبى ص ١٦٦.

(٣ - ٣) فى الديوان : « فهى الشهادة لى بأنى فاضل » .

(٤) ردَّ هذه القصة ردًّا شديدا الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله فى أول كتابه : أباطيل وأسمار .

(٥) يقصد أنه يتخذه حلوى . ولم يرد هذا الفعل بهذا المعنى فيما بين أيدينا من معاجم .

(٦) بعده فى ب ، خ ، م : « أى أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذى وضع تحته » .

رأسَه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أمَا هـٰهنا شجَرةٌ ! فلم يوجدْ ، ثم نظَروا فإذا أصلُ شجرةٍ كانت هناك قديمًا[1] قد اجْتاز بها مَرَّةً ، فأمَره مَن كان معه بمُطَأْطَأةِ رأسِه [2]هناك فاستَحضره فى هذه المرةِ[2] . فهذا أيضًا لا يَصِحُّ وهو كَذِبٌ . وكذلك ما شاكل هذا من الكذبِ البَحْتِ ولكن كان ذكِيًّا ، ولم يَكُنْ زَكِيًّا ، وله مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ أكثرُها فى الشعرِ ، وفى بعضِ أشْعارِه ما يَدُلُّ على زَنْدَقةٍ وانْحلالٍ[3] ، ومِن الناسِ مَن يَعْتَذِرُ عنه ويقولُ : [4]كان فى الباطنِ مسلمًا ، وإنما يقول ذلك بلسانِه[4] . قال [٩/١٧١و] ابنُ عَقيلٍ[5] : وما الذى كان يُلجِئُه أن يقولَ فى دارِ الإسلامِ ما يُكفِّرُه به الناسُ ؟ قال : والمنافِقون مع قلةِ عقلِهم وعلمِهم ودينِهم أجْودُ سِياسةً منه ؛ حافَظوا على قَبائحِهم فى الدنيا ، وهذا أظهَر الكفرَ الذى تسَلَّط به عليه الناسُ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ أن باطِنَه كظاهِرِه ، قال ابنُ الجوزىِّ[6] : وقد رأَيْتُ لأبى العَلاءِ المَعرِّىِّ كتابًا سمَّاه « الفُصولَ والغَاياتِ فى مُعارَضةِ السُّوَرِ والآياتِ » ، على حُروفِ المُعْجَمِ فى آخرِ كلماتِه ، وهو فى نهايةِ الرَّكاكةِ والبُرودةِ ، فسبحانَ مَن أعْمَى بصرَه وبَصيرتَه . قال : وقد نظَرْتُ فى كتابِه المُسَمَّى « لُزومَ ما لا يَلْزَمُ » . ثم أوْرَد ابنُ الجوزىِّ مِن أشعارِه الدالةِ على اسْتِهْتارِه أشياءَ كثيرةً ، فمِن ذلك قولُه[7] :

---

(١) فى ب ، خ ، م : « فى الموضع الذى طأطأ رأسه فيه ، وقد قطعت وكان » .

(٢ - ٢) فى ب : « لما جازوا تحتها خوفا من أن يصيبه شىء منها » . وفى ص ، خ : « لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية طأطأ رأسه خوفا من أن يصيبه شىء منها » .

(٣) بعده فى ب ، خ ، م : « من الدين » .

(٤ - ٤) فى ب ، خ ، م : « إنه إنما كان يقول ذلك مجونا ولعبا ويقول بلسانه ما ليس فى قلبه وقد كان باطنه مسلمًا » .

(٥) المنتظم ١٦/ ٢٣، وابن عقيل هو أبو الوفاء على بن عقيل شيخ الحنابلة . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

(٦) المنتظم ١٦/ ٢٤.

(٧) المصدر السابق ١٦/ ٢٤، ٢٥. والبيتان مما لم يرو فى اللزوميات ولا سقط الزَّنْد .

إذا كان لا يَحْظَى برزقِك عاقلٌ وتَرْزُقُ مَجنونًا وتَرْزُقُ أحْمقَا
فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على امرِئٍ رأَى منك ما لا يَشْتَهِى فتزَنْدَقَا

وقولُه[1] :

[2]وهيهاتَ[2] البَرِيَّةَ فى ضَلالٍ وقد نظَر[3] اللَّبيبُ لِما اعْتَراها
تقَدَّم صاحبُ التَّوراةِ موسى وأوْقَع فى الخَسارِ مَن افْتَراها
فقال رجالُه وحْىٌ أتاه وقال الناظرون[4] بلِ افْتَراها
وما حَجِّى إلى أحجارِ بيتٍ [5]كئوسُ الخمرِ تُشْرب[5] فى ذَراها[6]
إذا رجَع الحليمُ[7] إلى حِجاه تهاوَن بالمذاهِبِ وازْدَراها

وقولُه[8] :

هفتِ[9] الحَنِيفةُ والنَّصارَى ما اهْتَدَتْ ويهودُ حارَت والمجوسُ مُضَلَّلَهْ
اثنان أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخرُ دَيِّنٌ لا عقلَ لهْ

وقولُه[10] :

فلا تَحْسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ حقًّا ولكن قولُ زُورٍ سطَّروهُ

---

(١) الأبيات فى اللزوميات ٢/ ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧.
(٢ - ٢) فى الأصل، ب، خ، م: «ألا إن».
(٣) فى اللزوميات: «فطن».
(٤) فى اللزوميات: «الظالمون».
(٥ - ٥) فى ب، خ، م: «كروس الحمر تشرف».
(٦) بفتح الذال، أى نواحيها.
(٧) فى اللزوميات: «الحصيف».
(٨) البيتان فى اللزوميات ٢/ ٢٠١.
(٩) فى الأصل: «هذت»، وفى ص: «هوت»، وفى م: «عفت».
(١٠) المنتظم ١٦/ ٢٥. والبيتان مما لم يرو فى اللزوميات ولا سقط الزند.

فكان الناسُ فى عيشٍ رَغِيدٍ فجاءُوا بالمُحالِ فكذَّروهُ

وقلتُ أنا فى مُعارَضةِ هذا :

فلا تَحْسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ كِذْبًا[1] ولكن قولُ حَقٍّ بَلَّغوهُ

وكان الناسُ فى جَهْلٍ عظيمٍ فجاءُوا بالبَيانِ فأذهبوه[2]

[٩/ ١٧١ظ] ومن ذلك أيضًا قولُه[3] :

إن الشَّرائعَ أَلْقَت بيننا إحَنًا[4] وأَوْرَثَتْنا أفانِينَ العَداواتِ

وهل أُبيحَ نساءُ الرومِ عن عُرُضٍ للعُرْبِ إلا بأحْكامِ النُّبُوَّاتِ

(٥ وقولُه[6] :

وما حَمْدى لآدمَ أو بنيهِ وأَشْهَدُ أن كلَّهمُ خَسِيسُ[5]

ومن ذلك أيضًا قولُه[7] :

أَفِيقوا أَفِيقوا يا غُواةُ فإنما دِياناتُكم مكرٌ مِن القُدَماءِ[8]

ومن ذلك قولُه أيضًا[9] :

---

(١) فى ب ، خ ، م : « ذورًا » .

(٢) فى ب ، خ ، م : « فأوضحوه » .

(٣) اللزوميات ١/ ١٨٦.

(٤) إحن : جمع إحنة وهى : الحقد والضِّغن . الوسيط (أ ح ن) .

(٥ - ٥) زيادة من : ب ، خ ، م .

(٦) البيت فى اللزوميات ٢/ ١٨.

(٧) اللزوميات ١/ ٦٤.

(٨) بعده فى خ :

« قضى اللّه فينا بالذى هو كائن فتم وضاعت حكمة الحكماء » .

(٩) الأبيات مما لم يرو فى اللزوميات ولا سقط الزند .

صَرْفُ الزمانِ مُفَرِّقُ الإلْفَيْنِ فاحْكُمْ إلهى بينَ ذاك وبينى
أنَهَيْتَ عن قتلِ النفوسِ تَعَمُّدًا وبعَثْتَ أنت لقَبْضِها ملَكَيْنِ
وزعَمْتَ أن لها مَعادًا ثانيًا ما كان أغْناها عن الحالَيْنِ

ومن ذلك أيضًا قولُه[1] :

ضحِكْنا وكان الضِّحْكُ منا سَفاهةً وحُقَّ لسُكَّانِ البَسيطةِ أن يَبْكُوا
تُحَطِّمُنا الأيامُ حتى كأننا[2] زُجاجٌ ولكن لا يَعودُ له سَبْكُ

ومن ذلك أيضًا قولُه[3] :

أمورٌ تَسْتَخِفُّ بها حُلومٌ وما يَدْرِى الفتى لمن الثُّبورُ
كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى وإنْجيلُ ابنِ مَرْيَمَ والزَّبُورُ

[4]ومن ذلك أيضًا قولُه[5] :

قالت مَعاشرُ لم يَبْعَثْ إلهكُمُ إلى البَرِيَّةِ عِيساها ولا موسا
وإنما جعَلوا الرحمنَ مَأْكَلَةً وصيَّروا دينَهم فى الناسِ ناموسَا

وذُكِر له أشياءُ غيرُ ذلك[4] ، وكلُّ قِطْعةٍ مِن هذه تَدلُّ على كفرِه وانحلالِه وزندقتِه وضلالِه ، [6]ويقالُ : إنه أوْصَى أن يُكْتَبَ على قبرِه :

هذا جَناه أبى علىَّ وما جنَيْتُ على أحدْ

معناه أن أباه بتَزَوُّجِه لأمِّه أوْقَعه فى هذه الدارِ ، حتى صار بسببِ ذلك إلى[6]

---

(١) اللزوميات ٢/ ١٤٣.
(٢) رواية هذا الشطر فى الديوان : « يحطمنا ريب الزمان كأننا » .
(٣) اللزوميات ١/ ٣٢٤.
(٤ - ٤) سقط من : ص.
(٥) اللزوميات ٢/ ٢٢، ٢٣.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل.

(١) ما إليه صار ، وهو لم يَجْنِ على أحدٍ بهذه الجِنايةِ ، وهذا كلُّه كفرٌ وإلحادٌ ، قبَّحه اللَّهُ(١) ، وقد زعَم بعضُهم أنه أقْلَع عن هذا كلِّه وتاب منه ، وأنه قال قصيدةً يَعْتَذِرُ فيها مِن هذا كلِّه ، ويَتَنَصَّلُ منه ، وهى القَصيدةُ التى يقولُ فيها(٢) :

يا مَن يَرَى مَدَّ البَعوضِ جَناحَها ... فى ظُلْمةِ الليلِ البَهيمِ الأَلْيَلِ
ويَرَى مَناطَ عُروقِها فى نحرِها ... والمخَّ فى تلك العِظامِ النُّحَّلِ
امْنُنْ علىَّ بتوبةٍ تَمْحُو بها ... ما كان منى فى الزمانِ الأوَّلِ

وقد كانت وفاتُه فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ بمَعَرَّةِ النُّعمانِ ، عن ستٍّ وثمانين سنةً إلا أربعةَ عشَرَ يومًا ، وقد رثاه جَماعةٌ مِن أصحابِه وتَلامِذتِه ، وأُنْشِدَت عندَ قبرِه ثمانون مَرْثاةً ، حتى قال بعضُهم فى مَرْثاتِه(٣) .

إن كنتَ لم تُرِقِ الدماءَ زَهادةً ... فلقد أرَقْتَ اليومَ مِن جَفْنى دمَا

[٩/١٧٢و] قال ابنُ الجوزىِّ(٤) : وهؤلاء إمَّا جُهَّالٌ بأمرِه ، وإمَّا ضُلَّالٌ على مذهبِه وطريقتِه . وقد رأَى بعضُهم فى المنامِ رجلًا ضَريرًا على عاتقيه حَيَّتان مُدَلَّيتان إلى صدرِه رافِعتان رُءوسَهما ، وهما يَنْهَشان مِن لحمِه ، وهو يَسْتَغِيثُ ، وقائلٌ يقولُ : هذا المَعَرِّىُّ المُلْحِدُ . وقد ذكَره ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ » فرفَع في نسبِه كما ذكَرْنا ، وقد ذكر له مِن التصانيفِ كتبًا كثيرةً ، وذكَر أن بعضَهم وقَف على المجلدِ الأولِ بعدَ المائةِ مِن كتابِه المُسَمَّى بـ« الأيْكِ والغُصونِ » .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الأبيات مما لم يرو فى اللزوميات ولا سقط الزند ، وقد أوردها الزمخشرى فى الكشاف ١/ ٢٦٥، فى تفسير قوله تعالى : ﴿إن اللَّه لا يستحيى أن يضرب مثلًا ما بعوضة﴾ . كما أوردها ابن خلكان فى وفيات الأعيان ١٧٣/٥ فى ترجمة الزمخشرى وذكر أنه أوصى بأن تكتب هذه الأبيات على قبره .

(٣) هو أبو الحسن على بن همام كما فى مصادر الترجمة المذكورة وغيرها .

(٤) المنتظم ١٥/ ٢٧.

وهو المعروفُ بـ« الهَمْزِ والرِّدْفِ » ، وأنه أخَذ العربيةَ عن أبيه ، واشْتَغَل بحلَبَ على محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدٍ النحويِّ ، وأخَذ عنه أبو القاسمِ عليُّ بنُ المُحَسِّنِ التَّنوخيُّ ، والخطيبُ أبو زكريا يَحْيَى بنُ عليٍّ التِّبْرِيزيُّ ، وذكَر أنه مكَث خمسًا وأربعين سنةً لا يَأْكُلُ اللحمَ على طريقةِ الحكماءِ ، وأنه أوْصَى أن يُكْتَبَ على قبرِه :

هـذا جَـنـاه أبـى عـلـيَّ وما جَـنَـيْـتُ عـلـى أحـدْ

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وهذا أيضًا مُتَعَلِّقٌ باعْتِقادِ الحُكماءِ ، فإنهم يقولون : إيجادُ الولدِ وإخْراجُه إلى هذا الوجودِ جِنايةٌ عليه ؛ لأنه يَتَعَرضُ للحَوادثِ والآفاتِ .

قلتُ : وهذا يَدُلُّ على أنه لم يَتَغَيَّرْ عن اعْتِقادِ الحكماءِ إلى آخرِ وقتٍ ، وأنه لم يُقْلِعْ عن ذلك كما ذكَره بعضُهم . واللَّهُ أعلمُ بظَواهرِ الأمورِ وبَواطنِها . وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[2] أن عينَه اليمنى كانت ناتِئةً ، وعليها بَياضٌ ، واليسرى غائرةٌ ، وكان نَحيفًا ، ثم أوْرَد مِن أشعارِه الجيدةِ أبياتًا ، فمنها قولُه[3] :

لا تَـطْـلُـبَنَّ بآلةٍ لـك رُتْـبـةً قَلَمُ البَليغِ بغيرِ جَدٍّ مِغْزَلُ
سكَن السِّماكان[4] السماءَ كلاهما هـذا لـه رُمْـحٌ وهـذا أعْـزَلُ

الأُسْتاذُ أبو عثمانَ الصابونيُّ ، إسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أحمدَ بنِ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١١٥.
(٢) المصدر السابق ١/ ١١٣.
(٣) ذكر ابن خلكان أن البيتين فى « اللزوميات » . ولم نجدهما فيه ولا فى سقط الزند .
(٤) السماكان : نجمان نيران ، أحدهما فى الشمال وهو السماك الرامح ، والآخر فى الجنوب وهو السماك الأعزل . الوسيط (س م ك) .

إسماعيلَ [1] **بنِ إبراهيمَ** [1] **بنِ عامرِ بنِ عابدٍ** [2] **النَّيْسابوريُّ**، الحافظُ الواعِظُ المُفَسِّرُ، قدِم دمشقَ وهو ذاهبٌ إلى الحجِّ، فسمِع بها وذكَّر الناسَ، وقد ترْجَمه ابنُ عَساكرَ ترجمةً عظيمةً، وأوْرَد أشياءَ حسَنةً مِن أقوالِه وشعرِه، فمِن ذلك قولُه [3]:

إذا لم أُصِبْ أموالَكم ونَوالَكم ... ولم آمُلِ المعروفَ منكم ولا البِرَّا
وكنتُم عَبيدًا للذى أنا عبدُه ... فمِن أجْلِ ماذا أُتْعِبُ البدنَ الحُرَّا

وروَى ابنُ عَساكرَ [4] عن إمامِ الحرَمَيْن أنه قال: كنتُ أَتَرَدَّدُ وأنا بمكةَ فى المَذاهِبِ، فرأيْتُ النبىَّ ﷺ وهو يقولُ: عليك باعْتِقادِ أبى عثمانَ الصابونىِّ. رحِمه اللَّهُ تعالى.

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته؛ تاريخ دمشق ٩/ ٣، ومعجم الأدباء ٧/ ١٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٢٤، والوافى بالوفيات ٩/ ١٤٣.

(٢) فى خ، ص: «عائذ». وانظر تبصير المنتبه ٣/ ٨٨٧.

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٥.

(٤) المصدر السابق ٩/ ١٢.

[١٧٢/٩ظ] ثم دخَلَت سنةُ خمسين وأربعِمائةٍ

فيها[١] كانت فتنةُ الخَبيثِ البَساسِيرىِّ ، وهو أرْسَلانُ التُّركىُّ ، قَبَّحه اللَّهُ تعالى ، وذلك أن إبراهيمَ يَنَّالَ أخا الملكِ طُغْرُلْبَك ترَك المَوصِلَ الذى كان اسْتَعْمَله أخوه عليها ، وعدَل إلى ناحيةِ بلادِ الجبلِ ، فاسْتَدْعاه أخوه وخلَع عليه ، وأصْلَح أمرَه ، ولكن فى غُبونِ ذلك ركِب البَساسِيرىُّ ومعه قُرَيْشُ بنُ بَدْرانَ أميرُ العربِ إلى المَوصلِ فأخَذها ، وأخْرَب قلعتَها ، فسار الملكُ طُغْرُلْبَك سريعًا من بغدادَ إلى المَوصِلِ فاسْتَرَدَّها ، وهرَب منه البَساسِيرىُّ وقُريشٌ ؛ خوفًا منه ، فتبِعهما إلى نَصِيبِينَ ، وفارَقه أخوه إبراهيمُ وعصَى عليه ، وهربَ إلى هَمَذانَ ، وذلك بإشارةِ البَساسِيرىِّ عليه ، فسار الملكُ طُغْرُلْبَك وراءَ أخيه ، وترَك عساكرَه وراءَه ، فتفرَّقوا وقلَّ مَن لحِقه منهم ، ورجَعَت زوجتُه الخاتونُ[٢] ووزيرُه الكُنْدُرىُّ إلى بغدادَ ، ثم جاء الخبرُ وبأن أخاه قد اسْتَظْهَر عليه ، وأن طُغْرُلْبَك مَحصورٌ بهَمَذانَ ، فانْزَعَج الناسُ لذلك ، واضْطَرَبَت بغدادُ ، وأرجَف الناسُ بأنّ البَساسِيرىَّ عازمٌ على قَصْدِ بغدادَ ، وأنه قد اقْتَرَب مِن الأنْبارِ ، فقوِى عزمُ الكُنْدُرىِّ الوزيرِ على المُقامِ ببغدادَ ، فأرادت الخاتونُ أن تَقْبِضَ عليه ، فتحَوَّل إلى الجانبِ الغربىِّ ، ونُهِبَت دارُه ، وقُطِع الجسرُ الذى بينَ الجانبَيْن ، وركِبَت الخاتونُ فى جُمْهورِ الجيشِ ، وذهَبَت إلى

---

(١) المنتظم ٢٩/١٦ - ٣٨، والكامل ٦٣٩/٩ - ٦٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٩ - ٣٧.

(٢) الخاتون : لقب للمرأة الشريفة ، كلمة أعجمية ، استعملها الفرس والترك ، والجمع : الخواتين . تاج العروس (خ ت ن) .

هَمَذانَ لتنصُرَ زوجَها ، وسار الكُنْدُرىُّ ومعه أنوشِرْوانَ بنُ تومانَ وأمُّه الخاتونُ المذكورةُ ، ومعها بقيةُ الجيشِ إلى بلادِ الأهْوازِ ، وبقِيَت بغدادُ ليس بها أحدٌ مِن المُقاتِلةِ ، فعزَم الخليفةُ على الترحُّلِ عن بغدادَ إلى غيرِها ، وليتَه فعَل ، ثم أَحَبَّ دارَه والمُقامَ مع أهلِه ، فمكَث فيها اغْتِرارًا ودَعَةً ، ولما خلَا البلدُ مِن المُقاتِلةِ قيل للناسِ : مَن أراد الخروجَ فلْيَذْهَبْ حيث شاء . فانْزَعَج الناسُ ، وبكَى الرجالُ والنساءُ والأطفالُ ، وعبَر كثيرٌ مِن الناسِ إلى الجانبِ الغربىِّ ، وبلَغَت المِعْبَرةُ دينارًا ودينارَيْن لعدمِ الجسرِ .

قال ابنُ الجوزىِّ[1] : وطار فى تلك الليلةِ على دارِ الخليفةِ نحوُ عشْرِ بُوماتٍ مُجْتَمِعَاتٍ يَصِحْنَ صِياحًا مُزْعِجًا ، وقيل لرئيسِ الرؤساءِ : من المصلحةِ أن الخليفةَ يَرْتَحِلُ من بغدادَ لعدمِ المُقاتِلةِ بها . فلم يَقْبَلْ .

وشرَعوا فى اسْتِخدامِ طائفةٍ مِن العَوامِّ ، ودُفِع إليهم السلاحُ مِن دارِ المَمْلَكةِ ، فلما كان يومُ الأحدِ الثامنُ مِن ذى القعدةِ مِن هذه السنةِ [٩/١٧٣و] دخَل البَساسِيرىُّ إلى بغدادَ ، ومعه الراياتُ البِيضُ المصريةُ ، وعلى رأسِه أعْلامٌ مَكْتوبٌ عليها : الإمامُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ أبو تَميمٍ مَعَدٌّ أميرُ المؤمنين ، فتلَقَّاه أهلُ الكرخِ فتضرَّعوا إليه ، وسألوه أن يَجْتازَ عندَهم ، فدخَل الكرخَ ، وخرَج إلى مَشْرَعةِ الرَّوايا[2] ، فخيَّم بها ، والناسُ إذ ذاك فى ضُرٍّ ومجاعةٍ شديدةٍ ، ونزَل قُرَيشُ بنُ بَدْرانَ فى نحوٍ مِن مائتَىْ فارسٍ على مَشْرَعَةِ بابِ البصرةِ ، وكان البَساسِيرىُّ قد جمَع العَيَّارِين وأطْمَعهم فى نَهْبِ دارِ الخِلافةِ ، ونهَب أهلُ الكرخِ دُورَ أهلِ السنةِ ببابِ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣١.

(٢) فى م : « الزاويا » .

البصرةِ ، ونُهِبَت دارُ قاضى القضاةِ الدَّامَغانىِّ ، وهلَك أكثرُ السِّجِلَّاتِ والكتبِ الحُكْمِيةِ وأُبِيعت للعَطَّارِين ، ونُهِبَت دُورُ المُتَعَلِّقين بالخَلِيفةِ ، وأعادَت الرَّوافضُ الأذانَ بحىَّ على خيرِ العملِ ، وأُذِّن به فى سائرِ جوامِعِ بغدادَ فى الجُمُعاتِ والجَماعاتِ ، وخُطِب ببغدادَ للمُسْتَنْصِرِ العُبَيْدىِّ الذى يقالُ له : الفاطمىُّ . على منابرِ بغدادَ ، وضُرِبَت له السِّكَّةُ على الذهبِ والفضةِ ، وحُوصِرَت دارُ الخلافةِ ، فحاجَف الوزيرُ أبو القاسمِ بنُ المُسلِمةِ المُلَقَّبُ برئيسِ الرؤساءِ بمَن معه مِن المُسْتَخْدَمِين دونَها ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ، فركِب الخليفةُ بالسَّوادِ والبُرْدة على كتفيه ، وعلى رأسِه اللواءُ ، وبيدِه سيفٌ مُصْلَتٌ ، وحولَه زُمْرةٌ مِن الهاشميين والجَوارِى حاسِراتٍ عن وُجوهِهن ، ناشِراتٍ شُعورَهن ، معَهن المصاحِفُ على رُءُوسِ الرماحِ ، وبينَ يديه الخَدَمُ بالسيوفِ المُسَلَّلَةِ ، ثم إنَّ الخليفةَ أخَذ ذِمامًا مِن أميرِ العربِ قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ لنفسِه وأهلِه ووزيرِه ابنِ المُسلِمةِ ، فأمَّنه على ذلك كلِّه ، وأنْزَله فى خَيْمةٍ ، فلامَه البَساسِيرىُّ على ذلك ، وقال : قد علِمْتَ ما كان وقَع الاتفاقُ بينى وبينَك مِن أنك لا تَسْتَبِدُّ برأيٍ دونى ، ولا أنا دونَك ، ومهما ملَكْنا فبينى وبينَك . واستَحضَر البَساسِيرىُّ أبا القاسمِ بنِ مسلِمةَ فوبَّخه ولامه لومًا شديدًا ، ثم ضرَبه ضربًا مُبَرِّحًا ، واعْتَقَله مُهانًا عندَه ، ونهَبَت العامَّةُ دارَ الخلافةِ ، فلا يُحْصَى ما أخَذوا منها مِن الجَواهرِ والنَّفائسِ والدِّيباجِ والأثاثِ والثِّيابِ ، وغيرِ ذلك مما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ . ثم اتَّفَق رأىُ البَساسِيرىِّ وقُرَيْشِ بنِ بدرانَ على أن تَسييرِ الخليفةِ من بغدادَ وتسليمِه إلى أميرِ حَدِيثةِ عانةَ[1] ، وهو مُهارِشُ بنُ مُجَلِّى البدوىُّ ، وهو مِن بنى عمِّ قُرَيشِ بنِ بَدْرانَ ، وكان رجلًا

---

(١) عانة : بلد بين الرقة وهيت مشرفة على الفرات . انظر معجم البلدان ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥.

صالحًا ، فلما بلَغ ذلك الخليفةَ دخَل على قُرَيْشٍ أن لا يَخْرُجَ مِن بغدادَ ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ، وسيَّره مع أصحابِهما فى [٩/١٧٣ظ] هَوْدَجٍ إلى حَديثةِ عانةَ ، فكان عندَ مُهارشِ أميرِها حولًا كاملًا ، وليس معه أحدٌ مِن أهلِه ، فحُكِى عن الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أنه قال : لما كنتُ بحَدِيثةِ عانةَ قمتُ ليلةً إلى الصلاةِ ، فوجَدْتُ فى قلبى حَلاوةَ المُناجاةِ ، ثم دعَوْتُ اللَّهَ تعالى بما سنَح لى ، ثم قلتُ : اللهم أعِدْنى إلى وطنى ، واجْمَعْ بينى وبينَ أهْلى وولَدى ، ويَسِّرِ اجْتماعَنا ، وأَعِدْ رَوْضَ الأُنْسِ زاهرًا ، ورَبْعَ القُرْبِ عامرًا ، فقد قلَّ العزاءُ وبَرِح الخَفاءُ . قال : فسمِعْتُ قائلًا على شاطئِ الفُراتِ يقولُ : نعم نعم . فقلتُ : هذا رجلٌ يُخاطِبُ آخرَ ، ثم أخَذْتُ فى السؤالِ والابْتِهالِ ، فسمِعْتُ ذلك الصائحَ يقولُ : إلى الحَوْلِ ، إلى الحَوْلِ . فعلمتُ أنه هاتفٌ أنْطَقَه اللَّهُ بما جرَى الأمرُ عليه . وكان كذلك ، خرَج مِن دارِه فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، ورجَع إليها فى ذى القَعْدةِ مِن السنةِ المقبلةِ ، وقد قال الخليفةُ القائمُ فى مُقامِه بالحَدِيثةِ شعرًا يَذْكُرُ فيه حالَه ، فمنه[1] :

خابَتْ[2] ظُنونىَ فيمَن كنتُ آمُلُه ... ولم يَجُلْ ذِكْرُ مَن والَيْتُ فى خَلَدى
تعَلَّموا مِن صُروفِ الدهرِ كلُّهمُ ... فما أَرَى أحدًا يَحْنُو على أحدِ

ومن ذلك أيضًا قولُه :

ما لى مِن الأيامِ إلا موعِدٌ ... فمتى أَرَى ظَفَرًا بذاك المَوْعِدِ
يومى يَمُرُّ وكلما قضَّيْتُه ... علَّلْتُ نفسىَ بالحديثِ إلى غدِ
أحيا[3] بنفسٍ تَسْتَرِيحُ إلى المُنَى ... وعلى مَطامِعِها تَرُوحُ وتَغْتَدِى

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٦.
(٢) فى م : « ساءت » .
(٣) فى ب ، خ ، م : « أقبح » .

وأما البَساسِيرىُّ وما اعْتَمَدَه فى بغدادَ ، فإنه ركِب يومَ عيدِ الأضْحَى ، وألْبَس الخُطَباءَ والمُؤَذِّنين البَياضَ ، وعليه هو وأصْحابِه كذلك ، وعلى رأسِه الألْوِيةُ المستنصِريةُ والمطاردُ المِصريةُ ، وخطَب للمستنصِرِ الفاطمىِّ صاحبِ مصرَ ، والرَّوافِضُ فى غايةِ السرورِ ، والأذانُ فى سائرِ بلادِ العراقِ بحىَّ على خيرِ العملِ ، وانْتَقَم البَساسِيرىُّ مِن أعيانِ أهلِ بغدادَ انْتِقامًا عظيمًا ، وغرَّق خلقًا ممَّن كان يُعادِيه ، وبسَط على آخرِين الأرْزاقَ والعطايا .

ولما كان يومُ الاثنين لليلتَيْن بقِيتا مِن ذى الحِجَّةِ أُحْضِر إلى بينِ يديه الوزيرُ أبو القاسمِ بنُ المُسلِمةِ المُلَقَّبُ برئيسِ الرؤساءِ ، وعليه جُبَّةُ صُوفٍ ، وطُرْطُورٌ مِن لِبْدٍ أحمرَ ، وفى رقبتِه مِخْنَقَةٌ مِن جُلودٍ كالتَّعاويذِ ، فأُرْكِب جملًا[1] ، وطِيفَ به فى البلدِ ، وخلْفَه مَن يَصْفَعُه بقطعةٍ من جلدٍ ، وحينَ اجتازَ بالكَرْخِ نثَروا عليه خُلْقانَ المَداساتِ ، وبصَقوا فى وجهِه ، [٩/١٧٤و] ولعَنوه وسبُّوه ، وأُوقِف بإزاءِ دارِ الخِلافةِ ، وهو فى ذلك يَتْلُو قولَه تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ٢٦] . ثم لما فُرِغ مِن التَّطْوافِ بهِ فى محالِّ البلدِ وأُعيد إلى المُعَسكرِ ، فأُلْبِس جلدَ ثَوْرٍ بقَرْنَيْه ، وعُلِّق بكلّوبٍ فى شِدْقَيْه ، ورُفِع إلى الخشبةِ حيًّا ، فجعَل يَضْطَرِبُ إلى آخرِ النهارِ ، فمات رحِمه اللَّهُ ، وكان آخِرَ كلامِه أن قال : الحمدُ للَّهِ الذى أحْيانى سعيدًا وأماتنى شهيدًا .

وفى هذه السنةِ وقَع بَرَدٌ بأرضِ العراقِ أهْلَك كثيرًا مِن الغَلَّاتِ ، وقُتِل بعضُ الفَلَّاحِين ، وزادَت دِجْلةُ زيادةً عظيمةً ، وزُلْزِلَت بغدادُ فى شوالٍ قبلَ الفتنةِ بشهرٍ

---

(١) فى الأصل : « حمارا » .

زِلْزالًا شديدًا ، فتهَدَّمت دُورٌ كثيرةٌ ، ووردَت الأخبارُ أنها اتصلت من بغدادَ إلى همَذانَ وواسِطٍ ، وعانةَ وتَكْرِيتَ ، وذُكِر أن الطَّوَاحِينَ وقَفَت مِن شدةِ الزلازلِ .

وفى هذه السنةِ كثُر النَّهْبُ ببغدادَ حتى كانت العَمائمُ تُخْطَفُ عن الرءوسِ ، حتى إن الشيخَ أبا نصرِ بنَ الصَّبَّاغِ خُطفت عِمامتُه وطَيْلَسانُه ، وهو ذاهبٌ إلى الصلاةِ يومَ الجمعةِ .

وفى أواخرِ هذه السنةِ خرَج السلطانُ طُغْرُلْبَك مِن هَمَذانَ فقاتَل أخاه وانْتَصَر عليه وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، فتباشر الناسُ بذلك وكثُر سرورُهم وفرحُهم ، ولم يُظْهِروا ذلك خوفًا مِن البَساسِيرىِّ ، واسْتَنْجَد طُغْرُلْبَك بأولادِ أخيه داودَ - وكان قد مات - ومَن معهم مِن الجنودِ على أخيه إبراهيمَ يَنّال ، فغلَبوه وأسروه وذلك فى أوائلِ سنةِ إحدى وخمسين ، واجْتَمَعوا على عمِّهم طُغْرُلْبَك ، فسار بهم نحوَ العراقِ ، فكان مِن أمرِهم ما سيأتى ذكرُه فى السنةِ الآتيةِ إن شاء اللَّهُ تعالى .

وممن تُوُفِّىَ فيها مِن الأعيانِ :

الحسينُ[1] **بنُ محمدٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الوَنِّىُّ الفَرَضىُّ** ، وهو شيخُ الخَبْرىِّ[2] ، وكان شافعىَّ المذهبِ ، قُتِل ببغدادَ فى فتنةِ البساسِيرىِّ ، ودُفِن يومَ الجمعةِ يومَ عرفةَ من هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية - عدا المنتظم ١٦/٣٨ ففيه : « الحسن » - : الأنساب ٥/ ٦١٨، والإكمال ٧/ ٤٠١، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٤٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٧٤. وسيأتى على الصواب « حسين » فى وفيات سنة إحدى وخمسين .

(٢) فى ب ، خ ، م : « الحربى » . انظر الأنساب ٢/ ٣١٨، ٣١٩. والخبرى هو أبو حكيم عبد اللَّه بن إبراهيم بن عبد اللَّه الخبرى . انظر ترجمته فى طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٦٢.

داودُ أخو طُغْرُلْبَك الأكبرُ[1] ، [2]كان مقيمًا ببلخَ بإزاءِ أولادِ محمودِ بنِ سُبُكتِكين[2] ، تُوفى فى هذه السنةِ ، وقام أولادُه مَقامَه .

طاهرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرِ بنِ عمرَ ، أبو الطيبِ الطبرىُّ الفقيهُ[3] ، شيخُ الشافعيةِ ، ولِد بآمُلِ طَبَرِسْتانَ سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاثِمائةٍ ، وسمِع بجُرْجانَ مِن أبى أحمدَ الغِطْريفىِّ ، وبنَيْسابورَ مِن أبى الحسنِ الماسَرْجِسِىِّ ، وعليه درَس الفقهَ ، وتفقَّه أيضًا على أبى علىٍّ الزَّجَّاجىِّ ، وأبى القاسمِ بن كَجٍّ ، ثم اشْتَغل ببغدادَ على الشيخِ [٩/١٧٤ظ] أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، وشرَح « المُخْتَصَرَ » ، و« فُروعَ ابنِ الحَدَّادِ » ، وصنَّف فى الأصولِ والجَدَلِ ، وغيرِ ذلك مِن العلومِ الكثيرةِ النافعةِ ، وسمِع ببغدادَ مِن الدارَقُطنىِّ وغيرِه ، وولِى القضاءَ برَبْعِ الكَرْخِ بعدَ موتِ أبى عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرىِّ ، وكان ثقةً دَيِّنًا وَرِعًا ، عالمًا بأصولِ الفقهِ وفُروعِه ، وله المصنفاتُ الباهرةُ فى ذلك ، سليمَ الصدرِ ، مواظِبًا على تعليمِ العلمِ ليلًا ونَهارًا ، وقد ذكرتُ ترجمتَه فى « الطبقاتِ » بما فيه كفايةٌ .

وحَكَى الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازىُّ عنه[4] - وكان شيخَه ، وقد أجْلَسه بعدَه فى الحلْقةِ - أنه أسْلَم خُفًّا له عند خَفَّافٍ ليُصْلِحَه له ، فأبْطَأ عليه ، فكان كلما مرَّ عليه أخَذه فغمَسه فى الماءِ ، وقال : الساعةَ الساعةَ . فقال له الشيخُ : إنما

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٠٣، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٦٥، وفى المصادر - عدا المنتظم - أنه توفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، خ ، م .

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٥، وطبقات الفقهاء ص ١٢٧، ١٢٨، والمنتظم ١٦/ ٣٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٤١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٢.

(٤) المنتظم ١٦/ ٣٩.

أسْلمْتُه لك لتُصْلِحَه ، ولم أُسْلِمْه لتُعَلِّمَه السِّباحةَ .

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[1] أنه كان له ولأخيه عِمامةٌ وقميصٌ ، إذا لبِسهما هذا جلَس الآخَرُ فى البيتِ[2] ، وقد قال فى ذلك القاضى أبو الطَّيِّبِ :

قومٌ إذا غسَلوا ثيابَ جَمالِهم لبِسوا البُيوتَ إلى فراغِ الغاسلِ[3]

وكان قد بلَغ من العمرِ مائةَ سنةٍ وسنتين ، وهو صحيحُ العقلِ والفَهمِ والأعضاءِ ، يُفْتِى ويَشْتَغِلُ إلى أن مات[4] فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ حَبيبٍ ، أبو الحسنِ الماوَرْدِىُّ البَصْرىُّ[5] ، شيخُ الشافعيين ، صاحبُ التَّصانِيفِ الكثيرةِ فى الأصولِ والفروعِ والتَّفسيرِ و « الأحْكامِ السُّلطانيةِ » ، و « أدبِ الدنيا والدِّينِ » . قال : بسَطْتُ الفقهَ فى أربعةِ آلافِ ورقةٍ - [6]يعْنى « الحاوىَ الكبيرَ » - واختصرتُه فى أربعين ورقةً[6] . يعنى « الإقناعَ » . وقد وَلى الحكمَ فى بلادٍ كثيرةٍ ، وكان حليمًا وقورًا أديبًا ، لم يَرَ أصحابُه ذراعَه يومًا مِن الدهرِ مِن شدةِ تَحَرُّزِه وأدبِه ، وقد اسْتَقْصَيْتُ ترجمتَه فى « الطَّبقاتِ » ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن ستٍّ وثمانين سنةً ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥١٤.

(٢) بعده فى ب ، خ : « وإذا غسلاهما جلسا فى البيت إلى أن ييبسا » ، وبعده فى م : « لا يخرج منه وإذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد فى البيت ولا يخرج منه وإذا غسلاهما جلسا فى البيت إلى أن ييبسا » .

(٣) انظر طبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢١١ .

(٤) بعده فى ب ، خ ، م : « وقد ركب مرة سفينة ، فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب ، فقيل له : ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها فى الشبيبة تنفعنا فى الكبر . رحمه اللَّه » .

(٥) تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢، وطبقات الفقهاء ص ١٢٧، والمنتظم ١٦/ ٤١، ومعجم الأدباء ١٥/ ٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٦٧، وطبقات المفسرين ١/ ٤٢٣.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(١) وقد أنشَد له ابنُ خَلِّكانَ أشعارًا منها قولُه(٢) :

جَرَى قلمُ القضاءِ بما يكونُ فسِيّانِ التحركُ والسكونُ
جنونٌ منك أن تسعَى لرزقٍ ويُرزقُ فى غِشاوتِه الجنينُ(١)

رئيسُ الرؤساءِ ، أبو القاسمِ بنُ المُسلِمةِ ، علىُّ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ ابنِ عمرَ(٣) ، أبو القاسمِ وزيرُ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، كان أولًا قد سمِع الحديثَ مِن أبى أحمدَ الفَرَضىِّ وغيرِه ، ثم كان أحدَ المُعَدِّلِين ، ثم اسْتَكْتَبه الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ واسْتَوْزَرَه ، ولقَّبه رئيسَ الرؤساءِ ، شرَفَ الوُزراءِ ، جَمالَ الورَى(٤) ، كان مُتَضَلِّعًا بعلومٍ كثيرةٍ مع سَدادِ رأيٍ ووُفورِ عقلٍ ، وقد مكَث فى الوزارةِ ثنتَىْ عشْرةَ سنةً وشهرًا ، ثم قتَله البَساسِيرىُّ بعدَما شهَّره ، ثم صلَبه معلقًا بشِدْقيه كما قَدَّمنا ذلك ، وله مِن العمرِ ثنتان وخمسون سنةً وخمسةُ أشهرٍ .

[٩/١٧٥و] (٥)(٦)**عبدُ الواحدِ بنُ الحسينِ**(٦) **بنِ شِيطا** ، المسنِدُ للحديثِ ، وكان ثقةً ، بصيرًا بالعربيةِ ووجوهِ القراءاتِ ومذاهبِ القراءِ ، بلَغ الثمانين ، وله كتابٌ فى التجويدِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى(٥) .

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٣. وفيه أن الأبيات لأبى الخير الكاتب الواسطى أنشدها له الماوردى .
(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩١، والمنتظم ١٦/ ٤١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٤٧.
(٤) فى م : « الوزراء » .
(٥ - ٥) زيادة من : الأصل .
(٦ - ٦) فى الأصل : « عبد اللَّه بن أحمد » . والمثبت من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد ١١/ ١٦، والمنتظم ١٦/ ٤٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢١٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٤٨.

منصورُ بنُ الحسينِ، أبو الفوارِسِ الأسَدىُّ[1]، صاحبُ الجَزيرةِ، كانت وفاتُه فى هذه السنةِ، فاجتمعت العشيرةُ على إقامةِ ولدِه صدقةَ من بعدِه. واللَّهُ أعلَمُ.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٤٣، والكامل ٩/ ٦٥٠، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠) ص ٢٥٩.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وخمسين وأربعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت وبغدادُ فى قبضةِ البَساسِيرىِّ ، ويَخْطُبُ فيها لِلمُسْتَنْصِرِ الفاطِمىِّ ، والقائمُ قاعدٌ بحَديثةِ عانةَ ، ثم لما كان يومُ الاثنين ثانى عَشَرَ صفرٍ أحْضَر البَساسيرىُّ قاضىَ القُضاةِ أبا عبدِ اللَّهِ الدامَغانىَّ وجماعةً مِن الوُجوهِ والأعْيانِ من العَلَويين والعباسيين ، وأخَذ عليهم البَيْعةَ للمسْتَنْصِرِ الفاطِمىِّ ، ثم دخَل دارَ الخِلافةِ وهؤلاء المَذْكورون معه ، وأمَر بنَقْضِ تاجِ دارِ الخِلافةِ ، فنُقِضَتْ بعضُ الشَّراريفِ[2] ، ثم قيل له : إن القُبْحَ فى هذا أكثرُ مِن المَصْلحةِ . فترَكه ، ثم ركِب إلى زِيارةِ المَشْهَدِ بالكُوفةِ ، وعزَم على [3]حفرِ نهرٍ يُساقُ إلى الحائرِ[3] لوفاءِ نَذْرٍ كان عليه ، وأمَر بأن تُنْقَلَ جُثَّةُ ابنِ مُسْلِمَةَ إلى ما يُقارِبُ الحَرَمَ الطاهِرىَّ ، وأن تُنْصَبَ على دِجلةَ ، و كتَبَت أمُّ الخَليفةِ - وكانت عَجوزًا كبيرةً قد بلَغَت التسعين ، وهى مُخْتَفِيةٌ فى مكانٍ - إلى البَساسِيرىِّ تَشْكُو إليه الحاجةَ والفقرَ وضِيقَ الحالِ ،

---

(١) المنتظم ١٦/٤٤ - ٥٦، والكامل ١٠/٥ - ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٧١ - ٢٧٤.

(٢) الشراريف ، جمع شُرَّافة : زوائد توضع فى أطراف الشىء تحليةً له . وقال صاحب تاج العروس : شرافة المسجد كتفاحة والجمع شراريف ، هكذا استعمله الفقهاء . قال شيخنا : وهو من أغلاطهم ، كما نبَّه عليه ابن بَرِّى ، ونَقَلَه الدَّمامينى فى شرح التسهيل . انظر تاج العروس ، والوسيط (ش ر ف) .

(٣ - ٣) فى ب : « نهر جعفر ليساق إلى الحائر » ، وفى م : « عبور نهر جعفر ليسوق إلى الحائر » . ونهر جعفر : نهر قرب البصرة بينها وبين مطارا من الجانب الشرقى . والحائر : حوض يصبُّ إليه مسيل الماء ، سُمِّى بذلك لأن الماء يتحيَّر فيه يرجع من أقصاه إلى أدناه ، وهو اسم لموضع قبر الحسين بن على رضى اللَّه عنهما . انظر معجم البلدان ٢/ ١٨٨، ٤/ ٨٣٨.

فأرْسَل إليها ونقَلها إلى الحَرِيمِ ، وأخْدَمها جاريتَيْن ، ورتَّب لها كلَّ يومٍ اثنَىْ عشَرَ رِطلًا مِن خبزٍ وأربعةَ أرْطالٍ لحمًا ، ولا يَفِى هذا قيراطًا مما فعلَه بولدِها وبأهلِ السنَّةِ .

فصلٌ

ولمّا تخلَّص السلطانُ طُغْرُلْبَك ، مِن حَصْرِه بهَمَذانَ ، وقاتل أخاه إبراهيمَ ينَّال ، وأسرَه وقتلَه ، وتمكَّن مِن أمرِه ، وطابَت نفسُه واستقرَّ حالُه ، ولم يَبْقَ له فى تلك البلادِ مُنازِعٌ ، كتَب إلى قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ ، مِن الأعرابِ ، يَأْمُرُه بأن يُعادَ الخَليفةُ إلى دارِه ، على ماكان عليه ، وتوعَّده على تركِ ذلك بأسًا شديدًا . فكتَبَ إليه قُرَيْشٌ يَتَلَطَّفُ به ، ويُسالِمُه ، ويقولُ : أنا معك على البَساسِيرىِّ بكلِّ ما أقْدِرُ عليه ، حتى يُمْكِنَ اللَّهُ منه ، ولكن أخْشَى أن أتَسَرَّعَ فى أمرٍ يَكونُ فيه على الخليفةِ مَفْسَدةٌ ، أو يَبْدُرُ إليه أحدٌ بأذيةٍ ، ولكنِّى سأَعْمَلُ لِما أمَرْتَنى بكلِّ ما يُمْكِنُنى . وأمَر بردِّ امرأةِ الخليفةِ الخاتونِ المعظَّمةِ أرسلان خاتون إلى دارِها وقَرارِها . ثم إنه راسَل البَساسِيرىَّ وأشار إليه بعَوْدِ الخليفةِ إلى دارِه ، وخوَّفه مِن جهةِ الملكِ طُغْرُلْبَك ، وقال له فيما قال : إنك [١٧٥/٩ظ] دعَوْتَنا إلى طاعةِ المُسْتَنْصِرِ صاحبِ مصرَ ، وبينَنا وبينَه ستُّمائةِ فَرْسَخٍ ، ولم يَأْتِنا من جهتِه رسولٌ ولا أحدٌ ، ولم يُفَكِّرْ فى شىءٍ ممَّا أرْسَلْنا إليه ، وهذا الملكُ مِن ورائِنا بالمِرْصادِ . وجاء كتابٌ مِن المَلِكِ طُغْرُلْبَكَ عُنْوانُه : إلى الأميرِ الجَليلِ عَلَمِ الدِّينِ أبى المَعالى قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ مولى أميرِ المؤمنين ، مِن شاهِنْشاه المُعَظَّمِ ملكِ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ طُغْرُلْبَك ، أبى طالبٍ محمدِ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ . وعلى رأسِ الكتابِ العَلامةُ السُّلْطانِيةُ بخطِّ السُّلطانِ : حَسْبىَ اللَّهُ . وكان فى الكتابِ : والآن قد سرَتْ بنا المَقاديرُ إلى قتالِ

كلٌّ عدوٌّ للدِّينِ والمُلْكِ ، ولم يَبْقَ لنا وعلينا مِن المُهِمَّاتِ إلا خدمةُ سيدِنا ومولانا الإمامِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أميرِ المؤمنين ، وإطلاعُ أُبَّهَةِ إمامتِه على سريرِ عِزِّه ، فإن الذى يَلْزَمُنا ذلك ، ولا فُسْحَةَ فى التضجيعِ[1] فيه ساعةً مِن الزمانِ ، وقد أقْبَلْنا بخيولِ المشرقِ إلى هذا المُهِمِّ العظيمِ ، ونُرِيدُ مِن الأميرِ الجَليلِ عَلَمِ الدِّينِ إتمامَ السعيِ النَّجِيحِ الذى وُفِّق له وتفرَّد به ، وهو أن يُتِمَّ وفاءَه مِن أمانتِه وخدمتِه فى بابِ سيدِنا ومولانا القائمِ بأمرِ اللَّهِ أميرِ المؤمنينِ من أحدِ وجهين ، إما أن يُقْبِلَ به مُكَرَّمًا إلى وَكْرِ عِزِّه ، ومَثْوَى إمامتِه ، وموقفِ خلافتِه مِن مدينةِ السلامِ ، ويَنْتَدِبَ بينَ يديه مُتَوَلِّيًا أمرَه ، ومُنْفِذًا حُكمَه ، وشاهرًا سيفَه وقلمَه ، وذلك المرادُ ، وهو خليفتُنا فى تلك الخدمةِ المفروضةِ ، ونُوَلِّيه العراقَ بأسْرِها ونُصَفِّى له مَشارعَ بَرِّها وبَحْرِها ، لا يَطأُ حافرُ خيلٍ مِن خيولِ العَجَمِ شِبْرًا مِن أراضى تلك المَمْلكةِ ، إلا بالتماسه لمعاونتِه ومظاهرتِه ، وإما أن يُحافِظَ على شخصِه العالى بتَحْويلِه مِن القلعةِ إلى حِلَّتِه أو فى القلعةِ إلى حينِ لِحاقِنا بخدمتِه ، فَنَتَكَفَّلُ بإعادتِه ، ويَكونُ الأميرُ الجليلُ مُخَيَّرًا بينَ أن يلتقىَ بنا أو يُقيمَ حيث شاء فنُوَلِّيه العراقَ ، ونَسْتَخْلِفَه فى الخدمَةِ الإماميةِ ، ونَصْرِفَ أعِنَّتَنا إلى الممالكِ الشرقيةِ ، فهِمَمُنا لا تَقْتَضِى إلا هذا [2]الغرضَ المفترضَ ، ولا تَسْفُ[3] إلى مملكةٍ من تلك الممالكِ بل الهمةُ دينيةٌ ، وهو - أدام اللَّهُ تمكينَه - يتيقنُ ما ذكرنا ، ويعلمُ أن توجهَنا إثْرَ هذا الكتابِ لهذا الغرضِ المعلومِ ولا غرضَ سِواه ، فلا يُشْعِرَنَّ قلوبَ عشائرِه رهبتَه ، فإنهم كلَّهم[2]

---

(١) فى الأصل : « التضييع » ، وفى ب ، خ ، م : « التقصير » . والتضجيع : التقصير . انظر المحيط (ض ج ع) .

(٢ - ٢) فى ب ، خ ، م : « فعند ذلك كتب قريش إلى مهارش بن مجلى الذى عنده الخليفة يقول له : إن المصلحة تقتضى تسليم الخليفة إلىّ حتى آخذ لى ولك به أمانا » .

(٣) فى الأصل : « تشف » .

(١) إخوانُنا وفى ذِمَّتِنا وعهدِنا ، وعلينا به عهدُ اللَّهِ وميثاقُه ما داموا موافقِين للأميرِ الأجلِّ فى موالينا ومن اتَّصلَ به من سائرِ العربِ والعَجمِ والأكْرادِ ، فإنهم مُقَرُّون [١٧٦/٩و] فى جملتِه وداخلون فى عهدِنا وذمَّتِنا وعهدِه وذمَّتِه ، ولكلِّ مُجْتَرِمٍ فى العراقِ عَفْوُنا وأمْنُنا مما بدَر منه إلا البساسِيرىَّ فإنه لا عهدَ له ولا أمانَ منَّا ، وهو موكولٌ إلى الشيطانِ وتساويلِه ؛ فقد ارْتكبَ فى دينِ اللَّهِ عظيمًا ، وهو إن شاء اللَّهُ مأخوذٌ حيث وجِد ومُعَذَّبٌ على ما عمِل ، فقد سعى فى دماءِ خلقٍ كثيرٍ بسوءِ دخيلتِه ، ودلَّت أفْعالُه على سوءِ عَقيدتِه . وكَتَب فى رمضانَ سنةَ إحدى وخمسين وأربعِمائةٍ . وبَعَث بهذا الكتابِ مع رسولين من أهلِ العلمِ وبَعَث معهما بتُحَفٍ عظيمةٍ للخليفةِ وأمرَهُما أن يَخْدُما الخليفةَ نيابةً عنه ، جزاه اللَّهُ عن الإسلامِ خيرًا ، ولما وصَل الكتابُ إلى قريشِ بنِ بدرانَ ، استعلم أخبارَ الملكِ طُغْرُلْبَك من الرسُلِ وغيرِهم ، فإذا معه جنودٌ عظيمةٌ ، فخاف من ذلك خوفًا شديدًا ، وبعث إلى البَرِّيَّةِ فأمر بحفرِ أماكنَ للماءِ وتجهيزِ علوفاتٍ كثيرةٍ إلى هناك ، ونفَّذَ الكتابَ والأخبارَ إلى البساسيرىِّ فانْزَعجَ لذلك البساسيرىُّ ، قَبَّحَه اللَّهُ ، وخارتْ قوتُه وضَعُفَ أمرُه ، وبعَث إلى أهلِه فنقَلهم عن بغدادَ وأرصَد له إقاماتٍ عظيمةً بواسطٍ وجعَلها دارَ مَقَرِّه ، ووافق على عَوْدِ الخليفةِ إلى بغدادَ ، ولكن اشتَرَط شروطًا كثيرةً لتُذْهِبَ خَجلَه ، ولما انتقَل أهلُ البساسيرىِّ من بغدادَ وصَحِبَتْهم أهلُ الكَرخِ والروافضُ ، قبَّحهم اللَّهُ تعالى ، وانحدروا فى دجلَةَ إلى واسطٍ كَان خروجُهم عن بغدادَ فى سادسِ ذى القعْدةِ من هذه السنةِ ، وفى مثلِه من العام الماضى دخلوا بغدادَ ، وعند ذلك ثار الهاشميون وأهلُ السُّنَّةِ من بابِ (١)

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ص .

(١ البصرةِ إلى الكَرْخِ ، فنهَبوه وأحرَقوا منه مَحَالَّ كثيرةً جدًّا ، واحترَق من جملةِ ذلك دارُ العلمِ التى كان وقفَها الوزيرُ أرْدَشيرُ من مدةِ سبعين سنةً[٢] ، وفيها من الكتبِ شىءٌ كثيرٌ ، وكان فى جملةِ ما احترق دربُ الزعفرانِ ، وفيه ألفٌ ومائتا دارٍ لكلِّ دارٍ منها قيمةٌ جَلِيلَةٌ عظيمةٌ ، وترحَّل قريشُ بنُ بَدْرانَ إلى أرضِ المَوْصلِ وبعث إلى حديثةِ عانةَ يقولُ لأميرِها مُهارِشَ بنِ مُجَلِّى الذى سلَّم إليه الخليفةَ : المصلحةُ تقتضى أن الخليفةَ تُحوِّلُه إلىَّ حتى نستأمنَ لأنْفُسِنا بسببِه ، ولا تُسَلِّمْه حتى تستأمنَ لنا وتأخذَ أمانًا فى يدِكَ دون يَدِى١) . فامْتَنَع عليه مُهارِشٌ ، وقال : قد غرَّنى البَساسِيرىُّ ، ووعَدنى بأشياءَ فلم أَرَها ، ولستُ بمُرْسِلِه إليك أبدًا ، وله فى عنقى أيْمانٌ كثيرةٌ لا أغْدِرُها . وكان مُهارِشٌ رجلًا صالحًا ثقةً أمينًا ، رحِمه اللَّهُ ، فقال[٣] [٩/١٧٦ظ] للخليفةِ : من المصلحةِ أن نَسِيرَ إلى بلدِ بدرِ بنِ مُهَلْهِلٍ ، ونَنْظُرَ ما يَكونُ مِن أمرِ السلطانِ ، فإن ظهَر دخَلْنا بَغْدادَ ، وإن كانت الأُخرَى نَظَرْنا لأنفسِنا ، فإنا نخْشَى مِن البَساسِيرىِّ أن يأتِيَنا فيَحْصُرَنا . فقال له الخليفةُ : افْعَلْ ما فيه المصلحةُ . فسارا فى الحادى عشَرَ[٤] مِن ذى القَعْدةِ إلى أن حصَلا بقلعةِ تَلِّ عُكْبَرَا ، فَلقيَتْه رسلُ السلطانِ طُغْرُلْبَك بالهَدايا والتُّحَفِ التى كان أنْفَذها إليه ، وهو متشوقٌ إليه كثيرًا ، وجاءت الأخبارُ بأن السلطانَ طُغْرُلْبَك قد دخَل بغدادَ ، وكان يومًا مشهودًا ، غيرَ أن الجيشَ نهَبوا البلدَ سوى دارِ الخلافةِ ، وصُودِر خَلْقٌ كثيرٌمِن التُّجَّارِ ، وأُخِذَت منهم أموالٌ كثيرةٌ ، وشرَعوا فى عِمارةِ دارِ المُلْكِ ، وأرْسَل السلطانُ إلى الخليفةِ مَراكِبَ كثيرةً مِن أنواعِ الخُيولِ وغيرِها ، وسُرادِقَ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، ص .

(٢) فى المنتظم أن الذى وقفها الوزير سابور بن أردشير فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « الأمير محيى الدين أبو الحرث مهارش بن مجلى العقيلى صاحب عانة والحديثة » .

(٤) فى الأصل : « والعشرين » .

عظيمةً ومَلابسَ سَنيَّةً ، وما يَليقُ بالخَليفةِ فى السفرِ ، أرْسَل ذلك مع الوزيرِ عَميدِ المُلْكِ الكُنْدُرىِّ ، ولما انْتَهَوْا إليه أرْسَلوا بتلك الآلاتِ قبلَ أن يَصِلوا إليه ، وقال لمن حوله : اضْرِبوا السُّرادِقَ ولْيَلْبَس الخليفةُ ما يَليقُ به ، ثم نَجِيءُ نحن فَنسْتَأذِنُ عليه ، فلا يَأْذَنُ لنا إلا بعدَ ساعةٍ طويلةٍ . فلما دخَل الوزيرُ ومَن معه قبَّلوا الأرضَ ، وأخْبَروه بسُرورِ السلطانِ بما حصَل مِن العَوْدِ إلى بغدادَ واشتياقِه إليه جدًّا ، وأخبروا مُهارِشًا بشكرِ السلطانِ له ونيتِه له بما ينبغى لمثلِه من الإكرام ، وكتَب عَميدُ المُلْكِ كتابًا إلى السُّلطانِ يُعْلِمُه بصفةِ ما جرَى الأمْرُ عليه ، وأحَبَّ أن يأخذَ خطَّ الخليفةِ فى أعلى الكتابِ ليَكونَ أقرَّ لعينِ السلطانِ ، فلم يكن عند الخليفةِ دواةٌ وأحْضَر الوزيرُ دَواتَه ، ومعها سيفٌ ، وقال : هذه خدمةُ السيفِ والقلمِ . فأعْجَب الخليفةَ ذلك ، وترَحَّلوا مِن منزلِهم ذلك بعدَ يومين ، فلما وصَلوا إلى النَّهْرَوانِ خرَج السلطانُ طُغْرُلْبَك من بغدادَ لتَلَقِّيه ، فلما انتهى إلى السُّرادقِ قبَّل الأرضَ بينَ يدى الخليفةِ سبعَ مراتٍ فأخَذ الخليفةُ مخَدَّةً ، فوضَعها بينَ يديه ، فأخَذها الملكُ فقبَّلها ، ثم جلَس عليها كما أشار أميرُ المؤمنين ، وقدَّم إلى الخليفةِ الحبلَ الياقوتَ الأحمرَ الذى كان لبنى بُوَيْهِ ، فوضَعه بينَ يدَى الخليفةِ ، وأخْرج اثنتَىْ عشْرةَ حَبَّةً مِن لُؤْلؤٍ كبارٍ ، وقال : أرْسَلانُ خاتون - يعنى زوجةَ الخليفةِ[1] - تَخْدُمُ وتسأَلُ أن تُسَبِّحَ بهذه السُّبْحةِ . وجعَل يَعْتَذِرُ مِن تأَخُّرِه عن [٩/١٧٧و] الحَضْرةِ بسببِ عِصيان أخيه إبراهيمَ : فقَتَلْتُه واتَّفَق موتُ أخى الأكبرِ داودَ ، فاشْتَغَلْتُ بتَرْتيبِ أولادِه مِن بعدِه ، وكنتُ عزمتُ على أن أصْمُدَ إلى الحديثةِ ؛ لأصونَ المهجةَ الشريفةَ ، ولكن لما بلغنى ، بحمدِ اللَّهِ ، أمرُ مولاى أميرِ المؤمنين الخليفةِ فرِحتُ بذلك ، وأنا شاكرٌ لمُهارِشٍ بما كان منه مِن خدمةِ أميرِ المؤمنين ، وأنا

---

(١) فى النسخ : « الملك » . والمثبت من المنتظم .

إن شاء اللَّهُ تعالى ، أَمْضِى وراء هذا الكلبِ - البَساسِيرىِّ - وأقتنِصُه ، وأعودُ إلى الشامِ ، وأفْعَلُ بصاحبِ مصرَ ما يَنْبَغِى أن يُجازَى به مِن سوءِ المُقابَلةِ بما كان من فعلِ البساسِيرىِّ هاهنا . فدَعا له الخليفةُ ، وشَكَره على ذلك . كلُّ ذلك يُتَرْجِمُه عميدُ المُلْكِ بين الخليفةِ والمَلِكِ طُغْرُلْبَك . وأعْطَى الخليفةُ للملكِ سيفًا كان معه ، لم يَبْقَ معه مِن أمورِ الخِلافةِ سِواه ، واسْتَأْذَن الملكُ لبقيةِ الجيشِ أن يَخْدُموا الخليفةَ ، فرُفِعَت الأستارُ مِن جَوانبِ الخَرْكَاه ، فلما شاهَد الأتراكُ الخليفةَ قبَّلوا الأرضَ . ثم دخَل بغدادَ يومَ الاثنين لخمسٍ بقِين مِن ذى القَعْدةِ ، وكان ذلك يومًا مشهودًا ، الجيشُ كلُّه معه والقُضاةُ والأعيانُ بينَ يديه ، والمِلِكُ طُغْرُلْبَك آخِذٌ بلِجامِ بغلتِه ، حتى وصَل إلى بابِ الحجرةِ ، ولما وصَل الخليفةُ إلى دارِ مملكتِه ومقرِّ خلافتِه اسْتأذَنه السلطانُ طُغْرُلْبَك فى الخروجِ وراءَ البَساسِيرىِّ ، فأذِن له ،وكان قد عزَم على أن يمضىَ معه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أنا أكفيك ذلك إن شاء اللَّهُ . وأطلَق المِلِكُ لمُهارِشٍ عشرَةَ آلافِ دينارٍ فلم يرضَ ، وشرَع السلطانُ فى ترتيبِ الجيوشِ للمسيرِ وراءَ البساسِيرىِّ ، فأرسل جيشًا من ناحيةِ الكوفةِ ليمنعوه مِن الدخولِ إلى الشامِ ، وخرَج هو فى التاسعِ والعشرين مِن الشهرِ فى بقيةِ الجيشِ . وأما البَساسِيرىُّ فإنه مُقِيمٌ بواسِطٍ فى جمعِ غَلَّاتٍ وتُمُورٍ يُهَيِّئُها لقتالِ أهلِ بغدادَ ومن فيها من الغُزِّ ، وعندَه أن الملكَ طُغْرُلْبَك ومَن معه ليسوا بشىءٍ يخافُ منه ، وذلك لما يُرِيدُه اللَّهُ تعالى مِن إهلاكِه على يَدى الملكِ طُغْرُلْبَك ، جزاه اللَّهُ عن الإسلامِ خيرًا ، آمينَ .

صفةُ أخذِ البَساسِيرىّ قبَّحه اللَّهُ[1]

لما سار السلطانُ نحوَه وصَلَت إليه السَّرِيةُ الأولى فلقُوه بأرضِ واسطٍ ، ومعه ابنُ مَزْيَدٍ ، فاقْتَتَلوا هنالك ، وانْهَزَم أصحابُه ،ونجا البَساسِيرىُّ بنفسِه على فرسٍ ، فتبِعَه بعضُ الغِلْمانِ ، فرمَى فرسَه بنُشَّابةٍ ، فألْقَته إلى الأرضِ ، فجاء الغلامُ ، فضرَبه على [١٧٧/٩ظ] وجهِه ، ولم يَعْرِفْه ، وأسَره واحدٌ منهم يقالُ له : كُمُشْتِكتين . وحزَّ رأسَه وحملَه إلى السلطانِ ، وأخَذَت الأتراكُ مِن جيشِ البَساسِيرىِّ مِن الأموالِ ما عجَزوا عن حملِه .

ولما وصَل الرأسُ إلى السلطانِ أمَر أن يُذْهَبَ به إلى بغدادَ ، وأن يُرْفَعَ على قَناةٍ ، وأن يُطافَ به فى المَحالِّ والدَّبادِبُ والبُوقاتُ والنَّقَّاطون معه ، وأن يَخْرُجَ الناسُ والنساءُ للفُرْجةِ عليه ، ففُعِل ذلك ، ثم نُصِب على الطَّيَّارِ تُجاهَ دارِ الخلافةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وقد كان مع البسَاسِيرىِّ خلقٌ مِن البَغادِدةِ خرَجوا معه ، ظانِّين أنه سيَعودُ إليها ، محبَّةً فيه ، فهلكوا ونُهِبَت أموالُهم كلُّها ، ولم يَنْجُ مِن أصحابِه إلا القليلُ ، وفرَّ ابنُ مَزْيَدٍ فى ناسٍ قليلٍ إلى البَطيحةِ ، وفيمن معه أولادُ البَساسِيرىِّ وأمُّهم ، وقد سلَبَتْهم الأعرابُ ، فلم يَتْرُكوا لهم شيئًا فوردوا البطيحةَ مسلوبين مَحْروبين ، ثم استُؤمِن لابنِ مَزْيَدٍ مِن السلطانِ ، ودخَل معه بغدادَ ، وقد نهَبَت العَساكرُ السلطانيةُ ما بينَ واسطٍ والبصرةِ والأهْوازِ ، وذلك لكثرةِ الجيشِ وانتِشارِه وكثافتِه . وأما الخليفةُ فإنه لمَّا عاد إلى دارِ الخِلافةِ جعَل للَّهِ عليه أن لا يَنامَ

---

(١) المنتظم ٥٤/١٦ - ٥٦، والكامل ٦٤٨/٩ - ٦٥٠ حوادث سنة خمسين وأربعمائة . وفيهما أورد ابن الأثير قصة البساسيرى كاملة دون فصل حوادثها على السنتين ؛ سنة خمسين وإحدى وخمسين وأربعمائة . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٧٢.

على وِطاءٍ، ولا يَأْتِيه أحدٌ بطعامِه إذا كان صائمًا، ولا يَخْدُمَه فى وُضوئِه وغُسلِه، بل يَتَوَلَّى ذلك بنفسِه لنفسِه، وعاهَد اللَّهَ أن لا يُؤْذِىَ أحدًا ممَّن آذاه، وأن يَصْفَحَ عمَّن ظلَمه، وكان يقولُ: ما عاقَبْتَ مَن عصَى اللَّهَ فيك بأكثرَ مِن أن تُطِيعَ اللَّهَ فيه.

وفيها تولَّى الملكُ ألْب أرْسَلان بنُ داودَ (١جَغْرِيبَك١) بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلْجوقَ بلادَ خُراسانَ(٢) بعدَ وفاةِ أبيه بتقريرِ عمِّه المَلِكِ طُغْرُلْبَك، وكان له مِن الإخوةِ ثلاثةٌ؛ سليمانُ (٣وقاروتُبَك، وياقوتى٣)، فتزَوَّج طُغْرُلْبَك بأمِّ سليمانَ (٤هذا، وأوصى له بالمُلْكِ مِن بعدِه٤).

وكان فى هذه السنةِ بمكةَ رُخْصٌ لم يُسْمَعْ بمثلِه، بِيع البُرُّ والتمرُ، كلُّ مائتَىْ رَطْلٍ بدينارٍ.

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أرْسَلان، أبو الحارثِ البَساسِيرىُّ التُّركىُّ(٥) كان مِن مَماليكِ بَهاءِ الدولةِ بنِ عَضُدِ الدولةِ، وكان أولًا مَمْلوكًا لرجلٍ مِن أهلِ مدينةِ بَسَا، فنُسِب إليه، فقيل

(١ - ١) سقط من: ب، خ، م. وفى الأصل: «جعفر بك».
(٢) فى ب، خ، م: «حران».
(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «وقارون وياقوت».
(٤ - ٤) سقط من: ب، خ، م.
(٥) المنتظم ١٦/ ٥٦، ووفيات الأعيان ١/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٠١، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٤٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٦٤.

له : البَساسِيرىُّ[1] . وتلَقَّب بالمُظَفَّرِ ، ثم كان مُقَدَّمًا كبيرًا عندَ الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، لا يَقْطَعُ أمرًا دونه ، وخُطِب له على منابرِ العراقِ كلِّها ، ثم طغَا وبغَى وتمرَّد ، وعتَا وخرَج على الخليفةِ ، بل وعلى المسلمين ، ودعا إلى خلافةِ الفاطمِيِّين ، فتمّ له ما رامَه مِن الأملِ الفاسدِ [٩/١٧٨و] واستُدْرِج ، ثم كان أخذُه فى هذه السنةِ ، على ما ذَكَرْنا ، وللَّهِ الحمدُ ، وكان دخولُه بأهلِه إلى بغدادَ فى سادسِ ذى القَعْدةِ مِن سنةِ خمسين وأربعِمائةٍ ، ثم اتَّفَق خروجُهم فى سادسِ ذى القَعْدةِ أيضًا مِن سنةِ إحدى وخمسين بعدَ سنةٍ هِلاليةٍ كاملةٍ ، ثم كان خروجُ الخليفةِ مِن بغدادَ فى يومِ الثلاثاءِ الثامِنَ[2] عشَرَ مِن كانونَ الأولِ ، واتَّفَق قتلُ البَساسِيرىِّ فى يومِ الثلاثاءِ الثامنَ عشَرَ[3] مِن كانونَ الأولِ بعد سنةٍ شَمْسِيةٍ ، وذلك فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ .

الحسنُ بنُ أبى الفضلِ ، أبو علىٍّ الشَّرْمَقانىُّ[4] المُؤَدِّبُ المُقْرِئُ الحافظُ للقِراءاتِ واخْتلافِها ، كان ضيقَ الحالِ ، فرآه شيخُه ابنُ العَلَّافِ ذاتَ يومٍ وهو يَأْخُذُ أوْراقَ الخَسِّ مِن دجلةَ فيأْكُلُه ، فأَعْلَمَ ابنَ المُسْلِمةِ فأمَر غلامَه أن يَذْهَبَ إلى الخِزانةِ التى بمسجدِه ، فيتَّخِذَ لها مِفتاحًا غيرَ مِفْتاحِه ، ثم كان يَضَعُ فيها كلَّ يومٍ ثلاثةَ أرْطالٍ مِن خبزِ السَّمِيدِ[5] ودَجاجةً وحَلاوةَ سُكَّرٍ ، فظنَّ أبو علىٍّ الشَّرْمَقانىُّ

---

(١) بسا : بلدة بفارس ، وهذه البلدة يقال لها بالعربية : فسا . والنسبة إليها فَسَوىّ . وأهل فارس يقولون فى النسبة إليها : البساسيرى . وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل . انظر وفيات الأعيان ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) فى ب ، خ ، م : « الثانى » .

(٣) فى وفيات الأعيان والوافى أنه الحادى عشر .

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٢، والمنتظم ١٦/ ٥٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٠٤، وغاية النهاية ١/ ٢٢٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٦٥. وجاء اسمه فى تاريخ بغداد ومعرفة القراء : « الحسن بن الفضل » .

(٥) السميد : لباب الدقيق ، وهو لغة فى السميذ . الوسيط (س م د) .

أن ذلك كَرامةٌ ، وأن هذا الطعامَ مِن الجنةِ ، فكتَمه زمانًا ، وجعَل يُنْشِدُ :

من أطْلَعوه على سرٍّ فباح به لم يَأْمَنوه على الأسْرارِ ما عاشا[1]

فلما كان فى بعضِ الأيامِ ذاكَره ابنُ العَلَّافِ فى أمْرِه ، وقال : أَراك قد سَمِنْتَ ، فما هذا الأمرُ وأنت رجلٌ فقيرٌ ؟ فجعَل يُلَوِّحُ ولا يُصَرِّحُ ، ويُكَنِّى ولا يُفْصِحُ ، ثم أخْبَرَه أنه يَجِدُ كلَّ يومٍ فى خِزانتِه مِن طعامِ الجنةِ ما يَكْفِيهِ . فقال له : ادْعُ لابنِ المُسلمةِ ، فإنه الذى يَفْعَلُ معك ذلك . وشرَح له صُورةَ الحالِ ، فانْكَسَر ولم يُعْجِبْه ذلك .

علىُّ بنُ محمودِ بنِ إبراهيمَ[2] بنِ ماخُرَّةَ[3] أبو الحسنِ الزَّوْزَنىُّ[4] شيخُ الصُّوفيةِ ، وإليه يُنْسَبُ رِباطُ الزَّوْزَنِىِّ ، وقد كان بُنىَ لأبى الحسنِ الحُصْرىِّ شيخِه ، وقد صحِب أبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمىَّ ، وقال : صحِبْتُ ألفَ شيخٍ ، وأَحْفَظُ عن كلِّ شيخٍ حِكايةً . تُوُفِّى فى رمضانَ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ الفتحِ[5] بنِ محمدِ بنِ علىٍّ[6] أبو طالبٍ الحربىُّ المَعْروفُ بالعُشَارىِّ ، وإنما قيل له ذلك ؛ لطولِ جسدِه ، وقد سمِع الدارَقُطنىَّ وغيرَه ،

---

(١) بعده فى ب ، خ ، م :

« وأبعدوه فلم يظفر بقربهم وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا »

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١١٥، والأنساب ٣/ ١٧٦، والمنتظم ١٦/ ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣١١، وشذرات الذهب ٣/ ٢٨٨.

(٣) فى الأصل : « ماجوه » ، وفى ص : « ماجويه » ، وفى ب ، خ ، م : « ماجره » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٤) هنا وفيما يأتى ؛ فى ب ، خ ، م : « الروزنى » . وقد جاءت نسبته هكذا - الروزنى - فى تاريخ بغداد أيضًا . والمثبت من الأصل ، ص ، وسائر مصادر ترجمته هو الصواب ، وانظر اللباب ١/ ٥١٢.

(٥) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٧، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩١، والمنتظم ١٦/ ٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣١٦، والوافى بالوفيات ٤/ ١٣٠.

(٦) فى طبقات الحنابلة : « الفتح » .

وكان ثقةً دَيِّنًا صالحًا ، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأُولى مِن هذه السنةِ ، وقد نيَّف على الثمانين .

الوَنِّىُّ الفَرَضىُّ ، الحسينُ بنُ محمدٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الوَنِّىُّ[1] ، نسبةً إلى وَنَّ قريةٍ مِن أعمالِ قُهُستانَ[2] ، الفَرَضىُّ ، شيخُ الخَبْرىِّ ، وهو أبو حَكيمٍ عبدُ اللَّهِ بنُ إبراهيمَ ، كان الوَنِّىُّ إمامًا فى الحسابِ [٩/١٧٨ظ] والفَرائضِ ، وانْتَفَع الناسُ به ، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ ببغدادَ شهيدًا فى فِتنةِ البَساسِيرىِّ .

---

(١) تقدمت ترجمته فى وفيات سنة خمسين وأربعمائة .

(٢) فى ب ، خ ، م : « جهستان » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٩٤١.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وخمسين وأربعِمائةٍ[1]

فى يومِ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن صفرٍ دخَل السلطانُ بغدادَ مرْجِعَه مِن واسِطٍ ، بعدَ قَتْلِ البَساسِيرىِّ ، وفى يومِ الحادى والعشرين منه جلَس الخليفةُ بدارِ الخلافةِ ، وحَضَر[2] الملكُ طُغْرُلْبَك ، ومدَّ سِماطًا عظيمًا بين يديه[3] ، فأكَل الأُمراءُ والعامَّةُ ، ثم فى يومِ الخميسِ ثانى ربيعِ الأولِ عمِل الملكُ طُغْرُلْبَك فى داره سِماطًا عظيمًا أيضًا .

وفى يومِ الثلاثاءِ تاسعِ جمادَى الآخِرةِ ورَد الأميرُ عُدَّةُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ ذَخيرةِ الدينِ بنِ أميرِ المؤمنين القائمِ ، [4]وجَدَّتُه[4] ، وعمَّتُه ، وله مِن العمرِ يومَئذٍ أربعُ سنين صُحْبةَ أبى الغَنائمِ [5]بنِ المحلبانِ[5] ، فتَلَقَّاه الناسُ إجْلالًا لجدِّه ، وقد وَلِى هو الخِلافةَ بعدَ ذلك ، وهو المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ .

وفى رجبٍ وقَف أبو الحسنِ محمدُ بنُ هلالٍ العَتَّابىُّ[6] دارَ كتبٍ ، بشارعِ ابنِ أبى عَوْفٍ مِن غربىِّ مدينةِ السلامِ ، ونَقَل إليها ألفَ كتابٍ عِوَضًا عن دارِ

---

(١) المنتظم ١٦/٦٠ - ٦٢، والكامل ١٠/١٠ - ١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) فى ب ، خ ، م : « أحضر » .

(٣) فى المنتظم أن ذلك السماط كان يوم التاسع والعشرين .

(٤ - ٤) سقط من : ب ، خ . وفى م : « بأمر الله » .

(٥ - ٥) سقط من : ب ، خ ، م . وفى الأصل ، ص : « البحلنان » . والمثبت من المنتظم والكامل .

(٦) فى المنتظم : « الصابى » .

أرْدَشِيرَ التى احترقَت بالكَرْخِ .

وفى شعبانَ ملَك محمودُ بنُ نصرٍ حلبَ وقلعتَها ، فامْتَدَحه الشعراءُ .

وملَك عطيةُ [1] بنُ صالحٍ [1] بنِ مِرْداسٍ الرَّحْبةَ ، وذلك كلُّه يُنزَعُ مِن أيدِى الفاطمِيِّين .

وفيها عاد الملكُ طُغْرُلْبَك إلى الجبلِ ، وعقَد بغدادَ على العميدِ بمائةِ ألفِ دينارٍ فى السنةِ ، ولسنتين بعدَها بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، فشرع العميدُ فى عمارةِ الكَرْخِ وأسواقِه .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ ، غيرَ أن جماعةً اجْتَمَعوا إلى الكوفةِ ، وركِبوا مع طائفةٍ من الخَفَر .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيَانِ :

[2] **بايُّ بنُ جَعْفَرِ بنِ بايٍّ** [2] **أبو منصورٍ الجِيلىُّ** ، مِن تلامذةِ أبى حامدٍ الإسفَراييِنىِّ ، وَلِى القضاءَ ببابِ الطاقِ وبحَريمِ دارِ الخِلافةِ ، وسمِع الحديثَ مِن جماعةٍ ، قال الخطيبُ [3] : وكتَبْنا عنه ، وكان ثقةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، خ ، م . وفى الأصل : « بابى بن جعفر بن بابى » ، وفى ص : « بانى بن جعفر بانى » .

والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : تاريخ بغداد ٧/ ١٣٦، والمنتظم ١٦/ ٦٢، والكامل ١٠/ ١٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩٦. قال السبكى : « وبايّ ، بفتح الباء الموحدة ، وآخرها آخر الحرف مشدّدة ، ووهم من زعمه بياءين ، أو بياء مفتوحة بدل آخر الحروف » .

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ١٣٦.

الحسنُ[1] [2]**بنُ محمدٍ**[2] **بنِ أبى الفضلِ ، أبو محمدٍ النَّسَوىُّ الوالى** ، سمِعَ الحديثَ ، وكان ذكِيًّا فى صنعةِ الولايةِ ، ومَعرفةِ المتَّهَمِ مِن بينِ الغُرَماءِ بلَطيفٍ مِن الصُّنْعِ ، كما نُقِل عنه أنه وَقَف بين يدى جماعةٍ اتُّهِموا بسرقةٍ ، فأتَى بكُوزٍ ليَشْرَبَ منه ، فرمَى به فانْزَعَج الواقِفون إلا واحدًا ، فأمَر به أن يُقَرَّرَ ، وقال : السارقُ يَكونُ جَريئًا قويًّا . فوُجِد الأمرُ كذلك .

وقد قتَل مرةً واحدًا ضُرِبَ بينَ يديه ، فادُّعِى عليه [٩/ ١٧٩و] عندَ القاضى أبى الطيبِ الطبرىِّ ، فحكَم عليه بالقِصاصِ ، ثم فادَى عن نفسِه بمالٍ جزيلٍ حتى خلَصَ من القتلِ .

محمدُ بنُ [3]**عُبَيدِ اللَّهِ**[3] **بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عُمْرُوسٍ** ، أبو الفضلِ البَزَّارُ[4] ، انْتَهَت إليه رِياسةُ الفُقهاءِ المالكِيِّين ببغدادَ ، وكان مِن القُرَّاءِ المجوِّدِين وأهلِ الحديثِ المُسْنِدِين ، مع ابنِ حَبابَةَ ، والمُخَلِّصِ ، وابنِ شاهينَ ، وقد قَبِل شَهادتَه أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغَانىُّ ، فكان أحدَ المُعَدَّلِين .

قَطْرُ النَّدَى[5] ويقالُ : بدرُ الدُّجَى . ويقالُ : عَلَمُ . أمُّ الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ،

---

(١) المنتظم ١٦/ ٦٣، والكامل ١٠/ ١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٣٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٦٨.

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى مصادر الترجمة . وقد انفرد تاريخ الإسلام أن ذكره على أنه «ابن النسوى» .

(٣ - ٣) فى ص ، وترتيب المدارك ٤/ ٧٦٢: «عبد الله» . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢/ ٣٣٩، وطبقات الفقهاء ص ١٦٩، وترتيب المدارك ٤/ ٧٦٢، وتبيين كذب المفترى ص ٢٦٤، والمنتظم ١٦/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٣٣.

(٤) فى تبيين كذب المفترى ، والمنتظم : «البزاز» . والمثبت من النسخ يوافق ما فى تاريخ بغداد وترتيب المدارك . ولم تذكر هذه النسبة فى بقية المصادر .

(٥) المنتظم ١٦/ ٦٣، والكامل ١٠/ ١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٧٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٦٧.

كانت عَجوزًا كبيرةً ، قد بلَغَت التسعين [1] سنةً ، وكانت أرمينيَّةً [1] ، وهى التى احْتاجَت فى زمانِ البَساسِيرىِّ [1] وألجأتْها الحاجةُ حتى كَتبتْ إليه رقعةً تشكو فقرَها وحاجتَها [1] فأجرى عليها رزقًا ، وأَخْدَمَها جاريتين ، وهذا كان من أحسنِ ما صنَع ، ثم لم تَمُتْ حتى أقرّ اللَّهُ عينَها بولدِها ورُجوعِه إليها ، واسْتَمرَّ أمرُهم على ما كانوا عليه ، ثم تُوُفِّيَت فى رجبٍ من هذه السنةِ ، فحضَر ولدُها الخليفةُ جِنازتَها ،وكانت حافلةً جدًّا ، رحِمها اللَّهُ تعالى ، وأكرم مثواها بمنِّه وكرمِه ، آمينَ .

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وخمسين وأربعِمائةٍ

فيها[1] خطَب الملكُ طُغْرُلْبَك ابنةَ الخليفةِ ، فانْزَعَج مِن ذلك ، وقال : هذا شيءٌ لم تَجْرِ العادةُ بمثلِه . ثم طلَب أشياءَ كثيرةً كهيئةِ المُبْعِدِ لَه ، مِن ذلك ما كان لزوجتِه التى تُوُفِّيت مِن الإقْطاعاتِ بأرضِ واسطٍ ، وصَداقُ ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وأن يُقِيمَ المَلِكُ ببغدادَ لا يترحَّلُ منها ولا يَحِيدُ عنها يومًا أبدًا ، فوقَع الاتِّفاقُ على بعضِ ذلك ، وأرْسَل إليها بمائةِ ألفِ دينارٍ مع ابنةِ أخيه داودَ زوجةِ الخليفةِ أرْسَلان خاتون ، وأشياءَ كثيرةٍ مِن آلاتِ الذهبِ والفضةِ والنِّثارِ والجَوارِى والكُراعِ ، ومِن الجَواهِرِ ألفان ومائتا قطعةٍ[2] ، مِن ذلك سبعُمائةٍ وعشرون قطعةً مِن جوهرٍ ، وزنُ كلِّ واحدةٍ ما بين الثلاثةِ مَثاقيلَ إلى المِثْقالِ ، وأشياءُ كثيرةٌ . فتمَنَّع الخليفةُ لفَواتِ بعضِ الشروطِ ، فغضِب عَميدُ المُلْكِ الكُنْدُرىُّ الوزيرُ لخَدومِه السلطانِ ، وجرَت شُرورٌ طويلةٌ اقْتَضَت أن أرْسَل السلطانُ كتابًا يَأْمُرُ فيه بانْتِزاعِ ابنةِ أخيه السيدةِ أرْسَلان خاتون ، ونَقْلِها مِن دارِ الخِلافةِ إلى دارِ المَلِكِ حتى تَنْفَصِلَ هذه القضيةُ ، وعزَم الملكُ على النُّقْلةِ مِن بغدادَ ، [3]وأصلَح الطيَّارَ[3] فانْزَعَج الناسُ لذلك ، وجاء كتابُ السلطانِ إلى رئيسِ شِحْنَةِ بغدادَ برشقٍ[4] يَأْمُرُه بعدمِ المُراقَبةِ وكثرةِ العَسْفِ فى مُقابَلةِ ردِّ أصحابِنا بالحِرْمانِ ، ويَعْزِمُ على نُقْلةِ [١٧٩/٩ظ] الخاتونِ إلى دارِ

---

(١) المنتظم ٦٥/١٦ - ٧٠، والكامل ١٤/١٠ - ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٧٧.

(٢) فى المنتظم أنها ألفان ومائتان وخمسمائة قطعة .

(٣ - ٣) سقط من : ب ، خ ، م .

(٤) فى ب ، م : « برشتق » .

المَمْلَكةِ ، ويُرسلُ مَن يَحْمِلُها إلى البلدةِ التى هو فيها ، وكلُّ ذلك غضَبٌ على الخليفةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

قال ابنُ الجوزىِّ[1] : وفى رمضانَ رأى إنسانٌ مِن الزَّمْنَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ وهو قائمٌ ، ومعه ثلاثةُ أنْفُسٍ ، فجاء إليه أحدُهم فقال له : ألا تقومُ ؟ فقال : لا أسْتَطِيعُ ، أنا رجلٌ مُقْعَدٌ . فأخَذ بيدِه وقال : قُم . فقام وانْتَبَه ، فإذا هو قد برَأ ، وأصْبَح يَمْشِى فى حَوائجِه .

وفى ربيعِ الآخِرِ اسْتَوْزَر الخَليفةُ أبا الفتحِ منصورَ بنَ أحمدَ بنِ دارست الأهْوازىَّ ، وخلَع عليه ، وجلَس فى مجلسِ الوِزارةِ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ لليلتين بقِيَتا منه كسَفَت الشمسُ كُسوفًا عظيمًا ؛ جميعُ القُرْصِ ، فمكَث أربعَ ساعاتٍ حتى بَدَت النُّجومُ وآوَت الطيورُ إلى أوْكارِها وتَرَكَتِ الطيرانَ[2] ، وكلُّ ذلك لشدةِ الظُّلمةِ .

وفيها وَلِى أبو تَميمِ بنُ مُعزِّ بنِ باديسَ بلادَ إفريقيةَ بعد وفاةِ أبيه صاحبِها . وفيها وَلِى نصرُ بنُ نصرِ الدولةِ أحمدَ بنِ مَرْوانَ الكُرْدىُّ دِيارَ بكرٍ بعد أبيه أيضًا .

وفيها وَلِى شرفُ الدولةِ بنُ قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ بلادَ الموصِلِ ونَصِيبِينَ بعد أبيه . وفيها خُلِع على طِرادِ بنِ محمدٍ الزَّيْنَبىِّ المُلَقَّبِ بالكاملِ وولِى نِقابةَ العباسيين . وخُلِع على أسامةَ بنِ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ وقُلِّدَ نقابةَ الطالبيين ولُقِّب المُرْتَضَى . وفيها ضمِن أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عَلانَ اليهودىُّ ضِياعَ الخليفةِ مِن صَرْصَرَ إلى

---

(١) المنتظم ١٦/ ٧٠.

(٢) فى المنتظم والكامل ، أن الطيور سقطت فى طيرانها .

أوانا[1] ، كلُّ سنةٍ بستةٍ وثمانين ألفَ دينارٍ وسبعةَ عشَرَ ألفَ كُرٍّ مِن غَلَّةٍ[2] . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ مَرْوانَ ، أبو نصرٍ الكُرْدىُّ[3] ، صاحبُ بلادِ بكرٍ ومَيَّافارِقِينَ ، لقَّبه القادرُ باللَّهِ نصرَ الدولةِ ، ملَك هذه البلادَ ثنتين وخمسين سنةً ، وتنَعَّم تَنَعُّمًا لم يَقَعْ لأحدٍ مِن أهلِ زمانِه ، ولا أدْرَكه فيه أحدٌ مِن بعده ، وكان عندَه خمسُمائةِ سُرِّيَّةٍ سِوَى مَن يَخْدُمُهن ، وعندَه خمسُمائةِ خادمٍ ، وعندَه مِن المُغَنِّياتِ شىءٌ كثيرٌ ، كلُّ واحدةٍ مُشْتَراها خمسةُ آلافِ دينارٍ وأكثرُ ، وكان يَحْضُرُ فى مَجْلِسِه مِن الآلاتِ والأوانى ما يُساوِى مائتَىْ ألفِ دينارٍ ، وتزَوَّج بعِدَّةٍ مِن بناتِ المُلوكِ ، وكان كثيرَ المُهادَنةِ للمُلوكِ ، إذا قصَده عدُوٌّ أرْسَل إليه بمقدارِ ما يَغْرَمُه على حربِه ويصالحُه بذلك ، فيَرْجِعُ عنه .

وقد أرْسَل إلى الملكِ طُغْرُلْبَك بهديةٍ عظيمةٍ حينَ ملَك العراقَ ، مِن ذلك جبلٌ[4] مِن ياقوتٍ كان لبنى بُوَيْهِ ، اشْتَراه [٩/ ١٨٠و] بمقدارٍ عظيمٍ ، وبعَث إليه بمائةِ ألفِ دينارٍ عينًا ، وغيرُ ذلك . ووزَر له أبو القاسمِ المَغْربىُّ مرَّتَين ، ووزَر له أيضًا أبو نصرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ جُهَيْرٍ ، فخرُ المُلْكِ ، وكانت بلادُه من آمَنِ البلادِ ، وأطيبِها وأكثرِها عدلًا . وقد بلَغه أن الطيورَ تنجِعُ فى الشتاءِ فى الجبالِ إلى

---

(١) فى ب ، خ ، م : « أواثى » . وفى المنتظم : « واسط » .

(٢) بعده فى المنتظم : « وسبعة عشر ألف كر » .

(٣) المنتظم ١٦/ ٧٠، والكامل ١٠/ ١٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٣٧، والوافى بالوفيات ٨/ ١٧٦.

(٤) فى الأصل ، ب ، خ ، م ، والوافى بالوفيات : « حبل » .

القُرَى ، فيَصْطادُها الناسُ ، فأمَر بفتحِ الأهْراءِ[1] وإلقاءِ ما يَكْفِيها مِن الغَلَّاتِ فى مدةِ الشتاءِ ، فكانت تَكونُ فى ضيافتِه طولَ عمرِه . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد قارَب الثمانين أو جاوَزَها .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : قال ابنُ الأزْرَقِ فى « تاريخِه » : إنه لم يُصادِرْ أحدًا مِن رعيتِه سوى رجلٍ واحدٍ ، ولم تَفُتْه صلاةٌ مع كثرةِ مُباشرتِه للذَّاتِ ، وكانت له ثلاثُمائةٍ وستون حَظِيَّةً ، يَبِيتُ عندَ كلِّ واحدةٍ ليلةً من السَّنةِ ، وخلَّف أولادًا كثيرةً ، ولم يَزَلْ على ذلك الحالِ إلى أن تُوُفِّى فى التاسعِ والعشرين مِن شوالٍ من هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الأهراء : جمع هُرْى ، وهو بيت كبير ضخم يُجْمَع فيه طعام البُرّ ونحوه . انظر الوسيط (هـ ر ى) .
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٧٧.

ثم دخَلَت سنة أربعٍ وخمسين وأربعِمائةٍ

فيها[1] ورَدَت الكتبُ الكثيرةُ مِن الملكِ طُغْرُلْبَك يَشْكُو قلةَ إنصافِ الخليفةِ وعدَمِ مُوافاتِه له بما أسْداه إليه مِن الخدمِ والنِّعَمِ إلى ملوكِ الأطرافِ، وقاضى القُضاةِ الدّامَغانىِّ، فلما رأى الخليفةُ ذلك، وأن الملكَ قد أرْسَل إلى نوابِه بالاحتياطِ على أملاكِ الخليفةِ - وقد انزعج لذلك - كتَب إلى الملكِ طُغْرُلْبَك يُجِيبُه إلى ما سأل، فلما وصل إلى الملكِ فرِح فرحًا شديدًا، وأرْسَل إلى نوابِه أن يُطْلِقوا الأملاكَ الخليفيةَ. فلما انتهَت الركابيةُ بذلك إلى بغداد، دقَّت البشائرُ بدارِ الخلافةِ، وطيف بالركابيةِ وبين أيديهم الدبادبُ والبوقاتُ، وفرِح الناسُ بإجابةِ الخليفةِ إلى ذلك، واتَّفَقَت الكلمةُ، فوكَل الخليفةُ فى العقدِ، وكَتَب بذلك وَكالةً، ثم وقَع العقدُ بمدينةِ تِبْرِيزَ بحَضْرةِ الملكِ طُغْرُلْبَك، وعمِل سِماطًا عظيمًا، فلمَّا جِيء بالوَكالةِ قام لها الملكُ، وقبَّل الأرضَ عندَ رؤيتِها، ثم أوْجَب العقدَ على صداقِ أربعِمائةِ ألفِ دينارٍ، وكثُر دعاءُ الناسِ للخليفةِ، وذلك فى يومِ الخميسِ الثالثَ عشَرَ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ، ثم بعَث ابنةَ أخيه الخاتون أرْسَلان خاتون زوجةَ الخليفةِ فى شَّوالٍ بتُحَفٍ عظيمةٍ وذهبٍ كثيرٍ، وجَواهرَ عَديدةٍ ثمينةٍ، وهَدايا عظيمةٍ لأمِّ العَروسِ وأهلِها كلِّهم، وقال الملكُ جَهْرةً للناسِ: أنا عبدٌ قِنٌّ للخليفةِ ما بَقِيتُ، لا أمْلِكُ شيئًا سِوَى ما علىَّ مِن الثيابِ.

---

(١) المنتظم ١٦/٧٢ - ٧٦، والكامل ١٠/٢٠ - ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٧٨ - ٢٨٠.

وفيها عزَل الخليفةُ وزيرَه ، واسْتَوْزَر أبا نصرٍ محمدَ بنَ محمدِ بنِ جُهَيْرٍ ، اسْتَقْدَمه مِن مَيَّافارِقِينَ .

وفيها عمَّ الرُّخْصُ [٩/١٨٠ظ] جميعَ الأرضِ حتى أُبِيع بالبَصْرةِ كلُّ ألفِ رَطْلِ تمرٍ بثمانِ قَرارِيطَ[١] .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ثُمالُ بنُ صالحٍ ، مُعِزُّ الدولةِ[٢] ، صاحبُ حلَبَ ، كان كريمًا حَليمًا وقورًا ، ذكَر ابنُ الجوزىِّ[٣] أن الفَرَّاشَ تقَدَّم إليه ليَغْسِلَ يدَه فصدَمت بُلْبُلةُ الإبْرِيقِ ثَنِيَّتَه ، فسقَطَت فى الطَّسْتِ ، فعفَا عنه .

الحسنُ بنُ علىِّ بنِ محمدٍ ، أبو محمدٍ الجَوْهَرىُّ[٤] ، وُلِد فى شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وستين وثلاثِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ على جَماعةٍ ، وتفَرَّد بمشايخَ كثيرةٍ ، منهم أبو بكرِ بنُ مالكٍ القَطِيعىُّ ، وكان آخِرَ مَن حدَّث عنه ، تُوُفِّى فى ذى القَعْدةِ من هذه السنةِ .

الحسينُ بنُ أبى زيدٍ[٥] ، **أبو علىٍّ الدَّبَّاغُ** ، قال : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى

---

(١) بعده فى ب ، خ ، م : « ولم يحج فيها أحد » .

(٢) المنتظم ١٦/ ٧٦، والكامل ١٠/ ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٥٥، والوافى بالوفيات ١١/ ١٦، وشذرات الذهب ٣/ ٢٩٢.

(٣) المنتظم ١٦/ ٧٦.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٣، والمنتظم ١٦/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٥٦، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٢٣، وعنده فى وفيات أربع وأربعين وأربعمائة .

(٥) فى ب ، م : « يزيد » . وانظر ترجمته فى : الثقات لابن حبان ٨/ ١٩١، وتاريخ بغداد ٨/ ١١٠، والمنتظم ١٦/ ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٥١ - ٢٦٠) ص ١٢٢. وفيات سنة أربع وخمسين ومائتين فى جميع المصادر عدا المنتظم .

المَنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يُحيِيَنى[1] على الإسلامِ . فقال : و على السنَّةِ ، وعلى السنَّةِ ، وعلى السنَّةِ .

سعدُ بنُ محمدِ بنِ منصورٍ ، أبو المحاسِنِ الجُرْجانىُّ[2] ، كان رئيسًا قديمًا ، وُجِّه رسولًا إلى الملكِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين فى حُدودِ سنةِ عشْرٍ ، وكان مِن الفُقهاءِ العُلماءِ ، تخَرَّج به جَماعةٌ ، وروَى الحديثَ عن جَماعةٍ ، وعُقِد له مجلسُ النظرِ ببُلدانٍ كثيرةٍ ، وقُتِل ظلمًا بإسْتَرابَاذَ فى رجبٍ من هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيانا بمنِّه وكرمِه .

---

(١) فى م : « يميتنى » .

(٢) تاريخ جرجان ص ١٨٦، ودمية القصر ٢/ ٩، والمنتظم ١٦/ ٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٣٨٦.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وخمسين وأربعِمائةٍ

فيها[1] دخَل السلطانُ طُغْرُلْبَك بغدادَ، وعزَم الخليفةُ على تَلَقِّيه، ثم ترَك ذلك، وأرْسَل وزيرَه [2]أبا نصرٍ[2] عِوَضًا عنه، وكان مِن جيشِ الملكِ أذيةٌ للناسِ فى الطريقِ، وتَعَرُّضٌ للحُرَمِ حتى إنهم هجَموا على النساءِ فى الحَمَّاماتِ، فخلَّصَهن منهمُ العامَّةُ بعدَ جَهدٍ جَهيدٍ.

دخولُ الملكِ طُغْرُلْبَك على بنتِ الخَليفةِ

لمَّا اسْتَقَرَّ الملكُ طُغْرُلْبَك ببغدادَ أرْسَل وزيرَه عَميدَ المُلْكِ إلى الخليفةِ يُطالِبُه بنقلِ السيدةِ مِن الدارِ العزيزةِ النبويةِ إلى دارِ المَمْلكةِ، فتَمَنَّع الخَليفةُ مِن ذلك، وقال: إنكم إنما سألْتُم أن يُعْقَدَ العَقْدُ فقط لحصولِ التَّشْريفِ، والتَزَمْتُم لنا بعدمِ المطالبةِ بها، فتردَّد فى ذلك بينَ الخليفةِ والملكِ، وأرْسَل الملكُ زِيادةً على النقدِ مائةَ ألفِ دينارٍ ومائةً وخمسين ألفَ درهمٍ، وتُحَفًا أخَرَ، وأشياءَ لطيفةً، فلما كان ليلةُ الاثنين الخامسَ عشَرَ مِن صفرٍ هذه السنةِ زُفَّتِ السيدةُ ابنةُ الخليفةِ إلى دارِ المَمْلكةِ، فضُرِبَت لها السُّرادِقاتُ مِن دجلةَ إلى دارِ المملكةِ، وضُرِبَت الدَّبادِبُ والبُوقاتُ عندَ دخولِها [٩/١٨١و] دارَ المملكةِ وكانت ساعةً عظيمةً، فأُجْلِسَت

---

(١) المنتظم ١٦/٧٩ - ٨٣، والكامل ١٠/٢٥ - ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٨١.

(٢ - ٢) فى المنتظم: «أبو منصور».

على سَريرٍ مُكَلَّلٍ بالذهبِ ، وعلى وجهِها بُرْقُعٌ ، ودخَل الملكُ طُغْرُلْبَك ، فوقَف بينَ يديها ، فقبَّل الأرضَ ولم تَقُمْ له ولم تَرَه ، ولم يَجْلِسْ حتى انْصَرَف إلى صَحْنِ الدارِ ، والحُجَّابُ والأتراكُ يَرْقُصون هناك فرحًا وسُرورًا ، وبعَث لها مع الخاتون أَرْسَلان ابنةِ أخيه زوجةِ الخليفةِ عِقْدَيْن فاخريْن وقطعةَ ياقوتٍ حمراءَ كبيرةً هائلةً ، ودخَل مِن الغدِ فقبَّل الأرضَ ، وجلسَ على سَريرٍ مَكَلَّلٍ بالفضةِ بإزائِها ساعةً ، ثم خرَج وأرْسَل لها جَواهرَ نفيسةً كثيرةً مثمَّنةً ، وفَرَجِيَّةَ نسيجٍ مُكَلَّلةً باللؤلؤِ ، وما زال كذلك كلَّ يومٍ يَدْخُلُ ، ويُقَبِّلُ الأرضَ ، ويَجْلِسُ على سَريرٍ بإزائِها ، ثم يَخْرُجُ فيَبْعَثُ بالتُّحَفِ والهَدايا ، ولم يَكُنْ منه إليها شيءٌ مِقْدارَ سبعةِ أيامٍ ، ويَمُدُّ كلَّ يومٍ مِن هذه الأيامِ السبعةِ سِماطًا عظيمًا ، وخلَع يومَ السابعِ على جميعِ الأمراءِ ، ثم عرَض له سفرٌ واعْتَراه مرضٌ ، فاسْتَأْذَن الخليفةَ بالانْصِرافِ بالسيدةِ معه إلى تلك البلادِ مدةً قريبةً ، ثم يَعودُ بها ، فأذِن له الخليفةُ بعدَ تَمَنُّعٍ شديدٍ وحُزْنٍ عظيمٍ ، فخرَج بها معه وليس معها مِن دارِ الخِلافةِ سوى ثلاثِ نسوةٍ ، برَسْمِ خدمتِها ، وتألَّمت والدتُها لفقدِها ألمًا عظيمًا جدًّا لا يُعَبَّرُ عنه ، وخرَج السلطانُ وهو مَريضٌ مُدْنِفٌ مَأْيوسٌ منه مُثْقَلٌ لا تُرْجَى منه العافيةُ ، فلما كانت ليلةُ الأحدِ الرابعِ والعشرين مِن رمضانَ جاء الخبرُ بأن الملكَ طُغْرُلْبَك تُوُفِّي في ثامنِ الشهرِ رحِمه اللَّهُ تعالَى ، فثارت العَيَّارون بهمَذَان فقتَلوا العَميدَ والشِّحنةَ[1] وسبعَمائةٍ مِن أصحابِه[2] ، ونهَبوا الأموالَ ، وجعَلوا يَأْكُلُون ويَشْرَبون على القَتْلَى نهارًا حتى انْسَلَخ الشهرُ ، لعنهم اللَّهُ وقبَّحهم ، وأُخِذَت البَيْعةُ بعدَه لولدِ أخيه سليمانَ بنِ داودَ ، وكان طُغْرُلْبَك قد نصَّ عليه وأوْصَى إليه ؛ لأنه كان

---

(١) الشحنة : لفظ تركى ، معناه : رئيس الشرطة أو العَسس . معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ٢٦٩ .

(٢) فى المنتظم : « فقتلوا العميد وسبعمائة رجل من أصحاب الشحنة » .

قد تزَوَّج بأمِّه بعد أبيه ، واتَّفَقَت الكلمةُ عليه وأُنْفِقَت فى الأمراءِ والأتراكِ الأموالُ والخِلَعُ ، ولم يَبْقَ عليهم خوفٌ إلا مِن جهةِ أخى سليمانَ ، وهو الملكُ عَضُدُ الدولةِ ألْب أرْسَلان محمدُ بنُ داودَ ، فإن الجيشَ كانوا يَميلون إليه ويُقبلون عليه ، وقد خطَب له أهلُ[1] الجبلِ ، ومعه نِظامُ المُلْكِ أبو علىٍّ الحسنُ بنُ علىِّ بنِ إسحاقَ وزيرُه ، ولما رأَى الكُنْدُرىُّ قوةَ أمرِه خطَب له بالرَّىِّ ، ثم مِن بعدِه لأخيه سليمانَ ابنِ داودَ .

وقد كان الملكُ طُغْرُلْبَك عاقِلًا حَليمًا كثيرَ الاحْتمالِ ، شديدَ الكِتْمانِ للسرِّ ، مُحافِظًا على الصلواتِ وعلى صومِ الاثنين والخميسِ ، مُواظِبًا على لُبْسِ البَياضِ ، وكان عمرُه يومَ مات سبعين سنةً ، ولم يَتْرُكْ ولدًا ، وكان مدةُ مُلكِه بحَضرةِ [٩/ ١٨١ظ] القائمِ سبعَ سنين وإحدى عشَرَ شهرًا ، واثنَىْ عشَرَ يومًا ، ولما مات اضطَرَبَت الأحوالُ وانْتَقَضَت الأمورُ بعدَه جدًّا ، وعاثَت الأعرابُ فى سَوادِ بغدادَ وأرضِ العراقِ يَنْهَبون الأموالَ ويُشلِّحون الرجالَ ، وتعَذَّرَت الزراعةُ إلا على المُخاطَرةِ ، فانْزَعَج لذلك الناسُ .

وفيها كانت زَلْزلةٌ عَظيمةٌ بواسِطٍ وأرضِ الشامِ ، فهُدِمت قطعةٌ مِن سُورِ طَرابُلُسَ .

وفيها وقَع مُوتانٌ بالجُدَرىِّ والفَجْأةِ ، ووقَع بمصرَ وَباءٌ شديدٌ ، كان يَخْرُجُ منها فى كلِّ يومٍ ألفُ جِنازةٍ .

وفيها ملَك الصُّلَيْحىُّ صاحبُ اليمنِ مكةَ ، وجلَب الأقْواتَ إليها ، وأحْسَن إلى أهلِها .

---

(١) فى الأصل : « على » .

وفى أوائلِ هذه السنةِ طلَبَت السِّتُّ أرْسَلان خاتون زوجةُ الخليفةِ النُّقْلةَ مِن عندِه إلى عندِ عمِّها ، وذلك لما هجَرها بالكليةِ وبارَت عندَه ، فبعَثها الخليفةُ مع الوزيرِ الكُنْدُرىِّ ، فلما وصَلَت إلى عمِّها كان مريضًا مُدْنِفًا مثقَلًا ، فأرْسَل إلى الخليفةِ يَعْتِبُ عليه فى تهاوُنِه بها ، فكتَب إليه الخليفةُ يقولُ ارْتِجالًا :

ذهَبَت شِرَّتى وولَّى الغَرامُ ... وارْتجاعُ الشبابِ ما لا يُرامُ
أذْهَبَت منى الليالى جديدًا ... والليالى يُضْعِفْن والأيامُ
فعلى ما عهِدْتُه مِن شبابى ... وعلى الغانياتِ منى السلامُ

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ والمشاهيرِ :

(١) **زهَيرُ بنُ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ خِدامٍ** (١) ، **أبو نصرٍ الخِدامىُّ** (٢) ، ورَد بغدادَ وتفَقَّه على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَراييِنىِّ ، وسمِع بالبصرةِ « سننَ أبى داودَ » على القاضى أبى عمرَ ، وحدَّث بالكثيرِ ، وكان يُرْجَعُ إليه فى الفَتاوَى وحَلِّ المُشْكِلاتِ ، وكانت وفاتُه بسَرْخَسَ فى هذه السنةِ .

سعيدُ بنُ مَرْوانَ (٣) ، صاحبُ آمِدَ ، ويقالُ : إنه سُمَّ . فانْتَقَم سعيدٌ صاحبُ مَيَّافارِقِينَ مِمَّن سمَّه ، فقطَّعه قِطَعًا .

(١ - ١) فى الأصل : « زهير بن على بن الحسن بن حرام » ، وفى ص : « زهير بن على بن حرام » . وفى ب ، خ ، م : « زهير بن على بن الحسن بن حزام » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ الأنساب ٢/ ٣٢٩، والمنتظم ١٦/ ٨٣، وفيه : الحسن بن على بن على بن حزام ، وما أثبتناه موافق لإحدى نسخه ، والكامل ١٠/ ٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٣٤، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٣٧٩.

(٢) فى الأصل ، ص : « الحرامى » ، وفى ب ، خ ، م : « الحزامى » ، والمثبت من الأنساب واللباب ١/ ٣٤٨.

(٣) المنتظم ١٦/ ٨٤، والكامل ١٠/ ٣٠.

الملكُ الكبيرُ أبو طالبٍ محمدُ بنُ مِيكائيلَ بنِ سَلْجوقَ بنِ دُقاقٍ الملقبُ طُغْرُلْبَك[1] ، كان أولَ ملوكِ السَّلاجقةِ ، وكان خَيِّرًا مُصَلِّيًا ؛ مُحافِظًا على الصلاةِ فى أوقاتِها، يُدِيمُ صيامَ الاثنينِ والخميسِ ، حليمًا عمَّن أساء إليه ، كَتومًا للأسْرارِ ، سعيدًا فى حَرَكاتِه وتقلُّباتِه ، ملَك فى أيامِ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِين عامةَ بلادِ خُراسانَ ، واسْتَناب أخاه داودَ وأخاه لأمِّه إبراهيمَ ينّال وأولادَ إخوتِه على كثيرٍ مِن البلادِ ، ثم اسْتَدْعاه الخليفةُ لمُلْكِ العراقِ حين فسَد الحالُ ببغدادَ من البساسِيرىِّ وضعُفَ المَلِكُ الرحيمُ ، فقَدِمها وجلَس له الخليفةُ وخلَع [٩/١٨٢و] عليه سبعَ خِلَعٍ ، ولَقَّبَه بملك الشرقِ والغربِ ، ثم اشتغلَ بقتالِ أخيه إبراهيمَ حتى كان من أمرِ البساسيرىِّ ما ذكرناه فى سنةِ خمسين والتى تليها ، ثم ظفِر بأخيه إبراهيمَ فقتلَه ، ثم عادَ إلى بغدادَ فاسْتعادَها وأعاد الخليفة من حديثةِ عانةَ إلى دارِ خلافتِه ومقَرِّ سعادتِه ، ثم سعى فى التزويجِ ببنتِ الخليفةِ فتزوجها بعد تمنعٍ من الخليفةِ ودخَل بها فى هذه السنةِ ، ففرِح فرحًا شديدًا كما ذكرنا ، ولكنه لم يتمتعْ بها ، فإنه عرَض له مرضٌ مُتْلِفٌ واستمرَّ به حتى كانت وفاتُه فى ثامنِ شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ سبعون سنةً ، وكان له فى الملكِ مدةَ ثلاثين سنةً، منها فى مملكةِ العراقِ ثمانُ سنينَ إلا ثمانيةَ عشَرَ يومًا .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٨٤، والكامل ١٠/ ٢٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٣٧٨.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وخمسين وأربعِمائةٍ

فيها[1] قبَض السلطانُ ألْب أرْسَلان على وزيرِ عمِّه عَمِيدِ المُلْكِ الكُنْدُرىِّ، وسجَنه فى بعضِ القلاعِ سنةً، ثم أرْسَل إليه مَن قَتَله، واعْتَمَد فى الوِزارةِ على نِظامِ المُلْكِ، وكان وزيرَ صِدْقٍ، يُكْرِمُ العلماءَ والفقراءَ، ولما عصَى الملكُ شِهابُ الدولةِ قُتُلْمِش، وخرَج عن الطاعةِ، وطمِع فى أخْذِ المُلكِ من ألْبِ أرْسَلان وكان من بنى عمِّ طُغْرُلْبَك فجمَع وحشَد واحتفَل له ألب أرسلان فقال له الوزيرُ: أيُّها الملكُ، لا تَخَفْ؛ فإنى قد استخدمت لك جندًا لَيْلِيًّا يَدْعون لك ويَنْصُرُونك بالتوجهِ فى صَلَواتِهم وخَلَواتِهم، وهم العلماءُ والصُّلَحاءُ. فطابت نفسُه بذلك، فحينَ الْتَقَى مع قُتُلْمِش لم يَنْتَظِرْه أن كسَره، وقتَل خلقًا مِن جنودِه، وقُتِل قُتُلْمِش فى المعركةِ، واجْتَمَعَت الكلمةُ على ألْب أرْسَلان.

وفيها أرْسَل ولدَه مَلِكْشَاه ووزيرَه نِظامَ المُلكِ هذا فى جنودٍ عظيمةٍ إلى بلادِ الكُرجِ، ففتَحوا حصونًا كثيرةً، وغنِموا أموالًا جَزيلةً جدًّا، وفرِح المسلمون بنصرِهم، وكتَب كتابَ ولدِه على ابنةِ الخانِ الأعظمِ صاحبِ ما وراءَ النهرِ، وزوَّج ولدَه الآخرَ بابنةِ صاحبِ غَزْنةَ، واجْتَمع شمْلُ البَيْتَيْنِ السَّلْجُوقىِّ والمَحْمودىِّ.

وفيها أذِن ألْب أرْسَلان للسيدةِ ابنةِ الخليفةِ فى الرجوعِ إلى بغدادَ، وأرْسَل

---

(١) المنتظم ١٦/٨٦ - ٨٩، والكامل ١٠/٣١ - ٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٢٨٤ - ٢٨٨.

معها بعضَ القُضاةِ والأُمراءِ، فدخَلَت بغدادَ فى تجَمُّلٍ عظيمٍ، وخرَج الناسُ للنظرِ إليها، فدخَلَت ليلًا فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ، ففرِح الخليفةُ وأهلُها بذلك، وأمَر الخليفةُ بالدعاءِ للملكِ ألب أرْسَلان على المنابرِ فى الخُطَبِ، فقيل فى الدعاءِ: اللهم وأَصْلِحِ السلطانَ المُعَظَّمَ عَضُدَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ أَلْب أرْسلان أبا شُجاعٍ محمدَ بنَ داودَ. (١) وجلَس الخليفةُ للناسِ جلوسًا عامًّا وبايَعهم [٩/١٨٢ظ] للملكِ ألب أرسلان (١)، وأرْسَل إليه بالخِلَعِ والتَّقْليدِ مع الشَّريفِ نَقِيبِ العباسيين طِراد بنِ محمدٍ الزَيْنَبِيِّ، وأبى محمدٍ التَّميمىِّ، ومُوَفَّقٍ الخادمِ، (١) ولَقَّبَ الوزيرَ نظامَ المُلْكِ قوامَ الدينِ والدولةِ رضىَّ أميرِ المؤمنين، وإنما كان يقال له قبل ذلك: خواجا بزرك. وأرسل الملكُ ألب أرسلان بالهدايا والتحفِ النفيسةِ المفتخرةِ (١)، واسْتَقَرَّ أمرُه على بغدادَ وجميعِ بلادِ العراقِ.

قال ابنُ الجَوْزىِّ (٢): وفى ربيعِ الأولِ شاع ببغدادَ أن قومًا مِن الأكْرادِ خرَجوا يَتَصَيَّدون، فرأَوْا فى البَرِّيَّةِ خِيامًا سُودًا، سمِعوا فيها لَطْمًا شَديدًا، وعَويلًا كثيرًا، وقائلًا يقولُ: قد مات سيّدوك (٣) ملكُ الجنِّ، وأىُّ بلدٍ لم يُلْطَمْ به عليه، ولم يُقَمْ له مَأْتَمٌ فيه قُلِع أصلُه وأُهْلِكَ أهلُه. قال: فخرَج النساءُ العَواهرُ مِن حَريمِ بغدادَ إلى المقابرِ يَلْطِمْنَ ثلاثةَ أيامٍ ويَخْرِقْنَ ثِيابَهن، ويَنْشُرْنَ شُعورَهن، وخرَج رجالٌ مِن السَّفْسافِ (٤) يَفْعَلون ذلك، وفُعِل هذا فى واسِطٍ وخُوزِسْتانَ وغيرِها مِن البلادِ. قال: وكان هذا فنًّا مِن الحُمْقِ لم يُنْقَلْ مثلُه.

(١ - ١) سقط من: ب، خ، م.

(٢) المنتظم ١٦/ ٨٧.

(٣) فى الأصل، ب، خ، ص: «سندرك».

(٤) فى الأصل: «السفهاء»، وفى ب، خ، م: «الفساق».

قال ابنُ الجَوْزىِّ[1] : وفى يومِ الجمعةِ ثانى عشَرَ شعبانَ هجَم قومٌ مِن أصحابِ عبدِ الصمدِ على أبى علىٍّ بنِ الوليدِ المُدَرِّسِ للمُعْتَزلةِ فسَبُّوه وشتَموه ؛ لامْتناعِه مِن الصلاةِ فى الجامعِ وتَدْريسِه لهذا المذهبِ ، وأهانوه وجرُّوه ، ولُعِنَت المعتزلةُ فى جامعِ المنصورِ ، وجلَس [2]أبو سعدٍ[2] بنُ أبى عمامةَ ، فلعَن المُعْتزلَةَ ، قبحهم اللَّهُ .

وفى شوالٍ ورَد الخبرُ بأن السلطانَ غزا بلدًا عظيمًا ، فيه سبعُمائةِ ألفِ دارٍ ، وألفُ بِيْعةٍ ودَيْرٍ ، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وأسَر خمسَمائةِ ألفِ إنسانٍ .

وفى ذى القَعْدةِ حدَث بالناسِ وباءٌ عظيمٌ ببغدادَ وغيرِها مِن بلادِ العراقِ ، وغلَت الأسعارُ التى يُتداوى بها ، وعُدِمَ الشِّيرْخُشْك[3] وقلَّ التمرُ هِنْدىٌّ ، وزاد الحرُّ فى تشارين ، وفسَد الهواءُ .

وفى هذا الشهرِ خُلِع على أبى الغَنائمِ المعمرِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ العَلَوىِّ فى بيتِ النوبةِ بنقابةِ الطالِبيِّين ، والحجِّ والمَظالمِ ، ولُقِّب بالطاهرِ ذى المَناقِبِ ، وقُرِئ تَقْليدُه فى المَوْكِبِ .

وحجَّ بالناسِ أهلُ العراقِ فى هذه السنةِ . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ حَزْمٍ الظاهرىُّ ، هو الإمامُ الحافظُ العَلَّامةُ أبو محمدٍ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ حزمِ بنِ غالبِ بنِ صالحِ بنِ خلفِ بنِ مَعْدانَ بنِ سفيانَ بنِ يزيدَ مولى

---

(١) المنتظم ١٦/ ٨٨.

(٢ - ٢) فى خ ، م : «أبو سعيد» . وانظر المنتظم ١٦/ ٨٨.

(٣) الشيرخشك : كلمة فارسية لعلها تعنى الحليب المجفف ، وتتكون من مقطعين ؛ شير أى جاف ، وخشك أى حليب . انظر المعجم الذهبى ص ٢٣٩، ٣٨٤.

يَزيدَ بنِ أبى سفيانَ صخرِ بنِ حربٍ الأُمَوىُّ[1] ، أصْلُ جدِّه يزيدَ هذا فارسىٌّ ، أسْلَم وخلَّف المذكورَ ، أولُ مَن دخَل منهم بلادَ المغربِ ، وكانت بلدُهم قُرْطُبةَ ، فوُلِد ابنُ حَزْمٍ هذا بها فى سَلْخِ رمضانَ ، مِن سنةِ أربعٍ وثمانين [٩/١٨٣و] وثلاثِمائةٍ ، فقرَأ القرآنَ ، واشْتَغَل بالعلومِ الشَّرْعيةِ ، فبرَز فيها ، وفاق أهلَ زمانِه ، وصنَّف الكتبَ المفيدةَ المَشْهورةَ ، يقالُ : إنه جمع أربعَمائةِ مجلدةٍ من تصنيفِه فى قريبٍ مِن ثمانين ألفَ ورقةٍ . وكان أديبًا طَبيبًا شاعرًا فَصيحًا ، له فى الطبِّ والمَنْطِقِ اليدُ العليا ، وكان مِن بيتِ وِزارةٍ ورِياسةٍ ووَجاهةٍ ومالٍ وثَرْوةٍ ، وكان مُصاحِبًا للشيخِ أبى عمرَ بنِ عبدِ البرِّ النَّمَرىِّ ، وكان مُناوِئًا للشيخِ أبى الوليدِ سليمانَ بنِ خَلَفٍ الباجىِّ ، وقد جرَت بينَهما مُناظَراتٌ يَطولُ شرحُها ، وكان أبو محمدِ بنُ حَزْمٍ كثيرَ الوَقيعةِ فى العلماءِ بلسانِه وقلمِه أيضًا ، فأوْرَثه ذلك حقْدًا فى قلوبِ أهلِ زمانِه ، وما زالُوا به حتى بغَّضوه إلى ملوكِهم ، فطرَدوه عن بلادِه ، حتى كانت وفاتُه فى قريةٍ له فى ثانى شعبانَ مِن هذه السنةِ وقد جاوَز السبعين . والعجَبُ كلُّ العَجَبِ أنه كان ظاهِريًّا فى الفُروعِ ، لا يَقولُ بشىءٍ مِن الأقيسةِ ، لا الجليَّةِ ولا غيرِها ، وهذا الذى وضَعه عندَ العلماءِ ، وأدْخَل عليه خَطأً كبيرًا فى نظَرِه وتصرفِه ، وكان مع هذا مِن أشدِّ الناسِ تأْويلًا فى بابِ الأصولِ ؛ لأنَّه كان قد تضَلَّع أولًا مِن علمِ المَنْطِقِ ، أخَذه عن محمدِ بنِ الحسنِ المَذْحِجِىِّ الكِنانىِّ القُرْطبىِّ ، ذكَره ابنُ ماكولا وابنُ خَلِّكانَ ، رحمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) جذوة المقتبس ص ٣٠٨، والإكمال ٢/ ٤٥٠، والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ١/ ١٦٧، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٢١٥، وبغية الملتمس ص ٤١٥، ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٣٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٤٠٣. وانظر كتاب طوق الحمامة ففيه الكثير من الأخبار عن صاحب الترجمة .

عبدُ الواحدِ بنُ عليِّ بنِ بَرْهانَ، أبو القاسمِ النَّحْوىُّ[1]، كان شَرِسَ الأخْلاقِ جدًّا، لم يَلْبَسْ سَراويلَ قطُّ، ولا غطَّى رأسَه، ولم يَقْبَلْ عَطاءً لأحدٍ، وذُكِر عنه أنه كان يُقَبِّلُ المُرْدَ فى غيرِ رِيبةٍ. قال ابنُ عَقيلٍ: وكان يختارُ مذهبَ مُرْجِئةِ المعتزلةِ ويَنْفِى خُلودَ الكفارِ، ويقولُ: دَوامُ العقابِ فى حقِّ مَن لا يَجوزُ عليه التَّشَفِّى لا وجهَ له مع ما وصَف به نفسَه مِن الرحمةِ. ويَتَأَوَّلُ قولَه تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [النساء: ١٦٩] أى أبدًا مِن الآبادِ. قال ابنُ الجَوزىِّ[2]: وقد كان ابنُ بَرْهانَ يَقْدَحُ فى أصحابِ أحمدَ، ويُخالِفُ اعتقادُه اعتقادَ المسلمين؛ لأنه قد خالَف الإجْماعَ فى عدمِ خلودِ الكفارِ فى النار، فكيف يُقبَلُ كلامُه. تُوفِّى فى هذا العامِ وقد نَيَّف على الثمانين.

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٧، والمنتظم ١٦/ ٨٩، وإنباه الرواة ٢/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠) ص ٤٠١، والجواهر المضية ٢/ ٤٨١.

(٢) المنتظم ١٦/ ٩٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخَلَتْ سنةُ سبعٍ وخمسين وأربعِمِائَةٍ

فيها[1] سارَ جماعةٌ للحَجِّ بخِفَارَةٍ، فلم يُمْكِنْهم المسِيرُ، فعدَلُوا إلى الكوفةِ ورجَعُوا. وفى ذى الحِجَّةِ منها شُرع فى بناءِ المدرسةِ النِّظَامِيَّةِ ببغدادَ، ونُقِضَ لأجْلِها دُورٌ كثيرةٌ من مَشرعَةِ الزَّوايا، وبابِ البَصْرَةِ. وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ تَميم بنِ [2]المعزِّ بنِ باديسَ[2]، وأوْلادِ حَمَّادٍ، والعربِ والمغارِبَةِ بصِنْهاجَةَ[3] وزَناتةَ[4].

وحجَّ بالناسِ مِن بغدادَ النقيبُ أبو الغنائمِ.

وفيها **كان مَقْتَلُ عميدِ الـمُلْكِ الكُنْدُرِىِّ، وهو [5]محمدُ بنُ[5] منصورِ بنِ** [٩/١٨٣ظ] **محمدٍ، أبو نَصْرٍ**، وزيرُ طُغْرُلْبَك، وقد كان مسْجُونًا له سنةً تامَّةً، ولمَّا قُتِل حُمِل فدُفِن عندَ أبيه بقريةِ كُنْدُرَ[6]، مِن عملِ طُرَيْثيثَ، وليست بكُنْدُرَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٩١، والكامل ١٠/ ٤٤.

(٢ - ٢) فى ب، خ، م: «العزيز وباديس».

(٣) صنهاجة: قوم من المغرب.

(٤) زناتة: ناحية بسرقسطة من جزيرة الأندلس. معجم البلدان ٢/ ٩٤٧.

(٥ - ٥) سقط من النسخ، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ٩٢، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠هـ) ص ٤٢٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠١.

(٦) معجم البلدان ٤/ ٣١٠.

التى بالقربِ منِ قَزْوِينَ . واسْتَحوذَ السلطانُ على أمْوالِه وحواصِلِه ، وقد كان ذكيًّا فصِيحًا شاعرًا ، لدَيْه فضائلُ جَمَّةٌ ، حاضِرَ الجوابِ سرِيعَه . ولمَّا أرسَلَه طُغْرُلْبَكُ إلى الخليفةِ يَخطُبُ إليه ابنَتَه ، وامتنَعَ الخليفةُ مِن ذلك أشدَّ الامتناعِ ، وأنشدَ متمَثِّلًا بقولِ المتنبى[1] :

* ما كلُّ ما يتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُه *

فتَمَّمَه الوزيرُ :

* تجْرِى الرياحُ بما لا تَشْتَهِى السُّفنُ *

فسكَت الخليفةُ وأطرَق .

وكان عمْرُ الكُنْدُرِىِّ حينَ قُتِل نَيِّفًا وأربعينَ سنةً . ومِن شعرِه الجيِّدِ قولُه :

إنْ كانَ بالناسِ ضيقٌ عن منافَستِى ... فالموْتُ قد وسَّعَ الدنيا على الناسِ
مضَيتُ والشامِتُ المغْبُونُ يتْبَعُنِى ... كلٌّ لكأْسِ المَنايَا شارِبٌ حاسِى

وقد كان الملكُ طُغْرُلْبَكُ بعَثه مرةً ليخطُبَ له امرأةَ خُوارِزْمَ شاه فتزوَّجَها هو ، فخصَاه وأقرَّه على عملِه ، فدُفِن ذكَرُه بخُوارِزْمَ ، وسُفِح دمُه حينَ قُتِل بمَرْوِ الرُّوذِ ، ودُفِن جسدُه بكُنْدُرَ ، وحُمِل رأسُه فدُفِنَ بنَيْسابُورَ ، ونُقِلَ قَحْفُ رأسِه إلى كَرْمانَ .

---

(١) انظر : ديوان المتنبى ص ٤٦٩.

ثم دخلت سنةُ ثمانٍ وخمسين وأربعِمائةٍ

فى يومِ عاشُوراءَ[1] أغلَقَ أهلُ الكَرخِ دكاكِينَهم ، وأحضَرُوا نساءً فنُحْنَ على الحُسينِ ، كما جرَتْ به سالِفُ عاداتِ بِدَعِهِمُ المتقَدِّمَةِ ، فحينَ وقَع ذلك أنكَرَتْه العامَّةُ ، وطلَب الخليفةُ أبا الغنائمِ نقيبَ الطالِبِيِّين ، وأنكَر ذلك عليه ، فاعتذَر بأنَّه لم يعلَمْ بذلك ، وأنَّه حِينَ علِم به أزالَه ، وتردَّد أهلُ الكَرْخِ إلى الديوانِ يعتذِرُونَ مِن ذلك ، ويتنصَّلون منه ، وخرَج التوقيعُ بكُفْرِ مَن يَسُبُّ الصحابةَ ويُظهِرُ البِدَعَ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وفى ربيعِ الأوَّلِ وُلِدَ ببابِ الأزْجِ صَبِيَّةٌ لها رأسان ووَجْهان ورَقَبتان وأربعُ أيْدٍ ، على بدَنٍ كاملٍ ثم ماتَتْ . قال[2] : وفى جُمادَى الآخرةِ كانت زَلزلةٌ بخُراسانَ لَبِثتْ أيامًا ، تصدَّعَتْ منها الجبالُ ، وأهلَكت جماعةً ، وخسَفتْ بعدَّةِ قُرى ، وخرَج الناسُ إلى الصحراءِ وأقامُوا هُنالِكَ ، ووقَع حريقٌ بنَهْرِ مُعَلَّى[3] من بغدادَ فأحرَق مِائَةَ دُكَّانٍ وثلاثةَ دورٍ ، وذهَب للناسِ شىءٌ كثيرٌ ، ونهَب الناسُ بعضُهم بعضًا .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : وفى شعبانَ وقَع قتالٌ بدِمَشْقَ ، فضرَبوا دارًا كانت مجاورةً مِن الجامعِ بالنارِ ، فاحترَقَ جامِعُ دمشقَ . [٩/١٨٤و] كذا قال ابنُ الجَوْزِىِّ ؛ والمشْهورُ أنَّ حريقَ جامعِ دِمَشْقَ إنَّما كان فى سنةِ إحْدَى وستِّينَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٩٤، والكامل ١٠/ ٥٢.

(٢) المنتظم ١٦/ ٩٥.

(٣) نهر معلى : أشهر وأعظم محلة فى بغداد ، وكان بها دار الخلافة .

(٤) المنتظم ١٦/ ٩٥.

وأربعِمائَةٍ بعدَ ثلاثِ سِنينَ . وأنَّ غِلْمانَ الفاطِميِّينَ اقتتلُوا مع غلمانِ العباسِيِّينَ فأُلقيتْ نارٌ بدارِ الإمارَةِ - وهى الخضْراءُ - فاحترَقَت وتعدَّى حريقُها إلى أن وصَل إلى الجامعِ فسقَطَت سقُوفُه ، وزخْرَفَتُه ، ورُخامُه ، وبَقِى كأنَّه خرابَةٌ ، وبادَتِ الخضْراءُ فصارَتْ كَوْمًا مِن ترابٍ ، بعدَما كانت فى غايةِ الإحْكامِ والإتْقانِ ، وطيبِ الغِناءِ ، وحُسْنِ البناءِ ، فهى إلى يومِنا هذا لا يسْكُنُها - لرداءةِ مكانِها - إلا سِفْلَةُ الناسِ وسُقَّاطُهم ؛ بعدَما كانت دارَ المُلكِ والإمارَةِ ، منذُ أسَّسها معاويةُ بنُ أبى سُفيانَ ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه . وأمَّا الجامِعُ فإنَّه لم يَكُنْ على وَجْهِ الأرضِ بناءٌ أحسَنُ منه ، إلى أنِ احترقَ فبقِىَ خرابًا مدَّةً ثم شرَع المُلوكُ فى تجديدِه وترْميمِه ، حتى بُلِّطَ فى زمانِ العادِلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، ولم يَزَلْ فى تحْسينِ مَعالِمه إلى زمانِنا هذا ، فتماثَل حالُه بعضَ التماثُلِ ، وهو بالنسبَةِ إلى حالِه الأوَّلِ كلا شىءَ ، ولا زال التحسينُ فيه إلى أيامِ الأميرِ سيْفِ الدينِ تَنْكِزَ[1] بنِ عبدِ اللَّهِ الناصِرِىِّ ، فى حدودِ سنةِ ثلاثين[2] وسبْعِمائَةٍ ، وما قبلَها وما بعدَها بيسيرٍ .

وفيها رخُصَتِ الأسْعارُ ببغدادَ رُخْصًا بيِّنًا ، ونقَصت دِجْلَةُ نقْصًا ظاهرًا . وفيها أخذَ الملكُ ألْبُ أرسَلانَ العهدَ بالمُلكِ مِن بعدِه لولَدِه مَلِكْشَاه ، ومشَى بينَ يدَيْه بالغاشِيَةِ[3] ، والأُمراءُ بينَ يدَيْه يتماشون بالخِلَعِ ، وكان يومًا مشْهودًا .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نورُ الهُدَى أبو طالبٍ الحسينُ بنُ نِظامِ الحضْرَتَيْن[4] ،

---

(١) فى م : « بتكتزين » ، وانظر الوافى بالوفيات ١٠/ ٤٢٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٢٧.

(٢) فى ب ، خ ، م : « ثلاث » .

(٣) الغاشية : وهى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه - أى بين يدى الخليفة - عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الرُّكاب داريَّة ، رافعًا لها على يديه يلفتها يمينًا وشمالًا ، وهى من خواص هذه المملكة . صبح الأعشى ٤/ ٧.

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « أبى الحسين محمد بن » .

الزَّيْنَبِيُّ ، وجاوَرَ بمَكَّةَ .

ومِمّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الحافِظُ الكبيرُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ موسى البَيْهَقِىُّ[1] ، أحدُ الحفّاظِ الكِبارِ ، له التصانيفُ التى سارَتْ بها الرُّكْبانُ فى سائرِ الأمْصارِ والأقطارِ ، وُلِد سنَةَ أربعٍ وثمانِينَ وثلاثِمائةٍ ، وكان واحدَ زمانِه فى الإتْقانِ والحفظِ والفِقهِ والتصنيفِ ، كان فقيهًا ، مُحدِّثًا ، أصُوليًّا ، أخَذ العلمَ عنِ الحاكمِ أبى عبدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورىِّ ، وسمِع على غيرِه شيئًا كثيرًا ، وجمَع أشياءَ كثيرةً نافعةً جدًّا ، لم يُسْبَقْ إلى مثلِها ، ولا يُدْرَكُ فيها ؛ مِن ذلك كتابُ « السُّنَنِ الكبيرِ » ، و« نُصوصِ الشافعىِّ » كلٌّ فى عشَرةِ مُجلَّداتٍ[2] ، و« السُّنَنِ[3] والآثارِ » ، و« المدخلِ » ، و« الآدابِ » ، و« شُعَبِ الإيمانِ » ، و« الخِلافيَّاتِ » ، و« دلائلِ النبوَّةِ » ، و« البعثِ والنشورِ » ، وغيرِ ذلك مِن المصنفاتِ الكبارِ والصغارِ المفيدةِ ، التى لا تُسامَى ولا تُدانَى ، وكان زاهِدًا متقلِّلًا مِن الدنيا ، كثيرَ العبادةِ [٩/١٨٤ظ] والوَرَعِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وكانت وفاتُه بنَيْسَابُورَ ، ونُقِل تابوتُه إلى بَيْهَقَ فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ .

الحسنُ بنُ غالبِ بنِ علىِّ بنِ غالبِ بنِ منصورِ بنِ صُعْلوكٍ ، أبو علىٍّ التَّمِيمِىُّ[4] ، ويُعرفُ بابنِ المُبارَكِ المُقْرِئِ ، صَحِب ابنَ سَمْعُونَ ، وأقرَأ القرآنَ على

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠ هـ) ص ٤٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١١٣٢، طبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٨.

(٢) فى السير : أن كتاب « نصوص الشافعى » يقع فى مجلدين ، والذى أورده ابن كثير موافق لما فى المنتظم ١٦/ ٩٧.

(٣) بعده فى م : « الصغير » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٦.

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٣٢، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٠٠، والمنتظم ١٦/ ٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠ هـ) ص ٤٤٤، وغاية النهاية ١/ ٢٦.

حُروفٍ أُنْكِرَتْ عليه، وجُرِّبَ عليه الكَذِبُ، إمَّا عمدًا وإما خطأً، واتُّهِمَ فى رواياتٍ كثيرةٍ، وكان [1]أبو الحسنِ[1] القَزْوِينىُّ ممَّن يُنْكِرُ عليه، وكُتِب عليه مَحْضَرٌ وأُلزِمَ بعدَمِ الإقْراءِ بالحروفِ المُنكرةِ. قال أبو محمدٍ بنُ السَّمَرْقَنْدِىِّ[2]: كان كذَّابا. وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن اثْنتين وثمانينَ سنةً، ودُفِن عندَ إبراهيمَ الحَرْبِىِّ. [3]قال ابنُ خَلِّكانَ: أخَذ الفقهَ عن أبى الفَتْحِ ناصرِ[4] بنِ محمدِ العُمَرِىِّ المَرْوَزِىِّ، ثم غلَب عليه الحديثُ واشْتُهِرَ به، ورحَل فى طلبِهِ[3].

القاضى أبو يَعْلَى الحنْبَلِىُّ، محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ خلفِ بنِ أحمدَ ابنِ الفَرّاءِ[5]. القاضى أبو يَعْلَى، شيخُ الحنابلةِ، ومُمَهِّدُ مذهَبِهم فى الفُروعِ، وُلِد فى محرمٍ سنَةَ ثمانينَ وثَلاثِمائةٍ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، وحدَّثَ عن ابنِ حُبابَةَ. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[6]: وكان مِن ساداتِ الثقاتِ، وشهِدَ عندَ ابنِ مَاكُولَا وابنِ الدامَغانِىِّ فقَبِلاه، وتولَّى النظرَ فى الحكمِ بحَرِيمِ دارِ الخلافةِ، وكان إمامًا فى الفِقْهِ، له التصانيفُ الحِسانُ الكثيرةُ فى مذهبِ أحمدَ، ودَرَّسَ وأفْتَى سنِينَ، وانتهَى إليه المذْهبُ، وانتشرَتْ تصانيفُه وأصحابُه، وجمَع الإمامةَ والفقهَ والصِّدقَ، وحسْنَ الخُلقِ، والتعبُّدَ والتقَشُّفَ والخشوعَ، وحُسْنَ السَّمْتِ، والصمْتَ عمَّا لا يَعْنِى.

(١ - ١) فى ب، خ، م: «أبو بكر».

(٢) المنتظم ١٦/ ٩٨.

(٣ - ٣) هكذا ذكر ابن كثير، ولم أجد هذا القول لابن خلكان، ولعلها مقحمة هنا، حيث إن الحسن هذا اشتهر بأنه مقرئ، ولم أجد فى مصادر ترجمته أنه اشتهر بالفقه أو الحديث.

(٤) فى ب، خ، م: «نصر».

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، والمنتظم ١٦/ ٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٥٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٧.

(٦) المنتظم ١٦/ ٩٩.

وكانت وفاتُه فى العشْرينَ من رمضانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانٍ وسبعين[1] سنةً ، واجتمَع فى جِنازَتِه القُضاةُ والأعيانُ مِن الفقهاءِ والشهودِ ، وكان يومًا حارًّا ، فأفْطَر بعضُ مَن اتَّبَع جِنازتَه ذلك اليومَ . وترَك مِن البنينَ عُبَيْدَ اللَّهِ أبا القاسمِ وأبا الحسينِ وأبا حازِمٍ . ورآه بعضُهم فى المنامِ ، فقال له : ما فعَل اللَّهُ بكَ ؟ فقال : رَحِمنى وغفَر لى وأكرَمنى ، ورفَع منزِلَتِى . وجعَل يعُدُّ ذلك بإصْبَعِه . فقال : بالعِلمِ ؟ فقال : بل بالصِّدْقِ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ سِيدَه اللُّغوىُّ ، أبو الحسنِ علىُّ بنُ إسماعيلَ المُرْسِىُّ[2] ، كان إمامًا حافِظًا للغةِ ، وكان ضريرَ البصَرِ ، أخذَ علمَ العربيةِ واللغةِ عن أبيه ، وكان أبوه ضريرًا أيضًا ، ثم اشْتَغَل على أبى العلاءِ صاعِدٍ البغدادِىِّ ، وله « المُحْكَمُ » فى مُجلَّداتٍ عديدةٍ ، وله « شَرْحُ الحماسَةِ » فى ستِّ مُجلَّداتٍ ، وغيرُ ذلك ، وقرَأ على الشيخِ أبى عمرَ الطَّلَمَنْكِىِّ[3] كتابَ « الغريبِ » لأبى عُبَيْدٍ سَرْدًا مِن حفْظِه . والشيخُ يقابل نسختَه بما يقرَأُ ، فسمِع الناسُ بقراءتِه مِن حفْظِه [٩/١٨٥و] ، وتعجَّبوا لذلك .

وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، وله ستُّونَ سنةً ، وقيلَ : إنَّه تُوفِّى فى سنَةِ ثمانٍ وأربعين . والأوَّلُ أصَحُّ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « ستين » .

(٢) بغية الملتمس ص ٤١٨ ، وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٥ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/١٤٤ ، وبغية الوعاة ٢/ ١٤٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٤٧.

(٣) سقط من : ص ، وفى الأصل : « المالكى » ، وفى ب ، م : « الطملنكى » .

ثم دخلتْ سنَةُ تِسْعٍ وخمسين وأرْبَعِمائةٍ

فيها[1] بنَى أبو سعدٍ المسْتَوْفِى الملَقَّبُ بشَرفِ المُلْكِ ، مشْهدَ الإمامِ أبى حنيفةَ النعمانِ ببغدادَ ، وعقَد عليه قُبَّةً ، وعمِلَ بإزائِه مدرسةً ، وأنزَلها المدرسَ والفقهاءَ فدخَل أبو جَعْفَرٍ ابنُ البياضِىِّ زائرًا لأبى حنيفةَ فأنشدَ ارتجالًا[2] :

ألم ترَ أنَّ العلمَ كان مُضَيَّعًا فجمَّعَه هذا المُغيَّبُ فى اللَّحْدِ
كذلكَ كانتْ هذه الأرْضُ ميْتةً فأنْشَرها جُودُ العميدِ أبى السعْدِ

وفى شعبانَ هبَّتْ ريحٌ حارَّةٌ فماتَ بسببِها خلقٌ كثيرٌ ، ودَوابُّ ببغدادَ ، وأتلَفت شجرًا مِن الليْمُونِ والأُتْرُجِّ .

وفيها احْترَقَ قبرُ مْعروفٍ الكَرْخِىِّ ، وكان سببَه أنَّ القَيِّمَ طُبِخَ له ماءُ الشعيرِ لمرَضِه ، فتعَدَّتِ النارُ إلى الأخشابِ فاحْترَق المشْهَدُ بكَمالِه .

وفيها وقَع غلاءٌ وفَناءٌ بدِمَشْقَ وحَلَبَ وحَرَّانَ ، وخُراسانَ بكَمالِها ، ووقَع الفناءُ فى الدوابِّ ؛ كانتْ تنْتَفِخُ رُءُوسُها وأعْيُنُها حتى كان الناسُ يأخذونَ حُمُرَ الوحشِ بالأيْدِى ، ولكن يأْنفُون مِن أكلِها .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ فى المنتظمِ[3] : وفى يومِ السبتِ عاشر ذى القَعدَةِ جمَع العميدُ أبو سعدٍ القاضى الناسَ ؛ ليَحْضُروا الدرسَ بالنِّظَامِيَّةِ ببغدادَ ، وعيَّنَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٠٠، والكامل ١٠/ ٥٤.
(٢) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ١٠٠.
(٣) المنتظم ١٦/ ١٠٢.

لتدْرِيسِها ومشيَخِتِها الشيخَ أبا إسحاقَ الشِّيرازِىَّ ، فلمَّا تكامل اجْتماعُ الناسِ ، وجاء أبو إسْحاقَ ليدرِّس ، لقِيَه فقيهٌ شابٌّ ، فقال : يا سيِّدِى ، تذْهَبُ تدرِّسُ فى مكانٍ مغْصُوبٍ ؟ فامتنَع مِن الحضورِ ورجَع إلى بيتِه ، فأُقيمَ الشيخُ أبو نَصْرِ بنُ[1] الصَّبَّاغِ فدَرَّس ، فلمَّا بلَغ نِظامَ المُلْكِ ذلك تغيَّظ على العميدِ ، وأرسَل إلى الشيخِ أبى إسحاقَ ، فرَدَّه إلى التدْريسِ بالنِّظامِيَّةِ ، فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ ، وكان لا يُصلِّى فيها مكْتوبةً ، بل يخرُجُ إلى بعضِ المساجدِ فيؤدى المكتوبةَ ؛ لما ذُكِر مِن كونِها فى بعضِ أرضِها غصْبٌ ، وقد كانت مدةُ تدْريسِ ابنِ الصَّبَّاغِ عِشرين يومًا ، ثم عاد الشيخُ أبو إسحاقَ إليها .

وفى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ قُتِل الصُّلَيحِىُّ أميرُ اليمنِ وصاحِبُ مَكَّةَ ، قتَله بعضُ أمراءِ اليمنِ ، وخُطِب بها للقائمِ بأمرِ اللَّهِ العباسِىِّ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو الغنائمِ النقيبُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ [٩/١٨٥ظ] :

محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدٍ ، أبو علىٍّ الطُّوسِىُّ[2] ، ويقالُ له : العِراقِىُّ ؛ لظَرْفِه وطولِ مُقامِه بها ، سمِع الحديثَ مِن أبى طاهرٍ المُخَلِّصِ ، وتفَقَّه على أبى محمدٍ البافِىِّ[3] ، ثم على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، ووَلِىَ قضاءَ بلْدَةِ طوسَ[4] ، وكان مِن الفُقهاءِ الفُضلاءِ المُبَرَّزِينَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ب ، خ ، م : « الطرسوسى » ، وانظر ترجمته فى : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٥١، وفيه : « محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل » ، والمنتظم ١٦/ ١٠٤، والكامل ١٠/ ٥٦. وذكر ابن الأثير أنه : « عمر بن إسماعيل بن محمد أبو على الطوسى » وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٧٥، وفيه « محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عمرو » .

(٣) فى خ ، ص : « النامى » ، وفى م : « الباقى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٨.

(٤) فى النسخ : « طرسوس » والمثبت من مصادر الترجمة .

ثم دخَلتْ سنةُ ستّيـنَ وأرْبَعِمائةٍ مِن الهجرة النبوية

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : فى جُمادَى الأُولَى كانت زلزلَةٌ شديدةٌ بأرضِ فِلَسْطينَ ، أهلَكتْ بلدَ الرَّمْلَةِ ، ورَمَتْ شُرّافتيْن مِن مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولَحِقَتْ وادِىَ الصفراءِ وخَيْبَرَ ، وانشقَّتِ الأرضُ عن كُنوزٍ مِن المالِ ، وبلَغ حِسُّها[2] إلى الرَّحبَةِ والكُوفَةِ ، وجاء كتابُ بعضِ التجارِ فى هذه الزلزلةِ يقولُ : إنَّها خسَفَت الرَّمْلَةَ جميعًا حتى لم يسلَمْ منها إلَّا دارانِ فقط ، وهلَك منها خمسَ عشْرَةَ ألفَ نسَمةٍ ، وانشقَّتْ الصخرةُ التى ببيتِ المقدِسِ ، ثم عادَتْ فالتأمَتْ بقدرةِ اللَّهِ تعالى ، وغارَ البحرُ مسِيرَةَ يومٍ وساخ[3] [4] فى الأرضِ ، وظهَر مكانَ الماءِ أشياءُ من جواهرَ وغيرِها[4] ، ودخَل الناسُ إلى أرضِه يلْتَقِطُونَ ، فرجَع عليهم فأهلَك خلقًا كثيرًا منهم[5] .

وفى يوم السبتِ النصفِ مِن جُمادَى الآخرةِ قُرِئَ الاعْتِقادُ القادِرِىُّ ، الذى فيه مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ والإنْكارُ على أهلِ البِدَعِ ، وقرَأَ أبو مُسْلِمٍ الليثىُّ[6] البُخارِىُّ المحدِّثُ كتابَ « التوحيدِ » لابنِ خُزَيْمَةَ على الجماعةِ الحاضرِين . وذُكِرَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٠٥، وانظر الكامل ١٠/ ٥٧.

(٢) أى صوتُها .

(٣) فى ص ، ومصدر التخريج : ساح » . وما أثبتاه أوفق للمعنى ، فقول « ساخ فى الأرض » ، أى : غاص فيها . تاج العروس (س و خ) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص ، ومصدر التخريج : « فى البر وخرب الدنيا » .

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « هذا لفظه » .

(٦) فى ب ، م : « الكجى » . وفى حاشية خ : « الكشى » . وانظر المنتظم ١٦/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠٧.

بمحْضَرٍ مِن الوزيرِ ابنِ جَهِيرٍ وجماعةِ الأعيانِ مِن الفقهاءِ وأهلِ الكلامِ ، واعْتَرفُوا بالموافَقَةِ ، ثم قُرِئَ « الاعتقادُ القادِرىُّ » على الشريفِ أبى جعفرٍ [1]ابنِ المُهتدى[1] باللَّهِ ببابِ البَصْرَةِ ، وذلك لسماعِه له مِن الخليفةِ القادِرِ باللَّه مصنِّفِه .

وفيها عزَل الخليفةُ وزيرَه أبا نَصْرٍ محمدَ بنَ محمدِ بنِ جَهِيرٍ ، الملَقَّبَ فَخرَ الدولةِ ، وبعَث إليه يعاتِبُه فى أشياءَ كثيرةٍ ، فاعتذَرَ منها وأخَذ فى الترَفُّقِ والتذلُّلِ ، فأُجيبَ بأن يرحلَ إلى أىِّ جهةٍ شاء ، فاخْتار حِلَّةَ ابنِ مَزْيَدٍ ، فباعَ أصحابُه أموالَهم وأمْلاكَهم وطلَّقُوا نِساءَهم ، وأخَذ أوْلادَه وأهلَه ، وجاءَ ليركبَ فى سُميريَّةٍ[2] لينْحَدِرَ منها إلى الحِلَّةِ ، والناسُ حولَه يتَباكَونَ لبُكائِه ، فلمَّا اجتازَ بدارِ الخلافَةِ قبَّل الأرضَ دَفَعاتٍ والخليفةُ فى الشُّبَّاكِ ، والوزيرُ يقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، ارحَمْ شَيْبَتى وغُرْبَتى وأولادى . فأُعِيدَ إلى الوَزارةِ [٩/١٨٦و] بشفاعَةِ دُبَيسِ بنِ مَزْيَدٍ ، فى السنَةِ الآتيةِ ، وامْتدَحه الشعراءُ ، وفرِح الناسُ برُجوعِه إلى الوَزارةِ ، وكان يومًا مشْهُودًا .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ [3]أبو منصورٍ[3] ، المُلَقَّبُ بالشيخِ الأجَلِّ ، كان أوحدَ زمانِه فى القيامِ بالمعروفِ ، والمُبادرَةِ إلى فعلِ الخيْراتِ ، واصْطِناعِ الأيادِى عندَ أهلِها مِن أهلِ السُّنَّةِ ، مع شدَّةِ القيامِ على أهلِ البِدَعِ ولَعْنِهم ،

(١ - ١) فى ب ، م : « بن المقتدى » ، وفى خ : « المقتدى » .

(٢) فى ب ، خ ، م : « سفينة » .

(٣ - ٣) فى م : « بن منصور » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٤، والمنتظم ١٦/ ١٠٧، والكامل ١٠/ ٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٨٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٢.

وافْتِقادِ المسْتُورِينَ بالبِرِّ ، والصَّدقةِ على المحاويج وإخفاءِ ذلك جَهْدَه وطاقتَه ، ومِن غريبِ ما وقَع له أنَّه كان يَبَرُّ إنسانًا فى كلِّ سنَةٍ[1] بعشَرةِ دنانيرَ ، يكتبُ له بها على رجلٍ يقالُ له : ابنُ رِضوانَ . فلمَّا تُوفِّى جاءَ الرجلُ إلى ابنِ رِضوانَ فقال : ادْفَعْ إلىَّ ما كان يصرفُ لى الشيخُ . فقال له ابنُ رِضوانَ : إنَّ الذى كان يكتبُ لك علىّ قد ماتَ ، ولا أقدرُ أن أصرفَ لك شيئًا ، فذهَب الرجلُ إلى قَبْرِ الشيخِ الأجَلِّ فقرَأ شيئًا مِن القرآنِ وترحَّمَ عليه ، ثم الْتفَتَ فإذا هو بكاغِدٍ فيه عشَرةُ دنانيرَ ، فأخَذْها وجاءَ بها إلى ابنِ رِضوانَ فذكَر له ذلك ، فقال له ابنُ رِضوانَ : هذه يا أخى سقَطَت منِّى اليومَ عندَ قَبرِه ، فخُذْها ولكَ [2]علىَّ مثلُها فى كلِّ عامٍ[2] .

كانتْ وفاتُه المُنتصفَ مِن محرَّمِ هذه السَّنةِ عن خمسٍ وستِّينَ سنةً ، وكان يومُ موتِه يومًا مشْهُودًا ، حضَره خلقٌ مِن الناسِ لا يَعلَمُ عدَدَهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فرحِمه اللَّهُ تعالَى ، وأكرَم مَثواه .

أبو جعفرٍ محمدُ بنُ الحسنِ الطُّوسِىُّ[3] فقيهُ الشيعةِ ، ودُفِنَ بمشهدِ علىٍّ ، وكان مُجاورًا به ، حينَ احترَقت دارُه - بالكَرخِ - وكتُبُه ، سنةَ ثمانٍ وأربعينَ إلى المُحرَّمِ مِن هذه السنةِ ، فتوفِّى ودُفِن هناك .

---

(١) فى ب ، خ ، م : « يوم » .

(٢ - ٢) فى ب ، خ ، م : « عندى فى كل يوم مثلها » .

(٣) الملل والنحل ١/ ٤١٩، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١-٤٦٠هـ) ص ٤٩٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٢٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٤٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٢.

(١) خديجةُ بنتُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ، الواعظةُ المعروفةُ بالشَّاهْجانِيَّةِ(٢)، وُلِدت سنةَ أربعٍ وسبعين وثلاثِمائةٍ، وكانت قد صَحِبت ابنَ سمعونَ، وروَتْ عنه وعن ابنِ شاهينَ، ودُفِنت إلى جانبِ ابنِ سمعونَ(١).

(١ - ١) سقط من: ب، خ، م، وبعده فى الأصل، ص: «ترجمة أبى القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البَزْرى الجَزَرى شيخ الشافعية، والمجمع عليه فى مصادر ترجمته أنه من وفيات سنة ستين وخمسمائة، وسنورد ترجمته فى موضعها الصحيح.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٤٦، والمنتظم ١٦/ ١٠٧، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١- ٤٦٠هـ) ص ٤٨٣ والنجوم الزاهر ٥/ ٨٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٨.

[٩/١٨٦ظ] ثم دخَلَتْ سنَةُ إحدى وستّين وأربعِمائَةٍ

فى ليْلةِ النصفِ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ[١] كان حريقُ جامعِ دِمَشْقَ ، وكان سببَه أنَّ غِلمانَ الفاطمِيِّينَ والعباسِيِّينَ اخْتَصَمُوا فيما بينَهم ، فأُلقِيَتْ نارٌ بدارِ المُلكِ ، وهى الخضْراءُ المُتاخِمَةُ للجامعِ مِن جهةِ القِبْلَةِ ، فاحترقَتْ ، وسرَى حريقُها إلى الجامعِ ، فسقَطَتْ سقُوفُه وتناثرَتْ فُصوصُه المُذَهَّبَةُ التى على جُدْرانِه ، وتقلَّعَتِ الفُسَيْفِساءُ التى كانت فى أرضِه ، وعلى جُدْرانِه ، وتغيَّرت معالمُه ومحاسنُه وتبدَّلت بهجتُه بضِدِّها ، وقد كانتْ سُقوفُه مذهَّبةً مبطَّنةً كُلُّها والجَملُوناتُ مِن فوقِها ، وجُدْرانُه بالفصوصِ المذهَّبةِ الملونةِ مصَوَّرٌ فيها جميعُ بلادِ الدنْيَا[٢] ؛ الكَعْبَةُ ومكةُ فى المحرابِ ، والبلادُ كلُّها شرقًا وغربًا ، كلٌّ فى مكانِه اللائقِ به ، ومصوَّرٌ فيه كلُّ شجرةٍ مثْمرةٍ وغيرِ مثمرةٍ ، مشكَّلٌ مصوَّرٌ فى بُلْدانِه وأوْطانِه ، والسُّتُورُ مُرْخاةٌ على أبوابِه النافِذَةِ إلى الصَّحْنِ وعلى أصولِ الحيطانِ إلى مقدارِ الثُّلُثِ منها ، وباقى الجِدارانِ بالفُصوصِ الملَوَّنَةِ ، وأرضُه كلُّها بالفُصوصِ ؛ الرُّخامِ والفُسَيفِساءِ ، ولم يكُنْ فى الدُّنيا بناءٌ أحسنُ منه ، لا قُصورُ الملوكِ ولادُورُ الخلافةِ ، فضلًا عن غيرِهم ، ثم لمَّا وقَع هذا الحريقُ فيه ، تبدَّلَ الحالُ الكاملُ بضِدِّه ، وصارَتْ أرضُه طِينًا فى زمنِ الشتاءِ ، وغُبارًا فى زمنِ الصيفِ ، محفورَةً

---

(١) الكامل ١٠/ ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٥، وانظر ما تقدم ص٧، ٨.

(٢) بعده فى ب ، خ ، م ، « بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج فى إقليم أو بلد وجده فى الجامع مصورا كهيئته ، فلا يسافر إليه ولا يعنى فى طلبه فقد وجده من قرب » .

مهْجُورةً ، ولم يزَلْ كذلك حتَى بُلِّطَ أرضُه فى زمنِ العادِل أبى بكرِ بنِ أيُّوبَ ، بعدَ السِّتِّمائَةِ سنَةٍ مِن الهجرةِ ، وكان جميعُ ما سقَط مِنه مِن الرُّخامِ وغيرِه مِن الأخْشابِ مُودَعًا فى المشاهِدِ الأربعَةِ ، شرقيةً وغربيةً ، حتى فرّغَها من ذلك القاضى كمالُ الدينِ الشَّهْرُزُورِىُّ ، فى زمنِ الملكِ العادلِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زِنكىٍّ ، حينَ ولَّاه نظَرَه مع القضاءِ ونظَرَ الأوقافِ كلِّها ، ونظَرَ دارِ الضَّرْبِ وغيرَ ذلك ، ولم تَزلِ المُلوكُ تجدِّدُ فى محاسنِه إلى زمانِنا هذا ، فتقارَبَ حالُه فى زمنِ الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِزَ بنِ عبدِ اللَّهِ الناصرىِّ نائبِ الشامِ ، أثابه اللَّهُ تعالى . وقد أرَّخَ الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجوزىِّ فى « المنتظمِ »[1] هذا الحريقَ فى سنَةِ ثمانٍ وخمسينَ ، وتَبِعَه ابنُ السَّاعِى [2] فى « تاريخِه » ، والصوابُ أنَّه فى هذه السنةِ كما ذكَره ابنُ الساعى [2] أيضًا فى هذه السنَةِ ، وشيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبِىُّ مؤرِّخُ الإسْلامِ فى « تاريخه » ، وغيرُ واحدٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وفيها نقَمَتِ الحنابلةُ على الشيخِ أبى الوَفاءِ بنِ عقيلٍ ، وهو مِن كُبَرائِهم ؛ بتردُّدِه إلى أبى علىٍّ بنِ الوليدِ المتكلِّمِ المعتزِلىِّ ، واتَّهَمُوه بالاعْتزالِ ، ولاشَكَّ [٩/١٨٧و] أنَّه لم يكُنْ يتردَّدُ إليه إلَّا ليُحِيطَ علمًا بمذهَبِه ، ولكِنْ سرَقَه الهوَى[3] ، وصارَتْ فيه نزْعَةٌ منه ، وجرَتْ بينَهم فتنةٌ طويلةٌ ، وتأذَّى بسبَبِها جماعةٌ منهم ، وما سكَنَتِ الفتنةُ إلى سنَةِ خمسٍ وستِّين ، ثم اصطلحُوا فيما بينَهم بعدَ اخْتِصامٍ كثيرٍ .

وفيها زادَتْ دِجْلَةُ على إحدى وعشرين ذِراعًا حتى دخَلت مَشْهَدَ أبى حنيفةَ[4] ومشهدَ النذورِ . وفيها ورَد الخبرُ بأنَّ الأفشينَ دخَلَ بلادَ الرومِ حتى

---

(١) المنتظم ١٦/ ٩٦.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ب ، خ ، م : « فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها » .

(٤) فى المنتظم ١٦/ ١١٤ : « مشهد المالكية » .

انْتهى إلى عَمُّورِيَةَ[1] ، فقتَل خلقًا وغنِمَ أموالًا كثيرةً . وفيها كان رُخْصٌ عظيمٌ بالكوفَةِ حتى بَيعِ السمكُ كلُّ أربعِينَ رِطْلًا بحبَّةٍ[2] .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أبو الغنائمِ العَلَوِىُّ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الفُورانِىُّ ، أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ فُورانَ الفُورانِىُّ ، المَرْوَزِىُّ[3] ، أحدُ أئمةِ الشافعِيَّةِ ، مصنِّفُ « الإبانَةِ » التى فيها من النُّقولِ الغريبةِ ، والأقوالِ والأوْجُهِ التى لا تُوجَدُ إلَّا فيها ، كان بصِيرًا بالأُصولِ والفروعِ ، أخَذ الفقهَ عن أبى بكرٍ القفّالِ ، وحضَر إمامُ الحرمَيْنِ عندَه وهو صغيرٌ ، فلم يلْتَفِتْ إليه ، فصار فى نفْسِه منه ، فهو يخطِّئُه كثيرًا فى « النهايةِ » . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : فمتى قال فى « النهايةِ » : وقال بعضُ المُصَنِّفينَ كذا وغلِط فى ذلك . وشرَع فى الوقوعِ فيه ، فمُرادُه أبو القاسمِ الفُورانِىُّ . وكانت وفاتُه فى رمضانَ مِن هذه السنةِ بمَرْوَ ، عن ثلاثٍ وسبعين سنةً ، وقد كتَب تلميذُه أبو سعدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ[5] المأمونِ المعَرِّىُّ[6] - المدرسُ بالنِّظامِيَّةِ بعدَ الشيخِ أبى إسحاقَ وقبلَ ابنِ الصَّبَّاغِ وبعدَه أيضًا - كتابًا على « الإبانةِ » ، سمّاه « تَتِمَّةَ الإبانَةِ » ، انتْهَى فيه إلى كتابِ الحدودِ ، وماتَ قبلَ إتْمامِه ، فتَمَّمَه أسعدُ العجْلىُّ وغيرُه ، فلم يلحَقُوا شَأْوَه ، وسَمَّوه : « تَتِمَّةَ التَّتِمَّةِ » ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل ، ص ، ب : « عورنة » ، وفى م : « غورية » .

(٢) أى : من ذهب . انظر المنتظم ١٦/ ١١٥.

(٣) المنتخب من السياق ٣١١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٤٥. وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٠٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٣٢.

(٥) بعده فى الأصل ، ص : « بن » . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ١٣٣، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٥.

(٦) ليس فى مصادر ترجمته أنه منسوب إلى « معرة » ، ولعلها : « المتولى » وحرفت هنا ، وانظر وفيات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثِنتَيْن وستّين وأربعِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ : فمِن الحوادِثِ فيها أنَّه كان على ثلاثِ ساعاتٍ من يومِ الثلاثاءِ الحادِى عشَرَ مِن جُمادَى الأُولى ، وهو [2]الثامِنَ عشَرَ من[2] آذارَ ، كانت زَلزلةٌ عظيمةٌ بالرَّمْلَةِ وأعْمالِها ، فذهَب أكثرُها وانْهدَمَ سورُها ، وعمَّ ذلك بيتَ المَقْدِسِ وتِنِّيسَ[3] ، وانخسَفَت أيْلةُ[4] ، وانجفَل البحرُ حتى انْكَشَفَتْ أرضُه ، ومشَى ناسٌ فيه ثم عادَ ، وتغَيَّرت إحدى زَوايا جامعِ مصرَ ، وتبِعَتْ هذه الزَّلزلةَ فى ساعَتِها زَلزلَتان أُخْرَيانِ .

وفيها توَجَّهَ ملكُ الرومِ مِن قُسْطَنْطِينِيَّةَ إلى الشامِ فى ثَلاثِمائَةِ ألفٍ ، فنَزَل على [١٨٧/٩ظ] مَنْبِجَ وأحرَقَ القُرَى ما بينَ مَنْبِجَ إلى أرضِ الرومِ ، وقتَل رِجالَهم وسبَى نِساءَهم ، وفزِع المسلمونَ بحَلَبَ وغيرِها فزَعًا عظيمًا ، فأقامَ سِتَّةَ عشَرَ يومًا ثم ردَّه اللَّهُ خاسِئًا ، وذلك لقلَّةِ ما معهم مِن المِيرَةِ وهَلاكِ أكثرِ جيْشِه بالجُوعِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها ضاقَت يدُ أميرِ مَكَّةَ فأخَذ الذهبَ مِن أسْتارِ الكعبةِ والمِيزابِ وبابِ الكعبةِ ، فضرَبَ كلَّ ذلك دَراهِمَ ودنانيرَ ، وكذلك فعَل صاحبُ المدينةِ بالقَنادِيلِ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١١٦، والكامل ١٠/ ٦٠.

(٢ - ٢) فى ب ، خ ، م : « ثامن عشرين » ، وفى مصدر التخريج : « الثامن من » .

(٣) فى ب ، خ ، م : « نابلس » ، وتنيس : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط . معجم البلدان ١/ ٨٨٢.

(٤) فى ب ، خ ، م : « إيليا » ، وأيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . معجم البلدان ١/ ٤٢٢.

التى فى المسجدِ النبوِىِّ - على ساكنِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ .

وفى هذه السنةِ كان غلاءٌ شديدٌ ، وقَحْطٌ عظيمٌ بديارِ مصرَ ، بحيثُ إنَّهم أكَلوا الجِيَفَ والمَيْتَاتِ والكِلابَ ، فكانَ يُباعُ الكلبُ بخمسةِ دَنانِيرَ ، وماتَتِ الفِيَلَةُ فأُكِلَتْ ، وأُفنيتِ الدَّوابُّ ، فلم يَبْقَ لصاحبِ مصرَ سوى ثلاثَةِ أفْراسٍ ، بعدَ العدَدِ الكثيرِ منها . ونزَل الوزيرُ يومًا عن بغْلَتِه ، فغفَل الغُلامُ عنها لضَعْفِه مِن الجوعِ ، فأخَذها ثلاثةُ نَفَرٍ فذَبحُوها وأكَلُوها فأُخِذُوا فصُلِبُوا فأصبَحوا فإذا عظامُهم بادِيَةٌ ، قد أكَل الناسُ لحومَهم . وظُهِرَ على رجلٍ يقتُلُ الصِّبْيانَ والنساءَ ويدْفِنُ رُءُوسَهم وأطْرافَهم ، ويَبِيعُ لُحومَهم ، فقُتِل[1] . وكانتِ الأعْرابُ يَقْدَمونَ بالطَّعامِ يَبيعُونَه فى ظاهرِ البلَدِ ، لا يتَجاسَرُون يدْخُلون لِئَلَّا يُخْطفَ ويُنهبَ منهم . وكان لا يجسُرُ أحدٌ أن يدفِنَ مَيِّتَه نهارًا ، وإنما يدفنُه ليلًا خُفْيَةً ؛ لئلّا يُنبشَ فيؤكلَ . واحْتاجَ صاحبُ مِصْرَ حتى باع أشياءَ كثيرةً مِن نفائسِ ما عندَه ؛ من ذلك أحَدَ عشَرَ ألفَ دِرْعٍ ، وعِشْرون ألفَ سيفٍ مُحَلًّى ، وثمانون ألفَ قطْعَةِ بِلَّوْرٍ كبارٌ ، وخمسةٌ وسبعونَ ألفَ قطعَةٍ مِن الدِّيباجِ القديمِ ، وبيعتْ ثيابُ النساءِ والرجالِ وسَجْفُ المُهودِ بأرخَصِ الأثمانِ ، وكذلك الأمْلاكُ وغيرُها ، وقد كان بعضُ هذه النفائسِ الخليفيَّةِ ، ممَّا نُهِبَ مِن بَغْدادَ فى أيامِ البَسَاسيرِىِّ .

وفيها ورَدَتِ الخدمُ والتُّحفُ والهدايا مِن الملكِ ألبِ أرْسَلانَ إلى الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ . وفيها ضُرِب اسمُ ولِىِّ العهدِ على الدنانيرِ والدراهمِ ، وسُمِّى الأميرِىَّ ، ومُنِع التعاملُ بغيرِها .

وفيها ورَد كتابُ صاحبِ مَكَّةَ إلى الملكِ ألبِ أرْسَلانَ وهو بخُراسانَ ، يخبرُه

---

(١) بعده فى ب ، خ ، م : « وأكل لحمه » .

بإقامَةِ الخُطبةِ للقائمِ بأمْرِ اللَّهِ وللسلطانِ بمكةَ ، وقَطْعِ الخُطْبَةِ للمصريين ، فأرسَل إليه بثلاثينَ ألفَ دينارٍ وخِلْعةً سَنِيَّةً ، وأجرَى له فى كلِّ سنةٍ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ .

وفيها تزوَّجَ عميدُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ بابنةِ نِظَامِ المُلْكِ بالرَّىِّ ، ثم عاد إلى بغدادَ .

وحجَّ بالناسِ أبو الغنائمِ العَلَوِىُّ .

وفيها تُوفِّى من الأعيانِ [٩/١٨٨و] **والمشاهيرِ :**

الحسنُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ (١بنِ بارى١) **أبو الجوائزِ الواسِطِىُّ** ، سكَن بغدادَ دهرًا طويلًا ، وكان أدِيبًا شاعرًا ظريفًا ، وُلِد سنةَ ثِنْتَيْن وخمسينَ وثلاثِمِائةٍ ، وتوفِّى فى هذه السنَةِ عن مائةٍ وعشْرِ سِنينَ . ومِن مُسْتَجادِ شعرِه قولُه(٢) :

وَا حَزَنِى مِن قَوْلِها (٣خان عُهودِى٣) وَلَها
وَحَقِّ مَن صيَّرَنِى وَقْفًا عليها وَلَها
ما خطَرتْ بخاطرِى إلا كَسَتْنى وَلَها

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سهلٍ(٤) ، المعروفُ بابنِ بِشْرانَ النحوىُّ الواسِطِىُّ ، وُلِد سنةَ ثمانينَ وثَلاثِمائَةٍ ، وكان عالِمًا بالأدبِ ، وانتهَتْ إليه الرِّحلةُ فى اللغةِ ، وله

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل ، ب ، خ ، ص : « بن بابى » . والمثبت من مصادر الترجمة ، وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٣، والمنتظم ١٦/ ١١٩، والكامل ١٠/ ٦٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١١١، وميزان الاعتدال ١/ ٥١٣.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٢٠، والكامل ١٠/ ٦٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١١٢.

(٣ - ٣) فى النسخ : « قد خان عهدى » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) معجم الأدباء ١٧/ ٢١٤، والمنتظم ١٦/ ١٢٠، وإنباه الرواة ٣/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣٥ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات (٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٧٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٢.

شعرٌ حسنٌ ، فمنه قولُه[1] :

يا شائدًا للقُصورِ مَهْلا ... أقْصِرْ فقصرُ الفتَى المماتُ
لم يجْتَمِعْ شملُ أهلِ قَصْرٍ ... إلَّا وقُصراهُمُ الشَّتَاتُ
وإنَّما العيشُ مثلُ ظلٍّ ... منتَقِلٍ ما لَهُ ثَباتُ

وقولُه[2] :

ودَّعْتُهُم ولِىَ الدنْيَا مُوَدِّعَةٌ ... ورُحْتُ ما لِى سِوَى ذِكْراهُمُ وَطَرُ
وقلتُ يالَذَّتى بِينى لَبَينِهِمُ ... فإنّ صَفْوَ حياتِى بعْدَهُمْ كَدَرُ
لولا تعَلُّلُ قلْبى بالرَّجاءِ لهم ... ألْفَيْتُهُ إن حَدَوا بالعِيسِ ينْفَطِرُ
ياليتَ عِيسَهُمُ يومَ النَّوَى نُحِرَتْ ... أوْلَيْتَها للضَّوارِى بالفَلَا جَزَرُ[3]
يا ساعَةَ البَيْنِ أنتِ الساعَةُ اقترَبَتْ ... يالَوْعَةَ البينِ أنتِ النارُ تستَعِرُ

وقوله[4] :

طلَبتُ صَدِيقًا فى البرِيَّةِ كلِّها ... فأَعْيا طِلابِى أن أُصِيبَ صدِيقَا
بلَى مَن تسَمَّى بالصديقِ مجازةً ... ولم يَكُ فى معنى الوِدادِ صدُوَقا
فطلَّقْتُ وُدَّ العالمينَ صَرِيمةً[5] ... وأصبَحْتُ مِن أسرِ الحِفاظِ طَلِيقَا

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٢٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٢.
(٢) المنتظم ١٦/ ١٢١.
(٣) جزر السباع : اللحم الذى تأكله .
(٤) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٢، والمنتظم ١٦/ ١٢١.
(٥) فى ص : «مكرمة»، وفى خ، م : «ثلاثة».

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وستّين وأربعِمائةٍ

وفيها[1] أقبَل ملكُ الرومِ أرمانوسُ فى جَحافِلَ أمثالِ الجبالِ مِن الرومِ والكُرْجِ[2] والفِرنْجِ، وعُدَدٍ عظيمةٍ وتجمُّلٍ هائلٍ، ومعه خمسةٌ وثلاثونَ ألفًا مِن البَطارِقَةِ، مع كلِّ بِطْرِيقٍ [3]ما بينَ ألفَىْ فارسٍ إلى خمسِمائةِ فارسٍ[3]، ومعه مِنَ الفِرنْجِ خمسةٌ وثلاثونَ ألفًا، [٩/١٨٨ظ] ومِن الغُزِّ[4] الذينَ يكونون وراءَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خمسةَ عشَرَ ألفًا، ومعه مائةُ ألفِ نَقَّابٍ وحَفَّارٍ، وألفُ[5] روزْجارِيٍّ، ومعه أربعُمائَةِ عجَلَةٍ تحمِلُ النِّعالَ والمسامِيرَ، وألفَا[6] عجَلَةٍ تحملُ السلاحَ والسُّروجَ والعَرَّاداتِ والمجانيقَ، منها مَنْجَنِيقٌ يُمِدُّه ألفٌ ومِائتَا رجلٍ، ومِن عزْمِه - قبَّحه اللَّهُ تعالى - أنْ يجتَثَّ الإسلامَ وأهلَه، وقد أقطَعَ بطارِقَتَه البلادَ حتى بغدادَ، واسْتَوْصَى نائِبَها بالخليفةِ خيْرًا فقال له: ارْفُقْ بذلك الشيخِ؛ فإنَّه صاحِبُنا. ثم إذا اسْتَوْسقَتْ ممالكُ العراقِ وخُراسانَ لهم مالُوا على الشامِ وأهْلِهِ مَيْلَةً واحدةً، فاسْتَعادُوه مِن أيْدِى المسلمين، واستَنقَذوه فيما يزعُمون، والقَدَرُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٢٣، والكامل ١٠/ ٦٥.

(٢) فى م: «الكرخ». والكُرْج، بالضم: جيل من النصارى، ومنهم من جعلها ناحية من الروم بثغور أَذْرَبيجان. تاج العروس (ك ر ج).

(٣ - ٣) فى ب، خ، م: «مائتا ألف فارس».

(٤) فى م: «الغزاة». والغز: جنس من الترك. تاج العروس (غ ز ز).

(٥) فى المنتظم ١٧/ ١٢٤: «مائة ألف». والروزجارى: نسبه إلى روزجار، وهو روزكار، يعنى الذى يعمل بالنهار، ويقال: ببغداد لمن يعمل بالنهار: الروزجارية. الأنساب ٣/ ١٠٤.

(٦) فى المنتظم ١٧/ ١٢٤: «ألف».

يقولُ : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] . فالْتَقاه السلطانُ أَلبُ أرْسَلانَ فى جيشِه وهم قريبٌ مِن عِشْرين ألفًا ، بمكانٍ يقالُ له : الرَّهْوَةُ . فى يومِ الأربعاءِ لخمسٍ بَقِينَ مِن ذى القَعْدَةِ ، وخافَ مِن كثرةِ المشركين ، فأشارَ عليه الفَقِيهُ أبو نصْرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ البخاريُّ بأن يكونَ وقتُ الوَقْعَةِ يومَ الجُمُعةِ بعدَ الزَّوالِ حينَ يكونُ الخطباءُ يدْعُون للمُجاهِدينَ ، فلمَّا تَواجَهَ الفِئتان ، نزَل السلطانُ عن فرسِه ، وسجَد للَّهِ عزَّ وجلَّ ، ومرَّغَ وجهَه فى التُّرابِ ودَعا اللَّهَ تعالى ، واسْتَنصَرَه ، فأنزَل اللَّهُ نصْرَه على المسلمينَ ، ومنَحَهم أكتافَ المشركين فقتَلُوا منهم خلْقًا لا يُحْصَون كثرةً ، وأُسِرَ مَلِكُهم أرمانوسُ ؛ أسَره غُلامٌ رومِيٌّ ، [1] فأمَّره السلطانُ ، وأعطاه شيئًا كثيرًا ، وقد كان هذا الغلامُ عُرِض على نظامِ المُلْكِ الوزيرِ فى جملةِ تَقدِمةٍ فلم يَقْبَلْه ، فقال له سيِّدُه : إنّه ... وإنّه ... يُثنى عليه فردَّه ، وقال كهيئةِ المستهزئِ به : لعلَّه يَجيئُنا بمَلكِ الرومِ أرمانوسَ أسيرًا . فوقَع الأمرُ كما قال ، فللهِ الحمدُ والمنةُ [1] .

فلمَّا أُوقِفَ أرمانوسُ بينَ يدَى الملكِ أَلْبِ أَرْسَلانَ ضرَبه بيَدِه ثلاثَ مَقارِعَ وقال : لو كنتُ أنا الأسِيرَ بينَ يدَيْكَ ماذا كنتَ تفعلُ ؟ قال : كلَّ قَبيحٍ . قال : فما ظَنُّكَ بى ؟ قال : تقتلُنى أو تشَهِّرُنى فى بلادِكَ ، فأمَّا العَفْوُ وأخْذُ الفِداءِ فبعيدٌ . فقال : ما عزَمْتُ على غيرِ العَفْوِ والفداءِ . فافْتدَى نفسَه منه بألفِ ألفِ دِينارٍ وخمسِمائةِ ألفِ دينارٍ ، [2] وأن يُطلِقَ كلَّ أسيرٍ فى بلادِ الرومِ ، وعلى هُدْنَةٍ خمسين سنةً ، يحمِلُ فيها عن كلِّ يومٍ ألفَ دينارٍ [2] وقام بينَ يدَيِ الملكِ فسَقاه شرْبَةً مِن ماءٍ وقبَّلَ الأرضَ بينَ يدَيْه ، وإلى نحوِ جهةِ الخليفةِ إجْلالًا وإكْرامًا ،

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : ب ، خ ، م ، ص .

فأطلَقَ له الملكُ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ ليتَجَهَّزَ بها ، وأطلَقَ معه جماعةً مِن البَطارقةِ [٩/ ١٨٩و] مِن أصحابِه ، وشَيَّعَه فرْسَخًا ، وأرسَل معه جيشًا يَخْدُمونه ويحُوطونه ويحفَظُونَه إلى بلادِه ، ومعهم رايةٌ مكتوبٌ عليها : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ محمدٌ رسولُ اللَّهِ . فلمَّا انْتهَى إلى بلادِه وجَد الرومَ قد مَلَّكُوا عليهم غيرَه ، فأرسَل إلى السلطانِ يعتذِرُ إليه ، وبعَث مِن الذهبِ والجواهرِ ما يقارِبُ ثلاثَمِائَةِ ألفِ دينارٍ ، وتزَهَّدَ ولَبِس الصُّوفَ ، ثم استضاف مَلِكَ الأرْمَنِ[1] فأخَذه فكَحَلَه ، وأرْسَل إلى السلطانِ فأعْلَمَه بذلك يتقرَّبُ إليه به .

وفيها خطَب صاحبُ حلَبَ محمودُ بنُ صالحِ بنِ مِرْداسٍ للقائمِ بأمرِ اللَّهِ وللسلطانِ ألبِ أرْسَلَانَ معه ، فبعَث إليه الخليفةُ بالخِلَعِ ، والعَهْدِ مع الشريفِ طِرادٍ الزَّيْنَبِيِّ .

وفيها حَجَّ بالناسِ [2]نورُ الهدى أبو طالبٍ الزَّيْنَبِيُّ[2] ، وخُطِب بمَكَّةَ للخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، وقُطِعَتْ خُطبةُ المصريينَ منها ، وقد كان يُخْطَبُ لهم فيها مِائَةَ سنَةٍ ، فانْقطَعَ ذلك فى هذه السنةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البغداديُّ ، أحمدُ بنُ علىِّ بنِ ثابتِ بنِ أحمدَ بنِ مَهْدِيٍّ[3] ، أحدُ مشاهيرِ الحفَّاظِ ، وصاحبُ « تاريخِ بغدادَ » وغيرِه مِن المصنَّفاتِ

---

(١) استضاف ملك الأرمن أى : لجأ إليه ، وطلب ضيافته . انظر تاج العروس (ض ى ف) .

(٢ -٢) فى الأصل ، ص : « نور الهدى أبو الغنائم العلوى » ، وفى ب ، خ ، م : « أبو الغنائم العلوى » . والمثبت من إتحاف الورى ٢/ ٤٧٣. وانظر ما تقدم فى ص ٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٣١، والمنتظم ١٦/ ١٢٩، ومعجم الأدباء ٤/ ١٣، ووفيات الأعيان ١/ ٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ، ص ٨٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩.

العديدةِ المفيدةِ ، نحوٌ مِن ستِّينَ مصنَّفًا ، ويقالُ : بل مِائَةُ مصنَّفٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وُلد سنةَ إحْدى وتسعين وثلاثِمِائَةٍ ، وقيلَ : سنَةَ ثِنْتَيْن وتسعين . وأوَّلُ سماعِه سنةَ ثلاثٍ وأربعِمِائةٍ ، ونشَأ ببغدادَ ، وتفَقَّهَ على القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبرِىِّ وغيرِه مِن أصحابِ الشيخِ أبى حامدٍ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل إلى البصرةِ ونَيْسابُورَ وأَصْبهانَ وهَمَذانَ والشامِ والحجازِ ، وسُمِّىَ الخطيبَ ؛ لأنَّه كان يخطُبُ بدَرْزِيجانَ[1] ، وسمِع بمكةَ على القاضى أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ سلامةَ القُضاعِىِّ ، وقرَأ « صحيحَ البخارىِّ » على كرِيمةَ بنتِ أحمدَ فى خمسةِ أيَّامٍ .

ورجَع إلى بَغدادَ فحظِى عندَ الوزيرِ أبى القاسمِ ابنِ الـمُسْلِمَةِ . ولمَّا ادَّعَى اليهودُ الخَيابِرَةُ أنَّ معهم كتابًا نَبَوِيًّا فيه إسْقاطُ الجِزْيَةِ عنهم أوْقَفَ ابنُ الـمُسْلِمَةِ الخطيبَ على هذا الكتابِ ، فقال : هذا كَذِبٌ . فقيلَ : وما الدليلُ على ذلك ؟ فقال : لأنَّ فيه شَهادةَ مُعاوِيَةَ بنِ أبى سُفْيانَ ، ولم يكُنْ أسلَمَ يومَ خَيْبَرَ ، وقد كانت خيبرُ فى سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ ، وإنما أسْلَمَ مُعاوِيَةُ يومَ الفتحِ ، وفيه شَهادةُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ ، وقد كان تُوفِّى عامَ الخندقِ سنةَ خمسٍ . فأعجَبَ الناسَ ذلك . وقد سُبِق الخطيبُ إلى [١٨٩/٩ظ] هذا النقدِ[2] ، كما ذكَرتُ ذلك فى مُصنَّفٍ مُفْرَدٍ .

ولمَّا وقَعتْ فتنةُ البَسَاسيرِىِّ ببغدادَ سنةَ خمسين ، خرَج منها إلى الشامِ ، فأقامَ

---

(١) فى النسخ : « درب ريحان » . وهو تحريف . والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩. قال ياقوت فى معجم البلدان ٢/ ٥٦٧: درزيجان ، بفتح أوله وسكون ثانيه وزاء مكسورة وياء مثناه من تحت وجيم وآخره نون : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربى منها كان والد أبى بكر أحمد بن ثابت ، الخطيب البغدادى ، وكان أبوه يخطب بها .

(٢) فى ب ، خ ، م : « النقل ، سبقه محمد بن جرير » .

بدمشقَ بالمئذنةِ الشرقِيَّةِ مِن جامعِها ، وكان يقرأُ على الناسِ الحديثَ النبويَّ ، وكان جَهْوَرِيَّ الصوتِ ، يُسْمَعُ صوتُه مِن أرْجاءِ الجامعِ كلِّها ، فاتَّفَقَ أنَّه قرأَ يومًا على الناسِ فضائلَ العبَّاسِ ، فثارَ عليه الرَّوافِضُ وأتْباعُ الفاطمِيِّينَ ، وأرادُوا قتلَه فتشَفَّعَ بالشريفِ الزَّيْنَبِيِّ فأجارَه ، وكان مسكنُه بدارِ العَقيقِيِّ . ثم خرَجَ مِن دِمشقَ فأقامَ بمدينةِ صُورَ ، فكتَب شيئًا كثيرًا مِن مصنَّفاتِ أبى عبدِ اللَّهِ الصُّورِيِّ بخطِّه ، كان يسْتَعِيرُها مِن زوجَتِه ، فلم يزَلْ مقيمًا بالشامِ إلى سنَةِ ثِنْتَيْن وستِّين ، ثم عادَ إلى بغدادَ فحدَّث بأشياءَ مِن مَسْمُوعاتِه ، وقد كان سألَ اللَّهَ تعالى بمكةَ أن يملِكَ ألفَ دينارٍ ، وأن يحدِّثَ بـ « التاريخِ » بجامعِ المنصورِ ، وأن يموتَ ببغدادَ ، فيُدفَنَ إلى جانبِ بشرٍ الحافى ، فيقالُ : إنّه حدَّث بـ « التاريخِ » بجامعِ المنصورِ ، وإنّه ملَك ذهبًا يُقارِبُ ألفَ دينارٍ . وحينَ احْتُضِرَ كان عندَه قريبٌ مِن مِائَتَىْ دينارٍ ، فأوْصَى بها لأهلِ الحديثِ ، وسألَ السلطانَ أن يمضِىَ له ذلك ؛ فإنَّه لم يتركْ وارِثًا ، فأجِيبَ إلى ذلك .

وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ مفيدةٌ ؛ منها كتابُ « التاريخِ » ، وكتابُ « الكِفايةِ » ، و « الجامعِ » ، و« شَرَفِ أصحابِ الحديثِ » ، و « المتَّفِقِ والمفْتَرِقِ » ، و « السَّابقِ واللَّاحقِ » ، و « تلخيصِ المُتَشابهِ فى الرسمِ » ، و « فَضْلِ الوَصْلِ » ، و « رِوايَةِ الآباءِ عنِ الأبناءِ » ، و « رِوايَةِ الصحابةِ عنِ التابِعينَ » ، و « اقتضاءِ العلمِ العملَ » ، وغيرُ ذلك . وقد سرَدها الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِيِّ فى « المنتظمِ »[1] . قال : ويقالُ : إنَّ هذه المصنَّفاتِ أكثرُها ابتدَأها أبو عبدِ اللَّهِ الصُّورِيُّ ، فتمَّمَها الخطيبُ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣٠، ١٣١.

وقد كان حسنَ القراءةِ، فصيحَ اللفظِ، عارِفًا بالأدبِ، يقولُ الشعرَ، وقد كان أوَّلًا على مذهبِ الإمامِ أحمدَ، فانتقَل إلى مذهبِ الشافعيِّ، ثم صارَ يتكلَّمُ فى أصحابِ أحمدَ ويقدَحُ فيهم ما أمكَنَه، وله دسائسُ عجيبةٌ فى ذَمِّهم، ثم شرَع ابنُ الجَوْزِيِّ[1] ينْتَصِرُ لأصحابِه بما يطولُ ذكرُه. وقد أوْردَ ابنُ الجَوْزِيِّ مِن شعرِ الخطيبِ قصيدةً - مِن خطِّه - جيدةَ المطلعِ حسنَةَ المنزَعِ، أوَّلُها[2]:

لعمْرُكَ ما شَجانى رسْمُ دارٍ ... وقَفْتُ به ولا ذِكْرُ المغانى
ولا أثَرُ الخيامِ أراقَ دمْعِى ... لأجْلِ تذكُّرى عهدَ الغَوانى
ولا مَلَك الهوَى يومًا قِيادِى ... ولا عاصَيْتُه فثَنَى عِنانى [٩/ ١٩٠و]
عرَفتُ فِعالَه بذوى التّصابى ... وما يلقَون من ذلِّ الهَوانِ
فلم أُطمِعْهُ فىَّ وكم قَتِيلٍ ... لهُ فى النّاسِ ما يُحْصَى وعانِ
طلبتُ أخًا صحِيحَ الوُدِّ مَحْضًا ... سليمَ الغَيْبِ محفُوظَ[3] اللِّسانِ
فلم أعرِفْ مِن الإخْوانِ إلَّا ... نِفاقًا فى التَّباعُدِ والتَّدانى
وعالَمُ دهْرِنا لا خَيْرَ فيهم ... تَرى صُوَرًا تروقُ بلا مَعانى
ووَصْفُ جميعِهم هذا فما أن ... أقولَ سِوى فلانٍ أو فلانِ
ولمَّا لم أجِدْ حُرًّا يُواتِى ... على ما نابَ مِن صَرْفِ الزَّمانِ
صبَرْتُ تكَرُّمًا لقِراعِ دهْرِى ... ولم أجْزَعْ لِمَا منهُ دَهانِى
ولم أكُ فى الشدائدِ مُسْتكِينًا ... أقولُ لها ألَا كُفِّى كَفانِى
ولكنِّى صَلِيبُ العُودِ عَوْدٌ ... رَبِيطُ الجأْشِ مُجْتَمِعُ الجَنانِ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣٢- ١٣٤.
(٢) المنتظم ١٦/ ١٣٠. وانظر معجم الأدباء ٤/ ٢٢- ٢٥.
(٣) فى المنتظم، ومعجم الأدباء: «مأمون».

أبىُّ النَّفْسِ لا أخْتارُ رِزْقًا يجىءُ بغيرِ سَيْفى أو سِنانِى
فعِزٌّ فى لَظَى باغِيه يُشْوَى ألذُّ مِن المذَلَّةِ فى الجِنانِ[1]

وقد ترجَمه الحافظُ ابنُ عساكِرَ فى «تاريخِه»[2] ترجمةً حسنةً كعادَتِه، وأوْردَ له مِن شعرِه قولَه:

لا تَغْبِطَنَّ أخا الدُّنْيا لزُخْرفِها ولا للذَّةِ وقتٍ عجَّلَتْ فرَحَا
فالدهرُ أسْرَعُ شىءٍ فى تقَلُّبِهِ وفِعْلُه بَيِّنٌ للخلْقِ قد وضَحَا
كم شارِبٍ عسَلًا فيهِ مَنِيَّتُهُ وكم تقَلَّد سيْفًا مَن بِهِ ذُبِحَا

وقد كانت وفاتُه يومَ الاثنينِ ضُحَى السابعِ من ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ، وله ثِنتان وسبعون سنةً، فى حُجْرَةٍ كان يسْكُنُها بدَرْبِ السلسلةِ، جِوارَ المدرسةِ النِّظاميَّةِ، واحتَفَل الناسُ بجِنازَتِه، وحمَلها فيمَن حمَل الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرَازِىُّ، ودُفِن إلى جانبِ قبرِ بِشْرٍ الحافى، فى قبرِ رجلٍ كان قد أعَدَّه لنفسِه، فسُئِل أن يتركَه للخطيبِ فشَحَّت به نفسُه، حتى قال له بعضُ الناسِ: باللَّهِ عليكَ لو قَدِمتَ أنت والخطيبُ إلى بِشْرٍ أيُّكما كان يُجْلِسُه إلى جانبِه؟ فقال: الخطيبَ. فقيل: فاسْمَحْ له به. فوهَبَه له، فدُفِن فيه رحِمه اللَّهُ وأكرَم مَثْواه، وهو ممن يُنشَدُ له قولُ الشاعرِ:

ما زِلْتَ تَدْأَبُ فى التاريخِ مجتهِدًا حتى رأيْتُكَ فى التاريخِ مكْتُوبَا

[3]وحكَى ابنُ خَلِّكانَ[4] عن السمعانىِّ أنه تُوفِّى فى شوَّالٍ، وأنَّه تصدَّق[3]

---

(١) بعده فى المنتظم، ومعجم الأدباء:

ومَنْ طلَب المعالَى وابتغاها أدار لها رحَى الحَرْبِ العَوانِ

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣٧. وانظر معجم الأدباء ٤/ ٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٩٦.

(٣ - ٣) سقط من: ب، خ، م.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٩٣.

(١ بجميعِ مالِه ، ووقَف كُتبَه ١) .

[٩/١٩٠ظ] **حَسَّانُ بنُ سعيدِ بنِ حسانَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ مَنِيعِ بنِ خالدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ الوَليدِ المَخْزُوميُّ المَنِيعِيُّ** (٢) ، كان فى شبابِه يجمَعُ بينَ الزُّهدِ والتجارةِ حتى سادَ أهلَ زمانِه ، ثم ترَك ذلك ، وأقبَل على العِبادةِ والزهدِ والبرِّ والصِّلَةِ والصدقةِ والإحسانِ إلى الخلْقِ ، وبناءِ المساجدِ والرِّباطَاتِ ، وكان السلطانُ يأتِى إليه ويتبرَّكُ به ، ولمَّا وقَع الغلاءُ كان يعمَلُ فى كلِّ يومٍ شيئًا كثيرًا مِن الخُبْزِ والطَّعامِ ، فيتصدَّقُ به ، ويكْسُو فى كلِّ سنةٍ قريبًا مِن ألفِ نفْسٍ ثِيابًا وجِبَابًا وافرةً ، وكذلكَ النساءَ ، ويجهِّزُ بناتِ الفقراءِ الأيتامَ ، وأسقَط شيئًا كَثيرًا مِن المُكُوسِ والوظائفِ السلطانيَّةِ عن بلادِ نَيْسابُورَ وقُراها ، وهو فى غايةِ التَّبَذُّلِ والثيابِ الأطْمارِ ، وترْكِ الشهواتِ ، ولم يزَلْ كذلك حتى كانت وفاتُه ببلدِه مَرْوِالرُّوذِ فى هذه السنةِ ، تغمَّدَه اللَّهُ برحمتِه ، آمينَ .

(٣ **محمدُ بنُ الحسينِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو يعلَى الجَعْفَرِيُّ** ٣) فقيهُ الشيعَةِ فى زمانِه .

محمدُ بنُ وِشاحِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عليٍّ مولى أبى تمَّامٍ ، محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسنِ الزَّيْنَبِيِّ (٤) ؛ سمِع الحديثَ ، وكان أدِيبًا شاعرًا ، وكتَب لنقيبِ النُّقباءِ

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢) المنتظم ١٦/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١١٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٩٩.

(٣ - ٣) فى النسخ : « محمد بن الحسن بن حمزة أبو على الجعفرى » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٣٧، والكامل ١٠/ ٦٨.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٦، ودمية القصر ١/ ٣٧٧، والمنتظم ١٦/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٦١- ٤٧٠هـ) ص ١٣٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٩.

الكاملِ ، وكان يُنسَبُ إلى الاعْتِزالِ والرَّفْضِ ، ومن شعرِه قولُه[1] :

حمَلْتُ العصَا لا الضَّعْفُ أوْجَب حمْلَها ... علَيَّ ولا أنِّى تَحَنَّيْتُ مِنْ كِبَرْ
ولكنَّنِى ألْزَمْتُ نفْسِى بحَمْلِها ... لأُعْلِمَها أنَّ المُقيمَ على سفَرْ

الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِىُّ[2] ، الحافظُ صاحبُ التصانيفِ ؛ منها « التَّمهِيدُ » ، و « الاستِذْكارُ » ، و « الاسْتِيعابُ » ، وغيرُها .

ابنُ زَيْدُونَ الشاعرُ ، أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ غالبِ بنِ زيْدُونَ ، أبو الوليدِ ، الشاعرُ الماهرُ الأنْدَلُسِىُّ القُرْطُبِىُّ[3] ، اتَّصَلَ بالأميرِ المُعْتَضدِ[4] عبَّادٍ صاحبِ إشْبِيلِيَّةَ ، فحَظِىَ عندَه وصارَ عندَه مُشاوَرًا فى منزلةِ الوزيرِ ، ووزَر له ولدُه[5] أبو بكرِ بنُ أبى الوليدِ ، وهو صاحبُ القصيدةِ الفِراقِيَّةِ المشهورةِ التى يقولُ فيها[6] :

بِنْتُمْ وبِنَّا فَما ابْتَلَّتْ جَوانِحُنا ... شوْقًا إليكم ولا جَفَّتْ مآقِينا
نكادُ حينَ تُناجِيكُمْ ضمائرُنا ... يَقضِى علينا الأَسَى لولا تأسِّينا
حالَتْ لبُعْدِكُمُ[7] أيامُنا فغدَتْ ... سُودًا وكانتْ بكُم بِيضًا ليَالِينا

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٣٦.
(٢) جذوة المقتبس ص ٢٦٧، وترتيب المدارك ٤/ ٨٠٨، ووفيات الأعيان ٧/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ١٣٦.
(٣) جذوة المقتبس ص ١٣٠، خريدة القصر (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٢/ ٤٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١١٣.
(٤) فى النسخ : « المعتمد بن » . والمثبت من وفيات الأعيان ١/ ١٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ١١٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٥٦ ترجمة المعتضد عباد، و١٩/ ٥٨ ترجمة المعتمد بن عباد .
(٥) فى ب ، خ ، م : « ولولده » . وأبو بكر وزر أيضا للمعتمد بن عباد . انظر وفيات الأعيان ١/ ١٤١.
(٦) شعر ابن زيدون ص ٩، ١٠.
(٧) فى مصدر التخريج : « لفقدكم » .

(١ بالأمسِ كنَّا ولا١) يُخْشَى تفرُّقُنا واليومَ نحنُ ولا يُرْجَى تَلاقِينا

وهى قصيدةٌ طويلةٌ ، وفيها صَنْعةٌ قويةٌ مُهَيِّجةٌ على البكاءِ لكلِّ مَن قرَأها أو سمِعها ؛ لأنَّه [٩/١٩١و] ما مِن أحَدٍ مِن أبناءِ الدنيا إلا وقد فقَد خِلًّا أو حبيبًا أو قريبًا أو نسِيبًا ، ومِن شعرِه[٢] :

بينى وبينَكَ ما لو شئتَ لم يَضِعِ سرٌّ إذا ذاعَتِ الأسرارُ لم يَذِعِ
يا بائعًا حظَّه منِّى ولو بُذِلَتْ لِىَ الحياةُ بحظِّى منه لم أَبِعِ
يكْفِيكَ أنَّكَ إن حمَّلْتَ قلْبىَ ما لا تسْتَطِيعُ قلوبُ الناسِ يسْتَطِعِ
تِهْ أحْتَمِلْ واسْتَطِلْ أصبرْ وعِزَّ أهُنْ وَوَلِّ أُقْبِلْ وقُلْ أسْمَعْ ومُرْ أُطِعِ

تُوفِّى فى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، واستمرَّ ولدُه أبو بكرٍ وزيرًا للمعتمدِ بنِ عبّادٍ ، حتى أخَذ ابنُ تاشفينَ قُرْطُبَةَ مِن يَدِه فى سنةِ أربعٍ وثمانينَ ، فقُتِلَ يَوْمَئذٍ . قالَه ابنُ خَلِّكانَ فى الوفَياتِ »[٣] .

كَرِيمَةُ بنتُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أبى حاتمٍ المَرْوَزِيَّةُ[٤] ، كانت عالمةً صالحةً ، سمِعَتْ « صحيحَ البخارىِّ » على الكُشْمِيهَنىِّ ، وقرَأ عليها الأئمةُ ، كالخطيبِ وأبى المُظَفَّرِ السَّمعانىِّ وغيرِهما .

(١ - ١) فى مصدر التخريج : « وقد نكون وما » .

(٢) شعر ابن زيدون ص ٦٨.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٣٩.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٣٥، والكامل ١٠/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٢٥، والمعين فى طبقات المحدثين ص ١٩٦.

ثم دخَلَتْ سنَةُ أربعٍ وستّين وأربعِمائةٍ

فيها[1] قام الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازِيُّ مع الحنابلةِ فى الإنْكارِ على المُفْسِدينَ، والذينَ يبيعونَ الخمورَ، وفى إبطالِ المؤَاجِراتِ؛ وهُنَّ البَغايا، وكُوتِب السلطانُ فى ذلك، فجاءَتْ كتُبُه بالإنكارِ. وفيها كانت زلزلَةٌ عظيمةٌ ببغدادَ ارْتَجَّتْ لها الأرضُ سِتَّ مراتٍ.

وفيها كان غلاءٌ شديدٌ ومَوَتانٌ ذريعٌ فى الحيواناتِ؛ بحيثُ إنَّ بعضَ الرُّعاةِ بخُراسانَ قامَ وقتَ الصباحِ ليَسْرَحَ بغنَمِه فإذا هُنَّ قد مِتْنَ كلُّهُنَّ. وجاء سيلٌ عظيمٌ وبَرَدٌ كِبارٌ أتلَفَ شيئًا كثيرًا مِن الزُّروعِ والثِّمارِ بخُراسانَ.

وفيها تزوَّجَ الأميرُ عُدَّةُ الدينِ ولَدُ الخليفةِ بابنةِ السلطانِ ألبِ أرْسَلانَ مِنْ[2] سفرى خاتُونَ، وذلك بنَيْسابُورَ، وكان وكيلُ السلطانِ نظامَ المُلكِ، ووكيلُ الزوجِ عميدَ الدولةِ ابنَ جَهيرٍ، وحِينَ عُقِد العقدُ نُثِر على الناسِ جَواهِرُ نفيسةٌ، وكان يومًا مشهودًا؛ زُيِّنَتْ الأفيلةُ والخيولُ، وضُرِبَتْ الدَّبادبُ والبوقاتُ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

بكرُ[3] بنُ محمدِ بنِ حِيدٍ، أبو منصورٍ النَّيْسابُورِيُّ، كان يزعُمُ أنَّه مِن

---

(١) الكامل ١٠/ ٧٠، والمنتظم ١٦/ ١٣٩.

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من المنتظم ١٦/ ٤٦٤، والكامل ١٠/ ٧١.

(٣) فى ب، خ، م: «زكريا». وانظر ترجمته فى: تاريخ بغداد ٧/ ٩٨، والأنساب ٢/ ٢٩٧، والمنتظم ١٦/١٤١، وفيه: بكر بن محمد بن حيدر أبو منصور النيسابورى، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٤٥.

سُلالَةِ عثمانَ بنِ عفانَ ، وروَى الحديثَ عن أبى بكرِ بنِ المُذْهِبِ ، وكان ثقةً . تُوفِّى فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ وقد قاربَ الثمانينَ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ المُهْتَدِى باللَّهِ ، أبو الحسنِ الهاشمىُّ[1] ، خطيبُ جامعِ المنصورِ ، كان مِمَّن يلبَسُ القَلانِسَ الطِّوالَ ، حدَّث عن ابنِ رَزْقَوَيْهِ[2] [٩/١٩١ظ] وغيرِه ، وروَى عنه الخطيبُ ، وكان ثقةً عدْلًا ، شَهِد عندَ ابنِ ماكولا وابنِ الدامَغانىِّ فقَبِلاه ، تُوفِّى فى هذه السنةِ عن ثمانينَ سنَةً ودُفِن بقربِ قبرِ بِشْرٍ الحافِى ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ شاده[3] **بنِ جعفرٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْفَهانىُّ** ، وَلِىَ القضاءَ بدُجيلٍ ، كان شافعيًّا ، وروَى الحديثَ عن أبى عمرَ بنِ مَهْدِىٍّ ، وكانت وفاتُه ببغدادَ ، ونُقِل إلى دُجيلٍ .

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٦، والمنتظم ١٦/ ١٤١، والكامل ١٠/ ٧٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٠، وفى الكامل والنجوم الزاهرة : كنيته أبو الحسين .

(٢) فى ب ، خ ، م : « زرقويه » .

(٣) فى الأصل ، ص : « ساده » ، وفى م : « شاره » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٥٦: « شاذة » . والمثبت موافق لما فى المنتظم ١٦/ ١٤٢.

ثم دخَلَتْ سنَةُ خمسٍ وسِتّين وأربعِمِائَةٍ

فى[1] يومِ الخميسِ حادِى عشَرَ المحرَّمِ حضَر إلى الديوانِ أبو الوفا علىُّ بنُ محمدِ بنِ عَقِيلٍ العَقِيلىُّ الحنبَلىُّ ، وقد كتَب على نفسِه كتابًا يتضَمَّنُ توْبتَه مِن الاعتزالِ ومخالطةِ أهلِه ، وأنَّه رجَع عنِ اعْتِقادِ كونِ الحلَّاجِ مِن أهلِ الخيرِ ؛ وقد رجَع عنِ الجزءِ الذى عمِله فى ذلك ، وأنَّه قد قُتِل بإجماعِ علماءِ عصرِه ، وقد كانوا مُصِيبِين وهو مُخْطِئٌ ، وشَهِد عليه جماعةٌ فى الكتابِ ، ورجَع مِنَ الديوانِ إلى دارِ الشريفِ أبى جعفرٍ ، فسَلَّم عليه واعتذَر إليه ، وعَظَّمه . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفاةُ السلطانِ ألبِ أَرسَلانَ ، ومُلكُ ولدِه مَلِكْشاه : كان السلطانُ قد سارَ فى أوَّلِ هذه السنَةِ فى مائتى ألفِ مقاتلٍ يريدُ غَزاةَ ما وراءَ النهرِ ، فاتَّفَقَ فى بعضِ المنازلِ أنَّه غضِب على رجلٍ يُقالُ له : يوسُفُ الخُوَارِزْمِىُّ ، فأُوقِفَ بينَ يدَيْه ، فشَرَع يعاتِبُه فى أشياءَ صدَرتْ منه ، ثم أمَر أن يُضرَبَ له أربعةُ أوْتادٍ ويُصْلَبَ بينَها ، فقال للسلطانِ : يا مُخَنَّثُ ، أمِثلى يُقتَلُ هكذا ؟! فاحْتَدَّ السلطانُ وأمَر بإرْسالِه ، وأخَذ القوسَ فرَماه بسَهْمٍ فأخْطَأه ، وأقبَلَ يوسُفُ نحوَ السلطانِ فنَهَض السلطانُ عنِ السَّريرِ ، فنزَل فعثَر ، فوقَع فأدرَكَه يوسُفُ ، فضرَبه بخَنْجَرٍ كان فى يدِه فى خاصِرته ، وأدرَكه الجيشُ فقتَلوه ، وقد جُرِح السلطانُ جُرْحًا مُنْكَرًا ، فتُوفِّى فى يومِ السبتِ عاشرِ ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ويقالُ[2] : إن أهلَ بُخارَا

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٤٣.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٤٥، والكامل ١٠/ ٧٣.

لمَّا اجْتازَ بهم ، ونهَبَ عسْكرُه أشياءَ كثيرةً لهم ، دَعَوا عليه فهلَك .

ولمَّا تُوفِّى جلَس ولَدُه مَلِكْشاه على سريرِ المُلْكِ وقامَ الأمراءُ بينَ يدَيْه ، فقالَ له الوزيرُ نظامُ المُلْكِ : تكلَّم أيُّها السلطانُ . فقال : الأكبرُ منكم أبى ، والأوْسَطُ أخى ، والأصغرُ ابْنى ، وسأفعَلُ معكم مالم أُسْبَقْ إليه . فأمْسَكُوا فأعادَ القولَ ، فأجابُوه بالسمعِ والطاعَةِ . [١٩٢/٩و] وقام بأعباءِ أمرِه الوزيرُ لأبيه نظامُ المُلْكِ ، فزادَ فى أرْزاقِ الجندِ سبعَمِائَةِ ألفِ دينارٍ ، وساروا إلى مَرْوَ فدفَنُوا بها السلطانَ ، وسيأتى ذِكرُ شىءٍ مِن ترجمتِه فى الوفياتِ . ولما بلَغ موتُه أهلَ بغدادَ أقامَ الناسُ له العزاءَ ، وغُلِّقَتِ الأسواقُ وأظهَرَ الخليفةُ الجزَعَ عليه ، وتَسَلَّبَتِ[1] ابنتُه الخاتونُ زوجةُ الخليفةِ ، وجلَسَت على الترابِ . وجاءَتِ الكتبُ مِنَ السلطانِ فى رجبٍ إلى الخليفةِ يتأسَّفُ فيها على والدِه ، ويسألُ أن تُقامَ له الخُطبةُ ، ففعَل ذلك . وخلَع مَلِكْشَاه على الوزيرِ نظامِ المُلْكِ خِلَعًا سَنِيَّةً ، وأعْطاه تُحَفًا كثيرةً ؛ مِن جُمْلةِ ذلك عشرونَ ألفَ دينارٍ ، ولقَّبه أتابِكَ ، ومَعْناه الأميرُ الكبيرُ الوالدُ ، فسارَ سِيرةً حسنةً . ولمَّا بلَغ قاورتَ بَك موتُ أخيه ألبِ أَرْسَلانَ ركِب فى جيوشٍ كثيرةٍ قاصدًا قتالَ ابنِ أخيه مَلِكْشاه ، فالْتقَيا فاقْتَتلَا ، فانْهزَمَ أصحابُ قاورتَ وأُسِرَ هُو ، فأنَّبَه ابنُ أخيه ثم اعْتقَلَه ، ثم أرسَلَ إليه مَن قتَله .

وفيها جرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ أهلِ الكَرْخِ وبابِ البصرةِ والقَلَّائينَ ، فاقْتتَلُوا فقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ ، واحْترَقَ جانبٌ كبيرٌ مِن الكَرْخِ ، فانْتقَمَ المُتَولِّى لأهلِ الكَرْخِ مِن أهلِ بابِ البصــرةِ ، فأخَذَ من أموالِهم شيئًا كثيرًا ؛ جنايةً لهم على ما

---

(١) تسلبت المرأة : أحدَّت ولبست السِّلاب ، وهو ثوب أسود تغطى به المحدُّ رأسها . انظر تاج العروس (س ل ب) .

صنَعُوا. وفيها أُقيمَتِ الدعوةُ العباسِيَّةُ ببيتِ المَقْدِسِ. وفيها ملَك صاحِبُ سَمَرْقَنْدَ، وهو أَلْتِكِينُ مدينةَ تِرْمِذَ. وفيها حَجَّ بالناسِ أبو الغنائمِ العَلَوِىُّ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

السلطانُ ألبُ أرْسَلانَ الملقَّبُ بسلطانِ العالَمِ، ابنُ جَغْرى بَك داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ بنِ تُقاقَ التركىُّ[1]، صاحبُ المَمالكِ المُتَّسِعَةِ، وقد ملَك بعدَ عمِّه طُغْرُلْبَك سبعَ سنِينَ وستةَ أشهرٍ وأيامًا، وكان عادلًا يسيرُ فى الناسِ سيرةً حسنةً؛ كريمًا رحيمًا، شَفُوقًا على الرعِيَّةِ، رفِيقًا على الفقراءِ، بارًّا بأهلِه وأصحابِه ومماليكِه، كثيرَ الدُّعاءِ بدوامِ ما أُنعِم به عليه، كثيرَ الصدقاتِ، يتصَدَّقُ فى كلِّ رمضانَ بخمسةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ، ولا يُعْرَفُ فى زمانِه جِنايةٌ ولا مُصادَرَةٌ، بل يَقْنَعُ مِنَ الرَّعايا بالخَراجِ فى قِسْطَيْن؛ رِفْقًا بهم.

كتَب إليه[2] بعضُ السُّعاةِ فى نظامِ المُلكِ، فاسْتَدْعاه وقال له: إن كان هذا صحيحًا فهذِّبْ أخلاقَك وأصْلِحْ أحْوالَكَ، وإن لم يكنْ صحيحًا فاغْفِرْ لهم زلَّتَهم بمُهِمٍّ يشغَلُهم [٩/١٩٢ظ] عن السِّعايةِ بالناسِ. وكان شديدَ الحرصِ على حِفْظِ مالِ الرَّعايَا؛ بلَغه[3] أنَّ غُلامًا مِن غِلْمانِه أخَذ إزارًا لبعضِ التجارِ، فصلَبَه فارْتدَعَ سائرُ المَماليكِ به؛ خوفًا مِن سطْوَتِه.

وترَك مِنَ الأوْلادِ مَلِكْشاه الذى قام بالأمرِ مِن بعدِه وإيازَ وتكِشَ وبورى برسَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٤٧، والكامل ١٠/ ٧٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٦١.

(٢) الكامل ١٠/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٦٢.

(٣) الكامل ١٠/ ٧٥.

و[1]أَرْسَلانَ أرغونَ[1] وسارَّةَ وعائشةَ وبنتًا أخرى . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن إحدى وأربعين سنةً ، ودُفِن عندَ والدِه بالرَّىِّ رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو القاسمِ القُشيرِىُّ ، عبدُ الكريمِ بنُ هَوازِنَ بنِ [2]عبدِ الملكِ[2] بنِ طَلْحَةَ ، وأمُّه مِن بنى سُلَيمٍ ، تُوفِّى أبوه وهو طفلٌ فقرَأ الأدبَ والعربيةَ ، وصحِب الشيخَ أبا علىٍّ الدَّقَّاقَ ، وأخَذ الفِقْهَ عن أبى بكرِ بنِ محمدٍ الطُّوسِىِّ ، والكلامَ عن أبى بكرِ ابنِ فُورَكَ ، وصنَّفَ الكثيرَ ، فله « التفْسيرُ الكبيرُ » ، و « الرسالةُ » التى ترجَمَ فيها جماعةً مِنَ المشايخِ والصالحين ، وحَجَّ صُحْبَةَ إمامِ الحرمَيْنِ وأبى بكرٍ البَيْهَقىِّ ، وكان يَعِظُ الناسَ .

تُوفِّى بنَيْسابُورَ فى هذه السنةِ عن سبعين سنةً ، ودُفِن إلى جانبِ شيخِه أبى علىٍّ الدَّقّاقِ ، ولم يدخُلْ أحدٌ مِن أهلِ بيتِه بيتَ كتُبِه إلا بعدَ سنِينَ ؛ احْترامًا له ، وكان له فَرَسٌ يركَبُها قد أُهْدِيَتْ إليه ، فلمَّا تُوفِّى لم تأكُلْ عَلَفًا حتى نفَقَتْ بعدَه بيَسِيرٍ ، ذكَرَه ابنُ الجَوْزِىِّ[3] .

وقد أثْنَى عليه القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ »[4] ثَناءً كثيرًا ، وذكَر شيئًا مِن شعرِه الرائقِ ، فمِن ذلك قولُه :

(١ - ١) فى النسخ : « أرسلان وأرغو » ، وفى الكامل ١٠/ ٧٣: « أرسلان أرغو » ، والمثبت من مختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٤٥. هذا وفى الكامل والمختصر ولد آخر وهو تتش ، وسيأتى ذكر تتش هذا قريبا .
(٢ - ٢) فى النسخ : « عبد المطلب » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، ودمية القصر ٢/ ٢٤٦، والمنتظم ١٦/ ١٤٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٧٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٥٣، وطبقات الأولياء ص ٢٥٧، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٧٣.
(٣) المنتظم ١٦/ ١٤٩.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٧.

سَقَى اللَّهُ وقْتًا كنتُ أحْلُو بوَجْهِكُم وثَغْرُ الهوَى فى روْضَةِ الأُنْسِ ضاحِكُ
أقَمْنا زمانًا والعُيونُ قرِيرَةٌ وأصبَحْتُ يومًا والجفُونُ سَوافِكُ

وقولُه[1] أيضًا رحِمه اللَّهُ تعالى :

لو كُنْتَ ساعَةَ بيْنِنا ما بينَنا وشهِدْتَ حينَ[2] نُكَرِّر التَّوديعَا
أيْقَنْتَ أنَّ مِنَ الدُّموعِ مُحَدِّثًا وعَلِمْتَ أنَّ مِنَ الحديثِ دُموعَا

وقولُه أيضًا[3] :

ومَن كان فى طُولِ الهوَى ذاقَ سَلْوَةً فإنِّىَ مِن ليْلَى لها غيرُ ذائقِ
وأكثرُ شىءٍ نِلْتُهُ مِن وِصالِها أمانىُّ لم تَصدُقْ كخَطْفَةِ بارِقِ

ابنُ صُرَّبَعْرَ الشاعرُ ، اسمُه علىُّ بنُ الحسنِ[4] بنِ علىِّ بنِ الفَضْلِ ، أبو منصورٍ الكاتبُ المعروفُ بابنِ صُرَّبَعْرَ ، وكان نظامُ الملكِ يقولُ له : أنتَ صُرَّدُرٌّ لا صُرَّبَعْرٌ[5] . وقد هَجاه بعضُهم فقال[6] :

لئنْ نبَزَ الناسُ قِدمًا أباكَ وسَمَّوه مِن شُحِّهِ صُرَّبَعْرا
فإنَّك [7]تنْثُرُ ما صَرَّه[7] عقُوقًا لهُ وتُسَمِّيه شِعْرا

---

(١) البيتان فى طبقات الشافعية للسبكى ٥/١٦١ ، وهما أيضا فى وفيات الأعيان ٣/٢٠٧ ولكنهما منسوبان لذى القرنين ابن حمدان .

(٢) فى الوفيات : « كيف » .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٧.

(٤) فى ص ، ب ، خ ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : دمية القصر ١/ ٣٣١، والمنتظم ١٦/ ١٤٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٧٦.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٤٩، والكامل ١٠/ ٨٨.

(٦) المنتظم ١٦/ ١٤٩، ١٥٠، والكامل ١٠/ ٨٨، ٨٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٦.

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص ، ب ، خ : « تنيز بالصردر » ، وفى المنتظم : « تنبز بالصربعرا » ، وفى =

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وهذا ظلمٌ فاحِشٌ ؛ فإنَّ شِعرَه فى غايةِ الحُسْنِ ، ثم أوْرَدَ له قِطَعًا حِسانًا مِن شِعرِه ، فمِن ذلك قولُه :

إيهِ أحاديثَ نَعمانٍ وساكِنِه ... إنَّ الحديثَ عن الأحْبابِ أسْمارُ
أُفَتِّشُ الريحَ عنكم كلَّما نفَحتْ ... مِن نحوِ أرْضِكُمُ نَكْباءُ[2] مِعطارُ

قال : وقد حفِظ القرآنَ وسمِع الحديثَ مِنَ ابنِ بِشرانَ وغيرِه ، وحدَّث كثيرًا ، ورَكِب يومًا دابَّةً [3]فتردَّى هو والدابَّةُ فى بئرٍ ، فماتا ودُفِن ببابِ أبْرَزَ[3] ، وذلك فى صفرٍ مِن هذه السنةِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : قرأتُ بخطِّ ابنِ عقيلٍ : كان صُرَّبَعْرُ خازِنًا[5] بالرُّصَافَةِ ، وكان يُنبَزُ بالإلْحادِ . وقد أوْرَدَ له ابنُ خَلِّكانَ[6] شيئًا مِن أشعارِه ، وأثْنَى عليه فى فنِّه . واللَّهُ أعلمُ بحالِه .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ [7]عُبيدِ اللَّهِ[7] بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ المُهْتَدِى

= الكامل : « تنظم ماصره » .

(١) المنتظم ١٦/ ١٥٠، ١٥١.

(٢) فى ب ، خ ، م : « مسكاو » . والنكباء : الريح . تاج العروس (ن ك ب) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عنها هو ووالدته فى بئر فماتا فدفنا بباب تبرير » ، وفى ب : « هو ووالدته بالشونيزية فسقطا عنها فى بئر فماتا ودفنا ببرر » ، وفى خ : « هو ووالدته فسقطا عنها فى بئر فماتا ودفنا بالشونيزية » ، وفى م : « هو ووالدته فسقطا بالشونيزية عنها فى بئر فماتا فدفنا ببرر » ، وفى ص : « فتردى عنها هو ووالدته فى بئر فماتا ودُفِنا بباب تبرز » . والمثبت من المنتظم . وانظر الخبر فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٧٧، ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٤.

وباب أبرز : محلة ببغداد . لب اللباب ١/ ٩٢.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٥١.

(٥) فى ب ، خ ، م : « جارنا » .

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٥، ٣٨٦.

(٧ - ٧) فى النسخ ، والكامل ١٠/ ٨٨: « عبد اللَّه » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٣/ ١٠٨، والمنتظم ١٦/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٨٦.

باللَّهِ ، أبو الحسينِ ، ويُعرَفُ بابنِ الغَريقِ ، وُلِد سنةَ سبعين وثلاثِمائَةٍ وسمِع الدَّارَقُطْنِيَّ ، وهو آخرُ مَن حَدَّث عنه فى الدنيا ، وابنَ شاهينَ وتفرَّدَ عنه ، وسمِع خلْقًا آخرين ، وكان ثِقةً دَيِّنًا ، كثيرَ الصلاةِ والصيامِ ، فكان يُقالُ له : راهِبُ بنى هاشمٍ . وكان غزيرَ العلمِ والعقلِ ، كثيرَ التِّلاوَةِ ، رقيقَ القلبِ غزيرَ الدَّمْعَةِ ، رحَل إليه الطلبَةُ مِنَ الآفاقِ ، ثم ثَقُل سمعُه ، فكان يقرَأُ على الناسِ ، وذهَبَتْ إحدى عيْنَيْه ، وخطَب وله سِتَّ عشْرَةَ سنةً ، وشَهِد عندَ الحُكامِ سنةَ سِتٍّ وأربعِمائَةٍ ، ووَلِىَ الحُكمَ سنةَ تِسْعٍ وأربعِمائةٍ ، وأقامَ خطيبًا بجامعِ المنصورِ وجامعِ الرُّصَافَةِ سِتًّا وسبعين سنةً ، وحكَم ستًّا وخمسين سنةً ، وتُوفِّى فى سَلْخِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ وقد جاوَزَ تسعين سنةً ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشْهُودًا ، ورُئِيَتْ له مَناماتٌ صالحةٌ[1] .

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الثانى من نسخة مكتبة برنستون والمشار إليها بالرمز (ب) .

ثم دخَلَتْ سنةُ ستٍّ وستّين وأربعِمائةٍ

فى صفرٍ[1] جلَس الخليفةُ جلُوسًا عامًّا وعلى رأسِه حفيدُه الأميرُ عُدَّةُ الدينِ، أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ، وعمرُه يومَئذٍ ثمانى عشْرَةَ سنةً، وهو فى غايةِ الحسنِ، وحضَر الأمراءُ والكبراءُ، فعقَد الخليفةُ بيَدِه لواءَ السلطانِ مَلِكْشَاه، وكان يومًا مشهودًا، وكَثُر الزِّحامُ يومَئذٍ حتى هنَّأَ الناسُ بعضُهم بعضًا بالسلامةِ.

غَرَقُ بَغْدادَ

فى جُمادَى الآخرةِ جاء مطرٌ عظيمٌ وسَيلٌ قوِىٌّ كثيرٌ، وزادَتْ دِجْلَةُ حتى غرَّقتْ جانبًا كبيرًا مِن بَغْدادَ، وحتى خلَص ذلك إلى دارِ الخلافةِ، فخرَج الجوارِى حاسِراتٍ، حتى صِرْنَ إلى الجانبِ الغربىِّ، وهرَب الخليفةُ مِن مَجْلِسِه فلم يجِدْ طريقًا يَسلُكُه، فحمَله بعضُ الخَدَمِ إلى التَّاجِ[2]، وكان ذلك يومًا عظيمًا، وأمرًا هائلًا، وهلَك للناسِ أموالٌ عظيمةٌ جدًّا، وماتَ خَلْقٌ كثيرٌ تحتَ الرَّدْمِ مِن أهلِ بَغْدادَ والقَرايا[3]، وجاءَ على وَجْهِ السَّيْلِ مِنَ الأخْشابِ والوحوشِ والحيَّاتِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا، وسقَطَتْ دورٌ كثيرةٌ فى الجانِبَيْن، وغرِقَتْ قُبورٌ كثيرةٌ؛ مِن ذلكَ مَقْبَرةُ الخَيْزُرانِ، ومَقْبَرةُ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ، ودخَل الماءُ مِن

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٥٤، والكامل ١٠/ ٩٠.

(٢) التاج: اسم لدار مشهورة، جليلة المقدار، واسعة الأقطار ببغداد، من دور الخلافة المعظمة. معجم البلدان ١/ ٨٠٧.

(٣) فى م: «الغرباء»، والقرايا؛ يدل سياقها فى الكتب على أنها جمع قرية وهو جمع لم تذكره معاجم اللغة، وقد استخدمه أبو شامة فى كتابه الروضتين ١/ ٤٨، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث =

شَبابيكِ المارَسْتانِ[1] العَضُدِيِّ ، وأَتلَف السَّيْلُ فى المَوْصِلِ شيئًا كثيرًا ، وصدَم سورَ سِنْجارَ فهدَمه ، وأخَذَ بابَه مِن مَوْضِعِه إلى مسيرةِ أرْبَعَةِ فَراسِخَ .

وفى ذى الحِجَّةِ منها جاءتْ ريحٌ شديدةٌ بأَرْضِ البَصْرَةِ ، فانْجعَف[2] منها نحوٌ مِن خمسةِ[3] آلافِ نَخْلَةٍ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو الحُسَينِ السِّمْنانىُّ ، الحنفىُّ الأَشْعَرىُّ[4] . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[5] : وهذا مِنَ الغريبِ . تزوَّج قاضى القُضاةِ [6]أبو عبدِ اللَّهِ[6] الدامَغانىُّ ابْنتَه ، ووَلَّاه نِيابةَ القَضاءِ ، وكان ثقةً نَبِيلًا مِن ذَوِى الهيئاتِ ، جاوَزَ الثمانين .

عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ [٩/١٩٣ظ] **بنِ سُلَيْمانَ ، أبو محمدٍ الكَتَّانىُّ**[7] الحافظُ الدِّمَشْقىُّ ، سمِع الكثيرَ ، [8]وكتَب كثيرًا ، وصنَّف فأجاد وأفاد ، وله فى الفضائلِ أشياءُ كثيرةٌ غريبةٌ ، وبعضُ ما يروِيه موضوعٌ ، ولا يُنَبِّهُ عليه ، مع أنه كان ثقةً ، ضابطًا ، حافظًا ، صدوقًا ، مستقيمَ الطريقةِ والاعتقادِ[8] ،

= ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠) ص ٢٤ . وانظر ما تقدم فى كتابنا ١٤/٨١٥ .

(١) فى الأصل ، ص : « بيمارستان » . والمارَستان : دار المرضى ، وهو معرب ، وأصله بيمارِستان . المعرب للجواليقى ص ٣٦٠، وتاج العروس (م ر س) .

(٢) فى الأصل : « فاجتثت » . وانجعف : انقلع . تاج العروس (ج ع ف) .

(٣) فى خ ، م : « عشرة » .

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٣٨٢، والمنتظم ١٦/ ١٥٧، والكامل ١٠/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ١٩٢، والجواهر المضية ١/ ٢٥٤.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٥٨. والذى استغربه ابن الجوزى أن يكون الحنفىُّ أَشْعَرِيًّا .

(٦ - ٦) فى خ ، م : « ابن » . وانظر الأنساب ٢/ ٤٤٦.

(٧) فى الأصل : « الكيلانى » ، وفى خ ، م : « الكنانى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٢/ ٢٩٤، والمنتظم ١٦/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٠٢.

(٨ - ٨) سقط من : خ ، م .

[1]سَلَفِىَّ المَذهَبِ ، وقد كتَب عنه الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ جعفرٍ ، أبو بكرٍ العطَّارُ الأَصْبَهانىُّ[2] الحافظُ ، مُستَملِى أبى نُعيمٍ ، سمِع الكثيرَ[1] ، وكانَ يُملِى مِن حِفْظِه ، وكتَب عنه الخطيبُ حديثًا واحدًا ، وكان عظيمًا فى بلدِه ، ثِقةً نَبيلًا جليلًا . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الماوَرْدِيَّةُ[3] ، ذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ أنَّها كانتْ عَجوزًا صالحةً مِن أهلِ البَصْرَةِ تَعِظُ النِّساءَ بها ، وكانت تكتبُ وتقرأُ ، ومكَثتْ خمسينَ سنةً مِن عُمرِها لا تُفطِرُ نهارًا ولا تنامُ ليلًا ، وتَقْتاتُ بخبزِ البَاقِلَّاءِ ، وتأكُلُ مِنَ التِّينِ اليابسِ لا الرَّطْبِ ، وشيئًا يَسِيرًا مِن العِنَبِ والزَّبيبِ[4] ، ورُبَّما أكَلتْ مِن اللَّحْمِ اليَسِيرَ ، وحينَ تُوفِّيَتْ تَبِع أكثرُ أَهْلِ البلدِ جِنازتَها ، ودُفِنتْ فى مقابرِ الصالحين .

(١ - ١) سقط من : خ ، م .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤١٧، والمنتظم ١٦/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١- ٤٧٠هـ) ص ٢١٤، والوافى بالوفيات ١/ ٣٥٥.

(٣) المنتظم ١٦/ ١٥٩، وصفة الصفوة ٤/ ٤٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٧، وأعلام النساء ٥/ ١٣.

(٤) فى خ ، م ، وصفة الصفوة : « الزيت » .

ثم دخلتْ سنةُ سَبْعٍ وستّين وأَرْبَعِمائةٍ

فى صَفَرٍ منها[1] مرِض الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ مرَضًا شديدًا ؛ انْتَفَخ مِنه حلْقُه ، وامتَنَع مِنَ الفَصْدِ ، فلم يزَلِ الوزيرُ فخرُ الدَّوْلةِ عليه حتى افْتَصَد ، فصلَح الحالُ ، وكان الناسُ قدِ انْزَعَجُوا ففرِحُوا بعافِيَتِه .

وجاءَ فى هذا الشهرِ سَيْلٌ عظيمٌ ، قاسَى الناسُ منه شدَّةً عظيمةً ، ولم تكُنْ أكثرُ أَبْنِيَةِ بَغْدادَ تكامَلَتْ مِنَ الغَرَقِ الأَوَّلِ ، فخرَج الناسُ إلى الصَّحْراءِ فجلَسوا على رءوسِ التُّلُولِ تحتَ المطرِ .

ووقَع وباءٌ عظيمٌ بالرَّحْبَةِ ، فماتَ مِن أهلِها قريبٌ مِن عشَرَةِ آلافٍ ، وكذلك وقَع بوَاسِطٍ والبَصْرَةِ وخُوزِسْتَانَ وأرضِ خُراسَانَ وغيرِها . واللَّهُ أعلمُ .

صفةُ موتِ الخليفةِ القائمِ بأمْرِ اللَّهِ :

افْتَصَد فى يومِ الخميسِ الثامنِ والعِشْرِينَ مِن رَجَبٍ مِن ماشَرَا[2] كانتْ تَعْتادُه مِن عامِ الغرَقِ ، ثم نامَ بعدَ ذلك فانْفجَر فِصَادُه ، فاسْتَيقَظ وقد سقَطَتْ قوَّتُه ، وحصَل الإياسُ منه ، فاسْتَدْعَى بحفيدِه ووليِّ عهدِه مِن بعدِه عُدَّةِ الدينِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ القائمِ ، وأَحْضَرَ إليه القاضىَ والنُّقَباءَ ، وأَشْهَدَهم عليه ثانيًا بولايةِ العَهْدِ له مِن بعدِه ، فشَهِدوا ، ثم كانتْ وفاتُه ليْلةَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٦١، والكامل ١٠/ ٩٤.

(٢) فى خ ، م : « بواسير » ، وفى الكامل ١٠/ ٩٤: « شرى » . والماشرا : ورم حار ينتج عن دم صفراوىٍّ يعمُّ الوجه ، وربما غطّى العين . الموجز فى الطب ص ١٧٤.

الخميسِ الثالِثَ عشَرَ مِن شعبانَ عن أَرْبَعٍ وسبعين سنةً ، وثمانيةِ أَشْهرٍ ، وثمانيَةِ أيامٍ ، وكانتْ مُدَّةُ خلافَتِه أَرْبعًا وأربعين سنةً وثمانِيَةَ أَشْهرٍ وخمسةً وعِشْرينَ يومًا ، فلم يَبْلُغْ أحدٌ مِنَ العباسِيِّين قَبْلَه هذه المدةَ ، وقد جاوزَتْ خلافةُ أبيه أربعين سنةً ، فكان مجموعُ أيَّامِهما خمسًا وثمانين سنةً وأشهرًا ، وذلك مُقارِبٌ لدوْلةِ بنى أُمَيَّةَ كُلِّها ، وقد كان القائمُ بأمْرِ اللَّهِ جميلًا مليحَ الوَجْهِ ، أبيضَ ، مُشْرَبًا حُمْرَةً ، فصيحًا ، وَرِعًا ، زاهدًا ، أدِيبًا ، كاتبًا ، بليغًا ، شاعرًا ، كما تقدَّم[1] ذِكرُ شيءٍ مِن شعرِه وهو بحديثَةِ عانةَ سنةَ خمسين ، وكان عادِلًا كثيرَ الإحْسانِ إلى الناسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وغسَّله الشَّرِيفُ أبو جعفرِ بنُ أبى مُوسَى الحَنْبلىُّ ؛ عن وصِيَّةِ الخليفةِ بذلك ، فعُرِض على الشَّريفِ أبى جعفرٍ ما هُنالك مِنَ الأثاثِ والأمْوالِ ، فلم يَقْبَلْ منه شيئًا ، وصُلِّى على الخليفةِ فى صَبِيحَةِ يومِ الخميسِ المذْكُورِ ، ودُفِن عندَ أجْدادِه ، ثم نُقِلَ إلى الرُّصافَةِ ، فقَبْرُه يُزارُ إلى الآنَ ، وغُلِّقَتِ الأسْواقُ لموتِه ، وغُلِّقَتِ المُسوحُ ، وناحَتْ عليه نساءُ الهاشِمِيِّين وغيرِهم ، وجلَس الوزيرُ ابنُ جَهِيرٍ وابنُه للعَزاءِ على الأرضِ ، وخرَق الناسُ ثِيابَهم ، وكان يومًا عَصِيبًا ، واستمرَّ الحالُ كذلك ثلاثةَ أيامٍ ، وقد كان [١٩٤/٩و] مِن خِيارِ بنى العباسِ دِينًا واعْتِقادًا ودَوْلةً ، وقدِ امْتُحِن مِن بينِهم بفتنةِ البَسَاسيرِىِّ التى اقْتَضَتْ إخْراجَه مِن دارِه ومفارقتَه أهلَه وأوْلادَه ووَطنَه ، فأقامَ بحديثَةِ عانةَ سنةً كاملةً ، ثم أعادَ اللَّهُ تعالى عليه نِعْمتَه وخِلافتَه ، كما قال الشاعرُ[2] :

---

(١) تقدم فى ٧٦٩/١٥ .

(٢) البيت للفرزدق ، انظر ديوانه ص ٢٢٣.

فأَصْبَحُوا قد أعادَ اللَّهُ نِعمتَهُمْ إذْ هُمْ قُرَيْشٌ وإذْ ما مثلُهُمْ بَشَرُ

وقد تقدَّم له فى ذلك سَلَفٌ صالحٌ كما قال تعالَى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] وقد ذكَرْنا مُلَخَّصَ ما ذكَرَه المُفسِّرُون فى سُورةِ « ص »[1] ، وبسَطْنا الكلامَ فى هذه القصةِ العباسِيَّةِ والفتنةِ البَسَاسِيرِيَّةِ فى سنَةِ خمسين ، وإحْدَى وخمسين وأَرْبَعِمائةٍ .

خِلافَةُ المُقْتَدِى بأمْرِ اللَّـهِ

وهو أبو القاسمِ عُدَّةُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الأميرِ ذَخِيرَةِ الدينِ محمدِ بنِ الخليفةِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ العباسِيُّ ، وأُمُّه أَرْمِنيَّةٌ تُسَمَّى أُرْجُوانَ ، وتُدْعَى قُرَّةَ العَيْنِ ، وأدرَكتْ خِلافتَه ، وخِلافةَ ولدَيْه ؛ المُسْتَظْهِرِ والمُسْتَرْشِدِ . وقد كان أبوه تُوفِّى وهو حَمْلٌ ، فحينَ وُلِدَ ذَكَرًا فرِح جَدُّه والمسلمون به فَرَحًا شديدًا ؛ إذْ حفِظ اللَّهُ على المسلمينَ بقاءَ الخلافَةِ فى البيتِ القادرِيِّ ؛ لأنَّ مَن عدَاهم يبتذِلون فى الأسواقِ مع العَوامِّ ، وكانتِ القلوبُ تَنفِرُ مِن تَوْلِيَةِ مثلِ أولئكَ الخلافةَ على الناسِ ، ونشَأَ هذا فى حِجْرِ جَدِّه القائمِ بأمرِ اللَّهِ يُرَبِّيه بما يَلِيقُ بأمْثالِه ، ويُدَرِّبُه على أحسنِ السَّجايا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وكان عُمرُ المُقْتَدِى حينَ وَلِىَ الخلافةَ عشرين سنةً ، وهو فى غايةِ الجمالِ خَلْقًا وخُلُقًا ، وكانتْ بَيْعَتُه يومَ الجُمُعةِ الثالِثَ عشَرَ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ ، وجلَس فى دارِ الشجرةِ ، بقَمِيصٍ أَبْيَضَ ، وعِمامةٍ بَيْضاءَ لطيفةٍ ، وطَرْحَةِ قصَبٍ دُرِّيَّةٍ ، وجاءَ الوزراءُ والأمراءُ والأشرافُ ووُجُوهُ الناسِ فبايَعُوه ، فكانَ أوَّلَ مَن بايعَه الشَّريفُ أبو جَعْفَرِ بنُ أبى مُوسى الحنْبَلِىُّ ،

---

(١) التفسير ٥٧/٧ - ٦١.

وأنشَده قولَ الشاعرِ[1] :

* إذا سيِّدٌ مِنَّا مضَى[2] قامَ سيِّدٌ *

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما بعدَه ، فقالَ الخليفةُ :

* قَئُولٌ لِمَا قال الكِرامُ فَعُولُ *

وبايَعه مِن شُيوخِ العِلْمِ الشيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرَازِىُّ ، والشيخُ أبو نَصْرِ بنُ الصَّبَّاغِ ، الشافِعِيَّانِ ، والشيخُ أبو محمدٍ التَّمِيمِىُّ الحنْبَلِىُّ ، وبرَز فصلَّى بالناسِ العَصْرَ ، ثم بعدَ ساعَةٍ أَخْرَجَ تابُوتَ جَدِّه بسكونٍ ووَقارٍ مِن غيرِ صُراخٍ ولا نَوْحٍ ، فصلَّى عليه ، وحُمِلَ إلى المَقْبَرةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد كان المُقْتَدِى باللَّهِ شَهْمًا شُجاعًا ، أيَّامُه كلُّها مُباركَةٌ ، والرزقُ دَارٌّ ، والخلافَةُ مُعَظَّمةٌ جدًّا ، وتصاغَرَتِ المُلوكُ له ، وتَضَاءَلوا بينَ يَدَيْه ، وخُطِبَ له بالحرَمَيْنِ وبيتِ المَقْدِسِ ، والشاماتِ كلِّها ، واسْتَرْجَع المسلمونَ الرُّهَا وأَنْطاكِيَةَ مِن أَيْدِى العَدُوِّ ، وعُمِّرَتْ بغدادُ وغيرُها مِن البلادِ ، واسْتَوْزَرَ ابنَ جَهِيرٍ ، ثم أبا شُجاعٍ ، ثم أعاد ابنَ جَهيرٍ ، وقاضِيَه الدّامَغانِىَّ ، ثم أبو بكرٍ الشَّامِىَّ[3] ، وهؤلاءِ مِن خِيارِ القُضاةِ والوزَارءِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى شعبانَ أَخرَجَ المُفْسِداتِ مِنَ الخواطِئِ مِنْ بَغْدادَ على حُمُراتٍ يُنادِينَ على أَنْفُسِهنَّ بالعارِ والفَضِيحَةِ ، وخرَّبَ دورَهُنَّ ، وأَسْكَنهنَّ الجانبَ الغربىَّ ، وخرَّب أَبْرِجَةَ الحمَامِ ، ومنَع مِن اللَّعِبِ بها ، وأَلْزَم الناسَ بالمآزِرِ فى الحمَّاماتِ ،

---

(١) البيت للسموأل ، انظر ديوان السموأل ص ٩١ طبعة دار صادر .

(٢) فى مصدر التخريج : « خلا » .

(٣) فى النسخ : « الشاشى » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٦٦. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٥.

ومنَع أصحابَ الحمَّاماتِ أَنْ يَصْرِفُوا فضَلاتِها إلى دِجْلَةَ ، وألْزمَهم بحَفْرِ آبارٍ لتلكَ المياهِ القَذِرَةِ ؛ صِيانةً لماءِ الشُّرْبِ .

وفى شوَّالٍ وقَعتْ نارٌ فى أماكِنَ متعدِّدَةٍ ببغدادَ ، حتى فى دارِ الخلافةِ ، فأَحْرَقَتْ شيئًا كثيرًا مِن الدُّورِ والدَّكاكِينِ .

ووقَع بواسِطٍ حريقٌ فى تِسْعَةِ أماكِنَ ، واحْتَرقَ فيها أَربعةٌ وثمانونَ دارًا وستَّةُ خاناتٍ ، وأشياءُ كثيرةٌ غيرُ ذلك ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون .

وفيها عُمِلَ الرَّصَدُ للسلْطانِ مَلِكْشَاه ، اجْتَمعَ عليه جماعةٌ من أَعيانِ المُنَجِّمِينَ ، وأَنْفَقَ عليه أمْوالًا كثيرةً ، وبَقِىَ الرَّصَدُ دائرًا حتى ماتَ السلطانُ فبَطَل .

وفى ذى الحِجَّةِ أُعيدَتِ الخُطبةُ بمكَّةَ للمصريينَ وقُطِعَتْ خُطْبةُ العباسِيِّينَ ، وذلك لمَّا قَوِىَ أَمْرُ صاحبِ مِصْرَ بعدَ ما كان ضعيفًا بسبَبِ غَلاءِ بلَدِه ، فلمَّا أَرْخصَتْ تراجَعَ الناسُ إليها ، وطابَ [٩/١٩٤ظ] العيشُ بها ، وقد كانتِ الخُطبةُ العباسيَّةُ بمكَّةَ أَرْبَعَ سنينَ وخمسةَ أَشْهرٍ ، وستَعُودُ كما كانتْ على ما سيَأْتى بيانُه فى مَوْضِعِه .

وفى هذا الشهرِ انْجفَلَ أهلُ السَّوادِ مِن شِدَّةِ الوَباءِ وقِلَّةِ ماءِ دِجْلَةَ ونَقْصِها . وحجَّ بالناسِ الشريفُ أبو طالبٍ الحُسَيْنىُّ بنُ محمدٍ الزَّيْنَبِىِّ ، وأَخَذ البيعةَ للخليفةِ المُقْتَدِى .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

الخليفةُ القائمُ بأمْرِ اللَّهِ عبدُ اللَّهِ[1] ، وقد ذكَرْنا شيئًا من تَرْجَمتِه عندَ ذِكْرِ

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٩٩، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٨٨، والمنتظم ٨/ ٢٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٢٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٠.

وفاتِه ، رحِمه اللَّهُ .

الداودِىُّ راوِى « صحيحِ البُخارِىِّ » ، عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ المُظَفَّرِ ابنِ محمدِ بنِ داودَ ، أبو الحسنِ[1] بنُ أبى طَلْحَةَ الداودِىُّ ، وُلِد سنةَ أربعٍ وسَبْعِين وثَلَاثِمِائةٍ ، سمِع الكثيرَ ، وتفقَّهَ على الشيخِ أبى حامدٍ الإسْفَرايِينىِّ ، وأبى بكرٍ القَفَّالِ ، وصحِب أبا علىٍّ الدَّقَّاقَ ، وأبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىَّ ، وكتَب الكثيرَ ودرَّس وأَفْتَى وصنَّف ، ووعَظ الناسَ ، وكانت له يدٌ طُولَى فى النَّظْمِ والنَّثْرِ ، وكان معَ ذلك كثيرَ الذِّكْرِ ، لا يَفْتُرُ لسانُه عن ذِكْرِ اللَّهِ تعالَى ، دخَل عليه يومًا الوزيرُ نِظامُ المُلْكِ فجلَس بين يَدَيْه ، فقال له الشيخُ[2] : إنَّ اللَّهَ قد سلَّطَكَ على عِبادِه ، فانْظُرْ كيفَ تُجِيبُه إذا سألكَ عنهم . وكانت وفاتُه ببُوشَنْجَ[3] فى هذه السنةِ وقد جاوَز التسعين . ومِن شعرِه قولُه[4] :

كان فى الإجْتِماعِ بالناسِ نورٌ ... فمضَى النورُ وادْلَهمَّ الظلَامُ
فسَد الناسُ والزمانُ جميعًا ... فعلى الناسِ والزمانِ السلامُ

أبو الحسَنِ علىُّ بنُ الحسَنِ بنِ علىِّ بنِ أبى الطَّيِّبِ البَاخَرْزِىُّ[5] ، الشاعرُ المَشْهورُ ، اشتغَل أَوَّلًا على الشيخِ أبى محمدٍ الجُوَيْنِىِّ ، ثم عدَل إلى الكتابةِ

---

(١) فى الأصل ، خ ، ص : « الحسين » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ١٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٣٢ ، وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٥ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١١٧ ، وطبقات المفسرين ١/ ٢٨٨ .

(٢) المنتظم ١٦/ ١٦٩ .

(٣) بوشنج : بليدة من نواحى هراة بينهما عشرة فراسخ . معجم البلدان ١/ ٧٥٨ .

(٤) المنتظم ١٦/ ١٦٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٦ ، وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٦ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٢٠ .

(٥) معجم الأدباء ١٣/ ٣٣ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٣٨ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٥٦ .

والشِّعرِ، ففاقَ أَقْرانَه، وله ديوانٌ مشهورٌ، فمِنْه[1] :

وإِنِّى لأَشْكُو لَسْعَ أصْداغِك التى ... عقَارِبُها فى وَجْنَتَيْك تَحومُ
وأَبْكِى لدُرِّ الثَغْرِ منك ولِى أبٌ ... فكيفَ يُديمُ الضَّحْكَ وهْوَ يَتِيمُ

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٨.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثمانٍ وستّين وأَرْبَعِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : جاءَ جَرادٌ فى شعبانَ بعدَدِ الرملِ والحصَى ، فأكَل الغلَّاتِ ، وأَكْدَى[3] أكثرُ الناسِ وجاعُوا ، فطُحِن الخَرُّوبُ بدَقيقِ الدُّخْنِ[4] فأكَلُوه ، ووقَع الوباءُ ، ثم منَع اللَّهُ الجرادَ مِنَ الفسادِ ، فكان يمُرُّ ولا يضُرُّ ، فرخُصَتِ الأسْعارُ . قال : ووقَع غلاءٌ شديدٌ بدِمَشْقَ واستمرَّ ثلاثَ سنِينَ .

وفيها ملَكَ نَصْرُ بنُ محمودِ بنِ صالحِ بنِ مِرْدَاسٍ مدينةَ مَنْبِـجَ ، وأجْلَى عنها الرومَ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ملَك الأَقسيسُ مدينةَ دِمَشْقَ ، وهُزِم عنها المُعَلَّى ابنُ حَيْدَرةَ نائبُ المستنصرِ العُبيدِيِّ إلى مدينةِ بانْيَاسَ ، وخُطِبَ فيها للمُقْتَدِى ، وقُطِعتْ خُطبةُ المِصْريين عنها إلى الآنَ ، فاسْتَدْعَى المستنصِرُ نائبَه فحبَسه عندَه إلى أنْ ماتَ فى السِّجْنِ[5] .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٧١، والكامل ١٠/ ٩٩.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٧١.

(٣) فى النسخ « كدى » ويقال : أكدى الرجل : افتقر بعد غنى انظر اللسان (كدى) .

(٤) الدخن : نبات عشبى ، حبه صغير أملس كحب السمسم ، ينبت بريا ومزروعا . الوسيط (د خ ن) .

(٥) بعده فى خ ، م : « قلت : الأقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمى . ويلقب بالملك المعظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدى الفاطميين ، وأزال الأذان منها بحى على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وست سنين ، وكان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضى اللَّه عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين ، ونشر العدل وأظهر السنة ، وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو ، فبناها فى محلتها هذه التى هى فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له : =

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مُقْطَعُ الكُوفَةِ ، وهو الأميرُ [1] خُتْلُغُ بنُ كنتِكينَ [1] التركىُّ ، ويُعْرَفُ بالطَّويلِ ، وكان قد شرَّدَ خَفاجَةَ فى البلادِ وقهَرهم ، ولم يَصْحَبْ معه سِوَى ستَّةَ عشَرَ تُرْكيًّا ، فوصَل سالمًا إلى مَكَّةَ [٩/١٩٥و] ، ولمَّا نزَل ببعضِ دُورِها كبَسه بعضُ العبيدِ ، فقتَل فيهم مَقْتَلةً عظيمةً ، وهزَمهم هزيمةً شَنِيعةً ، ثم إنما كان يَنْزِلُ بعد ذلك بالزاهرِ ؛ قاله ابنُ السَّاعِى فى « تاريخِه » . وأُعيدَتِ الخُطبةُ فى ذى الحِجَّةِ بمكةَ للعباسيِّين ، وقُطِعَتْ خُطبةُ المِصْريين ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

محمدُ بنُ علىٍّ [2] بنِ محمدِ [2] بنِ أحمدَ بنِ عِيسى بنِ أبى مُوسى ، أبو تمَّامٍ ابنُ أبى القاسمِ بنِ القاضى أبى علىٍّ ، الهاشمِىُّ ، نقيبُ الهاشِمِيِّين ، وهو ابنُ عمِّ الشَّريفِ أبى جَعْفَرِ بنِ أبى مُوسى الفَقِيهِ الحَنْبَلِىِّ ، روَى الحديثَ ، وسمِع منه أبو بكرِ بنُ عبدِ الباقى ، ودُفِنَ ببابِ حرْبٍ .

محمدُ بنُ القاسمِ بنِ حَبِيبِ بنِ عَبْدُوسٍ ، أبو بكرٍ الصَّفَّارُ [3] ، مِن أهلِ

= باب الحديد . وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتداء ذلك فى السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تتش بن ألب أرسلان السلجوقى كما سيأتى بيانه » .

(١ - ١) فى الأصل : « ختلع الشكين » ، وفى ص : « ختلع الفتكين » ، وفى خ : « جتعل البيكينى جتعل » ، وفى م : « السكينى جنفل » ، وفى مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٦ : « قتلغ » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ٢٦٢ ، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٣ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ١٧٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٦٨ .

(٣) المنتظم ١٦/ ١٧٤ ، والكامل ١٠/ ١٠١ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٦٩ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٩٤ .

نَيْسَابُورَ ؛ سمِع الحاكِمَ وأبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيَّ وخَلْقًا ، وتفَقَّه على الشيخِ أبى محمدٍ الجُوَيْنِيِّ ، وكان يَخْلُفُه فى حَلْقَتِه .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو الحَسَنِ[1] **البَيْضاوِىُّ الشافِعِىُّ** ، خَتَنُ أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ على ابْنَتِه ، سمِع الحديثَ ، وكان ثقةً خَيِّرًا ، تُوفِّى فى شعبانَ منها ، وتقدَّم للصلاةِ عليه الشيخُ أبو نصرِ بنُ الصَّبَّاغِ ، وحضَر جِنازَتَه أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانِىُّ مأمُومًا ، ودُفِنَ بدارِه فى قطيعةِ الكَرْخِ .

محمودُ[2] **بنُ نَصْرِ بنِ صالحٍ** ، أميرُ حَلَبَ ، وكان قد ملَكها فى سنةِ تِسْعٍ وخمسين ، وكان مِن أحسنِ الناسِ شَكْلًا وفِعْلًا .

مَسْعُودُ[3] **بنُ عبدِ العزيزِ**[3] **بنِ المُحْسِنِ بنِ الحسَنِ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ ، أبو جَعْفَرٍ البَياضِىُّ الشاعرُ** ، ومِن شِعْرِه[4] :

لَيْسَ لى صاحِبٌ مُعِينٌ سِوَى اللَّيْـ ... ـلِ إذا طالَ بالصُّدودِ علَيَّا
أنا أَشْكُو بُعْدَ الحبيبِ إليهِ ... وَهْوَ يَشْكُو بُعْدَ الصَّباحِ إليَّا

---

(١) فى النسخ : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩، والمنتظم ١٦/ ١٧٤، والكامل ١٠/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ١٩٦.

(٢) فى النسخ : « محمد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ١٧٥، والكامل ١٠/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٤٤، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٩.

(٣ - ٣) سقط من : النسخ ، والمنتظم ١٦/ ١٧٥، والكامل ١٠/ ١٠١. وانظر ترجمته فى : دمية القصر ١/ ٣٧٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٩٧، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧١ وفيه : « مسعود بن المحسن بن عبد العزيز » .

(٤) البيتان فى المنتظم ١٦/ ١٧٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٣.

وله أيضًا[1] :

يا مَنْ لَبِسْتُ لهجْرِه ثَوْبَ الضَّنَى ... حتى خَفِيتُ به عن العُوَّادِ
وأَنِسْتُ بالسَّهَرِ الطويلِ فأُنْسِيَتْ ... أَجْفانُ عَيْنى كيفَ كانَ رُقادِى
إنْ كانَ يُوسُفَ بالجمالِ مُقَطِّعَ الْـ ... ـأَيْدِى فأنتَ مُفَتِّتُ الأَكْبادِ

الواحدِىُّ المُفَسِّرُ

أبو الحسنِ علىُّ بنُ[2] أحمدَ بنِ [3]محمدِ بنِ[3] علىِّ بنِ مَتُّويَهِ الواحدِىُّ ، قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : لا أَدْرِى هذه النسبةُ إلى ماذا ، وهو صاحبُ التفاسيرِ الثلاثَةِ : « البَسِيطِ » ، و « الوَسِيطِ » و « الوَجِيزِ » . قال : ومنه أَخَذ الغَزّالىُّ أسماءَ كتُبِه . قال : وله « أسْبابُ النزولِ » ، و « التَّحْبِيرُ فى شَرْحِ الأَسْماءِ الحُسْنَى » ، وقد شرَح « ديوانَ المُتَنَبِّى » وليسَ فى شُروحِه - مع كثْرَتِها - مثلُه . قال : وقد رُزِقَ السعادةَ فى تصانيفِه ، وأَجْمَعَ الناسُ على حُسْنِها وذكَرها المُدَرِّسُونَ فى دُروسِهم ، وقد أَخَذ التَّفْسِيرَ عن الثَّعالِبِىِّ ، وقد مرِض الواحدىُّ مُدَّةً ، ثم كانتْ وفاتُه بنَيْسَابُورَ فى جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

---

(١) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ١٧٥، ١٧٦، والكامل ١٠/ ١٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧٢.

(٢) بعده فى م: «حسن بن» ، وانظر ترجمته فى: إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٤٠، وغاية النهاية ١/ ٥٢٣، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٣٨٧.

(٣ - ٣) سقط من: النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته السابقة.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣.

ناصِرُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ، أبو منْصورٍ التُّرْكِيُّ المضافرىُّ[1] ، وهو والدُ الحافظِ محمدِ بنِ ناصرٍ ، قرَأ القِراءاتِ ، وسمِع الكثيرَ ، وهو الذى تولَّى قِراءةَ « التاريخِ » على الخطِيبِ بجامعِ المنْصُورِ ، وكان ظريفًا صَبِيحًا ، ماتَ شابًّا دونَ الثلاثين سنةً [٩/١٩٥ظ] فى ذى القَعْدَةِ منها ، وقد رثاه بعضُهم بقصيدةٍ طويلةٍ أَوْردَها كلَّها ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المُنْتَظَمِ »[2] .

يُوسُفُ بنُ محمدِ بنِ يُوسُفَ بنِ الحسنِ ، أبو القاسمِ الهَمَذانىُّ[3] ، سمِع وجمَع وصنَّفَ ، وانْتَشَرتْ عنه الروايةُ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد قارَب التسعين .

---

(١) فى الأصل : « المصافرى » ، وفى ص : « الضافرى » ، وفى خ ، م : « الصافرى » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٧٦، وله ترجمة فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧٤.

(٢) المنتظم ١٦/١٧٧ - ١٧٩.

(٣) المنتظم ١٦/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٨، والعبر ٣/ ٢٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٧٧، ومرآة الجنان ٣/ ٩٧.

ثم دخَلَتْ سنَةُ تِسْعٍ وسِتّين وأربعِمائةٍ[1]

فى المحرَّمِ[2] مرِض الخليفةُ مَرَضًا شديدًا فأرْجَف الناسُ به ، فركِب حتى رآه الناسُ جَهْرةً فسكَنُوا .

وفى جُمادَى الآخرةِ زادَتْ دِجْلَةُ زيادةً كثيرةً ؛ إحْدى وعشرين ذِراعًا ونِصْفًا ، فنقَل الناسُ أموالَهم ، وخِيفَ على دارِ الخلافةِ ، فنُقِلَ تابوتُ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ليلًا إلى التُّرَبِ بالرُّصافَةِ .

وفى شوَّالٍ وقَعتِ الفتنةُ بينَ الحنابِلَةِ والأَشْعَرِيَّةِ ؛ وذلك لأنَّ ابنَ القُشَيْرِىِّ قَدِم بغدادَ فجلَس يتكلَّمُ فى المدرسةِ النِّظامِيَّةِ ، وأخَذ يَذُمُّ الحنابلةَ ويَنْسُبُهم إلى التَّجْسيمِ ، وساعَده أبو سعدٍ الصُّوفىُّ ، ومال معه الشيخُ أبو إسْحَاقَ الشِّيرازِىُّ ، وكتَب إلى نظامِ المُـلْكِ يَشْكُو إليه الحنابِلَةَ ويَسْأَلُه المعُونةَ ، وذهَب جماعةٌ إلى

---

(١) بعده فى خ ، م : « فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أتسز بن أوف الخوارزمى لما انتزع دمشق من أيدى العبيديين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة ، وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكملها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئا ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها دارًا هائلة للمملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين اقتسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجا منها جدده وعلاه وأطده وأكده ، ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ، ثم ابتنى بعده فى دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى الطارمةَ الشمالية والقبة الزرقاء وما حولها » .

(٢) المنتظم ١٦/ ١٨٠، والكامل ١٠/ ١٠٣.

الشَّرِيفِ أبى جَعْفرِ بنِ أبى مُوسى شيخِ الحنابلةِ وهو فى مَسْجِدِه ، فدافَع عنه آخرونَ ، وقُتِلَ رجلٌ خَيَّاطٌ مِن سُوقِ الثلاثاءِ[1] ، وجُرِح آخرونَ ، وثارَتِ الفتنةُ ، وكتَب الشيخُ أبو إسْحاقَ ، وأبو بكرٍ الشَّاشِيُّ إلى نظامِ المُلْكِ ، فجاء كتابُه إلى فخرِ الدولةِ يُنْكِرُ ما وقَع ، ويَكْرَهُ أنْ يُنْسَبَ إلى المدرسةِ التى بنَاها شىءٌ مِن ذلك ، وعزَم الشيخُ أبو إسحاقَ على الرِّحلةِ مِن بغْدادَ ؛ غضَبًا ممَّا وقَع مِنَ الشَّرِّ ، فأَرْسَل إليه الخليفةُ يُسَكِّنُه ، ثم جمَع بيْنَه وبينَ الشريفِ أبى جَعْفَرٍ ، وأبى سَعْدٍ الصُّوفىِّ ، وأبى نَصْرِ بنِ القُشَيْرِىِّ عندَ الوزيرِ ، فأَقْبَلَ الوزيرُ علَى أبى جعفرٍ يُعَظِّمُه فى الفِعَالِ والمَقَالِ ، وقام إليه الشيخُ أبو إسْحَاقَ فقال : أنا ذلك الذى كنتَ تَعْرِفُه وأنا شابٌّ ، وهذه كُتُبِى فى الأُصولِ ، أَقولُ فيها خِلافًا للأَشْعَرِيَّةِ . ثم قَبَّل رَأْسَه ، فقال له أبو جعفرٍ : صدَقْتَ ، إلَّا أنَّك لمَّا كنتَ فقيرًا لم تُظهِرْ لنا ما فى نَفْسِك ، فلمَّا جاءَ الأَعْوانُ والسلطانُ وخَواجا بُزُرْكُ[2] - يَعْنِى نظامَ المُلْكِ - أَبْدَيْتَ ما كان مُخْتَفِيًا فى نَفْسِكَ . وقام الشيخُ أبو سعدٍ الصوفىُّ فقبَّل رَأْسَ الشريفِ أبى جعفرٍ أيضًا وتلَطَّفَ به ، فالْتَفَتَ إليه مُغْضَبًا وقال : أيُّها الشيخُ ، أمَّا الفقهاءُ إذا تكلَّمُوا فى مسائلِ الأُصولِ فلهم فيها مَدْخَلٌ ، وأمَّا أنتَ فصاحِبُ لَهْوٍ وسماعٍ وتَعْبيرٍ ، فمَنْ زاحَمَكَ منَّا على باطِلِكَ ؟ ثم قال : أيُّها الوزيرُ ، أَىُّ صُلْحٍ بَيْنَنا ، ونحنُ نُوجِبُ ما نَعْتَقِدُه وهم يُحرِّمُونَ ؟! وهذا جَدُّ الخليفةِ القائمُ ، والقادِرُ قد أَظْهَرا اعْتِقادَهما للناسِ على مَذْهَبِ أَهْلِ السنةِ والجماعَةِ والسَّلَفِ ، ونحنُ على ذلك ، كما وافَقَ عليه العِراقِيُّونَ والخُرَاسَانِيُّونَ ، وقُرِئَ على الناسِ فى الدَّواوِينِ

---

(١) فى خ ، م : « التبن » . وسوق الثلاثاء : محلة ببغداد . تاج العروس (س و ق) .

(٢) فى الأصل : « برزك » ، وفى خ ، م ، ص : « بزك » . والمثبت من المنتظم ، وبُزُرْك أعجمية ، ومعناها : الكبير أو العظيم ، لُقِّب بها الوزير نظام الملك . القاموس المحيط (ب ز ر ك) ، وتبصير المنتبه ١/ ٨٠.

كلِّها . فأَرْسَلَ الوزيرُ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بما جرَى ، فجاءَ الجوابُ بَشُكْرِ الجماعَةِ وخُصوصًا الشَّريفَ أبا جعفرٍ ، [٩/١٩٦و] ثُم اسْتُدعِى إلى دارِ الخلافةِ للسلامِ عليه ، والتَّبَرُّكِ بدُعائِه .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[١] : وفى ذى القَعْدَةِ كَثُرَتِ الأمراضُ فى الناسِ بِبَغْدادَ ووَاسِطٍ والسَّوادِ ، وورَد الخبرُ بأنَّ الشامَ كذلك .

وفى هذا الشهرِ أُزِيلَتِ المُنْكَرَاتُ والبَغايَا بِبَغْدادَ ، وهرَب الفُسَّاقُ منها . وفيها ملَكَ حَلَبَ نصرُ بنُ محمودِ بنِ مِرْدَاسٍ بعدَ وفاةِ أبيه .

وفيها تزوَّجَ الأميرُ علىُّ بنُ أبى مَنْصورِ بنِ فرامَرْزَ[٢] بنِ علاءِ الدولةِ بنِ كالَوَيْهِ[٣] السِّتَّ أرْسَلانَ خاتونَ بنتَ داودَ عمَّةَ السُّلْطانِ مَلِكْشاه[٤] ، وكانتْ زوجةَ القائمِ بأَمْرِ اللَّهِ .

وفيها حاصَر الأَقسيسُ صاحبُ دِمَشقَ مِصْرَ ، وضيَّق على صاحبِها المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى دِمَشْقَ . وحجَّ بالناسِ فيها الأميرُ خُتْلُغُ[٥] التُّرْكِىُّ ، مُقْطَعُ الكُوفَةِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

أَسْبَهْدُوستُ[٦] بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ ، أبو مَنْصُورٍ الدَّيْلَمِىُّ الشاعرُ ، لَقِى

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٨٣، ١٨٤.

(٢) فى خ ، م : « قرامز » .

(٣) فى الكامل ١٠/ ١٠٥: « كاكويه » .

(٤) فى النسخ : « ألب أرسلان » . والمثبت من الكامل ١٠/ ١٠٥. وانظر ما تقدم فى ١٢/ ١٠٦، ١٠٧ مطبوع .

(٥) فى الأصل ، ص : « ختلع » ، وفى خ : « خليع » ، وفى م : « جنفل » . وكذا فيما سيأتى من مواضع . والمثبت مما تقدم فى ١٢/ ١١٣.

(٦) فى خ : « استدرست » ، وفى م : « اسفهدوست » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ١٨٤، وفيه : =

أبا عبدِ اللَّهِ بنَ الحجّاجِ ، وعبدَ العزيزِ بنَ نُباتَةَ ، وغيرَهما مِنَ الشعراءِ ، وكان شِيعيًّا فتابَ ، وقال قصيدةً فى ذلك منها[1] :

وإذا سُئِلْتُ عنِ اعْتِقادِى قلتُ ما ... كانتْ عليه مذاهِبُ الأَبْرارِ
وأقولُ خيرُ الناسِ بعدَ محمَّدٍ ... صِدِّيقُهُ وأَنيسُهُ فى الغارِ
ثمَّ الثلاثَةُ بَعْدَهُ خَيْرُ الوَرَى ... أَكْرِمْ بهِمْ مِن سادةٍ أَطْهارِ
هذا اعْتِقادِى والذى أَرْجُوبِهِ ... فَوْزِى وعِتْقِى مِن عذابِ النّارِ

طاهِرُ بنُ أحمدَ بنِ بابَشَاذَ ، أبو الحسَنِ المِصْرِىُّ[2] النَّحْوىُّ ، سقَطَ مِن سَطْحِ جامعِ عمرِو بنِ العاصِ بمصْرَ ، فماتَ مِن ساعتِه ، وذلك فى رجَبٍ مِن هذه السَّنَةِ . قالَ القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : كان بمِصْرَ إمامَ عصْرِه فى النَّحْوِ ، وله المصنَّفاتُ المفيدةُ ، مِن ذلك « مُقَدِّمَتُه » و « شَرْحُها » و « شَرْحُ الجُمَلِ » للزَّجَّاجِىِّ . قال[4] : وكانتْ وظِيفَتَه بمِصْرَ أنَّه لا تُكْتَبُ الرسائلُ فى ديوانِ الإنْشاءِ إلَّا عُرِضَتْ عليه ، فيُصْلِحُ منها ما فيه خَلَلٌ ، ثم تُنْفَذُ إلى الجهةِ التى عُيِّنَتْ لها ، وكان له على ذلك مَعْلومٌ وراتبٌ جَيِّدٌ . قال[4] : فاتَّفَق أنَّه كان يَأْكُلُ يومًا مع بعضِ أَصْحابِه طعامًا ، فجاءَ قِطٌّ فرَمَوا له شيئًا ، فأخَذه وذهَب سرِيعًا ، ثم أَقْبَلَ فرَمَوا له شيئًا آخرَ ، فانْطَلَقَ به سريعًا ، ثم جاءَ فرَمَوا له شيئًا أيضًا ، فعَلِموا أنه لا

= اسبهندوست ، والكامل ١٠/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٨١، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٤ وفيه : « إسفهدوست » .

(١) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ١٨٥، والبيتان الأولان فى الكامل ١٠/ ١٠٦.

(٢) فى النسخ : « البصرى » . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٢/ ١٧، وإنباه الرواة ٢/ ٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٨٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥١٥.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥١٦.

يَأْكُلُ هذا كلَّه ، فَتَتَبَّعُوه فإذا هو يَذْهَبُ به إلى قِطٍّ آخرَ أَعْمَى فى سَطْحٍ هناك ، فتَعجَّبُوا مِن ذلك ، فقال الشيخُ : يا سُبْحانَ اللَّهِ ! هذا حيوانٌ بَهِيمٌ قد ساقَ اللَّهُ إليه رِزْقَه على يَدِ غيرِه ، أفلا يَرْزُقُنِى وأنا عبْدُه . ثم ترَكَ ما كانَ له مِنَ الراتبِ وجمَع حَواشيَه وأَقْبَلَ على الاشْتِغالِ والمُلازَمةِ فى غُرْفَةٍ فى جامعِ عمرِو بنِ العاصِ ، إلى أنْ ماتَ وقد جمَع تَعْلِيقةً فى النحوِ قريبًا مِن خَمْسةَ عشَرَ مُجَلَّدًا ، فأصْحابُه كابْنِ بَرِّىٍّ وغيرِه يَنْقُلُونَ منها ويَنتفِعُونَ بها ، ويُسَمُّونَها « تَعْلِيقَ الغُرْفَةِ » .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ المُجَمِّعِ [1] بنِ مُجِيبٍ [1] ابنِ محمدِ بنِ بَحْرٍ [2] بنِ مَعْبَدِ بنِ هَزَارْمَرْدَ ، أبو محمدٍ الصَّرِيفِينِىُّ ، ويُعْرَفُ بابنِ المُعَلِّم ، أحدُ مشايخِ الحديثِ المُسْنِدين المشْهُورِين ، تفرَّدَ عن جماعةٍ مِنَ المشايخِ لطُولِ عُمرِه ، وهو آخرُ مَن حدَّث بالجَعْدِيَّاتِ ، عنِ ابنِ حَبابةَ [3] ، عن أبى القاسمِ البَغَوِىِّ عن علىِّ بنِ الجَعْدِ ، وهو سماعُنا ، ورحَل إليه الناسُ بسببِه ، وسمِعَ عليه جماعةٌ مِنَ الحفَّاظِ ؛ منهمُ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ، وكان ثقةً محمودَ الطريقةِ ، صافِىَ الطَّوِيَّةِ ، تُوفِّى بِصَرِيفِينَ [4] فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

(١ - ١) سقط من : النسخ . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٦، والمنتظم ١٦/ ١٨٦. وله ترجمة أيضًا فى : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٩٢، وفيهما : مجيب بن المجمع ، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥٠٢.

(٢) فى خ ، م : « يحيى » .

(٣) فى م : « حبانة » .

(٤) صريفين : قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دجيل ، وتسمى صريفون . معجم البلدان ٣/ ٣٨٤.

حَيَّانُ بنُ خَلَفِ بنِ حُسَيْنِ بنِ حيَّانَ بنِ محمدِ بنِ حَيَّانَ بنِ وَهْبِ بنِ حَيَّانَ ، أبو مَرْوانَ القُرْطُبِيُّ[1] ، مَوْلَى بَنِى أُمَيَّةَ ، صاحِبُ « تاريخِ المَغْرِبِ » فى ستِّينَ مُجلَّدًا ، أثْنَى عليه الحافِظُ أبو علىٍّ الغَسَّانِىُّ فى فصاحتِه وصِدْقِه وبلاغتِه . وقال[2] : وسمِعْتُه يقولُ : التَّهْنِئَةُ بعدَ ثلاثٍ اسْتِخْفافٌ [٩/١٩٦ظ] بالمَوَدَّةِ ، والتَّعْزِيَةُ بعدَ ثلاثٍ إغْراءٌ بالمُصِيبَةِ . قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : تُوفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ منها ، ورآه بعضُهم فى النومِ فسأَله عن حالِه ، فقالَ : ما فعَل اللَّهُ بك . فقال : غفَر لى ، وأمَّا « التاريخُ » فنَدِمْتُ عليه ، لكِنَّ اللَّهَ بلُطْفِه أقَالَنِى وعفَا عنِّى .

[3]عُبيدُ اللَّهِ[3] بنُ سعيدِ بنِ حاتمٍ ، أبو نَصْرٍ السِّجْزِىُّ الوائِلِىُّ[4] ؛ نِسْبَةً إلى قريةٍ يُقالُ لها : وائِلُ ، مِن قُرَى سِجِسْتانَ . سمِع الكثيرَ ، وجمَع وصنَّف وخرَّج ، وأقام بالحَرَمِ ، وله كتابُ « الإبانَةِ » فى الأُصولِ ، وله يدٌ فى الفُروعِ أيضًا . ومِنَ الناسِ مَن كان يُفَضِّلُه فى الحِفْظِ على الصُّورِىِّ

محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الأَنْماطِىُّ[5] ، المعروفُ بابنِ سِكِّينَةَ ، وُلِد سنةَ تِسْعِين وثلاثِمِائَةٍ ، وكان كثيرَ السماعِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن تِسْعٍ وسَبْعِين سنةً .

---

(١) جذوة المقتبس ص ٢٠٠، والصلة لابن بشكوال ١/ ١٥٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٢٨٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢١٩.

(٣ - ٣) فى النسخ، والمنتظم ١٦/ ١٨٧: «عبد الله» . وانظر ترجمته فى الإكمال ٧/ ٣٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠هـ) ص ٩٥، ضمن وفيات سنة أربع وأربعين وأربعمائة، والجواهر المضية ٢/ ٤٩٥.

(٤) فى خ، م: «الوابلى» .

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠١، والإكمال ٤/ ٣٢٠، والمنتظم ١٦/ ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٠٣.

ثم دخلت سنة سَبْعِين
وأرْبَعِمائةٍ مِنَ الهجرةِ النبويَّةِ[1]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : فى ربيعِ الأوَّلِ وقَعتْ صاعقةٌ بمَحَلَّةِ التُّوثَةِ[3] مِنَ الجانبِ الغربيِّ ، على نَخلتَيْن فى مسجِدٍ فأحرَقتْ أعالِيَهما ، وصَعِد الناسُ فأطفَئوا النارَ ، ونزَلوا بالسَّعَفِ وهو يشتعِلُ نارًا . قال : وورَد كتابٌ مِن نِظامِ المُلكِ إلى الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرَازِيِّ فى جوابِ كتابِه إليه فى شأنِ الحَنابلةِ ، ثم سرَدَه ابنُ الجَوْزِيِّ[4] ، ومضْمونُه أنَّه لا يمكِنُ تغييرُ المذاهبِ ولا نقلُ أهلِها عنها ، والغالبُ على أهلِ تلكَ الناحيةِ هو مذْهبُ الإمامِ أحمدَ ، ومحلُّه معروفٌ عندَ الأئمَّةِ ، وقَدْرُه معلومٌ فى السُّنَّةِ . فى كلامٍ طويلٍ .

قال[5] : وفى شَوّالٍ منها وقَعتْ فتنةٌ بينَ الحنابلةِ وبينَ بعضِ فقهاءِ النِّظامِيَّةِ ، وحَمِيَ لكلٍّ مِنَ الفريقَين طائفةٌ مِنَ العوامِّ ، وقُتِل بينَهم نحوٌ مِن عشرين قتيلًا[6] ، ثم سكَنتِ الفتنةُ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٩٠، والكامل ١٠/ ١٠٧.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٩٠.

(٣) فى خ : « التوتة » ، وفى م : « النوبة » ، وفى ص : « التوتية » . والتوثة : محلة فى غربى بغداد متصلة بالشونيزية مقابلة لقنطرة الشوك عامرة إلى الآن . معجم البلدان ١/ ٨٨٩.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٩٠، ١٩١.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٩١.

(٦) بعده فى خ ، م : « وجرح آخرون » .

قال[1] : وفى تاسعَ عشَرَ شوّالٍ وُلِد للخليفةِ المُقتَدِى ولَدُه المستظهِرُ باللَّهِ أبو العبّاسِ أحمدُ ، وزُيِّن البلدُ ، وجلَس الوزيرُ للهناءِ ، ثم فى [2]يومِ الأحَدِ السادسِ والعِشرِين مِن شوّالٍ[2] وُلِدَ للخليفةِ ولدٌ آخرُ ، أبو محمدٍ هارونُ .

قال ابنُ الجوزىِّ[3] : وفيها وَلِى تاجُ الدولةِ [4]تُتُشُ بنُ أَلْبِ[4] أَرْسَلانَ الشامَ وحاصَر حَلَبَ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مُقْطَعُ الكُوفَةِ خُتْلُغُ ، وذكَر ابنُ الجَوزِىِّ[5] أنَّ الوزيرَ ابنَ جَهِيرٍ كان قد عمِل مِنبرًا هائلًا لتُقامَ عليه الخُطبةُ بمكَّةَ ، فحينَ وصَل إليها إذِ الخُطبةُ قد أُعِيدَتْ للمصريين ، فكُسِرَ ذلكَ المِنْبَرُ وأُحْرِق . واللَّهُ أعلمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ يَعْقُوبَ ، ابنُ حُمَّدُوه[6] ، أبو بكرٍ الرَّزازُ[7] المُقرِئُ ، آخِرُ مَن حدَّث عن أبى الحُسَيْنِ بنِ سَمعُونَ ، وقد كان ثقةً مُتَعَبِّدًا حسَنَ الطريقةِ ، كتَب عنه الخطيبُ ، وقال[8] : كان صَدُوقًا . تُوفِّى فى هذه السنَةِ عن

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٩١.

(٢ - ٢) فى الأصل : « هذا الشهر » ، وفى المنتظم ١٦/ ١٩١: « يوم الأحد السادس والعشرين من ذى القعدة » .

(٣) المنتظم ١٦/ ١٩٢.

(٤ - ٤) سقط من : النسخ . والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٩٢. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٤.

(٥) المنتظم ١٦/ ١٩٠.

(٦) فى خ ، م : « أحمد » ، وفى ص ، والمنتظم ١٦/ ١٩٢: « حمد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٤/ ٣٨١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢، وفيه : « أحمد بن محمد بن أحمد الرزاز » ، والإكمال ٢/ ٥٥٧، والمنتظم ١٦/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣١٥. ويقال فيه أيضا : « ابن حمدويه » .

(٧) فى خ ، ص : « البزار » ، وفى م : « اليربوعى » .

(٨) تاريخ بغداد ٤/ ٣٨١.

تِسعٍ وثمانين سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ، أبو الحسينِ[1] بنُ النَّقُورِ البَزَّازُ، أحدُ المُسْنِدِين المُعَمَّرِين، تفرَّد بنُسَخٍ كثيرةٍ عنِ ابنِ حَبَابَةَ[2]، عن البَغَوِيِّ، عن أشْياخِه؛ كنُسْخةِ[3] هُدْبَةَ، وكامِلِ بنِ طَلْحَةَ، [4]وعمرَ بنِ زُرَارَةَ[4]، وأبى[5] السَّكنِ[6] البلدىِّ[7]، وكان مُكثِرًا متحرِّيًا[8]، وكان يأخُذُ على إسْماعِ حديثِ طالوتَ [9]بنِ عَبّادٍ[9] دِينارًا، وقد أفْتَاه الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازِىُّ [٩/١٩٧و] بجَوازِ أخذِ الأُجرةِ على إسماعِ الحديثِ؛ لاشتغالِه به عنِ الكَسْبِ. تُوفِّى عن تِسْعٍ وثمانين سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ، أبو صالحٍ المؤذِّنُ النَّيْسَابُورِىُّ[10] الحافظُ، كتَب الكثيرَ وجمَع وصنَّف، وكتَب عن ألفِ شيخٍ [11]ألفَ حديثٍ[11]، وكان يعِظُ ويؤذِّنُ، مات وقد جاوَز الثمانين.

---

(١) فى م: «الحسن». وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/ ٣٨١، والمنتظم ١٦/ ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣١٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥.

(٢) فى م: «حبان». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.

(٣) فى الأصل: «كشيخه».

(٤ - ٤) فى الأصل: «عمر وزرارة»، وفى خ، م، ص: «عمرو بن زرارة». والمثبت من المنتظم ١٦/١٩٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.

(٥) بعده فى الأصل: «زرارة و».

(٦) فى الأصل: «الشكم»، وفى خ: «السكين». وانظر المنتظم ١٦/ ١٩٣.

(٧) فى خ، م: «البكرى».

(٨) فى خ، م: «متبحرا».

(٩ - ٩) سقط من: الأصل، وفى خ، م: «بن عبادة». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٣.

(١٠) تاريخ بغداد ٤/ ٢٦٧، والمنتظم ١٦/ ١٩٣، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٠٨، والوافى بالوفيات ٧/ ١٥٦.

(١١ - ١١) سقط من: م، ص، وفى خ: «حديثا».

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ[1] **بنِ عليٍّ** [2]**بنِ محمدِ بنِ الحسنِ**[2] ، أبو القاسمِ بنُ أبى محمدٍ الخلّالُ[3] ، آخرُ مَن حدَّث عن أبى حَفْصٍ الكَتَّانىِّ[4] ، وقد سمِع الكثيرَ ، وروَى عنه الخطيبُ[5] ووَثَّقه ، تُوفِّى عن خمسٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن ببابِ حَرْبٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ الرحمنِ – ابنُ مَنْدَه – بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ بنِ محمدِ بنِ يَحْيى بنِ إبْراهيمَ ، أبو القاسمِ بنُ أبى عبدِ اللَّهِ ، الإمامُ[6] ابنُ الإمامِ ، سمِع أباه ، وابنَ مرْدَوَيْهِ ، وخلقًا فى أقاليمَ شتَّى ، سافَر إليها ، وجمَع شيئًا كثيرًا ، وكان ذا وقارٍ وسَمْتِ حسَنٍ ، واتِّباعٍ للسنةِ وفَهْمٍ جيِّدٍ ، كثيرَ الأمرِ بالمعرُوفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ، لا يخافُ فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائمٍ ، وكان سعدُ[7] بنُ محمدٍ الزَّنْجَانىُّ[8] يقولُ : حفِظ اللَّهُ الإسلامَ به ، وبعبدِ اللَّهِ الأنصارىِّ الهَرَوِىِّ . تُوفِّى ابنُ مَنْدَه هذا بأَصْبهانَ عن سبعٍ وثمانين سنةً ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل ، خ ، ص : « الحسين » . وانظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٩، والمنتظم ١٦/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٨، والعبر ٣/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٢١.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٣) فى خ : « الجلالى » ، وفى م : « الحلالى » .

(٤) فى الأصل : « الكبانى » ، وفى خ ، م : « الكنانى » .

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٩.

(٦) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢، والمنتظم ١٦/ ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٩، وتذكرة الحفاظ ٣/١١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٢٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٨.

(٧) فى خ ، م : « مسعد » ، وفى ص : « سعيد » .

(٨) فى الأصل ، خ ، م : « الريحانى » . والخبر أورده ابن الجوزى فى المنتظم ١٦/ ١٩٤، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٢، ٣٥٣.

عبدُ الملكِ بنُ [1]**عبدِ الغفارِ بنِ**[1] **محمدِ**[2] بنِ المُظفَّرِ بنِ عليٍّ ، أبو القاسمِ الهَمَذانيُّ[3] ، أحدُ الحفّاظِ الفقهاءِ الأولياءِ ، وكان يُلَقَّبُ بُنْجِيرَ[4] ، وقد سمِع الكثيرَ ، وكان يكتُبُ[5] للطلبَةِ ويقرأُ لهم ، تُوفِّى بالرَّىِّ فى المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ إلى جانبِ إبراهيمَ الخوّاصِ .

الشَّرِيفُ أبو جَعْفَرٍ الحنْبَلِيُّ ، عبدُ الخالقِ بنُ عِيسى بنِ أحمدَ بنِ محمدِ [6]**ابنِ عيسى بنِ أحمدَ**[6] **بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبِدِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المطلبِ الهاشِميُّ** ، ابنُ أبى مُوسى الحَنبلىُّ العبّاسِىُّ ، كان أحدَ الفقهاءِ العلماءِ العبّادِ الزهّادِ المشهورين بالدِّيانةِ والفضلِ والعِبادَةِ والقيامِ فى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنْكَرِ ، لا تأخُذُه فى اللَّهِ لَوْمَةُ لائمٍ ، وُلِد سنةَ إحدَى عشْرةَ وأربعِمائةٍ ، واشْتَغل على القاضى أبى يَعْلَى بنِ الفَرّاءِ ، وزكّاه شيخُه عندَ ابنِ الدّامَغَانىِّ فقبِله ، ثم ترَك الشَّهادةَ بعدَ ذلك ، وكان مشهورًا بالصَّلاحِ والديانةِ ، وحين احتُضِر الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ أوصَى أن يغسِّلَه الشريفُ أبو جعفرٍ ، وأوْصَى له بشىءٍ جزيلٍ ، فلم يقبَلْ مِن ذلك شيئًا[7] .

(١ - ١) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى الإكمال ٢/ ١٣، والمنتظم ١٦/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٣٤.

(٢) بعده فى خ ، م ، ص : « بن عبد العزيز بن محمد » .

(٣) فى النسخ : « الهمدانى » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٤) فى الأصل : « بحير » ، وفى خ : « ببحتر » ، وفى م : « بيجير » وفى ص : « يختر » . وفى المنتظم : « سحير » ، وفى تاريخ الإسلام : « ينجير » . والمثبت من الإكمال ٢/ ١٣. وانظر تبصير المنتبه ١/ ٢٤٢ ، ونزهة الألباب ١/ ١٣٣ ، ٢٥١ .

(٥) فى خ ، م : « يكثر » .

(٦ - ٦) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « عيسى بن محمد » . وانظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٧، والمنتظم ١٦/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٣٢٢، والعبر ٣/ ٢٧٣.

(٧) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٠، والمنتظم ١٦/ ١٩٥، ١٩٦.

وحينَ وقَعتِ الفِتنةُ بينَ الحنابلةِ والأشْعَرِيَّةِ بسببِ ابنِ القُشَيْرِيِّ اعتُقِل هو فى دارِ الخلافةِ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا ، يدخُلُ عليه الفقهاءُ وغيرُهم ، ويقبِّلون يدَه ورأسَه ، ولم يزَلْ هنالك حتى اشتكَى ، فأُذِن له فى المسيرِ إلى أهلِه ، فتُوفِّى عندَهم ليلةَ الخميسِ النصفَ مِن صفَرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن إلى جانبِ الإمامِ أحمدَ ، فاتَّخَذَتِ العامَّةُ قبرَه سُوقًا كلَّ ليلةِ أربعاءَ يترَدَّدون إليه ويقرَءون الخَتَماتِ عندَه حتى جاء الشتاءُ ، وكان جملةُ ما قُرِئ عندَه عشَرةَ آلافِ خَتْمَةٍ مِن كثرةِ القراءةِ عليه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ محمدِ [1]**بنِ محمدِ**[1] **بنِ عبدِ اللَّهِ** ، [2]**أبو الحسَنِ**[3] **البيْضَاوِىُّ**[2] ، أحدُ الفقهاءِ الشافِعيِّين ، وتولَّى القضاءَ برَبْعِ الكَرْخِ ، ودُفِن عندَ والدِه ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٦/ ١٩٧. ولعله الذى تقدم فى ص ٥٦.

(٢ - ٢) فى المنتظم : «أبو عبد اللَّه بن أبى الحسن» .

(٣) فى خ : «الحسين» .

ثم دخَلَتْ سنَةُ
إحْدَى وسَبْعِين وأرْبَعِمِائَةٍ

فيها[1] ملَك السلطانُ الملكُ المُظَفَّرُ تاجُ الملوكِ تُتُشُ بنُ ألْبِ أرْسَلانَ السَّلْجُوقيُّ دمَشقَ ، وقتَل ملِكَها أَقسِيسَ ، وذلك أنَّ أقسيسَ بعَث إليه يستَنْجِدُه على المصريين ، فلمّا وصَل إليه لم يركَبْ لتلقِّيه ، فأمَر بقتلِه فقُتِل لساعتِه[2] .

وفيها عُزِل الوزيرُ ابنُ جَهِيرٍ بإشارَةِ نِظامِ المُلْكِ ، بسبَبِ مُمالأَتِه على الشافِعِيَّةِ ، ثم كاتَب المُقتدِى نظامَ الملكِ فى إعادَتِه ، فأُعِيدَ ولدُه وأُطلِقَ هو .

وفيها قدِم سعدُ الدولةِ كُوَهْرائينُ[3] أميرًا إلى بغدادَ ، وضُرِبتِ الطبولُ على بابِه فى أوقاتِ الصلواتِ ، وأساء الأدبَ على الخلافةِ ، وضرَب طوالاتِ الخيولِ على بابِ الفِردَوْسِ ، فكُوتِبَ السلْطانُ فى أمرِه ، فجاءَ الكتابُ مِنَ السلطانِ بالإنكارِ عليه .

---

(١) المنتظم ١٦/ ١٩٨، والكامل ١٠/ ١٠٩.

(٢) بعده فى خ ، م : « ووجَد فى خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالا وستين حبة لؤلؤ ، كل حبة منها أزيد من مثقال ، وعشرة آلاف دينار ومائتى سرج ذهب ، وغير ذلك ، وقد كان أقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمى ، كان يلقب بالمعظم ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحهم سريرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بحى على خير العمل ، وأمر بالترضى عن الصحابة أجمعين وعمر بدمشق القلعة التى هى معقل الإسلام بالشام المحروس ، فرحمه اللّه وبل بالرحمة ثراه وجعل جنة الفردوس مأواه » .

(٣) سقط من الأصل ، وفى خ : « كوهراميرا » ، وفى م : « جوهرا » ، وفى ص : « كوهراهن » . والمثبت من الكامل ١٠/ ١١٢.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ مُقْطَعُ الكوفةِ خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ ، أثابَه اللَّهُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

سعدُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، أبو القاسمِ [١٩٧/٩ظ] **الزَّنْجَانِىُّ**(١) ، رحَل إلى الآفاقِ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان إمامًا حافِظًا متعبِّدًا ورِعًا ، ثم انْقَطَع فى آخرِ عُمرِه بمَكَّةَ ، وكان الناسُ يتبَرَّكُون به ، قال ابنُ الجَوْزِىِّ(٢) : ويُقَبِّلُون يدَه أكثرَ ممَّا يقبِّلُون الحجرَ الأسْوَدَ .

سليمُ الحَوْرِىُّ(٣) ؛ نِسْبَةً إلى قريةٍ من قُرَى دُجَيلٍ ، كان عابدًا زاهِدًا يقالُ : إنَّه مكَث مُدَّةً يتقَوَّتُ كلَّ يومٍ بزَبِيبَةٍ . وقد سمِع الحديثَ وقُرِئَ عليه ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ اللَّهِ بنُ سَبْعونَ(٤) ، أبو أحمدَ الفقيهُ المالكِىُّ القَيْرَوانِىُّ ، تُوفِّى ببَغْدادَ ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ ، واللَّهُ سُبْحانَه وتَعالَى أعلمُ .

---

(١) تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٧٣، والمنتظم ١٦/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٨٥، وتذكرة الحفاظ ١١٧٤/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٤٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٠.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٠١.

(٣) فى الأصل، خ، ص: «الجوزى»، وفى م: «بن الجوزى»، والحورى نسبة إلى حَوْرَى: قرية من قرى دجيل. معجم البلدان ٢/ ٣٥٩، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٠١، وفيه: «الحوزى»، ومعجم البلدان ٢/ ٣٥٩، والكامل ١٠/ ١١٢، وفيه: «الجورى».

(٤) فى م: «شمعون» وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١- ٤٨٠هـ) ص ٥١.

ثم دخلتْ سنةُ

ثِنْتَيْـن وسَبْعِين وأرْبَعِمائَةٍ[1]

فيها ملَك إبراهيمُ[2] بنُ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتكِينَ - صاحبُ غَزْنَةَ[3] - قِلاعًا كثيرةً حَصِينةً من بلادِ الهندِ، ثم عادَ إلى بلادِه سالمًا غانمًا.

وفيها وُلِد الأميرُ أبو جَعْفَرِ بنُ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ، وزُيِّنَتْ له بَغْدادُ.

وفيها ملَك صاحبُ المَوْصِلِ الأميرُ شَرفُ الدولةِ مسلمُ بنُ قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ العَقِيلىُّ بعدَ وفاةِ أبيه.

وفيها ملَك منصورُ بنُ مَرْوانَ ديارَ بكرٍ بعدَ أبيه.

وفيها أمَر السلطانُ بتَغْريقِ ابنِ عَلَّانَ اليهودِىِّ ضامنِ البَصْرَةِ، وأخَذ مِن ذخائرِه أرْبَعَمِائَةِ ألفِ دينارٍ، فضمِنَ خُمارْتِكِينُ البَصْرةَ بمائةِ ألفِ دينارٍ ومائةِ فرَسٍ فى كلِّ سنَةٍ.

وفيها فتَح عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ نِظامِ المُلْكِ تَكْرِيتَ. وحجَّ بالناسِ خُتْلُغُ التركِىُّ،

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٥، الكامل ١٠/ ١١٣.

(٢) فى الأصل: «إبراهيم بن محمود»، وفى م: «محمود». والمثبت كما فى الكامل ١٠/ ١١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٩، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ١٩٤، وتاريخ ابن الوردى ١/ ٣٨٠.

(٣) غزنة: مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان، وهى الحد بين خراسان والهند. معجم البلدان ٣/ ٧٩٨.

وقُطِعتْ خُطبةُ المصريِّين بمَكَّةَ، وخُطِبَ فيها للمُقْتَدِى وللسلطانِ مَلِكْشَاه السَّلْجُوقىِّ.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

عبدُ الملكِ بنُ الحسَنِ بنِ أحمدَ بنِ حَيْرُونَ[1]، **أبو نَصْرٍ**، سمِع الكثيرَ، وكان زاهدًا عابدًا، يسْرُدُ الصومَ، ويختِمُ فى كلِّ ليلةٍ خَتْمَةً، رحِمه اللَّهُ.

محمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ مِهْرانَ العُكْبَرِىُّ[2]، سمِع هِلالًا الحفَّارَ، وابنَ رَزْقُوَيْهِ، والحمَّامِىَّ، وغيرَهم، وكان فاضِلًا جيدَ الشِّعرِ، فمِنْ شِعرِه قولُه[3]:

أُطِيلُ تَفَكُّرِى فى أىِّ ناسٍ ... مَضَوا قِدْمًا[4] وفيمَنْ خلَّفونا
همُ الأحياءُ بعدَ الموتِ ذِكرًا ... ونحن مِنَ الخمولِ الميِّتونا

تُوفِّى فى رمضانَ من هذه السنةِ، وله تسعون[5] سنةً.

هَيَّاجُ بنُ عُبيدٍ[6] الحِطِّينىُّ[7] الشامىُّ، سمِع الحديثَ، وكان أَوْحدَ زمانِه

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٧، وفيه «خيرون»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٧١ وفيه: «عبد الملك بن الحسين بن خيران».

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩، والمنتظم ١٦/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٧٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٢.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٠٩.

(٤) فى المنتظم: «عنا».

(٥) فى خ، م: «سبعون»، وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩.

(٦) فى النسخ: «عبد اللَّه». والمثبت من مصادر ترجمته: المنتظم ١٦/ ٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٨٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٥٢٩، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٢.

(٧) فى م: «الخطيب».

زُهْدًا ، وفِقْهًا ، واجْتِهادًا فى العبادَةِ ، أقامَ بمَكَّةَ مُدَّةً يُفْتِى أهلَها ويَعْتَمِرُ فى كلِّ يومٍ ثلاثَ مرّاتٍ على قَدَمَيْه ، ولم يَلْبَسْ نَعْلًا مُذْ أقامَ بمَكَّةَ ، وكان يزورُ قَبْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مع أهلِ مَكَّةَ ماشيًا حافيًا ، وكذلك كان يزورُ قبرَ ابنِ عباسٍ بالطائفِ ، وكان لا يَدَّخِرُ شيئًا ، ولا يَلْبَسُ إلَّا قميصًا واحدًا ، ضرَبه بعضُ أمراءِ مَكَّةَ فى بعضِ فِتَنِ الرَّوافِضِ ، فاشْتَكَى أيامًا ، ومات وقد نَيَّفَ على الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

ثم دخلت سنة

ثلاثٍ وسَبْعِينَ وأرْبَعِمائَةٍ

فيها[1] اسْتَوْلَى تُكشُ أخو السلطانِ مَلِكْشاه على بعضِ خُرَاسَانَ . وفيها أُذِنَ للوُعَّاظِ فى الجلوسِ ، وكانوا قد مُنِعُوا مِن وقتِ فتنةِ ابنِ القُشَيْرِىِّ . وفيها قُبِضَ على جماعةٍ من الفِتْيانِ كانوا قد جعَلُوا عليهم رئيسًا يُقالُ له : عبدُ القادرِ الهاشِمىُّ ، وقد كاتَبُوه مِنَ الأَقْطارِ ، وكان السَّاعِى له رجلًا يُقالُ له : ابنُ رَسولٍ[2] . وكانوا يَجْتَمِعونَ عندَ جامعِ بَرَاثَا[3] ، فخِيفَ مِن أمْرِهم أنْ يكُونوا مُمالِئِينَ للمِصْرِيين ، فأُمِرَ بالقَبْضِ عليهِم . وحجَّ بالناسِ خُتْلُغُ التركىُّ . واللَّهُ أَعْلَمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ[4] ، أبو عبدِ اللَّهِ بنُ الأخْضَرِ المحدِّثُ ، سمِع علىَّ بنَ شاذانَ ، وكان على مذهبِ الظاهِرِيَّةِ [٩/ ١٩٨و] ، وكان كثيرَ التِّلاوَةِ حسنَ السِّيرةِ ، مُتقَلِّلًا منَ الدنْيا قَنُوعًا ، رحِمهُ اللَّهُ .

الصُّلَيْحِىُّ المُتغَلِّبُ على اليمنِ ، أبو الحسَنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ ، المُلَقَّبُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢١١، والكامل ١٠/ ١١٨.

(٢) فى المنتظم : « الرسولى » .

(٣) براثا : محلة كانت فى طرف بغداد . معجم البلدان ١/ ٥٣٢.

(٤) المنتظم ١٦/٢١٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٨٤ . وفيه : « أحمد ابن محمد بن أحمد الأخضر » .

بالصُّلَيْحىِّ[1] ، كان أبوه قاضِيًا باليمنِ ، وكان سُنِّيًّا ، ونشَأ هذا فتعلَّمَ العلمَ وبرَع فى أشياءَ كثيرةٍ مِنَ العُلومِ ، وكان شِيعِيًّا على مذهبِ القَرامِطَةِ ، ثم كان يدلُّ[2] بالحَجِيجِ مدةَ خَمْسَ عشْرَةَ سنةً ، وكان قد اشْتَهَر أمرُه بينَ الناسِ أنَّه سَيمْلِكُ اليمنَ ، فنجَم ببلادِ اليمنِ بعدَ قَتْلِه نَجاحًا صاحِبَ تِهَامَةَ ، واسْتَحْوَذ على بلادِ اليمنِ بكَمالِها فى أقْصَرِ مدةٍ ، واسْتَوْثَقَ له المُلْكُ بها سنةَ خمسٍ وخمسينَ ، وخطَب للمُسْتَنْصِرِ العُبَيْدىِّ صاحبِ مِصْرَ ، فلمَّا كان فى هذا العامِ خرَج إلى الحجِّ فى ألْفَىْ فارسٍ ، فاعْتَرضَه سعيدُ بنُ نَجاحٍ بالمَوْسِمِ ، فى نفَرٍ يسيرٍ ، فقاتلَهم فقُتِلَ هو وأخوه واستحوذَ سعيدُ بنُ نجاحٍ على مَمْلَكَتِه وحواصِلِه ، ومِن شعرِ الصليحىِّ هذا قولُه[3] :

أنْكَحْتُ بيضَ الهندِ سمرَ رِمَاحِهِمْ ... فَرءُوسُهُمْ عِوضُ النِّثارِ نِثَارُ
وكذا العُلا لا يُسْتَباحُ نِكاحُها ... إلّا بحيثُ تُطَلَّقُ الأعْمارُ

محمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ يُوسُفَ بنِ الشِّبْلِ[4] ، أبو علىٍّ الشاعرُ البَغْدادِىُّ ، أسْندَ الحديثَ ، وله الشعرُ الرائقُ ، فمِنه قولُه[5] :

لَا تُظْهِرَنَّ لعاذلٍ أو عاذِرٍ ... حالَيْكَ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ
فلِرَحْمَةِ المُتَوجِّعينَ مَرارةٌ ... فى القلبِ مثلُ شَمَاتَةِ الأَعْداءِ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٩١، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٣، وشذرات الذهب ٣/ ٣٤٦.

(٢) أى يحُجُّ بهم ويدلُّهم على الطريق.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٥.

(٤) خريدة القصر ٢/ ٢٤٧، والمحمدون من الشعراء ص ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٩٩، والوافى بالوفيات ٣/ ١١.

(٥) المحمدون من الشعراء ص ٣٧٧.

وله أيضًا[1] :

يُفْنِى البخِيلُ بجَمْعِ المالِ مدَّتَهُ ... وللحوادِثِ والوُرَّاثِ ما يدَعُ
كدودةِ القَزِّ ما تَبْنِيهِ يخنُقُها ... وغيرُها بالذى تَبْنِيه ينتفِعُ

يُوسُفُ بنُ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ، أبو القاسمِ التَّفَكُّرِىُّ[2] ، مِن أهلِ زَنْجَانَ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وتِسْعينَ وثلاثِمائةٍ ، وتفَقَّهَ على مَذْهَبِ الشافعىِّ ، ودرَس الفِقْهَ على الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِىِّ ، وكان مِن أكبرِ تلامذتِه ، وكان عابدًا وَرِعًا خاشِعًا ، كثيرَ البُكاءِ عندَ الذِّكْرِ ، مُقْبِلًا على العِبادةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد قارَب الثمانين .

---

(١) المحمدون من الشعراء ص ٣٩١.

(٢) فى الأصل ، ص : « السكرى » ، وفى خ ، م : « العسكرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ١٦/ ٢١٥، والكامل ١٠/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥١، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٣٦١، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥، وقال فيه : أبو القاسم يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ، الزنجانى المعروف أيضًا بالتفكرى ؛ لكثرة تفكُّره فى الآخرة .

ثم دخلت سنة
أربع وسبعين وأربعمائة

فيها[1] وَلِيَ أبو كاملٍ ، مَنْصورُ بنُ نُورِ الدَّوْلةِ دُبَيْسٍ ما كان يَلِيه أبوه مِن الأَعْمالِ ، وخلَع عليه السلطانُ والخليفةُ . وفيها ملَكَ شَرَفُ الدَّوْلةِ مُسْلِمُ بنُ قُرَيْشٍ حَرَّانَ ، وصالَح صاحبَ الرُّهَا . وفيها فتَح تُتُشُ بنُ أَلبِ أَرْسَلَانَ صاحِبُ دِمَشْقَ مدينةَ أَنْطَرْطُوسَ[2] . وفيها أَرْسَلَ الخليفةُ ابنَ جَهِيرٍ إلى السلطانِ مَلِكْشاه يَخْطُبُ له ابْنَتَه عنه ، فأجابَتْ أمُّها إلى ذلك ، بشَرْطِ أَنْ لا يكونَ له زَوْجةٌ ولاسُرِّيَّةٌ سِوَاها ، وأنْ يكونَ مَبِيتُه عندَها ، فوقَع الشَّرْطُ على ذلك .

ومِمَّن تُوفِّي فيها مِن الأعْيانِ :

داودُ بنُ السُّلْطانِ مَلِكْشاه[3] ، فوجَد عليه أبوه وَجْدًا عظيمًا ، بحيثُ إنَّه كادَ - أَوْ هَمَّ - أنْ يَقْتُلَ نَفْسَه ، فمنَعه الأُمراءُ مِن ذلك ، وانتقَل إلى غيرِ ذلك البلدِ ، وأمَر النساءَ بالنَّوْحِ عليه ، ولمَّا وصَل الخبرُ إلى بَغْدادَ جلَس وزيرُ الخليفةِ للعَزاءِ .

القاضي أبو الوَلِيدِ البَاجِيُّ ، سُلَيمانُ بنُ خَلَفِ بنِ سعدِ بنِ أَيُّوبَ التُّجِيبِيُّ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢١٦، والكامل ١٠/ ١٢٠.

(٢) في خ ، ص : « أنطرسوس » . وأنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص . معجم البلدان ١/ ٣٨٨.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢١٦، ٢١٧، والكامل ١٠/ ١٢٢، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٣.

الأَنْدَلُسِىُّ الباجىُّ الفقيهُ المالكِىُّ[1] ، أحدُ الحُفَّاظِ المُكْثِرين فى الفِقْهِ والحديثِ ، سمِع الحديثَ ورحَل فيه إلى بلادِ المَشْرِقِ سنةَ سِتٍّ وعِشْرينَ وأَرْبَعِمائةٍ ، فسمِع هناك الكثيرَ ، واجتَمَع بأئمَّةِ ذلك [٩/١٩٨ظ] الوقتِ ، كالقاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، والشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وجاوَر بمَكَّةَ ثلاثَ سِنينَ مع الشيخِ أبى ذَرٍّ الهَرَوِىِّ ، وأقامَ ببَغْدادَ ثلاثَ سِنينَ أيضًا ، وبالمَوْصِلِ سنةً عندَ أبى جَعْفرٍ السِّمْنانِىِّ قاضِيها ، فأَخَذ عنه الفِقْهَ والأصولَ ، وسمِع الخطيبَ البَغْدادِىَّ ، وسمِع منه الخطيبُ أيضًا ، ورَوَى عنه هَذيْنِ البيتينِ الحسَنَيْنِ[2] :

إذا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بأنَّ جميعَ حَياتِى كسَاعَهْ
فَلِمْ لا أكونُ ضَنِينًا بها ... وأَجْعَلُها فى صَلاحٍ وطاعَهْ

ثم عادَ إلى بلَدِه بعدَ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً ، وتوَلَّى القضاءَ هناك ، ويُقالُ : إنَّه توَلَّى قضاءَ حَلَبَ أيضًا . قالَه ابنُ خَلِّكانَ[3] . قال : وله مُصَنَّفاتٌ عديدةٌ ، منها « المُنْتَقَى فى شرحِ المُوَطَّأ » ، و « إِحْكامُ الفُصولِ فى أَحْكامِ الأصولِ » ، و « الجَرْحُ والتعْديلُ[4] » ، وغيرُ ذلك ، وكان مَوْلِدُه فى سنةِ ثلاثٍ وأَرْبعِمائةٍ ، وتُوفِّى بالمَرِيَّةِ[5] ليلةَ الخميسِ بينَ العِشاءَيْنِ ، التاسعَ عَشَرَ مِن رَجَبٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٨٠٢، وتاريخ دمشق ٢٢/ ٢٢٤، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١١٣.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٩.

(٤) فى الوفيات ٢/ ٤٠٩: « التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخارى فى الصحيح » . وفى ترتيب المدارك ٨/ ١٢٤، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٤٩: « التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح » .

(٥) سقط من: خ، م. والمرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. معجم البلدان ٤/ ٥١٧.

أبو الأَغَرِّ ، دُبَيْسُ بنُ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ[1] ، المُلَقَّبُ نورَ الدَّوْلةِ ، تُوفِّى فى هذه السنةِ عن ثمانين سنةً ؛ مكَث فيها أميرًا نَيِّفًا وسِتِّينَ[2] وقامَ بالأمرِ مِن بَعْدِه ولدُه أبو كاملٍ ، ولُقِّبَ بهاءَ الدَّوْلةِ .

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ رِضْوانَ ، أبو القاسمِ البَغْدادِىُّ[3] ، كان مِنَ الرُّؤَساءِ ، ومرِضَ بالشقيقةِ[4] ثلاثَ سِنينَ ، فمكَثَ فى بيتٍ مُظْلِمٍ لا يرَى ضَوْءًا ، ولا يَسْمَعُ صَوْتًا .

---

(١) دمية القصر ١/ ٥٢، والمنتظم ١٦/ ٢٢٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١١٢.

(٢) ورد فى الكامل ١٠/١٢١ أنه ولى سبعًا وخمسين.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٢٠، والكامل ١٠/ ١٢٢.

(٤) الشقيقة : وَجَع يأخذ نصف الرأس والوجه . تاج العروس (ش ق ق) .

ثم دخلتْ سنَةُ خمسٍ وسَبعِين وأربعِمائةٍ

فيها[1] قدِم مُؤَيِّدُ المُلكِ بنُ نِظامِ المُلكِ فنزَل فى مدرسةِ أبيه ، وضُرِبت الطبولُ على بابِه فى أوقاتِ الصلواتِ الثَّلاثِ .

وفيها نَفَذَ الشيخُ أبو إسْحَاقَ الشِّيرازِىُّ رسولًا إلى السلْطانِ مَلِكْشَاه والوزيرِ نِظامِ المُلكِ ، وكان أبو إسْحاقَ كلَّما مرَّ على بلدةٍ خرَج إليه أهلُها يتَلَقَّوْنَه بأولادِهم ونِسائِهم ؛ يتبَرَّكونَ به ويتمَسَّحونَ برِكابِه ، ورُبَّما أخَذوا مِن تُرابِ حافِرِ بغْلَتِه ، ولمَّا وصَل إلى ساوَةَ خرَج إليه أهلُها ، وما مرَّ بسُوقٍ منها إلَّا نثَروا عليه مِن لطيفِ ما عندَهم ، حتى اجْتازَ بسُوقِ الأَساكِفَةِ ، فلم يكُنْ عندَهم إلَّا مَداساتُ الصِّغارِ فنثَروها عليه ، فجعَل الشيخُ يتَعجَّبُ مِن ذلك .

وفيها جُدِّدَتِ الخِطبةُ مِن جهَةِ الخليفةِ لبنتِ السلطانِ مَلِكْشاه ، فطلَبَتْ أمُّها أرْبعَمائَةِ ألفِ دينارٍ ، ثم اتَّفَق الحالُ على خمسينَ ألفَ دينارٍ للرَّضاعِ ، وأن يكونَ الصَّداقُ مائةَ ألفِ دينارٍ .

وفيها حارَب السلطانُ أخاه تُتُشَ فأسَره ثم أطْلَقه ، واستقَرَّتْ يَدُه على دِمشقَ وأعمالِها . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خُتْلُغُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) المنتظم ١٦/ ٤٧٥، والكامل ١٠/ ١٢٧.

عبدُ الوهّابِ بنُ محمدِ بنِ إسْحاقَ[1] **بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ مَنْدَه ، أبو عمرٍو** الحافظُ مِن بيتِ الحديثِ ، رحَل إلى الآفاقِ وسمِعَ الكثيرَ ، وتُوفِّى بأصْبهانَ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ ماكُولَا[2] **، الأميرُ أبو نَصْرٍ ، علىُّ بنُ الوزيرِ أبى القاسمِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ جَعْفَرِ بنِ عَلِّكانَ**[3] **بنِ محمدِ بنِ دُلَفَ بن أبى دُلَفَ التَّميمىُّ** ، الأميرُ سعدُ المُلْكِ ، أبو نَصْرِ بنُ مَاكُولَا ، أحدُ أئمَّةِ الحديثِ وساداتِ الأمراءِ ، رحَل وطافَ وسمِعَ [٩/١٩٩و] الكثيرَ ، وصنَّفَ « الإكْمالَ » فى المشتَبِهِ مِن أسْماءِ الرجالِ ، وهو كتابٌ جليلٌ لم يُسبَقْ إليه ، ولا يُلحَقُ فيه ، إلَّا ما اسْتَدْرَكه عليه ابنُ نقطةَ فى كتابٍ سمَّاه « الاستدراكَ » .

قتَله مماليكُه فى كَرْمَانَ فى هذه السنَةِ ، وكان مولدُه فى سنةِ عشرين وأربعِمائَةٍ ، وعاشَ خمسًا وخمسينَ سنةً . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وقيل : إنَّه قُتِل فى سنَةِ (5تسعٍ وسَبْعِين5) . (6وقيلَ : فى سنَةِ سبعٍ وثمانين6) . قال[7] : وقد كان أبوه

---

(١) فى الأصل : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٢٥، والتقييد لابن نقطة ص ٣٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٣٩، والعبر ٣/ ٢٨٢.

(٢) تاريخ دمشق ١٢/٥٥٨ (مخطوط)، والمنتظم ١٦/ ٢٢٦، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٤١، و(حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢١٥.

(٣) فى سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام : « على » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٦.

(٥ - ٥) فى خ : « ست وثمانين » .

(٦ - ٦) سقط من : خ . وفى الأصل ، ص : « وقيل : سنة خمس وثمانين ، وقيل : سنة ست وثمانين » .

(٧) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥.

(١) وزيرَ القائم بأمرِ اللَّهِ(١) ، وعمُّه (٢)أبو عبدِ اللَّهِ الحسينُ بنُ عليٍّ(٢) وَلِيَ قضاءَ بغدادَ . قال(٣) : ولا أدرِى لِمَ سُمِّى الأميرَ ، إلَّا أن يكونَ منْسُوبًا إلى جَدِّه الأميرِ أبى دُلَفَ ، وأصلُه مِن جَرْباذَقانَ(٤) ، ووُلِدَ فى عُكْبَرَا فى شعبانَ سنةَ إحدى وعشرين وأربعمائةٍ . قال(٥) : وقد كان الخطيبُ البَغْدادِىُّ صنَّفَ كتابَ « المُؤْتَنِفِ » جمَع فيه بينَ كِتابَيِ الدارَقُطْنِىِّ ، وعبدِ الغَنِىِّ بنِ سعيدٍ فى « المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ » ، فجاءَ ابنُ مَاكُولَا ، وزادَ على كتابِ الخطيبِ وسمَّاه « الإكْمالَ » ، وهو فى غايَةِ الإفادةِ ورَفْعِ الالتِباسِ والضَّبْطِ ، ولم يُوضَعْ مثلُه ، ولا يحتاجُ هذا الأميرُ بعدَه إلى ذِكْرِ فَضيلةٍ أُخْرَى ، فَفِيه دِلالةٌ على كثرةِ اطِّلاعِه وضَبْطِه وتحْريرِه وإتْقانِه . ومِن شعرِه المنْسُوبِ إليه قولُه(٦) :

قوِّضْ(٧) خِيامَكَ عن أرضٍ تُهانُ بها ... وجانِبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ يُجْتَنَبُ

وارْحَلْ إذا كان فى الأوْطانِ مَنْقَصَةٌ ... فالمَنْدَلُ(٨) الرَّطْبُ فى أوطانِهِ حَطَبُ

(١ - ١) فى الأصل، ص : « وزيرا للقادر باللَّه » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « عبد اللَّه بن الحسين » ، وفى معجم الأدباء ١٥/ ١٠٣: « الحسن بن جعفر » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥. وانظر تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٠٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٦.

(٤) جرباذقان ؛ بالفتح والعجم يقولون : كرباذكان : بلدة قريبة من همذان بينَها وبينَ الكرج وأصبهان . معجم البلدان ٢/ ٤٦.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥.

(٦) معجم الأدباء ١٥/ ١٠٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٧٧.

(٧) فى خ : « فرض » . وقوَّض البناء : هدمه .

(٨) فى خ : « المنزل » . والمندل : العود الطيب الرائحة .

ثم دخلت سنةُ ستٍّ وسبعين وأربعِمائةٍ

فيها[1] عُزِلَ عميدُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ عن وزارةِ الخلافةِ، فسارَ بأهلِه وأولادِه إلى السلْطانِ، وقصَدوا نظامَ المُلْكِ وزيرَ السلْطانِ، فعقَد لوَلَدِه فخرِ الدولةِ على بلادِ بَكْرٍ، فسارَ إليها بالخِلَعِ والكُوساتِ[2] والعساكرِ، وأمَر أن ينْتَزِعَها مِن ابنِ مَرْوَانَ، وأنْ يُخطَبَ لنَفْسِه، وأنْ يُكْتَبَ اسمُه على السِّكَّةِ، فما زالَ حتى انْتَزَعَها مِن أيْدِيهم، وبادَ مُلْكُهم على يدَيْه، كما سيأْتِى بَيانُه، وسَدَّ وزارةَ الخلافةِ أبو الفَتْحِ مظفَّرُ، ابنُ رئيسِ الرُّوساءِ، ثم عُزِل فى شعبانَ واسْتُوزِرَ أبو شُجاعٍ، محمدُ بنُ الحسينِ، ولُقِّبَ ظَهِيرَ الدينِ.

وفى جُمادَى الآخرةِ[3] وَلَّى مؤيِّدُ الملكِ أبا سعدٍ[4] عبدَ الرحمنِ بنَ المأْمُونِ المُتَولِّىَ تدريسَ النِّظَامِيَّةِ بعدَ وفاةِ الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِىِّ، رحِمه اللَّهُ.

وفيها عصَى أهلُ حَرَّانَ[5] على شرفِ الدولةِ مُسلمِ بنِ قُرَيْشٍ، فجاءَ فحاصَرها ففتَحَها وهدَم سُورَها وصلَبَ قاضِيَها ابنَ جَلَبَةَ[6] وابنَيْه[7] على السورِ.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٢٧، والكامل ١٠/ ١٢٩.

(٢) الكوس: الطبل.

(٣) سقط من: خ، وفى الأصل، ص: «الأولى». وانظر المنتظم ١٦/ ٢٢٧.

(٤) فى الأصل، خ، م: «سعيد». وانظر المنتظم ١٦/ ٢٢٧، والكامل ١٠/ ١٣٢.

(٥) فى الأصل، ص: «خراسان». وانظر الكامل ١٠/ ١٢٩.

(٦) فى الأصل: «حبلية»، وفى خ: «حيلة»، وفى م، والكامل ١٠/ ١٢٩: «حلبة»، وفى ص: «حلية». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦، ١٧. وانظر: المشتبه ١/ ١٦٧، وتبصير المنتبه ١/ ٢٥٨، وزبدة الحلب ٢/ ٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٠، والعبر ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٧) فى الأصل: «أثبته»، وفى ص: «ابنته».

وفى شوَّالٍ منها قُتِل أبو المَحاسنِ بنُ أبى الرِّضَا ؛ وذلك لأنَّه وشَى إلى السلْطانِ فى نِظامِ المُلْكِ ، وقالَ له : سَلِّمْهُم إلىَّ[1] حتى أسْتخْلِصَ لك منهم ألفَ ألفِ دينارٍ . فعمِل نِظامُ المُلْكِ سِماطًا هائلًا ، واسْتَحْضَرَ غِلْمانَه وكانوا أُلُوفًا ، وشرَع يقولُ للسلطانِ : هذا كلُّه مِن أمْوالِكَ ، وما وقَفْتُه مِن المدارسِ والرُّبُطِ ، فكُلُّه شُكْرُه لكَ فى الدُّنْيا وأجْرُه لك فى الآخرةِ ، وأمْوالِى وجميعُ ما أمْلِكُه بينَ يَدَيْك ، وأنا أقنَعُ بمُرقَّعَةٍ وزاوِيَةٍ . فعندَ ذلك أمرَ السلطانُ بقَتْلِ أبى المحاسِنِ ، وقد كان حَظِيًّا عندَه ، وخِصِّيصًا به وَجِيهًا [٩/١٩٩ظ] لدَيْه ، وعزَلَ أباه عن كتابةِ الطُّغْراءِ[2] ووَلَّاها مؤيِّدَ المُلْكِ بنَ نِظامِ المُلْكِ .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ خُتْلُغُ التركىُّ مُقطَعُ الكُوفَةِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ أبو إسْحَاقَ الشِّيرَازِىُّ ، إبراهيمُ بنُ علىِّ بن يُوسُفَ ، الشِّيرازِىُّ الفِيرُوزاباذِىُّ[3] - وهى قريةٌ مِن قُرَى فارِسَ ، وقيل : هى مدينةُ جُورَ[4] . شيخُ الشافِعيَّةِ ، ومدرِّسُ النِّظَامِيَّةِ ببغدادَ ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ ، وقيلَ : (٥خمسٍ ، وقيل٥) :

---

(١) أى : نظام الملك وأصحابه . وانظر الخبر فى المنتظم ١٦/ ٢٢٧، ٢٢٨، والكامل ١٠/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧.

(٢) الطغراء : قال الذهبى : كتابة السِّرِّ ، وقال ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٢/ ١٩٠: الطغرى : هى الطرة التى تكتب فى أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ، مضمونها نعوت الملك الذى صدر الكتاب عنه . وانظر تاج العروس (ط غ ر) .

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٢٨، ووفيات الأعيان ١/ ٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١- ٤٨٠هـ) ص ١٤٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٧.

(٤) فى م : «خوارزم» . وانظر معجم البلدان ٣/ ٩٢٨.

(٥ - ٥) ليست فى : الأصل ، خ ، م . وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣١.

سِتٍّ وتسعين وثَلاثِمائةٍ . وتفَقَّهَ بفارِسَ على أبى عبدِ اللَّهِ البَيْضاوِىِّ ، ثم قَدِمَ بَغْدادَ سنةَ خمسَ عشْرةَ وأرْبَعِمائَةٍ ، فتفَقَّهَ على القاضِى أبى الطيِّبِ الطبرِىِّ ، وسمِعَ الحديثَ مِنَ ابنِ شاذَانَ والبرْقَانِىِّ ، وكان زاهدًا عابدًا وَرِعًا ، كبيرَ القَدْرِ معظَّمًا ، محترَمًا ، إمامًا فى الفِقْهِ والأصولِ والحديثِ وفنونٍ كثيرةٍ ، وله المصنَّفاتُ الكثيرةُ النافعةُ ؛ كـ « المُهذَّبِ » فى المذْهبِ ، و « التَّنْبِيهِ » ، و « النُّكَتِ » فى الخِلافِ ، و « اللُّمَعِ » فى أصولِ الفِقْهِ ، و « التبْصِرَةِ » ، و « المعُونةِ » ، و « طبقاتِ الفقهاءِ »[1] وغيرِ ذلك . قلتُ : وقد ذكَرتُ ترجمتَه مُسْتَقْصاةً ومطوَّلَةً فى أوَّلِ شرحِ « التَّنْبِيهِ » . تُوفِّى ليلةَ الأحدِ الحادِى والعشرين مِن جُمادَى الآخرةِ فى دارِ [2]المظفَّرِ ابنِ[2] رئيسِ الرؤساءِ ، وغسَّلَه أبو الوَفَا بنُ عَقيلٍ الحَنْبَلِىُّ ، وصُلِّى عليه بابِ الفِرْدَوْسِ مِن دارِ الخلافةِ ، وشهِدَ الصلاةَ عليه المُقْتَدِى بأمْرِ اللَّهِ ، وتقدَّم للصلاةِ عليه أبو الفَتْحِ المظفَّرُ ابنُ رئيسِ الرُّؤساءِ ، وكان نائبَ الوزارةِ ، ثم صُلِّى عليه مرةً ثانيةً بجامعِ القصرِ ، ودُفِنَ بِبابِ أبْرزَ فى تُربةٍ مُجاوِرَةٍ للناحِيَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

وقد امْتدَحَه الشعراءُ فى حياتِه وبعدَ وَفاتِه ، وكان هو نفسُه له شعرٌ رائقٌ ، فمِمَّا أنشدَه ابنُ خَلِّكانَ مِن شعرِه قولُه[3] :

سألتُ الناسَ عن خِلٍّ وَفِىٍّ ... فقالُوا ما إلى هذا سبيلُ
تمَسَّكْ إن ظفِرتَ بذَيْلِ[4] حُرٍّ ... فإنَّ الحرَّ فى الدُّنيا قليلُ

---

(١) فى خ ، م ، ص : « الشافعية » . وانظر معجم المؤلفين ١/ ٦٨، ٦٩.
(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « أبى المظفر ابن » ، وفى خ : « أبى المظفر » . والمثبت كما فى المنتظم ١٦/ ٢٣٠.
(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٩.
(٤) فى المنتظم ١٦/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦١: « بوُدٍّ » .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : ولمَّا تُوفِّى عمِلَ الفقهاءُ عزاءَه بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ، وعيَّن مؤيِّدُ المُلكِ أبا سعدٍ المُتَوَلِّىَ مكانَه ، فلمَّا بلَغ الخبرُ إلى نِظامِ المُلكِ كتَب يقولُ : كان مِن الواجبِ أنْ تُغْلَقَ المدرسةُ سنةً لأجْلِه . وأمرَ أن يُدرِّسَ الشيخُ أبو نصرٍ بنُ الصَّبَّاغِ فى مكانِه .

طاهرُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ القَوَّاسُ[2] ، قرَأ القرآنَ وسمِعَ الحديثَ ، وتفَقَّهَ على القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، وأفْتَى ودرَّس وكانتْ له حَلْقةٌ بجامعِ المنصورِ للمُناظرةِ والفَتْوَى ، وكان ثِقَةً ورِعًا زاهدًا مُلازمًا لمسْجدِه خمسينَ سنةً . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن سِتٍّ وثمانين سنةً ، ودُفِنَ قريبًا مِن الإمامِ أحمدَ ، رحِمه اللَّهُ وإيَّانا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ ، أبو طاهرٍ الأَنْبَارِىُّ الخطيبُ[3] ، ويعرَفُ بابنِ أبى الصَّقْرِ ، طافَ البلادَ وسمِعَ الكثيرَ ، وكان ثقةً صالحًا فاضلًا عابدًا ، وقد سمِعَ منه الخطيبُ البَغْدادِىُّ ، وروَى عنه مُصَنَّفاتِه[4] ، تُوفِّى بالأَنْبارِ فى جُمادَى الآخرةِ عن نحوٍ مِن مائةِ سنَةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ جَرْدَةَ[5] ، أحدُ كبراءِ الرُّؤساءِ [٩/٢٠٠و]

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣١.

(٢) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٤، والمنتظم ١٦/ ٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦٤، والوافى بالوفيات ١٦/ ٣٩٤.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٨.

(٤) فى المنتظم: «روى عنه فى مصنفاته، فقال: حدثنا محمد بن أحمد ...».

(٥) فى الأصل: «جزرة»، وفى خ، م: «جرادة». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧٧.

ببغدادَ ، وهو مِن ذَوِى الثروةِ والمُروءةِ ، كان يُحزَرُ مالُه بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وكان أصلُه مِن عُكْبَرَا ، فسكَنَ بَغْدادَ ، وكانت له بها دارٌ عظيمةٌ تشتَمِلُ على ثلاثين مسْكَنًا مُستقلًّا ، وفيها حَمَّامٌ وبُسْتانٌ ، ولها بابانِ ، على كلِّ بابٍ مسجدٌ ، إذا أذَّنَ المؤذِّنُ فى أحدِهما لا يسمَعُ الآخرُ مِن اتِّساعِها . وقد كانت زوجةُ الخليفةِ القائمِ - حينَ وقَعت فتنةُ البَساسيرِىِّ فى سنَةِ خمسين وأرْبَعِمائَةٍ - نزَلتْ عندَه فى جوارِه ، فبعَث إلى الأميرِ قُرَيْشِ بنِ بدرانَ أميرِ العرَبِ بعشَرَةِ آلافِ دينارٍ ، ليَحْمِىَ له دارَه ، وهو الذى بنَى المسجِدَ المعروفَ به ببَغْدادَ ، وقد ختَمَ فيه القرآنَ ألوفٌ مِن الناسِ ، وكان لا يفارِقُ زِىَّ التُّجارِ . وكانت وفاتُه فى عاشرِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ، وُدفِنَ فى التُّربةِ المُجاورةِ لتُربةِ القَزْوِينىِّ ، رَحِمه اللَّهُ وإيَّانا ، آمين .

ثم دخلتْ سنةُ سَبْعٍ وسَبعينَ وأربَعِمائَةٍ

فيها[1] كانتِ الحربُ بينَ فخرِ الدولةِ ابنِ جَهِيرٍ وبينَ ابنِ مَرْوانَ صاحبِ ديارِ بَكْرٍ، فاسْتَوْلَى ابنُ جَهِيرٍ على مُلكِ العربِ، وسبَى حريمَهم، وأخَذ البلادَ ومعه سيفُ الدولةِ صَدَقةُ بنُ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ عليٍّ بنِ مَزْيَدٍ الأسَدِيُّ، فافتَدَى خَلْقًا مِن العربِ، فشكَره الناسُ على ذلك، ومدَحه الشعراءُ عليه.

وفيها بعَث السلطانُ عميدَ الدولةِ ابنَ جَهِيرٍ فى جيشٍ كثيفٍ ومعه قَسيمُ الدولةِ آقْ سُنْقُرُ جَدُّ بنى أتابِكَ مُلوكِ الشامِ والمَوْصِلِ، فسار إلى المَوْصِل فملَكوها.

وفى شعبانَ ملَك سُلَيمانُ بنُ قُتْلُمُشَ أَنْطاكِيَةَ، فأراد شرَفُ الدولةِ مسلمُ بنُ قُرَيْشٍ أن يستنقِذَها منه، فهزَمه سليمانُ، وقتَله، وقد كان مسلمٌ هذا مِن خِيارِ الملوكِ سيرةً، له فى كلِّ قريةٍ والٍ وقاضٍ وصاحبُ خَبَرٍ، وكان يملِكُ مِن السِّنْدِيَّةِ[2] إلى مَنْبِجَ. وولِى بعدَه أخوه إبراهيمُ بنُ قُرَيْشٍ، وكان مسجونًا مِن سنينَ فأُطلِق ومُلِّكَ.

وفيها وُلِد السلطانُ سَنْجَرُ بنُ مَلِكْشَاه فى العشرين من رجَبٍ بسِنْجَارَ[3].

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٣٤، والكامل ١٠/ ١٣٤.

(٢) السندية: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد وبين الأنبار. معجم البلدان ٣/ ١٦٨.

(٣) سنجار: مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. معجم البلدان ٣/ ١٥٨.

وفيها عصَى تكشُ أخو السلطانِ ، فأخَذه السلطانُ ؛ فسمَله وسجَنه .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنَةِ الأميرُ خُمارْ تِكينُ الحَسنَانيُّ ؛ وذلك لشكوى الناسِ مِن شدَّةِ سيرِ خُتْلُغَ بهم ، وأخْذِه المُكوساتِ منهم ؛ سار مرَّةً مِن الكُوفَةِ إلى مَكَّةَ فى تسعةَ[1] عشَرَ يومًا .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ دُوْسْتَ[2] ، **أبو سعدٍ النَّيْسَابُورِىُّ** ، شيخُ الصوفِيَّةِ ، له رِباطٌ بمدينةِ نَيسابُورَ يدخُلُ مِن بابِه الجمَلُ براكِبِه ، وحجَّ مراتٍ على التجْريدِ[3] حينَ انقطَعت طريقُ مَكَّةَ ، فكان يأخُذُ جماعةً مِن الفُقراءِ ويتوَصَّلُ مِن قبائلِ العرَبِ حتى يصلَ مكَّةَ ، تُوفِّى فى هذه السنَةِ وقد جاوزَ التسعينَ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى ، وأوصَى أن يخلُفَه ولدُه إسماعيلُ ، فأُجلِس فى مشيخةِ الرِّباطِ وله ثِنْتا عشْرةَ سنةً ، وهو الذى وقَف الأوقافَ على الرِّباطِ .

ابنُ الصَّبَّاغِ[4] **صاحبُ « الشاملِ »** ، عبدُ السَّيِّدِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ ابنِ أحمدَ بنِ جعفرٍ ، الإمامُ أبو نَصْرِ بنُ الصَّبَّاغِ ، وُلِد سنةَ أربعِمائةٍ ، وتفَقَّهَ ببَغْدادَ على أبى الطيبِ الطَّبَرِىِّ حتى فاقَ الشافِعيَّةَ بالعراقِ ، وصنَّفَ المصنفاتِ المفيدةَ ؛

---

(١) فى خ ، م : « سبعة » . وانظر إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢/ ٤٨٢.

(٢) فى م : « دوبست » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٣٥، والكامل ١٠/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٥٨، والعبر ٣/ ٢٩٤.

(٣) بعده فى خ ، م : « على البحرين » . والمقصود أنه حجَّ بلا نفقة وزاد بل كان يتنقل من قبيلة إلى أخرى ويَضيف عندهم حتى وصل مكة . ويقال : جَردَ القومَ يجردهم جردًا : سألهم فمنعوه أو أعطوه كارهين . تاج العروس (ج ر د) ، وهو كان يسأل القبائل لمن معه من الفقراء ويحج بهم .

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٧١ - ٢٨٠هـ) ص ١٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٢٢.

منها كتابُ « الشامِلِ » فى المَذْهَبِ ، وهو أوَّلُ مَنْ درَّس بالنِّظامِيَّةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنَةِ ، ودُفِن بدارِه فى الكَرْخِ ، ثم نُقِل إلى بابِ حربٍ ، رحِمه اللَّهُ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : كان فقيهَ العراقَيْنِ ، وكان يضاهَى بالشيخِ أبى إسحاقَ ، وكان ابنُ الصَّبَّاغِ أعلمَ منه بالمَذْهَبِ ، وإليه الرِّحْلَةُ ، وقد صنَّف « الشاملَ » فى الفقهِ ، و « العُمْدَةَ » فى أصولِ الفقهِ ، وتولَّى تدريسَ النِّظامِيَّةِ أوَّلًا ، ثم عُزِل بعدَ عشرينَ يومًا بالشيخِ أبى إسحاقَ ، فلمَّا ماتَ الشيخُ [٩/٢٠٠ظ] أبو إسْحاقَ تولَّاها أبو سعدٍ المُتَولِّى ، ثم عُزِل بابنِ الصَّبَّاغِ ، ثم عُزِل ابنُ الصَّبَّاغِ بابنِ المُتَولِّى ، وكان ثقةً حُجَّةً صالحًا ، وُلِد سنةَ أرْبَعمائةٍ ، وأُضَرَّ فى آخرِ عُمرِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

مَسعودُ بنُ ناصرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ ، أبو سَعْيدٍ[2] السِّجْزِىُّ الحافظُ ، رحَل فى طلبِ الحديثِ وسمِع الكثيرَ ، وجمَع الكتُبَ النفيسةَ ، وكان حسَنَ الخطِّ ، صحيحَ النَّقلِ ، حافظًا ضابطًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٧.

(٢) فى النسخ : « سعد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٦/ ٢٣٨، وفيه : الشجرى بدلا من « السجزى » . وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢١٣، ومرآة الجنان ٣/ ١٢٢. قال ابن ماكولا فى الإكمال ٤/ ٥٤٩، ٥٥٠: أما السجزى ، بسين مهملة وجيم وزاى ، فجماعة ينسبون إلى سجستان على غير قياس .

ثم دخَلَتْ سنةُ ثَمانٍ وسَبْعِينَ وأرْبَعِمائَةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] زُلزِلتْ أرَّجَانُ[2] ، فهلَكَ خلقٌ كثيرٌ من الرومِ ومواشِيهم . وفيها كثُرَتِ الأمراضُ بالحُمَّى والطَّاعُونِ بالعراقِ والحجازِ والشَّامِ ، وأعقَب ذلك موتُ الفَجْأَةِ ، ثم ماتَتِ الوحوشُ فى البريَّةِ ، ثم تلاه موتُ البهائمِ ، حتى عزَّتِ الألْبانُ واللُّحْمانُ ، ومع هذا كلِّه وقَعتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ الروافضِ والسُّنَّةِ ، فقُتِلَ خلقٌ كثيرٌ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ هاجَتْ ريحٌ سَوْداءُ ، وسفَتْ رَمْلًا ، وتساقطَتْ أشجارٌ كثيرةٌ مِنَ النَّخيلِ وغيرِها ، ووقعَتْ صَواعِقُ فى البلادِ حتى ظنَّ الناسُ أنَّ القيامةَ قد قامتْ ، ثم انْجَلَى ذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها وُلِدَ للخليفَةِ ولَدُه أبو عبدِ اللَّهِ الحُسَيْنُ ، وزُيِّنَتْ بَغْدادُ وضُربتِ الطبولُ والبُوقاتُ ، وكثُرَتِ الصَّدقاتُ .

وفيها اسْتَوْلَى فخرُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ على بلادٍ كثيرةٍ ؛ منها آمِدُ ، ومَيَّافارِقِينُ[3] ، وجزيرةُ ابنِ عمرَ ، وانْقرَضَتْ دولةُ بنى مروانَ على يَدِه فى هذه السنةِ . وفى ثانِى عشَرَ شعبانَ[4] منها قُلِّد أبو بكرٍ محمدُ بنُ مُظَفَّرٍ الشامِىُّ قضاءَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٣٩، والكامل ١٠/ ١٤٥.

(٢) أرَّجان : مدينة تقع بين حد فارس والأهواز بناها أنوشروان ، وسماها أَبَزْ قُباذ . معجم البلدان ١/ ١٩٤.

(٣) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر . معجم البلدان ٤/ ٧٠٣.

(٤) فى النسخ : « رمضان » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ٢٤١. وذكر ابن الأثير فى الكامل ١٠/ ١٤٦، =

القضاةِ ببَغدادَ ، بعدَ وَفاةِ أبى عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانىِّ ، وخُلِعَ عليه فى الدِّيوانِ . وحجَّ بالناسِ الأميرُ خُتْلُغُ التركىُّ ، [1] وزارَ النبىَّ ﷺ ذاهبًا وآيبًا . قال : أظنُّ أنها آخِرُ حِجَجى [2] . فكان كذلك .

وفيها خرَج توقيعُ الخليفةِ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ بتَجْديدِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ فى كلِّ مَحَلَّةٍ ، والأمرُ بإلزامِ أهلِ الذِّمَّةِ بالغِيَارِ [3] ، وكَسْرِ الملاهِى ، وإراقَةِ الخمورِ ، وإخراجِ أهلِ الفَسادِ [1] .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ إبْراهيمَ بنِ أبى أيُّوبَ ، أبو بكرٍ الفُورَكِىُّ [4] ، سِبْطُ الأسْتاذِ أبى بكرِ بنِ فُورَكَ ، استوطنَ بغْدادَ وكان متكلِّمًا يعِظُ الناسَ فى النِّظَامِيَّةِ ، فوقعَتْ بسببِه فتنةٌ بينَ المذاهبِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ [5] : وكان مُؤْثِرًا للدنْيَا ، لا يتَحاشى من لُبْسِ الحريرِ ، وذكَر أنَّه كان يأخُذُ مَكْسَ الفَحْمِ ، وكانتْ وفاتُه فى هذه السنةِ ، وله نَيِّفٌ وستُّونَ سنةً ، ودُفِن إلى جانبِ قبرِ الأشْعَرِىِّ بمَشْرَعةِ الرَّوَايا [6] .

= أن وفاة قاضى القضاة أبى عبد اللَّه الدامغانى كانت فى رجب من هذه السنة ، وأن أبا بكر بن المظفر ولى القضاء بعده ، وهذا يجعل رواية المنتظم أقرب للصواب . واللَّه أعلم .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « حجتى » . وانظر إتحاف الورى ٢/ ٤٨٣.

(٣) الغيار : علامة أهل الذمة : تاج العروس (غ ى ر) .

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢١٨، ولسان الميزان ١/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢١، وفيه : أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم .

(٥) المنتظم ١٦/ ٢٤٣.

(٦) فى الأصل ، خ ، م : « الزوايا » .

الحسنُ بنُ عليٍّ ، أبو عبدِ اللَّهِ المردوسِيُّ[1] ، كان رئيسَ أهلِ زمانِه ، وأكْمَلَهم مُرُوءةً ، كان قد خدَم فى أيامِ بَنِى بُوَيْهِ ، وتأخَّرَ إلى هذا الحينِ ، وكانتِ الملوكُ تعظِّمُه وتُكاتِبُه بعبْدِه وخادِمِه ، وكان كثيرَ الصدقَةِ والصلاةِ والبِرِّ ، وبلَغ مِن العُمرِ خمسًا وتسعينَ سنةً ، وأعدَّ لنفْسِه قبرًا وكفَنًا قبلَ موتِه بخمسِ[2] سنِينَ .

أبو سَعْدٍ المُتَولِّى ، عبدُ الرحمنِ بنُ المأمونِ بنِ عليٍّ ، أبو سعدٍ المُتَولِّى[3] ، مصنِّفُ « التَّتِمَّةِ » ، ومدرِّسُ النِّظامِيَّةِ بعدَ الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرَازِىِّ ، وكان فصِيحًا بليغًا ، ماهرًا بعُلُومٍ كثيرةٍ ، كانت وفاتُه فى شَوَّالٍ من هذه السنةِ عن ثِنتينِ وخمسينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ ، وصلَّى عليه القاضِى [٩/٢٠١و] أبو بكرٍ الشَّامِىُّ[4] ، ودُفِن ببابِ أبرزَ .

إمامُ الحرَمَيْنِ[5] ، عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ ابنِ محمدِ بنِ حيُّويَهِ ، أبو المعالى الجُوَيْنِىُّ - وجُوَيْنُ مِن قُرَى نَيْسَابُورَ - الملَقَّبُ بإمامِ الحرَمَيْنِ ؛ لمُجاورَتِه بمكَّةَ أربعَ سنِينَ ، كان مولدُه فى سنةِ تسْعَ عشْرَةَ وأرْبَعِمائةٍ ، سمِعَ الحديثَ وتفَقَّهَ على والدِه الشيخِ أبى محمدٍ الجُوَينِىِّ ، ودرَّس

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٢٢، وفيهما : « الحسين » .

(٢) فى المنتظم : « بخمسين » .

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٢٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٠٦.

(٤) فى النسخ : « الشاشى » . والمثبت من المنتظم .

(٥) المنتظم ١٦/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٦٥.

بعدَه فى حَلْقَتِه ، وتفَقَّهَ على القاضى حسينٍ ، ودخَل بغدَاد وتفَقَّه بها ، وروَى بها الحديثَ ، وخرَج إلى مَكَّةَ فجاوَر فيها أربعَ سنِينَ ، ثم عادَ إلى نَيْسَابُورَ فسُلِّمَ إليه التَّدريسُ والخَطابةُ والوعظُ ، وصنَّف « نهايةَ المطْلَبِ فى دِرايَةِ المَذْهَبِ » ، و « البُرْهانَ » فى أصولِ الفِقْهِ ، وغيرَ ذلك مِن عُلُومٍ شَتَّى ، واشتغَل عليه الطلبةُ ورحَلوا إليه مِن الأقْطارِ ، وكان يحضُرُ مجلِسَه ثَلاثُمائةِ متفَقِّهٍ ، وقد اسْتَقْصَيْتُ ترجمتَه فى « الطَّبَقاتِ » .

وكانتْ وفاتُه فى الخامسِ والعِشْرِينَ مِن ربيعٍ الآخرِ[1] من هذه السَّنَةِ ، عن سَبْعٍ وخمسينَ سنةً ، ودُفِن بدارِه ، ثم نُقِلَ إلى جانبِ والدِه . رحِمه اللَّهُ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : كانتْ أمُّه جاريةً اشْتَراها والدُه مِن كَسْبِ يدِه مِنَ النَّسْخِ ، وأمرَها أنْ لا يُرْضِعَه غيرُها ، فاتَّفقَ أنَّ امرأةً دخَلتْ عليهم فأرْضَعْته مرَّةً ، فأخَذه الشيخُ أبو محمدٍ فنَكَسه ووضَع يدَه على بطْنِه ووضَع أُصبُعَه فى حلْقِه ، ولم يزَلْ به حتى استقاءَ كلَّ ما كان فى بطنِه مِن لبَنِ تلكَ المرأةِ . قال : فربَّما حصَل لإمامِ الحرمينِ فى بعضِ مجالسِ المناظرةِ فُتورٌ ، فيقولُ : هذا مِن آثارِ تلك الرَّضْعَةِ . قال[3] : ولمَّا عادَ مِن الحجازِ إلى بلدِه نَيْسَابورَ سُلِّمَ إليه المِحرابُ والمِنبرُ والخطابةُ والتدريسُ ومجلسُ التذْكيرِ يومَ الجُمُعةِ ، وبَقِى ثلاثينَ سنةً غيرَ مُزاحَمٍ ولا مُدافَعٍ . وصنَّفَ فى كلِّ فنٍّ ، من ذلك « النِّهايَةُ » الذى ما صُنِّفَ فى الإسْلامِ مثلُه .

---

(١) فى النسخ : « الأول » . والمثبت من المنتظم ١٦/ ٢٤٧، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٣٨.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٩.

(٣) أى ابن خلكان . وفيات الأعيان ٣/ ١٦٨، ١٦٩.

قال الحافظُ أبو جَعْفَرٍ[1] : سمِعتُ الشيخَ أبا إسْحَاقَ الشِّيرَازِيَّ يقولُ لإمامِ الحرَمَيْنِ : يا مفيدَ أهلِ المشرقِ والمغربِ ، أنتَ اليومَ إمامُ الأئمَّةِ .

ومِن تصانيفِه « الشامِلُ » فى أصولِ الدِّينِ ، و « البُرْهانُ » فى أصولِ الفقهِ ، و « تَلْخيصُ التقْريبِ » ، و « الإرْشَادُ » ، و « العقيدَةُ النِّظامِيَّةُ » ، و « غِياثُ الأممِ » ، « وغِياثُ الخَلْقِ »[2] وغيرُ ذلكَ ممَّا أتَمَّه وممّا لم يُتِمَّه قال[3] : ولمَّا مات فى ربيعِ الآخرِ سنةِ ثمانٍ وسبعينَ وأربعِمائةٍ صلَّى عليه ولدُه أبو القاسمِ وغُلِّقتِ الأسْواقُ وكسَر تلاميذُه أقْلامَهم ومَحابِرَهم - وكانو أرْبَعَمائَةٍ - ومكَثُوا كذلك سنةً ، وقد رُثِىَ بمَراثٍ كثيرةٍ ، فمِن ذلك قولُ بعْضِهم[4] :

قلوبُ العالَمين على المَقالِى ... وأيَّامُ الوَرَى شِبْهُ[5] اللَّيالِى

أيُثْمِرُ غُصْنُ أهلِ العلمِ يومًا ... وقد ماتَ الإمامُ أبو المعالِى

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ الوليدِ ، أبو علىٍّ[6] ، شيخُ المعتزِلةِ ، كان يُدرِّسُ لهم ، فأنْكَرَ أهلُ السُّنَّةِ عليهم ، فلَزِمَ بيْتَه خمسينَ سنةً [٩/ ٢٠١ظ] إلى أن تُوفِّىَ فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، ودُفِن فى مقْبرَةِ الشُّونيزِيَّةِ ، وهذا هو الذى تَناظَرَ هو والشيخُ أبو يوسفَ القَزْوِينِىُّ المعتزِلىُّ المُفَسِّرُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٧٢.

(٢) فى وفيات الأعيان ٣/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٣٧: « مغيث الخلق فى اختيار الأحق ».

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٩، ١٧٠.

(٤) البيتان فى وفيات الأعيان ٣/ ١٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٨٢.

(٥) فى الأصل، خ، ص: « مثل ».

(٦) المنتظم ١٦/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٤٤، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٤.

فى إباحَةِ الوِلْدانِ فى الجنَّةِ ، كما حكَى ذلك ابنُ عَقِيلٍ[1] عنهما ، وكان حاضِرَهما ، فمالَ هذا إلى إباحَةِ ذلك ؛ لكونِه مأمونَ المفْسدَةِ هُنالكَ ، وقال أبو يوسُفَ : إنَّ هذا لا يكونُ ، ومِن أينَ لك أنهم يكونُ لهم أدْبارٌ ؟ وهذا العُضْوُ إنَّما خُلِق فى الدنْيَا مَخْرجًا للأذَى ، وليْسَ فى الجنَّةِ شىءٌ مِن ذلك ، فلا يحْتاجُونَ إليه ، ولا يكونُ لهذه المسْألَةِ صورةٌ بالكُلِّيَّةِ .

وقد روَى هذا الرجلُ حديثًا واحدًا عن شيخِه أبى الحُسَيْنِ البَصْرِىِّ بسنَدِه المتقدِّمِ[2] ، من طريقِ شُعْبَةَ ، عن منْصورٍ ، عن رِبْعِىِّ بنِ حِراشٍ ، عن أبى مسعودٍ البَدْرِىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . وقد روَاه[3] القَعْنَبِىُّ عن شُعْبةَ ، ولم يَرْوِ عنه سِواه ، فقيلَ : لأنَّه لمَّا رحَل إليه دخَل عليه وهو يبولُ على البالُوعَةِ ، فسألَه أنْ يحدِّثَه ، فروَى له هذا الحديثَ كالواعظِ له ، والْتَزَمَ أنْ لا يحدِّثَه بغيرِه . وقيل : لأنَّ شُعْبةَ مرَّ على القَعْنَبِىِّ قبلَ أنْ يشتغلَ بعلمِ الحديثِ - وكان إذْ ذاكَ يُعانِى الشَّرابَ - فسألَه أنْ يُحدِّثَه فامتنَع ، فسَلَّ سِكِّينًا وقال : إنْ لم تحدِّثْنِى وإلَّا قتَلْتُكَ . فروَى له هذا الحديثَ ، فتابَ وأنابَ ، ولزِمَ مَالِكًا ، ثم فاتَه السماعُ مِن شُعْبَةَ ، فلم يتَّفِقْ له غيرُ هذا . فاللَّهُ أعلمُ .

أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغَانىُّ[4] ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ[5] بنِ [6]عبدِ الملكِ[6]

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) تقدم فى ١٥/ ٧٠٧ .

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٩، والمنتظم ١٦/ ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٤٧، والجواهر المضية ٣/ ٢٦٩.

(٥) فى السير وتاريخ الإسلام : « حسن » .

(٦ - ٦) فى السير وتاريخ الإسلام : « عبد الوهاب » .

(١ ابنِ عبدِ الوَهَّابِ ١) بنِ حَمُّويَهِ[٢] الدَّامَغَانيُّ الحنفِيُّ، قاضى القضاةِ ببَغْدادَ، مولدُه فى سنَةِ ثمانٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ، وتفقَّه ببلدِه ثم قدِم بغدادَ فى سنةِ ثمانى عشْرَةَ وأربعِمائةٍ، فتفقَّه بها على أبى عبدِ اللَّهِ الصَّيْمَرِيِّ، وأبى الحسينِ القُدُورِيِّ، وسمِع الحديثَ منهما ومِن ابنِ النَّقُورِ[٣] والخطيبِ وغيرِهم، وبرَع فى الفقهِ، وكان له عَقلٌ وافرٌ، وتواضُعٌ زائدٌ، وانتهَتْ إليه رِياسةُ الفقهاءِ، وكان فصيحَ العبارةِ، وكان فقيرًا فى ابْتِداءِ طَلَبِه، عليه أطمارٌ رثَّةٌ، ثم صارَتْ إليه الرِّياسةُ والقَضاءُ بعدَ ابنِ مَاكُولَا، فى سنَةِ تِسْعٍ وأربعينَ، وكان القائمُ بأمرِ اللَّهِ يكرِمُه، والسلطانُ طُغرُلْبَك يعظِّمُه، وباشرَ الحُكْمَ ثلاثينَ سنةً فى غايةِ السِّيرةِ الحسَنةِ، والأمانةِ والدِّيانةِ والصيانةِ، مرِض أيامًا يسيرةً، ثم تُوفِّى فى الرابعِ والعشرينَ مِن رجَبٍ من هذه السَّنَةِ، وقد ناهَز الثمانينَ، ودُفِن بدارِه بدَربِ القلَّائِين، ثم نُقِلَ إلى مَشْهَدِ أبى حنيفةَ، رحِمهما اللَّهُ تعالى.

محمدُ بنُ علىِّ بنِ المُطَّلِبِ، أبو سعدٍ الأديبُ[٤]، كان قد قرَأ النحوَ، والأدبَ، واللغةَ، والسِّيَرَ، وأخْبارَ الناسِ، ثم أقْلَع عن ذلك كلِّه، وأقبَل على كثرةِ الصلاةِ والصدقةِ والصومِ، إلى أنْ تُوفِّىَ فى هذه السنَةِ عن سِتٍّ وثمانينَ سنةً، رحِمه اللَّهُ.

(١ - ١) فى السير وتاريخ الإسلام: «عبد الوهاب».

(٢) فى السير، وتاريخ الإسلام: «حسويه».

(٣) فى الأصل: «البقور»، وفى خ: «المنقور»، وفى ص: «البعور». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٤٦، وفوات الوفيات ٣/ ٤٣٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٥٠.

محمدُ بنُ أبى طاهرٍ [٩/ ٢٠٢و] **العباسىُّ ، ويعرفُ بابنِ الرَّجحىِّ**[١] ، تفقَّهَ على ابنِ الصَّبَّاغِ ، ونابَ فى الحُكمِ ، وكان محمودَ الطريقةِ ، وشَهِدَ عندَ ابنِ الدامَغانىِّ فقَبِلَه .

منْصورُ بنُ دُبَيْسِ بنِ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ ، أبو كاملٍ[٢] ، الأميرُ بعدَ سَيْفِ الدولةِ صَدَقَةَ[٣] ، تُوفِّى فى رجَبٍ[٤] مِن هذه السنَةِ . وقد كان له شعرٌ وأدَبٌ ، وفيه فضْلٌ ، فمِنْ شعرِه قولُه :

فإن[٥] أنا لم أحملْ عظيمًا ولم أَقُدْ ... لُهامًا ولم أَصْبِرْ على كلِّ[٦] مُعْظمِ
ولم أُجِرِ[٧] الجانِى وأمنَع حَوْزَه[٨] ... غَداةَ أُنادَى للفَخارِ فأنْتمِى
فلا نَهَضَتْ بى هِمَّةٌ عربيَّةٌ ... إلى المَجْدِ [٩]تُدْلِى لى[٩] ذُرَى كلِّ مَحْرَمِ[١٠]

---

(١) فى الأصل : « أبى الرجحى » ، وفى خ ، م : « الرجيحى » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٦/ ٢٥٢.
(٢) المنتظم ١٦/ ٢٥٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩١، والكامل ١٠/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٢. وقد ذُكِر فى الوفيات والكامل وتاريخ الإسلام ، أن وفاة منصور كانت فى سنة تسع وسبعين .
(٣) فى خ ، م : « كان كثير الصلاة والصدقة » . والمثبت ظاهره أن منصور بن دبيس تولى الإمارة بعد ابنه صدقة ، وهذا غير صحيح ، فالثابت أن صدقة هو الذى تولى بعد وفاة أبيه منصور ، كما فى مصادر ترجمته . وانظر ما سيأتى فى ص ١٠٣ .
(٤) المذكور فى الوفيات والكامل أنه توفى فى ربيع الأول .
(٥) فى الأصل ، خ ، ص : « إذا » . والمثبت موافق لما فى الكامل .
(٦) فى الكامل : « فعل » .
(٧) فى الأصل : « أقبل » وفى خ ،م : « أحجز » . والمثبت موافق لما فى الكامل .
(٨) فى النسخ : « جوره » . والمثبت من الكامل .
(٩ - ٩) فى م ، خ : « ترقى بى » ، وفى ص : « ترقى فى » .
(١٠) فى الأصل : « مخدم » . وهذا البيت ليس فى الكامل .

هِبَةُ اللَّهِ [1]**بنُ عبدِ اللَّهِ**[1] **بنِ أحمدَ ، السِّيبىُّ**[2] ، [3]قاضى الحريمِ بنَهْرِمُعَلَّى ، و[3]مُؤَدِّبُ الخليفةِ المقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ ، سمِع الحديثَ ، وتُوفِّى فى محرَّمِ هذه السنَةِ ، وقد جاوزَ الثمانينَ ، وله شعرٌ جيِّدٌ ، فمِنْه قولُه[4] :

رجَوْتُ الثمانينَ مِن خالِقى ... لِما جاءَ فيها عنِ المُصْطَفَى
فَبَلَّغَنِيها فشُكرًا له ... وزادَ ثلاثًا بها أرْدَفا
[5]وإنِّى لَمُنْتَظِرٌ[5] وَعْدَهُ ... لِيُنْجِزَهُ فهْو أهلُ الوَفَا

(١ - ١) سقط من النسخ ، والكامل ١٠/ ١٤٦، والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر : الأنساب ٣/ ٣٥٥، والمنتظم ١٦/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٢.

(٢) فى الأصل : «السبتى» ، وفى خ : «السنى» . وانظر الأنساب ٣/ ٣٥٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، خ ، ص .

(٤) الأبيات فى المنتظم ١٦/ ٢٥٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٢.

(٥ - ٥) فى مصدرى التخريج : «وهاأنا منتظر» .

ثم دخَلَتْ سنةُ تِسْعٍ وسَبْعِينَ وأرْبَعِمائَةٍ

فيها[1] كانتِ الوَقْعَةُ بينَ تُتُش صاحبِ دِمَشْقَ وبينَ سليمانَ بنِ قُتْلُمِش صاحبِ حَلَبَ وأنْطَاكِيَةَ وتلك الناحيةِ، فانْهزَمَ أصْحابُ سليمانَ وقتَل هو نفْسَه بخَنْجَرٍ كانت معه، فسارَ السلطانُ مَلِكْشَاه مِن أَصْبهانَ إلى حَلَبَ فَمَلَكَها، وملَك ما بينَ ذلك مِنَ البلادِ التى مرَّ بها؛ وهى حَرَّانُ والرُّهَا وقلْعةُ جَعْبَرٍ[2]، وكان جعبرٌ شيْخًا كبيرًا أَعْمَى، وله وَلَدان، وكان قُطَّاعُ الطريقِ يلْجَئون إليها فيتحَصَّنُونَ بها، [3]فراسلَ السلطانُ [4]جعبرَ بنَ سابقٍ[4] فى تسْليمِها فامْتَنعَ عليه، فنَصَبَ عليها المجانِيقَ والعَرَّادَاتِ، ففَتَحها وأمَر بقَتْلِ صاحبِها سابقٍ، فقالَتْ زوجتُه: لا تقْتُلْه حتى تَقْتُلَنى معه. فألْقَاه مِن ورائِها فتكَسَّرَ، ثم أمَر بتَوْسِيطِه[5] بعدَ ذلك[3]، فألقَتِ المرأةُ نفسَها وراءَه فسَلِمَتْ، فَلَامَها بعضُ الناسِ فى ذلك فقالتْ: كَرِهتُ أنْ يَصِلَ إلىَّ التركىُّ فيَبْقَى ذلك عارًا علىَّ. فاسْتَحْسَن مِنها ذلك، واسْتَنابَ السلطانُ على حَلَبَ قسيمَ الدولةِ آقْ سُنْقُرَ التُّرْكىَّ، وهو جدُّ نُورِ الدينِ الشهيدِ، واستَناب على الرَّحْبةِ وحَرَّانَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٥٥، والكامل ١٠/ ١٤٧.

(٢) قلعة جعبر على الفرات مقابل صفين. معجم البلدان ٤/ ١٦٤.

(٣ - ٣) فى الأصل: «فقتله السلطان».

(٤ - ٤) فى خ، م والمنتظم ١٦/ ٢٥٧: «سابق بن جعير»، وفى ص: «سابور بن جعبر». والمثبت من وفيات الأعيان ١/ ٣٦٣. وانظر ما سيأتى فى ص ١٠٥.

(٥) وسَّطه توسيطا: قطعه نصفين. تاج العروس (و س ط).

والرَّقَّةِ وسَروجَ والخابورِ محمدَ بنَ شرَفِ الدولةِ مسلمٍ، وزوَّجه بأُخْتِه زُلَيْخا خاتُونَ. وعزَل فخرَ الدولةِ بنَ جَهيرٍ عن دِيارِ بَكْرٍ، وسلَّمها إلى العميدِ أبى علىٍّ البَلْخِىِّ، وخلَعَ على سيفِ الدولةِ صَدَقَةَ بنِ منصورِ بنِ دُبَيْسٍ الأَسَدِىِّ، وأَقَرَّه على عملِ أبيه. ودخَل بَغْدادَ فى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ، وهى أوَّلُ دَخْلَةٍ دخَلها، فزارَ المشاهِدَ والقُبورَ ودخَل على الخليفةِ فقبَّل يدَه ووضَعها على عَيْنَيْه، وخلَع عليه الخليفةُ خِلْعةً سَنِيَّةً، وفوَّضَ إليه أُمورَ الناسِ، واسْتَعرضَ الخليفةُ أُمراءَه ونظامُ المُلكِ واقفٌ بينَ يدَىِ الخليفةِ، يَعرِّفُه بالأُمراءِ واحدًا واحدًا، باسْمِه وكَمْ جيْشُه وأقْطاعُه، ثم أفاضَ عليه الخليفةُ خِلْعةً سنيةً، وخرَج مِن بينِ يَدَيْه فنزَل بمدرستِه النِّظامِيَّةِ، ولم يكُنْ رَآها قبلَ هذه السنةِ، فاسْتَحسنَها إلَّا أنَّه اسْتَصْغَرها، واسْتَحسنَ أهلَها ومَن بها مِن الجماعةِ، رحِمه اللَّهُ على ذلك، وسألَ اللَّهَ أنْ يجعَلَ ذلك خالِصًا لوَجْهِه الكريمِ، ونزَل بخِزانَةِ كتُبِها وأمْلَى جُزءًا مِن مَسْمُوعاتِه، فسَمِعَه المُحدِّثُونَ منه.

وورَدَ الشيخُ أبو القاسمِ، علىُّ بنُ (١أبى يَعْلَى١) الحُسَيْنىُّ(٢) [٩/٢٠٢ظ] الدَّبوسِىُّ إلى بَغْدادَ فى تَجَمُّلٍ عظيمٍ، فرَتَّبه مدرِّسًا بالنِّظامِيَّةِ بعدَ أبى سعدٍ المُتَوَلِّى.

وفى ربيعٍ الآخرِ فُرِغَتِ المَنارَةُ بجامِعِ القصرِ وأُذِّنَ فيها. وفيها كانتْ زلازلُ هائلةٌ بالعراقِ والجزيرةِ والشامِ، فهدَّمَتْ شيئًا كثيرًا مِن العُمْرانِ، وخرَج أكثرُ الناسِ إلى الصحراءِ ثم عادوا.

(١ - ١) فى النسخ: «الحسين». والمثبت من الكامل ١٠/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٣٢. وانظر الأنساب ٢/ ٤٥٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٩٦.

(٢) فى م والكامل: «الحسنى».

وحجَّ بالناسِ الأميرُ خُمارْتِكِينُ الحَسَنانِيُّ ، وقُطِعتْ خطبةُ المصريينَ مِن مَكَّةَ والمدينةِ ، وقُلِعتِ الصفائحُ التى على بابِ الكَعْبَةِ التى عليها ذكرُ المصرىِّ ، وجُدِّدَ غيرُها عليها اسمُ المُقْتَدِى .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وظهَر رجلٌ بينَ السِّنْدِيَّةِ[2] ووَاسِطٍ يقطَعُ الطريقَ وهو مقْطوعُ اليدِ اليُسْرَى ، [3]يفتَحُ القُفْلَ فى أسْرَعِ مدةٍ[3] ، ويغُوصُ دِجْلَةَ فى غَوْصَتَيْنِ ، ويقفِزُ القَفْزَةَ [4]خمسةً وعِشْرينَ[4] ذِراعًا ، ويتَسلَّقُ الحِيطانَ المُلْسَ ، ولا يقدِرُ عليه أحدٌ ، وخرَجَ مِنَ العراقِ سالمًا . قال : وفيها تُوفِّى فقيرٌ يسأَلُ الناسَ بجامعِ المنصورِ ، فوُجِدَ فى مُرَقَّعَتِه سِتُّمائَةِ دينارٍ مغْرِبيَّةٍ . قال : وفيها عمِلَ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ سِماطًا للسلطانِ جَلالِ الدولةِ أبى الفَتْحِ مَلِكْشَاه ؛ اشْتَمل على ألفِ رأْسٍ مِن الغَنَمِ ، ومائةٍ مِن الجمالِ والخيلِ وغيرِها ، ودخَله عشرون ألفًا مَنًّا مِن السكرِ ، وقد علِّق عليه مِن أصْنافِ الطُّيورِ والوُحوشِ المنفوخةِ مِن السكرِ شىءٌ كثيرٌ ، فتناولَ السلطانُ منه شيئًا يسيرًا ، ثم أشارَ فانْتُهِبَ عن آخِرِه ، ثم انتقَلَ مِن ذلك المكانِ إلى سُرادِقٍ عظيمٍ لم يُرَ مثلُه مِنَ الحريرِ ، وفيه خَمْسُمِائَةِ قطعةٍ مِن الفضةِ ، وألوانٌ مِن تماثيلِ النَّدِّ والمِسْكِ والعَنْبَرِ وغيرِ ذلك ، فمدَّ فيه سِماطًا خاصًّا ، فأكلَ السلطانُ حينَئِذٍ ، وحمَلَ إليه عِشْرِينَ ألفَ دينارٍ ، وقدَّمَ له ذلك السُّرادقَ بكَمالِه ، وانْصرَفَ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٢) فى المنتظم : « ديار بنى أسد » .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى المنتظم : « كان يقع على القَفَل بنفسه فيقتل ويُمثِّل ويأخذ المال » . فى اللسان (ق ف ل) : ورجل قافل من قوم قُفَّال والقَفَل اسم للجمع . وهم القفل بمنزلة القَعَد اسم يلزمهم .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، وفى المنتظم : « خمسة عشر » .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الأميرُ جَعْبَرُ بنُ سابقٍ القُشَيْرِىُّ[1] ، الملقَّبُ سابقَ الدينِ ، كان قد تَمَلَّكَ قلعةَ جَعْبَرٍ مدةً طويلةً فنُسِبَتْ إليه ، وإنَّما كان يقالُ لها قبلَ ذلك : الدَّوْسَرِيَّةُ . نِسْبَةً إلى غلامِ النُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ ، ثم إنَّ هذا الأميرَ كبِرَ وعَمِىَ ، وكان له وَلَدانِ يقْطَعانِ الطريقَ ، فاجْتازَ به السلطانُ مَلكْشَاه بنُ ألبِ أرْسَلانَ السَّلْجُوقىُّ وهو ذاهبٌ إلى حَلَبَ ؛ ليأخذَها فاستنزَله مِنها وقتَله ، وأخَذها مِنهم فى هذه السنةِ .

الأميرُ خُتْلُغُ[2] أميرُ الحاجِّ ؛ كان مُقْطَعًا الكوفَةَ ، وله وقْعاتٌ مع العرَبِ أعْرَبَتْ عن شجاعتِه ، وأرْعبَتْ قلُوبَهم ، وشرَّدتهم فى البلادِ شَذَرَ مَذَرَ ، وقد كان حسنَ السيرةِ مُحافِظًا على الصلواتِ ، كثيرَ التلاوةِ ، وله آثارٌ حسنةٌ بطريقِ مَكَّةَ فى إصْلاحِ المَصانعِ والأماكنِ التى يُحْتاجُ إليها ، وله مدرسةٌ على الحنفِيَّةِ بمشَهْدِ يُونُسَ بالكُوفَةِ ، وبنَى مسجدًا بالجانبِ الغربىِّ مِن بَغْدادَ على دِجْلَةَ ، بمَشْرَعَةِ الكَرْخِ . وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ ، رحِمهُ اللَّهُ ، ولَمَّا بلَغ نظامَ المُلْكِ وفاتُه قال : ماتَ ألفُ رجلٍ .

علىُّ بنُ فَضَّالٍ المُجاشعىُّ[3] ، أبو الحسنِ[4] النحوىُّ المَغْربىُّ[5] ، له المصنَّفاتُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٦٣، والوافى بالوفيات ١١/ ٨٤.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٦٢، والكامل ١٠/ ١٦٣ (وفيات سنة ثمانين)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٣.

(٣) فى م : «المشاجعى» . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٦٣، ومعجم الأدباء ١٤/ ٩٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٧٠.

(٤) فى النسخ : «على» . والمثبت من مصادر ترجمته ، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٤.

(٥) فى الأصل ، ص : «المعرى» ، فى خ : «اللغوى» . وانظر معجم الأدباء ٤/ ٩٨.

الدالَّةُ على علْمِه وغَزارَةِ فَهْمِه ، وأسنَد الحديثَ . وكانت وفاتُه فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَ ببابِ أبْرَزَ .

علىُّ بنُ أحمدَ التُّسْتَرِىُّ[1] ، كان مُقَدَّمَ أهلِ البَصْرَةِ فى المالِ والجِدَةِ ، وله مراكبُ تعْمَلُ فى البحرِ . [٩/٢٠٣و] قرَأ القرآنَ وسمِع الحديثَ ، وتفرَّدَ بروايةِ « سُنَنِ أبى داودَ » . وكانت وفاتُه فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ .

يَحْيَى بنُ [2]**الحسينِ بنِ**[2] **إسماعيلَ الحُسَيْنىُّ** ، كان فقيهًا على مذهبِ زَيْدِ ابنِ علىٍّ ، وعندَه معرفةٌ بالأُصولِ والحديثِ .

---

(١) فى الأصل : « القشيرى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٦٤، وفيه : محمد بن أحمد ، والكامل ١٠/ ١٥٩، وفيه : أبو على محمد بن أحمد الشيرى ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٦٩، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٣.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٦٦.

ثم دخلتْ سنةُ ثمانيـنَ وأرْبَعِمائَةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] نُقِل جَهازُ ابنةِ السلْطانِ مَلِكْشَاه إلى دارِ الخلافةِ المكرَّمةِ على مائةٍ وثلاثيـنَ جَمَلًا مُجلَّلَةً بالدِّيباجِ الرُّومِيِّ ، غالِبُها أوَانِى الذهبِ والفِضَّةِ ، وعلى أربعٍ وسبعيـنَ بَغْلًا مجلَّلةً بأنْواعِ الدِّيباجِ الملَكِيِّ ، على ستَّةٍ منها اثْنَا عشَرَ صُنْدُوقًا مِن فضةٍ ، فيها جواهرُ وحُلِيٌّ ، وبيـنَ يدَيِ البِغالِ ثلاثٌ وثلاثونَ فَرَسًا عليها مراكبُ الذهبِ مُرَصَّعَةٌ بأنواعِ الجوهرِ ، ومَهْدٌ عظيمٌ مُجَلَّلٌ بالدِّيباجِ الملَكِيِّ عليه صفائحُ الذهبِ مرصَّعٌ بالجوهرِ ، وبعَث الخليفةُ لتلَقِّيهم الوزيرَ أبا شُجاعٍ ، وبيـنَ يدَيْه نحوٌ مِن ثَلاثِمائةِ مَوكبِيَّةٍ غيرَ المشاعلِ لخدْمَةِ الستِّ خاتُونَ امرأةِ السلطانِ تركان خاتُونَ ، حماةِ الخليفةِ ، وسألَها أنْ تحملَ الوديعةَ الشريفةَ إلى دارِ الخلافةِ ، فأجابَتْ إلى ذلك ، فحضَر الوزيرُ نظامُ المُلكِ وأعْيانُ الأُمراءِ ، وبيـنَ أيْدِيهم مِن الشموعِ والمشاعلِ مالا يُحْصَى ، وجاءَتْ نساءُ الأمراءِ ، كلُّ واحدةٍ منهنَّ فى جَماعَتِها وجَوارِيها ، وبيـنَ أيْدِيهنَّ الشموعُ والمشاعلُ ، ثم جاءَتِ الخاتونُ ابنةُ السلْطانِ زوجةُ الخليفةِ - بعدَ الجميعِ - فى مِحَفَّةٍ مجلَّلةٍ ، وعليها مِن الذَّهبِ والجواهرِ ما لَا تُحْصَى قيمتُه ، وقد أحاطَ بالمِحَفَّةِ مائتَا جاريةٍ تُرْكِيَّةٍ بالمَراكِبِ المُزَيَّنَةِ يَبْهَرْنَ الأبصارَ ، فدَخَلتْ دارَ الخلافةِ على هذه الصِّفةِ ، وقد زُيِّنَ الحريمُ الطاهرُ وأُشْعِلَتْ فيه الشموعُ ، وكانتْ ليْلةً مشهودةً هائلةً جدًّا . فلمَّا كان مِن الغدِ ، أحضَر الخليفةُ أمراءَ السلطانِ ومَدَّ سِماطًا لم يُرَ مثلُه ، عمَّ الحاضِرين

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ١٦٠.

والغائبين ، وخلَع على الخاتُونِ زوجةِ السلْطانِ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وكان السلطانُ مُتَغَيِّبًا فى الصيدِ ، ثم قدِمَ بعدَ أيامٍ . وكان الدخولُ بها فى أوَّلِ السنَةِ ، فولَدتْ مِن الخليفةِ فى ذى القَعْدَةِ ولدًا ذكرًا زُيِّنَتْ له بَغْدادُ . وفى هذه السنةِ وُلِدَ للسلْطانِ مَلِكْشَاه ولدٌ سمَّاه محمودًا ، وهو الذى ملَك بعدَه . وفيها جعَل السلطانُ ولدَه أبا شجاعٍ أحمدَ وليَّ العهدِ مِن بعدِه ، ولقَّبه مَلِكَ الملُوكِ عَضُدَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ عُدَّةَ أميرِ المؤمنينَ ، وخُطِبَ له بذلك على منابرِ بغدادَ وغيرِها ، ونثِر الذهبُ على الخُطَباءِ عندَ ذكرِ اسمِه .

وفيها شُرِعَ فى بناءِ التاجِيَّةِ ببابِ أبْرَزَ ، وعُمِلَتْ مُسَنَّاةٌ[1] ، وغُرِسَتِ النخيلُ والفواكِهُ هُنالِكَ ، وعُمِلَ سورٌ بأمرِ السلطانِ مَلِكشاه .

وحجَّ بالناسِ نجمُ الدولةِ خُمارتِكِينُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إسْماعيلُ بنُ [2]عبدِ اللَّهِ[2] بنِ مُوسى بنِ سعيدٍ[3] ، أبو القاسمِ الساوىُّ[4] ، رحَل فى الحديثِ إلى الآفاقِ حتى جاوَزَ ما وراءَ النهرِ ، وكان له حظٌّ وافرٌ فى الأدَبِ ، ومعرفةِ العربيَّةِ ، تُوفِّى بنَيْسَابُورَ فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ .

---

(١) فى خ ، م : « بستان » ، وكانت هذه المسناة على نهر الزاهر ، انظر المنتظم ١٦/ ٢٧١. والمسناة : سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر ، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة . تاج العروس (س ن ى) .

(٢ - ٢) فى النسخ : « إبراهيم » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ١٦/ ٢٧١، والكامل ١٠/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٨٩، والمنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ١٤٢.

(٣) فى الأصل ، ص ، والكامل : « سعد » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٤) فى م : « النيسابورى » .

طاهِرُ بنُ الحُسَيْنِ البَنْدَنِيجِيُّ[1] ، أبو الوَفا الشاعرُ المُبَرِّزُ ، له قصِيدَتان فى مَدْحِ نِظامِ المُلْكِ ؛ إحْداهما مُعْجَمةٌ ، والأُخْرَى غيرُ مَنْقُوطَةٍ ، أوَّلُها :

لامُوا ولو عَلِمُوا ما اللوْمُ ما لَامُوا ... وَرَدَّ لَوْمَهُمُ هَمٌّ وآلامُ

وكانت وفاتُه ببلَدِه فى رمضانَ عن نَيِّفٍ وسَبْعِينَ سنةً .

محمدُ بنُ أميرِ المؤمنينَ المُقْتَدِى [2]**بأمرِ اللَّهِ**[2] ، عرَض له جُدَرِيٌّ فماتَ مِن هذه السنةِ وله تِسْعُ سِنينَ ، [٩/٢٠٣ظ] فحزِنَ عليه والدُه والناسُ ، وجلَسُوا للعزاءِ ، فأرسَلَ إليهم يقولُ : إنَّ لنا فى رسولِ اللَّهِ أُسْوَةً حسنَةً ، حين تُوفِّى ابنُه إبراهيمُ ، وقال اللَّهُ تعالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ثم عزَم على الناسِ فانْصرَفُوا راجعين إلى منازِلِهم .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ زَيْدِ بنِ علىِّ بنِ مُوسى بنِ جَعْفَرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ ابنِ الحُسَيْنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، أبو الحسَنِ الحُسَيْنِىُّ[3] ، الملَقَّبُ بالمُرْتَضَى ذِى الشَّرَفَيْنِ ، وُلد سنةَ خمسٍ وأرْبَعِمائةٍ ببغدادَ ونشَأ بها ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وقرَأ بنفْسِه على الشيوخِ ، وصحِبَ الحافظَ أبا بكرٍ الخطيبَ ، فصارَتْ له معرفةٌ جيدةٌ بالحديثِ ، وسمِعَ عليه الخطيبُ شيئًا مِن مَرْوِيَّاتِه ، ثم انتقَل إلى سَمَرْقَنْدَ ، وأمْلَى الحديثَ بأَصْبهانَ وغيرِها . وكان يرجعُ إلى عقلٍ كاملٍ ، وفَضْلٍ ومُروءَةٍ ، وكانتْ له أمْوالٌ جزيلةٌ ، وأمْلاكٌ متَّسِعَةٌ ، ونِعْمَةٌ وافرةٌ ، يقالُ : إنَّه ملَكَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧١، والكامل ١٠/ ١٦٣.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٣.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٧٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٢١٢، والمنتخب من السياق ص ٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٣١١، والوافى بالوفيات ١/ ١٤٣.

أرْبَعِين قريةً . وكان كثيرَ الصدقةِ والبِرِّ والصِّلَةِ للعلماءِ والفقراءِ ، وبَلغَتْ زَكاةُ مالِه الصامتِ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ غيرَ زكاةِ العُشورِ ، وكان له بُسْتانٌ ليْسَ لمَلِكٍ مثلُه ، فطلَبَه منه مَلِكُ ما وراءَ النهرِ - واسمُه الخَضِرُ بنُ إبْراهيمَ - عارِيَّةً ليتَنَزَّهَ فيه ، فأبَى عليه وقال : أُعِيرُه إيَّاه ليَشْرَبَ فيه الخمرَ بعدَما كان مأْوَى أهلِ العلمِ والحديثِ والدِّينِ ؟ فأعرَض عنه وحقَد عليه ، ثم اسْتَدْعاه إليه ليَسْتَشِيرَه فى بعضِ الأمورِ على العادةِ ، فلمَّا حضَر عندَه قبَضَ عليه وسجَنَه فى قلْعَتِه ، واسْتَحوذَ على جميعِ أمْلاكِه وحواصِلِه وأمْوالِه ، فكان يقولُ : ما تحقَّقْتُ صحةَ نسَبِى إلَّا بهذه المُصادَرَةِ ، فإنِّى رُبِّيتُ فى النعيمِ ، فكنتُ أقولُ : إنَّ مثْلِى لابُدَّ أنْ يُبْتَلَى . ثم منَعُوه الطعامَ والشرابَ حتى ماتَ - رحِمه اللَّهُ - فى القلعةِ ، فأخرَجوه فدفَنوه هناك ، فقبرُه يُزارُ ، أكرَم اللَّهُ مثواه .

محمدُ بنُ هِلَالِ بنِ [1]**المحسِّنِ بنِ إبراهيمَ**[1] ، أبو الحسَنِ [2]بنُ الصابئِ[2] ، المُلَقَّبُ بغرسِ النِّعْمَةِ ، سمِع أباه وأبا علىٍّ بنَ شاذَانَ ، وكانتْ له صدقَةٌ ومعروفٌ ، وقد ذَيَّلَ على تاريخِ أبيه الذى ذَيَّلَه على تاريخِ ثابتِ بنِ سنانٍ ، الذى ذيَّلَه على تاريخِ ابنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِىِّ ، وقد أنْشَأ دارًا ببَغْدادَ ، ووقَفَ فيها [3]أرْبعَةَ آلافِ[3] مُجلَّدٍ ، فى فُنونٍ مِنَ العُلومِ ، وترَكَ حينَ ماتَ سبعينَ ألفَ دينارٍ ، ودُفِنَ بمَشْهَدِ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ورحِمه .

(١ - ١) فى خ ، م : « الحسن » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٥، ووفيات الأعيان ٦/١٠١ (فى ترجمة أبيه هلال) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٩٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٦، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٩.

(٢ - ٢) فى النسخ ، والمنتظم : « الصابى » . والمثبت من تاريخ الإسلام ، وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٧٦، ووفيات الأعيان ٦/ ١٠١، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٨.

(٣ - ٣) فى المنتظم : « أربعمائة » .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ عَلِيِّ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ المحلَّى[1] ، أبو نَصْرٍ ، جمَع خُطَبًا ووَعْظًا ، وسمِع الحديثَ على مشايخَ عديدةٍ ، وتُوفِّى شابًّا قبلَ أوانِ الرِّوايَةِ .

أبو بكرِ بنُ عمرَ ، أميرُ المُلَثَّمِينَ[2] ، كان فى أرضِ فَرْغَانَةَ[3] ، اتفَق له مِنَ النَّامُوسِ ما لم يتَّفقْ لغيرِه مِنَ المُلوكِ ، كان يركَبُ معه إذا سارَ لقتالِ عَدُوٍّ خَمْسُمِائَةِ ألفِ مُقاتلٍ ، كلٌّ يعتقِدُ [٩/ ٢٠٤و] طاعتَه ، وكان يقيمُ الحدودَ ويحفَظُ محارِمَ الإسْلامِ ، ويسيرُ فى الناسِ سيرةً شرعِيَّةً ، مع صحةِ معتقدِه ، ومُوالَاةِ الدولةِ العباسِيَّةِ . أصابَتْه نُشَّابَةٌ فى بعْضِ حروبِه ، فجاءتْه فى حلقِه فقتَلتْه فى هذه السنَةِ .

فاطِمَةُ بنتُ علىٍّ[4] ، المُؤَدِّبَةُ[5] الكاتبةُ ، وتُعرَفُ ببنْتِ الأقْرَعِ ، سمِعتِ الحديثَ مِن أبى عمرَ بنِ مَهْدِىٍّ وغيرِه ، وكانت تكتُبُ المَنْسُوبَ[6] على طريقةِ ابنِ البَوَّابِ ، ويكتبُ الناسُ عليها ، وبخَطِّها كانتِ الهُدْنَةُ مِنَ الديوانِ إلى مَلِكِ الرومِ ، وكتَبتْ مرةً إلى عميدِ المُلكِ الكُنْدُرِىِّ[7] رُقْعَةً فأَعْطَاها ألفَ دينارٍ . تُوفِّيتْ فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ ببَغْدادَ ، ودُفِنَتْ ببابِ أبْرَزَ .

---

(١) فى خ ، ص ، م : « المجلى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٦.

(٢) فى الأصل : « المسلمين » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٧٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٦. والملثمون : قوم من المغاربة ملكوا الأندلس . تاج العروس (ل ث م) .

(٣) مدينة كبيرة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . معجم البلدان ٣/ ٨٧٩.

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٧٢، والكامل ١٠/ ١٦٣، وفى سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ٢٩٥ ، والعبر ٣/ ١٣٢: فاطمة بنت الحسن بن على .

(٥) فى المنتظم ،والكامل : « المؤدب » .

(٦) المنسوب : خط منسوب أى ذو قاعدة . التاج (ن س ب) .

(٧) فى خ ، ص ، م : « الكندى » .

ثم دخلتْ سنَةُ إحْدَى وثمانِين وأرْبَعِمائَةٍ

فيها[1] كانتْ فِتَنٌ عظيمةٌ بينَ الرَّوافِضِ والسُّنَّةِ ببَغْدادَ، وجرَتْ خطوبٌ كثيرةٌ. وفى ربيعِ الآخرِ[2] أُخْرِجَتِ الأتْراكُ مِن حريمِ الخلافَةِ، وهذا فيه قوةٌ للخلافةِ. وفيها ملَكَ مَسْعُودُ بنُ الملكِ المؤيَّدِ بنِ إبْراهيمَ بنِ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكينَ بلادَ غَزْنَةَ بعدَ أبيه. وفيها فتَح مَلِكْشَاه مدينةَ سَمَرْقَنْدَ. وحجَّ بالناسِ الأميرُ خُمارْتِكينُ، وممَّن حجَّ فيها الوزيرُ أبو شُجاعٍ، واستناب ولدَه أبا منصورٍ وطِرادَ بنَ محمدٍ الزَّيْنَبِيَّ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِنَ الأعيانِ:

أحمدُ بنُ السلْطانِ مَلِكْشَاه[3]، كان وليَّ عهدِ أبيه، تُوفِّى وعُمرُه إحْدَى عشْرَةَ سنَةً، فمكَث الناسُ فى العَزاءِ سبعةَ أيامٍ لم يركَبْ أحدٌ فرَسًا، والنساءُ يَنُحْنَ عليه فى الأسْواقِ، وسَوَّدَ أهلُ البلادِ التى لأبيه أبْوابَهم.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ جعفرٍ، أبو إسْماعيلَ الأنْصارِىُّ الهَرَوِىُّ[4]، روَى الحديثَ وصنَّفَ، وكان كثيرَ السهرِ بالليلِ، وكانتْ وفاتُه بهَرَاةَ فى ذى الحِجَّةِ عن سِتٍّ وثمانين سنةً.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٧٧، والكامل ١٠/ ١٦٤.

(٢) فى م: «الأول».

(٣) الكامل ١٠/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠) ص ٦.

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٧٨، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٥٣، والوافى بالوفيات ١٧/ ٥٩٧.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وثمانين وأرْبَعِمِائَةٍ

فى المحرَّمِ[1] درَّسَ أبو بكرٍ الشَّامِىُّ بالمدرسةِ التاجِيَّةِ ببابِ أبْرَزَ، وكان قد أنشَأها الصاحبُ تاجُ المُلكِ أبو الغنائمِ على الشافعِيَّةِ. وفيها كانتْ فتنٌ عظيمةٌ بينَ الرَّوافِضِ والسُّنَّةِ، ورفَعوا المصاحفَ، وجرَتْ حروبٌ طويلةٌ، وقُتِل خلقٌ كثيرٌ؛ نقَل ابنُ الجَوْزِىِّ فى «المنتظَمِ»[2] مِن خطِّ ابنِ عَقِيلٍ، أنَّه قُتِل فى هذه السنَةِ قريبٌ مِن مِائَتَىْ رجلٍ، قال: وسَبَّ أهلُ الكَرْخِ الصحابةَ وأزْواجَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وارتفَعوا إلى سبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلَعْنَةُ اللَّهِ على أهلِ الكَرْخِ الذين فعَلوا ذلك. وإنما حكَيتُ هذا لِيَعْلَمَ الواقفُ عليه ما فى طَوايَا الرَّوافضِ مِنَ الخُبْثِ والبُغْضِ لدينِ الإسْلامِ وأهْلِه، والعداوَةِ الباطِنَةِ الكامِنَةِ فى قلوبِهم للَّهِ ولرسولِه وشريعَتِه.

وفيها ملَكَ السلْطانُ مَلِكْشَاه ما وراءَ النهرِ وطائفةً كثيرةً مِن تلكَ الناحِيَةِ، بعدَ حروبٍ عظيمةٍ ووقَعاتٍ هائلةٍ. [٩/ ٢٠٤ظ] وفيها اسْتولَى جيشُ المصريِّين على عدَّةٍ مِن بلادِ الشامِ. وفيها عُمِّرَتْ منارَةُ جامعِ حَلَبَ. وفيها أرْسَلَتِ الخاتونُ بنتُ السلْطانِ تشْكُو إلى أبيها إعْراضَ الخليفةِ عنها، فبعثَ إليها أبوها الطواشِىَّ صَوَابًا والأميرَ بَزّانَ[3] ليُرْجِعَاها إليه، فأجابَ الخليفةُ إلى ذلك، وبعَث

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٨١، والكامل ١٠/ ١٨٠.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٨٣.

(٣) فى خ، م: «مران».

معها بالنقيبِ وجماعَةٍ من أعْيانِ الأُمراءِ، وخرَج ابنُ الخليفةِ أبو الفَضْلِ والوزيرُ فشَيَّعاها إلى النَّهْرَوانِ وذلكَ فى ربيعِ الأولِ، فلمَّا وصَلتْ إلى عندِ أبيها تُوفِّيَتْ فى شَوَّالٍ من هذه السنَةِ بأَصْبهانَ، فعُمِل عزاؤها ببَغْدادَ سبعةَ أيامٍ، وأرسَل الخليفةُ إلى السلْطانِ أمِيرَين لتَعْزِيَتِه فيها. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خُمارْتِكينُ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

عبدُ الصَّمَدِ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ[1]، المعروفُ بظاهرٍ[2]، النَّيْسَابُورِىُّ، الحافظُ، رحَل وسمِع الكثيرَ، وخرَّجَ، وعاجَله الموتُ فى هذه السنَةِ بهَمَذانَ وهو شابٌّ.

علىُّ بنُ أبى يَعْلَى [3]**بنِ زيدٍ**[3]، أبو القاسمِ الدَّبُوسِىُّ، مدرسُ النِّظامِيَّةِ بعدَ المُتَولِّى، وقد سمِع شيئًا مِنَ الحديثِ، وكان فَقِيهًا ماهِرًا، وجدَلِيًّا باهِرًا.

عاصِمُ بنُ الحسَنِ[4] **بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عاصمِ بنِ مِهرانَ**، أبو الحُسَيْنِ العاصِمىُّ، مِن أهلِ الكَرْخِ، سكَن بابَ الشَّعيرِ، وُلِد سنةَ سَبْعٍ وتسعين، وكان مِن أهلِ الفَضْلِ والأدَبِ، وسمِع الحديثَ مِنَ الخطيبِ وغيرِه، وكان ثقةً حافظًا،

---

(١) المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٢٧١ وفيه: «ظاهر بن أحمد»، ص ٣٥٠ وفيه «عبد الصمد ابن أحمد»، والمنتظم ١٦/ ٢٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٨٧.

(٢) فى النسخ، والمنتظم «بطاهر». والمثبت من المنتخب ص ٣٥٠. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٥٣.

(٣ - ٣) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته فى: الأنساب ٢/ ٤٥٥، والمنتظم ١٦/ ٢٨٥، والكامل ١٠/ ١٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٢٩٦.

(٤) فى الأصل، خ، ص: «الحسين». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٨٦، والكامل ١٠/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٠٧، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٨.

ومِن شعرِه الجيدِ قولُه[1] :

لَهَفِى على قوْمٍ بكِاظِمَةٍ ... ودَّعْتُهمْ والرَّكْبُ مُعْتَرِضُ
لم تَتْرُكِ العَبَراتُ مُذْ بعُدُوا ... لى مُقْلَةً تَرْنُو وتغتَمِضُ
رحَلُوا[2] فدَمْعِى واكِفٌ[2] هَطِلٌ ... جارٍ وقَلْبِى حَشْوُهُ مرَضُ
وتعَوَّضُوا لا ذُقْتُ فَقْدَهُمُ ... عنِّى ومالِى عنْهُمُ عِوَضُ
أقْرَضْتُهمْ قَلْبِى على ثِقَةٍ ... منهمْ[3] فما رَدُّوا الذى اقْتَرَضُوا

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حامِدِ بنِ عُبَيْدٍ[4] ، أبو جَعْفَرٍ البُخارِىُّ المتكلِّمُ المعتزِلىُّ ، أقامَ ببَغْدادَ ويُعرَفُ بقاضى حَلَبَ ، وكان حنَفِىَّ المذهبِ فى الفُروعِ ، مُعْتَزِليًّا فى الأُصولِ ، ماتَ ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ ، ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إسْماعيلَ الأصْبهانىُّ[5] ، المعروفُ بسَمْكُويَه[6] ، أحدُ الحفَّاظِ الجوَّالِين الرَّحَّالِين ، سمِع الكثيرَ ، وجمَع الكتُبَ ، وأقامَ بهَرَاةَ ، وكان صالحًا كثيرَ العبادةِ ، تُوفِّى بنَيْسَابُورَ فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٦/٢٨٧ .
(٢ - ٢) المنتظم : « فطر فى دمعه » .
(٣) فى المنتظم : « بهم » .
(٤) المنتظم ١٦/ ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٩٥، والجواهر المضية ٣/ ٢٣.
(٥) المنتظم ١٠/ ٢٨٨، والمنتخب من السياق ص ٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٩٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٨.
(٦) فى الأصل : « يمسكويه » وفى خ ،م : « بمسلرفة » وفى ص : « بمسلونه » ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ثم دخلتْ سنَةُ ثلاثٍ وثَمانِين وأرْبَعِمائَةٍ

فى المُحرَّمِ[1] ورَدَ الفَقِيهُ أبو عبدِ اللَّهِ الطَّبَرِىُّ بمنْشورِ نِظامِ المُلْكِ بالتدريسِ بالنِّظاميَّةِ ببغدادَ ، فدرَّسَ بها ، ثم فى ربيعِ الأولِ ورَد الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ الوهّابِ الشيرازىُّ بمنْشُورٍ آخرَ منه بالتدريسِ بها ، فاتفَق الحالُ على أنْ يدرِّسَ هذا يومًا وهذا يومًا .

وفى جُمادَى الأولَى دَهَمَ أهلَ البَصْرَةِ رجلٌ اسمُه : تِلْيَا[2] ، كان ينظُرُ فى النجومِ ، فاسْتَغْوَى خلقًا مِن أهْلِها ، وزعَم أنَّه المَهْدِىُّ ، وأحرَق مِنَ البَصْرَةِ شيئًا كثيرًا ، منْ ذلك دارُ كُتُبٍ كانت أولَ دارِ كتُبٍ وُقِفَتْ فى الإسْلامِ ، وأتْلَفَ شيئًا كثيرًا مِنَ الدَّواليبِ والمصانعِ ؛ وغيرِ ذلك .

وفيها خُلِعَ على أبى القاسمِ [3]علىِّ بنِ[3] طِرادٍ الزَّيْنَبِىِّ بنِقابَةِ العباسِيِّين بعدَ أبيه . وفيها اسْتُفْتِى على مُعَلِّمِى الصِّبْيانِ أنْ يُمنَعُوا مِنَ المساجدِ صِيانةً لها ، ولم يُسْتَثْنَ منهم سِوَى رجلٍ كان فقِيهًا شافعِيًّا يدْرِى كيفَ تُصانُ المساجدُ [٩/٢٠٥و] ، واسْتَدَلَّ المُفْتِى بقولِه عليه الصلاةُ والسلامُ : « سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إلَّا خَوْخَةَ أَبى بَكْرٍ »[4] . وحجَّ بالناسِ فيها خُمارْتِكينُ على العادةِ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٨٩.

(٢) فى النسخ : « بليا » والمثبت من المنتظم الموضع السابق ، والكامل ١٠/ ١٨٣.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر المنتظم ١٦/ ٢٨٩.

(٤) تقدم فى ٨/ ٤٢، ٤٣.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الوزيرُ أبو نَصْرِ بنُ جَهِيرٍ ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ جَهِيرٍ[1] **، فخرُ الدولةِ ،** أحدُ مشاهيرِ الوزراءِ ، وزَرَ للقائمِ ، ثم لولَدِه المُقْتَدِى ، ثم عزَله مَلِكْشَاه السلطانُ وولَّاه[2] دِيارَ بَكْرٍ وغيرَها ، فماتَ بالمَوْصِلِ فى هذه السنةِ ، وهى البلدُ التى وُلِدَ بها .

---

(١) بعده فى خ ، م : « بن » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٢٩٠، ووفيات الأعيان ٥/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١١٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٩.

(٢) بعده فى النسخ : « ولده فخر الدولة » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة[1]

فى المحرَّمِ منها كتَب المُنَجِّمُ الذى أحْرَقَ البَصْرَةَ إلى أهلِ وَاسِطٍ يدْعُوهم إلى طاعتِه ، ويذكُرُ فى كتابِه أنَّه المَهْدِىُّ صاحِبُ الزمانِ الذى يأمُرُ بالمعروفِ ، وينْهَى عنِ المنكرِ ، ويهْدِى الخَلْقَ إلى الحقِّ ، فإنْ أطَعْتُم أمِنْتُم مِنَ العذابِ ، وإنْ عدَلْتُم عنِ الحقِّ خُسِف بكم ، فآمِنُوا باللَّهِ وبالإمامِ المَهْدِىِّ .

وفيها أُلزِمَ أهلُ الذِّمَّةِ بلُبسِ الغيارِ وشَدِّ الزُّنَّارِ ، وكذلك نساؤهم فى الحمَّاماتِ وغيرِها . وفى جُمادَى الأُولَى قدِمَ الشيخُ أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدٍ الغَزَّالىُّ الطُّوسِىُّ مِن أصْبهانَ إلى بَغْدادَ على تدْريسِ النِّظامِيَّةِ بها ، ولقَّبه نظامُ المُلْكِ زَيْنَ الدينِ شرَفَ الأئمَّةِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وكان كلامُه معسولًا ، وذَكاؤه شديدًا . وفى رمضانَ منها عُزِلَ الوزيرُ أبو شجاعٍ عن وزارةِ الخلافَةِ ، فأنشَد عندَ عزْلِه[3] :

تَـوَلَّاهـا ولـيْـسَ لـهُ عـدُوٌّ وفارَقَـها وليْسَ له صديقُ

ثم جاءه كتابُ نِظامِ المُلْكِ بأنْ يخرُجَ مِن بَغْدادَ ، فخرَج منها إلى عدَّةِ أماكِنَ ، فلم تَطِبْ له ، فعزَم على الحجِّ ، ثم طابَتْ نفْسُ النِّظامِ عليه فبعَث إليه ؛

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٩٢، والكامل ١٠/ ١٨٦.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٩٢.

(٣) المنتظم ١٦/ ٢٩٣، والكامل ١٠/ ١٨٧.

يسْأَلُه أنْ يكونَ عديلَه فى ذلك ، ونابَ ابنُ المُوصَلايَا فى الوزارةِ ، وقد كان أسلَم قبلَ هذه المُباشرةِ فى أوَّلِ هذه السنةِ . وفى رمضانَ دخَل السلطانُ مَلِكْشَاه بَغْدادَ ومعه الوزيرُ نظامُ المُلكِ ، وقد خرَج لتلَقِّيه قاضى القُضاةِ أبو بكرٍ الشاميُّ[1] ، وابنُ المُوصَلايا المُسْلمانيُّ[2] ، وجاءَتْ ملوكُ الأطْرافِ إليه ؛ للسَّلامِ عليه ، منهم أخوه تاجُ الدولةِ تُتُشُ صاحبُ دِمَشْقَ ، وأتابِكُه قَسِيمُ الدولةِ آقْ سُنقُرُ صاحِبُ حَلَبَ .

وفى ذى القَعْدَةِ خرَج مَلِكْشَاه وابنُه وابنُ ابْنَتِه مِنَ الخليفةِ فى خلقٍ كثيرٍ إلى الكُوفَةِ . وفيها اسْتُوْزِرَ أبو منْصورِ بنُ جَهِيرٍ - وهى النَّوبةُ الثانيةُ لوزارَتِهِ للمُقْتَدِى - وخُلِعَ عليه ، وركِبَ إليه نظامُ المُلكِ فهنَّأَه فى دارِه ببابِ العامَّةِ . وفى ذى الحِجَّةِ عمِلَ السلطانُ الميلادَ فى دِجْلَةَ ، وأُشْعِلَتْ نيرانٌ عظيمةٌ ، وأُوقِدَتْ شموعٌ كثيرةٌ ، وكانتْ ليلةً مشْهُودةً عجيبةً جدًّا ، وقد نظَمَ فيها الشُّعراءُ الشِّعرَ ، فلمَّا أصْبَحَ النهارُ مِن هذه الليْلَةِ طِيف بالخَبيثِ الداعيةِ المدَّعِى أنَّه المَهْدِىُّ - تِلْيَا المنجِّمِ - على جَملٍ ببَغْدادَ وهو يسُبُّ الناسَ ، والناسُ يلْعَنُونَه ، وعلى رأسِه [٩/ ٢٠٥ظ] طُرطُورٌ بِوَدَعٍ ، والدِّرَّةُ تأْخُذُه مِن كلِّ جانبٍ ، ثم صُلِبَ بعدَ ذلك .

وفيها أمَر السلطانُ مَلِكْشَاه جلالُ الدولةِ بعمارةِ جامعِه المنْسُوبِ إليه بظاهرِ السُّورِ . وفى هذه السنَةِ ملَكَ أميرُ المسلمينَ يُوسُفُ بنُ تاشُفِينَ صاحبُ بلادِ المغربِ كثيرًا مِن بلادِ الأنْدَلُسِ ، وأسَرَ صاحِبَها المُعْتَمِدَ بنَ عبَّادٍ ، وسجَنه وأهلَه بأغْماتَ[3] ، وقد كان المعتمدُ هذا موْصُوفًا بالكرمِ والأدبِ والحلمِ ، وحُسْنِ

---

(١) فى الأصل : « الساجى » ، وفى خ ، م : « الشاشى » المنتظم ١٦/ ٢٩٣.

(٢) فى الأصل : « السلمانى » .

(٣) سقط من : خ ، م . وأغمات : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش . معجم البلدان ١/ ٣٢٠.

السِّيرةِ والعِشْرَةِ ، والإحْسانِ إلى الرعِيَّةِ ، والرِّفْقِ بهم ، فحَزِنَ الناسُ عليه ، وقال فى مُصابِه الشعراءُ فأكْثَرُوا .

وفيها ملَكَتِ الفِرَنْجُ مدينةَ صِقِلِّيَةَ مِن بلادِ المغربِ ، وماتَ مَلِكُهم ، فقامَ مِن بعدِه ولَدُه ، فسارَ فى الناسِ سيرةَ ملُوكِ المسلمين ، وأحسَن إليهم كأنَّه منهم .

وفيها كانتْ زلازلُ كثيرةٌ بالشامِ وغيرِها ، فهدَّمَتْ بُنْيَانًا كثيرًا ، وكان مِن جملةِ ذلك تِسْعُونَ بُرْجًا مِن سُورِ أنْطَاكِيَةَ ، وهلَكَ تحتَ الهَدْمِ خلقٌ كثيرٌ . وحجَّ بالناسِ فيها خُمارْتِكِينُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ [1]**بنِ عَلَّكَ**[1] ، أبو طاهرٍ ، وُلِد بأصْبهانَ ، وتفَقَّه بسَمَرْقَنْدَ ، وهو الذى كان سبَبَ فتْحِها على يدِ السلطانِ مَلِكْشاه ، وكان مِن رؤساءِ الشافعيَّةِ ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ . قال عبدُ الوهَّابِ بنُ مَنْدَه[2] : لم نَرَ فَقِيهًا فى وقتِنا أنصفَ منه ، ولا أعلمَ ، وكان فصيحَ اللهجةِ كثيرَ المروءةِ غزيرَ النعمةِ ، وكانت وفاتُه ببَغدادَ ، ومشَى الوزراءُ والكُبَراءُ فى جِنازتِه ، غيرَ أن نظامَ المُلْكِ ركِب ، واعْتذَر بكِبَرِ السِّنِّ ، ودُفِن إلى جانبِ الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرَازىِّ ، وكان يومًا مشهودًا ، وجاء السلطانُ مَلِكْشاه إلى التُّربةِ . قال ابنُ عقيلٍ : جلَسْتُ بكرةَ العزاءِ إلى جانبِ نظامِ المُلْكِ ، والملوكُ قيامٌ بينَ يدَيْه ،

(١ - ١) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « علل » . وانظر ترجمته فى :المنتظم ١٦/ ٢٩٥، والكامل ١٠/ ٢٠٠، (وفيه عبد الرحمن بن محمد) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٢٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ١٠١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٢.

(٢) المنتظم ١٦/ ٢٩٦.

اجتَرَأتُ على ذلك بالعلمِ. حكَاه ابنُ الجَوزىِّ[1].

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ [2]بنِ حامدٍ[2]، أبو نصرٍ المَرْوَزِىُّ، كان إمامًا فى القِراءاتِ، وله فيها المصنَّفاتُ، وسافَر فى ذلك كثيرًا، واتَّفَق أنَّه غرِق فى البحرِ فى بعضِ أسفارِه، فبَينما الموجُ يرفَعُه ويضَعُه إذْ نظَر إلى الشمسِ قد زالَتْ، فنوَى الوُضوءَ وانغمَس فى الماءِ ثم صعِد، فإذا خشبةٌ فرَكِبها وصلَّى عليها، ورزَقه اللَّهُ السلامةَ ببرَكةِ الصلاةِ[3]، وعاش بعدَ ذلك دهْرًا، وتُوفِّى فى هذه السنةِ، وله نَيِّفٌ وتسعون سنةً.

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ[4]، أبو بكرٍ الناصِحُ، الفقيهُ الحنفىُّ المناظِرُ المتكلِّمُ المُعتزِلىُّ، وقد وَلِى القضاءَ بنَيْسابورَ، ثم عُزِل مِنها بخيانةِ وُكلائِه وأخْذِهمُ الرُّشَا، ووَلِى قضاءَ الرَّىِّ، وقد سمِع الحديثَ، وكان مِن أكابرِ العلماءِ. تُوفِّى فى رجبٍ منها.

أُرْتُقُ بنُ أكْسَبَ[5] التُّرْكُمانِىُّ، جَدُّ الملوكِ الأُرْتُقِيَّةِ الذين همُ اليومَ ملوكُ مَارْدِينَ، كان شهْمًا شجاعًا عالىَ الهِمَّةِ، تغلَّب على بلادٍ كثيرةٍ، وقد ترجَمه ابنُ خَلِّكانَ، وأرَّخ وفاتَه [٩/٢٠٦و] بهذه السنةِ.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٩٦.

(٢ - ٢) سقط من: م، وفى خ: «حماد» وفى ص: «مجاهد». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٩٧، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٣٣، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٨، وغاية النهاية ٢/ ٧٢.

(٣) فى خ، م: «امتثاله للأمر واجتهاده على العمل».

(٤) فى م: «الحسن». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/ ٢٩٧، والمنتخب من السياق ص ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٣٦، والجواهر المضية ٣/ ١٨٤.

(٥) فى خ، م: «ألب». وانظر ترجمته فى: زبدة الحلب ٢/ ٨٤، ٩٧، ٩٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٢٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٣٦.

ثم دخلتْ سنةُ خمسٍ وثمانين وأربعِمائةٍ[1]

فيها أمَر السلطانُ مَلِكْشَاه ببناءِ سوقِ المدينةِ المعروفةِ بطُغْرُلْبَك ، إلى جانبِ دارِ المُلكِ ، وجدَّد خاناتِها وأسْواقَها ودُورَها ، وأمَر بتَجديدِ الجامعِ الذى تَمَّ على يدِ هارونَ الخادمِ فى سنةِ أربعٍ وعشرين وخمسِمائةٍ ، ووقَف على نَصْبِ قِبْلَتِه بنفسِه ، ومُنَجِّمُه إبراهيمُ حاضِرٌ ، ونُقِلتْ إليه أخشابُ جامعِ سَامَرَّا ، وشرَع نِظامُ المُلكِ فى بناءِ دارٍ هائلةٍ له ، وكذلك تاجُ الملوكِ أبو الغنائمِ ، شرَع فى بناءِ دارٍ هائلةٍ أيضًا ، واستَوطَنوا البلدَ ، فطابَتْ لهم بغدادُ .

وفى جمادَى الأولَى وقَع حريقٌ عظيمٌ ببَغدادَ فى أماكِنَ شَتَّى ، فما أُطفِئ حتى هلَك للناسِ شىءٌ كثيرٌ ، فما عَمَّروا بقَدْرِ ما حُرِق وما غرِموا .

وفى ربيعٍ الأوَّلِ خرَج السلطانُ إلى أصْبهانَ[2] ، وفى صحبتِه ولدُ الخليفةِ أبو الفَضْلِ جعفرٌ ، ثم عادَ إلى بغدادَ فى رمضانَ ، فبَينما هو فى الطريقِ يومَ عاشرِه[3] عدَا صبىٌّ مِنَ الدَّيْلَمِ على الوزيرِ نظامِ المُلكِ ، بعدَ أنْ أفْطَر ، فضَرَبه بسكِّينٍ فقضَى عليه ، وأُخِذ الصبىُّ الدَّيْلَمِىُّ فقُتِل . وقد كان مِن كبارِ الوزراءِ ، وخيارِ الأمراءِ ، وسنَذكُرُ شيئًا مِن سيرتِه عندَ ذكْرِ ترجمتِه .

وقدِم السلطانُ بغدادَ فى رمضانَ بنِيَّةٍ غيرِ صالحةٍ ، فلَقَّاه اللَّهُ فى نفْسِه ما

---

(١) المنتظم ١٦/٢٩٨ ، والكامل ١٠/٢٠٢ .

(٢) فى المنتظم ١٦/ ٢٩٩: «أصفهان» . وانظر الكامل ١٠/ ٢١٧.

(٣) سقط من الأصل ، وفى خ : عاشور ، وفى م : « عاشوراء » .

يتَمنَّاه لأعْدائِه ؛ وذلك أنَّه لمَّا استقرَّ رِكابُه ببغدادَ ، وجاء الناسُ للسَّلامِ عليه ، والتهنئةِ بقُدومِه ، وأرسَل إليه الخليفةُ يُهنِّئُه ، بعَث إلى الخليفةِ يقولُ له : لابدَّ أنْ تترُكَ لى بغدادَ ، وتتَحوَّلَ إلى أىِّ البلادِ شئتَ . فأرسَل إليه الخليفةُ يستَنظِرُه شهرًا ، فقال : ولا ساعةً واحدةً . فأرسَل يتوسَّلُ إليه فى إنظارِه عشَرةَ أيامٍ ، فأجاب إلى ذلك بعدَ تمنُّعٍ شديدٍ ، فما استَتمَّ الأجلُ حتى خرَج السلطانُ يومَ عيدِ الفطرِ إلى الصَّيدِ ، فأصابَتْه حُمَّى شديدةٌ ، فافتصَد ، فما قام منها حتى مات قبلَ العشَرةِ أيامٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

فاستَحْوذَتْ زوجتُه زُبَيدةُ خاتون على الجيشِ ، وضبَطتِ الأحْوالَ جيِّدًا ، وأرسَلَتْ إلى الخليفةِ تسأَلُ منه أنْ يكونَ ولَدُها محمودٌ مَلِكًا بعدَ أبيه ، وأنْ يُخطَبَ له على المنابرِ ، فأجابَها إلى ذلك ، وأرسَل إليه بالخِلَعِ ، وبعَث يُعَزِّيها ويُهنِّئُها مع وزيرِه عميدِ الدولةِ ابنِ جَهِيرٍ ، وكان عُمُرُ الملكِ محمودٍ هذا يومَئذٍ خمسَ سنين ، ثم أخَذتْه والدتُه فى الجيوشِ ، وسارَتْ به نحوَ أصْبهانَ لتُوَطِّدَ له المُلْكَ ، فدخَلوها وتمَّ لهم مرادُهم ، وخُطِب له فى جميعِ البلادِ حتى فى الحرمَيْنِ ، واستُوْزِر له تاجُ المُلْكِ أبو الغنائمِ المرْزُبانُ بنُ خِسْرُو ، وأرسَلتْ أمُّ المَلِكِ محمودٍ تسأَلُ له مِنَ الخليفةِ أن يوَلِّيَه المُلْكَ ، وأن يجعَلَ ولاياتِ العمالِ إليه ، فقال الخليفةُ : هذا لا يُسِيغُه الشرعُ . ووَافَقه الغزَّاليُّ على ذلك ، وأفتَى المُشَطَّبُ[1] بنُ محمدٍ الحنفيُّ بجوازِ ذلك ، فلم يُعمَلْ إلَّا بقولِ الغَزّاليِّ ، وانْحاز أكثرُ جيشِ السلطانِ إلى ابْنِه الآخرِ بَرْكْيَارُوقَ ، فبايَعوه وخطَبوا له بالرَّىِّ ، وانفرَدتِ الخَاتونُ وولدُها ومعهم شِرْذِمَةٌ قليلةٌ مِنَ الجيشِ والخاصِّكِيَّةِ ، فأنفَقَتْ فيهم ثلاثين ألفَ

---

(١) فى خ ، م : « المتطبب » . وانظر الكامل ١٠/ ٢٢٧، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٤٨٣.

ألفِ دينارٍ لقتالِ بَرْكْيارُوقَ بنِ مَلِكْشَاه ، فالْتَقَوا فى ذى الحِجَّةِ ، فكانتْ خاتونُ هى المنهزمةَ ومعها ولدُها . وقد ثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[1] : « لن يُفلِحَ قومٌ وَلَّوا أمرَهُمُ امْرأةً » .

وفى ذى القَعْدَةِ اعترَضتْ بنُوخَفَاجةَ للحَجيجِ ، فقاتَلَهم مَن فى الحَجيجِ مِن الجُندِ مع الأميرِ خُمارْتِكِينَ ، فهزَمُوهم ، ونُهِبَتْ أموالُ الأعْرابِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ .

وفيها جاء بَرَدٌ شديدٌ عظيمٌ بالبصرةِ ، وَزْنُ البَرَدةِ الواحدةِ منه [٩/٢٠٦ظ] خمسةُ أرْطالٍ ، إلى ثلاثةَ عشَرَ رِطْلًا ، فأَتلَفَتْ شيئًا كثيرًا مِنَ الأشْجارِ ، وجاءَ ريحٌ عاصفٌ قاصِفٌ فألْقَى عشَراتِ الألوفِ مِنَ النخيلِ أيضًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون ، ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وفى هذه السنةِ ملَك تاجُ الدولةِ تُتُشُ صاحبُ دمشقَ مدينةَ حِمْصَ ، وقلعةَ عِرْقَةَ[2] ، وقلعةَ أفامِيَةَ[3] ، ومعه قَسِيمُ الدولةِ آقْ سُنْقُرُ ، وكان السلطانُ قد جهَّزَ سَرِيَّةً إلى اليمنِ صُحْبةَ سعدِ الدولةِ كُوَهْرائينَ ، وأميرٍ آخرَ مِنَ التُّركمانِ ، فدَخَلاها وأساءَا فيها السِّيرةَ ، فتُوفِّى كُوَهْرائينَ يومَ دخولِه إليها فى مدينةِ عَدَنَ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) تقدم فى ٢/ ٣٣١.

(٢) فى الأصل ، خ : « غزنة » . وعرقة : بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ ، وعلى جبلها قلعة لها . معجم البلدان ٣/ ٦٥٣.

(٣) فى الأصل : « امامية » ، وفى ص : « اقامية » . وانظر الكامل ١٠/ ٢٠٣. وأفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص ، ويسميها بعضهم فامية . معجم البلدان ١/ ٣٢٢.

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

جعفرُ بنُ يَحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أبو الفَضْلِ التَّمِيمىُّ[1] ، المعروفُ بابنِ الحكَّاكِ المكِّىِّ ، رحَل فى طلَبِ الحديثِ إلى الشامِ والعراقِ وأصْبهانَ ، وغيرِ ذلك مِنَ البلادِ ، وسمِع الكثيرَ ، [2]وخرَّج الأجزاءَ[2] ، وكان حافظًا مُتْقِنًا ، ثقةً ضابطًا أديبًا ، صدُوقًا خيِّرًا ، وكان يتراسَلُ عن صاحبِ مكَّةَ ، وكان مِن ذوِى الهيئاتِ والمُروءَاتِ ، قارَب الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

نظامُ المُلْكِ الوزيرُ[3] هو الحسَنُ بنُ علىِّ بنِ إسْحاقَ بنِ العباسِ ، أبو علىٍّ الوزيرُ ، نظامُ المُلْكِ ، وزَر للمَلكِ ألبِ أرْسَلانَ ، وولَدِه مَلِكْشَاه [4]تسعًا وعشرين[4] سنةً ، كان مِن خيارِ الوزراءِ ، وُلِد بطُوسَ[5] فى سنةِ ثمانٍ وأربعِمائةٍ ، وكان أبوه ممَّن يخدُمُ أصحابَ محمودِ بنِ سُبُكْتِكينَ ، وكان مِنَ الدَّهَاقينِ ، فأشْغَل ولدَه هذا ، بقرَاءةِ القرآنِ وله إحدَى عشْرَةَ سنةً ، وأشْغَله بعلمِ القِراءاتِ والتَّفَقُّهِ على مذهبِ الشافعىِّ ، وسماعِ الحديثِ واللغةِ والنحوِ ، وكان عالِىَ الهِمَّةِ فحصَّل مِن ذلك طرَفًا صالحًا ، ثم ترقَّى فى المراتبِ حتى وزَر للسلطانِ ألْبِ أرسَلانَ بنِ داودَ ابنِ ميكائيلَ بنِ سَلْجوقَ ، ثم مِن بعدِه لولدِه مَلِكْشاه لم يُنكَبْ فى شىءٍ منها .

---

(١) فى م : « التمىمى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٦/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٤١، والوافى بالوفيات ١١/ ١٦٧، ومرآة الجنان ٣/ ١٣٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، وخرج الأجزاء : أى هى فوائد خرجها ابن الحكاك لأبى الحسين بن النَّقور فى أربعة أجزاء من مسموعاته . انظر الوافى بالوفيات ١١/ ١٦٧.

(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٤٢، وطبقات الشافعية ٤/ ٣٠٩.

(٤ - ٤) فى الأصل : « ثلاثين » .

(٥) فى الأصل ، ص : « بطرسوس » . وانظر المنتظم ١٦/ ٣٠٢.

وبنَى المدارسَ النِّظاميَّاتِ ببَغدادَ ونَيْسَابُورَ وغيرِهما ، وكان مجلسُه عامِرًا بالفقهاءِ والعلماءِ ، بحيثُ يقْضِى معهم عامَّةَ أوقاتِه ، فقيل له[1] : إنَّ هؤلاءِ قد شغَلوك عن كثيرٍ مِنَ المصالحِ . فقال : هؤلاءِ جمالُ الدنيا والآخرةِ ، ولو أجلَسْتُهم على رأسِى ما استَكْثَرْتُ ذلك . وكان إذا دخَل عليه أبو القاسمِ القُشَيْرِىُّ ، وأبو المعالِى الجُوَيْنِىُّ قامَ لهما ، وأجْلَسَهما فى المَسْندِ ، فإذا دخَل أبو علىٍّ الفَارْمَذِىُّ قامَ وأجلَسَه مكانَه ، وجلَس بينَ يدَيْه ، فعُوتِب فى ذلك ، فقال[2] : إنَّهما إذا دخَلا علىَّ قالا : أنتَ وأنتَ ، فأزدادُ تِيهًا ، وأمَّا الفَارْمَذِىُّ يذكُرُ لى عيوبِى وظُلْمِى ، فأنكسِرُ وأرجِعُ عن كثيرٍ مِنَ الذى أنا فيه .

وكان محافِظًا على الصلواتِ فى أوقاتِها لا يشغَلُه بعدَ الأذانِ شغلٌ عنها ، وكان يُواظِبُ على صيامِ الاثنينِ والخميسِ ، وله الأوْقافُ الدّارَّةُ ، والصدقاتُ البارّةُ .

وكان يُعظِّمُ الصوفِيَّةَ تعْظيمًا زائدًا ، فعُوتِب فى ذلك ، فقال[3] : إنِّى كنتُ أخدُمُ بعضَ الأمراءِ فجاءنى يومًا إنسانٌ ، فقال لى : اخدُمْ مَن تنْفَعُك خدْمَتُه ، ولا تخدُمْ مَن تأكُلُه الكلابُ غدًا . فلم أفهَمْ ما يقولُ ، فاتَّفَق أنَّ ذلك الأميرَ سَكِر تلك الليلةَ ، فخرَج فى أثْناءِ الليلِ وهو ثَمِلٌ ، وكانتْ له كلابٌ تفْتَرِسُ الغرباءَ بالليلِ ، فلم تعرِفْه ومزَّقَتْه ، فأصبَح وقد أكَلتْه الكلابُ ، قال : فأنا أطْلُبُ مثلَ ذلك الشيخِ .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٣، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.
(٢) المنتظم ١٦/ ٣٠٣، والكامل ١٠/ ٢٠٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٩.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٣، ٣٠٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.

وقد أسمَع الحديثَ فى أماكِنَ شَتَّى ببَغْدادَ وغيرِها ، وكان يقولُ[1] : إنِّى لأعلَمُ بأنِّى لستُ أهلًا للرِّوايةِ ، ولكنِّى أحبُّ أنْ أُرْبَطَ فى قطارِ نقَلَةِ حديثِ رسولِ اللَّهِ [٢٠٧/٩و] ﷺ . وقال أيضًا[2] : رأيتُ فى المنامِ إبليسَ فقلتُ له : وَيْحَكَ ، خلَقكَ اللَّهُ وأمَركَ بالسُّجودِ له مُشافَهةً فأبَيْتَ ، وأنا لم يأمُرْنى بالسجودِ وأنا أسجُدُ له فى كلِّ يومٍ مرَّاتٍ ، فأنشَأ يقولُ[3] :

مَن لم يكُنْ للوِصَالِ أهْلًا فكُلُّ إحْسانِهِ ذُنوبُ

وقد أجلَسه المُقْتدِى مرةً بينَ يدَيْه ، وقال له[4] : يا حسَنُ ، رضِى اللَّهُ عنك برضا أميرِ المؤمنين عنك . وقد ملَك ألُوفًا مِنَ التركِ .

وكان له بنون كثيرةٌ ، وزَر منهم خمسةٌ ؛ وزَر ابنُه أحمدُ للسلطانِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، ولأميرِ المؤمنين المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ .

خرَج نظامُ المُلكِ مع السلطانِ مِن أصْبهانَ قاصِدًا بَغْدادَ فى مُسْتَهلِّ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فلمَّا كان اليومُ العاشِرُ اجْتاز فى بعضِ طريقِه بقريَةٍ بالقُرْبِ مِن نَهاوَندَ وهو يُسايِرُه فى مِحَفَّةٍ ، فقال[5] : قد قُتِل هاهنا خلقٌ مِنَ الصحابةِ زمنَ عُمرَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فطُوبَى لمَن يكونُ عندَهم . فاتَّفَق أنَّه لمَا أفْطَر جاءَه صبيٌّ فى هيئةِ مُسْتَغِيثٍ به ومعه قِصَّةٌ ، فلمَّا انْتَهى إليه ضرَبه بسِكِّينٍ فى فؤادِه وهرَب . فعثَر بطُنُبِ الخَيْمةِ ، فأُخِذ فقُتِل ، ومكَث الوزِيرُ ساعةً ، وجاءَه السلطانُ يعودُه فماتَ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٢٩.
(٢) المنتظم ٦/ ٣٠٥.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٥.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.
(٥) المنتظم ١٦/ ٣٠٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٠.

وهو عندَه ، رحِمه اللَّهُ ، وقد اتُّهِم السلطانُ فى أمْرِه أنَّه هو الذى مالأ عليه ، فلم تَطُلْ مدَّتُه بعدَه سوَى خمسةٍ وثلاثين يومًا ، فكان فى ذلك عِبْرَةٌ لأُولِى الألبابِ .

ولمَّا بلَغ أهلَ بغدادَ موتُ النِّظامِ حزِنوا عليه ، وجلَس الوزيرُ والرؤساءُ للعزاءِ ثلاثةَ أيامٍ ، ورَثاه الشعراءُ ، منهم مُقاتِلُ بنُ عطيَّةَ ، فقال[1] :

كان الوزيرُ نظامُ المُلكِ لؤلؤةً ... يَتِيمَةً صاغَها الرحمنُ مِن شرَفِ
عَزَّتْ فلم تعْرِفِ الأيامُ قِيمَتَها ... فرَدَّها غَيرَةً منهُ إلى الصَّدَفِ

وأثْنَى عليه ابنُ عَقِيلٍ وابنُ الجَوْزِىِّ[2] وغيرُهما ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ الباقى بنُ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ داودَ بنِ ناقَيا[3] ، أبو القاسمِ الشاعرُ ، مِن أهلِ الحَرِيمِ الطاهِرِىِّ[4] ، وُلِد سنةَ عَشْرٍ وأربعِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان أديبًا شاعرًا ماهرًا ، غيرَ أنَّه رَماه بعضُهم برأيِ الأوائلِ ، [5]وأنَّه قال[5] : فى السماءِ نهرٌ من ماءٍ ونهرٌ مِن لَبَنٍ ، ونَهرٌ مِن خمرٍ ، ونهرٌ مِن عسَلٍ ، وما يسقُطُ مِن ذلك قطرةٌ إلى الأرضِ إلَّا هذا الذى هو يُخرِبُ البيوتَ ويهْدِمُ السُّقوفَ . وهذا الكلامُ كُفْرٌ مِن قائلِه ، لعَنه اللَّهُ ، نقَله عنه ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظمِ »[6] .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٧، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٠.

(٢) المنتظم ١٦/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) فى الأصل ، خ ، ص : « باقيا » ، وفى م : « ياقيا » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ١٦/ ٣٠٧، والكامل ١٠/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٥٠، ولسان الميزان ٣/ ٣٨٤، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٣.

(٤) فى الأصل ، خ ، م : « الظاهرى » . والحريم الطاهرى : بأعلى مدينة السلام بغداد فى الجانب الغربى منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق . معجم البلدان ٢/ ٢٥٥.

(٥ - ٥) فى خ ، م : « وأنكر أن يكون » ، وفى ص : « وأنه كان » .

(٦) المنتظم ١٦/ ٣٠٧.

وحُكِى عن بعضِهم أنَّه وجَد فى كَفِّه[1] مكتوبًا حينَ ماتَ هذين البيتين[2] :

نزَلْتُ بجارٍ لا يُخَيِّبُ ضَيْفَهُ ... أُرَجِّى نَجاتى مِن عذابِ جَهَنَّمِ
وإنِّى على خَوْفى مِنَ اللَّهِ واثقٌ ... بإنْعامِهِ واللَّهُ أكرمُ مُنْعِمِ

مالِكُ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ إبراهيمَ ، أبو عبدِ اللَّهِ البَانِيَاسِىُّ الشامِىُّ[3] ، وقد كان له اسمٌ آخَرُ سمَّته به أمُّه ؛ علىٌّ أبو الحسنِ ، فغَلَب عليه ما سمَّاه به أبوه ، وما كَنَّاه به ، سمِع الحديثَ على مشايخَ كثيرةٍ ، وهو آخِرُ مَن حدَّث عن أبى الحسنِ بنِ الصَّلْتِ ، هلَك فى حريقِ سوقِ الرَّيْحانيِّين ، وله ثمانٍ وثمانون سنةً ، وكان ثقةً عندَ المحدِّثين .

السلطانُ مَلِكْشَاه[4]

السلطانُ الكبيرُ جلالُ الدولةِ ، أبو الفَتْحِ مَلِكْشاه بنُ أبى شُجاعٍ ألْبِ أرْسَلانَ ابنِ داودَ بنِ مِيكَائيلَ بنِ سَلْجوقَ بنِ تُقَاقَ[5] التُّرْكىُّ ، ملَك بغدادَ - كما ذكَرنا[6] - وامْتَدَّتْ مملكَتُه مِن أقصَى بلادِ التُّركِ إلى أقصَى بلادِ اليمنِ ، وراسَله

---

(١) فى خ ، م : « كفنه » .
(٢) المنتظم ١٦/ ٣٠٨، والكامل ١٠/ ٢١٨.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٦١، والعبر ٣/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٦.
(٤) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥، والمنتظم ١٦/ ٣٠٨، والكامل ١٠/ ٢١٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٣. وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٦٢.
(٥) فى وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٣: « دقاق » ، وفى النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٤: « دقمان » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤١٤.
(٦) تقدم فى ص ٣٧ .

الملوكُ مِن سائرِ الأقاليمِ والأقطارِ، حتى ملَك الرومَ والخَزَرَ[1] واللَّانَ[2]، وكانتْ دولتُه صارمةً، والطُّرُقاتُ فى أيامِه آمِنةً، ومع عظمَتِه يقِفُ للمسكينِ والمرأةِ [٩/٢٠٧ظ] والضعيفِ، فيقْضِى حوائجَهم.

وقد عمَّرَ العماراتِ الهائلةَ، وبنَى القناطرَ، وأسْقَط المُكوسَ والضرائبَ، وحفَر الأنهارَ الكِبارَ الخَرَابَ، وبنَى مدرسةَ أبى حنيفةَ والسُّوقَ، وبنَى الجامِعَ الذى يقالُ له: جامعُ السلطانِ. ببَغْدادَ، وبنَى مَنارَةَ القُرونِ مِن صُيودِه بالكوفةِ، ومثْلَها فيما وراءَ النهرِ، وضبَط ما صادَه بنَفْسِه فى صُيودِه، فكان نحْوًا مِن عشَرَةِ آلافِ صَيْدٍ، فتصدَّق بعشَرَةِ آلافِ درهمٍ، وقال[3]: إنِّى خائفٌ مِنَ اللَّهِ تعالى أنْ أكونَ أزهَقتُ[4] نفسَ حيوانٍ لغيرِ مَأْكَلةٍ.

وقد كانتْ له أفعالٌ حسَنةٌ، وسِيرَةٌ صالحةٌ؛ مِن ذلك[5] أنَّ فَلَّاحًا أنْهَى إليه أنَّ غِلمانًا له أخَذوا له حِمْلَ بِطِّيخٍ هو رأسُ مالِه. فقال: اليومَ أرُدُّ عليك حِمْلَك. ثم قال لقيِّمِه: أُريدُ أن تأتونى اليومَ ببِطِّيخٍ. ففتَّشُوا، فإذا فى خَيْمَةِ الحاجبِ بِطِّيخٌ، فحمَلُوه إليه، فاسْتَدْعَى الحاجبَ فقال: مِن أين لكَ هذا البِطِّيخُ؟ قال: جاءَ به الغِلمانُ. فقال: أحْضِرْهم. فذَهَب فهرَّبَهم، فأرسَل إليه، فأحْضَرَه وسلَّمَه إلى الفلاحِ، وقال: خُذْ بيَدِه؛ فإنَّه مَمْلُوكِى ومَمْلُوكُ أبى، فإيَّاكَ أنْ تُفارِقَه. فردَّ عليه حِمْلَه، فخرَج الفلاحُ يحمِلُه وفى يَدِه الحاجبُ، فاستفدَى نفْسَه منه

---

(١) الخزر: بلاد الترك، خلف باب الأبواب المعروف بالدَّرْبَنْد، قريب من سد ذى القرنين. معجم البلدان ٢/ ٤٣٦.

(٢) اللّان: بلاد واسعة فى طرف أرمينية قرب باب الأبواب. معجم البلدان ٤/ ٣٤٣.

(٣) المنتظم ١٦/ ٣٠٩، والكامل ١٠/ ٢١٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٥.

(٤) فى الأصل: «أهرقت»، وفى خ: «أرهقت»، وفى المنتظم ١٦/ ٣٠٩: «إرهاق».

(٥) المنتظم ١٦/ ٣٠٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٦.

بثلاثِمائةِ دينارٍ .

ولمَّا توَجَّه لقتالِ أخيه تكشَ[1] ، اجْتازَ بطُوسَ ، فدخَل لزيارَةِ قبرِ عليٍّ بنِ موسى الرِّضا ، ومعه نِظامُ المُلكِ ، فلمَّا خرَجا قال للنِّظامِ[2] : بمَ دعَوتَ ؟ قال : دعَوتُ اللَّهَ أنْ يُظفِّرَكَ على أخيكَ . فقال : لكنِّى قلتُ : اللهمَّ إنْ كان أخى أصلَحَ للمسلمين فظَفِّرْه بى ، وإن كنتُ أصلَحَ لهم فَظَفِّرْنى بِه .

وقد سارَ مَلِكشاه هذا بعسْكرِه مِن أصْبهانَ إلى أنْطاكِيَةَ فما عُرِف أنَّ أحدًا مِن جيْشِه ظلَم أحدًا مِن رَعِيَّتِه .

واسْتَعْدَى إليه تُرْكُمانيٌّ أنَّ رجلًا افْتَضَّ بَكارَةَ ابنْتِه ، وهو يريدُ أنْ يُمَكِّنَه مِن قتْلِه ، فقال له[2] : يا هذا إنَّ ابْنَتَكَ لو شاءَتْ ما مكَّنَتْه مِن نفْسِها ، فإنْ كنتَ لابُدَّ فاعِلًا فاقْتُلْها معه . فسكَت الرجلُ ، ثم قال الملكُ : أوَ خيرٌ مِن ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإنّ بكارتَها قد ذهَبت ، فزوِّجْها مِن ذلك الرجلِ وأمْهِرْها مِن بيتِ المالِ كفايتها . ففَعَل .

وحكَى له بعضُ الوعَّاظِ أنَّ كِسْرَى اجْتازَ يومًا فى بعضِ أسفارِه بقريةٍ مُنْفَرِدًا مِن جيشِه ، فوقَف على بابِ دارٍ فاسْتَسْقَى ، فأخْرَجَتْ إليه جاريةٌ إناءً فيه ماءُ قصبِ السُّكَّرِ بالثَّلجِ ، فشَرِب منه فأعْجَبه ، فقال[3] : كيف تَصْنَعِين هذا ؟ فقالتْ : إنَّه سهلٌ علَيْنا اعْتِصارُه على أيدينا . فطَلَب منها شربةً أخْرَى ، فذَهَبتْ لتأتِيَه بها فوقَع فى نفْسِه أنْ يأخُذَ هذا المكانَ منهم ويُعَوِّضَهم عنه ، فأبْطَأتْ عليه ،

---

(١) فى خ ، م : « تتش » . وانظر المنتظم ١٦/ ٣١٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٥.
(٢) المنتظم ١٦/ ٣١٠.
(٣) المنتظم ١٦/ ٣١٠، ٣١١.

ثم خرَجتْ وليس معها شيءٌ ، فقال : ما لَكِ ؟ فقالتْ : كأنَّ نِيَّةَ سُلْطانِنا تغيَّرتْ علينا ، فتعَسَّر عليَّ اعْتِصارُه – وهى لا تعرِفُ أنَّه السلطانُ – فقال : اذْهَبى فإنَّك الآنَ تقْدِرين . وغيَّر نِيَّتَه إلى غيرِها ، فذهَبَتْ وجاءَتْه بشَرْبَةٍ أخْرَى سريعًا ، فشرِبَها وانْصرَف . فقال له [٢٠٨/٩و] السلطانُ مَلِكْشاه : هذه تصلُحُ لى ، ولكِن قُصَّ على الرعِيَّةِ حِكايةَ كِسْرَى الأخْرَى حينَ اجْتازَ ببُسْتانٍ ، فطَلَب مِن ناطُورِه عُنْقُودًا مِن حِصْرِمٍ ؛ فإنّه قد أصابَتْه صفراءُ ، وعطشٌ . فقال له النَّاطُورُ : إنَّ السلطانَ لم يأخُذْ حقَّه منه ، فلا أقْدِرُ أنْ أعْطِيَك منه شيئًا . قال : فعجِبَ الناسُ مِن ذكاءِ الملكِ ، وحُسْنِ اسْتِحْضارِه هذه فى مقابلَةِ تلك .

واسْتَعْداه رجلان مِنَ الفلَّاحِين على الأميرِ خُمارْتِكِينَ أنَّه أخَذ منهما مالًا جزيلًا وكسَر ثَنِيَّتَهما ، وقالا[1] : سمِعْنا بعَدْلِكَ فى العالمِ ، فإنْ أقَدْتَنا منه كما أمرَكَ اللَّهُ وإلَّا اسْتَعْدَيْنا عليك اللَّهَ يومَ القيامةِ . وأخَذا برِكابِه ، فنَزَل عن فرَسِه وقال لهما : خُذَا بكُمِّى فاسْحَبانى إلى دارِ نظامِ المُلْكِ . فهَابا ذلك ، فعَزَم عليهما ، ففَعَلا ما أمرَهما به ، فلمَّا بلَغ النِّظامَ مجِىءُ السلطانِ إليه خرَج مُسْرِعًا مِن خَيْمتِه ؛ فقال له المَلَكُ : إنِّى قلَّدْتُكَ الأمرَ لتُنصِفَ المظلومَ ممَّن ظلَمه . فكَتَب مِن فورِه بعزْلِ خُمارْتِكِينَ وحَلِّ أقْطاعِه ، وأنْ يَرُدَّ إليهما أمْوالَهما ، وأنْ يَقْلَعَا ثَنِيَّتَيْه إنْ قامَتْ عليه البَيِّنةُ ، وأمَر لهما المَلَكُ مِن عندِه بمائةِ دينارٍ .

وأسْقَط مرَّةً بعضَ المُكوسِ ، فقال رجلٌ مِنَ المُسْتَوفِين[1] : يا سلطانَ العالمِ ، إنَّ هذا يعْدِلُ سِتَّمائةِ ألفِ دينارٍ وأكثرَ . فقالَ : وَيْحَكَ ، إنَّ المالَ مالُ اللَّهِ ، والعِبادَ عبيدُه ، والبلادَ بلادُه ، وإنَّما يبْقَى هذا لى ، ومَن نازَعَنى فى هذا ضرَبتُ عنُقَه .

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣١١.

وغنَّته امرأةٌ حسناءُ فطَرِب وتاقَتْ نفْسُه إليها ، فهَمَّ بها ، فقالت[1] : أيُّها المَلِكُ ، إنِّى أغارُ على هذا الوَجْهِ الجميلِ مِن النارِ ، وبينَ الحلالِ والحرامِ كلمةٌ واحدةٌ . فاسْتَدْعَى بالقاضى فزوَّجه بها .

وقد ذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ[1] ، عن ابنِ عَقِيلٍ ؛ أنَّ السلْطانَ مَلِكْشاه كان قد فسَدتْ عقيدَتُه بسببِ معاشرَتِه بعضَ الباطِنيَّةِ ، ثم تنَصَّل مِن ذلك وراجَع الحقَّ .

وذُكِر أنَّ ابنَ عَقِيلٍ كتَب له شيئًا فى الدليلِ على إثباتِ الصانعِ . وقد ذكَرْنا[2] أنَّه لمَّا رجَع آخِرَ مرَّةٍ إلى بَغْدادَ عزَم على الخليفةِ أنْ يخرُجَ منها ، فاسْتَنْظَرَه عشَرةَ أيامٍ ، فمَرِض السلطانُ ، وماتَ قبلَ انْقِضاءِ العشَرةِ أيامٍ .

وكانت وفاتُه فى ليلةِ الجُمُعةِ النصفِ مِن شوالٍ عن سبعٍ وثلاثين سنةً وخمسةِ أشهرٍ ، وكانت مدةُ ملْكِه مِن ذلك تِسْعَ عشْرَةَ سنةً وأشهرًا ، ودفِن بالشُّونيزِيَّةِ ، ولم يُصَلِّ عليه أحدٌ لشدَّةِ كِتْمانِ الأمرِ ، وكان مرضُه بالحُمَّى ، وقيل : إنَّه سُمَّ . واللَّهُ أعلمُ .

بانِى التَّاجِيَّةِ ببَغْدادَ

المَرْزُبانُ بنُ خُسْرُو[3] ، تاجُ المُلْكِ ، الوزيرُ أبو الغنائمِ بانِى التَّاجِيَّةِ ، التى درَّس فيها أبو بَكْرٍ الشَّاشِىُّ ، وبنَى تربةَ الشيخِ أبى إسْحاقَ ، وقد كان السلطانُ مَلِكْشَاه أرادَ أنْ يَسْتَوْزِرَه بعدَ نظامِ المُلْكِ فمات سريعًا ، فاسْتَوْزَر لولدِهِ محمودٍ ، فلمَّا قهَره

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣١٢.

(٢) تقدم فى ص ١٢٣ .

(٣) المنتظم ١٦/ ٣١٣، والكامل ١٠/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣١، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٩٠ هـ) ص ١٨٩.

أخوه بَرْكْيَارُوقُ قتَله غلْمانُ النِّظامِ وقطَّعُوه إرْبًا إرْبًا فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنَةِ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوارِثِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ بُورِى[1] ، أبو القاسمِ [٩/ ٢٠٨ظ] الشِّيرَازِىُّ ، أحدُ الرَّحَّالينَ الجوَّالينَ فى الآفاقِ ، وكان حافظًا ثقةً دَيِّنًا وَرِعًا ، حسَنَ الاعْتِقادِ والسيرةِ ، له تاريخٌ حسَنٌ ، ورحَل إليه الطلبةُ مِن بَغْدادَ وغيرِها ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ٣١٤/١٦، ومختصر تاريخ دمشق ٦٧/٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٩، وتذكرة الحفاظ ١٢١٥/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١- ٤٩٠ هـ) ص ١٦٥ .

ثم دخَلَتْ سنةُ سِتٍّ وثمانين وأربعِمائةٍ[1]

فيها قدِم إلى بغدادَ رجلٌ يقالُ له : أرْدَشِيرُ بنُ منصورٍ ، أبو الحسينِ العبَّادِيُّ ، مرْجِعَه مِن الحجِّ ، فنزَل النِّظامِيَّةَ ، فوعَظ الناسَ وحضَر مجلِسَه الغزَّاليُّ مُدرِّسُ المكانِ ، وازدحَم الناسُ فى مجلسِ وعظِه وكثُروا فى المجالسِ بعدَ ذلك ، وترَك كثيرٌ مِن الناسِ معايشَهم ، فكان يحضُرُ مجلِسَه فى بعضِ الأحْيانِ قريبٌ مِن ثلاثين ألفًا مِن الرجالِ والنساءِ ، وتاب كثيرٌ مِن الناسِ ولَزِمُوا المساجدَ وأُريقَتِ الخمورُ وكُسِرَتِ المَلاهِى ، وكان الرجلُ فى نفسِه صالحًا له عباداتٌ وفيه زُهدٌ وافرٌ ، وله أحْوالٌ صالحةٌ ، وكان الناسُ يزْدَحِمُونَ على فَضْلِ وَضوئِه ، ورُبَّما أخَذُوا مِن البِرْكَةِ التى يتوضَّأُ منها للبَرَكةِ .

ونقَل ابنُ الجوزىِّ[2] ، أنَّه اشْتهَى مرَّةً على بعضِ أصحابِه تُوتًا شامِيًّا وثَلْجًا ، فطافَ البلدَ بكَمالِه فلم يجِدْه ، فرجَع فوجَد الشيخَ فى خَلْوَتِه ، فسأَل : هل جاء اليومَ إلى الشيخِ أحدٌ ؟ فقِيل له : جاءتِ امرأةٌ فقالتْ : إنِّى قد غزَلْتُ بيَدَىَّ غَزْلًا وبِعْتُه ، وأنا أحبُّ أن أشْتَرِىَ للشيخِ طُرْفَةً . فامتنَع مِن ذلك فبكَتْ ، فرَحِمَها وقال : اذْهَبى فاشْتَرى . فقالت : ماذا تشْتَهِى ؟ فقال : ماشِئتِ . فذهَبتْ فأتَتْه بتوتٍ شامىٍّ وثلجٍ ، فأكَلَه .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣، والكامل ١٠/ ٢٢٥.

(٢) المنتظم ١٧/ ٤.

وقال بعضُهم : دخَلْتُ عليه وهو يشرَبُ مَرَقًا ، فقُلْتُ فى نفسى : لَيْتَه أعْطانى فَضْلَه لأَشْرَبَه لحفْظِ القرآنِ ، فناوَلَنِى فضلَه فقال : اشْرَبْها على تلك النِّيةِ . قال : فرزَقَنِى اللَّهُ حفظَ القرآنِ . وكانت له عباداتٌ ومُجاهداتٌ ، ثم اتُّفِقَ أنَّه تكلَّمَ فى بَيْعِ القُراضَةِ[1] بالصحيحِ ، فمُنِعَ مِن الجلوسِ وأُخْرِجَ مِن البلدِ .

وفى هذه السنةِ خطَب تُتُشُ بنُ ألب أرْسَلَان صاحبُ دمشقَ لنفْسِه بالسلطَنةِ ، وطلَب مِن الخليفةِ أن يُخطَبَ له بالعراقِ ، فحصَل التوَقُّفُ عن ذلك بسبَبِ ابنِ[2] أخيه بَرْكْيارُوقَ بنِ مَلِكْشاه ، فسَار إلى الرَّحْبَةِ وفى صُحْبَتِه وطاعتِه آقْ سُنْقُرُ قسيمُ الدولةِ صاحبُ حَلَبَ ، وبُوزانُ صاحبُ الرُّهَا ، ففتَح الرَّحْبَةَ ، ثم سارَ إلى المَوْصِلِ فأخَذها مِن يَدِ صاحبِها إبراهيمَ بنِ قريشِ بنِ بَدْرانَ ، وهزَمَ جيوشَه مِن بَنِى عقيلٍ ، وقتَل خلقًا مِن الأُمراءِ صَبْرًا ، وكذلك أخَذ ديارَ بَكْرٍ ، واسْتَوْزَرَ الكافِىَ بنَ فخر الدولةِ بنِ جَهِيرٍ ، وكذلك أخَذ هَمَذانَ وخِلاطَ[3] ، وفتَحَ أذْرَبِيجَانَ ، واسْتَفْحَلَ أمرُه ، ثم فارقَه الأميران آقْ سُنْقُرُ وبُوزانُ ، فسَارا إلى الملكِ بَرْكْيارُوقَ وبَقِىَ تُتُشُ وحدَه ، فطَمِعَ فيه [4]ابنُ أخيه[4] بَرْكْيارُوقُ ، فرجَع تُتُشُ فلَحِق قسيمَ الدولةِ آقْ سُنْقُرَ وبُوزانَ ببابِ حَلَبَ فكسَرَهما وأسَرَ بُوزانَ وآقْ سُنْقُرَ ، فصلَبَهما وبعَث برأسِ بوزانَ فطِيفَ به حَرَّانَ والرُّهَا ، وملَكَها مِن بعدِه .

وفيها وقَعتِ الفتنةُ بينَ الروافضِ والسُّنةِ ، وانْتَشَرتْ بينَهم شرورٌ كثيرةٌ .

---

(١) القُراضة : قِطع الذهب أو الفضة . انظر فى بيع القراضة بالصحيح (المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف) ١٢/٨٢ - ٨٤، والإقناع لطالب الانتفاع ٢/ ٢٥٣.

(٢) سقط من : خ ، م .

(٣) خلاط : هى قصبة أرمينية الوسطى . معجم البلدان ٢/ ٤٥٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص ، وفى خ ، م : «أخوه» . والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٢٢.

وفى ثانى شعبانَ وُلِد الخليفةُ[1] المُسْتَرْشِدُ باللَّهِ أبو منْصورٍ الفضلُ بنُ أبى العباسِ أحمدَ المُسْتَظْهِرِ، ففرِحَ الخليفةُ ووَلىَّ عهدِه بالولدِ السعيدِ.

وفى ذى القَعْدَةِ دخَل السلطانُ بَرْكْيارُوقُ بغدادَ، وخرَج إليه الوزيرُ أبو منْصورِ بنُ جَهيرٍ، وهنَّأه عن الخليفةِ بالقُدومِ.

وفيها أخَذ المُسْتَنْصِرُ العُبَيْدِىُّ مدينةَ صُورَ مِن أرضِ الشامِ. ولم يحُجَّ فيها أحدٌ مِن أهلِ العراقِ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

جعفرُ بنُ المقتدِى بأمرِ اللَّهِ[2] مِن الخاتُونِ بنتِ السلطانِ مَلِكْشَاه [٩/٢٠٩و]، فى جُمادَى الأُولَى، وجلَس الوزيرُ للعزاءِ ثلاثةَ أيامٍ.

سُليمانُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ، أبو مسعودٍ الأصْبهانِىُّ[3]، سمِع الكثيرَ، وصَنَّف وخرَّج على الصحيحين، وكانت له معرفةٌ جيِّدةٌ بالحديثِ، سمِع ابنَ مَرْدَوَيْهِ وأبا نُعَيْمٍ والبَرْقانِىَّ، وكتَب عنه الخطيبُ وغيرُه، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ عن تِسْعٍ وثمانين سنةً.

عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ [4]**بنِ الحُصَيْنِ**[4] **الدَّسْكَرِىُّ**[5]، أبو سعدٍ الفقيهُ

---

(١) فى الأصل، خ، م: «للخليفة ولده»، وانظر المنتظم ١٧/ ٥، والكامل ١٠/ ٢٢٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٥، والكامل ١٠/ ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١، المعين فى طبقات المحدثين ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠) ص ١٧٣، وتذكرة الحفاظ ٣/١١٩٧ وشذرات الذهب ٣/ ٣٧٧.

(٤ - ٤) فى الأصل: «ابن أحمد بن الحصين»، وفى م: «ابن المحسن». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ٧، والكامل ١٠/ ٢٢٧، وفيه «ابن المحسن»، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٢٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٢٧، وفيهما «ابن الحسين».

(٥) فى الأصل، خ، م: «الدشكرى». والدَّسْكَرى: نسبة إلى الدسكرة، اسم لعدة قرى. انظر معجم البلدان ٢/ ٥٧٥.

الشافعيُّ ، صحِب الشيخَ أبا إسحاقَ الشِّيرَازِيَّ . وروَى الحديثَ ، وكان يقولُ : ما عصَى بَدَنى هذا فى لَذَّةٍ قطُّ . تُوفِّى فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن ببابِ حربٍ .

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ يُوسُفَ [1] **بنِ جعفرٍ** [1] ، **أبو الحسنِ الهَكّارِىُّ** ، قَدِم بغدادَ ونَزل فى رِباطِ الزوزنىِّ [2] ، وكانت له أرْبطَةٌ قدِ ابْتَناها ، سمِع الحديثَ وروَى عنه غيرُ واحدٍ مِنَ الحفَّاظِ ، وكان يقولُ : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المنامِ فى الرَّوْضَةِ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أوْصِنى . فقال : عليكَ باعْتِقادِ أحمدَ بنِ حَنبلٍ ، ومذهبِ الشافعىِّ ، وإيَّاكَ ومُجالَسَةَ أهلِ البِدَعِ . وكانت وفاتُه فى المُحرَّمِ مِن هذه السنةِ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ ، أبو الحسنِ الخطيبُ الأنْبَارِىُّ [3] ، ويُعَرفُ بابنِ الأخضرِ ، سمِع أبا محمدٍ الفَرَضىَّ [4] ، وهو آخِرُ مَن حَدَّث عنه ، وكانت وفاتُه فى شَوَّالٍ منها عن خمسٍ وتسعين سنةً .

أبو نصرٍ ، ابنُ ماكولا علىُّ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ عَلِّكانَ [5] **بنِ محمدِ ابنِ دُلَفَ بنِ أبى دُلَفَ** ، الأميرُ أبو نصرٍ وُلِد سنةَ ثِنْتَيْن وأربعِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان مِن الحفَّاظِ ، وله كتابُ « الإكْمالِ فى المؤتَلِفِ والمُخْتَلِفِ » ، جمَع

(١ - ١) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٨٢، والمعين فى طبقات المحدثين ص ٢٠٦.

(٢) فى خ ، م : « الدورى » .

(٣) المنتظم ١٧/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ١٨٥، والمعين فى طبقات المحدثين ٢٠٦، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٣٠.

(٤) فى خ ، م : « الرضى » .

(٥) سقط من : خ ، م ، ص ، وفى الأصل : « على » . والمثبت كما تقدم فى ترجمته ص ٨٣، ضمن وفيات سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

بيـنَ كتابِ عبدِ الغَنَيِّ بنِ سعيدٍ وكتابِ الدّارَقُطْنِيِّ وغيرِهما ، وزاد عليهما أشياءَ كثيرةً مُهِمَّةً حسنةً مفيدةً نافعةً ، وكان نحْوِيًّا مُبَرَّزًا ، فصيحَ العبارةِ ، حسَنَ الشِّعرِ . قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : وسمِعتُ شيخَنا عبدَ الوَهَّابِ يطْعَنُ فى دينِه ويقولُ : العلمُ يَحتاجُ إلى دِينٍ . وقُتِل فى خُوزِسْتانَ فى هذه السنَةِ أو التى بعدَها ، وقد جاوَز الثمانيـن . كذا ذكَره ابنُ الجَوْزِيِّ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٨.

ثم دخَلَتْ سنةُ سبعٍ وثمانين وأربعِمائةٍ[1]

فيها كانت وفاةُ الخليفةِ المُقْتَدِى، وخلافةُ ولَدِه المستظهرِ باللَّهِ.

صِفَةُ موْتِه

لمَّا قَدِم السلطانُ بَرْكْيارُوقُ بغدادَ، سألَ مِنَ الخليفةِ أن يكتُبَ له بالسلْطنَةِ كتابًا فيه العهدُ إليه، فكتَب ذلك، وهُيِّئَتِ الخِلَعُ وعُرِضَتْ على الخليفةِ، وكان الكتابُ يومَ الجُمُعةِ الرابعَ عشَرَ مِن المحُرَّمِ، ثم قُدِّمَ إليه الطعامُ فتناوَل منه على العادةِ وهو فى غايةِ الصِّحَّةِ، ثم غسَل يدَه وجلَس ينظُرُ فى العهدِ بعدَ ما وَقَّعَ عليه، وعندَه قَهْرَمانَةٌ تُسمَّى شمسَ النهارِ، قالت: فنظَر إلىَّ وقال: مَن هؤلاءِ الأشْخاصُ الذينَ قد دخَلُوا علينا بغيرِ إذْنٍ؟ قالت: فالْتَفَتُّ فلم أرَ أحدًا، ورأيْتُه قد تغَيَّرَتْ حالَتُه واسْتَرْخَت يَدَاه ورِجْلَاه، وانحَلَّتْ قُواه، وسقَط إلى الأرضِ قالت: فظَنَنْتُ أنَّه غُشِى عليه، فحلَلْتُ أزْرارَ ثيابِه فإذا هو لا يُجِيبُ داعِيًا، فأغلَقْتُ عليه البابَ وخرَجتُ فأعْلَمْتُ ولىَّ العهدِ بذلك، وجاء الأمراءُ ورُءوسُ الدَّولةِ يُعزُّونَه بأبيه، ويُهَنِّئُونَه بالخلافةِ، فبايَعُوه، واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٠، والكامل ١٠/ ٢٢٩.

شىءٌ مِن ترجمةِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّـهِ[1]

هو أميرُ المؤمنين المقتدِى بأمرِ اللَّهِ ، أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ الذَّخِيرَةِ[2] بنُ أميرِ المؤمنينَ القائمِ بأمرِ اللَّهِ بنِ القادرِ باللَّهِ العباسِيِّ ، أمُّه أمُّ وَلَدٍ اسمُها أُرْجوانُ ، أرْمِنيَّةٌ ، أدْرَكَتْ خلافةَ ولَدِها وخلافةَ ولَدِه المُسْتَظْهِرِ ووَلَدِ ولدِه المُسْتَرْشِدِ أيضًا . كان المُقْتَدِى أبيضَ ، تامَّ القامَةِ ، حُلْوَ الشمائلِ ، عمَرَتْ فى أيامِه محالٌّ كثيرةٌ مِن بغدادَ ، ونَفَى عنها المغَنِّياتِ وأرْبابَ المَلاهِى والمعاصِى ، وكان غَيُورًا على حريمِ الناسِ ، آمِرًا بالمعروفِ ناهيًا عن المنكرِ ، حسَنَ السيرةِ والسَّريرةِ ، رَحِمه اللَّهُ . كانت وفاتُه يومَ الجُمُعةِ رابعَ عشَرَ المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ ، وله مِن العُمرِ ثَمانٍ وثلاثونَ سنةً وثمانيةُ شُهورٍ وتِسعةُ أيامٍ ، خلافَتُه مِن ذلك [٩/٢٠٩ظ] تِسْعَ عشْرَةَ سنةً وثمانيةُ شهورٍ إلَّا يومَيْن ، وأُخْفِىَ موتُه ثلاثةَ أيامٍ حتى توطَّدتِ البيعةُ لابْنِه المستظهرِ ، ثم صَلَّى عليه ، ودُفِنَ فى تربَتِهم ، واللَّهُ أعلمُ .

خِلافَةُ المستظهرِ باللَّـهِ أبى العباسِ أحمدَ

لمَّا تُوفِّى أبوه يومَ الجُمُعةِ أحْضَرُوه وله مِن العُمرِ سِتَّ عشْرَةَ سنةً وشهران ، فبُويِعَ له بالخلافةِ ، فكان أوَّلَ مَن بايعَه الوزيرُ أبو منصورٍ ابنُ جَهيرٍ ، ثم أُخِذَتِ

---

(١) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢١٠، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٦٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٣٩.

(٢) بعده فى م، خ، ص: «الأمير ولى العهد أبى العباس أحمد».

البيعةُ له مِن المَلِكِ ركنِ الدولةِ بَرْكْيارُوقَ بنِ السلطانِ مَلِكْشاه ثم مِن بقِيَّةِ الأمراءِ والرُّؤساءِ وصلَّى على الخليفةِ الأمراءُ والوزراءُ، ومن العلماءِ حضَر الغَزَّاليُّ والشَّاشِيُّ وابنُ عَقِيلٍ، وبايَعُوه يومَ ذلك، وقد كان المستظهرُ باللَّهِ كريمَ الأخْلاقِ حافظًا للقرآنِ فصيحًا بليغًا شاعرًا مُطبِّقًا، ومن لطيفِ شعرِه قولُه[1]:

أذابَ حَرُّ الجوى فى القلبِ ما خَمدا ... يومًا مدَدْتُ على رَسْمِ الوَداعِ يَدا
فكيف أسْلُكُ نَهجَ الإصْطِبارِ وقد ... أرَى طَرائِقَ فى مَهْوى الهوَى قِدَدا
قد أخْلَف الوعدَ بَدْرٌ قد شغِفتُ بهِ ... مِن بعدِ ما قد وَفَى دَهْرًا بما وعَدا
إن كنتُ أنقُضُ عهدَ الحبِّ فى خَلَدِى ... مِن بعدِ هذا فلا عايَنْتُهُ أبَدا

وفَوَّضَ المستظهرُ أمورَ الخلافةِ إلى وزيرِه أبى منصورٍ عميدِ الدولةِ ابنِ جَهيرٍ، فدَبَّرَها له أحسنَ تدبيرٍ، ومَهَّد الأمورَ أتمَّ تمهيدٍ، وساسَ الرَّعايا، وكان مِن خيارِ الوزراءِ.

وفى ثالِثَ عشَرَ شعبانَ عزَل الخليفةُ أبا بَكْرٍ الشَّاشِيَّ عن القضاءِ، وفوَّضَه إلى أبى الحسنِ بنِ الدامَغانِيِّ.

وفيها وقَعت فتنةٌ بينَ السُّنَّةِ والرَّوافِضِ فأُحْرِقَت مَحالُّ كثيرةٌ، وقُتِل ناسٌ كثيرون، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون.

ولم يَحُجَّ أحدٌ فى هذه السنةِ؛ لاخْتِلافِ السلاطينِ. وكانت الخُطْبَةُ للسلطانِ بَرْكْياروقَ ركنِ الدولةِ يومَ الجُمُعةِ الرابعَ عشَرَ مِن المحرَّمِ، هو اليومُ الذى تُوفِّى فيه الخليفةُ المقتدى بأمرِ اللَّهِ بعدَ ما عَلَّم على توْقيعِه.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

آقْ سُنْقُرُ الأتابِكُ ؛ الملقَّبُ قَسِيمَ الدولةِ السَّلْجُوقىُّ[1] ، ويُعرَفُ بالحاجِبِ ، صاحِبُ حَلَبَ ودِيارِ بَكْرٍ والجزيرةِ . وهو جدُّ الملكِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ابنِ آقْ سُنْقُرَ ، وكان أوَّلًا مِن أخصِّ أصحابِ السلطانِ مَلِكْشاه بنِ ألبِ أرْسَلانَ السَّلْجُوقِىِّ ، ثم ترقَّتْ منزلتُه عندَه حتى أعطاه حَلَبَ وأعْمالَها بإشارةِ الوزيرِ نظامِ المُلْكِ وكان مِن أحسنِ الملوكِ سيرةً وأجْوَدِهم سرِيرَةً ، وكانت الرعيَّةُ معه فى أمْنٍ ورُخْصٍ وعدلٍ ، ثم كان موتُه على يَدِ السلطانِ تاجِ الدولةِ تُتُشَ صاحِبِ دمشقَ ؛ وذلك أنَّه استعان به وبصاحبِ حَرَّانَ والرُّهَا على قتالِ ابنِ أخيه بَرْكْياروقَ بنِ مَلِكْشاه ، ففَرَّا عنه وترَكاه ، فلمَّا تمكَّنَ قاتَلَهما بابِ حَلَبَ فقتَلَهما وأخَذ بلادَهما ، إلَّا حَلَبَ فإنَّها استقَرَّتْ لوَلَدِ آقْ سُنْقُرَ زَنْكِى فيما بعدُ ، وذلك فى سنَةِ ثلاثٍ وعشرين وخَمْسِمائَةٍ كما سيأتِى بيانُه . وذكَرَ ابنُ خَلِّكانَ[2] أنَّه كان مملُوكًا للسلطانِ مَلِكْشاه ، هو وبُوزَانُ صاحِبُ الرُّهَا ، فلمَّا ملَكَ تُتُشُ حَلَبَ اسْتَنابَه بها فعصَى عليه فقصَده وكان قد ملَكَ دمشقَ أيضًا فقاتَلَه فقتَله فى هذه السنَةِ فى جُمادَى الأُولى منها . فلمَّا قُتِل دفَنه ولَدُه عِمادُ الدينِ زَنْكِى بحَلَبَ ؛ أدْخلَه إليها مِن فوقِ السُّورِ بالمدرسةِ الزُّجاجيَّةِ .

أميرُ الجيوشِ بَدْرٌ الجَمالىُّ[3] صاحِبُ جيوشِ مِصْرَ ، ومُدَبِّرُ المَمالِكِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٠، ضمن وفيات سنة تسع عشرة وخمسمائة ، والكامل ١٠/ ٢٣٢، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٠١.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٤١.

(٣) الكامل ١٠/ ٢٣٥، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٣٦، والوافى بالوفيات ١٠/ ٩٥، وقد ذكره الذهبى =

الفاطِميَّةِ ، كان عاقلًا كريمًا محبًّا للعلماءِ ، - ولهم عليه رسومٌ دارَّةٌ - تمكَّن فى أيامِ المستنصرِ تمكُّنًا عظيمًا ، ودارَتْ أزِمَّةُ الأمورِ على آرائِه ، وفتَح بلادًا كثيرةً ، وامتدَّتْ أيامُه وحياتُه ، وبَعُد صِيتُه وامْتَدَحَتْه الشعراءُ . ثم كانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ منها ، وقام بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه الأفضلُ .

الخليفةُ المُقْتَدى[1] وقد تقدَّم شىءٌ مِن ترجمتِه .

الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ الفاطمىُّ أبو تميمٍ ، مَعدُّ بنُ أبى الحسنِ علىِّ بنِ الحاكمِ[2] ، استمرَّتْ أيامُه ستِّينَ سنةً ، ولم يَتَّفِقْ هذا لخليفةٍ قبلَه ولا بعدَه ، وكان قد عهدِ بالأمرِ إلى ولَدِه نِزارٍ ، فخلَعه الأفضلُ بنُ بَدْرٍ الجَمالِىِّ بعدَ موتِ أبيه . وبايَع أبا القاسمِ أحمدَ بنَ المستنصِرِ [٩/٢١٠و] أخاه - ولَقَّبه بالمُسْتَعْلِى - فهرَب نِزارٌ إلى الإسكندريَّةِ ، فجمَع الناسَ عليه فبايعوه ، وتَولَّى أمْرَه قاضى الإسْكندرِيَّةِ ؛ جَلالُ الدولةِ بنُ عَمَّارٍ ، فقصَدَه الأفضلُ فقاتَلَه مِرارًا فهزَمهم ، وأسَر القاضىَ ونِزارًا ، فقتَل القاضِىَ وحبَس نِزارًا حتى مات ، واستقرَّ المُسْتَعْلِى فى الخلافةِ ، وعمرُه إحْدى وعشرونَ سنةً .

محمدُ بنُ أبى هاشمٍ[3] أميرُ مَكَّةَ ، كانت وفاتُه فيها عن نَيِّفٍ وتسعين سنةً .

= ضمن وفيات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

(١) تقدمت ترجمته فى ص ١٤١.

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٢٢٩، ونهاية الأرب ٣٨/ ٢٤٠، والمختصر فى تاريخ البشر ٢/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٢٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٤٠.

(٣) الكامل ١٠/ ٢٣٩، والمختصر فى تاريخ البشر ٢/٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٢٥، ودول الإسلام ٢/ ١٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٧.

محمودُ بنُ السلطانِ مَلِكْشاه[1] ، كانت أمُّه قد عقَدت له المُلْكَ ، وأنفَقَتْ بسَبَبِه الأمْوالَ ، فنازَعه أخوه بَرْكْيارُوقُ فقهَره ، ولزِمَ بلَدَه أَصْبَهانَ ، فماتَ بها فى هذه السنةِ ، وحُمِل إلى بغدادَ فدُفِنَ بها بالتُّربةِ النِّظاميَّةِ ، كان مِن أحسنِ الناسِ وَجْهًا ، وأظرَفِهم شكلًا ، تُوفِّى فى شوَّالٍ منها ، وقد تُوفِّيت أمُّه الخاتونُ تُركان[2] شَاه فى رمضانَ هذه السنةَ .

---

(١) الكامل ١٠/ ٢٣٤، ومختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٧٦.

(٢) فى خ ، م : «تركيان» ، وانظر المنتظم ١٧/ ١٤، والكامل ١٠/ ٢٤٠.

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثَمانٍ وثمانين وأرْبعِمائةٍ[1]

فيها ورَد يوسفُ بنُ أبقِ التُّرْكُمانىُّ مِن جهةِ تاجِ الدولةِ أبى سعيدٍ تُتُشَ بنِ ألب أرسَلان صاحبِ دمشقَ إلى بغدادَ ؛ لأجْلِ إقامَةِ الدعوةِ له ببغدادَ ، وكان تُتُشُ قد توَجَّهَ لقتالِ [2]ابنِ أخيه[2] بناحيةِ الرَّىِّ ، فلمَّا دخَل رسولُه إلى بغدادَ هابُوه وخافُوه واسْتَدْعاه الخليفةُ فقرَّبَه ، وقبَّلَ الأرضَ بينَ يَدِي الخليفةِ ، وتأهَّبَ أهلُ بغدادَ له ، وخافُوا أن يَنْهَبَهم ، فبينَما هو كذلك ، إذ قدِم عليه أخوه فأخْبَره أنَّ تُتُشَ قُتِل فى أوَّلِ مَن قُتِل فى الوَقْعَةِ . وكانت وفاتُه فى سابعَ عشَرَ صفرٍ مِن هذه السنَةِ ، فاستفحَلَ أمرُ بَرْكْياروقَ ، واستقَلَّ بالأمورِ . وكان دُقاقُ بنُ تُتُشَ مع أبيه حينَ قُتِل ، فسارَ إلى دمشقَ فتسَلَّمها مِن الأميرِ ساوتِكينَ الذى استنابَه أبوه ،واسْتَوْزَرَ أبا القاسمِ الخُوارِزْمِىَّ ، [3]وملَك عبدُ اللَّهِ بنُ تُتُشَ مدينةَ حَلبَ ، ودَبَّرَ أمرَ مَمْلَكَتِه جناحُ الدولةِ ، الحسينُ بنُ أيْتِكينَ ، ورِضوانُ بنُ تُتُشَ صاحبُ مدينةِ حلبَ[4][3] ، وإليه تُنْسَبُ بنُو رِضْوانَ بها . وفى يومِ الجمعةِ التاسِعَ عشرَ مِن

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥، والكامل ١٠/ ٢٤٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، خ، ص: «أخيه».

(٣ - ٣) كذا فى: الأصل، م، ص، وفى خ: «وملك عبد اللَّه بن تتش صاحب حماة». والسياق مضطرب؛ فالمذكور فى الكامل ١٠/٢٤٦ - ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٩، ٤٠: أن الذى ملك حلب هو رضوان بن تتش، والذى دبر له أمر مملكته جناح الدولة الحسين بن أيتكين، دونما ذكر لعبد اللَّه بن تتش، ولم أجد من ولد تتش غير دقاق ورضوان، كما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ١/ ٢٩٦.

(٤) فى الأصل، ص: «ايضا»، وفى م، خ: «حماة». والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٤٦.

ربيعِ الأوَّلِ منها خُطِب لوليِّ العهدِ أبى المنصورِ ، الفَضْلِ بنِ المُسْتَظْهِرِ ، ولُقِّبَ بذَخِيرَةِ الدينِ .

وفى ربيعِ الآخرِ خرَج الوزيرُ ابنُ جَهيرٍ فاخْتَطَّ سورًا على الحريمِ ؛ وأذِن للعوامِّ فى العملِ والتفرُّجِ فأظْهَرُوا منكراتٍ كثيرةً ، وسَخافاتِ عقُولٍ ضعيفةٍ ، وعمِلُوا أشْياءَ مُنْكرةً ، فبعَث إليه ابنُ عَقِيلٍ رقعةً فيها كلامٌ غليظٌ ، وإنْكارٌ بغيضٌ .

وفى رمضانَ خرَج السلطانُ بَرْكْياروقُ فعدَا عليه فِداوِىٌّ[1] ، فلم يتمَكَّنْ منه ، فمُسِكَ فعُوقِبَ فأقرَّ على آخرَيْن فلم يُقِرَّا فقُتِلَ الثلاثةُ . وجاءَ الطَّواشِىُّ مِن جهَةِ الخليفةِ مهنِّئًا له بالسلامةِ .

وفى ذى القَعْدَةِ منها خرَج أبو حامدٍ الغَزَّالىُّ مِن بغدادَ متوجِّهًا إلى بيتِ المقْدِسِ تاركًا لتَدْريسِ النِّظامِيَّةِ ، زاهدًا فى الدنْيا ، لابِسًا خشِنَ الثِّيابِ بعدَ ناعمِها ، ونابَ عنه أخوه فى التَّدريسِ ، وعاد فى السنةِ الثالثةِ[2] مِن خروجِه ثم حجَّ ، ثم رجَع إلى بلدِه ، وقد صَنَّفَ كتابَ « الإحْياءِ » فى هذه المدةِ ، وكان يجتمِعُ إليه الخلقُ الكثيرُ كلَّ يومٍ فى الرِّباطِ فيَسْمَعُونَه .

وفى يومِ عرَفَةَ خُلِع على القاضى أبى الفرَجِ [3]عبدِ الرحمنِ[3] بنِ هِبَةِ اللَّهِ [4]بنِ البُسْتِىِّ[4] ، ولُقِّبَ بشرَفِ القُضاةِ ، ورُدَّ إلى وِلايةِ القضاءِ بالحريمِ وغيرِه .

وفى هذه السنةِ [٩/٢١٠ظ] اصْطَلحَ أهلُ الكَرْخِ من السُّنَّةِ والرافضةِ مع بقيَّةِ

---

(١) فى المنتظم ١٧/ ١٧، والكامل ١٠/ ٢٥١: « سترى » .

(٢) فى م ، الكامل ١٠/ ٢٥٢: « التالية » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٤٢.

(٣ - ٣) فى المنتظم ١٧/ ١٨: « عبد الوهاب » .

(٤ - ٤) فى المنتظم ١٧/ ١٨: « السيبى » .

المحالِّ ، وتزاوَرُوا وتواكَلُوا وتشارَبُوا ، وكان هذا مِن العجائبِ . وفيها قُتِل أحمدُ خان[1] صاحبُ سَمَرْقَنْدَ ؛ وسببُه أنَّه شُهِد عليه بالزَّنْدَقَةِ فخُنِقَ ووَلِيَ مكانَه ابنُ عمِّه مسعودٌ .

وفيها دخَل الأتراكُ إفْرِيقِيَّةَ وغدَرُوا بيحيى بنِ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ بادِيسَ ، وقبَضُوا عليه ، وملَكُوا بلادَه وقتَلُوا خلقًا ، بعد ما جرَتْ بينَهم وبينَه حروبٌ شديدةٌ ، وكان مُقَدَّمَهم رجلٌ يُقالُ له : شاه مَلِكُ ، وكان مِن أوْلادِ بعضِ أمراءِ المشرقِ ، فقَدِم مصرَ وخدَم بها ثم هرَب إلى المغربِ ، ففَعَل ما ذكَرنا . ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ العراقِ فى هذه السنةِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

[2]**أحمدُ بنُ**[2] **الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ خَيْرُونَ** ، أبو الفَضْلِ المعروفُ بابنِ البَاقِلَّانِىِّ ، سمِع الكثيرَ ، وكتَب عنه الخطيبُ ، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ ، وهو مِن الثِّقاتِ ، وشهِد عندَ أبى عبدِ اللَّهِ الدامَغانِىِّ ، ثم صارَ أمِينًا له ، ثم وَلِيَ إشرافَ خِزانَةِ الغلّاتِ . تُوفِّى فى رجَبٍ عن ثِنْتَيْن وثمانين سنةً .

تُتُش أبو المُظَفَّرِ ، تاجُ الدولةِ بنُ ألب أرْسَلان بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلْجوقَ[3] ، صاحبُ دمشقَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقد كان ترَوَّج أمرُه على ابنِ

---

(١) فى الأصل ، خ ، ص : « ابن خان » ، وفى م : « ابن خاقان » . والمثبت من : الكامل ١٠/ ٢٤٣، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٨، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٧.

(٢ - ٢) زيادة من مصادر ترجمته ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٣١، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٢٠.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٩٥، والمختصر فى تاريخ البشر ٢/ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٣، =

أخيه بَرْكْياروقَ بنِ مَلِكْشاه بنِ ألبِ أرسَلانَ ، ولكِنْ قدَّر اللَّهُ وما شاء فعَل ، وقد قال المتنبى[1] :

ولِلَّهِ سِرٌّ فى عُلَاك وإنَّما كلامُ العِدَى ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيانِ

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : كان صاحبَ البلادِ الشرقيةِ فاسْتَنجَدَه أتْسِزُ[3] فى محارَبةِ أميرِ الجيوشِ مِن جهةِ صاحبِ مصرَ ، فلمَّا قدِم دمشقَ لنجْدَتِه وخرَج إليه أتْسِزُ ، أمَر بمَسْكِه وقتلِه ، واسْتَحوَذَ هو على دمشقَ وأعْمالِها فى سنَةِ إحْدَى وسَبْعِينَ ، ثم تحاربَ هو وابنُ أخيه بَرْكْيارُوقُ ببلادِ الرَّىِّ ، فكسَرَه ابنُ أخيه وقُتِل هو فى المعركةِ ، وتملَّكَ ابنُه رِضوانُ حَلَبَ إلى سنةِ سبعٍ[4] وخمسِمائةٍ ، سمَّتْه أمُّه فى عُنْقُودِ عنبٍ . فقامَ بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه تاجُ المُلْكِ بُورِى أربعَ سنِينَ ، ثم ابنُه الآخرُ شمسُ الملوكِ إسماعيلُ ثلاثَ سنينَ ، ثم قتَلتْه أمُّه أيضًا ، وهى زُمُرُّدُ خاتون بنتُ جاولى ، وأجلَسَتْ أخاه شِهَابَ الدينِ محمودَ بنَ بُورِى ، فمكَث أربعَ سِنِينَ ، ثم ملَك أخوه سنةً ، ثم ملَك محيى الدينِ أبقُ مِن سنَةِ أربعٍ وثلاثينَ إلى أن انْتزَعَ المُلْكَ منه نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى كما سيأْتى . وكان أتابِكُ العساكِرِ بدمشقَ أيامَ أَبَق معينُ الدينِ ، الذى تُنْسَبُ إليه المُعِينِيَّةُ بالغَوْرِ ، والمدرسةُ المُعِينِيَّةُ بدمشقَ .

رِزْقُ اللَّهِ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ العزيزِ ، أبو محمدٍ التَّمِيمىُّ[5] ، أحدُ

= وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٣٨، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٥.

(١) الديوان : ص ٤٧٢.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٩٥.

(٣) فى الأصل، ص : «أقسنقر»، وفى خ : «أقسز».

(٤) بعده فى م : «وخمسين».

(٥) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٠، ومعجم الأدباء ١١/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٩، وتذكرة =

أئمةِ القُرَّاءِ والفقهاءِ - على مذهبِ أحمدَ - والحديثِ، وكان له مجلسٌ للوعظِ [٩/٢١١و]، وحلْقَةٌ للفَتْوَى بجامعِ المنصورِ، ثم بجامعِ القصرِ، وكان حسنَ الشكلِ محبَّبًا إلى العامَّةِ، له شِعْرٌ حسنٌ، وكان كثيرَ العبادَةِ، فصيحَ العِبارَةِ، حسنَ المُناظرَةِ. وقد روَى عن آبائِه حديثًا مُسَلْسَلًا إلى عليِّ بنِ أبى طالبٍ، كرّم اللَّهُ وجهَه، أنه قال[1]: هتَف العلمُ العَملَ فإن أجابَه وإلَّا رحَل. وقد كان ذا وَجاهةٍ عندَ الخليفةِ، بعَثه فى مَهامِّ الرسلِ إلى السلطانِ. وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ النصفَ مِن جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ، عن ثمانٍ وثمانيـنَ سنةً، ودُفِنَ بدارِه ببابِ المراتبِ بإذْنِ الخليفةِ، وصلَّى عليه ابنُه أبو الفَضْلِ.

أبو يوسفَ[2] القَزْوِينىُّ، عبدُ السلامِ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ بُنْدارٍ، شيخُ المعتزِلةِ، قرَأَ على عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ الهمَذانىِّ، ورحَل إلى مصرَ، وأقامَ بها أربعين سنةً، وحصَّل كُتبًا كثيرةً، وصنَّفَ تفْسِيرًا فى سبعِمائةِ مجلَّدٍ. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3]: جمَع فيه العجَبَ، وتكلَّم فيه على قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فى مجلَّدٍ كاملٍ. وقال ابنُ عَقِيلٍ: كان طويلَ اللسانِ بالعلمِ تارَةً، وبالشِّعرِ أخْرَى، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى عمرَ ابنِ مَهْدِىٍّ وغيرِه، ومات ببغدادَ عن ستٍّ وتسعينَ سنةً. وما تزوَّج إلّا فى آخرِ عُمرِه.

= الحفاظ ٤/١٢٠٨، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٥٦. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٤٢، والوافى بالوفيات ١٤/١١٢.

(١) أخرجه الخطيب البغدادى من طريقه بهذا الإسناد فى: «اقتضاء العلم العمل». ح (٤٠).

(٢) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٤٢/٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/٦١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٥٠، ومرآة الجنان ٣/١٤٧، والنجوم الزاهرة ٥/١٥٦.

(٣) المنتظم ١٧/٢١.

أبو شُجاعٍ الوزيرُ، محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ، أبو شجاعٍ[1]، المُلَقَّبُ ظهيرَ الدينِ، الرُّوْذرَاورِىُّ الأصلِ الأهْوَازِىُّ المَوْلِدِ، كان مِن خيارِ الوزراءِ، كثيرَ الصدقةِ والإحْسانِ إلى العلماءِ والفقهاءِ، وسمِع الحديثَ مِن الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازىِّ وغيرِه، وصنَّف كتُبًا، منها كتابُه الذى ذيَّلَه على «تجاربِ الأممِ». ووزَر للخليفةِ المُقْتَدِى، وكان يملِكُ سِتَّمائةِ ألفِ دينارٍ، فأنفَقها فى سبيلِ الخيْراتِ والصدَقاتِ، ووقَف الوُقوفَ الحسَنةَ، وبنَى المَشاهِدَ، وأكثَرَ الإنْعامَ على الأراملِ والأيْتامِ. قال له رجلٌ[2]: إلى جانبِنا أرْمَلةٌ لها أربعةُ أيتامٍ وهم عُراةٌ وجِياعٌ. فبعَث إليهم مع رجلٍ مِن خاصَّتِه نفقةً وكُسوةً وطَعامًا، ونزَع عنه ثيابَه فى البرْدِ الشديدِ، وقال: واللَّهِ لا ألْبَسُها حتى ترجِعَ إلىَّ بخبَرِهم، فذهَب الرجلُ مُسرِعًا فقضَى حاجتَهم، وأوصلَهم ذلك الإحسانَ، ثم عاد والوزيرُ يركُضُ من البرْدِ، فلما أخبَره عنهم بما سرَّه لبِسَ ثيابَه. وجِىء إليه مرَّةً بقطائِفِ سكَّرٍ، فلمَّا وُضِعَتْ بينَ يدَيْه تَنغَّصَ عليه بمَنْ لا يقدِرُ عليها، فأرْسَلها كلَّها إلى المساجدِ، وكانتْ كثيرةً جدًّا، فأطْعَمها الفقراءَ والعُمْيانَ.

وكان لا يجلِسُ فى الديوانِ إلَّا وعندَه الفقهاءُ، فإذا وقَع له أمرٌ مُشْكِلٌ سأَلهم عنه فحكَم بما يُفْتُونَه، وكان كثيرَ التواضُعِ مع الناسِ؛ خاصَّتِهم وعامَّتِهم، ثم عُزِل عن الوِزارةِ، فسارَ إلى الحجِّ وجاوَر بالمدينةِ ثم مَرِضَ، فلمَّا ثقُلَ فى المرضِ جاءَ إلى الحُجرةِ النبَوِيَّةِ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ [٩/٢١١ظ] أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٢، وخريدة القصر ١/ ٧٧، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٦٢.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٧.

لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] وها أنا قد جئتُك أستغفِرُ اللَّهَ مِن ذنوبِى، وأرْجُو شفاعتَك يومَ القيامةِ، ثم ماتَ مِن يومِه ذلكَ، رحِمَه اللَّهُ، ودُفِنَ بالبَقِيعِ.

القاضى أبو بَكْرٍ الشامِىُّ(١)، **محمدُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ بكرانَ الحموِىُّ، أبو بكرٍ الشامِىُّ**، وُلِدَ سنَةَ أرْبَعِمائَةٍ، وتفَقَّه ببلدِه، ثم حجَّ فى سنةِ سبعَ عشْرَةَ وأربعِمائةٍ، وقدِمَ بَغْدادَ فتفَقَّه على الشيخِ أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ، وسمِع بها الحديثَ، وشَهِدَ عندَ ابنِ الدّامَغَانِىِّ فقَبِلَه، ولازَمَ مسجِدَه خمسًا وخمسينَ سنةً، يُقْرِئُ الناسَ ويُفَقِّهُهم، ولمَّا مات أبو عبدِ اللَّهِ الدّامَغانِىُّ أشارَ به أبو شجاعٍ الوزيرُ، فوَلَّاه الخليفةُ المُقْتَدِى القضاءَ، وكان مِن أنْزَهِ الناسِ وأعَفِّهم، لم يقْبَلْ مِن سلْطانٍ عطيَّةً، ولا مِن صاحبٍ هَدِيَّةً، ولم يُغَيِّرْ مَلْبسَه ولا مَأْكلَه، ولم يأخذْ على القضاءِ أجْرًا، ولم يسْتَنِبْ أحدًا بل كان يباشِرُ القضاءَ بنفْسِه، ولم يُحَابِ مخلُوقًا، وقد كان يضرِبُ بعضَ المُنْكِرِينَ؛ حيثُ لا بَيِّنَةَ، إذا قامتْ عندَه قرائنُ للتُّهمةِ حتى يُقِرُّوا، ويَذْكُرُ أنَّ فى كلامِ الشافعىِّ ما يدُلُّ على هذا. وقد صنَّف (٢)أبو بكرٍ الشاشِىُّ(٢) كِتابًا (٢)فى الردِّ عليه(٢) فى ذلك، ونصَره ابنُ عَقِيلٍ فيما كان يتَعاطَاه مِن الحُكْمِ بالقَرائنِ، واسْتَشهَد له بقولِه تعالَى: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ الآية [يوسف: ٢٦]. وشهِدَ عندَه رجلٌ مِن كبارِ الفقهاءِ والمُناظِرِينَ يقالُ له(٣): المُشَطَّبُ بنُ محمدِ(٤) بنِ أُسامةَ الفَرْغَانِىُّ، فلم يقبَلْه؛ لِمَا رأَى عليه مِنَ

---

(١) فى خ، م: «الشاشى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٧٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/ ٢٠٢، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٤.

(٢ - ٢) سقط من: خ، م. وانظر المنتظم ١٧/ ٢٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٩.

(٤) فى م: «أحمد»، وانظر الجواهر المضية ٣/ ٤٨٣.

الحريرِ وخاتَمِ الذهبِ ، فقالَ له المُدَّعِى : إنَّ السلطانَ ووزيرَه نِظامَ المُلكِ يَلْبَسانِ الحريرَ والذهبَ ، فقال القاضى الشَّامىُّ : واللَّهِ لو شَهِدَا عندى على باقَةِ بَقلٍ ما قَبِلْتُ شَهادَتَهُما[1] .

تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ عاشِرَ شعبانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانٍ وثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ بالقُرْبِ مِنَ ابنِ سُرَيْجٍ[2] .

أبو عبدِ اللَّهِ الحُمَيْدِىُّ ، محمدُ بنُ أبى نَصْرٍ فَتُّوحِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حُمَيْدٍ ، أبو عبدِ اللَّهِ الحُمَيدىُّ الأنْدلُسِىُّ[3] ، مِن جَزيرَةِ - يقالُ لها مَيُورْقَةُ[4] - قريبةٍ من الأنْدَلُسِ . قدِمَ بغْدادَ فسمِعَ بها الحديثَ ، وكان حافظًا مُكْثِرًا ديِّنًا باهرًا ، عفيفًا نَزِهًا ، وهو صاحبُ « الجمعِ بينَ الصحيحَيْن » ، وله غيرُ ذلك مِنَ المصنَّفاتِ ، وقد كتَب مِن مصنَّفاتِ ابنِ حزمٍ والخطيبِ . وكانت وفاتُه ليْلةَ الثلاثاءِ السابعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ ، وقد جاوَز السبعين[5] ، وقَبْرُه قريبٌ مِن قبرِ بِشْرٍ الحافِى ببَغْدادَ .

---

(١) بعده فى خ ، م : « وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شىء ترد شهادتى وهى جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ؛ فإنى رأيتك تغتسل فى الحمام عريانا غير مستور العورة فلا أقبلك » .

(٢) فى م ، ص : « شريح » ، وكذا فى المواضع التالية . وانظر المنتظم ١٦/ ٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٨٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٩ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٨٢ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٨٠.

(٤) فى الأصل : « ميرقة » ، وفى خ ، م : « برقة » ، وفى ص : « مرقد » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٥) فى خ ، م : « التسعين » . والصواب كما أثبتنا ، فقد قال هو عن نفسه : ولدت قبل العشرين وأربعمائة » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٨١ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٠.

هِبَةُ اللَّهِ ابنُ الشيخِ أبى الوَفَاءِ بنِ عَقِيلٍ[1] ، كان قد حفِظ القرآنَ وتفقَّه ، وظهَر منه نَجابَةٌ ، ثُم مرِض ، فأنفَق عليه أبوه أموالًا جَزيلةً ، فلم يُفِدْ شيئًا ، فقالَ له ابنُه ذاتَ يومٍ : يا أبَتِ إنَّك قد أكثَرتَ الأدْويَة والأدْعِيَةَ ، وللَّهِ فيَّ اخْتِيارٌ ، فدَعْنِى واخْتِيارَ اللَّهِ . قال أبوه : فعلِمتُ أنَّه لم يُوفَّقْ لهذا الكلامِ إلَّا وقد اخْتِيرَ للحُظْوةِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٦٥. وشذرات الذهب ٤/ ٤٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ تِسْعٍ وثَمانِيـنَ وأرْبَعِمائَةٍ[1]

قال [٢١٢/٩و] ابنُ الجَوْزِىِّ فى «المُنْتَظَمِ»[2] : فى هذه السنَةِ حكَم جهَلَةُ المُنَجِّميـنَ ؛ بأن سيكونُ فيها طوفانٌ قريبٌ مِن طُوفانِ نُوحٍ ، وشاعَ الكلامُ بذلك بيـنَ العوامِّ ، فاسْتَدْعَى الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ ابنَ عَيْشُونَ[3] المنجِّمَ فسأله عن هذا الكلامِ ، فقال : إنَّ طوفانَ نوحٍ كان فى زَمنٍ اجْتَمعَ فى بُرْجِ[4] الحوتِ الطَّوالِعُ السبْعَةُ[5] ، والآنَ فقدِ اجْتمَعَ فيه سِتَّةٌ ، ولم يجْتَمِعْ معها زُحَلُ ، فلابُدَّ مِن وُقوعِ طوفانٍ فى بعضِ البلادِ ، والأقربُ أنَّها بَغْدادُ ، فتقدَّمَ الخليفةُ إلى وزيرِه بإصْلاحِ المُسَنِّيَاتِ[6] والمواضعِ التى يُخْشَى انْفِجارُ الماءِ منها . وجعَلَ الناسُ يَنْتَظِرُون ، فجاءَ الخبَرُ بأنَّ الحاجَّ حصَلُوا بوادِى المَياقتِ[7] بعدَ نَخْلَةَ[8] فأتاهم سيلٌ عظيمٌ ، فما نجا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣١، والكامل ١٠/ ٢٥٥.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣١.

(٣) سقط من الأصل، وفى خ: «عشيون»، وفى م: «عشبون»، وفى الكامل ١٠/ ٢٦٠، «عيسون».

(٤) فى خ، م: «بحر».

(٥) الطوالع السبعة هى: الشمس والقمر والزهرة والمريخ وعطارد والمشترى وزحل. نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٤. وانظر المخصص لابن سيده ٢/السفر التاسع / ٣٦.

(٦) سقط من الأصل، وفى خ، م: «المسيلات». والمسنيات واحدتها، المُسَنَّاة: سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة. تاج العروس (س ن ى).

(٧) فى النسخ، والمنتظم، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٦٠. «المناقب». والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٦٠. وانظر اتحاف الورى ٢/ ٤٨٨. والمقصود بوادى المياقت: مكان يجتمع فيه الحاج من بلاد مختلفة. والإحرام يكون من ميقات ذات عرق - ميقات العراقى. وانظر مسالك الأبصار ٢/ ٣٣٩.

(٨) النخلة: وادٍ من الحجازِ هى النخلة الشامية التى تسمى ذات عرق. انظر معجم البلدان ٤/ ٧٧٠ =

منهم إلّا مَن تعلَّق برُءوسِ الجبالِ ، وأخَذ الماءُ الرِّجالَ والرِّحالَ ، فخلَع الخليفةُ على ذلك المنجِّمِ ، وأجْرَى له جِرايةً .

وفيها ملَك الأميرُ قِوامُ الدّولةِ أبو سعيدٍ كَربُوقا مدينةَ المَوْصِلِ ، وقتَل [1] محمدَ ابنَ شرفِ الدّولةِ [1] مسلمِ بنِ قُريشٍ ، وغَرَّقَه بعدَ حِصارِ تِسْعَةِ أشهُرٍ .

وفيها ملَك تميمُ بنُ المُعِزِّ المَغْرِبيُّ مدينةَ قابِسَ [2] ، وأخْرَجَ منها أخاه عَمْرًا [3] ، فقال خطيبُ سُوسَةَ فى ذلك أَبْياتًا [4] .

ضَحِك الزمانُ وكانَ يُلْفَى [5] عابِسَا ... لمَّا فتَحْتَ بحدِّ سيْفِكَ قابِسَا
وأتَيْتَها بِكْرًا وما أمهَرْتَها ... إلَّا قَنًا وصَوارِمًا وفَوارِسَا
اللَّهُ يعلمُ ما جنَيْتَ [6] ثمارَها ... إلَّا وكان أبوكَ قبلُ الغارسَا
مَن كان فى زُرْقِ الأسِنَّةِ خاطِبًا ... كانتْ له قُلَلُ البلادِ عَرائِسَا

وفى صفَرٍ منها درَّس الشيخُ أبو عبدِ اللَّهِ الطَّبَرِيُّ بالنِّظَامِيَّةِ ، وَلَّاه إيَّاها فخرُ المُلكِ بنُ نِظَامِ المُلْكِ وَزِيرُ بَرْكْيَارُوقَ .

= وتاج العروس (ن خ ل) .

(١ - ١) فى النسخ : « شرف الدولة محمد بن » . والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٥٨، وانظر الكامل ١٠/ ١٤٨، ١٥٨، ٢٢١. وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٢.

(٢) قابس : مدينة بين طرابلس وصفاقس ، على ساحل البحر معجم البلدان ٤/ ٣.

(٣) فى خ ، م : « عمر » .

(٤) الأبيات فى الكامل ١٠/ ٢٥٧، دون البيت الثانى .

(٥) فى الأصل : « قدما » ، وفى الكامل : « يلقى » .

(٦) فى الكامل : « حويت » .

وفيها أغارَتْ خَفاجَةُ[1] على بلادِ سَيْفِ الدولةِ صَدقَةَ[2] بنِ منْصُورِ بنِ دُبَيْسٍ، وقصَدُوا مشْهَدَ الحسينِ بالحائرِ[3]، فتظاهَروا فيه بالمُنْكَراتِ والفَسادِ، فكبَسَهم فيه الأميرُ صَدقَةُ المذْكورُ، فقتَل منهم خلْقًا كثيرًا حتى عندَ الضَّريحِ، ومِنَ العجائبِ أنَّ أحدَهم ألقَى نفْسَه وفرسَه مِن فوقِ السورِ فسَلِمَ وسَلِمَتْ فرسُه.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ خُمارْتِكِينُ الحَسَنانىُّ[4].

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها من الأعيانِ:

عبدُ اللَّهِ بنُ إبْراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ[5]، **أبو**[6] **حَكِيمٍ الخَبْرِىُّ**[7]، وخبْرُ[8]: إحْدَى بلادِ فارِسَ، سمِعَ الحديثَ، وتفَقَّهَ على الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ، وكانتْ له معرِفَةٌ بالفَرائضِ والأدبِ واللُّغةِ، وله مصنَّفاتٌ، وكان مَرْضِىَّ الطريقَةِ، وكان يكتبُ المصاحِفَ بالأُجْرَةِ، فبَيْنَما هو ذاتَ يومٍ يكتُبُ، وضَع

---

(١) خفاجة: خفاجة بن عمرو، بطن من بنى عقيل بن كعب، كانوا يقطنون قبل الإسلام الجنوب الشرقى من المدينة، ثم انتشروا فيما بين الجزيرة والشام وكان لهم ببادية العراق دولة. معجم قبائل العرب ١/ ٣٥١. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٦٩.

(٢) بعده فى م: «بن مزيد». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٩٠.

(٣) الحائر: اسم لموضع قبر الحسين بن على. معجم البلدان ٢/ ١٨٩.

(٤) فى خ: «الخسيانى»، وفى ص: «الحستانى»، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٩٧: «الحستانى». وانظر إتحاف الورى ٢/ ٤٨٨.

(٥) المنتظم ١٧/ ٣٤، ومعجم الأدباء ١٢/ ٤٦، وإنباه الرواة ٢/ ٩٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٦٢، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩.

(٦) فى النسخ: «أخو أبى»، والمثبت من مصادر الترجمة السابقة.

(٧) فى الأصل: «الحريرى»، وفى م: «الخيرى»، وفى ص: «الحرى». وانظر مصادر الترجمة، والأنساب ٢/ ١٤، ومعجم البلدان ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٨) فى م: «خير»، وفى ص: «حيرى».

القلَمَ مِن يَدِه ، واسْتَندَ وقال : واللَّهِ لَئِنْ كان هذا مَوْتًا إنَّه لَطَيِّبٌ ، ثم ماتَ .

عبدُ المُحْسِنِ بنُ (١ **محمدِ بنِ عليِّ بنِ** ١) أحمدَ الشِّيحِيُّ (٢) التاجرُ ، ويُعرَفُ بابنِ شُهْدانْكَه (٣) ، بَغْدادِيٌّ ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل وأكثرَ عنِ الخطيبِ وهو بصُورَ ، وهو الذى حمَلَه إلى العراقِ ، فلِهَذا أهْدَى إليه الخطيبُ « تاريخَ بغدادَ » بخطِّه ، وقد روَى عنه فى مصنَّفاتِه ، وكان يسمِّيه عبدَ اللَّهِ ، وكان ثقةً .

عبدُ المَلِكِ بنُ إبْراهيمَ بنِ أحمدَ ، أبو الفَضْلِ (٤) ، المعْروفُ بالهَمَذانيِّ ، تفقَّه على الماوَرْدِيِّ ، وكانتْ له يَدٌ طُولَى فى العلُومِ الشرعِيَّةِ والحِسابِ ، وغيرِ ذلك ، وكان يحفَظُ « غريبَ الحديثِ » [٢١٢/٩ظ] لأبى عُبَيْدٍ « والمُجْمَلَ » لابنِ فارِسٍ ، وكان عفيفًا زاهِدًا . طلَبه المُقْتَدِى ليُوَلِّيَه قاضىَ القُضاةِ ، فأبَى أشدَّ الإباءِ ، واعْتذَر له بالعَجْزِ وعلُوِّ السنِّ . وكان ظريفًا لطيفًا ، كان يقولُ : كان أبى إذا أرادَ أنْ يُؤَدِّبَنِى أخَذ العصَا بيَدِه ثم يقولُ (٥) : نوَيْتُ أنْ أضْرِبَ ولدِى تأْدِيبًا كما أمَر اللَّهُ ، ثم يَضْرِبُنِى . قال : وإلى أنْ يَنْوِىَ ويُتَمِّمَ النِّيَّةَ كنتُ أهرُبُ . تُوفِّى فى رجَبٍ منها ، ودُفِنَ عندَ قبرِ ابنِ سُرَيْجٍ .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الباقِى بنِ مَنْصُورٍ ، أبو بَكْرٍ الدَّقَّاقُ (٦) ، ويُعرَفُ

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل ، خ ، ص : « على بن » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٣٤، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٠١.

(٢) فى الأصل ، م : « الشنجى » ، وفى خ : « الشيخى » . وانظر الأنساب ٣/ ٤٨٧.

(٣) فى م : « شهداء مكة » .

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٤، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٦/ ٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٠٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٦٢.

(٥) المنتظم ١٧/ ٣٥.

(٦) المنتظم ١٧/ ٣٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ٦٩٧ (مخطوط)، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٩، =

بابنِ الخاضِبَةِ[1] ، كان مَعْروفًا بالإفادَةِ وجَوْدَةِ القِراءَةِ وحُسْنِ الخطِّ وصحَّةِ النَّقْلِ ، جمَع بينَ علمِ القِراءاتِ والحديثِ ، وأكثرَ عنِ الخطيبِ وأصْحابِ المُخَلِّص[2] .

قال[3] : لمَّا غرِقَتْ بَغْدادُ غرِقَتْ دارِى وكُتُبى ، فلم يَبْقَ لى شىءٌ ، فاحْتَجْتُ إلى النَّسْخِ ، فكتَبْتُ « صحيحَ مسلمٍ » فى تلك السنَةِ سبْعَ مرّاتٍ ، فنِمْتُ فرأيْتُ ذاتَ لَيْلةٍ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، وقائلٌ يقولُ : أين ابنُ الخاضِبَةِ[1] ؟ فجئتُ فأُدْخِلْتُ الجنةَ ، فلمَّا دخَلْتُها اسْتَلقَيتُ على قَفَاى ووضَعْتُ إحْدَى رِجْلَىَّ على الأُخْرَى ، وقلتُ : استرَحْتُ مِنَ النَّسْخِ ، ثم اسْتَيْقَظْتُ والقلمُ فى يدِى ، والنَّسْخُ بينَ يدَىَّ .

أبو المُظَفَّرِ السَّمْعَانِىُّ ، منْصورُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ ، أبو المُظَفَّرِ السَّمْعانىُّ[4] ، الحافظُ ، من أهلِ مَرْوَ ، تفقَّهَ أوَّلًا على أبيه فى مذْهبِ أبى حنيفةَ ، ثم انْتَقَلَ إلى مذهبِ الشافِعىِّ حين أخَذ عن أبى إسْحاقَ الشِّيرازىِّ ، وابنِ الصَّبَّاغِ ، وكانتْ له يَدٌ طُولَى فى فنونٍ كثيرةٍ ، وصنَّف « التفْسيرَ » ، وكتابَ « الانْتِصارِ » فى الحديثِ ، و « البُرْهانَ » و « القَواطِعَ » فى أصولِ الفقهِ ، و « الاصْطِلَامَ » وغيرَ ذلك ، ووعَظ فى مدينةِ نَيْسَابُورَ ، وكان يقولُ : ما حفِظتُ شيئًا فنَسِيتُه . وسُئِلَ عن أخْبارِ الصِّفاتِ ، فقال : عليْكُم بدينِ العَجائزِ[5] . وسُئل عن الاسْتِواءِ فقال[6] :

= وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣١٠، والوافى بالوفيات ٢/ ٨٩.

(١) فى خ ، م : « الحاضنة » .

(٢) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٥، ٣٦. وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٢١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٣٣٥، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٣٩.

(٥) بعده فى خ ، م : « وصبيان الكتاتيب » . والأثر فى المنتظم ١٧/ ٣٨.

(٦) الخبر والأبيات فى المنتظم ١٧/ ٣٨.

جِئْتُمانى لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدَى تَجِدَانِى بسِرِّ سُعْدَى شَحِيحَا
إنَّ سُعْدَى لَـمُنْيَةُ المُتَمَنِّى جَمَعَتْ عِفَّةً ووَجْهًا صَبِيحَا

تُوفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ، ودُفِنَ فى مقْبرَةِ مَرْوَ[1]، رحِمه اللَّهُ تعالى وإيَّانا، آمينَ.

---

(١) فى الأصل: «حرب».

ثم دخلتْ سنةُ تِسْعَيـنَ وأَرْبَعِمائةٍ[1]

فيها كان ابْتِداءُ مُلْكِ الخُوَارِزمِيَّةِ ، وذلكَ أنَّ السُلْطانَ بَرْكْيارُوقَ ملَكَ فيها بلادَ خُرَاسَانَ بعدَ مقْتَلِ عمِّه أرْسَلَانَ أرْغُونَ بنِ ألْبِ أرْسَلَانَ ، وسلَّمها إلى أخيه أحمدَ المعروفِ بالملكِ سَنْجَرَ ، وجعَل أتابِكَه الأميرَ قُماجَ ، ووَزِيرَه عليَّ بنَ الحُسينِ الطُّغرائِيَّ ، واسْتَعمَل على خُرَاسَانَ الأميرَ حَبَشِيَّ بنَ التُّونْتَاقِ[2] ، فوَلَّى مدينةَ خُوَارِزْمَ شابًّا يقالُ له : محمدُ بنُ أنوشْتِكِينَ . وكان أبُوه مِن أُمراءِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، ونشَأ هو فى أدَبٍ وفضيلةٍ وحُسْنِ سِيرَةٍ ، ولمَّا وَلِيَ مدينةَ خُوارِزْمَ ، لُقِّبَ خُوَارِزْمَ شَاه ، وكان أوَّلَ ملُوكِهم ، فأحْسنَ السيرةَ ، وعامَل الناسَ بالجميلِ ، وحين مات [٢١٣/٩و] قام من بعدِه على خُوارِزْمَ ولدُه أَتْسِزُ ، فجرَى على سَنَنِ أبيه وأظهَر العَدْلَ ، فحظِيَ عندَ السلطانِ سَنْجَرَ وأحبَّه الناسُ ، وارْتفَعتْ منزلتُه .

وفيها خطَب المَلِكُ رِضوانُ بنُ تاجِ الدولةِ تُتُشَ للخليفةِ الفاطمِيِّ المُستَعْلِى . وفى رَمضانَ منها قُتِل بُرْسُقُ أحدُ أكابرِ الأُمراءِ ، وكان أوَّلَ مَن تولَّى شِحْنِكِيَّةَ بَغْدادَ . وفى شوّالٍ قُتِل رجلٌ باطِنِيٌّ عندَ بابِ النُّوبِيِّ كان قد شهِدَ عليه عدْلَانِ ؛ أحدُهما ابنُ عَقِيلٍ أنَّه دعاهُما إلى مذْهَبِه ، فجعَل يقولُ : أتقْتُلونَنِى وأنا أقولُ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ؟ فقالَ ابنُ عَقِيلٍ[3] : قالَ اللَّهُ تعالَى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٩، الكامل ١٠/ ٢٦٢.

(٢) فى الأصل، ص: «البوساق» وفى خ: «البرساق»، وفى م: «البرشاف». والمثبت من الكامل ١٠/ ٢٦٦.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٩.

بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ الآية [غافر: ٨٤، ٨٥].

وحجَّ بالناسِ فيها خُمارْتِكينُ الحَسْنانيُّ. وفى يومِ عاشُوراءَ كُبِسَتْ دارُ بَهاءِ الدولةِ أبى نَصْرِ بنِ جلالِ الدولةِ أبى طاهِرِ بنِ بُوَيْهِ؛ لأمورٍ ثبَتَتْ عليه عندَ القاضِى، فأُرِيقَ دمُه، ونُقِضَتْ دارُه، وعُمِل مكانَها مَسْجِدانِ للحنفِيَّةِ والشافِعيَّةِ، وقد كان السلطانُ مَلِكْشَاه قد أقْطَعَه المَدائنَ، ودَيرَ عاقولَ[1]، وغيرَهما.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها من الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ علىِّ بنِ زكَرِيَّا بنِ دينارٍ، أبو يَعْلَى العَبْدِىُّ البَصْرِىُّ[2]، ويُعرَفُ بابنِ الصَّوَّافِ، وُلِد سنةَ أرْبَعِمائةٍ، وسمِع الحديثَ، وكان زاهدًا متصَوِّفًا، وفقيهًا مُدرِّسًا، ذا سَمْتٍ ووقارٍ وسكينةٍ ودِينٍ، وكان علَّامةً فى عشَرَةِ علُومٍ، تُوفِّى فى رمضانَ منها عن تسعينَ سنةً، رحِمه اللَّهُ.

المُعمَّرُ بنُ محمدِ بنِ المعمّرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ، أبو الغَنائمِ الحُسَيْنِىُّ[3]، النَّقيبُ للطّالبيِّين. سمِع الحديثَ، وكان حسنَ الصورةِ، كريمَ الأخلاقِ، كثيرَ التعبُّدِ، لا يعْرِفُ أنَّه آذَى مسلمًا، ولا شتَم صاحِبًا. تُوفِّى عن نَيِّفٍ وستِّينَ

---

(١) ديرعاقول: بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا، على شاطىء دجلة. معجم البلدان ٢/ ٦٧٦.

(٢) ترتيب المدارك ٤/ ٧٩١، والمنتظم ١٧/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٢٩، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ٤١، والكامل ١٠/ ٢٧١، وفيه: «الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد اللَّه»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٤٤، والجواهر المضية ٣/ ٤٩٣، وفيه: «المعمر بن محمد بن عبيد اللَّه».

سنةً[1] ؛ كان منها نقيبًا ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ سنةً ، وكان مِن ساداتِ قريشٍ ، وتولَّى بعدَه ولَدُه أبو الفتوحِ حَيْدَرَةُ ، ولُقِّبَ بالرَّضِيِّ ذى الفخْرَينِ ، وقد رثاه الشعراءُ بأبياتٍ ذكَرها ابنُ الجَوْزىِّ[2] .

يَحْيَى بنُ أحمدَ بنِ محمدِ [3]**بنِ علىٍّ**[3] **السِّيبِىُّ**[4] سمِع الحديثَ ، ورحَل إليه الطلبةُ ، وكان ثقةً صالحًا صدُوقًا ديِّنًا ، عُمِّرَ مائةَ سنَةٍ وثِنْتَىْ عشْرَةَ سنةً [5]وثلاثةَ أشهرٍ[5] ، وهو فى ذلك صحيحُ الحواسِّ ، يُقْرَأُ عليه القرآنُ والحديثُ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى المنتظم أنه توفى عن اثنتين وسبعين سنة .

(٢) المنتظم ١٧/ ٤١.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٩٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٣٤٩، وغاية النهاية ٢/ ٣٦٥.

(٤) فى خ : « السبتى » . وفى م : « البستى » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ونصف » . وجاء فى المنتظم : أنه توفى عن مائة وثلاث وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأيامًا . وعند الذهبى فى تاريخه : أنه عُمِّر مائة وسنتين فقط . وقد ذكر كل من ابن الجوزى والذهبى أنه ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ؛ فعلى هذا يكون ما ذكره الذهبى هو الصحيح ، لا ما ذكره ابن الجوزى ، ولا ما ذكره المصنف .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة[1]

فى جُمادَى الأُولَى مِنها ملَك الفِرنْجُ مدينةَ أنْطاكِيَةَ بعدَ حصارٍ شديدٍ، بمُواطأَةٍ مِن بعضِ المُسْتَحْفَظِينَ على بعضِ الأبْراجِ، وهرَب صاحِبُها [2]يَاغِى سِيَانِ[2] فى نفَرٍ يسيرٍ، وترَك بها أهلَه ومالَه، ثم أخَذه فى أثناءِ الطريقِ ندَمٌ شديدٌ على ما فعَل، بحيثُ إنَّه غُشِىَ عليه وسقَط عن فرسِه، فذهَب أصْحابُه وترَكُوه، فجاء راعِى غنَمٍ فقطَع رأسَه، وذهَب به إلى ملكِ الفِرنْجِ، ولمَّا بلَغ الخبَرُ إلى الأميرِ كَربُوقا صاحبِ المَوْصِلِ جمَع عساكِرَ كثيرةً، واجتمَع عليه دُقاقُ بنُ تُتُشَ صاحِبُ دِمَشْقَ، وجَناحُ الدَّولةِ صاحِبُ حِمْصَ، وغيرُهما، وسارَ إلى الفِرنْجِ فالْتَقوا معهم بأرضِ أنْطَاكِيَةَ، فهزَمهم [٢١٣/٩ظ] الفِرنْجُ، وقتَلوا مِنهم خلقًا كثيرًا، وأخَذُوا مِنهم أموالًا جزيلةً، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ. ثم سارت الفِرنْجُ إلى مَعَرَّةِ النُّعْمانِ[3]، فأخَذوها بعدَ حصارٍ فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّهِ. ولمَّا بلَغ هذا الحالُ إلى المَلِكِ بَرْكْيَاروقَ شَقَّ عليه ذلك، وكتَب إلى الأمراءِ ببَغْدادَ أنْ يتجهَّزُوا هم والوزيرُ ابنُ جَهيرٍ لقتالِ الفِرنْجِ، فبرَز بعضُ الجيشِ إلى ظاهرِ البلدِ بالجانبِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٤٣، والكامل ١٠/ ٢٧٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، خ: «ماعى سنان». وفى م، والكامل ١٠/ ٢٧٥: «باغيسيان»، وفى زبدة الحلب ٢/ ١٣٠: «يغى سيان»، وفى تاريخ ابن الوردى ٢/ ١٠: «ياغى سنان». وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٩.

(٣) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. معجم البلدان ٤/ ٥٧٤.

الغربيِّ ، ثم انْفسَختْ هذه العزيمةُ ؛ لأنَّهم بلَغهم أنَّ الفِرنْجَ فى ألفِ ألفِ مُقاتِلٍ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ خُمارْتِكينُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأَعْيانِ :

طِرادُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ بنِ سليمانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الإمامِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ [1]عبدِ اللَّهِ بنِ[1] عبَّاسٍ ، أبو الفَوارِسِ بنُ أبى الحسَنِ بنِ أبى القاسمِ بنِ أبى تمَّامٍ ، مِن وَلَدِ زينبَ[2] بنتِ سُلَيمانَ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وهى أمُّ ولدٍ[3] عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ الإمامِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، سمِع الحديثَ الكثيرَ ، والكُتُبَ الكِبارَ ، وتفرَّد بالروايةِ عن جماعةٍ مِن المشايخِ ، ورُحِلَ إليه مِن الآفاقِ ، وأمْلَى الحديثَ فى بُلْدانٍ شتَّى ، وكان يحضُرُ مجلِسَه العلماءُ والسَّادةُ ، وحضَر أبو عبدِ اللَّهِ الدّامَغانِىُّ مجلِسَه ، وباشَر نقابةَ العباسيين[4] مدةً طويلةً ، وتُوفِّى عن نَيِّفٍ وتِسْعِينَ سنةً ، ودُفِن فى مقابرِ الشُّهداءِ ، رحِمه اللَّهُ .

المُظَفَّرُ أبو الفَتْحِ ابنُ رئيسِ الرُّؤَساءِ أبى القاسمِ ابنِ المُسلِمةِ[5] ، كانت دارُه مَجمَعًا لأهلِ العلمِ والدِّينِ والأدبِ ، وبها تُوفِّى الشيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازِىُّ ، ولمَّا تُوفِّى أبو الفتحِ دُفِنَ عندَ الشيخِ أبى إسْحاقَ فى تُربتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٩٥، والجواهر المضية ٢/ ٢٨١.

(٢) فى خ ، م : « زيد بن » .

(٣) فى خ ، م : « ولده » . وانظر المنتظم ١٧/ ٤٤.

(٤) فى خ ، م : « الطالبيين » .

(٥) المنتظم ١٧/ ٤٦، والكامل ١٠/ ٢٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٠٧.

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْن وتسعين وأرْبَعِمائةٍ

وفيها[1] أخَذتِ الفِرنْجُ - خذَلهم اللَّهُ تعالى - بَيْتَ المَقْدسِ ؛ لمَّا كان ضُحَى يومِ الجُمُعةِ [2]لسَبْعٍ بقِينَ مِن شعبانَ[2] سنةَ ثِنْتَيْنِ وتِسْعينَ وأرْبَعِمائَةٍ ، استحوَذ الفِرنْجُ - لعَنَهم اللَّهُ - على بيتِ المقْدِسِ - شرَّفَه اللَّهُ - وهم فى نحوِ ألفِ ألفِ مُقاتلٍ ، فقتَلوا فى وسَطِه أزيدَ مِن سبعين[3] ألفَ قتيلٍ مِن المسلمينَ ، وجاسُوا خِلالَ الديارِ [4]وكان وعدًا مفعولًا[4] .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[5] : وأخَذُوا مِن حولِ الصَّخْرَةِ اثْنَيْنِ وأربعينَ قِنْدِيلًا مِن فِضَّةٍ ، زِنَةُ كلٍّ واحدٍ منها ثلاثةُ آلافٍ وسِتُّمِائَةِ دِرهمٍ ، وأخَذُوا تَنُّورًا مِن فضَّةٍ زِنَتُه أربَعونَ رِطْلًا بالشامِىِّ ، وثلاثَةً وعِشْرينَ قِنْدِيلًا مِن ذهَبٍ . وذهَب الناسُ على وجُوهِهم هازِعينَ[6] مِن الشامِ إلى العراقِ ، مُسْتغِيثينَ على الفِرنْجِ إلى الخليفةِ والسلطانِ ، مِنهم القَاضى بدمشقَ أبو سعدٍ الهرَوِىُّ ، فلمَّا سمِع الناسُ ببَغْدادَ هذا الأمرَ الفظيعَ هالَهُم ذلك وتَباكَوْا ، وقد نظَم أبو سعدٍ الهَرَوِىُّ كلامًا قُرِئَ فى الديوانِ وعلى المنابرِ ، فجهَش الناسُ بالبكاءِ ، وندَب الخليفةُ الفقهاءَ إلى الخُروجِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٤٧، والكامل ١٠/ ٢٨٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « من آخر شعبان » . وفى المنتظم : « ثالث عشر شعبان » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٦.

(٣) فى خ ، م : « ستين » . وانظر المنتظم ١٧/ ٤٧.

(٤ - ٤) فى خ ، م : « وتبروا ما علوا تتبيرا » .

(٥) المنتظم ١٧/ ٤٧، بنحوه .

(٦) هازعين : مسرعين . الوسيط (هـ ز ع) .

[٢١٤/٩و] إلى البلادِ ؛ ليُحَرِّضُوا الملوكَ على الجهادِ ، فخرَج ابنُ عَقيلٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن أعْيانِ الفقهاءِ ، فسارُوا فى الناسِ ، فلم يُفِدْ ذلك شيئًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، فقال فى ذلك أبو المظفَّرِ الأَبِيوَرْدِىُّ[(١)] :

مَزَجْنا دِماءً بالدُّموعِ السَّواجِمِ ... فلم يَبْقَ منّا عُرضةٌ للمَراحمِ
وشرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفيضُهُ ... إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصَّوارِمِ
فإيهًا بَنِى الإسْلامِ إنَّ وراءَكُمْ ... وقائعَ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بالمَناسِمِ
وكيفَ تنامُ العينُ مِلْءَ جفُونِها ... على هَفَواتٍ أيْقَظتْ كلَّ نائمِ
[(٢)]وإخْوانُكم بالشامِ يُضْحِى مَقِيلُهُمْ ... ظهورَ المَذاكِى أو بطونَ القشَاعِمِ[(٢)]
تسُومُهمُ الرومُ الهَوانَ وأنتمُ ... تجرُّونَ ذيْلَ الخَفْضِ فعلَ المُسالمِ
وبينَ اخْتلاسِ الطَّعنِ والضربِ وقْفَةٌ ... تظَلُّ لها الوِلْدانُ شِيبَ القَوادِمِ
وتلكَ حروبٌ مَن يَغِبْ عن غِمَارِها ... ليسلَمَ يَقْرَعْ بعدَها سِنَّ نادِمِ
سَلَلْنَ بأيْدِى المُشْرِكِينَ قواضِبًا ... ستُغْمَدُ مِنهم فى الطُّلى والجَماجِمِ
يكادُ لَهُنَّ المُسْتَجِنُّ[(٣)] بطيبةٍ ... يُنادِى بأعْلَى الصَّوتِ يا آلَ هاشمِ
أرَى أُمَّتِى لا يَشْرَعُونَ إلى العِدا ... رماحَهمُ والدِّينُ واهِى الدعائمِ
ويجْتَنِبُونَ الثأرَ[(٤)] خوفًا مِنَ الرَّدَى ... ولا يحْسَبُونَ العارَ ضَرْبَةَ لازِمِ
أتَرْضَى صَنادِيدُ الأعاريبِ بالأذَى ... وتُغْضِى على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ

---

(١) الكامل ١٠/ ٢٨٤، ٢٨٥. وانظر المنتظم ١٧/ ٤٧.

(٢ - ٢) هذا كناية عن الموت والاستشهاد ، والقشاعم : جمع قشعم ، وهى المهالك والمنايا ، قال فى اللسان : وأم قشعم : الحرب . وقيل : المنية . اللسان (ق ش ع م) .

(٣) فى م : « المستجير » . وفى ص : « المستجز » .

(٤) فى خ : « العار » ، وفى م ، والكامل ١٠/ ٢٨٥: « النار » . وانظر المنتظم ١٧/ ٤٨.

فَلَيْتَهُمُ إذْ لم يذُودُوا حَمِيَّةً عن الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرةً بالمَحَارِمِ
وإن زَهِدُوا فى الأجْرِ إذ حَمِيَ الوغَى فهَلَّا أتَوْهُ رغْبَةً فى الغَنائِمِ

وفيها كان ابْتِداءُ أمرِ السلْطَانِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ؛ وهو أخو السلْطانِ سَنْجَرَ لأَبِيه وأمِّه ، واسْتَفحَل أمرُه إلى أَنْ صار مِن أمرِه أنْ خُطِبَ له ببَغْدادَ فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

وفيها سارَ إلى الرَّىِّ فوجَد زُبيدةَ خاتون أمَّ أخيه بَرْكْيَاروقَ فأمَر بخَنْقِها - وكان عمرُها إذْ ذاكَ ثِنْتَيْنِ وأرْبَعِين سنةً - فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وكانتْ له مع بَرْكْيَاروقَ خمسُ وقَعَاتٍ هائلةٌ .

وفى هذه السنةِ غلَتِ الأسعارُ جدًّا ببَغْدادَ ، حتى ماتَ كثيرٌ مِن الناسِ جُوعًا ، وأصابَهم وبَاءٌ شديدٌ حتى عَجَزوا عن دَفْنِ الموْتَى مِن كثرَتِهم[1] .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السلطانُ إبْراهيمُ ابنُ السلْطانِ محمودِ بنِ مسْعُودِ ابنِ السلطانِ محمودِ ابنِ سُبُكْتِكِينَ[2] ، صاحبُ غَزْنةَ وأطرافِ الهنْدِ ، وغيرِ ذلك ، كانت له حُرْمَةٌ وأُبَّهَةٌ عظيمةٌ جدًّا ، حكَى إلْكِيَا الهرَّاسِىُّ - حينَ بعَثه السلطانُ بَرْكْيَاروقُ إليه - فى رسالةٍ عمَّا شاهَده عندَه من أمورِ السَّلْطَنَةِ فى ملْبَسِه ومجْلِسِه ، وما عندَه مِن

---

(١) بعده فى خ : « جزاء وفاقا ولو خرجوا إلى قتال الفرنج ، وكسروا ما قتل منهم ثلث هؤلاء الموتى ولحصلت لهم الشهادة وكتبت لهم غزوة ، ولكن قدر الله وما شاء فعل لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ، والموت بالسيف أهون الموتات ، ولكن الجبن وحبَّ الحياة وكراهية الموت يوقعان العبد فيما يحول بينه وبين أطيب الحياة فى الدار الآخرة ، وقد مات فى هذه السنة بالسيف والطاعون والجوع خلق كثير » .

(٢) المنتظم ١٧/ ٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١١٧، والعبر ٣/ ٢٢٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٤.

السعادةِ الدُّنْيوِيَّةِ ، قال[1] : رأَيتُ شيئًا عجيبًا . وقد وعظَه بحديثِ : « لَمناديلُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ فِى الْجَنَّةِ أحسنُ مِن هذا »[2] . فبكَى . قال : وكان لا يبْنِى لنفْسِه منزِلًا حتّى يَبْنِىَ قبلَه مسجدًا أو مدرسةً أو رِباطًا . تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، [٢١٤/٩ظ] فى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوَز التسعينَ ، وكانت مدةُ مُلْكِه ثِنْتَيْنِ وأربعينَ سنةً .

عبدُ الباقى بنُ يُوسُفَ بنِ علىِّ بنِ صالحٍ ، أبو تُرابٍ المَراغِىُّ[3] ، وُلِد سنةَ إحْدَى وأرْبعِمائَةٍ ، وتفقَّهَ على القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، وسمِع الحديثَ عليه وعلى غيرِه مِن المشايخِ ببلدانٍ شتَّى ، ثم أقامَ بنَيْسابُورَ ، وكان يحفَظُ شيئًا كثيرًا مِن مسائلِ الخلافِ ؛ نحوًا مِن أربعةِ آلافِ مسألةٍ بأدلَّتِها والمناظرةِ عليها ، وغيرَ ذلك مِن الحكاياتِ والمُلَحِ والآدابِ ، وكان صَبُورًا متقلِّلًا على طريقَةِ السلفِ ، جاءَه منْشورٌ بقَضاءِ هَمَذانَ فقال : أنا مُنْتَظِرٌ منْشُورًا مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، على يَدَىْ ملكِ الموتِ بالقُدومِ عليه ، واللَّهِ لجُلوسُ ساعَةٍ فى هذا المسجدِ على راحةِ القلبِ أحبُّ إلىَّ مِن مُلكِ العِراقَيْنِ ، وتعليمُ مسْألَةٍ لطالبٍ أحبُّ إلىَّ [4]مِن مُلكِ[5] الثَّقلين . حكَاه ابنُ الجوزىِّ فى « المنتظَم »[6][4] . تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى

---

(١) المنتظم ١٧/ ٤٩.

(٢) تقدم فى ٦/ ١٠٦، ١٠٧.

(٣) فى الأصل : « الداعى » . وفى خ ، ص : « الراعى » . وفى م : « البراعى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٥/ ٩٦، والجواهر المضية ٢/ ٣٥٦.

(٤ - ٤) فى خ ، م : « مما على الأرض من شىء واللَّه لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، وإنما العلم دليل ، فمن لم يدُلَّه علمه على الزهد فى الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ما علم ، فإنما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، واللَّه لو قطعت يدى ورجلى وقلعت عينى أحب إلىَّ من ولاية فيها انقطاع عن اللَّه والدار الآخرة وما هو سبب فوز المتقين وسعادة المؤمنين » .

(٥) فى المنتظم ١٧/ ٥١: « علم » ، وفى سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧١: « عمل » .

(٦) المنتظم ١٧/ ٥١.

ذِى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ عن ثلاثٍ وتسعينَ سنةً .

أبو القاسِمِ ابنُ إمامِ الحرَمَيْنِ[1] ، قتَله بعضُ الباطِنيَّةِ بنَيْسَابُورَ ، رحِمهُ اللَّهُ ، ورحِمَ أباه بمَنِّه وكرَمِه .

---

(١) الكامل ١٠/ ٢٩١، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٣٣٠.

ثم دخَلتْ سنةُ ثلاثٍ وتِسعيـنَ وأرْبَعِمِائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها دخَل السلْطانُ بَرْكْيَارُوقُ إلى بَغْدادَ، ونزَل بدارِ المُلْكِ، وأُعيدَتْ له الخُطبةُ ببغدادَ، وقُطِعتْ خطبةُ أخيه محمدِ بنِ مَلِكْشاه، وبعَث إليه الخليفةُ هَدِيَّةً هائلةً، وفرِح به العوامُّ والنساءُ، ولكنَّه فى ضِيقٍ مِن أمرِ أخيه السلطانِ محمدٍ؛ لإقبالِ الدَّولةِ عليه واجْتماعِهم إليه، وقلَّةِ ما معه مِن الأمْوالِ، ومُطالَبَةِ الجندِ له بأرْزاقِهم، فعزَم على مُصادَرَةِ الوزيرِ ابنِ جَهيرٍ، فالتجَأ إلى الخليفةِ، فمنَعه مِن ذلك، ثم اتَّفَق الحالُ على المُصالَحَةِ عنه بمائةٍ وسِتِّينَ ألفَ دينارٍ، ثم الْتقَى هو وأخوه محمدٌ بمكانٍ قريبٍ مِن هَمَذَانَ، فهزَمه أخوه محمدٌ، ونجا هو بنفْسِه فى خمسينَ فارسًا، وقُتِل فى هذه الوَقْعَةِ سعدُ الدولةِ كُوَهْرائِينُ[2] الخادِمُ، وكان قديمَ الهِجْرةِ فى الدولةِ، وقد وَلِيَ شِحْنَكيَّةَ بَغْدادَ، وكان حليمًا حسنَ السِّيرةِ، لم يتعَمَّدْ ظلمًا ولم يَرَ خادِمٌ ما رأَى مِنَ الحِشْمَةِ والحُرْمَةِ وكثرةِ الخدْمةِ، وقد كان يُكْثِرُ الصلاةَ بالليلِ، ولا يجلِسُ إلَّا على وضوءٍ، ولم يمرَضْ مدَّةَ حياتِه، ولم يُصدَعْ قطُّ، ولمَّا جرَى ما جرَى فى هذه الوَقْعَةِ ضَعُفَ أمرُ السلْطانِ بَرْكْيَاروقَ، ثم تراجَع إليه جيْشُه،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٥٢، والكامل ١٠/ ٢٩٣.

(٢) فى خ: «جوهر»، وفى م: «جوهر آبين». وانظر المنتظم ١٧/ ٥٦، والكامل ١٠/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٣.

وانْضَافَ إليه (١الأميرُ داودُ حبشيٌّ١) فى عِشرينَ ألفًا، فالتقَى مع أخيه الآخرِ سَنجَرَ، فهزَمه سَنجَرُ أيضًا[٢] وأُسِر داودُ المذكورُ فى هذه الوقعةِ، فقتَله الأميرُ بُزْغُشُ[٣] أحدُ أمراءِ سَنجَرَ، فَضَعُفَ جانبُ بَرْكْيَاروقَ، وتقهقَر حالُه، وتفرَّقَتْ عنه رجالُه، وقُطِعَتْ خُطبتُه مِن بَغْدادَ فى رابعَ عشَرَ رجَبٍ، وأُعِيدَتْ خُطبةُ السلْطانِ محمدٍ.

وفى رمضانَ قُبِض على الوزيرِ عميدِ الدولةِ ابنِ جَهيرٍ، وعلى أخوَيْه؛ زعيمِ الرُّؤساءِ أبى القاسمِ، وأبى البَركاتِ المُلَقَّبِ بالكافِى، وأُخِذَتْ منهم أموالٌ كثيرةٌ، وحُبِس بدارِ الخلافةِ حتى ماتَ فى شَوَّالٍ من هذه السنةِ. وفى الليْلةِ [٢١٥/٩و] السابعةِ والعِشْرِينَ مِنه قُتِل[٤] شِحْنةُ أصْبَهانَ، ضرَبه باطِنىٌّ بسِكِّينٍ فى خاصِرَتِه، وقد كان يتحَرَّزُ مِنهم طولَ مباشَرَتِه، ويدَّرِعُ تحتَ ثيابِه سِوَى هذه الليلةِ، ومات مِن أوْلادِه فى هذه الليْلةِ جماعةٌ، فخرَج مِن دارِه خَمْسُ جنائِزَ مِن صَبِيحتِها.

وفى هذه السنةِ أَقبَل ملكُ الفِرنْجِ فى ثَلاثِمِائَةِ ألفِ مُقاتِلٍ، فالْتقَى معه (٥كُمُشْتِكِينُ ابنُ الدانِشْمَنْدِ٥) طايلو[٦]، أتَابِكُ الجيوشِ بدمشقَ، الذى يقالُ له: أمينُ الدولةِ، واقفُ الأمِينيَّةِ بدِمَشْقَ وبِمُصْرَى - لا التى بِبَعْلَبَكَّ - فهزَم الفِرنْجَ،

(١ - ١) فى المختصر فى أخبار البشر ٢/٢١٢ «داذا»، وفى نهاية الأرب ٢٦، ٣٤٦: «ذاد»، وفى إحدى نسخه: «داد»، والمثبت موافق لإحدى نسخ الكامل. انظر الكامل ١٠/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) بعده فى خ، م: «وهرب فى شرذمة قليلة».

(٣) فى الأصل، خ، م: «برغش». وانظر الكامل ١٠/ ٢٩٧.

(٤) بعده فى م: «الأمير بلكابك سرمز رئيس».

(٥ - ٥) فى م: «ستكين بن انشمند». وانظر الكامل ١٠/ ٣٠٠، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٩.

(٦) فى الأصل، خ، ص: «وأظنه». وانظر مصادر الحاشية السابقة.

وقتَل مِنهم خَلْقًا كثيرًا ، بحيثُ لم يَنْجُ منهم سِوَى ثلاثةِ آلافٍ ، وأكثَرُهم جَرْحَى - يعْنِى الثلاثةَ آلافٍ - وذلك فى ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ ، ولَحِقهم إلى ملَطْيَةَ فملَكَها ، وأسَر مَلِكَها ، وللَّهِ الحمدُ . وحجَّ بالناسِ الأميرُ التُّونتاشُ[1] التركىُّ ، وكان شافِعِىَّ المذْهبِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ الرَّزَّاقِ الغَزْنَوىُّ الصُّوفىُّ[2] شيخُ رباطِ عتّابٍ ، حجَّ مراتٍ على التَّجريدِ ، مات وله نحوُ مائةِ سنةٍ ، ولم يتْرُكْ كفَنًا ، وقد قالتْ له امرأتُه وهو فى الاحتضارِ : إنك ستُفْتَضَحُ اليومَ ؛ لا يُوجَدُ لكَ كفَنٌ . فقال لها : لو ترَكتُ كفَنًا لافْتُضِحتُ .

وعكسُه **أبو الحسَنِ البِسْطَامِىُّ**[3] ، شيخُ رِباطِ ابنِ المحلبانِ ، كان لا يلبَسُ إلَّا الصوفَ شتاءً وصيفًا ، ويُظهِرُ الزهدَ ، وحين تُوفِّى وُجِدَ له أربعةُ آلافِ دينارٍ مدْفُونةٌ ، فتعجَّبَ الناسُ مِن تفاوُتِ حالَيْهِما ، واتفاقِ مَوْتِهما فى هذه السنةِ ، فرحِم اللَّهُ الأوَّلَ وسامَح الثانىَ .

الوزيرُ عميدُ الدولةِ ابنُ جَهيرٍ ، محمدُ بنُ أبى نَصْرِ بنِ محمدِ بنِ جَهيرٍ الوزيرُ الكبيرُ[4] . أبو منصورٍ الملقَّبُ عميدَ الدولةِ ، أحدُ رُؤساءِ الوزراءِ وساداتِ الكُبراءِ ، خدَم ثلاثةً مِن الخلفاءِ ، ووزَر لاثنَيْن مِنهم ، وكان حليمًا قليلَ العجَلَةِ ،

---

(١) فى الأصل : « الوساس » . وفى خ : « البوبياش » . وفى إتحاف الورى ٢/ ٤٩٠ : « بوساس » .
(٢) المنتظم ١٧/ ٥٧، والكامل ١٠/ ٣٠٢.
(٣) المنتظم ١٧/ ٥٧، والكامل ١٠/ ٣٠١.
(٤) المنتظم ١٧/ ٥٩، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٥.

إلَّا أنَّه كان يُتَكلَّمُ فيه بسبَبِ الكِبْرِ، وقد وَلِيَ الوزارةَ مراتٍ؛ يُعْزَلُ ثُمَّ يُعادُ، ثم كان آخِرَها هذه المرَّةُ، حُبِسَ بدارِ الخلافةِ فلم يخرُجْ مِن السِّجنِ إلَّا مَيِّتًا، فى شوَّالٍ من هذه السنةِ.

ابنُ جَزْلَةَ الطبيبُ، يَحْيى بنُ عِيسى بنِ جَزْلَةَ[1]، صاحبُ «المِنْهاجِ» فى الطِّبِّ، كان نصْرانِيًّا، وكان يتردَّدُ إلى الشيخِ أبى علىٍّ ابنِ الوليدِ المعْتَزِلِىِّ[2] يشتغِلُ عليه فى المَنْطِقِ، فكان [3]أبو علىٍّ[3] يدْعُوه إلى الإسْلامِ ويوضِّحُ له الدِّلالاتِ حتى أسلَمَ وحَسُنَ إسْلامُه، واسْتَخلَفه أبو عبدِ اللَّهِ الدّامَغانِىُّ قاضى القضاةِ فى كَتْبِ السِّجلاتِ، ثم كان يُطَبِّبُ الناسَ بعدَ ذلك بلا أُجْرةٍ، ورُبَّما ركَّبَ لهم الأدْوِيَةَ مِن مالِه تبرُّعًا، وقد أوْصَى بكتُبِه أنْ تكونَ وقْفًا فى مَشْهَدِ أبى حنيفةَ، رحِمَه اللَّهُ تعالى.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٦١، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٣٤٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٧٤.

(٢) فى خ، م: «المغربى».

(٣ - ٣) زيادة من: خ، م. وعند ابن الجوزى وابن خلكان: أن أبا على هذا كان سبب إسلامه، وخالف الذهبى فى السير فقضى بأن إسلامه كان على يد قاضى القضاة الدامغانى. هذا، وظاهر كلام الذهبى فى تاريخ الإسلام يوافق قول ابن خلكان وما نقله ابن كثير ههنا.

ثم دخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وتِسْعِينَ وأرْبَعِمائةٍ[1]

فيها عَظُمَ الخطبُ بأَصْبهانَ ونواحِيها بالباطِنيَّةِ، فقتَل السلطانُ مِنهم خلْقًا كثيرًا، وأُبِيحَتْ دِيارُهم وأموالُهم للعامَّةِ، كلُّ مَن يَقْدِرون عليه فلهم قتلُه ومالُه، وكانُوا قدِ استحوَذُوا على قِلاعٍ كثيرةٍ، وأوَّلُ قلعةٍ ملَكُوها فى سنَةِ [٩/٢١٥ظ] ثلاثٍ وثمانِينَ، وكان الذى ملَكَها الحسَنَ بنَ الصبّاحِ، أحدَ دُعاتِهم، وكان قد دخَل مِصْرَ وتعلَّم مِن الزنادِقَةِ الذين كانوا بها، ثم صارَ إلى تلك النواحِى ببلادِ أصْبهانَ، فكان لا يدْعُو إلَّا غَبِيًّا لا يعرِفُ يمينَه مِن شِمالِه، ثم يُطْعِمُه العسلَ بالجَوْزِ والشُّونيزِ[2]، حتى يحترِقَ مِزاجُه، ويفسُدَ دِماغُه، ثم يذكُرُ له شيئًا مِن أخْبارِ أهلِ البيتِ، ويَكذِبُ له مِن أقاويلِ الرافِضةِ الضُّلَّالِ، أنَّهم ظُلِمُوا ومُنِعُوا حقَّهم، ثُم يقولُ له: فإذا كانتِ الخوارِجُ تقاتلُ مع بنى أميَّةَ لعلىٍّ، فأنتَ أحقُّ أنْ تُقاتِلَ فى نُصْرَةِ إمامِكَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، ولا يزالُ يسْقِيه من هذا وأمثالِه حتى يسْتَجِيبَ له، ويصيرَ أطْوَعَ له من أبيه وأمِّه، ويُظهِرُ له أشياءَ كثيرةً مِن المخْرَقةِ والنِّيرَنْجاتِ والحِيَلِ التى لا تروجُ إلَّا على الجُهَّالِ، حتى التفَّ عليه بشَرٌ كثيرٌ، وجَمٌّ غفيرٌ، وقد بعَث إليه السلطانُ مَلِكْشَاه يتهَدَّدُه ويتوَعَّدُه ويَنهاه عن بعثِه الفِداويَّةَ إلى العلماءِ، فلمَّا قرَأَ الكتابَ بحضْرَةِ الرسولِ، قال لِمَنْ حضَره مِنَ الشبابِ: إنِّى أُريدُ أنْ أُرسِلَ منكم رسولًا إلى مولَاه، فاشْرَأَبَّتْ وجوهُ الحاضرِين

---

(١) المنتظم ١٧/ ٦٢، والكامل ١٠/ ٣١٣.

(٢) الشونيز: الحبة السوداء. تاج العروس (ش ن ز).

مِنهم، ثم قال لشابٍّ مِنهم: اقْتُلْ نفْسَكَ. فأخرَج سكِّينًا فضرَب بها غَلْصَمَتَه[1]، فسقَط مَيِّتًا، وقال لآخرَ مِنْهم: ألْقِ نفْسَكَ مِن هذا الموضعِ، فرَمَى نفْسَه من رأسِ القلعةِ إلى أسْفلِ خَنْدَقِها فتقَطَّعَ. فقال للرسُولِ: هذا الجوابُ. فمِنْها امتنَع السلطانُ مِن مُراسلَتِه. هكذا أورَده ابنُ الجَوْزِيِّ[2]. وسيأْتى أَنَّ المَلكَ صلاحَ الدينِ فاتِحَ بَيْتِ المَقْدِسِ جرَى له مع سِنانٍ صاحبِ الإيوانِ مثلُ هذا.

وفى[*] شهرِ رمضانَ أمَر الخليفةُ المستظهرُ باللَّهِ بفتحِ جامعِ القصرِ، وأنْ يُبيَّضَ وأنْ يُصَلَّى فيه التراويحُ وأنْ يُجْهرَ بالبَسْملةِ، وأنْ يُمنَعَ النساءُ مِن الخروجِ ليلًا للفُرْجَةِ.

وفى أوَّلِ هذه السنَةِ دخَل السلطانُ بَرْكْيَاروقُ إلى بَغْدادَ فخُطِبَ له بها، ثم لحِقَه أخواه محمدٌ وسَنْجَرُ، فدَخلَاها وهو مريضٌ فعبَر إلى الجانبِ الغرْبِيِّ، فقُطِعَتْ خطبتُه وخُطبَ لهما بها، وهرَبَ بَرْكْياروقُ إلى وَاسِطٍ، ونهَب جيشُه ما اجْتازُوا به مِن البلادِ والأراضِى، فنَهاه بعضُ العلماءِ عن ذلك ووَعظَه فلَم يُفِدْ شيئًا.

وفى هذه السنَةِ ملَكتِ الفِرَنْجُ قِلاعًا كثيرةً؛ منها قَيْسارِيَّةُ وسَرُوجُ، وسارَ ملكُ الفِرنْجِ كُنْدُفْرى[3]، وهو الذى أخَذ بيتَ المَقْدِس، إلى عَكَّا فحاصَرها، فجاءه سَهْمٌ فى عنُقِه، فمات مِن فورِه، ألَا لعنةُ اللَّهِ عليه وعلى أجنادِه.

---

(١) الغلصمة: رأس الحلقوم بشواربه وحَرْقَدَتِه. اللسان (غ ل ص م).

(٢) المنتظم ١٧/ ٦٣، ٦٤.

(*) من هنا وحتى نهاية ترجمة نصر بن أحمد الخطابى البزار القارئ سقط من: خ.

(٣) فى م: «كندر». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٦.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ الصَّبَّاغِ[1] ، **أبو منصورٍ** ، سمِع الحديثَ وتفَقَّه على أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، ثم على عمِّه[2] أبى نَصْرِ بنِ الصَّبَّاغِ ، وكان فقيهًا فاضلًا ، كثيرَ الصلاةِ ، يصومُ الدهرَ ، وقد وَلِىَ القضاءَ برَبْعِ الكَرْخِ ، والحِسْبَةَ بالجانبِ الغربىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ [٢١٦/٩و] **بنِ أبى منْصُورٍ ، أبو محمدٍ الطَبَسِىُّ**[3] ، رحَلَ وجمَع وصنَّفَ ، وكان أحدَ الحفَّاظِ المُكْثِرينَ ، ثقةً ، صدوقًا ، عارفًا بالحديثِ ، وَرِعًا ، حسَنَ الخُلُقِ ، رحِمه اللَّهُ .

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ [4]أبو الفَرَجِ الزّازُ[4] **السَّرْخَسِىُّ** ، نزَل مَرْوَ ، وسمِع الحديثَ وأمْلَى ، ورحَل إليه العلماءُ ، وكان حافظًا لمذهبِ الشافِعىِّ متدَيِّنًا وَرِعًا ، رحِمه اللَّهُ .

عَزِيزِى بنُ عبدِ الملكِ بنِ منصورٍ ، أبو المعالِى الجِيلِىُّ القاضى ، المُلَقَّبُ شَيْذَلَهْ[5] ، كان شافِعيًّا فى الفُروعِ ، أشْعَرِيًّا فى الأُصولِ ، وكان حاكمًا ببابِ

---

(١) فى م : « الصباح » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٦٨، والكامل ١٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٧٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٣٢.

(٢) فى النسخ ، والمنتظم ، والكامل : « ابن عمه » . والمثبت من تاريخ الإسلام ، وطبقات السبكى ، وطبقات الإسنوى .

(٣) المنتظم ١٧/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٥٤، وفيه : عبد اللَّه ابن الحسين بن أبى منصور . وقد ذكره الذهبى ضمن وفيات سنة ثلاث وتسعين .

(٤ - ٤)فى الأصل : « أبو محمد البزار » ، وفى م ، ص : « أبو محمد الرزاز » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر المنتظم ١٧/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٨٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٠١.

(٥) فى الأصل : « شيدله » ، وفى م ، ص : « سيدله » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر المنتظم =

الأَزَجِ ، وكان بيْنَه وبينَ أهلِ بابِ الأَزَجِ مِن الحنابلَةِ شَنَآنٌ كبيرٌ ، سمِعَ رجلًا يُنادِى على حمارٍ له ضائعٍ ، فقالَ[1] : يدخُلُ بابَ الأَزَجِ ويأخُذُ بيَدِ مَنْ شاءَ . وقال[2] يومًا للنَّقيبِ طِرادِ الزَّيْنَبِيِّ : لو حلَفَ إنْسانٌ أنَّه لا يرَى إنْسانًا ، فرأَى أهلَ بابِ الأَزَجِ ، لم يَحْنَثْ . فقال له الشريفُ : مَن عاشَر قومًا أربعينَ يومًا فهو منهم . ولهذا لمَّا مات فرحُوا بموتِه كثيرًا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الباقى بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ طَوْقٍ ، أبو الفضائلِ الرَّبَعِىُّ المَوْصِلِىُّ[3] ، تفقَّهَ على الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وسمِع الحديثَ مِن القاضى أبى الطَّيِّبِ الطَّبَرِىِّ ، وكان ثقةً صالحاً ، كتَب الكثيرَ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ الحسنِ[4] ، **أبو عبدِ اللَّهِ الرَّاذانىُّ**[5] ، نزَل أَوَانَا[6] ، وكان مُقْرِئًا فقيهًا صالحًا ، له أحوالٌ وكراماتٌ ومُكاشَفاتٌ ، أخَذ عن القاضى أبى يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ الحديثَ ، وغيرِه .

= ١٧/ ٦٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٥/ ٢٣٥.

قال ابن خلكان : وشيذله : بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام بعدها هاء ساكنة ، وهو لقب عليه - يعنى أبا المعالى - ولا أعرف معناه مع كثرة كشفى عنه . وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٠.

(١) المنتظم ١٧/ ٧٠.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٠، والكامل ١٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ٢/ ١٠٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٠٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٧١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٧، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٩١.

(٥) فى النسخ : «المرادى» . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر الأنساب ٣/ ٢١.

(٦) فى م ، ص : «أوان» . وأوانا : بُليدة من نواحى دُجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت . معجم البلدان ١/ ٣٩٥.

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : بلَغَنى أنَّ ابنًا له صغيرًا طلَب منه غزالًا وألحَّ عليه ، فقال له : يا بُنَيَّ ، غدًا يأتِيك غَزالٌ . فلمَّا كان الغَدُ أتَى غزالٌ ، فجَعَل ينطَحُ البابَ بقَرْنَيْه حتى يفتَحَه ، فقال له أبوه : يا بُنَيَّ ، أتَاكَ الغزالُ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ علىِّ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ صالحِ بنِ سليمانَ بنِ وَدْعانَ ، أبو نَصْرٍ المَوْصِلِيُّ القاضى[2] ، قدِم بَغْدادَ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ، وحدَّث عن عمِّه بـ « الأربعين الوَدْعانِيَّةِ » ، وقد سرَقَها عمُّه أبو الفتحِ بنُ وَدْعانَ مِن زيدِ بنِ رفاعةَ الهاشمىِّ ، فرَكَّب لها أسانيدَ إلى مَن بعدَ زيدِ بنِ رفاعةَ ، وهى موضوعةٌ كلُّها ، وإنْ كان فى بعْضِها معانٍ صحيحةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

محمدُ بنُ مَنصورٍ ، أبو سعدٍ المُسْتَوْفِى ، شرفُ المُلْكِ الخُوَارِزْمىُّ[3] ، جليلُ القَدْرِ ، وكان متعَصِّبًا لأصحابِ أبى حنيفةَ ، ووَقَف لهم مدرسةً بمَرْوَ ، ووَقَف فيها كتُبًا كثيرةً ، وبنَى مدرسةً ببَغْدادَ عندَ بابِ الطَّاقِ ، وبنَى القُبَّةَ على قبرِ أبى حنيفةَ ، وبنَى أرْبِطَةً فى المَفاوزِ ، وعمِل خيْرًا كثيرًا ، وكان من أطيبِ الناسِ مأْكلًا ومشْربًا ، وأحْسَنِهم ملْبَسًا ، وأكثَرِهم مالًا ، ثم ترَك العِمالةَ بعدَ هذا كلِّه ، وأقبَل على العبادةِ والاشتغالِ بنفْسِه إلى أنْ ماتَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ مَنْصورٍ القُشَيرِىُّ[4] ، [٢١٦/٩ظ] المعروفُ بعَمِيدِ خُراسانَ ، قدِم بغْدادَ أيامَ طُغْرُلْبَك ، وحدَّث عن أبى حَفْصٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ مسرورٍ ، وكان

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧١.

(٢) المنتظم ١٧/ ٧١، والكامل ١٠/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ١٩٩، والوافى بالوفيات ٤/ ١٤١.

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٢، والكامل ١٠/ ٣٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

(٤) فى م، ص: « القسرى ». وفى المنتظم ١٧/ ٧٢: « بن النسوى »، وفى إحدى نسخه: « بن الصوفى ».

كثيرَ الرغْبَةِ فى الخيرِ، وقَف بمَرْوَ مدرسةً على أبى بَكْرِ بنِ أبى المُظَفَّرِ السّمْعَانِىِّ وذُرِّيَّتِه. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1]: فهُم يتوَلَّونَها إلى الآنَ، وبنَى بنَيْسابُورَ مدرسةً، وفيها تربتُه، وكانت وفاتُه فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ.

نَصْرُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ البَطِرِ[2]، أبو الخطَّابِ البَزَّازُ القارِئُ. وُلِد سنةَ ثَمانٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ، وتفرَّد عن ابنِ رِزْقَوَيْهِ وغيرِه، وطالَ عمرُه، ورُحِل إليه مِن الآفاقِ، وكان، رحِمه اللَّهُ، صحيحَ السَّماعِ[*].

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٢.

(٢) فى م: «البطران»، وفى المنتظم ١٧/ ٧٣: «النظر». وانظر ترجمته فى: الأنساب ٤/ ٢٨٦، والكامل ١٠/ ٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٠٤، والعبر ٣/ ٣٤٠.

(*) هنا نهاية السقط الذى فى «خ»، والمشار إليه آنفًا.

ثم دخَلَتْ سنةُ خَمْسٍ وتِسْعِين وأرْبَعِمائةٍ[1]

فى ثالثِ المحرَّمِ قُبِض علَى أبى الحسَنِ علىِّ بنِ محمدٍ ، المعروفِ بإلْكِيَا الهرّاسِىِّ ، وعُزِل عن تدريسِ النِّظامِيَّةِ ، وذلك أنَّه رمَاه بعضُهم عندَ السلطانِ بأنَّه باطِنىٌّ ، فشَهِد له جماعةٌ مِن العلماءِ - منهمُ ابنُ عَقيلٍ - ببَراءَتِه مِن ذلك ، وجاءتِ الرسالةُ مِن دارِ الخلافةِ بخَلاصِه .

وفيها فى يومِ الثلاثاءِ حادِى عشرَ مِن المحرَّمِ جلَس الخليفةُ المستظهرُ بدارِ الخلافةِ وعلى كَتِفِه البُردةُ وبيدِه القضيبُ ، وجاءَ المَلِكَانِ الأخَوانِ محمدٌ وسَنْجَرُ ابْنا السلطانِ مَلِكْشَاه ، فقبَّلَا الأرضَ ، فخلَع عليهما الخِلَعَ السلطانيةَ ؛ على محمدٍ سيفًا وطَوْقًا وسِوارًا ولواءً وأفْراسًا مِن مَراكِبِه ، وعلى سَنْجَرَ دونَ ذلك . وولَّى الخليفةُ السلطانَ محمدًا المُلْكَ ، واسْتَنابَه فيما يتعلَّقُ بأمرِ الخلافةِ ، دونَ ما أغْلَق عليه الخليفةُ بابَه ، ثمَّ خرَج السلطانُ محمدٌ فى تاسِعَ عشَرَ الشهرِ ، فأرْجَف الناسُ ، بقُدومِ بَرْكْيارُوقَ ، ثم اصطَلَحوا على أمورٍ ، فركِب السلطانُ محمدٌ ، فالْتقَوا وجرَتْ حروبٌ كثيرةٌ ، وانهزَم محمدٌ وجرَى عليه مكْروهٌ شديدٌ ، كما سيأتى بيانُه .

وفى رجَبٍ قَبِلَ القاضى أبو الحسَنِ الدامَغانِىُّ شَهادةَ أبى الحُسَيْنِ وأبى خازمٍ[2] ابْنَى القاضى أبى يَعْلَى بنِ الفرَّاءِ . وفيها قدِمَ عيسَى بنُ عبدِ اللَّهِ الغَزْنَوىُّ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٤، والكامل ١٠/ ٣٢٨.

(٢) فى النسخ : « حازم » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٧٦. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٤.

فوعَظَ الناسَ وكان شافِعيًّا أشْعَرِيًّا ، فوقَعت فتنةٌ بينَ الحنابلةِ والأشْعَرِيَّةِ ببَغدادَ . وفيها وقَع حريقٌ عظيمٌ ببَغْدادَ ، وحجَّ بالناسِ حُميدٌ العُمَرِيُّ ، صاحبُ سيفِ الدولةِ صَدَقةَ بنِ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ عليٍّ بن مَزْيدٍ الأَسَديِّ ، صاحبِ الحِلَّةِ .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أبو القاسمِ ، صاحبُ مصرَ الملقَّبُ بالمُسْتَعْلِى[1] ، كانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ من هذه السَّنةِ ، وقامَ بالأمرِ من بعدِه ابنُه أبو عليٍّ وله تسعُ سنِينَ ، ولُقِّب الآمِرَ بأحكامِ اللَّهِ .

محمدُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ ، أبو نصرٍ القاضى البَنْدَنِيجِيُّ[2] ، **الضريرُ الشافِعيُّ** ، أخذَ عن الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازيِّ ثم جاوَر بمكةَ أربعينَ سنةً ، يُفْتِى ويُدَرِّسُ ، ويروِى الحديثَ ، وكان مِن نوادرِ الزمانِ ، ومِن شعرِه قولُه[3] :

عَدِمْتُكِ نفْسِى ما تَمَلِّى بَطالَتِى[4] ... وقد مرَّ إخوانِى وأهلُ مَودَّتِى
أُعاهِدُ ربِّى ثم أنقُضُ عهْدَه ... وأترُكُ عزْمِى حينَ تعْرِضُ شهْوَتِى
وزادِى قليلٌ ما أُرَاه مُبَلِّغِى [٢١٧/٩و] ... [5]أَلِلزَّادِ[5] أبْكِى أم لطولِ مسافَتِى ؟

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٠٩، والوافى بالوفيات ٨/ ١٨٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٥٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٢٠٧، والوافى بالوفيات ٥/ ١٥٦.

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٨.

(٤) فى الأصل : « تطالبى » .

(٥ - ٥) فى الأصل، ص : « من الزاد » .

ثم دخلتْ سنةُ سِتٍّ وتسعينَ وأربَعِمائةٍ[1]

فيها حاصَر السلطانُ بَرْكْيَاروقُ أخاه محمدًا بأَصْبهانَ ، فضاقَتْ على أهْلِها الأرْزاقُ ، واشتدَّ الغلاءُ عندَهم جدًّا ، وأخَذ السلطانُ محمدٌ أهلَها بالمُصادَرَةِ والحصارُ حَوْلَهم مِن خارجِ البلدِ ، فاجْتمَع عليهم الخوفُ والجوعُ والنقصُ مِنَ الأموالِ والأنفُسِ والثَّمراتِ ، ثم خرَج السلطانُ محمدٌ مِن أصْبَهانَ هاربًا ، فأرسَل أخوه فى أَثَرِه مملُوكَه إيازَ ، فلم يتَمَكَّنْ مِنَ قَبْضِه ، ونجَا بنفْسِه سالِمًا .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وفى صفرٍ منها زِيدَ فى ألْقابِ قاضى القضاةِ ، أبى الحسَنِ ، الدامَغانِىِّ : تاجُ الإسْلامِ . وفى ربيعِ الأوَّلِ قُطِعتِ الخُطبةُ للسلاطينِ ببَغدادَ ، واقتُصِر على ذكْرِ الخليفةِ فيها ، والدعاءِ له .

ثم الْتقَى الأَخَوانِ بَرْكْيَاروقُ ومحمدٌ ، فانْهَزم محمدٌ أيضًا ثم اصْطَلحَا . وفيها مَلَك المَلِكُ دُقاقُ بنُ تُتُشَ بنِ مَلِكْشاه ، صاحبُ دِمَشقَ مدينةَ الرَّحبةِ . وفيها قُتِل أبو المظفَّرِ الخُجَنْدِىُّ الواعظُ بالرَّىِّ ، وكان فقيهًا شافعِيًّا مُدرِّسًا ، قتَله رافِضِىٌّ عَلَوِىٌّ فى الفتنةِ ، وكان عالِمًا فاضلًا ، وكان نظامُ المُلْكِ يزورُه ويعظِّمُه[3] . وحجَّ بالناسِ خُمارْتِكينُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٧٩، والكامل ١٠/ ٣٣٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٠.

(٣) المذكور فى الكامل ١٠/ ٣٦٦، ٣٦٧، أن نظام الملك كان يزور ويعظم أبا بكر محمد بن ثابت الخُجَنْدى لا أبا المظفر.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ علىِّ بنِ عُبيدِ اللَّهِ [1]بنِ عمرَ[1] **بنِ سِوارٍ، أبو طاهرٍ المُقْرِئُ،** صاحبُ المصنَّفاتِ فى علمِ القراءاتِ ، كان ثقةً ، ثَبتًا ، مأمونًا ، عالِمًا بهذا الشأنِ ، قد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو المَعالِى[2] أحدُ الصُّلَحاءِ الزُّهادِ ، ذَوِى الكراماتِ والمُكاشَفاتِ ، وكان كثيرَ العبادةِ ، مُتَقلِّلًا مِن الدُّنيا ، لا يلبَسُ صيفًا ولا شتاءً إلَّا قميصًا واحدًا ، فإذا اشتدَّ البَرْدُ وضَع على كتِفِه مِئْزَرًا ، وذكَر أنَّه أصابَتْه فاقةٌ شديدةٌ فى شهرِ رمضانَ ، فعزَم على الذَّهابِ إلى بعضِ أصحابِه ليَسْتَقْرِضَ منه شيئًا ، قال : فبَيْنَما أنا أُريدُه إذا بطائرٍ قد سقَط على كَتِفِى ، وقال : يا أبا المَعالى ، أنا المَلَكُ الفُلانىُّ ، لا تَمْضِ إليه ، نحنُ نأتِيكَ به ، قال : فبَكَّر إلىَّ الرجلُ . روَاه ابنُ الجوزِىِّ فى « مُنْتَظِمِه »[3] من طريقينِ عنه ، كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ أحمدَ .

السَّيدةُ بنْتُ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أميرِ المؤمنينَ[4] ، التى تزوَّجها المَلِكُ طُغْرُلْبَك ، توفِّيت فى هذه السنةِ ودُفِنتْ بالرُّصافَةِ ، وكانت كثيرةَ الصَّدقةِ والإيثارِ ، وجلَس لعزائِها فى بيتِ النُّوبَةِ الوزيرُ ، واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته ، التالية : معجم الأدباء ٤/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٢٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٠٤، وغاية النهاية ١/ ٨٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٢، والكامل ١٠/ ٣٦٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٤١، وفيه : « معالى العابد » .

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٨٣، والكامل ١٠/ ٣٦٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٨.

ثم دخَلتْ سنةُ سبعٍ وتسعِينَ وأربعِمائةٍ[1]

فيها قصَد الفِرنْجُ - لعَنهم اللَّهُ - الشامَ ، فقاتَلهمُ المسلمونُ فقَتلُوا مِنهمُ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا ، وردَّ اللَّهُ الذينَ كفَروا بغيظِهم لم ينالُوا خيرًا ، وقد أُسِر فى هذه الوقْعةِ بَرْدَوِيلُ صاحبُ الرُّهَا .

وفى هذه السنةِ سقَطتْ مَنارةُ وَاسِطٍ وقد كانتْ مِن أحسنِ المَنائرِ ، كان أهلُ البلدِ يفْتخِرونَ بها وبقُبَّةِ الحَجّاجِ ، فلمّا سقَطتْ سُمِع لأهلِ البلَدِ بُكاءٌ وعويلٌ شديدٌ لم يُسمَعْ بمثلِه ، ومع هذا لم يَهْلِكْ بسبَبِها أحدٌ ، وكان بناؤُها فى سنةِ أربعٍ وثلاثِمائةٍ فى زمنِ المقتدرِ .

وفى هذه السنةِ تأكَّدَ الصُّلحُ بينَ السُّلطانينِ الأخوين بَرْكْيارُوقَ ومحمدٍ ، واقتسَما البلادَ فقُطِعتِ الخُطبةُ ببغدادَ لمحمدٍ واستمرَّت للمَلكِ بَرْكْيَارُوقَ ، وبُعِث إليه بالخِلَعِ وإلى الأميرِ إيازَ . وفيها أخَذتِ الفِرنْجُ مدينةَ عكَّا وغيرَها من السواحلِ .

وفيها استَولَى الأميرُ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ بنُ منصورٍ صاحبُ الحِلَّةِ على مدينةِ وَاسِطٍ . وفيها تُوفِّى الملكُ دُقاقُ بنُ تُتُشَ صَاحبُ دِمَشقَ ، فأقامَ مملوكُه طُغْتِكِينُ ولدًا له صغيرًا مكانَه ، وأخَذ [٩/٢١٧ظ] البيعةَ له ، وصارَ هو أَتابِكَه ، فدبَّرا المُلْكَ بدمشقَ مدَّةً . وفيها عزَل السلطانُ سَنْجَرُ وزيرَه أبا الفتحِ الطُّغْرائِىَّ ، ونفَاه إلى غَزْنَةَ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٨٤، والكامل ١٠/ ٣٦٨.

وفيها وَلِىَ أبو نَصْرٍ نظامُ الحضْرتَيْن ديوانَ الإنْشاءِ بعدَ وفاةِ خالِه أبى سعدٍ، العلاءِ بنِ المُوصَلَايَا. وفيها قُتِل الطبيبُ الماهرُ الحاذِقُ أبو نُعَيْمٍ، وكانت له إصاباتٌ عجيبةٌ جدًّا. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ خُمارْتِكينُ.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أرْدَشيرُ بنُ [1]أبى منصورٍ[1]، أبو الحسَنِ[2] العَبَّادِىُّ الواعظُ، قدِمَ بغْدادَ - فأحبَّتْه العامَّةُ - فى سنَةِ سِتٍّ وثمانينَ، وقد كانت له أحوالٌ جيدةٌ فيما يظْهرُ، واللَّهُ أعلمُ.

إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أحمَد، أبو الفرجِ القُومَسانىُّ[3]، من أهلِ هَمَذانَ، سمِع مِن أبيه وجدِّه وجماعةٍ، وكان حافظًا، حسَنَ المعرفةِ بالرِّجالِ والمتونِ، ثقةً مأمونًا، رحِمه اللَّهُ تعالى.

العَلاءُ بنُ الحسَنِ بنِ وَهْبِ بنِ المُوصَلَايَا[4]، سعدُ الدولةِ[5]، كاتبُ الإنْشاءِ ببَغدادَ، كان نَصرانيًّا فأسلَمَ فى سنةِ أربعٍ وثمانينَ. ومكَث فى الرِّياسةِ مدةً طويلةً، نحوًا من خمسٍ وستِّين سنةً، وكان فى الوزارةِ مراتٍ، وكتَب الإنشاءَ

(١ - ١) فى النسخ، والمنتظم ١٧/ ٨٧: «منصور». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر المنتخب من السياق ص ١٦٧، والأنساب ٤/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٥١.

(٢) فى الأنساب وتاريخ الإسلام: «الحسين».

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٥٠.

(٤) المنتظم ١٧/ ٨٩، ومعجم الأدباء ١٢/ ١٩٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٦٠.

(٥) المذكور فى مصادر ترجمته أن لقبه أمين الدولة لا سعد الدولة، وأن كنيته أبو سعد.

مدَّةً ، وكان فصيحَ العبارةِ ، كثيرَ الصَّدقةِ ، توفِّى فى هذه السنةِ عن عمرٍ طويلٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، أبو عمرَ النَّهاوَنْدِىُّ[1] ، قاضى البصرةِ مدةً طويلةً ، وكان فقيهًا عالمًا ، سمِع الحديثَ مِن أبى الحسنِ الماوَرْدِىِّ وغيرِه . كان من تلَامذَةِ الماوَرْدىِّ ، مولدُه فى سنةِ [2]عَشْرٍ ، وقيل : سبعٍ[2] ، وأرْبَعِمِائَةٍ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٨٩، والجواهر المضية ٣/ ٥٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « عشر » ، وفى م : « سبع وقيل تسع » وفى خ : « سبع وقيل » ، وفى ص : « سبع وقيل عشر » . والمثبت من المنتظم والجواهر المضية .

ثم دخلتْ سنةُ ثَمانٍ وتسعينَ وأربعِمائةٍ[1]

فيها تُوفِّى السلْطانُ برْكْيَارُوقُ ، وعُهِدَ إلى وَلدِه الصغيرِ مَلِكْشَاه وعمرُه أربعُ سِنينَ وشهورٌ ، فخُطِب له ببغدادَ ، ونُثِر عندَ ذكْرِه الدنانيرُ والدراهمُ ، ولُقِّب جلالَ الدولةِ ، وجُعِل أَتابِكُه الأميرَ إيازَ ، ثم جاءَ السلطانُ محمدُ بنُ مَلِكْشاه إلى بغدادَ ، فخرَج إليه الدولةُ فتَلَقَّوه وصالَحُوه . وكان الذى أخَذ البيعةَ بالصُّلحِ إلْكِيَا الهرَّاسىُّ مدرسُ النِّظاميَّةِ ، وخُطِب له بالجانبِ الغرْبِىِّ ، ولابنِ أخيه بالجانبِ الشرقِىِّ ، ثم قتَل الأميرَ إيازَ [2] ودخَل بغدادَ وحُمِلَت إليه الخِلَعُ والدَّواةُ والدَّسْتُ .

وحضَر الوزيرُ سعدُ الدولةِ عندَ إلْكِيَا الهَرّاسِىِّ فى درْسِ النِّظامِيّةِ ؛ ليُرغِّبَ الناسَ فى العلمِ .

وفى [3] ثانى عشَرَ [3] رجَبٍ منها أُزِيلَ الغِيَارُ عن أهلِ الذِّمَّةِ الذى كانُوا أُلزِموه فى سنَةِ أربعٍ وثمانينَ وأربعِمائةٍ ، ولا يُعْرَفُ ما سبَبُ ذلك [2] . وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ المصريينَ والفِرنجِ ، فقتَلوا مِن الفِرنجِ خلقًا كثيرًا ، ثم أُدِيلَ عليهمُ الفِرنجُ ، فقتَلوا مِنهم خلقًا أيضًا .

ومِمَّنْ توفِّى فيها مِنَ الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٠، والكامل ١٠/ ٣٨٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى م ، خ : « ثامن » ، وفى ص : « ثالث » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٩٢.

السلْطانُ بَرْكْيَارُوقُ بنُ مَلِكْشَاه[1] **ركنُ الدولةِ السَّلْجُوقِيُّ**، جرَتْ له خطوبٌ كثيرةٌ، وحروبٌ هائلةٌ، وأحوالٌ متباينةٌ، خُطِب له ببَغْدادَ سِتَّ مرّاتٍ، وعُزِل عنها ستَّ مرّاتٍ، وكان عمرُه يومَ مات أربعًا وعشرينَ سنةً وشهورًا، وقامَ من بعدِه ولَدُه مَلِكْشَاه، فلم يتمَّ أمرُه بسببِ مُنازعةِ عمِّه محمدٍ له.

عيسى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسِمِ، أبو المؤيَّدِ[2] **الغَزْنَوِيُّ الأشْعرِيُّ**، كان واعظًا كاتبًا شاعرًا، ورَد بغدادَ فوعَظ بها فنَفَق على أهلِها، وكان أشعريَّ المذهبِ متعصِّبًا له، فخرَج مِن بَغْدادَ قاصدًا بَلدَه فتُوفِّى بإسْفَرايِينَ.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبْراهيمَ بنِ سِلَفةَ الأصْبهانِيُّ[3]، أبو أحمدَ، كان شيخًا عفيفًا ثقةً، سمِع الكثيرَ، وهو والدُ الحافظِ أبى طاهرٍ السِّلَفيِّ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الحافظُ أبو عليٍّ الجيَّانِيُّ[4]، **الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ الغسَّانيُّ** [٩/ ٢١٨و] **الأَنْدَلُسِيُّ**، مصنِّفُ «تقْيِيدِ المُهْمَلِ» على ألفاظِ الصَّحيحَينِ، وهو كتابٌ مفيدٌ كثيرُ النفعِ، وكان حَسنَ الخطِّ، عالِمًا باللغةِ والشعرِ والأدبِ، وكان يُسْمَعُ فى جامعِ قُرْطُبَةَ، تُوفِّى ليلةَ الجُمعةِ لِثِنْتَىْ عشْرَةَ خلَتْ مِن شعبانَ هذه السنةَ، عن

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٣، والكامل ١٠/ ٣٨٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٧٣.

(٢) فى النسخ: «الوليد». والمثبت من مصادر ترجمته التالية: المنتظم ١٧/ ٩٣، والكامل ١٠/ ٣٩٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٨٣.

(٣) المنتظم ١٧/ ٩٤.

(٤) فى الأصل: «الحيانى»، وفى خ: «الحبانى»، وفى م: «الخيالى». وانظر ترجمته فى: الصلة لابن بشكوال ١/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٤٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٧٧.

إحْدَى وسبْعِينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ أَبى الصَّقْرِ ، أبو الحسنِ الواسِطِيُّ[1] ، سمِع الحديثَ وتفقَّه بالشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِيِّ ، وقرَأ الأدبَ ، وقال الشعرَ ومِن ذلك قولُه[2] :

مَنْ قالَ لى جَاهٌ وَلِى حِشْمةٌ ... وَلِى قَبُولٌ عندَ مَوْلَانا
ولم يَعُدْ ذاكَ بنَفْعٍ عَلَى ... صَديقِهِ لَا كانَ مَنْ[3] كانَا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٤، ومعجم الأدباء ٨/ ٢٥٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ١٩١.

(٢) البيتان فى المنتظم ١٧/ ٩٤، والكامل ١٠/ ٣٩٧، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٨.

(٣) فى م، ص: «ما».

ثم دخلتْ سنةُ تسعٍ وتسعِينَ وأربعِمائةٍ

فى المحرَّمِ منها[1] ادَّعَى رجلٌ النبوَّةَ بنواحِى نَهاوَنْدَ ، وسمَّى أربعةً مِن أصحابِه أبَا بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعليًّا ، فاتَّبعَه على ضلالِه هذا خلقٌ مِن الجهَلَةِ الرَّعاعِ ، وباعوا أملاكَهم ودفَعوا أثمانَها إليه ، وكان كريمًا يُعْطِى مَن قصَده ما عندَه ، ثم إنَّه قُتل بتلكَ الناحيةِ ، لعَنه اللَّهُ .

ورامَ رجلٌ مِن ولَدِ ألبِ أرْسَلَانَ بتلكَ الناحيةِ المُلْكَ فلم يتمَّ أمرُه ، فقُبِض عليه فى أقلَّ مِن شهرَيْنِ . فكانوا يقولونَ : ادَّعَى رجلٌ النبوةَ وآخرُ المُلْكَ ، فما كان بأسْرعَ مِن زوالِهما .

وفى رجَبٍ منها زادَتْ دِجلةُ زيادةً عظيمةً ، فأتْلَفَتْ شيئًا كثيرًا مِن الغلَّاتِ ، وغَرِقَت دُورٌ كثيرةٌ ببَغْدادَ . وفيها كسَر طُغْتِكِينُ أَتابَكُ العساكرِ بدمشقَ الفِرنجَ ، وعاد منصورًا إلى دمشقَ ، وزُيِّنَتِ البلدُ سبعةَ أيامٍ ، سرورًا بكَسْرةِ الفِرنجِ . وفى رمضانِها حاصَر الملكُ رِضوانُ بنُ تُتُشَ صاحبُ حلَبَ مدينةَ نَصِيبِينَ .

وفيها ورَدَ بغْدادَ مَلِكٌ مِن ملوكِ المُلَثَّمينَ وصحبَتْه رجلٌ يقالُ له : الفقيهُ . فوعظَ الناسَ فى جامعِ القصرِ وهو مُلَثَّمٌ ، ثم عاد إلى مصرَ ، وله حروبٌ كثيرةٌ مع الفِرنْجِ اسْتُشْهِد فى بعضِها . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ من العراقِ رجلٌ مِن قرائبِ الأميرِ سَيْفِ الدولةِ صَدَقةَ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٥، والكامل ١٠/ ٣٩٩.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

سهلُ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ الأَرْغِيانِىُّ ، أبو الفَتْح الحاكمُ[1] ، سمِع الحديثَ مِن البَيْهَقِىِّ وغيرِه ، وعلَّقَ عن القاضى حُسَيْنٍ طريقَه[2] ، وشكَره فى ذلك ، وكان قد تفقَّهَ أوَّلًا على الشيخِ أبى علىٍّ السِّنْجىِّ ، وعلَّقَ عن إمامِ الحرمَيْنِ فى الأُصولِ ، وناظَر بحَضْرَتِه فاسْتَجادَه ، ووَلِىَ قضاءَ بلَدِه مدَّةً ، ثم ترَك ذلك كلَّه ، وأقبَل على التَّعبُّدِ وتلاوةِ القرآنِ . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : وبنَى للصوفِيَّةِ رِباطًا مِن مالِه ، ولَزِمَ التَّعبُّدَ إلى أنْ ماتَ فى مُسْتَهَلِّ المحرَّمِ من هذه السَّنَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ ، أبو منصورٍ الخيَّاطُ[4] ، أحدُ القُرَّاءِ والصُّلَحاءِ ، ختَم ألوفًا من الختَماتِ ، وختَم عليه أُلوفٌ مِن الناسِ ، وأسمَع الحديثَ الكثيرَ ، وحينَ تُوفِّى اجْتمَعَ العالَمُ فى جِنازَتِه اجْتماعًا لم يُعهَدْ مثلُه ، فى جِنازةٍ بتلك الأزمانِ . وكان عمرُه يومَ تُوفِّى سبْعًا وتِسْعِينَ سنةً ، رحِمهُ اللَّهُ ، وقد رآه بعضُهم فى المنامِ فقال : ما فعَل بكَ ربُّكَ ؟ فقال : غفَرَ لى بتَعْليمِى الصِّبْيانَ الفاتحةَ[5] .

محمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ الحسَنِ بنِ الحسينِ ، أبو الفرَجِ البَصْرِىُّ[6] قاضِيها ،

---

(١) الأنساب ١/ ١١٢، والمنتظم ١٧/ ٩٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٣٩١.

(٢) فى طبقات الشافعية : « طريقته » .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٤.

(٤) فى م : « الحناط » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٠/ ٤١٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٠٣.

(٥) المنتظم ١٧/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٤.

(٦) المنتظم ١٧/ ٩٧، والكامل ١٠/ ٤١٥، وفيه : عبيد اللَّه بن الحسن، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٠٦، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٣٤، والوافى بالوفيات ٤/ ٩.

سمِعَ أبا الطَّيِّبِ الطَّبَرِىَّ والماوَرْدِىَّ وغيرَهما [٢١٨/٩ظ]، ورحَل فى طلبِ الحديثِ، وكان عابدًا خاشِعًا عندَ الذِّكْرِ.

مُهَارِشُ بنُ مُجلِّى[١]، أميرُ العرَبِ بحَدِيثَةَ[٢] وعانةَ[٣]، وهو الذى أُودِعَ عندَه الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ، حين كانتْ فتنةُ البَسَاسيرِىِّ ببغدادَ، فأكرَم الخليفةَ حينَ ورَد عليه، ثم جازاه الجزاءَ الأَوْفَى، وقد كان الأميرُ مُهارِشٌ هذا كثيرَ الصلاةِ والصدقةِ، كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ عن ثمانينَ سنةً.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٩٨، والكامل ١٠/ ٤١٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٠٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٣.

(٢) الحديثة: هى حديثة الفرات، وتعرف بحديثة النور، وهى على فراسخ من الأنبار. معجم البلدان ٢/ ٣٣٣.

(٣) عانة: بلد مشرف على الفرات قرب حديثة النور. معجم البلدان ٣/ ٥٩٣.

ثم دخلت سنةُ خَمْسِمِائةٍ من الهجرةِ النَّبويةِ

قال أبو داودَ فى « سُنَنِه » : حدَّثَنا حَجَّاجُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثنى مُعاوِيَةُ بنُ صالحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبيه ، عن أبى ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ هَذِه الأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ »[1] .

حدَّثَنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثَنا أبو المغيرَةِ ، حدَّثَنى صَفْوانُ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عنِ النبىِّ ﷺ أنه قالَ : « إِنِّى لأَرْجُو أنْ لَا يُعْجِزَ أُمَّتِى عِنْدَ رَبِّهَا أنْ يُؤَخِّرَها نِصْفَ يَوْمٍ » . قيلَ لسعدٍ : وكم نصفُ يومٍ ؟ قالَ : خَمْسُمائَةِ سنَةٍ[2] . وهذا مِن دلائلِ النبوَّةِ ، وذِكْرُ هذه المُدَّةِ لا ينْفِى زِيادةً عليها ، كما هو الواقعُ ؛ لأنَّه ﷺ ذكَر شيئًا مِن أشْراطِ الساعَةِ لابُدَّ مِن وُقوعِها ، كما أخْبَر سَواءً بسَواءٍ . وسيأتِى ذكْرُها فيما بعدَ زمانِنا ، وباللَّهِ المستعانُ .

ومِمَّا وقَع فى[3] هذه السنَةِ مِن الحوادثِ أنَّ السلطانَ محمدَ بنَ مَلِكْشَاه حاصَر قِلاعًا كثيرةً مِن حُصونِ الباطِنِيَّةِ ، وافْتَتَح منها أماكِنَ كثيرةً ، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وجمعًا كبيرًا ، وجَمًّا غفيرًا ، وكان من جملةِ ما افتتحَ مِن ذلك قلعةٌ حصينةٌ كان أبوه قد بنَاها بالقُرْبِ مِن أصْبهانَ فى رأسِ جبَلٍ منيعٍ ، وكان سبب

---

(١) أبو داود (٤٣٤٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٥٥) .
(٢) أبو داود (٤٣٥٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٥٦) .
(٣) المنتظم ١٧/ ١٠١، والكامل ١٠/ ٤١٧.

بنائِه لها أنَّه كان مرَّةً فى بعْضِ صُيودِه ،فهرَبَ منه كلبٌ ، فاتَّبَعه إلى رأسِ الجبَلِ فوجَده ، وكان معه رجلٌ مِن رُسُلِ الرومِ ، فقال الرومىُّ : لو كان هذا الجبَلُ ببلادِنا لاتَّخَذْنا عليه قلعةً ، فحدَا هذا الكلامُ السلْطانَ على أنْ ابْتَنَى فى رأسِه قلعةً أنفَق عليها ألْفَ ألفِ دينارٍ ، ومائَتَىْ ألفِ دينارٍ ، فاسْتَحوذَ عليها بعدَ ذلك رجلٌ مِنَ الباطِنيَّةِ يقالُ له : أحمدُ بنُ (١عبدِ الملكِ بنِ عطَّاشٍ١) . فتعِب المسلمونَ بسببِها ، فحاصَرها السلطانُ محمدٌ سنةً حتى فتَحها ، وسلَخَ هذا الرجلَ ، وحشَى جلْدَه تِبْنًا ، وقطعَ رأسَه ، فطِيف به فى الأقاليمِ ، ثُم نقَضَ هذه القلعةَ حجَرًا حجرًا ، وألْقَتِ امرأتُه نفْسَها من أعْلَى القلعةِ فتَلِفَت ، وهلَكَ ما كان معها مِنَ الجواهرِ النَّفِيسَةِ ، وكان الناسُ يتَشاءَمُونَ بهذه القلعةِ ، يقولُونَ : كان دَلِيلُها كلبًا ، والمُشِيرُ بها كافرًا ، والمتَحَصِّنُ بها زِنْدِيقًا .

وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ خَفاجَةَ وبينَ عُبادةَ ، فقهَرَتْ عُبادةُ خَفاجةَ وأخذَتْ بثَأْرِها . وفيها اسْتَحوذَ سيفُ الدولةِ صَدَقةُ بنُ منصورٍ الأسدىُّ على مدينةِ تَكْرِيتَ بعدَ قتالٍ كثيرٍ . وفيها أرسَل السلطانُ محمدٌ الأميرَ جاولى سقَاوو إلى المَوْصِلِ وأقْطَعه إيَّاها ، فذهَب فانْتَزَعَها مِنَ الأميرِ جكرمشَ بعدَما قاتلَه وهزَم أصْحابَه وأسَره ، ثم قتَله بعدَ ذلك وقد كان جكرمشُ مِن خِيارِ الأُمَراءِ سِيرةً وعدْلًا وإحْسانًا ، ثم أقبَل قلجُ أرْسَلانَ بنُ قُتُلْمِشَ ، فحاصَر المَوْصِلَ فانْتزَعَها مِن جاولى ، فصارَ جاولى إلى الرَّحْبةِ ، فأخَذها ثم أقبَل إلى قتالِ قلجَ فكسَره ، وألْقَى قلجُ نفْسَه فى النهرِ الذى للخابورِ فهلَكَ .

وفيها نشأتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ الرومِ والفِرنجِ ، فاقْتتلُوا قِتالًا عظيمًا ، وقُتِل

(١ - ١) فى الأصل ، خ : « عبيد اللَّه بن عطاس » . وفى م ، ص : « عبد اللَّه بن عطاء » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٠١. وانظر الكامل ١٠/ ٤٣٠، وشذرات الذهب ٣/ ٤١٠.

مِن الفريقَيْنِ طائفةٌ كبيرةٌ ، ثم كانتِ الهزيمةُ بعدَ كلِّ حسابٍ على الفِرنْجِ .

وفى يومِ عاشُوراءَ قُتِل فخرُ المُلكِ أبو المُظَفَّرِ بنُ نِظامِ المُلكِ ، وكان أكبرَ أولادِه ، وهو وزيرُ السلطانِ سَنْجَرَ بنَيْسَابُورَ ، وكان صائمًا ، قتَله باطِنِىٌّ ، وكان قد رأى فى تلكَ الليلةِ الحُسَيْنَ بنَ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وهو يقولُ له : عَجِّلْ إلَينا ، وأفْطِرْ عندَنا الليلةَ . فأصبحَ مُتَعجِّبًا ، فنوَى الصومَ ذلك اليومَ ، وأشارَ عليه [٢١٩/٩و] بعضُ أصحابِه أنْ لا يخرجَ ذلك اليومَ مِن المنزلِ ، فما خرَج إلَّا فى آخِرِ النهارِ ، فرأى شابًّا يتظَلَّمُ وبيدِه رقعةٌ فقالَ : ما شأْنُكَ ؟ فناوَلَه الرُّقعةَ ، فبَيْنَما هو يقْرؤها إذْ ضرَبَه بخَنْجَرٍ فى يدِه فقتَله ، فأُخِذ الباطِنِىُّ فَرُفِعَ إلى السلطانِ ، فقرَّرَه فأقرَّ على جماعةٍ مِن أصْحابِ الوزيرِ أنَّهم أمَرُوه بذلك ، وكان كاذِبًا ، فقُتِل وقُتِلُوا أيضًا .

وفى صفَرٍ عزَل الخليفةُ الوزيرَ أبا القاسِم علىَّ بنَ جَهيرٍ ، وخرَّبَ دارَه التى كانَ قد بنَاها أبوه مِن خَرابِ بُيوتِ الناسِ ، فكان فى ذلك عِبْرَةٌ وموعظةٌ لذَوى البصِائرِ والنُّهَى ، واسْتُنِيبَ فى الوِزارةِ القاضى أبو الحسَنِ ابنُ الدَّامَغانِىِّ[1] . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ تُرْكمانِىٌّ[2] مِن جهةِ السلطانِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أَحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُظَفَّرِ . أبو المُظَفَّرِ الخَوَافِىُّ الفَقِيهُ الشافِعِىُّ[3] . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : كان أنْظَرَ أهلِ زمانِه ، تفَقَّهَ على إمامِ الحرَمَيْنِ ، وصار أَوْجَهَ تلامِذَتِه ،

---

(١) بعده فى خ ، م ، ص : « ومعه آخر » .

(٢) بعده فى خ : « واسمه الترن » ، وبعده فى م : « واسمه اليرن » ، وبعده فى ص : « اسمه البزن » . وانظر إتحاف الورى ٢/ ٤٩٢.

(٣) الأنساب ٢/ ٤١١، ووفيات الأعيان ١/ ٩٦، والمنتخب من السياق ص ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣١٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٦٣.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٩٦، ٩٧.

وَلِى القضاءَ بطُوسَ ونواحِيها ، وكان مشهورًا بينَ العلماءِ بحُسْنِ المُناظرةِ وإفحامِ الخصُومِ . قال : والخَوَافِىُّ ، بفَتْحِ الخاءِ والواوِ نسْبَةً إلى خَوَافَ ، وهى ناحيةٌ من نواحِى نَيْسَابُورَ . وتُوفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

جَعْفَرُ بنُ أحمدَ[1] **بنِ الحُسَيْنِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرٍ السَّرَّاجُ ، أبو محمدٍ القارِئُ البَغدادِىُّ** ، وُلد سنةَ سِتَّ عشْرَةَ وأرْبَعمائةٍ ، وقرَأ القرآنَ بالرِّواياتِ ، وسمِعَ الكثيرَ مِنَ الأحاديثِ النَّبَوِيَّاتِ ، مِن المشايخِ والشَّيْخاتِ فى بُلْدانٍ مُتَبايناتٍ ، وقد خرَّجَ له الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ أجْزاءً مِن مسْمُوعَاتِه ، وكان صحيحَ الثَّبَتِ ، جيِّدَ الذِّهنِ ، أديبًا شاعرًا ، حسَنَ النَّظمِ ؛ نظَمَ كتابَ « المبتدأ » ، وكتابَ « التَّنْبِيهِ » و « الخِرَقِىِّ » ، وغيرَ ذلك ، وله كتابُ « مصَارِعِ العُشَّاقِ » ، وغيرُ ذلك ، ومن شعرِه[2] :

قُلْ للذينَ بجَهْلِهم ... أضْحَوا يَعيبُونَ المَحَابِرْ
والحامِلينَ لها مِنَ الْـ ... ـأَيدِى بمجتمَعِ الأسَاوِرْ
لوْلَا المحابِرُ والمَقَا ... لِمُ والصَّحائِفُ والدفاتِرْ
والحافِظُونَ شريعةَ الْـ ... ـمَبْعُوثِ مِن خيْرِ العشائِرْ
والناقِلُونَ حديثَهُ عن ... كابرٍ ثَبَتٍ وكابِرْ
لرأيْتَ مِن شِيعِ الضَّلا ... لِ عسَاكِرًا تتْلُو عساكِرْ
كلٌّ يقُولُ بجَهْلِهِ ... واللَّهُ للمظلومِ ناصِرْ

---

(١) فى م : « محمد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٠٢، ومعجم الأدباء ٧/ ١٥٣، ووفيات الأعيان ١/ ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣١٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٠٠.

(٢) الأبيات فى : المنتظم ١٧/ ١٠٣، ١٠٤، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٠٠، ١٠١.

سمَّيْتُهم أهلَ الحديـ ـثِ أُولِى النُّهَى وأُولِى البَصائِرْ
(١) حَشْوِيَّةٌ أُفٍّ لكم ولمن بنَقْصِهُمُ يُجَاهِرْ (١)

هم حَشْوُ جنَّاتِ النَّعِيـ ـمِ على الأسِرَّةِ والمنابِرْ
رُفَقَاءُ أحمدَ، كلُّهمْ عن حَوْضِه رَيَّانُ صادِرْ

(٢) وذكَرَ له ابنُ خَلِّكانَ أشْعارًا رائقةً منها قولُه (٢) :

ومُدَّعٍ شَرْخَ الشبابِ وقد عَمَّمَهُ الشَّيْبُ على وَفْرَتِهْ
يَخْضِبُ بالوشمةِ عُثْنُونَهُ يكْفِيهِ أنْ يَكْذِبَ فى لحْيَتِهْ (٣)

[٢١٩/٩ظ] **عبدُ الوَهَّابِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ الواحدِ، أبو محمدٍ الشِّيرازِىُّ الفارِسِىُّ** (٤)، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ وتفَقَّه، ووَلَّاه نظامُ المُلْكِ تدريسَ النِّظَامِيَّةِ ببَغْدادَ فى سنَةِ ثلاثٍ وثمانينَ، فدرَّسَ بها مدَّةً، وكان يُمْلِى الأحاديثَ، وكان كثيرَ التَّصْحِيفِ، روَى (٥) مرَّةً حديثَ: «صَلَاةٌ فى أَثَرِ صَلاةٍ

(١ - ١) سقط من: خ، م، ص. والبيت فى المنتظم، ذيل طبقات الحنابلة هكذا:
«حَشْوِيَّةٌ فعليكمُ لَعْنٌ يُزِيركمُ المقابرْ»

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر أبو محمد السراج العشارى صاحب «مصارع العشاق» وغيره من التصانيف العجيبة. وكان حافظًا مبرزًا على أقرانه من أبناء زمانه، سمع الحديث منه الحافظ السلفى، وكان يفتخر بروايته ومن شعره».

(٣) بعده فى الأصل، ص: «وذكر له القاضى ابن خلكان قطعة من أشعاره المستحسنة، وأرخ وفاته فى هذه السنة وقد جاوز الثمانين رحمه الله».

(٤) المنتظم ١٧/ ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٤٨، وميزان الاعتدال ٥/ ٦٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٢٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٠٥.

(٥) الخبر فى: المنتظم ١٧/ ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٤٩، ٢٥٠. والحديث أخرجه أبو داود فى سننه (٥٥٨، ١٢٨٨)، وأحمد فى مسنده ٥/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٥/ ٢٦٨. حسن (صحيح سنن أبى داود ٥٢٢، ١١٤٥).

كِتَابٌ فى عِلِّيِّينَ». فقال: [1]كنارٍ فى غَلَسٍ[1]. ثمَّ فسَّر ذلك بأنَّه أكثرُ لإضاءَتِها.

محمدُ بنُ إبْراهيمَ [2]أبو عبدِ اللَّهِ[2] الأسَدِىُّ الشاعرُ، لَقِىَ [3]أبا الحسنِ[3] التِّهَامِىَّ، وكان مغْرَمًا بما يعارِضُ شعرَه، وقد أقامَ باليمنِ وبالعراقِ، ثم بالحجازِ ثم بخُرَاسَانَ، ومِن شعرِه[4]:

قلتُ ثَقَّلْتُ إذ أتَيْتُ مِرارًا ... قالَ ثَقَّلْتَ كاهِلى بالأيادِى
قلتُ طوَّلْتُ قال لا بل تطوَّ ... لْتَ [5]وأَبْرَمْتُ[5] قالَ حبْلَ الودادِ

يوسفُ بنُ علىٍّ، أبو القاسمِ الزَّنْجَانِىُّ الفَقِيهُ[6]، كان مِن أهلِ الدِّيانَةِ، حكَى عن الشيخِ أبى إسحاقَ، عن القاضى أبى الطَّيِّبِ، قال: كنا يومًا بجامعِ المنصورِ فى حلْقَةٍ، فجاءَ شابٌّ خُرَاسَانِىٌّ، فذكَر حديثَ أبى هريرةَ فى المُصَرَّاةِ[7] فقال الشابُّ: هذا الحديثُ غيرُ مقبُولٍ. فما اسْتَتَمَّ كلامَه حتى سقطَتْ مِن سَقْفِ المسجدِ حيَّةٌ، فنهَضَ الناسُ هارِبينَ فتَبِعتِ الحيَّةُ ذلك الشابَّ مِن بيْنِهم،

(١ - ١) فى خ، م: «كتاب فى غلس»، وفى ص: «كمار فى عليين».
(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «بن عبد اللَّه»، وفى خ، م: «بن عبيد». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر المنتظم ١٧/ ١٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٥، ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٠١.
(٣ - ٣) فى خ، م: «الخنيسى».
(٤) البيتان: فى المنتظم ١٧/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٥.
(٥ - ٥) فى النسخ: «قلت مزقت». والمثبت من المنتظم، والنجوم الزاهرة.
(٦) المنتظم ١٧/ ١٠٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٣٤٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٦.
(٧) فى م: «المطر». والمصراة: الناقة أو البقرة أو الشاة يُصَرَّى اللبن فى ضرعها أى: يُجمع ويُحبس. والحديث رواه مسلم فى صحيحه (١٥٢٤/٢٣). ونصه: «من اشترى شاة مصراة فلينقلب بها، فليحلبها، فإن رضى حِلابها أمسكها، وإلا ردَّها ومعها صاع من تمر».

فقِيلَ له : تُبْ تُبْ . فقال : تُبْتُ ، فذهَبتْ تلك الحيَّةُ فلا يُدْرَى أينَ ذهبَتْ . روَاها ابنُ الجَوْزِيِّ[1] عن شيْخِه أبى المعمَّرِ الأنصارِيِّ ، عن أبى القاسمِ هذا . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٠٦. وانظر مرآة الزمان ٨/ ١، ٢٢، ٢٣.

ثم دخلَتْ سنَةُ إحْدَى وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] جدَّدَ الخليفةُ الخِلَعَ على وزيرِه أبى المَعالِى هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ المُطَّلِبِ ، وأكْرمَه وعظَّمه .

وفى ربيعٍ الآخرِ دخَل السلطانُ محمدٌ إلى بَغْدادَ ، فتلَقَّاه الوزيرُ والأعيانُ ، وأحسنَ إلى أهْلِها ، ولم يتعَرَّضْ أحدٌ مِن جيشِه إلى شىءٍ . وتغضَّبَ السلطانُ غِياثُ الدينِ محمدٌ علَى صَدقةَ بنِ منصورٍ الأسَدِىِّ صاحبِ الحِلَّةِ وتَكْرِيتَ ، بسبَبِ أنَّه آوَى رجُلًا مِن أعدائِه يقالُ له : أبو دُلَفَ سُرْخابُ[2] الدَّيْلَمِىُّ . صاحبُ ساوَةَ ، وبعَث إليه ليُرسلَه إليه ، فلم يفْعَلْ ، فأرسَل إليه جيْشًا فهزَمُوا جيشَه . وقد كان جيشُه عشرينَ ألفَ فارسٍ وثلاثينَ ألفَ راجلٍ ، وقُتِل صَدقةُ فى المعركةِ ، وأُسِر جماعةٌ مِن رُءوسِ أصحابِه ، وأخَذُوا من زوجَتِه خمسَمائَةِ[3] ألفِ دينارٍ[4] ، وجواهرَ نفيسةً .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : وظهَر فى هذه السنةِ صَبِيَّةٌ عمياءُ تتكلَّمُ على أسرارِ الناسِ ، وبالَغ الناسُ فى الحيَلِ ؛ ليعْلَمُوا حالَها فلم يعْلَمُوا . قال ابنُ عقِيلٍ : وأشْكَل أمرُها على العلماءِ والخواصِّ والعوامِّ ، حتى إنها كانت تُسألُ عن نقُوشِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٠٧، والكامل ١٠/ ٤٤١.

(٢) فى الأصل ، خ ، م : « سرحان » .

(٣ - ٣) فى المنتظم ١٧/ ١٠٩: « دينار » .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

الخواتيمِ المقلُوبَةِ الصَّعبةِ ، وعن أنواعِ الفُصوصِ ، وصِفاتِ الأشْخاصِ ، وما فى داخِلِ البَنادقِ من الشَّمعِ والطِّينِ والحَبِّ المختلِفِ والخَرَزِ ، وبالَغ أحدُهم حتى ترَك يدَه على ذكَرِه فقِيلَ لها : ما الذى فى يدِه . فقالَتْ : يحمِلُه إلى أهلِه وعيالِه .

وفيها قدِمَ القاضى [٩/٢٢٠و] فخرُ المُلْكِ أبو علىٍّ بنِ عمارٍ صاحبُ طَرَابُلُسَ إلى بَغْدادَ يسْتَنْفِرُ المسلمينَ على الفِرنْجِ ، فأكْرمَه السلطانُ غِياثُ الدينِ محمدٌ إكْرامًا زائدًا ، وخلَعَ عليه وبعَث معه الجيوشَ الكثيرةَ لقتالِ الفِرنْجِ .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

تميمُ بنُ المُعِزِّ بنِ باديسَ[1] ، صاحبُ إفْريقِيَّةَ ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ خُلُقًا وكرمًا ، وإحسانًا ، ملَك سِتًّا وأربعين سنةً ، وعُمِّرَ تِسْعًا وسبعين سنةً ، وترَك مِن البنينِ أكْثرَ مِن مائةٍ ، ومِنَ البَناتِ ستِّينَ بنْتًا ، وملَكَ مِن بعدِه ولَدُه يَحيى ، [2] ومِن أحسنِ ما مُدِحَ به الأميرُ تميمٌ قولُ الشاعرِ :

أصَحُّ وأعْلَى ما سمِعْنَاهُ فى النَّدَى ... مِنَ الخبَرِ المرْوِىِّ منذُ قديمِ
أحادِيثُ ترْوِيها السُّيولُ عنِ الحَيَا ... عنِ البحْرِ عن كفِّ الأميرِ تميمِ [2]

صَدَقةُ بنُ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ الأسَدِىُّ[3] ، الأميرُ سيفُ الدولةِ ، صاحبُ الحِلَّةِ وتَكْرِيتَ ووَاسِطٍ وغيرِها ، كان كريمًا ، عَفِيفًا ، ذا ذِمَامٍ ، ملْجأً لكلِّ خائفٍ ، يأْمَنُ فى بلادِه ، وتحتَ جَنابِه ، وكان يُحْسِنُ يقرأُ الكتُبَ ،

---

(١) الحلة السيراء ٢/ ٢١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٤٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤١٤.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص. والبيتان لابن رشيق القيروانى، وانظر وفيات الأعيان ١/ ٣٠٤.
(٣) المنتظم ١٧/ ١١١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٤/١/ ١٦٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠) ص ٤٦.

ولا يحْسِنُ الكتابةَ ، وقد اقْتنى كُتبًا كثيرةً جدًّا نَفيسةً ، وكان لا يتزوَّجُ على امرأةٍ قطُّ ، ولا يتسرَّى على سُرِّيَّةٍ[1] ؛ حِفْظًا للذِّمامِ ، ولِئَلَّا يكْسِرَ قلبَ أحَدٍ ، وقد مُدِح بأوصافٍ جميلةٍ كثيرةٍ جدًّا . قُتِل فى بعضِ المعْرَكةِ ، قتَله غلامٌ اسمُه بُزْغَشُ[2] ، وكان له مِن العُمرِ تسعٌ وخمسون سنةً ، ولِيَ منها الإمارةَ إحدى وعشرين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المذكور فى المنتظم ١٧/ ١١١، والكامل ١٠/ ٤٤٩، أن صدقة لم يتزوج على امرأته ، ولا تسرّى عليها .

(٢) فى النسخ : « برغش » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٠٨، والكامل ١٠/ ٤٤٨.

ثم دخلت سنةُ ثِنتَين وخمسِمائةٍ

فى يومِ الجُمُعةِ[1] الثانى والعشرين مِن شعبانَ تزوَّج الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ باللَّهِ بالخاتُونِ بنتِ مَلِكْشَاه، أختِ السلطانِ محمدٍ، على صداقِ مِائةِ ألفِ دينارٍ، ونُثِرَ الذهبُ، وكُتِبَ العَقْدُ بأصْبَهانَ. وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ الأتابِكِ طُغْتِكينَ صاحبِ دِمشقَ وبينَ الفِرنْجِ. وفيها ملَك سعيدُ بنُ حميدٍ العمرِىُّ الحِلَّةَ السَّيْفِيَّةَ. وفيها زادت دِجلةُ زيادةً كثيرةً فغرِقتِ الغَلَّاتُ، فغلَت الأسعارُ بسببِ ذلك غلاءً شديدًا. وحجَّ بالناسِ الأميرُ قايْمازُ.

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الحَسَنُ العَلَوِىُّ[2] **أبو هاشمٍ رئيسُ**[3] **هَمَذانَ**، وكان ذا مالٍ جزيلٍ، صادَرَه السلطانُ بتِسعِمائةِ ألفِ دينارٍ، فلم يَبِعْ فيها عَقارًا ولا غيرَه.

الحسينُ[4] **بنُ علىٍّ، أبو الفوارسِ، ابنُ الخازنِ**، الكاتِبُ المشهورُ بالخطِّ المَنْسُوبِ. تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ منها. قال ابنُ خَلِّكانَ[5]: كتَب بيَدِه خمسَمائةِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٢، والكامل ١٠/ ٤٥٧.

(٢) المنتظم ١٧/ ١١٢، والكامل ١٠/ ٤٧٣، وفيه: أبو هاشم زيد الحسنى العلوى، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٩، وفيه: الحسين أبو على هشيم.

(٣) فى النسخ: «ابن رئيس». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) فى م، والكامل ١٠/ ٤٨٣، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٠: «الحسن». وانظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ٢/ ١٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٥٧، والمختصر فى أخبار البشر ٢/ ٢٢٤.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ١٩١.

خَتْمَةٍ ، مات فجأةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

عبدُ الواحدِ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ ، أبو المحاسِنِ الرُّويانِيُّ[1] ، مِن أهلِ طَبَرِسْتَانَ ، أحدُ أئمةِ الشافعيَّةِ ، وُلد سنةَ خمسَ عشْرةَ وأربعِمائةٍ ، ورحَل إلى الآفاقِ حتى بلَغ ما وراءَ النهرِ ، وحصَّلَ علُومًا جَمَّةً ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وصنَّفَ كتُبًا فى المذهبِ ، من ذلك « البَحْرُ » فى الفُروعِ ، وهو حافلٌ كاملٌ شاملٌ للغرائبِ وغيرِها ، وفى المَثَلِ : حَدِّثْ عنِ « البحرِ » ولا حرَجَ . وكان يقولُ : لو احترقَتْ كتُبُ الشافِعىِّ أمليتُها مِن حفْظِى[2] . قُتِل ظُلْمًا يومَ الجُمُعةِ ، وهو يومُ عاشُوراءَ فى الجامِعِ بطَبرِستانَ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : أخَذ الفقهَ عن ناصرٍ المَرْوَزِىِّ وعلَّقَ عنه ، وكان للرُّويانِىِّ الجاهُ العظيمُ ، والحُرْمَةُ الوافرةُ فى تلك [٩/٢٢٠ظ] الديارِ ، وكان نظامُ المُلكِ كثيرَ التعظيمِ له ، وقد صنَّفَ كُتبًا فى الأصولِ والفُروعِ ؛ منها « بحرُ المَذْهبِ » ، وكتابُ « مَناصِيصِ الإمامِ الشافِعىِّ » ، وكتابُ « الكافِى » ، و « حِلْيَةِ المؤمنِ » ، وله كتبٌ فى الخلافِ أيضًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

يحيى بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ بِسْطامٍ ، الشَّيْبانىُّ التِّبْرِيزِىُّ[4] ، **أبو زكريَّا** ، أحدُ أئمةِ اللغةِ والنحْوِ ، قرَأ على أبى العَلاءِ وغيرِه . وتخرَّجَ به جماعةٌ ؛

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٦٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٩٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ١١٣، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٨.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٩٨.

(٤) المنتظم ١٧/ ١١٤، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٢٥، ووفيات الأعيان ٦/ ١٩١، وإنباه الرواة ٤/ ٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٩. ولم يذكر ابن كثير لقبه الشهير : الخطيب .

منهم أبومنْصورٍ ابنُ الجَوالِيقىِّ. قال ابنُ ناصرٍ[1]: وكان ثقةً فى النَّقْلِ، وله المصنَّفاتُ الكثيرةُ. وقال ابنُ خَيْرُونَ[2]: لم يكُنْ مرْضِىَّ الطريقةِ. تُوفِّى فى جُمادَى الآخرةِ، ودُفِنَ إلى جانبِ الشيخِ أبى إسحاقَ الشِّيرازِىِّ ببابِ أَبْرَزَ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق.

ثم دخَلت سنةُ ثلاثٍ وخمسِمائةٍ

فيها[1] أخَذتِ الفِرنجُ، لعَنهم اللَّهُ، مدينةَ طَرابُلُسَ، وقتَلُوا مَن فيها مِن الرجالِ، وسبَوُا الحريمَ والأطفالَ، وغنِمُوا الأمْتِعةَ والأموالَ، ثم أخَذُوا مدينةَ جَبَلةَ[2] بعدَها بعشْرِ ليالٍ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العَلِيِّ العظيمِ الكبيرِ المتعالِ، وقد هرَبَ منهم فخرُ المُلكِ بنُ عمَّارٍ، فقصَد صاحِبَ دمشقَ طُغْتِكينَ، فأكرَمه وأقطَعه بلادًا كثيرةً.

وفيها وثَب بعضُ الباطِنيَّةِ على الوزيرِ أبى نَصْرٍ أحمدَ بنِ نظامِ المُلكِ فجرَحه، ثم أُخِذَ الباطِنيُّ فسُقِىَ الخمرَ، فأقَرَّ على جماعةٍ من الباطنيَّةِ، فأُخِذُوا فقُتِلُوا. وحجَّ بالناسِ الأميرُ قايْمازُ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أحمدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ، أبو بكرٍ العُلْثِىُّ[3]، كان يعمَلُ فى تَجصِيصِ الحيطانِ، ولا ينقُشُ صورةً، ولا يأخذُ مِن أحَدٍ شيئًا، وكانت له أملاكٌ يَبيعُ منها

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٧، والكامل ١٠/ ٤٧٥.

(٢) فى الأصل، ص، والكامل ١٠/ ٤٧٦: «جبيل». وهو تحريف، والصحيح ما أثبتناه، فجبيل سقطت قبل طرابلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وبقيت جبلة وفيها ابن عمار. وانظر الكامل ١٠/ ٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٧.

(٣) فى النسخ: «العلوى»، والمثبت من مصادر ترجمته، انظر طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٥، والمنتظم ١٧/١١٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٧٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٠٤.

ويتقَوَّتُ ، وقد سمِعَ الحديثَ مِنَ القاضى أبى يَعْلَى ، وتفقَّه عليه شيئًا من الفِقْهِ ، وكان إذا حجَّ يزورُ القبورَ بمَكَّةَ ، فإذا وصَل إلى قَبْرِ الفُضيْلِ بنِ عِيَاضٍ يخُطُّ إلى جانبِه خطًّا بعَصاه ويقولُ[1] : يارَبِّ ، هَـلهُنا ، فَقُدِّرَ أنَّه حجَّ فى هذه السنَةِ ، فوقَفَ بعرفاتٍ مُحْرِمًا ، فتُوفِّى بها من آخرِ ذلك اليومِ ، فغُسِّلَ وكُفِّنَ وطِيفَ به حولَ البيتِ ، ثم دُفِنَ إلى جانبِ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ فى ذلك المكانِ الذى كان يخطُّه ، ولما بلَغ الناسَ وفاتُه ببغدادَ اجتمعَوا للصلاةِ عليه صلاةَ الغائبِ ، رحِمهُ اللَّهُ .

عمرُ بنُ عبدِ الكَريمِ بنِ سَعْدَوَيْهِ ، أبو الفِتْيانِ الدِّهِسْتانىُّ[2] ، رحَل فى طلبِ الحديثِ ، ودارَ الدنيا ، وخرَّج وانتخَب ، وكان له فهْمٌ بهذا الشأنِ ، وكان ثقةً ، وقد صحَّحَ عليه أبو حامدٍ الغَزَّالِىُّ كتابَ « الصحيحَيْنِ » . وكانت وفاتُه بسَرْخَسَ فى هذه السنَةِ .

محمدٌ ، ويعْرَفُ بأخِى حَمَّادى[3] ، كان أحدَ الصُّلَحاءِ الكِبارِ ، كان به مرضٌ مزمِنٌ ، فرأَى النبىَّ ﷺ فى المنامِ فعُوفِىَ ، فلزِم مسجدًا له أرْبعِينَ سنةً ، لا يخرجُ إلَّا إلى الجُمُعةِ ، وانقطَع عن مُخالطةِ الناسِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، ودُفِن فى زاويةٍ بالقربِ من قبرِ أبى حنيفةَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١١٨.

(٢) فى خ ، م : « الدهقانى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣١ (مخطوط) ، والمنتظم ١٧/ ١١٨، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٨٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ١١٨.

ثم دخلت سنةُ أربعٍ وخمسِمائةٍ

فى أولِ هذه السنةِ[1] تجهَّزَ جماعةٌ من الفقهاءِ البغَادِدةِ وغيرِهم، وفيهم [٢٢١/٩و] ابنُ الزَّاغُونىِّ، للخروجِ إلى الشامِ ليُقاتِلوا الفِرنجَ، لعَنهم اللَّهُ، وذلك حينَ بلَغهم أنَّهم قد فتَحُوا مَدائِنَ عِدَّةً، من ذلك مدينةُ صَيدَا فى ربيعٍ الأوَّلِ، وكذا غيرُها مِن المدائنِ، ثم رجَع كثيرٌ منهم حِينَ بلَغَهم كثرةُ الفِرنْجِ.

وفيها قدِمت خاتونُ بنتُ مَلِكْشَاه زوَجةُ الخليفةِ إلى بغدادَ، فنزَلَتْ فى دارِ أخيها السلطانِ محمدٍ، ثم حُمِلَ جِهازُها على مِائةٍ واثْنينِ وستِّين جملًا، وسبْعَةٍ وعشرينَ بغْلًا، وزُيِّنَتْ بغدادُ لقُدومِها، وكان دخولُها على الخليفةِ فى الليلةِ العاشِرَةِ مِن رمضانَ، وكانت ليلةً مشْهُودةً.

وفى شعبانَ درّسَ أبو بكرٍ الشَّاشِىُّ بالنِّظامِيَّةِ مع التاجِيَّةِ، وحضَر عندَه الوزيرُ والأعْيانُ من الدَّولةِ وغيرِهم. وحجَّ بالناسِ الأميرُ قايْماز، ولم يتمكَّنِ الخُرَاسَانِيّونَ مِن الحَجِّ؛ مِن كثْرةِ العطشِ وقِلَّةِ الماءِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إدريسُ بنُ حَمْزةَ، أبو الحسَنِ الشَّامِىُّ[2] الرَّمْلِىُّ العُثمانىُّ، أحدُ فُحولِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٠.

(٢) فى م: «الشاشى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٢١، والكامل ١٠/ ٤٨٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى٧/ ٤٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٨٤.

المُناظِرينَ عن مذهبِ الشافعيِّ ، تفقَّه على نصرِ بنِ إبراهيمَ ، ثم ببَغْدادَ على أبى إسحاقَ الشِّيرازِيِّ ، ودخَل خُرَاسَانَ حتى وصَل إلى ما وراءَ النهرِ ، وأقامَ بسَمَرْقَنْدَ ، ودرَّس بمدْرَستِها إلى أنْ تُوفِّى بها فى هذه السنَةِ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ ، عمادُ الدِّينِ ، أبو الحسَنِ الطَّبَرِىُّ[1] ، ويُعرفُ بإِلْكِيَا الهَرَّاسِىِّ ، أحدُ الفقهاءِ الكبارِ ، مِن رءوسِ الشافِعيَّةِ ، وُلِد سنةَ خمسينَ وأرْبَعِمائةٍ ، واشْتَغَلَ على إمامِ الحرَمَيْنِ ، وكان هو والغَزَّالِىُّ أكبرَ التلامذةِ ، وقد وَلِىَ كلٌّ منهما تدْريسَ النِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وكان فصِيحًا جَهْوَرِىَّ الصوتِ جميلًا . وكان يكَرِّرُ الدَّرسَ على كلِّ مَرْقَاةٍ مِن مَراقِى دَرَجِ النظَامِيَّةِ بنَيْسَابُورَ سَبْعَ مراتٍ ، وكانتِ المراقِى سبعِين مرقاةً . وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وناظَر وأفْتَى ودرَّس ، وكان مِن أكابرِ العلماءِ وساداتِ الفقهاءِ ، وله كتابٌ يردُّ فيه على ما انْفرَد به الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ ، فى مجلَّدٍ ، وله غيرُه مِن المصنَّفاتِ . وقد اتُّهِمَ فى وقتٍ بأنَّه يُمالِئُ الباطِنِيَّةَ ، فَنُزِعَ منه التدريسُ ، ثم شهِدَ جماعةٌ مِن العلَماءِ ببَراءَتِه مِن ذلك ، منهم ابنُ عَقِيلٍ ، فأُعِيدَ إليه . وكانت وفاتُه يومَ الخميسِ مُسْتَهَلَّ المُحَرَّمِ من هذه السنةِ عن أربعٍ وخمسينَ سنةً ،ودُفِن إلى جانبِ الشيخ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، رحِمهما اللَّهُ . وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] أنَّه كان يحفَظُ الحديثَ ويناظِرُ به ، وهو القائلُ : إذا جالَت فُرْسانُ الأحاديثِ فى ميادينِ الكفاحِ ، طارَت رُءوسُ المقاييسِ فى مَهابِّ الرِّياحِ . وحكَى السِّلَفِىُّ عنه أنَّه استُفْتِىَ فى كَتَبَةِ الحديثِ ، هل يدخلُون فى الوصيَّةِ للفُقهاءِ؟ فأجاب : نعم ؛ لقولِه ﷺ : « مَنْ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٩٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٣١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٧.

حَفِظَ عَلَى أُمَّتِى أرْبَعِينَ حَدِيثًا بَعَثَهُ اللَّهُ فَقِيهًا عَالِمًا »[1] . وأنَّه استُفْتِىَ فى يزِيدَ بنِ معاويةَ ، فذكَر عنه ثَلْبًا وفِسقًا ، وسوَّغ شتْمَه ، وأمَّا الغزَّالِىُّ فإنَّه خالَف فى ذلك ، ومنَع مِن لعنِه ؛ لأنَّه مسلمٌ ، ولم يثبُتْ أنَّه رَضِىَ بقتلِ الحُسينِ ، ولو ثبَت لم يكُنْ ذلك مُسوِّغًا للَعْنِه ، لأنَّ القاتِلَ لا يُلعنُ ، لا سِيَّما وبابُ التوبةِ مفتوحٌ ، وهو الذِى يقْبَلُ التَّوْبةَ عَنْ عِبادِه . قال : وأمَّا الترحُّمُ عليه فجائزٌ ، بل مُستحبٌّ ، بل نحنُ نترحَّمُ عليه فى جملةِ المؤمنين والمسلمين ، عُمومًا فى الصَّلواتِ . ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[2] مبُسوطًا بلفظِه فى ترجمةِ إلكِيا هذا ، قال : وإلكِيا معناه : كبيرُ القَدْرِ ، المُقْدَّمُ المُعَظَّمُ .

---

(١) الحديث أخرج طرقه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » ١/١١١ - ١١٨، ثم قال فى ص ١١٩: هذا حديث لا يصح عن رسول اللّه ﷺ ، ونقل عن الدارقطنى فى ص ١٢١ قوله : « كل طرق هذا الحديث ضعاف ولا يثبت منها شىء » . وقال النووى رحمه اللّه فى الأربعين النووية ص ٧: « واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه » .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٨، ٢٨٩.

ثم دخلت سنةُ خمسٍ وخَمسِمائةٍ

فيها[1] بعَث السلطانُ غِيَاثُ الدينِ محمدٌ جيشًا [٩/٢٢١ظ] كثيفًا ، صُحْبَةَ الأميرِ مَودودِ [2]بنِ التوتِكينِ[2] صاحبِ المَوْصِلِ ، وسُكْمانَ القُطْبِيِّ ، صاحبِ تِبْرِيزَ ، وأحمدِيلَ[3] صاحِبِ مَراغةَ ، [4]والأميرِ[4] إيلْغازِى[5] صاحبِ مَارِدِينَ ، والمقدمُ على الجميعِ الأميرُ مودودٌ صاحبُ المَوْصِلِ ، لقتالِ الفِرنْجِ بالشامِ ، فانتزَعُوا مِن أيْدِى الفِرنْجِ حُصونًا كثيرةً ، وقتَلُوا منهم خلْقًا كثيرًا .

ولمَّا دخَلُوا دمشْقَ ، دخَل الأميرُ مودودٌ إلى جامعِها ليصَلِّىَ فيه ، فجاءَه باطِنِىٌّ فى زىِّ سائل يطلُبُ منه شيئًا ، فلمَّا اقْترَبَ منه ضرَبه فى فؤادِه فمات مِن ساعتِه ، فلعنةُ اللَّهِ على هذا الباطنىِّ ، ووُجِد رجلٌ أعْمَى فى سطحِ الجامعِ ببغدادَ ومعه سكِّينٌ مسْمومٌ ، فقيلَ : إنَّه كان يريدُ قتلَ الخليفةِ .

وفى هذه السنةِ وُلِد للخليفةِ من بِنتِ السلطانِ ولدٌ ذكرٌ ، فضُرِبَتِ الدبادِبُ والبُوقاتُ ، وجلَس الوزيرُ ببابِ الفِردوسِ للهَناءِ .

وفيها توفِّى أخو الخليفةِ ، فقُطِع الطَّبلُ أيّامًا ، وجلَس الوزيرُ ببابِ الفردوسِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٣، والكامل ١٠/ ٤٨٥.

(٢ - ٢) سقط من خ ، وفى الأصل : « بن ابوربكس » ، وفى م : «بن زنكى » ، وفى ص : « أتموربكير » ، وفى الكامل ١٠/ ٤٥٧ : « بن التونتكين » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٩٤ : « بن ألتونكين » ، والمثبت من وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠.

(٣) فى الأصل : « واجهز » وفى خ : « أحمد بيك » ، وفى ص : « أحمد بل » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، خ ، ص : « وولد » . وانظر الكامل ١٠/ ٤٨٥.

(٥) فى الأصل : « ابلعارى » ، وفى ص : « البلغازى » ، وفى خ : « الغازى » ، وانظر : الكامل ١٠/ ٤٨٥.

للعزاءِ، وهكذا الدنيا قَرْضٌ؛ هذا يُعَزَّى وهذا يُهَنَّى.

وفى رمضانَ عُزِل الوزيرُ أحمدُ بنُ النِّظَامِ، وكانت مدَّةُ وِزارَتِه أربعَ سنينَ وأحدَ عشَرَ شهرًا.

وفيها حاصَرتِ الفِرنْجُ مدينةَ صُورَ، وكانتْ بأيْدِى المصريين، عليها عِزُّ المُلْكِ الأعَزُّ مِن جِهَتِهم، فقاتَلهم قِتالًا عظيمًا، ومنَعَها منْعًا جيِّدًا، حتى فَنِى ما عندَه مِن النُّشَّابِ والعُدَدِ، فأمدَّه طُغْتِكينُ صاحِبُ دمشقَ، وأرسَل إليه العُدَدَ والآلاتِ، فقَوِى جانِبُه وترحَّلتْ عنه الفِرنْجُ فى شوَّالٍ منها. وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ نظَرٌ[1] الخادِمُ، وكانت سنةً مُخْصِبَةً.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ، أبو حامدٍ الغَزّالىُّ[2]، وُلِد سنةَ خمسين وأربعِمائَةٍ، وتفَقَّهَ على إمامِ الحرَمَيْنِ، وبرَع فى علومٍ كثيرةٍ، وله مصنَّفاتٌ منْتَشِرةٌ فى فُنونٍ مُتَعدِّدَةٍ، فكان مِن أذكياءِ العالَمِ فى كلِّ ما يتكلَّمُ فيه، وسادَ فى شَبِيبَتِه حتى إنَّه درَّس بالنِّظامِيَّةِ ببغدادَ، فى سنةِ أربعٍ وثمانين، وله أربعٌ وثلاثون سنةً، فحضَر عندَه رُءوسُ العلماءِ فى ذلك الوقتِ، وكان ممّن حضَر عندَه ابنُ عَقيلٍ وأبو الخطَّابِ، مِن رُءوسِ الحنابلةِ، فتعَجَّبُوا مِن فَصاحَتِه واطِّلاعِه. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3]: وكتَبوا كلامَه فى مصنَّفاتِهم، ثم إنَّه خرَج عن الدنْيا بالكُلِّيَّةِ، وأقبَل

---

(١) فى خ، م، وإتحاف الورى ٢/٣: «قطز»، وفى ص: «مطر». وانظر الكامل ١٠/٥٤٥، وتاج العروس (ن ظ ر). وكذا فيما يأتى من مواضع.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٢٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١١٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٩١.

(٣) المنتظم ١٧/ ١٢٥.

على أعْمالِ الآخرةِ ، فكان يرْتَزِقُ مِن النَّسْخِ ، ورحَل إلى الشامِ فأقامَ بدمشقَ وبَيْتِ المَقْدِسِ مدّةً ، ثم إنّه صَنَّف فى هذه المدّةِ كتابَه « إحْيَاءَ علومِ الدِّينِ » ، وهو كتابٌ عجيبٌ ، يشتمِلُ على علومٍ كثيرةٍ مِن الشَّرْعِيَّاتِ ، ومَمْزوجٌ بأشياءَ لطيفةٍ مِن التصوُّفِ وأعمالِ القلُوبِ ، ولكِنْ فيه أحاديثُ كثيرةٌ غرائبُ ومُنْكَراتٌ ، ومنها ما هو موضوعٌ ، كما يُوجَدُ فى غيرِه مِن كُتُبِ الفُروعِ التى يُسْتدَلُّ بها على الحلالِ والحرامِ ، فالكتابُ الموضُوعُ للرقائقِ والترْغِيبِ والترْهيبِ أسْهَلُ أمْرًا مِن غيرِه ، وقد شنَّع عليه أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِىِّ[1] ، ثم ابنُ الصَّلاحِ ، فى ذلك تشْنِيعًا كبيرًا ، وأرادَ المازَرِىُّ أن يحرِقَ كتابَه « إحياءَ علومِ الدينِ » ، وكذلك غيرُه مِن المغارِبَةِ[2] ، وقالوا : هذا كتابُ إحْياءِ علُومِ دينِه ، وأمَّا دِينُنا فإحْياءُ علومِه كتابُ اللَّهِ وسنةُ رسولِه . كما قد حكَيتُ كلامَه فى ترجَمتِه من طبقاتِ الشافعيَّةِ ، وقد زيَّفَ ابنُ سُكَّرٍ[3] مواضِعَ إحْياءِ علُومِ الدِّينِ ، وبيَّنَ زَيْفَها فى مصنَّفٍ مفيدٍ ، وقد كان الغزّالىُّ يقولُ[4] : أنا مُزْجَى البِضاعَةِ فى الحديثِ . ويقالُ[5] : إنَّه مالَ فى آخرِ عمرِه إلى سماعِ الحديثِ والتحَفُّظِ « للصحيحَيْن » . وقد صَنَّف ابنُ الجَوْزِىِّ[6] كتابًا على « الإحْياءِ » وسّماه « إعلامَ الأحْياءِ بأغاليطِ الإحْياءِ » ، قال ابنُ الجَوْزِىِّ[7] : ثم ألْزَمه بعضُ الوزراءِ بالخُروجِ إلى نَيْسَابُورَ ، فدرَّسَ بنِظامِيَّتِها ، ثم

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٥، ١٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٠، ولم يصرح فيه المازرى بحرق كتبه ، بل ذكر قائلا : « وطائفة لكتبه أحرقت » .

(٣) فى خ ، م : « شكر » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ١٢٦، وطبقات الشافعية ٦/ ٢٤٩، بنحوه .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٥، ٣٢٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٢١٠.

(٦) المنتظم ١٧/ ١٢٥.

(٧) المنتظم ١٧/ ١٢٦.

عاد إلى بلدِه طُوسَ ، وابْتنَى [٢٢٢/٩و] بها رِباطًا ، واتخَذَ دارًا حسَنةً ، وغرَس فيها بُسْتانًا أنيقًا ، وأقبَلَ على تلاوةِ القرآنِ وحِفْظِ الأحاديثِ الصِّحاحِ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ الرابعَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بطُوسَ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى ، وقد سألَه بعضُ أصحابِه وهو فى السِّياقِ فقال[1] : أوْصِنى ، فقال له : عليكَ بالإخلاصِ ، فلم يَزَلْ يُكرِّرُها حتى ماتَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٧.

ثم دخلتْ سنةُ سِتٍّ وخَمْسِمائةٍ[1]

فى جُمادَى الآخرةِ منها جلَس ابنُ الطَّبَرِىِّ مدرِّسًا بالنِّظامِيَّةِ ، وعُزِلَ عنها الشَّاشِىُّ . وفيها دخَل الشيخُ الصالحُ أحدُ العُبّادِ يوسفُ بنُ أيوبَ[2] إلى بَغْدادَ ، فوعَظ الناسَ ، وكان له القَبُولُ التامُّ ، وكان فقيهًا شافعِيًّا ، تَفَقَّه بالشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ، ثم اشْتَغَل بالعبادةِ والزَّهادةِ ، فكانتْ له أحْوالٌ صالحةٌ ، جارَاه مرَّةً رجلٌ يقالُ له : ابنُ السَّقّاءِ فى مسألةٍ ، فقال له : اسْكُتْ ؛ فإنِّى أجِدُ مِن كلامِكَ رائحةَ الكُفْرِ ، ولعَلَّكَ أنْ تموتَ على غيرِ دينِ الإسْلامِ ، فاتَّفَق بعدَ مدَّةٍ أنَّه خرَج[3] إلى بلادِ الرومِ فى حاجَةٍ فتنَصَّرَ هناك ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، وحسبُنا اللَّهُ ونعمَ الوكيلُ ، على اللَّهِ توكلنا . وقام إليه مرَّةً ، وهو يعِظُ الناسَ ، ابْنَا أبى بكرٍ الشَّاشِىِّ ، فقالا له[4] : إنْ كنتَ تتكلَّمُ ، على مذْهبِ الأشْعَرِىِّ ، وإلَّا فاسْكُتْ . فقال : لا مُتِّعْتُما بشَبابِكُما . فماتَا ولم يبْلُغَا سنَّ الكُهولَةِ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ أميرُ الجيوشِ نظَرٌ الخادِمُ ، ونالَهمْ عطَشٌ شديدٌ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

صاعِدُ بنُ منصورِ بنِ إسماعيلَ بنِ صاعدٍ ، أبو العَلاءِ ، الخطيبُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٢٨، والكامل ١٠/ ٤٩٢.

(٢) فى م : « داود » .

(٣) بعده فى خ ، م : « ابن السقا » .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٢٨.

النَّيْسَابُورِىُّ[1] ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، ووَلِىَ الخَطابةَ بعدَ أبيه والتدْرِيسَ والتَّذْكِيرَ ، وكان أبو المَعالِى الجُوَيْنِىُّ يُثْنِى عليه ، وقد وَلِى قَضاءَ خُوارِزْمَ .

محمدُ بنُ مُوسى بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ البلاساغُونِىُّ[2] **التركىُّ الحنفىُّ ، ويعْرَفُ باللَّامِشىِّ** ، أوْرَدَ عنه الحافظُ ابنُ عساكِرَ حديثًا[3] ، وذكَرَ أنَّه وَلِى قضاءَ بيتِ المَقْدِسِ ، فشكَوْا منه فعُزِلَ عنها ، ثم وَلِىَ قضاءَ دِمَشْقَ ، وكان غاليًا فى مذهبِ أبى حنيفةَ ، وهو الذى رتَّبَ الإقامةَ مَثْنَى مَثْنَى ، قال : إلى أن أزالَ اللَّهُ ذلك بدوْلَةِ المَلِكِ صلاحِ الدِّينِ .

قال : وكان قد عزَم على نَصْبِ إمامٍ حنَفِىٍّ بالجامعِ ، فامتنَع أهلُ دِمَشْقَ مِن ذلك ، وامْتنَعُوا مِنَ الصلاةِ خلفَه ، وصلَّوا بأجمعِهم فى دارِ الخَيْلِ ، وهى التى قِبْلِىَّ الجامعِ مكانَ المدْرسةِ الأمِينِيَّةِ وما يجاوِرُها ، وحدُّها الطُّرقاتُ الأرْبعَةُ ، وكان يقولُ : لو كانتْ لى الوِلايَةُ لأخَذْتُ مِن أصْحابِ الشافِعِىِّ الجِزْيَةَ ، وكان مُبْغِضًا لأصْحابِ مالكٍ أيضًا . قال : ولم تكُنْ سيرتُه فى القضاءِ محمودةً ، وكانتْ وفاتُه يومَ الجُمُعةِ الثالثَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخرةِ منها . قال[4] : وقد شهِدْتُ جِنازتَه وأنا صغيرٌ فى الجامعِ .

---

(١) المنتخب من السياق ص ٢٦٠، والمنتظم ١٧/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٤٠، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٤١، والجواهر المضية ٢/ ٢٦٨.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/١٦ (مخطوط)، وميزان الاعتدال ٤/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١هـ - ٥١٠هـ) ص ١٤٧، والوافى بالوفيات ٥/ ٨٧، وعيون التواريخ ١٢/ ١٣.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦/١٦ (مخطوط).

(٤) تاريخ دمشق ٣٧/١٦ (مخطوط).

المعمَّرُ بنُ [1]**عليِّ بنِ**[1] **المعمَّرِ، أبو سعدِ بنُ أبى عِمامَةَ**[2] الواعِظُ، كان فصيحًا بليغًا ماجنًا ظريفًا ذكيًّا، له كلماتٌ فى الوَعْظِ حسنَةٌ ورسائلُ مَسْمُوعَةٌ مُسْتَحسنَةٌ، تُوفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ، ودُفِنَ ببابِ حربٍ.

أبو عليٍّ المغربىُّ[3]، كان عابدًا زاهدًا وَرِعًا، يتقَوَّتُ بأدْنَى شىءٍ، ثم عَنَّ له أن يشتغِلَ بعلمِ الكِيمياءِ. فأُخِذَ إلى دارِ الخلافةِ، فلم يظْهَرْ له خبَرٌ بعدَ ذلك.

نُزْهةُ[4] أمُّ ولَدٍ للخليفةِ المستظهرِ باللَّهِ المُقتفِى لأمرِ اللَّهِ، كانتْ سَوْداءَ مُحْتَشِمَةً كريمةَ النفْسِ، تُوفِّيَتْ يومَ الجُمُعةِ ثانِى عشَرَ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ.

أبو سَعْدٍ السَّمْعانِىُّ[5]، مصنِّفُ «الأَنْسابِ» وغيرِه، وهو تاجُ الإسْلامِ عبدُ الكَريمِ بنُ أبى بكرٍ محمدِ بنِ أبى المُظَفَّرِ المنْصورِ بنِ عبدِ الجبّارِ، السَّمْعَانِىُّ، المروَزِىُّ، الفقيهُ الشافِعىُّ، الحافظُ المحدِّثُ، قِوامُ الدِّينِ، أحدُ الأئمةِ المصنِّفينَ المُنصِفين، رحَل وسمِع الكثيرَ حتى كتَب عن أربعةِ آلافِ شيخٍ، وصنَّفَ «التفْسِيرَ» و «التارِيخَ» و «الأنسابَ» و «الذَّيْلَ» على تاريخِ الخطيبِ

(١ - ١) سقط من النسخ، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٥٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٠٧.

(٢) فى الأصل: «عماية». وفى خ، م: «عمار» وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٣) فى خ، م: «المعرى»، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٢٨، والكامل ١٠/ ٤٩٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٤٣٧.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٣٣ (مخطوط)، والمنتظم ١٨/ ١٧٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١١٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٠، وقد أجمعت المصادر المذكورة على أنه توفى سنة ثنتين وستين وخمسمائة، إلا المنتظم ففيه أنه توفى سنة ثلاث وستين وخمسمائة. والتاريخ الذى ذكره المصنف هنا هو تاريخ مولده.

البَغْدادِيِّ ، وذكَر له ابنُ خَلِّكانَ مصنَّفاتٍ عديدةً جدًّا[1] ؛ منها كتابُه الذى جمَع فيه ألفَ حديثٍ عن مائةِ شيخٍ ، وتكلَّم عليها إسْنَادًا ومَتْنًا ، وهو مفيدٌ جدًّا ، رحِمهُ اللَّهُ .

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٠.

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وخمسمائةٍ

فيها[1] كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بينَ المسلمين والفِرنْجِ فى أرْضِ طَبَرِيَّةَ، كان فيها مَلِكُ دِمَشْقَ الأتابِكُ طُغتِكِينُ، وفى خدمتِه صاحِبُ سِنْجارَ، وصاحِبُ مَارِدِينَ، وصاحِبُ الموْصِلِ، فهزَمُوا الفِرنْجَ هزيمةً فاضِحةً، وقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا، وغَنِمُوا منهم أموالًا جزيلةً، وملَكُوا تلك النواحِىَ كلَّها، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ، ثم رجَعُوا إلى دِمَشْقَ، [٩/٢٢٢ظ] فذكَر ابنُ السَّاعِى فى «تاريخِه» مقْتَلَ الملكِ موْدودٍ صاحبِ المَوْصِلِ فى هذه السنَةِ، قال[2]: صلَّى هو والأتابِكُ طُغْتِكِينُ يومَ الجُمُعةِ بالجامعِ، ثم خرَجا إلى الصَّحْنِ ويَدُ كلِّ واحدٍ منهما فى يَدِ الآخرِ، فطفَرَ باطِنِىٌّ على مَوْدُودٍ فقتَله، رحِمه اللَّهُ، ويُقالُ: إنَّ طُغتِكِينَ هو الذى مَالأ عليه. فاللَّهُ أعلمُ. وجاءَ كتابٌ مِنَ الفِرنْجِ إلى المسلمينَ وفيه[3]: إنَّ أمَّةً قتلَت عميدَها، فى يومِ عيدِها، فى بَيْتِ مَعْبُودِها لَحقيقٌ على اللَّهِ أن يُبِيدَها.

وفيها ملَكَ حَلَبَ ألبُ أرْسَلَانَ بنُ رِضْوَانَ بنِ تُتُشَ بعدَ أبيه، وقامَ بأمْرِ السَّلْطَنةِ بينَ يديهِ لؤلؤٌ الخادِمُ، فلم يَبْقَ معه سِوَى الرَّسْمِ.

وفيها فُتِحَ المَارَسْتَانُ الذى أنشَأه كُمُشْتِكِينُ الخادِمُ ببَغْدادَ. وحجَّ بالناسِ زَنْكِى بنُ بُرْسُقَ[4].

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٣٣، والكامل ١٠/ ٤٩٥.

(٢) عيون التواريخ ١٢/ ٢١، والكامل ١٠/ ٤٩٦، ٤٩٧.

(٣) الكامل ١٠/ ٤٩٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٢١.

(٤) فى الأصل: «يوسف»، وفى خ، م: «برشق». وانظر المنتظم ١٧/ ١٣٣.

وممن تُوفِّى فيها منَ الأعيانِ :

إسْماعيلُ بنُ الحافظِ أبى بكرٍ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ البَيْهَقِىُّ[1] ، سمِعَ الكثيرَ وتنقَّلَ فى البلادِ ، ودرَّسَ بمدينَةِ خُوارِزْمَ ، وكان فاضلًا مِن أهلِ الحديثِ ، مَرْضِىَّ الطريقَةِ ، وكانتْ وفاتُه ببلَدِه بَيْهَقَ[2] فى هذه السنَةِ .

شُجَاعُ بنُ أبى شُجاعٍ فارِسِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ فارِسٍ ، أبو غالبٍ الذُّهْلِىُّ[3] ، الحافظُ سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وكان فاضلًا فى هذا الشأنِ ، وشرَعَ فى تتْمِيمِ « تارِيخِ الخطيبِ » ، ثم غسَلَه ، وكان يُكثِرُ مِن الاسْتِغْفارِ والتوبَةِ ؛ لأنَّه كتَب شعرَ ابنِ الحجَّاجِ سبعَ مراتٍ . تُوفِّى فى هذا العامِ عن سبْعٍ وسبعينَ سنةً .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسْحاقَ بنِ الحسن[4] **بنِ مَنْصورِ ابنِ مُعاويةَ بنِ محمدِ بن عثمانَ** [5]**بنِ عنبسَةَ بنِ عُتْبَةَ بنِ عثمانَ بنِ عَنبسةَ**[5] **بنِ أبى سُفْيانَ صَخْرِ**[6] **بنِ حَرْبٍ الأُمَوىُّ ، أبو المُظفَّرِ بنُ أبى العَبَّاسِ الأَبِيوَرْدِىُّ** ، الشاعرُ . كان عالمًا باللغةِ والأنْسابِ ، سمِع الكثيرَ ، وصنَّفَ « تارِيخَ أبِيوَرْدَ » ، و « أنْسَابَ العربِ » ، وله كتابٌ فى المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ ، وغيرُ ذلك ، وكان يُنسَبُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٥٦، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٤، وطبقات الشافعية ٧/ ٤٤.

(٢) ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور. معجم البلدان ١/ ٨٠٤.

(٣) المنتظم ١٧/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٠. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٤١.

(٤) فى النسخ : « الحسين » . والمثبت من مصادر الترجمة التالية : المنتظم ١٧/ ١٣٥، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٣٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٨٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٧، وطبقات الشافعية ٦/ ٨١.

(٥ - ٥) فى النسخ : « عتبة بن عنبسة بن معاوية » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٦) فى م : « بن صخر » .

إلى الكِبْرِ والتِّيهِ الزائدِ، حتى إنَّه كان يدْعُو فى صلاتِه فيقولُ: اللَّهُمَّ ملِّكْنِى مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها. وكتَب مرَّةً إلى الخليفةِ: الخادمُ المعاوِىُّ. فكشَطَ الخليفةُ الميمَ فبقِيتِ العاوِىَّ. ومِن شعرِه قولُه[1]:

تنَكَّرَ لى دهْرِى ولم يدْرِ أننى ... أعِزُّ وأحْداثُ الزمانِ تَهُونُ
وظلَّ يُرِينِى الخطْبَ[2] كيف اعتداؤه[3] ... وبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ

محمدُ بنُ طاهرِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ، أبو الفَضْلِ المَقْدِسِىُّ[4]، الحافظُ، وُلِد سنَة ثمانٍ وأرْبعينَ وأربعِمائةٍ، وأوَّلُ سماعِه سنةَ ستِّينَ، وسافَر فى طلَبِ الحديثِ إلى بلادٍ كثيرةٍ، وسمِعَ كثيرًا، وكانت له معْرفةٌ جيِّدةٌ بهذه الصِّناعةِ، وصنَّفَ كُتُبًا مفيدةً، غيرَ أنَّه صنَّفَ كتابًا فى إباحَةِ السَّماعِ وفى التصوُّفِ، واستعمَل فيه أحاديثَ منكَرةً جدًّا، وأوْرَدَ أحاديثَ صحيحةً فى غيرِ كُنهِها، وقد أثْنَى على حفْظِه غيرُ واحدٍ مِنَ الأئمةِ. وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ كتابَه هذا الذى سمّاه «صِفَةَ التصوُّفِ»، وقال[5]: يضْحَكُ منه مَن رآه، قال: وكان دَاوُدِىَّ المذْهبِ، فمَن أثنَى عليه أثْنَى لأجْلِ حفْظِه للحديثِ، وإلَّا فما يُجَرَّحُ به أوْلَى. قال: وذكَره أبو سعدٍ السَّمْعَانِىُّ، وانْتَصَر له بغيرِ حُجَّةٍ، بعدَ أن قال: سألْتُ عنه شيخَنا إسْماعيلَ بنَ أحمدَ الطَّلْحِىَّ فأساء الثناءَ عليه، وكان سَيِّئَ الرأيِ فيه. قال: وسمِعْنا

---

(١) البيتان فى: المنتظم ١٧/ ١٣٦، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٤٦، والكامل ١٠/ ٥٠٠.

(٢) فى خ، م: «الدهر».

(٣) فى النسخ: «اغتراره».

(٤) فى الأصل، ص: «القرشى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٦١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٢. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٨، والوافى بالوفيات ٣/ ١٦٦.

(٥) المنتظم ١٧/ ١١٦.

أبا الفَضْلِ بنَ ناصرٍ يقولُ : محمدُ بنُ طاهرٍ لا يُحتَجُّ به ، صنَّفَ فى جَوازِ النظرِ إلى المُرْدِ ، وكان يذْهَبُ مذهبَ الإباحيةِ. ثم أوْرَد له مِن شعرِه قولَه فى هذه الأبياتِ[1] :

دَعِ التصوُّفَ والزُّهدَ الذى اشْتَغلَتْ ... بهِ جوارحُ أقوامٍ مِن الناسِ
وعُجْ على دَيْرِ دارَيَّا فإنَّ به ... الرُّهبانَ ما بينَ قِسِّيسٍ وشمّاسِ
واشْرَبْ مُعَتَّقةً مِن كفِّ كافرةٍ ... تسْقِيكَ خَمْرَيْنِ مِن لحْظٍ ومِن كاسِ
ثم اسْتَمِعْ رنَّةَ الأوْتارِ مِن رَشَأٍ ... مُهَفْهَفٍ طرْفُه أَمْضَى مِنَ الماسِ
[٢٢٣/٩ر] غَنِّى بشِعْرِ امرئٍ فى الناسِ مُشْتَهِرٍ ... مُدَوَّنٍ عندَهمْ فى صَدْرِ قِرْطَاسِ
لولا نسيمٌ بذكراكمْ[2] يُرَوِّحُنِى ... لَكُنْتُ مُحْتَرِقًا مِن حرِّ أنْفاسِى

ثم قال السَّمْعانِىُّ[3] : لعلَّه قد تابَ مِن هذا كلِّه . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3] : وهذا غيرُ مَرْضِىٍّ أن يذكُرَ جرْحَ الأئمةِ له ، ثم يعْتذِرَ عن ذلك باحْتِمالِ توْبَتِه . وذكَرَ ابنُ الجَوْزِىِّ أنَّه لمَّا احْتُضِر جعَل يُردِّدُ هذا البيتَ[4] :

وما كُنتُمْ تعْرِفُونَ الجفا ... فممَّن تُرَى قد تعلَّمْتُمُ

ثم كانتْ وفاتُه بالجانبِ الغربىِّ مِن بَغْدادَ فى ربيعٍ الأوّلِ منها .

أبو بَكْرٍ الشَّاشِىُّ ، صاحبُ « المُسْتَظْهِرِىِّ » ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحُسَينِ ابنِ عمرَ الشَّاشِىُّ[5] ، أحدُ أئمَّةِ الشافِعيَّةِ فى زَمانِه ، وُلِدَ فى المحرَّمِ سنَةَ سَبْعٍ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٣٧.
(٢) فى خ ، م : « بدا منكم » .
(٣) المنتظم ١٧/ ١٣٧، بنحوه .
(٤) المنتظم ١٣٨/١٧ .
(٥) المنتظم ١٧/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٧٠.

وعشْرِينَ وأرْبَعِمائةٍ، وسمِعَ الحديثَ على أبى يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ، وأبى بكرٍ الخطيبِ، والشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ، وتفَقَّهَ عليه وعلى غيرِه، وقرَأ «الشامِلَ» على مُصنِّفِه ابنِ الصَّبَّاغِ، واخْتَصره. فى كتابِه الذى جمَعه للمُسْتَظْهِرِ باللَّهِ، وسمَّاه «حِلْيَةَ العُلَماءِ بمعرفةِ مذاهبِ الفقهاءِ»، ويُعْرَفُ بالمُسْتَظْهِرِىِّ، وقد درَّسَ بالنِّظَامِيَّةِ، ببَغْدادَ ثم عُزِلَ عنها، وكان يُنشِدُ[1]:

تَعَلَّمْ يا فتى والعُودُ غَضٌّ ... وَطِينُكَ لَيِّنٌ والطَّبْعُ قَابِلْ
فحسْبُكَ يا فتَى شرَفًا وفخْرًا ... سكُوتُ الحاضِرينَ وأنتَ قائلْ

تُوفِّى سحَرَ يومِ السبتِ السادسَ[2] عشَرَ مِن شوَّالٍ مِن هذه السنةِ، ودُفِن إلى جانبِ الشيخِ أبى إسْحَاقَ الشِّيرازِىِّ بابِ أبرَزَ.

المُؤْتَمَنُ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عبيدِ اللَّهِ[3]، أبو نَصْرٍ السَّاجِىُّ المَقْدِسِىُّ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ، وخرَّج، وكان ثقةً صحيحَ النقْلِ، حسَنَ الخطِّ، مشْكورَ السيرةِ، لطيفَ النفْسِ، اشتَغَل فى الفقهِ على الشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ مُدَّةً، ورحَل إلى أَصْبهانَ وغيرِها، وهو معْدودٌ مِن جملةِ الحفَّاظِ، لا سِيَّما للمُتُونِ، وقد تكلَّم فيه محمَّدُ بنُ طاهرٍ. قال ابنُ الجوزِىِّ[4]: وهو أحقُّ منه بذلك، وأيْنَ الثُّرَيَّا مِنَ الثَّرَى؟ تُوفِّى المُؤْتَمَنُ يومَ السبتِ ثامنَ[5] عشَرَ صفرٍ مِن هذه السنةِ، ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) البيتان فى المنتظم ١٧/ ١٣٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥.

(٢) فى الأصل، ص: «الحادى». وانظر المنتظم ١٧/ ١٣٨.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٥٣ (مخطوط)، والمنتظم ١٧/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٩١، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٠٨.

(٤) المنتظم ١٧/ ١٣٩.

(٥) فى خ، م، ص: «ثانى». وانظر المنتظم ١٧/ ١٣٩.

ثم دخلتْ سنةُ ثمانٍ وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] وقَعَ حريقٌ عظيمٌ ببَغْدادَ. وفيها كانتْ زَلْزَلَةٌ هائلةٌ بأرضِ الجزيرةِ، هدَمَتْ منها ثلاثةَ عشَرَ بُرْجًا، ومِنَ الرُّهَا بُيوتًا كثيرةً، وبعضَ [2]سورِ حَرّانَ[2]، ودورًا كثيرةً فى بلادٍ شَتَّى، فهلَكَ [3]أكثرُها، وفى بالِسَ[3(4)] نحوًا مِن مائةِ دارٍ[5]، وقُلِبَ بنصْفِ قَلْعَةِ حَرَّانَ، وسَلِم نصْفُها، وخُسِف بمدينةِ سُمَيْساطَ، وهلَكَ تحتَ الرَّدْمِ خلقٌ كثيرٌ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفيها قُتِل صاحبُ حَلَبَ تاجُ الدولةِ أَلْبُ أرْسَلانَ بنُ رِضوانَ بنِ تُتُشَ، قتَله غِلْمانُه، وقامَ مِن بعدِه أخوه سلْطانْشاه بنُ رِضوانَ.

وفيها ملَكَ السلْطانُ سَنجَرُ بنُ مَلِكْشَاه بلادَ غَزْنَةَ، وخُطِب له بها بعدَ مُقاتلَةٍ عظيمةٍ، وأخَذَ منها أموالًا كثيرةً، مِن ذلكَ خمسةُ تِيجانٍ، قِيمَةُ كلِّ تاجٍ منها ألفُ ألفِ دينارٍ، وسبْعَةَ عشَرَ سَرِيرًا مِن ذهَبٍ وفضَّةٍ، وألْفٌ وثَلَاثُمائَةِ قطعةِ مَصاغٍ مُرَصَّعَةٍ، وأقامَ بها أرْبعينَ يومًا، وقرَّرَ فى مُلكِها بَهْرامْ شَاه، مِن بيتِ بَنى سُبُكْتِكِينَ، ولم يُخْطَبْ بغَزْنةَ قبلَ السلطانِ سَنْجَرَ مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ لأحدٍ[6].

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٤٠، والكامل ١٠/ ٥٠١.

(٢ - ٢) فى م: «ودور خراسان».

(٣ - ٣) فى خ، م: «من أهلها».

(٤) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. معجم البلدان ١/ ٤٧٧.

(٥) فى خ، م: «ألف».

(٦) بعده فى خ، م: «وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة لا يجسر أحد من الملوك عليهم، =

وفيها وَلَّى السلطانُ محمدٌ للأميرِ آقْ سُنقُرَ البُرسُقِيِّ المَوْصِلَ وأعمالَها ، وأمَره بمقاتلةِ الفِرنْجِ ، فقاتَلهم فى أواخرِ هذه السنَةِ ، فأخَذ منهمُ الرُّهَا وخرَّبها[1] وسُروجَ وسُمَيْساطَ ، ونهَب مارِدِينَ ، وأسَر ابنَ ملِكِها [٢٢٣/٩ظ] إيازَ بنِ إيلْغازى ، فأرسَلَ السلطانُ محمدٌ إليه مَن يتهَدَّدُه ، ففَرَّ منه إلى طُغْتِكِينَ صاحبِ دِمشْقَ ، واتَّفقَا على عِصْيانِ السلطانِ محمدٍ ، فجرَتْ بينَهما وبينَ نائبِ حِمْصَ قُرجانَ ابنِ قُراجةَ حروبٌ كثيرةٌ ، ثم اصْطلَحُوا .

وفيها ملَكَتْ زوجةُ مَرْعَشَ الإفْرنْجِيَّةُ بعدَ وَفاةِ زوْجِها ، لعَنهما اللَّهُ . وحَجَّ بالناسِ فيها أميرُ الجيوشِ أبو الخيرِ ، يَمَنٌ الخادمُ ، وشكَرَ الناسُ حجَّهم معه .

= ولا يطيق أحد مقاومتهم وهم بنو سبكتكين » .

(١) فى الأصل : « مر بها » ، وفى خ ، م : « حريمها » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فيها[1] جهَّز السلطانُ غِيَاثُ الدينِ محمدُ بنُ مَلِكْشَاه صاحبُ العراقِ جيشًا كثيفًا مع الأميرِ بُرْسُقَ بنِ بُرْسُقَ إلى إيلْغازى صاحبِ مَارِدِينَ، وإلى طُغتِكينَ صاحبِ دِمَشقَ[2]؛ ليقاتِلَهما على تمالئِهما على عصيانِ السلطانِ، وقَطْعِ خُطْبَتِه، وإذا فرَغَ مِن ذلك عمَدَ لقتالِ الفِرنْجِ، فلمَّا اقترَب الجيشُ مِن بلادِ الشامِ هرَب صاحبُ مارِدينَ وصاحبُ دِمشقَ، وتحيَّزَا إلى الفِرنْجِ، وجاءَ الأميرُ بُرْسُقُ إلى كَفَرْ طابَ[3] ففَتَحها عَنْوَةً، وأخَذَ ما كان فيها مِن النساءِ والذُّريَّةِ، وجاءَ صاحبُ أنْطاكِيَةَ رُوجيلُ فى خَمْسِمِائَةِ فارسٍ وألْفَىْ راجلٍ، فكبَسَ المسلمينَ فقتَل منهم خلقًا كثيرًا، وأخَذَ أموالًا جزيلةً، وهرَبَ بُرْسُقُ فى طائفةٍ قليلةٍ مِن الناسِ، وتمزَّقَ الجيشُ الذى كان معه شَذَرَمَذَرَ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ.

وفى ذى القَعْدَةِ منها قدِمَ الملكُ غِيَاثُ الدينِ محمدٌ إلى بغدادَ، وجاءَ إليه طُغتِكينُ صاحبُ دِمَشْقَ مُعْتَذِرًا إليه، فخلَعَ عليه، ورَضِىَ عنه وردَّه إلى عملِه.

وممن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ:

إسْماعيلُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ مَلَّةَ[4] أبو عُثمانَ الأصْبهانِىُّ، أحدُ

---

(١) الكامل ١٠/ ٥٠٩.

(٢) بعده فى خ، م: «وإلى آق سنقر البرشقى».

(٣) كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب. معجم البلدان ٤/ ٢٨٩.

(٤) فى م: «على». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ١٤٣، والكامل ١٠/ ٥١٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢١٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣.

الرَّحَّالينَ فى طلَبِ الحديثِ ، وقد وعَظ فى جامعِ المنْصُورِ ثلاثينَ مَجْلِسًا ، واسْتَمْلَى عليه محمدُ بنُ ناصرٍ ، وتُوفِّى بأصْبهانَ .

مُنتجَبَ[1] **بنُ عبدِ اللَّهِ المُسْتَظْهِرِىُّ . أبو الحسَنِ الخادِمُ** ، كان كثيرَ العبادةِ ، وقد أثْنَى عليه محمدُ بنُ ناصرٍ ، وقال : وقَف على أصحابِ الحديثِ .

هبةُ[2] **اللَّهِ بنُ المُبارَكِ بنِ مُوسَى ، أبو البَرَكاتِ السَّقَطىُّ** ، سمِع الكثيرَ ورحَل فيه ، وكان فاضلًا عارِفًا باللغةِ ، ودُفِنَ ببابِ حربٍ .

يَحْيَى بنُ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ بادِيسَ[3] ، صاحبُ إفْرِيقيَّةَ ، كان مِن خيارِ المُلوكِ ، عارفًا ، حسَنَ السيرةِ مُحِبًّا للفقراءِ والعلماءِ ، ولهم عليه أرْزاقٌ ، مات وله ثِنتان وخمسون سنةً ، وتركَ ثلاثينَ ولَدًا ، وقامَ بالأمْرِ مِن بعدِه ولَدُه علىٌّ .

---

(١) فى الأصل ، م : « منجب » . وانظر ترجمته فى المنتظم ١٧/١٤٤، وفيه : « منتخب » .

(٢) فى م : « عبد » وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٤٤، (وفيه عبد اللَّه) ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٣٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١١٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٦.

(٣) الكامل ١٠/ ٥١٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١١، والبيان المغرب ١/ ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٣٨، وشذرات الذهب ٤/ ٢٦.

ثم دخلت سنةُ عشْرٍ وخمسِمائةٍ[1]

فيها وقع حريقٌ عظيمٌ ببغدادَ ؛ احترقت فيه دورٌ كثيرةٌ ، منها دارُ نُورِ الهُدَى الزَّيْنَبِيِّ ، ورِبَاطُ بِهْروزَ[2] ، ودارُ كتُبِ النِّظَامِيَّةِ ، وسَلِمَتِ الكتُبُ لأنَّ الفقهاءَ نقَلُوها .

وفيها قُتِل صاحِبُ مَرَاغَةَ فى مجْلسِ السلْطانِ محمدٍ ، قتَله الباطِنيَّةُ . وفى يومِ عاشُوراءَ وقعتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ الرَّوافِضِ والسُّنَّةِ بمشْهَدِ علىِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا بمدينةِ طُوسَ ، فقُتِلَ فيها خلقٌ كثيرٌ . وفيها سارَ السلْطانُ إلى فارِسَ بعدَ موتِ نائبِها خوْفًا عليها من صاحبِ كَرْمانَ . وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ أبو الحسنِ ، نَظَرٌ الخادمُ ، وكانتْ سنةً مُخْصِبَةً آمِنَةً ، وللَّهِ الحمدُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

البَغَوىُّ المفسِّرُ المحدِّثُ الفقيهُ[3] ، وقيل : فى سنةِ ستَّ عشْرةَ ، كما سيأتى واللَّهُ أعلمُ .

عَقِيلُ بنُ الإمامِ أبى الوَفَا[4] **علىِّ بنِ عَقِيلٍ الحنْبَلِىُّ** ، كان شابًّا قد برَعَ وحفِظَ القرآنَ وكتَب مَليحًا وفَهِمَ المعانِىَ جيِّدًا ، ولمَّا تُوفِّى تصبَّر عليه أبوه وتشَكَّر

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٤٥، والكامل ١٠/ ٥١٦.

(٢) فى الأصل : « ممدود » ، وفى خ : « نهرور » ، وفى م : « نهرزور » وفى ص : « نهزور » ، والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٤٥، وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.

(٣) ستأتى ترجمته فى وفيات سنة ست عشرة وخمسمائة .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٤٨.

وأظْهَر التجَلُّدَ ، فقرأ [٩/٢٢٤و] قارِئٌ فى العزاءِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ الآية [يوسف : ٧٨] ، فبكَى ابنُ عقيلٍ بكاءً شديدًا .

علىُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ محمدِ بنِ بَيَانٍ الرَّزَّازُ[١] ، آخِرُ مَن حدَّث عنِ ابنِ مَخْلَدٍ بجزءِ الحسَنِ بنِ عرَفَةَ ، وتفَرَّدَ بأَشْياءَ غيرِه أيضًا . تُوفِّى فيها عن سَبْعٍ وتسعين سنةً .

محمدُ بنُ مَنْصُورِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، أبو بَكْرٍ السَّمْعانِىُّ[٢] ، سمِع الكثيرَ وحدَّث ، ووعَظ بالنِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وأَمْلَى بمَرْوَ مائةً وأَرْبَعِينَ مَجْلِسًا ، وكانتْ له معرفةٌ تامَّةٌ بالحديثِ ، وكان أَدِيبًا شاعرًا فاضلًا ، له قَبُولٌ عظيمٌ ، تُوفِّى بمَرْوَ عن ثلاثٍ وأَرْبعينَ سنةً .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ طاهرِ بنِ حَمَدٍ[٣] **أبو مَنْصُورٍ ، الخازنُ** ، فَقِيهُ الإماميَّةِ ومُفْتِيهم بالكَرْخِ ، وقد سمِع الحديثَ مِنَ التَّنُوخِىِّ وابنِ غَيْلَانَ ،وكانت وفاتُه فى رمضانَ[٤] .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٤٧، وفيه « الوزان » ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٤٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧.

(٢) إنباه الرواة ٣/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٥.

(٣) فى م : « أحمد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٥١، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٦٧، وإنباه الرواة ٣/ ٤٨، وفيه « محمد بن أحمد بن محمد » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥٤ ، ولسان الميزان ٥/ ٣٨.

(٤) الذى عليه المصادر أنه توفى فى شعبان .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ، أبو بَكْرٍ النَّسَوِيُّ[1]، الفقيهُ الشافعِيُّ، سمِع الحديثَ، وكانتْ إليه تَزْكِيَةُ الشُّهودِ بنَسَا[2]، وكان فاضلًا دَيِّنًا وَرِعًا.

مَحْفُوظُ بنُ أحمدَ بنِ الحَسَنِ، أبو الخطَّابِ الكَلْوَذَانِيُّ[3]، أحدُ أئمةِ الحنابلةِ ومُصَنِّفِيهم، سمِع الكثيرَ، وتفقَّه بالقاضِى أبى يَعْلَى، وقرَأ الفرائضَ على الوَنِّيِّ، ودرَّس وأفْتَى وناظَر، وصنَّف فى الأُصولِ والفُروعِ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ، وجمَع قصيدةً يَذْكُرُ فيها اعْتِقادَه ومَذْهَبَه، يقولُ فيها[4]:

دَعْ عنكَ تَذْكارَ الخليطِ المُنْجِدِ ... والشَّوْقَ نحوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ
والنَّوحَ فى تَذْكارِ سُعْدَى إنَّما ... تَذْكارُ سُعْدَى شُغْلُ مَن لم يَسْعَدِ
واسْمَعْ مقالى إنْ أَرَدْتَ تَخَلُّصًا ... يَوْمَ الحسابِ وخُذْ بِهَدْيِى تَهْتَدِ

وذكَر تمامَها وهى طويلةٌ. وكانتْ وفاتُه فى جُمادَى الآخرةِ من هذه السَّنَةِ عن ثمانٍ وسَبْعِينَ سنةً، وصُلِّىَ عليه بجامعِ القصرِ، وجامعِ المنصورِ، ودُفِنَ بالقربِ مِنَ الإمامِ أحمدَ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥٩.
(٢) فى النسخ: «ببغداد». والمثبت من المنتظم.
(٣) المنتظم ١٧/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٢٥١، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١١٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧.
(٤) الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها بتمامها ابن الجوزى فى المنتظم ١٧/ ١٥٣.

ثم دخلتْ سنَةُ إحْدَى عشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ[1]

فى رابعَ عشَرَ صَفَرٍ منها انْكَسَفَ القمرُ كُسوفًا كُلِّيًّا[2] . وفى تلك الليلةِ هجَم الفِرِنْجُ على رَبَضِ[3] حَمَاةَ ، فقتَلُوا خَلْقًا كثيرًا ، ورجَعُوا - لعَنهم اللَّهُ - إلى بلادِهم .

وفيها كانتْ زَلْزلةٌ عظيمةٌ ببَغْدادَ سقَطَتْ منها دورٌ كثيرةٌ بالجانبِ الغربىِّ ، وغلَتِ الغَلَّاتُ فى هذه السنةِ ببغدادَ جدًّا . وفيها قُتِل لؤلؤٌ الخادِمُ الذى كان قدِ اسْتَحْوذَ على مَمْلَكةِ حَلَبَ بعدَ موتِ أُسْتاذِه رِضْوانَ بنِ تُتُشَ ، قتَله جماعةٌ مِنَ الأَتْراكِ ، وكان قد خرَج مِن حَلَبَ مُتَوجِّهًا إلى جَعْبَرَ ، فتنادَى جماعةٌ مِن مَماليكِه وغيرِهم فى أَثْناءِ الطريقِ : أَرْنَبٌ أَرْنَبٌ . فرَمَوْه بالسِّهامِ مُوهِمينَ أَنَّهم يَصِيدُونَ صَيْدًا فقتَلُوه .

وفيها كانت وفاةُ السلطانِ **غِيَاثِ الدينِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ابنِ داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ**[4] ، ملَكِ بلادِ العراقِ وخُرَاسَانَ وغيرِ ذلك مِن البلادِ الشاسِعَةِ ، والأقاليمِ الواسِعَةِ ، وكان من خِيارِ المُلوكِ وأَحْسَنِهم سيرةً ، عادِلًا رحيمَ القَلْبِ سَهْلَ الأَخْلاقِ محمودَ العِشْرَةِ ، رحِمه اللَّهُ ، ولمَّا حضَرَتْه الوفاةُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥٦، والكامل ١٠/ ٥٢٥.

(٢) عيون التواريخ ١٢/ ٧٢.

(٣) الربض : سور المدينة وما حولها . تاج العروس (ر ب ض) .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٥٩، مرآة الزمان ٨/١/ ٦٩، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٧٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠.

اسْتَدعَى وَلَدَه محمودًا وضمَّه إليه وبكَى كُلٌّ منهما ، ثم أمَره بالجلُوسِ على سَريرِ المَمْلَكةِ ، وعمرُه إذْ ذاكَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سنةً ، فجلَس وعليه التَّاجُ والسِّوارانِ وحكَم ، ولمَّا تُوفِّىَ أبوه صرَف الخزائنَ إلى العساكرِ ؛ وكان فيها أَحَدَ عشَرَ ألفَ ألفِ دينارٍ ، واسْتَقَرَّ المُلْكُ له ، وخُطِبَ له ببَغْدادَ وغيرِها منَ البلادِ ، وكان عمرُ أبيه السُّلطانِ محمدٍ تِسْعًا وثلاثينَ سنةً وأَربعَةَ أَشْهُرٍ وأيامًا ، وقد كان خُطِب له ببغدادَ عدَّةَ مرّاتٍ ، ونازَعه أخوه بَرْكْيَاروقُ ، ثم استقرَّ له المُلْكُ إلى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكْرَم مَثْواه .

وفيها وُلِد الملكُ العادِلُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ ، صاحبُ حَلَبَ ودِمَشْقَ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأَعْيانِ :

القاضى المُرْتَضَى أبو محمدٍ ، عبدُ اللَّهِ بنُ القاسمِ [٩/٢٢٤ظ] **بنِ المُظَفَّرِ بنِ علىِّ بنِ القاسمِ الشَّهْرَزُورِىُّ**(١) ، والدُ القاضى جمالِ الدينِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرَزُورِىِّ ، قاضى دِمَشْقَ فى أيامِ نُورِ الدينِ ، اشْتَغلَ ببَغْدادَ وتفَقَّهَ بها ، وكان شافِعِىَّ المَذْهَبِ ، بارعًا دَيِّنًا ، حسنَ النَّظْمِ ، ثم عاد إلى بلدِه ، فكان يَعِظُ ويتكلَّمُ على القلوبِ ، وله قصيدةٌ بارعةٌ فى علمِ التَّصَوُّفِ أَوْرَدها القاضى ابنُ خَلِّكانَ(٢) بتمامِها ؛ لحُسنِها وفصاحتِها :

لمَعَتْ نارُهم وقد عَسْعَسَ اللَّيْـ ... ـلُ وملَّ الحادِى وحارَ الدَّليلُ

---

(١) خريدة القصر ٢/ ٣٠٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٩٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٣١ (أحداث سنة عشرين وخمسمائة) .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٩ - ٥١. وانظر القصيدة أيضًا فى عيون التواريخ ١٢/ ٧٤ - ٧٦.

فتأمَّلْتُها وفِكْرِى مِنَ البَيْـ ـنِ عَليلٌ ولَحْظُ عَيْنِى كَلِيلُ
وفُؤادِى ذاكَ الفؤادُ المُعَنَّى وغَرامِى ذاكَ الغَرامُ الدَّخيلُ

ومن شعرِه[1] :

ياليلُ ما جِئْتُكُمْ زائرًا إلَّا وجدْتُ الأرضَ تُطْوَى لى
ولا ثَنَيْتُ العَزْمَ عن بَابِكُم إلَّا تَعَثَّرْتُ بأَذْيالِى

ومِنْ شِعْرِه دُوبيْتُ[2] :

يا قَلْبُ إلامَ لا يُفِيدُ النُّصْحُ دَعْ مَزْحَكَ كَمْ جنَى عليْكَ المَزحُ
ما جارحةٌ منكَ عداها جُرْحُ ما تَشْعُرُ بالخُمارِ حتى تصْحُو

كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ. قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : وزَعَم العمادُ فى «الخَرِيدَةِ»[4] أنَّه تُوفِّى بعدَ العشرينَ. فاللَّهُ أَعْلَمُ.

محمدُ بنُ سعيدٍ، ابنُ نَبْهانَ، أبو علىٍّ الكاتبُ[5]، سمِع الحديثَ وروَى، وعُمِّرَ مائةَ سنَةٍ، وتغيَّر قبلَ موْتِه، وله شِعْرٌ حسَنٌ، فمِن ذلك قولُه فى قصيدةٍ له[6] :

لى أَجَلٌ قدَّرَهُ اللَّهُ[7] نَعَمْ ورِزْقٌ أَتَوفَّاهُ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٥٢. وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٧٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٥١. وانظر عيون التواريخ ١٢/٧٦ والدوبيت: وزن فارسي غير داخل فى أوزان العروض العربية، استحدثه أدباء الفرس، وسمى كذلك لأنه لا يكون إلا بيتين. تاريخ آداب العرب للرافعى ٣/ ٧٢.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٥٣.

(٤) خريدة القصر ٢/ ٣٢١.

(٥) المنتظم ١٧/ ١٥٨، والمحمدون من الشعراء للقِفْطى ص ٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢١، وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣.

(٦) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ١٥٨، والمحمدون من الشعراء ص ٤٨٦، ٤٨٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣.

(٧) فى مصادر التخريج: «خالقى».

حتى إذا اسْتَوْفَيْتُ منهُ الذى قُـدِّر لـى لا أَتَـعَـدَّاهُ
قال كِرامٌ كَنْتُ أَغْشَاهـمُ فى مَجْلِسٍ قد كنتْ أَغْشَاهُ
صارَ ابنُ نَبْهانَ إلى ربِّهِ يَـرْحَـمُـنـا الـلَّـهُ وإيَّـاهُ

أميرُ الحاجِّ يُمْنُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو الخيرِ المُسْتَظْهِرِىُّ[1] ، كان جوادًا ، كريمًا ، مُمَدَّحًا ، ذا رأْيٍ وفِطْنَةٍ ثاقِبَةٍ ، وقد سمِع الحديثَ مِن أبى عبدِ اللَّهِ الحُسَيْنِ[2] بنِ أحمدَ[2] بنِ طلْحَةَ النِّعالىِّ بإفادَةِ أبى نَصْرٍ الأَصْبهانِىِّ ، وكان يَؤُمُّ به فى الصلواتِ ، ولمَّا قدِمَ رسولًا إلى أَصْبهانَ حدَّث بها . واتَّفقَ وفاتُه فى ربيعٍ الآخرِ من هذه السنَةِ ودُفِنَ هناك ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢١٤.

(٢ - ٢) سقط من النسخ والمثبت من المنتظم، وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠١، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٣٩.

ثم دخلت سنة ثِنْتَىْ عشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ

فيها[1] خُطِبَ للسلطانِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بأَمْرِ الخليفةِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ . وفيها سأَل دُبَيْسُ بنُ صَدَقَةَ بنِ منصورٍ الأَسَدِىُّ مِنَ السُّلْطانِ محمودٍ أَنْ يَرُدَّه إلى الحِلَّةِ وغيرِها ، ممَّا كان أبوه يَتَوَلَّاه مِنَ الأَعْمالِ ، فأجابَه إلى ذلك ، وولَّاه ما كان أبوه يتولَّاه مِن ذلك ، فعَظُمَ وارتفعَ شَأْنُه .

وفاةُ الخليفةِ المُسْتَظْهِرِ باللَّـهِ[2]

وهو أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين المُقْتدِى بأَمْرِ اللَّهِ ، كان خَيِّرًا فاضِلًا ذَكِيًّا بارعًا ، كتَب الخطَّ المَنْسوبَ ، وكانت أيَّامُه بِبَغْدادَ كأنَّها الأَعْيادُ ، وكان راغِبًا فى البِرِّ والخَيْراتِ مُسارِعًا إلى ذلك ، لا يَرُدُّ سائِلًا ، وكان جَمِيلَ المعاشرةِ لا يُصْغِى إلى أَقْوالِ الوُشَاةِ فى الناسِ ، ولا يَثِقُ بالمُباشِرينَ ، قد ضبَط أمورَ الخلافةِ جَيِّدًا ، وأَحْكَمها وعرَفها وعلِمها ، ولَديْه علمٌ كثيرٌ وفضلٌ كبيرٌ ، وله شِعْرٌ حسَنٌ قد ذكَرْناه أوَّلًا عندَ ذِكْرِ خلافَتِه بعدَ والدِه ، وقد وَلِىَ غَسلَه الإمامُ ابنُ عَقِيلٍ وابنُ السُّنِّىِّ ، وصلَّى عليه ولدُه أبو مَنْصورٍ الفَضْلُ ، وكبَّر أَرْبعًا ، ودُفِنَ فى حُجْرَةٍ كان يَسْكُنُها .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦١، والكامل ١٠/ ٥٣٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٦٥، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١٢/ ٢٦، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٦، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٦.

والعَجَبُ أنَّه لمَّا ماتَ السُّلْطانُ أَلْب أَرْسَلان ماتَ بعدَه الخليفةُ القائمُ بأمرِ اللَّهِ، ثم لما ماتَ السُّلْطانُ مَلِكْشَاه مات بعدَه الخليفةُ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ، ثم لمَّا ماتَ السلطانُ محمدٌ ماتَ بعدَه الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ باللَّهِ، رحِمهم اللَّهُ، وكانت وفاةُ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ، فى سادِسَ عشَرَ ربيعِ الآخرِ مِن هذه السنةِ، وله مِن العُمرِ إحْدَى وأَرْبَعُونَ سنةً، وثلاثَةُ أَشْهرٍ وأَحَدَ عشَرَ يومًا.

[٩/٢٢٥و] خِلافَةُ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ أميرِ المؤمنينَ أبى منْصورٍ الفَضْلِ بنِ المُسْتَظْهِرِ

لمَّا تُوفِّى أبوه - كما ذكَرْنا - بُويعَ له بالخلافةِ، وخُطِبَ له على المنابرِ وقد كان وَلِى العهدَ مِن مُدَّةِ ثلاثةٍ وعِشْرينَ سنةً، وكان الذى أخَذ البيعةَ له قاضى القُضاةِ أبو الحسَنِ الدّامَغانِىُّ، ولمَّا اسْتقرَّتِ البيعةُ له هرَب أخوه أبو الحسَنِ فى سَفِينةٍ ومعه ثلاثةُ نَفَرٍ، وقصَد دُبَيْسَ بنَ صَدَقَةَ بنِ منصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ علىِّ بنِ مَزْيَدٍ الأَسَدىَّ بالحِلَّةِ، فأكْرَمَه وأحسنَ إليه، فقلِق المُسْتَرْشِدُ باللَّهِ مِن ذلك، (١)فراسَلَ دُبَيْسًا فى ذلك مع نقيبِ النُّقَباءِ الزَّيْنَبِىِّ، فهرَب أخو الخليفةِ مِنْ دُبَيْسٍ(١)، فأرسَل إليه جيْشًا فأَلْجَئُوه إلى البَرِّيَّةِ، فلَحِقَه عطَشٌ شديدٌ، فلَقِيَه بَدَوِيَّانِ فسقَيَاه ماءً، وحمَلَاه إلى بَغْدادَ(٢)، فأَحْضَره أخوه إليه فاعْتنَقَا وتباكَيَا، وأَنْزَله الخليفةُ دارًا كان يَسْكُنُها قبلَ الخلافةِ، وأحسنَ إليه، وطيَّبَ نَفْسَه، وكان مُدَّةُ غَيْبَتِه عن بَغْدادَ أحَدَ عشَرَ شَهْرًا، واسْتَقَرَّتِ الخلافةُ بلا مُنازَعةٍ للمُسْتَرْشِدِ.

وفى هذه السنةِ كان غَلاءٌ شديدٌ ببَغْدادَ، وانْقَطَع الغَيْثُ وعُدِمَتِ الأَقْواتُ، وتفاقَمَ أَمْرُ العَيَّارينَ، ونهَبُوا الدِّياراتِ نَهارًا جَهارًا، ولم تَسْتَطِعِ الشُّرْطةُ لذلك

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) المذكور فى الكامل ١٠/٥٣٨ أن البدويَّيْن حملا الأمير أبا الحسن إلى دبيس، فسيّره إلى بغداد.

تغييرًا ولا إنكارًا .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نَظَرٌ الخادِمُ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَعْيانِ :

الخليفةُ المُسْتَظْهِرُ باللَّهِ ، كما تقدَّم ذِكْرُ ذلك آنفًا فى هذا العامِ .

تُوفِّيَتْ بعدَه جَدَّتُه أُمُّ أبيه المُقْتَدِى ، **أُرْجُوانُ الأَرْمَنِيَّةُ**[1] ، وتُدْعَى قُرَّةَ العَيْنِ ، وكان لها برٌّ كَثِيرٌ ، ومَعْروفٌ وصَدَقاتٌ ، وقد حجَّتْ ثلاثَ حَجَّاتٍ ، وأَدْرَكَتْ خلافةَ ابنِها المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ ، وخلافةَ ابنِه المُسْتَظْهِرِ ، وخلافةَ ابنِه المُسْتَرْشِدِ ، ورَأَتْ للمسترشدِ ولَدًا ، وكانت وفاتُها فى هذه السنةِ ، رحِمها اللَّهُ تعالى .

بَكْرُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الفَضْلِ ، أبو الفَضْلِ الأَنْصَارِىُّ[2] ، روَى الحديثَ ، وكان يُضْرَبُ به المثلُ فى حِفْظِ مَذْهبِ أبى حَنيفةَ ، وتفَقَّهَ علَى عبدِ العزيزِ بنِ أحمدَ الحَلْوانِىِّ[3] ، وكان يَذْكُرُ الدُّروسَ مِن أَىِّ مَوْضِعٍ سُئِل مِن غيرِ مُطالَعةٍ ولا مُراجَعةٍ ، ورُبَّما كان فى ابْتِداءِ طَلَبِه يُكَرِّرُ المَسْأَلةَ أَرْبَعمائةِ مرّةٍ . وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنةِ .

الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ الزَّيْنَبِىُّ[4] ، قرَأَ القرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، وتفَقَّهَ على أبى عبدِ اللَّهِ الدَّامَغانِىِّ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤١٢ (ترجمة المستظهر باللَّه)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٩.

(٢) المنتظم ٩/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٢٩، وعيون التواريخ ١/ ٨٦، والجواهر المضية ١/ ٤٦٥.

(٣) نسبة إلى عمل الحلوى وبيعها . انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٧٧.

(٤) المنتظم ١٧/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٣٢، والمعين فى طبقات المحدثين ص ١٥٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٨٧، والجواهر المضية ٢/ ١٣٣، وفيه : الحسين بن نظام ابن الخضر بن محمد بن أبى الحسن على الزينبى ، أبو طالب المعروف بنور الهدى . والوافى بالوفيات ١٣/ ٤١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤.

فبرَع وأَفْتَى ودرَّس بمَشْهَدِ أبى حَنِيفةَ ، ونظَر فى أَوْقافِها ، وانتهَتْ إليه رِياسَةُ مَذْهَبِ أبى حَنِيفةَ ، ولُقِّبَ نُورَ الهُدَى ، وسارَ فى الرُّسليةِ إلى المُلوكِ ، ووَلِىَ نِقابةَ الطالِبِيِّينَ والعباسِيِّينَ ، ثم استَعْفَى بعدَ شهورٍ ، فوَلِىَ أخوه طِرادٌ نقابةَ العباسيين ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ الحادِى عشَرَ مِنَ صفَرٍ ، وله مِن العُمرِ ثِنْتانِ وتِسْعُون سنةً ، وصلَّى عليه ابنُه أبو القاسمِ علىٌّ ، وحضَره الأعيانُ والعلماءُ ، ودُفِنَ عندَ قبرِ أبى حَنِيفةَ داخِلَ القُبَّةِ ، رحِمه اللَّهُ .

يُوسُفُ بنُ أحمدَ ، أبو طاهرٍ[1] ويُعْرَفُ بابْنِ الخَرزىِّ ، صاحِبُ المَخْزَنِ فى أيامِ المُسْتَظْهِرِ ، وكان لا يُوَفِّى المسترشدَ حقَّه مِنَ التَّعْظيمِ وهو ولىُّ عَهْدٍ ، فلمَّا صارَتْ إليه الخلافةُ صادَرَه بمائةِ ألفِ دينارٍ ، ثم اسْتَقَرَّ غُلامًا له فأَوْمَأَ إلى بيتٍ ، فوُجِدَ فيه أَربعُمِائةِ ألفِ دينارٍ ، فأخَذها الخليفةُ ، ثم كانتْ وفاتُه بعدَ هذا بقليلٍ فى هذا العامِ .

أبو الفَضْلِ بنُ الخازِنِ[2] ، كان أدِيبًا لطِيفًا شاعِرًا فاضلًا ، فمِنْ شِعْرِه قولُه[3] :

وافَيْتُ مَنْزِلَهُ فلم أَرَ صاحِبًا ... إلَّا تَلقَّانى بوَجْهٍ ضاحِكِ

[٢٢٥/٩ظ] والبِشْرُ فى وَجْهِ الغُلامِ نَتِيجَةٌ ... لمُقَدِّماتِ ضياءِ وَجْهِ المالِكِ

ودخَلْتُ جنَّتَهُ وزُرْتُ جَحِيمَهُ ... فشكَرْتُ رِضْوانًا ورَأْفَةَ مالكِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٦٨.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٧٠، والكامل ١٠/ ٥٤٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢١٨.

(٣) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ١٧٠، والكامل ١٠/ ٥٤٦.

ثم دخلتْ سنَةُ ثلاثَ عشْرَةَ وخَمسِمائةٍ[1]

فيها كانتِ الحروبُ الشديدةُ بينَ السلطانِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه وبينَ عمِّه السلطانِ سَنْجَرَ بنِ مَلِكْشَاه. فكان النصرُ فيها لسَنْجَرَ، فخُطِب له ببغدادَ فى سادِسَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنَةِ، وقُطِعت خُطبةُ [2]السلطانِ محمودٍ ثم وقَع الصلحُ بينهما ورسَم السلطانُ سَنْجَرُ أن يُخطَبَ[2] لابنِ أخيه محمودٍ فى سائرِ أعْمالِه بعدَه.

وفيها سارَتِ الفِرنْجُ إلى مدينةِ حَلَبَ ففتَحوها عَنْوَةً وملَكوها، فسارَ إليهم صاحِبُ مَارِدِينَ إيلْغَازِى بنُ أُرْتُقَ فى جيشٍ كثيفٍ، فهزَمهم عنها ولحِقهم إلى جبَلٍ قد تحصَّنُوا فيه، فقتَل منهم هُنالك مَقْتلةً عظيمةً، وللَّهِ الحمدُ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا اليسيرُ، وأسَرَ مِن مُقَدَّمِهم نَيِّفًا وسبعين[3] رجُلًا، وقُتِلَ فِيمَنْ قُتِل سرخالُ[4] صاحِبُ أنْطاكِيَةَ، وحُمِلَ رأسُه إلى بغدادَ، فقالَ بعضُ الشعراءِ فى ذلك - وقد بالَغ مُبالغةً فاحِشَةً[5] -:

قُلْ ما تشاءُ فقولُك المقبولُ ... وعليكَ بعدَ الخالقِ التَّعْوِيلُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٧١، والكامل ١٠/ ٥٤٧.

(٢ - ٢) سقط من: خ، م.

(٣) فى م: «تسعين».

(٤) فى م، والكامل ١٠/ ٥٥٥: «سيرجان». وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٨٩.

(٥) الكامل ١٠/ ٥٥٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٨٩.

واستَبشَرَ القرآنُ حِينَ نصَرْتَهُ وبكَى لفقدِ رِجالِهِ الإنْجيلُ

وفيها قُتِلَ الأميرُ مَنْكُبِرْسُ[1] الذى كان شِحْنةَ بغدادَ[2]، وكان ظالمًا غاشمًا سيِّئَ السيرةِ، قتَله الملكُ محمودُ بنُ محمدِ بنِ مَلِكْشاه صَبْرًا بينَ يدَيْه لأمورٍ؛ منها أنَّه تزوَّجَ سُرِّيَّةَ أبيه قبلَ انْقِضاءِ عِدَّتِها، ونِعْمَ ما فعَل، وقد أراحَ اللَّهُ المسلمينَ منه، قبَّحه اللَّهُ ما كان أظلمَه وأغشمَه.

وفيها تولَّى قضاءَ قُضاةِ بَغْدادَ الأكمَلُ أبو القاسمِ، ابنُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، الحُسينُ بنُ محمدٍ الزَّيْنَبِىُّ، وخُلِعَ عليه بعدَ موتِ أبى الحسَنِ بنِ الدَّامَغَانِىِّ. وفيها ظهَر قَبْرُ إبْراهيمَ الخليلِ وقَبْرُ إسْحاقَ ويَعْقُوبَ عليهمُ السلامُ. وشاهَد ذلك الناسُ، ولم تَبْلَ أجْسادُهم، وعندَهم قَنادِيلُ مِن ذهبٍ وفضةٍ، ذكَر ذلك ابنُ الخازِنِ فى «تاريخِه»، وأظنُّه[3] نقَله مِنَ «المُنتظمِ» لابنِ الجَوْزِىِّ. واللَّهُ أعلمُ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

ابنُ عَقِيلٍ، علىُّ بنُ عَقِيلِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ، أبو الوَفاءِ[4]، شيخُ الحنابلةِ ببَغْدادَ، صاحِبُ «الفُنونِ» وغيرِها مِنَ التصانيفِ المفيدةِ، وُلِد سنةَ إحْدَى

---

(١) فى الأصل: «منكر بن»، وفى خ: «شكر»، وفى م، والكامل: «منكوبرس»، وفى ص: «منكرس». والمثبت من عيون التواريخ ١٢/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٧٩.

(٢) الشحنة: من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان، وصار يطلق على رئيس الشرطة. لسان العرب (ش ح ن) ومعجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ٢٦٩.

(٣) فى م: «أطال».

(٤) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٩، والمنتظم ١٧/ ١٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٤٩، وطبقات المفسرين ١/ ٤١٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٢٦.

وثلاثين وأربعِمائةٍ ، وقرَأ القرآنَ على ابنِ شِيطَا[1] ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وتفقَّهَ بالقاضِى أبى يَعْلَى بنِ الفَرّاءِ ، وقرَأ الأدبَ على ابنِ بَرْهانَ ، والفرائضَ على عبدِ الملكِ الهَمَذَانِىِّ[2] ، والوَعْظَ على أبى طاهرِ بنِ العَلَّافِ ، صاحبِ ابنِ سَمْعُونَ[3] ، والأُصولَ على أبى الوليدِ المُعْتَزِلِىِّ ، وكان يجتمِعُ بجميعِ العلماءِ مِن كلِّ مذهبٍ ، فرُبَّما لامَه بعضُ أصحابِه فلا يلوِى عليهم ، فلِهذا برَّز على أقْرانِه وبذَّ أهلَ زمانِه فى فُنونٍ كثيرةٍ ، مع صِيانَةٍ ودِيانةٍ وحسنِ صُورةٍ وكثرةِ اشْتغالٍ ، وقد وعَظ فى بعضِ الأحيانِ ، فوقَعَتْ فتنةٌ فترَك ذلك ، وقد متَّعه اللَّهُ بجميعِ حواسِّه إلى حينِ موْتِه ، وكانت وفاتُه بُكْرَةَ الجُمُعَةِ ثانى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنَةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، وقد كانتْ جِنازتُه حافلةً جدًّا ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ الإمامِ أحمدَ ، إلى جانبِ الخادِمِ مُخلِّصٍ ، رحِمهُ اللَّهُ .

علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمَّدِ بنِ الحسينِ بنِ [٩/٢٢٦و] **عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ حمُّويَه ، أبو الحسنِ الدَّامَغَانِىُّ**[4] قاضى القُضاةِ ابنُ قاضى القُضـــاةِ ، وُلِد فى رجَبٍ سنةَ تســـعٍ[5] وأربعين[6] وأرْبَعِمائَةٍ ،

---

(١) فى خ : « سبط » ، وفى م : « سبطا » .

(٢) فى النسخ ، وعيون التواريخ ١٢/ ٩٠: « الهمدانى » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٨٠. وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣١، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٤٢.

(٣) فى عيون التواريخ : « شمعون » .

(٤) المنتظم ١٧/ ١٧٥، والعبر ٤/ ٣٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٩١، ومرآة الجنان ٣/ ٢٠٤، وفيه : « أبو الحسين الدامغانى » ، وشذرات الذهب ٤/ ٤٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢١٩.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « ست » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٧٥، وانظر النجوم الزاهرة ٥/ ٢١٩.

(٦) سقط من : الأصل ، ص .

(١) واشتغَل وبرَع وتولّى قضاءَ القُضاةِ بعدَ أبيه، ثم عُزِل بأبى بكرٍ الشاشِىِّ، ثم أُعِيد إلى الحُكمِ. قال ابنُ الجوزىِّ[٢]: ولا يُعرَفُ حاكمٌ ولِى الحكمَ أصغرُ سنًّا مِنه - يعنى ببغدادَ - مِن قُضاةِ القُضاةِ. وقال[١]: ولا يُعرَفُ حاكمٌ ولِى الحكمَ لأرْبَعَةٍ مَن الخلفاءِ غيرُه، إلَّا شُرَيحٌ، ثم ذكَر مِن أمانَتِه ودِيانتِه ما يدلُّ على تحرِّيهِ، وتوقِّيه وقُوَّتِه، رحِمه اللَّهُ، وقد ولِى الحُكمَ أربعًا[٣] وعِشْرِينَ سنةً،[٤] كذلك كانت وفاتُه فى المحرَّمِ مِن هذه السنةِ عن ثلاثٍ وستِّين[٤] وستّةِ أشْهُرٍ، وقبرُه عندَ مَشْهَدِ أبى حنيفةَ.

المُبارَكُ بنُ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ، أبو سعدٍ المُخَرِّمِىُّ[٥]، سمِع الحديثَ، وتفقَّهَ على مَذْهَبِ أحمدَ، وناظَر وأفتَى ودرَّس، وجمَع كُتبًا كثيرةً لم يُسبَقْ إلى مثلِها، ونابَ فى القضاءِ، وكان حسَنَ السيرةِ جميلَ الطريقةِ، سدِيدَ الأقْضِيَةِ، وقد بنَى مدرسةً ببابِ الأزَجِ، وهى المنسُوبَةُ إلى الشيخِ عبدِ القادِرِ الجِيلِىِّ الحَنبلىِّ، ثم عُزِل عنِ القضاءِ وصُودِر بأموالٍ جزيلةٍ، وذلك فى سنَةِ إحْدَى عشْرَةَ وخَمْسِمائةٍ، وكانت وفاتُه فى المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ، ودُفِن إلى جانبِ أبى بكرٍ الخَلَّالِ عندَ قبرِ أحمدَ.

(١ - ١) فى م: «وولى القضاء بباب الطاقة من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة».

(٢) المنتظم ١٧/ ١٧٥.

(٣) فى النجوم الزاهرة ٥/ ٢١٩: «تسعا».

(٤ - ٤) سقط من: خ، م.

(٥) المنتظم ١٧/ ١٨٣، والعبر ٤/ ٣١، وعيون التواريخ ١٢/ ١٠٢، وفيه: «المخزمى»، ومرآة الجنان ٣/ ٢٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٦٦.

ثم دخلتْ سنةُ أرْبعَ عشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ[1]

فى النصفِ مِن ربيعِ الأوَّلِ كانت وقعةٌ عظيمةٌ بينَ الأخوَيْنِ السلطانَيْن محمودٍ ومَسْعودٍ، ابْنَىْ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه عندَ عَقَبَةِ أَسَدابَاذَ[2]، فانهزَم عسكرُ مسعودٍ، وأُسِر وزيرُه الأستاذُ أبو إسماعيلَ وجماعَةٌ مِن أمرائِه، فأمَر السلطانُ محمودٌ بقتلِ الوزيرِ أبى إسماعيلَ، فقُتِل وله نيِّفٌ وستُّون سنةً، وله تصانيفُ فى صناعةِ الكيمياءِ. ثم أرسَل إلى أخيه مسعودٍ الأمانَ، واستقدَمه عليه، فلمَّا اجتمَعا اعتنَقا وبكَيا واصطلَحا.

وفيها نهَب دُبَيْسُ بنُ صَدَقَةَ صاحبُ الحِلَّةِ البلادَ، وركِب بنفسِه إلى بغدادَ، فنصَب خَيْمَةً بإزاءِ دارِ الخلافَةِ، وأظهَر ما فى نفسِه مِنَ الضَّغائنِ، وذكَر كيفَ طِيفَ برأسِ أبيه فى البلادِ، وتهدَّد المسترشِدَ، فأرسَل إليه الخليفةُ يُسكِّنُ جأْشَه ويَعِدُه أنَّه سيُصلِحُ بينَه وبينَ السلطانِ محمودٍ، فلمَّا قدِم السلطانُ بغدادَ أرسَل دُبَيْسٌ يستأمِنُ، فأمَّنَه وأجْرَاه على عادَتِه، ثم إنَّه نهَب جيشَ السلطانِ، فركِب السلْطانُ محمودُ بنفسِه لقتالِه واسْتَصْحَبَ معه ألفَ سَفينَةٍ ليَعبُرَ بها إلى الحِلَّةِ، فهرَب دُبَيْسٌ مِن بين يدَيْه والتجَأ إلى إيلْغازِى فأقام عندَه سنةً، ثم عاد إلى الحِلَّةِ وأرسَلَ إلى الخليفةِ والسلْطانِ يعتذِرُ إليهما، فلم يقبَلا منه، وجهَّز السلطْانُ إليه جيشًا فحاصَرُوه وضيَّقُوا عليه قريبًا مِن سنَةٍ، وهو فى منيعِ بلادِه لا يتمكَّنُ الجيشُ مِن الوُصولِ إليه فى تلك الأماكنِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٨٥، والكامل ١٠/ ٥٦٢.

(٢) أسداباذ: مدينة بين العراق وهمذان. معجم البلدان ١/ ٢٤٥.

وفيها كانتْ الوقعةُ العظيمةُ بينَ الكُرْجِ والمسلمينَ بالقُربِ مِن تَفْلِيسَ ، ومع الكُرْجِ كُفَّارُ القُفْجَاقِ[1] فقتَلوا مِنَ المسلمينَ خَلقًا كثيرًا ، وغَنِموا أموالًا جزيلةً ، وأسَروا نحوًا مِن أرْبَعةِ آلافِ أسيرٍ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ونهَبت الكُرْجُ تلكَ النواحِيَ وفعَلوا أشْياءَ مُنْكَرَةً ، وحاصَروا تَفْلِيسَ مدةً ثم ملَكوها عَنْوَةً ، بعدَ ما أحرَقوا القاضيَ والخطيبَ حِينَ خرجوا إليهم يطلُبون الأمانَ ، وقتَلوا عامَّةَ [٩/٢٢٦ظ] أهلِها ، وسَبَوْا الذُّريَّةَ واستَحوَذوا على الأموالِ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ . وفيها أغارَ جُوسلينُ[2] الفَرَنْجِيُّ صاحبُ الرُّها على خلقٍ مِنَ العربِ والتُّرْكُمانِ فقتَلهم وغنِم أموالَهم .

وفيها تمرَّدَتِ العَيَّارُونَ ببَغْدادَ وأخَذوا الدُّورَ جَهارًا ، ليلًا ونَهارًا ، فحسْبُنا اللَّهُ ونعمَ الوَكِيلُ .

وفى هذه السنةِ كان ابتداءُ مُلْكِ محمدِ بنِ تُومَرْتَ ببلادِ المَغْرِبِ ، كان ابتداءُ أمرِ هذا الرجلِ أنَّه قدِم فى حداثَةِ سنِّه مِن بلادِ المَغْرِبِ إلى بغدادَ فسكَن النِّظَامِيَّةَ ، واشتغَل بالعلمِ فحصَّل جانبًا جيِّدًا مِنَ الفُروعِ والأصولِ علَى الغَزَّاليِّ وغيرِه ، وكان يُظهِرُ التعبُّدَ والزهدَ والوَرَعَ ، وربَّما أنكَر على الغَزَّاليِّ حُسْنَ ملابسِه ، ولا سِيَّما حينَ لبِسَ خِلْعةَ التدريسِ بالنِّظَامِيَّةِ ، ثم حجَّ وعادَ إلى بلادِه ، فكان يأمُرُ بالمعروفِ ويَنهَى عنِ المنكرِ ، ويُقرِئُ الناسَ القرآنَ ويشغَلُهم فى الفِقْهِ ، فطار ذِكرُه فى الناسِ ، واجتَمَع به يَحْيى بنُ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ باديسَ صاحبُ بلادِ إفْرِيقيَّةَ ،

---

(١) فى الأصل : « الفجاق » ، وفى م : « الفقجاق » ، وفى ص : « التنجاق » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٨٣، وعيون التواريخ ١٢/ ١٠٤.

(٢) فى الأصل، ص : « جوسكير » ، وفى م : « جوسكين » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٨٧، وعيون التواريخ ١٢/ ١٠٤، ١٢٠.

فعظَّمَه وأكرَمه وسأَله الدعاءَ، فاشتَهَر أيضًا بذلك وبعُد صيتُه، وليس معَه إلَّا رِكْوَةٌ وعصًا، ولا يسْكُنُ إلَّا المساجِدَ، ثم كان ينتقِلُ مِن بلدٍ إلى بلدٍ حتى دخَل مَرّاكُشَ ومعه تلميذُه عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ، وكان قد توَسَّم فيه النَّجابةَ والشَّهامةَ، فرأَى فيها مِنَ المُنْكَراتِ أضْعافَ ما رأَى فى غيرِها؛ مِنَ ذلك أنَّ الرجالَ يتلثَّمون والنساءَ يمشِينَ حاسِرَاتٍ عن وُجوهِهِنَّ، فأخَذ فى إنْكارِ ذلك حتى إنّه اجتازَ به فى بعْضِ الأيامِ أختُ أميرِ المسلمينَ (١عليِّ بنِ١) يُوسُفَ (١بنِ تاشُفِين١) مَلِكِ مَرّاكُشَ وما حولَها، ومعها نِساءٌ راكباتٌ حاسراتٌ عن وجوهِهن، فشرَع هو وأصحابُه يُنكرون عليهنَّ، ويضرِبون الدَّوابَّ، فسقَطت أختُ المَلِكِ عن دابَّتِها، فأحضَره المِلْكُ وأحضَر الفقهاءَ فظهَر عليهم بالحُجَّةِ، وأخذ يَعظُ الملكَ فى نفسِه[٢]، ومع هذا نفَاه عن بلَدِه، فشرَعَ يُشنِّعُ عليه ويدعُو الناسَ إلى قتالِه، فاتبَعه على ذلك خلقٌ كثيرٌ، فجهَّزَ إليه ابنُ تاشُفِينَ جيشًا كثيفًا فهزَمهمُ ابنُ تُومَرْتَ، فعَظُمَ شأنُه وارتفَع أمرُه، وقوِيت شوكتُه، وتَسمَّى بالمَهدِيِّ، وسمَّى جيشَه جيشَ المُوَحِّدينَ وألَّفَ كتابًا فى التوحيدِ، وعقيدةً تُسمَّى المُرْشِدَةَ، ثم كانتْ له وقَعاتٌ مع جيوشِ ابنِ تاشُفِينَ، فقتَل فى بعضِ الأيامِ منهم نحوًا مِن سبعين ألفًا، وذلك بإشارةِ أبى عبدِ اللَّهِ الوَنْشَرِيسىِّ[٣]، وكان ذكَر أنَّه نزَلَ إليه مَلَكٌ، وعلَّمه القرآنَ و «الموَطَّأَ»، وله بذلك مَلائكَةٌ يشهَدونَ به فى بِئْرٍ سمّاه، فلمَّا اجْتازَ به وقد أرصَد فيه رِجالًا، فلمّا سأَلهم والناسُ يسمَعون شهِدوا له

(١ - ١) سقط من: خ، م.

(٢) بعده فى خ، م: «حتى أبكاه».

(٣) فى الأصل، ص: «التوبشرى»، وفى خ، م: «التومرتى»، وكذا فى المواضع التالية. والمثبت من عيون التواريخ ١٢/ ١٠٥. وانظر وفيات الأعيان ٥/ ٤٨، ومرآة الجنان ٣/ ٢٤٠.

والونشريسى: نسبة إلى ونشريس وهى بليدة بإفريقية من أعمال بجاية بين باجة وقسطنطينة المغرب. وفيات الأعيان ٥/ ٥٥.

بذلك ، فأمَر حِينَئذٍ بطَمِّ البئرِ عليهم فهلَكوا عن آخرِهم ، ولهذا يقالُ : مَن أعانَ ظالمًا سُلِّطَ عليه .

ثم جهَّز ابنُ تومَرْتَ الذى لَقَّبَ نفْسَه بالمَهْدِىِّ جيشا عليهم أبو عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسىُّ وعبدُ المؤمنِ لمُحاصرَةِ مَرّاكُشَ ، فخرَج إليهم أهلُها فاقْتتَلوا قتالًا عظيمًا ، فكان فى جملةِ من قُتِل أبو عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسىُّ هذا الذى زعَم أنَّ الملائكةَ تُخاطِبُه ، ثم افتقَدوه فى القَتْلَى فلم يجدُوه ، فقالوا : رفَعتْه الملائكةُ ، وقد كان عبدُ المؤمنِ دفَنه والناسُ فى المعْركَةِ ، وقُتِل مِن أصحابِ المَهْدِىِّ [٩/٢٢٧و] خلقٌ كثيرٌ ، وقد كان حِينَ جهَّزَ الجيشَ مريضًا مُدْنِفًا ، فلمّا جاءَه الخبرُ ازدادَ مَرَضًا إلى مرضِه ، وساءَه قتلُ أبى عبدِ اللَّهِ الوَنْشَريسِىِّ ، وجعَل الأمْرَ مِن بعدِه لعبدِ المؤمنِ بنِ علىٍّ ، ولقَّبه أميرَ المؤمنينَ ، وقد كان شابًّا حسَنًا حازِمًا عاقلًا . ثم مات ابنُ تُومَرْتَ ، وقد أتَت عليه إحدى وخمسون سنةً ، ومدةُ مُلْكِه عشْرُ سِنينَ . وحِينَ صار الأمرُ إلى عبدِ المؤمنِ بنِ علىٍّ أحْسَنَ إلى الرَّعايا ، وظهَرتْ منه سيرةٌ جيِّدةٌ فأحبَّه الناسُ ، واتَّسَعتْ ممالِكُه ، وكثُرتْ جيوشُه ورعيَّتُه ، ونصَب العداوةَ لابنِ تاشُفِينَ صاحبِ مَرَّاكُشَ ، ولم يَزلِ الحربُ بينَهما إلى سنةِ خمسٍ وثلاثينَ ، فماتَ ابنُ تاشُفِينَ فقامَ ولَدُه تاشُفِينُ مِن بعدِه ، فمات فى سنَةِ تِسعٍ وثلاثين لَيلةَ سَبعٍ وعشرينَ مِن رمضانَ ، فولى أخوه إسحاقُ بنُ علىِّ بنِ يُوسُفَ ابنِ تاشُفِينَ ، فسار إليه عبدُ المؤمنِ فملَك تلك النواحِىَ ، وفتَح مدينةَ مَرَّاكُشَ ، وقتَل هُنالِك أُمَمًا لا يعلَمُ عددَهم إلّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ؛ وقتَل مَلِكَها إسحاقَ وكان صغيرَ السنِّ فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وأربعينَ ، فكانَ إسْحاقُ هذا آخرَ ملُوكِ المُرابِطينَ ، وكان مدةُ مُلكِهم سَبْعينَ سنةً .

والذينَ ملَكوا منهم أربعةٌ؛ عليٌّ ووالدُه يُوسُفُ، وولَداه[1] تاشُفِينُ[2] وإسحاقُ ابْنَا عليٍّ المذكورِ.

فاستَوطَن عبدُ المؤمنِ مدينةَ مَرّاكُشَ، واستقرَّ مُلْكُه بتلك النواحِي، وظفِر فى سنَةِ ثلاثٍ وأربعينَ بدَكّالةَ[3] وهى قبيلةٌ عظيمةٌ نحوُ مِائَتَىْ ألفِ راجلٍ وعِشْرِيَن ألفَ فارِسٍ مُقاتِلٍ مِن الشُّجعانِ الأبطالِ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا، وجَمًّا غفيرًا، وسبَى ذَرارِيَّهم وغنِم أموالَهم حتى إنَّه ابْتِيعَتِ الجارِيَةُ الحسناءُ بدَراهِمَ معدودةٍ، وقد رأَيتُ لبعضِهم فى سيرةِ ابنِ تُومَرْتَ هذا مجلَّدًا فى أحْكامِه وأيامِه، وكيفَ تملَّكَ ببلادِ المغربِ، وما كان يتَعاطَاه مِن الأشياءِ التى تُوهِمُ أنَّها أحوالٌ بَرَّةٌ، وهى مَحَالٌ لا تصدُرُ إلّا عن فَجرَةٍ، وما قتَل مِن الناسِ وأزهقَ مِن الأنفُسِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ عبدِ الوَهّابِ بنِ السِّيبِىِّ[4] أبو البَرَكاتِ، أسنَد الحديثَ وكان يُعلِّمُ أولادَ الخليفةِ المُستظهِرِ، فلمّا صارَتِ الخلافَةُ إلى المُسترشِدِ ولّاه المخزَنَ، وكان كثيرَ الأمْوالِ والصدَقاتِ، يتعاهَدُ أهلَ العلمِ، وخلَّف مالًا كثيرًا حُزِرَ بمائةِ ألفِ دينارٍ، أوْصَى منه بثلاثينَ ألفَ دينارٍ لمكَّةَ والمدينةِ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن سِتٍّ وخمسينَ سنةً وثلاثةِ أشهرٍ، وصلَّى عليه الوزيرُ أبو عليٍّ بنُ صَدَقَةَ، ودُفِن ببابِ حربٍ.

---

(١) فى عيون التواريخ ١٢/ ١٠٦: «والده». وانظر وفيات الأعيان ٧/ ١٢٦.

(٢) فى خ: «أباشقين»، وفى م: «أبو سفيان».

(٣) دكالة: بلد بالمغرب يسكنه البربر. معجم البلدان ٢/ ٥٨١.

(٤) فى خ، م: «السنى» وانظر ترجمته فى: نزهة الألباء ص ٣٨٥، والمنتظم ١٧/ ١٨٨، والكامل ١٠/ ٥٨٧، ومرآة الزمان ٨/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٦٢.

عبدُ الرَّحيمِ بنُ عبدِ الكريمِ[1] **بنِ هَوازِنَ ، أبو نَصْرٍ القُشَيْرِىُّ** ، قرَأَ على أبيه وإمامِ الحرَمَيْنِ ، وروَى الحدَيثَ عن جماعةٍ ، وكان ذا ذكاءٍ وفِطنةٍ ، وله خاطرٌ حاضرٌ جرِىءٌ ، ولِسانٌ ماهرٌ فصيحٌ ، وقد دخَل بغدادَ فوعَظ بها ، فوقَع بسبَبِه فتنةٌ بينَ الحنابلةِ والشافِعيَّةِ ، فحُبِس بسبَبِها الشَّرِيفُ أبو جَعْفَرِ بنُ أبى مُوسى ، وأُمِر ابنُ القُشيرِىِّ بالخروجِ مِن بغدادَ لإطفاءِ الفتنةِ ، فعادَ إلى بلَدِه ، كانت وفاتُه فى هذه السنَةِ .

عبدُ العزيزِ بنُ علىِّ بنِ عمرَ[2] **، أبو حامدٍ الدِّينَوَرِىُّ** ، كان كثيرَ المالِ والصدقاتِ ، ذا حِشْمةٍ ومُروءةٍ ووَجاهَةٍ عندَ الخليفةِ ، وقد روَى [٢٢٧/٩ظ] الحديثَ ووَعَظ ، وكان مليحَ الإيرادِ حُلْوَ المنطقِ ، وكانت وفاتُه بالرَّىِّ فى هذه السنةِ .

---

(١) فى خ ، م : « الكبير » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ١٩٠، ووفيات الأعيان ٢٠٧/٣ مع ترجمة أبيه ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢٤، وفوات الوفيات ٢/ ٣١٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٥٩.

(٢) فى الأصل ، ص ، خ : « محمد » ، وفى م : « حامد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المنتظم ١٧/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٧١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٩٥.

ثم دخلتْ سنةُ خَمْسَ عشْرَةَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها أقطَع السلطانُ محمودٌ الأميرَ إيلْغازِى مدينةَ مَيَّافَارِقِينَ[2] ، فبَقِيتْ فى يَدِ أولادِه إلى أنْ أخَذها صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيوبَ ، فى سنةِ ثمانين .

وفيها أقْطَع أيضًا آقْ سُنْقُرَ البُرْسُقىَّ[3] مدينةَ المَوْصِلِ ، وأمَره بقتالِ الفِرنْجِ .

وفيها حاصَر بَلَكُ[4] بنُ بَهْرامَ - وهو ابنُ أخى إيلْغَازِى - مدينةَ الرُّهَا ، فأسَر مِلِكَها جُوسلِينَ[5] الفِرنْجىَّ وجماعةً مِن رُءوسِ أصْحابِه وسجَنهم بقلعةِ خَرْتَبِرْتَ[6] .

وفيها هبَّتْ ريحٌ سوداءُ بمِصرَ ، فاستَمرَّتْ ثلاثةَ أيامٍ ، فأهلَكَتْ خلقًا كثيرًا مِن الناسِ والدوابِّ والأنعامِ .

وفيها كانتْ زلْزَلةٌ عظيمةٌ بالحجازِ ، فتَضَعْضَع بسببِها الرُّكنُ اليَمانىُّ ، زادَه اللَّهُ شرفًا ، وتهدَّم بعضُه ، وتهدَّم شىءٌ مِن حَرَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ النبويةِ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٩٢، والكامل ١٠/ ٥٨٨.

(٢) فى الأصل : « الرسقى » ، وفى خ ، م : « البرشقى » ، وفى ص : « الرسفى » . والمثبت من الكامل ١٠/ ٥٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٨٩.

(٣) فى خ ، م : « ملك » ، وفى ص : « تلك » . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ١٢٠.

(٤) فى الأصل : « حوسكير » ، وفى خ ، م ، ص : « جوسكين » . والمثبت من الكامل ١٠/ ٥٩٣، وعيون التواريخ ١٢/ ١٢٠.

(٥) فى الأصل : « حرموت » ، وفى ص : « خرهوت » . وخرتبرت : هو حصن بأقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين . معجم البلدان ٢/ ٤١٧ .

وفيها ظهَر رجلٌ عَلَوِىٌّ بمكةَ ، كان قد اشْتغَل بالنِّظامِيَّةِ فى الفقهِ وغيرِه ، وأمَر بالمعْروفِ ونهَى عنِ المنكرِ ، فاتَّبَعه ناسٌ كثيرٌ ، فنَفاه صاحِبُها ابنُ أبى هاشمٍ إلى البحرينِ .

وفيها احترَقَتْ دارُ السلطانِ بأصْبهانَ ، فلم يَبْقَ فيها شىءٌ مِن الأثاثِ والفراشِ والجواهرِ والذهبِ والفضةِ سوَى الياقُوتِ الأحمرِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعون .

وقبلَ ذلك بأُسبوعٍ[1] احْتَرَق جامِعُ أصْبهانَ أيضًا ، وكان جامعًا عظيمًا ؛ فيه أَخْشابٌ تساوى ألفَ ألفِ دِينارٍ ، وفى جملةِ ما احْترَق فيه خمسُمائةِ مصحفٍ ، مِن جُملَتِها مصحفٌ بخَطِّ أُبَىِّ بنِ كَعْبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

وفى شعبانَ جلَس الخليفةُ المُسترشِدُ باللَّهِ فى دارِ الخلافةِ فى أُبَّهَةِ الخلافةِ ؛ البُرْدةُ على كَتِفَيه والقَضِيبُ بينَ يدَيْه ، وجاءَ الأخَوان الملِكان محمودٌ ومسعودٌ فوَقَفا بينَ يدَيْه ، وقبَّلا الأرضَ ، فخلَع على محمودٍ سبعَ خِلَعٍ وطَوْقًا وسِوارَيْن وتاجًا ، وأُجلِس على كُرسىٍّ ووَعَظه الخليفةُ ، وتلَا عليه قولَه تعالَى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] . وأمَره بالإحْسانِ إلى الرَّعايا ، وعقَد له الخليفةُ لواءَيْن بيَدِه ، وقلَّده المُلْكَ ، وخرجَا مِن بينِ يدَيْه مُطاعَيْن معظَّمَيْن ، والجيشُ بينَ أيْدِيهِما إلى دارِهما فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ جدًّا .

وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

وقد تُوفِّى فيها : ابنُ القَطَّاعِ اللُّغَوىُّ ، أبو القاسِمِ علىُّ بنُ جَعْفَرِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ

---

(١) فى الأصل ، خ ، ص : « بليلة » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٩٥.

الأغلبِ السَّعدِىُّ[1] الصِّقِلِّىُّ ، ثم المِصرىُّ اللُّغوىُّ ، مصنِّفُ كتابِ « الأفْعالِ » ، الذى برَّز فيه على ابنِ القوطِيَّةِ ، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ ، وقد قدِم مِصرَ فى حدودِ سنةِ خمسِمائةٍ لمَّا أشرَفَتِ الفِرنْجُ على أخْذِ صِقِلِّيَةَ ، فأكْرَمه المصريُّون وبالَغوا فى إكْرامِه ، وكان يُنسَبُ إلى التساهُلِ فى الرِّوايةِ[2] ، وله شِعرٌ جيِّدٌ قوىٌّ ، [3]أورَد له القاضى ابنُ خَلِّكانَ منه قطعةً جيدةً[3] ، وقد جاوَز الثمانين .

ومِمَّن تُوفِّى فيها من الأعيان :

أبو القاسِمِ شَاهِنْشَاه ، الأفضلُ بنُ أميرِ الجيوشِ بدرِ الجَمَالىِّ[4] ، مُدَبِّرُ دولةِ الفاطِمِيِّين بمِصرَ ، و [5]إلى أبيه[5] تُنْسَبُ قَيْساريَّةُ أميرِ الجيوشِ ، والعامَّةُ تقولُ : مَرْجيوشُ[6] . وأبوه بانِى الجامعِ الذى بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ بسُوقِ العَطَّارِين ، ومَشْهَدِ الرأسِ بعَسْقَلانَ أيضًا ، وكان أبوه نائبَ المُسْتَنْصِرِ [٢٢٨/٩و] على مدينةِ صُورَ ، وقيلَ[7] : على عكَّا . ثم اسْتَدْعاه إليه فى فصْلِ الشتاءِ ، فرَكِب البحرَ ، فاسْتَنابَه على دِيارِ مِصرَ ، فسَدَّد الأمورَ بعدَ فسادِها ، وماتَ فى سنةِ ثمانٍ وثمانين وأرْبعِمائةٍ ، وقامَ فى الوزارةِ بعدَه ولَدُه الأفضلُ هذا ، فكان كأبيه فى الشَّهامَةِ والصَّرامَةِ .

---

(١) فى الأصل : « الصفدى » ، وفى ص : « الأسعدى » . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٢٧٩/١٢ ، وإنباه الرواة ٢٣٦/٢ ، ووفيات الأعيان ٣٢٢/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٩٠ ، والعبر ٣٥/٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، ص ، وفى خ ، م : « الدين » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٣.

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م ، وانظر المصدر السابق ٣/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٤) الكامل ١٠/ ٥٨٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٨٥، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٢.

(٥ - ٥) فى خ ، م : « إليه » .

(٦) فى الأصل ، م : « مرجوش » .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٠٨.

ولمَّا ماتَ المستنصرُ أقامَ المُسْتَعْلِيَ واستمرَّتِ الأمورُ على يدَيْه، وكان عادِلًا، حسنَ السيرةِ، موْصُوفًا بجودَةِ السريرَةِ. فاللَّهُ أعلمُ.

ضرَبَه فِدَاوِيٌّ وهو راكِبٌ فقَتَله فى رمضانَ مِن هذه السنةِ، عن سبْعٍ وخمسين سنةً، وكانتْ إمارتُه مِن ذلك بعدَ أبيه ثمانٍ[1] وعشرين سنةً.

وكانتْ دارُه دارَ الوَكالَةِ اليومَ بمِصرَ، وقد وُجِدت له أموالٌ عظيمةٌ جدًّا، تَفُوقُ العدَّ والإحْصاءَ من القناطيرِ المُقَنْطرةِ مِنَ الذهبِ والفضةِ والخيلِ المُسَوَّمَةِ والأنْعامِ والحَرْثِ، والنفائسِ، فانْتقَل ذلك كلُّه إلى الخليفةِ الفاطميِّ فجُعِل فى خزانتِه، وذهب جامِعُه إلى سواءِ الحسابِ على الفَتِيلِ من ذلك والنقيرِ والقِطْميرِ. واعْتاضَ عنه الخليفةُ بأبى عبدِ اللَّهِ البَطائِحيِّ، ولُقِّب المأمونَ.

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2]: ترَك الأفْضَلُ مِنَ الذهبِ العَيْنِ سِتَّمائَةِ ألفِ ألفِ دينارٍ، ومِنَ الدراهمِ مائتين وخمسين إرْدَبًّا، وسبعين ألفَ ثوبِ دِيباجٍ أَطْلَسَ، وثلاثين راحلةَ أحْقاقِ ذهبٍ عراقيٍّ، ودواةَ ذهَبٍ فيها جوهرةٌ باثْنَىْ عشَرَ ألفَ دِينارٍ، ومائةَ مِسْمارِ ذهبٍ زِنَةُ كلِّ مِسْمارٍ مائةُ مِثْقَالٍ، فى عِشْرَةِ مَجالِسَ، على كلِّ مِسْمارٍ مِنْديلٌ مشدودٌ بذَهَبٍ، كلُّ منديلٍ على لونٍ من الألوانِ مِن ملابِسِه، وخمْسَمائةِ صندوقِ كسوةٍ للُبْسِ بدَنِه. قال: وخلَّفَ مِنَ الرقيقِ والخيْلِ والبِغالِ والمراكبِ والمِسْكِ والطِّيبِ والحَلْيِ ما لا يعلَمُ قدْرَه إلَّا اللَّهُ، عَزَّ وجلَّ، وخلَّف مِنَ البقَرِ والجواميسِ والغنَمِ ما يُسْتَحْيَى مِن ذكْرِ عدِّه، وبلَغ ضَمانُ ألْبانِها فى السنةِ ثلاثين ألفَ دِينارٍ، وترَك صُندوقَيْن كبيرَيْن فيهما إبَرُ ذهَبٍ برسْمِ النساءِ.

---

(١) فى الأصل، ص: «ثنتان».

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥١.

عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عليِّ بنِ إسْحاقَ ، الطُّوسِيُّ[1] ، ابنُ أخى نظامِ المُلْكِ ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرمَيْن ، وأفْتَى ودرَّس وناظَر ، ووَزَر للملكِ سَنْجَرَ ، وتُوفِّى فى هذه السنةِ .

خاتُونُ السفريَّةُ[2] حَظِيَّةُ السلطانِ مَلِكْشاه ، وهى أمُّ السلْطانين محمدٍ وسَنْجَرَ ، كانتْ كثيرةَ الصدَقةِ والإحْسانِ إلى الناسِ ، لها فى كلِّ سنَةٍ سبيلٌ يخرُجُ مع الحُجَّاجِ ، وفيها دِينٌ وخيرٌ ، ولم تزَلْ تبْحَثُ حتى عرَفتْ مكانَ أمِّها وأهْلِها ، فبعَثتِ الأموالَ الجزيلةَ حتى اسْتَحْضَرتهم . ولمَّا قدِمَتْ عليها أمُّها كان لها عنها أربعون سنةً لم ترَها ، فأحبَّتْ أنْ تسْتَعْلِمَ فَهْمَها ، فجلَسَتْ بينَ جَوارِيها ، فلمَّا سمِعتْ أمُّها كلامَها عرَفَتْها ، فقامَتْ إليها فاعْتنَقا وبكَيا ، ثم أسلَمتْ أمُّها على يدَيْها ، جزَاها اللَّهُ خيْرًا ، وأحسَن إليها . وقد تفرَّدَتْ بوِلادَةِ مَلِكَيْن فى دولةِ الأتْراكِ والعجَمِ ، ولا يُعْرَفُ لهذا نظيرٌ إلَّا اليسيرُ ؛ مِن ذلك : وَلَّادَةُ بنتُ العبَّاسِ ولَدتْ لعبدِ الملكِ الوليدَ وسليمانَ ، وشاهفرندُ[3] ولَدَتْ للوليدِ يزيدَ وإبراهيمَ وَلِيَا الخلافةَ أيضًا ، والخَيْزُرانُ ولَدَتْ للمهدِيِّ الهادِىَ والرَّشيدَ .

الطُّغْرَائىُّ[4] ناظِمُ « لامِيَّةِ العجَمِ » ، الحسينُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ الصَّمَدِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٩٩، والكامل ١٠/ ٥٩٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٢، والأعلام ٤/ ١٢٥.

(٢) مرآة الزمان ٨/١/ ٩٨، والمنتظم ١٧/ ١٩٩، والكامل ١٠/ ٥٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٨٦.

(٣) فى الأصل : « ماهر » ، وفى خ ، م : « شاهوند » ، وفى ص : « شاهرند » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ١٩٩. والثابت أن شاهفرند هذه هى أم يزيد الناقص ، وهى ابنة فيروز بن كسرى . وأن أم إبراهيم امرأة بربرية ، فهما ابنا الوليد وليسا لأم واحدة ، وانظر ما تقدم فى ١٣/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٥، ٣٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠هـ) ص ٣١١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧، وفيه « شاه مزيذ » .

(٤) خريدة القصر ٢/ ١٥١، ومعجم الأدباء ١٠/ ٥٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء =

مُؤيَّدُ الدينِ الأصْبهانىُّ ، العميدُ فخرُ الكُتَّابِ المُنْشِئُ[1] الشاعرُ ، المعْروفُ بالطُّغْرَائىِّ ، وقد وَلِىَ الوِزارةَ بإرْبِلَ مدةً ، أوْرَد له القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] [٩/ ٢٢٨ظ] قصِيدتَه اللَّامِيَّةَ التى ألَّفَها فى سنةِ خمسٍ وخَمسِمائةٍ ببَغْدادَ ، يشرَحُ فيها أحوالَه وأمورَه ، وتُعرَفُ بلامِيَّةِ العجَمِ ، أوَّلُها :

أصالةُ الرأْيِ صانَتْنى عنِ الخَطَلِ ... وحِلْيَةُ[3] الفَضْلِ زانَتْنى لدَى العَطَلِ

مجْدِى أخيرًا ومجْدِى أوَّلًا شَرَعٌ ... والشمسُ رَأْدَ الضُّحَى كالشمس فى الطَّفَلِ

فِيمَ الإقامةُ بالزَّوْرَاءِ لا سَكَنِى ... بها ولا ناقَتِى فيها ولا جَمَلى

وقد سرَدَها القاضى ابنُ خَلِّكانَ بكَمالِها ، وأوْرَدَ له غيرَ ذلك مِنَ الشِّعرِ أيضًا .

= ١٩/ ٤٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٦٤.

(١) فى خ ، م : « الليثى » . وانظر وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٤.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥، وانظر ديوانه ص ٣٠١.

(٣) فى الأصل : « حيلة » .

ثم دخلت سنة ستّ عشرة وخمسمائة[1]

فى المحرَّمِ منها رجَع السلطانُ طُغْرُلُ[2] إلى طاعةِ أخيه محمودٍ ، بعدَ ما كان قد خرَج عنها ، وأخَذ بلادَ أذْرَبِيجانَ .

وفيها أقْطَع السلطانُ محمودٌ مدينةَ وَاسطٍ وأعمالَها لآقْ سُنْقُرَ مَضافًا إلى المَوْصِلِ ، فسَيَّر إليها عِمادَ الدِّينِ زَنْكِى بنَ آقْ سُنْقُرَ ، فوَلِيها وأحْسَن السيرةَ بها ، وأبانَ عن حزْمٍ وكفايةٍ .

وفى صفَرٍ منها قُتِل وزيرُ السلطانِ محمودٍ أبو طالبٍ السُّمَيرَمىُّ[3] ، قتَله باطِنىٌّ ، وكان قد برَز للمَسِيرِ إلى هَمَذَانَ ، وكانتْ قد خرَجَتْ زوجتُه فى مائةِ جاريةٍ بمراكبِ الذهبِ ، فلمَّا بلغَهُنَّ قتْلُه رجَعْنَ حافِيَاتٍ حاسراتٍ ، قد هُنَّ بعدَ العِزِّ . واسْتَوْزَرَ السلطانُ بعدَه شمسَ المُلْكِ عثمانَ بنَ نِظَامِ المُلْكِ .

وفيها اتَّقَع[4] آقْ سُنْقُرُ البُرْسُقىُّ ودُبَيسُ بنُ صَدَقةَ ، فهزَمَه دُبيسٌ ، وقتَل خلقًا مِن جيشِه ، فاستَوْثَق السلطانُ منْصورَ بنَ صدقةَ أخا دُبَيسٍ وولَدَه ، ورفَعَهما إلى قلعةٍ ، فعندَ ذلك آذَى دُبَيسٌ تلك الناحيةَ ونهَب البلادَ ، وجَزَّ شعْرَه ولبِس السَّوادَ ، ونَهَب أموالَ الخليفةِ أيضًا مِنَ البلادِ ، فنُودِى فى بَغْدادَ للخروجِ لقتالِه ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٠٣، والكامل ١٠/ ٥٩٧.

(٢) فى الأصل : « طغرك » ، وفى م : « طغرلبك » . وانظر الكامل ١٠/ ٥٩٧.

(٣) سقط من : الأصل ، وفى خ : « السمرى » ، وفى ص : « السميرامى » . وانظر المنتظم ١٧/ ٢١٢، الكامل ١٠/ ٦٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٩٥.

(٤) فى خ ، م : « التقى » . والمعنى أنه دارت بينهما وقعة .

وبرَز الخليفةُ فى الجيشِ وعليه قَبَاءٌ أسْوَدُ وعمامةٌ سوداءُ وطَرْحَةٌ ، وعلى كتِفَيْه البُرْدَةُ وبَيدِه القَضِيبُ ، وفى وسَطِه مِنْطَقَةُ حريرٍ [(١)] صِينىٌّ ، ومعه وزيرُه نظامُ الدينِ أحمدُ بنُ نِظامِ المُلْكِ ، ونقيبُ النقَباءِ علىُّ بنُ طِرادٍ الزَّينَبِىُّ [(٢)] وشيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ بنُ إسماعيلَ ، وتلقَّاه آقْ سُنْقُرُ البُرُسقىُّ ومعه الجيشُ [(٢)] ، فقبَّلُوا الأرضَ ، ورتَّبَ البُرسُقىُّ الجيشَ ، ووَقَف القُرَّاءُ بينَ يدَىِ الخليفةِ ، وأقبَل دُبَيسٌ ، وبينَ يَدَيْه الإماءُ يَضْرِبْنَ بالدُّفوفِ ، والمَخانِيثُ بالمَلاهِى ، والْتقَى الفريقان ، وقد شهَر الخليفةُ سيفَه وكبَّر واقْتَرب مِن المعركةِ ، فحمَل عَنْبَرُ [(٣)] بنُ أبى العَسْكَرِ على مَيْمَنَةِ الخليفةِ ، فكسرَها وقتَل أميرًا ، ثم حمَل ثانيةً فكشَفَهم كالأُولى ، فحمَل عليه عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ آقْ سُنْقُرَ ، فأسَر عَنْبرَ وأسَر معه بُديلَ بنَ زائدَةَ ، فانْهزَمَ عسْكَرُ دُبَيسٍ وألقَوا أنفُسَهم فى الماءِ ، فغَرِقَ كثيرٌ منهم ، فأمَر الخليفةُ بضَرْبِ أعْناقِ الأُسارَى صَبْرًا بينَ يدَيْه ، وحَصَلَتْ نِساءُ دُبيسٍ وسَرارِيُّه فى السَّبْىِ ، وعادَ الخليفةُ إلى بَغْدادَ فدخَلها فى يومِ عاشُوراءَ مِن السَّنةِ الآتيةِ وكان يومًا مَشهودًا ، وكانت غيْبتُه سِتَّةَ عشَرَ يومًا ، وأمَّا دُبيسٌ فإنَّه نجَا بنفْسِه وقصَد غُزَيَّةَ [(٤)] فصَحِبَهم إلى البَصْرَةِ فدَخلَها ونهَبَها وقتَل أمِيرَها ، ثم خافَ مِنَ البُرْسُقىِّ فخرَج عنها وسارَ إلى البَرِّيَّةِ والْتَحق بالفِرنْجِ ، وحضَر معهم حِصارَ حَلَبَ ، ثم فارَقَهم والْتَحقَ بالملكِ طُغْرُلَ أخى السلْطانِ محمودٍ .

وفيها ملَكَ السلطانُ [(٥)] حُسامُ الدينِ تَمُرْتاشُ [(٥)] بنُ إيلْغازى بنِ أُرْتُقَ قلْعَةَ

---

(١) فى الأصل ، ص : « حديد » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ١٣٠، ١٣١.

(٣) فى خ : « عتير » ، وفى م : « عنتر » . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ١٣٢.

(٤) بعده فى م : « ثم إلى المنتفق » ، وغزية : موضع بالقرب من فيد . معجم البلدان ٣/ ٨٠١.

(٥ - ٥) فى الأصل : « حسام الدين بن تمرشاه » ، وفى خ ، م : «سهام الدين بن تمراش » ، وفى =

مَارِدِينَ بعدَ وفاةِ أبيه ، وملَكَ أخوه سُلَيمانُ مَيَّافَارِقِينَ . وفيها ظهَر مَعْدِنُ نحاسٍ بدِيارِ بَكْرٍ قريبًا [٩/٢٢٩و] مِن قلْعَةِ ذى القَرْنَيْن . وفيها دخَل جماعةٌ مِنَ الوعَّاظِ إلى بَغْدادَ فوعَظُوا بها ، وحصَل لهم قَبُولٌ تامٌّ من العوامِّ .

وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أبى الأشْعَثِ[1] ، أبو محمدٍ السَّمَرْقَنْدِىُّ ، أخو أبى القاسمِ ، وكان أبو محمدٍ هذا أحدَ حُفَّاظِ الحديثِ ، وقد زُعِمَ أنَّ عندَه ما ليْسَ عندَ أبى زُرْعَةَ الرَّازِىِّ ، صحِبَ الخطيبَ مُدةً ، وجمَع وألَّفَ وصنَّفَ ورحَل إلى الآفاقِ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ الثانِىَ عشَرَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ عن ثمانين سنةً .

علىُّ بنُ أحمدَ ، أبو طالبٍ السُّمَيْرَمىُّ[2] ؛ نسبةً إلى قريةٍ بأَصْبهانَ ، كان وزيرَ السلْطانِ محمودٍ ، وكان مُجاهِرًا بالظُّلمِ والفِسْقِ ، وأحْدَثَ على الناسِ مُكوسًا ، وجدَّدَها بعدَ ما كانتْ قد أُزِيلَتْ مِن مُدةٍ مُتَطاوِلَةٍ ، وكان يقولُ[3] : قدِ اسْتَحْيَيْتُ مِن كثرةِ الظُّلمِ لمَن لا ناصِرَ له ، وكثرةِ ما أحْدَثْتُ مِنَ السُّنَنِ السيِّئَةِ . ولمَّا عزَم عَلى الخُروجِ إلى هَمذَانَ أحضَر المنجِّمين فضرَبُوا له تحتَ[4] رمْلٍ لساعَةٍ

= ص : « سهام الدين تمرتاش » . والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٠، وعيون التواريخ ١٢/ ١٣١.

(١) المنتظم ١٧/ ٢١١، والكامل ١٠/ ٦٠٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٦، وشذرات الذهب ٤/ ٤٩.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢١٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٤٠٢، وشذرات الذهب ٤/ ٥٠.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢١٢.

(٤) فى خ ، م : « تخت » .

خُروجِه ليكونَ أسْرَعَ لعودِه، فخرَج فى تلك الساعةِ، وبينَ يدَيْه السيوفُ المسلولةُ، والمماليكُ بالعُدَدِ الباهرةِ، ومع هذا جاءَ باطِنىٌّ فضرَبَه فقتَله [1] فى الساعةِ الراهنةِ بعدما ضرَبه غيرَ ما مرةٍ فى مَقاتِلِه ثم ذبَحه كما تُذبَحُ الشاةُ، والمماليكُ يضربون بالسيوفِ والنِّبالِ فى ظهرِه ولا يبالى بشىءٍ مِن ذلك حتى قتَله ثم مات بعدَه [1]، ورجَع نِساؤه [2]، حاسِراتٍ عن وُجوهِهنَّ، قد أبْدَلَهُنَّ اللَّهُ الذِّلَّةَ بعدَ العِزَّةِ، والخوفَ بعدَ الأمْنِ، وكان ذلك يومَ الثلاثاءِ سَلْخَ صفَرٍ، وما أشْبَهَ حالَهنَّ بقولِ أبى العتاهِيَةِ فى الخَيْزُرانِ وجوارِيها حينَ ماتَ المَهْدِىُّ [3]:

رُحْنَ فى الوَشْى وأصبحن عليهنَّ المُسُوحُ ... كُلُّ نطَّاحٍ من الدهرِ له يومٌ نَطوحُ
لتَمُوتَنَّ ولو عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ ... فعلى نفسِكَ نحْ إن كنتَ لابُدَّ تنوحُ

الحرِيرِىُّ صاحبُ المَقامَاتِ، القاسمُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ، فخرُ الدولةِ، أبو محمدٍ الحرِيرِىُّ البصرىُّ [4]، مؤلِّفُ المَقاماتِ التى سارَتْ بفصاحَتِها الرُّكْبانُ، وكادَ يُربِى فيها على سَحْبانَ [5]، وُلِدَ سنةَ سِتٍّ وأرْبَعِينَ وأرْبَعِمائةٍ، وسمِع الحديثَ واشْتَغَل باللغةِ والنحوِ، وصنَّفَ فى ذلك كلِّه، وفاقَ أهلَ زمانِه، وبرَّزَ على أقْرانِه، وأقامَ ببَغْدادَ وعمِل صِناعةَ الإنْشاءِ مع الكُتَّابِ فى بابِ الخليفةِ،

(١ - ١) فى خ،م: «ثم مات الباطنى بعده».
(٢) بعده فى خ، م: «بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب».
(٣) المنتظم ١٧/ ٢١٣، وانظر: أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٩٨، ٩٩.
(٤) المنتظم ١٧/ ٢١٤، وإنباه الرواة ٣/ ٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٦٦.
(٥) سحبان: هو اسم رجل من وائل بليغ لَسِنٌ يضرب به المثل فى البيان والفصاحة فيقال: أفصح من سحبان وائل. التاج (س ح ب).

ولم يكُنْ ممَّنْ تُنْكَرُ بدِيهتُه ولا تتعَكَّرُ فكْرتُه وقرِيحَتُه . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : سمِع الحديثَ وحدَّث وقرَأ الأدبَ واللغةَ ، وفاقَ أهلَ زمانِه بالذكاءِ والفِطْنَةِ والفصاحَةِ وحُسْنِ العبارةِ ، وصنَّفَ المقاماتِ المعْروفَةَ ، مَن تأمَّلَها عرَف قدرَ مُنْشِئِها ، تُوفِّى فى هذه السَنةِ بالبَصْرَةِ . وقد قيل : إنَّ أبا زَيْدٍ والحارثَ بنَ هَمَّامٍ لا وُجودَ لهما ، وإنَّما جعَل هذه المَقاماتِ مِن بابِ الأمْثالِ ، ومنهم مَن يقولُ : أبو زَيْدٍ المطهَّرُ بنِ سَلَّارَ[2] السَّرُوجِىُّ كان له وجودٌ ، وكان فاضلًا ، وله علْمٌ ومعرفةٌ باللغةِ . فاللَّهُ أعلمُ . وذكرَ القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] أنَّ أبا زَيْدٍ كان اسمُه المطهَّرَ بنَ سَلَّارَ[4] ، وكان بَصْرِيًّا فاضلًا فى النحوِ واللغةِ ، وكان يشتغِلُ على الحرِيرِىِّ بالبَصْرَةِ ، وأمَّا الحارِثُ بنُ همَّامٍ فإنَّما عنَى به نفسَه ، لِمَا جاءَ فى الحديثِ [٩/ ٢٢٩ظ] « كلُّكُمْ حَارِثٌ ، وَكُلُّكُمْ هَمَّامٌ » - كذَا قال القاضى . وإنَّما اللفظُ المحْفوظُ : « أصْدَقُ الأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ »[5] - لأنَّ كلَّ أحَدٍ إمَّا حارِثٌ وهو الفاعلُ ، أو هَمَّامٌ مِن الهمِّ وهو العزمُ والخِطْرةُ ، وذكَرَ أنَّ أوَّلَ مَقامَةٍ عمِلَها الثامِنَةُ والأربعونَ وهى الحراميةُ ، وكان سببَها أنَّه دخَل عليهم فى مسْجدِ البَصْرَةِ رجلٌ ذُو طِمْرَيْنِ فصيحُ اللسانِ ، فاسْتَسْمَوْه فقالَ : أبو زَيْدٍ السَّرُوجِىُّ ، فعمِلَ فيه هذه المقامةَ ، فأشارَ عليه وزيرُ الخليفةِ المسترشِدِ ، وهو جلالُ الدينِ عميدُ الدولةِ أبو علىٍّ الحسَنُ بنُ أبى [6]العزِّ علىٍّ[6] بنِ صَدَقةَ ، قال ابنُ خَلِّكانَ : كذا رأيتُه فى نُسْخَةٍ بخطِّ المصنِّفِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢١٤.

(٢) فى النسخ : « سلام » . والمثبت من وفيات الأعيان ٤/ ٦٤، وانظر إنباه الرواة ٣/ ٢٧٦.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٦٤.

(٤) فى الأصل ، خ ، م : « سلام » .

(٥) أخرجه ابن وهب فى جامعه ص ٧، وطرفه : « خير الأسماء عبد اللَّه ....» وبمعناه عند أبى داود (٤٩٥٠) والمسند ٤/ ٣٤٥، وانظر الصحيحة (١٠٤٠) ، وإرواء الغليل ٤/ ٤٠٨.

(٦ - ٦) فى خ : « العز » وفى م : « المعز » . والمثبت موافق لما فى وفيات الأعيان ٤/ ٦٤.

على حاشِيَتِها ، وهذا أصحُّ ممَّن قال : هو الوزيرُ شرَفُ الدينِ أبو نَصْرٍ أنوشُرْوانُ[1] بنُ خالدِ بنِ محمدِ القَاشَانِيُّ ، وهو وزيرُ المسترشدِ أيضًا ، ويقالُ[2] : إنَّ الحرِيرِيَّ كان قد عمِلَها أرْبَعِينَ مقامةً ، فلمَّا قدِمَ بَغْدادَ ولم يُصدَّقْ فى ذلك ، وامْتَحَنه بعضُ الوزراءِ فجلَس ناحيةً وأخَذ دواةً وقِرْطاسًا فلم يتَيسَّرْ له حتى عادَ إلى بلَدِه فعمِلَ عشَرَةً أخْرَى فأتَمَّها بها ، وقد قال فيه أبو القاسمِ علىُّ بنُ أفْلَحَ الشاعِرُ ، وكانِ مِن جملةِ المُكَذِّبِينَ له فيها[2] :

شيْخٌ لنا مِن رَبِيعَةِ الفَرَسْ ... ينْتِفُ عُثْنُونَهُ[3] مِنَ الهَوَسْ
أنْطقَهُ اللَّهُ بالمَشَانِ كما ... رمَاهُ وَسْطَ الديوانِ[4] بالخَرَسْ

ومعْنَى قولِه : بالمَشَانِ هو مكانٌ بالبَصْرَةِ[5] ، ويُذكرُ أنَّه كان صَدْرَ ديوانِ المَشانِ ، ويقالُ[6] : إنَّه كان دمِيمَ الخَلْقِ ، فاتَّفقَ أنَّ رجلًا رحَل إليه ، فلمَّا رآه ازْدَراه ، ففَهِمَ الحرِيرِيُّ ذلك ، فأنشأَ يقولُ :

ما أنتَ أوَّلُ سارٍ غَرَّهُ قَمر ... ورائدٍ أعجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ[7]
فاخْتَرْ لنفْسِكَ غيرِى إنَّنى رَجَلٌ ... مثلُ المُعَيْدِيِّ فاسْمَعْ بى ولا تَرَنى

ويقالُ[8] : إنَّ المعيدِيَّ اسمُ حصانٍ جوادٍ كان فى العرب ، دميمِ الخِلقةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) بعده فى خ ، م : « بن محمد » . وانظر وفيات الأعيان ٤/ ٦٤.
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٦٥.
(٣) العثنون : ما نبت على الذقن وتحته .
(٤) فى الأصل ، ص : « العراق » . والمثبت موافق لما فى وفيات الأعيان .
(٥) انظر معجم البلدان ٤/ ٥٣٦.
(٦) وفيات الأعيان ٤/ ٦٦.
(٧) الدمن : جمع دِمْنة وهى ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها : أى تلبده فى مرابضها ، فربما نبت فيها النبات الحسن النضير . النهاية ٢/ ١٣٤.
(٨) لم نجد هذا القول ، والمشهور أن المعيدى تصغير رجل منسوب إلى مَعَدٍّ ، وانظر الأمثال لأبى عبيد =

البَغَوِيُّ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودِ بنِ محمدٍ، أبو محمدٍ البَغَوِيُّ[1]، صاحبُ «التفْسِيرِ» و «شرحِ السُّنَّةِ»، و «التَّهْذِيبِ» فى الفقهِ، و «الجمعِ بينَ الصحيحَيْنِ» و «المصابيحِ» فى الصِّحاحِ والحِسَانِ، وغيرِ ذلك، اشتغَل على القاضى حُسَيْنٍ، وبرَعَ فى هذه العلُومِ، وكان علَّامَةَ زمانِه فيها، وكان دَيِّنًا وَرِعًا زاهِدًا عابدًا صالحًا. تُوفِّى فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ وقيلَ: فى سَنةِ عَشْرٍ. فاللَّهُ أعلمُ. ودُفن مع شيْخِه القاضى حُسَيْنٍ بالطَّالَقَانِ. واللَّهُ أعلمُ.

= ص ٩٧، وجمهرة الأنساب للعسكرى ١/٢٦٦ .

(١) وفيات الأعيان ٢/١٣٦، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩، والوافى بالوفيات ١٣/٦٣، والنجوم الزاهرة ٥/٢٢٤.

ثم دخلتْ سنةُ سَبْعَ عشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ

فى يومِ عاشُوراءَ[1] عادَ الخليفةُ مِن الحِلَّةِ بعدَ أن كسَر جيشَ دُبَيسٍ ومزَّق شملَه وقطَّع وصْلَه فى أوَّلِ هذا الشهرِ، ثم عاد إلى بلدِه بَغْدادَ مُؤيَّدًا منصورًا، ورجَع إلى أهلِه مسرورًا.

وفيها عزَمَ الخليفةُ على طُهورِ أولادِه وأولادِ أخيه، وكانوا اثْنَىْ عشَرَ، فزُيِّنَتْ بَغْدادُ سبْعَةَ أيامٍ بزينَةٍ لم يُرَ مثْلُها، وأظهَر الناسُ مِن الحَلْى والمصاغِ والثيابِ ما لم يُرَ مثلُه.

وفى شعبانَ قدِمَ أسعدُ الـمِيهَنِىُّ مُدَرِّسُ النِّظاميَّةِ ببَغْدادَ ناظِرًا عليها، وصُرِفَ الباقَرْحِىُّ عنها، فوقَع بيْنَه وبينَ بعضِ الفقهاءِ بسبَبِ أنَّه قطَع منهم جماعةً، واكْتَفى بثمانينَ طالبًا منهم، فلم يَهُنْ ذلك على كثيرٍ منهم.

وفيها سارَ السلطانُ محمودٌ إلى بلادِ [٩/ ٢٣٠و] الكُرْجِ، وقد وقَع بيْنَهم وبينَ القُفْجاقِ خُلْفٌ، فقاتَلهم فهزَمَهم، وللَّهِ الحمدُ، ثم عادَ إلى هَمَذانَ مؤيَّدًا منصورًا.

وفيها ملَك طُغْتِكينُ صاحبُ دِمَشْقَ مدينةَ حَمَاةَ بعدَ وفاةِ صاحبِها محمودِ ابنِ قَراجا، وقد كان ظالمًا غاشِمًا.

وفيها عُزِل نقيبُ العلَوِيِّينَ، وهُدِمتْ دارُ علىِّ بنِ أفْلَحَ؛ لأنَّهما كانا عيْنًا لدُبَيْسٍ، وأُضِيفَ إلى علىِّ بنِ طِرادٍ الزَّيْنَبِىِّ نِقابةُ العلَوِيِّينَ مع نقابةِ العباسِيِّينَ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢١٦، والكامل ١٠/ ٦٠٩.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ صَدَقةَ التَّغْلِبِىُّ[1] ، المعروفُ بابنِ الخيَّاطِ ، الشاعرُ الدِّمَشْقِىُّ ، الكاتبُ الماهرُ ، له ديوانُ شعرٍ مشهورٌ . قال الحافظُ ابنُ عساكِرَ[2] : خُتِمَ به ديوانُ الشعراءِ بدِمَشْقَ وكان شاعرًا ، ماهرًا ، محسنًا ، مجيدًا ، مكثرًا ، حُفَظةً لأشعارِ المتقدِّمين وأخبارِهم . وأوْرَدَ له القاضى ابنُ خلِّكانَ[3] مِن شعرِه الرائقِ قِطَعًا ، مِن ذلك قصيدَتُه التى لو لم يكُنْ له سِواها لكَفَتْه ، وهى التى يقولُ فى أوَّلِها :

خُذَا مِن صَبَا نجْدٍ أمانًا لقَلْبِهِ ... فقدْ كادَ رَيَّاها يطيرُ بِلُبِّهِ
وإيَّاكُما ذاكَ النَّسيمَ فإنَّه ... متى هبَّ كان الوَجْدُ أيْسَرَ خَطْبِهِ
خلِيلَىَّ لو أحْبَبْتُما لَعَلِمْتُما ... محَلَّ الهوَى مِن مُغْرَمِ القلبِ صَبِّهِ
يُذَكِّرُ والذِّكْرَى تَشُوقُ وذو الهَوى ... يَتُوقُ ومَن يَعلَقْ به الحُبُّ يُصْبِهِ
غرامٌ على يأْسِ الهوَى ورَجائِهِ ... وشوقٌ على بُعدِ المَزارِ وقُرْبِهِ
وفى الرَّكبِ مَطْوِىُّ الضلُوعِ على جَوًى ... متى يَدْعُهُ داعِى الغَرامِ يُلَبِّهِ
إذا خطَرَتْ مِن جانبِ الرملِ نفْحَةٌ ... تضَمَّنَ منها داؤُهُ دونَ صَحْبِهِ
ومحْتجبٍ بين الأسِنَّةِ مُعْرِضٍ ... وفى القلبِ مِن إعْراضِه مثلُ حُجْبِهِ
أغارُ إذا آنَسْتُ فى الحىِّ أنَّةً ... حذارًا وخَوْفًا أنْ تكونَ لحُبِّهِ

وقد كانت وفاتُه فى رمضانَ سنةَ سبعَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ عن سَبْعٍ وستِّين سنةً بدِمَشْقَ .

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٤١٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٦، وعيون التواريخ ١٢/ ١٤٢، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٧.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٤١٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٤٦. وانظر الأبيات أيضا فى عيون التواريخ ١٢/ ١٤٣، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٨.

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة وخمسمائة

فيها[1] ظهرتِ الباطِنيَّةُ بآمِدَ فقاتَلهم أهلُها، فقتَلُوا منهم سَبْعَمائَةٍ، وللَّهِ الحمدُ. وفيها رُدَّتِ الشِّحْنَكِيَّةُ ببَغْدادَ إلى سعدِ الدولةِ يَرَنْقُشَ الزَّكَوِىِّ، وسُلِّمَ إليه منصورُ بنُ صَدَقةَ أخو دُبَيسٍ ليُسَلِّمَه إلى دار الخلافةِ. وورَدَ الخبَرُ بأنَّ دُبَيْسًا قد الْتَجأَ إلى طُغْرُلَ وقدِ اتَّفقَا على أخذِ بَغْدادَ، فأخَذ الناسُ فى التأهُّبِ لقِتالِهما، وأُمِر آقْ سُنقُرُ البُرْسُقىُّ بالعودِ إلى المَوْصِلِ، فاسْتَنابَ على البَصْرَةِ عمادَ الدينِ زَنْكِىَّ بنَ آقْ سُنْقُرَ.

وفى ربيعِ الأوَّلِ دخَل الملكُ حسامُ الدينِ تَمُرْتاشُ بنُ إيلْغازِى بنِ أُرْتُقَ مدينةَ حَلَبَ، وقد ملَكَها بعدَ ملِكِها بَلَكَ بنِ بَهرامَ بنِ أُرْتُقَ، وكان قد حاصَر قلْعَةَ مَنْبِجَ، فجاءَه سَهْمٌ فى حلْقِه فماتَ، فاسْتَنابَ تَمُرْتاشَ بحَلَبَ، ثم عادَ إلى ماردِينَ فأُخِذَتْ منه بعدَ ذلك، أخَذها آقْ سُنْقُرُ البُرْسُقىُّ مضافةً إلى المَوْصِلِ.

وفيها أرسَل الخليفةُ القاضى أبا سَعْدٍ الهرَوِىَّ؛ ليَخْطُبَ له ابنةَ السلطانِ سَنْجَرَ، وشرَعَ الخليفةُ فى بناءِ دارٍ على حافَّةِ دِجْلَةَ لأجْلِ العروسِ. وكمَل بناءُ المُثَمَّنةِ فى هذه السنةِ. وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ جمالُ الدولةِ، إقْبالٌ المُسْتَرْشِدِىُّ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٢٤، والكامل ١٠/ ٦٢٥.

أحمدُ بنُ عليِّ بنِ بَرْهانَ [٩/٢٣٠ظ] **أبو الفَتْحِ**[1] ، ويُعْرَفُ بابنِ الحَمَّامِيِّ ، تفَقَّهَ على أبى الوَفَاءِ بنِ عَقيلٍ ، وبرَعَ فى مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، ثم نقَمَ عليه أصْحابُه أشْياءَ ، فحمَله ذلك على الانْتِقالِ إلى مذهبِ الشافِعيِّ ، فاشْتَغَل على الغَزَّالِيِّ والشَّاشِيِّ ، وبرَعَ وسادَ وشَهِدَ عندَ القاضى الزَّيْنَبِيِّ ، ودرَّس فى النِّظامِيَّةِ شهرًا . وتُوفِّى فى جُمادَى الأولى ، ودُفِنَ ببابِ أبْرَزَ .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ [2]**علىِّ بنِ محمدٍ ، أبو**[2] **جَعفرٍ الدَّامَغانِيُّ** ، سمِعَ الحديثَ ، وشَهِدَ عندَ أبيه ، ونابَ فى رَبْعِ الكَرْخِ عن أخيه ، ثم ترَكَ ذلك كلَّه ، ووَلِىَ حِجَابةَ بابِ النوبىِّ ، ثم عُزِلَ ، ثم أعيدَ ، وكان دَمِثَ الأخلاقِ ، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى من هذه السنةِ .

أحمدُ بنُ محمدِ [3]**بنِ أحمدَ**[3] **بنِ إبْراهيمَ ، أبو الفَضْلِ المَيْدَانِيُّ** ، صاحبُ كتابِ « الأَمْثالِ » ، وليْسَ مثلُه فى بابِه ، وله شعرٌ جيدٌ . قال ابنُ خَلِّكان[4] : تُوفِّى يومَ الأرْبعاءِ الخامسِ والعشرينَ مِن شهرِ رمضانَ من هذه السنةِ .

---

(١) المنتظم ١٧/٢٢٥ وفيه : أحمد بن على بن تركان ، ووفيات الأعيان ١/ ٩٩، وفيه أنه توفى سنة عشرين وخمسمائة ، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٠٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٠.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٢٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٨.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٥/ ٤٥، وإنباه الرواة ١/ ٢١، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٨٩، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٢٦.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٤٨.

ثم دخلتْ سنَةُ تِسْعَ عشْـرَةَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] قصَد دُبَيسٌ والسلطانُ طُغْرُلُ بَغْدادَ ؛ ليأخُذَاها مِن يَدِ الخليفةِ ، فلمَّا اقْتَربا منها برَزَ إليهما الخليفةُ فى جَحْفَلٍ عظيمٍ والناسُ مُشاةٌ بيـنَ يدَيْه ، وعليه السوادُ والبُرْدُ ، وبيدِه القضيبُ ، إلى أوَّلِ منْزِلَةٍ ، ثم ركِبَ الناسُ بعدَ ذلك ، فلمَّا أمسَتِ الليلةُ التى يقْتَتِلُونَ فى صَبِيحتِها ، ومِن عزْمِهم أنْ ينْهَبُوا بَغْدادَ ، أرْسَلَ اللَّهُ عليهم مطَرًا عظيمًا ، ومرِضَ السلطانُ طُغرُلُ فى تلك الليلةِ ، فتَفرَّقَتْ تلك الجموعُ ، ورجَعُوا على أعْقابِهم خائبيـنَ خائِفيـنَ ، والْتَجأ دُبَيسٌ ، قبَّحه اللَّهُ ، وطُغْرُلُ إلى الملكِ سَنْجَرَ ، وسألَاه الأمانَ مِن الخليفةِ والسلطانِ محمودٍ ، فحبَسَ دُبَيْسًا فى قلعتِه ، ووَشَى وَاشٍ إلى الملكِ سَنْجَرَ أنَّ الخليفةَ يريدُ أنْ يستأثِرَ بالمُلْكِ ، وقد خرَج مِن بَغْدادَ الآنَ لقتالِ الأعْداءِ ، فوقَع فى نفْسِ السلطانِ سَنْجَرَ مِن ذلك شىءٌ ، وأضْمَرَ سُوءًا ، مع أنَّه قد زوَّجَ ابْنَتَه مِن الخليفةِ .

وفيها قُتل القاضى أبو سعدٍ ، محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ مَنْصُورٍ الهرَوِىُّ بهَمَذانَ ، قتلَتْه الباطِنِيَّةُ ، وكان قد أرْسَله الخليفةُ إلى السلطانِ سَنْجَرَ يَخْطُبُ ابْنَتَه . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٢٨، والكامل ١٠/ ٦٢٦.

آقْ سُنْقُرُ البُرْسُقِيُّ[1] ، صاحبُ المَوْصلِ ، قتَلَتْه الباطِنِيَّةُ فى مقْصُورَةِ جامِعها فى يومِ جمُعةٍ ، وقد كان ، رحِمه اللَّهُ ، تُرْكِيًّا ، جيِّدَ السيرةِ ، صحيحَ السَّريرةِ ، محافظًا على الصلواتِ فى أوْقاتِها ، كثيرَ البِرِّ والصدَقاتِ والإحْسانِ إلى الرَّعايا ، ولما تُوفِّى قامَ فى المُلْكِ بعدَه ولَدُه السلطانُ عِزُّ الدينِ مسعودٌ ، وأقَرَّه السلطانُ محمودٌ على عملِه .

هلالُ[2] **بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ شُرَيْحٍ**[3] **بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبْراهيمَ بنِ سُلَيمانَ بنِ بِلالِ بنِ رَباحٍ** ، مُؤَذِّنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، رحَل وجالَ فى البلادِ ، وكان شيْخًا جَهْورِىَّ الصوتِ ، حسنَ القراءةِ ، طيِّبَ النَّغْمَةِ ، تُوفِّى فى هذه السنةِ بسَمَرْقَنْدَ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

القاضى [٩/ ٢٣١و] **أبو سَعْدٍ الهَرَوِىُّ ، محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ منصورٍ ، أبو سعدٍ الهَرَوِىُّ**[4] أحدُ مشاهيرِ الفقهاءِ ، والسادَةِ الكُبَراءِ ، قتلَتْه الباطِنيَّةُ بهَمَذانَ حينَ ذهَب فى الرِّسليةِ عن الخليفةِ إلى السلطانِ سَنْجَرَ فى خِطبةِ ابنتِه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٠، والكامل ١٠/ ٦٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٩، وعيون التواريخ ١٢/ ١٧٠.

وقد تابع المصنفُ ابنَ الجوزى والكتبىَّ ، فذكره فى وفيات هذه السنة ، والمذكور فى مصادر ترجمته الأخرى أنه قتل سنة عشرين وخمسمائة ، وقد صحح ذلك الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٣٠٦، ٣١١.

(٢) فى النسخ : « بلال » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : المنتظم ١٧/ ٢٣٠، والكامل ١٠/ ٦٣٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ١١٧.

(٣) فى المنتظم : « سريج » .

(٤) الكامل ١٠/ ٦٣٠، وعيون التواريخ ١٢/ ١٧٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٨، ضمن وفيات سنة ٥١٨.

سنَةُ عِشْرِينَ وخَمْسِمائَةٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

فيها[1] تراسَلَ السلطانُ محمودٌ والخليفةُ على السلطانِ سَنْجَرَ، وأنْ يكُونَا عليه، فلمَّا علِمَ بذلك السلطانُ سَنْجَرُ كتَب إلى ابنِ أخيه محمودٍ يَنْهاه عن ذلك، ويَسْتَمِيلُه إليه، ويحذِّرُه مِنَ الخليفةِ، وأنَّه متى ما فرَغا منه تفرَّغ له ورتَّبَ عليه، فأصْغَى إلى قولِ عمِّه، ورجعَ عن عزْمِه، وأقْبَلَ يقصِدُ بغدادَ ليدخلَها عامَه ذلك، فكَتب إليه الخليفةُ يَنْهاه عن ذلك لقِلَّةِ الأقْواتِ بها، فلم يَقْبَلْ منه، وأقبَل إليه، فلمَّا أَزِف قدومُه خرَج الخليفةُ مِن دارِه وتَحَيَّر إلى الجانبِ الغربيِّ، فشَقَّ ذلك عليه وعلى الناسِ، ودخَل عيدُ الأضْحَى فخطَب الخليفةُ الناسَ بنفْسِه خُطبةً عظيمةً بليغَةً فصيحةً جدًّا، وكبَّرَ وراءَه خُطَباءُ الجوامعِ، وكان يومًا مشْهُودًا. وقد سَرَدَها ابنُ الجَوْزِى فى المنتظم[2] بطُولِها، ورَواها عن مَن حضَرَها مِن الخليقةِ معَ قاضى القُضاةِ أبى القاسم الزَّيْنَبِيِّ، وجماعةٍ مِن العُدُولِ[3] ولما أراد الخليفةُ أن ينزِلَ عنِ المِنْبَرِ ابتدَره أبو المُظَفَّرِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ الهاشميُّ، فأنشدَه[3(4)]:

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣١، والكامل ١٠/ ٦٣١.

(٢) المنتظم ١٧/٢٣٣ - ٢٣٥.

(٣ - ٣) سقط من: خ، م.

(٤) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ٢٣٥، وعيون التواريخ ١٢/١٧٣، ١٧٤.

(١) عليك سلامُ اللَّهِ يا خيرَ مَن علا ... على منبرٍ قد حفَّ أعلامَه النصرُ
وأفضلَ مَن أمَّ الأنامَ وعمَّهم ... بسيرتِه الحُسْنى وكان له الأمرُ
لقد شنَّفَتْ أسماعَنا مِنك خُطبةٌ ... وموعظةٌ فَصْلٌ يلينُ لها الصخرُ
ملأتَ بها كلَّ القلوبِ مَهابةً ... فقد رجَفَت مِن خوفِ تخويفِها مِصْرُ
سما لفظُها فضلًا على كلِّ قائلٍ ... وجلَّ عُلاها أن يُلِمَّ بها حَصْرُ
أشدتَ بها سامِى المنابرِ رفعةً ... تقاصَرَ عن إدراكِها الأنجُمُ الزُهْرُ
وزدتَ بها عَدْنانَ مجدًا مُؤَثَّلًا ... فأضحَى لها(٢) بينَ(٣) الأنامِ بكَ الفخرُ
فللهِ عصرٌ أنت فيه إمامُهُ ... وللَّهِ دينٌ أنت فيه لنا الصدرُ
بَقِيتَ على الأيَّامِ(٤) والمُلْكِ كلَّما ... تقادَم عصرٌ أنت فيه أتَى عصرُ
وأصبَحتَ بالعيدِ السعيدِ مُهَنَّأً ... يُشرِّفُنا فيه صلاتُك والنحرُ(١)

ولمَّا نزَل الخليفةُ عنِ المِنْبَرِ ذبَح البَدَنَةَ بيدِهِ، ودخَل السُّرادِقَ وتَباكَى الناسُ ودَعَوا للخليفةِ بالتوفيقِ والنصرِ، ثم دخَل السلطانُ محمودٌ إلى بَغْدادَ يومَ الثلاثاءِ الثامِنَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ، فنزَلُوا فى بُيوتِ الناسِ وحصَل للناسِ، أذًى كثيرٌ فى حَرِيمِهم، فراسل الخليفةَ فى الصُّلْحِ، فأبَى ذلك الخليفةُ، وركِب فى جيْشِه وقاتَل الأتْراكَ ومعه شِرْذِمَةٌ قليلةٌ مِن المُقاتِلةِ، ولكِنَّ العامَّةَ كلَّهم معه، فقُتِل مِن الأتْراكِ خلقٌ كثيرٌ، ثم جاءَ عِمادُ الدينِ زَنْكِى فى جيشٍ كثيفٍ مِن وَاسِطٍ فى السُّفنِ إلى السلطانِ نجْدَةً، فلمَّا اسْتَشعَر الخليفةُ ذلك دعَا إلى الصلحِ، فوَقع الصلحُ بينَ

(١ - ١) سقط من: خ، م.
(٢) فى الأصل، ص: «بها». والمثبت من المنتظم.
(٣) فى الأصل، ص: «من». والمثبت كما فى المنتظم.
(٤) فى المنتظم: «الإسلام».

السلطانِ والخليفةِ ، وأخَذَ المَلِكُ يَسْتَبْشِرُ بذلك جدًّا ، ويعتذرُ إلى الخليفةِ مما وقَع ، ثم خرَج فى أوَّلِ السنةِ الآتيةِ [٩/ ٢٣١ظ] إلى هَمَذانَ لمرَضٍ حصَلَ له .

وفى هذه السنةِ كان أوَّلُ مجلسٍ تكلَّمَ فيه ابنُ الجَوْزِىِّ على المِنْبَرِ يعِظُ الناسَ ، و عمرُه إذْ ذاك ثلاثَ عشْرَةَ سنةً ، وحضَره الشيخُ أبو القاسِمِ علىُّ بنُ يعْلَى العَلَوِىُّ البَلْخِىُّ ، وكان سُنيًّا ، علَّمه كلماتٍ ، ثم أصْعَدَه المِنْبَرَ فقالَها ، وكان يومًا مشْهُودًا . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وحُزِرَ الجمعُ يَوْمَئذٍ بخمسينَ ألفًا .

وفيها اقْتَتَلَ طُغْتِكينُ صاحبُ دِمَشْقَ وأعداؤُه مِن الفِرنْجِ ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِم منهم أموالًا جزيلةً ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ ، أبو الفتوحِ الطُّوسِىُّ الغَزَّالِىُّ الواعظُ ، أخو أبى حامِدٍ الغَزَّالِىِّ[2] ، كان واعِظًا مُفَوَّهًا ، ذا حظٍّ مِن الكلامِ والزهدِ وحسْنِ التَّأَتِّى ، وله نُكَتٌ جيدةٌ ؛ وعَظَ مرةً فى دارِ المَلِكِ محمودٍ ، فأطْلَقَ له ألفَ دينارٍ ، وخرَجَ فإذا على البابِ فرَسُ الوزيرِ بسَرْجِها الذهبِ ، وسلاسِلِها وما عليها مِنَ الحَلْى ، فرَكِبَها ، فبلَغَ ذلك الوزيرَ فقالَ : دَعُوه ، ولا يُرَدُّ علىَّ الفرسُ . وسمِعَ مرةً ناعُورَةً[3] تَئِنُّ ، فألْقَى عليها رِداءَه فتَمَزَّقَ قِطَعًا . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : وقد كانتْ له نُكَتٌ ، إلَّا أنَّ الغالِبَ على كلامِه التَخْليطُ وروايةُ الأحاديثِ الموضوعةِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٣٧، والكامل ١٠/ ٦٤٠، ووفيات الأعيان ١/ ٩٧، وعيون التواريخ ١٢/ ١٧٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٦٠.

(٣) الناعورة : واحدة النواعير التى يُستقى بها يديرها الماء ولها صوت . انظر التاج (ن ع ر) .

(٤) المنتظم ١٧/٢٣٨ - ٢٤٠.

المصنوعةِ ، والحكاياتِ الفارِغَةِ ، والمَعانِى الفاسدةِ ، ثم أوْرَدَ ابنُ الجَوْزِىِّ أشْياءَ مُنكرةً مِن كلامِه ، فاللَّهُ أعلمُ ، مِن ذلك أنَّه كانَ كلَّما أشْكَلَ عليه شىءٌ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى اليَقَظَةِ ، فسأَله عن ذلك فدَلَّه على الصَّوابِ ، قال : وكان يتعَصَّبُ لإبليسَ ويَعْذُرُ له ، وتكلَّمَ فيه ابنُ الجَوْزِىِّ بكلامٍ طويلٍ كثيرٍ . قال : ونُسِبَ إلى محبَّةِ المُرْدَانِ ، والقولِ بالمُشاهدَةِ . فاللَّهُ أعلمُ بصِحَّة ذلك .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : كان واعِظًا مليحَ الوعظِ ، حسنَ المَنظرِ ، صاحِبَ كَراماتٍ وإشاراتٍ ، وكان مِن الفقهاءِ ، غيرَ أنَّه مالَ إلى الوعظِ فغلَب عليه ، ودرَّسَ بالنِّظامِيَّةِ نِيابةً عن أخيه لمَّا تزَهَّدَ وترَكها ، واخْتَصَر « إحْياءَ علُومِ الدينِ » فى مُجلَّدٍ سمَّاه : « لُبابَ الإحْيَاءِ » ، وله « الذخيرُة فى علمِ البَصِيرَةِ » ، وطافَ البلادَ ، وخدَم الصوفِيَّةَ بنفْسِه ، وكان مائلًا إلى الانْقِطاعِ والعُزلةِ .

أحمدُ بنُ علىِّ بنِ محمدٍ الوَكيلُ ، المعروفُ بابنِ بَرْهانَ ، أبو الفَتْحِ الفَقِيهُ الشافعىُّ[2] ، تفَقَّهَ على الغَزَّالِىِّ وإلْكِيَا ، وأبى بكرٍ الشَّاشِىِّ ، وكان بارِعًا فى الأُصولِ ؛ له فيه كتابُ « الوجيزِ فى أصولِ الفِقهِ » ، وكانت له فُنونٌ جيدةٌ يُتْقِنُها جَيِّدًا . ووَلِى تدْرِيسَ النِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ دونَ شهرٍ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، كما ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[3] ، رحِمه اللَّهُ .

بَهْرَامُ بنُ بَهرامَ ، أبو شُجاعٍ البَيِّعُ[4] ، سمِعَ الحديثَ ، وبنَى مدرسةً لأصْحابِ الإمامِ أحمدَ بكَلْوَاذَى ، ووقَف قِطْعةً مِن أمْلاكِه على الفقهاءِ .

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته فى ص ٢٦٦ .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٩٩.

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٤٣٩.

صاعِدُ بنُ سيَّارِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ إبْراهيمَ ، أبو العلاءِ الإسْحَاقِيُّ الهَرَوِيُّ الحافظُ[1] ، أحدُ المُتْقِنينَ ، سمِع الحديثَ ، وتُوفِّى بغَوْرَجَ ؛ قريةٍ على بابِ هرَاةَ ، فى هذه السنةِ .

---

(١) المنتخب من السياق ص ٢٥٩، والمنتظم ١٧/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠هـ) ص ٢١٤، وعيون التواريخ ١٢/ ١٨٦.

وقد تابع المصنف ، رحمه اللَّه ، ابن الجوزى والكتبى ، فذكره فى وفيات هذه السنة ، والمذكور فى مصادر ترجمته الأخرى أنه توفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم دخَلَتْ سنةُ إحْدَى وعشْرينَ وخَمسِمائةٍ

اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ[1] والخليفةُ والسلطانُ محمودٌ يتحارَبان ، والخليفةُ فى السُّرادِقِ فى الجانبِ الغربىِّ ، فلمَّا كان يومُ الأرْبعاءِ رابعِ المحرَّمِ ، توصَّل جماعةٌ مِن جُندِ [٢٣٢/٩و] السلطانِ إلى دارِ الخلافةِ ، فحصَل فيها ألفُ مُقاتِلٍ عليهمُ السِّلاحُ ، فنهَبوا الأموالَ ، وخرَج الجوارِى وهُنَّ حاسِراتٌ يَستغِثْنَ حتى دخَلْنَ دارَ الخاتُونِ .

قال ابنُ الجوزىِّ[2] : وأنا رأيتُهنَّ كذلك ، فلمَّا وقَع ذلك، ركِب الخليفةُ فى جيشِه ، وجِىء بالسُّفُنِ فركِب فيها الجيشُ ، وانْقلَبتْ بَغْدادُ بالصُّراخِ حتى كأنَّ الدنْيَا قد زُلْزِلتْ ، وثارَتِ العامَّةُ مع جيشِ الخليفةِ ، فكَسَروا جيشَ السلطانِ وقتَلوا خلقًا مِن الأُمراءِ ، وأسَروا آخرِينَ ونهَبُوا دارَ السلطانِ ، ودارَ وزيرِه ، ودارَ طبيبِه أبى البَرَكاتِ ، وأخَذوا ما كان فى دارِه مِن الوَدائعِ ، ومرّتْ خبْطةٌ عظيمةٌ جدًّا ، حتى إنَّهم نهَبوا الصُّوفيَّةَ ، برِباطِ بِهْروزَ .

وجرَتْ أمورٌ طويلةٌ وخطوبٌ جليلةٌ ، ونالَتِ العامَّةُ مِنَ السلطانِ ، وجعَلوا يقولون له : يا باطِنىُّ تترُكُ قتالَ الفِرنْجِ والرومِ وتُقاتلُ الخليفةَ ؟! ثم إنَّ الخليفةَ انْتقَل إلى دارِه فى سابعِ المحرَّمِ ، فلمَّا كان يومُ عاشُوراءَ تماثَلَ الحالُ ، وطلَب السلطانُ مِن الخليفةِ الأمانَ والصُّلحَ ، فلَانَ الخليفةُ إلى ذلك ، وتباشر الناسُ بالصُّلحِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٤١، والكامل ١٠/ ٦٤١.

(٢) المنتظم ١٧/٢٤١ .

فأرْسَل الخليفةُ إليه نَقيبَ النُّقَباءِ وقاضىَ القُضاةِ ، وشيخَ الشيُوخِ وبضْعةً وثلاثينَ شاهِدًا ، فاحْتَبَسهمُ السلْطانُ عندَه سِتَّةَ أيامٍ ، فسَاء ذلك الناسَ ، وخافُوا مِن فتنةٍ أخرى أشدَّ مِن الأُولَى ، وكان يَرنُقْشُ الزَّكَوِىُّ شِحْنَةُ بَغدادَ يُغرِى السلطانَ بأهلِ بغدادَ ليَنهَبَ أموالَهم ، فلم يَقْبَلْ مِنه ، ثم أذِن لأولئك الجماعةِ ، فدخَلوا عليه وقتَ المَغْرِبِ فصلَّى به القاضى ،وقرَءوا عليه كتابَ الخليفةِ ، فقام قائمًا ، فأجاب الخليفةَ إلى جميعِ ما اقْتَرَح عليه ، ووقَع الصُّلحُ والتَّحْليفُ ، ودخَل جيشُ السلطانِ إلى بغدادَ ، وهم فى غايَةِ الجَهدِ من قلَّةِ الطعامِ عندَهم فى العسْكَرِ ، وقالوا : لو لم يُصالِحْ لمِتْنا جُوعًا . وظهَر مِنَ السلطانِ حِلمٌ كثيرٌ عنِ العوامِّ ، وللَّهِ الحمدُ .

وأمَر الخليفةُ بردِّ ما نُهِب مِن دُورِ الجُندِ ، وأنَّ مَن كتَم شيئًا أُبِيحَ دمُه . وبعَث الخليفةُ علىَّ بنَ طِرادٍ الزَّيْنَبِىَّ النقيبَ إلى السلطانِ سَنْجَرَ ليُبْعِدَ عن بابِهِ دُبَيْسًا ، وأَرسَل معه الخِلَعَ والألْوِيةَ، فأكْرَمَ السلطانُ الرسولَ ، وأذِن بضَربِ الطبولِ على بابِه فى ثلاثَةِ أوْقاتٍ ، وظهَر منه طاعةٌ كبيرةٌ .

ثم مرِض السلطانُ محمودٌ ببغدادَ ، فأمَره الطبيبُ بالانْتِقالِ عنها إلى هَمَذانَ ، فسار فى ربيعِ الآخرِ ، وفوَّض شِحْنَكِيَّةَ بغدادَ إلى عِمادِ الدينِ زَنْكِى ، فلما وصَل السلطانُ إلى همَذَانَ ، بعَث إلى شِحْنَكِيَّةِ بغدادَ مُجاهِدَ الدينِ بِهْروزَ ، وجعَل إليه الحِلَّةَ ، وبعَث عمادَ الدينِ زَنْكِى إلى المَوْصِلِ وأعْمالِها .

وفيها درَّس الحسنُ بنُ سَلْمانَ[1] بالنِّظامِيَّةِ ببغدادَ .

وفيها ورَد أبو الفُتوحِ الإسْفَرَايينىُّ فوعَظ ببغدادَ ، فأوْرَد أحاديثَ كثيرةً منكرةً

---

(١) فى م ، والكامل : « سليمان » . وقد وقع الخلاف فى هذا الاسم ، وانظر تبيين كذب المفترى ص ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦١١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٢.

جدًّا ، فاسْتُتِيبَ منها ، وأُمِر بالانْتقالِ منها إلى غيرِها ، فشَدَّ معه جماعةٌ مِنَ الأكابرِ ، وردُّوه إلى ما كان عليه ، فوقَع بسببِه فتنٌ كثيرةٌ بينَ الناسِ ، ورجَمه بعضُ العامَّةِ فى الأسْواقِ ؛ وذلك لأنَّه كان يُطلِقُ عباراتٍ لا يُحْتاجُ إلى إيْرادِها ، فنفَرتْ عنه قلوبُ العامَّةِ وأبْغَضُوه ، وجلَس الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلِىُّ ، فتكلَّمَ على الناسِ فأعْجبَهم ، وأحبُّوه وترَكُوا [٩/ ٢٣٢ظ] ذاكَ .

وفيها قتَل السلطانُ سَنْجَرُ مِنَ الباطِنيَّةِ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ ، أبو الحسنِ بنُ أبى الفَضْلِ الهَمَذانِىُّ الفَرَضِىُّ[1] ، صاحبُ « التاريخِ » من بيتِ الحديثِ والأئمَّةِ . وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ[2] عن شيْخِه عبدِ الوهَّابِ أنَّه طعَنَ فيه . توفِّى فجأةً فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن إلى جانبِ ابنِ سُرَيْجٍ .

فاطمةُ بنتُ الحُسَينِ بنِ الحسَنِ بنِ فضْلُوَيْهِ[3] ، سمِعَتِ الخطيبَ وابنَ المُسْلِمةِ وغيرَهما ، وكانت واعِظةً ، لها رِباطٌ تجتمعُ فيه الزاهِداتُ ، وقد سمِع عليها ابنُ الجَوْزِىِّ « مسْنَدَ الشافِعىِّ » وغيرَه .

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ السِّيدِ البَطَلْيَوْسِىُّ[4] ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٤٨، والكامل ١٠/ ٦٤٨، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٣.
(٢) المنتظم ١٧/ ٢٤٨.
(٣) المنتظم ١٧/ ٢٤٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٦٩.
(٤) الصلة ١/ ٢٢، وإنباه الرواة ٢/ ١٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ٩٦، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩١، وغاية النهاية ١/ ٤٤٩.

صاحبُ المصنَّفاتِ فى اللغةِ وغيرِها ، جمَع « المُثَلَّث » فى مجلَّدَيْن ، وزاد فيه على قُطْرُبَ شيئًا كثيرًا جدًّا ، وله « شرحُ سَقطِ الزَّنْدِ » لأبى العلاءِ ، أحسنُ مِن شرحِ المصنِّفِ ، وله « شرحُ أدَبِ الكاتبِ » لابنِ قُتيبةَ ، ومِن شعرِه الذى أوْردَه القاضى ابنُ خَلِّكانَ قولُه[1] :

أخو العلمِ حىٌّ خالدٌ بعدَ موْتِهِ ... وأوْصالُهُ تحتَ التُّرابِ رَمِيمُ
وذو الجهْلِ مَيْتٌ وهْوَ ماشٍ على الثَّرَى ... يُظَنُّ مِنَ الأحْياءِ وهْوَ عدِيمُ

(١) وفيات الأعيان . وانظر البيتين أيضا فى : الصلة ١/ ٢٣، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٢، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٢.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثِنتَيْنِ وعشرين وخمسِمائةٍ[1]

فى أوَّلِها قدِمَ رسولُ سَنْجَرَ إلى الخليفةِ يسألُ منه أنْ يُخطَبَ له على منابرِ بَغدادَ ، فكان يُخطبُ له فى كلِّ جُمُعةٍ فى جامِعٍ .

وفيها مات ابنُ صَدَقةَ وزيرُ الخليفةِ ، واسْتُنِيب فى الوِزارةِ نقيبُ النُّقَباءِ . وفيها اجتمَع السلطانُ محمودٌ بعمِّه سَنْجَرَ واصْطلَحا بعدَ خُشونةٍ ، وسلَّم سَنْجرُ دُبَيْسًا إلى محمودٍ ، على أنْ يَستَرْضِىَ عنه الخليفةَ ويعزِلَ زَنْكِى عنِ المَوْصِلِ وبلادِها ، ويُسلِّمَ ذلك إلى دُبَيْسٍ . واشْتَهر فى ربيعِ الأولِ ببَغْدادَ أنَّ دُبَيْسًا أقبَلَ إلى بَغْدادَ فى جيشٍ كثيفٍ ، فكتَب الخليفةُ إلى المَلِكِ محمودٍ : لئن لم يَكُفَّه عن قُدومِ بَغْدادَ ، وإلَّا خرَجْنا إليه ونقَضْنا ما بيْنَنا وبيْنَكَ مِنَ العهودِ والصلحِ .

وفيها ملكَ الأتابِكُ زَنْكِى بنُ آقْ سُنقُرَ مدينةَ حَلَبَ وما حَوْلَها مِن البلادِ . وفيها ملَكَ تاجُ الملوكِ بُورى بنُ طُغْتِكينَ مدينةَ دِمَشقَ بعدَ وفاةِ أبيه ، وقد كان أبوه مِن مَماليكِ تاجِ الدولةِ تُتُشَ بنِ ألب أرْسَلانَ ، وكان عاقلًا حازِمًا عادلًا خيِّرًا ، كثيرَ الجهادِ للفِرنجِ ، رحِمهُ اللَّهُ .

وفيها عُمِل ببَغْدادَ مُصَلًّى للعيدِ ظاهِرَ بابِ الحَلْبَةِ ، وحُوِّط عليه ، وجُعِل فيه قِبْلَةٌ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نَظَرٌ الخادِمُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٤٩، والكامل ١٠/ ٦٤٩.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

الحسَنُ بنُ علىِّ بنِ صَدَقةَ[1] ، **أبو علىٍّ وزيرُ المُسْتَرْشِدِ** ، تُوفِّى فى رجَبٍ منها . ومِن شعرِه الذى أورَده ابنُ الجَوْزِىِّ[2] ممّا بالغَ فيه قولُه :

وَجدْتُ الوَرَى كالماءِ طعْمًا ورِقَّةً ... وأنَّ أميرَ المؤمنينَ زُلَالُهُ
وصَوَّرْتُ مَعْنَى العَقْلِ شخْصًا مصَوَّرًا ... وأنَّ أميرَ المؤمنينَ مِثالُهُ
فلوْلَا مكانُ[3] الدِّينِ والشَّرعِ والتُّقَى ... لقُلْتُ مِنَ الإعْظامِ جَلَّ جلَالُهُ

الحُسَيْنُ بنُ علىِّ بنِ أبى القاسمِ اللامِشىُّ[4] [٩/٢٣٣و] مِن أهلِ سَمَرْقَنْدَ ، روَى الحديثَ وتفَقَّهَ ، وكان يُضرَبُ به المثلُ فى المُناظرَةِ ، وكان خيِّرًا ، دَيِّنًا على طريقةِ السَّلَفِ ، مُطَّرِحًا للتَّكَلُّفِ ، أمَّارًا بالمعروفِ ، قدِمَ مِن عندِ الخاقانِ ملكِ ما وراءَ النهرِ فى رسالةٍ إلى دارِ الخلافةِ ، فقيلَ له : أَلَا تحُجُّ عامَكَ هذا ؟ فقال : لا أجعَلُ الحجَّ تبَعًا لرِسالَتِهم . فعادَ إلى بلَدِه ، فمات فى رمضانَ مِن هذه السَّنَةِ عن إحْدَى وثمانينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

طُغْتِكِينُ الأَتابِكُ[5] ، صاحبُ دِمَشْقَ التُّرْكِىُّ ، أحدُ غِلْمانِ تاجِ الدولةِ تُتُش

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/٩٤، والمنتظم ١٧/٢٥٠، والكامل ١٠/٦٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١- ٥٣٠هـ) ص ٧١ : وفيه « الحسين » وعيون التاريخ ١٢/٢٠٠ .

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٥٠. وانظر الأبيات أيضًا فى : الكامل ١٠/ ٦٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٧١.

(٣) فى المنتظم ، والكامل : « طريق » .

(٤) فى م : « اللامتنى » ، وانظر ترجمته فى : الأنساب ٥/ ٦٧١، والمنتظم ١٧/ ٢٥١، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٧٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٢.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١- ٥٣٠هـ) ص ٧٤، وعيون التواريخ ١٢/ ١٩٨.

ابنِ ألبِ أرسَلانَ السَّلْجوقىِّ ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ وأعْدَلِهم وأكْثَرِهم جِهادًا للأعداءِ ، وكانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وقام فى المُلْكِ مِن بعدِه ولَدُه تاجُ المُلوكِ بُورى .

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وعِشْرِينَ وخَمْسِمِائَةٍ[1]

فى المحرَّمِ منها دخَل السلْطانُ محمودٌ إلى بَغْدادَ ، واجْتَهد فى إرْضاءِ الخليفةِ عن دُبَيْسٍ ، وأنْ يُسلِّمَ إليه بلادَ المَوْصِلِ ، فامتَنَع الخليفةُ مِن ذلك ، وأَبى أشدَّ الإباءِ ، هذا وقد تأخَّرَ دُبَيسٌ عن الدخُولِ إلى بَغْدادَ ، ثم دخَلها ورِكِب بينَ الناسِ فلَعَنُوه وشَتَموه فى وَجْهِه ، وقدِمَ عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ آقْ سُنقرَ ، فبذَل للسلْطانِ فى كلِّ سنَةٍ مائَةَ ألفِ دينارٍ ، وهدايا وتُحَفًا ، والْتَزَم الخليفةُ للسلطانِ بمثلِها على أنْ لا يُوَلِّىَ دُبَيْسًا شيئًا ، وعلى أنْ يستمرَّ زَنكِى على عمَلِهِ بالمَوْصِلِ ، فأقرَّه على ذلك وخلَع عليه ، ورجَع إلى عملِه ، وملَكَ فى هذه السنةِ مدينةَ حَلَبَ وحَمَاه . وأسَر ملِكَها سُونْجَ بنَ تاجِ الملوكِ ، فافتَدَى منه بخمسينَ ألفَ دينارٍ .

وفى يومِ الاثْنَيْنِ سلْخِ ربيعٍ الآخرِ خلَع السلْطانُ على نقيبِ النُّقَباءِ بالوِزارةِ استِقلالًا ، ولا يُعْرَفُ أحدٌ من العباسيِّينَ باشَر الوِزارةَ غيرُه .

وفى رمضانَ جاءَ دُبَيسٌ فى جيشٍ إلى الحِلَّةِ فملَكَها ، ودخَل إليها فى أصحابِه ، وكانوا ثَلاثَمِائَةِ فارسٍ ، ثم إنَّه شرَع فى جمعِ الأمْوالِ ، وأخْذِ الغَلَّاتِ مِنَ القُرَى حتى حصَّل نحْوًا مِن خَمْسِمِائَةِ ألفِ دينارٍ ، واستَخدَم قريبًا مِن عشَرَةِ آلافِ مُقاتلٍ ، وتفاقَم الحالُ بأمْرِه وسببِه ، وبعَث إلى الخليفةِ يَسْترْضِيه ، فلم يرْضَ عنه ، وعرَضَ عليه أموالًا كثيرةً جدًّا فلم يقبَلْها الخليفةُ ، وكتَب الخليفةُ إلى

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٥٢، والكامل ١٠/ ٦٥٤.

السلطانِ فبعَث إليه السلطانُ جيْشًا فانهزَم منهم وذهَب إلى البُرِّيَّةِ ، لا جمَع اللَّهُ به شَمْلًا ، وأغارَ على البَصْرَةِ فأخَذ منها حواصِلَ السلْطانِ والخليفةِ ، ثم دخَل البرِّيَّةَ فانْقَطَع خبرُه .

وفى هذه السنةِ قَتَل صاحبُ دِمَشْقَ مِنَ الباطنيَّةِ ستَّةَ آلافٍ ، وعلَّقَ رأسَ كبيرِهم على بابِ القلعةِ ، وأراحَ اللَّهُ أهلَ الشامِ منهم .

وفيها حاصَرَتِ الفِرنْجُ مدينةَ دِمَشْقَ ، فخرَج إليهم أهلُها ، فقاتَلُوهم قِتالًا شديدًا ، وبعَث أهلُ دِمَشْقَ (١عبدَ الوهَّابِ١) الواعظَ ومعه جماعةٌ مِن التجارِ إلى بغدادَ يسْتَغِيثُونَ بالخليفةِ ، وهمّوا بكَسْرِ مِنبَرِ الجامعِ ، حتى وُعِدوا بأنَّهم سيكتُبون إلى السلطانِ ؛ ليبْعَثَ جيْشًا كثيفًا نُصرةً لأهلِ الشَّامِ ، فلم يُبْعَثْ إليهم جيشٌ حتى نَصَرهم اللَّهُ من عندِه ، فهزَمهم المسلمون وقتَلوا منهم عَشَرةَ آلافٍ ، ولم يُفْلِتْ منهم سِوى أرْبَعِينَ نفْسًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . وقتِل بَيْمَنْدُ الفِرنجيُّ صاحبُ أنْطاكِيَةَ .

وفى هذه السنةِ تخبَّطَ [٩/٢٣٣ظ] الناسُ فى الحجِّ حتى ضاق الوقتُ بسَببِ فِتْنَةِ دُبَيسٍ ، قبَّحه اللَّهُ ، حتى حجَّ بهم أحدُ مماليكِ يَرنُقْشَ الزَّكَوِيِّ ، وكان اسمُه بغاجقَ[٢] .

ومِمَّنْ توُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أسْعَدُ بنُ أبى نَصْرٍ الـمِيهَنِىُّ[٣] أبو الفَتْحِ ، أحدُ أئمَّةِ الشَّافعِيَّةِ فى زمانِه ،

(١ - ١) فى م : « عبد اللَّه » .

(٢) فى عيون التواريخ ١٢/ ٢٠٤: « تعاجق » . وانظر إتحاف الورى ٢/ ٥٠١.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٣٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٤٢ وفيه : « أسعد من محمد بن أبى نصر » .

تفَقَّهَ على أبى المُظفَّرِ السَّمْعَانِىِّ ، وساد أهلَ زمانِه ، وتفَرَّدَ مِن بينِ أقْرانِه ، ووَلِىَ تدْريسَ النِّظَامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وحصَل له وَجاهَةٌ عندَ الخاصِّ والعامِّ ، وعُلِّق عنه « تعْليقَةُ الخلافِ » ، ثم عُزِل عن النِّظَامِيَّةِ ، فسار إلى هَمَذانَ ، فمات بها فى هذه السَّنَةِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

ثم دخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وعِشْرِينَ وخَمسِمائةٍ[1]

فيها كانتْ زَلْزلَةٌ عظيمةٌ بالعراقِ تهدَّمت بسببِها دورٌ كثيرةٌ ببَغْدادَ ، ووقَع بأرْضِ المَوصِلِ مطَرٌ عظيمٌ فسقَط بعضُه نارًا تأجَّجُ ، فاحترَقَت دُورٌ كثيرةٌ مِن ذلك ، وتهارَبَ الناسُ .

وفيها وُجِد ببغدادَ عقاربُ طيَّارةٌ لها شوْكَتانِ ، فخاف الناسُ منها خوفًا شديدًا . وفيها ملَك السلطانُ سَنْجَرُ مدينةَ سَمرقَنْدَ ، وكان بها محمدُ خان[2] . وفيها ملَكَ عمادُ الدينِ زَنكِى بلادًا كثيرةً مِن الجزيرةِ ، ومِن بلادِ الفِرنْجِ ، وجرَتْ له معهم حروبٌ طويلةٌ وخطوبٌ جَليلةٌ ، ونُصِر عليهم فى تلك المواقفِ كلِّها ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، وقتلَ خلقًا مِن جيشِ الرومِ حينَ قدِمُوا إلى الشامِ ، ومدَحه الشعراءُ على ذلك .

قَتْلُ خليفةِ مِصْرَ الفاطمىّ

وفى ثانى ذى القَعْدَةِ قُتِل الخليفةُ الفاطمِىُّ الآمِرُ بأحْكامِ اللَّهِ ابنُ المُسْتَعْلِى صاحِبُ مِصْرَ ، قتَلتْه الباطِنِيَّةُ ، وله مِن العُمرِ أربعٌ وثلاثونَ سنةً ، وكانت مدَّةُ خلافتِه تِسْعًا وعشرينَ سنةً وخمسةَ أشهرٍ ونصْفًا ، وكان هذا الرجلُ هو العاشِرَ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٥٦، والكامل ١٠/ ٦٦٦.

(٢) فى خ ،م : « بن خاقان » .

مِن الفاطميين ، والعاشرَ مِن ولَدِ عُبَيْدِ اللَّهِ المَهْدِيِّ ، ولمَّا قُتِل الآمِرُ ، تغلَّبَ على الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ غلامٌ مِن غلِمانِ الخليفةِ أَرْمَنِيٌّ ، فاسْتَحوَذ على الأمورِ ثلاثةَ أيامٍ حتى حضَر أبو عليٍّ ، أحمدُ بنُ الأفْضَلِ بنِ بَدْرٍ الجمَاليُّ ، فأقام الخليفةَ الحافظَ أبا الميمُونِ عبدَ المجيدِ بنَ الأميرِ أبى القاسمِ بنِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ؛ وله مِن العُمرِ ثمانٍ وخمسونَ سنةً ، ولمَّا أقامَه اسْتحوَذ على الأمورِ دُونَه وحصَرَه فى مجلسٍ ، لا يدخُلُ إليه أحدٌ إلَّا مَن يريدُه ، ونقَل الأموالَ مِن القَصْرِ إلى دارِه ، ولم يَبْقَ للحافظِ سِوَى الاسْمِ فقط .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ[1] **بنُ عثمانَ بنِ محمدٍ ، أبو إسْحاقَ الكَلْبِيُّ**[2] مِن أهلِ غزَّةَ ، جاوَز الثمانينَ ، وله شعرٌ جيِّدٌ ، ومِن شعرِه فى الأتْراكِ قولُه[3] :

فى فتنةٍ مِن جيوشِ التركِ ما تركَتْ ... للرَّعْدِ كَرَّاتُهُمْ صوْتًا ولا صِيتَا
قومٌ إذا قُوبلوا كانُوا ملائكَةً ... حُسْنًا وإنْ قُوتِلُوا كانوا عَفارِيتَا

وله[4] :

ليتَ الذى بالعشقِ دُونَكَ خصَّنى ... يا ظالِمِى قسَمَ المحبَّةَ بيْنَنا
ألْقَى الهِزَبْرَ فلا أخافُ وُثُوبَهُ ... ويَرُوعُنِى نظَرُ الغَزالِ إذا رَنَا

---

(١) بعده فى م : « بن يحيى » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٧/ ٥١، والمنتظم ١٧/ ٢٥٧، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٤، ووفيات الأعيان ١/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٤، وفيه : « إبراهيم بن يحيى بن عثمان » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ٩٠.
(٢) فى الأصل ، ص : « المغربى » ، وفى خ : « المصرى » . وهذا الشعر يعرف بالغَزِّى .
(٣) المنتظم ١٧/ ٢٥٧.
(٤) المنتظم ١٧/ ٢٥٨.

وله[1] :

إنَّما هذه الحياةُ مَتاعٌ ... والسَّفِيهُ الغَوِىُّ مَنْ يصْطَفِيها
ما مضَى فاتَ والمُؤمَّلُ غَيْبٌ ... ولكَ الساعَةُ التى أنتَ فيها

وله أيضًا :

قالوا هجَرْتَ الشعرَ قلْتُ ضرورةٌ ... بابُ البواعثِ والدَّواعِى مُغْلَقُ
خلَتِ البلادُ فلا كريمٌ يُرْتَجَى ... منه النَّوالُ ولا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
ومِن العجائبِ [٩/٢٣٤و] أنَّهُ لا يُشْتَرى ... ويُخانُ فيه مِن الكَسادِ ويُسْرَقُ

وممَّا أنشدَه ابنُ خَلِّكانَ فى الوفياتِ من شعرِه الرائقِ قولُه[2] :

إشارةٌ مِنكِ تكْفِينا وأحْسَنُ ما ... رُدَّ السلامُ غَداةَ البيْنِ بالعَنَمِ[3]
حتى إذا طاح عنها المِرْطُ من دَهَشٍ ... وانْحَلَّ بالضَّمِّ سِلْكُ العِقْدِ فى الظُّلَمِ
تبسَّمَتْ فأضَاءَ الليلُ فالْتقَطَتْ ... حبَّاتِ مُنْتثرٍ فى ضوءِ مُنْتَظَمِ

كانتْ وفاتُه فى هذه السنَةِ ببلادِ بَلْخَ ، ودُفِنَ بها .

الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحُسَينِ بنِ [4]عُبَيْدِ اللَّهِ[4] بنِ القاسمِ [5]بنِ عبدِ اللَّهِ[5] بنِ سُلَيمانَ بنِ وَهْبٍ الدَّبَّاسُ ، أبو

---

(١) المنتظم ١٧/٢٥٨ .
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٥٩.
(٣) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراءُ يُشَبّه بها البَنانُ المخضوبُ . تاج العروس (ع ن م) .
(٤ - ٤) فى الأصل ، خ : « عبد اللَّه » وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٥٩، ومعجم الأدباء ١٠/ ١٤٧، وإنباه الرواة ١/ ٣٢٨، ووفيات الأعيان ٢/ ١٨١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٣، ومعرفة القراء الكبار ١/٣٨٦.
(٥ - ٥) سقط من الأصل ، خ ، ص ، والمنتظم ، وفى سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٤، ووفيات الأعيان ، وإنباه الرواة : « عبيد اللَّه» .

عبدِ اللَّهِ الشاعرُ المعروفُ بالبارِعِ ، قرَأ القِراءاتِ وسمِع الحديثَ ، وكان عارِفًا بالنحوِ واللغةِ والأدبِ ، وله شعرٌ رائقٌ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنَةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ سَعْدُونَ بنِ مُرَجَّى ، أبو عامرٍ العبدرِىُّ القُرَشِىُّ[1] **الحافظُ** ، أصلُه مِن مَيُورْقَةَ[2] مِن بلادِ المغربِ ، ودخَل بَغْدادَ فسمِع بها علَى طِرَادٍ الزَّيْنَبِىِّ ، والحُميدِىِّ ، وغيرِ واحدٍ ، وكانتْ له معرفةٌ بالحديثِ جيِّدةٌ ، وكان يذْهَبُ فى الفُروعِ مذْهبَ الظاهرِيَّةِ . تُوفِّى فى بَغْدادَ فى ربيعٍ الآخَرِ .

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٤٨، والمنتظم ١٧/ ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٧٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٩٣.

(٢) فى خ، م: «بيروقه»، وفى المنتظم: «برقة».

ثم دخَلتْ سنةُ خمسٍ وعشرين وخمسِمائةٍ

فيها[1] ضلَّ دُبَيسٌ عن الطريقِ فى البرِّيَّةِ ، فأسَره بعضُ أمراءِ الأعْرابِ بأرضِ الشامِ ، وحمَله إلى ملكِ دمشقَ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ ، فباعَه مِن زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ صاحبِ المَوْصِلِ بخمسين ألفَ دينارٍ ، فلمَّا حصَل فى يَدِه لم يَشُكَّ دُبَيسٌ أنَّه سيُهْلِكُه ؛ لِما بينَهما مِن العَداوةِ ، فأكْرَمه زَنْكِى ، وأعْطاه أموالًا جزيلةً ، وقدَّمه واحْتَرمَه ، ثم جاءتْ رسلُ الخليفةِ فى طلَبِه فبعَثه معهم ، فلمَّا وصَل إلى المَوْصِلِ حُبِس فى قلعَتِها .

وفيها وقَع بينَ الأخوَيْن محمودٍ ، ومسعودٍ ، فتواجَها للقتالِ ثم اصطَلَحا . وفيها كانتْ وفاةُ الملكِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه بنِ ألْبِ أرسَلانَ ، فأُقِيم فى المُلكِ مكانَه ابنُه داودُ ، وجُعِل له أتابِكٌ ووزيرٌ ، وخُطِب له بأكثرِ البلادِ .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القاهرِ ، [2]أبو نصْرٍ الطوسىُّ[2] سمِع الحديثَ ، وتفَقَّهَ بالشيخِ أبى إسْحاقَ الشِّيرازِىِّ ، وكان شيْخًا لطيفًا ، عليه نورٌ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ : أنشَدَنى[3] :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٦٣، والكامل ١٠/ ٦٦٨.

(٢ - ٢) فى خ ، م : « الصوفى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٦٥، والكامل ١٠/ ٦٧١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٢، وشذرات الذهب ٤/ ٧٣.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٦٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٢.

على كلِّ حالٍ فاجْعَلِ الحَزْمَ عُدَّةً ... تقدِّمُهُ بين النَّوائبِ والدَّهْرِ
فإنْ نِلْتَ خَيْرًا نِلْتَهُ بعَزِيمَةٍ ... وإنْ قصَّرَتْ عنكَ الخُطوبُ[1] فعَن عُذْرِ

قال: وأنشَدَنى أيضًا[2]:

لبِسْتُ ثوبَ الرَّجَا والناسُ قد رقَدُوا ... وقمْتُ أشْكُو إلى مؤلَاىَ ما أجِدُ
وقلْتُ يا عُدَّتِى فى كلِّ نائبَةٍ ... ومَن عليه لكَشْفِ الضُّرِّ أعْتَمِدُ
وقد مدَدْتُ يَدِى [3]والضُّرُّ مُشتمِلٌ[3] ... إليكَ يا خَيْرَ مَن مُدَّتْ إليه يَدُ
فلا تَرُدَّنَّها يارَبِّ خائِبةً ... فبَحْرُ جُودِكَ يرْوِى كلَّ مَن يَرِدُ

الحسنُ بنُ سَلْمانَ[4] **بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ** [5]**عبدِ اللَّهِ**[5]، ابنُ الفتَى، أبو علىٍّ الفقيهُ مدرِّسُ النِّظاميّةِ، وقد وعَظَ بجامعِ القصرِ، وكان يقولُ[6]: أنا فى الفقهِ مُنْتَهَى، وفى الوَعْظ مُبْتَدَى. وقد توفِّى فى هذه السنةِ، وغسَّلَه القاضى أبو العباسِ [٩/٢٣٤ظ] ابنُ الرُّطَبِىِّ، ودُفِن عندَ أبى إسْحاقَ.

حَمَّادُ بنُ مسلمٍ الرَّحْبِىُّ الدّبّاسُ[7]، كان يُذْكَرُ له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ واطِّلاعٌ على مُغَيَّباتٍ، وغيرُ ذلك مِن المَقاماتِ، ورأيْتُ ابنَ الجَوْزِىِّ يتكلَّمُ فيه،

---

(١) فى خ، م: «الأمور».
(٢) المنتظم ١٧/ ٢٦٥، وعين التواريخ ١٢/ ٢٢٣.
(٣ - ٣) فى المنتظم: «بالذل صاغرة». وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٢٢٣.
(٤) فى خ، م: «سليمان». وانظر ترجمته فى: تبيين كذب المفترى ص ٣١٨ وفيه: «الحسن بن سليمان»، والمنتظم ١٧/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١١، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٣٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٢.
(٥ - ٥) فى م: «عبد الغنى».
(٦) المنتظم ١٧/ ٢٦٦.
(٧) المنتظم ١٧/ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٢٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٣، ومرآة الجنان ٣/ ٢٤٢.

ويقولُ[1] : كان عُرْيًا مِن العُلومِ الشرعِيَّةِ ، وإنَّما كان يَنْفُقُ على الجُهَّالِ .

وذُكِر عن ابنِ عقيلٍ أنَّه كان يُنَفِّرُ الناسَ عنه ، وكان حَمَّادٌ الدّباسُ يقولُ[1] : ابنُ عقِيلٍ عَدُوِّى . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وكان الناسُ يَنْذِرُون له ، فيَقْبَلُ ذلك ، ثم ترَك ذلك ، وصارَ يأخُذُ مِن المَناماتِ ، ويُنفِقُ على أصْحابِه . وكانت وفاتُه فى رمضانَ ، ودُفِن بالشُّونيزِيَّةِ .

علىُّ ابنُ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ[2] أخو الخليفةِ المُسْتَرْشِدِ ، تُوفِّى فى رجَبٍ من هذه السنةِ ، وله مِن العُمرِ إحْدَى وعِشْرونَ سنةً ، فتُرِكَ ضربُ الطُّبولِ ، وجلَس الناسُ للعزاءِ أيّامًا .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبى الفَضْلِ الماهِيانىُّ[3] ، أحدُ أئمَّةِ الشافعِيَّةِ ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرَمَيْنِ ، وغيرِه ، ورحَل فى طلَبِ العلمِ والحديثِ إلى بلادٍ شتَّى ، ودرَّس وأفْتَى وناظَر . تُوفِّى فى هذه السنةِ وقد قارب التِّسْعِينَ ، ودُفِنَ بقريةِ ماهِيانَ مِن بلادِ مَرْوَ ، رحِمه اللَّهُ .

محمودٌ السُّلْطانُ ابنُ السُّلْطانِ محمدِ بنِ ملِكْشَاه[4] **بنِ ألبِ أرسَلانَ بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلجوقَ**[4] ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ ، وكان فيه حلمٌ وأَناةٌ وبِرٌّ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق ١٧/ ٢٦٧، والكامل ١٠/ ٦٧٠.

(٣) فى النسخ : « الماهانى » . وانظر ترجمته فى : الأنساب ٥/١٨٣ وفيه : « محمد بن أحمد بن محمد ابن حفص الماهيانى » ، والمنتظم ١٧/٢٦٧ وفيه : « محمد بن أحمد بن الفضل » ، واللباب فى تهذيب الأنساب ٣/٩١ وفيه مثل ما فى الأنساب ، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/٦٩ وفيه مثل ما فى المنتظم ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٢٤.

(٤ - ٤) سقط من : خ ، م وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ٦٦٩، ووفيات =

وصلابَةٌ ، وجلَسُوا لعَزائِه ثلاثةَ أيامٍ ، سامَحه اللَّهُ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ [1]**بنِ أحمدَ**[1] **بنِ العبَّاسِ بنِ الحُصَينِ ، أبو القاسِمِ الشَّيْبانِيُّ** ، راوِى المُسْنَدِ عن أبى علىِّ بنِ المُذْهِبِ[2] ، عن أبى بكرِ بنِ مالكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، عن أبيه ، وقد سمِعَ قدِيمًا ؛ لأنَّه وُلِدِ فى سنةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ وأرْبَعِمائةٍ ، وباكَر به أبوه فأسْمَعه ، ومعه أخوه عبدُ الواحدِ ، على جماعَةٍ مِن عِلْيَةِ المشايخِ ، وقد روَى عنه ابنُ الجَوْزِىِّ ، وغيرُ واحدٍ ، وكان ثقةً ثَبتًا صحيحَ السماعِ . تُوفِّى بينَ الظهرِ والعصرِ يومَ الأرْبعاءِ رابعَ شوالٍ مِن هذه السنةِ ، وله ثلاثٌ وتسعونَ سنةً ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

= الأعيان ٥/ ١٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٢٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٤٩.

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ٦٧١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٣٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٣.

(٢) فى م : « المندب » .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فيها[1] قدِمَ مسْعُودُ بنُ محمدٍ[2] بَغْدادَ، وقدِمَها قَراجَا الساقِى، ومعه سَلجوق شَاه بنُ محمدٍ، وكلٌّ منهما يطْلُبُ المُلْكَ لنفْسِه، وقدِمَ عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ آقْ سُنْقُرَ ليَنْضَمَّ إليهما، فتلَقَّاه قَراجا الساقى فهزَمَه فهرَبَ منه إلى تَكْريتَ، فخدَمَه نائبُ قلْعَتِها نجمُ الدينِ أيُّوبُ - والدُ المَلِكِ صلاحِ الدينِ، الذى فتَح القدسَ فيما بعدُ حتى عاد إلى بلادِه - فكان هذا هو السببَ فى مَصِيرِ نجمِ الدينِ أيُّوبَ إليه، وهو بحَلَبَ، فخَدَم عندَه، ثم كان مِنَ الأمورِ ما سيأتِى بيانُه مما قدَّرَه اللَّهُ تعالى. ثم إنَّ المِلِكين مسعودًا وسَلجوق شَاه اجْتمَعا فاصْطَلَحا، وركِبَا إلى المَلِكِ سَنْجَرَ فاقْتَتَلا معه، فكان جيشُه مِائَةً وستِّينَ ألفًا، وكان الذين معهما قريبًا مِن ثلاثينَ ألفًا، وكان جملةُ مَنْ قُتِلَ بينهم أربعينَ ألفًا، وأسَر جيشُ سَنْجَرَ [٩/٢٣٥و] قَراجَا الساقىَ فقتَله صَبْرًا بينَ يدَيْه، ثم أجلَس طُغْرُلَ بنَ محمدٍ على سريرِ المُلْكِ، وخُطِب له على المنابرِ، ورجَع سَنْجرُ إلى بلادِه، وكتَب طُغْرُلُ إلى دُبَيسٍ وزَنْكِى ليَذْهَبا إلى بَغْدادَ فيأخُذاها، فأقْبَلا فى جيشٍ كثيفٍ فبرَزَ إليهما الخليفةُ فهزَمَهما، وقتَل خلقًا مِن أصْحابِهما، وأزاحَ اللَّهُ شرَّهُما عنه، وللَّهِ الحمدُ. وفيها قُتِل أبو علىٍّ بنُ الأفْضَلِ بنِ بدرٍ الجَمَالىِّ وزيرُ الحافظِ الفاطِمِىِّ[3]، فنقَل الحافظُ الأموالَ التى كان أخَذها إلى دارِه، واسْتَوْزَرَ بعدَه أبا الفَتْحِ يانسَ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٦٩، والكامل ١٠/ ٦٧٢.

(٢) فى المنتظم ١٧/ ٢٧٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٠: «محمود». وانظر وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠.

(٣) فى الأصل: «الهاشمى»، وفى الكامل ١٠/ ٦٧٢: «العلوى».

الحافِظيَّ ، ولقَّبه أميرَ الجيوشِ ، ثم احْتال له فقتَله ، واسْتَوزَر الحافظُ ولدَه حسنًا وخُطِبَ له بوِلايَةِ العهدِ . وفيها عزَل المسترشدُ وزيرَه عليَّ بنَ طِرادٍ ، واسْتَوْزَرَ أنوشِرْوانَ بنَ خالدٍ بعدَ تمنُّعٍ . وفيها ملَكَ دِمَشْقَ شمسُ المُلوكِ إسْماعيلُ بنُ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ بعدَ وفاةِ أبيه ، واسْتَوْزَرَ يوسُفَ بنَ فَيْرُوزَ ، وكان خَيِّرًا ، فملَك بلادًا كثيرةً ، وأطاعَه أخوه .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحَمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حَمْدانَ ابنِ عمرَ بنِ عِيسى بنِ إبراهيمَ (١بنِ سعيدِ١) بنِ عُتبةَ بنِ فَرْقدٍ(٢) السُّلَمِيُّ ، ويعرَفُ بابنِ كادِشٍ ، العُكْبَرِيُّ ، أبو العِزِّ البَغْدادِيُّ ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وكان يفهَمُه ويَروِيه(٣) وهو آخِرُ مَن روَى عن الماوَرْدِيِّ ، وقد أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ ؛ منهم أبو محمدِ بنُ الخشَّابِ ، وكان محمدُ بنُ ناصرٍ يتَّهِمُه ويَرْمِيه بأنَّه اعْتَرَف بوَضْعِ حديثٍ ، فاللَّهُ أعلمُ . وقال عبدُ الوهَّابِ الأنْماطِيُّ(٤) : كان مُخَلِّطًا(٥) ، تُوفِّى فى جُمادَى الأُولى مِن هذه السنةِ .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ (٦محمدٍ ، أبو الحسين ابنُ٦) القاضى أبى

(١ - ١) سقط من خ ، م . وفى المنتظم ١٧/ ٢٧٣: « بن سعد » . وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٤١، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥١، وشذرات الذهب ٤/ ٧٨.

(٢) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٢٧٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٨.

(٣) فى الأصل ، ص : « يدرسه » .

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٩.

(٥) فى الأصل ، والمنتظم : « مخلصا » . وانظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٩.

(٦ - ٦) سقط من : خ ، م .وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠١، والعبر ٤/ ٦٩، والوافى بالوفيات ١/ ١٥٩، ومرآة الجنان ٣/ ٢٥٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٧٦.

يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ الحَنْبلىُّ ، وُلِدَ فى شعبانَ سنةَ إحدى وخمسين وأربعِمائَةٍ ، سمِع أباه وغيرَه ، وتفَقَّهَ وناظَر وأفْتَى ودَرَّس ، وكان له بيتٌ فيه مالٌ ، فعُدِى عليه مِن الليلِ فقُتِلَ وأُخِذ مالُه ، ثم أظهَر اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، على قاتلِه فقتَلوه .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة[1]

فى صفرٍ مِنها دخَل السلطانُ مسعودٌ إلى بَغْدادَ ، فخُطِب له على منابرِها ، وخَلَع عليه الخليفةُ ووَلَّاه السلْطَنةَ ، ولمّا ذُكِر على المنابرِ نُثِرتِ الدَّنانيرُ والذَّهبُ على الناسِ ، وخُلِع أيضًا على المَلِكِ داودَ بنِ محمودٍ . وفيها جمَع دُبَيْسٌ جَمْعًا كثيرًا بوَاسِطٍ ، وانضَمَّ إليه جماعةٌ فأرسَل إليه السلْطانُ جيْشًا فكسَرُوه وفرَّقُوا شمْلَه ، ثم إنَّ الخليفةَ عزَم على الخروجِ إلى المَوْصِلِ ليأخُذَها مِن يدِ زَنْكِى ، فخرَج فى جيشٍ كثيفٍ ، وخَلْقٍ مِن الأمراءِ والأكابرِ والوُزراءِ ، فلمّا اقترَب مِنها بعَث إليه عمادُ الدينِ زَنْكِى يعرِضُ عليه مِن الأمْوالِ الجزيلةِ والتُّحَفِ شيئًا كثيرًا ليَرجِعَ عنه فلم يقبَلْ ، ثم بلَغه أنَّ السلطانَ مسعودًا قد اصْطلَح مع دُبَيْسٍ وخلَع عليه ، فكرَّ راجِعًا سرِيعًا إلى بَغْدادَ سالمًا مُعَظَّمًا .

وفيها مات ابنُ الزَّاغُونِىِّ أحدُ أئمَّةِ الحنابِلَةِ ، فطلَب حلْقَته ابنُ الجَوْزِىِّ - وكان شابًّا - فحصَلتْ لغيرِه ، ولكِنْ أذِنَ له الوزيرُ أنوشِرْوان فى الوعظِ ، فتكلَّمَ فى هذه السنَةِ على الناسِ [٩/٢٣٥ظ] بأماكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ مِن بَغْدادَ ، وكثُرتْ مجالِسُه وازْدَحَم عليه الناسُ .

وفيها ملَك شمسُ المُلوكِ إسمْاعيلُ صاحِبُ دِمَشْقَ مدينةَ حَمَاةَ ، وكانتْ بيَدِ زَنْكِى . وفى ذى الحِجَّةِ نهَب التُّرْكُمانُ مدينةَ طَرَابُلُسَ فخرَج إليهم القُومَصُ -

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٧٥، والكامل ١٠/ ٦٨٦.

لعَنه اللَّهُ - فهزَمُوه وقتَلُوا خلقًا مِن أصْحابِه، وحاصَرُوه بها مدةً طويلةً، حتى طال عليهمُ الحصارُ، فانْصرَفُوا.

وفيها وُلِّى مَكَّةَ قاسِمُ بنُ أبى فُلَيْتَةَ بعدَ أبيه. وفيها قتَل شمسُ المُلوكِ أخاه سونجَ، وفيها اشترَى الباطِنيَّةُ بالشامِ حِصْنَ القُدْمُوسِ فسكَنوه، وحارَبُوا مَن جاوَرَهم مِن المسلمينَ والفِرنْجِ. وفيها اقْتَتلَتِ الفِرنْجُ فيما بينَهم قتالًا شديدًا فمحَق اللَّهُ مِنهم خلقًا كثيرًا، وغزَاهم فيها أيضًا عمادُ الدين زَنْكِى فقتَل مِنهم ألْفَ قتيلٍ، وغنِم أموالًا جزيلةً، ويقالُ لها: غَزاةُ أَسْوارٍ.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ نَظَرٌ الخادِمُ، وكذا فى التى قبلَها وبعدَها.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ سلامةَ بنِ عُبَيْدِ[1] اللَّهِ بنِ مَخْلدِ بنِ إبراهيمَ، أبو العباسِ، ابنُ الرُّطَبىِّ، تفَقَّهَ على أبى إسحاقَ، وابنِ الصَّبَّاغِ ببَغْدادَ، وبأَصْبهانَ على محمدِ بنِ ثابتٍ الخُجَنْدِىِّ، ثم وُلِّى الحكمَ ببَغْدادَ بالحريمِ، والحِسْبَةَ ببَغْدادَ، وكان يُؤَدِّبُ أوْلادَ الخليفةِ، تُوفِّى فى رجَبٍ مِن هذه السنةِ، ودُفِنَ عندَ قبرِ الشيخِ أبى إسْحاقَ.

أَسْعَدُ بنُ أبى نَصْرِ بنِ أبى الفَضْلِ، أبو الفَتْحِ[2] المِيهَنِىُّ مَجْدُ الدِّينِ، أحدُ أئمَّةِ الشافِعيَّةِ، وصاحبُ «الطريقةِ فى الخِلافِ» المطرُوقَةِ، وقد درَّسَ بالنِّظامِيَّةِ ببغدادَ فى سنَةِ سَبْعٍ[3] وَخمسِمِائةٍ إلى سنَةِ ثلاثَ عَشْرةَ[4] فعُزِلَ عنها، واشتُهِر

---

(١) فى خ، م: «عبد». وانظر ترجمته فى: تبيين كذب المفترى ص ٣٢١، والمنتظم ١٧/ ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٩٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٨.

(٢) تقدمت ترجمته فى ص ٢٨٢.

(٣) بعده فى خ، م: «عشرة». وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٣٣.

(٤) فى خ، م: «وعشرين». وانظر المصدر السابق.

أصْحابُه هُنالك وبعُد صيتُه [1] وقد تقدَّم فى سنةِ سبعَ عشْرَةَ[2] أنه وَلِيها ، وأنه تُوفِّى فى سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ . وقال ابنُ خَلِّكانَ[3] : تُوفِّى سنةَ سبعٍ وعشرين [1] .

الحسَنُ بنُ محمدِ بنِ إبْراهيمَ [4] بنِ أحمدَ بنِ علىٍّ ، أبو نصرٍ[4] اليُونَارتِىُّ[5] ، مِن قُرى أصْبهانَ ، سمِع الحديثَ ، ورحَل وخرَّج ، وله تاريخٌ ، وكان يكتُبُ حسنًا ويقرَأُ فصيحًا ، تُوفِّى بأصْبهانَ فى هذه السنَةِ ، واللَّهُ تعالَى أعلمُ .

ابنُ الزَّاغُونِىِّ الحَنْبَلِىُّ ، علىُّ بنُ [6] عُبيدِ اللَّهِ[6] بنِ نَصْرِ بنِ السَّرِىِّ الزَّاغُونِىُّ ، الإمامُ الشَّهيرُ ، قرَأ القِراءاتِ وسمِع الحديثَ ، واشْتَغَل بالفِقْهِ والنحوِ واللغةِ ، وله المصنَّفاتُ الكثيرةُ فى الأُصولِ والفُروعِ ، وله يَدٌ فى الوعظِ ، واجْتَمَع الناسُ فى جِنازتِه ، وكانت حافلةً جدًّا .

علىُّ بنُ يَعْلَى بنِ عوضٍ ، أبو القاسمِ العَلَوِىُّ الهرَوِىُّ[7] ، سمِع « مُسْنَدَ أحمدَ » مِن ابنِ[8] الحُصَينِ ، و « التِّرْمِذِىَّ » من أبى عامرٍ الأزْدِىِّ ، وكان يعِظُ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « ثم كانت وفاته فيما ذكره ابن خلكان فى هذه السنة ، رحمه اللَّه » .

(٢) تقدم فى ص ٢٦٣ .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٧.

(٤ - ٤) سقط من : خ ، م . وانظر ترجمته فى : الأنساب ٥/ ٧١٠ - ٧١١، والمنتظم ١٧/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٢١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٦، والوافى ١٢/ ٢١٥، وشذرات الذهب ٤/ ٨٠.

(٥) فى م : « البورباري » .

(٦ - ٦) فى خ ، م : « عبد اللَّه » . وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٤، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٩٤، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠.

(٧) المنتظم ١٧/ ٢٧٩، والكامل ١١/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٣٣، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٨.

(٨) فى خ ، م : « أبى » .

الناسَ بنَيْسابُورَ ، ثم قدِمَ بَغْدادَ فوعَظ بها ، فحصَل له القَبُولُ التامُّ مِن أهلِ بغدادَ ، وجمَع أمْوالًا وكتُبًا . قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : وهو أوَّلُ مَن سلكَنِى فى الوَعْظِ ، وتكلَّمْتُ بينَ يدَيْه وأنا صغيرٌ ، وتكلَّمْتُ على الناسِ عندَ انْصِرافِه .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحْيى ، أبو عبدِ اللَّهِ العُثْمانِىُّ الدِّيباجِىُّ[2] ، وكان ببَغْدادَ يُعرَفُ بالمَقْدِسِىِّ[3] ، تَفَقَّه ، وكان أشْعَرِىَّ الاعْتِقادِ ، ووعَظ الناسَ ببَغْدادَ ، قال ابنُ الجَوْزِىِّ[4] : سمِعتُه يُنشِدُ فى مجلسِه قولَه :

دَعْ جُفُونى[5] يَحِقُّ لى أنْ أَنُوحَا ... لم تَدَعْ لى الذنُوبُ قلْبًا صحيحا
أخْلَقَتْ بَهْجَتِى أكُفُّ المعاصِى ... ونَعانِى المَشِيبُ نَعْيًا فصِيحا
كلّما قُلْتُ قد برَا [٩/٢٣٦و] جُرحُ قلْبِى ... عادَ قلْبِى مِن الذنوبِ جَرِيحا
إنَّما الفَوْزُ والنعيمُ لعَبْدٍ ... جاءَ فى الحشْرِ آمِنًا مُسْتَرِيحا

محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ خلَفٍ ، [6]أبو خازمٍ[6] ابنُ أبى يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ ، الفقيهُ ابنُ الفقيهِ ، وُلِدَ سنةَ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وأرْبَعِمائةٍ ، سمِعَ الحديثَ ، وكان مِنَ الفُقَهاءِ الزاهدين الأخيارِ ، تُوفِّى فى صفَرٍ منها .

أبو محمدٍ ، عبدُ الجبَّارِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ حَمْديسِ الأزْدِىُّ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٧٩.

(٢) تبيين كذب المفترى ص ٣٢١، والمنتظم ١٧/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤، والوافى بالوفيات ٢/ ١٥٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٨٨.

(٣) فى المنتظم : « القدسى » .

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٥) فى خ ، م : « دموعى » .

(٦ - ٦) فى خ ، م : « ابن حازم » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٤، والوافى بالوفيات ١/ ١٦٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٨٤، وشذرات الذهب ٤/ ٨٢.

الصِّقِلِّيُّ الشاعِرُ المشْهورُ[1] ، أورَد له ابنُ خَلِّكانَ أشْعارًا رائقةً ، فمنْها قولُه[2] :

قُمْ هاتِها مِن كفِّ ذاتِ الوِشاحْ ... فقدْ نَعَى الليلَ بشيرُ الصَّباحْ
باكِرْ إلى اللَّذَّاتِ وارْكبْ لها ... سَوابِقَ اللَّهْوِ ذواتِ المِراحْ
مِن قبلِ أنْ تَرشُفَ شمسُ الضُّحا ... رِيقَ الغَوادِى من ثُغورِ الأقاحْ[3]

ومن جملةِ معانِيه النادرةِ[4] .

زادَتْ على كحَلِ الجفُونِ تكَحُّلًا ... ويُسَمُّ نَصْلُ السهمِ وهْو قَتُولُ

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٧/ ٣٢٠، وخريدة القصر (قسم شعراء المغرب) ١٩٤/٢، والمطرب من أشعار أهل المغرب ص ٥٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٣. وانظر ديوانه ص ٨٩.

(٣) الأقاحى : جمع مفرده الأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض . الوسيط (أقحوان) .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٤. وانظر ديوانه ص ٥٥٨.

ثم دخلتْ سنَةُ ثمانٍ وعشرين وخَمسِمِائةٍ

فيها[1] اصْطَلَح الخليفةُ وزَنْكِى . وفيها فتَح زَنْكِى قِلاعًا كثيرةً ، وقتَل خلقًا مِنَ الفِرنْجِ . وفيها فتَح شمسُ الملُوكِ [2]شَقيفَ تِيرُونَ[2] ، ونهَب بلادَ الفِرنْجِ .

وفيها قدِمَ سَلجوقْ شَاه بغْدادَ ، فنزَل بدارِ المَمْلَكَةِ ، وأكْرَمه الخليفةُ وأرسَل إليه عشَرَةَ آلافِ دِينارٍ ، ثم قدِمَ السلطانُ مسعودٌ ، وأكثرُ أصْحابِه رِكابٌ على جِمالٍ لقِلَّةِ الخيلِ .

وفيها تولَّى إمْرةَ بَنى عَقِيلٍ أوْلادُ سُلَيمانَ بنِ مُهارِشٍ العَقِيلىِّ ؛ إكْرامًا لجَدِّهم .

وفيها أُعِيدَ ابنُ طِرادٍ إلى الوِزارةِ ، وفيها خُلِعَ على إقْبالِ المُسْتَرْشِدِىِّ خِلَعَ المُلُوكِ ، ولُقِّبَ ملِكَ العرَبِ سيفَ الدولةِ ، وركِب فى الخِلَعِ وحضَر الديوانَ كذلك . وفيها قَوِىَ أمرُ الملكِ طُغْرُلَ ، وضَعُفَ أمرُ الملكِ مسعودٍ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أَحمدُ بنُ علىِّ بنِ إبْراهيمَ ، أبو الوَفاءِ الفِيرُوزَاباذِىُّ[3] ، أحدُ مشايخِ الصوفِيَّةِ ، سكَن رِباطَ الزَّوْزَنِىِّ ، وكان كلامُه يُسْتَحْلَى ، وكان يحفَظُ مِن سِيَرِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٨٢، والكامل ١١/ ١١.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « السعيف وبيروت » . وفى خ : « الشقيف وبيروت » ، وفى م : « الشقيف تيروت » . والمثبت من الكامل ١١/ ١١، ومرآة الزمان ٨/١/١٤٧. والشقيف كالكهف . وشقيف تيرون : حصن وثيق بالقرب من صور . معجم البلدان ٣/ ٣٠٩.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٨٤، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين ، ومرآة الزمان ٨/١/١٤٨، والوافى بالوفيات ٧/ ١٨٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٥٣، وشذرات الذهب ٤/ ٨٢.

الصوفِيَّةِ أخبارِهم وأشْعارِهم شيئًا كثيرًا .

أبو عليٍّ الفارِقِيُّ ، الحسَنُ بنُ إبراهيمَ بنِ بَرْهُونَ[1] ، **أبو عليٍّ الفارِقِيُّ** ، وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وأرْبَعمائةٍ ، وتفَقَّه بها على أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ بَيَانٍ الكازَرُونِيِّ صاحبِ المَحامِلِيِّ ، ثم على الشيخِ أبى إسحاقَ ، وابنِ الصَّبَّاغِ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يُكرِّرُ على « المُهَذَّبِ » ، و « الشاملِ » ، ثم وَلِى القضاءَ بوَاسِطٍ ، وكان حسنَ السيرةِ ، جيدَ السرِيرَةِ ، مُمَتَّعًا بحواسِّه وعقلِه ، إلى أنْ تُوفِّى فى محرَّمِ هذه السنَةِ عن ستٍّ وتِسعينَ سنةً .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ[2] ، أبو محمدِ بنُ أبى بَكْرٍ الشَّاشِيِّ ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ على أبيه ، وناظَر وأفْتَى ، وكان فاضلًا ، واعِظًا ، فصِيحًا مُفَوَّهًا ، شكَر ابنُ الجوْزِىِّ مِن وعْظِه وحُسْنِ نظْمِه ونثْرِه ولفْظِه .

تُوفِّى فى المُحَرَّمِ وقد قارَب الخمسين ، رَحِمه اللَّهُ ، ودُفِن عندَ أبيه .

محمدُ بنُ[3] **أحمدَ بنِ علىٍّ** ، [4]**أبو بكرٍ**[4] **القَطَّانُ** ، ويعْرَفُ بابنِ الحلَّاجِ البَغْدادِىُّ ، سمِع الحديثَ ، وقرَأ [٢٣٦/٩ظ] القُرآنَ ، وكان خَيِّرًا زاهدًا عابدًا ، يُتَبَرَّكُ بدُعائِه ، ويُزارُ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى م : « مرهون » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٨٥، والكامل ١١/ ١٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٠٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٥٧.

(٢) فى م ، والكامل ١١/ ١٨: « الحسن » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٧٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٤٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٤٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢٧.

(٣) بعده فى الأصل، ص: « على بن » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/ ٢٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٦٩.

(٤ - ٤) فى النسخ : « بن أبى بكر » . والمثبت من تاريخ الإسلام .

محمدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ الواحدِ الشافِعيُّ، أبو رشيدٍ[1]، مِن أهلِ آمُلَ طَبَرِسْتَانَ، وُلِدَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وأرْبَعِمائةٍ، وحجَّ وأقامَ بمَكَّةَ، وسمِع الحديثَ، وروَى شَيْئًا يَسِيرًا، وكان زاهدًا مُنْقَطِعًا عن الناسِ، مُشْتَغلًا بنفْسِه، رَكِبَ مرةً[2] مع تجارٍ فى البحرِ، فأوفَوا على جزيرةٍ، فقال: دَعُونى فى هذه أعبُدِ اللَّهَ فيها، فَمانَعُوه، فأبَى إلَّا المُقامَ بها، فتركُوه وسارُوا، فرَدَّتهمُ الريحُ إليه، فراوَدُوه على المسيرِ مَعَهم، فامتنَع، فساروا، فرَدَّتْهمُ الريحُ إليه، فراودُوه فامتنَع، فساروا، فرَدَّتْهمُ الريحُ إليه، فقالُوا: إنَّه لا يمكِنُ أن نسيرَ إلَّا بكَ، وإذا أرَدْتَ المُقامَ بها فارْجِعْ إليها. فسار معهم، ثم رجَع إليها فأقام بها مدةً، ثم ترحَّلَ عنها - ويقالُ[3]: إنَّه كان بها ثُعْبانٌ يَبْتَلِعُ الإنْسانَ، وبها عَيْنُ ماءٍ يَشْرِبُ منها ويتوَضَّأُ - ثم رجَع إلى بلدِه آمُلَ، فمات بها فى هذا العامِ، وقبرُه مشهورٌ يُزارُ.

أُمُّ الخليفةِ المُسْتَرْشِدِ[4]، تُوفِّيَتْ ليلةَ الاثنينِ بعدَ العَتَمَةِ تاسِعَ عشَرَ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٨٩، والكامل ١١/ ١٨، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٥٤.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٨٩.

(٣) المنتظم ١٧/ ٢٨٩.

(٤) المنتظم ١٧/ ٢٩٠، والكامل ١١/ ١٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٥٢.

ثم دخلتْ سنَةُ تِسْعٍ وعشرين وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] كانتْ وفاةُ المُسْتَرْشِدِ وولايَةُ الراشدِ، وكان سبَبَ ذلك أنَّه كان بينَ السلطانِ مسعودٍ وبينَ الخليفةِ وقائعُ كَثيرةٌ، فاقْتَضَى الحالُ أنَّ الخليفةَ أرادَ قَطْعَ الخُطْبةِ له مِن بَغْدادَ، فاتَّفقَ موتُ أخيه طُغْرُلَ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه، فسار إلى البلادِ فملَكها، وقوِى جانبُه، ثم شرَع يجمعُ العساكِرَ؛ ليأخُذَ بَغْدادَ من يدِ الخليفةِ، فلمَّا علِم الخليفةُ بذلك انْزَعج واستعدَّ لذلك، وقفَز جماعةٌ مِن رُءوسِ الأمراءِ إلى الخليفةِ؛ خوْفًا على أنفُسِهم مِن سطْوَةِ المَلِكِ مسعودٍ، وركِب الخليفةُ مِن بَغْدادَ فى جَحافِلَ كثيرةٍ، فيهمُ القضاةُ وُرءوسُ الدولةِ من جميعِ الأصْنافِ، فمشَوْا بينَ يدَيْه أوَّلَ منزلِه حتى وصَل إلى السُّرادِقِ، وبعَث بينَ يدَيْه مُقَدِّمَةً، وأرسَل الملكُ مسعودٌ على مقدِّمتِه دُبيسَ بنَ صَدقةَ بنِ منصورٍ، الذى كان صاحبَ الحِلَّةِ، فجرَتْ خطوبٌ كبيرةٌ، وحروبٌ كثيرةٌ. وحاصلُ الأمرِ أنَّ الجيشَيْنِ الْتقَيَا فى عاشرِ رمضانَ يومَ الاثنينِ فاقْتَتلُوا قِتالًا كثيرًا، ولم يُقتَلْ بين الصفَّيْنِ سِوَى خمسةِ أَنفُسٍ، ثم حمَل الخليفةُ على جيشِ الملكِ مسعودٍ فهزَمهم. ثم تراجَعُوا، فحمَلُوا على جيشِ الخليفةِ، فهَزُموهم وقتَلُوا منهم خلقًا، وأسَرُوا الخليفةَ، ونُهِبتْ أموالُه وحواصِلُه، مِن جملةِ ذلكَ أربعةُ آلافِ ألفِ دينارٍ، وغيرُ ذلك مِنَ الثيابِ والخِلَعِ والأثاثِ والقُماشِ والماعونِ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجِعونَ. وطار الخبَرُ فى الأقاليمِ، وحينَ بلَغَ الخبرُ إلى بَغْدادَ انْزعَج الناسُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٠، والكامل ١١/ ٢٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩٢.

لذلك ، وزُلْزِلُوا زِلْزالًا شديدًا ، صُورَةً ومَعْنًى ، وجاءَتِ العامَّةُ إلى المنابرِ ، فكسَرُوها وامْتَنعُوا مِن حضُورِ الجماعاتِ ، وخرَج النساءُ فى البلدِ حاسِراتٍ يَنُحْنَ على الخليفةِ ، وما جَرَى عليه مِن الأسْرِ ، وتأَسَّى بأهْلِ بَغْدادَ فى ذلك خَلْقٌ كثيرٌ مِن أهلِ البلادِ ، وتمَّتْ فتنةٌ كبيرةٌ ، وانْتَشرَتْ فى الأقاليمِ ، واستمَرَّ الحالُ على ذلك إلى مُستهَلِّ شهرِ ذى القَعْدَةِ [٩/٢٣٧و]والشناعَةُ فى الأقاليمِ مُنْتَشرةٌ ، فكتَب الملكُ سَنْجَرُ إلى ابنِ أخيه يحذِّرُه غِبَّ ذلك ، ويُبَصِّرُه بما وقَع مِنَ الأمْرِ العظيمِ والخَطْبِ الجسيمِ ، ويأمرُه أنْ يُعيدَ الخليفةَ إلى مُسْتَقَرِّ عزِّه ودارِ خلافَتِه ، فامْتَثَل المَلِكُ مسعودٌ ذلك ، وضُرِبَ للخليفةِ سُرادِقٌ عظيمٌ ، ونُصِبَ له فيه قُبَّةٌ عظيمةٌ تحتَها سريرٌ هائلٌ ، وأُلبِسَ الخليفةُ السّوادَ على عادتِه ، وأُركِب بعضَ ما كان يرْكَبُه مِن مَراكِبِه . وجاء المَلِكُ مسعودٌ ، فقبَّل الأرضَ بينَ يديهِ ، وأمْسَك لجامَ الفرَسِ ، وتمشَّى فى خِدْمَتِه والجيشُ كلُّهم مُشَاةٌ حتى أُجْلِس الخليفةُ على سريرِه ، ووقَف الملكُ مسعودٌ بينَ يدَيْه ، وخلَع الخليفةُ عليه ، وجِيءَ بدُبَيسٍ مكْتُوفًا وعن يمينِه أمِيران ، وعن يَسارِه أميرانِ ، وسيفٌ مسْلولٌ وشُقَّةٌ بيضاءُ ، فطُرِح بينَ يَدَيِ الخليفةِ ؛ ماذا يرسُمُ فيه تَطْيِيبًا لقلبِه ، فأقبَل السلْطانُ يَشفَعُ فى دُبَيسٍ وهو مُلْقًى يقولُ : العفوَ يا أميرَ المؤمنينَ ، أنا أخطَأْتُ والعفوُ عندَ المقْدِرَةِ . فأمَر الخليفةُ بإطْلاقِهِ وهو يقولُ : لا تَثْرِيبَ عليكمُ اليومَ . فنهَض قائمًا والتمَس أنْ يقبِّلَ يدَ الخليفةِ فأَذِنَ له فقبَّلَها ، وأمَرَّها على صَدْرِه ، وسأَلَ العَفْوَ عنه وعمّا كان منه ، واستقرَّ الأمرُ على ما ذكَرنا ، وطار هذا الخَبَرُ فى الآفاقِ ، وفرِحَ الناسُ بذلك ، وطابت قلوبُهم . فلمّا كان مُستهَلُّ ذى القَعْدَةِ[1] جاءَتِ الرسلُ مِن جهَةِ

---

(١) فى النسخ ، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩٣: «ذى الحجة» . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٢٩٨.

الملكِ سَنجَرَ إلى ابنِ أخيه يسْتَحِثُّه على الإحسانِ إلى الخليفةِ ، وأنْ يبادِرَ إلى سُرْعَةِ ردِّه إلى وطنِه ، وأرسَل مع الرسُلِ جيْشًا ؛ ليكُونُوا فى خِدمةِ الخليفةِ إلى بَغْدادَ ، فصَحِب الجيشَ عشَرَةٌ مِن الباطِنِيَّةِ ، فقيل : من حيثُ لا يَشْعُرون . وقيل : بل كانوا مُجهَّزِينَ . فاللَّهُ أعلمُ ، إلا أنَّهم حالةَ وصولِهم إلى هنالِك حمَلوا على الخليفةِ فى خَيْمَتِه ، فقَتلوه فيها وقطَّعُوه قِطَعًا ، فلم يلْحَقِ الناسُ منه إلا الرُّسومَ ، وقتَلُوا معه جماعةً مِن أصْحابِه ؛ مِنهم عبدُ اللَّهِ ابنُ سُكَيْنَةَ ، فأُخِذ أولئكَ الرهطُ فأُحْرِقُوا ، قبَّحَهُم اللَّهُ ، وسارت بذلك الرُّكبانُ فى البلدانِ ، فما مِن أهلِ بلدةٍ إلا وهم أشدُّ حَزَنًا على الخليفةِ المسترشدِ مِن الأخرى ، لا سيَّما أهلَ بغدادَ ، وخرَجتِ النساءُ فى الطرقاتِ ينُحنَ عليه ويندُبْنَه ، وقد ذكَر أبو الفرجِ ابنُ الجوزىِّ[1] ما كُنَّ يَقُلْنَه مِن النِّياحةِ على الخليفةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان مَقْتَلُه على بابِ مَراغةَ فى يومِ الخميسِ سابعَ عشَرَ ذى القَعدةِ ، فحُمِل إلى بغدادَ ، ولما استقرَّ خبرُ موتِه ببغدادَ عُمِل له العزاءُ ثلاثةَ أيامٍ بعدَما بُويع لولدِه الراشدِ .

ذكرُ شىءٍ مِن ترجمةِ المسترشدِ[2] ، رحِمه اللَّهُ

كان المسترشدُ ، شُجاعًا مِقْدامًا بعيدَ الهِمَّةِ ، فصيحًا بليغًا ، عذْبَ الكلامِ حسنَ الإيرادِ ، مليحَ الخطِّ ، كثيرَ العبادةِ ، محبَّبًا إلى العامَّةِ والخاصَّةِ ، وهو آخرُ خليفةٍ رُئِى خطيبًا ، قُتِل وعمرُه ثلاثٌ وأربعونَ سنةً ، وثلاثةُ أشهرٍ ، وكانتْ مدةُ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٩٩.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٢٩، والكامل ١١/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٥٧.

خلافتِه سَبْعَ عشْرَةَ سنةً وستَّةَ أشهرٍ وعشْرينَ يومًا ، وكانت أمُّه أمَّ وَلَدٍ من الأتْراكِ .

خِلافةُ [٩/٢٣٧ظ] **الرّاشدِ باللَّهِ أبى جعفرٍ ، منْصورِ بنِ المسترشدِ .**

كان أبوه قد أخَذ له العهدَ ، ثم أرادَ أن يخْلَعَه فلم يقْدِرْ على ذلك ؛ لأنه لم يُقَدَّرْ . فلمَّا قُتِل أبوه ببابِ مَراغَةَ فى يومِ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدَةِ مِن سنةِ تسعٍ وعِشْرينَ وخمسِمائةٍ ، كما ذكَرنا ، كان هو ببغدادَ ، فلمّا جاء خبرُه إليها بايعَه الأمراءُ والأعْيانُ ، وخُطِب له على المنابرِ ببغدادَ وسائرِ البلادِ ، وكان إذْ ذاكَ كبيرًا له أولادٌ ، وكان أبيضَ ، جسِيمًا حسنَ اللونِ ، فلمَّا كان يومُ عرَفَةَ مِن هذه السَّنةِ جِيءَ بالمسترشِدِ - قد نُقِل من هناك إلى بغدادَ - فصَلَّى عليه ببَيْتِ النُّوبةِ ، وكثُر الزحامُ ، وخرَج الناسُ لصلاةِ العيدِ مِن الغَدِ وهم فى حزنٍ شديدٍ على المسترشدِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد ظهَر الرفضُ قليلًا فى أوَّلِ أيامِ الراشدِ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عمرَ ، أبو المُظَفَّرِ بنُ أبى بكرٍ الشَّاشىِّ[1] ، تفقَّه بأبيه ، واخترَمته المَنِيَّةُ بعدَ أخيه ، ولم يَبْلُغْ سنَّ الروايةِ .

إسماعيلُ بنُ [2]**عبدِ المَلِكِ**[2] **بنِ علىٍّ ، أبو القاسمِ الحاكمىُّ** ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرَمَيْنِ ، وكان رفيقَ الغَزَّالِىِّ فى الاشتغالِ ، وأسنَّ منه ، فلهذا كان الغزّالىُّ يحْتَرِمُه ويُكرِمُه ، وكان فقيهًا بارِعًا ، وعابدًا وَرِعًا . كانت وفاتُه فى هذه السنةِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٤٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٨٧.

(٢ - ٢) فى م : « عبد اللَّه » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ٩/ ١٨، والمنتظم ١٧/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٤٧.

بطُوسَ ، ودُفِنَ إلى جانبِ الغَزّالِيِّ ، رحِمهما اللَّهُ .

دُبَيسُ بنُ صدقةَ بنِ مَنْصُورِ بنِ دُبَيسِ بنِ عليِّ بنِ مَزْيَدٍ ، أبو الأغَرِّ الأسَدِيُّ الأميرُ[1] ، مِن بيتِ الإمْرَةِ وسادةِ الأعْرابِ ، كان شُجاعًا بطَلًا ، فعَل الأفاعِيلَ وتَمزَّقَ فى البلادِ مِن خوفِه مِنَ الخليفةِ ، ثم اسْتُرْضِىَ عنه الخليفةُ المسترشدُ ، كما ذكَرنا ، فلمَّا قُتِل الخليفةُ عاشَ بعدَه أربعةً وثلاثينَ يومًا . ثم اتُّهِمَ عندَ السلطانِ مسعودٍ بأنَّه قد كاتَب زَنْكِى يَنهاه عنِ القُدومِ على السلطانِ ، ويأمُرُه أن ينْجُوَ بنفْسِه ، فبعَث إليه السلطانُ غُلامًا أرْمَنِيًّا ، فوجَده مُنَكِّسًا رأسَه يُفكِرُ فى أمرِه ، فما كلَّمه حتى شهَر سيْفَه ، وضرَبَه به فأَبان رأسَه عن جثَّتِه ، ويقالُ : بلِ اسْتَدْعاه السلطانُ إليه ، فقَتله صَبْرًا بينَ يدَيْهِ ، فاللَّهُ أعلمُ .

طُغْرُلُ السلطانُ ابنُ السلطانِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه[2] ، تُوفِّى بهَمَذانَ يومَ الأربعاءِ ثالثَ المحرَّمِ مِن هذه السنةِ .

علىُّ [3]**بنُ الحسنِ الدَّرْزِيجانىُّ**[3] كان عابدًا زاهدًا ، حكَى ابنُ الجَوْزِىِّ[4] عنه أنَّه كان يقولُ بأنَّ القدرَةَ تتعَلَّقُ بالمستحيلِ ، ثم أُنكِر عليه ذلك ، وعُذِر بجهلِه وعدمِ تعقُّلِه لِمَا يقولُ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٢، والعبر ٤/ ٧٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٥٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٠٣، والكامل ١١/ ١٩، والمختصر فى تاريخ البشر ٣/ ٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٧٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٩.

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: «أبو الحسن الروريجانى»، وفى خ: «بن محمد الزوزجانى». وفى م: «بن محمد النروجانى». والمثبت من المنتظم ١٧/ ٣٠٣.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٠٣.

الفَضْلُ أبو منصورٍ أميرُ المؤمنيـنَ المسترشِدُ باللَّهِ[1] ، كان مِن خِيارِ الخلفاءِ العباسيّين ، شهمًا شجاعًا ، يباشِرُ الحروبَ بنفسِه ، وقد أسْلَفنا ذلك فيما تقدَّم . قتَلَتْه الباطنيةُ ببابِ مَراغَةَ يومَ الخميسِ السابعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، ثم نُقِل إلى بغدادَ فدُفِن بها ، رحِمه اللَّهُ وبَلَّ بالرحمةِ ثَراه ، وجعَل الجنةَ منزلتَه ومأواه .

---

(١) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٢٩، والكامل ١١/ ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٥٧.

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثلاثيـنَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] وقَع بيـنَ الخليفةِ الراشدِ وبيـنَ السلطانِ مسعودٍ ، بسبَبِ أنَّه أرسَل إلى الخليفةِ يطلُبُ منه ما كان كتَب له والدُه المسترشِدُ حِيـنَ أسرَه ؛ الْتزَمَ له بأربعِمائَةِ ألفِ دينارٍ ، [٩/٢٣٨و] فامتنَع مِن أداءِ ذلك وقال : ليس بيـنَنا وبيـنَكم إلا السيفُ . فوقَع بيـنَهما الخُلْفُ ، فاسْتَجاش السلطانُ العساكرَ ، واسْتَنهَض الخليفةُ الأُمراءَ ، وأرسَلَ إلى عمادِ الدينِ زَنْكِى فجاء ، والْتَفَّ عليه خلائقُ ، وجاء فى غُبونِ ذلك السلطانُ داودُ بنُ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشاه ، فخطَب له الخليفةُ ببغدادَ ، وخلَع عليه وبايَعه على المُلكِ ، فتأكَّدَتِ الوَحْشَةُ بيـنَ السلطانِ والخليفةِ جدًّا ، وبرَز الخليفةُ إلى ظاهرِ بغدادَ ، ومشَى الجيشُ بيـنَ يَدْيه ، كما كانوا يعامِلُونَ بهِ أباه قبلَه ، وذلك يومَ الأربعاءِ سَلْخَ شعبانَ ، وخرَج السلطانُ داودُ مِن جانبٍ آخرَ ، فلمَّا بلَغهم كثرةُ جيوشِ السلطانِ مسعودٍ حسَّنَ عمادُ الدينِ زَنْكِى للخليفةِ أن يذْهبَ معه إلى بلادِ المَوْصِلِ . واتَّفَقَ دخولُ السلطانِ مسعودٍ إلى بغدادَ فى غَيْبَتِهم يومَ الاثنينِ رابعَ شَوَّالٍ ، فاسْتَحوذ على دارِ الخلافةِ بما فيها جميعِه ، ثم اسْتَخلَص مِن نساءِ الخليفةِ وحَظاياه الحُلِىَّ والمَصاغَ والثيابَ التى للزِّينَةِ ، وغيرَ ذلك ، وجمَع القضاةَ والفقهاءَ ، وأبْرَزَ لهم خطَّ الراشدِ أنَّه متى خرَج مِن بغدادَ لقتالِ السلطانِ فقد خلَع نفسَه مِنَ الخلافةِ ، فأفْتَى مَن أفْتَى مِن الفقهاءِ بخَلْعِه ، فخُلِعَ فى يومِ الاثنينِ سادِسَ عشَرَ شهرِ ذى القَعْدَةِ بحُكْمِ الحاكمِ ، وفُتْيَا أكثرِ الفقهاءِ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٠٥، والكامل ١١/ ٣٥.

وكانت خلافَتُه أحَدَ عشَرَ شهرًا ، وأحَدَ عَشَرَ يومًا ، واسْتَدعَى السلطانُ بعمِّه المُقْتَفِى بنِ المستظهرِ فبُويعَ بالخِلافَةِ ؛ عِوَضًا عن ابنِ أخيه الراشدِ باللَّهِ .

خِلافَةُ المُقْتَفِى لأمْرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ .

وأمُّه صفراءُ تسمَّى نسيمَ ، ويقالُ لها : ستُّ السَّادةِ ، وله مِن العُمرِ يومَئذٍ أربعونَ سنةً ، بُويعَ بالخلافةِ بعدَ خلعِ الراشدِ بيَوْمَيْن ، وخُطِب له على المنابرِ يومَ الجُمعَةِ العِشرينَ مِن ذى القَعدَةِ ، ولُقِّبَ بالمُقْتَفِى ؛ لأنَّه يُقالُ[1] : إنَّه رأى النبىَّ ﷺ ، وهو فى المنامِ وهو يقولُ له : سَيصِلُ هذا الأمْرُ إليكَ فاقْتَفِ بى . فصار إليه بعدَ ستةِ أيامٍ ، فلُقِّبَ بذلك لذلك .

فائدةٌ حسنَةٌ ينْبَغِى التَّنبيهُ عليها

وَلِىَ المُقْتَفِى والمسترشِدُ الخِلافةَ وكانا أخوَين ، وكذلك السَّفَّاحُ والمنصورُ ، وكذلك الهادِى والرشيدُ ، ابنا المَهْدِىِّ ، وكذلك الواثِقُ والمُتَوكِّلُ ابنا المُعْتَصِمِ أخَوان ، وأمّا ثلاثةُ إخْوَةٍ فالأمينُ والمأمونُ والمعتصِمُ بنُو الرشيدِ ، والمُنْتَصِرُ والمُعْتَزُّ والمعتمدُ بنُو المتوكِّلِ ، والمُكْتَفى والمُقْتَدِرُ والقاهِرُ بنُو المُعْتَضِدِ ، والرّاضِى والمُقْتَفِى والمُطِيعُ بنُو المقتدِرِ ، وأمَّا أربعةُ إخْوَةٍ فلم يكُنْ إلا فى بَنِى أُمَيَّةَ ، وهم الوليدُ وسُليمانُ ويزيدُ وهِشامٌ بنُو عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ . ولمَّا استقرَّ المُقْتَفِى فى الخلافةِ استمرَّ الراشدُ ذاهبًا إلى المَوْصِلِ صُحْبَةَ صاحبِها عمادِ الدِّينِ زَنْكِى ، فدخَلها فى ذى الحجَّةِ مِن هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣١٤.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

محمدُ بنُ حَمُّويةَ بنِ محمدِ بنِ حَمُّويةَ ، أبو عبدِ اللَّهِ الجُوَيْنىُّ[1] ، روى الحديثَ وكان صدُوقًا ، مشْهُورًا بالعلمِ والزهدِ ، وله كراماتٌ ، دخَل إلى بلدٍ فلمَّا ودَّعَهم أنشَدَهم[2] :

لَئِنْ كان لى مِن بعدُ عَوْدٌ إليْكُمُ ... قَضَيْتُ لُبَاناتِ الفُؤادِ لديْكمُ
وإنْ تَكُنِ الأخْرَى [٢٣٨/٩ظ] وفى الغَيْبِ عِبرةٌ ... وحالَ قَضاءٌ فالسَّلامُ عليكمُ

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ حبيبٍ ، أبو بكرٍ العامِرىُّ[3] ، المعروفُ بابنِ الخَبَّازةِ ، سمِع الحديثَ ورحَل فى طلَبِه ، وكانت له معرفةٌ بالفقهِ والحديثِ ، وقد شرَح كتابَ « الشِّهابِ » . وكان يعِظُ الناسَ على طريقةِ التصَوُّفِ ، وكان ابنُ الجَوْزِىِّ فيمَن تأدَّبَ به ، وقد أثْنَى عليه ، ومِن شعرِه[4] :

كيف احْتِيالِى وهذا فى الهوَى حالِى ... والشَّوْقُ أمْلَكُ لى مِن عَذْلِ عُذَّالِى
وكيف أسْلُو وفى حُبِّى له شُغُلٌ ... يَحُولُ بينَ مُهمَّاتِى وأشْغالِى

وقد ابْتَنَى[5] رِباطًا ، فكان عندَه جماعةٌ مِنَ المُتَعبِّدِينَ والزُّهَّادِ ، ولمَّا احتُضِرَ أوْصاهم بتَقْوَى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، والإخلاصِ ، ثم شرَع فى النَّزْعِ ، وعرقَ جَبِينُه فمَدَّ يدَه ثم قال :

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣١٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٧، والعبر ٤/ ٨٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ٩٥.
(٢) المنتظم ١٧/ ٣١٧.
(٣) المنتظم ١٧/ ٣١٧، والكامل ١١/ ٤٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤٩.
(٤) الأبيات فى : المنتظم ١٧/ ٣١٨، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٤٩.
(٥) المنتظم ١٧/ ٣١٨.

ها قَدْ بسَطْتُ يَدِى إليكَ فرُدَّها بالفَضْلِ لا بشَماتَةِ الأعداءِ[1]

ثم قال: أرَى المشايخَ بينَ أيْدِيهِمُ الأطْباقُ وهم ينْتَظِرُونَنى. ثم ماتَ، وذلك ليلةَ الأرْبعاءِ نصفَ رمضانَ، ودُفِنَ برِباطِه، ثم غرِق رباطُه وقبرُه فى سنةِ أربعٍ وخمسين وخمسِمائةٍ، رحِمه اللَّهُ.

محمدُ بنُ الفَضْلِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أبى العباسِ، أبو عبدِ اللَّهِ الصاعِدِىُّ الفُراوِىُّ[2]، كان أبوه مِن ثَغْرِ فُراوةَ[3]، وسكَن نَيْسَابُورَ، فوُلِدَ له بها محمدٌ هذا، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ على جماعةٍ مِن المشايخِ بالآفاقِ، وتفَقَّه وأفْتَى وناظَرَ ووعَظ، وكان ظريفًا، حسنَ الوَجْهِ، جميلَ المُعاشرَةِ، كثيرَ التبَسُّم، وأمْلَى أكثرَ مِن ألفِ مجلسٍ، ورحَل إليه الطلبةُ مِن الآفاقِ حتى كان يقالُ[4]: الفُراوِى ألفُ راوِى. وقيلَ[4]: إنَّ ذلك كان مكْتُوبًا فى خاتَمِه. وقد أسمَعَ «صحيحَ مسلمٍ» قريبًا مِن عشرين مرَّةً.

تُوفِّى فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ عن تسعينَ سنةً، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) قال ابن الجوزى فى المنتظم: وهذا البيت لأبى نصر القشيرى تمثل به شيخنا هذا.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٥، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٢٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٦٦.

(٣) فراوة: بليدة من أعمال نسا، بينها وبين دهستان وخوارزم. معجم البلدان ٣/ ٨٦٦.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣١٩.

ثم دخلَتْ سنَةُ إحْدَى وثلاثيـنَ وخمسِمائَةٍ

فيها[1] كثُرَ موتُ الفجْأَةِ بأَصْبهانَ ، فمات ألوفٌ مِنَ النّاسِ ، وأُغلِقتْ دورٌ كثيرةٌ .

وفيها تزوَّجَ الخليفةُ بالخاتُونِ فاطمةَ بنتِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، على صداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، فحضَر أخوها السلطانُ مسعودٌ العقدَ وجماعةٌ مِن أعْيانِ الدولةِ ، والوزراءُ والأمراءُ ، ونُثِر على الناسِ أنْواعُ النِّثارِ .

وفيها صام أهلُ بغدادَ رمضانَ ثلاثيـنَ يومًا ولم يَرَوُا الهِلَال ليلةَ إحْدَى وثلاثيـنَ ، مع كَوْنِ السماءِ كانت مُصْحِيَةً .

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[2] : وهذا شيءٌ لم يقَعْ مثلُه .

وفيها هرَب وزيرُ صاحبِ مصرَ ، وهو تاجُ الدولةِ بَهْرامُ النَّصْرانيُّ ، وقد كان تمكَّنَ فى البلادِ وأساء السيرةَ ، فتطَلَّبه الخليفةُ الحافِظُ حتى أخَذَه فسجَنه ، ثم أطْلَقَه فترَهَّبَ وترَك العملَ ، فاسْتَوزَرَ بعدَه رِضْوانَ بنَ الزَّنْجِيِّ[3] - ولقَّبه المَلِكَ الأفضلَ ، ولم يُلَقَّبْ وزيرٌ بذلك قبلَه ، ثم وقَع بينَه وبينَ الحافظِ ، فلم يَزلْ به

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢١، والكامل ١١/ ٤٧.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٢٤.

(٣) فى خ : « الوكى » ، وفى م ، والكامل : « الريحينى » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١-٥٤٠هـ) ص ٢٠١: « الوبخشى » ، وفى نهاية الأرب ٢٨/ ٣٠٢: « لولخشى » ، وفى المختصر فى أخبار البشر : « الوكحشى » . وفى إحدى نسخ الكامل : « الولحشى » ، وكتب فى الهامش : « الزنجى » ، وعليه علامة الصحة .

الخليفةُ حتى قتَله ، واشتغَل بتَدْبِيرِ أمورِه وحدَه .

وفيها ملَك عمادُ الدينِ زَنْكِى عِدَّةَ بلادٍ . وفيها ظهَر بالشامِ سَحابٌ أسودُ أظلَمَتْ له الدُّنيا ، ثم ظهَر بعدَه سحابٌ أحمرُ كأنَّه نارٌ أضاءَتْ له الدنيا ، ثم جاءَتْ ريحٌ عاصِفٌ فألقَتْ أشجارًا كثيرةً ، ثم وقَع مَطرٌ شديدٌ ، وسقَط بَرَدٌ كِبارٌ .

وفيها قصَد ملكُ الرومِ بلادَ الشامِ فأخَذ بلادًا كثيرةً مِن أيْدِى الفِرِنْجِ ، وأطاعَه أَليونُ[1] بنُ ملكِ الأرْمَنِ .

ومِمَّن [٢٣٩/٩و] **تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :**

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ ثابتِ بنِ الحسَنِ ، أبو سَعْدٍ الخُجَنْدِىُّ[2] ، تفَقَّهَ على والدِه الإمامِ أبى بكرٍ الخُجَنْدِىِّ الأَصْبَهانِىِّ ، ووَلِىَ التدْرِيسَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ببغدادَ مِرارًا ، ويُعْزَلُ عنها ، وقد سمِع الحديثَ ووَعَظ ، وتُوفِّى فى غُرَّةِ شعبانَ مِن هذه السنةِ وقد قارَب التسعين .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الحَرِيرِىُّ ، يُعْرَفُ بابنِ الطَّبَرِ[3] ، سمِع الكثيرَ ، وهو آخِرُ مَن روَى عن أبى الحسَنِ ابنِ زَوْجِ الحُرَّةِ ، وقد حدَّث عنه[4] أبو بكرٍ الخطيبُ ، وكان ثَبتًا صحيحَ السماعِ ، كثيرَ الذِّكْرِ والتلاوةِ ، مُمَتَّعًا بحواسِّه وقُوَاه إلى أنْ تُوفِّىَ فى جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنةِ عن ستٍّ وتسعينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الكامل ١١/ ٥٣: «ليون» .

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٢٤، والكامل ١١/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٣٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٥١، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٧٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٢٦، والكامل ١١/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٥٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٩٢.

(٤) أى : عن أبى الحسن . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٢٦، والكامل ١١/ ٥٤.

ثم دخلتْ سنَةُ ثِنتَيْنِ وثلاثينَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] قُتِل الخليفةُ الراشِدُ المخلوعُ ؛ وذلك أنَّه اجْتمَع معه الملكُ داودُ وجماعةٌ مِن كبارِ الأُمَراءِ ، فقصَدُوا قتالَ السلطانِ مسعودٍ بأرضِ مَراغَةَ فهزَمهم وبدَّدَ شمْلَهم ، وقتَل منهم خلْقًا صَبْرًا بينَ يدَيه ، منهم صَدَقةُ بنُ دُبَيسٍ ، ووَلَّى أخاه محمدًا مكانَه على الحِلَّةِ[2] ، وهرَب الخليفةُ الراشدُ المخلوعُ ، فدخَل أصْبهانَ فقتَله مَنْ كان يخْدُمُه مِن الخُرَاسَانِيَّةِ ، وكان قد بَرَأ مِن وجَعٍ أصابَه ، فقتَلُوه فى الخامسِ والعشرين مِن رمضانَ ، ودُفِن بشَهْرَسْتَانَ ظاهِرَ أَصْبهانَ . وقد كان حسنَ اللونِ مليحَ الوَجْهِ شديدَ القوَّةِ مَهِيبًا . أمُّه أمُّ ولدٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها كسَا الكعبةَ رجلٌ مِن التُّجَّارِ يقالُ له : راستُ[3] الفارِسىُّ ، بثمانِيَةَ عشَرَ ألفَ دينارٍ ؛ وذلك لأنَّه لم تأْتِها كِسْوَةٌ فى هذا العامِ لاختلافِ المُلوكِ .

وفيها[4] كانتْ زلزلَةٌ عظيمةٌ ببلادِ الشامِ والجزيرةِ والعراقِ ، فانْهدَم شىءٌ كثيرٌ ، ومات تحتَ الهَدْمِ خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ . وفيها كان بخُراسانَ غلاءٌ شديدٌ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢٧، والكامل ١١/ ٥٥.

(٢) ظاهر كلام ابن كثير أن السلطان مسعود هزم الراشد وأتباعه ، وقتل منهم خلقًا ؛ منهم صدقة بن دبيس ، وقد ذكر ابن الأثير فى الكامل ١١/ ٦٠، ٦١: أن مسعودًا انتصر فى أول الوقعة ، ثم انهزم فى آخرها ، وأن بوزابة - وهو من أتباع الراشد - هو الذى قتل صدقة ، فلما قتل أقر السلطان مسعود الحلة على أخيه محمد بن دبيس .

(٣) فى الكامل ١١/ ٦٥: «رامشت» .

(٤) عيون التواريخ ١٢/ ٣٣٤.

حتى أكَلوا الكلابَ .

وفيها أخَذ الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى مدينةَ حِمْصَ فى المحرَّمِ ، وتزوَّجَ فى رمضانَ بالستِّ زُمُرُّدْ خاتُون ، أمِّ صاحبِ دِمشْقَ ، وهى التى تُنْسَبُ إليها الخاتُونِيةُ البَرَّانِيَّةُ .

وفيها ملَك صاحبُ الرومِ مدينةَ بُزاعةَ ، وهى على سِتَّةِ فراسِخَ مِن حلَبَ ، فجاء أهلُها الذينَ نجَوْا مِن القَتْلِ والسَّبْيِ يسْتَغِيثُونَ بالمسلمينَ ببغدادَ ، فُمنِعَتِ الخُطْبةُ ببَغْدادَ ، وجرَتْ فتنٌ طويلةٌ .

وفيها تزوَّجَ السلطانُ مسعودٌ سفرى بنتَ دُبَيْسِ بنِ صَدَقَةَ ، وزُيِّنَتْ بَغْدادُ لذلكَ سبعةَ أيامٍ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : فحصَلَ بسبَب ذلك فسادٌ عريضٌ طويلٌ منتشرٌ . ثم تزوَّجَ ابْنَةَ عمِّه ، فزُيِّنَتْ بَغْدادُ ثلاثةَ أيامٍ أيضًا .

وفيها وُلد السلطانُ الناصِرُ صَلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيُّوبَ بنِ شاذِى ، بقَلْعَةِ تَكْرِيتَ . وفيها حجَّ بالناسِ الأميرُ نظرٌ الخادمُ ، وكذا فى السنواتِ التى قبلَها ، أثابه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ، أبو بَكْرٍ بنُ أبى الفَتْحِ الدِّينَوَرِىُّ[2] الحَنْبَلِىُّ ، سمِع الحديثَ ، وتفَقَّه على أبى الخَطَّابِ الكَلْوَذانِىِّ . وأفْتَى [٩/٢٣٩ظ] ودرَّسَ وناظَر ، كان أسْعَدُ المِيهَنِىُّ يقولُ[3] : ما اعْتَرضَ أبو بكرٍ الدِّينَوَرِىُّ على دليلِ أحَدٍ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢٨.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٢٨، والكامل ١١/ ٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٦٨.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٢٨، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٠.

إلَّا ثلَمَه، وقد تخرَّج به الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِيِّ، وأنشدَ عنه قولَه[1]:

تمنَّيْتَ أنْ تُمسِى[2] فقيهًا مُناظِرًا ... بغيرِ عناءٍ فالجُنونُ فنونُ
وليسَ اكْتِسَابُ المالِ دونَ مشَقَّةٍ ... تلَقَّيْتَها فالعِلْمُ كيفَ يكونُ

عبدُ المُنْعِمِ بنُ عبدِ الكَرِيمِ بنِ هَوازِنَ، أبو المُظَفَّرِ القُشَيْرِىُّ[3]، آخرُ مَن بَقِى منهم، سمِعَ أباه، وأبا بَكْرٍ البَيْهَقِىَّ، وغيرَهما، وسمِعَ منه عبدُ الوهَّابِ الأَنْماطِىُّ، وأجازَ ابنَ الجَوْزِىِّ، وقاربَ التِّسْعِينَ.

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ، أبو الحسَنِ الكَرَجِىُّ[4]، سمِع الكثيرَ فى بلادٍ شتَّى، وكان فقيهًا شافعيًّا، تفَقَّهَ بأبى إسْحاقَ وغيرِه مِن أئمةِ الشافعِيَّةِ، وكان أديبًا شاعرًا فصِيحًا، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ؛ منها «الفُصولُ فى اعْتِقادِ الأئمةِ الفُحولِ»، يذكرُ فيه مذاهبَ السَّلفِ فى بابِ الاعْتِقادِ، ويحْكِى فيه أشياءَ غريبةً حسَنَةً، وله تفْسيرٌ، وكتابٌ فى الفقهِ، وكان لا يقْنُتُ فى الفجرِ، ويقولُ[5]: لم يصِحَّ ذلك فى حديثٍ، وقد كان إمامُنا الشافعىُّ يقولُ: إذا صحَّ الحديثُ، فاضرِبُوا بقَوْلِى هذا الحائطَ. وقد كان حسَنَ الصورةِ، جميلَ المُعاشرَةِ، ومِن شعرِه[6]:

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٢٩، وانظر البيتين أيضا فى الكامل ١١/ ٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٠.
(٢) فى المنتظم ١٧/ ٣٢٩: «تسمى».
(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٨٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٩٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٩.
(٤) المنتظم ١٧/ ٣٣١، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢٩٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٤٨.
(٥) المنتظم ١٧/ ٣٣١، ٣٣٢.
(٦) المنتظم ١٧/ ٣٣٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٦٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٤٩.

تـنـاءَتْ دارُه عـنِّـى ولـكِـنْ خَيالُ جمالِهِ فى القلبِ ساكِنْ
إذا امْـتَـلأَ الـفـؤادُ بـهِ فـمـاذَا يضُرُّ إذا خلَتْ منهُ الأماكِنْ

تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، وقد جاوز السبعين .

الخليفةُ الرَّاشِدُ ، منْصُورُ بنُ المُسْتَرْشِدِ[1] ولى الخلافةَ بعدَ أبيه ، ثم خُلِع ، فذهَب مع العمادِ زَنكِى إلى أرضِ المَوْصِلِ ، ثم جمَع جموعًا ، فاقتَتَل مع المَلِكِ مسعودٍ فى هذه السنةِ فهزَمهم ، فذهَب إلى أصبهانَ فقُتِل بعدَ مرَضٍ أصابه ، فقيل : إنَّه سُمَّ ، وقيلَ : قتَلتْه الباطِنيَّةُ . وقِيلَ : بل قتَله الفرَّاشونَ الذين كانوا يَلُونَ أمْرَه[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد حكَى ابنُ الجَوْزِىِّ عن أبى بَكْرٍ الصُّولِىِّ ، أنَّه قال[3] : الناسُ يقولُونَ : كلُّ سادسٍ يقومُ بأمرِ الناسِ مِن أوَّلِ الإسْلامِ لابدَّ أنْ يُخلَعَ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ : فتأمَّلْتُ ذلك فرأيتُه عجَبًا ؛ قام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، ثم علىٌّ ، ثم الحسَنُ فخُلِع ، ثم معاوِيَةُ ويزيدُ ، ومعاوِيَةُ بنُ يزيدَ ، ومَرْوانُ ، وعبدُ الملكِ ، ثم عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، فخُلِعَ وقُتِلَ ، ثم الوليدُ ، وسُلَيمانُ ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ويزيدُ ، وهشامٌ ، ثم الوليدُ بنُ يزيدَ ، فخُلِعَ وقُتِل ، ولم ينْتَظِمْ لبَنِى أُمَيَّةَ بعدَه أمْرٌ حتى قامَ السَّفَّاحُ العباسِىُّ ، ثم أخوه المَنْصورُ ، ثم المَهْدِىُّ ، والهادِى ، والرشيدُ ، ثم الأمينُ ، فخُلِعَ وقُتِل ، ثم المأمونُ ، والمُعْتَصِمُ ،

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٢، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٠.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٣٢.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٢، ٣٣٣، وانظر الكامل ١١/ ٦٢، ٦٣. هذا وسياق الخبر يوضح أن الذى تأمل فى قول الناس فرأى عجبا ، هو أبو بكر الصولى لا ابن الجوزى .

والواثقُ، والمُتوكِّلُ، والمنتصرُ ثمَّ المُسْتَعِينُ فخُلِعَ وقُتِل، ثم المُعْتَزُّ والمُهْتَدِى والمعتمدُ والمعْتَضِدُ والمُكْتَفِى، ثم المُقْتَدِرُ فخُلِعَ، ثم أُعِيدَ فقُتِلَ، ثم القاهِرُ، والرَّاضِى، والمُتَّقِى، والمسْتكفِى، والمُطِيعُ، ثم الطائعُ فخُلِعَ، ثم القادِرُ والقائِمُ والمُقْتَدِى والمستظهرُ والمُسْتَرْشِدُ، ثم الراشدُ، فخلِعَ وقُتِل.

أنوشِرْوَانُ بنُ خالدِ بنِ محمدٍ القَاشَانِىُّ الفِينِىُّ[1]، **مِن قريةِ فِينَ مِن قاشَانَ، الوزيرُ أبو نَصْرٍ**، وزَر للسلطانِ محمودٍ وللخليفةِ المسترشدِ، وكان عاقِلًا، مَهِيبًا، عظيمَ الخِلْقَةِ، وهو الذى ألْزَم أبا محمدٍ الحَرِيرِىَّ بتَكْميلِ المقاماتِ، وكان[2] سبَبَ [٢٤٠/٩و] ذلك أنَّ أبا محمدٍ الحَريرىَّ كان جالِسًا ذاتَ يومٍ فى مسجدِ بنى حرامٍ، مِن محالِّ البَصْرَةِ، فدخَل عليهم شيخٌ ذو طِمْرَيْن، فقالوا: مَن أنت؟ قال: أنا رجلٌ مِن سَرُوجَ، يقالُ لى: أبو زيدٍ. فعَمِل الحَرِيرىُّ المقامةَ الحَراميَّةَ، واشْتَهَرتْ فى الناسِ، فلمَّا طالَعَها الوزيرُ أنوشِرْوانُ أُعْجِب بها، وكلَّف أبا محمدٍ أنْ يزيدَ عليها غيرَها فعَمِل معها تَمامَ خمسين مقامةً، فهى هذه المشهورةُ المُتَداولَةُ بينَ الناسِ، وقد كان الوزيرُ كريمًا مُحَمَّدًا غيرَ أنَّه كان يُنْسبُ إلى التَّشيُّعِ. وقد مدَحه الحَرِيرِىُّ فقال[3]:

أَلَا ليتَ شِعْرِى والتَّمنِّى تعِلَّةٌ ... وإنْ كان فيه راحَةٌ لأخى الكَرْبِ
أتَدْرُونَ أنِّى مُذْ تَناءَتْ دِيارُكُم ... وشطَّ اقْترابى من جَنابِكمُ الرَّحبِ
أكابِدُ شوْقًا ما يزالُ أُوارُه ... يُقَلِّبُنِى باللَّيلِ جَنْبًا على جنْبِ

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٣، والكامل ١١/ ٧٠، ضمن وفيات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٤ وفيه: نوشروان، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٤٠.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٣٣.

(٣) الأبيات فى المنتظم ١٧/ ٣٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٥.

وأذكُرُ أيامَ التَّلاقى فأنْثَنِى لتَذْكارِها بادِى الأسَى طائرَ اللُّبِّ
ولِى حَنَّةٌ فى كلِّ وقتٍ إليكمُ ولاحَنَّةُ الصَّادِى إلى الباردِ العَذْبِ
فواللَّهِ لو أنِّى كتَمْتُ هوَاكُمُ لَمَا كان مكْتومًا بشرقٍ ولا غربِ
وممَّا شجَا قلْبِى المُعَنَّى وشَفَّهُ رِضاكُم بإهْمالِ الإجابَةِ عن كُتْبِى
وقد كنتُ لا أخْشَى مع الذنْبِ جَفْوَةً فقد صِرْتُ أخْشاها ومالِىَ مِن ذنْبِ
ولمَّا سرَى الوفدُ العراقىُّ نحْوَكُم وأعْوَزَنِى المسْرَى إليكم مع الرَّكْبِ
جعَلْتُ كتابِى نائِبى عن ضَرُورَةٍ ومَن لم يجِدْ ماءً تيَمَّم بالتُّرْبِ
ونفَّذْتُ أيضًا بَضْعَةً مِن جوارِحى لتُنْبِئَكُم عن شَرْحِ حالِى وتَسْتَنْبى
ولستُ أرَى إذْ كارَكُم بعدَ خَبْرِكم بمَكْرُمةٍ حسْبى اهْتِزَازُكم حسْبى

ثم دخلَتْ سنةُ ثلاثٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ[1]

فيها كانتْ زَلْزلةٌ عظيمةٌ بمدينةِ جَنْزةَ[2] ، ماتَ بسببِها مائتا ألفٍ وثلاثون ألفًا ، وصار مكانُها ماءً أسودَ ، عشَرَةَ فَراسِخَ فى مثْلِها ، وزُلْزِل أهلُ حَلَبَ فى ليلةٍ واحدةٍ ثمانين مَرَّةً .

وفيها وضَع السلطانُ مسعودٌ[3] مُكُوسًا كثيرةً عن الناسِ ، وكثُرتِ الأدْعِيَةُ له .

وفيها كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بينَ السلطانِ سَنْجَرَ وخُوَارِزْم شاه ، فهزَمَه سَنْجَرُ ، وقتِل فى المعركةِ ولدُه ، فحزِن عليه والدُه حزنًا شديدًا .

وفيها قُتِل صاحبُ دمشقَ شهابُ الدينِ محمودُ بنُ تاجِ الملوكِ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ ، قتَله ثلاثةٌ مِن خواصِّه ليلًا ، وهرَبُوا مِن القلعةِ ، فأُدْرِك اثْنانِ فصُلِبا وأفْلَت واحدٌ . وملَك بعدَه أخوه كمالُ الدينِ محمدُ بنُ تاجِ الملوكِ ، وكان ببَعْلَبكَّ قبلَ ذلك ، فملَك بعدَه بَعْلَبكَّ عمادُ الدينِ زَنْكى ، واستَناب عليها الأميرَ نجمَ الدينِ أيوبَ والدِ الملكِ صلاحِ الدينِ والملكِ العادلِ أبى بكرٍ وذريَّتِهما .

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٥، والكامل ١١/ ٧١.

(٢) فى الأصل : « جرة » ، وفى خ : « خيرة » ، وفى م : « جيرت » ، وفى ص : « حبرة » ، وفى الكامل ١١/ ٧٧: « كنجة » . والمثبت من المنتظم ١٧/ ٣٣٥. وجنزة : اسم أعظم مدينة بأرّان وهى بين شروان وأذربيجان ، وهى التى تسميها العامة كَنْجَه بينها وبين بَرْذَعة ستة عشر فرسخا . معجم البلدان ٢/ ١٣٢.

(٣) فى النسخ : « محمود » . والمثبت من الكامل ١١/ ٧١. وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٣٤٣.

وفيها صُرِف اليهودُ والنصارى عن المُباشَراتِ ثم أعِيدُوا قبلَ شهرٍ. وحجَّ بالناسِ فيها نَظَرٌ الخادِمُ، أثابَه اللَّهُ تعالى.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

زاهرُ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ، أبو القاسمِ بنُ أبى عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ الشّحَّامىُّ[1] المحدِّثُ المكْثِرُ، الرَّحَّالُ الجوَّالُ، سمِع الكثيرَ، وأمْلَى بجامعِ نَيْسَابُورَ ألفَ مجلسٍ، ويقالُ[2]: إنَّه كان [٩/٢٤٠ظ] به مرضٌ يُكثِرُ بسببِه الجمعَ بينَ الصلواتِ. فتكلَّم فيه أبو سعدٍ السَّمْعانىُّ، وقال[3]: إنَّه كان يُخِلُّ بالصلَواتِ. وقد ردَّ ابنُ الجَوْزىِّ[4] على السمعانىِّ بعُذْرِ المرَضِ، فاللَّهُ أعلمُ.

بلَغ خمسًا وثمانين سنةً، وكانت وفاتُه بنَيْسَابُورَ فى ربيعٍ الآخرِ، ودُفِن بمقْبرَةِ يحيى بنِ يحيى.

علىُّ بنُ أفْلَحَ[5]، أبو القاسمِ الكاتبُ، وقد خلَع عليه المسترشِدُ، ولقَّبه جمالَ المُلْكِ، وأعْطاه أربعةَ دورٍ، وكانتْ له دارٌ إلى جانبِهنَّ فهدَمَهُنَّ كلَّهُنَّ، واتَّخَذ مكانَهُنَّ دارًا هائلةً، طولُها ستُّون ذِراعًا فى عرضِ أربعين، وأطلَق له

---

(١) فى الأصل: «السحامى»، وفى م: «السحامى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٧/ ٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٤٠هـ) ص ٣١٦، والوافى بالوفيات ١٤/ ١٦٧، وغاية النهاية ١/ ٢٨٨.

(٢) المنتظم ١٧/ ٣٣٧.

(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٧.

(٤) المنتظم ١٧/ ٣٣٧.

(٥) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٢/ ٥٢، والمنتظم ١٧/ ٣٣٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٢٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٥٥ وأورده الكتبى فيمن توفى فى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

الخليفةُ أخْشابًا وآجُرًّا وذهَبًا ، فبناها ، وغرِم عليها ابنُ أفلحَ مالًا جزيلًا ، وكتَب على أبوابها وطرَازاتِها أشْعارًا حسنةً مِن نظْمِه ، ونظْمِ غيرِه ، فمِن ذلك ما هو على بابِ الدارِ[1] :

إنْ عجِب الرَّاءونَ[2] مِن ظاهرِى ... فباطنِى لو علِموا أعْجَبُ
شَيَّدَنى[3] مَن كفُّه مُزْنَةٌ ... يحمِلُ منها العارِضُ الصَّيِّبُ
ودَبَّجتْ رَوضَةُ أخلاقِه ... فىَّ رِياضًا[4] نورُها مُذْهَبُ
صدرٌ كسَا صدْرِىَ مِن نورِهِ ... شمْسًا على الأيامِ لا تغْرُبُ

وعلى الطُّرُزِ مكتوبٌ :

ومِن المُروءةِ للفَتَى ... ما عاشَ دارٌ فاخِرهْ
فاقْنَعْ مِن الدنيا بها ... واعمَلْ لدارِ الآخِرَهْ
هاتِيكَ وافيةٌ بما ... وَعَدَتْ و(هذى ساحِرَهْ)[5]

وفى موضعٍ آخرَ مكتوبٌ[6] :

ونادٍ كأنَّ جِنَانَ الخلودِ[7] ... أعارَتْه مِن حُسْنِها رَوْنَقَا
وأعْطَتْه مِن حادِثاتِ الزما ... نِ أنْ لا تُلِمَّ به موْثِقَا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٣٨.
(٢) فى المنتظم : « الزوار » .
(٣) فى م : « شد بانى » .
(٤) فى خ ، م : « ديار » .
(٥ - ٥) فى خ : « هاتى بايرة » ، وفى م : « هاتى باترة » . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(٦) المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(٧) فى الأصل ، خ ، م : « الخلد » .

(١ فأضْحَى يَتِيهُ ١) على كلِّ ما بُنِى مغْرِبًا كان أو مشْرِقَا
تـظَـلُّ الـوفـودُ بـهِ عُـكَّـفًـا وتُمْسِى الضيوفُ بهِ طُرَّقَا
بقِيتَ لهُ يا جمالَ الملُو كِ والفَضْلِ مهْما أرَدْتَ البقَا
وسالَمَهُ فيكَ ريْبُ الزمانِ ووُقِّيتَ منه الذى يُتَّقَى

فما صَدَقتْ هذه الأمانِى ، بل عمَّا قريبٍ - بعدَ نَيْلِها - اتَّهَم الخليفةُ ابنَ أفلحَ بأنَّه يكاتِبُ دُبَيسًا ، فأمَر بتَخْريبِ هذه الدارِ ، فلم يَبْقَ فيها جِدارٌ ، وصارَتْ خَرابةً بعدَ ما كان قد حَسُن منها المُقامُ والقَرارُ ، وهذه حكمةُ مَن يقلِّبُ الليلَ والنهارَ ، وتجْرِى بمَشيئتِه الأقْدارُ[٢] .

وقد أوْرَد ابنُ الجَوْزِىِّ أشْياءَ حسنةً مِن نظْمِه ، ونثْرِه ، فمِن ذلك[٣] :

دَعِ الهوَى لأناسٍ يُعْرَفُون بهِ قد مارَسُوا الحبَّ حتى لانَ[٤] أصْعَبُهُ
بَلَوتَ[٥] نفْسَك فيما لسْتَ تَخْبُرُهُ[٦] والشىءُ صعْبٌ على مَن لا يجرِّبُهُ
اقْنِ[٧] اصْطِبارًا وإنْ لم تسْتَطِعْ جَلَدًا فرُبَّ مُدْرِكِ أمرٍ عزَّ مطْلَبُهُ
أحْنِى[٨] الضلُوعَ على قلْبٍ يُحَيِّرُنى[٩] فى كلِّ يومٍ ويُعْيِينى تقَلُّبُهُ

(١ - ١) فى الأصل : « فلا نحى قبيه » ، وفى م : « فأضحى ينبئه » . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(٢) بعده فى خ ، م : « وهى حكمته فى كل دار بنيت بالأشر والبطر وفى كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر » .
(٣) المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(٤) سقط من : م .
(٥) فى خ ، م : « أدخلت » .
(٦) فى م : « تجربه » .
(٧) فى خ ، والمنتظم : « افن » ، وفى م : « أمن » ، وقَنِى قِنًا : رضى .
(٨) فى الأصل : « اضوا » ، وفى م : « أحسن » ، وفى ص : « أحنو » . وانظر المنتظم ١٧/ ٣٣٩.
(٩) فى خ : « يخبرنى » ، وفى م : « يخيرنى » ، وفى ص : « نخبرنى » .

تَناوحُ الريحِ مِن نجْدٍ يهيِّجُهُ ... ولامِعُ البرقِ مِن نعمانَ يُطْرِبُهُ

ومِن ذلك قولُه[1] :

هذه الخَيْفُ[2] وهاتِيكَ مِنَى ... فتَرفَّقْ أيُّها الحادِى بنا

واحْبِسِ الركْبَ علَيْنا ساعةً ... نَنْدُبُ الرَّبْعَ[3] ونَبْكِى الدِّمَنا[4]

فلِذَا الموقفِ أعْدَدْنا البُكا[5] ... ولذا [6]الدِّمْنِ دُموعى[6] تُقْتَنى

زمنًا[7] كانوا وكنَّا جِيرَةً ... يا أعادَ اللَّهُ ذاكَ الزَّمَنا

بَيْنُنا يومَ [8]أُثَيلاتِ النَّقَا[8] ... كان عن غيرِ تراضٍ بيْنَنا

---

(١) المنتظم ١٧/ ٣٤٠.

(٢) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمى مسجد الخيف من منى . معجم البلدان ٢/ ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) فى خ ، م : « الدار » .

(٤) فى م : « الدنا » .

(٥) فى المنتظم ١٧/ ٣٤٠: « الأسى » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « اليوم الدموع » . والمثبت من المصدر السابق .

(٧) فى م ، ص : « زماننا » .

(٨ - ٨) فى خ ، م ، ص : « ائتلاف نلتقى » .

ثم دخَلَتْ سنةُ أربعٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ[1]

[٢٤١/٩و] فيها حاصَر زَنْكِى دمشقَ، فحصَّنَها الأتابِكُ معينُ الدينِ أَنُرُ[2] مملوكُ طُغتِكينَ، فاتَّفَق موتُ مَلِكِها جمالِ الدينِ محمدِ[3] بنِ بُورِى بنِ طُغْتِكينَ، فأرسَل معينُ الدينِ إلى أخيه مُجيرِ الدينِ أَبَقَ[4]، وهو ببَعْلَبَكَّ فملَّكَه دمشقَ، فذَهَب زَنْكِى إلى بَعْلَبَكَّ، فأخَذَها واسْتَناب عليها نجمَ الدينِ أيُّوبَ.

وفيها دخَل الخليفةُ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ على الخاتونِ فاطمةَ أختِ[5] السلطانِ مسعودٍ، وأُغلِقَتْ بغدادُ أيامًا، وكان وقتًا مشهودًا.

وفيها تزوَّج السلطانُ ببنتِ أميرِ المؤمنين، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها نُودِى للصلاةِ على رجلٍ صالحٍ، فاجْتَمع الناسُ بمدرسةِ الشيخِ عبدِ القادِرِ، ثم اتَّفَق أنَّ الرجلَ عطس فأفاقَ، وحضَرتْ جِنازَةُ آخرَ، فصَلَّىَ عليه.

وفيها نقَصَتِ المياهُ مِن سائرِ الدنيا. وفيها وُلِد صاحِبُ حَمَاةَ، تقىُّ الدينِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣، والكامل ١١/ ٧٣.

(٢) فى خ، م: «بن». وفى الكامل ١١/ ٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢١٣. وانظر وفيات ٥/ ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٧/ ٨٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٤١٠.

(٣) فى م: «محمود». وانظر نهاية الأرب ٢٧/ ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٢١٣.

(٤) فى خ: «ارتق»، وانظر الكامل ١١/ ٧٤.

(٥) فى م، ص، والكامل ١١/ ٧٧: «بنت». وانظر المنتظم ١٨/ ٣.

عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ بنِ شاذِى[1] .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ الفَرَجِ ، أبو العباسِ الحَرْبىُّ[2] ، أحدُ العبَّادِ الزُّهادِ ، سمِع الحديثَ ، وكانتْ له أحوالٌ ، حتى كان يقالُ[3] : إنَّه كان يُرَى فى بعضِ السِّنينَ بعرَفَاتٍ ، ولم يكُنْ حجَّ فى تلك السنةِ .

عبدُ السلامِ بنُ الفَضْلِ[4] ، **أبو القاسمِ الجِيلِىُّ** ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ على إلْكِيَا الهَرّاسِىِّ ، وبرَع فى الأُصولِ والفروعِ ، وغيرِ ذلك ، ووَلِى قضاءَ البصرةِ ، وكان مِن خيارِ القضاةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى م : « شارى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٢.

(٢) المنتظم ١٨/ ٥، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٤٢.

(٣) المنتظم ١٨/ ٥.

(٤) المنتظم ١٨/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٥٢، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٦٩.

ثم دخَلَتْ سنةُ خمسٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ

فيها[1] وصَلتِ البُرْدَةُ والقَضِيبُ إلى بغدادَ، وكانَا قد أُخِذا مع المسترشدِ سنةَ تِسْعٍ وعشرينِ، فحفِظَهما السلْطانُ سَنْجَرُ عندَه حتى ردَّهُما فى هذه السنةِ.

وفيها كَمَلَتِ المدرسةُ الكَماليَّةُ ببغدادَ المنْسُوبةُ إلى كمالِ الدينِ أبى الفُتوحِ حمزةَ بنِ طَلْحَةَ، صاحبِ المخزنِ، ودرَّس فيها الشيخُ أبو الحسنِ بنُ الخلِّ[2]، وحضَر عندَه الأعيانُ والرؤساءُ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ الفضلِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ، أبو القاسمِ الطَّلْحِىُّ الأصْبهانِىُّ[3]، سمِع الكثيرَ، ورحَل وكتَب وأمْلَى بأصْبهانَ قريبًا مِن ثلاثةِ آلافِ مجلسٍ، وكان إمامًا فى الحديثِ والفِقهِ والتفسيرِ واللغةِ، حافظًا متْقِنًا، تُوفِّى ليلةَ عيدِ الأضْحَى وقد قارَب الثمانين، ولمَّا أراد الغاسِلُ تنْحِيَةَ الخِرْقَةِ عن فَرْجِه ردَّها بيَدِه[4].

---

(١) المنتظم ١٨/ ٨، والكامل ١١/ ٧٨.

(٢) فى خ، م: «الحلى». وانظر المنتظم ١٨/ ١٠، والكامل ١١/ ٨٠.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٦٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٢١١، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٧.

(٤) بعده فى خ، م: «وقيل إنه وضع يده على فرجه».

محمدُ بنُ عبدِ الباقِى[1] **بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ الربيعِ بنِ ثابتِ**[2] **بنِ وَهْبِ بنِ مَشْجَعَةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ ابنِ مالكٍ الأنصارِىُّ**، سمِع الحديثَ، وتفرَّد عن جماعةٍ مِن المشايخِ، وأمْلَى الحديثَ فى جامعِ القَصْرِ، وكان مشارِكًا فى علومٍ كثيرةٍ[3]، وقد أُسِر فى صِغَرِه فى أيْدِى الرومِ، فأرادُوه على أن يتكلَّمَ بكلمةِ الكُفْرِ فلم يفْعَلْ، وتَعَلَّم منهم خطَّ الرومِ، وكان يقولُ: مَن خدَم المحابِرَ خدَمتْه المنابِرُ. ومِن شعرِه الذى أوْرَده ابنُ الجَوْزِىِّ عنه وسمِعه عنه قولُه[3]:

احفَظْ لسانَكَ لا تَبُحْ بثلاثةٍ ... سنٍّ ومالٍ [4]ما استَطعْتَ[4] ومذْهَبِ
فعلَى الثلاثةِ تُبْتَلَى بثَلاثةٍ ... [5]بمُكفِّرٍ وبحاسدٍ[5] ومُكَذِّبِ

ومِن ذلك قولُه[6]:

لى مُدَّةٌ لابُدَّ أبْلُغُها [٢٤١/٩ظ] ... فإذا انقَضَتْ وتصرَّمَتْ مِتُّ
لو عانَدَتْنى الأُسْدُ ضارِيَةً ... ما ضَرَّنى ما لم يَجِى الوقْتُ

[7]ومِن ذلك قولُه[7]:

---

(١) فى الأصل: «الربيع» وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ٥٨٢/١٥ (مخطوط)، والمنتظم ١٨/ ١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٩٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨١، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٩٢.

(٢) بعده فى الأصل: «وقد ألف أمر الاحضارى».

(٣) المنتظم ١٨/ ١٣، ١٤.

(٤ - ٤) فى خ، م: «إن سئلت». وانظر المنتظم ١٨/ ١٣.

(٥ - ٥) فى المنتظم: «بمموه ومكفر».

(٦) المنتظم ١٨/ ١٥.

(٧ - ٧) سقط من: خ، م. وانظر المنتظم ١٨/ ١٥.

(١) بغدادُ دارٌ لأهلِ العلمِ طيِّبةٌ وللمفاليسِ دارُ الضَّنْكِ والضِّيقِ
ظَلَلْتُ حَيْرانَ أمشِى فى أزِقَّتِها كأنَّنى مُصحفٌ فى بيتِ زِنْديقِ (١)

قال ابنُ الجَوْزِىِّ (٢) : بلَغ مِن العُمرِ ثلاثًا وتسعين سنةً ، لم تتغَيَّرْ حواسُّه ولا عقلُه . وكانت وفاتُه ثانِىَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وحضَر جِنازتَه الأعْيانُ والناسُ ، ودُفِن قريبًا مِن قبرِ بِشْرٍ .

يوسفُ بنُ أيوبَ بنِ يوسفَ بنِ الحسنِ (٣) بنِ وَهْرةَ (٤) ، أبو يعقوبَ الهَمَذانىُّ ، تفقَّهَ بالشيخِ أبى إسْحاقَ ، وبرَع فى الفقهِ والمناظرةِ ، ثم اشْتَغل بالتَّعَبُّدِ ، وصحِب الصالحِين ، وأقام بالجبالِ ، ثم عادَ إلى بغدَادَ فوعَظ بها ، وحصَل له قَبُولٌ . توفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ ببَعْضِ قُرَى هَرَاةَ ، رحمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : خ ، م . وانظر المنتظم ١٨/ ١٥.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٥.

(٣) كذا بالنسخ والمنتظم ١٨/ ١٥، وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/١/ ١٨٠، ووفيات الأعيان ٧/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٩٦: «الحسين» .

(٤) فى خ ، م : «زهرة» .

ثم دخَلَتْ سنةُ ستٍّ وثلاثين وخمسمائةٍ

فيها[1] كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ السلْطانِ سَنْجَرَ وبينَ السلطانِ خُوَارِزْم شَاه ، فاسْتَحوذَ خُوارِزْم شاه على مَرْوَ بعدَ هزيمةِ سَنْجَرَ ، فقُتِل بها ، وأساءَ التدبيرَ بالنسْبَةِ إلى الفقهاءِ الحَنَفِيَّةِ الذين بها ، وكان جيشُ خُوَارِزْم شاه ثلاثَمِائةِ ألفِ مقاتلٍ .

وفيها [2]كَمَل عملُ شَقِّ النهروانِ[2] ، وخلَع بِهْرُوزُ[3] الشِّحنةِ ببغدادَ على الصُّناعِ جِبابَ الحريرِ الروميِّ ، وركِب هو والسلطانُ مسعودٌ فى سفينةٍ فى ذلك النهرِ ، وفرِح السلْطانُ بذلك ، وكان قد صرَف السلطانُ على ذلك النهرِ سبعينَ ألفَ دينارٍ .

وفيها حجَّ كمالُ الدينِ بنُ طلْحَةَ ، صاحِبُ المخْزِنِ ، وعادَ فتزَهَّد ، وترَك العملَ ولزِم دارَه .

وفيها عُقِدتِ الجُمُعةُ بمسجدِ العباسِيِّين بإذْنِ الخليفةِ . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادمُ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧، والكامل ١١/ ٨١.

(٢ - ٢) فى خ : « تحمل عمل بثق النهروان » ، وفى م : « تحمل عمل دمشق النهروز » .

(٣) فى خ ، م : « نهروز » . وانظر المنتظم ١٨/ ١٧، ووفيات الأعيان ٧/ ١٤٢.

إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أبى الأشْعَثِ[1] ، أبو القاسمِ ابنُ أبى بكرٍ السَّمَرْقَنْدِىُّ ، الدِّمشْقىُّ ، ثم البَغْدادِىُّ ، سمِع الكثيرَ ، وتفرَّد بمشايخَ ، وكان سماعُه صحِيحًا ، وأمْلَى بجامعِ المنصورِ مجالِسَ كثيرةً نحوَ ثلاثِمائةِ مجلسٍ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ .

يحيى بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ، أبو محمدِ بنُ الطَّرَّاحِ المُديرُ[2] ، وُلِد سنةَ تِسْعٍ وعشرين وأربعِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ وأسْمَع ، وكان شيْخًا مَهِيبًا كثيرَ العبادَةِ والخيرِ ، وكانت وفاتُه فى رمضانَ من هذه السنةِ عن مائةٍ وسبعِ سنينَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورضِى عنه آمين .

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٥٧، والمنتظم ١٨/ ٢٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٠٦، والوافى بالوفيات ٩/ ٨٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٤٦.

(٢) فى الأصل، م: «المدبر». وكذا فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٣٤، والعبر ٤/ ١٠١. وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٢٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٧٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٠، وشذرات الذهب ٤/ ١١٤.

ثم دخلت سنةُ سبعٍ وثلاثين وخَمِسمائةٍ

فيها[1] ملَك عمادُ الدينِ زَنْكِى الحَدِيثَةَ ، ونقَل آلَ مُهَارشٍ مِنها إلى المَوْصِلِ ، ورتَّب فيها نُوَّابًا من جهتِه .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٦، والكامل ١١/٨٨ (حوادث ٥٣٦هـ) .

ثم دخلَتْ سنةُ ثمانٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ

فيها[1] تجهَّز السلطانُ مسعودٌ ؛ ليأْخُذَ المَوْصِلَ والشامَ مِن عمادِ الدينِ زَنْكِى ، فصالَحه على مائةِ ألفِ دينارٍ ، فدفَع إليه منها عشرين[2] ألفَ دينارٍ ، وأطْلَق له الباقِىَ ، وسبَبُ ذلك أنَّ ابْنَه سيفَ الدينِ غازِى كان لايزالُ فى خدمةِ السلطانِ .

وفيها ملكَ عمادُ الدينِ زَنْكِى بعضَ بلادِ بَكْرٍ . وفيها حصَر الملكُ سَنْجَرُ خُوَارِزم شَاه ، ثم أخَذ منه مالًا وأطْلَقَه .

وفيها وُجِد رجلٌ يفسُقُ بصَبِىٍّ ، فأُلْقِى مِن رأسِ مَنارَةٍ . [٢٤٢/٩و] وفى ليلةِ الثلاثاءِ الرابعِ والعشرين مِن ذى القَعْدَةِ زُلْزِلَتِ الأرضُ . وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادمُ ، أثابه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ الوَهَّابِ بنُ المُبارَكِ بنِ أحمدَ ، أبو البركاتِ الأنْماطِىُّ[3] ، الحافظُ سمِع الكثيرَ وحدَّث ، كان ثقةً دَيِّنًا وَرِعًا ، طليقَ الوَجْهِ ، سَهْلَ الأخْلاقِ ، تُوفِّى فى المحرَّمِ عن ستٍّ وتسعين سنةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣٠، والكامل ١١/ ٩٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٦٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٨٣، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٠١.

(٣) المنتظم ١٨/٣٤، والكامل ١١/٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١- ٥٤٠هـ) ص ٤٦٩، وعيوان التواريخ ١٢/٣٧٨.

عليُّ بنُ طِرَادِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ الزَّيْنَبِيُّ[1] ، الوزيرُ العبّاسِيُّ ، أبو القاسمِ نقيبُ النُّقَباءِ على الطائفَتَيْن[2] ، فى أيامِ المسْتَظْهِرِ ، ووَزَر للمسْتَرْشِدِ المُقتَفِى ، ثم عُزِل وأُعِيد ، ولم يلِ الوَزارةَ مِن العباسيِّين غيرُه ، وقد سمِع الكثيرَ وأسمَع ، وتُوفِّى فى رمضانَ عن ستٍّ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

الزَّمَخْشَرِىُّ ، محمودُ بنُ عمرَ بنِ محمدِ بنِ عمرَ ، أبو القاسمِ الزَّمَخْشَرِىُّ[3] ، صاحبُ « الكَشَّافِ » فى التفسيرِ ، و « المُفَصَّلِ » فى النحوِ ، وغيرِ ذلك مِن المصنَّفاتِ المُفيدَةِ ، وقد سمِع الحديثَ ، وطافَ البلادَ فى طلبِ العلمِ ، وجاوَر بمَكَّةَ مدَّةً ، وكان يُظْهِرُ مذْهبَ الاعْتِزالِ ، ويُصَرِّحُ بذلك فى تفْسيرِه ، ويُناظِرُ عليه ، ثم كانتْ وَفاتُه بخُوَارِزْم ليلةَ عرَفَةَ مِن هذه السنةِ ، عن سِتٍّ وسبعين[4] سنةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣٤، والكامل ١١/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٦٩، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٧٨.

(٢) يعنى العلوية والعباسيّة.

(٣) نزهة الألباء ص ٣٩١، والمنتظم ١٨/ ٣٧، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٦، والكامل ١١/ ٩٧، وإنباه الرواة ٢/ ٢٦٥، ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٨٦، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ١٢٠.

(٤) فى الأصل: «تسعين». وفى مصادر ترجمته السابقة أنه ولد سنة ٤٦٧هـ، وتوفى سنة ٥٣٨هـ.

ثم دخَلَتْ سنَةُ تِسْعٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ

فيها[1] أخَذ العمادُ زَنْكِى الرُّهَا، وغيرَها مِن حصُونِ الجزيرةِ مِن أيْدِى الفِرنْجِ، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا، وغنِم أموالًا جزيلةً، وأزاح عن المسلمين كُرَبًا شديدةً كثيرةً، جزاه اللَّهُ خيرًا. وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ نَظَرٌ الخادِمُ وتنافَس هو وأميرُ مكةَ، فنُهِب الحجِيجُ وهم يطُوفون.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ منصورِ بنِ عمرَ، أبو البَدْرِ[2] الكَرْخِىُّ، تفَقَّه بالشيخِ أبى إسْحاقَ، وأبى سعدٍ المُتَولِّى، حتى صارَ أوْحدَ زمانِه فِقْهًا وصلاحًا، وماتَ فى هذه السنةِ.

سعيدُ[3] بنُ محمدِ بنِ عمرَ، أبو منْصُورٍالرَّزَّازُ[4]، سمِع الحديثَ، وتفَقَّهَ بالغزَّالِىِّ والشَّاشِىِّ، والمُتَولِّى، وإلْكِيَا الهَرَّاسىِّ، وأسعدَ الميهَنىِّ، ووَلِى تدريسَ النِّظَامِيَّةِ، وكان له سَمْتٌ حسَنٌ، ووَقارٌ وسكونٌ، وكان يومُ جِنازتِه مشْهُودًا،

---

(١) المنتظم ١٨/ ٣٩، والكامل ١١/ ٩٨.

(٢) فى م: «الوليد». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٣٩، التقييد لابن نقطة ص ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٩٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٩٦.

(٣) فى م: «سعد». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦٩، والمعين فى طبقات المحدثين ص ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٤٩٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٢٢.

(٤) فى الأصل: «الرمزار»، وفى م: «البزار». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

ودُفِن عندَ الشيخِ أبى إسْحاقَ .

عمرُ بنُ إبْراهيمَ بنِ محمدِ (١بنِ محمدِ١) بنِ أحمدَ بنِ علىٍّ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ بنِ حمزةَ بنِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ زيدِ بنِ علىٍّ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، القُرَشِىُّ العَلَوىُّ ، أبو البركاتِ الكُوفىُّ ، ثم البَغْدادىُّ ، سمِع كثيرًا ، وكتَب كثيرًا ، وأقامَ بدمشقَ مدَّةً ، وكانت له معرفةٌ جيِّدَةٌ بالفقهِ والحديثِ والتفسيرِ واللغةِ والأدبِ ، وله تصانيفُ فى النحوِ ، وكان خَشِنَ العيشِ ، صابرًا مُحْتَسِبًا ، تُوفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنةِ عن سَبْعٍ وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من: النسخ والمنتظم ١٨/ ٤١. وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ١٢/٦٩٤ (مخطوط)، ونزهة الألباء ص ٣٩٩، ومعجم الأدباء ١٥/ ٢٥٧، وإنباه الرواة ٢/ ٣٢٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٥١٣، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٨٧.

ثم دخَلَتْ سنَةُ أرْبَعِيـنَ وخَمْسِمِائَةٍ

فيها[1] حصَرَ عليٌّ بنُ دُبَيسٍ أخاه محمدًا، ولم يزَلْ يحاصِرُه حتى افْتلَعَ مِن يَدِه الحِلَّةَ وملَكَها، وفى رجَبٍ دخَل السلْطانُ مسعودٌ إلى بَغْدادَ؛ خوْفًا مِنَ اجْتماعِ عباسٍ صاحبِ الرَّىِّ، ومحمد شَاه بنِ محمودٍ، ثم خرَج منها فى رمضانَ. وحجَّ بالناسِ قايْمَازُ الأُرجوانىُّ مملوكُ أميرِ الجيوشِ [٩/٢٤٢ظ] نَظَرٍ بسبَبِ ما كان وقَع بيـنَ نَظَرٍ وأميرِ مَكَّةَ فى السنَةِ الماضيةِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ سُلَيمانَ، أبو سَعْدٍ الأَصْبهانِىُّ، ثم البَغْدادِىُّ[2]، سمِعَ الحديثَ وكان على طريقَةِ السلفِ، حُلْوَ الشمائلِ، مُطَّرِحًا الكُلْفَةَ، رُبَّما خرَج إلى السوقِ بقميصٍ وقَلَنْسُوَةٍ. وحجَّ إحدى عشْرَةَ حَجةً، وكان يُمْلِى الحديثَ، ويكثرُ الصومَ، تُوفِّى بنَهاوَنْدَ فى ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنَةِ، وقد قاربَ الثمانيـنَ.

علىُّ بنُ أحمدَ بنِ الحُسَيْـنِ بنِ أحمدَ، أبو الحسَنِ اليَزْدِىُّ[3]، تفَقَّهَ بأبى

---

(١) المنتظم ١٨/ ٤٤، والكامل ١١/ ١٠٥.

(٢) المنتظم ١٨/ ٤٥، والكامل ١١/ ١٠٧، وفيه: أبو سعيد، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١٩ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٥٢٩.

(٣) المنتظم ١٨/ ٤٦، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٢٥، والعبر ٤/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٣٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢١١.

بكرٍ الشَّاشِيِّ ، وسمِعَ الحديثَ وأسْمَعه ، وكان له ولأخيه قميصٌ وعِمامةٌ ؛ إذا خرَج هذا جلَس الآخرُ فى البيتِ ، وكذا الآخرُ .

مَوْهُوبُ بنُ أحمدَ[1] **بنِ محمدِ بنِ الخَضِرِ ، أبو منْصورٍ الجَوالِيقِيُّ** ، شيخُ اللغةِ فى زمانِه ، باشرَ مشْيخَةَ اللغةِ بالنِّظاميَّةِ بعدَ شيْخِه أبى زكَرِيَّا التِّبْرِيزِيِّ مدَّةً ، وكان يؤمُّ بالمُقْتَفِى ، ورُبمَّا قرَأ عليه الخليفةُ شيئًا مِن الكتبِ ، وكان عاقِلًا ، متواضِعًا فى ملْبَسِه ، طويلَ الصَّمْتِ ، كثيرَ التفكُّرِ ، وكانتْ له حَلْقةٌ بجامعِ القصرِ أيامَ الجُمَعِ ، وكانت فيه لُكْنَةٌ ، وكان يجلسُ إلى جانبِه المغْرِبِيُّ مُعَبِّرُ المَناماتِ وكان فاضلًا لكِنَّه كان كثيرَ النُّعَاسِ فى مجلسِه ، فقال فيهما بعْضُ الأدباءِ[2] :

بَغْدادُ عندِى ذَنْبُها لنْ يُغْفَرا ... وعُيوبُها مكْشُوفةٌ لن تُسْتَرا
كونُ الجوالِيقىِّ فيها مُمْلِيًا ... لغةً وكونُ المغْرِبىِّ مُعَبِّرا
مأسورُ لُكْنَتِهِ يقولُ فصاحةً ... ونَئُومُ يقْظتِهِ يعبِّرُ فى الكَرَى

---

(١) المنتظم ١٨/ ٤٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٠٥، وإنباه الرواة ٣/ ٣٣٥، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٤٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٥٤٩.

(٢) الأبيات فى وفيات الأعيان ٥/ ٣٤٤، مع اختلاف فى الألفاظ.

ثم دخَلَتْ سنَةُ إحْدَى وأربعيـنَ وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى مُسْتَهَلِّ ليلةِ ربيعٍ الأوَّلِ[2] احْتَرقَ القصرُ الذى كان بنَاه المسترشدُ ، وكان فى غايةِ الحسْنِ ، وكان الخليفةُ المُقْتَفِى قدِ انتقلَ بجوارِيه وحظاياه إليه ليقيمَ فيه ثلاثةَ أيامٍ ، فما هو إلَّا أنْ نامُوا حتى احْتَرقَ عليهمُ القصرُ ، بسبَبِ أنَّ جارِيةً أخَذتْ فى يَدِها شمعةً فعلِق لهَبُها ببَعْضِ الأخشاب فاحْتَرقَ القصرُ ، وسَلَّمَ اللَّهُ الخليفةَ وأهلَه ، فأصبحَ فتصدَّقَ بأشْياءَ كثيرةٍ ، وأطْلَق خلقًا مِن المُحْبَسِين .

وفى رجَبٍ وقَع بيـنَ الخليفةِ وبين السلطانِ مسعودٍ واقعٌ ، فبعَث الخليفةُ إلى الجوامعِ والمساجدِ فأُغْلِقَتْ ثلاثةَ أيامٍ حتى اصْطلَحا .

وفى يومِ الجُمعةِ المنتصفِ مِن ذى القَعْدَةِ جلَس ابنُ العَبَّادِىِّ الواعظُ ، فتكلَّمَ والسلطانُ مسعودٌ حاضرٌ ، وكان قد وضَع على الناسِ مَكْسًا فى البَيْعِ فاحِشًا ، فقالَ فى جملةِ وعْظِه : يا سلطانَ العالَمِ ، أنتَ تطلِقُ فى بعْضِ الأحْيانِ للمُغَنِّى إذا طرِبْتَ قريبًا ممَّا وضَعْت على المسلميـنَ مِن هذا المَكْسِ ، فهَبْنى مُغَنِّيًا وقد طرِبْتَ ، فهَبْ لى هذا المَكْسَ شكْرًا لنِعَمِ اللَّهِ عليكَ وأسقِطْه عن الناسِ . فأشارَ السلطانُ بيَدِه أنْ قد فعَلتُ ، فضجَّ الناسُ بالدُّعاءِ له ، وكُتِب بذلك سجِلَّاتٌ ، ونُودِىَ فى البلدِ بإسْقاطِ ذلك المَكْسِ ، ففرِحَ الناسُ بذلك[3] ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٤٨، والكامل ١١/ ١٠٨.

(٢) فى المنتظم : « الآخر » .

(٣) المنتظم ١٨/ ٤٩.

وفى هذه السنةِ قلَّ المطَرُ جدًّا، وقلَّتْ مياهُ الأنْهارِ، وانْتَشرَ جرادٌ عظيمٌ، وأصابَ الناسَ داءٌ فى حلُوقِهم، فماتَ بذلك خلائقُ كثيرةٌ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ.

[٢٤٣/٣و] وفيها قُتِلَ الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى بنُ قَسِيمِ الدولةِ آقْ سُنْقُرَ التركىُّ، صاحِبُ المَوْصِلِ وحَلَبَ وغيرِهما مِن بلادِ الشامِ والجزيرةِ، وكان محاصِرًا قلعةَ جَعْبرٍ، وفيها سالِمُ بنُ مالكٍ العُقيلىُّ[1]، فبَرْطَلَ بعْضَ مماليكِ زَنْكِى حتى قتَلُوه فى الليلةِ الخامسةِ من ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ[2]. قالَ العِمادُ الكاتبُ[3]: وكان سَكْرانَ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد كان مِن خِيارِ المُلوكِ وأحْسَنِهم سِيرةً وشكْلًا، وكان شُجاعًا مِقْدامًا حازِمًا، خضَعتْ له ملُوكُ الأطْرافِ، وكان مِن أشدِّ الناسِ غَيْرةً على نساءِ الرعِيَّةِ، وأجْوَدَ المُلوكِ مُعاملَةً، وأرْفَقَهم بالعامَّةِ، وملَكَ مِن بعدِه بالمَوْصِلِ ولَدُه سيفُ الدينِ غازى، وبحَلَبَ ولدُه نُورُ الدينِ محمودٌ، فاسْتَعادُ نُورُ الدينِ هذا مدِينَةَ الرُّهَا، وكان أبوه قد فتَحَها. ثم عصَوْا فقَهَرهم.

وفى هذه السنةِ ملَكَ عبدُ المُؤْمِنِ صاحِبُ المغْرِبِ جزيرةَ الأنْدَلُسِ، بعدَ حروبٍ طويلةٍ.

---

(١) كذا فى النسخ، والكامل ١١/ ١٠٩، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٠٧، ٤٠٨. هذا وقد ذكر أبو شامة فى الروضتين ١/ ١٠٧ نقلًا عن كتاب الأتابكة لابن الأثير، أن قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه إلى الأمير سالم بن مالك العقيلى لما ملك قسيم الدولة مدينة حلب، فلم تزل بيده ويد أولاده من بعده إلى سنة إحدى وأربعين. وذكر أبو الفداء فى المختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٨، أن القلعة كانت بيد على بن مالك بن سالم بن مالك العقيلى، وهو الصواب، والله أعلم.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن سالم بن مالك العقيلى قد برطل - أى رشا - بعض مماليك زنكى فقتله، والمذكور فى الروضتين ١/ ١٠٨، أن زنكى لما نام ركبه كبير خدمه، فذبحه خوفا من سطوته.

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٩.

وفيها ملَكَتِ الفِرنْجُ، لعنَهم اللَّهُ، مدينةَ طرَابُلُسَ الغربِ. وفيها اسْتَعادَ صاحِبُ دِمَشْقَ مدينةَ بَعْلبَكَّ وفيها الأميرُ نجْمُ الدينِ أيُّوبُ من جهةِ زَنْكِى، فسلَّمه القلعةَ، وأعْطاه إمرتَه[1] عندَه بدِمَشْقَ.

وفيها قتَل السلطانُ مسعودٌ حاجِبَه عبدَ الرحمنِ طغايُركَ[2] وقتَلَ عبَّاسًا صاحِبَ الرَّىِّ، وألْقَى رأسَه إلى أصحابِه، فانْزعَج الناسُ ونهَبُوا خِيامَ عباسٍ، وقد كان عباسٌ هذا مِن الشجعانِ المشْهُورينَ، قتَلَتِ الباطنيةُ مخدومَه جَوْهَرًا، فلم يزَلْ يقتُلُ منهم حتى بنَى مِئْذنةً مِن رُءوسِهم بمدينةِ الرَّىِّ.

وفيها ماتَ نقيبُ النقباءِ ببَغْدادَ محمدُ بنُ طِرَادٍ الزَّيْنَبِىُّ، فوَلِى بعدَه علىُّ بنُ طلحةَ الزَّيْنَبِىُّ. وفيها سقَط جِدارٌ على ابنَةِ الخليفةِ، وكانت قد بلغَتْ مبالِغَ النساءِ، فماتَتْ، فحضَر جنازتَها الأعيانُ. وحجَّ بالناسِ نَظَرٌ الخادِمُ. وحجَّ فى هذه السَنةِ نظامُ الدينِ بنُ جَهيرٍ الوزيرُ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

زَنْكِى بنُ آقْ سُنْقُرَ[3] تقدَّم ذكرُ شىءٍ من ترجمتِه فى الحوادثِ، وقد أطْنَبَ الشيخُ شهابُ الدينِ، أبو شامةَ فى «الرَّوْضَتينِ»[4] فى ترجَمتِه، وما قيلَ فيه مِن نظمٍ ونثرٍ، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى خ: «امديه»، وفى م: «أمزيه». وذُكر فى الكامل ١١/١١٨ أن صاحب دمشق ملك نجم الدين أيوب عدة قرى من دمشق.

(٢) فى النسخ: «طغرلبك». والمثبت من الكامل ١١/١١٦.

(٣) المنتظم ١٨/٥١، ووفيات الأعيان ٢/٣٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٦١، والوافى بالوفيات ١٤/٢٢١.

(٤) الروضتين ١/١٠٩ - ١١٨.

سعدُ الخَيْرِ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ سعدٍ ، أبو الحسَنِ المغْرِبيُّ الأنْدَلُسِيُّ الأنصارِيُّ[1] ، رحَل من الأندلسِ إلى الصينِ ، وسمِع الحديثَ وتفقَّه بالغزَّاليِّ ، وحصَّل كتبًا نفيسةً ، وروَى عنه ابنُ الجَوْزِيِّ وغيرُه ، وقد أوْصَى عندَ وفاتِه ببغدادَ أنْ يصلِّيَ عليه الغَزْنَوِيُّ ، وأنْ يُدفنَ إلى جانبِ قبرِ عبدِ اللَّهِ بنِ الإمامِ أحمدَ ، وحضَر جِنازتَه خلائقُ مِن الناسِ .

شافِعُ بنُ عبدِ الرشيدِ بنِ القاسمِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الجِيلِيُّ الشافِعِيُّ[2] ، تفَقَّهَ على إلْكِيا الهَرّاسيِّ وعلى الغَزَّاليِّ ، وكان يسكنُ الكَرخَ ، وله حلْقَةٌ بجامعِ المنصورِ فى الرُّواقِ . قال ابنُ الجوزيِّ[3] : وكنتُ أحضُرُ حَلْقتَه .

عبدُ اللَّهِ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو محمدٍ سِبْطُ أبى منصورٍ الزاهدِ[4] ، قرَأ القِراءاتِ وصنَّف فيها ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، واقْتنَى الكتبَ الحسنةَ ، وأمَّ فى مسجدِه نَيِّفًا وخمسينَ سنةً ، [٩/٢٤٣ظ] وعلَّم[5] خلقًا القرآنَ . قال ابنُ الجوزيِّ[6] : ما سمِعتُ أحدًا أجسنَ قراءةً منه ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ .

عباسٌ شِحْنَةُ الرَّيِّ[7] ، توصَّلَ إلى أنْ ملَكَها ، ثم قتَله السلطانُ مسعودٌ ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١-٥٥٠هـ) ص ٦٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٩٠.

(٢) المنتظم ١٨/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١-٥٥٠هـ) ص ٦٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٠١، والوافى بالوفيات ١٦/ ٧٦.

(٣) المنتظم ١٨/ ٥١.

(٤) المنتظم ١٨/ ٥١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٨٣، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٦٩، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٠٩.

(٥) من هنا يبدأ سقط فى مخطوطة «الأصل».

(٦) المنتظم ١٨/ ٥٢.

(٧) المنتظم ١٨/ ٥٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٦٩، والوافى بالوفيات ١٦/ ٦٥٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٩.

كما ذكَرنا ، وقد كان كثيرَ الصدقاتِ والإحسانِ إلى الرعِيَّةِ ، وقتَل مِن الباطِنِيَّةِ خلقًا ، وابتنَى مِن رُءوسِهم مَنارَةً بالرَّيِّ ، وتأسَّفَ الناسُ عليه ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ طِرَادِ بنِ محمدٍ الزَّيْنَبِيُّ[1] ، أبو الحسَنِ نقيبُ الهاشمِّيين ، وهو أخو عليٍّ بنِ طِرادٍ الوزيرِ ، سمِعَ الكثيرَ من أبيه وعمِّه أبى نصرٍ وغيرِهما ، وقاربَ السبْعينَ .

وَجِيهُ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ ، أبو بكرٍ الشَّحّامِيُّ[2] ، أخو زاهرٍ ، وقد سمِعَ الكثيرَ مِن الحديثِ ، وكانت له معرفةٌ به ، وكان شيْخًا حسنَ الوَجْهِ ، سريعَ الدَّمعةِ ، كثيرَ الذِّكْرِ ، صحيحَ السَّماعِ ، صدوقَ اللهْجَةِ . تُوفِّى ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٥٣، والكامل ١١/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٨٠، والوافى بالوفيات ٣/ ١٦٩.

(٢) المنتخب من السياق ص ٤٧٢، والمنتظم ١٨/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٩٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٠.

ثم دخلتْ سنةُ ثِنْتَيْنِ وأرْبعينَ وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] ملَكَتِ الفِرِنْجُ عدةَ حصونٍ من جزيرةِ الأنْدلُسِ . وفيها ملَكَ نُورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى عدةَ حصونٍ مِن أيدى الفِرِنْجِ بالسواحلِ وغيرِها . وفيها خُطِب للمُسْتَنْجِدِ باللَّهِ بولايةِ العهدِ من بعدِ أبيه المُقْتَفِى . وفيها وَلِى عونُ الدينِ يَحْيى بنُ هُبَيْرَةَ كتابةَ ديوانِ الزمامِ ، ووَلِىَ زعيمُ الدينِ يَحْيَى بنُ جعفرٍ صَدريَّةَ المخزنِ المعمورِ . وفيها اشتدَّ الغلاءُ بإفْرِيقِيَّةَ ، فهلَك بسببِه أكثرُ الناسِ حتى خلَتِ المنازلُ ، وأقفَرتِ المعاقلُ . وفيها تزوَّج سيفُ الدينِ غازِى بنتَ صاحبِ مَارْدِينَ حسامِ الدينِ تَمُرْتاشَ بنِ أُرْتُقَ ، بعدَ أنْ حاصَره فصالَحه على ذلك ، فحُمِلَتْ إليه إلى المَوْصِلِ بعدَ سنتَيْنِ ، وهو مريضٌ قد أشرَف على الموتِ ، فلم يدخُلْ بها حتى مات ، فوَلِى بعدَه أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ فتزَوَّجَها .

قال ابنُ الجوزىِّ[2] : وفى صفَرٍ رأى رجلٌ فى المنامِ قائلًا يقولُ : مَن زارَ قبرَ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ غُفِرَ له . قال : فلم يَبْقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إلَّا زارَه . قال ابنُ الجوْزِىِّ[2] : وعقَدْتُ يومَئذٍ مجلسًا فاجْتمَع فيه ألوفٌ مِن الناسِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أسعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ

---

(١) الكامل ١١/ ١٢١.

(٢) المنتظم ١٨/ ٥٥.

المُهْتَدِى باللَّهِ ، أبو منْصورٍ[1] ، سمِعَ الكثيرَ ، وكان خيِّرًا دَيِّنًا صالحًا ممتَّعًا بحواسِّه وقُوَاه إلى حينِ الوفاةِ . وقد جاوزَ المائةَ بنحوٍ من سبْعِ سِنينَ .

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ [2]**بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ**[2] **بنِ خلفِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ اللَّخْمِيُّ الأنْدَلُسِيُّ ، الرُّشَاطِيُّ**[3] **الحافظُ** ، مصنِّفُ كتابِ « اقْتِباسِ الأنْوارِ والْتِماسِ الأزْهارِ » ، فى أنْسابِ الصحابةِ ورُواةِ الآثارِ ، وهو مِن أحسنِ المصنَّفاتِ الكِبارِ ، قُتِل شهيدًا صبيحةَ يومِ الجمعةِ العِشْرِينَ من جُمادَى بالمَرِيَّةِ[4] .

نَصْرُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القَوِىِّ ، أبو الفتحِ اللَّاذِقِىُّ المِصِّيصِىُّ الشافِعِىُّ[5] ، تفَقَّهَ بالشيخِ نَصْرِ بنِ إبراهيمَ المَقْدِسِىِّ ، بصُورَ ، وسمِعَ بها منه ومِن أبى بكرٍ الخطيبِ ، وسمِع ببَغْدادَ والأَنْبارِ ، وكان أحدَ مشايخِ الشامِ ، فقيهًا فى الأُصولِ والفُروعِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد جاوزَ التسعينَ بأرْبَعِ سنِينَ .

هِبَةُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو السَّعاداتِ ، ابنُ الشَّجَرِىِّ النَحْوِىُّ[6] ، وُلد سنةَ خَمْسِينَ وأرْبَعِمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ ، وانتهَتْ إليه رِياسَةُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٠٥، وفيه : « أسعد ابن عبد الله بن حميد » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، وفى خ ، م : « بن محمد » والمثبت من مصادر ترجمته وانظر الصلة ١/ ٢٩٧، وبغية الملتمس ص ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١١٠.

(٣) فى خ : « الرياطى » ، وفى م : « الرباطى » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٤) فى خ : « بالسرية » ، وفى م : « بالبرية » . وانظر مصادر ترجمته السابقة . والمرية : مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٤/ ٥١٧.

(٥) المنتظم ١٨/ ٦١، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٦/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٢٠.

(٦) المنتظم ١٨/ ٦١، إنباه الرواة ٣/ ٣٥٦، ووفيات الأعيان ٦/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٢٨.

النحاةِ. قال[1] : ما سمِعتُ بَيْتًا فى الذَّمِّ أبلغَ مِن قولِ مَسْكَويهِ :

وما أَنا إلَّا المِسْكُ قد ضَاعَ عنْدَكُم يضِيعُ وعندَ الأكْثَرِينَ يضُوعُ

(١) المنتظم ١٨/ ٦٢.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وأرْبَعِينَ وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] اسْتَغاثَ مُجِيرُ الدينِ بنُ أتابِك دِمَشْقَ بالمَلِكِ نُورِ الدينِ صاحبِ حَلَبَ على الفِرنجِ ، فركِبَ سرِيعًا فالْتَقى معهم بأرضِ بُصْرَى فهَزَمهم ، ورجَع فنزَل على الكِسْوَةِ ، وخرَج ملكُ دِمَشْقَ مجيرُ الدينِ أَبَقُ فخدَمه واحْتَرَمه ، وشاهَد الدَّماشِقةُ حُرْمةَ نورِ الدينِ . وفيها ملَكَتِ الفِرنْجُ المَهْدِيَّةَ وهرَبَ منها صاحِبُها الحسَنُ بنُ عليِّ بنِ يَحْيَى بنِ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ باديسَ بنِ منْصورِ بنِ يوسُفَ بنِ بُلُكِّينَ بنِ زِيرِى بأهْلِه وما خفَّ مِن أموالِه ، فتمَزَّق فى البلادِ ، وأكَلتْهُمُ الأقْطارُ ، وكان آخِرَ مُلوكِ بنى باديسَ ، وقد كان ابْتِداءُ مُلْكِهم فى سنَةِ خمسٍ وثلاثينَ وثَلَاثِمائَةٍ ، فدخَل الفِرنْجُ إليها ، وخزائِنُها مشحونةٌ بالحواصِلِ والأموالِ والعُدَدِ وغيرِ ذلك ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ . وفيها حاصَرتِ الفِرنْجُ - وهم فى سَبْعِينَ ألفَ مقاتلٍ ، ومعَهم ملكُ الألْمانِ فى خلقٍ لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ - دِمَشْقَ وعليها مُجِيرُ الدينِ أَبَقُ وأتابِكُه مُعِينُ الدينِ ، وهو مُدَبِّرُ المملكةِ ، وذلك يومَ السبتِ سادِسَ ربيعِ الأوَّلِ ، فخرَج إليهم أهلُها فى مائةٍ وثلاثينَ ألفًا ، فاقْتَتَلُوا معهم قتالًا عظيمًا ، وقُتِل من المسلمينَ فى أولِ يومٍ نحوٌ مِن المائتين ، ومن الفِرنْجِ خلقٌ كثيرٌ لا يُحْصَونَ ، واستمرَّتِ الحربُ مدَّةً ، وأُخْرِجَ مصحفُ عثمانَ إلى وسَطِ صَحْنِ الجامعِ ، واجْتَمعَ الناسُ حولَه يدْعُونَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، والنساءُ والأطْفالُ مُكَشَّفِى الرءوسِ يدعونَ ويتَباكَونَ ، والرمادُ مفْروشٌ فى البلدِ ، فاسْتَغاثَ أَبَقُ بالملِكِ نُورِ

---

(١) الكامل ١١/ ١٢٩.

الدينِ محمودٍ صاحبِ حَلَبَ وبأخيه سيفِ الدينِ غازِى صاحبِ المَوْصِلِ، فقَصَداه سرِيعًا فى نحوٍ مِن سَبْعِينَ ألفًا بمَنِ انْضافَ إليهم مِن المُلوكِ وغيرِهم، فلمَّا سمِعَتِ الفِرنْجُ، قبَّحهم اللَّهُ، بقُدومِ الجيوشِ نحوَهم أجْلَوْا عنِ البلدِ، فلَحِقَهمُ الجيشُ فقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا، وجَمًّا غفيرًا، وقتَلُوا فيمن قتَلوا معهم قِسِّيسًا اسمُه إلْيَاسُ، وهو الذى أغْرَاهم بدِمَشْقَ، وذلك أنَّه افْترى مَنامًا عن المسِيحِ أنَّه وعدَه فَتْحَ دِمَشْقَ، فقُتِلَ، لعنَه اللَّهُ، وقد كادُوا يأخذونَ البلدَ، ولكِنَّ اللَّهَ سلَّم، وحمَاها بحوْلِه وقوتِه. قال اللَّهُ تعالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] ومدينةُ دِمَشْقَ لا سبيلَ للأعْداءِ مِن الكفرَةِ عليها، لأنَّها المحلَّةُ التى أخْبَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّها معقِلُ الإسْلامِ عندَ المَلاحِمِ والفتنِ، وبها ينزِلُ عِيسى ابنُ مريمَ[1]. وقد كان الفِرنْجُ قتَلوا خلقًا كثيرًا مِن أهلِ دِمَشْقَ، وممَّنْ قتَلُوا الفقيهُ الكبيرُ المُلَقَّبُ حُجَّةَ الدينِ. شيخُ المالِكِيَّةِ بها، أبو الحجَّاجِ يُوسُفُ بنُ دوناسَ[2] الفِنْدَلاوِىُّ، بأرْضِ النَّيْرَبِ[3]، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصَّغيرِ، وقد صالَح معينُ الدينِ الفِرنْجَ عن دِمَشْقَ ببَانْيَاسَ، فرحَلُوا عنها وَتسلَّمُوا بانْياسَ.

وفيها وقَع بينَ السلْطانِ مسعودٍ وأمرائِه ففارَقُوه، وقصَدُوا بَغْدادَ فاقْتَتلُوا مع العامَّةِ، فقَتلُوا خلْقًا كثيرًا منهم، مِنَ الصِّغارِ والكِبارِ، ثم اجْتَمعُوا قُبالَةَ التاجِ

---

(١) إلى هنا انتهى السقط من المخطوطة الأصل، وانظر ما تقدم فى ٢/ ٥٢٦.

(٢) فى خ، م: «درناس». وانظر اللباب ٢/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٠.

(٣) النَّيرب: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين. معجم البلدان ٤/ ٨٥٥.

فقبَّلوا الأرضَ واعْتَذَرُوا إلى الخليفةِ ممَّا وقَع، وسارُوا نحوَ النَّهْرَوانِ فتفرَّقُوا فى البلادِ، ونهَبُوا أهلَها، فغلَتِ الأسْعارُ بالعراقِ بسبَبِ ذلك. وفيها وَلِىَ قضاءَ القضاةِ ببَغْدَادَ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ الدَّامَغانىِّ، بعدَ وفاةِ الزَّيْنَبِىِّ. وفيها ملَكَ سورىٌّ[1] بنُ الحسَينِ - مِلِكُ الغُورِ - مدينةَ غَزْنَةَ، فذهَبَ صاحِبُها بَهْرام شَاه بنُ مسْعودِ بنِ إبراهيمَ مِن أولادِ سُبُكتِكينَ إلى الهندِ فاستجاشَ مِلِكَها، فجاءَ بجيوشٍ عظيمةٍ فاقْتلَعَ غَزْنَةَ مِن يدِ سورىٍّ[2]، وأخذَه أسِيرًا فصَلَبَه، وقد كان كرِيمًا جوادًا، كثيرَ الصدقاتِ.

ومِمَّنْ توفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ نَبْهانَ[3] بنِ مُحْرِزٍ الغَنَوِىُّ الرَّقِّىُّ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ بالشَّاشِىِّ والغَزّالِىِّ، وكتَب شيئًا كثيرًا مِن مصنَّفاتِه، وقرَأها عليه، وصحِبَه كثيرًا، وكان حسنًا مهيبًا كثيرَ الصمْتِ بهىَّ السمتِ، توفِّى فى ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ وقد جاوزَ الثمانينَ.

شاهِنْشاه بنُ أيُّوبَ بنِ شاذِى[4]، اسْتُشْهِدَ مع نُورِ الدينِ، وهو والدُ السِّتِّ عَذْرَاءَ، واقِفَةِ العذراويَّةِ، وتَقِىِّ الدينِ عمرَ واقفِ التَّقَوِيَّةِ وغيرِ ذلك.

---

(١) فى الأصل، ص: «سورلى»، فى خ، م: «سولى». والمثبت من: الكامل ١١/ ١٣٥.

(٢) فى الأصل، ص، خ: «سورلى» وفى م: «سولى».

(٣) فى خ، م: «نهار». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٣٦، والوافى بالوفيات ٦/ ١١٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٦.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٤٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٠، والدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ٢٩٩.

عليُّ بنُ الحسينِ[1] **بنِ محمدِ بنِ عليٍّ الزَّيْنَبِيُّ**، أبو القاسمِ، الأكمَلُ بنُ أبى طالبٍ نورِ الهُدَى بنِ أبى الحسنِ نظامِ الحَضْرَتَين، ابنِ نقِيبِ النقَباءِ[2] أبى القاسمِ ابنِ القاضى[2] أبى تمامٍ العبَّاسيُّ، قاضى القُضاةِ ببَغْدادَ والعراقِ وغيرِ ذلك، سمِع الحديثَ، وكان فقيهًا رئيسًا، وقُورًا حسنَ الهيئةِ والسَّمْتِ، قليلَ الكلامِ، سافَر مع الخليفةِ الراشدِ إلى المَوْصِلِ، وجرَتْ له فصولٌ، ثم عادَ إلى بغدادَ، فماتَ بها فى هذه السنةِ، وقد جاوَز الستِّين، وكانتْ جِنازتُه حافلةً، رحِمه اللَّهُ رحمةً واسعةً.

أبو الحَجَّاجِ يوسفُ بنُ دوناسَ[3] **الفِنْدلاوىُّ**[4]، شيخُ المالِكيَّةِ بدمشقَ، قُتِل يومَ السبتِ سادسَ ربيعِ الأوَّلِ - قريبًا مِن الرَّبْوَةِ مِن أرضِ النَّيْرَبِ - هو والشيخُ عبدُ الرحمنِ الحَلْحُوليُّ[5]، أحدُ الزُّهادِ، قُتِلا معًا، رحِمَهما اللَّهُ تعالى.

---

(١) فى الأصل، ص: «الحسن». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٥١، والجواهر المضية ٢/ ٥٦٨.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «ابن القاسم»، والمثبت كما فى المنتظم.

(٣) فى خ، م: «درباس»، وفى معجم البلدان ٣/ ٩١٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٢، «درناس»، وفى شذرات الذهب ٥/ ١٣٦: «دوباس». وانظر ترجمته فى: «مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٠، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٠.

(٤) فى الأصل: «العقد لاوى»، وفى ص: «العنذولانى».

(٥) فى الأصل: «الجلول»، وفى خ، م: «الجلجولى»، وفى ص: «الجلجول». وانظر معجم البلدان ٢/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٠، ٢١٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ أربعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ[1]

فيها كانتْ وفاةُ القاضى **عِياضِ بنِ موسى بنِ عِياضِ بنِ عمرِو بنِ موسى بنِ عِياضِ بنِ محمدِ بنِ موسى بنِ عِياضٍ**[2] **اليَحْصُبىُّ السَّبْتِىُّ**، قاضِيها، أحدُ مشايخِ العلماءِ المالِكيَّةِ، وصاحِبُ المصنَّفاتِ الكثيرةِ المفيدةِ، الشهيرةِ؛ منها «الشِّفا»، و«شرحُ مسلمٍ»، و«مشارِقُ الأنْوارِ»، وغيرُ ذلك، وله شعرٌ حسَنٌ، وكان إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ، كالفِقْهِ واللغةِ والحديثِ والأدبِ وأيامِ الناسِ، وُلِد سنةَ ستٍّ وسبعين[3] وأربعِمائةٍ، وتوفِّى يومَ الجُمعةِ فى جُمادَى الآخرةِ، وقيل: فى رمضانَ مِن هذه السنةِ، بمدينةِ [٩/٢٤٤و] سَبْتةَ. رحِمه اللَّهُ تعالى.

وفيها غَزا الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى - صاحبُ حَلَبَ - بلادَ الفِرنجِ، فقَتَل منهم خلقًا كثيرًا، وكان فى جملةِ مَن قُتِل البرنسُ صاحِبُ أنْطاكِيَةَ، وفتَح شيئًا كثيرًا مِن قِلاعِهم، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ. وكان قد اسْتَنجَد بمُعينِ الدينِ بنِ أتابِك دمشقَ، فأرسَل إليه بفريقٍ مِن جيشِه صُحْبَةَ الأميرِ مُجاهدِ الدينِ بنِ [4]بُزَّانَ بنِ مَامِينَ[4]، نائبِ صَرْخَدَ، فأبْلَوا بلاءً حسنًا، وقد قال الشعراءُ فى هذه الغَزْوةِ أشْعارًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧١، والكامل ١١/ ١٣٨.

(٢) الصلة لابن بشكوال ٢/ ٤٥٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣، والمعين فى طبقات المحدثين ص ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٨، الديباج المذهب ٢/ ٤٦.

(٣) فى الأصل، ص: «ستين»، وفى خ، م: «أربعين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤ - ٤) فى الأصل: «مزان بن ماس»، وفى خ: «مران بن ماس»، وفى م: «مروان بن ماس»، وفى ص: «يزاد بن ماهن». والمثبت من مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٢، والروضتين ١/ ١٥١.

كثيرةً ؛ منهم ابنُ القَيْسَرانِيِّ وغيرُه ، وقد سرَدَها أبو شامةَ فى « الرَّوْضَتَيْنِ »[1] .

وفى يومِ الأربعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخرِ اسْتُوزِرَ للخلافةِ أبو المُظَفَّرِ يحْيَى بنُ محمدِ ابنِ هُبَيْرَةَ ، ولُقِّب عونَ الدينِ ، وخُلِع عليه .

وفى رجبٍ قصَد ملكْشاه بنُ محمودٍ بغدادَ ومعه خلقٌ مِن الأمراءِ ؛ منهم علىُّ بنُ دُبَيسٍ وجماعةٌ مِن التُّرْكُمانِ وغيرِهم ، وطلَبُوا مِن الخليفةِ أنْ يُخطَبَ له ، فامتَنَع مِن ذلك ، وتكرَّرَتِ المُكاتَباتُ ، وأرسَل الخليفةُ إلى السلْطانِ مسعودٍ يسْتَحِثُّه فى القدومِ ، فتمادَى عليه وضاقَ النِّطاقُ ، واتَّسع الخَرْقُ على الرَّاقِعِ ، وكتَب المَلِكُ سَنْجَرُ إلى ابنِ أخيه مسعودٍ يَسْتَحثُّه إنْ لم يسرعْ المشْىَ إلى الخليفةِ ، فما جاءَ إلَّا فى أواخرِ السنةِ ، فانْقَشعَتْ تلك الشرورُ كلُّها ، وتبدَّلَتْ سُرورًا أجْمَعُها .

وفى هذه السنةِ زُلزِلتِ الأرضُ زِلْزالًا شديدًا ، وتموَّجَتِ الأرضُ عشْرَ مراتٍ ، وتقَطَّع جبلٌ بحُلْوانَ ، وانهَدَم الرِّباطُ البِهرُوزِىُّ[2] ، وهلَك خلقٌ كثيرٌ بالبِرْسامِ ، لا يتكلَّمُ المَرْضَى حتى يموتُوا .

وفيها ماتَ سيفُ الدينِ غازِى بنُ زَنْكِى صاحبُ المَوْصِلِ ، وملَك بعدَه أخوه قُطْبُ الدينِ مودودُ بنُ زَنْكى ، وتزوَّج بامرأةِ أخيه التى لم يدخُلْ بها الخاتونِ بنتِ تَمُرْتاشَ بنِ إيلْغازى بنِ أُرْتُقَ صاحبِ مَارِدِينَ ، فولَدَتْ له أولادًا ، كلُّهم ملَكُوا المَوْصِلَ ، وكانتْ هذه الخاتونُ تضَعُ خِمارَها بحضْرةِ خمسةَ عشَرَ مَلِكًا[3] .

---

(١) الروضتين ١/ ١٥٢.

(٢) فى م : « النهر جورى » .

(٣) أى : من آبائها وأخواتها وأبنائها ، والمقصود أنها سليلة ملوك وأم ملوك . وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٤٣٦.

وفيها سار المَلِكُ نورُ الدينِ محمودٌ إلى سِنْجارَ ففتَحَها، فجهَّز إليه أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ جيشًا ليرُدَّه عنها، ثم اصْطَلَحا، فعوَّضَه منها الرَّحبَةَ وحِمْصَ، واستمرَّتْ سِنْجارُ لقطبِ الدينِ، وعادَ نورُ الدينِ إلى بلَدِه. وغزَا فى هذه السنةِ الفِرِنْجَ فقتَل منهم خلقًا وأسَر البرنسَ صاحبَ أنْطاكِيَةَ، فمدَحَه الشعراءُ منهمُ الفتحُ القَيْسَرانِىُّ بقصيدةٍ طَنَّانةٍ يقولُ فى أوَّلِها[1]:

هذِى العزائمُ لا ما تَدَّعى[2] القُضُبُ ... وذى المكارِمُ لا ما قالَتِ الكُتُبُ

وهذه الهِمَمُ اللّاتى متى خُطِبَتْ ... تعثَّرَتْ خلْفَها الأشْعارُ والخُطَبُ

صافَحْتَ يا ابنَ عمادِ الدينِ ذرْوَتَها ... براحةٍ للمَساعى دونَها[3] تَعَبُ

ما زالَ جَدُّكَ يبْنِى كلَّ شاهقةٍ ... حتى بنَى قُبَّةً أوْتادُها الشُّهُبُ

وفيها فتَح نورُ الدينِ حِصْنَ أفَامِيَةَ وهو قريبٌ مِن حَمَاةَ.

وفيها ماتَ صاحبُ مصرَ **الحافظُ لدينِ اللَّهِ عبدُ المجيدِ بنُ أبى القاسمِ محمدِ ابنِ المُسْتَنْصِرِ**[4]، فقامَ بالأمرِ مِن بعدِه ولَدُه الظَّافرُ[5] إسماعيلُ، وقد كان أحمدُ ابنُ الأفضلِ ابنِ أميرِ الجيوشِ قد اسْتَحوذ على الحافظِ وخطَب بمصرَ للقائمِ آخِرَ الزمانِ، وأذَّنَ بـ حىَّ على خَيْرِ العمَلِ. وللحافظِ وُضِع طَبْلُ القُولَنْجِ الذى[6] إذا ضربه من به القولنجُ يخرجُ منه القولنجُ والريحُ الذى به[6].

---

(١) انظر الكامل ١١/ ١٤٥. والروضتين ١/ ١٥٢.

(٢) فى خ، م: «تنعق».

(٣) فى الأصل، ص: «تعبها».

(٤) الكامل ١١/ ١٤١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٣، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٧.

(٥) فى الأصل: «الظاهر».

(٦ - ٦) فى الأصل، ص: «كان من جرجه يخرج الجروح».

وخرَج بالحَجِيجِ [٢٤٤/٩ظ] الأميرُ نَظَرٌ الخادِمُ فمرِض بالكوفةِ، فرجَع واسْتَخلَف عليهم مؤْلَاه قَايْمازُ، وحينَ وصُولِه إلى بَغْدادَ تُوفِّى - رحِمه اللَّهُ - بعدَ أيامٍ، وطمِعَت العربُ فى الحَجيجِ، فوقَفُوا لهم فى الطريقِ وهم راجِعون، فضَعُفَ قَايْمازُ عن مقاوَمتِهم، فأخَذ لنفْسِه أمانًا وهرَب وأسْلَم إليهمُ الحَجِيجَ، فقَتلُوا أكثرَهم وأخَذُوا أموالَ الناسِ، وقلَّ مَن سلِم ممَّن نجَا، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

وفيها ماتَ **مُعينُ الدينِ أَنُرُ**[1] أتابِكُ العساكرِ بدمشقَ، وكان أحدَ مماليكِ طُغْتِكينَ، ثم كان بعدَ ذلك أتابِكَ المُلوك بدمشقَ، وهو والدُ الستِّ عِصْمَةَ الدينِ خاتونَ زوجةِ الملكِ نُورِ الدينِ، وهو واقفُ المدرسةِ المُعِينِيَّةِ، داخِلَ بابِ الفَرَجِ، وقبْرُه فى قُبَّةٍ قِبْلىَّ الشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ، بمحلَّةِ العُوَيْنَةِ، عندَ دارِ البِطِّيخِ، رحِمه اللَّهِ.

ولمَّا ماتَ مُعينُ الدينِ قوِيَتْ شوكةُ الوزيرِ الرئيسِ[2] مؤيِّدِ الدولةِ علىِّ بنِ الصُّوفىِّ وأخيه زَيْنِ الدولةِ حَيْدَرَةَ، ووقَعَتْ بينَهما وبينَ الملكِ مُجيرِ الدينِ أبَقَ[3] وحْشَةٌ، اقْتضتْ أنَّهما حشَدا مِن العامَّةِ والغَوْغاءِ ما يقاوِمُه، فاقْتَتلوا وقُتِل خلقٌ مِن الفريقَيْن، ثم وقَع الصلحُ بعدَ ذلك، وامتَدَحه الشعراءُ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

أحمدُ بنُ نِظامِ المُلْكِ الحسنُ بنُ علىٍّ، أبو نصرٍ[4] الوزيرُ للمُسْتَرْشِدِ،

---

(١) فى خ، م، ص: «ابن». وانظر ترجمته فى: الكامل ١١/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٨٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٠، والوافى بالوفيات ٩/ ٤١٠.

(٢) فى الأصل: «الدبيس»، وفى ص: «الرسيد».

(٣) فى الأصل، خ، ص: «أتق»، وفى م: «أرتق». والمثبت من عيون التواريخ ١٢/ ٤٣٠.

(٤) المنتظم ١٨/ ٧٢، والكامل ١١/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣٦، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٣.

والسلطانِ محمودٍ، وقد سمِع الحديثَ، وكان مِن خيارِ الوزراءِ، رحِمه اللَّهُ.

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ الأرَّجانِيُّ[1]، قاضى تُسْتَرَ، روى الحديثَ، وكان له شعرٌ حسنٌ يَبتَكِرُ معانِيَ حسنةً، فمِن ذلك قولُه[2]:

ولمَّا بلَوْتُ الناسَ أطلُبُ منهمُ ... أخَا ثِقَةٍ عندَ اعْتِراضِ الشدائدِ
تَطمَّعْتُ فى حالَىْ رخاءٍ وشدةٍ ... ونادَيْتُ فى الأحْياءِ هل مِن مساعدِ
فلم أَرَ فيما ساءَنى غيرَ شامِتٍ ... ولم أرَ فيما سرَّنِى غيرَ حاسدِ[3]
تَمَتَّعْتُما يا ناظِرَىَّ بنظْرَةٍ ... وأوْرَدْتُما قلْبِى أمَرَّ الموارِدِ
أَعَيْنَىَّ كُفَّا عن فؤادى فإنَّه ... مِن البَغْيِ سَعْىُ اثْنَيْن فى قتْلِ واحدِ

عيسى بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ عيسى، أبو عبدِ اللَّهِ النَّقَّاشُ[4]، سمِع الحديثَ، ومولدُه سنةَ سبعٍ وخمسين وأربعِمائةٍ.

قال ابنُ الجَوْزِىِّ: وكان ظريفًا خفيفَ الرُّوحِ، له نوادرُ حسنةٌ، قد رأى الناسَ، وعاشَر الأكْياسَ، وكان يحضُرُ مجلِسِى ويكاتبُنى وأكاتِبُه، كتَبتُ إليه

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٢، وخريده القصر (قسم العراق) ١/ ١٤١، ١٨٧، ١٨٨، ٢/ ١٩٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٧٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ٧٣، والكامل ١١/ ١٤٧.

(٣) بعده فى خ:

فطلقت ود العالمين جميعهم ... ورحت فلا ألوى على غير واحد
وخلصت قلبى ثم أخلصت للذى ... له الملك فى الدنيا وما بك فى غد

وبعده فى م:

فطلقت ود العالمين جميعهم ... ورحت فلا ألوى على غير واحد

(٤) المنتظم ١٨/ ٧٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٠١، والديباج المذهب ٢/ ٥٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٦.

مرَّةً ، فعظَّمْتُه فى الكتابةِ ، فكتَب إلىَّ :

قد زِدْتَنى فى الخطابِ حتى ... خَشِيتُ نقصًا مِن الزِّيادهْ
فاجعَلْ خِطابى خطابَ مِثلى ... ولا تُغيِّرْ علىَّ عادهْ

وله[1] :

إذا وجَد الشيخُ فى نفْسِه ... نَشاطًا فذلك مَوْتٌ خَفِى
ألَسْتَ ترَى أنَّ ضوْءَ السِّراجِ ... له لَهَبٌ قبلَ أنْ يَنْطَفِى

غازِى بنُ آقْ سُنْقُرَ[2] الملكُ سيفُ الدينِ صاحِبُ المَوْصِلِ ، وهو أخو نُورِ الدينِ محمودٍ صاحبِ حَلَبَ ، ثم دِمَشْقَ فيما بعدُ ، وقد كان سيفُ الدينِ هذا مِن خيارِ المُلوكِ وأحْسَنِهم سِيرةً ، وأجْوَدِهم سَريرةً ، وأصْبَحِهم صورةً ، شُجاعًا كريمًا ، يذبَحُ كلَّ يومٍ لجيشِه مِائةً مِن الغنَمِ ، ولمماليكِه ثلاثينَ رأسًا ، وفى يومِ العيدِ ألفَ رأسٍ سِوَى البقَرِ والدَّجاجِ ، وهو أوَّلُ مَن حُمِل على رأسِهِ سَنْجَقٌ[3] مِن مُلوكِ الأطْرافِ ، وأمَر الجُندَ أنْ لا يركَبُوا إلَّا بسيفٍ ودَبُّوسٍ[4] ، وبنَى مدرسةً بالمَوصِلِ ، ورِباطًا للصوفِيَّةِ ، وامْتدَحه الحَيْصَ بَيْصَ فأعْطَاه [٩/٢٤٥و] ألفَ دينارٍ عَيْنًا ، وخِلْعَةً .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٥.

(٢) الكامل ١١/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٠٣، وشذرات الذهب ٤/ ١٣٩.

(٣) السنجق : هو الراية التى تحمل خلف السلطان عند ركوبه وهى من شعار الملك القديمة . والسنجق بالفارسية : اللواء . والسنجق باللغة التركية معناه الطعن ، سميت الراية بذلك لأنها تكون فى أعلى الرمح . وحامله يسمى « سنجقدار » . وانظر الوسيط (س ن ج ق) .

(٤) الدبوس ، ويسمى العامور : وهو آلة من حديد ذات أضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة ومن فى معناه . ويقال إن خالد بن الوليد ، رضى اللّه عنه ، كان به يقاتل . انظر صبح الأعشى ٢/ ١٣٥.

ولمَّا تُوفِّى بالحُمَّى فى جَمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ دُفِنَ فى مدْرسَتِه المذْكورَةِ، وله مِن العمرِ أرْبعونَ سنةً، وكانت مدةُ مُلْكِه بعدَ أبيه ثلاثَ سنينَ وخمسين يومًا، رحِمه اللَّهُ.

نَظَرٌ[1] **الخادِمُ، أميرُ الحاجِّ** مدَّةَ عشرين[2] سنةً وأكثرَ، وسمِع الحديثَ وقرَأ على ابنِ الزَّاغُونِىِّ، وكان يحِبُّ العلمَ والصَّدقةَ والبِرَّ، وكان الحاجُّ معه فى غايَةِ الدَّعَةِ والأمْنِ، وذلك لشجاعتِه ووَجاهتِه عندَ الخلفاءِ والمُلوكِ والأمراءِ.

تُوفى ليلةَ الثلاثاءِ الحادِىَ عشَرَ مِن ذى القَعْدَةِ، ودُفِن بالرُّصَافَةِ.

---

(١) فى خ، م: «قطز». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٧٦، والكامل ١١/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢١٣، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٧.

(٢) فى الأصل، ص: «عشر».

ثم دخَلَتْ سنةُ خمسٍ وأربعِين وخمسِمائةٍ

فيها[1] فتَح نُورُ الدينِ محمودٌ حصْنَ أفامِيةَ ، وهو مِن أحْصَنِ القِلاعِ وأوسعِ البِقاعِ ، وقيل : فى السنةِ التى قبلَها .

وفيها قصَد دمشقَ فلم يتَسنَّ له أخْذُها ، فخلَع على ملِكِها مجيرِ الدينِ أَبَقَ[2] ، وعلى وزيرِه الرئيسِ ابنِ الصُّوفىِّ ، وتقرَّر الحالُ على الخطْبَةِ له بها بعدَ الخليفةِ والسلْطانِ ، وكذلك السِّكَّةِ .

وفيها فتحَ نورُ الدينِ حِصْنَ عَزَازَ ، وأسَر ملِكَها ابنَ جُوسلينَ ، ففَرِح المسلمون بذلك كافَّةً ، ثم أسَر بعدَه والدَه جُوسلينَ الملكَ الإفرَنجىَّ ، [3]فكانتِ الفرحةُ أعظمَ ، وفتَح بعدَ أسرِه مِن بلادِه شيئًا كثيرًا مِن الحصونِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ[3] .

وفى المحرَّمِ حضَر يوسُفُ الدِّمَشْقِىُّ تدريسَ النِّظامِيَّةِ ، وخُلِع عليه ، وحضَر عندَه الأعيانُ ، ولمَّا لم يكُنْ ذلك بإذْنِ الخليفةِ ، بل بمَرْسُومِ السلْطانِ ، وابنِ نظامِ المُلْكِ مُنِع مِن ذلك ، فلَزِم بيتَه ولم يَعُدْ إلى المدرسةِ بالكُلِّيَّةِ ، ووَلِى بعدَه الشيخُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٧، والكامل ١١/ ١٤٨.

(٢) فى الأصل ، ص : « ابن أبق » ، وفى م : « أرتق » . وانظر مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٦، والعبر ٤/ ١٢٣.

(٣ - ٣) فى خ ، م : « فتزايدت الفرحة بذلك وفتح بلادا كثيرة من بلاده » .

أبو النجيبِ بإذْنِ الخليفةِ ومرْسُومِ السلْطانِ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : وفى هذه السنةِ وقَع باليَمنِ مطرٌ كلُّه دَمٌ ، حتى صبَغ ثِيابَ الناسِ .

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

الحسنُ بنُ ذى النُّونِ بنِ أبى القاسمِ بنِ أبى الحسنِ[2] ، **أبو المفاخرِ النَّيْسَابُورِىُّ** ، قدِم بغدادَ فوعَظَ ، وجعَل ينالُ مِن الأشعريَّةِ فأحبَّه الحنابلةُ ، ثم اختَبَرُوه ، فإذا هو مُعْتَزِلىٌّ ، ففتَر سُوقُه ، وجرَتْ بسببِه فتنةٌ ببغدادَ ، وقد سمِع منه ابنُ الجَوْزِىِّ شيئًا مِن شعرِه ، مِن ذلك[3] :

ماتَ الكِرامُ ومَرُّوا وانقَضَوْا ومَضَوْا ... ومات مِن بعْدِهمْ تلكَ الكَراماتُ
وخلَّفُونىَ فى قومٍ ذَوِى سَفَهٍ ... لو أبْصَرُوا طَيْفَ ضيفٍ فى الكَرَى ماتُوا

عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الوهَّابِ الحَنْبَلىُّ[4] ، القاضى بهاءُ الدينِ ، كان يعرِفُ مَذهبَى أبى حنيفةَ وأحمدَ ، ويُناظِرُ عنهما ، ودُفِن مع أبيه وجدِّه بقبورِ الشهداءِ .

عبدُ الملكِ بنُ أبى نَصْرِ بنِ عمرَ ، أبو المَعالِى الجِيلىُّ[5] ، كان فقيهًا صالحًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ٧٨.

(٢) المنتظم ١٨/ ٧٨، والكامل ١١/ ١٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢١٧. وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٨.

(٣) المنتظم ١٨/ ٧٩.

(٤) مرآه الزمان ٨/١/٢٠٧ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٢٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٩، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٤٣.

(٥) فى الأصل، ص: «الحنبلى». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ٨٠، وفيه (عبد الملك بن أبى نضر)، ومرآة الزمان ٨/١/٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٢٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٩.

دِيِّنًا متعبِّدًا فقيرًا ، ليس له بيتٌ يسكُنُه ، وإنَّما يبيتُ بالمساجدِ المهجورةِ ، وقد خرَج مع الحجِيجِ ، فأقامَ بِفَيْدَ[1] ، فكان أهلُها يثْنُون عليه خيْرًا .

الفَقِيهُ أبوُ بكرِ بنُ العَربىِّ[2] المالِكِىُّ ، شارِحُ « التِّرْمِذِىِّ » ، كان فقيهًا عالمًا ، وزاهدًا عابدًا ، وسمِع الحديثَ بعدَ اشْتِغالِه فى الفقهِ ، وصحِب الغَزَّالىَّ ، وأخَذ عنه ، وكان يتَّهِمُه برأيِ الفلاسفَةِ ، ويقولُ : دخَل فى أجْوافِهم فلم يخْرُجْ منها . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) فى خ ، م : « بمكة يعبد ربه ويفيد العلم » . وفَيْد : منزل بطريق مكة . معجم البلدان ٣/ ٩٢٧.

(٢) بغية الملتمس ص ٩٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٥٩، والديباج المذهب ٢/ ٢٥٢، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ١٠٥.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سِتٍّ وأرْبعيـنَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] أغارَ جيشُ السلْطانِ على بلادِ الإسْماعِيلِيَّةِ، فقتَلوا خلقًا ورجَعُوا سالِمِينَ.

وفيها حاصَر نورُ الدينِ دِمشقَ شهرًا، ثم رحَل عنها إلى دَارَيّا[2]، وكان الصلحُ على يدَيِ البُرْهانِ [٩/٢٤٥ظ] البَلْخِيِّ، رَحِمه اللَّهُ.

وفيها اقتَتَل الفَرَنْجُ وجيشُ نورِ الدينِ محمودٍ فانهزَم المسلمونَ، وقُتِل منهم خلْقٌ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ، ولمّا وقَع هذا الأمرُ شقَّ على الملكِ نورِ الدينِ وهجَر اللَّذَّةَ والتَّرفُّه حتى يأخُذَ بالثأْرِ، وأغرَى بهم جماعةً من التُّرْكُمانِ، فترصَّدوا لملِكِهم جُوسلينَ الإفْرَنجِيِّ، فلم يزالُوا به حتى أسَرُوه فى بعضِ مُتَصيَّداتِه، فأرسَلَ نورُ الدينِ، فكبَسَ التُّرْكُمانَ وأخَذَ منهم جوسلينَ أسيرًا، وكان مِن أعْتَى الكَفَرةِ، وأعظمِ الفَجرَةِ، لعَنه اللَّهُ، فأوْقَفَه بينَ يدَيْه فى أذَلِّ حالٍ، ثم سجَنه، وسارَ نورُ الدينِ إلى بلادِه فأخَذَها كلَّها بما فيها.

وفى ذى الحِجَّةِ جلَس ابنُ العَبَّادِيِّ فى جامعِ المنْصُورِ وتكلَّمَ، وعندَه جماعةٌ مِن الأعيانِ، فكادتِ الحنابلةُ يُثيرونَ فتنةً ذلك اليومَ؛ [3]لكونِه غيرَ حنْبَلِيٍّ[3].

---

(١) المنتظم ١٨/ ٨١، والكامل ١١/ ١٥٤.

(٢) فى الأصل، ص: «مدينة بسرى»، وفى خ، م: «حلب». والمثبت من مرآة الزمان ٨/١/ ٢٠٩، وانظر عيون التواريخ ١٢/ ٤٤٢.

(٣ - ٣) فى خ، م: «ولكن اللَّه لطف وسلم».

وحجَّ بالناسِ فيها قايْمازُ الأُرجُوانيُّ .

ومِمَّنْ تُوفِّي فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخ بُرْهانُ الدينِ أبو الحسَنِ عليٌّ البَلْخِيُّ[1] ، شيخُ الحنفيّةِ بدِمَشْقَ ، درَّس بالبَلْخِيَّةِ ، ثم بالخاتُونِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، وكان عالمًا عاملًا ، وَرِعًا زاهدًا ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ .

---

(١) الروضتين ١/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣١٧.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سَبْعٍ وأرْبَعِينَ وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] تُوفِّى السلْطانُ مسعودٌ ، وقامَ بالأمرِ مِن بعدِه [2]ابنُ أخيهِ[2] مَلِكْشَاه بنُ محمودٍ ، ثم جاءَ السلطانُ محمدٌ فأخَذَ المُلْكَ ، واستقرَّ له ، وقتَلَ الأميرَ خاصَّ بَك ، وأخَذَ أموالَه ، وألْقَاه للكلابِ فاختبَطَتْ بغدادُ ، واضطربَتِ الأمورُ ، وتغيَّرتِ القواعِدُ ، وبلَغ الخليفةَ أنَّ وَاسِطًا قد تخبَّطَتْ أيضًا ، فركِبَ إليها فى الجيشِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وأصلَحَ شأْنَها ، وكَرَّ على الكُوفَةِ والحِلَّةِ ، ثم عادَ إلى بَغْدادَ مؤيَّدًا منصورًا ؛ فزُيِّنَتْ له البلدُ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها مَلكَ عبدُ المؤمنِ صاحِبُ بلادِ المغْرِبِ بِجايَةَ ، وهى بلادُ بَنِى حَمَّادٍ ، فكان آخرَ ملُوكِهم يَحْيَى بنُ عبدِ العزيزِ بنِ حَمَّادٍ ، ثم بعَثَ جيْشًا إلى صِنْهَاجَةَ فحاصَرها ، وأخَذَ أموالَها .

وفيها كانتْ وقعةٌ عظيمةٌ بينَ نورِ الدينِ محمودٍ وبينَ الفَرَنْجِ ، فكسَرهم وقتَلَ منهم خلْقًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها اقْتتَلَ سَنْجَرُ ومَلِكُ الغُورِ علاءُ الدينِ الحُسَيْنُ بنُ الحسينِ[3] أوَّلُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٨٣، والكامل ١١/ ١٥٨.

(٢ - ٢) فى النسخ : «أخوه» . والمثبت من الكامل ١١/ ١٦١. وانظر مختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٢٠٨، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢٣.

(٣) فى الأصل، خ، ص : «الحسن» ، وانظر لكامل ١١/ ١٦٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢٤.

ملُوكِهم ، فكسَره سَنْجَرُ وأسَره ، فلمَّا أحْضَره بينَ يَديْه قال له[1] : ماذا كنتَ تصنَعُ بى لو أسَرْتَنى ؟ فأخْرَجَ قيْدًا مِن فِضَّةٍ وقال : كنتُ أُقيِّدُكَ بهذا . فعَفَا عنه وأطْلَقه إلى بلادِه ، فسارَ[2] إلى غَزْنَةَ فانْتزَعَها مِن يَدِ صاحبِها بَهْرامْ شاه السُّبُكْتِكينى ، واسْتَخلفَ عليها أخاه سيْفَ الدينِ فغدَرَ به أهلُ البلدِ ، وسلَّمُوه إلى بَهْرَام شاه فصلَبَه ، وماتَ بَهرامْ شاه قريبًا ، فسارَ إليها علاءُ الدينِ فهرَبَ خُسْرُو ابنُ بَهْرامْ شاهَ عنها ، فدخَلها علاءُ الدينِ فنَهبَها ثلاثةَ أيامٍ ، وقتَل مِن أهْلِها بشَرًا كثيرًا ، وسخَّرَ أهلَها ، فحُمِّلُوا تُرابًا فى مَخالٍ إلى محلَّةٍ هناك بعيدةٍ عن البلدِ ، فعمَّرَ مِن ذلك الترابِ قلعةً معْرُوفةً إلى الآنَ ، وبذلك انْقَضَتْ دولةُ بنى سُبُكْتِكِينَ عن بلادِ غَزْنَةَ وغيرِها . وقد كان ابْتِداءُ أمْرِهم فى سنَةِ سِتٍّ وستِّينَ وثلاثِمائةٍ[3] ، وكانوا مِن خيارِ المُلوكِ ، وَأكْثَرِهم جِهادًا فى الكفَرةِ ، وأكثرِهم أموالًا ونساءً وعَددًا وعُدَدًا ، قد كسَروا الأصنامَ ، وأبادُوا الكفّارَ ، وجمَعوا مِن الأموالِ ما لم يجمَعْ غيرُهم مِن الملوكِ ، مع أن بلادَهم مِن أطيبِ البلادِ وأكثرِها ريفًا ومياهًا ففَنِى جميعُه ، وزال عنهم ؛ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران : ٢٦] . ثم ملَكَ الغُورَ والهِنْدَ وخُرَاسَانَ ، واتَّسعَتْ ممالِكُهم وعظُمَ سلْطانُهم .

وحكَى ابنُ الجَوْزِىِّ فى « المنتظَمِ »[4] أنَّ فى هذه السنَةِ باضَ دِيكٌ بيضةً

---

(١) الكامل ١١/ ١٦٤.

(٢) المقصود علاء الدين الحسين بن الحسين . انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٦، ٣٧.

(٣) بعده فى م : « إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة » .

(٤) المنتظم ١٨/ ٨٣.

واحدةً ، ثم باضَ [٢٤٦/٩و] بازٍ بيْضتَيْنِ ، وباضَتْ نعامةٌ ليس لها ذكَرٌ ، وهذا شيءٌ عجيبٌ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

المُظَفَّرُ بنُ أرْدَشِيرَ ، أبو منْصورٍ العَبَّادِىُّ[(١)] ، الواعظُ ، سمِعَ الحديثَ ، ودخَلَ بَغْدادَ فأمْلَى بها ووعَظَ ، وكان يكتُبُ ما يعِظُ الناسَ به ، فاجتمعَ له مِن ذلك مجلَّداتٌ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[(٢)] : لا تكادُ تجِدُ فى المجلَّدِ خمسَ كلماتٍ جيدةٍ . وتكلَّم فيه ، وأطالَ الحطَّ[(٣)] عليه ، واسْتَحْسنَ مِن كلامِه قولَه[(٤)] : وقد سقَطَ مطَرٌ وهو يعِظُ الناسَ ، ففرَّ الناسُ إلى ما تحتَ الجدْرانِ ، فقال ، لا تَفِرُّوا مِن رشاشِ ماءِ رحمةٍ ، قَطَرَ مِن سحابِ نعمةٍ ، ولكِن فِرُّوا مِن شَرارِ نارٍ اقتُدِح مِن زِنادِ الغضَبِ . تُوفِّى وقد جاوَز الخمسينَ بقليلٍ .

مسعودٌ السلْطانُ [(٥)] **بنُ** [(٦)] **محمدِ بنِ** [(٦)] **مَلِكْشاه بنِ ألبِ أرسَلانَ بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلجوقَ التركىُّ السَّلْجوقىُّ** [(٥)] ، صاحِبُ العراقِ وغيرِها ، حصَلَ له مِن التَّمَكُّنِ والسعادةِ شيءٌ كثيرٌ لم يحصُلْ لغيرِه ، وجرَتْ له خطُوبٌ كثيرةٌ ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « بن العبادى » ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٨٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٦٣، وطبقات الشافعية ٧/ ٢٩٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ٨٨.

(٣) فى الأصل : « فيه الحث » .

(٤) المنتظم ١٨/ ٨٧.

(٥ - ٥) سقط من خ ، م ، وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٨٨، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٨٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٦٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣٩.

(٦ - ٦) سقط من النسخ والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

وحروبٌ طويلةٌ[1] ، وقد أسَرَ فى بعضِ تلك الحروبِ الخليفةَ المُسْتَرْشِدَ ، كما تقدَّم[2] ، تُوفِّى يومَ الأرْبعاءِ سلْخَ جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

يَعْقُوبُ الخَطَّاطُ الكاتبُ[3] ، تُوفِّى بالنِّظامِيَّةِ ، فجاءَ دِيوانُ الحشْرِيَّةِ ؛ ليأخذُوا مِيراثَه لبيتِ المالِ ، فمنَعهمُ الفقهاءُ ، فجرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ ، آل الحالُ إلى عَزْلِ مدرِّسِها الشيخِ أبى النَّجيبِ ، وضَرْبِه بالديوانِ تَعْزِيرًا .

---

(١) بعده فى خ ، م : « كما تقدم بعض ذلك » .

(٢) تقدم فى ص ٣٠٣ .

(٣) المنتظم ١٨/ ٨٩، والكامل ١١/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٩١.

ثم دخلتْ سنةُ ثمانٍ وأرْبَعِينَ وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] وقَعتِ الحربُ بينَ السلطانِ سَنْجَرَ وبينَ الأتراكِ ببلادِ بَلْخَ ، فقتَلُوا مِن جيشِه خلقًا كثيرًا جدًّا بحيثُ بَقِيتِ القتْلَى مثلَ التلالِ العظيمةِ ، وأسَرُوا السلطانَ سَنْجَرَ ، وقتَلُوا مَن كان معه مِن الأمراءِ صَبْرًا ، ولما استَحْضَرُوه قبَّلُوا الأرضَ بينَ يديه ، وقالُوا : نحنُ عبِيدُكَ ، وكانوا عدَّةً مِن الأمراءِ الكِبارِ ، فأقام عندَهم شهرَيْنِ ثم جاءوا معه ، فدخَلُوا مَرْوَ ، وهى كُرْسِىُّ مَمْلَكَةِ خُرَاسَانَ ، فسألَه بعضُهم أنْ يجْعلَها له إقْطاعًا ، فقالَ : هذا لا يمكِنُ ؛ هذه كُرْسِىُّ المَمْلَكَةِ . فضَحِكُوا منه وأضرَط به بعضُهم ، فنزَل عن سريرِ المَمْلَكَةِ ، ودخَل خانقاه ، وصار فقيرًا مِن جملةِ أهْلِها ، وتاب عن المُلكِ ، واسْتَحْوذ أولئك الأتراكُ على البلادِ فنَهبُوها ، وترَكُوها قاعًا صفْصَفًا ، وأقامُوا سليمان شَاه مَلِكًا ، فلم تَطُلْ مدَّتُه حتى عزَلُوه ، ووَلَّوا ابنَ أختِ سَنْجَرَ الخاقانَ محمودَ بنَ محمدِ بنِ كوخانَ[2] ، وتفرَّقَتِ الأمورُ واسْتَحوذ كلُّ إنسانٍ على ناحِيَةٍ مِن تلك الممالِكِ ، وصارَتِ الدولةُ دُوَلًا .

وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ عبدِ المؤمنِ وبينَ العرَبِ ببلادِ المغرِبِ . وفيها أخذَتِ الفِرنْجُ مدينةَ عَسْقَلَانَ مِن السواحلِ . وفيها خرَج الخليفةُ إلى وَاسِطٍ فى جَحْفَلٍ فأصلَح شأْنَها وعادَ إلى بَغْدادَ . وحجَّ بالناسِ فيها قايْمازُ الأُرْجوانِىُّ[3] .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٩٠، والكامل ١١/ ١٧٦.

(٢) فى الكامل ١١/ ١٨٣: « بغراخان » .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « وممن توفى فيها أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح ، أبو الحسينِ الأَطْرابلسىُّ الشاعرُ الرَّفَّاءُ ، قال الحافظُ ابنُ عساكرَ : كان أبوه يُنشِدُ بأسواقِ أطرابُلُسَ . أشعارَ ابنِ العَوْنِىِّ ويُغَنِّى ، ونشَأ أبو الحسينِ هذا ، فقرَأ القرآنَ وتعلَّم العربيةَ والأدبَ ، وصار إلى مذهبِ الإماميةِ ؛ فكان رافضيًّا خبيثًا يكثِرُ الهجوَ =

وفيها كانتْ وفاةُ الشاعِرَيْنِ القرينَيْنِ المُشَبَّهَيْنِ فى الزمانِ الأخيرِ بالفَرَزْدَقِ وجَرِيرٍ، وهما **أبو الحسينِ أحمدُ بنُ مُنِيرٍ الجُونِيُّ**[1] بحَلَبَ، **وأبو عبدِ اللَّهِ محمدُ ابنُ نَصْرِ بنِ صَغِيرٍ القَيْسَرانِيُّ الحلَبِيُّ**[2] بدمشقَ، رحِمهما اللَّهُ.

وعلىُّ بنُ السَّلَّارِ الملَقَّبُ بالعادِلِ، وزيرُ الظافرِ صاحِبِ مِصْرَ[3]، وهو بانى المدرسةِ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ للشافِعيَّةِ؛ للحافظِ أبى طاهرٍ السِّلَفِيِّ، رحِمه اللَّهُ، وقد كان العادِلُ هذا ضِدَّ اسْمِه؛ كان ظلُومًا غَشُومًا حَطُومًا، وقد ترجَمه ابنُ خَلِّكانَ[4].

= والفُحشَ، وقد سجَنه بورى بنُ [٩/ ٢٤٦ظ] طُغْتِكِينَ بدمَشقَ على سوءِ طريقتِه وأراد قطعَ لسانِه، فاستوهَبَه منه الحاجبُ يوسفُ بنُ فَيْرُوزَ فوهَبه له ونفاه. وذكَر ابنُ عساكرَ من أشعارِه طَرَفًا؛ فمِن ذلك قولُه:

وإذا الكريمُ رأى الخمولَ نَزِيلَهُ ... فى منزلٍ فالحزمُ أن يترحَّلا
كالبدرِ لما أَنْ تضاءلَ نورُهُ ... طلَب الكمالَ فحازَه متنقِّلا
وصِلِ الهجيرَ بهجرِ قومٍ كلَّما ... أمطَرْتَهم عسلًا جَنَوا لك حَنْظَلا
للَّهِ عِلْمِى بالزمانِ وأهلِهِ ... ذَنْبُ الفضيلةِ عندَهم أن تَكْمُلا
طُبِعوا على لُؤمِ الطِّباعِ فَخَيرُهم ... إن قلتَ قال وإن سكَتَّ تَقَوَّلا

ثم روى ابنُ عساكرَ بسندِه أنَّ بعضَهم رآه بعدَ وفاتِه فى المنامِ فى شرِّ خَيْبةٍ ورائحةٍ قبيحةٍ فقال: أتدرى ما جرَى علىَّ من هذه القصائدِ التى كُنتُ أقولُها؟ إنَّ لسانِى قد طال وثخُن وصار مدَّ البصرِ، كلما أنشدتُ قصيدةً مِنها صارت كُلَّابًا يتعلَّقُ فى لسانِى. قال الرائِى: وسمِعتُ قارئًا يقرأُ من فوقِ رأسِه: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]. فانتبَهتُ مَرْعُوبًا.

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣٢، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٧٦، وبغية الطلب ٣/ ١٤٤ (مخطوط)، ووفيات الأعيان ١/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٩٦. وهو المذكور فى الحاشية السابقة.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٩٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ٦٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٣٣.

(٣) الكامل ١١/ ١٨٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣١٨، والوافى بالوفيات ٢١/ ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦.

ثم دخلتْ سنةُ تِسعٍ وأرْبَعِيـنَ وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] ركِب الخليفةُ المُقْتَفِى فى جيشٍ كثيفٍ إلى تَكْرِيتَ فحاصَر قلْعتَها، والتقَى جَمْعًا هنالك مِنَ الأتراكِ والتُّرْكُمانِ، فأظْفرَه اللَّهُ بهم، وهزَمهم له، وأعلى كلمتَه عليهم، ثم عادَ إلى بَغْدادَ مؤيَّدًا منصورًا.

وجاءَتِ الأخبارُ بأنَّ مِصْرَ قد قُتِل خلِيفَتُها الظافِرُ، ولم يَبْقَ مِنهم إلَّا صبىٌّ صغيرٌ ابنُ خمسِ سنين، قد ولَّوه عليهم ولقَّبُوه الفائزَ، فكتَب الخليفةُ عَهْدًا للملكِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى على البلادِ الشاميةِ والديارِ المِصْرِيَّةِ، وأرسَله إليها.

وفيها هاجَتْ ريحٌ شديدةٌ بعدَ العِشاءِ فيها نارٌ، فخاف الناسُ أنْ تكونَ الساعَةَ، وزُلْزِلتِ الأرضُ، وتغيَّرَ ماءُ دِجْلَةَ إلى الحُمْرةِ. وظهَر بأرضِ واسِطٍ مِن الأرضِ دمٌ لا يُعرفُ سببُه. وجاءَتِ الأخبارُ بأنَّ الملكَ سَنْجَرَ فى أَسْرِ التركِ، فى غايةِ الذُّلِّ والإهانةِ، وأنَّه يبْكِى على نفْسِه فى كلِّ وقتٍ.

وفيها انْتَزَع الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى دمشقَ مِن يَدِ مَلِكِها مُجيرِ الدينِ أَبَقَ بنِ محمدِ بنِ بُورِى بنِ طُغْتِكِينَ، وذلك لسوءِ سيرتِه وضَعْفِ دوْلتِه، ومُحاصرَةِ العامَّةِ له فى القلْعَةِ غيرَ مرَّةٍ، معَ وزيرِه الرئيسِ مؤيِّدِ الدولةِ المُسَيَّبِ[2]

---

(١) المنتظم ١٨/ ٩٥، والكامل ١١/ ١٩١.

(٢) هنا وفيما يأتى فى النسخ: «على». والمثبت من تاريخ دمشق ٧/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٨٢.

ابنِ الصوفيِّ ، وتغَلُّبِ الخادمِ عَطاءٍ على المَمْلكَةِ مع ظلْمِه وغَشْمِه ، فكان الناسُ يدْعُونَ اللَّهَ ليلًا ونَهارًا أن يُبدِلَهم بالملكِ نورِ الدينِ ، واتَّفَق مع ذلك أنَّ الفرنْجَ أخَذُوا عسْقَلَانَ ، فتحرَّق الملكُ نورُ الدينِ على ذلك ، ولا يمْكِنُه الوصولُ إليهم ؛ لأنَّ دِمشقَ بينَهم وبينَه ، ويخْشَى أنْ يُحاصِرَ دِمَشْقَ بعَسْفٍ ؛ فينْبعِثَ مَلِكُها إلى الفرنْجِ فيُنْجِدُونه كما جرَى غيرَ مرَّةٍ ؛ لأنَّ الفرنْجَ لا يُريدُون أنْ يملِكَ نورُ الدينِ دِمَشقَ ؛ لأنه يقوَى بها عليهم ولا يُطيقُونَه ، فأرسَل بينَ يدَيْه الأميرَ أسدَ الدينِ شِيركُوه [٩/٢٤٧و] فى ألفِ فارِسٍ فى صِفَةِ طلَبِ الصلحِ ، فلم يلتفِتْ إليه مُجيرُ الدينِ ، ولا خرَج إليه أحَدٌ مِن أهلِ البلدِ ، فكتَب إلى نورِ الدينِ بذلك ، فركِب الملكُ نورُ الدينِ فى جيْشِه ، فنزَل عُيونَ الفاسَرْيا مِن أرضِ دمشقَ ، ثم انتقَل إلى قريبٍ مِن البابِ الشرقِيِّ ، ففتَحها قَهْرًا ودخَل البلدَ بعدَ حصارِ عشَرَةِ أيامٍ ، وكان دُخولُه يومَ الأحدِ عاشرَ صفَرٍ مِن هذه السنَةِ ، وتحصَّنَ مجيرُ الدينِ فى القلْعَةِ فأنْزَله مِنها ، وعوَّضَه مدينةَ حِمْصَ ، ودخَل نورُ الدينِ القلْعَةَ ، واستقرَّتْ يدُه على دِمَشْقَ ، وللَّهِ الحمدُ ، فنادَى فى البلدِ بالأمَانِ ، وأنّه يُبشِّرُ الناسَ بالخيرِ ، فرفَع عنهمُ المُكوسَ ، وقُرِئتْ التَّواقيعُ بذلك على المِنبرِ ، ففرِح المسلمون وأكْثَرُوا الدعاءَ له ، وكتَب ملُوكُ الفرنْجِ إليه يُهَنئونَه ويتقَرَّبُونَ إليه ، ويخضَعُونَ له .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الرئيسُ مُؤَيِّدُ الدولةِ المُسَيَّبُ بنُ الصوفيِّ ، وزيرُ دِمَشْقَ لمُجيرِ الدينِ[1] ، وقد ثار على المَلِكِ غيرَ مرَّةٍ ، ويَستَفْحِلُ أمرُه ، ثم يقَعُ الصلحُ بيْنَهما ، كما تقدَّم .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٣٨٢، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٦، وشذرات الذهب ٤/ ١٥٤ .

عَطَاءٌ الخادمُ[1] أحدُ أمراءِ دِمَشْقَ ، وقد تغلَّبَ على الأمورِ أيامَ مُجِيرِ الدينِ ، وكان ينوبُ ببَعْلَبَكَّ فى بعضِ الأحيانِ ، وكان ظالمًا، غاشِمًا وهو الذى يُنْسَبُ إليه مسجدُ عَطاءٍ خارِجَ بابِ شرقىٍّ .

---

(١) الكامل ١١/ ١٩٧، والروضتين ١/ ٢٣٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٧٨.

ثم دخلتْ سنَةُ خَمْسِينَ وخَمْسِمِائةٍ

فيها[1] خرَج الخليفةُ المقتفى لأمرِ اللَّهِ فى تجَمُّلٍ عظيمٍ إلى دَقُوقا[2] فحاصَرها، فخرَج إليه أهلُها فسألوه أنْ يرحَل عنهم؛ فإنَّ أهلَها قد هلَكُوا بينَ الجيْشَيْنِ، فأجابَهم، ورحَل عنهم، وعادَ إلى بَغْدادَ بعدَ شَهْرَيْنِ ونصفٍ، ثم خرَج نحوَ الحِلَّةِ والكُوفَةِ، والجيشُ بينَ يدَيْه، وقال له سُلَيمان شَاه: أنا وَلِيُّ عهدِ سَنْجَرَ، فإنْ قرَّرتَ لى ذلك وإلَّا فأنا كأحَدِ الأمراءِ. فوعَده خيْرًا، وكان يحمِلُ الغاشِيَةَ بينَ يدَيِ الخليفَةِ على كاهِلِه، فمهَّدَ الأمورَ ووَطَّدها، وسلَّم على مَشْهَدِ علىٍّ إشارَةً بأُصْبُعَيه وكان قد عزَم علَى دخولِ المشهدِ، فنهاه الوزيرُ ابنُ هُبَيْرةَ عن ذلك كأنّه خافَ عليه مِن غائلةِ الرَّوافِضِ، واللَّهُ أعلمُ.

وفيها افْتَتَح نورُ الدينِ بَعْلَبَكَّ عَوْدًا على بَدْءٍ؛ وذلكَ أنَّ نجمَ الدينِ كان نائبًا على البلدِ والقلعةِ، فسلَّمه إلى رجلٍ يقالُ له: الضَّحَّاكُ البِقاعِيُّ. فكاتَب نجمُ الدينِ لنورِ الدينِ، ولم يزَلْ نورُ الدينِ يتلطَّفُ حتى أخذَ القلْعَةَ أيضًا، واسْتَدْعَى بنَجْمِ الدين إليه إلى دِمَشْقَ فأقْطَعه إقْطاعًا، وأكْرَمَه مِن أجلِ أخيه أسَدِ الدينِ؛ فإنَّه كانتْ له اليَدُ الطُّولَى فى فَتْحِ دِمَشْقَ للملكِ العادلِ نورِ الدينِ، وجعَل الأميرَ شمسَ الدولةِ تُورانْشَاه بنَ نجمِ الدينِ شِحْنةَ دِمَشْقَ ثمَّ مِن بعدِه جعَل أخاه صلاحَ الدينِ يُوسُفَ هو الشِّحْنَةَ، وجعَله مِن خواصِّه لا يُفارِقُه حضرًا ولا سفَرًا؛ لأنَّه

---

(١) المنتظم ١٨/١٠١، والكامل ١١/٢٠١.

(٢) فى م: «دموقا». ودقوقا بألف ممدودة ومقصورة: مدينة بين إرْبِل وبغداد معروفة لها ذكر فى الأخبار والفتوح. معجم البلدان ٢/ ٥٨١.

كان حسنَ الشكلِ، حسنَ اللَّعِبِ [٢٤٧/٩ظ] بالكرةِ، وكان نورُ الدينِ يحبُّ لعِبَ الكرةِ؛ لتمرينِ الخيْلِ وتَعْليمِها الكَرَّ والفَرَّ، وفى شِحْنَكِيّةِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ يقولُ عَرْقَلةُ الشاعرُ[1]:

رُوَيْدَكُمُ يالُصوصَ الشآمِ ... فإنِّى لكم ناصِحٌ فى مقالِ
فإيَّاكُمُ وسِمِيَّ النبيِّ يُوسُفَ ربِّ الحِجَا والجمالِ
فذاك مُقَطِّعُ أَيْدِى النساءِ ... وهذا مُقَطِّعُ أيْدِى الرجالِ

وقد ملَك أخوه تورانْشَاه هذا بلادَ اليمنِ فيما بعدَ ذلك، وكان يلقَّبُ شمسَ الدولةِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

محمدُ بنُ ناصِرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عمرَ الحافظُ، أبو الفَضْلِ البَغْدادِىُّ[2]. وُلِد ليلةَ النصفِ من شعبانَ سنةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وأرْبَعِمِائَةٍ، وسمِع الكثيرَ، وتفرَّد بمشايخَ، وكان حافظًا، ضابطًا، مُكْثِرًا، مِن أهلِ السُّنةِ، كثيرَ الذِّكْرِ، سريعَ الدَّمعَةِ. وقد تخرَّج به جماعةٌ؛ منهم الشيخُ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِىِّ، سَمِع بقراءَتِه «مُسْنَدَ الإمامِ أحمدَ»، وغيرَه مِن الكتُبِ الكبارِ، وكان يُثْنِى عليه كثيرًا، وقد رُدّ على أبى سَعْدٍ السَّمْعانِىِّ فى قولِه فى محمدِ بنِ ناصرٍ: يحبُّ أنْ يقَع فى الناسِ. قال ابنُ الجَوْزِىِّ[3]: والكلامُ فى الجَرْحِ والتَّعْديلِ ليسَ مِن هذا القَبِيلِ، وإنَّما ابنُ السَّمْعانِىِّ يحبُّ أنْ يتعَصَّبَ على أصحابِ الإمامِ أحمدَ، نعوذُ

---

(١) الأبيات فى كتاب الروضتين ١/ ٢٥١.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٤٠٤، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٥.
(٣) المنتظم ١٨/ ١٠٣.

باللَّهِ مِن سوءِ القَصْدِ والتَّعَصُّبِ . وكانت وفاةُ محمدِ بنِ ناصرٍ ليلةَ الثلاثاءِ الثامِنَ عشَرَ من شعبانَ مِن هذه السَّنةِ ، عن ثلاثٍ وثمانِينَ سنةً ، وصُلِّى عليه مرَّاتٍ ، ودُفِنَ بيابِ حربٍ ، رَحِمه اللَّهُ .

مُجَلِّى بنُ جُمَيْعِ بنِ نجا ، أبو المَعالِى المَخْزُومِىُّ الأُرْسُوفِىُّ ، ثم المِصْرِىُّ قاضِيها ، الفقيهُ الشافعِىُّ[1] ، مصنِّفُ «الذَّخائِرِ» فى المذهبِ ، وفيها غرائبُ كثيرةٌ ، وهى مِن الكتبِ المفيدةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٤١٣، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٧٧.

ثم دخلتْ سنَةُ إحْدَى وخَمْسِينِ وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى المحرَّم منها دخَل السلطانُ سُلَيمان شَاه بنُ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بنِ أَلبِ أرسَلانَ السَّلْجُوقىُّ إلى بَغْدادَ وعلى رأسِه الشَّمْسِيَّةُ، فتلَقَّاه الوزيرُ ابنُ هُبَيرَةَ، وأدْخَله على الخليفةِ، فقبَّل الأرضَ وحلَّفه على الطاعَةِ وصفاءِ النِّيَّةِ والمُناصَحَةِ والمَوَدَّةِ، وخلَع عليه خِلَعَ الملُوكِ، وتقرَّرَ أنَّ للخليفةِ العِراقَ ولسُلَيمانِ شَاه ما يفْتَحُه مِن خُرَاسَانَ، ثم خُطِب له ببَغْدادَ بعدَ الملكِ سَنْجَرَ، ثم خرَج منها فى ربيعٍ الأوَّلِ فاقْتتَل هو والسلْطانُ محمدُ بنُ محمودِ بنِ مَلِكْشَاه، فهزَمه محمدٌ وهزَم عسْكَرَه، فذهَبَ هاربًا فتلَقَّاه نائبُ قُطْبِ الدينِ مودودِ بنِ زَنْكِى، صاحِبِ المَوْصِلِ، فأسَره وحبَسه بقلْعَةِ المَوْصِلِ، وأكْرَمه مدَّةَ حبْسِه وخدَمه، وهذا مِن أغربِ الاتِّفاقاتِ.

وفيها ملَكتِ الفِرنْجُ المَهْدِيَّةَ مِن بلادِ المغْرِبِ بعدَ حصارٍ شديدٍ. وفيها فتَح نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى قلعةَ تلِّ حارِمٍ[2] واقْتلَعَها مِن أيْدِى الفِرنْجِ، وكانتْ مِن أحْصَنِ القِلاعِ وأمْنَعِ البِقاعِ، وذلكَ بعدَ قتالٍ عظيمٍ ووقْعَةٍ هائلةٍ كانتْ مِن أكبرِ الفُتوحاتِ، وقد امتدَحَه الشعراءُ عندَ ذلك. وفيها هرَب الملكُ سَنْجَرُ مِن الأسْرِ وعادَ إلى مُلْكِه بمَرْوَ، وكان له فى أَيْديهم نحوٌ من خَمْسِ سِنينَ. وفيها استعمَل عبدُ المؤمنِ أوْلادَه على بلادِه [٢٤٨/٩و]؛ اسْتَنابَ كلَّ واحدٍ فى بلَدٍ كبيرٍ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠٦، والكامل ١١/ ٢٠٣.

(٢) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهى الآن من أعمال حلب. معجم البلدان ٢/ ١٨٤.

ذِكرُ حِصَارِ بَغْدادَ

وسبَبُ ذلك أنَّ السلْطانَ محمدَ بنَ محمودِ بنِ مَلِكْشَاه أرسَل إلى الخليفةِ المُقْتَفِى يطلُبُ منه أنْ يُخطَبَ له ببغدادَ ، فلم يُجِبْه إلى ذلكَ ، فسارَ مِن هَمَذانَ إلى بَغْدادَ ليُحاصِرَها ، فانْجَفَل الناسُ ، وحصَّنَ الخليفةُ البلدَ ، وجاءَ السلطانُ محمدٌ فحصَر بَغْدادَ ، ووقَف تُجاهَ التاجِ مِن دارِ الخلافةِ فى جَحْفلٍ عظيمٍ ، ورَمَوْا نحْوَه بالنُّشَّابِ ، وقاتَلتِ العامَّةُ قتالًا عظيمًا بالنِّفْطِ وغيرِه ، واستمرَّ القتالُ إلى مدَّةٍ ، فبيْنَما هم كذلك إذْ بلَغ السلطانَ أنَّ أخاه قد خلفَه فى هَمَذانَ ، فانْشَمَر عن بَغْدادَ راحلًا إلى هَمَذانَ فى ربيعِ الأوَّلِ مِن سنَةِ اثْنتَيْنِ وخَمْسِينَ ، وتفرَّقَتِ العساكِرُ الذينَ كانُوا معه فى البلادِ ، وأصابَ الناسَ بعدَ هذا القِتالِ مرضٌ شديدٌ ، وموتٌ ذَرِيعٌ ، واحْتَرقَتْ محالٌّ كثيرةٌ مِن بَغْدادَ ، واستمرَّ ذلك فيها مدَّةَ شهْرَيْنِ .

وفيها أُطْلِقَ أبو[1] البَدْرِ ابنُ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ مِن قلعةِ تَكْرِيتَ ، وكان له فيها ، مُعتقَلًا ، ثلاثُ سِنينَ ، فتَلقَّاه الناسُ إلى أثناءِ الطريقِ ، وامْتَدحَه الشعراءُ ، فكان فى جملَتِهم الأبْلَهُ الشاعِرُ[2] ، أنْشَد الوزيرَ قصيدةً يقولُ فى أوَّلِها :

بأىِّ لسانٍ للوُشَاةِ أُلَامُ ... وقد علِمُوا أنِّى سهِرْتُ ونامُوا

---

(١) بعده فى م : « الوليد » . وانظر الكامل ١١/ ٢١٦.

(٢) هو أبو عبد اللّه محمد بن بختيار بن عبد اللّه المولد . انظر وفيات الأعيان ٤/ ٤٦٣.

إلى أنْ قال :

ويَسْتَكْثِرُونَ الوَصْلَ لى منك ليلةً وقد مَرَّ عامٌ بالصُّدودِ وعامُ

فطرِبَ الخليفةُ عندَ ذلك . وخلَع عليه ثِيابَه وأطْلقَ له خمسينَ دِينارًا ، وحجَّ بالناسِ قَايْماز .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

علىُّ بنُ الحُسَيْنِ ، أبو الحسَنِ الغَزْنَوِىُّ[1] الواعظُ ، كان له قَبُولٌ كثيرٌ مِن العامَّةِ ، وبنَتْ له الخاتونُ زوْجَةُ المُستظهِرِ رِباطًا بيَابِ الأَزَجِ ، ووقَفتْ عليه أوْقافًا كثيرةً ، فحصَل له جاهٌ عريضٌ وزارَه السلطانُ . وكان حسَنَ الإيرادِ مليحَ الوَعْظِ ، يحضُرُ مجلسَه خلقٌ كثيرٌ ، وجَمٌّ غفيرٌ مِن أصْنافِ الناسِ . وقد استملَح ابنُ الجَوْزِىِّ أشياءَ مِن وعْظِه ، قال[2] : وسمِعتُه يومًا يقولُ : حُزْمَةُ حُزْنٍ خَيْرٌ مِن أعْدالِ أعْمالٍ . ثم أنشَد :

كم حَسْرَةٍ لى فى الحشَا مِنْ ولَدٍ إذا نَشَا
أَمَّلْتُ فيهِ رُشْدَهُ [3]فما نشا كما أشَا[3]

قال[2] : وسمِعْتُه يومًا ينشدُ :

يحْسُدُنِى قوْمِى على صَنْعَتِى لأنَّنِى فى صنْعَتِى فارِسُ
سهِرْتُ فى لَيْلِىَ واسْتَنْعَسُوا هل يسْتَوِى الساهِرُ والناعِسُ ؟

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٥٩ وفيه : «أبو الحسين الغزنوى»، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٣، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٠٩.

(٣ - ٣) فى النسخ : « فما يشا كما نشا » . والمثبت من المنتظم . والبيتان ينسبان أيضا إلى أبى نصر القشيرى . انظر طبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٦٣.

قال[1] : وكان يقولُ : تَولَّونَ اليهودَ والنصارَى فيسُبُّونَ نبيَّكم فى يومِ عيدِهم ويصْبِحونَ يجلِسونَ إلى جانبِكم ؟! ثمَّ يقولُ : ألَا هل بلَّغْتُ ؟ قال : وكان يتشَيَّعُ ، ثم سُعِىَ فى منْعِه مِنَ الوعظِ ، ثم أُذِنَ له ، ولكِنْ ظهَر للناسِ ابنُ العَبَّادىِّ ، فكان كثيرٌ مِن الناسِ يميلُونَ إليه ، وقد كان السلْطانُ مسعودٌ يعظِّمُه ويحضُرُ مجْلسَه ، فلمَّا ماتَ السلطانُ مسعودٌ ذُلَّ الغَزْنَوِىُّ بعدَه ، وأُهِينَ إهانةً بالغةً ، فمرِضَ وماتَ فى المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وبلَغنى أنَّه كان يعرَقُ فى نَزْعِه ثم يفِيقُ وهو يقولُ : رِضًى وتَسْلِيمٌ . ولمَّا ماتَ دُفِنَ فى رِباطِه الذى كان فيه .

محمودُ بنُ إسْماعيلَ بنِ قادُوسَ ، أبو الفتحِ الدِّمْياطِىُّ[3] ، [٢٤٨/٩ظ] كاتبُ الإنْشاءِ بالديارِ المِصْريَّةِ ، وهو شيخُ القاضى الفاضلِ ، وكان يُسَمِّيه ذا البلاغَتَيْنِ ، وذكَره العِمادُ الكاتبُ فى « الخريدةِ » وأثنَى عليه ، ومن شعرِه فِيمَنْ يكرِّرُ التكْبِيرَ فى أوَّلِ الصلاةِ[4] :

وفاتِرِ النِّيَّةِ عِنِّينِها ... مع كثْرَةِ الرِّعْدَةِ والهِزَّهْ[5]
يُكَبِّرُ سبعين فى مرَّةٍ ... كأنهُ صَلّى على حَمْزَهْ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٠٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١١٠.

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٢٢٦، والروضتين ١/ ٢٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٦٦، وبدائع الزهور ١/١/ ٣١، وفيه : أنه توفى سنة ست وخمسين وخمسمائة .

(٤) البيتان فى : الروضتين ١/٢٥٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٦٦ .

(٥) فى النسخ : « الهمزه » . والمثبت من المصادر السابقة .

الشيخُ أبو البَيَانِ ، نبا بنُ محمدٍ المعْروفُ بابنِ الحَوْرَانِيِّ[1] ، الفقيهُ الزاهدُ العابدُ الفاضِلُ الخاشِعُ ، قدَّس اللَّهُ رُوحَه ، قرَأ القرآنَ وكتابَ « التَّنْبِيهِ » على مذْهبِ الشافعيِّ ، وكان حسَنَ المعرفةِ باللغةِ ، كثيرَ المُطالعَةِ ، وله كلامٌ يؤْثَرُ عنه ، ورأيْتُ له كتابًا بخَطِّه فيه النظائمُ التى له ، يقولُها أصْحابُه وأتْباعُه بلهْجَةٍ غريبةٍ ، وقد كان مِن نشْأَتِه إلى أنْ تُوفِّى على طريقةٍ صالحةٍ ، وقد زارَه الملكُ نورُ الدينِ فى رِباطِه داخِلَ دربِ الحَجَرِ[2] ، ووقفَ عليه شيئًا ، وكانت وفاتُه فى يومِ الثلاثاءِ الثالثِ مِن ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وكان يومًا مشهودًا . وقد ذكرتُه فى « طبَقاتِ الشافِعيَّةِ » رحِمهُ اللَّهُ .

عبدُ الغافرِ بنُ إسْماعِيلَ بنِ عبدِ الغافرِ[3] **بنِ محمدِ بنِ عبدِ الغافرِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدٍ الفارِسيُّ الحافظُ** ، تفَقَّهَ بإمامِ الحرمَيْنِ وسمِعَ الكثيرَ على جدِّه لأمِّه أبى القاسمِ القُشَيْرِيِّ ، ورحَل إلى البلادِ وأسمَع الكثيرَ ، وصنَّفَ « المُفْهِمَ فى غريبِ مسلمٍ » وغيرَه ، ووَلِىَ خطابةَ نَيْسَابُورَ ، وكان فاضلًا بارعًا دَيِّنًا حافظًا .

---

(١) معجم الأدباء ١٩/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٦٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣١٨.

(٢) داخل باب شرقى بدمشق. الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ١٩٢.

(٣) فى م : « القادر » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦، وتذكرة الحفاظ ٥/ ١٢٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٧١، وشذرات الذهب ٤/ ٩٣.

ثم دخَلَتْ سنَةُ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ وخَمْسِمائَةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنةُ ومحمد شَاه بنُ محمودٍ محاصِرٌ بغْدادَ ، والعامَّةُ والجندُ مِن جهةِ الخليفةِ المُقْتَفِى يقاتلُونَ أشدَّ القتالِ ، والجُمُعةُ لا تقامُ لعُذْرِ القتالِ ، والفتنةُ كبيرةٌ ، ثم يسَّر اللَّهُ بذَهابِ السلطانِ ، كما تقدَّم ذِكرُ ذلك فى السنةِ التى قبلَها ، وقد بسَط ذلك ابنُ الجَوْزِىِّ فى هذه السنَةِ فطوَّلَ .

وفيها كانتْ زلْزلَةٌ عظيمةٌ بالشامِ ، هلَك بسبَبِها خلقٌ كثيرٌ لا يعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ ، وتهدَّمَ أكثرُ حَلَبَ وحَمَاةُ وشَيْزَرُ وحِمْصُ وكَفَرْ طابَ وحِصْنُ الأكْرادِ واللَّاذقِيَّةُ والمَعَرَّةُ وأفامِيَةُ وأنْطاكِيَةُ وطَرَابُلُسُ . قال ابنُ الجوْزِىِّ[2] : وأمَّا شَيْزَرُ فلم يسْلَمْ منها إلَّا امرأةٌ وخادِمٌ لها ، وهلَكَ الباقونَ ، وأمَّا كَفَرْ طابَ فلم يسلَمْ منها أحدٌ ، وأمَّا أفامِيَةُ فساخَتْ قلْعتُها ، وتلُّ جَرَّانَ انقسَم نصفَيْنِ ، فأَبْدَى نواويسَ ويُيوتًا كثيرةً فى وسَطِه . قال[3] : وهلَكَ مِن مدائنِ الإفْرَنْجِ شىءٌ كثيرٌ ، وتهدَّم أسوارُ أكثرِ مُدُنِ الشامِ مِن ذلك ، حتى إنَّ مكْتَبًا بحَمَاةَ انهدَم على الصِّبيانِ فهلَكُوا عن آخرِهم ، فلم يجئْ أحدٌ يسألُ عن أحدٍ منهم . وقد ذكَر هذا الفصلَ الشيخُ أبو شامةَ فى كتابِ « الروضتَيْنِ »[4] مُسْتَقْصًى ، وذكَر ما قالَه الشعراءُ فى ذلك[5] .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١١١، والكامل ١١/ ٢١٨.

(٢) المنتظم ١٨/ ١١٩.

(٣) أى : أبو شامة ، وهذا الكلام بنحوه فى الروضتين ١/ ٢٦٤.

(٤) الروضتين ١/٢٦١ - ٢٦٨.

(٥) بعده فى ص ، م : « وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده » .

وفيها ملَك السلطانُ محمودُ بنُ زَنْكِى حِصْنَ شَيزرَ بعدَ حصارٍ ، وأخَذ مدينةَ بَعْلَبَكَّ ، وكان بها الضَّحَّاكُ البِقاعِىُّ ، وقد قيلَ[1] : [٢٤٩/٩و] إنَّ ذلك كانَ فى سنَةِ خمسينَ ، كما تقدَّم واللَّهُ أعلمُ . وفيها مرِضَ نورُ الدينِ فمرِضَ الشامُ بمرَضِه ثم عُوفِى ففرِحَ المسلمون بذلك فرحًا شديدًا ، واسْتَوْلَى أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ على جزيرةِ ابنِ عمرَ .

وفيها عمِلَ الخليفةُ بابًا للكَعْبَةِ مُصَفَّحًا بالذهبِ ، وأخَذ بابَها الأوَّلَ فجعَله لنفْسِه تابُوتًا . وفيها أغارَتِ الإسْماعِيلِيَّةُ على حُجَّاجِ خُرَاسَانَ فلم يُبقُوا منهم على أحدٍ ، لا زاهِدٍ ولا عالِمٍ . وفيها كان غلاءٌ شديدٌ بخُرَاسَانَ حتى أكلُوا الحشَراتِ ، وذبَح إنسانٌ رجلًا علَوِيًّا فطبَخه وباعَه فى السوقِ ، فحينَ ظُهِرَ عليه قُتل .

وذكَر أبو شامةَ أنَّ فتحَ بانْيَاسَ كان فى هذه السنَةِ على يدِ الملكِ نورِ الدينِ بنفْسِه ، وقد كان مُعينُ الدينِ سلَّمها إلى الفِرنجِ صلحًا عن دِمشقَ ، فعوَّضَهم بها ، وقتَل ملِكَها وغنِمَ شيئًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ . وفيها قدِمَ الشيخُ أبو الوَقْتِ عبدُ الأوَّلِ بنُ عِيسى بنِ شُعَيْبٍ السَّجْزِىُّ ، فسُمِع عليه « البُخارِىَّ » فى دارِ الوزيرِ ببَغْدادَ . وحجَّ بالناسِ قايْمَازُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

أحمدُ[2] بنُ عمرَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسْماعيلَ ، أبو الليْثِ النَّسَفِىُّ ، مِن أهلِ سَمَرْقَنْدَ ، سمِعَ الحديثَ وتفَقَّهَ ووَعظَ ، وكان حسنَ السَّمْتِ ، قدِمَ

---

(١) الروضتين ١/ ٢٥٠.

(٢) بعده فى خ ، م : « بن محمد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٧٧، (وفيه : أحمد بن عمر بن محمد بن لقمان) ، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٩، والنجوم الزاهرة٥/ ٣٢٦.

بغْدادَ فوَعَظ ، ثم عادَ إلى بلدِه فقتَله قُطَّاعُ الطريقِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالَى .

أحمدُ بنُ بَخْتِيَارَ بنِ عليِّ بنِ محمدٍ ، أبو العباسِ ، المَنْدائيُّ[1] **الواسِطِيُّ** قاضِيها ، سمِعَ الحديثَ وكانتْ له معرفةٌ تامَّةٌ بالأدبِ واللغةِ ، وصنَّفَ كتُبًا فى التاريخِ وغيرِ ذلك ، وكان ثقةً صدُوقًا ، تُوفِّى ببَغْدادَ وصُلِّى عليه بالنِّظامِيَّةِ .

السلطانُ سَنْجَرُ بنُ ملكشاه بنِ ألْب أرْسَلان بنِ داودَ بنِ مِيكائيلَ بنِ سَلجوقَ[2] ، **أبو**[3] **الحارثِ** ؛ واسمُه أحمدُ ، ولُقِّبَ بسَنْجَرَ ، مولدُه فى رجَبٍ سنةَ تِسْعٍ وسبعِين[4] وأربعِمائةٍ ، وأقام فى المُلْكِ نَيِّفًا وستِّين سنةً ، من ذلك استقلالًا إحدى وأربعين سنةً ، وقد أسَره الغُزُّ نحوًا مِن خمسِ سنِين ، ثم هرب منهم فعَاد إلى مُلْكِه بمَرْوَ ، ثم كانت وفاتُه فى ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِنَ فى قُبَّةٍ بناها سمَّاها : دارَ الآخِرةِ ، رحِمه اللَّهُ .

محمدُ بنُ عبدِ اللطيفِ بنِ محمدِ بنِ ثابتٍ ، أبو بكرٍ الخُجَنْدِيُّ[5] الفقيهُ الشافِعِيُّ ، وَلِيَ تدريسَ النِّظامِيَّةِ ببغدادَ ، وكان يناظرُ حَسَنًا ويعِظُ الناسَ وحولَه السيوفُ مُسلَّلةٌ . قال ابنُ الجوزيِّ[6] : ولم يكُنْ ماهرًا فى الوعظِ ، حالُه أشْبَهُ

---

(١) فى الأصل والكامل : « المانداى » وفى ص : « المادناى » ، وفى خ ، م : « الماردانى » ، والمثبت من مصادر ترجمته التالية المنتظم ١٨/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٧٥، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٤، وتبصير المنتبه ٤/ ١٣٩٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٢١، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٨٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧١.

(٣) فى الأصل : « ابن » .

(٤) فى الأصل ، ص : « أربعين » .

(٥) المنتظم ١٨/ ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٩٨، مرآة الجنان ٣/ ٣٠٠.

(٦) المنتظم ١٨/ ١٢٢.

بالوزراءِ مِن العلماءِ، وتقدَّم عندَ السلاطينِ حتى كانوا يَصْدُرونَ عن رأيِه، تُوفِّى بأَصْبهانَ فجأَةً.

محمدُ بنُ المُبارَكِ بنِ محمدِ بنِ الخَلِّ، أبو الحسَنِ بنُ أبى البَقاءِ[1]، سمِع الحديثَ، وتفقَّهَ على الشَّاشِيِّ، ودرَّس وأفتَى، وتُوفِّى فى محرَّمِ هذه السنةِ، وتُوفِّى أخوه الشيخُ أبو الحُسيْنِ بنُ الخَلِّ الشاعِرُ فى ذى القَعْدَةِ منها.

يحيى بنُ عيسى بنِ إدرِيسَ، أبو البركاتِ الأَنْبَارِىُّ[2] الواعظُ، قرَأ القرآنَ وسمِع الحديثَ، وتفَقَّه ووَعَظ الناسَ على طريقةِ الصالحين، وكان يبْكِى مِن أوَّلِ صُعودِه إلى حينِ نزولِه، وكان عابدًا زاهدًا وَرِعًا آمِرًا بالمعروفِ ناهيًا عن المنكرِ [٢٤٩/٩ظ]، ورُزِقَ أولادًا صالحين سمَّاهم بأسماءِ الخلفاءِ الأربعةِ؛ أبو بكرٍ، وعمرُ، وعُثْمانُ، وعلىٌّ، وحفَّظَهمُ القرآنَ كلَّهم، وختَّمَ خلْقًا كثيرًا، وكان هو وزَوْجَتُه يصُومانِ الدهرَ، ويقُومانِ الليلَ، ولا يفْطِرانِ إلَّا بعدَ العِشاءِ، وكانت له كراماتٌ ومناماتٌ صالحةٌ. ولمَّا مات قالت زوجتُه[3]: اللهمَّ لا تُحْيِنى بعدَه. فماتت بعدَه بخمسةَ عشَرَ يومًا، وكانت مِن الصالحاتِ، رحِمهما اللَّهُ تعالى.

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٠١، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٧٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٨٦.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٢٣، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٠٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٥٠٢.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٢٤.

ثم دخَلت سنَةُ ثلاثٍ وخمسين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كثُرَ فسادُ التُّرْكُمانِ مِن أصحابِ بُرْجُمٍ[2] الإيوائيِّ، فجُهِّز إليهم منكورسُ[3] المُسْتَرْشِدىُّ فى جيشٍ كثيفٍ، فالْتَقَوا معهم فهزَموهم أقبحَ هزيمةٍ، وجاءوا بالأُسارى والرءُوسِ إلى بغدادَ.

وفيها كانت وقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الغُزِّ وبينَ الملكِ محمودٍ، فكسَرُوه وقتَلوا من أصحابِه وغيرِهم خلْقًا كثيرًا ونهَبُوا البلادَ، وأقامُوا بمَرْوَ، ثم إنَّهم طَلبُوه إليهم فخاف على نفْسِه، فأرسَل ولدَه بينَ يدَيه فأكرَموه، ثم قدِم عليهم فاجتمَعوا عليه وعظَّمُوه.

وفيها وقَعت فتنةٌ كبيرةٌ بمَرْوَ بينَ فقيهِ الشافعيةِ المُؤَيَّدِ بنِ الحُسَينِ، وبينَ نقيبِ العلوِيِّين بها أبى القاسمِ زيدِ بنِ الحسنِ، فقُتِل بينَهم خلقٌ كثيرٌ، واحترَقتِ المساجدُ والمدارسُ والأسواقُ، وانهزَم المُؤَيَّدُ الشافعِىُّ إلى بعضِ القِلاعِ.

وفيها وُلِدِ الناصِرُ لدينِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المُسْتضِىءِ بأمرِ اللَّهِ، وفيها خرَج المُقْتَفِى نحوَ الأَنبارِ مُتَصَيِّدًا وعبَرَ الفُراتَ وزار الحسينَ، ومضَى إلى واسِطٍ وعاد إلى بغدادَ، ولم يكُنْ معه الوزيرُ.

وفيها كسَر جيشُ مصرَ الفِرنجَ بأرضِ عَسْقلانَ كَسرةً فظيعةً صُحْبَةَ الملكِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٢٥، والكامل ١١/ ٢٢٩.

(٢) فى النسخ: «ابن برجم». والمثبت من الكامل ١١/ ٢٣٩.

(٣) فى الكامل: «منكبرس».

الصالحِ أبى الغاراتِ ، فارسِ الدينِ طلائعِ بنِ رُزِّيكَ ، وامتدَحه الشعراءُ .

وفيها قدِم الملكُ نورُ الدينِ من حَلبَ إلى دمشقَ ، وقد شُفِى من المرضِ ففرِح به المسلمون ، وخرَج إلى قتالِ الفِرنجِ ، فانهزَم جيشُه ، فبقِى هو وشِرْذِمَةٌ مِن أصحابِه فى لَجَّةِ العدُوِّ ، فرمَوهم بالسِّهامِ الكثيرةِ ، ثم خافوا أن يكونَ وقُوفُه فى هذه الشِّرْذمةِ القليلةِ ؛ خديعةً لمجيءِ كمينٍ إليهم ، ففَرُّوا منهزمِين ، وللَّهِ الحمدُ .

وحجّ بالنّاسِ فيها قايْمَازُ الأُرجوانىُّ .

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

عبدُ الأوَّلِ بنُ عيسى بنِ شُعيبِ بنِ إبراهيمَ بنِ إسحاقَ ، أبو الوقتِ السِّجْزِىُّ الصُّوفِىُّ الهَرَوِىُّ[1] ، راوِى « البُخارِىِّ » و « مُسْنَدِ الدَّارِمِىِّ » ، و « المُنْتَخَبِ مِن مُسْندِ عبدِ بنِ حُمَيْدٍ » ، قدِم بغدادَ فسمِع عليه الناسُ هذه الكتبَ ، وكان مِن خِيارِ المشايخِ وأحسنِهم سمْتًا ، وأصبرِهم على قراءةِ الحديثِ . قال ابنُ الجوزىِّ[2] : أخبَرنى أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسينِ التَّكْرِيتىُّ الصوفىُّ ، قال : أسنَدْتُه إلىَّ فمات ، فكان آخرَ ما تكلَّم به أن قال : ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس : ٢٦- ٢٧] .

نصرُ بنُ منصورِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الخالقِ العطَّارُ ، أبو القاسمِ الحرَّانِىُّ[3] ، كان كثيرَ المالِ ، يعملُ مِن صدَقاتِه المعروفَ الكثيرَ مِن أنواعِ القُرُباتِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٢٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٠٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١١٢ ، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٠.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٢٧.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٢٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٣٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٥٠٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٦٨.

الحسنَةِ ، ويُكثرُ تلاوةَ القرآنِ ، ويحافظُ على الصلواتِ فى الجماعةِ ، ورُويَت له مناماتٌ صالحةٌ ، وقارَب [٩/٢٥٠و] الثمانين .

يحيى بنُ سَلامةَ بنِ الحسينِ بنِ محمدٍ ، أبو الفضلِ الشَّافِعىُّ ، الحَصْكَفىُّ[1] ؛ نسبةً إلى حِصنِ كَيْفَا[2] ، كان إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ منَ الفقهِ والأدبِ ، ناظِمًا ناثِرًا ، غيرَ أنَّه كان يُنسَبُ إلى الغُلُوِّ فى التشَيُّعِ ، وقد أورَد له ابنُ الجوزىِّ قطعةً مِن نظمِه ، فمِن ذلك قولُه فى جملةِ قصيدةٍ له[3] :

تقَاسَمُوا يومَ الوداعِ كَبِدِى ... فليْسَ لى منذُ تولَّوا كَبِدُ
على الجُفونِ رحَلُوا وفى الحشَا ... تَقَيَّلوا وماءَ عَيْنى وَرَدوا
فأَدْمُعِى مَسْفُوحةٌ وكَبدِى ... مقْرُوحةٌ وغُلَّتِى لا تَبْرُدُ
وصَبْوَتِى دائمةٌ ومُقْلَتِى ... دامِيَةٌ ونَوْمُها مُشَرَّدُ
تَيَّمَنِى منهم غَزَالٌ أغَيْدُ ... يا حبَّذا ذاك الغزالُ الأغْيَدُ
حُسَامُه مجرَّدٌ وصَرْحُهُ ... مُمَرَّدٌ وخَدُّهُ مُوَرَّدُ
وصُدْغُه فوقَ احْمرارِ خدِّه ... مُبَلْبلٌ مُعَقْرَبٌ مُجَعَّدُ
كأنَّما نكْهَتُهُ ورِيقُهُ ... مِسْكٌ وخمرٌ والثَّنايَا بَرَدُ
يُقْعِدُه عندَ القيامِ رِدْفُه ... وفى الحشَا منه المُقِيمُ المُقْعِدُ
له قَوامٌ كقَضِيبِ بانَةٍ ... يهْتَزُّ قصْدًا ليسَ فيه أَوَدُ

وهى طويلةٌ جدًّا ، ثم خرَج من هذا التَّغزُّلِ إلى مدحِ أهلِ البيتِ والأئمةِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٢٨، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٤٣١، ومعجم الأدباء ٢٠/ ١٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٧٠، ضمن وفيات سنة ٥٥١هـ، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٣٠.

(٢) حصن كيفا ، ويقال : كَيْفَا : بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. معجم البلدان ٢/ ٢٧٧.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٢٩، ١٣٠. وانظر الأبيات فى خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٤٩٣.

الاثْنى عشَرَ، رضِى اللَّهُ تعالى عنهم، ونفَعنا بهم، حيثُ يقولُ[1] :

وسائِلى عن حُبِّ أهلِ البيتِ هل ... أُقِرُّ إعْلانًا به أم أجْحَدُ
هيْهاتَ مَمْزُوجٌ بلَحْمِى ودَمِى ... حبُّهمُ وهْو الهُدَى والرَّشَدُ
حَيْدَرَةُ والحسَنَانِ بعدَهُ ... ثم علىٌّ وابنُه محمدُ
وجَعْفرٌ الصادِقُ وابنُ جَعْفَرٍ ... مُوسَى ويتْلُوه علىٌّ السيدُ
أعْنِى الرِّضَا ثم ابنُه محمدٌ ... ثم علىٌّ وابنُهُ المسدَّدُ
والحسَنُ التَّالى ويتْلُو تِلوَهُ ... محمدُ بنُ الحسَن المُفْتَقَدُ
فإنَّهم أئمَّتى وسادَتِى ... وإنْ لحَانِى معْشرٌ وفنَّدُوا
أئمةٌ أكْرِم بهم أئمةً ... أسْماؤهُم مسْرودةٌ تَطَّرِدُ
هم حُجَجُ اللَّهِ على عبادِهِ ... وهم إليه منهجٌ ومقصِدُ
قومٌ لهم فضلٌ ومجْدٌ باذِخٌ ... يعرفُهُ المُشْرِكُ والموحِّدُ
قومٌ لهم فى كلِّ أرضٍ مشْهَدٌ ... لا بل لهم فى كلِّ قلبٍ مشهدُ
قومٌ مِنًى والمَشْعَرانِ لهم ... والمَرْوَتانِ لهم والمسجدُ
قومٌ لهم مكَّةُ والأَبْطَحُ والْـ ... ـخِيفُ وجَمعٌ والبَقِيعُ الغَرْقَدُ

ثم ذكَر مقتلَ الحُسينِ بالطَّفِّ[2] إلى أن قال :

يا أهلَ بيتِ المصطَفى يا عُدَّتِى ... ومَن علَى حبِّهمُ أعتَمِدُ
أنتم إلى اللَّهِ غدًا وسِيلَتِى ... وكيف أخشى وبكم أَعْتَضِدُ
وَلِيُّكُم فى الخلدِ حيٌّ خالدٌ ... والضِّدُّ فى نارِ لظَى مخلَّدُ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٣٠، ١٣١.

(٢) بعده فى م، خ : « عبارة » . وهو تصحيف وزيادة . والطَّفُّ : بفتح الطاء والفاء مشددة : أرض من ضاحية الكوفة، كان فيها مقتل الحسين رضى الله عنه . معجم البلدان ٣/ ٥٣٩.

ولستُ أهْواكُمْ ببُغْضِ غيرِكُمْ إنِّى إذًا أشْقَى بكم لا أسْعَدُ
فلا يظُنُّ رافِضِىٌّ أنَّنى وافَقْتُهُ أو خارِجِىٌّ مفْسِدُ
محمدٌ والخلفاءُ بعدَهُ أفضَلُ خلقِ اللَّهِ فيما أجِدُ
هم أسَّسُوا قواعدَ الدينِ لنا وهم بنَوا أرْكانَهُ وشيَّدُوا
ومَن يَخُنْ أحمدَ فى أصحابِهِ فخَصْمُه يومَ المعادِ أحمدُ
هذا اعْتِقادِى فالْزَمُوهُ تُفْلحُوا هذا طريقِى فاسْلُكوهُ تهْتَدُوا
والشافِعِىُّ مذْهَبِى مذْهَبُهُ لأنَّهُ فى قولِه مُؤَيَّدُ
أتْبعُه فى الأصلِ والفرعِ معًا فَليَتَّبعنِى [٩/ ٢٥٠ظ] الطالبُ المسترْشِدُ
إنِّى بإذْنِ اللَّهِ ناجٍ سابِقٌ إذا وَنَى الظالمُ (١) والمقْتَصِدُ (١)

وله أيضًا (٢) :

إذا قلَّ مالِى لم تجدْنِىَ ضَارِعًا كثيرَ الأسَى مُغْرًى بعضِّ الأنامِلِ
ولا بَطِرًا إنْ جدَّدَ اللَّهُ نعْمةً ولو أنَّ ما أُوتِى جميعُ الأنَامِ لِى

تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى ربيعِ الأوّلِ من هذه السنةِ بمَيّافارِقِينَ .

(١ - ١) فى الأصل، ص: «والمفسد»، وفى خ، م: «ثم المفسد». والمثبت من المنتظم.
(٢) البيتان فى المنتظم ١٨/ ١٣٣.

ثم دخَلت سنةُ أربعٍ وخمسين وخمسِمائةٍ

فيها[1] مرِضَ الخليفةُ المُقْتَفِى مرضًا شديدًا، ثم عُوفِى منه فزُيِّنَت له بغدادُ أيامًا، وتصدَّقَ بصدقاتٍ عظيمةٍ كثيرةٍ. وفيها استعادَ عبدُ المؤمنِ مدينةَ المَهْديَّةِ من أيدِى الفرنجِ، وقد كانوا أخَذوها من المسلمين فى سنةِ ثلاثٍ وأربعين، وقاتَل خلقًا كثيرًا [2]ببلادِ المغربِ[2] حتى صارَت عِظامُ القتلَى هنالكَ كالتلِّ العظيمِ، فإنَّا للَّه وإنّا إليه راجعون.

وفى صفرٍ سقَط بَرَدٌ بالعراقِ كبارٌ، زِنَةُ البرَدَةِ قريبٌ مِن خمسةِ أرطالٍ، ومنها ما هو تسعةُ أرطالٍ بالبغدادىِّ، فهلَك بذلك شىءٌ كثيرٌ مِن الغلَّاتِ، وخرَج الخليفةُ إلى واسِطٍ فاجتازَ بسُوقِها ورأى جامعَها، وسقَط عن فرسِه فشُجَّ جبِينُه، ثم عُوفِى.

وفى ربيعٍ الآخرِ زادَت دِجلةُ زيادةً عظيمةً، فغرِقت بسببِ ذلك محالٌّ كثيرةٌ مِن بغدادَ، حتى صار أكثرُ الدورِ بها تُلُولًا، وغرِقت تربةُ الإمامِ أحمدَ، وتخسَّفت هنالك القبورُ، وطفَتِ الموتَى على وجهِ الماءِ، قاله ابنُ الجوزىِّ[3].

وفى هذه السنةِ كثُرَ المرضُ والموتُ، وفيها أقبَل ملكُ الرومِ فى جحافِلَ قاصِدًا بلادَ الشامِ، فردَّه اللَّهُ خائبًا خاسرًا؛ وذلك لضِيقِ حالِهم مِنَ الـمِيرَةِ، وأسَر

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٣٤، والكامل ١١/ ٢٤١.

(٢ - ٢) فى م: «من الغرب»، وفى ص: «ببلاد الفرنجة».

(٣) المنتظم ١٨/ ١٣٥.

المسلمون ابنَ أختِه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنّةُ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ قايْمازُ الأُرْجوانىُّ .

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ معالى بنِ برَكَةَ الحَرْبِىُّ[1] ، تفقَّه بأبى الخطَّابِ الكَلْوَذانىِّ ، وبرَع فى النَّظَرِ ، ودرَّس وأفتى ، ثم صار شافعِيًّا ، ثم عاد حنْبليًّا ، ووعَظ ببغدادَ ، وتُوفِّى فى هذه السنةِ ؛ دخَلت به دابّتُه فى مكانٍ ضيِّقٍ ، فدخَل قَرَبُوسُ[2] سَرْجِهِ فى صدْرِه .

السلْطانُ محمدُ شاه بنُ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه ، بنِ ألب أرسَلان[3] لمَّا رجَع مِن محاصرَةِ بغدادَ إلى هَمَذانَ ، أصابَه مرضُ السُّلِّ ، فلم يَنْجَعْ منه ، بل تُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ ، وقبلَ وفاتِه بأيّامٍ أمَر أنْ يُعْرضَ عليه جميعُ ما يملِكُه ويقدِرُ عليه ، وهو جالسٌ فى المنْظَرَةِ ، فركِب الجيشُ بكَمالِه وأُحْضِرت أموالُه كلُّها ، ومماليكُه حتى جوارِيه وحظَاياه ، فجعَل يبكِى ويقولُ[4] : هذه العساكِرُ لا يدْفعُون عنِّى مِثقالَ ذَرَّةٍ ، ولا يزيدون فى عُمرِى لحظةً ، ثم تأسَّفَ على ما كانَ منه إلى الخليفةِ المُقْتَفِى ، وأهلِ بغدادَ وحصارِهم وأذِيَّتِهم[5] ،

---

(١) فى الأصل : « الحرير » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٣٩، والوافى بالوفيات ٧/ ١١٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٣٢.

(٢) القربوس : حِنْوُ السرج ، وهما قربوسان . تاج العروس (قربس) .

(٣) سقط من : م ، وانظر ترجمته فى : الكامل ١١/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٥٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٥١٨، ومرآة الجنان ٣/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٤/ ١٧٢.

(٤) الكامل ١١/ ٢٥١.

(٥) بعده فى خ ، م : « ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت منى فداء لجدت بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجوارى الحسان والمماليك لو قبلهم فداء منى لكنت بذلك سمحًا له ثم قال : ﴿ ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ﴾ [الحاقة : ٢٨، ٢٩] .

ثم فرَّقَ شيئًا كثيرًا مِن تلك الحواصلِ والأموالِ ، وتُوفِّى عن ولدٍ صغيرٍ ، واجتمَعتِ العساكِرُ والأمراءُ على عمِّه سُليمان شَاه بنِ محمدِ بنِ ملِكْشاه ، وكان مسجُونًا بالموصِلِ فأُفْرِجَ عنه ، وانعقَدَتِ السلْطَنةُ [٢٥١/٩و] له ، وخُطِبَ له على تلك البلادِ ، سوى بغدادَ والعراقِ .

ثم دخَلت سنةُ خمسٍ وخمسين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الخليفةِ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ، **أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ**[2]، وأمُّه نَسيمُ، المدعُوَّةُ: ستُّ السادةِ، سمراءُ مِن خيارِ الجوارى، مرِضَ بالتَّراقِى، وقيلَ: بدُمَّلٍ خرَج فى حَلْقِه. فمات ليلةَ الأحدِ ثانى ربيعِ الأوَّلِ من هذه السنةِ عن سِتٍّ وستِّينَ سنةً، إلَّا ثمانيةً وعشرين يومًا، وكانت خلافَتُه أرْبعًا وعشرِين سَنةً وثلاثةَ أشهرٍ وستَّةَ عَشَرَ يومًا، ودُفِن بدارِ الخلافةِ، ثم نُقِل إلى التُّرَبِ، وقد كانَ شَهْمًا شُجاعًا مِقْدامًا، يباشرُ الأمورَ بنفْسِه، ويشاهدُ الحروبَ ويبذُلُ الأموالَ الكثيرةَ لأصحابِه الأخيارِ، وهو أوَّلُ مَن اسْتبدَّ بالعراقِ منفَرِدًا عنِ السلاطينِ، مِن أوَّلِ أيامِ الدَّيْلَمِ إلى أيامِه، وتمكَّن فى الخلافةِ وحكَم على العسكَرِ والأمراءِ، وقد وافَق أباه فى أشياءَ؛ مِن ذلك مرضُه بالتَّراقى، وموْتُه فى ربيعِ الأوَّلِ، وتقدَّم موتُ السلطانِ محمد شَاه قبلَه بثلاثَةِ أشهرٍ، وكذلك المُسْتَظْهِرُ مات قبلَه محمدٌ[3] بثلاثَةٍ، وبعدَ غرَقِ بغدادَ بسنَةٍ [4]مات القائمُ، وكذلك هذا[4]. قال عَفِيفٌ الناسِخُ[5]: رأيتُ فى المنامِ قائلًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٣٨، والكامل ١١/ ٢٥٤.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٥، والمنتظم ١٨/ ١٤٤، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٧١، والوافى بالوفيات ٢/ ٩٤.

(٣) فى النسخ: «محمود». والمثبت من المنتظم.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «وكذا الآخر»، وفى خ، م: «مات أبوه، وكذلك هذا». والمثبت من المنتظم.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٤٤.

يقولُ: إذا اجتمَعت ثلاثُ خَاءاتٍ مات المُقْتَفِى. يعنى: خمسًا وخمسين وخمسَمِائةٍ.

خِلافَةُ المُسْتَنْجِدِ باللَّهِ، أبى المُظَفَّرِ يُوسُفَ بنِ المُقْتَفِى

لمَّا تُوفِّى أبوه، كما ذكَرْنا، بُويِعَ له فى صبِيحَةِ يومِ الأحدِ ثانى ربيعِ الأوَّلِ من هذه السنَةِ، بايَعَه أشرافُ بنى العباسِ، ثم الوزيرُ والقضاةُ والعلماءُ والأُمراءُ وعُمرُه يومَئذٍ خمسٌ وأربعون سنةً، وكان رجلًا صالحًا، وكان وَلِىَّ عهدِ أبيه مِن مدَّةٍ مُتطاولةٍ، ثم عُمِل عزاءُ أبيه، ولمَّا خُطِب له يومَ الجُمُعة نُثِرَتِ الدَّراهمُ والدنانيرُ على الناسِ، وفرِح المسلمون به بعدَ أبيه، وأقرَّ الوزيرَ ابنَ هُبَيْرَةَ على منْصبِه ووَعدَه بذلك إلى المَماتِ، وعزَل قاضىَ القضاةِ ابنَ الدامَغانِىِّ، ووَلَّى مكانَه أبا جعفرٍ عبدَ الواحدِالثَّقَفِىَّ، وكان شيْخًا كبيرًا، له سماعٌ بالحديثِ، وباشَرَ الحكمَ بالكُوفَةِ مُدَّةً، فتُوفِّى فى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ، فولِى مكانَه ابنُه جعفرٌ.

وفى شَوَّالٍ من هذه السنَةِ اتَّفَق الأتراكُ ببابِ هَمَذانَ على خلْعِ سُليمان شاه، وخطَبُوا لأرْسَلانَ بنِ طُغْرُلَ.

وفيها تُوفِّى الفائزُ بنصْرِ اللَّهِ الفاطِمِىُّ[1] صاحبُ مصرَ، وهو أبو القاسِمِ عيسى بنُ إسماعيلَ الظافِرِ، وكانَت وفاتُه فى صفَرٍ وعُمرُه يومَئذٍ إحْدى عشْرةَ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٣، والكامل ١١/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٦٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٦.

سنةً ، ومدَّةُ ولايتِه مِن ذلك سِتُّ سنينَ وشهرانِ ، وكان مُدَبِّرَ دولَتِه أبو الغاراتِ ، ثم قام بعدَه العاضِدُ آخرُ خُلفائِهم ، وهو أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ بنِ الحافظِ ، ولم يكُنْ أبوه خليفةً ، وكان يومَئذٍ قد ناهَز الاحتِلامَ ، فقامَ بتَدبيرِ مملكَتِه الملكُ الصالِحُ طلائعُ بنُ رُزِّيكَ الوزيرُ ، أخَذ له البيعةَ وزوَّجه بابنتِه ، وجهَّزها بأمرٍ عظيمٍ ، وقد عُمِّرَتْ بعدَ زوجِها العاضِدِ ، ورأت زوالَ دولةِ الفاطمِيِّينَ على يدِ الملكِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيوبَ بنِ شاذِى ، فى سنةِ أربعٍ وستِّين ، كما سيأتى مفُصَّلًا إن شاء [٩/٢٥١ظ] اللَّهُ تعالى .

وفيها كانت وفاةُ السلطانِ الكبيرِ صاحبِ غَزْنةَ **خُسْرُوشَاه بنِ بَهْرام شَاه بنِ مَسْعُودِ بنِ إبراهيمَ بنِ مسعودِ بنِ محمودِ بنِ سُبُكْتِكِينَ**[(١)] ، مِن بيتِ مُلْكٍ ورياسةٍ باذخَةٍ ، يَرِثُونها كابِرًا عن كابرٍ ، وكان مِن ساداتِ المُلوكِ وأحْسَنِهم سيرةً ، يحبُّ العلمَ وأهلَه . وكانت وفاتُه فى رجَبٍ من هذه السنةِ ، وقام مِن بعدِه ولَدُه مَلِكْشَاه ، فسار إليه علاءُ الدينِ الحسينُ ملكُ الغُورِ ، فحاصَرَ غَزْنةَ مدّةً فلم يقْدِرْ عليها ، فرجَع خائبًا .

وفيها مات مَلِكْشَاه بنُ السلطانِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه بنِ أَلْب أرْسَلان السَّلجوقيُّ[(٢)] ، بأَصْبَهانَ مَسْمُومًا ، يُقالُ[(٣)] : إنَّ الوزيرَ عونَ الدينِ بنَ هُبَيْرَةَ دسَّ إليه مَن سقاه إيَّاه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الكامل ١١/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٦١، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣١٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٣٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٤٥، وتاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٧٠، والكامل ١١/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٨٦، ومآثر الإنافة ٢/ ٤٨.

(٣) الكامل ١١/ ٢٦٣.

وفيها مات أميرُ الحاجِّ قايْمَازُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأُرجوانىُّ[1] سقَط عن فرَسِه وهو يلعبُ بالكرةِ بمَيْدانِ الخليفةِ، فسالَ دِماغُه مِن أُذُنِه، فماتَ مِن ساعتِه، رحِمه اللَّهُ، وقد كانَ مِن خِيارِ الأمراءِ، فتأسَّفَ الناسُ عليه، وحضَرَ جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ. مات فى شعبانَ من هذه السنةِ، فحجَّ بالناسِ فيها الأميرُ أَرْغَشُ[2] مُقْطَعُ الكُوفَةِ. وحجَّ فى هذه السنةِ الأميرُ الكبيرُ شِيرَكُوه بنُ شاذِى، مقدَّمُ عساكرِ الملكِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى، وتصدَّقَ بأموالٍ كثيرةٍ.

وفيها[3] اسْتَعفى القاضى زَكِىُّ الدينِ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ يحيى القُرَشِىُّ من القضاءِ بدِمَشْقَ، فأعْفاه الملكُ نورُ الدينِ، ووَلَّى مكانَه القاضىَ كمالَ الدينِ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرُزُورِىَّ، وكانَ مِن خِيارِ القضاةِ وأكْثَرِهم صدقةً، وله صدقاتٌ جارِيَةٌ بعدَه، وكان عالمًا، بارعًا، وإليه يُنْسَبُ الشُّبّاكُ الكَمالِىُّ الذى يجلسُ فيه الحكَّامُ فى الجامعِ بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ.

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الأميرُ مُجاهِدُ الدينِ بُزَّانُ[4] **بنُ مامِينَ الكُرْدِىُّ**، أحدُ مُقَدَّمِى جيشِ الشَّامِ، قبلَ المَلِكِ نورِ الدينِ وبعدَه، وقد نابَ فى مدينةِ صَرْخَدَ[5] مدَّةً، وكان شَهْمًا، شجاعًا، كثيرَ البِرِّ والصَّدقاتِ والصِّلاتِ، وهو واقفُ المدْرسةِ المُجاهِدِيَّةِ بالقربِ مِن النُّورِيَّةِ، وله المدرسةُ المُجاهديةُ التى داخِلَ بابِ الفَراديسِ البَرَّانىِّ، وبها

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٣، والكامل ١١/ ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٣٢.

(٢) فى النسخ: «برغش». والمثبت من الكامل ١١/ ٢٧٩.

(٣) الروضتين ١/ ٣١٠.

(٤) فى خ: «بزار»، وفى م، ودول الإسلام ٢/ ٧١: «نزار». وانظر: الكامل ١١/ ٢٠٧، والروضتين ١/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٥٧.

(٥) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حَوْران من أعمال دمشق. معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.

قبْرُه ، وله السَّبعُ المجاهدِىُّ[1] داخلَ بابِ الزِّيادَةِ مِنَ الجامعِ بمَقْصُورةِ الخَضِرِ . وكانَت وفاتُه بدارِه فى صفَرٍ من هذه السنةِ ، فحُمِل إلى الجامعِ وصُلِّى عليه ، ثم أُعِيدَ إلى مدرسَتِه ، ودُفِنَ بها داخِلَ بابِ الفَراديسِ ، وتأسَّف الناسُ عليه ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ عَدِىُّ بنُ مسافرِ بنِ إسْماعيلَ بنِ موسى بنِ مَرْوانَ بنِ الحسنِ بنِ مَرْوانَ الهَكَّارِىُّ[2] ، شيخُ الطائفةِ العدَوِيَّةِ ، أصلُه مِن البِقاعِ غربِىَّ دِمشقَ ، مِن قريةِ بيتِ فارٍ ، ثم رحَل إلى بغدادَ فاجتَمَع فيها بالشيخِ عبدِ القادرِ ، والشيخِ حمَّادٍ الدَّبَّاسِ ، والشيخِ عَقيلٍ المَنْبِجِىِّ ، وأبى الوَفاءِ الحُلْوانِىِّ ، وأبى النَّجيبِ السُّهْرَوَرْدِىِّ وغيرِهم ، ثم انْفرَد عن الناسِ وتخلَّى بجبَلِ الهَكَّارِيَّةِ[3] وبنَى له هنالك زاويةً واعْتقَد فيه أهلُ تلك الناحيةِ اعْتِقادًا بليغًا ، حتى إن منهم مَنْ يغلُو فيه غُلُوًّا كبيرًا مُنْكَرًا . ثم كانت وفاتُه فى هذه السَّنَةِ بزاويَتِه وله تسعون سنةً .

عبدُ الواحِدِ بنُ أَحمدَ بنِ محمدِ بنِ حَمْزَة ، أبو جَعْفَرٍ الثَّقَفِىُّ[4] ، قاضى قُضاةِ بَغْدادَ ، وَلِيَها بعدَ أبى الحسَنِ الدَّامَغانِىِّ فى أوَّلِ هذه السنَةِ ، وقد كانَ قاضيًا بالكُوفَةِ قبلَ ذلك [٢٥٢/٩و] ، ثم كانت وفاتُه فى ذى الحجَّةِ مِن هذه السَّنةِ وقد

---

(١) السبع المجاهدى : وقف على من يقرأ السبع الطوال كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق . انظر الروضتين ١/ ٣٠٩.

(٢) الكامل ١١/ ٢٨٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٣٠. وقد ذكره ابن الأثير وأبو الفداء والذهبى ضمن وفيات سنة ٤٥٧هـ غير أن ابن خلكان قال فى الوفيات : وتوفى الشيخ سنة سبع ، وقيل : خمس وخمسين وخمسمائة .

(٣) فى النسخ : « هكار » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٤. والهكارية : بلدة فوق الموصل فى بلد جزيرة ابن عمر ، يسكنها أكراد يقال لهم : الهكارية . معجم البلدان ٤/ ٩٧٨.

(٤) المنتظم ١٨/ ١٤٣، والعبر ٤/ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٦٤، ومرآة الجنان ٣/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٤/ ١٧٥.

ناهَزَ الثمانين، ووَلِيَ بعدَه ابنُه جَعْفَرٌ.

الفائزُ صاحِبُ مِصْرَ، تقدَّم فى الحوادثِ.

قايماز الأُرجوانىُّ، تقدَّم أيضًا.

الخليفةُ المُقتَفِى أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أبى العباسِ أحمدَ المستظهِرِ، تقدَّمت ترجمتُه عندَ وفاتِه.

محمدُ بنُ يَحْيَى بنِ علىِّ بنِ مُسْلِمٍ، أبو عبدِ اللَّهِ الزَّبِيدِىُّ[1]، وُلِدَ بمدينةِ زَبِيدَ باليمنِ سنَةَ ثمانين[2]، وقدِمَ بَغْدادَ سنةَ تسعٍ وخمْسِمائةٍ، فوعَظ، وكانتْ له معرفةٌ بالنحوِ والأدَبِ، وكان صبُورًا على الفقرِ لا يشْكُو حالَه إلى أحدٍ، وكانت له أحْوالٌ صالحةٌ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى.

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٧٩، والوافى بالوفيات ٥/ ١٩٨، والجواهر المضية ٢/ ١٤٢، وفيه: «مسلمة» بدل «مسلم».

(٢) ذكر الذهبى أنه ولد فى المحرم سنة ستين وأربعمائة.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سِتٍّ وخَمْسِينَ وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] قُتِل **السلطانُ سُلَيمان شَاه بنُ محمدِ بنِ مَلِكْشَاه**[2] ، وكان عندَه تهوُّرٌ وقلَّةُ مُبالَاةٍ بالدِّينِ ، يُدْمِنُ شربَ الخمرِ حتى فى رمضانَ ، فثارَ عليه مُدَبِّرُ مملكَتِه كُردبازو الخادِمُ فقتلَه ، وبايَع بعدَه السلطانَ أرْسَلَان شاه بنَ طُغْرُلَ بنِ محمدِ بنِ ملِكْشَاه .

وفيها قُتِل **الملكُ الصالِحُ فارِسُ الدِّينِ أبو الغاراتِ طلائعُ بنُ رُزِّيكَ الأَرْمَنِىُّ**[3] ، وزيرُ العاضِدِ صاحبِ مِصْرَ ، ووالدُ زوْجَتِه ، وكان قد حَجَر على العاضدِ لصِغَرِه واسْتَحوَذ على الأمورِ ، فقتَلَتْه الحاشِيَةُ ، ووَزَرَ بعدَه ولَدُه رُزِّيكُ ، ولُقِّبَ بالعادلِ ، وقد كان أبوه الصالحُ كريمًا أديبًا ، يُحِبُّ أهلَ العلمِ ويُحْسِنُ إليهم ، كان مِن خِيارِ المُلوكِ والوزراءِ ، وقدِ امْتدَحَه غيرُ واحدٍ مِن الشعراءِ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : كان أوَّلًا مُتَولِّيًا بمُنْيَةِ بنى خَصيبٍ ، ثم آلَ به الحالُ إلى أنْ وزَرللفائزِ ، وذهَبت له وزارةُ عباسٍ فى سنةِ تسعٍ وأربعين ، ثم لمَّا هلَك فى هذه السنةِ قامَ فى الوزارةِ بعدَه ولَدُه العادِلُ رُزِّيكُ بنُ طلائعَ ، فلم يزَلْ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٤٦، والكامل ١١/ ٢٦٦.

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٦٧، والكامل ١١/ ٢٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٥، والعبر ٤/ ١٦٠، ومرآة الجنان ٣/ ٣١٠.

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٧٣، والكامل ١١/ ١٧٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٦.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦.

فيها حتى انْتزَعَها شاوِرٌ، كما سيأْتى. قال[1]: والصالِحُ هذا هو بانِى الجامعِ عندَ بابِ زُوَيْلةَ ظاهِرَ القاهرةِ. قال: ومِنَ العجائبِ أنَّه وَلِىَ الوِزارةَ فى تاسِعَ عشَرَ شهرٍ، وقُتِل فى تاسعَ عشرَ شهرٍ، ونُقِلَ مِن دارِ الوِزارةِ إلى القرَافَةِ فى تاسِعَ عشَرَ شهرٍ آخرَ، وزالَتْ دوْلَتُهم فى تاسِعَ عشَرَ شهرٍ آخرَ. قال[2]: ومِن شعرِه ما روَاه عنه الواعظُ زينُ الدينِ علىُّ بنُ نجَا الحنبلىُّ، وهو قولُه:

مَشِيبُكَ قد نَضا صبْغَ الشَّبابِ ... وحلَّ البازُ فى وَكْرِ الغُرابِ
تَنامُ ومُقْلَةُ الحَدَثانِ يَقْظَى ... وما نابُ النوائبِ عنكَ نابِ
وكيفَ بقاءُ عُمْرِكَ وَهْوَ كَنْزٌ ... وقد أنفَقْتَ منهُ بلا حِسابِ

وقولُه[3]:

كم ذا يُرِينا الدَّهْرُ مِن أحْداثِهِ ... عِبَرًا وفِينا الصَّدُّ والإعْراضُ
نَنْسَى المماتَ وليْسَ يجْرِى ذكْرُهُ ... فِينا فتُذْكِرُنا به الأمراضُ

ومِن شعرِه الجيِّدِ أيضًا قولُه[4]:

أبَى اللَّهُ إلَّا أنْ يَدُومَ لنا الدَّهرُ ... ويخدُمَنا فى مُلْكِنا (العِزُّ والنَّصرُ)[5]
عَلِمْنا بأنَّ المالَ تَفْنَى أُلوفُهُ ... ويَبْقَى لنا مِن بعدِه الأجْرُ والذِّكْرُ
خلَطْنا النَّدَى بالبأسِ حتى كأنَّنا ... سحَابٌ لدَيه البَرْقُ والرعْدُ والقَطْرُ

وله أيضًا، وهو ممَّا نظَمَه قبلَ موتِه بثلاثِ ليالٍ[6]:

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٩، ٥٣٠.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٢٧. وانظر الأبيات فى الخريدة ١/ ١٨٥.
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦.
(٤) الكامل ١١/ ٢٧٥.
(٥ - ٥) فى الأصل، خ، ص: «النهى والأمر».
(٦) الخريدة ١/ ١٨٠، والكامل ١١/ ٢٧٦.

نحنُ فى غفْلَةٍ ونَوْمٍ وللمَوْ تِ عُيونٌ يَقْظَانَةٌ لا تَنامُ
قَدْ رحَلْنا إلى الحِمَامِ سنِينًا ليتَ شِعْرِى متى يكونُ الحِمَامُ [٩/٢٥٢ظ]

ثم قتَله غِلمانُ العاضدِ فى النَّهارِ غِيلةً وله إحْدَى وستُّونَ سنةً ، وخُلِعَ على ولدِه العادلِ بالوِزارةِ ، ورَثاه عُمارةُ اليَمَنىُّ بقصائدَ حِسانٍ ، ويومَ نُقِل إلى تُرْبَتِه بالقرافةِ سارَ العاضِدُ معه حتَّى وصَل إلى قبرِه فى التابوتِ .

قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] : فعمِل الفقيهُ عُمارةُ فى ذلك قصيدةً طويلةً أجاد فيها ، فمِن ذلك فى صفةِ التابوتِ قولُه :

وكأنَّه تابوتُ مُوسى أُودِعَتْ فى جانِبَيْه سَكِينَةٌ ووقارُ

وفيها أوقَعَتْ بنو خَفاجةَ بأهلِ الكوفةِ وقعةً عظيمةً ، فقتَلُوا خلقًا ، منهمُ الأميرُ قَيْصَرُ وجرَحُوا أميرَ الحاجِّ أَرْغَشَ[2] جراحاتٍ ، فنهَضَ إليهم وزيرُ الخلافةِ عَوْنُ الدِّينِ بنُ هُبَيْرَةَ فى جيشٍ ، فتَبِعَهم حتى أوْغَلَ فى البرِّيَّةِ ، فبعثُوا يطلبونَ العفوَ .

وفيها وَلِىَ مَكَّةَ الشريفُ عِيسى بنُ قاسمِ بنِ أبى هاشمٍ ، وقيلَ : قاسِمُ بنُ فُليتةَ بنِ قاسمِ بنِ أبى هاشمٍ .

وفيها أمَر الخليفةُ المستنجدُ بإزالةِ الدَّكاكينِ التى تُضيِّقُ الطُّرقاتِ ، وأنْ لا يجلسَ أحدٌ مِن الباعَةِ فى عَرْصَةِ الطرقاتِ ؛ لِئلَّا يضُرَّ ذلك بالمارَّةِ . وفيها وقَع رُخْصٌ عظيمٌ ببَغْدادَ جدًّا .

وفيها فُتحتِ المدرسةُ التى بنَاها ابنُ الشَّمحلِ فى المأْمُونِيةِ ، ودرَّس فيها أبو

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٩.

(٢) فى النسخ : « برغش » . والمثبت من الكامل ١١/٢٧٩ .

حكيمِ إبْراهيمُ بنُ دِينارٍ النَّهْروانيُّ الحنْبَليُّ ، وقد تُوفِّى مِن آخرِ هذه السَّنةِ ، ودرَّس بعدَه فيها أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِيِّ ، وقد كان عندَه مُعِيدًا ، ونزَل له عن تدْريسٍ آخرَ ببابِ الأزَجِ عندَ موْتِه .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

حَمْزَةُ بنُ عليِّ بنِ طَلْحَةَ ، أبو الفُتُوحِ الحاجِبُ[1] ، كان خِصِّيصًا عندَ المُسْتَرْشِدِ والمُقْتَفِى أيضًا ، وقد بنَى مدرسةً إلى جانبِ دارِه ، وحجَّ فرجَع متزَهِّدًا ، فلزِمَ بيْتَه مُعَظَّمًا نحوًا مِن عشرينَ سنةً ، وكانت وفاتُه فى هذه السَّنةِ ، وقدِ امْتدحَه بعضُهم فقال :

يا عَضُدَ الإسْلامِ يا مَنْ سمَتْ ... إلى العُلَا هِمَّتُهُ الفاخِرَهْ
كانتْ لكَ الدُّنْيَا فلم ترْضَها ... مُلْكًا فأخْلَدْتَ إلى الآخِرَهْ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٠، والكامل ١١/ ٢٨٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٤، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٧٩.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وخَمْسِمِائةٍ

فيها[1] دخَلتِ الكُرْجُ بلادَ المسلمينَ، فقتَلُوا خلقًا مِن الرجالِ وأسَرُوا مِن الذَّرارِيِّ أممًا؛ فاجْتَمع لحربِهم ملوكُ تلكَ الناحيةِ؛ إيلدكزُ صاحِبُ أَذْرَبِيجانَ، وابنُ سُكْمانَ صاحِبُ خِلَاطَ، وابنُ آقْ سُنْقُرَ صاحِبُ مَراغَةَ، وسارُوا إلى بلادِهم فى السَّنَةِ الآتيةِ فنَهَبُوها، وأسَرُوا ذَرارِيَّهم، والْتَقَوا معهم فكسَرُوهم كسرةً ذريعةً فظيعةً منكرةً، مكَثُوا يقتلُونَ فيهم ويأسِرُونَ ثلاثةَ أيامٍ.

وفى رجَبٍ أُعِيدَ يوسفُ الدِّمَشْقِيُّ إلى تدريسِ النِّظامِيَّةِ بعدَ عَزْلِ ابنِ نظامِ المُلْكِ بسبَبِ أنَّ امرأةً ادَّعَتْ أنَّه تزوَّجَها فأنْكَرَ، ثم اعْتَرفَ، فعُزِلَ عنِ التدريسِ.

وفيها كمَلَتِ المدرسةُ التى بنَاها الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ ببابِ البصرَةِ، ورتَّبَ فيها مدرِّسًا وفقِيهًا. وحجَّ بالناسِ أميرُ الكُوفَةِ أَرْغَشُ[2].

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

شُجاعٌ[3]، شيخُ الحنَفِيَّةِ بمشْهَدِ أبى حنيفةَ، وكان جيِّدَ الكلامِ فى النَّظَرِ، أخَذ عنه الحنفِيَّةُ، ودُفِن عندَ المشهدِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٥٢، والكامل ١١/ ٢٨٦.

(٢) فى خ، م: «برغش».

(٣) المنتظم ١٧/ ١٥٤، والكامل ١١/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢٥، والوافى بالوفيات ١٦/ ١١٢، والجواهر المضية ٢/ ٢٤٦.

صَدَقةُ بنُ وزيرِ الواسطيُّ[1] ، دخَل بَغْدادَ ووعَظ بها [٩/٢٥٣و] وأظْهرَ تقَشُّفًا ، وكان يميلُ إلى التشَيُّعِ وعِلْمِ الكلامِ ، ومع هذا كلِّه راجَ على العوامِّ وبعضِ الأمراءِ ، وحصَل له فَتوحٌ كثيرةٌ ، ابْتَنى منه رِباطًا ودُفِنَ فيه ، سامَحه اللَّهُ تعالَى .

[2]**زُمُرُّد خاتُون**[3] بنتُ جاولى أختُ الملكِ دُقَاقِ[4] بنِ تُتُش لأُمِّه ، وهى بانِيَةُ الخاتُونِيَّةِ ظاهِرَ دِمَشْقَ عندَ قريةِ صَنْعاءَ بمكانٍ يُقالُ له : تلُّ الثعالبِ . غربىَّ دِمَشْقَ ، على جانبِ الشرقِ القِبْلىِّ بصَنْعاءِ الشامِ ، وهى قريةٌ معروفةٌ قديمًا ، وأوْقَفَتْها على الشيخِ بُرْهانِ الدينِ علىِّ بنِ محمدٍ البَلْخِىِّ الحنفىِّ المتقدِّمِ ذكْرُه[5] ، وكانتْ زوْجةَ الملكِ بورِى بنِ طُغتِكِينَ ، فولدَتْ له ابْنَيْه شمسَ المُلوكِ إسماعيلَ المذكُورَ ، وقد ملَكَ بعدَ أبيه وسارَ سِيرتَه ، ومالأَ الفرَنجَ على المسلمينَ ، وهَمَّ بتَسْليمِ البلَدِ والأمْوالِ إليهم ، فقَتلُوه وتمَلَّكَ أخوه وذلك بعدَ مُراجعَتِها ومُساعَدَتِها ، وقد كانتْ قرأتِ القرآنَ ، وسمِعتِ الحديثَ ، وكانتْ حنَفيَّةَ المذْهبِ تُحِبُّ العلماءَ والصالحينَ ، وقد تزوَّجَها الأتابِكىُّ زَنْكِى صاحبُ حَلَبَ ؛ طمَعًا فى أنْ يأخُذَ بسببِها دِمَشْقَ ، فلم يظفَرْ بذلك ، بل ذهبَتْ إليه إلى حَلَبَ ، ثم عادَتْ إلى دِمَشْقَ بعدَ وفاتِه ، وقد دخَلتْ بَغْدادَ وسارَتْ مِن هناكَ إلى[2]

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٤، والكامل ١١/ ٢٨٩، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١١٢، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٩١.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ١١٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢١، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢١٣.

(٤) فى م: «دقماق».

(٥) تقدم فى ص ٣٦٣ .

(١ الحِجَازِ ، وجاوَرَتْ بمَكَّةَ سنةً ، ثم جاءَتْ فأقامَتْ بالمدينةِ النبويَّةِ حتى ماتَتْ بها ، ودُفِنَتْ بالبَقِيعِ فى هذه السَّنَةِ ، وقد كانتْ كثيرةَ البِرِّ والصَّدقاتِ والصلاةِ والصومِ . قال السِّبْطُ[٢] : ولم تَمُتْ حتى قَلَّ ما بيَدِها ، فكانت تُغَرْبِلُ القمحَ والشَّعِيرَ وتتقَوَّتُ بأُجْرَتِه ، وهذا مِن تمامِ الخيرِ والسَّعادةِ وحُسْنِ الخاتمةِ ، رحِمَها اللَّهُ تعالَى ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أى سبط ابن الجوزى ، انظر مرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٢.

ثم دخلَتْ سنَةُ ثَمانٍ وخَمْسينَ وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] ماتَ صاحبُ المغْرِبِ عبدُ المؤمنِ بنُ عليٍّ تلميذُ ابنِ التُّومرتِ وخليفتُه مِن بعدِه فى المُلكِ بمدينةِ سَلَا ، حضره ابنُه يوسفُ ، وحمَله إلى مَرَّاكُشَ فى صفَةِ أنَّه مريضٌ ، فلمَّا وصلَها أظهرَ موْتَه ، فعزَّاه الناسُ وبايَعُوه على المُلكِ مِن بعدِه ، ولقَّبُوه أميرَ المؤمنينَ ، وقد كان عبدُ المؤمنِ هذا حازِمًا ، شُجاعًا ، جَوادًا ، معظِّمًا للشَّريعةِ ، وكان مَن لا يحافظُ على الصلواتِ فى زمانِه يُقْتَلُ ، ولكِنْ كان سفَّاكًا للدِّماءِ ، حتى على الذَّنبِ الصغيرِ ، فاللَّهُ يحْكمُ فيه بما يشاءُ .

وفيها قُتِل الملكُ سيفُ الدينِ محمدُ بنُ علاءِ الدينِ الغُورىُّ ، قتلَه الغُزُّ ، وكان عادِلًا .

وفيها كبَسَتِ الفِرنجُ نورَ الدينِ وجيْشَه ، فانْهزَم المسلمونَ لا يلْوِى أحدٌ على أحَدٍ ، ونهَض الملكُ نورُ الدينِ فركِب فرسَه والشِّبْحةُ[2] فى رِجْلِه ، فنزَل رجلٌ كُرْدِىٌّ فقطَعها حتى سار السلطانُ نورُ الدينِ فنَجا ، وأدرَكتِ الفِرنْجُ الكُرْدِىَّ فقتَلُوه ، رحِمهُ اللَّهُ ، فأحْسنَ نورُ الدينِ إلى ذُرِّيَّتِه ، وكان لا يَنْسَى ذلك له .

وفيها أمَر الخليفةُ بإجْلاءِ بنى أسَدٍ عن الحِلَّةِ ، وقتلِ منَ تخلَّفَ منهم ، وذلك لإفْسادِهم ومُكاتبَتِهم السلطانَ محمد شَاه ، وتحرْيضِهم له على حصارِ بَغْدادَ ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٥، والكامل ١١/ ٢٩١.

(٢) الشبحة : هى التى تُرَبط بها يد الفرس إلى رِجله من لبّادٍ ونحوه . « تكملة المعاجم العربية » ١/ ٧١٩، ومعجم متن اللغة ٣/ ٢٦٦.

فقتَل مِن بنى أسَدٍ أربعةَ آلافٍ ، وخرَج الباقونَ منها ، وتسلَّم نُوَّابُ الخليفةِ الحِلَّةَ المَزْيَديَّةَ . وحجَّ بالناسِ فى هذه السَّنةِ الأميرُ أَرْغَشُ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السلطانُ الكبيرُ أبو محمدٍ عبدُ المُؤْمِنِ بنُ علىٍّ القيسىُّ الكُومىُّ[1] ، تلميذُ ابنِ التُّومرتِ ، كان أبوه يعملُ فى الطِّينِ فاعِلًا ، فحِينَ وقَع نظَرُ ابنِ التُّومرتِ عليه أحبَّه ، وتفرَّسَ فيه أنَّه سعيدٌ ، فاستَصْحبَه فعَظُمَ شأنُه ، والْتفَّت عليه العساكرُ التى جمعَها ابنُ التُّومرتِ مِن المَصامدَةِ وغيرِهم ، وحارَبُوا صاحِبَ مَرَّاكُشَ علىَّ بنَ يوسفَ بنِ تاشْفِينَ ، مَلِكَ المُلَثَّمِينَ ، فاسْتَحوذ عبدُ المؤمنِ على وَهْرانَ وتِلِمْسَانَ وفاسَ وسَلَا وسَبتةَ ، ثم حاصرَ مَرَّاكُشَ أحدَ عشَرَ شهرًا ، فافْتَتحَها فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وأرْبَعِينَ وخَمْسمائَةٍ ، وتمهَّدَتْ له الممالِكُ ، وصفَا له الوقتُ . وكان عاقِلًا ، حازمًا ، وقورًا ، شكِلًا ، حسَنًا ، وكانت وفاتُه سنةَ ثمانٍ وخمسين ، وله فى المُلْكِ ثلاثٌ وثلاثون سنةً ، وكان يُسمِّى نفْسَه أميرَ المؤمنينَ .

طَلْحَةُ بنُ علىِّ بنِ طرادٍ ، أبو أحمدَ الزَّيْنَبِىُّ[2] ، نقيبُ النقَباءِ ، ماتَ فجأَةً ، رحِمه اللَّهُ ، ووَلِىَ النِّقابةَ مِن بعدِه ولدُه أبو الحسَنِ علىٌّ ، وكان أمرَدَ فعُزِلَ وصُودِرَ فى هذه السَّنَةِ .

محمدُ بنُ عَبْدِ الكَريمِ بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ الكريمِ ، أبو عبدِ اللَّهِ بنِ الأَنْبَارِىِّ[3] ، كاتبُ الإنشْاءِ ببَغْدادَ ، كان شيْخًا ، حسَنًا ، ظريفًا ، وانْفردَ بصِناعَةِ

---

(١) الكامل ١١/ ٢٩١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٥٢.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٥٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٤٥.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٥٧، والكامل ١١/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٧١، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٧٩.

الإنْشاءِ، وبُعِثَ رسولًا إلى الملكِ سَنْجَرَ وغيرِه، وخدَم الملوكَ والخلَفاءَ، وقاربَ التسعينَ. ومِن شعرِه قولُه[1]:

[٩/٢٥٣ظ]يا مَنْ هجَرْتِ فما تُبالِى ... هـل تَـرْجِـعُ دَوْلـةُ الـوِصـالِ
مـا أطْـمَـعُ يـا عـذابَ قـلْـبِـى ... أنْ يَـنْـعَـمَ فـى هَـواكِ بـالِـى
الـطَّـرْفُ كـمـا عـهِـدتِ بـاكٍ ... والجسـمُ كـمـا تَـرَيْـنَ بـالِ
مـاضـرَّكِ أنْ تُـعَـلِّـلِـينى ... فـى الـوَصْـلِ بمَـوْعِـدٍ مُـحـالِ
أهـواكِ وأنـتِ حـظُّ غـيـرِى ... يـا قـاتِـلَـتِـى فـمـا احْـتِـيـالِـى
أيـامُ عَـنـائـى فيكِ سُـودٌ ... مـا أشْـبَـهَـهُـنَّ بـالـلـيـالِـى
الـعُـذَّلُ فيكِ يـعْـذلُـونِـى ... عـن حـبِّـكِ مـالَـهُـم ومـالِـى
يـا مُـلْـزِمِـى الـسُّـلُـوَّ عـنـهـا ... الـصَّـبُّ أنـا وأنـتَ سـالِـى
والـقـولُ بـتَـرْكِـهـا صـوابٌ ... مـا أحْـسَـنَـهُ لـوِ اسْـتَـوى لِـى
طـلَّـقْـتُ تجـلُّـدِى ثـلاثًـا ... والـصَّـبْـوَةُ بـعـدُ فـى خـيـالِـى

---

(١) هذه الأبيات نسبها ابن كثير لمحمد بن عبد الكريم هذا، وهى لهبة اللَّه بن الفضل وقد توفى هبة اللَّه فى هذه السنة أيضًا. وانظر المنتظم ١٨/ ١٥٧، والكامل ١١/ ٢٩٧.

ثم دخَلَتْ سنةُ تِسْعٍ وخمسين وخمسِمائَةٍ

فيها[1] قدِمَ شاورُ بنُ مُجيرِ الدينِ، أبو شُجاعٍ السَّعْدِيُّ الملقَّبُ بأميرِ الجيوشِ، وهو إذْ ذاك وزيرُ الديارِ المصريةِ بعدَ آلِ رُزِّيكَ، لمَّا قُتِل الناصِرُ رُزِّيكُ بنُ طلائعَ، وقامَ فى الوِزارَةِ بعدَه، واسْتَفحَلَ أمْرُه فيها، فثار عليه أميرٌ يقالُ له: الضِّرْغامُ بنُ سَوّارٍ. وجمَع له جُموعًا كثيرةً، واسْتَظهَرَ عليه، وقتَل ولَدَيْه طيًّا[2] وسليمانَ، وأسَر الثالثَ وهو الكامِلُ بنُ شاورٍ، فسجَنَه ولم يقْتُلْه؛ ليَدٍ كانت لأبيه عندَه، واسْتُوْزِرَ ضِرْغَامٌ بعدَه ولُقِّبَ بالمنْصُورِ، فخرَج شاورٌ مِن الديارِ المصريةِ هارِبًا مِن العاضِدِ وضِرْغامٍ، مُلْتَجِئًا إلى نورِ الدينِ محمودٍ، [3]فأمَر له نورُ الدينِ[3] بجَوْسَقِ[4] المَيْدانِ الأخْضَرِ، وأحسَنَ ضِيافتَه وكرامتَه[5]، وطلَب منه شاورٌ عسْكَرًا يكونون معه؛ ليفْتَحَ بهم الديارَ المصريَّةَ، ويكونَ لنورِ الدينِ ثُلُثُ مُغلِّها، فأرسَلَ معه جيشًا عليهم أسَدُ الدينِ شِيرَكُوه بنُ شاذِى، فلمَّا دخَلوا بلادَ مصرَ خرَج إليهم الجيشُ الذين بها، فاقْتَتَلُوا أشدَّ القتالِ، فهزَمهم أسدُ الدينِ، وقتَل منهم خلقًا، وقُتِل ضِرْغامُ بنُ سَوّارٍ، وطِيفَ برأسِه فى البلادِ، واستقرَّ أمرُ شاورٍ فى الوِزارةِ، وتمهَّدَ حالُه، ثم اصْطلَحَ العاضِدُ وشاورٌ على أسَدِ الدينِ، ورجَع

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٥٩، والكامل ١١/ ٢٩٨.

(٢) فى الأصل: «طنا»، وفى خ: «ظبيان»، وفى م: «طيبا»، وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٣٣١.

(٣ - ٣) فى خ، م: «وهو نازل».

(٤) الجوسق: القصر، معرب. تاج العروس (ج س ق).

(٥) فى خ، م: «أنزله بالجوسق المذكور».

شاورٌ عمَّا كان عاهَدَ عليه نورَ الدينِ ، وأمَر أسدَ الدينِ بالرجوعِ ، فلم يقبَلْ منه ، وعاثَ فى البلادِ ، وأخَذ أموالًا كثيرةً ، وافْتتَح بُلْدانًا كثيرةً مِن الشرْقِيَّةِ وغيرِها ، فاسْتَغاثَ شاورٌ عليهم بملكِ الفرنْجِ الذى بعَسْقَلانَ ، واسمُه مُرِّى ، فأقبَل إليه فى خلقٍ كثيرٍ فتحوَّلَ أسدُ الدينِ إلى بُلْبَيسَ ، وقد حصَّنَها وشحَنَها بالعُدَدِ والآلاتِ ، وغيرِ ذلك ، فحصَرُوه فيها ثمانيةَ أشهرٍ ، وامْتنَعَ أسدُ الدينِ وأصحابُه أشدَّ الامْتِناعِ ، فبينما هم على ذلك إذ جاءَتِ الأخْبارُ بأنَّ المَلكَ نورَ الدينِ قد اغْتَنَم غَيْبَةَ الفرَنجِ فسار بالعساكرِ إلى بلادِهم فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وفتَح حارمًا وقتَل مِن الفرنْجِ خلقًا ، وسارَ إلى بانْيَاسَ ، فضَعُفَ (١)أمرُ الفرنجِ بديارِ مصرَ عندَ ذلك(١) ، وطلَبُوا مِن أسَدِ الدينِ المُصالحةَ فأجابَهم إلى ذلك ، وقبَض مِن شاورٍ سِتِّينَ ألفَ دينارٍ ، وخرَج أسدُ الدينِ وجيشُه فساروا إلى الشامِ فى ذى الحجَّةِ منها .

وَقْعَةُ حارِمٍ

كان فتحُ حارِمٍ فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وذلك أنَّ نورَ الدينِ اسْتَغاثَ بعساكرِ المسلمين - فجاءوا مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ - ليأْخُذَ ثأْرَه مِن الفرنْجِ ، فالْتقَى معهم بتلِّ حارِمٍ فكسَرهم كسْرةً عظيمةً ، وأسَر البِرنْسَ صاحِبَ أنْطاكِيَةَ ، والقُومَصَ صاحِبَ طَرابُلُسَ ، والدُّوكَ مقدَّمَ الرومِ ، [٢٥٤/٩و] وابنَ جُوسلينَ ، وقتَل منهم عشَرةَ آلافٍ ، وقيلَ : عِشْرينَ ألفًا .

(١ - ١) فى خ ، م : « صاحب عسقلان الفرنجى » .

وفى ذى الحِجَّةِ منها فتَح نورُ الدينِ مدينةَ بانْيَاسَ ، وقيلَ : إنَّما كان فتحُه لها فى سنَةِ ستِّينَ . فاللَّهُ أعلمُ . وكان معه أخوه نُصْرةُ الدينِ أميرُ أميرانَ ، فأصابَه سَهْمٌ فى إحْدَى عيْنَيْه فأذْهبَها ، فقال له الملكُ نورُ الدينِ[1] : لو نظَرْتَ إلى ما أعدَّ اللَّهُ لكَ مِن الأجْرِ فى الآخرةِ لأحْبَبْتَ أن تذهَبَ الأخْرَى . وقال لابنِ مُعينِ الدينِ أَنُرَ[2] : إنَّه اليومَ قد برَدَتْ جِلْدَةُ والدِكَ مِن نارِ جَهنَّمَ ؛ لأنَّه كان سلَّمها إلى الفِرنجِ ، صُلْحًا عن دِمَشْقَ .

وفى شهرِ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ احْتَرقَ قصرُ جَيْرُونَ حريقًا عظيمًا ، فحضَرَ فى تلك الليلةِ الأمراءُ ؛ منهم أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ، بعدَ رجُوعِه مِن الديارِ المصريةِ ، وسعَى سعيًا عظيمًا فى إطفاءِ هذه النارِ وصَوْنِ حَوْزَةِ الجامِعِ منها ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، وأثابَه دارَ القرارِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

[3]**جمالُ الدينِ**[3] وزيرُ صاحبِ المَوْصِلِ ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ أبى منصورٍ ، أبو جعفرٍ الأصبهانىُّ الملقَّبُ بالجَوَادِ[4] وزيرُ قُطْبِ الدينِ مودودِ بنِ زَنْكِى ، كان كثيرَ المعْروفِ والصَّدقاتِ ، وقد أثَّر آثارًا حسَنةً بمَكَّةَ والمدينةِ ؛ مِن ذلك أنَّه ساقَ عَيْنًا إلى عَرَفاتٍ ، وعمِل هناك مصانِعَ ، وبنَى مسجدَ عرفاتٍ ودرَّجَه وأكمَل أبوابَ

---

(١) الكامل ١١/ ٣٠٤.

(٢) الكامل ١١/ ٣٠٥.

(٣ - ٣) فى الأصل، خ، ص: «الجمال». وانظر ترجمته فى المنتظم: ١٨/ ١٦١، والكامل ١١/ ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٩١.

(٤) فى النسخ والمنتظم: «بالجمال». والمثبت من وفيات الأعيان، وانظر سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام.

الحَرَمِ ، وبنَى مسجدَ الخَيْفِ ، وبنَى الحِجْرَ ، وزخرَف الكعبةَ وذهَّبها ، وعمِلها بالرُّخامِ ، وبنَى على المدينةِ النبويَّةِ سُورًا ، وبنَى جِسْرًا على دِجْلَةَ عندَ جزيرةِ ابنِ عُمرَ بالحَجَرِ المنْحُوتِ ، والحديدِ والرَّصاصِ ، وبنَى الرُّبُطَ الكثيرةَ ، وكان يتصدَّقُ كلَّ يومٍ على بابِه بمائةِ دينارٍ ، ويفْتَدِى مِن الأُسارَى فى كلِّ سنَةٍ بعشَرةِ آلافِ دينارٍ ، ولاتزالُ صدَقاتُه وافِدَةً إلى الفقهاءِ والفقراءِ ؛ حيثُ كانوا مِن بغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقد حُبِسَ فى سنَةِ ثمانٍ وخمسين ، فذكَر ابنُ السَّاعِى فى « تاريخِه » عن شخصٍ كان معه فى السِّجنِ أنَّه نزَل إليه طائرٌ أبيضُ قبلَ موْتِه فلم يزَلْ عندَه وهو يَذكُرُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ حتى تُوفِّى فى شعبانَ مِن هذه السنةِ ، ثم طارَ عنه ، ودُفِن فى رِباطٍ بَناه لنفسِه بالمَوْصِلِ ، وقد كان بينَه وبينَ أَسَدِ الدينِ شِيرَكُوه بنِ شاذِى مُؤاخاةٌ وعهدٌ ، أيُّهما ماتَ قبلَ الآخرِ أن يحْمِلَه إلى المدينةِ النبويَّةِ ، فاستأجَر له أسدُ الدينِ شِيرَكُوه رجالًا فنقَلُوه إلى المدينةِ ، فما مرُّوا به على بلْدَةٍ إلا صلَّوا عليه ، وترحَّمُوا عليه ، وأثْنَوْا خيْرًا ، فصلَّوا عليه بالمَوْصِلِ وتَكْرِيتَ وبغدادَ والحِلَّةِ والكُوفَةِ وفَيْدَ ومَكَّةَ ، وطِيفَ به حولَ الكعبةِ ، ثم نُقِل إلى المدينةِ النبويَّةِ فدُفِن برِباطٍ بَناه شرْقِىَّ المسجدِ النبوىِّ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] وابنُ السَّاعى : ليس بينَه وبينَ حرمِ النبىِّ ﷺ وقَبْرِه سوى خمسةَ عشَرَ ذِراعًا . قال ابنُ السَّاعِى : ولمَّا صَلَّوا عليه بالحِلَّةِ صعِدَ شابٌّ نَشْزًا فأنشَد يقولُ[2] :

سَرَى نعْشُهُ فوقَ الرقابِ وطالَما ... سَرَى جُودُهُ فوقَ الرِّكابِ ونائِلُهْ
يمُرُّ على الوادِى فتُثْنِى رِمالُهُ ... عليهِ وبالنّادِى فتُثْنِى أرَامِلُهْ

ومِمَّن تُوفِّى فيها بعدَ الخمسينَ :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦١.
(٢) الكامل ١١/ ٣٠٧.

ابنُ الخازِنِ الكاتِبُ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الفَضْلِ بنِ عبدِ الخالقِ[1] ، أبو الفَضْلِ المعرُوفُ بابنِ الخازِنِ ، الكاتبُ البغدادِيُّ الشاعرُ ، كان يكتُبُ جيدًا فائقًا ، اعْتنَى بكتابةِ [٩/٢٥٤ظ] الخَتَماتِ ، وأكثَر ابنُه أبو الفتحِ نَصْرُ اللَّهِ مِن كتابةِ المَقاماتِ ، وجَمَع لأبيه ديوانَ شعرٍ أوْرَدَ منه ابنُ خَلِّكانَ[2] قطعةً كبيرةً .

---

(١) المنتظم ١٧/١٠٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٤٢٠، وعيون التواريخ ١٢/١٥٦. وقد ذكره ابن الجوزى ضمن وفيات سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وابن خلكان والذهبى والكتبى ضمن وفيات سنة ثمانى عشرة .

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٤٩، ١٥٠.

ثم دخَلَتْ سنةُ سِتِّينَ وخمسِمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها وقَعَتْ بأَصْبهانَ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ الفقهاءِ بسبَبِ المذاهبِ دامَتْ أيّامًا ، وقُتِل فيها خلقٌ كثيرٌ . وفيها كان حريقٌ عظيمٌ ببغدادَ فاحْتَرَقَتْ مَحالٌّ كثيرةٌ جدًّا ، وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ[2] أنَّ فى هذه السنَةِ ولَدَتِ امرأةٌ ببغدادَ أربعَ بناتٍ فى بَطْنٍ واحدٍ . وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ أَرْغَشُ الكبيرُ ، أثابَه اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عمرُ بنُ بهليقا الطَّحَّانُ[3] الذى جدَّدَ جامِعَ العُقَيبةِ[4] ببغدادَ ، واسْتَأْذَنَ الخليفةَ فى إقامَةِ الجُمعةِ فيه ، فأذِنَ له فى ذلك ، وكان قد اشْتَرى ما حولَه مِن القُبورِ فأضافَ ذلك إليه ، ونبَشَ المَوْتَى منها ، فقيَّض اللَّهُ له مَن نَبَشَه مِن قبرِه بعدَ دفْنِه ، جزاءً وِفاقًا ، وما ربُّك بظلَّامٍ للعبيدِ .

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبدِ الحميدِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الحَرَّانِىُّ[5] ،

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٤، والكامل ١١/ ٣١٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٣.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٦٤، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣١٠.

(٤) فى الأصل، والمنتظم «العقبة»، وفى ص: «القبة». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣١٠.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣١٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٣٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٠.

كان آخرَ مَن بَقِى مِن الشُّهودِ المقْبُولينَ عندَ أبى الحسنِ الدامَغانىِّ ، وقد سمِعَ الحديثَ ، وكان لطِيفًا ظريفًا ، جمَع كتابًا سمَّاه « رَوْضَةَ الأُدباءِ » ، فيه نُتَفٌ حسَنةٌ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : زُرْتُه يومًا فأطَلْتُ الجلوسَ عندَه ، فقلْتُ : أقومُ فقد ثقَّلْتُ ، فأنشَدنى :

لئنْ سمَّيتَ إبرامًا وثُقلًا ... زياراتٍ رَفَعْتَ بهِنَّ قَدْرِى
فما أبْرمْتَ إلَّا حبْلَ وُدِّى ... ولا ثقَّلْتَ إلَّا ظَهْرَ شُكْرِى

مَرْجانُ الخادِمُ[2] كان يقرأُ القرآنَ ، وتفَقَّهَ لمذهبِ الشافعىِّ ، وكان يتعَصَّبُ على الحنابلةِ ويكرَهُهم ، ويُعادِى الوزيرَ ابنَ هُبَيْرَةَ وابنَ الجَوْزِىِّ مُعاداةً شديدةً ، ويقولُ لابنِ الجَوْزِىِّ[3] : مقْصُودِى قلْعُ المذهبِ . ولمَّا مات ابنُ هُبَيْرَةَ قوِىَ أمرُه على ابنِ الجَوْزِىِّ ، وخافَه ابنُ الجَوْزِىِّ ، فلمَّا تُوفِّى فى هذه السنَةِ فرِح ابنُ الجوْزِىِّ فرَحًا شديدًا ، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ منها .

ابنُ التلميذِ[4] الطبيبُ الماهرُ الحاذِقُ ، اسمُه هِبَةُ اللَّهِ بنُ صَاعدٍ . كانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً ، وكان مُوَسَّعًا عليه فى الدنْيا ، وله عندَ الناسِ وجَاهَةٌ كبيرةٌ ، وقد تُوفِّى ، قبَّحَه اللَّهُ ، على دينِه ، ودُفِن بالبَيْعَةِ العتِيقَةِ ، لا رَحِمَه اللَّهُ إن كان ماتَ نصْرانِيًّا ، فإنه كان يزعُمُ أنه مسلمٌ ، ثم مات على دينِه .

الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ ، يَحيَى بنُ محمدِ بنِ هُبَيْرَةَ ، أبو المُظَفَّرِ[5] الوزيرُ للخلافةِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٥.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣٢٠.
(٣) المنتظم ١٨/ ١٦٦.
(٤) معجم الأدباء ١٩/ ٢٧٦، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١/ ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٦/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣٢١.
(٥) خريدة القصر (قسم العراق) ١/ ٩٦، والمنتظم ١٨/ ١٦٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٣٠، وسيرأعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠) ص ٣٢٨.

المعظَّمةِ، مصنِّفُ كتابِ «الإفْصاحِ»، قرأ القراءاتِ، وسمِع الحديثَ، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ بالنحوِ واللغةِ والعَروضِ، وتَفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ، وصنَّفَ كتبًا جيدةً مفيدةً؛ مِن ذلك «الإفْصاحُ» فى مجلَّداتٍ، يشرَحُ فيه الأحاديثَ، ويتكلَّمُ على مَذهبِ العلماءِ، وكان على مذهبِ السَّلفِ فى الاعْتِقادِ، وقد كان فقيرًا لا مالَ له، ثم تعرَّضَ للخِدْمةِ، فتقَدَّم إلى أن وزَر للمقْتَفِى ثم لابنِه المُسْتَنْجِدِ، وكان مِن خيارِ الوُزراءِ وأحْسَنِهم سيرةً، وأبْعَدِهم عن الظُّلمِ، وكان لا يلبَسُ الحريرَ، وكان المُقْتَفِى يقولُ[1]: ما وزَر لبنى العبّاسِ مثلُه. وكذلكَ ابنُه المُستنجِدُ، وكان مُعْجَبًا به، قال مَرْجانُ الخادِمُ[2]: سمِعتُ أميرَ المؤمنين المُستنجِدَ يُنشِدُ لابنِ هُبَيْرَةَ وهو بينَ يدَيْه مِن شعرِه[3]:

صفَتْ نعْمتَانِ خصّتَاك وعمَّتَا ... فذِكْرُهما حتى القيامةِ يُذْكَرُ
وجُودُك والدنيا إليك فقيرةٌ ... وجُودُك والمعروفُ فى الناسِ يُنْكَرُ [٩/٢٥٥و]
فلو رامَ يا يحيى مكانَك جعْفَرٌ ... ويحيى لكَفَّا عنه يحيى وجعفرُ
ولم أرَ مَنْ ينْوِى لك السُّوءَيا أبا الـ ... ـمُظفَّرِ إلَّا كنتَ أنتَ المظفرُ

وقد كان يبالِغُ فى إقامَةِ الدولةِ العباسيَّةِ، وحسَم مادَّةَ المُلوكِ السَّلجوقِيَّةِ عنهم بكلِّ مُمكِنٍ، حتى استقرَّتِ الخلافةُ فى العراقِ كلِّه؛ ليس للملُوكِ معهم حكمٌ بالكُلِّيَّةِ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

وكان يعقِدُ فى دارِه للعلماءِ مجْلِسًا للمناظرَةِ يبحَثُون فيه، ويَتناظَرُونَ عندَه

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٧.
(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٢٧.
(٣) البيتان الأخيران له، أما الأولان فلابن حيّوس من قصيدة يمدح فيها نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب. انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٢٧، حاشية (٣).

وبينَ يدَيْه ، ويسْتَفِيدُ منهم ، ويستفيدُون منه ، فاتَّفقَ يومًا أنَّه كلَّم رجلًا مِن الفقهاءِ كلمةً فيها بشاعةٌ ؛ قال له[1] : يا حِمارُ . ثم ندِم وقال : أريدُ أن تقولَ لى كما قلتُ لك . فتمنَّعَ ذلك الفقيهُ ، فصالَحه على مائتَىْ دينارٍ . وكانت وفاتُه فجأةً ، ويقالُ[2] : إنَّه سمَّه طبيبٌ ، فسُمَّ ذلك الطبيبُ بعدَ سِتَّةِ أشهرٍ ، فكان يقولُ : سمَمْتُه فسُمِمْتُ . مات يومَ الأحدِ الثانى عشَرَ مِن جُمادَى الأولى مِن هذه السنَةِ ، عن إحدى وستِّين سنةً ، وغسَّلَه ابنُ الجَوْزِىِّ ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ جدًا ، وغُلِّقَتِ الأسواقُ ، وتَباكَى الناسُ عليه ، ودفِن بالمدرسةِ التى أنْشأَها ببابِ البصرةِ رحِمَه اللَّهُ . وقد رَثاه الشعراءُ بمراثٍ كثيرةٍ .

وأبو القاسمِ ، عُمرُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عِكْرمةَ البَزْرِىُّ الجزَرِىُّ[3] ، شيخُ الشافعيَّةِ بها[4] ، وكان يلقَّبُ زينَ الدينِ جمالَ الإسلامِ ، دخَل بغدادَ ، فأخَذ عن إلْكِيا الهَرَّاسىِّ ، والغَزَّالىِّ ، والشَّاشِىِّ صاحبِ « المُسْتَظهِرى » ، وجمَع كتابًا على « المُهذَّبِ »[5] ، وذكَر فيه إشكالاتِ ما سِوَاه ، وأسماءَ رجالِه ولغتَه ، وهو فى مجلدٍ ، على ما ذكَره ابنُ خَلِّكانَ[6] ، ورحَلتْ إليه الطلبةُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وكان أحفظَ الناسِ فى وقتِه لمذهبِ الشافعىِّ . توفِّى فى هذه السنةِ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٦٩.

(٣) وردت ترجمته فى وفيات سنة ستين وأربعمائة وهو خطأ ، والصواب أنه من وفيات هذه السنة (أعنى سنة ستين وخمسمائة) . وانظر ترجمته فى : الكامل ١١/ ٣٢١، وفيه : « عمر بن عكرمة » ، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٣٠٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٥١، وفيه : « عمر بن محمد بن عكرمة » ، وشذرات الذهب ٤/ ١٨٩.

(٤) أى بجزيرة ابن عمر . انظر معجم البلدان ٢/ ٧٩، وطبقات الشافعية ٧/ ٢٥١، وفيه : « إمام جزيرة ابن عمر ومفتيها ومدرسها » .

(٥) « المهذب » للشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وشرح ابن البزرى غريب ألفاظه وأسماء رجاله ، وسماه : « الأسامى والعلل من كتاب المهذب » . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٥.

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٥.

ثم دخَلَتْ سنةُ إحدَى وستّين وخمسِمائةٍ

فيها[1] فتَح الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى حِصْنَ المُنَيْطِرَةِ[2] ، وقتَل عندَه خلقًا كثيرًا مِن الفِرنجِ ، وغَنِم أموالًا جزيلَةً .

وفيها هرَب عِزُّ الدينِ ابنُ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ مِن السِّجنِ ، ومعه مملوكٌ تركيٌّ ، فنُودِى عليه فى البلدِ : مَن ردَّه فله مائةُ دينارٍ ، ومَن وُجِد عندَه هُدِّمَتْ دارُه وصُلِب على بابِها ، وذُبِحَتْ أوْلادُه بينَ يدَيْه ، فدلَّهم رجلٌ مِن الأعْرابِ عليه ، فأُخِذ مِن بُسْتَانٍ ، فضُرِب ضربًا شديدًا مُنْكرًا ، وأُعِيد إلى السِّجنِ ، وضُيِّق عليه .

وفيها أظْهَر الرَّوافِضُ سبَّ الصحابةِ وتظاهَروا بأشْياءَ مُنْكرةٍ ، ولم يكُونوا يتمَكَّنون منها فى هذه الأعْصارِ المتقدِّمةِ ؛ خوفًا من ابنِ هُبَيْرَةَ ، ووقَع بينَ العَوامِّ كلامٌ فيما يتعلَّقُ بخَلْقِ القرآنِ . وحجَّ بالناسِ أَرْغشُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحسنُ بنُ العباسِ بنِ أبى الطيبِ بنِ رُسْتُمَ[3] ، أبو عبدِ اللَّهِ الأصْبَهانىُّ الرُّسْتُمِىُّ ، كان مِن كبارِ عبادِ اللَّهِ الصالحِين والبَكَّائين ، قال[4] : حضَرتُ يومًا

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧١، والكامل ١١/ ٣٢٢.

(٢) المنيطرة : حصن بالشام قريب من طرابلس . معجم البلدان ٤/ ٦٧٣.

(٣) المنتظم ١٨/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٧٣، والوافى بالوفيات ١٢/ ٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٤.

(٤) المنتظم ١٨/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٤.

مجلسَ ابنِ[1] ماشَاذه وهو يتكلَّمُ على الناسِ، فرأيْتُ رَبَّ العِزَّة فى تلك الليلةِ وهو يقولُ لى: وقَفْتَ على مُبْتَدِعٍ وسمِعْتَ كلامَه؟ لأَحْرِمَنَّكَ النظَرَ فى الدنيا. قال: فأصْبَح لا يُبْصِرُ وعَيْناه مفْتُوحَتان كأنَّه بصيرٌ.

عبدُ العزيزِ بنُ الحُسينِ[2] بنِ الجَبَّابِ[3] الأغْلَبىُّ السَّعدِىُّ القاضى، أبو المَعالى المِصْرىُّ، المعروفُ بالجَلِيسِ؛ لأنَّه كان يُجالِسُ صاحبَ مصرَ، وقد ذكَره العمادُ فى «الخريدةِ» قال[4]: وله فضلٌ مشْهورٌ وشعرٌ مأثورٌ، فمِن ذلك قولُه:

ومِن عجَبٍ أنَّ السيوفَ لدَيْهمُ ... تحِيضُ دماءً والسيوفُ ذُكورُ
وأعجَبُ مِن ذا أنها فى أَكُفِّهمْ ... تأجَّجُ نارًا والأَكُفُّ بُحورُ

الشيخُ عبدُ القادرِ الجِيلىُّ[5]، عبدُ القادرِ بنُ أبى صالحٍ أبو محمدٍ الجِيلىُّ، وُلدَ سنةَ سبعين وأربعِمائةٍ، ودخَل بغدادَ فسمِع الحديثَ، وتفَقَّهَ على أبى سعيدٍ المُخَرِّمِىِّ الحنْبَلِىِّ، وكان قد بنَى مدرسةً ففوَّضَها إلى الشيخِ عبدِ القادرِ، فكانَ يتكلَّمُ على الناسِ بها، ويَعِظُهم، وانتفَع به الناسُ انتفاعًا كثيرًا، وكان له سَمْتٌ حسَنٌ، وصَمْتٌ عن غيرِ الأمرِ [٩/٢٥٥ظ] بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكرِ، وفيه زهْدٌ

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج.

(٢) فى م: «الحسن». وانظر ترجمته فى: خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٨٩، والروضتين ١/ ٣٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٨٥، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٧٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١.

(٣) فى النسخ، والخريدة، والروضتين، والنجوم الزاهرة: «الحباب» والمثبت من تاريخ الإسلام والوافى بالوفيات. وانظر الإكمال ٢/ ١٣٩، وتبصير المنتبه ١/ ٣٩٣، وتاج العروس (ج ب ب). وسمى بالجَبَّاب لجلوس جده عبد اللّه فى سوق الجبّابِ.

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٨٦، وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٣، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٠.

كبيرٌ ، وله أحوالٌ ومُكاشَفاتٌ ، ولأتْباعِه وأصْحابِه فيه مَقالاتٌ ، ويذْكُرونَ عنه أقوالًا وأفْعالًا ومُكاشفاتٍ أكثرُها مُغالَاةٌ ، وقد كان صالحًا وَرِعًا ، وقد صنَّفَ كتابَ « الغُنْيَةِ » ، و « فتُوحِ الغَيْبِ » ، وفيهما أشياءُ حسَنةٌ ، ولكنْ ذكَر فيهما أحاديثَ كثيرةً ضعيفةً وموْضُوعةً ، وبالجملةِ كان مِن ساداتِ المشايخِ الكبارِ ، قدَّس اللَّهُ روحَه ، ونوَّر ضريحَه . كانت وفاتُه ليلةَ السبتِ ثامنَ ربيعٍ الآخرِ مِن هذه السنةِ وله تسعون سنةً ، ودُفِن بالمدرسةِ التى كانتْ له .

ثم دخَلَتْ سنةُ ثِنتَين وستّين وخمسِمائةٍ[1]

فيها أقبَلَتِ الفِرنجُ فى جَحافِلَ كثيرةٍ إلى الديارِ المصريةِ، وساعَدهم المِصْرِيون، فتَصَرَّفُوا فى بعضِ البلادِ، فبلَغ ذلك أسدَ الدينِ شِيرَكُوه بنَ شاذى، فاسْتَأذَن الملكَ نورَ الدينِ فى العَوْدِ إليها، وقد كَثُر الحَنَقُ على الوزيرِ شاورٍ، فأذِن له فسارَ إليها فى ربيعٍ الآخرِ، ومعه ابنُ أخيه صلاحُ الدينِ يُوسُفُ بنُ أيُّوبَ، وقد وقَع فى النفوسِ أنَّه سَيَملِكُ الديارَ المِصْرِيَّةَ، وفى ذلك يقولُ عرقلةُ المُسَمَّى بحسَّانَ الشاعرِ[2]:

أقولُ والأتْراكُ قد أزمَعَت ... مِصْرَ إلى حَرْبِ الأعاريبِ
ربٌّ كما ملَّكْتَها يوسفَ الصِّدِّيقَ مِن أَوْلادِ يعقوبِ
يملِكُها فى عصرِنا يوسفُ الصَّادقُ مِن أوْلادِ أيُّوبِ
مَن لم يزَلْ ضَرَّابَ هامِ العِدَا ... حقًّا وضرَّابَ العَراقِيبِ

ولمَّا بلَغ الوزيرَ شاورًا قدومُ أسَدِ الدينِ والجيشُ معه، بعَث إلى الفرنجِ فجاءوا مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ، ولمَّا بلَغ أسدَ الدينِ ذلك مِن شأنِهم - وإنَّما معه ألْفَا فارِسٍ - فاسْتَشارَ مَن معه مِن الأمراءِ، فكلُّهم أشارَ عليه بالرُّجوعِ إلى الملكِ نورِ الدينِ؛ لكَثْرَةِ الفرنجِ، إلَّا أميرًا واحدًا يقالُ له: شرَفُ الدينِ بُزْغُشُ[3]؛ فإنَّه قال: مَن

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٤، والكامل ١١/ ٣٢٤.
(٢) الروضتين فى أخبار الدولتين ١/ ٣٦٤.
(٣) فى م: «برغش».

خافَ القَتْلَ والأسْرَ فَلْيَقْعُدْ فى بَيْتِه عندَ زوْجَتِه ، ومَن أكَل مِن أمْوالِ المسلمين فلا يُسلِّمْ بلادَهم إلى العدُوِّ . وقال مثلَ ذلك ابنُ أخيه صلاحُ الدينِ يُوسُفُ بنُ نجمِ الدينِ أيُّوبَ بنِ شاذى ، فعزَم اللَّهُ لهم فسارُوا نحوَ الفرنجِ ، فاقْتَتلُوا هم وإيَّاهم قتالًا عظيمًا ، فكَسَروا الفرنجَ ، وهزَمُوهم ، وقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا لا يعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ على كلِّ حالٍ .

فَتْحُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ على يَدِ أسدِ الدينِ شِيرَكُوه

ثم سارَ أسدُ الدينِ شِيرَكُوه بعد أن كسَر الفرَنجَ والمصريين إلى الإسكندريَّةِ ، فمَلَكَها وجَبَى أموالَها ، واسْتَناب عليها ابنَ أخيه صلاحَ الدينِ يُوسُفَ ، وعادَ إلى الصَّعيدِ فملَكَه ، وجمَع منه أموالًا جزيلةً جدًّا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ . ثم إنَّ الفرنْجَ والمصريِّين اجْتَمَعوا على حِصارِ الإسكندريَّةِ ثلاثَةَ أَشهرٍ ؛ ليـنْتَزِعُوها مِن يَدِ الملكِ صلاحِ الدينِ ، وذلك فى غَيْبَةِ عمِّه فى الصعيدِ ، وامْتَنع بها صلاحُ الدينِ ومَن معه أشدَّ الامْتِناعِ ، ولكِنْ ضاقَتْ عليهمُ الأقْواتُ وضاقَ الحالُ جدًّا ، فسارَ إليهم أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ، أيَّده اللَّهُ ، فصالَحه شاورُ الوزيرُ عن الإسكندريَّةِ بخمسين ألفَ دينارٍ ، فأجابَه إلى ذلك ، وخرَج صلاحُ الدينِ[1] منها وسلَّمها إلى المصريِّين ، وعادَ إلى الشامِ فى منتصفِ شوَّالٍ وذى القَعْدةِ ، وقرَّر شاورٌ للفرنجِ على مِصْرَ فى كلِّ عامٍ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وأنْ يكونَ لهم شِحْنَةٌ بالقاهرةِ ، وعادَ الفرنجُ إلى بلادِهم بعدَ أنْ كان الملكُ نُورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنكى قد عقَّبَهم فى بلادِهم ، وافتتَح حُصونًا كثيرةً مِن بلادِهم ، وقتَل خلقًا مِن رجالِهم ، [٩/٢٥٦و] وأسَر أُمَمًا مِن

---

(١) هكذا فى النسخ ، والثابت فى المصادر أن الذى سلم الإسكندرية فى شوال وعاد إلى الشام فى ذى القعدة هو شيركوه . وانظر الكامل ١١/ ٣٢٦، والروضتين ١/ ٣٦٦، والعبر ٤/ ١٧٦، ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٣٧، ٣٣٨.

نسائهم وأطفالِهم ، وغنِم شيئًا كثيرًا مِن أمْتِعتِهم وأموالِهم ، وللَّهِ الحمدُ . وكان معه أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ ، فأطْلَق له الرَّقَّةَ ، فسارَ فتسلَّمها .

وفى هذه السنةِ فى شعبانَ منها كان قدومُ العِمادِ الكاتِبِ مِن بغدادَ إلى دمشقَ ، وهو أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدٍ الأَصْبهانىُّ ، صاحبُ « الفتحِ القُدْسِىِّ » ، و « البَرْقِ الشامِىِّ » ، و « الخريدَةِ » ، وغيرِ ذلك مِن المصنَّفاتِ ، وأنْزَله قاضى القضاةِ كمالُ الدينِ الشَّهْرَزُورِىُّ بالمدرسةِ النُّورِيَّةِ الشافِعيَّةِ داخِلَ بابِ الفرَجِ ، فنُسِبَتْ إليه لسُكْنَاه بها ، فيقالُ لها : العِمادِيَّةُ . ثم وَلِى تدْرِيسَها فى سنةِ سبعٍ وستِّين بعدَ الشيخِ الفقيهِ ابنِ عَبْدٍ ، وأوَّلُ مَن جاءَ للسلامِ عليه نجمُ الدينِ أيُّوبُ وكانتْ له به معرفةٌ مِن تَكْرِيتَ ، فامْتَدحَه العمادُ بقصيدةٍ ذكَرها الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[1] ، وكان أسدُ الدينِ شِيرَكُوه وصلاحُ الدينِ يوسفُ بمِصْرَ ، فبشَّرَه فيها بولايَةِ صلاحِ الدينِ الدِّيارَ المِصْرِيَّةَ حيثُ يقولُ :

ويسْتَقِرُّ بمِصْرَ يوسُفٌ وبه ... تقَرُّ بعدَ التَّنائى عَيْنُ يعْقُوبِ
ويلتَقى يُوسُفٌ فيها بإخْوَتِهِ ... واللَّهُ يجْمَعُهم مِن غيرِ تَثْرِيبِ

ثم وَلِى العمادُ كتابةَ الإنْشاءِ للملكِ نُورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أَرْغَشُ[2] أميرُ الحاجِّ سنين متعدِّدَةً كان مقدَّمًا على العساكرِ ، خرَج مِن بَغْدادَ لقتالِ شُمْلَةَ التُّرْكُمانِىِّ فسَقَط عن فرَسِه فماتَ .

---

(١) الروضتين ١/ ٣٦٩.

(٢) فى خ ، م ، وإتحاف الورى : « برغش » ، وانظر الكامل ١١/ ٣٢٩.

أبو المعالِى الكاتِبُ[1] محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ حَمْدُونَ، صاحبُ «التَّذْكِرَةِ الحَمْدُونِيَّةِ»، وقد وَلِى ديوانَ الزِّمامِ مدَّةً، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدَةِ، ودُفِن بمقابرِ قريشٍ.

[2]**الرَّشيدُ الصُّوفىُّ**[2] كان يجلِسُ بينَ يدَيِ[3] العبَّادِىِّ على الكُرْسِىِّ، كانتْ له شَيْبَةٌ حسنةٌ، وسمْتٌ ووَقارٌ، وكان يُدمنُ حضورَ السماعاتِ، فاتَّفَق أنَّه ماتَ وهو يرقُصُ فى بعضِ السماعاتِ، سامَحه اللَّهُ سبحانَه وتعالى.

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٥، والكامل ١١/ ٣٣٠ (وفيه محمد بن الحسين)، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ١٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٣٦، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٥٧.

(٢ - ٢) فى الأصل: «السيد الصوفى»، وفى م: «الرشيد الصدفى». ولم نقف على ترجمته.

(٣) فى الأصل، ص: «ابن».

ثم دخَلت سنةُ ثلاثٍ وستّين وخمسِمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها وصَل شرَفُ الدينِ أبو جعفرٍ بنُ البلدِىِّ مِن واسِطٍ إلى بغدادَ ، فخرَج الجيشُ لتَلقِّيه والنَّقيبان والقاضى ، ومشَى الناسُ بينَ يدَيْه إلى الدِّيوانِ ، فجلَس فى دَسْتِ الوزارةِ ، وقُرِئ عهدُه ، وكان يومًا مشهُودًا ، ولُقِّب بالوزيرِ شرَفِ الدينِ ، جَلالِ الإسلامِ ، مُعِزِّ الدولةِ ، سيِّدِ الوزراءِ ، صَدْرِ الشرقِ والغربِ .

وفيها أفْسدَتْ خفَاجَةُ فى البلادِ ونَهَبوا القُرَى ، فجُهِّز إليهم جيشٌ مِن بغدادَ فهرَبُوا فى البرارِى فانحَسَر الجيشُ عنهم خوفًا مِنَ العطَشِ ، فكَرُّوا على الجيشِ فقَتلُوا منهم خلْقًا وأسَرُوا آخرين ، وكان قد أسَر الجيشُ منهم خلقًا فصُلِبُوا على الأسْوارِ . وفى شوَّالٍ وصلَتِ امْرأةُ الملكِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى إلى بغدادَ تريدُ أن تحُجَّ مِن هناك ، وهى السِّتُّ عِصْمَتُ الدينِ خاتون بنتُ مُعِينِ الدينِ أَنُرَ ، فتلقّاها الجيشُ ، ومعهم صَنْدَلٌ الخادِمُ ، وحُمِلتْ لها الإقَاماتُ وأُكْرِمَتْ غايةَ الإكرامِ .

وفيها مات قاضى قضاةِ بغدادَ جَعْفرُ بنُ الثَّقفىِّ ، فشغَر البلَدُ عن حاكمٍ ثلاثةً وعشرين يومًا ، حتى وُلِّىَ رَوْحُ بنُ [٩/٢٥٦ظ] الحَدِيثىِّ[2] قاضى القضاةِ فى رابعِ رجَبٍ[3] .

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٦، والكامل ١١/ ٣٣١.

(٢) بعده فى الأصل، ص: «وحج بالناس برغش والله أعلم» وقد تقدمت وفاته فى وفيات السنة السابقة.

(٣) فى الأصل: «الحدمى»، وفى خ، م: «الحدثنى»، وفى ص: «الحديبى». والمثبت من: المنتظم ١٨/ ١٧٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠.

ومَمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

جعفرُ بنُ عبدِ الواحدِ[1] ، **أبو البَرَكاتِ الثَّقَفِيُّ** ، قاضى القضاةِ ببغدادَ بعدَ أبيه ، وُلِدَ سنةَ تِسْعَ عشْرةَ[2] وخمسِمائةٍ ، وكانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وسببُ وفاتِه أنَّه طُلِب منه مالٌ وكلَّمه الوزيرُ ابنُ البلدىِّ كلامًا خَشِنًا فخاف فرمى[3] الدمَ ومات ، رحِمه اللَّهُ .

أبو سَعْدٍ السَّمْعَانىُّ ، عبدُ الكَريمِ بنُ محمدِ بنِ منصُورٍ ، أبو سَعْدٍ السَّمْعانىُّ[4] ، رحَل إلى بغدادَ فسمِع بها وذَيَّل على تاريخِها ، للخطيبِ البغدادِىِّ ، وقد ناقشَه ابنُ الجوزِىِّ فى « المنتظمِ »[5] ، وذكَر عنه أنَّه كان يتعَصَّبُ على أهلِ مذْهبِه ، ويطْعَنُ فى جماعَةٍ منهم ، وأنَّه يُترجِمُ بعبارةٍ عاميَّةٍ ، مثلَ قوْلِه عن بعضِ الشَّيْخاتِ : إنَّها كانت عفيفةً . وعن الشاعرِ المشهُورِ بالحيْصَ بَيْصَ : إنَّه كانتْ له أخْتٌ يقالُ لها : دخَلَ خَرَجَ ، وغيرِ ذلك .

عبدُ القَاهرِ بنُ محمدِ[6] **بنِ عبدِ اللَّهِ** [7]**ابنِ عَمُّويَهِ**[7] **أبو النجيبِ**

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٧٨، والكامل ١١/ ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٤، دون ترجمة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٥٤، والوافى بالوفيات ١١/ ١١١، وشذرات الذهب ٤/ ٢٠٨.

(٢) فى خ ، م : « وعشرين » .

(٣) رمى الدم : قاءه .

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٤٣٣ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١١٨. وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٠.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٧٩.

(٦) المنتظم ١٨/ ١٨٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٦٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٥، والطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ١٤٠.

(٧ - ٧) فى الأصل : « ابن حمويه » ، وفى ص : « ابن حويه » . والمثبت من المنتظم ١٨/ ١٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦.

السُّهْرَوَرْدِىُّ، كان يذْكُرُ أنَّه مِن سُلالةِ أبى بكرٍ الصِّديقِ، سمِع الحديثَ وتفَقَّهَ وأفتى ودرَّس بالنِّظامِيَّةِ وابتنَى لنفْسِه مدرسةً ورِباطًا، وكان مع ذلك متصَوِّفًا يعِظُ الناسَ، ودُفِنَ بمدْرَستِه.

محمدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ أبى الحَسَنِ[1] أبو الفَتْحِ الرَّازِىُّ، المعروفُ بالعَلاءِ العَالِمِ، وهو مِن أهْلِ سَمَرْقَنْدَ، وكان مِن الفُحولِ فى المُناظرَةِ، وله طريقةٌ فى الخِلافِ والجدَلِ، ويقالُ لها التعليقةُ العالِمِيةُ. قال ابنُ الجوزىِّ: وقدورَد بغدادَ وحضَر مجْلِسِى، وقال أبو سَعْدِ بنُ السَّمْعَانىِّ[2]: كان يُدْمِنُ الخمرَ، وكان يقولُ: ليس فى الدنيا أطْيَبُ مِن كتابِ أطَالعُه[3] وبَاطِيَةٍ[4] من الخمرِ أشربُ منها. قال ابنُ الجوزىِّ: ثم بلغَنِى أنَّه أقلَعَ عن شربِ الخمرِ والمُناظرَةِ، وأقبَل على التَّنَسُّكِ والخيرِ، رحِمه اللَّهُ.

يوسفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُنْدارٍ الدِّمشْقِىُّ[5]، مدرِّسُ النِّظامِيَّةِ ببغدادَ، تفقَّه على أسَعْدَ الميهَنِىِّ، وبرَع فى المناظرةِ، وكان يتعَصَّبُ للأشْعَرِيَّةِ، وقد بُعِثَ رسولًا فى هذه السنةِ إلى شَمْلةَ التُّرْكُمانىِّ، فمات فى تلك البلادِ، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى خ، م: «الحسين». وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٨/ ١٨٠، والوافى بالوفيات ٣/ ٢١٨، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٢٠٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٩، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ١٧٧.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٨٠.

(٣) فى خ، م، ص: «المناظرة».

(٤) فى الأصل: «ياجبة» والباطية: إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب. الوسيط (ب ط ن).

(٥) المنتظم ١٨/ ١٨١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٤٠.

ثم دخَلتْ سنةُ أربعٍ وستّين وخمسِمائةٍ[1]

فيها كان فتحُ مِصرَعلى يدِ الأميرِ أسَدِ الدين شِيرَكُوه ، وفيها طغَتِ الفرنْجُ بالديارِ المِصريَّةِ ؛ وذلك لمّا جُعِل لهم شِحْنةٌ بها ، وتحكَّمُوا فى أبوابِها ، وسكَنَها أكثرُ شُجْعَانِها ، ولم يَبْقَ شىءٌ مِن أنْ يَسْتَحْوِذُوا عليها ويُخْرِجُوا منها أهلَها مِن المسلمين ، فعندَ ذلك ركِب أمَدادُ الفرنْجِ من كلِّ ناحيةٍ وساروا صُحْبةَ مُرِّى ملِكِ عسْقَلانَ فى جَحافِلَ هائلةٍ ، فأوَّلُ ما أخَذُوا مدينةُ بُلْبَيْسَ ، فقتَلوا منها خلْقًا وأسَرُوا آخرِينَ ، ونزلُوا بها وترَكُوا فيها أثْقالَهم ، وجعلوها موئِلًا ومعقِلًا ، ثم جاءوا فنزَلَوا على القاهرةِ من ناحيةِ بابِ البرقيَّةِ ، فأمَر الوزيرُ شاورُ الناسَ أنْ يحْرِقُوا مِصْرَ ، وأنْ ينتقلَ الناسُ منها إلى القاهرةِ ، فنُهِب البلدُ وذهَب للناسِ أموالٌ كثيرةٌ جدًّا ، وبقِيتِ النارُ [٢٥٧/٩و] تعْمَلُ فى مصرَ أربعةً وخمسينَ يومًا ، فعندَ ذلك أرسَل الخَليفةُ العاضِدُ يَسْتغيثُ بالملكِ نورِ الدينِ ، وبعَث إليه بشُعُورِ نسائِه يقول[2] : أدْرِكْنِى واسْتَنْقِذْ نسائِى مِن أيدِى الفرنْجِ . والتزَم له بثُلُثِ خَراجِ مِصْرَ ، على أنْ يكونَ أسدُ الدينِ مُقِيمًا عندَهم ، ولهم إقطَاعاتٌ زائدةٌ على الثُّلُثِ ، فشرَع نورُ الدينِ فى تجْهيزِ الجيوشِ إلى الديارِ المصريةِ ، فلمَّا استشعَر الوزيرُ شاورُ بوُصولِ المسلمين ، أرسَل إلى ملكِ الفرنجِ يقولُ له[3] : قد عرَفْتَ محَبَّتِى ومَودَّتِى ، ولكِنَّ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٨٢، والكامل ١١/ ٣٣٥.

(٢) الكامل ١١/ ٣٣٦.

(٣) المصدر السابق ١١/ ٣٣٧.

العاضِدَ والمسلمين لا يُوافقُونَنِى على تسْليمِ البلَدِ . وصالَحَهم ليرجِعوا عامَهُم ذلك عنِ البَلدِ بألفِ ألفِ دينارٍ ، وعجَّل لهم مِن ذلك بمائةِ ألفِ دينارٍ ، فأخَذوها وانشَمرُوا راجعين إلى بلادِهم خوفًا مِن وصولِ الملكِ نورِ الدينِ ، وطمعًا فى العَوْدَةِ إليها مرةً ثانيةً ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤] . ثم شرَع الوزيرُ شاوَرُ فى مُطالبَةِ الناسِ بتحْصيلِ الذَّهَبِ الذى صالح الفِرنجَ عليه ، وضَيَّق على الناسِ مع ما نالَهم مِنَ الحَريقِ والخوفِ ، فجبَر اللَّهُ مُصابَهم وأحسَن مآبَهم ، واسْتَدْعَى الملكُ نورُ الدينِ الأميرَ أسدَ الدينِ شيركُوه مِن حِمْصَ إلى حَلَبَ فسَاق فى يومٍ واحدٍ ، مِن حِمْصَ[1] فدخَل حَلَبَ فى ذلك اليومِ[2] ، فسُرَّ بذلك نورُ الدينِ وتفاءل به ، فقدَّمَه على العساكرِ التى قد جهَّزها إلى الديارِ المصريّةِ وأنْعمَ عليه بمِائَتَىْ ألفِ دينارٍ وأضاف إليه مِن الأمراءِ الأعْيانِ جماعةً ، كلٌّ منهم يبْتَغِى بمسِيرِه ذلك رضا الرَّحمنِ ، وكان فى جملَتِهم ابنُ أخيه صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيُّوبَ بنِ شاذى ، ولم يكُنْ منْشَرِحًا لخروجِه هذا ، بل كان كارِهًا له ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وأضاف إليه ستَّةَ آلافٍ مِن التُّرْكُمانِ ، وسار هو وإيّاه من حلَبَ إلى دِمشقَ ، ثمّ جهَّزه إلى الديارِ المصريةِ بمن معه ، ولمَّا وصلَتِ الجيوشُ النُّورِيَّةُ إلى الديارِ المصريةِ وجدُوا الفِرنْجَ قدِ انْشَمرُوا عن القاهرَةِ راجعين إلى بلادهمِ بالصَّفْقةِ الخاسرةِ ، وكان وصولُه إليها فى سابعِ ربيعٍ الآخرِ ، فدخَل الأميرُ أسدُ الدينِ على العاضِدِ فى ذلك اليومِ ، وخلَع عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً فلَبِسها ،

---

(١) بعده فى خ ، م : « بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ثم ركب وقت طلوع الشمس » .

(٢) بعده فى خ ، م : « ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابة » .

وعاد إلى مُخَيَّمِه بظاهرِ البلدِ ، وفرِح المسلمون بقُدومِه إليهم ، وأُجْرِيَتْ عليهمُ الخيراتُ ، وحُمِلتْ إليهمُ التحَفُ والكَراماتُ ، وخرَجت وجُوهُ الناسِ إلى مُخَيَّمِ أسدِ الدينِ خِدمةً له ، وكان فِيمَنْ جاء إليه المُخَيَّمَ الخليفةُ العاضدُ مُتَنَكِّرًا ، فأسَرّ إليه أمُورًا مهِمَّةً منها قتلُ الوزيرِ شاورٍ ، وقرَّر معه ذلك ، وعَظُم أمرُ الأميرِ أسَدِ الدينِ بمصرَ ، ولم يَقْدِرِ الوزيرُ شاورٌ على مَنعِ شيءٍ من ذلك لكَثرةِ الجيشِ الذين مع أسدِ الدينِ ، ولكِنْ شرَع يُماطِلُ فيما كان تقرّرَ لهم وللملكِ نُورِ الدينِ ممّا كانوا التزَموا له ولهم ، وهو مع ذلك يتردَّدُ إلى الأميرِ أسَدِ الدينِ ويركَبُ معه ، وعزَمَ على عملِ ضِيافَةٍ له ، فنَهاه أصحابُه عنِ الحضُورِ خوفًا عليه من غائلَتِه ، وشاوَرُوه فى قَتْلِ شاورٍ ، فلم يمكِّنْهمُ الأميرُ أسدُ الدينِ من ذلك ، فلمَّا كان فى بعضِ [٩/٢٥٧ظ] الأيامِ جاء شاورٌ إلى منزلِ الأميرِ أسَدِ الدينِ ، فوجَده قد ذهَب لزيارةِ قبرِ الشافِعىِّ ، وإذا ابنُ أخيه صَلاحُ الدِّينِ هنالِكَ ، فعندَ ذلك أمَر صلاحُ الدينِ بالقبضِ عليه ، ولم يمْكِنْه قتلُه إلَّا بعدَ مُشاورَةِ عمِّه ، وانهزَم أصْحابُه فأعْلَمُوا العاضدَ لعلَّه يبعثُ يُنقذُه ، فأرسَل إلى الأميرِ أسَدِ الدينِ يطلبُ منه رأسَه ، فقُتِلَ شاورٌ وأرْسَلُوا رأسَه إلى العاضدِ فى سابعَ عشَرَ ربيعِ الآخرِ ، ففرِح المسلمون بذلك ، وأمَر الأميرُ أَسدُ الدينِ بنَهْبِ دارِ شاورٍ ، فنُهبتْ ، ودخَل أسدُ الدينِ شيركُوه على العاضِدِ فاستَوْزَره وخلَع عليه خِلْعَةً عظيمةً ، ولَقَّبه الملكَ المنصورَ ، فسكَنَ دارَ شاورٍ وعظُمَ شأنُه هُنالكَ . (٢قال ابنُ أبى طىٍّ٢) : ولما بلغَ نورَ الدينِ خبَرُ فتحِ مِصْرَ فرِح بذلك وقصدَتْه الشعراءُ بالتهنئةِ ، غيرَ أنَّه لم ينْشَرِحْ لكونِ أسَدِ الدينِ صارَ وزيرًا ، وكذلك لمَّا انْتَهَتِ الوِزارةُ إلى ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ وشرَع

(١ - ١) فى خ ، م : « قل اللهم مالك الملك » الآية .

(٢ - ٢) سقط من خ ، م ، والخبر فى الروضتين ١/ ٤٣٧.

فى إعْمالِ الـحِيلةِ فى إزالَةِ ذلك فلم يتمَكَّنْ ، ولا قَدَرَ عليه ، ولا سِيَّما حينَ بلغَه أنَّ صلاحَ الدينِ استحوَذ على خزائنِ العاضِدِ كما سيأْتى بيانُه ، واللَّهُ أعلمُ .

وأرسَل أسدُ الدينِ إلى القصرِ يطلبُ كاتبًا ، فأرسَلُوا إليه بالقاضى الفاضِلِ ، رجاءَ أن [1] يقبَلَ منه إذا قال ، وأفاض [1] فيما كانُوا يُؤَمِّلُونَ ، وبعَث العُمَّالَ فى الأعْمالِ وأقطَعَ الإقْطاعاتِ ، ووَلّى فى الوِلاياتِ ، وفرِح بنفسِه أيَّامًا معْدُوداتٍ ، فأدْرَكه حِمَامُه فى يومِ السبتِ الثانى والعِشرين مِن جُمادَى الآخرةِ [2] من هذه السنَةِ ، فكانت ولايتُه شَهْرَيْنِ وخمسةَ أيامٍ ، فلمَّا تُوفِّى أسدُ الدينِ شيرَكُوه ، رحِمهُ اللَّهُ ، أشار الأمراءُ الشامِيُّونَ على العاضدِ بتوليةِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ الوِزارةَ بعد عمِّه ، فولَّاه الوِزارةَ وخلَعَ عليه خِلْعةً سَنِيَّةً ، ولقَّبه الملكَ الناصِرَ .

صِفَةُ الخِلْعَةِ التى لَبِسَها صَلاحُ الدينِ يومَئذٍ فيما ذكَره الشيخُ شهابُ الدِّينِ فى « الرَوْضَتَيْنِ » [3] :

عِمامَةٌ بَيْضاءُ تِنِّيسيٌّ [4] بطَرَفِ ذهَبٍ ، وثَوْبٌ دَبِيقيٌّ [5] بطِرازِ ذَهَبٍ ، وجُبَّةٌ بطِرازِ ذهَبٍ ، وطَيْلَسَانٌ بطِرازٍ مُذهَّبَةٍ ، وعِقْدُ جَوْهَرٍ بعشَرَةِ آلافِ دينارٍ ، وسَيْفٌ محَلًّى بخمسةِ آلافِ دينارٍ ، وحِجْرٌ [6] بثمانيةِ آلافِ دينارٍ ، وعليها طَوْقُ ذهبٍ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « يقتل معه إذا قتل » .

(٢) فى خ : « الأولى » .

(٣) الروضتين ١/ ٤٣٩.

(٤) فى الأصل : « ملس » ، وفى ص : « بيسى » ، وتنيسى : نسبة إلى تنيس ؛ جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، وبها تعمل الثياب الملونة . معجم البلدان ١/ ٨٨٢.

(٥) فى الأصل : « ديسعى » . وفى خ ، م ، ص : « ديقى » ، والمثبت من الروضتين ، والدبيقى نسبة إلى دبيق : بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ينسب إليها الثياب . معجم البلدان ٢/ ٥٤٨.

(٦) فى الأصل ، خ ، ص : « حجرة » ، وفى م : « حجزة » . والمثبت من الروضتين . والحجر : أنثى الخيل ، ولا يقال فيها : حجرة . تاج العروس (ح ج ر) .

وسرفسارُ[1] ذهَبٍ مُجَوْهَرٌ، وفى رأسِها مائتا حَبَّةِ جَوْهَرٍ، وفى قَوائِمِها أرْبَعَةُ عُقودِ جَوْهَرٍ، وفى رأسِها قصَبَةُ ذهَبٍ، وفى رأسِها مشدةٌ[2] بَيْضاءُ بأعْلامِ بيضٍ، ومع الخِلْعَةِ عدَّةُ بُقَجٍ[3]، وخيلٌ وأشْياءُ أُخَرُ، ومنْشُورُ الوزارةِ ملفُوفٌ بثوْبِ أطْلَسَ أبيضَ، وكان ذلك فى يومِ الاثْنَيْنِ الخامسِ والعِشْرينَ مِن جُمادَى الآخرةِ، مِن هذه السنَةِ، وكان يومًا مشْهُودًا، وسارَ الجيشُ بكَمالِه فى خدْمَتِه، ولم يتخلَّفْ عنه سِوَى عينِ[4] الدولةِ الياروقىِّ؛ قال[5]: لا أخْدُمُ يُوسُفَ بعدَ نُورِ الدينِ، ثم سارَ بجَيْشِه إلى الشامِ، فلامَه نورُ الدينِ على ذلك، وأقامَ الملكُ صلاحُ الدينِ بمصْرَ بصِفَةِ نائبٍ للمَلكِ نُورِ الدينِ، يخطُبُ له على المنابرِ بالديارِ المِصْرِيَّةِ، ويكاتِبُه الأميرُ نورُ الدينِ بالأميرِ الأسْفَهْسِلارِ[6] صلاحِ الدينِ ويتوَاضَعُ له صلاحُ الدينِ فى الكتُبِ والعلاَمَةِ، لكِنْ قدِ التفَّتْ عليه القلوبُ، [٩/٢٥٨و] وخضَعَتْ له النفوسُ، واضْطُهِدَ العاضِد فى أيامِه غايةَ الاضْطِهادِ، وارْتفَعَ قدرُ صلاحِ الدينِ بينَ العِبادِ بتلك البلادِ، وزادَ فى إقْطاعَاتِ الذينَ معه فأحَبُّوه واحْتَرمُوه وخدَموه، وكتَبَ إليه نورُ الدينِ يعنِّفُه على قَبُولِ الوِزارةِ بدونِ مرْسُومِه، وأمَرَه أنْ يُقَيِّمَ حِسابَ الديارِ المِصْرِيَّةِ، فلم يلتفِتْ صلاحُ الدينِ إلى ذلك وجعَل نورُ الدينِ يقولُ فى غُبون ذلك: ملَكَ ابنُ أيُّوبَ. وأرسَلَ إلى الملكِ نورِ الدينِ يطلبُ منه أهْلَه وإخْوتَه وقرابتَه، فأرْسَلَهم إليه وشرَطَ عليهمُ السَّمْعَ والطاعةَ له، فاستقرَّ أمْرُه

---

(١) سرفسار: كلمة فارسية معناها: لجام الرأس «قاموس الفارسية»: ٣٥٨.

(٢) فى الأصل، خ، ص: «شدة»، وفى م: «تندة». والمثبت من مصدر التخريج.

(٣) البقج، جمع بقجة: فارسية معربة تعنى صرة الملابس.

(٤) فى الأصل، خ، ص: «عز». وانظر الكامل ١١/ ٣٤٤.

(٥) الكامل ١١/ ٣٤٤.

(٦) الأسفهسلار: لقب من ألقاب أرباب السيوف، وكان فى الدولة الفاطمية لقبًا على صاحب وظيفة تلى صاحب الباب، وهو مركب من لفظين؛ فارسى، وتركى، فأسْفَه بالفارسية، بمعنى المقدَّم، وسِلار بالتركية بمعنى العسكر، على أن الأمراء أعرضوا عن هذا اللقب عندما وجدوا العامة يطلقونه على بعض من يقف بباب السلطان من الأعوان. صبح الأعشى ٦/ ٧، ٨.

هنالِك وحفِظ دولَتَه بذلك ، وكَمَلَ أمْرُه وتمكَّنَ سلْطانُه وقوِيَتْ أرْكانُه .

وقد قالَ بعضُ الشعراءِ فى قَتْلِ صلاحِ الدينِ لشاور الوزيرِ[1] :

هنيئًا لِمِصْرَ حَوزَ يوسُفَ مُلكَها ... بأمْرٍ مِن الرحْمنِ كان مؤقُوتا
وما كانَ فيها قتْلُ يُوسُفَ شاورًا ... يماثِلُ إلّا قتْلَ داودَ جَالُوتَا

قال أبو شامةَ[2] : وقتَل العاضِدُ فى هذه السنَةِ أوْلادَ شاور ، وهم : شُجاعٌ الملَقَّبُ بالكاملِ ، والطارِى الملقَّبُ بالمُعَظَّمِ ، وأخُوهما الآخرُ الملقَّبُ بفارِسِ المسلمينَ ، وطِيفَ برءُوسِهم ببلادِ مِصْرَ .

ذِكْرُ قَتْلِ الطَّواشِىّ مُؤْتَمَنِ الخلافةِ ، وأصْحابِه على يَدِ الملكِ صلاحِ الدينِ

وذلك أنَّه كتَبَ مِن دارِ الخلافةِ بمصْرَ إلى الفرنجِ ليَقْدَموا إلى الديارِ المصْرِيَّةِ ليُخْرِجُوا منها الجيوشَ الإسْلاميَّةَ الشامِيَةَ والعساكرَ النُّورِيَّةَ ، وكان الذى نفَّذَ الكتابَ إليهمُ الخادمُ مؤتَمَنُ الخلافةِ ، مُقدَّمُ العساكرِ بالقَصْرِ ، وكان حبَشِيًّا ، وكان قد أرسَلَه مع إنْسانٍ أمِنَ إليه ، فصادَفَه فى بعْضِ الطريقِ مَن أنْكَرَ حالَه ، فحمَله إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، فقرَّرَه ، فأخرَجَ الكتابَ ، ففَهِمَ صلاحُ الدينِ الحالَ فكتَمه ، واسْتَشْعَرَ مؤتَمَنُ الخلافةِ الخادمُ أنَّ الملكَ صلاحَ الدينِ قدِ اطَّلَعَ على الأمرِ ، فلازَمَ القَصْرَ مدةً طويلةً خَوْفًا على نفْسِه ، ثم عَنَّ له فى بعْضِ الأيامِ أنْ خرَج إلى الصيدِ ، فأرْسَل الملكُ صلاحُ الدينِ إليه مَن قبَضَ عليه وقتَله وحمَل رأسَه إليه ، ثم

---

(١) البيتان فى كتاب الروضتين ١/ ٤٥٥.
(٢) المصدر السابق.

عزَل جميعَ الخُدَّامِ الذين يَلُونَ خِدْمَةَ القَصْرِ ، واسْتَنابَ على القَصْرِ عِوَضَهم بهاءَ الدينِ قَراقُوشَ ، وأمَرَه أنْ يُطالعَه بجميعِ الأمورِ ، صِغارِها وكبارِها .

وَقْعَةُ السُّودَانِ[1]

وذلكَ أنَّه لمَّا قُتِلَ الطَّواشِيُّ[2] ، مؤتَمَنُ الخلافةِ الخادِمُ الحبَشيُّ ، وعُزِلَ بقِيَّةُ الخُدَّامِ ، غضِبُوا لذلك واجْتَمعُوا قريبًا مِن خَمْسِينَ ألفًا ، فاقْتَتَلُوا هم وجيشُ الملكِ صلاحِ الدينِ بينَ القَصْرَيْنِ ، فقُتِلَ خلقٌ كثيرٌ مِن الفريقَيْنِ ، وكان العاضِدُ ينظُرُ مِن القَصْرِ إلى المعرَكَةِ ، وقد قُذِفَ الجيشُ الشامِيُّ مِن القَصْر بحِجارَةٍ ، وجاءَهم منه سِهامٌ ، فقيل : كان ذلك بأمرِ العاضدِ ، وقيلَ : لم يكُنْ بأمْرِه . ثم إنَّ أخا الناصرِ شمسَ الدولةِ تُورانشاه[3] - وكان حاضِرًا للحَرْبِ قد بعَثَه نورُ الدينِ إلى أخيه ليَشُدَّ أَزْرَه - أمرَ بإحْراقِ مَنْظَرةِ العاضدِ ، ففُتِحَ البابُ ونُودِىَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ يأمُرُكم أن تُخرِجُوا هؤلاءِ السُّودانَ مِن بينِ أظْهُرِكم ، ومِن بلادِكم ، فقَوِىَ الشامِيُّونَ وضَعُفَ جأشُ السُّودانِ جدًّا ، وأرسَلَ الملكُ الناصرُ [٩/٢٥٨ظ] إلى محِلَّتِهم المعرُوفةِ بالمنْصُورَةِ ، التى فيها دورُهم وأهلُوهم بابِ زَوِيلَةَ فأحْرقَها ، فولَّوا عندَ ذلك مُدْبِرِينَ ، ورَكِبهم السيفُ فقتَلَ منهم خلقًا كثيرًا ، ثم طلَبُوا الأمانَ مِن الملكِ صلاحِ الدينِ ، فأجابَهم إلى ذلك ، وأخْرَجَهم إلى الجِيزةِ ، ثم خرَج إليهم شمسُ الدولةِ تُورانشاه أخو الملكِ صلاحِ الدينِ[4] فقتَل أكثَرَهم أيضًا ،

---

(١) الروضتين ١/ ٤٥١، والكامل ١١/ ٣٤٥.

(٢) الطواشى : جمعه طواشية ؛ وهم الخصيان الذين استخدموا فى الطياق المملوكة ، وفى الحريم السلطانى ، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة ، ويعد شيخهم من أعيان الناس . المواعظ للمقريزى ٤/ ٢١٩.

(٣) فى خ ، م : « نورشاه » . وانظر الكامل ١١/ ٣٤٧، الروضتين ١/ ٤٥٢.

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « الأكثر » .

ولم يَبْقَ منهم إلَّا القليلُ ، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [النمل : ٥٢] .

وفيها[١] افْتَتح الملكُ نورُ الدينِ بنُ محمودِ بنِ زَنكِى قلعةَ جعْبَرٍ ، وانْتزَعَها مِن يَدِ صاحبِها شِهَابِ الدينِ مالكِ[٢] بنِ علىٍّ [٣]بنِ مالكٍ[٣] العُقَيْلىِّ ، وكانتْ فى أيْدِيهم مِن أيامِ السلْطانِ مَلِكْشَاه .

وفيها احْتَرقَ جامِعُ حَلَبَ فجدَّدَه نورُ الدينِ .

وفيها [٤]ماتَ يارُوقُ[٤] الذى تُنْسَبُ إليه المحَلَّةُ بظاهرِ حَلَبَ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

سَعْدُ اللَّهِ بنُ نَصْرِ بنِ سعيدٍ ، الدَّجاجِىُّ ، أبو الحسَنِ[٥] ، الواعِظُ الحَنْبَلىُّ ، وُلِدَ فى سنةِ ثمانينَ وأربعِمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ وتفَقَّهَ ووعَظ ، وكان لطيفَ الوعْظِ ، وقد أثْنَى عليه ابنُ الجَوْزِىِّ فى ذلك[٦] ، وذكَر أنَّه سُئِل مرَّةً عن أحاديثِ الصِّفاتِ ، فنَهَى عنِ التعرُّضِ لذلك ، وأنشدَ[٦] :

أبى العاتبُ[٧] الغَضْبانُ يا نفْسُ أن يرْضَى ... وأنتِ [٨]التى صيَّرْتِ طاعَتَه[٨] فرْضَا

---

(١) الكامل ١١/ ٣٣٤.

(٢) فى الأصل ، ص : « بلل » . وانظر الكامل ١١/ ٣٣٤.

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م ، وفى الأصل ، ص : « بن بلل » . والمثبت من الكامل ١١/ ٣٣٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : « باب باروق » . وفى خ ، م ، ص : « مات ماروق » . والمثبت من الروضتين ١/ ٤٥٦.

(٥) المنتظم ١٨/ ١٨٤، والتقييد لابن نقطة ٢٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٠٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٦، وغاية النهاية ١/ ٣٠٣.

(٦) المنتظم ١٨/ ١٨٤.

(٧) فى الأصل ، م ، ص ، ومصدر التخريج : « الغائب » . والمثبت كما فى ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٠٤.

(٨ - ٨) فى الأصل : « الذى صبرت لطاعته » .

فلا تهْجُرِى مَن لا تُطِيقينَ هَجْرَه وإن هَمَّ بالهِجْرانِ خدَّيْك والأرْضَا

وذكَر ابنُ الجَوْزِىِّ عنه أنَّه قال[1] : خِفْتُ مرَّةً مِن الخليفةِ ، فهتَفَ بى هاتفٌ فى المنامِ وقال : اكتُبْ :

ادْفَعْ بصَبْرِكَ حادِثَ الأيامِ وترَجَّ لُطْفَ الواحدِ العلَّامِ
لا تَيْأَسَنَّ وإنْ تضايقَ كرْبُها ورَماك رَيْبُ صُروفِها بسِهَامِ
فلَهُ تعالَى بينَ ذلكَ فَرْجةٌ تخْفَى على الأبْصارِ[2] والأوْهامِ
كَمْ مَن نجَا مِن بينِ أطْرافِ القَنَا وفرِيسَةٍ سلِمَتْ مِنَ الضِّرْغَامِ

تُوفِّى فى شَعْبانَ مِن هذه السنةِ عن أرْبَعٍ وثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ إلى جانبِ رِباطِ الزُّوزنىِّ[3] ، ثم نُقِل إلى مقْبَرَةِ الإمامِ أحمدَ .

شاوُرُ [4]**بنُ مُجِيرٍ**[4] ، **أبو شُجاعٍ السعدِىُّ** ، المَلَقَّبُ أميرَ الجُيوشِ ، وزيرُ الديارِ المِصْرِيَّةِ أيامَ العاضدِ ، وهو الذى انْتَزَعَ الوِزارةَ مِن يَدَىْ رُزِّيكَ ، وهو أوَّلُ مَنِ اسْتَكْتَبَ القاضِىَ الفاضلَ ، اسْتَدْعَى به مِن إسْكَنْدَرِيَّةَ مِن بابِ السِّدْرَةِ[5] ، فحظِىَ عندَه وانْحصرَ منه الكُتَّابُ بالقَصْرِ ، لِمَا رأَوْا مِن فضْلِه وفضِيلَتِه . وقدِ امْتدحَه الشعراءُ ؛ فمنهم عُمارَةُ اليَمنىُّ حيثُ يقول[6] :

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٨٤.

(٢) فى خ ، م : « الأفهام » .

(٣) فى خ ، م : « الزورى » .

(٤ - ٤) فى خ ، م : « مجير الدين » . وانظر ترجمته فى : الروضتين ١/ ١٥٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢.

(٥) فى الأصل ، ص : « السورة » .

(٦) البيتان فى : وفيات الأعيان ٢/ ٤٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٣.

ضجرَ الحديدُ مِنَ الحديدِ وشاورٌ فى نَصْرِ دِينِ محمدٍ لم يضْجرِ
حلَفَ الزمانُ ليَأْتِيَنَّ بمثْلِه حَنِثَتْ يَمِينُكَ يا زَمانُ فكَفِّرِ

ولم يزَلْ أمرُه قائمًا إلى أنْ ثارَ عليه الأميرُ ضِرْغامُ بنُ سَوَّارٍ، فالْتَجأَ إلى الملكِ نورِ الدينِ فأرسَلَ معه الأميرَ أسَدَ الدينِ شِيركُوه فنَصرُوه على عدُوِّه، فنكَثَ عهدَه، فلم يزَلْ أسدُ الدينِ حَنِقًا عليه حتى كان قتلُه فى هذه السنَةِ، على يدَى ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ يوسفَ، ضرَبَ عنُقَه بينَ يديه الأميرُ جُرْديكُ[1] فى السابعَ عشَرَ مِن ربيعِ الآخرِ، واسْتَوْزَرَ بعدَه أسدَ الدينِ شِيرَكُوه كما ذكَرْنا، فلم تطُلْ مدَّتُه بعدَه إلَّا شهْرينِ[2] وخمسةَ أيامٍ.

قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: هو أبو شُجاعٍ شاورُ بنُ مُجِيرِ الدينِ بنِ نِزارِ بنِ عشائرَ بنِ شأسِ بنِ مُغِيثِ بنِ حَبِيبِ بنِ الحارِثِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ يخنسَ[5] بنِ أبى ذُؤَيْبٍ عبدِ اللَّهِ؛ وهو والدُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ. كذا قال، وفيما قالَ نظَرٌ لقِصَرِ هذا النَّسَبِ بالنسبةِ إلى بُعْدِ المدَّةِ، واللَّهُ أعلمُ.

شِيرِكُوه بنُ شاذِى[6]، أسدُ الدينِ الكُرْدِىُّ الرَّوادِىُّ[7]، وهم أشْرَفُ شُعوبِ

---

(١) فى خ، م: «جردتك».
(٢) فى الأصل، ص: «شهر». وسيأتى قريبًا فى ترجمته.
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩.
(٤) فى الأصل: «شاير».
(٥) فى الأصل: «محسن»، وفى خ، م: «مخيس». وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ١٩٤، والعبر ٤/ ١٨٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٥٢.
(٧) فى الأصل: «الرزارى»، وفى خ، م: «الزرزارى»، وفى ص: «الزورادى». والمثبت من مصادر الترجمة.

الأكْرادِ ، وهو مِن قَرْيَةٍ [٢٥٩/٩و] يقالُ لها : دُوِينُ[1] مِن أعمالِ أَذْرَبِيجَانَ ، خدَمَ هو وأخوه نجمُ الدينِ أيُّوبُ - وكان الأكبرَ - الأميرَ مُجاهِدَ الدينِ بِهْرُوزَ الخادِمَ شِحْنَةَ العراقِ ، فاسْتَنابَ نجْمَ الدينِ أيُّوبَ على قلْعَةِ تَكْرِيتَ ، فاتَّفقَ أنْ دخَلَها الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى هارِبًا مِن قراجا السَّاقِى ، فأحْسنَا إليه وخدَمَاه ، ثم اتَّفقَ أن قتَلَ[2] رجلًا مِن العامَّةِ فى تأديبٍ ، فأخْرَجَهما بِهْروزُ مِن القلعةِ فصارَا إلى زَنْكِى بحَلَبَ ، فأحْسَنَ إليهما ، ثم حَظِيَا عندَ ولَدِه نُورِ الدينِ محمودٍ ، فاسْتَنابَ أيُّوبَ على بَعْلَبَكَّ[3] ، وأقَرَّه ولَدُه نورُ الدينِ ، وصارَ أسدُ الدينِ عندَ نورِ الدينِ أكبرَ أُمَرائِه ، وأخَصَّهم عندَه وكان قد أقْطَعه الرَّحبَةَ وحِمْصَ مع ما لَه عندَه مِن الإقْطاعاتِ ، وذلك لشهامتِه وشجاعتِه وصَرامَتِه وجِهادِه فى أعداءِ اللَّهِ الفِرنْجِ وغيرِهم ، فى أيامٍ معْدُوداتٍ ووَقَعاتٍ مُعْتَبراتٍ ، ولا سِيَّما يومَ فَتْحِ دِمَشْقَ ، وأعجبُ مِن ذلك ما فعَلَه بديارِ مِصْرَ ، بلَّ اللَّهُ بالرحمةِ ثرَاه وجعَلَ الجنةَ مأْوَاه .

كانتْ وفاتُه يومَ السبتِ فجأةً بخانُوقٍ حصَلَ له ، وذلك فى الثانى والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ ، رَحِمهُ اللَّهُ . قال أبو شامة[4] : وإليه تُنْسَبُ الخَانِقَاه الأسَدِيَّةُ داخلَ بابِ الجابِيَةِ بدربِ الهاشميِّينَ ، والمدرسةُ الأسَدِيَّةُ بالشرفِ[5] القِبْلِىِّ . ثم آلَ الأمرُ مِن بعدِه إلى ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ يُوسُفَ ، ثم اسْتَوْسَقَ له المُلْكُ وأطاعته المَمالكُ هُنالِكَ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) فى الأصل : « دويب » ، وفى خ ، م : « درين » ، ودوين : بليدة بطرف أذربيجان مما يلى بلاد الكرج . سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٨، وانظر معجم البلدان ٢/ ٦٣٣.

(٢) فى الأصل ، ص : « قتلا » . وانظر الكامل ١١/ ٣٤١.

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « زنكى » .

(٤) الروضتين ١/ ٤٣٨.

(٥) فى الأصل م ، ص : « بالشرق » .

محمدُ بنُ [1]**عبدِ الباقى بنِ أحمدَ**[1] **بنِ سَلْمانَ**[2] **، المعْروفُ بابنِ البَطِّىِّ ،** سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وأسمَعَ ورُحِلَ إليه ، وقاربَ التسعين ، رحِمه اللَّهُ .

محمدٌ الفارِقِىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ[3] ، الواعِظُ ، يقالُ : إنَّه كان يحْفَظُ « نَهْجَ البلاغَةِ » ويُغَيِّرُ[4] ألْفاظَه ، وكان فصِيحًا بليغًا يُكْتَبُ كلامُه ويرْوَى عنه كتابٌ يعرفُ بـ « الحِكَمِ الفارِقِيَّةِ » .

مَعْمَرُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ رَجاءٍ[5] **، أبو أحمدَ**[6] **الأَصْبهانِىُّ ،** أحدُ الحفَّاظِ الوعَّاظِ ، روَى عن أصحابِ أبى نُعَيْمٍ ، وكانتْ له معرفةٌ جيدةٌ بالحديثِ ، تُوفِّى وهو ذاهبٌ إلى الحجِّ بالبادِيَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) فى النسخ : « عبد اللَّه بن عبد الواحد » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٠٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٠٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢.

(٢) فى م : « سليمان » .

(٣) المنتظم ١٨/ ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٠٨، والوافى بالوفيات ٤/ ٤٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢١٤.

(٤) فى خ ، م : « يعبر » والمثبت كما فى المصادر .

(٥) فى م : « رجار » وكذا فى الكامل ١١/ ٣٤٩. وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢١٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢.

(٦) فى الأصل ، خ ، ص : « محمد » .

ثم دخَلَتْ سنَةُ خَمْسٍ وسِتيِّـنَ وخَمْسِمائَةٍ

فى صفَرٍ منها[1] حاصَرَتِ الفرنْجُ مدينةَ دِمْياطَ مِن بلادِ مِصْرَ خمسينَ يومًا ، بحيثُ ضيَّقُوا على أهلِها ، وقتَلُوا أُمَمًا كثيرةً ؛ جاءُوا إليها مِنَ البَرِّ والبحرِ ؛ رَجَاءَ أنْ يمْلِكُوا الديارَ المصريَّةَ ، وخَوْفًا مِنَ اسْتِيلاءِ المسلمينَ على القُدْسِ ، فكتَبَ الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الملكِ نورِ الدينِ يَسْتَنْجِدُه عليهم ، ويطلُبُ منه أنْ يُرسِلَ إليه بأمْدادٍ مِنَ الجيوشِ ؛ فإنَّه إن خرَج مِن مصرَ خلَفَه أهلُها بسوءٍ ، وإن قعَد عن الفرنْجِ أخذوا دِمْياطَ وجعَلوها مَعْقِلًا لهم يتَقَوَّونَ بها على أخذِ مِصْرَ ، فأرسَلَ إليه نورُ الدينِ ببُعوثٍ كثيرةٍ ، يتْبَعُ بعضُها بعْضًا . ثم إنَّ نورَ الدينِ اغْتَنَم غَيْبَةَ الفرنْجِ عن بلادِهم فصمَد إليهم فى جُيوشٍ كثيرةٍ ، فجاسَ خِلالَ ديارِهم ، وغنِمَ مِن أمْوالِهم ، وقتَل مِن رجالِهم ، وسَبَى مِن نسائِهم وأطفالِهم شيئًا كثيرًا . وكان مِن جملةِ مَن أَرْسَل إلى صلاحِ الدينِ أبوه الأميرُ نجْمُ الدِّينِ أيُّوبُ فى جيشٍ مِن تلك الجيوشِ ، ومعه [٢٥٩/٩ظ] بَقِيَّةُ أولادِه ، فتلَقَّاه الجيشُ مِن مِصرَ فى رجبٍ ، وخرَجَ العاضِدُ لتلَقِّيه إكْرامًا لولَدِه صلاحِ الدينِ ، وأقْطعَه الإسْكَنْدَرِيَّةَ ودِمْيَاطَ والبُحَيْرَةَ ، وكذلك بقيَّةَ أولادِه ، وقد أمَدَّ العاضدُ صلاحَ الدينِ فى هذه الكائنةِ بألفِ ألفِ دينارٍ حتى انْفصَلتِ الفرنجُ عن دِمْياطَ .

وأجْلَتِ الفرنجُ عن دِمْياطَ ؛ لأنَّه بلَغَهم أنَّ الملكَ نورَ الدينِ قد غزَا بلادَهم ، وقتَل خلقًا مِن رجالِهم ، وسبَى كثيرًا مِن نسائِهم وأطفالِهم ، وغنِم مالًا جزيلًا مِن

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٨٧، والكامل ١١/ ٣٥١.

أموالِهم ، فجزَاه اللَّهُ عنِ المسلمينَ خَيْرًا . ثم سارَ نورُ الدينِ فى جُمادَى الآخرةِ إلى الكَرَكِ[1] ، فحاصَرَها - وكانتْ مِن أمْنَعِ البلادِ - وكادَ أنْ يفْتَحَها ، ولكِنْ بَلَغَه أن مُقَدَّمَيْنِ مِن الفرَنجِ قد أقْبَلَا نحوَ دِمَشْقَ ، فخافَ أنْ يلْتَفَّ عليهما الفرنجُ ، فترَكَ الحصارَ وأقبلَ نحوَ دِمَشْقَ فحصَّنَها ، ولمَّا انجلَتِ الفرنجُ عن دِمْياطَ فرِحَ نورُ الدينِ والمسلمون فرحًا شديدًا ، وأنشَد الشعراءُ كلٌّ منهم قصِيدًا ، وقد كان الملكُ نورُ الدينِ شديدَ الاهْتِمامِ ، قوِىَّ الاغْتِمامِ بذلك ، حتى إنّه قرَأ عليه بعضُ طلَبَةِ الحديثِ جُزْءًا فيه حديثٌ مُسَلْسَلٌ بالتَّبَسُّمِ ، فطلَبَ منه أنْ يتَبسَّمَ ؛ ليتَّصِلَ التسلسلُ ، فامْتَنَع مِن ذلك ، وقال[2] : إنِّى لأَسْتَحيى مِنَ اللَّهِ أنْ يرانِى مُتَبَسِّمًا والمسلمونَ تحاصِرُهمُ الفرنجُ بثَغْرِ دِمْياطَ .

وقد ذكَرَ الشيخُ أبو شامةَ[2] أنَّ إمامَ مسجدِ أبى الدَّرْدَاءِ بالقلعةِ المنْصُورَةِ رأَى فى تلكَ الليلةِ التى أجْلَى فيها الفرنجُ عن دِمْياطَ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ له : سلِّمْ على نُورِ الدينِ ، وبشِّرْه بأنَّ الفرنجَ قد رحَلُوا عن دِمْياطَ . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بأىِّ علامَةٍ ؟ فقالَ : بعلَامَةِ ما سجَدَ يومَ تَلِّ حارِمٍ وقال فى سجُودِه : اللَّهُمَّ انْصُرْ دِينَكَ ، [3]ولا تَنْصُرْ محمودًا ، ومَنْ هو محمودٌ الكَلْبُ حتى يُنْصرَ[3] ؟ فلمَّا صلَّى نورُ الدينِ عندَه الصبحَ بشَّرَه بذلك وأَعْلَمه بالعلَامَةِ ، وكشَفوا تلك الليلةَ فإذا هى هى .

قال العمادُ الكاتِبُ[4] : وفى هذه السنَةِ عمَّرَ الملكُ نورُ الدينِ جامِعَ دارَيَّا ،

---

(١) فى م : « الكرخ » . والكرك : قلعة حصينة جدًا فى طرف الشام من نواحى البلقاء . معجم البلدان ٤/ ٣٦٣.
(٢) الروضتين ١/ ٤٥٩.
(٣ - ٣) فى النسخ : « ومن هو محمود الكلب » . والمثبت من الروضتين .
(٤) الروضتين ١/ ٤٦٣.

وعمَّرَ مَشْهَدَ الشيخِ أبى سُلَيمانَ الدَّارَانِىِّ بها ، وشَتَّى بدِمَشْقَ .

وفيها حاصَر نورُ الدينِ الكَرَكَ أرْبعَةَ أيامٍ ، وفارَقَه مِن هناك نَجمُ الدينِ أيُّوبُ والدُ صلاحِ الدينِ مُتوجِّهًا إلى ابْنِه بمِصْرَ ، وقد وصَّاه الملكُ نورُ الدينِ أنْ يأمُرَ ابنَه صلاحَ الدينِ أنْ يخْطُبَ بمِصرَ للخليفةِ المُسْتَنْجِدِ باللَّهِ العباسِىِّ ، وذلك أنَّ الخليفةَ بعَثَ يُعاتِبُه فى ذلك .

وفيها قدِمَ الفرنْجُ مِن السواحِلِ ؛ ليمنَعُوا الكَرَكَ مع قَريبِ[1] بنِ الرقيقِ وابنِ هَنْفَرى[2] ، وكانَا أشجعَ فُرْسَانِ الفِرنجِ ، فقصَدَهما نورُ الدينِ ليلقَاهما ، فحادَا عن طريقِه .

وفيها كانتْ زَلْزلَةٌ عظيمةٌ بالشامِ والجزيرةِ وعمَّتْ أكثرَ الأرضِ ، فتهَدَّمَتْ أسْوارٌ كثيرةٌ بالشامِ ، وسقَطَتْ دورٌ كثيرةٌ على أهْلِها ، ولا سِيَّما بدِمَشْقَ وحِمْصَ وحَمَاةَ وحَلَبَ وبَعْلَبَكَّ ؛ سقَطتْ أسْوارُها وأكثرُ قلْعَتِها ، فجدَّدَ الملكُ نورُ الدينِ عِمارةَ أكثرِ ما سقَط بهذه الزَّلزلةِ .

وفيها تُوفِّى :

المِلكُ قُطْبُ الدينِ مَوْدُودُ بنُ زَنْكِى[3] ، أخو نُورِ الدينِ محمودٍ صاحِبِ المَوْصِلِ ، وله مِن العمرِ أرْبَعُونَ سنةً ، ومدَّةُ مُلكِه منها إحْدَى وعِشْرونَ سنةً ، وكان مِن خيارِ الملوكِ ، مُحبًّا إلى الرعِيَّةِ ، عَطُوفًا عليهم ، [٩/٢٦٠و] مُحْسِنًا

---

(١) فى الأصل : « بيت » ، وفى خ ، م : « ثبيب » ، وفى ص : « ملتب » . والمثبت من الكامل ١١/ ٣٥٣.
(٢) فى الأصل ، ص : « الليقرى » ، وفى خ ، م : « القنقرى » . والمثبت من الكامل ١١/ ٣٥٣.
(٣) الكامل ١١/ ٣٥٥، والروضتين ١/ ٤٧٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٣٩.

إليهم، حسَنَ الشكلِ. وتملَّكَ مِن بعدِه ولَدُه سيفُ الدينِ غازِى مِن السِّتِّ خاتُونَ بنتِ تَمُرْتاشَ بنِ إيلغازى بنِ أُرْتُقَ أصْحابِ ماردِينَ، وكان مُدَبِّرَ مملَكتِه والمُتَحَكِّمَ فيها فَخْرُ الدينِ عبدُ المسيحِ، وكان ظالِمًا غاشِمًا.

وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ ملُوك الغربِ بجزيرةِ الأنْدَلُسِ، وكذلك كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بين ملُوكِ الشرقِ أيضًا.

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ، والتى قبلَها الأميرُ أَرْغَشُ الكبيرُ[1].

---

(١) بعده فى خ، م: «ولم أر أحدًا من أكابر الأعيان توفى فيها».

ثم دخلتْ سنةُ ستٍّ وستّين وخمسمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ المُسْتَنْجِدِ[2] وخِلافَةُ ابنِه المُسْتَضِيءِ، وذلك أنَّ الخَلِيفةَ المستنجدَ كان قد مرِض فى أوَّلِ هذه السنَةِ، ثم عُوفِىَ فيما يبدو للناسِ، فعُمِلت ضِيافةٌ عظيمةٌ بسبَبِ ذلك، وفرِح الناسُ بذلك، ثم أدخَله الحكيمُ إلى الحمَّامِ وعندَه ضعْفٌ شديدٌ فماتَ فى الحمَّامِ، رحِمه اللَّهُ. ويقال[3]: إنَّ ذلك كان بإشارةِ بعضِ الدولةِ على الطبيبِ؛ اسْتِعجالًا لموتِه، وكانت وفاتُه يومَ السبتِ بعدَ الظهرِ ثامنَ ربيعِ الآخرِ عن ثَمانٍ وأربعين سنةً، وكانت مدَّةُ خلافَتِه إحدَى عشْرَةَ سنةً وشهْرًا، وكان مِن خيارِ الخلفاءِ وأعْدَلِهم وأرفقِهم بالرَّعايا، وضَع عنهم المُكُوسَ والضرائبَ، ولم يتْرُكْ بالعراقِ مَكْسًا، وقد شفَع بعضُ أصحابِه فى رجلٍ شِرِّيرٍ، وبذَل فيه عشَرَةَ آلافِ دينارٍ، فقال له الخليفةُ[4]: أنا أُعْطِيكَ عشَرَةَ آلافِ دِينارٍ وائْتِنى بمِثْلِه؛ لأُرِيحَ المسلمينَ مِن شرِّه.

وكان المستنجدُ أسْمَرَ، طوِيلَ اللحْيةِ، وهو الثانى والثلاثونَ مِنَ العباسِيِّينَ، وذلك فى الجُمَّلِ لامٌ باءٌ، ولهذا قال فيه بعضُ الأدباءِ[5]:

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٠، والكامل ١١/ ٣٦٠.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٦، والمنتظم ١٨/ ١٩٥، والكامل ١١/ ٣٦٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٨٤، والروضتين ١/ ٤٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٥٥.

(٣) الكامل ١١/ ٣٦٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٢٨٥.

(٤) الكامل ١١/ ٣٦٢، ومرآة الزمان ٨/ ٢٨٤.

(٥) الروضتين ١/ ٤٨٤.

أصْبَحْتَ لُبَّ بنى العباس كُلِّهِمُ إنْ عُدِّدتْ بحِسَابِ الجُمَّلِ[1] الخُلَفا

وكان أمَّارًا بالمعروفِ ، نَهَّاءً عنِ المنكرِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد رأَى[2] فى منامِه رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرَ مرّةٍ ، فكانت آخِرُهُنّ قبلَ أن يلِيَ بأربعةِ أيّامٍ وهو يقولُ له : « قُلِ : اللَّهُمَّ اهْدِنى فِيمَنْ هدَيْتَ ، وعافِنِى فِيمَنْ عافَيْتَ »[3] . دُعاءَ القُنوتِ بتَمامِه .

وصُلِّى عليه يومَ الأحدِ قبلَ الظهرِ ، ودُفِن بدارِ الخلافةِ ، ثم نقِل إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافَةِ .

خِلافَةُ المُسْتَضِىءِ

وهو أبو محمدٍ الحسَنُ بنُ يُوسُفَ المُسْتَنْجِدِ بنِ المُقْتَفِى ، وأمُّه أرْمَنِيَّةٌ تُدْعَى غَضّةَ ، وكان مولدُه فى شعبانَ سنةَ سِتٍّ وثلاثينَ وخَمْسِمِائةٍ . بُويعَ بالخلافَةِ يومَ ماتَ أبوه وحُبِس ، بُكْرَةَ الأحَدِ تاسعِ ربيعٍ الآخرِ ، وبايعَه الناسُ ولم يَلِ الخلافَةَ أحدٌ اسمُه الحسَنُ بعدَ الحسَنِ بنِ علىٍّ غيرُ هذا ، ووافقَه فى الكُنْيَةِ أيضًا . وخلَع يومَئذٍ على الناسِ أكثرَ مِن ألفِ خلْعةٍ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، ووَلّى قضاءَ قُضاةِ بغدادَ لرَوْحِ ابنِ الحَدِيثىِّ يومَ الجُمعةِ [4]رابعَ عشرَ[4] ربيعٍ الآخرِ ، وخلَع على الوزيرِ خِلعةً عظيمةً وهو الأستاذُ عَضُدُ الدينِ . وضُرِبَتْ على بابِه نوبةٌ فى ثلاثَةِ أوْقاتٍ ؛ الفَجْرِ والمغربِ والعشاءِ ، وأمَّرَ سبْعَةَ عشرَ أميرًا مِن المماليكِ ، وأذِنَ للوعَّاظِ

---

(١) حساب الجمل : ضرب من الحساب يُجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف . انظر الوسيط (أبجد) ، (ج م ل) .

(٢) المنتظم ١٨/ ١٣٣.

(٣) جزء من حديث الحسن بن على رضى اللَّه عنه ، أخرجه أبو داود (٤٦٤) ، والترمذى (٤٦٤) ، والنسائى (١٧٤٤ ، ١٧٤٥) ، وابن ماجه (١١٧٨) ، وأحمد (١٧١٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٢٦٣) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، خ ، م : « حادى وعشرين » ، وفى ص : « حادى عشر » . والمثبت من المنتظم ١٨/ ١٩١.

فتكلَّموا بعدَما كانوا قد مُنِعوا مدةً طويلةً ، ثم كَثُرَ احْتِجابُه بعدَ ذلك . وممّا نظَمه العِمادُ الكاتبُ[1] [٩/٢٦٠ظ] حينَ جاءتهمُ البِشَارةُ بخلافةِ المستضىءِ وهم بأرضِ المَوصلِ :

قد أضاءَ الزمانُ بالمستضىءِ ... وارِثِ البُرْدِ وابنِ عمِّ النبىِّ
جاءَ بالحقِ والشريعَةِ والعَدْ ... لِ فيا مَرْحَبًا بهذا المجىِّ
فهنيئًا لأهلِ بَغْدادَ فازُوا ... بعدَ بُؤْسٍ بكلِّ عيشٍ هَنِىِّ
ومُضِىٌّ إنْ كانَ فى الزمنِ المظْـ ... ـلمِ فالعَوْدُ فى الزمانِ المُضِىِّ

وفيها[2] سار الملكُ نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى إلى الرَّقَّةِ فأخَذها ، وكذلك نَصِيبِين والخابورِ وسِنْجَارَ ، وسلَّمها إلى زوْجِ ابنَتِه ابنِ أخِيه عمادِ الدينِ زَنْكِى بنِ مَوْدُودٍ ، ثم سار إلى المَوْصلِ فأقام بها أربعةً وعشرِينَ يومًا ، وأقرَّها على ابنِ أخيه سَيْفِ الدينِ غازِى بنِ قُطْبِ الدينِ مَوْدُودٍ ، مع الجزيرةِ ، وزوّجه ابْنتَه الأُخرى ،وأمَرَ بعمارةِ جامعِها وتوْسِعتِه ، ووقَف على تأسيسِه بنفْسِه ، وجعَل له خطِيبًا ودرْسًا للفِقهِ ، وولَّى التدريسَ للفقيهِ أبى بَكْرٍ النَّوْقانِىِّ ، تلميذِ محمدِ بنِ يحيى تلميذِ الغزَّالِىِّ ، وكتَب له منشُورًا بذلك ، ووقَف على الجامعِ قَرْيةً مِن قُرَى المَوْصِلِ ، وذلك كلُّه بإشارةِ الشيخِ الصالحِ العابدِ عمرَ المَلَّاءِ[3] ، وقد كانت له زاوِيةٌ يُقْصَدُ فيها ، وله فى كلِّ سنَةٍ دعوةٌ فى شهرِ المَوْلدِ ، يحضُرُ عندَه المُلوكُ والأمراءُ والعلماءُ والوزراءُ ، ويحتَفلُ بذلك ، وقد كان الملكُ نورُ الدينِ صاحِبَه ، وكان يسْتَشِيرُه فى أمورِه ، وما يعْتَمِدُه فى المُهِمَّاتِ وهو الذى أشار عليه فى مدةِ

---

(١) الروضتين ١/ ٤٨٥.
(٢) الروضتين ١/ ٤٧٦.
(٣) سمى بذلك ؛ لأنه كان يملأ تنانير الجص بأجرة يتقوّت بها . الروضتين ١/ ٤٨٠.

مُقامِه بالمَوْصِلِ بجميعِ ما فعَله مِن الخيراتِ ، فلهذا حصَل بقُدومِه كلُّ مَسرَّةٍ ، واندفَعت عنهمُ المَصائبُ ، وأسقَط عنهمُ المُكُوسَ والضَّرائبَ ، وأخرَج مِن بينِ أهلِهَا الظالِمَ الغاشِمَ عبدَ المسيحِ ، وسمَّاه عبدَ اللَّهِ ، وأخَذه معه إلى دِمَشْقَ ، فأقْطَعه إقطاعًا حسَنًا ، فجزاه اللَّهُ خيرًا .

وقد كان عبدُ المسيحِ هذا نصْرانِيًّا ، فأظهَر الإسلامَ ، وكان يقالُ[1] : إنَّ له كنيسةً فى جوفِ دارِه . وكان سيِّئَ السيرةِ فى حقِّ العلماءِ وخاصَّةِ المسلمين ، ولمَّا دخَل نورُ الدينِ المَوصِلَ كان الذى اسْتأمَن له الشيخُ عمرُ المَلَّاءُ[2] ، وحينَ دخَل نُورُ الدينِ على المَوْصِلِ خرَج إليه ابنُ أخيه ، فوقَف بينَ يديْه فأكرَمه وأحسَن إليه ، وألْبَسه خِلْعَةً جاءَتْه مِن الخليفةِ ، فدخَل بها إلى البلدِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، ولم يَدْخُلْ نورُ الدينِ الموصِلَ حتى قوِىَ الشتاءُ ، فأقَام بها ، كما ذكَرْنا ، أربعةً وعشرينَ يوْمًا ، فلمّا كانت آخرُ ليلةٍ أقَام بها رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ يقولُ له[2] : « طابَتْ لكَ بلدُكَ وترَكْتَ الجهادَ وقتالَ أعْداءِ اللَّهِ ! » . فنهَض مِن فَوْرِه إلى السَّفرِ ، وما أصبح إلّا وهو سائرٌ إلى الشامِ ، واسْتَقْضَى الشيخَ شرَفَ الدينِ بنَ أبى عَصْرُونَ ، وكان معه على سِنْجَارَ ونصِيبِينَ والخابورِ ، فاسْتَناب بها ابنُ أبى عَصْرُونَ نُوَّابًا وأصْحابًا .

وفيها عزَل الملكُ صلاحُ الدين يوسفُ قضاةَ مِصْرَ ؛ لأنَّهم كانوا شِيعةً ، ووَلَّى قضاءَ القضاةِ بها لصَدْرِ الدينِ عبدِ الملكِ بنِ دِرْباسٍ المارانىِّ[3] الشافعِىِّ ، واستناب

---

(١) الروضتين ١/ ٤٨١.

(٢) الروضتين ١/ ٤٨٣.

(٣) فى الأصل ، ص : « المازنى » ، وفى خ ، م : « الماردانى » . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٥. والمارانى : بفتح الميم ، وبعد الألف راء مفتوحة ، وبعد الألف الثانية نون ، هذه نسبة إلى بنى ماران بالمروج تحت الموصل . وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣.

فى سائرِ الأعمالِ الشافعيَّةَ ، وبنَى مدرسةً للشافِعيَّةِ ، وأخْرَى للمالِكيَّةِ . واشْتَرى ابنُ أخيه تَقِيُّ الدينِ عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه دارًا كانت تُعرفُ بمنازِلِ العِزِّ ، وجعَلها مدرسةً [٩/ ٢٦١و] للشافِعيَّةِ ، وأوقَف عليها الرَّوْضَةَ وغيرَها .

وعمَّرَ الملكُ صلاحُ الدينِ أسْوارَ البلَدِ ، وكذلك أسْوارَ إسْكَنْدَرِيَّةَ ، وأحْسَن إلى الرَّعايا إحسانًا كثيرًا . وركِب فأغار على بلادِ الفرنْجِ بنَواحِى عَسْقلانَ وغَزَّةَ ، وخرَّب قلعةً كانتْ لهم على أيْلَةَ ، وقتلَ خلقًا كثيرًا مِن مُقاتِلَتِهم . وتلَقَّى أهلَه وهم واردُون مِن الشامِ ، واجتَمع شملُه بهم بعدَ فُرْقةٍ طويلةٍ . وفيها قطَع صلاحُ الدينِ الأذانَ بـ« حيَّ على خيْرِ العمَلِ » مِن ديارِ مصرَ كلِّها ، وشرَع فى تمهِيدِ الخُطْبةِ لبنِى العبَّاسِ على المنَابرِ .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

طاهِرُ بنُ محمدِ بنِ طاهِرٍ ، أبو زُرْعةَ المَقْدِسِيُّ الأصلِ ، الرَّازِيُّ المولدِ ، الهَمذَانِيُّ الدارِ[1] ، وُلد سنةَ إحدى وثمانين وأرْبعِمائةٍ ، وأسْمعَه والدُه الحافظُ محمدُ بنُ طاهرٍ الكَبِيرُ ، ومِمَّا كان يرْوِيه « مُسْندُ الشافِعيِّ » ، وكانت وفاتُه بهَمَذَانَ يومَ الأربعاءِ ، سابعَ ربيعٍ الآخرِ ، وقد قارب التسْعِينَ .

يُوسُفُ القاضى[2] ، **أبو الحجَّاجِ بنُ الخَلَّالِ** ، صاحِبُ دِيوانِ الإنشاءِ بالديارِ المصريَّةِ ، وهو شيخُ القاضى الفاضِلِ فى هذا الفَنِّ ، اشتغل عليه فيه ، وبرَع حتى قُدِّرَ أنَّه صار مكانَه حين ضعُف الشيخُ عنِ القيامِ بأعباءِ الوظيفةِ لكِبَرِه ، فكان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٤٦، والوافى بالوفيات ١٦/ ٤٠٦، ومرآة الجنان ٣/ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٤/ ٢١٧.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٢٣٥، والكامل ١١/ ٣٦٦، ووفيات الأعيان ٧/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٦١.

القاضى الفاضلُ يقومُ به وبأهْلِه حتى مات ، ثم كان كثيرَ الإحْسانِ إلى أهْلِه ، رحِمَهُمُ اللَّهُ .

يُوسُفُ الخليفةُ المُسْتَنْجِدُ باللَّهِ بنُ المُقْتَفِى بنِ المُسْتَظْهِرِ ، تقدَّم ذكرُ وفاتِه وترْجمتِه فى الحوادثِ ، وقد تُوفِّى بعدَه عمُّه أبو نَصْرِ بنُ المُسْتَظْهِرِ بأشهُرٍ ، ولم يبقَ بعدَه أحدٌ مِن ولدِ المستظهرِ ، وكانتْ وفاتُه يومَ الثلاثاءِ الثامِنَ والعِشْرِينَ مِن ذى القَعْدَةِ .

ثم دخَلت سنةُ سبعٍ وستينَ وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وَفاةُ العاضدِ. فى أوَّلِ جُمعةٍ منها أمَر الملكُ صلاحُ الدينِ بإقامةِ الخُطْبةِ لبنِى العبَّاسِ بمِصرَ، [2]وفى الجُمُعةِ الثانيةِ بالقاهرةِ[2]، وكان ذلك يوْمًا مشهُودًا، ولمَّا انتهَى الخبرُ إلى الملكِ نُورِ الدينِ بالشامِ أرسَل إلى الخليفةِ يعْلِمُه بذلك مع ابنِ أبى عَصْرُونَ وهو شهابُ الدينِ أبو المعالِى المُطَهِّرُ[3]، فزُيِّنَتْ بَغْدادُ، وغُلِّقتِ الأسواقُ، وعُمِلتِ القِبابُ، وفرِح المسلمون فرحًا شديدًا، وكانت الخُطْبةُ قد قُطِعتْ مِن ديارِ مِصرَ سنةَ تِسعٍ وخمسينَ وثلاثِمائةٍ فى خلافةِ المُطِيعِ العباسِىِّ، حين تغلَّب الفاطمِيُّون عليها أيامَ المُعِزِّ الفاطِمىِّ، بانى القاهرةِ، إلى هذا الأوانِ، وذلك مائتَا سنةٍ وثمانى سِنين. قال ابنُ الجوزىِّ[4]: وقد ألَّفْتُ فى ذلك كتابًا سمَّيْتُه: «النصرَ على مِصرَ».

موْتُ العاضدِ آخرِ خُلَفاءِ العُبَيْدِيّيـنَ

والعاضِدُ فى اللغةِ القاطِعُ: «لَا يُعْضَدُ شَجَرُها»[5] فبه قُطِعَتْ دوْلَتُهم،

---

(١) المنتظم ٨/ ١٩٦، والكامل ١١/ ٣٦٨.

(٢ - ٢) فى خ، م: «وأعمالها فى الجمعة الثانية».

(٣) سقط من: خ، م، وفى الأصل، ص: «المظفر». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٦. وانظر الروضتين ١/ ٥٠٢.

(٤) المنتظم ١٨/ ١٩٦.

(٥) جزء من حديث فى حرمة مكة تقدم فى ٦/ ٥٧٩.

واسمُه عبدُ اللَّهِ ، ويُكَنَّى بأبى محمدِ بنُ يُوسُفَ الحافظِ [1] بنِ محمدِ بنِ المُسْتنصرِ ابنِ الظاهرِ بنِ [1] الحاكمِ بنِ العزيزِ بنِ المُعِزِّ بنِ المَنْصُورِ [2] بنِ القائمِ [2] بنِ المَهْدِىِّ أوَّلِ مُلوكِهم ، كان مولدُ العاضدِ فى سنَةِ سِتٍّ وأربعِين ، فعاش إحْدَى وعِشرِينَ سنةً ، وكانتْ سيرَتُه مذْمُومةً ، وكان شِيعيًّا خَبِيثًا [٩/ ٢٦١ظ] ، لو أمْكَنه قَتَلَ كلَّ مَن قدَرَ عليه مِن أهلِ السُّنَّةِ ، واتَّفقَ أنَّه لمَّا استقرَّ أمرُ الملكِ صلاحِ الدينِ رسَم بالخُطْبَةِ لبنى العبَّاسِ عن مرْسُومِ الملكِ نُورِ الدينِ له بذلك ؛ لمُعَاتبةِ الخَليفةِ المُسْتَنْجِدِ إيّاه قبلَ وفاتِه ، [3] وكان المُستَنجِدُ إذ ذاك مُدْنِفًا مريضًا ، فلمّا مات تولَّى بعدَه ولدُه ، فكانت الخطبةُ بمصرَ له ، ثم إنّ العاضِدَ مرِض [3] ، فكانتْ وفاتُه فى يومِ عاشُوراءَ ، فحضَر المِلِكُ صلاحُ الدينِ جِنازَتَه ، وشهِد عزَاءَه ، وبكَى عليه وتأسَّف ، وظهَر منه حُزْنٌ ، وقد كان مُطِيعًا له فيما يأمُرُه به ، وكان العاضدُ كرِيمًا جَوادًا مُمَدَّحًا ، سَامَحه اللَّهُ تعالَى . ولمَّا مات استَحوَذ المَلِكُ صلاحُ الدينِ على القَصْرِ بما فيه ، وأخرَج منه أهلَ العاضدِ إلى دارٍ أفرَدها لهم ، وأجرَى عليهمُ النَّفَقَاتِ والأرْزَاقَ الهَنيَّةَ ، والعِيشَةَ الرَّضِيَّةَ ، عِوَضًا عمَّا فاتَهم مِن الخلافَةِ ، وكان يتنَدَّمُ على إقامَةِ الخُطْبةِ لبنى العبّاسِ بمصرَ قبلَ وفاتِه ، وهَلَّا صبَر بها إلى بعدِ مَمَاتِه ، ولكِنْ كان ذلك قدَرًا مقْدُورًا ، وفى الكتابِ مسْطورًا ، وممّا نظَمَه العِمَادُ الكاتبُ فى ذلك [4] :

تُوفِّىَ العاضدُ الدَّعِىُّ فما ... يفْتَحُ ذو بِدْعَةٍ بمِصْرَ فَمَا

(١ - ١) فى خ ، م : « بن المستنصر بن الحاكم » ، وفى الأصل : « محمد المنتصر » . وانظر وفيات الأعيان ٣/ ١٠٩.

(٢ - ٢) فى خ ، م : « أبى الغنائم » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « وكان إذ ذاك العاضد مريضا مدنفا » .

(٤) الروضتين ١/ ٤٩٥، ٤٩٦.

وعَصْرُ فرْعَوْنِها انْقَضَى وغَدَا ... يُوسُفُها فى الأمورِ مُحْتَكِمَا

(١) وانطَفَأتْ (١) جَمْرَةُ الغُواةِ وقد ... باخَ (٢) مِن الشِّرْكِ كلُّ ما اضْطَرَ ما

وصارَ شملُ الصَّلاحِ مُلْتَئِمًا ... بها وعِقْدُ السَّدادِ مُنْتَظِما

لمَّا غدَا مُعْلَنًا (٣) شِعَارُ بَنى الْـ ... ـعبّاسِ حقًّا والباطِلُ اكْتَتَما

وبات داعِى التَّوْحيدِ مُنْتَصِرًا (٤) ... ومِن دُعاةِ الإشْرَاكِ مُنْتَقِمَا

وظلَّ أهلُ الضَّلالِ فى ظُلَلٍ ... داجِيَةٍ مِن غَيابةٍ (٥) وَعَمَى

(٦) وارْتَبَكَ (٦) الجاهلُون فى ظُلَمٍ ... لمّا أضاءَتْ منابِرُ العُلَما

وعادَ بالمُسْتَضِىءِ مُمْتَهَدًا (٧) ... بِناءُ حَقٍّ قد كانَ مُنْهَدِمَا

واعتلَّتِ (٨) الدَّوْلةُ التى اضطهَدَت ... وانْتَصَر الدينُ بعدَما اهْتُضِما

واهْتَزَّ عِطفُ الإسْلامِ مِن جَذَلٍ (٩) ... وافْتَرَّ ثَغْرُ الإسْلامِ وابْتَسَما

واسْتبْشرَتْ أوْجُهُ (١٠) الهُدَى فرَحًا ... فليَقْرَعِ الكُفْرُ سِنَّهُ ندَمَا

عادَ حَرِيمُ الأعْداءِ مُنْتَهَكَ الْـ ... ـحِمَى وفىءُ الطُّغاةِ مُقْتَسَمَا

قُصورُ أهلِ القُصُورِ أخْرَبَها ... عامِرُ بيتٍ مِن الكَمالِ سَمَا

(١ - ١) فى خ: «بلغت»، وفى م: «قد طفئت».

(٢) فى خ، م: «داخ» وباخ: من باخت النار: إذا سكنت. اللسان (ب و خ).

(٣) فى الأصل: «معلما»، وفى م: «مشعرا».

(٤) فى م: «منتظرًا».

(٥) فى الأصل، وفى م: «غبائه»، وفى ص: «عنايه». والمثبت من خ، والروضتين.

(٦ - ٦) فى الأصل: «وارتكب»، وفى خ، م: «وارتكس».

(٧) فى خ، م: «معتليا».

(٨) فى الأصل: «واعلت»، وفى خ، م: «أعيدت».

(٩) فى خ، م: «جلل».

(١٠) فى الأصل: «أوبه»، وفى ص «وجوه».

أزعجَ بعدَ السُّكُونِ ساكِنَها ومَاتَ ذُلًّا وأنْفُهُ رَغِمَا

ومِمَّا قِيل مِن الشِّعرِ ببَغْدادَ يُبَشَّرُ به الخليفةُ المُسْتَضِىءُ بأمرِ اللَّهِ بالخطبةِ له بِمِصْرَ[1] :

لِيَهْنِكَ يا مَوْلاىَ فتْحٌ تتابَعَتْ إليكَ بهِ خُوْصُ[2] الرَّكائبِ تُوْجَفُ

أخَذْتَ بهِ مِصْرًا وقد حَالَ دونَها مِن الشِّرْكِ بأسٌ[3] فى لَهَى الحقِّ يُقذَفُ

فعادتْ بحمْدِ اللَّهِ باسْمِ إمامِنا تَتِيهُ على كلِّ البلادِ وتشْرُفُ

ولا غَرْوَ أنْ ذلَّتْ ليُوسُفَ مِصْرُهُ وكانتْ إلى عَلْيائهِ تَتَشَوَّفُ

تملّكها من قَبْضةِ الكُفْرِ يُوسُفٌ وخَلَّصَها مِن عُصْبةِ الرَّفْضِ يُوسُفُ

يُشَابِهُهُ خَلْقًا وخُلْقًا وعِفَّةً وكلٌّ عن الرحمنِ فى الأرْضِ يَخْلُفُ

كشَفْتَ بها عن آلِ هاشِمٍ سُبَّةً وعارًا أبَى إلَّا بسَيْفِكَ يُكْشَفُ

وقد ذكَرها الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى الرَّوْضَتَيْنِ[4] ، وهى أطولُ مِن هذه ، وذكَر[5] أنَّ أبا الفَضَائلِ الحُسيْنَ بنَ محمدِ بنِ تُركانَ[6] حاجبَ[7] ابنِ هُبَيْرةَ أنشَدَها [٩/ ٢٦٢و] للخليفةِ المُسْتنجِدِ قبلَ موتِه عند تأويلِ مَنَامٍ رآه بعضُ الناسِ للخَليفةِ فى هذا المعنَى ، وأراد بيُوسُفَ الثانى الخليفةَ المُسْتَنْجدَ ، وهكذا ذكَر هذه القصيدةَ فى حياةِ المُسْتَنْجدِ ابنُ الجوزىِّ[8] وغيرُه ، ولم يخْطَبْ إلَّا

---

(١) الروضتين ١/ ٥٠١.

(٢) فى الأصل : « قوص » ، وفى خ ، م : « خوض » . وانظر الروضتين ١/ ٥٠١.

(٣) فى م : « يأس » .

(٤) الروضتين ١/ ٥٠١.

(٥) الروضتين ١/ ٥٠٠.

(٦) فى النسخ : « بركات » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) فى النسخ : « وزير » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٨) المنتظم ١٨/ ١٦٠.

لوَلدِه المُسْتَضِىءِ ، فجرَى المقالُ باسْمِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيُّوبَ ، رحِمَه اللَّهُ ، وقد أرسَل الخليفةُ المسْتَضِىءُ بأمرِ اللَّهِ إلى الملكِ نُورِ الدينِ خِلْعَةً سَنيَّةً سُنِّيَّةً ، وكذلك للملكِ صلاحِ الدينِ إلى الديارِ المصريَّةِ ومعها أعْلامٌ سُودٌ ، ولواءٌ معْقُودٌ ، ففُرِّقَتْ على الجوامعِ بالشامِ وبلادِ مصْرَ ، فللَّهِ الحَمْدُ على ما منَح من العِزِّ والنَّصْرِ . قال ابنُ أبى طيٍّ[1] فى « كتابِه » : ولمَّا تفرَّغ المِلِكُ صلاحُ الدينِ الملكُ الناصرُ مِن تَوْطيدِ المملكَةِ وإقامَةِ الخُطْبةِ العبّاسيَّةِ والتَعْزِيةِ بانقِضَاءِ الدَّوْلةِ العُبَيْديّةِ الزَّاعِمةِ أنَّها فاطِميّةٌ ، استَعرض حواصِلَ القصْرَيْنِ ، فوجَد فيهما مِنَ الحواصِلِ والأمتعةِ والآلاتِ والثِّيابِ والملابسِ والمَفارشِ شيئًا باهِرًا ، وأمْرًا هائلًا ، فمن ذلك سَبْعُمِائَةِ يتيمَةٍ مِن الجواهرِ ، وقَضِيبُ زُمُرُّدٍ طولُه أكثرُ مِن شِبْرٍ وسُمْكُه نحوُ الإبْهامِ ، وحبْلٌ مِن ياقُوتٍ ، ووُجِد فيه إبْرِيقٌ عظيمٌ مِنَ الحجَرِ المانعِ ، وطَبْلٌ للقُولَنْجِ[2] إذا ضرَب عليه أحَدٌ يحصُلُ له خروجُ ريحٍ مِن دُبُرِه ، ينْصَرِفُ عنه ما يجِدُه مِنَ القُولَنْجِ ، فاتَّفَق أنَّ بعضَ أمراءِ الأكْرادِ أخَذه فى يَدِه ، ولم يَدْرِ ما شأنُه ، فلمَّا ضرَب عليه حَبَق[3] فألْقاه مِن يَدِه على الأرضِ فكسَره فبَطَل أمْرُه . وأمَّا القضيبُ فإنّ السُّلْطَانَ كسَره ثلاثَ فِلَقٍ فقسَمه بينَ نسائِه ، [4]وقسَم بين[4] الأمراءِ شيئًا كثيرًا مِن قِطَعِ البَلْخشِ[5] والياقُوتِ والذَّهَبِ والأثاثِ ، وغيرِ ذلك ، واستمرّ البيعُ فيما كان هُنالِكَ مِن الأثاثِ والأمتعةِ نحْوًا مِن عَشْرِ سِنِينَ ، وأرسَل إلى

---

(١) الروضتين ١/ ٥٠٦.

(٢) القولنج : مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح ؛ وسببه التهاب القولون . الوسيط (ق و ل) .

(٣) حبَق : أى أخرج ريح الحدث . الوسيط (ح ب ق) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « وقطع من » . وانظر الروضتين ١/ ٥٠٧.

(٥) البلخش : جوهر يجلب من بلخشان ، والعجم يقولون له : بدخشان . الألفاظ الفارسية المعربة ص ٢٦.

الخليفةِ ببَغْدادَ هدايَا عَظيمةً سَنِيَّةً ، وكذلكَ إلى الملكِ نُورِ الدينِ ، أرسَل جانبًا كبيرًا صالحًا ، وكان لا يدَّخِرُ لنفْسِه شيئًا ممَّا يحصُلُ له مِن الأمْوالِ والغَنائمِ ، بل يُعْطِى ذلك كلَّه لمَن حولَه مِن الأمراءِ والوزراءِ والمُلوكِ والأصحابِ ، رحِمَه اللَّهُ ، وكان ممَّا أرْسَلَه إلى نورِ الدينِ ثلاثُ قِطَعِ بَلْخَشٍ زِنَةُ الواحدَةِ أحَدٌ وثلاثُونَ مِثْقالًا ، والأخْرَى ثمانِيَةَ عشَرَ مِثْقَالًا ، والثالثةُ دونَهما ، مع لآلئَ كثيرةٍ ، وسِتُّونَ ألفَ دينارٍ ، وعِطْرٌ لم يُسْمَعْ بمثْلِه ، ومِن ذلك حِمارَةٌ عَتَّابيَّةٌ وفيلٌ عظيمٌ جِدًّا ، فأُرْسِلَتِ الحمارةُ إلى الخليفةِ فى جملةِ هدايا وتُحَفٍ هَائلةٍ . قال ابنُ أبى طيٍّ[1] : ووجَد خِزَانَةَ كتُبٍ ليسَ فى مَدائنِ الإسْلامِ لها نظيرٌ ، تشتمِلُ على نحوِ ألْفَىْ ألفِ مجلَّدٍ ، قال : ومِن عجائبِ ذلك أنَّه كان بها ألْفٌ ومِائتانِ وعشْرُونَ نُسْخَةً مِن تاريخِ الطَّبَرِيِّ . كذا قال العمادُ الكاتبُ : كانتِ الكُتبُ قريبةً مِن مِائَةٍ وعِشْرِينَ ألفَ مجلَّدٍ ، وقال ابنُ الأثيرِ[2] : كان فيها مِن الكتُبِ بالخطُوطِ المنْسُوبَةِ مِائةُ ألفِ مجلَّدٍ ، وقد تسلَّمها القاضى الفاضلُ ، فأخَذ منها شيئًا كثيرًا ممَّا اخْتارَه وانْتَخَبَه ، قال : وقسَم القَصْرَ الشماليَّ بينَ الأمراءِ فسكَنوه ، وأسْكَنَ أباه نَجْمَ الدينِ أيُّوبَ فى قصرٍ عظيمٍ على الخليجِ ، يقالُ له : اللُّؤْلُؤَةُ ، الذى فيه بُسْتَانُ الكافُورِيِّ ، وسكَن أكْثرُ الأمراءِ فى دُورِ مَنْ كان ينْتَمِى إلى الفاطمِيِّينَ ، ولا يَلْقَى أحدٌ مِن الأتْراكِ أحدًا مِن [٩/ ٢٦٢ظ] أولئكِ الذين كانُوا بها إلَّا شَلَّحُوا ثِيابَه ، ونهَبُوا دارَه ، حتى تمزَّقَ كثيرٌ منهم فى البلادِ ، وتفرَّقُوا شَذَرَمَذَرَ ، وصارُوا أيادِىَ سَبَا[3] .

وقد كانت مدةُ مُلكِ الفاطمِيِّينَ مِائتَيْنِ وثمانِينَ سنةً وكَسْرًا ، فصارُوا

---

(١) الروضتين ١/ ٥٠٧.

(٢) الكامل ١١/ ٣٧٠، بنحوه .

(٣) أى تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه . مجمع الأمثال ٢/ ٤ .

كأمْسِ الذَّاهِبِ وكأنْ لم يَغْنَوْا فيها ، وكان أوَّلُ مَن ملَكَ منهم المَهْدِىَّ ، وكان مِن أهلِ سَلَمْيَةَ حدَّادًا ، اسمُه سَعِيدٌ[1] ، وكان يهُودِيًّا ، فدخَل بلادَ المغربِ وتسمَّى بعُبَيْدِ اللَّهِ ، وادَّعَى أنَّه شريفٌ علَوِىٌّ فاطمِىٌّ ، وقال : إنَّه المَهْدِىُّ ، وقد ذكَر هذا غيرُ واحدٍ مِن ساداتِ العُلَماءِ الكُبَراءِ كالقاضِى أبى بَكْرٍ البَاقِلَّانِىِّ والشيخِ أبى حَامدٍ الإسفراييِنىِّ وغيرِ واحدٍ مِن سَاداتِ الأئمةِ بعدَ الأرْبَعِمائَةِ ، كما بَسَطْنا ذلك فيما تقدَّمَ ، والمقصودُ أنَّ هذا الدَّعِىَّ المُدَّعِىَ الكذَّابَ راجَ له ما افْتَراه فى تلك البلادِ ، ووازَرَه جماعةٌ مِن جَهَلةِ العُبَّادِ ، وصارَت له دولةٌ وصَوْلَةٌ ، فتمكَّن إلى أنْ بنَى مدينةً سمَّاها المَهْدِيَّةَ نِسْبةً إليه ، وصار مَلِكًا مُطاعًا ، يُظْهِرُ الرَّفضَ ويَنْطَوى على الكفرِ المَحْضِ .

ثم كان مِن بعدِه ابنُه القائمُ ، ثم المَنْصورُ ، ثم المُعِزُّ - وهو أوَّلُ مَن دخَل مِصْرَ منهم ، وبُنِيَتْ له القاهرةُ - ثم العَزِيزُ ، ثم الحاكِمُ ، ثم الظاهِرُ ، ثم المُسْتَنْصِرُ ، ثم المُسْتَعْلِى ، ثم الآمِرُ ، ثم الحافِظُ ، ثم الظَّافِرُ ، ثم الفائزُ ، ثم العاضِدُ وهو آخِرُهم ، فجمْلَتُهم أربَعَةَ عشَرَ مَلِكًا ، ومدَّتُهم مِائَتان ونَيِّفٌ وثمانونَ سنةً ، وكذلك عِدَّةُ خُلَفاءِ بنى أُمَيَّةَ أربعَةَ عشَرَ أيضًا ، ولكِن كانتْ مدَّتُهم نَيِّفًا وتسعين[2] سنةً ، وقد نظَمتُ أسماءَ هؤلاءِ بأرجوزةٍ تابعةٍ لأُرجوزةِ بنى العبّاسِ عندَ انقضاءِ دولتِهم ببغدادَ فى سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، كما سيأتِى ، وقد كان الفاطميُّون أغنَى الخُلفاءِ وأكثرَهم مالًا ، وكانوا مِن أعتَى الخُلفاءِ وأجبرِهم وأظلمِهم ، وأنجَسِ المُلُوكِ سيرةً ، وأخْبَثِهم سريرةً ، ظهَرَت فى دوْلَتِهمُ البِدَعُ والمُنْكَراتُ وكثرَ أهلُ الفسادِ ،

---

(١) فى خ ، م : « عبيد » .

(٢) فى خ ، م : « وثمانين » . وانظر الروضتين ١/ ٥١٤.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « وقد كانوا » .

وقلَّ عندَهم الصالحون مِنَ العلماءِ والعُبَّادِ، وكثُرَ بأرضِ الشامِ النُّصَيْرِيَّةُ[1] والدَّرْزِيَّةُ[2] والحُشيشيّةُ، وتغلَّب الفِرنْجُ على سواحلِ الشامِ بكَمالِه، حتى أخَذُوا القُدْسَ الشَّريفَ ونابُلُسَ وعَجْلُونَ والغَوْرَ وبلادَ غَزَّةَ وعَسْقَلانَ وكرَكَ الشَّوبَكِ وطَبَرِيَّةَ وبَانْيَاسَ وصُورَ وعَثْلِيثَ وصَيْدَا وبَيْرُوتَ وعكَّا وصَفَدَ وطَرَابُلُسَ وأنْطاكِيَةَ وجميعَ ما وَالَى ذلك، إلى بلادِ آيَاسَ[3] وسِيسَ[4]، واسْتَحْوَذوا على بلادِ آمِدَ والرُّهَا ورأسِ العينِ وبلادِ شَتَّى، وقتَلُوا خَلْقًا لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ، وسَبَوْا من ذَرَارِيِّ المسلمين مِن النساءِ والوِلْدانِ ما لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ، وكادُوا أنْ يتَغَلَّبُوا على دمَشْقَ، ولكِن صانَها اللَّهُ بعنايتِه وسلَّمها برعَايتِه، وحينَ زالتْ أيامُهم وانتقَض إبْرامُهم أعادَ اللَّهُ هذه البلادَ كُلَّها على أهْلِها من السَّادةِ المسلمينَ، وردّ اللَّهُ الكَفرةَ خائبين، وأركَسَهُم بما كسَبُوا فى هذه الدنيا ويومَ الدينِ، وقد قال حسانُ الشاعرُ المدعُوُّ بعَرْقَلَةَ[5]:

أصبَحَ المُلْكُ بعدَ آلِ علىٍّ ... مُشْرِقًا بالمُلُوكِ مِن آلِ شاذِى
وغَدَا الشرقُ يحْسُدُ الغربَ للقو ... مِ ومِصْرٌ تزْهُو على بغْدادِ
ما حَوَوْها[6] إلّا بحَزْمٍ وعزمٍ ... وصَلِيلِ الفُولَاذِ [7]فى الفُولاذِ[7]

---

(١) فى م: «النصرانية». والنصيرية: طائفة من الزنادقة مشهورة يقولون بألوهية على، تعالى اللّه علوًّا كبيرا. التاج (ن ص ر).

(٢) الدرزية: طائفة خارجة عن جادة الشريعة، الكائنة بجبال الشام، وهم الإسماعيلية. التاج (د ر ز).

(٣) أياس: مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر. صبح الأعشى ٤/ ١٣٣.

(٤) سيس: قاعدة بلاد الأرمن. صبح الأعشى ٤/ ١٣٤. وفى معجم البلدان ٣/ ٢١٧: «سِيسيَّة وعامة أهلها يقولون: سيس. بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشمالية بين أنطاكية وطرسوس».

(٥) الخريدة (قسم شعراء الشام) ١/ ٢٠٣، ٢٠٤، والروضتين ١/ ٥٠٩.

(٦) فى الخريدة: «حواها».

(٧ - ٧) سقط من الأصل، وفى خ، م: «فى الأكباد».

لا كَفِرْعَونَ والعزيزِ ومَن كا نَ بها كالخَصيبِ[1] والأسْتاذِ

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ، رحِمه اللَّهُ[2]: يعْنى بالأستاذِ كافورَ[3] الإخشيديَّ، وقولُه بعدَ: آلِ عليٍّ. يعنى الفاطمِيِّين، ولم يكونُوا فاطمِيِّينَ، وإنَّما كانوا أدْعِياءَ يُنْسَبُونَ إلى عُبَيْدٍ، وكان اسمُه سَعِيدًا، وكان يهودِيًّا حدَّادًا بِسَلَمْيَةَ، ثم ذكَر ما ذكَرْنا مِن كلامِ الأئمةِ فيهم وطَعْنِهم فى نسَبِهم. قال[4]: وقد [٩/٢٦٣و] اسْتَقْصَيْتُ الكلامَ فى ذلك فى مُخْتَصَرِ تاريخِ دِمَشْقَ فى ترجمةِ عبدِ الرّحيمِ[5] بنِ إلْيَاسَ، ثم ذكَرَ فى «الروْضتَيْنِ» فى هذا الموضعِ أشْياءَ كثيرةً مِن قبائحِهم، وما كانوا يجْهَرُونَ به فى بعضِ الأحْيانِ مِن الكُفْرِيّاتِ والمصَائبِ المُعظَّماتِ، لعَنهم اللَّهُ. وقد ذكَرتُ أنا أشياءَ كثيرةً فى عُيُونِ[6] ما مشقْتُه[7] مِن سيرتِهم فى السنين المتقدِّمةِ ممّا يسُدُّ الأسْماعَ، ويُنفِّرُ الطِّباعَ. قال أبو شامةَ[8]: وقد أفْرَدْتُ كِتابًا سمَّيْتُه «كَشْفَ ما كانَ عليه بنُو عُبَيْدٍ مِنَ الكُفْرِ والكَذِبِ والمكْرِ والكَيْدِ». وكذا صنَّفَ العلماءُ فى الردِّ عليهم كتُبًا كثيرةً، مِن أجَلِّ ما وُضِعَ فى ذلك كتابُ القاضى أبى بكرٍ البَاقِلَّانِيِّ، الذى سمَّاه «كَشْفَ الأسْرارِ وهَتْكَ الأسْتارِ». وما أحْسَنَ ما قالَه بعضُ الشعراءِ فى بنى أيُّوبَ يمدَحُهم على ما فعَلُوه

---

(١) فى م: «كالخطيب». والخصيب هو الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هارون الرشيد، وإليه تنسب مُنية الخصيب. النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٩، وقد وردت منية الخصيب فى معجم البلدان ٤/ ٦٧٥: «منية أبى الخصيب».

(٢) الروضتين ١/ ٥٠٩.

(٣) فى م: «كأنه نور».

(٤) الروضتين ١/ ٥١١.

(٥) فى م، ص: «الرحمن». وانظر مصدر التخريج.

(٦) فى النُّسَخ: «عيون». وأثبتنا المعتاد من أسلوب المؤلف فيما سبق. والمقصود: فى أثناء.

(٧) مشق من الطعام: تناول منه شيئا قليلًا. اللسان (م ش ق).

(٨) الروضتين ١/ ٥١٤.

بديارِ مِصْرَ[1] :

[2]ألسْتُم مُزيلى[2] دولةِ الكُفرِ مِن بنى عُبَيْدٍ بمِصْرَ إنَّ هذا هو الفَضْلُ
زَنادِقَةٌ شِيعِيَّةٌ باطِنِيَّةٌ مَجُوسٌ وما فى الصالحِينَ لهمْ أصْلُ
يُسِرُّونَ كُفْرًا يُظْهِرونَ تَشَيُّعًا ليستتروا [3]شيئًا و[3]عَمَّهمُ الجهْلُ

وفى هذه السنةِ أسْقَط الملكُ صلاحُ الدينِ عن أهلِ مِصْرَ المُكُوسَ والضرائبَ ، وقُرِئَ المَنْشُورُ بذلك على رُءوسِ الأشْهادِ يومَ الجُمُعةِ بعدَ الصلاةِ ثالثَ صَفَرٍ . وفيها حصَلتْ نُفْرَةٌ بينَ الملكِ نُورِ الدينِ والملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، وذلك أنّ الملكَ نورَ الدينِ غزَا فى هذه السنَةِ بلادَ الفرنْجِ فى السواحلِ ، فأحلَّ بهم بأْسًا شديدًا ، وقرَّرَ فى أنفُسِهم منه نِقْمَةً ووعِيدًا ، ثم عزَم على محاصرةِ الكَرَكِ وكتَب إلى صلاحِ الدينِ أنْ يلْتَقِيَه بالعساكرِ المصريّةِ إلى بلادِ الكَرَكِ ؛ ليجْتَمِعَا هُنالِكَ على المصالحِ فيما يعودُ نفْعُه على المسلمين ، فتَوَهَّمَ من ذلك الملكُ صلاحُ الدينِ ، وخافَ أنْ يكونَ لهذا الأمرِ غائلةٌ يزولُ بها ما حصَل له مِن التمكينِ ، ولكنَّه مع ذلك ركِبَ فى جيْشِه من الديارِ المصريّةِ ليقصِدَ امْتِثالَ المرْسُومِ ، فسارَ أيامًا ، ثم كرَّ راجعًا مُعْتَلًّا بقلَّةِ الظَّهْرِ ، والخوفِ على اخْتِلالِ الأمورِ إذا بعُد عن مِصرَ واشْتَغَل عنها ، وأرسَل يعتذِرُ بذلك إلى السُّلْطانِ الملكِ العَادِلِ نورِ الدينِ ، فوقَع فى نفْسِه منه ، واشتدَّ غَضَبُه عليه ، وعزَم على الدخولِ إلى الديارِ المصريّةِ وانتزاعِها مِن صلاحِ الدينِ وتوْلِيةِ غيرِه فيها ، ولمَّا بلَغ هذا الخبرُ صلاحَ الدينِ ضاقَ بذلك ذَرْعُه ، وذكَره بحَضْرَةِ الأمراءِ والكبراءِ ، فبادَر ابنُ أخيه

---

(١) الروضتين ١/ ٥١٥.
(٢ - ٢) فى خ ، م : « أبدتم من بلى » .
(٣ - ٣) فى خ ، م : « سابور » .

تقىُّ الدينِ عمرُ فقال[1] : واللَّهِ لو قصَدَنا نورُ الدينِ لنُقاتِلَنَّه ، فشَتَمَه الأميرُ نجمُ الدينِ أيُّوبُ والدُ الملكِ صلاحِ الدينِ وأسْكتَه ، ثم قال لابنِه : اسمَعْ ما أقولُ لكَ ، واللَّهِ ما هَـهُنا أحدٌ أشْفَقُ عليْك منِّى ومِن خالِكَ هذا - يعْنى شِهَابَ الدينِ الحارِمىَّ - ولو رأيْنَا المِلكَ نورَ الدينِ لبادَرْنا إليه ، ولقبَّلْنا الأرضَ بين يدَيْه ، وكذلك بقيةُ هؤلاءِ الأُمَراءِ ، ولو كتَب إلىَّ أنْ أبْعَثَكَ مع نجَّابٍ لفعَلْتُ ، ثم أمَر مَنْ هُنالِكَ بالانْصرافِ [٢٦٣/٩ظ] والذَّهابِ ، فلمَّا خلا بابنِه قال له : أمَا لَكَ عَقْلٌ ؟ تذْكُرُ مثلَ هذا بحَضْرَةِ هؤلاءِ ، فيقولُ عمرُ مِثْلَ هذا الكلامِ ، فتُقِرُّه عليه ، فلا يبْقَى عندَ نُورِ الدينِ أهمُّ مِن قَصْدِكَ وقتالِكَ ، ولو قد رآه هؤلاء لم يَبْقَ معكَ منهم أحَدٌ ، ولكِن ابْعَثْ إليه ، وترفَّقْ له ، وتواضَعْ عندَه ، وقلْ له : وأىُّ حاجَةٍ إلى مَجِىءِ مؤلَانا ؟ ابْعَثْ إلىَّ بنجَّابٍ حتى أجِىءَ معه إلى بينِ يَدَيكَ . فلمَّا سمِعَ نورُ الدينِ مثلَ هذا لانَ قلبُه ، وانصرفَتْ همَّتُه عنه ، واشتغَل بغيرِه ، وكان أمرُ اللَّهِ قَدرًا مقْدُورًا .

وفيها اتَّخَذ نورُ الدين الحمَامَ الهَوادِىَ ، وذلك لامتدادِ مملكَتِه واتِّساعِها ؛ فإنَّه ملَك مِن حدِّ النُّوبةِ إلى هَمَذَانَ ، لا يتخَلَّلُها إلَّا بلادُ الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ ، وكلُّهم تحتَ قهْرِه وهُدْنَتِه ، فلذلك اتَّخَذ فى كلِّ قلْعةٍ وحِصْنٍ الحمامَ التى تحمِلُ الرسائلَ إلى الآفاقِ فى أسرعِ مدةٍ ، وأيسَرِ عُدَّةٍ ، وما أحسَنَ ما قال فيهنَّ القاضى الفاضلُ[2] : الحمَامُ ملائكةُ المُلوكِ . وقد أطْنَبَ فى ذلك العمادُ الكاتبُ ، وأطْرَب وأعْجَب وأغْرَب[3] .

---

(١) الكامل ١١/ ٣٧٢، والروضتين ١/ ٥١٩.

(٢) الروضتين ١/ ٥٢١.

(٣) المصدر السابق .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ أحمدَ ، أبو محمدٍ بنُ الخشَّابِ[1] ، قرأ القرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، واشْتغَل بالنحوِ واللُّغَةِ حتى ساد أهلَ زمانِه فيهما ، وشرَح « الجملَ » لعبدِ القاهرِ الجُرْجَانىِّ ، وكان رجلًا صالحًا متطوِّعًا ، وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ قريبًا مِنَ الإمامِ أحمدَ ، ورُئِىَ فى المنامِ فقِيل له[2] : ما فعَل اللَّهُ بكَ ؟ فقال : غفَر لى ، وأدْخلَنِى الجنةَ ، إلَّا أنَّه أعرَض عنِّى وعن جماعةٍ مِن العلماءِ ترَكُوا العمَلَ[3] . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] : كان مُطَّرِحَ الكُلْفةِ فى مأْكَلِه وملْبَسِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ[5] ، أبو المُظَفَّرِ البَرُّوِىُّ[6] ، تفقَّه[7] على محمدِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٨، ومعجم الأدباء ١٢/ ٤٧، وإنباه الرواة ٢/ ٩٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٦٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣١٦.

(٢) المنتظم ١٨/ ١٩٨.

(٣) بعده فى خ ، م : « واشتغلوا بالقول » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٠٣، بنحوه .

(٥) المنتظم ١٨/ ١٩٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٨٩، والوافى بالوفيات ١/ ٢٧٩.

(٦) فى الأصل : « الردى » ، وفى م ، ص : « الدوى » ، وفى خ : « المروزى » ، وفى الكامل ١١/ ٣٧٦: « البورى » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة . وضبط البروى من شذرات الذهب ٤/ ٢٢٤، حيث قال : البروى بفتح الموحدة وتشديد الراء المضمومة نسبة إلى برويه جد . وانظر لب اللباب فى تحرير الأنساب ١/ ١٢٢.

وقال ابن خلكان : البروى بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها واو ، لا أعلم هذه النسبة إلى أى شىء هى ، ولا ذكرها السمعانى ، وغالب ظنى أنها من نواحى طوس ، واللَّه أعلم . وانظر (البرويى) فى الأنساب ١/ ٣٣٣، واللباب ١/ ١١٧.

(٧) فى الأصل : « قرأ القرآن » ، وفى ص : « قرأ الفقه » ، وانظر وفيات الأعيان الموضع السابق .

ابنِ يحيى تلميذِ الغَزَّالِيِّ ، وناظَر ووعَظَ ببغدادَ ، وكان يُظهِرُ مذهبَ الأشعَرِيِّ ، ويتكلَّمُ فى الحنابلةِ ، ومات فى رمضانَ منها .

ناصِرُ بنُ الخُوَيِّى[1] **الصُّوفِيُّ** كان يَمْشِى فى طلبِ الحديثِ حافِيًا ، تُوفِّى ببغدادَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شَامةَ[2] : وفيها تُوفِّى : **نَصْرُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو الفُتُوحِ**[3] الإسْكَنْدَرِيُّ المعروفُ بابنِ قَلاقِسَ الشاعرُ ، بعَيْذابَ عن خمسٍ [4]وثلاثين[4] سنةً .

والشيخُ أبو بكرٍ يحيى بنُ سَعْدُونَ القُرْطُبِيُّ[5] ، نزيلُ المَوْصِلِ المُقْرِئُ النحْوِيُّ ، رحِمه اللَّهُ .

قال[6] : وفيها وُلِد العزيزُ والظاهرُ ابْنا صلاحِ الدينِ ، والمنصورُ محمدُ بنُ تقىِّ الدينِ عمرَ .

---

(١) فى خ ، م : « الجونى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ١٩٨.

(٢) الروضتين ١/ ٥٢٣.

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٢٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٠٠.

(٤ - ٤) فى خ ، م : « وأربعين » .

(٥) معجم الأدباء ٢٠/ ١٤، وإنباه الرواة ٤/ ٣٧، ووفيات الأعيان ٦/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٤٦، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٠٣، وغاية النهاية ٢/ ٣٧٢.

(٦) الروضتين ١/ ٥٢٣.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وسِتيِّنَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها[2] أرسَل الملكُ نورُ الدينِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ، المُوَفَّقَ خالدَ بنَ القَيْسرانيِّ؛ ليُقيِّمَ له حسابَ الديارِ المصريَّةِ، ولأنَّه استقلَّ الهَدِيَّةَ التى أرسَلَ إليه مِن خزائنِ العاضدِ. ومقصودُه أنْ يقرِّرَ على الديارِ المصريةِ خَراجًا يُحملُ إليه فى كلِّ عامٍ.

وفيها حاصَر الملكُ صلاحُ الدينِ الكَرَكَ والشَّوْبَكَ[3]، فضَيَّقَ على ساكنِيها، وخرَّبَ أماكِنَ كثيرةً مِن معاملاتِها، ولكِن لم يظْفَرْ بها عامَه ذلك.

وفيها اجْتمعَتِ الفِرنْجُ بالشامِ لقَصْدِ مدينةِ زُرْعَ[4]، فوصلُوا إلى سمكينَ[5]، فبرزَ إليهم نورُ الدينِ، فهرَبُوا منه إلى الفوارِ[6]، ثم إلى السَّوَادِ[7]، ثم إلى الشلالةِ، فبعثَ سريةً إلى طَبَرِيَّةَ، فعاثُوا هنالكَ وسَبَوْا وقتلَوا وغنِمُوا [٢٦٤/٩و] وعادُوا وقد سلَّمهمُ اللَّهُ، ورجَعتْ الفِرنجُ خائبين، لعَنهمُ اللَّهُ أجمعين، وقد

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٩، والكامل ١١/ ٣٧٧.

(٢) الروضتين ١/ ٥٢٥.

(٣) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عَمَّان وأيلة والقُلْزُم، قرب الكرَك. معجم البلدان ٣/ ٣٣٢.

(٤) زرع: كان اسمها زُرًا، وهى من حوران. انظر معجم البلدان ٢/ ٩٢١.

(٥) فى النسخ: «سمسكين». والمثبت من الروضتين ١/ ٥٢٨. وسمكين: ناحية من أعمال دمشق، من جهة حوران. معجم البلدان ٣/ ١٤٠.

(٦) فى الأصل: الفرار»، وفى خ، م: «الغور». والمثبت موافق لما فى الروضتين ١/ ٥٢٨.

(٧) السواد: نواحٍ قرب البلقاء سميت بذلك؛ لسواد حجارتها. معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

امتدَحه العمادُ الكاتبُ[1] بقصيدةٍ طَنَّانةٍ فى هذه الغزوةِ .

فتحُ بلادِ النُّوبةِ

وفيها أرسَل الملكُ صلاحُ الدينِ أخاه شمسَ الدولةِ تُورانْشاه إلى بلادِ النوبةِ فافْتتَحَها ، واسْتَحوذَ على معْقِلِها ، وهو حِصْنٌ يقالُ له : إِبْرِيمُ . ولمَّا رآها بلدًا قليلةَ الجدْوَى لا يَفِى خَرْجُها بكُلْفَتِها ، استخلَف على الحِصْنَ المذْكُورِ رجلًا مِنَ الأكْرادِ يقالُ له : إبراهيمُ . فجعَله مقدَّمًا مُقَررًا بحِصْنِ إبريمَ ، وانْضافَ إليه جماعةٌ مِن الأكرادِ البَطَّالِينَ ، فكثُرَتْ أموالُهم ، وحسُنَتْ حالُهم هُنالك ، وشَنُّوا الغاراتِ ، وحصَلُوا على الغنائمِ والمسراتِ ، وللَّهِ الحمدُ الذى بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ .

وفيها كانتْ وفاةُ الأميرِ نَجْمِ الدين أيُّوبَ والدِ الملكِ صلاحِ الدينِ ، سقَطَ عن فرَسِه فماتَ ، وستأْتى ترجمتُه فى الوفياتِ ، إن شاء اللَّهُ .

وفيها سارَ الملكُ نورُ الدينِ إلى بلادِ عِزِّ الدينِ قِلجَ أَرْسَلان بنِ مسعودِ بنِ قِلجَ أَرْسَلان بنِ سُلَيمانَ السَّلجوقىِّ ، ملكِ الرومِ ، وافتقَد فى طريقِه بلادَه ، وأصْلَحَ ما وجَده فيها مِنَ الخلَلِ . ثم سارَ فافْتَتَحَ مَرْعَشَ وبَهْسَنَا ، وعمِل فى كلٍّ منهما بالحُسْنَى .

قال العمادُ الكاتبُ[2] : وفى هذه السنةِ وصَل الفقيهُ الإمامُ الكبيرُ قُطبُ الدينِ

---

(١) الروضتين ١/ ٥٢٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٤٥.

النَّيْسَابُورِيُّ ، وهو فقيهُ عصْرِه و نَسِيجُ وحْدِه ، فسُرَّ به نورُ الدينِ وأنْزَله بحَلَبَ بمدرسةِ بابِ العراقِ ، ثم أطلَعه إلى دِمَشْقَ ، فدرَّسَ بزاويةِ الجامعِ الغربيَّةِ المعْروفةِ بالشيخِ نَصْرٍ المَقْدِسِيِّ ، ونزَل بمدرسةِ الجاروخيةِ[1] ، وشرَعَ نورُ الدينِ فى إنشاءِ مدرسةٍ كبيرةٍ للشافعِيَّةِ ، فأدْرَكه الأجلُ قبلَ ذلك . قال أبو شامةَ[2] : هى العادِلِيَّةُ الكبيرةُ التى عمَّرَها بعدَه الملكُ العادلُ أبو بَكْرِ بنُ أيُّوبَ .

وفيها عادَ شهابُ الدينِ بنُ أبى عَصْرُونَ مِن بَغْدادَ حين سارَ بالهناءِ بالخُطْبَةِ العباسِيَّةِ بالديارِ المصريةِ ، ومعه توقيعٌ مِن الخليفةِ بإقْطاعِ دَرْبِ هارونَ وصَرِيفِينَ للملكِ نورِ الدينِ ، وقد كانَتا قديمًا لأبيه عمادِ الدينِ زَنْكِى ، فأرادَ الملكُ نورُ الدينِ أنْ يبنىَ ببَغْدادَ مدرسةً على دِجلةَ، ويجعلَ هذَيْنِ المكانَيْنِ وَقْفًا عليها ، فعاقَه القَدرُ عن ذلك ، رحِمه اللَّهُ . وفيها جَرَتْ بناحيةِ خُوَارِزْمَ حروبٌ كثيرةٌ بينَ سلطانْشاه وبينَ أعْدائِه ، تقصَّاها ابنُ الأثيرِ[3] وابنُ السَّاعِى .

وفيها هزَمَ ملكُ الأرْمَنِ مليحُ بنُ لِيونَ عساكِرَ الرومِ ، وغنِم منهم شيئًا كثيرًا ، وبعَث إلى نُورِ الدينِ بأموالٍ كثيرةٍ مِن ذلك ، وبثلاثين رأسًا مِن رءوسِهم ، فأرْسَلَها نورُ الدينِ إلى الخليفةِ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ العباسىِّ .

وفيها بعَث الملكُ صلاحُ الدينِ سَريَّةً صُحْبَةَ قراقُوشَ مملوكِ تقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شَاهِنْشَاه إلى بلادِ إفْرِيقِيَّةَ ، فملَكُوا طائفةً كثيرةً منها ، من ذلكَ مدينةُ طَرابُلُسَ الغربِ ، وعدَّةُ مدُنٍ معها .

---

(١) فى النسخ ، والروضتين : « الجاروق » . والمثبت من الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٣٦١. والمدرسة الجاروخية كانت داخل بابى الفرج والفراديس شمالى الجامع الأموى ، بناها جاروخ التركمانى . الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٢٥.

(٢) الروضتين ١/٥٤٥ .

(٣) الكامل ١١/ ٣٧٧.

وممَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إيلْدِكِزُ التركىُّ الأتابِكىُّ[1] ، صاحبُ أَذْرَبِيجَانَ وغيرِها ، كان مملُوكًا للكَمالِ السُّمَيْرمىِّ وزيرِ السلطانِ محمودٍ ، فلما قتَله محمودٌ حظِى إيلْدِكِزُ هذا عندَ السلطانِ ، ثم علَا أمْرُه وتمكَّنَ حتى ملَك أذْرَبِيجَانَ وبلادَ الجَبَلِ وغيرَها ، وكان عادِلًا ، منصفًا ، [٩/٢٦٤ظ] شجاعًا ، محسِنًا إلى الرعِيَّةِ ، رحِمه اللَّهُ ، تُوفِّى فى هذه السنةِ .

الأميرُ نَجْمُ الدينِ أبو الشُّكْرِ أيُّوبُ بنُ شاذِى[2] والدُّ لملوكِ بنى أيوبَ ، الكردىُّ الرَّوَادىُّ[3] - وهم خيارُ الأكرادِ - الدُّوِينىُّ ؛ نسبةً إلى دُوِينَ شماليَّ بلادِ أذْرَبِيجَانَ مما يلى الكُرْجَ ، ومنهم مَن يقولُ : أيوبُ بنُ شاذِى بنِ مَرْوانَ ، وزادَ بعْضُهم بعدَ مَرْوانَ ابنَ يَعْقُوبَ ، والذى عليه الجمهورُ أنَّه لا يعْرَفُ بعدَ شاذِى أحدٌ فى نسَبِهم ، وأغرَب بعْضُهم فزعَم أنَّه مِن سُلالَةِ مَرْوانَ بنِ محمدٍ الجَعْدىِّ آخرِ خلفاءِ بنى أُمَيَّةَ ، وهذا ليسَ بصحيحٍ ، والذى نُسِبَ إليه ادِّعاءُ هذا هو الملكُ أبو الفداءِ إسْماعيلُ بنُ طُغْتِكِين بنِ أيُّوبَ بنِ شاذِى ويُعْرَفُ بابنِ سيفِ الإسْلامِ ، وقد ملَكَ اليمنَ بعدَ أبيه فتَعاظَمَ فى نفْسِه وادَّعَى الخلافةَ وتلَقَّبَ بالإمامِ الهادِى بنُورِ اللَّهِ ، المعزِّ لدينِ اللَّهِ ، أميرِ المؤمنين ، وزعَم أنَّه أُمَوىٌّ ، ومدَحه الشُّعراءُ وأطرَوه ولهَجوا بذلك ، وقال هو فى ذلك أيضًا[4] :

---

(١) الكامل ١١/ ٣٨٨، والعبر ٤/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٠٩، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٨١. والوافى بالوفيات ٩/ ٣٥٨.

(٢) الكامل ١٣/ ٣٩٣، والروضتين ١/ ٥٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣١٠.

(٣) الرَوَادية : بطن من الهَذَبانية ، وهى قبيلة كبيرة من الأكراد . وفيات الأعيان ٧/ ١٣٩.

(٤) الروضتين ١/ ٥٣٥.

وإنِّى أنا الهادِى الخليفةُ والذى ... أدُوسُ رِقابَ الغُلب بالضُّمَّرِ الجُرْدِ
ولا بُدَّ مِن بَغْدادَ أطْوِى رُبوعَها ... وأنشُرُها نشْرَ السَّماسِرِ[1] للبردِ
وأنصبُ أعْلامِى على شُرُفَاتِها ... وأُحْيِى بها ما كان أسَّسه جدِّى
ويُخْطَبُ لى فيها على كلِّ مِنْبَرٍ ... وأُظهِرُ دينَ اللَّهِ فى الغَوْرِ والنَّجْدِ

وهذا الادِّعاءُ ليسَ بصحيحٍ ، ولا أصلَ له يَعتمدُ عليه ، ولا سندَ يستندُ إليه .

والمقْصودُ أنَّ الأميرَ نجمَ الدينِ كان أسَنَّ مِن أخيه أسَدِ الدينِ شِيرَكُوه ، وُلِدَ بأرْضِ المَوْصِلِ . وكان الأميرُ نجمُ الدينِ شجاعًا باسلًا ، يخدُمُ الملكَ محمدَ بنَ مَلِكْشَاه ، فرأى فيه شهامةً وأمانةً ؛ فوَلَّاه قلعةَ تَكْرِيتَ ، فحكمَ فيها فعدَلَ ، فكان مِن أكرمِ الناسِ ، ثم أقْطَعها الملكُ مسعودٌ لمُجاهدِ الدينِ بِهْروزَ شِحْنَةِ العراقِ ، فاستمرَّ به فيها ، فاجْتازَ به فى بعضِ الأحْيانِ الملكُ عمادُ الدينِ زَنْكِى مُنْهَزِمًا مِن قُراجا السَّاقِى فآوَاه وخدَمَه خدمةً تامَّةً ، وداوَى جِراحَه وأقامَ عندَه خمسةَ عشَرَ يومًا ، ثم ارْتَحَل إلى بلَدِه المَوْصِلِ . ثم اتَّفَق أنَّ نجمَ الدينِ أيُّوبَ عاقَب رجلًا نَصْرانيًّا فقتَله ، وقيلَ : إنَّما قتَله أخوه أسَدُ الدينِ شِيرَكُوه . وهذا الذى ذكَره القاضى ابنُ خَلِّكانَ قال[2] : رجَعتْ جارِيَةٌ مِن بعْضِ الخدَمِ ، فذكَرتْ أنَّه تعرَّضَ لها إسفهسلارُ الذى ببَابِ القلْعَةِ ، فخرَج إليه أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ، فطعَنه بحَرْبَةٍ فقتَله ، فحبَسه أخوه نجمُ الدينِ أيوبُ ، وكتبَ إلى مُجاهِدِ الدينِ بِهْروزَ يخبرُه بصُورَةِ الحالِ ، فكتَب إليه يقولُ : إنَّ أبَاكُما كانتْ له علىَّ خدمةٌ - وكان قدِ اسْتَنابَه فى هذه القلْعَةِ قبلَ أبيه نجْمِ الدينِ أيُّوبَ - وإنِّى أكْرَهُ أنْ أسُوءَكُما ، ولكنِ

---

(١) فى الأصل ، خ ، م : « الشماس » ، وفى ص : « السمامس » . والمثبت من الروضتين . والسماسر : جمع سمسار ، وهو الذى يبيع البز . التاج (س م س ر) .
(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٧.

انْتَقِلَا منها . فأخْرجَهُما بِهْروزُ مِن قلْعَتِه ، وفى ليلةِ خُروجِه منها وُلِدَ له الملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ يُوسُفُ . قال[1] : فتشاءَمْتُ به ؛ لفَقْدِى بلَدِى ووَطَنِى ، فقال لى بعضُ الناسِ : قد نَرَى ماأنتَ فيه مِنَ التشاؤمِ بهذا المَوْلُودِ ، فما يُؤمِنُكَ أنْ يكونَ هذا المولودُ مَلِكًا عظيمًا له صِيتٌ كبيرٌ؟ فكانَ كذلك ، فاتَّصَلا بخدْمَةِ الملكِ عمادِ الدينِ زَنْكِىّ ، ثم كانَا عندَ ابنِه نُورِ الدينِ محمودِ الملكِ العادلِ وتقدَّما عندَه ، [٩/٢٦٥و] وعَظُمَا ، فاسْتنابَه الملكُ نُورُ الدينِ بِبَعْلَبَكَّ ، ولمَّا سُلِّمت إليه أقامَ بها مدةً طويلةً ، ووُلِد له بها أكثرُ أوْلادِه ، ثم كان مِن الأمرِ ، ما ذكَرْناه فى دخولِه الديارَ المصريةَ ، وصيرورةِ الأميرِ نجمِ الدينِ إلى ابنِه بها فى سنةِ أربعٍ وستين ، ثم اتَّفَق أنَّه فى ذى الحِجَّة سقَطَ عن فرَسِه وماتَ بعدَ ثمانيةِ أيامٍ فى اليومِ السابعِ والعِشْرِينَ مِن ذى الحِجَّةِ من هذه السنَةِ ، وكان ابنُه الملكُ صلاحُ الدينِ محاصِرًا للكَرَكِ والشَّوْبكِ ، فلمَّا وصَله الخبرُ تألَّم لعدمِ حضُورِه ذلك ، وأرسَل يتَحرَّقُ ، ثم أنشَد يقولُ[2] :

وتخَطَّفَتْه يدُ الرَّدَى فى غَيْبَتِى ... هَبْنى حضَرْتُ فكنْتُ ماذا أصْنَعُ

وقد كان نَجْمُ الدينِ أيُّوبُ كثيرَ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ، كريمَ النفسِ ، جَوادًا مُمدَّحًا . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : وله خَانِقَاه بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، ومسجدٌ وقناةٌ خارِجَ بابِ النَّصْرِ فى القاهرةِ ، وقَفَها فى سنةِ سِتٍّ وستِّينَ ، وله بدِمَشْقَ خَانِقَاه أيضًا ، تعرفُ بالنَّجْمِيَّةِ . وقدِ اسْتَنابَه ابنُه على الديارِ المصريةِ حينَ خرَج إلى الكَرَكِ ، وحكَّمه فى الخزائنِ ، فكان مِن أكرمِ الناسِ ، وقد امْتدَحه الشعراءُ

---

(١) الروضتين ١/ ٥٣٩.

(٢) الروضتين ١/ ٥٣٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٥٧، ٢٥٩.

كالعمادِ الكاتبِ وعرقلةَ وعُمارةَ اليمنىِّ وغيرِ واحدٍ، ورثَوه حينَ ماتَ بمَراثٍ كثيرةٍ، وقد ذكَر ذلك مُسْتَقْصًى الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ فى كتابِه «الرَّوْضَتَيْنِ»[1]، ولما مات دُفِنَ مع أخيه أسَدِ الدينِ شِيرَكُوه بدارِ الإمارَةِ، ثم نُقِلَا إلى المدينةِ النبويَّةِ فى سَنةِ ثمانين، فدُفِنَا بتُرْبَةِ الوزيرِ جمالِ الدينِ المَوْصِلىِّ، الذى كان مُؤَاخِيًا لأسَدِ الدينِ شِيرَكُوه.

قال شهابُ الدينِ أبو شامةَ[2]: وفى هذه السنةِ تُوفِّى **ملكُ النُّحاةِ الحسَنُ بنُ صافى**[3].

يَزْدنُ التُّرْكِىُّ[4]، كان مِن أكابرِ أُمراءِ بَغْدادَ المُتحَكِّمِينَ فى الدولةِ، ولكِنَّه كان رافِضِيًّا خَبيثًا مُتعصِّبًا للروافضِ، وكانُوا فى خِفارتِه وَجاهِهِ، حتى أراحَ اللَّهُ المسلمين منه فى هذه السنَةِ فى ذى الحِجَّةِ منها، ودُفِنَ بدارِه، ثم نُقِل إلى مقابرِ قريشٍ، فللَّهِ الحمدُ. وحينَ ماتَ فرِح أهلُ السُّنَّةِ بموتِه، وغضِبَ الشيعَةُ مِن ذلك، وكان بسببِ ذلك فتنةٌ. وذكَر ابنُ السَّاعِى فى «تاريخِه» أنَّه كان فى صِغَرِه شابًّا حسنًا مليحًا، قال: ولشَيْخِنا أبى اليُمْنِ الكِنْدىِّ فيه وقد رمِدَتْ عينُه:

بكلِّ صباحٍ لى وكلِّ عَشِيَّةٍ ... وقوفٌ على أبْوابكُم وسَلامُ
وقد قيلَ لى يشْكو سَقَامًا بعَيْنِه ... فها نحنُ منها نشْتَكِى ونُضَامُ

---

(١) الروضتين ١/ ٥٤٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٢٤.

(٣) بعده فى م: «بن». وانظر ترجمته فى: خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٨٨، وإنباه الرواة ١/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣١٤، والوافى بالوفيات ١٢/ ٥٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٣.

(٤) المنتظم ١٨/ ٢٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٢٧.

ثم دخَلَت سنةُ تسْعٍ وستّين وخَمْسِمائةٍ[1]

قال ابنُ الجَوْزِيِّ فى « المُنْتَظَمِ »[2] : إنَّه سقَط عندَهم بَرَدٌ كبارٌ كالنَّارَنْجِ ، ومنه ما وَزْنُه سَبْعَةُ أرْطالٍ ، ثم عَقِبَ ذلك زيادةٌ عظيمةٌ بدِجْلةَ ، لم يُعْهَدْ مثلُها أصلًا ، فخرَّبت شيئًا كثيرًا مِن العُمْرانِ والقُرَى والمَزارِعِ حتى القبورِ ، وخرَج الناسُ إلى الصَّحْراءِ ، وكثُرَ الضَّجيجُ والابْتِهالُ فى الدعاءِ حتى فرَّجَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وتناقَصَتْ زِيادَةُ الماءِ ، فللهِ الحمدُ ربِّ الأرضِ والسماءِ ، وأمَّا المَوْصِلُ فإنَّه كان بها نحوٌ [٩/٢٦٥ظ] مما كان ببغدادَ وأكثرُ ، وانهدَمَ بالماءِ نحوٌ مِن ألْفَىْ دارٍ ؛ واسْتُهدِمَ بسببِه مثلُ ذلك ، وهلَكَ تحتَ الهدْمِ خلقٌ كثيرٌ ، وكذلك الفُرَاتُ زادَتْ زِيادةً عظيمةً أيضًا ، فهلَكَ بسببِها شىءٌ كثيرٌ مِنَ القُرَى ، وغلَتِ الأسْعارُ بالعِراقِ فى هذه السنةِ فى الزُّروعِ والثِّمارِ ؛ ووَقَع الوباءُ فى الغنَمِ ، وأُصِيبَ شىءٌ كثيرٌ ممَّنْ أكَل منها بالعراقِ وغيرِها .

قال ابنُ السَّاعِى : وفى رمضانَ[3] توالَتِ الأمْطارُ بديارِ بَكْرٍ والمَوْصِلِ أربعينَ يومًا وليلةً لم يرَوا الشمسَ فيها سِوَى مرَّتَيْنِ ؛ لحْظتَيْنِ يسِيرَتَيْنِ ، فتهدَّمَتِ البُيوتُ والمساكِنُ على أهْلِها ، وزادَت دِجْلَةُ بسببِ ذلك زيادةً عظيمةً ، وغرِقَتْ كثيرٌ مِن مساكنِ بَغْدادَ والمَوْصِلِ ، ثم تناقَص الماءُ بإذْنِ اللَّهِ ، عزَّ و جلَّ .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٤، والكامل ١١/ ٤٠٩.

(٢) المنتظم ١٨/ ٢٠٤.

(٣) فى خ ، م : « شوال منها » . وانظر الكامل ١١/ ٤٠٩.

قال ابنُ الجَوْزِيِّ[1] : وفى رجَبٍ وصَل [2]ابنُ الهَرَوِيِّ[2] مِن نُورِ الدينِ ومعه ثيابٌ مصريةٌ ، وحِمارَةٌ ملوَّنَةٌ ؛ جلْدُها مُخَطَّطٌ مثلُ الثوبِ العتَّابِيِّ . قال : وعُزِلَ ابنُ الشَّاشِيِّ[3] من تدْريسِ النِّظَامِيَّةِ ووَلِى أبو الخيْرِ القَزْوِينِيُّ . قال : وفى جُمادَى الآخرةِ اعْتُقِلَ المُجِيرُ الفقيهُ ونُسِبَ إلى الزَّنْدَقَةِ والانْحِلالِ وتَرْكِ الصَّلاةِ والصَّومِ ، ثم تعصَّبَ له أُناسٌ وزَكَّوه فأُخرِجَ . وذكَرَ أنَّه وعَظَ [4]بالحَرْبِيةِ ذاتَ يومٍ[4] فاجْتَمَعَ عندَه قرِيبٌ من ثلاثين ألفًا[5] .

قال ابنُ السَّاعِى : وفيها سقَط أبو العباسِ أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين المُسْتَضِىءِ مِن قُبَّةٍ شاهقَةٍ إلى الأرضِ فسَلِمَ وللَّهِ الحمدُ ، ولكِنْ نَبَتْ[6] يدُه اليُمْنَى وساعِدُ يدِه اليُسْرَى ، وانْسلَخ شىءٌ مِن أنفِه ، وكان معه خادِمٌ أسْوَدُ يقالُ له : نجاحٌ . فلمَّا رأى سيِّدَه قد سقَط ، ألقَى هو نفْسَه أيضًا ، وقال : لا حاجَةَ لى بالحياةِ بعدَه . فسَلِمَ أيضًا ، فلمَّا صارَتِ الخِلافَةُ إلى أبى العباسِ الناصرِ - وهو هذا الذى قد سقَط - لم ينسَهَا لنجاحٍ هذا ، فحكَّمه فى الدولةِ وأحْسَن إليه[7] .

وفيها سارَ الملكُ نورُ الدينِ نحوَ بلادِ الرومِ وفى خدْمَتِه الجيشُ وملكُ الأرْمَنِ وصاحبُ مَلَطْيَةَ ، وخلقٌ مِن المُلوكِ والأمراءِ ، وافْتَتَحَ عدَّةً مِن حصُونِهم ، وللَّهِ الحمدُ ، وحاصَرَ قلْعَةَ الرومِ فصالَحه صاحِبُها بخَمْسِين ألفَ دينارٍ ؛ جزْيةً ، ثم عادَ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ابن الشهرزورى » ، وفى خ ، م : « ابن الشهرزورى من عند » . وفى ص : « الشهرزوزى » . والمثبت من المنتظم ١٨/ ٢٠٤.

(٣) فى خ ، م ، ص : « الشامى » .

(٤ - ٤) فى م : « بالحدثية » والحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب . معجم البلدان ٢/ ٢٣٧.

(٥) الذى فى المنتظم ١٨/٢٠٣ : أنهم كانوا نحو ثلاثمائة ألف .

(٦) فى الأصل : « وينت » ، وفى ص : « قتيت » . ونبت يده : أى تباعدت . اللسان (ن ب و) .

(٧) بعده فى خ ، م : « وقد كانا صغيرين لما سقطا » .

إلى حَلَبَ وقد وجَد النجاحَ فى كلِّ ما طلَبَ ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيَّدًا منصورًا مسْرُورًا مَحْبُورًا .

وفى هذه السنةِ كان فتحُ بلادِ اليَمنِ للملكِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيوبَ ، وكان سبَبَ ذلك أنه بلَغه أنَّ بها رجُلًا يقالُ له : عبدُ النبىِّ بنُ مَهْدِىٍّ . قد تغلَّبَ عليها ودَعَا إلى نفسِه وتسمَّى بالإمامِ ، وزعَم[1] أنَّه سيَمْلِكُ الأرضَ كلَّها ، وقد كان أخوه علىُّ بنُ مَهْدىٍّ قد تغلَّبَ قبلَه على اليمنِ ، وانْتزَعَها مِن أيْدى أهلِ زَبِيدَ[2] ، وماتَ سنةَ ستِّين فملَك بعدَه أخُوه هذا ، وكلٌّ منهما كان سيِّئَ السيرةِ والسَّرِيرَةِ ، فعزَم الملكُ صلاحُ الدينِ ، لكَثْرَةِ جيْشِه وقُوَّتِه ، على إرسالِ سريَّةٍ إليه ، وكان أخوه الأكبرُ شمسُ الدولةِ شُجاعًا مهِيبًا بطَلًا ، وكان ممَّنْ يُجالِسُ عُمارةَ اليمنىَّ الشاعِرَ ، فكان ينْعَتُ له بلادَ اليَمنِ وحُسْنَها وكثْرَةَ خَيْرِها ، فحدَاه ذلك على أنْ خَرَج فى هذه السَّرِيَّةِ فى رجَبٍ مِن هذه السَّنَةِ ، فورَد مكَّةَ ، شرَّفها اللَّهُ ، فاعْتَمَر بها ثم سار منها إلى زَبيدَ ، فخرَج إليه عبدُ النبىِّ [٩/ ٢٦٦و] فقاتَله فهزَمه تُورانشاه ، وأسَره وأسَر زوْجتَه الحُرَّةَ ، وكانتْ ذاتَ أمْوالٍ جزيلةٍ فاسْتَقَرَّها على أشياءَ نفيسةٍ ، وذخائرَ جليلةٍ ، ونهَبَ الجيشُ زَبِيدَ ، ثم سار إلى عَدَنَ فقاتَله ياسرٌ[3] مَلِكُها فهزَمه تورانشاه وأسَره ، وأخَذ البلدَ بيَسيرٍ مِن الحصارِ ، ومنَع الجيشَ مِن نَهْبِها ، وقال[4] : ما جِئْنَا لنخرِّبَ البلادَ ، وإنَّما جئْنَا لعمارَتِها ومُلْكِها . ثم سارَ فى الناسِ سيرةً حسنةً عادِلةً فأحبُّوه ، ثم تسلَّمَ بقيةَ الحصُونِ والمعاقلِ

---

(١) فى الأصل ، ص : « يزعم لأصحابه » .

(٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن . معجم البلدان ٢/ ٩١٥.

(٣) فى الأصل : « بامير » ، وفى ص : « بامر » . وانظر الكامل ١١/ ٣٩٧.

(٤) الكامل ١١/ ٣٩٧.

والمَخَالِيفِ ، واسْتَوْسَقَ له مُلْكُ اليمَنِ بحَذافِيرِه وأَلْقَى إليه بأفلاذِ كبدِه ومَطاميرِه ، وخطَب فيها للخليفةِ العباسِيِّ أبى محمدِ الحسنِ المستضىءِ ، وقَتل الدَّعِيَّ المسمَّى بعبدِ النبيِّ ، وصفَتِ اليمنُ مِن أكْدارِها ، وعادَتْ إلى ما سبَق مِن مضْمارِها ، وكتَب بذلك إلى أخيه الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يُخبِرُه بما فتَح اللَّهُ عليه ، وأحْسَنَ إليه ، فكتَب الملكُ صلاحُ الدِّينِ بذلك إلى نُورِ الدِّينِ ، فأرسَل نُورُ الدينِ بذلك إلى الخليفةِ يبشِّرُه بفتحِ اليمنِ والخُطْبَةِ بها له .

وفيها خرَج المُوَفَّقُ خالدُ بنُ القَيْسَرانِيِّ مِن الديارِ المصْرِيَّةِ ، وقد أقامَ له الملكُ الناصرُ حسابَ الدِّيارِ المصريَّةِ وما خرَج مِن الحواصِلِ حسبَما رسَمَ به الملكُ نورُ الدينِ كما تقدَّم ، وقد كادَ الملكُ الناصرُ - لمَّا جاءَتْه الرسالةُ بذلك - يُظْهِرُ شَقَّ العصَا ويُكاشِرُ[1] بالمُخالفَةِ والإباءِ ، ولكن عادَ إلى طِباعِه الحسنَةِ وأظهَر الطَّاعةَ المُسْتَحْسنَةَ ، وأمَر بكتابَةِ الحسابِ وتحْريرِ الكتابِ فامتثَل[2] ذلك جماعةُ الدَّواوينِ والحسابِ والكُتَّابِ ، وبعَث مع ابنِ القَيْسَرانِيِّ بهَديَّةٍ سَنيَّةٍ وتحَفٍ هائلةٍ هَنِيَّةٍ ، فمِنْ ذلك خمسُ خَتَماتٍ شريفاتٍ مغطَّاتٍ[3] بخُطوطٍ مستوياتٍ ، ومائةُ عِقْدٍ مِن الجواهِرِ النَّفِيساتِ ، خارِجًا من قِطَعِ البلخشِ والياقوتِ ، والفُصوصِ والثيابِ الفاخِراتِ ، والأوانِى والأباريقِ والصِّحافِ الذهبيّاتِ والفضيّاتِ ، والخُيولِ ، والغِلْمانِ والجوارِى الحسانِ والحسناتِ ، ومن الذهبِ عشَرَةُ صنادِيقَ مُقفَلاتٍ مختوماتٍ ، ممَّا لا يُدرَى كم عدَّةُ ما فيها مِن مِئينَ أُلُوفٍ مِن الذهَبِ المصرىِّ

---

(١) فى خ ، م : « والجواب فبادر إلى » .

(٢) فى خ ، م : « يواجه » ، وكَشَرَ فلان لفلان إذا تنمر له وأوعده . اللسان (ك ش ر) .

(٣) فى الأصل ، ص : « معظمات » . وانظر الروضتين ١/ ٥٥٨.

المُعَدِّ للنفقاتِ . فلمَّا فصَلتِ العيرُ مِن الديارِ المصريَّةِ لم تَصِلْ إلى الشَّامِ حتى كانت وفاةُ الملكِ نورِ الدينِ ، رحِمهُ اللَّهُ ، فأرسَلَ الملكُ الناصرُ مَنْ ردَّها عليه وأعادَها إليه ، ويقالُ : إنَّ منها ما عُدِىَ عليه ، وعلِم بذلك حينَ وُضِعَت بينَ يَدَيه .

مقْتَلُ عُمَارَةَ بنِ أبى الحسَنِ بنِ زَيْدانَ الحكَمىِّ[1] ، مِن قَحْطَانَ ، أبى محمدٍ الملَقَّبِ بنَجْمِ الدِّينِ ، اليمنىِّ الشاعرِ الفقيهِ الشافعىِّ . وسببُ قتْلِه أنَّه اجْتَمَع جماعةٌ مِن رُءوسِ الدولةِ الفاطِميَّةِ الذين كانوا حُكَّامًا فاتَّفَقُوا فيما بيْنَهم أنْ يُعيدوا الدولةَ الفاطِميَّةَ ، فكتَبُوا إلى الفِرنجِ يَسْتَدْعُونَهم إليهم ، وعيَّنُوا خليفةً مِن ذُرِّيَّةِ الفاطِميِّين ووَزِيرًا وأمراءَ ، وذلك فى غَيْبةِ السلْطانِ ببلادِ الكَرَكِ ، ثم اتَّفَقَ مَجيئُه فحرَّضَ عمارةُ اليمنىُّ شمسَ الدولةِ تُورَانشَاه على المسيرِ إلى اليمَنِ ؛ ليَضْعُفَ بذلك الجيشُ عن مُقاومَةِ الفِرنْجِ إذا قدِمُوا لنُصْرَةِ [٩/٢٦٦ظ] الفاطِميِّين ، فخرَج تُورانشَاه ولم يخرُجْ معه عمارةُ ، بل أقامَ بالقاهرةِ يُفيضُ فى هذا الحديثِ ، ويُداخِلُ المُتَكَلِّمين فيه ، وكان مِن أكابرِ الدُّعاةِ إليه والمُحَرِّضِين عليه ، وقد أدخَلُوا معهم فى هذا الأمرِ مَن يُنْسَبُ إلى المَلِكِ الناصرِ ؛ وذلك مِن قلَّةِ عقلِهم وكثرةِ جهلِهم ، فخانَهم أحْوَجَ ما كانُوا إليه ؛ وهو الشيخُ زَيْنُ الدينِ علىُّ بنُ نَجا الواعظُ ، جاء إلى السلطانِ فأخبرَه بما تمالأ القومُ عليه ، وبما انتهَى أمرُهم إليه ، فأطلَقَ له السلْطانُ أموالًا جزيلةً ، وأفاضَ عليه حُلَلًا جميلةً ، ثم اسْتَدْعاهمُ السلْطانُ واحِدًا واحِدًا فقرَّرَهم فأقرُّوا له بذلك ، فاعْتقَلهم ثم اسْتَفْتَى الفقهاءَ فى

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠١، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٠٢، والروضتين ١/ ٥٦٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٥١.

أمرِهم فأفْتَوه بقَتْلِهم وتبديدِ شملِهم ، فعندَ ذلك أمَر بصَلْبِ رُءوسِهم وأعْيانِهم ، دونَ أتْباعِهم وغِلْمانِهم ، وأمَرَ بنَفْيِ مَن بَقِيَ مِن جيشِ العُبَيْديِّين إلى أقصَى البلادِ ، وأفرَد ذُرِّيَّةَ العاضدِ وأهلَ بيتِه فى دارٍ ، فلا يصِلُ إليهم إصْلاحٌ ولا إفْسادٌ ، وأجْرَى عليهم مِن الأرْزاقِ كفايتَهم ، وقد كان عمارةُ مُعادِيًا للقاضى الفاضلِ ، فلمَّا أُحضِر بينَ يدَيِ السلْطانِ ، قامَ القاضى الفاضِلُ فاجتَمَعَ بالسلطانِ ليَشْفَعَ فيه عندَه ، فتوَهَّمَ عُمارةُ أنَّه تكلَّم فيه ، فقال[1] : يا مَوْلَانا السلطانَ لا تسْمَعْ منه . فغضِبَ القاضِى الفاضِلُ وخرَج مِن القصرِ ، فقال له السلطانُ : إنَّه كان قد شفَع فيك . فندِم ندَمًا عظيمًا . ولمَّا ذُهِبَ به ليُصْلَبَ مَرَّ بدارِ القاضِى فطلَبَه فتغَيَّبَ عنه فأنشدَ[2] :

عبدُ الرحيمِ قدِ احْتَجَبْ إنَّ الخلاصَ هو العَجَبْ

قال ابنُ أبى طيٍّ[3] : وكان الذينَ صُلِبُوا ؛ المفضَّلَ[4] بنَ القاضى ، وهو أبو القاسمِ هبةُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ كاملٍ قاضى قضاةِ الديارِ المصْريَّةِ زمنَ الفاطِميِّينَ ، ويلقَّبُ بفَخْرِ الأُمناءِ ، وكان أوَّلَ مَن صُلِبَ فيما قالَه العمادُ الكاتبُ ، وقد كان يُنْسَبُ إلى فضيلةٍ وأدَبٍ ، وله شعرٌ رائقٌ ، فمِنْ ذلك قولُه فى غلامٍ رَفَّاءٍ[5] :

يا رافِيًا خَرْقَ كلِّ ثوبٍ و[6]يا رَشًا[6] حُبُّه اعْتِقادى

---

(١) الكامل ١١/ ٤٠٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الروضتين ١/ ٥٦١.

(٤) فى النسخ : «الفضل» ، والمثبت من الروضتين ١/ ٥٦١.

(٥) الروضتين ١/ ٥٧١، وخريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ١٨٧.

(٦ - ٦) فى م : «ومارفا».

عسَى بكَفِّ الوِصالِ ترْفُو ما مَزَّقَ الهجْرُ مِن فُؤادى

وابنَ عبدِ القَوِىِّ داعِىَ الدُّعاةِ، وكان يعْلَمُ بدفائنِ القصرِ فعُوقِبَ ليُعْلِمَ بها، فامْتَنَعَ مِن ذلك فماتَ وانْدَرَسَتْ. [1]والعُوريسَ الذى كان[1] ناظِرَ الديوانِ، وتوَلَّى مع ذلك القضاءَ. وشُبرُما[2] كاتبَ السِّرِّ. وعبدَ الصَّمدِ القشةَ[3] أحدَ أمراءِ المصْريِّينَ. ونجاحَ الحمّامىَّ، ورجلًا مُنجِّمًا نصرانيًّا أرمِنيًّا كان قد بشَّرَهم بأنَّ هذا الأمرَ يتِمُّ بعلْمِ النجومِ، **وعُمارَةَ اليَمَنِىَّ الشاعِرَ**، وقد كان شاعِرًا مُطَبِّقًا بليغًا فصِيحًا، لا يُلْحَقُ شأْوُه فى هذا الشأنِ، وله ديوانٌ مشْهورٌ وقد ذكَرْتُه فى «طبَقاتِ الشافِعيَّةِ»؛ فإنَّه كان يشتغلُ بمذْهبِ الشافعىِّ، وله تصنيفٌ فى الفرائضِ، وكتابُ «الوزراءِ الفاطِميِّينَ»، وكتابٌ جمَع فيه سيرةَ نفيسةَ التى كان يعتقدُها عوَامُّ مصرَ، وقد كان أديبًا فاضلًا فقيهًا فصيحًا، غيرَ أنَّه كان يُنْسَبُ إلى مُوالاةِ الفاطِميِّين، وله فيهم وفى وزَرائِهم وأمْرائِهم مدائحُ كثيرةٌ جدًّا، وأقلُّ ما نُسِب إلى الرفضِ، وقد اتُّهِم باطنُه بالكُفرِ المحْضِ.

وذكَر العمادُ فى «الخريدَةِ» أنَّه قال فى قصيدَتِه التى يقولُ فى أوَّلِها[4]:

العِلْمُ مُذْ كان مُحْتاجٌ إلى العَلَمِ وشفْرَةُ السيفِ تَسْتَغْنِى عنِ القَلَمِ

وهى طويلةٌ جدًّا فيها كفرٌ وزَنْدَقةٌ كثيرةٌ، قال فيها:

قد كان [٩/٢٦٧و] أوَّلُ هذا الدِّينِ مِن رجُلٍ سعَى إلى أن دَعَوهُ سيِّدَ الأُمَمِ

(١ - ١) فى الأصل: «العورويس»، وفى م، والكامل: «العويرس».

(٢) فى النسخ: «شبريا»، والمثبت من الروضتين ١/ ٥٦١.

(٣) فى م: «الكاتب وهو».

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٤.

قال العمادُ : فأفْتَى علماءُ مِصْرَ بقتلِه ، وحرَّضُوا السلطانَ على المُثْلَةِ بمثْلِه . قال : ويجوزُ أنْ يكونَ هذا البيتُ معْمُولًا عليه . فاللَّهُ أعلَمُ . وقد أوْرَد ابنُ السَّاعِى شيئًا مِن رقيقِ شعْرِه ، فمِنْ ذلك قولُه يمدَحُ بعضَ الملُوكِ[1] :

مِلِكٌ إذا قابَلْتُ بِشْرَ جبِينِهِ ... فارَقْتُهُ والبِشْرُ فوقَ جَبِيْنى
وإذا لَثَمْتُ يمِينَهُ وخرَجْتُ مِن ... أبوابِه لَثَم الملُوكُ يَمِينى

ومِن ذلك قولهُ يتغزَّلُ[2] :

لى فى هوَى الرَّشأ العُذْرِىِّ أعْذارُ ... لم يَبْقَ لى مُذْ أقَرَّ الدمعُ إنكارُ
لى فى القُدودِ وفى لَثْمِ الخُدودِ وفى ... ضَمِّ النُّهودِ لُبَاناتٌ وأوْطَارُ
هذا اخْتِيارِى فوافِقْ إنْ رَضِيتَ به ... أوْ لا فدَعْنِى لِمَا أهْوَى وأخْتارُ

وممَّا أنشَدَه تاجُ الدينِ الكِنْدىُّ فى عُمارةَ اليمنىِّ حينَ صُلِب[3] :

عُمارةُ فى الإسْلامِ أبْدَى خِيانةً ... وبايَع فيها بِيْعَةً وصَلِيبا
وأمْسَى شَرِيكَ الشِّرْكِ فى بُغْضِ أحمدٍ ... فأصْبَح فى حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبا
وكان خبيثَ المُلتقَى إن عَجَمتَهُ[4] ... تَجِدْ مِنهُ عُودًا فى النفاقِ صَلِيبا
سيَلْقَى غدًا ما كانَ يسْعَى لأجلِه ... ويُسْقَى صَدِيدًا فى لَظًى وصَلِيبا

قال الشيخُ شهابُ الدينِ[5] : فالأوَّلُ صليبُ النصارَى ، والثانى بمعْنى

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٦، والروضتين ١/ ٥٧٢.
(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٧، والروضتين ١/ ٥٧٢.
(٣) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣/ ١٠٥، والروضتين ١/ ٥٦٦.
(٤) عجم العودَ : إذا عضَّه ليعرف صلابته من رخاوته . اللسان (ع ج م) .
(٥) الروضتين ١/ ٥٦٦.

مصْلُوبٍ ، والثالثُ بمعْنَى القوىِّ ، والرابعُ ودَكُ العظامِ[1] .

ولمَّا صلَب الملكُ الناصِرُ هؤلاءِ - وكان ذلك يومَ السبتِ الثانى مِن شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ بينَ القَصْرَيْن مِن القاهرةِ - كتَب إلى الملكِ نُورِ الدينِ يُعْلِمُه بما وقَع منهم وما أوقَع بهم مِن الخِزْيِ والنكالِ ، قال العمادُ[2] : فوصَل الكتابُ بذلك يومَ تُوفِّى المَلِكُ نورُ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وكذلك قتَل الملكُ صلاحُ الدينِ رجلًا مِن أهلِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ يقالُ له : قُديدٌ القفّاصُ[3] . قدِ افْتتَنَ به الناسُ ، وجعَلُوا له جُزْءًا مِن أكْسابِهم ، حتى النساءُ مِن أمْوالِهنَّ ، فأُحِيطَ به فأرادَ الخلاصَ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . فقُتِل أُسوةً بمَـن سلَفَ ، ولقد كان بئسَ الخلَفُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ ، وبه التوفيقُ والعصمةُ .

ومِمَّا وُجِدَ مِن شعرِ عُمارةَ يَرْثِى العاضدَ ودولتَه وأيامَه[4] :

أَسَفِى على زَمَنِ الإمامِ العاضدِ ... أسفَ العَقيمِ على فِراقِ الواحدِ
جالَستُ مِن وُزَرائِه وصحِبتُ مِنْ ... أُمـرائِـه أهـلَ الـثـنـاءِ الماجـدِ
لَهْفِى على حُجُراتِ قَصْرِكَ إذْ خلَتْ ... يا ابنَ النبىِّ مِنَ ازْدِحامِ الوافدِ
وعلى انْفِرادِكَ مِن عساكِرِكَ الذى ... كـانوا كـأمْواجِ الخِضَمِّ الراكـدِ
قـلَّدْتَ مُـؤْتَمِـنَ الخلافـةِ أمـرَهـمْ ... فكبَا وقصَّرَ عن صلاحِ الفاسدِ
فعسَى الليالِى أنْ تَرُدَّ عليْكُمُ ... ما عَوَّدَتْكُم من جميلِ عوائدِ

---

(١) الودك : الدسم . اللسان (و د ك) . ولعل المقصود به ما يسيل من عظام أهل النار من القيح وغيره ، وانظر مصدر التخريج .
(٢) الروضتين ١/ ٥٦٢.
(٣) فى الأصل : « القصاص » ، وفى م : « القفاجى » . وانظر الروضتين ١/ ٥٦٦.
(٤) الروضتين ١/ ٥٦٩.

وله مِن جملةِ قصيدةٍ[1] :

يا عاذِلى فى هوَى أبْناءِ فاطمةٍ ... لكَ الملامَةُ إنْ قصَّرْتَ فى عَذْلِى
باللَّهِ زُرْ ساحةَ القَصْرَيْنِ وابْكِ مَعِى ... عليهما لا عَلى صِفِّينَ والجَمَلِ
وقلْ لأهْلِهما واللَّهِ ما التحَمَتْ ... فيكم قُروحِى ولا جُرْحِى بمُنْدَمِلِ
ماذا ترَى كانتِ الإفْرَنْجُ فاعلةً ... فى نسْلِ آلِ أميرِ المؤمنينَ عَلِى

وقد أورَدَ الشيخُ أبو شامةَ فى « الروْضَتَيْن » مِن أشعارِ عُمارةَ اليمنىِّ ومدائحِه فى الخلفاءِ الفاطمِيِّين وذويهم شيئًا كثيرًا ، وكذا القاضى ابنُ خَلِّكانَ .

ابنُ قُرْقُولٍ[2] **إبراهيمُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ باديسَ** [٩/ ٢٦٧ظ] **ابنِ القائدِ الحَمْزِىُّ أبو إسحاقَ بنُ قُرْقُولٍ الأندلسىُّ** ، صاحِبُ كتابِ « مطالعِ الأنْوارِ » الذى وضَعه على مثالِ[3] كتابِ « مشارِقِ الأنْوارِ » للقاضى عِياضٍ ، وكان مِن علماءِ بلادِه وفُضلائِهم المشْهُورِين ، ماتَ فجأةً بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ سادسَ شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ عن أرْبَعٍ وستِّين سنةً ؛ قالَه ابنُ خَلِّكانَ[4] .

---

(١) الروضتين ١/ ٥٧٠.

(٢) فى خ : « قرول » . وفى م : « قسرول » . وفى ص : « قوقول » . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٣٢، والعبر ٤/ ٢٠٥، ومرآه الجنان ٤/ ١٧٠.

(٣) زيادة من وفيات الأعيان ١/ ٦٢.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٦٢.

فصلٌ فى وَفاةِ الملكِ العادلِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ التُّركىُّ السَّلْجوقِىُّ فى هذه السنةِ، وذِكرُ شىءٍ مِن سيرتِه العادلةِ وأيامِه الكاملةِ

هو الملكُ العادلُ نورُ الدينِ، أبو القاسمِ محمودُ بنُ المَلِكِ الأتابِكِ قسِيمِ الدولةِ عمادِ الدينِ أبى سعيدٍ زَنْكى، الملَقَّبِ بالشهيدِ بنِ الملكِ آقْ سُنْقُر الأتابِكِ الملقَّبِ بقَسِيمِ الدولةِ أيضًا، التركىُّ السَّلْجوقىُّ مولَاهُم[1]، وُلِد وقتَ طُلوعِ الشمسِ يومَ الأحدِ السابعَ عشَرَ مِن شَوَّالٍ سنةَ إحْدَى عشْرَةَ وخمسِمائةٍ بحَلَبَ، ونشَأ فى كَفالةِ والدِه صاحبِ حَلَبَ والمَوْصِلِ وغيرِهما مِن البلدانِ الكثيرةِ، وتعلَّم الفروسيةَ والرَّمْىَ، وكان شهْمًا شُجاعًا، ذا همةٍ عاليةٍ، وقصْدٍ صالحٍ، وحُرْمَةٍ وافرةٍ، ودِيانَةٍ مَتِينةٍ، فلمَّا قُتِل أبوه سنةَ إحْدَى وأربعين وهو محاصِرٌ جَعْبَرَ، كما ذكَرْنا، صارَ المُلْكُ بحَلَبَ إلى ابنِه هذا، وأعْطَاه أخوه سيْفُ الدينِ غازِى المَوْصِلَ، كما تقدَّم.

ثم افْتَتَح الملكُ نورُ الدينِ دِمَشقَ فى سنةِ تسعٍ وأربعين، فأحسَن إلى أهْلِها وبنَى لهمُ المدارسَ والمساجدَ والرُّبُطَ، ووسَّعَ الطريقَ والأسواقَ، ووَضَع المُكوسَ بدارِ البِطِّيخِ، والغنمِ، والعَرْصَةِ، وغيرِ ذلك، وكان حنفىَّ المذْهبِ، يُحِبُّ العلماءَ والفقراءَ، ويكرِمُهم ويحترِمُهم، ويحسِنُ إليهم، ويقومُ فى أحْكامِه

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٩، والكامل ١١/ ٤٠٢، ومرآة الزمان ١/ ٣٠٥، والروضتين ١/ ٥٧٧، ووفيات الأعيان ٥/ ١٨٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٧٠.

بالمَعْدِلةِ الحسنةِ ، واتِّباعِ الشرعِ المُطَهَّرِ ، ويعقِدُ مجالسَ العَدْلِ ، ويتولَّاها بنفْسِه ، ويجتَمِعُ إليه القاضى والفقهاءُ والمُفْتون مِن سائرِ المذاهبِ ، ويجلِسُ فى يومِ الثلاثاءِ بالمسجدِ المُعلَّقِ ، الذى بالكشكِ ؛ ليصِلَ إليه كلُّ أحدٍ مِن المسلمين وأهلِ الذِّمَّةِ ، وأحاطَ السُّورَ على حارةِ اليهودِ ، وكان خَرابًا ، وأغلَق بابَ كَيْسانَ ، وفتَح بابَ الفرَجِ ، ولم يكُنْ قبلَه هناك بابٌ بالكُلِّيَّةِ ، وأظهَر ببلادِه السُّنَّةَ ، وأماتَ البِدْعَةَ ، وأمَر بالتأْذينِ بـ حيَّ على الصلاةِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، ولم يَكُنْ يُؤَذَّنُ بهما فى دوْلتَىْ أبيه وجدِّه ، وإنما كان يُؤَذَّنُ بـحيَّ على خيرِ العملِ ؛ لأنَّ شعارَ الروافضِ كان ظاهرًا بها . وأقامَ الحدودَ وفتحَ الحصُونَ ، وكسَر الفِرنْجَ غيرَ مرةٍ ، واسْتَنقَذ مِن أيْدِيهم مَعاقِلَ كثيرةً مِن الحصُونِ المنيعةِ ، التى كانُوا قد اسْتَحوَذُوا عليها مِن بلادِ المسلمين ، كما تقدَّم بَسْطُ ذلك فى السنين المتقدِّمَةِ فى أيامِه .

وأقطَع أمراءَ العربِ إقطاعاتٍ ؛ لِئَلَّا يتعرَّضُوا للحَجِيجِ ، وبنَى بدِمَشقَ مَارَسْتَانًا حسنًا لم يُبْنَ فى الشامِ قبلَه مثلُه ولا بعدَه أيضًا ، ووَقَفَ وَقْفًا على مَن يعلِّمُ الأيتامَ الخَطَّ والقرآنَ ، وجعَل لهم نفقةً وكِسوةً ، وعلى مَن يُقْرِئُ الأيتامَ ، وعلى المجاوِرين بالحرمَيْنِ[1] .

وكان الجامِعُ داثِرًا ، فوَلَّى نظَرَه القاضىَ كمالَ الدينِ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرَزُورِىَّ المَوْصِلىَّ ، الذى قُدِم به فولَّاه قضاءَ القُضاةِ بدِمَشقَ ، فأصلَح أمورَه وفتَح المشاهِدَ الأربعةَ ، وقد كانتْ حواصِلُ الجامعِ بها مِن حينَ احْترَق سنةَ إحْدَى وستِّين وأربعِمائةٍ ، وأضافَ إلى أوْقافِ الجامعِ المعلُومَةِ الأوْقافَ التى لا يُعْرَفُ واقِفُوها ، ولا يُعرَفُ شرُوطُهم فيها ، وجعَلها قلَمًا واحدًا ، وسمَّاه مالَ

---

(١) بعده فى خ ، م : « وله أوقاف دارة على جميع أبوب الخير وعلى الأرامل والمحاويج » .

المصالحِ ، فرتَّب عليه [٢٦٨/٩و] لذَوِى الحاجاتِ والفقراءِ والمساكينِ والأراملِ والأيْتامِ ، وما أشْبَهَ ذلك وشاكَله .

وقد كان الملكُ نورُ الدينِ حسنَ الخَطِّ ، كثيرَ المُطالعَةِ للكتُبِ الدينيةِ ، مُتَّبِعًا للآثارِ النبويَّةِ ، مُحافِظًا على الصَّلَواتِ فى الجماعاتِ ، كثيرَ التلاوةِ ، محبًّا لفعْلِ الخيراتِ ، عفيفَ البَطْنِ والفَرْجِ ، مُقْتَصِدًا فى الإنْفاقِ علَى نفْسِه وأهلِه وعيالِه فى المَطْعَمِ والمَلْبَسِ[1] ، لم تُسْمَعْ منه كلمةُ فُحْشٍ فى غضَبٍ ولا رِضًا .

قال ابنُ الأثيرِ[2] : لم يكُنْ فى ملوكِ الإسلامِ بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مثلُ المَلِكِ نورِ الدينِ ، ولا أكثرُ تحرِّيًا للعدلِ والإنْصافِ منه ، كان قد استفْتَى العلماءَ فى مقدارٍ يَحِلُّ له فى بيتِ المالِ ، فكان يتناولُه لا يزيدُ عليه . وكانتْ له دَكاكِينُ بحِمْصَ قدِ اشْتَرَاها ممَّا يخصُّه مِن المغانمِ ، فزاد كِرَاءَها لامرأتِه على نَفَقَتِها حينَ استَقَلَّتْها عليها .

وكان يكثِرُ اللَّعبَ بالكرةِ ، فعاتَبه بعضُ الصالحين فى ذلك ، فقال[3] : إنما أُريدُ تَمْرِينَ الخيلِ ، وتعْليمَها الكَرَّ والفَرَّ . وكان لا يلْبَسُ الحريرَ ، ويأْكُلُ مِن كَسْبِ يدِه ، رحِمه اللَّهُ .

وركِب يومًا مع بعضِ أصْحابِه والشمسُ فى ظُهورِهما ، وظِلُّها بينَ أيْدِيهِما لا يدْرِكانِه ، ثم رجَعا فصارَ الظلُّ وراءَهم ، فَساقَ الملكُ نورُ الدينِ وجعَل يلتَفِتُ وظلُّه يتْبَعُه ، ثم قال لصاحبِه[4] : قد شَبَّهْتُ ما نحنُ فيه بالدنيا ، تَهْرُبُ ممَّن

---

(١) بعده فى خ ، م : « حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء فى زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا » .
(٢) الكامل ١١/ ٤٠٣.
(٣) الروضتين ١/ ١٢.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٣.

يطْلُبُها ، وتطلُبُ مَن يَهْرُبُ منها . وقد أنشَد بعضُهم فى هذا المعنى[1] :

مثَلُ الرِّزْقِ الذى تطْلُبُه ... مثلُ الظلِّ الذى يمْشِى معكْ
أنتَ لا تُدْرِكُه مُتَّبِعًا ... فإذا وَلَّيْتَ عنه تَبِعَكْ

وكان فَقِيهًا على مذْهبِ أبى حنيفةَ ، وسمِع الحديثَ وأسْمَعه ، وكان كثيرَ الصلاةِ بالليلِ مِن وقتِ السَّحَرِ إلى أنْ يركَبَ[2] :

جمَعَ الشجاعةَ والخشوعَ لدَيْهِ ... ما أحْسَنَ المِحْرابَ[3] فى المِحْرابِ

وكذلك كانتْ زوجتُه عصمتُ الدينِ خاتُون بنتُ الأتابِكِ مُعِينِ الدينِ أُنَرَ ، تُكثِرُ قيامَ الليلِ ، فنامَتْ ذاتَ ليلةٍ عن وِرْدِها ، فأصبَحَتْ وهى غَضْبَى ، فسأَلها عن أمْرِها ، فذكَرَتْ ما حصَل لها مِن النومِ الذى قطَعها عن وِرْدِها ، فأمَر بضَرْبِ طَبْلخَانةٍ فى القَلْعَةِ وقْتَ السَّحَرِ ؛ ليُوقِظَها وأمثالَها مِن النومِ لقيامِ الليلِ[4] :

وألْبَس اللَّهُ هَاتِيكَ العِظامَ وإنْ ... بَلِينَ تحتَ الثَّرَى عفْوًا وغُفْرانَا
سقَى ثَرًى أُودِعُوه رَحْمَةً مَلأَتْ ... مَثْوى قُبورِهِمُ رَوْحًا ورَيْحانَا

وذكَر ابنُ الأثيرِ[5] أنَّ الملكَ نورَ الدينِ بينَما هو يومًا يلعَبُ بالكرةِ إذْ رأَى رجلًا يحدِّثُ آخرَ ويُومِئُ إليه ، فبعَث الحاجِبَ ؛ ليسْأَله ما شأْنُه ، فإذا هو رجلٌ معه رسولٌ مِن جهةِ الحاكمِ ، وهو يزعُمُ أنَّ له على الملكِ نورِ الدينِ حقًّا يريدُ

---

(١) الروضتين ١/١٣ .
(٢) الكامل ١١/ ٤٠٣، والروضتين ١/ ١٤.
(٣) فى خ ، م : « الشجعان » . والمحراب : كثير الحرب .
(٤) البيتان لأسامة بن منقذ قالهما فى مرثية رهطه لما هلكوا بشيزر عام الزلازل المتتابعة ، وكانت بدايتها فى رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . انظر الديوان ص ٣٠٩.
(٥) الروضتين ١/ ١٥.

خَلْوتَه وإيَّاه إلى القاضى ، فلمَّا أعْلَمه الحاجبُ بذلك ألْقَى الجُوكَانَ[1] مِن يَدِه ، وأقبَل مع خَصْمِه إلى القاضى كمالِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىِّ ، وقد أرسَل إليه مِن أثناءِ الطريقِ أن لا تعامِلْنى إلَّا معاملةَ الخصومِ ، فحينَ وصَلَا وقَف نورُ الدينِ مع خَصْمِه ، حتى انْفصَلَتِ الحكومةُ ، ولم يثْبُتْ للرجلِ حقٌّ ، بل ثبَت الحقُّ للسلطانِ ، فلمَّا تبيَّنَ ذلك قال السلطانُ : إنَّما جئتُ معه ؛ لِئَلَّا يتخلَّفَ أحدٌ عن الحضورِ إلى الشَّرْعِ ، فإنَّما نحنُ شِحْنَكِيةٌ بينَ يَدَيه ، وأنا أعلَمُ أنَّه لا حقَّ له عندى ، ومع هـذا أُشْهِدُكم أنِّى قد ملَّكْتُه ذلكَ ووَهَبْتُه له .

[2]وأرسَل القاضى تاجُ الدينِ رسولًا [٢٦٨/٩ظ] مِن جهتِه يقالُ له : سويدٌ . ليُحْضِرَ الملكَ نورَ الدينِ إلى مجلسِ الحكمِ لسماعِ دَعوى مِن رجلٍ عليه ، فبلَّغ سويدٌ الرسالةَ إلى الحاجبِ ، فدَخَل عليه وهو يضحَكُ ويقولُ : ليقُمِ المَوْلى إلى القاضى لسماعِ دعوى . وكأنَّه يَستهزئُ بذلك ، فقال له الملكُ : وما لكَ تَستهزئُ بذلك ! ثم قال : ائتونى بفرسِى . فنَهَض وهو يقولُ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ ﴾ [النور : ٥١] . وذهَب إلى الحاكمِ وكان يومًا مَطِرًا ، كثيرَ الوَحَلِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى[2] .

قال ابنُ الأثيرِ[3] : وهو أوَّلُ مَن ابْتَنَى دارًا للعدلِ ، فكان يجلِسُ فيها فى الأسبوعِ يومين ، وقيل : أربعةً . وقيلَ : خمسةً . ويحضُرُ القاضى والفقهاءُ مِن المذاهبِ ، ولا يحجُبُه يومَئذٍ حاجبٌ بل يصِلُ إليه القوِىُّ والضعيفُ ، فيُكلِّمُ الناسَ ، ويستَفْهِمُهم ويخاطِبُهم بنفْسِه ، فيكشِفُ الظالمَ ، ويُنْصِفُ المظلومَ مِن

---

(١) الجوكان : المِحْجَن الذى تضرب به الكرة فى ألعاب الفروسية . صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . والخبر فى الروضتين ١/ ٣٦ .

(٣) الروضتين ١/ ١٧، ١٨، ومرآة الزمان ١/ ٣٠٩.

الظالمِ ، قال : كان سببَ ذلك أنَّ أسدَ الدينِ شِيرَكُوه بنَ شاذِى كان قد عَظُم شأنُه ، حتى صارَ كأنَّه شرِيكُه فى المملكةِ ، واقْتَنَى الأمْلاكَ والأموالَ والمزارعَ والقُرَى ، فربَّما ظلَم نُوَّابُه جِيرانَهم فى الأراضِى ، وكان القاضى كمالُ الدينِ يُنْصِفُ كلَّ مَن اسْتَعْدَاه على جميعِ الأمراءِ إلَّا أسدَ الدينِ هذا ، فلمَّا ابْتَنَى الملكُ نورُ الدينِ دارَ العدلِ تقدَّمَ أسدُ الدينِ إلى نُوَّابِه أنْ لا يدَعُوا لأحَدٍ عندَه ظُلامةً ، وإنْ كان عظيمًا ، فإنَّ زوالَ مالِه أحبُّ إليه مِن أنْ يرَاه نورُ الدينِ بعَيْنِ ظالمٍ ، أو يُوقِفَه مع خَصْمٍ مِن العامَّةِ ، ففَعَلوا ذلك ، فلمَّا جلَس نورُ الدينِ بدارِ العَدْلِ مدةً مُتَطاوِلَةً لم يرَ أحدًا يَسْتَعْدِى على أسَدِ الدينِ ، فسأل القاضِىَ عن ذلك ، فأعْلَمه بصُورَةِ الحالِ ، فسَجد نورُ الدينِ عندَ ذلك شكْرًا للَّهِ ، وقال : الحمدُ للَّهِ الذى جعَل أصْحابَنا ينْصِفُون مِن أنفُسِهم .

وأمَّا شجاعتُه فكان يقالُ[1] : إنَّه لم يُرَ على ظهرِ الفرَسِ أحسنُ ولا أثبتُ منه . وكان يُحسِنُ اللعبَ بالكرةِ ورُبَّما ضرَبَها ثم يسوقُ وراءَها ويأخُذُها مِن الهواءِ بيَدِه ، ثم يرْمِيها إلى آخرِ الميدانِ ، ولم يُرَ جُوكَانُه يعْلُو على رأسِه ، ولا يُرَى الجُوكَانُ فى يدِه ؛ لأنَّ الكُمَّ ساترٌ لها ، ولكنَّه اسْتِهانةٌ بلعبِ الكرةِ .

وكان شُجاعًا صبُورًا فى الحربِ ، يُضرَبُ المثلُ به فى ذلك ، وكان يقول[2] : قد تعرَّضْتُ للشهادةِ غيرَ مرةٍ فلم يَتَّفِقْ لى ذلك . وقال له يومًا الفَقِيهُ قطبُ الدينِ النَّيْسَابُورِىُّ : باللَّهِ يا مولَانا السلطانَ لا تُخاطِرْ بنَفْسِكَ ؛ فإنَّك لو قُتِلتَ قُتِل جميعُ مَن معكَ ، وأُخِذَتِ البلادُ . فقال : اسْكُتْ يا قُطْبَ الدينِ مَن هو

---

(١) الروضتين ١/ ١٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٩.

محمودٌ ؟ مَن كان يحفَظُ البلادَ قبْلِى ؟ اللَّهُ لا إلهَ إلَّا هو . قال : فبكَى مَن حضَر .

وقد أسَر بنفْسِه فى بعضِ الغزَواتِ بعْضَ ملوكِ الفِرنجِ ، فاسْتَشار الأمراءَ فيه هل يقْتُلُه أو يأخُذُ منه ما يبْذُلُ له مِن المالِ فى الفداءِ ؟ فاختَلفوا عليه ، ثم حسُنَ فى رأيِه إطلاقُه ، وأخْذُ الفداءِ ، فحينَ جهَّز بَعْثَ الفِداءِ مات ببلَدِه ، فأعْجَب ذلك نورَ الدينِ وأصْحابَه ، وابتَنَى نورُ الدينِ مِن ذلك المالِ البِيمارَسْتانَ الذى بُنِى بدمشقَ ، وهو أحسنُ ممَّا بُنِى مِن البِيمارَسْتاناتِ بالبلادِ ، ومِن شَرْطِه أنَّه على الفقراءِ والمساكينِ وإذا لم يوجَدْ بعضُ الأدويةِ التى يعِزُّ وجودُها إلَّا فيه فلا يُمْنَعُ منه الأغنياءُ ، ومَن جاءَ مستوصِفًا فلا يُمْنَعُ مِن شَرابِه ، ولهذا جاء إليه نورُ الدينِ وشرِب مِن شرابِه ، رحِمه اللَّهُ .

[٢٦٩/٩و] قلتُ : ويقولُ بعضُ الناسِ : إنَّه لم تَخْمُدْ منه النارُ منذُ بُنِى إلى زمانِنا هذا ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد بنَى الخاناتِ فى الطرقِ ، والأبْراجَ ، ورتَّب الخُفراءَ فى الأماكنِ المخُوفَةِ ، وجعَل فيها الحَمامَ الهوادِىَ التى تطالِعُ الأخبارَ فى أسرعِ مدةٍ ، وبَنى الرُّبُطَ والخانقاهاتِ ، وكان يجمَعُ الفقهاءَ عندَه للبحثِ ، والمشايخَ والصوفِيَّةَ للزيارةِ ، ويكرِمُهم ويعظِّمُهم ، وقد نالَ بعضُ الأُمَراءِ عندَه مِن بعضِ العلماءِ ، وهو قطبُ الدينِ النَّيْسَابُورِىُّ ، فقالَ له نورُ الدينِ[1] : وَيْحَكَ ! إنْ كانَ ما تقولُ حقًّا فله مِن الحسناتِ الكثيرةِ ما ليس عندَك ممَّا يكفِّرُ عنه سيئاتِ ما ذكَرْتَ إنْ كنتَ صادِقًا ، على أنِّى واللَّهِ لا أُصَدِّقُكَ ، وإنْ عُدْتَ ذكَرْتَه أو أحدًا غيرَه بسُوءٍ لأدَّبْتُكَ . قال : فكَفَّ عنه ولم يذْكُرْه بعدَ ذلك .

---

(١) الروضتين ١/ ٢٢.

وابْتنَى بدِمَشْقَ دارًا لسَماعِ الحديثِ وإسْماعِه ، قال ابنُ الأثيرِ[1] : وهو أوَّلُ مَن بنَى دارَ حديثٍ ، وقد كان مَهِيبًا وقُورًا شديدَ الهيْبَةِ فى قلُوبِ أمرائِه ، لا يتَجاسَرُ أحدٌ أنْ يجلِسَ بينَ يدَيْه إلَّا بإذْنِه ، ولم يكُنْ أحدٌ مِن الأمراءِ يجلِسُ بلا إذْنٍ سوى الأميرِ نجْمِ الدينِ أيُّوبَ ، وأمَّا أسدُ الدينِ شِيرَكُوه ومَجْدُ الدينِ ابنُ الدَّايَةِ نائبُ حلَبَ والأكابرُ وغيرُهم ، فكانُوا يقِفُون بينَ يدَيْه ، ومع هذا إذا دخَل أحدٌ مِن الفقهاءِ والفقراءِ قامَ له ومشى له خُطُواتٍ ، وأجْلَسه معه على سَجَّادَتِه وشرَع يحادثُه فى وقارٍ وسُكونٍ ، وإذا أعْطَى أحدًا منهم يقولُ[2] : هؤلاءِ لهم فى بيتِ المالِ حقٌّ أضعافُ ما أُعْطِيهم ، فإذا رَضُوا منَّا ببعضِه فلَهُمُ المِنَّةُ علَينا .

وقد سُمِع[3] عليه جزءُ حديثٍ وفيه : « فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ متقلِّدًا السيفَ » . فجعَل يتعجَّبُ مِن تغْيِيرِ عاداتِ الناسِ ، وكيفَ يربُطُ الأجْنادُ السيوفَ فى أوْساطِهم ولا يفْعَلُون هذا ، ثم أمَر الجندَ بأنْ لا يحْمِلُوا السيوفَ إلَّا مُتَقَلِّدِيها ، ثُم خرَج فى اليومِ الثانى إلى الموكبِ وهو مُتَقَلِّدٌ السيفَ وجميعُ الجيشِ كذلك ، يريدُ به الاقْتِداءَ برسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقصَّ[4] عليه وزيرُه موفَّقُ الدينِ خالدُ بنُ محمدِ بنِ نصْرِ بنِ صغيرٍ ، ابنُ القَيْسَرانِيِّ الشاعرُ أنَّه رأَى فى منامِه أنَّه يغسِلُ ثِيابَ الملكِ نُورِ الدينِ ، فأمَره أنْ يكتُبَ مَناشِيرَ بوَضعِ المُكوسِ والضرائبِ عن البلادِ ، وقال : هذا تفسيرُ رُؤياكَ .

وكتَب إلى الناسِ يستَعجلُ منهم فى حِلٍّ ممَّا كان أخَذ منهم ، ويقولُ : إنَّما

---

(١) الروضتين ١/ ٢٣.

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٨.

صُرِف فى قتالِ أعْدائِكُم مِن الكَفَرةِ ، قبَّحهمُ اللَّهُ ولعَنهم .

وكتَب بذلك إلى سائرِ ممالِكه وبُلْدانِ سُلْطانِه ، وأمَر الوُعَّاظَ أنْ يَسْتَحِلُّوا له مِن التُّجارِ لنورِ الدينِ ، وكان يقولُ فى سُجودِه[1] : اللَّهُمَّ ارْحمِ العَشَّارَ المكَّاسَ . وقيلَ[2] : إنَّ بُرْهانَ الدينِ البَلْخِىَّ أنكَر على الملكِ نورِ الدينِ اسْتعانتَه فى الحروبِ بأمْوالِ المكوسِ ، وقال : كيف تُنْصَرون وفى عساكِرِكُم الخمورُ والطُّبولُ والزُّمورُ ؟! ويقالُ[3] : إنَّ سببَ وضْعِه المُكوسَ عن الناسِ أنَّ الواعِظَ أبا عثمانَ المُنْتَجَبَ بنَ أبى محمدٍ الواسِطِىَّ - وكان مِن الصالِحين الكبارِ - أنشَد نورَ الدينِ[4] :

مثِّلْ وقوفَك أيُّها المغْرورُ ... يومَ القيامةِ والسماءُ تَمُورُ
إنْ قيلَ نورُ الدينِ رُحْتَ مُسلِّمًا ... فاحْذَرْ بأنْ تبْقَى وما لَكَ نورُ
أنْهَيْتَ عن شُربِ الخمورِ وأنتَ مِن[5] ... كأسِ المظالِمِ طافحٌ مَخْمورُ
عطَّلْتَ كاساتِ المُدامِ تعَفُّفًا ... وعليكَ كاساتُ الحرامِ تدورُ
ماذا تقولُ إذا نُقِلتَ إلى البِلى ... فَرْدًا وجاءَكَ منكَرٌ ونكيرُ
وتعلَّقَتْ فيكَ الخُصومُ وأنتَ [٢٦٩/٩ظ] فى ... يومِ الحسابِ مُسَحَّبٌ مجرورُ
وتَفَرَّقَتْ عنك الجنودُ وأنتَ فى ... ضِيقِ اللُّحودِ مُوَسَّدٌ مقْبُورُ
وودِدْتَ أنكَ ما وَلِيتَ ولايةً ... يومًا ولا قال الأنامُ أميرُ

---

(١) الروضتين ١/ ٢٨.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٨.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٨.
(٥) فى النسخ : « فى » والمثبت من الروضتين .

وبقِيتَ بعدَ العزِّ رَهْنَ حُفَيْرَةٍ ... فى عالمِ المَوْتَى وأنتَ حقيرُ
وحُشِرْتَ عُرْيانًا حزينًا باكيًا ... قَلِقًا وما لكَ فى الأنامِ مُجِيرُ
أرَضِيتَ أنْ تحْيَا وقلبُكَ دارِسٌ ... عافِى الخَرابِ وجسْمُكَ المعمُورُ
أَرضِيتَ أَنْ يَحْظَى سِوَاكَ بقُربهِ ... أبدًا وأنتَ مبَعَّدٌ مهجورُ
مهِّدْ لنفْسِكَ حُجَّةً تنْجُو بها ... يومَ المَعادِ لعلَّكَ المعذورُ

فلمَّا سمِعها الملكُ نورُ الدينِ بكَى، وأمَر بوضْعِ المكوساتِ والضرائبِ فى سائرِ بلادِه.

وكتَب[1] إليه الشيخُ عمرُ الملَّاءُ مِن المَوْصلِ، وكان قد أمَر الولاةَ بها أنْ لا يَفْصِلُوا بها أمْرًا حتى يُعْلِمُوه، فما أمَرهم به مِن شىءٍ امْتَثلُوه - وكان مِن الصالحِين الزاهِدين، وكان نورُ الدينِ يَسْتَقْرِضُ منه فى كلِّ شهرِ رمضانَ ما يُفطِرُ عليه، فكان يرسِلُ إليه بفَتِيتٍ ورقاقٍ، فيُفطِرُ عليه - كتَب إليه[2]: إنَّ المُفْسدِين قد كَثُروا، ويُحتاجُ إلى نوعِ سياسةٍ، ومثلُ هذا لا يجِىءُ إلَّا بقتلٍ وصَلْبٍ وضربٍ، وإذا أُخِذ مالُ إنسانٍ فى البرِّيَّةِ مَن يجِىءُ فيشهَدُ له؟ فكتَب الملكُ نورُ الدينِ على ظهرِ الكتابِ: إنَّ اللَّهَ خلَق الخَلْقَ، وشرَع لهم شريعةً، وهو أعلَمُ بما يُصْلِحُهم، ولو علِم أنَّ فى الشريعةِ زيادةً فى المصلحةِ لشرَعَها، فما لنا حاجةٌ إلى الزيادةِ على ما شرَعه اللَّهُ تعالى. قال: فجَمَع الشيخُ عمرُ الملَّاءُ جمْعَ الناسِ بالمَوْصِلِ وأقرَأهمُ الكتابَ ويقولُ: انظرُوا إلى كتابِ الزاهدِ إلى الملكِ، وكتابِ الملكِ إلى الزاهدِ!

---

(١) الروضتين ١/ ٣٢.
(٢) أى: الشيخ عمر الملاء.

وجاءَ[1] إليه أخو الشيخِ أبى البَيانِ يسْتَعْدِيه على رجلٍ أنَّه يسُبُّه ويَرمِيه بأنَّه مُراءٍ مُتَنامِسٌ[2] ، وجعَل يبالِغُ فى شِكايتِهِ منه ، فقال له السلطانُ : أليس اللَّهُ تعالَى يقولُ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . فسكَت الشيخُ ولم يُحِرْ جوابًا .

وقال الفقيهُ أبو الفَتْحِ الأَشْتَرِىُّ[3] معيدُ النِّظامِيَّةِ ببَغْدادَ ، وكان قد جمَع سيرةً مختصرةً لنورِ الدينِ ، قال[4] : وكان يحافِظُ على الصلواتِ فى أوْقاتِها فى جماعةٍ بتَمامِ شُروطِها وأرْكانِها ورُكوعِها وسجُودِها ، وكان كثيرَ الصلاةِ بالليلِ ، والابْتِهالِ إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فى أمورِه كلِّها .

قال[4] : وبلَغَنا عن جماعةٍ مِن الصوفيَّةِ ممَّن يُعْتَمدُ على قوْلِهم أنَّهم دخَلُوا بلادَ القدسِ للزيارةِ أيامَ الفرَنْجِ ، فسُمِع الكفارُ يقولُون : ابنُ القَسِيمِ - يعْنُونَ نورَ الدينِ - له مع اللَّهِ سِرٌّ ؛ فإنَّه ما يظْفَرُ علينا بكَثْرَةِ جُنْدِه وجيْشِه ، وإنَّما يظفَرُ علينا بالدعاءِ وصلاةِ الليلِ ، فإنَّه يصلِّى بالليلِ ، ويرفَعُ يدَه إلى اللَّهِ ويدْعُو ، فاللَّهُ سبحانَه وتعالى ، يسْتَجِيبُ له دعاءَه ويُعْطِيه سُؤْلَه ، وما يرُدُّ يدَه خائبةً ، فيظفَرُ علينا . قال : فهذا كلامُ الكفارِ فى حقِّه ، رحِمه اللَّهُ .

وحكَى الشيخُ شهابُ الدينِ[5] أنَّ الملكَ نورَ الدينِ وقَف بُسْتَانَ المَيْدانِ - سِوَى الغَيْضَةِ التى تَلِيهِ - نِصْفَه على تَطْييبِ جامعِ دمشقَ ، والنصفُ الآخرُ يُقْسَمُ أحدَ عشَرَ جزءًا ؛ جزآنِ منها على تَطْييبِ المدرسةِ التى أنْشَأها للحنفيَّةِ ، والتسعةُ

---

(١) الروضتين ١/ ٣٤، ٣٥.

(٢) أى : محتال . تاج العروس (ن و س) .

(٣) واسمه بَنْجير بن على ، توفى سنة (٥٧٩) هـ . توضيح المشتبه ١/ ٢٣٦.

(٤) الروضتين ١/ ٣٤.

(٥) الروضتين ١/ ٤١.

أجْزاءِ الباقيةُ على تَطْيِيبِ المساجدِ التسْعَةِ ؛ وهى جامعُ الصالحين بجبَلِ قاسِيُونَ ، وجامعُ القلعةِ ، ومسجدُ عطيَّةَ ، ومسجدُ ابنِ لَبيدٍ بالفسقارِ ، ومسجدُ الرمَّاحِينَ ، والمسجدُ العباسىُّ ، (١) والمسجدُ المُعَلَّقُ (١) بالصاغةِ ، ومسجدُ [٩/٢٧٠و] دارِ البِطِّيخِ المعلَّقُ ، والمسجدُ الذى جدَّدَه نورُ الدينِ جوارَ بِيعَةِ اليهودِ ، لكلٍّ مِن هذه المساجدِ جزءٌ مِن أَحَدَ عشَرَ جزءًا مِن النصفِ .

ومناقبُه ومآثرُه ومحاسِنُه كثيرةٌ جدًّا ، وقد ذكَرْنا نُبْذَةً مِن ذلك يُستدلُّ بها على ما عَداها .

وقد ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ فى أوَّلِ « الرَّوْضَتَيْنِ » (٢) شيئًا كثيرًا مِن ذلك ، وذكَر ما مُدِح به مِن القصائدِ ، وقد أورَدنا فى غبونِ دولتِه طرَفًا صالحًا مِن عدْلِه وقصْدِه الصالحِ ، وذكَرنا أنَّه لمَّا فتَح أسدُ الدينِ الديارَ المصريةَ ثم مات ، ثم تولَّى صلاحُ الدينِ هَمَّ بعَزْلِه عنها واسْتِنابةِ غيرِه فيها غيرَ مرَّةٍ ، ولكنْ يعوقُه عن ذلك القدرُ ، ويصُدُّه اقترابُ أجلِه وفراغُ عملِه ، ولكن كان فى هذه السنةِ - سنةَ تسعٍ وستِّين - وهى آخِرُ مدَّتِه ، قد صمَّم على الدُّخولِ إلى الديارِ المصريةِ ، وأرسَل إلى عساكرَ مِن بلادِ المَوْصِلِ وغيرِها ؛ ليكونُوا ببلادِ الشامِ ويركَبُ هو فى جمهورِ جيشِه إلى مِصْرَ ، وقد خافَ منه الملكُ صلاحُ الدينِ خوْفًا شديدًا . فلمَّا كان يومُ عيدِ الفطرِ مِن هذه السنَةِ وهو فى الميْدانِ الأخضرِ القِبْلىِّ ، وصلَّى به الخطيبُ فيه صلاةَ العيدِ ، وكان ذلك يومَ الأحَدِ ، ورمَى القبقَ (٣) فى الميْدانِ الأخْضَرِ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من الروضتين ١/ ٤١.

(٢) الروضتين ١/ ٩.

(٣) القبق : لعبة من ألعاب الفروسية ، الغرض منها التدريب على الرماية .

الشماليِّ ، والقَدرُ يقولُ له : هذا آخرُ الأعْيادِ . ومدَّ يومَ العيدِ سِماطًا حافلًا ، وأمَر بانْتِهابِه على العادةِ ، وطهَّر ولدَه الملكَ الصالِحَ إسماعيلَ فى هذا اليومِ ، وزُيِّن له البلدُ ، وضُرِبتْ البشائرُ للعيدِ ولِلخِتانِ ، وركِب يومَ الاثنينِ فى المَوْكبِ على العادةِ ، ثم لعِب بالكرةِ فى يومِه ، فحصَل له غيظٌ مِن بعْضِ الأمراءِ ، ولم يكُنْ ذلك مِن سجِيَّتِه ، فبادَر إلى القلعةِ وهو كذلك فى غايةِ الغضبِ ، وحصَل له انزعاجٌ ، ودخَل فى حَيْرةِ سوءِ المِزَاجِ ، واشتَغَل بنفْسِه وإزعاجِه ، وتنكَّرَتْ عليه جميعُ حواسِّه وطِباعِه ، واحْتَبس أسْبُوعًا عن الناسِ ، والناسُ فى شغلٍ عنه بما هم فيه مِن اللعبِ والانْشراحِ بالزِّينةِ التى قد نصَبُوها ، فهذا يجودُ بِرُوحِه ، وهذا يروحُ بجودِه ، وانْعكَسَتْ تلك الأفراحُ بالأتْراحِ ، ونسَخ الجِدُّ ذلك المِزاحَ ، وحصَلَتْ للملكِ خَوانِيقُ فى حلْقِه منَعَتْه مِن أداءِ المنطقِ ، وهذا شأنُ أوْجاعِ الحَنَقِ ، وكان قد أُشِيرَ عليه بالفَصْدِ فلم يفعَلْ ، وكان أمْرُ اللَّهِ قدَرًا مقْدُورًا ، وكان ذلك فى الكتابِ مسطورًا .

فلمَّا كانَ يومُ الأرْبعاءِ الحادِى عشَرَ مِن شوَّالٍ مِن هذه السنةِ قُبِض إلى رحمةِ اللَّهِ تعالَى عن ثمانٍ وخمسين سنةً ، وله فى المُلْكِ ثمانٍ وعشرون سنةً ، رحِمه اللَّهُ ، وصُلِّى عليه بجامعِ القلعةِ بدِمَشْقَ ، ودُفِن بها حتى حُوِّل إلى تُربةٍ بُنِيتْ له بابِ المدرسةِ التى أنشَأها للحنفيَّةِ ، رحِمه اللَّهُ ، وبلَّ بالرحْمةِ ثَراه ، وجعَل الجنةَ مأواه .

وقد رثَاه الشُّعراءُ بمَراثٍ كثيرةٍ قد أوْرَدها أبو شامةَ فى « الروضتَين » . وما أحسَنَ ما قال العمادُ[1] :

---

(١) الروضتين ١/ ٥٨١.

عجِبْتُ مِن الموتِ كيف اهتَدَى إلى مَلِكٍ فى سَجايَا مَلَكْ
وكيفَ ثَوَى الفَلَكُ المُسْتَدِيـ ـرُ فى الأرضِ والأرضُ وسْطَ الفَلَكْ

وقال حسّانُ الشاعرُ الملقَّبُ بالعَرْقَلةِ فى مدرسةِ نورِ الدينِ حينَ دُفِن فيها[1] :

ومدرسةٍ سَيَدْرُسُ كلُّ شىءٍ وتبْقَى فى حِمَى علمٍ ونُسْكِ
تَضَوَّعَ ذكْرُها شرْقًا وغربًا بنُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى
يقولُ وقولُه حقٌّ وصِدْقٌ بغيرِ كِنايَةٍ وبغيرِ شَكِّ
[٩/٢٧٠ظ] دمشقُ فى المدائنِ بيتُ مُلْكِى وهَذِى فى المدارسِ بيتُ مِلْكِى

وقبرُه مشهورٌ بدِمشقَ يُزَارُ ، ويُخَلَّقُ[2] شُبَّاكُه ، فيَطَّيَّبُ بريحِه كلُّ مارٍّ ، وإنَّما يقولُ الناسُ : نورُ الدينِ الشهيدُ . لِمَا حصَل له فى حلْقِه من الخَوانيقِ ، وكذا كان يُقالُ لأبيه : الشهيدُ . ويُلقَّبُ بالقَسِيمِ ، وكانتِ الفِرنْجُ يقولُون له : ابنُ القَسيمِ .

صفةُ الملكِ نورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى

كان طويلَ القامةِ ، أسمرَ اللونِ حُلْوَ العيْنَيْنِ واسِعَ الجبينِ ، حسنَ الصورةِ ، تُرْكِيَّ الشكلِ ، ليس له لحيَةٌ إلَّا فى حنَكِه ، مَهيبًا متواضِعًا ، عليه جلالةٌ ونورُ الإسلامِ وتعظيمُ قواعدِ الشرعِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٢١٨، والروضتين ١/ ٥٨٣.
(٢) يُخَلَّق : يُطَيَّب بالخَلُوق ، والخلوق ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره . التاج (خ ل ق) .

فصـلٌ

فلمَّا ماتَ الملكُ نورُ الدينِ فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ بُويِعَ مِن بعدِه بالمُلْكِ لولَدِه الملكِ الصالحِ إسماعيلَ، وكان صغيرًا، وجعَل أتابِكَه الأميرَ شمسَ الدينِ ابنَ مقدَّمٍ، فاخْتَلفَ الأمراءُ وحارَتِ الآراءُ وظهرَتِ الشرورُ، وكثُرَتِ الخمورُ، وانْتَشَرتِ الفواحِشُ حتى إنَّ ابنَ أخيه سيْفَ[1] الدينِ غازِى بنَ مودودٍ صاحبَ المَوْصِلِ لمَّا تحقَّقَ موتَ عَمِّه - وكان محْصُورًا منه - نادَى مُنادِيه بالبلدِ بالمُسامحَةِ فى اللَّعبِ واللَّهوِ والشُّربِ والطَّرَبِ، ومع المنادِى دُفٌّ وقَدَحٌ ومِزْمارٌ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ. وقد كان ابنُ أخيه هذا وغيرُه مِن الملوكِ والأمراءِ الذين له حُكْمٌ عليهم، لا يستطيعُ أحدٌ منهم أن يفعَلَ شيئًا مِن المناكرِ والفَواحشِ، فلمَّا ماتَ مَرِج أمْرُهم وعاثُوا فى الأرضِ فسادًا وتحقَّقَ حينَئذٍ قولُ الشاعرِ[2]:

أَلَا فاسْقِنِى خَمْرًا وقُلْ لى هى الخمرُ ... ولا تَسْقِنى سِرًّا إذا[3] أمْكَنَ الجَهْرُ

وطمِعَتِ الأعْداءُ مِن كلِّ جانبٍ فى المسلمين، وعزَم الفِرنْجُ على قَصْدِ دمِشقَ وانْتِزاعِها مِن أيدِى المسلمين، فبرَز إليهمُ ابنُ مقدَّمٍ الأتابِكُ، فواقَعَهم عندَ بانْيَاسَ فضَعُفَ عن مُقاومَتِهم، فهادَنَهم مدةً، ودفَع إليهم أموالًا جزيلةً عجَّلَها لهم، ولولا أنَّه خوَّفَهم بقدومِ الملكِ صلاحِ الدينِ لمَا هادَنُوه. ولمَّا بلَغ ذلك السلطانَ الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ بنَ أيوبَ صاحبَ الديارِ المصريةِ كتَب إلى الأمراءِ - وخاصَّةً إلى ابنِ مقدَّمٍ - يلُومُهم على ما صنَعُوا مِنَ المُهادنَةِ ودفْعِ

---

(١) فى الأصل: «شرف».

(٢) البيت لأبى نواس فى ديوانه ص ٢٧٣.

(٣) فى الأصل، ص، م: «وقد».

الأمْوالِ إلى الفِرنجِ ، وهم أقلُّ وأذَلُّ ، وأخْبرَهم أنَّه عزَم على قصدِ البلادِ الشامِيَّةِ ليَحْفَظَها مِن الفِرنْجِ ، فرَدُّوا إليه كِتابًا فيه غِلْظَةٌ ، وكلامٌ فيه بشاعةٌ ، فلم يلتفِتْ إليهم . ومِن شدَّةِ خوْفِهم منه كتَبُوا إلى سَيْفِ الدينِ غازِىصاحبِ المَوْصِلِ ليملِّكُوه عليهم ؛ ليدفَعوا به الملكَ الناصرَ صاحبَ مصرَ ، فلم يفعَلْ ؛ لأنَّه خافَ أن يكونَ مكيدةً منهم له ، وذلك أنَّه كان قد هرَب منه الطَّواشِىُّ سعدُ الدولةِ[1] كُمُشْتِكِينُ الذى كان قد جعَله عندَه الملكُ نُورُ الدينِ عَيْنًا عليه ، وحافِظًا له مِن تَعاطِى ما لَا يليقُ مِنَ الفَواحِشِ والخمرِ واللعبِ واللهوِ ، فلمَّا ماتَ نورُ الدينِ ونادَى فى الموصلِ تلك المُناداةَ القبيحَةَ خافَ منه الطَّواشِىُّ المذْكورُ أن يُمسِكَه فهرَب منه سِرًّا ، فحينَ تحقَّق غازِى موتَ عمِّه تعِب فى طَلَبِ الخادِمِ ففاتَه ، فاستَحوَذ على حواصلِه ، ودخَل الطواشِىُّ حلَبَ ، ثم سارَ إلى دمشقَ فاتَّفقَ مع الأمراءِ على أنْ يأخُذَ ابنَ أستاذِه الملكِ الصالحِ إسماعيلَ إلى حلَبَ فيُربِّيَه هُنالك ، وتكونُ دمشقُ مسلَّمةً إلى الأتابَكِ شمسِ الدولةِ بنِ مقدَّمٍ ، والقلعةُ إلى الطواشِىِّ جمالِ الدينِ ريحانٍ . فلمَّا سار الملكُ الصالِحُ مِن دمشقَ خرَج معه الأمراءُ والكُبَراءُ مِن دمشقَ إلى حلَبَ ، وذلك فى الثالثِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وحينَ وصَلُوا حلَبَ جلَس الصبىُّ على سريرِ مملكتِها واحْتاطُوا على بَنِى الدايةِ ؛ شمسُ الدينِ علىُّ بنُ الدايةِ - أخو مَجْدِ الدينِ الذى كان رَضِيعَ نُورِ الدينِ - وإخْوَتُه الثلاثَةُ ، وقد كان شمسُ الدينِ علىُّ بنُ الدايةِ يظُنُّ أنَّ ابنَ نورِ الدينِ يُسلَّمُ إليه [٢٧١/٩و] فيُربِّيه ؛ لأنَّه أحقُّ الناسِ بذلك ، فخيَّبُوا ظنَّه وسجَنُوه وإخْوتَه فى الجُبِّ ، فكتَب الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الأمراءِ يلُومُهم على نَقْلِ الولدِ مِن دمشقَ إلى حلَبَ ، ومِن سَجنِهم لبَنى الدايةِ وقد كانوا مِن خيارِ الأمراءِ ورُءوسِ الكُبَراءِ ، ولِمَ لا يسلِّمُون الولدَ إلى مَجْدِ الدينِ بنِ الدايةِ الذى هو أحْظَى

---

(١) فى الروضتين : « سعد الدين أمين الدولة » .

الناسِ عندَ نُورِ الدينِ وعندَ الناسِ منهم ؟! فكتَبُوا إليه يسيئون عليه الأدبَ ، وكلُّ ذلك ممَّا يَزيدُه حَنَقًا عليهم ، ويحرِّضُه على القُدومِ بجيشِه إليهم ، ولكنَّه فى هذا الوقتِ فى شُغْلٍ شاغلٍ لِمَا دهَم بلادَه مِن الأمْرِ الهائلِ ، كما سيأتى بَيانُه إن شاءَ اللَّهُ تعالَى فى أوَّلِ السنةِ الآتيةِ .

ومِمَّنْ تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمشاهيرِ :

الحسَنُ بنُ [1]أحمدَ بنِ[1] الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ العَطَّارُ ، أبو العلاءِ الهَمَذَانىُّ الحافظُ ، سمِع الكثيرَ ورحَل إلى بُلْدانٍ كثيرةٍ ، اجْتَمَعَ بالمشايخِ وقدِمَ بغدادَ وحصَّلَ الكُتبَ الكثيرةَ ، واشْتَغَل بعلمِ القراءاتِ واللغةِ ، حتى صار أوْحَدَ زمانِه فى عِلْمَيِ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وصنَّفَ الكتبَ الكثيرةَ المفيدةَ ، و كان على طريقَةِ السَّلفِ مَرْضِىَّ الطريقةِ ، سخِيًّا عابدًا زاهِدًا ، صحيحَ الاعْتِقادِ حسنَ السَّمْتِ ، له ببلَدِه المكانةُ والقَبُولُ التامُّ ، وكانت وفاتُه ليلةَ الخميسِ الحادِى عشَرَ مِن جُمادى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ ، وقد جاوَزَ الثمانين بأربعةِ أشهرٍ وأيَّامٍ . قال ابنُ الجَوْزِىِّ[2] : وقد بلَغَنى أنَّه رُئى فى المنامِ أنَّه فى مدينةٍ جميعُ جُدْرانِها كتبٌ وحولَه كتبٌ لا تُحَدُّ ، وهو مشتغِلٌ بمُطالَعَتِها ، فقيلَ له : ما هذا ؟ فقال : سألتُ اللَّهَ أن يشْغَلَنِى بما كنتُ أشتغلُ به فى الدنيا فأعْطانى .

الأَهْوازِىُّ[3] خازِنُ كتُبِ مَشْهَدِ أبى حنيفةَ ببغدادَ ، تُوفِّى فجأةً فى ربيعِ

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : معجم الأدباء ٨/ ٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٣٤، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٨٤، وغاية النهاية ١/ ٢٠٤، وبغية الوعاة ١/ ٤٩٤.

(٢) المنتظم ١٨/ ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق ١٨/ ٢٠٩.

الأوَّلِ مِن هذه السنةِ ، وكذلك تُوفِّى أبوه وأخوه فجأةً كما مات ، رحِمهمُ اللَّهُ تعالى .

محمودُ بنُ زَنْكِى بنِ آقْ سُنْقُرَ ، السلطانُ الملكُ العادِلُ نُورُ الدينِ ، صاحِبُ بلادِ الشامِ وغيرِها مِن البُلْدانِ الكثيرةِ ، وقد تقدَّم فى ذكرِ الحوادثِ ، رحِمه اللَّهُ .

قال ابنُ الجَوْزِىِّ[1] : انتزَع نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، مِن أيْدِى الكفارِ نَيِّفًا وخمسين مدينةً ، وقد كان يُكاتِبُنى وأكاتبُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى . قال : ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ أخَذ العهدَ على الأمراءِ مِن بعدِه لولَدِه - يعنى الصالحَ إسماعيلَ - وجدَّدَ العهدَ مع صاحبِ طَرابُلُسَ أن لا يُغِيرَ على الشامِ فى المدةِ التى كان مادَّه عليها ، وذلك أنَّه كان قد أسَره فى بعضِ غزواتِه وأسَر معه جماعةً مِن أهلِ دولَتِه ، فافْتدَى نفسَه منه بثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ وخمسِمائةِ حصانٍ و خمسِمائةِ زَرَدِيَّةٍ ، ومثْلُها أتراسٌ وقنطورياتٌ ، وخمسِمائةِ أسيرٍ مِن المسلمينَ ، وعاهَدَه أن لا يُغِيرَ على بلادِ المسلمين إلى مدةِ سبْعِ سنِينَ وسبعةِ أشهرٍ وسبعةِ أيامٍ ، وأخَذ منه رهائنَ على ذلك ؛ مائةً مِن أولادِ أكابرِ الفِرنجِ وبَطَارِقَتِهم ، فإن نكَث أراقَ دماءَهم ، وكان قد عزَم على فتحِ بيتِ المَقْدِسِ ، شَرَّفه اللَّهُ ، فوافَتْه المَنِيَّةُ فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ . وكانت ولايتُه ثمانٍ وعشرين سنةً وأشهرًا ، وقد تقدَّم ذلك . وهذا مُقْتَضَى ما ذكَره ابنُ الجوْزِىِّ ومَعْناه .

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٩.

الخَضِرُ بنُ نَصْرِ (١ **بنِ عقيلٍ** ١) بنِ نَصْرٍ الإرْبِلِيُّ الفقيهُ الشافِعِيُّ ، أولُ مَن درَّس بإرْبلَ فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين (٢) وخمسِمائةٍ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا ، انتفَعَ به الناسُ ، وكان قد اشْتَغَل [٢٧١/٩ظ] على إلْكِيا الهَرّاسِيِّ وغيرِه ببغدادَ ، وقدِم دمشقَ فأرَّخَه ابنُ عساكِرَ (٣) ، وترْجَمه القاضى ابنُ خَلِّكانَ فى « الوفياتِ » ، وقال (٤) : قبرُه يُزارُ ، وقد زُرْتُه غيرَ مرةٍ رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها (٥) هلَك ملكُ الفِرنجِ مُرّى لعنَه اللَّهُ ، وأظنُّه ملكَ عَسْقَلانَ ونحوَها مِن البلادِ ، وقد كان قارَبَ أن يملِكَ الديارَ المصريةَ لولا فضلُ اللَّهِ ورحمتُه بعبادِه المؤمنين (*) .

(١ - ١) فى خ ، م : « على » . وانظر ترجمته فى : تاريخ دمشق ١٦/ ٤٤٩، ولم يذكر سنة وفاته ، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٣٧، وتاريخ إربل ١/ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٦٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٨٣، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٥٠. وقد ذكرته هذه المصادر ضمن وفيات سنة سبع وستين وخمسمائة .

(٢) فى الأصل ، ص : « ستين » .

(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٤٤٩.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٨.

(٥) الكامل ١١/ ٤١٩ ، والروضتين ١/ ٥٩٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٥٧ .

(*) إلى هنا تنتهى النسخة الخليلية والمشار إليها بالرمز « خ » .

ثم دخَلَت سنةُ سبْعِينَ وخَمْسِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ الملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ أيُّوبَ قد عزَم على الدخولِ إلى بلادِ الشامِ لأجْلِ حِفْظِه مِن أيدى الفِرنجِ المخذولِ ، ولكنْ قد دهَمَه أمرٌ شغَلَه عنه ؛ وذلكَ أنَّ الفِرنجَ قدِمُوا إلى الساحلِ المصرىِّ فى أسطولٍ لم يُسْمَعْ بمثلِه فى كثرةِ مراكبِه وما فيه مِن آلاتِ الحصارِ ، وكثرةِ الرجالِ والمُقاتِلةِ ؛ مِن جُملةِ ذلك مائتا شِينىٍّ[2] فى كلٍّ منها مائةٌ وخمسونَ مقاتِلًا ، وأرْبعُمائةِ قطعةٍ أخْرَى ، وكان قدومُهم مِن صِقِلِّيَّةَ إلى ظاهِرِ إسْكَنْدَرِيَّةَ قبلَ رأسِ السنَةِ بأربعةِ أيامٍ ، فنصَبُوا المَنْجَنِيقاتِ والدبّاباتِ حولَ البلدِ ، وبرَزَ إليهم أهلُها فقاتَلُوهم دونَها قتالًا شديدًا ، واستمَرَّ القتالُ أيامًا ، وقُتِل مِن كِلَا الفريقَيْنِ خلْقٌ كثيرٌ ، ثم اتَّفَقَ أهلُ البلَدِ على تحريقِ ما نصَبوه مِن المَنجنيقاتِ والدباباتِ ، ففعَلُوا ذلك ، فأَضعَفَ ذلك قلُوبَ الفِرنجِ ، ثم كبَسَهمُ المسلمونَ فى منازِلِهم فقتَلوا منهم جماعةً وغنِمُوا منهم ما أرادُوا ، فانْهزَم الفِرنجُ فى كلِّ وَجْهٍ ، ولم يكُنْ لهم ملجأٌ إلَّا البحرُ أوِ القتلُ أو الأسْرُ ، واسْتَحوَذَ المسلمونَ على أموالِهم وأثقالِهم وخُيولِهم وخِيامِهم - وبالجملةِ قتَلُوا خلْقًا مِن الرجالِ وغنِموا شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ - وركِبَ مَن بَقِى منهم فى الأسطولِ راجعين إلى بلادِهم خائبين .

وممَّا عوَّقَ الملكَ الناصِرَ عن الشامِ أيضًا أنَّ رجُلًا يُعْرَفُ بالكَنزِ - سمَّاه

---

(١) الكامل ١١/٤١٣ .

(٢) الشينى : مفرد شوانى وشون ، وهو المركب الطويل أو السفينة الحربية الكبيرة . انظر التاج (ش ى ن) ، والسلوك ١/١/٥٦.

بعضُهم عبَّاسَ بنَ شادِى - وكان مِن مقدَّمِى الديارِ المصريَّةِ ومِن الدولةِ الفاطِميَّةِ - وإنما هى العُبَيْدِيَّةُ - كان قد انتزَح إلى أُسوانَ ، وجعَلَ يجمَعُ عليه الناسَ ، فاجْتَمَعَ عليه خلْقٌ كثيرٌ مِن الرَّعاعِ مِن الحاضِرَةِ والعُرْبانِ ، وكان يَزْعُمُ لهم أنَّه سيعيدُ الدولةَ الفاطِمِيَّةَ ، ويدْحَضُ الأتابِكةَ التركيةَ ، فالتَفَّ عليه خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، ثم قصَد قُوصَ وأعْمالَها ، وقتَلَ طائفةً مِن أمرائِها ورِجالِها ، فجرَّدَ إليه الملكُ صلاحُ الدينِ طائفةً مِنَ الجيشِ المصرىِّ وأمَّرَ عليهم أخاه الملكَ العادِلَ سيفَ الدينِ أبا بكرٍ الكُرْدِىَّ ، فلمَّا الْتَقيَا هزَمه أبو بكرٍ وأسَرَ أهلَه وقتلَه ، (١)كما جرَى لمقدَّمِ بَنِى حنيفةَ ، ولهذا جعَل اللَّهُ دولةَ بنى أيُّوبَ عاليةً منيفةً(١) .

فَصْــلٌ

لمَّا تمهَّدَتِ الديارُ المصريَّةُ ولم يَبْقَ بها رأسٌ مِن بقيَّةِ الدولةِ العُبَيْدِيَّةِ برَزَ السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ فى الجيوشِ التُّركيةِ قاصِدًا البلادَ الشامِيَّةَ ، وذلك حينَ ماتَ سلْطانُها نورُ الدينِ محمودُ بنُ زَنْكِى ، وأُخِيفَ سكَّانُها وتضَعْضَعَتْ أرْكانُها ، واختلَفَ حُكَّامُها ، وفسَدَ نقْضُها وإبْرامُها ، وقصْدُه ، رَحِمه اللَّهُ ، جَمْعُ شمْلِها والإحْسانُ إلى أهْلِها ، وأمْنُ سهْلِها وجبَلِها ، ونُصْرَةُ الإسْلامِ ودَفْعُ الطَّغامِ ، وإظْهارُ القرآنِ ، وإخْفاءُ سائرِ الأديانِ ، وتكسيرُ الصُّلْبانِ ورِضَا الرحمنِ ، وإرْغامُ الشيطانِ ، فخرَج مِن الديارِ المصريَّةِ إلى البِرْكَةِ(٢) فى مُسْتهَلِّ صفَرٍ ، وأقامَ بها حتى اجْتَمَعَ إليه العسكرُ ، [٢٧٢/٩و] وقد اسْتَنابَ على مِصْرَ أخاه سيفَ الدينِ أبا بكرٍ ، ثم سارَ إلى بُلْبَيْسَ فى الثالِثَ عشَرَ مِن ربيعٍ

(١ - ١) سقط من : م . وفى العبارة إشارة إلى ظفر سيدنا أبى بكر الصديق بمسيلمة الكذاب مقدَّم بنى حنيفة فى حروب الردة ، وانظر ما تقدم فى : ٤٤١/٩ ، ٤٦٥ .

(٢) البركة : هى بركة الحبش تلى الفسطاط من غربيه . صبح الأعشى ٣/ ٣٣٦. وانظر معجم البلدان ١/ ٥٩١.

الأوَّلِ ، ثم ساق حتى اجتازَ بمدينةِ بُصْرَى ، فسار فى خدْمتِه صاحبُها صديقُ بنُ جَاوليٍّ ، فدخَلَ مدينةَ دِمَشْقَ فى يومِ الاثنينِ سلْخِ ربيعِ الأوَّلِ ، ولم ينْتَطِحْ فيها عَنْزانِ ، ولا اخْتلَفَ عليه سيْفانِ ؛ وذلكَ أنَّ نائبَها شمسَ الدينِ بنَ مقدَّمٍ ، كان قد كتَبَ إليه أوَّلًا فأغْلظَ له فى الكتابِ ، فلمَّا رأَى أمْرَه متوجِّهًا جعَلَ يُكاتِبُه ويسْتَحِثُّه على القُدومِ إلى دِمَشْقَ ، ويَعِدُه بتَسْليمِ البلدِ ، فلمَّا رأَى الجدَّ لم يمكِنْه المُخالفَةُ ، فسلَّمَ البلدَ إليه بلا مدافَعةٍ ، فنزَلَ السلطانُ أوَّلًا فى دارِ والدِه ؛ وهى دارُ العَقيقِيِّ[1] التى بُنِيتْ مدرسةً للملكِ الظاهرِ ، وجاءَ القاضى وأعْيانُ الدَّماشقةِ للسَّلامِ على السلطانِ فرأَوْا منه غايةَ الإحْسانِ ، وكان فى القلعةِ إذْ ذاك الطواشِيُّ جمالُ الدينِ رَيْحانُ الخادمُ ، فلم يزَلْ يُكاتِبُه ، ويفتِلُ له فى الذِّروةِ والغاربِ[2] حتى استَماله ، وأجزَل ثوابَه ، فسلَّمها إليه ، ووفَد عليه ، ومثَل بينَ يدَيْه ،فأكرمَه واحْتَرَمه وأحسنَ إليه ، وأظهَر الملكُ الناصرُ أنَّه أحقُّ الناسِ بتَرْبيَةِ ولدِ نُورِ الدينِ ؛ لِمَا لنورِ الدينِ عليهم مِنَ الإحْسانِ المتينِ ، وذُكِر أنَّه خُطِب لنورِ الدينِ بالديارِ المصريةِ ، وضُرِب باسمِه السِّكَّةُ ، ثم عامَل الناسَ بالإحْسانِ ، وأمَر بإبْطالِ ما أُحْدِثَ بعدَ نورِ الدينِ مِنَ المُكوسِ والضرائبِ ،وأقامَ الحدودَ وأمرَ بالمعروفِ ونهَى عن المنكرِ ، وللَّهِ عاقبةُ الأمورِ .

فَصْــلٌ

فلمَّا استقرَّتْ له دِمَشْقُ بحَذافيرِها لم يلبَثْ أن نهَض إلى حَلَبَ مسرعًا ؛ لِمَا فيها مِنَ التَّخْبيطِ والتَّخْليطِ ، واسْتَنابَ على دِمَشْقَ أخاه طُغْتِكِينَ بنَ أيُّوبَ ،

---

(١) فى م : « العقيلى » . وانظر الكامل ١١/٤١٦ .

(٢) مثل يقال ذلك للرجل لا يزال يخدع صاحبه حتى يظفر به . جمهرة الأمثال ٢/ ٩٨.

الملَقَّبَ بسَيْفِ الإسْلامِ ، فلمَّا اجْتازَ بحِمْصَ أخَذَ رَبَضَها ، ولم يشتغِلْ بقَلْعَتِها لعلمِه بحصولِها ، ثم سارَ إلى حَمَاةَ فتسلَّمَها مِن صاحبِها عِزِّ الدينِ جُرْدَيكَ[1] ، وسأَله أنْ يكونَ سفِيرَه بينَه وبينَ الحلَبِيِّينَ ، فأجابَه إلى ذلك ، فسارَ إليهم فحذَّرَهم بأسَ صلاحِ الدينِ فلم يَلْتَفِتُوا إليه ، ولم يُعوِّلوا عليه ، بل أمَرُوا بسَجْنِه واعْتقالِه ، فجَمَعوا بينَه وبَنى الدايَةِ فى البئرِ الذى هم فيه فأبْطأَ الجوابُ على صلاحِ الدينِ ، فكتَبَ إليهم كتابًا بليغًا يلُومُهم فيه على ماهم فيه مِن الاخْتلافِ ، وعدَمِ الائتِلافِ ، فردُّوا عليه أسوأَ جَوابٍ ، وأحدَّ مِن الحِرابِ ، فأرسَل إليهم يذكِّرُهم أيامَه وأيامَ أبيه وعمِّه فى خدْمةِ نُورِ الدينِ فى المواقفِ المحْمُودَةِ التى يشْهَدُ لهم بها أهلُ الدِّينِ ، ثم سارَ إلى حلَبَ فنزَل على جبَلِ جَوْشنَ[4] ، فخاف مِن سطوتِه كلُّ ذى جَوْشنٍ ، فنُودِى فى أهلِ حلَبَ بالحضُورِ فى مَيْدانِ بابِ العراقِ ، فاجْتَمعُوا ، فأشرَفَ عليهم ابنُ الملكِ نُورِ الدينِ فتَوَدَّدَ إليهم ، وتَباكَى لدَيْهم ، وحرَّضَهم على قتالِ صلاحِ الدينِ ، وذلكَ عن إشارةِ الأمراءِ المُقَدَّمِينَ ، فأجابَه أهلُ البلدِ بوجوبِ طاعتِه على كلِّ أحدٍ ، واشترَط عليه الروافِضُ منهم أن يُعادَ الأذانُ بـ حيَّ على خيرِ العمَلِ ، وأنْ يُذْكَرَ فى الأسْواقِ ، وأنْ يكونَ لهم فى الجامعِ الجانبُ الشرقيُّ ، وأنْ يُذْكَرَ أسماءُ الأئمةِ الاثْنَى عشَرَ بينَ يدَيِ الجنائزِ ، وأنْ يكَبِّرُوا على الجِنازةِ خَمْسًا ، وأنْ تكونَ عقودُ أنْكِحَتِهم [٩/٢٧٢ظ] إلى

---

(١) فى الأصل : « جبريل » ، وفى م : « بن جبريل » ، وفى الكامل ١١/ ٤١٨ : « جورديك » . وانظر الروضتين ١/ ٦٠٧.

(٢) بعده فى الأصل ، ص : « وأحد من الحراب » .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « إنه » .

(٤) جوشن : جبل مطل على حلب فى غربيها . معجم البلدان ٢/ ١٥٥.

الشَّريفِ الطاهرِ[1] أبى المكارِمِ حَمْزةَ بنِ زُهرةَ[2] الحُسَيْنىِّ[3] ، فأُجِيبُوا إلى ذلك كلِّه ، فأُذِّنَ فى الجامعِ وغيرِه بسائرِ البلدِ بـ حىَّ على خيرِ العَملِ ، وعجَزَ أهلُ البَلدِ عن مقاومةِ الناصرِ ، وأَعْمَلُوا فى مكيدتِه كلَّ خاطرٍ ، فأرْسَلُوا أوَّلًا إلى سِنانٍ صاحبِ الحُشَيشيَّةِ[4] ، فأرسَلَ نَفرًا مِن أصحابِه إلى الناصرِ ؛ ليقتُلوه فلم يظفَروا منه بشىءٍ ، بل قَتَلُوا بعضَ الأمراءِ ، ثم ظُهِرَ عليهم فقُتِلُوا عن آخرِهم ، فللهِ الحمدُ والمنَّةُ ، فراسَلوا عندَ ذلك القُومَصَ صاحِبَ طرابُلُسَ الفرَنْجىَّ ، ووَعَدُوه بأموالٍ جزيلةٍ إنْ هو رحَّلَ عنهم السلطانَ الملكَ الناصِرَ ، وكان هذا القُومَصُ قد أسَرَه نورُ الدينِ ، وهو مُعْتَقَلٌ عندَه مدةَ عَشْرِ سنِين ، ثم افْتدَى نفْسَه بمائةِ ألفِ دينارٍ وألفِ أسيرٍ مِن أُسارَى المسلمين ، فكان لا ينْسَاها لنورِ الدينِ ، رَحِمه اللَّهُ ، فركِب القُومَصُ - لعَنه اللَّهُ - مِن بلدِه طَرابُلُسَ فى جيشِه ، فلم يتجاسَرْ على مُقاتلةِ السلطانِ ، بل قصَدَ حِمصَ ليأخُذَها بغْتَةً ، فركِبَ إليه السلْطانُ الناصِرُ ، وقد أرسَل سريَّةً إلى بلدِه فقتَلوا منها وأسَرُوا وغنِمُوا ، فلمَّا اقْتَرَبَ السلطانُ منه نكَصَ على عَقِبَيْه وكرَّ راجعًا إلى بلَدِه ، ورأَى أنَّه قد [5]أجابَهم إلى ما أرادوا منه[5] ، فلمَّا رجَع صلاحُ الدينِ إلى حِمْصَ لم يكُنْ قد أخَذَ قلْعتَها فى ذَهابِه ، فتصَدَّى لأخْذِها ، فنصَبَ عليها المَنْجَنِيقاتِ [6]التى ملَّكتْه إياها قسْرًا ، وقهَرتْ ساكنيها قهرًا[6] ، ثم كرَّ راجعًا إلى حلَبَ ، فأَنالَه اللَّهُ فى هذه الكَرَّةِ ما طلَبَ .

---

(١) فى الأصل : « أبى الطاهر » ، وفى م : « أبى طاهر ابن » . وانظر الروضتين ١/ ٦٠٩.

(٢) فى الأصل : « زهر » ، وفى م : « زاهر » .

(٣) فى ص ، والروضتين ١/ ٦٠٩: « الحسنى » . التاج (ز هـ ر) .

(٤) فى الأصل : « الحشيسة » ، وفى م : « الحسبة » .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ص : « أجاب إلى ما سألوا وحصل على ما له بذلوا وإذ نكلوا » .

(٦ - ٦) فى م : « فأخذها قسرا وملكها قهرا » .

وكتَبَ إليهم القاضى الفاضلُ على لسانِ السلْطانِ كتابًا بليغًا فصِيحًا رائقًا فائقًا، على يدَيِ الخطيبِ شمسِ الدينِ يقولُ فيه[1] : فإذا قضَى التسليمُ حقَّ اللقاءِ، واستَدْعَى الإخلاصُ جهْدَ الدعاءِ، فليَعُدْ وليُعِدَّ حوادِثَ ما كانت حديثًا يُفْترَى، وجَوارِىَ أمورٍ إنْ قال فيها كثيرًا، فأكْثَرُ منه ما قد جرَى، ولْيشرَحْ صَدْرًا منها لعلَّه يشرَحُ منّا صَدْرًا، ولْيوضِّحِ الأحْوالَ المُسْتَسِرَّةَ[2] فإنَّ اللَّهَ لا يُعبَدُ سِرًّا :

ومِنَ الغرائبِ[3] أن تسِيرَ غرائبٌ[4] فى الأرضِ لم يعلَمْ بها المأْمُولُ
كالعِيسِ[5] أقْتَلُ ما يكونُ لها الصَّدَى والماءُ فوقَ ظهورِها محْمولُ

فإنَّا كنَّا نقْتَبِسُ النارَ بأكُفِّنا وغيرُنا يسْتنيرُ، ونستنبِطُ الماءَ بأيْدِينا وسِوانا يستَمِيرُ، ونَلْقَى السِّهامَ بنُحورِنا وغيرُنا يعتمِدُ التَّصْويرَ، ونُصافِحُ الصُّفّاحَ بصدورِنا، وغيرُنا يدّعِى التصديرَ، ولابُد أنْ نستردَّ بِضاعتَنا بمَوْقِفِ العَدْلِ الذى تُرَدُّ به الغُصوبُ، وتَظهَرَ طاعتُنا فنأْخُذَ بحظِّ الألسُنِ كما أخَذْنا بحظِّ القُلوبِ، وكان أوَّلَ أمْرِنا أنَّا كُنَّا فى الشامِ نفتَحُ الفتوحَ مباشِرين بأنفُسِنا، ونجاهِدُ الكفارَ متقدِّمين بعساكرِنا نحنُ ووالدُنا وعمُّنا، فأىُّ مدينةٍ فُتِحتْ أو مَعْقِلٍ مُلِكَ أو عسكرٍ للعدُوِّ كُسِر أو مصافٍ للإسْلامِ معه ضُرِبَ [6]ولم نكُنْ فيه[6] ؟ فما يجْهَلُ أحدٌ صُنْعَنا، ولا يجْحَدُ عدُوُّنا أنَّا نصْطَلِى الجمرةَ ونمِلكُ الكرَّةَ، ونتقدَّمُ الجماعةَ

---

(١) الروضتين ١/ ٦١٦.
(٢) فى الأصل، م: «المسبشرة». وانظر مصدر التخريج.
(٣) فى الأصل، م: «العجائب».
(٤) فى مصدر التخريج «عرائب».
(٥) العيس: كرام الإبل.
(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

ونرتِّبُ المُقاتِلةَ ، ونُدَبِّرُ التَّعْبِئةَ ، إلى أنْ ظهَرَتْ فى الشامِ الآثارُ التى لنا أجْرُها ، ولا يَضرُّنا أنْ يكونَ لغيرِنا ذكْرُها . ثم ذكَرَ ما صنَعُوا بمِصْرَ مِن كسرِ الكُفْرِ وإزالةِ المنكرِ وقَمْعِ الفِرنجِ وهَدْمِ البِدَعِ التى كانت هنالك ، وما بُسِطَ مِن العدلِ ومُدَّ مِن الفضلِ ، وما أقامَه مِن الخُطَبِ العباسِيَّةِ ببلادِ مِصْرَ واليمنِ والنُّوبةِ وإفْرِيقِيَّةَ وغيرِ ذلك ، بكلامٍ بسيطٍ حسَنٍ .

فلمَّا وصَلَهمُ الكتابُ [٢٧٣/٩و] أساءوا الجوابَ ، وقد كانوا كاتَبُوا صاحِبَ المَوْصِلِ ؛ سيفَ الدينِ غازِى بنَ مَوْدُودٍ أخى نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ، فبعَثَ إليهم أخاه عزَّ الدينِ فى عساكرِه ، وأقبلَ عليهم فى دسَاكرِه ، فانْضافَ إليهمُ الحَلَبِيُّون ، وقصَدُوا حَمَاةَ فى غيبةِ الناصرِ واشْتِغالِه بقلعةِ حِمْصَ وعِمارَتِها ، فلمَّا بلَغَه خبرُهم سارَ إليهم فى قُلٍّ مِنَ الجيشِ ، فانْتَهَى إليهم وهم فى جَحافِلَ كثيرةٍ ، فواقَفُوه وطمِعُوا فيه لقلَّةِ مَن معه ، وهمُّوا بمُناجزَتِه فجعَلَ يُداريهم ويدْعُوهم إلى المُصالحَةِ لعلَّ الجيشَ يلْحَقُونَه ، حتى قالَ لهم فى جملةِ ما قال[1] : أنا أقْنَعُ بدِمَشْقَ وحدَها وأقيمُ بها الخُطْبَةَ للملكِ الصالحِ إسْماعيلَ ، وأترُكُ ما عدَاها مِن أرضِ الشامِ . فامتَنَع مِنَ المُصالحَةِ الخادِمُ سعدُ الدينِ[2] كُمُشْتِكِين ، إلَّا أنْ يجعَلَ لهم الرَّحبَةَ التى هى بيَدِ ابنِ عمِّه ناصرِ الدينِ بنِ أسَدِ الدينِ ، فقالَ : ليسَ لى ذلك ، ولا أقْدِرُ عليه . فأَبَوْا الصلحَ ، وأقدَموا على القتالِ ، فجعَلَ جيشَه كُرْدُوسًا واحدًا ، وذلك يومَ الأحدِ التاسِعَ عشَرَ مِن شهرِ رمضانَ عندَ قرونِ حَمَاةَ ، وصبَرَ صَبْرًا عظِيمًا ، وجاءَه فى أثْناءِ الحالِ ابنُ أخيه تَقىُّ الدينِ عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه ومعه أخوه فرُّوخْشاه فى طائفةٍ مِن الجيشِ ، وقد ترجَّحَ دَسْتُه عليهم ، وخلَصَ رعْبُه

---

(١) الروضتين ١/ ٦٣٧، ٦٣٨، بنحوه .

(٢) فى النسخ : « الدولة » . والمثبت من الروضتين ١/ ٦٣٧. وانظر الكامل ١١/ ٤١٥.

إليهم ، فوَلَّوا هُنالِكَ هارِبين ، وتولَّوْا مُنْهَزِمين ، فأُسِر مَن أُسِر مِن رُءوسِهم ، ونادَى أن لا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ ولا يُذَفَّفُ على جريحٍ ، ثم أطلَقَ مَنْ وقَعَ فى أسرِه ، وسارَ على الفورِ إلى حَلَبَ ، وقد انعَكَسَ عليهمُ الحالُ وآلَوا إلى شرٍّ مآلٍ ؛ فبالأمسِ كان يطلُبُ منهم المُصالحةَ والمُسالمَةَ ، وهم اليومَ يطلُبُون منه أن يكُفَّ عنهم ويرجِعَ ، على أنَّ المعَرَّةَ وكَفَرْطابَ وبَارِينَ[1] له زِيادةٌ على ما بيَدِه مِن أراضى حَماةَ وحِمْصَ وبعلَبَكَّ مع دِمَشقَ ، فقبلِ ذلك ، وكفَّ عنهم ، وحلَفَ على أنْ لا يغْزُوَ بعدَها الملكَ الصَّالحَ ، وأنْ يدْعُوَ له علَى سائرِ منابرِ بلادِه وممالِكِه ، وشفَع فى بنى الدايةِ أخوه مَجْدُ الدينِ ، أنْ يُخْرَجُوا مِن السِّجنِ ، ففعَلَ ذلك ثم رجَعَ مؤيَّدًا منْصُورًا مسلَّمًا محبورًا .

فلمَّا كان بحَمَاةَ وصَلتْ إليه رسُلُ الخليفةِ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ ومعهم الخِلَعُ السَّنِيَّةُ والتشْرِيفاتُ العباسِيَّةُ والأعْلامُ السُّودُ وتوقيعٌ مِنَ الديوانِ بالسلْطنَةِ ببلادِ مِصْرَ والشامِ ، وأُفِيضَتِ الخِلَعُ على أهْلِه وأقاربِه وأصحابِه وأصهارِه وأعْوانِه وأنصارِه ، وكان يومًا مشْهُودًا ، واسْتَنابَ على حَمَاةَ ابنَ خالِه وصِهْرَه الأميرَ شِهَابَ الدينِ محمودًا ، ثم سارَ إلى حِمْصَ فأطْلَقها إلى ابنِ عمِّه ناصرِ الدينِ ، كما كانتْ مِن قبْلِه لأبيه شِيركُوه أسَدِ الدينِ ، ثم إلى بَعْلَبَكَّ ، ثم إلى البِقاعِ ، ورجَع إلى دِمَشْقَ فى ذى القَعْدَةِ .

فى هذه السنةِ[2] ظهَرَ رجلٌ مِن قرْيَةِ مَشْغَرَا[3] مِن مُعاملَةِ دِمَشْقَ وكان مغْرِبيًّا فادَّعَى النبوَّةَ ، وأظهَرَ شيئًا مِنَ المخاريقِ والمخَاييلِ والشعْبَذَةِ والأبْوابِ النيرنجِيَّةِ[4] ،

---

(١) فى م : « ماردين » . وبارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب . معجم البلدان ١/ ٤٦٦.
(٢) الروضتين ١/ ٦٤٣.
(٣) مشغرا : قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع . معجم البلدان ٤/ ٥٤٠ .
(٤) النيرنجية : تشبيه وتلبيس كالسحر وليس به . التاج (ن رج) .

فافْتتَنَ به طوائفُ مِن أهلِ تلك الناحيةِ مِن الطَّغامِ والهَمَجِ والعَوامِّ ، فتطلَّبه السلطانُ ، فهرَبَ فى الليلِ مِن مَشْغَرَا إلى معاملَةِ حَلَبَ ، فالتفَّ عليه كلُّ مقْطُوعِ الذَّنَبِ ، وأضَلَّ خلقًا مِن الفلَّاحِينَ لا المُفلِحينَ ، وتزوَّجَ امرأةً أحَبَّها ، وكانتْ مِن أهلِ تلك البِطاح ، فعلَّمَها أنِ ادَّعَتِ النبُوَّةَ ، فأشْبَها قِصَّةَ مُسَيْلِمَةَ وسَجَاح ، فلعَنهما اللَّهُ كلَّما غَبَّ الحَمَامُ وهدَر ، وكلمّا ضَبَّ الغَمامُ وقطَر .

[٢٧٣/٩ظ] وفيها هرَبَ وزيرُ الخليفةِ ونُهِبَتْ دارُه .

وفيها درَّسَ أبو الفَرجِ بنُ الجَوْزِىِّ بمدرَسةٍ أُنْشِئَتْ للحنابلةِ ، فحضَرَ عندَه قاضِى القُضاةِ أبو الحسَنِ بنُ الدامَغانِىِّ ، والفقهاءُ والكبراءُ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وخُلِعَتْ عليه خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

رَوْحُ بنُ أحمدَ ، أبو طالبٍ الحَديثىُّ[1] قاضى القضاةِ ببَغْدادَ فى بعضِ الأحْيانِ ، وكان ابنُه بأرضِ الحجازِ ، فلمَّا بلَغَه موتُ أبيه مرِضَ بعدَه فماتَ بعدَ أيامٍ ، وكان يُنْبَذُ بالرَّفْضِ .

شَمْلَةُ التُّرْكُمانِىُّ[2] كان قد تغلَّبَ على بلادِ فارِسَ واسْتَحدَثَ قِلاعًا ، وتغلَّبَ على السَّلْجوقِيَّةِ ، وانْتَظَمَ له الدَّسْتُ نحوًا مِن عِشْرِين سنةً ، ثم إنَّه حارَبَه بعضُ التُّركمانِ فقتَلُوه .

---

(١) فى خ ، م : « الحدثنى » . اللباب ١/ ٢٨٥. وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٣.

(٢) المنتظم ١٨/ ٢١٦، والكامل ١١/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٤، والوافى بالوفيات ١٦/ ١٨٦.

قَايْمازُ بنُ عبدِ اللَّهِ[1] قطبُ الدينِ المُسْتَنْجِدِيُّ، وزَر للخليفةِ المُسْتَضِيءِ، وكان مقدَّمًا على العساكرِ كلِّهم، ثم إنَّه خرَج على الخليفةِ، وقصَد أنْ ينْهَبَ دارَ الخلافةِ، فصعَد الخليفةُ فوقَ سطْحٍ فى دارِه، وأمرَ العامَّةَ بنَهْبِ دارِقايْمازَ فنُهِبَتْ، وكان ذلك بإفْتاءِ الفقهاءِ، فهرَبَ فهلَكَ، وهلَك مَن كان معه فى المَهامِهِ والقِفَارِ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢١٧، والكامل ١١/ ٤٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٩، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٨٥، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣٨.

ثم دخلَتْ سنَةُ إحْدَى وسَبْعِين وخَمْسِمائةٍ[1]

فيها طلَب الفِرنْجُ مِنَ السلْطانِ صلاحِ الدينِ - وكان قد أقامَ بدِمَشقَ فى مرجِ الصُّفَّرِ - أَنْ يُهادِنَهم فأجابَهم إلى ذلك ؛ لأنَّ الشامَ كان مُجْدِبًا ويحتاجُ إلى ذلك . وأرسَلَ جيْشَه صُحْبَةَ القاضى الفاضلِ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ؛ ليسْتَغِلُّوا المغلَّ ثم يُقْبِلُوا ، وعزَمَ هو على المُقامِ بالشامِ ، واعْتَمَد على كاتبِه العمادِ عِوَضًا عنِ أفصحِ العبادِ بتلك البلادِ ، وهو القاضى [2]الفاضلُ قدوةُ العلماءِ والأفاضلِ ، ورُحْلَةُ الطالبين ، وزينُ المحافلِ زينُ الإسلامِ ، ومَن لسانُه أحدُّ مِن حُسامٍ ، ولكنِ احتاجَ السلطانُ إلى إرسالِه إلى الديارِ المصريةِ ليكونَ عينًا وعونًا له بها ، ولسانًا فصيحًا يعبِّرُ عنها ، فاحتاجَ إلى أن يتعوَّضَ عنه[2] ، ولم يكُنْ أحدٌ أعزَّ عليه ولا أحبَّ إليه منه :

وما عَنْ رِضًا كانتْ سُلَيْمَى بدِيلَةً ... بليلى ولكن للضَّرُوراتِ أحكامُ

وكانت إقامتُه ببلادِ الشامِ وإرسالُ الجيشِ صحبةَ القاضى الفاضلِ غايةَ الحزْمِ والتدْبيرِ والاهتمامِ ؛ ليَحْفظَ ما اسْتَجدَّ مِنَ المَمالكِ خوفًا عليه مِن سطوةِ مَن هُنالِكَ .

فلمَّا أرسَلَ الجيوشَ إلى مِصْرَ وبَقِىَ هو فى طائفةٍ قَليلةٍ من عسكرِه ، واللَّهُ قد

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢١٨، والكامل ١١/ ٤٣١.

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م .

تكفَّلَ له ولهم بالنصرِ ، كتَب صاحِبُ المَوْصِلِ سيْفُ الدينِ غازِى ابنُ أخى نُورِ الدينِ إلى جماعَةِ الحَلَبِيِّين يلومُهم على ما وقَعَ بيْنَهم وبينَ الملكِ صلاحِ الدينِ مِنَ المُصالَحَةِ ، وقد كان إذْ ذاكَ مشْغُولًا بمحاصرةِ أخيه عِمادِ الدينِ زَنْكِى بسِنْجَارَ - وليسَتْ هذه بفِعْلَةٍ صالحةٍ - وما كان سبَبَ قتالِه لأخيه إلَّا انتماؤُه إلى طاعةِ الملكِ الناصرِ وذويه ، فاصْطلَحَ مع أخيه حينَ عرَفَ قوَّةَ الناصرِ وناصرِيه ، ثم حرَّضَ الحلَبِيِّينَ على نبذِ العهودِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ ، فأرسَلُوا إليه بالعُهودِ التى عاهَدُوه عليها ودَعَوه إليها ، فاسْتَعانَ عليهم باللَّهِ وأرسَلَ إلى الجيوشِ المصريَّةِ ليقْدَموا إليه ، فأقبَلَ صاحِبُ المَوْصِلِ فى عساكرِه ومشاريه[1] ودساكرِه . واجْتَمعَ بابنِ عمِّه الملكِ الصالحِ عِمادِ الدينِ إسْماعيلَ ، وسارَ فى عِشْرِينَ ألفَ مُقاتلٍ على الخيولِ الضُّمَّرِ الجُرْدِ الأبابِيلِ ، وسارَ نحْوَهم الناصرُ وهو كالهِزَبْرِ الكاسِرِ ، [٩/٢٧٤و] وإنَّما معه ألْفُ فارِسٍ مِنَ الحُمَاةِ و ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، ولكِنَّ الجيوشَ قد خرَجت مِن الديارِ المصريةِ فى جَحافِلَ كالجبَالِ وعُدَّةٍ وعَددٍ كالرمالِ ، فاجْتَمَعَ الفريقانِ وتَداعَوا للنِّزَالِ ، وذلك فى يومِ الخميسِ العاشرِ مِن شوَّالٍ ، فاقْتَتَلُوا قِتالًا هائلًا ، حتى حمَل السلطانُ بنفْسِه الكريمةِ ، فكانتْ بإذْنِ اللَّهِ الهزيمةُ ، فقتَلُوا خلقًا مِنَ الحلَبِيِّينَ والمَوَاصِلةِ ، وأخذُوا مضارِبَ الملكِ سَيْفِ الدينِ غازِى وحواصِلَه ، وأسَرُوا جماعةً مِن رُءوسِهم فأطْلَقَهمُ السلطانُ بعدَ ما أفاضَ الخِلَعَ على أبْدانِهم ورُءوسِهم ، وقد كانُوا اسْتَعانُوا بجماعةٍ من الفِرنجِ فى حالِ القتالِ ، وليْسَ هذا مِن صنيعِ الصناديدِ الأبْطالِ . وقد وجَد السلطانُ فى مُخَيَّمِ السلْطانِ غازِى شيئًا مِن الأقْفَاصِ التى فيها الطيورُ المُطْرِبَةُ - وذلكَ فى مجْلِسِ شرابِه المُسْكِرِ ، وكيف مَن كان هذا

---

(١) هذا من المصطلحات المملوكية ، وهو يرجع إلى معنى المشورة . انظر كنز الدرر ٧/٩ وفهارسه .

مسْلَكَه ومذهبَه يَنْتَصِرُ؟! - فأمَر السلطانُ بردِّها عليه وتَسْيِيرِها إليه، وقال للرسولِ: قُلْ له بعدَ وصُولِكَ إليه وسَلامِكَ عليه: اشْتِغالُكَ بهذه الطُّيورِ أحَبُّ إليْكَ مِن الوقوعِ فيما رأيتَ مِن المحْذُور. وغنِمَ السلطانُ مِن أموالِهم شيئًا كثيرًا ففرَّقَه على أصحابِه وأحبابِه وأنصارِه غُيَّبًا كانوا أو حُضُور[1]، وأنْعمَ بخَيْمَةِ المَلِكِ سيفِ الدينِ غازِى على ابنِ أخيه عِزِّ الدينِ فَرُّوخْشاه[2] بنِ شاهنشاه بنِ نجْمِ الدينِ، ورَدَّ ما كان فى وِطاقِه[3] مِن الجوارِى والمغنِّياتِ، وقد كان معه أكثرُ مِن مائةِ مغنيةٍ، ورَدَّ الأقفاصَ وآلاتِ اللعبِ إلى حَلَبَ، وقال: قُولُوا له: هذا أحَبُّ إليكَ مِنَ الحربِ. ووَجَدَ عسْكَرَ المَواصِلَةِ كالحانَةِ مِن كثرةِ الخمورِ والبرابِطِ والملاهِى، وهذه سبِيلُ مَن هو عن طريقِ الخيرِ ساهٍ لاهٍ.

فصــلٌ

لما رجَع الحلبيُّون إلى حَلَبَ وقد انْقلَبُوا شرَّ مُنْقلَبٍ، وندِمُوا على نقضِهم الأيمانَ ومخالفتِهم طاعةَ الرحمنِ وشَقِّهم العَصَا على السلطانِ، فحصّنُوا البلدَ، خوفًا مِنْ وُثوبِ الأسَدِ، وأسرَعَ صاحبُ المَوْصِلِ فوَصَلَها، وما صدَّقَ حتى دخَلَها، وأما السلطانُ صلاحُ الدينِ فإنَّه لمَّا فرَغ مِن قسمةِ ما غَنِم مما ترَكه مَن عطِب ومَن سلِم، أسرَع السيرَ إلى حَلَبَ الشهباءِ وهو فى غايةِ السَّطوةِ والقُوَّةِ والعِزَّةِ القَعْساءِ[4]، فوجَدهم قد حصَّنُوها، والقلعةَ قد أحكَموها فقالَ: مِن المصْلحَةِ أنْ نبادِرَ إلى فتحِ الحصُونِ التى حولَ البلدِ، ثم نعودُ إليهم فلا يمتَنِعُ علينا

---

(١) فى النسخ: «حضورا» أعطاه حق الإعراب، والمثبت هو ما يقتضيه حق السجع.

(٢) فى الأصل، ص: «فرخشاه»، وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٦٦.

(٣) الوطاق: الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء.

(٤) سقط من: م، وهى غير واضحة فى الأصل، ص، والعزة القعساء: الممتنعة الثابتة.

منهم أحدٌ . فشرَع يفتحُ الحصونَ حِصْنًا حصنًا ، ثم يعودُ إليهم ويَهْدِمُ مِن أرْكانِ دوْلَتِهم رُكْنًا ركنًا ، ففتَح بُزَاعَةَ[1] ومَنْبِجَ ، ثم سارَ إلى عَزَازَ[2] فأرسَلَ الحلبيُّونَ إلى سِنانٍ ، فأرْسَلَ جماعةً مِن أصحابِه ليقتُلوا صلاحَ الدينِ ، فدخَل طائفةٌ منهم فى جيْشِه فى زِىِّ الجُندِ فقاتَلُوا أشدَّ القتالِ ، حتى اخْتلَطُوا بهم فوجَدُوا فرصةً ذاتَ يومٍ والسلْطانُ ظاهِرٌ للناسِ ، فحمَلَ عليه واحدٌ منهم فضَرَبه بالسكينِ على رأسِه فإذا هو مُحْتَرِسٌ منهم باللَّأْمَةِ ، فسلَّمه اللَّهُ ، غيرَ أنَّ السكينَ مرَّتْ على خدِّه فجرَحَتْه جُرحًا هَيِّنًا ، ثم أَخَذ الفِداوىُّ رأسَ السلْطانِ فوضَعَه على الأرضِ ليذْبحَه ، ومَن حولَه قد أخذَتْهُم دهشةٌ ، ثم ثابَ إليهم عقْلُهم فبادَرُوا إلى الفِداوىِّ فقَتَلُوه وقطَّعُوه ، ثم هجَم آخرُ فى الساعةِ الراهِنَةِ على السلطانِ فقُتِلَ ، ثم هجَمَ آخرُ على بعْضِ الأمراءِ فقُتِلَ أيضًا ، وهرَبَ الرابعُ ، فأُدْرِكَ فقُتِلَ ، وبطَل القِتالُ ذلك اليومَ . ثم صمَّمَ السلطانُ على البلدِ ففَتَحه وأقطَعه ابنَ أخيه تَقِىَّ الدينِ عمرَ بنَ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ ، وقدِ اشتدَّ حَنَقُه على أهلِ حَلَبَ لِما فعلوا ولما أرسَلُوا مِنَ الفداوِيَّةِ إليه وإقْدامِهم عليه ، فجاءَ فنزَلَ تُجاهَ البلَدِ على جبَلِ جَوْشَنَ ، وضُرِبتْ خيْمَتُه على رأسِ البادوقِيَّةِ[3] ، وذلك فى خامِسَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، وجَبَى الأموالَ وأخَذ الخَراجَ مِنَ القُرَى ، ومنَع أنْ يَدْخُلَ البلدَ شىءٌ أو يخرُجَ منه شىءٌ ، واستمرَّ حصارُه إيَّاها حتى انْسَلخَتِ السنةُ .

وفى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ عادَ شمسُ الدولةِ تُورانْشاه [٩/ ٢٧٤ظ] أخو

---

(١) فى الأصل ، ص : « بزاغة » ، وفى م : « مراغة » ، والمثبت من الروضتين ١/ ٦٥٥، وبزاعة : بلدة من أعمال حلب . معجم البلدان ١/ ٦٠٣.

(٢) فى م : « أعزاز » وكلاهما صواب ، وهى قرية فيها قلعة ، شرقى حلب بينهما مسيرة يوم . معجم البلدان ٣/ ٦٦٧.

(٣) فى الأصل ، ص : « الباروفيه » .

السلْطانِ مِن بلادِ اليمَنِ ، وذلك من كثرةِ اشتياقِه إلى أخيه وذويه وإلى الشامِ وطيبِه وظلالِه ؛ لأنَّه ضجِر مِن حرِّ اليمنِ ، وإن كان قد حصَل على أموالٍ جزيلةٍ مِن مالِه ، ففرِحَ به أخوه الملكُ الناصرُ ، واشتدَّ أَزْرُه بسببِه ، ولمَّا اجتمَعا قال الناصرُ الناصحُ البرُّ الوفيُّ : أنا يُوسُفُ وهذا أخى ، وقد اسْتنابَ شمسَ الدينِ على بلادِ اليمنِ ، وإنما استنابَ على مخاليفِها مَن لا يخالفُه مِن ذى قراباتِه ومَن له سالفُ المِنِ ، فلمّا استقرَّ عندَ أخيه اسْتَنابَه على دِمَشْقَ وأعمالِها ، وقيلَ : إنَّ قدومَه كان قبلَ وقْعةِ المَواصِلَةِ ، وكان مِن أكبرِ أسْبابِ الفتحِ والنصرِ ؛ لشهامتِه وشَجاعتِه وفروسِيَّتِه وبسالتِه .

وفيها أنفَذَ تَقِيُّ الدينِ عمرُ ابنُ أخِى السلطانِ مملُوكَه بهاءَ الدينِ قَراقُوشَ فى جيْشٍ إلى بلادِ المغربِ ، ففتَحَ بلادًا كثيرةً هنالك ، وغنِمَ أموالًا جزيلةً ، ثم عادَ إلى مِصْرَ وطابَت له وترَك تلك البلادَ .

وفيها قدِمَ إلى دِمَشْقَ الواعظُ الكبيرُ أبو الفُتوحِ عبدُ السلامِ بنُ يُوسُفَ بنِ محمدِ بنِ مقلّدٍ التَّنُوخِيُّ الدِّمشقِيُّ الأصْلِ ، البَغْدادِيُّ المَنْشَأِ ، ذكَره العمادُ فى الخريدَةِ[1] ، قال : وكان صاحِبى ، وجلَس للوعظِ ، وحضَر عندَه السلطانُ صلاحُ الدينِ . وأوْرَدَ له مُقطَّعاتِ أشعارٍ ، فمِنْ ذلك ما كان يقولُ فى مجلسِه[2] :

يا مالِكًا مُهْجَتِى يا مُنْتَهى أمَلِى ... يا حاضِرًا شاهِدًا فى القلْبِ والفكْرِ
خلَقْتَنِى مِن ترابٍ أنتَ خالِقُهُ ... حتى إذا صِرْتُ تمثالًا مِن الصورِ
أجْرَيْتَ فى قَالِبِى رُوحًا مُنوَّرَةً ... تمرُّ فيه كَجَرْيِ الماءِ فى الشجرِ

---

(١) الخريدة (شعراء العراق) ٣/١/٣٠٨ - ٣٢٢.
(٢) الأبيات باختلاف قليل فى الخريدة ٣/١/ ٣١٥، وهى بنصها فى الروضتين ١/ ٦٦٧.

جمعتَ بين صَفا رُوحٍ مُنَوَّرَةٍ وهَيْكَلٍ صُغْتَهُ مِن معدنٍ كدِرِ
إنْ غبتُ فيك فيَا فَخْرِى ويا شرَفِى وإنْ حضرتُ فياسَمْعِى ويابَصَرِى
إن احْتَجَبْتَ فسِرِّى فيكَ فى وَلَهٍ وإنْ خطَرتَ فقَلْبِى منكَ فى خطَرِ
تبْدُو فتَمْحُو رسُومِى ثم تثْبِتُها وإنْ تَغَيَّبْتَ عنِّى عِشتُ بالأثَرِ

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عساكِرَ[1] :

علىُّ بنُ الحسَنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ عساكِرَ ، أبو القاسِمِ الدِّمَشْقِىُّ ، أحدُ أكابرِ حُفَّاظِ الحديثِ ومَن عُنِىَ به سماعًا وَجمْعًا وتصْنِيفًا واطِّلاعًا ، وحفْظًا لأسانيدِه ومُتونِه ، وإتقانًا لأساليبِه وفُنونِه ، صنَّف « تاريخَ الشامِ » فى ثمانينَ مجلَّدَةً ، فهى باقيةٌ بعدَه مخلَّدَةٌ ، وقد برَز على مَن تقدَّمه مِنَ المؤرِّخِين ، وأتْعَبَ مَن يجِىءُ بعدَه مِن المتأخِّرينَ ، فحازَ فيه قَصَبَ السِّباق ، وجاز حدًّا يأمَنُ فيه اللحاق ، ومَن نظَرَ فيه وتأمَّله ورأَى ما وصفَه فيه وأصَّله ، حكَم بأنَّه فريدٌ فى التواريخِ ، وأنه فى الذِّروةِ العُلْيَا مِن الشَّماريخِ ، هذا مع ما لَه فى علُومِ الحديثِ مِن كتبٍ مفيدةٍ ، وما كان مشتملًا عليه مِن العبادةِ والطَّرائقِ الحميدةِ ، فله : « أطرافُ الكتُبِ السِّتَّةِ » ، و « الشيوخُ النُّبَلُ » ، و « تَبْيِينُ كذِبِ المفْتَرِى على أبى الحسَنِ الأشْعَرِى » ، وغيرُ ذلك مِن المصنَّفاتِ الكبارِ والصغارِ ، والأجْزاءِ والأسْفارِ ، وقد أكثَر فى طلَبِ الحديثِ مِنَ التَّرْحالِ والأسْفارِ ، وجاب المُدنَ والأقاليمَ والأمْصارَ ، وجمَع مِنَ الكتُبِ ما لم يجْمَعْه أحدٌ مِن الحفَّاظِ ، نَسْخًا واستِنْساخًا ومقابلةً وتصْحيحًا

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٢٧٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٥٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٧٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٧٧.

للألْفاظِ ، وكان مِن أكابرِ بيوتاتِ الدَّمَاشِقَةِ ، ورِياسَتُه فيهم عاليةٌ باسقَةٌ ، مِن ذوِى الأقْدارِ والهيئاتِ ، والأموالِ الجزيلةِ والصلاتِ ، كانتْ وفاتُه فى الحادِى عشَرَ مِن رجبٍ ، وله مِنَ العُمرِ ثِنْتانِ وسبعونَ سنةً ، وحضَر السلطانُ صلاحُ الدينِ جِنازَتَه ، ودُفِنَ بمقابرِ باب الصغيرِ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالَى . [٢٧٥/٩و] وكان الذى صَلَّى عليه الشيخُ قُطْبُ الدينِ النَّيْسَابُورِىُّ . قال ابنُ خَلِّكانَ[١] : وله أشعارٌ كثيرةٌ منها قولُه :

أيا نفسُ وَيْحَكِ جاءَ المشِيبُ ... فما ذا التَّصَابِى وماذا الغزَلْ ؟
تـوَلَّـى شـبـابـى كـأنْ لم يـكُـنْ ... وجاءَ المشيبُ[٢] كأَنْ لم يزَلْ
كـأنِّـى بـنـفْـسِـى عـلـى غِـرَّةٍ ... وخـطْـبُ المَنُـونِ بـهـا قـد نـزَلْ
فيالـيـتَ شِـعْـرِىَ ممَّـنْ أكـونُ ... ومـا قـدَّرَ اللَّـهُ لـى [٣]فى الأزَلْ[٣]

قال[٤] : وقدِ التَزم فيها ما لا يلْزَمْ ؛ وهو الزَّاىُ قبلَ اللَّامِ . قال[٤] : وكان أخوه صائنُ الدينِ هبةُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ محدِّثًا فقيهًا ، اشْتَغلَ ببَغْدادَ على أسعدَ الميهَنِىِّ ، ثم قدِمَ دمشْقَ فدرَّس بالغَزَّالِيَّةِ ، وتُوفِّى بها فى سنةِ ثلاثٍ وستِّينَ رحِمهما اللَّهُ تعالى وإيَّانا بمنِّه .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٠.
(٢) فى الأصل : « شيب » وفى المصدر : « مشيبى » .
(٣ - ٣) فى المصدر : « بالأزل » .
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣١١.

ثم دخلتْ سنةُ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ وخَمْسِمِائةٍ[1]

استَهَلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ صلاحُ الدينِ محاصرٌ حَلَبَ ، وقد أشرَف منها على نيلِ الطَّلبِ ، فسألوه وتوسَّلُوا إليه أنْ يصالِحَهم ، فصالَحهم على أنْ تكونَ حلَبُ وأعْمالُها للملكِ الصالحِ فقَطْ ، فكُتِب بذلك الكتابُ ، وأُبرِم الحسابُ ، فلمَّا كان الليلُ بعَث الملكُ الصالحُ إسْماعيلُ إلى الملكِ الناصرِ يسأَلُ منه زِيادةَ قلْعَةِ عَزازَ ، على ما شرَّفه به من الإعزازِ ، وأرسَل بأُخْتٍ له صغيرةٍ وهى الخاتُونُ بنتُ نورِ الدينِ ؛ ليكونَ ذلك أدْعَى إلى قَبُولِ السؤالِ ، وأنجعَ لحُصولِ النَّوالِ ، فحينَ رآها الناصرُ قامَ قائمًا كالقَضيبِ الناضرِ ، وقبَّل الأرضَ ، وأجابَها إلى سُؤالِها ، وأطلَق لها مِنَ الجواهرِ والتُّحَفِ ما رأَى أنَّه عليه فَرْضٌ ، ثم ترحَّلَ عن حلَبَ فقَصَد الإسماعيليةَ الذينَ اعْتَدَوا عليه فحاصَر حِصْنَهم مِصْيَابَ[2] فقتَل وضرَبَ وسبَى ، وأخَذ أبقارَهم ، وخرَّب دِيارَهم ، وقصَّر أعمارَهم ،حتى شفَع فيهم خالُه شِهابُ الدينِ محمودُ بنُ تِكِشَ صاحِبُ حمَاةَ ؛ لأنَّهم جِيرانُه ، فقبِلَ شفاعتَه ، وقد أحضَر إليه نائبُ بَعْلَبَكَّ الأميرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مُقدَّمٍ -

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٢٦، والكامل ١١/ ٤٣٦.

(٢) فى الأصل، ص، والروضتين ١/ ٦٦٩: «مصياث»، وفى م: «مصباف»، وفى صبح الأعشى ٤/ ٢٠٢: «مصياف». والمثبت من الكامل ١١/ ٤٣٦. ومصياب: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشمالى قرب طرابلس، وبعضهم يقول: مصياف. معجم البلدان ٤/ ٥٥٦.

الذى كان نائبَ دِمَشْقَ - جماعةً مِن أُسارى الفِرنْجِ الذينَ عاثُوا بالبِقاعِ فى غيبةِ السلطانِ واشتغالِه بحصارِ مِصْيابَ ، فجدَّد له العَزْمَ على غَزْوِ الفِرنْجِ والانبعاثِ فصالحَ الإسْماعيليةَ أصْحابَ سِنانٍ ، ثم كرَّ راجِعًا إلى دِمَشْقَ فى حراسةِ الرحمنِ ، وقد تلقّاه أخوه شمسُ الدولةِ تُورانْشَاه [٩/٢٧٥ظ] فتسَالَما وتعانَقا وتناشَدا الأشعارَ ، ولمَّا دخَل السلطانُ إلى دمشقَ فى سابعَ عشَرَ صفرٍ فوَّضها إلى أخيه شمسِ الدولةِ تُورانْشاه ولقَّبَه الملِكَ المعظَّمَ ، وعزَم السلطانُ على السَّفرِ إلى مِصْرَ ، وكان القاضى كمالُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الشَّهْرَزُورىُّ قد تُوفِّى فى سادسِ المحرَّمِ مِن هذه السنَةِ ، وقد كان مِن خيارِ القضاةِ ، وأخصِّ الناسِ بنُورِ الدينِ الشهيدِ ، فوَّضَ إليه نظرَ الجامعِ ودارَ الضَّرْبِ وعمارَةَ الأسْوارِ والنظَرَ فى المصالحِ العامَّةِ .

ولمَّا حضَرتْه الوفاةُ أوصَى بالقضاءِ لابنِ أخيه ضياءِ الدينِ بنِ تاجِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىِّ ، فأمضَى ذلك السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ ؛ رعايةً لحقِّ الكمالِ الشَّهْرَزُورِىِّ ، مع أنَّه كان يَجِدُ عليه ؛ بسببِ ما كان بَيْنَه وبيْنَه حينَ كان صلاحُ الدينِ شِحْنةً[1] بدِمَشْقَ ، وكان يعاكِسُه ويخالِفُه ، ومع هذا أمْضَى وصيَّتَه لابنِ أخيه ، فجلَس فى مجلسِ القضاءِ على عادةِ عمِّه وقاعِدَتِه ورسمِه ، وبَقِى فى نفسِ السلْطانِ مِن توليةِ شرَفِ الدينِ أبى سعدٍ[2] عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَصْرُونَ الحَلَبِىِّ ، وكان قد هاجَر إلى السلطانِ إلى دِمَشْقَ فوعَده أن يُولِّيَه قضاءَها ، فأَسَرّ بذلك إلى القاضى الفاضلِ ، فأشارَ القاضى الفاضلُ على الضياءِ أنْ يَسْتَعْفِىَ من

---

(١) فى م : « سجنه » .

(٢) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٥٣. وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٣٢.

القضاءِ فاسْتَعْفَى فأُعْفِيَ ، وتُرِك له وَكالةُ بيتِ المالِ ، ووَلَّى السلْطانُ ابنَ أبى عَصْرُونَ على أنْ يَسْتنيبَ القاضىَ مُحْيِى الدينِ أبا المعالِى محمدَ بنَ زكِيِّ الدينِ ، والأَوْحَدَ[1] ، عنه ففعَل ذلك ، ثم بعدَ سِنواتٍ اسْتَقلَّ بالحُكمِ مُحْيِى الدينِ ، أبو حامدِ بنُ أبى عَصْرونَ عِوَضًا عن أبيه شَرَفِ الدينِ ؛ بسبَبِ ضَعْفِ بصَرِه .

وفى صفَرٍ مِن هذه السنةِ وقَف السلْطانُ الملكُ الناصِرُ قريةَ حَزْمٍ على الزاويةِ الغَزَّالِيَّةِ ، ومَنْ يشتغِلُ بها بالعلُومِ الشرعِيَّةِ ، أو ما يحْتاجُ إليه الفقيهُ ، وجعَل النَّظَرَ لقُطْبِ الدينِ النَّيْسَابُورِىِّ مُدَرِّسِها .

وفى هذا الشهرِ تزوَّجَ السلطانُ صلاحُ الدينِ بالستِّ خاتُونَ عصْمَةِ الدينِ بنْتِ مُعِينِ الدينِ أَنُرَ ، وكانتْ زوجةَ الملكِ نورِ الدينِ محمودٍ ، فأقامت بعدَه فى القلعةِ محترمةً مكرَّمةً ، ووَلِىَ تزْوِيجَها منه أخوها الأميرُ سعدُ الدينِ مسعودُ بنُ أَنُرَ ، وحضَر القاضى ابنُ أبى عَصْرونَ العَقْدَ ، ومَن معه مِن العُدولِ ، وباتَ الناصِرُ عندَها تلك الليلةَ والتى بعدَها ، ثم سافَر إلى مِصْرَ بعدَ يومينِ مِن الدخولِ بها ، فركِبَ يومَ الجُمُعةِ قبلَ الصلاةِ فنزل بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، ثم سار فعَشا قريبًا مِن الصَّنَمَيْنِ[2] ، ثم أجَدَّ السيرَ حتى كان [٢٧٦/٩و] دخولُه الديارَ المصريةَ[3] يومَ السبتِ سادِسَ عشَرَ ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنَةِ فى أبَّهةِ المُلكِ . وقد تلَقَّاه أخوه

---

(١) سقط من م . والأوحد هو داود بن إبراهيم بن عمر بن بلال الشافعى وكان ينوب عن كمال الدين . الروضتين ١/ ٦٧٤.

(٢) فى م ، ص : « الصفين » . وفى الروضتين ١/ ٦٩٧: « الصنمتين » . وانظر صبح الأعشى ١٤/ ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٦.

وعند ياقوت : الصنمان : قرية من أعمال دمشق فى أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان . معجم البلدان ٣/ ٤٢٩.

(٣) بعده فى ص : « إلى القاهرة المعزية » .

ونائبُه الملكُ العادِلُ سيفُ الدينِ أبو بكرٍ إلى عندِ بَحْرِ القُلْزُمِ ، ومعه مِنَ الهدَايا والتُّحَفِ شيءٌ كثيرٌ ولا سيّما المآكِلُ المتنوِّعَةُ ، وكان فى صُحْبَةِ السلْطانِ العِمادُ الكاتبُ ، ولم يكُنْ ورَد الديارَ المصرِيَّةَ قبلَ ذلك ، فشرَع يذكُرُ محاسِنَها ، وما اخْتَصَّتْ به مِن بينِ البُلْدانِ ، ووصَف الهرَمَين ، وشبَّهَهما بأنواعٍ مِن التشْبِيهاتِ ، وبالَغ فى ذلك حسَبَ ما ذكر فى « الرَّوْضَتَيْنِ »[1] .

وفى شعبانَ ركِبَ السلطانُ الناصِرُ بنُ أيوبَ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فأسْمَع ولدَيْه الأفضلَ عليًّا ، والعزيزَ عثمانَ على الحافظِ السِّلَفِيِّ ، وتردَّدَ بهما إليه ثلاثةَ أيامٍ ؛ الخميسَ والجُمعةَ والسبتَ رابعَ رمضانَ ، وعزَم السلطانُ على الصيامِ بها ، وقد كمَّلَ عمارةَ السورِ على البلدِ ، وأمَر بتَجْديدِ الأسْطُولِ وإصْلاحِ مراكبِه وسُفُنِه وشَحْنِه بالرجالِ والمقاتِلةِ ، وأمَرهم بغَزْوِ جزائرِ البحرِ ، وأقْطَعَهم الإقْطاعاتِ الجزيلةَ ، وأرْصَد لصالحِ الأسطولِ مِن بيتِ المالِ ما يكْفِيه لجميعِ شُئونِه ، ثم عادَ إلى القاهرةِ فى أثناءِ رمضانَ فأكْمَل صومَه بها .

وفيها أمَر الناصِرُ صلاحُ الدينِ ببناءِ مدرسةٍ للشافعِيَّةِ على قبرِ الإمامِ الشافِعِيِّ ، وجعَل الشيخَ نجْمَ الدينِ الخُبُوشانِيَّ[2] مدَرِّسَها وناظِرَها .

وفيها أمَر ببناءِ المَارَسْتَانِ بالقاهرةِ ، ووقَف عليه أوقافًا كثيرةً . وفيها بنَى الأميرُ مُجاهِدُ الدينِ قايْمازُ نائبُ قلعةِ المَوْصِلِ جامِعًا حسَنًا ورِباطًا ومدرسةً ومَارَسْتانًا

---

(١) الروضتين ١/ ٦٨٥.

(٢) هو محمد بن الموفق بن سعيد بن على بن الحسن بن عبد اللّه الخبوشانى . وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٤. والخُبُوشانى ، بضم الخاء ، وقيده بالفتح ياقوت فى معجم البلدان ٢/ ٤٠٠.

مُتَجاوِراتٍ بظاهرِ مدينةِ المَوْصِلِ، وقد تأخَّرَتْ وفاتُه إلى سنَةِ خمسٍ وتِسْعِينَ وخَمْسِمِائةٍ، وله عدَّةُ مدارِسَ وخَانْقاهاتٍ وجوامِعَ غيرَ ما ذكَرْنا، وكان ديِّنًا خيِّرًا فاضلًا حنفِيَّ المذْهبِ، يذاكِرُ فى الأدَبِ والأشْعارِ والفقهِ، كثيرَ الصيامِ وقيامِ الليلِ - قدَّس اللَّهُ رُوحَه.

وفيها أُخرِج المَجْذُومونَ مِن أهلِ بغَدادَ إلى ناحِيَةٍ منها ليتَميَّزُوا عن أهلِ العافيةِ - نسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ بفضلِه وكرمِه - وذكرَ ابنُ الجَوْزِيِّ فى «المنتظمِ» عنِ امرأةٍ أنها قالتْ[1]: كنتُ أمْشِى فى الطريقِ وكان رجلٌ يُعارِضُنى كلَّما مرَرْتُ به، فقلتُ له: إنَّه لا سبيلَ إلى هذا الذى تَرُومُه منِّى إلَّا بكتابٍ، فتزوَّجَنِى عندَ الحاكمِ، فمكَثْتُ معه مدَّةً ثم اعْتَراه انْتِفاخٌ ببطْنِه فكُنَّا [٩/٢٧٦ظ] نظُنُّ أن به اسْتِسْقاءً فنُداوِيه لذلك، فلمَّا كان بعدَ مدَّةٍ وَلدَ ولدًا كما تلِدُ النِّساءُ، وإذا هو خُنْثَى مُشْكِلٌ، وهذا مِن أغربِ الأشْياءِ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

علىُّ بنُ عَسَاكِرَ بنِ المُرَحَّبِ بنِ العَوَّامِ، أبو الحسَنِ البَطائِحىُّ المُقْرِئُ اللغوِىُّ[2]، سمِع الحديثَ وأسْمَعه، وكان حسنَ المعرفةِ بالنحوِ واللغةِ، وقَف كتُبَه بمسجدِ ابنِ جرْدَةَ[3] ببَغْدادَ، وكانت وفاتُه فى شعبانَ وقد نَيَّفَ على الثمانين رحمهُ اللَّهُ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٣١.

(٢) المنتظم ١٨/ ٢٣٣، ومعجم الأدباء ١٤/ ٦١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٠، وغاية النهاية ١/ ٥٥٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٣٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٧٩.

(٣) فى م: «جرارة». وفى معجم الأدباء ١٤/ ٦٢: أنه وقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلى، وفى ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٣٧: أنه وقفها بمدرسة الحنابلة بباب الأزج.

محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ، أبو الفَضْلِ، قاضى القضاةِ بدِمَشْقَ، كمالُ الدينِ الشَّهْرَزُورِىُّ، المَوْصِلِىُّ[1]، وله بها مدرسةٌ[2] على الشافِعيَّةِ، وأخْرَى بنَصِيبِينَ، وكان فاضلًا دَيِّنًا أمينًا ثقةً ورِعًا، وَلِى القضاءَ بدِمَشْقَ لنورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى، واسْتَوْزَرَه أيضًا فيما حكَاه ابنُ السَّاعى. قال: وكان يبْعَثُه فى الرسائلِ، كتَب مرَّةً على أعلى قصَّةٍ إلى الخليفةِ المُقْتَفِى: محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الرسولُ، فكتَب الخليفةُ تحتَ ذلك: ﷺ. قلتُ: وقد فوَّض إليه نورُ الدينِ نظَرَ الجامعِ ودارِ الضَّرْبِ، وعمَّرَ له المَارَسْتَانَ والمدارسَ، وغيرَ ذلك مِنَ الأمورِ المُهمّاتِ، وكانتْ وفاتُه، رحِمه اللَّهُ تعالى، فى المحرمِ مِن هذه السنةِ بدِمَشْقَ.

الخطِيبُ شمسُ الدينِ ابنُ الوزيرِ أبى المضَاءِ[3]، خطيبُ الديارِ المصريَّةِ، وابنُ وزيرِها، كان أولَ مَن خطَب بديارِ مِصْرَ للخليفةِ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ العباسِىِّ، بأمْرِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ، ثم حَظِىَ عندَه حتى جعَله سَفِيرًا بيْنَه وبينَ المُلوكِ والخلفاءِ، وكان رئيسًا مُطاعًا كريمًا مُمَدَّحًا، يترامَى عليه الشعراءُ والأُدباءُ. ثم جعَل مكانَه فى السفارةِ وأداءِ الرسائلِ ضياءَ الدينِ ابنَ قاضى القضاةِ الشَّهْرَزُورِىَّ المتقدِّمَ بمرْسُومٍ سُلْطانِىٍّ، وكانت وظيفةً مُقَرَّرَةً.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٣٣، وخريدة القصر (قسم الشام) ٢/ ٣٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٧، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١١٧.

(٢) هكذا فى النسخ، ولعل تمام الكلام: وقفها على الشافعية.

(٣) فى م: «الضياء». وانظر ترجمته فى: الروضتين ١/ ٦٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٩، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٨٩.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثلاثٍ وسبعِينَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها أمَر السلطانُ ببناءِ قلْعَةِ الجبَلِ وإحاطَةِ سورٍ على القاهرةِ ومِصْرَ يشمَلُهما جميعًا ، فعُمِّرت قلعةٌ للملكِ لم يكُنْ فى الديارِ المصريةِ مثْلُها ولا على شكْلِها ، ووَلِىَ عِمارَةَ ذلك الأميرُ بهاءُ الدينِ قَراقُوشُ مملوكُ تَقِىِّ الدينِ عمرَ بنِ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ .

وفيها كانتْ وقعةُ الرَّمْلَةِ على المسلمينَ .

وفى جُمادَى الأُولَى منها سارَ السلطانُ الملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ أيوبَ مِن مصرَ قاصِدًا غَزْوَ الفِرنجِ ، فانْتَهَى إلى [٢٧٧/٩و] بلادِ الرَّمْلَةِ ، فسبَى وسلَب وغنِم وقسَر وكسَر وكسَب ، ثم تشاغَل جيشُه بالغنائمِ ، وتفرَّقُوا فى القُرَى والمحالِّ تفرُّقَ الهائمِ ، وبَقِى السلطانُ فى طائفةٍ مِن الجيش مُنْفَرِدًا ، فهجَمَتْ عليه الفِرنجُ فى جَحْفَلٍ مِنَ المقاتِلةِ ، فما سَلِم السلطانُ إلّا بعدَ جَهْدٍ جهيدٍ ، وللَّهِ الحمدُ ، ثم تراجَعَ الجيشُ بعدَ تفرُّقِهم ، واجْتمَعُوا عليه بعدَ أيامٍ ، ووقعَتِ الأراجِيفُ فى الناسِ بسبَبِ ذلك ، وما صدَّقَ أهلُ الديارِ المصريَّةِ برؤيتِه بعدَ ما بلَغهم مِن الإرْجافِ والإرهابِ ، وصارَ الأمرُ كما قيل[2] :

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٣٥، والكامل ١١/ ٤٤٢.

(٢) فى ص : « قال الشاعر » . وهو مثل يضرب للرجل يشقى فى طلب الحاجة حتى يرضى بالخلوص سالمًا . جمهرة الأمثال ١/ ٤٨٤.

وهو شطر بيت لامرئ القيس وصدره :

وقد طوفت فى الآفاق حتى .....

ديوان امرئ القيس ص ٩٩.

* رَضِيتُ مِن الغنيمةِ بالإيابِ *

ومع هذا دقَّتِ البشائرُ فى البلْدانِ فرحًا بسلامةِ السلْطانِ ، ولم تَجْرِ مثلُ هذه الوقعةِ إلَّا بعدَ عَشْرِ سنِينَ ، وذلك يومَ حِطِّينَ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ، وقد ثبَتَ السلْطانُ فى هذه الوقْعةِ ثَباتًا عظِيمًا ، وأُسِرَ للملكِ المظفَّرِ تَقِيِّ الدينِ عمرَ بنِ أخى السلْطانِ وَلَدُه شَاهِنْشَاه ، فبَقِىَ عندَهم سَبْعَ سنِينَ ، وقُتِلَ ابنُه الآخرُ ، وكان شابًّا قد طَرَّ شارِبُه ، فحزِنَ على المقْتُولِ والمفْقُودِ ، وصَبَر تأسِّيًا بأيُّوبَ ، وناحَ كما ناحَ داودُ ، وأُسِر الفَقِيهانِ الأخَوانِ ، ضِياءُ الدينِ عِيسى[1] ، وظهيْرُ الدينِ ، فافْتدَاهما السلطانُ بعدَ سنين[2] بسبعين[3] ألفَ دينارٍ .

وفيها تخبَّطَتِ الدولةُ بحَلبَ ، وقبَضَ السلْطانُ الملكُ الصالِحُ إسْماعيلُ بنُ نُورِ الدينِ على الخادمِ كُمُشْتِكِينَ ، وألْزَمه بتَسْليمِ قلعةِ حارِمٍ ، وكانتْ له ، فأَبَى مِن ذلك ، فعلَّقَه منْكُوسًا ، ودخَّنَ تحتَ أنْفِه حتى ماتَ مِن ساعَتِه . وقصَدتِ الفِرِنجُ حارِمًا فامتَنَعت عليهم ، ثم سُلِّمت إلى الملكِ الصالحِ .

وفيها جاءَ ملكٌ كبيرٌ مِن ملُوكِ الفِرِنجِ يَرُومُ أخْذَ الشَّامِ لغَيْبَةِ السلْطانِ واشْتِغالِ نُوَّابِه بلذَّاتِهم .

قالَ العمادُ الكاتبُ[4] : ومِن شَرْطِ هُدْنَةِ الفِرِنجِ أنَّه متى جاء مَلِكٌ كبيرٌ مِن ملُوكِهم لا يمكِنُهم دفْعُه فإنّهم يقاتِلُونَ معه ويُؤازِرُونَه وينْصُرونه ، فإذا انْصرَفَ

---

(١) انظر ص ٦١١ .

(٢) فى م : « سنتين » .

(٣) فى م : « بتسعين » . وانظر الروضتين ١/ ٧٠١.

(٤) المصدر السابق ١/ ٧٠٦.

عنهم عادَتِ الهُدْنَةُ كما كانتْ ؛ فقصَدَ هذا الملكُ وجملةُ الفِرنجِ معه مدينةَ حَمَاةَ ، وصاحِبُها شِهابُ الدينِ محمودٌ خالُ السلْطانِ مريضٌ ، ونائبُ دِمَشْقَ ومَن معه مِن الأمراءِ مشْغولُونَ بلذَّاتِهم ، فكادُوا يأخُذُونَ البلَدَ ، ولكِن هزَمَهمُ اللَّهُ بعدَ أرْبَعةِ أيامٍ ، فانْصَرَفُوا إلى حارِمٍ فلم يتمَكَّنُوا مِن أخْذِها ، وكشَفَهم عنها الملكُ الصالِحُ صاحِبُ حلَبَ ، وقد دفَع إليهم مِنَ الأمْوالِ والأُسارَى ما طلَبُوه . وتُوفِّى صاحِبُ حمَاةَ الأميرُ شِهابُ الدينِ محمودُ بنُ تِكِشَ ، خالُ السلْطانِ الناصرِ ، وتُوفِّى قبلَه ولدُه بثلاثَةِ أيامٍ ، رحِمهما اللَّهُ .

ولمَّا سمِعَ الملكُ الناصِرُ بنزُولِ الفِرنجِ على حارِمٍ خرَج مِن مصْرَ [٩/٢٧٧ظ] قاصدًا بـلادَ الشـامِ ؛ لغزوِ الفِرنجِ - لعنَهم اللَّهُ تعالى - فكان دخولُه إلى دِمَشْقَ فى (١) الرابعِ والعشرين مِن (١) شوَّالٍ ، وصُحْبَتُه العِمادُ الكاتبُ ، وتأخَّرَ القاضِى الفاضِلُ بمِصْرَ ناويًا أداءَ الحَجِّ فى هذا العامِ ، تقبَّل اللَّهُ منه .

وفيها جاءَ كتابُ القاضِى الفاضِلِ إلى الناصِرِ يهنِّئُه بوجودِ موْلُودٍ له ، وهو أبو سُلَيمانَ داودُ ، وبه كمَل له اثْنَا عشَرَ ذكَرًا ، وقد وُلِد له بعدَه عدَّةُ أوْلادٍ ذكُورٍ أيضًا ، فإنَّه تُوفِّى عن سَبْعَةَ عشَرَ ذكرًا وابنةٍ صغيرةٍ اسْمُها مُؤنِسةُ ، التى تزوَّجَها ابنُ عمِّها الملكُ الكامِلُ محمدُ بنُ العادِلِ ، كما سيَأْتى بيانُ ذلكَ فى موْضعِه ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالَى .

وفى هذه السنةِ جرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ بينَ اليهودِ والعامَّةِ ببَغْدادَ ، وكانت بسبَبِ أنَّ مؤذِّنًا عندَ كنيسَةِ اليهودِ نال منه بعضُ اليهودِ بكلامٍ ، فشَتَمه المسلمُ ، فاقْتَتلَا ،

(١ - ١) فى م : « رابع عشر » . وانظر الروضتين ١/ ٧٠٧.

فجاءَ المؤذِّنُ يشْتَكِى منه إلى الديوانِ ، وتفاقَم الحالُ ، وكثُرتِ العوامُّ ، وأكْثَرُوا الضَّجيجَ ، ولمَّا كان يومُ الجُمُعةِ منَعَتِ العامَّةُ إقامةَ الخُطبةِ فى بعضِ الجوامعِ ، وخرَجُوا مِن فوْرِهم ، فنهَبُوا سُوقَ العَطَّارِينَ الذى فيه اليهودُ ، وذهَبُوا إلى كنيسةِ اليهودِ فنهَبُوها ، ولم يتمَكَّنِ الشُّرَطُ مِن رَدِّهم ، فأمَر الخليفةُ بصَلْبِ بعضِ العامَّةِ ، فأُخْرِجَ فى الليلِ جماعةٌ مِن الشُّطَّارِ الذين كانوا فى الحبُوسِ وقد وجَبَ عليهمُ القتلُ فصُلِبُوا ، فظَنَّ كثيرٌ مِن الناسِ أنَّ هذا كان بسبَبِ هذه الكائنةِ . فسكَنت الفتنةُ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها خرَجَ وزيرُ الخليفةِ عضُدُ الدولةِ ابنُ رئيسِ الرُّؤساءِ ابنِ المُسلمةِ قاصدًا الحَجَّ ، وخرَجَ الناسُ فى خدْمَتِه ليوَدِّعُوه ، فتقدَّمَ إليه ثلاثةٌ مِن الباطِنِيَّةِ فى صورةِ فقراءَ ومَعهم قِصَصٌ ، فتقدَّم أحدُهم ليُناوِلَه القصةَ فضرَبه بالسكينِ ضرَباتٍ ، وهجَم الثانى ، وكذا الثالثُ فهَبَرُوه وجرَحُوا جماعةً حولَه ، وقُتِل الثلاثةُ مِن فوْرِهم وحُرِّقوا ، ورجَعَ الوزيرُ إلى منْزِلِه محمولًا فمات فى يومِه ، وهذا الوزيرُ هو الذى قتَل ولَدَيِ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ وأعدمَهما ، فسلَّطَ اللَّهُ عليه مَن قتَله ، وكما تَدِينُ تُدَانُ ، جزاءً وِفاقًا . ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] .

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

صَدَقَةُ بنُ الحُسَيْنِ ، أبو الفَرَجِ بنُ[1] الحدَّادِ ، قرَأ القرآنَ ، وسمِعَ الحديثَ ، وتفَقَّهَ وأفْتَى ، وقالَ الشعرَ ونظَر فى الكلامِ وناظَر ، وله تاريخٌ ذَيَّل فيه على شيْخِه ابنِ الزَّاغُونِىِّ ، وفيه غرائبُ وعجائبُ .

---

(١) سقط من النسخ ، والمنتظم ١٨/ ٢٤٣. والمثبت من مصادر ترجمته التالية : سير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١١٩، والوافى بالوفيات ١٦/ ٢٩٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٣٩.

وقالَ ابنُ السَّاعِى : كان شيْخًا عالمًا فاضلًا وكان فقيرًا يأكُلُ مِن أُجْرَةِ النَّسْخِ ، وكان يأْوِى إلى مسجدٍ ببَغْدادَ عندَ البَدْرِيَّةِ يَؤُمُّ فيه ، وكان يتعتَّبُ[٩/٢٧٨و] على الزمانِ وبَنيه .

ورأيْتُ ابنَ الجَوْزِىِّ فى « المنتظَمِ »[1] يذُمُّه ويرْمِيه بالعَظائمِ ، وأوْرَدَ له من أشعارِه ما فيه مُشابهَةٌ لابنِ الرّاوَنْدِىِّ فى الزنْدَقَةِ ، فاللَّهُ أعلمُ . وكانت وفاتُه فى ربيعِ الآخرِ مِن هذه السنَةِ عن خمسٍ وسَبعِينَ سنةً ، ودُفِنَ ببابِ حربٍ ، ورُوِيَتْ له مناماتٌ غيرُ صالحةٍ ، نسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ فى الدنْيا والآخرةِ .

[2]**محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، أبو المظفَّرِ الحنَفىُّ** ، المعروفُ بالمشَطَّبِ ، كان مِن الفُضلاءِ المشاهيرِ ، تفقَّه ، ودرَّسَ ، وأفتَى ، وناظَر . تُوفِّى فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانينَ[2] .

محمدُ بنُ أسْعَدَ بنِ محمدٍ ، أبو منْصُورٍ العَطَّارُ[3] ، المعرْوفُ بحَفَدةَ ، سمِعَ الكثيرَ وتفَقَّهَ وناظَرَ وأفْتَى ودرَّس ، وقدِمَ بَغْدادَ فماتَ بها فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمودُ بنُ تِكِشَ[4] ، **شِهَابُ الدينِ الحارِمىُّ** ، خالُ السلطانِ صلاحِ

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٨/ ٢٤٦، والكامل ١١/ ٤٤٩، والجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٢٧، والوافى بالوفيات ٢/ ١٠٦.

(٣) المنتظم ١٨/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٨٦، ١٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٩٢.

(٤) فى م : « تتش » . وانظر ترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠) ص ١٣٠، والروضتين ١/ ٧٠٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٤٣، وكتاب السلوك ١/١/ ٦٦.

الدينِ ، مِن خيارِ الأمراءِ وشُجْعانِهم ، وقد أقْطَعه ابنُ أخْتِه حَمَاةَ حينَ فتَحها ، وقد حاصَره الفِرنجُ بها فى هذه السنةِ وهو مريضٌ ، ففتَحوها وقتَلُوا بعضَ أهْلِها ، فردُّوهم خائِبينَ ، وللَّهِ الحمدُ .

فاطِمَةُ بنتُ (١**نَصْرِ بنِ العَطَّارِ**١) ، كانتِ مِن ساداتِ النساءِ ، وهى مِن سُلالةِ أختِ صاحبِ المخْزَنِ ، وكانت مِنَ العابِداتِ المتورِّعاتِ المُخَدَّراتِ ، يقالُ : إنَّها لم تخرُجْ مِن منزلِها سِوَى ثلاثِ مرَّاتٍ ، وقد أثْنَى عليها الخليفةُ وغيرُه ، واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) فى م : « نصر العطار » . وانظر ترجمتها فى : المنتظم ١٨/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٢٦.

ثم دخَلَتْ سنَةُ أربعٍ وسَبْعِينَ وخمسِمائةٍ[1]

فيها ورَد كتابٌ مِن القاضى الفاضلِ مِن مِصْرَ إلى السلطانِ وهو بالشامِ يُهَنِّئُه بسلامةِ أولادِه المُلوكِ الاثْنَىْ عشَرَ، يقولُ فى بعضِه[2] : وهم بحمدِ اللَّهِ بهْجَةُ الدنيا وزينتُها، ورَيْحانةُ الحياةِ وزَهْرتُها، وإنَّ فُؤادًا وسِعَ فِراقَهم لواسِعٌ، وإنَّ قلبًا قنَعَ بأخْبارِهم لقانِعٌ، وإنَّ طرْفًا نامَ عنِ البُعْدِ عنهم لهاجِعٌ، وإنَّ مَلِكًا مَلكَ تصبُّرَه عنهم لحازِمٌ، وإنَّ نِعمةَ اللَّهِ بهِم لنعمةٌ بها العيشُ ناعِمٌ، أمَا يشتاقُ جِيدُ المَوْلَى أنْ يتطوَّقَ بدُرَرِهم؟ أمَا تَظمأُ عينُه أنْ تَتروَّى بنظَرِهم؛ أمَا يحِنُّ قلبُه إلى قلبِه؟ أمَا يلتقِطُ هذا الطائرُ بتقْبيلِهم مَن خرَج مِن حبِّه؟ وللمَوْلَى أبْقاهُ اللَّهُ أنْ يقولَ :

وما مِثلُ هذا الشوْقِ تَحْمِلُ مُضغةٌ ... ولكنَّ قلْبِى فى الهوَى يتقَلَّبُ

وفيها أسقَطَ السلطانُ صلاحُ الدينِ المُكوسَ والضرائبَ عنِ الحُجّاجِ بمَكَّةَ، وقد كان يؤخَذُ مِن حُجَّاجِ الغربِ شىءٌ كثيرٌ، ومَنْ عجَزَ عن أدائِه حُبِسَ فرُبَّما فاتَه الوقوفُ [٢٧٨/٩ظ] بعرَفَةَ، وعَوَّضَ أميرَها بمالٍ يُقْطَعُه بديارِ مصرَ، وأنْ يُحْمَلَ إليه فى كلِّ سنَةٍ ثمانيةُ آلافِ إرْدَبٍّ غلَّةً إلى مَكَّةَ؛ ليكونَ عوْنًا له ولأتْباعِه، ورِفْقًا بما تيسَّر على المجاورينَ مِن ابتياعِه، وقرَّر للمُجاوِرينَ أيضًا غلَّاتٍ تحمَلُ إليهم وصلاتٍ، فرحمةُ اللَّهِ عليه فى سائرِ الأوقاتِ.

---

(١) المنتظم ١٨/ ٢٤٨، والكامل ١١/ ٤٥٠.

(٢) الروضتين ٢/ ٣.

وفيها عصَى الأميرُ شمسُ الدينِ ابنُ مقدَّمٍ ببَعْلَبَكَّ ، ولم يجِئْ إلى خدمةِ السلطانِ وهو نازِلٌ على ظاهرِ حِمْصَ ؛ وذلك أنَّه بلَغَه أنَّ أخا السلطانِ تُورانْشاه طلَبَ بَعْلَبَكَّ مِن السلطانِ فأطلقَها له ، فامتَنَع ابنُ المقدَّمِ مِن الخروجِ منها حتى جاءَ السلطانُ بنفسِه ، فحصَره فيها مِن غيرِ قتالٍ ، حتى جاءتِ الأمطارُ والبَرَدُ ، فَعاد إلى دِمشقَ فى رجَبٍ ، ووكَّل بالبلدِ مَن يحصُرُه مِن غيرِ قتالٍ ، ثم عوَّضَ ابنَ المقدَّمِ عنها بتَعْويضٍ كثيرٍ خَيْرٍ ممَّا كان بيَدِه ، فخرَجَ منها وتسلَّمها تُورانْشاه .

قال ابنُ الأثيرِ[1] : وكان فى هذه السنَةِ غلاءٌ شديدٌ بسبَبِ قلَّةِ المطَرِ ، عمَّ العراقَ والشامَ ودِيارَ مِصْرَ ، واستَمرَّ إلى سنَةِ خَمْسٍ وسَبْعِينَ ، فجاءَ المطَرُ ورخُصتِ الأسعارُ ، ولكن تعقَّبَ ذلك وباءٌ شديدٌ ، وعمَّ البلادَ مرضٌ واحدٌ ، وهو السِّرْسَامُ[2] ، فما ارتفَعَ إلَّا فى سَنةِ ستٍّ وسبعينَ ، فماتَ بسبَبِ ذلك خلقٌ كثيرٌ ، وأُمَمٌ لا يعلَمُ عددَهم إلَّا الذى خلَقهم .

وفى رمضانَ منها وصَلَتْ خِلَعُ الخليفةِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ وهو بدِمَشْقَ ، وكانت سنيَّةً عظيمَةً جدًّا ، وزِيدَ فى ألقابِه ، مُعِزُّ أميرِ المؤمنينَ ، وخُلِعَ أيضًا على أخيه تُورانْشَاه ولُقِّبَ بمصْطَفَى أميرِ المؤمنينَ .

وفيها جهَّز الملكُ صلاحُ الدينِ ابنَ أخيه فَرُّخْشاه بنَ شَاهِنْشَاه بنِ أيوبَ بينَ يدَيْه لقتالِ الفِرنجِ الذين قد عزَموا على قِتالِ المسلمينَ ، وعاثُوا فى نواحِى دمَشْقَ وقُراها ، فنَهبُوا مما حولَها وأرجاءَها ، وأمرَه أنْ يُدارِيَهم حتى يتوسَّطُوا البلادَ ، ولا يقاتِلَهم حتى يقْدَمَ عليه ، فلمَّا التقَوْا عاجَلُوه بالقتالِ ، فكسَرهم وقتَل مِن ملُوكِهم

---

(١) الكامل ١١/ ٤٥١.

(٢) فى الأصل : « البرسام » . والسرسام : ورم فى حجاب الدماغ تحدث عنه حمى دائمة ، وتتبعها أعراض رديئة كالسهر واختلاط الذهن . الوسيط (س ر س م) .

صاحِبَ الناصرةِ الهنفرى ، وكان مِن أكابرِ ملُوكِهم وشُجْعانِهم ، لا يُنَهْنِهُهُ اللقاءُ ، فكبَتَه اللَّهُ فى هذه الغزْوَةِ ، ثم ركِبَ السلطانُ صلاحُ الدينِ فى إثْرِ ابنِ أخيه فما وصَلَ إلى الكِسوةِ حتى تلَقَّتْه الرُّءُوسُ على الرِّماحِ ، والغنائمُ والأُسارَى ، (١) والجيشُ فى سُمْرِه وبيضِه مِن البنادِقِ (٢) والصِّفاحِ (١) .

وفيها بنَتِ الفِرنجُ ، لعنَهم اللَّهُ ، قلعةً عندَ بيتِ الأحْزانِ للداويَّةِ ، فجعَلُوها مرْصَدًا لحرْبِ المسلمينَ ، وقطْعِ طرقاتِهم عليهم ، ونقَضَتْ ملُوكُهم العهودَ [٢٧٩/٩و] التى كانت بيْنَهم وبينَ صلاحِ الدينِ ،وأغارُوا على نواحِى البلدانِ مِن كلِّ جانبٍ ؛ ليشْغَلُوا المسلمينَ عنهم ، وتفرَّقَتْ جيوشُهم فلا تجتَمِعُ فى بُقْعَةٍ واحدةٍ ، فرتَّبَ السلطانُ ابنَ أخيه تقىَّ الدينِ عمرَ بثَغْرِ حماةَ ومعه شمسُ الدينِ ابنُ مقدَّمٍ وسيفُ الدينِ علىُّ بنُ أحمدَ المشطوبُ ، وبثَغْرِ حِمْصَ ابنَ عمِّه ناصِرَ الدينِ بنَ أسَدِ الدينِ شيركُوه ، وبعَث إلى أخيه سيفِ الدينِ أبى بكرٍ العادِلِ نائبِه بمِصْرَ أنْ يبعَثَ إليه ألفًا وخَمْسَمائةِ فارسٍ يستعينُ بهم على قتالِ الفِرنجِ ، وكتَبَ إلى الفِرنجِ يأمُرُهم بتَخْرِيبِ هذا الحِصْنِ الذى بَنوه للداويَّةِ ، فامْتَنَعُوا إلَّا أنْ يبذُلَ لهم ما غرِمُوه عليه ، فبذَلَ لهم ستِّينَ ألفَ دينارٍ فلم يقبلُوا ، فوصَلهم إلى مائةِ ألفِ دينارٍ فأبَوْا ، فقالَ له ابنُ أخيه تَقِىُّ الدينِ عمرُ : ابذُلْ هذه فى جنودِ المسلمينَ ، وسِرْ إلى هذا الحِصْنِ فخرِّبه . فأخَذ بقوْلِه فى ذلك وخرَّبَه فى السنَةِ الآتيةِ ، كما سنذْكُرُه إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وفيها أمَرَ الخليفةُ المُسْتَضِىءُ بكتابةِ لَوْحٍ على قبْرِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، فيه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « المـــارق » .

آيةُ الكُرْسِيِّ ، وبعدَها : هذا قبرُ تاجِ السُّنَّةِ ، وحيدِ الأمَّةِ ، العالِى الهِمَّةِ ، العالِمِ العابدِ الفقيهِ الزاهدِ . وذِكرُ تاريخِ وفاتِه ، رَحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها احْتِيطَ ببغْدادَ على شاعرٍ يُنشِدُ للرَّوافِضِ ، يقالُ له : ابنُ قرايا . يقفُ فى الأسواقِ ويذكُرُ أشعارًا يُضَمِّنُها ذمَّ الصحابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، وسَبَّهم ، وتجويرَهم ، وتهْجينَ مَن أحبَّهم ، فعُقِدَ له مجلسٌ بأمْرِ الخليفةِ ، واسْتُنْطِقَ فإذا هو رافِضِىٌّ جَلْدٌ داهيةٌ ، فأفْتَى الفقهاءُ بقطْعِ لسانِه ويَدَيْه ، ففُعِلَ به ذلك ، ثم اخْتَطَفَتْه العامَّةُ فما زالُوا يرمُونَه بالآجُرِّ حتى ألْقَى نفْسَه فى دِجْلَةَ ، فاسْتَخْرَجُوه منها وقتَلوه حتى ماتَ ، فأخَذُوا شريطًا ورَبطُوه فى رِجْليه وطوَّفوا به فى البلدِ يُجَرْجِرونه فى أكنافِها ، ثم ألْقَوه فى بعضِ الأتُوناتِ مع الآجُرِّ والكِلْسِ[1] ، وعجَز الشُّرَطُ عن تخْليصِه منهم .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أسعدُ بنُ بلدركَ ، أبو أحمدَ الجِبْرِيلِىُّ[2] ، سمِعَ الحديثَ ، وكان شيْخًا ظريفًا ، حسَنَ المُذاكرةِ ، جيِّدَ النادِرَةِ ، سريعَ المبادَرةِ ، توفِّى فى هذه السنةِ عن مائةِ سنَةٍ وأرْبَعِ سِنينَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ نَسيمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الخيَّاطُ[3] ، عتيقُ الرئيسِ أبى الفَضلِ بنِ عَيْشُونَ ، سمِعَ الحديثَ وقارَب الثمانين ، سقَط مِن درجةٍ فماتَ .

---

(١) الكلس : ما طُلِى به حائط ، أو باطن قصر ، شِبْهُ الجِصِّ من غير آجُرٍّ . اللسان (ك ل س) .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٣٩، والعبر ٤/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٤/ ٢٤٦.
(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٥٦، والعبر ٤/ ٢٢١، والوافى بالوفيات ٥/ ١١٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٨٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٤٩.

قال : أنْشَدنى مولَى والدِي ، يعْنِى ابنَ أعلى[1] الحكيمَ أبا الفضلِ بنَ عَيْشُونَ :

[٩/ ٢٧٩ظ] القارئُ التشريحَ أجْدَرُ بالتُّقَى ... مِن راهبٍ فى دَيْرِه مُتَقَوِّسِ
ومراقِبُ الأفْلاكِ كانتْ نفْسُه ... بعبادَةِ الرحمنِ أحْرَى الأنفُسِ
والماسِحُ الأرَضِينَ وَهْى فسِيحَةٌ ... أوْلَى بمَسْحٍ فى أكُفِّ اللُّمَّسِ
أوْلَى بخشيةِ ربِّه مِن جاهلٍ ... بمثَلَّثٍ ومربَّعٍ ومُخَمَّسِ

الحَيْصَ بَيْصَ ، سعدُ بنُ محمدِ بنِ سعدٍ ، شِهابُ الدينِ أبو الفَوارِسِ الصيفىُّ[2] ، الشاعرُ ، له ديوانُ شعرٍ مشهورٌ ، وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ خامسِ شعبانَ مِن هذه السنَةِ ، وله ثِنْتانِ وثمانونَ سنةً ، وصُلِّى عليه بالنِّظامِيَّةِ ، ودُفِنَ ببابِ التِّبنِ ، ولم يُعْقِبْ ،ولم يكُنْ له فى المُراسَلاتِ بدِيلٌ ، كان يتقَعَّرُ فيها ويتفاصَحُ جدًّا ، فلا تُواتِيه إلَّا وهى مُعَجْرَفَةٌ ، وكان يزعُمُ أنَّه مِن بنى تميمٍ ، فسُئِلَ أبوه عن ذلكَ فقال : ما سمِعْتُه إلَّا منه . فقالَ بعضُ الشعراءِ يهْجُوه فيما ادَّعاه مِن ذلك[3] :

كم تُبادِى وكم تُطوِّلُ طُرْطُو ... رَكَ ما فِيكَ شَعْرَةٌ مِن تميمِ
فكُلِ الضَّبَّ وابْلَعِ[4] الحَنْظَلَ اليا ... بِسَ واشْرَبْ إنْ شئتَ بَوْلَ الظَّليمِ
ليس ذا وَجْهَ مَنْ يُضيفُ ولا يَقْـ ... ـرِى ولا يدْفَعُ الأذَى عنْ حرِيمِ

---

(١) فى م : « علام » .

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٢٠٢، والمنتظم ١٨/ ٢٥٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٤١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٩١.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٤، وقد ذكر العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام) ٢/ ٢٩٩، ٣٠٠، أن هذه الأبيات للرئيس على بن الأعرابى الموصلى .

(٤) فى م ، ووفيات الأعيان : « اقرط » . والمثبت موافق لما فى الخريدة . واقرط : اقطع .

ومِن شعرِ الحَيْصَ بَيْصَ الجيِّدِ[1] :

سلامةُ المرءِ ساعةً عجَبُ ... وكلُّ شيءٍ لحَتْفِه سبَبُ
يفِرُّ والحادِثاتُ تطْلُبُهُ ... يفِرُّ منها ونحْوَها الهرَبُ
فكيف يبْقَى على تقلُّبِهِ ... مسلَّمًا مَن حياتُه[2] العطَبُ

ومن شعرِه أيضًا[3] :

لا تلْبَسِ الدهْرَ على غِرَّةٍ ... فما لموْتِ الحيِّ مِن بُدِّ
ولا يُخادِعْكَ طويلُ البَقَا ... فتحْسَبُ الطولَ مِنَ الخُلْدِ
يقرُبُ[4] ما كانَ له آخِرٌ ... ما أقربَ المهْدَ مِن اللحدِ

ويقرُبُ مِن هذا ما ذكَره صاحبُ « العِقْدِ » ، وهو أبو عمرَ ، أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ عَبْدِ رَبِّه الأنْدَلُسِيُّ فى « عِقْدِه »[5] :

ألَا إنَّما الدنْيَا غضارَةُ أيْكَةٍ ... إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جفَّ جانبُ
وما الدهْرُ والآمالُ إلَّا فجائعٌ ... عليها وما اللَّذَّاتُ إلَّا مصائبُ
فلا تكْتَحِلْ عَيْناكَ منها بعَبْرَةٍ ... على ذاهبٍ منها فإنَّكَ ذاهِبُ

[٩/٢٨٠و] وقد ذكَرَ أبو سَعْدٍ السَّمْعانيُّ حَيْصَ بَيْصَ هذا فى « ذيْلِه » ، وأثْنَى عليه ، و سمِعَ عليه دِيوانَه ورسائلَه ، وأثْنَى على رسائلِه القاضى ابنُ خَلِّكانَ ، وقال[6] : كان فيه تِيهٌ وتعاظُمٌ ، ولا يتكلَّمُ إلَّا مُعْرِبًا ، وكان فقيهًا شافعيًّ

---

(١) ديوان الحيص بيص ٢/ ٣٤١.
(٢) فى الديوان : « بقاؤه » .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٤٦.
(٤) فى الديوان : « ينفد » .
(٥) العقد الفريد ٣/ ١٧٥.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣.

المذهبِ ، واشْتغلَ بالخِلافِ وعلْمِ النظَرِ ، ثم تشاغلَ عن ذلك كلِّه بالشعرِ ، وكان مِن أخْبَرِ الناسِ بأشعارِ العربِ ، واخْتِلافِ لغاتِهم . قال[1] : وإنَّما قيلَ له : الحَيْصَ بَيْصَ . لأنَّه رأَى الناسَ فى حرَكَةٍ واخْتِلاطٍ ، فقال : ما للناسِ فى حَيْصَ بَيْصَ . أىْ فى شدَّةٍ وهَرجٍ ، فغلَبت عليه هذه الكلِمةُ . وكان يزعُمُ أنَّه مِن ولدِ أكْثَمَ بنِ صَيْفىٍّ طبيبِ العرَبِ ، ولم يترُكْ عَقِبًا . كانتْ له حَوالةٌ بالحِلَّةِ ، فذهَبَ يتَقاضَاها ، فتُوفِّى ببَغْدادَ فى هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٥.

ثم دخَلَت سنَةُ خمسٍ وسَبْعِينَ وخَمْسِمائةٍ

وفيها كانتْ وقْعةُ مرجِ عُيونٍ[1] .

اسْتَهلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ صلاحُ الدينِ نازِلٌ بجيشِه على تلِّ القاضِى بيَانْياسَ ، ثم قصَدَه الفِرنجُ بجَمْعِهم ، فنهَضَ إليهم نهوضَ الأسدِ ، فما هو إلَّا أن تواجَه الفريقانِ واصْطَدَمَ الجُندانِ ، حتى أنزَلَ اللَّهُ نصْرَه وأعزَّ جندَه وهزَم الأعداءَ وحدَه ، ففرَّت ألوِيَةُ الصُّلْبانِ ذاهبةً ، وخَيْلُ اللَّهِ لِرقابِهم راكِبَةٌ ، فقُتِلَ منهم خَلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، وأُسِرَ مِن ملُوكِهم جماعةٌ ، وأنابُوا إلى السمعِ والطاعَةِ ، منهم مُقدَّمُ الداوِيَّةِ ، ومُقدَّمُ الإسبتاريَّة[2] وصاحبُ الرَّمْلةِ وصاحِبُ طَبَرِيَّةَ وقسْطلانُ يافا وآخرونَ مِن ملُوكِهم ، وخلقٌ مِن شُجْعانِهم وأبْطالِهم ، ومِن فُرْسانِ القُدْسِ جماعةٌ كثيرون قريبًا مِن ثَلاثِمائةِ أسيرٍ مِن أشرافِ النَّصارَى ، فصارُوا يتهادونَ[3] فى قيودِهم كأنَّهم سُكارَى وما هم بسُكارَى .

قال العمادُ الكاتبُ[4] : فاسْتَعْرَضهمُ السلطانُ فى الليلِ حتى أضاءَ الفجرُ على الظلماءِ ، وصلَّى يومَئذٍ الصبحَ بوُضوءِ العِشاءِ ، وكان السلطانُ جالسًا ليْلَتَئذٍ فى

---

(١) الكامل ١١/ ٤٥٥، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧٠ - ٥٨٠هـ) ص ٣١، ومرج العيون : موضع بسواحل الشام . معجم البلدان ٤/ ٤٨٨.

(٢) فى م : « الابسياتارية » .

(٣) فى م : « يهانون » . يقال تهادى فلان بين رجلين : اعتمد عليهما من ضعف ، وتهادت المرأة : تمايلت فى مشيتها .

(٤) الروضتين ٢/ ٨، بنحوه .

نحوِ العِشْرِينَ وهم فى هذه العُدَّةِ ، فسلَّمه اللَّهُ تعالى منهم ، ثم أرْسَلَهم إلى دِمَشْقَ ؛ ليُعتقَلوا بقَلْعَتِها وليكونوا فى كنَفِ دولتِها ، فافْتدَى ابنُ البارزانىِّ صاحِبُ الرَّمْلَةِ نفسَه بعدَ سنةٍ بمائةِ ألفٍ وخمسينَ ألفَ دِينارٍ صُورِيَّةٍ وإطْلاقِ ألفِ أسيرٍ من بلادِه ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، وكذا افتدَى جماعةٌ منهم أنفُسَهم بأموالٍ جزيلةٍ وتُحَفٍ جليلةٍ ، [٩/ ٢٨٠ظ] ومنهم مَن ماتَ فى السِّجنِ ، فانتَقَل منه إلى سِجِّيْنٍ ، وهكذا يفعَلُ اللَّهُ بالكافرين . واتفَقَ أنَّه فى اليومِ الذى ظَفِرَ فيه السلطانُ على الفِرنجِ بمَرْجِ عُيونٍ ، ظهَرَ أسطولُ المسلمينَ على بَطْسَةٍ[1] للفِرنجِ فى البحرِ وأخْرَى معها فغَنِمُوا منها ألفَ رأسٍ مِنَ السَّبْيِ ، وعادَ إلى السَّاحلِ مُؤيَّدًا منصورًا ، وقد امتدح الشُّعراءُ السُّلطانَ فى هذه الغزوةِ بمدائحَ كثيرةٍ ، وكتَب بذلكَ إلى بَغْدادَ فدقَّتِ البشائرُ بها فرَحًا وسُرورًا بظهورِ المسلمينَ على أعداءِ اللَّهِ الملحِدينَ .

وكان الملكُ المظفَّرُ تقىُّ الدينِ عمرُ غائبًا عن هذه الوقعةِ مُشْتَغِلًا بما هو أعجَبُ منها ، وذلك أنَّ ملكَ الرومِ [2]قِلج أَرسَلان[2] بعَثَ يطلُبُ حِصْنَ رَعْبانَ[3] ، وزعَمَ أنَّ نورَ الدينِ اغْتَصَبه منه ، وأنَّ ولَدَه قد أغضَى له عنه ، فلم يُجِبْه السلْطانُ تقىُّ الدينِ عمرُ إلى ذلك ، فبعَث صاحبُ الرومِ عشرينَ ألفَ مُقاتلٍ يُحاصِرُونَه ، فأرسَلَ السلْطانُ تَقِىَّ الدينِ عمرَ فى ثَمانِمائَةِ فارسٍ ، منهم

---

(١) فى الأصل : « بطر » . والبَطْسَة : سفينة حربية كانت تتسع لعدد كبير من الجند ، وذكر البستانى فى « محيط المحيط » أنها مأخوذة عن الإسبانية ، وهى مركب للحرب أو التجارة . محيط المحيط (ب ط س) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « قرارسلان » ، وفى م : « فرارسلان » ، وفى ص : « وأرسلان » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٣٢، وفى النوادر السلطانية ص ٥٦: « قليج » . والمثبت من الكامل ١١/ ٤٥٨، والروضتين ٢/ ٩.

(٣) فى الأصل ، ص : « رعيان » ، وفى م : « رعنان » . والمثبت من الكامل ١١/ ٤٥٨، والروضتين ٢/ ٩. ورعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات . معجم البلدان ٢/ ٧٩١.

سيفُ الدينِ عليُّ بنُ أحمدَ المشْطوبُ ، فالتقَوا بهم فهزَمُوهم بإذنِ اللَّهِ ، واستقرَّتْ يَدُ الملكِ صلاحِ الدينِ على حِصْنِ رَعْبَانَ[1] ، وقد كان ممَّا عوَّضَ به ابنَ مقدَّمٍ عن بَعْلَبَكَّ ، وكان تَقِيُّ الدينِ عمرُ يفتَخِرُ بهذه الوقعةِ ، ويرَى أنَّه قد هزَم عِشْرِينَ ألفًا ، وقيلَ : ثلاثينَ ألفًا بثَمانِمائةِ فارسٍ . وكان السببَ فى ذلك أنَّه بيَّتَهم وأغارَ عليهم وهم غارُّون[2] ، فما لَبِثُوا أمامَه بل فرُّوا منهزِمينَ عن آخرِهم ، فأكْثَر فيهمُ القتلَ ، واسْتَحوَذ على جميعِ ما ترَكُوه فى خِيامِهم ، ويقالُ : إنَّه كسَرهم يومَ كسَرَ السلْطانُ الفِرنْجَ بمرجِ عُيونٍ . واللَّهُ أعلمُ .

تخْرِيبُ حِصْنِ بيتِ الأحْزانِ وهو قريبٌ مِن صَفَدَ[3]

ثم ركِبَ السلطانُ فى جحافلِه إلى الحِصْنِ الذى كانتِ الفِرنْجُ قد بَنَوه فى العامِ الماضِى وحفَرُوا فيه بِئْرًا عَيْنًا معينًا ، وسلَّمُوه إلى الداوِيَّةِ ، فقَصَدَه السلطانُ فحاصَرَه ونقَّبَه مِن جميعِ جهاتِه ، وألْقَى فيه النِّيرانَ فجعَلَه دكًّا وخرَّبَه إلى الأساسِ ، وغنِمَ جميعَ ما فيه مِن الحواصلِ ، فكانَ فيه مائةُ ألفِ قطعةٍ مِن السِّلاحِ ، ومِنَ المأكلِ شىءٌ كثيرٌ ، وأخَذ منه سَبْعَمِائةِ أسيرٍ ، فقتَل بعْضًا وأرسَلَ إلى دِمَشْقَ الباقينَ ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيَّدًا منْصُورًا ، غيرَ أنَّه ماتَ مِن أُمَرائِه عشَرَةٌ بسبَبِ ما نالَهم مِنَ الحرِّ والوَباءِ فى مدَّةِ الحِصارِ ، وكانتْ أرْبَعَةَ عشَرَ يومًا ، وعاد الناسُ إلى زيارةِ مشْهَدِ يعْقُوبَ على عادَتِهم ، وقد امْتدَحَه الشعراءُ فقالَ بعْضُهم[4] :

---

(١) فى الأصل ، ص : « رعيان » ، وفى م : « رعنان » .

(٢) غارُّون ، بالغين المعجمة : أى غافلون . النهاية ٣/ ٣٥٥.

(٣) الكامل ١١/ ٤٥٥، والروضتين ٢/ ١١.

(٤) الأبيات فى الروضتين ٢/ ١١، ١٢. منسوبة لأبى الحسن على بن محمد بن رستم الساعاتى الخراسانى ثم الدمشقى .

[٢٨١/٩و] بجِدِّكَ أعْطافُ القَنا تتعَطَّفُ وطَرْفُ الأعادِى دونَ مجْدِك يطْرِفُ
شِهابُ هدًى فى ظُلمةِ الشركِ[١] ثاقِبٌ [٢]وسيْفٌ إذا ما هَزَّهُ[٢] اللَّهُ مُرْهَفُ
وقَفْتَ على حِصْنِ المخاضِ وإنَّه لمَوْقِفُ حقٍّ لا يُوازِيه موقفُ
فلم يَبْدُ وجْهُ الأرضِ بل حالَ دونَه رجالٌ كآسَادِ الشَّرَى[٣] وَهْى تزْحَفُ
وجرداءُ سلْهُوبٌ[٤] ودِرْعٌ مضاعفٌ وأبْيضُ هِنْدِىٌّ وَلَدْنٌ[٥] مُثقَّفُ[٦]
وما رجَعتْ أعْلامُكَ الصُّفْرُ[٧] ساعةً إلى أن غدَتْ أكْبادُها السُّودُ ترْجُفُ
[٨]كَبَا مَن أعالِيهِ[٨] صليبٌ وبِيعَةٌ وشادَ به دينٌ حنيفٌ ومصحفُ
صليبةُ عُبّادِ الصليبِ ومنزِلُ النُّزالِ لقد غادَرْتَه وهْو صَفْصَفُ
أتسْكُنُ أوطانَ النَّبِيِّينَ عُصْبَةٌ تمينُ لدَى أيْمانِها وهْى تحْلِفُ
نصحْتُكُم والنُّصحُ فى الدِّينِ واجبٌ ذَرُوا بيتَ يعْقُوبَ فقد جاءَ يُوسُفُ

وقال آخرُ[٩] :

هلاكُ الفِرنْجِ أتى عاجلًا وقد آنَ تكْسيرُ صُلْبانِها
ولو لم يكُنْ قد دنا حتْفُها لَمَا عمَّرت بيتَ أحْزانِها

---

(١) فى م : « الليل » ، وفى الروضتين : « الشك » .
(٢ - ٢) فى الروضتين : « وسيف هدى فى طاعة » وسيف رهيف ومرهف : حاد .
(٣) فى م : « الثرى » . والشرى : موضع كثير الأُسْد .
(٤) السلهب : الطويل عامة . التاج (س ل هـ ب) .
(٥) اللدن : اللين من كل شىء . والمقصود هنا : رمح لين . اللسان (ل د ن) .
(٦) فى م : « مهفهف » .
(٧) فى م : « البيض » .
(٨ - ٨) فى م : « كنائس أغيار » .
(٩) البيتان فى الروضتين ٢/ ١١. وقد نسبهما لنشو الدولة أحمد بن نقادة الدمشقى .

ومِن كتابٍ فاضِلىٍّ[1] إلى بَغْدادَ فى وصفِ هذا الحِصْنِ الذى خرَّبه صلاحُ الدينِ: وقد عرَّضوا حائطَه إلى أن زاد على عشرَةِ أذْرُعٍ وقُطِعتْ له عِظَامُ الحجارةِ؛ كلُّ فَصٍّ منها من سبْعةِ أذْرُعٍ، إلى ما فوْقَها وما دُونَها، وعِدَّتُها تزيدُ على عشرينَ ألفَ حجَرٍ، لا يستقِرُّ الحجرُ فى مكانِه ولا يستَقِلُّ فى بُنْيانِه إلَّا بأرْبعَةِ دَنانيرَ فما فوقَها، وفيما بينَ الحائطَيْنِ حشْوٌ مِنَ الحجارةِ الضخمةِ الصُّمِّ، المرغَمِ بها أنوفُ الجبالِ الشُّمِّ، وقد جُعِلَتْ سُقْيَتُه بالكِلْسِ الذى إذا أحاطَتْ قبضَتُه بالحجرِ مازَجَه بمثلِ جسْمِه وصاحَبَه بأوثقَ وأصلَبَ مِن جِرمِه، وأوعَزَ إلى خَصمِه مِن الحديدِ بأنْ لا يتعرَّضَ لهدْمِه.

وفيها أقطَع السلطانُ صلاحُ الدينِ لابنِ أخيه عِزِّ الدينِ فَرُّوخْشاه بنِ شاهنشاهِ ابنِ أيوبَ مدينةَ بَعْلَبَكَّ. وأغارَ فيها على صَفَدَ[2] وأعْمالِها، فقتَلَ طائفةً كبيرةً مِن مُقاتِليها ورجالِها، وكان فرُّوخْشَاه مِن الصناديدِ الأبطالِ المشهورينَ المشكورينَ فى النِّزالِ.

وفيها حَجَّ القاضى الفاضلُ مِن دِمَشْقَ وعادَ إلى مِصْرَ، فقَاسَى فى الطريقِ أهْوالًا، ولَقِى بَرْحًا وتعَبًا وكلالًا، وكان فى العامِ الماضى قد حجَّ [٢٨١/٩ظ] مِن مِصْرَ وعادَ إلى الشامِ، ولكن كان أمْرُه فيه أسهلَ مِن هذا العامِ.

وفيها كانتْ زلْزلَةٌ عظيمةٌ انْهدَمَ بسببِها قِلاعٌ وقُرًى، ومات خلقٌ كثيرٌ فيها مِنَ الوَرَى، وسقَطَ مِن رُءوسِ الجبالِ صخورٌ كبارٌ، وصادَمتْ بينَ الجبالِ فى البَرارِى والقِفارِ، مع بُعْدِ ما بين الجبالِ مِن الأقْطارِ. وفيها أصابَ الناسَ غلاءٌ

---

(١) فى م: «كتبه القاضى الفاضل»، الروضتين ٢/ ١٣.

(٢) فى م: «صفت».

شديدٌ وفَناءٌ شَريدٌ وجَهْدٌ جهِيدٌ ، فماتَ خلقٌ كثيرٌ مِن الخلائقِ بهذا وهذا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

وفاةُ المُسْتَضِىءِ بأمْرِ اللَّهِ ، وشىءٌ مِن ترجَمتِه[1]

كان ابْتداءُ مرَضِه فى أواخِر شوَّالٍ مِن هذه السنةِ فأرادَتْ زوجتُه[2] أنْ تكْتُمَ ذلك فلم يمكِنْها ، ووقعَتْ فتنةٌ كبيرةٌ ببَغْدادَ ونهبَتِ العوامُّ دورًا كثيرةً ، وأمْوالًا جزيلةً ، فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ الثانى والعِشْرينَ مِن شوَّالٍ خُطِبَ لولىِّ العهدِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُسْتَضِىءِ ، وهو الخليفةُ الناصِرُ لدينِ اللَّهِ ، وكان يومًا مشْهودًا نُثِرَ الذهبُ فيه على الخُطَباءِ والمؤذِّنينَ ومَنْ حضَرَ ذلك ، عندَ ذكْرِه على المِنْبَرِ والتنويهِ باسمِه فى العشْرِ .

فلمَّا كان يومُ السبتِ سلخُ شوَّالٍ مات الخليفةُ المستضىءُ بأمرِ اللَّهِ ، وكان مرضُه بالحُمَّى ابْتدَأ بها فى يومِ عيدِ الفطرِ ، ولم يزَلِ الأمرُ يتزايدُ به حتى اسْتَكمَلَ فى مرَضِه شهرًا ، فمات ، رَحِمه اللَّهُ سَلْخَ شوالٍ ، وله مِن العُمرِ تِسْعٌ وثلاثون سنةً ، وكانتْ مدَّةُ خلافتِه تِسْعَ سنِينَ وثلاثَةَ أشْهُرٍ وسبْعَةَ عشَرَ يومًا ، وغُسِّلَ وصُلِّى عليه مِنَ الغدِ . ودُفِنَ بدارِ النَّصرِ التى بَناها ، وذلكَ عن وصِيَّتِه التى

---

(١) المنتظم ١٨/ ١٩٠، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٠٩، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٤.

(٢) بعده فى الأصل: «الجهه»، وبعده فى ص: «الجهه تنفشا»، والذى فى المصادر أن زوجته تدعى: غضة.

أوْصَاها ، وترَكَ مِن بعدِه ولَدَيْنِ ؛ أحدُهما وليُّ عهدِه وهو عُدَّةُ الدِّينِ والدُّنيا أبو العباسِ أحمدُ الناصِرُ لدينِ اللَّهِ ، والآخرُ أبو منْصورٍ هاشِمٌ ، وقد وزَرَ له جماعةٌ مِن الرُّؤَساءِ ، وكان مِن خيارِ الخلفاءِ ، أمَّارًا بالمعروفِ نَهَّاءً عنِ المنكرِ ، وضَع عنِ الناسِ المُكوسَاتِ والضرائبَ ، ودرَأ عنهمُ البدَعَ والمصائبَ ، وكان حليمًا وقُورًا كرِيمًا ، فرَحِمه اللَّهُ تعالى وبلَّ ثراه وجعَل الجنةَ مأواه . وبُويِعَ بالخلافةِ مِن بعدِه لولدِه الناصرِ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

إبْراهيمُ بنُ عليٍّ ، أبو إسْحاقَ السُّلَمِيُّ[1] ، الفقيهُ الشافعيُّ ، المعْروفُ بابنِ الفَرَّاءِ ، الأُمَوِيُّ ثم البَغْداديُّ ، كان فقيهًا بارعًا فاضلًا مُناظِرًا فصيحًا بليغًا شاعِرًا مُطَبِّقًا ، تُوفِّى عن أربعٍ وسبْعِينَ سنةً ، وصلَّى عليه أبو الحسَنِ القَزْوِينيُّ مدرِّسُ النِّظَامِيَّةِ ، رحِمهُ اللَّهُ تعالى .

إسْماعيلُ بنُ مَوْهُوبِ بنِ [2]**أحمدَ بنِ محمدٍ**[2] **بنِ الخَضِرِ ، أبو محمدٍ ابنُ**[3] **الجَوَالِيقِيِّ** ، المُلَقَّبُ حُجَّةَ الإسْلامِ ، أحدُ أئمةِ اللغةِ فى زمانِه ، والمُشارُ إليه مِن بينِ أقْرانِه بحُسْنِ الدِّينِ وقُوَّةِ اليقينِ ، وعلمِ اللغةِ والنحوِ ، وصِدْقِ اللهْجَةِ وخلُوصِ النِّيَّةِ ، وحُسْنِ السيرةِ فى مَرْبَاه ومَنْشَاه ومُنْتَهاه ، وقد سمِعَ الحديثَ ورواه ، وفهِم الأثَرَ واتَّبعَ سبِيلَه ومَغزَاه ، رحِمهُ اللَّهُ وأكرَمَ مثواه .

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٦١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٣، ٣٤.

(٢ - ٢) فى النسخ : « محمد بن أحمد » ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ معجم الأدباء ٧/ ٤٥، وإنباه الرواة ١/ ٢١٠، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٦٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٦.

(٣) سقط من : م .

المُبارَكُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ[1] أبو محمدٍ ابنُ الطبّاخِ، البَغْدادِيُّ، نزيلُ مَكَّةَ ومُجاوِرُها، وحافظُ الحديثِ بها والمُشارُ إليه بالعلمِ فيها. كان يومُ جِنازتِه يومًا مشْهودًا، رَحِمه اللَّهُ تعالى.

خِلافَةُ الناصرِ لدينِ اللَّهِ
أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُسْتَضِىءِ

لمَّا تُوفِّى أبوه فى سَلْخِ شوالٍ من سنَةِ خمسٍ وسبْعينَ وخَمْسِمائَةٍ، بايَعَه الأمراءُ والوزراءُ والكُبَراءُ والخاصَّةُ والعامَّةُ، وكان قد خُطِب له على المنابرِ فى حياةِ أبيهِ قبلَ موْتِه بيسيرٍ، فقِيلَ[2]: إنَّه إنَّما عهِدَ له قبلَ موتِه بيومٍ، وقِيلَ: بأسبوعٍ. ولكِنْ قدَّرَ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، أنَّه لم يختلفْ عليه اثْنان بعدَ وَفاةِ أبيه، ولُقِّبَ بالخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ، ولم يَلِ الخِلافةَ مِن بنى العباسِ قبلَه أطْولَ مدَّةً منه، فإنَّ خلافتَه امتدَّت إلى سنَةِ وفاتِه فى [3]سنةِ ثِنتين[3] وعِشْرينَ وسِتِّمائةٍ؛ وكان ذكيًّا شُجاعًا مَهِيبًا، وسيأْتى ذِكرُ سيرتِه عندَ وَفاتِه إن شاءَ اللَّهُ تعالى.

وفى سابعِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ عُزِلَ صاحبُ المخْزَنِ ظهيرُ الدينِ أبو بكرٍ ابنُ العَطَّارِ، وأُهِينَ غايةَ الإهانةِ، هو وأصْحابُه وقُتِلَ كثيرٌ منهم، وشُهِّرُوا فى البلدِ، وتمكَّنَ أمرُ الخليفةِ الناصرِ، وعظُمَتْ هيْبتُه فى البلادِ وفى قلوبِ العبادِ وقامَ

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٨٦، والعبر ٤/ ٢٢٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٣.

(٢) الروضتين ٢/ ١٥.

(٣ - ٣) فى م: «ثلاث».

بأعباءِ الخلافةِ على ما ينبغِى فى جميعِ أمورِه وشئونِهم . ولمَّا حضَر عيدُ الأضْحَى أُقِيم على ما جرَتْ به العادَةُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وسَبْعِينَ وخَمْسِمائةٍ

فيها[1] هادَن السلْطانُ صلاحُ الدينِ الفِرنْجَ ، وسارَ إلى بلادِ الرومِ فأصْلَحَ بينَ ملُوكِها ، مِن بَنى أُرتُقَ ، وكَرَّ على بلادِ الأرْمَنِ فأهان ملِكَها ، وفتَح بعْضَ حُصونِها ، وأخَذ منه غنائمَ كثيرةً جدًّا ، مِن أوانِى الذَّهبِ والفضَّةِ ؛ لأنَّه كان قد غدَر بقومٍ مِن التُّركمانِ [٢٨٢/٩ظ] أوَوْا إلى بلادِه ، ثم صالحَه على مالٍ يحْمِلُه إليه وأُسارَى يُطْلِقُهم مِن أَسْرِه ، وآخَرِينَ يَسْتَنْقِذُهم مِن أيْدى الفِرنجِ ، ثم عادَ السلطانُ مؤيَّدًا منْصُورًا فدخَل حَمَاةَ فى أواخرِ جُمادَى الآخرةِ ، وامْتَدحَه الشعراءُ على ذلك .

وماتَ صاحبُ المَوْصِلِ سيْفُ الدِّينِ غازِى بنُ مودودِ بنِ زَنْكِى ، وكان شابًّا حسَنًا ، مليحَ الشكلِ ، تامَّ القامَةِ ، مُدَوَّرَ اللِّحْيَةِ ، مكَث فى المُلْكِ عشْرَ سِنينَ ، وماتَ عن ثلاثينَ سنةً ، وكان عفِيفًا فى نفْسِه ، مَهِيبًا وقُورًا ، لا يلتفِتُ إذا ركِب ولا إذا جلَس ، غَيُورًا لا يدَعُ أحدًا مِنَ الخُدَّامِ يدْخُلُ على النساءِ ، وكان لا يُقْدِمُ على سَفْكِ الدِّماءِ ، ويُنْسَبُ إلى شىءٍ مِن البخْلِ ، سامَحه اللَّهُ ، وكانت وفاتُه فى ثالثِ صَفَرٍ ، وكان قد عزَمَ على أنْ يجعَلَ المُلْكَ مِن بعدِه لولَدِه عزِّ الدينِ سَنْجَرْ شَاه ، فلم يُوافِقْه الأمراءُ خوفًا مِن صلاحِ الدينِ لصِغَرِ سِنِّه ، فاتفَقُوا كلُّهم على أخيه ، فأُجْلِسَ مكانَه فى المَمْلكَةِ أخوه عِزُّ الدينِ مسعودٌ ، وجعَل مجاهِدَ الدينِ قايْمازَ نائبَه ومدَبِّرَ مَمْلكَتِه ، وجاءَتْ رسُلُ الخليفةِ يلْتمِسُونَ مِن صلاحِ الدِّينِ أنْ

---

(١) الكامل ١١/ ٤٦٢، والروضتين ١٦/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٣٩.

يُبْقِىَ سَروجَ[1] والرُّهَا والرَّقَّةَ ، وحَرَّانَ والخابورَ ونَصِيبِينَ فى يَدِه ، كما كانتْ فى يَدِ أخيه ، فامتَنَعَ السُّلْطانُ مِن ذلك ، وقال[2] : هذه البلادُ هى حفْظُ ثُغورِ المسلمينَ ، وإنَّما كنتُ تركْتُها فى يَدِه ليُساعِدَنا على غَزْوِ الفِرنجِ ، فلم يكُنْ يَفْعَلُ ذلكَ ، وكتَب إلى الخليفةِ يُعرِّفُه أنَّ المصْلحةَ فى كونها بيدِه .

وفاةُ تُورانْشَاه[3] أخى السلطانِ

وفيها تُوفِّى أخو السلْطانِ الأكبر الملكُ المعظَّمُ شمسُ الدولةِ تُورانْشَاه بنُ أيُّوبَ ، الذى افْتَتَحَ بلادَ اليَمنِ عن أمرِ أخيه صلاحِ الدينِ ، فمكَثَ فيها حِينًا واقْتَنَى منها أموالًا جزيلةً ، ثم اسْتَنابَ فيها ، وأقبَلَ نحوَ أخيه إلى الشامِ شَوْقًا إليه ، وقد كتَب إليه مِن أثْناءِ الطريقِ شِعْرًا عمِله له شاعرُه ابنُ المُنَجِّمِ ، وكانوا قد وصلُوا إلى تيماءَ[4] :

فهل لأخِى بلْ مالِكى علمُ أنَّنى ... إليهِ وإنْ طالَ التردُّدُ راجِعُ
وإنِّى بيومٍ واحدٍ مِن لقائهِ ... لمُلْكى على عُظْمِ المزِيَّةِ بائعُ
ولم يَبْقَ إلَّا دونَ عشْرينَ ليلةً ... وتجنِى المُنَى أبْصارُنا والمسامعُ
لَدَى مَلِكٍ تَعْنُو الملوكُ إذا بدَا ... وتخْشَعُ إعْظامًا لهُ وَهْوَ خاشِعُ

---

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مُضَر . معجم البلدان ٣/ ٨٥.
(٢) الروضتين ٢/١٧ بنحوه .
(٣) مرآة الزمان ٨/١/ ٣٦٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٠٦، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٠٨.
(٤) الروضتين ٢/ ١٨، ١٩.

كتَبْتُ وأشْواقِى إليكَ ببعْضِها تعلَّمَتِ النَّوْحَ الحَمامُ السَّواجِعُ
وما المُلْكُ إلَّا راحَةٌ أنتَ زَنْدُها تضُمُّ على الدنْيا ونحنُ الأصابعُ

وكان قُدومُه إليه فى سنةِ إحْدَى وسَبْعِينَ، فشهِدَ معه مواقِفَ مشْهودةً وغزواتٍ [٢٨٣/٩و] محمودةً، واسْتَنابَه على دِمَشْقَ مدَّةً، ثم سارَ إلى مِصْرَ فاسْتَنابَه على الإسْكَنْدَرِيَّةِ فلم توافِقْه، وكان يعْتَرِيه القُولَنْجُ فماتَ بها، رحِمه اللَّهُ تعالى، فى هذه السَّنَةِ، ودُفِنَ بقَصْرِ الإمارةِ فيها، ثم نقَلَتْه أختُه سِتُّ الشامِ بنتُ أيُّوبَ فدفَنَتْه بتُرْبَتِها التى بالشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ، فقَبْرُه القِبْلِىُّ، والوَسْطَانِىُّ قبرُ زوْجِها وابنِ عمِّها ناصرِ الدِّينِ محمدِ بنِ أسَدِ الدِّينِ شِيرِكُوه، صاحِبِ حِمصَ[1] والرَّحبَةِ، والمُؤَخَّرُ قبْرُها، رحِمها اللَّهُ وأجزَلَ ثوابَها. والتربةُ الحُسامِيَّةُ منْسُوبَةٌ إلى ولَدِها حُسامِ الدينِ عمرَ بنِ لاچينَ[2]، وهى إلى جانبِ المدْرسَةِ مِن غرْبِها، وقد كان الملكُ تورانْشَاه كريمًا جَوَادًا ممدَّحًا شُجاعًا باسلًا عظيمَ الهيبةِ كبيرَ النَّفْسِ، واسِعَ الصَّدرِ، قال فيه ابنُ سَعدانَ الحلَبِىُّ[3]:

هو المَلْكُ إنْ تسْمَعْ بكِسْرَى وقَيْصَرٍ فإنَّهما فى الجُودِ والبَأسِ عَبْدَاهُ
وما حاتِمٌ ممَّنْ يُقاسُ بمثلِهِ فخُذْ ما رأيْناهُ ودَعْ ما روَيْنَاهُ
ولُذْ بذُرَاهُ مسْتَجِيرًا فإنَّهُ يُجِيرُكَ مِن جَوْرِ الزمانِ وعَدْوَاهُ
ولا تتحمَّلْ للسَّحائبِ مِنَّةً إذا هَطَلتْ جُودًا سحائبُ جَدواهُ
ويُرسِلُ كفَّيهِ بما اشتقَّ منهما فَلِلْيُمْنِ يُمنَاهُ ولليُسْرِ يُسْراهُ

ولمَّا بلغَ خبرُ موتِه إلى أخيه السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ وهو مُخَيِّمٌ

---

(١) فى م: «حلب».
(٢) فى م: «لاشين».
(٣) الروضتين ٢/ ١٨.

بظاهرِ حِمْصَ ، حزِنَ عليه حُزنًا شديدًا ، وجعَلَ يُنشِدُ بابَ المراثِى مِن الحماسَةِ ، وكانتْ محْفُوظَةً .

وفى رجَبٍ قدِمَتْ رسُلُ الخليفةِ الناصرِ وخِلَعُه وهداياه إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، فلَبِسَ السلطانُ خِلْعةَ الخليفةِ بدِمَشْقَ ، وزُيِّنَتْ له البلَدُ ، وكان يومًا مشْهودًا .

وفى رجَبٍ أيضًا منها سارَ السلْطانُ مِنَ الشامِ إلى الدِّيارِ المصريَّةِ ؛ لينْظُرَ فى أحْوالِها ، ويصومَ بها رمضانَ ، ومِن عزْمِه أنْ يحُجَّ عامَه ذلك إلى بيتِ اللَّهِ الحرامِ ، واسْتنابَ على الشَّامِ ابنَ أخيه عزَّ الدينِ فَرُّوخْشَاه بنَ شاهنْشاه بنِ أيوبَ . قال العمادُ الكاتبُ[1] : وكان عزيزَ المِثْلِ غزيرَ الفضلِ . فكتَب القاضى الفاضلُ عن الملكِ العادلِ أبى بكرٍ نائبِ مصرَ إلى أهلِ اليمنِ والبَقِيعِ ومَكَّةَ يُعْلِمُهم بعَزْمِ السلْطانِ على الحَجِّ فى هذا العامِ ؛ ليتأهَّبُوا للمَلكِ ويهتمُّوا به ، واستصحَب السلطانُ معه صدرَ الدينِ أبا القاسمِ عبدَ الرحيمِ شيْخَ الشُّيوخِ ببَغْدادَ ، الذى قدِمَ فى الرُّسليَّةِ مِن جهةِ الخليفةِ ؛ ليكونَ [٩/ ٢٨٣ظ] فى خدْمَتِه إلى الديارِ المصْريَّةِ ، وفى صُحْبَتِه إلى الحجازِ الشريفِ ، فدخَل السلطانُ ديارَ مصرَ ، وتلقَّاه الجيشُ وكان يومًا مشهودًا ، وأمَّا صدرُ الدينِ فإنَّه لم يُقِمْ بها إلّا قليلًا حتى توجَّه إلى الحجازِ الشريفِ فى البحرِ ، فأدْرَكَ الصيامَ بالمسجدِ الحرامِ .

وفيها سارَ قَراقُوشُ التَّقَوِىُّ[2] إلى بلادِ المغْرِبِ فحاصَرَ قابِسَ وقِلاعًا كثيرةً حولَها ، واسْتَحوَذَ على أكثَرِها ، فاتفَقَ له أنَّه أسَرَ مِن بعضِ الحصُونِ غُلامًا أمردَ

---

(١) الروضتين ٢/ ١٨.

(٢) فى الأصل : « البغوى » ، وانظر الخبر فى الروضتين ٢/ ٢١، والسلوك ١/١/ ٦٧.

فأرادَ قتْلَه ، فقالَ له أهلُ الحِصْنِ : لا تقْتُلْه وخُذْ لكَ عشَرَةَ آلافِ دينارٍ ، فأبَى فوصَّلوه إلى مائةِ ألفِ دينارٍ فأبَى إلَّا قتْلَه ، فقتَلَه ، فلمَّا قتَله نزَل صاحِبُ الحصنِ وهو شيخٌ كبيرٌ ومعه مَفاتِيحُ ذلك الحصنِ ، فقال : خُذْ هذه فإنِّى شيخٌ كبيرٌ ، وإنَّما كنتُ أحْفَظُه مِن أجلِ هذا الصَّبىِّ الذى قتَلْتَه ، ولى أوْلادُ أخٍ أكْرَه أنْ يملِكُوه بعدِى . فأقَرَّه فيه ، وأخَذ منه أمْوالًا كثيرةً . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ بالصوابِ .

وممَّن توفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الحافِظُ أبو طاهرٍ السِّلَفِىُّ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبْراهِيمَ سِلَفَةَ ، الحافظُ الكبيرُ المُعَمَّرُ ، أبو طاهرٍ السِّلَفِىُّ الأصْبهانىُّ[1] ، وإنَّما قيلَ[2] لجدِّه إبْراهيمَ : سِلَفَةُ ؛ لأنَّه كان مشْقُوقَ إحْدَى الشفتَيْن ، فكان له ثلاثُ شِفَاهٍ فسمَّتْه الأعاجمُ بذلك . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[3] : وكان السِّلَفِىُّ يُلَقَّبُ بصَدْرِ الدِّينِ ، وكان شافعِىَّ المذهَبِ ، ورَدَ بَغْدادَ واشْتَغَلَ بها على إلكيَا الهرَّاسِىِّ ، وأخَذ اللغةَ عنِ الخطيبِ أبى زكرِيَّا يَحْيى بنِ علىٍّ التِّبْرِيزِىِّ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل فى طلَبِه إلى الآفاقِ ، ثم نزَل ثغرَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ فى سنَةِ إحْدَى عشْرَةَ وخَمْسِمائةٍ ، وبنَى له العادِلُ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ السَّلَّارِ وزيرُ الخليفةِ الظافِرِ مدرسةً ، وفوَّض أمرَها إليه ، فهى معْروفَةٌ إلى الآنَ . قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : وأمَاليه وتعاليقُه كثيرةٌ جدًّا ، وكان مولدُه فيما ذكَر المِصْريُّونَ فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢٠٨، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٩٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٢.

(٢) بعده فى م : « له السّلفى » . وانظر وفيات الأعيان ١/ ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٥.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٠٦.

وأرْبَعِمائةٍ ، ونقَل الحافظُ عبدُ الغنىِّ المَقدِسىُّ عنه أنَّه قال[1] : أذْكُرُ مقْتَلَ نظامِ المُلْكِ فى سنَةِ خمسٍ وثَمانِينَ وأرْبعِمائةٍ ببَغْدادَ ، وأنا ابنُ عَشْرٍ تقريبًا . ونقَل عنه الحافظُ أبو القاسمِ الصفْراوِىُّ أنَّه قال[2] : مؤلِدِى بالتَّخْمِينِ لا باليقينِ سنةَ ثَمانٍ وسَبْعِينَ ، فيكونُ مبْلَغُ عُمرِه ثمانيًا وتِسْعِينَ سنةً ؛ لأنَّه تُوفِّى ليلةَ الجُمُعةِ خامسِ ربيعِ الآخرِ سنَةَ ستٍّ وسَبْعِينَ وخمسِمائةٍ [٩/ ٢٨٤و] بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، ودُفِنَ بوَعْلَةَ[3] ، وفيها جماعةٌ مِن الصالِحِين ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد رجَّحَ ابنُ خَلِّكانَ قولَ الصفْراوِىِّ ، قال[4] : ولم يبْلُغْنا مِن نحوِ ثَلاثِمائةِ سنةٍ أنَّ أحدًا جاوَزَ المِائةَ إلَّا القاضىَ أبا الطَّيبِ الطَبَرِىَّ ، رحِمه اللَّهُ . وقد ترْجَمه الحافظُ ابنُ عساكِرَ فى « تاريخِه »[5] ترجمةً حسَنةً ، وإنْ كان قد ماتَ قبلَه بخمْسِ سنِينَ ، فذكَر رحْلتَه فى طلبِ الحديثِ ، ودورانَه فى الأقاليمِ ، وأنَّه كان يتصَوَّفُ أوَّلًا ، ثم أقامَ بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وتزوَّجَ امرأةً ذاتَ يسارٍ ، فحسُنَتْ حالُه ، ووقفَتْ عليه مدرسةً هناك ، وذكَر طرَفًا مِن أشعارِه فمِن ذلك قولُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى[6] :

أنــأْمَــنُ إلْمامَ المنــيَّــةِ بــغْــتَــةً ... وأَمْنُ الفَتَى جَهْلٌ وقد خَبَرَ الدَّهْرَا
وليسَ يُحابِى الدهْرُ فى دوَرَانِهِ ... أراذِلَ أهْليهِ ولا السادَةَ الزُّهْرَا
وكيفَ وقد ماتَ النبىُّ وصَحْبُهُ ... وأزْواجُهُ طُرًّا وفـاطِـمَـةُ الـزَّهْـرَا

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٠٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٣.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٠٦.
(٣) وعلة : مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرشوشى وغيره ، ويقال : إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئى المصرى . وفيات الأعيان ١/ ١٠٦.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٠٧.
(٥) تاريخ دمشق ٥/ ٢٠٨.
(٦) المصدر السابق ٥/ ٢١٠، ٢١١.

ومِن شِعرِ الحافظِ السِّلَفِيِّ الذى أورَده ابنُ عسَاكِرَ قولُه[1] :

يا قاصِدًا علمَ الحديثِ يذُمُّه ... إذْ ضلَّ عن طُرُقِ الهدايَةِ وهْمُهُ
إنَّ العلُومَ كما علِمْتَ كثيرةٌ ... وأجَلُّها فِقْهُ الحديثِ وعلْمُهُ
مَنْ كانَ طالِبَهُ وفيهِ تيَقُّظٌ ... فأتَمُّ سَهْمٍ فى المعالِى سهْمُهُ
لوْلَا الحديثُ وأهْلُهُ لم يسْتَقِمْ ... دِينُ النبىِّ وشَذَّ عنَّا حُكْمُهُ
وإذا اسْتَرابَ بقوْلِنا مُتَحَذْلِقٌ ... فأَكَلُّ فَهْمٍ فى البَسِيطَةِ فَهْمُهُ

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢١١.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وسبعين وخمسِمائةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ والملكُ الناصِرُ صلاحُ الدينِ مُقيمٌ بالقاهرةِ، مُواظِبٌ على سماعِ الأحَاديثِ، وجاء كتابٌ مِن نائبِه بالشامِ عِزِّ الدينِ فَرُّوخْشَاه بما مَنَّ اللَّهُ تعالى به على الناسِ مِن كَثْرةِ ولادَةِ النساءِ مِن التَّوائمِ؛ جَبْرًا لِمَا كان أصابَهم فى العامِ الماضى من الوبَاءِ والفَناءِ، وأنَّ الشامَ مُخْصِبٌ بإذْنِ اللَّهِ؛ جَبْرًا لِما كان أصابَهم مِنَ الجَدْبِ والغلاءِ.

وفى شوَّالٍ توجَّه الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ، فشاهَد ما أمَر به مِن تحْصِينِ سُورِها وعِمارَةِ أبْراجِها وقُصورِها، وسمِعَ «مُوَطَّأَ الإمامِ مالكٍ» على الشيخِ أبى طاهرِ بنِ عَوْفٍ، عن الطُّرْطوشِيِّ، وسمِعَ معه العِمادُ الكاتبُ، وأرسَل القاضى الفاضِلُ إلى السُّلْطانِ رِسالةً يهنِّئُه بهذا السماعِ، واللَّهُ تعالى أعلمُ.

[٢٨٤/٩ظ] ذِكرُ وَفاةِ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ ابنِ الملكِ نُورِ الدينِ صاحبِ حلَبَ، وما جرَى بعدَه مِنَ الأُمورِ

كانت وفاتُه فى الخامسِ والعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ بقلْعَةِ حَلَبَ،

---

(١) الكامل ١١/ ٤٧٠، والروضتين ٢/ ٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٤٤.

ودُفِنَ بها ، وكان سببَ وفاتِه - فيما قِيل - أنَّ الأميرَ علمَ الدينِ سُليمانَ بنَ جَنْدَرٍ[1] سقَاه سُمًّا فى عُنْقُودِ عِنَبٍ فى الصَّيْدِ ، وقيل : بل سقَاه ياقوتُ الأسَدِىُّ فى شرابٍ . وقيل : فى خُشْكَنانْجةٍ[2] . فاعتراه قُولَنْجٌ فما زال كذلك حتى مات ، رحِمه اللَّهُ ، وهو شابٌّ حسَنُ الصورةِ ، بهىُّ المنْظرِ ، ولم يَبْلُغْ عشرين سنةً ، وكان مِن أعَفِّ الملُوكِ ، ومَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظلَم ، وصَف له الأطبّاءُ فى مَرضِه شُربَ الخمرِ ، فاسْتَفْتَى بعْضَ الفقهاءِ فى شُرْبِها تداوِيًا ، فأفتَاه بذلك ، فقال له : أيزيدُ شُرْبُها فى أجَلِى ، أو يَنْقُصُ منه شيئًا ؟ قال : لا . قال : فواللَّهِ لا أشْرَبُها فألقَى اللَّهَ وقد شرِبْتُ ما حرَّمَه علىَّ . ولمَّا يئِس مِن نفْسِه استدعَى الأمراءَ ، فحلَّفَهم لابنِ عمِّه عزِّ الدينِ مسْعُودِ صاحبِ المَوْصلِ ؛ لقُوَّةِ سلْطانِه وتمكُّنِه ؛ ليمنَعَها مِن صلاحِ الدينِ ، وخَشِى أن يبايعَ لابنِ عمِّه الآخرِ عمادِ الدينِ زَنْكِى ، صاحِبِ سِنْجَارَ ، وهو زوجُ أخْتِه وتربيَةُ والدِه ، فلا يمْكِنُه حِفْظُها مِن صلاحِ الدينِ ، فلمَّا مات اسْتَدعَى الحلبِيُّونَ عزَّ الدينِ مسْعودَ بنَ قُطْبِ الدينِ ، صاحِبَ المَوْصِلِ ، فجاء إليهم فدخَل حَلَبَ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وكان يومًا مشهودًا ، وذلك فى العشرِين مِن شعبانَ ، فتسلَّمَ خزائِنَها وحواصِلَها ، وما فيها مِن السلاحِ ، وكان تَقِىُّ الدينِ عمرُ بمدينةِ مَنْبِجَ ، فهرَب إلى حَماةَ ، فوجَد أهلَها قد نادَوا بشِعارِ عزِّ الدينِ صاحبِ المَوْصِلِ ، وأطمَع الحلبِيُّونَ عزَّ الدينِ مسْعُودًا فى أخذِ دِمشقَ ؛ لغَيْبَةِ صلاحِ الدينِ بالديارِ المصريَّةِ ، وأعْلَمُوه محبَّةَ أهلِ الشامِ لهذا البيتِ الأتابِكىِّ ، فقالَ : بيْنَنا وبينَه أيْمانٌ وعُهودٌ ، وأنا أغدِرُ به ! فأقام بحَلَبَ شُهورًا ، وتزوَّجَ بأمِّ

---

(١) فى النسخ : « حيدر » . والمثبت من الروضتين . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٦٦ ، والوافى بالوفيات ٣٧٢/١٥ ..

(٢) الخشكنان : خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة ، تملأ بالسكر واللوز ، أو الفستق ، وتُقلى . فارسى . الوسيط (خشكنان) .

الملكِ الصالحِ فى شوَّالٍ ، ثم سار إلى الرَّقَّةِ فنزَلها ، وجاءته رسُلُ أخيه عمادِ الدينِ زَنْكِى يَطْلُبُ منه أنْ يُقايضَه مِن حَلَبَ إلى سِنْجارَ ، وألَحَّ فى ذلك ، وتمنَّعَ أخوه ثم فعَل ذلك على كُرْهٍ منه ، فسلَّم إليه حَلَبَ ، وسلَّمه عمادُ الدينِ سِنجارَ والخابورَ والرَّقَّةَ ونَصِيبِينَ وسَرُوجَ ، وغيرَ ذلك من البلادِ .

ولمَّا سمِع الملكُ صلاحُ الدينِ بهذه الأمورِ ركِب مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ فى عساكِرِه ، فسار حتى أتَى الفُرَاتَ فعبَرَها ، وخامَر إليه بعضُ [٩/٢٨٥و] أمراءِ صاحبِ الموْصِلِ ، فتقهقَر عن لقائِه ، فاستحوَذ صلاحُ الدينِ على بلادِ الجزيرةِ بكَمالِها ، وهمَّ بمحاصرةِ الموْصِلِ فلم يتَّفِقْ ذلك ، ثم جاء إلى حَلَبَ فتسلَّمها مِن عمادِ الدينِ زَنْكِى ؛ لضَعْفِه عن مُمانَعَتِها ؛ لقلَّةِ ما ترَك فيها عزُّ الدينِ من الأسلحةِ وآلاتِ القِتالِ ، وذلكَ فى السنَةِ الآتيةِ ، كما سنذكُرُه .

وفى هذه السنةِ عزَم البِرِنْسُ صاحبُ الكَرَكِ ، لعَنه اللَّهُ ، على قَصْدِ تَيْماءَ مِن أرضِ الحِجازِ ؛ ليتوصَّلَ منها إلى المدينةِ النبويَّةِ ، فجُهِّزت له سَرِيَّةٌ مِن دِمشقَ تكونُ حاجِزَةً بينَه وبينَ الحجازِ ، فصَدَّه ذلك عن قَصْدِه ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها وَلَّى السلطانُ صلاحُ الدينِ أخاه سيفَ الإسلامِ ظهيرَ الدينِ طُغْتِكين ابنَ أيُّوبَ نيابةَ اليمنِ فملَّكه عليها ، وأرسَلَه إليها ، وذلك لاختِلافِ نُوَّابِها واضْطِرابِ أصحابِها ، بعدَ وفاةِ المُعَظَّمِ تُورانْشاه أخِى السلطانِ الذى كان افتتَحها ، فلما وقَعتْ الفِتَنُ بها ، وكثُر التخليطُ والتخبيطُ ، سمَت نفسُ أخيه طُغْتِكِين إليها ، فأرسَلَه أخوه إليها وولَّاه عليها ، فسارَ فوصَلها فى سنَةِ ثمانٍ وسبعين ، فسار فيها أحسنَ سِيرةٍ ، وأكمَل بها المَعْدَلةَ والسَّريرةَ ، واحتاطَ على أموالِ حِطَّانَ بنِ مُنْقِذٍ نائبِ زَبيدَ ، وكانتْ تقارِبُ ألْفَ ألفِ دينارٍ أو أكثرَ ، وأمَّا نائبُ عَدَنَ فخرُ الدينِ عثمانُ الزَّنْجيلىُّ فإنَّه خرَج مِن اليمنِ قبلَ قُدومِ طُغْتِكِين

فسكَن الشامَ ، وله أوقافٌ مشْهورةٌ باليمنِ ومَكَّةَ ، وإليه تُنْسَبُ المدرسةُ الزَّنْجيليَّةُ ، خارجَ بابِ تومَا ، تُجاهَ دارِ الطعمِ ، وكان قد حصَّل منها أموالًا عظيمةً جدًّا .

وفيها غدَرَت الفِرنْجُ ونقَضوا عُهُودَهم ، وقطَعُوا السبُلَ على المسلمين برًّا وبحْرًا ، وسِرًّا وجَهْرًا ، فأمْكَنَ اللَّهُ مِن بُطْسَةٍ عظيمةٍ لهم فيها نحوٌ مِن ألفَيْنِ وخمْسِمِائَةِ نفْسٍ من رجالِهم المعْدُودِينَ فيهم ، ألْقاها الموجُ إلى ثَغْرِ دِمْياطَ قبلَ خروجِ السلطانِ مِن مِصْرَ ، فأُحِيطَ بها فغرِقَ بعْضُهم وحصَل فى الأسْرِ نحوُ ألفٍ وسبعِمائةٍ منهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفيها سار قَراقُوشُ إلى بلادِ إفْريقِيَّةَ ، ففتَح بلادًا كثيرةً ، وقاتَل عسكَرَ ابنِ عبدِ المؤمنِ ، واستَفحَل أمرُه هناك ، وهو مِن جملةِ مماليكِ تقِيِّ الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلطانِ صلاحِ الدينِ ، ثم عاد إلى الديارِ المصريَّةِ ، فأمَره السلطانُ بأنْ يُتِمَّ السورَ المحيطَ بالقاهرةِ ومِصرَ ، وذلك قبلَ خروجِه منها فى هذه السنةِ ،وكان ذلك آخِرَ عهْدِه بها حتى توفَّاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، [٩/٢٨٥ظ] بعد أن أراه اللَّهُ مُنَاه قبلَ حُلُولِ الوفاه ، فأقرَّ عيْنَه مِن أعداه ، وفتَح على يدِه بيْتَ المقْدِس وما حولَه وما حواه ، ولمَّا خيَّمَ بارِزًا مِن مصرَ ، أحضَر أوْلادَه حولَه فجعَل يشمُّهم ويقبِّلُهم ويضمُّهم ، فأنشَد بعضُهم[1] :

تَمَتَّعْ مِن شَميمِ عَرارِ نَجْدٍ ... فما بَعدَ العَشِيَّةِ مِن عَرارِ[2]

فكان الأمرُ كما قال ، لم يَعُدْ إلى مِصْرَ بعدَ هذا العامِ ، بل كان مُقامُه بالشامِ .

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٨. والبيت فى اللسان (ع ر ر) منسوب إلى الصِّمّة بن عبد اللَّه القشيرى .
(٢) العرار : نبت طيب الريح ، واحدته عَرارة . اللسان (ع ر ر) .

وفى هذه السنةِ وُلِد للسلْطانِ ولَدانِ ؛ وهما المُعَظَّمُ تُورانْشَاه ، والملكُ المُحْسِنُ أحمدُ ، وكان بينَ ولادَتِهما سبعةُ أيامٍ ، فزُيِّنَتِ البلادُ ، واستمرَّ الفرَحُ أربعةَ عشَرَ يومًا .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ كَمالُ الدينِ أبو البَرَكاتِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أبى السَّعادَاتِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ[1] الأَنْبَارِىُّ النحوىُّ الفقيهُ العابدُ الزاهدُ الناسكُ الخاشعُ الوَرِعُ ، كان خَشِنَ العيشِ ، ولا يقبَلُ مِن أحدٍ شيئًا ولا مِن الخليفةِ ، وكان يحضُرُ نَوْبَةَ الصوفِيَّةِ بدارِ الخلافةِ ، ولا يقبَلُ مِن جَوائزِ الخليفةِ لهم ولا فَلْسًا . وكان صَابِرًا على الاشْتِغالِ ، وله تصانيفُ مفيدةٌ . وكانت وفاتُه فى شعبانَ مِن هذه السنةِ ، رحمه اللَّهُ تعالى . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : له كتابُ « أسْرارِ العربيةِ » مفيدٌ جدًّا ، وكتابُ « طبَقاتِ النُحاةِ[3] » مفيدٌ جدًّا أيضًا ، وكتابُ « المِيزانِ فى النحوِ » أيضًا .

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ١٦٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٣٨، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٤٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٥٥، وبعده فى الأصل، ص: « ابن محمد بن الحسن بن إبراهيم »، وهى زيادة ليست فى مصادر ترجمته سوى وفيات الأعيان، وفيه: « ابن محمد بن الحسن بن سليمان ».

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٣٩.

(٣) هو المعروف باسم : نزهة الألباء .

ثم دخَلَت سنةُ ثَمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ[1]

فى خامسِ المُحَرَّمِ كان بروزُ السلْطانِ مِن الديارِ المصريَّةِ قاصِدًا بلادَ الشامِ ؛ لمُنَاجزةِ الأعَداءِ والإحْسانِ إلى الأولياءِ ، وكان ذلك آخِرَ عهْدِه بمصرَ لم يَعُدْ إليها بعدَ ذلك ، وقد أغار فى طريقِه على أطرافِ بلادِ الفِرنْجِ بأرضِ الكَرَكِ ، وجعَل أخاه تاجَ الملُوكِ بُورِى بنَ أيُّوبَ على المَيْمَنَةِ يسيرُ ناحيةً عنه ؛ ليتمكنوا مِن بلادِ العَدُوِّ فالْتَقوا على الأَزْرَقِ[2] بعدَ سَبْعَةِ أيامٍ ، وقد أغار نائبُ دمِشقَ عزُّ الدينِ فَرُّوخْشَاه على بلادِ طَبَرِيَّةَ وما حولَها ، وافتتَح حصونًا جيدةً ، وأسَر منهم ألفًا ، وغنِم عِشْرِينَ ألفَ رأسٍ مِنَ الأنْعامِ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه . وكان دخولُ السلطانِ إلى دِمَشْقَ سابعَ عشَرَ صَفَرٍ ثم خرَج فى العَشْرِ الأُوَلِ من ربيعٍ الأوَّلِ ، فاقتتل مع الفِرنْجِ فى نواحِى طَبَرِيَّةَ وبَيْسَانَ تحتَ حِصْنِ كوْكَبَ ، فقُتِلَ خلقٌ مِن الفريقَيْن ، ولكن كانتِ الدائرةُ للمسلمين [٩/٢٨٦و] ، ورجَع مؤيَّدًا منْصُورًا .

ثم ركِب السلطانُ فى جَحافِلِه وعساكرِه قاصِدًا حلبَ وبلادَ الشرقِ ليأخُذَها ؛ وذلك أنَّ المَواصِلةَ و الحلَبيِّين قد كاتَبوا الفِرنْجَ حتى يغزوا على أطرافِ البلادِ ؛ ليَشْغَلُوا الناصرَ بنفسِه عنهم ، فكان مسيرُه على بلادِ البِقَاعِ[3] ثم إلى حَماةَ ثم إلى حَلبَ ، فحاصَرَها ثلاثًا ، ورأَى العُدُولَ عنها إلى غيرِها أوْلَى به ،

---

(١) الكامل ١١/ ٤٧٨، والروضتين ٢/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٤٦.
(٢) فى الأصل : « الأردن » ، والأزرق : ماء فى طريق حاجّ الشام دون تيماء . معجم البلدان ١/ ٢٣٢.
(٣) البقاع : أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق ، فيها قرى كثيرة . معجم البلدان ١/ ٦٩٩.

فسار حتى قطَع الفُرَاتَ ، واستَحوذ على بلادِ الجزيرةِ والخابورِ وحرَّانَ والرُّهَا والرَّقَّةَ ونَصِيبِينَ ، وغيرِ ذلك ، وخضَعت له الملوكُ هنالك ، ثم عاد إلى حَلبَ فتسلَّمها مِن صاحبِها عِمادِ الدينِ زَنْكِي وقد كان قايض أخاه عزَّ الدينِ مسعودًا بها إلى سِنْجارَ ، كما ذكرنا ذلك فى السنةِ الماضيةِ ، فاسْتَوْسقتْ له الممالِكُ شرقًا وغربًا ، وبُعْدًا وقُرْبًا ، وتمكَّن حينئذٍ مِن قتالِ أعدائِه مِن الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ ، وأمكَنه اللَّهُ من نواصيهِم ، فله الحمدُ على ما أولاه .

فصلٌ

ولمَّا عجَزَ إبْرَنْسُ الكَرَكِ ، لعَنه اللَّهُ ، عن إيصالِ الأذى للمسلمين فى البَرِّ ، عمِل مَراكِبَ فى بحرِ القُلْزُمِ ؛ ليقْطَعُوا الطريقَ على التُّجَّارِ والحُجَّاجِ ، فوصَلت أذِيَّتُهم إلى عَيْذابَ[1] ، وخاف أهلُ المدينةِ النبويَّةِ مِن شرِّهم ، فأمَر العادِلُ أبو بكرٍ نائبُ مصرَ للأميرِ حُسامِ الدينِ لُؤلُؤًا صاحِبَ الأسْطُولِ أنْ يُعملَ مراكِبَه فى بحرِ القُلْزُمِ لمُحَاربةِ أصْحابِ إبرنسَ ، ففعَل ذلك فظفِرُوا بهم فى كلِّ موطنٍ ، فقتَلُوا منهم وحرَّقُوا وغَرَّقُوا وسَبَوْا وقهَرُوا وأسَرُوا فى مواطِنَ كثيرةٍ ، ومواقِفَ هائلةٍ كبيرةٍ ، وأمِنَ البرُّ والبحرُ بإذْنِ اللَّهِ الذى بيدِه النفْعُ والضرُّ ، وأرسل السلطانُ إلى أخيه يشْكُرُ من مَساعِيه ، وأرسَل إلى ديوانِ الخلافةِ يعرِّفُهم بما أنعَم اللَّهُ عليه من الفُتُوحاتِ برًّا وبحْرًا ، وبما هو مُتَقلِّبٌ فيه من أنْعُمِ اللَّهِ وإحسانِه سرًّا وجَهْرًا ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

---

(١) عيذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم . معجم البلدان ٣/ ٧٥١.

فصْلٌ فى وَفاةِ الملكِ المنْصورِ عِزّ الدينِ

فَرُّوخْشَاه بنِ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ[1] صاحِبِ بَعْلَبَكَّ ونائبِ دِمَشْقَ لعمِّه الملكِ صلاحِ الدينِ ، وهو والدُ الملكِ الأمْجَدِ بَهْرامْ شَاه صاحِبِ بَعْلَبَكَّ أيضًا بعدَ أبيه ، وإليه تُنْسَبُ المدرسةُ الفَرُّوخْشَاهيةُ بالشرقِ الشماليِّ ، وإلى جانبِها التربةُ الأمْجَدِيَّةُ لولَدِه ، وهما وقفٌ على الحنفيةِ والشافعيةِ ، وقد كان فَرُّوخْشَاه شَهْمًا شُجَاعًا بطلًا عاقلًا ذكيًّا فاضلًا كريمًا مُمَدَّحًا ، امْتدحَه الشعراءُ لجودِه وفضلِه وإحسانِه ، وكان مِن أكبرِ أصْحابِ الشيخِ تاجِ الدينِ أبى اليمنِ الكندىِّ ، عرَفَه مِن [٢٨٦/٩ظ] مجلسِ القاضى الفاضلِ له ، وللعمادِ الكاتبِ فيه مدائحُ بدائعُ ، وله هو ، رحِمه اللَّهُ ، شِعْرٌ رائقٌ لطيفٌ ، مِن ذلك قولُه[2] :

أنا فى أسرِ السِّقامِ ... [3]من هَوَى هذا الغُلامِ[3]
رَشَأٌ تَرْشُقُ عيْنا ... ه فؤادِى بسِهامِ
كلَّما أرْشَفَنِى فَا ... ه على حَرِّ الأُوامِ
ذقْتُ منه الشَّهْدَ فى الثَّلْـ ... ـجِ المُصَفَّى فى المُدامِ

وكان ابنُه الملكُ الأمجدُ شاعرًا جيِّدًا أيضًا ، وقد ولّاه عمُّ أبيه صلاحُ الدينِ بعْلَبَكَّ بعدَ أبيه ، واستمرَّ فيها مدَّةً طويلةً ، ومن محاسنِ المنصورِ عزِّ الدينِ فَرُّوخشاه صُحْبتُه لتاجِ الدينِ الكِنْدِىِّ ، وله فى الكِنْدىِّ مدائحُ ، وقد أورَد الشيخُ شهابُ الدينِ ذلك كلَّه مستقصًى فى « الرَّوْضَتيْن »[4] ؛ ومن ذلك أنَّه دخَل يومًا

---

(١) النوادر السلطانية ص ٥٦ ، وزبدة الحلب ٢٧/٣ ، ووفيات الأعيان ١٦٧/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٤٨ ، وشذرات الذهب ٢٥٩/٤ .

(٢) الروضتين ٢/ ٣٤.

(٣ - ٣) فى م : « وهو فى هذا المقام » .

(٤) الروضتين ٢/ ٣٣.

إلى الحمَّامِ فرأى رجلًا كان يعرفُه مِن أصْحابِ الأموالِ ، وقد نزَل به الحالُ حتى إنَّه تستَّر ببعْضِ يديه حتى لا يبدوَ جسمُه ، فرقَّ له وأمَر غلامَه أنْ ينقُلَ بقُجةً وبِساطًا إلى موضعِ الرجلِ ، وأَحضَر له بغْلَةً وألفَ دينارٍ وتوقيعًا له فى كلِّ شهرٍ بعشرينَ دينارًا ، فدخَل الرجلُ من أفْقَرِ الناسِ ، وخرَج وهو مِن أغنى الناسِ ، فرحْمةُ اللَّهِ على الأجْوادِ الأكياسِ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ أبو العباسِ الرِّفاعىُّ ، أحمدُ بنُ أبى الحسَنِ علىِّ بنِ أبى العباسِ أحمدَ[1] ، المعْروفُ بابنِ الرِّفاعِىِّ ، شيخُ الطائفةِ الأحْمَدِيَّةِ والرِّفاعِيَّةِ والبَطائِحيَّةِ لسُكْنَاه أمَّ عَبيدَةَ مِن قُرى البطائحِ ، وهى بينَ البَصْرَةِ ووَاسِطٍ ، كان أصلُه من العرَبِ فسكَن هذه البلادَ ، والْتَفَّ عليه خلقٌ كثيرٌ ، ويقال[2] : إنَّه حفِظ « التَّنْبِيهَ » فى الفقهِ . وقد ذكَرتُه فى طبقاتِ الشافعيَّةِ .

قال ابنُ خَلِّكانَ[3] : ولأتْباعِه أحوالٌ عجيبةٌ مِن أكْلِ الحيَّاتِ وهى حَيَّةٌ ، والنزولِ فى التَّنانيرِ وهى تضْطَرِمُ ، فيُطْفِئُونها ، ويقالُ : إنَّهم فى بلادِهم يرْكَبُونَ الأُسودَ . قال[3] : وليسَ للشيخِ أحمدَ عَقِبٌ ، وإنَّما النسْلُ لأخيه ، وذُرِّيَّتُه يتَوارثُونَ المَشْيخةَ بتلكَ البلادِ . وقال : ومِن شعرِ الشيخِ أحمدَ ، على ما قيلَ :

إذا جَنَّ لَيْلِى هامَ قلْبِى بذِكْرِكُمْ ... أنُوحُ كما ناحَ الحَمامُ المُطَوَّقُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٤٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٢٣، وطبقات الأولياء ص ٩٣، والكواكب الدرية ٢/ ٧٥.

(٢) طبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٢٤.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٧٢.

وفوْقِى سَحابٌ يُمطِرُ الهمَّ والأسَى وتحْتِى بحارٌ بالأسَى تتدَفَّقُ [٩/٢٨٧و]
سَلُوا أمَّ عمرٍو كيفَ باتَ أسِيرُها تُفَكُّ الأُسارَى دُونَهُ وهْوَ مُوثَقُ
فلا هو مقْتُولٌ ففى القَتْلِ راحَةٌ ولا هو مَمْنُونٌ عليه فيُطْلَقُ[1]

ومن شعرِه قولُه[2] :

أغارُ عليها مِن أبيها وأمِّها ومِن كلِّ مَن يدْنُو إليها وينْظُرُ
وأحذرُ[3] للمرآةِ أيضًا بكَفِّها إذا نظَرَتْ منكِ[4] الذى أنا أنْظُرُ

قال[5] : ولم يزَلْ على تلك الحالِ إلى أنْ تُوفِّىَ يومَ الخميسِ الثانى والعشرينَ مِن جُمادَى الأُولَى من هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

خلفُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مسْعُودِ بنِ بَشْكُوالَ[6] ، أبو القاسمِ القُرْطُبِىُّ الحافظُ المحدِّثُ المؤرِّخُ ، صاحبُ التصانيفِ ، له كتابُ « الصِّلَةِ » جعَله ذَيْلًا على تاريخِ أبى الوليدِ بنِ الفَرَضِىِّ ، وله كتابُ « المُسْتَغِيثِينَ باللَّهِ » ، وله مجلَّدٌ فى تعْيينِ الأسْماءِ المُبْهَمَةِ فى الرِّواياتِ على طريقةِ الخطيبِ ، وأسْماءِ مَن روَى « المُوَطَّأَ » ، على حُروفِ المعجمِ ، بلَغُوا ثلاثةً وسَبْعِينَ رجلًا ، وكانت وفاتُه فى رمضانَ عن أربعٍ وثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى ورضى عنه .

---

(١) فى الأصل ، ص : « فيعتق » .
(٢) البيتان فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠) ص ٢٥٣.
(٣) فى م : « أحسد » .
(٤) فى م : « مثل » .
(٥) وفيات الأعيان ١/ ١٧٢.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٩، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٣٩ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٥٨، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٦٩، وشجرة النور الزكية ص ١٥٤.

العَلَّامَةُ قُطْبُ الدينِ أبو المعالِي ، مسْعودُ بنُ محمدِ بنِ مسْعودِ النَّيْسَابُورِيُّ[1] ، تفَقَّهَ على محمدِ بنِ يَحْيى صاحبِ الغَزَّالِيِّ ، قدِمَ دِمَشْقَ ودرَّس بالغَزَّالِيَّةِ والمُجاهِدِيَّةِ ، وبحَلَبَ بمدرسةِ نُورِ الدينِ وأسَدِ الدينِ ، ثم بهَمَذَانَ ، ثم رجَع إلى دِمَشْقَ ودرَّسَ بالغَزَّالِيَّةِ ، وانتهتْ إليه رِياسةُ المذْهبِ ، وماتَ بها فى سَلْخِ رمضانَ يومَ العيدِ سنَةَ ثَمانٍ وسبْعينَ وخَمْسِمائةٍ ، عن ثلاثٍ وتِسْعِينَ سنةً ، وعنه أخَذ الفَخْرُ بنُ عساكِرَ وغيرُه ، وهو الذى صلَّى على الحافظِ ابنِ عساكِرَ . واللَّهُ سُبْحانَه أعلمُ .

---

(١) مرآة الزمان ٣٧٢/١/٨ ، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٩٧.

ثم دخَلَت سنةُ تِسْعٍ وسَبْعِينَ وخَمْسِمائَةٍ[1]

فى الرابعَ عشَرَ مِن محرَّمِها تسلَّم السلطانُ صلاحُ الدينِ مدينةَ آمِدَ صُلْحًا بعدَ حصارٍ طويلٍ، مِن يَدِ صاحبِها ابنِ نَيْسانَ[2]، بعدَما حمَل ما أمكنَه مِن حواصِلِه وأموالِه وأثقالِه مدةَ ثلاثةِ أيامٍ، ولمَّا تسلَّم السلطانُ البلدَ وجَد فيه شيئًا كثيرًا مِن الحواصِلِ و آلاتِ الحربِ والسلاحِ، حتى إنَّه وجَد بُرْجًا مملُوءًا بنُصولِ النُّشَّابِ، وبُرْجًا آخرَ فيه مِائَةُ ألفِ شمعةٍ، وأشْياءَ يطولُ شرْحُها، ووجَد فيها خِزانَةَ كتُبٍ فيها ألفُ ألفِ مجلَّدٍ، وأربعونَ ألفَ مجلَّدٍ، فوهَبها كلَّها للقاضى الفاضلِ، فانْتَخَب منها حِمْلَ سَبْعِينَ حِمارَةً. ثم وهَب السلْطانُ البلدَ بما فيه لنورِ الدينِ محمدِ بنِ قَرَا أرْسِلَانَ - وكان قد وعَدَه بها - فقيلَ له: فإنَّ الحواصِلَ لم تَدْخُلْ فى وعدِك. فقال: لا أبْخَلُ بها عليه - وكان فى خِزانَتِها ثلاثَةُ آلافِ ألفِ دينارٍ - وقد صار من أصحابِنا وأنصارِنا. فامْتَدحَه الشعراءُ على هذا الصنيعِ الحسنِ الجميلِ، وهو حقيقٌ بالثناءِ والجزاءِ الجزيلِ، ومِن أحسَنِ ما قاله بعْضُهم فى ذلك مِن جملةِ قصيدةٍ له فى السلطانِ[3]:

قُلْ للمُلوكِ تَنحَّوا عن ممالِكِكُم ... فقدْ أتَى آخِذُ الدنْيَا ومُعْطِيها

---

(١) الكامل ١١/ ٤٩٣، والروضتين ٢/ ٣٩.

(٢) فى م: «بيسان»، وفى الروضتين ٢/ ٣٩: «تيسان» والمثبت موافق لما فى الكامل.

(٣) الروضتين ٢/ ٤٢.

ثم سارَ السلطانُ فى بقيةِ المحرَّمِ إلى مدينةِ حَلَبَ فنازَلها وحاصَرَها ، وقاتلَه أهلُها قتالًا جيِّدًا ، وجُرِح أخو السلْطانِ تاجُ الملُوكِ بُورِى بنُ أيُّوبَ جُرْحًا بليغًا ، فماتَ منه بعدَ أيامٍ ، وكان أصْغَرَ أوْلادِ أيُّوبَ ، لم يبلُغْ عِشْرِينَ سنةً ، وقيلَ : بل [٩/٢٨٧ظ] جاوَزها بسنتينِ ، وكان ذكِيًّا فَهِمًا ، له ديوانُ شعرٍ لطيفٌ ، فحزِنَ عليه أخوه الملكُ صلاحُ الدينِ حُزْنًا شديدًا ، ودفنَه بحَلَبَ ، ثم نقَله إلى دِمَشْقَ ، ثم اتفقَ الحالُ بينَ السلطانِ وبينَ صاحبِ حَلَبَ عمادِ الدينِ زَنْكِى بنِ مودودِ بنِ زَنْكِى بنِ آقْ سُنقُرَ على عِوَضٍ أطْلقَه وهو أن يرُدَّ عليه سِنْجَارَ ويسلِّمَه البلدَ ، فخرَج عِمادُ الدينِ زَنْكِى ، وجاء إلى خدْمَةِ السلطانِ ، وعَزَّاه فى أخيه ، ونزَلَ عندَه فى المُخَيَّمِ ، ونقَل أثْقالَه إلى سِنْجَارَ ، وزادَه السلْطانُ الخابورَ والرَّقَّةَ ونَصِيبِينَ وسَرُوجَ ، واشْترَطَ عليه إرْسالَ العَسْكرِ فى الخدمَةِ للغَزاةِ ، ثم سارَ ووَدَّعَه السلْطانُ ، ومكَث السلْطانُ فى المخيمِ أيامًا غيرَ مُكْترِثٍ بحَلَبَ ، ولا مستكثرٍ لها ولا بها ، ثم صعِد إلى قلْعَتِها يومَ الاثنينِ سابعَ عشرَ صفَرٍ مؤيَّدًا منصورًا محبورًا ، وعمِل له الأميرُ طُمانُ[1] وليمةً عظيمةً ، وكان يومًا مشهودًا فسمِعه بعضُهم وهو داخلٌ يتلو هذه الآيةَ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] الآية . ولمَّا دخَل دارَ المَلِكِ تلا : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٧] الآية . ولمَّا دخَل مَقامَ إبْراهيمَ صلَّى فيه ركعتَيْن وأطالَ السجودَ والدعاءَ والتضَرُّعَ ، رحِمه اللَّهُ ، ثم شرَعَ فى عملِ وليمةٍ عظيمةٍ ، وقد ضُرِبَتِ البشائرُ ، وخلَعَ السلطانُ على الأمراءِ ، وأحْسَنَ إلى الرُّؤساءِ والفقراءِ ، وألقَتِ الحربُ أوْزارَها ، وقضت القلوبُ أوطارَها .

وألقَتْ عَصَاها واستَقَرَّ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عَيْنًا بالإيَابِ المُسافِرُ[2]

---

(١) فى م : « طهمان . وانظر الكامل ١١/ ٤٩٧، والروضتين ٢/ ٤٤.

(٢) البيت لمعقّر بن حِمار البارقى .

وقدِ امْتدحَه الشعراءُ عند فتحِ حلبَ بمدائحَ حِسَانٍ ، وكانت قد وقعَتْ منه موقعًا عظيمًا ، حتى إنه قال : ما سُرِرْتُ بفَتْحِ قلعةٍ أعظمَ سُرورًا مِن فتحِ مدينةِ حَلَبَ . وأسْقَطَ عنها وعن سائرِ بلادِ الجزيرةِ المُكوسَ والضرائبَ ، وكذلك عن بلادِ الشامِ ومِصْرَ ، فجزَاه اللَّهُ خيرًا .

وقد كانتِ الفِرنجُ فى غيبةِ السلطانِ واشتغالِه ببلادِ الجزيرةِ وتلك الأمورِ ، قد عاثَت فى البلادِ بالإفسادِ يمينًا وشمالًا ، واغتنَمتِ الثعالبُ غيبةَ الأسدِ فجالَت حولَ العرينِ وهى تظُنُّ ذلك خيالًا ، فأرسَل السلْطانُ إلى عساكرِه ليجْتَمِعوا إليه ويكونوا بينَ يدَيه ليتصدَّى بعدَ هذا كلِّه لقتالِ الفِرنجِ العدُوِّ المخذولِ ، وكان قد بُشِّرَ بفتحِ بَيْتِ المقْدِسِ حينَ فتحَ حَلَبَ ؛ وذلك أنَّ الفقيهَ مجدَ الدينِ بنَ جَهْبَلٍ الشافعيَّ رأى فى تفْسِيرِ أبى الحكمِ (١بنِ بَرَّجانَ المغربىِّ١) عندَ قولِه تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ . [الروم : ١] الآية . البِشارَةَ بفتحِ بَيْتِ المَقْدِسِ فى سنَةِ ثلاثٍ وثَمانِين وخَمْسِمائةٍ ، واسْتدلَّ [٩/٢٨٨و] على ذلك بأشْياءَ ، فكتَب ذلك فى ورَقَةٍ وأعْطَاها للفقيهِ عيسى الهَكَّارِىِّ ؛ ليبَشِّرَ بها السلْطانَ ، فلم يتَجاسَرْ على ذلك خَوْفًا مِن عدَمِ المُطابقَةِ ، فأعْلَمَ بذلك القاضىَ مُحْيِى الدينِ بنَ الزَّكىِّ ، فنظَمَ معْنَاها فى قصيدةٍ يقولُ فيها :

وفتْحُكُمْ (٢حَلَبَ الشَّهْباءَ٢) فى صفَرٍ ... قَضَى لكم بافْتِتاحِ القُدْسِ فى رَجَبِ

وقدَّمها للسلْطانِ فقوِيت همةُ السلطانِ إلى ذلك ، فلمَّا افْتتَحها - كما سيأْتى - أَمَر القاضىَ فخطَبَ يومَئذٍ وكان يومَ الجمعةِ ، ولـمَّا بلَغَه أنَّ ابنَ جَهْبَلٍ هو الذى اطَّلَع على ذلك أوَّلًا ، أمرَه فدرَّسَ على نفْسِ الصخْرَةِ درْسًا عظيمًا ،

(١ - ١) فى م ، ص : « العربى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٢.

(٢ - ٢) فى الروضتين ٢/ ٤٦: « حلبا بالسيف » .

وأجْزَلَ له العطاءَ، وأحْسَنَ عليه الثَّناءَ.

فصلٌ

ثم رحَل السلطانُ مِن حَلَبَ فى أواخرِ ربيعِ الآخرِ بجيوشِه وعساكرِه وقد جعَل فيها وَلدَه الظاهِرَ غازِى، ووَلَّى قضاءَها لمحيِى الدينِ بنِ الزَّكىِّ، فاسْتَنابَ له فيها نائبًا، ورجَع هو مع السلطانِ فى خدمتِه، فاجتازَ بحَماةَ ثم بحِمْصَ ثم على بَعْلَبَكَّ، ثم دخَل دِمَشْقَ فى ثالثِ جُمادَى الأُولَى مؤيَّدًا منصورًا فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ونعمةٍ جسيمةٍ، وكان ذلك يومًا مشْهودًا، ومِن نيَّتِه الخروجُ سريعًا إلى قتالِ الفِرنْجِ، فبرَز منها فى أوَّلِ جُمادَى الآخرةِ فى جَحافِلِه قاصِدًا نحوَ القُدْسِ الشريفِ، فانْتَهَى إلى بَيْسَانَ فنهَبها، ونزَل على عَيْنِ جَالُوتَ، وأرسَل بينَ يدَيْه سريةً هائلةً فيها جُردَيكُ[1] وطائفةٌ مِنَ النُّورِيَّةِ، وجاولى مملوكُ عمِّه أسَدِ الدينِ، فوجَدُوا جيشَ الكَرَكِ مِنَ الفِرنْجِ قاصِدين إلى أصحابِهم؛ نجْدَةً لهم، فالْتَقَوا معهم فقتَلُوا مِنَ الفِرنْجِ خلقًا كثيرًا وأسَرُوا مِائةَ أسِيرٍ، ولم يُفْقَدْ مِن المسلمينَ سِوَى شخصٍ واحدٍ، ثم عادَ فى آخرِ ذلك اليومِ، وبلَغ السلْطانَ أنَّ الفِرنْجَ قدِ اجْتَمَعُوا لقتالِه، فقصَدهم وتصدَّى لهم لعلَّهم يُصافُّونَه، فنكَلُوا عنه فقتَل منهم خلقًا كثيرًا مِن أطرافِهم وجرَح مِثْلَهم، فرجَعُوا ناكِصينَ على أعْقابِهم خائِفينَ منه غايةَ المخافةِ؛ لكثرةِ جيشِه، وهو خلْفَهم يقتلُ ويأسِرُ حتى غوَّروا فى بلادِهم، فرجَع عنهم مؤيَّدًا منصورًا، وكتَب القاضى الفاضلُ إلى الخليفةِ يُعْلمُه بما مَنَّ اللَّهُ به على المسلمينَ مِن نصرِهم على الفِرنجِ، وكان لا يفعَلُ شيئًا ولا يريدُ أنْ يفْعَلَه إلَّا طالَعَ

---

(١) فى م: «بردويل»، وفى ص: «جرديل». والمثبت موافق لما فى الروضتين ٢/ ٥٠.

بذلك الخليفةَ ؛ أدَبًا واحْتِرامًا وطاعةً واحْتِشامًا .

فصلٌ

وفى رجَبٍ سارَ السلطانُ إلى الكَرَكِ ، فحاصَرها وفى صُحْبَتِه تقىُّ الدينِ عمرُ ابنُ أخيه ، وقد كتَب إلى أخيه العادلِ أبى بكرٍ [٩/٢٨٨ظ] ليَحْضُرَ إليه ليُولِّيَه حَلَبَ وأعْمالَها وَفْقَ ما كان طلَبه منه ، واستمرَّ الحِصارُ على الكَرَكِ مدَّةَ شهرِ رجَبٍ ، فلم يَظْفَرْ منها بطلَبٍ ، وبلَغَه أنَّ الفِرنْجَ قدِ اجْتَمعُوا كلُّهم ليمنَعُوا منه الكرَكَ فكَرَّ راجعًا إلى دِمَشْقَ ؛ ليلقاهم - وذلك مِن أكبرِ هَمِّه وأعظمِ طلبِه - وأرسَلَ ابنَ أخيه تقىَّ الدينِ عمرَ إلى مِصْرَ نائبًا ، وفى صُحْبَتِه القاضى الفاضلُ ، وبعَث أخاه على مَمْلَكَةِ حَلَبَ وأعْمالِها ، واسْتَقدَم ولَدَه الظاهِرَ إليه ، وكذلك نُوَّابَه ومَن يعِزُّ عليه ، وإنَّما أعْطَى السلطانُ أخاه العادلَ حَلَبَ ليكونَ قريبًا منه ، فإنَّه كان لا يقْطَعُ أمْرًا دونَ مشورتِه ، واقْتَرضَ الناصرُ مِن أخيه أبى بكرٍ العادلِ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وتألَّم الظاهِرُ بنُ الناصرِ على مُفارقَةِ حَلَبَ ، وكانت إقامتُه الأولى بها سِتَّةَ أشهرٍ ، ولكنَّه لا يُظْهِرُ ما فى نفْسِه لوالدِه ، لكِن يَظهرُ ذلك على صَفَحاتِ وجْهِه وفَلَتاتِ لسانِه(*) .

(*) فى حاشية الأصل : « بيض هنا للوفيات بياضا مقدار عشرة أسطر» .

ثم دخَلَت سنَةُ ثمانيـنَ وخَمْسِمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] أرسَل السلطانُ إلى العساكرِ الحلَبيَّةِ والجزَريَّةِ والمِصْرِيَّةِ، فقدِمَ عليه تقيُّ الدينِ عمرُ مِن مِصْرَ ومعه القاضى الفاضِلُ، وجاء مِن حَلَبَ أبو بكرٍ العادِلُ، وقدِمَتْ ملُوكُ الجزيرةِ وسِنْجارَ وتلك النواحى والأقطارِ، وأخَذها كلَّها مع جيشِه، فسارَ بها إلى الكرَكِ، فأحْدَقُوا بها فى رابعَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى، ورَكَّبَ عليها المجانيقَ، وكانتْ تِسْعَةً، وأخَذ فى حِصارِها؛ وذلك لأنَّه رأى أنَّ فتْحَها الآنَ أنفعُ للمسلمينَ، فإنهم يقْطَعُونَ الطريقَ على الحجيجِ والتجارِ فى البرارىِّ والبحارِ، فبَيْنَما هو كذلك إذْ بلَغه أنَّ الفِرنجَ - لعَنهم اللَّهُ - قدِ اجْتَمَعُوا له كلُّهم فارِسُهم ورَاجِلُهم؛ ليمنَعُوا منه الكرَكَ، فانْشَمر عنها وقصَدَهم، فنزَل على حُسْبانَ[2] تُجاهَهم، ثم صارَ إلى ماءِ عين، فانْهزَمَت الفِرنجُ قاصدِين الكرَكَ، فأرسَل وراءَهم مَنْ قتَل منهم مقْتلَةً عظيمةً، وأمَر السلطانُ الجيوشَ بالإغارَةِ على السواحلِ؛ لخُلُوِّها مِنَ المُقاتِلَةِ، فنُهِبَتْ نَابُلُسُ وما حوْلَها مِن القَرايا والرَّساتِيقِ، ثم عادَ السلطانُ إلى دِمَشْقَ، فأذِن للعساكرِ فى الانْصرافِ إلى بُلدانِهم الشتَّى، وأمَر ابنَ أخيه تقيَّ الدينِ عمرَ الملكَ المُظَفَّرَ أنْ يعودَ إلى مِصْرَ بعسكرِه، وكذلك أخاه العادلَ أن يعودَ إلى الشهباءِ[3]، وأقامَ السلطانُ بدِمشقَ؛

---

(١) الكامل ١١/ ٥٠٦، والروضتين ٢/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٥٨.

(٢) فى م: «حسان». وحسبان: مدينة عَمل البلقاءِ، وهى بلدة صغيرة، ولها وادٍ وأشجار وأرحية وبساتين وزروع. صبح الأعشى ٤/ ١٠٦.

(٣) أى: حلب.

ليؤدِّىَ فرضَ الصيامِ ، ولتَجُمَّ الخيلُ ويُحَدَّ الحُسامُ ، وقدِمت على السلْطانِ خِلَعُ الخليفةِ فلَبِسَها ، وألْبَسَ أخَاه العادِلَ ، وابنَ عمِّه ناصرَ الدينِ محمدَ بنَ شِيَركُوه ، [٢٨٩/٩و] ثم خلَعَ السلطانُ خِلْعتَه على ناصرِ الدينِ بنِ قرا أرْسَلَانَ ، صاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا وخَرْتَبِرْتَ وآمِدَ التى أطْلَقها له السلْطانُ .

وفى هذه السنةِ مات ابنُ عمِّه[1] صاحبُ ماردِينَ وميَّافارقِينَ وتلك الأعمالِ ، وهو قطبُ الدينِ إيلغازى بنُ ألبى بن تَمُرْتاشَ بنِ إيلغازى بنِ أُرْتُقَ ، فقامَ فى المُلكِ بعدَه ولدُه وله مِنَ العُمرِ عشْرُ سنين .

وفيها ماتَ صاحِبُ المغْربِ - أيضًا - يُوسُفُ بنُ عبدِ المؤمنِ بنِ علىٍّ ، وقامَ فى المُلكِ بعدَه ولَدُه يَعْقُوبُ .

وفى أواخرِ السنةِ بلَغ السلطانَ صلاحَ الدينِ أنَّ صاحِبَ المَوْصِلِ نازِلٌ إرْبِلَ ، فبعَث صاحِبُها يسْتَصْرِخُ بالسلطانِ ، فركِبَ مِن فورِه إليه فى جنودِه وعساكرِه ، فسارَ إلى بَعْلَبَكَّ ، ثم إلى حمصَ ثم إلى حمَاةَ ، فأقامَ بها أيامًا ينْتَظِرُ وصولَ العمادِ الكاتبِ إليه ؛ وذلكَ لأنَّه حصَل له ضعْفٌ فأقامَ ببَعْلَبَكَّ ريثَما اسْتَبلَّ مِن مرضِه[2] ، وقد أرسَل إليه القاضى الفاضِلُ مِن دِمَشْقَ حكيمًا يقالُ له : أسْعَدُ بنُ إلياسَ المَطْرانُ . فعالَجه معالجةَ مَن طَبَّ لمَن حَبَّ[*] .

---

(١) أى : ابن عمّ ناصر الدين بن قرا أرسلان . انظر ترجمته فى : الكامل ١١/ ٥٠٨، والروضتين ٢/ ٦٠.

(٢) استبل من مرضه : صحّ . التاج (ب ل ل) .

(*) فى حاشية الأصل : « هنا بياض للوفيات فى نسخة الأصل مقدار عشرين سطرًا » .

ثم دخَلَت سنةُ إحْدَى وثمانيـنَ وخَمْسِمائةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ هذه السنةُ والسلطانُ مُخَيِّمٌ بظاهرِ حَمَاةَ ، فسارَ إلى حَلبَ ، وتلقَّاه أخوه العادلُ ، واجتمَعت إليه العساكرُ ، فخرَج منها فى صفَرٍ ؛ لقصدِ المَوْصِلِ فقطَع الفُراتَ ، وجاء إلى حَرَّانَ فقبَض على صاحبِها مُظَفَّرِ الدينِ بنِ زَينِ الدينِ ، وهو أخو زَيْنِ الدينِ صاحِب إرْبِلَ ، ثم رَضِى عنه ، وأعادَه إلى مُلْكِتِه حتى يتَبَيَّنَ حُسنَ طوِيَّتِه ، ثم سارَ منها إلى المَوْصِلِ فتلَقَّاه المُلوكُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وجاءَ إلى خدْمَتِه عمادُ الدينِ أبو بكرِ بنُ قَرا أرْسَلَانَ صاحِبُ بلادِ بكرٍ وآمِدَ ، ثم بلَغه موتُ أخيه نورِ الدينِ أرسَلانَ ، فطلَب دستورًا ؛ ليأخذَ مملكتَه فأعطَاه ، وسارَ السلْطانُ فنزَلَ على الإسْماعِيلِيَّاتِ قريبًا مِن المَوْصِلِ ، وجاءَه صاحبُ إرْبِلَ زَينُ الدينِ وهو ممَّن خضَع له ملُوكُ تلك الناحيةِ - كما تقدَّم - وأرسَل السلطانُ ضياءَ الدينِ بنَ كمالِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىَّ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بما عزَم عليه مِن حصارِ المَوْصِلِ ، وإنما مقصودُه ردُّهم إلى طاعَةِ الإمامِ ، ونُصْرَةِ الإسْلامِ ، فحاصَرها مدةً ، ثم ترَحَّلَ عنها فى آخرِ ربيعِ الأولِ ولم يفتَحْها ، وسارَ إلى خِلَاطَ[2] واسْتَحوذَ على بُلْدانٍ كثيرةٍ ، وأقاليمَ جَمَّةٍ ببلادِ الجزيرةِ وديارِ بَكْرٍ ، وجرَتْ أمورٌ طويلةٌ قدِ [٩/٢٨٩ظ] اسْتَقْصَاها ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ » ، وصاحبُ « الروضَتَيْنِ »[3] ، ثم وقَع الصلحُ بيْنَه وبيـنَ المَوَاصِلَةِ ، على أنْ يكونُوا مِن جُنْدِه إذا ندَبَهم لقتالِ الفِرنجِ ، وعلى أنْ

---

(١) الكامل ١١/ ٥١١، والروضتين ٢/ ٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٥.

(٢) خلاط : بلدة بأرمينية . التاج (خ ل ط) .

(٣) انظر الكامل ١١/ ٥١٥، والروضتين ٢/ ٦٢.

يُخْطَبَ له ، وتُضْرَبَ السِّكَّةُ باسمِه ، ففعَل ذلك فى تلك البلادِ كلِّها ، وانقطَعتْ خطبةُ السَّلاجِقَةِ والأزيقيَّةِ[1] بتلك البلادِ كلِّها ، واتفَق الحالُ وزالَ الإشكالُ .

واتفَق أنه مرِض بعدَ هذا مرَضًا شديدًا ، وهو يتجَلَّدُ ولا يُظْهِرُ شيئًا مِنَ التألُّمِ حتى قوِىَ عليه الأمرُ وتزايَد الحالُ ، حتى وصَل إلى حَرَّانَ ، فخَيَّمَ هُنالِكَ مِن شدَّةِ ألَمِه ، وشاعَ ذلك فى البلادِ ، فخافَ الناسُ عليه وأرْجَف الكَفرةُ والمُلْحِدُون ، وخافَ أهلُ البِرِّ والمؤمنون ، وقصَده أخوه أبو بكرٍ العادِلُ مِن حلَبَ بالأطِبَّاءِ والأدويةِ ، فوجَده فى غايةِ الضعفِ ، وأشارَ عليه بأنْ يُوصِىَ ويعهَدَ ، فقال : ما أُبالِى وأنا أترُكُ مِن بعْدِى أبا بكرٍ وعمرَ وعُثْمانَ وعليًّا - يعْنِى أخاه العادِلَ صاحبَ حلبَ ، وتقِىَّ الدينِ عمرَ صاحِبَ حَمَاةَ وهو إذْ ذاكَ نائبُ مِصْرَ ، وهو بها مقيمٌ ، وابْنَيْه العزيزَ عُثْمانَ والأفْضَلَ عليًّا - ثُمَّ نذَرَ للَّهِ تعالى لئنْ شفَاه اللَّهُ مِن مرضِه هذا ليصْرِفَنَّ هِمَّتَه كلَّها إلى قتالِ الكفارِ ، ولا يقاتِلُ بعدَ ذلك مُسْلِمًا ، وليجْعَلَنَّ أكبرَ همِّه فتحَ بيتِ المَقْدِسِ ، ولو صرَفَ فى سبيلِ ذلك جميعَ ما يملِكُه مِن الأموالِ والذخائرِ وَلَيَقْتُلَنَّ البرنسَ صاحِبَ الكَرَكِ بيَدِه ؛ وذلك لأنَّه نقَض العهدَ الذى عاهَد السلطانَ عليه فغدَر بقافلةٍ مِن تجارِ مصرَ ، فأخَذ أموالَهم ، وضرَب رِقابَهم صَبْرًا بينَ يدَيه ، وهو يقولُ : أيْنَ مُحمَّدُكُم ينْصُرُكم ؟ وكان هذا النَّذْرُ كلُّه بإشارةِ القاضى الفاضلِ ، رحِمه اللَّهُ ، وهو الذى أرْشَده إلى ذلك وحثَّه عليه ، حتى عقَدَه مع اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فشفَاه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وعافَاه ممَّا كان ابتَلَاه به مِن ذلك المرضِ الذى كان فيه ؛ كفارةٌ لذُنوبِه ورفعٌ لدرجتِه ونصرةٌ للإسلام وأهلِه ، وجاءتِ البشائرُ بذلك مِن كلِّ ناحيةٍ ، وزُيِّنتِ البلادُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وكتَب القاضى الفاضلُ مِن دِمَشْقَ وهو مقيمٌ بها إلى المظفَّرِ تقىِّ الدينِ عمرَ

---

(١) الأزيقية : هم قرائب أصحاب ماردين . مسالك الأبصار ٢٧/ ٢٣١.

نائبِ مصرَ لعمِّه الناصرِ ؛ أنَّ العافيةَ الناصريَّةَ قدِ اسْتفاضَتْ أخْبارُها ، وأنوارُها وآثارُها ، ووَلَّتِ العِلَّةُ ، وللَّهِ الحمدُ ، وأُطفِئَتْ نارُها ، وانْجلَى غُبارُها ، وخمَد شَرارُها ، وما كانتْ إلَّا فلْتَةً وَقَى اللَّهُ شرَّها ، وعظيمةً كفَى اللَّهُ الإسْلامَ أمرَها ، ونَوْبَةً امْتَحَن اللَّهُ فيها نفُوسَنا ، فرأَى أقلَّ ما عندَها صبرَها ، وما كانَ اللَّهُ ليُضِيعَ الدعاءَ وقد أخْلَصتْه القُلُوبُ ، ولا ليُوقِفَ الإجابةَ وإنْ سدَّتْ طريقَها الذُّنوبُ ، ولا لِيُخْلِفَ وعدَ فرَجٍ وقد أيِس الصاحِبُ والمصْحُوبُ :

[٩/ ٢٩٠و] نِعيٌّ زادَ فيه الدهرُ مِيما فأصْبَحَ بعدَ بُؤْساهُ نَعِيما
وما صَدَق النذِيرُ به لأنِّى رأيتُ الشمسَ تطلعُ والنُّجوما[1]

وقد استقبَلَ مؤلانا السلطانُ الملكُ الناصرُ العافيةَ غضَّةً جديدةً ، والعَزْمَةَ ماضيةً حديدةً ، والنَّشاطَ إلى الجهادِ ، والجنَّةَ مبْسُوطَةَ البِساطِ ، وقدِ انْقضَى الحِسابُ وجُزْنا الصِّراطَ ، وعُرِضْنا نحنُ على الأهْوالِ التى مِن خوْفِها كادَ الجمَلُ يَلِجُ فى سَمِّ الخياطِ .

ثم ركِبَ السلْطانُ مِن حرَّانَ بعدَ العافيةِ فدخَلَ حلَبَ ، ثم اجتازَ بحماةَ وحمصَ ، ودخَل إلى دِمَشقَ ، وقد تكامَلَتْ عافيتُه ، وقد كان يومُ دخولِه إليها يومًا مشهودًا وصباحًا محمودًا ، وللَّهِ المنةُ .

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الفقيهُ مُهذِّبُ الدينِ ، عبدُ اللَّهِ بنُ أسعدَ الموْصِلىُّ[2] مدرِّسُ حِمْصَ ، وكان

---

(١) الروضتين ٢/ ٦٦.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٢٧٩، والروضتين ٢/ ٦٧، وإنباه الرواة ٢/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٧٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٠٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢٠.

بارعًا فى فُنونٍ ، ولا سِيَّما فى الشعرِ والأدبِ ، وقد أثْنى عليه العِمادُ ، والشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ .

الأميرُ ناصِرُ الدينِ محمدُ بنُ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه[1] صاحِبُ حِمْصَ والرَّحْبَةِ ، وهو ابنُ عمِّ السلطانِ صلاحِ الدينِ ، وزوْجُ أختِه سِتِّ الشامِ بنتِ أيُّوبَ ، كانَت وفاتُه بحِمْصَ فنقَلَتْه زوْجتُه ستُّ الشَّامِ إلى تُرْبتِها بالمدرسةِ الشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، فقبْرُه هو الأوْسَطُ بينَها وبينَ أخيها المعظَّمِ تُورَانشاه صاحِبِ اليمنِ ، وقد خلَّفَ ناصرُ الدينِ محمدٌ مِنَ الأموالِ والذخائرِ شيئًا كثيرًا ، يُنيِّفُ على ألفِ ألفِ دينارٍ . وكانت وفاتُه يومَ عرَفَةَ فجأةً ، فوَلِيَ مِن بعدِه مَمْلكةَ حِمْصَ ولَدُه أسدُ الدينِ شِيرِكُوه بأمْرِ السلطانِ ، أيَّده اللَّهُ تعالى .

[2]محمودُ بنُ أحمدَ[2] بنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحيمِ ، الشيخُ جمالُ الدينِ أبو الثَّناءِ المحْمودىُّ بنُ الصَّابُونىِّ ؛ [3]لأنَّ جدَّ أمِّه[4] الشيخُ أبو عثمانَ الصابونىُّ[3] ، كان أحدَ الأئمةِ المشاهيرِ ، وإنَّما يقالُ له : المحْمُودِىُّ . لصُحْبَةِ جَدِّه السلطانَ محمودَ بنَ محمدِ بنِ ملكشاه ، فقدِم الشيخُ جمالُ الدينِ هذا الشامَ فى أيامِ السلطانِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكى فأكْرَمه واحترَمه ، ثم سارَ إلى

---

(١) الروضتين ٢/ ٦٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٢، والوافى بالوفيات ٣/ ١٥٤.

(٢ - ٢) فى م : «المحمودى بن محمد» . وانظر ترجمته فى : الروضتين ٢/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٩. وانظر مقدمة كتاب «تكملة إكمال الإكمال» للدكتور مصطفى جواد ص ٣٣ وما بعدها .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، ص : «أبيه» . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٣٠، وفى الروضتين ٢/ ٦٨: «جد أبيه لأمه» .

مصرَ فنزَلها ، وكان صلاحُ الدينِ يُكرِمُه أيضًا ، ووقَف عليه وعلى ذُرِّيَّتِه أرْضًا ، فهى لهم إلى الآنَ .

الأميرُ الكبيرُ سعْدُ الدينِ مسعودُ بنُ مُعِينِ الدينِ[1] ، كان مِن الأمراءِ الكبارِ أيامَ نورِ الدينِ وصلاحِ الدينِ ، وهو أخو السِّتِّ خاتُون ، وحينَ تزوَّجها صلاحُ الدينِ زوَّجه أخْتَه السِّتَّ ربيعةَ خَاتُون بنتَ أيُّوبَ ، التى تُنْسَبُ إليها المدرسةُ الصلاحيةُ بالسَّفْحِ على الحنابلةِ ، وقد تأخَّرَتْ مدَّتُها فتُوفِّيَتْ فى سنةِ ثلاثٍ وأربعينَ وسِتِّمائةٍ[2] ، [٩/٢٩٠ظ] وكانت آخرَ مَن بَقِىَ مِن أولادِ أيُّوبَ لصُلْبِه ، وكانت وفاتُه بدِمَشقَ فى جُمادَى الآخرةِ مِن جُرحٍ أصابَه وهو فى حِصارِ ميَّافَارِقِينَ .

السِّتُّ خاتون عِصْمةُ الدينِ بنتُ مُعِينِ الدينِ[3] ، نائبِ دِمَشْقَ ، وأتابكِ عسكرِها قبلَ نُورِ الدينِ ، كما تقدَّم[4] ، وقد كانت زوجةَ نورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ ، ثم خلَف عليها مِن بعدِه صلاحُ الدينِ فى سنةِ ثِنتيْن وسبعين وخمسِمائةٍ ، وكانت مِن أحسنِ النساءِ وأعَفِّهِنَّ وأكثرِهنَّ صدقةً ، وهى واقِفَةُ الخاتُونيَّةِ الجُوانِيَّةِ بمَحَلَّةِ حَجَرِ الذهَبِ ، وخانِقاه خاتُون ظاهِرَ بابِ النَّصْرِ فى أوَّلِ الشرفِ القِبْلىِّ على بانْياسَ ، ودُفِنَتْ بتُرْبتِها فى سفحِ قاسِيُونَ قريبًا مِن قِبابِ الشَّرْكسِيَّةِ ، وإلى جنْبِها دارُ الحديثِ الأشْرَفِيَّةُ والأتابِكيَّةُ ، ولها أوْقافٌ كثيرةٌ غيرُ ذلك ، وأمَّا

---

(١) ديوان ابن الدهان ص ١٦٦، والكامل ١١/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٠٥، والسلوك ١/١/ ٩٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٩٩.

(٢) فى الأصل: «سبعمائة».

(٣) مرآة الزمان ٨/١/ ٣٨٥، والعبر ٤/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٠، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٢.

(٤) تقدم فى ص ٣٢٦.

الخاتُونِيَّةُ البَرَّانِيَّةُ التى على القنَواتِ بمحِلَّةِ صَنْعاءِ الشامِ ، ويُعرَفُ ذلك المكانُ التى هى فيه بتَلِّ الثَّعالبِ ، فهى مِن إنْشاءِ الستِّ زُمُرُّدَ خَاتُون بنتِ جاولِى ، وهى أختُ الملكِ دُقاقَ لأمِّه ، وكانت زوجةَ زنْكِى والدِ نورِ الدينِ محمودٍ ، صاحبِ حلَبَ ، وقد ماتَتْ قبلَ هذا الحينِ كما تقدَّم[1] ، رحِمها اللَّهُ تعالى .

الحافِظُ الكبيرُ أبو مُوسَى المَدِينىُّ ، محمدُ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ[2] الأصْبهانِىُّ ، الحافِظُ أبو موسى المدِينىُّ ، أحدُ حفَّاظِ الدنيا الرَّحَّالِين الجَوَّالين له مصنَّفاتٌ عديدةٌ ، وشرَح أحادِيثَ كثيرةً ، رحِمه اللَّهُ .

أبو القاسِمِ وأبو زيْدٍ ، عبدُ الرحمنِ بنُ الخطيبِ أبى محمدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ الخطيبِ أبى عمرَ أحمدَ بنِ أبى الحسَنِ أَصْبَغَ بنِ حسينِ بنِ سَعْدُونَ بنِ رِضوانَ ابنِ فَتُّوحٍ – هو الداخِلُ إلى الأنْدَلُسِ – الخثْعمِىُّ السُّهيْلِىُّ[3] حكَى القاضى ابنُ خَلِّكـانَ[4] ، عن ابنِ دِحْيَةَ أنَّه أمْلَى عليه نسبَه ، كذلك قال ابنُ خَلِّكانَ : والسُّهَيْلِىُّ نِسبَةً إلى قريةٍ بالقربِ مِن مالَقَةَ[5] ، اسْمُها سُهيْلٌ ؛ لأنَّه لا يُرَى سُهيْلٌ النَّجْمُ فى شىءٍ مِن تلك البلادِ إلَّا مِن رأسِ جبَلٍ شاهقٍ عندَها . وُلِد السُّهيْلِىُّ سنةَ ثَمانٍ وخمسِمائةٍ ، وقرَأ القراءاتِ واشْتَغل ، وحصَّل حتى برَع وسادَ أهلَ زمانِه

---

(١) تقدم فى ص ٤٠٤ .

(٢) فى م : «محمد». وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٥٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٦٠.

(٣) إنباه الرواة ٢/ ١٦٢، والمطرب من أشعار المغرب ص ٢٣٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١١٣.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٤٣.

(٥) مالقة : مدينة بالأندلس عامرة . معجم البلدان ٤/ ٣٩٧.

بقوةِ القريحةِ وجَوْدَةِ الذهنِ، وحسنِ التصانيفِ، وكان ضريرًا مع ذلك. له كتابُ «الرَّوْضِ الأُنُفِ» يذكُرُ فيه نُكَتًا حسَنَةً على السِّيرةِ لم يُسْبَقْ إلى أشياءَ كثيرةٍ منها، وله كتابُ «الإعلامِ فيما أُبهِم فى القرآنِ مِن الأسماءِ الأعْلامِ»، وكتابُ «نتائجِ الفِكَرِ»، ومسألةٌ فى الفرائضِ بدِيعَةٌ، ومسألةٌ فى السِّرِّ فى كَوْنِ الدَّجَّالِ أعْوَرَ، وأشْياءُ كثيرةٌ فرِيدةٌ بديعةٌ مُفِيدَةٌ، وله أشعارٌ حسنةٌ، وكان عفيفًا فقيرًا، وقد حصَل له مالٌ كثيرٌ فى آخرِ عُمرِه مِن صاحبِ مَرَّاكُشَ، كانت وفاتُه فى هذه [٢٩١/٩و] السنةِ يومَ الخميسِ السادسَ والعشرينِ مِن شعبانَ، وله قصيدةٌ كان يدْعُو اللَّهَ بها ويرْتجِى الإجابةَ فيها وهى قولُه[1]:

يا مَن يرَى ما فى الضَّميرِ ويسمَعُ ... أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتوَقَّعُ
يا مَن يُرجَّى للشدائدِ كلِّها ... يا مَن إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ
يا مَن خزائنُ رِزْقِهِ فى قولِ كُنْ ... امْنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَك أجمَعُ
ما لِى سِوى فَقرِى إليك وسِيلةٌ ... فبالافْتِقارِ إليك فقْرِى أدْفَعُ
ما لِى سوى قرْعِى لبابِك حِيلةٌ ... فلَئِنْ رَدَدْتَ فأىَّ بابٍ أقْرَعُ
ومَن الذى أدعو وأهْتِفُ باسمِه ... إن كان فضلُكَ عن فقيرِك يُمْنَعُ
حَاشَا لمَجْدِكَ أنْ يُقَنِّطَ عاصِيًا ... الفضلُ أَجْزَلُ والمواهِبُ أوْسَعُ

---

(١) المطرب من أشعار المغرب ص ٢٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٣.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة[1]

فى ثانى ربيعِ الأوَّلِ مِنها كان دخولُ السلطانِ صلاحِ الدينِ إلى دِمشقَ بعدَ عافيتِه ، وكان يومًا مشهودًا كما جرَت بمثلِ ذلك عادةُ الملوكِ ، واجتمَع بالقاضى الفاضلِ وزارَه واستزارَه ، وفاوَضه واسْتَشارَه ، وكان لا يقْطَعُ أمْرًا دونَه ، ولا يُخْفِى عنه مَكْنُونَه ، ولا ضميرَه ومضمونَه ، ثم قرَّر السلطانُ فى مُلكِ دِمَشْقَ ولَدَه الأفضلَ عليًّا ، ونزَل العادِلُ أبو بكرٍ عن حَلَبَ لصِهْرِه ، زوْجِ ابنَتِه الملكِ الظاهرِ غازِى ابنِ السُلْطانِ ، وأرسَل السلْطانُ أخاه العادِلَ صُحْبةَ ولدِه عمادِ الدينِ عُثمانَ الملكِ العزيزِ على مُلكِ مِصْرَ ، ويكونُ العادِلُ أتابِكَه ، وله أقْطاعٌ عظيمةٌ جدًّا ، وعزَل عنها نائِبَها تقىَّ الدينِ عمرَ ، فعزَمَ على الدخولِ إلى إفْرِيقِيَّةَ ، فلم يزَلِ السلطانُ يُكاتبُه ويتلَطَّفُ به ويترَفَّقُ له حتى أقبَل بجُنودِه نحوَه ، فأكْرَمه واحْتَرَمه وعظَّمه وأقْطَعه حَمَاةَ وبلادًا كثيرةً معها - وقد كانتْ له قبلَ ذلك - وزادَه على ذلك مدينةَ مَيَّافَارِقِينَ ، وامْتدَحه العِمادُ الكاتِبُ بقصيدةٍ سِينِيَّةٍ سَنِيَّةٍ ذكَرها فى « الرَوْضتَيْنِ »[2] .

وفى هذِه السنةِ هادَن قُومَصُ طَرابُلُسَ السلطانَ وصالَحه وصَافَاه ، حتى كان يقاتلُ ملُوكَ الفِرنْجِ أشدَّ القِتالِ ويسبى منهمُ النساءَ والأطفالَ ، وكادَ أن يُسْلِمَ ولكِنْ صدَّه [3]شيطانُه ورمَاه بالخَبَالِ[3] ، وكانت مصالحتُه مِن أقْوَى أسْبابِ نُصْرَةِ

---

(١) الكامل ١١/ ٥٢٣، والروضتين ٢/ ٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٠.
(٢) الروضتين ٢/ ٧١.
(٣ - ٣) فى م : « السلطان فمات على الكفر والطغيان » .

السلطانِ على الفِرنْجِ ، ومِن أشدِّ ما دخَل عليهم فى دِينِهم ودنياهم .

قال العمادُ الكاتبُ[1] : وكان المُنَجِّمون فى جميعِ البلادِ [٩/٢٩١ظ] يحكُمون بخرابِ العالمِ فى شعبانَ عندَ اجتماعِ الكواكِبِ السِّتَّةِ فى الميزانِ بطوفانِ الريحِ فى سائرِ البُلْدانِ ، وذكَر أنَّ ناسًا مِن الجهَلَةِ تأهَّبُوا لذلك بحَفْرِ مَغاراتٍ ومُدَّخَلاتٍ وأسْرابٍ فى الأرْضِ خوفًا مِن ذلك . قال : فلمَّا كانتْ تلك الليلةُ التى أشارُوا إليها وأجْمَعُوا عليها لم يُرَ ليلةٌ مثلُها فى رُكُودِها ورُكُونِها وَهُدوِّها وهُدُونِها ، وكذا ذكَر غيرُ واحدٍ مِن الناسِ ، وقد نظَمَ الشعراءُ فى تكْذيبِ المنجِّمين فى هذه الواقعةِ وغَيرِها أشْعارًا حسنةً ، فمِن ذلك قولُ عيسى بنِ مودودٍ[2] :

مزِّقِ التقويمَ والزِّيـ ... ـجَ فقدْ بانَ الخفاءُ
إنَّما التقويمُ والزِّيـ ... ـجُ هَباءٌ وهَواءُ
قُلْتَ للسَّبْعَةِ إبْرا ... مٌ ومَنْعٌ وعطاءُ
ومتى ينْزِلْنَ فى المِيـ ... ـزانِ يسْتَوْلِى الهَواءُ
ويُثيرُ الرَّمْلَ حتى ... يَمْتَلِى منه الفضاءُ
ويعمُّ الأرضَ خَسفٌ ... وخَرابٌ وبَلاءُ
ويصيرُ القَاعُ كالقُـ ... ـفِّ وكالطَّوْدِ العراءُ
وحكَمتمْ فأبَى الحا ... كِمُ إلَّا ما يشَاءُ
ما أتَى الشرْعُ ولا جا ... ءَتْ بهذا الأنبياءُ

---

(١) الروضتين ٢/ ٧٢، والكامل ١١/ ٥٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٣، وفيها أن الكواكب ستجتمع فى جمادى الآخرة .

(٢) الروضتين ٢/ ٧٣.

فبَقِيتُمْ ضُحْكَةً يضْـ ـحَكُ منها العُلَمَاءُ
حَسْبُكُمْ خِزْيًا وعارًا ما يقولُ الشُّعَراءُ
ثم ما أطْمَعكُم فى الـ ـحُكْمِ إلَّا الأُمَراءُ
ليتَ إذ لم يُحْسِنُوا فى الدِّ ينِ ظنًّا ما أسَاءُوا
فعلى اصْطِرْلَابِ بَطْلَيْـ ـمُوسَ والزِّيجِ العَفَاءُ
وعليه الخِزْىُ ما جا دَتْ على الأرضِ السَّمَاءُ

وممَّنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن المشاهيرِ :

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الوَحْشِ برِّىِّ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ برِّىٍّ ، المقْدِسِىُّ ثم المِصْرِىُّ[1] ، أحدُ أئمةِ اللغةِ والنحوِ فى زمانِه ، وعليه تُعرَضُ الرسائلُ بعدَ ابنِ بابَشَاذَ ، وكان كثيرَ الاطِّلاعِ ، عالمًا بهذا الشأنِ ، مُطَّرِحًا للتَّكَلُّفِ فى كلامِه ، لا يُعَرِّجُ على الإعْرابِ فيه [٢٩٢/٩و] إذا خاطَب الناسَ ، وله التصانيفُ المفيدةُ ، وقد جاوَز الثمانين بثلاثِ سِنين ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٥٦، وإنباه الرواة ٢/ ١١٠، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٣٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٢١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤.

ثم دخلتْ سنَةُ ثلاثٍ وثمانين وخَمْسِمِائَةٍ

فيها[1] كانتْ وقْعةُ حِطِّينَ التى كانتْ أمارةً ومُقَدِّمةً وبشارةً لفتحِ بَيْتِ المَقْدِسِ على المؤمنين، واسْتِنْقَاذِه مِن أيدِى الكافِرين، قال ابنُ الأثيرِ فى الكاملِ[2]: كان أوَّلُ يومٍ مِنها يومَ السبتِ، وكان يومَ النَّيْرُوزِ، وذلك أوَّلُ سنَةِ الفُرْسِ، واتَّفَق أنَّه أوَّلُ سَنةِ الرومِ أيضًا، وهو اليومُ الذى نزَلتْ فيه الشمسُ بُرْجَ الحَمَلِ، وكذلك كان القمرُ فى بُرْجِ الحَمَلِ أيضًا. قال: وهذا شىءٌ يَبْعُدُ وقوعُ مثلِه.

وبرَز السلْطانُ مِن دِمَشْقَ يومَ السبتِ مُسْتَهَلَّ المحرمِ - وقيل: فى أثنائِه - فى الجيشِ العَرَمْرَمِ ليجاهدَ بأهلِ الجنَّةِ أهلَ جَهنَّمَ، فسارَ إلى رأسِ الماءِ، فنزَل ولَدُه الأفضلُ هناك فى طائفةٍ مِن الجيشِ وتقدَّمَ السلطانُ ببقيَّةِ الجيشِ إلى بُصْرَى، فخيَّم على قَصْرِ [3]أبى سلامةَ[3] ينْتظِرُ قدومَ الحُجَّاجِ، وفيهم أختُه ستُّ الشامِ وابنُها حُسَامُ الدينِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ لاچينَ، ليَسْلَمُوا مِن مَعَرَّةِ إبْرَنْسِ الكرَكِ الذى غدَر ونقَض العهدَ وفجَر. فلمَّا اجتازَ الحجِيجُ فى أواخرِ صفرٍ، سارَ السلْطانُ فنزَل الكرَكَ وقطَع ما حولَه مِنَ الأشْجارِ ورعَى الزروعَ وأكَلُوا الثمارَ، وجاءَته العساكرُ المصريةُ وتوافَتِ الجيوشُ الشرقيةُ بالرماحِ الخَطِّيَّةِ والسيوفِ

---

(١) الكامل ١١/ ٥٣٤، والروضتين ٢/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٥.
(٢) الكامل ١١/ ٥٢٩.
(٣ - ٣) فى م: «أبى سلام»، وفى الروضتين ٢/ ٧٥: «السلامة».

المشْرقِيَّةِ ، فنزَلُوا عندَ ابنِ السلطانِ على رأسِ الماءِ ، وبعَث الأفضلُ سرِيَّةً نحوَ بلادِ الفِرنْجِ ، فقتَلَتْ وغنِمَت وسَلِمَت وكسَرت وأسَرت ، ورجَعت فبشَّرت بمُقَدِّماتِ الفتحِ والنصرِ ، وجاءَ السلْطانُ فى جحَافِلِه والتفَّتْ عليه جميعُ العساكرِ البادى مِنهم والحاضرُ ، فرتَّبَ الجيوشَ والأطلابَ[1] ، وسارَ قاصدًا بلادَ الساحلِ ، وكان جملةُ مَن مَعه مِن المُقاتِلةِ اثْنَىْ عشَرَ ألفًا غيرَ المُطَّوِّعَةِ ، فتسامَعتِ الفِرنجُ بمَقْدَمِه ، فاجْتمَعُوا كلُّهم وتصالَحُوا فيما بيْنَهم ، ودخَل معهم قُومَصُ أطْرَابُلُسَ الغادرُ وإبْرَنْسُ الكرَكِ الفاجرُ ، وجاءُوا بقَضِّهم وقضيضِهم[2] وأهلِ أَوْجِهِم وحضيضِهم ، واسْتَصْحَبُوا معهم صليبَ الصَّلَبوتِ[3] يحمِلُه مِنهم عُبَّادُ الطاغُوتِ ، وضُلَّالُ الناسُوتِ واللَّاهوتِ ، فى خَلْقٍ لا يعلَمُ عدَدَهم إلَّا اللَّهُ تعالى ، يقالُ : كانوا خمسينَ ألفًا . وقيلَ : ثلاثًا وستِّين ألفًا . وقد خوَّفَهم صاحبُ طَرابُلُسَ بأسَ المسلمين ، فاعْترَض عليه الإبْرَنسُ أَرناطُ صاحبُ الكرَكِ فقالَ له : لا أشكُّ أنكَ تُحبُّ المسلمين [٩/٢٩٢ظ] وتخوِّفُنا كَثْرتَهم ، والنارُ لا تخافُ مِن كثرةِ الحطبِ . فقال القُومَصُ لهم : ما أنا إلَّا مِنكم ، وسَترَون غِبَّ ما أقولُ لكم . فتقدَّمُوا وأقبَل السلطانُ ففتَح طَبَرِيَّةَ ، وتقوَّى بما فيها مِن الأطعمةِ والأمتعةِ وغيرِ ذلك ، وتحصَّنَت عنه القلعةُ فلم يشتغلْ بها ، وحازَ البُحَيْرَةَ فى حوْزَتِه ، ومنعَ الكفرَةَ أنْ يصِلُوا منها إلى غُرفةٍ ، أو يرَوا للماءِ رِيًّا ، وأقبَلوا فى عطشٍ لا يعلَمُه إلا

---

(١) الأطلاب : جمع طُلْب ، ومعناه مجموعة أوفئة . المعجم الذهبى ص ٣٩٩، وانظر السلوك ١/١/ ٢٤٨ حاشية (٢) .

(٢) جاءوا بقضهم وقضيضهم : أى جمعيهم ، وقيل : جاءوا بجمعهم لم يَدَعوا وراءهم شيئا ولا أحدا . التاج (ق ض ض) .

(٣) صليب الصلبوت : صليب الفرنج الأعظم ، يذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التى صلب عليها - المسيح عليه السلام - بزعمهم . انظر الكامل ١١/ ٥٣٦.

اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فبرَزَ لهمُ السلطانُ إلى سطحِ الجبَلِ الغربىِّ مِن طَبَرِيَّةَ عندَ قريةٍ يقالُ لها : حِطِّينُ . التى يقالُ : إنَّ فيها قَبْرَ شُعَيْبٍ عليه السلامُ[1] . فتواجه هنالك الجيشان وتقابَل الفريقان ، وأسْفَرَ وجْهُ الإيمانِ ، واغْبَرَّ وأقْتَمَ وجْهُ الكفرانِ والخسرانِ وذلك عَشيةَ يومِ الجمعةِ ، وباتَ الناسُ على مَصافِّهم وأسفَر الصباحُ عن يومِ السبتِ الذى كان يومًا عسيرًا على أهلِ يومِ الأحَدِ ، وذلك لخمسٍ بَقِين مِن ربيعِ الآخرِ فى شدةِ الحرِّ ، وطلَعتِ الشمسُ على وُجوهِ النصارَى وهم مِن شدةِ الحرِّ سُكَارَى وما هم بسُكَارَى ، وكان تحتَ أقْدامِ خُيولِهم هشيمُ حشيشٍ ، فأمَر السلْطانُ النَّفَّاطَةَ ، فرمَوه فتأجَّجَ تحتَ سَنابكِ خُيولِهم نارًا ، فاجْتَمَع عليهم حرُّ الشمسِ وحرُّ العطَشِ ، وحرُّ النارِ مِن تحتِ أَرْجُلِهم ، وحرُّ رشقِ السهامِ عن القِسِيِّ القاسيةِ ، فتبارَز الشُّجْعَانُ فى حومةِ الوَغَى ، ثم أمَر السلْطانُ بالتَّكْبِيرِ والحملةِ الصادِقَةِ ، فكان النصرُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فمنَحهمُ اللَّهُ أكْتافَ الكفرةِ الفجرةِ ، فقُتِل منهم ثلاثُون ألفًا فى ذلك اليومِ ، وأُسِرَ ثلاثُون ألفًا مِن شُجْعانِهم وفُرْسانِهم ، وكان فى جملةِ الأُسارَى جميعُ ملُوكِهم سِوَى قُومَصِ طَرَابُلُسَ ، فإنَّه انهزَم فى أوَّلِ المعركةِ ، وأُخِذ صَلِيبُهم الأعْظَمُ عندَهم ، وهو الذى يَزْعُمونَ أنَّه الذى صُلِبَ عليه المصْلُوبُ ، وقد غلَّفُوه بالذهبِ واللَّآلئِ والجواهرِ النفيسةِ ، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا ، ولم يُسمَعْ بمثلِ هذا اليومِ فى عزِّ الإسْلامِ وأهلِه ، ودَمْغِ الباطلِ وذُلِّه ، حتى إنه ذُكِرَ أنَّ بعضَ الفلَّاحِينَ رآه بعضُهم وهو يقُودُ نَيِّفًا وثلاثين أسِيرًا من الفِرنْجِ ، قد ربَطهم بطُنُبِ خَيْمَةٍ ، وباعَ بعْضُهم أسِيرًا بنَعْلٍ

---

(١) بعده فى م : « وجاء العدو المخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا » .

لَبِسَها فى رِجْلِه ، وجرَتْ أمورٌ لم يُسمَعْ بمثلِها ولا وقعَتِ العيونُ على شكلِها ، فللهِ الحمدُ دائمًا أبدًا حمدًا كثيرًا طيبًا .

ولمَّا تمَّتْ هذه الوقْعةُ العظيمةُ (١والنِّعمةُ العميمةُ١) الجسيمةُ ، أمرَ السلطانُ بضربِ مُخَيَّمٍ عظيمٍ ، وجلَس فيه على سريرِ المَمْلكَةِ وعن يمينِه أسِرَّةٌ وعن يَسارِه مثلُها ، وجِيءَ بالأُسارَى تتَهادَى فى قُيودِها ، فضُرِبت أعْناقُ [٩/٢٩٣و] جماعةٍ مِن مُقَدَّمِى الداوِيَّةِ والإسبتاريَّةُ بينَ يديْه صَبْرًا ، ولم يترُكْ منهم مَن كان يَذكُرُ الناسُ عنه ذِكْرًا ، ثم جِيءَ بالملوكِ فأُجْلِسُوا عن يمينِه ويَسارِه على مراتِبِهم ، فأُجْلِسَ مَلِكُهمُ الكبيرُ عن يمينِه ، وتْحتَه أَرناطُ إبْرَنْسُ الكرَكِ - قبَّحه اللَّهُ تعالى - وبينَ يدَيه بقيةُ الملوكِ وعن يسارِه ، فجِيءَ السلْطانُ بشَرابٍ مَثْلُوجٍ مِن الجُلَّابِ(٢) ، فشرِب ثم ناوَل الملكَ فشَرِبَ ، ثم ناوَل مَلِكُهم أرناطَ فشرِب ، فغَضِبَ السلْطانُ ، وقال : إنما سقَيتُك ولم آمُرْك أنْ تسْقِيَه ، هذا لا عَهْدَ له عندِى . ثم تحوَّلَ السلطانُ إلى خَيْمَةٍ داخِلَ الخيمةِ واسْتَدْعَى أرناطَ ، فلمَّا أُوقِفَ بينَ يدَيْه قامَ إليه بالسيفِ وقال : نعَمْ أنا أنوبُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الانْتِصارِ لأمَّتِه . ثم دعَاه إلى الإسلامِ فامتنَع ، فقتَله وأرسَل برأسِه إلى المُلوكِ ، وقال : إنَّ هذا تعرَّضَ لسَبِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقتَلتُه ، ثم قتَل السلطانُ جميعَ مَن كان فى الأُسارَى مِن الداويَّةِ والإسْبتارِيَّةِ صَبْرًا ، وأراحَ اللَّهُ المسلمينَ مِن هذَيْنِ الجنْسَيْنِ الخبيثَيْنِ ، وللَّهِ الحمدُ . ولم يُسلِمْ ممَّنْ عُرِض عليه الإسْلَامُ مِنهم إلَّا القليلُ ، فيقالُ : إنَّه بلغَتِ القتْلَى ثلاثينَ ألفًا ، وكذلك الأُسارى كانوا ثلاثينَ ألفًا ، وكان جملةُ جيْشِ الفِرنْجِ ثلاثةً وسِتِّينَ ألفًا ، ومَن سَلِم مِنهم - مع قلَّتِهم - أكْثَرُهم

(١ - ١) فى الأصل : « النوة » .

(٢) الجلاب : هو ماء الورد . المعرب للجواليقى ص ١٥٤، والنهاية لابن الأثير ١/ ٢٨٢.

جَرْحَى ، فماتُوا ببلادِهم بعدَ رجوعِهم ، ومِمَّنْ ماتَ كذلك قُومَصُ[1] طَرَابُلُسَ ، فإنَّه انهزَم جرِيحًا فمات ببلدِه بعدَ مرْجعِه ، لعنَه اللَّهُ ، ثم أرسَل برؤساءِ الأُسارَى ورءُوسِ أعْيانِ القَتْلَى ، وبصليبِ الصلَبُوتِ صُحْبَةَ القاضى ابنِ أبى عَصْرُونَ إلى دِمَشْقَ ليُودَعُوا فى قلْعَتِها ، فدخَل بالصليبِ منْكُوسًا ، فكان يومًا مشْهُودًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ثم سارَ السلطانُ إلى قلْعَةِ طَبَرِيَّةَ ففتَحها ، وقد كانتْ طَبَرِيَّةُ تقاسِمُ بلادَ حَوْرَانَ والبَلْقَاءَ وما حولَها مِن الجُولانِ[2] وتلك الأراضِىَ كلَّها بالنِّصْفِ ، فأراحَ اللَّهُ المسلمين مِن تلك المُقاسَمةِ [3]وتوفَّرت عليهم[3] ، ثم سارَ إلى عكَّا فنزَل عليها يومَ الأرْبعاءِ سَلْخِ ربيعٍ الآخرِ ، فافْتَتَحها صُلحًا يومَ الجُمُعةِ ، وأخَذ ما كان بها مِن حواصِلَ وأموالٍ وذخائرَ ومتاجرَ ، واسْتَنقَذ مَن كان بها مِن أسْرَى المسلمين ، فوجَدُوا بها أربعَةَ آلافِ أسيرٍ منهم ، ففَرَّجَ اللَّهُ عنهم وللَّهِ الحمدُ ، وأمَر بإقامَةِ الجُمُعةِ بها ، فكانتْ أوَّلَ جُمُعةٍ أقيمَتْ بالساحلِ بعدَ أن أخَذه الفِرنْجُ ، مِن سبعِين[4] سنةً فللهِ الحمـدُ دائمًا . وسارَ منها إلى صيدَا وبَيْرُوتَ وتلك النواحِى [٢٩٣/٩ظ] مِن السواحلِ فأخَذها ، لخلُوِّها مِنَ المقاتِلَةِ ومن الملُوكِ ، ثم سارَ نحوَ غَزَّةَ وعَسْقَلَانَ ونابُلُسَ وبَيْسَانَ وأراضِى الغَوْرِ ، فملَك ذلك كلَّه بحولِ اللَّهِ وقوتِه ، واسْتنَابَ السلطانُ على نابُلُسَ ابنَ أُختِه حُسَامَ الدينِ عمرَ بنَ محمدِ بنِ

---

(١) الكامل ٥٣٨/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢١ .

(٢) فى الأصل : « الجيران » . وهو أيضا صحيح ؛ فطبرية كانت تقاسم ما حولها من الجيران بما فى ذلك الجولان . وانظر الروضتين ٢/ ٧٩.

(٣ - ٣) فى م : « ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهى قرى كثيرة كبار وصغار » .

(٤) فى الأصل : « تسعين » .

لاچينَ ، وهو الذى افْتَتَحها ؛ وكان جملةُ ما افْتَتَحه فى هذه المدةِ القريبةِ قريبًا مِن خمسين بلدًا كلُّ بلدةٍ لها مُقاتِلةٌ وقلْعَةٌ ومَنعَةٌ ، فللهِ الحمدُ .

وغنِمَ الجيشُ والمسلمون من هذه الأماكنِ شيئًا كثيرًا ، وسَبَوْا شيئا كثيرًا لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، واستبشَر الإسلامُ وأهلُه شرقًا وغربًا بهذا النصرِ العظيمِ والفتوحاتِ الهائلةِ . وترَك السلْطانُ جيُوشَه تَرْتَعُ فى هذه الفتوحاتِ والغنائمِ الكثيرةِ مدةَ شُهورٍ ؛ ليسْتَرِيحُوا ويُجِمُّوا أنفُسَهم وخُيولَهم ليتأهَّبوا لفَتْحِ بيتِ المقْدِسِ الشريفِ ، وطارَ فى النَّاسِ أنَّ السلطانَ عزَم علَى فتحِ بيتِ المقدسِ ، فقصَده العلماءُ والصالحون والمُتَطوِّعةُ مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وجاء أخوه العادِلُ بعدَ وقْعَةِ حِطِّينَ وفتحِ عَكَّا ، ففتَح بنفْسِه حُصونًا كثيرةً أيضًا ، فاجْتمَع مِن عبادِ اللَّهِ ومِن الجيوشِ المتطوعةِ خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، فعندَ ذلك قصَدَ السلْطانُ بيتَ المقدسِ بمَنْ معه ، كما سيأتى بيانُه .

وقدِ امْتدَح الشعراءُ الملكَ صلاحَ الدينِ بسببِ وَقْعَةِ حِطِّينَ فقالُوا وأكْثَرُوا ، وأطابوا وأطنَبوا[1] ، وكتَب إليه القاضى الفاضِلُ مِن دِمَشْقَ - وكان مقيمًا بها لمرَضٍ نالَه[2] : لِيَهْنَ المولَى أنَّ اللَّهَ قد أقامَ به الدينَ القيِّمَ ، وأنّه كما قيل : أصبحتَ مَولاىَ ومَوْلَى كلِّ مُسلمٍ . وأنه قد أسبَغ عليه النِّعمتين ؛ الباطنةَ والظاهرةَ ، وأورَثه المُلكين ؛ مُلكَ الدنيا ومُلكَ الآخرةِ ، كتَب المملُوكُ الخدْمةَ والرُّءوسُ إلى الآنَ لم تُرفَعْ مِن سجُودِها ، والدموعُ لم تُمْسَحْ مِن خدُودِها ، وكلَّما فكَّر المملُوكُ أنَّ البِيَعَ تعودُ وهى مَساجدُ ، والمكانَ الذى كان يقالُ فيه : إنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثَةٍ ، يقالُ اليومَ فيه : إنَّه الواحِدُ . جدَّد للَّهِ شُكْرًا تارَةً يَفيضُ مِن لسانِه ،

---

(١) الروضتين ٢/٨٣ - ٨٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٨٢، ٨٣.

وتارَةً يَفيضُ مِن أجفانِه[1] ، وجزَى اللَّهُ يوسُفَ خَيْرًا عن إخْراجِه مِن سجْنِه ، والمَماليكُ ينْتَظِرُونَ أمْرَ المَوْلَى ، فكُلُّ مَن أرادَ أنْ يدخُلَ الحمَّامَ بدِمَشْقَ قد عوَّل على دخولِ حمَّامِ طَبَرِيَّةَ .

تلكَ المَكارِمُ لا قَعْبَانِ مِن لبنِ[2] وذلك الفَتْحُ لا عمّانَ واليَمَنِ

وذلك السيفُ لا سَيْفُ ابنِ ذِى يَزَنِ

ثم قالَ : وللأَلْسِنَةِ بعْدُ فى هذا الفتحِ سَبْحٌ[3] طويلٌ وقولٌ جليلٌ .

ذكْرُ فَتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ فى هذه السَّنَةِ واسْتِنْقاذِه مِن أيْدِى النَّصارَى بعدَ ثِنْتَيْنِ وتِسْعينَ سنةً [٩/٢٩٤و]

لمَّا افْتَتَح السلطانُ ما حولَ بيتِ المقدسِ مِن الأماكنِ المباركةِ وما يقرُبُ مِن تلك السواحلِ المتقدِّمِ ذكرُها والإشارةُ إليها ، أمَرَ العساكِرَ فاجتمَعَتْ والجيوشَ المُتفرِّقةَ فى البُلدانِ فائتلَفتْ ، وسارَ نحوَ بيتِ المَقْدِسِ الشريفِ يومَ الأحدِ ، فى الخامسَ عشَرَ مِن رجَبٍ مِن هذه السَّنَةِ - أعْنِى سنةَ ثلاثٍ وثمانين وخَمْسِمائَةٍ - فنزَل غربيَّ بيتِ المقدسِ وقد حَصَّنَتِ الفِرنجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، الأسوارَ بالمقاتلةِ ، وكانوا سِتِّين ألفَ مُقاتلٍ ، دونَ بيْتِ المَقْدِسِ أو يزِيدُونَ ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ

---

(١) بعده فى م : « سرورًا بتوحيد اللَّه تعالى الملك الحق المبين وأن يقال : محمد رسول اللَّه الصادق الوعد الأمين » .

(٢) هذا صدر بيت ، وتمامه :

شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

وهو للنابغة . انظر ديوانه ص ١١٢ ، وينسب لأبى الصلت الثقفى ولأمية بن أبى الصلت .

(٣) فى م : « تسبيح » . وفى مصدر التخريج : « شرح » .

إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وكان صاحِبُ البلدِ يومئذٍ رجلًا يُقالُ له: باليانُ بنُ بارزانَ. ومعه مَن سَلِمَ من وَقْعَةِ حِطِّينَ يومَ الْتقَى الجَمْعَانِ، مِن الدَّاوِيَّةِ والإسبتارِيَّةِ أتْبَاعِ الشَّيْطانِ، عليهم لعائنُ اللَّهِ أجمعين، فأقامَ السلْطانُ بمنْزِله المذكورِ خمسةَ أيامٍ، وسلَّم إلى كلِّ طائفةٍ من جيشِه المنصورِ ناحيةً مِن أبرجةِ السورِ، ثم تحوَّل إلى ناحِيَةِ الشَّمالِ؛ لأنَّه رآها أوْسعَ وأنسَبَ للمَجالِ، والجِلادِ والنِّزالِ، وقاتَلَ الفِرنْجُ دونَ البلَدِ قتالًا هائلًا، وبذَلُوا فى نُصْرَةِ قُمَامَةَ والقيامةِ بذلًا طائلًا، واستُشْهِد بعضُ أمراءِ المسلمينَ إلى رحمةِ ربِّ العالمينَ، فحَنِقَ عندَ ذلك كثيرٌ مِن أمراءِ الإسلامِ، واجْتَهدُوا فى القتالِ بكلِّ خَطِّيٍّ وحُسَامٍ، وقد نُصِبتِ المجانيقُ والعَرَّاداتُ، وغنَّتِ السيوفُ وعُمِلتِ السَّمهرياتُ[1]، والعيونُ تنظُرُ إلى الصُّلْبانِ وهى مَنْصوبةٌ فوقَ الجُدْرانِ، حتى فوقَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ قبلةِ أهلِ الأديانِ مِن قديمِ الأزمانِ، فزادَ ذلك أهلَ الإيمانِ الحَنَقَ الكثيرَ وشِدَّةَ التَّشْميرِ، فوُجِد يومٌ عسِيرٌ على الكافرِينَ غيرُ يَسِيرٍ، فبادَر السلطانُ أيَّده اللَّهُ بأصْحابِه إلى الزاويَةِ الشرقِيَّةِ الشماليَّةِ مِنَ السورِ فنقَبها وعلَّقَها وحشَاها بالنيرانِ وأحْرَقَها، فسقَط ذلك الجانِبُ، وخَرَّ البُرْجُ برُمَّتِه، فإذا هو واجِبٌ[2]، فلمَّا شاهَد الفِرنجُ ذلك الحادِثَ المُقْطِع، والخَطْبَ المُؤلِمَ لهم المُوجِع، قصَد أكابِرُهم السلْطانَ وتشَفَّعُوا إليه بكلِّ إنسانٍ أنْ يُعْطِيَهمُ الأمانَ، فامتنَعَ وقال[3]: لا أفْتَحُها إلَّا كما افْتَتَحْتُموها عَنْوَةً، ولا أترُكُ بها أحدًا مِنَ النصارى إلا قتَلتُه كما قتلْتُم أنتم مَنْ كان بها مِن المسلمينَ، فطلَب صاحِبُها باليانُ بنُ بارزانَ من السلطانِ الأمانَ ليحْضُرَ عندَه فأمَّنَه، فلمَّا حضَر ترقَّقَ له، وتشفَّعَ إليه بكُلِّ ما أمْكنَه، فلم يُجِبْه

---

(١) السمهرى: الرمح الصليب العود.

(٢) واجب: أصل الوجوب السقوط والوقوع، ووجب الميت إذا سقط ومات. ويقال للقتيل: واجب. اللسان (و ج ب).

(٣) الكامل ١١/ ٥٤٨، والروضتين ٢/ ٩٥.

إلى الأمانِ لهم ، فقالوا : لئن لم تُعْطِنا الأمانَ رجَعْنا فقتَلْنا كلَّ أسيرٍ [٩/٢٩٤ظ] من المسلمين بأيْدِينا - وهم قريبٌ مِن أرْبعَةِ آلافٍ - وقتَلْنا ذَرارِيَّنا ، وخرَّبْنا الدُّورَ والأماكِنَ الحسَنَة ، وأتلَفْنا ما بأيْدِينا مِن الأموالِ ، وألقينا قُبَّةَ الصَّخْرَةِ ، ولا نُبْقِى مُمْكِنًا فى إتلافِ ما نقدِرُ عليه ، وبعدَ ذلك نقاتِلُ قتالَ الموتِ ، فلا يُقْتَلُ واحدٌ منَّا حتى يَقتُلَ أعدادًا منكم ، فماذا تَرْتَجِى بعدَ هذا مِنَ الخيرِ ؟

فلمَّا سمِعَ السلطانُ ذلك أجابَ إلى الصُّلحِ ، على أنْ يَبْذُلَ كلُّ رجُلٍ منهم عن نفْسِه عشَرةَ دنانيرَ ، وعنِ المرأةِ خمسةَ دنانيرَ ، وعن كلِّ صغيرٍ وصغيرةٍ دينارَيْن ، ومَنْ عَجَز عن ذلك كان أسِيرًا للمسلمين ، وأنْ تكونَ الغَلَّاتُ والأسلحةُ والدُّورُ للمسلمينَ ، ويتحوَّلوا منها إلى مأْمَنِهم وهى مدينةُ صُورَ . فكُتِبَ الصُّلحُ على ذلك ، ومَن لا يبذُلْ ما شُرِطَ عليه إلى أربعينَ يومًا فهو أسيرٌ ، فكانَ جملةُ مَنْ أُسِرَ بهذا الشرطِ سِتَّةَ عشَرَ ألفَ إنسانٍ ؛ مِن رجالٍ ونساءٍ ووِلْدانٍ ، ودخَل السلطانُ والمسلمونَ البلدَ يومَ الجمُعةِ قُبيلَ وقتِ الصلاةِ بقليلٍ ، وذلك يومَ السابعِ والعِشْرِينَ مِن رجَبٍ ، قال العِمادُ[1] : وهى ليلةُ الإسْراءِ برسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقْصَى إلى السمواتِ العُلَا . قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[2] : وهو أحدُ الأقْوالِ فى الإسْراءِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ . ولم يتَّفِقْ للمسلمينَ صلاةُ الجُمُعةِ يومئذٍ ، خلافًا لمنْ زعم أنَّها أُقيمتْ يومئذٍ ، وأنَّ السلْطانَ خطَب بنفْسِه بالسَّوادِ يومئذٍ ، والصحيحُ أنَّ الجُمُعةَ لم يُمكنْ إقامَتُها يومئذٍ لضِيقِ الوقتِ ، وإنَّما أقيمَتْ فى الجمُعةِ المُقْبِلَةِ ، وكان الخطيبُ القاضىَ مُحْيِى الدينِ محمدَ بنَ علىٍّ ، القُرشِىَّ ابنَ الزكِىِّ ، كما سيأْتِى قريبًا .

---

(١) الروضتين ٢/ ٩٦.

(٢) الروضتين ٢/ ٩٢.

ولكِنْ نُظِّفَ المسجدُ الأَقْصَى يومَئذٍ ممّا كان فيه مِنَ الصُّلْبانِ والرُّهْبانِ والخَنازِيرِ، وخُرِّبَتْ دورٌ للداويَّةِ كانوا قد بَنَوْها غرْبيَّ المِحْرابِ الكبيرِ، واتخَذُوا المحْرابَ حَشًّا[1]، لعنَهم اللَّه تعالى، فنُظِّف المسجدُ مِن ذلك كُلِّه، وأُعِيدَ إلى ما كان عليه فى الأيامِ الإسْلامِيَّةِ والدولةِ المحمَّديةِ، وغُسِلت الصَّخْرَةُ بالماءِ الطاهرِ، وأُعِيد غسلُها بماءِ الوَرْدِ الفاخرِ، وأُبْرِزَتْ للناظرِينَ، وقد كانتْ مَغْمُورةً مَسْتُورَةً مَحْجُوبةً عن الزائرِين، ووُضِعَ الصليبُ المنصوبُ عن قُبَّتِها، وعادَتْ إلى حُرْمَتِها، وقد كان الفِرنْجُ قطَعُوا منها قِطَعًا فباعُوها إلى ملوكِ البُحورِ بزِنَتِها مِن الذهبِ، فتعَذَّر اسْتِعادَةُ ما نقَص مِنها وما ذهَب.

وقُبِضَ مِنَ الفِرنجِ ما كانُوا بذَلُوه عن أنفُسِهم مِن الأمْوالِ، وأطْلَق السلطانُ خلقًا منهم مِن بَناتِ الملوكِ بمَنْ معَهُنَّ مِن النساءِ والرجالِ، ووقعَتِ المُسامَحةُ فى كثيرٍ مِنهم، وشُفِع فى أُناسٍ فعُفِيَ عنهم، وفرَّقَ السلطانُ جميعَ ما قُبِض [٩/٢٩٥و] مِنهم مِن الذهبِ فى العَسْكَرِ، ولم يدَعْ منه شَيئًا ممَّا يُقْتَنَى ويُدَّخرُ. وكان، رحِمهُ اللَّهُ، حليمًا كريمًا مِقْدامًا شجاعًا رحيمًا، أسألُ اللَّهَ تعالى أن يُجدِّدَ رحمتَه عليه، وأن يُقْبِلَ بوجهِه الكريمِ إليه.

ذكرُ أوَّلِ جُمعَةٍ أُقِيمَتْ ببيتِ المَقْدِسِ بعدَ فتْحِه فى الدولةِ الصَّلاحيةِ

لمَّا نُزِّه البيتُ المُقَدَّسُ ممَّا كان فيه مِن الصُّلْبانِ والنَّواقيسِ، والرُّهْبانِ والخنازيرِ والقساقِيسِ، ودخَله أهلُ الإيمانِ، ونُودِى بالأذانِ وهرَب الشيطانُ وقُرِئَ القرآنُ،

---

(١) الحَشّ بفتح الحاء: الكنيف، موضع قضاء الحاجة. النهاية ١/٣٩٠.

وطَهُر المكانُ ، فكان إقامةُ أوَّلِ جمعةٍ فيه فى اليومِ الرابعِ مِن شعبانَ ، بعدَ يومِ الفَتْحِ بثَمانٍ ، فنُصِبَ المنبرُ إلى جانبِ المِحْرابِ المطهَّرِ ، وبُسِطَتِ البُسُطُ الرفيعةُ فى تلك العِراصِ الوسيعةِ ، وعُلِّقتِ القَناديلُ وتُلِيَ التنْزيلُ عِوضًا عمّا كان يُقرَأُ مِن التحريفِ فى الإنجيلِ ، وجاء الحقُّ وبطَلَت تلك الأباطِيلُ ، وصُفَّتِ السَّجّاداتُ وكثُرتِ السَّجَداتُ ، وتنَوَّعتِ العباداتُ ، وأُدِيمَتِ الدعَواتُ ، ونزَلتِ البَركاتُ ، وانْجلَتِ الكُرُباتُ ، وأُقيمَتِ الصَّلَواتُ ، ونطَق الأذانُ ، وخرِسَ الناقوسُ ، وحضَر المؤذِّنون وغاب القسوسُ ، وطابتِ الأنفاسُ ، واطمأنتِ النفوسُ ، وأقبَلَتِ السُّعودُ وأدْبَرتِ النُّحوسُ ، وحضَر العُبّادُ والزهّادُ والأبدالُ والأقطابُ والأوتادُ ، وعُبِدَ الواحدُ ، وكثُر الراكِعُ والساجِدُ ، والقائِمُ والقاعِدُ ، وامْتَلأ الجامعُ ، وسالَتْ لرِقَّةِ القلُوبِ المَدامِعُ ، وقال الناسُ : هذا يومٌ كريمٌ وفضلٌ عظيمٌ وموسمٌ وسيمٌ ، وهذا يومٌ تُجابُ فيه الدعواتُ وتُصَبُّ البَركاتُ وتسِيلُ العَبرَاتُ وتُقالُ العَثَراتُ ، فأذَّنَ المؤذِّنونَ للصلاةِ وقتَ الزَّوالِ ، وكادَتِ القلُوبُ تطِيرُ مِنَ الفرحِ بتلك الحالِ ، ولم يكُنِ السلطانُ إلى تلك الساعةِ عَيَّنَ خطيبًا ، وقد تهيَّأ لها خلقٌ مِن العلماءِ خوفًا أن يُدعَى إليها أحدُهم فلا يكونَ نجيبًا ، فبرَز للخطباءِ المرْسُومُ السلطانىُّ الصَّلاحِىُّ ، وهو فى قُبَّةِ الصَّخْرَةِ الغَرّاءِ ، أن يكونَ القاضى مُحْيِى الدينِ بنُ الزَّكىِّ اليومَ خطِيبًا ، فلبِسَ الخِلْعَةَ السوْداءَ وصعِد المنبرَ ، وقد كسَاه اللَّهُ البَهاءَ ، وأكرَمه بكلمةِ التقوى وأعطاه السكينةَ والوَقارَ والسناءَ ، فخطَب بالناسِ خُطبةً عظيمةً سَنِيَّةً فصيحةً بليغةً ، ذكَر فيها شرَفَ البيتِ المُقَدَّسِ ، وما ورَد فيه مِن الفضائلِ والتَّرْغيباتِ ، وما فيه مِنَ الدلائلِ والأَماراتِ ، وما مَنَّ اللَّهُ به على الحاضرين مِن هذه النِّعمةِ التى تعدِلُ [٢٩٥/٩ظ] الكثيرَ مِن القُرباتِ ، وقد أورَدها الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الروْضتَيْنِ »[1] بطُولِها ، فكان أوَّلَ ما قال حينَ تكلَّم :

---

(١) ٢/١١٠ - ١١٢.

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم أوْرَد تحْمِيداتِ القرآنِ كلَّها، ثم قال: الحمدُ للَّهِ مُعِزِّ الإسلامِ بنَصْرِه، ومُذِلِّ الشِّركِ بقَهْرِه، ومُصَرِّفِ الأمورِ بأمْرِه، ومُديمِ النِّعَمِ بشُكْرِه، ومُسْتَدْرِجِ الكافِرين بمَكرِه، الذى قدَّر الأيامَ دُوَلًا بعَدْلِه، وجعَل العاقبةَ للمتَّقينَ بفَضْلِه، وأفاءَ على عبادِه مِن ظِلِّه، وأظْهَر دِينَه على الدِّينِ كلِّه، القاهرِ فوقَ عبادِه فلا يُمانَعُ، والظاهِرِ على خلِيقَتِه فلا يُنازَعُ، والآمِرِ بما يشاءُ فلا يُراجَعُ، والحاكمِ بما يُريدُ فلا يُدافَعُ، أحْمَدُه على إظْفارِه وإظْهارِه، وإعْزازِه لأوْليائِه ونَصْرِه لأنصارِه، وتطهيرِه بيتَه المُقَدَّسَ مِن أدْناسِ الشِّرْكِ وأوْضارِه، حمْدَ مَنِ استشعَر الحمدَ باطِنَ سِرِّه وظاهِرَ جِهارِه، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له الأحدُ الصمدُ، الذى لم يلِدْ ولم يولَدْ، ولم يكُنْ له كفُوًا أحدٌ، شهادَةَ مَن طَهَّرَ بالتوحيدِ قلبَه، وأرْضَى به ربَّه، وأشْهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رافِعُ الشَّكِّ وداحِضُ الشرْكِ، وراحِضُ[1] الإفْكِ، الذى أُسْرِىَ به مِن المسجدِ الحرامِ إلى هذا المسجدِ الأقْصَى، وعُرِج به منه إلى السماواتِ العُلَا، إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى، عندَها جنَّةُ المأْوَى، إذ يَغْشَى السدرةَ ما يَغْشَى، ما زاغَ البَصَرُ وما طغَى، صلَى اللَّهُ عليه وعلى خليفَتِه الصِّدِّيقِ السابقِ إلى الإيمانِ، وعلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطَّابِ أوَّلَ مَن رفَع عن هذا البيتِ شعارَ الصُّلْبانِ، وعلى أميرِ المؤمنِينَ عثمانَ بنِ عفَّانَ ذى النُّورَيْن جامعِ القرآنِ، وعلى أميرِ المؤمنينَ علىِّ بنِ أبى طالبٍ مُزَلْزِلِ الشِّرْكِ، ومكَسِّرِ الأوثانِ، وعلى آلِه وأصْحابِه والتابعين لهم بإحْسانٍ.

---

(١) الرَّحْضُ: الغَسْلُ، رحض يده والإناء والثوب وغيرها يَرْحَضُها ويَرْحُضُها رحضا: غسلها. اللسان (ر ح ض).

ثم ذكَر المَوْعِظةَ ، وهى مشتملةٌ على تغْبيطِ الحاضرِينَ على ما يسَّرَه اللَّهُ على أيْدِيهم مِن فتحِ بيتِ المَقْدِسِ ، الذى مِن شأْنِه كذا وكذا ، فذكَر فضائلَه ومآثِرَه ، وأنَّه أوَّلُ القِبْلتَيْن ، وثانى المسجِدَيْن ، وثالثُ الحرمَيْن ، لا تُشَدُّ الرِّحالُ بعدَ المسجِدَيْن إلا إليه ، ولا تُعْقَدُ الخَناصِرُ بعدَ المَوْطِنَيْنِ إلا عليه ، وإليه أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المسجدِ الحرامِ ، وصلَّى فيه بالملائِكةِ المُقرَّبين والأنبياءِ والرُّسُلِ الكِرامِ ، ومنه كان المِعْراجُ إلى السماواتِ ، ثم عادَ إليه ، ثم سارَ منه إلى المسجدِ الحرامِ على البُرَاقِ ، وهو أرضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ يومَ التَّلاقِ ، وهو مقَرُّ الأنْبياءِ ومقْصِدُ الأوْلياءِ ، وقد أُسِّسَ على التقْوَى مِن أوَّلِ يومٍ .

قلتُ : ويقالُ[1] : إنَّ الذى أسَّسَه أوّلًا يعقوبُ عليه السَّلامُ بعدَ [٩/٢٩٦و] أن بنَى الخليلُ عليه السلامُ المسجدَ الحرامَ بأربعين سنةً ، كما جاء فى « الصحيحين »[2] ، ثم جدَّد بناءَه سليمانُ بن دُاودَ عليهما السَّلامُ ، كما ثبَت به الحديثُ فى « المُسْنَدِ » و « السُّنَنِ » ، و « صحيحِ ابنِ خُزَيْمَةَ » ، وابنِ حِبَّانَ والحاكمِ وغيرِهم ، وسأل سليمانُ عليه السلامُ اللَّهَ عندَ الفراغِ منه خِلالًا ثلاثًا ؛ حُكْمًا يصادِفُ حُكْمَه ، ومُلْكًا لا ينْبَغِى لأحدٍ مِن بعدِه ، وأنَّه لا يأتى أحدٌ هذا المسجدَ لا يَنْهَزُه[3] إلا الصلاةُ فيه إلا خرَج مِن ذنُوبِه كيومِ ولَدَتْه أمُّه .

وذكَر الخطيبُ تمامَ الخُطبتَيْن ، ودعَا للخليفةِ العباسىِّ ، ثم للسلْطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى ، وبعدَ الصلاةِ جلَس الشيخُ زَيْنُ الدينِ أبو الحسَنِ [4]علىُّ بنُ[4] نجا المِصْرِىُّ على كُرْسِىِّ الوعظِ بإذْنِ السلْطانِ ، فوعَظ

---

(١) تقدم فى : ١/ ٤٥٣.

(٢) تقدم فى : ٢/ ٣٤١.

(٣) النَّهْزُ : الدَّفْعُ ، يقال نَهَزْتُ الرجل أَنْهَزُه : إذا دفعته . اللسان (ن هـ ز) .

(٤ - ٤) فى م : « بن على » .

الناسَ وكان وقتًا مشهودًا وحالًا محمودًا، فللهِ الحمدُ والمِنَّةُ. واستمرَّ القاضى محيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ يخطُبُ بالناسِ فى أيامِ الجُمَعِ أرْبعَ جُمُعاتٍ، ثم قرَّر السلطانُ للقُدْسِ خطيبًا مستقِرًّا، وأرسَل إلى حلبَ فاستحضَر المِنْبرَ الذى كان الملكُ العادِلُ نُورُ الدينِ محمودٌ قدِ استعمَله لبيتِ المقْدِسِ، وقد كان يُؤَمِّلُ أن يكونَ فتْحُه على يدَيْه، فما كان إلا على يَدَىْ بعضِ أتْباعِه بعدَ وَفاتِه، رحِمه اللَّهُ تعالى.

نُكْتَةٌ غرِيبَةٌ

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ فى «الروضتَيْنِ»[1]: وقد تكلَّم شيْخُنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدٍ السَّخَاوِىُّ فى تفسِيرِه الأوَّلِ، فقال: وقع فى تفسيرِ أبى الحكَمِ الأنْدَلُسىِّ - يعنى ابنَ بَرَّجانَ[2] - فى أوَّلِ سُورَةِ الرومِ إخْبارٌ عن فتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وأنَّه يُنْزَعُ مِن أيدِى النصارى سنةَ ثلاثٍ وثمانين وخمسِمائَةٍ. قال السخاوِىُّ: ولم أرَهُ أخَذ ذلك مِن علمِ الحُروفِ، وإنَّما أخذه فيما يزعُمُ مِن قوْلِه: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١، ٢] فبنَى الأمرَ على التاريخِ كما يفعَلُ المنجِّمُون، ثم ذكَر أنَّهم يغْلِبُونَ[3] فى سنَةِ كذا، ويُغلبُونَ[3] فى سنَةِ كذا، على

---

(١) الروضتين ٢/ ١١٣.

(٢) قال ابن خلكان: هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمى، كان عبدًا صالحا، وله تفسير القرآن العظيم، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات، توفى سنة ٥٣٦هـ بمدينة مراكش. وفيات الأعيان ٤/٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) هذا هو الضبط الصحيح لأن ابن بَرَّجانَ اعتمد فى تفسيره على القراءة الشاذة بفتح الغين من: ﴿غلبت﴾ والبناء للمجهول فى الفعل: ﴿سيغلبون﴾ وانظر الروضتين ٢/ ١١٣.

ما تقْتضِيه دوائرُ التقديرِ . ثم قال : وهذه نَجَامَةٌ وافَقت إصابةً ، إنْ صحَّ أنَّه قال ذلك قبلَ وقُوعِه ، وكان فى كتابِه قبلَ حُدوثِه ، قال : وليس هذا مِن قَبِيلِ علمِ الحروفِ ، ولا مِن بابِ الكرامَاتِ ؛ لأنّها لا تُنَالُ بحِسَابٍ[1] . قال : وقد ذكَر فى تفْسِيرِ سُورَةِ القَدْرِ أنَّه لو عُلِمَ الوقتُ الذى نزَل فيه القرآنُ لعُلِمَ الوقتُ الذى يُرفَعُ فيه .

قلتُ : ابنُ بَرَّجانَ ذكَر هذا فى تفْسيرِه فى حدودِ سنَةِ ثِنْتَيْنِ وعشرين وخمسِمائةٍ ، ويقالُ[2] : إنَّ الملـكَ نُورَ الدينِ أُوقِف على ذلك فطمِع أنْ يعيشَ [٢٩٦/٩ظ] إلى سنَةِ ثلاثٍ وثمانيـنَ ، لأنَّ مولِدَه فى سنَةِ إحْدَى عشْرةَ وخَمْسِمائَةٍ ، فتهَيَّأ لأسْبابِ ذلك حتى إنَّه أعدَّ مِنْبَرًا عظيمًا لبيتِ المقْدِسِ إذا فتَحه اللَّهُ على يديه . واللَّهُ أعلمُ .

وأمَّا الصَّخْرَةُ العظيمةُ فإنَّ السلْطانَ أزالَ ما حوْلَها وعندَها من المُنْكَراتِ والصُّوَرِ والصُّلْبانِ ، وأظهَرها بعد ما كانت خَفيَّةً مسْتَورةً غيرَ مرئيةٍ ، وأمَر الفقيهَ ضياءَ الدِّينِ عيسى الهَكَّاريَّ أنْ يعمَلَ حولَها شَبابِيكَ من حديدٍ ، ورتَّبَ لها إمامًا

---

(١) هذه النكتة الغريبة والكائنة العجيبة ، والتى ساقها ابن كثير من كتاب الروضتين ، ساقها أيضا ابن خلكان فى وفياته ٢٢٩/٤ ، ٢٣٠ ولكن زاد فيها فائدة حسنة ، وهى أن القاضى محيى الدين بن الزكى خطيب الجمعة الأولى لما فتح السلطان صلاح الدين حلب أنشد قصيدة بائية قال فيها :

وفَتْحُكَ القلعةَ الشهباءَ فى صفرٍ ... مُبَشِّرٌ بفتوحِ القدسِ فى رَجَبِ

وأنه لما سئل فى ذلك ، بعد أن تحقق ما قال ، أجاب أنه أخذه من تفسير ابن بَرَّجان فى أول سورة الروم . قال ابن خلكان : « ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوبًا فى الحاشية بخط غير الأصل ولا أدرى هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به ، وذكر له حسابا طويلا وطريقا فى استخراج ذلك حتى حرَّره من قوله : ﴿ بضع سنين ﴾ » اهـ وعلق محقق الوفيات تعليقة تفيد أن نسخ التفسير الموجودة ألحق هذا الفصل بها فى الحاشية بخط غير الأصل . فاللَّه أعلم .

(٢) الروضتين ١١٣/٢ .

راتبًا ، ووقَفَ عليه رِزْقًا جيِّدًا ، وكذلك على إمامِ محْرَابِ الأقْصَى ، وعمِل للشافِعيَّةِ المدْرَسةَ الصَّلاحيَّةَ ويُقالُ لها : الناصِريَّةُ . أيضًا ، وكان موْضِعَها كنِيسَةٌ على صندِ[1] حَنَّةَ أى قبرِ حَنَّةَ أمِّ مَرْيَمَ ، عليها السلامُ ، وَوقَف على الصوفِيَّةِ رِباطًا كان دارًا للبَتْرَكِ إلى جنْبِ القُمَامةِ ، وأجرى على الفقهاءِ والفقراءِ الجَامَكيّاتِ والجراياتِ ، وأرصَد الختَماتِ والرَّبَعاتِ فى أرجْاءِ المسجدِ الأقْصَى ، لمن يقرَأُ أو ينظُرُ فيها مِن المقيمين والزائرين .

وتنَافسَ بنُو أيُّوبَ فيما يفْعَلُونَه من الخَيْراتِ بالقُدْسِ الشَّريفِ للقادِمِين والظاعِنِين والقاطِنِين ، فجزاهم اللَّهُ خيرًا أجمعين ، وعزَم السلْطانُ على هدمِ قُمَامةَ وجعلِها دَكًّا لتنحَسِمَ مادةُ النصارَى مِن بَيتِ المقْدِسِ ، فقيل له : إنَّ هؤلاء لا يتْرُكون الحجَّ إلى هذه البقْعَةِ ، ولو ترَكتَها قاعًا صَفْصَفًا ، وقد فتَح هذه البلدَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطَّابِ وترَك هذه الكنيسةَ بأيْدِيهم ، فلك فى ذلك أُسْوَةٌ . فأعْرَض عنها وترَكها على حالِها تأسِّيًا بعمرَ بنِ الخطّابِ أحدِ الخُلَفاءِ الراشدين والأئمةِ المَهديِّين ، ولم يترُكْ بها مِنَ النصارى سِوَى أرْبَعةٍ يخْدُمونها ، وحال بينَ النَّصارى وبينها ، وهدَم المقابرَ التى كانت لهم عندَ بابِ الرَّحْمَةِ ، وعفَّى آثارَها ، وهدَم ما كان هناك مِنَ القِبَابِ ، وعجَّل دَمارَها .

وأمَّا الأُسارى المسلمون الذين كانوا بالقُدْسِ ؛ فإنَّ السلطانَ أطلَقهم ، وأطلَق لهم إعْطاءاتٍ هنيَّةً ، وكَساهُم حُلَلًا سنِيَّةً ، وانطلق كلٌّ منهم إلى وطنِه ، وعاد إلى أهْلِه وسكَنِه ، فللهِ الحمدُ على نِعَمِه ومِنَنِه .

---

(١) فى الأصل : « صيد » . والمثبت موافق للروضتين ٢/ ٢١٤.

فصـــلٌ

لمّا قرّر السلْطانُ صلاحُ الدينِ بالقُدْسِ الشريفِ ما ذكَرناه انْفَصل عنها فى الخامسِ والعشْرِين مِن شعبانَ ، وأمَر ولدَه العزيزَ بالرُّجُوعِ إلى مصرَ ، وسار السلطانُ بجيشِه فقصَد مدينةَ صُورَ ، وكانت قد تأخّرت مِن بينِ تلك النواحى ، وقدِ اسْتحوَذ عليها بعد وقْعَةِ حِطِّينَ رجلٌ مِن التُّجارِ يقالُ له : المرْكيسُ ، فحصَّنها وضبَط أمْرَها [٢٩٧/٩و] وحفَر حولَها خنْدقًا مَن البحرِ إلى البحرِ ، وجُمْهورُها فى البحْرِ ، وجاء السلْطانُ بجيشِه فحاصَرها مدةً ، واستدْعَى بالأسْطُولِ مِن الديارِ المِصريَّةِ فى البحرِ ، فاحتاط بها برًّا وبحرًا ، فعدَتِ الفِرنْجُ فى بعْضِ الليالِى على خَمْسِ شوانٍ[1] مِن الأسْطُولِ ، فمَلَكَتْها ونكَبتها ، فأصْبَح المسلمون واجِمينَ ، وقد دخَل عليهم البَرْدُ وقلَّتِ الأزْوادُ ، وكثُرَتِ الجِرَاحاتُ وكَلَّ الأمراءُ مِن المُحاصَراتِ ، فسأَلوا السلطانَ أنْ ينصرفَ بهم إلى دِمشْقَ فى هذا الوقتِ حتى يستَرِيحُوا ثم يعودُوا إليها بعد هذا الحينِ ، فأجابَهم بعدَ تَمَنُّعٍ منه وذلك أنَّ السُّورَ من صورَ كان قد هُدِم أكثرُه ولم يبْقَ إلا الفَتحُ والنُّجْحُ ، فتوجّه إلى دِمشقَ واجْتاز فى طريقِه على عَكَّا ، وتفرَّقَتِ العساكِرُ كلٌّ إلى بلدِه ورُسْتاقِه ، مستصحبًا كثرةَ حنينِه إلى أهلِه ووطنِه واشتِياقِه .

وأمَّا السلطانُ فإنَّه لمَّا وصَل إلى عكَّا نزَل بقَلْعَتِها وأسكَن ولدَه الأفْضلَ بُرْجَ الداويَّةِ ، وولَّى نِيابتَها عزَّ الدينِ جُرْدَيكَ[2] ، وقد أشار بعْضُهم على السلطانِ بتَخْريبِ مدينةِ عَكَّا خوفًا مِن عَوْدِ الفرنجِ إليها ، فكاد ، ولم يفعَلْ ، ولَيْتَه فعَل ، بل

---

(١) الشَّوْنَة : المركب المعدة للجهاد فى البحر ، وجمعها شوانٍ . التاج (ش و ن) .

(٢) فى م : « حرديل » .

وكَّلَ بعِمارَتِها وتجْديدِ محاسنِها بهاءَ الدينِ قراقُوشَ التَّقَوِىَّ ، ووقَفَ دارَ الإسبتارِ نِصْفَيْن على الفقهاءِ والفقراءِ ، وجعَل دارَ الأسقُفِ مَارَسْتَانًا ووقَف على ذلك كلِّه أوْقافًا دارَّةً ، وولَّى نظَرَ ذلك لقاضِيها جمالِ الدينِ ابنِ الشيخِ أبى النَّجِيبِ ، وهو فى جميعِ ذلك بآرائِه مُصِيبٌ . ولمّا فرَغ السلطانُ مِن هذه الحروبِ ، وأزال عن المسلمين تلك الكُرُوبَ ، وعاد إلى دمَشْقَ مؤيَّدًا منْصُورًا ، أبهج العيونَ وسرَّ القلوبَ وجاءته رسُلُ المُلُوكِ بالتَّهانى من سائرِ الأقْطارِ والأمْصارِ بالتُّحَفِ والهدايا التى تَبْهَرُ الأبصارَ ، وكتَب الخليفةُ إليه يعتِبُ عليه فى أشْياءَ منها ؛ أنَّه بعَث فى بشارَةِ الفتحِ بحِطِّينَ مع شابٍّ بغْدَادِىٍّ كان وَضِيعًا عندَهم ، لا قَدْرَ له ولا قيمةَ ، وأرسَل بفَتْحِ القُدْسِ الشريفِ معَ نجابٍ ، ولَقَّبَ نفْسَه بالملكِ الناصرِ مُضَاهاةً للخليفةِ الناصرِ ، فتلَقَّى الرسولَ بالبِشْرِ واللُّطْفِ ، ولم يُظْهِرْ له إلَّا السمعَ والطاعةَ ، وأرسَل يعتذِرُ ممَّا وقَع بأنَّ الحربَ كانتْ قد شغَلَتْه عنِ التَّرَوِّى فى كثيرٍ من الأمورِ ، وأمَّا لقَبُه بالناصِر فهو مِن أيامِ الخليفةِ المُسْتَضِىءِ ، ومع هذا فمَهْمَا لَقَّبنِى به أميرُ المؤمنين فهو الذى لا يُعْدَلُ عنه ، وتأدَّبَ مع الخليفةِ غايةَ الأدَبِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى هذه السنةِ كانت وقعةٌ عظيمةٌ ببلادِ الهِنْدِ بينَ الملكِ شِهابِ الدِّينِ الغُورِىِّ صاحبِ غَزْنَةَ ، وبينَ ملكِ الهندِ الكبيرِ ، فأقبَلَتِ الهنُودُ فى كثيرٍ مِن الجنودِ [٢٩٧/٩ظ] ، ومعهم أرْبَعةَ عشَرَ فِيلًا ، فانهزَمَتْ ميْمَنَةُ المسلمين وميْسَرتُهم ، فقِيل للمَلِكِ : انْجُ بنَفْسِك . فما زادَه إلَّا إقْدامًا ، فحمَل على الفِيَلَةِ فجرَح بعْضَها - وجُرْحُ الفيلِ لا ينْدَمِلُ - فرَماه بعضُ الفَيَّالَةِ بحَرْبَةٍ فى ساعِدِه فخَرَجَتْ مِن الجانبِ الآخرِ فخرَّ صرِيعًا ، فحمَلتِ الهندُ عليه ليأخُذُوه ، فجاحَف عنه أصحابُه ليحمُوه ، فجرَتْ عندَه حربٌ لم يُسْمَعْ بشدَّتِها فى موقفٍ ، فغلَب

المسلمون فخلَّصوا ملكَهم واحتمَلوه على كَواهِلِهم فى مَحَفَّةٍ عشرين فرْسَخًا، وقد نَزَفه[1] الدمُ، فلمَّا تراجَع إليه جيْشُه أخَذ فى تأْنيبِ الأمراءِ، وحلَف ليأكُلَنَّ كلُّ أميرٍ عليقةَ فرَسِه، وما أدْخَلهم غَزْنةَ إلَّا مُشَاةً حفاةً.

وفى هذه السنةِ ولدَتِ امرأةٌ مِن سَوادِ بغْدادَ بِنْتًا لها أسْنانٌ.

وفيها[2] قتَل الخليفةُ الناصِرُ أسْتاذَ دارِه أبا الفَضْلِ بنَ الصاحبِ، وكان قد اسْتَحوَذَ على الأمورِ ولم يَبْقَ للخليفةِ معَه كلمةٌ، ومع هذا كان عفِيفًا عنِ الأمْوالِ، جيِّدَ السِّيرةِ، فأخَذ منه الخليفةُ شيئًا كثيرًا مِن الحواصلِ والأموالِ.

وفيها اسْتَوْزَر الخليفةُ أبا المُظَفَّرِ [3]عبيدَ اللَّهِ[3] بنَ يونسَ ولقَّبه جلالَ الدينِ، ومشَى أهلُ الدولةِ فى رِكابِه حتى قاضى القضاةِ أبو الحسنِ بنُ الدامَغانىِّ، وقد كان ابنُ يُونُسَ هذا شاهِدًا عنده، فكان القاضى يقولُ، وهو يمْشِى[4]: لعَنَ اللَّهُ طولَ العمرِ. فماتَ القاضى فى آخرِ هذه السنَةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، وقد حكَم فى أيامِ عدةٍ مِن الخلفاءِ وهو مِن بيتِه[5].

وممَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ - أعنى سنةَ ثلاثٍ وثمانين - من الأعْيانِ:

---

(١) نزفه الدم: أجهده وأضعفه بكثرة خروجه منه. وانظر اللسان (ن ز ف).

(٢) الكامل ١١/٥٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٥.

(٣ - ٣) سقط من م، وفى الأصل، ص: «عبد الله» والمثبت من الكامل ١١/ ٥٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٦.

(٤) الكامل ١١/ ٥٦٢.

(٥) يقصد أنه كان على ولاية القضاء حتى وهو مُقْصًى فى بيته، وقد كان هذا القاضى يقول: أنا على ولايتى، وكل القضاة نوابى لأن القاضى إذا لم يظهر فسقه لا يجوز عزله... الجواهر المضية ٢/ ٥٣٩.

الشيخُ عبدُ المُغِيثِ بنُ زُهَيْرٍ الحرْبِيُّ[1] كان مِن صُلَحاءِ الحنابلَةِ، وكان يُزارُ، وله مصنَّفٌ فى فضْلِ يزيدَ بنِ مُعاوِيةَ، أتَى فيه بغرائبَ وعجائبَ، وقد ردَّ عليه أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِيِّ فى هذا الكتابِ، فأجادَ وأصابَ، ومن أحْسَنِ ما اتفَق لعبدِ المُغيثِ هذا أنَّ بعضَ الخلفاءِ - وأظنُّه الناصِرَ - جاءَه للزيارةِ مختفيًا، فعرَفَه الشيخُ ولم يعْلِمْه أنَّه قد عرَفه، فسأَله الخليفةُ عن يزِيدَ أيُلْعَنُ أم لا؟ فقال: لا أُسوِّغُ لعْنَه؛ لأنِّى لو فتحْتُ هذا البابَ للَعَن الناسُ خليفَتَنا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه يفعَلُ أشياءَ مُنْكَرةً كثيرةً، منها كذا وكذا. ثم شرَعَ يعدِّدُ على الخليفةِ، ما يقَعُ مِنه مِن المنكراتِ لينْزَجِرَ عنها، فترَكَه الخليفةُ، وخرَج مِن عندِه وقد أثَّرَ كلامُه له فيه، ثم كانت وفاتُه فى المحرمِ من هذه السنَةِ، رحِمه اللَّهُ.

وفيها تُوفِّى الشيخُ علىُّ بنُ خطَّابٍ [٢٩٨/٩و] **بنِ ظَفَرَ**[2] العابدُ الناسِكُ، أحدُ الزهَّادِ وذَوِى الكراماتِ، وكان مُقامُه بجزيرةِ ابنِ عمرَ. قال ابنُ الأثيرِ فى «الكاملِ»[3]: ولم أرَ مثْلَه فى حُسْنِ خلُقِه وسَمْتِه وكرَمِه وعبادَتِه، رحِمه اللَّهُ.

الأميرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مقدَّمٍ[4] أحدُ نُوَّابِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ، لمَّا فُتِح بيتُ المَقْدِسِ أحْرَم جماعةٌ فى زمَنِ الحجِّ منه إلى المسجدِ الحرامِ، فكان أميرَ الحاجِّ تلك السنَةَ، فلمَّا كان بعَرَفَةَ ضرَب الدبادِبَ

---

(١) الكامل ٥٦٢/١١ (وفيه الحرى)، والتقييد ص ٣٨٨، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/١٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٥٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٤.

(٢) فى م: «خلف». وانظر ترجمته فى الكامل ٥٦٣/١١.

(٣) الكامل الموضع السابق.

(٤) الروضتين ١٢٣/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٦١، والعبر ٤/ ٢٥٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٩، ومرآة الجنان ٤٢٦/٣، والنجوم الزاهرة ١٠٥/٦.

ونشَر الألْوِيَةَ ، وأظهَر عزَّ السلْطانِ صلاحِ الدينِ ، فغضِبَ طاشْتِكِينُ أميرُ الحاجِّ مِن جهةِ الخليفةِ ، فزَجَره عن ذلك فلم يسمَعْ ، فاقْتتَلَا فجُرِحَ ابنُ مقدَّمٍ ، وماتَ فى اليومِ الثانى بمِنًى ، رحِمه اللَّهُ ، ودفِن هنالك ، وجرَتْ خطوبٌ كثيرةٌ ، وَلِيمَ طاشتِكِينُ على ما فعَل ، وعُزِل عن منْصبِه .

محمدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، سِبْطُ ابنِ التَّعاوِيذِىِّ الشاعرُ[1] ، أَضَرَّ فى آخرِ عمرِه وقد جاوَز الستينَ سنةً ، وكانت وفاتُه - رحِمه اللَّهُ - فى شوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

وفى خامسِ رمضانَ تُوفِّى **الفقيهُ أبو الفتحِ نَصْرُ بنُ فِتيانَ بنِ مَطَرٍ الحنْبلىُّ المعروفُ بابنِ المَنِّىِّ**[2] ، وكان زاهدًا عابدًا ، مولدُه سنةَ إحْدَى وخمسِمِائَةٍ ، وممَّنْ تفَقَّهَ عليه مِنَ المشاهيرِ الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ بنُ قُدامَةَ ، والحافظُ عبدُ الغنىِّ ، ومحمدُ ابنُ خلَفِ بنِ راجحٍ ، والناصحُ عبدُ الرحمنِ بنُ النجمِ[3] بنِ عبدِ الوهَّابِ الحنبلىُّ ، وعبدُ الرَّزَّاقِ ابنُ الشيخِ عبدِ القادِرِ وغيرُهم .

وفيها تُوفِّى قاضى القضاةِ ببغدادَ **أبو الحسَنِ بنُ الدامَغانِىِّ**[4] وقد حكَم فى أيامِ المُقْتَفِى ثم المُسْتَنْجِدِ ، ثم عُزِلَ وأُعِيدَ فى أيامِ المُسْتَضِىءِ ، وحكَم للناصرِ حتى تُوفِّى فى هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) الروضتين ٢/ ١٢٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٩٥، ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٥.

(٢) الكامل ١١/ ٥٦٣، والعبر ٤/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٦.

(٣) فى م : « المنجم » .

(٤) الكامل ١١/ ٥٦٣، والعبر ٤/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٥٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٤، والجواهر المضية ٢/ ٥٣٨.

ثم دخلتْ سنَةُ أرْبَعٍ وثمانيـنَ وخَمسِمائةٍ

فى محرَّمِها[1] حاصَر السلْطانُ صلاحُ الدينِ حِصْنَ كَوْكَبَ[2] فرآه مَنِيعًا صعْبًا ، ووقتُه مشغولٌ بغيرِه ، فوكَّلَ به الأميرَ قايمازَ النجمِىَّ فى خَمْسِمائَةِ فارِسٍ يضَيِّقُون عليه المسالِكَ ، وكذلك وكَّلَ بصَفَدَ - وكانتِ للداويةِ - خَمْسَمائَةِ فارِسٍ مع طُغرُلَ الجاندارِ[3] يمنَعُون وصولَ المِيرَةِ والتَّقاوِى ، وبعَث إلى الكرَكِ والشَّوْبَكِ جيشًا آخرَ يحاصِرونه ويضيِّقُونَ على أهلِه ، ليتفَرَّغَ مِن أمورِه لقتالِ هذه الأماكنِ وحصارِها .

وكان دخولُ السلطانِ إلى دِمَشْقَ مِن هذه الغزاةِ فى ربيعٍ الأولِ ، ففرِح به المسلمون ودقَّت البشائرُ وزُيِّن البلدُ ، ووجدَ الصفىَّ بنَ القابضِ وَكِيلَ الخِزانةِ قد بنَى للملكِ دارًا بالقلعةِ هائلةً مطِلَّةً على الشرفِ القبلىِّ ، فغضِب عليه وعزَله مِن وظيفتِه ، [٩/٢٩٨ظ] وقال : إنَّا لم نُخلَقْ للمُقامِ بدِمَشْقَ ، وإنَّما خُلقْنا للعبادةِ والجهادِ[4] .

وجلَس السلطانُ بدارِ العَدْلِ فحضَر عندَه القضاةُ وأهلُ الفضلِ ، وزار القاضىَ الفاضِلَ فى بُسْتانِه على الشرفِ فى جَوْسَقِ ابنِ الفرّاشِ ، وحكَى له ما

---

(١) الكامل ١٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣١.

(٢) كوكب : اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية . معجم البلدان ٤/ ٣٢٨.

(٣) فى الأصل : «الخازندار» وفى م : «الجامدار» والمثبت موافق لما فى الروضتين ٢/ ١٢٤، والجاندار : الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . صبح الأعشى ٤/ ٢٠.

(٤) بعده فى م : «فى سبيله ، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له» .

كان مِن الأمورِ ، واسْتَشارَه فيما يفعلُه فى المستقبلِ مِنَ المهِمَّاتِ والغزَواتِ ، ثم خرَج مِن دِمَشْقَ فى جيوشِه ، فسلَكَ على جبلِ نبوسَ[1] ، ودخَل البِقَاعَ وخيَّم على بعلَبَكَّ ، وسارَ إلى حِمْصَ وجاءته عساكرُ الجزيرةِ وهو على العاصِي[2] ، فسارَ إلى السواحلِ الشاميةِ ، ففتَح أنطَرْطُوسَ وغيرَها مِنَ الحصُونِ ، وفتَح جَبلَةَ واللاذِقِيَّةَ ، وكانت مِن أحسنِ المدُنِ عمارةً ورُخامًا ومَحَالَّ ، وفتحَ صُهْيُونَ وبَكَاسَ والشُّغْرَ ؛ وهما قلْعتَانِ على العاصِى حصِينَتانِ ، فتَحهما عَنْوَةً ، وفتَح حصْنَ بَرْزَيَه ؛ وهى قلعةٌ عظيمةٌ على شاهقِ جبَلٍ عالٍ منيعٍ ، تحتَها أوديةٌ عميقَةٌ يضْرَبُ المثَلُ بحصانتِها فى سائرِ بلادِ الفِرنجِ والمسلمينَ ، فحاصَرها أشدَّ حصارٍ وركَّبَ عليها المجانِيقَ الكِبارَ ، وفرَّقَ الجيشَ ثلاثَ فرقٍ ، كلُّ فريقٍ يلُون القتالَ ، فإذا كلُّوا وتعِبوا خلَفَهم الآخرون ، حتى لا يزالُ القتالُ مستمِرًّا ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً ، فكان فتْحُها فى نَوْبَةِ السلْطانِ ، فأخَذَها عَنْوَةً فى أيامٍ معْدوداتٍ ، ونهَب جميعَ ما فيها واسْتولَى على حواصلِها وأموالِها ، وقتَل حُماتَها ورِجالَها ، وسبَى ذراريَّها وأطْفالَها ، ثم عدَلَ عنها ففتَحَ حِصْنَ دربساكَ وحِصْنَ بَغْراسَ[3] ، كلُّ ذلك يفْتَحُه عَنْوَةً فيغنَمُ ويسْلَمُ ، وللَّهِ الحمدُ .

ثم سمَتْ هِمَّتُه العاليةُ إلى فَتْحِ أنْطَاكِيَةَ ؛ وذلك لأنَّه أهلَك ما حولَها مِنَ القُرَى ، واسْتَظهرَ عليها بكثْرَةِ الجنودِ ، فراسَله صاحِبُ أنْطَاكِيَةَ يطلُبُ منه الهُدْنَةَ على أنْ يطلِقَ مَنْ عندَه مِن أُسارى المسلمينَ ، فأجابَه السلطانُ إلى ذلك لعلْمِه

---

(١) فى ص : « سوس » ، وفى م : « بيوس » . والمثبت موافق لما فى الروضتين ٢/ ١٢٥.

(٢) العاصى : اسم نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس مخرجه من بحيرة قدس ومصبه فى البحر قرب أنطاكية . معجم البلدان ٣/ ٥٨٨.

(٣) بغراس : مدينة فى لحف جبل اللكّام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . معجم البلدان ١/ ٦٩٣.

بضجَرِ مَن معه مِن المقاتلةِ والأعوانِ ، فوقَعتِ الهدنةُ على سبْعَةِ أشهرٍ ؛ ومقْصودُ السلْطانِ أنْ تسْتريحَ الجيوشُ مِن تعَبِها ، وتجُمَّ النفوسُ مِن نصَبِها ، وأرسلَ السلطانُ إليه مَنْ تسلَّمَ منه الأُسارَى وقد ذلَّتْ دولةُ النصارَى .

ثم سارَ السلطانُ فسألَه ولَدُه الظاهِرُ أنْ يجْتازَ بحَلَبَ فأجابَه إلى ما طلَب ، فنزَل بقلْعَتِها ثلاثَ ليالٍ ثم جدَّد العزْمَ والترحالَ ، فاسْتقْدمَه ابنُ أخيه تَقِيُّ الدينِ إلى حَمَاةَ فنزَل بقلعتِها ليلةً ، كانت مِن أكبرِ مقاصدِه ومناه ، وأقطَعه تلك الليلةَ جَبَلَةَ واللاذِقِيَّةَ ، ثم سارَ فنزَل بقَلْعَةِ بَعْلَبَكَّ ، ودخَلَ إلى حمَّامِها ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيدًا منصورًا مسرورًا محبورًا ، وذلك فى أوائلِ رمضانَ ، وكان يومًا مشْهُودًا ومقدَمًا محمودًا [٩/٢٩٩و] ، وجاءَتْه البشائرُ بفَتْحِ الكرَكِ على المسلمين ، الذين كانوا له محاصرين ، وأراحَ اللَّهُ تلك الناحيةَ ، وسَهَّلَ حَزْنَها[1] على السالِكينَ مِن التجارِ والحُجَّاجِ والغُزاةِ والمعتمرين ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . [الأنعام : ٤٥] .

فَصْلٌ فى صفةِ فَتْحِ صَفَدَ وحِصْنِ كَوْكَبَ

لم يُقِمِ السلْطانُ بدمَشْقَ إلَّا أيامًا معدودةً حتى خرَج بجيشِه قاصِدًا بلادَ صَفَدَ ، فنازَلَها فى العشرِ الأوْسَطِ مِن رمضانَ ، وحاصَرها بالمنجنيقاتِ والشجعانِ ، وكان البرْدُ شديدًا يصْبحُ الماءُ فيه جَلِيدًا ، فما زالَ حتى فتحَها صُلحًا فى ثامنِ شوَّالٍ ، وللَّهِ الحمدُ على كلِّ حالٍ .

---

(١) الحزْن من الأرض : ما غلظ .

ثم سار إلى صُورَ فألقَتْ إليه بقيادِها، وتبرَّأَتْ مِن ناصريها وقُوَّادِها، وتحقَّقَتْ - لمَّا فتِحَتْ صَفَدُ - أنَّها مقْرُونَةٌ بأصْفادِها.

ثم سارَ منها إلى حِصْنِ كوكبَ - وهى معقِلُ[1] الإسبتاريَّةِ كما أنَّ صَفَدَ كانتْ معقلَ الداويَّةِ - وكانوا أبْغَضَ أجْناسِ الفِرنجِ إلى الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ، الذى لا يكادُ يتركُ منهم أحدًا إلَّا قتلَه؛ إذا وقَع فى المأسُورِينَ. فحاصَر قلعةَ كوكبَ حتى قهَرها، وقتَل مقاتِلتَها وأسَرها وأراحَ المارَّةَ مِن شرِّ ساكنِيها، وتمَهَّدَتْ تلك السواحِلُ واسْتَقرَّ بها منازلُ قاطنِيها. هذا والسماءُ تَصُبُّ، والرياحُ تهُبُّ، والسُّيولُ تعُبُّ، والأرْجُلُ فى الأوْحالِ تخُبُّ، والسلطانُ فى كلِّ ذلك صابرٌ مُصابِرٌ محتسِبٌ، وكان القاضى الفاضلُ معه فى هذه المواقفِ شاهدًا ومرتقبًا، وكتَب القاضى الفاضلُ عن السلطانِ إلى أخيه سيفِ الإسلامِ صاحبِ اليمنِ يَسْتَدْعِيه إلى الشامِ لنُصْرَةِ أهلِ الإسْلامِ وقتلِ الكَفَرةِ اللِّئامِ، فإنَّه قد عزَمَ على حصارِ أنْطَاكِيَةَ، ويكونُ تَقِيُّ الدينِ عمرُ مُحاصِرًا لطرابُلُسَ إذا انْسَلَخ هذا العامُ. ثم عزمَ القاضى الفاضِلُ على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ، فسار السلطانُ معه لتوديعِه ثم عدَل إلى القُدْسِ الشريفِ، فصلَّى فيه الجُمعةَ، وعيَّد فيه عيدَ الأضحَى بالصخرةِ مِن الأقصى، ثم سارَ ومعه أخوه العادِلُ إلى عَسْقَلانَ، ثم أقطَع أخاه الكرَكَ عوَضًا عن عَسْقَلانَ، وأمَره بالانْصِرافِ ليكونَ عونًا لابنِه العزيزِ على حوادِثِ الزمانِ، وعادَ السلطانُ فأقامَ بمدينةِ عَكَّا حتى انْسَلَخَتْ هذه السنةُ.

وفى هذه السنةِ خرَجتْ طائفةٌ مِن [٢٩٩/٩ظ] الرافِضَةِ بمِصْرَ يُريدون أن يُعيدوا دولةَ الفاطمِيِّينَ، واغْتنَمُوا غيبةَ العادِلِ عن مِصْرَ، واسْتَخَفُّوا أمْرَ العزيزِ

---

(١) فى الأصل، ص: «معدن».

عُثْمانَ بنِ صلاحِ الدينِ ، فبعثُوا اثْنَىْ عشَرَ رجُلًا ينادونَ فى الليل : يا لَعلىٌّ ، يا لَعَلىٌّ . بناءً على أنَّ العامَّةَ تجيبُهم إلى ما عزَموا عليه ، فلم يلتَفِتْ إليهم أحدٌ ، ولا منعَهم مِن الناسِ أحدٌ ، فلمّا رأوْا ذلك انهزَمُوا فأُدْرِكُوا وأخِذُوا وقيِّدُوا وحُبِسُوا ، ولمَّا بلَغ أمْرُهم إلى السلطانِ صلاحِ الدينِ ساءَه ذلك واهْتَمَّ له ، وكان الفاضِلُ عندَه بعدُ لم يفارِقْه ، فقال له : أيُّها الملكُ ينبَغِى أنْ تفرَحَ ولا تحزَنَ ، فإنَّه لم يُصْغِ إلى دعوةِ هؤلاءِ الجهَلةِ أحدٌ مِن رعيَّتِكَ ولا التفتوا إليهم ، فلو أنَّكَ بعثْتَ مِن قِبلِكَ جواسِيسَ يخْتبرُونَ رعيتَك لَسَرَّك ما يبلُغُكَ عنهم . فسَرَّى ذلك عنه ، ورجَع إلى قولِه ، ولهذا أرْسَلَه إلى مِصْرَ ؛ ليكونَ له عَيْنًا وعَوْنًا ومعينًا .

وممن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الأميرُ الكبيرُ سُلالَةُ الملُوكِ والسَّلاطِينِ الشَّيْزَرِىُّ ، مؤيِّدُ الدولةِ أبو الحارثِ وأبو المُظَفَّرِ ، **أسامَةُ بنُ مُرشدِ بنِ علىِّ بنِ مُقَلَّدِ بنِ نصْرِ بنِ مُنقذٍ**[1] ، أحدُ الشعراءِ المشْهُورِينَ ، والأمراءِ المشْكُورِينَ ، بلَغ مِن العمرِ ستًّا وتسْعينَ سنةً ، وكان عمْرُه تارِيخًا مستقلًّا وحدَه ، وكانتْ دارُه بدِمَشْقَ معقلًا للفُضلاءِ ومنْزِلًا للعلماءِ ، وله مِن الأشعارِ الرائِقةِ والمعانِى الفائقةِ شىءٌ كثيرٌ ، ولديه علمٌ غزيرٌ ، وعندَه جُودٌ وفضلٌ كبيرٌ ، وقد كان مِن أبناءِ ملوكِ شَيْزَرَ ، ثم أقامَ بديارِ مصرَ مدةً فى أيامِ الفاطمِيِّينَ ، ثم عادَ إلى الشامِ ، وقدِمَ على الملكِ صلاحِ الدينِ - فى سنَةِ سَبْعِينَ - دمشقَ ، وأنشدَه :

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٤٩٨، والروضتين ٢/ ١٣٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٩٥، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٧٠.

حَمِدْتُ على طُولِ عمْرِى المَشِيبَا وإنْ كنتُ أكْثَرْتُ فيه الذنُوبا
لأنِّى حَيِيتُ إلى أنْ لقيـ ـتُ بعدَ العدُوِّ صدِيقًا حَبِيبا

وله فى سِنٍّ قلَعَها ففقَد نفْعَها[1] :

وصاحبٍ لا أمَلُّ الدهرَ صُحْبَتَهُ يشْقَى لنَفعِى ويَسْعى سَعْىَ مُجْتَهِدِ
لم أَلْقَهُ مذْ تَصاحَبْنَا فحينَ بدَا لناظِرَىَّ افْتَرقْنا فُرْقَةَ الأبَدِ

وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وكان صلاحُ الدينِ يفضِّلُه على سائرِ الدَّواوِينِ.

وقد كان مولدُه فى سنَةِ ثَمانٍ وثمانينَ وأرْبَعِمائةٍ، وكان فى شَبِيبَتِه شَهْمًا شُجاعًا فاتكًا، قتَل الأسَدَ مُواجهَةً وحدَه، ثم عُمِّرَ إلى أنْ تُوفِّىَ فى هذه السنَةِ، قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : [٩/٣٠٠و] ليلةَ الثلاثاءِ الثالثِ والعِشْرِينَ مِن رمضانَ، ودُفِنَ شرْقِىَّ جبَلِ قاسيونَ. قال: وزُرْتُ قَبْرَه وقرأتُ عندَه وأهديتُ له، رحِمه اللَّهُ تعالى.

ومما أنشَده له قولُه[3] :

لا تَسْتَعِرْ جَلَدًا على هجْرانِهِمْ فقُواكَ تضْعُفُ عن صُدودٍ دائمِ
واعلَمْ بأنَّكَ إنْ رجَعْتَ إليهِمُ طَوْعًا وإلَّا عُدْتَ عودَةَ راغمِ

وقولُه[4] فى قتلِ الأسدِ وكِبَرِه :

فاعْجَبْ لضَعْفِ يَدِى عن حَمْلِها قلمًا مِن بعدِ حَطْمِ القَنا فى لَبَّةِ الأسَدِ

---

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٤٩٩.
(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٩٩.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٩٦، والبيتان فى ديوان أسامة بن منقذ ص ٤٢.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٧.

وقُلْ لمَنْ يتمَنَّى طُولَ مدَّتِهِ هَذِى عَواقِبُ طُولِ العُمرِ والمُدَدِ

قال ابنُ الأثيرِ[1] : وفى هذه السنةِ توفِّى شيْخُنا **أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سُوَيْدةَ التَّكْرِيتِىُّ**[2] ، كان عالماً بالحديثِ ، وله تصانيفُ حسنةٌ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال الشيخُ شهابُ الدينِ[3] : وفيها تُوفِّى **الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ مُوسى ابنِ عُثْمانَ بنِ حازِمٍ الحازِمِىُّ الهَمَذانىُّ**[4] ببَغْدادَ ، صاحِبُ التصانيفِ ، على صِغَرِ سنِّه ، منها « العُجالَةُ » فى النسَبِ ، و « الناسِخُ والمنْسُوخُ » فى الحديثِ وغيرُهما . ومولدُه سنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وأرْبَعِينَ وخَمْسِمِائَةٍ ، وتُوفِّى فى الثامنِ والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الأُولَى مِن هذه السَّنَةِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٦.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٨٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٧.

(٣) الروضتين ٢/ ١٣٧.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ١٩٨، والمعين فى طبقات المحدثين ص ١٨٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٣.

ثم دخَلَتْ سنَةُ خَمْسٍ وثَمانِيـنَ وخَمْسِمِائَةٍ

فيها[1] قدِمَ مِن جهةِ الخليفةِ رسُلٌ إلى السلْطانِ يعْلِمُونَه بولايةِ العهدِ لأبى نَصْرٍ محمدٍ المُـلَقَّبِ بالظَّاهرِ بنِ الخليفةِ الناصِرِ ، فأمَر السلْطانُ خطيبَ دِمَشْقَ أبا القاسِمِ عبدَ الملكِ بنَ زَيْدٍ الدَّوْلَعِيَّ بالدعاءِ له ، ثم جهَّز السلطانُ مع الرُّسُلِ تُحَفًا عظيمةً ، وهدايا سَنِيَّةً ، وأرسَل بأُسارَى مِن الفِرنجِ على هَيْئَتِهم فى حالِ حَرْبِهم ، وأرسَل بصَليبِ الصَّلبوتِ فدُفِنَ تحتَ عتَبَةِ بابِ النوَى ، مِن دارِ الخلافةِ ، فكان بالأقدامِ يُداسُ ، بعدَما كان يعظَّمُ ويُبَاسُ ، وصار يُبْصَقُ عليه بعدَما كان يُسجَدُ إليه ، والصحيحُ أنَّ هذا الصليبَ إنما هو الذى كان منصُوبًا على قُبَّةِ الصَّخرةِ ، وكان مِن نُحاسٍ مطْلِيًّا بالذَّهبِ ، وقد انحطَّ إلى أسْفَلِ الرُّتَبِ[2] .

قصَّةُ عكَّا وما كان مِن أمْرِها[3]

لمَّا كان شهرُ رجَبٍ اجتمَع مَن كان بصُورَ مِنَ الفِرنجِ وسارُوا إلى مدينةِ عَكَّا ، فأحاطُوا بها يحاصِرُونَها ، فتحَصَّنَ مَن فيها مِن المسلمينَ ، وأعدُّوا للحصارِ ما يحْتاجُونَ إليه ، وبلَغ السلْطانَ خبَرُهم فسارَ إليهم مِن دِمَشْقَ مُسْرِعًا ، فوجَدهم

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٢، والروضتين ٢/ ١٣٩.

(٢) فى م : « العتب » .

(٣) الكامل ١٢/ ٣٢، والروضتين ٢/ ١٤٢.

قد أحاطُوا بها ، كإحاطَةِ الخاتَمِ بالخِنْصَرِ ، فلم يزَلْ يُدافِعُهم عنها ويمانِعُهم منها ، حتى جعَل طريقًا إلى بابِ [٩/٣٠٠ظ] القلْعَةِ يصِلُ إليه كلُّ مَن أرادَه ، مِن جُنْدِيٍّ وسُوقِيٍّ ، وامرأةٍ وصبيٍّ ، ثم أولَج فيها ما أرادَ مِن آلاتٍ وأمتعَةٍ ، ومقاتلةٍ ، ودخَل بنفْسِه الكريمةِ ، فَعَلا سُورَها ونظَر إلى الفِرنْجِ وجيْشِهم وكثرَةِ عدَدِهم وعُدَدِهم ، والمِيرَةُ تَفِدُ إليهم مِن البحرِ فى كلِّ وقتٍ ، وكلُّ ما لَهم فى ازديادٍ ، وفى كلِّ حينٍ تَصِلُ إليهم الأمْدادُ ، وعادَ السُّلطانُ إلى مُخَيَّمِه والجنودُ تصِلُ إليه ، وتقدَمُ عليه مِن كلِّ جهةٍ ومكانٍ ، منهم رَجّالةٌ وفرْسانٌ .

وقعةُ مَرجِ عكَّا

ثم برزَتِ الفِرنجُ فى نحوٍ مِن ألْفَيْ فارسٍ وثلاثينَ ألفَ راجِلٍ فى العَشْرِ الأُخرِ مِن شعبانَ ، فبرَز إليهم السلطانُ فِيمَن معه مِن السادةِ الشجْعانِ ، فاقْتَتلُوا بمَرْجِ عَكَّا قِتالًا عظيمًا ، وهُزِم جماعةٌ مِن المسلمينَ فى أوَّلِ النَّهارِ ، ثم كانتِ الكرَّةُ على الفِرنجِ فى آخرِه ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] . فقُتِل مِن المسلمين قريبُ المائتين ، وأمّا الفِرنجُ فكانتِ القتْلَى منهم أزْيَدَ مِن سبْعَةِ آلافِ قتيلٍ ، ولمَّا تمَّت هذه الوقعةُ تحوَّلَ السلطانُ مِن مكانِه الأوَّلِ إلى موضعٍ بعيدٍ مِن رائحةِ القَتْلَى ، خوفًا مِن الوَخَمِ والأذَى ؛ ليسْتَرِيحَ الخيَّالَةُ والخيْلُ ، ولم يعلَمْ أنَّ ذلك كان مِن أكبرِ المصالحِ للعدُوِّ المخْذُولِ ، فإنَّهم اغْتَنمُوا هذه الفَتْرَةَ ، فحفَرُوا حولَ مُخيَّمِهم خَنْدَقًا لجميعِ جيشِهم مِن البحرِ إلى البحرِ مُحْدِقًا ، واتخذُوا مِن تُرابِه سُورًا شاهقًا ، وجعَلُوا له أبْوابًا يخرجُونَ منها إذا أرادُوا ، وتمكَّنُوا فى منْزِلِهم ذلك الذى له اخْتارُوا وارْتَادُوا ، وتفارَطَ الأمرُ ، وقوِىَ الخَطْبُ ، وصارَ الدَّاءُ عُضَالًا ، وازْدادَ الحالُ وَبالًا ، وكان رأْىُ السلْطانِ أنْ يُناجَزُوا بعدَ الكرَّةِ سريعًا ،

ولا يُتْرَكُوا حتى يطيبَ ريحُ البحرُ فتأتِيَهم الأمدادُ مِن كلِّ صوبٍ هريعًا[1] ، فاعتذَر الأمراءُ إليه بالملالِ والضَّجَرِ ، وكلٌّ لأمْرِ الفِرنجِ قد احْتقَرَ ، ولم يَدْرِ ما قد حُتِمَ فى القدَرِ ، فأرسَل السلطانُ إلى جميعِ المُلوكِ يستَنْفِرُ ويستنصِرُ ، وكتَب إلى الخليفةِ بالبَثِّ ، وبَثَّ الكتُبَ بالتَّحْضيضِ والحثِّ ، فجاءَتْه الأمدادُ جماعاتٍ وآحادًا ، وأرسَل إلى مِصْرَ يطلُبُ أخاه العادِلَ ، فقدِمَ عليه ، ويستعجِلُ الأسطولَ ، فوصَل إليه فى خمسين قطْعةً فى البحرِ مع الأميرِ حُسَامِ الدِّينِ لؤلؤٍ ، فحينَ وصَل الأسطولُ حادَتْ مراكِبُ الفِرنجِ يَمْنَةً ويَسْرَةً ، وخافت كلُّها منه ، واتصَلَت بالبلدِ المِيرَةُ والعَدَدُ والعُدَدُ ، [٣٠١/٩و] وانْشرَحَتِ الصدورُ بعدَ الضيقِ والكَمَدِ ، وانْسلخَتْ هذه السنةُ والحالُ على ما هو عليه ، ولا ملْجَأَ مِنَ اللَّهِ تعالى إلَّا إليه . واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأَعْيانِ :

القاضى شرَفُ الدِّينِ أبو سَعْدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أبى عَصْرُونَ[2] ، أحدُ أئمةِ الشافِعيَّةِ ، له كتابُ « الانْتصارِ » ، وقد وَلِىَ قضاءَ القضاةِ بدِمَشْقَ ، ثم أضَرَّ قبلَ موْتِه بعَشْرِ سنِينَ ، فجُعِلَ ولَدُه محيى[3] الدينِ مكانَه تطييبًا لقلبِه ، وبلَغ القاضى شرفُ الدينِ ثلاثًا وتسعينَ سنةً ونصْفًا ، ودُفِنَ بالمدْرسةِ العَصْرُونِيَّةِ ، التى أنْشأَها غربِىَّ سوَيْقَةِ بابِ البريدِ ، قُبَالَةَ دارِه ، بيْنَهما عَرْضُ الطريقِ ، وكان مِنَ الصالِحِينَ والعلماءِ العامِلِينَ ، رحِمه اللَّهُ . وقد ذكَرَه القاضى

---

(١) أى سريعًا .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٢٠٠، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٥١، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٧/ ١٣٢.

(٣) فى م : « نجم » .

ابنُ خَلِّكانَ فقال[1] : أصلُه مِن حَدِيثَةِ المَوْصِلِ ، ورحَل فى طلبِ العلمِ إلى بُلْدانٍ شتَّى ، وأخَذ عن أسْعَدَ المِيهَنِىِّ وأبى علىٍّ الفارِقِىِّ وجماعةٍ ، ووَلِىَ قضاءَ سِنْجارَ وحَرَّانَ ، وباشَر فى أيامِ نُورِ الدِّينِ تدْرِيسَ الغَزَّالِيَّةِ ، ثم انْتقَل إلى حَلَبَ ، فبنَى له نُورُ الدِّينِ مدرسةً بحَلَبَ وبحِمْصَ أيضًا ، ثم قدِم دِمَشْقَ فى أيامِ صلاحِ الدِّينِ ، فوَلِىَ قضاءَها فى سنَةِ ثلاثٍ وسبعينَ وخَمْسِمِائَةٍ إلى أنْ تُوفِّىَ فى هذه السَّنَةِ ، وقد جمَع جُزْءًا فى قضاءِ الأعْمَى ، وأنَّه جائزٌ ؛ وهو خلافُ المذْهبِ ، لكن حكَاه صاحبُ « البَيانِ » وجْهًا لبعضِ الأصْحابِ . قال[2] : ولم أرَهُ فى غيرِه . وقد صنَّفَ كُتُبًا كثيرةً ، منها : « صفْوَةُ المذْهبِ فى نهايةِ المطْلَبِ » فى سبعِ مجلَّداتٍ ، و « الانْتصارُ » فى أربعٍ ، و « الخِلافُ » فى أربعٍ ، و « الذَّرِيعَةُ فى معْرفةِ الشريعةِ » ، و « المرشِدُ » ، وغيرُ ذلك ، وكتابًا سمَّاه « مآخذَ النظرِ » ، ومُخْتَصرًا فى الفرائضِ وغيرَها ، وقد ذكرَه ابنُ عساكِرَ[3] فى « تارِيخِه » ، والعمادُ فأثْنَى عليه[4] ، وكذلك القاضى الفاضلُ[5] .

وأوْرَد له العمادُ أشعارًا كثيرةً ، وممَّا أورده ابنُ خَلِّكانَ عنه قولُه[6] :

أُؤَمِّلُ أنْ أحْيَا وفى كلِّ ساعةٍ ... تَمُرُّ بِىَ المَوْتَى تُهَزُّ نعُوشُها
وهلْ أنا إلَّا مثْلُهم غيرَ أنَّ لِى ... بقايَا ليالٍ فى الزمانِ أعيشُها

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٥٣.
(٢) المصدر السابق ٣/ ٥٤.
(٣) انظر المصدر السابق .
(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٥١.
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٥٥.
(٦) المصدر السابق .

[٣٠١/٩ظ] **أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبانَ ، أبو العباسِ**[١] ، المعْروفُ بابنِ أفْضَلِ الزَّمانِ ، قال ابنُ الأثيرِ[٢] : كان عالمًا مُتَبحِّرًا فى علومٍ كثيرةٍ مِن الفِقْهِ ، والأصولِ والحسابِ والفرائضِ والنجومِ والهَيْئةِ والمنْطِقِ وغيرِ ذلك ، وقد جاوَر بمكَّةَ وأقامَ بها إلى أنْ ماتَ بها ، وكان مِن أحْسَنِ الناسِ صُحْبَةً وخلُقًا .

الفَقِيهُ الأميرُ ضِياءُ الدِّينِ عيسَى الهَكَّارِىُّ[٣] كان مِن أصْحابِ أسَدِ الدينِ شِيرِكُوه ، دخَل معه إلى مِصْرَ ، وحَظِىَ عندَه ، ثم كان مُلازمًا للسلْطانِ صلاحِ الدينِ حتى تُوفِّى فى رِكابِه بمنْزِلةِ الخرُّوبَةِ قريبًا مِن عَكَّا ، فنُقِلَ إلى القُدْسِ الشريفِ فدُفِنَ به ، وكان ممَّنْ تَفقَّه على الشيخِ أبى القاسمِ بنِ البَزْرِىِّ[٤] الجزرِىِّ . وكان الفقيهُ عيسى مِن الفُضلاءِ والنبلاءِ والأمراءِ الكبارِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

المُبارَكُ بنُ المُبارَكِ الكَرْخِىُّ[٥] ، مدرِّسُ النِّظامِيَّةِ ، تفَقَّهَ بابنِ الخلِّ ، وكانت له مكانةٌ عندَ الخليفةِ والعامَّةِ ، وكان يُضرَبُ بحسْنِ خطِّه المثَلُ . وقد ذكَرتُه فى « الطبَقاتِ » ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٢.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٤٣.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٤٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩٧، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٤ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٧/ ٢٥٥.

(٤) فى م ، والكامل : « البرزى » . وانظر الأنساب ١/ ٣٤١.

(٥) الكامل ١٢/ ٤٣، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٧/ ٢٧٥.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سِتٍّ وثَمانِيـنَ وخَمْسِمِائةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ والسلْطانُ مُحاصِرٌ لمحاصرى عَكَّا ، وأمْدادُ الفِرنْجِ تَقْدَمُ عليهم مِن البحرِ فى كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ ، حتى إنَّ النساءَ ليَخرُجْنَ بنِيَّةِ القتالِ ، ومِنهنَّ مَنْ تأتِى بنِيَّةِ راحَةِ الغُرَباءِ فى الغربةِ ؛ قدِمَ إليهم مرْكَبٌ فيه ثَلاثُمِائَةِ امرأةٍ حسناءَ بهذه النِّيَّةِ ، حتى إنَّ كثيرًا مِن فَسَقةِ المسلمينَ تحيَّزُوا إليهم لأجلِ هذه النسْوَةِ . واشْتَهرَ الخبرُ بأنَّ مَلِكَ الألْمانِ قد أقبلَ فى نحوِ ثلاثِمائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، مِن ناحيَةِ القُسطنطينِيَّةِ ، يريدُ أخْذَ الشامِ وقَتْلَ أهْلِه وملوكِه ؛ انتصارًا لبيتِ المَقْدسِ ، فحمَل المسلمونَ هَمًّا عظيمًا ، وخافُوا غائلةَ ذلك ، مع ما هم فيه مِنَ الشُّغْلِ العظيمِ والحصارِ الهائلِ ، ولكِنَّ اللَّهَ لطَف بهم وأهْلَك غالبَ أمَّةِ الألمانِ فى الطُّرقاتِ بالبردِ والجُوعِ والضلالِ فى المَهالِكِ ، على ما سيأتى بيانُه وتفصيلُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وكان سبَبَ نَفْرِ النَّصارى فى هذا العامِ ما ذكَره ابنُ الأثيرِ[2] فى « كاملِه » أنَّ جماعةً مِن الرُّهْبانِ والقسوسِ ، ركِبُوا مِن مدينةِ صُورَ فى أرْبعَةِ مراكِبَ يطُوفُونَ البُلدانَ البحريَّةَ ، يحثُّونَهم على الانْتِصارِ لبيتِ المَقْدِسِ ، وما جَرَى على أهْلِ السواحلِ مِن القتلِ والسبيِ وخرابِ الديارِ ، وقد صوَّرُوا صورةَ المسيحِ وصورةَ عربيٍّ يضرِبُه ، فإذا سأَلُوهم مَنْ هذا الذى يضرِبُ المسيحَ ؟ قالوا : هذا نبيُّ العربِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٣٢.

يضرِبُه وقد جرَحه وماتَ ، فينْزَعِجُونَ عندَ ذلك ويحْمَونَ ويبْكونَ ويحْزنُونَ ، ويخرُجون مِن بلادِهم لنُصْرَةِ دينِهم ونبيِّهم ، وموضعِ حجِّهم ، على الصَّعْبِ والذَّلُولِ ، حتى النساءُ المخُدَّراتُ والأبناءُ[1] الذينَ هم عندَ أهْلِيهم مِن أعَزِّ الثَّمراتِ وأخصِّ الخَدِراتِ .

وفى نصفِ ربيعِ الأولِ تسلَّمَ السلطانُ شقيفُ أرنونَ بالأمانِ ، وكان صاحبُه مأْسُورًا فى الذلِّ [٣٠٢/٩و] والهَوانِ ، وكان مِن أدْهَى الفِرنجِ وأخْبَرِهم بأيامِ الناسِ ، ورُبَّما قرَأ فى كُتُبِ الحديثِ وتفْسِيرِ القرآنِ ، وكان مع هذا غليظَ الجِلْدِ ، كافِرَ القلبِ ، قبَّحه اللَّهُ تعالى .

ولمَّا انفصَل فصلُ الشِّتاءِ وأقبلَ الربيعُ جاءتِ الملوكُ مِن بُلْدانِها بجيوشِها وشُجْعانِها ، ورِجالِها وفُرْسانِها ، وأرسَل الخليفةُ إلى الملكِ صلاحِ الدِّينِ أحْمالًا مِن النِّفْطِ والرِّماحِ الخطِّيَّةِ ، ونفَّاطةً ونقَّابِينَ ، كلٌّ منهم مُتقِنٌ فى صنعتِه غايةَ الإتْقانِ ، ومرْسُومًا بعشرينَ ألفَ دينارٍ ، وانفتَح البحرُ وتواترَتْ مراكبُ الفِرنجِ مِن كلِّ جزيرةٍ ؛ ينصُرون أصْحابَهم ، ويمدُّونَهم بالقوَّةِ والميرَةِ ، وعمِلَتِ الفِرنجُ ثلاثةَ أبْرجةٍ مِن خشَبٍ وحديدٍ ، عليها جلُودٌ مسْقَاةٌ بالخَلِّ ؛ لِئلَّا يَعملَ فيها النِّفطُ ، يسعُ البرجُ منها خَمْسَمِائَةِ مقاتلٍ ، وهى أعلَى مِن أبرجةِ البلَدِ ، وهى مُرَكَّبَةٌ على عجَلٍ بحيثُ يُدِيرُونَها كيفَ شاءُوا ، وعلى ظهرِ كلِّ برجٍ منها مَنْجَنِيقٌ كبيرٌ ، فأهمَّ أمرُها المسلمين ، وكانوا عليها حَنِقِين ، فأعْملَ السلْطانُ فِكْرَه فى إحراقِها وإهلاكِها ، فاستَحْضَر النَّفَّاطِينَ ووَعدَهم الأموالَ الجزيلةَ ، فانْتَدب شابٌّ نحَّاسٌ مِن دِمَشْقَ يُعرَفُ بعَلىِّ بنِ عريفِ النَّحاسِينَ ، والتزَم

---

(١) فى م : « الزوانى والزانيات » .

بإحْراقِها وإهلاكِها، فأخَذ النِّفْطَ الأبيضَ وخلَطَه بأدْوِيَةٍ عرَفها، وغَلَى ذلك فى ثلاثةِ قُدورٍ مِن نُحاسٍ حتى صارَ نارًا تأجَّجُ، ورَمَى كلَّ بُرجٍ منها بقِدْرٍ مِن تلك القُدورِ بالمَنجَنيقِ مِن داخلِ عَكَّا، فاحْترقَتِ الأبرجةُ الثلاثةُ بإذنِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، حتى صارَتْ نارًا، لها فى الجوِّ ألْسنَةٌ مُتصاعِدَةٌ، فصرَخ المسلمونَ صرخةً واحدةً بالتهْلِيلِ والتكبيرِ، واحْترقَ فى كلِّ برجٍ سَبْعُونَ كَفُورًا، ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وذلك يومَ الاثنينِ الثامنِ والعِشْرِينَ مِن ربيعِ الأوَّلِ مِن هذه السَّنَةِ، وكانتِ الفِرنجُ تعِبُوا فيها سبعةَ أشهرٍ، فاحْترَقَتْ فى يومٍ واحدٍ ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ثم عرَض السلْطانُ على ذلك الشابِّ النحَّاسِ العطيَّةَ السَّنِيَّةَ، فامتنَع مِن قَبُولِها، وقال: إنَّما عمِلْتُ هذا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، ورجاءَ ما عندَه سبحانَه. فلا أرِيدُ منكم جزاءً ولا شُكورًا.

وأقبَل الأسْطولُ المصرىُّ وفيه المِيرَةُ الكثيرةُ لأهلِ البَلدِ، فعَبَّى الفِرنْجُ أسْطُولَهم ليحاربوا أسطولَ المسلمينَ، فنَهَض السلْطانُ بجيْشِه ليشْغَلَهم عن قتالِ الأسطولِ، وقاتلَهم أهلُ البلدِ أيضًا، واقْتتَلَ الأسطُولانِ فى البحرِ، وكان يومًا مشهودًا عظيمًا، وحرْبًا فى البَرِّ والبحرِ، فظفِرتِ الفِرنجُ بشينىٍّ واحدٍ مِن الأسْطُولِ الذى للمسلمينَ، وسلَّم اللَّهُ الباقىَ، فوصَل [٣٠٢/٩ظ] إلى البلدِ بما فيه مِنَ المِيرَةِ، التى قدِ اشتدَّتْ حاجتُهم إلى عُشرِها، وحمِدت اللَّهَ تعالى على يُسرِها بعدَ عُسرِها.

وأمَّا مَلِكُ الألْمانِ المتقدِّمُ ذكْرُه فإنَّه أقبلَ فى عددٍ كثيرٍ وجمٍّ غفيرٍ، قريبٍ مِن ثَلاثِمائةِ ألفِ مقاتلٍ؛ مِن نِيَّتِه الانْتِصارُ لبيتِ المَقْدِسِ حينَ أُخِذ مِن أيدِيهم، فما زال يمُرُّ بإقليمٍ بعدَ إقليمٍ، ويُتخطَّفون فى كلِّ مكانٍ، ويُقتلون كما يُقتَلُ

الحيوانُ حتى اجْتازَ مِلكُهم بنَهرٍ شديدِ الجَرْيَةِ ، فدعَتْه نفْسُه أنْ يسبحَ فيه ، فلمَّا صارَ فيه حمَله الماءُ إلى جذعِ شجرةٍ فشجَّتْ رأسَه ، وأخْمدَتْ أنفاسَه ، وأراحَ اللَّهُ منه المسلمين ، وحُشِرت روحُه إلى سِجِّينٍ ، فأُقيم ولَدُه الأصغرُ فى المُلْكِ بعَده ، وقد تمزَّقَ شملُهم ، وقلَّتْ منهمُ العُدَّةُ ، ثم أقبَلُوا لا يجْتازُونَ ببلدٍ إلَّا قُتِلُوا فيه ، وقلَّ عدَدُهم حتى جاءوا إلى أصْحابِهم المحاصِرين لعكَّا وهم فى ألفِ فارِسٍ ، وليس لهم قَدْرٌ ولا قيمةٌ عندَ أحَدٍ مِن أهلِ مِلَّتِهم ولا غيرِهم . وهكذا سُنَّةُ اللَّهِ فيمن أراد مخالفةَ الإسلامِ وأهلِه فى إهلاكِه وتمزيقِ شملِه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ على إحسانِه وفضلِه .

وزعَم العِمادُ[1] فى سِياقِه أنَّ الألْمانَ وصَلُوا فى خمسةِ آلافِ مقاتلٍ وأنَّ ملُوكَ الفِرنجِ كلَّهم كرِهُوا قدُومَه عليهم ، لِمَا يخافُون مِن سطْوَتِه ، وزَوالِ دوْلتِهم بدَوْلَتِه ، ولم يَفرَحْ به إلَّا المركيسُ صاحِبُ صُورَ ، الذى أنشَأ هذه الفِتْنَةَ وأثارَ هذه المِحْنَةَ - لعَنه اللَّهُ - فإنَّه تقَوَّى به وبجيشِه وكيدِه ، فإنَّه كان خَبِيرًا بالحروبِ والقتالِ ، وأحدَث أشياءَ كثيرةً مِن آلاتِ الحربِ لم تخْطُرْ لأحدٍ ببَالٍ ؛ نصَب دباباتٍ أمثالَ الجبالِ ، تسيرُ بعجَلٍ ولها زلومٌ مِن حديدٍ ، تنْطَحُ السورَ فتكسِرُه ، وتَثْلَمُ جوانبَه ، فمَنَّ اللَّهُ العظيمُ بإحْراقِها وإهلاكِها ، وأراحَ اللَّهُ المسلمينَ مِن شرِّها ، وللَّهِ الحمدُ ، ونهَض بالعسكرِ الفِرنجىِّ فصادمَ به جيشَ المسلمينَ ، وناصَب بالحربِ صلاحَ الدِّينِ ، فمَنَّ اللَّهُ سبحانَه وله الحمدُ بالنصرةِ عليه ، وتقدَّمتِ الجيوشُ برُمَّتِها إليه ، فقتَلُوا مِن الكَفَرةِ خلقًا كثيرًا وجَمًّا غفيرًا ، وهجَمُوا مرَّةً على المُخيَّمِ بغْتةً فنهَبُوا شيئًا كثيرًا مِن الأمتعةِ ، فنهَض إليهم الملكُ العادلُ

---

(١) الروضتين ٢/ ١٦١.

أبو بكرٍ - وكان رأسَ المَيْمَنَةِ - فركِبَ بأصْحابِه ، وأمهَل الفِرنْجَ حتى توغَّلُوا بينَ الخيامِ ، ثم حمَل عليهم بالرماحِ والحُسامِ ، فتهاربوا بينَ يدَيْه ، فما زال يَقْتُلُ منهم جماعةً بعدَ جماعةٍ ، وفِرقةً بعدَ فرقةٍ ، حتى كَسَى وجْهَ الأرضِ منهم حُلَلًا أزْهَى مِن الرِّياضِ الباسمةِ ، وحُزِرَ ما قُتِل منهم ، فأقلُّ ما قِيلَ خمسةُ آلافٍ ، وزعَم العمادُ وغيرُه أنَّه قتَل منهم فيما بينَ الظهرِ إلى العصرِ عشَرةَ آلافٍ ، وللَّهِ الحمدُ ، هذا وطرَفُ الميْسرَةِ [٣٠٣/٩و] لم يشعُرْ بما جرَى ، بل هم نائمون وقتَ القيلولةِ فى خيامِهم وكثيرٌ منهم ما دَرَى .

وكان الذينَ ساقُوا وراءَهم وأسَروهم أقلَّ مِن الألفِ ، وإنَّما قُتِل مِن المسلمينَ عشَرةٌ أو دُونَهم ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ ، ونُصرةٌ عميمةٌ ، وقد أوْهَنَ هذا جيشَ الفِرنجِ وأضْعَفه ، وكادُوا يطْلبُونَ الصُّلحَ وينصَرِفُونَ عن البلدِ ، فاتفقَ قدومُ مددٍ إليهم مِن البحرِ مع ملكٍ يقالُ له : كندهرى - لعَنه اللَّهُ - ومعه أموالٌ كثيرةٌ ، فأنفَقَ عليهم وغرِمَ عليهم وأمَرهم أنْ يبرزُوا معه للقاءِ السلطانِ صلاحِ الدينِ ، ونصَبَ على عَكَّا منْجَنِيقَيْنِ ، غرِمَ على كلٍّ واحدٍ منْهما ألفًا وخَمْسَمائةِ دينارٍ ، فأحْرَقهما أهلُ البلَدِ ، وجاءتْ كتُبُ صاحِبِ الرومِ مِنَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ يعتذرُ إلى صلاحِ الدِّينِ مِن جهةِ ملكِ الألْمانِ ، وأنَّه لم يُجاوِزْ مُلكَه ولا بلَدَه باخْتِيارِه ، وأنَّه تجاوَزَه لكثْرَةِ جُنودِه ، ولذلك بشَّر السُّلْطانَ أنَّ اللَّهَ سيُهلِكُهم فى كلِّ مكانٍ ، وكذلك وقَع ، وللَّهِ الحمدُ القديمِ الإحسانِ ، وأرسَل إلى السلطانِ يقولُ له : إنِّى سأُقِيمُ عندى للمسلمين جمعةً وخطيبًا ، فأرسَل السلطانُ مع رسُولِه خَطِيبًا ومنْبَرًا ، فكان يومُ دخُولِهم إليهم يومًا مشْهُودًا ، ومشْهَدًا محْمودًا ، فأُقيمَتِ الخطبةُ ودَعا للخليفةِ العباسِيِّ ، واجتمَع فيها مَن هناك مِن المسلمينَ والتجارِ والمُسافرِينَ ، وللَّهِ الحمدُ ربِّ العالمينَ .

فصل

وكتَبَ مُتَوَلِّى عَكَّا مِن جهةِ السلْطانِ صلاحِ الدينِ ؛ وهو الأميرُ بهاءُ الدينِ قَراقُوشُ - فى العَشرِ الأُوَلِ مِن شعبانَ - إلى السلطانِ : إنَّه لم يَبْقَ عندَهم فى المدينةِ مِنَ الأقْواتِ إلَّا ما يُبَلِّغُهم إلى ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ . فلمَّا وصَلَ الكتابُ إلى السلْطانِ أسَرَّها يُوسُفُ فى نفْسِه ولم يُبْدِها لأحدٍ ؛ خوفًا مِن شيوعِ ذلك فيبلُغُ العدُوَّ فيَقْوُوا على المسلمينَ ، وتضعُفَ القلوبُ ، وكان قد كتَب إلى أميرِ الأسطولِ بالديارِ المصريَّةِ أنْ يقدَمَ بالمِيرَةِ إلى عَكَّا ، فتأخَّرَ سَيْرُه ، ثم وصَلتْ ثلاثُ بُطُسٍ ليلةَ النصفِ ، فيها مِن المِيرَةِ ما يكْفِى أهلَ البلدِ طولَ الشتاءِ ، وهى فى صُحْبَةِ الأميرِ الحاجِبِ لؤلؤٍ ، فلمَّا أشرفَتْ على البلدِ نهَضَ إليها أسطولُ الفِرنجِ ليحُولَ بينَها وبينَ البلدِ ، ويتْلِفَ ما فيها ، فاقْتتَلُوا فى البحرِ قتالًا عظيمًا ، والمسلمون فى البَرِّ يبتَهِلُونَ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ فى سلامَتِها ، والفِرنجُ تصْرُخُ أيضًا بَرًّا وبحرًا ، وقد ارْتفَعَ الضجِيجُ ، فنصَرَ اللَّهُ المسلمينَ وسلَّم مراكِبَهم ، وطابَتِ الرِّيحُ للبُطُسِ ، فسارَتْ فاخْترَقت[1] المراكِبَ الفِرنجِيَّةَ المحيطَةَ بالميناءِ ، ودخَلَتِ البلدَ سالمةً ، ففرِحَ بها أهلُ البلدِ والجيشُ فرَحًا شديدًا ، وللَّهِ الحمدُ .

وكان السلطانُ قد جَهَّزَ قبلَ هذه الثلاثِ بُطُسٍ المصرياتِ [٩/٣٠٣ظ] بُطْسةً عظيمةً مِن بَيْرُوتَ ، فيها أرْبَعُمِائَةِ غِرارَةٍ ، وشىءٌ كثيرٌ مِن الجُبْنِ والبصَلِ والشحْمِ والقَدِيدِ والنُّشَّابِ والنِّفْطِ ، وكانت هذه البُطسةُ مِن بُطُسِ الفِرنجِ المغنومَةِ ، وأمَرَ

---

(١) فى الأصل ، م : « فأحرقت » .

مَن فيها مِن البَحّارةِ أن يتزَيُّوا بزِيِّ الفِرنجِ حتى إنَّهم حلَقُوا لِحَاهم، وشدُّوا الزَّنانِيرَ، واسْتَصْحَبُوا معهم فى البُطْسةِ شيئًا مِنَ الخَنازِيرِ، وقدِمُوا بها على مراكبِ الفِرنجِ، فاعْتَقَدُوا أنَّهم منهم، وهى سائرةٌ كأنَّها السَّهْمُ إذا خرَج مِن الرَّمِيَّةِ، فحذَّرَهم الفِرنجُ غائلةَ الميناءِ مِن ناحيةِ المسلمين، فاعْتذَروا بأنَّهم مغْلُوبونَ معها، والريحُ قويَّةٌ لا يمكِنُهم أن يقفوا ولا ينصَرِفوا، وما زالُوا كذلك حتى ولَجُوا الميناءَ، وأفْرَغُوا ما كان معهم مِنَ المِيرَةِ، والحربُ خُدْعَةٌ، فعبرَتِ الميناءَ وعينُ الكفرِ عبْرَى؛ فامتلأ الثغْرُ بها خيْرًا وسرورًا وأثْرَى، وكانت مؤنتَهم إلى أنْ قدِمَتْ عليهم تلك البُطُسُ الثلاثُ المصريَّةُ. وكان ميناءُ البلدِ يكْتَنِفُها بُرْجانِ، يقالُ لأحَدِهما: بُرْجُ الذبّانِ[1]، فاتخَذَ الفِرنجُ بُطسَةً عظيمةً لها خُرطومٌ وفيه حرَكاتٌ[2] إذا أرادُوا أنْ يضَعُوه على شىءٍ مِن الأسْوارِ والأبْرجةِ قلَبُوه فوصَلَ إلى ما أرادُوا، فعَظُمَ أمرُ هذه البُطْسةِ على المسلمينَ، ولم يزالُوا فى أمْرِها مُحتالِينَ، حتى أرسَلَ اللَّهُ عليها شُواظًا مِن نارٍ فأحْرقَها وأغْرَقَها، وذلكَ أنَّ الفِرنجَ أعدُّوا فيها نِفْطًا كثيرًا وحَطبًا جَزْلًا، وأُخْرَى خلْفَها فيها حطَبٌ مَحْضٌ، حتى إذا أرادَ المسلمونَ المحاجنةَ على الميناءِ بمراكبِهم أرسَلُوا النِّفطَ على بُطْسةِ الحطَبِ فاحْترقَتْ وهى سائرةٌ بينَ بُطُسِ المسلمينَ فتحرِقُها، وكان فى بُطْسةٍ أخْرَى لهم مُقاتِلَةٌ[4] تحتَ قَبْوٍ قد أحْكَمُوه فيها، فلمَّا أرسَلُوا النِّفْطَ على بُرْجِ الذبّانِ انْعكَسَ الأمرُ عليهم بقُدْرَةِ اللَّهِ تعالى، وذلك لشِدَّةِ الهواءِ تلك الليلةَ، فما تعدَّتِ النارُ بُطْسَتَهم فاحْترقَتْ، وتعدَّى الحريقُ إلى الأخْرَى فغرِقَتْ، ووصَلَ إلى بُطْسةِ المُقاتِلَةِ

---

(١) فى م: «الديان».

(٢) فى م: «محركات».

(٣) الجزل: ما عظم من الحطب ويبس.

(٤) فى الأصل، ص: «مقابلة».

فتَلِفَتْ ، وهلَكت بمَن فيها ، فأشْبَهُوا مَن سلَف مِن الكافِرينَ ، كما قال تعالى فى كتابِه المبينِ : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢] .

فصــلٌ

وفى ثالثِ رمضانَ اشتدَّ حِصارُ الفِرنجِ للبلدِ حتى نزَلُوا إلى الخَنْدَقِ[(١)] ، فبرَزَ إليهم أهلُ البلدِ فقتَلُوا منهم خلْقًا كثيرًا ، وتمكَّنُوا مِن حَريقِ الكبشِ[(٢)] الذى اتخَذوه لحصارِ الأسْوارِ ، وسرَى حرِيقُه إلى السُّفورِ[(٣)] وارتفعتْ له لهَبَةٌ عظيمةٌ فى عَنانِ السماءِ ، ثم اجْتذَبَه المسلمونَ إليهم بكَلالِيبَ مِن حديدٍ فى سلاسِلَ ، فحصَّلوه عندَهم وألْقَوا عليه الماءَ البارِدَ [٩/٣٠٤و] فبرَدَ بعدَ أيامٍ ، فكانَ فيه مِنَ الحديدِ مِائَةُ قِنْطارٍ بالدمَشْقِيِّ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وكان مع السلطانِ فى الثامِنِ والعِشْرِينَ مِن رمضانَ الملكُ زَيْنُ الدينِ صاحبُ إرْبِلَ فتوفِّى فى عَكَّا ، فتأسَّفَ الناسُ عليه لشبابِه وغرْبَتِه وجودَتِه ، وعُزِّى أخوه مُظَفَّرُ الدينِ فيه ، وهو الذى قام بالملكِ مِن بعدِه ، وسألَ مِن السلطانِ صلاحِ الدينِ أنْ يُضِيفَ إليه شَهْرُزُورَ ويترُكَ حَرَّانَ والرُّهَا وسُمَيْساطَ وغيرَها ، وتحمَّلَ مع ذلك خمسينَ ألفَ دينارٍ نقْدًا ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، وكتَبَ له تقْلِيدًا ، وعقَدَ له لواءً ، وأُضيفَ ما ترَكَه إلى الملكِ المظفَّرِ تقىِّ الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلْطانِ صلاحِ الدينِ .

---

(١) الروضتين ٢/ ١٦٣، ١٦٤.

(٢) فى الأصل : « المكبس » ، وفى م ، ص : « الكيس » . والمثبت من الروضتين ٢/ ١٦٣.

(٣) فى م : « السقوف » .

فصــلٌ

وكان القاضى الفاضِلُ بالديارِ المصريَّةِ يُدَبِّرُ الممالِكَ بها ، ويجهِّزُ إلى السلْطانِ ما يحْتاجُ إليه منها مِن الأمْوالِ والنفَقاتِ ، وعمَلِ الأسْطُولِ ، وما يحتاجُ إليه فيه مِن محصولٍ ، والكتُبُ السلْطانِيَّةُ وارِدةٌ إليه فى كلِّ حينٍ ، ويسْتَشِيرُه فيما يُصلِحُ به أمورَ المسلمين ، وكذلك الكتبُ الفاضِلَةُ قادِمةٌ على السلطانِ فى كلِّ أوانٍ ؛ فمِن ذلك كتابٌ يذكُرُ فيه أنَّ سببَ هذا التطْويلِ فى الحصارِ إنَّما هو بسبَبِ كثرةِ الذُّنوبِ ، وارْتِكَابِ المحارمِ مِن الناسِ ، ويقولُ فى بعضِها[1] : إنَّ اللَّهَ لا يُنَالُ ما عندَه إلَّا بطاعتِه ، ولا يُفرِّجُ الشدائدَ إلَّا بالرجوعِ إليه ، [2]والامتثالِ لشريعتِه[2] والمعاصِى فى كلِّ مكانٍ باديةٌ ، والمظالمُ فى كلِّ موضعٍ فاشِيَةٌ ، وقد طلَع إلى اللَّهِ تعالى منها ما لا يتوَقَّعُ بعدَها إلَّا ما يُسْتعاذُ منه . وفيه أنَّه قد بلَغه أنَّ بَيْتَ المَقْدِسِ قد ظهَر فيه مِن المُنْكَراتِ والفواحِشِ والظلمِ فى بلادِه ما لا يمْكِنُ تَلافِيه إلَّا بكُلْفَةٍ كثيرةٍ .

ومِن ذلك كتابٌ يقولُ فيه[3] : إنَّما أُتِينا مِن قِبَلِ أنفُسِنا ، ولو صدَقْناه لعجَّلَ لنا عواقِبَ صِدْقِنا ، ولو أطَعْناه لَمَا عاقَبَنا بعدُوِّنا ، ولو فعَلْنا ما نقْدِرُ عليه مِن أمْرِه لفعَل لَنا ما لا نقدِرُ عليه إلَّا به ، فلا يستخصِمْ أحدٌ إلَّا عملَه ولا يلُمْ إلّا نفسَه ، ولا يَرْجُ إلَّا ربَّه ، ولا تُنتَظَرُ[4] العساكرُ [5]أن تكْثُرَ ولا الأموالُ أن تُحصَرَ[5] ، ولا

---

(١) الروضتين ٢/ ١٦٦.

(٢ - ٢) فى م : « وامتثال أمره فكيف لا يطول الحصار » .

(٣) الروضتين ٢/ ١٦٧.

(٤) فى م : « يغتر بكثرة » .

(٥ - ٥) فى م : « والأعوان » .

فُلانٌ الذى يُعتَمَدُ عليه أنْ يُقاتِلَ ، ولا فُلانٌ الذى يُنتظَرُ أن يسيرَ ، فكلُّ هذه مشاغِلُ عن اللَّهِ ليس النصرُ بها[1] ، ولا نأمَنُ أنْ يَكِلَنا اللَّهُ إليها ، والنصرُ به واللطْفُ منه ، والعادةُ الجميلةُ له ، ونستغْفِرُ اللَّهَ تعالَى مِن ذُنوبِنا، فلوْلا أنها تسدُّ طريقَ دُعائِنا لَكان جوابُ دُعائِنا قد نزَل ، وفيضُ دُموعِ الخاشِعينَ قد غسَل ، [٩/٣٠٤ظ] ولكِن فى الطَّريقِ عائقٌ ؛ خارَ اللَّهُ لمْوْلَانَا فى القَضاءِ السابِق واللَّاحِق .

وفى كتابٍ آخرَ يتألَّمُ فيه لِمَا عندَ السلْطانِ مِن الضَّعفِ فى جسْمِه بسبَبِ ما حمَلَ على قلْبِه ممَّا هو فيه مِن الشدائدِ - أثابَه اللَّهُ تعالى - يقول فيه[2] : وما فى نفْسِ المْلُوكِ شائنَةٌ إلَّا بقيَّةُ هذا الضَّعْفِ الذى بجِسْمِ موْلانَا فإنَّه بقلُوبِنا ، ونفْدِيه بأسْماعِنا وأبْصارِنا .

بنا معْشَرَ الخدَّامِ ما بِكَ مِن أذًى وإنْ أشْفَقُوا ممّا أقولُ فَبِى وحْدِى

وقد أوْرَد الشيخُ شِهَابُ الدينِ صاحبُ « الروضتَيْنِ »[3] هاهُنا كتُبًا عِدَّةً مِن الفاضلِ إلى السلطانِ ، فيها فَصاحةٌ وبلاغةٌ ومواعِظُ وتحْضِيضٌ على الجهادِ ، يعجِزُ عن مثلِها شجعانٌ ، وهى جديرةٌ أن تُكتَبَ بماءِ الذهَبِ على قلائدِ العِقْيانِ[4] ، فرحِمه اللَّهُ مِن إنْسانٍ ما كان أفْصحَه ، ومِن وزيرٍ ما كان أنْصَحَه ، ومِن عقْلٍ ما كان أرْجَحَه .

---

(١) بعده فى م : « وإنما النصر من عند اللَّه » .

(٢) الروضتين ٢/ ١٦٧.

(٣) المصدر السابق ٢/١٦٥ - ١٧٠.

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

فصــلٌ

وكتَب القاضى الفاضلُ كتابًا [1] بليغًا عن [1] السلْطانِ إلى ملكِ الغربِ أميرِ المسلمينَ، وسلْطانِ جيشِ المُوَحِّدينَ؛ يعقوبَ بنِ يُوسُفَ بنِ عبدِ المؤمنِ، يسْتَنجدُ به فى إرْسالِ مراكِبَ فى البحرِ تكونُ عوْنًا للمسلمينَ على المراكبِ الإفرَنجيَّةِ؛ فمنه عِبارةٌ عظيمةٌ طويلةٌ فصيحَةٌ بليغةٌ مليحَةٌ، حكَاها الشيخُ شهابُ الدينِ بطُولِها وحُسْنِها [2]. وبعَثَ السلْطانُ صلاحُ الدينِ مع [3] ذلك بهدِيَّةٍ [3] سَنِيَّةٍ مِن التُّحفِ والأَلْطافِ، وذلك كلُّه صُحْبةَ الأميرِ الكبيرِ شمسِ الدينِ أبى الحَزْمِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُنْقِذٍ، وكان ابتداءُ سيرِه فى البحرِ فى ثامنِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنةِ، فدخَلَ على سلطانِ المغربِ فى العِشْرِينَ مِن ذى الحجَّةِ، فأقامَ عندَه إلى عاشُوراءَ فى المحرمِ مِن سَنَةِ ثمانٍ وثمانينَ، ولم يُفِدْ هذا الإرسالُ شيئًا؛ لأَنَّ السلطانَ تغَضَّبَ إذ لم يُلَقَّبْ بأميرِ المؤمنينَ، وكانتْ إشارَةُ القاضى الفاضِلِ إلى عدَمِ الإرْسالِ إليه والتَّعويلِ عليه، ولكِن وقَعَ ما وقَعَ بمشيئةِ اللَّهِ تعالى.

فصلٌ

وفى هذه السنةِ [4] حصَلَ للسلطانِ سوءُ مِزاجٍ مِن كثرةِ ما يكابِدُه مِن الأمورِ؛ التى هى أمرُّ مِن الأُجاجِ، فطمِعَ العدُوُّ المخْذُولُ - لعَنهم اللَّهُ - فى الإسْلامِ،

(١ - ١) فى م: «على لسان».

(٢) الروضتين ٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٣ - ٣) فى م: «الكتاب».

(٤) الروضتين ٢/ ١٨٠، والنوادر السلطانية ص ١٤٨.

فتجرَّدَ جماعةٌ منهم للقتالِ ، وثبتَ آخرونَ على الحصارِ ، وأقْبَلَوا فى عدَدٍ كثيرٍ وعُدَدٍ ، فرَتَّبَ السلطانُ الجيوشَ ميمَنةً وميْسَرةً ، وقلْبًا وجَناحَيْنِ ، فلمَّا رأوا ما عايَنوه مِن الجيشِ الكثيفِ فرُّوا مِن موقفِ الحربِ ، وعادوا عن حومةِ الوغَى ؛ فقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفِيرٌ ، وللَّهِ الحمدُ .

فصلٌ

ولمَّا دخَل فصلُ الشتاءِ وانْشَمَرَتْ مراكِبُ الإفرِنجِ عنِ البلدِ خوْفًا مِن [٩/٣٠٥و] الهلاكِ بسبَبِ اغْتلامِ البحرِ ؛ سألَ مَن فى البلدةِ مِن المسلمينَ مِن السلْطانِ أن يُرِيحَهم ممّا هم فيه مِن الحَصْرِ العظيمِ ، والمقاتلةِ ليلًا ونهارًا ، صباحًا ومساءً ، سرًّا وجهرًا ، وأنْ يُرسِلَ إلى البلدِ بدَلَهم ؛ فَرَقَّ لهم السلْطانُ ، وعزَمَ على ذلك ، وكانوا قريبًا مِن عشْرِينَ ألفَ مسلمٍ ما بينَ أميرٍ ومأمُورٍ ، فجهَّز جيْشًا آخرَ غيرَهم ، ولم يكُنْ ذلك برأيٍ جيدٍ ، ولكِنْ ما قصَد السلْطانُ إلَّا خيْرًا ، وأنَّ هؤلاءِ يدْخلُونَ البلدَ وهم جددُ الهِمَمِ ، ولهم عزْمٌ قوِىٌّ ، وهم فى راحَةٍ بالنسْبَةِ إلى أولئك ، ولكِنْ أولئِك كانتْ لهم خِبْرَةٌ بالبلَدِ وبالقِتالِ ، وكان لهم صَبْرٌ عظيمٌ ، (١) وقد تمرَّنوا على ما هم فيه مِن المصابَرةِ للأعداءِ بَرًّا وبحرًا ، وجُهِّزت لهؤلاءِ الداخلينَ سبعُ بُطُسٍ فيها (١) مِيرَةٌ تكفِيهم سنةً كاملةً ، فقَدَّرَ اللَّهُ تعالى - وله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ - أنَّها لمَّا توسَّطَتِ البحرَ واقْتَربتْ مِن الميناءِ هاجَتْ رِيحٌ عظيمةٌ فى البحرِ ، فتلَعَّبَت بتلك البُطُسِ على عِظَمِها فاخْتَبطَتْ واضْطَربَتْ وتصادَمَتْ

(١ - ١) فى م : « وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة ، فانمحقت بسبب ذلك وقدم بطش من مصر فيه » .

فتكسَّرَتْ وغرِقَتْ ، وغرِقَ ما كان فيها مِن المِيرَةِ ، وهلَك مَن كان فيها مِن البحّارَةِ ؛ فدخَلَ بسبَبِ ذلك وَهَنٌ عظيمٌ على المسلمينَ ، واشتدَّ الأمرُ جدًّا ، ومرِضَ السلْطانُ وازْدادَ مرَضًا إلى مرَضِه - عافاه اللَّهُ - وكان ذلك عَوْنًا للعدُوِّ المخذُولِ على أخْذِ البلَدِ ، ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّه ، وذلك فى ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنَةِ ، وكان المقدَّمَ على الدَّاخِلينَ إلى عَكَّا الأميرُ سَيْفُ الدينِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ المشطوبِ ، أيَّده اللَّهُ .

وفى اليومِ السابعِ مِن ذى الحِجَّةِ سقَطَتْ ثُلْمَةٌ عظيمةٌ مِن سُورِ عَكَّا ، فبادَر الفِرنْجُ إليها فسبَقَهم المسلمونَ إلى سدِّها بصُدورِهم ، وقاتلُوا عنها بنُحورِهم ، وما زالُوا يمانِعُونَ عنها حتى بَنَوْها أشدَّ ممَّا كانت ، وأقْوَى وأحسنَ وأبهَى .

ووقَعَ فى هذه السنَةِ وَباءٌ عظيمٌ فى الجيشين المسلمِ والكافرِ ، فكانَ السلطانُ يقولُ فى ذلك[1] :

اقْتلُونِى ومالِكًا واقْتلُوا مالِكًا معِى

واتفقَ موتُ ابنِ ملكِ الألْمانِ فى ثانى ذى الحجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وجماعةٍ مِن كُبَراءِ الكُندهرِيَّةِ ، وساداتِ الفِرنجِ - لعنَهم اللَّهُ - فحزِنَ الفرنجُ على ابنِ مَلِكِ الألْمانِ حُزْنًا عظيمًا وأوْقَدُوا نارًا عظيمةً فى كلِّ خَيْمَةٍ ، وصارَ فى كلِّ يومٍ يهْلِكُ مِن الفرنجِ المائَةُ والمائَتانِ ، واسْتَأمنَ إلى السلْطانِ جماعةٌ منهم مِن شدَّةِ ما هم فيه مِنَ الجوعِ والضيقِ والحصْرِ ، وأسْلَمَ خلقٌ كثيرٌ منهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفى هذا الشهرِ قدِمَ القاضى الفاضِلُ مِن الديارِ المصريةِ على السلطانِ ، وكان

---

(١) تقدم فى ١٠/ ٤٦٧.

قد طالَ شوقُ كلٍّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه، فأفْضَى كلُّ واحدٍ منهما إلى الآخرِ ما كان يُسِرُّه ويكتُمُه مِنَ الآراءِ التى فيها مصالِحُ المسلمينَ، [٩/ ٣٠٥ظ] وقدِم وزيرُ الصدقِ على السلطانِ الموفَّقِ والأميرِ المؤيَّدِ، رحِمهما اللَّهُ تعالى.

ومِمَّن تُوفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ:

مَلِكُ الألْمانِ[1] الذى أقبل فى مائتى ألفِ مُقَاتِلٍ، ويُقَالُ: فى ثلاثِمائةِ ألفِ مقاتلٍ. مِن أقصى بلادِه، فاجتاز بالقسطنطينيةِ وما بعدَها مِن البُلْدانِ؛ يريدُ انتزاعَ بلادِ الشامِ بكمالِها مِن أيدِى المسلمينَ، انتصارًا - فى زعْمِه - لبيتِ المقدِسِ الذى استَنْقَذه الملكُ صلاحُ الدينِ مِن أيدِى المشركينَ، فلم يزَلْ اللَّعينُ يتناقَصُ جيشُه ويتَفانَوا فى كلِّ موطنٍ وموضِعٍ، وقدَّر اللَّهُ هلاكَه بالغَرقِ كما أُهلِك فرعونُ، لعنهما اللَّهُ تعالى، وذلك أنَّه نزَل يسْبَحُ فى بعضِ الأنهارِ فاحتمله الماءُ قسْرًا فألجأَه إلى جِذْعِ شجَرةٍ هناك فشُدِخت رأسُه ومات مِن ساعتِه - لعنه اللَّهُ - فملَّك الألمانُ عليهم ابنَه الأصغرَ، وأقبل بمَن بقِى منهم وأمرُه قد تقهقَر، والمقصودُ أنهم وصَلوا إلى إخوانِهم بعكَّا فى خمسةِ آلافِ مُقَاتلٍ، وقيل: فى ألفِ مُقاتلٍ. وكان المسلمون قد حمَلُوا مِن قُدُومِهم همًّا عظيمًا، وخافوا خوفًا شديدًا فكفَى اللَّهُ المؤمنين القتالَ، وكان اللَّهُ قويًّا عزيزًا. ثم تُوفِّى ابنُه فى أواخِرِ هذه السنةِ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ[2]، أبو حامدٍ قاضى القُضاةِ بالمَوْصِلِ، مُحْيِى

---

(١) مرآة الزمان ٨/١/٤٠٣، والكامل ١٢/ ٤٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٤٢٢، والنوادر السلطانية ص ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٦٧.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٢٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٥٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢١٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٨٥.

الدينِ[1] ابنُ قاضى القضاةِ كمالِ الدينِ الشَّهْرَزُورِىُّ الشافِعىُّ ، أثْنَى عليه العمادُ الكاتِبُ ، وأنشدَ له مِن شعرِه قولَه[2] :

قامَتْ بإثْباتِ الصِّفاتِ أدِلَّةٌ ... قَصَمَتْ ظُهورَ أئمَّةِ التعْطِيلِ
وطلائعُ التَّنْزيهِ لمّا أقْبلَتْ ... هزمَتْ ذَوِى التَّشْبِيهِ والتمثيلِ
فالحقُّ ما صِرْنَا إليهِ جميعُنا ... بأدِلَّةِ الأخْبارِ والتنْزِيلِ
مَنْ لم يكنْ بالشرعِ مقتديًا فقد ... ألقاهُ فَرْطُ الجهلِ فى التضليلِ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر الترجمة .
(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٣٤.

ثم دخلتْ سنَةُ سبعٍ وثمانِيـنَ وخمسِمائَةٍ[1]

فيها قدِمَ مَلِكُ الإفْرَنسيسِ ومَلِكُ إنكِلْتِرَا، وغيرُهما مِن ملُوكِ البحرِ على الفِرنْجِ إلى عَكَّا، وتمالئوا على عَكَّا فى هذه السنَةِ، كما سيَأْتى تفْصِيلُه، وقدِ اسْتَهَلَّتْ والحصارُ على عَكَّا على حالِه مِنَ الجانِبَيْنِ، وقد اسْتُكْمِلَ دخولُ البدَلِ إلى البلَدِ، والملكُ العادِلُ مُخَيِّمٌ إلى جانبِ البحرِ؛ ليتكامَل دخُولُهم ودخولُ مِيرَتِهم، لطَف اللَّهُ بِهم، وفى ليلةِ مُسْتَهَلِّ ربيعِ الأوَّلِ خرَج المسلمون مِن عَكَّا فهجَمُوا على مُخَيَّمِ الفِرنْجِ فقتَلُوا منهم خلقًا كثيرًا، ونهبُوا شيئًا كثيرًا، وسَبَوْا اثنتى عشرةَ امْرأةً، وانكَسَر مركبٌ عظيمٌ للفِرنْجِ فغرِقَ فيه خلْقٌ [٩/٣٠٦و] منهم وأُسِرَ باقِيهم، وأغار صاحِبُ حِمْصَ أسدُ الدينِ شِيركوه بنُ ناصرِ الدِّينِ محمدِ ابنِ شِيركوه على سَرْحِ الفِرنْجِ بأراضِى طَرَابُلُسَ، فاستاق منهم شيئًا كثيرًا مِن الخُيولِ والأبْقارِ والأغْنامِ، وظفِر اليَزَكُ[2] بخلقٍ كثيرٍ مِن الفِرنْجِ فقتَلُوهم، ولم يُقْتَلْ مِن المسلمين سوى طَوَاشىٍّ صغيرٍ عثَر به فرسُه. وفى ثانى عشَرَ ربيعِ الأوَّلِ وصَل إلى الفِرنْجِ مَلِكُ إفْرَنسيسَ فليبُ فى ستِّ بُطُسٍ ملَعُوَنةٍ مشحُونَةٍ بعبَدَةِ الصليبِ، وحينَ وصَل إليهم وقدِمَ عليهم لم يَبْقَ لأحدٍ مِن ملُوكِهم معه كلامٌ ولا حُكْمٌ، لعظَمَتِه عندَهم، وقدِمَ معه بازٌ عظيمٌ أبْيَضُ، وهو البازُ الأشْهَبُ الهَائلُ، فطار مِن يَدِه فسقَط على سُورِ عَكَّا فأمسَكه أهلُها وبعَثوا به إلى

---

(١) الكامل ١٢/ ٦٣، والروضتين ٢/ ١٨٢.

(٢) اليَزَكُ: فارسيته يَزَك أى مقدمة الجيش، وتطلق أيضا على الحارس والجاسوس. الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٦٠.

السلطانِ ، فبذَل الفِرنْجُ فيه ألفَ دينارٍ فلم يُجَابُوا ، وقدِمَ بعدَه كُنْدِفْرِيرُ وهو مِن أكابرِ ملُوكِهم أيضًا ، ووصَلت سفنُ ملكِ الإنكلتيرِ ، ولم يجئْ هو لاشتغالِه بجزيرةِ قُبْرُسَ وأخذِها مِن يدِ صاحبِها ، وتواصلت ملوكُ الإسْلام مِن بُلْدانِها فى أوَّلِ فصلِ الربيعِ ، إلى خدمةِ السلطانِ الناصرِ صلاحِ الدينِ .

قال العمادُ[1] : وقد كان للمسلمين لصوصٌ يدخلُون إلى خيامِ الفِرنْجِ ، فيَسْرِقون ، حتى إنَّهم يسرِقُونَ الرجالَ ، فاتفَق أنَّ بعْضَهم أخذَ صَبِيًّا رضِيعًا مِن مَهْدِه ؛ ابنَ ثلاثَةِ أشهرٍ ، فوَجَدَتْ عليه أمُّه وجْدًا عظيمًا ، واشْتكَتْ إلى ملُوكِهم ، فقالُوا لها : إنَّ سُلْطانَ المسلمينَ رحيمُ القَلْبِ ، وقد أذِنَّا لكِ أنْ تذْهَبِى إليه ، فتَشْتَكِى أمرَكِ إليه . قال العمادُ : فجاءتْ إلى السلْطانِ وأنا واقفٌ معه ، فبكَت بكاءً شديدًا ، وجعلت تُمرِّغُ وجهَها على الأرضِ ، فسألها عن أمرِها فأَنْهَتْ إليه حالَها ، فرَقَّ لها رِقَّةً شديدةً حتى دمَعتْ عيْنُه ، فأمَر بإحْضارِ ولَدِها ، فإذا هو بِيعَ فى السُّوقِ ، فرسَمَ بدَفْعِ ثمنِه إلى المُشْتَرِى ، ولم يزَلْ واقِفًا حتى جىءَ بالغُلامِ ، فأخَذتْه أمُّه وأرْضَعتْه ساعةً وهى تبْكِى مِن شدَّةِ فرَحِها وشوْقِها إليه ، ثم أمَر بحَمْلِها إلى قوْمِها على فرسٍ مُكَرَّمَةً ، رحِمه اللَّهُ وبلَّ بالرَّأْفةِ ثراه .

فصــلٌ فى كَيْفِيَّةِ أخْذِ العدُوّ المخذُولِ مدينةَ عكّا مِن يَدِ السلْطانِ قَسْرًا[1]

لمَّا كانَ شهرُ جُمادَى الأولى اشتدَّ حِصارُ الفِرنْجِ - لعنَهم اللَّهُ - لعَكّا ، وتمالئوا عليها مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وقدِمَ عليهم ملكُ الإنْكلتيرِ فى جَمٍّ غفيرٍ ،

---

(١) الروضتين ٢/ ١٨٤.

وجمعٍ كثيرٍ ، فى خمسٍ وعِشْرِينَ قطعةً مشْحونةً بالمُقاتِلةِ ، وابْتُلِيَ أهلُ الثَّغْرِ منه ببلاءٍ لا يشْبِهُ ما قبلَه ، فعندَ ذلك حُرِّكتِ الكُوسَاتُ[1] فى البلَدِ ، وكانتْ علامةَ ما بيْنَهم وبينَ السلْطانِ ، فحرَّكَ السلطانُ كُوسَاتِه ، واقترَب مِن البلدِ ، وتحوَّلَ [٣٠٦/٩ظ] إلى قريبٍ منهم ، يشْغَلُهم عنِ البلدِ ، وقد أحاطُوا به مِن كلِّ مكانٍ ، ونصَبُوا عليه سبْعَةَ مجانيقَ ، وهى تَضْرِبُ فى البلدِ ليلًا ونهارًا ، ولا سِيَّما على بُرْجِ عينِ البقَرِ ، حتى أثَّرتْ به أثرًا بيِّنًا ، وشرَعُوا فى رَدْمِ الخندقِ بما أمْكنَهم مِن دَوابَّ ميتةٍ ، ومَن قُتِلَ منهم ، ومَن ماتَ أيضًا ، وقابَلهم أهلُ البلدِ ينقُلون ما ألْقَوه فيه إلى البحرِ . وظفِر ملكُ الإنْكلتيرِ ببُطْسةٍ عظيمةٍ للمسلمين قد أقبلَتْ مِن بَيْرُوتَ مشْحُونةٍ بالأمتعةِ والأسلحةِ فأخَذها ، وكان واقِفًا فى البحرِ فى أرْبَعِينَ مركبًا لا يتركُ شيئًا يصِلُ إلى البلدِ بالكُلِّيَّةِ ، لعَنه اللَّهُ ، وكان فيها سِتُّمائةٍ مِن المُقَاتِلةِ الصّناديدِ الأبْطالِ ، فهلَكُوا عن آخرِهم ، رحِمَهُم اللَّهُ أجمعين ، فإنّه لمّا أُحِيطَ بهم من الجوانبِ كلِّها ، وتحقَّقُوا إمَّا الغرقَ أوِ القتلَ ، خرَقُوا مِن جوانِبِها كلِّها فغرِقَتْ ، ولم يقْدِرِ الفِرنْجُ على أخذِ شيءٍ منها لا مِنَ المِيرَةِ ولا مِن الأسلحَةِ ، وحزِن المسلمون على هذا المُصابِ حُزْنًا عظيمًا ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، ولكِنْ جبَرَ اللَّهُ سبحانَه هذا البلاءَ بأنْ أحْرَق المسلمون فى هذا اليومِ للفِرنجِ دبَّابَةً كانت أرْبَعَ طَبقاتٍ ؛ الأُولَى مِنَ خشَبٍ ، والثانيةُ مِن رَصاصٍ ، والثالثةُ مِن حديدٍ ، والرابعةُ مِن نُحاسٍ ، وهى مشرِفَةٌ على السورِ والمُقاتِلَةُ فيها ، وقد قلِق أهلُ البلدِ منها بحيثُ حدَّثَتْهُم أنفُسُهم مِن خَوْفِهم مِن شرِّها بأن يطْلبُوا الأمانَ مِن الفِرنجِ ، ويسلِّمُوا البلدَ ، ففرَّجَ اللَّهُ وأمْكنَهم مِن حَريقِها ، واتَّفقَ ذلك

---

(١) الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يُدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . صبح الأعشى ٤/ ٨٤.

فى هذا اليومِ الذى غرِقَتْ فيه البُطْسةُ المذْكُورَةُ ، فأرسَل أهلُ البلدِ إلى السلطانِ يشكُون كثرةَ الحِصارِ وقوَّتَه عليهم ، منذُ قدِم ملكُ الإنْكلتيرِ ، لعنَه اللَّهُ ، ومع هذا قد مرِض وجرِح ملكُ الإفْرَنْسِيسِ أيضًا ، ولا يزيدُهم ذلك إلَّا شدةً وغِلْظَةً وعُتُوًّا ، وفارقَهم المركيسُ ، وسار إلى بلدِه صُورَ ، خوفًا منهم أنْ يخرِجُوا مُلكَها مِن يدِه . وبعَث ملكُ الإنْكلتيرِ إلى السلْطانِ صلاحِ الدينِ يذْكرُ أنَّ عندَه جوارِحَ قد جاء بها مِن البحرِ ، وهو على نِيَّةِ إرْسالِها إليه ، ولكِنَّها قد ضَعُفَتْ وهو يطلُبُ لها دَجاجًا وطَيْرًا ؛ لتتقوّى به ، فعرَف أنَّه إنَّما يطلبُ ذلك لنَفْسِه بتَلَطُّفٍ ، فأرسَل إليه بشيءٍ مِن ذلك كَرمًا وسجيّةً وحشمةً ، ثم أرسل يطلبُ فاكِهَةً وثَلْجًا ، فأرسل إليه أيضًا ، فلم يُفِدْ معه الإحْسانُ ، بل لمَّا عُوفِيَ عادَ إلى شرٍّ ممَّا كانَ عليه ، واشتدَّ الحِصارُ ليلًا ونهارًا ، وأرسَل مَن بالبلدِ يقولُونَ : إن لم تعمَلُوا معنا شيئًا غدًا طَلبْنا مِنَ الفرنجِ الأمانَ . فشَقَّ ذلك على السلطانِ ؛ وذلك لأنَّه كان قد سيّر إليها أسلحةَ الشامِ والديارِ المِصْرِيَّةِ وسائرِ السواحلِ [٣٠٧/٩و] ، وما كان غَنِمَه مِن وَقْعَةِ حِطِّينَ ومِن بيتِ المقدسِ ، فهى مشْحُونَةٌ بذلك ، فعزَم السلْطانُ على مُهَاجمةِ العدُوِّ ، فلمَّا أصْبح ركِب فى جيْشِه ، فرأَى الفِرنْجَ قد ركِبُوا مِن وراءِ خنْدَقِهم ، والرَّجَّالَةُ منهم قد ضرَبُوا سُورًا حولَ الفرسانِ ، وهم قطعةٌ مِن حديدٍ صَمَّاءَ لا ينْفُذُها شيءٌ ، فأحجَم عنهم ؛ لِمَا يعلمُ مِن نكُولِ جيْشِه عمَّا يريدُه ، وتحْدُوه عليه شجاعتُه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

هذا وقد اشتدَّ الحِصارُ بالبلدِ جدًّا ، ودخلَتِ الرَّجَّالَةُ منهم إلى الخنْدَقِ ، وعلَّقُوا بدَنَةً من السورِ وحَشوْها وأحْرقُوها ، فسقطَت ، ودخلَتِ الفِرنْجُ إلى البلدِ ، فَمانَعَهم المسلمون وقاتلُوهم أشدَّ القتالِ ، وقتَلُوا مِن رءوسِهم ستَّةَ أنفُسٍ ، فاشتدَّ حَنَقُ الفِرنْجِ عليهم جدًّا بسبَبِ ذلك ، وجاء الليلُ فحال بينَ الفريقَيْنِ ، فلمَّا

أصبَح الصباحُ خرَج أميرُ المسلمين بالبَلدِ سيفُ الدينِ المشْطُوبُ ، فاجتَمع بملكِ الإفْرَنسيسِ وطلبَ منه الأمانَ على أنفسِهم ، ويتسلَّمُونَ منه البلدَ ، فلم يُجِبْه إلى ذلك ، وقال : بعدَما سقَط السورُ جئتَ تطلبُ الأمانَ ! فأغْلَظَ له الأميرُ المشطُوبُ فى الكلامِ ، ورجَع إلى البَلدِ فى حالٍ اللَّهُ بها عليمٌ ، ولمّا أخبرَ أهلَ البَلدِ خافُوا خوْفًا شديدًا ؛ لِما وقَع ، وأرْسَلُوا إلى السلْطانِ يعْلِمُونه بما وقَع ، فأرسَل إليهم أنْ يسْرِعُوا الخروجَ مِن البلدِ فى البحرِ ، ولا يتأخَّرُوا عن هذه الليلةِ ، فلا يبقَى بها مسلمٌ ، فتشَاغل كثيرٌ ممَّنْ كان بها فى جَمعِ الأمتعةِ والأسْلحةِ ، وتأخَّرُوا عنِ المسِيرِ تلك الليلةَ ، فما أصبح الخَبرُ إلَّا عندَ الفِرنْجِ مِن مَمْلُوكَيْنِ صَغِيرَيْن سمِعا بما رسَم به السلْطانُ ، فهرَبا إلى قوْمِهما فأخبراهم بذلك ، فاحتفَظُوا على البحرِ احْتِفاظًا عظيمًا ، فلم يتمكَّنْ أحدٌ مِن أهلِ البلدِ أنْ يتحرَّكَ بحركةٍ ، ولا خرَج منها شىءٌ بالكُلِّيَّةِ ، وعزَم السلْطانُ على كَبْسِ العدُوِّ فى هذه الليلةِ ، فلم يُوافِقْه الجيشُ على ذلك ، وقالُوا : لا نُخاطِرُ بالإسلامِ كلِّه . فلمَّا أصبَح بعَث إلى ملُوكِ الفِرنْجِ يطلبُ منهم الأمانَ لأهلِ البلدِ على أنْ يُطْلِقَ عِدَّتَهم مِنَ الأسْرَى الذين تحتَ يدِهِ مِن النصارى ، ويزيدَهم على ذلك صَلِيبَ الصَّلَبُوتِ ، فأَبَواْ إلَّا أنْ يُطْلِقَ كلَّ أسيرٍ تحتَ يدِه ، ويُعِيدَ إليهم جميعَ البلادِ الساحِليَّةِ التى أُخِذَتْ منهم ، وبَيتَ المَقْدِسِ ، فأبى مِن ذلك ، وتردَّدَتِ المُراسلاتُ فى ذلك ، والحِصارُ يتزايدُ على أسْوارِ البلدِ وقد تهدَّمَتْ ثُلَمٌ كثيرةٌ منها ، وأعاد المسلمون كثيرًا منها ، وسدُّوا ثُغَرَ تلك الأماكنِ بنُحورِهم رحِمهم اللَّهُ ، وصبرُوا صَبْرًا عظيمًا ، وصابَرُوا ، ثم كان آخِرَ أمرِهم الشَّهادَةُ صبْرًا . وقد كتَبُوا إلى السلْطانِ فى آخرِ أمرِهم يقولُون : يا مولَانَا ، لا تخْضَعْ لهؤلاءِ الملاعينَ ، الذين قد أبَوْا عليكَ الإجابةَ فِينا [٩/٣٠٧ظ] ، فقد بايَعْنا اللَّهَ تعالى على الجهادِ حتى نُقْتلَ عن آخِرِنا ، وباللَّهِ المُستعانُ .

فلمَّا كان وقتُ الظهرِ فى اليومِ السابعَ عشرَ مِن جُمادَى الآخرةِ مِن هذه السنَةِ ، ما شعَر الناسُ إلَّا وقد ارتفَعت أعلامُ الكُفْرِ وصلبانُه ، وشِعارُه ونارُه على أسْوارِ البلَدِ ، وصاح الفِرنْجُ صيحةً واحدةً ، فعظُمَت المُصِيبَةُ على المسلمين ، واشتدَّ حزنُ المُوَحِّدِين ، وانحصَر كلامُ العُقَلاءِ من الناسِ فى : إنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . وغشِى الناسَ بَهْتةٌ عظيمةٌ ، وحَيْرةٌ شديدةٌ ، ووقَع فى العسكرِ الصِّياحُ والعَويلُ ، والبُكاءُ والنحيبُ ، ودخَل المركيسُ ، لعنَه اللَّهُ ، وقد عاد إليهم سريعًا بهَدايَا إلى الملُوكِ ، فدخَل فى هذا اليومِ بأرْبَعةِ أعْلامٍ للملُوكِ ، فنصبَها فى البلَدِ ، واحِدًا على المِئْذَنةِ يومَ الجُمعةِ ، وآخَرَ على القلْعَةِ ، وآخرَ على بُرْجِ الداويّةِ ، وآخرَ على بُرْجِ القتالِ ، عِوَضًا عن أعْلامِ السلْطانِ ، وتحيَّز المسلمون الذين بها إلى ناحِيَةٍ مِن البلدِ مُعْتقَلِينَ ، مُحْتاطٌ بهم ، مُضَيَّقٌ عليهم ، قد أُسِرت النساءُ والأبْناءُ ، وغُنِمَتْ منهم الأموالُ ، وقُيِّدَتِ الأبْطالُ ، وأُهِينَ الرجالُ ، ولكنَّ الحربَ سِجَالٌ ، والحمدُ للَّهِ على كلِّ حالٍ .

وأمَر السلْطانُ ، أيَّده اللَّهُ ، الجيشَ بالتأخُّرِ عن هذه المنْزلَةِ المضايقةِ إلى التى بعدَها ، وتأخَّر هو جَرِيدةً ؛ لينْظُرَ ماذا يصنَعُون ، وما عليه يُعَوِّلُونَ ، وهم - لعنهم اللَّهُ - بالاستيلاءِ على البلدِ مشغولون ، وبتحصيلِ الأموالِ جملةً وتفصيلًا مدهوشون ، ثم سارَ السلْطانُ إلى العَسْكَرِ وعندَه مِن الحُزْنِ والهَمِّ مالا يعلَمُه إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، وجاءَتِ الملُوكُ الإسْلامِيَّةُ ، والأمراءُ وكُبراءُ الدولةِ إليه يعَزُّونَه فيما وقَع ، ويسلُّونَه عمّا عنه الحالُ انقشَع ، ثم راسَل ملُوكَ الفِرنْجِ فى خَلاصِ مَنْ بأيْدِيهم مِن أُسارى الإسلامِ ، فطلَبُوا منه عِدَّتَهم مِن أُسَاراهم ومائةَ ألفِ دينارٍ ، وصَلِيبَ الصَّلَبُوتِ إنْ كان باقِيًا ، فأرسل فأحْضَر المالَ والصليبَ ، ولم يتهَيَّأْ له مِن الأُسارى إلَّا سِتُّمِائَةِ أسيرٍ ، فطلَب الفِرنْجُ منهم أنْ يُرِيَهم الصليبَ مِن بعيدٍ ، فلمَّا

رُفِع لهم سجَدُوا له ، وألْقَوا أنفُسَهم إلى الأرضِ ، وبعَثُوا يطْلبُونَ منه ما أحْضرَه مِنَ المالِ والأُسارَى والصليبِ ، فامْتَنعَ إلَّا أنْ يرسِلُوا إليه مَن بأيديهم مِن الأُسارَى ، أو يبْعَثُوا إليه برَهائِنَ عندَه على ذلك ، فقالُوا : لا ، ولكِنْ يُرْسلُ ذلك ويرضَى بأمانتِنا . ففهِم منهم أنَّهم يريدُونَ الغَدْرَ والمكْرَ ، فلم يرسلْ ذلك إليهم ، وأمرَ برَدِّ الأُسارَى إلى أماكنِهم بدِمَشْقَ ، وبعَث بالصليبِ إلى دِمَشْقَ مُهانًا ، وأبْرزتِ الفرنْجُ خيامَهم ظاهِرَ البلَدِ ، وأحْضَرُوا ثلاثةَ آلافٍ مِن المسلمينَ فى صعيدٍ واحدٍ ، رحِمهم اللَّهُ ، فأوْقفوهم بعدَ العصرِ وحمَلُوا عليهم حَملةَ رجُلٍ واحدٍ فقتَلُوهم ، رحِمهم اللَّهُ وأكْرمَ مثْواهُم ، وجعَل الجنَّاتِ منْقلَبَهُم ، [٩/٣٠٨و] ولم يسْتَبْقُوا بأَيْدِيهم مِن المسلمينَ إلَّا أمِيرًا أو سَرِيًّا[1] ، أو مَن يَرَوْنَه فى عمَلِهم قوِيًّا أوِ امرأةً أو صبيًّا ، وكان ما كان ، وقُضِى الأمرُ الذى فيه تسْتَفْتِيانِ . وكان مدةُ مُقامِ السلْطانِ ، رحِمه اللَّهُ ، على عَكَّا صابرًا مُصابِرًا مُرابِطًا سبْعَةً وثلاثينَ شهرًا ، وجملةُ مَن قُتِل مِن الفرنْجِ خمسينَ ألفًا .

فصلٌ فيما جَرَى مِن الحوادثِ بعدَ أخْذِ الفِرنْجِ عَكَّا[2]

سارُوا برُمَّتِهم قاصِدينَ عَسْقَلانَ ، والسلْطانُ بجيشِه يُسايرُهم ويُعارِضُهم منزِلةً منزِلةً ، ومرْحلةً مرْحلةً ، والمسلمونَ يتخَطَّفُونَهم ويسْلُبُونَهم فى كلِّ مكانٍ ،

---

(١) فى م : « أوصبيا » . والسَّرِىّ : المختار . اللسان (س ر ى) .

(٢) الروضتين ٢/ ١٩٠، والنوادر السلطانية ص ١٧٥.

وكلُّ أسيرٍ أُتِى به إلى السلْطانِ يأمُرُ بقتلِه فى ذلك المكانِ والأوانِ ، وجَرَت بينَ الجيشَيْنِ وقَعاتٌ مُتَعدِّداتٌ ، ثم طلَبَ مَلِكُ الإنْكِلْتِيرِ أنْ يجتَمِعَ بالملكِ العادِل أخى السلْطانِ يطلُبُ منه الصُّلْحَ والأمانَ ، على أنْ تُعادَ لأهْلِها بلادُ الساحلِ ، فقالَ له العادِلُ : إنَّ دونَ ذلك قتلَ كلِّ فارسٍ منكم وراجلٍ . فغضِبَ اللَّعينُ ونهَضَ مِن عندِه وهو متغَضِّبٌ ، ثم اجْتمعَتِ الفِرنْجُ على حربِ السلْطانِ عندَ غابةِ أَرْسُوفَ[1] ، فكانتِ النُّصرةُ للمسلمينَ ، فقُتِلَ مِن الفِرنجِ عندَ غابَةِ أَرْسُوفَ ألوفٌ بعدَ ألوفٍ ، وقُتِلَ مِن المسلمينَ خلقٌ كثيرٌ أيضًا ، وقد كان الجيشُ فَرَّ عنِ السلْطانِ فى أوَّلِ الوقعةِ ، ولم يَبْقَ معه سِوَى سبْعَةَ عشَرَ مُقاتِلًا ، وهو ثابتٌ صابِرٌ ، والكُوسُ تُدَقُّ لا تفْتُرُ ، والأعْلامُ منْشُورةٌ ، ثم تراجَعَ الناسُ فكانتِ النُّصرةُ للمسلمينَ والكرَّةُ على الكافرينَ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ .

ثم تقدَّم السلطانُ بعساكرِه فنزَلَ ظاهِرَ عَسْقَلانَ ، فأشارَ ذَوُو الرأيِ على السلْطانِ بتَخْرِيبِ عَسْقَلانَ خَشيةَ أنْ يتمَلَّكَها الكفَّارُ ، ويجعَلوها وسيلةً إلى أخْذِ بيتِ المَقْدِسِ ، صانَه اللَّهُ تعالى ، أو يجْرِى عندَها مِن الحربِ والقتالِ نظيرُ ما كانَ عندَ عَكَّا أو أشدُّ ، فباتَ السلْطانُ ليلتَه مفكِّرًا فى ذلك ، ولمَّا أصْبحَ وقد أوقَعَ اللَّهُ فى قلْبِه أنَّ خرابَها هو المصْلَحَةُ ، فذكرَ ذلك لمَنْ حضرَه ، وقال لهم[2] : واللَّهِ لمَوْتُ جميعِ أوْلادِى أهْوَنُ علىَّ مِن تخْرِيبِ حجَرٍ واحدٍ منها ، ولكن إذا كان هذا فيه مصلحةٌ للمسلمينَ فلا بأسَ به .

ثم طلَبَ الوُلاةَ وأمَرهم بتَخْريبِ البلَدِ سرِيعًا ، قبلَ وصُولِ العدُوِّ المخذولِ ،

---

(١) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ١/ ٢٠٧.
(٢) الروضتين ٢/ ١٩٢.

فشَرعَ الناسُ فى خرابِه ، وأهْلُه ومَنْ حضَره يتَباكَونَ على حُسْنِه وطيبِ مَقِيلِه ، وكثْرَةِ زُروعِه وثمارِه ، وغزارةِ أنْهارِه ونضارةِ أزْهارِه . وأُلقِيَتِ النيرانُ فى أرجائِه وجوانبِه ، وخُرِّبت قصورُه ودُورُه وأسْواقُه ورِحابُه ، وأُتلِفَ ما فيه مِنَ الغلَّاتِ التى لا يمكِنُ تحْوِيلُها ، ولا نقْلُها ، ولم يزَلِ الخرابُ والحريقُ فيه إلى سَلْخِ شعبانَ مِن هذه السَنةِ .

ثم رحَل عنها السلطانُ فى ثانى رمضانَ وقد [٩/ ٣٠٨ظ] ترَكها قاعًا صفْصَفًا ، ليسَ فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ ، ثم اجْتازَ بالرَّمْلَةِ فَخرَّبَ حِصْنَها وخرَّبَ كنيسةَ لُدَّ ، وزارَ بيْتَ المَقْدِسِ وعادَ إلى المخيَّمِ سريعًا ، تقبَّل اللَّهُ منه ، ثم بعَث ملكُ الإنكلْتيرِ إلى السلْطانِ يقولُ له[1] : إن الأمرَ قد طالَ وهلَكَ الفِرنْجُ والمسلمونَ ، وإنَّما مقْصودُنا ثلاثَةُ أشْياءَ لا سِوَاها ؛ رَدُّ الصليبِ ، وبلادُ الساحلِ ، وبَيْتُ المَقْدِسِ ، لا نرجِعُ عن هذه الثلاثةِ وبنا عَيْنٌ تطْرِفُ . فأرسَلَ إليه السلْطانُ جوابَ ذلك أشدَّ جوَابٍ ، وأسوأَ خطابٍ ، ثم عزَمت الفِرنجُ على قَصْدِ بيتِ المَقْدِسِ ، فتقدَّمَ السلْطانُ بجيْشِه إلى بيتِ المقدسِ ، فترَكه وسكَنَ فى دارِ القساقسِ قريبًا مِن قُمامةَ فى ذى القَعْدَةِ ، وشرَعَ فى تحْصينِ البلدِ وتعْميقِ خَنادِقِه ، وعمِلَ فيه بنفْسِه وأوْلادِه ، وعمِلَ فيه الأمراءُ والقضاةُ والعلماءُ والصوفيةُ بأنفُسِهم ، وكان وقْتًا مشْهودًا ، واليَزَكُ حولَ البلَدِ مِن ناحيَةِ الفِرنْجِ ، وفى كلِّ وقْتٍ يسْتَظْهِرونَ على الفِرنجِ فيقْتُلون ويأسِرُونَ ويغْنَمُونَ منهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . وانقضَتْ هذه السنةُ والأمْرُ على ذلك .

وفى هذه السنةِ فيما ذكرَه العِمادُ الكاتبُ[2] تولَّى القاضى مُحْيِى الدينِ محمدُ بنُ الزكىِّ قضاءَ دمشقَ .

---

(١) الروضتين ٢/ ١٩٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٩٤.

وفيها عدَا أميرُ مَكَّةَ داودُ بنُ عِيسى بنِ فُلَيْتةَ بنِ قاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبى هاشمٍ الحَسَنِىُّ ، فأخَذَ أمْوالَ الكَعْبَةِ حتى انْتزَعَ طَوْقًا مِن فِضةٍ كان على دائرةِ الحجَرِ الأسْوَدِ ، كان قد لُمَّ شعَثُه حِينَ ضرَبَه ذلكَ القِرْمطِىُّ بالدبُّوسِ ، فلمَّا بلَغ السلْطانَ خبَرُه مِن الحَجِيجِ حينَ رجَعُوا ، عزَلَه ووَلَّى أخاه مكثرًا[1] ، ونقَضَ القلْعَةَ التى كان بنَاها أخوه على جبلِ أبى قُبَيْسٍ ، وأقامَ داودُ بنخْلةَ[2] حتى تُوفِّىَ بها سنَةَ تِسْعٍ[3] وثمانينَ .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

المَلِكُ المُظَفَّرُ تَقِىُّ الدينِ عمرُ بنُ شَاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ[4] ، كان عزِيزًا عندَ عمِّه السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، اسْتَنابَه بمِصْرَ وغيرِها مِن البلادِ ، ثم أقْطَعَه حَمَاةَ ومُدُنًا كثيرةً معها حولَها ومِن بلادِ الجزيرةِ ، وكان مع عمِّه السلْطانِ على عَكَّا ، ثم استأْذنَه فى الإشرافِ على بلادِه المجاورةِ للفراتِ ، فلمَّا صارَ إليها اشْتَغَل بها ، وامتدَّتْ عيْنُه إلى أخْذِ غيرِها مِن أيْدِى الملُوكِ المُجاوِرينَ له ، فقاتَلَهم فاتفقَ موتُه وهو فى ذلك ، والسلْطانُ صلاحُ الدينِ متغضِّبٌ عليه بسبَبِ اشْتِغالِه بذلك عنه ، وحُمِلتْ جِنازَتُه حتى دُفِن بحَمَاةَ ، وله مدرسةٌ هناك هائلةٌ ، وكذلك له بدِمَشْقَ مدرسةٌ مشهورَةٌ ، وعليها أوْقافٌ كثيرةٌ مبرورةٌ . وقام بالمُلْكِ بعدَه ولَدُه

---

(١) فى م : « بكيرًا » ، وفى ص : « مكتترًا » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٦.

(٢) فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٦: « ثجله » . وانظر الروضتين ٢/ ١٩٦.

(٣) فى الأصل ، م : « سبع » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٦.

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ص ٨٠، والروضتين ٢/ ١٩٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٢٧٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٤٢.

المَنْصُورُ ناصرُ الدينِ محمدٌ ، فأقرَّه الملكُ صلاحُ الدينِ [٩/ ٣٠٩و] على ذلك بعدَ جَهدٍ جهيدٍ ، ووَعْدٍ ووَعيدٍ ، ولولا السلْطانُ المَلِكُ العادِلُ أبو بكرٍ تشفَّعَ فيه لَمَا استقرَّ فى مكانِ أبيه ، ولكِنَّ اللَّهَ سلَّم ، وكانت وفاةُ تقىِّ الدينِ يومَ الجمعةِ تاسِعَ عشَرَ رمضانَ مِن هذه السنَةِ ، وكان شُجاعًا باسلًا وهمامًا فاتِكًا ، كرِيمًا كامِلًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الأميرُ حسامُ الدينِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ لاچينَ[1] ، وأمُّه سِتُّ الشامِ بنتُ أيوبَ ، واقِفَةُ الشاميَّتَيْنِ[2] بدِمَشْقَ ، وفى ليلةِ الجمعةِ تاسعَ عشَرَ رمضانَ أيضًا تَفَجَّع السلْطانُ بابنِ أخيه وابنِ أختِه فى ليلةٍ واحدةٍ ، وقد كانا له مِن أكبرِ الأعوانِ ، وأعزِّ الإخوانِ ، ودُفِن حسامُ الدينِ فى التربةِ الحُسامِيَّةِ ، وهى التى أنْشأَتْها أمُّه بمَحَلَّةِ العُوَيْنَةِ ؛ وهى الشامِيَّةُ البَرَّانِيَّةُ .

وفيها توفِّى : الأميرُ علمُ الدينِ سليمانُ بنُ جَنْدَرٍ[3] **الحَلَبىُّ** ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ فى الدولةِ الصَّلاحِيَّةِ ، وفى خدْمةِ السلْطانِ حيثُ كان ، وهو الذى أشارَ على السلطانِ بتَخْريبِ عَسْقَلانَ ، واتَّفَق مرضُه بالقدسِ ، فاسْتَأْذَن فى أنْ يُمَرَّضَ بدِمَشْقَ ، فأُذِن له ، فسارَ حتى وصَل إلى غَباغِبَ[4] ، فماتَ بها فى أواخرِ ذى الحَجَّةِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٧٧، ومرآة الزمان ٨/١/٤١٣، والروضتين ٢/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٧٨، والمختصر فى تاريخ البشر ص ٨٠.

(٢) أى المدرسة الشامية البرانية ، والمدرسة الشامية الجوانية . انظر الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٧٧، ٣٠١.

(٣) فى الأصل : « حيد » ، وفى م : « حيدر » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٧٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤١٣، والروضتين ٢/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٦٦، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٧٢.

(٤) غباغب : قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق . معجم البلدان ٣/ ٧٧١.

وفى رجبٍ تُوفِّى الأميرُ الكبيرُ نائبُ دِمَشْقَ - حرَسها اللَّهُ تعالى - **الصفىُّ ابنُ القابضِ**[1] ، وقد كان مِن أكبرِ أصْحابِ السلْطانِ قبلَ المُلْكِ ، ثم اسْتَنابَه على دِمشقَ حتى تُوفِّى بها فى هذه السنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ تُوفِّى **الطبيبُ الماهِر الحاذقُ أسْعدُ بنُ المُطْرانِ**[2] وقد شَرُف بالإسْلامِ ، وشكَرَه على طبِّه الخاصُّ والعامُّ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ نَجْمُ الدِّينِ الخُبُوشانِىُّ[3] الذى بنَى تربةَ الشافِعىِّ بمِصْرَ بأمْرِ السلْطانِ صلاحِ الدينِ ، ووَقَف عليها الأوقافَ السَّنِيَّةَ ، ووَلَّاه تدْرِيسَها ونظَرَها ، وقد كان السلْطانُ يحترِمُه ويُكرِمُه ، وقد ذكَرْتُه فى « طبقاتِ الشافِعيَّةِ » ، وما صنَّفه فى المذْهَبِ مِن « شَرْحِ الوَسيط » وغيرِه ، ولمَّا تُوفِّى الخُبُوشانِىُّ طلَب التدريسَ جماعَةٌ ، فشفَع الملكُ العادِلُ عندَ أخيه لشيخِ الشيوخِ أبى الحسَنِ محمدِ بنِ حَمُّويَه ، فوَلَّاه إيّاها ، ثم عُزِل عنها بعدَ موتِ السلْطانِ ، واستمرَّتْ عليها أيْدِى بنى السلْطانِ واحِدًا بعدَ واحدٍ ، ثم خَلَصتْ بعدَ ذلك ، وعادَتْ إليها الفُقهاءُ والمدرِّسُون ، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

---

(١) فى الأصل : « العابض » ، وفى م : « الفائض » . وانظر ترجمته فى الكامل ١٢/ ٧٧، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٤١٣، والروضتين ٢/ ١٩٥.

(٢) مرآة الزمان ٨/١/ ٤١١، والروضتين ٢/ ١٩٥، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٦٣، وأعيان الشيعة ١١/ ١٣٦.

(٣) مرآة الزمان ٨/١/ ٤١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٢٧٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٤.

ثم دخَلَتْ سنةُ ثَمانٍ وثمانين وخمسِمائةٍ[1]

استهَلَّتْ والسلطانُ صلاحُ الدينِ مُخَيِّمٌ بالقدسِ الشريفِ ، وقد قسَم السورَ بينَ أوْلادِه وأمرائِه ، وهو يعمَلُ فيه بنَفْسِه ، ويحمِلُ الحجَرَ بينَ القَرَبُوسِ وبيْنَه ، والناسُ يقْتَدُون به وبالعلماءِ ، والفقراءُ يعمَلُون بأنفسِهم ، والفِرنْجُ ، لعَنَهم اللَّهُ ، حولَ البلدِ مِن ناحيةِ عَسْقَلانَ وما وَالَاها ، لا يتَجاسَرُون أنْ يتقرَّبوا مِن الحرَسِ واليزَكِ الذينَ للسلطانِ حولَ القدسِ الشريفِ ، إلَّا أنَّهم على نِيَّةِ مُحاصَرَةِ القُدْسِ مُصَمِّمون ، ولكَيْدِ الإسْلامِ مُجْمِعون ، وهم والحرسُ تارةً يَغْلِبون وتارةً يُغْلَبونَ ، وتارةً يَنْهَبُون وتارةً يُنْهَبون .

وفى ربيعِ الآخرِ وصَل الأميرُ سيفُ الدينِ المشطوبُ إلى السلطانِ وهو بالقدسِ ، مِن الأسْرِ ، وكان نائبًا على عَكَّا حينَ أُخِذتْ ، فافْتدَى نفْسَه منهم بخَمْسِين ألفَ دينارٍ ، فأعْطَاه [٣٠٩/٩ظ] السلْطانُ شيئًا كثيرًا منها ، واسْتَنابَه على مدينةِ نابُلُسَ ، فتُوفِّى بها فى شوَّالٍ منها .

وفى ربيعِ الآخرِ قُتِلَ المركيسُ صاحِبُ صُورَ ، لعَنه اللَّهُ ؛ أرسَل إليه ملكُ الإنْكِلتيرِ اثْنَيْن مِن الفِداوِيَّةِ فقتَلُوه ، فأظْهَرا التَّنَصُّرَ ، ولزِمَا الكنيسةَ حتى ظَفِرَا بالمركيسِ فقَتَلاه وقُتِلا ، فاسْتَنابَ ملكُ الإنكلتيرِ عليها ابنَ أختِه لأمِّه الكَندهرى ، وهو ابنُ أختِ مَلِكِ إِفْرَنْسيسَ لأبيه ، فهما خالاه ، لعَنه اللَّهُ ، ولما صارَ إلى صُورَ

---

(١) الكامل ١٢/ ٧٨، الروضتين ٢/ ١٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٧٧

ابتنَى بزَوْجَةِ المركيسِ بعدَ موْتِه بليلةٍ واحدةٍ، وهى حُبْلَى أيضًا، وذلكَ لشِدَّةِ العَداوَةِ التى كانتْ بينَ الإنْكِلتيرِ وبيْنَه، وقد كان السلْطانُ صلاحُ الدينِ يُبغِضُهما، ولكنَّه قد كان صانَعه المركِيسُ ببعضِ الشىءِ، فلم يَهُنْ قتْلُه عليه.

وفى تاسعِ جُمادَى الأُولى اسْتَوْلَى الفِرنْجُ، لعنَهم اللَّهُ، على قلعةِ الدّاروم[1] فخرَّبُوها، وقتَلُوا خلْقًا كثيرًا مِن أهْلِها، وأسَرُوا طائفةً مِن الذُّرِّيَّةِ، فإنا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون، ثم أقبَلُوا بخَيْلِهم ورَجِلِهم جملةً نحوَ القدسِ الشريفِ، فبرَزَ إليهم السلْطانُ فى حزبِ الإيمانِ وهو مشتمِلٌ على الرَّجَّالةِ والفرسانِ والأبطالِ والشجعانِ، فلمَّا تراءَى الجَمعانِ نكَص حزبُ الشيطانِ على عَقِبَيه، وانقَلَبوا راجِعين قبلَ القتالِ والنِّزالِ، وعادَ السلطانُ إلى القدسِ الشريفِ وقد ﴿ رَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ثم إنَّ ملكَ الإنكلتيرِ، لعَنه اللَّهُ - وهو أكبرُ ملوكِ الفِرنْجِ ذلك الوقتَ - ظفِر ببَعْضِ قُفُولِ المسلمين، فكبَسَهم ليلًا فقَتَل منهم خلقًا كثيرًا، وأسَر منهم خمسَمِائةِ أسيرٍ، وغنِم منهم شيئًا كثيرًا مِن الأمْوالِ والجمالِ، والخيلِ والبِغالِ، فكان جملةُ الجِمالِ ثلاثَةَ آلافِ بعيرٍ، فتقوَّى الفِرنْجُ بذلك شيئًا كثيرًا، وساءَ ذلك السلْطانَ مَساءةً عظيمةً جدًّا، وخافَ مِن غائلةِ ذلك، واسْتَخدَم الإنْكِلْتيرُ الجمَّالةَ على الجمالِ، والخَرْبَنْدِيَّةَ[2] على البغالِ، والساسةَ على الخيلِ، وأقبلَ وقد قوِيَتْ نفْسُه جدًّا، وصمَّم على مُحاصرةِ القُدْسِ، وأرسَل إلى ملُوكِ الفِرنجِ الذينَ

---

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد مصر. معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

(٢) الخربندية: المكارون، تعريب خربنده، ومعناه مربى الحمار، الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٢.

بالساحلِ ، فاسْتَحْضَرهم ومَن معهم مِن المُقاتلةِ ، فتَعَبَّأَ السلْطانُ لهم وتَهيَّأَ ، وأكمَل السورَ وعمَّر الخنادِقَ ، ونصَب الآلاتِ والمجانيقَ ، وأمَر بتَغْويرِ ما حولَ القُدْسِ مِن المياهِ ، وأحْضَر السلْطانُ أُمَراءَه ليلةَ الجُمُعةِ تاسِعَ عشَرَ جُمادَى الآخرةِ ، وفيهم أبو الهَيْجَاءِ السَّمينُ[1] والمشطوبُ ، والأَسَدِيَّةُ بكمالِهم ، واسْتَشارَهم فيما قد دهَمه مِن هذا الأمرِ الفظيعِ المُوجِعِ المؤلِمِ ، فأفاضُوا فى ذلك ، وأشاروا كلٌّ برأيِه ، وأشارَ العِمادُ الكاتبُ بأنْ يتَحالَفُوا على الموتِ عندَ الصَّخْرَةِ ، كما كان الصَّحابةُ يفعَلُون ، فأجابُوا إلى ذلك ، هذا كلُّه والسلْطانُ ساكِتٌ واجمٌ مفكِّرٌ ، فسكَت القومُ كأنَّما على رُءوسِهمُ الطيرُ ، ثم قالَ[2] : الحمدُ للَّهِ والصلاةُ على رسُولِ اللَّهِ ، اعْلَمُوا أنَّكُم جندُ الإسْلامِ اليومَ ومنعَتُه ، وأنتم تعْلَمُون أنَّ دماءَ المسلِمين وأموْالَهم وذَرارِيَّهم مُعلَّقةٌ فى ذِمَمِكم ، فإنَّ هذا العدوَّ أمِنَ له مِن المسلِمين مَن تلَقَّاه إلَّا أنتم ، فإنْ لَوَيتُم أعِنَّتَكم - والعِياذُ باللَّهِ - طوَى البلادَ كطيِّ السِّجِلِّ للكتابِ ، وكان ذلكَ فى ذمَّتِكُم ؛ فإنكم أنتم الذين تصَدَّيْتُم لهذا ، وأَكَلْتُم مالَ بيتِ المالِ ، [٩/٣١٠و] فالمسلمونَ فى سائِرِ البلادِ مُتعَلِّقون بكم ، والسلامُ .

فانْتَدَب لجوابِه سيفُ الدينِ المشطوبُ ، وقال[3] : يا مولَانا ، نحنُ مَماليكُكَ وعَبِيدُكَ ، وأنتَ الذى أعْطَيْتَنا وكبَّرْتَنا وعظَّمْتَنا ، وليس لنا إلَّا رِقابُنا ونحنُ بينَ يدَيْكَ ، واللَّهِ ما يرجِعُ أحدٌ منا عن نُصْرتِكَ إلى أن يموتَ . فقال الجماعَةُ مثلَ ما قال ، ففَرِح السلْطانُ بذلك وطابَ قلْبُه ، ومدَّ لهم سِماطًا حافِلًا ، وانصَرَفُوا مِن بينِ يدَيْه على ذلك .

---

(١) فى الأصل : « المسهن » ، وفى م : « المبسين » . وانظر الروضتين ٢/ ١٩٨.

(٢) النوادر السلطانية ص ٢١٦.

(٣) المصدر السابق .

ثم بلَغه بعدَ ذلك عن بعْضِ الأمراءِ أنَّه قال[1] : إنَّا نخافُ أنْ يجْرِىَ علَيْنا فى هذا البلدِ ، كما جرَى على أهلِ عَكَّا ، ثم يأخُذُون بلادَ الإسْلامِ بلدًا بلدًا ، والمصْلحَةُ أنْ نلْتَقِيَهم بظاهرِ البلدِ ؛ فإنْ هزَمْناهم أخَذْنا بقيةَ بلادِهم ، وإنْ تكُنِ الأُخْرَى سَلِمَ العسْكَرُ ، ومضَى القُدْسُ وقد انحفظَتْ بلادُ الإسْلامِ بدُونِ القُدْسِ مدةً طويلةً .

وبعَثُوا إلى السلْطانِ يقولُونَ له[2] : إنْ كنتَ تُريدُنا نقيمُ بالقُدْسِ تحتَ حصارِ الفِرنجِ ، فكُنْ أنتَ معنَا أو بعْضُ أهْلِكَ ، حتى يكونَ الجيشُ تحتَ أمْرِكَ ؛ فإنَّ الأَكْرادَ لا تطِيعُ التركَ ، والتركُ لا تطِيعُ الأكْرادَ .

فلمَّا بلَغه ذلك شَقَّ عليه مشقَّةً عظيمةً ، وباتَ ليْلتَه أجمَع مهْمُومًا كئِيبًا يفكِّرُ فيما قالُوا ، ثم انْجَلَى الأمرُ واتَّفقَ الحالُ على أنْ يكونَ الملكُ الأمجدُ ، صاحِبُ بَعْلَبَكَّ ، مُقيمًا عندَهم نائبًا عنه بالقُدْسِ ، وكان ذلك نهارَ الجُمُعةِ ، فلمَّا حضَر إلى صلاةِ الجُمُعةِ وأذَّن المؤذِّنُ للظهرِ ، قامَ فصلَّى ركعتَيْن بينَ الأذانَيْن ، وسجَد وابْتَهَل إلى اللَّهِ تعالىَ ابْتِهالًا عظيمًا ، وتضرَّعَ لربِّه ، وتمَسْكَن وسأَله فيما بيْنَه وبيْنَه كشْفَ هذه الضائقَةِ العظيمةِ .

فلمَّا كان يومُ السبتِ مِن الغَدِ جاءَتِ الكتبُ مِن الحرَسِ حولَ البلدِ بأنَّ الفرنجَ قدِ اخْتَلفُوا فيما بيْنَهم فى محاصرةِ القدسِ ، فقالَ ملكُ الإفْرَنسيسِ : إنّا إنَّما جِئْنا مِن البلادِ البعيدةِ وأنْفَقْنا الأموالَ العديدةَ فى تخْلِيصِ بيتِ المَقْدِسِ ورَدِّه إلينا ، وقد بَقِىَ بينَنا وبينَهم مرحلةٌ ، فقال الإنْكِلْتِيرُ : إن هذا البلدَ يشُقُّ علينا

---

(١) النوادر السلطانية ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧.

حصارُه ؛ لأن المياهَ حولَه قد عُدِمَتْ ، ومتى بعَثْنا مَن يأْتِينا بالماءِ مِن المشقةِ البعيدةِ تعَطَّل الحِصارُ ، وتَلِف الجيشُ ، ثم اتَّفَق الحالُ بينَهم على أنْ حكَّمُوا عليهم ثَلَاثَمِائَةٍ منهم ، فرَدُّوا أمْرَهم إلى اثْنَى عشَرَ منهم ، فردُّوا أمرَهم إلى ثلاثةٍ منهم ، فباتُوا ليْلَتَهم ينْظُرونَ ، ثم أصْبَحُوا وقد حكَمُوا عليهم بالرحيلِ ، فلم يمْكِنْهُم مخالفَتُهم ، فسحَبُوا راجِعين ، لعَنَهم اللَّهُ أجمعينَ ، فسارُوا حتى نزَلُوا على الرَّمْلَةِ ، وقد طالَتْ عليهم الغربةُ والرَّملةُ ، وذلك فى بُكْرَةِ الحادِى والعشرينَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، وبرَز السلْطانُ بجيشِه إلى خارِجِ القُدْسِ ، وسارَ نحْوَهم خوفًا أنْ يسِيرُوا إلى مِصْرَ ؛ لكثرَةِ مامعهم مِن الظَّهْرِ والأموالِ ، وكان الإنْكلتيرُ يلْهَجُ بذلك كثيرًا ، فخذَلَهم اللَّهُ عن ذلك ، وتردَّدَتِ الرسلُ مِن الإنكلتيرِ إلى السلْطانِ فى طلَبِ الصلحِ ، ووَضْعِ الحربِ بيْنَه وبيْنَهم ثلاثَ سنينَ ، وعلى أنْ يُعيدَ لهم عَسْقَلانَ ، ويهَبَ لهم كنيسةَ بيتِ المَقْدِسِ وهى القُمامةُ ، وأنْ يُمَكِّنَ النصارَى [٩/٣١٠ظ] مِن زيارَتِها وحجِّها بلا شيءٍ ، فامتَنَع السلْطانُ مِن إعادةِ عَسْقَلانَ وأطلَق لهم القُمامةَ ، وفرَض على الزُّوَّارِ مالًا يؤخَذُ مِن كلٍّ منهم ، فامْتنَع الإنْكلتيرُ إلَّا أنْ تُعادَ لهم عَسْقَلانُ ، ويُعَمَّرَ سورُها كما كانتْ ، فصَمَّم السلْطانُ على عدَمِ الإجابةِ .

ثم ركِب السلْطانُ حتى وافَى يافَا فحاصَرها حِصارًا شديدًا ، فافْتتَحَها ، وغنِم جيشُه مِنها شيئًا كثيرًا ، وامتنَعت القلعةُ ، فبالَغ فى أمرِها حتى هانت ولانت ودانت ، وكادوا أن يبعَثوا إليه بأقاليدِها ، ويأخُذوا الأمانَ لكَبيرِها وصغيرِها ، فبَيْنَما هم كذلك إذ أشْرَفَتْ عليهم مراكِبُ الإنكلتيرِ على وَجْهِ البحرِ ، فقَوِيَتْ رُءوسُهم واسْتَعْصَتْ نفُوسُهم ، وهجَم اللعينُ فأعادَ البلدَ ، وقتَل مَن تأخَّرَ بها مِن المسلمين صَبْرًا بينَ يَدْيه ، وتَقهْقَر السلْطانُ عن منْزلةِ الحصارِ إلى ما وراءَها ؛ خوفًا على

الجيشِ مِن مَعَرَّةِ الفرنجِ ، فجعلَ مَلِكُ الإنْكِلْتيرِ يتعَجَّبُ مِن شدَّةِ سطْوَةِ السلْطانِ ؛ كيف فتَح هذا البلدَ العظيمَ فى يومَيْن ، وغيرُه لا يمْكِنُه فتْحُه فى عامَيْن ، ولكِن ما ظنَنْتُ أنَّه مع شهامَتِه وصرامتِه يتأخَّرُ مِن منزلَتِه بمجَرَّدِ قُدُومِى ، وأنا ومَن مَعى لم نخْرُجْ مِن البحرِ إلَّا جرائدَ بلا سلاحٍ ، ثم ألَحَّ فى طلَبِ الصُّلْحِ على أنْ تكونَ عَسْقَلانُ داخِلَةً فى صُلْحِهم ، فامتَنَع السلْطانُ أشدَّ الامتناعِ ، ثم إنَّ السلطانَ كبَس فى تلك الليالى الإنكلتيرَ وهو فى سَبْعَةَ عشَرَ فارسًا ، وحولَه قليلٌ مِن الرَّجَّالةِ ، فأوكَب السلطانُ بجيشِه حولَه وحصَرَه حَصْرًا لم يبْقَ له معه نَجاةٌ ، لو صَمَّمَ معه الجيشُ ، ولكِنَّهم نكَلُوا كلُّهم عن الجملةِ ، فلا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ ، وجعَل السلْطانُ يحرِّضُهم غايَةَ التَّحْريضِ ، فكلُّهم يمتَنِعُ كما يَمْتَنِعُ المريضُ مِن شربِ الدواءِ .

هذا والإنكِلْتيرُ ، لعَنه اللَّهُ ، قد ركِب فى أصحابِه ، وأخَذ عُدَّةَ قتالِه وحِرابِه ، واسْتَعرَض المَيْمَنَةَ مِن أولِها إلى آخرِ المَيْسرَةِ - يعْنى مَيْمَنَةَ المسلمين ومَيْسَرتَهم - فلم يتقدَّمْ إليه أحدٌ مِن الفرسانِ ، ولا بَهَش[1] فى وجهِه بطلٌ مِن الشجعانِ ، فعندَ ذلك كَرَّ السلْطانُ راجِعًا ، وقد أحْزَنه أنَّه لم يَرَ مِن الجيشِ مُطِيعًا ولا سامعًا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعونَ .

ثم حصَل للإنكِلْتيرِ بعدَ ذلك مرَضٌ شديدٌ ، وبعَث إلى السلْطانِ يطلُبُ منه فاكهةً وثَلْجًا ، فأمَدَّه السلطانُ بذلك مِن بابِ الفُتُوَّةِ والإحسانِ وإظهارِ القوةِ والامتنانِ ، ثم عُوفِى ، لعَنه اللَّهُ ، وتكرَّرَتِ الرسُلُ منه يطلُبُ مِن السلْطانِ المصالحةَ ؛ وذلك لكثْرَةِ شوقِه إلى بلادِه ، وتَوقِه إلى ملاذِه ، وطاوَع السلْطانَ على ما يقولُ ، ونزَل عن طلَبِ عَسْقَلانَ ، ورَضِى بما رسَم به السلْطانُ ، وكُتِب كتابُ الصلحِ على ما رسَم به السلطانُ فى ثامِنَ عشَرَ شعبانَ ، وأُكِّدتِ العهودُ والمواثيقُ

---

(١) أى أسرع ، ونظر أيضا . انظر النهاية ١/١٦٦ .

مِن كلِّ ملكٍ مِن ملُوكِهم وأُسْقفٍّ وجاثَلِيقٍ، وحلَف الأمراءُ مِن المسلمين، وكتَبُوا خُطوطَهم، واكْتُفِى مِن السلْطانِ بالقولِ المجرَّدِ كما جرَتْ به عادةُ السلاطينِ، وفرِح كلٌّ مِن الفريقَيْن فرَحًا كثيرًا، وأظهَروا سُرورًا، ووَقَعَتِ الهدْنَةُ على وضْعِ الحربِ (١ثلاثَ سنينَ وثمانيةَ أشهُرٍ١)، وعلى أنْ يُقَرَّ ما بأيْدِيهم مِن البلادِ الساحليَّةِ، وللمسلمين ما يُقابِلُها مِن البلادِ الجبَلِيَّةِ، وما بيْنَهما مِن المُعامَلاتِ فقَسْمُها على المُناصفَةِ، وأرسَل السلْطانُ مائةَ نقَّابٍ صُحْبَةَ أميرٍ؛ لتخْريبِ سُورِ عَسْقَلانَ، وإخْراجِ مَن بها مِن الفِرنجِ والألمانِ.

وعادَ السلْطانُ إلى القُدْسِ الشريفِ، فرتَّب [٩/٣١١و] أحوالَه ووطَّدَها، وسدَّد أمُورَه وأكَّدَها، وزادَ وقْفَ المدرسةِ سُوقًا بدكاكِينِها وأرْضًا ببَساتينِها، وزادَ وقْفَ الصوفِيَّةِ أيضًا، وعزَم على أن يحُجَّ عامَه ذلك، فكتَب إلى الحجازِ واليمنِ والديارِ المصريَّةِ والشاميَّةِ؛ ليعْلَموا بذلك، ويتأهَّبُوا له، فكتَب إليه القاضى الفاضِلُ(٢) يَنْهاه عن ذلك خَوْفًا على البلادِ، ويذكُرُ له أنَّ النظرَ فى أحوالِ المسلمين وإصلاحِ أمرِهم الذى قد تداعَى إلى الفسادِ، وسدَّ ثغورِهم، ومُصابَرَةَ أعدائِهم فى هذا الوقتِ، أفضلُ لكَ ممَّا عزَمْتَ عليه عامَك هذا، والعدُوُّ المخذولُ مخَيِّمٌ بعدُ بالشامِ لم يُقْلِعْ منه مركَبٌ إلى بلادِهم، وأنت تعلَمُ أنَّهم إنَّما يُهادِنُونَ؛ ليتَقوَّوا ويكثُروا، ثم يمْكُرُوا ويغْدُروا.

فسمِع السلطانُ منه، وشكَر نُصْحَه وقَبِله، وعزَمَ على ترْكِ الحَجِّ عامَه ذلك، وكتَب به إلى سائرِ المَمالكِ، واستَمرَّ السلطانُ مُقِيمًا بالقُدْسِ جميعَ شهرِ رمَضانَ

(١ - ١) فى الأصل، م: «ثلاثين سنة وستة أشهر». وانظر الكامل ١٢/ ٨٥.

(٢) الفتح القسى ص ٦١١ بنحوه.

فى صيامٍ وصلاةٍ وقرآنٍ ، وكلَّما وفَدَ أحدٌ مِن رؤساءِ النصارى للزيارَةِ أوْلَاه غايةَ الإكْرامِ والإحسانِ ؛ تأْليفًا لقلُوبِهم وتأكيدًا لِما حَلَفوهُ من الأَيمانِ ، ورغبةً أن يدخُلَ فى قلوبِهم شىءٌ مِن الإيمانِ ، ولم يَبْقَ أحدٌ مِن ملُوكِهم إلَّا جاءَ لزيارةِ القُمامةِ مُتنكِّرًا ، ويحضُرُ سِماطَ السلْطانِ فِيمَنْ يحضُرُ مِن جمهورِهم ، بحيثُ لا يُرَى ، والسلْطانُ يعلَمُ ذلك جملةً لا تفْصِيلًا ، ولهذا يعامِلُهم بالإكرامِ ، ويُرِيهم صَفْحًا جميلًا ، وبِرًّا جَزِيلًا ، وظِلًّا ظليلًا .

فلمَّا كان خامسُ شوَّالٍ ركِب فى عساكرِه وجحافلِه ، فبرَز مِن القُدْسِ الشريفِ قاصِدًا دِمَشْقَ المحروسةَ ، واسْتَنابَ على القُدْسِ عزَّ الدينِ جُرْدَيْكَ ، وعلى قَضائِها بهاءَ الدينِ يُوسُفَ بنَ رافعِ بنِ تميمٍ الشافِعىَّ ، واجْتاز على وادِى الجِيبِ[1] ، وباتَ على بركةِ الدَّاوِيَّةِ[2] ، ثم أصبَح فى نَابُلُسَ ، فنَظَر فى أحْوالِها وأمورِها ، ثم ترحَّلَ عنها ، فجعَل يمرُّ بالمعاقلِ والحصُونِ والبُلْدانِ للنظرِ فى الأحْوالِ والأموالِ وكشْفِ المظالمِ والمحارمِ والمآثمِ وترتيبِ المكارمِ ، وفى أثناءِ الطريقِ جاءَ إلى خدْمَتِه بَيْمُندُ صاحِبُ أنْطَاكِيَةَ فأكْرَمه وأحسَن إليه ، وأطْلَقَ له أموالًا جزيلةً وخِلَعًا جميلةً ، وكان العمادُ الكاتبُ فى صُحْبتِه ، فأخبَر عن مَنازِلِه منزلةً منزلةً ومرحلةً مرحلةً ، إلى أنْ قال[3] : وعبَر يومَ الاثنينِ عَيْنَ الجَرِّ[4] إلى مَرْجِ يَبُوس[5] ، وقد زالَ البُوس ، وهناكَ توَافَد أعْيانُ دِمَشْقَ وأماثِلُها وأفاضلُها

---

(١) الجيب : حصنان يقال لهما : الجيب الفوقانى والجيب التحتانى بين بيت المقدس ونابلس من أعمال فلسطين وهما متقاربان . معجم البلدان ٢/ ١٧٠.

(٢) الداوية : ويقال : الديوية . حصن حصين بنواحى الشام . معجم البلدان ٢/ ٢٧٦.

(٣) الروضتين ٢/ ٢٠٧.

(٤) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . معجم البلدان ٣/ ٧٦٠.

(٥) مرج يبوس : يبوس جبل بالشام بوادى التيم من دمشق . معجم البلدان ٤/ ١٠٠٧.

وفواضلُها ، ونزَلنا يومَ الثلاثاءِ على العرّادةِ[1] ، جرَى المُتلقُّون بالطُّرَفِ والتُّحَفِ على العادةِ ، وأصْبَحْنا يومَ الأرْبعاءِ - يعَنى سادسَ عشَرَ شوَّالٍ بُكْرَةً - إلى جنَّةِ دمِشقَ داخِلين بسلامٍ آمِنين ، لولا أنَّنا غيرُ خالدين ، وكانتْ غَيْبَةُ السلطانِ عنها طالَتْ أرْبَعَ سنِينَ ، فأخرَجَتْ دِمَشْقُ أثْقالَها ، وأبْرزَتْ نِساءَها ورِجالَها ، وكان يومَ الزِّينَةِ ، وخرَج كلُّ مَن فى المدينةِ ، وحُشِر الناسُ ضُحًى ، وأشاعوا استبشارًا وفرَحًا ، واجتَمَع بأولادِه الكِبارِ والصغارِ ، وقدِم عليه رسُلُ المُلُوكِ مِن سائرِ الأمْصارِ ، وأقامَ بقيةَ عامِه فى اقْتِناصِ الصيدِ وحضُورِ دارِ العدلِ للفصلِ ، والعملِ [٩/٣١١ظ] بالإحْسانِ والفَضْلِ .

ولمَّا كان عيدُ الأضْحَى امْتدَحه بعضُ الشعراءِ بقصيدةٍ يقولُ فيها[2] :

وأبِيها لوْلَا تغزُّلُ عَيْنَيـ ـها لَمَا قلْتُ فى التَّغزُّلِ شِعْرَا
ولَكانَتْ مدائحُ الملِكِ النا صرِ أولَى ما فيه أعمِلُ فكْرَا
ملكٌ طبَّقَ المَمالِكَ عدلًا مثلَ ما أوْسَع البرِيَّةَ بِرًّا
فتحَلَّ الأعيادَ صوْمًا وفِطْرًا وتَلَقَّ الهنَاءَ [3]بَرًّا وبحرًا[3]
يا مُسِرَّ الطاعاتِ للَّهِ إنْ أضْـ ـحى مليكٌ على الهَنَاتِ مُصِرًّا
نِلْتَ ما تبْتَغِى مِن الدينِ والدنْـ ـيَا فَتِيهًا على الملوكِ وفَخْرَا
قد جمعْتَ المجْدَيْنِ أصْلًا وفَرْعًا وملَكْتَ الدارَيْنِ دنْيَا وأخْرَى

وممَّا وقَع فى هذه السنَةِ مِن الحوادِثِ غَزْوَةٌ عظيمةٌ بينَ صاحِبِ غَزْنَةَ شِهابِ الدينِ السُّبُكْتِكينىِّ وبينَ ملَكِ الهندِ وأصْحابِه الذين كانوا قد كسَروه فى سنَةِ

---

(١) العرادة : قرية على رأس تل شبه القلعة بين رأس عين ونصيبين . معجم البلدان ٣/ ٦٢٧.
(٢) الروضتين ٢/ ٢٠٨.
(٣ - ٣) فى مصدر التخريج : « فطرا ونحرا » .

ثلاثٍ وثمانين، فأظْفرَه اللَّهُ بهم فى هذه السنةِ، فكسَرهم وقتَل خَلْقًا منهم، وأسَرَ خلقًا، وكان مِن جُملةِ مَنْ أسَره مَلِكُهم الأعظمُ، وثمانِيَةَ عشَرَ فِيلًا، مِن جملَتِها الذى كان جرَحَه، فأُحضِرَ الملكُ بيـنَ يدَيْه فأهانَه ولم يُكرِمْه، واسْتَحوذَ على حِصْنِه، وأَخْبَرَ بما كان فيه مِن كلِّ جليلٍ وحقيرٍ، ثم قتَلَه بعدَ ذلك، وعادَ إلى غَزْنَةَ مؤيَّدًا منْصُورًا مسْرورًا محْبُورًا.

وفى هذه السنةِ اتُّهِمَ أميرُ الحجِّ ببَغْدادَ وهو طاشْتِكين - وقد كان على إمْرَةِ الحجيجِ مِن مدَّةِ عشرينَ سنةً، وكان فى غايَةِ حُسْنِ السِّيرَةِ - بأنَّه يُكاتِبُ صلاحَ الدينِ بنَ أيُّوبَ بالقدومِ إلى العراقِ ليأخُذَها، فإنَّه ليسَ يَرُدُّه[1] أحدٌ، وقد كان مكْذُوبًا عليه فى ذلك، ومع هذا حُبِس وأُهِينَ وصودِرَ.

فصـلٌ

ومِمَّنْ تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

القاضى شمسُ الدينِ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ مُوسَى[2]، المعرُوفُ بابنِ الفراشِ، كان قاضىَ العساكرِ بدِمَشْقَ، ويرْسِلُه السلْطانُ فى الرِّسالاتِ إلى ملُوكِ الآفاقِ، وتُوفِّى بمَلَطْيَةَ عائدًا مِن بَنِى قلجَ.

سَيْفُ الدينِ علىُّ بنُ أحمدَ المَشطوبُ[3]، كان مِن أصْحابِ أسَدِ الدينِ

---

(١) فى الأصل: «بين يديه»، وفى م: «بينه وبينها».

(٢) الروضتين ٢/ ٢٠٩.

(٣) النوادر السلطانية ص ٢٤٠، والروضتين ٢/ ٢٠٩، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٠٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٩٤.

شِيرِكُوه ، حضَرَ معه الوقَعَاتِ الثَّلاثَ بديارِ مصرَ ، ثم صار مِن أكابرِ أمراءِ صلاحِ الدينِ ، وهو الذى كان نائبًا على عَكَّا حينَ أخَذَها الفِرنجُ ، فأسَرُوه فى جملةِ مَنْ أسَرُوا ، فافْتدَى نفْسَه بخمسينَ ألفَ دِينارٍ ، وتخلَّص إلى أن خلَص إلى السلْطانِ وهو بالقُدْسِ فأعْطاه أكثرَها ، ووَلاه نيابةَ نابُلُسَ . وكانت وفاتُه يومَ الأحَدِ الثالثِ والعشرين مِن شوَّالٍ بالقُدْسِ الشريفِ ، ودُفِنَ فى دارِه .

صاحِبُ بلادِ الرومِ عزُّ الدِّينِ قِلِجُ أرْسَلَان بنُ مَسْعُودِ بنِ قِلِجَ أرْسَلَان[1] ، وكان قد قسَمَ جميعَ بلادِه بينَ أوْلادِه ؛ طمَعًا فى طاعَتِهم له ، فخالَفُوه وتجبَّرُوا وعَتَوْا عليه ، وخفَضَوا قَدْرَه حتى ارْتَفَعُوا ، ولم يزَلْ كذلك حتى تُوفِّى فى عامِه هذا .

وفى رَبيعِ الآخرِ تُوفِّى **الأديبُ الشاعِرُ أبو المُرهَفِ ، نَصْرُ بنُ منْصُورٍ النُّميرىُّ**[2] ، سمِعَ الحديثَ واشْتغلَ بالأدبِ ، وكان قد أصابَه جُدَرِىٌّ وهو ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنةً فنقَصَ بصَرُه ، فكان لا يُبصِرُ الأشياءَ البعيدةَ ، ويرَى القريبَ منه ، ولكنَّه لا يحْتاجُ إلى قائدٍ ، فارْتحَلَ إلى العراقِ ؛ لمُداواةِ عيْنَيْه فآيَسَتْه الأطباءُ مِن ذلك ، فاشْتَغَل بحفْظِ القرآنِ ومُصاحبَةِ الصالحينَ والزُّهّادِ فأفْلَحَ ، وله دِيوانُ شعرٍ كبيرٌ حسَنٌ ، وقد سُئِل مرَّةً عن مذْهبِه واعْتَقادِه ، فأنشَأَ يقولُ[3] :

---

(١) الكامل ١٢/ ٨٧، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٠، وفيه : « قليج » ، والروضتين ٢/ ٢٠٩، وفيه : « قليج » ، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٠٦، والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٧، وفيه : « قليج » .

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ٢٢٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣١١، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٧٤.

(٣) الأبيات فى سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٠٧، ٣٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٧٥.

أُحِبُّ عليًّا والبَتُولَ ووُلْدَها ولا أجْحَدُ الشيْخَيْنِ فضْلَ التقدُّمِ
[٩/ ٣١٢و] وأبْرَأُ مِمَّنْ نالَ عُثْمانَ بالأذَى كما أتبَرَّا مِن وَلاءِ ابنِ مُلْجِمِ
ويُعْجِبُنِى أهلُ الحديثِ لصِدْقِهِم فلسْتُ إلى قومٍ سِوَاهمْ بمُنْتَمِى

وكانت وفاتُه ببَغْدادَ ، ودُفِنَ بمقابرِ الشهداءِ ببابِ حربٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

ثم دخَلت سنةُ تسعٍ وثمانين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الملكِ النَّاصرِ صلاحِ الدينِ[2] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

اسْتَهلَّت هذه السنةُ وهو فى غايةِ الصِّحةِ والسَّلامةِ ، وخرَج هو وأخوه العادلُ أبو بكرٍ إلى الصيدِ شرْقىَّ دِمَشْقَ ، وقد اتَّفَق الحالُ بينَه وبينَ أخيه أنَّه بعدَما قد تفرّغ مِن أمرِ الفِرنْجِ هذه المدةَ يسيرُ هو إلى بلادِ الرومِ ، ويبعَثُ أخاه إلى خِلاطَ ، فإذا فرَغا مِن شأنِهما سارَا جميعًا إلى بلادِ أَذْرَبِيجانَ ، وبلادِ العَجَمِ ، فَإنَّه ليس دونَها أحدٌ يُمانِعُ عنها ولا يَصُدُّهم عنها ، فلمَّا قدِم الحجِيجُ مِن الحجازِ الشريفِ فى يومِ الاثنين حادى عشَرَ صَفَرٍ خرَج ؛ لتلَقِّيهِم ، وقدِم معهم ولَدُ أخيه سيفِ الإسلامِ ، صاحبِ اليمَنِ ، فأكرَمه واحْتَرمه ، وعاد إلى القلعةِ المنصورةِ ، فدخَلها مِن بابِ الحديدِ ، فكان ذلك آخرَ ما ركِب فى هذه الدنيا ، ثم إنَّه اعْتَراه حُمَّى صفراوِيَّةٌ ليلةَ السبتِ سادِسَ عشَرَ صَفَرٍ ، فلما أصبَح دخَل عليه القاضى الفاضلُ ، وابنُ شدَّادٍ ، وابنُه الأفْضلُ ، فأخَذ يشكو إليهم كثْرةَ قلقِه البارِحةَ ، وطاب له الحديثُ ، وطال مجلِسُهم عندَه ، ثم تَزايدَ به المرضُ واسْتَمرَّ ، وقصَده الأطباءُ فى اليومِ الرابعِ ، فاعْتَراه يُبْسٌ ، وحصَل له عرَقٌ شديدٌ بحيثُ نفَذ إلى الأرضِ ، فقَوِىَ اليُبْسُ ، فأُحضِر الأمراءُ مِن الأكابرِ ، والرؤساءِ ، فبُويعَ لوَلدِه الأفضلِ نورِ الدينِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٩٥، والروضتين ٢/ ٢١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩٠.
(٢) الفتح القُسِّىّ ص ٦٥٦، والكامل ١٢/ ٩٥، والنوادر السلطانية ص ٦، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٥، والروضتين ٢/ ٢١٢، ووفيات الأعيان ٧/ ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٥١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٣٩.

عليٌّ نائبًا على دِمَشْقَ ، وذلك عندَما ظهَرت مَخايلُ الضَّعفِ الشديدِ ، وغيبوبَةُ الذِّهْنِ فى بعضِ الأوقاتِ ، وكان الذين يدخُلون عليه فى هذه الحالِ القاضىَ الفاضلَ ، وابنَ شَدّادٍ ، وقاضِىَ البلدِ ابنَ الزَّكىِّ ، وتفاقم الحالُ ليلةَ الأربعاءِ السابعِ والعشرين من صفرٍ ، واستدعَى الشيخَ أبا جعفرٍ إمامَ الكَلَّاسةِ[1] ؛ ليبيتَ عندَه يقْرأُ القرآنَ ، ويُلقِّنُه الشهادةَ إذا جَدَّ به الأمرُ ، فذكَر أنَّه كان يقْرَأُ عندَه وهو فى غَمَراتِ الموتِ ، فقرأ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ [الحشر : ٢٢] . فقال : وهو كذلك صحيحٌ . فلمَّا أذَّنَ الصبحُ جاء القاضى الفاضلُ فدخَل عليه وهو فى آخرِ رمَقٍ ، فلمَّا قرَأَ القارئُ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [الرعد : ٣٠] . تبسَّمَ وتهَلَّلَ وجْهُه ، وأسْلَمَ رُوحَه إلى ربِّه سبحانَه ، ومات رحمه اللَّهُ ، وأكرَم مَثْواه ، وجعَل جنَّةَ الفِرْدَوْسِ مأْوَاه ، وكان له مِن العُمرِ سبعٌ وخمسون سنةً ؛ لأنه وُلِد بتَكْرِيتَ فى شُهورِ سنةِ ثِنْتَيْن وثلاثين وخمسِمائةٍ ، رحمه اللَّهُ ، فقد كانَ رِدْءًا للإسلامِ ، وحِرْزًا وكَهفًا مِن كَيْدِ الكفَرَةِ اللِّئامِ ، وكان أهلُ دمشقَ لم يُصابُوا بمثْلِ مُصابِه ، ووَدَّ كلٌّ منهم لو فَدَاه بأولادِه وأحبابِه وأصحابِه ، وقد غُلِّقتِ الأسواقُ ، واحْتُفِظَ على الحَواصلِ ، ثم أخَذُوا فى تجهيزِه وغسلِه ، وحضَر جميعُ أولادِه وأهلِه ، ويَعِزُّ عليهم أن يأتوا بمثلِه ، وكان الذى تولَّى غَسْلَه خَطِيبَ البلَدِ الفقيهَ الدَّوْلَعِىَّ ، وكان الذى أحضَرَ الكفَنَ ومُؤْنَةَ [٣١٢/٩ظ] التَّجْهيزِ القاضىَ الفاضلَ مِن صُلْبِ مالِه الحَلالِ ، هذا وأوْلادُه الكِبارُ والصِّغارُ يَبْرُزون وينادُون ويبكُون ، والناسُ فى التعويلِ والانْتِحابِ والابْتِهالِ ، ثم أُبْرِزَ فى تَابُوتٍ بعدَ صلاةِ الظهرِ ، وأمَّ الناسَ عليه القاضى ابنُ الزَّكىِّ ، ثم دُفِنَ فى

---

(١) مدرسة الكلّاسية ، لصيقة الجامع الأموي من جهة الشمال ، سميت كذلك لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع . الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٤٤٧، ٤٤٨.

دارِه بالقَلْعَةِ المنصورةِ ، وشرَع ابنُه فى بِناءِ تُرْبَةٍ له ، ومدرسةٍ للشافعيةِ بالقُرْبِ مِن مسجدِ القَدَمِ ؛ لوصِيَّتِه بذلكَ قديمًا ، فلم يكمُلْ بِناؤُها ولم يتمَّ ، وذلك حينَ قَدِم ولَدُه العزيزُ ، وكان مُحاصِرًا لأخيه الأفْضلِ ، كما سيأْتى بَيانُه ، فى سنَةِ تسعين وخمسِمائَةٍ ، ثم اشْتَرى له الأفْضَلُ دارًا شَماليَّ الكَلَّاسةِ فى وِزَانِ مازادَه القاضى الفاضلُ فى الكَلَّاسةِ ، فجعَلها له تُرْبةً ، هطَلَتْ سَحائبُ الرَّحمةِ عليها ، ووَصَلَتْ أَلْطافُ الرَّأفَةِ إليها . وكان نقْلُه إليها فى يومِ عاشُوراءَ سنةَ اثنتين وتسعين ، وصَلَّى عليه تحتَ النَّسْرِ قاضى القُضاةِ محمدُ بنُ عليٍّ القُرشيُّ ابنُ الزَّكيِّ ، عن إذنِ الأفضلِ له ، ودخَل فى لَحدِه ولَدُه الأفضَلُ ، فدفَنه بنفسِه ، وهو يومَئذٍ سلطانُ الشامِ ، وذلك لما له عليه من الحقِ والخدمةِ والإكرامِ ، ويقالُ[1] : إنَّه دُفِن معه سيفُه الذى كان يحضُرُ به الجِهادَ والجِلادَ ، وذلك عن أمرِ القاضى الفاضلِ أحدِ الأجوادِ الأمجادِ ، وتفاءلوا بأنَّه يكونُ معه يومَ القيامةِ يتوكَّأُ عليه ، حتى يدخُلَ الجنَّةَ ؛ لما أُنْعِم به عليه مِن كسرِ الأعداءِ ، ونصرِ الأولياءِ ، وأُعظِم عليه بذلك المنّةُ . ثم عُمِل عَزاؤُه بالجامعِ الأُمَوِيِّ ثلاثَةَ أيامٍ ، يحضُرُه الخَواصُّ والعَوامُّ ، والرَّعِيَّةُ والحُكَّامُ ، وقد عمِلَ الشُّعراءُ فيه مرَاثِيَ كثيرةً ، مِن أحْسَنِها ما عمِل العمادُ الكاتِبُ فى آخرِ كِتابِه « البَرْقِ الشاميِّ » ، وهى مائتان واثنان وثلاثون بيتًا ، وقد سرَدها الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الرَّوْضَتَيْن »[2] ، فمنها قولُه فى أولِها :

شَمْلُ الهُدَى والمُلْكِ عمَّ شَتاتُهُ ... والدهرُ ساء وأقلَعتْ حَسَناتُهُ
أين الذى مُذْ لم يَزَلْ مَخشِيةً ... مَرْجُوَّةً رَهَباتُه وهِباتُهُ
أين الذى كانت له طاعاتُنا ... مَبْذُولَةً ولرَبِّه طاعاتُهُ

---

(١) الروضتين ٢/ ٢١٤، ٢١٥.
(٢) المصدر السابق .

باللَّهِ أين الناصرُ الملكُ الذى ... لـلَّـهِ خـالِـصَـةً صَـفَـتْ نِـيّـاتُـهُ
أين الذى ما زال سلطانًا لنا ... يُـرْجَـى نَـداهُ وتُـتَّـقَـى سَـطَـواتُـهُ
أينَ الذى شَرُفَ الزمانُ بفضلِه ... وسمَتْ على الفُضلاءِ تشريفاتُهُ
أين الذى عنتِ الفِرنجُ لبأْسِه ... ذُلًّا، ومـنـهـا أُدْركـتْ ثـاراتُـهُ
أغْـلالُ أعـنْـاقِ الـعِـدا أسْـيـافُـهُ ... أطـواقُ أجـيـادِ الـورَى مِـنَّـاتُـهُ

وللعمادِ الكاتبِ فى المِلكِ الناصرِ يَرْثيه[1] :

مَن للعُلا مَن للذُّرَى مَن للهُدَى ... يحْمِيهِ مَن للبأسِ مَنْ للنَّائلِ
طلَب البقاءَ لمُلْكِه فى آجلٍ ... إذْ لم يثِقْ ببقاءِ مُلْكٍ عاجلِ
بَـحْـرٌ أعـادَ الـبَـرَّ بـحْـرًا بِـرُّهُ ... وبسيفِه فُتِحتْ بلادُ السَّاحلِ
مَن كان أهلُ الحقِّ فى أيامِهِ ... وبـعِـزِّه يُـردُون أهـلَ الـبـاطـلِ
وفتُوحُه والقُدْسُ مِن أبكارِها ... أبقَتْ لهُ فضلًا بغيرِ مُساجِلِ
ما كنتُ أسْتَسْقِى لقَبْرِكَ[2] وابِلًا ... ورأيتُ جُودَكَ مخجِلًا للوابِلِ
فسَقاكَ رِضْوانُ الإلهِ لأنَّنى ... لا أرتَضى سُقْيَا الغَمامِ الهاطلِ

ذِكْرُ تَركتِه وشىءٍ مِن ترْجمتِه

قال العِمادُ وغيرُه[3] : لم يترُكْ فى خِزانتِه مِن الذهبِ سوى جرمٍ واحدٍ[4]

---

(١) الروضتين ٢/ ٢١٧.
(٢) فى الروضتين : « بغيرك » .
(٣) الفتح القسى ص ٦٢٩، والروضتين ٢/ ٢١٧.
(٤) بعده فى م : « أى دينار واحد » .

صُورىٍّ[1] وستةٍ وثلاثين درهمًا . وقال غيرُه[2] : سبعةٍ وأربعين درهمًا ، ولم يترُكْ دارًا ولا عَقارًا ولا مزْرعَةً ولا بُسْتانًا[3] ، ولا شيئًا مِن أنواعِ الأملاكِ . هذا وله مِن الأولادِ سبعةَ عشَرَ ذكرًا وابنةٌ واحدةٌ ، وتُوفِّى له فى بعضِ حياتِه غيرُهم ، والذينَ تأخَّروا بعدَه [٣١٣/٩و] ستةَ عشَرَ ذكرًا ، أكبرُهم الملِكُ الأفضلُ نورُ الدينِ علىٌّ ، وُلدَ بمصرَ سنةَ خمسٍ وستين ليلةَ عيدِ الفطرِ ، ثم العزيزُ عمادُ الدينِ أبو الفتحِ عثمانُ وُلدِ بمصرَ أيضًا فى جُمادَى الأُولَى سنةَ سبعٍ وستين ، ثم الظافرُ مظفِّرُ الدينِ أبو العباسِ الخَضِرُ ، وُلِد بمصرَ فى شعبانَ سنةَ ثمانٍ وستين ، وهو شقيقُ الأفضلِ ، ثم الظاهرُ غِياثُ الدينِ أبو منصورٍ غازِى ، وُلد بمِصَر فى نصفِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وستين ، ثم المُعِزُّ فتحُ الدينِ أبو يعقوبَ إسحاقُ ، ولِد بدمِشقَ فى ربيعِ الأوَّلِ سنةَ سبعين ، ثم نجْمُ الدينِ أبو الفَتْحِ مسعودٌ ، ولِد بدمشقَ سنةَ إحدى وسبعين ، وهو شَقيقُ العزيزِ ، ثم الأَغَرُّ شرفُ الدينِ أبو يوسفَ يعقوبُ ، وُلدَ بمصرَ سنةَ ثِنْتين وسبعين ، وهو شقيقُ العزيزِ أيضًا ، ثم الزَّاهِرُ مُجِيرُ الدينِ أبو سليمانَ داودُ ، وُلد بمصرَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين ، وهو شقيقُ الظاهرِ ، ثم أبو الفضلِ قطْبُ الدينِ موسى ، وهو شقيقُ الأفضلِ ، ولِدَ بمصرَ سنةَ ثلاثٍ وسبعِين أيضًا ، ثم لُقِّب بالمُظَفَّرِ ، ثم الأشرفُ مُعِزُّ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدٌ ، وُلد بالشامِ سنةَ خمسٍ وسبعين ، ثم المحسنُ ظهِيرُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ ؛ ولدَ بمصرَ سنةَ سبعٍ وسبعين ، وهو شقيقُ الذى قبلَه ، ثم المعَظَّمُ فَخْرُ الدينِ أبو منصورٍ تُورَانْشاه ، وُلد بمصرَ فى ربيعِ الأولِ سنةَ سبعٍ وسبعينَ ، وتأخَّرت وفاتُه إلى سنةِ ثمانٍ وخمسين وستِّمائةٍ ، ثم الجَوَّالُ ركنُ الدينِ أبو سعيدٍ أيوبُ ولد سنةَ ثمانٍ وسبعين ، وهو شقيقٌ للمُعِزِّ ،

---

(١) الدنانير الصورية : هى التى على أحد وَجهيها صورة الملك الذى تضرب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس ، صبح الأعشى ٣/ ٤٤١.

(٢) النوادر السلطانية ص ٨ والروضتين ٢/ ٢١٧.

(٣) فى الأصل ، ص : « سقفا » .

ثم الغالبُ نَصِيرُ الدينِ أبو الفتحِ مَلِكْشاه ، وُلد فى رجبٍ سنةَ ثمانٍ وسبعين وهو شقيقُ المُعَظَّمِ ، ثم المنصورُ أبو بكرٍ أخو المُعَظَّمِ لأبَوَيْه ، وُلِدِ بحَرّانَ بعدَ وفاةِ السلطانِ ، ثم عِمادُ الدينِ شاذى لأُمِّ ولدٍ ، ونُصرةُ الدينِ مَرْوانُ لأُمِّ ولدٍ أيضًا . وأمّا البنتُ فهى مُؤْنِسةُ خاتون تزوَّجها ابنُ عمِّها الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

وإنَّما لم يُخلِفْ أموالًا ولا أملاكًا ؛ لكثرةِ عَطاياه وهباتِه وصدقاتِه وإحسانِه إلى أمرائِه ووزرائِه وأوليائِه ، حتى إلى أعدائِه ، وقد أسلفنا ما يدُلُّ على كثيرٍ مِن ذلك ، رحِمه اللَّهُ ، وقد كان متقلِّلًا فى ملبسِه ، ومأْكلِه ، ومشربِه ، ومركبِه ، فلا يلبَسُ إلا القطنَ والكَتّانَ والصُّوفَ ، ولا يُعرَفُ أنَّه تخطَّى مكروهًا بعدَ أن أنعَمَ اللَّهُ عليه بالمُلْكِ ، بل كان همُّه الأكبرُ ومقصودُه الأعظمُ نصرَ الإسلامِ ، وكسْرَ الأعداءِ اللِّئامِ ، ويُعمِلُ فكرَه فى ذلك ورأيَه وحدَه مع مَن يثِقُ برأيِه ليلًا ونهارًا ، سرًّا وجِهارًا .

وهذا مع ما لديه مِن الفضائلِ والفَواضلِ ، والفوائدِ الفَرائدِ ، فى اللغةِ والأدبِ وأيامِ الناسِ ، حتى قيل[1] : إنَّه كان يحفَظُ الحماسةَ بتَمامِها وختامِها . وكان مُواظِبًا على الصلواتِ فى أوقاتِها فى جماعةٍ ، يقالُ[2] : إنَّه لم تَفُتْه الجماعةُ فى صلاةٍ قبلَ وفاتِه بدهرٍ طويلٍ ، حتى ولا فى مرضِ موتِه ، كان يُدخِلُ الإمامَ فيُصلِّى به ، فكان يتجشَّمُ القِيامَ مع ضَعْفِه ، رحِمه اللَّهُ .

وكان يفهَمُ ما يقالُ بينَ يدَيْه مِن البحثِ والمُناظَرةِ ، ويُشارِكُ فى ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٨٢.

(٢) الروضتين ٢/ ٢١٩.

مُشاركةً قرِيبةً حسنةً، وإن لم يكنْ بالعبارةِ المصطلحِ عليها، وكان قد جمَع له القُطْبُ النَّيْسابُورِىُّ عقيدَةً فكان يحفَظُها، ويُحَفِّظُها مَن عقَل مِن أولادِه [٣١٣/٩ظ]، وكان يحبُّ سَماعَ القرآنِ العظيمِ، ويُواظِبُ على سَماعِ الحديثِ، حتى إنَّه سمِع فى بعضِ المصافَّاتِ جزءًا وهو بينَ الصَّفَّيْنِ، فكانَ يَتبجَّحُ[1] بذلك ويقولُ[2]: هذا موقفٌ لم يسمَعْ أحدٌ فى مثْلِه حديثًا. وكان ذلك بإشارَةِ العِمادِ الكاتبِ.

وكان رقيقَ القلبِ سريعَ الدمعةِ عندَ سماعِ الحديثِ، كثيرَ التعظيمِ لشعائرِ الدينِ؛ كان[3] قد لجَأ إلى ولَدِه الظاهرِ، وهو بحَلَبَ، شابٌّ يقالُ له: الشِّهابُ السُّهْرَوَرْدِىُّ. وكان يعْرِفُ الكِيمْيَا وشيئًا مِن الشَّعْبذَةِ والأبْوابِ النِّيرَنْجِيّاتِ، فافتُتِن به ولدُ السلطانِ الظاهِرُ، وقرَّبَه وأحبَّه، وخالفَ فيه حَمَلَةَ الشَّرْعِ، فكتَب إليه أن يقتلَه لا محالةَ، فصلَبه عن أمرِ والدِه وشهَّرَه، ويقالُ: بل حبَسه بينَ حائطينِ حتى مات كمَدًا، وذلك فى سنةِ ستٍّ وثمانين وخمسِمائةٍ.

وكان السلطانُ صلاحُ الدينِ، رحِمه اللَّهُ، مِن أشجعِ الناسِ وأقواهم بدَنًا وقلبًا، مع ما كان يعْترِى جسْمَه مِن الأمراضِ والأسقامِ، ولا سِيَّما وهو مرابطٌ مصابرٌ مثابرٌ عندَ عكَّا؛ فإنَّه كان مع كثرةِ جُموعِهم[4] وأمدادِهم لا يزِيدُه ذلك إلا قوةً وشجاعةً، وقد بلَغت جموعُهم خمسَمائةِ ألفِ مقاتلٍ، ويقالُ: سِتَّمائةِ ألفٍ. وكان جملةُ مَن قُتِل منهم مائةَ ألفِ مقاتلٍ.

---

(١) أى: يفتخر ويباهى.

(٢) النوادر السلطانية ص ٢٠، والروضتين ٢/ ٢٢١. والذى أشار عليه بذلك هو القاضى ابن شداد صاحب «النوادر»، وليس العماد الكاتب، كما ذكر المصنف، رحمه اللَّه.

(٣) النوادر السلطانية ص ١٠.

(٤) يعنى: الفِرَنْجَ.

ولمَّا انْفصَل الحالُ ، وتسَلَّموا عكَّا ، وقتَلوا أكثرَ مَن كان بها ، وسارُوا برُمَّتِهم نحوَ بيتِ المقدسِ ؛ جعَل يُسايرُهم منْزِلةً منْزِلةً ، ومرحلةً مرحلةً ، وجيوشُهم أضعافُ أضعافِ مَنْ معَه ، ومع هذا نصَره اللَّهُ وخذَلَهم ، وأيَّده وقتَلهم ، وسبَقهم إلى البيتِ المقدّسِ ، فَصانَه وحَماه ، وشيَّد بنيانَه ، وأطَّد أركانَه ، وصان حِماه ، ولم يزَلْ بجيشِه مُقيمًا به يُرهبُهم ويُرعبُهم ، ويغْلِبُهم ويسْلُبُهم ، ويَكْسِرُهم ويأْسِرُهم حتى تضَرَّعُوا إليه ، وخضَعوا لديه ، ودخَلوا عليه أن يصالحَهم ويتاركَهم ، وتضَعَ الحربُ أوزارَها بينَهم وبينَه ، فأجابُهم إلى ما سألوا على الوجهِ الذى أرادَه ، لا ما يريدونه ، وكان ذلك مِن جملةِ الرحمةِ التى خُصَّ بها المؤمنون ؛ فإنَّه ما انْقَضتْ تلك السِّنونَ حتى ملَك البِلادَ أخوه أبو بكرٍ العادِلُ ، فعزَّ به المسلمون ، وذَلَّ به الكافرون .

وكان رحِمه اللَّهُ سَخِيًّا كريمًا حَيِيًّا ، ضحُوكَ الوجهِ كثيرَ البِشْرِ ، لا يتَضجَّرُ مِن خيرٍ يفعَلُه ، شديدَ المُصابرَةِ والمثابرةِ على الخَيْراتِ والطاعاتِ ، فرحِمه اللَّهُ ، وأَسْكَنه الجنَّاتِ . وقد ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[1] طرَفًا صالحًا مِن سِيرَتِه وأيامِه ، وعدلِه فى سَرِيرَتِه وعلانِيَتِه ، وأحكامِه .

فصـلٌ

كان السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ قد قسَم البلادَ بينَ أولادِه ، فالديارُ المصريةُ لوَلدِه العزيزِ عمادِ الدينِ عثمانَ أبى الفتحِ ، وبلادُ دِمَشْقَ وما حولَها لولدِه الأفضلِ نورِ الدينِ علىٍّ ، وهو أكبرُ أولادِه كلِّهم ، والمملكةُ الحَلَبيَّةُ لولدِه الظاهرِ

---

(١) الروضتين ٢/٢١١ وما بعدها .

غازِى غِيَاثِ الدينِ ، ولأخِيه العادلِ الكَرَكُ والشَّوْبَكُ وبلادُ جعبرٍ وبلادٌ كثيرةٌ قاطعَ الفُراتِ ، وحَماةُ ومُعامَلةٌ أخرى معها للملكِ المنصورِ محمدِ بنِ تَقىِّ الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلطانِ ، وحِمْصُ والرَّحْبَةُ وغيرُها لأسدِ الدينِ شِيرِكُوه بنِ ناصِرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه الكبيرِ ، عمِّ صلاحِ الدينِ أخى أبيه نجمِ الدينِ أيوبَ ، واليَمنُ بمَعاقِلِه ومخاليفِه جميعُه فى قبضةِ السلطانِ ظَهِيرِ الدينِ سيفِ الإسلامِ طُغْتِكِين بنِ أيوبَ ، أخى السلطانِ صلاحِ الدينِ ، [٣١٤/٩و] وبَعْلَبَكُّ وأعمالُها للأمجدِ بَهْرام شاه بنِ فرُّوخشاه ، وبُصْرَى وأعمالُها للظَّافرِ بنِ الناصِرِ ، ثم شرَعت الأمورُ بعدَ موتِ صلاحِ الدينِ تضطَرِبُ وتخْتلِفُ وتتفاقمُ فى جميعِ هذه الأحوالِ ، حتى آلَ الأمرُ إلى ما إليه آلَ ، واسْتَقرَّت الممالكُ ، واجتمَعت المحافلُ على أخى السلطانِ ، الملكِ العادلِ ، وصارَتِ المملكةُ فى أولادِه الأماجدِ الأفاضلِ ، كما سنوضِّحُه قريبًا ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفى هذه السنةِ جدَّدَ الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ خِزانةَ كتبِ المدرسةِ النِّظاميةِ ببغدادَ ، ونقَل إليها ألوفًا مِن الكتبِ الحسنةِ المُثَمَّنَةِ .

وجرَت ببغدادَ فى المحرَّم مِن هذه السنةِ كائِنةٌ غريبةٌ ؛ وهى أنَّ ابنةً لرجلٍ مِن التُّجَّارِ فى الطَّحِينِ تعَشَّقَت لغلامِ أبِيها ، فلما علِم أبوها بأمرِها طرَد الغلامَ مِن دارِه ، فواعَدَته البنتُ ذاتَ ليلةٍ ، فجاء مُخْتفِيًا ، فترَكَتْه فى بعضِ الدارِ ، ونزَل فى أثناءِ الليلِ ، فقتَل أباها مولاه ، وأمرَتْه الجاريةُ بقَتْلِ أمِّها ، فقتَلها وهى حُبْلى ، وأعْطَتْه الجاريةُ حَلْيًا بقيمةِ ألفى دينارٍ ، فأصبح أمرُه عندَ الشرطةِ فمُسِك وقُتِل ، قبَّحه اللَّهُ وإيّاها ، وقد كان سيِّدُه مِن خِيارِ الناسِ ، وأكثرِهم صدقةً وبِرًّا ، وكان شابًّا ، وَضِيءَ الوجهِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها درَّس بالمدرسةِ الجديدةِ عندَ قبرِ معروفٍ الكَرْخِيِّ الشيخُ أبو عليٍّ النَّوْقانيُّ[1] ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعيانُ ، وعُمِل بها دعوةٌ حافلةٌ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

السلطانُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ أيوبَ بنِ شاذى ، وقد تقدَّم ذلك مبْسوطًا .

الأميرُ بَكْتَمُرُ[2] صاحبُ خِلاطَ ، قُتِل فى هذه السنةِ ، وكان مِن خيارِ الملوكِ ، وأشجعِهم ، وأكرمِهم ، وأحسنِهم سِيرةً ، رحِمه اللَّهُ .

الأتابِكُ عِزُّ الدينِ مسعودُ بنُ مَوْدودِ بنِ زَنْكِى[3] ، صاحبُ المَوْصِلِ نحوًا مِن ثلاثَ عشْرَةَ سنةً ، وكان مِن خِيارِ المُلُوكِ وأحسنِهم سيرةً ، كان يَتَشبَّهُ بالملكِ العادلِ نورِ الدينِ عمِّه ، ودُفِن بتُربتِه عندَ مدرسةٍ أنْشأَها بالموصلِ ، أثابَه اللَّهُ .

جعفرُ بنُ محمدِ بنِ قطيرَا ، أبو الحسنِ ، أحدُ الكتّابِ بالعراقِ ، كان يُنْسَبُ إلى التَّشَيُّعِ ، وهذا كثيرٌ فى أهلِ تلك البلادِ ، لا أكثرَ اللَّهُ فى المسلمينِ أمثالَهم ولا أشكالَهم . جاءَه رجلٌ ذاتَ يومٍ فقال له : رأيْتُ البارِحَةَ أميرَ المؤمنين عليًّا فى المنامِ وهو يقولُ لى : اذهَبْ إلى ابنِ قطيرا ، فقُلْ له يعْطِيك عشَرةَ دنانِيرَ . فقال له ابنُ قطيرَا . متى رأيْتَه ؟ قال : أوَّلَ الليلِ . قال : فأنا رأيْتُه فى آخرِه ، فقال : إذا جاءكَ

---

(١) فى الأصل : « اليونانى » ، وفى ص : « التومانى » ، وفى م : « التويانى » . والمثبت من مرآة الزمان ٨/ ١/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩١.

(٢) الكامل ١٢/ ١٠٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٢١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٢.

(٣) الكامل ١٢/ ١٠٢، ومرآة الزمان ٨/١/ ٤٢٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٤٧.

رجلٌ مِن صفتِه كذا وكذا ، فطلَب منك شيئًا ، فلا تُعْطِه . فأدبَرَ الرجلُ موليًا ، فاستدعاه ووهَبه شيئًا . ومِن شعرِه فيما أوردَه ابنُ الساعى ، وقد تقدَّم لغيرِه[1] :

ولما سبَرْتُ الناسَ أطلبُ منهمُ ... أخا ثِقَةٍ عندَ اعتراضِ الشَّدائدِ
وفكَّرْتُ فى يومَىْ سرورِى وشِدَّتِى ... ونادَيْتُ فى الأحْياءِ هل مِن مُساعِدِ
فلم أرَ فيما ساءَنِى غيرَ شامِتٍ ... ولم أرَ فيما سرَّنِى غيرَ حاسِدِ

يحيى بنُ سعيدِ بنِ غازى ، أبو العباسِ البصرىُّ ، صاحِبُ « المقاماتِ » ، كان شاعرًا أديبًا فاضلًا بليغًا ، له اليدُ الطُولَى فى اللغةِ والنَّظْمِ ، ومِن شعرِه قولُه :

غناءُ خُودٍ ينْسابُ لُطْفًا ... بلا عَناءٍ فى كلِّ أُذْنِ
ما ردَّهُ قطُّ بابُ سمعٍ ... ولا أَتَى زائرًا بإذْنِ

السَّيِّدَةُ زُبَيْدَةُ[2] **بنتُ الإمامِ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ** ، أختُ المستنجدِ ، وعمَّةُ المُسْتَضِىءِ ، كانت قد عُمِّرت دهرًا طويلًا ، ولها صدقاتٌ كثيرةٌ دارّةٌ ، وقد تزوَّجها فى وقتٍ السلطانُ مسعودٌ على صداقِ مائةِ ألفِ دينارٍ ، فتُوفِّى قبلَ أن يدخُلَ بها ، وقد كانت كارِهَةً لذلك ، فحصَل مقصودُها .

الشَّيْخَةُ الصالحةُ فاطِمةُ خاتون بِنْتُ محمدِ بنِ الحسَنِ العَمِيدِ ، كانتْ صالحةً عابدةً زاهِدةً ، عُمِّرتْ مائةَ سنةٍ وستَّ سِنينَ ، كانَ قد تزَوَّجَها فى وَقْتٍ أميرُ الجيوشِ نَظَرٌ وهى بِكرٌ ، فبَقِيت عندَه إلى أن تُوفِّى ولم تتزَوَّجْ بعدَه ، بلِ اشْتَغَلتْ بذِكْرِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، والعبادةِ ، رحِمَها اللَّهُ .

وفى هذه السنةِ أنْفَذ الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ العبَّاسِىُّ إلى الشَّيْخِ أبى الفَرَجِ

---

(١) تقدم فى ص ٣٥٦ .
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٣٢٤ ، والوافى بالوفيات ١٤/١٧٨ .

ابنِ الجَوْزِىِّ يطْلُبُ منه أنْ يزيدَ على أبْياتِ عَدِىِّ بنِ زيدِ المشْهُورَةِ ما يُناسِبُها مِن الأشعارِ، ولو بلَغ ذلك عَشْرَ مُجَلَّداتٍ، وهى هذِه الأبْياتُ[1]:

أيُّها الشامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْـ ... ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ الموْفُورُ
أم لدَيْكَ العَهدُ الوَثيقُ مِن الْـ ... ـأيامِ، بلْ أنتَ جاهِلٌ مغرورُ
مَنْ رأيْتَ المَنُونَ خلَّدْنَ أمْ مَنْ ... ذا عليه مِن أنْ يُضامَ خَفِيرُ
أينَ كِسْرى كِسْرى المُلوكِ أبُو سا ... سانَ أمْ أينَ قبلَه سَابُورُ
وبنُو الأصْفَرِ المُلوكُ ملُوكُ الرُّ ... ومِ لم يَبْقَ منهمُ مذْكورُ
وأخُو الحَضْرِ إذْبنَاهُ وإذ دِجْـ ... ـلَةُ تُجْبَى إليه والخابُورُ
شَادَه مَرْمَرًا وجَلَّلَه كِلْـ ... ـسًا فللطَّيْرِ فى ذُرَاه وُكُورُ
لم تَهَبْه ريبُ المَنُونِ فزَال الـ ... ـملكُ عنه فبابُه مهْجورُ
وتذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذا أشْـ ... ـرَفَ يومًا وللهُدى تفكيرُ
سرَّهُ حالُهَ وكثْرَةُ ما يمْـ ... ـلِكُ والبحرُ مُعْرِضًا والسَّدِيرُ
فارْعَوَى قلْبُهُ وقالَ وما غِبـ ... ـطَةُ حىٍّ إلى المماتِ يصِيرُ
ثمَّ بعدَ الفلَاحِ والمُلْكِ والإمَّـ ... ـةِ[2] وارَتْهُمُ هناكَ القُبورُ
ثمَّ أضْحَوْا كأنَّهم وَرَقٌ جَـ ... ـفَّ فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبُورُ
غيرَ أنَّ الأيَّامَ تخْتَصُّ بالمرْ ... ءِ وفيها لَعْمرِى العِظاتُ والتفكيرُ

---

(١) الأبيات فى الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥، ٢٢٦، والأغانى ٢/ ١٣٨، ١٣٩.

(٢) فى النسخ: «الأمر»، والمثبت من مصدرى التخريج. والإمة، بالكسر: النعيم والملك. اللسان (أ م م).

ثم دخَلَتْ سنةُ تِسْعِينَ وخمسِمائةٍ

لمَّا اسْتَقَرَّ المَلِكُ الأفْضَلُ بنُ صلاحِ الدِّين مَكانَ أبيه بدِمَشْقَ، بعَثَ بهَدايا سَنيَّةٍ فيها تُحَفٌ شريفةٌ إلى بابِ الخلافةِ[1]؛ مِن ذلكَ سِلاحُ أبِيه، وحصانُه الذى كانَ يحْضُرُ عليه الغَزَواتِ، وأشياءُ كثيرةٌ؛ منها صَليبُ الصَّلَبُوتِ الذى اسْتَلَبَه أبُوه مِنَ الفِرنْجِ يومَ حِطِّينَ، وفيه مِن الذَّهبِ ما يَنِيفُ على عِشْرينَ رِطْلًا، وهو مُرصَّعٌ بالجواهرِ النَّفِيسَةِ، وأرْبَعُ جَوارٍ مِن بَناتِ مُلوكِ الفِرنْجِ، وأنْشأَ له العِمادُ الكاتبُ كتابًا حافِلًا يذْكُرُ فيه التَّعْزِيَةَ بأَبِيه، والسُّؤالَ مِن الخليفةِ أنْ يكونَ فى مُلكِه مِن بعْدِه؛ فأُجيبَ إلى ذلك.

ولمَّا كان شَهْرُ جُمادَى الأُولَى قَدِمَ العزيزُ صاحِبُ مِصرَ إلى دِمشقَ[2]؛ ليأْخُذَها مِن أخِيه الأفْضَلِ، فخيَّم على الكُسْوَةِ[3] يومَ السَّبْتِ سادسِ جُمادَى، وحاصَرَ البلَدَ، فمانَعَه أخُوه ودَافَعه عنها، فقُطِعَت الأنْهارُ ونُهِبَتِ الثِّمارُ، واشْتدَّ الحالُ، ولم يَزَلِ الأمْرُ كذلك حتى قدِم العادِلُ - عمُّهما - فأَصْلَحَ بيْنَهما، ورَدَّ الأَمْرَ للأُلْفَةِ بعدَ اليمينِ على أنْ يكونَ للعزيزِ القُدْسُ وما جاوَرَ فِلَسْطينَ مِن ناحِيَتِه أيضًا، وعلى أنْ يكونَ جبَلَةُ واللَّاذِقِيَّةُ للظَّاهِرِ صاحبِ حَلَبَ، وأنْ يكونَ لعَمِّهما العادِلِ إقْطاعُه الأوَّلُ ببلادِ مِصْرَ مُضافًا إلى ما بيَدِه مِن الشَّامِ[4] [٩/٣١٥و]

---

(١) فى الأصل، م: «الخليفة الناصر»، وانظر الروضتين ٢/ ٢٢٥، والفتح القسى ص ٦٥٠.

(٢) الكامل ١٢/ ١٠٩.

(٣) الكُسْوَةُ: قرية هى أول منازل القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.

(٤) فى ص: «مملكة الكرك والشوبك رباط».

والجزيرَةِ ؛ كحرَّانَ والرُّها وجعبرَ وما جاوَرَ ذلك ، فاتَّفَقُوا على ذلك ، وتزَوَّجَ العزيزُ بابْنَةِ عمِّه العادِلِ ، ومرِضَ ثم عُوفِيَ وهو مخيِّمٌ ، بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وخرَجَتِ المُلُوكُ لتَهْنِئَتِهِ بالعافيةِ والتَّزْويجِ والصُّلحِ ، ثم كرَّ راجعًا إلى مِصرَ لطُولِ شَوْقِه إلى أهْلِه وأوْلادِه .

وكانَ الأفْضَلُ بعدَ موتِ أبِيه قد أساءَ التَّدْبيرَ فأبعدَ أمَراءَ أبِيه وخَواصَّه ، وقرَّبَ الأجانِبَ ، وأقْبلَ على شُرْبِ المُسْكِرِ واللَّهْوِ واللَّعبِ ، واسْتَحوذَ عليه وزيرُه ضِياءُ الدِّينِ بنُ الأَثِيرِ الجَزَرِيُّ ، وهو الذى كان يحْدُوه إلى ذلك ، فتَلِفَ وأتْلَفَه ، وأَضَلَّ وأضلَّه ، وزالَتِ النِّعمَةُ عنهما ، كما سيأْتى .

وفيها كانتْ وقْعَةٌ عظِيمَةٌ بينَ شِهَابِ الدينِ مَلِكِ غَزْنَةَ وبينَ كُفَّارِ الهِنْدِ[1] ؛ أقْبَلُوا إليه فى ألْفِ ألْفِ مُقاتلٍ ، ومعهم سَبْعُمائَةِ فِيلٍ ، منها فيلٌ أبْيَضُ لم يُرَ مثْلُه ، فالْتَقَوا فاقْتَتلُوا قِتالًا شدِيدًا لم يُرَ مثْلُه ، فهزَمَهم شِهَابُ الدينِ عندَ نهرٍ عظيمٍ يقالُ له : ماجونُ[2] . وقَتَلَ مَلِكَهم ، واسْتَحوذَ على حَواصِلِه وحَواصِلِ بلادِه ، وغَنِمَ فِيَلَتَهم ، ودخَلَ بلَدَ الملكِ الكُبرَى ، فحمَل مِن خِزانَتِه ذهبًا وغيرَه على ألْفِ وأربعِمائَةِ جَمَلٍ ، ثم عادَ إلى بلادِه سالمًا مَنْصُورًا .

وفيها مَلَكَ السُّلْطانُ خُوارِزْم شَاه تِكِشُ - ويقالُ له : ابنُ الأصْباعِيِّ - بلادَ الرَّيِّ وغيرَها ، واصْطلَحَ مع السُّلْطانِ طُغْرُلَ السلجُوقيِّ ، وكان قد تسلَّمَ بِلادَ الرَّيِّ وسائرَ مَمْلَكَةِ أخِيه سُلْطان شَاه وخزائِنَه ، وعَظُمَ شأنُه ، ثم التقَى هو والسلطانُ طُغرُلُ فى رَبِيعِ الأوَّلِ مِن هذه السَّنَةِ ، فقَتَلَ السُّلْطانَ طُغرُلَ ، وأرْسَل

---

(١) الكامل ١٢/ ١٠٥.

(٢) فى النسخ : « الملاحون » . والمثبت من الكامل ١٢/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩٢. قال ابن الأثير : وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل .

رأسَه إلى الخليفةِ ، فعُلِّقَ على بابِ النوبَةِ عدَّةَ أيامٍ ، وأرْسَلَ الخليفةُ الخِلَعَ والتَّقاليدَ إلى السُّلطانِ خُوارِزْم شَاه ، وملَك هَمَذانَ وغيرَها مِن البَلادِ المُتَّسِعَةِ .

وفيها نقَمَ الخليفةُ على الشيخِ أبى الفَرَجِ بنِ الجَوْزِىِّ وتغضَّب عليه ، ونفَاه إلى وَاسِطٍ ، فمَكَثَ خَمْسَةَ أيامٍ لم يستطعِمْ بطعامٍ ، وأقام بها خَمْسةَ أعْوامٍ يخْدُمُ نفْسَه ويسْتَقِى مِن بئرٍ عميقةٍ لنفْسِه الماءَ ، وكانَ شيْخًا كبيرًا قد بلَغ ثمانِينَ سنَةً ، وكان يتْلُو فى كلِّ يومٍ وليلةٍ خَتْمةً ، قال[1] : ولم أقْرَأْ سورةَ يُوسُفَ لوَجْدِى على ولَدِى يُوسُفَ ، إلى أن فرَّجَ اللَّهُ . كما سيأْتى إنْ شاء اللَّهُ .

وفيها تُوفِّى مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ يُوسُفَ ، أبو الخَيْرِ القَزْوِينِىُّ[2] ، الشَّافعىُّ المُفَسِّرُ ، قَدِمَ بغْدَادَ ، ووَعَظَ بالنِّظامِيَّةِ ، وكان يذْهَبُ إلى قَوْلِ الأشْعَرِىِّ فى الأُصولِ ، وجلَس فى يومِ عاشُوراءَ ، فقيلَ له : الْعَنْ يزِيدَ بنَ مُعاوِيَة . فقال : ذاكَ إمامٌ مُجْتَهِدٌ ، فرَمَاه الناسُ بالآجُرِّ فاخْتَفى ، ثم هرَبَ إلى قَزْوِينَ .

ابنُ الشَّاطِبىِّ ؛ ناظِمُ الشّاطِبِيَّةِ ، أبو محمدٍ القاسِمُ بنُ فِيرُّه[3] **بنِ أبى القاسِمِ خَلَفِ بنِ أحمدَ ، الرُّعَيْنىُّ الشاطِبىُّ** الضَّرِيرُ ، مُصَنِّفُ الشَّاطِبيَّةِ فى القَراءَاتِ السَّبعِ ، فلم يُسْبَقْ إليها ولا يُلحَقُ فيها ، وفيها مِن الرُّموزِ كُنوزٌ لا يهْتَدِى

---

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٣٩.

(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٦٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٥٣.

(٣) فى م : «قسيرة» ، وفى ص : «نميرة» . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٦/ ٢٩٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٨٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٧٠.

إليها إلَّا كلُّ ناقدٍ بَصِيرٍ ، هذا مع أنَّه ضَرِيرٌ ، وُلِدَ سنَةَ ثَمانٍ وثَلاثِينَ وخَمسِمائةٍ ، وشاطِبَةُ بلَدُه قريةٌ شَرْقِىَّ الأنْدَلُسِ[1] ، [٩/ ٣١٥ظ] كانَ فقيرًا ، وقد أُرِيدَ أن يَلِىَ خِطابَةَ بلَدِه فامتَنعَ مِن ذلك ؛ لأجْلِ مُبالغَةِ الخُطَباءِ على المَنابرِ فى وَصْفِ المُلُوكِ .

خرَج الشَّاطِبىُّ إلى الحجِّ ، فقدِمَ الإسْكَنْدَرِيَّةَ سنَةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ وخَمْسِمائةٍ ، وسمِع على السِّلَفىِّ الحافظِ ، ووَلَّاه القاضى الفاضلُ مشْيَخَةَ الإقْراءِ بمدْرسَتِه ، وزارَ القُدْسَ الشريفَ وصامَ به شَهْرَ رَمضانَ ، ثم رجَعَ إلى القاهرةِ ، فكانتْ وَفاتُه بها فى جُمادَى الآخِرَةِ مِن هذه السَّنَةِ ، ودُفِنَ بالقَرافةِ بالقُرْبِ مِن التُّرْبَةِ الفاضِلِيَّةِ ، وكانَ دَيِّنًا خاشعًا ناسِكًا كثيرَ الوقارِ ، لا يتَكلَّمُ فيما لا يعْنِيه ، وكان يتَمثَّلُ كثيرًا بهذه الأبياتِ ، وهى لُغْزٌ فى النعْشِ ، وهى لغيرِه[2] :

أتَعْرِفُ شيئًا فى السَّماءِ يطِيرُ ... إذا سارَ صاحَ[3] الناسُ حيثُ يسِيرُ
فتَلْقاهُ مركُوبًا وتَلْقاه راكبًا ... وكلُّ أميرٍ يعْتَليه أسِيرُ
يحُثُّ على التَّقْوَى ويُكْرَهُ قرْبُه ... وتَنْفِرُ منه النفسُ وهْو نَذِيرُ
ولم يُسْتَزَرْ عن رغبةٍ فى زيارَةٍ ... ولكِنْ على رَغْمِ المَزورِ يزُورُ

---

(١) فى ص : « الملوك » .
(٢) الأبيات فى وفيات الأعيان ٤/ ٧٢، وقد نسبها ابن خلكان لأبى زكريا يحيى بن سلامة الحصكفى .
(٣) فى الأصل ، م : « هاج » .

ثم دخلت سنةُ إحدى وتسعين وخمسِمائةٍ

فيها[1] كانت وَقْعَةُ الزّلّاقَةِ ببلادِ الأندلُسِ شَمَالىَّ قُرْطُبَةَ ، بمَرْجِ الحَديدِ ، كانت وَقْعةً عظيمةً ، نصر اللَّهُ فيها الإسلامَ وخذَل فيها عبدةَ الصُّلْبانِ ، وذلك أنَّ الفُنْشَ[2] مَلِكَ الفِرنْجِ ببلادِ الأنْدَلُسِ - ومَقَرُّ ملكِه بمدِينَةِ طُلَيْطُلَةَ - كتَب إلى الأميرِ يَعْقُوبَ بنِ يُوسُفَ بنِ عبدِ المُؤْمِنِ مَلِكِ المغْرِبِ يَسْتَنْخِيه ويَسْتَدعِيه ويَسْتحثُّه إليه ، فى كلامٍ طويلٍ فيه تَأْنِيبٌ وتَهْديدٌ ووَعِيدٌ شَديدٌ ، فكتَب السُّلْطانُ يَعْقُوبُ بنُ يُوسُفَ فى رأْسِ كتابِه فوق خَطِّه : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل : ٢٧] . ثم نهَض مِن فوْرِه بجُنودِه وعسَاكرِه ، حتى قطَع الزُّقاقَ إلى الانْدَلُسِ ، فالْتقَوا فى المكانِ المتقدِّمِ ذكرُه ، فكانتِ الدَّائرةُ أوَّلًا على المسلمين ، فقُتِل منهم عشْرونَ ألْفًا ، ثم كانت أخِيرًا على الكافرين ، فهزَمهم اللَّهُ وكسَرهم وخذَلَهم أقْبحَ كسْرةٍ ، وشرَّ هزيمةٍ وأشنَعَها ، فقُتِلَ منهم مِائَةُ ألْفٍ وثلاثةٌ وأربعون ألفًا ، وأُسِر منهم ثَلاثَةَ عشرَ ألْفًا ، وغَنِم المسلمون منهم شيئًا كثيرًا ؛ مِن ذلك مِائةُ ألفِ خَيْمَةٍ وثلاثَةٌ وأرْبَعونَ خيْمةً ، ومِنَ الخَيْلِ سِتَّةٌ وأرْبَعُونَ ألْفَ فرَسٍ ، ومِن البِغالِ مائةُ ألْفِ بغْلٍ ، ومِن الحُمُرِ مثلُها ، ومِن السِّلاحِ التَّامِّ سبعون ألْفًا ، ومِن العُدَدِ شىءٌ كثيرٌ ، وملَك عليهم مِن حصُونِهم شيئًا كثيرًا ، وحاصَر مدِينَتَهم طُلَيْطُلَةَ مدَّةً ، ثم لم يفتَحْها ،

---

(١) الكامل ١٢/ ١١٣.

(٢) فى م : « القيش » . وانظر الكامل ١٢/ ١١٣، وتاريخ الإسلام . (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٨.

فانفصَل عنها راجِعًا إلى بلادِه .

ولمَّا حصَل للفُنْشِ ما حصَل حلَق رأْسَه ولحْيَته ، ونكَّس صليبَه وركِب حِمارًا ، وحلَف لا يرْكبُ فرَسًا ولا يتَلذَّذُ بطَعامٍ ، ولا ينامُ مع امْرأَةٍ حتَّى تنْصُرَه النَّصْرانِيَّةُ ، فجمَع مِن الجُنُودِ ما لا يعلَمُه إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فاسْتَعدَّ له السُّلْطانُ يَعْقُوبُ ، فالتقيا فاقتتلا قِتالًا عظيمًا ، فانهزَم الفِرنْجُ أقبَحَ مِن هزِيمتِهم الأُولى ، وغَنِمُوا منهم نظِيرَ ما تقدَّم ذكْرُه أو أكثرَ ، واستحوذَ السُّلطانُ على كثيرٍ مِن مَعاقِلِهم وقِلاعِهم - وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ - حتَّى قيل : إنَّه بِيعَ الأسيرُ بدِرْهَمٍ ، والحصَانُ بخَمْسَةِ دَراهِمَ ، والخيْمَةُ [٣١٦/٩و] بدرْهمٍ والسيفُ بنصفِ درْهَمٍ ، ثم قسَم السُّلْطانُ هذه الغَنائمَ على الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ ، فاستغنى المُجاهِدون إلى الأبَدِ ، ثم طلَب الفِرنْجُ مِن السُّلطانِ الأمانَ ، فهادَنهم على وضْعِ الحربِ خمسَ سِنين ، وإنَّما حملَه على ذلك أنَّ رجُلًا يقالُ له : عليُّ بنُ إسحاقَ المَيُورقيُّ[1] الذى يُقالُ له : المُلَثَّمُ[2] . ظهَر ببلادِ إفريقيَّةَ فأحدَث أمُورًا فظِيعَةً فى غَيْبَةِ السُّلْطانِ واشْتِغالِه بقِتالِ الفِرنجِ مُدَّةَ ثَلاثِ سِنين ، وظهَر هذا المارِقُ الميورقيُّ بالبادِيَةِ ، وعاث فى الأرضِ فسادًا ، وقتَل خَلْقًا كثيرًا ، وتَملَّك بلادًا .

وفى هذه السَّنَةِ والتى قبلَها اسْتَحوذَ جيشُ الخليفةِ على بلادِ الرَّيِّ وأصْبَهانَ وهَمَذانَ وخُوزسْتانَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقَوِى جانبُ الخِلافةِ على الملوكِ والمَمالكِ . وفيها خرَج العزيزُ مِن مِصْرَ قاصِدًا دِمَشْقَ ليأْخُذَها مِن يَدِ أخِيه الأفْضَلِ ، وكان الأفضلُ قد تاب وأناب وأقلَع عمَّا كان فيه مِن الشَّرابِ واللَّهْوِ

---

(١) فى الأصل : « التوزنى » ، وفى م : « التوزى » ، وانظر الكامل ١٢/ ١١٦.
(٢) فى الأصل ، وم : « المكلثم » .

واللعبِ ، وأقبَل على الصِّيامِ والصَّلاةِ ، وشرَع بكتابةِ مُصْحَفٍ بيَدِه ، وحَسُنَتْ طرِيقَتُه ، غيرَ أنَّ وَزِيرَه الضِّيَاءَ الجَزْرِىَّ يُفْسِدُ عليه دَوْلَتَه ، ويكَدِّرُ عليه صفوتَه ، فلمَّا بلَغ الأفضلَ إقْبَالُ أخِيه نحوَه سار سريعًا إلى عمِّه العادِلِ وهو بجَعْبَرَ فاسْتَنْجدَه ، فسار معه وسبَقه إلى دِمَشْقَ ، وراح الأفْضَلُ أيضًا إلى أخِيه الظَّاهرِ بحَلَبَ ، فسارا جميعًا نحوَ دمشْقَ ، فلمَّا سمِع العزيزُ بذلك ، وقد اقترَب مِن دِمَشْقَ ، كَرَّ راجعًا سرِيعًا إلى مِصْرَ ، وركِب وراءَه العادلُ والأفْضَلُ ليأخُذا منه ديارَ مِصْرَ ، وقد اتَّفقَا على أنْ يكونَ ثُلُثُ مِصْرَ للعادِلِ وثُلُثَاها للأَفْضَلِ ، ثمَّ بدا للعادِلِ فى ذلك ، فأرسَل للعزِيزِ يُثَبِّتُه ، وأقبَل على الأفضلِ يُثَبِّطُه ، وأقاما على بُلْبَيسَ أيامًا حتى خرَج إليهما القاضى الفاضلُ مِن جهةِ العزيزِ ، فوقَّع الصُّلْحَ بينهما على أنْ يَرْجِعَ القُدْسَ ومعَامَلتَها للأفْضَلِ ، ويستَقِرَّ العَادِلُ مُقيمًا بمصْرَ على إقْطاعِه القديمِ ، فأقام العادِلُ بها طمَعًا فيها ورجَع الأفْضَلُ[1] إلى دِمَشْقَ بعدما خرَج العزيزُ لتَوْديعِه ، وهى هُدْنَةٌ على قَذًى ، وصُلْحٌ على دَخَنٍ .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

علىُّ بنُ حَسَّانَ بنِ مُسَافرٍ[2] أبو الحسَنِ ، الكاتبُ البَغْدادِىُّ ، كان أديبًا شاعِرًا ، من شعْرِه قولُه :

نفى رُقَادِى ومَضَى ... بَرْقٌ بسَلْعٍ[3] وَمَضَا
لاحَ كما سَلَّتْ يَدُ الـ ... أسْودِ عَضْبًا[4] أبْيَضَا

---

(١) فى م : « العادل » . وانظر الكامل ١٢/ ١٢٠.
(٢) فى م : « سافر » . وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٦٩.
(٣) السلع : الشق فى الجلد .
(٤) فى الأصل : « عضًا » ، والعضب : السيف . اللسان (ع ض ب) .

كـأَنَّـهُ الأشْـهُـبُ فـى الـنَّـقْـعِ إذا مـا ركَـضَـا
يبدو كما تخْتلِفُ الرِّ يحُ على جَمْرِ الغَضَا
فَتحْسَبُ الزنْجِيَّ[1] أبـ ـدى نـظـرًا وغـمَّـضَـا
أو شُـعْـلَـةُ الـنـارِ عـلَا لَـهِـيـبُـهـا وانْـخـفَـضَـا
آهٍ لـه مِـن بـارِقٍ ضـاءَ عـلـى ذاتِ الأضـا
أذْكَـرنـى عـهـدًا مـضَـى عـلـى الـغُـوَيـرِ وانـقْـضَـى
فـقـال لـى قـلْـبِـى أتُـو صِـى حـاجَـةً وأعْـرَضَـا
يـطـلـبُ مـن أمـرَضَـه فـديـت ذاك المُمْـرِضَـا
يـا غـرَضَ الـقـلْـبِ لـقـد غـادرتَ قـلـبـى غـرَضَـا
لأسـهـمٍ كـأنَّمـا يُـرْسِـلُـهـا صَـرْفُ الـقَـضَـا
فـبـتُّ لا أرْتَـابُ فـى أنَّ رُقـادِى قـد قَـضـى
حـتـى قـفـا الـلـيـلُ وكـادَ الـلـيـلُ أن يـنـقـرِضَـا
وأقـبَـلَ الـصـبـحُ لأطْـ ـرافِ الـدُّجـا مُـبـيِّـضـا
وسلَّ فى الشَّرْقِ على الـ ـغـرْبِ ضـيـاءً وانْـقـضَـى

---

(١) فى الأصل : « الريح » .

ثم دخلت سنة ثِنْتَين وتسعين وخَمسِمائةٍ

فى رجبٍ منها[1] أقبَل العزيزُ صُحْبةَ عمِّه الملكِ العادِلِ فى عساكرَ، فدخَلا دِمشْقَ قهْرًا، وأخرَجا منها الأفضلَ ووزِيرَه الذى أساء تدْبيرَه، وصلَّى العزيزُ عندَ تُرْبةِ والدِه الملكِ الناصرِ صَلاحِ الدينِ، وخُطِبَ له بدِمَشْقَ، ودخَل إلى القَلْعةِ المنْصُورةِ وجلَس فى دارِ العَدْلِ للحُكْمِ والفصْلِ، كلُّ هذا وأخُوه الأفضلُ حَاضِرٌ عندَه فى الخِدْمةِ، وأمر القاضِىَ مُحيىَ الدِّينِ بنَ الزكىِّ بتأسيسِ المدْرسَةِ العَزِيزيَّةِ إلى جانبِ تُرْبَةِ أبيه، وكانت دارًا للأميرِ عزِّ الدِّينِ شامةَ، ثم اسْتَناب على دِمشقَ عمَّه الملكَ العادِلَ، ورجَع إلى مِصرَ يومَ الاثنينِ تاسِعَ شعبانَ[2]، والسِّكَّةُ والخُطْبَةُ له، وصُولِح الأفضلُ عن دمشقَ على صَرْخَدَ، وهرَب وزِيرُه ابنُ الأثيرِ الجزْرِىُّ إلى جزِيرتِه[3]، وقد أتلَف نفسَه ومُلْكَه بجَرِيرَتِه، وانتقَل الأفْضَلُ إلى صَرْخَدَ بأهْلِه وأوْلادِه وأخِيه قُطْبِ الدِّينِ.

وفى هذه السَّنةِ هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ سوداءُ مُدْلَهِمَّةٌ بأرضِ العِراقِ، ومعها رَملٌ أحمرُ، حتى احتاج الناسُ إلى السُّرُجِ بالنَّهارِ، وفيها وَلِى قِوامُ الدِّينِ أبو طالبٍ يحيى بنُ سعيدِ[4] بنِ زِيادَةَ كِتابَ الإنْشاءِ ببغدادَ، وكان بليغًا، وليس هو كالفاضِلِ، وفيها درَّسَ مُجِيرُ الدينِ أبو القاسِم محمودُ بنُ المُبارَكِ بالنِّظامِيَّةِ،

---

(١) الكامل ١٢/١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠.

(٢) فى م: «شوال».

(٣) هى جزيرة ابن عمر، من أعمال الموصل.

(٤) فى م: «سعد».

وكان فاضِلًا مُناظِرًا .

وفيها قُتِل رئيسُ الشَّافِعِيَّةِ بأَصْبَهانَ **صدرُ الدينِ محمدُ**[1] **بنُ عبدِ اللَّطيفِ ابنِ محمدِ** [2]**بنِ عبدِ اللطيفِ**[2] **بنِ ثابتٍ الخُجَنْدِيُّ** ، قتَلَه فَلَكُ الدِّينِ سُنقُرُ الطَّويلُ ، وكان ذلك سببَ زَوالِ مُلْكِ أصْبهانَ عن الدِّيوانِ .

وفيها مات الوَزيرُ ؛ وزيرُ الخِلافةِ :

مُؤَيَّدُ الدِّينِ أبو الفَضْلِ[3] **محمدُ بنُ عليِّ بنِ القَصَّابِ** ، وكان أبوه يبيعُ اللَّحْمَ فى بعْضِ أسْواقِ بغْدادَ ، فتقدَّم وساد أهلَ زمانِه . وكانت وفاتُه بهَمَذَانَ وقد أعاد رسَاتِيقَ كثيرةً مِنْ بلادِ العِرَاقِ وخُرَاسَانَ وغيرِها إلى دِيوانِ الخلافةِ ، وكان ناهِضًا ذا هِمَّةٍ عَاليةٍ ، وله صَرَامةٌ وشَهَامةٌ وشِعْرٌ جيِّدٌ .

وفيها تُوفِّى : الفَخْرُ محمودُ بنُ عليٍّ النَّوْقَانِيُّ[4] **الشَّافعيُّ** ، عائدًا مِن الحجِّ .

والشَّاعرُ : أبو الغَنَائمِ محمدُ بنُ عليِّ بنِ المُعَلِّمِ الهُرْثِيُّ[5] مِن قُرى واسِطٍ ، عن إحْدَى وتِسْعينَ سنةً ، وكانَ شاعِرًا فصِيحًا ، وكانَ ابنُ الجَوْزِيِّ يَستَشْهِدُ فى

---

(١) فى النسخ : « محمود » . وكذا ورد فى الكامل ١٢/ ١٢٤. والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : ذيل الروضتين ص ١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٠٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٣٣.

(٢ - ٢) ليس فى النسخ وهو مثبت من مصادر الترجمة .

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٤٥٠، وذيل الروضتين ص ٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ١١١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٨.

(٤) فى الأصل ، م : « التوقانى » . وانظر ترجمته فى الكامل ١٢/ ١٢٤ وفيه : « القوفانى » . وفى إحدى نسخه كالمثبت هنا ، وكتاب الذيل على الروضتين ص ١٠ كالمثبت هنا . وانظر الأنساب ٥/ ٥٣٧.

(٥) معجم البلدان ٤/ ٩٥٩، والكامل ١٢/ ١٢٤، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٥١، وذيل الروضتين ص ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٠٧، والعبر ٤/ ٢٧٩، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٥.

مجالسِه بشيءٍ مِن لطائفِ أشْعارِه[1] ، [2]وقد أوْرَدَ ابنُ الساعِى قِطْعةً جيِّدةً مِن شعرِه الحسنِ المليحِ[2] .

وفيها تُوفِّى **الفَقِيهُ أبو الحَسَنِ علىُّ بنُ سعيدِ بنِ الحسَنِ البَغْدادِىُّ المعْروفُ بابْنِ العَرِّيفِ**[3] ، ويلَقَّبُ بالبَيْعِ الفاسِدِ ، كانَ حَنْبَلِيًّا ثم اشْتغَل شافِعِيًّا على أبى القاسِم بنِ فضلانَ ، وهو الذى لقَّبه بذلك لكَثْرَةِ تَكْرارِه على هذه المَسْأَلَةِ بيـنَ الشَّافِعِيَّةِ والحَنَفِيَّةِ ، ويقالُ[4] : إنَّه صارَ بعدَ هذا كلِّه إلى مَذْهبِ الإمامِيَّةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها تُوفِّى **الشَّيْخُ أبو شُجَاعٍ**[5] **محمدُ بنُ علىِّ بنِ شُعَيْبٍ**[6] **بنِ الدَّهّانِ الفَرَضِىُّ الحاسِبُ المؤَرِّخُ البَغْدادِىُّ** ، قَدِم دِمَشْقَ ، وامْتدَحَ الشيخَ أبا اليُمنِ الكِنْدِىَّ زَيْدَ بنَ الحسَنِ ، فقال[7] :

يا زَيْدُ زادَكَ رَبِّى مِن مَواهبِهِ ... نَعْمَاءَ يَقْصُرُ عن إدْراكِها الأمَلُ
لا بدَّلَ اللَّهُ حالًا قد حباكَ بها ... ما دارَ بيـنَ النُّحاةِ الحالُ والبَدَلُ
النَّحْوُ أنتَ أحقُّ العالَمِيـنَ بهِ ... أليْسَ باسمِكَ فيه يُضْرَبُ المثَلُ

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٥.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠٠، والوافى بالوفيات ٢١/ ١٣٤.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٠٠، عن ابن النجار مجزومًا به.

(٥) فى الأصل: «أبو إسحاق».

(٦) فى الأصل، م: «مغيث». وانظر ترجمته فى: إنباه الرواة ٣/ ١٩١، وذيل الروضتين ص ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٩١، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٤، ومرآة الجنان ٣/ ٤٦٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٩، وبغية الوعاة ١/ ١٨٠.

(٧) الأبيات فى إنباه الرواة ٣/ ١٩٢، وذيل الروضتين ص ٩ دون البيت الأول، والوافى بالوفيات ٤/ ١٦٥، وبغية الوعاة ١/ ١٨١.

ثم دخلت سنةُ ثلاثٍ وتسعينَ [٩/٣١٧و] وخمسمائةٍ

فيها[١] ورَدَ كتابٌ مِن القاضِى الفاضلِ إلى ابنِ الزَّكِىِّ يخْبِرُه فيه أنَّ فى ليلةِ الجُمُعَةِ التَّاسعِ[٢] مِن جُمادَى الآخِرَةِ أتَى عارِضٌ فيه ظُلُماتٌ متكاثفةٌ، وبروقٌ خاطفةٌ، ورِياحٌ عاصفةٌ، فقَوِى لهُوبُها[٣]، واشْتَدَّ هبُوبُها، فتدافَعتْ[٤] لها أَعِنَّةٌ مُطْلَقاتٌ، وارتفَعت لها صَعَقاتٌ، فرجَفتْ لها الجُدرانُ واصْطَفَقتْ، وتَلاقَت على بُعْدِها واعْتنَقتْ، وثار بينَ السَّماءِ والأرضِ عَجاجٌ، فقيل: لعلَّ هذه على هذِه قدِ انْطبَقتْ. ولا تَحْسَبُ إلَّا أنَّ جَهَنَّمَ قد سالَ منها وادٍ، وعدا منها عادٍ، وزاد عَصْفُ الرِّيحِ إلى أنْ أطْفَأَ سُرُجَ النُّجومِ؛ ومزَّقَتْ أدِيمَ السَّماءِ، ومَحَت ما فوقَه مِن الرُّقومِ، فكُنَّا كما قال اللَّهُ تعالَى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [البقرة: ١٩] وكما قلنا: يرَدُّون أيْدِيَهم على أعْينِهم مِن البَوارقِ. لا عاصِمَ مِن الخطفِ للأبْصارِ، ولا مَلْجَأَ مِن الخَطْبِ إلَّا مَعاقلُ الاسْتِغْفارِ، وفرَّ الناسُ نِساءً ورجالًا وأطْفالًا، ونفَرُوا مِن دُورِهم خِفافًا وثِقالًا؛ لا يسْتَطيعُونَ حِيلَةً ولا يَهْتَدُونَ سبيلًا، فاعتْصَمُوا بالمساجدِ الجامِعَةِ، وأذْعَنُوا للنَّازلةِ بأعْناقٍ خاضِعَةٍ، بوُجُوهٍ عانِيَةٍ، ونفُوسٍ عن الأهْلِ والمالِ ساليةٍ، ينْظرُونَ مِن طرفٍ

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٢. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٦.

(٢) فى الروضتين: «ثامن عشر». وفى تاريخ الإسلام: «تاسع عشر». فاللَّه أعلم.

(٣) فى الأصل، م: «الجوُّ بها». وانظر الروضتين ٢/ ٢٣٢. ومن المجاز: ألهَب البرقُ إذا تتابع وتدارك لمعانه حتى لا يكون بين البرقتين فرجة. التاج (ل هـ ب).

(٤) فى الأصل، م: «قد أثبت». وانظر الروضتين ٢/ ٢٣٢.

خَفِيٍّ ، ويتوَقَّعُونَ أىَّ خَطْبٍ جَلِيٍّ ، قد انقطَعتْ مِن الحياةِ عُلَقُهم[1] ، وعَمِيَتْ عنِ النَّجاةِ طُرقُهم ، ووَقَعتِ الفِكْرَةُ فيما هم عليه قادِمُونَ ، وقامُوا إلى صلاتِهم ووَدُّوا لو كانُوا مِن الذين هم عليها دائمُونَ ، إلى أن أذِنَ اللَّهُ فى الركودِ ، وأَسْعَف الهاجِدين بالهُجودِ ، وأصْبَح كلٌّ يُسَلِّمُ على رفيقِه ، ويُهَنِّيه بسَلامةِ طريقِه ، ويرَى أنَّه قد بُعِثَ بعدَ النَّفْخَةِ ، وأفاقَ بعدَ الصَّيْحَةِ والصَّرْخَةِ ، وأنَّ اللَّهَ قد رَدَّ له الكرَّةَ ، وأحْياه بعدَ أنْ كادَ يأْخُذُه على غِرَّةٍ ، ووَرَدَتِ الأخْبارُ بأنَّها قد كسَرتِ المراكِبَ فى البحارِ ، والأشْجارَ فى القِفَارِ ، وأتْلَفَتْ خلْقًا كثيرًا مِن السُّفَّارِ ، ومنهم مَنْ فَرَّ فلم ينْفَعْه الفِرارُ ... إلى أنْ قال : ولا يحْسَبُ المجْلِسُ أنِّى أرْسَلْتُ القلمَ مُحَرِّفًا والقولَ مُجَزِّفًا ، فالأمْرُ أعْظَمُ ، ولكِنَّ اللَّهَ سلَّمَ ، ونرْجُو أنَّ اللَّهَ قد أيقْظَنا بما وعظَنا ، ونبَّهنَا بما وَلَّهنا ، فما مِن عبادِه مَنْ رأَى القِيامَةَ عِيانًا ، ولم يلْتَمِسْ عليها مِن بعدِ ذلكَ بُرْهانًا إلَّا أهلُ بلَدِنا ؛ فما قَصَّ الأوَّلونَ مثْلَها فى المثُلاتِ ، ولا سبَقتْ لها سابقةٌ فى المُعْضِلاتِ ، والحمدُ للَّهِ الذى مِن فضْلِه أن جعَلَنا نُخْبِرُ عنها ، ولا تُخْبِرُ عَنَّا ، ونسْألُ اللَّهَ أنْ يصْرِفَ عنَّا عارِضَ الحِرْصِ والغُرورِ[2] إذا عَنَّا[2] .

وفيها كتَب القاضِى الفاضلُ مِن الديارِ المصريةِ إلى الملكِ العادلِ بدِمَشْقَ يحثُّه على قتالِ الفِرنْجِ ، ويشْكُرُه على ما هو بصدَدِه من مُحاربَتِهم ، وحفظِ حوْزَةِ الإسْلامِ ، فمِن ذلكَ قولُه فى بعضِ تلك الكُتبِ[3] : هذه الأوْقاتُ التى أنتُم فيها

---

(١) العُلَقُ : جمع (العُلْقة) وهى ما يتبلغ به . وانظر اللسان (ع ل ق) .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : «ولا يجعلنا من أهل الهلاك والثبور» . وانظر مصدر التخريج . وعَنَّا أى ظهَرا .

(٣) الروضتين ٢/ ٢٣٣.

عَرائسُ الأعْمارِ، وهذه النَّفقاتُ التى تجْرِى على أيْدِيكمُ مهورُ الحُورِ فى دارِ القَرارِ، وما أسْعدَ مَنْ أوْدَع يدَ اللَّهِ ما فى يدَيْه، فتلكَ نِعَمُ اللَّهِ عليه، وتوْفيقُه الذى ما كلُّ مَنْ طلَبَه وصَل إليه، وسوادُ العَجاجِ فى هذه المواقفِ بيَاضُ ما سوَّدَتْه الذُّنوبُ مِن الصَّحائفِ، فما أسْعدَ [٣١٧/٩ظ] تلك الوَقَعاتِ، وما أعْوَدَ بالطُّمأْنِينَةِ تلك الرَّجَفاتِ. وكتَب إليه أيضًا[1]: أدامَ اللَّهُ ذلك الاسْمَ تاجًا على مَفارِقِ المنابرِ والطُّروسِ، وحياةً للدُّنْيا وما فيها مِن الأجْسادِ والنُّفوسِ، وعرَّفَ المَمْلُوكَ ما عرَفه مِن الأمرِ الذى اقْتَضتْه المُشاهدَةُ، وجرَتْ به العاقبةُ [2]فى سُرورٍ[2]، ولا مَزيدَ على تَشْبِيهِ الحالِ بقوْلِه:

ألم تَرَ أنَّ المرءَ تَدْوَى[3] يَمينُهُ فيقطَعُها عَمْدًا ليَسْلَمَ سائرُهْ

ولو كانَ فيها تدْبيرٌ لكانَ موْلانا سبَقَ إليه، ومَنْ قلَم مِن الأُصْبَعِ ظُفْرًا فقد جلَبَ إلى الجسدِ بفِعْلِه نَفْعًا، ودفعَ عنه ضَرًّا.

وتجشُّمُ المكْروهِ ليْسَ بضائرٍ ما خِلْتَهُ سببًا إلى المحْمودِ

وآخِرُ كُلِّ شِقْوَةٍ أوَّلُ كلِّ غزْوةٍ، فلا يسْأَمْ موْلانا نِيَّةَ الرِّباطِ وفِعْلَها، وتجَشُّمَ الكُلَفِ وحَمْلَها، فهو إذَا صرَف وجْهَهُ إلى وجْهٍ واحدٍ، وهو وجْهُ اللَّهِ، صرَف اللَّهُ إليه الوُجوهَ كلَّها ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفى هذه السَّنَةِ انْقَضت مدَّةُ الهُدْنةِ التى كان عقَدها الملكُ صلاحُ الدِّينِ

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٣.

(٢ - ٢) فى ص: «فى هاروت». وفى الروضتين: «فى بيروت».

(٣) دَوِى يَدْوَى دَوًى، فهو دَوٍ: إذا هلك بمرض باطن. اللسان (د و ا).

للفِرنْجِ ، فأقْبَلوا بقضِّهم وقضِيضِهم ، فتلَقَّاهم المِلِكُ العادِلُ بمَرْجِ عكَّا فكسَرَهم وغَنِمَهم ، وفتح يَافا عَنْوَةً ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد كانُوا كتَبُوا إلى مَلِكِ الألْمانِ يسْتَنْهِضُونَه لفتْحِ بيتِ المَقْدسِ فقَدَّرَ اللَّهُ هلاكَه سريعًا ، وأخذَتِ الفِرنْجُ فى هذه السَّنَةِ بَيْرُوتَ مِن نائبِها عزِّ الدينِ شامةَ مِن غيرِ قتالٍ ولا نِزالٍ ، ولهذا قالَ بعضُ الشُّعراءِ[1] فى الأميرِ شامةَ :

سلِّمِ الحِصْنَ ما عليكَ مَلامَهْ ... ما يُلامُ الذى يَرُومُ السَّلامَهْ
فعَطاءُ الحصُونِ من غيرِ حربٍ ... سُنَّةٌ سنَّها بِبَيْروتَ شامَهْ

وماتَ فى هذه السنةِ مَلِكُ الفِرنْجِ كُنْدْهرى ؛ سقَط من شاهقٍ فماتَ ، فبقِيَتِ الفِرنْجُ كالغَنَمِ بلا راعٍ ، حتى مَلَّكُوا عليهم صاحِبَ قبْرسَ ، وزوَّجُوه بالمِلِكةِ امرأةِ كُنْدْهرى ، وجرَتْ خطُوبٌ كثيرةٌ بيْنَهم وبينَ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، ففى كلِّها يَسْتظهِرُ عليهم ويكْسِرُهم ، ويقْتُلُ خلْقًا مِن المقاتلةِ ، وللَّهِ الحمدُ . ولم يَزالُوا كذلك معه حتى طلَبُوا الصُّلحَ والمُهادنَةَ ، فعاقَدهم على ذلكَ فى السَّنةِ الآتيةِ .

وفى هذه السنةِ تُوفِّى : مَلِكُ اليَمنِ سيفُ الإسَلامِ طُغْتِكِين[2] ، أخُو السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّينِ ، وكان قد جمَع أمْوالًا جزِيلةً جدًّا ، وكان يسْبِكُ الذَّهبَ مثْلَ الطَّوَاحِينِ ويدَّخِرُه كذلك ، وقام فى المُلْكِ بعدَه ولَدُه إسْماعيلُ ، وكانَ أهْوَجَ قليلَ التَّدْبيرِ ، فحمَلَه جهْلُه على أنِ ادَّعَى أنه قُرَشِيٌّ أُمَوِيٌّ ، وتلقَّب بالهادِى ،

---

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٧.
(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٥٣، وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٢٩، وغاية النهاية ١/ ٤٦٠، ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤١.

فكتَبَ إليه عمُّه العادِلُ يَنْهاه عن ذلك ويتَهدَّدُه بسبَبِ ذلك ، فلم يَقْبَلْ منه ولا التفَتَ إليه ، بل تَمادَى فى ذلك وأساءَ إلى الأُمَراءِ والرَّعِيَّةِ ، فقُتِلَ وتَولَّى بعدَه مَمْلوكٌ مِن مَمَاليكِ أبيه .

وفيها تُوفِّى : الأَمِيرُ الكبيرُ أبو الهَيْجَاءِ السَّمِينُ الكُرْدِىُّ[1] ، كانَ مِن أكابرِ أُمراءِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدِّينِ ، وهو الذى كان نائبًا على عَكَّا ، وخرَج منها قبلَ أخْذِ الفِرنجِ ثم دخَلها بعدَ المشطوبِ ، فأُخِذتْ منه ، واسْتَنابَه صلاحُ الدينِ على القُدْسِ ، ثم لمَّا أخَذها العزيزُ عُزِل عنها ، فطُلِبَ إلى بغْدادَ ، فأُكْرِمَ إكرامًا زائدًا ، وأرْسلَه الخليفةُ مقَدَّمًا على العَساكرِ إلى هَمَذانَ ، فماتَ هناكَ .

وفيها تُوفِّى : قاضى قضاةِ بَغْدَادَ أبو طَالبٍ علىُّ بنُ علىِّ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ محمدٍ ، ابنُ البُخارِىِّ[2] ، سمِعَ الحديثَ على أبى الوقتِ وغيرِه ، وتفقَّه على أبى القاسِمِ بنِ فضْلانَ ، وتولَّى نِيابَةَ الحُكْمِ ببَغْدَادَ ، ثم اشتغَل بالمنصبِ ، وأُضِيفَ إليه فى وقتِ نيابةُ الوِزارَةِ ، ثم عُزِلَ عنِ القَضاءِ ، ثم أُعِيدَ وماتَ وهو حاكِمٌ ، نسْألُ اللَّهَ العافيةَ ، وكانَ فاضلًا بارعًا ، مِن بيتِ فِقْهٍ وعدالَةٍ ، وله شعرٌ[3] :

تَنَحَّ عنِ القَبيحِ ولا تُرِدْهُ ... ومَن أَوْلَيْتَهُ حسَنًا فزِدْهُ
سَتُكْفَى[4] مِن عدُوِّكَ كُلَّ كيدٍ ... إذا كادَ العدُوُّ ولم تَكِدْهُ

وفيها تُوفِّى : السَّيدُ الشَّريفُ نَقِيبُ الطَّالِبِيِّينَ ببَغْدَادَ أبو محمدٍ الحسَنُ بنُ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٢٥، وذيل الروضتين ص ١١، ومرآة الزمان ٤٥٨/٢/٨ (فى وفيات سنة ٥٩٤هـ).
(٢) الكامل ١٢/ ١٣٠، والتكملة لوفيات النقلة ٢/ ٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٣٨، والعبر ٤/ ٢٨٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٢٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٠.
(٣) الدر الفريد وبيت القصيد ٣/ ١٧٣، ٣٥٠، وهما منسوبان فيه لأبى بكر الصديق.
(٤) فى النسخ «كفابك» والمثبت من الدر الفريد.

عليِّ بنِ حَمْزةَ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ يَحْيى بنِ الحُسَيْنِ بنِ زيدٍ[1] **بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بن عليِّ بنِ أبى طالبٍ العَلَوىُّ الحُسَيْنِىُّ**، المعْروفُ بابْنِ الأقْسَاسِىِّ، الكُوفىُّ مولدًا ومنْشأً، كان شاعرًا مُطبِّقًا، امتدَح الخلفاءَ والوزَراءَ، وهو مِن بيتٍ مشْهورٍ بالأدَبِ والرِّياسَةِ والمرُوءَةِ، قَدِمَ بغْدادَ فامْتدَحَ المُقْتَفِىَ والمُسْتنجدَ وابنَه المُسْتَضِىءَ وابنَه النَّاصِرَ، فوَلَّاه النِّقابةَ، كانَ شيْخًا مَهيبًا، جاوزَ الثَّمانينَ، وقد أوْرَدَ له ابنُ السَّاعى قَصائدَ كثيرةً منها:

اصْبِرْ على كيْدِ الزَّما ... نِ فما يدُومُ على طريقَهْ
سبَقَ القَضاءُ فكُنْ بهِ ... راضٍ ولا تطْلُبْ حقيقَهْ
كم قدَ تغلَّبَ مرَّةً ... وأراكَ مِن سَعَةٍ وضِيقَهْ
ما زالَ فى أولادِهِ ... يجرِى على هذِى الطَّريقَهْ

وفيها تُوفِّيَتْ: السِّتُّ عَذْراءُ بنتُ شاهنْشَاه بنِ أيُّوبَ[2]، ودُفِنتْ بمَدْرسَتِها داخلَ بابِ النَّصرِ.

والسِّتُّ خاتُونُ[3] **والدَةُ الملكِ العادلِ**، ودُفِنتْ بدَارِها بدِمَشْقَ المُجاوِرَةِ لدارِ أسَدِ الدِّينِ شِيركُوه.

---

(١) فى م: «يزيد». وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٩٣، والذيل على الروضتين ص ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٢٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٢٨، وأعيان الشيعة ٢٢/ ٣٢٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٣ (فى ترجمة والدها شاهنشاه بن أيوب)، وذيل الروضتين ص ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٣٧، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٣٧٣.

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٢٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٣٧، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٦.

ثمَّ دخلَتْ سنَةُ أرْبَعٍ وتسعيـنَ وخمسِمائَةٍ

فيها[1] جَمعتِ الفِرنْجُ جمُوعَها وأقْبَلُوا فحاصَرُوا تِبْنِيـنَ[2] ، فاسْتَدعَى العادلُ بَنِى أخِيه لقِتالِهم ، فجاءَه العزيزُ مِن مِصْرَ ، والأفْضَلُ مِن صَرْخَدَ ، فأقْلعَتِ الفِرنْجُ عنِ الحِصنِ وبلَغَهم موتُ مَلِكِ الألْمانِ ، فطَلبُوا مِنَ العادلِ الهُدْنةَ والأمانَ ، فهَادَنَهم ورجَعتِ المُلُوكُ إلى أماكِنِها ، وقد عظُم المُعَظَّمُ عِيسى بنُ العادِلِ فى هذه المدةِ ، واسْتَنابَه أبُوه على دِمَشقَ ، وسار إلى مُلْكِه بالجَزيرةِ ، فأحْسنَ فيهم السِّيرةَ .

وكان قد تُوفِّى فى هذه السَّنةِ السُّلْطانُ صاحبُ سِنْجارَ وغيرِها مِن المدَائنِ الكِبارِ ، وهو **عِمادُ الدِّينِ زَنْكى بنُ مَوْدودِ بنِ زَنْكى الأَتابِكىُّ**[3] ، كانَ مِن خيارِ المُلُوكِ وأحْسَنِهم شكلًا وسِيرةً ، وأجْودِهم طَوِيَّةً وسرِيرةً ، غيرَ أنَّه كانَ يُبَخَّلُ ، وكان شديدَ المحبَّةِ للعُلَماءِ ، ولا سِيَّما الحنفِيَّةَ ، وقد ابْتنَى لهم مدْرسةً بسِنْجارَ ، وشرَط لهم طَعامًا يُطْبَخُ لكلِّ واحدٍ منهم فى كل يومٍ ، وهذا نظرٌ حسَنٌ ، والفَقِيهُ أوْلَى بهذِه الحسنَةِ من الفقيرِ ؛ لاشْتِغالِ الفَقيهِ بتَكْرارِه ومُطالعَتِه عنِ الفكرِ فيما يُقِيتُه ، فعَدَا على أوْلادِه ابنُ عمِّه صاحبُ المَوْصِلِ ، فأخَذ المُلْكَ منهم ، فاسْتَغاثَ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٣٢، والروضتين ٢/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٩.

(٢) فى م : « تينين » ، وتبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . معجم البلدان ١/ ٨٢٤.

(٣) الكامل ١٢/ ١٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣٠، وبغية الطلب ٨/ ٤١٦ (مخطوط) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٦٠، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢٢٣.

بنُوه بالملكِ العادِلِ ، فرَدَّ فيهم المُلْكَ ، ودرَأَ عنهم الضَّيْمَ ، واسْتَقرَّتِ المملكَةُ لوَلدِه قُطْبِ الدينِ محمدٍ ، ثم سارَ العادلُ إلى مَارِدِينَ فحاصَرها فى شَهْرِ رَمضانَ ، فاسْتَولَى على رَبَضِها ومُعامَلَتِها ، وأعْجزَتْه قلْعَتُها ، فصافَ عليها وشَتا ، وما ظنَّ أحدٌ أنه تملَّكها ؛ حتى هنَّته الشعراءُ بذلك ؛ لأنَّ ذلك لم يكُنْ مثْبوتًا ولا مقدَّرًا .

وفيها ملَكت الغورُ مدينةَ بَلْخَ وكسَرُوا الخِطا[1] [٣١٨/٩ظ]وقهرُوهم ، وهزَموهم وتوقَّعوا بإرسالِ الخليفةِ إليهم أنْ يمنَعُوا خُوارِزْم شَاه مِن دخُولِ العِراقِ ، فإنَّه كان يرُومُ أنْ يُخْطَبَ له ببَغْدادَ .

وفيها حاصرَ خُوارِزم شَاه مدِينةَ بُخارَا فَفتَحَها بعدَ مدَّةٍ ، وقد كانتِ امْتنَعت عليه دهرًا ونصَرَهُم الخِطَا ، فقَهرَهم جميعًا وأخذَها عَنْوَةً ، وعفَا عن أهْلِها وصفَحَ عنهم ، وقد كانُوا ألْبَسُوا كلبًا أعْورَ قَباءً وسَمَّوه خُوارِزْم شَاه ، ورَمَوه فى المنجنيقِ إلى الخُوارِزميَّةِ ، وقالوا : هذا ملكُكُم . وكان خُوارِزم شَاه أعْورَ ، فلمَّا قدَرَ عليهم عفَا عنهم ، جَزاهُ اللَّهُ خيْرًا .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القِوامُ[2] بنُ زَبَادةَ ، كاتبُ الإنشاءِ ببابِ الخلافةِ ، وهو أبو طالبٍ يحيى بنُ سعيدِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ زبَادةَ ، قِوامُ الدينِ ، انتَهت إليه رياسةُ التَّرسُّلِ

---

(١) الخطا : جنس من الترك بلادهم فى متاخمة بلاد الصين . صبح الأعشى ٤/ ٤٨٣، وانظر السلوك ١/ ١/ ٢٢٨، حاشية (١) .

(٢) فى الأصل، م : «العوام» . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٧/ ٢٨٠، والكامل ١٢/ ١٣٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٧٤.

والإنشاءِ والبلاغةِ والفصاحةِ فى زمانِه بالعِراقِ ، وله علُومٌ كثيرَةٌ غيرُ ذلك مِن الفِقْهِ على مذَهبِ الشَّافعىِّ ، أخَذه عن ابنِ فَضْلانَ ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالأصْلَينِ وَالحسَابِ واللُّغَةِ ، وله شعْرٌ جيِّدٌ ، وقد وَلِى عدَّةَ مَناصِبَ ، وكان مشكورًا فى جميعِها ، ومِن مُسْتَجادِ شعرِه قولُه :

لا تَحْقِرَنَّ عدُوًّا تزدريهِ فكمْ ... قد أتعسَ الدهرُ جَدَّ الجِدِّ باللعبِ
فهذه الشمسُ يَعْروها الكسوفُ لها ... على جلَالتِها بالرأسِ والذَّنبِ

وقولُه[1] :

باضْطِرابِ الزمانِ ترتفعُ الأنـ ... ـذالُ فيهِ حتى يعمَّ البلاءُ
وكذا الماءُ راكدٌ فإذا ... حُرِّكَ ثارت مِن قَعْرِهِ الأقْذاءُ

وله أيضًا[2] :

قد سلوتُ الدنيا ولم يسلُها ... مَن علقت فى آمالِه والأراجِى
فإذا ما صرَفتُ وجهىَ عنها ... قذفونى فى بحْرِها العَجاجِ
يستضيئونَ بى وأهلِكُ وحْدِى ... فكأنى ذُبالَةٌ فى سِراجِ

توفِّى فى هذه السنةِ مِن ذى الحِجَّةِ وله ثنتان وسبعون سنةً ، وحضَر جِنازَتَه خلْقٌ كثيرٌ ، ودُفنَ عندَ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ .

القاضى أبو الحسن علىُّ بنُ جابرِ[3] بنِ زُهَيْرِ بنِ علىٍّ البَطائحِىُّ ، قدِمَ بغدادَ

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٢٤٥.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤.

(٣) فى الأصل ، م : « رجاء » . وانظر ترجمته فى : ذيل تاريخ بغداد ١٨/ ٢٣٤، والذيل على الروضتين ص ١٣، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٣١٦. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٦٣.

فتفقَّه بها وسمِعَ الحديثَ، وأقامَ برَحْبَةِ مالكِ بنِ طوقٍ مدَّةً يشْتغِلُ على أبى عبدِ اللَّهِ بنِ النَّبيهِ[1] الفرَضِىِّ، ثم وَلِىَ قضاءَ العِراقِ مدَّةً، وكان أدِيبًا، وقد سمِعَ مِن شيْخِه أبى عبدِ اللَّهِ بنِ النَّبيهِ ينْشدُ لنفْسِه مُعارِضًا للحَرِيرِىِّ فى بيْتَيْه اللَّذيْن زعَمَ أنَّهما لا يُعَزَّزان بثالث لهما، وهما قوْلُه[2]:

سِمْ سِمَةً يُحْمَدُ آثارُها ... واشْكُرْ لمنْ أعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمكْرُ مهْما اسْطَعْتَ لا تأتِهِ ... لتَقْتَنِى السُّؤْدُدَ والمكْرُمَهْ

فقالَ ابنُ النَّبيهِ[3]:

ما الأمَةُ الوكعاءُ[4] بينَ الوَرى ... أحْسَنُ مِن حُرٍّ أتَى مَلْأَمَهْ
فَمَهْ إذا اسْتُجديتَ عن قَولِ لَا ... فالحرُّ لا يَمْلأُ منها فَمَهْ

الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ جُرْدَيْكُ[5] كانَ مِن أكابرِ الأمراءِ فى زمانِ نُورِ الدينِ، وكانَ ممَّنْ شَرِكَ فى قتْلِ شاوِرٍ، وحظِىَ عندَ صلاحِ الدِّينِ، وقد اسْتَنابَه على القُدسِ حينَ افْتَتَحها، وكانَ يَسْتندِبُه للمُهِمَّاتِ الكِبارِ فيسدُّها بنَهْضَتِه وشجاعَتِه، ولمَّا وَلِىَ الأفضلُ عزلَه عن بيتِ المقدسِ، فترَك بلادَ الشامِ وانتقل إلى المَوْصِلِ، فماتَ بها فى هذه السَّنةِ.

---

(١) كذا فى النسخ، وفى ذيل تاريخ بغداد، وذيل الروضتين: «المتقنة»، وفى معجم الأدباء ١٦/ ٢٧١: «المنقبة». وكذا فى المواضع التالية.

(٢) مقامات الحريرى ص ٣٧٢ (المقامة السادسة والأربعون الحلبية).

(٣) ذيل تاريخ بغداد ١٨/ ٢٣٥، ومعجم الأدباء ١٦/ ٢٧٣.

(٤) فى الأصل، م: «الوكساء»، وفى ذيل تاريخ بغداد: «الوكفاء». والمثبت موافق لما فى معجم الأدباء ١٦/ ٢٧٣. والوكعاء: اللئيمة.

(٥) فى النسخ: «جرديل». وانظر ترجمته فى: الكامل ١٢/ ١٣٤ وفيه: «جورديك»، ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٤٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٥٧، والوافى بالوفيات ١١/ ٦٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٢٦.

ثم دخلتْ سنَةُ خَمسٍ وتِسْعِينَ وخَمسِمائَةٍ
وفيها كانتْ وَفاةُ الملكِ العزِيزِ صاحِبِ مِصرَ[1]

وذلكَ أنَّه خرَج إلى الصيدِ ، فلما [٣١٩/٩و] كان ليْلةَ الأحَدِ العِشْرينَ مِنَ المُحَرَّمِ ، ساقَ خلفَ ذِئْبٍ ، فَكَبا به الفرسُ ، فسقَط عنه ، وكانت وفاتُه بعدَ أيامٍ بعدَ رجوعِه إلى البلدِ ، فنُقِل ودُفِنَ بدارِه ، ثم حوِّلَ إلى عندِ تُرْبَةِ الشَّافعيِّ ، وله سبْعٌ أو ثَمانٍ وعِشْرونَ سنَةً ، رحِمه اللَّهُ . ويقالُ : إنَّه كانَ قد عزَم فى هذه السَّنَةِ على إخْراجِ الحنَابِلةِ من بلَدِه ، ويكْتبُ إلى بقيَّةِ إخْوتِه أن يخرجوهم مِن بلادِهم ، وشاعَ ذلكَ عنه وسُمِع منه وذاع وصرِّحَ به ، وكلُّ ذلكَ مِن معَلِّميه وخُلَطائِه وعُشَرائِه مِن الجَهْمِيَّةِ ، وقلَّةِ علْمِه بالقرآنِ والحديثِ ، فلمَّا وقَع ما وقَع عَظُمَ قدْرُ الحنابلةِ بديارِ مصرَ والشامِ عند الخاصِّ والعامِّ . وقيلَ : إنَّ بعضَ صالحِيهم دعَا عليه ، فما هو إلَّا أنْ خرَج إلى الصيدِ ، فكانَ هَلاكُه سريعًا ، فاللَّهُ أعلمُ .

وكتبَ القاضى الفاضِلُ كتابَ التَّعْزِيَةِ بالعزيزِ إلى عمِّه الملكِ العادلِ وهو مقيمٌ على محاصرةِ مَارِدِينَ ومعه العَساكرُ ، ووَلَدُه محمدٌ الكاملُ ، وهو نائبُه على بلادِ الجَزِيرَةِ المُقاربةِ لبلادِ الحِيرَةِ ، وصُورَةُ الكتابِ[2] : أدامَ اللَّهُ سُلْطانَ مولانا الملكِ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٤٠، وذيل الروضتين ص ١٦، وزبدة الحلب ٣/ ١٤٢، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٦٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١-٦٠٠هـ) ص ١٨٨.

(٢) الروضتين ٢/ ٢٣٤.

العادِلِ ، وبارَكَ فى عُمْرِه وأعْلَا أمْرَه بأمرِه ، وأعزَّ نصرَ الإسْلامِ بنصرِه ، وفدَتِ الأنْفسُ نفسَه الكرِيمةَ ، وأصْغَرَ اللَّهُ العظائمَ بنِعَمِه فيه العظِيمَةِ ، وأحْيَاه حياةً طيِّبةً يقفُ فيها هو والإسْلامُ فى مواقفِ الفُتوحِ الجسِيمَةِ ، ويَنْقلِبُ عنها بالأُمورِ المسلمةِ والعَواقبِ السَّليمةِ ، ولا نقَص له رِجالًا ولا عددًا ، ولا أعدَمه نفْسًا ولا ولدًا ، ولا قصَّرَ له ذَيْلًا ولا يدًا ، ولا أسْخَنَ له قلبًا ولا كبدًا ، ولا كدَّرَ له خاطرًا ولا موْرِدًا ، ولمَّا قدَّرَ اللَّهُ ما قدَّرَ فى الملكِ العزيزِ ، رحِمه اللَّهُ ، وتحياتُه مُكررةٌ إليه مِن انقضاءِ مُهلِه وحضورِ أجلِه ، كانت بدِيهةُ المُصابِ عظيمةً ، وطالِعَةُ المكْرُوهِ أليمَةً ، فرحِم اللَّهُ ذلك الوجهَ ونضَّره ، ثم إلى سبيلِ الجنةِ يسَّره :

وإذَا مَحاسِنُ أوجهٍ بلِيَتْ فعفا الثرى عن وجْهِه الحسنِ

فأعزِزْ على المملوكِ وعلى الأولياءِ بل على قلبِ مولانا ، لا سلبَه ثيابَ العزاءِ ، لسرعةِ مصرعِه وانقلابِه إلى مضجعِه ، ولباسِه ثوبَ البلِى قبلَ أن يبلَى ثوبُ الشبابِ ، وزفِّه إلى الترابِ وسريرُه محفوفٌ باللذَّاتِ والأترابِ ، وكانتْ مدَّةُ المرضِ بعدَ العودِ مِن الفيُّومِ أسْبُوعَيْنِ ، وكانتْ فى السَّاعةِ السابعةِ من ليْلةِ الأحَدِ العِشْرينَ من المُحَرَّمِ ، والمَمْلُوكُ فى حالِ تسْطِيرِها مجْموعٌ بينَ مرَضِ قلْبٍ وجسَدٍ ، ووَجعِ أطْرافٍ وغليلِ كبدٍ ، وقد فُجِع بهذا المولَى ، والعهدُ بوالدِهِ ، رحِمه اللَّهُ ، غيرُ بعيدٍ ، والأسَى عليه فى كلِّ يومٍ جديدٌ .

ولمَّا تُوفِّى العزيزُ ، رحِمه اللَّهُ ، خلَفَ من الوَلدِ عشَرَةَ ذكُورٍ ، فعمَد أُمَراؤُه فملَّكُوا عليهم ولدَه محمدًا ، ولَقَّبوه بالمنصُورِ ، وجُمْهورُ الأُمَراءِ فى الباطنِ مائِلُونَ إلى تَمْليكِ العادِلِ ، ولكِنَّهم استبعَدوا مكانَه ، فأرسلُوا إلى الأفْضَلِ وهو بصَرْخَدَ فأحْضَرُوه على البَرِيدِ سرِيعًا ، فلمَّا حصَل عندَهم مُنِعَ رِفْدُهم ، ووَجدُوا الكلمةَ

مُخْتلفَةً عليه ، ولم يَتِمَّ له ما صارَ إليه ، وخامَرَ عليه أكابرُ الأمَراءِ النَّاصِريَّةِ ، وخرَجُوا مِن ديارِ مِصرَ فأَقامُوا فى بيتِ المَقْدِسِ [٣١٩/٩ظ] وأرْسَلُوا يَسْتحثُّونَ الجيوشَ العادِلِيَّةَ ، فأُقِرَّ ابنُ أخِيه على السَّلْطنةِ ، ونُوِّهَ باسْمِه على السِّكَّةِ والخُطبةِ فى سائرِ ما هنالكِ مِن المملكةِ ، لكِنِ اسْتَفادَ بهذه السَّفْرةِ أنْ أخذَ جَيْشًا كثيفًا مِن المصريين ، وأقبَل بهم ليسْترِدَّ دِمَشْقَ فى غَيبةِ عمِّه بمحاصرةِ مارِدينَ ، وذلك بإشارةِ أخيه صاحبِ حلبَ ، وابنِ عمِّه مَلِكِ حِمْصَ أسَدِ الدِّينِ . فلما انتهى إليها ونزَلَ حوَالَيْها ، قطَعَ أنهارَها وعقَر أشجارَها ، وقلَّل ثمارَها ، ونزَل بمُخَيَّمِه على مسجدِ القدمِ ، وقد لحِقه الأسفُ والندمُ ، وجاءَ إليه أخُوه الظاهرُ وابنُ عمِّه الأسدُ الكاسِرُ والليثُ الكاشرُ وجيشُ حَماةَ ، فكثُر جيشُه وقوِى الأفضلُ بنُ الناصرِ ، وقد دخَل جيشُه إلى البَلدِ ، ونادَوا بشِعارِه ، فلم يُتابِعْهم مِن العامَّةِ أحدٌ ، وأقبَل العادِلُ مِن مارِدِينَ بعَساكِرِه وقد الْتَفَّ عليه طائفةُ بنى أخيه ، وأمدَّه كلُّ مصرٍ بأكابرِه ، وسبَق الأفضلَ إلى دِمشقَ بيومين فحصَّنَها وحفِظها مِن كلِّ حاسدٍ وذى عينينِ ، وقد استنَابَ على مارِدِينَ ولدَه محمدًا الكامِلَ رئيسَ السلاطينِ .

ولما دخَل دِمشقَ خامَرَ إليه أكثرُ الأمراءِ مِن المصريين وغيرِهم ، وضَعُف أمرُ الأفضلِ ويئِسَ مِن برِّهم وخيرِهم ، فأقامَ مُحاصِرًا البلَدَ بمَن معه حتى انْسلَخَ الحولُ وهو كذلك ، ثم انفصَل الحالُ فى أولِ السنةِ الآتيةِ ، على ما سيأتى بيانُه إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفيها شرَع فى بناءِ سُورِ بغدادَ من الآجرِّ والكِلْسِ ، وفرَّق على الأمراءِ ، وكَمَلت عِمارَتُه بعدَ هذه السنةِ ، فأمِنَتْ بَغْدادُ مِن الغرقِ والحصارِ ، ولم يكُنْ لها سورٌ قبلَ ذلك .

وفى هذه السنةِ تُوفِّى :

السلطانُ الكبيرُ أبو محمدٍ يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ[1] ، صاحبُ المغربِ والأندلسِ بمدينةِ سَلَا[2] ، وكان قد ابتنَى عندَها مدينةً مليحةً سمّاها المَهْدِيَّةَ ، وقد كان دَيِّنًا حسنَ السيرةِ ، صحيحَ السَّرِيرةِ ، وكان مالكيَّ المذهبِ ، ثم صار ظاهريًّا حَزْمِيًّا ، ثم مالَ إلى مذهبِ الشافعيِّ ، واستقضَى فى بعضِ بلادِه منهم قُضاةً ، وكانت مدةُ مُلْكِه خمسَ عشْرةَ سنةً ، وكان كثيرَ الجهادِ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان يؤُمُّ الناسَ فى الصلواتِ الخمسِ ، وكان قريبًا إلى المرأةِ والضَّعيفِ . وهو الذى كتَب إليه صلاحُ الدينِ يستنجِدُه على الفِرنْجِ ، فلمَّا لم يُخاطِبْه بأميرِ المؤمنين غضِب مِن ذلك ولم يُجِبْه إلى ما طلَب منه ، وقام بالمُلْكِ بعدَه ولدُه محمدٌ ، فسارَ كسِيرَةِ والدِه ، ورجَع إليه كثيرٌ مِن البلدانِ اللاتى كانت قد عصَتْ على أبيه ، ثم مِن بعدِ ذلك تفرَّقتْ بهم الأهواءُ ، وبادَ هذا البيتُ بعدَ الملكِ يعقوبَ .

وفى هذه السنةِ ادَّعَى رجلٌ أعجمِيٌّ بدمشقَ أنَّه عيسى ابنُ مريمَ ، فأمَر الأمِيرُ صارِمُ الدينِ بُزْغُشُ نائبُ القلعةِ ، بصلبِه فصُلِب عندَ حمّامِ العمادِ الكاتبِ ، خارجَ بابِ الفرَجِ مُقابِلَ الطَّاحونِ التى بينَ البابين ، وقد بادَ هذا الحمّامُ قديمًا ، وبعدَ صلبِهِ بيومين ثارَتِ العامَّةُ على الروافضِ ، وعمَدُوا إلى قبرِ رجلٍ منهم بباب الصَّغيرِ يقالُ له : وثَّابٌ . فنبَشُوه وصلَبُوه مع كلبين ، وذلك فى ربيعٍ الآخرِ منها .

---

(١) الكامل ١٢/ ١٤٥، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٦٤، ووفيات الأعيان ٧/ ٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩٠ - ٦٠٠هـ) ص ٢١٣.

(٢) سلا : مدينة بأقصى المغرب . معجم البلدان ٣/ ١٠٩.

وفى هذه السنةِ وقَعت فِتنةٌ كبيرةٌ ببلادِ خُراسانَ ، وكان سببَها أنَّ فخرَ الدينِ محمدَ بنَ عمرَ الرازىَّ [٩/٣٢٠و] أستاذَ المتكلِّمين فى زمانِه وفَد إلى الملكِ غِياثِ الدينِ الغُورِىِّ صاحِبِ غَزْنَةَ ، فأكْرَمه وبنَى له مدرسةً بهَراةَ ، وكان أكثرُ الغُورِيَّةِ كَرّامِيَّةً ؛ فأبْغَضُوا الرازِىَّ وأحبُّوا إبعادَه عن المُلْكِ ، فجمَعوا له جماعةً مِن الفقهاءِ الحنفيةِ والكَرّامِيَّةِ ، وخلقًا مِن الشافعيةِ ، وحضَر ابنُ القدْوَةِ وكان شيخًا معظَّمًا فى الناسِ ، وهو على مذهبِ ابنِ كرّامٍ ، وابنِ الهيصمِ ، فتَناظَرَ هو والرازىُّ ، وخرَجا مِن المُناظرةِ إلى السَّبِّ والشَّتْمِ ، فلما كان مِن الغَدِ اجتمَع الناسُ فى المسجدِ الجامعِ ، وقام واعِظٌ فتكلَّم ، فقال فى خُطبتِه : أيُّها الناسُ ، إنَّا لا نقولُ إلا ما صحَّ عندَنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأمّا علمُ أرِسْطَاطَا ليسَ وكُفْرِيَّاتُ ابنِ سينا ، وفلسفةُ الفارابِىِّ ، فلا نعلَمُها ، ولأىِّ حالٍ يُشْتَمُ بالأمسِ شيخٌ مِن شيوخِ الإسلامِ يَذُبُّ عن دينِ اللَّهِ وسنةِ رسولِهِ . قال : فبكَى الناسُ وضجُّوا ، وبكَتِ الكرّامِيَّةُ واستغاثُوا ، وأعانَهم على ذلك قومٌ مِن خَواصِّ الناسِ ، وأنْهَوا إلى الملكِ صورةَ ما وقَع ، فأمَر بإخراجِ الرازىِّ مِن بلادِه ، وعاد إلى هَراةَ ؛ فلهذا أُشْرِبَ قلبُ الرازىِّ بُغْضَ الكرّامِيَّةِ ، وصار يلهَجُ بهم فى كلامِه فى كلِّ موطنٍ ، وكلَّما هبَّت الصَّبا .

وفى هذه السنةِ وقَع الرِّضا عن الشيخِ جمالِ الدينِ أبى الفَرَجِ بنِ الجوزىِّ شيخِ الوعّاظِ فى زمانِه وبعدَه ، وقد كان أُخْرِجَ من بغدادَ إلى واسِطٍ ، فأقامَ بها خمسَ سنينَ ، فانتْفَع به أهلُها واشْتَغَلُوا عليه واسْتَفادُوا منه ، فلما عاد إلى بغدادَ خلَع عليه الخليفةُ وأذِنَ له فى الجلوسِ على عادَتِه عندَ التُّرْبَةِ الشريفةِ المُجاوِرَةِ لقبرِ معروفٍ الكَرْخِىِّ ، فكثُر الجمعُ جدًّا ، وحضَر الخليفةُ ، وأخَذ فى العِتابِ ، وأنشَد يومَئذٍ فيما يُخاطِبُ به الخليفةَ :

لا تُعْطِشِ الرَّوْضَ الذى نَبْتُهُ ... بصَوْبِ إنعامِك قد رُوِّضَا

لا تبْرِ عُودًا أنت قد رِشْتَهُ حاشا لبانى المجدِ أن ينْقُضَا
إن كان لى ذنبٌ (١ولم آتِهِ١) فاسْتَأنفِ العفوَ وهَبْ لى الرِّضَا
قد كنتُ أرجوكَ لنَيْلِ المُنَى فاليومَ لا أطْلُبُ إلا الرِّضَا

ومما أنشَده يومئذٍ(٢) :

شَقِينا بالنَّوَى زمنًا فلما تلَاقَيْنا كأنَّا ما شَقِينا
سَخِطْنا عندَ ما جنَتِ الليالى وما زالَتْ بنا حتى رَضِينا
ومَن لم يَحْىَ بعدَ الموتِ يومًا فإنَّا بعدَ ما مِتْنا حَيِينَا

وفى هذه السنةِ استدعَى الخليفةُ الناصِرُ قاضىَ المَوصِلِ ضياءَ الدينِ بنَ الشَّهْرَزُورِىِّ ، فوَلَّاه قَضاءَ قُضاةِ بغدادَ . وفى هذه السنةِ وقَعت فِتنةٌ بدمشقَ بسببِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المقْدِسىِّ ؛ وذلك أنَّه كان يتَكلَّمُ فى مقصورَةِ الحَنابلَةِ بالجامعِ الأُمويِّ ، فذكَر يومًا شيئًا مِن العقائدِ ، فاجتمَع القاضى محيى الدينِ بنُ الزّكىِّ وضياءُ الدينِ الخَطِيبُ الدَّوْلَعِىُّ بالسلطانِ المُعَظَّمِ ، والأميرِ صارِمِ الدينِ بُزْغُشَ ، فعُقِد له مجلسٌ فيما يَتعلَّقُ بمسألَةِ الاستواءِ على العرشِ والنُّزولِ والحرفِ والصَّوْتِ ، فوافَقَ النجمُ الحنبلىُّ بقيَّةَ الفقهاءِ ، واستمَرَّ الحافظُ على ما يقولُه لم يرجِعْ عنه ، واجتمَع بقيَّةُ الفقهاءِ عليه ، وألْزَمُوه بإلزاماتٍ شنِيعَةٍ لم يلْتَزِمْها ، حتى قال له الأميرُ بُزْغُشُ : كلُّ هؤلاء على الضلالةِ وأنت وحدَك على الحقِّ ؟! قال : نعم . فغضِب [٩/٣٢٠ظ] الأميرُ عندَ ذلك ، وأمَر بنَفْيِه مِن البلدِ ، فاستنظَره ثلاثةَ أيامٍ ، فأنظَره ، وأرسَل بُزْغُشُ الأُسارَى مِن القلعةِ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « بحرمته » ، و م : « قد جنيته » . والمثبت من ذيل الروضتين ص ١٥.
(٢) ذيل الروضتين ص ١٥.

فكسَروا منبرَ الحافظِ[1] ، وتعَطَّلَت صلاةُ الظهرِ يومَئذٍ فى محرابِ الحنابلةِ ، وأُخْرِجت الخزائنُ والصناديقُ التى كانت هناك ، وجرَت خبْطَةٌ شديدةٌ ، نعوذُ باللَّهِ مِن الفِتَنِ ، ما ظهَر منها وما بطَن ، وكان عقْدُ المجلسِ يومَ الاثنينِ الرابعِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، فارْتحَل الحافظُ عبدُ الغنىِّ إلى بَعْلَبَكَّ ، ثم سار إلى الديارِ المصريةِ ، فآوَاه المحدِّثون ، فحنُوا عليه وأكرَموه .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأميرُ مجاهدُ الدينِ قايماز الرُّومىُّ[2] ، نائبُ الموصلِ ، والمُسْتولى على مملكتِها أيامَ ابنِ أستاذِه نورِ الدينِ أرسَلانَ ، وكان عاقلًا ذكيًّا فقيهًا حنَفِيًّا ، وقيل : شافعيًّا . يحفَظُ شيئًا كثيرًا مِن التواريخِ والحكاياتِ ، وقد ابتنى عدَّةَ جوامعَ ومدارسَ ورُبُطٍ وخَاناتٍ ، وله صدَقاتٌ كثيرةٌ دارَّةٌ . قال ابنُ الأثيرِ[3] : وقد كان مِن محاسنِ الدنيا .

أبو الحسنِ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ العباسِىُّ الهاشمىُّ[4] ، قاضى القضاةِ ببغدادَ ، بعدَ ابنِ النجّارىِّ ، كان شافعِيًّا ، تفَقَّهَ على أبى الحسنِ بنِ الخَلِّ وغيرِه ، وقد ولِى القضاءَ والخطابةَ بمكةَ ، وأصلُه منها ، ولكن ارتحَل إلى بغدادَ ، فنال منها ما نال مِن الدنيا ، وآل به الأمرُ إلى ما آل ، ثم إنَّه عُزِل

---

(١) فى م : « الحنابلة » .

(٢) الكامل ١٢/ ١٥٣، وذيل الروضتين ص ١٤، ضمن وفيات سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٠ دون ترجمة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٩٤.

(٣) الكامل ١٢/ ١٥٤.

(٤) ذيل الروضتين ص ١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٠٠، والعقد الثمين ١/ ٤٣٧.

عن القضاءِ بسببِ محْضَرٍ رُقِم خطُّه عليه ، وكان ، فيما قيلَ ، مُزَوَّرًا عليه . فاللَّهُ أعلمُ ، فجلَس فى منزلِه حتى مات .

الشيخُ جمالُ الدينِ أبو القاسمِ يحيى بنُ علىِّ بنِ الفضلِ بنِ بركةَ بنِ فَضْلانَ[1] ، شيخُ الشافعيةِ ببغدادَ ، تفَقَّهَ أوَّلًا على سعيدِ بنِ محمدٍ الرَّزّازِ[2] مدرسِ النظاميَّةِ ، ثم ارتحَل إلى خُراسانَ فأخَذ عن الشيخِ محمدٍ الزَّبيدىِّ تلميذِ الغَزّالىِّ ، وعاد إلى بغدادَ وقد اقتبَس علمَ المُناظرةِ والأصْلَيْنِ ، وساد أهلَ بغدادَ ، وانتفَع به الطلبةُ والفقهاءُ ، وبُنِيت له مدرسةٌ فدرَّس بها وبَعُد صِيتُه ، وكثُرت تلاميذُه ، وكان كثيرَ التلاوةِ وإسماعِ الحديثِ ، وكان شيخًا حسنًا لطِيفًا ظريفًا ، ومِن شعرِه[3] :

وإذا أردْتَ منازلَ الأشرافِ ... فعليك بالإسعافِ والإنصافِ
وإذا بغَا باغٍ عليك فخلِّهِ ... والدهرَ فهْوَ لهُ مُكافٍ كافِ

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢١١، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٣٢٢، ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٩.

(٢) فى الأصل: «البزار»، وفى م: «الزار».

(٣) ذيل الروضتين ص ١٥.

ثم دخَلت سنةُ ستٍّ وتسعين وخمسِمائةٍ

اسْتَهلَّت هذه السنةُ[1] والملكُ الأفضلُ، بالجيشِ المصرىِّ، مُحاصِرٌ لعمِّه العادلِ بدمشقَ، وقد قطَع عنها الأنهارَ والمِيرَةَ، فلا خبزَ ولا ماءَ إلا قليلًا، وقد تَطاوَل الحَالُ، وقد خنْدَقُوا مِن أرضِ اللَّوانِ إلى يَلْدَا[2] خندقًا؛ لئلا يصِلَ إليهم جيشُ دمشقَ، وجاء فصلُ الشتاءِ وكثُرَت الأمطارُ والأوحالُ، فلما دخَل شهرُ صفرٍ، قدِم الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ العادلِ على أبيه بخلْقٍ مِن التُّركمانِ، وعساكرَ مِن بلادِ الجزيرَةِ والرُّها وحَرّانَ، فعندَ ذلك انصرَفَت العساكرُ المصريةُ، وتفرَّقُوا أَيادِى سَبَا، فرجَع الظاهِرُ إلى المملكةِ الحلبيةِ، والأسدُ إلى حمصَ، والأفضلُ إلى الديارِ المصريةِ، وسلِم العادِلُ مِن كيدِ الأعادى، بعدَما كان قد عزَم على تسليمِ البلدِ واستسلَم، ولكنَّ اللَّهَ سَلَّم. وسارَت الأمراءُ الناصريةُ خلفَ الأفضلِ ليمنَعوه مِن الدخولِ [٩/٣٢١و] إلى القاهرةِ، وكاتَبُوا العادلَ أن يُسرِعَ السَّيرَ إليهم والقدومَ عليهم، فنهَض إليهم سريعًا سامعًا لمشورتِهم مطيعًا، فتحصَّن الأفضلُ بالقلعةِ مِن الجبلِ، وقد اعتراه الضَّعفُ والفشلُ، ونزَل العادلُ على البِرْكَةِ[3] واستبَدَّ بمُلكِ مصرَ آمنًا مِن الشَّرِكةِ، ونزَل إليه ابنُ أخيه الأفضلُ خاضعًا

---

(١) الكامل ١٢/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٦.

(٢) فى م: «اللد». ويلدا: قرية من دمشق على ثلاثة أميال منها، وإليها ينسب غير واحد من الرواة. معجم البلدان ٤/ ١٠٢٥.

(٣) أى بركة الحجاج، وعرفت قديمًا باسم جُبّ عُمَيرة، وسميت ببركة من أجل نزول حُجاج البر بها، وهى محلّة اليوم من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية. الخطط المقريزية ٢/ ٥٨٣.

ذليلًا بعدَما كان مَهِيبًا جليلًا ، فأقطَعه بلادًا مِن الجزيرةِ ، ونفَاه عن الشامِ لسُوءِ السِّيرَةِ ، ودخَل العادلُ إلى دارِ السلطانِ بالقاهرةِ ، وأعاد القضاءَ إلى صدرِ الدينِ عبدِ الملكِ بنِ دِرْباسٍ المارانيِّ الكُرْدِيِّ ، وأبقَى الخُطبةَ والسِّكَّةَ باسمِ ابنِ أخيه المنصورِ ، ولكن هو المستقلُّ بالأمورِ ، واستوزَرَ الصاحبَ صَفِيَّ الدينِ بنَ شكرٍ لصَرامتِه وشَهامتِه ، وسيادَتِه ودِيانتِه ، وكتَب العادلُ إلى ولدِه الكاملِ يَسْتَدعِيه مِن بلادِ الجزيرةِ ؛ ليُمَلِّكَه على الديارِ المصريةِ ويسترعيه ، فقَدِم عليه فأكرَمه واحترَمه وعانَقَه والْتزَمَه ، وأحضَر الملكُ الفقهاءَ واسْتَفتاهم فى صحةِ مملكةِ ابنِ أخيه المنصورِ بنِ العزيزِ ، وأنَّه صغيرٌ ابنُ عشْرِ سنين ، فأفْتَوا بأنَّ وِلايتَه لا تصِحُّ ؛ لأنه مُتَوَلًّى عليه ، فعندَ ذلك طلَب الأمراءَ ودَعاهم إلى مُبايعَتِه فامتنَعوا ، فأرغَبَهم وأرهَبهم ، وقال فيما قال : قد سَمِعْتُم ما أفْتَى به العلماءُ والأئمةُ والفقهاءُ ، وقد عَلِمْتُم أنَّ ثُغورَ المسلمين لا يحفَظُها الأطفالُ الصِّغارُ ، وإنَّما يحرُسُها الملوكُ الكِبارُ . فأذعَنوا عندَ ذلك وبايَعوه ، ثم مِن بعدِه لولدِه الكاملِ ، فخطَب الخطباءُ بذلك بعدَ الخليفةِ لهما ، فضُرِبَتِ السِّكَّةُ باسمِهما ، واسْتَقرَّتْ دمشقُ باسمِ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ ، ومصرُ باسمِ الكاملِ .

وفى شوَّالٍ رجَع إلى دمشقَ الأميرُ فلَكُ[1] الدينِ أبو منصورٍ سليمانُ بنُ شَرْوَةَ[2] بنِ خلدكَ ، وهو أخو الملكِ العادِلِ لأمِّه ، وهو واقفُ الفلَكِيَّةِ داخلَ بابِ الفَرَادِيسِ ، وبها قبرُه ، فأَقام بها محترَمًا مُعَظَّمًا إلى أن تُوفِّى فى هذه السنةِ .

وفيها وفى التى بعدَها كان بدِيارِ مصرَ غلاءٌ شديدٌ ، فهلَك بسببِه الغَنِيُّ

---

(١) فى م : « ملك » .

(٢) فى م : « مسرور » ، وفى ذيل الروضتين ص ٣٣ « سليمان بن شيرويه بن جندر » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٠: « سليمان بن سروة بن جلدك » .

والفقيرُ، وهرَب الناسُ منها نحوَ الشامِ فلم يصِلْ إليها إلا القليلُ، وتخَطَّفُهم الفِرنْجُ مِن الطُّرقاتِ وغَرُّوهم مِن أنفسِهم واغْتالُوهم بالقَليلِ مِن الأقواتِ، وأمّا بلادُ العراقِ فإنَّه كان مُرْخصًا. قال ابنُ الساعى[1]: وفى هذه السنةِ باضَ دِيكٌ ببغدادَ، فسأَلْتُ جماعةً عن ذلك فأخبرونى به.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

السلطانُ علاءُ الدينِ خُوارَزْمشاه تِكِشُ بنُ أَلْب أَرْسَلان بنِ أتسِزَ، مِن ولدِ طاهرِ بنِ الحسينِ[2]، وهو صاحبُ خُوارَزمَ وبعضِ خُراسانَ والرَّىِّ وغيرِ ذلك مِن الأقاليمِ المُتَّسعةِ، وهو الذى قطَع دولةَ السلاجِقَةِ، كان عادِلًا حسنَ السيرةِ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالمُوسيقى، حسنَ المعاشرةِ، فقيهًا على مذهبِ أبى حنيـــفةَ، ويعرِفُ الأُصولَ، وبنَى للحنَفِيَّةِ مدْرسةً عظيمةً، ودُفِنَ بتُرْبَةٍ بناها بخُوارَزْمَ، وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولَدُه علاءُ الدينِ محمدٌ، وكانَ يلَقَّبُ بقُطْبِ الدِّينِ. وفيها قُتِلَ وَزِيرُ السُّلْطانِ خُوارَزْمشاه.

نِظامُ الدِّينِ [٩/٣٢١ظ] **مسعُودُ بنُ علىٍّ**[3]، وكانَ حسنَ السِّيرةِ، شافعىَّ المذْهبِ، له مدرسةٌ عظيمةٌ بخُوارَزْمَ، وجامِعٌ هائلٌ، وبنَى بمَرْوَ جامعًا عظيمًا

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/٢١. وقد ذكره ضمن أحداث سنة ٥٩٥ هـ.

(٢) الكامل ١٢/ ١٥٦، وذيل الروضتين ١٧، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٢٣٣.

(٣) الكامل ١٢/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٧١. وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٩٦. ويعرف فى مصادر ترجمته بـ «نظام الملك»؛ لا بـ «نظام الدين». وقال فى طبقات الشافعية: وقد اشترك نظام الملك هذا ونظام الملك المتقدم ذكره - أى الحسن بن على بن إسحاق ابن العباس الطوسى - الذى هو سيد الوزراء، اشتركا فى اللقب والوزارة والتعصب للشافعية وبناء المدارس وأنهما قتلهما الملاحدة.

للشَّافعيَّةِ ، فحسَدهم الحنابِلَةُ[1] ، وشيْخُهم بها يقالُ له : شيخُ الإسْلامِ . فيقالُ : إنَّهم أحْرقُوه . وهَذا إنَّما يصدُرُ مِن قلَّةِ الدِّينِ والعَقْلِ واحترامِ معابدِ الإسلامِ ، فأغْرَمهم السلطانُ خُوارَزْمشاه ما غَرِم الوزيرُ على بنائِه .

وفيها تُوفِّى الشيخُ المُسْنِدُ المُعَمَّرُ رُحْلَةُ الوقْتِ ؛ أبو الفَرَجِ عبدُ المُنْعِمِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ صدَقَةَ بنِ الخَضِرِ بنِ كُليبٍ[2] الحرَّانِىُّ الأصْلِ ، البَغْدادِىُّ المَوْلِدِ والدَّارِ والوَفاةِ ، عن سِتٍّ وتِسْعينَ سنةً ، سمِعَ الكثيرَ وأسْمع ، وتفرَّدَ بالرِّوايةِ عن جماعَةٍ من المشايخِ ، وكان مِن أعْيانِ التُّجَّارِ وذَوِى الثَّرْوةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الفَقِيهُ مجدُ الدِّينِ أبو محمدٍ طاهِرُ بنُ نصرِ اللَّهِ بنِ جَهْبَلٍ[3] ، مُدرِّسُ القُدْسِ الشريفِ ، أوَّلُ مَنْ درَّس بالصَّلاحِيَّةِ ، وهو والدُ الفُقَهاءِ ؛ بنى جَهْبلٍ الذينَ كانوا بالمدرسةِ الجاروخِيَّةِ ، ثم صارُوا إلى العمادِيَّةِ والدَّماغيَّةِ[4] فى أيامِنا هذه ، ثم ماتُوا ولم يَبْقَ إلَّا شرْحُهم .

الأمِيرُ صارِمُ الدِّينِ[5] **قَايْمازُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّجْمىُّ**[6] ، مِن أكابرِ الدولةِ

---

(١) كذا بالنسخ ، وهو خطأ فإنه ليس بمرو حنابلة ، لكن ابن كثير قد وافق فى هذا ابن الأثير . والصواب أنهم الحنفية لا الحنابلة . وانظر تاريخ الإسلام ، وطبقات الشافعية ؛ الموضعين المذكورين عند ترجمته آنفا .

(٢) الكامل ١٢/ ١٥٩، وذيل الروضتين ص ١٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٧. وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٥٩.

(٣) فى م ، ص : « جميل » . وكذا ورد فى مرآة الجنان . وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٤٣، والعبر ٤/ ٢٩٢، ومرآة الجنان ٣/ ٤٨٥.

(٤) الدماغية نسبةً إلى شجاع الدين ابن الدماغ ، وقد أنشأتها زوجته منتصفةً بين الشافعية والحنفية فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة . الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٢٣٦.

(٥) كذا بالنسخ ، ولم أجد هذا اللقب إلا فى مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٤، ومصادر ترجمته على أنه مجاهد الدين .

(٦) الكامل ٢/ ١٥٣، وذيل الروضتين ص ١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٩٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٤.

الصَّلاحِيَّةِ ، كان عندَ الملكِ صلاحِ الدِّينِ بمَنْزِلَةِ أُسْتادّارٍ[1] وهو الذى تسلَّم القَصْرَ حِينَ ماتَ العاضِدُ ، فحصَل له أمْوالٌ جزيلَةٌ جدًّا ، وكان كثيرَ الصَّدقاتِ والأوْقافِ ، تصدَّق فى يومٍ بسبْعَةِ آلافِ دِينارٍ عَيْنًا ، وهو واقِفُ المدْرسَةِ القيمازِيَّةِ ، شرْقِىَّ القَلْعَةِ المنصورةِ ، وقد كانتْ دارُ الحديثِ الأشرفيَّةِ دارًا لهذا الأميرِ ، وله بها حمَّامٌ ، فاشترَى ذلك الملكُ الأشْرَفُ ، فيما بعدُ ، موسى بنُ العادلِ وبنَاها دارَ حديثٍ ، وأخْرَب الحمَّامَ وبنَاه مَسْكنًا للشيخِ المُدرِّسِ بها . ولما تُوفِّى ودُفِنَ فى قبْرِه ، نُبِشَتْ دورُه وحَواصِلُه ، وكانَ متَّهَمًا بمالٍ جزيلٍ ، فكان مُتحَصَّلُ ما جُمعَ مِن ذلك مِائَةَ ألفِ دِينارٍ ، وكانَ يُظَنُّ أنَّ عندَه أكثرَ مِن ذلكَ ، ولكن كان يَدفِنُ أموالَه فى الخَرابِ مِن أراضِى ضِياعِه وقرَاياه . فسامَحه اللَّهُ وبلَّ بالرحمةِ ثراه .

الأميرُ الكبيرُ لُؤْلُؤٌ[2] أحدُ الحُجَّابِ بالدِّيارِ المصْرِيَّةِ ، كان مِن أكابرِ الأُمراءِ فى الدولةِ الصلاحيّةِ ، وهو الذى كانَ يَتَسَلَّمُ الأسْطولَ بالبحرِ فيكونُ كالشَّجا فى حُلُوقِ الفِرنْجِ والنَّحرِ فى النَّحرِ ، فكَمْ مِن شُجاعٍ قد أسَرَ ، وكم مِن مَرْكبٍ قد

---

(١) فى ص : « الأستاذ دار » . وفى م : « الأستاذ » . وصواب ذلك كله : « الإستَدَّار » . قال فى صبح الأعشى ٥/ ٤٥٧ : « الإستدّار بكسر الهمزة وهو لقب على الذى يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ، وتمتثل أوامره فيه ، وهو مركب من لفظتين فارسيتين ؛ إحداهما إستذ ، ومعناها الأخذ . والثانية دار ومعناها الممسك . فأدغمت الذال الأولى وهى المعجمة فى الثانية وهى المهملة فصار إستدّار ... والمتشدقون من الكتاب يضمون الهمزة فى أوله ويلحقون فيه ألفًا بعد التاء فيقولون : « أُسْتَدّار » . وربما قالوا : « أُسْتاذ الدار » . ظنا منهم أن المراد حقيقة الدار فى اللفظ العربى ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير ... وهو خطأ صريح لما تقدم بيانه » . فتبين مما سبق خطأ ذلك كله بما فى ذلك ما أثبتناه من الأصل ، وإنما أثبتناه احترامًا للنسخ .

(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦٣، والعبر ٤/ ٣٠٤، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٦.

كَسَرَ ، وكم مِن أسطولٍ لهم قد فرَّق شملَه ، ومن بَطْسةٍ وَقارِبٍ قد غرَّق أهلَه ، وقد كان مع كثْرَةِ جهادِه دَارُالصَّدقاتِ ، كثيرَ النَّفقاتِ فى كلِّ يومٍ ، وكان بديارِ مصرَ غلاءٌ شديدٌ فتَصدَّقَ باثْنَىْ عشَرَ ألفَ رَغيفٍ ، لاثْنَىْ عشَرَ ألْفَ فقيرٍ ، فجزاه اللَّهُ خيرًا ورحمةً فى قبرِه ، وبيَّض وجهَه يومَ محشرِه ومنشرِه ، آمين .

الشيخُ الإمامُ الفقيهُ العلّامةُ شِهابُ الدِّينِ الطُّوسِىُّ[1] أحدُ مشايخِ الشافعيَّةِ بديارِ مِصْرَ ، وشيْخُ المدْرسةِ المنْسُوبَةِ إلى تَقِىِّ الدِّينِ عُمرَ بنِ شَاهنْشَاه بنِ أيُّوبَ ، التى يقالُ لها : منازِلُ العِزِّ . وهو مِن أصْحابِ محمدِ بنِ يحيى تلميذِ الغَزَّالىِّ ، كان له قدْرٌ ومنْزِلَةٌ عند ملُوكِ مِصْرَ ، يأمُرُهم بالمعْروفِ ويَنْهاهُم عنِ المنْكرِ ، إلى أن تُوفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، فى هذِه السَّنةِ ، فازْدَحم الناسُ فى جِنازتِه ، وتأسَّفُوا عليه .

الشَّيْخُ ظَهِيرُ الدِّينِ عبدُ السَّلامِ الفارِسِىُّ[2] شيْخُ [٣٢٢/٩و] الشَّافعيَّةِ بحَلَبَ ، أخَذ الفِقْهَ عن محمدِ بنِ يحيى تلميذِ الغَزَّالىِّ ، وتَلْمَذ للفخْرِ الرّازِىِّ ، ورحَل إلى مِصْرَ فعُرِض عليه أنْ يدرِّسَ بتربَةِ الشَّافعىِّ فلم يقْبَلْ ، فسار إلى حَلَبَ ، فأَقام بها إلى أنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ .

الشَّيْخُ العلَّامةُ بدْرُ الدِّينِ بنُ عسكرٍ[3] رئيسُ الحنَفِيَّةِ بدِمَشْقَ ، قالَ أبو شامَةَ[4] : ويعْرفُ بابنِ العَقَّادَةِ[5] .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٤٧٥، والروضتين ٢/ ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٦٧، والوافى بالوفيات ٥/ ٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٥٩.

(٢) الوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٧٠، وطبقات الإسنوى ٢/ ٢٨٤.

(٣) ذيل الروضتين ص ١٧. وفيه : « بدر الدين عسكر » .

(٤) ذيل الروضتين ص ١٧.

(٥) كذا بالنسخ وفى ذيل الروضتين ص ١٧: « العفاره » .

الشَّاعِرُ الماهرُ الهُمامُ العبدىُّ ، وهو أبو الحسَنِ علىُّ بنُ نصرِ بنِ عقيلِ بنِ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ عبدِ القيسِ بنِ ربيعةَ[1] وهو بغْدَادِىٌّ ، قدِمَ دِمشْقَ فى سنَةِ خَمْسٍ وتِسْعينَ وخمسِمائَةٍ ، ومعه دِيوانُ شعرٍ له ، فيه دُرَرٌ حِسانٌ وفرائدُ وعقائدُ وعِقْيَانُ ، وقد تصدَّى لمدْحِ الملكِ الأمْجَدِ صاحبِ بَعْلَبَكَّ ومَن قبلَه وله[1] :

وما النَّاسُ إلَّا كاملُ الحظِّ ناقصٌ ... وآخرُ مِنهمْ ناقصُ الحظِّ كامِلُ

وإنِّى لَمُثْرٍ مِن حَيَاءٍ وعِفَّةٍ ... وإنْ لم يكن عندِى مِن المالِ طائِلُ

وفيها تُوفِّى :

القاضِى الفاضلُ ، الإمامُ العلَّامةُ شيخُ الفُصَحاءِ والبُلَغاءِ . أبو علىٍّ عبدُ الرَّحيمِ بنُ القاضِى الأَشْرَفِ أبى المجْدِ علىِّ بنِ الحسَنِ بنِ البَيْسَانىِّ[2] المؤلَى الأجَلُّ ، القاضى الفاضِلُ ، كان أبوه قاضِيًا بعَسْقَلانَ ، فأرْسلَ ولدَه فى الدولةِ الفاطميَّةِ إلى الدِّيارِ المِصْريَّةِ ، فاشْتغلَ بها بكتابةِ الإنْشاءِ على أبى الفَتْحِ قادُوسٍ وغيرِه ، فسادَ أهلَ البلادِ حتى بَغْدَادَ ، ولم يكُنْ له فى زَمانِه نظيرٌ ، ولا عَدِيدٌ ولا فيما بعدَه إلى وقْتِنا هذا مماثلٌ ولا مناظرٌ ولا نديدٌ ، ولمَّا اسْتَقرَّ الملِكُ صلاحُ الدِّينِ فى الديارِ المصريةِ جعلَه كاتبَه وصاحبَه ووزِيرَه وجلِيسَه وأنيسَه ، وكان أعزَّ عليه من أهْلِه وأوْلادِه ، وأكرمَ عليه من طَريفِه وتِلادِه ، وتَساعدا حتى فتَح الأقاليمَ والبلدانَ والحصونَ والمعاقلَ ، هذا بحُسامِه وسِنَانِه ، وهذا بقلَمِه ولِسانِه وبَيانِه ، وقد كان القاضى الفاضلُ مع كثْرةِ أمْوالِه ووجاهتِه ورياستِه كثيرَ الصَّدقاتِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٣.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/ ٣٥، والروضتين ٢/ ٢٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٨، ونهاية الأرب ٨/١/ ٥١.

والصِّلَاتِ والصِّيامِ والصَّلاةِ ، وكان يُواظبُ كلَّ يومٍ وليلةٍ على ختْمَةٍ كاملةٍ ، مع ما يزيدُ عليها مِن نافلةٍ ، رحيمَ القلْبِ ، حسَنَ السِّيرةِ ، طاهرَ القلْبِ والسَّريرَةِ له مدرسةٌ بديارِ مِصْرَ على الشافعِيَّةِ والمالِكيَّةِ ، وأوْقافٌ على تخْليصِ الأسَارَى مِن أيدِى النَّصارى ، وقدِ اقْتنَى من الكُتُبِ نحْوًا مِن مِائَةِ ألْفِ كتابٍ ، وهذا شىءٌ لم يَفْرَحْ به أحدٌ من الوُزَراءِ ولا العُلَماءِ ولا المُلُوكِ ولا الكُتَّابِ ، كان مولدُه فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثين وَخمسِمائةٍ ، وقد كانت وفاتُه فى يومِ دخَل العادلُ إلى قصْرِ مِصْرَ بمدْرسَتِه فجأةً ، يومَ الثُّلاثاءِ سادسَ رِبيعِ الآخرِ ، واحْتفَل الناسُ بجِنازَتِه ، وزار قبْرَه فى اليومِ الثَّانى الملكُ العادِلُ ، وتأسَّفَ عليه ، ويقالُ[1] : إنَّه اسْتَوْزَرَ الملكُ العادلُ صَفِىَّ الدِّينِ بنَ شُكْرٍ ، فلمَّا سمِع الفاضِلُ بذلك دَعا اللَّهَ أنْ لا يُحْيِيَه إلى هذه الدَّوْلَةِ ، لمَا بيْنَهما مِن المنافسَةِ ، فمات ، رحِمه اللَّهُ ، ولم ينَلْه أحدٌ بضَيْمٍ ولا أذًى ، ولا رأَى فى الدولةِ مَنْ هو أكبرُ منه ، وقد رثَاه الشُّعراءُ بأشعارٍ حَسَنةٍ ، منها قولُ القاضِى هبَةِ اللَّهِ بنِ سَنَاءِ المُلْكِ[2] :

عبدُ الرَّحيمِ على البريَّةِ رحمةٌ ... أمِنَتْ بصُحبتِها حلُولَ عِقَابِها
يا سائلًا عنهُ وعن أسْبابِهِ ... نالَ السَّماءَ فسَلْه عن أسْبابِها
[3]والدَّهرُ يعلمُ أنَّ فيصلَ خطْبِه ... بخُطا يراعتِه وفصلِ خطابِها
ولقد عَلَتْ رتبُ الأجلِّ على الورى ... بسموِّ منصبِها وطِيبِ نصابِها[3]
وأتَتْهُ خاطِبةً إليهِ وزارَةٌ ... ولطالما أعْيَتْ على خُطَّابِها

---

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٤١.
(٢) الأبيات فى ديوانه ١/ ٥٦، وفى الروضتين ٢/ ٢٤٣.
(٣ - ٣) سقط من : م.

(١) ما لقَّبُوه بها لأن يعلُو بها ... أسماؤه أغنَتْه عن ألقابِها

قال الزمانُ لغيرِه إذ رامها ... تربَتْ يمينُك لسْتَ من أترابِها

(٢) اذهَبْ طريقَك لست من أربابِها ... وارجع وراءَك لسْتَ مِن أصحابِها (٢)

وبعزِّ سيدِنا وسيِّدِ غيرِنا(٣) ... ذلَّتْ مِن الأيامِ شمسُ صعابِها (١)

وأتَتْ سعادتُه إلى أبْوابِه ... لا كالذى يسْعَى إلى أبْوابِها

تعْنُو المُلُوكُ لوجْهِهِ بوُجوهِها ... لا بلْ تُساقُ لِبابِهِ برِقابِها

شُغِلَ الملوكُ بما يزولُ ونفْسُه ... مشْغُولةٌ بالذِّكْرِ فى محْرابِها

فى الصَّومِ والصَّلواتِ أتْعبَ نفسَه ... وضمانُ راحتِه على إتْعابِها

وتعجَّلَ الإقلاعَ عن لذَّاتِه ... ثِقَةً بحسْنِ مآلِها ومآبِها

فَلْتَفْخَرِ الدُّنيا بسائسِ مُلْكِها ... منهُ ودارسِ علْمِها وكتابِها

صَوّامِها قَوّامِها عَلّامِها ... عَمّالِها بَذّالِها وَهّابِها

والعجَبُ أنَّ القاضىَ الفاضل مع براعَتِه وفصاحتِه التى لا تُدَانَى ولا تُجارَى لا يُعرفُ له قصيدةٌ طويلةٌ طنَّانةٌ ، بل له ما بينَ بيتٍ وبَيْتَيْنِ فى أثناءِ الرسائلِ وغيرِها شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فمِنْ ذلك قولُه(٤) :

سبَقْتُمْ بإسْداءِ الجميلِ تكرُّمًا ... وما مثْلُكم فِيمَنْ تحدَّثَ أو حَكَى

وقد كانَ ظنِّى أن أسابِقَكُم بهِ ... ولكن بَكَتْ قبلى فهيجَ لى البكا

ومن ذلك قولُه(٥) :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى النسخ ، والديوان : « وسيد عزنا » ، وفى نسخة من نسخ الديوان كما ورد هنا .

(٤) الروضتين ٢/ ٢٤٤.

(٥) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٨ .

ولى صاحِبٌ ما خِفْتُ مِن جَوْرِ حادثٍ مِن الدَّهْرِ إلَّا كانَ لى مِن وَرائيَهْ
إذا عضَّنِى صَرْفُ الزمانِ فإنَّنِى برايـاتِـه أسْـطُـو عـلـيـهِ ورائـيَـهْ

وله فى بدُوِّ أمْرِه[1] :

أرَى الكُتَّابَ كلَّهمُ جميعًا بأرْزاقٍ تـعُـمُّـهـم سنِيـنَـا
ومَالِىَ بينَهمْ رِزْقٌ كأنِّى خُلِقْتُ مِن الكِرامِ الكاتِبِينَا

وله فى النَّحْلةِ والزلقطةِ[2] :

ومُغَرِّدَيْنِ تجاوَبَا فى مجْلِسٍ فنفاهما لأذَاهُما الأقْوامُ
هذا يجُودُ بعَكْسِ ما يأْتى به هذا فيُحْمَدُ ذا وذاكَ يُذامُ

[3]وله فى ممسحةِ القلمِ :

مِمسحةٌ نهارُها يجِنُّ ليلَ الظُّلَمِ كأنها من طرفِها منديلُ كفِّ القلمِ[3]

وقولُه[4] :

بِتْنا على حالٍ تسُرُّ الهوَى لـكِـنَّـهُ لا يمْـكِـنُ الـشَّـرْحُ
بَـوَّابُـنـا الـلـيـلُ وقُـلْـنـا لـهُ إنْ غِبْتَ عنَّا هجَم الصُّبْحُ

وسأَله الملكُ العزيزُ عثمانُ بنُ الناصرِ عن جاريةٍ من حظاياه أرسَلَتْ إليه زِرًّا من ذهبٍ مُغلَّفٍ بعَنْبَرٍ أسْوَدَ ، فأنْشَأ الفاضلُ يقولُ[5] :

---

(١) ديوانه ١/ ٥٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣ - ٣) سقط من: م، والبيت فى تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٨.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٠.
(٥) المصدر السابق ٣/ ١٦١.

أهدَتْ لك العنبرَ فى وَسْطِه زِرٌّ مِن التِّبْرِ رقيقُ اللِّحامِ
فالزِّرُّ فى العَنْبَرِ معْناهما زُرْ هكذَا مُخْتَفِيًا فى الظَّلامِ

قالَ القاضى ابنُ خَلِّكَانَ[1] : وقد اختُلِفَ فى لقَبِهِ ؛ فقيلَ : مُحْيِى الدِّينِ وقيلَ : مُجِيرُ الدِّينِ . وحُكِىَ عن عُمارَةَ اليَمَنىِّ أنَّه ذكَره بذكرٍ جميلٍ ، وأنَّ العادِلَ بنَ الصَّالحِ بنِ رُزِّيكَ هو الذى اسْتَقدَمَه مِن الإسْكنْدريَّةِ ، وقد كان معدْودًا فى حسَناتِه . وقد بسَط ابنُ خَلِّكَانَ ترْجمتَه بنَحْوِ ما ذكَرْنا ، وفى هذهِ زِيادةٌ كثيرةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٦٢، ١٦٣.

ثم دخَلَتْ سنَةُ سبعٍ وتِسْعِين وخَمْسِمائَةٍ

فيها[1] اشْتَدَّ الغَلاءُ بأرْضِ مِصْرَ جدًّا ، فهلَكَ خلقٌ كثيرٌ جدًّا مِن الفُقراءِ والأغْنياءِ ، ثم أعْقَبَه فناءٌ عظيمٌ ، حتى حكَى الشيخُ أبو شامَةَ فى « الذَّيْلِ »[2] أنَّ العادلَ كفَّنَ مِن مالِه فى مدَّةِ شهرٍ مِن هذه السَّنةِ نحْوًا مِن مِائَتَىْ ألْفٍ وعِشْرِينَ ألْفَ مَيِّتٍ ، وأُكِلَتِ الكِلابُ والمَيْتاتُ فى هذه السنةِ بمِصْرَ ، وأُكِلَ من الصِّغارِ والأطْفالِ [٩/٣٢٣و] خلْقٌ كثيرٌ ، يَشْويه والِدَاه ويأكُلانِه ، وكثُر هذا فى الناسِ حتى صارَ لا يُنْكَرُ بَيْنَهم ، ثم صاروا يحتالون على بعضِهم بعضًا فيأكلون من يقدرون عليه ، ومَن غلَب مِن قوىٍّ ضعيفًا ذبَحه وأكَله .

وكان الرجلُ يُضِيفُ صاحبَه فإذا خلا به ذبَحه وأكَله ، ووُجِدَ عندَ بعْضِهم أرْبَعُمائَةِ رأسٍ .

وهلَكَ كثيرٌ مِن الأطبَّاءِ الذين يُسْتَدْعون إلى المَرْضَى ، فيُذْبحون ويُؤْكَلون ؛ وقدِ اسْتَدعَى رجلٌ طبيبًا فخافَ الطبيبُ وذهَب معه على وجَلٍ ، فجعَل الرجلُ يتَصدَّقُ على مَنْ وجَده فى الطَّريقِ ويذكُرُ ويُسبِّحُ ، ويكْثِرُ مِن ذلك ، فارْتاب به الطبيبُ وتخيَّلَ ، ومع هذا حمَله الطَّمعُ على الاسْتمرارِ معه ، فلمَّا وصَل إلى الدارِ إذا هى خَرِبَةٌ فارتابَ أيضًا ، فخرَج رجلٌ من الدارِ ، فقال لصاحبِه : ومع هذا البُطْءِ جِئْتَ لنا بصَيْدٍ . فلمَّا سمِعَها الطبيبُ هرَب ، فخرَجا خلْفَه سِراعًا فما

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١.

(٢) ذيل الروضتين ص ١٩.

خلَص إلَّا بعدَ جَهدٍ جَهيدٍ .

وفيها وقَع وباءٌ شديدٌ ببلادِ عَنَزَةَ بينَ الحِجَازِ واليمَنِ ، وكانُوا يسكنون فى عِشْرين قريةً ، فبادَتْ منها ثَمانِى عشْرَةَ قريةً ، ولم يبْقَ فيها ديَّارٌ ولا نافِخُ نارٍ ، وبقِيَت أنعامُهم وأمْوالُهم لا قانِىَ لها ، ولا يسْتَطيعُ أحدٌ أنْ يسْكُنَ تلكَ القُرَى ولا يدْخُلَها ، بل كان مَنِ اقْتَرب إلى شىءٍ من هذِه القُرَى هلَك من ساعَتِه ، فسبحانَ من بيدِه ملكوتُ كلِّ شىءٍ وإليه ترجعون ، أمَّا القَرْيتانِ الباقِيَتانِ فإنَّهما لم يَمُتْ منهما أحدٌ ، ولا عندَهم شعورٌ بما جرَى على مَنْ حوْلَهم ، بل هم على ما كانوا عليه لم يُفْقَدْ منهم أحدٌ .

واتَّفَقَ باليمنِ فى هذه السَّنةِ كائنةٌ غريبةٌ جدًّا ؛ وهى أنَّ رجلًا يقالُ له : (١عبدُ اللَّهِ١) بنُ حَمْزَةَ العَلَوِىُّ كان قد تغَلَّبَ على كثيرٍ مِن بلادِ اليمنِ ، وجمَع نحوًا مِنَ اثْنَىْ عشَرَ ألفَ فارسٍ ، ومن الرَّجَّالَةِ جمعًا كثيرًا ، وخافَه مَلِكُ اليَمنِ المُعزُّ بنُ إسْماعيلَ بنِ سيفِ الإسلامِ بنِ طُغتِكينَ بنِ أيُّوبَ ، وغلَب على ظنِّه زَوالُ مُلْكِه على يدَىْ هذا المتغلِّبِ ، وأيْقَن بالهَلَكَةِ لضَعْفِه عن مقاومَتِه ، واخْتِلافِ أمَرائِه معه فى المَشُورةِ ، فأرْسَل اللَّهُ صاعِقَةً ، فنزَلَتْ عليهم ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ فاضطرَب الجيشُ فيما بيْنَهم وأقبَل المُعزُّ بعسكرِه فغَشِيَهم فقتَل منهم سِتَّةَ آلافِ قتيلٍ ، واسْتَقرَّ فى مُلْكِه آمِنًا .

وفيها تكاتَبَ الأخَوانِ ؛ الأفْضَلُ مِن صَرْخَدَ ، والظَّاهِرُ مِن حَلَبَ ، على أنْ يجْتمِعَا على حِصارِ دِمَشْقَ وينْزِعَاها مِن المُعَظَّمِ بنِ العادِلِ ، وتكونَ للأفْضَلِ ، ثم يسِيرَا إلى الديارِ المصريةِ فيأْخُذَاها من العادِلِ وابْنِه الكاملِ اللَّذينِ نقَضَا العهدَ

(١ - ١) فى تاريخ الإسلام : « عبد الرحمن » .

وأبْطَلا خُطْبَةَ المَنْصُورِ بنِ العزيزِ، ونكَثَا المواثِيقَ، فإذَا استقرَّ لهما مُلْكُ مِصْرَ كانتْ للأفْضَلِ، وتصِيرُ دِمَشْقُ مُضافةً إلى الظَّاهِرِ مع حلَبَ، فلمَّا بلَغ العادِلَ ما تمَالآ عليه، أرْسلَ جيْشًا مدَدًا لابْنِه المُعَظَّمِ بدِمَشْقَ، فوَصَلُوا قبلَ وصُولِ الظَّاهِرِ وأخِيه الأفضلِ، وكان وصُولُهما إليها فى ذِى القَعْدَةِ مِن ناحِيَةِ بَعْلَبَكَّ، فنَزلَا بجيشِهما فى مسْجدِ القَدَمِ، واشْتدَّ الحِصارُ للبَلدِ، وتسلَّقَ كثيرٌ من الجيْشِ من ناحِيَةِ خانِ ابنِ المقدمِ، ولم يَبْقَ إلَّا فتْحُ البَلدِ، لولَا هُجومُ الليلِ. ثم إنَّ الظَّاهِرَ بَدَا له فيما كان عاهد أخاه عليه من كوْنِ دِمَشْقَ تكونُ للأفْضَلِ، فرأَى أنْ تكونَ له أوَّلًا، ثم إذا فُتِحتْ مِصرُ يُسلِّمُها للأفضَلِ، فأرسَل إليه فى ذلك فلم يقْبَلِ الأفْضَلُ ذلك، واخْتلَفا وتفرَّقَتْ كَلِمَتُهما، وتَنازَعا المُلْكَ بدِمَشْقَ، فتفرَّقَتِ الأُمَراءُ عنهما، وكُوتِبَ العادِلُ فى الصُّلْحِ، فأرْسَل يجيبُ إلى ما سأَلَا مِن إقْطاعِهما شيئًا مِن بلادِ الجزِيرةِ، وبعْضِ مُعاملةِ المَعَرَّةِ. وتفرَّقَتِ العَساكِرُ عن البلدِ فى مُحَرَّمِ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعِينَ، وسار كلٌّ من الملكينِ إلى تسلُّمِ البلادِ التى أُقْطِعَها، وجرَتْ خُطوبٌ يطُولُ شرْحُها، وقد كان الظَّاهِرُ وأخُوه كتَبا إلى صاحبِ المَوْصِلِ نُورِ الدِّينِ أرْسلَانَ الأَتابِكىِّ أنْ يُحاصِرَ مُدنَ الجزِيرَةِ التى مع عمِّهما العادلِ، فركِب فى جيْشِه، وأرْسَل إلى ابنِ عمِّه قُطْبِ الدِّينِ صاحِبِ سِنْجارَ، واجْتَمَع معهما صاحِبُ ماردِينَ الذى كان العادِلُ قد حاصَرَه وضيَّقَ عليه مُدَّةً طويلةً، فقَصدَتِ العَساكِرُ حَرَّانَ، وبها الفائِزُ بنُ العادِلِ، فحاصَرُوه مدَّةً، ثم لمَّا بلَغَهم وقُوعُ الصُّلْحِ بينَ العادلِ وابْنَىْ أخيه الظاهرِ والأفضلِ عدَلُوا إلى المُصالحَةِ أيضًا، وذلك بعدَ طلَبِ الفائزِ ذلك منهم، وتمَهَّدَتِ الأُمورُ واسْتقرَّتْ على ما كانت عليه، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

وفى هذه السنةِ مَلَكَ غِياثُ الدِّينِ وأخُوه شِهَابُ الدِّينِ الغُورِيَّانِ جميعَ ما

كانَ يملكُه خُوارِزْم شَاه مِن البُلْدانِ والحواصلِ والأمْوالِ ، وجرَتْ لهم خُطوبٌ طويلةٌ جدًّا . وفيها كانتْ زَلْزَلَةٌ عظيمةٌ ، ابْتدَأتْ مِن بلادِ الشَّامِ إلى الجزِيرَةِ وبلادِ الرُّومِ والعِرَاقِ ، وكان جُمْهُورُها وعُظْمُها بالشَّامِ ؛ تهَدَّمَت منها دُورٌ كثيرةٌ ، وخُسِفَ بقَريةٍ مِنْ أرْضِ بُصْرَى ، وأمَّا السواحلُ فهَلَكَ فيها شيءٌ كثيرٌ ، وخَرِبَتْ محالٌّ كثيرةٌ مِن طَرابُلُسَ وصُورَ وعكَّا ونابُلُسَ ، ولم يبْقَ بِنَابُلسَ سِوَى حارةِ السَّامرَّةِ[1] ومات بها وبقُرَاها ثَلاثُونَ ألْفًا تحتَ الرَّدْمِ ، وسقَطَ طائفةٌ كثيرةٌ مِن المنارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بجامعِ دمشقَ [2]وأرْبَعَ عشْرَةَ[2] شُرْفةً منه ، وغالبُ الكلَّاسَةِ والمارَسْتانِ النُّوريِّ ، وخرَجَ الناسُ إلى المَيَادِينِ يسْتَغِيثونَ ، وسقَطَ غالبُ قَلْعَةِ بَعْلَبَكَّ مع وَثاقَةِ بِنَائِها ، وانْفَرَقَ البحْرُ إلى قُبْرُسَ ، وحذَفَ بالمراكبِ إلى ساحلِه ، وتعدَّى إلى ناحيَةِ الشرقِ ، فسقَطَ بسبَبِها دورٌ كثيرةٌ ، وماتَ أُمَمٌ لا يُحْصونَ حتى قال صاحِبُ « مِرْآةِ الزَّمانِ »[3] : إنَّه مات فى هذه السَّنَةِ بسبَبِ الزَّلْزلَةِ نحْوٌ مِن أَلْفِ ألْفٍ ومِائَةِ ألْفِ إنْسانٍ . نقَله فى « ذيلِ الروضتين » عنه .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعْيانِ :

الشيخُ أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِيِّ[4] عبدُ الرَّحْمنِ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ حُمَّادَى بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ جَعْفَرٍ الجَوْزِيُّ - نِسْبةً إلى فُرْضَةِ[5]

---

(١) فى ص ، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٨، وذيل الروضتين ص ٢٠ : « السمرة » .

(٢ - ٢) كذا بالنسخ ، وفى مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٨، وذيل الروضتين ص ٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٨: « ست عشرة » . فاللَّه أعلم .

(٣) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٧٨، وذيل الروضتين ص ٢٠.

(٤) الكامل ١٢/ ١٧١، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٨٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٩٩، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٧٠.

(٥) فرضة : فرضة النهر ثلمته التى يستقى منها . التاج (ف ر ض) ، وهذه الفرضة تعرف بفرضة الجوز .

نَهْرٍ بالبَصْرَةِ - ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ بنِ النَّضْرِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبى بكْرٍ الصِّدِّيقِ ، الشيخُ الحافِظُ الواعِظُ جمالُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ ، المشْهورُ بابْنِ الجوْزِىِّ ، القُرَشِىُّ التَيْمِىُّ البَغْدَادِىُّ الحَنْبَلِىُّ ، أحدُ أفْرادِ العلماءِ ، برَّز فى كثيرٍ مِن العُلومِ ، وجمَع المُصَنَّفاتِ الكبارَ والصِّغارَ نحْوًا مِن ثَلاثِمائَةِ مُصَنَّفٍ ، وكتَب بيَدِه نحْوًا مِن ألْفَىْ مُجَلَّدَةٍ ، وتَفرَّدَ بفَنِّ الوَعْظِ الذى لم يُسْبَقْ إلى مثْلِه ولا يُلحَقُ شأْوُه فى طريقَتِه وشكْلِه ، [٩/٣٢٤و] وفى فصاحَتِه وبلاغَتِه وعذُوبةِ كلامِه ، وحلاوةِ ترْصِيعِه ، ونُفوذِ وعْظِه ، وغوْصِه على المعانى البديعَةِ ، وتقْريبِه الأشْياءَ الغريبةَ فيما يُشاهَدُ مِن الأمُورِ الحِسِّيَّةِ ، بعبارةٍ وَجِيزَةٍ سريعةٍ ، هذا وله فى العُلومِ اليدُ الطُولَى ، والمُشارَكاتُ فى سائرِ أنْواعِ العلومِ مِن التَّفْسيرِ والحديثِ والتَّاريخِ والحسابِ ، والنَّظَرِ فى النُّجومِ ، وله مِن المُصَنَّفاتِ فى ذلك ما يضيقُ هذا المقامُ عن تعْدادِها ، وحصْرِ أفْرادِها ؛ منها كِتابُه فى التَّفْسيرِ الشهيرُ بـ « زادِ المسيرِ » ، وله أبْسَطُ منه ولكِنَّه ليْسَ بمشْهورٍ ولا منكورٍ ، وله « جامِعُ المَسانِيدِ » اسْتَوعَب فيه غالبَ « مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ » و « صَحِيحَىِ البُخارِىِّ ومسلمٍ » و « جامعِ التِّرْمِذِىِّ » ، وله كتابُ « المُنْتظمِ فى تَواريخِ الأُمَمِ مِن العرَبِ والعَجَمِ » فى عِشْرينَ مُجَلَّدًا ، قد أوْرَدْنا فى كِتابِنا هذا كثيرًا مِن حوادِثه وتَراجِمِه ، فلم يزَلْ يُؤرِّخُ أخْبارَ العالَمِ حتَّى صارَ هو تاريخًا ، وما أحقَّه بقولِ الشاعرِ[1] :

مازِلْتَ تدْأبُ فى التَّاريخِ مُجْتهِدًا ... حتى رأيْتُكَ فى التَّاريخِ مكْتُوبا

وله مَقاماتٌ وخطَبٌ ، وله « الأحاديثُ الموْضوعَةُ » ، و « العِلَلُ المُتَناهِيَةُ فى الأحاديثِ الواهِيَةِ » ، وغيرُ ذلك .

وُلِد سنةَ عشْرٍ وخمسِمائةٍ ، ومات أبوه وعُمرُه ثَلاثُ سنين ، وكان أهلُه تُجَّارًا

---

(١) القائل هو أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان . وفيات الأعيان ١٣٧/٣ .

فى النُّحاسِ ، فلمَّا تَرَعْرَع جاءَتْ به عمَّتُه إلى مسجْدِ محمدِ بنِ ناصِرٍ الحافظِ ، فلَزِم الشيخَ ، وسمِع عليه الحديثَ ، وتَفقَّه بابْنِ الزَّاغُونِىِّ ، وحفِظ الوَعْظَ ، ووَعَظ وهو دونَ العشرين ، وأخَذ اللغةَ عن أبى مَنْصُورٍ الجَوالِيقىِّ ، وكانَ صَيِّنًا دَيِّنًا ، مجموعًا على نفْسِه لا يُخالِطُ أحدًا ، ولا يأْكُلُ مِمَّا فيه شُبْهَةٌ ، ولا يَخْرُجُ مِن بَيْتِه إلَّا للجُمُعَةِ ، وقد حضَر مجْلِسَ وعْظِه الخُلَفاءُ والوزَراءُ والملوكُ والأمَراءُ والعُلَماءُ والفُقَراءُ ، ومِن سائرِ صُنوفِ بنى آدَمَ ، وأقلُّ ما كان يجْتَمعُ فى مجلسِه عشَرَةُ آلافٍ ، وربَّما اجْتَمَع فيه مائةُ ألْفٍ أو يزِيدُون ، وربَّما تكلَّم مِن خاطِرِه على البَدِيهَةِ نَظْمًا ونَثْرًا ، رحِمه اللَّهُ .

وبالجملةِ كان أسْتاذًا فرْدًا فى الوَعْظِ ، له مشاركاتٌ حسنةٌ فى بقيةِ العلومِ ، وقد كانَ فيه بَهاءٌ ، وترَفُّعٌ فى نفْسِه ، ويسمُو بنَفْسِه أكثرَ مِن مَقامِه ، وذلكَ ظاهِرٌ فى نثْرِه ونظْمِه ، فمِن ذلك قولُه[1] :

مازِلْتُ أدْرِكُ ما غَلا بلْ ما عَلا ... وأُكابِدُ النَّهْجَ العسِيرَ الأطْوَلا
تجْرِى بِىَ الآمالُ فى حلَبَاتِه ... طلقَ[2] السَّعيدِ جَرَى مدَى ما أمَّلَا
يُفْضِى بِىَ التَّوْفيقُ فيه إلى الذى ... أعمَى سِوَاىَ توَصُّلًا وتَغَلْغُلَا
لو كان هذا العِلْمُ شخْصًا ناطِقًا ... وسأَلْتَه هل زُرْتَ مِثْلى قال لا

ومِن شعْرِه أيضًا ويُرْوى لغيرِه[3] :

إذا قَنِعْتَ بمَيْسُورٍ مِن القُوتِ ... أصبَحتَ فى الناسِ حُرًّا غيرَ مَمْقُوتِ
يا قُوتَ نفسى إذا ما دَرَّ خِلْفُكَ[4] لى ... فلَسْتُ آسَى على دُرٍّ ويا قُوتِ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٦٧.
(٢) فى الأصل ، م : « جرى » .
(٣) المصدر السابق ٩/ ٦٦.
(٤) الخِلْف ، بكسر الخاء ، من ذوات الخُفّ كالثدى للإنسان .

وله مِن النَّظْمِ والنَّثرِ شيءٌ كثيرٌ لا ينضبِطُ ، وله كِتابٌ مُفرَدٌ سمَّاه : « نظْم الجُمَان فى كان وكان » .

ومِن لَطائفِ كلامِه قولُه[1] فى الحديثِ : « أَعْمَارُ أُمَّتِى ما بينَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ »[2] : إنَّما طالَتْ أعْمارُ مَن قبْلَنا لطُولِ البادِيَةِ ، فلمَّا شارَف الرَّكْبُ بلدَ الإقامَةِ قيل لهم : حُثُّوا المطِىَّ . وقالَ له رجلٌ : أيُّما أفْضَلُ ؟ أجْلِسُ أُسبِّحُ أو أسْتَغْفِرُ ؟ فقال[3] : الثَّوْبُ الوَسِخُ أحْوَجُ إلى الصابونِ مِن البَخُورِ .

وسُئِل عمَّنْ أوْصَى وهو فى السِّياقِ ، فقال[4] : هذا طينٌ سُطوحُه فى كانُونٍ .

والْتَفَت يومًا إلى ناحيةِ الخليفةِ المُسْتَضِىءِ وهو فى الوَعْظِ فقال[5] : [٩/ ٣٢٤ظ] يا أميرَ المؤمنين ؛ إنْ تكلَّمتُ خِفتُ منكَ ، وإنْ سكَتُّ خِفتُ عليكَ ، وإنَّ قولَ القائلِ : اتَّقِ اللَّهَ ، خيْرٌ لكم مِن قولِه : إنَّكُم أهلُ بَيْتٍ مغْفُورٌ لكم . وكان عمرُ ابنُ الخطَّابِ يقولُ : إذا بلَغَنِى عن عامِلٍ أنَّه ظالمٌ فلم أُغَيِّرْه ، فأنا الظَّالِمُ . يا أميرَ المُؤْمِنينَ ؛ وكان يُوسُفُ لا يشْبَعُ فى زمَنِ القَحْطِ حتى لا ينْسَى الجِيعانَ ، وكانَ عمرُ يضْرِبُ بطْنَه عامَ الرَّمادَةِ ويقولُ : قَرْقِرْ أولا تُقَرْقِرْ ، واللَّهِ لا سَمْنًا ولا سَمِينًا حتى يُخْصِبَ الناسُ . قالَ : فتصدَّق المُسْتَضِىءُ بمالٍ جزيلٍ ، وأطْلَق المَحابِيسَ ، وكسَى خلْقًا مِن الفُقَراءِ .

وُلِد ابنُ الجَوْزِىِّ فى حدودِ سنَةِ عَشْرٍ وَخمْسِمائَةٍ ، كما تقدَّم[6] ، وكانتْ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٩١.

(٢) الترمذى (٣٥٥٠) ، وابن ماجه (٤٢٦) . حسن لذاته (السلسلة الصحيحة ٧٥٧) .

(٣) مرآة الزمان ٨/٢/ ٤٩٠.

(٤) المصدر السابق ٨/٢/ ٤٩٠.

(٥) المصدر السابق ٨/٢/ ٤٩١.

(٦) تقدم فى ص ٧٠٧.

وَفاتُه فى ليْلةِ الجُمُعَةِ بينَ العِشَاءَيْن الثَّانِى عشَرَ مِن شهرِ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وله سَبْعٌ وثَمانُون سنةً ، وحُمِلتْ جِنازَتُه علَى رُءوسِ الناسِ ، فدُفِن ببَابِ حربٍ عندَ أبيه بالقُرْبِ مِن الإمامِ أحمدَ ، وكانَ يومًا مشْهُودًا ، حتى قيلَ : إنَّه أفْطَر جماعَةٌ مِن الناسِ بسببِ شدةِ الحَرِّ وكثْرَةِ الزِّحامِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد أوصَى أن تُكْتَبَ على قَبْرِه هذه الأبْياتُ[1] :

يا كثيرَ العَفْوِ عَمَّن ... كَثُر الذَّنْبُ لدَيهِ
جاءَكَ المُذْنِبُ يَرْجُو ... الصَّفْحَ عن جُرْمٍ يدَيْهِ
أنا ضَيْفٌ وجزاءُ ... الضَّيْفِ إحسانٌ إليهِ

وقد كان للشيخِ جمالِ الدينِ بنِ الجَوْزىِّ مِن الأوْلادِ الذُّكورِ ثلاثَةٌ : عبدُ العزيزِ ، وهو أكْبَرُ أولادِه ، ماتَ شابًّا فى حَياةِ والدِه فى سنَةِ أرْبعٍ وخَمْسِينَ ، ثمَّ أبو القاسِمِ علىٌّ ، وقد كانَ عاقًّا لوالدِه إلْبًا عليه فى زمنِ المِحْنَةِ وغيرِها ، وقد تسَلَّطَ على كتُبِه فى غَيْبَتِه بِوَاسِطٍ ، فباعَها بأبْخَسِ الأثمانِ ، ثم مُحْيِى الدِّينِ يُوسُفُ ، وكان أنْجَبَ الأولادِ وأصْغَرَهم ؛ وُلِدَ سنَةَ ثَمانِينَ ، ووَعَظ بعدَ أبيه ، واشْتَغَل وحرَّر وأتْقَن وسادَ أقْرانَه ، ثم باشَر حِسْبَةَ بَغْدَادَ ، ثم كان رسُولَ الخُلَفاءِ إلى المُلُوكِ بأطْرافِ البلادِ ، ولا سِيَّما إلى بَنى أيُّوبَ بالشَّامِ ، وقد حصَّل منهم مِن الأمْوالِ والكَرامَاتِ ما ابْتَنَى به المدْرسَةَ الجَوْزِيَّةَ التى بالنَّشابِينَ بدِمَشْقَ ، ثم صار أسْتاذَ دارِ الخليفةِ المُسْتَعْصِمِ فى سنةِ أرْبَعِينَ وستِّمائةٍ ، واسْتَمرَّ مُباشِرَها إلى أنْ قُتِل مع الخليفةِ عامَ هولاكو بنِ تُولِى بنِ جِنْكِزخانَ ، وكان لأبى الفَرَجِ عدَّةُ بنَاتٍ ؛ منْهُنَّ رابِعَةُ أمُّ سِبْطِه أبى المُظَفَّرِ بنِ قزاوغلىٍّ صاحبِ « مِرْآةِ الزَّمانِ » ، وهى كتابٌ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٠.

مِن أجْمَعِ التَّواريخِ وأكْثرِها فائدةً ، وقد ذكَره ابنُ خَلِّكَانَ فى « الوَفَياتِ » ، فأثْنَى عليه ومدَحه وشكَر تَصانِيفَه وعلُومَه .

العِمَادُ الكاتِبُ الأَصْبهانىُّ[1] **محمدُ بنُ محمدِ بنِ حامِدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ محمودِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أَلُّهْ**[2] - بتَشْديدِ اللَّامِ وضمِّها - المعْروفُ بالعِمَادِ الكاتبِ الأصْبهانىِّ ، صاحِبُ المُصَنَّفاتِ والرَّسائلِ والشعرِ ، وُلِد بأصْبَهانَ فى سنةِ تِسْعَ عشْرَةَ وخَمْسِمائةٍ ، وقَدِم بَغْدَادَ ، فاشْتَغَل بها على الشيخِ أبى منْصُورٍ سعيدِ بنِ الرَّزَّازِ مُدرِّسِ النِّظامِيَّةِ ، وسمِع الحديثَ ، ثم رحَل إلى الشَّامِ ، فحظِىَ عندَ الملكِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى ، وكتَب بينَ يدَيْه ووَلَّاه المدْرسةَ التى أنْشَأَها داخِلَ بابِ الفَرجِ التى يقالُ لها العِمَادِيَّةُ ؛ نِسْبَةً إلى العمادِ هذا لكثرةِ إقامَتِه بها ، وتدْرِيسِه فيها ، ولم يكُنْ أوَّلَ مَن درَّس بها ، بل قد سبَقه إلى تدْريسِها غيرُ واحدٍ ، [٩/٣٢٥و] كما تقدَّمَ[3] فى ترْجَمَةِ نُورِ الدينِ .

ثم صار العِمَادُ كاتِبًا فى الدَّوْلَةِ الصَّلاحِيَّةِ ، وكان القاضى الفاضِلُ يُثْنى عليه ويشْكُرُه ، قالُوا[3] : وكان منْطوقُه يعْتَرِيه جمودٌ وفَتْرَةٌ ، وقرِيحَتُه فى غايةِ الجوْدَةِ والحِدَّةِ . وقد قال القاضِى الفاضِلُ لأصْحابِه يومًا : قولُوا . فتَكلَّمُوا وشبَّهُوه فى هذه الصِّفَةِ بصِفاتٍ ، فلم يقْبَلْها القاضِى ، وقالَ[4] : هو كالزِّنادِ ، ظاهِرُه بارِدٌ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧١، ومعجم الأدباء ١٩/ ١١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٧٨.

(٢) ألّه : بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء ، وهو اسم عجمى معناه بالعربى العقاب وهو الطائر المعروف . وفيات الأعيان ٥/ ١٥٢.

(٣) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٦٤.

(٤) المصدر السابق .

وداخِلُه نارٌ. وله مِن المُصَنَّفاتِ: «خريدةُ القصرِ فى شُعراءِ العَصْرِ»، و«الفَتْحُ القُدْسِىُّ»، و«البَرْقُ الشَّامِىُّ»، وغيرُ ذلك مِن المُصَنَّفاتِ المُسْجَعَةِ، والعِباراتِ المُصَرَّعةِ، والقَصائدِ المُطَوَّلَةِ، والمعانى والألفاظِ المُؤَثَّلَةِ.

ومِن لطيفِ تغزُّلِه قولُه هذه الأبيات[1]:-

كيف قُلْتُم فى مُقْلَتَيه فُتورُ ... وأُرَاها بلا فتورٍ تجورُ
لو بصُرتم بطَرْفِه كيف يَسْبِى ... قُلْتُمُ ذاكَ كاسِرٌ لا كسيرُ
مُوتِرٌ قوسَ حاجِبَيه لإِصْمَا ... ءِ[2] فؤادى كأنَّه موتورُ
لا تَسَلْنى عن العَقَارِ فَعَقْلى ... طافحٌ مِن عقارِهنَّ عقيرُ
كيف يَصْحُو مِن سُكرِه مستهامٌ ... مَزَجَتْ كأسَه الحسانُ الحورُ
أورَثَتْه سقامَها الحُدقُ النجـ ... ـلُ وأهدَتْ له النحولُ الخصورُ
ما تصيدُ الأُسْدُ الخوادِرُ إلَّا ... ظبياتٍ كناسُهنَّ الخدورُ
كلُّ غُصْنيَّةِ الموشَّحِ هيفا ... ءُ على البدرِ جيبُها مزرورُ
وجناتٌ تَجنِى الشقائقَ منها ... وثَنايا كأنَّها المنثورُ

وقد كانت وفاتُه فى مُسْتَهَلِّ رَمضانَ مِن هذه السَّنَةِ عن ثَمانٍ وسَبْعِينَ سنَةً، رحِمه اللَّهُ، ودُفِن بمقَابرِ الصُّوفِيَّةِ.

الأمِيرُ بَهاءُ الدِّينِ قَراقُوشُ[3]، الفَحْلُ الخَصِىُّ، أحدُ كبراءِ[4] أمراءِ الدولةِ الصَّلاحِيَّةِ، كانَ شَهْمًا شُجاعًا فاتِكًا، تسلَّمَ القَصْرَ لمَّا ماتَ العاضِدُ، وعمَّرَ سُورَ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٦٢.
(٢) أَصْمى الصيدَ: رماه فقتله مكانه. القاموس المحيط (ص م ى).
(٣) الروضتين ٢/ ٢٤٤، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٠٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١٢، والعبر ٤/ ٢٩٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٦.
(٤) فى م: «كبار كتاب».

القاهرةِ مُحِيطًا على مِصْرَ أيضًا ، وانْتَهى به إلى المقْسَمِ ؛ وهو المكانُ الذى اقْتَسَمتْ فيه الصَّحابَةُ ما غَنِمُوا مِن الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، وبنى قَلْعَةَ الجبَلِ ، وقد كان الملكُ صلاحُ الدِّينِ سلَّمه عَكًّا ليعَمِّرَ فيها أماكِنَ كثيرةً ، فوقَع الحِصَارُ وهو بها ، فلمَّا خرَج البدَلُ منها كان هو مِن جملَةِ مَنْ خرَجَ ، ثم[1] دخَلَها ابنُ المَشْطوبِ . وقد ذُكِرَ أنَّه أُسِرَ فافْتدَى نفْسَه بعَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ ، وعاد فى حياةِ الملكِ صلاحِ الدِّينِ ، ففَرِح به فرَحًا شديدًا ، ولمَّا تُوفِّى فى هذه السَّنَةِ احْتَاطَ الملكُ العادلُ على تَرِكَتِه ، وصارَت أقْطاعُه وأمْلاكُه للمَلِكِ الكامِلِ محمدِ بنِ العادِلِ . قال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] : وقد نُسِبَ إليه أحْكامٌ عجِيبَةٌ ، حتَّى صنَّفَ بعْضُهم جُزْءًا لطِيفًا سمَّاه : كِتابَ « الفَاشُوشِ فى أحْكامِ قَراقُوشَ » ، فذَكَر أشْياءَ كثيرةً جدًّا ، وأظُنُّها موْضوعَةً عليه ؛ فإنَّ الملكَ صلاحَ الدينِ كان يعْتَمِدُ عليه ، [3]وما كان ليفعلَ ذلك وهو[3] بهذِه المثابَةِ ! واللَّهُ أعلمُ .

مكْلَبَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُسْتَجِدِىُّ[4] ، كانَ تُرْكيًّا عابِدًا زاهِدًا ، سمِع المُؤَذِّنَ وقْتَ السَّحَرِ وهو ينْشِدُ على المَنارَةِ :

يا رِجَالَ الليلِ جِدُّوا ... رُبَّ صوْتٍ لا يُرَدُّ
ما يقُومُ الليلَ إلَّا ... مَن له عَزْمٌ وجِدُّ

فبَكَى مكْلَبَةُ ، وقالَ للمُؤَذِّنِ : يامُؤَذِّنُ زِدْنى . فقالَ المؤذِّنُ :

قد مَضَى الليلُ ووَلَّى ... وحَبِيبِى قد تجلَّى[5]

---

(١) فى الأصل : « حتى » ، وفى ص : « حين » .
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٩٢.
(٣ - ٣) فى م : « فكيف يعتمد على من » .
(٤) ذيل الروضتين ص ٢٨، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٠٨.
(٥) فى م : « تخلا » .

فصرَخ مكْلَبةُ صرْخةً كان فيها حتْفُه ، فأصْبحَ أهلُ البَلدِ قدِ اجْتَمَعوا على بابِه ، فالسَّعيدُ مَنْ وصَل إلى نعْشِه ، رحِمهُ اللَّهُ تعالَى .

[٣٢٥/٩ظ] **أبو مَنْصُورِ بنُ أبى بَكْرِ بنِ شُجاعٍ ، المُزَكْلِشُ**[1] ببَغْدَادَ ، ويُعْرَفُ بابنِ نُقْطَةَ ، كان يدورُ فى أسْواقِ بَغْدادَ بالنَّهارِ ينْشِدُ كانَ وكانَ والمَوالِيَا ، ويُسَحِّرُ الناسَ فى ليالِى رمَضانَ ، وكان مطْبُوعًا ظريفًا خَلِيعًا ، وكان أخُوه الشيخُ عبدُ الغَنِىِّ الزاهدُ من أكابرِ الصَّالحين ، له زاوِيَةٌ ببَغْدادَ يُزارُ فيها ، وكانَ له أتْباعٌ ومُرِيدُون ، ولا يدَّخِرُ شيئًا يحْصُلُ له مِنَ الفُتوحِ . تصدَّقَ فى ليلةٍ بأَلْفِ دِينارٍ وأصْحابُه صُيَّامٌ لم يدَّخِرْ منها شيئًا لعَشائِهم . وزوَّجَتْه أمُّ الخليفةِ بجارِيَةٍ مِن خَواصِّها وجهَّزَتْها بعَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ إليه ، فما حالَ الحَوْلُ وعندَهم مِن ذلكَ شىءٌ ، بل جميعُ ذلك يُؤْثِرُ به ويتَصدَّقُ به حتى لم يبقَ عندَهم سِوَى هَاوُنٍ ، فوقَفَ سائلٌ ببَابِه فألَحَّ فى الطَّلبِ ، فأخْرَج إليه الهاوُنَ ، فقال : خُذْ هذَا وكُلْ به ثَلاثِين يومًا ، ولا تُشَنِّعْ على اللَّهِ عزَّ وجلَّ . وكان مِن خيارِ الصَّالحِين .

والمقْصودُ أنَّه قيل لأَخِيه أبى مَنْصُورٍ هذا : وَيْحَكَ ، أنتَ تدُورُ فى الأسْواقِ وتُنْشِدُ الأشْعارَ ، وأخُوكَ مَنْ قد عَرَفْتَ ! فأنْشَأَ يقولُ فى جوابِ ذلك بيْتَيْنِ مَوالِيَا مِن شعْرِه على البدِيهَةِ :

قد خابَ مَنْ شبَّه الجَزْعَةْ[2] إلى الدُّرَّةْ ... وشابه قَحْبَةْ إلى مُسْتَجِنةْ[3] حُرَّةْ

---

(١) فى الأصل : « المزكلس » ، وفى ص : « المزكش » ، وفى م : « المركلس » . وانظر ترجمته فى : ذيل الروضتين ص ٢٨، ومرآة الزمان ٥٠٩/٢/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٢٨.

(٢) الجَزْعَةُ : واحدة الجَزْع والجِزْع : وهو ضرب من الخرز ، وقيل : هو الخرز اليمانى ، وهو الذى فيه بياض وسواد تشبّه به الأعين . لسان العرب (ج ز ع) .

(٣) فى الأصل ، ص : « مستحسنة » ، وفى م : « مستحيية » ، والمثبت من مصادر الترجمة . ومستجنة أى مستترة صيِّنة .

أنا مُغَنِّى وأخِى زاهِدْ إلى مرَّهْ فى [1]الدارِ بئرين[1] ذِى حُلْوهْ وذِى مُرَّهْ

وقد جرَى عندَه مرَّةً ذِكْرُ قَتْلِ عُثْمانَ ، وعلىٌّ حاضِرٌ ، فأنْشَأَ يقولُ : كانَ وكانَ ، ومَنْ قُتِلَ فى جوارِه مثْلُ ابنِ عَفَّانَ فاعْتذَر ، يجِبُ عليه أنْ يقْبَلَ فى الشَّامِ عُذْرَ يزيدَ . فأرادَتِ الرَّوافِضُ قتْلَه ، فاتَّفَق أنَّه فى بَعْضِ اللَّيالى يُسَحِّرُ الناسَ فى رمَضانَ إذْ مرَّ بدارِ الخليفةِ فعَطَس الخليفةُ فى الطَّارِقَةِ[2] فشَمَّتَه أبو مَنْصُورٍ هذا مِن الطَّريقِ فى نظْمٍ ارتجَلَه على البديهةِ مواليًا يقولُ فى آخرِه : أى مَن عطَس فى المنظرهْ يرحَمُك اللَّهْ . فأرْسَل إليه مِائَةَ دِينارٍ ، ورسَمَ بحِمايَتِه مِن الرَّوافِضِ ، إلى أنْ ماتَ فى هذه السَّنَةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها تُوفِّى : مُسْنِدُ الشَّامِ ، أبو طاهِرٍ بَرَكاتُ بنُ إبراهيمَ بنِ طاهِرٍ الخُشُوعِىُّ[3] ، شارَك ابنَ عساكِرَ فى كثيرٍ من مَشْيَخَتِه ، وطالَتْ حياتُه بعدَ وَفاتِه بسَبْعٍ وعِشْرين سنَةً ، فأَلحقَ فيها الأحْفادَ بالأجْدادِ .

(١ - ١) فى الأصل : « الدر بئرين » ، وفى ص : « الدارين » ، وفى م : « الدريرى » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٢) فى الأصل ، ص : « الطارمة » ، والطارقة : عشيرة الرجل . القاموس (ط ر ق) .

(٣) ذيل الروضتين ص ٢٨. وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٥ .

ثم دخَلَتْ سنةُ ثَمانٍ وتِسْعِين وخَمْسِمِائةٍ

فيها[1] شرَعَ الشيخُ أبو عمرَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ قُدامَةَ المقدِسيُّ[2] فى بناءِ المسْجدِ الجامعِ بالجبلِ، فأنْفَقَ عليه رجلٌ يقالُ له: الشيخُ أبو داودَ محاسِنُ الفاميُّ. حتى بلَغَ البِناءُ مِقْدارَ قامَةٍ، فنَفِدَ ما عندَه، وما كانَ معه مِن المالِ، فأرْسَلَ الملكُ المُظَفَّرُ كُوكُبُورِى بنُ زيْنِ الدِّينِ صاحِبُ إرْبِلَ مالًا جزِيلًا ليُتمِّمَه به فكَمَل، وأرْسَل ألْفَ دِينارٍ ليُساقَ بها إليه الماءُ مِن بَرْزَةَ[3]، فلم يُمَكِّنْ مِن ذلك الملكُ المعَظَّمُ صاحِبُ دِمَشْقَ، واعْتذَرَ بأنَّ هذا يُشوِّشُ[4] قبورًا كثيرةً للمُسْلِمين، فصُنِعَ له بئرٌ وبغْلٌ يدُورُ، وأُوقِفَ عليه وقْفٌ لذلك.

وفيها كانت حروبٌ كثيرةٌ وخطُوبٌ طويلةٌ بين الخُوارَزْمِيَّةِ والغُورِيَّةِ ببلادِ المشْرِقِ، بسَطَها ابنُ الأثيرِ[5]، واخْتَصَرها ابنُ كثيرٍ.

وفيها درَّسَ بالنِّظامِيَّةِ مجْدُ الدِّينِ يَحْيىَ بنُ الرَّبيعِ، وخُلِعَ عليه خِلْعةٌ سَنيَّةٌ سوْداءُ وطَرْحةٌ كُحْليَّةٌ، وحضَر عندَه العُلَماءُ والأعْيانُ. وفيها ولِى قضاءَ القُضاةِ ببَغْدَادَ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ سُلَيْمانَ الجِيلِىُّ، وخُلِعَ عليه أيضًا.

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧٣، وذيل الروضتين ص ٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩٠ - ٦٠٠هـ) ص ٤٥.

(٢) فى م: «بانى المدرسة بسفح قايسون».

(٣) فى م: «بردى».

(٤) فى الأصل، م: «فرش».

(٥) الكامل ١٢/ ١٧٣.

وممن تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

القاضِى ابنُ الزَّكِىِّ ، محمدُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يَحْيَى بنِ علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ ، أبو المَعالِى[1] القُرَشِىُّ ، مُحْيِى الدِّينِ قاضِى القُضاةِ بدمشقَ ، وكلٌّ منهم كانَ قاضِيًا ؛ [٣٢٦/٩و] أبُوه وجَدُّه وأبو جَدِّه يَحْيَى بنُ علىٍّ المذكورُ ، وهو أوَّلُ مَن وَلِى الحُكمَ بدِمَشْقَ منهم ، وكانَ جَدَّ الحافظِ أبى القاسِمِ بنِ عسَاكِرَ لأُمِّه ، وقد ترْجَمه ابنُ عساكِرَ فى التَّاريخِ ، ولم يَزِدْ على القُرَشِىِّ[2] قال الشيخُ أبو شامَةَ[3] : ولو كانَ أُمَوِيًّا عُثْمانِيًّا كما يزعُمونَ لذَكَرَ ذلك ابنُ عسَاكِرَ ؛ إذْ كانَ فيه شرَفٌ لجَدِّه وخالَيْه ؛ محمدٍ وسُلْطانَ ، فلو كانَ ذلك صحيحًا لمَا خَفِىَ على ابنِ عسَاكِرَ .

اشْتَغَل ابنُ الزكىِّ على القاضِى شرَفِ الدِّينِ أبى سعْدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أبى عَصْرُونَ ، ونابَ عنه فى الحُكْمِ ، وهو أوَّلُ مَنْ ترَكَ النِّيابةَ ، وهو أوَّلُ مَنْ خطَبَ بالقدسِ لمّا فتَحه الملكُ صلاحُ الدينِ ، كما تقدَّم بيانُ ذلك فى سنةِ ثلاثٍ وثمانين[4] ، ثم ولّاه قَضاءَ دِمَشْقَ وأَضافَ إليه قَضاءَ حَلَبَ أيضًا ، وكانَ ناظِرَ أوْقافِ الجامعِ ، ثم عُزِلَ قبلَ وَفاتِه بشُهورٍ ، ووَلِيَها شمسُ الدِّينِ بنُ البَيْنِىِّ[5] ضمانًا ، وقد كانَ القاضى محيِى الدينِ بنُ الزكىِّ ينْهَى الطَّلبةَ عن الاشْتِغالِ

---

(١) ذيل الروضتين ص ٣١، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٥٧.

(٢) تاريخ دمشق ١٦٩/١٨ (مخطوط).

(٣) ذيل الروضيتن ص ٣١.

(٤) تقدم فى ص ٥٩١.

(٥) فى الأصل: «ليثى»، وفى م: «الليثى»، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦٨.

بالمَنْطِقِ وعلْمِ الكَلامِ ، ويُمَزِّقُ كتُبَ مَنْ كان عندَه شيءٌ مِن ذلك بالمدْرسَةِ التَّقَوِيَّةِ[1] ، وكانَ يحْفَظُ العَقِيدةَ المُسَمَّاةَ بالمِصْباحِ للغَزَّاليِّ ، ويُحَفِّظُها أوْلادَه أيضًا ، وكانَ له درْسٌ فى التَّفْسيرِ يذْكُرُه بالكَلّاسَةِ ، تُجاه تُرْبَةِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدِّينِ ، وكان قد وَقَع بيْنَه وبينَ الإسْماعِيليَّةِ ، فأرادُوا قتْلَه ، فاتَّخَذ له بابًا مِن دارِه إلى الجامعِ ؛ ليَخْرُجَ منه إلى الصَّلاةِ ، ثم خُولِطَ فى عقْلِه ، فكانَ يعْتريه شِبْهُ الصَّرْعِ إلى أنْ تُوفِّىَ فى سابعِ شَعْبانَ مِن هذِه السَّنَةِ ، ودُفِنَ فى تربةٍ بسَفْحِ قاسِيُونَ .

الخطِيبُ الدَّوْلَعِىُّ ، ضِياءُ الدِّينِ أبو القاسِمِ عبدُ الملكِ بنُ زيدِ بنِ ياسِينَ التَغْلِبِىُّ[2] الدَّوْلَعِىُّ ، نسْبَةً إلى قرْيَةٍ بالمَوْصِلِ ، يقالُ لها : الدَّوْلَعِيَّةُ . وُلِدَ بها فى سنَةِ ثَمانى عشْرَةَ وخَمْسِمائَةٍ ، وتفَقَّه ببَغْدَادَ على مذْهبِ الشَّافعىِّ ، وسمِعَ الحديثَ ، فسَمِعَ « التِّرْمذِىَّ » على أبى الفَتْحِ الكَرُوخِىِّ ، و « النَّسائىَّ » على أبى الحسَنِ علىِّ بنِ أحمدَ اليزْدىِّ[3] ، ثم قَدِم دِمَشْقَ فوَلِىَ بها الخطابَةَ وتدْريسَ الغَزّاليَّةِ ، وكانَ زاهِدًا مُتورِّعًا حسَنَ الطَّريقَةِ مَهِيبًا فى الحقِّ .

وكانت وفاتُه يومَ الثُّلاثاءِ ثانى[4] عشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ ، ودُفِنَ بمقْبَرَةِ بابِ الصَّغيرِ عندَ قُبورِ الشُّهداءِ ، وكانَ يومُ جِنازتِه يومًا مشْهودًا ، وتوَلَّى بعدَه الخطابةَ ولَدُ أخِيه محمدُ بنُ أبى الفَضْلِ بنِ زيدٍ سبْعًا وثلاثِينَ سنَةً . وقد كانَ ابنُ الزكىِّ وَلَّى ولَدَه

---

(١) فى م : « النورية » .

(٢) فى الأصل ، م : « الثعلبى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١١، وذيل الروضتين ص ٣١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٥٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ١٨٧.

(٣) فى م : « البردى » .

(٤) فى الأصل ، م : « تاسع » ، وفى ص : « من » . والمثبت من مصادر الترجمة .

الزكيَّ الطّاهرَ، فصلَّى صلاةً واحِدَةً، فتَشفَّعَ جمالُ الدِّينِ بالأميرِ [1] فَلَكِ الدِّينِ [1] أخِي العادِلِ، فوَلَّاه إيَّاها فبَقِيَ فيها إلى أنْ تُوفِّيَ سنةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ وسِتِّمائةٍ.

الشيخُ عليُّ بنُ محمدِ [2] بنِ غُلَيْسٍ [3]، اليَمَنيُّ العابدُ الزاهِدُ، كان مُقيمًا شرْقِيَّ الكَلّاسةِ، وكانتْ له أحْوالٌ وكَراماتٌ، نقَلَها الشيخُ علمُ الدِّينِ السَّخاوِيُّ عنه، وساقَها أبو شامَةَ عنه فى «الذيلِ» [4].

الصَّدْرُ أبو الثَّناءِ حَمَّادُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ بنِ حمَّادٍ الحرَّانِيُّ التاجِرُ [5]، وُلِدَ سنَةَ إحْدَى عشْرَةَ، عامَ وُلِد نُورُ الدِّينِ بنُ زَنكى، وسمِعَ الحديثَ ببَغْدَادَ ومِصْرَ وغيرِهما مِن البلادِ وحدَّث، وتُوفِّى فى ذِى الحجَّةِ.

ومِن شعْرِه قولُه [6]:

تنَقُّلُ المرْءِ فى الآفاقِ يُكْسِبُهُ ... مَحاسِنًا لم تكُنْ فيه ببَلْدَتِهِ
أمَا ترَى بَيْذَقَ الشِّطْرَنْجِ أكْسَبَهُ ... حُسْنُ التَّنقُّلِ فيها فوقَ رُتْبَتِهِ

السِّتُّ الجليلَةُ المصُونَةُ بنفشا [7] بنتُ عبدِ اللَّهِ، [٣٢٦/٩ظ] عَتِيقَةُ الإمامِ

(١ - ١) فى م، وذيل الروضتين ص ٣١: «علم الدين». وانظر الكامل ١٢/ ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٧.

(٢) فى م: «على». وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٦٢، وذيل الروضتين ص ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٦١، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١١١.

(٣) فى م: «عليش». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٤) ذيل الروضتين ص ٣٠.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٧٢، وذيل الروضتين ص ٢٩، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥١١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٤٦، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٤.

(٦) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١١، وذيل الروضتين ص ٣٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٤.

(٧) فى الأصل: «بنفيسا»، وفى م: «ينفشا». وانظر ترجمتها فى: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٤٣،=

المُسْتَضِيءِ ، كانتْ مِن أكْبرِ حظَايَاه ، ثم صارَتْ مِن بعدِه مِن أكْثَرِ النساءِ صدَقةً وبِرًّا ، وإحْسانًا إلى العُلَماءِ والفُقَراءِ ، لها بطريقِ الحجازِ معروفٌ كثيرٌ معروفٌ ، ووقَفتْ مدرسةً على الحنابلةِ وأوقافًا دارَّةً ، ودُفِنَت ببَغْدادَ عندَ تُرْبَةِ معْروفٍ الكَرْخِيِّ .

ابنُ المُحْتَسِبِ الشَّاعِرُ ، أبو الشكرِ محمودُ بنُ سُلَيْمانَ بنِ سعيدٍ المَوْصِلِيُّ[1] ، يعرَفُ بابْنِ المُحْتَسِبِ ، تفقَّه بَغْدادَ ، ثم سافَرَ إلى البلادِ ، وصحِبَ ابنَ الشَّهْرَزُورِيِّ وقدمَ معه ، فلمَّا وُلِّيَ قَضاءَ بَغْدادَ وَلَّاه نظَرَ أوقافِ النِّظامِيَّةِ ، وكانَ فاضلًا يقولُ الشعرَ الرائقَ ، فمن ذلك[2] :

أسْلِفْ لنا فى سُلافةِ[3] العِنَبِ ... جميعَ ما يُقْتَنى من الذهبِ
وانْشَبْ مع النفسِ فى معاملةٍ ... فيها بما عندَنا من النَّشَبِ[4]
جميعُ ما فى الهِمْيانِ يَحْقِرُه الْـ ... ـعاقلُ فى لَثْمِ رِيقِها الشَّنِبِ[5]
لا سيَّما إن أتتْك كالذَّهبِ ... قد قلَّدوها عِقْدًا من الحَبَبِ
تُحْرَقُ كَفُّ المديرِ إنْ وقَفَ الدَّوْرُ بها ساعةً مِن اللَّهَبِ
إذا بدا هَمُّنا لِيَسْترقَ السَّمْعَ برفقٍ للَّهْوِ واللَّعِبِ

= ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥١٠، وذيل الروضتين ص ٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٤٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢٩٣.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٨١، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٧٢.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٩١.

(٣) السلافة من كل شىء: خالصه. اللسان (س ل ف).

(٤) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت. اللسان (ن ش ب).

(٥) الهميان: الذى يُجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط، والشَّنب: البارد.

تُتْبِعُهُ من سماءِ راوُوقِها الـرَّائقِ رجمًا بالأَنْجُمِ الشُّهُبِ

ما قطُّ تبَّتْ يَدٌ لشاربِها وحقٌّ تبَّتْ يدا أبى لَهَبِ

أَمُرُّ بالكَرْمِ خلْفَ حائطِهِ تَأْخُذُنى نَشْوةٌ من الطَّرَبِ

أَسْكَرُ بالأمسِ إنْ عزَمْتُ على الشُّرْبِ غدًا إنَّ ذا مِن العجَبِ

جَنَّبَها سُكْرَها وصُحْبَتَها تحريمُ شرعٍ لسيِّدِ العربِ

تركتُها جانبًا ولُذْتُ إلى ظِلِّ إمامٍ مُنْجٍ مِن النُّوَبِ

الطاهرِ الطُّهْرِ وابنِ خَيْرِ فتًى وطاهرِ الخُلْقِ طاهرِ النَّسَبِ

ماذا يقول المدّاحُ فى رجلٍ خليفةُ اللَّهِ وابنُ عمِّ نَبِى

ومِن شعرِه الرائقِ له أيضًا[1] :

أهابُ وصفَ الخمرِ فى إهابِها يا حبَّذا ما كان من مُهابِها

حبَا بها الساقِى وقد أقْعَدَهُ سُكْرٌ فزاد السُّكْرُ إذ حبَا بها

خَطَا بَها وثيقةً شرعيَّةً على الذى يُفْلِسُ مِن خُطّا بِها

دعا بها فى صدرِ كَلٍّ باخلٍ وخَلِّيَا مِن كلِّ مَنْ دعا بها

فتَا بها قلبَ الحَسُودِ واشْكُرا كلَّ فتًى فى الناسِ قد فتا بها

اعْنَ بها يا أيُّها المُغْرَى بها وأَسْلِفِ النُّضَارَ[2] فى أعنابِها

ثَوَى بها كلُّ السرورِ عندَنا وإثمُها أكبرُ مِن ثوابِها

---

(١) الأبيات فى تاريخ ابن الساعى ٩/ ٩١، ٩٢.

(٢) النضار: الخالص من جوهر التِّبْر والخشب. اللسان (ن ض ر).

ثم دخلت سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ[1]

قال سِبْطُ ابنِ الجَوْزِىِّ فى «المِرْآةِ»[2] : فى ليْلةِ السَّبْتِ سَلْخِ المُحَرَّمِ هاجَتِ النُّجومُ فى السَّماءِ وماجَتْ شَرْقًا وغرْبًا ، وتَطايرَتْ كالجَرادِ المُنْتَشِرِ يمينًا وشِمالًا ، قال : ولم يُرَ مثْلُ هذا إلَّا فى عامِ المبْعَثِ[3] وفى سنَةِ إحدى وأربعِين ومائتين .

وفى هذه السنةِ شُرِعَ فى عِمَارةِ سُورِ قَلْعةِ دِمشقَ ، وابْتُدِئَ ببُرجِ الزاويةِ الغرْبيَّةِ القِبْلِيَّةِ المُجاوِرِ لبابِ النَّصْرِ .

وفيها أرسَل الخليفةُ النَّاصِرُ الخِلَعَ وسَراوِيلاتِ الفُتُوَّةِ للمَلِكِ العادِلِ وبَنِيه . وفيها بعَث السلْطانُ ولدَه الأَشْرَفَ مُوسى لمُحاصَرةِ مارِدِينَ ، وساعَده جيْشُ سِنْجارَ والمَوْصلِ ، ثم وقَع الصُّلْحُ على يَدَيِ الظَّاهرِ ، على أنْ يحْمِلَ صاحِبُ مارِدِينَ للعَادلِ فى كلِّ سنةٍ مِائةَ ألْفٍ وخمسين ألفَ دِينارٍ ، وأنْ تكونَ السِّكَّةُ والخُطْبَةُ للعادِلِ ، وأنَّه متى طَلَبه بجَيْشِه يحْضُرُ إليه .

وفيها كَمَل بنَاءُ رِباطِ المَرْزُبَانيَّةِ[4] ، ووليَه الشيخُ شِهَابُ الدِّينِ عمرُ بنُ محمدٍ السُّهْرَوَرْدِىُّ[5] ، ومعه جَماعَةٌ مِن الصُّوفيَّةِ ، ورُتِّبَ لهم مِن المَعْلومِ والجِرايَةِ ما

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧٩، وذيل الروضتين ص ٣٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٨.

(٢) مرآة الزمان ١/٢/ ٥١٣.

(٣) أى : عام مبعث النبى ﷺ .

(٤) فى ص : «الزبانية» ، وفى م : «الموريانية» . وانظر ذيل الروضتين ص ٣٢.

(٥) فى الأصل ، م : «الشهرزورى» . وانظر المصدر السابق ص ٣٣.

ينْبغِى لِمِثْلِهم من إقامتِهم بالدِّيارِ المصريةِ .

وفيها احْتَجَر المِلِكُ العادِلُ علَى محمدِ بنِ الملكِ العزِيزِ وإخْوَتِه ، وسيَّرَهم إلى الرُّهَا خوْفًا مِن إقامتِهم بمصرَ . وفيها استحوَذتِ الكُرْجُ على مدينةِ دَوِينَ ، فقتَلُوا أهْلَها ونهَبُوها ، وهى مِن بلادِ أَذْرَبِيجَانَ ، وذلك لاشْتِغالِ مَلِكِها بالفِسْقِ وشُرْبِ الخمرِ ، قبَّحه اللَّهُ ، فتمكَّنتِ الكفَرَةُ من رِقابِ المُسلِمين بسبَبِه ، وذلك كلُّه غُلٌّ فى عُنُقِه يومَ القِيامَةِ .

وفيها تُوفِّى المَلِكُ **غِيَاثُ الدِّينِ الغُورِىُّ ، أخوشِهَابِ الدِّينِ**[1] ، فقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه محمودٌ ، وتلقَّب بلقَبِ أبيهِ ، وكان غِيَاثُ الدِّينِ عاقلًا حازِمًا شُجَاعًا ، لم تُكْسَرْ له رايةٌ قَطُّ مع كثرةِ[2] حُروبِه ، وكان شافِعِىَّ المذْهَبِ ، قد ابتنَى مدْرسةً هائِلةً للشَّافعيَّةِ ، وكانت سِيرَتُه فى غايَةِ الجوْدَةِ ، وكذا سَرِيرتُه ، رحِمه اللَّهُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيانِ :

الأمِيرُ[3] **الكبيرُ فَلَكُ الدينِ**[3] ، **أبو مَنْصُورٍ سُلَيْمانُ بنُ شَرْوةَ**[4] **بنِ خلدكَ**[5] أخُو الملكِ العادِلِ لأُمِّه[6] ، وكانت وفاتُه فى التاسعِ والعشرين مِن المُحَرَّمِ ، ودُفِن

---

(١) الكامل ١٢/ ١٨٠، والتكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٢١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٤.

(٢) فى الأصل ، ص : « قلة » .

(٣ - ٣) فى م : « علم الدين » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٨٢، وذيل الروضتين ص ٣٣، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١١٩، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٤٣١.

(٤) فى م : « شيرده » . وانظر : الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٤٣٢.

(٥) فى الأصل : « خارك » وفى ص : « جندل » ، وفى م : « جندر » . والمثبت من الدارس ، الموضع السابق .

(٦) فى م : « لأبيه » .

بدارِه التى جعَلها مدْرَسةً داخلَ بابِ الفَرادِيسِ فى مَحلَّةِ الأفتريسِ[1] ، وأوقَف عليها الجُمانَ[2] بكَمالِها ، تقبَّلَ اللَّهُ منه .

القاضِى ضِياءُ الدِّينِ الشَّهْرَزُورِىُّ[3] ، أبو الفَضَائلِ ، القاسِمُ بنُ يحيَى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسِمِ الشَّهْرَزُورِىُّ المَوْصِلىُّ ، قاضِى القُضاةِ ببغدادَ ، وهو ابنُ أخِى قاضِى القُضَاةِ بدمشقَ كَمالِ الدِّينِ الشَّهْرَزُورىِّ أيامَ نُورِ الدِّينِ ، ولمَّا تُوفِّى سنةَ سِتٍّ وسبعين فى أيامِ الدولةِ الصلاحيّةِ أوْصى لوَلَدِ أخيه هذا بالقَضاءِ فوَلِيَه ، ثم عُزِل عنه بابْنِ أبى عَصْرُونَ ، وعُوِّض بالسِّفارَةِ إلى المُلوكِ ، ثم تولَّى قضاءَ بلْدَةِ المَوْصِلِ ، ثم اسْتُدعِى إلى بغدادَ فوَلِيَها سنتيْن وأرْبعَةَ أشْهُرٍ ، ثم استقالَه فلم يُقِلْه الخَلِيفةُ لحُظْوتِه عندَه ، فاستَشفَع بزوْجَتِه سِتِّ المُلوكِ علَى أمِّ الخليفةِ ، وكانت لها مَكانَةٌ عندَها ، فأُجِيبَ إلى ذلك ، فصارَ إلى قَضاءِ حَمَاةَ لمَحَبَّتِه إيَّاها ، وكان يُعابُ عليه ذلك ، وكانت لدَيْه فَضائِلُ ، وله أشْعَارٌ رائِقَةٌ ، وكانت وفاتُه بحَمَاةَ فى المنتَصفِ مِن رجَبٍ ، رحِمه اللَّهُ .

عُبَيدُ[4] اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ نَصْرِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو بَكْرٍ البَغْدَادِىُّ المَعْروفُ بابنِ المرَسْتانِيَّةِ ، أحدُ الفُضَلاءِ المَشْهُورِين ، سمِع الحديثَ وجمَعَه ، وكانَ طبيبًا مُنَجِّمًا يعْرِفُ علُومَ الأوائلِ وأيامَ الناسِ ، وصَنَّفَ دِيوانَ الإسْلامِ فى تاريخِ دارِ السَّلامِ ،

---

(١) فى م : « لافتراس » .

(٢) جُمَان : جُمَان الصُّوَى من أرض اليمن .

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٤٣، وذيل الروضتين ص ٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٢٧٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٣.

(٤) فى م ، ص : « عبد » . وانظر ترجمته فى : ذيل الروضتين ص ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٩٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١١٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٤٤٢.

ورتَّبه على ثَلاثِمائةٍ وسِتِّين كِتابًا إلَّا أنَّه لم يُشْتَهَرْ ، وجمَع سِيرَةَ ابنِ هُبَيْرَةَ . وقد كان يزْعُمُ أنَّه مِن سُلالَةِ الصِّدِّيقِ ، فتَكَلَّمُوا فيه بسبَبِ ذلك . وأنْشَد بعْضُهم[1] :

دَعِ الأنْسَابَ لا تعْرِضْ لِتَيْمِ ... فإنَّ الهُجْنَ مِن وَلَدِ الصَّمِيمِ
لقد أصْبَحْتَ مِن تَيْمٍ دَعِيًّا ... كدَعْوَى حَيْصَ بَيْصَ إلى تَمِيمِ

ابنُ النَّجا الواعِظُ ، علىُّ بنُ إبْراهيمَ بنِ نَجا ، زَيْنُ الدِّينِ أبو الحسَنِ الدِّمَشْقِىُّ[2] ، الواعِظُ الحنْبَلىُّ ، [3]وسِبْطُ الشيخِ أبى الفَرَجِ الشيرازىِّ الحنْبلىِّ[3] . قَدِمَ بَغْدَادَ فتَفَقَّه بها ، وسمِعَ الحديثَ ، ثم رجَع إلى بلَدِه ، ثم عاد إليها رسُولًا مِن جِهَةِ نُورِ الدِّينِ فى سنَةِ أرْبَعٍ وستِّين ، وحدَّث بها ، ثم كانتْ له حُظْوَةٌ عندَ الملكِ النَّاصرِ صلاحِ الدِّينِ ، وهو الذى نمَّ على عُمَارَةَ اليَمِنِىِّ وذَوِيه فصُلِبوا ، وكانتْ له مَكانَةٌ بمِصْرَ ، وقد تكَلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ التى خُطِب فيها بالقُدْسِ الشريفِ بعدَ الفَراغِ مِن الجُمُعةِ ، وكانَ وقْتًا مشْهودًا ، وكان يعيشُ عيشًا [4]أطْيَبَ مِن عيشِ[4] المُلوكِ فى الأَطْعِمَةِ والمَلابسِ ، وكان عندَه عشرون سُرِّيَّةً ، كلُّ واحدَةٍ بأَلْفِ دِينارٍ ، وبعدَ هذا كلِّه مات فقيرًا لم يُخَلِّفْ كفَنًا ، وقد أنْشَد وهو علَى مِنْبَرِه للوَزيرِ طَلائعِ بنِ رُزِّيكَ شِعْرًا فقال[5] :

مَشِيبُكَ قد قضَى صبْغَ[6] الشبابِ ... وحلَّ البَازُ فى وكْرِ الغُرابِ

---

(١) ذيل الروضتين ، ص ٣٤ .
(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١٥، وذيل الروضتين ص ٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٩٨، والذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٤٣٦.
(٣ - ٣) سقط من الأصل ، م .
(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « هائلًا كما » .
(٥) ذيل الروضتين ، الموضع السابق .
(٦) فى م : « شرخ » .

تَنامُ ومُقْلَةُ الحدَثانِ يَقْظَى وما نابُ النَّوائِبِ عنكَ نابِ
وكيفَ بَقاءُ عُمْرِكَ وَهْوَ كَنْزٌ وقد أنْفَقْتَ منهُ بلا حِسَابِ

الشيخُ أبو البَرَكاتِ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ التَّكْرِيتِيُّ[1] يُعرَفُ بالمؤَيَّدِ، كان أدِيبًا شاعرًا. ومِمَّا نظَمَه فى الوَجيهِ النَّحْوِيِّ - حِين كانَ حَنْبَلِيًّا، فانْتقَلَ حنَفِيًّا، ثم صارَ شافِعيًّا - فى حَلْقَةِ النَّحْوِ بالنِّظامِيَّةِ[2]:

أَلَا مُبلِغٌ[3] عنِّى الوَجِيهَ رِسالةً وإنْ كانَ لا تُجْدِى لدَيْهِ الرَّسائِلُ
تَمَذْهَبْتَ للنُّعْمانِ بعد ابنِ حَنْبَلٍ وذلك لمَّا أعْوَزَتْكَ المآكِلُ
وما اخْتَرْتَ رأْىَ[4] الشافعىِّ تَديُّنًا[5] ولكِنَّما تَهْوَى الذى هو حاصِلُ
وعمَّا قليلٍ أنْتَ لا شَكَّ صائِرٌ إلى مالِكٍ فافْطَنْ [6]لما أنتَ[6] قائِلُ؟

السِّتُّ الجلِيلَةُ المَصُونةُ زُمُرُّدُ[7] **خاتُون** أمُّ الخليفَةِ النَّاصِرِ لدِينِ اللَّهِ بنِ[8] المُسْتَضِىءِ، كانتْ صالحةً عابدَةً كثِيرَةَ البِرِّ والصِّلاتِ[9] والأوْقافِ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٤٥٤، وذيل الروضتين ص ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٠٨، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٥، والمقفى الكبير للمقريزى ٥/ ٢٦٢.

(٢) ذيل الروضتين، الموضع السابق، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٩، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٥.

(٣) فى م: «مبلغا».

(٤) فى م: «قول».

(٥) فى م: «ديانة».

(٦ - ٦) فى م: «إلى ما أنت»، وفى ذيل الروضتين، وتاريخ الإسلام: «لما أنا».

(٧) فى الأصل، ص: «درة». وانظر ترجمتها فى: مرآة الزمان ٨/٢/ ٥١٣، وذيل الروضتين ص ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٨٥، والوافى بالوفيات ١٤/ ٢١٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٢.

(٨) فى م: «زوجة».

(٩) فى الأصل، ص: «الصلاة».

(١ والصدقاتِ ، عمَّرتِ المصانعَ(٢) بطريقِ الحِجَازِ الشريفِ ، وأصلَحتِ الطُّرُقاتِ ١) ، وبَنَتْ لها تُرْبةً إلى جانبِ قَبْرِ مَعْروفٍ الكَرْخِيِّ ، وكانتْ جِنازَتُها مشْهودَةً جدًّا ، واسْتَمرَّ العَزاءُ بسبَبِها شَهْرًا ، عاشَت فى خِلافَةِ ولَدِها أرْبَعًا وعِشْرِينَ سنَةً نافذَةَ الكَلِمَةِ مُطاعَةَ الأوامرِ .

وفى هذه السنةِ كان مَوْلِدُ الشيخِ شِهَابِ الدِّينِ أبى شامةَ ، وقد ترْجَمَ نفْسَه عندَ ذِكْرِ مَوْلِدِه فى هذه السَّنَةِ فى « الذَّيْلِ »(٣) ترْجمةً مُطَوَّلَةً ، فيُنقَلُ إلى سنَةِ وَفاتِه ، رحِمه اللَّهُ ، وذكَر بدْءَ أمْرِه واشْتِغالِه ، ومُصَنَّفاتِه وشيئًا كثيرًا من أشعارِه ، وما رُئِى له مِنَ المَنَاماتِ المُبَشِّرَةِ . وفى هذه السنةِ كان ابْتِداءُ مُلْكِ جِنْكِز خَان مَلِكِ التَّتَارِ ، لعَنه اللَّهُ ، وجِنْكِز خان هو صاحِبُ الياسِقِ ، (٤وضَعها ليتحاكمَ إليها التتارُ٤) ومَنِ اتَّبعهُم مِن أُمراءِ التُّرْكِ - ممَّنْ يَبْتَغِى(٥) حُكْمَ الجاهِلِيَّةِ - وهو والِدُ تُولِى(٦) ، وجدُّ (٧هُولَاكُو بنِ تولى٧) - الذى قتَل الخَلِيفَةَ المُسْتَعْصِمَ وأهْلَ بَغْدَادَ فى سنَةِ سِتٍّ وخَمْسِين وسِتِّمِائةٍ ، كما سيَأْتى بَيانُه .

(١ - ١) سقط من م .

(٢) المصانع : ما كان لماء السماء يحتفرها الناس ، فيملؤها ماء السماء ؛ يشربونها . التاج (ص ن ع) .

(٣) ذيل الروضتين ص ٣٧.

(٤ - ٤) فى م : « ليتحاكموا إليها - يعنى » .

(٥) فى ص : « يتبع » .

(٦) فى الأصل ، ص : « مولى » ، وفى م : « تولى » ، والمثبت من صبح الأعشى ٤/ ٣٠٨.

(٧ - ٧) فى الأصل : « هو لا دون من يولى » ، وفى ص : « هو لابن مولى » .

سنةُ ستّمائةٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ[1]

فى هذه السنةِ كانتِ الفِرنْجُ قد جمَعُوا خلْقًا كثيرًا منهم ليَسْتَعِيدُوا بيتَ المقدسِ مِن المسلمين - فيما كانوا زاعِمين - فأشْغَلَهم اللَّهُ بقِتالِ الرُّومِ ؛ وذلك لأنَّهم اجْتازُوا فى طريقِهم بالقُسْطنطينيَّةِ ، فوَجَدوا ملُوكَها قد اخْتلَفُوا فيما بيْنَهم ، فحاصَرُوها حتى فتَحُوها قَسْرًا ، وأباحُوها ثلاثةَ أيامٍ قَتْلًا وأسْرًا ، واحترَق أكثرُ مِن رُبعِها ، وما أصْبَح أحَدٌ مِن الرُّومِ بعدَ الثلاثةِ إلَّا قتيلًا أو فقِيرًا أو مكْبُولًا أو أسِيرًا ، ولجأ[2] عامَّةُ مَن بَقِى منها إلى كنيستِها العُظمَى المُسَمَّاةِ بصُوفيا[3] ، فقَصَدها الفِرنْجُ ، فخرَج إليهم القِسِّيسُون بالأَناجيلِ ؛ ليتَوسَّلُوا إليهم ويتْلُوا عليهم ، فما الْتفَتُوا إلى شىءٍ مِمَّا واجَهوهم به ، بل قتَلُوهم أجْمَعين أكْتَعِينَ أبْصَعِينَ ، وأخَذُوا ما كان فى الكنيسةِ مِن الحُلِىِّ والأذْهابِ والأموالِ التى لا تُحْصَى ولا تُعَدُّ ، وأخَذوا ما كان على الصُّلْبانِ والحيطانِ ، والحمدُ للَّهِ الرَّحيمِ الرَّحمنِ ، الذى ما شاءَ كان ، وما لم يشَأْ لم يكُنْ .

ثم اقْترَعَ ملوكُ الفِرنْجِ وكانوا ثلاثةً ؛ وهم دوقسُ[4] البَنادِقةِ ، [٩/٣٢٨و] وكان شيْخًا أعْمَى تُقادُ فرسُه ، ومَرْكيسُ الإفْرَنْسِيسُ ، وكندُ أفلندُ ، وكان أكثرَهم عدَدًا وعُدَدًا ، فخرَجَتِ القُرْعَةُ له ثلاثَ مرَّاتٍ ، فوَلَّوه مُلْكَ القُسْطَنطينيَّةِ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٥٣.

(٢) فى الأصل، ص: «نجا».

(٣) فى الأصل: «يسوقنا»، وفى م: «آيا صوفيا». وانظر الكامل ١٢/ ١٩١.

(٤) فى م: «دوق». وانظر الكامل ١٢/ ١٩١.

وأخَذ الملِكان الآخران بعْضَ البلادِ، وتحوَّلَ المُلْكُ مِن الرُّومِ إلى الفِرنْجِ بالقُسْطَنطينيَّةِ فى هذه السنةِ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. ولم يبْقَ بأيْدِى الرُّومِ هنالكَ إلَّا ما وراءَ الخليجِ، اسْتَحوَذ عليه رجلٌ منهم يقالُ له: لشكرِى[1]. لم يَزَلْ مالِكًا لتلك الناحيةِ حتى تُوفِّى، لعَنه اللَّهُ.

ثم إنَّ الفِرنْجَ قصَدُوا بلادَ الشَّامِ وقد تقَوَّوا بمُلْكِهمُ القُسْطَنطينيَّةَ، فنزَلُوا عَكَّا، وأغارُوا على كثيرٍ مِن بلادِ الإسلامِ مِن ناحيةِ الغَوْرِ[2] وتلك الأراضِى، فقتَلُوا وسَبَوا، فنَهَض إليهم الملكُ العادلُ وكان بدِمَشْقَ - وللَّهِ الحمدُ - واسْتَدْعَى بالجيوشِ المصريَّةِ والمشرقيَّةِ، ونازَلَهم بالقُرْبِ مِن عَكَّا، فكان بيْنَهم قتالٌ شديدٌ ومصابرةٌ عظيمةٌ، ثم وقَع الصُّلْحُ بينَهم والهُدْنَةُ، وأَطْلَق لهم السلطانُ شيئًا مِن بعضِ البلدانِ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعون.

وفى هذه السنةِ جرَتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ الخُوارِزْمِيَّةِ والغُورِيَّةِ بالمَشْرِقِ يطُولُ ذِكْرُها.

وفيها تَحارَب نورُ الدينِ - صاحبُ الموصلِ - وقطبُ الدينِ محمدُ بنُ عمادِ الدينِ زَنْكِى - صاحبُ سِنجارَ - وساعَد الأشْرَفُ بنُ العادِلِ القُطْبَ، ثم اصْطلَحُوا فيما بينَهم، وتزَوَّج الأشرفُ أخْتَ نُورِ الدِّينِ، وهى الأتابِكِيَّةُ بنْتُ عزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بنِ مَوْدُودِ بنِ زَنكِى، واقِفَةُ المدرسةِ التى بالسَّفْحِ، وبها تُرْبَتُها.

وفيها كانتْ زلزلةٌ عظيمةٌ بمصرَ والشَّامِ والجزيرةِ وقُبْرُسَ وغيرِها مِن البلادِ؛

---

(١) فى الأصل، ص: «يشكرى»، وفى م: «تسكرى». والمثبت من الكامل ١٢/ ١٩٢.
(٢) الغور: غور الأردن بالشام، بين البيت المقدس ودمشق. معجم البلدان ٣/ ٨٢٢.

قاله ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[1] .

وفيها تغلَّبَ رجلٌ مِن التجَّارِ يُقالُ له : محمودُ بنُ محمدٍ الحِميَرِىُّ على بعضِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ ؛ ظَفَارَ وغيرِها ، واستَمرَّتْ أيَّامُه إلى سنةِ تِسْعَ عشْرَةَ وستِّمائةٍ وما بعدَها .

وفى جُمادَى الأُولَى منها عُقِد مجْلِسٌ لقاضِى القُضاةِ ببَغْدَادَ ، وهو أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سليمانَ الحلَبىُّ[2] بدَارِ الوزيرِ ، وثبَت عليه مَحْضَرٌ بأنَّه يتنَاوَلُ الرِّشَا ، فعُزِل فى ذلك المجْلِسِ ، وفُسِّقَ ، ونُزِعَتِ الطَّرْحَةُ عن رأْسِه ، وكانتْ مُدَّةُ ولايتِه سنتين وثلاثةَ أشْهُرٍ .

وفيها كانتْ وَفاةُ الملكِ رُكْنِ الدِّينِ بنِ قِلج أرْسَلان[3] ، صاحبُ بلادِ الرومِ ما بينَ مَلَطْيَةَ وقُونِيةَ ، وكانتْ فيه شهامةٌ وصَرامةٌ ، غيرَ أنَّه كان يُنْسَبُ إلى اعْتِقادِ الفلاسفةِ ، وكان كهْفًا لمَنْ يُنْسَبُ إلى ذلك ، ومَلْجأً لهم ، وظهَر منه قبلَ موْتِه تَجَهُّمٌ عظيمٌ ؛ وذلكَ أنَّه حاصَر أخَاه شقيقَه - وكان صاحبَ أنكُورِيَةَ ، وتُسمَّى أيضًا : أنْقِرَةَ - مُدَّةَ سنتين حتى ضيَّقَ عليه الأَقْواتَ بها ، فسَلَّمها إليه قَسْرًا ، على أنْ يعْطِيَه بعْضَ البلادِ ، فلمَّا تمكَّنَ منه ومِن أوْلادِه أرْسَل إليهم مَنْ قتَلَهم غَدْرًا وخدِيعَةً ومَكْرًا ، فلم يُنْظَرْ إلَّا خَمْسةَ أيامٍ حتى ضرَبه اللَّهُ تعالَى بالقُولَنْجِ سبْعَةَ أيامٍ وماتَ ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٩] وأُقِيم بعدَه فى المُلْكِ ولَدُه قِلج أرْسَلان ، وكان صغيرًا فبَقِى سنَةً

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٨.

(٢) فى م : « الجيلى » .

(٣) الكامل ١٢/ ١٩٥، والمختصر فى تاريخ البشر ٣/ ١٠٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٢٢، وكنز الدرر وجامع الغرر ٧/ ١٥٧.

واحدَةً ، ثم نُزِع منه المُلْكُ أيضًا ، وصارَ إلى عمِّه كَيْخَسْرُو .

وفيها قُتِل خلْقٌ كثيرٌ مِن الباطِنِيَّةِ بَواسِطٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

[٩/٣٢٨ظ] قال ابنُ الأثيرِ[1] : وفى رجبٍ اجْتَمَع جماعةٌ مِن الصُّوفِيَّةِ برِباطٍ ببغدادَ فى سَماعٍ ، فأنشَدَهمُ الحادى ، وهو الجمّالُ الحِلِّىُّ :

عُـوَيـذلـتِـى أقْـصِـرى كَـفَـى بمَـشِـيـبِـى عَـذَلْ
شَـبَـابٌ كـأنْ لم يـكُـنْ وشَـيْـبٌ كـأنْ لم يَـزَلْ
وحـقٌّ[2] لـيـالـى الـوِصـالِ أوَاخِـــرُهـا والأُوَلْ
وصُـــفْرَةُ لـــونِ المحـــــبِّ عندَ اسْتِماعِ العَذَلْ
لَـئِـنْ عـادَ عَـيـشـى بـكـم حَلَا العَيْشُ لى واتَّصَلْ

قالَ : فتَحرَّكَ الصُّوفِيَّةُ على العادةِ ، فتَواجَد مِن بيْنِهم رجلٌ يقالُ له : أحمدُ ابنُ إبراهيمَ الرَّازِىُّ ، فخرَّ مغْشِيًّا عليه ، فحرَّكُوه فإذا هو مَيِّتٌ . قال : وكانَ رجلًا صالحًا ، وقال ابنُ السَّاعِى[3] : كان شيْخًا صالحًا صحِب الصَّدْرَ عبدَ الرحيمِ شيخَ الشُّيوخِ . فشَهِد الناسُ جِنازَتَه ، ودُفِن ببابِ أَبْرَزَ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أبو محمدٍ[4] ، القاسمُ ، بهاءُ الدِّينِ ، الحافظُ ، ابنُ الحافظِ أبى القاسمِ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٨.

(٢) فى الأصل ، م : « بثى » .

(٣) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١١٧.

(٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٦، وذيل الروضتين ص ٤٧، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٥٢.

عليِّ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عساكِرَ، كان مولدُه فى سنةِ سبعٍ وعشرين وخَمْسِمِائةٍ، أسْمَعه أبُوه الكثيرَ، وشارَك أبَاه فى أكثرِ مشايخِه، وكتَب تاريخَ أبيه مرَّتَين بخَطِّه، وكتَب الكثيرَ، وأسْمَع، وصنَّف كُتُبًا عِدَّةً، وخَلَف أبَاه فى إسْماعِ الحديثِ بالجامعِ، ودارِ الحديثِ النُّورِيَّةِ.

وكانت وفاتُه يومَ الخميسِ ثامِنِ صفرٍ، ودُفِن بعدَ العصرِ على أبيه بمقَابرِ بابِ الصَّغيرِ شَرْقِيَّ قُبورِ الصَّحابَةِ خارِجَ الحظِيرَةِ، رحِمهما اللَّهُ.

الحافِظُ عبدُ الغَنِيِّ المَقْدِسِيُّ، عبدُ الغنيِّ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ عليِّ بنِ سُرورٍ، الحافظُ أبو محمدٍ المَقْدِسيُّ[1]، صاحِبُ التَّصانيفِ المشْهورةِ، مِن ذلك: «الكَمالُ فى أسْماءِ الرِّجالِ»، و«الأحْكامُ الكُبْرَى»، و«الصُّغْرَى»، وغيرُ ذلك، وُلِد بجَمَّاعِيلَ[2] فى ربيعِ الآخرِ سنةَ إحْدَى وأربعين وخمسِمائةٍ، وهو أسَنُّ مِن [3]ابنِ خالتِه[3] الإمامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ قُدامَةَ المَقْدِسِيِّ، بأربعةِ أشْهُرٍ، وكان قدُومُهما مع أهْلِهما مِن بيتِ المقدسِ إلى مسجدِ أبى صالحٍ أوَّلًا، ثم انْتقَلُوا إلى السَّفْحِ فعُرِفَتْ المحلَّةُ بهم، فقيلَ لها: الصّالحيَّةُ. فسكَنُوا الدَّيْرَ، وقرَأ الحافِظُ عبدُ الغَنِيِّ القرآنَ، وسمِع الحديثَ، وارْتَحَل هو والمُوَفَّقُ إلى بغدادَ سنةَ ستِّين وخمسِمائةٍ، فأنْزَلَهما الشيخُ عبدُ القادرِ عندَه فى المدرسةِ، وكان لا يتْرُكُ أحدًا ينْزِلُ عندَه، ولكنَّه توَسَّم فيهما النَّجابةَ والخيرَ

---

(١) ذيل الروضتين ص ٤٦، ومرآة الزمان ٨/٢/٥١٩، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٤٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٢.

(٢) جماعيل: قرية فى جبل نابلس من أرض فلسطين. معجم البلدان ٢/ ١١٣.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «عميه»، وفى ص: «ابن عمته». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٤٣، وانظر مقدمة المغنى بتحقيقنا ١/ ٧.

والصَّلاحَ ، فأكْرَمَهُما وأسْمَعَهما ، ثم تُوفِّى بعدَ مَقْدمِهما بخمسين ليلةً .

وكانَ ميْلُ عبدِ الغنىِّ إلى الحديثِ وأسْماءِ الرِّجالِ ، وميْلُ المُوَفَّقِ إلى الفِقْهِ ، واشْتَغَلا على الشيخِ أبى الفَتْحِ ابنِ المَنِّىِّ[1] ، ثم قَدِما دمشقَ بعدَ أرْبَعِ سنين ، فدَخَل عبدُ الغَنىِّ إلى مصرَ وإسكَندريَّةَ ، ثم عادَ إلى دمشقَ ، ثم ارْتَحَل إلى الجزيرةِ وبغدادَ ، ثم رحَل إلى أصْبهانَ ، فسَمِع بها الكثيرَ ، ووَقَف على مُصَنَّفِ للحافظِ أبى نُعَيْمٍ فى أسْماءِ الصَّحابةِ - قلْتُ : وهو عندِى بخَطِّ أبى نُعَيْمٍ - فأخَذ فى مُناقشَتِه فى أماكِنَ مِن الكتابِ فى مائةٍ وتسعين موْضِعًا ، فغَضِب بنُو الخُجَنْدِىِّ مِن ذلك ، وتعَصَّبوا عليه وأخْرَجُوه منها مُخْتَفِيًا فى إزارٍ .

ولمَّا دخَل فى طريقِه إلى المَوْصِلِ ، سمِع كتابَ العُقَيلىِّ فى الجَرْحِ والتَّعْديلِ ، فثارَ عليه الحَنَفيَّةُ بسببِ أبى حنيفةَ ، فخرَج منها أيضًا خائِفًا يترَقَّبُ ، فلَّما ورَد دمشقَ كان يقْرَأُ الحديثَ [٩/٣٢٩و] بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ برِوَاقِ الحنابلةِ مِن جامعِ دمشقَ ، فيجْتَمِعُ الناسُ إليه ، وكان رقيقَ القلبِ ، سريعَ الدَّمْعةِ ، فحصَل له قَبولٌ ، فحسَدَه الدَّماشِقَةُ ، وجهَّزُوا الناصِحَ ابنَ الحَنْبَلىِّ ، فتَكلَّمَ تحتَ النَّسْرِ[2] ، حتَّى يشوِّشَ عليه ، فحوَّلَ عبدُ الغَنىِّ مِيعادَه إلى بعدِ العَصْرِ ، فذَكَر يومًا عقِيدَتَه على الكُرْسِىِّ ، فثَارَ عليه القاضى مُحيِى الدينِ ابنُ الزكىِّ ، والخطيبُ ضِيَاءُ الدِّينِ الدَّوْلَعِىُّ ، وعُقِد له مَجْلِسٌ فى القلعةِ يومَ الاثنينِ الرَّابعِ والعِشْرِين مِن ذِى القَعْدَةِ سنةَ خمسٍ وتسعين .

وتكَلَّمُوا معه فى مسألةِ العُلُوِّ ومسْألَةِ النُّزولِ ، ومَسْألَةِ الحَرْفِ والصَّوْتِ ،

---

(١) فى ص : « المثنى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٤٥.

(٢) أى تحت قبة النسر من جامع دمشق الأموى .

وطالَ الكَلامُ، حتى قال له الصارمُ بُزْغُشُ والى القلعةِ[1] : كلُّ هؤلاء على الضَّلالةِ، وأنتَ على الحقِّ؟ قال: نعم. فغَضِب بُزْغُشُ مِن ذلك وأمَره بالخُروجِ مِن البلدِ.

فارْتَحَل بعدَ ثَلاثٍ إلى بَعْلَبَكَّ، ثم إلى الديارِ المصريةِ، فآوَاه الطَّحَّانونَ، فكانَ يقْرَأُ الحديثَ بها، فثَارَ عليه الفُقَهاءُ بمصرَ أيضًا، وكتَبُوا إلى الوزيرِ صَفِيِّ الدِّينِ بنِ شُكْرٍ، فأقَرَّ بنَفْيِه إلى المغْربِ، فماتَ قبلَ وصُولِ الكتابِ يومَ الاثنينِ الثالثِ والعِشْرِينَ مِن رَبيعِ الأوَّلِ مِن هذه السنةِ، وله تِسْعٌ وخَمْسونَ سنةً، ودُفِن بالقَرافةِ عندَ الشيخِ أبى عَمْرِو بنِ مَرْزُوقٍ، رحِمهما اللَّهُ.

قال السِّبْطُ[2] : وكان ورِعًا زاهِدًا عابدًا، يُصلِّى كلَّ يومٍ ثلاثَمائةِ ركْعَةٍ، كوِرْدِ الإمامِ أحمدَ، ويقومُ الليلَ، ويصُومُ عامَّةَ السَّنَةِ، وكانَ كريمًا جوادًا لا يدَّخِرُ شيئًا، ويتَصدَّقُ على الأرامِلِ والأيْتامِ حيثُ لا يَراه أحدٌ، وكان يُرقِّعُ ثوْبَه، ويؤْثِرُ بثَمَنِ الجديدِ، وكان قد ضعُفَ بصرُه مِن كثْرَةِ المُطالعةِ والبُكاءِ، وكان أوْحدَ زمَانِه فى علمِ الحديثِ والحفْظِ.

قلتُ: وقد هذَّبَ شيْخُنا الحافِظُ أبو الحجَّاجِ المِزِّىُّ - تَغمَّدَه اللَّهُ برحمتِه - كتابَه «الكَمالَ فى أسْماءِ الرِّجالِ» - رجالِ الكُتُبِ السِّتَّةِ - بتَهْذيبِه الذى اسْتَدرَك عليه فيه أماكِنَ كثيرةً، نحْوًا مِن ألْفِ موْضعٍ؛ وذلك أنَّه الإمامُ المِزِّىُّ الذى لا يُبارَى ولا يُجارَى ولا يُمارَى، وكِتابُه «التَّهْذِيبُ» لم يُسْبَقْ إلى مثْلِه، ولا يُلْحَقْ فى مثلِ شَكْلِه، فرَحِم اللَّهُ صاحِبَى «التهذيبِ» و«الكمالِ»، فلقد

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٥٥.
(٢) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٢١.

كانَا نادِرَيْنِ فى زمانَيْهما فى الرِّجالِ حِفْظًا وإتْقانًا وسَماعًا وإسماعًا ، وسَرْدًا للمُتونِ وأسْماءِ الرِّجال .

قال ابنُ الأثيرِ[1] : وفيها تُوفِّى **أبو الفتُوحِ أسْعَدُ بنُ محمودٍ العِجْلِىُّ**[2] صاحِبُ « تَتِمَّةِ التَّتِمَّةِ » ، أسعدُ بنُ أبى الفَضْلِ بنِ محمودِ بنِ خلفٍ العِجْلِىُّ ، الفَقِيهُ الشافعىُّ الأصْبَهانىُّ ، الواعِظُ [3]مُنْتَجَبُ الدِّينِ[3] ، سمِع الحديثَ ، وتفَقَّهَ وبرَع ، وصنَّف « تَتِمَّةَ التَّتِمَّةِ » لأبى سعْدٍ الهَرَوِىِّ ، وكان زاهِدًا عابدًا ، وله « شرْحُ مُشْكلاتِ الوَسيطِ والوَجيزِ » ، قال ابنُ خَلِّكانَ[4] : تُوفِّى فى صفَرٍ سنةَ سِتِّمائةٍ .

البُنانِىُّ الشَّاعِرُ ؛ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ المُهَنَّا[5] ، الشَّاعِرُ المعْروفُ بالبُنَانىِّ ، مدَح الخلفاءَ والوزراءَ والأمراءَ وغيرَهم ، وكَبِر وعلَتْ سِنُّه ، وكان رقيقَ الشِّعْرِ لطيفَه ، فمِن قولِه[6] :

ظلْمًا ترَى مُغْرَمًا فى الحبِّ تزْجُرُهُ ... وغِرَّةً بالهوَى أمْسَيتَ تُنْكِرُهُ
يا عاذِلَ الصَّبِّ لو عاتَبْتَ قاتِلَهُ ... بوَجنةٍ وعِذارٍ كنتَ تعْذُرُهُ
أفْدِى الذى سِحْرُ عيْنَيه يعلِّمُنى ... [٣٢٩/٩ظ] إذا تصَدَّى لقَتْلى كيف أسْحَرُهُ

---

(١) الكامل ١٢/ ١٩٩.
(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٠، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٢٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ١٢٦.
(٣ - ٣) فى الأصل، م: «منتخب الدين»، وانظر مصادر الترجمة.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٩.
(٥) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٧٩، والوافى بالوفيات ٥/ ٨٢.
(٦) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٣٧.

يَسْتَمتِعُ الليلَ فى نَومٍ وأسْهَرُهُ إلى الصَّباحِ وينْسَانى وأذْكُرُهُ

وله أيضًا[1] :

بكَرَتْ تديرُ على العواذلْ وتجُرُّ ذيلًا فى الخمائِلْ
وتهُزُّ فى ثَنْى الغَلا ئلِ ردْفَها هَزَّ الذَّوابلْ
وتقولُ للغصنِ الرطيـ ـبِ إذا تَماثَل أو تَمايَلْ
بيضاءُ صبغةُ خدِّها تنْمَى وصبغُ الوردِ حائِلْ
شَهْدُ الحياةِ وصالُها وصدورُها سُمُّ القواتِلْ

أبو سعيدٍ الحسَنُ بنُ خالدِ[2] بنِ المُبارَكِ بنِ محضرٍ[3] النَّصْرانىُّ الماردِينىُّ ، المُلَقَّبُ بالوحيدِ ، اشْتغَل فى حداثَتِه بعلمِ الأوائلِ فأتْقَنَه وبرَز فيه ، وكانتْ له يدٌ طُولَى فى الشعرِ الرَّائقِ ، فمِن ذلك قولُه ، قاتَله اللَّهُ[4] :

أتانِى كِتابٌ أنْشَأتْه أنامِلٌ حَوَتْ أبْحُرًا مِن فَيْضِها يغْرَقُ البحرُ
فوَا عَجَبًا أنَّى الْتَوَتْ فوقَ طِرْسِهِ[5] وما عُوِّدَتْ بالقَبْضِ أُنْمُلُه العَشْرُ

وله أيضًا لعَنه اللَّهُ[4] :

لقد أثَّرَتْ صُدْغاه فى لوْنِ خدِّهِ ولاح كفَىْءٍ مِن وراءِ زُجاجِ
ترَى عسْكرًا للرُّومِ فى الزِّنْجِ قد بَدَتْ طلائِعُه تسْعَى ليومِ هِياجِ
أمِ الصُّبْحُ بالليلِ البَهِيمِ مُوشَّحٌ حكَى آبِنُوسًا فى صفيحةِ عَاجِ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/١٣٧ .
(٢) فى م : « خلد » . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٤١.
(٣) سقط من : م ، وفى الأصل : « محطر » ، وفى ص : « محظر » . والمثبت من مصدر الترجمة .
(٤) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٤٢.
(٥) الطرس : الصحيفة .

لقد غارَ صُدْغاه على وَرْدِ خدِّه فسَيَّجَهُ مِن شِعْرِه بسِيَاجِ

الطَّاوُسيُّ صاحِبُ الطَّريقَةِ ، **العِرَاقيُّ بنُ محمدِ بنِ العِرَاقيِّ**[1] ، رُكْنُ الدينِ أبو الفَضْلِ القَزْوِينيُّ ، ثم الهَمَذانيُّ ، المعْروفُ بالطَّاوُسِيِّ ، كان بارِعًا فى علمِ الخِلافِ والجدَلِ والمُناظرَةِ ، أخَذ هذا الشأنَ عن الشيخِ رَضيِّ الدِّينِ النَّيْسابُورِيِّ الحَنَفيِّ ، وصنَّفَ فى ذلك ثلاثَ تَعالِيقَ ، قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : أحْسَنُهُنَّ الوُسْطى . وكانتْ إليه الرِّحْلَةُ بهَمَذَانَ ، وقد بنَى له بعْضُ الأمراءِ الحَجَبَةِ بها مدْرسةً تُعْرَفُ بالحاجِبيَّةِ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ويقالُ[3] : إنَّه منْسوبٌ إلى طَاوُسِ بنِ كَيْسانَ التَّابِعيِّ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٦٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٤٦، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق.

ثم دخَلَتْ سنَةُ إحْدَى وَسِتّمائةٍ

فيها[1] عزَلَ الخليفةُ الناصرُ ولَدَه محمدًا الملَقَّبَ بالظَّاهرِ عن وِلايَةِ العَهْدِ بعدَ ما خطَبَ له بذلك سبعَ عشْرَةَ سنَةً ، ووَلَّى العهدَ ولَدَه الآخرَ عليًّا ، فماتَ عليٌّ عن قريبٍ ، فعادَ الأمْرُ إلى الظَّاهرِ ، فبُويِعَ له بالخِلافَةِ بعدَ أبيه النَّاصرِ ، كما سيأْتى فى سنَةِ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ .

وفيها وقَع حريقٌ عظيمٌ بدارِ الخلافةِ فى خَزائنِ السِّلاحِ ، فاحْترَق شىءٌ كثيرٌ من السِّلاحِ والأمْتِعَةِ والمَساكنِ ما يُقارِبُ قِيمتُه أرْبَعَةَ آلَافِ ألْفِ دِينارٍ ، وشاعَ خبَرُ هذَا الحريقِ فى الناسِ ، فأرْسلَتِ المُلُوكُ مِن سائرِ الأَقْطارِ هدَايَا ؛ أسلحةً إلى الخليفةِ عِوَضًا ممَّا فات شيئًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها عاثتِ الكُرْجُ ببلادِ المُسْلمينَ فقتَلُوا خلْقًا ، وأسَرُوا أممًا . وفيها وقعَتِ الحرْبُ بينَ أميرِ مَكَّةَ قَتادَةَ الحَسَنىِّ[2] ، وبينَ أميرِ المدينةِ سالمِ بنِ قاسِمِ الحُسَيْنِىِّ ، وكان قتادَةُ قد قصَد المدينةَ فحصرَ سالمًا فيها ، فركِبَ إليه سالمٌ بعدَ ما صلَّى عندَ الحُجْرَةِ النبويَّةِ واسْتَنصَر اللَّهَ على قتادةَ ، ثم برَزَ إليه فكسَرَه ، وساقَ وراءَه إلى مَكَّةَ فحصَرَه بها ، ثم أرْسَل قتادَةُ إلى أمَراءِ سالمٍ فأفْسَدهم عليه ، وكَرَّ سالمٌ راجعًا إلى المدينةِ وهو سالمٌ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٠٠، وذيل الروضتين ص ٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٥.

(٢) فى الأصل، م : « الحسينى » . وانظر الكامل ١٢/ ٢٠٥.

وفيها ملَك غِياثُ الدِّينِ كَيْخَسْرُو بنُ قِلِجَ أرْسَلان [٩/٣٣٠و] بنِ مسْعودِ بنِ قِلِجَ أرسَلان بنِ سليمانَ بنِ قُتُلْمِشَ بلادَ الرُّومِ واسْتلَبها من ابنِ أخِيه ، واسْتَقرَّ هو بها ، وعَظُمَ شأْنُه وقَوِيَتْ شوْكتُه ، وكثُرَتْ عساكِرُه ، وأطاعَه الأُمَراءُ وأصْحابُ الأطْرافِ ، وخطَبَ له الأفْضَلُ بنُ صلاحِ الدِّينِ بسُمَيْساطَ ، وسارَ إلى خِدْمَتِه .

واتَّفَق فى هذه السَّنَةِ أنَّ رجُلًا ببَغْدَادَ نزَلَ إلى دِجْلَةَ يسْبَحُ فيها ، وأعْطَى ثِيابَه لغُلامِه فغرِقَ فى الماءِ ، فوُجِدَ فى ورقَةٍ بعِمامَتِه هذه الأبياتُ[1] :

يا أيُّها الناسُ كانَ لى أمَلُ ... قصَّر بى عن بلُوغِهِ الأجَلُ
فلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ رجُلٌ ... أمْكنَهُ فى زمانِه العمَلُ
ما أنا وحْدِى نُقِلْتُ حيثُ ترَى ... كلٌّ إلى مِثْلِهِ سيَنْتَقِلُ

وممن تُوفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعْيانِ :

أبو الحسَنِ علىُّ [2]بنُ الحسنِ[2] بنِ عنْتَرِ بنِ ثابتٍ الحِلِّىُّ ، المعْروفُ بشُمَيْمٍ ، كان شيْخًا أديبًا فاضلًا لُغويًّا شاعرًا ، جمَع مِن شعْرِه حماسةً كان يفَضِّلُها على حماسةِ أبى تَمَّام ، وله خَمْرِيَّاتٌ يزعُمُ أنَّها أفحلُ مِن التى لأبى نُوَاسٍ . قالَ أبو شامَةَ فى « الذَّيْلِ »[3] : كان قليلَ الدِّينِ ذا حمَاقَةٍ ورَقاعَةٍ وخَلاعَةٍ ، وله حماسةٌ ورَسائلُ . قال ابنُ السَّاعى[4] : قَدِمَ بَغْدَادَ فأخَذ النَّحْوَ عن ابنِ الخشَّابِ ، وحصَّلَ

---

(١) الأبيات فى تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٥٢.

(٢ - ٢) سقط من الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : معجم الأدباء ٣/ ٥٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٤٣، وذيل الروضتين ص ٥٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٥٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٦١.

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٢.

(٤) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٥٧، ١٥٨.

طرَفًا صالحًا مِن النحوِ واللُّغَةِ وأشْعارِ العرَبِ ، ثم أقامَ بالمَوْصِلِ حتى تُوفِّىَ بها .

ومِن شعْرِه فى حماستِهِ[1] :

لا تَسْرَحَنَّ الطَّرْفَ فى بقرِ[2] المَها ... فمَصَارِعُ الآجالِ فى الآجالِ[3]

كم نظرةٍ أَرْدَتْ وما أخَذتْ يَـ ... ـدُ المُصْمِى[4] لمن قتَلتْ أداةَ قتالِ

سنَحَتْ وما سمَحتْ بتَسْليمٍ و ... إقلالُ[5] التحيةِ فِعْلَةُ المغتالِ[6]

[7]ومِن خمريَّاتِه قولُه :

امزُجْ بمَسْبُوكِ اللُّجَيْنِ ... دَمًا حَكَتْه دموعُ عَيْنى

لمَّا نعَى ناعِى الفِرا ... قِ بِبَيْنِ مَنْ أهوى وبَيْنِى

خفَقَتْ لنا شمسانِ مِن ... لألائِها فى الخافقَينِ

وبدَتْ لنا فى كأسِها ... مِن لونِها فى حُلَّتَيْنِ[7]

وله فى التَّجْنيسِ[8] :

ليتَ مَنْ طوَّل بالشَّأمِ نَوَاهُ[9] وثَوَى بهْ

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٥٩، ٦٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٤٥.

(٢) فى م : « مقل » .

(٣) الآجال الأولى : جمع أجل ، وهى غاية الوقت فى الموت ، والآجال الثانية : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . اللسان (أ ج ل) .

(٤) المصمى : يقال : أصمى الصائد الصيد ؛ أصابه فوقع بين يديه . الوسيط (ص م ى) .

(٥) فى الأصل ، م : « أغلال » ، وفى ص : « أعلال » . والمثبت من معجم الأدباء ، وإنباه الرواة .

(٦) فى الأصل : « المختال » ، وفى م ، ص : « المحتال » . والمثبت من معجم الأدباء ، وإنباه الرواة .

(٧ - ٧) سقط من : م . وانظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٣/ ٥٤.

(٨) معجم الأدباء ١٣/ ٥٦، ٥٧.

(٩) فى النسخ : « ثواه » . والمثبت من معجم الأدباء .

جـعَـلَ الـعَـوْدَ إلـى الـزَّو راءِ مِـن بـعـضِ ثَـوابِـهْ
أتُـرَى يُوطِئُـنى الدَّهْـــــــرُ ثـرَى مِـسـكٍ تُـرابِـهْ

وأرَى أىْ نـورَ عَـينى مَـوْطـئًـا لـى وتُـرَى بِـهْ

أبو نَصْرٍ محمدُ بنُ سَعدِ اللَّهِ بنِ نَصْرِ بنِ سَعيدِ [1] **بنِ الدَّجاجىِّ** [1] ، كان بهِيًّا واعظًا حنْبَلِيًّا فاضلًا شاعرًا مجيدًا ، وله [2] :

نفسُ الفَتَى إن أصْلَحَتْ أحْوالَها كان إلى نيْلِ المُنى أحْوَى لها
وإنْ ترَاها سدَّدَتْ أقوالَها كانَ على حمْلِ العُلَا أقْوَى لها
فإنْ تبدَّتْ حالُ مَن لهَا لَها فى قبْرِهِ عندَ البِلَى لها لها

أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ مسْعودِ بنِ محمدٍ القُرْطُبِىُّ الخَزْرَجِىُّ [3] ، كانَ إمامًا فى التَّفْسيرِ والفِقْهِ والحسابِ والفَرائضِ والنَّحْوِ واللُّغَةِ والعَرُوضِ والطبِّ ،وله تَصانِيفُ حِسانٌ ، وشعْرٌ رائقٌ ، منه قولُه [4] :

وفى الوَجنَاتِ ما فى الرَّوْضِ لكِنْ لرَوْنَقِ زهْرِها معْنًى عجِيبُ
وأعْجَبُ ما التَّعجُّبُ عنه أنِّى أرَى البستانَ يحمِلُهُ قضيبُ

أبو الفِدَاءِ إسْماعِيلُ بنُ يَرَنْقُشَ [4] **السِّنْجارِىُّ** ، مولَى صاحبِها عمادِ الدِّينِ زَنكِى بنِ مَوْدُودِ بنِ زَنكى ، وكانَ جندِيًّا حسنَ الصُّورةِ ، مليحَ النَّظْمِ ، كثيرَ

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٨٤، وذيل الروضتين ص ٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٧١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٩١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٧.

(٢) ذيل الروضتين ص ٥٢.

(٣) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٣.

(٤) المصدر السابق ٩/ ١٦٤.

الأدَبِ ، ومِن شعْرِه ما كتَب به إلى الملكِ الأشْرَفِ مُوسَى بنِ العادِلِ يعزِّيه فى أخٍ له اسْمُه يُوسُفُ :

دمُوعُ المعالِى والمكارِمِ ذُرَّفُ ... وربعُ العُلا قَاعٌ لفَقْدِكَ صَفْصَفُ
[٩/٣٣٠ظ] غدَا الجُودُ والمعروفُ فى اللَّحْدِ ثاوِيًا ... غدَاةَ ثَوَى فى ذلكَ اللَّحْدِ يُوسُفُ
فتًى خطَفَتْ كفُّ المَنِيَّةِ رُوحَهُ ... وقد كانَ للأرْواحِ بالبِيضِ يخْطَفُ
سقَتْه ليالى الدَّهْرِ كأسَ حِمامِها ... وكانَ بسَقْيِ المَوْتِ فى الحرْبِ يُعْرَفُ
فوا حَسْرتا لو ينْفَعُ الموتَ حسْرَةٌ ... ووَا أسَفا لو كانَ يجْدِى التَّأسُّفُ
وكانت على الأرْزاءِ نفْسِى قوِيَّةً ... ولكِنَّها عن حَمْلِ ذا الرُّزْءِ تضْعفُ

أبو الفَضْلِ إلياسُ بنُ جامعِ بنِ علىٍّ الإرْبِلِىُّ(١) ، تفَقَّه بالنِّظامِيَّةِ ، وسمِعَ الحديثَ ، وصنَّفَ « التاريخَ » وغيرَه ، وتفرَّدَ بحسْنِ كتابَةِ الشُّروطِ ، وله فضْلٌ ونظْمٌ حسنٌ ، منه قولُه(٢) :

أمُمْرِضَ قلْبِى ، ما لهجْرِك آخِرُ ... ومُسْهِرَ طَرْفى ، هل خَيالُكُ زائرُ
ومسْتعْذِبَ التَّعْذيبِ جَوْرًا بصدِّهِ ... أمالكَ فى شَرْعِ المحبَّةِ زاجِرُ
هَنيئًا لكَ القلْبُ الذى قد وقَفْتُهُ ... على ذكرِ أيامى وأنتَ مسافِرُ
فلا فارَقَ الحزْنُ المُبرِّحُ خاطِرى ... لبُعْدِكَ حتى يجْمَعَ الشَّمْلَ قادِرُ
فإنْ مِتُّ فالتَّسْليمُ منِّى عليْكُمُ ... يُعاوِدُكمْ ما كبَّر اللَّهَ ذاكِرُ

أبو السَّعاداتِ الحِلِّىُّ(٣) ، التاجرُ البَغْدادِىُّ الرَّافِضِىُّ ، كانَ فى كلِّ جُمُعةٍ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٩٣، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥، والمختصر المحتاج إليه ص ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٤٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٢٥.
(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥.
(٣) فى ص: «الحبلى»، وفى تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٢: «الجبيلى».

يلْبَسُ لأُمَةَ الحرْبِ ، ويقِفُ خلفَ بابِ دارِه ، وهو مُجافٌ عليه ، والناسُ فى صلاةِ الجُمُعةِ ، وهو ينْتَظِرُ أنْ يخرُجَ صاحبُ الزَّمانِ مِن سِرْدابِ سَامرَّا - يعْنِى محمدَ بنَ الحسَنِ العسْكَرِىَّ - ليميلَ بسَيفِه فى الناسِ نُصْرَةً للمَهْدِىِّ .

أبو غالِبِ بنِ كمونةَ[1] **اليَهُودِىُّ الكاتبُ** ، كان يُزوِّرُ على خطِّ ابن مُقلَةَ مِن قوَّةِ خطِّه ، تُوفِّى لعَنه اللَّهُ ، بمطْمُورَةِ واسِطٍ ؛ ذكَره ابنُ الساعِى فى « تارِيخِه »[2] .

وفيها تُوفِّى يهودِىٌّ آخَرُ يقالُ له : **أبو غالبِ بنُ أبى طاهرِ بنِ شَبْرٍ** . كان عاملًا على دارِ الضربِ ببغدادَ ، ذكَره ابنُ الساعى الخازنِ فى « تاريخِه »[3] .

---

(١) فى م : « كمنونة » . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٦٥.

(٣) المصدر السابق ٩/١٦٦ .

ثم دخلت سنة ثِنْتَيْنِ وسِتّمائةٍ

فيها[1] وقَعت حربٌ عظيمةٌ بينَ الملكِ شهابِ الدينِ محمدِ بنِ سامٍ الغُورِيِّ، صاحِبِ غَزْنَةَ، وبينَ بَنى كَوكَرَ[2] أصحابِ الجبلِ الجُودِيِّ، وكانوا قد ارتدُّوا عن الإسلامِ، فقاتَلَهم وكسَرهم، وغَنِم منهم شيئًا كثيرًا لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ، فاتَّبَعه بعضُهم حتى قتَله غِيلَةً فى ليلَةِ مُسْتهَلِّ شعبانَ منها بعدَ العشاءِ، رحِمه اللَّهُ، وكان مِن أجودِ الملوكِ سيرةً، وأعقلِهم وأثبتِهم فى الحربِ، تغمَّده اللَّهُ برحمتِه، ولمَّا قُتِل كان فى صُحبتِه فخرُ الدينِ الرّازىُّ، وكان يجلِسُ للوعظِ فيحضُرُ الملكُ وعظَه، ويبكِى حينَ يقولُ له فى آخرِ مجلسِه[3]: يا سلطانُ، سلطانُكَ لا يبقَى، ولا تلبِيسُ الرّازىِّ أيضًا، وإنَّ مرَدَّنا جميعًا إلى اللَّهِ. وحينَ قُتِل السلطانُ اتهَمه بعضُ الخاصِّكِيَّةِ بقتْلِه، فخافَ مِن ذلك، والتجأ إلى الوزيرِ مُؤَيِّدِ المُلْكِ بنِ خواجا، فسَيَّرَه إلى حيثُ يأْمَنُ، وتملَّك غَزْنَةَ بعدَه أحدُ مماليكِه؛ تاجُ [4]الدينِ الدُّزُّ[4]، وجرَت بعدَ ذلك خطوبٌ يطولُ بسطُها، قدِ استقصَاها ابنُ الأثيرِ وابنُ السَّاعى.

وفيها أغارَتِ الكُرْجُ على بلادِ المسلمين، فوصَلُوا إلى خِلاطَ، فقتَلُوا وسبَوْا،

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩.

(٢) فى م: «بوكر».

(٣) الكامل ١٢/ ٢١٦.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «الدر». وانظر الكامل ١٢/ ٢١٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٧٣.

وقاتَلَهمُ المُقاتِلَةُ والعامَّةُ. وفيها سار صاحبُ إرْبِلَ مُظَفَّرُ الدينِ كُوكُبُورِى[1] وصحبتَه صاحبُ مَراغةَ لقتالِ ملكِ أذْرَبِيجانَ، وهو أبو بكرِ بنُ البَهلَوانِ[2]؛ وذلك لنُكولِه عن قِتالِ الكُرْجِ، وإقبالِه على السُّكْرِ ليلًا ونهارًا، فلم يقْدِرُوا عليه، ثم إنَّه تزوَّجَ فى هذه السنةِ بنتَ ملكِ الكُرجِ، فانْكَفَّ شرُّهم عنه. قال ابنُ الأثيرِ[3]: [٩/٣٣١و] وكان كما يقالُ: أغمَد سيفَه وسلَّ أيْرَه.

وفيها استَوزَرَ الخليفةُ نصيرَ الدينِ ناصرَ بنَ مهدِىٍّ العَلَوِىَّ الحَسَنىَّ، وخلَع عليه بالوِزارَةِ وضُرِبتِ الطُّبولُ بينَ يديْه وعلى بابِه فى أوقاتِ الصلواتِ. وفيها أغارَ صاحبُ بلادِ الأرْمَنِ، وهو ابنُ لاوُنَ[4] على بلادِ حلبَ، فقتَل وسبَى ونهَب، فخرَج إليه الملكُ الظاهِرُ غازى بنُ الناصرِ، فهرَب ابنُ لاونَ بينَ يدَيْه، فهدَم الظاهرُ قلعةً كان قد بنَاها، ودَكَّها إلى الأرضِ.

وفى شعبانَ منها هُدِمتِ القَنْطرةُ الرومانيةُ التى كانت عندَ البابِ الشرقىِّ، ونُشِرتْ حِجارتُها ليُبْلَّطَ بها الجامِعُ الأُمويُّ بسِفارَةِ الوزيرِ صَفِىِّ الدينِ بنِ شُكْرٍ، وزيرِ العادلِ، وكمَل تبليطُه فى سنةِ أربعٍ وسِتِّمائةٍ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

شَرَفُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ، جمالِ الإسلامِ

---

(١) فى النسخ: «كوكرى». وفى الكامل ١٢/ ٢٣٦، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٧٥: «كوكبرى». والمثبت من وفيات الأعيان ٤/ ١١٣، والعبر ٥/ ١٢١، وشذرات الذهب ٥/ ١٣٨.

(٢) فى الأصل، م: «البهلول». وانظر الكامل ١٢/ ٢٤٢.

(٣) الكامل ١٢/ ٢٤٢.

(٤) فى الكامل ١٢/ ٢٣٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٧٦: «ليون». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩.

الشَّهْرَزُورىُّ[1] ، بمدينةِ حِمْصَ ، وقد كان أُخرِج إليها مِن دمشقَ ، وكان قبلَ ذلك مُدرِّسًا بالأَمِينيَّةِ[2] والحلْقةِ بالجامعِ تُجاهَ البرّادَةِ ، وكان لديه علمٌ جيِّدٌ بالمذهبِ والخِلافِ .

التَّقِىُّ عيسى بنُ يُوسُفَ بنِ أحمدَ العراقىُّ الغرَّافىُّ الضَّريرُ[3] ، مدرِّسُ الأَمِينيةِ أيضًا ، كان يسكُنُ المنارَةَ الغربيةَ ، وكان عندَه شابٌّ يخدُمُه ويقودُ به ، فعُدِم للشيخِ دراهمُ فاتَّهَم هذا الشابَّ بها ، فلم يَثبُتْ له عندَه شىءٌ ، واتُّهِم به الشيخُ ، ولم يكُنْ يظُنُّ الناسُ أنَّ عندَه مِن المالِ شيئًا ، فضاعَ المالُ ، واتُّهِمَ عِرْضُه ، فأصبَح يومَ الجُمُعةِ السابعِ مِن ذى القَعْدَةِ مشنوقًا ببيتِه بالمئذنةِ الغربيةِ ، فامتنَع الناسُ مِن الصلاةِ عليه ؛ لكونِه قتَل نفْسَه ، فتقَدَّمَ الشيخُ فخرُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ عساكرَ فصلَّى عليه ، فائْتَمَّ به بعضُ الناسِ . قال أبو شامةَ[4] : وإنَّما حمَله على ما فعَله ذَهابُ مالِه والوقوعُ فى عِرضِه . قال : وقد جرَى لى أختُ هذه القضيَّةِ فعصَمنِى اللَّهُ سبحانَه بفضلِه . قال : وقد درَّس بعدَه فى الأمينيَّةِ الجَمَالُ المصرىُّ وكيلُ بيتِ المالِ .

أبو الغَنائمِ الركبسلّارُ[5] **البغدادىُّ** ، كان يخدُمُ مع عزِّ الدينِ نجاحِ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٢٦، وذيل الروضتين ص ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٠٠، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٩٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٢٨.

(٢) منسوبة إلى أمين الدين كمشتكين بن عبد اللّه المتوفى سنة ٥٤١. الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ١٧٨.

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٨٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٤٥.

(٤) ذيل الروضتين ص ٥٥.

(٥) فى الأصل : « المرليسار » ، وفى م : « المركبسهلار » ، وفى ص : « المركبسلار » . والمثبت من تاريخ ابن الساعى ٩/٨٥ . وسلّار : اسم جماعة ، وهى كلمة أعجمية أظنها سالار ، بزيادة الألف ، وهى بالفارسية الرئيس المقدم ، ثم حذفت وشددت اللام . تاج العروس (س ل ر) .

الشَّرابىِّ[1] ، وحصَّل أموالًا جزِيلَةً ، كان كلَّما تهيَّأَ له مالٌ اشترَى به مِلْكًا ، وكتَبه باسمِ صاحبٍ له يعتمِدُ عليه ، فلما حضَرته الوفاةُ أوصَى ذلك الرجلَ أن يتولَّى أولادَه ، ويُنْفِقَ عليهم مِن مِيراثِه مما ترَكه لهم ، فمرِض المُوصَى إليه بعدَ قليلٍ ، فاسْتَدعَى الشُّهودَ ؛ ليُشهِدَهم على نفسِه أنَّ ما فى يَدِه لورثةِ أبى الغَنائمِ ، فتَمادَى ورثتُه فى إحضارِ الشُّهودِ ، وطَوَّلوا عليه ، وأخَذته سكْتَةٌ ، فمات فاستَوْلَى ورَثَتُه على تلك الأموالِ والأملاكِ ، ولم يعطُوا أولئك شيئًا مما ترَكه أبوهم لهم .

أبو الحسنِ علىُّ بنُ [2]علىِّ بنِ سعادَةَ[2] الفارقىُّ[3] ، تفَقَّهَ ببغدادَ ، وأعادَ بالنِّظاميَّةِ ونابَ فى تدريسِها ، واستَقَلَّ بتَدريسِ المدرسةِ التى أنشَأتْها أمُّ الخليفةِ وأُرِيد على نِيابةِ القَضاءِ عن أبى طالبٍ [4]علىِّ بنِ علىٍّ[4] البخارىِّ ، فامتنَع ، فأُلزِم به فباشَرَه قليلًا ، ثم دخَل يومًا إلى مسجدٍ فلَبِس على رأسِه مِئْزَرَ صُوفٍ ، وأمَر الوُكلاءَ والجَلاوِذةَ أن ينصرِفوا [٣٣١/٩ظ] عنه ، وأشهَد على نفسِه بعزلِها عن نِيابَةِ القَضاءِ ، واستمَرَّ على الإعادةِ والتدريسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الجمُعةِ العشرين مِن ربيعِ الأوَّلِ تُوفِّيَت :

الخاتُونُ[5] **أمُّ السلطانِ الملكِ المعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ** ، فدُفِنت بالقُبَّةِ بالمدرسةِ المُعظَّميَّةِ بسفحِ قاسِيونَ .

---

(١) فى م : « السراى » .

(٢ - ٢) فى م : « سعاد » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٢٤٣، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٢٩٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٥٥.

(٣) فى الأصل : « القارى » ، وفى م : « الفارسى » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٤، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٨١.

الأَمِيرُ مُجيرُ الدِّينِ طاشْتِكِين المُسْتَنْجِدِىُّ[1] أميرُ الحاجِّ وزَعيمُ بلادِ خُوزِسْتَانَ ، كانَ شَيْخًا خَيِّرًا حسَنَ السِّيرَةِ ، كثيرَ العِبادَةِ ، غاليًا فى التَّشَيُّعِ ، تُوفِّى بتُسْتَرَ ثانِى جُمادَى الآخرةِ من سنةِ ثِنتين وستِّمائةٍ ، وحُمِل تابُوتُه إلى الكوفةِ فدُفِن بمشهَدِ علىٍّ ، بوصيةٍ منه ، هكذا ترجَمه ابنُ السَاعِى فى « تاريخِه »[2] ، وذكَر أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ »[3] أنَّه طاشْتِكِين بنُ عبدِ اللَّهِ المُقْتَفَوِىُّ أمِيرُ الحاجِّ ، حَجَّ بالناسِ سِتًّا وعِشْرِينَ سنةً ، وكان يكونُ فى الحِجَازِ كأنَّه مَلِكٌ ، وقد رمَاه الوزيرُ ابنُ يُونُسَ بأنَّه يُكاتِبُ صلاحَ الدينِ فحبَسه الخليفةُ ، ثم تبيَّنَ له بُطلانُ ما ذُكِر عنه فأطلَقه ، وأعْطَاه خُوزِسْتانَ ، ثم أعادَه إلى إمْرَةِ الحجِّ ، وكانتِ الحِلَّةُ السيفيةُ[4] إقطاعَه ، وكان شُجاعًا جوادًا سَمْحًا ، قليلَ الكلامِ ، يَمضِى عليه الأسبوعُ لا يتَكلَّمُ فيه بكلمةٍ ، وكان فيه حِلْمٌ واحتمالٌ ، اسْتغاث به رجُلٌ على بعضِ نُوَّابِه فلمَ يَرُدَّ عليه ، فقال له المُسْتَغيثُ : أَحِمارٌ أنتَ ؟ فقال : لا . وفيه يقولُ ابنُ التعاوِيذىِّ[5] :

وأمِيرٌ على البلادِ مُوَلًّى ... لا يجيبُ الشَّاكِى بغيرِ السُّكوتِ
كلَّما زادَ رِفْعةً حطَّنا اللـ ... ـهُ بتغفيلِهِ إلى البَهَمُوتِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٤١، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٢٧، وذيل الروضتين ص ٥٣، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ١٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ٩٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٨.

(٢) تاريخ ابن الساعى ٩/ ١٨٦.

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٣.

(٤) فى الأصل ، م : « الشيعية » . وكذا وقع هذا التحريف فى ذيل الروضتين ص ٥٣، وتحرفت فى ص إلى : « السنية » . والحلة السيفية هى حِلَّةُ بنى مَزْيَد ، وتسمى السيفية نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى . وانظر معجم البلدان ٢/ ٣٢٢، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٢٧.

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٠.

وقد سرَق فَرَّاشُه حياصةً له ، فأرادُوا أن يستَقِرُّوا الفرّاشَ عليها ، وكان قد رَآه الأميرُ طاشْتِكِين وهو يأخُذُها ، فقال : لا تُعاقِبُوا أحدًا ، فإنه أخَذها مَن لا يَرُدُّها ، ورَآه مَن لا يَنُمُّ عليه . وقد كان بلَغ مِن العُمرِ تسعين سنَةً ، واتَّفَق أنَّه استأجَر أرضًا مدَّةَ ثلاثِمائةِ سنةٍ للوَقْفِ ، فقال فيه بعضُ المُضْحِكينَ : هذا لا يُوقِنُ بالموتِ ؛ عُمرُه تسعون سنةً واسْتَأجَر أرضًا ثلاثَمائةِ سنةٍ . فاسْتَضحَكَ القوم .

ثم دخَلت سنةُ ثلاثٍ وستّمائةٍ

فيها[1] جرَت أمورٌ طويلةٌ ببلادِ المشرقِ بينَ الغُورِيَّةِ والخُوارِزْميَّةِ، ومَلَك خُوارِزْم شَاه محمدُ بنُ تِكِشَ بلادَ الطَّالَقانِ. وفيها وَلَّى الخليفةُ قضاءَ القُضاةِ ببغدادَ لعمادِ الدينِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ الدَّامَغانىِّ.

وفيها قبَض الخليفةُ على عبدِ السلامِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ الشيخِ عبدِ القادِرِ الجِيلانىِّ[2]، بسبَبِ فِسْقِه وفُجورِه، وقد أُحْرِقتْ كتبُه وأموالُه قبلَ ذلك؛ لِمَا فيها مِن كتبِ الفلاسفةِ، وعلومِ الأوَائلِ، وأصبَح يسْتَعْطِى منَ الناسِ، وهذا بخَطيئةِ قيامِه على الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ؛ فإنَّه هو الذى كان وشَى به إلى الوزيرِ ابنِ القَصّابِ حتى أُحْرِقَت بعضُ كُتُبِ ابنِ الجوزىِّ، وخُتِم على بقِيَّتِها، ونُفِىَ إلى واسِطٍ خمسَ سنينَ، كما تقدَّم بيانُ ذلك[3]، والناسُ يقولون: فى اللَّهِ كِفايةٌ. وفى القرآنِ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشورى: ٤٠]. والصُّوفيَّةُ يقولون: الطريقُ تأخُذُ حقَّها. والأطباءُ يقولون: الطَّبيعةُ مُكافِئةٌ.

وفيها نازلَتِ الفِرنجُ حِمصَ فقاتَلَهم مَلِكُها أسدُ الدينِ شِيرِكُوه بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه الكبيرِ، وأعانَه بالمَدَدِ المَلِكُ الظاهرُ صاحبُ حلَبَ،

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٤٥، وذيل الروضتين ص ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤.

(٢) فى الأصل، ص: «الكيلانى». قال فى الأنساب ٢/ ١٤٥: الجيلى بكسر الجيم وسكون الياء المنقوطة باثنين من تحتها، هذه النسبة إلى بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها: كِيل، وكِيلان. فعربت ونسب إليها، وقيل: جِيلىّ وجِيلانىّ.

(٣) تقدم فى ص ٦٦٥.

فكَفَّ اللَّهُ شرَّهم . وللَّهِ [٩/ ٣٣٢و] الحمدُ والمنّةُ .

وفيها اجتمَع شابَّانِ ببغدادَ على الشرابِ ، فضرَب أحدُهما الآخرَ بسكِّينٍ فقتَله وهرَب ، فأُخِذ فقُتِل ، فوُجد معه رُقْعَةٌ فيها بيتان مِن نَظْمِه أمَر أن تُجْعَلَ بينَ أكفانِه ، وهما قولُه[1] :

قَدِمتُ على الكَريمِ بغيرِ زادٍ ... مِن الأعمالِ بالقلْبِ السَّليمِ
وسوءُ الظَّنِّ أنْ تعْتَدَّ زادًا ... إذا كانَ القُدومُ على كريمِ

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الفَقِيهُ أَبو منصورٍ عبدُ الرحمنِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ النُّعْمانِ النِّيلىُّ[2] ، والملَقَّبُ بالقاضِى شُرَيْحٍ ، لذَكائِه وفضلِه وبراعتِه وعقلِه وكمالِ أخلاقِه ، ولِىَ قَضاءَ بلَدِه ، ثم قَدِم بغدادَ ، فنُدِب إلى المناصبِ الكبارِ فأبَاها ، فحلَف عليه الأميرُ طاشتِكِين أن يعمَلَ عندَه فى الكتابةِ ، فخدَمه عشرين عامًا ، ثم وشَى به الوزيرُ ابنُ مهدىٍّ إلى الخليفةِ ، فحبَسه فى دارِ طاشتِكِين إلى أن تُوفِّى فى هذه السنةِ ، ثم إنَّ الوزيرَ عمَّا قريبٍ حُبِس بها أيضًا ، وهذا من العَجَبِ الغريبِ .

عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ الشيخِ عبدِ القادرِ[3] ، كان ثقةً عابدًا زاهدًا وَرِعًا ، لم يكُنْ فى إخوتِه خيرٌ منه ، لم يدخُلْ فيما دخَلُوا فيه مِن المناصبِ والولاياتِ ، بل كان

---

(١) البيتان فى الكامل ١٢/ ٢٥٧، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٦/١٩٢ - ١٩٣.
(٢) فى م : « النبلى . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣١، وذيل الروضتين ص ٥٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١١٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٣٦. والنِّيلى : نسبة إلى النيل ، وهى بُليدة على الفرات بين بغداد والكوفة . الأنساب ٥/ ٥٥١.
(٣) ذيل الروضتين ص ٥٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١١٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠.

مُتَقَلِّلًا مِن الدنيا، مُقْبِلًا على الآخرةِ، وقد سمِع الكثيرَ، وسُمِع عليه أيضًا.

أبو الحَرَمِ مَكِّيُّ بنُ ريّانَ[1] **بنِ شَبَّةَ بنِ صالحٍ المَاكِسِينيُّ**[2]، مِن أعمالِ سِنْجارَ، ثم المَوْصِلِيُّ النحويُّ، قَدِم بغدادَ، وأخَذ عن ابنِ الخشَّابِ، وابنِ القَصَّارِ، والكمالِ الأنْباريِّ، وقدِم الشامَ، فانتفَع به خَلْقٌ عظيمٌ؛ منهم الشيخُ علمُ الدينِ السَّخاوِيُّ وغيرُه، وكان ضريرًا يتَعصَّبُ لأبى العلاءِ المَعَرِّيِّ؛ لما بينَهما مِن القَدْرِ المُشْتَرَكِ فى الأدبِ والعَمَى، ومِن شعرِه[3]:

إذا احتاجَ النَّوالُ إلى شَفِيعٍ ... فلا تَقْبَلْهُ تُضْحِ قريرَ عَيْنِ
إذا عِيفَ النَّوالُ لفَرْدِ مَنٍّ ... فأوْلى أن يُعافَ لِـمنَّتَيْـنِ

ومِن شعرِه أيضًا[4]:

نفسى فِداءٌ لأَغْيَدٍ غَنِجٍ ... قال لنا الحَقَّ يومَ ودَّعَنَا
مَنْ ودَّ شيئًا مِن حُبِّهِ طمعًا ... فى قُبْلةٍ للوَداعِ ودَّ عَنَا

إقبالُ الخادِمُ، جمالُ الدينِ[5]، أحدُ خُدّامِ الملكِ صلاحِ الدينِ، واقِفُ

---

(١) فى م: «زيان». وكذا وقع فى معجم الأدباء ١٩/ ١٧١، وقد نصَّ أبو شامة فى الذيل ص ٥٨، ٥٩ على أنه: ربان، بالراء والباء الموحدة، أما ابن خلكان فى الوفيات ٥/ ٢٨٠ فنصّ على أنه: ريان، بالراء والياء المثناة.

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ١٧١، والكامل ١٢/ ٢٥٨، وإنباه الرواة ٣/ ٣٢٠، وذيل الروضتين ص ٥٨، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٣٣.

(٣) معجم الأدباء ١٩/ ١٧٢، وذيل الروضتين ص ٥٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٩.

(٤) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢١٧.

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١١٠، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٠٤. وفى مصادر ترجمته أنه يلقب: جمال الدولة، عدا نهاية الأرب ففيه: جمال الدين. فاللَّه أعلم.

الإقْباليَّتَيْنِ ؛ الشافِعيةِ والحنفِيةِ ، وكانتا دارَيْنِ له فجعَلَهما مدرستين ، ووقَف عليهما وقفًا ؛ الكبيرةَ للشافعيةِ ، وعليها ثلثا الوقفِ ، والصغيرةَ للحنفيَّةِ ، وعليها ثُلثُ الوقْفِ . وكانت وفاتُه بالقُدْسِ ، رحِمه اللَّهُ .

ثم دخَلَتْ سنةُ أَرْبَعٍ وسِتّمائةٍ

فيها[1] رجَعَ الحاجُّ إلى العراقِ وهم يدْعُونَ اللَّهَ، ويشتَكون إلى الناسِ ما لقَوا مِن صَدْرجهان البُخارِىِّ الحَنفىِّ، الذى كانَ قَدِمَ بغْدَادَ فى رِسالَةٍ، فاحْتَفَل به الخليفةُ، وخَرَج إلى الحجِّ فى هذه السَّنَةِ، فضَيَّقَ على الناسِ فى المياهِ والمِيرَةِ، فماتَ نحوٌ مِن سِتَّةِ آلَافٍ مِن الحجيجِ العراقىِّ بسبَبِه فى هذه السنةِ. وكان - فيما ذُكِر - يَسْبِقُ غِلمانُه إلى المناهِلِ فيتحجّرون على الماءِ، ويأْخُذونَه فيرشُّونَ حولَ خَيْمَةِ مخدومِهم فى قَيْظِ الحِجَازِ، ويسْقُونَ البُقولاتِ التى تُحْمَلُ معه فى تُرابِها، ويَمْنَعُونَ منه ابنَ السَّبيلِ، الآمِّينَ البيتَ الحرامَ، فلمَّا رجَعَ [٩/٣٣٢ظ] مع الناسِ لعَنَتْه العامَّةُ، ولم تحْتَفِلْ به الخاصَّةُ، ولا أكْرَمَه الخليفةُ، ولا أرْسَل إليه أحدًا، وخرَج مِن بَغْدَادَ والعامَّةُ مِن وَرائِه يرْجُمونَه ويلْعَنُونَه، وسمَّاه الناسُ: صدْرَ جَهَنَّمَ. نعُوذُ باللَّهِ مِن الخِذْلانِ.

وفيها قبَضَ الخليفةُ على وزِيرِه ابنِ مَهْدِىٍّ العَلَوِىِّ؛ وذلك لأنَّه نُسِبَ إليه أنَّه يرومُ الخِلافَةَ، وقيل غيرُ ذلك مِن الأسْبابِ، والمقْصودُ أنَّه حُبِسَ بدارِ طاشْتِكِين حتى ماتَ بها، وكان جبَّارًا عنِيدًا، يَذُمُّه الشعراءُ حتى قالَ بعْضُهم فيه[2]:

خَلِيلَىَّ قُولَا للخليفةِ أحمدٍ ... تَوَقَّ وُقِيتَ السُّوءَ ما أنتَ صانِعُ
وزِيرُكَ هذَا بينَ أمْرَيْنِ فيهما ... صَنِيعُكَ يا خيْرَ البرِيَّةِ ضائِعُ

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٥٩، وذيل الروضتين ص ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٥.

(٢) الأبيات فى ذيل الروضتين ص ٦٠.

فإنْ كان حَقًّا مِن سُلالةِ حَيْدَرٍ فهذا وَزِيرٌ فى الخلافَةِ طامِعُ
وإنْ كان فيما يدَّعِى غيرَ صادقٍ فأضْيعُ ما كانتْ لَديْه الصنائِعُ

وقيل : إنَّه كان عفيفًا عن الأمْوالِ ، حسَنَ السِّيرةِ ، جيِّدَ المُباشرَةِ . فاللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ بحالِه .

وفى رَمَضانَ رتَّبَ الخليفةُ ببغدادَ عِشْرينَ دارًا للضِّيافَةِ يُفْطِرُ فيها الصَّائمون مِن الفُقَراءِ ، يُطْبَخُ فى كلِّ يومٍ فيها طعامٌ كثيرٌ ، ويُحْمَلُ إليها مِن الخُبْزِ النَّقىِّ والحَلْواءِ شىءٌ كثيرٌ أيضًا - فجزاه اللَّهُ خيرًا - وهذا الصَّنيعُ يُشْبِهُ ما كانتْ تفعَلُه قريشٌ مِن الرِّفادَةِ فى زَمَنِ الحجِّ ، وكان يتَولَّى ذلك عمُّه أبو طالبٍ[1] ، كما كان جَدُّه العبَّاسُ يتَولَّى السِّقايَةَ ، وقد كانتْ فيهم السِّفارَةُ واللِّواءُ والنَّدْوَةُ ، كما تقدَّم بَيانُ ذلك فى مَواضعِه ، وقد صارَتْ هذه المَناصِبُ كلُّها على أتمِّ الأحْوالِ فى الخُلَفاءِ العبَّاسِيِّين ، رحِمهم اللَّهُ .

وفيها أرْسَل الخليفةُ الشيخَ شِهابَ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِىَّ وفى صُحْبَتِه سُنْقُرُ السِّلِحْدَارُ إلى الملكِ العادِلِ بالخِلْعةِ السَّنِيَّةِ ، وفيها الطَّوْقُ والسِّوارَانِ ، وإلى جميعِ أوْلادِه بالخِلَعِ أيضًا .

وفيها مَلَكَ الأوْحدُ بنُ العادِلِ صاحبُ مَيَّافارِقِينَ مدِينةَ خِلاطَ بعدَ قتلِ صاحبِها ابنِ بَكْتَمُرَ ، وكان شابًّا جميلَ الصُّورةِ جدًّا ، قتَله بعْضُ مَماليكِهم ، ثم قُتِلَ القاتلُ أيضًا ، فخلَا البَلَدُ عن مَلِكٍ ، فأخَذَها الأوْحَدُ بنُ العادِلِ ، كما ذكَرنا .

وفيها مَلَكَ خُوارِزْم شَاه محمدُ بنُ تِكِشَ بلادَ ما وراءَ النَّهْرِ مِن الخِطا بعدَ حُروبٍ طويلةٍ .

---

(١) أى عم الخليفة ؛ لأن الخليفة ينتهى نسبه إلى عبد اللّه بن عباس ، وأبو طالب عم عبد اللّه بن عباس .

اتَّفقَ فى بعْضِ الأيامِ أمْرٌ عجيبٌ[1] ؛ وهو أنَّ المُسلمين انْهَزَمُوا عن السلطانِ خُوارِزْم شَاه فى بعضِ المواقفِ ، وبَقِىَ هو ومعه عِصابَةٌ قليلَةٌ مِن أصْحابِه ، فقتَل منهم الكُفَّارُ مِن الخِطا مَنْ قتَلُوا ، وأسَرُوا خَلْقًا منهم ، وكان السُّلْطانُ خُوارِزْم شَاه فى جملَةِ مَنْ أُسِرَ ؛ أسَرَه رجُلٌ وهو لا يشْعُرُ به ولا يدْرِى أنَّه المَلِكُ ، وأسَر معه أمِيرًا يقالُ له : ابنُ مسْعودٍ . فلمَّا وقَع ذلك وتراجَعَت العسَاكِرُ الإسْلاميَّةُ إلى مقَرِّها ، فقَدُوا مِن بينِهم السُّلْطانَ ، فاخْتبَطُوا فيما بينَهم ، واخْتَلَفُوا اخْتِلافًا كثيرًا ، وانْزعَجتْ خُراسَانُ بكَمالِها ، ومِن الناسِ مَن ظنَّ أنَّ السُّلْطانَ قد قُتِلَ .

وأمَّا ما كان مِن السلطانِ وذاك الأمِيرِ ؛ فإن الأميرَ قال للسُّلْطانِ : إنى أرَى مِن المصْلحَةِ أنْ تَتْرُكَ المُلْكَ عنك فى هذه الحالةِ ، وتُظْهِرَ أنَّك غُلامٌ لى . فقَبِل منه ما أشار به ، وجعَل يَخْدُمُه ، ويُلْبِسُه ثِيابَه ، ويسْقِيه [٩/٣٣٣و] ويضَعُ الطَّعامَ بيـنَ يدَيْه ، ولا يألُو جهدًا فى خِدْمَتِه ، فقال الذى أسَرهُما : إنِّى أرَى هذا يخْدُمُكَ ، فمَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا ابنُ مسعودٍ الأميرُ ، وهذا غُلامِى ، فقال : واللَّهِ لولا عِلمُ الأمراءِ بأنى قد أسَرْتُ أمِيرًا لأَطْلَقْتُك . فقال : إنِّى إنَّما أخْشَى على أهْلِى ، فإنَّهم يظُنُّونَ أنِّى قد قُتِلْتُ ويُقيمُونَ المأْتَمَ ، فإنْ رأَيْتَ أنْ تُفادِيَنِى على مالٍ ، وتُرْسِلَ مَنْ يقْبِضُه منهم فعَلْتَ خيْرًا . فقال : نعم . فعيَّنَ رجُلًا مِن أصحابِه ، فقال ابنُ مسْعودٍ : إنَّ أهْلِى لا يعْرِفون هذا ، ولكِنْ إنْ رأيْتَ أنْ أُرْسِلَ معه غُلامِى ؛ ليُبَشِّرَهم بحَياتِى ، ويأمُرَهم بتحصيلِ المالِ . فقال : نعم . فجهَّزَ معهما مَنْ يحْفَظُهما إلى مدينةِ خُوارِزْمَ .

فلمَّا اقترَبوا مِن مدِينَةِ خُوارِزْمَ سبَقَه المِلكُ إليها ، فلمَّا رآه الناسُ فرِحُوا فرَحًا شديدًا ، ودَقَّتِ البَشائرُ فى سائرِ بلادِه ، وعادَ المَلِكُ إلى نِصابِه ، واسْتَقرَّ السُّرورُ

---

(١) الكامل ١٢/٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٥.

بإيَابِه ، وأصلَح ما كان وَهَى مِن مَمْلَكَتِه بسبَبِ ما كان اشْتَهَر مِن عَدَمِه ، وحاصَر هَراةَ وأخَذها عَنْوَةً .

وأمَّا الذى كان قد أسَره ، فإنَّه قال يومًا لابنِ مسْعُودٍ : إنّ الناسَ ينُوحُونَ أنَّ خُوارِزْم شَاه قد عُدِم . فقال : لا ، هو الذى كان فى أسْرِكَ . فقال له : فهَلَّا أعْلَمْتَنِى به حتى كنتُ أرُدُّه مُوَقَّرًا معَظَّمًا ! فقال : خِفْتُكَ عليه . فقال : سِرْ بنا إليه . فسارا إليه فأكْرَمَهما إكْرامًا زائدًا ، وأحْسَنَ إليهما .

وفيها غدَرَ صاحِبُ سَمَرْقَنْدَ ، فقتَل كلَّ مَنْ كان ببلدِه مِن الخُوارِزْمِيَّةِ ، حتى كان الرجلُ يُقْطَعُ قِطْعتَيْنِ ، ويُعلَّقُ فى السُّوقِ كما تُعلَّقُ الأغْنامُ ، وعزَمَ على قَتْلِ زوْجَتِه بنْتِ خُوارِزْم شَاه ، ثم رجَع عن قتلِها ، وحصَرها وحبَسها فى قلعةٍ وضَيَّق عليها ، فلمّا بلَغ الخبرُ إلى الملكِ خُوارِزْم شاه سارَ إليه فى الجُنودِ فنَازَلَه وحاصَر سَمَرْقَنْدَ ، فأخَذَها قَهْرًا ، وقتَل مِن أهْلِها نحْوًا مِن مِائَتَىْ ألْفٍ ، وأنْزَلَ المَلِكَ مِن القَلْعَةِ ، وقُتِل صَبْرًا بيـنَ يدَيْه ، ولم يتْرُكْ له نَسْلًا ولا عَقِبًا ، واسْتَحوَذَ خوارِزْم شَاه على تلكَ المَمَالِكِ التى هنالك .

وفيها تحارَبَ الخِطا وملكُ التَّتارِ كشلى خان المُتاخِمُ لمَمْلَكَةِ الصِّينِ ، فكتَبَ ملكُ الخِطا إلى خوارِزْم شَاه يسْتَنْجِدُه على التَّتارِ ، ويقولُ : متَى غلَبُونا خلَصُوا إلى بلادِكَ . وكذا وقَع . وكتَبَ التَّتارُ إليه أيضًا يَسْتَنصِرونَه على الخِطا ويقولُونَ : هؤلاء أعْداؤُنا وأعْداؤُك ، فكُنْ معَنا عليهم . فكتَب إلى كلٍّ مِنَ الفَرِيقَيْنِ يُطيِّبُ قلْبَه ، وحضَرَ الوَقْعَةَ بيْنَهم وهو مُتَحَيِّزٌ عن الفرِيقَيْنِ ، فكانتِ الدَّائرةُ على الخِطا ، فهَلَكُوا إلَّا القليلَ منهم . وغدَرَ التَّتارُ ما كانُوا عاهَدُوا عليه خُوارِزْم شَاه ، فوقَعتْ بينهما الوَحْشَةُ الأكِيدَةُ ، وتَواعَدُوا للقتالِ ، وخاف منهم خُوارِزْم شَاه ،

وخرَّبَ بِلادًا كثيرةً مُتاخِمَةً لبلادِ كشلى خان ؛ خوْفًا عليها أنْ يَمْلِكَها ، ثم إنَّ جِنْكِزخان خرَج على كشلى خان ، فاشْتَغَل بمُحارَبَتِه عن مُحارَبَةِ خُوارِزْم شَاه ، ثم وقَعَ مِن الأمُورِ الغريبَةِ ما سنَذْكُرُه ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالَى .

وفيها كثُرَت غاراتُ الفِرنْجِ مِن طَرابُلُسَ على نَواحِى حِمْصَ ، فضَعُفَ صاحِبُها أسَدُ الدِّينِ شِيرِكُوه عن مُقاوَمَتِهم ، فبَعَثَ إليه الظاهِرُ صاحِبُ حَلَبَ [٩/٣٣٣ظ] عسْكرًا قوَّاه بهم على الفِرنْجِ .

وخرَجَ الملكُ العادِلُ مِن الديارِ المصريَّةِ فى العسَاكرِ الإسلامِيَّةِ ، وأرْسَلَ إلى جُيوشِ الجزِيرَةِ العُمريَّةِ فَوافَوه على عَكَّا فحاصَرها ؛ لأنَّ القَبارِسَةَ كانوا قد أخَذُوا مِن أُسْطولِ المُسْلِمين قِطعًا فيها جماعَةٌ مِن المسلمينَ ، فطلَبَ صاحِبُ عَكَّا الأمَانَ والصُّلْحَ على أنْ يَرُدَّ الأُسارَى ، فأجابَه إلى ذلك ، وسارَ العادِلُ فنزَلَ على بُحَيْرَةِ قَدَسَ قريبًا مِن حِمْصَ ، ثم سارَ إلى بلادِ طَرابُلُسَ ، فأقامَ بها اثْنَىْ عشَرَ يومًا يقْتُلُ ويأْسِرُ ويغْنَمُ ، وخرَّب تلك البلدانَ الأَطْرابُلُسيَّةَ ، حتى جنَحَ الفِرنْجُ إلى المُهادَنَةِ ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ مؤيَّدًا منصورًا مسرورًا محبورًا .

وفيها مَلَكَ صاحِبُ أذْرَبيجَانَ وهو الأميرُ نُصْرةُ الدينِ أبو بكرِ بنُ البَهْلوانِ مدِينةَ مَراغَةَ ؛ وذلك لخلُوِّها عن مَلِكٍ قاهرٍ ، فإنَّ مَلِكَها ماتَ ، وقامَ بالمُلْكِ بعدَه ولَدٌ له صغيرٌ ، فدَبَّرَ أمْرَه خادِمٌ له .

وفى غُرَّةِ ذِى القَعْدَةِ[1] شَهِدَ مُحْيِى الدِّينِ أبو محمدٍ يُوسُفُ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنِ الجَوْزِىِّ عندَ قاضِى القُضاةِ أبى القاسِمِ بنِ الدَّامَغانِىِّ ، فقَبِلَه ووَلَّاه حِسْبَةَ جانِبَىْ بَغْدَادَ ، وخلَعَ عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً سَوْداءَ بطَرْحَةٍ كُحْلِيَّةٍ ، وبعدَ عشَرَةِ أيامٍ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٣١.

جلَسَ للوَعْظِ مَكانَ أبيه أبى الفرجِ ببَابِ بدرِ الشَّريفِ ، وحضَرَ عندَه خَلْقٌ كثيرٌ . وبعدَ أرْبَعَةِ أيامٍ مِن يَوْمِئذٍ درَّسَ بمَشْهَدِ أبى حَنِيفةَ ضِيَاءُ الدِّينِ أحمدُ بنُ مسْعودٍ التُّرْكُسْتانىُّ[1] الحنَفىُّ ، وحضَرَ عندَه الأعْيانُ والأكابرُ .

وفى رَمَضانَ منها وصَلَتِ الرُّسُلُ مِن الخليفةِ إلى العادِلِ بالخِلَعِ ، فلَبِسَ هو ووَلَدَاه المُعَظَّمُ والأشْرَفُ ووَزِيرُه صَفِىُّ الدينِ بنُ شُكْرٍ ، وغيرُ واحدٍ مِن الأُمَراءِ الخِلَعَ السَّنِيَّةَ الخليفيَّةَ ، ودخَلُوا إلى القَلْعَةِ وقْتَ صلاةِ الظهرِ مِن بابِ الحديدِ ، وقرَأَ التَّقْلِيدَ الوَزِيرُ وهو قائمٌ ، وكان يومًا مشْهُودًا .

[2]وفيها رُكِّبتِ الساعاتُ بمئذنةِ العروسِ بالجامعِ الأُمَوىِّ ، وشرَعوا فى بناءِ الدُّرَجِ التى تُجاهَ المدرسةِ القيْمازيّةِ[2] .

وفيها درَّس الشيخُ شرفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْنِ القُضاةِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ سلطانَ بالمدْرسَةِ الرَّواحِيَّةِ بدِمَشْقَ .

وفيها انْتقَلَ الشيخُ ابنُ الحُبَيْرِ البَغْدَادِىُّ مِنَ الحَنْبَلِيَّةِ إلى مذهبِ الشافعىِّ ، ودرَّسَ بمدْرَسةِ أمِّ الخليفةِ ، وحضَرَ عندَه الأكابِرُ والعلماءُ مِن سائرِ المذاهبِ .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الأميرُ إيتامشُ[3] بنُ عبدِ اللَّهِ ، أحدُ أُمَراءِ الخليفةِ النَّاصرِ ، كان مِن ساداتِ الأُمَراءِ دينًا وعقْلًا ونَزاهَةً وعِفَّةً ، سقَاه بعْضُ الكُتَّابِ مِن النَّصارَى سُمًّا ، فماتَ

---

(١) فى الأصل ، م : « الركسانى » ، وفى ص : « المركسانى » . والمثبت من تاريخ ابن الساعى ٩/ ٣٣٣. وانظر الجواهر المضية ١/ ٣٣١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى الأصل : « بيامين » وفى ص : « نيامى » وفى م : « بنيامين » ، وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣٥ وفيه : « تنامش » ، وذيل الروضتين ص ٦١.

رحِمه اللَّهُ . وكان اسْمُ الذى سقَاه ابنَ ساوَى ، فلما اطَّلَع الخليفةُ على الحالِ سلَّم ابنَ ساوى إلى غِلْمانِ إيتامشَ فشَفَعَ فيه ابنُ مَهْدِىٍّ الوزيرُ ، وقالَ : إنَّ النَّصارَى قد بذَلُوا فيه خَمْسين ألْفَ دِينارٍ ، فكتَبَ الخليفةُ على رأْسِ الوَرَقةِ[1] :

إنَّ الأُسُودَ أسُودَ الغابِ هِمَّتُها يومَ الكَرِيهَةِ فى المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

فتَسلَّمه غِلْمانُ إيتامشَ فقَتَلُوه وحرَقُوه ، وقبَض الخليفةُ بعدَ ذلكَ على ابنِ مَهْدِىٍّ الوزيرِ ، كما تقدَّمَ .

حَنْبَلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الفَرَجِ بنِ سعَادَةَ الرُّصَافِىُّ الحَنْبَلىُّ[2] ، المُكَبِّرُ بجامعِ المَهْدِىِّ ، راوِى « مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ » عنِ ابنِ الحُصَيْنِ ، عن ابنِ المُذْهِبِ ، عن ابنِ مالكٍ ، عنْ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه . عُمِّر تِسْعينَ سنَةً ، وخرَج مِن بَغْدَادَ ، فأَسْمَعه [٩/٣٣٤و] بإِرْبِلَ ، واسْتَقدَمه مُلوكُ دِمَشْقَ إليها ، فسَمِعَ الناسُ بها عليه المُسْنَدَ ، وكانَ المُعَظَّمُ يكْرِمُه ، ويأْكُلُ عندَه على السِّماطِ مِن الطَّيِّباتِ ، فتُصِيبُه التُّخَمَةُ كثيرًا ؛ لأنَّه كان ضَيِّقَ الحالِ ، خَشِنَ العيْشِ ببَغْدَادَ ، وكانَ الكِنْدِىُّ إذا دخَل على المُعَظَّمِ يسْأَلُ عن حَنْبَلٍ فيقولُ المُعَظَّمُ : هو متْخُومٌ ، فيقولُ : أَطْعِمْه العدَسَ . فيَضْحَكُ المُعَظَّمُ ، ثم أعْطاه المُعَظَّمُ مالًا جزيلا ، ورَدَّه إلى بَغْدَادَ ، فتُوفِّى بها فى هذه السنةِ ، وكانَ مولْدُه سنَةَ عَشْرٍ وخَمْسِمائةٍ ، وكانَ معه ابنُ طَبَرْزدَ ، فتأَخَّرَتْ وَفاتُه عنه إلى سنَةِ سَبْعٍ وسِتِّمائةٍ .

عبدُ الرَّحمنِ بنُ عِيسَى بنِ أبى الحسَنِ البُزُورىُّ الواعِظُ البَغْدادِىُّ[3] ،

---

(١) ذيل الروضتين ص ٦١.

(٢) التقييد ص ٢٥٩، والكامل ١٢/ ٢٧٨، ومرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣٦، وذيل الروضتين ص ٦٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤٢.

(٣) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣٧، وذيل الروضتين ص ٦٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام =

سمِعَ مِن ابنِ أبى الوَقْتِ وغيرِه ، واشْتَغَل على ابنِ الجَوْزِىِّ بالوعْظِ ، ثم حدَّثَتْه نفْسُه بمُضاهاتِه وشمَخَتْ نفْسُه ، واجْتَمع عليه طائفةٌ مِن أهْلِ بابِ البصرةِ ، ثم تزَوَّجَ فى آخرِ عُمرِه - وقد قارَبَ السَّبْعِينَ - بصَبِيَّةٍ ، فاغْتَسَل فى يومٍ بارِدٍ ، فانْتفَخَ ذكَرُه ، فماتَ فى هذه السَّنَةِ .

الأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ قَراجَا الصَّلاحِىُّ[1] صاحِبُ صَرْخَدَ ، كانتْ له دارٌ عندَ بابِ الصَّغيرِ عندَ قَناةِ الزَّلَّاقَةِ ، وتُرْبَتُه بالسَّفْحِ فى قُبَّةٍ على جادَّةِ الطَّريقِ عندَ تُرْبَةِ ابنِ تميركَ ، وأقَرَّ العادِلُ ولَدَه يعْقُوبَ على صَرْخَدَ .

عَبْدُ العزيزِ الطَّبِيبُ[2] تُوفِّى فجأَةً ، وهو والِدُ سعْدِ الدِّينِ ، الطَّبيبُ الأَشْرَفِىُّ ، وفيه يقولُ ابنُ عُنَيْنٍ :

فُرادى ولا خلْفَ الخطِيبِ جماعةٌ ومَوْتٌ ولا عبدَ العزيزِ طَبِيبُ

وفيها تُوفِّى :

العَفِيفُ ابنُ الدَّرَجِىِّ[3] إمامُ مقْصُورَةِ الحنفيَّةِ الغَرْبِيَّةِ بجامِعِ بنى أُمَيَّةَ .

= (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٤١، وشذرات الذهب ٥/ ١٧.

(١) مرآة الزمان ٨/٢/ ٥٣٨، وذيل الروضتين ص ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٥٧.

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٣.

(٣) كذا ذكره ابن كثير ضمن وفيات هذه السنة متابعًا فى ذلك أبا شامة فى كتابه ذيل الروضتين ص ٦٤، والصواب أنه توفى سنة ٦٦٤هـ، وانظر مصادر ترجمته التالية : العبر ٥/ ٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢١، والدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٦٠٥- وفيه إشارة إلى أن ابن كثير ذكر العفيف هذا ضمن وفيات ٦٦٤هـ، وباستقراء المخطوطات التى لدينا والمصدر الذى نقل عنه ابن كثير (ذيل الروضتين) يتبين لنا أنه لم يذكره فى غير سنة ٦٠٤هـ- والجواهر المضية ١/ ٣٩٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٥.

أبو محمدٍ جَعْفَرُ بنُ محمدِ بنِ محمودِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ يُوسُفَ الإِرْبِلِيُّ[1] ، كانَ فاضِلًا فى علُومٍ كثيرَةٍ ؛ فى الفِقْهِ على مذهبِ الشَّافعىِّ ، والحِسَابِ والفَرائضِ والهنْدسَةِ والأَدَبِ والنَّحْوِ ، وما يتَعلَّقُ بعُلومِ القُرآنِ العزيزِ وغيرِ ذلك . ومن شعرِه الحسنِ الجيدِ قولُه :

لا يدْفَعُ المرْءُ ما يأْتى بهِ القَدَرُ ... وفى الخُطُوبِ إذَا فكَّرْتَ مُعْتَبَرُ
فلَيْس يُنْجِى مِنَ الأَقْدارِ إنْ نزَلَتْ ... رأىٌ وحَزْمٌ ولا خَوْفٌ ولا حَذَرُ
فاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فى كلِّ الأُمُورِ ولا ... تجْزَعْ لشىءٍ فعُقْبَى صَبْرِكَ الظَّفَرُ
كمْ مسَّنَا مرةً عُسْرٌ فصَرَّفَهُ ... صَرْفُ الزمانِ ووالَى بعدَهُ يُسْرُ
لا يَيْأَسِ المرْءُ مِن رَوحِ الإلهِ فما ... [2]يَيْأَسُ منه إلَّا عُصْبَةٌ كفَرُوا[2]
إنِّى لأَعْلَمُ أنَّ الدَّهْرَ ذَو دُوَلٍ ... وأنَّ يوْمَيْه ذا أمْنٌ وذَا خَطَرُ

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٤٣.

(٢ - ٢) كذا بالنسخ والمصدر، وفى الوزن خلل.

ثم دخلت سنة خمسٍ وستّمائةٍ

فى مُحَرَّمِها[1] تكامَل بناءُ دارِ الضيافةِ ببَغْدادَ التى أنْشَأَها الناصِرُ لدِينِ اللَّهِ بالجانبِ الغرْبىِّ مِن بغدادَ للحاجِّ والمارَّةِ ؛ لهم الضِّيافةُ ما دامُوا نازِلِينَ بها ، فإذا عزَم أحدُهم على السفرِ منها زُوِّدَ وكُسِى وأُعْطِى بعدَ ذلك كلِّه دِينارًا للسَّفرِ ، جَزاه اللَّهُ خيْرًا . وفيها عادَ أبو الخطَّابِ ابنُ دِحْيَةَ الكَلبِىُّ مِن رحلَتِه العِراقيَّةِ ، فاجْتازَ بالشَّامِ ، فاجْتمَع فى مجلسِ الوزيرِ صفىِّ الدينِ بنِ شُكرٍ هو والشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليُمْنِ زيدُ بنُ الحسنِ الكِنْدِىُّ [٩/ ٣٣٤ظ] شيخُ اللغَةِ والحديثِ ، فأوْرَد ابنُ دِحْيَةَ فى كلامِه حدِيثَ الشفاعَةِ حتى انتَهَى إلى قولِ إبْراهِيمَ عليه السلامُ : « إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ »[2] . بفَتْحِ اللَّفْظتينِ ، فقال الكِنْدِىُّ : من وَراءُ وَراءُ . بضَمِّهما ، فقالَ ابنُ دِحْيَةَ للوزيرِ ابنِ شُكْرٍ : منْ ذا ؟ فقالَ : هذا الشيخُ أبو اليُمنِ الكِنْدِىُّ ، فنالَ منه ابنُ دِحْيَةَ ، وكان جريئًا ، فقال الكِنْدِىُّ : هو مِن كلبٍ فنبَح . قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[3] : وكلتا الروايتين محكِيَّتان ، وحُكِى فيهما الجرُّ أيضًا .

وفيها عادَ فخرُ الدينِ ابنُ تَيْمِيَةَ خطيبُ حَرَّانَ مِن الحجِّ إلى بغْدَادَ ، وجلَس ببابِ بدرٍ للوعْظِ ، مكانَ مُحْيِى الدينِ يوسُفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ ، فقالَ فى

---

(١) ذيل الروضتين ص ٦٤، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٥٨.

(٢) صحيح مسلم ٣٢٩/(١٩٥) . وانظر النهاية ١٧٨/٥ .

(٣) ذيل الروضتين ص ٦٥.

كلامِه ذلك :

وابنُ اللَّبُون إذا مالُزَّ فى قَرَنٍ لم يسْتَطِعْ صوْلةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ[1]

كأنَّه يعرِّضُ بالمُحيِى بنِ الجَوْزِىِّ ، لكوْنِه شابًّا ابنَ خَمْسٍ وعِشْرينَ سنةً . واللَّهُ أعلمُ .

وفى يومِ الجُمُعةِ تاسعِ المُحَرَّمِ دخَل مَمْلوكٌ إفْرَنْجِىٌّ مِن بابِ مقْصورَةِ جامعِ دِمَشْقَ وهو سَكْرانُ وفى يَدِه سيفٌ مسْلُولٌ ، والناسُ جلُوسٌ ينْتظرونَ صلاةَ الفجرِ ، فمالَ على الناسِ يضْرِبُهم بسَيْفِه ، فقَتَل اثنَيْن أو ثلاثةً ، وضرَب المِنْبَرَ بسَيْفِه فانْكسَر فأُخِذ وأُودِع المارَسْتانَ ، وشُنِقَ فى يوْمِه ذلكَ على جسْرِ اللَّبّادِينَ .

وفيها عادَ الشيخُ شِهَابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِىُّ مِن دِمَشْقَ بهدَايا الملكِ العادِلِ ، فتلقَّاه الجيشُ ومعه أمْوالٌ كثيرةٌ لنفْسِه أيضًا ، وكانَ قبلَ ذلكَ فقيرًا زاهِدًا ، فلمَّا عادَ مُنِعَ مِن الوعْظِ وأُخِذَتْ منه الرُّبُطُ التى يُباشِرُها ، ووُكِّلَ إلى ما بيَدِه من الأمْوالِ ، فشرَع فى تفْريقِها على الفُقراءِ والمَساكينِ ، فاسْتَغْنَى منه خلْقٌ كثيرٌ مِن الفقهاءِ وغيرِهم ، فقالَ المُحْيِى ابنُ الجوْزِىِّ فى مجلسِه ما معناه : لا حاجَةَ بالرجلِ أن يأخُذَ أمْوالًا من غيرِ حقِّها ، ويصْرِفَها إلى مَنْ يسْتَحِقُّها ، وكانَ ترْكُها أوْلَى به مِن تناوُلِها ، وإنَّما أرادَ أنْ ترْتَفِعَ منْزِلَتُه ببذْلِها ، أو يعودَ إلى حالِه كما كانَ ، ولو تُرِك على ما كان يباشِرُه لما بذَلَها ، فلْيَحْذَرِ العبدُ الدُّنْيا فإنَّها خدَّاعةٌ غرَّارَةٌ تسْتَرِقُّ فُحولَ العُلمَاءِ والعبّادِ فضلًا عن العوامِّ والقوادِ . وقد وقَع ابنُ الجوْزِىِّ فيما بعدُ ،

---

(١) لُزَّ فى قرن : يقال للبعيرين إذا قرنا فى قرن (حبل) واحد قد لُزّا . البزل : جمع بازل وهو البعير الذى طلع نابه وذلك فى السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : هو من الإبل العظيم الضخم ، وانظر التاج (ق ن ع س) واللسان (ل ز ز) وفيهما البيت منسوب لجرير .

فيما وقعَ فيه السُّهْرَوَرْدِىُّ وأعْظَمَ .

وفيها قصدَتِ الفِرنْجُ مدينةَ حِمْصَ ، وعبَرُوا على العاصِى بجسرٍ أعَدُّوه فى بلادِهم ، فلمَّا أحسَّتْ بهم العَساكِرُ المنصورةُ ركِبُوا فى آثارِهم ، فهرَبُوا منهم ، فقتَلُوا خلْقًا كثيرًا منهم ، وغَنِمَ المُسْلمونَ منهم غَنِيمةً جيِّدَةً .

وفيها قُتِلَ صاحبُ الجزِيرَةِ ، وكان مِن أسْوأِ الناسِ سِيرةً ، وأرْدَاهم سرِيرَةً ، وهو المَلِكُ **سَنْجَرْ شَاه بنُ غازِى بنِ مودودِ بنِ زنكِى بنِ آق سُنقر الأتابِكِىُّ**[1] ، وكان ابنَ عمِّ نُورِ الدِّينِ صاحبِ المَوْصِلِ ، وكان الذى تَوَلَّى قتْلَه ولَدُه غازِى ، توَصَّلَ إليه حتى دخَل عليه وهو فى الخَلاءِ سَكْرانُ ، فضرَبَه بسكِّينٍ أرْبعَ عشْرَةَ ضرْبةً ، ثم ذبَحه ، وذلكَ كلُّه ليأْخُذَ المُلْكَ مِن بعدِه ، فحرَمَه اللَّهُ ذلك ، فبُويعَ بالمُلْكِ لأخِيه محمودٍ ، وأُخِذَ غازِى هذا العاقُّ لوالدِه فقُتِل مِن يوْمِه ، فسَلَبَه اللَّهُ المُلْكَ والحياةَ ، ولكِنْ أراحَ اللَّهُ المسلمينَ مِن ظُلْمِ أبِيه وغشْمِه وفِسقِه ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وممِن تُوفِّى فيها أيضًا :

[٩/٣٣٥و] **أبو الفَتْحِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ بَخْتِيارَ بنِ علىٍّ**[2] **بنِ محمدِ بن إبراهيمَ بنِ جعفرٍ**[2] **الواسِطِىُّ المعرُوفُ بابنِ المَنْدائِىِّ** ، آخرُ مَنْ روَى مسندَ الإمامِ أحمدَ عن ابنِ الحُصَيْنِ ، وكانَ مِن بيتِ فِقْهٍ وقضَاءٍ ودِيانةٍ ، وكان ثِقَةً عدْلًا

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٧٩، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٤٦، ١٧٤، والعبر ٥/ ١٢، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٢.

(٢ - ٢) سقط من : م ، وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٢٨٢، وتاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٧٧، وذيل الروضتين ص ٦٦ وفيه (محمد بن بختيار بن عبد الله) وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٨٧.

مُتَورِّعًا فى النَّقْلِ، ومما أنْشَده من حفْظِه[1] :

ولو أنَ ليْلَى مَطْلِعُ الشمسِ دونَها وكنتُ وراءَ الشمسِ حينَ تغيبُ
لحدَّثْتُ نفْسِى بانتظارِ نَوالِهَا وقالَ المُنَى لى إنها لقريبُ

قاضِى القُضاةِ بالديارِ المصريةِ صَدْرُ الدِّينِ عبدُ الملكِ بنُ درباسٍ[2] المارانِىُّ الكُرْدِىُّ.

---

(١) تاريخ ابن الساعى ٩/ ٢٧٨.

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٧، والعبر ٥/ ١٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ) ص ١٧٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ستٍّ وستّمائةٍ

فى المُحَرَّمِ[1] وصَل نَجْمُ الدينِ خَليلٌ شيخُ الحنَفيةِ مِن دمشقَ إلى بغدادَ فى الرَّسْليّةِ عن العادلِ ، ومعه هَدايا كثيرةٌ ، وتَناظَر هو وشيخُ النِّظاميةِ مَجْدُ الدينِ يَحْيَى بنُ الربيعِ فى مسألةِ وجوبِ الزكاةِ فى مالِ اليَتيمِ والمَجْنونِ ، وأخَذ الحَنَفىُّ يَسْتَدِلُّ على عدمِ وجوبِها ، فاعْتَرَض عليه الشافعىُّ ، فأجاد كلٌّ منهما فى الذى أوْرَدَه ، ثم خُلِع على الحنفىِّ وأصحابِه بسببِ الرسالةِ ، وكانت المُناظَرةُ بحَضْرةِ نائبِ الوزيرِ ابنِ أمسينا[2] .

وفى يومِ السبتِ خامسِ جُمادَى الآخِرةِ وصَل الجَمَالُ يونُسُ بنُ بَدْرانَ المِصْرىُّ رئيسُ الشافعيةِ بدمشقَ إلى بغدادَ فى الرَّسْليّةِ عن المَلِكِ العادلِ ، فتلَقَّاه الجيشُ مع حاجبِ الحُجَّابِ ، ودخَل معه ابنُ أخى صاحبِ إرْبِلَ مُظَفَّرِ الدينِ كُوكُبْرى[3] ، والرسالةُ تَتَضَمَّنُ الاعْتِذارَ عن صاحبِ إرْبِلَ ، والسؤالَ فى الرِّضَا عنه ، فأُجِيب إلى ذلك .

---

(١) الكامل ١٢/ ٢٨٤، والجامع المختصر لابن الساعى ٩/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣.

(٢) فى م: «شكر».

(٣) فى الأصل، م: «كوكرى». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٤.

وفيها مَلك العادلُ الخابورَ ونَصِيبِينَ، وحاصَر مدينةَ سِنْجارَ[1] مدةً، فلم يَتَمَكَّنْ منها، ثم صالحَ صاحبَها، ورجَع عنها.

وممن تُوفِّىَ فيها من المشاهيرِ والأعيانِ:

القاضى الأسعدُ بنُ مَمَّاتِى: أبو المكارِمِ أسعدُ بنُ الخَطِيرِ أبى سعيدٍ مُهَذَّبِ ابنِ مِينَا[2] بنِ زكريا بنِ أبى قُدامةَ بنِ أبى مَليحٍ مَمَّاتِى المصرىُّ، الكاتبُ الشاعرُ، أسْلَم فى الدولةِ الصَّلاحِيَّةِ، وتوَلَّى نظَرَ الدَّواوِينِ بمصرَ مدةً.

قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: له فَضائلُ عَديدةٌ، ومُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ، ونظَم سِيرةَ صلاحِ الدينِ وكتابَ «كَلِيلةَ ودِمْنةَ»، وله دِيوانُ شعرٍ، ولما تولَّى الوزيرُ ابنُ شُكْرٍ هرَب منه إلى حلبَ، فمات بها فى هذه السنةِ وله ثنتان وستون سنةً، فمِن شعرِه فى ثَقيلٍ رآه[4] بدمشقَ:

حكى نهْرَيْن ما فى الأر ... ضِ مَن يَحْكِيهما أبَدَا
حكى فى خَلْقِه ثَوْرَى ... وفى أخلاقِه بَرَدَى[5]

أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ السلامِ اللَّمْغانىُّ[6]، أحدُ الأعيانِ مِن الحَنَفيةِ ببغدادَ، سمِع الحديثَ، ودرَّس بجامعِ

---

(١) سنجار: مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة. معجم البلدان ٣/ ١٥٨.

(٢) فى الأصل، ص: «سينا». وانظر ترجمته فى: معجم الأدباء ٦/ ١٠٠، وإنباه الرواة ١/ ٢٣١، والتكملة لوفيات النقلة للمنذرى ٣/ ٢٨٩، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٠١، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥١.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢١٠.

(٤) فى الأصل، م: «زاره».

(٥) ثورى وبردى: نهران بدمشق. معجم البلدان ١/ ٥٥٦، ٩٣٨.

(٦) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٨٨، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٥، والجواهر المضية ٣/ ٦٢٠، وتاريخ =

السلطانِ ، وكان مُعْتَزِليًّا فى الأصولِ ، بارعًا فى الفروعِ ، اشْتَغل على أبيه وعمِّه ، وأتْقَن الخِلافَ وعلمَ المُناظَرةِ ، وقارَب التسعين ، رحمه اللَّهُ .

أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ[1] ، المعروفُ بابنِ الخُراسانىِّ ، المُحَدِّثُ الناسخُ ، كتَب كثيرًا مِن الحديثِ ، وجمَع خُطَبًا له ولغيرِه ، وخطُّه جيدٌ مشهورٌ ، رحمه اللَّهُ تعالى .

أبو المَواهِبِ مَعْتوقُ بنُ مَنيعِ بنِ مَواهِبَ ، الخطيبُ البَغْدادىُّ[2] ، قرَأ النحوَ واللغةَ على ابنِ الخَشَّابِ [٩/٣٣٥ظ] ، وجمَع خُطَبًا كان يَخْطُبُ منها ، وكان شيخًا فاضلًا أديبًا ، له دِيوانُ شعرٍ ، فمنه قولُه :

ولا تَرْجُو الصَّداقةَ مِن عدوٍّ ... يُعادِى نفسَه سرًّا وجَهْرا
فلو أجْدَتْ مَوَدَّتُه انْتِفاعًا ... لكان النَّفْعُ منه إليه أحْرى[3]

ابنُ خَرُوفٍ شارحُ « كتابِ سِيبَوَيْهِ » : علىُّ بنُ محمدِ بنِ يوسُفَ ، أبو الحسنِ ابنُ خَرُوفٍ الأنْدَلُسىُّ النَّحْوىُّ[4] ، شرَح « سِيبَوَيْهِ » ، وقدَّمه إلى صاحبِ المغربِ فأعْطاه ألفَ دينارٍ ، وشرَح « جُمَلَ الزَّجَّاجىِّ » ، وكان يَنْتَقِلُ فى البلادِ ، ولا

= الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٨.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٩٣، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٦، والوافى بالوفيات ١/ ١٤٥.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٩٧، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣١.

(٣) فى م : « أجرا » .

(٤) معجم الأدباء ١٥/ ٧٥، وإنباه الرواة ٤/ ١٨٦، والجامع المختصر ٩/ ٣٠٦ وفيه : « ابن خروفة الأندلسى » ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٥ وفيه : « على بن محمد بن على » ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣٩، وجاءت وفاته فى وفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء فى سنة عشر وستمائة ، وفى تاريخ الإسلام جاء فى وفيات سنة تسع وستمائة .

يَسْكُنُ إلا فى الخاناتِ ، ولم يَتَزَوَّجْ قطُّ ولا تَسَرَّى[1] ، وقد تغَيَّر عقلُه فى آخرِ عمرِه ، فكان يَمْشِى فى الأسْواقِ مَكْشوفَ الرأسِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

أبو علىٍّ يَحْيَى بنُ الربيعِ بنِ سليمانَ بنِ حرَّازٍ الواسطىُّ ثم البغدادىُّ[2] ، اشْتَغَل بالنِّظاميةِ على ابنِ[3] فَضْلانَ ، وأعاد عنده[4] ، وسافَر إلى محمدِ بنِ يحيى ، فأخَذ عنه طريقتَه فى الخِلافِ ، ثم عاد إلى بغدادَ ، ثم صار مُدَرِّسًا بالنِّظاميةِ ، وناظرًا فى أوقافِها ، وقد سمِع الحديثَ ، وكانت لديه علومٌ كثيرةٌ ، ومعرفةٌ حسنةٌ بالمذهبِ ، وله تَفْسيرٌ فى أربعِ مُجَلَّداتٍ كان يُدَرِّسُ منه ، واخْتَصر « تاريخَ الخطيبِ » و « الذَّيْلَ » عليه لابنِ السَّمْعانىِّ ، وقارَب الثمانين . رحمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ الأثيرِ صاحبُ « جامعِ الأُصولِ » و « النِّهايةِ » : المُبارَكُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكَريمِ بنِ عبدِ الواحدِ ، مَجْدُ الدينِ أبو السَّعاداتِ الشَّيْبانىُّ الجَزَرِىُّ الشافعىُّ المعروفُ بابنِ الأَثِيرِ[5] ، وهو أخو الوزيرِ الأفضلِ ضِياءِ الدينِ نصرِ اللَّهِ ، وأخو الحافظِ عِزِّ الدينِ أبى الحسنِ علىٍّ صاحبِ « الكاملِ فى

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل » .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٠٦، والذيل على الروضتين ص ٦٩، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٩٣.

(٣) سقط من : م .

(٤) أعاد عنده : المعيد : من ألقاب أرباب الوظائف من العلماء ، وهو ثانى رتبة المدرِّس ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس ثم انصرف ، أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ؛ ليفهموه ويحسنوه . انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٥) معجم الأدباء ١٧/ ٧١، وإنباه الرواة ٣/ ٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٠٨، والذيل على الروضتين ص ٦٨، والجامع المختصر ٩/ ٢٩٩، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٦.

التاريخِ » . وُلِدِ أبو السَّعاداتِ المباركُ فى أحدِ الرَّبيعَيْن سنةَ أربعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وقرَأ القرآنَ الكريمَ ، وأتْقَن علومَه وحَرَزَ علومًا جَمَّةً ، وكان مُقامُه بالمَوْصِلِ ، وقد جمَع فى سائرِ العلومِ كُتُبًا مُفيدةً ، منها « جامعُ الأُصولِ » السِّتةِ ؛ « المُوَطَّأُ » و « الصَّحِيحان » و « سننُ أبى داودَ » و « النَّسائىِّ » و « التِّرْمذىِّ » ، ولم يَذْكُرِ ابنَ ماجه فيها ، وله كتابُ « النِّهايةِ فى غريبِ الحديثِ » ، وله « شرحُ مسندِ الشافعىِّ » و « التَّفسيرُ » فى أربعِ مُجَلَّداتٍ ، وغيرُ ذلك فى فُنونٍ شَتَّى .

وكان ، رحمه اللَّهُ ، مُعَظَّمًا عندَ مُلوكِ المَوْصِلِ ، فلما آل الملكُ إلى نورِ الدينِ أرْسَلان شاه بنِ مَسْعودِ بنِ مودودِ بنِ زَنْكِى ، أرْسَل إليه مَمْلوكَه لُؤْلُؤًا يَعرِضُ عليه أن يَسْتَوْزِرَه فأبَى ، فركِب السلطانُ إليه بنفسِه فامْتَنع أيضًا ، وقال له : قد كَبِرَت سِنِّى ، واشْتَهَرْتُ بنَشْرِ العلمِ ، ولا يَصْلُحُ هذا الأمرُ إلا بشىءٍ مِن العَسْفِ والظلمِ ، ولا يَلِيقُ بى ذلك . فأعْفاه .

قال أبو السَّعاداتِ[1] : كنتُ أَقْرَأُ علمَ العربيةِ على سعيدِ بنِ الدَّهَّانِ ، وكان يَأْمُرُنى بصَنْعةِ الشعرِ ، فكنتُ لا أَقْدِرُ عليه ، فلما تُوُفِّى الشيخُ رأيتُه فى بعضِ الليالى ، فأمَرنى بذلك ، فقلتُ : ضَعْ لى مثالًا أَعْمَلُ عليه . فقال :

* جُبِ الفلا مُدْمِنًا إنْ فاتَك الظَّفَرُ *

فقلتُ أنا :

* وخُدَّ خَدَّ الثَّرَى والليلُ مُعْتَكِرُ *

---

(١) الجامع المختصر ٩/ ٣٠٠.

فالعِزُّ فى صَهَواتِ الخيلِ مَرْكَبُهُ والمجدُ يُنْتِجُه الإسْراءُ والسَّهَرُ

فقال : أحْسَنْتَ . ثم اسْتَيْقَظْتُ ، فأتْمَمْتُ عليها نحوًا مِن عشرين بيتًا . كانت وفاتُه فى سَلْخِ ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ عن ثنتين وستين سنةً ، [٩/٣٣٦و] رحمه اللَّهُ . وقد ترْجَمه أخوه فى « الكاملِ[1] » فقال : كان عالمًا فى عِدَّةِ علومٍ ؛ منها الفقهُ وعلمُ الأُصولِ والنحوُ والحديثُ واللغةُ ، وله تصانيفُ مَشْهورةٌ فى التَّفْسيرِ والحديثِ والفقهِ والحسابِ وغريبِ الحديثِ ، وله رَسائلُ مُدَوَّنةٌ ، وكان كاتبًا مُفْلِقًا يُضْرَبُ به المثَلُ ، ذا دِينٍ مَتينٍ ولُزومِ طريقٍ مُسْتقيمٍ ، رحِمه اللَّهُ ورضى عنه ، فلقد كان مِن مَحاسِنِ الزمانِ .

قال ابنُ الأثيرِ[2] : **وفيها تُوُفِّى :**

المجدُ المُطَرِّزِىُّ النحْوىُّ الخُوارِزْمىُّ[3] ، كان إمامًا فى النحوِ ، له فيه تَصانيفُ حَسَنةٌ .

قال أبو شامةَ[4] : **وفيها تُوُفِّى الملكُ المُغِيثُ فَتْحُ الدينِ عمرُ بنُ الملكِ العادلِ** ، ودُفِن بتُرْبةِ أخيه المُعَظَّمِ بسَفْحِ قاسِيُونَ .

والملكُ المُؤَيَّدُ مسعودُ بنُ صلاحِ الدينِ[5] بمدينةِ رأسِ العينِ ، فحُمِل إلى

---

(١) فى الأصل ، م : « الذيل » . وانظر الكامل ١٢/٢٨٨ .

(٢) الكامل ١٢/ ٢٨٨.

(٣) معجم الأدباء ١٩/ ٢١٢، وإنباه الرواة ٣/ ٣٣٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩١، والجواهر المضية ٣/ ٥٢٨. وفى هذه المصادر أنه توفى سنة عشر وستمائة .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٦٧.

(٥) الكامل ١٢/ ١٧١، والذيل على الروضتين ص ٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٠.

حلبَ ، فدُفِن بها .

وفيها تُوُفِّى الفخرُ الرازىُّ المتكلِّمُ ، صاحبُ التفسيرِ والتصانيفِ : محمدُ ابنُ عمرَ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ القُرَشىُّ التَّيْمىُّ البَكْرىُّ الإمامُ ، أبو عبدِ اللَّهِ وأبو المعالى المعروفُ بالفخرِ الرازىِّ[1] ، ويقالُ له : ابنُ خَطيبِ الرَّىِّ . الفقيهُ الشافعىُّ أحدُ المشاهيرِ بالتَّصانيفِ الكبارِ والصِّغارِ نحوٍ مِن مائتَىْ مُصَنَّفٍ ؛ فمن ذلك « التَّفْسيرُ » الحافلُ و « المَطالِبُ العاليةُ » و « المَباحثُ المَشْرِقِيَّةُ »[2] و « الأرْبَعين » ، و « شرحُ الإشاراتِ »[3] ، وغيرُها فى علمِ الكلامِ ومذاهبِ الأوائلِ وأقوالِ الناسِ ، وله فى[3] أصولِ الفقهِ « المَحْصولُ » وغيرُه ، وصنَّف ترْجمةَ الشافعىِّ فى مُجَلَّدٍ مُفِيدٍ ، وفيه غَرائِبُ[4] ، ويُنْسَبُ إليه أشياءُ عَجيبةٌ ، وقد استقصيتُ ترْجَمَتَه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » ، وقد كان مُعَظَّمًا عندَ مُلوكِ الخُوارَزْميةِ وغيرِهم ، وبُنِيَت له مَدارِسُ كثيرةٌ فى بُلدانٍ شَتَّى ، وملَك مِن الذهبِ العَيْنِ ثمانين ألفَ دينارٍ ، وغيرَ ذلك مِن الأمْتِعةِ والمَراكِبِ والأثاثِ والملابسِ ، وكان له خمسون مَمْلوكًا مِن التُّرْكِ ، وقد كان يعقِدُ مجلسَ الوعظِ فيَحْضُرُ عندَه المُلوكُ والوُزراءُ والعلماءُ والأُمراءُ والفُقهاءُ والعامَّةُ والغَوْغاءُ ، وكانت له عِباداتٌ وأوْرادٌ ، وقد وقَع بينه وبينَ الكَرَّاميةِ فى أوقاتٍ شتَّى ، فكان يُبْغِضُهم ويُبْغِضُونه ويبالغُ فى ذمِّهم ويُبالِغون فى الحَطِّ عليه ، وقد ذكَرْنا طرَفًا مِن ذلك فيما تقدَّم ، وكان مع غَزارةِ

---

(١) الجامع المختصر ٩/ ٣٠٦، والذيل على الروضتين ص ٦٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢١١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٨١، وطبقات المفسرين ٢/ ٢١٣.

(٢) فى م : « الشرقية » ، وفى ص : « الشريفة » . وانظر كشف الظنون ٢/ ١٥٧٧.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى م : « لا يوافق عليها » .

علمِه وتَبَحُّرِه فى فنِّ الكلامِ يقولُ : مَن لزِم مذهَبَ العَجائزِ كان هو الفائزَ . وقد ذكَرْتُ وصيَّتَه عندَ موتِه ، وأنه رجَع فيها إلى طريقةِ السَّلَفِ وتسليمِ ما ورَد على الوجهِ المرادِ اللائقِ بجَلالِ اللَّهِ تعالى .

وقال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامَةَ فى « الذيْلِ »[1] فى ترجمتِه : كان يَعِظُ ويَنالُ مِن الكَرَّاميةِ ، ويَنالون منه سبًّا وتَكْفيرًا ، وقيل : إنهم وضَعوا عليه مَن سَقاه السُّمَّ فمات ففرِحوا بموتِه ، وكانوا يَرْمُونه بالكبائرِ . قال : وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ ، ولا كلامَ فى فضلِه ، وإنما[2] الشَّناعاتُ عليه قائمةٌ بأشياءَ منها ؛ أنه كان يَقولُ : قال محمدٌ التازىُّ[3] - يعنى العربىَّ ، يُرِيدُ النبىَّ ﷺ[4] - وقال محمدٌ الرازىُّ . يعنى نفسَه ، ومنها أنه كان يُقَرِّرُ الشُّبْهةَ مِن جهةِ الخُصومِ بعباراتٍ كثيرةٍ ، ويُجِيبُ عن ذلك [٩/٣٣٦ظ] بأدنى إشارةٍ . قال : وبلَغنى أنه خلَّف مِن الذهبِ العينِ ثمانينَ ألفَ دينارٍ غيرَ ما كان يَمْلِكُه مِن الدَّوابِّ والثيابِ والعَقارِ والآلاتِ ، وخلَّف ولدَيْن ، أخَذ كلُّ واحدٍ منهما أربعين ألفَ دينارٍ . وكان ابنُه الأكبرُ قد تجَنَّد فى حياتِه وخدَم السلطانَ محمدَ بنَ تِكِش .

وقال ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ »[5] : وفيها تُوُفِّى فخرُ الدين أبو الفضلِ محمدُ ابنُ عمرَ بنِ خَطيبِ الرَّىِّ ، الفقيهُ الشافعىُّ صاحبُ التَّصانيفِ المَشْهورةِ فى[6]

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٦٨.

(٢) فى م : « ولا فيما كان يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعًا زائدًا وليس ذلك من صفة العلماء ولهذا وأمثاله كثرت » .

(٣) فى الأصل : « اليارى » ، وفى م : « البادى » .

(٤) بعده فى م : « نسبة إلى البادية » .

(٥) الكامل ١٢/ ٢٨٨.

(٦) فى النسخ : « و » . والمثبت من الكامل .

الفقهِ والأصولَيْن[1] وغيرِه، وكان إمامَ الدنيا فى عصرِه. وبلَغَنى أن مولدَه سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمسِمائةٍ.

ومِن شعرِه قولُه:

إليك إلهَ الخَلْقِ وَجْهى ووِجْهتى ... وأنت الذى أَدْعُوكَ فى السرِّ والجَهْرِ
وأنت غِياثىَ عندَ كلِّ مُلِمَّةٍ ... وأنت مَعاذِى فى حَياتى وفى قَبْرى

وروَى ذلك ابنُ الساعى[2] عن ياقوتٍ الحَمَوىِّ، عن ابنِ لفخرِ الدينِ عنه، وبه قال: أنشدنا:

تَتِمَّةُ أبوابِ السَّعادةِ للخَلْقِ ... بذِكْرِ جَلالِ الواحدِ الأحدِ الحقِّ
مُدَبِّرِ كلِّ المُمْكِناتِ بأسْرِها ... ومُبْدِعِها بالعدلِ والقَصْدِ والصِّدْقِ
أُجِلُّ جَلالَ اللَّهِ عن شِبْهِ خلقِه ... وأَنْصُرُ هذا الدينَ فى الغربِ والشرقِ
إلهٌ عظيمُ الفضلِ والعدلِ والعُلَا ... هو المُرْشِدُ المُغْوِى هو المُسْعِدُ المُشْقِى

ومما كان يُنْشِدُه [3]فى بعضِ مصنَّفاتِه[4]:

نهايةُ إقدامِ العقولِ عِقالُ ... وأكثرُ سَعْيِ العالَمين ضلالُ[3]
وأرْواحُنا فى وَحْشةٍ مِن جُسومِنا ... وحاصلُ دُنْيانا أذًى ووَبالُ
ولم نَسْتَفِدْ مِن بحثِنا طولَ عمرِنا ... سوى أنْ جمَعْنا فيه قِيلَ وقالوا

ثم يقولُ[5]: لقد اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الكلاميةَ والمَناهِجَ الفلسفيةَ فلم أَجِدْها

---

(١) فى الأصل، م: «الأصول».
(٢) الجامع المختصر ٩/ ٣٠٧.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠.
(٥) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠١.

تَرْوِى غَليلًا ولا تَشْفِى عَليلًا ، ورأيْتُ أقربَ الطرقِ طريقةَ القرآنِ ، أَقْرَأُ فى الإثباتِ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] وفى النَّفْيِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وستّمائةٍ

ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ فى «الذيلِ»[1] أن فى هذه السنةِ تمَالأت مُلوكُ الجَزيرةِ؛ صاحبُ الموصلِ وصاحبُ سِنْجارَ وصاحبُ إِرْبِلَ و[2]معهم ابنُ أخيه[2] الظاهرُ صاحبُ حلَبَ وملكُ الرومِ أيضًا، على مُخالفةِ العادلِ ومُنابَذتِه ومُقاتَلتِه واصْطِلامِ الملكِ مِن يدِه، وأن تَكونَ الخُطْبةُ فى بلادِهم بذلك للملكِ كيخُسرو[3] ابنِ قليج أَرْسَلان صاحبِ الرومِ، وأرْسَلوا إلى الكُرْجِ ليَقْدَموا لحصارِ خِلاطَ وأخذِها من يدِ الملكِ الأوْحَدِ نجمِ الدينِ أيوبَ بنِ العادلِ، ووعَدهم النصرَ والمُعاونةَ عليه - قلتُ: وهذا بَغْىٌ وعُدْوانٌ يَنْهَى اللَّهُ عنه - فأقْبَلَت الكُرْجُ بملكِهم إيوانى[4]، فحاصَروا خِلاطَ، فضاق بهم الأوْحَدُ ذَرْعًا، وقال: هذا يومٌ عَصيبٌ. فقدَّر اللَّهُ تعالى أن فى يومِ الاثنين تاسعَ عشَرَ ربيعٍ الآخِرِ اشْتَدَّ حِصارُهم للبلدِ، وأقْبَل ملكُهم إيوانى وهو راكبٌ على جَوادِه وهو سَكْرانُ، فسقَط به جَوادُه فى بعضِ الحُفَرِ التى قد أُعِدَّت مَكِيدةً حولَ البلدِ، فبادَر إليه رجالُ البلدِ، فأخَذوه أسيرًا حَقيرًا، فأُسْقِط فى أيدى الكُرْجِ، فلما أُوقِف بينَ يدى الأوحدِ أطْلَقه ومنَّ عليه، وأكرمه وأحْسَن إليه، وفاداه على مائتَىْ[5] ألفِ دينارٍ وألفَىْ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٥، ٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «كنجر». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٩.

(٤) فى الذيل على الروضتين: «إيواى».

(٥) كذا فى الأصل، م، وفى ص: «مائة»، وفى الذيل على الروضتين، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١: «ثمانين».

أسيرٍ مِن المسلمين، وتَسْليمِ إحدى وعشرين [٩/٣٣٧و] قَلْعةً مُتاخِمةً لبلادِ الأوْحدِ، وأن يُزَوِّجَ ابنتَه مِن أخيه الملكِ الأشرفِ موسى، وأن يَكونَ عَوْنًا له على مَن يُحارِبُه. فأجابه إلى ذلك كلِّه، فأُخِذَت الأيْمانُ منه بذلك، وبعَث الأوحدُ إلى أبيه يَسْتَأْذِنُه فى ذلك كلِّه، والعادلُ نازلٌ بظاهرِ حَرّانَ فى أشدِّ حَيرةٍ مما قد دهَمه مِن الأمرِ الفَظيعِ، فبينَما هو كذلك إذ أتاه هذا الأمرُ الهائلُ والتدبيرُ من عزيزٍ حكيمٍ، (١لم يكنْ فى بالِه ولا فى حسابِه١)، فكاد يَذْهَلُ فرحًا وسرورًا، وأجاز جميعَ ما فعَله ولدُه، وطارَت الأخبارُ بما وقَع بينَ الملوكِ، فخضَعوا وذلُّوا عندَ ذلك، وأرْسَل كلٌّ منهم يَعْتَذِرُ مما نُسِب إليه، ويُحِيلُ على غيرِه، فقبِل منهم اعْتذاراتِهم، وصالَحهم صلحًا أكيدًا، واسْتَقْبَل الملكُ عقدًا جديدًا. ووفَّى ملكُ الكُرْجِ للأوحدِ بجميعِ ما شرَطه عليه، وتزوَّج الأشرفُ ابنتَه. ومِن غريبِ ما ذكَره الشيخُ أبو شامَةَ فى هذه الكائنةِ أن قِسِّيسَ الملكِ كان حَزّاءً[٢] يَنْظُرُ فى النجومِ، فقال للملكِ قبلَ ذلك بيومٍ: اعْلَمْ أنك تَدْخُلُ غدًا إلى قَلْعةِ خِلاطَ ولكن بزِيٍّ غيرِ زيِّك أذانَ العصرِ. فوافَق دخولُه إليها أسيرًا وقتَ أذانِ العصرِ.

ذكرُ وفاةِ صاحبِ الموصلِ نُورِ الدّينِ[٣]

أرْسَل الملكُ نُورُ الدينِ شاه بنُ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ قُطْبِ الدِّينِ مَودودِ بنِ

(١ - ١) فى م: «لا من حولهم ولا من قوتهم ولا كان فى بالهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) الكامل ١٢/ ٢٩١، ومرآة الزمان ٨/٥٤٦ (القسم الثانى)، وبغية الطلب ٣/ ٣٨١، والذيل على الروضتين ص ٧٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٩٣، ٥/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٤١.

زَنْكِى صاحبُ المَوْصِلِ يَخْطُبُ ابنةَ السلطانِ الملكِ العادلِ ، وأرْسَل وكيلَه لقَبولِ العَقدِ على ثلاثين ألفَ دينارٍ . فاتَّفَق موتُ نورِ الدينِ ووكيلُه فى أثناءِ الطريقِ ، فعُقِد العَقدُ بعدَ وفاتِه ، رحِمه اللَّهُ ، وقد أثْنَى عليه ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه » كثيرًا وشكَر منه ومِن عدلِه وشَهامتِه ، وهو أعلمُ به ، وذكَر أن مدةَ مُلْكِه سبعَ عشْرةَ سنةً وأحدَ عشَرَ شهرًا . وأمَّا أبو المُظَفَّرِ السِّبْطُ فإنه قال : كان جبارًا ظالمًا بَخيلًا سَفَّاكًا للدماءِ . فاللَّهُ أعلمُ . وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولدُه القاهرُ عِزُّ الدينِ مسعودٌ ، وجعَل لابنِه عمادِ الدينِ زَنْكِى - وكان الأصغرَ - بعضَ البلادِ ، وجعَل تَدْبيرَ مَمْلكتِه إلى غُلامِه بدرِ الدينِ لُؤْلؤٌ الذى صار المُلْكُ إليه فيما بعدُ كما سيأتى .

قال أبو شامَةَ[1] : وفى سابعِ شوالٍ شُرِع فى عِمارةِ المُصَلَّى ؛ بُنِى له أربعُ جُدُرٍ مُشْرِفةٍ ، وجُعِل له أبوابٌ صَوْنًا لمكانِه مِن الميتاتِ ونزولِ القَوافِلِ ، وجُعِل فى قِبْلتِه مِحْرابٌ مِن حِجارةٍ ومِنبرٌ مِن حجارةٍ ، وعُقِدَت فوقَ ذلك قُبَّةٌ ، ثم فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ عُمِل فى قبلتِه رِواقان ، وعُمِل له مِنْبرٌ مِن خشبٍ ، ورُتِّب له خَطيبٌ راتِبٌ وإمامٌ راتِبٌ ، ومات العادلُ ولم يَتِمَّ الرِّواقُ الثانى منه ، وذلك كلُّه على يدِ الوزيرِ صفِيِّ الدينِ بنِ شُكْرٍ . قال : وفى [2]حادىَ عشرَ[2] شوالٍ من هذه السنةِ جُدِّدَت أبوابُ الجامعِ الأُمَوىِّ مِن ناحيةِ بابِ البَريدِ بالنُّحاسِ الأصفرِ ، ورُكِّبَت فى أماكنِها .

وفى شوالٍ أيضًا شُرِع فى إصلاحِ الفَوَّارةِ والشاذِرْوانِ والبِرْكةِ وعُمِل عندَها مسجدٌ ، وجُعِل له إمامٌ راتبٌ ، وأولُ مَن تولَّاه رجلٌ يقالُ له : النفيسُ المِصْرىُّ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « ثانى » . وانظر المصدر السابق .

وكان يقالُ له : بُوقُ الجامعِ . لطِيبِ صوتِه إذا قرَأ على الشيخِ أبى منصورٍ الضَّريرِ المُصَدَّرِ ، فيَجْتَمِعُ عليه الناسُ الكثيرُ .

وفى ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ توَجَّهَت مَراكِبُ مِن عَكَّا [٩/٣٣٧ظ] فى البحرِ إلى ثَغْرِ دِمْياطَ وفيها[1] مِلكُ قُبْرُصَ المُسَمَّى البالَ[2] ، لعنه اللَّهُ ، فدخَل الثَّغْرَ ليلًا ، وأغار على بعضِ البلادِ ، فقتَل وسبَى وغنِم ، وكرَّ راجعًا ، فركِب مَراكبَه ، فلم يُدْرِكْه الطَّلَبُ . وقد تقَدَّمَت له سابقةٌ بمثلِها قبلَ هذه ، وهذا شىءٌ لم يَتَّفِقْ لغيرِه .

وفى هذه السنةِ عاثَت الفِرنْجُ بنَواحى القدسِ الشريفِ ، فبرَز إليهم الملكُ المُعَظَّمُ فى عساكرِه ، وجلَس الشيخُ شمسُ الدِّينِ أبو المُظَفَّرِ بنُ قِزُغْلى الحَنَفىُّ ، وهو سِبْطُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ابنُ ابنتِه رابعةَ ، وهو صاحبُ « مِرْآةِ الزمانِ » وكان فاضلًا فى فنونٍ كثيرةٍ ، حسَنَ الشَّكْلِ ، طيبَ الصوتِ ، وكان يَتَكَلَّمُ فى الوَعْظِ جيدًا ، وتُحِبُّه العامَّةُ على صِيتِ جَدِّه ، وقد رحَل مِن بغدادَ ، فنزَل دمشقَ وأكْرَمه مُلوكُها ، ووَلِى التَّدَاريسَ الكبارَ بها ، وكان يَجْلِسُ كلَّ يومِ سبتٍ عندَ بابِ مَشْهَدِ علىٍّ زَيْنِ العابدِين إلى الساريةِ التى يَجْلِسُ عندَها الوُعَّاظُ فى زمانِنا هذا ، فكان يَكْثُرُ الجمعُ عندَه حتى يَكُونوا مِن بابِ الناطِفانيِّين إلى بابِ المَشْهَدِ وإلى بابِ الساعاتِ غيرَ الوُقوفِ ، فَحُزِرَ جمعُه فى بعضِ الأيامِ بثلاثين ألفًا مِن الرجالِ والنساءِ ، وكان الناسُ يَبِيتُون ليلةَ السبتِ بالجامعِ فى الصيفِ - ويتركون البَساتينَ والفرحَ - فى خَتَماتٍ وأذْكارٍ لتحْصِيلِ الأماكنِ بميعادِه ، فإذا فرَغ مِن

---

(١) أى فى المراكب .

(٢) فى الأصل : « البان » ، وفى م : « إليان » . وانظر الذيل على الروضتين ص ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣.

وَعْظِه خرَجوا إلى بساتينِهم، وليس لهم كلامٌ إلا فيما قال يومَهم ذلك[1].
ويَحْضُرُ عندَه الأكابرُ، حتى الشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليُمْنِ الكِنْدىُّ كان يَجْلِسُ فى القُبَّةِ التى عندَ بابِ المشهدِ هو ووالى البلدِ المُعْتَمِدُ ووالى البَرِّ ابنُ ثميرك[2] وغيرُهم. فلما جلَس يومَ السبتِ خامسَ ربيعِ الأولِ بالجامعِ - كما ذكَرْنا - حثَّ الناسَ على الجِهادِ، وأمَر بإحضارِ ما كان قد تحَصَّل عندَه مِن شُعورِ التائِبين، وقد عمِل منه شِكالاتٍ[3] يَحْمِلُها الرجالُ، فلمَّا رآها الناسُ ضجُّوا ضَجَّةً واحدةً، وتباكَوا بُكاءً كثيرًا، وقطَعوا مِن شُعورِهم نحوَها، فلمَّا انْقَضى المجلِسُ، نزَل عن المِنبرِ، فتلَقَّاه الوالى مُبارِزُ الدِّينِ المُعْتَمِدُ إبراهيمُ، وكان مِن خِيارِ الناسِ، فمشى بينَ يديه إلى بابِ الناطفانِيِّين يَعْضُدُه حتى ركِب فرسَه، والناسُ بين يديه ومِن خلفِه، فخرَج مِن بابِ الفرجِ وبابِ المُصَلَّى، ثم ركِب مِن الغدِ فى الناسِ إلى الكُسْوةِ[4]، ومعه خَلائقُ كثيرون بنيةِ الجهادِ ببلادِ القدسِ، وكان مِن جملةِ مَن معه ثلاثُمائةٍ مِن أهلِ زَمَلُكَا[5] بالعُدَدِ التامَّةِ. قال: فجِئْنا عقبةَ أَفِيقَ، والطيرُ لا يَتَجاسَرُ أن يَطِيرَ مِن خوفِ الفِرنْجِ، فلما وصَلْنا نابُلُسَ تلَقَّانا المُعَظَّمُ. قال: ولم أَكُنِ اجْتَمَعْتُ به قبلَ ذلك، فلمَّا رأَى الشِّكالاتِ مِن شُعورِ التائِبين جعَل يُقَبِّلُها، ويُمَرِّغُها على وجهِه ويَبْكِى. وعمِل أبو المُظَفَّرِ مِيعادًا بنابُلُسَ، وحثَّ على الجهادِ، وكان يومًا مشهودًا، ثم ساروا صُحبةَ المُعَظَّمِ إلى ناحيةِ بلادِ

---

(١) بعده فى م: «أجمع يقولون: قال الشيخ، وسمعنا من الشيخ. فيحثهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوئ».

(٢) فى م: «تميرك»، وفى ص: «يمبرك».

(٣) الشكال: العقال. اللسان (ش ك ل).

(٤) الكسوة: قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.

(٥) زملكا: قرية بغوطة دمشق. معجم البلدان ٢/ ٩٤٥.

الفِرنْج ، فقتَلوا خلقًا ، وخرَّبوا أماكنَ كثيرةً ، وغنِموا وعادوا سالمين ، وشرَع المُعَظَّمُ فى تَحْصينِ جبلِ الطُّورِ وبنَاءِ قَلْعةٍ فيه ؛ ليَكونَ ألْبًا على الفِرنْج ، فغرِم أموالًا كثيرةً فى ذلك ، فبعَثت الفِرنْجُ إلى العادلِ يَطْلُبونَ منه الأمانَ والمُصالحةَ ، فهادَنهم وبطَلَت تلك العِمارةُ ، وضاع [٩/٣٣٨و] ما كان المُعَظَّمُ غَرِم عليها .

وممن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ أبو عمرَ بانى المدرسةِ بسَفْحِ قاسيونَ للقُرّاءِ ، رحِمه اللَّهُ[(١)] .

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ ، الشيخُ الصالحُ أبو عمرَ المَقْدِسىُّ ، بانى المدرسةِ التى يُقْرَأُ فيها القرآنُ بسفحِ قاسيونَ ، وهو أخو مُوَفَّقِ الدينِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ ، وكان الشيخُ أبو عمرَ أسَنَّ منه ؛ لأنه وُلِد سنةَ ثمانٍ وعشرين وخمسِمائةٍ بقريةِ الساويا ، وقيل : بجَمَّاعِيلَ[(٢)] . وهو ربَّى الشيخَ مُوَفَّقَ الدينِ ، وأحْسَن إليه وزوَّجه ، وكان يَقومُ بمَصالحِه ، [(٣)]وهو الذى قدِم بهم من تلك البلادِ[(٣)] فنزَلوا بمسجدِ أبى صالحٍ ثم انْتَقلوا منه إلى السَّفْحِ ، وليس به مِن العِمارةِ سوى دَيْرِ الحَوْرانىِّ ، قال : فقيل لنا : الصالحيُّون . نسبةً إلى مسجدِ أبى صالحٍ ، لا أنّا صالحون ، وسُمِّيَت هذه البُقْعةُ مِن ذلك الحينِ بالصالحيَّةِ نسبةً إلينا . فقرَأ الشيخُ أبو عمرَ القرآنَ على رِوايةِ أبى عمرٍو ، وحفِظ « مُخْتَصَرَ الخِرَقىِّ » فى الفقهِ ، وهو الذى شرَحه أخوه ، فكتَب شرحَه بيدِه ، وكتَب « تَفْسيرَ البَغَوىِّ » ،

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٤٦ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٢٦، والذيل على الروضتين ص ٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٦، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٥٢.

(٢) جماعيل : قرية فى جبل نابلس من أرض فلسطين . معجم البلدان ٢/ ١١٣.

(٣ - ٣) فى م : « فلما قدم من الأرض المقدسة » .

و «الحِلْيَةَ» لأبى نُعَيم، و «الإبانةَ» لابنِ بَطَّةَ، وكتَب مَصاحِفَ كثيرةً للناسِ ولأهلِه لا بأُجْرةٍ، وكان كثيرَ العبادةِ والتَّهَجُّدِ، يَصومُ الدهرَ، (١) حسنَ الشكلِ، نحيلَ الجسمِ، عليه أنوارُ العبادةِ (١)، لا يَزالُ مُتَبَسِّمًا، وكان يَقْرَأُ كلَّ يومٍ سُبْعًا بينَ الظهرِ والعصرِ، ويُصَلِّى الضُّحَى ثمانىَ رَكَعاتٍ يَقْرَأُ فيهن ألفَ مرةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وكان يَزورُ مَغارةَ الدمِ (٢) فى كلِّ يومِ اثنينِ وخميسٍ، ويَجْمَعُ فى طريقِه الشِّيحَ، فيُعْطِيه الأراملَ والمَساكِينَ، ومهما تهَيَّأ له مِن فُتوحٍ وغيرِه يُؤْثِرُ به أهلَه والمَساكينَ، وكان مُتَقَلِّلًا فى المَلْبَسِ، وربما مضَت عليه مدةٌ لا يَلْبَسُ فيها سَراوِيلَ ولا قميصًا، ويَقْطَعُ مِن عِمامتِه قِطَعًا يَتَصَدَّقُ بها، أو فى تَكْميلِ كفَنِ من يعوزُ كفنُه، وكان هو وأخوه وابنُ خالِهم الحافظُ عبدُ الغنىِّ وأخوه الشيخُ العِمادُ لا يَنْقَطِعون عن غَزاةٍ يَخْرُجُ فيها الملكُ صلاحُ الدينِ إلى بلادِ الفِرنْجِ، وقد حضَروا معه فتحَ القدسِ الشريفِ وغيرِها، وجاء الملكُ العادلُ أبو بكرٍ يومًا إلى خيمتِهم لزيارةِ الشيخِ أبى عمرَ، وهو قائمٌ يُصَلِّى، فما قطَع صلاتَه ولا أوْجَزها، بل اسْتَمَر فيها، وهو الذى شرَع فى بناءِ الجامعِ أولًا بمالِ رجلٍ من الناسِ فنفِد ما كان بيدِه، وقد ارْتَفع البناءُ قامَةً، فبعَث صاحبُ إِرْبِلَ الملكُ المُظَفَّرُ كُوكُبْرى (٣) مالًا فكمَل، وولِى خَطابتَه الشيخُ أبو عمرَ، فكان يَخْطُبُ به وعليه لِباسُه الضَّعيفُ، وعليه أنْوارُ الخَشْيةِ والتَّقْوى (٤)، وإنما كان المنبرُ الذى فيه ثلاثَ مَراقٍ، والرابعةُ للجُلوسِ كما كان المِنْبرُ النبوىُّ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) مغارة الدم مشهورة بأنها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها. انظر ما تقدم فى ١/ ٢١٩.

(٣) سقط من: ص. وفى الأصل، م: «كوكرى». وانظر ما تقدم فى صفحة ٥.

(٤) بعده فى م: «والخوف من الله عز وجل، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان».

وقد حكَى أبو المُظَفَّرِ أنه حضَر يومًا عندَه الجمُعةَ ، وكان الشيخُ عبدُ اللَّهِ اليُونِينيُّ[1] حاضِرًا هناك ، فلما انْتَهَى الشيخُ أبو عمرَ إلى الدعاءِ للسلطانِ قال : اللهم أَصْلِحْ عبدَك الملكَ العادلَ سيفَ الدينِ أبا بكرِ بنَ أيوبَ . فنهَض الشيخُ عبدُ اللَّهِ وترَك الجمُعةَ ، فلما فرَغْنا ذهَبْتُ إليه فقلتُ له : ماذا نقَمْتَ ؟ فقال : يقولُ لهذا الظالمِ : العادلَ ؟! فبينَما نحن فى الحديثِ إذ أقْبَل الشيخُ [٩/٣٣٨ظ] أبو عمرَ ومعه رَغيفٌ وخِيارتان ، فكسَر ذلك وقال : الصلاةُ . ثم قال : قال النبيُّ ﷺ : « بُعِثْتُ فى زمنِ الملكِ العادلِ كِسْرَى »[2] . فتبَسَّم الشيخُ عبدُ اللَّهِ ، ومدَّ يدَه فأكَل ، فلمَّا قام الشيخُ أبو عمرَ قال لى : يا سيدَنا ، ما ذا إلا رجلٌ صالحٌ . قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[3] : كان الشيخُ عبدُ اللَّهِ مِن الصالحين الكبارِ ، وقد رأيْتُه ، وكانت وفاتُه بعدَ أبى عمرَ بعشرِ سنينَ ، فلم يُسامِحِ الشيخَ أبا عمرَ فى تَساهُلِه مع وَرَعِه ، ولعله كان مُسافِرًا لا جمعةَ عليه ، وعُذْرُ الشيخِ أبى عمرَ أن هذا قد جرَى مَجْرَى الأعلامِ ؛ العادلِ ، الكاملِ ، الأشرفِ ، ونحوِه ، كما يقالُ : سالمٌ ، وغانمٌ ، ومسعودٌ ، ومحمودٌ . وقد يَكونُ المسمَّى بذلك على الضدِّ من هذه الأسماءِ[4] ،

---

(١) فى الأصل ، ص ، والذيل على الروضتين : « اليونانى » ، وفى م : « البوتانى » . واليونينى نسبة إلى قرية من قرى بعلبك يقال لها : يُونِين . وستأتى ترجمته فى صفحة ١٠٢ .

(٢) ذكره البيهقى فى الشعب (٥١٩٥) مبطلا له بلفظ : « ولدت فى زمن الملك العادل » يعنى أنوشروان . وذكره العجلونى فى كشف الخفا بلفظ : « بعثت فى زمن الملك العادل » . والحديث باطل لا أصل له (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٩٧) . وسيأتى كلام المصنف عليه قريبا .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٢ .

(٤) بعده فى م : « فلا يكون سالما ولا غانما ولا مسعودا ولا محمودا ، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم والتجار وغيرهم كما يقال : شمس الدين وبدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوسا على الضد والانقلاب ومثله الشافعى والحنبلى وغيرهم ، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك » .

وكذلك إطلاقُ العادلِ ونحوِه قد دخَل إطلاقُه على المشركِ[1] ، فهذا أولى .

قلتُ : هذا الحديثُ الذى احْتَجَّ به الشيخُ أبو عمرَ لا أصلَ له ، وليس هو فى شيءٍ مِن الكتبِ المَشْهورةِ ، وعجَبًا له ولأبى المُظَفَّرِ ، ثم لأبى شامةَ فى قَبولِ هذا وأخْذِه عنه مُسَلَّمًا ! واللَّهُ أعلمُ .

ثم شرَع أبو المُظَفَّرِ فى ذكرِ مناقبِ أبى عمرَ وكَراماتِه ، وما رآه هو وغيرُه مِن أحوالِه الصالحةِ ، قال : وكان على مذهبِ السَّلَفِ الصالحِ ، حسَنَ العقيدةِ ، مُتَمَسِّكًا بالكتابِ والسنةِ والآثارِ المَرْوِيةِ ، يُمِرُّها كما جاءَت مِن غيرِ طَعْنٍ على أئمةِ الدينِ وعلماءِ المسلمين ، ويَنْهَى عن صُحْبةِ المُبْتَدِعِين ، ويَأْمُرُ بصُحْبةِ الصالحين[2] . قال : ربما أنْشَدنى لنفسِه فى ذلك[3] :

أُوصِيكمُ بالقولِ فى القرآنِ ... بقولِ أهلِ الحقِّ والإتْقانِ
ليس بمَخْلوقٍ ولا بفانِ ... لكنْ كلامُ الملكِ الدَّيَّانِ
آياتُه مُشْرِقةُ المعانى ... مَتْلُوَّةٌ للَّهِ باللسانِ
مَحْفوظةٌ فى الصَّدرِ والجَنانِ ... مَكتوبةٌ فى الصُّحْفِ بالبَنانِ
والقولُ فى الصِّفاتِ يا إخْوانى ... كالذاتِ والعلمُ مع البَيانِ
إمْرارُها مِن غيرِ ما كُفْرانِ ... مِن غيرِ تَشْبيهٍ ولا عُطْلانِ[4]

قال : وأنْشَدنى لنفسِه :

ألم يَكُ مَلْهاةً عن اللَّهْوِ أننى ... بدا لىَ شَيْبُ الرأسِ والضَّعْفُ والألمْ

---

(١) فى الأصل ، م : « المشترك » . وانظر مصدر التخريج .
(٢) بعده فى م : « الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين » .
(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٤.
(٤) فى الأصل ، ص : « عدوان » .

ألمَّ بىَ الخَطْبُ الذى لو بَكَيْتُه حياتىَ حتى يَذْهَبَ الدمعُ لم أُلَمْ

قال : ومرِض أيامًا ، فلم يَتْرُكْ شيئًا مما كان يَعْمَلُه مِن الأوْرادِ ، حتى كانت وفاتُه وقتَ السَّحَرِ فى ليلةِ الثلاثاءِ التاسعِ والعشرين مِن ربيعِ الأولِ ، فغُسِّل بالدَّيْرِ ، وحُمِل إلى مَقْبَرتِه فى خَلْقٍ كثيرٍ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عز وجل ، ولم يَبْقَ أحدٌ مِن الدولةِ والأمراءِ والعلماءِ والقُضاةِ وغيرِهم إلا حضَر جِنازتَه ، وكان يومًا مشهودًا ، وكان الحرُّ شَديدًا ، فأظَلَّت الناسَ سَحابةٌ مِن الحرِّ كان يُسْمَعُ منها كدَوِىِّ النحلِ ، وكاد الناسُ يَنْتَهِبون أكْفانَه ، وقد رثاه الشعراءُ بمَراثٍ حَسَنةٍ ، ورُئِيَتْ له مَناماتٌ صالحةٌ ، رحِمه اللَّهُ ، وترَك مِن الأولادِ ثلاثةَ ذكورٍ[1] ؛ عمرُ ، وبه كان يُكَنَّى ، والشَّرَفُ عبدُ اللَّهِ ، [2]وقد ولِى الخَطابةَ بعدَ أبيه ، وهو والدُ العِزِّ ، و[3] أحمدُ ، ولما تُوُفِّى الشَّرَفُ عبدُ اللَّهِ[2] صارَت الخَطابةُ لأخيه شمسِ الدينِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عمرَ ، وكان مِن أولادِ أبيه الذُّكورِ ، وكان له مِن الإناثِ بناتٌ كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] . [٣٣٩/٩و] قال : وقبرُه فى طريقِ مَغارةِ الجوعِ فى الزُّقاقِ المُقابِلِ لدَيْرِ الحَوْرانىِّ . رحِمه اللَّهُ وإيانا .

ابنُ طَبَرْزَدَ شيخُ الحَديثِ : عمرُ بنُ محمدِ بنِ مُعَمَّرِ بنِ يحيى المعروفُ بأبى حفصٍ بنِ طَبَرْزَدَ البغدادىُّ الدارَقَزِّىُّ[4] ، وُلِد سنةَ عشْرٍ[5] وخمسِمائةٍ ،

---

(١) كذا فى النسخ . والصحيح أنهم أربعة كما سيأتى وكما فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ص ٧٤.

(٤) الكامل ١٢/ ٢٩٥، ومرآة الزمان ٥٣٨/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٣٤، والذيل على الروضتين ص ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٩.

(٥) فى م : « خمس عشرة » .

وسمِع الكثيرَ وأَسْمَع، وكان خَليعًا ظَريفًا ماجنًا، وكان يُؤَدِّبُ الصِّبْيانَ بدارِ القَزِّ[1]، قدِم مع حنبلِ بنِ عبدِ اللَّهِ المُكَبِّرِ[2] إلى دمشقَ، فسمِع أهلُها عليهما، وحصَل لهما أموالٌ، وعادا إلى بغدادَ، فمات حَنْبلٌ سنةَ ثلاثٍ، وتأَخَّر هو إلى هذه السنةِ[3]، فمات فيها وله سبعٌ وتسعون سنةً، وترَك مالًا جيدًا، ولم يَكُنْ له وارثٌ إلا بيتُ المالِ، ودُفِن ببابِ حربٍ.

السلطانُ الملكُ العادلُ أرْسَلان شاه نورُ الدينِ [4]أبو الحارثِ أرسلان شاه ابنُ عزِّ الدينِ مسعودِ بنِ قطبِ الدينِ مَودودِ بنِ زَنْكِى[4] صاحبُ الموصلِ، وهو ابنُ أخى نورِ الدينِ الشَّهيدِ، وقد ذكَرْنا مِن سِيرتِه فى الحوادثِ ما فيه كفايةٌ، وكان شافعيَّ المذهبِ، ولم يَكُنْ بينَهم شافعيٌّ سواه، وبنَى للشافعيةِ مدرسةً عظيمةً بالموصلِ، وبها تُرْبتُه، قال ابنُ خلِّكانَ[5]: وكانت وفاتُه ليلةَ الأحدِ التاسعَ والعشرين من رجبٍ مِن هذه السنةِ.

ابنُ سُكَيْنةَ: عبدُ الوهّابِ بنُ علىٍّ[6] ضِياءُ الدِّينِ أبو محمدٍ المعروفُ بابنِ سُكَيْنةَ الصُّوفىُّ، كان يُعَدُّ مِن الأَبْدالِ، سمِع الكثيرَ، وأسْمعَ ببلادٍ شَتَّى، وكان مولِدُه فى سنةِ تسعَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وكان صاحبًا للشيخِ أبى الفرجِ بنِ

---

(١) دار القز: محلة كبيرة ببغداد فى طرف الصحراء. معجم البلدان ٢/ ٥٢٢.

(٢) المكبِّر: من يبلِّغ تكبير الإمام إلى الناس إذا كثروا. انظر الأنساب ٥/ ٣٧٢.

(٣) بعده فى م: «فى تاسع شهر رجب».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ١٩٣.

(٦) بعده فى الأصل، ص: «بن». وانظر ترجمته فى: الكامل ١٢/ ٢٩٥، والذيل على الروضتين ص ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٢٤. وجاءت كنيته فى المصادر - عدا الذيل على الروضتين - «أبو أحمد».

الجَوْزِىِّ مُلازِمًا لمجْلِسِه ، وكان يومُ جِنازتِه مشهودًا ؛ لكثرةِ ما كان فيه مِن الخاصَّةِ والعامَّةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

مُظَفَّرُ بنُ شاشيرَ[1] **الواعظُ الصُّوفىُّ البغدادىُّ** ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وعشرين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يَعِظُ فى الأَعْزِيةِ والمساجدِ والقُرَى ، وكان ظَريفًا مَطْبوعًا ، قام إليه إنسانٌ وهو يَعِظُ فقال له فيما بينَه وبينَه : أنا مَريضٌ جائعٌ . فقال : احْمَدْ ربَّك فقد عُوفِيتَ . واجْتاز على قَصَّابٍ يَبيعُ لحمًا ضعيفًا ، وهو يقولُ : أين مَن حلَف لا يُغْبَنُ[2] ؟ فقال له : حتى تُحْنِثَه ؟! قال : وعَمِلْتُ مرةً مَجْلسًا ببَعْقُوبَا[3] ، فجعَل هذا يَقولُ : عندى للشيخِ نِصْفِيَّةٌ . وهذا يَقولُ مثلَه ، حتى عدُّوا نحوًا مِن خمسين نِصْفِيةً . فقلتُ فى نفسى : اسْتَغْنَيْتُ الليلةَ ، فأَرْجِعُ إلى البلدِ تاجرًا . فلما أَصْبَحْتُ إذا صُبْرةٌ مِن شَعيرٍ فى المسجدِ ، فقيل : هذه النِّصافى . وإذا هى مِكْيَلَةٌ يُسَمُّونها النِّصافىَ . وعمِلْتُ مرةً مجلسًا بباجِسْرا[4] ، فجمَعوا لى شيئًا لا أدْرِى ما هو ، فلما أَصْبَحْنا إذا شىءٌ مِن صُوفِ الجَواميسِ وقُرونِها ، فقام رجلٌ يُنادِى عليها : كم فى صوفِ الشيخِ وقرونِه ؟ فقلتُ : لا حاجةَ لى بهذا ، وأنتم فى حِلٍّ منه . ذكَره أبو شامةَ[5] .

---

(١) فى الأصل : « شاسير » ، وفى م : « ساسير » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٥٥٣ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٣٧، والذيل على الروضتين ص ٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٨٢.

(٢) يغبن : يغلب فى البيع . انظر الوسيط (غ ب ن) .

(٣) بعقوبا : قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان ، وهى كثيرة الأنهار والبساتين . معجم البلدان ١/ ٦٧١.

(٤) فى م : « بياصرا » . وباجسرا : بُلَيْدة فى شرقى بغداد بينها وبين حلوان ، على عشرة فراسخ من بغداد . معجم البلدان ١/ ٤٥٤.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٧٧.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والعادلُ مُقِيمٌ على الطُّورِ لعِمارةِ حصنِه، وجاءت الأخْبارُ مِن بلادِ المغربِ بأن ابنَ[2] عبدِ المُؤْمِنِ قد كسَر الفِرنْجَ بطُلَيْطُلَةَ كَسْرةً عظيمةً، وربما فتَح البلدَ عَنْوَةً، وقتَل منهم خلقًا عظيمًا.

وفيها كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ شديدةٌ هدَمَت بمصرَ والقاهرةِ دُورًا [٣٣٩/٩ ظ] كثيرةً، وكذلك بمدينةِ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ هدَمَت مِن قَلْعتِها أبْراجًا، ومات خلقٌ كثيرٌ مِن الصِّبْيانِ والنِّسْوانِ تحتَ الهَدْمِ. ورُئِى دُخَانٌ نازلٌ مِن السماءِ إلى الأرضِ [3]فيما بينَ المغربِ والعشاءِ عندَ قبرِ عاتكةَ غربيَّ دِمشقَ[3].

وفيها أظْهَرَت الباطنيةُ الإسلامَ، وأقامَت الحدودَ على مَن يتَعاطَى الحَرامَ، وبنَوْا الجوامعَ والمساجدَ، وكتَبوا إلى إخْوانِهم بالشامِ بمصيابَ[4] وأمثالِها بذلك، وكتَب زعيمُهم جَلالُ الدينِ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بذلك، وقَدِمت أُمَّةٌ منهم إلى بغدادَ لأجلِ الحجِّ فأُكْرِموا وعُظِّموا بسببِ ذلك، ولكن لما كانوا بعَرَفاتٍ ظفِر[5]

---

(١) الكامل ٢٩٦/١٢ - ٢٩٩، ومرآة الزمان ٥٥٥/٨ - ٥٥٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ٧٧ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤ - ٣٦.

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ. وفى الذيل: «فيما بين الغرب والقبلة بنواحى أرض عاتكة ظاهر دمشق وقت العصر».

(٤) سقط من: ص. وفى الأصل: «بمصياث»، وفى م: «بمضات». ومصياب: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس، وبعضهم يقول: مصياف. معجم البلدان ٥٥٦/٤.

(٥) فى الأصل: «ظهر». قال الأخفش: تقول العرب: ظفر عليه. بمعنى ظفر به. اللسان (ظ ف ر).

واحدٌ منهم على قريبٍ لأميرِ مكةَ قَتادةَ الحسينىِّ ، فقتَله ظانًّا أنه قَتادةُ ، فثارَت فِتْنةٌ بينَ سُودانِ مكةَ ورَكْبِ العراقِ ، ونُهِب الرَّكْبُ ، وقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ .

وفيها اشْتَرَى الملكُ الأشْرَفُ جَوْسَقَ الريسِ مِن النَّيْرَبِ[1] مِن ابنِ عمِّه الظافرِ[2] خَضِرِ بنِ صلاحِ الدينِ ، وبناه بناءً حسَنًا ، وهو المُسَمَّى فى زمانِنا بالدهشةِ[3] .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ عِمادُ الدينِ محمدُ بنُ يُونُسَ الفَقيهُ الشافعىُّ المَوْصِلىُّ[4] ، صاحبُ التَّصانيفِ والفُنونِ الكثيرةِ ، كان رئيسَ الشافعيةِ بالموصلِ ، وبُعِث رسولًا إلى بغدادَ بعدَ موتِ نُورِ الدينِ أرْسَلان ، وكان عندَه وَسْوَسةٌ كثيرةٌ فى الطَّهارةِ ، وكان يُعامِلُ فى الأمْوالِ بمسألةِ العِينةِ[5] - ولو عكَس الأمرَ لكان خيرًا له - فلقِيه يومًا قَضِيبُ البانِ[6] المُوَلَّهُ ، فقال له : يا شيخُ ، بلَغَنى عنك أنك تَغْسِلُ العُضْوَ مِن

---

(١) الجوسق : القصر الصغير . والحصن . والنيرب : قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين . معجم البلدان ٤/ ٨٥٥.

(٢) فى الأصل : « الطاهر » ، وفى م : « الظاهر » . وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٣٢٩.

(٣) فى ص : « بالرسة » .

(٤) الكامل ١٢/ ٢٩٨، ومرآة الزمان ٨/٥٥٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٦٨، والذيل على الروضتين ٨٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٩.

(٥) بعده فى الأصل ، م : « كما قيل : تصفون البعوض من شرابكم وتستربطون الجمال بأحمالها » . والعينة : هو أن يبيعَ من رجلٍ سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به . النهاية ٣/ ٣٣٣.

(٦) هو أبو عبد الله الحسين بن أبى القاسم بن الحسين ، من أهل الموصل ، كان من المعمرين ، له كرامات تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافى العقل والشرع ، توفى سنة نيف وسبعين . انظر تاريخ إربل ١/ ٣٧١.

أعْضائِك بأباريقَ من الماءِ، فلم لاتَسْتَنْظِفُ اللُّقْمةَ التى تَأْكُلُها [1] ليَسْتَنْظِفَ قَلْبُك وباطِنُك [1] ؟! ففهِم الشيخُ ما أشار إليه وترَك المعاملةَ، وكانت وفاتُه بالموصلِ فى رجبٍ عن ثلاثٍ وسبعين سنةً.

ابنُ حَمْدونَ تاجُ الدينِ أبو سعدٍ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ حَمْدونَ [2]، ولدُ [3] صاحبِ «التَّذْكِرةِ الحَمْدونيةِ»، كان فاضلًا بارعًا، اعْتَنَى بجمعِ الكتبِ المَنْسوبةِ وغيرِها، وولَّاه الخليفةُ المارَسْتانَ العَضُدىَّ، وكانت وفاتُه بالمَدائنِ، وحُمِل إلى مَقابرِ قريشٍ.

وفيها تُوفِّى صاحبُ الرومِ خُسْرُوشاه بنُ قِلِيج [4] **أَرسَلان**، وقام بالملكِ بعدَه ولدُه كَيْكاوسُ، فلما تُوُفِّى فى سنةِ خمسَ عشْرةَ ملَك أخوه كَيْقُبَاذُ.

صارمُ الدينِ بُزْغُشُ العادلىُّ [5]، نائبُ القلعةِ بدمشقَ، مات فى صفَرٍ، ودُفِن بتُرْبتِهِ غربىَّ الجامعِ المُظَفَّرىِّ، وهو الذى نفَى الحافظَ عبدَ الغنىِّ المَقْدِسىَّ إلى مصرَ، وبينَ يديه كان عَقْدُ المجلسِ، [1] وكان فى جملةِ مَن قام عليه ابنُ الزَّكِىِّ والخَطيبُ الدَّوْلعىُّ، وقد تُوُفُّوا أربعتُهم وغيرُهم ممَّن قام عليه، واجْتَمَعوا عندَ ربِّهم الحَكَمِ العدلِ سبحانَه [1].

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) معجم الأدباء ٩/ ١٨٤، والكامل ١٢/ ٢٩٩، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٥٧، والذيل على الروضتين ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩١، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٢١.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤) فى م: «قلج»، وفى ص: «مليح». وانظر مصدرى ترجمته؛ الذيل على الروضتين ص ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٢.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠، والمقفى الكبير ٢/ ٤١١ وفيه وفى نهاية الأرب: «برغش». وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٤٨٩، وتاج العروس (برغش).

الأميرُ فَخْرُ الدينِ سركسُ[1] ، ويقالُ له : جِهَارْكَسُ . أحدُ أمراءِ الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وإليه تُنْسَبُ قِبابُ سركسَ بالسَّفْحِ تُجاهَ تُرْبةِ خاتون ، وبها قبرُه . قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وهو الذى بنَى القَيْسارِيَّةَ الكبرى بالقاهرةِ المَنْسوبةَ إليه ، وبنَى فى أعلاها مسجدًا مُعَلَّقًا ورَبْعًا ، وقد ذكَر جَماعةٌ من التُّجَّارِ أنهم لم يرَوْا لها نَظيرًا فى البُلْدانِ فى حسنِها وعِظَمِها وإحكامِ بنائِها . قال : وجِهارْكَسُ بمعنى أربعةِ أنفسٍ .

[٩/٣٤٠و] قلتُ : وقد كان نائبًا للعادلِ على بانِياسَ و[3]تِبنِينَ وهُونِينَ[3] ، فلما تُوُفِّى ترَكَ ولدًا صغيرًا ، فأقَرَّه العادلُ على ما كان يَلِيه أبوه ، وجعَل له مُدَبِّرًا وهو الأميرُ صارمُ الدينِ خطلبا[4] التِّبْنِينىُّ ، ثم اسْتَقَلَّ بها بعدَ موتِ الصبىِّ إلى سنةِ خمسَ عشْرةَ .

الشيخُ الكبيرُ المُعَمَّرُ الرَّحْلةُ أبو القاسمِ أبو بكرٍ أبو الفتحِ منصورُ بنُ عبدِ المُنْعِمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ الفضلِ الفُرَاوىُّ[5] **النَّيْسابورىُّ** ، سمِع أباه وجدَّ أبيه وغيرَهما ، وعنه ابنُ الصَّلاحِ وغيرُه ، وكانت وفاتُه بنَيْسابورَ فى شَعْبانِ هذه

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٨١.

(٢) مرآة الزمان ٥٥٨/٨ (القسم الثانى) وفيه : « شركس » ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٩، والذيل على الروضتين ص ٧٩، ووفيات الأعيان ١/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠.

(٣ - ٣) فى م : « تينين وهوبين » . وتبنين : بلدة فى جبال بنى عامر ، المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . وهونين : بلد فى جبال عاملة ، مُطل على نواحى مصر . معجم البلدان ١/ ٨٢٤، ٤/ ٩٩٦.

(٤) فى م : « قطلبا » ، وفى ص : « خطبا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « الفزارى » . والفراوى نسبة إلى فراوة : بليدة من أعمال نَسَا . معجم البلدان ٣/ ٨٦٦، وانظر ترجمته فى : ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٣٥٣، ومرآة الزمان ٧٥٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٢.

السنةِ عن خمسٍ وثمانين سنةً .

قاسمُ الدينِ التُّرْكُمانيُّ العُقَيْبيُّ[1] ، والدُ والى البلدِ[2] ، كانت وَفاتُه فى شوالٍ من هذه السنةِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٠.

(٢) أى دمشق . كما فى الذيل .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وستّمائةٍ

فيها[1] اجْتَمَع العادلُ وأولادُه ؛ الكاملُ والمُعَظَّمُ والفائزُ بدِمْياطَ مِن بلادِ مصرَ فى مُقاتَلةِ الفِرِنْجِ ، فاغْتَنَم غَيْبتَهم سامةُ[2] الجَبَلىُّ أحدُ أكابرِ الأمراءِ ، وكانت بيدِه قَلْعةُ عجلونَ وكَوْكَبٍ ، فساق مُسْرعًا إلى الشامِ ليَسْتَلِمَ البلدين ، فأرْسَل العادلُ فى إثْرِه ولدَه المُعَظَّمَ صاحبَ الشامِ فسبَقه إلى القدسِ الشريفِ ، وحمَل إليه ، فرسَم عليه فى كنيسةِ صِهْيونَ ، وكان شيخًا كبيرًا قد أصابه النِّقْرِسُ ، فشرَع يَرُدُّه إلى الطاعةِ بالمُلاطَفةِ ، فلم يَنْفَعْ فيه ، فاسْتَوْلَى على حَواصلِه وأمْلاكِه وأموالِه ، وأرْسَله فاعتقَله بقلعةِ الكَرَكِ ، وكان قِيمةُ ما أخَذ منه قريبًا مِن ألفِ ألفِ دينارٍ ، مِن ذلك دارُه وحَمَّامُه داخلَ بابِ السَّلامةِ ، ودارُه هى التى جعَلها البادَرائىُّ مَدْرسةً للشافعيةِ ، وخرَّب حصنَ كَوْكَبٍ ، ونُقِلَت حَواصلُه إلى حصنِ الطُّورِ الذى اسْتَجَدَّه العادلُ وولدُه المُعَظَّمُ .

وفيها عُزِل الوزيرُ صفىُّ الدينِ بنُ شُكْرٍ ، واحْتِيط على أموالِه ونُفِى إلى الشرقِ ، وهو الذى كان قد كتَب إلى الديارِ المِصْريةِ بنَفْيِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ إلى المغربِ ، فتُوُفِّى الحافظُ قبلَ أن يَصِلَ كتابُه ، وكتَب اللَّهُ عز وجل بنفيِه إلى الشرقِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٠٠، ومرآة الزمان ٨/٥٦٠ - ٥٦٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠ - ٨٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧ - ٣٩.

(٢) كذا فى النسخ وتاريخ الإسلام. وفى الكامل ومرآة الزمان والذيل : «أسامة» .

وفيها اسْتَوْلَى صاحبُ قُبْرُسَ ، لعَنه اللَّهُ ، على مدينةِ أَنْطاكِيَةَ ، فحصَل بسببِه شرٌّ عظيمٌ ، وتمكَّن مِن الغاراتِ على بلادِ المسلمين ، لاسيما على التَّراكمين الذين حولَ بلدةِ أَنْطاكِيَةَ ؛ قتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنِم مِن أغْنامِهم شيئًا كثيرًا ، فقدَّر اللَّهُ عز وجل ، أن أمْكَنهم منه فى بعضِ الأوْديةِ ، فقتَلوه وطافوا برأسِه فى تلك البلادِ كلِّها ، ثم أرْسَلوه إلى الملكِ العادلِ بالديارِ المصريةِ ، فطِيفِ به هنالك ، وهو الذى كان قد أغار على بلادِ مصرَ مِن ثَغْرِ دِمْياطَ مرتين ، فقتَل وسبَى .

وفى ربيعِ الأولِ منها **تُوُفِّى الملكُ الأوْحدُ نَجْمُ الدينِ أيوبُ بنُ العادلِ**[1] صاحبُ خِلاطَ ، يقالُ : إنه قد سفَك الدماءَ ، وأساء السِّيرةَ إلى أهلِها ، فقصَف اللَّهُ عمرَه ، ووليَها بعدَه أخوه الملكُ الأشْرَفُ موسى بنُ العادلِ ، وكان محمودَ السِّيرةِ ، جيِّدَ السَّريرةِ ، فأحْسَن إليهم ، فأحَبُّوه كثيرًا .

وفيها تُوُفِّى فَقيهُ الحرمِ الشريفِ بمكةَ ، محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبى الصَّيْفِ اليَمَنىُّ[2] ، رحِمه اللَّهُ .

وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ القَفْصىُّ[3] المُقْرِئُ المُحَدِّثُ ، كتَب كثيرًا ، وسمِع الكثيرَ ، ودُفِن بمقابرِ الصُّوفيةِ ، [٩/٣٤٠ظ] رحِمه اللَّهُ .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٦٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨١، ونهاية الأرب ٢٩/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦.

(٢ - ٢) فى ص : « الضيف الضبى » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٣٠٠، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٦.

(٣) مرآة الزمان ٨/٥٦١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٦، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٤.

أبو الفتحِ محمدُ بنُ سعدِ بنِ محمدٍ الدِّيباجيُّ[1] ، مِن أهلِ مَرْوَ ، له كتابُ « المُحَصَّلِ » فى شَرْحِ « المُفَصَّلِ » للزَّمَخْشَرِيِّ فى النحوِ ، وكان ثقةً عالماً ، سمِع الحديثَ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ عن ثنتين وتسعين سنةً .

الشيخُ الصالحُ الزاهدُ العابدُ [2]**أبو الثناءِ**[2] **محمودُ بنُ عثمانَ بنِ مَكارِمَ النَّعّالُ الحَنْبليُّ** ، له عِباداتٌ ومُجاهَداتٌ وسِياحاتٌ ، وبنَى رِباطًا ببابِ الأَزَجِ[3] يَأْوِى إليه أهلُ العلمِ مِن المَقادسةِ وغيرِهم ، وكان يُؤْثِرُهم ويُحْسِنُ إليهم ، وقد سمِع الحديثَ ، وقرَأ القرآنَ ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكَرِ . وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ وقد جاوَز الثمانين .

---

(١) إنباه الرواة ٣/ ١٣٩، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٧، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٨٩.

(٢ - ٢) فى النسخ : « أبو البقاء » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ مرآة الزمان ٨/٥٦٢ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٥، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٨، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٦٣.

(٣) باب الأزج : محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار فى شرقى بغداد . معجم البلدان ١/ ٢٣٢.

ثم دخَلَت سنةُ عشْرٍ وستّمائةٍ

فيها[1] أمَر العادلُ أيامَ الجُمَعِ بوَضْعِ سلاسِلَ على أفْواهِ الطُّرُقِ إلى الجامعِ لئلا تَصِلَ الخُيولُ إلى قريبِ الجامعِ صيانةً للمسلمين عن التَّأذِّى بهم، والتضييقِ عليهم.

وفيها وُلِد الملكُ العزيزُ [2]بنُ الظاهِرِ[2] غازى صاحبِ حلَبَ، وهو والدُ الملكِ الناصرِ صاحبِ دمشقَ واقفِ الناصريَّتَيْن[3] الذى أسَره هلاوونُ ملكُ التَّتارِ.

وفيها قُدِم بالفيلِ مِن الديارِ المصريةِ، فحُمِل هديةً إلى صاحبِ[4] الكُرْجِ، فتعَجَّب أهلُ دِمشقَ منه، ومِن بديعِ خِلقَتِه.

وفيها قدِم الملكُ الظافرُ خَضِرُ بنُ السلطانِ صلاحِ الدينِ مِن حلَبَ لقصدِ الحجِّ، فتلَقَّاه الناسُ، وأكْرَمه ابنُ عمِّه المُعَظَّمُ صاحبُ دِمشقَ، فلما لم يَبْقَ بينَه وبينَ مكةَ إلا مَراحِلُ يَسيرةٌ تلَقَّته حاشيةُ الكاملِ صاحبِ مصرَ، وصدُّوه عن الدُّخولِ إلى مكةَ، وقالوا: إنما جئتَ لأخذِ اليمنِ. فقال لهم: قَيِّدونى وذَرُونى

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٠١، ٣٠٢، ومرآة الزمان ٨/٥٦٤ - ٥٦٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٤٠ - ٤٢.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «للظاهر».

(٣) بعده فى م: «داخل دمشق إحداهما داخل باب الفراديس والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة التى قيل: إنه لا يوجد مثلها إلا قليلا وهو». والناصريتان هما المدرسة الناصرية البرانية والناصرية الجوانية. انظر الدارس ١/١١٥ - ١١٧.

(٤) سقط من: الأصل، ص، والذيل على الروضتين. والمثبت موافق لما فى تاريخ الإسلام.

أَقْضِى المَناسِكَ . فقالوا : ليس معنا مَرْسومٌ وإنما أُمِرْنا بردِّك وصَدِّك . فهمَّ طائفةٌ مِن الناسِ بقتالِهم ، فخاف مِن وُقوعِ فتنةٍ ، فتحَلَّل مِن حجِّه ، ورجَع إلى الشامِ ، وتأَسَّف الناسُ على ما فُعِل به ، وتَباكَوْا مِن أجلِه لمّا ودَّعهم ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

وفيها وصَل كتابٌ مِن بعضِ فُقهاءِ الحَنَفيةِ بخُراسانَ إلى الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ يُخْبرُ فيه أن السلطانَ خُوارَزْم شاه محمدَ بنَ تِكِش تنَكَّر فى ثلاثةِ نفرٍ ، ودخَل بلادَ التَّتَرِ ليَكْشِفَ أخْبارَهم بنفسِه ، فأنْكَروهم فقبَضوا عليهم ، فضرَبوا منهم اثنين حتى ماتا ، ولم يُقِرَّا بما جاءُوا إليه ، واسْتَوْثَقوا مِن الملكِ وصاحبِه أسْرًا ، فلما كان فى بعضِ الليالى هرَبا ، ورجَع السلطانُ إلى مُعَسْكَرِه ، [1]فعاد إلى مَمْلَكتِه .

قلتُ : وهذه المكاتبةُ غيرُ ما تقدَّم مِن[1] أسْرِه فى المعركةِ مع ابنِ مسعودٍ الأميرِ ، واللَّهُ أعلمُ .

[2]وفيها ظهَرت بلاطةٌ وهم يَحْفِرون فى خندقِ حلبَ ، فوُجِد تحتَها مِن الذهبِ خمسةٌ وسبعون رَطْلًا ، ومِن الفضةِ خمسةٌ وعشرون بالرَّطْلِ الحَلَبىِّ[2] .

وفيها تُوُفِّى :

مدرسُ مَشْهدِ أبى حَنيفةَ وشيخُ الحنفيةِ ببغدادَ ، **الشيخُ أبو الفَضْلِ أحمدُ بنُ مسعودِ بنِ علىٍّ التُّركُستانىُّ**[3] ، وكان إليه المَظالمُ ، ودُفِن بالمَشْهدِ المذكورِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الكامل ١٢/ ٣٠٢، والذيل على الروضتين ص ٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٧، والوافى بالوفيات ٨/ ١٧٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٦٢، والجواهر المضية ١/ ٣٣١.

والشيخُ [1]أبو محمدٍ[1] إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ فخرُ الدينِ الحَنْبليُّ ، ويُعْرَفُ بابنِ الماشطةِ ، ويقالُ له : الفخرُ . غلامُ ابنِ المَنِّيِّ . له تَعْليقةٌ فى الخِلافِ ، وكانت له حَلْقةٌ بجامعِ الخليفةِ ، وكان يَلِى النظرَ فى قَرايا الخليفةِ ، ثم عزَله ، فلزِم بيتَه فقيرًا لا شىءَ له إلى [٣٤١/٩و] أن مات ، رحِمه اللَّهُ ، وكان ولدُه محمدٌ مُدَبِّرًا شيطانًا مَريدًا ، كثيرَ الهِجاءِ والسِّعايةِ بالناسِ إلى أولياءِ الأمرِ بالباطلِ ، فقُطِع لسانُه ، وحُبِس إلى أن مات .

والوزيرُ مُعِزُّ الدينِ أبو المَعالى سعيدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ حَدِيدةَ[2] ، مِن سُلالةِ الصَّحابيِّ قُطْبةَ بنِ عامرِ بنِ حَدِيدةَ الأنْصارِيِّ ، ولِى الوِزارةَ للناصرِ فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، ثم عزَله عن سِفارةِ ابنِ مَهْدىٍّ ، فهرَب إلى مَرَاغةَ[3] ، ثم عاد بعدَ ابنِ مَهْدىٍّ ، فأقام ببغدادَ مُعَظَّمًا مُحْتَرَمًا ، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ والإحسانِ إلى الناسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وسَنْجَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الناصرىُّ الخَلِيفِىُّ[4] ، كانت له أموالٌ كثيرةٌ وأمْلاكٌ وإقْطاعاتٌ مُتَّسِعةٌ ، وكان مع ذلك بخيلًا ذَليلًا ساقطَ النفسِ ، اتَّفَق أنه خرَج أميرَ

(١ - ١) فى م : «أبو الفضل بن» . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ٨٤، ٨٥، ومرآة الزمان ٥٦٥/٨ (القسم الثانى) ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٠، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٦٦.

(٢) الكامل ١٢/ ٣٠٢، والذيل على الروضتين ص ٨٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٦٤، ٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ١٨٠.

(٣) فى ص : «مغارة» . ومراغة : بلد بأذربيجان . تاج العروس (م ر غ) .

(٤) فى م ، ص : «الخليفتى» . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٨٥، ومرآة الزمان ٥٦٨/٨ (القسم الثانى) ، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٤.

الحاجِّ فى سنةِ تسعٍ وثمانين وخمسِمائةٍ ، فاعْتَرَضه بعضُ الأعْرابِ فى نفرٍ يَسيرٍ ، وكان مع سَنْجَرَ خمسُمائةِ فارسٍ ، فدخَله الذُّلُّ مِن الأعْرابىِّ ، فطلَب منه الأعْرابىُّ خمسين ألفَ دينارٍ ، فجباها سَنْجَرُ مِن الحَجيجِ ، ودفَعها إليه ، فلما عاد إلى بغدادَ أخَذ الخليفةُ منه خمسين ألفَ دينارٍ ، ودفَعها إلى أصحابِها وعزَله ، وولَّى طاشْتِكِين مكانَه .

وقاضى السَّلَّامِيَّةِ ظَهِيرُ الدينِ أبو إسْحاقَ إبراهيمُ بنُ نصرِ بنِ عَسْكَرٍ[1] ، الفقيهُ الشافعىُّ الأديبُ ، ذكَره العِمادُ فى « الخريدةِ » وابنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ » ، وأثْنَى عليه ، وأنْشَد مِن شعرِه فى شيخِ زاويةٍ وأصحابِه ، فقال :

ألا قُلْ لمكِّىٍّ قولَ النَّصوحِ ... فحقُّ النَّصِيحةِ أن تُسْتَمَعْ
متى سمِع الناسُ فى دينِهمْ ... بأن الغِنا سُنَّةٌ تُتَّبَعْ
وأن يَأْكُلَ المرءُ أكلَ البَعيرِ ... ويَرْقُصَ فى الجَمْعِ حتى يَقَعْ
ولو كان طاوِى الحَشا جائعًا ... لمَا دار مِن طَرَبٍ واسْتَمَعْ
وقالوا سكِرْنا بحُبِّ الإلهِ ... وما أسْكَر القومَ إلا القِصَعْ
كذاك الحَميرُ إذا أخْصَبَت ... يُنَقِّزُها[2] رِيُّها والشِّبَعْ[3]

وتاجُ الأُمَناءِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ

---

(١) تاريخ إربل ١/ ٣٩٥، وخريدة القصر ٢/٣٤٦ (قسم شعراء الشام)، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٦١.
(٢) فى الأصل، م: « يهيجها ». والنَّقَز: الوثب والقفز فى مكان واحد. انظر اللسان (ن ق ز).
(٣) بعده فى الأصل، م:

« تراهم يهزوا لحاهم إذا ... ترنم حاديهم بالبدع
فيصرخ هذا وهذا يئن ... ويس لو تليت ما انصدع »

عَساكرَ[1] ، مِن بيتِ الحديثِ والرِّوايةِ ، وهو أكبرُ مِن أخَوَيه زَيْنِ الأُمَناءِ والفخرِ عبدِ الرحمنِ ، سمِع عمَّيه الحافظَ أبا القاسمِ والصائنَ ، وكان صديقًا للشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ ، وكانت وفاتُه يومَ الأحدِ ثانى رجبٍ ، ودُفِن قِبْلِىَّ مِحْرابِ مسجدِ القدمِ .

وتاجُ العُلا النَّسَّابةُ الحَلَبىُّ الحَسَنىُّ[2] ، اجْتَمَع بآمِدَ بالشيخِ أبى الخطابِ ابنِ دِحْيةَ ، وكان يُنْسَبُ إلى دِحْيةَ الكَلْبىِّ ، فقال له تاجُ العُلَا : إن دِحْيةَ لم يُعْقِبْ . فرماه ابنُ دِحْيةَ بالكذبِ فى مَسائلِه المَوصلِيةِ .

قال ابنُ الأثيرِ فى « الكاملِ »[3] : وفى المحَرَّمِ منها تُوُفِّى **المُهَذَّبُ الطَّبيبُ المَشْهورُ وهو علىُّ بنُ أحمدَ بنِ هَبَلٍ**[4] **المَوصلىُّ** ، سمِع الحديثَ ، وكان أعلمَ أهلِ زمانِه بالطبِّ ، وله فيه تَصْنيفٌ حسنٌ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ ، حسَنَ الأخلاقِ .

[5]**ابنُ خروفٍ** شارحُ « سيبَوْيهِ » و « جُمَلِ الزَّجاجىِّ » ، هو **أبو الحسنِ علىُّ ابنُ محمدِ بنِ علىٍّ الحَضْرَمىُّ الأندلسىُّ الإشبيلىُّ** ، أحدُ المشاهيرِ فى هذه الصناعةِ ، وكتبُه تدلُّ على تَقدُّمِه وعلمِه وفضلِه ، وكان شيخَه فيها ابنُ طاهرٍ ، المعروفُ بالخِدَبِّ الأندلسىِّ[5] .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٦، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٤.

(٢) فى الأصل، م: «الحسينى». وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٧٣، ولسان الميزان ١/ ٤٤٩.

(٣) الكامل ١٢/ ٣٠٢.

(٤) فى النسخ: «مقبل». والمثبت من الكامل. وانظر ترجمته فى؛ إنباه الرواة ٢/ ٢٣١، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٥١، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧٧.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م. وتقدمت ترجمته فى صفحة ٧ فى وفيات سنة ست وستمائة.

الجُزُولىُّ صاحبُ المُقَدِّمةِ المُسَمَّاةِ بـ « القانونِ » : هو أبو موسى عيسى بنُ عبدِ العزيزِ الجُزُولىُّ[1] - بطنٌ مِن البَرْبَرِ - **ثم اليَزْدَكْتَنِىُّ**[2] **النحوىُّ المغربىُّ**[3] ، مُصَنِّفُ المُقَدِّمةِ المشهورةِ البَديعةِ ، وقد شرَحها هو وتَلامِذتُه ، وكلُّهم يَعْتَرِفون بتَقْصيرِهم عن [٩/ ١٣٤١ظ] فهمِ مُرادِه فى أماكنَ كثيرةٍ منها ، قدِم ديارَ مصرَ ، وأخَذ عن ابنِ بَرِّى ، ثم عاد إلى بلادِه ، وولِى خَطابةَ مَرَّاكُشَ ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، وقيل : قبلَها . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ٣٧٨، ووفيات الأعيان ٣/٤٨٨ - ٤٩١، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٣. وذكر فيه فى وفيات سنتى سبع وستمائة ، وعشر وستمائة ص ٢٦٣، ٣٨١.

(٢) فى الأصل : « البردكننى » ، وفى م : « البردكينى » ، وفى ص : « اليزدكنيى » . وفى سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام : « اليزذكنتى » ، والمثبت من وفيات الأعيان ؛ فقد ضبطه ابن خلكان بالحروف فقال : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى فخذ من جزولة .

(٣) فى م : « المصرى » .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] أرْسَل الملكُ خُوارَزْم شاه أميرًا مِن أخِصَّاءِ أمرائِه عندَه، وكان قبلَ ذلك سيروانًا، فصار أميرًا خاصًّا، فبعَثه فى جيشٍ، ففتَح له كَرْمانَ ومَكْرانَ، وإلى حدودِ بلادِ السِّنْدِ، وخُطِب لخُوارَزْم شاه بتلك النواحِى، وكان خُوارَزْم شاه لا يُصَيِّفُ إلا بنَواحى سَمَرْقَنْدَ خوفًا مِن التَّتارِ أصحابِ كَشْلى خان أن يَتَوَثَّبوا على أطرافِ بلادِه التى تُتاخِمُهم.

قال أبو شامةَ[2]: وفيها شُرِع فى تَبْليطِ داخلِ الجامعِ[3]، وبدَءوا بناحيةِ السَّبْعِ الكبيرِ[4]، وكانت أرضُ الجامعِ قبلَ ذلك حُفَرًا وجُوَرًا[5]. فاسْتَراح الناسُ بتَبْليطِه.

وفيها وُسِّع الخندقُ مما يلِى القَيْمازِيَّةَ، فأُخْرِبَت دورٌ كثيرةٌ هناك، وحَمَّامُ قايمازَ وفُرْنٌ كان وَقْفًا على دارِ الحديثِ النُّوريةِ وغيرُ ذلكَ.

وفيها بنَى المُعَظَّمُ الفُنْدُقَ المَنْسوبَ إليه بناحيةِ قبرِ عاتكةَ ظاهرَ بابِ الجابيةِ.

---

(١) الكامل ١٢/٣٠٣ - ٣٠٥، ومرآة الزمان ٨/٥٦٩ - ٥٧١ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ٨٦ - ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥ - ٧.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٨٦.

(٣) بعده فى الأصل، م: «الأموى».

(٤) السَّبع: مكان فى المسجد الأموى، جُعِل لدراسة القرآن الكريم. مختصر تاريخ دمشق ١/٢٧٢ - ٢٧٤.

(٥) الجور: جمع الجُورة، وهى الحفرة وما انخفض من الأرض. محيط المحيط (ج و ر).

وفيها أخَذ المُعَظَّمُ قَلْعةَ صَرْخَدَ مِن ابنِ قَرَاجا ، وعوَّضه عنها ، وسلَّمها إلى مَمْلوكِه عزِّ الدينِ أَيْبَك المُعَظَّميِّ ، فثبَتَت فى يدِه إلى أن انْتَزَعها منه نَجْمُ الدينِ أيوبُ سنةَ أربعٍ وأربعين .

وفيها حجَّ الملكُ المُعَظَّمُ بنُ العادلِ ، ركِب مِن الكَرَكِ على الهُجُنِ فى حادى عشَرَ ذى القَعْدةِ ، ومعه ابنُ مُوسَك ومملوكُه أيبك عِزُّ الدينِ أُستاذُ دارِه وخَلْقٌ ، فساروا على طريقِ تَبوكَ والعَلَاءِ ، وبنى المعظَّمُ[1] البِرْكةَ المَنْسوبةَ إليه ، ومَصانعَ أُخَرَ . فلما قدِم المدينةَ النبويةَ تلَقَّاه صاحبُها سالمٌ ، وسلَّم إليه مَفاتيحَها ، وخدَمه خدمةً تامةً ، وأما صاحبُ مكةَ قَتادةُ[2] ، فلم يَرْفَعْ به رأسًا ، ولهذا لما قضَى نُسُكَه ، وكان قارنًا ، وأنْفَق فى المجاوِرين ما حمَله إليهم مِن الصَّدَقاتِ ، وكرَّ راجعًا اسْتَصْحَب معه سالمًا صاحبَ المدينةِ ، وشكا إلى أبيه عندَ رأسِ الماءِ ما لقِيه مِن صاحبِ مكةَ ، فأرْسَل العادلُ مع سالمٍ جيشًا يَطْرُدون صاحبَ مكةَ عنها ، فلما انْتَهَوا إليها هرَب منهم فى الأوْديةِ والجبالِ والبَرارىِّ ، وقد أثَّر المُعَظَّمُ فى هذه السنةِ بطريقِ الحجازِ آثارًا حسَنةً ، أثابه اللَّهُ تعالى وتقبَّل منه آمين .

وفيها تَعامَل أهلُ دمشقَ بالقَراطيسِ[3] السُّودِ العادِليَّةِ ، ثم بطَلَت بعدَ ذلك وفَنِيت .

وفيها مات صاحبُ اليمنِ ابنُ سيفِ الإسلامِ ، فتولَّاها سليمانُ بنُ شاهِنْشاه ابنِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ باتفاقِ الأمراءِ عليه ، فأرْسَل العادلُ إلى

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « قاسم بن عزيز » .

(٣) القراطيس : نوع من الفلوس النحاسية أو الدراهم الملفوفة على شكل إصبع . معجم دوزى .

ابنِه الكاملِ أن يُرْسِلَ ولدَه أقسيسَ بنَ الكَاملِ إليها ، فأرْسَله فتمَلَّكها وظلَم بها وفتَك ، وقتَل مِن الأشرافِ نحوًا مِن ثمانِمائةٍ ، وأما ممَّن عداهم فكثيرٌ ، وكان مِن أفْجَرِ الملوكِ وأكْثرِهم فسْقًا وأقلِّهم حَياءً ، وقد ذُكِرَ عنه ما تَقْشَعِرُّ منه الأبْدانُ ، وتُنْكِرُه القلوبُ ، نَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ .

وممن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ وغيرِهم :

إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ بَكْروسٍ ، الفقيهُ الحَنْبليُّ[1] ، أفْتَى وناظَر وعَدَّلَ عندَ الحُكَّامِ ، ثم انْسَلَخ مِن هذا كلِّه ، وصار شُرْطيًّا ببابِ النوبيِّ[2] ، يَضْرِبُ الناسَ ويُؤْذِيهم غايةَ الأذَى ، ثم بعدَ ذلك كلِّه [٣٤٢/٩و] ضُرِب إلى أن مات ، وأُلْقى فى دِجْلةَ ، وفرِح الناسُ بموتِه ، وقد كان أبوه رجلًا صالحًا .

الرُّكْنُ عبدُ السلامِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ[3] ، كان أبوه صالحًا ، وكان هو مُتَّهَمًا بالفَلسفةِ ومُخاطَبةِ النُّجومِ ، ووُجِد عندَه كتبٌ فى ذلك ، وقد ولِى عدةَ وِلاياتٍ ، ويقالُ لمثلِه :

نِعْمَ الجُدودُ ولكن بئس ما نسَلوا

رأَى أبوه عليه يومًا ثوبًا بُخاريًّا فقال : سمِعْنا بالبُخارِىِّ ومسلمٍ ، فأمّا بُخارِىٌّ وكافرٌ فهذا شىءٌ عجَبٌ . وكان مُصاحِبًا لأبى القاسمِ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٥٧٠ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٠١ ، والذيل على الروضتين ص ٨٧ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٦٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٦ .

(٢) فى الأصل ، م : «النوى» . وباب النوبى ببغداد .

(٣) الكامل ١٢/ ٣٠٥ ، ومرآة الزمان ٨/ ٥٧١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٠٩ ، والذيل على الروضتين ص ٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٢ ، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٢٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٧١ .

الجَوْزىِّ ، وكان الآخَرُ مُدبرًا فاسقًا ، وكانا يَجْتَمِعان على الشَّرابِ والمُرْدانِ ، قبَّحهما اللَّهُ .

أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمودِ بنِ المُبارَكِ البَزَّازُ[1] ، المعروفُ بابنِ الأخْضَرِ ، البغداديُّ المُحَدِّثُ المُكْثِرُ الحافظُ المُصَنِّفُ المُحَرِّرُ ، له كتبٌ مُفيدةٌ مُتْقَنةٌ ، وكان مِن الصالحين ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشهودًا .

[2]**الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الأنْجَبِ** [3]**أبى المكارمِ**[3] **المُفَضَّلِ اللَّخْميُّ المَقْدسيُّ** ، ثم الإسْكَنْدَرانيُّ المالكيُّ ، سمِع السِّلَفيَّ وعبدَ الرَّحيمِ المُنْذِرىَّ ، وكان مُدَرِّسًا للمالكيةِ بالإسْكندريةِ ، ونائبَ الحُكْمِ بها ، ومِن شعرِه قولُه :

أيا نفسُ بالمأثورِ عن خيرِ مُرْسَلٍ ... وأصحابِه والتابعين تَمَسَّكِى
عساكِ إذا بالَغْتِ فى نشرِ دينِه ... بما طاب مِن نَشْرٍ[4] له أن تَمَسَّكى
وخافى غدًا يومَ الحسابِ جَهَنَّمَا ... إذا لفَحَت[5] نِيرانُها أن تَمَسَّكى

تُوُفِّى بالقاهرةِ فى هذه السنةِ . قاله ابنُ خَلِّكانَ[6][2] .

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٠٥، وذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٣٥، والذيل على الروضتين ص ٨٨، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٤.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) فى الأصل: «بن». وانظر ترجمته فى التكملة لوفيات النقلة ٤/ ١١٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٩.

(٤) فى م: «عرف».

(٥) فى الأصل، وسير أعلام النبلاء: «نفحت». وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٢.

(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٢.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتَىْ عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] شُرِع فى بناءِ المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ بدمشقَ ، وفيها عُزِل القاضى الزكىُّ بنُ محيى الدينِ بنِ الزَّكِىِّ ، وفُوِّض الحكمُ إلى القاضى جَمالِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ ، وهو ابنُ [2]ثنتين وتسعين[2] سنةً ، فحكَم بالعدلِ ، وقضَى بالحقِّ ، ويقالُ : إنه كان يَحْكُمُ بالمدرسةِ المُجاهِديةِ التى عندَ القَوَّاسِين .

وفيها أبْطَل العادلُ ضَمانَ الخمرِ والقِيانِ ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، فزالَ عن الناسِ شرٌّ كثيرٌ .

وفيها حاصَر الأميرُ قَتادةُ صاحبُ مكةَ المدينةَ النبويَّةَ ومَن بها ، وقطَع نخيلًا كثيرًا ، فقاتَله أهلُها ، فكرَّ خاسئًا حسيرًا ، وكان صاحبُ المدينةِ بالشامِ فى خدمةِ العادلِ ، فطلَب منه النجدةَ على أميرِ مكةَ قتادةَ ، فأرْسَل معه جيشًا ، فأسْرَع فى الأَوْبَةِ ، فمات فى أثناءِ الطريقِ ، فاجْتَمَع شملُ الجيشِ على ابنِ أخيه جَمَّازٍ ، فقصَد مكةَ ، فالْتَقاه أميرُها بالصَّفْراءِ ، فاقْتَتلوا قِتالًا عظيمًا ، فَهُزِمَ المكِّيُّون ، وغنِم منهم الأميرُ جَمَّازٌ شيئًا كثيرًا ، وهرَب قَتادةُ إلى اليَنْبُعِ ، فساروا إليه ، فحصَروه بها ، وضيَّقوا عليه فيها .

وفيها أغارَت الفِرنْجُ على بلادِ الإسماعيليةِ ، فقتَلوا ونهَبوا وسبَوا .

---

(١) الكامل ٣٠٦/١٢ - ٣١٢، ومرآة الزمان ٥٧٢/٨ - ٥٧٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ٨٩ - ٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٨ - ١١.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «ثمانين أو تسعين».

وفيها أخَذ ملكُ الرومِ كَيْكَاوس مدينةَ أَنْطاكِيَةَ مِن أيدى الفِرِنْجِ ، ثم أخَذها منه ابنُ لاوُن ملكُ الأرْمَنِ ، ثم أخذها منه إبْرَنْسُ[1] طَرابُلُسَ .

[2]وفيها ملَك السلطانُ خُوارَزْم شاه محمدُ بنُ تِكِش مدينةَ غَزْنَةَ بغيرِ قِتالٍ[2] .

وفيها كانت وَفاةُ الملكِ المعظمِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ ، [3]الذى كانَ قد جعلَه [٣٤٢/٩ ظ] ولىَّ عهدِه من بعدِه ، وعزَل عن ذلك أخاه الأكبرَ[3] ، ولما تُوُفِّى حزِن الخليفةُ عليه حُزْنًا عظيمًا ، وكذلك الخاصَّةُ والعامَّةُ لكثرةِ صَدَقاتِه وإحسانِه إليهم ، ولم يَبْقَ بيتٌ ببغدادَ إلا حزِنوا عليه ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشهودًا ، وناح أهلُ البلدِ عليه ليلًا ونَهارًا ، ودُفِن عندَ جَدَّتِه بالقربِ مِن قبرِ مَعْروفٍ الكَرْخِىِّ ، وكانت وفاتُه يومَ الجمعةِ العشرين مِن ذى القَعْدةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الصلاةِ[4] . وفى هذا اليومِ قُدِمَ برأسِ مَنْكَلِى - الذى كان قد عصَى على الخليفةِ وعلى أُستاذِه - إلى بغدادَ فطِيف به فيها ، ولم تتمَّ فرحتُه ذلك اليومَ لتنغيصِها بموتِ ولدِه ولىِّ العهدِ ، والدنيا لا تَسُرُّ بقَدْرِ ما تَضُرُّ ، وترَك ولدَيْن وهما ؛ المُؤَيَّدُ أبو عبدِ اللَّهِ الحسنُ ، والمُوَفَّقُ أبو الفضلِ يحيى .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحافظُ عبدُ القادرِ الرُّهَاوىُّ[5] : عبدُ القادرِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « إبريس » ، وفى الذيل على الروضتين : « أبوس » . ولعله البرنس ، وهو الأمير .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى م : « صلاة العصر » .
(٥) تاريخ إربل ١/ ١٣١ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١٧١ ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٦٠ ،=

أبو محمدٍ، الحافظُ الكبيرُ المُحَدِّثُ المُخَرِّجُ المُفيدُ المُحَرِّرُ المُتْقِنُ البارعُ المُصَنِّفُ المُفِيدُ، كان مَوْلًى لبعضِ المَواصِلةِ، وقيل: لبعضِ الحَرّانِيِّين. اشْتَغل بدارِ الحديثِ بالمَوْصِلِ، ثم انْتَقَل إلى حَرَّانَ، وقد رحَل إلى بُلدانٍ شَتَّى، وسمِع الكثيرَ مِن المشايخِ شرقًا وغربًا، وأقام بحَرَّانَ إلى أن تُوُفِّى بها فى هذه السنةِ، وكان مولدُه فى سنةِ ستٍّ وثلاثين وخمسِمائةٍ، وكان دَيِّنًا صالحًا خيِّرًا، رحِمه اللَّهُ تعالى بمنِّه وكرمِه.

الوَجِيهُ الأعْمَى، أبو بكرٍ المُبارَكُ بنُ سعيدِ بنِ الدَّهَّانِ النَّحْوىُّ الواسطىُّ المُلَقَّبُ بالوَجيهِ[1]، وُلِد بواسِطٍ، وقدِم بغدادَ، فاشْتَغل بعلمِ العَرَبيةِ والنحوِ، فأتْقَن ذلك، وحفِظ شيئًا كثيرًا مِن أشعارِ العربِ، وسمِع الحديثَ، وكان حَنْبَليًّا فانْتَقَل إلى مذهبِ أبى حَنيفةَ، ثم صار شافعيًّا، وولِى تَدْريسَ النحوِ بالنِّظاميةِ، وفيه يقولُ الشاعرُ[2]:

أَلَا مُبْلِغًا عنى الوَجيهَ رِسالةً ... وإن كان لا تُجْدِى لديه[3] الرَّسائلُ
تَمَذْهَبْتَ للنُّعمانِ بعدَ ابنِ حَنْبلٍ ... وذلك لَمَّا أعْوَزَتْك المآكِلُ
وما اخترتَ رأىَ الشافعىِّ تديُّنًا ... ولكنما تَهْوَى الذى هو حاصلُ

= والذيل على الروضتين ص ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٥٨، والكامل ١٢/ ٣١٢، وإنباه الرواة ٣/ ٢٥٤، ومرآة الزمان ٨/٥٧٣ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٧٨، والذيل على الروضتين ص ٩٠، ووفيات الأعيان ٤/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٥.

(٢) هو أبو البركات محمد بن أبى الفرج التكريتى. وتقدمت الأبيات فى ١٦/٧٢٦ فى ترجمته ضمن وفيات سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

(٣) فى م، ص: «إليه».

وعما قليلٍ أنت لا شكَّ صائرٌ إلى مالكٍ [1] فافْطِنْ لِمَا أنا [1] قائلُ

[2] وقد ذكرناه فى سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ [2] .

وكان يَحْفَظُ شيئًا كثيرًا مِن الحِكاياتِ والأمْثالِ والمُلَحِ، ويَعْرِفُ العربيةَ والتُّرْكيةَ والعَجَميةَ والرُّوميةَ والحَبَشيةَ والزِّنْجِيةَ، وكان له يدٌ طُولَى فى نَظْمِ الشعرِ، فمِن ذلك قولُه [3] :

ولو وقَعَت [4] فى لُجَّةِ البحرِ قَطْرةٌ مِن المُزْنِ يومًا ثم شاء لمازَها [5]

ولو ملَك الدنيا فأضْحَى مُلُوكُها عبيدًا له فى الشرقِ والغربِ ما زها

وقولُه فى التَّجْنِيسِ أيضًا [6] :

أطَلْتَ مَلامى فى اجْتِنابى لِمَعْشرٍ طَغامٍ لِئامٍ جُودُهمْ غيرُ مُرْتَجَى

ترَى بابَهمْ لا باركَ اللَّهُ فيهمُ على طالبِ المعروفِ إنْ جاء مُرْتَجَا [7]

حمَوْا مالَهم والدِّينُ والعِرْضُ منهمُ مُباحٌ فما يَخْشَوْن مِنْ [8] هجوِ مَنْ [8] هَجَا

إذا شرَع الأجْوادُ فى الجُودِ مَنْهَجًا لهم شرَعوا فى البُخْلِ سبعين مَنْهَجَا

وله مَدائحُ حسَنةٌ وأشعارٌ رائقةٌ، ويبتكرُ معانىَ فائقةً، وربما عارَض شعرَ

(١ - ١) فى الأصل: «فانظر لما أنت»، وفى م: «فانظر إلى ما أنت».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) الأبيات فى معجم الأدباء ١٧/ ٦٠.

(٤) فى م: «وقفت».

(٥) مازها: مَيَّزَها. انظر المحيط (م ى ز).

(٦) معجم الأدباء ١٧/ ٦٧.

(٧) هذا البيت سقط من: م. ومرتجٌ: مغلق. اللسان (ر ت ج).

(٨ - ٨) فى م: «عاب أو».

البُحْتُرِىِّ بما يُقارِبُه ويُدانِيه .

قالوا[1] : وكان لا يَغْضَبُ قطُّ . تراهَن جماعةٌ مع واحدٍ أنه كان له [٩/٣٤٣و] كذا وكذا إن أغضبه ، فجاء إليه فسأَله عن مسألةٍ فى العربيةِ فأجابه فيها ، فقال له السائلُ : أخْطَأْتَ أيُّها الشيخُ . فأعاد عليه الجوابَ بعبارةٍ أخرى ، [2]فقالَ له : أخطأتَ أيضًا . وأعاد ثالثةً بعبارةٍ أخرى[2] ، فقال له : كذَبْتَ ، ولعلَّك قد نسِيتَ النحوَ . فقال له الوَجيهُ : أيُّها الرجلُ ، فلعلك لم تَفْهَمْ ما أَقولُ لك . فقال : بلى ، ولكنك تُخْطِئُ . فقال له : فقلْ ما عندَك لنَسْتَفيدَه منك . فأغْلَظ له السائلُ فى القولِ ، فتبَسَّم ضاحِكًا ، وقال له الوجيهُ : إن كنتَ راهَنْتَ فقد غُلِبْتَ ، إنما مَثَلُك فى هذا كمثلِ البقَّةِ - يعنى الناموسةَ - سقَطَت على ظهرِ الفيلِ ، فلما أرادت أن تَطِيرَ قالت له : اسْتَمْسِكْ ، فإنى أريدُ أن أَطِيرَ . فقال لها الفيلُ : ما أحْسَسْتُ بكِ حينَ وقَعْتِ علىَّ ، فما أَحْتاجُ أن أَسْتَمْسِكَ إذا طِرْتِ . كانت وفاتُه رحِمه اللَّهُ تعالى فى شعبانَ ، ودُفِن بالوَرْديةِ[3] .

[4]**أبو الفتوحِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ المباركِ**[5] ، التاجرُ المعروفُ بابنِ الجَلاجِلىِّ ، كانَ يسكنُ بدارِ الخلافةِ ببغدادَ ، قرأ القرآنَ على الرواياتِ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، ورحَل إلى البلْدانِ المتباينةِ ، بلَغ ثلاثًا وستين سنةً ، وكانت وفاتُه بالقدْسِ الشَّريفِ فى رمضانَ . رحمه اللَّهُ[4] .

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٦٤، ٦٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) الوردية : مقبرة ببغداد . معجم البلدان ٤/ ٩٢٠.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٨٢، والذيل على الروضتين ص ٩٩ - وذكره فى وفيات السنة الآتية - ، والعبر ٥/ ٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٢، والمقفى الكبير للمقريزى ٦/ ٣٢٨. وستأتى له ترجمة فى السنة الآتية .

أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ المَعالى[1] **بنِ غَنِيمةَ بنِ الحسنِ**، المعروفُ بابنِ مَنِينا، وُلِد سنةَ خمسَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ وأسْمعَه، وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ عن سبعٍ وتسعينَ سنةً[2].

الشيخُ الفقيهُ كمالُ الدينِ مَوْدودُ بنُ الشاغوريِّ الشافعيُّ[3]، كان يُقْرِئُ بالجامعِ الأُمَوىِّ الفِقْهَ، ويشرَحُ «التَّنْبيهَ» للطلبةِ، ويتَأَنَّى فى تفهيمِهم حتى يَفْهَموا احْتِسابًا، تُجاهَ المَقْصورةِ. ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ شَماليَّ قبورِ الشُّهداءِ، وعلى قبرِه شعرٌ ذكَره أبو شامةَ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) فى م: «أبى المعالى»، وانظر ترجمته فى: المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٢٥٧، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٠٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.

(٢) لم تذكر المصادر سِنَّه وقت وفاته، وفيها أنه ولد سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٩.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثَ عشْرةَ وستّمائةٍ[1]

قال أبو شامةَ[2] : فيها أُحْضِرَت الأوْتادُ الخَشَبُ الأربعةُ لأجلِ قُبَّةِ نَسْرِ الجامعِ ، طولُ كلِّ واحدٍ اثنان وثلاثون ذراعًا بالنَّجَّارِ .

وفيها شُرِع فى تَحريرِ خَنْدقِ بابِ السِّرِّ المُقابلِ لدارِ الطُّعْمِ العَتيقةِ إلى جانبِ باناسَ[3] - قلتُ : وهى إصْطَبْلُ السلطانِ اليومَ - وقد نقَل السلطانُ المُعَظَّمُ بنفسِه الترابَ ، ومَماليكُه تَحْمِلُ بينَ يديه على القَرَبوسِ[4] القِفافَ مِن الترابِ ، فيُفْرِغونها فى المَيْدانِ الأخضرِ ، وكذلك أخوه الصالحُ إسماعيلُ ومَماليكُه ، يَعْمَلُ هذا يومًا وهذا يومًا .

وفيها وقَعت فتنةٌ بينَ أهلِ الشاغورِ وأهلِ العُقَيْبةِ ، اقْتَتلوا بالرَّحْبةِ والصَّيارِفِ ، فركِب الجيشُ مُلْبَسًا ، وجاء السلطانُ المُعَظَّمُ بنفسِه ، فحبَس رءوسَهم .

وفيها رُتِّب بالمُصَلَّى خَطيبٌ مُسْتقلٌّ ، وأولُ مَن باشَرها الصَّدْرُ مُعِيدُ الفَلَكِيَّةِ ، ثم خطَب بعدَه بَهاءُ الدينِ بنُ أبى اليُسْرِ ، ثم بنو حَسَّانَ ، وإلى الآنَ .

---

(١) الكامل ١٢/٣١٣ - ٣١٥، ومرآة الزمان ٨/ ٥٧٤، ٥٧٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٩٢، ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢ - ١٤.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٢.

(٣) فى الأصل : « بانياس » . وباناس : نهر بدمشق . معجم البلدان ١/ ٤٨٢.

(٤) القربوس : حِنْو السَّرْج ، وحنو السرج : كل عود معوج من عيدانه . اللسان (قربس) ، (ح ن و) .

وفيها تُوُفِّى صاحبُ حلَبَ الملكُ الظاهرُ غازى بنُ السلطانِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ(١) ، وكان مِن خِيارِ الملوكِ وأسَدِّهم سِيرةً ، ولكن كان فيه عَسْفٌ ، ويُعاقِبُ على الذنبِ سريعًا شديدًا ، وكان يُكْرِمُ العلماءَ والشعراءَ والفقراءَ ، أقام فى الملكِ ثلاثين سنةً ، وحضَر كثيرًا مِن الغَزَواتِ مع أبيه ، وكان ذَكِيًّا ، له رأىٌ جيدٌ ، وعِبارةٌ سادَّةٌ ، وفِطْنةٌ حسنةٌ ، وعُمِّر أربعًا وأربعين سنةً ، ولمّا حضَرَتْه الوفاةُ جعَل المُلْكَ مِن بعدِه لولدِه المَلِكِ العزيزِ غِياثِ الدينِ محمدٍ وهو ابنُ ثلاثِ سنينَ ، وقد كان له أولادٌ كبارٌ ، ولكنه عَهِد إلى هذا من بينِهم لأنه [٩/ ٣٤٣ظ] كان مِن بنتِ عمِّه العادلِ ، وأخوالُه الأشرفُ والمُعَظَّمُ والكاملُ وجدُّه العادلُ لا يُنازِعونه ، وهكذا وقَع سواءً ؛ بايَع له جدُّه العادلُ وخالُه الأشرفُ صاحبُ حَرّانَ والرُّها وخِلاطَ ، وهمَّ المُعَظَّمُ بنَقْضِ ذلك فلم يَتَّفِقْ له ذلك ، وقام بتَدْبيرِ مملكتِه الطَّواشِى شِهابُ الدينِ طُغْريل الرومىُّ الأبيضُ ، وكان دَيِّنًا عاقلًا عادلًا .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمشاهيرِ :

الشيخُ تاجُ الدينِ أبو اليُمْنِ زيدُ بنُ الحسنِ بنِ زيدِ بنِ الحسنِ بنِ سعيدِ ابنِ عِصْمةَ(٢) ، الشيخُ الإمامُ العلّامةُ ، وَحيدُ عصرِه ونسيجُ وَحْدِه ، تاجُ الدينِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٣١٣، ومرآة الزمان ٥٧٩/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٢٤، والذيل على الروضتين ص ٩٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥٨.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ١٧١، وإنباه الرواة ٢/ ١٠، ومرآة الزمان ٥٧٥/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٤١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٥٠، والجواهر المضية ٢/ ٢١٦، وطبقات القراء ١/ ٢٩٣.

أبو اليُمْنِ الكِنْدىُّ ، وُلِد ببغدادَ ونشَأ بها ، واشْتَغل وحصَّل ، ثم قدِم دمشقَ فأقام بها ، وفاق أهلَ زمانِه شرقًا وغربًا فى النَّحْوِ والعربيةِ وغيرِ ذلك مِن فنُونِ العلمِ ، وعلوِّ الإسنادِ وحُسْنِ الطَّريقةِ والسِّيرةِ وصحةِ العَقيدةِ والسَّرِيرةِ ، وانْتَفَع به علماءُ عصرِه ، وأثْنَوْا عليه ، وخضَعوا له . وكان حَنْبليًّا ، ثم صار حَنَفيًّا . وكان مولدُه فى اليومِ الخامسِ والعشرين مِن شعبانَ سنةَ عشرين وخمسِمائةٍ ، فقرَأ القرآنَ بالرِّواياتِ وله عشْرُ سنينَ ، وسمِع الكثيرَ مِن الحديثِ العالى على الشيوخِ الثِّقاتِ ، وعُنِى بذلك ، وتعَلَّم العربيةَ واللغةَ ، واشْتَهَر بذلك ، ثم صار إلى الشامِ فى سنةِ ثلاثٍ وستين وخمسِمائةٍ ، وسكَن مصرَ ، واجْتَمَع بالقاضى الفاضلِ ، ثم انْتَقَل إلى دمشقَ ، فسكَن بدرْبِ العجَمِ منها ، وحظِى عندَ الملوكِ والوُزراءِ والأُمراءِ ، وترَدَّد إليه العلماءُ والكبراءُ والملوكُ وأبناؤُهم ، كان الأفضلُ بنُ صلاحِ الدينِ - وهو صاحبُ دمشقَ - يَتَرَدَّدُ إلى منزلِه وأخوه المُحَسِّنُ ، وكذلك المُعَظَّمُ فى أيامِه على مُلْكِ دمشقَ ، يَنْزِلُ إليه إلى دَرْبِ العجمِ يَقْرَأُ عليه فى « المُفَصَّلِ » للزَّمَخْشَرىِّ ، وكان المُعَظَّمُ يُعْطِى لمَن حَفِظ « المُفَصَّلَ » ثلاثين دينارًا جائزةً ، وكان يَحْضُرُ مجلسَه بدربِ العجَمِ جميعُ المُصَدَّرِين بالجامعِ ، كالشيخِ عَلَمِ الدينِ السَّخاوىِّ ، ويحيى بنِ مُعْطى ، والوَجيهِ البَوْنِىِّ ، والفَخْرِ التُّرْكىِّ وغيرِهم ، وكان القاضى الفاضلُ فى أيامِه يُثْنِى عليه كثيرًا .

قال السَّخاوىُّ[1] : كان عندَه مِن العلومِ ما لا يُوجَدُ عندَ غيرِه ، ومِن العَجَبِ أن سِيبَوَيْهِ ، وقد شَرَحتُ عليه « كتابَه » ، كان اسمَه عمرٌو ، واسمُ الشيخِ أبى اليُمْنِ زيدٌ ، فقلتُ فى ذلك :

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥، ٩٦.

لم يَكُنْ فى عهدِ عمرٍو مثلُهُ وكذا الكِنْدىُّ فى آخِرِ عصرِ
فـهـمـا زيـدٌ وعـمـرٌو إنمـا بُنِى النحوُ على زيدٍ وعمرِو

قال أبو شامةَ[1] : وهذا كما قال فيه ابنُ الدَّهَّانِ المَذْكورُ فى سنةِ ثنتين وتسعين وخمسِمائةٍ :

يا زيدُ زادك ربى مِن مَواهبِهِ نِعَمًا يُقَصِّرُ عن إدراكِها الأَمَلُ
النحوُ أنت أحَقُّ العالَمين به أليس باسمِك فيهِ يُضْرَبُ المَثَلُ

وللسَّخاوىِّ فيه قصيدةٌ حَسَنةٌ ، وكذلك أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ ، منهم أبو المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزىِّ فقال[2] : قرَأْتُ عليه ، وكان حسَنَ العقيدةِ ، ظَريفَ الخُلُقِ طَريفًا ، لا يَسْأَمُ الإنسانُ مِن مجُالَستِه ، وله النَّوادِرُ العَجيبةُ ، والخَطُّ المَليحُ ، والشـعرُ الرائقُ ، وله دِيـوانٌ كبيرٌ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنين سادسَ شوالٍ من [٩/٣٤٤و] هذه السنةِ ، وله ثلاثٌ وتسعون سنةً وشهرٌ وستةَ عشَرَ يومًا ، وصُلِّى عليه بجامعِ دِمشقَ ، ثم حُمِل إلى الصالحيةِ ، فدُفِن بها .

وكان قد وقَف كتبًا نَفيسةً - وهى سبعُمائةٍ وأحدٌ وستون مُجَلَّدًا - على مُعْتَقِه نَجيبِ الدينِ ياقوتٍ ، ثم على ولدِه مِن بعدِه ، ثم على العلماءِ فى الحديثِ والفقهِ واللغةِ وغيرِ ذلك ، وجُعِلَتْ فى خِزانةٍ كبيرةٍ بمَقْصورةِ ابنِ سِنانٍ الحَنَفيةِ المُجاوِرةِ لمَشْهدِ علىِّ زَيْنِ العابدِين ، ثم إن هذه الكتبَ تفرَّقَت ، وأُبِيعَ كثيرٌ منها ، ولم يَبْقَ بالخِزانةِ المُشارِ إليها إلّا القليلُ وهى بمقصورةِ الحَنَفيةِ[3] ، وكانت قديمًا يقالُ لها : مَقصورةُ ابنِ سِنانٍ . وقد ترَك الشيخُ تاجُ الدينِ رحِمه اللَّهُ نِعمةً وافرةً ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) مرآة الزمان ٨/ ٥٧٦، ٥٧٧ (القسم الثانى) .
(٣) فى النسخ : «الحلبية» . والمثبت موافق لما تقدم من السياق .

وأموالًا جَزيلةً، ومَماليكَ مُتَعَدِّدةً مِن التركِ، وقد كان رَقيقَ الحاشيةِ، حسَنَ الأخلاقِ، يُعامِلُ الطلَبةَ مُعاملةً حسَنةً، فلما كبِر ترَك القيامَ لهم، وأنْشَأ اعتذارًا[1] :

ترَكْتُ قيامى للصَّديقِ يَزُورُنى ... ولا ذنبَ لى إلا الإطالةُ فى عمرى
فإن بلَغوا مِن عشرِ تسعين نصفَها ... تَبَيَّنَ فى ترْكِ القِيامِ لهم عُذْرى

وقد أسلَفْنا شيئًا من قِيلِه فى قتلِ عُمارةَ اليَمَنِىِّ فى الدولةِ الصَّلاحِيةِ، فى سنةِ تسعٍ وستين وخمسِمائةٍ، وهو فى غايةِ القوةِ والفصاحةِ والجِناسِ، وقد أَوْرَدَ ابنُ الساعى فى ترجمتِه من «تاريخِه» أشعارًا حسنةً، فمن ذلك قولُه يَمْدَحُ الملكَ المُظَفَّرَ شاهِنْشاه :

وِصالُ الغَوانى كان أرْوَى وأرْوَجا ... وعصرُ التَّدانى كان أبْهَى وأبْهَجا
ليالىَ كان العمرُ أحْسنَ شافعٍ ... توَلَّى وكان اللهوُ أوْضَحَ مَنْهَجَا
بدا الشَّيْبُ فانْجابَت طَماعِيَةُ الصِّبا ... وقُبِّح لى ما كان يَسْتَحْسِنُ الحِجَا[2]
بُلَهْنِيَةٌ[3] ولَّت كأن لم أَكُنْ بها ... بها أَجْتَلِى وجهَ النَّعيمِ مُسَرَّجَا
ولا اخْتَلْتُ فى بُرْدِ الشبابِ مُجَرِّرًا ... ذُيولىَ إعجابًا به وتَبَرُّجَا
أُغازِلُ[4] غَيْداءَ المَعاطفِ طَفْلةً ... وأَغْيَدَ معسولَ المراشفِ أَدْعَجا[5]

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٨.
(٢) الطماعية : الطمع. والحجا : العقل. اللسان (ط م ع)، (ح ج و).
(٣) البلهنية : سعة العيش. لسان العرب (بلهن).
(٤) فى الأصل، م : «أعارك».
(٥) غيداء المعاطف : المرأة المتثنية من اللين. والمعاطف : الأعطاف أى الجنبان. والطفلة : الناعمة. والدعج : شدة سواد العين وبياضها مع اتساعها. انظر اللسان (غ ى د) (ع ط ف) (ط ف ل)، والوسيط (د ع ج).

تَقَضَّتْ لياليها بطِيبٍ كأنه ... لتقصيرِه منهن يَخْتَطِفُ الدُّجَى
فإنْ أُمْسِ مكروبَ الفؤادِ حزينَهُ ... أُعاقِرُ مِن دَنٍّ[1] الصَّبابةِ منهجَا
وحيدًا على أنى بفضْلى مُتَيَّمٌ ... مَرُوعًا بأعداءِ الفضائلِ مُزعَجا
فيا رُبَّ ذى وُدٍّ سَرَرْتُ وسَرَّنى ... وأَبهجْتُه بالصالحاتِ وأَبْهَجا
ويا رُبَّ نادٍ قد شَهِدتُ وماجدٍ ... شدَهْتُ[2] [3]وخَصْمٍ رُعْتُهُ[3] فتَلَجْلَجا
صَدَعْتُ بفَضْلِى نَقْصَهُ فتَرَكْتُهُ ... وفى قلبِه شَجْوٌ وفى حَلْقِه شَجَى
كأنَّ بَيانِى[4] فى مسامِعِ حُسَّدِى ... وقد ضَمَّ أبكارَ المعانى وأَذْرَجَا
حسامُ تقىِّ الدينِ فى كلِّ مارقٍ ... يَقُدُّ إلى الأرضِ الكَمِىَّ المدَجَّجَا

وقال يَمْدَحُ أخاه عزَّ الدينِ فَرُّخْشاه بنَ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ[5] :

هل أنتَ راحمُ عَبْرةٍ وتَدَلُّهِ[6] ... ومُجيرُ صَبٍّ عندَ ما منه دُهِى
هيهاتَ يَرْحَمُ قاتلٌ مقتولَه ... وسِنانُه فى القلبِ غيرُ مُنَهْنَهِ[7]
مَن بَلَّ[8] من داءِ الغرامِ فإننى ... مُذْ حَلَّ بى مرضُ الهوَى لم أَنْقَهِ
إنى بُلِيتُ بحبِّ أَغْيَدَ ساحرٍ ... بلِحاظِه رَخْصِ البَنانِ بَرَهْرَهِ[9]

---

(١) فى الأصل : « دون » ، وفى م : « در » . والدن : وعاء ضخم للخمر ونحوه . الوسيط (د ن ن) .
(٢) فى الأصل ، م : « شهدت » . وشَدَهَ : أدهش وحَيَّر . انظر اللسان (ش د هـ) .
(٣ - ٣) فى م : « دعوته » .
(٤) فى الأصل ، م : « ثنائى » .
(٥) الأبيات فى بغية الطلب ٩/ ١٨١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٥٥، ضمن قصيدة أبياتها تسعة وأربعون بيتا ، أوردها بكمالها صاحب بغية الطلب ، واقتصر المصنف على إيراد أبيات الغزل من القصيدة .
(٦) فى م : « مدله » ، وفى المصدرين السابقين : « توله » . والتدله: ذهاب العقل من الهوى . اللسان (د ل هـ) .
(٧) النَّهْنَهة : الكفّ . والمُنَهْنَهُ : المكفوف . اللسان (نهنه) .
(٨) بلَّ : برأ وصَحَّ . الوسيط (ب ل ل) .
(٩) البَرَهْرَهُ : الأبيض الناعم . القاموس المحيط (ب ر هـ) .

أَبْغِى شفاءَ تَدَلُّهى مِن دَلِّهِ ... ومتى يَرِقُّ مُدَلَّلٌ لمُدَلَّهِ
كم آهةٍ لى فى هواه وأنَّةٍ ... لو كان يَنْفَعُنى عليه تَأَوُّهِى
[٩/ ٣٤٤ظ] ومَآرِبٍ فى وَصْلِه لو أنها ... تُقْضَى لكانت عندَ مَبْسِمِه الشَّهِى
يا مُفْرَدًا بالحسنِ إنك مُنْتَهٍ ... فيه كما أنَا فى الصَّبابةِ منتهِى
قد لام فيك معاشرٌ أفأَنْتَهِى[1] ... باللومِ عن حبِّ الحياةِ وأنت هِى
أَبْكِى لديه فإن أَحَسَّ بلَوْعةٍ ... وتَشَهُّقٍ أَوْمَا بطَرْفِ مُقَهْقِهِ
أنا مِن محاسنِه وحالى عندَهُ ... حيرانُ بينَ تَفَكُّرٍ وتَفَكُّهِ
ضِدّانِ قد جُمعا بلفظٍ واحدٍ ... لى فى هواهُ بمعنَيَين موجَّهِ
أو لستُ ربَّ فضائلٍ لو حاز أدْ ... ناها وما أَزْهَى بها غيرى زُهِى

والذى أنْشَده الشيخُ تاجُ الدينِ فى قتلِ عُمارةَ اليَمَنىِّ، حينَ كان مالأ الكَفَرةَ والمُلْحِدِين على قتلِ الملكِ صلاحِ الدينِ وعَوْدِ دولةِ الفاطمِيِّين، فظهَر على أمرِه، فصُلِب مع مَن صُلِب فى سنةِ تسعٍ وستين وخمسِمائةٍ[2]:

عُمارةُ فى الإسلامِ أبْدَى خِيانةً ... وحالَف فيها بِيعةً وصَلِيبَا
وأمْسَى شَريكَ الشِّركِ فى بُغْضِ أحمدٍ ... وأصْبَح فى حُبِّ الصَّليبِ صَليبَا
وكان خبيثَ المُلْتقَى إن عَجَمْتَه[3] ... تَجِدْ منه عُودًا فى النِّفاقِ صَليبَا
سيَلْقَى غدًا ما كان يَسْعَى لأجلِه ... ويُسْقَى صديدًا فى لَظًى وصَلِيبا[4]

وله أيضًا:

---

(١) فى م: «كى أنتهى».
(٢) تقدمت الأبيات فى ١٦/ ٤٧٩.
(٣) عجمته: امتحنته واختبرته. الوسيط (ع ج م).
(٤) هذا البيت سقط من: م.

صحِبْنا الدهرَ أيامًا حِسانًا نَعومُ بهن فى اللَّذاتِ عَوْمَا
وكانت بعدَ ما ولَّت كأنِّى لدى نُقْصانِها حُلمًا ونَوْمَا
أناخ بىَ المَشِيبُ فلا براحٌ وإن أوْسَعْتُه عَتْبًا ولَوْمَا
نَزِيلٌ لا يَزالُ على التَّنائى يَسُوقُ إلى الرَّدَى يومًا فيومَا
وكنتُ أَعُدُّ لى عامًا فعامًا فصِرْتُ أَعُدُّ لى يومًا فيومَا

العِزُّ محمدُ بنُ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المَقْدسىُّ[1] ، وُلِد سنةَ ستٍّ وستين وخمسِمائةٍ ، وأسْمَعه والدُه الكثيرَ ، ورحَل بنفسِه إلى بغدادَ ، وقرَأ بها « مسندَ أحمدَ » ، وكانت له حَلْقةٌ بجامعِ دمشقَ ، وكان مِن أصحابِ المَلِكِ المُعَظَّمِ ، وكان صالحاً دَيِّنًا وَرِعًا حافظًا ، رحِمه اللَّهُ ورحِم أباه .

أبو الفتوحِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ المُبارَكِ الجَلَاجِلىُّ البغدادىُّ[2] ، سمِع الكثيرَ ، وكان يَتَرَدَّدُ فى الرَّسْليةِ بينَ الخليفةِ والملكِ الأشْرَفِ بنِ العادلِ ، وكان عاقلًا دَيِّنًا ثقةً صَدوقًا .

الشريفُ أبو جعفرٍ يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أبى زيدٍ العَلَوىُّ الحَسَنىُّ[3] ، نَقيبُ الطالبِيِّين بالبصرةِ بعدَ أبيه ، كان شيخًا أدِيبًا فاضلًا عالمًا بفُنونٍ كثيرةٍ ، لا سيما بالأنسابِ وأيامِ العربِ وأشعارِها ،

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٥٢، والذيل على الروضتين ص ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٦٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٩٠.

(٢) تقدمت ترجمته فى وفيات السنة الماضية .

(٣) فى م : « الحسينى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٥٨١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٤١، والذيل على الروضتين ص ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٧٦.

يَحْفَظُ كثيرًا منها، وكان مِن جلساءِ الخليفةِ الناصرِ، ومِن لَطيفِ شعرِه قولُه:

ليَهْنِكَ سمعٌ لا يُلائِمُه العَذْلُ ... وقلبٌ قريحٌ لا يَمَلُّ ولا يَسْلُو
كأنَّ عليَّ الحُبَّ أَمْسَى فَريضةً ... فليس لقلْبى غيرُه أبدًا شُغْلُ
وإنى لَأَهْوَى الهَجْرَ ما كان أصلُهُ ... دَلالًا ولولا الهَجْرُ ما عذُب الوَصْلُ
وأمّا إذا كان الصُّدودُ مَلالةً ... فأيْسَرُ ما همَّ الحبيبُ به القَتْلُ

أبو عليٍّ مَزْيَدُ بنُ عليِّ بنِ مَزْيَدٍ المَعْروفُ بابنِ الخَشْكَرِيِّ[1]، الشاعرُ المشهورُ، مِن أهلِ النُّعْمانيةِ، جمَع لنفسِه ديوانًا، أوْرَد له ابنُ الساعى قطعةً مِن شعرِه، فمِن ذلك قولُه:

سألْتُكِ يومَ النَّوَى نَظْرةً ... فلم تَسْمَحى خَفَرًا لا سَلَمْ
وأَعْجَبُ كيف تَقُولِين لا ... ووجْهُك قد خُطَّ[2] فيه نعَمْ
أَمَا النونُ يا هذه حاجبٌ ... أَمَا العينُ عينٌ أمَا الميمُ فَمْ

أبو الفضلِ رشوانُ بنُ منصورِ بنِ رشوانَ الكرديُّ[3]، **المعروفُ بالنقفِ**، [٣٤٥/٩و] وُلِد بإرْبِلَ، وخدَم جُنْديًّا، وكان أديبًا شاعرًا، وخدَم مع الملكِ العادلِ، ومِن شعرِه قولُه:

سَلى عنى الصَّوارمَ والرِّماحا ... وخيلًا تَسْبِقُ الهُوجَ الرِّياحَا
وأُسْدًا جيشُها سُمْرُ العَوالى[4] ... إذا ما الأُسْدُ حاوَلَت الكِفاحَا

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ١٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٩١، ١٢٧، والمشتبه ص ٥٨٣، وتبصير المنتبه ٤/ ١٢٧٢. وفى المصدرين الأخيرين: «اليشكرى». وانظر فى ذلك مقدمة تكميل إكمال الإكمال لابن الصابونى ص ٢٠.

(٢) فى الأصل: «خطر»، وفى ص: «خلط».

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) العوالى: جمع العالية، وهى النصف الذى يلى السِّنان من قناة الرمح. الوسيط (ع ل و).

فـإنـى ثـابـتٌ عـقْـلًا ولُـبًّـا إذا ما صائحٌ فى الحربِ صاحَا
وأُورِدُ مُـهْـجَـتـى لُجَجَ المَنـايـا إذا ماجَت ولم أَخفِ الجِراحَا
وكـم لـيـلٍ سَـهِـرْتُ وبِـتُّ فيهِ أُراعِى النَّجْمَ أَرْتَقِبُ الصَّباحَا
وكم فى فَدْفَدٍ فَرَسِى ونِضْوِى[1] بـقـائـلـةِ الـهَـجـيـرِ غـدا وراحَـا
لِعَينِكِ فى العجاجةِ ما أُلاقى وأَثْبُتُ فى الكَرِيهةِ لا بَراحا

محمدُ بنُ يحيى بنِ هِبَةِ اللَّهِ، أبو نصرٍ النحّاسُ الواسطىُّ[2]، كتَب إلى السِّبْطِ[3] مِن شعرِه:

وقـائـلـةٍ لمّا عَـمَـرْتُ وصـار لـى ثمانون عامًا عِشْ كذا وابْقَ واسلَمِ
ودُمْ وانْتَشِقْ رُوحَ الحياةِ فإنه لَأَطْيَبُ مِن بيتٍ بصَعْدةَ مُظلِمِ
فقلتُ لها عُذْرى لديكِ ممهَّدٌ ببيتِ زهيرٍ فاعْلَمى وتعَلَّمِى
سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ ومَن يَعِشْ ثمانين حولًا لا مَحالةَ يَسْأَمِ[4]

---

(١) الفدفد: الفلاة التى لا شىء بها. والنضو: الدابة التى هَزَلتها الأسفار وأذهبت لحمها. اللسان (ن ض و).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٧١ - وفيه: «النخاس» بالخاء المعجمة - والوافى بالوفيات ٥/ ١٩٩.

(٣) أى سبط ابن الجوزى. كما فى الذيل على الروضتين.

(٤) شرح ديوان زهير ص ٢٩.

ثم دخَلَت سنةُ أربعَ عشْرةَ وستّمائةٍ[1]

فى ثالثِ المحرمِ كمَل تَبْليطُ داخلِ الجامعِ الأُمَوىِّ ، وجاء المُعْتَمِدُ مُبارِزُ الدينِ إبراهيمُ المُتَوَلِّى بدمشقَ ، فوضَع آخِرَ بَلاطةٍ منه بيدِه وكانت عندَ بابِ الزيادةِ[2] ، فرَحًا بذلك .

وفيها زادت دِجْلةُ بغدادَ زيادةً عظيمةً ، وارْتَفع الماءُ حتى ساوَى السورَ[3] إلا مِقدارَ أُصْبُعين ، ثم طفَح الماءُ مِن فوقِه[4] ، وأيْقَن الناسُ بالهَلَكةِ ، واسْتَمَرَّ ذلك سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسُومًا ، ثم مَنَّ اللَّهُ تعالى فتَناقَص الماءُ ، وذهَبَتِ الزيادةُ ، وقد بقِيَت بغدادُ تُلولًا ، وتهَدَّمَت أكثرُ البِناياتِ[5] ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها درَّس بالنِّظاميةِ محمدُ بنُ يحيى بنِ فَضْلانَ ، [6]وحضَر عندَه القُضاةُ والأعيانُ[6] .

---

(١) الكامل ٣١٦/١٢ - ٣٣٢، ومرآة الزمان ٥٨١/٨ - ٥٨٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٠٠ - ١٠٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥ - ١٨.

(٢) فى الذيل على الروضتين، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك؛ أنه وضع البلاطة بحضرة مقصورة الحصر.

(٣) فى الأصل، م: «القبور».

(٤) لم يُذكر ذلك فى المصادر تصريحًا، ولكن ذلك لازم استمراره سبع ليالٍ وثمانية أيام.

(٥) جاءت عبارته فى مرآة الزمان: «وبقيت بغداد من الجانبين تلولا لا أثر لها». وقد علق الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام عقبها قائلًا: «هذا من خسف أبى المظفر - يعنى سبط ابن الجوزى مصنف المرآة - فهو مجازف».

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى مرآة الزمان وذيل الروضتين، وهما المصدران اللذان ذكرا ذلك.

وفيها سار الصَّدْرُ بنُ حَمُّوَيْهِ فى الرَّسْلِيَّةِ إلى بغدادَ مِن العادلِ إلى الخليفةِ . وفيها قدِم ولدُه الفَخْرُ من الكاملِ إلى أخيه المُعَظَّمِ يَخْطُبُ منه ابنتَه على ابنِه أَقْسِيسَ صاحبِ اليمنِ ، فعُقِد العَقْدُ بدمشقَ على صَداقٍ هائلٍ .

وفيها قدِم السلطانُ علاءُ الدينِ خُوارَزْم شاه محمدُ بنُ تِكِش إلى هَمَذَانَ[1] قاصدًا إلى بغدادَ فى أربعِمائةِ ألفٍ ، وقيل : فى ستِّمائةِ ألفٍ . فاسْتَعَدَّ له الخَليفةُ ، واسْتَخْدَم الجُيوشَ الكثيرةَ ، وأرْسَل إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه أن يَكونَ بينَ يدَيْه على قاعدةِ مَن تَقَدَّمَه مِن المُلوكِ السَّلاجِقةِ ، وأن يُخْطَبَ له ببغدادَ على منابرِها ، فلم يُجِبْه الخليفةُ إلى ذلك ، وأرْسَل إليه الشيخَ شِهابَ الدينِ السُّهْرَوَرْدِىَّ ، فلما وصَل إليه شاهَد عندَه مِن العَظَمةِ وكَثْرةِ المُلوكِ بينَ يديه ، وهو جالسٌ فى خَركاه مِن ذهبٍ على سَريرٍ ساذَجٍ[2] وعليه قَبَاءٌ بُخارِىٌّ ما يُساوِى خمسةَ دراهمَ ، وعلى رأسِه جِلْدةٌ ما تُساوِى درهمًا[3] ، فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه مِن الكِبْرِ ، ولم يَأْذَنْ له فى الجلوسِ ، فقام إلى جانبِ السَّريرِ ، وأخَذ فى خُطْبةٍ هائلةٍ ، فذكَر فيها فضلَ بنى العباسِ وشرَفَهم ، وأوْرَد حديثًا فى النَّهْيِ عن أذاهم ، والتُّرْجُمانُ يُعِيدُ على الملكِ ، فقال الملكُ : أمَّا ما ذكَرْتَ [٩/٣٤٥ظ] مِن فضلِ الخليفةِ فإنه ليس كذلك ، ولكنى إذا قدِمْتُ بغدادَ أقَمْتُ مَن يَكونُ بهذه الصفاتِ ، وما ذكَرْتَ مِن النَّهْيِ عن أذاهم ، فإنى لم أُوذِ منهم أحدًا ، ولكنَّ الخليفةَ فى سُجونِه منهم طائفةٌ كثيرةٌ

---

(١) فى النسخ : « همدان » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) فى الأصل : « سادح » ، وفى م ، ص : « ساج » . والمثبت من مرآة الزمان والذيل وتاريخ الإسلام . ولم تُذكر فى الكامل لاختصاره القصة . والساذج : الخالص غير المشوب وغير المنقوش . معرب ، فارسيته : ساده . انظر الوسيط (س ذ ج) .

(٣) فى المرآة والذيل وتاريخ الإسلام ؛ أن القباء يساوى خمسة دراهم والجلدة تساوى درهما . ولم يذكر فى الكامل ذلك .

يَتَناسَلون فى السُّجونِ ، فهو الذى آذَى بنى العباسِ . ثم ترَكه ، ولم يَرُدَّ عليه جوابًا بعدَ ذلك ، وانْصَرَف السُّهْرَوَرْدىُّ راجعًا ، وأرْسَل اللَّهُ تعالى على الملكِ وجُنْدِه ثَلْجًا عظيمًا ثلاثةَ أيامٍ حتى طمَّ الخَرَاكى والخِيامَ ، ووصَل إلى رءوسِ الأعلامِ ، وتقَطَّعَت أيدى رجالٍ وأرجلُهم ، وعمَّهم مِن البلاءِ العظيمِ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، فردَّهم اللَّهُ خائبين ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

وفيها انْقَضَت الهُدْنةُ التى كانت بينَ العادلِ والفِرِنْجِ ، واتَّفَق قدومُ العادلِ مِن الديارِ المصريةِ ، فاجْتَمع هو وولدُه المُعَظَّمُ ببَيْسانَ ، فرَكبَت الفِرِنْجُ مِن عَكَّا ومَقَدَّمُهم وصُحْبتُهم مُلوكُ السَّواحلِ كلُّهم ، وساقوا كلُّهم قاصِدِين مُغافَصةَ[1] العادلِ ، فلما أحَسَّ بهم فر منهم لكثرةِ جُيوشِهم وقلةِ مَن كان معه ، فقال له ابنُه المُعَظَّمُ : إلى أين يا أبتِ ؟ فشتَمه أبوه بالعَجَميةِ ، وقال له : أقْطَعْتَ الشامَ مَماليكَك ، وترَكْتَ [2]مَن يَنْفَعُنى مِن[2] أبناءِ الناسِ . فتوَجَّه العادلُ إلى دمشقَ ، وكتَب إلى واليها المُعْتَمِدِ ليُحَصِّنَها مِن الفِرِنْجِ ، ويَنْقُلَ إليها مِن الغَلَّاتِ مِن داريَّا[3] إلى القلعةِ ، ويُرْسِلَ الماءَ على أراضى داريَّا ، وقصرِ حَجَّاجِ[4] والشَّاغورِ ، ففزِع الناسُ مِن ذلك ، وابْتَهَلوا إلى اللَّهِ بالدُّعاءِ ، وكثُر ضجيجُهم بالجامعِ ، وأقْبَل السُّلطانُ ، فنزَل بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وأرْسَل إلى مُلوكِ الشرقِ ليَقْدَموا لقِتالِ الفِرِنْجِ ، فكان أولَ مَن قدِم صاحبُ حِمْصَ أسَدُ الدينِ شِيرْكُوه ، فتلَقَّاه الناسُ ، فدخَل مِن بابِ الفَرَجِ ، وجاء فسلَّم على ستِّ الشامِ بدارِها عندَ المارَسْتانِ ، ثم عاد إلى دارِه ، ولما قدِم

---

(١) غافصه : أخذه على غرة فركبه بمساءة . اللسان (غ ف ص) .

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة . معجم البلدان ٢/٥٣٦ .

(٤) قصر حجاج : محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان ٤/١١٠ .

أَسَدُ الدينِ سُرِّى عن الناسِ وأمِنوا فلما أَصْبَح توَجَّه إلى السلطانِ بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وأما الفِرِنْجُ فإنهم وردوا إلى بَيْسانَ ، فنهَبوا ما كان بها مِن الغَلَّاتِ والدَّوابِّ ، وقتَلوا وأسروا شيئًا كثيرًا ، وكذلك عاثوا فى الأرضِ فَسادًا يَقْتُلون ويَنْهَبون ويَسْبُونَ ما بينَ بَيْسانَ إلى بانِياسَ ، وخرَجوا إلى أراضى الجَوْلانِ إلى نَوى[1] وخِسْفِينَ[2] وغيرِ ذلك من الأراضى ، وسار الملكُ المُعَظَّمُ ، فنزَل على عقبةِ اللبنِ بينَ القدسِ ونابُلُسَ خوفًا على القدسِ الشريفِ ، ثم حاصَر الفِرِنْجُ حصنَ الطُّورِ حِصارًا هائلًا ، ومانَع عنه الذين به مِن الأبطالِ مُمانَعةً هائلةً ، ثم كرَّ الفِرِنْجُ راجِعِين إلى عَكَّا[3] ، وجاء الملكُ المُعَظَّمُ إلى الطُّورِ ، فخلَع على الأمراء الذين به ، وطيَّب نُفوسَهم ، ثم اتَّفَق هو وأبوه على هدمِه كما سيأْتى .

وممن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ العِمادُ أخو الحافظِ عبدِ الغنىِّ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الواحدِ ابنِ علىِّ بنِ سُرورٍ ، الشيخُ عمادُ الدينِ المَقْدِسِىُّ[4] ، كان أَصْغَرَ مِن أخيه الحافظِ عبدِ الغنىِّ بسنتين ، وقدِم معهم إلى دمشقَ سنةَ إحدى وخمسين وخمسِمائةٍ ، ورحَل إلى بغدادَ مرتين ، وسمِع الحديثَ ، وكان عابدًا زاهدًا وَرِعًا ،

---

(١) نوى : بليدة من أعمال حوران ، وقيل : هى قصبتها . بينها وبين دمشق منزلان . انظر معجم البلدان ٨١٥/٤ .

(٢) خسفين : قرية من أعمال حوران بعد نوى فى طريق مصر ، بين نوى والأردن ، وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخًا . معجم البلدان ٢/ ٤٤٣.

(٣) بعده فى م : « ومعهم الأسارى من المسلمين » .

(٤) مرآة الزمان ٥٨٦/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٠٠/٤ ، والذيل على الروضتين ص ١٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٨٢ ، والوافى بالوفيات ٤٩/٦ ، وعنده « إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور » ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٩٣.

كثيرَ الصلاةِ ، كثيرَ الصِّيامِ ؛ يَصومُ [٣٤٦/٩و] يومًا ويُفْطِرُ يومًا ، وكان فَقيهًا مُفْتِيًا ، له كتابُ « الفُرُوقِ »[(١)] ، وصنَّف أحْكامًا ولم يُتِمَّه ، وكان يَؤُمُّ بمِحْرابِ الحَنابلةِ مع الشيخِ المُوَفَّقِ ، وإنما كانوا يُصَلُّون بغيرِ مِحْرابٍ ، ثم وُضِع المِحْرابُ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وكان يَؤُمُّ بالناسِ فيه لقَضاءِ الفَوائتِ ، وهو أولُ مَن فعَل ذلك . صلَّى المغربَ ذاتَ ليلةٍ وكان صائمًا ، ثم رجَع إلى بيتِه بدمشقَ ، فأفْطَر ثم مات فجأةً ، فصلَّى عليه بالجامعِ الأمويِّ الشيخُ المُوَفَّقُ عندَ مُصَلَّاهم ، ثم صعِدوا به إلى السَّفْحِ ، وكان يومًا مشهودًا مِن كثرةِ الخلْقِ . قال سِبْطُ ابنِ الجَوزىِّ[(٢)] : كان الخلقُ مِن الكهفِ إلى مَغارةِ الدمِ إلى المَيْطورِ[(٣)] ، لو بُدِر السِّمْسِمُ ما وقَع إلا على رءوسِ الناسِ[(٤)] ، فلما رجَعْتُ تلك الليلةَ فكَّرْتُ فيه[(٥)] وقلتُ : كان هذا رجلًا صالحًا ربَّما أنه نظَر إلى ربِّه حينَ وُضِع فى لحْدِه . ومرَّ بذِهْنى أبياتُ الثَّوْرىِّ التى أنْشَدها بعدَ موتِه فى المَنامِ فقال :

نظَرْتُ إلى ربى كِفاحًا وقال لى ... هَنيئًا رِضاىَ عنك يا بنَ سعيدِ
فقد كنتَ قَوَّامًا إذا أقبلَ الدُّجَى ... بعَبْرةِ مُشْتاقٍ وقَلْبِ عَميدِ
فدونَك فاخْتَرْ أىَّ قَصْرٍ أرَدْتَه ... وزُرْنى فإنى منك غيرُ بَعيدِ

ثم قلتُ : أَرْجُو أن يَكونَ العِمادُ رأَى ربَّه كما رآه سفيانُ الثَّوْرىُّ . فنِمْتُ

---

(١) فى النسخ : « الفروع » . والمثبت من مصادر ترجمته ، عدا المرآة والتكملة والوافى فلم تتعرض لذكر ذلك .

(٢) مرآة الزمان ٥٨٨/٨ ، ٥٨٩ (القسم الثانى) .

(٣) الميطور : من قرى دمشق . معجم البلدان ٧١٦/٤ .

(٤) الذى فى مرآة الزمان أنه « لو رمى عليهم الإنسان الإبرة لما ضاعت » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٠٥ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٤/٢ .

(٥) بعده فى م : « وفى جنازته وكثرة من شهدها » .

فرأَيْتُ الشيخَ العِمادَ فى النومِ وعليه حُلَّةٌ خَضْراءُ، وعِمامةٌ خَضْراءُ، وهو فى مكانٍ مُتَّسِعٍ كأنه رَوْضةٌ، وهو يَرْقَى فى دَرَجٍ مُتَّسِعةٍ[1]، فقلتُ: يا عِمادَ الدينِ، كيف بِتَّ فإنى واللَّهِ مُفَكِّرٌ فيك؟ فنظَر إلىَّ وتبَسَّم على عادَتِه[2]، ثم قال:

رأيْتُ إلهى حينَ أُنْزِلْتُ حُفْرتى ... وفارَقْتُ أصحابى وأهلى وجِيرَتى
وقال جُزِيتَ الخيرَ عنى فإننى ... رَضِيتُ فها عَفْوى لديك ورَحْمتى
دأَبْتَ زمانًا تَأمُلُ الفوزَ[3] والرِّضا ... فوُقِّيتَ نِيرانى ولُقِّيتَ جَنَّتى

قال: فانتَبَهْتُ وأنا مَذْعورٌ، وكتَبْتُ الأبياتَ.

القاضى جمالُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانىِّ: عبدُ الصَّمَدِ بنُ محمدِ بنِ أبى الفَضْلِ، أبو القاسمِ الأنصارىُّ بنُ الحَرَسْتانىِّ[4]، قاضى القُضاةِ بدمشقَ، وُلِد سنةَ عشرين وخمسِمائةٍ، وكان أبوه مِن أهلِ حَرَسْتا[5]، فنزَل داخلَ بابِ تُومَا، وأمَّ بمسجدِ الزَّيْنَبىِّ، ونشَأ ولدُه هذا نَشْأةً حسَنةً، سمِع الحديثَ الكثيرَ، وشارَك الحافظَ ابنَ عَساكرَ فى كثيرٍ مِن شُيوخِه، وكان يَجْلِسُ لإسْماعِ الحديثِ بمَقْصورةِ الخَضِرِ، وعندَها كان يُصَلِّى دائمًا، لا تَفوتُه الجَماعةُ بالجامعِ، وكان

---

(١) فى المرآة: «مرتفعة». وانظر الذيل على الروضتين ص ١٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٠٥، وعندهما كما فى المرآة. وفى تاريخ الإسلام ص ١٨٢: «عرفات».

(٢) بعده فى م: «التى كنت أعرفه فيها فى الدنيا».

(٣) فى م: «العفو».

(٤) مرآة الزمان ٥٨٩/٨ (القسم الثانى) وعنده «أبو القاسم الحرستانى». والمعروف «ابن الحرستانى» كما أثبته الحافظ ابن كثير وكما فى المصادر الآتية: التكملة لوفيات النقلة ٣٠٣/٤، والذيل على الروضتين ص ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٠٣، والوافى بالوفيات ٤٥١/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ١٩٦/٨.

(٥) حرستا: قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. معجم البلدان ٢٤١/٢.

منزلُه بالحُوَيْرَةِ[1] ، ودرَّس بالمُجاهِدية ، وعُمِّر دهْرًا طويلًا على هذا القَدَمِ الصالحِ ، وناب فى الحكمِ عن ابنِ أبى عَصْرونَ ، ثم ترَك ذلك ولزِم بيتَه وصلاتَه بالجامعِ ، ثم عَزَل العادلُ القاضىَ ابنَ الزَّكِىِّ [2]الطاهرَ بنَ محيى الدينِ محمدِ بنِ علىٍّ القرشىَّ ، وألْزَم القاضِىَ جمالَ الدينِ بنَ الحَرَسْتانىِّ هذا بولايةِ القضاءِ[2] ، وله ثنتان وتسعون سنةً ، وأعْطاه تَدْريسَ العَزيزيةِ . وأخَذ التَّقَوِيَّةَ أيضًا مِن ابنِ الزَّكِىِّ ، وولَّاها فَخرَ الدينِ بنَ عَساكرَ . قال ابنُ عبدِ السَّلامِ : وما رأيْتُ أحدًا أفقهَ مِن ابنِ الحَرَسْتانىِّ ، كان يَحْفَظُ « الوسيطَ » للغَزَّالىِّ . وذكَر غيرُ واحدٍ أنه كان مِن أعْدَلِ القُضاةِ وأقْومِهم بالحقِّ ، لا تَأْخُذُه فى اللَّهِ لَوْمةُ لائمٍ ، وكان ابنُه عِمادُ الدينِ يَخْطُبُ بجامعِ دمشقَ ، وولِى مَشْيَخةَ الأشْرَفيةِ يَنوبُ عنه ، وكان القاضى جمالُ الدينِ يَجْلِسُ للحكمِ بمدرستِه المُجاهِديةِ ، [٣٤٦/٩ظ] وكان السلطانُ قد أرسل إليه طَرَّاحَةً ومَسْنَدًا لأجلِ أنه شيخٌ كبيرٌ ، وكان ابنُه يَجْلِسُ بينَ يديه ، فإذا نهض أبوه جلَس هو مكانَه ، ثم إنه عزَل ابنَه عن نِيابتِه لشىءٍ بلَغه عنه ، واسْتَناب شمسَ الدينِ بنَ الشِّيرازىِّ ، وكان يَجْلِسُ تُجاهَه فى شرقىِّ الإيوانِ ، واسْتَناب أيضًا معه شمسَ الدينِ بنَ سَنىٍّ[3] الدولةِ ، [4]وبُنِيَت له دكةٌ فى الزاويةِ القبليةِ بغَرْبِ المدرسةِ[4] ، واسْتَناب شرفَ الدينِ بنَ المَوْصِلىِّ الحَنَفىَّ ، فكان يَجْلِسُ فى مِحْرابِ

---

(١) فى م : « بالحورية » ، وفى الوافى : « الجويرة » . والمثبت موافق لما فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وسير أعلام النبلاء ، ولم تذكر هذه التفاصيل سائر المصادر . والحويرة : تصغير الحارة ؛ حارة بدمشق . انظر تاج العروس (ح ى ر) .

(٢ - ٢) فى م : « وألزم هذا بالقضاء » .

(٣) فى م : « سنا » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٧/٢٣ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وفى الأصل : « ويثبت له ذكر فى الرواية الغربية القبلية من المدرسة » ، وفى ص : « وبنيت له دكة فى الراوية » ثم بياض قدر كلمتين ثم « مدرسته » . والمثبت من الذيل على الروضتين والوافى بالوفيات . ولم تذكر هذه التفاصيل فى سائر المصادر .

المَدْرسةِ ، واسْتَمَرَّ حاكمًا سنتين وسبعةَ[1] أشهرٍ ، ثم كانت وفاتُه يومَ السبتِ رابعَ ذى الحِجَّةِ من هذه السنةِ وله خمسٌ وتسعون سنةً ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ ، ثم دُفِن بسَفْحِ قاسِيونَ .

الأميرُ بدرُ الدينِ محمدُ بنُ أبى القاسمِ بنِ محمدٍ الهَكَّارىُّ[2] ، بانى المدرسةِ التى بالقدسِ ، وكان مِن خِيارِ الأُمراءِ ، يَتَمَنَّى الشَّهادةَ دائمًا ، فقتَلتْه الفِرِنْجُ بحصنِ الطُّورِ هذه السنةَ ، ونُقِل إلى القدسِ الشريفِ فدُفِن بتربتِه بماملا ، وتربتُه تُزارُ إلى الآن ، رحِمه اللَّهُ .

الشُّجاعُ محمودٌ[3] **المعروفُ بالدِّماغِ**[4] ، كان مِن أصدقاءِ العادلِ يُضْحِكُه ، فحصَّل أموالًا جَزيلةً ، كانت دارُه داخلَ بابِ الفَرَجِ[5] ، فجعَلَتْها زوجتُه عائشةُ مَدْرَسةً للشافعيةِ والحنفيةِ ، ووقَفَت عليها أوْقافًا دارَّةً . رحِمها اللَّهُ .

الشيخةُ الصالحةُ العابدةُ الزاهدةُ ، شيخةُ العالماتِ بدمشقَ ، وتُلقَّبُ بدُهنِ اللَّوْزِ[6] .

---

(١) فى م : « أربعة » .

(٢) مرآة الزمان ٥٩٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢٠ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٥٠ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٢١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢١ ، والسلوك ١٨٨/١ (القسم الأول) ، وشذرات الذهب ٥/ ٦١ .

(٤) فى الأصل ، م : « بابن الدماغ » . وفى ص : « بابن الدباغ » وكذا جاء اسمه فى السلوك : « ابن الدباغ » والمثبت من سائر المصادر .

(٥) فى م : « الفرنج » .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩٥ .

وفيها توفِّيت بنتُ بوريحانَ[1] ، وهى آخرُ بناتِه وفاةً ، وجعَلَت أموالَها وَقْفًا على تُرْبةِ أختِها بنتِ صفيةَ[2] المشهورةِ[3] .

---

(١) فى الأصل ، م : « نورنجان » ، وفى ص : « بورنجان » . والمثبت من مصدر ترجمتها ؛ الذيل على الروضتين ص ١٠٨.

(٢) فى الأصل : « العصيبة » ، وفى م : « العصبة » ، وفى ص : « العصبية » . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٣) هنا ينتهى الجزء الثالث من النسخة المصرية المشار لها بـ « ص » .

ثم دخَلَت سنةُ خمسَ عشْرةَ وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والعادلُ نازلٌ بمَرْجِ الصُّفَّرِ لمُناجَزةِ الفِرِنْجِ، وأمَر ولدَه المُعَظَّمَ بتَخْريبِ حصنِ الطُّورِ، فخَرَّبه ونقَل ما فيه مِن آلاتِ الحربِ إلى البُلْدانِ خوفًا مِن الفِرِنْجِ.

وفى ربيعِ الأولِ نزَلَت الفِرِنْجُ على دِمْياطَ، وأخَذوا بُرْجَ السِّلْسِلةِ فى جُمادَى الأولى، وكان حصنًا مَنيعًا، وهو قُفْلُ بلادِ مصرَ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفيها الْتَقَى المُعَظَّمُ والفِرِنْجُ على القَيْمُونِ[2]، فكسَرهم وقتَل منهم خلقًا، وأسَر مِن الدَّاوِيَّةِ[3] مائةً، فأدْخَلَهم إلى القدسِ مُنَكَّسَةً أعْلامُهم.

وفيها جرَت خُطوبٌ كثيرةٌ ببلدِ المَوْصلِ بسببِ موتِ مُلوكِها أولادِ قَرَا أَرْسَلان واحدًا بعدَ واحدٍ، وتغَلَّب غلامُ أبيهم بدرُ الدينِ لُؤْلُؤٌ على الأمورِ، [4]ويُذكَرُ أنَّه هو الذى كان يقتُلُهم فى الباطنِ ليَستحوذَ هو على الأمورِ[4]، فاللَّهُ أعلمُ.

وفيها أقْبَل ملكُ الرومِ [5]كَيْكاوسُ بنُ كَيْخُسْرو[5] يريدُ أخْذَ مَمْلكةِ حلَبَ،

---

(١) الكامل ١٢/٣٣٣ - ٣٥٣، ومرآة الزمان ٨/٥٩٢ - ٥٩٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٠٨ - ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩ - ٢٤.

(٢) القيمون: حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين. معجم البلدان ٤/٢١٨.

(٣) انظر: نهاية الأرب ٢٩/٨٣. الحاشية.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) فى م: «كيكاريس سنجر».

وساعَده على ذلك الأفضلُ بنُ صلاحِ الدينِ صاحبُ سُمَيْساطَ ، فصدَّه عن ذلك الملكُ الأشرفُ موسى بنُ العادلِ ، وقهَر ملكَ الرومِ ، وكسَر جيشَه ، وردَّه خائبًا .

وفيها تَمَلَّك الأشْرفُ مدينةَ سِنْجارَ مُضافًا إلى ما بيدِه مِن المَمالكِ هنالك .

وفيها تُوُفِّى السلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرِ بنُ أيوبَ[1] ، فأخَذَت الفِرِنْجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، ثغرَ دِمْياطَ ، [2]ثم رَكِبوا[2] ، وقصَدوا بلادَ مصرَ مِن ثَغْرِ دِمْياطَ ، فحاصَروه مدةَ أربعةِ أشهرٍ ، والكاملُ محمدٌ مقابلُهم يُقاتِلُهم ويُمانِعُهم ويَصُدُّهم عما يُريدونه ، فتمَلَّكوا على المسلمين بُرْجَ السِّلْسِلةِ ، وهو كالقُفْلِ على ديارِ مصرَ ، وصِفَتُه فى وسطِ جَزيرةٍ فى النيلِ عندَ انتهائِه إلى البحرِ ، ومن هذا البرجِ إلى دِمْياطَ - وهو على شاطئِ البحرِ وحافةِ النيلِ - سلسلةٌ ، ومنه إلى الجانبِ - الآخَرِ وعليه الجسرُ - سلسلةٌ أخرى ؛ ليمْنَعَ دخولَ المَراكِبِ مِن البحرِ إلى النيلِ ، فلا يُمْكِنُ الدُّخولُ ، فلما ملكَت الفِرِنْجُ هذا البُرْجَ شقَّ ذلك على المسلمين بديارِ مصرَ وغيرِها ، وحينَ وصَل الخبرُ إلى الملكِ العادلِ وهو بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، تأَوَّه لذلك تأَوُّهًا شديدًا ، ودقَّ بيدِه على صدرِه أسَفًا وحُزْنًا ، ومرِض مِن ساعتِه مرضَ الموتِ لأمرٍ يُرِيدُه اللَّهُ عز وجل ، فلما كان يومُ الجمعةِ سابعُ جُمادَى الآخِرةِ تُوُفِّى رَحِمه اللَّهُ بقريةِ عالِقين[3] ، فجاء ولدُه المُعَظَّمُ إليه مُسْرِعًا ، فجمَع حَواصلَه ، وأرْسَله فى

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٥٠، ومرآة الزمان ٨/٥٩٤ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٢٦، والذيل على الروضتين ص ١١١، ووفيات الأعيان ٥/ ٧٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ٨٢، وسير أعلام ٢٢/ ١١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٨.

(٢ - ٢) فى الأصل: «قد تقدم أنه لما أراد الفرنج مغافصته وهو جاءٍ من الديار المصرية عند بيسان فر منهم ونزل بمرج الصفر وأرسل إلى العساكر من الجزيرة وغيرهم لتقدم [٩/٣٤٧و] عليه حتى يناجز بهم الفرنج وذلك عند انقضاء هذه الهدنة فركبت الفرنج من السواحل من عكا وانضاف إليهم من شاء اللَّه من عساكرهم البحرية».

(٣) عالقين: قرية بظاهر دمشق. وفيات الأعيان ٥/ ٧٨.

مِحَفَّةٍ[1] ، ومعه خادمٌ بصفةِ أن السلطانَ مَريضٌ ، وكلما جاء أحدٌ مِن الأمراءِ ليُسَلِّمَ على السلطانِ بلَّغهم عنه الطَّواشِى ، يعنى لضعفِ السلطانِ عن الردِّ عليهم ، فلما انْتُهِى به إلى القلْعةِ المنصورةِ دُفِن بها مدةً ، ثم حُوِّل إلى تربتِه بمدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ ، وقد كان الملكُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ أيوبَ بنِ شاذِى مِن خِيارِ الملوكِ وأَجْودِهم سِيرةً وأحسنِهم سريرةً ، دَيِّنًا عاقلًا صَبورًا وَقورًا ، أبْطَل المُحَرَّماتِ والخمورَ والمَعازفَ مِن ممالِكِه كلِّها ، وقد كانت مُمْتَدَّةً مِن أقْصى بلادِ مصرَ واليمنِ والشامِ والجَزيرةِ إلى هَمَذانَ كلِّها ، أخَذها بعدَ أخيه صلاحِ الدينِ ، رحِمهما اللَّهُ وسوى حلَبَ ، فإنه أقَرَّها بيدِ ابنِ أخيه الظاهرِ غازى ؛ لأنه زوجُ ابنتِه صَفِيةَ الستِّ خاتون . وكان رحمه اللَّهُ حَليمًا صَفوحًا ، صَبورًا على الأَذَى ، كثيرَ الجِهادِ بنفسِه ، وحضَر مع أخيه مواقفَه كلَّها أو أكثرَها ، وله فى تلك الأيامِ اليدُ البيضاءُ ، وكان رحِمه اللَّهُ ماسِكَ اليدِ ، لكنه أنْفَق فى عامِ الغَلاءِ بمصرَ أموالًا عظيمةً جدًّا ، وتصَدَّق على أهلِ الحاجةِ مِن أبناءِ الناسِ وغيرِهم شيئًا كثيرًا ، ثم فى العامِ بعدَه فى الفَناءِ كفَّن ثلاثَمائةِ[2] ألفِ إنسانٍ مِن الغُرَباءِ ، وكان كثيرَ الصَّدقةِ فى أيامِ مرضِه ، حتى كان يَخْلَعُ جَميعَ ما عليه ويَتَصَدَّقُ به وبمَرْكوبِه[3] ، وكان كثيرَ الأكلِ ، مُمَتَّعًا بصحتِه وعافيتِه مع كثرةِ صيامِه ، يَأْكُلُ فى اليومِ الواحدِ أَكَلاتٍ جيدةً ، ثم بعدَ هذا يَأْكُلُ وقتَ النومِ رَطْلًا بالدمشقىِّ مِن الحَلْوَى السُّكَّريةِ اليابسةِ ، وكان يَعْتَرِيه مرضٌ فى أنفِه فى زمانِ الوَرْدِ ، وكان لا يَقْدِرُ على الإقامةِ بدمشقَ حتى يَفْرُغَ زمنُ الوردِ ، فكان يُضْرَبُ له الوطاقُ[4] بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، ثم

---

(١) المحفة : الهودج لا قبة له . الوسيط (ح ف ف) .

(٢) فى م : « مائة » .

(٣) بعده فى الأصل : « وما تحته » .

(٤) الوطاق : الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء . محيط المحيط (و ط ق) .

يَدْخُلُ البلدَ بعدَ ذلك . وتُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، عن خمسٍ وسبعين سنةً .

[٣٤٧/٩ظ] وكان له مِن الأولادِ جَماعةٌ ؛ محمدٌ الكاملُ صاحبُ مصرَ ، وعيسى المُعَظَّمُ صاحبُ دمشقَ ، وموسى الأشْرَفُ صاحبُ الجَزيرةِ وخِلاطَ وحَرَّانَ وغيرِ ذلك ، والأوْحَدُ أيوبُ ومات قبلَه ، والفائزُ إبراهيمُ ، والمُظَفَّرُ غازى صاحبُ الرُّهَا ، والعَزيزُ عثمانُ ، والأمْجَدُ حسنٌ ، وهما شقيقا المُعَظَّمِ ، والمغيثُ محمودٌ ، والحافظُ أرْسَلان صاحبُ جَعْبَرٍ[1] ، والصالحُ إسماعيلُ ، والقاهرُ إسحاقُ ، ومُجِيرُ الدينِ يَعقوبُ ، وقُطْبُ الدينِ أحمدُ ، وخَليلٌ ، وكان أصغرَهم ، وتَقىُّ الدينِ عباسٌ ، وكان آخِرَهم وفاةً ، بقِى إلى سنةِ ستين وستِّمائةٍ ، وكان له بناتٌ أشهرُهن السِّتُّ صَفِيةُ خاتون زوجةُ الظاهرِ غازى صاحبِ حلَبَ وأمُّ الملكِ العزيزِ والدِ الناصرِ يوسُفَ الذى مَلك دمشقَ ، وإليه تُنْسَبُ الناصِرِيَّتان بدمشقَ والجبلِ ، وهو الذى قتَله هُولاوُو كما سيأْتى .

صفةُ أخْذِ الفِرِنْجِ دِمْياطَ[2] لما انتَهَى الخبرُ بموتِ العادلِ إلى ابنِه محمدٍ الكاملِ ، وهو بثَغْرِ دمياطَ مرابطٌ الفِرِنْجَ ، أضْعَف ذلك أعْضادَ المسلمين وفشِلوا ، ثم بلَغ الكاملَ خبرٌ آخَرُ أن الأميرَ أحمدَ بنَ علىٍّ بنِ المَشْطوبِ ، وكان أكبرَ أميرٍ بمصرَ ، قد أراد أن يُبايعَ للفائزِ عِوَضًا عن الكاملِ ، فساق وحدَه جَريدةً من دمياطَ قاصدًا إلى مصرَ لاسْتِدْراكِ هذا الخَطْبِ الجَسيمِ ، ولما فقَده الجيشُ مِن بينِهم انْحَلَّ نِظامُهم ، واعْتَقَدوا أنه قد حدَث أمرٌ أكبرُ مما بلَغهم ، فركِبوا وراءَه ، فدخَلَت الفِرِنْجُ حينئذٍ بأمانٍ إلى الديارِ المصريةِ ، واسْتَحْوَذوا على مُعَسْكرِ الكاملِ وأثقالِه وحواصلِ الجيشِ ، فوقَع أمرٌ عظيمٌ جدًّا ، وذلك بتقديرِ العزيزِ العليمِ ، ودخَل

---

(١) جعبر : قلعة على الفرات . معجم البلدان ٢/ ٨٤.

(٢) الكامل ٣٢٣/١٢ - ٣٢٦.

الكاملُ مصرَ ، فلم يَقَعْ مما ظنَّه شيءٌ ، وهرَب منه ابنُ المَشْطوبِ إلى الشامِ ، ثم ركِب فى الجيشِ إلى الفِرِنْجِ ، فإذا الأمرُ قد تزايدَ وقد تمكَّنوا هنالك مِن البُلْدانِ ، وقتَلوا خَلْقًا ، وغنِموا شيئًا كثيرًا ، وعاثَت هناك أعرابٌ على أموالِ الناسِ ببلادِ دمياطَ ، فكانوا أضَرَّ على المسلمين مِن الفِرِنْجِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، فنزَل الكاملُ تُجاهَهم يُمانِعُهم عن دخولِهم إلى القاهرةِ ومصرِهم بعدَ أن كان يمانِعُهم عن دخولِ الثَّغْرِ ؛ وكتَب إلى إخوتِه يَسْتَحِثُّهم ويَسْتَنْجِدُ بهم ، ويقولُ : الوَحَاءَ الوَحَاءَ[1] ، العَجَلَ العَجَلَ ، أدْرِكوا المسلمين قبلَ أن تَمْلِكَ الفِرِنْجُ جميعَ الديارِ المصريةِ . فأقْبَلَت العَساكرُ الإسلاميةُ عندَ ذلك إليه مِن كلِّ مكانٍ ، وكان أولَ مَن قدِم عليه أخوه الأشْرَفُ موسى صاحبُ الجزيرةِ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه ، ثم المُعَظَّمُ ، وكان مِن أمرِهم مع الفِرِنْجِ ما سنَذْكُرُ بعدَ هذه السنةِ .

وفيها ولِى حِسْبةَ بغدادَ الصاحبُ مُحْيى الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ ابنِ الجوزىِّ ، وهو مع ذلك يَعْمَلُ مِيعادَ الوَعْظِ على قاعدةِ أبيه ، وشُكِرَتْ مُباشَرتُه للحِسْبةِ .

وفيها فُوِّض إلى المُعَظَّمِ النظرُ فى التُّرْبةِ البَدْريةِ تُجاهَ الشُّبْلِيَّةِ عندَ الجِسْرِ الذى على ثَوْرا[2] ، ويقالُ له : جِسْرُ كُحَيْلٍ . وهى مَنْسوبةٌ إلى [3]بدرِ الدينِ[3] حسنِ بنِ الدايةِ ، كان هو وإخوتُه مِن أكابرِ أمراءِ نُورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكِى .

قلتُ[4] : وقد جُعِلَت فى حدودِ الأربعين [٩/٣٤٨و] وستِّمائةٍ جامعًا فيه خطبةُ يومِ الجُمُعةِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها أرْسَل السلطانُ عَلاءُ الدينِ محمدُ بنُ تِكِش إلى الملكِ العادلِ وهو مُخَيِّمٌ

---

(١) الوحاء : العجلة والإسراع . المحيط (و ح ى) .

(٢) ثورا : اسم نهر عظيم بدمشق . معجم البلدان ١/ ٩٣٨.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) سقط من : م .

بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، فردَّ إليه مع الرسولِ خَطيبَ دمشقَ جمالَ الدين محمدَ بنَ عبدِ الملكِ الدَّوْلَعيَّ ، واسْتُنِيب عنه فى الخَطابةِ الشيخُ المُوَفَّقُ عمرُ بنُ يوسفَ خطيبُ بيتِ الآبارِ ، فأقام ببيتِ فى العَزِيزيةِ[1] يُباشِرُ عنه ، حتى قدِم موتُ العادلِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفيها تُوُفِّى الملكُ القاهرُ صاحبُ المَوْصلِ ، فأُقِيم ابنُه الصغيرُ مكانَه ، ثم قُتِل ، وتشَتَّت شَمْلُ البيتِ الأتابَكيِّ ، وتغَلَّب على الأمورِ الأميرُ بدْر الدينِ لُؤْلؤٌ غلامُ أبيهم نورِ الدينِ أرْسَلان .

وفيها كان عودُ الوزيرِ صَفِيِّ الدينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىٍّ بنِ شُكْرٍ مِن [2]آمِدَ إلى دمشقَ[2] بعدَ موتِ العادلِ ، فعمِل فيه الشيخُ عَلَمُ الدينِ السخاوىُّ مَقامةً يَمْدَحُه فيها ويبالغُ فى شكرِه ، وقد ذكَروا أنه كان مُتواضِعًا يُحِبُّ[3] الفُقهاءَ ، ويُسَلِّمُ على الناسِ إذا اجْتاز بهم وهو راكبٌ فى أُبَّهةِ وِزارتِه ، ثم إنه نُكِب فى هذه السنةِ ، وذلك أن الكاملَ هو الذى كان سببَ طَرْدِه وإبعادِه ، كتَب إلى أخيه المُعَظَّمِ فيه ، فاحْتاط على أموالِه وحَواصلِه ، وعزَل ابنَه عن النَّظَرِ بالدَّواوينِ ، وقد كان يَنوبُ عن أبيه فى مدةِ غَيْبتِه .

وفى رجبٍ من هذه السنةِ أعاد المُعَظَّمُ ضَمانَ القِيانِ والخُمورِ وغيرِ ذلك مِن الفَواحِشِ والمُنْكَراتِ التى كان أبوه قد أبْطَلها ، بحيث إنه لم يَكُنْ أحدٌ يَتَجاسَرُ أن يَنْقُلَ خمرًا إلى دمشقَ إلا بالحيلةِ الخَفِيةِ[4] ، واعتذَر المعظَّمُ فى صنعِه هذا المُنْكَرَ بقلةِ الأموالِ على الجُنْدِ ، واحْتِياجِهم إلى النَّفَقاتِ فى قتالِ الفِرنْجِ .

---

(١) العزيزية : مدرسة بناها العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين . انظر الدارس ١/ ٣٨٢، ٥٤٩.

(٢ - ٢) فى م : « بلاد الشرق » .

(٣) بعده فى م : « الفقراء و » .

(٤) بعده فى م : « فجزى اللّه العادل خيرا ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل » .

(١ وما استشعر أنَّ ١) هذا الصَّنيعَ يُدِيلُ عليهم الأعداءَ، ويُمَكِّنُ فيهم الداءَ(٢).

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن المشاهيرِ والأعيانِ:

(٣ **السلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرِ بنُ أيوبَ**، كما تقدَّم ٣).

القاضى شَرَفُ الدِّينِ أبو طالبٍ عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْنِ القُضاةِ عبدِ الرحمنِ بنِ سُلْطانِ بنِ يَحْيَى (٤ **بنِ علىٍّ القرشىُّ الدمشقىُّ** ٤)(٥)، من بنى عمِّ ابنِ الزكىِّ، وكان أولَ من درَّس بالشاميةِ البرّانيةِ وبالرَّواحيةِ أيضًا، وناب فى الحكمِ عن ابنِ عمِّه محيى الدينِ بنِ الزكىِّ. وتوفِّى فى شعبانَ من هذه السنةِ، ودفِن عند مسجدِ القدمِ.

أبو سليمانَ داودُ بنُ أبى الغنائمِ أحمدَ بنِ يحيى المُلْهَمىُّ ٤) **الضَّريرُ البَغْدادىُّ**(٦)، كان يُنْسَبُ إلى علمِ الأَوائلِ(٧)، ولكنه كان يَتَسَتَّرُ بمذهبِ الظاهريةِ؛ ولهذا قال فيه ابنُ الساعى: الداوُدِىُّ مذهبًا، المَعَرِّىُّ أدَبًا واعْتِقادًا،

(١ - ١) فى م: «وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور فإن».

(٢) بعده فى م: «ويثبط الجند عن القتال فيولون بسببه الأدبار وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويديل الدول كما فى الأثر: «وإذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى. وهذا ظاهر لا يخفى على فطن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى م: «اللخمى».

(٥) مرآة الزمان ٨/٥٩٤ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٣٣٩، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤٢، والدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٦٧.

(٦) معجم الأدباء ١١/ ٩٣، ومرآة الزمان ٨/٥٩٣ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣١٠، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٣٧، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٨٤، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٥٨.

(٧) ليس هو ذلك العلم الذى يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، والذى هو من فروع التواريخ والمحاضرات ولكن غالب الظن أنه علم الأوائل الماضين من اليونانيين وغيرهم من الأمم أصحاب علوم الفلسفة والمنطق والنجوم والموسيقى والحيل والكيمياء وغير ذلك. انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٥٦.

ومِن شعرِه قولُه :

إلى الرحمنِ أَشْكُو ما أُلاقى غَداةَ غَدَوا على هُوجِ النِّياقِ
سأَلْتُكُمُ بمَن زمَّ المَطايا[1] أَمَرَّ بكم أَمَرُّ مِن الفِراقِ
وهل داءٌ[2] أشَدُّ مِن التَّنائى وهل عيشٌ أَلَذُّ مِن التَّلاقى

قاضى قُضاةِ بَغدادَ عِمادُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ الدَّامَغانىِّ الحنفىُّ[3] ، سمِع الحديثَ ، وتفَقَّه على مذهبِ أبى حَنيفةَ ، وولِى القَضاءَ ببغدادَ مرتين نحوًا من سَبْعَ عَشْرةَ سنةً ، وكان مَشكورَ السيرةِ ، عارفًا بالحِسابِ والفَرائضِ وقِسْمةِ التَّرِكاتِ .

[٣٤٨/٩ظ] **أبو اليُمْنِ نجاحُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَبَشىُّ الشَّرَابىُّ**[4] **نَجْمُ الدينِ**[5] ، مولى الخَليفةِ الناصرِ ، وكان لا يُفارِقُ الخليفةَ ، وكان يُسَمَّى سَلْمانَ دارِ الخِلافةِ ، وقد وجَد عليه الخليفةُ وَجْدًا عظيمًا ، وكان يومُ جِنازتِه يومًا مشهودًا ، كان بينَ يدى النعْشِ مائةُ بقرةٍ وألفُ شاةٍ وأحْمالٌ مِن التمرِ والخبزِ والماوَرْدِ ، وقد صلَّى عليه الخليفةُ بنفسِه تحتَ التاجِ ، وتصَدَّق عنه بعشَرةِ آلافِ دينارٍ على المَشاهِدِ ،

---

(١) زم المطايا : خطم الإبل . انظر اللسان (ز م م) .

(٢) فى م : « ذل » .

(٣) ذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه) ١٥/ ٢١٤، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٤٠، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤١، والعبر ٥/ ٥٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٣٧، والجواهر المضية ٢/ ٣٠١.

(٤) فى الأصل : « السراى » ، وفى م : « السودانى » ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ مرآة الزمان ٨/ ٦٠٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١١٣، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٧.

والشرابى : نسبة إلى الشراب ، الذى يصنع الشراب ويحفظه . انظر الأنساب ٣/ ٤١١.

(٥) فى الذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام : « الدولة » .

ومثلِها على المُجاوِرين بالحرمَيْن ، وأعْتَق مَماليكَه ، وأوقف عنه خمسَمائةِ مجلدٍ .

أبو المُظَفَّرِ محمدُ بنُ عُلْوانَ بنِ مُهاجِرِ بنِ عليٍّ بنِ مُهاجِرِ المَوْصليُّ[1] ، تفقَّه بالنِّظاميةِ ، وسمِع الحديثَ ، ثم عاد إلى الموصلِ ، فساد أهلَ وقتِه ، وتقدَّم فى الفتْوَى والتَّدْريسِ بمدرسةِ بدرِ الدينِ لُؤْلُؤٌ وغيرِها ، وكان صالحًا دَيِّنًا ، رحِمه اللَّهُ .

أبو الطيِّبِ رِزْقُ اللَّهِ [2]**بنُ يحيى بنِ رزقِ اللَّهِ بنِ يحيى بنِ خَليفةَ بنِ سليمانَ**[3] **بنِ رزقِ اللَّهِ**[2] **بنِ غانمِ بنِ غَنَّامٍ الماحُوزيُّ**[4] ، المُحَدِّثُ الجَوَّالُ الرَّحَّالُ الثقةُ الحافظُ الأديبُ الشاعرُ .

أبو العباسِ أحمدُ بنُ برنقشَ[5] **بنِ عبدِ اللَّهِ العِماديُّ** ، كان مِن أمراءِ سِنْجارَ ، وكان أبوه مِن مَوالى الملكِ عِمادِ الدينِ زَنْكِى صاحبِها ، وكان أحمدُ هذا أديبًا[6] شاعرًا ، ذا مالٍ جَزيلٍ وأملاكٍ كثيرةٍ ، وقد احتاط على أموالِه قُطْبُ الدينِ محمدُ بنُ عمادِ الدينِ زَنْكِى ، وأوْدَعه سجنًا ، فنُسِى فيه ، ومات كَمَدًا ، ومِن شعرِه :

تقولُ وقد ودَّعْتُها ودموعُها ... على نحرِها[7] مِن خشيةِ البَيْنِ تَلْتَقى
مضَى أكثرُ العمرِ الذى كان نافعًا ... رُوَيْدَك فاعْمَلْ صالحًا فى الذى بَقِى

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٥٤، وذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٥٩، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٨٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: تاريخ إربل ١/ ٢١٩، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٥٢.

(٣) فى تاريخ إربل: «سلطان».

(٤) فى م: «التأخدرى».

(٥) فى م: «برتكش».

(٦) فى م: «دينا».

(٧) فى م: «خدها».

ثم دخَلَت سنةُ ستَّ عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] أمَر الشيخُ مُحْيى الدينِ بنُ الجوزىِّ مُحْتَسِبُ بغدادَ بإزالةِ المُنْكَراتِ وكسْرِ المَلاهى ، ففُعِل ذلك فى مستهَلِّ هذه السنةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ظهورُ جِنْكِزْخان وجنودِه وعبورُهم نهرَ جَيْحونَ ، وفيها عبَرَت التَّتارُ نهرَ جَيْحونَ صُحْبةَ ملكِهم جِنْكِزْخان مِن بلادِهم ، وكانوا يَسْكُنون جبالَ طمغاجَ مِن أرضِ الصينِ ، ولُغَتُهم مُخالِفةٌ للغةِ سائرِ التَّتارِ ، وهم مِن أشجعِهم وأصبرِهم على القتالِ ، وسببُ دخولِهم أن جِنْكِزْخان بعَث تُجَّارًا له ، ومعهم أموالٌ كثيرةٌ إلى بلادِ خُوارِزم شاه يَتَبَضَّعون له ثيابًا للكُسْوةِ ، فكتَب نائبُها إلى السلطانِ خُوارِزْم شاه يَذْكُرُ له ما معهم مِن كثرةِ الأموالِ ، فأرْسَل إليه بقَتْلِهم وبأخْذِ ما معهم ، ففعَل ذلك ، فغَضِب عندَ ذلك جِنْكِزْخان وأرْسَل يَتَهَدَّدُ خُوارِزْم شاه ، فأشار[2] مَن أشار على خُوارِزْم شاه بالمَسيرِ إليهم ، فسار إليهم وهم فى شُغْلٍ بقتالِ كشلى خان ، فنهَب خُوارَزْم شاه أموالَهم ، وسبَى ذَرارِيَّهم وأطفالَهم ، فأقْبَلوا إليه مَحْرُوبين ، فاقْتَتلوا معه أربعةَ أيامٍ قتالًا لم يُسْمَعْ بمثلِه ، أولئك يُقاتِلون عن حَريمِهم ، والمسلمون عن أنفسِهم ، يَعْلَمون أنهم متى وَلَّوا اسْتَأْصَلوهم ، فقُتِل مِن

---

(١) الكامل ١٢/٣٥٤ - ٣٥٧، ومرآة الزمان ٨/٦٠١ - ٦٠٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١١٥ - ١١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٥ - ٣٣.

(٢) فى م: «ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا، فلما تهدده أشار».

الفريقَيْن خلقٌ كثيرٌ، حتى إن الخيولَ كانت تَزْلَقُ فى الدماءِ، وكان جملةُ مَن قُتِل مِن المسلمين نحوًا مِن عشرين ألفًا، ومِن التَّتارِ أضْعافُ ذلك، ثم تَحاجَز الفريقان، وولَّى كلٌّ منهم إلى بلادِه، ولجأ خُوارِزْم شاه [٣٤٩/٩و] وأصحابُه إلى بُخارَى وسَمَرْقَنْدَ، فحصَّنها وبالَغ فى كثرةِ مَن ترَك فيها مِن المقاتِلةِ، ورجَع خوارَزْم شاه ليُجَهِّزَ الجيوشَ الكثيرةَ، فقصَدَت التَّتارُ بُخارَى وبها عشرون ألفَ مُقاتِلٍ، فحاصَرها جِنْكِزْخان ثلاثةَ أيامٍ، فطلَب منه أهلُها الأمانَ فأمَّنَهم، ودخَلَها فأحْسَن السِّيرةَ فيهم مَكْرًا وخَديعةً، وامْتَنَعَت عليه القَلْعةُ، فحاصَرها واسْتَعْمل[1] أهلَ البلدِ فى طَمِّ خَنْدقِها، فكانت التَّتارُ يَأْتون بالمَنابرِ والرَّبَعاتِ[2]، فيَطْرَحونها فى الخَنْدقِ يَطُمُّونه بها، ففتَحها قَسْرًا فى عشَرةِ أيامٍ، فقتَل كلَّ مَن كان بها، ثم عاد إلى البلدِ فاصْطَفَى أموالَ تُجَّارِها، وأباحَها لجندِه، فقتَلوا مِن أهلِها خلقًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عز وجل، وأسَروا الذريةَ والنساءَ، وفعَلوا بهن[3] الفَواحشَ بحَضْرةِ أهلِيهن، فمِن الناسِ مَن قاتَل دونَ حَريمِه حتى قُتِل، ومنهم مَن أُسِر فعُذِّب بأنواعِ العذابِ، وكثُر البكاءُ والضجيجُ بالبلدِ[4]، ثم ألْقَت التَّتارُ النارَ فى دُورِ بُخارَى ومدارسِها ومساجدِها، فاحْتَرَقَت حتى صارت بَلاقعَ خاويةً على عُروشِها، ثم كرُّوا راجعين عنها قاصِدِين سَمَرْقَنْدَ، فكان مِن أمرِهم فيها ما سيأتى ذكرُه فى السنةِ الآتيةِ.

وفى مُسْتَهَلِّ هذه السنةِ خُرِّب سُورُ بيتِ المقدسِ - عمَّره اللَّهُ بذكرِه -

---

(١) فى الأصل: «أشغل».

(٢) الربعات: جمع الرَّبْعَة، وهى المصحف مجزأ ثلاثين جزءا. الوسيط (ر ب ع).

(٣) فى م: «معهن».

(٤) بعده فى م: «من النساء والأطفال والرجال».

(١) أمَر بذلك السلطانُ المعظَّمُ خوفًا من استيلاءِ الفِرنجِ عليه ، بعدَ مَشورةِ مَن أشار بذلك ؛ فإن الفِرنجَ إذا تمكنوا من ذلك جعلوه (١) وسيلةً إلى أخذِ الشامِ جميعِه ، فشرَع فى تَخْريبِ السورِ فى أولِ يومٍ من المُحَرَّمِ ، فهرَب منه أهلُه خوفًا مِن الفِرنْجِ أن يَهْجُموا عليهم ليلًا أو نهارًا ، وترَكوا أموالَهم وأثقالَهم ، وتمزَّقوا فى البلادِ كلَّ مُمَزَّقٍ ، حتى قيل : إنه أُبِيع القِنْطارُ من الزيتِ بعشَرةِ دراهمَ ، ورَطلُ النُّحاسِ بنصفِ درهمٍ ، وضجَّ الناسُ وابْتَهَلوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ عندَ الصخرةِ وفى الأقْصَى (٢) . وقال بعضُهم يَهْجُو المُعَظَّمَ فى ذلك :

فى رجبٍ حُلِّل المُحَرَّمْ (٣) وأُخْرِب القدسُ فى المُحَرَّمْ

وفيها اسْتَحْوَذَت الفِرنْجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، على مدينةِ دِمْياطَ ، ودخَلُوها بالأمانِ ، فغدَروا بأهلِها ، وقتَلوا رجالَها ، وسبَوْا نساءَها وأطفالَها ، وفجَروا بالنساءِ ، وبعَثوا بمنبرِ الجامعِ والرَّبَعاتِ ورءوسِ القتلى إلى الجَزائرِ ، وجعَلوا الجامعَ كَنيسةً ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وفيها تَغَيَّظَ السلطانُ المُعَظَّمُ على القاضى زَكىِّ الدينِ بنِ مُحْيِى الدينِ بنِ الزَّكِىِّ قاضى البلدِ ؛ وسببُه أن عمتَه سِتَّ الشامِ بنتَ أيوبَ كانت قد مرِضَت فى دارِها التى جعَلَتْها بعدَها مدرسةً ، فأرْسَلت إلى القاضى لتُوصِىَ إليه ، فذهَب إليها

(١ - ١) فى الأصل : « وذلك عن أمر السلطان المعظم عيسى بن العادل بعد مشورة من أشار عليه بذلك منهم أخوه العزيز عثمان بن العادل وأستاذ داره عز الدين أيبك أن يخرباه خوفا من استيلاء الفرنج عليه فى غيبته فيتمكنون فيه ويستقرون ويجعلون ذلك » .

(٢) بعده فى م : « وهى أيضًا فعلة شنعاء من المعظم مع ما أظهر من الفواحش فى العام الماضى » .

(٣) فى م ، ومرآة الزمان ، والذيل على الروضتين : « الحميا » . والحميا : بلوغ الخمر من شاربها . اللسان (ح م ى) . والمحرم : كناية عن الخمر .

بشهودٍ معه ، فكتَب الوصيةَ كما قالت ، فقال المُعَظَّمُ : يَذْهَبُ إلى عمتى بغيرِ إذنى ، ويَسْمَعُ هو والشهودُ كلامَها ؟! واتَّفق أن القاضىَ طلَب مِن جابِى العَزيزيةِ حسابَها ، وضرَبه بينَ يديه بالمَقارِعِ ، وكان المُعَظَّمُ يُبْغِضُ هذا القاضىَ مِن أيامِ أبيه [٣٤٩/٩ظ] العادلِ ، فعندَ ذلك أرْسَل المُعَظَّمُ إلى القاضى بِبُقْجةٍ فيها قَبَاءٌ وكَلُّوتةٌ[1] ؛ القَباءُ أبيضُ والكَلُّوتةُ صفراءُ . وقيل : بل كانا حَمْراوَين مُدَرَّنَيْن[2] ، وحلَف الرسولُ عن السلطانِ لَيَلْبَسَنَّهما ويَحْكُمُ بينَ الخُصومِ فيهما ، وكان مِن [3]لُطْفِ اللَّهِ[3] أن جاءَته الرسالةُ بهذا وهو فى دِهْليزِ دارِه التى ببابِ البَريدِ ، وهو مُنْتَصِبٌ للحكمِ ، فلم يَقْدِرْ إلا أن لَبِسَهما وحكَم فيهما ، ثم دخَل دارَه ، واسْتَقْبل مرضَ موتِه ، فكانت وفاتُه فى صفرٍ مِن السنةِ التى بعدَها ، وكان الشرفُ بنُ عُنَيْنٍ الزَّرَعىُّ الشاعرُ قد أظْهَر التَّعَبُّد والنُّسُكَ ، ويقالُ : إنه اعْتَكَف بالجامعِ أيضًا . فأرْسَل إليه المُعَظَّمُ بخمرٍ ونَرْدٍ ليَشْتَغِلَ بهما ، فكتَب إليه ابنُ عُنَيْنٍ :

يا أيُّها الملكُ المُعَظَّمُ سُنَّةً ... أحْدَثْتَها تَبْقَى على الآبادِ
تَجْرِى الملوكُ على طريقِك بعدَها ... خَلْعُ القُضاةِ وتُحْفةُ الزُّهَّادِ

وقد كان نُوَّابُ ابنِ الزَّكِىِّ أربعةً ؛ شمسُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ إمامُ مشهدِ علىٍّ ، كان يَحْكُمُ به فى الشُّبَّاكِ ، وربما برَز إلى طرَفِ الرِّواقِ تُجاهَ البَلاطةِ السوداءِ ، وشمسُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ ، كان يَحْكُمُ فى الشُّبَّاكِ الذى فى

---

(١) الكلوتة بتشديد اللام : لفظة فارسية معناها الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس فى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن . انظر : النجوم الزاهرة ٣٣٠/٧ حاشية (١) . والسلوك ٤٩٣/١ حاشية (١) .
(٢) فى الأصل : « مدرين » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « الإلطاف به » .

الكَلَّاسةِ[1] تُجاهَ تُرْبةِ الملكِ صلاحِ الدينِ عندَ بابِ[2] الغزّاليّةِ، وجمالُ[3] الدينِ المصريُّ وكيلُ بيتِ المالِ، كان يَحْكُمُ فى الشُّبَّاكِ الكَمالىِّ بمشهدِ عثمانَ، وشرفُ الدينِ الموصلىُّ الحنفىُّ كان يَحْكُمُ بالمدرسةِ الطُّرْخانيَّةِ بجَيْرونَ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

سِتُّ الشامِ، واقفةُ المَدْرستَيْن البَرَّانيَّةِ والجَوَّانيَّةِ، **الخاتون الجليلةُ ستُّ الشامِ بنتُ أيوبَ بنِ شاذِى**[4]، أختُ الملوكِ وعمةُ[5] أولادِهم، كان لها مِن الملوكِ المَحارمِ خمسةٌ وثلاثون ملكًا، منهم شقيقُها المُعَظَّمُ تُورنشاه بنُ أيوبَ صاحبُ اليمنِ، وهو مَدْفونٌ عندَها فى تُرْبَتِها فى القبرِ القِبْلىِّ مِن الثلاثةِ، وفى الأوسطِ منها زوجُها وابنُ عمِّها ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ أسدِ الدينِ شِيرِكُوه بنِ شاذِى صاحبُ حِمصَ، وكانت قد تزَوَّجَته بعدَ أبى ابنِها حُسامِ الدينِ [6]محمدِ بنِ[6] عمرَ بنِ لاجِينَ، وهى وابنُها حُسامُ الدينِ [6]محمدُ بنُ[6] عمرَ فى القبرِ الثالثِ، وهو الذى يَلى مكانَ الدرسِ، ويقالُ للتُّرْبةِ والمدرسةِ: الحُساميةُ. نسبةً إلى ابنِها هذا حُسامِ الدينِ [6]محمدِ بنِ[6] عمرَ بنِ لاجِينَ[7]، وكانت ستُّ الشامِ مِن أكثرِ

---

(١) الكلاسة: مدرسة جانب الجامع الأموى جهة الشمال بناها نور الدين الشهيد. الدارس ١/ ٤٤٧.

(٢) سقط من: م. والغزالية مدرسة تنسب للشيخ نصر المقدسى والشيخ أبى حامد الغزالى. انظر الدارس ١/ ٤١٣.

(٣) فى م: «كمال». وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٧.

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٢١، ومرآة الزمان ٨/ ٦٠٦ (القسم الثانى) والذيل على الروضتين ص ١١٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٠.

(٥) سقط من: الأصل.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م. وتقدمت ترجمته فى ١٦/ ٦٣٩.

(٧) بعده فى م: «وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين».

النساءِ صَدَقةً وإحسانًا إلى الفقراءِ والمَحاويجِ ، وكانت تَعْمَلُ فى كلِّ سنةٍ فى دارِها بألوفٍ مِن الذهبِ أَشْرِبةً وأدْوِيةً وعَقاقيرَ وغيرَ ذلك ، وتُفَرِّقُه على الناسِ . وكانت وفاتُها يومَ الجمعةِ آخِرَ النهارِ السادسَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ فى دارِها التى جعَلْتَها مدرسةً ، (١)وهى عندَ المارَسْتانِ ، وهى(١) الشاميةُ الجَوَّانيةُ ، ونُقِلَت منها إلى تُرْبتِها بالشاميةِ البَرَّانيةِ ، وكانت جِنازتُها عظيمةً حافلةً ، رحِمها اللَّهُ .

أبو البَقاءِ صاحبُ « الإعرابِ » و « اللُّبابِ » : عبدُ اللَّهِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، الشيخُ أبو البَقاءِ العُكْبَرىُّ الضَّريرُ النحوىُّ الحَنْبلىُّ(٢) ، صاحبُ « إعرابِ القرآنِ العزيزِ » وكتابِ « اللُّبابِ » فى النحوِ ، وله حَواشٍ على « المَقاماتِ » و « مُفَصَّلِ الزَّمَخْشَرىِّ » و « دِيوانِ المُتَنَبِّى » وغيرُ ذلك ، وله فى الحسابِ وغيرِه ، وكان صالحًا دَيِّنًا ، مات وقد قارَب الثمانين ، رحِمه اللَّهُ ، وكان إمامًا فى اللغةِ (٣)والحسابِ والنحوِ(٣) ، فَقيهًا مُناظِرًا عارِفًا بالأصلَيْن والفقهِ ، وحكَى القاضى ابنُ خَلِّكانَ(٤) عنه أنه ذكَر فى شرحِ « المَقاماتِ » [٩/٣٥٠و] أن عَنْقاءَ مُغْرِبًا(٥) كانت تَأْتى إلى جبلٍ شاهقٍ عندَ أصحابِ الرَّسِّ ، فربما اخْتَطَفَت بعضَ أولادِهم ، فشكَوْها إلى نبيِّهم حَنظلةَ بنِ صَفْوانَ ، فدعا عليها فهلَكَت . قال : وكان وجْهُها كوجهِ الإنسانِ ، وفيها شَبَهٌ مِن كلِّ طائرٍ . وذكَر الزَّمَخْشَرىُّ فى كتابِ « ربيعِ الأبرارِ »(٦)

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر الدارس ١/ ٣٠١.

(٢) إنباه الرواة ٢/ ١١٦، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٧٨، والذيل على الروضتين ص ١١٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٠٩.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٠١.

(٥) سميت مغربا ، لإبعادها بما تذهب به . المصدر السابق .

(٦) انظر المصدر السابق ٣/ ١٠٢.

أنها كانت فى زمنِ موسى لها أربعةُ أجْنِحةٍ مِن كلِّ جانبٍ ، ووجهٌ كوجهِ الإنسانِ ، وفيها شَبَهٌ كثيرٌ مِن سائرِ الحيواناتِ ، وأنها تأَخَّرَت إلى زمنِ خالدِ بنِ سِنانٍ العَبْسىِّ الذى كان فى الفَتْرةِ ، فدعا عليها فهلَكَت . وذكَر ابنُ خَلِّكانَ[1] أن المُعِزَّ الفاطمىَّ جِىء إليه بطائرٍ غريبِ الشكلِ جدًّا مِن الصَّعيدِ يقالُ له : عَنْقاءُ مُغْرِبٌ .

قلتُ : وكلُّ واحدٍ مِن خالدِ بنِ سِنانٍ وحَنْظلةَ بنِ صَفْوانَ كان فى زمنِ الفَتْرةِ ، وكان صالحًا ، ولم يَكُنْ نبيًّا ، لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « أنا أوْلَى الناسِ بعيسى ابنِ مريمَ ؛ لأنه ليس بينى وبينَه نبىٌّ » . وقد تقَدَّم ذلك[2] .

الحافظُ عِمادُ الدينِ أبو القاسمِ علىُّ بنُ الحافظِ بَهاءِ الدينِ أبى محمدٍ القاسمِ بنِ الحافظِ الكبيرِ أبى القاسمِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ عَساكرَ الدمشقىُّ[3] ، سمِع الكثيرَ ، ورحَل فمات ببغدادَ فى هذه السنةِ ، ومِن لَطيفِ شعرِه قولُه فى المِـرْوَحةِ[4] :

ومِـرْوَحـةٍ تُـرَوِّحُ كـلَّ هـمٍّ ... ثـلاثـةَ أشـهـرٍ لابـدَّ مـنـهـا
حَـزِيـرانٌ وتَمُّـوزٌ وآبٌ ... وفى أَيْلُولَ يُغْنِى اللَّهُ عنها

ابنُ الدَّوامىِّ الشاعرُ[5] ، وقد أوْرَد ابنُ الساعى قطعةً صالحةً مِن شعرِه .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٠١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٤، ٥٢٥.

(٣) الكامل ١٢/ ٣٥٧، وتاريخ إربل ١/ ٢٣٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٨٤، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٠٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٩٦.

(٤) البيتان فى تاريخ إربل.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٨٦، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٩٠.

وسعيدُ[1] **بنُ الرَّزَّازِ**[2] ، وكان أحدَ المُعَدِّلِين ببغدادَ ، وسمِع « البُخاريَّ » مِن أبى الوَقْتِ .

وأبو سعيدٍ محمدُ بنُ محمودِ بنِ [3]**محمدِ بنِ محمدِ بنِ**[3] **عبدِ الرحمنِ** ، المَرْوَزِىُّ الأصلِ الهَمَذانىُّ المَوْلِدِ البَغْدادىُّ المَنْشَأِ والوفاةِ ، كان حسَنَ الشكلِ ، كاملَ الأوصافِ ، له خطٌّ حسنٌ ، ويَعْرِفُ فنونًا كثيرةً مِن العلومِ ، شافعىَّ المذهبِ ، ويَتَكَلَّمُ فى مسائلِ الخِلافِ ، حسَنَ الأخلاقِ ، ومِن شعرِه قولُه :

أَرَى قِسَمَ الأَرزاقِ أعْجبَ قِسمةٍ ... لذى دَعَةٍ [4]مُثْرٍ ومُكْدٍ بِه الكَدُّ[4]
وأحْمقُ ذو مالٍ وأحمقُ مُعْدَمٌ ... وعقلٌ بلا حظٍّ وعقلٌ له جَدُّ
يَعُمُّ الغِنَى والفقرُ ذا الجهلِ والحِجَا ... وللَّهِ مِن قبلُ الأمورُ ومِن بعدُ

أبو زكريا يحيى بنُ القاسمِ بنِ المُفَرِّجِ[5] **بنِ دِرْعِ بنِ الخَضِرِ الشافعىُّ** ، **الشيخُ تاجُ الدينِ التَّكْرِيتىُّ** ، قاضيها ، ثم درَّس بنِظاميةِ بغدادَ ، وكان مُتْقِنًا لعلومٍ كثيرةٍ ؛ منها التفسيرُ والفقهُ والأدبُ والنحوُ واللغةُ ، وله المُصَنَّفاتُ فى ذلك كلِّه ،

---

(١) فى النسخ : « أبو سعيد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٦٩، وذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه) ١٥/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٢، والعبر ٥/ ٦١.

(٢) فى م : « الوزان » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢١٢. وفيه وفى الذيل على الروضتين : محمد بن محمد ...» .

(٤ - ٤) فى م : « ومكدية لذى كد » . ويقال : أكدى الرجل : ألح فى المسألة .

(٥) فى النسخ : « الفرج » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ معجم الأدباء ٢٠/ ٢٩ - وفيه : « وَرَع » - ومرآة الزمان ٨/ ٦٠٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤١٠، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٥٦، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ٣٧٣.

وجمَع لنفسِه تاريخًا حسنًا ، ومِن شعرِه قولُه[1] :

لابدَّ للمرءِ مِن ضِيقٍ ومِن سَعَةٍ ... ومِن سُرورٍ يُوافِيه ومِن حَزَنِ
واللَّهُ يَطْلُبُ منه شُكْرَ نعمتِهِ ... ما دام فيها ويَبْغِي الصبرَ فى المِحَنِ
فكُنْ مع اللَّهِ فى الحالَيْن مُعْتَنِقًا ... فرضَيْك هذين فى سرٍّ وفى عَلَنِ
فما على شدةٍ يَبْقَى الزمانُ [2]فكُنْ ... جَلْدًا ولا[2] نعمةٌ تَبْقَى على الزمنِ

ومن ذلك قولُه :

لو كان قاضى الهَوَى علىَّ ولِى ... ما جار فى الحكمِ مَن علىَّ ولِى
يا يوسفىَّ الجمالِ عبدُك[3] لَمْ ... تَبْقَ له حِيلةٌ مِن الحِيَلِ
إنْ كان قُدَّ القَميصُ مِن دُبُرٍ ... ففيك قُدَّ الفؤادُ مِن قُبُلِ

صاحبُ « الجَواهِرِ » الشيخُ الإمامُ العلامةُ جَلالُ[4] الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ نَجْمِ بنِ شاسِ بنِ نِزارِ بنِ عَشائرَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ شاسٍ الجُذامىُّ السَّعْدىُّ ، الفقيهُ المالكىُّ ، مُصَنِّفُ كتابِ « الجَواهرِ الثَّمينةِ فى مذهبِ عالمِ المدينةِ » ، وهو مِن أكثرِ الكتبِ فَوائدَ فى الفُروعِ ، رتَّبه على طريقةِ « الوَجيزِ » للغَزَّالىِّ . قال ابنُ خَلِّكانَ[5] : وفيه دَلالةٌ على غَزارةِ علمِه وفَضْلِه ، والطائفةُ المالكيةُ بمصرَ عاكفةٌ عليه لحسنِه وكَثْرةِ فَوائدِه ، وكان مُدَرِّسًا بمصرَ ، وتوفِّى بدِمْياطَ .

---

(١) الأبيات فى طبقات الشافعية .
(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « يكن ولا على » .
(٣) فى م : « عندك » .
(٤) فى م : « جمال » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٣٩٤، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٦١، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٦، وشجرة النور الزكية ص ١٦٥.
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٦١.

[١٠/١ظ] (*) ثم دخَلَت سنةُ سبعَ عشْرةَ وستّمائةٍ

فى هذه السنةِ[1] عمَّ البَلاءُ، وعظُم العَزاءُ بجِنْكِزْخان المُسَمَّى بتَمُوجين[2]، لعَنه اللَّهُ تعالى، وبمن معه مِن التَّتارِ، قبَّحهم اللَّهُ أجْمعين، واسْتَفْحَل أمرُهم، وامتدَّ إفْسادُهم مِن أقصى بلادِ الصينِ إلى أن وصَلوا إلى بلادِ العراقِ وما حولَها حتى انْتَهَوْا إلى إرْبِلَ وأعمالِها، فملَكوا فى سنةٍ واحدةٍ، وهى هذه السنةُ، سائرَ المَمالكِ إلا العراقَ والجَزيرةَ والشامَ ومصرَ، وقهَروا جميعَ الطَّوائفِ التى بتلك النَّواحى؛ الخُوارَزْميةِ والقَفجاقِ والكُرْجِ واللَّانِ والخَزَرِ وغيرِهم، وقتَلوا فى هذه السنةِ مِن المسلمين وغيرِهم فى بُلْدانٍ مُتَعددةٍ كبارٍ وصغارٍ ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، وبالجملةِ فلم يَدْخُلوا بلدًا إلا قتَلوا جميعَ مَن فيه مِن المُقاتِلةِ والرجالِ، وكثيرًا مِن النساءِ والأطفالِ، وأتْلَفوا ما فيه بالنَّهْبِ إن احْتاجوا إليه، وبالحَريقِ إن لم يَحْتاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يَجْمَعون الحَريرَ الكثيرَ الذى يَعْجِزون عن حملِه، فيُطْلِقون فيه النارَ فيُحْرَقُ وهم يَنْظُرون إليه، ويُخَرِّبون المَنازِلَ، وما عجَزوا عن تَخْريبِه أحرقوه، وأكثرُ ما يُحَرِّقون المساجدُ والجَوامعُ، لعَنهم اللَّهُ تعالى، وكانوا يَأْخُذون الأُسارَى مِن المسلمين، فيُقاتِلون بهم، ويُحاصِرون بهم، وإن لم يَنْصَحوا فى القِتالِ قتَلوهم.

(*) من هنا بداية الجزء العاشر من مخطوطة المكتبة الأحمدية والمشار إليها بـ (الأصل)، والجزء التاسع لم ينته وسينتهى فى صفحة ١١١ وقد اعتمدنا فى الفروق على الجزء العاشر.

(١) الكامل ١٢/٣٥٨ - ٤٠٠، ومرآة الزمان ٨/٦٠٨ - ٦١١ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٢١ - ١٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٤ - ٥٢.

(٢) فى الأصل: «تمرجى».

وقد بسَط ابنُ الأثيرِ فى « كاملِه »[1] خبرَهم فى هذه السنةِ بَسْطًا حسَنًا مُفَصَّلًا ، وقدَّم على ذلك كلامًا هائلًا فى تعظيمِ هذا الخَطْبِ العَجيبِ ، قال : فنقولُ : هذا فصلٌ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الحادثةِ العُظْمَى والمُصيبةِ الكبرى التى عقِمَت الأيامُ والليالى عن مثلِها ، عمَّت الخَلائقَ ، وخصَّت المسلمين ، فلو قال قائلٌ : إن العالمَ منذ خلَق اللَّهُ آدمَ وإلى الآنَ ، لم يُبْتَلَوْا بمثلِها . لَكان صادقًا ؛ فإن التَّواريخَ لم تَتَضَمَّنْ ما يُقارِبُها ولا ما يُدانِيها ، ومِن أعظمِ ما يَذْكُرون مِن الحوادثِ ما فعَل بُخْتُنَصَّرَ ببنى إسرائيلَ مِن القتلِ وتَخْريبِ البيتِ المقدَّسِ ، وما البيتُ المقدَّسُ بالنسبةِ إلى ما خرَّب هؤلاءِ الملاعينُ من البلادِ ، التى كلُّ مدينةٍ منها أضعافُ البيتِ المقدَّس ؟! وما بنو إسرائيلَ بالنسبةِ إلى مَن قتَلوا ؟ فإن أهلَ مدينةٍ واحدةٍ ممَّن قتَلوا أكثرُ مِن بنى إسرائيلَ ، ولعل الخلقَ لا يَرَوْن مثلَ هذه الحادثةِ إلى أن يَنْقَرِضَ العالمُ وتَفْنَى الدنيا إلا يأجوجَ ومأجوجَ ، وأما الدَّجَّالُ فإنه يُبْقِى على مَنْ اتَّبَعه ويُهْلِكُ مَن خالَفه ، وهؤلاء لم يُبْقُوا على أحدٍ ، بل قتَلوا الرجالَ والنساءَ والأطفالَ ، وشقُّوا بُطونَ الحَواملِ ، وقتَلوا الأَجِنَّةَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ ، لهذه الحادثةِ التى اسْتَطار شرَرُها وعمَّ ضرَرُها ، وسارَت فى البلادِ كالسَّحابِ اسْتَدْبَرَتْه الريحُ ، فإن قومًا خرَجوا مِن أطرافِ الصينِ ، فقصَدوا بلادَ تُرْكِسْتانَ مثلَ كاشْغَرَ وبَلَاسَاغُونَ[2] ، ثم منها إلى بلادِ ما وراءَ النهرِ مثلَ سَمَرْقَنْدَ وبُخارَى وغيرِهما ، فيَمْلِكونها [١٠/٢و] ويَفْعَلون بأهلِها ما نَذْكُرُه ، ثم تَعْبُرُ طائفةٌ منهم إلى خُراسانَ ، فيَفْرُغون منها مُلْكًا وتَخْريبًا وقَتْلًا ونهْبًا ، ثم يُجاوِزُونها إلى الرَّىِّ وهَمَذانَ وبلدِ الجبلِ وما فيه مِن البلادِ إلى

---

(١) الكامل ١٢/٣٥٨ - ٣٩٨.

(٢) فى الأصل : « بلاد ساعون » .

حَدِّ العراقِ ، ثم يَقْصِدون بلادَ أذْرَبِيجانَ وأَرَّانَ[1] ، ويُخَرِّبونها ويَقْتُلون أكثرَ أهلِها ، ولم يَنْجُ إلا الشَّريدُ النادرُ فى أقلَّ مِن سنةٍ ، هذا ما لم يُسْمَعْ بمثلِه .

ثم سارُوا إلى دَرْبَنْد شَرْوانَ ، فملَكوا مدنَه ، [2]ولم يَسْلَمْ غيرُ قلعَتِه التى بها ملِكُهم ، وعبَروا عندَها[2] إلى بلدِ اللَّانِ واللَّكْزِ[3] ، ومَن فى ذلك الصُّقْعِ مِن الأممِ المختلفةِ[4] ، فأوْسَعوهم قتلًا ونهْبًا وتَخْرِيبًا ، ثم قصَدوا بلادَ قَفْجاقَ ، وهم مِن أكثرِ التركِ عددًا ، فقتَلوا كلَّ مَن وقَف لهم ، وهرَب الباقون إلى الغِياضِ ، وملَكوا عليهم بلادَهم . وسارت طائفةٌ أخرى إلى غَزْنةَ وأعمالِها وما يُجاوِرُها مِن بلادِ الهندِ وسِجِسْتانَ وكَرْمانَ ، ففعَلوا فيها مثلَ أفعالِ هؤلاء وأشَدَّ .

هذا ما لم يَطْرُقِ الأسْماعَ مثلُه ، فإن الإسْكَنْدرَ الذى اتَّفَق المؤَرِّخون على أنه ملَك الدنيا ، لم يَمْلِكْها فى سنةٍ واحدةٍ ، إنما ملَكها فى نحوِ عشْرِ سنينَ ، ولم يَقْتُلْ أحدًا ، بل رضِى مِن الناسِ بالطاعةِ ، وهؤلاء قد ملَكوا أكثرَ المَعْمورِ مِن الأرضِ وأطْيَبَه وأحْسَنَه عِمارةً وأكثرَه أهلًا ، وأعْدَلَهم أخْلاقًا وسِيرةً فى [5]نحوِ سنةٍ ، ولم يَتَّفِقْ لأحدٍ مِن أهلِ البلادِ التى لم يَطْرُقوها بقاءٌ إلا وهو خائفٌ مُتَرَقِّبٌ[5] وصولَهم ، وهم مع ذلك يَسْجُدون للشمسِ إذا طلَعَت ، ولا يُحرِّمون شيئًا ، ويَأْكُلون ما وجَدوه مِن الحَيواناتِ والمَيْتاتِ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى .

قال : وإنما اسْتَقام لهم هذا الأمرُ لعدمِ المانعِ ؛ لأن السلطانَ خُوارَزْم شاه محمدًا كان قد قتَل الملوكَ مِن سائرِ المَمالكِ ، واستقلَّ بالأمورِ ، فلما انْهَزم منهم

---

(١) فى م ، والكامل : « أرانية » . وانظر معجم البلدان ١/ ١٨٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ثم » .

(٣) فى الأصل : « البلغر » . واللكز : بليدة خلف الدربند تتاخم خزران . معجم البلدان ٤/ ٣٦٤.

(٤) بعده فى الأصل : « الألسن والألوان » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

فى العامِ الماضى ، وضعُف عنهم ، وساقوا وَراءَه فهرَب ، فلا يُدْرَى أين ذهَب ، وهلَك فى بعضِ جَزائرِ البحرِ ، خلَت البلادُ ، ولم يَبْقَ لها مَن يَحْمِيها ، لِيَقْضِىَ اللَّهُ أمرًا كان مفعولًا ، وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمورُ .

ثم شرَع فى تَفْصيلِ ما ذكَره مُجْمَلًا ، فذكَر أولًا ما قدَّمْنا ذكرَه فى العامِ الماضى مِن بعثِ جِنْكِزْخان أولئك التُّجَّارَ بمالٍ له يأتونه بثمنِه كُسْوةً ولِباسًا ، وأخَذَ خُوارَزْم شاه تلك الأموالَ ، فحنِق عليه جِنْكِزْخان ، وأرْسَل يتهددُه ، فسار إليه خُوارَزْم شاه بنفسِه وجُنودِه ، فوجَد التَّتارَ مَشْغولِين بقتالِ كَشْلِى خان ، فنهَب أثْقالَهم ونساءَهم وأطفالَهم ، فرجَعوا وقد انْتَصرُوا على عدوِّهم ، وازْدادوا حَنَقًا وغيظًا ، فتواقَعوا هم وإياه مع ابنِ جِنْكِزْخان ثلاثةَ أيامٍ ، فقُتِل مِن الفريقَيْن خلقٌ كثيرٌ ، ثم تَحاجَزوا ، ورجَع خُوارَزْم شاه إلى أطرافِ بلادِه ، فحصَّنها ثم كرَّ راجعًا إلى مقَرِّ ملكِه وهى مدينةُ خُوارَزْم ، فأقْبَل جِنْكِزْخان ، فحصَر بُخارَى كما ذكَرْنا ، فافْتَتَحها صُلْحًا ، وغدَر بأهلِها حين افْتَتَح قلْعتَها قهْرًا ، وقتَل الجميعَ ، وأخَذ الأموالَ ، وسبَى النِّساءَ والأطفالَ ، وخرَّب الدُّورَ والمَحالَّ ، وقد كان بها عشرون ألفَ مُقاتِلٍ ، فلم يُغْنِ عنهم شيئًا ، ثم سار منها إلى سَمَرْقَنْدَ ، فحاصَرها فى أوَّلِ محرَّمِ هذه السنةِ ، وبها خمسون ألفَ مُقاتِلٍ مِن الجندِ فنكَلوا ، وبرَز إليهم سبعون ألفًا مِن العامَّةِ ، فقُتِل الجَميعُ فى ساعةٍ واحدةٍ ، وأَلْقَى إليه الخمسون ألفًا السَّلَمَ ، فسلَبهم سلاحَهم ، وما يَمتَنِعون به ، وقتَلَهم فى ذلك اليومِ ، واسْتَباح البلدَ ، فقتَل الجميعَ ، وأخَذ الأموالَ ، وسبىَ الذُّرِّيَّةَ ، وحرَّقه وترَكه بَلاقعَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، [١٠/٢ظ] وأقام ، لعَنه اللَّهُ ، هنالك وأرْسَل السَّرايا إلى البُلْدانِ ، فأرْسَل سَريةً إلى بلادِ خُراسانَ ، وتُسَمِّيها التَّتارُ المُغَرِّبةَ ، وأرْسَل أخرى وراءَ خُوارَزْم شاه ، وكانوا عشرين ألفًا ، قال : اطْلُبوه فأدْرِكوه ولو تعَلَّق بالسماءِ .

فساقوا فى طلبِه ، فأدْرَكوه وبينَهم وبينَه نهرُ جَيْحونَ ، وهو آمِنٌ بسببِه ، فلم يَجِدوا سُفُنًا ، فعمِلوا لهم أحْواضًا يَحْمِلون عليها الأسْلِحةَ ، ويُرْسِلُ أحدُهم فرسَه ، ويَأْخُذُ بذنبِها ، فتَجُرُّه الفرسُ بالماءِ ، وهو يَجُرُّ الحوضَ الذى فيه سلاحُه ، حتى صاروا كلُّهم فى الجانبِ الآخَرِ ، فلم يَشْعُرْ بهم خُوارَزْم شاه إلا وقد خالَطوه ، فهرَب منهم إلى نَيْسابورَ ، ثم منها إلى غيرِها ، وهم فى أثَرِه لا يُمْهِلونه حتى يَجْمَعَ لهم ، فصار كلما أتَى بلدًا ليَجْتَمِعَ فيه عَساكرُه يُدْرِكونه ، فيَهْرُبُ منهم ، حتى ركِب فى بحرِ طَبَرِسْتانَ ، وسار إلى قلعةٍ فى جَزيرةٍ فيه ، وكانت فيها وفاتُه ، وقيل : إنه لا يُعْرَفُ بعدَ رُكوبِه فى البحرِ ما كان مِن أمرِه ، بل ذهَب فلا يُدْرَى أين ذهَب ولا كيفَ سلَك ، ولا إلى أىِّ مَفَرٍّ هرَب . وملَكَت التَّتَرُ حَواصلَه ، فوجَدوا فى خِزانتِه عشَرةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وألفَ حِمْلٍ مِن الأَطْلَسِ[1] ، وعشرين ألفَ فرسٍ وبَغْلٍ ، ومِن الغِلْمانِ والجَوارِى والخِيامِ شيئًا كثيرًا ، وكان له عشَرةُ آلافِ مَملوكٍ ، كلُّ واحدٍ مثلُ مَلِكٍ ، فتَمَزَّق ذلك كلُّه فى أقلَّ من سنةٍ ، وقد كان خُوارَزْم شاه فَقيهًا حَنَفيًّا فاضِلًا ، له مُشارَكاتٌ فى فُنونٍ مِن العلمِ ، يَفْهَمُ جيدًا ، وقد ملَك بلادًا مُتَّسِعةً ومَمالكَ مُتَعددةً إحدى وعشرين سنةً وشهورًا ، ولم يَكُنْ بعدَ مُلوكِ بنى سَلْجُوقَ أكبرُ حُرْمةً ولا أعْظَمُ مُلْكًا منه ؛ لأنه إنما كانت هِمَّتُه فى الملكِ لا فى اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ ، ولهذا قهَر المُلوكَ بتلك الأراضى ، وأحَلَّ بالخِطَا[2] بأسًا شديدًا ، حتى لم يَبْقَ ببلادِ خُراسانَ وما وراءَ النهرِ وكذلك عراقِ العَجَمِ وغيرِها مِن المَمالكِ سلطانٌ سواه ، وجميعُ البلادِ تحتَ يَدِ نُوَّابِه . ثم ساروا إلى مازَنْدَرانَ ، وقِلاعُها مِن أمْنَعِ القِلاعِ ، بحيث إن المسلمين لم

---

(١) الأطلس : ثوب من حرير منسوج ، ليس بعربى . تاج العروس (ط ل س) .
(٢) الخِطَا : جنس من الترك ، بلادهم فى متاخمة بلاد الصين . صبح الأعشى ٤/ ٤٨٣ .

يَفْتَتِحوها إلا فى سنةِ تسعين فى أيامِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، ففتَحها هؤلاء فى أيْسَرِ مدةٍ ، ونهَبوا ما فيها ، وقتَلوا أهاليَها ، وسبَوْا وأحْرَقوا ، ثم ترَحَّلوا عنها نحوَ الرَّىِّ ، فوجَدوا فى الطريقِ أمَّ خُوارَزْم شاه ، ومعها أموالٌ عظيمةٌ جدًّا ، فأخَذوها وفيها من كلِّ غَريبٍ ونَفيسٍ مما لم يُشاهَدْ مثلُه مِن الجَواهِرِ وغيرِها ، ثم قصَدوا الرَّىَّ فدخَلوها على حينِ غَفْلةٍ مِن أهلِها ، فقتَلوهم ونهبوهم وسبَوهم وأسروهم ، ثم ساروا إلى هَمَذانَ ، فملَكوها ثم إلى زَنْجانَ[1] ، فقتَلوا وسبَوْا ، ثم قصَدوا قَزْوينَ فنهَبوها، وقتَلوا مِن أهلِها نحوًا مِن أربعين ألفًا ، ثم تيَمَّموا بلادَ أَذْرَبِيجانَ ، فصالَحَهم ملكُها أُوزْبَكُ بنُ البَهْلَوانِ على مالٍ حمَله إليهم ؛ لشُغْلِه بما هو فيه مِن السُّكْرِ وارْتِكابِ السَّيئاتِ والانْهِماكِ على الشَّهَواتِ ، فترَكوه وساروا إلى مُوقانَ[2] ، فقاتَلهم الكُرْجُ فى عشرةِ آلافِ مُقاتِلٍ ، فلم يَقِفوا بينَ أيديهم طَرْفةَ عينٍ حتى انْهَزَمَت الكُرْجُ ، [3]وقتلت التتارُ منهم خلقًا كثيرًا ، ثم قصَدوا تَفْلِيسَ وهى أكبرُ مدنِ الكُرْجِ وَاجتمعت عندَ ذلك الكُرْجُ[3] [١٠/٣و] فأقْبَلوا إليهم بحَدِّهم وحَديدِهم ، فكسَرَتهم التَّتارُ مرةً ثانيةً أقْبَحَ كَسرةٍ وأشْنَعَها . وهٰهنا قال ابنُ الأثيرِ[4] : ولقد جرَى لهؤلاء التَّتَرِ ما لم يُسْمَعْ بمثلِه مِن قَديمِ الزمانِ وحَديثِه ؛ طائفةٌ تَخْرُجُ مِن حُدودِ الصينِ لا تَنْقَضِى عليهم سنةٌ حتى يَصِلَ بعضُهم إلى حدودِ بلادِ أَرْمِينِيَةَ مِن هذه الناحيةِ ، ويُجاوِزون العراقَ مِن ناحيةِ هَمَذانَ ، وتاللَّهِ لا أَشُكُّ أن مَن يَجِىءُ بعدَنا إذا بَعُد العَهْدُ ، ويرَى هذه الحادثةَ مَسْطورةً يُنْكِرُها ويَسْتَبْعِدُها ، والحقُّ بيدِه ، فمتى اسْتَبْعَد ذلك فلْيَنْظُرْ أننا سطَّرْنا [5]نحن وكلُّ مَن جمَع التاريخَ فى أزمانِنا هذه[5]

---

(١) فى الأصل : « فرغان » وانظر الكامل ١٢/ ٣٧٤.

(٢) موقان : ولاية بأذربيجان فيها قرى ومروج كثيرة . انظر معجم البلدان ٤/ ٦٨٦.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الكامل ١٢/ ٣٧٥.

(٥ - ٥) سقط من الأصل .

فى وقتٍ كلُّ مَن فيه يَعْلَمُ هذه الحادثةَ ، قد اسْتَوَى فى معرفتِها العالِمُ والجاهلُ لشُهْرتِها ، يسَّر اللَّهُ للمسلمين والإسلامِ مَن يَحْفَظُهم ويَحُوطُهم ، فلقد دُفِعوا مِن العدوِّ إلى عظيمٍ ، ومِن الملوكِ المسلمين إلى مَن لا تَتَعَدَّى هِمَّتُه بطنَه وفرجَه ، وقد عُدِم سلطانُ المسلمين خُوارَزْم شاه .

قال[1] : وانْقَضَت هذه السنةُ وهم فى بلادِ الكُرْجِ ، فلما رأَوْا منهم مُمانَعةً ومُقاتَلةً يَطولُ عليهم بها المَطالُ عدَلوا إلى غيرِهم ، وكذلك كانت عادتُهم ، فساروا إلى تِبْرِيزَ ، فصالَحهم أهلُها بمالٍ . قال : ثم ساروا إلى مَرَاغةَ ، فحصَروها ونصَبوا عليها المَجانِيقَ ، وتترَّسوا بالأُسارَى مِن المسلمين ، وعلى البلدِ امرأةٌ - و « لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأةً »[2] - ففتَحوا البلدَ بعدَ أيامٍ ، وقتَلوا مِن أهلِه خلقًا لا يَعْلَمُ عِدَّتَهم إلا اللَّهُ عز وجل ، وغنِموا منه شيئًا كثيرًا ، وسبَوْا وأسَروا على عادتِهم ، لعَنهم اللَّهُ لَعْنةً تدخُلُ معهم نارَ جَهَنَّمَ ، وقد كان الناسُ يَخافون منهم خوفًا عظيمًا جدًّا حتى إنه دخَل رجلٌ منهم إلى دَرْبٍ مِن هذه البلدةِ وبه مائةُ رجلٍ لم يَسْتَطِعْ واحدٌ منهم أن يَتَقَدَّمَ إليه ، وما زال يَقْتُلُهم واحدًا بعدَ واحدٍ حتى قتَل الجميعَ ، ولم يَرْفَعْ منهم أحدٌ يدَه إليه ، ونهَب ذلك الدَّرْبَ وحدَه . ودخَلَت امرأةٌ منهم فى زِيِّ رجلٍ إلى بيتٍ فقتَلَت كلَّ مَن فى ذلك البيتِ وحدَها ، ثم اسْتَشْعَر أسيرٌ معها أنها امرأةٌ ، فقتَلها ، لعَنها اللَّهُ .

ثم قصَدوا مدينةَ إِرْبِلَ ، فضاق المسلمون لذلك ذَرْعًا ، وقال أهلُ تلك النَّواحى : هذا أمرٌ عَصيبٌ . وكتَب الخليفةُ إلى أهلِ الموصلِ والملكِ الأشرفِ صاحبِ الجزيرةِ يقولُ : إنى قد جهَّزْت عَسْكرًا ، فكُونوا معه لقتالِ هؤلاء التَّترِ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٣٧٧.

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٣١.وبمعناه فى ٦/ ٤٨٨.

فأرْسَل الأشْرَفُ يَعْتَذِرُ إلى الخليفةِ بأنه مُتَوَجِّهٌ نحوَ أخيه الكاملِ إلى الديارِ المصريةِ بسببِ ما قد دَهَم المسلمين هناك مِن الفِرِنْجِ، وأخْذِهم دِمْياطَ التى قد أشْرَفوا بأخْذِهَا على أخْذِ الديارِ المصريةِ قاطبةً، وكان أخوه المُعَظَّمُ قد قدِم عليه إلى حَرَّانَ يَسْتَنْجِدُه لأخيهما الكاملِ ليَتَحاجَزوا الفِرِنْجَ بدِمْياطَ، وهو على أُهْبَةِ المَسيرِ إلى الديارِ المصريةِ، فكتَب الخليفةُ إلى مُظَفَّرِ الدينِ صاحبِ إرْبِلَ ليَكونَ هو المُقَدَّمَ على العَساكرِ التى يَبْعَثُها الخليفةُ، وهى عشَرةُ آلافِ مُقاتِلٍ، فلم يَقْدَمْ عليه منهم غيرُ ثمانِمائةِ فارسٍ، ثم تفرَّقوا قبلَ أن يَجْتَمِعوا، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، ولكنْ سلَّم اللَّهُ بأن صرَف هِمَّةَ التَّتارِ إلى ناحيةِ هَمَذانَ، فصالَحهم أهلُها، وترَك التَّترُ عندَهم شِحْنةً[1]، ثم اتَّفَقوا على شِحْنتِهم، فرجَعوا إليهم، فحاصَروهم [١٠/٣ظ] حتى فتَحوها قَسْرًا، وقتَلوا أهلَها عن آخِرِهم، ثم ساروا إلى أَذْرَبِيجانَ، ففتَحوا أَرْدَبِيلَ، ثم تِبْرِيزَ، ثم إلى بَيْلقانَ[2]، فقتَلوا مِن أهلِها خلقًا كثيرًا وجَمًّا غفيرًا، وحرَّقوها، وكانوا يَفْجُرون بالنساءِ، ثم يَقْتُلونهن ويَشُقُّون بُطونَهن عن الأَجِنَّةِ.

ثم عادوا إلى بلادِ الكُرْجِ[3]، وقد اسْتَعَدَّت لهم الكُرْجُ، فاقْتَتَلوا معهم، فكسَروهم أيضًا كَسْرةً فَظيعةً، ثم فتَحوا بُلْدانًا كثيرةً يَقْتُلون أهلَها، ويَسْبُون نساءَها، ويَأْسِرون مِن الرجالِ ما يُقاتِلون بهم الحُصونَ، يَجْعَلونهم بينَ أيديهم تُرْسًا يَتَّقون بهم الرَّمْىَ وغيرَه، ومَن سلِم منهم قتَلوه بعدَ انْقِضاءِ الحربِ، ثم ساروا إلى بلادِ اللَّانِ والقَفجاقِ، فاقْتَتَلوا معهم قتالًا عظيمًا، فكسَروهم وقصَدوا

---

(١) الشحنة: رئيس الشرطة. المعجم الذهبى ص ٣٦٩. وشحنة الكورة: من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان. اللسان (ش ح ن).

(٢) بيلقان: مدينة قرب الدربند الذى يقال له باب الأبواب، تعد فى أرمينية الكبرى. معجم البلدان ١/ ٧٩٧.

(٣) الكامل ١٢/ ٣٨٣.

أكبرَ مَدائنِ القَفجاقِ ، وهى مدينةُ سُوداقَ[1] ، وفيها مِن الأمْتِعةِ والثِّيابِ والتَّجائرِ مِن البُرْطاسِيِّ والقُنْدُزِ والسِّنجابِ[2] شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، ولجأت القَفجاقُ إلى بلادِ الرُّوسِ ، وكانوا نصارَى ، فاتَّفَقوا معهم على قتالِ التَّترِ ، فالْتَقَوْا معهم ، فكسَرَتهم التَّتارُ كَسْرةً فَظيعةً منكرةً جدًّا ، ثم ساروا نحوَ بُلْغارَ[3] فى حُدودِ العشرين وستِّمائةٍ ، ففرَغوا مِن ذلك كلِّه ، ثم عادوا إلى نحوِ ملكِهم جِنْكِزْخان ، لعَنه اللَّهُ وإياهم . هذا ما فعَلَتْه هذه السَّرِيةُ المُغَرِّبةُ ، وكان جِنْكِزْخان قد أرْسَل سريةً فى هذه السنةِ إلى [4]تِرْمذَ فأخَذتْها[4] ، وأخرى إلى فَرْغانةَ فملكوها ، وجهَّز جيشًا آخرَ نحوَ خُراسانَ ، فحاصَروا بَلْخَ ، فصالَحهم أهلُها ، وكذلك صالَحوا مُدُنًا كثيرةً أخرى ، حتى انْتَهَوْا إلى الطالَقانِ ، فأعْجَزَتْهم قلْعتُها ، وكانت حصينةً ، فحاصَروها ستةَ أشهرٍ حتى عجَزوا ، فكتَبوا إلى جِنْكِزْخان ، فقدِم بنفسِه ، فحاصَرها أربعةَ أشهرٍ أخرى حتى فتَحها قَهْرًا ، ثم قتلوا مَن فيها ومَن فى البَلدِ بكمالِه من الخاصةِ والعامةِ ، ثم قصَدوا مدينةَ مَرْوَ مع جِنْكِزْخانَ ، وقد عَسْكَر بظاهرِها نحوٌ مِن مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ مِن العَرَبِ وغيرِهم ، فاقْتَتَلوا معهم قتالًا عظيمًا حتى انْكَسَر المسلمون ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ثم حصَروا البلدَ خمسةَ أيامٍ ، واسْتَنْزَلوا نائبَها خَديعةً ، ثم غدَروا به وبأهلِ البلدِ ، فقتَلوهم وغنِموهم

---

(١) فى الأصل : « قفجاق » . وسوداق على بحر الخزر ، وهو بحر قزوين . انظر الكامل ١٢/ ٣٨٦.

(٢) البرطاسى والقندز والسنجاب : أنواع من الفراء ، الأول ينسب إلى برطاس وهى اسم أمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم ، وهم متاخمون للخزر .

والقندز – والقندس – والسنجاب حيوانات يتخذ من جلدهما الفراء . انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٧، وحياة الحيوان الكبرى ١/ ٥٧٥، ٢/ ٢٣١.

(٣) فى م « بلقار » . وبلغار : مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد . معجم البلدان ١/ ٧٢٢.

(٤ – ٤) فى م : « كلانة » . وكلاهما صواب ؛ لأنه أرسل سرايا ؛ إحداها إلى بلاد فرغانة وأخرى إلى تِرْمذِ ، والثالثة إلى كلانة . انظر الكامل ١٢/ ٣٨٩.

وسبَوهم ، وعاقَبوهم بأنواعِ العذابِ[1] ، حتى إنهم قتَلوا منهم فى يومٍ واحدٍ سبعَمائةِ ألفِ إنسانٍ ، ثم ساروا إلى نَيْسابورَ ، ففعَلوا فيها قريبًا مما فعَلوا بأهلِ مَرْوَ ، ثم إلى طُوسَ ، فقتَلوا وخرَّبوا مَشْهَدَ علىِّ بنِ موسى والرشيدِ وترَكوه خَرابًا ، [2] ثم ساروا إلى هَراةَ فقتلوا خلقًا واستنابوا عليها[2] ، ثم ساروا إلى غَزْنةَ ، فقاتَلهم جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه فكسَرهم ، [2] فعادوا إلى هَراةَ ، فإذا أهلُها قد نقَضُوا ، فقتَلوهم عن آخرِهم[2] ، ثم عادوا إلى ملكِهم جِنْكِزْخان ، لعَنه اللَّهُ وإياهم ، وأرْسَل جِنْكِزْخان طائفةً أخرى إلى مدينةِ خُوارَزْم ، فحاصَروها حتى فتَحوا البلدَ قهرًا ، فقتَلوا مَن فيها قتلًا ذَريعًا ، ونهَبوها وسبَوْا أهلَها ، وأرْسَلوا الجِسْرَ الذى يَمْنَعُ ماءَ جَيْحونَ عنها ، فغرِقَت دُورُها ، وهلَك جميعُ أهلِها . ثم عادوا إلى ملكِهم جِنْكِزْخان وهو مُخَيِّمٌ على الطالَقانِ ، [١٠/٤و] فجهَّز منهم طائفةً إلى غَزْنةَ ، فاقْتَتل معهم جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه ، فكسَرهم جَلالُ الدينِ كَسْرةً عظيمةً ، واسْتَنْقَذ منهم خلقًا مِن أُسارَى المسلمين ، ثم كتَب إلى جِنْكِزْخان يَطْلُبُ منه أن يَبْرُزَ بنفسِه لقتالِه ، فقصَده جِنْكِزْخان فتَواجَها ، وقد تفرَّق على جَلالِ الدينِ بعضُ جيشِه ، ولم يَبْقَ بُدٌّ مِن القتالِ ، فاقْتَتلوا ثلاثةَ أيامٍ لم يُعْهَدْ مثلُها قبلَها مِن قتالِهم ، ثم ضعُفَ أصحابُ السلطانِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزم شاه ، فذهَبوا فركِبوا فى بحرِ الهندِ ، فسارَت التَّتارُ إلى غَزْنةَ ، فأخَذوها بلا كُلْفةٍ ولا مُمانَعةٍ ، كلُّ هذا أو أكثرُه وقَع فى هذه السنةِ .

وفى هذه السنةِ أيضًا ترَك الأشْرَفُ موسى بنُ العادلِ لأخيه شِهابِ الدينِ

---

(١) فى الأصل : « المثلاث » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

غازى مُلْكَ خِلاطَ ومَيَّافارِقِينَ وبلادَ أَرْمِينِيَةَ [1]وحانى[1]، واعْتاض بالرُّهَا وسَرُوجَ، وذلك لاشْتِغالِه عن حِفْظِ تلك النَّواحِى بمُساعدةِ أخيه الكاملِ ونُصْرتِه على الفِرِنْجِ، لعَنهم اللَّهُ.

وفى المُحَرمِ منها[2] هبَّت رياحٌ ببغدادَ، وجاءت بُروقٌ، وسُمِعَت رُعودٌ شديدةٌ، وسقَطَت صاعقةٌ بالجانبِ الغربىِّ على المَنارةِ المُجاوِرةِ [3]لغرو معين[3] فثلَمَتها، ثم أُصْلِحَت، وغارت الصاعقةُ فى الأرضِ.

وفى هذه السنةِ نُصِب مِحْرابُ الحَنابلةِ بالرِّواقِ الثالثِ الغربىِّ مِن جامعِ دمشقَ بعدَ مُمانَعةٍ مِن بعضِ الناسِ لهم، ولكن ساعَدهم بعضُ الأُمراءِ فى نَصْبِه لهم، وهو الأميرُ رُكْنُ الدينِ المُعَظَّمىُّ، وصلَّى فيه الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ بنُ قُدامةَ.

قلتُ: ثم رُفِع فى حدودِ سنةِ ثلاثين وسبعِمائةٍ، وعُوِّضوا عنه بالمِحْرابِ الغربىِّ عندَ بابِ الزِّيارةِ، كما عُوِّض الحَنَفيةُ عن مِحْرابِهم الذى كان فى الجانبِ الغربىِّ مِن الجامعِ بالمحرابِ المُجَدَّدِ لهم شرقىَّ بابِ الزِّيارةِ، حينَ جُدِّد الحائطُ الذى هو فيه فى الأيامِ التُّنْكُزيةِ، على يدى ناظرِ الجامعِ تقىِّ الدينِ بنِ مراجلَ، أثابه اللَّهُ تعالى، كما سيأتى بيانُه فى موضعِه إن شاء اللَّهُ تعالى.

وفيها قتَل صاحبُ سِنْجارَ أخاه، فملكها مُسْتَقِلًّا بها الملكُ الأشْرَفُ بنُ العادلِ.

وفيها نافَق الأميرُ عمادُ الدينِ بنُ المَشْطوبِ على الملكِ الأشْرَفِ، وكان قد

(١ - ١) سقط من: م، وفى الأصل «رحاى». والمثبت من الكامل. وحانى: مدينة بديار بكر. انظر معجم البلدان ٢/ ١٨٨.

(٢) هذا الخبر والخبر التالى لم نقف لهما على مصدر.

(٣ - ٣) كذا فى الأصل. وفى م: «لعون ومعين».

آواه ، وحفِظه مِن أذى أخيه الكاملِ له حينَ أراد أن يُبايعَ للفائزِ ، ثم إنه سعَى فى الأرضِ فَسادًا فى بلادِ الجَزيرةِ ، فسجَنه الأشرفُ حتى مات كَمَدًا وذُلًّا وعُرْيًا[1] .

وفيها أوْقَع الكاملُ بالفِرِنْجِ الذين على دِمْياطَ بأْسًا شديدًا ، فقتَل منهم عشَرةَ آلافٍ ، وأخَذ خُيولَهم وأموالَهم . وللَّهِ الحمدُ .

وفيها عزَل المُعَظَّمُ المُعْتَمِدَ مبارزَ الدينِ إبراهيمَ عن وِلايةِ دمشقَ ، وولَّاها للعزيزِ خَليلٍ ، ولما خرَج الحاجُّ إلى مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ تعالى ، كان أميرَهم المُعْتَمِدُ ، فحصَل به خيرٌ كثيرٌ ، وذلك أنه كفَّ عَبيدَ مكةَ عن نهبِ الحاجِّ بعدَ قَتْلِهم أميرَ حاجِّ العراقِيِّين آقْباشَ الناصِرىَّ ، وكان مِن أكبرِ الأمراءِ عندَ الخليفةِ الناصرِ ، وأخَصِّهم عندَه ؛ وذلك لأنه قدِم معه بخِلَعٍ للأميرِ حسنِ[2] بنِ أبى عَزيزٍ قتادةَ بنِ إدْريسَ بنِ مُطاعنِ بنِ عبدِ الكريمِ العَلَوىِّ الحَسَنىِّ[3] الزَّيْدىِّ بولايتِه لإمْرةِ مكةَ بعدَ أبيه ، وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، فنازَع فى ذلك راجحٌ ، وهو أكبرُ أولادِ قتادةَ ، وقال : لا يَتَأَمَّرُ عليها غيرى . فوقَعَت فتنةٌ أفْضَى الحالُ إلى قتلِ آقْباشَ غَلَطًا . وقد كان قَتادةُ مِن أكابرِ الأشْرافِ [١٠/٤ظ] الحَسَنِيِّين الزَّيْدِيِّين ، وكان عادلًا مُنْصِفًا مُنَعَّمًا ، نِقْمةً على عَبيدِ مكةَ والمُفْسِدِين بها ، ثم عكَس هذا السَّيْرَ ، فظلَم وجدَّد المُكوسَ ، ونهَب الحاجَّ غيرَ مرةٍ ، فسلَّط اللَّهُ عليه ولدَه حسنًا ، فقتَله وقتَل عمَّه وأخاه أيضًا ، فلهذا لم يُمْهِلِ اللَّهُ حسنًا هذا ، بل سلَبه الملكَ ، [4]وشرَّده فى البلادِ ، وقيل : بل قُتِل كما ذكَرْنا[4] . وكان قتادةُ شيخًا

---

(١) فى م : « عذابا » .

(٢) فى م : « حسين » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣ .

(٣) سقط من : الأصل . وفى الذيل على الروضتين : « الحسينىّ » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

طويلًا مَهيبًا لا يَخافُ مِن أحدٍ مِن الخلفاءِ ولا المُلوكِ ، ويَرَى أنه أحَقُّ بالأمرِ مِن كلِّ أحدٍ ، وكان الخليفةُ يَوَدُّ لو حضَر عندَه ليُكْرِمَه ، وكان يَأْبَى مِن ذلك ويَمْتَنِعُ منه أشَدَّ الامْتِناعِ ، ولم يَفِدْ إلى أحدٍ قطُّ ، ولا ذلَّ لخليفةٍ ولا ملكٍ ، وكتَب إليه الخليفةُ مرةً يَسْتَدْعِيه ، فكتَب إليه[1] :

وِلِى كفُّ ضِرغامٍ أُذِلُّ ببَطْشِها ... وأَشْرِى بها بينَ الوَرَى وأَبِيعُ
وكلُّ[2] ملوكِ الأرضِ تَلْثُمُ ظهرَها ... وفى وسْطِهَا للمُجْدِبين[3] رَبيعُ
أأجْعَلُها تحتَ الرَّحَى ثم أَبْتَغِى ... خَلاصًا لها إنى إذًا لَرَقيعُ
وما أنا إلا المِسْكُ فى كلِّ بُقْعةٍ ... يَضُوعُ وأمَّا عندَكمْ فيَضِيعُ

وقد بلَغ قتادةُ مِن السِّنِّ سبعين سنةً ، وقد ذكَر ابنُ الأثيرِ وفاتَه فى سنةِ ثمانِى عشْرةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

ومِمن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الملكُ الفائزُ غِياثُ الدينِ إبراهيمُ بنُ العادلِ[4] ، كان قد انْتَظَم له الأمرُ فى الملكِ بعدَ أبيه ، على الديارِ المصريةِ على يدى الأميرِ عمادِ الدينِ بنِ المَشْطوبِ ، لولا أن الكاملَ تَدارَك ذلك سريعًا ، ثم أرْسَله أخوه فى هذه السنةِ إلى أخيهما الأشْرَفِ موسى يَسْتَحِثُّه فى سرعةِ المَسيرِ إليهم بسببِ الفِرِنْجِ ، فمات بينَ سِنْجارَ

---

(١) الأبيات فى مرآة الزمان ٨/٦١٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٦٠.

(٢) فى م : تظل. وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣.

(٣) فى الأصل : «للمجتدين» . وفى حاشية الأصل : «للممحلين» .

(٤) مرآة الزمان ٨/٦١٠ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤٠، والذيل على الروضتين ١٢٢، ونهاية الأرب ٢٩/١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٠، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٥.

والمَوْصِلِ ، وقيل : إنه سُمَّ . فرُدَّ إلى سِنْجارَ ، فدُفِن بها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

شيخُ الشيوخِ صَدْرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ شيخِ الشيوخِ عمادِ الدينِ عمرَ[1] بنِ حَمُّوَيْهِ الجُوَيْنيُّ ، مِن بيتِ رِياسةٍ وإمْرةٍ عندَ بنى أيوبَ ، وقد كان صدرُ الدينِ هذا فقيهًا فاضلًا ، درَّس بالشافعيِّ ، وبمشهدِ الحسينِ ، وولى مَشْيَخةَ سعيدِ السُّعَداءِ والنظرَ فيها ، وكانت له حُرْمةٌ وافرةٌ عندَ الملوكِ ، أرْسَله الكاملُ إلى الخليفةِ يَسْتَنْصِرُه على الفِرِنْجِ ، فمات بالموصلِ بالإسْهالِ ، ودُفِن بها عندَ قَضيبِ البانِ[2] عن ثلاثٍ وسبعين سنةً .

صاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ محمدُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ[3] ، وكان فاضلًا ، له تاريخٌ فى عشْرِ مُجَلَّداتٍ سمَّاه « المِضْمارَ » ، وكان شجاعًا فارسًا ، فقام بالملكِ بعدَه ولدُه الناصرُ قِليجُ أرْسَلان ، ثم عزَله عنها الكاملُ ، وحبَسه حتى مات ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وولَّى أخاه المُظَفَّرَ ابنَ المنصورِ .

صاحبُ آمِدَ ، الملكُ الصالحُ ناصرُ الدينِ محمودُ بنُ محمدِ بنِ قرَا أرْسَلان بنِ أُرْتُقَ[4] ، وكان شجاعًا مُحِبًّا للعلماءِ ، وكان مُصاحِبًا للأشْرفِ

---

(١) فى الأصل ،م : « محمود » ، وفى الذيل على الروضتين ص ١٢٥ : « محمد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٦، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٩٦.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٨ حاشية «٦» .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤١، والذيل على الروضتين ص ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٥٩.

(٤) فى الأصل : « أيوب » . وانظر ترجمته فى : الكامل ١٢/ ٤١٢، ذكره ابن الأثير فى حوادث =

موسى بنِ العادلِ يَجِيءُ إلى خدمتِه مِرارًا ، وملَك بعدَه ولدُه الملِكُ المسعودُ[1] ، وكان بَخيلًا فاسقًا ، [2]فأخَذ الكاملُ آمِدَ[2] وحبَسه بمصرَ ثم أطْلَقه ، فأخَذ أموالَه ، وسار إلى التَّتارِ ، [3]فأخِذت منه[3] .

الشيخُ عبدُ اللَّهِ اليُونينيُّ[4] المُلَقَّبُ أسدَ الشامِ ، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه ، مِن قريةِ ببَعْلَبَكَّ يقالُ لها : يُونِينُ . وكانت له زاويةٌ يُقصَدُ فيها للزيارةِ ، وكان مِن الصالحين الكبارِ المشهورين بالعبادةِ والرياضةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المنكرِ ، له هِمَّةٌ عاليةٌ فى الزهدِ والوَرَعِ ، بحيث إنه كان لا يَقْتَنى شيئًا ، ولا يَمْلِكُ [١٠/٥و] مالًا ولا ثيابًا ، بل يَلْبَسُ عارِيَّةً ، ولا يَتجاوزُ قميصًا فى الصيفِ ، وفَرْوَةً فوقَه فى الشتاءِ ، وعلى رأسِه قُبَّعًا مِن جلودِ المَعْزِ ، شَعْرُه إلى ظاهرٍ ، وكان لا يَنْقَطِعُ عن غَزاةٍ مِن الغَزَواتِ ، ويَرْمِى عن قوسٍ زنتُه ثمانون رَطْلًا ، وكان يُجاوِرُ فى بعضِ الأحيانِ بجبلِ لُبنانَ ، ويَأْتى فى الشتاءِ إلى عُيونِ الفاسريا[5] فى سَفْحِ الجبلِ المُطِلِّ على قريةِ دُومةَ شرقىَّ دِمشقَ ؛ لأجلِ سُخونةِ الماءِ ، فيَقْصِدُه الناسُ للزيارةِ هناك ، ويَجِيءُ تارةً إلى دمشقَ ، فيَنْزِلُ بسَفْحِ قاسِيونَ عندَ المَقادِسةِ[6] ، وكانت له أحوالٌ

= ووفيات سنة تسع عشرة وستمائة ، والذيل على الروضتين ص ١٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٨٢ وذكره ضمن وفيات سنة ثمان عشرة وستمائة ص ٤٣٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١١.

(١) فى الأصل : « السعيد » .

(٢ - ٢) فى م : « فأخذه مع الكامل » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « فأحدث فتنة » .

(٤) فى الأصل ، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١١: « اليونانى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦١٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٨، ونهارية الأرب ٢٩/ ١١١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣١٦.

(٥) فى م : « العاسريا » ، وفى مرآة الزمان : « الفاسرب » .

(٦) فى م : « القادسية » .

ومُكاشَفاتٌ صالحةٌ ، وكان يقالُ له : أسدُ الشامِ .

حكَى الشيخُ أبو المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجوزىِّ[1] عن القاضى جمالِ الدينِ يَعْقوبَ الحاكمِ بكَرَكِ البِقاعِ ، أنه شاهَد مرةً الشيخَ عبدَ اللَّهِ وهو يَتَوَضَّأُ مِن ثَوْرا[2] عندَ الجِسْرِ الأبيضِ ، إذ مرَّ نَصْرانىٌّ ومعه حِمْلُ بَغْلٍ خَمْرًا ، فعثَرَت الدابَّةُ عندَ الجسرِ فسقَط الحِمْلُ فرأَى الشيخَ وقد فرَغ مِن وُضوئِه ، ولا يَعْرِفُه ، واسْتَعان به على رفعِ الحِمْلِ ، فاسْتَدْعانى الشيخُ فقال : تعالَ يا فَقيهُ فتُساعِدَنا على تَحْميلِ ذلك الحِمْلِ على الدابَّةِ . وذهَب النصرانىُّ ، فتعَجَّبْتُ[3] مِن ذلك ، وتبِعْتُ الحِمْلَ وأنا ذاهبٌ إلى المدينةِ ، فانْتَهَى به إلى العُقَيْبَةِ[4] ، فأوْرَده إلى الخَمَّارِ بها ، فإذا هو خَلٌّ ، فقال له الخَمَّارُ : ويْحَك ! هذا خَلٌّ . فقال النَّصْرانىُّ : أنا أَعْرِفُ مِن أين أُتِيتُ . ثم ربَط الدابةَ فى الخانِ ، ورجَع إلى الصالحيةِ ، فسأَل عن الشيخِ ، فعرَفه فجاء إليه ، فأسْلَم على يديه .

وله أحْوالٌ وكَراماتٌ كثيرةٌ جدًّا ، وكان لا يقومُ لأحدٍ دخَل إليه ، ويقولُ : إنما يقومُ الناسُ لربِّ العالمين . وكان الأمْجَدُ إذا دخَل عليه جلَس بينَ يديه ، فيقولُ له : يا مُجَيْدُ[5] ، فعَلْتَ كذا وكذا . ويَأْمُرُه بما يَأْمُرُه ، ويَنْهاه عما يَنْهاه عنه ، وهو يَمْتَثِلُ جميعَ ما يقولُه له ؛ وما ذاك إلا لصدقِه فى زهدِه ووَرَعِه وطريقِه ، وكان يَقْبَلُ الفُتوحَ ، ولا يَدَّخِرُ منه شيئًا لغدٍ ، وإذا اشْتَدَّ جُوعُه أخَذ مِن ورقِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦١٣ (القسم الثانى) .

(٢) ثورا : بالفتح والقصر ، اسم لنهر عظيم بدمشق . معجم البلدان ١/ ٩٣٨.

(٣) فى الأصل : « فتعجب » .

(٤) فى م : « العقبة » .

(٥) فى م : « أمجد » . وانظر الخبر فى تاريخ الإسلام ص ٣٤٢ .

اللَّوْزِ ، ففرَكه واسْتَفَّه ، وشرِب فوقَه الماءَ الباردَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكْرَم مَثْواه .

وذكَروا أنه كان يَحُجُّ فى بعضِ السِّنينَ فى الهَواءِ ، وقد وقَع هذا لطائفةٍ كثيرةٍ مِن الزُّهَّادِ وصالحى العُبّادِ ، ولم يَبْلُغْنا هذا عن أحدٍ مِن أكابرِ العلماءِ ، وأولُ مَن يُذكرُ عنه هذا حَبيبٌ العَجَمىُّ ، وكان مِن أصحابِ الحسنِ البصرىِّ ، ثم مَن بعدَه مِن الصالحين ، رحمةُ اللَّهِ تعالى عليهم أجْمَعين .

فلما كان يومُ جمعةٍ مِن عشرِ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ صلَّى الشيخُ[1] عبدُ اللَّهِ اليُونِينىُّ صلاةَ[2] الجمعةِ بجامعِ بَعْلَبَكَّ ، وكان قد دخَل الحَمَّامَ يومَئذٍ قبلَ الصلاةِ وهو سَوِىٌّ صحيحٌ ، فلما انْصَرَف مِن الصلاةِ قال للشيخِ داودَ المُؤَذِّنِ وكان يُغَسِّلُ المَوْتَى : انْظُرْ كيف تكونُ غدًا . ثم صعِد الشيخُ إلى زاويتِه ، فبات يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى تلك الليلةَ ، ويَتَذَكَّرُ أصحابَه ومَن أحْسَن إليه ولو بأدْنَى شىءٍ ، ويَدْعُو لهم ، فلما دخَل وقتُ الصبحِ صلَّى بأصحابِه ، ثم اسْتَنَد يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى وفى يدِه مِسْبَحتُه ، فمات وهو كذلك [١٠/٥ظ] جالسٌ لم يَسْقُطْ ، ولم تَسْقُطِ السُّبْحةُ مِن يدِه ، فلما انْتَهَى الخبرُ إلى الملكِ الأمْجَدِ صاحبِ بَعْلَبَكَّ ، جاء إليه ، فعايَنه كذلك فقال : لو بنَيْنا عليه بُنْيانًا وهو هكذا ؛ ليُشاهِدَ الناسُ منه آيةً . فقيل له : ليس هذا مِن السنةِ . فنُحِّى وغُسِّل وكُفِّن ، وصُلِّى عليه ، ودُفِن تحتَ اللَّوْزَةِ التى كان يَجْلِسُ تحتَها يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى ، رحِمه اللَّهُ ونوَّر ضَريحَه .

وكانت وفاتُه يومَ السبتِ ، وقد جاوَز ثمانين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكرَم مَثْواه ، وكان الشيخُ محمدٌ الفَقيهُ اليُونِينىُّ مِن جملةِ تَلاميذِه ، وممَّن يَلوذُ به ، وهو

---

(١) فى م : « الصبح » .

(٢) فى م : « وصلاة » .

جَدُّ هؤلاء المشايخِ بمدينةِ بَعْلَبَكَّ .

أبو عبدِ اللَّهِ[1] **الحسينُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرٍ**[1] **المجلىُّ**[2] **المَوْصِلىُّ** ، ويُعْرَفُ بابنِ الجُهَنىِّ ، شابٌّ فاضلٌ ، ولِى كِتابةَ الإنْشاءِ لبدرِ الدينِ لُؤْلُؤ زعيمِ الموصلِ ، ومِن شعرِه :

نفسى فداءُ الذى فكَّرْتُ فيه وقد ... غدَوْتُ أَغْرَقُ فى بحرٍ مِن العَجَبِ
يَبْدُو بليلٍ على صُبْحٍ على قمرٍ ... على قَضيبٍ على وهمٍ على كَثَبِ

---

(١) بعده فى الأصل : « بن » ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .
(٢) فى الأصل : « المحلى » .

ثم دخَلَت سنةُ ثمان عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] اسْتَوْلَت التَّتارُ على كثيرٍ مِن البُلْدانِ كمَراغَةَ[2] وهَمَذانَ وأَرْدَبِيلَ وتِبْريزَ وكَنْجَةَ[3] ، وقتَلوا أهاليَها ، ونهَبوا ما فيها ، واسْتَأْسَروا ذَراريَّها ، واقْتَرَبوا مِن بغدادَ ، فانْزَعَج الخليفةُ من ذلك ، وحصَّن بغدادَ ، واسْتَخْدَم الأَجْنادَ ، وقنَت الناسُ فى الصَّلواتِ والأَوْرادِ .

وفيها قهَروا الكُرْجَ واللَّانَ ، ثم قاتَلوا القَفْجاقَ[4] ، فكسَروهم ، وكذلك الرُّوسُ ، ويَنْهَبون ما قدَروا عليه من أموالِ هؤلاء ويَسْبون ذراريَّهم ونساءَهم .

وفيها سار المُعَظَّمُ إلى أخيه الأشرفِ ، فاسْتَعْطَفه على أخيه الكاملِ ، وكان فى نفسِه مَوْجِدةٌ عليه ، فأزالها وسارا جميعًا نحوَ الديارِ المصريةِ لمُعاونةِ الكاملِ على الفِرِنْجِ الذين قد أخَذوا ثَغْرَ دِمْياطَ ، واسْتَحْكَم أمرُهم هنالك مِن سنةِ أربعَ عشْرةَ ، وعُرض عليهم فى بعضِ الأوقاتِ أن يُرَدَّ إليهم بيتُ المقدسِ وجميعُ ما كان صلاحُ الدينِ فتَحه مِن بلادِ الساحلِ ، ويَتْرُكوا دِمْياطَ ، فامْتَنعوا مِن ذلك ،

---

(١) الكامل ١٢/٤٠١ - ٤٠٥، ومرآة الزمان ٨/٦١٨ - ٦٢٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٢٨ - ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٣ - ٥٧.

(٢) فى م : « بكلادة » . ومراغة : بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان . معجم البدان ٤/ ٤٧٦.

(٣) كنجة : مدينة عظيمة ، وهى قصبة بلاد أرّان ، وأهل الأدب يسمونها جنزة وكنجة من نواحى لُرستان بين خوزستان وأصبهان . انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٨.

(٤) فى م : « القبجاق » .

ولم يَفْعَلوا ، فقدَّر اللَّهُ تعالى أنهم ضاقَت عليهم الأقْواتُ ، فقدِم عليهم مَراكِبُ فيها مِيرةٌ لهم ، فأخَذها الأُسطولُ البحْرىُّ ، وأُرْسِلَت المياهُ على أراضى دِمْياطَ مِن كلِّ ناحيةٍ ، فلم يُمْكِنْهم بعدَ ذلك أن يَتَصَرَّفوا فى أنفسِهم ، وحصَرهم المسلمون مِن الجهةِ الأخرى حتى اضْطَرُّوهم إلى أضيقِ الأماكن ، فعندَ ذلك أنابوا إلى المُصالَحَةِ بلا مُعاوَضةٍ ، فجاء مُقَدَّموهم إليه ، وعندَه أخواه المُعَظَّمُ عيسى وموسى الأشْرَفُ ، وكانا قائمَيْن بينَ يديه ، وكان يومًا مشهودًا وأمْرًا محمودًا ، فوُقِّع الصُّلْحُ على ما أراد الكاملُ محمدٌ ، بيَّض اللَّهُ وجهَه ، وملوكُ الفِرِنْجِ والعَساكرُ كلُّها واقفةٌ بحضرتِه ، ومدَّ سِماطًا عظيمًا ، فاجْتَمَع عليه المؤمنُ والكافرُ والبَرُّ والفاجرُ ، وقام راجحٌ الحِلِّىُّ الشاعرُ فأنْشَد :

هَنيئًا فإنَّ السعدَ راح مُخَلَّدَا ... وقد أنْجَز الرحمنُ بالنصرِ مَوْعِدَا
حَبانَا إلهُ الخلقِ فتحًا بَدَا لنا ... مُبِينًا وإنْعامًا وعِزًّا مُؤَبَّدَا
تهَلَّل وجهُ الدهرِ بعدَ قُطوبِه ... وأصْبَح وجهُ الشِّرْكِ بالظلمِ أسْوَدَا
ولما طغَى البحرُ الخِضَمُّ بأهلِه الطُّـ ... ـغاةِ وأضْحَى بالمَراكبِ مُزْبِدَا
أقام لهذا [٦/١٠و] الدينِ مَن سلَّ عَزْمَه ... صَقيلًا كما سُلَّ الحُسامُ مُجَرَّدَا
فلم يَنْجُ إلا كلُّ شِلْوٍ مُجَدَّلٍ ... ثوى منهمُ أو مَن تَراه مُقَيَّدَا
ونادَى لسانُ الكونِ فى الأرضِ رافعًا ... عَقيرتَه فى الخافِقَيْن ومُنْشِدَا
أعُبَّادَ عيسى إن عيسى وحِزْبَه ... وموسى جميعًا يَخْدُمون محمدَا

قال أبو شامَةَ[1] : وبلَغَنى أنه أشار عندَ ذلك إلى المُعَظَّمِ عيسى والأشْرَفِ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٠.

موسى والكاملِ محمدٍ. قال: وهذا مِن أحْسَنِ شيءٍ اتَّفَق. وكان ذلك يومَ الأربعاءِ تاسعَ عشَرَ رجبٍ مِن هذه السنةِ، وتراجَعَت الفِرِنْجُ إلى عَكَّا وغيرِها من البلدانِ، ورجَع المُعَظَّمُ إلى الشامِ، واصْطَلَح الأشْرَفُ والكاملُ على أخيهما المُعَظَّمِ.

وفيها ولَّى الملِكُ المُعَظَّمُ قَضاءَ دمشقَ لجمالِ الدينِ المِصْرىِّ الذى كان وَكيلَ بيتِ المالِ بها، وكان فاضلًا بارعًا، يَجْلِسُ فى كلِّ يومِ جُمُعةٍ قبلَ الصلاةِ بالعادليَّةِ وبعدَ فراغِها لإثْباتِ الحَاضِرِ، ويَحْضُرُ عندَه فى المدرسةِ جميعُ الشهودِ مِن كلِّ المَراكزِ حتى يَتَيَسَّرَ على الناسِ إثْباتُ كتبِهم فى الساعةِ الواحدةِ، جزاه اللَّهُ خيرًا.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

ياقوتُ الكاتبُ المَوصلِىُّ[1]، رحِمه اللَّهُ، أمينُ الدينِ، المَشْهورُ بطريقةِ ابنِ البَوَّابِ. قال ابنُ الأثِيرِ[2]: لم يكنْ فى زمانِه مَن يُقارِبُه فى خطِّه، وكانت لديه فَضائلُ جَمَّةٌ، والناسُ مُتَّفِقون على الثَّناءِ عليه، وكان نِعْمَ الرجلُ، وقد قال فيه نَجيبُ الدينِ الواسطىُّ قَصيدةً يمدحُه بها:

جامعٌ شاردَ العلومِ ولولا ... ه لَكانت أمُّ الفَضائلِ ثَكْلَى
ذو يَراعٍ تخافُ زُبْيَتَه[3] الأُسْـ ... ـدُ وتَعْنُو له الكَتائبُ ذُلَّا

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٠٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٣١٢، ووفيات الأعيان ٦/ ١١٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٤، ومرآة الجنان ٤/ ٤٢.

(٢) الكامل ١٢/ ٤٠٥.

(٣) فى م: «ريقته». وفى مصدر ترجمته: «سطوته».

وإذا افْتَرَّ ثغرُه عن سوادٍ ... فى بياضٍ فالبِيضُ والسُّمْرُ خَجْلى
أنت بدرٌ والكاتبُ ابنُ هلالٍ ... كأبيه لا فخرَ فيمَن تولَّى
إن يَكُنْ أوّلًا فإنك بالتَّفْـ ... ـضيلِ أوْلَى فقد سبَقْتَ وصَلَّى[1]

جلالُ الدينِ الحسنُ[2]، مِن أولادِ الحسنِ بنِ الصَّبَّاحِ مُقَدَّمِ الإسْماعيليةِ، وكان قد أظْهَر فى قومِه شعائرَ الإسلامِ، وحفْظَ الحُدودِ والمُحَرَّماتِ والقيامَ فيها بالزَّواجرِ الشرعيةِ.

الشيخُ الصالحُ شِهابُ الدينِ محمدُ بنُ خَلَفِ بنِ راجحٍ المَقْدسيُّ[3]، **الحَنْبليُّ الزاهدُ العابدُ الناسكُ**، كان يَقْرَأُ على الناسِ يومَ الجمعةِ الحديثَ النبويَّ، وهو جالسٌ على أسفلِ مِنْبرِ الخَطابةِ بالجامعِ المُظَفَّرِيِّ، وقد سمِع الكثيرَ، ورحَل وحفِظ «مَقاماتِ الحَريرِيِّ» فى خمسين ليلةً، وكانت له فُنونٌ كثيرةٌ، وكان ظَريفًا مَطْبوعًا، رحِمه اللَّهُ.

والخطيبُ مُوَفَّقُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ عمرُ بنُ يوسفَ بنِ يحيى بنِ عمرَ بنِ كاملٍ المَقْدِسيُّ[4]، خَطيبُ بيتِ الآبارِ، وقد ناب بدمشقَ عن الخطيبِ جَمالِ الدينِ الدَّوْلعيِّ حينَ سار فى الرسليةِ إلى خُوارَزْم شاه، حتى عاد.

المُحَدِّثُ البارعُ تَقيُّ الدينِ أبو طاهرٍ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُحسنِ

---

(١) صلى: تلا السابقَ. القاموس المحيط (ص ل ى).
(٢) الكامل ١٢/ ٤٠٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/ ٩٨، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٥٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٩٨.
(٣) مرآة الزمان ٨/٦٢٢ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٥١، والذيل على الروضتين ص ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٤٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٢٤.
(٤) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٧٦، والذيل على الروضتين ص ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٥.

ابنِ الأَنْماطيِّ[1] ، قرَأ الحديثَ ، ورحَل وكتَبه ، وكان حسنَ الخطِّ مُتْقِنًا فى علومِ الحديثِ ، حافظًا له ، وكان الشيخُ تقىُّ الدينِ بنُ الصَّلاحِ يُثْنِى عليه ويَمْدَحُه ، وكانت كتبُه بالبيتِ الغَرْبىِّ مِن الكَلَّاسةِ الذى كان للملكِ المُحَسِّنِ بنِ صلاحِ الدينِ ، ثم أُخِذ مِن ابنِ الأَنْماطىِّ وسُلِّم إلى الشيخِ عبدِ الصَّمَدِ الدكائىِّ ، واستَمَر بيدِ أصحابِه بعدَ ذلك ، وكانت وفاتُه بدمشقَ ، ودُفِن بمقابرِ الصُّوفيةِ ، وصَلَّى عليه بالجامعِ الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ ، وبابِ النصرِ الشيخُ فَخْرُ الدينِ بنُ عساكرَ ، وبالمَقْبَرةِ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ المِصْرىُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو الغَيْثِ شُعَيْبُ بنُ أبى طاهرِ بنِ كُلَيْبِ بنِ مُقْبِلٍ[2] الضَّريرُ [١٠/٦ظ] الفَقيهُ الشافعىُّ ، أقام ببغدادَ إلى أن تُوُفِّى ، وكانت لديه فَضائلُ وله رَسائلُ ، ومِن شعرِه قولُه :

إذا كنتُمُ للناسِ أهلَ سِياسةٍ ... فسُوسوا كِرامَ الناسِ بالجُودِ والبَذْلِ
وسُوسُوا لِئامَ الناسِ بالذُّلِّ يَصْلُحوا ... عليه فإن الذلَّ أصْلَحُ للنَّذْلِ

أبو العِزِّ مُشرَّفُ[3] **بنُ علىِّ بنِ أبى جعفرِ بنِ كاملٍ الخالِصىُّ المُقْرِئُ الضَّريرُ الفَقيهُ الشافعىُّ** ، تفَقَّه بالنِّظاميةِ ، وسمِع الحديثَ ورواه ، وأنْشَد عن الحسنِ بنِ عمرٍو الحَلَبىِّ :

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٢٢ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٤٣.
(٢) الوافى بالوفيات ١٦/ ١٦٣، ونكت الهميان ص ١٦٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥١.
(٣) فى النسختين : « شرف » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٣٥٨، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٧١.

تَمَثَّلْتُمُ لى والديارُ بَعيدةٌ فخُيِّلَ لى أن الفُؤادَ لكم مَعْنَى
وناجاكمُ قلْبى على البُعْدِ بينَنَا فأوحَشْتمُ لفظًا وآنَسْتُمُ مَعْنَى

أبو سليمانَ داودُ بنُ إبراهيمَ الجِيلىُّ[1] ، أحدُ المُعِيدين بالمدرسةِ النِّظاميةِ ، ومما أنْشَده .

أيا جامعًا أمْسِكْ عَنانَك مقصرًا فإنَّ مَطايا الدَّهرِ تَكْبُو وتُقْصِرُ
ستَقْرَعُ سِنًّا أو تَعَضُّ نَدامةً يَدَيكَ[2] إذا خان الزمانُ وتُبصرُ
ويَلْقاك رُشْدٌ بعدَ غَيِّك واعظٌ ولكنَّه يَلْقاك والأمرُ مُدْبِرُ

أبو المُظَفَّرِ عبدُ الوَدودِ بنُ محمودِ بنِ المبارَكِ بنِ علىِّ بنِ المباركِ بنِ الحسنِ[3] ، الواسطىُّ الأصلِ البغدادىُّ الدارِ والمَوْلِدِ ، كمالُ الدينِ المعروفُ والدُه بالمُجيرِ ، تفقَّه على أبيه ، وقرَأ عليه عِلْمَ الكلامِ ، ودرّس بمدرستِه عندَ بابِ الأَزَجِ ، ووكَّله الخليفةُ الناصرُ ، واشْتَهَر بالدِّيانةِ والأمانةِ ، وباشَر مَناصِبَ كِبارًا ، وحجَّ مِرارًا عديدةً ، وكان مُتواضِعًا حسنَ الأخلاقِ ، وكان يقولُ :

وما ترَكَتْ ستٌّ وستون حِجَّةً لنا حُجَّةً أن نَرْكَبَ اللهوَ مَرْكَبا

وكان يُنْشِدُ :

العلمُ يَأْتى كلَّ ذى خفضٍ ويَأْبَى كلَّ آبى
كالماءِ يَنْزِلُ فى الوِهادِ وليس يَصْعَدُ فى الرَّوابِى

---

(١) فى الأصل : « بن منذر الحنبلى » ، وفى م : « بن منذار الجبلى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ المختصر المحتاج إليه ١٥/ ١٨٢، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٠٠، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤٤.

(٢) سقط من : م .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١١، والوافى بالوفيات ١٩/ ٢٨٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٧.

ثم دخَلَت سنةُ تسعَ عشْرةَ وستّمائةٍ

فيها[1] نُقِل تابوتُ العادلِ مِن القلعةِ إلى تُرْبتِه بالعادليةِ الكبيرةِ، فصُلِّى عليه أولًا تحتَ النَّسْرِ بالجامعِ الأُمَوىِّ، ثم جاءوا به إلى التُّرْبةِ المَذْكورةِ، فدُفِن بها، ولم تَكُنِ المدرسةُ كمَلت بعدُ، وقد تَكامَل بناؤُها فى [2]السنةِ الآتيةِ[2] أيضًا، وذكَر الدرسَ بها القاضى جَمالُ الدينِ المصرىُّ، وحضَر عندَه السلطانُ المُعَظَّمُ، فجلَس فى الصَّدْرِ، وعن شمالِه القاضى، وعن يمينِه جمالُ[3] الدينِ الحَصِيرىُّ[4] شيخُ الحَنَفيةِ، وكان فى المجلسِ الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصَّلاحِ إمامُ السلطانِ، والشيخُ سيفُ الدينِ الآمِدىُّ إلى جانبِ المُدَرِّسِ، وإلى جانبِه شمسُ الدينِ بنُ سَنىِّ الدولةِ، ويَلِيه النَّجْمُ خَليلٌ قاضى العَسْكَرِ، وتحتَ الحَصِيرىِّ شمسُ الدينِ ابنُ الشِّيرازىِّ، وتحتَه مُحْيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ، وفيه خَلْقٌ مِن الأعيانِ والأكابرِ، وفيهم فخرُ الدينِ بنُ عَساكرَ.

وفيها أرْسَل الملكُ المُعَظَّمُ الصدرَ البَكْرىَّ[5] مُحْتَسِبَ دِمشقَ إلى جَلالِ الدينِ

---

(١) الكامل ١٢/٤٠٦ - ٤١٢، ومرآة الزمان ٨/ ٦٢٣، ٦٢٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٣١ - ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٨ - ٦١.

(٢ - ٢) فى م: «هذه السنة». وانظر الدارس ١/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) فى الأصل، م: «صدر». والمثبت من الذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام. ولم يذكر ذلك فى المصدرين الآخرين.

(٤) هنا وفيما يأتى، فى الأصل: «الحصرى».

(٥) فى م: «الكشهنى».

ابنِ خُوارَزْم شاه يَسْتَعِينُه على أخويه الكاملِ والأشرفِ اللذين قد تَمالآ عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمعِ والطاعةِ ، ولما عاد البكرىُّ أضاف إليه مَشْيَخةَ الشُّيوخِ .

وحجَّ فى هذه السنةِ الملكُ المَسْعودُ أَقْسيسُ بنُ الكاملِ صاحبُ اليمنِ ، فبدَت منه أفعالٌ ناقصةٌ [١٠/٧و] بالحرَمِ الشريفِ مِن سُكْرٍ ورَشْقِ حَمامِ المسجدِ بالبُنْدُقِ مِن أعلى قُبَّةِ زَمْزَمَ ، وكان إذا نام فى دارِ الإمارةِ يُضْرَبُ الطائفون بالمَسْعَى بأطرافِ السيوفِ لئلا يُشَوِّشوا عليه وهو نَومٌ سَكِرٌ ، قبَّحه اللَّهُ تعالى ، ولكن كان مع هذا كلِّه مَهيبًا مُحْتَرَمًا ، والبلادُ به آمِنةٌ مُطْمَئنةٌ ، وقد كان يَرْفَعُ سَنْجَقَ[1] أبيه يومَ عرَفةَ على سَنْجَقِ الخليفةِ ، فجرى بسببِ ذلك فتْنةٌ عظيمةٌ ، وما مُكِّنَ مِن طُلوعِه وصُعودِه إلى الجبلِ إلا فى آخِرِ النهارِ بعدَ جَهدٍ جَهيدٍ .

وفيها كان بالشامِ جَرادٌ كثيرٌ أكَل الزرعَ والثمارَ والأشجارَ .

وفيها وقَعَت حُروبٌ كثيرةٌ بينَ القَفجاقِ والكُرْجِ ، وقتالٌ كثيرٌ بسببِ ضيقِ بلادِ القَفْجاقِ عليهم .

وفيها ولِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ فَضْلانَ[2] ، ولبِس الخِلْعةَ فى [3]دارِ نائبِ[3] الوِزارةِ مُؤَيِّدِ الدينِ محمدِ بنِ محمدٍ القُمِّىِّ[4] بحَضْرةِ الأعْيانِ والكُبَراءِ ، وقُرِئَ تَقْليدُه بحَضْرتِهم ، وساقه ابنُ الساعى بحُروفِه .

---

(١) السنجق : اللواء . الوسيط (سنجق) .

(٢) فى م : « فلان » .

(٣ - ٣) فى م : « باب دار » .

(٤) فى م : « القيمق » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٦، والوافى بالوفيات ١/ ١٤٧.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

عبدُ القادرِ بنُ داودَ ، أبو محمدٍ الواسطىُّ[1] ، الفَقيهُ الشافعىُّ المُلَقَّبُ بالمحبِّ ، استقلَّ بالنِّظاميةِ دَهْرًا ، واشْتَغل بها ، وكان فاضلًا دَيِّنًا صالحًا ، ومما أنْشَده مِن الشعرِ قولُه :

الفَرْقَدانِ[2] كلاهما شهِدا له ... والبدرُ ليلةَ تِمِّهِ بشُهادِهِ
دَنِفٌ[3] إذا اعتبَق الظلامُ تَضَرَّمَتْ ... نارُ الجَوَى فى صدرِه وفؤادِهِ
فجَرَتْ مدامعُ جَفنِه فى خدِّه ... مِثلَ المَسيلِ يَسِيلُ مِن أطوادِهِ[4]
شوقًا إلى مُضْنِيهِ لم أَرَ هكذا ... مشتاقَ مُضْنِى جسمِه ببِعادِهِ
ليت الذى أضناه سِحْرُ جُفُونِه ... قبل المماتِ يكونُ من عُوَّادِه

أبو طالبٍ يحيى بنُ علىٍّ اليعقوبىُّ[5] ، **الفقيهُ الشافعىُّ** ، أحدُ المُعِيدين[6] ببغدادَ ، كان شيخًا مَليحَ الشَّيْبةِ ، جَميلَ الوجهِ ، كان يَلِى بعضَ الأوْقافِ ، ومما أنْشَده لبعضِ الفُضلاءِ :

لَحَمْلُ تِهامةٍ وجبالِ أُحُدٍ ... وماءُ البحرِ يُنْقَلُ بالزَّبيلِ[7]
ونقلُ الصخرِ فوقَ الظهرِ يومًا[8] ... لَأهونُ من مجالسةِ الثقيلِ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٧٩.

(٢) الفَرْقَد : نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريبًا ، ولذا يهتدى به ، وهو المسمى : النجم القطبى ، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه ؛ وهما فرقدان . الوسيط (فرقد) .

(٣) دنِف المريض : اشتد مرضه وأشفى على الموت . الوسيط (د ن ف) .

(٤) فى م : « أطواره » . والأطواد : جمع طَوْد ، وهو الجبل العظيم . انظر الوسيط (ط و د) .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١١٢.

(٦) فى الأصل : « المتعبدين » .

(٧) الزبيل : القُفَّة . انظر اللسان (ز ب ل) .

(٨) فى م : « عريا » .

ولبعضِهم أيضًا ، [1]وهو مما أنْشَده المذكورُ[1] :

وإذا مضَى للمَرْءِ مِن أعوامِه خمسون[2] وهْوَ إلى التُّقَى لا يَجْنَحُ
عكَفَتْ عليه المُخْزِياتُ بقولِها حالَفْتَنا فأقِمْ كذا لا تَبْرَحُ
وإذا رأى الشيطانُ غُرَّةَ وجهِه حيًّا وقال فَدَيْتُ من لا يُفْلِحُ

اتَّفَق أنه طُولِب بشىءٍ مِن المالِ ، فلم يَقْدِرْ عليه ، فاسْتَعْمل شيئًا مِن الأَفْيُونِ المِصْرىِّ ، فمات مِن يومِه ، ودُفِن بالوَرْدِيةِ .

وفيها تُوُفِّى قُطْبُ الدينِ بنُ[3] العادلِ بالفيومِ ، ونُقِل إلى القاهرةِ .

وفيها تُوُفِّى إمامُ الحَنابلةِ بمكةَ **الشيخُ نصرُ بنُ أبى الفرجِ المعروفُ بابنِ الحُصْرىِّ**[4] ، جاوَر بمكةَ مدةً[5] ، ثم ساقَته المَنِيَّةُ إلى اليمنِ ، فمات بها فى هذه السنةِ ، وقد سمِع الحديثَ مِن جَماعةٍ مِن المَشايخِ .

وفيها فى ربيعِ الأولِ تُوُفِّى بدمشقَ **الشِّهابُ عبدُ الكريمِ بنُ نَجْمِ[6] بنِ الحنبلىِّ**[6] ، أخو البَهاءِ والناصحِ ، وكان فَقيهًا مُناظِرًا بَصيرًا بالمُحاكَماتِ ، وهو الذى أخْرَج مسجدَ الوزيرِ مِن يدِ الشيخِ عَلَمِ الدينِ السَّخاوىِّ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) بعده فى الأصل : « حجة » .
(٣) سقط من : م . وقد جاء الاسم عند صاحب المرآة « قطب الدين العادلى » . وفى الحاشية جاءت « العادل » بدل « العادلى » . والمثبت من الأصل هو الصواب والموافق لما ذكر فى الذيل على الروضتين . انظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٦٢٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣٣.
(٤) المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٣٦٨، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/ ٢٤١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٠١، والذيل على الروضتين ص ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٦٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٠، وغاية النهاية ٢/ ٣٣٨.
(٥) بعده فى م : « لم يسافر » .
(٦ - ٦) فى م : « النيلى » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٠٤، والذيل على =

ثم دخَلَت سنةُ عشرين وستّمائةٍ

فيها[1] عاد الأشْرفُ موسى بنُ العادلِ مِن عندِ أخيه الكاملِ صاحبِ مصرَ إلى الشامِ، فتلقَّاه أخوه المُعَظَّمُ، وقد فهِم [١٠/٧ظ] أنهما تَمالأَ عليه، فبات ليلةً بدمشقَ، وسار مِن آخِرِ الليلِ، ولم يَشْعُرْ أخوه بذلك، فسار إلى بلادِه، فوجَد أخاه الشِّهابَ غازى الذى اسْتَنابه على خِلاطَ ومَيَّافارِقِينَ قد قوِى رأسُه، وكاتَبه المُعَظَّمُ وصاحبُ إرْبِلَ، وحسَّنوا له مُخالفةَ الأشرفِ، فكتَب إليه الأشرفُ يَنْهاه عن ذلك، فلم يَقْبَلْ، فجمَع له العَساكرَ ليُقاتِلَه.

وفيها سار أَقْسِيسُ الملكُ المسعودُ صاحبُ اليمنِ بنُ الكاملِ مِن اليمنِ إلى مكةَ، شرَّفها اللَّهُ تعالى، فقاتَله حسنُ بنُ قَتادةَ ببطنِ مكةَ بينَ الصَّفا والمَرْوةِ، فهزَمه أَقْسِيسُ وشرَّده، واسْتَقَلَّ بمُلكِ مكةَ مع اليمنِ، وجرَت أمورٌ فَظيعةٌ، وتشَرَّد حسنُ بنُ قَتادةَ قاتلُ أبيه وعمِّه وأخيه فى تلك الشِّعابِ والأوْديةِ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ بنُ قُدامةَ المقدسىُّ[2]، مصنِّفُ «المُغْنى» فى الفقهِ،

= الروضتين ص ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٢، وشذرات الذهب ٥/ ٨٥.

(١) الكامل ١٢/٤١٣ - ٤١٨، ومرآة الزمان ٨/٦٢٥ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٣٣، ١٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٢.

(٢) المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٢١٢، ومرآة الزمان ٨/٦٢٧ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة =

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ[1] **بنِ قدامةَ، الشيخُ موفقُ الدينِ أبو محمدٍ المقدسيُّ**، إمامٌ عالمٌ بارعٌ، لم يَكُنْ فى عصرِه بل ولا قبلَ دهرِه بمدةٍ، أفقهُ منه، وُلِد بجَمَّاعِيلَ فى شعبانَ سنةَ إحدى وأربعين وخمسِمائةٍ، وقدِم مع أهلِه إلى دمشقَ فى سنةِ إحدى وخمسين، وقرَأ القرآنَ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، ورحَل مرتين إلى العراقِ؛ إحداهما فى سنةِ إحدى وستين مع ابنِ خالتِه[2] الحافظِ عبدِ الغنىِّ، والأخرى سنةَ سبعٍ وستين، وحجَّ فى سنةِ ثلاثٍ وسبعين، وتفَقَّه ببغدادَ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ، وبرَع وأفْتَى وناظَر، وتبَحَّر فى فُنونٍ كثيرةٍ، مع زُهْدٍ وعِبادةٍ، ووَرَعٍ وتَواضُعٍ، وحسنِ أخلاقٍ، وجُودٍ وحَياءٍ وحُسنِ سَمْتٍ، ونورٍ وبَهاءٍ، وكَثْرةِ تِلاوةٍ وصلاةٍ وصيامٍ وقيامٍ، وطريقةٍ حسنةٍ واتِّباعٍ للسَّلَفِ الصالحِ، وكانت له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ، وقد قال الشافعىُّ[3]، رحِمه اللَّهُ تعالى: إن لم يَكُنِ العلماءُ العاملون[4] أوْلياءَ اللَّهِ فلا أعْلَمُ للَّهِ وليًّا.

وكان يَؤُمُّ الناسَ للصلاةِ فى مِحْرابِ الحَنابلةِ هو والشيخُ العِمادُ، فلما تُوُفِّى

= ٥/ ١٥٨، والذيل على الروضتين ص ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٨٣، وفوات الوفيات ٢/ ١٥٨، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣.

(١) بعده فى فوات الوفيات: «بن أحمد».

(٢) فى الأصل: «عمته»، وفى م: «عمه». وفى سير أعلام النبلاء: «خاله». والمثبت من تاريخ الإسلام وفوات الوفيات والوافى بالوفيات وذيل طبقات الحنابلة، وهى المصادر التى ذكرت النسبة بينهما. وما فى السير تحريف، وانظرأيضًا تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٤٤٣.

(٣) أخرجه البيهقى فى مناقب الشافعى ٢/ ١٥٥ بسنده عن الشافعى، بلفظ «الفقهاء» بدلًا من «العلماء».

(٤) فى م: «العاقلون».

العِمادُ اسْتَقَلَّ هو بالوَظيفةِ ، فإن غاب صلَّى عنه أبو سليمانَ[1] عبدُ الرحمنِ بنُ الحافظِ عبدِ الغنيِّ ، وكان يَتَنَقَّلُ بينَ العِشاءَيْن بالقربِ مِن مِحْرابِه ، فإذا صلَّى العشاءَ انْصَرَف إلى منزلِه بدربِ الدَّوْلَعيِّ بالرَّصيفِ ، وأخَذ معه مِن الفُقراءِ مَن تيَسَّر ؛ يَأْكُلون معه مِن طعامِه ، وكان مَنْزِلُه الأصْليُّ بقاسِيونَ ، فيَنْصَرِفُ فى بعضِ الليالى بعدَ العشاءِ إلى الجبلِ ، فاتَّفَق[2] فى بعضِ الليالى أن خطَف رجلٌ عِمامتَه ، وكان فيها كاغِدٌ فيه رَمْلٌ[3] ، فقال له الشيخُ : خذ الكاغِدَ ، وألْقِ العِمامةَ . فظنَّ الرجلُ أن فى الكاغدِ مالًا ، فأخَذه وألْقَى العِمامةَ ، [4]فأخَذَها الموفقُ ثم ذهَب[4] . وهذا يَدُلُّ على ذَكاءٍ مُفْرِطٍ واسْتِحْضارٍ حسَنٍ فى الساعةِ الراهنةِ ، حتى خلَّص عِمامتَه مِن يدِه بتَلَطُّفٍ .

وله مُصَنَّفاتٌ عَديدةٌ مَشْهورةٌ ، منها « المُغْنِى » فى شرحِ « مختصرِ[5] الخِرَقِيِّ » فى عشَرةِ مُجَلَّداتٍ ، و « الكافى »[6] فى [7]أربعةِ مُجَلَّداتٍ[7] و « المُقْنِعُ » للحفظِ ، و « الرَّوْضةُ » فى أصولِ الفقهِ ، وغيرُ ذلك مِن التَّصانيفِ المُفيدةِ ، وكانت وفاتُه فى يومِ عيدِ الفِطْرِ فى هذه السنةِ ، وقد بلَغ الثمانين ، وكان يومَ سبتٍ ، وحضَر جِنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ ، ودُفِن بتربتِه المشهورةِ ، ورُئِيَت له مَناماتٌ

---

(١) بعده فى م : « بن الحافظ » .

(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٤٠، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٦.

(٣) عبارة مصدرى التخريج أوضح ، ففيهما أنه كان يجعل فى عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) زيادة من : م .

(٦) فى م : « الشافى » .

(٧ - ٧) فى الأصل ، م :« مجلدين » . والمثبت من مصادر ترجمته ، عدا مرآة الزمان والتكملة والذيل على الروضتين فلم تذكر ذلك .

صالحةٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان له أولادٌ ذُكورٌ وإناثٌ ، فماتوا فى حياتِه . ولم يُعْقِبْ منهم سوى ابنِه عيسى ولدَيْن ، ثم ماتا وانْقَطَع نَسْلُه ، قال أبو المُظَفَّرِ [١٠/٨و] السِّبطُ[١] : نقَلْتُ مِن خطِّ الشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ :

لا تَجْلِسَنَّ بِبابِ مَن ... يَأْبَى عليك دخولَ[٢] دارِهْ
وتقولُ حاجاتى إليـ ... ـه يَعوقُها[٣] إن لم أُدارِهْ
واتْرُكْه واقْصِدْ ربَّها ... تُقْضَى وربُّ الدارِ كارِهْ

ومما أنْشَده الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ لِنفسِه[٤] ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورضِى عنه قولُه :

أبَعْدَ بياضِ الشعرِ أعمرُ مَسْكَنًا ... سوى القبرِ إنى إن فعَلْتُ لَأَحْمقُ
يُخْبِّرُنى شَيْبى بأنىَ مَيِّتٌ ... وَشيكًا ويَنْعانى إلىَّ فيَصْدُقُ
يُخْرَّقُ عُمْرى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... فهل [٥]أَسْتَطيعُ رَقْعَ[٥] ما يَتَخَرَّقُ
[٦]كأنى بجسمى[٧] فوقَ نَعْشى[٨] مُمَدَّدًا ... فمِن ساكتٍ أو مُعْوِلٍ يَتَحَرَّقُ[٦]

---

(١) ذكره عنه أبو شامة فى الذيل على الروضتين ص ١٤١، ١٤٢، ولم نجده فى نسخة مرآة الزمان المطبوعة التى بين أيدينا .

(٢) فى م : « وصول » .

(٣) فى الأصل : « أعوقها » .

(٤) انظر مرآة الزمان ٨/٦٣٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤١.

(٥ - ٥) فى الأصل : « يستطع رفوًا » ، وفى م : « مستطاع رقع » ، وفى الذيل على الروضتين : « مستطيع رفو » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٦ - ٦) فى الأصل :

« كأنى بقوم يتبعون جنازتى ... وأعينهم تذرى الدموع وتدفق »

(٧) فى مرآة الزمان : « بنفسى » .

(٨) فى الذيل : « نعش » .

إذا سُئِلوا[1] عنى أجابوا وعوَّلوا وأدْمُعُهمْ تَنْهَلُّ هذا المُوَفَّقُ
وغُيِّبْتُ فى صَدْعٍ مِن الأرضِ ضَيِّقٍ وأُودِعْتُ [2]لَحْدًا فوقَه الصَّخْرُ[2] مُطْبَقُ
ويَحْثُو علىَّ التُّرْبَ أوْثَقُ صاحبٍ ويُسْلِمُنى للقبرِ[3] مَن هو مُشْفِقُ
[4]فيا ربِّ كُنْ لى مُؤْنِسًا يومَ وَحْشَتى فإنى بما أَنْزَلْتَه لَمُصَدِّقُ[4]
وما ضرَّنى أنى إلى اللَّهِ صائرٌ ومَن هو مِن أهلى أبَرُّ وأرْفَقُ

فخرُ الدينِ بنُ عَساكرَ[5] : عبدُ الرحمنِ [6]بنُ محمدِ[6] بنِ الحسَنِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ عَساكرَ، فخرُ الدينِ أبو منصورٍ الدمشقىُّ، شيخُ الشافعيةِ بها، وأمُّه أسْماءُ بنتُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ طاهرٍ القريشيةُ[7] - المعروفُ والدُها بأبى البَرَكاتِ بنِ الرانىِّ[8]، وهو الذى جدَّد مسجدَ القَدَمِ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وبه قبرُه وقبرُها[9]، ودُفِن هناك طائفةٌ كبيرةٌ مِن العلماءِ - وهى أختُ آمِنةَ والدةِ القاضى مُحْيى الدينِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الزَّكِىِّ.

---

(١) فى الذيل: «سألوا».
(٢ - ٢) فى مرآة الزمان: «فى لحد به الترب».
(٣) فى مرآة الزمان: «للترب».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) مرآة الزمان ٨/ ٦٣٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٥٢، والذيل على الروضتين ص ١٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٨٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٧٧.
(٦ - ٦) سقط من: م.
(٧) فى م: «القدسية».
(٨) فى الأصل: «المرار»، وفى م: «المران». والمثبت من الذيل على الروضتين، ولم تذكره سائر المصادر.
(٩) ليس فى الذيل على الروضتين - وهو المصدر الوحيد من المصادر الذى ذكَر اسم الأم والجد وبقية القصة - تصريح بأن هناك قبرها، اللهم إلا إذا كان المصنف استفاد ذلك من قوله فى الذيل: لأن به - =

اشْتَغل الشيخُ فخرُ الدينِ مِن صِغَرِه بالعلمِ الشَّريفِ على شيخِه قُطْبِ الدينِ مسعودِ النَّيْسابوريِّ، وتَزَوَّج بابنتِه، ودرَّس مكانَه بالجاروخيةِ[1]، وبها كان يَسْكُنُ فى إحدى القاعتَيْن اللتين أنْشَأهما، وبها تُوُفِّى غربيَّ الإيوانِ، ثم تولَّى تَدْريسَ الصَّلاحيَّةِ الناصريَّةِ بالقدسِ الشريفِ، ثم ولَّاه العادلُ تَدْريسَ التَّقَويَّةِ[2]، وكان عندَه أعْيانُ الفُضَلاءِ، ثم تفرَّغ[3]، فلزِم المُجاوَرةَ فى الجامعِ فى البيتِ الصغيرِ إلى جانبِ مِحْرابِ الصَّحابةِ، يَخْلُو فيه للعِبادةِ والمُطالَعةِ والفَتاوَى، وكانت الفتاوى تَفِدُ إليه مِن الأقْطارِ، وكان كثيرَ الذكرِ، حسنَ السَّمْتِ، وكان يَجْلِسُ تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ فى كلِّ يومِ اثنين وخميسٍ مكانَ عمِّه لإسْماعِ الحديثِ بعدَ العصرِ، فيُقْرَأُ عليه «دَلائلُ النبوةِ» وغيرُه، وكان يَحْضُرُ مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ النُّوريةِ، ومَشْهَدَ ابنِ[4] عُرْوةَ أولَ ما فتِح، وقد اسْتَدْعاه الملكُ العادلُ بعدَ ما عزَل قاضيَه زكيَّ الدينِ[5]، فأجْلَسه إلى جانبِه وقتَ السِّماطِ، وسأَل منه أن يَلِيَ

= يعنى مسجد القدم - قبر جده لأمه ومن سلف من بيته. فأخذ المصنف رحمه الله ذلك من قوله: «ومن سلف من بيته».

(١) فى م: «بالحاروجية». وكذا تأتى فى الموضع القادم فى م. والجاروخية: مدرسة للشافعية داخل بابى الفرج والفراديس، لصيقة المدرسة الإقبالية الحنفية شمالى الجامع الأموى والظاهرية الجوانية. قال ابن شداد: بانيها جاروخ التركمانى يلقب بسيف الدين. انظر الدارس ١/ ٢٢٥.

(٢) التقوية: مدرسة للشافعية أيضًا ومن أجلِّ مدراس دمشق، داخل باب الفراديس شمالى الجامع شرقى الظاهرية والإقباليتين، بانيها فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. المصدر السابق ١/ ٢١٦.

(٣) عبارته فى الذيل على الروضتين - وهو الذى ذكر ذلك وحده -: «وكان إذا فرغ من التدريس يظل بجامع دمشق فى البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة... ثم يرجع إلى مكانه والناس معتكفون عليه». وهى لا تفيد التفرغ المطلق - كما فى عبارة الأصل وم هنا - لكن مجرد فراغ بعد انتهاء تدريسه فى المدرسة.

(٤) فى الذيل: «أبى». وانظر ما يأتى فى ترجمة ابن عروة هذا.

(٥) هو زكى الدين الطاهر بن محيى الدين، كما فى الذيل على الروضتين، وهو المصدر الوحيد الذى ذكر ذلك.

القَضاءَ بدمشقَ ، فقال : حتى أَسْتَخِيرَ اللَّهَ تعالى . ثم امْتَنع مِن ذلك ، فشقَّ على السلطانِ امْتناعُه ، وهمَّ أن يُؤْذِيَه ، فقيل له : احْمَدِ اللَّهَ الذى فى بلادِك مثلُ هذا . ولما تُوُفِّى العادلُ ، وأعاد ابنُه المُعَظَّمُ الخُمورَ أنْكَر عليه الشيخُ فخرُ الدينِ ، فبقِى فى نفسِه منه ، فانْتَزَع منه تَدْريسَ (١) الصَّلاحيَّةِ التى بالقدسِ وتدريسَ (١) التَّقَويةِ ، ولم يَبْقَ معه سوى الجاروخيةِ ودارِ الحديثِ النُّوريةِ ، ومَشْهَدِ ابنِ عُرْوةَ (٢) . وكانت وفاتُه يومَ الأربعاءِ بعدَ العصرِ (٣) عاشرَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وله خمسٌ وستون سنةً ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وحُمِلت جِنازتُه إلى مَقابرِ الصُّوفيةِ ، فدُفِن بها ، فى أولِها قريبًا مِن قبرِ شيخِه قُطْبِ الدينِ مسعودٍ .

ابنُ عُرْوةَ (٤) (٥) شرفُ الدينِ (٥) محمدُ بنُ عُروةَ [١٠/٨ظ] **المَوْصِلىُّ** ، المَنْسوبُ إليه مَشْهَدُ ابنِ عُرْوةَ - (١) ويقول الناسُ : مشهدُ عروةَ (١) - بالجامعِ الأُمَوىِّ ؛ لأنه أولُ مَن فتَحه ، وكان مَشْحونًا بالحَواصلِ الجامعيةِ ، وبنَى فيه البِرْكةَ ، ووقَف فيه على الحديثِ دَرْسًا ، ووقَف خَزائنَ كتبٍ فيه ، وكان مُقيمًا بالقُدْسِ الشريفِ ، ولكنه كان مِن خَواصِّ أصحابِ الملكِ المُعَظَّمِ ، فانْتَقَل إلى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الذيل على الروضتين . وهو المصدر الوحيد الذى ذكر توليه التدريس بتلك المدارس ، وبدار الحديث والمشهد - أنه لم يبقَ بيده إلا المدرسة الجاروخية . فلعلَّ قصده فى الذيل أنه لم يبق بيده من المدارس .

(٣) نقل صاحب الذيل على الروضتين عمن حضر وفاة الفخر أنه توفى بعد صلاته الظهر ثم ذكر وفاته مرة أخرى فقال : « وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء » . وقد نقل الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام القول الأول لصاحب الذيل على الروضتين . وباقى المصادر لم تذكر الوقت الذى مات فيه أثناء اليوم .

(٤) مرآة الزمان ٦٣٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٠ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٤ .

(٥ - ٥) فى م : « سيف الدين » .

دمشقَ حينَ خرِّب سُورُ بيتِ المقدسِ إلى أن تُوُفِّى بها ، وقبرُه عندَ قِبابِ أتابَك طغتِكِين قِبْلِىَّ المُصَلَّى ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو الحسنِ الرُّوزْبَهارىُّ[1] ، دُفِن بالمكانِ المَنْسوبِ إليه بينَ السورين عندَ بابِ الفَراديسِ .

الشيخُ عبدُ الرحمنِ اليَمَنىُّ[2] كان مُقيمًا بالمَنارةِ الشرقيةِ ، كان صالحًا زاهدًا وَرِعًا ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ .

الرئيسُ عِزُّ الدينِ المُظَفَّرُ بنُ أسْعَدَ بنِ حَمْزةَ التَّميمىُّ بنُ القَلانسىِّ[3] ، أحدُ رُؤساءِ دمشقَ[4] وكُبَرائِها ، وجدُّه أبو يَعْلَى حمزةُ ، له تاريخٌ ذيَّل به على ابنِ عَساكرَ[5] ، وقد سمِع عِزُّ الدينِ هذا الحديثَ مِن الحافظِ أبى القاسمِ ابنِ عساكرَ وغيرِه ، ولزِم مُجالَسةَ الكِنْدىِّ[6] وانْتَفَع به .

الأميرُ الكبيرُ أحدُ حُجَّابِ الخَليفةِ ، محمدُ بنُ سليمانَ[7] **بنِ قتلمش بنِ**

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٨. والدراس ٢/ ١٥٠، ١٥١ ووقع عنده : «الروزنهارى» .

(٢) فى الأصل : «الذى» . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٣١/٨ (القسم الثانى) وعنده «عبد اللّه» بدل «عبد الرحمن» ، والذيل على الروضتين ص ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٣.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٣٥.

(٤) فى الذيل على الروضتين أنه أحد رؤساء الشام .

(٥) فى الذيل أنه صاحب ذيل التاريخ لملوك الشام إلى آخر زمنه .

(٦) هو الشيخ تاج الدين الكندى ، كما فى الذيل .

(٧) معجم الأدباء ٢٠٥/١٨ وعنده «قطرمش» ، وكنيته «أبو نصر» ، والذيل على الروضتين ص ١٣٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٨ وعنده «قترمش» ، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢٥، وبغية الوعاة ١١٥/١ وعنده مثل ما فى تاريخ الإسلام .

تُرْكانْشاه، أبو[1] **منصورِ السَّمَرْقَنْدىُّ**، وكان مِن أولادِ الأُمراءِ، وولِى حاجبَ الحُجَّابِ بالدِّيوانِ العَزيزِ الخَليفَتىِّ، وكان يَكْتُبُ جيدًا جدًّا، وله مَعْرِفةٌ حَسَنةٌ بعلومٍ كثيرةٍ، منها الأدبُ وعلومُ الرِّياضةِ، وعُمِّر دهرًا، وله شعرٌ حسنٌ، ومن شعرِه قولُه[2]:

سئِمْتُ تَكاليفَ هذى الحياةِ ... وكرَّ[3] الصباحِ بها والمساءْ
وقد كنتُ كالطفلِ فى عقلِه[4] ... قليلَ الصَّوابِ كثيرَ الهُراءْ
أَنامُ إذا كنتُ فى مجلسٍ ... وأَسْهَرُ عندَ دُخولِ الغِناءْ
وقصَّر خَطوِىَ قيدُ[5] المَشيبِ ... وطال على ما عنَانى عناءْ
وغُودِرْتُ كالفَرْخِ فى عُشِّه ... وخلَّفْتُ حُلْمى وراءَ وراءْ
وما جَرَّ ذلك غيرُ البقاءِ ... فكيف [6]ترى فعلَ سوءٍ[6] البَقاءْ

وله أيضًا:

إلهى يا كثيرَ العَفْوِ غَفْرًا[7] ... لِما أسْلَفْتُ فى زمنِ الشبابِ
فقد سوَّدْتُ بالآثامِ وجهًا ... ذليلًا خاضعًا لك فى الترابِ
فبَيِّضْه بحسنِ العَفْوِ عنى ... وسامِحْنى وخَفِّفْ مِن حسابى[8]

---

(١) فى م: «بن».
(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٣٥، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢٥.
(٣) فى م: «كذا».
(٤) فى الأصل: «غفلة».
(٥) فى الأصل: «قبل».
(٦ - ٦) فى الأصل: «ترى بسوء فعل»، وفى م: «بدا سوء فعل»، وفى الوافى: «ترى سوء فعل». والمثبت من الذيل على الروضتين.
(٧) فى م: «عفوا».
(٨) فى م: «عذابى».

ولما تُوُفِّى [1] صُلِّى عليه بالنِّظاميةِ [1] ، ودُفِن بالشُّونيزيَّةِ .

ورآه بعضُهم فى المَنامِ فقال : ما فعَل بك ربُّك ؟ فقال :

تحاشَيْتُ [2] اللِّقاءَ لسُوءِ فِعْلى ... وخوفًا فى المَعادِ مِن النَّدامَهْ
فلما أنْ قدِمْتُ على إلهى ... وحاقَقَ فى الحسابِ على قُلامَهْ
وكان العدلَ أن أَصْلَى جَحيمًا ... تعَطَّفَ بالمكارمِ والكَرامَهْ
ونادانى لسانُ العفْوِ منه ... ألا يا عبدُ تَهْنِيك السَّلامَهْ

أبو علىٍّ الحسنُ بنُ أبى المَحاسِنِ [3] زُهْرةَ بنِ الحسنِ [4] بنِ زُهْرةَ العَلَوىُّ الحُسَيْنىُّ الحَلَبىُّ ، نَقيبُ الأشْرافِ بها ، كان لديه فَضْلٌ وعلمٌ بالأدبِ والعربيةِ وأخبارِ الناسِ والتَّواريخِ والسِّيَرِ والحَديثِ ، حافظًا للقرآنِ المَجيدِ ، وله شعرٌ جيدٌ ، فمنه قولُه [5] :

قد رأيْتُ المَعْشوقَ وهْو مِن الهَجْـ ... ـرِ بحالٍ تَنْبُو النَّواظِرُ عنهُ
أثَّرَ الدهرُ فيه آثارَ سَوْءٍ ... وأدالتْ يدُ الحوادثِ منهُ
عاد مُسْتبْذَلًا ومُسْتَبْدِلًا عِزًّا ... بذُلٍّ كأنَّه لم يَصُنْهُ

أبو علىٍّ يحيى [6] بنُ محمدِ بنِ علىٍّ [6] بنِ المُبارَكِ بنِ الجَلاجِلىِّ [7] ، مِن أبناءِ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى مصادر الترجمة .

(٢) فى الأصل : « تخافيت » .

(٣) بغية الطلب ٥/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٧٧، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٨.

(٤) فى الأصل ، م : « على » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٥) انظر بغية الطلب ٥/ ٣٩٠.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٣٩٤، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٥.

(٧) فى الأصل : « الخلاخلى » .

التُّجَّارِ ، سمِع الحديثَ ، وكان جميلَ الهيئةِ ، يَسْكُنُ بدارِ الخِلافةِ ، وكان عندَه [١٠/٩و] عِلمٌ ، وله شعرٌ حسَنٌ ، فمنه قولُه :

خيرُ إخوانِك المُشارِكُ فى المُرِّ ... وأين الشريكُ فى المُرِّ أينا
الذى إن شهِدْتَ سَرَّك فى القو ... مِ وإن غِبْتَ كان أُذْنًا وعَيْنَا
مثلُ (١سرِّ العِقْيانِ١) إنْ مسَّه النا ... رُ (٢جلاه الجِلاءُ٢) فازْداد زَيْنَا
وأخو السَّوْءِ إن (٣يَغِبْ عنك يَشْنَئْـ ... ـك وإن يَحْتَضِرْ٣) يَكُنْ ذاك شَيْنَا
جَيْبُه غيرُ ناصحٍ ومُناه ... أن يصيبَ الخليلُ إفْكًا ومَيْنا
(٤فاخْشَ منه٤) ولا تلَهَّفْ عليه ... إنَّ (٥غُرْمًا له٥) كنَقْدِك دَيْنَا

(١ - ١) فى م : « العقيق » . وسر العقيان : السر من كل شىء : أكرمه وخالصه . والعقيان : ذهب متكاثف فى مناجمه ، خالص مما يَخْتَلِط به من الرمال والحجارة . الوسيط (س ر ر) ، (ع ق ى) .
(٢ - ٢) فى الأصل : « جلاوه بالجلاء » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « تغيب عنه يشرك وإن تحضر » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « فاصر منه » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « صزما عليه » .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] وصَلَت سَرِيةٌ مِن جهةِ جِنْكِزْخان غيرُ الأَوَّلَتَيْن إلى الرَّيِّ، وكانت قد عُمِّرَتْ قليلًا، فقتَلوا أهلَها أيضًا، ثم ساروا إلى ساوَهْ[2]، ثم إلى قُمَّ وقاشانَ[3]، ولم تَكونا طُرِقتا إلَّا هذه المرةَ، ففعَلوا بها مثلَ ما تقَدَّم مِن القتلِ والسَّبْيِ، ثم ساروا إلى هَمَذانَ، فقتَلوا أيضًا وسبَوْا، ثم ساروا خلفَ الخُوارَزْميةِ إلى أَذْرَبِيجانَ، فكَبَسوهم[4] وقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا، فهرَبوا منهم إلى تِبْرِيزَ، فلَحِقوهم وكتَبوا إلى ابنِ البَهْلَوانِ: إن كنتَ مُصالِحًا لنا فابْعَثْ إلينا بالخُوارَزْميةِ، وإلَّا فأنت مثلُهم. فقتَل منهم خلقًا، وأرْسَل برُءُوسِهم إليهم، مع تُحَفٍ وهَدايا [5]كثيرةٍ، هذا كلُّه وإنما كانت هذه السَّرِيةُ ثلاثةَ آلافٍ، والخُوارَزْميةُ وأصحابُ البَهْلَوانِ[5] أضعافَ أضْعافِهم، ولكنْ أَلْقَى اللَّهُ تعالى عليهم الخِذْلانَ والفشَلَ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

وفيها ملَك غِياثُ الدينِ بنُ[6] خُوارَزْم شاه بلادَ فارسَ مع ما فى يدِه مِن

---

(١) الكامل ١٢/٤١٩ - ٤٢٤، ومرآة الزمان ٨/ ٦٣٢، ٦٣٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٤٢ - ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥ - ٧.

(٢) ساوه: مدينة بين الرى وهمذان. معجم البلدان ٣/ ٢٤.

(٣) فى م: «قاسان». ذكر ياقوت البلدين قاسان وقاشان، وأن قاشان مدينة قرب أصبهان، وأنها تُذكر مع قم. انظر معجم البلدان ٤/ ١٣، ١٥.

(٤) فى م: «فكسروهم».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) سقط من: الأصل.

مَمْلكةِ أصْفَهانَ وهَمَذانَ .

وفيها اسْتَعاد الملكُ الأشْرَفُ مدينةَ خِلاطَ مِن أخيه شِهابِ الدينِ غازى ، وكان قد جعَلها إليه مع جميعِ بلادِ أرْمِينِيَةَ ومَيَّافارِقِينَ وحانى[1] وجبلِ جُورَ[2] ، وجعَله وليَّ عهدِه مِن بعدِه ، فلمَّا عصَى عليه وتَشَعَّب[3] دِماغُه بما[4] كتَب إليه المُعَظَّمُ مِن تَحْسينِه له مُخالفتَه ، فركِب إليه وحاصَره بخِلاطَ ، فسُلِّمَتْ إليه ، وامْتَنع أخوه فى القلعةِ ، فلما كان الليلُ نزَل إلى أخيه مُعْتَذِرًا ، فقبِل عُذْرَه ولم يُعاقِبْه ، بل أقَرَّه على مَيَّافارِقِينَ وحدَها ، وكان صاحبُ إرْبِلَ والمُعَظَّمُ مُتَّفِقَيْن مع الشِّهابِ غازى على الأشْرفِ ، فكتَب الكاملُ إلى أخيه المُعَظَّمِ يَتَهَدَّدُه ، لئن ساعَد على الأشرفِ [5]لَيَأْخُذَنَّ بلادَه[5] ، وكان بدرُ الدينِ لُؤْلُؤٌ صاحبُ الموصلِ مع الأشرفِ ، فركِب إليه صاحبُ إرْبِلَ ، فحاصَره بسببِ قلةِ جُنْدِه ؛ لأنه أرْسَلَهم إلى الأشرفِ حينَ نازَل خِلاطَ ، فلمَّا انْفَصَلَت الأمورُ على ما ذكَرْنا ندِم صاحبُ إرْبِلَ والمُعَظَّمُ بدمشقَ أيضًا .

وفيها أرْسَل المُعَظَّمُ ولدَه الناصرَ داودَ إلى صاحبِ إرْبِلَ تَقْوِيةً[6] على مُخالفةِ الأشْرفِ ، وأرْسَل صُوفيًّا مِن السُّمَيْساطِيَّةِ[7] يقالُ له : الملقُ . إلى جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه - وكان قد أخَذ أذْرَبِيجانَ فى هذه السنةِ ، وقوِى جَأْشُه - يَتَّفِقُ معه

---

(١) فى الأصل ، م : « جاى » . والمثبت من الكامل . وانظر معجم البلدان ٢/ ١٨٨.

(٢) فى الأصل ، م : « حور » . والمثبت من الكامل ، وانظر معجم البلدان ٢/ ١٤٦.

(٣) فى م : « تشغب » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى م : « ليأخذنه وبلاده » .

(٦) الذى فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وتاريخ الإسلام أن المعظم بعث ولده داود إلى صاحب إربل رهينةً .

(٧) فى م : « الشميساطية » .

على أخيه الأشرفِ ، فوعَدَه النصرَ والرِّفادةَ .

وفيها قدِم الملكُ المسعودُ أَقْسِيسُ[1] صاحبُ اليمنِ على أبيه الكاملِ بالديارِ المصريةِ ، ومعه شيءٌ كثيرٌ مِن الهَدايا والتُّحَفِ ، مِن ذلك مائتا خادمٍ وثلاثةُ أفْيِلَةٍ هائلةٍ ، وأحْمالُ عُودٍ ونَدٍّ ومِسْكٍ وعَنْبَرٍ ، وخرَج أبوه الكاملُ لتَلَقِّيه ، ومِن نِيَّةِ أَقْسِيسَ أن يَنْتَزِعَ الشامَ مِن يدِ عمِّه المُعَظَّمِ .

وفيها كمَل عِمارةُ دارِ الحديثِ الكامليةِ بمصرَ ، وولِي مشيختَها الحافظُ أبو الخَطَّابِ بنُ دِحيةَ الكَلْبيُّ ، وكان مِكْثارًا ، كثيرَ الفنونِ ، وعندَه فَوائدُ وعَجائبُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ومِمن تُوُفِّي فيها مِن الأعيانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ القادسيُّ[2] الضَّريرُ الحَنْبليُّ ، والدُ صاحبِ « الذيْلِ على تاريخِ ابنِ الجَوْزيِّ » ، وكان القادسيُّ هذا يُلازِمُ حُضورَ مجلسِ الشيخِ أبي الفرجِ بنِ الجوزيِّ ويُزْهِرُه ؛ لما يَسْمَعُه مِن الغَرائبِ ، ويقولُ : واللَّهِ إن ذا مَليحٌ . [١٠/٩ظ] فاسْتَقْرَض منه الشيخُ مرةً عشَرةَ دَنانيرَ ، فلم يُعْطِه ، وصار يَحْضُرُ ولا يَتَكَلَّمُ ، فقال الشيخُ مرةً : هذا القادسيُّ لا يُقْرِضُنا شيئًا ، ولا يقولُ : واللَّهِ إن ذا مَليحٌ . رحِمهم اللَّهُ تعالى ، وقد طُلِب القادسيُّ مرَّةً إلى دارِ المُسْتَضِيءِ لِيُصَلِّيَ بالخليفةِ التَّراويحَ ، فقيل له والخليفةُ يَسْمَعُ : ما مَذْهَبُك ؟ فقال : حَنْبليٌّ . فقيل[3] له : لا تُصَلِّ بدارِ الخِلافةِ وأنت حَنْبليٌّ . فقال : أنا حَنْبليٌّ ، ولا أُصَلِّي

---

(١) في الذيل على الروضتين : « أطسيس » . ولم يتعرض لذكره في الكامل .

(٢) هنا وفيما يأتي : في الأصل : « الفارسي » . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ١٤٣ ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٩٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥٤ .

(٣) في م : « فقال » .

بكم. فقال الخليفةُ: اتْرُكوه، لا يُصَلِّى بنا إلَّا هو. [1]فصلَّى بهم[1].

أبو الكَرَمِ المُظَفَّرُ بنُ المُبارَكِ بنِ أحمدَ [2]بنِ محمدٍ[2] البَغْدادىُّ الحَنَفىُّ، شيخُ مَشْهدِ أبى حَنيفةَ وغيرِه، ولِىَ الحِسْبةَ بالجانبِ الغربىِّ مِن بغدادَ، وكان فاضلًا دَيِّنًا[3] شاعرًا، ومِن شعرِه قولُه:

فصُنْ بجَميلِ الصبرِ نفسَك واغْتَنِمْ ... شريفَ المَزايا لا يَفُتْك ثوابُها
تَعِشْ[4] سالمًا والقولُ فيك مُهَذَّبٌ ... كريمًا وقد هانت عليك صِعابُها
وتَنْدَرِجُ الأيامُ والكلُّ ذاهبٌ ... يَمُرُّ[5] ويَفْنَى عَذْبُها وعَذابُها
وما الدهرُ إلا مَرُّ يومٍ وليلةٍ ... وما العمرُ إلَّا طَيُّها وذَهابُها
وما الحَزْمُ إلَّا [6]فى إخاءِ[6] عَزيمةٍ ... فنَيْلُ[7] المعالى صَفْوُها ولُبابُها
ودَعْ عنك إلمامَ[8] الأمانى فإنه ... سيُسْفِرُ يومًا غيُّها وصَوابُها

محمدُ بنُ أبى الفرجِ [9]بنِ مَعالى[9] بنِ بَرَكةَ، الشيخُ فخرُ الدينِ أبو المَعالى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٩، والجواهر المضية ٣/ ٤٨٨.

(٣) فى الأصل: «أديبا».

(٤) فى م: «وعش».

(٥) فى م: «قليل».

(٦ - ٦) فى الأصل: «ادخار».

(٧) فى م: «وفيك».

(٨) فى م: «أحلام».

(٩ - ٩) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر الترجمة: المختصر المحتاج إليه ١٥/ ٩٦، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٩٠، وفيه: «ابن أبى المعالى»، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٨، والوافى بالوفيات ٤/ ٣١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١١٤.

المَوْصلىُّ، قدِم بغدادَ، واشْتَغل بالنِّظاميةِ، وأعاد بها، وكانت له مَعْرفةٌ بالقِراءاتِ، وصنَّف كتابًا فى مَخارجِ الحُروفِ، وأسْنَد الحديثَ، وله شعرٌ لَطيفٌ.

أبو بكرِ بنُ حلبةَ المَوَازِينىُّ البغدادىُّ[1]، كان فَرْدًا فى علمِ الهَنْدسةِ وصناعةِ المَوازِينِ، يَخْتَرِعُ أشياءَ غريبةً[2] عَجيبةً، مِن ذلك أنه ثقَب حَبَّةَ خَشْخاشٍ سبعةَ ثُقوبٍ، وجعَل فى كلِّ ثَقْبٍ شَعرةً، وكانت له حُظْوةٌ عندَ الدولةِ.

أحمدُ بنُ جعفرِ [3]**بنِ أحمدَ**[3] **بنِ محمدٍ، أبو العباسِ الدُّبَيْثىُّ**[4] **البَيِّعُ الواسطىُّ**، شيخٌ أديبٌ فاضلٌ، له نَظْمٌ ونَثْرٌ، عارفٌ بالأخبارِ والسِّيَرِ، وعندَه كتبٌ جيدةٌ كثيرةٌ، وله شرحُ قَصيدةٍ لأبى العَلاءِ المَعَرِّىِّ فى ثلاثِ مُجَلَّداتٍ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى شعرًا حسنًا فَصيحًا حُلْوًا، لذيذًا فى السمعِ، لَطيفًا فى القلبِ.

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) زيادة من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة ٥/ ١٧٩، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٨٣، وفوات الوفيات ١/ ٦٢، وفيه وفى الوافى أنه توفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وهى سنة ميلاده فى التكملة.

(٤) فى الأصل: «الزينبى»، وفى م: «الدبيبى». والمثبت من مصادر ترجمته.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] عاثَت الخُوارَزْميةُ حينَ قدِموا مع جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه مِن بلادِ غَزْنةَ مَقْهورِين مِن التَّتارِ إلى بلادِ خُوزِسْتانَ ونَواحى العراقِ ، فأفْسَدوا فيه ، وحاصَروا مُدنَه ، ونَهَبوا قُراه .

وفيها اسْتَحْوَذ جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه على بلادِ أَذْرَبِيجانَ وكثيرٍ مِن بلادِ الكُرْجِ ، وكَسَرَ الكُرْجَ ، وهم فى سبعين ألفَ مُقاتِلٍ ، فقتَل منهم عشرين ألفًا مِن المُقاتلةِ ، واسْتَفْحل أمرُه جدًّا ، وعظُم شأنُه ، وفتَح تَفْلِيسَ ، فقتَل منها ثلاثين ألفًا . وزعَم أبو شامةَ[2] أنه قتَل مِن الكُرْجِ سبعين ألفًا فى المعركةِ ، وقتَل مِن تَفْلِيسَ تَمامَ المائةِ ألفٍ ، وقد اشْتَغَل بهذه الغزوةِ عن قصدِ بَغدادَ ، وذلك أنه لما حاصَر دَقوقَا [3]سبَّه أهلُها[3] ، ففتَحها قَهْرًا ، وقتَل مِن أهلِها خلقًا كثيرًا ، وخرَّب سورَها ، وعزَم على قصدِ [١٠/ ١٠و] الخَليفةِ ببغدادَ ؛ لأنه فيما زعَم عَمِل على أبيه حتى هلَك ، واسْتَوْلَت التَّتَرُ على البلادِ ، وكتَب إلى المُعَظَّمِ بنِ العادلِ يَسْتَدْعِيه لقتالِ الخليفةِ ، ويُحَرِّضُه على ذلك ، فامْتَنَع المُعَظَّمُ مِن ذلك ، ولما علِم الخَليفةُ بقصدِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه بغدادَ انْزَعَج لذلك ، وحصَّن بغدادَ ، واسْتَخْدَم

---

(١) الكامل ٤٢٥/١٢ - ٤٤٩، ومرآة الزمان ٦٣٤/٨ - ٦٣٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٤٤ - ١٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨ - ١٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤٤. وفيه أنه قَتل فى فتح تفليس سبعين ألفا. وهو خطأ، والصواب ثلاثون ألفًا. كما فى مرآة الزمان.

(٣ - ٣) فى الأصل: «سنة».

الجُيوشَ والأجْنادَ ، وأنْفَق فى الناسِ ألفَ ألفِ دينارٍ ، وكان جَلالُ الدينِ قد بعَث جيشًا إلى الكُرْجِ ، فكَتَبوا[1] إليه أن أدْرِكْنا قبلَ أن نَهْلِكَ عن آخرِنا ، وبغدادُ ما تَفوتُ . فسار إليهم وكان مِن أمرِه ما ذَكَرْناه .

وفيها كان غَلاءٌ شديدٌ بالعراقِ والشامِ بسببِ[2] قلةِ الأمطارِ وانْتِشارِ الجَرادِ ، ثم أعْقَب ذلك فَناءٌ كثيرٌ بالعراقِ والشامِ أيضًا ، مات بسببِه خلقٌ كثيرٌ فى البُلْدانِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفاةُ الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ وخلافةُ ابنِه الظاهرِ[3]

لما كان يومُ الأحدِ آخرُ يومٍ مِن شهرِ رمضانَ المُعَظَّمِ مِن هذه السنةِ تُوُفِّى الخليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ [4]أبى محمدٍ الحسنِ بنِ المستَنْجِدِ باللَّهِ[4] أبى المُظَفَّرِ يوسُفَ بنِ المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ [5]أبى العباسِ[5] أحمدَ بنِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ أبى القاسمِ

---

(١) فى الأصل : « فبعثوا » .

(٢) لم نجد سبب الغلاء فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) الكامل ١٢/٤٣٨ - ٤٤٤، وانظر ترجمة الناصر فى :المختصر المحتاج إليه ١٥/ ١٠٢، ومرآة الزمان ٨/٦٣٥ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٤٠، والذيل على الروضتين ص ١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٣، والوافى بالوفيات ٦/ ٣١٠.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ، ومما سيأتى صفحة ٢٦٣ .

(٥ - ٥) فى م : « أبى عبد اللَّه » .

عبدِ اللَّهِ بنِ الذخيرةِ [1] محمدِ بنِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ باللَّهِ أبى العباسِ [1] أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ أبى الفضلِ جعفرِ بنِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُوَفَّقِ أبى أحمدَ محمدِ بنِ المتوكِّلِ على اللَّهِ جعفرِ بن المعتصمِ باللَّهِ أبى إسحاقَ محمدِ بنِ هارونَ الرشيدِ بنِ المَهْدىِّ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ أبى جعفرٍ المَنْصورِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ الهاشمىُّ العباسىُّ ، أميرُ المؤمنين ، وُلِد ببغدادَ عاشرَ رَجبٍ سنةَ ثلاثٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، وبُويع له بالخِلافةِ بعدَ موتِ أبيه سنةَ خمسٍ وسبعين ، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ وله مِن العمرِ تسعٌ وستون سنةً وشهران وعشرون يومًا ، وكانت مدةُ خِلافتِه سبعًا وأربعين سنةً إلا شهرًا ، ولم يَقُمْ أحدٌ مِن الخلفاءِ العباسيين فى الخِلافةِ هذه المدةَ الطويلةَ ، ولم تَطُلْ مدةُ أحدٍ مِن الخُلفاءِ مُطْلقًا أكثرَ مِن المُسْتَنْصِرِ العُبَيدىِّ ، أقام بمصرَ حاكمًا بها ستين سنةً ، وقد انْتَظَم فى نسبِه أربعةَ عشَرَ خليفةً ووليَّ عهدٍ على ما رأيْتَ ، وبقيةُ الخُلفاءِ العباسِيِّين كلِّهم مِن أعمامِه وبنى عمِّه ، وكان مرضُه قد طال به ، وجُمهورُه مِن عَسارِ البولِ ، مع أنه قد كان يُجْلَبُ له الماءُ مِن مَراحلَ عن بغدادَ لِيَكونَ أصْفَى ، وشُقَّ ذَكَرُه مراتٍ بسببِ ذلك ، ولم يُغْنِ عنه هذا الحَذَرُ [2] شيئًا ، وكان الذى ولِى غَسْلَه مُحْيِى الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ، وصُلِّى عليه ودُفِن فى دارِ الخِلافةِ ، ثم نُقِل إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ فى ثانى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وكان يومًا مَشْهودًا .

قال ابنُ الساعى : أما سِيرتُه فقد تقَدَّمَت فى الحَوادثِ . وأما ابنُ الأثيرِ فى

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « الحدث »

« كامِلِه » فإنه قال[1] : وبقى الناصرُ لدينِ اللَّهِ ثلاثَ سنين عاطلًا عن الحركةِ بالكُليةِ ، وقد ذهَبَت إحدى عينيه ، والأخرى يُبْصِرُ بها إبْصارًا ضَعيفًا ، وآخِرُ الأمْرِ أصابه دوسنطارية عشرين يومًا ومات ، ووزَر له عِدَّةُ وُزراءَ ، وقد تقَدَّم ذكرُهم ، ولم يُطْلِقْ فى أيامِ مرضِه ما كان أحْدَثه[2] مِن الرسومِ الجائرةِ ، وكان قَبيحَ السِّيرةِ فى رَعيتِه ظالمًا لهم ، فخُرِّب فى أيامِه العراقُ ، وتفرَّق أهلُه فى البلادِ ، وأخَذ أموالَهم وأمْلاكَهم ، وكان يَفْعَلُ الشىءَ وضدَّه ؛ فمِن ذلك أنه عمِل دُورَ الإفْطارِ فى رمضانَ ودُورًا لضِيافةِ الحُجَّاجِ ، ثم أبْطَل ذلك ، وكان قد أسْقَط [١٠/ ١٠ظ] مُكوسًا ثم أعادها ، وجعَل جُلَّ همِّه فى رَمْيِ البُنْدُقِ ، والطُّيورِ المَناسِيبِ ، وسَراوِيلاتِ الفُتُوَّةِ .

قال ابنُ الأثيرِ[3] : وإن كان ما يَنْسِبُه العَجَمُ إليه صحيحًا مِن أنه هو الذى أطْمَع التَّتارَ فى البلادِ وراسَلَهم ، فهو الطامَّةُ الكبرى التى يَصْغُرُ عندَها كلُّ ذنبٍ عظيمٍ .

قلتُ : وقد ذُكِر عنه أشْياءُ غَريبةٌ ؛ مِن ذلك أنه كان يَقولُ للرسلِ الوافِدين عليه : فعَلْتُم فى مكانِ كذا كذا وكذا ، وفى الموضعِ الفُلانىِّ كذا . حتى ظنَّ بعضُ الناسِ أو أكثرُهم أنه كان يُكاشَفُ ، أو أن جِنِّيًّا يَأْتِيه بذلك[4] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤٠.

(٢) فى الأصل : « أخذه » .

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٤٤٠.

(٤) رجح هذا الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٥/ ١٩٦، ١٩٧.

خلافةُ الظاهرِ بنِ الناصرِ[1]

لما تُوُفِّى الخَليفةُ الناصرُ لدينِ اللَّهِ كان قد عهِد إلى ابنِه أبى نصرٍ محمدٍ هذا ، ولقَّبه بالظاهرِ ، وخُطِب له على المَنابرِ ، ثم عزَله عن ذلك بأخيه عليٍّ ، فتُوُفِّى فى حياةِ أبيه سنةَ ثنتَىْ عشْرةَ ، فاحْتاج إلى إعادةِ هذا إلى وِلايةِ العهدِ ، فخُطِب له ثانيًا ، فحينَ تُوُفِّى أبوه بُويع له بالخِلافةِ ، وعمرُه يومَئذٍ ثنتان وخمسون سنةً ، فلم يَلِ الخلافةَ أحدٌ مِن بنى العباسِ أسَنُّ منه ، وكان عاقلًا وَقورًا دَيِّنًا عادلًا مُحْسِنًا ، ردَّ مَظالمَ كثيرةً ، وأسْقَط مُكوسًا كان قد أحْدَثها أبوه ، وسار فى الناسِ سِيرةً حَسنةً ، حتى قيل : إنه لم يَكُنْ بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أعْدَلُ منه لو طالَت مدتُه . لكنه لم يَحُلْ عليه الحَوْلُ ، بل كانت مدتُه تسعةَ أشهرٍ ، أسْقَط الخَراجَ الماضىَ عن الأراضى التى قد تعَطَّلَت ، ووضَع عن أهلِ بلدةٍ واحدةٍ - وهى بعْقوبا - سبعين ألفَ دينارٍ كان أبوه قد زادَها عليهم فى الخَراجِ ، وكانت صَنْجَةُ المَخْزَنِ تَزِيدُ على صَنْجَةِ البلدِ نصفَ دينارٍ فى كلِّ مائةٍ إذا قبضوا ، وإذا أَقْبَضوا دفَعوا بصَنْجةِ البلدِ ، فكتَب إلى الدِّيوانِ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ : ٦] فكتَب إليه بعضُ الكُتَّابِ يقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، إن تَفاوُتَ هذا عن العامِ الماضى خمسةٌ وثلاثون ألفًا . فأرْسَل يُنْكِرُ عليه ويقولُ : هذا يُتْرَكُ وإن كان تَفاوُتُه ثلاثَمائةِ ألفٍ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤١، ومرآة الزمان ٨/٦٣٦ (القسم الثانى)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١.

وخمسين ألفًا . رحِمه اللَّهُ تعالى .

وأمَر القاضىَ أن كلَّ مَن ثبَت له حقٌّ بطريقٍ شرعىٍّ يُوصَلُ إليه بلا مُراجَعةٍ ، وأقام فى النَّظَرِ على الأموالِ الحشريةِ[1] رجلًا صالحًا ، واسْتَخْلَص على القَضاءِ الشيخَ العَلَّامةَ عِمادَ الدينِ أبا صالحٍ نصرَ بنَ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجِيلىِّ ، الحنبلىَّ ، فى يومِ الأربعاءِ ثامنِ ذى الحِجَّةِ ، وكان مِن خِيارِ المسلمين ومِن خيارِ القُضاةِ العادِلين ، رحِمهم اللَّهُ أجمعين . ولما عُرِض عليه القَضاءُ لم يَقْبَلْه إلا بشرطِ أن يُوَرِّثَ ذَوِى الأرْحامِ ، فقال : أعْطِ كلَّ ذى حَقٍّ حقَّه ، واتَّقِ اللَّهَ ولا تَتَّقِ سِواه . وكان مِن عادةِ أبيه أن يَرْفَعَ إليه حُرَّاسُ الدُّروبِ فى كلِّ صَباحٍ بما كان عندَهم فى المَحَالِّ مِن الاجْتماعاتِ الصالحةِ والطالحةِ ، فلما ولِى الظاهرُ أمَر بتَبْطيلِ ذلك كلِّه وقال : أىُّ فائدةٍ فى كشفِ أحْوالِ الناسِ وهَتْكِ أسْتارِهم ؟! فقيل له : إن ترْكَ ذلك يُفْسِدُ الرَّعيةَ . فقال : نحن [١٠/١١و] نَدْعُو اللَّهَ لهم أن يُصْلِحَهم . وأطْلَق مَن كان فى السجونِ مُعْتَقَلًا على الأموالِ الدِّيوانيةِ ، وردَّ عليهم ما كان اسْتُخْرِج منهم قبلَ ذلك مِن المَظالمِ ، وأرْسَل إلى القاضى بعشَرةِ آلافِ دينارٍ يُوَفِّى بها دُيونَ مَن فى سجونِه مِن المَدِينِين الذين لا يَجِدون وَفاءً . وفرَّق فى العُلماءِ بقيةَ المائةِ ألفٍ[2] ، وقد لامَه بعضُ الناسِ فى هذه التَّصَرُّفاتِ فقال : إنما فتَحْتُ الدُّكانَ بعدَ العصرِ ، فذَرُونى أَعْمَلْ صالحًا وأَفْعَلِ الخيرَ ، فكم مِقْدارُ ما بَقِيتُ أَعِيشُ ؟ ولم تَزَلْ هذه سِيرتَه حتى تُوُفِّى فى العامِ الآتى كما سيأْتى . ورَخُصَت الأسْعارُ فى أيامِه ، وقد كانت قبلَ ذلك فى غايةِ الشدَّةِ والغَلاءِ ، حتى إنه فيما حكَى ابنُ

---

(١) فى م : « الجردة » . وانظر ما تقدم فى ١٥/ ٢٨٧.

(٢) ذلك أنه تصدق وأنفق فى ليلة الفطر أو النحر - على خلاف ما فى الكامل والسير - مائة ألف دينار على العلماء وأهل الدين . انظر الكامل ١٢/٤٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦٥.

الأثيرِ[1] - أُكِلَت الكِلابُ والسَّنانِيرُ والمَيْتَاتُ ببلادِ الجَزيرةِ والموصلِ، فزال ذلك فى أيامِه، وللَّهِ الحمدُ، وكان هذا الخَليفةُ الظاهرُ حسَنَ الشكلِ، مَليحَ الوجهِ، أبْيضَ مُشْرَبًا حُمْرةً، حُلْوَ الشَّمائلِ، شَديدَ القُوَى.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

أبو الحسنِ علىٌّ - الملقبُ بالملكِ الأفضلِ - نورُ الدين بنُ السلطانِ صَلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ أيوبَ[2]، كان ولىَّ عهدِ أبيه، وقد ملَك دمشقَ بعدَه مدةَ سنتين، ثم أخَذَها منه عمُّه العادلُ، ثم كاد أن يَمْلِكَ الديارَ المصريةَ بعدَ أخيه العَزيزِ عثمانَ، فأخَذَها منه أيضًا عمُّه العادلُ أبو بكرٍ، ثم اقْتَصرَ على صَرْخَدَ، فأخَذها منه عمُّه العادلُ، ثم آلَ به الحالُ أن ملَك سُمَيْساطَ، وبها تُوُفِّى فى هذه السنةِ، وكان فاضلًا شاعرًا، جيدَ الكِتابةِ، ونُقِل إلى مدينةِ حلَبَ فدُفِن بظاهرِها، رحمه اللَّهُ تعالى. وقد ذكَر ابنُ خَلِّكانَ[3] أنه كتَب إلى الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ يَشْكو إليه عمَّه أبا بكرٍ وأخاه عثمانَ، وكان الناصرُ شِيعيًّا مثلَه فقال:

مولاىَ إن أبا بكرٍ وصاحِبَه ... عثمانَ قد غصَبا بالسيفِ حقَّ علِى
وهْو الذى كان قد ولَّاه والدُه ... عليهما فاسْتَقام الأمرُ حينَ وَلِى
فخالَفاه وحَلَّا عَقدَ بَيْعتِه ... والأمْرُ بينَهما والنصُّ فيه جَلِى
فانْظُرْ إلى حظِّ هذا الإسمِ كيف لَقِى ... مِن الأواخِرِ ما لاقَى مِن الأُوَلِ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤٧.

(٢) الكامل ١٢/ ٤٢٨، ومرآة الزمان ٨/٦٣٧ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٨، والذيل على الروضتين ص ١٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤١٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٠.

الأميرُ سيفُ الدينِ عليُّ بنُ الأميرِ عَلَمِ الدينِ بنِ سليمانَ بنِ جَنْدَرٍ[1] ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ بحلَبَ ، وله الصَّدَقاتُ الكثيرةُ ، ووقَف بها مدرستَيْن ؛ إحداهما على الشافعيةِ ، والأخرى على الحَنَفيةِ ، وبنَى الخاناتِ والقَناطرَ وغيرَ ذلك مِن سُبُلِ الخَيْراتِ والغَزَواتِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ عليٌّ الكُرْدىُّ المُوَلَّهُ[2] المُقيمُ بظاهرِ بابِ الجابيةِ . قال الشيخُ أبو شامةَ[3] : وقد اخْتَلفوا فيه ؛ فبعضُ الدَّماشِقةِ يَزْعُمُ أنه كان صاحبَ كَراماتٍ ، وأنْكَر ذلك آخرون وقالوا : ما رآه أحدٌ يُصَلِّى [4]ولا يَصومُ[4] ولا لبس مَداسًا ، بل كان يَدوسُ النَّجاساتِ ، [5]ويَدْخُلُ المسجدَ على حالِه[5] . وقال آخرون : كان له تابعٌ مِن الجِنِّ يَتَحَدَّثُ على لسانِه .

وحكَى السِّبْطُ[6] عن امرأةٍ قالت : جاء خبرٌ عن أمى باللَّاذِقِيَّةِ أنها ماتت ، وقال لى بعضُهم : إنها لم تَمُتْ . قالت : فمَررتُ به وهو قاعدٌ عندَ المَقابرِ ، فوقَفْتُ عندَه ، فرفَع رأسَه وقال : ماتت ماتت ، أيْشِ تَعْمَلين ؟ فكان كما قال .

قال : وحكَى لى عبدُ اللَّهِ صاحبى قال : جعتُ[7] يومًا وما كان معى شىءٌ ،

---

(١) فى الأصل : « حيدر » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٦٣٧، (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٩.

(٢) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٦.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ويبول على ثيابه » وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

(٦) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثانى) .

(٧) فى م : « صبحت » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

فاجْتَزْتُ به ، فدفَع إلىَّ نصفَ درهمٍ وقال : يَكْفِى هذا للخبزِ والعَنبريسِ[1] .

قال : ودخَل يومًا على الخَطيبِ جَمالِ[2] الدينِ الدَّوْلَعىِّ فقال له : يا شيخُ علىٌّ ، قد أكَلْتُ اليومَ كُسَيْراتٍ يابسةً ، وشرِبْتُ عليها الماءَ ، فكفَتْنى . فقال له الشيخُ [١٠/ ١١ظ] علىٌّ الكُرْدىُّ : وما تَطْلُبُ نفسُك شيئًا آخرَ غيرَ هذا ؟ قال : لا . فقال : يا مِسْكينُ ، مَن يَقْنَعْ بكِسْرةٍ يابسةٍ يَحْبِسْ نفسَه فى هذه المَقْصورةِ[3] ، ولا يَقْضِى ما فرَضَه اللَّهُ عليه مِن الحجِّ !

الفَخْرُ ابنُ تَيْمِيَّةَ محمدُ بنُ أبى القاسمِ بنِ محمدٍ ، الشيخُ فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانىُّ[4] ، عالمُها [5]ومُفْتِيها[5] وخَطيبُها وواعِظُها ، اشْتَغَل على مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، وبرَع فيه وبرَز وحصَّل ، وجمَع تَفْسيرًا حافلًا فى مُجَلَّداتٍ كثيرةٍ ، وله الخُطَبُ المَشهورةُ المَنْسوبةُ إليه ، وهو عمُّ الشيخ مَجْدِ الدينِ صاحبِ « المُنْتَقَى » فى الأحْكامِ ، قال أبو المُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزىِّ[6] : سمِعْتُه يومَ جمعةٍ بعدَ الصلاةِ وهو يَعِظُ الناسَ يُنْشِدُ :

أحْبابَنا قد نذَرَتْ مُقْلتى ... ما تَلْتَقِى بالنومِ أو[7] نَلْتَقِى
رِفْقًا بقلبٍ مُغْرَمٍ واعْطِفوا ... على سِقامِ الجسدِ المُحْرَقِ

---

(١) فى م : « الفت بدبس » ، وفى الذيل على الروضتين : « السعتربس » . والمثبت موافق لما فى مرآة الزمان .

(٢) فى الأصل : « كمال » .

(٣) بعده فى الأصل : « ويحصر نفسه هذا الحصر » .

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٦، والذيل على الروضتين ص ١٤٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٣.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٤٦.

(٧) فى الأصل : « إذ » .

كم تَمْطُلونى بليالى اللِّقا قد ذهَب العمرُ ولم نَلْتَقِ

وقد ذكَرْنا أنه قدِم بغدادَ حاجًّا بعدَ وفاةِ شيخِه أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ، ووعَظ بها فى مكانِ شيخِه[1].

الوزيرُ ابنُ شُكْرٍ، صَفِىُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ علىِّ بنِ عبدِ الخالقِ ابنِ شُكْرٍ[2]، وُلِد بالديارِ المصريةِ بدَمِيرةَ[3] بينَ مصرَ والإسْكَنْدَرِيةِ سنةَ أربعين وخمسِمائةٍ، ودُفِن بتربتِه عندَ مدرستِه بمصرَ، وقد وزَر للملكِ العادلِ، وعمِل أشْياءَ[4] فى أيامِه، منها تَبْليطُ جامعِ دمشقَ، وأحاط سُورَ المُصَلَّى عليه، وعمِل الفَوَّارةَ ومسجدَها وعِمارةَ جامعِ المزَّةِ، وقد نُكِب وعُزِل سنةَ خمسَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، وبقِى مَعْزولًا إلى هذه السنةِ، وكانت فيها وفاتُه، وقد كان مَشْكورَ السِّيرةِ، ومنهم مَن يقولُ: كان ظالمًا. فاللَّهُ أعلمُ.

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ إبراهيمَ بنِ علىٍّ، المَعْروفُ بابنِ البَرْنىِّ، الواعظُ البغدادىُّ[5]، أخَذ الفَنَّ عن شيخِه أبى الفرجِ بنِ الجَوْزىِّ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، ومِن شعرِه قولُه فى الزهدِ:

---

(١) فى م: «وعظه».

(٢) مرآة الزمان ٨/٦٧٧ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٣٤، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٢٧.

(٣) دميرة: قرية كبيرة بمصر قرب دمياط، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطىء النيل فى طريق من يريد دمياط. ومصر: الفسطاط. معجم البلدان ٢/ ٩٠٢، ٣/ ٨٩٦.

(٤) فى الأصل: «أنشاء».

(٥) تاريخ إربل ١/ ١٥٥، وتكملة الإكمال لابن نقطة ١/ ٣٧٦، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٩، والوافى بالوفيات ٦/ ١٤٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٤٩.

ما هذه الدنيا بدارِ مَسَرَّةٍ فتخَوَّفى مَكْرًا لها وخِداعَا
بينا الفَتَى فيها يُسَرُّ بنفسِه وبمالِه يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتاعَا
حتى سقَته مِن المَنِيَّةِ شَرْبةً وحَمَته منه[1] بعدَ ذاك رَضاعَا
فغدا بما كسَبَت يداه رَهينةً لا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَاه دِفاعَا
لو كان يَنْطِقُ قال مِن تحتِ الثَّرَى فلْيُحْسِنِ العملَ الفتى ما اسطاعَا

البَهاءُ السِّنْجارىُّ، أبو السَّعاداتِ أَسْعَدُ بنُ يحيى[2] بنِ موسى، الفَقيهُ الشافعىُّ الشاعرُ، قال ابنُ خَلِّكانَ[3]: كان فقيهًا، وتكَلَّم فى الخِلافِ، إلا أنه غلَب عليه الشعرُ، فأجاد فيه، واشْتَهَر به، وخدَم به الملوكَ، وأخَذ منهم الجَوائزَ، وطاف البلادَ، وله دِيوانٌ بالتُّرْبةِ الأشْرَفيةِ بدمَشْقَ، ومِن رَقيقِ شعرِه ورائقِه قولُه:

وهَواكَ ما خطَر السُّلُوُّ ببالِه ولأنتَ أعْلَمُ فى الغَرامِ بحالِه
ومتى وشَى واشٍ إليك بأنَّه سالٍ هَواكَ فذاك مِن عُذَّالِه
أوليس للكَلِفِ المُعَنَّى شاهدٌ مِن حالِه يُغْنِيك عن تَسْآلِه
جدَّدْتَ ثوبَ سَقامِه وهتَكْتَ سَتْـ ـرَ غَرامِه وصرَمْتَ حبلَ وِصالِه

وهى قصيدةٌ طويلةٌ امْتَدَح فيها قاضىَ القضاةِ كمالَ الدينِ الشَّهْرَزُورىَّ.

وله:

للَّهِ أيَّامى على رامةٍ وطِيبُ أوْقاتى على حاجِرِ

---

(١) فى م: «فيه».

(٢) فى النسخ «محمد». والمثبت من مصادر ترجمته؛ خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٤٠١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٠٥، وبغية الطلب ٤/ ٧١، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٢٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢١٤.

تَكادُ للشَّرْعةِ فى مَرِّها أَوَّلُها يَعْثُرُ بالآخِرِ

وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ عن تسعين سنةً .

عثمانُ بنُ عيسى بنِ دِرْباسِ بنِ فَيْرِ[1] بنِ جَهْمِ بنِ عُبْدُوسِ الهذْبانىُّ المارَانىُّ ضِياءُ الدينِ ، أخو القاضى صَدْرِ الدينِ عبدِ الملكِ حاكمِ الديارِ [١٠/ ١٢و] المصريةِ فى الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وضِياءُ الدينِ هذا هو شارحُ « المُهَذَّبِ » ، وصَل فيه إلى كتابِ الشَّهاداتِ فى نحوٍ مِن عشرين مُجَلَّدًا ، وشرَح « اللُّمَعَ » فى أصولِ الفقهِ و « التَّنْبيهَ » للشِّيرازىِّ ، وكان بارعًا عالمًا بالمذهبِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو الحسنِ علىُّ بنُ الحسنِ الرازىُّ ثم البغدادىُّ الواعظُ[2] ، عندَه فَضائلُ ، وله شعرٌ حسنٌ ، فمنه قولُه فى الزُّهدِ :

اسْتَعِدِّى يا نفسُ للموتِ واسْعَىْ لنجاةٍ فالحازمُ المُسْتَعِدُّ
قد تبَيَّنْتِ أنه ليس للحىِّ خُلودٌ ولا مِن الموتِ بُدُّ
إنما أنت مُسْتَعِيرةٌ ما سو ف تُرَدِّين والعَوارِى تُرَدُّ
أنتِ تَسْهِين والحوادثُ لا تَسْـ ـهو وتَلْهِين والمَنايا تَجِدُّ

---

(١) فى م : « قسر » . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٣٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٩٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٣٧، ومرآة الجنان ٤/ ٣.

وجاءت وفاته فى هذه المصادر سنة ثنتين وستمائة ، ولعل المصنف أراد أن يترجم لابنه إبراهيم بن عثمان ، فهو الذى توفى فى هذه السنة ، أى سنة ثنتين وعشرين وستمائة .

وانظر ترجمة ابنه فى : التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٤٧، وتاريخ إربل ١/ ٢١٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٨.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

لا تُرَجِّى البَقاءَ فى مَعْدِنِ المو تِ [1]ودارٍ حُتُوفُها لك[1] وِرْدُ
أىُّ مُلْكٍ فى الأرضِ أم أىُّ حظٍّ لامْرِئٍ حظُّه مِن الأرضِ لَحْدُ
كيف يَهْوَى امرُؤٌ لَذاذةَ أيَّـ ـامٍ عليه الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ [2]الزيتونىِّ البوازيجىُّ[2] ثم البغدادىُّ، شيخٌ فاضلٌ، له رِوايةٌ، ومما أنْشَدَه:

ضيَّقَ العذرَ فى الضراعةِ أنَّا لو قنِعْنا بقَسْمِنا لَكَفانا
ما لنا نَعْبُدُ العِبادَ إذا كا ن إلى اللَّهِ فَقْرُنا وغِنانا

أبو الفضلِ عبدُ الرحيمِ بنُ [3]نصرِ اللَّهِ[3] بنِ علىِّ بنِ منصورِ بنِ الكَيَّالِ الواسطىُّ، مِن بيتِ الفِقْهِ والقَضاءِ، وكان أحدَ المُعَدِّلين ببغدادَ، ومِن شعرِه:

فتَبًّا لدنيا لا يَدُومُ نَعيمُها تَسُرُّ يَسيرًا ثم تُبْدِى المَساوِيَا
تُرِيك جمالًا[4] فى النِّقابِ وزُخْرُفًا وتُسْفِرُ عن شَوْهاءَ طَحْياءَ عامِيَا

ومِن ذلك قولُه:

إن كنتُ بعدَ الظاعنين[5] تسامَحَتْ بالغمضِ[6] أجْفانى فما أجْفانى
أو كنتُ مِن بعدِ الأَحِبَّةِ ناظرًا حُسْنًا بإنسانى[7] فما أنسانى

(١ - ١) فى م: «ولا أرضًا بها لك».
(٢ - ٢) فى الأصل «الرموى التواريجى»، وفى م: «الرسوى البواريجى». والمثبت من مصادر ترجمته؛ التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٢، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٢.
(٣ - ٣) فى الأصل: «نصر». ولم نجد له ترجمة.
(٤) فى م: «رُواءً». والرواء: المنظر الحسن.
(٥) فى م: «الطاعتين».
(٦) فى م: «بالفحص».
(٧) الإنسان هنا: إنسان العين، وهو المِثال الذى يُرَى فى السواد. اللسان (أ ن س).

الـدهـرُ مـغـفـورٌ لـه زَلَّاتُـهُ إن حاد[1] أوْطانى على أوطانى

أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ عَمَّارِ بنِ فِهْرِ بنِ وقاحٍ الياسِرىُّ[2]، نسبةً إلى عمَّارِ بنِ ياسرٍ، شيخٌ بغدادىٌّ فاضلٌ، له مُصَنَّفاتٌ فى التفسيرِ والفَرائضِ، وله خُطَبٌ ورَسائلُ وأشْعارٌ حسَنةٌ، وكان مَقْبولَ الشَّهادةِ عندَ الحُكَّامِ.

أبو بكرٍ[3] **محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ الطَّبَّاخِ الواسطىُّ البغدادىُّ الصوفىُّ**، باشَر بعضَ الوِلاياتِ ببغدادَ، ومما أنْشَدَه:

مـا وهَـب الـلَّـهُ لامْـرِئٍ هِـبَـةً أحْسَـنَ مِـن عـقـلِـه ومِـن أدبِـهْ
هما[4] جمالُ الفتى فإن فُقِدا فـفَـقْـدُه لـلـحـيـاةِ أجْـمَـلُ بـهْ

ابنُ يونُسَ شارحُ «التَّنْبيهِ»[5] أبو الفضلِ أحمدُ بنُ الشيخِ العلّامةِ كمالِ الدينِ أبى الفتحِ موسى بنِ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعةَ بنِ مالكِ بنِ محمدِ بنِ سعدِ ابنِ سعيدِ بنِ عاصمِ بنِ عابدِ بنِ كعبِ بنِ قيسِ بنِ إبراهيمَ الإرْبلىُّ الأصلِ، ثم الموصلىُّ، مِن بيتِ العلمِ بها والرِّياسةِ، اشْتَغل على أبيه فى فُنونِه وعُلومِه، فبرَع وتقَدَّم ودرَّس، وشرَح كتابَ «التَّنْبيهِ»، واخْتَصر «إحْياءَ علومِ الدينِ» للغَزَّالىِّ

---

(١) فى م: «عاد».
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٤، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٦٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٧/ ٦٥.
(٣) بعده فى الأصل: «بن». وانظر ترجمته فى تاريخ إربل ١/ ١٩٧.
(٤) فى م: «نعما».
(٥) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢١٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٨ - وجاء نسبه تاما، وفيه: «عائد» بدل «عابد» - وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٤، ومرآة الجنان ٤/ ٢٥٠، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٧٢.

مرتَيْن صغيرًا وكبيرًا ، وكان يُدَرِّسُ منه .

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وقد ولِى بإرْبِلَ مدرسةَ الملكِ المُظَفَّرِ بعدَ موتِ والدى فى سنةِ عشرٍ وستِّمائةٍ ، وكنتُ أَحْضُرُ عندَه وأنا صغيرٌ ، ولم أَرَ أحدًا يُدَرِّسُ مثلَه ، ثم صار إلى بلدِه سنةَ سبعَ عشْرةَ ، ومات فى يومِ الاثنين الرابعِ والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ عن سبعٍ وأربعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٠٨.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] الْتَقَى الملكُ جَلالُ الدينِ بنُ خُوارَزْم شاه الخُوارَزْميُّ مع الكُرْجِ، فكسَرهم كَسْرةً عظيمةً، وصمَد إلى أكبرِ مُعاقَلَتِهم تَفْلِيسَ، ففتَحها عَنْوةً، وقتَل مَن فيها مِن الكَفَرَةِ، وسبَى ذَراريَّهم، [2]ولم يَتَعَرَّضْ لأحدٍ مِن المسلمين الذين كانوا بها[2]، واسْتَقَرَّ مُلْكُه عليها، وقد كان الكُرْجُ أخَذوها مِن المسلمين فى سنةِ خمسَ عشْرةَ وخمسِمائةٍ، وهى بأيديهم إلى الآنَ حتى اسْتَنْقَذها منهم جَلالُ الدينِ هذا، فكان فتحًا عظيمًا، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

وفيها سار إلى خِلاطَ ليَأْخُذَها مِن نائبِ الملكِ الأشْرفِ، فلم يتَمَكَّنْ مِن أخْذِها، وقاتَله أهلُها [١٠/١٢ظ] قِتالًا عظيمًا، فرجَع عنهم بسببِ اشْتِغالِه بعِصيانِ نائبِه بمدينةِ كَرْمانَ وخلافِه له، فسار إليه[3] وترَكهم.

وفيها اصْطَلَح الملكُ الأشْرَفُ مع أخيه المُعَظَّمِ، وسار إليه إلى دمشقَ، وقد كان المُعَظَّمُ مُمالِئًا عليه مع جَلالِ الدينِ وصاحبِ إرْبِلَ وصاحبِ ماردِينَ وصاحبِ الرومِ، وكان مع الأشرفِ أخوه الكاملُ وصاحبُ الموصلِ بدرُ الدينِ لُؤْلُؤٌ، ثم اسْتَمال أخاه المُعَظَّمَ إلى ناحيتِه فقَوَّى جانبَه.

---

(١) الكامل ١٢/٤٥٠ - ٤٦٨، ومرآة الزمان ٨/٦٢٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣ - ١٩.

(٢ - ٢) فى الكامل ١٢/ ٤٥١: «ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره».

(٣) فى م: «إليهم».

وفيها كان قتالٌ كبيرٌ بينَ بِرِنْسِ[1] أنْطاكِيَةَ وبينَ الأَرْمَنِ، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ بينَهم.

وفيها أوْقَع الملكُ جَلالُ الدينِ بالتُّرْكمانِ الإيوانيةِ بأْسًا شديدًا، وكانوا يَقْطَعون الطريقَ على المسلمين.

وفيها قدِم مُحْيى الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ بنِ الجَوْزىِّ مِن بغدادَ فى الرَّسْليةِ إلى الملكِ المُعَظَّمِ بدمشقَ، ومعه الخِلَعُ والتَّشاريفُ لأولادِ العادلِ مِن الخليفةِ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ، ومَضْمونُ الرسالةِ نَهْيُه عن مُوالاةِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه، فإنه خارجىٌّ، (2مِن عَزْمِه2) قِتالُ الخليفةِ وأخْذُ بغدادَ منهم، فأجابه إلى ذلك، وركِب القاضى مُحْيى الدينِ بنُ الجَوْزىِّ إلى الملكِ الكاملِ بالديارِ المصريةِ، وكان ذلك أولَ قُدومِه إلى الشامِ ومصرَ، وحصَل له جَوائزُ كثيرةٌ مِن الملوكِ، منها كان بناءُ المدرسةِ الجَوْزيةِ بالنَّشّابين بدمشقَ.

وفيها ولِى تَدْريسَ الشِّبْليةِ بالسَّفْحِ شمسُ الدينِ يوسفُ[3] بنُ قِزُغْلِى سِبْطُ ابنِ الجَوْزىِّ بمرسومِ الملكِ المُعَظَّمِ، وحضَر عندَه أولَ يومِ القُضاةُ والأعْيانُ.

وفاةُ الخليفةِ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ[4] وخِلافةُ ابنِه المُسْتَنْصِرِ

كانت وفاةُ الخليفةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، يومَ الجمعةِ ضُحَى الثالثَ عشَرَ مِن

---

(1) فى الأصل: «افريس»، وفى م: «إبرنش». والمثبت من الكامل ١٢/ ٤٦٤، وتاريخ الإسلام ص ١٥.

(2 - 2) فى الأصل: «حين عزم على».

(3) فى م: «محمد».

(4) الكامل ١٢/ ٤٥٦، ومرآة الزمان ٨/ ٦٤٢ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٧٣، =

رجبٍ مِن هذه السنةِ ، أَعْنِى سنةَ ثلاثٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، ولم يَعْلَمِ الناسُ بموتِه إلا بعدَ الصلاةِ ، فدعا له الخُطَباءُ يومَئذٍ على المنابرِ على عادتِهم ، وكانت خلافتُه تسعةَ أشهرٍ (١وأربعةَ عشَرَ يومًا١) ، وعمْرُه ثنتان وخمسون سنةً ، وكان مِن أجْوَدِ بنى العباسِ سِيرةً ، وأَحْسَنِهم سَريرةً ، وأكثرِهم عَطاءً ، وأحْسنِهم مَنْظَرًا ورُواءً[٢] ، ولو طالت مدتُه لصَلَحت الأمةُ صَلاحًا كثيرًا على يديه ، ولكنْ أَحَبَّ اللَّهُ تَقْريبَه وإزْلافَه لديه ، فاخْتار له ما عندَه وأجزَل له إحْسانَه ورِفْدَه ، وقد ذكَرْنا ما اعْتَمَده فى أولِ وِلايتِه مِن إطلاقِ الأموالِ الدِّيوانيةِ ، وردِّ المَظالمِ ، وإسْقاطِ المُكوسِ ، وتَخْفيفِ الخَراجِ عن الناسِ ، وأداءِ الدُّيونِ عمَّن عجَز عن قضائِها ، والإحْسانِ إلى العلماءِ والفقراءِ ، وتَوْليةِ ذَوِى الدِّيانةِ ، وقد كان كتَب كتابًا لوُلاةِ الرعيةِ ، فيه : بسم اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، اعْلَموا أنه ليس إمْهالُنا إهمالًا ، ولا إغْضاؤُنا احْتِمالًا[٣] ، ولكن لِنَبْلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملًا ، وقد غفَرْنا لكم ما سلَف مِن إخرابِ البلادِ ، وتَشْريدِ الرَّعايا ، وتَقْبيحِ السُّمْعَةِ[٤] ، وإظهارِ الباطلِ الجَلِىِّ فى صورةِ الحقِّ الخَفِىِّ حِيلةً ومَكيدةً ، وتَسْميةِ الاسْتِئْصالِ والاجْتِياحِ اسْتيفاءً واسْتِدْراكًا ، لأغْراضٍ انْتَهَزْتُم فُرَصَها ، مُخْتَلَسةً مِن بَراثِنِ ليثٍ باسلٍ ، وأنْيابِ أسدٍ مَهيبٍ ، تتَّفِقون[٥] بألفاظٍ مختلفةٍ على مَعنًى واحدٍ ، وأنتم أُمَناؤُه وثِقاتُه ،

= والذيل على الروضتين ص ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٩٥.

(١ - ١) فى الكامل «وأربعة وعشرين يومًا».

(٢) فى الأصل: «رؤيا».

(٣) كذا فى الأصل، م. وفى الكامل ١٢/ ٤٥٦: «إغفالًا».

(٤) فى الأصل: «الشيعة»، وفى م: «الشريعة». والمثبت من الكامل ١٢/ ٤٥٧.

(٥) فى الأصل: «تتقون»، وفى م: «تنفقون». والمثبت من الكامل.

فتُميلون رأيَه إلى هَواكم، وتَمْزُجون[1] باطلَكم بحقِّه، فيُطِيعُكم وأنتم له عاصُون، ويُوافِقُكم وأنتم له مُخالِفون، والآن قد بدَّل اللَّهُ بخوفِكم أمْنًا، وبفقرِكم غِنًى، وبباطلِكم حقًّا، ورزَقكم سُلْطانًا يُقِيلُ العَثْرةَ، ولا يُؤاخِذُ [١٣/١٠و] إلا مَن أصَرَّ، ولا يَنْتَقِمُ إلا ممَّن اسْتَمَرَّ، يَأْمُرُكم بالعدلِ وهو يُرِيدُه منكم، ويَنْهاكم عن الجَوْرِ وهو يَكْرَهُه لكم، يخَافُ اللَّهَ تعالى فيُخَوِّفُكم مَكْرَه، ويَرْجُو اللَّهَ تعالى ويُرَغِّبُكم فى طاعتِه، فإن سلَكْتُم مَسالِكَ خُلَفاءِ اللَّهِ فى أرضِه وأُمَنائِه على خلقِه، وإلا هلَكْتُم، والسلامُ.

ووُجِد فى دارِه رِقاعٌ مَخْتومةٌ [2]لم تُفْتَحْ، فيها سِعاياتٌ إليه بسببِ أُناسٍ كثيرةٍ مِن الوُلاةِ وغيرِهم[2]، لم يَفْتَحْها سَتْرًا للناسِ ودَرْءًا عن أعْراضِهم، رحِمه اللَّهُ.

وقد خلَّف مِن الأولادِ عشَرةً ذكورًا وإناثًا، منهم ابنُه الأكبرُ الذى بُويع له بالخِلافةِ مِن بعدِه أبو جعفرٍ المنصورُ، ولُقِّب بالمُسْتَنْصِرِ باللَّهِ، وغسَّله محمدٌ الخَيَّاطُ الواعِظُ، ودُفِن فى دارِ الخِلافةِ، ثم نُقِل إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

خلافةُ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ العباسىّ أميرِ المؤمنين أبى جعفرٍ مَنْصورِ بنِ الظاهرِ محمدِ بنِ الناصرِ أحمدَ

بُويِع بالخلافةِ يومَ مات أبوه يومَ جمعةٍ ثالثَ عشَرَ رجبٍ مِن هذه السنةِ، سنةَ ثلاثٍ وعشرين وستِّمائةٍ، اسْتَدْعَوْا به مِن التاجِ، فبايَعه الخاصَّةُ والعامَّةُ مِن

---

(١) فى الكامل: «تمرجون». وهما بمعنًى.

(٢ - ٢) سقط من: م.

أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وكان عمرُه يومَئذٍ خمسًا وثلاثين سنةً وخمسةَ أشهرٍ وأحدَ عشَرَ يومًا ، وكان مِن أحسنِ الناسِ شكلًا وأبْهاهم مَنْظَرًا ، وهو كما قال القائلُ :

كأن الثُّرَيَّا عُلِّقَت فى جَبينِهِ وفى خدِّه الشِّعْرَى وفى وجهِه القمرْ

وفى نسَبِه الشريفِ خمسةَ عشَرَ خليفةً ، منهم خمسةٌ مِن آبائِه ، وَلُوا نَسَقًا ، وتلَقَّى هو الخِلافةَ عنهم وِراثةً كابرًا عن كابرٍ ، وهذا شىءٌ لم يَتَّفِقْ لأحدٍ مِن الخلفاءِ قبلَه ، وسار فى الناسِ كسِيرةِ أبيه الظاهرِ فى الجُودِ وحسنِ السِّيرةِ والإحْسانِ إلى الرَّعِيَّةِ ، وبنَى المدرسةَ الكبيرةَ المُسْتَنْصِريةَ التى لم تُبْنَ مدرسةٌ فى الدنيا مثلُها ، وسيأتى بيانُ ذلك فى مَوْضعِه ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، واسْتَمَرَّ أرْبابُ الوِلاياتِ الذين كانوا فى عهدِ أبيه على ما كانوا عليه ، ولما كان يومُ الجمعةِ المُقبِلةِ خُطِب للإمامِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ على المَنابرِ ، ونُثِر الذهبُ والفضةُ عندَ ذكرِ اسمِه ، وكان يومًا مشهودًا ، وأنْشَد الشعراءُ المَدائحَ والمَراثىَ ، وأُطْلِقَت لهم الخِلَعُ والجَوائزُ .

وقدِم رسولٌ مِن صاحبِ المَوْصلِ يومَ غُرَّةِ شعبانَ مع الوزيرِ ضِياءِ الدينِ أبى الفتحِ نصرِ اللَّهِ بنِ الأَثيرِ ، فيها التَّهْنِئةُ والتَّعْزِيةُ بعبارةٍ فَصيحةٍ بليغةٍ .

ثم إن المُسْتَنْصِرَ باللَّهِ كان يُواظِبُ على حُضورِ الجمعةِ راكبًا ظاهرًا للناسِ ، وإنما معه خادِمان و(١) رَكْب دارٍ(١) ، وخرَج مرةً وهو راكبٌ ، فسمِع ضَجَّةً عظيمةً ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : التَّأْذِينُ . فترَجَّل عن فرسِه ، وسَعى ماشيًا ، ثم

(١ - ١) فى م : « راكب دار » . والركب دار واحد الركب دارية ، وهم الذين يحملون غاشية السرج بين يدى الخليفة عند الركوب فى المواكب . انظر صبح الأعشى ٤/ ٧، ١٢.

صار يُدْمِنُ المَشْىَ إلى الجمعةِ رَغْبةً فى التَّواضُعِ والخُشوعِ ، ويَجْلِسُ قريبًا مِن الإمامِ ، ويَسْتَمِعُ الخُطْبةَ ، ثم أُصْلِح له المُطْبِقُ ، فكان يَمْشِى منه إلى الجمعةِ ، وركِب فى الثانى والعشرين مِن شعبانَ رُكوبًا ظاهرًا للناسِ عامَّةً ، ولما كانت أولُ ليلةٍ مِن رمضانَ تصَدَّق بصَدَقاتٍ كثيرةٍ مِن الدقيقِ والغَنَمِ والنَّفَقاتِ على العلماءِ والفُقراءِ والمَحاوِيجِ ، إعانةً لهم على الصِّيامِ ، وتَقْويةً لهم على القيامِ .

وفى يومِ السابعِ والعشرين مِن رمضانَ نُقِل تابوتُ أبيه الظاهرِ مِن دارِ الخِلافةِ إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وبعَث الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ يومَ العيدِ صَدَقاتٍ كثيرةً وإنْعامًا جَزيلًا إلى الفُقهاءِ والصُّوفيةِ وأئمةِ المَساجدِ ، [١٠/١٣ظ] على يدى مُحْيى الدينِ بنِ الجَوْزىِّ .

وذكَر ابنُ الأَثيرِ[(١)] أنه كانت زَلْزلةٌ عظيمةٌ فى هذه السنةِ ، هدَمت شيئًا كثيرًا مِن القُرَى والقِلاعِ ببلادِهم . وذكَر أنه ذبَح رجلٌ شاةً ببلدِهم ، فوجَد لحمَها مُرًّا حتى رأسَها وأَكارعَها [(٢)] ومَعاليقَها وجميعَ أجزائِها[(٢)] .

وممن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الخليفةُ الظاهرُ كما تقدَّم .

الجَمالُ المصرىُّ يونُسُ بنُ بَدْرانَ بنِ فَيْروزَ ، جَمالُ الدينِ المِصْرىُّ[(٣)] ، قاضى القُضاةِ بدِمشقَ فى هذا الحينِ ، اشْتَغل وحصَّل وبرَع ، واخْتَصَر كتابَ « الأُمِّ »

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٦٤٣ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٦٠، والذيل على الروضتين ص ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٧٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٤٧.

للإمامِ الشافعيِّ ، وله كتابٌ مُطَوَّلٌ فى الفَرائضِ ، وولِى تَدْريسَ الأمينيةِ بعدَ التَّقِيِّ الضَّريرِ الذى قتَل نفسَه ، ولَّاه إياها الوزيرُ صفيُّ الدينِ بنُ شُكْرٍ ، وكان مُعْتَنِيًا بأمرِه ، ثم ولِى وِكالةَ بيتِ المالِ بدمشقَ ، (١) وترَسَّل إلى الملوكِ والخلفاءِ عن صاحبِ دمشقَ، ثم ولَّاه المُعَظَّمُ قَضاءَ القُضاةِ بدمشقَ (١) بعدَ عزلِه الزَّكِيَّ بنَ الزَّكِيِّ ، وولَّاه تَدْريسَ العادليةِ الكبيرةِ حينَ كمَل بناؤُها ، فكان أولَ مَن درَّس بها ، وحضَر عندَه الأعْيانُ كما ذكَرْنا . وكان يَقولُ أولًا درسًا فى التَّفْسيرِ حتى أكْمَل التَّفسيرَ إلى آخرِه ، ثم توفِّى عقِبَ ذلك ، ويقالُ : درّس الفقهَ بعدَ التفسيرِ . وكان يَعْتَمِدُ فى أمرِ إثباتِ السِّجِلَّاتِ اعتمادًا حسنًا ، وهو أنه كان يَجْلِسُ فى كلِّ يومِ جمعةٍ بُكْرةً ويومَ الثلاثاءِ ، ويَسْتَحْضِرُ عندَه فى إيوانِ العادليةِ جميعَ شُهودِ البلدِ ، ومَن كان له كتابٌ يُثْبِتُه حضَر واسْتَدْعَى شُهودَه ، فأدَّوْا على الحاكمِ ، وثبَت ذلك سريعًا ، وكان يَجْلِسُ كلَّ يومِ جمعةٍ بعدَ العصرِ فى الشُّبَّاكِ الكَماليِّ بمشهدِ عثمانَ ، فيَحْكُمُ حتى يُصَلِّيَ المغربَ ، وربما مكَث حتى يُصَلِّيَ العِشاءَ أيضًا ، وكان كثيرَ المُذاكرةِ للعلمِ ، كثيرَ الاشْتِغالِ ، حسَنَ الطريقةِ ، لم يُنْقَمْ عليه أنه أخَذ شيئًا لأحدٍ .

قال أبو شامةَ[٢] : وإنما كان يُنْقَمُ عليه أنه كان يُشِيرُ على بعضِ الوَرَثةِ بمُصالحةِ بيتِ المالِ ، وأنه اسْتَناب ولدَه التاجَ محمدًا ، ولم يَكُنْ مَرْضِيَّ الطريقةِ ، وأما هو فكان عَفيفًا فى نفسِه نَزِهًا مَهيبًا . قال أبو شامةَ[٢] : وكان يَدَّعِى أنه قُرَشيٌّ شَيْبيٌّ ، فتَكَلَّم الناسُ فيه بسببِ ذلك ، وتوَلَّى القَضاءَ بعدَه شمسُ الدينِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤٨.

أحمدُ بنُ الخَليليِّ الخُوَيِّيُّ[1] .

قلتُ : وكانت وفاتُه فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن فى دارِه التى فى رأسِ دَرْبِ الرَّيْحانِ مِن ناحيةِ الجامعِ ، ولتُرْبتِه شُبَّاكٌ شرقِيَّ المدرسةِ الصَّدْرِيةِ اليومَ ، وقد قال فيه ابنُ عُنَيْنٍ ، وكان هَجاه[2] :

ما قصَّر المِصْرِيُّ فى فعلِهِ ... إذ جعَل التُّرْبةَ[3] فى دارِهِ
[4]أراح للأحْياءِ[4] مِن رَجْمِهِ ... وأبْعَد[5] الأمواتَ مِن نارِهِ

المُعْتَمِدُ والى دِمشقَ المُبارِزُ إبراهيمُ[6] ، المَعْروفُ بالمُعْتَمِدِ والى دمشقَ ، وكان مِن خِيارِ الوُلاةِ وأعَفِّهم وأحسنِهم سِيرةً وأجْودِهم سَريرةً ، أصلُه مِن الموصلِ ، وقدِم الشامَ ، فخدَم فَرُّخْشاه بنَ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ ، ثم اسْتَنابه البَدْرُ مَوْدودٌ أخو فَرُّخْشاه ، وكان شِحْنةَ دمشقَ ، فحُمِدَت سِيرتُه فى ذلك ، ثم صار هو شِحْنةَ دمشقَ أربعين سنةً ، فجرَت فى أيامِه عَجائبُ وغَرائبُ ، وكان كثيرَ السَّتْرِ على ذَوِى الهَيئاتِ ، ولا سيما مَن كان مِن أبناءِ[7] الناسِ وأهلِ البُيوتاتِ . واتَّفَق فى أيامِه أن رجلًا حائِكًا كان له ابنٌ صغيرٌ ، فى آذانِه حَلَقٌ ، فعدا عليه رجلٌ مِن جِيرانِهم ، فقتَله غِيلةً ، وأخَذ ما عليه مِن الحُلِيِّ ، ودفَنه فى بعضِ المَقابرِ ،

---

(١) فى الأصل : « النحوى » ، وفى م : « الجوينى » . والمثبت من الذيل على الروضتين .
(٢) ديوان ابن عنين ص ٢٣٨.
(٣) فى الديوان : « الحفرة » .
(٤ - ٤) فى الأصل : « أراح الأحياء » ، وفى الديوان : « فخلّص الأحياء » .
(٥) فى الديوان : « خلص » .
(٦) مرآة الزمان ٦٣٩/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٠- وفيه : «المبارك » - وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١- ٦٣٠) ص ١٤٦، والوافى بالوفيات ١٥١/٦ .
(٧) فى الأصل : « بنات » .

فاشْتَكَوْا عليه فلم يُقِرَّ بشىءٍ، وتألَّمت والدتُه مِن ذلك، وسألَت زوجَها أن يُطَلِّقَها، فطلَّقها، فذهَبَت إلى ذلك الرجلِ الذى قتلَ ولدَها، وسألَته أن يَتَزَوَّجَها، وأظْهَرَت له أنها قد أحَبَّتْه فتزوَّجها، ومكَثَت عندَه حِينًا، ثم سألَته فى بعضِ الأوقاتِ [١٠/١٤و] عن ولدِها الذى اشْتَكَوْا عليه بسببِه، فقال: نعم، أنا قتَلْتُه. فقالت: أَشْتَهِى أن تُرِيَنى قبرَه حتى أَنْظُرَ إليه. فذهَب بها إلى قبرِ خشخاشةٍ[1]، ففتَحه فنظَرَت إلى ولدِها، فاسْتَعْبَرَت وقد أخَذَت معها سِكِّينًا أعَدَّتها لهذا اليومِ، فضرَبَته حتى قتَلَته، ودفَنَته مع ولدِها فى ذلك القبرِ، فجاء أهلُ المَقْبَرةِ، فحمَلوها إلى الوالى المُعْتَمِدِ هذا، فسألَها فذكَرَت له خبرَها، فاسْتَحْسَن ذلك منها، وأطْلَقها وأحْسَن إليها[2].

وحكَى هو للسِّبْطِ قال[3]: بينما أنا يومًا خارجٌ مِن بابِ الفرجِ، فإذا برجلٍ يَحْمِلُ طَبْلًا وهو سَكْرانُ، فأمَرْتُ به فضُرِب الحدَّ، وأمَرْتُهم فكسَروا الطَّبْلَ، وإذا رِكوةٌ كبيرةٌ خمرًا فشقُّوها، وكان العادلُ قد منَع أن يُعْصَرَ خمرٌ ويُحْمَلَ إلى دمشقَ شىءٌ منه بالكليةِ، فكان الناسُ يَتَحَيَّلون بأنواعِ الحِيَلِ ولَطائفِ المَكْرِ. قال السِّبْطُ: فسألْتُه: مِن أين علِمْتَ أن فى الطَّبْلِ شيئًا. فقال: رأيتُه يَمْشِى وتَرْجُفُ ساقاه، فعرَفْتُ أنه يَحْمِلُ شيئًا ثقيلًا فى الطَّبْلِ.

وله مِن هذا الجِنْسِ غَرائبُ، وقد عزَله المُعَظَّمُ، وكان فى نفسِه منه، وسجَنه فى القلْعةِ نحوًا مِن خمسِ سنينَ، ونادَى عليه فى البلدِ، فلم يَجِئْ أحدٌ ذكَر أنه

---

(١) فى م: «خشنكاشة». والخَشخاشة: مكان يدفن فيه الجماعة من الناس.

(٢) بعده فى الأصل: «ورجعت إلى زوجها الأول» والذى فى المصادر أنه كان قد مات قبل أن تقتل زوجها الثانى.

(٣) مرآة الزمان ٨/٦٤٠ القسم الثانى.

أخَذ منه حَبَّةَ خَرْدَلٍ ، ولما مات ، رحِمه اللَّهُ ، دُفِن فى تربتِه المُجاوِرةِ لمدرسةِ أبى عمرَ مِن شامِها [1]قِبلىَّ السوقِ[1] ، وله عندَ تُرْبتِه مسجدٌ يُعْرَفُ به ، رحِمه اللَّهُ .

واقفُ الشِّبْليةِ التى بطريقِ الصالحيةِ ، شِبْلُ الدولةِ كافورٌ الحُسامىُّ[2] ، نسبةً إلى حُسامِ الدينِ محمدِ بنِ لاچِينَ وَلَدِ ستِّ الشامِ ، وهو الذى كان مُسْتَحِثًّا على عِمارةِ الشاميةِ البَرَّانيةِ لمَوْلاتِه ستِّ الشامِ ، وهو الذى بنَى الشِّبْليةَ للحَنَفيةِ والخانْقاه على الصُّوفيةِ إلى جانبِها ، وكانت منزلَه ، ووقَف القَناةَ والمَصْنعَ والسَّاباطَ ، وفتَح للناسِ طَريقًا مِن عندِ المقبرةِ غربىَّ الشاميةِ البَرَّانيةِ إلى طريقِ عينِ الكِرْشِ ، ولم يَكُنِ الناسُ لهم طريقٌ إلى الجبلِ مِن هناك ، إنما كانوا يَسْلُكون مِن عندِ مسجدِ الصَّفِىِّ بالعُقَيبةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكانت وفاتُه فى رجبٍ ، ودُفِن فى تربتِه التى كانت مدرسةً ، وقد سمِع الحديثَ على الكِنْدىِّ وغيرِه .

واقفُ الرَّواحِيَّةِ بدمشقَ وحَلَبَ ، أبو القاسمِ هِبةُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ المعروفُ بابنِ رَواحةَ[3] ، كان أحدَ التُّجَّارِ وذَوِى الثَّروةِ والمُعَدِّلين بدمشقَ ، وكان فى غايةِ الطولِ والعرضِ ، ولا لحيةَ له ، وقد ابْتَنَى المدرسةَ الرَّواحِيةَ داخلَ بابِ الفَرادِيسِ ووقَفها على الشافعيةِ ، وفوَّض نظرَها وتَدْريسَها إلى الشيخِ تَقِىِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ الشَّهْرَزُورىِّ ، وله بحَلَبَ مدرسةٌ أخرى مثلُها ، وقد انْقَطَع فى آخرِ عمرِه فى المدرسةِ التى بدمشقَ ، وكان يَسْكُنُ البيتَ الذى فى

(١ - ١) فى الأصل : « قبل الشرق » .

(٢) مرآة الزمان ٨/٦٤٢ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٤.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٢٧، والذيل على الروضتين ص ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٨، والدارس ١/ ٢٦٥. وجاءت وفاته فى التكملة وتاريخ الإسلام سنة ثنتين وعشرين وستمائة .

إيوانِها مِن الشرقِ ، ورغِب فيما بعدُ أن يُدْفَنَ فيه إذا مات ، فلم يُمَكَّنْ مِن ذلك ، بل دُفِن بمَقابرِ الصوفيةِ ، وبعدَ وفاتِه شهِد مُحْيى الدينِ بنُ عَرَبى الطائىُّ ، وتَقِىُّ الدينِ خَزْعَلٌ النَّحْوىُّ المصرىُّ المَقْدسىُّ ثم الدمشقىُّ إمامُ مَشْهَدِ علىٍّ ، شهِدا على ابنِ رَواحةَ بأنه عزَل الشيخَ تَقىَّ الدينِ عن هذه المدرسةِ ، فجرَت خُطوبٌ طَويلةٌ ، ولم يَنْتَظِمْ ما رامُوه ، ومات خَزْعَلٌ فى هذه السنةِ أيضًا ، فبطَل ما سلكوه .

أبو محمدٍ محمودُ بنُ مَوْدودِ بنِ محمودِ بنِ بَلْدِجِى الحَنَفىُّ الموصلىُّ[1] ، وله بها [١٠/١٤ظ] مدرسةٌ تُعْرَفُ به ، وكان مِن أبناءِ التُّرْكِ ، وصار مِن مَشايخِ العلماءِ الحنفيةِ ، وله دِينٌ مَتينٌ ، وشعرٌ حسنٌ جيدٌ ، فمنه قولُه :

مَن ادَّعَى أن له حالةً ... تُخْرِجُه عن مَنْهَجِ الشَّرْعِ
فلا تَكُونَنَّ له صاحبًا ... فإنه خُرْءٌ[2] بلا نَفْعِ

كانت وفاتُه بالموصلِ فى السادسِ والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، وله نحوٌ مِن ثمانين سنةً رحِمه اللَّهُ تعالى .

ياقوتٌ ويقالُ له : يعقوبُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، نجيبُ الدينِ[3] ، مولى الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ . وقد وقَف عليه الشيخُ الكتبَ التى بالخِزانةِ بالزاويةِ الشرقيةِ الشَّماليةِ مِن جامعِ دمشقَ ، وكانت سبعَمائةٍ وأحدًا وستين مُجَلَّدًا ، ثم على ولدِه مِن بعدِه ، ثم على العلماءِ ، فتمَحَّقَت هذه الكتبُ ، وبيع أكثرُها ، وقد كان ياقوتٌ هذا لديه فَضيلةٌ وأدبٌ وشعرٌ جيدٌ ، وكانت وفاتُه ببغدادَ فى مُسْتَهَلِّ رجبٍ ، ودُفِن بمقبرةِ الخَيْزُرانِ بالقربِ مِن مشهدِ أبى حَنيفةَ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الجواهر المضية ٣/ ٤٥٢.
(٢) فى الأصل : « ضر » . والخرء : العَذِرة . اللسان (خ ر أ) .
(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] كاتَب عامَّةُ أهلِ تَفْلِيسَ الكُرْجَ ، فجاءوا إليهم فدخَلُوها ، فقتَلوا العامَّةَ والخاصَّةَ ، ونهَبوا وسبَوْا وخرَّبوا وأحْرَقوا ، وخرَجوا على حَمِيَّةٍ[2] ، وبلَغ ذلك جَلالَ الدينِ ، فسار سريعًا ليُدْرِكَهم ، فلم يُدْرِكْهم .

وفيها قتَلَت الإسْماعيليةُ أميرًا كبيرًا مِن نُوَّابِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه ، فسار إلى بلادِهم ، فقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وخرَّب مدينتَهم ، وسبَى ذَراريَّهم ، ونهَب أموالَهم ، وقد كانوا ، قبَّحهم اللَّهُ ، مِن أكبرِ العَوْنِ على المسلمين لَمَّا قدِم التَّتارُ إلى الناسِ ، وكانوا أضَرَّ على الناسِ منهم .

وفيها تَواقَع جَلالُ الدينِ وطائفةٌ كبيرةٌ مِن التَّتارِ ، فهزَمهم وأَوْسَعَهم قتلًا وأسْرًا ، وساق وراءَهم أيامًا ، فقتَلهم حتى وصَل إلى الرَّيِّ ، فبلَغه أن طائفةً قد جاءوا لقَصْدِه ، فأقام يَنْتَظِرُهم ، فكان مِن أمرِه وأمْرِهم ما سيَأْتى فى سنةِ خمسٍ وعشرين .

وفيها دَخَلَت عَساكرُ الملكِ الأشرفِ إلى بلادِ أَذْرَبِيجانَ ، فملَكوا منها مُدُنًا كثيرةً ، وغَنِموا أموالًا جَزيلةً ، وخرَجوا معهم بزوجةِ الملكِ جَلالِ الدينِ بنتِ طُغْرُل ، وكانت تُبْغِضُه وتُعادِيه ، فأنْزَلوها مدينةَ خِلاطَ ، وسيَأْتى ما كان مِن خبرِهم فى السنةِ الآتيةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) الكامل ٤٦٩/١٢ - ٤٧٤، ومرآة الزمان ٦٤٣/٨ - ٦٥٢ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٥١، ١٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠ - ٢٤.

(٢) أى خرجوا منهزمين. انظر اللسان (ح م ا).

وفيها قدِم رسولُ الأنبِرُورِ ملكِ الفِرنْجِ بالبحرِ إلى المُعَظَّمِ يَطْلُبُ منه ما كان فتَحه عمُّه الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ مِن بلادِ السَّواحلِ، فأغْلَظ له المُعَظَّمُ فى الجوابِ، وقال له: قل لصاحبِك ما عندى إلا السيفُ. واللَّهُ أعلمُ.

وفيها جهَّز الأَشْرَفُ أخاه شِهابَ الدينِ غازى إلى الحجِّ فى مَحْمِلٍ[1] عظيمٍ يحْمِلُ ثَقَلَه[2] ستُّمائةِ جملٍ، ومعه خمسون هَجينًا، على كلِّ هَجينٍ مَملوكٌ، فسار مِن ناحيةِ العراقِ، وجاءَتْه هَدايا الخليفةِ إلى أثناءِ الطريقِ، وعاد على طَريقِه التى حجَّ منها.

وفيها ولِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ نَجْمُ الدينِ أبو المَعالى عبدُ الرحمنِ بنُ مُقْبِلٍ الواسطىُّ، وخُلِع عليه كما هى عادةُ الحكامِ، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها كان غلاءٌ شديدٌ ببلادِ الجَزيرةِ، وقلَّ اللحمُ، حتى حكَى ابنُ الأثيرِ[3] أنه لم يُذْبَحْ بمدينةِ الموصلِ فى بعضِ الأيامِ سوى خروفٍ واحدٍ فى زمنِ الربيعِ.

قال: وسقَط فيها عاشرَ آذارَ ثلجٌ كثيرٌ بالجزيرةِ والعراقِ مرتين، فأهْلَك الأزْهارَ وغيرَها. قال: وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ مثلُه، والعَجَبُ كلُّ العَجَبِ مِن العراقِ مع كثرةِ حرِّه كيف [١٠/ ١٥و] وقَع فيه مثلُ هذا.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

جِنْكِزْخان[4]، السلطانُ الأعظمُ عندَ التَّتارِ، والدُ ملوكِهم اليومَ، الذى

---

(١) فى الأصل: «تجمل».

(٢) الثَّقَل: متاع المسافر وحشمه.

(٣) الكامل ١٢/ ٤٧٣.

(٤) بعده فى الأصل: «ملك التتار وهو جد ملوكهم اليوم»، وانظر ترجمته فى: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٨٦، ومسالك الأبصار ٣/ ٣٨، والوافى بالوفيات ١١/ ١٩٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٨، وصبح الأعشى ٤/ ٣٠٥، ودائرة المعارف الإسلامية ١٢/ ٣٧٩.

يَنْتَسِبون إليه ، يقولون : مَن عظَّم القان إنما يُرِيدُ هذا المَلِكَ . وهو الذى وضَع لهم « الياسَاقَ »[1] التى يَتَحاكَمون إليها ، ويَحْكُمون بها ، وأكْثَرُها مُخالِفٌ لشَرائعِ اللَّهِ تعالى وكتبِه ، وإنما هو شىءٌ اقْتَرَحه مِن عندِ نفسِه ، وتبِعوه فى ذلك ، وقد كانت أمُّه تَزْعُمُ أنها حملَت به مِن شُعاعِ الشمسِ ، فلهذا لا يُعْرَفُ له أبٌ ، والظاهرُ أنه مَجْهولُ النَّسَبِ ، وقد رأيْتُ مُجَلَّدًا جمَعه الوزيرُ ببغدادَ عَلاءُ الدينِ الجُوَيْنىُّ فى ترجمتِه[2] ، فذكَر فيه سِيرتَه ، وما كان يَشْتَمِلُ عليه مِن العقلِ[3] السِّياسىِّ والكرمِ والشَّجاعةِ والتَّدبيرِ الجيدِ للمُلْكِ والرَّعايا والحروبِ ، فذكَر أنه كان فى ابْتِداءِ أمْرِه خَصِيصًا عندَ الملكِ أُزْبَك خان[4] ، وكان إذ ذاك شابًّا حسنًا ، وكان اسمُه أولًا تمرجى[5] ، ثم لما عظُم سمَّى نفسَه جِنْكِزْخان ، وكان هذا الملكُ قد قرَّبه وأدْناه ، فحسَده عُظماءُ الملكِ ، ووشَوْا به إليه حتى أخْرَجوه عليه وهمَّ بقَتْلِه ، ولم يَجِدْ له طَريقًا فى ذنبٍ يَتَسَلَّطُ به عليه ، فهو فى ذلك إذ تغَضَّب الملكُ على مَمْلوكَيْن صغيرَيْن فهرَبا منه ، ولَجَأ إلى جِنْكِزْخان ، فأكْرَمَهما وأحْسَن إليهما ، فأخْبَراه بما يُضْمِرُه الملكُ أُزبَك خان مِن قتلِه والهمِّ به ، فأخَذ حِذْرَه [6]وتحيز بدولةٍ[6] واتَّبَعَه طَوائفُ مِن التَّتارِ ، وصار كثيرٌ مِن أصحابِ أُزْبَك خان يَنْفِرون إليه ، ويَفِدون عليه ، فيُكْرِمُهم ويُعْطِيهم حتى قوِيَت شَوْكتُه ، وكثُرَت

---

(١) فى م : « السياسا » . قال صاحب تاج العروس (ى س ق) : يساق كسحاب ، وربما قيل يسق ، بحذف الألف ، والأصل فيه : يساغ بالغين المعجمة ، وربما خفف فحذف ، وربما قلب قافا ، وهى كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة .

(٢) انظر مسالك الأبصار ٣/٤١ ، وصبح الأعشى ٤/٣٠٦ .

(٣) فى الأصل : « الفعل » .

(٤) فى الأصل هنا وفيما يأتى : « أرتك خان » .

(٥) كذا فى الأصل ، م . وفى السير وصبح الأعشى : « تمرجين » . وفى الكامل ١٢/ ٣٦١، ومسالك الأبصار ٣/ ٤٣، ودائرة المعارف : « تموجين » . ولم تذكره بقية المصادر .

(٦ - ٦) فى الأصل : « تحذر منه ومن دولته » .

جنودُه ، ثم حارَب بعدَ ذلك أُزْبَك خان ، فظفِر به وقتَله ، واسْتَحْوَذ على مَمْلكتِه ومُلْكِه ، وانْضاف إليه عُدَدُه وعَدَدُه ، وعظُم أمرُه ، وبعُد صِيتُه ، وخضَعَت له قَبائلُ التُّرْكِ ببلادِ طمغاجَ كلِّها ، حتى صار يَرْكَبُ فى نحوِ ثمانِمائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، وأكبرُ القَبائلِ قبيلتُه التى هو من أصلِها يقالُ لها : قيات[1] . ثم أقْرَبُ القَبائلِ إليه بعدَهم قبيلتان كبيرتا العددِ ، وهما [2]أويرات وقنقورات[2] .

وكان يَصْطادُ مِن السنةِ ثلاثةَ[3] أشهرٍ ، والباقى للحربِ والحكمِ . قال الجُوَيْنىُّ : وكان يَضْرِبُ الحَلْقةَ يَكونُ ما بينَ طَرَفَيْها ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم تَتَضايَقُ فيَجْتَمِعُ فيها مِن أنواعِ الحَيواناتِ شىءٌ كثيرٌ لا يُحَدُّ كَثْرةً .

ثم نشِبَت الحربُ بينَه وبينَ الملكِ جَلالِ الدينِ خُوارَزْم شاه صاحبِ بلادِ خُراسانَ والعراقِ وأَذْرَبِيجانَ وغيرِ ذلك من الأقاليمِ والممالكِ ، فقهَره جِنْكِزْخان وكسَره وغلَبه ، واسْتَحْوَذ على سائرِ بلادِه هو بنفسِه وبأولادِه فى أيْسَرِ مُدَّةٍ كما ذكَرْنا ذلك فى الحَوادثِ ، وكان ابْتِداءُ مُلْكِ جِنْكِزْخان فى سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، وكان قِتالُه لخُوارَزْم شاه فى حدودِ سنةِ ستَّ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، ومات خُوارَزْم شاه فى سنةِ سبعَ عشْرةَ كما ذكَرْنا ، فاسْتَحْوَذ حينَئذٍ على المَمالكِ بلا مُنازِعٍ ولا مُمانِعٍ ، وكانت وَفاتُه فى سنةِ أربعٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، فجعَلوه فى تابوتٍ مِن حَديدٍ وربَطوه بسَلاسلَ وعلَّقوه بينَ جبَلَيْن هنالك ، وأما كتابُه « الياساق »[4] فإنه يُكْتَبُ فى مُجَلَّدَيْن بخطٍّ غَليظٍ ، ويُحْمَلُ على بَعيرٍ

---

(١) فى الأصل : « قياب » ، وفى م : « قيان » . والمثبت من مسالك الأبصار وصبح الأعشى .

(٢ - ٢) فى م : « أزان وقنقوران » .

(٣) فى الأصل : « ستة » . وانظر مسالك الأبصار ٣/ ٤٦ .

(٤) فى م : « الياسا » .

معظمِ عندَهم ، وقد ذكَر بعضُهم عنه أنه كان يصْعَدُ جبلًا ، ثم يَنْزِلُ ، ثم يَصْعَدُ ، ثم يَنْزِلُ حتى يُغْشِيَ ويقَعَ مَغْشِيًّا عليه ، ويَأْمُرُ مَن عندَه أن يَكْتُبَ ما يُلْقَى على لسانِه حينئذٍ ، فإن كان هذا هكذا فالظاهرُ أن الشيطانَ كان [١٠/ ١٥ظ] يَنْطِقُ على لسانِه بما فيها .

وذكَر الجُوَيْنيُّ أن بعضَ عُبَّادِهم كان يَصْعَدُ الجبالَ فى البَرْدِ الشديدِ للعِبادةِ ، فسمِع قائلًا يقولُ له : إنا قد ملَّكْنا جِنْكِزْخان وذُريتَه وجهَ الأرضِ . قال الجُوَيْنيُّ : فمَشايخُ المَغولِ يُصَدِّقون بهذا ، ويَأْخُذُونه مُسَلَّمًا .

ثم ذكَر الجُوَيْنيُّ شيئًا من « الياساق »[(١)] ، من ذلك ؛ أنه مَن زنَى قُتِل ، مُحْصَنًا كان أو غيرَ مُحْصَنٍ ، وكذلك مَن لاط قُتِل ، ومَن تعَمَّد الكذِبَ قُتِل ، ومَن سحَرَ قُتِل ، ومَن تجَسَّس قُتِل ، ومَن دخَل بينَ اثنين يَخْتَصِمان فأعان أحدَهما قُتِل ، ومَن بال فى الماءِ الواقفِ قُتِل ، ومَن انْغَمَسَ فيه قُتِل ، ومَن أطْعَم أسِيرًا أو سقاه أو كساه بغيرِ إذنِ أهلِه قُتِل ، ومَن وجَد هاربًا ولم يَرُدَّه قُتِل ، ومَن رمَى إلى أحدٍ شيئًا مِن المأْكولِ قُتِل ، بل يُناوِلُه مِن يدِه إلى يدِه ، ومَن أطْعَم أحدًا شيئًا فلْيَأْكُلْ منه أولًا ، ولو كان [(٢)] المُطْعِمُ أميرًا لأسيرٍ [(٢)] ، ومَن أكَل ولم يُطْعِمْ مَن عندَه قُتِل ، ومَن ذبَح حيوانًا ذُبِح مثلَه ، بل يَشُقُّ جوفَه ، ويَتَناوَلُ قلبَه بيدِه يَسْتَخْرِجُه مِن جوفِه أولًا .

وفى هذا كلِّه مُخالَفةٌ لشَرائعِ اللَّهِ المُنَزَّلةِ على عبادِه الأنْبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ، فمَن ترَك الشرعَ المُحْكَمَ المُنَزَّلَ على محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ خاتمِ الأنبياءِ ،

---

(١) انظر مسالك الأبصار ٣/ ٤٣، ٤٤، وصبح الأعشى ٤/ ٣١٠ - ٣١٢.

(٢ - ٢) فى م : « المطعوم أميرا لا أسيرا » .

وتَحاكَم إلى غيرِه مِن الشَّرائعِ المَنْسوخةِ كفَر ، فكيف بمَن تَحاكَم إلى « الياساقِ »[1] وقدَّمها عليه ؟! [2]مَن فعَل[2] ذلك كفَر بإجماعِ المسلمين . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

ومِن آدابِهم الطاعةُ لسلطانِهم غايةَ الاسْتِطاعةِ ، وأن يَعْرِضوا عليه أبْكارَهم الحِسانَ ليَخْتارَ لنفسِه ، ومَن شاء مِن حاشيتِه ما شاء منهن ، ومِن شأنِهم أن يُخاطِبوا الملكَ باسمِه ، ومَن مرَّ بقومٍ يَأْكُلون فله أن يَأْكُلَ معهم بغيرِ اسْتِئْذانٍ ، ولا يَتَخَطَّى مَوْقِدَ النارِ [3]ولا طَبَقَ الطعامِ ، ولا يقِفُ على أُسْكُفَّةِ الخَرْكاه[4] ، ولا يَغْسِلون ثيابَهم حتى يَبْدُوَ وَسخُها[5] ، ولا يُكَلِّفون العُلماءَ مِن كلِّ ما ذُكِر شيئًا مِن الجِناياتِ ، ولا يَتَعَرَّضون لمالِ ميتٍ[3] ، وقد ذكَر عَلاءُ الدينِ الجُوَيْنيُّ طَرَفًا كبيرًا مِن أخبارِ جِنْكِزْخان ومَكارمَ كان يَفْعَلُها لسَجِيَّتِه وما أدَّاه إليه عقلُه ، وإن كان مُشْرِكًا باللَّهِ يَعْبُدُ معه غيرَه ، وقد قتَل مِن الخَلائقِ ما لا يَعْلَمُ عددَهم إلا الذى خلَقهم ، ولكن كان البَداءةُ مِن خُوارَزْم شاه ، فإنه لما أرْسَل جِنْكِزْخان تُجَّارًا مِن جهتِه معهم بَضائعُ كثيرةٌ مِن بلادِه ، فانْتَهَوا إلى إيرانَ ، فقتَلهم نائبُها مِن جهةِ خُوارَزْم شاه ، وهو والدُ زوجتِه[6] كَشْلى خان ، وأخَذ جميعَ ما كان معهم ،

---

(١) فى م : « الياسا » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « من بعد » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) الأسكفة : عتبة الباب . والخركاه : الخيمة الكبيرة . الوسيط (س ك ف) ، والمعجم الذهبى ص ٢٣٧ .

(٥) أى لا يغسلون ثيابهم البتة .

(٦) فى م : « زوجة » .

فأرْسَل جِنْكزْخان إلى خُوارَزْم شاه يَسْتَعْلِمُه هل وقَع هذا الأمرُ عن رِضًا منه أو أنه لم يَعْلَمْ به فأنكَره ، وقال له فيما أرْسَل إليه : مِن المَعْهودِ مِن الملوكِ أن التُّجَّارَ لا يُقْتَلون ؛ لأنهم عِمارةُ الأقاليمِ ، وهم الذين يَحْمِلُون إلى الملوكِ التُّحَفَ والأشْياءَ النَّفِيسةَ ، ثم إن هؤلاء التُّجارَ كانوا على دينِك ، فقتَلهم نائبُك ، فإن كان أمرًا (١أنكرْتَه ، وإلا طلَبْنا بدمائِهم١) . فلما سمِع خُوارَزْم شاه ذلك مِن رسولِ جِنْكِزْخان لم يَكُنْ له جوابٌ سِوَى أنه أمَر بضربِ عنقِه ، فأساء التَّدْبيرَ ، وقد كان خرِف وكبِرَت سنُّه ، وقد ورَد الحديثُ : « اتْرُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم »(٢) . فلما بلَغ ذلك جِنْكِزْخان تجهَّز لقتالِه وأخْذِ بلادِه ، فكان بقَدَرِ اللَّهِ تعالى ما كان مِن الأمورِ التى لم يُسْمَعْ بأغربَ منها ولا أبْشَعَ .

فممَّا ذكَره الجُوَيْنىُّ عنه أنه قدَّم له بعضُ الفَلَّاحِين بالصيدِ ثلاثَ بِطِّيخاتٍ ، [١٦/١٠و] فلم يَتَّفِقْ أن عندَ جِنْكِزْخان أحدًا مِن الخزَنْدارية(٣) ، فقال لزوجتِه خاتون : أَعْطِيه هذين القُرْطَيْن اللذين فى أُذُنَيك . وكان فيهما جَوْهَرتان نَفيستان جدًّا ، فشحَّت المرأةُ بهما وقالت : (٤انْظرْ إلى غيرِه فإنَّ هذا لا يدرِى ما هما . فقال لها : ادفعيهما إليه فإنهما لا يبيتان هذه الليلةَ إلا عندَك ، وهذا الرجلُ لا يُمْكِنُنا أن ندَعَه يذهبُ عنا٤) مُقَلْقَلَ الخاطرِ ، وربما لا يحصُلُ له شىءٌ بعدَ هذا ، وإن هذين لا يُمْكِنُ أنَّ أحدًا إذا اشْتَراهما إلا جاء بهما إليك . فانْتَزَعَتْهما فدفَعَتْهما إلى الفَلَّاحِ ، فطار عقلُه بهما ، وذهَب بهما ، فباعَهما لبعضِ التُّجَّارِ بألفِ دينارٍ ،

(١ - ١) فى م : « أمرت به طلبنا بدمائهم وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك » .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢) ، والنسائى (٣١٧٦) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٥) .

(٣) الخزانة دار : رئيس الصندوق . المعجم الذهبى ص ٢٣٨.

(٤ - ٤) فى م : « أنظره إلى غد فقال : إنه يبيت هذه الليلة » .

ولم يَعْرِفْ قِيمتَهما ، فحمَلهما التاجرُ إلى الملكِ ، فردَّهما على زوجتِه ، ثم أنْشَد الجُوَيْنيُّ عندَ ذلك :

ومَن قال إن البحرَ والقَطْرَ أشبها نَدَاه[1] فقد أثْنَى على البحرِ والقَطْرِ

قال : واجْتاز يومًا فى سوقٍ ، فرأَى عندَ بَقَّالٍ عُنَّابًا ، فأعْجَبه لونُه ومالت نفسُه إليه ، فأمَر الحاجبَ أن يَشْتَرِىَ منه ببالسٍ ، فاشْتَرَى الحاجبُ منه بربعِ بالسٍ ، فلما وضَعه بينَ يديه أعْجَبه وقال : هذا كلُّه ببالسٍ ؟! فقال : وبقى منه هذا . وأشار إلى ما بقِى معه مِن المالِ ، فغضِب وقال : متى يَجِدُ مَن يَشْتَرِى منه مثلى ؟ تَمِّموا له عشَرةَ بَوالسَ .

قالوا : وأهْدَى له رجلٌ جامَ[2] زُجاجٍ مِن مَعْمولِ حَلَبَ ، فاسْتَحْسَنه جِنْكِزْخان ، فوهَّن أمرَه عندَه بعضُ خَواصِّه ، وقال : خُونْدُ[3] ، هذا زُجاجٌ لا قيمةَ له . فقال : أليس قد حمَله مِن بلادٍ بَعيدةٍ حتى وصَل إلينا سالمًا ؟ أعْطُوه مائتَىْ بالسٍ .

وقيل له : إن فى هذا المكانِ كَنْزًا عظيمًا ، فلو فتَحْتَه أخَذْتَ منه مالًا كثيرًا . فقال : الذى فى أيْدِينا يَكْفِينا ، ودَعُوا هذا يَفْتَحُه الناسُ ويَأْكُلونه ، فهم أحَقُّ به منا . ولم يَتَعَرَّضْ له[4] .

---

(١) فى الأصل : « يداه » .

(٢) الجام : إناء للشراب أو الطعام من فضة أو نحوها . الوسيط (ج و م) .

(٣) الخوند : الأمير . المعجم الذهبى ص ٢٤٨ .

(٤) جاء فى حاشية م : وجد بهامش التركية مانصه : « هذا منقول عن ابنه قان الذى قام مقامه ، ولعله هو الصحيح ؛ لأن قان هذا المنسوب إلى الكرم الجِبِلِّى العظيم والسخاء المفرط ، ويحكى عنه حكايات عظيمة فى هذا الشأن ، وأما أبوه جنكزخان فإنه متوسط فى الجود ، بل وفى سائر سجاياه وأخلاقه وأفعاله إلا فى أمر سفك الدماء قبحه الله تعالى » .

قال : واشْتَهَر عن رجلٍ فى بلادِه أنه يَقولُ : أنا أَعْرِفُ مَوْضِعَ كَنْزٍ ، ولا أَقولُه إلا للقان . وألحَّ عليه الأُمراءُ أن يُعْلِمَهم ، فلم يَفْعَلْ ، فذكَروا ذلك للقان ، فأحْضَره على خيلِ الأولاقِ - يعنى البريدَ - سريعًا ، فلما حضرَ إلى بينِ يديه سأَله عن الكَنْزِ ، فقال : إنما كنتُ أَقولُ ذلك حِيلةً لِأرَى وجهَك . فلما رأَى تَغَيُّرَ كلامِه غضِب وقال له : قد حصَل لك ما طلبتَ فارجعْ إلى موضعِك . وأمَر بردِّه سالمًا ، ولم يُعْطِه شيئًا . قال الجوينىُّ : وهذا غريبٌ .

قال : وأهْدَى له إنسانٌ رُمَّانةً ، فكسَرها وفرَّق حبَّها على الحاضِرين ، ثم أمَر له بعددِ حَبِّها بَوالسَ ، ثم أنْشَد عندَ ذلك :

فلذاك تَزْدَحِمُ الوُفودُ ببابِه مثلَ ازْدِحامِ الحَبِّ فى الرُّمَّانِ

قال : وقدِم عليه رجلٌ كافرٌ يقولُ : رأيْتُ فى النومِ جِنْكِزْخان يقولُ : قُلْ لأبى يَقْتُلُ المسلمين . فقال له : هذا كذبٌ . وأمَر بقتلِه[1] .

قال : وأمَر بقتلِ ثلاثةٍ قد قضَت « الياسَقُ » بقتلِهم ، فإذا امرأةٌ تَبْكِى وتَلْطِمُ . فقال : ما هذه ؟ أحْضِروها . فقالت : هذا ابنى ، وهذا أخى ، وهذا زوجى . فقال : اخْتارِى واحدًا منهم حتى أُطْلِقَه لك . فقالت : الزوجُ يَجِىءُ مثلُه ، والابنُ كذلك ، والأخُ لا عِوَضَ له . فاسْتَحْسَن ذلك منها ، وأطْلَق الثلاثةَ لها .

قال : وكان يُحِبُّ المُصارِعِين وأهلَ الشَّطارةِ ، وقد اجْتَمَع عندَه منهم جماعةٌ ، فذُكِر له إنسانٌ بخُراسانَ ، فأحْضَره ، فصرَع جميعَ مَن عندَه ، فأكْرَمه وأعْطاه ، وأطْلَق له بنتًا مِن بناتِ المغولِ[2] حَسْناءَ ، فمكَثَت عندَه مدةً لا يَتَعَرَّضُ

---

(١) من المعروف أن جنكزخان لا يعرف له أب كما تقدم . وجاء فى حاشية « م » أن هذا الخبر فيه تخليط ، وأن الصحيح أن هذا حصل لابن جنكزخان .

(٢) فى م : « الملوك » .

لها ، فاتَّفَق مَجيئُها [1] زائرةً بيتَ القانِ [1] ، فجعَل السلطانُ يُمازِحُها ويقولُ : كيف رأيْتِ المُسْتَعْرِبَ ؟ فذكَرَت أنه لم يَقْرَبْها ، فتعَجَّب مِن ذلك وأحْضَره فسأَله عن ذلك فقال : يا خُونْدُ ، أنا إنما حظِيتُ [١٠/١٦ظ] عندَك بالشَّطارةِ ، ومتى قرِبْتُها نقَصَت مَنْزِلتى عندَك [2] .

قال : ولما احْتُضِر أوْصَى أولادَه بالاتِّفاقِ وعدمِ الافْتِراقِ ، وضرَب لهم فى ذلك الأمْثالَ ، وأحْضَر بين يديه نُشَّابًا ، ويأخذُ السهمَ فيُعْطيه الواحدَ منهم ، فيَكْسِرُه ، ثم أحْضَر حُزْمةً أخرى ودفَعها مجْمُوعةً إليهم ، فلم يُطِيقوا كسْرَها . فقال : هذا مَثَلُكم إذا اجْتَمَعْتُم واتَّفَقْتُم ، وذلك مَثَلُكم إذا انْفَرَدْتُم واخْتَلَفْتُم .

قال : وقد كان له عِدَّةُ أولادٍ ذُكورٍ وإناثٍ منهم أربعةٌ هم عُظماءُ الأولادِ ؛ وأكبرُهم تولى ، و[3] هم ؛ تولى [3] وباتو وبركة وتركجار ، وكان كلٌّ منهم له وَظيفةٌ عندَه . ثم تكَلَّم الجُوَيْنىُّ على ملكِ ذريتِه إلى زمانِ هُولاكو خان ، وهو يقولُ فى اسمِه : باذْشاه [4] زاده هولاكو . وذكَر ما وقَع فى زمانِه مِن الأَوابدِ والأمورِ المُزْعِجةِ ، كما بسَطْنا فى الحوادثِ . واللَّهُ أعلمُ .

السلطانُ الملكُ المُعَظَّمُ ، عيسى بنُ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ [5] ، ملكُ

(١ - ١) فى م : « إلى الأردوا » .

(٢) بعده فى م : « فقال لا بأس عليك ، وأحضر ابن عم له وكان مثله فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان أنتما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « هرتول » ، وفى م : « هريول » . والمثبت من مسالك الأبصار ٣/ ٤٧، ٤٨، وصبح الأعشى ٤/ ٣٠٨. والذى فى المصادر أنه خلف أربعة أولاد ذكورا .

(٤) فى م : « ياذشاه » . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٥٩٣.

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٦٤٤ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٣١٧، والذيل على الروضتين ص ١٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠٣، والجواهر المضية ٣/ ٦٨٢.

دمشقَ والشامِ ، كانت وفاتُه يومَ الجمعةِ سَلْخَ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، وكان اسْتِقلالُه بملكِ دمشقَ لما تُوُفِّى أبوه سنةَ خمسَ عشْرةَ ، وكان شُجاعًا عاقلًا فاضلًا ، اشْتَغل فى الفقهِ على مذهبِ أبى حَنيفةَ على الحَصِيرىِّ مدرسِ النُّوريةِ ، وفى اللغةِ والنحوِ على الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ ، وكان مَحْفوظُه « مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرىِّ » ، وكان يُجِيزُ مَن حَفِظه بثلاثين دينارًا ، وكان قد أمَر أن يُجْمَعَ له كتابٌ فى اللغةِ يَشْمَلُ « صِحاحَ الجَوْهرىِّ » ، و « الجَمْهَرةَ » لابنِ دُرَيْدٍ و « التَّهْذيبَ » للأزْهَرىِّ وغيرَ ذلك ، وأمَر أن يُرَتَّبَ له « مسندُ الإمامِ أحمدَ » ، وكان يُحِبُّ العلماءَ ويُكْرِمُهم ، ويَجْتَهِدُ فى مُتابَعَةِ الخيرِ ، ويقولُ : أنا على عَقيدةِ الطَّحاوىِّ . وأوْصَى عندَ وفاتِه أن لا يُكَفَّنَ إلا فى البَياضِ ، وأن يُلْحَدَ له ، ويُدْفَنَ فى الصحراءِ ، ولا يُبْنَى عليه ، وكان يقولُ : واقعةُ دِمْياطَ أَدَّخِرُها عندَ اللَّهِ تعالى ، وأَرْجُو أن يَرْحَمَنى بها . يعنى أنه أبْلَى فيها بَلاءً حَسَنًا - رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد جُمِع له مِن الشجاعةِ [1]والسماحةِ[1] والبَراعةِ والعلمِ ومَحَبةِ أهلِه ، وكان يَجِىءُ فى كلِّ يومِ جمعةٍ إلى تُرْبةِ والدِه ، فيَجْلِسُ قليلًا ، ثم إذا ذكَر المُؤَذِّنون يَنْطَلِقُ إلى تربةِ عمِّه صلاحِ الدينِ ، فيُصَلِّى فيها الجمعةَ ، وكان قليلَ التَّعاظُمِ ؛ يَرْكَبُ فى بعضِ الأحْيانِ وحدَه ، ثم يَلْحَقُه بعضُ غِلْمانِه سَوْقًا ، وقال فيه بعضُ أصحابِه ، وهو مُحِبُّ الدينِ بنُ أبى السُّعودِ البغدادىُّ[2] :

لئن غُودِرَتْ تلك المحاسنُ فى الثَّرَى ... بوالٍ فما وَجْدى عليك ببالِ
ومُذْ غِبْتَ عنى ما ظفِرْتُ بصاحبٍ ... أخى ثِقةٍ إلا خطَرْتَ ببالى

وملَك دمشقَ بعدَه ولدُه الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ ، وبايَعه الأُمراءُ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٥٢.

أبو المَعالى[1] **أسعدُ بنُ يَحْيَى بنِ موسى بنِ منصورِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ وهبٍ الفَقيهُ الشافعىُّ السِّنجارىُّ**، شيخٌ أديبٌ فاضلٌ خَيِّرٌ، له نَظْمٌ ونَثْرٌ ظَريفٌ، وله نَوادِرُ حَسَنةٌ، وجاوَز التسعين، قد اسْتَوْزَره صاحبُ حَماةَ فى وقتٍ، وله شعرٌ رائقٌ أوْرَد منه ابنُ الساعى قطعةً جيدةً، فمِن ذلك قولُه:

وهَواك ما خطَر السُّلُوُّ ببالِهِ ... وَلأنت أعلمُ فى الغَرامِ بحالِهِ
فمتى وشَى واشٍ إليك بأنه ... سالٍ هَواك فذاك مِن عُذّالِه
أو ليس للكَلِفِ[2] المُعَنَّى شاهدٌ ... مِن حالِه يُغْنِيك عن تَسْآلِه
جدَّدْتَ ثوبَ سَقامِه وهتَكْتَ سِتْـ ... ـرَ غَرامِه وصرَمْتَ حبلَ وِصالِه
يا للعَجائبِ مِن أسيرٍ دأْبُه ... يَفْدِى الطَّليقَ [١٠/ ١٧و] بنفسِه وبمالِه

وله أيضًا:

لامَ العَواذِلُ فى هَواك فأكْثَروا ... هَيْهاتَ مِيعادُ السُّلُوِّ المَحْشَرُ
جهِلوا مكانَك فى القلوبِ فطوَّلوا[3] ... لو أنهم وجَدوا كوَجْدِى أقْصَروا
صَبْرًا على عَذْبِ الهَوَى وعَذابِه ... وأخو الهَوَى أبدًا يُلامُ ويُعْذَرُ

أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حَمْدانَ الطِّيبىُّ[4]، المعروفُ بالصائنِ، أحدُ المُعِيدِين بالنِّظاميةِ، ودرَّس بالثِّقَتِيّةِ[5]، وكان عارفًا

---

(١) كذا فى الأصل، م. وتقدمت ترجمته فى صفحة ١٤٢، وفيها وفى مصادر ترجمته: «أبو السعادات».

(٢) فى م: «للدنف».

(٣) فى م: «وحاولوا».

(٤) الوافى بالوفيات ١٨/ ٢٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٧٥.

(٥) فى الأصل: «بالنعيبة»، وفى م: «الثقفية». والمدرسة الثقتية ببغداد نسبة إلى بانيها ثقة الدولة أبى الحسن على بن محمد الدوينى. انظر الكامل ١١/ ٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٠١.

بالمَذْهَبِ والفَرائضِ والحِسابِ ، صنَّف شرحًا « للتَّنْبيهِ » ، ذكَره ابنُ الساعى .

أبو النَّجْمِ محمدُ بنُ القاسمِ بنِ (١) هِبَةِ اللَّهِ (١) التَّكْرِيتىُّ ، الفقيهُ الشافعىُّ ، تفَقَّه ببغدادَ على أبى القاسمِ بنِ فَضْلانَ ، ثم أعاد بالنِّظاميةِ ، ودرَّس فى غيرِها ، وكان يَشْتَغِلُ كلَّ يومٍ عشرين درسًا ، وليس له دَأْبٌ إلا الاشْتِغالُ وتِلاوةُ القرآنِ ليلًا ونَهارًا ، وكان بارعًا ، كثيرَ العلومِ ، قد أتْقَن المَذْهَبَ والخِلافَ ، وكان يُفْتِى فى مسألةِ الطلاقِ الثلاثِ بواحدةٍ ، فتغَيَّظ عليه قاضى القُضاةِ أبو القاسمِ عبدُ اللَّهِ ابنُ الحسينِ الدَّامَغانىُّ ، فلم يَسْمَعْ منه ، ثم أُخْرِج إلى تَكْرِيتَ ، فأقام بها ، ثم اسْتُدْعِىَ إلى بغدادَ ، فعاد إلى الاشْتِغالِ ، وأعاده قاضى القُضاةِ نصرُ بنُ عبدِ الرزاقِ إلى إعادتِه بالنِّظاميةِ ، وعاد إلى ما كان عليه مِن الاشْتِغالِ والفَتْوَى والوَجاهةِ إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وهذا ذكَره ابنُ الساعى .

(١ - ١) فى الأصل : « عبد اللّه » وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢١٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٣٩.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ جَلالِ الدينِ والتَّتارِ، كسَروه غيرَ مَرَّةٍ، ثم بعدَ ذلك كلِّه كسَرهم كَسْرةً عَظيمةً، وقتَل منهم خلقًا وأُمَمًا لا يُحْصَوْن كثرةً، وكان هؤلاء التَّتارُ قد انْفَردوا وعصَوْا على جِنْكِزْخان، فكتَب ابنُ[2] جِنْكزْخان إلى جَلالِ الدينِ يقولُ: إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبْعَدْناهم، ولكن ستَرَى منا ما لا قِبَلَ لك به.

وفيها قدِمَت طائفةٌ كبيرةٌ مِن الفِرنْجِ مِن ناحيةِ صِقِلِّيَّةَ، فنزَلوا عَكَّا وصُورَ، وحمَلوا على مدينةِ صَيْدا، فانْتَزَعوها مِن أيدى المسلمين، وغزَوها[3] وقوِيَت شَوْكتُهم، وجاء الأنبِرُور ملكُ جزيرةِ قُبْرُسَ، ثم سار، فنزَل مدينةَ عَكَّا فخاف المسلمون[4]، وباللَّهِ المستعانُ.

وركِب الملكُ الكاملُ محمدُ بنُ العادلِ صاحبُ مصرَ إلى بيتِ المقدسِ فدخَله، ثم سار إلى نابُلُسَ، فخاف الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ مِن عمِّه الكاملِ، فكتَب إلى عمِّه الأشْرفِ، فقدِم عليه جَريدةً[5]، وكتَب إلى أخيه الكاملِ يَسْتَعْطِفُه، ويَكُفُّه عن ابنِ أخيه، فأجاب الكاملُ بأنى إنما جئْتُ لحفظِ بيتِ

---

(١) الكامل ١٢/٤٧٥ - ٤٨١، والذيل على الروضتين ص ١٥٢ - ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٥ - ٣١.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «عبروها».

(٤) بعده فى م: «من شره».

(٥) فى الأصل: «جزيرة». والجريدة: خيل لا رجالة فيها. الوسيط (ج ر د).

المقدسِ وصَوْنِه عن الفِرنْجِ الذين يُريدون أخْذَه ، وحاشَى للَّهِ أن أُحاصِرَ أخى أو ابنَ أخى ، وبعدَ أن جئتَ أنت إلى الشام ، فأنت تَحْفَظُها ، وأنا راجعٌ إلى الديارِ المصريةِ . فخشِى الأشرفُ وأهلُ الشامِ[1] إن رجَع الكاملُ أن تَمْتَدَّ أطْماعُ الفِرنْجِ إلى بيتِ المقدسِ ، فركِب الأشْرَفُ إلى أخيه الكاملِ ، فثبَّطه عن الرجوعِ ، وأقاما جميعًا هنالك ، جزاهما اللَّهُ تعالى خيرًا ، يَحْفَظان جَنابَ بيتِ المقدسِ عن الفِرنْجِ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى . واجْتَمَع إلى الملكِ[2] جَماعةٌ مِن مُلوكِهم ، كأخيه الأشرفِ وأخيهما الشِّهابِ غازى بنِ العادلِ وأخيهم الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ ، وصاحبِ حِمْصَ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ شيركوه ، وغيرِهم ، واتَّفَقوا كلُّهم على نَزْعِ الناصرِ داودَ عن مُلْكِ دمشقَ وتَسْليمِها [١٠/١٧ظ] إلى الأشرفِ موسى ؛ [3]لأجلِ حفظِ الشامِ من الفِرنْجِ ، وسيأتى تنفيذُ ذلك فى السنةِ المُسْتَقْبلةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى[3] .

وفيها عُزِل الصَّدْرُ البكْرِىُّ[4] عن حِسْبةِ دمشقَ ومَشْيَخةِ الشيوخِ ، ووُلِّى فيهما[5] اثنان غيرُه .

قال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[6] : وفى أوائلِ رجبٍ **تُوُفِّى الشيخُ الفَقيهُ الصالحُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ المَرَّاكُشىِّ** ، المُقيمُ بالمدرسةِ المالكيةِ ، ودُفِن بالمَقْبَرةِ التى وقَفها الرئيسُ[7] خَليلُ بنُ زُويزانَ قِبْلىَّ مَقابرِ الصُّوفيةِ ، وكان أولَ مَن دُفِن بها .

---

(١) فى م : « دمشق » .

(٢) بعده فى الأصل : « العادل » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « التكريتى » . وانظر المصادر المتقدمة .

(٥) فى م : « فيها » .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٥٣.

(٧) فى م : « الزين » . وانظر المصدر السابق .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وعشرين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] وملوكُ بنى أيوبَ مُفْتَرِقون مُخْتَلِفون، قد صاروا أحْزابًا وفِرقًا، وقد اجْتَمع ملوكُهم إلى الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ، وهو مُقيمٌ بنَواحى القدسِ الشريفِ، فقوِيَت نفوسُ الفِرنْجِ، لعَنهم اللَّهُ، بكثرتِهم بمَن وفَد إليهم مِن البحرِ، وبموتِ المُعَظَّمِ واخْتِلافِ مَن بعدَه مِن الملوكِ، فطلَبوا مِن المسلمين أن يَرُدُّوا إليهم ما كان الناصرُ صَلاحُ الدينِ أخَذه منهم، فوقَعَت المُصالَحَةُ بينَهم وبينَ الملوكِ على أن يَرُدُّوا لهم بيتَ المقدسِ وحدَه، وتَبْقَى بأيديهم بقيةٌ، فتسَلَّموا القدسَ الشريفَ، وكان المُعَظَّمُ قد هدَم أسْوارَه، فعظُم ذلك على المسلمين جدًّا، وحصَل بسببِ ذلك وَهْنٌ شديدٌ وإرْجافٌ عظيمٌ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. ثم قدِم الكاملُ، فحاصَر دمشقَ، وضيَّق على أهلِها، فقطَع الأنهارَ، ونُهِبَت الحَواضِرُ[2]، وغلَت الأسعارُ، ولم يَزَلْ بالجنودِ حولَها حتى أخْرَج منها ابنَ أخيه صلاحَ الدينِ الملكَ الناصرَ داودَ بنَ المُعَظَّمِ، على أن يُقِيمَ مَلِكًا بمدينةِ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ ونابُلُسَ [3]وقَرايَا من[3] الغَوْرِ والبَلْقاءِ، ويكونَ الأميرُ عِزُّ الدينِ أَيْبَك أُستاذُ دارِ المُعَظَّمِ صاحبَ صَرْخَدَ، ثم تَقايَض الأشرفُ وأخوه الكاملُ، فأخَذ الأشرفُ دمشقَ وأعْطَى أخاه حَرّانَ والرُّهَا ورأسَ العَيْنِ والرَّقَّةَ

---

(١) الكامل ٤٨٢/١٢ - ٤٨٨، ومرآة الزمان ٦٥٣/٨ - ٦٥٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٥٤ - ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٢ - ٣٥.

(٢) فى م: «الحواصل».

(٣ - ٣) فى م: «برا ما بين».

وسَرُوجَ ، ثم سار الكاملُ فحاصَر حَماةَ ، وكان صاحبُها الملكُ المنصورُ بنُ تَقِيِّ الدينِ عُمرَ قد تُوُفِّى ، وعهِد بالأمرِ مِن بعدِه إلى أكبرِ ولدِه المُظَفَّرِ محمدٍ ، وهو زوجُ بنتِ الكاملِ ، فاسْتَحْوَذ على حَماةَ أخوه صلاحُ الدينِ قِلِيج أرْسَلان ، فحاصَره الكاملُ حتى أنْزَله مِن قلعتِها ، وسلَّمها إلى أخيه المُظَفَّرِ محمدٍ ، ثم سار فتسَلَّم البلادَ التى قايَض بها عن دمشقَ مِن أخيه الملكِ الأشرفِ كما ذكَرْنا ، وكان الناسُ بدمشقَ قد اشْتَغَلوا بعلمِ الأَوائلِ[1] فى أيامِ الملكِ الناصرِ داودَ ، وكان يُعانى ذلك ، وربما[2] نسَبه بعضُهم إلى نوعٍ مِن الانْحِلالِ . فاللَّهُ أعلمُ . فنادَى الملكُ الأشْرفُ بالبُلْدانِ أن لا يَشْتَغِلَ الناسُ بذلك ، وأن يَشْتَغِلوا بعلمِ التَّفسيرِ والحديثِ والفقهِ ، وكان سيفُ الدينِ الآمِدىُّ مُدَرِّسًا بالعَزِيزيةِ ، فعزَله عنها ، وبقى مُلازِمًا منزلَه حتى مات فى سنةِ إحدى وثلاثين كما سيأْتى .

وفيها كان الناصرُ داودُ قد أضاف إلى قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ بنِ الخُوَيِّىِّ[3] القاضىَ مُحْيىَ الدينِ [4]أبا الفضائلِ[4] يَحْيَى بنَ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ الزَّكِىِّ ، فحكَم أيامًا بالشُّبَّاكِ ، شرقىَّ بابِ الكَلَّاسةِ ، ثم صار يَحْكُمُ بدارِه ، مُشارِكًا لابنِ الخُوَيِّىِّ[3] .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) انظر ما تقدم صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

(٢) فى م : « قديما » .

(٣) فى م : « الخولى » . وانظر المشتبه ١/ ١٩٣، وتبصير المنتبه ١/ ٣٧٦.

(٤ - ٤) سقط من : م . وفى الأصل : « أبا المعالى » . والمثبت من الذيل على الروضتين . وأبو المعالى كنية أبيه محيى الدين محمد بن على بن يحيى بن على . انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٦/ ١٥٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩.

أبو يوسُفَ يعقوبُ بنُ صابرٍ الحَرَّانىُّ ثم البغدادىُّ المَنْجَنِيقىُّ[1] ، كان فاضلًا [١٠/١٨و] فى فنِّه ، وشاعرًا مُطَبِّقًا ، لطيفَ الشِّعرِ ، حَسنَ المعانى ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى قطعةً صالحةً ، ومِن أحْسنِ ما أوْرَد له قَصيدةٌ فيها تَعْزيةٌ عظيمةٌ لجميعِ الناسِ ، وهى قولُه :

هل لِمَن يَرْتَجِى[2] البَقَاءَ خلودُ ... وسِوَى اللَّهِ كلُّ شىءٍ يَبِيدُ
والذى كان مِن ترابٍ وإنْ عا ... ش طويلًا للترابِ يَعودُ
فمَصيرُ الأنامِ طُرًّا إلى ما ... صار فيه آباؤُهمْ والجُدودُ
أين حَوّاءُ أين آدمُ إذ فا ... تَهمُ الخُلْدُ والثَّوَى والخُلودُ
أين هابيلُ أين قابيلُ إذ هـ ... ـذا لهذا مُعانِدٌ وحَسودُ
أين نوحٌ ومَن نَجَا مَعه بالـ ... ـفُلْكِ والعالمون طُرًّا فَقيدُ
أَسْلَمَتْه الأيامُ كالطفلِ للمو ... تِ ولم يُغْنِ عمرُه المَمْدودُ
أين عادٌ بل أين جنةُ عادٍ ... أم ترَى أين صالحٌ وثَمودُ
أين إبراهيمُ الذى شاد بيتَ الـ ... ـلَّهِ فهْو المُعَظَّمُ المَقْصودُ
حسَدوا يُوسُفًا أخاهمْ فكادو ... هُ ومات الحسودُ[3] والمَحْسودُ
وسليمانُ فى النُّبوَّةِ والمُلْـ ... ـكِ قضَى مثلَ ما قضَى داودُ
فغدَوْا بعدَ ما أُطِيع لِذا الخَلْـ ... ـقُ وهذا له أُلِينَ الحَديدُ
وابنُ عِمْرانَ بعدَ آياتِه التسـ ... ـعِ وشقِّ الخِضَمِّ فهْو صَعيدُ

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٣٦١، ووفيات الأعيان ٧/ ٣٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧١.

(٢) فى الأصل: «يُرَجِّى».

(٣) فى م: «الحاسد».

والمسيحُ ابنُ مريمٍ وهْو رُوحُ الـــــــــلَّهِ كادت تَقْضِى عليه اليهودُ

وقضَى سيدُ النَّبِيِّين والها دى إلى الحقِّ أحمدُ المَحْمودُ
وبنوه وآلُه الطاهرون الزُّ هْرُ صلَّى عليهمُ المَعْبودُ
ونجومُ السماءِ مُنْتَثِراتٌ بعدَ حينٍ وللهواءِ رُكودُ
ولنارِ الدنيا التى تُوقِدُ الصَّخْـ ـرَ خُمودٌ وللمياهِ جُمودُ
وكذا للثَّرَى غَداةَ يَؤُمُّ النَّـ ـاسَ منها تَزَلْزُلٌ وهُمودُ
هذه الأُبَّهاتُ[1] نارٌ وتُرْبٌ وهَواءٌ رَطْبٌ وماءٌ بَرودُ
سوف تَفْنَى كما فنِينا فلا يَبْـ ـقَى مِن الخلقِ والدٌ ووَليدُ
لا الشَّقيُّ الغَوِيُّ مِن نُوَبِ الأيَّـ ـامِ يَنْجو ولا السعيدُ الرَّشيدُ
ومتى سَلَّتِ المَنايا سيوفًا فالمَوالى حَصيدُها والعَبيدُ

الملكُ المسعودُ أَقْسِيسُ بنُ الكاملِ صاحبُ اليمنِ[2]، وقد ملَك مكةَ من سنةِ تسعَ عشْرةَ، فأحْسَن بها المَعْدَلةَ، ونفَى الزَّيْديَّةَ منها، وأمِنَت الطُّرُقاتُ والحُجَّاجُ، ولكنه كان مُسْرِفًا على نفسِه، فيه عَسْفٌ وظلمٌ أيضًا. وكانت وفاتُه بمكةَ، ودُفِن [3]بباب المَعْلَى[3].

محمدٌ السَّبْتىُّ النَّجَّارُ[4]، كان يَعُدُّه بعضُهم مِن الأبدالِ، قال أبو شامةَ:

---

(١) فى م: «الأمهات».

(٢) مرآة الزمان ٨/٦٥٨ (القسم الثانى) والذيل على الروضتين ص ١٥٨، ونهاية الأرب ٢٩/١٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧٣.

وجاء اسمه فى الذيل على الروضتين «أطسيس». قال ابن خلكان ٥/ ٧٨، ٧٩ فى ترجمة العادل: أطسيس، بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية وهى كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم، والناس يقولون: أقسيس بالقاف، وصوابه بالطاء.

(٣ - ٣) كذا فى الأصل، م. وفى المصادر: «بالمعلى».

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٥٧.

وهو الذى بنَى المسجدَ غربىَّ دارِ الوِكالةِ[1] عن يَسارِ المارِّ فى الشارعِ ، مِن مالِه ، ودُفِن بالجبلِ . وكانت جِنازتُه مَشْهودةً . رحِمه اللَّهُ تعالى .

العبَّادىُّ الشاعرُ : أبو الحسنِ علىُّ بنُ سالمِ بنِ يزبك بنِ محمدِ بنِ مُقَلَّدٍ[2] ، **العَبَّادىُّ الشاعرُ** ، مِن الحَدِيثةِ ، قدِم بغدادَ مِرارًا ، وامْتَدَح المُسْتَنصِرَ[3] وغيرَه ، وكان فاضلًا كثيرَ التَّغَزُّلِ .

أبو الفتوحِ نصرُ بنُ علىٍّ البَغْدادىُّ[4] ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، ويُلَقَّبُ بثَعْلبٍ ، اشْتَغَل فى المذهبِ والخِلافِ ، ومِن شعرِه قولُه :

جِسْمى معى غيرَ أن الرُّوحَ عندَكمُ ... فالجسمُ فى غُرْبةٍ والرُّوحُ فى وَطَنِ
فلْيَعْجَبِ الناسُ منِّى أنَّ لى بدنًا ... لا رُوحَ فيه ولى رُوحٌ بلا بَدَنِ

أبو الفضلِ جِبْريلُ بنُ منصورِ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ جِبْريلَ بنِ الحسنِ بنِ غالبِ ابنِ يَحْيى بنِ مُوسى بنِ يَحْيى بنِ الحسنِ بنِ غالبِ بنِ الحسنِ بنِ عمرِو بنِ الحسنِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ[5] ، المَعْروفُ بابنِ زُطِينا البَغْدادىِّ ، كان كاتبَ الدِّيوانِ بها ، أسْلَم ، وكان نَصْرانيًّا ، فحسُن إسلامُه ، وكان مِن أفْصَحِ الناسِ [١٠/١٨ظ] وأبْلَغِهم مَوْعظةً ، فمِن ذلك قولُه : خيرُ أوقاتِك ساعةٌ صَفَتْ للَّه ، وخلَصَت[6] مِن الفِكْرةِ لغيرِه والرَّجاءِ لسواه ، وما دُمْتَ فى خدمةِ السلطان ، فلا تَغْتَرَّ بالزمان ، اكْفُفْ كفَّك ، واصْرِفْ طَرْفَك ، وأكْثِرْ صومَك ، وأَقْلِلْ نومَك[7] ،

---

(١) فى م : « الزكاة » . وفى الذيل : « الركوة » . وانظر الدارس ٢/ ٣٠٦.
(٢) فوات الوفيات ٢١/ ١٢٦، وليس فيه : « بن يزبك » .
(٣) فى م : « المستظهر » . وهو خطأ ، فإن المستظهر العباسى توفى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .
(٤) الوافى بالوفيات ١١/ ١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٣٦.
(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٤٧.
(٦) فى الأصل : « جلت » .
(٧) بعده فى م : « يؤمنك » .

واشْكُرْ ربَّك ، يُحْمَدْ أمْرُك .

وقال : زادُ المسافرِ مُقَدَّمٌ على رَحيلِه ، فأَعِدَّ الزادَ تَبْلُغِ المُرادَ .

وقال : إلى متى تَتمادَى فى الغَفْلة ؟ كأنك قد أمِنْتَ عَواقبَ المُهْلة ، عمرُ اللهوِ مضَى ، وعمرُ الشَّبيبةِ انْقَضَى ، وما حصَلْتَ مِن ربِّك على ثقةٍ بالرِّضا ، وقد انْتَهَى بك الأمرُ إلى سنِّ التَّخاذُل ، وزمنِ التَّكاسُل ، وما حظِيتَ بطائل .

وقال : رُوحُك تَخْضَع ، وعينُك لا تَدْمَع ، وقلبُك لا يَخْشَع ، ونَفْسُك [1] لا تَشْبَع [1] ، وتَظْلِمُ نفسَك وأنت لها تَتَوَجَّع ، وتُظْهِرُ الزهدَ فى الدنيا وفى المالِ تَطْمَع ، وتَطْلُبُ ما ليس لك بحقٍّ وما وجَب عليك مِن الحقِّ لا تَدْفَع ، وتَرُومُ فضلَ ربِّك وللماعونِ تَمْنَع ، وتَعِيبُ نفسَك الأمَّارةَ وهى عن اللهوِ لا تَرْجِع ، وتُوقِظُ الغافِلِين بإنْذارِك وتَتَناوَمُ عن سهمِك وتَهْجَع ، وتَخُصُّ غيرَك بخيرِك ونفسَك الفَقيرةَ لا تَنْفَع ، وتَحُومُ على الحقِّ وأنت بالباطلِ مُولَع ، وتَتَعَثَّرُ فى المَضايقِ وطريقُ [2] النجاةِ مَهْيَع [3] ، وتَتَهَجَّمُ على الذنوبِ وفى المُجْرِمين تَشْفَع ، [4] وتَرْكَنُ إلى دارِ السلامةِ وأنت بالعَطْبِ مُرَوَّع ، وتَحْرِصُ على زيادةِ الاكتسابِ وحسابُك فى كِفْلِ غيرِك يُوضع [4] ، وتُظْهِرُ القَناعةَ بالقليلِ وبالكثيرِ لا تَشْبَع ، وتُعَمِّرُ الدارَ الفانيةَ ودارُك الباقيةُ خَرابٌ بَلْقَع ، وتَسْتَوْطِنُ فى منزلِ رَحيلٍ كأنَّك إلى ربِّك لا تَرْجِع ، وتَظُنُّ أنك بلا رَقيبٍ وأعمالُك إلى المُراقِبِ تُرْفَع ، وتُقْدِمُ على الكبائرِ وعن الصغائرِ تَتَوَرَّع ، وتُؤَمِّلُ الغُفْرانَ وأنت عن الذنوبِ لا تُقْلِع ، وتَرَى

(١ - ١) فى م : « تجشع » .

(٢) فى م : « طرق » .

(٣) المهيع من الطرق : البَيِّنُ . الوسيط (هـ ى ع) .

(٤ - ٤) سقط من : م .

الأهْوالَ مُحِيطةً بك وأنت فى مَيْدانِ اللَّهْوِ تَرْتَع ، وتَسْتَقْبِحُ أفعالَ الجُهَّالِ وبابَ الجهلِ تَقْرَع ، وقد آن لك أن تَأْنَفَ مِن التَّعَسُّفِ[1] وعن الدَّنايا تَتَرَفَّع ، وقد سار المُخِفُّون وتخَلَّفْتَ فماذا تَتَوَقَّع ؟

وقد أوْرَد له ابنُ الساعى شعرًا حسَنًا ؛ فمنه :

إن سَهِرَت عينُك فى طاعةٍ ... فذاك خيرٌ لك مِن نومِ
أَمْسُك قد فات بعِلَّاتِهِ ... فاسْتَدْرِكِ الفائتَ فى اليومِ

وله :

إن ربًّا هَداك بعدَ ضَلالٍ ... سُبُلَ الرُّشْدِ[2] مُسْتَحِقُّ العِبادهْ
فتَعَبَّدْ له تَجِدْ منه عِتْقًا ... واسْتَدِمْ فضلَه بطُولِ الزَّهَادَهْ

[3]وله :

إذا تعَفَّفْتَ عن حَرامٍ ... عُوِّضْتَ بالطَّيِّبِ الحَلالِ
فاقْنَعْ تَجِدْ فى الحَرامِ حِلًّا ... فضلًا مِن اللَّهِ ذى الجَلالِ[3]

---

(١) فى م : « التعنيف » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وَقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ وبينَ جَلالِ الدينِ ابنِ خُوارَزْم شاه الخُوارَزْميِّ ، وكان سببَها أن جَلالَ الدينِ كان قد أخَذ مدينةَ خِلاطَ فى العامِ[2] الماضى ، وخرَّبها وشرَّد أهلَها ، وحارَبه عَلاءُ[3] الدينِ كيْقُباذ[4] ملكُ الرومِ ، وأرْسَل إلى الأشرفِ يَسْتَحِثُّه على القدومِ عليه ولو جَريدةً وحدَه ، فقدِم الأشرفُ فى طائفةٍ كثيرةٍ مِن عسكرِ دمشقَ ، وانْضاف إليه عسكرُ بلادِ الجَزيرةِ ومَن بقِى مِن عَسْكرِ خِلاطَ[5] ، فكانوا خمسةَ آلافِ مُقاتِلٍ صَلِيبَةٍ[6] ، معهم العُدَّةُ الكاملةُ ، والخُيولُ الهائلةُ ، فالْتَقَوْا مع جَلالِ الدينِ بأذْرَبِيجانَ ، وهو فى عشرين

---

(١) الكامل ٤٨٩/١٢ - ٤٩٤، ومرآة الزمان ٦٥٩/٨ - ٦٦٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٦ - ٤١.

(٢) سقط من : م . والذى ذكر أن جلال الدين أخذ خلاط فى العام الماضى هو الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٥ ضمن حوادث سنة ست وعشرين وستمائة ، وذكر هناك أن جلال الدين لم يزل يجدّ فى حصار خلاط حتى افتتحها آخر العام ، أما فى أحداث هذه السنة - السابعة والعشرين - فقد نقل الحافظ الذهبى فيها أقوال أبى شامة وسبط ابن الجوزى والموفق البغدادى ، أما أصحاب المصادر الأخرى فقد ذكروا أنه افتتحها فى هذا العام ، حدَّد صاحبا مرآة الزمان والكامل أن ذلك كان فى جمادى الأولى ، ولم يسم فى الذيل على الروضتين الشهر الذى وقع فيه ذلك ، وأما ما اتفقت عليه جميع المصادر فهو أنه قد حاصر خلاط من العام الماضى .

(٣) فى الأصل : « عماد » .

(٤) فى الأصل : « ليعتاد » .

(٥) لم تذكر المصادر أن الأشرف استصحب معه من بقى من عسكر خلاط ، إلا أن قصد المصنف أعمال خلاط ، ففى الكامل أن الخوارزمى لما انهزم هو ومن معه « عادوا إلى أذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ، ولم يكونوا قد استولوا على شىء من أعمال خلاط سوى خلاط » .

(٦) الصليبة : الشديدة القوية : انظر الوسيط (ص ل ب) .

ألفَ مُقاتِلٍ ، فلم يَقُمْ لهم ساعةً [١٠/١٩و] واحدةً ، ولا صبَر ، بل تَقَهْقَر وانْهَزم واتَّبعوهم على الأَثَرِ ، ولم يَزالوا فى أثرِهم إلى مدينةِ خُوَىٍّ[١] ، وعاد الأشرفُ إلى مدينةِ خِلاطَ ، فوجَدها خاويةً على عُروشِها ، فمهَّدها وأطَّدَها ، ثم تَصالَح هو وجَلالُ الدينِ ، وعاد إلى مُسْتَقَرِّ مُلْكِه بدمَشقَ ، حرَسها اللَّهُ تعالى وإياه .

وفيها تسَلَّم الملكُ الأشرفُ قلعةَ بَعْلَبَكَّ مِن الملكِ الأمْجدِ بَهْرام شاه بعدَ حِصارٍ طَويلٍ ، ثم اسْتَخْلَف على دمشقَ أخاه الصالحَ إسماعيلَ ، ثم سار إلى الشرقِ[٢] بسببِ أن جَلالَ الدينِ الخُوارَزْميَّ اسْتَحْوَذ على بلادِ خِلاطَ ، وقتَل مِن أهلِها خلقًا كثيرًا ، ونهَب أموالًا كثيرةً ، فالْتَقَى معه الأشرفُ رَأْسًا هائلًا ، واقتَتلوا قتالًا عظيمًا ، فهزَمه الأشْرفُ هزيمةً مُنْكَرةً ، وهلَك مِن الخُوارَزْميةِ خلقٌ كثيرٌ ، ودُقَّت البَشائرُ فى البلادِ فرَحًا بنُصْرةِ الأشرفِ على الخُوارَزْميةِ ، فإنهم كانوا لا يَفْتَحون بلدًا إلا قتَلوا مَن فيه ونهَبوا أموالَه ، فكسَرهم اللَّهُ تعالى ، وقد كان الأشْرفُ رأَى النبىَّ ﷺ فى المَنامِ قبلَ الوَقْعةِ ، وهو يقولُ له : يا موسى ، أنت مَنْصورٌ عليهم . ولما فرَغ مِن كَسْرِهم عاد إلى بلادِ خِلاطَ ، فرمَّم شَعَثَها ، وأصْلَح ما كان فسَد منها .

ولم يَحُجَّ أحدٌ مِن أهلِ الشامِ فى هذه السنةِ ، ولا فى التى قبلَها ، وكذا فيما قبلَها أيضًا ، فهذه ثلاثُ سنينَ لم يَسِرْ مِن الشامِ حاجٌّ إلى الحجازِ .

وفيها أخَذَت[٣] الفِرِنْجُ جَزيرةَ مَيُورْقَةَ[٤] وقتَلوا بها خلقًا ، وأسَروا آخَرين ، فقدِموا

---

(١) لم تذكر المصادر تتبُّع الأشرف موسى للخوارزمى وجيشه إلى خوى . وخوى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٠٢.

(٢) فى م : « الأشرف » .

(٣) بعده فى الأصل : « من » .

(٤) فى م : « سورقة » . وميورقة : جزيرة فى شرقى الأندلس . معجم البلدان ٤/ ٧٢٠.

بهم إلى الساحلِ ، فاسْتَقْبَلهم المسلمون ، فأخْبَروا بما جرَى عليهم مِن الفِرنْجِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

زَيْنُ الأُمَناءِ الشيخُ الصالحُ أبو البَرَكَاتِ[1] **الحسنُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ ابنِ هِبةِ اللَّهِ** ، زَيْنُ الأُمَناءِ ، ابنُ عَساكرَ الدِّمشقىُّ الشافعىُّ ، سمِع الحديثَ على عمِّيه الحافظِ أبى القاسمِ والصائنِ وغيرِ واحدٍ ، وعُمِّر وتفرَّد بالرِّوايةِ[2] ، وجاوَز الثمانين بنحوٍ مِن ثلاثِ سنينَ ، وأُقْعِد فى آخِرِ عمرِه ، فكان يُحْمَلُ فى مِحَفَّةٍ إلى الجامعِ وإلى دارِ الحديثِ النُّوريَّةِ لإسْماعِ الحديثِ ، وانْتَفَع الناسُ به مدةً طويلةً ، ولما تُوُفِّى حضَر الناسُ جِنازتَه ، ودُفِن عندَ أخيه الشيخِ فخرِ الدينِ بنِ عَساكرَ بمقابرِ الصُّوفيةِ . رحِمهما اللَّهُ تعالى .

الشيخُ بيرمُ المارِدِينىُّ[3] ، كان صالحًا مُنْقَطِعًا مُحِبًّا للعُزْلةِ عن الناسِ ، وكان مُقيمًا بالزَّاويةِ الغَربيةِ مِن الجامعِ ، [4]وهى التى يقالُ لها : الغَزَّاليةُ[4] . وتُعْرَفُ بزاويةِ الدَّوْلَعىِّ وبزاويةِ القُطْبِ النَّيْسابورىِّ ، وبزاويةِ الشيخِ[5] نصرِ المَقْدسىِّ . قاله الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ . وكان يومُ جِنازتِه يومًا مَشْهودًا ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ[6] . رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٦٣/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٣٨٦، والذيل على الروضتين ص ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٢٥٣/١٢ وعنده « الحسن بن محمد ابن هبة اللَّه » ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤١.

(٢) إضافة من المصنف ، فلم تذكر المصادر تفرُّده بالرواية .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٥٨.

(٤ - ٤) زيادة من الأصل ، م . ليست فى مصدر الترجمة .

(٥) بعده فى م : « أبى » .

(٦) فى الذيل على الروضتين أنه دُفن شرقى مقبرة ابن شيت على تل هناك .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وعشرين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والملكُ الأشرفُ موسى بنُ العادلِ ببلادِ الجَزيرةِ مَشْغولٌ بإصلاحِ ما كان جَلالُ الدينِ الخُوارَزْميُّ قد أفْسَده مِن بلادِه[2]. وقد قدِمَت التَّتارُ فى هذه السنةِ إلى الجَزيرةِ وديارِ بكرٍ، فعاثوا بالفَسادِ يمينًا وشمالًا، فقتَلوا ونهَبوا وسبَوْا، على عادتِهم، خذَلهم اللَّهُ تعالى.

وفيها رُتِّب إمامٌ بمشهدِ أبى بكرٍ مِن جامعِ دمشقَ، وصُلِّيَت فيه الصَّلواتُ الخمسُ.

وفيها درَّس الشيخُ تَقىُّ الدِّينِ بنُ الصَّلَاحِ الشَّهْرَزُوريُّ الشافعىُّ بالمدرسةِ الشاميةِ الجَوَّانيةِ جِوارَ المارَسْتانِ فى جُمادَى الأُولى منها.

وفيها درَّس [3]الناصحُ بنُ الحَنْبلىِّ[3] بالصاحبةِ[4] بسفحِ قاسِيونَ التى أنْشَأَتْها

---

(١) الكامل ١٢/٤٩٥ - ٥٠٥، ومرآة الزمان ٨/٦٦٥ - ٦٦٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٥٩ - ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٢ - ٤٥.

(٢) لم يُذكر ذلك فى المصادر، ولكن لعل المصنف رحمه اللّه اعتبره امتدادا لما ذُكر فى السنة الماضية - السابعة والعشرين - فإن ذِكْر المصنف - فيما يأتى - قدوم التتار إلى الجزيرة وديار بكر وإفسادهم فيهما قد يتعارض مع ذلك، ولا تعارض، فالجزيرة هى جزيرة أقور تشتمل على ديار مضر، وديار بكر بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة. ومن أمهات مدنها حسران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٢. وبذا يتبين أنها منطقة كبيرة، كان التتر يغيرون على بعضها فقط، كما فصَّله ابن الأثير وغيره سنة ثمان وعشرين.

(٣ - ٣) فى الأصل: «بن الناصر»، وفى م: «الناصر بن». والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤.

(٤) فى م: «بالصالحية». وفى تاريخ الإسلام: «الصاحبية». والمثبت من الأصل صحيح أيضًا، فقد ذكرت بـ«الصاحبة» و«الصاحبية»؛ انظر الدارس ٢/ ٧٩، ٨٠، ٨٢.

الخاتونُ ربيعةُ بنتُ أيوبَ أختُ ستِّ الشَّامِ.

وفيها حبَس الملكُ الأشرفُ الشيخَ عليًّا الحَرِيرىَّ [١٠/١٩ظ] بقلعةِ عَزَّتا.

وفيها كان غَلاءٌ شديدٌ بديارِ مصرَ وبلادِ الشامِ وحلَبَ والجَزيرةِ بسببِ قلةِ المياهِ السَّماويةِ والأرضيةِ، فكانت هذه السنةُ كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

وذكَر ابنُ الأثيرِ[(١)] كلامًا طويلًا مَضْمونُه خروجُ طائفةٍ مِن التَّتارِ مرةً أخرى مِن بلادِ ما وراءَ النهرِ، وكان سببَ قُدومِهم هذه السنةَ أن الإسْماعيليةَ كتَبوا إليهم يُخْبِرونهم بضعفِ أمرِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوارَزْم شاه، وأنه عادَى جميعَ الملوكِ حولَه حتى الخليفةَ، وأنه قد كسَره الأشرفُ بنُ العادلِ مرتين، وكان جَلالُ الدينِ قد ظهَرت منه أفعالٌ ناقصةٌ تَدُلُّ على قلةِ عقلِه، وذلك أنه تُوُفِّى له غُلامٌ خَصِيٌّ يقالُ له: قلجٌ[(٢)]. وكان يُحِبُّه، فوجَد عليه وَجْدًا عظيمًا بحيث إنه أمَر الأُمراءَ أن يَمْشُوا فى جِنَازتِه، فمشَوْا فَراسخَ إلى تربتِه، وأمَر أهلَ البلدِ أن يَخْرُجوا بحُزْنٍ وتَعْدادٍ عليه، فتوانَى بعضُهم فى ذلك، فهمَّ بقتلِهم حتى تَشَفَّع فيهم بعضُ الأمراءِ، ثم لم يسمَحْ بدفنِ قلجٍ، فكان يُحْمَلُ معه فى مِحَفَّةٍ، وكلما أُحْضِر بينَ يديه طَعامٌ يقولُ: احْمِلوا هذا إلى قلجٍ. فقال له بعضُهم: أيُّها الملكُ، قد مات قلجٌ. فأمَر بضربِ عنقِه فقُتِل، فكانوا بعدَ ذلك يقولون: قَبِلَه[(٣)] وهو يُقَبِّلُ

---

(١) الكامل ١٢/٤٩٥ - ٥٠٠.

(٢) هنا وفيما يأتى فى الأصل: «فلح».

(٣) أى قَبِل قلجٌ الطعامَ.

الأرضَ ويقولُ : هو الآن أصْلَحُ مما كان . يعنى أنه مَريضٌ وليس بميتٍ ، فيَجِدُ الملكُ راحةً بذلك ؛ مِن قلةِ عقلِه ودينِه ، قبَّحه اللَّهُ تعالى .

فلما جاءت التَّتارُ اشْتَغل بهم ، وأمَر بدفنِ قلجٍ ، وهربَ مِن بينِ أيديهم ، وامْتَلأ قلبُه خوفًا منهم ، وجعل كلما سار إلى قُطْرٍ لحِقوه إليه ، وخرَّبوا ما اجْتازوا به مِن الأقاليمِ والبُلْدانِ ، حتى انْتَهَوا إلى الجَزيرةِ ، وجاوَزوها إلى سِنْجارَ ومارِدِينَ وآمِدَ ، يُفْسِدون ما قدَروا عليه قتْلًا وأسْرًا ونهبًا ، وتمزَّق شملُ جَلالِ الدينِ ، وتفرَّق عنه جيشُه ، فصاروا شَذَرَ مَذَرَ ، وبُدِّلوا بالأمنِ خوفًا ، وبالعِزِّ ذُلًّا ، وبالاجتماعِ تَفْريقًا ، فسبحانَ مَن بيدِه الملكُوتُ[1] ! وانْقَطَع خبرُ جَلالِ الدينِ فلا يُدْرَى أين سلَك ولا أين ذهَب ، وتمكَّنَت التَّتارُ مِن الناسِ فى سائرِ البلادِ لا يَجِدون مَن يَمْنَعُهم ولا مَن يَرْدَعُهم ، وألْقَى اللَّهُ تعالى الوَهْنَ والضَّعْفَ فى قلوبِ الناسِ منهم ، كانوا كثيرًا ما يَقْتُلون الناسَ ، فيقولُ المسلمُ : لا باللَّهِ ، لا باللَّهِ . فكانوا يَلْعَبون على الخيلِ ، ويُغَنُّون ويُحاكُون الناسَ : لا باللَّهِ لا باللَّهِ . وهذه طامَّةٌ عُظْمَى وداهيةٌ كبرى ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون .

وحجَّ الناسُ فى هذه السنةِ مِن الشامِ ، وكان فيمن خرَجَ الشيخُ تَقىُّ الدينِ أبو عمرٍو بنُ الصَّلاحِ ، ثم لم يَحُجَّ الناسُ بعدَ هذه السنةِ أيضًا لكثرةِ الحروبِ والخوفِ مِن التَّتَرِ والفِرنْجِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها[2] تَكامَل بناءُ المدرسةِ التى بسُوقِ العَجَمِ مِن بغدادَ ، المَنْسوبةِ إلى إقْبالِ الشَّرَابىِّ ، وحضَر الدرسَ بها ، وكان يومًا مشهودًا ، واجْتَمع فيها جميعُ المُدَرِّسينِ

---

(١) فى م : « الملك لا إله إلا هو » .

(٢) هذا الخبر لم نجده فى مصادر التخريج ، وانظر الدارس ١/ ١٥٩، ١٦٠ فقد نقل مصنفه هذا الخبر من ابن كثير .

والمُفْتِين[1] ببغدادَ ، وعمِل بصَحْنِها قِبابَ الحَلْواءِ ، فحُمِل منها إلى جميعِ المدارسِ والرُّبُطِ ، ورتَّب فيها خمسةً وعشرين فقيهًا لهم الجَوامكُ[2] الدارَّةُ فى كلِّ شهرٍ ، والطعامُ فى كلِّ يومٍ والحلواتُ فى أوقاتِ المَواسمِ ، والفَواكِهُ فى زمانِها ، وخلَع على المُدَرِّسِ [١٠/ ٢٠و] والمُعِيدِين والفُقهاءِ يومئذٍ ، وكان وقتًا حسَنًا ، تقَبَّل اللَّهُ تعالى منه .

وفيها سار الأشْرفُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ القاضى الفاضلِ فى الرَّسْليةِ[3] عن الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ إلى الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ ببغدادَ ، فأُكْرِم وأُعِيد مُعَظَّمًا .

وفيها دخَل الملكُ المُظَفَّرُ أبو سعيدٍ كوكُبْرى بنُ زَيْنِ الدينِ صاحبُ إرْبِلَ إلى بغدادَ ، ولم يَكُنْ دخَلَها قطُّ ، فتلَقَّاه المَوْكِبُ ، وشافَهه الخليفةُ بالسلامِ مرتين فى وقتَيْن ، وكان ذلك شرفًا له ، غبَطه به سائرُ ملوكِ الآفاقِ ، وسأَلوا أن يُهاجِروا ليَحْصُلَ لهم مثلُ ذلك ، فلم يُمَكَّنوا لحفظِ الثُّغورِ ، ورجَع إلى مملكتِه مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

ابنُ مُعْطِى النَّحْوىُّ[4] : **يحيَى بنُ مُعطِى بنِ عبدِ النُّورِ النحْوىُّ** ، صاحبُ

---

(١) لعلَّ صوابه « المعيدين » كما سيأتى .

(٢) الجوامك : المرتبات . انظر صبح الأعشى ٣/ ٥١٩، والمعجم الذهبى ص ١٩٨.

(٣) هذا الخبر لم نجده فى مصادر التخريج ، وقد ذكره صاحب الوافى بالوفيات فى ترجمة ابن الفاضل هذا ٧/ ٥٧.

(٤) معجم الأدباء ٢٠/ ٣٥، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤٣٩، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ووفيات الأعيان ٦/ ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٣١، والجواهر المضية ٣/ ٥٩٢. وقد جاء فى التكملة ووفيات الأعيان والجواهر « يحيى بن عبد المعطى » . أما فى كتابى الحافظ الذهبى السير والتاريخ فقد عنونه فى الأول « ابن معطى » ثم فصل اسمه فقال : « بن عبد المعطى » . وعكَس فى كتابه الثانى . وهو مشهور بالاثنين . ينظر مقدمة كتابه « الفصول الخمسون » .

« الألفيةِ » وغيرِها مِن المُصَنَّفاتِ النَّحْويةِ المفيدةِ ، ويُلَقَّبُ بزَيْنِ الدينِ ، أخَذ عن الكِنْدىِّ[1] وغيرِه ، ثم سافَر إلى مصرَ ، فكانت وفاتُه بالقاهرةِ فى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وشهِد جِنازتَه الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ ، وكان قد رحَل[2] إلى مصرَ فى هذه السنةِ ، وحَكَى أن الملكَ الكاملَ شهِد جِنازتَه أيضًا ، وأنه دُفِن قريبًا مِن قبرِ المُزَنىِّ بالقَرافةِ[3] فى طريقِ الشافعىِّ عن يَسْرةِ المارِّ . رحِمه اللَّهُ .

الدَّخْوارُ الطَّبيبُ [4]واقفُ الدَّخْواريةِ[4] مهذَّبُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ علىِّ ابنِ حامدٍ ، المعروفُ بالدَّخْوارِ ، شيخُ الأطِبَّاءِ بدمشقَ ، وقد وقَف دارَه بدربِ العَميدِ بالقربِ مِن الصاغةِ العَتيقةِ على الأطِبَّاءِ بدمشقَ المحروسةِ مدرسةً لهم ، وكانت وفاتُه فى صفرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، وعلى قبرِه قُبَّةٌ على أعْمِدةٍ فى أصلِ الجبلِ شرقىَّ الركنيةِ[5] ، وقد ابْتُلِى بستةِ أمْراضٍ مُتَعاكِسةٍ ، منها

---

(١) هو تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن بن زيد الكندى البغدادى المقرئ النحوى اللغوى الحنفى ، توفى سنة ثلاث عشرة وستمائة . انظر ما تقدم فى صفحة ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤.

(٢) أى كان أبو شامة رحل إلى مصر ، وهو الذى حكى شهود الكامل جنازة ابن معطى ، كما سيذكر المصنف . انظر الذيل على الروضتين ص ١٦٠.

(٣) القرافة : خِطَّة بالفسطاط من مصر كانت لبنى غصن بن سيف بن وائل من المعافر ، وقرافة بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم ، وهى مقبرة أهل مصر ، وبها أبنية جليلة ومحالّ واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب الأكابر . انظر معجم البلدان ٤/ ٤٨.

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٦٧٢/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٩، وعيون الأنباء ص ٧٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٨٣، ووفاته عنده سنة سبع وعشرين وستمائة .

(٥) فى م : « الركتية » . وهذه العبارة من قوله « وقف داره بدرب العميد » إلى هنا ، لم نجدها فى المصادر ولكن نقلها عن المصنف صاحب الدارس ٢/ ١٢٨. وجاء عنده « درب العجل » بدل « درب العميد »والثانية - درب العميد - المثبتة من الأصل ، م توافق ما فى سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٧.

ريحُ اللَّقْوةِ[1] ، وكان مولدُه سنةَ خمسٍ وستين وخمسِمائةٍ ، وكان عمرُه ثلاثًا وستين سنةً .

قال ابنُ الأثيرِ[2] : وفيها تُوُفِّى :

القاضى أبو غانمِ بنُ العَديمِ الشيخُ الصالحُ ، وكان مِن المجْتَهِدين فى العبادةِ والرياضةِ ، والعامِلِين بعلمِهم ، ولو قال قائلٌ : إنه لم يَكُنْ فى زمانِه أعبدُ منه . لكان صادقًا ، فرضِى اللَّهُ تعالى عنه وأرْضَاه ، فإنه مِن جَماعةِ شُيوخِنا ، سمِعْنا عليه الحديثَ ، وانْتَفَعْنا برؤيتِه وكلامِه .

قال : وفيها أيضًا فى الثانى عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ تُوُفِّى صديقُنا **أبو القاسمِ [3]عبدُ المجيدِ[3] بنُ العَجَمىِّ الحَلَبىُّ** ، وهو وأهلُ بيتِه مُقَدَّمو السُّنَّةِ بحلَبَ ، وكان رجلًا ذا مُروءةٍ غَزيرةٍ ، وخُلُقٍ حسنٍ ، وحِلْمٍ وافرٍ ورِياسةٍ كثيرةٍ ، يُحِبُّ إطعامَ الطعامِ ، وأحَبُّ الناسِ إليه مَن أكَل طعامَه ، [4]ويُقَبِّلُ يَدَه[4] ، وكان يَلْقَى أضْيافَه بوجهٍ مُنْبَسِطٍ ، ولا يَقْعُدُ عن إيصالِ راحةٍ وقَضاءِ حاجةٍ ، فرحِمه اللَّهُ تعالى رحمةً واسعةً .

قلتُ : وهذا آخرُ ما وُجِد مِن « الكاملِ فى التاريخِ » للحافظِ عزِّ الدينِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الأَثيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الكَريمِ بنِ أبى السَّعاداتِ بنِ كرمٍ[5] المَوْصلىُّ ،

---

(١) اللقوة : داء يَعْرِض للوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق . انظر الوسيط (ل ق و) .

(٢) الكامل ١٢/ ٥٠٥. وعنده : « ابن عنائم » .

(٣ - ٣) فى الأصل « عبد الحميد » .

(٤ - ٤) فى الكامل : « ويقبل بره » . وقد جاءت الكلمة الأولى فى الأصل مضبوطةً كما أثبتناها . فاللَّه تعالى أعلم .

(٥) فى م : « كريم » . وانظر ترجمته فى الطبقات السنية ١/ ٢٠٧. واسمه عنده « أبو إسحاق الموصلى إبراهيم بن عبد الكريم بن أبى الغارات » . وترجمته مختصرة جدا . وذكره من شراح القدورى صاحبُ كشف الظنون ٢/ ١٦٣٢. واسمه عنده « أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الموصلى » .

أحدُ الفُقهاءِ الحَنَفِيين، شرَح قطعةً كبيرةً مِن «القُدُورىِّ»، وكتَب الإنْشاءَ لصاحبِها بدرِ الدينِ لُؤْلُؤٌ، **ثم اسْتَقال مِن ذلك، وكان فاضلًا شاعرًا، ومِن شعرِه:**

دعُوه كما شاء الغَرامُ يَكونُ ... فلستُ وإن خان العُهودَ أَخُونُ
ولِينوا له فى قولِكمْ ما اسْتَطَعْتُمُ ... عسى قلبُه القاسى علىَّ يَلِينُ
وبُثُّوا صَباباتى إليه وكرِّروا ... حَديثى عليه والحديثُ شُجونُ
[١٠/٢٠ظ] بنفسى الأُلَى بانوا عن العينِ خُفْيَةً[١] ... وحبُّهمُ فى القلبِ ليس يَبينُ
وسَلُّوا [٢]على العشاقِ يومَ[٢] تحمَّلوا ... سيوفًا لها وُطْفُ[٣] الجفونِ جفونُ

المجدُ البَهْنَسىُّ[٤] وزيرُ الملكِ الأشْرفِ، ثم عزلَه وصادَره، ولما تُوُفِّى دُفِن بتربتِه التى أنْشَأها بسفحِ قاسِيونَ، وجعَل كتبَه بها وَقْفًا، وأجْرَى عليها أوْقافًا جيدةً دارَّةً.

جَمالُ الدولةِ خليلُ بنُ زُوَيْزانَ[٥]، رئيسُ قصرِ حَجَّاجٍ، كان كيِّسًا ذا مُروءةٍ، له صَدَقاتٌ كثيرةٌ، وله زيارةٌ فى مَقابرِ الصُّوفيةِ مِن ناحيةِ القِبْلةِ، ودُفِن

---

(١) فى م: «حصة».
(٢ - ٢) فى الأصل: «عن العشاق قوم».
(٣) الوُطْف: جمع أوْطَف، وهو الجَفنُ الكثير الشعر.
(٤) مرآة الزمان ٦٧١/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤٢٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٣، والوافى بالوفيات ١١/ ٢٦٥، والمقفى الكبير ٣/ ١٤١.
(٥) فى الأصل: «دويران». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٦٧٣/٨ (القسم الثانى) وعنده «جمال الدولة بن زورتات»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٤ واسمه كاملًا «جمال الدولة خليل بن إسماعيل بن على بن علوان بن زويزان»، والوافى بالوفيات ٣٩٤/١٣ وعنده مثل ما فى تاريخ الإسلام إلا أنه لقَّبه «كمال الدولة».

بتربتِه عندَ مسجدِ فلوس[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الملكُ الأمْجَدُ واقفُ المدرسةِ الأمْجَديةِ بالشرفِ .

وفيها كانت وفاةُ **الأمجدِ بَهْرام شاه بنِ فَرُّخشاه بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ**[2] صاحبِ بَعْلَبَكَّ بعدَه[3] لم يَزَلْ حتى قَدِم الأشرفُ موسى بنُ العادلِ إلى دمشقَ فَمَلَكها فى سنةِ ستٍّ وعشرين ، فانتَزَع من يدِه بَعْلَبَكَّ فى سنةِ سبعٍ وعشرين ، وأسْكَنه عندَه بدمشقَ فى دارِ أبيه[4] ، فلمَّا كان فى شهرِ شَوالٍ مِن هذه السنةِ عدا عليه مَملوكٌ مِن مَماليكِه تُرْكىٌّ ، فقتَله ليلًا ، وكان قد اتَّهَمه بحِياصَةٍ[5] له وحبَسه ، فتغَلَّب عليه فى بعضِ الليالِى فقتَله ، وقُتِل المَمْلوكُ بعدَه ، ودُفِن الأمْجَدُ فى تربتِه التى إلى جانبِ تُرْبةِ أبيه فى الشَّرَفِ الشَّماليِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد كان شاعرًا فاضلًا ، له دِيوانُ شعرٍ ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى قطعةً جيدةً مِن شعرِه الرائقِ الفائقِ ، وترْجَمْتُه فى « طَبَقاتِ الشافعيةِ » ، ولم يَذْكُرْه أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ » ، وهذا عَجيبٌ منه . ومما أوْرَد له ابنُ السَّاعى قولُه فى شابٍّ رآه يَقْطَعُ قُضْبانَ بانٍ ، فأنْشَأ على البَديهةِ يقولُ :

مَن لى بأهْيفَ قال حينَ عَتَبْتُه ... فى قَطْعِ كلِّ قضيبِ بانٍ رائقِ

---

(١) فى م : « قلوس » . وانظر الدارس ٢/ ٢٤٧.

(٢) مرآة الزمان ٦٦٦/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٠٤.

(٣) سقط من : م . والمقصود أنه صاحب بعلبك بعد أبيه فرخشاه .

(٤) المذكور فى المرآة وتاريخ الإسلام والوافى أنه قدم دمشق وأقام بها ، وفى السير أنه تحول إلى دمشق ونزل بداره داخل باب النصر . ولم يتعرض لذكر ذلك فى نهاية الأرب . والعبارة التى ذكرها المصنف هنا تبين أن الأشرف موسى أسكنه عنده فى دار أبيه - أبى الأشرف موسى - بدمشق .

(٥) فى م : « فى صاحبة » . والحياصة : المِنْطَقَة ، وكانت معظم المناطق من الفضة المطلية بالذهب ، وربما جُعِلت من الذهب . انظر صبح الأعشى ٤/ ٤٠.

تحكى شمائلَه الرَّشَاءُ[1] إذا انثنى ... ريَّانَ بين جداولٍ وحدائقِ
سرقَتْ غصونُ البانِ لينَ شَمَائِلى ... فقطعتُها والقطعُ حدُّ السارقِ

ومِن شعرِه قولُه :

يُؤَرِّقُنى حنينٌ وادِّكارُ ... وقد خَلَتِ المرابِعُ والدِّيارُ
تناءَى الظَّاعنونَ ولى فؤادٌ ... يسير مع الهَوَادِجِ حيثُ ساروا
حنينٌ مثلما شاءَ التَّنائِى ... وشوقٌ كلَّما بَعُدَ المزارُ
ولَيْلى[2] بَعْدَ بينِهِمُ طويلٌ ... فأينَ مَضَتْ ليالىَّ القِصارُ
وقد حكَم السُّهادُ على جُفُونى ... تساوَى الليلُ عندِى والنَّهارُ
سُهادِى بعدَ نأيِهِمُ كثيرٌ ... ونومى بعدما رحلوا غِرارُ[3]
فمنْ ذا يستعيرُ لنا عُيونًا ... تنامُ [4]وهل ترى[4] عينًا تُعَارُ
فلا [5]ليلى له[5] صبحٌ منيرٌ ... ولا وَجْدى [6]يقال له[6] عِثارُ
وكم من قائلٍ والحىُّ غادٍ ... يُحجِّبُ ظُعْنَه النَّقْعُ المثارُ
وُقُوفُك فى الدِّيارِ وأنتَ حىٌّ ... وقَد رحَل الخليطُ عليك عارُ

وله[7] :

كم يذهبُ هذا العُمْرُ فى الخُسرانِ ... ما أغْفَلَنى فيه وما أنسانى

---

(١) فى الأصل : « الرشاق » والرشاء : الرَّشَأُ ، وهو ولد الظبية إذا قَوِى وتحرَّك ومشى مع أمه . وإنما مُدَّ هنا لمراعاة الوزن . انظر الوسيط (ر ش أ) .
(٢) فى م : « ليل » .
(٣) فى الأصل : « غزار » . وغرار : قليل . انظر الوسيط (غ ر ر) .
(٤ - ٤) فى الأصل : « من رأى » .
(٥ - ٥) فى الأصل : « عينى لها » .
(٦ - ٦) فى الأصل : « له سكن » .
(٧) بعده فى م : « دوبيت » . وانظر البيتين فى مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى) .

ضيَّعتُ زمانى كلَّه في لعبٍ يا عُمرُ فَهَل بعدَك عمرٌ ثانى

وقد رآه بعضُهم[1] فى المَنامِ فقال له : ما فعَل اللَّهُ بك ؟ فقال :

كنتُ مِن ذنبى[2] على وَجَلٍ زال عنِّى ذلكَ الوَجَلُ

أَمنَتْ نَفْسِى بَوَائِقَها عِشْتُ لما[3] مِتُّ يا رَجُلُ

رحِمه اللَّهُ ، وعفا عنه .

[١٠/٢١و] **جَلالُ الدينِ تِكِش ، وقيل : محمودُ بنُ عَلاءِ الدينِ خُوارَزْم شاه محمدِ بنِ تِكِش الخُوارَزْمىُّ**[4] ، وهم مِن سُلالةِ طاهرِ بنِ الحسينِ ، وتِكِش جدُّهم هو الذى أزال دولةَ السَّلْجوقيةِ . كانت التَّتارُ قد قهَروا أباه حتى شرَّدوه فى البلادِ ، فمات ببعضِ جَزائرِ البحرِ ، ثم ساقوا وراءَ جَلالِ الدينِ هذا حتى مزَّقوا عَساكرَه شَذَرَ مَذَرَ ، وتفرَّقوا عنه أيْدِى سَبَا ، وانْفَرد هو وحدَه ، فلقِيه فلَّاحٌ مِن قريةٍ بأرضِ مَيَّافارِقِين ، فأنْكَره لِمَا عليه مِن الجَواهرِ والذهبِ ، وعلى فرسِه ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا ملكُ الخُوارَزْميةِ . وكانوا قد قتَلوا للفلاحِ أخًا ، فأنْزَله وأظْهَر إكْرامَه ، فلما نام قتَله بفأسٍ كانت عندَه ، وأخَذ ما عليه ، فبلَغ الخبرُ إلى شهابِ الدينِ غازى بنِ العادلِ ، صاحبِ مَيَّافارِقِين فاسْتَدْعَى بالفلاحِ ، فأخَذ ما كان عليه مِن الجَواهرِ والحُلِىِّ ، وأخَذ الفرسَ أيضًا ، وكان الملكُ الأشْرَفُ يقولُ[5] : هو سدٌّ بينَنا وبينَ التَّتارِ ، كما أن السدَّ بينَنا وبينَ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ .

---

(١) انظر مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى) .

(٢) فى م : « دينى » .

(٣) فى الأصل : « بما » .

(٤) مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى) ، وسير أعلام النبلاء ٣٢٦/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٧، ودول الإسلام ١٣٤/٢، وتاريخ ابن الوردى ١٥٣/٢.

(٥) انظر مرآة الزمان ٨/ ٦٧١.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وعشرين وستّمائةٍ

فيها[1] عُزِل القاضِيان بدمشقَ ؛ شمسُ الدينِ بنُ الخُوَيِّيِّ وشمسُ الدينِ بنُ سَنِيِّ الدولةِ ، [2]وولِى قَضاءَ القُضاةِ[2] عمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانيِّ[3] ، ثم عُزِل فى سنةِ إحدى وثلاثين ، وأُعِيد شمسُ الدينِ بنُ سَنِيِّ الدولةِ ، كما سيأْتى .

وفى سابعَ عشَرَ شوَّالِها عزَل الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ وزيرَه مُؤَيِّدَ الدينِ محمدَ بنَ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ القُمِّيَّ ، وقبَض عليه وعلى أخيه حسنٍ وابنِه فخرِ الدينِ أحمدَ بنِ محمدٍ القُمِّيِّ وأصحابِهم وحُبِسوا ، واسْتَوْزَر الخليفةُ مكانَه أُستاذَ الدارِ شمسَ الدينِ أبا الأَزْهَرِ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ الناقدِ ، وخلَع عليه خِلْعةً سَنيَّةً ، وفرِح الناسُ بذلك .

وقد أقْبَلَت طائفةٌ مِن التَّتارِ ، فوصَلوا إلى شَهْرَزُورَ ، فندَب الخليفةُ صاحبَ إِرْبِلَ مُظَفَّرَ الدينِ كُوكُبْرى بنَ زَيْنِ الدينِ ، وأضاف إليه عساكرَ مِن عندِه ، فساروا نحوَهم ، فهرَبَت منهم التَّتارُ ، وللَّهِ الحمدُ ، وأقاموا فى مُقابَلَتِهم مدةَ شهورٍ ، ثم تمرَّض مُظَفَّرُ الدينِ ، وعاد إلى بلدِه إِرْبِلَ ، وتراجَعَت العساكرُ[4] إلى بلادِها .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٧٣ - ٦٧٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ١٦١، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٦٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٦، ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) فى م : «الخرستانى» . انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤١.

(٤) فى م : «التتار» .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ نُقْطَةَ الحافظُ : محمدُ بنُ عبدِ الغنىِّ بنِ أبى بكرٍ البَغْدادىُّ ، أبو بكرٍ ابنُ نُقْطةَ ، الحافظُ المُحَدِّثُ الفاضلُ[1] ، صاحبُ الكتابِ النافعِ المُسَمَّى بـ« التَّقْييدِ » فى تراجمِ رُواةِ الكتبِ والمَشاهيرِ مِن المُحَدِّثين ، وكان أبوه فَقيهًا فقيرًا مُنْقَطِعًا فى بعضِ مساجدِ بغدادَ ، يُؤْثِرُ أصحابَه بما يَحْصُلُ له ، ونشَأ ولدُه هذا ، فعُنى بعلمِ الحديثِ وسماعِه والرِّحْلةِ فيه إلى الآفاقِ شرقًا وغربًا ، حتى برَز فيه على الأقْرانِ ، وفاق أهلَ ذلك الزمانِ والأَوانِ ، وُلِد سنةَ تسعٍ[2] وسبعين وخمسِمائةٍ ، وتُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثانى والعشرين مِن صفرٍ مِن هذه السنةِ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

الجَمالُ عبدُ اللَّهِ بنُ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المَقْدسىُّ[3] ، كان فاضلًا كريمًا حَيِيًّا ، سمِع الكثيرَ ، ثم خالَط الملوكَ وأبناءَ الدنيا ، فتغَيَّرَت أحْوالُه ، ومات ببُسْتانِ ابنِ شُكْرٍ عندَ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ ، وهو الذى كفَّنه ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو علىٍّ الحسنُ[4] **بنُ أبى بكرٍ** [١٠/٢١ظ] **المُبارَكِ بنِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ**

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧١، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٦٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٨٢.

(٢) فى الأصل : « سبع » ، وفى تاريخ الإسلام ، والوافى بالوفيات « نيف » ، وفى سير أعلام النبلاء : « ولد بعد السبعين » .

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٦٧٤ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٤، والذيل على الروضتين ص ٦٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٥، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٩٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٨٥.

(٤) فى الأصل ، م : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته : التكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٥، وذكر وفاته فيه فى سنة تسع وستمائة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١- ٦٣٠) ص ٣٤١، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢١٢، والجواهر المضية ٢/ ٧٨.

ابنِ يحيى بنِ المُسَلَّمِ[1] الزَّبِيدىُّ ثم البغدادىُّ، كان شيخًا صالحاً فَقيهًا[2] حَنَفيًّا فاضلًا، ذا فُنونٍ كثيرةٍ؛ مِن ذلك علمُ الفَرائضِ والعَروضِ، وله فيه أُرْجُوزةٌ حسنةٌ، انْتَخَب منها ابنُ الساعى مِن كلِّ بحرٍ بيتَيْن، وسرَد ذلك فى «تاريخِه».

أبو الفتحِ مسعودُ بنُ إسماعيلَ[3] بنِ علىِّ بنِ موسى السَّلَماسىُّ، فَقيهٌ أديبٌ شاعرٌ، له تَصانِيفُ، وقد شرَح «المَقاماتِ» و«الجُمَلَ» فى النحوِ، وله خُطَبٌ وأشعارٌ حسنةٌ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارىُّ فخرُ الدينِ بنُ الشِّيرَجىِّ[4] الدمشقىُّ، أحدُ المُعَدِّلِين بها، وُلِد سنةَ تسعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ، وسمِع الحديثَ، وكان يَلِى دِيوانَ الخاتون ستِّ الشامِ بنتِ أيوبَ، وفوَّضَت إليه أمْرَ أوقافِها.

قال السِّبْطُ[5]: وكان ثقةً أمينا كَيِّسًا مُتواضِعًا. قال: وقد وزَر ولدُه شَرَفُ الدينِ للناصرِ داودَ مدةً يَسيرةً، وكانت وفاةُ فخرِ الدينِ[6] فى يومِ عيدِ الأضْحَى، ودُفِن بمَقابرِ بابِ الصغيرِ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفا عنه.

---

(١) فى الأصل: «سلم».

(٢) سقط من: م.

(٣) بعده فى الأصل: «بن أبى على بن مسعود». ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولعله فى تاريخ ابن الساعى الكبير.

(٤) فى الأصل: «السيرجى». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/٦٧٥ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/ ٤١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٩٤، والمقفى الكبير للمقريزى ٦/ ١٥٧.

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٧٥ (القسم الثانى).

(٦) ذُكر فى التكملة لوفيات النقلة، وتاريخ الإسلام، والمقفى الكبير، أن وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة.

حُسامُ[1] **بنُ غُزّى بنِ يونُسَ ، عِمادُ الدينِ أبو المَناقِبِ المَحَلِّيُّ**[2] **المِصْرِيُّ ثم الدِّمشقيُّ** ، كان شيخًا صالحًا فاضلًا فَقيهًا شافعيًّا حسَنَ المُحاضَرةِ ، وله أشعارٌ حسنةٌ .

قال أبو شامةَ[3] : وله فى « مُعْجَمِ القُوصيِّ » ترجمةٌ حسنةٌ ، وذكَر أنه تُوُفِّى عاشرَ ربيعِ الآخِرِ[4] ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيةِ .

قال السِّبْطُ[5] : وكان مُقيمًا بالمدرسةِ الأَمِينيةِ ، وكان لا يَأْكُلُ لأحدٍ شيئًا ولا للسلطانِ ، بل إذا حضَر طعامًا كان معه فى كُمِّه شيءٌ يَأْكُلُه ، وكان لا يزالُ معه ألفُ[6] دينارٍ على وسَطِه . وحَكَى عنه قال : خلَع علىَّ الملكُ العادلُ ليلةً طَيْلَسانًا ، فلما خرَجْتُ مشَى بينَ يدىَّ نَفَّاطٌ[7] يَحْسَبُنى القاضىَ ، فلما وصَلْتُ إلى بابِ البريدِ عندَ دارِ سيفٍ خلَعْتُ الطَّيْلَسانَ ، وجعَلْتُه فى كُمِّى ، وتبَاطَأْتُ فى المشيِ ، فالْتَفَت فلم يَرَ وراءَه أحدًا ، فقال لى : أين القاضى ؟ فأشَرْتُ إلى ناحيةِ النُّوريةِ[8] ، وقلتُ : ذهَب إلى دارِه . فلما أسْرَع إلى ناحيةِ النُّوريةِ هَرْوَلْتُ إلى المدرسةِ

---

(١) فى الأصل : « العماد الحلى الشاعر حسام » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٦٧٢ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٠، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٤٩.

(٢) فى الأصل : « الحلى » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٠.

(٤) ذكرت وفاته سنة ثمان وعشرين فى مرآة الزمان ٨/ ٦٧٢، ٦٧٣ (القسم الثانى) ، وذكر فيها قولًا أنه توفى فى سنة تسع وعشرين وستمائة .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٧٢ (القسم الثانى) .

(٦) فى مرآة الزمان : « ألفا » .

(٧) فى الأصل ، م : « تعاط » . والمثبت من مرآة الزمان وفيه : « وإذا بنفاط قائم وبيده مشعل » . والنفاط : بائع النفط . الوسيط (ن ف ط) .

(٨) وهى المدرسة النورية التى بناها نور الدين محمود بن زنكى .

الأمِينيةِ ، واسْتَرَحْتُ منه .

قال ابنُ الساعى : كان مولدُه سنةَ ستين وخمسِمائةٍ ، وخلَّف أموالًا كثيرةً ، ورِثْتها عَصَبتُه . قال : وكانت له مَعْرِفةٌ حسنةٌ بالأخبارِ والتَّواريخِ وأيامِ الناسِ ، مع دينٍ وصَلاحٍ ووَرَعٍ ، وأوْرَد له مِن شعرِه قولَه[1] :

قيل لى مَن [2]هَوِيتَ قد[2] عبَث الشَّعْـ ... ـرُ بخدَّيه قلتُ ما ذاك عارُهْ

[3]جَمْرُ خَدَّيْه[3] أحْرَقتْ عنبرَ الخا ... لِ فمن ذلك الدُّخَانِ عِذارُهْ

وقولَه :

شَوْقى إليكمْ دونَ أشواقِكم ... لكنَّه لابدَّ ما يُشْرَحُ

لأننى عن قَلْبِكمْ غائبٌ ... وأنتمُ فى القلبِ لم[4] تَبْرَحُوا

أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الجارودِ المارانىُّ[5] ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، أحدُ الفُضلاءِ ، ولِى القَضاءَ بإرْبِلَ ، وكان ظريفًا خَليعًا ، وكان مِن مَحاسنِ الأيامِ ، وله أشْعارٌ رائقةٌ ومَعانٍ فائقةٌ ، فمِن شِعْرِه قولُه[6] :

[7]مَشيبٌ أتَى وشبابٌ[7] رحَلْ ... [8]فحَلَّ العَناءُ به[8] حيث حلّْ

---

(١) انظر البيتين فى تاريخ الإسلام ، والوافى بالوفيات .

(٢ - ٢) فى تاريخ الإسلام والوافى بالوفيات : « تحبه » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « حمرة الخد » .

(٤) فى م : « لن » .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧٣، والوافى بالوفيات ٤/ ١٧٢، والمقفى الكبير ٦/ ٣٣١.

(٦) انظر الأبيات فى المقفى الكبير ٦/ ٣٣٢.

(٧ - ٧) فى الأصل : « شبت أنا وشبابى » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « أحد العناء به » ، وفى م : « أحل العناية » . والمثبت من المقفى الكبير .

(١ وعمرٌ[٢] تَقَضَّى بلا[٣] طاعةٍ فويحكِ يا نفسُ ما[٤] ذا الزَّلَلْ ١)

وذَنبُكِ جَمٌّ ألا فارْجِعى وعُودى فقد حان وقتُ الأجَلْ

ودِينى الإلهَ ولا تُقصِرى ولا يَخْدَعَنَّكِ طولُ الأمَلْ

(١ فما لكِ غيرُ التُّقَى مُستَعَدٌّ ولا صاحبٌ غيرُ حُسنِ العملْ ١)

أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ زاكى[٥] بنِ [١٠/٢٢و] **عليِّ بنِ يحيى الطائىُّ الرَّقِّىُّ**، نَزيلُ إرْبِلَ، وولِى النَّظرَ بها للملكِ مُظَفَّرِ الدينِ، وكان شيخًا أديبًا فاضلًا، ومِن شعرِه قولُه:

وأَهْيفُ ما الخَطِّىُّ إلا قَوامُهُ وما الغُصنُ إلا ما يُثَنِّيه لِينُهُ

وما الدِّعْصُ[٦] إلا ما تَحَمَّل خَصْرُهُ وما النَّبْلُ إلا ما تَرِيشُ جُفونُهُ

وما الخمرُ إلا ما يُرَوِّقُ ثَغْرُهُ وما السِّحْرُ إلا ما تُكِنُّ عيونُهُ

وما الحسنُ إلا كُلُّه فمَنِ الذى إذا ما رآه لا يَزِيدُ جنونُهُ

ابنُ مُعْطِى النَّحْوىُّ يحيى، ترْجَمه أبو شامةَ فى السنةِ الماضيةِ[٧]، وهو أضْبَطُ؛ لأنه شهِد جِنازتَه بمصرَ، وأما ابنُ الساعى فإنه ذكَره فى هذه السنةِ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «عمرى».

(٣) فى المقفى الكبير: «ولا».

(٤) فى المقفى الكبير: «كم».

(٥) فى م: «رالى». ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولعله فى تاريخ ابن الساعى.

(٦) الدِّعص: قطعة من الرمل مستديرة. الوسيط (د ع ص).

(٧) تقدمت ترجمته فى صفحة ١٨٦. ضمن وفيات السنة الماضية كما ذكر المصنف، ولم يذكر هناك أنه أورده تبعا لأبى شامة.

وقال : إنه كان حَظِيًّا عندَ الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ ، وإنه كان قد نظَم أُرْجوزةً فى القِراءاتِ السبعِ ، ونظَم ألْفاظَ « الجَمْهرةِ » ، وكان قد عزَم على نَظْمِ « صِحاحِ الجَوْهرىِّ » .

سنةُ ثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] باشَر خَطابةَ بغدادَ ونِقابةَ العباسِيِّين العَدْلُ مجدُ الدينِ أبو القاسمِ هبةُ اللَّهِ ابنُ [2]عبدِ اللَّهِ[2] المَنْصوريُّ[3]، وخُلِع عليه خِلْعةٌ سَنِيَّةٌ، وكان فاضلًا قد صحِب الفُقراءَ والصُّوفيةَ، وتَزَهَّد بُرْهةً مِن الزمانِ، فلما دُعِي إلى هذا الأمرِ أجاب سريعًا، وأقْبَلَت عليه الدنيا بزَهْرتِها، وخدَمه الغِلْمانُ الأتراكُ، ولبِس لِباسَ المُتْرَفِين، وقد عاتَبه بعضُ تَلامذتِه[4] بقَصيدةٍ طويلةٍ، وعنَّفه على ما صار إليه، وقد سرَدها ابنُ الساعى بطُولِها فى «تاريخِه».

وفيها سار القاضى مُحْيى الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ فى الرَّسْليةِ مِن الخليفةِ إلى الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ، ومعه كتابٌ هائلٌ فيه تَقْليدُه المُلْكَ، وفيه أَوامرُ كثيرةٌ مَليحةٌ مِن إنشاءِ الوزيرِ [5]نَصيرِ الدينِ[5] أحمدَ بنِ الناقدِ، سرَده ابنُ الساعى أيضًا بكَمالِه[6]. وقد كان الكاملُ مُخَيِّمًا بظاهرِ آمِدَ مِن أعمالِ الجَزيرةِ، قد افْتَتَحها بعدَ حِصارٍ طويلٍ، وهو مسرورٌ بما نال مِن مُلْكِها.

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٧٥ - ٦٧٧ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ٦٦٥، ونهاية الأرب ٢٩/١٧٠ - ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٨ - ٥٢.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «المعصورى».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) فى م: «نصر الدين». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٠٨.

(٦) وذكره أيضا النويرى فى نهاية الأرب ٢٩/١٧٤ - ١٨٩.

وفيها فُتِحَت دارُ الضِّيافةِ ببغدادَ للحَجيجِ حينَ قدِموا مِن حجِّهم ، وأُجْرِيَت عليهم النَّفقاتُ والكَساوِى والصِّلاتُ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها سارَت العَساكرُ المُسْتَنْصِريةُ صُحْبةَ الأميرِ شرفِ[1] الدينِ [2]أبى الفَضائلِ إقبالٍ الخاصِّ[2] المُسْتَنْصِرىِّ إلى مدينةِ إرْبِلَ وأعمالِها ، وذلك لمَرَضِ مَلِكِها مُظَفَّرِ الدينِ كُوكُبْرى بنِ زَيْنِ الدينِ ، وأنه ليس له مِن بعدِه مِن يَمْلِكُ البلادَ ، فحينَ وصَلها الجيشُ منَعَه أهلُ البلدِ ، فحاصَروه حتى افْتَتَحوه عَنْوةً فى السابعَ عشَرَ مِن شوالٍ فى هذه السنةِ ، وجاءَت البَشائرُ بذلك ، فضُرِبَت الطُّبولُ ببغدادَ بسببِ ذلك ، وفرِح أهلُها ، وكُتِب التَّقليدُ عليها لإقبالٍ المذكورِ ، فرتَّب فيها المَناصِبَ ، وسار فيها سِيرةً جيدةً ، وامْتَدَح الشُّعراءُ هذا الفتحَ مِن حيثُ هو ، وكذلك مدَحوا فاتحَها إقبالًا ، ومِن أحسنِ ما قال بعضُهم :

يا يومَ سابعَ عشْرَ شوالِ الذى ... رُزِق السعادةَ أولًا وأخيرَا
هُنِّيتَ فيه بفتحِ إرْبِلَ مِثْلَما ... هُنِّيتَ فيه وقد جَلَسْتَ وَزيرَا

يعنى أن الوزيرَ نَصِيرَ الدينِ بنَ العَلْقَمىِّ ، كان قد وزَر فى مثلِ هذا اليومِ مِن العامِ الماضى .

وفى مُسْتَهَلِّ رمضانَ مِن هذه السنةِ شُرِع فى عِمارةِ دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ بدمشقَ ، وكانت قبلَ ذلك دارًا للأميرِ قايمازَ ، وبها حمامٌ فهُدِمَت ، وبُنِيَتِ الدارُ عِوَضَها .

---

(١) فى م : « سيف » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٠.
(٢ - ٢) فى الأصل : « إقبال » .

وقد ذكَر السِّبْطُ[1] فى هذه السنةِ أن فى ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ فُتِحَت دارُ الحديثِ الأشْرَفيةُ المُجاوِرةُ لقلعةِ دمشقَ، وأمْلَى بها الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصلاحِ الحديثَ، ووقَف عليها الأشْرَفُ الأوقافَ، و[2] بها نَعْلُ النبىِّ ﷺ. قال: وسمِع الأشْرَفُ «صحيحَ البخارىِّ» فى هذه السنةِ على الزَّبيدىِّ. قلتُ: وكذا سمِعوا عليه بالدارِ وبالصالحيةِ.

قال[3]: وفيها فتَح الكاملُ آمِدَ وحصنَ كَيْفَا، ووجَد عندَ مَلِكِها خمسَمائةِ حُرَّةٍ للفِراشِ، فعذَّبه الأشرفُ عذابًا أليمًا.

قال[4]: وفيها قصَد صاحبُ ماردِينَ وجيشُ بلادِ الرومِ الجَزيرةَ، فقتَلوا [١٠/٢٢ظ] وسبَوْا، وفعَلوا ما لم يَفْعَلْه التَّتارُ بالمسلمين.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهيرِ:

أبو القاسمِ علىُّ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ[5] كان شيخًا ظريفًا لطيفًا، سمِع الكثيرَ، وعمِل صناعةَ الوَعْظِ مدةً، ثم ترَك ذلك، وكان يَحْفَظُ شيئًا كثيرًا مِن الأخبارِ والنَّوادرِ والأشعارِ، وُلِد سنةَ إحدى وخمسين وخمسِمائةٍ، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ، وله تسعٌ وسبعون سنةً.

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٦٧٦، ٦٧٧ (القسم الثانى).

(٢) بعده فى م: «جعل».

(٣) المصدر السابق ٨/ ٦٧٥، ٦٧٦.

(٤) المصدر السابق ٨/٦٧٧.

(٥) المصدر السابق ٨/ ٦٧٨، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٧٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٤ وفيه «أبو الحسن»، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٢٣.

وقد ذكَر السِّبْطُ[1] وفاةَ **الوزيرِ صَفِيِّ الدينِ** [2]**عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ**[2] **بنِ شُكْرٍ** فى هذه السنةِ، وأثْنَى عليه وعلى مَحَبتِه للعلمِ وأهلِه، وأن له مُصَنَّفًا سماه «البَصائرَ»، وأنه تغَضَّب عليه العادلُ، ثم ترَضَّاه الكاملُ، وأعاده إلى وِزارتِه وحُرْمتِه[3]، ودُفِن بمدرستِه المشهورةِ بمصرَ. وذكَر أن أصلَه مِن قريةٍ يقالُ لها: دَميرَةُ، بمصرَ.

الملكُ ناصرُ الدينِ محمدُ[4] **بنُ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ نُورِ الدينِ أرْسَلان شاه بنِ قُطْبِ الدينِ مَوْدودِ بنِ عمادِ الدينِ**[5] **زَنْكِى آقْسُنْقُرَ**، صاحبُ الموصلِ، كان مولدُه فى سنةِ ثلاثَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، وقد أقامه بدرُ الدينِ لؤلؤٌ صورةً حتى تمكَّن أمرُه، وقَوِيَتْ شوكتُه، ثُم حجَر عليه، فكان لا يَصِلُ إلى أحدٍ مِن الجَوارى ولا شىءٍ مِن السَّراري، حتى لا يُعْقِبَ، وضيَّق عليه فى الطعامِ والشرابِ، فلمَّا تُوُفِّى جدُّه لأمِّه مُظَفَّرُ الدينِ كُوكُبُرى صاحبُ إِرْبِلَ، منَعه حينَئذٍ مِن الطعامِ والشرابِ ثلاثةَ عشَرَ يومًا، حتى مات كَمَدًا وجُوعًا وعَطَشًا، رحِمه اللَّهُ تعالى، وكان مِن أحسنِ الناسِ صُورةً، وهو آخرُ ملوكِ المَوْصلِ مِن البيتِ الأتابَكيِّ.

---

(١) مرآة الزمان ٦٧٧/٨ (القسم الثانى). وقد تقدمت ترجمة صفى الدين فى وفيات سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) مرآة الزمان ٥٩٨/٨ (القسم الثانى). حوادث سنة خمس عشرة وستمائة. ولكن لم يتعرض السبط لذكر دفنه؛ وقد ذكر المصنف فى ترجمته المتقدمة أنه دفن بتربته عند مدرسته بمصر، وكذا جاء بذيل الروضتين ص ١٤٧، وفى التكملة لوفيات النقلة ٥/ ٢٣٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٣٠. أنه دُفن برباطه الذى أنشأه بالقرب من مدرسته.

(٤) فى م: «محمود». وانظر وفيات الأعيان ٢٠٨/٥، ٣٩١.

(٥) بعده فى م: «بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٩.

القاضى شرفُ الدينِ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ[1] أحدُ مَشايخِ الحَنَفيةِ ، وله مُصَنَّفاتٌ فى الفَرائضِ وغيرِها ، وهو ابنُ خالةِ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الشِّيرازىِّ الشافعىِّ[2] ، وكلاهما كان يَنوبُ عن ابنِ الزَّكىِّ وابنِ الحَرَسْتانىِّ ، وكان يُدَرِّسُ بالطَّرْخانيةِ ، وبها مَسْكَنُه ، فلما أرْسَل إليه المُعَظَّمُ أن يُفْتِىَ بإباحةِ نَبيذِ التمرِ وماءِ الرُّمَّانِ امْتَنَع مِن ذلك ، وقال : أنا على مذهبِ محمدِ بنِ الحسنِ فى ذلك ، والروايةُ عن أبى حَنيفةَ شاذّةٌ[3] ، ولا يَصِحُّ حديثُ ابنِ مسعودٍ فى ذلك ، ولا الأثرُ عن[4] عمرَ أيضًا . فغضِب عليه المُعَظَّمُ ، وعزَله عن التَّدْريسِ ، وولَّاه لتلميذِه الزَّيْنِ بنِ العَتَّالِ ، وأقام الشيخُ بمنزلِه حتى مات ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال أبو شامةَ[5] : وفى هذه السنةِ تُوُفِّى جماعةٌ مِن السَّلاطينِ ؛ منهم **المُغيثُ** ابنُ المُغيثِ بنِ العادلِ ، **والعزيزُ عثمانُ** بنُ العادلِ ، **ومُظَفَّرُ الدينِ** صاحبُ إرْبِلَ [6]وغيرُهم[6] .

قلتُ : أما صاحبُ إرْبِلَ فهو : **الملكُ المُظَفَّرُ أبو سعيدٍ كُوكُبرى**[7] **بنُ زَيْنِ**

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢١، والوافى بالوفيات ٩/ ٦٦، والجواهر المضية ١/ ٣٩٠، والمقفى الكبير ٢/ ٧١، والمنهل الصافى ٢/ ٣٧٧.

(٢) ليس فى المصادر ذِكْر أنه ابن خالة القاضى هذا ، ولا ذكر نيابته هو وابن خالته هذا ، عن ابن الزكى وابن الحرستانى . ولعله عند ابن الساعى .

(٣) لفظه فى الجواهر : « إباحتها إنما هى رواية النوادر » . وفى المقفى : « وإباحته إنما هى رواية عن أبى حنيفة » . وبعده عندهما ما معناه : أنه قد صح عن أبى حنيفة ، أنه ما شَرِبه قط .

(٤) بعده فى الأصل : « ابن » . ثم بياض بقدر كلمة .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٦١.

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى الأصل : « كوكرى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/ ٦٨٠ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٠٢.

الدينِ عليٌّ بنِ بُكْتِكين[1] أحدُ الأجْوادِ والساداتِ الكُبَراءِ والملوكِ الأمجادِ ، له آثارٌ حسنةٌ ، وقد عمَّر الجامعَ المُظَفَّرىَّ بسفحِ قاسِيونَ ، وكان قد همَّ بسِياقةِ الماءِ إليه مِن ماءِ بَرْزَةَ[2] ، فمنَعه المُعَظَّمُ مِن ذلك ، واعْتَل بأنه قد يَمُرُّ على مقابرِ المسلمين بالسُّفوحِ ، وكان يَعْمَلُ المَوْلدَ الشريفَ فى ربيعِ الأولِ ، ويَحتفِلُ به احْتفالًا هائلًا ، وكان مع ذلك شهْمًا شُجاعًا[3] بطلًا عاقلًا عالمًا عادلًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد صنَّف الشيخُ أبو الخَطَّابِ بنُ دِحْيةَ له مجلدًا فى المولدِ النبوىِّ سمَّاه « التَّنْويرَ فى مولدِ [4]السراجِ المنيرِ[4] » ، فأجازه على ذلك بألفِ دينارٍ . وقد طالت مدتُه فى المُلْكِ فى زمانِ الدولةِ الصَّلاحيةِ ، وقد كان مُحاصِرًا مدينةَ عَكَّا ، وإلى هذه السنةِ ، محمودَ السِّيرةِ والسَّريرةِ .

قال السِّبْط[5] : حكَى بعضُ مَن حضَر سِماطَ المُظَفَّرِ فى بعضِ المَوالدِ أنه مَدَّ فى ذلك السِّماطِ خمسةَ آلافِ رأسٍ شَوِىٍّ[6] ، [١٠/٢٣و] وعشَرة آلافِ دَجاجةٍ ، ومائةَ[7] ألفِ زُبْدِيةٍ ، وثلاثين ألفَ صَحْنِ حَلْوَى . قال : وكان يَحْضُرُ عندَه فى المولدِ أعْيانُ العلماءِ والصُّوفيةِ ، فيَخْلَعُ عليهم ، ويُطلِقُ لهم ، ويَعْمَلُ للصُّوفيةِ سَماعًا مِن الظهرِ إلى الفجرِ ، ويَرْقُصُ معهم بنفسِه ، وكانت له دارُ ضِيافةٍ للوافِدِين مِن أىِّ جهةٍ على أىِّ صفةٍ ، وكانت صَدَقاتُه فى جميعِ القُرَبِ والطاعاتِ على الحرمَيْن وغيرِهما ، ويَسْتَفِكُّ مِن الفِرنْجِ فى كلِّ سنةٍ خلقًا مِن

---

(١) فى الأصل : « تكشكين » ، وفى م : « تبكتكين » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) فى م : « بذيرة » . وانظر معجم البلدان ١/ ٥٦٣.

(٣) بعده فى م : « فاتكا » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « البشير النزير » ، والمثبت من وفيات الأعيان ، وسيأتى اسم الكتاب على الصواب فى ترجمة ابن دحية فى صفحة ٢٢٥ .

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٦٨١ - ٦٨٣ (القسم الثانى) .

(٦) فى م : « مشوى » . والشَّوِىّ : الشِّوَاءُ . انظر اللسان (ش و ى) .

(٧) بعده فى الأصل : « فرس ومائة » .

الأُسارَى ، حتى قيل : إن جملةَ مَن اسْتَفَكَّ مِن أيديهم ستون ألفَ أسيرٍ . قالت زوجتُه ربيعةُ خاتون بنتُ أيوبَ - وقد زوَّجه إياها أخوها صلاحُ الدينِ ، لَمَّا كان معه على عَكَّا - قالت : كان قميصُه لا يُساوى خمسةَ دَراهمَ [1]مِن خام[1] ، فعاتَبْتُه فى ذلك فقال : لُبْسى ثوبًا بخمسةٍ ، وأَتَصَدَّقَ بالباقى خيرٌ مِن أن أَلْبَسَ ثوبًا مُثَمَّنًا[2] ، وأَدَعَ الفقيرَ والمِسْكينَ . وكان يَصْرِفُ على المولدِ فى كلِّ سنةٍ ثلاثَمائةِ ألفِ دينارٍ ، وعلى دارِ الضِّيافةِ فى كلِّ سنةٍ مائةَ ألفِ دينارٍ ، وفى ثمنِ الأُسارَى فى كلِّ سنةٍ مائتى[3] ألفِ دِينارٍ ، وعلى الحرمَيْن والمياهِ بدَرْبِ الحِجازِ ثلاثين ألفَ دينارٍ ، سوى صَدَقاتِ السِّرِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكانت وفاتُه بقلعةِ إرْبِلَ ، وأوْصَى أن يُحمَلَ إلى مكةَ ، فلم يَتَّفِقْ ، فدُفِن بمشهدِ علىٍّ .

والملكُ العزيزُ عثمانُ بنُ العادلِ[4] ، وهو شَقيقُ المُعَظَّمِ ، كان صاحبَ بانِياسَ وتلك[5] الحُصونِ التى هنالك ، وهو الذى بنَى الصُّبَيْبَةَ[6] ، وكان عاقلًا قليلَ الكلامِ ، مُطِيعًا لأخيه المُعَظَّمِ ، ودُفِن عندَه . وكانت وفاتُه يومَ الاثنين عاشرَ رمضانَ ببُسْتانِه الناعمةِ مِن بيتِ لِهْيَا ، سامَحه اللَّهُ تعالى .

ابنُ عُنَيْنٍ الشاعرُ ، أبو المَحاسِنِ محمدُ بنُ [7]نَصرِ اللَّهِ بنِ مكارم[7] بنِ الحسنِ

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل : « من فرسى عليط » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٢) فى مرآة الزمان : « بعشرة دارهم » .

(٣) فى مرآة الزمان : « مائة » .

(٤) مرآة الزمان ٦٧٨/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٣، ومرآة الجنان ٤/ ٦٩.

(٥) فى م : « تملك » .

(٦) فى م : « المعظمية » . والصبيبة : قلعة بين بانياس وتبنين وهونين . العبر ٥/ ١١٩.

(٧ - ٧) فى الأصل : « منصور بن مكارم » وفى م : « نصر الدين بن نصر » . والمثبت من مصادر ترجمته : معجم الأدباء ١٩/ ٨١، ومرآة الزمان ٦٩٦/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٥٧، =

ابنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ غالبِ الأنصاريُّ، المعروفُ بابنِ عُنَيْنٍ، قال ابنُ الساعى: أصلُه مِن الكوفةِ، ووُلِد بدمشقَ ونشَأ بها، وسافَر عنها سنين، فجاب الأقْطارَ والبلادَ شرقًا وغربًا، ودخَل الجَزيرةَ وبلادَ الرومِ والعراقَ وخُراسانَ وما وراءَ النهرِ والهندَ واليمنَ والحِجازَ ومصرَ وبغدادَ، ومدَح أكثرَ أهلِ هذه البلادِ، وحصَّل أمْوالًا جَزيلةً، وكان ظَريفًا شاعرًا مُطَبِّقًا مشهورًا، حسنَ الأخلاقِ، جَميلَ المُعاشَرةِ. وقد رجَع إلى بلدِه دمشقَ، فكان بها حتى مات فى هذه السنةِ، فى قولِ ابنِ الساعى. وأمَّا السِّبْطُ وغيرُه فإنهم أرَّخوا وفاتَه فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين، وقد قيل: إنه مات فى سنةِ إحدى وثلاثين. فاللَّهُ أعلمُ. والمَشهورُ أن أصلَه مِن حَوْرانَ من مدينةِ زُرْعَ، وكانت إقامتُه بدمشقَ فى الجَزيرةِ قِبلىَّ الجامعِ، وكان هَجَّاءً، له قُدرةٌ على ذلك، وصنَّف كتابًا سمَّاه «مِقْراضَ الأعْراضِ»، يشْتَمِلُ على نحوٍ مِن خمسِمائةِ بيتٍ، قلَّ مَن سلِم مِن الدَّماشِقةِ مِن شرِّه، ولا الملكُ صلاحُ الدينِ ولا أخوه العادلُ، وقد كان يُزَنُّ[1] بتركِ الصلواتِ المكتوبةِ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد نفاه الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ إلى الهندِ، فامْتَدَح ملوكَها، وحصَّل أموالًا جَزيلةً، وصار إلى اليمنِ، فيُقالُ: إنه وزَر لبعضِ ملوكِها، ثم عاد فى أيامِ العادلِ إلى دمشقَ، ولما ملَك المُعَظَّمُ استَوْزَره، فأساء السِّيرةَ، واسْتقال هو مِن تِلْقاءِ نفسِه فعزَله، وكان قد كتَب إلى الدَّماشِقةِ مِن بلادِ الهندِ[2]:

= ووفيات الأعيان ٥/ ١٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤١١، والوافى بالوفيات ٥/١٢٢ - ١٢٧.

(١) يزن: يُتَّهم. انظر القاموس المحيط (ز ن ن).

(٢) ديوان ابن عنين ص ٩٤.

فـعَـلامَ أبْـعَـدْتُمْ أخـا ثـقـةٍ لم يَـجْـتَـرِمْ[1] ذنبًا ولا سَرَقَا
انْـفُـوا المُؤَذِّنَ مِـن بـلادِكـمُ إن كان يُنفَى كلُّ مَن صَدَقا

ومما هجا به الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ، رحِمه اللَّهُ تعالى[2]:

سـلـطـانُـنـا أعْـرَجٌ وكـاتـبُـه ذو عَمَشٍ [١٠/٢٣ظ] والوزيرُ مُنحدِبُ[3]
والـدَّوْلَعيُّ الخطيبُ مُعْتَكِفٌ وهْو على قِشْرِ بيضةٍ يَثِبُ
ولابنِ باقا وعْظٌ يَغُرُّ[4] به النـ ـاسَ وعبدُ اللَّطيفِ مُحْتَسِبُ
وصاحبُ الأمرِ خُلْقُه شَرِسٌ وعـارِضُ الجيشِ داؤُه عَجَبُ

وقال فى الملكِ العادلِ سيفِ الدينِ، رحِمه اللَّهُ تعالى[5]:

إن سـلـطـانَـنـا الـذى نَـرْتَجِـيـه واسـعُ المالِ ضـيِّـقُ الإنْـفـاقِ
هو سيفٌ كما يقالُ ولكنْ قـاطـعٌ لـلـرُّسـومِ والأرْزاقِ

وقد حضَر مرةً مجلسَ الفخرِ الرازىِّ بخُراسانَ وهو على المنبرِ يَعِظُ الناسَ، فجاءت حَمامةٌ خلفَها جارحٌ، فألْقَت نفسَها على الفخرِ الرازىِّ كالمُسْتَجِيرةِ به، فأنْشَأ ابنُ عُنَيْنٍ يقولُ[6]:

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ والموتُ يَلْمَعُ مِن جَناحَىْ خاطفِ

---

(١) فى م: «يقترف».
(٢) الديوان ص ٢١٠، ٢١١. بتقديم وتأخير فى الأبيات.
(٣) فى م: «أحدب».
(٤) فى م: «يغش».
(٥) الديوان ص ٢٣٩ (الجزء المستدرك).
(٦) الديوان ص ٩٥.

قَرِمٌ[1] لواه الجوعُ حتى ظلُّه [2]بإزائِه يَجْرِى بقلبٍ واجِفِ[2]

مَن أعْلَم الوَرْقاءَ أن مَحَلَّكمْ حَرَمٌ وأنك مَلْجَأٌ للخائفِ

الشيخُ شِهابُ الدينِ السُّهْرَوَرْدىُّ[3] ، صاحبُ «**عَوارفِ المَعارِفِ**» ، **عمرُ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَمُّوَيْهِ**[4] ، واسمُه عبدُ اللَّهِ البَكْرىُّ البغدادىُّ ، شِهابُ الدينِ أبو حَفْصٍ السُّهْرَوَرْدىُّ ، شيخُ الصُّوفيةِ ببغدادَ ، وكان مِن كبارِ الصالحين وساداتِ المسلمين ، وتَرَدَّد فى الرَّسْليةِ بينَ الخُلفاءِ والملوكِ مِرارًا ، وحصَلَت له أموالٌ جَزيلةٌ ، ففرَّقها بينَ الفُقراءِ والمُحتاجِين ، وقد حجَّ مرةً وفى صُحْبتِه خلقٌ مِن الفقراءِ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ ، عز وجل ، وكانت فيه مُروءةٌ وإغاثةٌ للمَلْهوفين وإعانةٌ للمحتاجين ، وأمْرٌ بمعروفٍ ونَهْىٌ عن منكرٍ ، وكان يَعِظُ وعليه ثيابُ البِذْلةِ ، قال مرةً هذا البيتَ :

ما فى الصحابِ أخو وَجْدٍ نُطارِحُه [5]حديثَ نَجْدٍ ولا صَبٌّ نُجارِيه[5]

[6]وجعل يُكَرِّرُه ويَتواجَدُ[6] ، فقام[7] شابٌّ - [8]عليه قَباءٌ وكَلُّوتَةٌ - من[8]

---

(١) قرم : قَرِم اللحمَ ، وإليه : اشتدت شهوته إليه ، فهو قَرِم . الوسيط (ق ر م) .

(٢ - ٢) فى الأصل : «من سجنه يمشى بقلب خائف» . وفى م : «بإزائه بقلب واجف» . والمثبت من الديوان .

(٣) تاريخ إربل ١/ ١٩٢، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٠٩/١٩ ، ومرآة الزمان ٦٧٩/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢١، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٥٨، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٦٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٣٨، وطبقات الأولياء ص ٢٦٢.

وجاءت وفاته فى المصادر السابقة - عدا مرآة الزمان ونهاية الأرب - فى سنة ثنتين وثلاثين وستمائة .

(٤) فى الأصل : «عربه» ، وفى م : «حمويه» . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٥ - ٥) فى م : «إلا محب له فى الركب محبوب» .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى الأصل : «فبادات» . ولعله : «فباداه» ، أى كاشفه وجاهره .

(٨ - ٨) فى م : «وكان فى المجلس فأنشده» .

الحاضرين فقال : يا شيخُ ، كم تَشْطَحُ وتَنْتَقِصُ بالقومِ ، واللَّهِ إن فيهم من لا يَرْضَى أن يُجاريَك ، ولا يصلُ فَهْمُك إلى ما يقولُ ! هلا أنشدْتَ :

ما فى الصِّحابِ وقد سارت حُمُولُهمُ إلا مُحِبٌّ له فى الركبِ مَحْبُوبُ[1]

كأنما يُوسفٌ فى كلِّ راحِلَةٍ والحَىُّ فى كلِّ بَيْتٍ منه يَعْقُوبُ

فصاح الشيخُ ، ونزَل عن المنبر ، وقصَد الشابَّ ليعتذرَ إليه فَلم يَجدْه ، ووجَد مكانه حُفْرَةً فيها دمٌ كثيرٌ من كثرةِ ما كان يَفْحَصُ برجْلَيْه عند إنشادِ الشيخِ البيتَ .

وقد ذكَر ابنُ خَلِّكانَ أشياءَ كثيرةً مِن أناشيدِه ، وأثْنَى عليه خيرًا ، وأنه تُوُفِّى فى هذه السنةِ وله ثلاثٌ وتسعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ الأثيرِ مُصَنِّفُ « الغابةِ » و « الكاملِ » : هو الإمامُ العَلَّامةُ عِزُّ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ أبى الكرمِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الواحدِ الشَّيْبانىُّ الجَزَرىُّ المَوصلىُّ ، المعروفُ بابنِ الأثيرِ[2] ، مُصَنِّفُ كتابِ « الغابةِ فى أسماءِ الصَّحابةِ » ، وكتابِ « الكاملِ فى التاريخِ » وهو مِن أحْسنِها حَوادثَ ، ابْتَدأه مِن المُبْتَدَأِ إلى سنةِ ثمانٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وقد كان يَتَرَدَّدُ إلى بغدادَ ، وكان خَصِيصًا عندَ ملوكِ الموصلِ ، ووزَر لبعضِهم كما تقَدَّم بيانُه ، وأقام بها فى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٧٤، والذيل على الروضتين ص ١٦٢ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٣، ونهاية الأرب ٢٩/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٩٩، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٣٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٩٩.

وجاءت وفاته فى الذيل على الروضتين فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة : وسيترجم له المصنف كذلك فيها .

آخِرِ عمرِه مُوَقَّرًا مُعَظَّمًا إلى أن تُوُفِّى بها فى شعبانَ من هذه السنةِ ، عن خمسٍ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ . وأما أخوه مجْدُ الدينِ أبو السَّعاداتِ المُبارَكُ فهو مُصَنِّفُ كتابِ « جامعِ الأصولِ » وغيرِه ، وأخوهما الوزيرُ ضِياءُ الدينِ أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ كان وزيرًا للملكِ الأفضلِ علىِّ بنِ الناصرِ فاتحِ بيتِ المقدسِ ، صاحبِ دمشقَ كما تقدَّم . وجَزيرةُ ابنِ عمرَ قيل : إنها مَنْسوبةٌ إلى رجلٍ يقالُ له : عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ . مِن أهلِ بَرْقَعِيدَ[1] ، وقيل : بل هى مَنْسوبةٌ إلى ابنَىْ عمرَ ، وهما أوْسٌ وكاملٌ ابنا عمرَ بنِ أوسٍ الثَّعْلبىِّ ، فاللَّهُ أعلمُ . حرَّر ذلك القاضى [١٠/٢٤و] ابنُ خلكانَ رحِمه اللَّهُ .

ابنُ المُسْتَوْفِى الإرْبِلىُّ ، مباركُ بنُ أحمدَ بنِ مُبارَكِ بنِ مَوْهوبِ بنِ غَنيمةَ بنِ غالبٍ ، العلَّامَةُ شرفُ الدينِ أبو البَرَكاتِ اللَّخْمىُّ الإرْبِلىُّ[2] ، كان إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ ؛ كالحديثِ وأسماءِ الرجالِ والأدبِ والحسابِ ، وله مُصَنفاتٌ كثيرةٌ وفَضائلُ غَزيرةٌ ، وقد بسَط ترجمتَه القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ فى « الوَفَياتِ » ، فأجاد وأفاد ، رحِمهم اللَّهُ .

---

(١) برقعيد : بليدة فى طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين . معجم البلدان ١/ ٥٧١.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٢٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥١.

وجاءت وفاته فى المصادر السابقة فى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ولم يذكر فى سنة وفاته خلاف .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وثلاثين وستّمائةٍ

وفيها[1] عمَّر الأشرفُ مسجدَ جَرَّاحٍ ظاهرَ بابِ الصَّغيرِ.

وفيها قدِم رسولُ الأَنْبِرورِملكِ الفِرِنْجِ إلى الأشرفِ ومعه هَدايا؛ منها دُبٌّ أبيضُ، شعرُه مثلُ شعرِ الأسدِ، ذكَروا أنه يَنْزِلُ إلى البحرِ، فيُخْرِجُ السمكَ فيأْكُلُه، ومنها طاووسٌ أبيضُ أيضًا.

وفيها كمَلت عِمارةُ القَيْسارِيةِ التى هى قِبلىَّ النَّحَّاسِين، وحُوِّل إليها سوقُ الصاغةِ، وشغَر سوقُ اللُّؤْلؤِ الذى كان فيه الصاغةُ العَتيقةُ عندَ الحَدَّادِين.

وفيها جُدِّدَت الدَّكاكِينُ التى بالزيادةِ.

قلتُ: وقد جُدِّدَت شرقىَّ هذه الصاغةِ الجديدةِ قَيْسارِيَّتان فى زمانِنا، وسكَنها الصُّوّاغُ وتُجّارُ الذهبِ والجوهرِ، وهما حسَنتان، والجميعُ وقْفُ الجامعِ المعمورِ.

وفيها كمَل بِناءُ المدرسةِ المُسْتَنْصِريةِ ببغدادَ، ولم تُبْنَ مدرسةٌ قبلَها مثلُها، ووُقِفَت على المَذاهبِ الأربعةِ؛ مِن كلِّ طائفةٍ اثنان وستُّون فقيهًا، وأربعةُ مُعِيدِين، ومدرسٌ لكلِّ مَذْهبٍ، وشيخُ حديثٍ، وقارئان، وعشَرةُ مُسْتَمِعِين،

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٨٤ - ٦٩٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ١٦٢، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٨ - ٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٥ - ٩.

وشيخُ طبٍّ ، وعشَرةٌ مِن المسلمين يَشْتَغِلون بعلمِ الطبِّ ، ومكتبٌ للأيتامِ ، وقُرِّر للجميعِ مِن الخبزِ واللحمِ والحَلْوَى والنَّفقةِ ما فيه كِفايةٌ وافرةٌ لكلِّ واحدٍ . ولما كان يومُ الخميسِ خامسُ رجبٍ حُضِرت الدروسُ بها ، وحضَر الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ بنفسِه الكريمةِ وأهلِ دولتِه مِن الأمراءِ والوُزراءِ والقُضاةِ والفُقهاءِ والصوفيةِ والشعراءِ ، ولم يَتَخَلَّفْ أحدٌ مِن هؤلاء ، وعُمِل سِماطٌ عظيمٌ بها ، أكَل منه الحاضِرون ، وحُمِل منه إلى سائرِ دُروبِ بغدادَ مِن بُيوتاتِ الخَواصِّ والعَوامِّ ، وخُلِع على جميعِ المُدَرِّسين بها والحاضِرين فيها ، وعلى جميعِ الدولةِ والفُقهاءِ بها والمعيدِين[1] ، وكان يومًا مشهودًا ، وأمرًا محمودًا ، وأنْشَدَت الشُّعراءُ الخليفةَ المَدائحَ الفائقةَ والقَصائدَ الرائقةَ ، وقد ذكَر ذلك ابنُ الساعى فى « تاريخِه » مُطَوَّلًا مَبْسوطًا شافيًا كافيًا وافيًا ، وقُرِّر لتَدْريسِ الشافعيةِ بها الشيخُ الإمامُ العلامةُ محيى الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ فضلانَ ، وللحنفيةِ الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ رَشيدُ الدينِ أبو حَفْصٍ عمرُ[2] بنُ محمدٍ الفَرْغانىُّ ، وللحَنابلةِ الشيخُ الإمامُ العلامةُ الرئيسُ مُحْيى الدينِ يوسفُ بنُ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ ، ودرَّس عنه يومَئذٍ ابنُه عبدُ الرحمنِ نيابةً لغَيْبتِه فى بعضِ الرسالاتِ إلى الملوكِ ، ودرَّس للمالكيةِ يومَئذٍ الشيخُ الصالحُ العالمُ أبو الحسن المَغْرِبىُّ المالكىُّ نِيابةً أيضًا حتى يُعَيَّنَ شيخٌ غيرُه ، ووُقِفَت فيها خِزانةُ كتبٍ لم يُسْمَعْ بمثلِها فى كثرتِها وحسنِ نُسخِها وجودةِ الكتبِ المَوْقوفةِ بها . وكان المُتَوَلِّىَ لعمارةِ هذه المدرسةِ مُؤَيِّدُ الدينِ أبو طالبٍ محمدُ بنُ العَلْقمىِّ الذى وزَر بعدَ ذلك ، وقد كان إذ ذاك أُستاذَ دارِ الخلافةِ ،

---

(١) فى الأصل : « المعتبرين » .

(٢) فى الأصل : « عز الدين » . وانظر ترجمته فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٦، والجواهر المضية ٢/ ٦٦٢.

وخُلِع عليه يومَئذٍ وعلى الوزيرِ نَصِيرِ الدينِ خلعةً . ثم عُزِل مدرسُ الشافعيةِ فى رابعَ عشَرَ ذى القَعْدةِ بقاضى القُضاةِ أبى المعالى عبدِ الرحمنِ بنِ مُقْبِلٍ ، مُضافًا إلى ما بيدِه مِن القَضاءِ ، وذلك بعدَ وفاةِ مُحْيى الدينِ بنِ فَضْلانَ [١٠/٢٤ظ] ، وقد ولِى القَضاءَ مدةً ، ودرَّس بالنِّظاميةِ وغيرِها ، ثم عُزِل ، ثم رُضِى عنه ، ثم درَّس بالمُسْتَنْصِريةِ كما ذكَرْنا ، فلما تُوُفِّى ولِيها بعدَه ابنُ مُقْبِلٍ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

السيفُ الآمِدىُّ أبو الحسنِ علىُّ بنُ أبى علىٍّ بنِ محمدِ بنِ سالمٍ التَّغْلِبىُّ[1] ، الشيخُ سيفُ الدينِ الآمِدىُّ ، ثم الحَمَوىُّ ، ثم الدِّمشقىُّ ، صاحبُ المُصَنَّفاتِ فى الأصْلَيْن وغيرِ ذلك ، مِن ذلك « أبْكارُ الأفكارِ » فى الكلامِ ، و « دَقائقُ الحَقائقِ » فى الحِكْمةِ ، و « إحكامُ الأحكامِ » فى أصولِ الفقهِ ، وكان حَنْبلىَّ المذهبِ ، فصار شافعيًّا أُصوليًّا مَنْطِقيًّا جَدَليًّا خِلافيًّا ، وكان حسنَ الأخلاقِ ، سَليمَ الصدرِ ، كثيرَ البُكاءِ ، رَقيقَ القلبِ ، وقد تكَلَّموا فيه بأشْياءَ ، اللَّهُ تعالى أعلمُ بصحتِها ، والذى يَغْلِبُ على الظَّنِّ أنه ليس لغالبِها صحةٌ ، وقد كانت ملوكُ بنى أيوبَ كالمُعَظَّمِ والكاملِ يُكْرِمونه ، وإن كانوا لا يُحِبُّونه كثيرًا ، وقد فوَّض إليه الملكُ المُعَظَّمُ تَدْريسَ العَزيزيةِ ، فلما ولِى الأشْرَفُ دمشقَ عزَله عنها ، ونادَى فى المَدارسِ أن لا يَشْتَغِلَ أحدٌ بغيرِ التَّفْسيرِ والحديثِ والفقهِ ، ومَن اشْتَغَل بعلومِ الأوائلِ نفَيْتُه ، فأقام الشيخُ سيفُ الدينِ بمنزلِه إلى أن تُوُفِّى بدمشقَ فى صفرٍ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٩١ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٩٠، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٥٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤، ودول الإسلام ٢/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٦.

من هذه السنةِ ، ودُفِن بتربتِه بسَفْحِ قاسِيونَ .

وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[1] أنه اشْتَغل ببغدادَ على الشيخِ أبى الفتحِ نصرِ بنِ فِتْيانَ بنِ المَنِّىِّ الحنبلىِّ ، ثم انْتَقَل إلى مذهبِ الشافعىِّ ، فأخَذ عن ابنِ فَضْلانَ وغيرِه ، وحفِظ طريقةَ الشريفِ فى الخلافِ وزَوائدَ طريقةِ أسْعَدَ الميهَنىِّ ، ثم انْتَقَل إلى الشامِ[2] ، [3]واشْتَغل بعلومِ المعقولِ[3] ، ثم إلى الديارِ المصريةِ ، فأعاد بمدرسةِ الشافعيةِ بالقَرَافةِ الصغرى ، وتصَدَّر بالجامعِ الظافرىِّ ، واشْتَهَر فضلُه ، وانْتَشَرَت فَضائلُه ، فحسَده أقْوامٌ ، فسعَوْا به ، وكتَبوا خُطوطَهم باتِّهامِه بمذهبِ الأوائلِ والتَّعْطيلِ والانْحِلالِ ، فطلَبوا مِن بعضِهم أن يُوافِقَهم ، فكتَب[4] :

حسَدوا الفتى إذ لم يَنالوا سعْيَهُ ... فالقومُ[5] أعْداءٌ له وخُصومُ

وانْتَقل الشيخُ سيفُ الدينِ إلى حَماةَ ، ثم تحَوَّل إلى دمشقَ ، فدرَّس بالعَزيزيةِ ، ثم عُزِل عنها ، ولزِم بيتَه إلى أن مات فى هذه السنةِ ، وله ثمانون عامًا ، رَحِمه اللَّهُ تعالى ، وعفا عنه .

واقفُ الرُّكْنيةِ الحنفيةِ الأميرُ الكبيرُ رُكْنُ الدينِ مَنْكُورِس الحنفىُّ الفَلَكىُّ[6] ، غلامُ فَلَكِ الدينِ أخى الملكِ العادلِ ؛ لأنه واقفُ الفَلَكيةِ ، كما تقَدَّم ، وكان هذا الرجلُ مِن خِيارِ الأمراءِ ، يَنْزِلُ فى كلِّ ليلةٍ وقتَ السَّحَرِ إلى

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣.

(٢) فى الأصل : « دمشق » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) أى من طلبوا منه أن يوافقهم هو الذى كتب .

(٥) فى الأصل : « والناس » .

(٦) مرآة الزمان ٨/ ٦٩١ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٨٧.

الجامعِ وحدَه بطَوَّافةٍ ، ويُواظِبُ على حضورِ الصَّلَواتِ فيه مع الجماعةِ ، وكان قليلَ الكلامِ ، كثيرَ الصَّدَقاتِ ، وقد بنَى المدرسةَ الرُّكْنيةَ بسفحِ قاسِيونَ ، ووقَف عليها أوقافًا كثيرةً ، وعمِل عندَها تُرْبةً ، وحينَ تُوُفِّى بقريةِ جَرُودَ[1] حُمِل إليها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الإمامُ العالمُ رَضىُّ الدِّينِ أبو داودَ[2] سليمانُ بنُ المُظَفَّرِ بنِ غَنائمَ الجِيلىُّ الشافعىُّ ، أحدُ فُقهاءِ الشافعيةِ ببغدادَ والمفتين فيها والمشتغلينَ للطلبةِ مدةً طويلةً ، له كتابٌ فى المذهبِ نحوٌ مِن خمسةَ عشَرَ مجلدًا ، يَحْكى فيه الوجوهَ الغريبةَ والأقوالَ المُسْتَغْرَبةَ ، وكان لطيفًا ظريفًا ، تُوُفِّى رحِمه اللَّهُ يومَ الأربعاءِ ثالثَ ربيعٍ الأولِ مِن هذه السنةِ ببغدادَ .

[3]**والحافظُ أبو الحسنِ بنُ الأثيرِ** الشَّيخُ [١٠/٢٥و] عزُّ الدِّينِ أبو الحسنِ علىُّ ابنُ محمدِ بنِ [4]محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ[4] ، الجَزَرىُّ الموصلىُّ ، صاحبُ التصانيفِ الفائقةِ منها كتابُ « الكاملِ فى التاريخِ » من أحسنِ الكتبِ فى هذا الفنِّ وأبسطِها فى الحوادثِ ، وأمَّا وفياتُه فليست مبسوطةً بسطَ حوادثِه ، وبالجملةِ فهو من عيونِ التواريخِ وأمتعِها ، وله من المصنفاتِ المشهورةِ[3] .

الشيخُ طَىٌّ المصرىُّ[5] ، أقام مدةً بالشامِ فى زاويةٍ له بدمشقَ

---

(١) فى م : « حدود » . وجرود من إقليم مَعْلُولا من أعمال غوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٦٥.

(٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٢٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ١٤٨.

(٣ - ٣) سقط من : م ، وتقدمت ترجمته فى وفيات السنة الفائتة .

(٤ - ٤) فى الأصل : « عبد الرحيم » . والمثبت مما تقدم من ترجمته .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٨٦ (القسم الثانى) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥.

[1]عندَ الرحْبةِ التى يُباعُ فيها الصَّناديقُ عندَ دارِ بنى القَلانِسىِّ ، شرقىَّ حمامِ سامةَ[1] ، وكان ظريفًا كَيِّسًا زاهدًا ، يَتَرَدَّدُ إليه الأكابرُ ، ودُفِن بزاويتِه المذكورةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ عبدُ اللَّهِ الأَرْمَنِىُّ[2] ، أحدُ العُبَّادِ الزُّهَّاد الذين جابوا البلاد ، وسكَنوا البَرارىَّ والجبالَ والوِهاد ، واجْتَمَعوا بالأقْطابِ والأبْدالِ والأوْتاد ، وممَّن كانت له الأحْوالُ والمُكاشَفات ، والمُجاهَدات والسِّياحات ، فى سائرِ النَّواحى والجِهات ، وقد قرَأ القرآنَ فى بدايتِهِ ، وحفِظ « القُدُورىَّ » على مذهبِ أبى حَنيفةَ ، ثم اشْتَغل بالمُعامَلاتِ والرِّياضاتِ ، ثم أقام فى آخرِ عمرِه بدمشقَ حتى مات بها ، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيونَ .

وقد حُكِى عنه أشياءُ حسنةٌ ، منها أنه قال[3] : اجْتَزْتُ مرةً فى السِّياحةِ ببلدةٍ ، فطالَبَتنى نفسى بدخولِها ، فآلَيْتُ أن لا أَسْتَطْعِمَ منها بطعامٍ ، ودخَلْتُها فمرَرْتُ برجلٍ غَسَّالٍ ،فنظَر إلىَّ شزْرًا ، فخِفْتُ منه ، وخرَجْتُ مِن البلدِ هاربًا ، فلحِقنى ومعه طعامٌ فقال : كُلْ فقد خرَجْتَ مِن البلدِ . فقلتُ له : وأنت فى هذا المَقامِ وتَغْسِلُ الثِّيابَ فى الأسْواقِ ؟! فقال : لا تَرْفَعْ رأسَك ، ولا تَنْظُرْ إلى شىءٍ مِن عملِك ، وكُنْ عبدًا للَّهِ ، ولو اسْتَعْمَلك فى الحُشِّ[4] فارْضَ به . ثم قال :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « الأرموى » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٨٦/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١١٢ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٦٧/٢٢ بدون ترجمة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٠ ، والعبر ٥/ ١٢٥ ، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٩٥ ، ومرآة الجنان ٤/ ٧٥ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥ . ووقع فى السير والعبر : « الأرموى » ، وفى مرآة الجنان : « الأرمونى » .

(٣) مرآة الزمان ٦٨٨/٨ (القسم الثانى) .

(٤) فى الأصل : « الحيش » ، وفى مرآة الزمان : « الخشن » . والحش : الكنيف . الوسيط (ح ش ش) .

ولو قلتَ[1] لى مُتْ قلتُ سَمْعًا وطاعةً وقلتُ لداعى الموتِ أهلًا ومَرْحَبا

وقال[2] : اجْتَزْتُ مرةً فى سِياحتى براهبٍ فى صَوْمَعةٍ فقال لى : يا مسلمُ ، ما أقْرَبُ الطرقِ عندَكم إلى اللَّهِ عز وجل ؟ قلتُ : مُخالفةُ النفسِ . قال : فردَّ رأسَه إلى صَوْمعتِه ، فلما كنتُ بمكةَ زمنَ الحجِّ إذا رجلٌ يُسَلِّمُ علىَّ عندَ الكعبةِ ، فقلتُ : مَن أنت ؟ فقال : أنا الراهبُ . قلتُ : بمَ وصَلْتَ إلى هـٰهنا ؟ قال : بالذى قلتَ لى . وفى روايةٍ أنه قال له : عرَضْتُ الإسلامَ على نفسى فأبَتْ . فعلِمْتُ أنَّه حقٌّ ، فأسْلَمْتُ وخالَفْتُها . فأفْلَح وأنْجَح .

قال[3] : وبينا أنا ذاتَ ليلةٍ بجبلِ لُبْنانَ إذا حراميةُ[4] الفِرِنْجِ ، فأخَذونى فقيَّدونى وشدُّوا وَثاقى ، فكنتُ عندَهم تلك الليلةَ فى أضيقِ حالٍ ، فلما كان النهارُ شرِبوا وناموا ، فبينا أنا مَوثوقٌ إذا حراميةُ[4] المسلمين قد أقْبَلوا نحوَهم ، فأنْبَهتُهم فلجَئوا إلى مَغارةٍ هنالك ، فسلِموا مِن أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فعَلْتَ هذا وقد كان خَلاصُك على أيديهم ؟ فقلتُ : إنكم أطْعَمْتُمونى ، فكان مِن حقِّ الصُّحْبةِ أن لا أغُشَّكم . فعرَضوا علىَّ شيئًا مِن مَتاعِ الدنيا ، فأبَيْتُ وأطْلَقونى .

وحكَى السِّبْطُ قال[5] : زُرْتُه مرةً وهو ببيتِ المقدسِ ، وكنتُ قد أكَلْتُ سمكًا مالحًا ، فلما جلَسْتُ عندَه أخَذَنى عطَشٌ شديدٌ ، وإلى جانبِه إبْرِيقٌ فيه ماءٌ

---

(١) فى «م» «قيل» .
(٢) مرآة الزمان ٨/ ٦٨٩، ٦٩٠ (القسم الثانى) .
(٣) المصدر السابق ٨/ ٦٨٨، ٦٨٩ .
(٤) فى الأصل : «حراسة» .
(٥) المصدر السابق ٨/٦٨٩ .

باردٌ ، فجعَلْتُ أَسْتَحْيى منه ، فمد يدَه إلى الإبرِيقِ وقد احْمَرَّ وجهُه ، وناوَلَنى وقال : خُذْ ، كم تُكاسِرُ[1] . فشرِبْتُ .

وذكَر[2] أنه لما ارْتَحَل مِن بيتِ المقدسِ كان سورُها بعدُ قائمًا حديدًا[3] على عِمارةِ الملكِ صلاحِ الدينِ قبلَ أن يُخَرِّبَه المُعَظَّمُ ، فوقَف لأصْحابِه يُوَدِّعُهم ، ونظَر إلى السورِ وقال : كأنى بالمَعاولِ وهى تَعْمَلُ فى هذا السورِ عما قريبٍ . فقيل له : مَعاوِلُ المسلمين أو الفِرِنْجِ ؟ فقال : بل مَعاوِلُ المسلمين . وكان [١٠/٢٥ظ] كما قال .

وقد ذُكِرَت له أحْوالٌ كثيرةٌ حسنةٌ ، ويقالُ : إن أصلَه أرْمَنىٌّ ، وإنه أسْلَم على يدى الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ . وقيل : بل أصلُه رُومىٌّ مِن قُونِيَةَ ، وإنه قدِم على الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ ، وعليه بُرْنُسٌ كبَرانسِ الرُّهْبانِ ، فقال له : أسْلِمْ[4] . فقال : أسْلَمْتُ لربِّ العالمين . وكانت أمُّه دايَةَ امرأةِ الخليفةِ ، وقد جرَت له كائنةٌ غريبةٌ ، فسلَّمه اللَّهُ بسببِ ذلك ، وعرَفه الخليفةُ فأطْلَقه .

---

(١) يقال : كسَر من برد الماء وحره : فتَر . وكل من عجز عن شىء فقد انكسر عنه ، وكل شىء فتر عن أمر يعجز عنه يقال فيه : انكسر . انظر اللسان (ك س ر) .

(٢) مرآة الزمان ٦٨٩/٨ (القسم الثانى) .

(٣) فى (م) : « جديدًا » .

(٤) فى م : « أسلمت » .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] خرَّب الملكُ الأشْرَفُ موسى بنُ العادلِ، خانَ الزِّنْجاريِّ الذى كان بالعُقَيْبةِ، فيه خَواطئُ وخُمورٌ ومُنْكَراتٌ متعددةٌ، فهدَمه وأمَر بعِمارةِ جامعٍ مكانَه سُمِّى جامعَ التَّوْبةِ، تقَبَّل اللَّهُ تعالى منه.

وفيها تُوُفِّى القاضى بَهاءُ الدينِ يوسُفُ بنُ رافعِ بنِ تَميمِ بنِ شَدَّادٍ الحَلَبىُّ[2]، أحدُ رؤسائِها مِن بيتِ العلمِ والسِّيادةِ، له علمٌ بالتَّواريخِ وأيامِ الناسِ وغيرِ ذلك، وقد سمِع الكثيرَ وحدَّث.

والشيخُ شِهابُ الدينِ عبدُ السلامِ بنُ المُطَهَّرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَصْرونَ الحَلَبىُّ[3] أيضًا، كان فَقيهًا زاهدًا عابدًا، وكانت له نحوٌ مِن عشرين سُرِّيَّةً، وكان شيخًا يُكْثِرُ مِن الجِماعِ، فاعْتَرَتْه أمراضٌ مختلفةٌ فأتْلَفَته، ومات بدمشقَ، ودُفِن بقاسِيونَ، وهو والدُ قُطْبِ الدينِ وتاجِ الدينِ.

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٦٩٣، ٦٩٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، ١٦٣، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٠٧ - ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠ - ١٢.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٧/ ٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٠.

(٣) مرآة الزمان ٨/ ٦٩٢ (القسم الثانى)، فى وفيات سنة إحدى وثلاثين وستمائة، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٢٥، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٣، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٣٦.

والشيخُ الإمامُ العالمُ صائنُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ الجيلىُّ الشافعىُّ[1] ، أحدُ الفُقهاءِ المُفْتِين المُشْتَغِلين بالمدرسةِ النِّظاميةِ ببغدادَ ، وله شرحٌ على « التَّنْبيهِ » للشيخِ أبى إسحاقَ ، تُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

والشيخُ الإمامُ العالمُ الخطيبُ الأديبُ ، أبو محمدٍ حَمْدُ بنُ حُمَيدِ بنِ محمودِ بنِ حُمَيْدِ بنِ أبى الحسنِ بنِ أبى الفرجِ بنِ مِفْتاحٍ التَّميمىُّ الدُّنَيْسِرىُّ[2] ، الخطيبُ بها والمُفْتى لأهلِها ، الفَقيهُ الشافعىُّ ، تفَقَّه ببغدادَ بالنِّظاميةِ ، ثم عاد إلى بلدِه المشارِ إليها ، وقد صنَّف كتبًا . وأنْشَد عنه ابنُ الساعى [3]سماعًا منه[3] :

روَت لى أحاديثَ الغَرامِ صَبابَتى ... بإسنادِها عن بانةِ العلَمِ الفَرْدِ
وحدَّثَنى مَرُّ النَّسيمِ عن الحِمَى ... عن الدَّوْحِ عن وادى الغَضَا عن رُبَى نجدِ
بأن غرامى والأَسى قد تلازَما ... فلنْ يَبْرَحا حتى أُوَسَّدَ فى لَحْدِى

وقد أرَّخ الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ »[4] وفاةَ الشِّهابِ السُّهْرَوَرْدىِّ صاحبِ « عَوارِفِ المَعارِفِ » فى هذه السنةِ ، وذكَر أن مولدَه فى سنةِ تسعٍ وثلاثين وخمسِمائةٍ ، وأنه جاوَز التِّسْعين . وأما السِّبْطُ فإنه أرَّخ وفاتَه فى سنةِ ثلاثين كما تقَدَّم .

قاضى القُضاةِ بحَلَبَ أبو المَحاسِنِ يوسُفُ بنُ رافعِ بنِ تَميمِ بنِ عُتْبةَ بنِ محمدٍ الأَسَدىُّ الموصلىُّ الشافعىُّ[5] ، كان رجلًا فاضلًا أديبًا مُقْرِئًا ، ذا وَجاهةٍ

---

(١) الوافى بالوفيات ١٨/ ٥٢٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٥٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٣٧٣، ولسان الميزان ٤/ ٣٤.
(٢) الوافى بالوفيات ١٣/ ١٥٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٤٦.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٦٣.
(٥) تقدمت ترجمته فى هذه السنة ، وهو تكرار.

عندَ الملوكِ ، أقام بحَلَبَ ، وولِى القَضاءَ [1]ونظَر الأوقافَ[1] بها ، وله تَصانيفُ وشعرٌ ، تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ابنُ الفارِضِ[2] ناظِمُ التائيةِ فى السُّلوكِ على طريقةِ المُتَصَوِّفةِ المَنْسُوبين إلى الاتِّحادِ[3] ، هو أبو حفصٍ عمرُ بنُ أبى الحسنِ علىِّ بنِ المُرْشِدِ بنِ علىٍّ ، الحَمَوىُّ الأصْلِ ، المِصْرىُّ المولدِ والدارِ والوَفاةِ ، كان أبوه يَكْتُبُ فروضَ النساءِ والرجالِ ، وقد تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ مِن مشايخِنا بسببِ قصيدتِه المشارِ إليها ، وقد ذكَره شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ فى « مِيزانِه »[4] وحطَّ عليه . مات فى هذه السنةِ وقد قارَب السِّتِّين[5] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٣٥، وتكملة إكمال الإكمال ص ٢٧٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢١٠.

(٣) فى الأصل : « الإلحاد » . و « الاتحاد » هو ما يعرف فى عصرنا بوحدة الوجود . نعوذ باللَّه من الضلال !

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤.

(٥) فى الأصل : « التسعين » . وفى م : « السبعين . والمثبت موافق لما فى مصادر الترجمة ؛ حيث ذكرت أنه توفى وله ست وخمسون عامًا .

[1]ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[2] قطَع الكاملُ وأخوه الأشْرَفُ الفُراتَ، وأصْلَحا ما كان أفْسَده جيشُ الرومِ مِن بلادِهما، وخرَّب الكاملُ قلعةَ الرُّهَا، وأحَلَّ بدُنَيْسِرَ بأسًا شديدًا، وجاء كتابُ بدرِ الدينِ صاحبِ الموصلِ بأن التتارَ[3] أقْبَلوا بمائةِ طُلْبٍ، كلُّ طُلْبٍ بخمسِمائةِ فارسٍ، فرجَع الملِكان إلى دمشقَ سريعًا، وعاد جيشُ الرومِ إلى بلادِهما بالجَزيرةِ، وأعادوا الحِصارَ كما كان، ورجَعَت التَّتارُ عامَهم ذلك إلى بلادِهم. واللَّهُ تعالى أعلمُ[1].

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمَشاهيرِ:

ابنُ عُنَيْنٍ الشاعرُ، وقد تقَدَّمَت ترجمتُه فى سنةِ ثلاثين.

ابنُ دِحيةَ، أبو الخَطَّابِ عمرُ بنُ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ [١٠/٢٦و] **فَرْحٍ**[4]

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) مرآة الزمان ٨/٦٩٥ - ٦٩٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ١٦٤، ونهاية الأرب ٢٩/٢١١ - ٢١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣ - ١٦.

(٣) فى م: «الروم». والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام.

(٤) فى م: «فرج». انظر تبصير المنتبه ٣/١٠٧٢. وانظر ترجمته فى المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/٢٠٥، ومرآة الزمان ٨/٦٩٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٥٧، وميزان الاعتدال ٣/١٨٦، والوافى بالوفيات ٢٢/٤٥١.

ابنِ خلفِ بنِ قُومِسَ بنِ مَزْلالِ بنِ مَلَّالٍ[1] بنِ بدرِ بنِ أحمدَ بنِ دِحْيةَ بنِ خَليفةَ الكَلْبيُّ [2]المَغْرِبيُّ السَّبْتِيُّ[2]، كان قاضِيَها ثمَّ صار إلى مِصْرَ، الحافظُ شيخُ الديارِ المصريةِ فى الحديثِ، وهو أولُ مَن باشَر مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الكامليةِ بها. قال السِّبْطُ[3]: وقد كان كابنِ عُنَيْنٍ فى ثَلْبِ المسلمين والوَقيعةِ فيهم، ويَتَزَيَّدُ فى كلامِه، فترَك الناسُ الرِّوايةَ عنه وكذَّبوه، وقد كان الكاملُ مُقْبِلًا عليه، فلما انْكَشَف له حالُه أخَذ منه دارَ الحديثِ وأهانه، وتُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ بالقاهرةِ، ودُفِن بقَرافةِ مصرَ.

وقد قال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ: وللشيخِ السَّخاوىِّ فيه أبْياتٌ حَسنةٌ.

وقال القاضى ابنُ خَلِّكانَ[4] بعدَ سِياقِ نسبِه كما تقدَّم، وذكَر أنه كتَبه مِن خطِّه، قال: وذكَر أن أمَّه أمَةُ الرحمنِ بنتُ أبى عبدِ اللَّهِ بنِ أبى البَسَّامِ موسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ جعفرِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، فلهذا كان يَكْتُبُ بخطِّه: ذو النَّسَبَيْن، بينَ دِحْيةَ والحسينِ، رضِى اللَّهُ عنهما.

قال ابنُ خَلِّكانَ[4]: وكان مِن أعْيانِ العلماءِ ومَشاهيرِ الفُضلاءِ، مُتْقِنًا لعلمِ الحديثِ وما يَتَعَلَّقُ به، عارفًا بالنحوِ واللغةِ وأيامِ العربِ وأشعارِها، اشْتَغل ببلادِ المغربِ، ثم رحَل إلى الشامِ، ثم إلى العراقِ، واجْتاز بإرْبِلَ سنةَ أربعٍ وستِّمائةٍ،

---

(١) فى الأصل، م: «بلال». وانظر مصادر ترجمته السابقة.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) مرآة الزمان ٨/٦٩٨ (القسم الثانى).
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٩.

فوجَد ملِكَها المُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدينِ بنَ زَيْنِ الدينِ يَعْتَنى بالمولدِ النَّبوىِّ ، فعمِل له كتابَ « التَّنْويرِ فى مولدِ السِّراجِ المُنيرِ » وقرَأه عليه بنفسِه ، فأجازه بألفِ دينارٍ . قال : وقد سمِعْناه على الملكِ المُعَظَّمِ فى ستةِ مَجالسَ فى سنةِ خَمْسٍ[1] وعشرين وستِّمائةٍ .

قلتُ : وقد وقَفْتُ على هذا الكتابِ ، وكتَبْتُ منه أشياءَ حسَنةً مُفيدةً .

قال ابنُ خَلِّكانَ[2] : وكان مولدُه فى سنةِ أربعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ . وقيل : ستٍّ أو سبعٍ[3] وأربعين وخمسِمائةٍ . وتُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وكان أخوه أبو عمرٍو عثمانُ قد باشَر بعدَه دارَ الحديثِ الكاملية بمصرَ ، وتُوُفِّى بعدَه بسنةٍ .

قلتُ : وقد تكَلَّم الناسُ فيه بأنواعٍ مِن الكلامِ ، ونسَبه بعضُهم إلى وَضْعِ حديثٍ فى قَصْرِ صلاةِ المغربِ ، وكنتُ أَوَدُّ أن أَقِفَ على إسنادِه لنَعْلَمَ كيف رجالُه ، وقد أجْمَع العلماءُ - كما ذكَره ابنُ المُنْذِرِ[4] وغيرُه - على أن المغربَ لا يُقْصَرُ .

[5]وقد وقفتُ على جزءٍ جمَعه المحدِّثُ المُتْقِنُ المُفيدُ أبو صادقٍ محمدُ بنُ الحافظِ أبى الحسينِ يحيى بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ القُرَشِىُّ العُطارِدِىُّ فى ترجمةِ شيخِه أبى الخطَّابِ بنِ دِحْيَةَ هذا ، جمَع فيه أقوالَ الناسِ فى ثَلْبِه والكلامِ فى مَرْباه ومَنْشَئِه واشتِغالِه وطَلَبِه ، وذكر بعضُهم أنه ولِى القضاءَ بسبتةَ ، فاللَّهُ أعلمُ ،[5]

---

(١) فى م : « ست » .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٠.
(٣) فى م : « تسع » . والذى فى المصادر : « ثمان » .
(٤) الإجماع ص ٩.
(٥ - ٥) سقط من : م .

(١) وذكَر طعْنَ الناسِ فى ادِّعائِه نسبَه إلى دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ ، وأنه انقطَع نَسْلُه مِن بعدِ ثلاثِمائةٍ ، وأَنشَد لابنِ عُنَيْنٍ فيه - قائلِ البيتين الشهيرَيْنِ وهما - قولُه(٢) :

دِحْيَةُ لم يُعْقِبْ فكم تَفْتَرى(٣) إليه بالبُهتانِ والإفكِ
ما صحَّ عندَ الناسِ شىءٌ سوى أنَّك مِن كلبٍ بلا شكٍّ

وإن مِن أقبحِ ما رأيتُه فى هذا الجزءِ ما ذكَره عن شيخِه الحافظُ المؤَرِّخُ ابنُ النَّجارِ(٤) ، عن الحافظِ علىِّ بنِ المُفضَّلِ أنه قال : اجتمعتُ أنا وابنُ دِحْيَةَ فى مجلسِ السلطانِ ، فسألنى السلطانُ عن حديثٍ فأجَبْتُه فيه ، فقال لى : مَن رواه ؟ فلم يَحْضُرْنى إسنادُه (٥) فانفَصَلنا ، فاجتَمع بى ابنُ دِحْيَةَ وقال لى : يافقيهُ ، لَمَّا سألَك السلطانُ عن إسنادِ ذاك الحديثِ ، لم لم تذكرْ له أىَّ إسنادٍ شئتَ ؟ فإنه ومَن حضَر مجلسَه لا يعلمون(٥) هل هو صحيحٌ أم لا فعظمتَ فى أعينِهم . فعلمتُ أنه يَتَهاونُ بأمورِ الدِّينِ ، جَرِئٌ على الكَذِبِ .

ثم قال : وحدَّثنى الفقيهُ تقىُّ الدينِ عبيدُ بنُ محمدِ بنِ [١٠/٢٦ظ] عباسٍ الإسْعِرْدِىُّ ، عن شيخِنا الفقيهِ الإمامِ العالمِ أوحدِ الأنامِ مُفْتى المسلمين بهاءِ الدينِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ سلامةَ بنِ المُسَلَّمِ اللَّخْمِىِّ ، يعنى ابنَ الجُمَّيْزِىِّ ، أنه قال : كان السلطانُ المَلِكُ الكاملُ قد خرَج إلى الشامِ ، فخرَج أبو الخطّابِ عمرُ ابنُ دِحْيَةَ معه ، وولدُ الشيخِ مُعينِ الدينِ بنِ شيخِ الشيوخِ ، فحَضَرَت صلاةُ(١)

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) ديوان ابن عنين ص ٢٢٠.
(٣) فى الديوان : « تنتمى » .
(٤) المستفاد من تاريخ بغداد ١٩/ ٢٠٨.
(٥ - ٥) فى الأصل : « فلما لم يدرون » . والمثبت من المستفاد .

[1] المغربِ ، فقدَّم السلطانُ ابنَ دِحْيَةَ فصَلّى بهم المغربَ ، فلمّا أن فرَغ مِن الصلاةِ ، قال ابنُ شيخِ الشيوخِ : ما أعلمُ أحدًا مِن الأَئِمَّةِ يُجَوِّزُ قَصْرَ صلاةِ المغربِ فى السَّفَرِ . فقال ابنُ دِحْيَةَ : كيف لا وقد أخبَرَنا فلانٌ عن فلانٍ . وسرَد إسنادَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قصَر المغربَ فى السفرِ . فلم يُجِبِ ابنُ شيخِ الشيوخِ ومكَث على حالِه .

قلتُ : هذا وضعٌ فاحشٌ مخالِفٌ لما أجمَع عليه العلماءُ ، كما ذكره ابنُ المنذرِ وغيرُه ، ومثلُ هذا الإسنادِ لا يُحْفَظُ ؛ لأنَّ سامِعَه لم يَضْبِطْه ، وواضِعُه لا يَقْدِرُ على إعادَتِه ثانيًا ، واللَّهُ أعلمُ[1] .

الحاجرىُّ الشاعرُ[2] ، صاحبُ الدِّيوانِ المشهورِ ، وهو عيسى بنُ سَنْجَرَ بنِ بَهْرامَ بنِ جِبرْيلَ بنِ خُمارْتِكِين بنِ طَاشْتِكِين الإرْبلىُّ ، شاعرٌ مُطَبِّقٌ ، ترْجَمه ابنُ خَلِّكانَ ، وذكَر أشْياءَ مِن شعرِه كثيرةً ، وذكَر أنه كان صاحبَهم ، وأنه كتَب إلى أخيه ضِياءِ الدينِ عيسى يَسْتَوْحِشُ منه :

اللَّهُ يَعْلَمُ ما أبْقَى سوى رَمَقٍ ... منى فِراقُك يا مَن قُرْبُه الأمَلُ
فابْعَثْ كتابَك واسْتَوْدِعْه تَعْزيةً ... فربما مِتُّ شوقًا قبلَ ما يَصِلُ

وذكَر له فى الخالِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى :

ومُهَفْهَفٍ مِن شَعْرِه وجَبينِه ... أمْسَى الوَرَى فى ظُلْمةٍ وضِياءِ
لا تُنْكِروا الخالَ الذى فى خَدِّه ... كلُّ الشقيقِ بنقطةٍ سوداءِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٠.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] حاصَرَت التَّتارُ إرْبِلَ بالمَجانِيقِ، ونقَبوا الأسوارَ حتى فتَحوها عَنْوةً، فقتَلوا أهلَها وسبَوْا ذَراريَّهم، وامْتَنَعَت عليهم القلعةُ، وفيها[2] النائبُ مِن جهةِ الخليفةِ، فدخَل فصلُ الشتاءِ، فأقْلَعوا عنها، وانْشَمَروا إلى بلادِهم، وقيل: إن الخليفةَ جهَّز لهم جيشًا، فانهَزَم التَّتارُ.

وفيها اسْتَخْدَم الصالحُ أيوبُ بنُ الكاملِ صاحبُ حصنِ كَيْفا الخُوارَزْميةَ الذين تبَقَّوا مِن جيشِ جَلالِ الدينِ، وانْفَصَلوا عن الرُّوميِّ، فقوِى جَأْشُ الصالحِ أيوبَ.

وفيها طلَب الأشرفُ موسى بنُ العادلِ مِن أخيه الكاملِ الرَّقَّةَ؛ لتَكونَ قوةً له وعَلَفًا لدوابِّه إذا جاز الفُراتَ مع أخيه فى البَواكِيرِ، فقال الكاملُ: أما يَكْفِيه أن معه دمشقَ مملكةَ بنى أميةَ؟ فأرْسَل الأشرفُ الأميرَ فَلَكَ الدينِ بنَ المَسِيرىِّ إلى الكاملِ فى ذلك، فأغْلَظ له فى الجوابِ، وقال: أَيْشِ يَعْمَلُ بالمُلْكِ؟ يَكْفِيه عِشْرتُه للمَغانى وتعلُّمُه لصناعتِهم. فغضِب الأشرفُ عندَ ذلك وتَنَمَّرَ، وبدَت الوَحْشةُ بينَهما، وأرْسَل الأشرفُ إلى حَماةَ وحَلَبَ وبلادِ الشرقِ، فحالَف أولئك الملوكَ على أخيه الكاملِ، فلو طال عُمرُ الأشرفِ لأَفْسَد المُلْكَ على أخيه؛ وذلك لكثرةِ ميلِ الملوكِ إليه؛ لكرمِه وشجاعتِه وشُحِّ أخيه الكاملِ، ولكنه أدْرَكَته مَنِيَّتُه فى أولِ السنةِ الداخِلةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) مرآة الزمان ٨/٦٩٩ - ٧٠٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٤، ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٧ - ١٩.

(٢) بعده فى الأصل: «قتلوا».

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الملكُ العزيزُ بنُ[1] الظاهرِ صاحبُ حلَبَ ، محمدُ بنُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ غِياثِ الدينِ غازى بنِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ [١٠/٢٧و] فاتحِ القدسِ الشريفِ ، وهو وأبوه وابنُه الناصرُ أصحابُ مُلْكِ حلبَ مِن أيامِ الناصرِ ، وكانت أمُّ العَزيزِ الخاتون بنتَ الملكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، وكان حسَنَ الصورةِ ، كريمًا عَفيفًا ، تُوُفِّى وله من العُمرِ أربعٌ وعشرون سنةً ، وكان مُدَبِّرَ دولتِه الطَّواشى شِهابُ الدينِ ، وكان مِن الأمراءِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ .

صاحبُ الرومِ كَيْقُباذ الملكُ عَلاءُ الدينِ[2] ، صاحبُ بلادِ الرومِ ، كان مِن أَعْدَلِ[3] الملوكِ وأحْسَنِهم سِيرةً ، وقد زوَّجه العادلُ ابنتَه وأوْلَدَها ، وقد اسْتَوْلى على بلادِ الجَزيرةِ فى وقتٍ ، وأخَذ أكْثَرَها مِن يدِ الكاملِ محمدٍ ، وكسَر الخُوارَزْميةَ مع الأشرفِ موسى ، رحِمَهما اللَّهُ .

الناصحُ الحَنْبلىُّ[4] ، فى ثالثِ المُحَرَّمِ تُوُفِّى الشيخُ ناصحُ الدينِ عبدُ الرحمنِ ابنُ نَجْمِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ الشِّيرازىُّ ، وهم يَنْتَسِبون إلى سعدِ

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٧٠٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٥، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢١٧، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٠٦.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٠٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٠.

(٣) فى م : « أكابر » .

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٠ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ١٩٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٩١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣.

ابنِ عُبادةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وُلِد الناصحُ سنةَ أربعٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، وقرَأ القُرآنَ ، وسمِع الحديثَ ، وكان يَعِظُ فى بعضِ الأحْيانِ . وقد ذكَرْنا قبلُ أنه وعَظ فى حياةِ الشيخِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ ، وهو أولُ مَن درَّس بالصالِحِيةِ التى بالجبلِ ، وله بُنِيَت ، وله تَصانيفُ . وقد اشْتَغل على ابنِ المَنِّىِّ ببغدادَ ، وكان فاضلًا صالحًا ، وكانت وفاتُه بالصالِحِيةِ ، ودُفِن هناك ، رحِمه اللَّهُ .

الكَمالُ بنُ مُهاجِرٍ التاجرُ[1] ، كان كثيرَ الصَّدَقاتِ والإحْسانِ إلى الناسِ ، مات فَجأةً فى جُمادَى الأولى بدمشقَ ، فدُفِن بقاسِيونَ ، واسْتَحْوَذ الأشْرَفُ على أموالِه ، فبلَغَت التَّرِكةُ قريبًا مِن ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ ، مِن ذلك سُبْحةٌ فيها مائةُ حبةٍ[2] ، كلُّ واحدةٍ مثلُ بيضةِ الحَمامةِ .

الشيخُ الحافظُ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ دِحْيةَ[3] ، أخو الحافظِ أبى الخَطَّابِ بنِ دِحْيةَ ، كان قد ولِى دارَ الحديثِ الكاملية حينَ عُزِل أخوه عنها ، حتى تُوُفِّى فى عامِه هذا ، وكان نَدَر[4] فى صناعةِ الحديثِ أيضًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضى عبدُ الرحمنِ التَّكْرِيتىُّ[5] ، الحاكمُ بالكَرَكِ ، ومُدَرِّسُ مدرسةِ الزَّبَدانىِّ ، فلما أُخِذَت أوقافُها سار إلى القدسِ ، ثم إلى دمشقَ ، فكان يَنوبُ بها عن القُضاةِ ، وكان فاضلًا نَزِهًا عَفيفًا دَيِّنًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ورضِى عنه .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٠٣ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٧٢.

(٢) بعده فى م : « لؤلؤ » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٢، والوافى بالوفيات ١٩/ ٤٧٩، وبغية الوعاة ٢/ ١٣٣.

(٤) ندر : تقدم وقل وجود نظيره . الوسيط (ن د ر) .

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٢، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٥، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٤٢.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الأشرفِ، ثم أخيه الكاملِ، أما **الأشرفُ موسى بنُ العادلِ**[2] بانى دارِ الحديثِ الأشرفيةِ وجامعِ التَّوْبةِ وجامعِ جَرَّاحٍ، فإنه تُوُفِّى فى يومِ الخميسِ رابعِ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ، بالقلعةِ المنصورةِ، ودُفِن بها حتى نَجِزَت تربتُه التى بُنِيَت له شماليَّ الكَلَّاسةِ، ثم حُوِّل إليها، رحِمه اللَّهُ تعالى، فى جُمادَى الأولى، وقد كان ابْتِداءُ مرضِه فى رجبٍ مِن [3]السنةِ الماضيةِ[3]، واخْتَلَفَت عليه الأدْواءُ حتى كان الجَرائِحىُّ يُخْرِجُ العِظامَ مِن رأسِه، وهو يُسَبِّحُ اللَّهَ عز وجل، فلما كان آخرُ السنةِ تزايدَ به المرضُ واعْتَراه إسهالٌ مُفْرِطٌ، فخارَت قوتُه، فشرَع فى التَّهَيُّؤِ للقاءِ اللَّهِ تعالى، فأعْتَق مائتَى غلامٍ وجاريةٍ، ووقَف دارَ فَرُخْشاه التى يقالُ لها: دارُ السعادةِ. وبستانَه بالنَّيْرَبِ على ابنتِه[4]، وتصَدَّق بأموالٍ جَزيلةٍ، وأحْضَر له كفنًا كان قد أعَدَّه مِن ملابسِ الفُقراءِ والمشايخِ الذين لقِيهم مِن الصالحين. وقد كان رحِمه اللَّهُ، شَهْمًا شُجاعًا كريمًا جَوادًا مُحِبًّا للعلمِ وأهلِه، ولا سيَّما لأهلِ الحديثِ، ومقادِسة الصالحيةِ، وقد بنَى لهم دارَ حديثٍ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٠٤ - ٧١٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ - ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٨ - ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠ - ٢٦.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧١١ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٤٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٣٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٨.

(٣ - ٣) فى الأصل: «هذه السنة».

(٤) فى م: «ابنيه».

بالسَّـفْحِ ، وبالمدينةِ للشافعيةِ أخرى ، وجعَل فيها نَعْلَ النبيِّ ﷺ الذى ما زال [١٠/٢٧ظ] حريصًا على تحصيلِهِ مِن النَّظَّامِ ابنِ أبى الحَديدِ التاجرِ ، وقد كان النَّظَّامُ ضَنينًا به ، فعزَم الأشرفُ على أخذِ قطعةٍ منه ؛ خوفًا مِن أن يَذْهَبَ بالكليةِ ، فقدَّر اللَّهُ موتَ ابنِ أبى الحَديدِ بدمشقَ ، فأوْصَى للملكِ الأشرفِ به ، فجعَله الأشرفُ بدارِ الحديثِ ، ونقَل إليها كتبًا سَنِيَّةً نَفيسةً ، وبنَى جامعَ التَّوْبةِ بالعُقَيبةِ ، وقد كان خانًا للزِّنْجاريِّ ، فيه مِن المُنْكَراتِ شيءٌ كثيرٌ ، وبنَى مسجدَ القصبِ وجامعَ جَرَّاحٍ ومسجدَ دارِ السَّعادةِ ، وقد كان مولدُه فى سنةِ ستٍّ وسبعين وخمسِمائةٍ ، ونشَأ بالقدسِ الشريفِ بكَفالةِ الأميرِ فخرِ الدينِ عثمانَ الزِّنْجاريِّ ، وكان أبوه يُحِبُّه ، وكذلك أخوه المُعَظَّمُ ، ثم اسْتَنابه أبوه على مدنٍ كثيرةٍ بالجَزيرةِ ؛ منها الرُّهَا وحَرَّانُ ، ثم اتَّسَعَت مَمْلكتُه حتى ملَك خِلاطَ ، وكان مِن أعَفِّ الناسِ وأحْسَنِهم سِيرةً وسَريرةً ، لا يَعْرِفُ غيرَ نسائِهِ وجواريه ، مع أنه كان يُعانى الشرابَ ، وهذا مِن أعجبِ الأمورِ .

حكَى السِّبْطُ عنه قال[1] : كنتُ يومًا بهذه المَنْظَرةِ مِن خِلاطَ إذ دخَل الخادمُ فقال : بالبابِ امرأةٌ تَسْتَأْذِنُ . فدخَلَتْ فإذا صورةٌ لم أَرَ أحْسَنَ منها ، وإذا هى ابنةُ الملكِ الذى كان بخِلاطَ قبلى ، فذكَرَت أن الحاجبَ عَلِيًّا قد اسْتَحْوَذ على قريةٍ لها ، وأنها قد احْتاجت إلى بيوتِ الكِراءِ ، وأنها إنما تَتَقَوَّتُ مِن عملِ النُّقوشِ للنساءِ ، فأمَرْتُ بردِّ ضَيْعَتِها إليها ، وأمَرْتُ لها بدارٍ تَسْكُنُها ، وقد كنتُ قمتُ لها حينَ دخَلَت ، وأجْلَسْتُها بينَ يدىَّ ، وأمَرْتُها بسترِ وجهِها حينَ أسْفَرَت عنه ، ومعها عجوزٌ ، فحين قضَيْتُ شُغْلَها قلتُ لها : انْهَضى على اسمِ اللَّهِ تعالى .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧١١، ٧١٢ (القسم الثانى) .

فقالت العجوزُ : يا خَوَنْدُ ، إنما جاءت لتَحْظَى بخدمتِك هذه الليلةَ . فقلتُ : مَعاذَ اللَّهِ ، لا يَكونُ هذا . واسْتَحْضَرْتُ فى ذِهْنى ابنتى ربما يُصِيبُها نَظيرُ ما أصاب هذه ، فقامت وهى تقولُ : ستَرك اللَّهُ مثلَ ما ستَرْتَنى . وقلتُ لها : مهما كان لك مِن حاجةٍ فأَنْهِيها إلىَّ أَقْضِها لك . فدعَت لى وانْصَرَفَت . فقالت لى نفسى : ففى الحَلالِ مَنْدوحةٌ عن الحرامِ ، فتَزَوَّجْها . فقلتُ : واللَّهِ لا كان هذا أبدًا ، أين الحَياءُ والكرمُ والمُروءةُ ؟!

قال : ومات مَملوكٌ مِن مَماليكى ، وترَك ولدًا ليس يَكونُ فى الناسِ بتلك البلادِ أحسنُ شبابًا ولا أحْلَى شكلًا منه ، فأحْبَبْتُه وقرَّبْتُه ، وكان مَن لا يَفْهَمُ أمْرى يَتَّهِمُنى به ، فاتَّفَق أنه عدا على إنسانٍ ، فضرَبه حتى قتَله ، فاشْتَكى عليه إلىَّ أولياءُ المقتولِ ، فقلتُ : أثْبِتوا أنه قتَله . فأَثْبتوا ذلك ، وحاجَفَتْ عنه مَماليكى ، وأرادوا إرْضاءَهم بعَشْرِ دِياتٍ ، فلم يَقْبَلوا ، ووقَفوا لى فى الطريقِ وقالوا : قد أثْبتْنا أنه قتَله . فقلتُ : خُذوه . فتَسَلَّموه ، فأخذوه فقتَلوه ، ولو طلَبوا منى مُلْكى فِداءً لَدَفَعْتُه إليهم ، ولكننى استحييتُ مِن اللَّهِ تعالى أن أُعارِضَ شرعَه بحظِّ نَفْسى . رحِمه اللَّهُ تعالى .

ولما ملَك دمشقَ فى سنةِ ستٍّ وعشرين وستِّمائةٍ نادَى مُنادِيه بها أن لا يَشْتَغِلَ أحدٌ مِن الفُقهاءِ بشىءٍ مِن العلومِ سوى الحديثِ والتَّفْسيرِ والفقهِ ، ومَن اشْتَغَل فى المَنْطِقِ وعلومِ الأوائلِ[1] نُفِى مِن البلدِ . وكان البلدُ به فى غايةِ الأمنِ والعدلِ ، وكثرةِ الصَّدَقاتِ والخَيْراتِ ؛ كانت القلْعةُ لا تُغْلَقُ فى ليالى رمضانَ [١٠/٢٨و] كلِّها ، وصُحونُ الحَلاواتِ خارجةٌ منها إلى الجامعِ والخَوانقِ والرُّبُطِ

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

والصالحيةِ ، إلى الصالحين والفُقراءِ والرُّؤساءِ وغيرِهم ، وكان أكثرُ جُلوسِه بمسجدِ أبى الدَّرْداءِ الذى جدَّده وزَخْرَفه بالقلعةِ ، [1]وكان مَيْمونَ النَّقيبةِ[1] ، ولم تُكْسَرْ له رايةٌ قطُّ ، وقد اسْتَدْعى الزَّبيدىَّ مِن بغدادَ حتى سمِع هو والناسُ عليه « صحيحَ البخارىِّ » وغيرَه ، وكان له مَيْلٌ كثيرٌ إلى الحديثِ وأهلِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى . ولما تُوُفِّى رآه بعضُهم فى المنامِ وعليه ثيابٌ خُضْرٌ ، وهو يَطيرُ مع جَماعةٍ مِن الصالحين ، فقالوا له : ما هذا وقد كنتَ تُعانِى الشَّرابَ فى الدنيا ؟ فقال : ذاك البدنُ الذى كنا نَفْعَلُ به ذاك عندَكم فى الدنيا ، وهذه الرُّوحُ التى كنا نُحِبُّ بها هؤلاء فهى معهم . وقد صدَق ، رحِمه اللَّهُ ؛ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « المَرْءُ مع مَن أحَبَّ »[2] .

وقد كان أوْصَى بالملكِ بعدَه لأخيه الصالحِ إسماعيلَ ، فلما تُوُفِّى أخوه ركِب فى أُبَّهةِ المُلْكِ ، ومشَى الناسُ بينَ يديه ، وركِب إلى جانبِه صاحبُ حِمْصَ وعزُّ الدينِ أيْبَك المُعَظَّمىُّ حاملٌ الغاشيةَ[3] على رأسِه ، ثم إنه صادَر جماعةً مِن الدَّماشِقةِ الذين قيل عنهم : إنهم مع الكاملِ . منهم [4]العَلَمُ تَعاسِيفُ[4] وأوْلادُ ابنِ مُزْهِرٍ ، وحبَسهم ببُصْرَى ، وأطْلَق الحَريرىَّ مِن قلعةِ عَزَّتا ، وشرَط

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) أخرجه البخارى (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠، ٢٦٤١) ، عن ابن مسعود وأبى موسى عند كليهما .

(٣) الغاشية : هى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تُحمل بين يدى الملك عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها . صبح الأعشى ٤/ ٧.

(٤ - ٤) فى الأصل : « المعلم بعاسف » ، وفى م : « العالم تعاسيف » ، وفى مرآة الزمان : « العلم يوسف » . والمثبت من نهاية الأرب وتاريخ الإسلام . وهو قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الأُصْفُونىّ . يُنْعَت بالعَلَم ، كنيته أبو المعالى ويُعْرَف بتعاسيف . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة بأصفون من صعيد مصر وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة . انظر ترجمته فى الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ص ٤٦٩، وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٢.

عليه أن لا يَدْخُلَ دمشقَ ، ثم قدِم الكاملُ مِن مصرَ ، وانْضاف إليه الناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ ونابُلُسَ والقدسِ ، فحاصَروا دِمشقَ حِصارًا شديدًا ، وقد حصَّنها الصالحُ إسماعيلُ ، وقُطِعَتِ المياهُ ، وردَّ الكاملُ ماءَ بردَى إلى ثَوْرَا ، وأُحْرِقَت العُقَيْبةُ وقصرُ حَجَّاجٍ ، فافْتَقَر خَلْقٌ كثيرٌ ، واحْتَرَق آخرون ، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ، ثم آل الحالُ فى آخِرِ جُمادَى الأولى إلى أن سلَّم الصالحُ إسماعيلُ دمشقَ إلى أخيه الكاملِ ، على أن له بَعْلَبَكَّ وبُصْرَى ، وسكَن الأمْرُ ، وكان الصُّلحُ بينَهما على يدى القاضى مُحْيى الدينِ يوسفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجَوْزىِّ ؛ اتَّفَق أنه كان بدمشقَ قد قدِم فى رَسْليةٍ مِن جهةِ الخليفةِ إلى دمشقَ ، فجزاه اللَّهُ تعالى خيرًا . ودخَل الكاملُ دمشقَ ، وأطْلَق الفَلَكَ بنَ المَسِيرىِّ مِن سجنِ الحيَّاتِ بالقلْعةِ الذى كان أوْدَعه فيه الأشْرَفُ ، ونقَل الأشْرَفَ إلى تربتِه ، وأمَر الكاملُ فى يومِ الاثنينِ سادسِ جُمادَى الآخِرةِ أئمةَ الجامعِ أن لا يُصَلِّىَ أحدٌ منهم المغربَ سوى الإمامِ الكبيرِ ؛ لِمَا كان يَقَعُ مِن التَّشْويشِ والاخْتِلافِ بسببِ اجْتماعِهم فى وقتٍ واحدٍ ، ولَنِعْمَ ما فعَل ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد فُعِل هذا فى زمانِنا فى صلاةِ التَّراويحِ ، اجْتَمَع الناسُ على قارئٍ واحدٍ ، وهو الإمامُ الكبيرُ فى المحْرابِ المُقَدَّمِ عندَ المنبرِ ، ولم يَبْقَ به إمامٌ حينئذٍ سوى الذى بالحلَبيةِ عندَ مشهدِ علىٍّ ، ولو تُرِك لكان حسنًا . واللَّهُ أعلمُ .

ذكْرُ وفاةِ المَلِكِ الكامِلِ محمدِ بنِ العادلِ[1]

تمَلَّك الكاملُ دمشقَ مدةَ شهرين ، ثم أخذته أمْراضٌ مختلِفةٌ ، مِن ذلك

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٠٥ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٧٠، والذَّيل على الروضتين ص ١٦٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٧٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٤، والوافى بالوفيات ١/ ١٩٣.

سُعالٌ وإسْهالٌ ونَزْلةٌ فى حلقِه ، ونِقْرِسٌ فى رِجليه ، فاتَّفَق موتُه فى بيتٍ صغيرٍ مِن دارِ القَصَبةِ ، وهو البيتُ الذى تُوُفِّى فيه عمُّه الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ ، ولم يَكُنْ عندَ الكاملِ أحدٌ حالَ موتِه مِن شدةِ هَيْبتِه ، بل دخَلوا فوجَدوه ميتًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد كان مولدُه فى سنةِ ثلاثٍ[1] وسبعين وخمسِمائةٍ ، وكان أكبرَ أولادِ العادلِ بعدَ مَوْدودٍ ، وإليه أوْصَى العادلُ ؛ لعلمِه بثباتِه ، وكَمالِ عقلِه ، ووُفُورِ معرفتِه ، وقد كان جيدَ الفَهْمِ ، يُحِبُّ العلماءَ ، ويَسْأَلُهم أسئلةً مُشْكِلةً ، وله كلامٌ جيدٌ على « صحيحِ مسلمٍ » ، وكان ذكِيًّا ، مَهِيبًا ، ذا بأسٍ شديدٍ ، عادلًا مُنْصِفًا ، له حُرْمةٌ وافرةٌ ، وسَطْوةٌ قويةٌ ، ملَك مصرَ ثلاثين سنةً كاملةً ، [١٠/٢٨ظ] وكانت الطُّرقاتُ فى زمانِه آمِنةً ، والرعايا مُتَناصِفةً ، لا يَتَجاسَرُ أحدٌ أن يَظْلِمَ أحدًا ، شنَق جماعةً مِن الأجْنادِ أخَذوا شَعيرًا لبعضِ الفَلَّاحِين بأرضِ آمِدَ ، واشْتَكى إليه بعضُ الرَّكْبدارِيةِ أن أُستاذَه اسْتَعْمَله ستةَ أشهرٍ بلا أُجْرةٍ ، فأحْضَر الجُنْدىَّ ، وأَلْبَسه ثيابَ الرَّكْبدارِيةِ ، وأَلْبَس الرَّكْبدارَ ثيابَ الجُندىِّ ، وأمَر الجُنْدىَّ أن يَخْدُمَ الرَّكْبدار ستةَ أشهرٍ على هذه الهيئةِ ، ويَحْضُرَ الرَّكْبدارُ المَوْكِبَ والخِدْمةَ حتى يَنْقَضِىَ الأجَلُ ، فتأَدَّب الناسُ بذلك غايةَ الأدبِ ، رحمه اللَّه تعالى . وكانت له اليدُ البَيْضاءُ فى ردِّ ثَغْرِ دِمْياطَ إلى المسلمين بعدَ أن اسْتَحْوَذ عليه الفِرِنْجُ ، لعَنهم اللَّهُ ، فرابَطهم أربعَ سنينَ ، حتى اسْتَنْقذه منهم ، وكان يومُ أخْذِه له واسْتِرْجاعِه إياه يومًا مشهودًا ، كما ذكرناه مُفَصَّلًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وكانت وفاتُه فى ليلةِ الخميسِ الثانى والعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالقلعةِ حتى كمَلَت تربتُه التى بالحائطِ الشماليِّ مِن الجامعِ ذاتُ الشُّبَّاكِ

---

(١) فى م : « ست » .

الذى هناك قريبًا مِن مَقْصورةِ ابنِ سِنانٍ ، وهى الكِنْديةُ التى عندَ الحَلَبيةِ ، نُقلِ إليها ليلةَ الجمعةِ الحادى والعشرين مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ .

ومِن شعرِه يَسْتَحِثُّ أخاه الملكَ الأشْرَفَ مِن بلادِ الجَزيرةِ حينَ كان مُحاصَرًا بدِمْياطَ[1] :

يا مُسْعِفى إن كنتَ حقًّا مُسْعِفى ... فارْحَلْ بغيرِ تَقَيُّدٍ وتوَقُّفِ
واطْوِ المَنازلَ والديارَ ولا تُنِخْ ... إلا على بابِ المَليكِ الأشْرفِ
قَبِّلْ يديهِ لا عدِمْتَ وقُلْ له ... عنِّى بحُسْنِ تعَطُّفٍ وتلَطُّفِ
إن تَأْتِ[2] صِنْوَك عن قريبٍ تَلْقَه ... ما بينَ حدٍّ مُهَنَّدٍ ومُثَقَّفِ
أو تُبْطِ عن إنْجادِه فلقاؤُه ... يومَ القيامةِ فى عِراضِ الموقفِ

ذِكْرُ ما جرَى بعدَه

كان قد عهِد لولدِه العادلِ - وكان صغيرًا - بالديارِ المصريةِ وبالبلادِ الشاميّةِ[3] ، ولولدِه الصالحِ أيوبَ ببلادِ الجَزيرةِ ، فأمْضَى الأُمراءُ ذلك ، فأما دِمشقُ فاختَلَف الأُمراءُ بها فى الملكِ الناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ ، والملكِ الجَوَادِ مُظَفَّرِ الدينِ يونُسَ بنِ مَوْدودِ بنِ العادلِ ، فكان مَيْلُ عِمادِ الدينِ بنِ الشيخِ إلى الجَوَادِ ، وآخرون إلى الناصرِ ، وكان نازلًا بدارِ أُسامةَ ، فانْتَظَم أمرُ الجَوادِ ، وجاءت الرسالةُ إلى الناصرِ أنِ اخْرُجْ مِن البلدِ ، فركِب مِن دارِ أُسامةَ ، والعامَّةُ [4]من دارِه[4] إلى

---

(١) الأبيات فى تاريخ الإسلام ص ٢٥٦.
(٢) فى الأصل : « يأت » ، وفى م : « مات » . والمثبت من تاريخ الإسلام .
(٣) فى م : « الدمشقية » .
(٤ - ٤) فى م : « وراءه » .

القلْعةِ لا يَشُكُّون فى وِلايتِه الملكَ ، فسلَك نحوَ القَلْعةِ ، فلما جاوَز العِمادية عطَف برأسِ فرسِه نحوَ بابِ الفرجِ ، فصرَخت العامةُ : لا ، لا ، لا . فسار حتى نزَل القابونَ عندَ وَطْأةِ بَرْزَةَ[1] . فعَزَم بعضُ الأمراءِ الأشْرَفيةِ على مَسْكِه ، فساق فبات بقصرِ أمِّ حَكيمٍ ، وساقوا وراءَه ، فتقَدَّم إلى عَجْلونَ ، فتحَصَّن بها وأمِن .

وأمَّا الجَوَادُ فإنه ركِب فى أُبَّهةِ المُلْكِ ، وأنْفَق الأموالَ والخِلَعَ على الأمراءِ . قال السِّبْطُ[2] : فرَّق ستةَ آلافِ ألفِ دينارٍ وخمسةَ آلافِ خِلْعةٍ ، وأبْطَل المُكوسَ والخُمورَ ، ونفَى الخَواطئَ ، واسْتَقَر ملكُه بدمشقَ ، واجْتَمَع عليه الأُمراءُ الشاميون والمِصْريون ، ورحَل الناصرُ داودُ مِن عَجْلونَ نحوَ غَزَّةَ وبلادِ السواحلِ ، فاسْتَحْوَذ عليها ، فركِب الجَوَادُ فى طلبِه ، ومعه العَساكرُ الشاميةُ والمصريةُ ، وقال للأشْرَفيةِ : كاتِبوه وأطْمِعوه . فلما وصَلَت إليه كتبُهم طمِع فى مُوافقتِهم ، فرجَع فى سبعِمائةِ راكبٍ إلى نابُلُسَ ، فقصَده الجَوَادُ وهو نازلٌ على جينينَ ، والناصرُ على سَبَسْطِيَةَ[3] ، فهرَب الناصرُ ، فاسْتَحْوَذوا على حَواصِلِه [١٠/٢٩و] وأثْقالِه ، فاسْتَغْنَوْا بها ، وافْتَقَر بسببِها فَقْرًا مُدْقِعًا ، ورجَع الناصرُ إلى الكَرَكِ جَريدةً قد سُلِب أموالَه وأثْقالَه ، وعاد الجَوادُ إلى دمشقَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا .

وفيها اخْتَلَفت الخُوارَزْميةُ على الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ صاحبِ حصن كَيْفَا وتلك النَّواحِى ، وعزَموا على القبضِ عليه ، فهرَب منهم ، ونهَبوا أموالَه وأثْقالَه ، ولجَأ إلى سِنْجارَ ، فقصَده بدرُ الدينِ لؤلؤٌ صاحبُ الموصلِ

---

(١) القابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق . وبرزة : قرية من غوطة دمشق . انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٣، ٤/ ٥.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٠٨ (القسم الثانى) .

(٣) جينين : بليدة بين نابلس وبيسان ، من أرض الأردن . وسبسطية ، بلدة من نواحى فلسطين ، بينها وبين بيت المقدس يومان ، وهى من أعمال نابلس ، معجم البلدان ٣/ ٣٣.

ليُحاصِرَه ويَأْخُذَه فى قفصٍ إلى الخليفةِ، وكان أهلُ تلك الناحيةِ يَكْرَهون مُجاوَرتَه لكِبْرِه وقوةِ سَطْوتِه، فلم يَبْقَ إلى أخذِه إلا القليلُ، فكاتَب الخُوارَزْميةَ، واسْتَنْجَد بهم، وخضع لهم ووعَدهم بأشياءَ كثيرةٍ، فقدِموا إليه جَرائدَ ليَمْنَعوه مِن البدرِ لؤلؤٌ، فلما أحَسَّ بهم لؤلؤٌ هرَب منهم، فاسْتَحْوَذوا على أموالِه وأثقالِه، فوجَدوا فيها شيئًا كثيرًا لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، ورجَع إلى بلدِه الموصلِ جَريدةً خائبًا، وسَلِم الصالحُ أيوبُ مما كان فيه مِن الشدةِ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

(١) **الخطيبُ الدَّوْلعىُّ**(١) **محمدُ بنُ زيدِ بنِ ياسِينَ**، الخطيبُ جَمالُ الدينِ الدَّوْلَعىُّ، نِسبةً إلى قريةٍ بأرضِ(٢) الموصلِ، وقد ذكَرْنا ذلك عندَ ترجمةِ عمِّه عبدِ الملكِ بنِ ياسينَ الخَطيبِ بدمشقَ أيضًا(٣)، وكان مُدَرِّسًا بالغَزَّاليةِ مع الخَطابةِ، وقد منَعه المُعَظَّمُ فى وقتٍ عن الفتوى، فعاتَبه السِّبْطُ فى ذلك، فاعْتَذَر بأن شيوخَ بلدِهم أشاروا بذلك عليه، لكثرةِ أخطائِه فى فَتاويه، وكان شديدَ المُواظَبةِ على الوَظيفةِ لا يكادُ يُفارِقُ بيتَ الخَطابةِ، ولم يَحُجَّ قطُّ مع أنه كانت له أموالٌ كثيرةٌ، وقَف مدرسةً بجَيْرون، وقد ولِى الخَطابةَ بعدَه أخٌ له، وكان جاهلًا، ولم يَسْتَقِرَّ فيها، وتولَّاها الكَمالُ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ طَلْحةَ النَّصيبىُّ، وولِى تَدْريسَ الغَزَّاليةِ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/ ٧١٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٥٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٣، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٢٧.

(٢) فى م: «بأصل».

(٣) تقدمت ترجمته فى ١٦/ ٧١٨، فى وفيات سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

القاضى شمسُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ :

محمدُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ [1] **بنِ محمدِ بنِ هبةِ اللَّهِ** [1] **بنِ مَمِيلٍ** [2] **الشيخُ أبو نصرِ بنُ الشِّيرازِىِّ** ، وُلِد سنةَ تسعٍ وأربعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ على الحافظِ بنِ عَساكرَ وغيرِه ، واشْتَغل فى الفقهِ ، وأفْتَى ودرَّس بالشاميةِ البَرَّانيةِ ، وناب فى الحكمِ عدةَ سنين ، وكان فقيهًا عالمًا فاضلًا كيِّسًا ، حسنَ الأخلاقِ ، عارفًا بالأخْبارِ وأيَّامِ العربِ والأشعارِ ، كريمَ الطِّباعِ ، حَميدَ الآثارِ ، وكانت وفاتُه ليلةَ [3] الخميسِ ثالثِ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضى شمسُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ يحيى ، أبو البركاتِ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ الحسنِ الدِّمشقىُّ قاضيها [4] ، كان عالمًا عَفيفًا فاضلًا عادِلًا مُنْصِفًا نَزِهًا ، كان الملكُ الأشْرَفُ يقولُ : ما ولِى دمشقَ مثلُه . وقد ولِى الحكمَ ببيتِ المقدسِ مدَّةً ، وناب بدمشقَ عن القُضاةِ ، ثم اسْتَقَلَّ بالحكمِ ، وكانت وفاتُه يومَ الأحدِ سادسَ ذى القَعْدةِ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وتأسَّف الناسُ عليه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وتَوَلَّى [5] بعدَه الشيخُ شمسُ الدِّينِ بنُ الخُوَيِّىِّ .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٨/٧٠٩ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦١، والوافى بالوفيات ٥/ ١٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٦، وغاية النهاية ٢/ ٢٧٤.

(٢) فى م : « جميل » . قال التاج السبكى : مميل بفتح الميم ، ومعناه محمد .

(٣) فى م : « يوم » .

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧١٧، (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٥٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٤٧.

(٥) فى م : « توفى » . وهو تحريف .

(١ابنُ الأستاذِ١) القاضى زَيْنُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عُلْوانَ الأسَدىُّ، عُرِف بابنِ الأُستاذِ الحلَبىِّ، قاضيها بعدَ بَهاءِ الدينِ بنِ شَدَّادٍ، وكان رَئيسًا عالمًا فاضلًا، حسَنَ الخُلُقِ والسَّمْتِ، وكان أبوه من الصالحين الكِبارِ، رحِمهم اللَّهُ تعالى.

(٢الشَّيخُ الصالحُ المُعَمَّرُ، أبو بكرٍ محمدُ بنُ مسعودِ بنِ بَهْرُوزِ البَغْدادىُّ(٣)، ظهَر سَماعُه مِن أبى الوَقْتِ فى سنةِ خمسَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، فانثال الناسُ عليه يَسْمَعون منه، وتفرَّد بالروايةِ عنه فى الدنيا بعدَ الزَّبيدىِّ وغيرِه، تُوُفِّى ليلةَ السبتِ التاسعِ والعشرين مِن شعبانَ، رحِمه اللَّهُ تعالى٢).

الأميرُ الكبيرُ المُجاهِدُ المُرابِطُ صارمُ الدينِ خَطْلَبا بنُ عبدِ اللَّهِ(٤)، مملوكُ سَرْكَس(٥) ونائبُه بعدَه مع ولدِه على تِبْنِينَ وتلك الحُصونِ، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ والإحسانِ، ودُفِن مع أستاذِه بقبابِ سَرْكَس(٥)، وهو الذى بناها بعدَ أستاذِه، وكان خَيِّرًا، قليلَ الكلامِ، كثيرَ الغَزْوِ، مُرابِطًا مدةَ سنينَ، رحِمه اللَّهُ تعالى، وعفا عنه بمنِّه وكرمِه.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٧٣، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٣٩، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٤٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٥، والمقفى الكبير ٤/ ٤٢٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٩، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٤.

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧٠٥، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٣٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٤٧.

(٥) فى م: «شركس».

ثم دخَلَتْ سنةُ ستٍّ وثلاثِين وستّمائةٍ

فيها[1] قبَض الملكُ الجَوَادُ على الصَّفيِّ بنِ مَرْزوقٍ ، وصادَره بأربعِمائةِ [١٠/ ٢٩ظ] ألفِ دينارٍ ، وحبَسه بقلعةِ حِمْصَ ، فمكَث ثلاثَ سنينَ لا يَرَى الضوءَ ، وقد كان ابنُ مَرْزوقٍ قبلَ ذلك يُحسِنُ إلى الجوادِ إحْسانًا كثيرًا .

وسلَّط الجَوادُ خادمًا لزوجتِه يقالُ له : الناصحُ . فصادَر الدَّماشقةَ ، وأخَذ منهم نحوًا مِن ستِّمائةِ ألفِ دينارٍ ، ومسَك الأميرَ عِمادَ الدينِ بنَ الشيخِ الذى كان سببَ تَمْليكِه دمشقَ ، ثم خاف مِن أخيه فخرِ الدينِ بنِ الشيخِ الذى بديارِ مصرَ ، وقلِق مِن مُلْكِ دمشقَ ، وقال : أَيْشِ أَعْمَلُ بالملكِ ؟ بازٌ وكلبٌ أحَبُّ إلىَّ مِن هذا . ثم خرَج إلى الصيدِ ، وكاتَب الصالحَ نَجْمَ الدينِ أيوبَ بنَ الكاملِ ، فتَقايَضا مِن حصنِ كَيفَا وسِنْجارَ وما يَتْبعُ ذلك إلى دمشقَ ، فملَك الصالحُ أيوبُ دمشقَ ، ودخَلها فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، والجَوَادُ بينَ يديه بالغاشيةِ ، [2] ثم حمَلها المظفَّرُ صاحبُ حَماةَ ، وكان يومًا مشهودًا ، ثم نزَل الجوادُ بدار السعادةِ [2] ، ونَدِم على ما كان منه ، فأراد أن يَسْتَدْرِكَ الفائتَ ، فلم يَتَّفِقْ له ، وخرَج مِن دمشقَ ، والناسُ يَلْعَنونه فى وجهِه ؛ بسببِ ما أسْداه إليهم مِن المُصادَراتِ ، وأرْسَل إليه الصالحُ أيوبُ ليَرُدَّ إلى الناسِ أموالَهم ، فلم يَلْتَفِتْ إليه ، وسار وبقِيَت فى ذمتِه .

---

(١) مرآة الزمان ٧١٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٣٨- ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧.

(٢ - ٢) سقط من : م .

ولما اسْتَقَرَّ الصالحُ فى ملكِ مصرَ، كما سيأتى، حبَس الناصحَ الخادمَ، فمات فى أسْوَأِ حالةٍ، مِن القِلَّةِ والقَمْلِ، جَزاءً وِفاقًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وفيها ركِب الصالحُ أيوبُ مِن دمشقَ فى رمضانَ قاصدًا الديارَ المصريةَ؛ ليأْخُذَها مِن ابنِ أخيه العادلِ لصِغَرِه، فنزَل بنابُلُسَ واسْتَوْلَى عليها، وأخْرَجها مِن يدِ الناصرِ داودَ، وأرْسَل إلى عمِّه الصالحِ إسماعيلَ صاحبِ بَعْلَبَكَّ ليَقْدَمَ عليه ليَكونَ فى صحبتِه إلى الديارِ المصريةِ، وكان قد جاء إليه إلى دمشقَ (١) وبايَعَه (١)، فجعَل يُسَوِّفُ به، ويَعْمَلُ عليه، ويُحالِفُ الأُمراءَ بدمشقَ ليَكونَ ملكَهم، ولا يَتَجاسَرُ أحدٌ مِن الصالحِ أيوبَ لجَبَروتِه أن يُخْبِرَه بذلك، وانْقَضَت السنةُ، وهو مُقيمٌ بنابُلُسَ يَسْتَدْعيه إليه، وهو يُماطِلُه.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

جَمالُ الدينِ الحَصِيرىُّ الحَنَفىُّ، محمودُ بنُ أحمدَ (٢)، العَلَّامةُ جمالُ الدينِ الحَصِيرىُّ شيخُ الحَنَفيةِ بدمشقَ، ومُدَرِّسُ النُّوريةِ، أصلُه مِن قريةٍ يُقالُ لها: حَصِيرُ. مِن مُعامَلةِ بُخارَى، تفَقَّه بها، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، وصار إلى دمشقَ، فانْتَهَت إليه رياسةُ الحَنَفيةِ بها، لاسِيَّما فى أيامِ المُعَظَّمِ، كان يَقْرَأُ عليه «الجامعَ الكبيرَ»، وله عليه شَرْحٌ، وكان يَحْتَرِمُه ويُعَظِّمُه ويُكْرِمُه، وكان رحِمه اللَّهُ تعالى، غَزيرَ الدَّمْعةِ، كثيرَ الصَّدقاتِ، عاقلًا نَزِهًا عَفيفًا، تُوُفِّى يومَ الأحدِ

(١ - ١) فى م: «ليبايعه».

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧٢٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٨٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٨، والجواهر المضية ٣/ ٤٣١.

ثامنَ صفَرٍ، ودُفِن بمقابرِ الصُّوفيةِ، تغَمَّده اللَّهُ برحمتِه آمينَ. تُوُفِّى وله تسعون سنةً، وأولُ درسِه فى النُّوريةِ فى سنةِ إحدى عشْرةَ وستِّمائةٍ، بعدَ الشَّرَفِ داودَ الذى تولَّاها بعدَ البُرْهانِ مسعودٍ أولِ مُدَرِّسيها، رحِمهم اللَّهُ تعالى.

الأميرُ عِمادُ الدينِ عمرُ بنُ شيخِ الشيوخِ صَدْرِ الدينِ علىِّ بنِ حَمُّوَيْهِ[1]، كان سببًا فى وِلايةِ الجَوَادِ دمشقَ، ثم سار إلى مصرَ، فلامَه صاحبُها العادلُ، فقال: الآن أَرْجِعُ إلى دمشقَ، وآمُرُ الجَوَادَ بالمَسيرِ إليك، على أن تَكونَ له إسْكَنْدَرِيَّةُ عِوَضَ دمشقَ، فإن امْتَنَع عزَلْتُه عنها، وكنتُ أنا نائبَك فيها. فنهاه أخوه فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ عن تَعاطِى ذلك، فلم يَقْبَلْ، ورجَع إلى دمشقَ، فتلَقَّاه الجَوَادُ إلى المُصَلَّى، وأنْزَله عندَه بالقلعةِ بدارِ المَسَرَّةِ، وخادَعه عن نفسِه، ثم دسَّ إليه مَن قتَله جَهْرةً فى صورةِ مُسْتَغِيثٍ به، واسْتَحْوذ على أموالِه وحَواصلِه، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ، ودُفِن بقاسِيونَ.

الوزيرُ جَمالُ الدينِ علىُّ بنُ جريرٍ[2]، وزَر للأشْرفِ، واسْتَوْزَره الصالحُ [١٠/٣٠و] أيوبُ أيامًا، ثم مات عَقِبَ ذلك، كان أصلُه مِن الرَّقَّةِ، وكان له أمْلاكٌ يَسيرةٌ يَعيشُ منها، ثم آل أمْرُه إلى أن وزَر للأشرفِ بدمشقَ، وقد هجاه بعضُهم، وكانت وفاتُه بالخَوانيقِ[3] فى جُمادَى الآخِرةِ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ.

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٢١ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٠٠، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٤٢.

وجاء اسمه فى السير وتاريخ الإسلام وطبقات الشافعية عمر بن محمد بن عمر بن على بن حمويه.

(٢) فى م: «حديد»، وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/٧٢٤ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٦٨ - وفيه: «حريز» - ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٨.

(٣) فى الأصل: «الحواسق»، وفى م: «الجواليق». والمثبت من مرآة الزمان ونهاية الأرب.=

جعفرُ بنُ عليِّ بنِ أبى البَرَكاتِ بنِ جعفرِ بنِ يحيى الهَمْدانىُّ[1] ، رَاوِيةُ السِّلَفىِّ ، قدِم إلى دمشقَ صُحْبةَ الناصرِ داودَ ، وسمِع عليه أهلُها ، وكانت وفاتُه بها ، ودُفِن بمَقابرِ الصوفيةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وله تسعون سنةً .

الحافظُ الكبيرُ زَكِىُّ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ محمدٍ البِرْزالىُّ الإشْبِيلىُّ[2] ، أحدُ مَن اعْتَنى بصناعةِ الحديثِ وبرَز فيه ، وأفاد الطلبةَ ، وكان شيخَ الحديثِ بمشهدِ ابنِ عُرْوةَ ، ثم سافَر إلى حلَبَ ، فتُوُفِّى بحَماةَ فى رابعَ عشَرَ رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وهو جدُّ شيخِنا الحافظِ عَلَمِ الدينِ بنِ القاسمِ بنِ محمدٍ البِرْزالىِّ ، مُؤَرِّخِ دمشقَ الذى ذيَّل على الشيخِ شِهابِ الدينِ أبى شامةَ ، وقد ذَيَّلْتُ أنا على « تاريخِه » بعونِ اللَّهِ تعالى وقُدْرَتِه .

= والخوانيق : جمع الخُناق ، وهو داء أو ريح يأخذ الناس والدواب فى الحلوق . انظر اللسان (خ ن ق) .

(١) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٩١، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٨٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٩٧، والوافى بالوفيات ١١/ ١١٧.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣١٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٣، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٥٢.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثلاثين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] وسلطانُ دمشقَ نجمُ الدين الصالحُ أيوبُ بنُ الكاملِ مُخَيِّمٌ عندَ نابُلُسَ، يَسْتَدْعِى عمَّه الصالحَ إسماعيلَ ليَسِيرَ إلى الديارِ المصريةِ، بسببِ أخْذِها مِن صاحبِها العادلِ بنِ الكاملِ، وقد أرْسَل الصالحُ إسماعيلُ ولدَه وابنَ يَغْمُورٍ إلى صحبةِ الصالحِ أيوبَ بنابُلُسَ، فهما يُنْفِقان الأموالَ فى الأُمراءِ ويُحْلِفانِهِم على الصالحِ أيوبَ للصالحِ إسماعيلَ، فلما تمَّ الأمرُ، وتمكَّن الصالحُ إسماعيلُ مِن مُرادِه، أرْسَل إلى الصالحِ أيوبَ يَطْلُبُ منه ولدَه ليَكونَ عِوَضَه ببَعْلَبَكَّ، ويَسِيرَ هو إلى خدمتِه، فأرْسَله إليه، ولا يَسْتَشْعِرُ الصالحُ أيوبُ بشىءٍ مما وقَع، وكلُّ ذلك عن تَرتيبِ أبى الحسنِ غَزَّالِ المُتَطَبِّبِ وزيرِ الصالحِ - وهو الأمينُ واقفُ الأَمِينيةِ ببَعْلَبَكَّ - فلما كان يومُ الثلاثاءِ السابعِ والعشرين مِن صفرٍ هجَم الملكُ الصالحُ إسماعيلُ، وفى صحبتِه أسدُ الدينِ شِيرْكُوه صاحبُ حمصَ إلى دمشقَ، فدخَلاها بَغْتةً مِن بابِ الفَراديسِ، فنزَل الصالحُ إسماعيلُ بدارِه مِن دربِ الشَّعَّارين، ونزَل صاحبُ حمصَ بدارِه، وجاء نَجْمُ الدينِ بنُ سلَامٍ[2]، فهنَّأ الصالحَ إسماعيلَ، ورقَص بينَ يديه، وهو يقولُ: إلى بيتِك جئتَ. وأصبَحوا فحاصَروا القلعةَ، وبها المُغِيثُ عمرُ بنُ الصالحِ نَجْمِ الدينِ، ونقَبوا القلعةَ مِن ناحيةِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٢٤ - ٧٣٠ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، ونهاية الأرب ٢٩/٢٣٨ - ٢٧٤، حوادث سنتى ست وثلاثين وسبع وثلاثين وستمائة فقد وصلهما المصنف معًا، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢ - ٣٩.

(٢) فى م: «سلامة».

بابِ الفرجِ، وهتَكوا حُرْمتَها ودخَلوها وتسَلَّموها، واعتَقَلوا المُغيثَ فى بُرْجِ هنالك.

قال أبو شامةَ[1]: واحْتَرَقَت دارُ الحديثِ وما هنالك مِن الحَوانيتِ والدُّورِ حولَ القلعةِ. ولما وصَل الخبرُ بما وقَع إلى الصالحِ أيوبَ تفرَّق عنه أصحابُه والأُمراءُ؛ خوفًا على أهاليهم مِن الصالحِ إسماعيلَ، وبقى الصالحُ أيوبُ وحدَه فى مماليكِه وجاريتِه أمِّ خَليلٍ، وطمِع فيه الفلَّاحون والغَوَارِنَةُ[2]، وأرْسَل الناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ إليه مَن أخَذه مِن نابُلُسَ مُهانًا على بَغْلةٍ، بلا مِهْمازٍ ولا مِقْرعةٍ[3]، فاعْتَقَله عندَه سبعةَ أشهرٍ، وأرْسَل العادلُ مِن مصرَ إلى الناصرِ يَطْلُبُ منه أخاه الصالحَ أيوبَ، ويُعْطِيه مائةَ ألفِ دينارٍ، فما أجابه إلى ذلك، بل عكَس ما طلَب منه بإخْراجِ الصالحِ مِن سجنِه والإفْراجِ عنه وإطْلاقِه [4]مع الجيشِ[4] يَرْكَبُ ويَنْزِلُ، فعندَ ذلك حارَبَت الملوكُ مِن دمشقَ ومصرَ وغيرِهما الناصرَ داودَ، وبرَز العادلُ مِن الديارِ المصريةِ إلى بُلْبَيسَ قاصدًا قِتالَ الناصرِ داودَ، فاضْطَرَب الجيشُ عليه، واخْتَلَف الأمراءُ، وقيَّدوا العادلَ، واعْتَقَلوه فى خَرْكاه، وأرْسَلوا إلى الصالحِ أيوبَ يَسْتَدْعونه إليهم [١٠/٣٠ظ]، فامْتَنَع الناصرُ داودُ مِن إرسالِه حتى اشْتَرَط عليه أنه يَأْخُذُ له دمشقَ وحمصَ[5] وحلَبَ وبلادَ الجَزيرةِ وديارَ بكرٍ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩.

(٢) الغوارنة: نسبة لأهل الغور. والغَوْر: موضع منخفض بين القدس وحَوْرَان، مسيرة ثلاثة أيام فى عرض فرسخين. انظر تاج العروس (غ و ر).

(٣) المهماز: حديدة تكون فى مؤخر خُفِّ الرائض. والمقرعة: لجام الدابة. انظر اللسان (هـ م ز)، (ق ر ع).

(٤ - ٤) فى م: «من الحبس».

(٥) بعده فى مصادر التخريج - عدا الذيل على الروضتين فقد ذكره مختصرا -: «وحماة».

ونصفَ مَمْلكةِ مصرَ ونصفَ ما فى الخزائنِ مِن الحَواصِلِ والأموالِ والجَواهرِ . قال الصالحُ أيوبُ : فأجَبْتُ إلى ذلك مُكْرَهًا ، ولا يَقدِرُ على جميعِ ما اشْتَرَط علىَّ ملوكُ الأرضِ ، وسِرْنا فأخَذْتُه معى خوفًا أن يَكونَ هذا الكتابُ مِن المصريين مَكيدةً ، ولم يَكُنْ لى به حاجةٌ . وذكَر أنه كان يَسْكَرُ ، ويَخْبِطُ الأمورَ ، ويُخالِفُ الآراءَ السَّديدةَ . فلما وصَل الصالحُ إلى المصريين ملَّكوه عليهم ، ودخَل الديارَ المصريةَ سالمًا مُؤَيَّدًا مَنْصورًا مُظَفَّرًا مَحْبورًا مَسْرورًا ، فأرْسَل إلى الناصرِ داودَ عشرين ألفَ دينارٍ ، فردَّها عليه ولم يَقْبَلْها منه . واسْتَقَرَّ مُلْكُه بمصرَ ، وأما الجَوَادُ فإنه أساء السِّيرةَ بسِنْجارَ ، وصادَر أهلَها وعسَفَهم ، وكاتَبوا بدرَ الدينِ لؤلؤًا صاحبَ الموصلِ ، فقصَدهم - وقد خرَج الجَوَادُ للصيدِ - فأخَذ البلدَ بغيرِ شىءٍ ، وصار الجَوَادُ إلى عانةَ[1] ، ثم باعَها مِن الخليفةِ بعدَ ذلك .

وفى ربيعِ الأولِ درَّس القاضى الرَّفيعُ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الواحدِ الجِيلىُّ بالشاميةِ البَرَّانيةِ .

وفى يومِ الأربِعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخِرِ ولى الشيخُ عِزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبى القاسمِ السُّلَمىُّ خِطابةَ جامعِ دمشقَ ، وخطَب الصالحُ إسماعيلُ لصاحبِ الرومِ ببلادِ دمشقَ وغيرِها ؛ لأنه حالَفه على الصالحِ أيوبَ .

قال أبو شامةَ[2] : وفى حَزيرانَ أيامَ المِشْمِشِ جاء مطَرٌ عظيمٌ هدَم كثيرًا مِن الحيطانِ وغيرِها ، وكنتُ يومَئذٍ بالمِزَّةِ[3] .

---

(١) فى م : « غانة » . وعانة : بلد بالأردن . انظر معجم البلدان ٣/ ٥٩٥.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٠.

(٣) المزة : قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ . معجم البلدان ٤/ ٥٢٢.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

صاحبُ حمصَ الملكُ المجاهِدُ أسَدُ الدينِ شِيركُوه بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ ابنِ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ شادِى[1] ، ولَّاه إياها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ بعدَ موتِ أبيه سنةَ إحدى وثمانين وخمسِمائةٍ ، فمكَث فيها سبعًا وخمسين سنةً ، وكان مِن أحسنِ الملوكِ سيرةً ، طهَّر بلادَه مِن الخمورِ والمكوسِ والمُنْكَراتِ ، وهى فى غايةِ الأمنِ والعَدْلِ ، لا يَتَجاسَرُ أحدٌ مِن الفِرِنْجِ ولا العربِ يَدْخُلُ بلادَه إلا أهانه غايةَ الإهانةِ ، وكانت ملوكُ بنى أيوبَ يَتَّقونه ؛ لأنه كان يرَى أنه أحَقُّ بالأمرِ منهم ؛ لأن جدَّه هو الذى فتَح مصرَ ، وأولُ مَن ملَك منهم ، وكانت وفاتُه رحِمه اللَّهُ بحمصَ ، وعُمِل عَزاؤه بجامعِ دمشقَ ، عفا اللَّهُ عنه بمنِّه .

القاضى الخُوَيِّىُّ شمسُ الدينِ أحمدُ بنُ خَليلِ بنِ سَعادةَ بنِ جعفرٍ الخُوَيِّىُّ[2] ، قاضى القُضاةِ بدمشقَ يومَئذٍ ، وكان عالمًا بفنونٍ كثيرةٍ مِن الأصولِ والفروعِ وغيرِ ذلك ، وكانت وفاتُه يومَ السبتِ ، بعدَ الظهرِ ، السابعَ مِن شعبانَ ، وله خمسٌ وخمسون سنةً ، بالمدرسةِ العادليةِ ، وكان حسَنَ الأخْلاقِ ، جَميلَ المُعاشَرةِ ، وكان يقولُ[3] : لا أَقْدِرُ على المَناصِبِ ، إلى مُسْتَحقِّيها[4] . له

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٣١ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٤٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٩، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١- ٦٤٠) ص ٣٢٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢١٦.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٣٠ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣٤٤، وبغية الطلب ٢/ ١٤٨، والذيل على الروضتين ص ١٦٩، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٠٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣١٥، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٦.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٩.

(٤) بعده فى م : « إيصال » . وجاءت العبارة فى الذيل : لا أقدر على إمساك المناصب .

مُصَنَّفاتٌ ، منها عَروضٌ . قال فيه أبو شامةَ[1] :

أحمدُ بنُ الخليلِ أرْشَده اللـ ـهُ لما أرْشَد الخَليلَ بنَ أحمدْ
ذاك مُسْتَخْرِجُ العَروضِ وهذا مُظْهِرُ السِّرِّ منه والعَوْدُ أحمدْ

وقد ولِى القَضاءَ بعدَه[2] رَفيعُ الدينِ عبدُ العَزيزِ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ إسماعيلَ ابنِ عبدِ الهادى الجِيلىُّ مع تَدْريسِ العادليةِ ، وكان قاضيًا ببَعْلَبَكَّ ، فأحْضَره إلى دمشقَ الوزيرُ أمينُ الدينِ الذى كان سامرِيًّا[3] فأسْلَم ، وزَر للصالحِ إسماعيلَ ، واتَّفَق هو وهذا القاضى على أكْلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ . قال أبو شامةَ[1] : ظهَر منه[4] سُوءُ سِيرةٍ وعَسْفٌ وفِسْقٌ وجَوْرٌ ومُصادرةٌ فى الأموالِ .

قلتُ : وقد ذكَر غيرُه عنه أنه ربما حضَر يومَ الجمعةِ فى المشهدِ الكَماليِّ بالشُّبَّاكِ وهو سَكرانُ بالخمرِ ، وأن قَنانىَّ[5] الخمرِ كانت تَكونُ على بِرْكةِ العادليةِ يومَ السبتِ ، وكان يَعْتَمِدُ فى التَّرِكاتِ اعْتمادًا سيئًا جدًّا ، وقد عامَله اللَّهُ تعالى بنَقيضِ [١٠/٣١و] مَقْصودِه ، وأهْلَكه اللَّهُ على يدى مَن كان سببَ سَعادتِه ، كما سيأتى بيانُه قريبًا إن شاء اللَّهُ تعالى[6] .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .
(٢) فى م : « بعد » .
(٣) السامرى من السَّامِرَة ، وهم قوم من اليهود من قبائل بنى إسرائيل يخالفونهم - أى اليهود - فى بعض أحكامهم ، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام ، وغير ذلك . تاج العروس (س م ر) .
(٤) أى من القاضى رفيع الدين .
(٥) قنانىّ : جمع قِنِّينة ، وهى القارورة . الوسيط (ق ن ن) .
(٦) انظر ما سيأتى فى حوادث سنة إحدى وأربعين وستمائة فى صفحتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] سلَّم الصالحُ إسماعيلُ صاحبُ دمشقَ حصنَ شَقِيفِ[2] أرْنُونَ[3] لصاحبِ صَيْدَا الفِرِنْجيِّ، فاشْتَدَّ الإنْكارُ عليه بسببِ ذلك مِن الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ خَطيبِ البلدِ، والشيخِ أبى عمرِو بنِ الحاجبِ شيخِ المالكيةِ، فاعْتَقَلهما مدةً، ثم أطْلَقهما وألْزَمهما منازلَهما، وولَّى الخَطابةَ وتَدريسَ الغَزَّاليةِ لعمادِ الدينِ داودَ بنِ عمرَ بنِ يوسُفَ المَقْدسيِّ خَطيبِ بيتِ الآبارِ، ثم خرَج الشيخان مِن دمشقَ، فقصَد أبو عمرٍو الناصرَ داودَ بالكَرَكِ، ودخَل الشيخُ عِزُّ الدينِ الديارَ المصريةَ، فتلَقَّاه صاحبُها الصالحُ أيوبُ بالاحْترامِ والإكْرامِ، وولَّاه خَطابةَ القاهرةِ وقَضاءَ مصرَ، واشْتَغل عليه أهلُها، فكان ممَّن أخَذ عنه الشيخُ تقيُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العِيدِ، رحِمَهما اللَّهُ تعالى.

وفيها قدِم رسولٌ مِن ملكِ التَّتارِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان إلى ملوكِ الإسلامِ يَدْعُوهم إلى طاعتِه ويَأْمُرُهم بتَخْريبِ أسْوارِ بُلْدانِهم، وعُنوانُ الكتابِ: مِن نائبِ ربِّ السماءِ، ماسحِ وجهِ الأرضِ، ملكِ الشرقِ والغربِ خاقان[4]. وكان الكتابُ مع رجلٍ مسلمٍ مِن أهلِ أصْبَهانَ، لطيفِ الأخلاقِ، فأولُ ما ورَد على

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٣٢ - ٧٣٥ (القسم الثانى) والذيل على الروضتين ص ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٧٤ - ٢٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠ - ٤٣.

(٢) فى م: «سعيف».

(٣) فى م: «أربون».

(٤) فى الأصل: «قازان»، وفى م: «قان قان». والمثبت من مرآة الزمان.

شِهابِ الدينِ غازى بنِ العادلِ صاحبِ مَيَّافارِقِينَ، وقد أخْبَره بعَجائبَ فى أرضِهم غريبةٍ، منها أن فى البلادِ المُتاخِمةِ للسدِّ أُناسًا أعْينُهم فى مَناكِبِهم، وأفْواهُهم فى صُدورِهم، يَأْكُلُون السمكَ، وإذا رأَوْا أحدًا مِن الناسِ هرَبوا. وذكَر أن عندَهم بزْرًا يَنبُتُ منه الغنمُ، يَعِيشُ الخَروفُ منها شهرين وثلاثةً، ولا يَتَناسَلُ، ومِن ذلك أن بمازَنْدَرانَ عينًا يَطْلُعُ فيها كلَّ ثلاثين سنةً خشبةٌ عظيمةٌ[1] مثلُ المَنارةِ، فتُقِيمُ طولَ النهارِ، فإذا غَرَبَت الشمسُ غاصَتْ فى العينِ، فلا تُرَى إلى[2] مثلِ ذلك الوقتِ، وأن بعضَ الملوكِ احْتال ليُمسِكوها بسَلاسِلَ رُبِطَت فيها فغارَتْ، وقطَعَت تلك السَّلاسلَ، ثم كانت إذا طلَعَت تُرَى فيها تلك السَّلاسلُ، وهى إلى[3] الآنَ كذلك.

قال أبو شامةَ[4]: وفيها قلَّت المياهُ مِن السماءِ والأرضِ، وفسَد كثيرٌ مِن الزرعِ والثمارِ. واللَّهُ أعلمُ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ والمَشاهيرِ:

مُحْيى الدينِ بنُ عَرَبىٍّ[5]، صاحبُ «الفُصوصِ» وغيرِها، **محمدُ بنُ علىِّ ابنِ محمدٍ، ابنُ عَرَبىٍّ، أبو عبدِ اللَّهِ الطائىُّ الحاتِمىُّ الأنْدَلُسىُّ**، طاف البلادَ، وأقام بمكةَ مدةً، وصنَّف فيها كتابَه المُسَمَّى بـ«الفُتوحاتِ المكيةِ» فى نحوِ عشرين

---

(١) سقط من: الأصل. وفى مرآة الزمان: «غليظة».

(٢) فى الأصل: «إلا».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧١.

(٥) مرآة الزمان ٨/٧٣٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٧٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٧٣، وغاية النهاية ٢/ ٢٠٨، والمقفى الكبير ٦/ ٣٤٨.

مُجَلدًا ، فيه ما يُعْقَلُ وما لا يُعْقَلُ ، وما يُنْكَرُ وما لا يُنْكَرُ ، [1]وما يُعْرَفُ وما لا يُعْرَفُ[1] ، وله الكتابُ المُسَمى « بفُصوصِ الحِكَمِ » فيه أشْياءُ كثيرةٌ ظاهرُها كفرٌ صريحٌ ، وله « العِباداتُ »[2] ، ودِيوانُ شعرٍ رائقٍ ، وله مُصَنَّفاتٌ أُخَرُ كثيرةٌ ، وأقام بدمشقَ مدةً طويلةً قبلَ وفاتِه ، وكان بنو الزَّكيِّ لهم عليه اشْتِمالٌ ، وبه احْتِفالٌ ، ولجميعِ ما يَقولُه احْتمالٌ .

قال أبو شامةَ[3] : وله تَصانِيفُ كثيرةٌ ، وكانت[4] عليه سهلةٌ ، وله شعرٌ حسنٌ ، وكلامٌ طويلٌ على طريقِ التَّصوفِ ، وكانت له جِنازةٌ حسنةٌ ، ودُفِن بمقبرةِ القاضى مُحْيى الدينِ بنِ الزكيِّ بقاسِيونَ ، وكانت جِنازتُه فى الثانى والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ .

وقال السِّبْطُ[5] : كان يَقولُ إنه يَحْفَظُ الاسمَ الأعْظَمَ ، ويقولُ إنه يَعْرِفُ الكِيمياءَ بطريقِ المُنازَلةِ لا بطريقِ الكَسْبِ ، وكان فاضلًا فى علمِ التَّصَوُّفِ ، وله تَصانيفُ كثيرةٌ .

القاضى نَجْمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ خلفِ بنِ راجِحٍ المَقْدسيُّ الحنبليُّ الشافعيُّ ، المعروفُ بابنِ الحَنْبليِّ[6] ، كان شيخًا فاضلًا دَيِّنًا بارعًا فى علمِ الخِلافِ ، [١٠/٣١ظ] ويَحْفَظُ « الجمعَ بينَ الصحيحَيْن »

(١ - ١) فى الأصل : « ولا يعرف » .

(٢) فى الأصل ، م : « العبادلة » . والمثبت من الوافى بالوفيات ، وهو الذى ذكر جملة كبيرة من تصانيفه .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٠.

(٤) زيادة من الذيل على الروضتين .

(٥) مرآة الزمان ٨/٧٣٦ (القسم الثانى) .

(٦) مرآة الزمان ٨/٧٣٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٦٠، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٤٨.

للحُمَيْدىِّ ، وكان مُتَواضِعًا ، حسَنَ الأخْلاقِ ، قد طاف البُلْدانَ فى طلبِ العلمِ ، ثم اسْتَقَرَّ بدمشقَ ، ودرَّس بالعَذْراوِيَّةِ[1] والصّارِميَّةِ والشّامِيّةِ البَرّانِيَّةِ[2] وأمِّ الصالحِ ، وناب فى الحكمِ عن جَماعةٍ مِن القُضاةِ إلى أن تُوُفِّى بها ، وهو نائبُ الرَّفيعِ الجِيلىِّ ، وكانت وفاتُه يومَ الجمعةِ سادسَ شوالٍ ، ودُفِن بقاسِيونَ .

ياقوتُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أميـنُ الدينِ الرُّومىُّ[3] ، منسوبٌ إلى ولاءِ[4] أَتَابَك ، قدِم بغدادَ مع رسولِ صاحبِ الموصلِ لؤلؤٍ . قال ابنُ الساعى : اجْتَمَعْتُ به ، وهو شابٌّ أديبٌ فاضلٌ ، يَكْتُبُ خطًّا حسنًا وهو فى غايةِ الجَوْدةِ ، ويَنْظِمُ شعرًا جيدًا . ثم روَى عنه شيئًا منه . قال : وتُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ مَحْبوسًا .

---

(١) فى م : « بالفداوية » . وانظر الدارس ١/ ٣٧٣، ٥٤٨.

(٢) فى الأصل ، م : « الجوانية » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) فى م : « الرولى » . وانظر ترجمته فى : المختصر المحتاج إليه ص ٢٣٧، وعدّه ابن الدبيثى فى جملة من اسمه عبد الرحمن ، ووفيات الأعيان ٦/ ١٢٢، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥٥، وفيات سنة سبع وثلاثين وستمائة .

(٤) فى م : « بيت » . نسبه الذهبى فى تاريخ الإسلام فقال : الأتابكى الموصلى .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثلاثين وستّمائةٍ

فيها[1] قصَد الملكُ الجَوَادُ أن يَدْخُلَ مصرَ ليَكونَ فى خدمةِ الصالحِ أيوبَ ، فلما وصَل إلى الرَّمْلِ توَهَّم منه الصالحُ أيوبُ ، وأرْسَل إليه كمالَ الدينِ بنَ الشيخِ ليَقْبِضَ عليه ، فرجَع الجَوَادُ ، فاسْتَجار بالناصرِ داودَ ، وكان إذ ذاك بالقدسِ الشريفِ ، وبعَث معه جيشًا ، فالْتَقَوْا مع ابنِ الشيخِ ، فكسَروه وأسَروه ، فوبَّخه الناصرُ داودُ ، ثم أطْلَقه ، وأقام الجَوَادُ فى خدمةِ الناصرِ حتى توَهَّم منه ، فقيَّده[2] وأرْسَله تحتَ الحَوْطةِ إلى بغدادَ ، فأطْلَقه بطنٌ مِن العربِ عن قوةٍ ، فلجَأ إلى صاحبِ دمشقَ مدةً ، ثم انْتَقل إلى الفِرِنْجِ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، فحبَسه الصالحُ إسماعيلُ بعَزَّتا إلى أن مات فى سنةِ إحدى وأربعين كما سيأْتى .

وفيها شرَع الصالحُ أيوبُ فى بناءِ المَدارسِ بمصرَ ، وبنَى قلعةً بالجَزيرةِ غرِم عليها شيئًا كثيرًا مِن بيتِ المالِ ، وأخَذ أمْلاكَ الناسِ ، وخرَّب نَيِّفًا وثلاثين مسجدًا ، وقطَع ألفَ نخلةٍ ، ثم أخْرَبها التُّرْكُ فى سنةِ إحدى وخمسين كما سيأتى بيانُه .

وفيها ركِب الملكُ المنصورُ[3] إبراهيمُ بنُ الملكِ المجاهدِ صاحبُ حمصَ ، ومعه

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٣٦، ٧٣٧ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧١، ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٤ - ٤٦، ونهاية الأرب ٢٩/٢٨١ - ٢٩٩، وكنز الدرر ٧/ ٣٤٧.

(٢) فى الأصل : « قصده » .

(٣) بعده فى م : « بن » .

الحلبيُّون ، فاقْتَتلوا مع الخُوارَزْميةِ بأرضِ حَرَّانَ ، فكسَروهم ومزَّقوهم كلَّ مُمَزَّقٍ ، وعادوا مَنْصورِين إلى بلادِهم ، فاصْطَلَح شِهابُ الدينِ غازى صاحبُ مَيَّافارِقِين مع الخُوارَزْميةِ ، وآواهم إلى بلدِه ليَكُونوا مِن حِزْبِه .

قال أبو شامةَ[1] : وفيها كان دخولُ الشيخِ عِزِّ الدينِ إلى الديارِ المصريةِ ، فأكْرَمه صاحبُها ، وولَّاه الخَطابةَ بالقاهرةِ وقَضاءَ القُضاةِ بمصرَ ، بعدَ وفاةِ القاضى شرفِ الدينِ المُوقِّعِ[2] ، ثم عزَل نفسَه مرتين ، وانْقَطَع فى بيتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال[3] : وفيها تُوُفِّى بالمَوْصلِ[4] الشمسُ بنُ الخَبَّازِ النحْوىُّ الضَّريرُ فى سابعِ رجبٍ . والكَمالُ بنُ يونسَ الفقيهُ فى النصفِ مِن شعبانَ ، وكانا فاضلَىْ بلدِهما فى فنِّهما .

قلتُ : أما **الشمسُ بنُ الخَبَّازِ**[5] **فهو أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ ابنِ معالى بنِ منصورِ بنِ علىٍّ** ، الضَّريرُ النَّحوىُّ الموصلىُّ ، المعروفُ بابنِ الخَبَّازِ ، اشْتَغل بعلمِ العربيةِ وحفِظ « المُفَصَّلَ » و « الإيضاحَ والتَّكْملةَ » والعَروضَ والحسابَ ، وكان يَحْفَظُ « المُجْمَلَ » فى اللغةِ وغيرَ ذلك ، وكان شافعىَّ المذهبِ ، كثيرَ النَّوادِرِ والمُلَحِ ، وله أشعارٌ جيدةٌ ، وكانت وفاتُه فى العاشرِ من رجبٍ ، وله مِن العمرِ خمسون سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) فى الأصل : « ابن الموقع » ، وفى م : « المرقع » . والمثبت من الذيل .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢.

(٤) سقط من : م .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢.

وأمَّا **الكمالُ بنُ يونُسَ**[1] **فهو موسى بنُ يونُسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعةَ بنِ مالكٍ العُقَيْليُّ، أبو الفتحِ الموصليُّ**، شيخُ الشافعيةِ بها، ومدرسٌ بعدةِ مَدارسَ فيها، وكانت له معرفةٌ تامةٌ بالأُصولِ والفروعِ والمَعْقولاتِ والمَنْطِقِ والحكمةِ، [١٠/٣٢و] ورحَل إليه الطلبةُ مِن البُلْدانِ، وبلَغ ثمانيةً وثمانين عامًا، وله شعرٌ حسنٌ. فمِن ذلك ما امْتَدَح به البدرَ لؤلؤًا صاحبَ الموصلِ، وهو قولُه[2]:

[3]لئن شَرُفَتْ أرضٌ بمالِكِ رِقِّها[3] فمَمْلكةُ الدنيا بِكُمْ تَتَشَرَّفُ
بَقِيتَ بقاءَ الدهرِ أمرُك نافذٌ وسعيُك مشكورٌ وحُكمُك مُنصِفُ[4]

كان مولدُه سنةَ إحدى وخمسين وخمسِمائةٍ، وتُوُفِّي للنصفِ مِن شعبانِ هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

قال أبو شامةَ[5]: وفيها تُوُفِّي بدمشقَ: عبدُ الواحدِ الصُّوفيُّ[6] الذى كان قَسًّا راهبًا بكَنيسةِ مَرْيَمَ سبعين سنةً، أسْلَم قبلَ موتِه بأيامٍ، ثم تُوُفِّي شيخًا كبيرًا بعدَ أن أقام بخانْقاه السُّمَيْساطيةِ أيامًا، [7]ودُفِن بمَقابرِ الصوفيةِ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ، حضَرْتُ دفنَه والصلاةَ عليه، رحِمه اللَّهُ تعالى[7].

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧١، وطبقات الشافعيه الكبرى للسبكى ٨/ ٣٧٨.
(٢) انظر وفيات الأعيان ٥/ ٣١٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٨٣.
(٣ - ٣) الأصل، م: «لئن زينت الدنيا بمالك أمرها». ويختل به الوزن. والمثبت من مصدرى التخريج.
(٤) فى م: «ينصف»، وبعده فى وفيات الأعيان:

«ومكنت فى حفظ البسيطة مثل ما تمكن فى أمصار فرعون يوسف»

أما فى الطبقات فالبيت قبله.
(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.
(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٥.
(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

أبو الفضلِ[1] أحمدُ بنُ إسْفَنْديارَ بنِ المُوَفَّقِ بنِ أبى علىٍّ البُوشنْجِىُّ[2] الواعظُ، شيخُ رِباطِ الأرجُوانيةِ.

قال ابنُ الساعى: كان جميلَ الصورةِ، حسَنَ الأخلاقِ، كثيرَ التَّوَدُّدِ والتَّواضُعِ، مُتَكَلِّمًا مُفَوَّهًا مَنْطِقِيًّا، حسنَ العبارةِ، جيدَ الوعظِ، طيبَ الإنْشادِ، عَذْبَ الإيرادِ، له نَظْمٌ حسنٌ. ثم ساق عنه قصيدةً يَمْدَحُ بها الخليفةَ المُسْتَنْصِرَ.

أبو بكرٍ محمدُ بنُ يحيى بنِ المُظَفَّرِ بنِ علىِّ بنِ نُعَيْمٍ، المعروفُ بابنِ الحُبَيْرِ السَّلامىِّ[3]، شيخٌ صالحٌ عالمٌ فاضلٌ، كان حَنْبَليًّا، ثم صار شافعيًّا، ودرَّس بعدةِ مدارسَ ببغدادَ للشافعيةِ، وكان أحدَ المُعَدِّلين بها، تولَّى مُباشَراتٍ كثيرةً، وكان فقيهًا أُصوليًّا عالمًا بالخلافِ، وتقدَّم ببلدِه وعظُم كثيرًا، ثم اسْتَنابه ابنُ فَضْلانَ بدارِ الحَريمِ، ثم صار مِن أمرِه أن درَّس بالنِّظاميةِ، وخُلِع عليه ببغلةٍ، وحضَر عندَه الأعيانُ، وما زال بها حتى تُوُفِّى عن ثمانين سنةً، ودُفِن ببابِ حربٍ.

قاضى القُضاةِ ببغدادَ أبو المعالى عبدُ الرحمنِ بنُ مُقْبِلِ بنِ علىٍّ الواسطىُّ الشافعىُّ[4]، اشْتَغل ببغدادَ، وحصَّل وأعاد فى بعضِ المدارسِ، ثم اسْتَنابه قاضى القُضاةِ عمادُ الدينِ أبو صالحٍ نصرُ بنُ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ عبدِ القادرِ، فى أيامِ الخليفةِ

---

(١) كذا فى النسختين، وفى مصادر الترجمة: «العباس»، وانظر ترجمته فى تاريخ إربل ١/ ٣٣٨. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٤٨.

(٢) فى النسختين: «البوسنجى». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) المختصر المحتاج إليه ص ٩٢، ٩٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٢، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٨٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٥٣.

الظاهرِ بنِ الناصرِ ، ثم ولِى قَضاءَ القُضاةِ مُسْتَقِلًّا ، ثم ولِى تدريسَ المُسْتَنْصريةِ بعدَ موتِ أولِ مَن درَّس بها مُحْيى الدينِ محمدِ بنِ فَضْلانَ ، ثم عُزِل عن ذلك كلِّه ، (١وعُيِّن لمَشْيَخةِ١) بعضِ الرُّبُطِ ، ثم كانت وفاتُه فى هذا العامِ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا مُتواضِعًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفا عنه .

(١ - ١) فى م : « وعن مشيخة » . وانظر مصادر ترجمته .

ثم دخَلَت سنةُ أربعين وستّمائةٍ

فيها[1] تُوُفِّى المُستَنصِرُ باللَّهِ وخلافةُ ولدِه المُستَعصِمِ باللَّهِ، فكانت وفاةُ الخليفةِ المُستَنصِرِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين بُكْرةَ يومِ الجمعةِ عاشرَ جُمادَى الآخِرةِ، وله مِن العُمرِ إحدى وخمسون سنةً، وأربعةُ أشهرٍ وسبعةُ أيامٍ، وكُتِم موتُه حتى كان الدعاءُ له على المنابرِ ذلك اليومَ، وكانت مدةُ ولايتِه ستَّ عشْرةَ سنةً وعشَرةَ أشهرٍ وسبعةً وعشرين يومًا، ودُفِن بدارِ الخلافةِ، ثم نُقِل إلى التربِ مِن الرُّصافةِ. وكان جميلَ الصورةِ، حسنَ السَّريرةِ[2]، جيدَ السِّيرةِ، كثيرَ الصَّدَقاتِ والبِرِّ والصِّلاتِ، مُحْسِنًا إلى الرعيةِ بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه، كان جدُّه الناصرُ قد جمَع ما يَتَحَصَّلُ مِن الذهبِ فى بركةٍ بدارِ الخلافةِ، فكان يَقِفُ على حافَّتِها ويقولُ: أتُرَى أَعِيشُ حتى أَمْلَأَها. وكان المُستَنصِرُ يَقِفُ على حافَّتِها ويقولُ: أتُرَى أَعِيشُ حتى أُنْفِقَها كلَّها. كان يَبْنى الرُّبُطَ والخاناتِ والقَناطرَ فى الطُّرُقاتِ مِن سائرِ الجهاتِ، وقد عمِل بكلِّ مَحَلَّةٍ مِن مَحَالِّ بغدادَ دارَ ضيافةٍ للفقراءِ، لا سيَّما فى شهرِ رمضانَ، وكان يَتَقَصَّدُ الجَوارىَ اللاتى قد بلَغْن الأربعين، فيُشْتَرَيْن له فيُعْتِقُهن ويُجَهِّزُهن ويُزَوِّجُهن، وفى كلِّ وقتٍ يُبْرِزُ صِلاتِه ألوفٌ مُتَعدِّدةٌ مِن الذهبِ، تُفَرَّقُ [١٠/٣٢ظ] فى المَحَالِّ ببغدادَ على ذَوِى الحاجاتِ والأراملِ والأيْتامِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٣٩ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٥٢.

(٢) بعده فى الأصل: «جميل».

وغيرِهم ، تقبَّل اللَّهُ تعالى منه وجزاه خيرًا ، وقد وضَع ببغدادَ المدرسةَ المستنصريةَ للمَذاهبِ الأربعةِ ، وجعَل فيها دارَ حديثٍ [1]ومَارَسْتانًا[1] وحمامًا ودارَ طِبٍّ ، وجعَل لمُسْتَحقِّيها مِن الجَواملِ والأطْعِمةِ والحَلاواتِ والفواكهِ ما يَحْتاجون إليه فى أوقاتِه ، وأوقَف عليها أوقافًا عظيمةً حتى قيل : إن ثمنَ التِّبْنِ مِن غَلَّاتِ رِيعِها يَكْفِى المدرسةَ وأهلَها . ووقَف فيها كُتُبًا نَفيسةً ليس لها فى الدنيا نَظيرٌ ، فكانت هذه المدرسةُ جَمالًا لبغدادَ ، بل لسائرِ البلادِ .

وقد احْتَرَق فى[2] هذه السنةِ المَشْهَدُ الذى بسامَرَّا المنسوبُ إلى علىٍّ الهادى والحسنِ العَسْكرىِّ ، وقد كان بناه أرْسَلان البَساسِيرىُّ فى أيامِ تَغَلُّبِه على تلك النَّواحِى ، فى حدودِ سنةِ خمسين[3] وأربعِمائةٍ ، فأمَر الخليفةُ المُستَنصِرُ بإعادتِه إلى ما كان عليه ، وقد تكَلَّمَت الرَّوافضُ فى الاعْتِذارِ عن حريقِ هذا المشهدِ بكلامٍ طويلٍ باردٍ لا حاصلَ له ، وصنَّفوا فيه أخْبارًا ، وأنْشَدوا أشعارًا كثيرةً لا مَعْنى لها ، وهو المشهدُ الذى يَزْعُمون أنه يخرجُ منه المُنْتَظَرُ الذى لا حقيقةَ له ، لا عينَ ولا أثرَ ، ولو لم يُبْنَ لكان أجوَدَ[4] ، وهو الحسنُ بنُ علىٍّ[5] بنِ محمدٍ الجَوَادِ بنِ علىٍّ الرضا بنِ موسى الكاظمِ بنِ جعفرٍ الصادقِ[6] بنِ محمدِ بنِ الباقرِ بنِ علىٍّ[7] زينِ العابدِين بنِ الحسينِ الشَّهيدِ بكَرْبلاءَ ، ابنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجْمَعين ، وقبَّح مَن يَغْلُو فيهم ويُبْغِضُ بسببِهم مَن هو أفضلُ منهم .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « أول » .

(٣) فى الأصل : « خمس » .

(٤) فى م : « أجدر » .

(٥) بعده فى الأصل : « الهادى » .

(٦) بعده فى الأصل : « بن على » . وانظر أنساب الأشراف ٣/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

(٧) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

وكان المُستَنصِرُ، رحِمه اللَّهُ، كريمًا حَليمًا رئيسًا مُتَوَدِّدًا إلى الناسِ، وكان جميلَ الصورةِ، حسَنَ الأخلاقِ، بَهِيَّ المَنْظَرِ، عليه نورُ بيتِ النبوةِ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه وأرْضاه. وحُكِى أنه اجْتاز راكبًا فى بعضِ أزقةِ بغدادَ قبلَ غروبِ الشمسِ مِن رمضانَ، فرأَى شيخًا كبيرًا، ومعه إناءٌ فيه طعامٌ، قد حمَله مِن مَحَلَّةٍ إلى مَحَلَّةٍ أخرى، فقال: أيُّها الشيخُ، لمَ لا أخَذتَ الطعامَ مِن مَحَلَّتِك؟ أوَ أنت محتاجٌ فتأخذَ مِن المَحَلَّتَين؟ فقال: لا واللَّهِ ياسيدى - ولم يَعْرِفْ أنه الخليفةُ - ولكنِّى شيخٌ كبيرٌ، وقد نزَل بىَ الوقتُ، وأنا أَسْتَحِى مِن أهلِ مَحَلَّتى أن أُزاحِمَهم وقتَ الطعامِ[1]، وأَتَحَيَّنُ وقتَ كونِ الناسِ فى صلاةِ المغربِ، فأَدْخُلُ بالطعامِ إلى منزلى حيثُ لا يَرانى أحدٌ. فبكَى الخليفةُ، رحِمه اللَّهُ تعالى، وأمَر له بألفِ دينارٍ، فلما دُفِعَت إليه فرِح الشيخُ فرَحًا شديدًا حتى قيل: إنه انْشَقَّ قلبُه مِن شدةِ الفرحِ، ولم يَعِشْ بعدَ ذلك إلا عشرين يومًا، ثم مات فحُمِلت الألفُ دينارٍ إلى الخليفةِ؛ لأنه لم يَخْلُفْ وارثًا. وقد أنْفَق منها دينارًا واحدًا، فتعجَّب الخليفةُ مِن ذلك، وقال: شىءٌ قد خرَجْنا عنه للَّهِ لا يَعودُ إلينا، تصَدَّقوا بها على فُقراءِ مَحَلَّتِه.

وقد خلَّف مِن الأولادِ ثلاثةً؛ اثنان شَقيقان، وهما أميرُ المؤمنين المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ الذى ولِى الخلافةَ بعدَه أبو[2] أحمدَ عبدُ اللَّهِ، والأميرُ أبو القاسمِ عبدُ العزيزِ، وأختُهما مِن أمٍّ أخرى كَريمةٍ، صان اللَّهُ حِجابَها. وقد رثاه الناسُ بأشعارٍ كثيرةٍ، أوْرَد منها ابنُ الساعى قطعةً صالحةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) بعده فى م: «فيشمت بى من كان يبغضنى فانا أذهب إلى غير محلتى فآخذ الطعام».
(٢) فى الأصل: «وأبو». وهو خطأ فأبو أحمد عبد اللَّه هو المستعصم باللَّه.

ولم يَسْتَوْزِرْ أحدًا ، بل أقَرَّ أبا[1] الحسنِ محمدَ بنَ محمدٍ[2] القُمِّىَّ على نِيابةِ الوِزارةِ ، ثم كان بعدَه نصيرُ[3] الدينِ أبو الأزْهَرِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ[4] الناقدِ الذى كان أُستاذَ دارِ الخلافةِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

خلافةُ المُسْتَعْصِمِ باللَّـهِ أميرِ المؤمنين[5]

وهو آخرُ خُلفاءِ بنى العباسِ ببغدادَ ، وهو الخليفةُ الشَّهيدُ الذى قتَله التَّتارُ [١٠/٣٣و] بأمرِ هُلَاوو بنِ تولّى ملكِ التتارِ بنِ جِنْكِزْخان ، لعَنه اللَّهُ ، فى سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، كما سيأتى بيانُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وهو أميرُ المؤمنين المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ الإمامُ أبو أحمدَ عبدُ اللَّهِ بنُ أميرِ المؤمنين المُستَنصِرِ باللَّهِ أبى جعفرٍ المنصورِ بنِ أميرِ المؤمنين الظاهرِ باللَّهِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين الناصرِ لدينِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين المُسْتَضِىءِ [6]بأمرِ اللَّهِ[6] أبى محمدٍ الحسنِ ابنِ أميرِ المؤمنين المُستَنجِدِ باللَّهِ أبى المُظَفَّرِ يوسُفَ بنِ أميرِ المؤمنين المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين المُستَظهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين الخليفةِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ ، وبقيةُ نسبِه إلى العباسِ فى

---

(١) بعده فى الأصل : « محمد » . وانظر الوافى بالوفيات ١/ ١٤٧.

(٢) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر المصدر السابق ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٦.

(٣) فى م : « نصر » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٨.

(٤) سقط من : م . وانظر المصدر السابق .

(٥) ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٥٣ - ٢٥٧، ونهاية الأرب ٢٣/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « باللَّه » . والمثبت من المصدرين السابقين ، ومما تقدم فى صفحة ١٣٣.

ترجمةِ جدِّه الناصرِ[1] ، وهؤلاء الذين ذكَرْناهم كلُّهم ولِى الخلافةَ ، يَتْلُو بعضُهم بعضًا ، ولم يَتَّفِقْ هذا لأحدٍ قبلَ المُسْتَعْصِمِ ؛ أن فى نسبِه ثَمانيةً وَلُوا الخلافةَ نَسَقًا لم يَتَخَلَّلْهم أحدٌ ، وهو التاسعُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

لمّا تُوُفِّى أبوه بُكْرةَ الجمعةِ عاشرَ جُمادَى الآخِرةِ مِن سنةِ أربعين وستِّمائةٍ اسْتُدْعِى هو مِن التاجِ يومَئذٍ بعدَ الصلاةِ فبُويع بالخلافةِ ، ولُقِّب بالمُستَعصِمِ ، وله مِن العمرِ يومَئذٍ ثلاثون سنةً وشهورٌ ، وقد أتْقَن فى شَبيبَتِه تلاوةَ القرآنِ حفظًا وتَجْويدًا ، وأتْقَن العربيةَ والخطَّ الحسنَ وغيرَ ذلك مِن الفَضائلِ على الشيخِ شمسِ الدينِ أبى المُظَفَّرِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ النيارِ[2] أحدِ أئمةِ الشافعيةِ فى زمانِه ، وقد أكْرَمه ، وأحْسَن إليه فى خلافتِه ، وكان المُستَعصِمُ ، على ما ذُكِر ، كثيرَ التِّلاوةِ ، حسَنَ الأداءِ ، طيبَ الصوتِ ، يَظهَرُ عليه خشوعٌ وإنابةٌ ، وقد نظَر فى شىءٍ مِن التفسيرِ وحَلِّ المُشْكِلاتِ ، وكان مَشْهورًا بالخيرِ ، مَشْكورًا ، مُقْتَدِيًا بأبيه المُستَنصِرِ جُهْدَه وطاقتَه ، وقد مشَتِ الأمورُ فى أيامِه على السَّدادِ والاسْتِقامةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وكان القائمَ بهذه البيعةِ المُسْتَعْصِميةِ شرفُ الدينِ أبو الفَضائلِ إقبالٌ المُستَنصِرىُّ ، فبايَعه أولًا بنو عمِّه وأهلُه مِن بنى العباسِ ، ثم أعْيانُ الدولةِ مِن الأمراءِ والوُزراءِ والقُضاةِ والعلماءِ والفقهاءِ ومَن بعدَهم مِن أُولِى الحَلِّ والعَقْدِ والعامَّةِ وغيرِهم ، وكان يومًا مشهودًا ، ومَجْمَعًا محمودًا ، ورأيًا سعيدًا ، وأمرًا حميدًا ، وجاءَت البَيْعةُ مِن سائرِ الجِهاتِ والأقْطارِ ، والبُلْدانِ والأمْصارِ ، وخُطِب

---

(١) انظر ما تقدم صفحة ١٣٣، ١٣٤.

(٢) فى الأصل : «المنيار» . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٧٤، ٣٢٣.

له فى سائرِ البُلْدانِ ، والأقاليمِ والرَّساتيقِ ، وعلى سائرِ المَنابرِ شرقًا وغربًا ، بُعْدًا وقُرْبًا ، كما كان أبوه وأجْدادُه مِن بنى العباسِ ، رحِمهم اللَّهُ أجْمَعِين .

وممّا وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ أنه كان بالعراقِ وَباءٌ شديدٌ فى آخِرِ أيامِ المُستَنصِرِ ، وغلا السكرُ والأدْويةُ ، فتصَدَّق الخليفةُ المُستَنصِرُ باللَّهِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، بسكرٍ كثيرٍ على المَرْضَى ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

وفى يومِ الجمعةِ رابعَ عشَرَ شعبانَ أذِن الخليفةُ المُستَعصِمُ باللَّهِ لأبى الفرجِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحْيى الدينِ يوسُفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ - وكان شابًّا ظريفًا فاضلًا - فى الوَعْظِ ببابِ البَدْريةِ ، فتكَلَّم وأجاد وأفاد ، وامْتَدَح الخليفةَ المُستَعصِمَ بقصيدةٍ مُفيدةٍ[1] طويلةٍ جليلَةٍ[1] فَصيحةٍ مَليحَةٍ[1] ، سرَدها ابنُ الساعى بكَمالِها ، ومَن يُشابِهْ أباه فما ظلَم ، والشِّبْلُ فى المَخْبَرِ[2] مثلُ الأسدِ .

وفيها كانت وقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الحلَبِيِّين [3]وبينَ الخُوارَزْميةِ[3] ، ومع الخُوارَزْميةِ شِهابُ الدينِ غازى صاحبُ مَيَّافارِقِينَ ، فكسَرهم الحلَبيون كُسْرةً عظيمةً مُنْكَرةً ، وغنِموا [١٠/٣٣ظ] مِن أموالِهم شيئًا كثيرًا جدًّا ، ونُهِبَت نَصِيبِينُ مرةً أخرى ، وهذه سابعَ عشَرَ مرةً نُهِبَت فى هذه السِّنين ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وعاد غازى إلى مَيَّافارِقِينَ ، وتفَرَّقَت الخُوارَزْميةُ يَعيثون فى الأرضِ فَسادًا صُحْبةَ مُقَدَّمِهم بَرَكات خان ، لا بارَك اللَّهُ فيه ، وقدِم على شهابِ الدينِ غازى مَنْشورٌ بمدينةِ خِلاطَ فتسَلَّمها وما فيها مِن الحَواصِلِ .

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل : « الخير » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

وفيها عزَم الصالحُ أيوبُ صاحبُ مصرَ على دخولِ الشامِ، فقيل له: إن العساكرَ مُخْتلِفةٌ، فجهَّز عَسْكرًا إليها، وأقام هو بمصرَ يُدبِّرُ مَمْلكتَها.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

المُستَنصِرُ باللَّهِ أميرُ المؤمنين كما تقدَّم.

والحُرْمَةُ المَصونَةُ الجليلةُ بركاتُ[1] **خاتون بنتُ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ مَوْدودِ ابنِ زَنْكِى بنِ آقْسُنْقُرَ الأتابَكِيَّةُ**، واقفةُ المدرسةِ الأتابَكِيَّةِ بالصالحِيَّةِ، وكانت زوجةَ السُّلْطانِ الملكِ الأَشْرفِ، رحِمه اللَّهُ، وفى ليلةِ وفاتِها كانت وقَفَت مدرستَها وتربتَها بالجبلِ. قاله أبو شامةَ[2]، ودُفِنَت بها، رحِمها اللَّهُ تعالى وتقبَّل منها.

---

(١) سقط من: م. وانظر ترجمتها فى: الذيل على الروضتين ص ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٣٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٨٠، وفيهما: «تُرْكان». ولعله الصواب. انظر العبر ٥/ ١٦٤، والدارس ١/ ١٢٩، وأعلام النساء ١/ ١٧١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] تردَّدَت الرسلُ بينَ الصالحِ أيوبَ صاحبِ مصرَ وبينَ عمِّه الصالحِ إسماعيلَ صاحبِ دمشقَ، على أن يَرُدَّ إليه ولدَه المُغِيثَ عمرَ بنَ الصالحِ أيوبَ المُعْتَقَلَ فى قلعةِ دمشقَ، وتَسْتَقِرَّ دمشقُ فى يدِ الصالحِ إسماعيلَ، فوقَع الصلحُ على ذلك، وخُطِب للصالحِ أيوبَ بدمشقَ، فخاف الوزيرُ أمينُ الدولةِ أبو الحسنِ غَزَّالٌ المسلمانىُّ، وزيرُ الصالحِ إسماعيلَ مِن غائلةِ هذا الأمرِ، فقال لمَخْدومِه: لا تَرُدَّ هذا الغلامَ إلى أبيه تَخْرُجُ البلادُ مِن يدِك، هذا خاتمُ سليمانَ فى يدِك للبلادِ. فعندَ ذلك أبْطَل ما كان وقَع مِن الصُّلْحِ، ورَدَّ الغلامَ إلى القلعةِ، وقُطِعَت الخطبةُ للصالحِ أيوبَ، ووقَعَت الوَحْشةُ بينَ الملكَيْن، وأرْسَل الصالحُ أيوبُ إلى الخُوارَزْميةِ يَسْتَحْضِرُهم لحصارِ دِمَشقَ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وكانت الخُوارَزْميةُ قد فتَحوا فى هذه السنةِ بلادَ الرومِ، وأخَذوها مِن أيدى ملكِها ابنِ علاءِ الدينِ، وكان قليلَ العقلِ يَلْعَبُ بالكلابِ والسِّباعِ، ويُسَلِّطُها على الناسِ، فاتَّفَق أنه عضَّه سَبُعٌ فمات، فتغَلَّبوا على البلادِ حينَئذٍ.

وفيها احْتِيط على أعْوانِ القاضى الرَّفيعِ الجِيلىِّ، وضُرِب بعضُهم بالمَقارِعِ، وصُودِروا، ورُسِم على القاضى الرَّفيعِ بالمدرسةِ المُقَدَّميَّةِ داخلَ بابِ الفَراديسِ، ثم أُخْرِج ليلًا وذُهِب به، فسُجِن بمَغارةِ أفقه مِن نَواحِى البِقاعِ، ثم انْقَطَع خبرُه.

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٤١ - ٧٤٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٣، ١٧٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧١، ١٧٢، ونهاية الأرب ٢٩/٣٠٢ - ٣٠٤.

وقال أبو شامةَ[1] : وذكروا أنه تُوُفِّى لا[2] رحِمه اللَّه تعالى ، ومنهم مَن قال : إنه أُلْقى مِن شاهقٍ . ومنهم مَن قال : خُنِق . وذلك كلُّه بذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ .

وفى يومِ الجمعةِ الخامسِ والعِشْرينَ منه قُرِئ مَنْشورُ وِلايةِ القضاءِ بدمشقَ لمُحْيى الدينِ يحيى[3] بنِ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ محمدِ بنِ يحيى القُرَشىِّ ، بالشُّبَّاكِ الكَمالىِّ بالجامعِ . كذا قال الشيخُ شِهابُ الدِّينِ أبو شامةَ[4] .

وزعَم السِّبْطُ[5] أن عزْلَه إنما كان فى السنةِ الآتيةِ ، وذكَر أن سببَ هلاكِه أنه كتَب إلى الملكِ الصالحِ يقولُ له : إنه أوْرَد إلى خِزانتِه مِن الأموالِ ألفَ ألفِ دينارٍ مِن أموالِ الناسِ . فأنْكَر الصالحُ ذلك ، وردَّ عليه الجوابَ أنه لم يَرِدْ سوى ألفِ ألفِ درهمٍ ، فأرْسَل القاضى يقولُ : فأنا أُحاقِقُ الوزيرَ . [١٠/ ٣٤و] وكان الصالحُ لا يُخالِفُ الوزيرَ ، فأشار حينئذٍ على الصالحِ بعَزْلِه لتَبْرَأَ ساحةُ السلطانِ مِن شَناعاتِ الناسِ ، فعزَله وكان مِن أمرِه ما كان . وفوَّض أمرَ مَدارسِه إلى الشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ ، فعيَّنَ العادليةَ للكَمالِ التَّفْلِيسِىِّ ، والعَذْراويَّةَ لمُحْيى الدينِ ابنِ الزَّكِىِّ الذى ولِى القضاءَ بعدَه ، والأَمِينيَّةَ لابنِ عبدِ الكافى ، والشاميةَ البَرَّانيةَ للتَّقِىِّ الحَمَوىِّ ، وتغيَّب القاضى الرَّفيعُ ، وأسْقَط عَدالةَ شهودِه .

قال السِّبْطُ[6] : أرْسَلَه الأميرُ مع جماعةٍ على بغلٍ بإكافٍ لبعضِ النصارَى

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٣) زيادة من : الأصل . وفى الذيل على الروضتين : « محيى الدين محمد بن على » . وهو خطأ ؛ فمحيى الدين محمدُ بن على هو والد محيى الدين يحيى بن محمد ، وقاضى القضاة فى أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين . انظر الذيل على الروضتين ص ٣١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٧٤٤ ، ٧٤٥ (القسم الثانى) .

(٦) مرآة الزمان ٨/ ٧٥٠ (القسم الثانى) .

إلى مَغارةِ أفقه فى جبلِ لُبْنانَ مِن ناحيةِ الساحلِ ، فأقام بها أيامًا ، ثم أرْسَل إليه عَدْلَيْن مِن بَعْلَبَكَّ ليَشْهَدا عليه ببيعِ أملاكِه مِن أمينِ الدَّولةِ ، فذكَرا أنَّهما شاهَداه ، وعليه تَخفيفةٌ[1] وقَنْدُورةٌ[2] ، وأنه اسْتَطْعَمهما شيئًا مِن الزَّادِ ، وذكَر أنَّ له ثلاثةَ أيامٍ لم يَأْكُلْ شيئًا ، وأطعماه مِن زوَّادتِهما ، وشهِدَا عليه وانْصَرَفا ، ثم جاء داودُ النَّصْرانىُّ فقال : قُمْ ، فقد أُمِرْنا بحملِك إلى بَعْلَبَكَّ . فأيْقَن بالهَلاكِ حينَئذٍ ، فقال : دَعُونى أُصَلِّى ركعتين . فقال : قُمْ . فَقَام فصلَّى ، فأطالَ الصَّلاةَ ، فرفَسه النَّصْرانىُّ ، فألْقاه مِن رأسِ الجبلِ إلى أسفلِ الوادى الذى هناك ، فما وصَل حتى تقَطَّع ، وحُكِى أنه تعَلَّق ذيلُه بسِنِّ الجبلِ ، فما زال داودُ يَرْميه بالحِجارةِ حتى ألْقاه إلى أسفَلِ الوادى ، وذلك عندَ الشَّقِيفِ[3] المُطِلِّ على نهرِ إبراهيمَ .

قال السِّبْطُ[4] : وقد كان فاسدَ العَقيدةِ ، دَهْرِيًّا مُسْتَهْزِئًا بأمورِ الشرعِ ، يَخْرُجُ إلى المجلسِ سَكْرانَ ، ويَحْضُرُ إلى الجمعةِ كذلك ، وكانت دارُه كالخاناتِ . فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ . قال[5] : وأخَذ المُوَفَّقُ الواسِطىُّ أحدُ أُمَنائِه - وكان مِن أكبرِ البَلايا - أخَذ لنفسِه مِن أموالِ الناسِ ستَّمائةِ ألفِ درهمٍ ، فعُوقِب عُقوبةً عظيمةً حتى أُخِذَت منه ، وقد كُسِرَت ساقاه ، ومات تحتَ الضربِ ، فأُلْقِىَ فى مَقابرِ اليهودِ والنصارى ، وأكَلَتْه الكلابُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ شمسُ الدِّينِ أبو الفُتُوحِ [6]عمرُ بنُ[6] أسعدَ بنِ المُنَجَّى التَّنوخىُّ

---

(١) التخفيفة : العمامة . انظر الملابس المملوكية ص ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٥٤ .

(٢) القندورة : من ملابس النساء . تاج العروس (قندر) .

(٣) فى الأصل ، م : « سقيف » . والمثبت من مرآة الزمان . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٠٩.

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧٥٠ (القسم الثانى) .

(٥) المصدر السابق ٨/ ٧٥٠، ٧٥١.

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء =

المَعَرِّىُّ الحَنْبلىُّ، قاضى حَرَّانَ قديمًا، ثم قدِم دمشقَ، ودرَّس بالمِسْمارية، وتولَّى خِدَمًا فى الدولةِ المُعَظَّمِيةِ، وكانت له رِوايةٌ عن ابنِ صابرٍ والقاضِيَيْن؛ الشَّهرَزُورِىِّ وابنِ أبى عَصْرونَ، وكانت وفاتُه فى سابعَ عشَرَ[1] ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى، [2]وتوفِّى أخوه العِزُّ بعدَه فى ذى الحجةِ، ودُفِنَ بمدرستِه التى بالجبل رحِمه اللَّهُ تعالى[2].

الشيخُ الحافظُ الصَّالحُ تَقىُّ الدِّينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ الأزْهَرِ الصَّريفِينىُّ[3]، كان يَدْرِى الحديثَ، وله به معرفةٌ جيدةٌ، أثْنَى عليه أبو شامةَ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ، ودُفِن بقاسِيونَ، رحِمه اللَّهُ.

واقفُ الكَرَوَّسِيَّةِ محمدُ بنُ عقيلِ بنِ كَرَوَّسَ، جمالُ الدينِ مُحْتَسِبُ دمَشقَ[4]، كان كَيِّسًا مُتواضِعًا، تُوُفِّى بدمشقَ فى شَوَّالٍ، ودُفِن بدارِه التى جعَلها مدرسةً، وله دارُ حديثٍ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفَا عنه.

الملكُ الجَوَادُ يونسُ بنُ مَمْدودِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أَيُّوبَ، الملكُ الجَوَادُ[5]، وكان أَبُوه أكبرَ أولادِ العادلِ، تقَلَّبَت به الأحْوالُ، وملَك دمشقَ بعدَ عمِّه الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ، وكان فى نفسِه جيدًا مُحِبًّا للصالحين، ولكن

= ٢٣/ ٨٠، والعبر ٥/ ١٧٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٥.

(١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الذيل على الروضتين، والذيل على طبقات الحنابلة.

(٢ - ٢) سقط من: م. وهو عثمان بن أسعد عز الدين أبو عمر. انظر ترجمته فى: الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٦، والدارس ٢/ ١١٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٩، والوافى بالوفيات ٦/ ١٤١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٧.

(٤) مرآة الزمان ٨/ ٧٤٣ (القسم الثانى)، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٨.

(٥) مرآة الزمان ٨/ ٧٤٣ (القسم الثانى)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٨٤، والعبر ٥/ ١٧١، وفوات الوفيات ٤/ ٣٩٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٤.

كان فى بابِه مَن يَظْلِمُ الناسَ ، ويَنْسِبُ ذلك إليه ، فأبْغَضَته العامَّةُ ، وسبُّوه ، وألجَئوه إلى أن قايَض بدمَشْقَ الملكَ الصالحَ أيوبَ بنَ الكاملِ إلى سِنْجارَ وحصنِ كَيْفَا[1] ، ثم لم يَحْفَظْهما بل خرَجَتا عن يدِه ، ثم [١٠/٣٤ظ] آل به الحالُ إلى أن سجَنه الصالحُ إسماعيلُ بحصنِ عَزَّتا ، حتى كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فنُقِل فى شَوَّالٍ إلى تربةِ المعظَّمِ بسَفْحِ قاسِيونَ ، وكان عندَه ابنُ يَغْمورٍ مُعْتَقَلًا ، فحوَّله الصالحُ إسماعيلُ إلى قلعةِ دمشقَ ، فلمَّا ملكها الصالحُ أيوبُ نقَله إلى الديارِ المصريةِ ، وشنَقه مع الأمينِ غَزَّالٍ وزيرِ الصالحِ إسماعيلَ ، على قلعةِ القاهرةِ ، جَزاءً على صُنْعِهما فى حقِّ الصالحِ أيوبَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ؛ أما ابنُ يَغْمورٍ فإنه عمِل عليه حتى حوَّل عنه مُلْكَ دمشقَ إلى الصالحِ إسماعيلَ ، وأما أمينُ الدولةِ فإنه منَع الصالحَ مِن تسليمِ ولدِه عمرَ إليه ، فانْتَقَم منهما بهذا ، وهو مَعْذورٌ فى ذلك .

مسعودُ بنُ أحمدَ بنِ مسعودِ بنِ مازَه البخاريُّ[2] ، أحدُ الفُقهاءِ الحَنَفيةِ الفُضلاءِ ، وله علمٌ بالتفسيرِ وعلمِ الحديثِ ، ولديه فضلٌ غزيرٌ ، قدِم بغدادَ صُحْبةَ رسولِ التَّتارِ للحجِّ ، فحُبس [3]عنده سنتينَ[3] ، ثم أُفْرِج عنه ، فحجَّ[4] ثم عاد ، فمات ببغدادَ فى هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو الحسنِ علىُّ بنُ يحيى بنِ [5]الحسنِ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ[5] محمدِ البِطْرِيقِ بنِ نصرِ بنِ حَمْدونَ بنِ ثابتٍ الأسَدىُّ الحِلِّىُّ ، ثم الواسطىُّ ، ثم

---

(١) فى المصادر : « عانة » .

(٢) فى م : « المحاربى » . ورد ذكره فى الجواهر المضية ٣/ ٢٨٥.

(٣ - ٣) فى م : « مدة سنين » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

البغدادىُّ ، الكاتبُ الشاعرُ الشِّيعىُّ ، فَقيهُ الشِّيعةِ ، أقام بدمشقَ مدةً ، وامْتَدَح كثيرًا مِن الأمراءِ والملوكِ ، منهم الكاملُ صاحبُ مصرَ وغيرُه ، ثم عاد إلى بغدادَ ، فكان يَشْغَلُ الشيعةَ فى مذهبِهم ، وكان فاضلًا ذَكِيًّا ، جيدَ النَّظْمِ والنَّثْرِ ، ولكنه مَخْذولٌ مَحْجوبٌ عن الحقِّ . وقد أوْرَد ابنُ الساعى قطعةً جيدةً مِن أشعارِه (١) فى الكاملِ وغيرِه (١) .

(١ - ١) فى م : « الدالة على غزارة مادته فى العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه » .

ثم دخَلَت سنةُ اثنتين وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] اسْتَوْزَر الخليفةُ المُستَعصِمُ باللَّهِ مُؤَيِّدَ الدينِ أبا طالبٍ محمدَ بنَ أحمدَ ابنِ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ[2] العَلْقَميِّ ؛ المَشْئومَ على نفسِه وعلى أهلِ بغدادَ ، والذى لم يَعْصِمِ المُسْتَعْصِمَ فى وِزارتِه ؛ فإنه لم يكنْ وزيرَ صِدْقٍ ولا مَرْضِيَّ الطريقةِ ، فإنه الذى أعان على المسلمين فى قضيةِ هُولَاوو[3] وجُنودِه ، قبَّحه اللَّهُ وإياهم ، وقد كان ابنُ العَلْقَميِّ قبلَ هذه الوِزارةِ أُستاذَ دارِ الخلافةِ ، فلما مات نصرُ الدينِ محمدُ بنُ الناقدِ اسْتُوزِر ابنُ العَلْقَميِّ ، وجُعِل مكانَه فى الأستاذ داريةِ الشيخُ مُحْيى الدينِ يوسُفَ بنُ أبى الفرجِ بنِ الجوزيِّ ، وكان مِن خِيارِ الناسِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وهو واقفُ الجَوْزيةِ التى بالنَّشَّابِين بدمشقَ ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

وفيها جُعِل الشيخُ شمسُ الدينِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ النيارِ مُؤَدِّبُ الخَليفةِ شيخَ الشيوخِ ببغدادَ ، وخُلِع عليه ، ووكَّل الخليفةُ عبدَ الوهَّابِ بنَ المُطَهِّرِ وَكالةً مُطْلقةً ، وخلَع عليه .

وفيها كانت وَقْعةٌ عظيمةٌ بينَ الخُوارَزْميةِ الذين كان الصالحُ أيوبُ صاحبُ مصرَ قد اسْتَقْدَمهم ليَستَنجِدَ بهم على الصالحِ إسماعيلَ أبى الحسنِ صاحبِ

---

(١) مرآة الزمان ٧٤٤/٨ - ٧٥٢ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٤، ونهاية الأرب ٣٠٥/٢٩ - ٣٠٩.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « هولاكو » .

دمشقَ، فنزَلوا على غَزَّةَ، وأرْسَل إليهم الصالحُ أيوبُ الأمْوالَ والخِلَعَ والخيلَ والأقْمشةَ والعساكرَ، فاتَّفَق الصالحُ إسماعيلُ والناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ، والمنصورُ صاحبُ حِمْصَ مع الفِرنْجِ، واقْتَتلوا مع الخُوارَزْميةِ قِتالًا شديدًا، فهزَمَتهم الخُوارَزْميةُ كَسْرةً مُنْكَرةً فَظيعةً، هزَمَت الفِرنْجَ بصُلْبانِها وراياتِها العاليةِ على رُءُوسِ أَطْلابِ المسلمين، وكانت كُئوسُ الخمرِ دائرةً بينَ الجيوشِ، فنابَت كئوسُ المَنونِ عن تلك الخمورِ، فقُتِل مِن الفِرنْجِ فى يومٍ واحدٍ زيادةٌ عن ثلاثين ألفًا، وأَسَروا [١٠/٣٥و] جَماعةً مِن ملوكِهم وقُسوسِهم وأساقِفتِهم، وخلقًا مِن أمراءِ المسلمين، وبعَثوا بالأُسارَى إلى الصالحِ أيوبَ بمصرَ، وكان يومَئذٍ يومًا مشهودًا وأمرًا مَحمودًا، وقد قال بعضُ أمراءِ المسلمين: قد علِمْتُ أنّا لمّا وقَفْنا تحتَ صُلْبانِ الفِرنجِ أنا لا نُفْلِحُ. وغنِمَت الخُوارَزْميةُ مِن الفِرنجِ وممّن كان معهم شيئًا كثيرًا، وأرْسَل الصالحُ أيوبُ إلى دمشقَ ليُحاصِرَها، فحصَّنها الصالحُ إسماعيلُ، وخرَّب مِن حولِها رِباعًا كثيرةً، وكسَر جسرَ بابِ تُومَا، فكسر النهرَ، فتراجَع الماءُ حتى صار بُحَيْرةً مِن بابِ تُومَاء وبابِ السَّلَامةِ، فغرِق جميعُ ما كان بينَهما مِن العُمْرانِ، وافْتَقَر كثيرٌ مِن الناسِ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الملكُ المُغِيثُ عمرُ بنُ الصالحِ أيوبَ[1]، كان الصالحُ إسماعيلُ قد أسَره، وسجَنه فى بُرجِ قلعةِ دمشقَ، حينَ أخَذها فى غَيْبةِ الصالحِ أيوبَ، فاجْتَهَد أبوه بكلِّ ممكنٍ فى خَلاصِه فلم يَقْدِرْ، وعارَضه فيه أمينُ الدولةِ غَزَّالٌ المسلمانىُّ، واقفُ المدرسةِ الأَمينيةِ ببَعْلَبَكَّ، فلم يَزَلِ الشابُّ محبوسًا بالقلعةِ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧٣، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٥، والسلوك ١/ ٣١٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥١.

مِن سنةِ ثمانٍ وثلاثين إلى ليلةِ الجمعةِ ثانى عشَرَ ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، فأصْبَح مَيِّتًا فى مَحْبِسِه غَمًّا وحُزْنًا، ويقالُ: إنه قُتِل. فاللَّهُ أعلمُ. وكان مِن خيارِ أبناءِ الملوكِ، وأحْسنِهم شكلًا، وأكملِهم عقلًا. ودُفِن عندَ جدِّه الكاملِ فى تربتِه شماليَّ الجامعِ، فاشْتَدَّ حَنَقُ أبيه الصالحِ أيوبَ على صاحبِ دمشقَ.

شيخُ الشيوخِ بدمشقَ، تاجُ الدينِ أبو محمدٍ[1] **عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ**[2] **عليِّ ابنِ**[2] **محمدِ بنِ حَمُّوَيْهِ**، أحدُ الفُضلاءِ المؤَرِّخِين المُصَنِّفين، له كتابٌ فى ثمانى مُجلداتٍ، ذكَر فيه أصولَ الأشياءِ، وله «السياسةُ المُلوكيةُ» صنَّفها للكاملِ محمدٍ، وغيرُ ذلك، وسمِع الحديثَ وحفِظ القرآنَ، وكان قد بلَغ الثمانين، [3]وقيل: إنه لم يَبْلُغْها، وقد سافَر إلى بلادِ المغربِ فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين، واتَّصَل[3] بمَرَّاكُشَ عندَ ملكِها المنصورِ يعقوبَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ، فأقام هناك إلى سنةِ ستِّمائةٍ، فقدِم إلى بلادِ مصرَ، وولِى مَشْيَخةَ الشيوخِ بعدَ أخيه صدْرِ الدينِ بنِ حَمُّوَيْهِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الوزيرُ نصيرُ[4] **الدينِ أبو الأزْهَرِ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ**[5]

---

(١) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/٧٤٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٤، وتكملة إكمال الإكمال ص ٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٩٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر الترجمة.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «نصر». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/٧٤٧ (القسم الثانى)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٨، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٠. وفى مرآة الزمان والنجوم الزاهرة: «شهاب الدين».

(٥) سقط من: م.

الناقدِ البغداديُّ، وزيرُ المُستَنصِرِ، ثم ابنِه المُستَعصِمِ، كان مِن أبناءِ التجارِ، ثم توَصَّل إلى أن وزَر لهذين الخليفتَيْن، وكان فاضلًا بارعًا حافظًا للقرآنِ، كثيرَ التِّلاوةِ، نشَأ فى حُشْمةٍ باذخةٍ، ثم كان فى وَجاهةٍ هائلةٍ، وقد أُقْعِد فى آخِرِ أمرِه، وهو فى ذلك فى غايةِ الاحْترامِ والإكْرامِ، وله أشعارٌ حسنةٌ كثيرةٌ، أوْرَد منها ابنُ الساعى قطعةً صالحةً، تُوُفِّى فى هذه السنةِ وقد جاوَز الخمسين.

نَقيبُ النُّقباءِ وخطيبُ الخُطباءِ ووَكيلُ الخلفاءِ، أبو طالبٍ الحسينُ بنُ أحمدَ ابنِ علىِّ بنِ أحمدَ[1] **بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الخليفةِ المُهْتَدِى باللَّهِ العباسىِّ**، كان مِن ساداتِ العباسِيِّين وأئمةِ المسلمين، وخُطَباءِ المُؤْمنين، واسْتَمَرَّت أحوالُه على السَّدادِ والصَّلاحِ، ولم يَنْقَطِعْ قطُّ عن الخَطابةِ، ولم يَمْرَضْ قطُّ حتى كانت ليلةُ السبتِ الثانى[2] والعشرين [3]من رجبٍ[3] مِن هذه السنةِ؛ قام فى أثْناءِ الليلِ لبعضِ حاجاتِه، فسقَط على أمِّ رأسِه، فسقَط مِن فمِه دمٌ كثيرٌ، وسكَت فلم يَنْطِقْ كلمةً واحدةً يومَه ذلك إلى الليلِ، فمات رحِمه اللَّهُ تعالى، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ.

---

(١) بعده فى الأصل: «بن على»، وبعده فى م: «بن معين». والمثبت كما فى الوافى بالوفيات ١٢/ ٣٣٨.

(٢) فى م: «الثامن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وأربعين وستّمائةٍ[1]

وهى سَنَةُ الخُوارَزْميةِ ؛ وذلك أن الصالحَ أيوبَ بنَ الكاملِ صاحبَ مصرَ بعَث الخُوارَزْميةَ ، ومعهم مَلِكُهم [١٠/٣٥ظ] بَرَكاتُ خان[2] فى صُحْبةِ مُعِينِ الدينِ بنِ الشيخِ ، فأحاطوا بدمشقَ يُحاصِرون عمَّه الصالحَ إسماعيلَ أبا الخَيْشِ صاحبَ دمشقَ ، وأُحْرِق قصرُ حَجَّاجٍ ، وحِكْرُ السُّمَّاقِ ، وجامعُ جَرَّاحٍ خارجَ بابِ الصغيرِ ، ومساجدُ كثيرةٌ ، ونُصِب المَنْجَنيقُ عندَ بابِ الصغيرِ وعندَ بابِ الجابيةِ ، ونُصِبَتْ داخلَ البلدِ مَنْجَنِيقاتٌ[3] أيضًا ، وتَرَامَى الفريقان ، وأرْسَل الصالحُ إسماعيلُ إلى الأميرِ مُعِينِ الدينِ بنِ الشيخِ بسَجَّادةٍ وعُكَّازٍ وإبْرِيقٍ ، وأرْسَل يقولُ : اشْتِغالُك بهذا أوْلَى مِن اشتغالِك بمُحاصَرةِ الملوكِ . فأرْسَل إليه المُعِينُ بزَمْرٍ وجَنْكٍ وغُلالةِ حريرٍ أحمرَ وأصفرَ ، وأرْسَل يقولُ له : أما السَّجَّادةُ فإنها تَصْلُحُ لى ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصْبَح ابنُ الشيخِ ، فاشْتَدَّ الحِصارُ بدمشقَ ، وأرْسَل الصالحُ إسماعيلُ ، فأحْرَق جَوْسَقَ والدِه العادلِ ، وامْتَدَّ[4] الحَريقُ فى زُقاقِ الرُّمَّانِ إلى العُقَيْبَةِ فاحْتَرَقَتْ بأسْرِها ، وقُطِعَت الأنهارُ ، وغلَت الأسعارُ ، وأُخِيفَت الطرقُ ، وجرَى بدمشقَ أمورٌ شنيعةٌ بَشِعةٌ جدًّا ، لم تتِمَّ عليها

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٥٢ - ٧٥٥ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٥ - ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/٣١٠ - ٣١٨، والعبر ٥/١٧٣، ١٧٤.

(٢) فى مرآة الزمان ونهاية الأرب : « بركة خان » . ولم يُذكر فى المصدرين الآخرين .

(٣) فى الأصل ، م : « منجنيقان » . والمثبت من الدارس ٢/٢٨٢ نقلا عن المصنف .

(٤) فى الأصل : « اشتد » .

قطُّ ، وامْتَدَّ الحِصارُ شهورًا مِن هذه السنةِ إلى جمادى الأولى ، فأرْسَل أمينُ الدولةِ يَطْلُبُ مِن ابنِ الشيخِ شيئًا مِن ملابسِه ، فأرْسَل إليه بفَرَجِيَّةٍ وعِمامةٍ وقَميصٍ ومِنْديلٍ ، فلبِس ذلك الأمينُ ، وخرَج إلى مُعينِ الدينِ ، فاجْتَمَع به بعدَ العِشاءِ طويلًا ، ثم عاد ، ثم خرَج مرةً أخرى ، فاتَّفَق الحالُ على أن يَخْرُجَ الصالحُ إسماعيلُ إلى بَعْلَبَكَّ ، ويُسَلِّمَ دمشقَ إلى الصالحِ أيوبَ[1] ، ودخَل مُعِينُ الدينِ بنُ الشيخِ ، فنزَل فى دارِ أسامةَ ، فولَّى وعزَل ، وقطَع ووصَل ، وفوَّض قَضاءَ القُضاةِ إلى صدرِ الدينِ بنِ سَنِيِّ الدولةِ ، وعزَل القاضىَ مُحْيى الدينِ بنَ الزَّكىِّ ، واسْتَناب ابنَ سَنِيِّ الدولةِ التَّفْلِيسِىَّ الذى ناب لابنِ الزَّكِىِّ ، والعزيزَ[2] السِّنْجارىَّ ، وأرْسَل مُعِينُ الدينِ بنُ الشيخِ أمينَ الدولةِ غَزَّالَ بنَ المسلمانىِّ وزيرَ الصالحِ إسماعيلَ تحتَ الحَوْطةِ إلى الديارِ المصريةِ .

وأما الخُوارَزْميةُ فإنهم لم يَكُونوا حاضِرِين وقتَ الصُّلْحِ ، فلما علِموا بوُقوعِ الصلحِ غضِبوا وساروا نحوَ دارَيَّا ، فنهَبوها وساروا نحوَ بلادِ الشرقِ ، وكاتَبوا الصالحَ إسماعيلَ فحالَفوه على الصالحِ أيوبَ ، ففرِح بذلك ، ونقَض الصلحَ الذى كان وقَع منه ، وعادت الخُوارَزْميةُ فحاصَروا دمشقَ ، وجاء إليهم الصالحُ إسماعيلُ مِن بَعْلَبَكَّ ، فضاق الحالُ على الدَّماشِقَةِ ، فعُدِمَت الأقْواتُ[3] ، وغلَت الأسْعارُ جدًّا ، حتى إنه بلَغ ثمنُ الغِرارةِ[4] ألفًا وستَّمائةٍ ، وقِنْطارِ الدقيقِ بسبعِمائةٍ[5] ، والخبزُ كلُّ وُقِيَّتَيْن إلا ربعًا بدرهمٍ ، ورَطْلُ اللحمِ بسبعةٍ ، وأُبِيعَتِ

---

(١) بعده فى م : « فاستبشر الناس بذلك ، وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك » .

(٢) فى الأصل : « الغرز » ، وفى م : « الفرز » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٣) فى م : « الأموال » .

(٤) الغرارة : وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه . الوسيط (غ ر ر) .

(٥) فى م : « تسعمائة » ، وفى مرآة الزمان : « ستمائة » .

الأمْلاكُ بالدقيقِ ، وأُكِلَت القِطاطُ والكِلابُ والمَيْتاتُ والجِيَفُ ، وتَماوَت الناسُ فى الطرقاتِ ، وعجَزوا عن الغَسلِ والتَّكْفينِ [1] والإقْبارِ [1] ، فكانوا يُلْقُون مَوْتاهم فى الآبارِ ، حتى أنْتَنَت المدينةُ وضجِر الناسُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفى هذه الأيامِ تُوُفِّى الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصلاحِ [2] ، شيخُ دارِ الحديثِ وغيرِها مِن المدارسِ ، فما أُخْرِج مِن بابِ الفَرَجِ فدُفِن بالصوفيةِ إلَّا بالجَهدِ الجَهيدِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال السِّبْطُ [3] : ومع هذا كانت الخُمورُ دائرةً والفِسْقُ ظاهرًا ، والمُكوسُ بحالِها .

وذكَر الشيخُ شِهابُ الدينِ [4] أن الأسْعارَ غلَت فى هذه السنةِ جدًّا ، وهلَك الصَّعاليكُ بالطرقاتِ ؛ كانوا [٣٦/١٠و] يَسْأَلون لُقْمةً ، ثم صاروا يَسْأَلون لُبابةً ، ثم تنازَلوا إلى فَلْسٍ يَشْتَرون به نُخالةً [5] يَبُلُّونها ويَأْكُلونها كالدَّجاجِ . قال : وأنا شاهَدْتُ ذلك . وذكَر تَفاصيلَ الأسْعارِ وغَلاءَها فى الأطْعمةِ وغيرِها ، ثم زال هذا كلُّه فى آخرِ السنةِ بعدَ عيدِ الأضْحَى ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ولما بلَغ الصالحَ أيوبَ أن الخُوارَزْميةَ قد مالَئُوا عليه ، وصالَحوا عمَّه الصالحَ إسماعيلَ ، كاتَب الملكَ المنصورَ إبراهيمَ بنَ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه صاحبَ حمصَ ، فاسْتَماله إليه ، وقوِى جانبُ نائبِ دمشقَ مُعِينِ الدينِ حسنِ [6] بنِ الشيخِ ، ولكنه

(١ - ١) فى الأصل : « ولا مقابر » .

(٢) ستأتى ترجمته فى صفحة ٢٨١ .

(٣) مرآة الزمان ٧٥٤/٢ (القسم الثانى) .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٨.

(٥) النخالة : ما بقى من الشىء بعد نخله . الوسيط (ن خ ل) .

(٦) فى الأصل ، م : « حسين » . والمثبت من مرآة الزمان والعبر . وهو حسن بن محمد بن عمر بن حمويه . وسيأتى اسمه على الصواب فى ترجمته فى صفحة ٢٨٦.

تُوُفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ كما سيأتى بيانُه فى الوَفَياتِ .

ولما رجَع المنصورُ صاحبُ حمصَ عن مُوالاةِ الصالحِ إسماعيلَ ، شرَع فى جمعِ الجيوشِ مِن الحلَبِيِّين والتُّرْكمانِ والأعْرابِ لاسْتِنْقاذِ دمشقَ مِن الخُوارَزْميةِ ، وحِصارِهم إياها ، فبلَغ ذلك الخُوارَزْميةَ فخافوا مِن ذلك وغائِلَتِه ، وقالوا : دمشقُ ما تَفوتُ ، والمصلحةُ قِتالُه عندَ بلدِه . فساروا إليه عندَ بُحَيْرةِ حمصَ ، وأرْسَل الناصرُ داودُ جيشَه إلى الصالحِ إسماعيلَ مع الخُوارَزْميةِ ، وساق جيشُ دمشقَ فانْضافوا إلى صاحبِ حمصَ ، والتْقَوْا مع الخُوارَزْميةِ عندَ بُحَيْرةِ حمصَ ، وكان يومًا مشهودًا ، قُتِل فيه عامَّةُ الخُوارَزْميةِ ، وقُتِل ملكُهم بَرَكاتُ خان ، وجِئ برأسِه على رُمْحٍ ، فتفرَّق شَمْلُهم ، وتمزَّقوا شَذَرَ مَذَرَ ، وساق المنصورُ صاحبُ حمصَ إلى بَعْلَبَكَّ ، فتسَلَّمها الصالحُ أيوبُ ، وجاء إلى دمشقَ ، فنزَل ببُسْتانِ سامةَ[1] خدمةً للصالحِ أيوبَ ، ثم حدَّثَته نفسُه بأخذِها ، فاتَّفَق مرضُه ، فمات رحِمه اللَّهُ فى السنةِ الآتيةِ ، ونُقِل إلى حمصَ ، فكانت مدةُ ملكِه لها بعدَ أبيه عشْرَ[2] سنين ، وقام مِن بعدِه فيها ابنُه الملكُ الأشرفُ مدةَ سنتين ، ثم أُخِذَت منه على ما سيأتى ، وتسَلَّم نُوَّابُ الصالحِ أيوبَ بَعْلَبَكَّ وبُصْرَى ، ولم يَبْقَ بيدِ الصالحِ إسماعيلَ بلدٌ يَأْوِى إليه ولا أهلٌ ولا ولدٌ ولا مالٌ ، بل أُخِذَ جميعُ مالِه ، ونُقِلَت عِيالُه تحتَ الحَوْطةِ إلى الديارِ المصريةِ ، وسار هو فاسْتَجار بالملكِ الناصرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ غازى صاحبِ حلَبَ ، فآواه وأكْرَمه واحْتَرمه ، وقال الأتابَكُ لؤلؤٌ الحلَبىُّ لابنِ أُستاذِه الناصرِ ، وكان شابًّا صغيرًا : انْظُرْ إلى عاقبةِ الظلمِ . وأما الخُوارَزْميةُ فإنهم

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى مرآة الزمان ونهاية الأرب : «أسامة» .

(٢) فى نهاية الأرب أنها كانت ست سنين وسبعة أشهر . ولم يتعرض لذكر ذلك فى ذيل الروضتين والعبر .

ساروا إلى ناحيةِ الكَرَكِ ، فأكرَمهم الناصرُ داودُ صاحبُها ، وأحْسَن إليهم ، وصاهَرهم وأنْزَلهم بالصَّلْتِ ، فأخَذوا معها نابُلُسَ ، فأرْسَل إليهم الملكُ الصالحُ أيوبُ جيشًا مع فخرِ الدينِ بنِ الشيخِ ، فكسَرهم على الصَّلْتِ وأجْلاهم عن تلك البلادِ ، وحاصَر النَّاصرَ بالكَرَكِ ، وأهانه غايةَ الإهانةِ ، وقدِم الملكُ الصالحُ نَجْمُ الدينِ أيوبُ مِن الديارِ المصريةِ ، فدخَل دمشقَ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وأحْسَن إلى أهلِها ، وتصَدَّق على الفُقراءِ والمَساكِينِ ، وسار إلى بَعْلَبَكَّ وإلى بُصْرَى ، وإلى صَرْخَدَ فتسَلَّمها مِن صاحبِها عزِّ الدينِ أيْبَكَ المُعَظَّمىِّ ، وعوَّضه عنها ، ثم عاد إلى مصرَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا . وهذا كلُّه فى السنةِ الآتيةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى هذه السنةِ كانت وَقْعةٌ عظيمةٌ بينَ جيشِ الخليفةِ وبينَ التَّتارِ ، لعَنهم اللَّهُ ، فكسَرهم المسلمون كَسْرةً عظيمةً ، وفرَّقوا شَمْلَهم ، وهَرَبوا مِن بين أيديهم ، فلم يَلْحَقوهم ، ولم يَتْبَعوهم خوفًا مِن غائلةِ مَكْرِهم ، وعملًا بقولِه ﷺ[1] : « اتْرُكُوا التُّركَ ما تَرَكوكم » .

وفى هذه السنةِ ظهَر ببلادِ خُوزِسْتانَ ، على شِقِّ جبلٍ داخلَه ، مِن الأبْنيةِ الغَريبةِ العَجيبةِ ما يَحارُ فيه الناظرُ ، [١٠/٣٦ظ] وقد قيل : إن ذلك مِن بناءِ الجِنِّ ، وأوْرَد صفتَه ابنُ الساعى فى « تاريخِه » .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ :

الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصَّلاحِ عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عثمانَ[2] ، الشيخُ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١٦٤.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٥٧ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٢٦، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٣٧٧.

الإمامُ العَلَّامةُ، مُفْتى الشامِ ومُحَدِّثُه، تقىُّ الدينِ أبو عمروِ بنُ الصلاحِ، الشَّهْرَزُورىُّ ثم الدمشقىُّ، سمِع الحديثَ ببلادِ الشرقِ، وتفَقَّه هنالك بالموصلِ وحلَبَ وغيرِهما، وكان أبوه مُدَرِّسًا بالأَسَديةِ التى بحلبَ، وواقِفُها أسدُ الدينِ شِيرْكوه بنُ شاذى، وقدِم الشامَ، وهو فى عِدادِ الفُضلاءِ الكِبارِ، وأقام بالقدسِ الشريفِ مدةً، ودرَّس بالصَّلاحيةِ، ثم تحَوَّل منه إلى دمشقَ، ودرَّس بالرَّواحيةِ ثم بالشاميَّةِ الجَوَّانيةِ، ثم بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ، وهو أولُ مَن ولِيَها مِن شيوخِ الحديثِ، وهو الذى صنَّف كتابَ وقْفِها، وقد صنَّف كتبًا كثيرةً مُفيدةً فى علومِ الحديثِ وفى الفقهِ، وتَعاليقَ حسنةً على «الوَسيطِ» وغيرِه مِن الفوائدِ التى يُرْحَلُ إليها. وكان دَيِّنًا زاهدًا وَرِعًا ناسِكًا، على طريقةِ السَّلَفِ الصالحِ، كما هى طريقةُ مُتَأَخِّرِى أكثرِ المُحَدِّثِين، مع الفَضيلةِ التامَّةِ فى فُنونٍ كثيرةٍ، ولم يَزَلْ على طريقةٍ جيدةٍ حتى كانت وفاتُه بمنزلِه فى دارِ الحديثِ الأشْرفيةِ، فى ليلةِ الأربعاءِ الخامسِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ مِن سنةِ ثلاثٍ وأربعين وستِّمائةٍ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ، وشيَّعه الناسُ إلى داخلِ بابِ الفرجِ، ولم يُمْكِنْهم البُروزُ لظاهرِه لحِصارِ الخُوارَزْميةِ، وما صحِبه إلى جَبَّانةِ الصوفيةِ إلا نحوُ العشَرةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى وتغَمَّده برَحْمتِه. وقد أثْنَى عليه القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ، وكان مِن شيوخِه. قال السِّبْطُ[1]: أنْشَدنى الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ الصلاحِ مِن لفظِه، رحِمه اللَّهُ:

احْـذَرْ مِـن الـواواتِ أر ... بـعـةً فـهـنَّ مـن الحُتـوفْ
واوَ الـوصـيـةِ والـوَديـ ... ـعةِ والـوَكـالـةِ والـوُقـوفْ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٥٨ (القسم الثانى).

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ عنه أنه قال[1] : أُلْهِمْتُ فى المَنامِ هؤلاء الكَلماتِ ؛ ادْفَعِ المسألةَ ما وجَدْتَ التَّجمُّلَ[2] يُمْكِنُك ، فإن لكلِّ يومٍ رزقًا جديدًا ، والإلحاحُ فى الطلبِ يُذْهِبُ البَهاءَ ، [3]وما أقربَ الصَّنيعَ من الملْهوفِ[3] ، وربما كانت الغِيَرُ[4] نوعًا مِن آدابِ اللَّهِ تعالى ، والحُظوظُ مَراتبُ فلا تَعْجَلْ على ثمرةٍ قبلَ أن تُدْرِكَ ، فإنك ستَنالُها فى أوانِها ، [5]ولا تَعْجَلْ فى حَوائجِك فتَضِيقَ بها ذَرْعًا ، ويَغْشاك القُنوطُ[5] .

ابنُ النَّجَّارِ الحافظُ صاحبُ « التاريخِ » : محمدُ بنُ محمودِ بنِ الحسنِ بنِ هِبةِ اللَّهِ بنِ مَحاسِنَ بنِ النَّجَّارِ ، أبو عبدِ اللَّهِ البغدادىُّ[6] ، الحافظُ الكبيرُ ، سمعِ الكثيرَ ، ورحَل شرقًا وغربًا ، وُلِد سنةَ ثمانٍ[7] وسبعين وخمسِمائةٍ ، وشرَع فى كتابِه « التاريخِ » وعمرُه خمسَ عشْرةَ سنةً ، وقرَأ الأدبَ والنحوَ والقِراءاتِ ، وقرَأ بنفسِه على المَشايخِ كثيرًا ، حتى حصَّل نحوًا مِن ثلاثةِ آلافِ شيخٍ ، مِن ذلك نحوٌ مِن أربعِمائةِ امرأةٍ ، وتغرَّب ثمانيًا وعشرين سنةً ، ثم عاد إلى بغدادَ وقد جمَع أشياءَ كثيرةً ، مِن ذلك « القمرُ المُنيرُ فى المُسْنَدِ الكبيرِ » ، يَذْكُرُ لكلِّ صحابىٍّ ما روَى ، و« كَنْزُ الأيامِ فى معرفةِ السننِ والأحْكامِ » ، و« المُخْتَلِفُ والمُؤْتَلِفُ » ، و« السابقُ واللاحقُ » ، و« المُتَّفِقُ والمُفْتَرِقُ » ، وكتابُ « الألقابِ » ، و« نَهْجُ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٥.

(٢) فى الأصل ، م : « التحمل » . والمثبت من الوفيات .

(٣ - ٣) فى الوفيات : « وما أحسن الصنيع إلى الملهوف » .

(٤) الغير : غِيَرَ الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . الوسيط (غ ب ر) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) معجم الأدباء ١٩/ ٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٨، والوافى بالوفيات ٥/ ٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٩٨.

(٧) فى م : « ثلاث » .

الإصابةِ فى معرفةِ الصحابةِ »، و « الكمالُ[1] فى أسماءِ الرجالِ »، وغيرُ ذلك مما لم يَتِمَّ أكثرُه، وله كتابُ « الذَّيْلِ على تاريخِ مدينةِ السلامِ »، فى ستةَ عشَرَ مجلدًا كاملًا، وله فى أخبارِ مكةَ والمدينةِ وبيتِ المقدسِ، و « غُررُ الفَوائدِ » فى خمسِ مجلداتٍ[2]، [١٠/٣٧و] وأشياءُ كثيرةٌ جدًّا، سرَدَها ابنُ الساعى فى ترجمتِه، وذكَر أنه لما عاد إلى بغدادَ عُرِض عليه الإقامةُ فى المدارسِ، فقال: معى ما أَسْتَغْنِى به. فاشْتَرَى جاريةً، وأوْلَدها ولدًا، وأقام بُرْهةً يُنْفِقُ على نفسِه مِن كسبِه، ثم احْتاج إلى أن نزَل مُحَدِّثًا فى جماعةِ المُحَدِّثِين بالمدرسةِ المُسْتَنْصِريةِ حينَ وُضِعَت، ثم مرِض مدةَ شهرين، وأوْصَى إلى ابنِ الساعى فى أمرِ تَرِكتِه، وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ الخامسَ مِن شعبانَ مِن هذه السنةِ، وله مِن العمرِ خمسٌ وسبعون سنةً، وصُلِّى عليه بالمدرسةِ النِّظاميةِ، وشهِد جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ، وكان يُنادَى حولَ جِنازتِه: هذا حافظُ حديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، الذى يَنْفِى الكذبَ[3] عنه. ولم يَتْرُكْ وارثًا، وكانت تَرِكتُه عشرين دينارًا وثيابَ بدنِه، وأوْصَى أن يُتَصَدَّقَ بها، وأوْقَف خِزانتَيْن مِن الكتبِ بالنِّظاميةِ تُساوِى ألفَ دينارٍ، فأمْضَى ذلك الخليفةُ المُسْتَعْصِمُ، وقد أثْنَى عليه الناسُ، ورَثَوْه بمَراثٍ كثيرةٍ، سرَدَها ابنُ الساعى فى آخرِ ترجمتِه.

الحافظُ ضِياءُ الدينِ المَقْدسىُّ [4]صاحبُ « الأحْكامِ »[4]: محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ المقدسىُّ[5]، سمِع الحديثَ الكثيرَ، وكتَب

---

(١) فى م: « الكافى ».

(٢) فى مصادر ترجمته: « ست مجلدات ».

(٣) فى الأصل: « الكدر ».

(٤ - ٤) فى م: « ابن الحافظ ».

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٧ - ذكره ولم يترجم له - وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٥، والوافى بالوفيات ٤/ ٦٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٦.

كثيرًا ، ورحَل وطاف وجمَع وصنَّف وألَّف كتبًا مُفيدةً حسنةً كثيرةَ الفَوائدِ ، مِن ذلك كتابُ « الأحكامِ » ولم يُتِمَّه ، وكتابُ « المُخْتارَةِ » وفيه علومٌ حسنةٌ حَديثيةٌ ، وهى أجْودُ من « مُسْتَدْرَكِ الحاكمِ » لو كمَل ، وله « فَضائلُ الأعمالِ » ، وغيرُ ذلك مِن الكتبِ الحسنةِ الدالةِ على حفظِه واطِّلاعِه وتضَلُّعِه مِن علمِ الحديثِ مَتْنًا وإسنادًا . وكان رحِمه اللَّهُ تعالى فى غايةِ العِبادةِ والزَّهادةِ والوَرَعِ والخيرِ ، وقد وقَف كتبًا كثيرةً عظيمةً بخطِّه لخِزانةِ المدرسةِ الضِّيائيةِ التى وقَفها على أصحابِهم مِن أهلِ الحديثِ والفُقهاءِ ، وقد وُقِفَت عليها أوقافٌ أُخَرُ كثيرةٌ بعدَ ذلك .

الشيخُ علَمُ الدينِ أبو الحسنِ السَّخاوىُّ ، علىُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ ابنِ عبدِ الأحدِ بنِ عبدِ الغالبِ الهَمْدانىُّ المِصرىُّ ثم الدمشقىُّ[1] ، شيخُ القُرَّاءِ بدمشقَ ، ختَم عليه ألوفٌ مِن الناسِ ، وكان قد قرَأ على الشاطبىِّ ، وشرَح قصيدتَه ، وله شرحُ « المُفَصَّلِ » وله تَفسيرٌ وتَصانيفُ كثيرةٌ ، ومَدائحُ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان له حلْقةٌ بجامعِ دمشقَ ، وولِى مَشْيخةَ الإقْراءِ بتربةِ أمِّ الصالحِ ، وبها كان مَسْكنُه ، وبه تُوُفِّى ليلةَ الأحدِ ثانى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بقاسِيونَ . وذكَر القاضى ابنُ خَلِّكانَ[2] أن مولدَه فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وخمسِمائةٍ ، وذكَر مِن شعرِه قولَه :

قالوا غدًا نَأْتِى ديارَ الحِمَى ... ويَنْزِلُ الرَّكْبُ بمغناهُمُ
وكلُّ مَن كان مُطيعًا لهمْ ... أصْبَح مَسْرورًا بلُقْياهُمُ

---

(١) معجم الأدباء ١٥/ ٦٥، ومرآة الزمان ٨/٧٥٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٩٧، وغاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٥٦٨، وبغية الوعاة ٢/ ٣١١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٤١.

قلتُ فلى ذنبٌ فما حِيلتى بـأىِّ وجْـهٍ أتَـلَـقَّـاهـمُ
قالوا أليس العفوُ مِن شأنِهِمْ لاسِيَّـمـا عـمَّـن تَـرَجَّـاهـمُ

ربيعةُ خاتون (١ **واقفةُ الصاحبةِ بقاسِيونَ : ربيعةُ خاتون** ١) **بنتُ أيوبَ أختُ السلطانِ صلاحِ الدينِ** ، زوَّجها أخوها أولًا بالأميرِ سعدِ الدينِ مسعودِ بنِ مُعينِ الدينِ أَنُرَ ، وتزَوَّج هو بأختِه عِصْمةِ الدينِ خاتون ، التى كانت زوجةَ الملكِ نُورِ الدينِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، واقفةَ الخاتونيةِ الجَوَّانيةِ والخانْقاه ، ثم لما مات الأميرُ سعدُ الدينِ زوَّجَها مِن الملكِ مُظَفَّرِ الدينِ صاحبِ إرْبِلَ ، فأقامت عندَه بإرْبِلَ أزْيَدَ مِن أربعين سنةً حتى مات ، ثم قدِمَت دمشقَ ، فسَكَنَت فى دارِ العَقيقىِّ حتى كانت وفاتُها فى هذه السنةِ وقد جاوَزَت الثمانين ، ودُفِنَت بقاسِيونَ ، وكانت فى خدمتِها الشيخةُ الصالحةُ العالمةُ أَمَةُ اللَّطيفِ بنتُ الناصحِ الحنبلىِّ ، [١٠/٣٧ظ] وكانت فاضلةً ، ولها تَصانيفُ ، وهى التى أرْشَدَتها إلى وَقْفِ المدرسةِ الصاحبةِ بسفحِ قاسِيونَ على الحَنابلةِ ، وأوقَفَت أَمَةُ اللطيفِ على الحَنابلةِ مدرسةً أخرى ، وهى الآن شرقىَّ الرِّباطِ الناصرىِّ ، ثم لما ماتت الخاتونُ وقَعَت العالمةُ فى المُصادَراتِ ، وحُبِسَت مدةً ثم أُفْرِج عنها ، وتزَوَّجها الأشْرَفُ صاحبُ حِمْصَ ، وسافَرَت معه إلى الرَّحْبةِ وتَلِّ باشرٍ (٢) ، ثم تُوُفِّيَت فى سنةِ ثلاثٍ وخمسين ، ووُجِد لها بدمشقَ ذَخائرُ كثيرةٌ وجَواهرُ نَفيسةٌ ، تُقارِبُ ستَّمائةِ ألفِ درهمٍ ، غيرَ الأمْلاكِ والأوْقافِ .

مُعِينُ الدينِ الحسنُ بنُ شيخِ الشيوخِ (٣) ، وزيرُ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ ،

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى مرآة الزمان ٨/٧٥٦ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٧، ووفيات الأعيان ٤/ ١٢٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٧، والوافى بالوفيات ١٤/ ٩٧.
(٢) فى م: «راشد» . وتل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب. معجم البلدان ١/ ٨٦٤.
(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، ومرآة الزمان ٨/٧٥٥ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب =

أرْسَله إلى دمشقَ ، فحاصَرها مع الخُوارَزْميةِ أولَ مرةٍ حتى أخَذها مِن يدِ الصالحِ إسماعيلَ ، وأقام بها نائبًا مِن جهةِ الصالحِ أيوبَ ، ثم تمالأ الخُوارَزْميةُ مع الصالحِ إسماعيلَ عليه ، فحصَروه بدمشقَ ، ثم كانت وفاتُه فى العشْرِ الأخيرِ مِن رمضانِ هذه السنةِ ، عن ستٍّ وخمسين سنةً ، وكانت مدةُ ولايتِه بدمشقَ أربعةَ أشهرٍ ونصفًا ، وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ ، ودُفِن بقاسِيونَ إلى جانبِ أخيه عِمادِ الدينِ .

وفيها كانت وفاةُ **واقفِ القِلِيجيةِ الحَنَفيةِ**[1] ، **وهو الأميرُ سيفُ الدينِ بنُ قِلِيج** ، ودُفِن بتربتِه التى بمدرستِه المذكورةِ ، التى كانت سكنَه بدارِ فلوْسٍ ، تقبَّل اللَّهُ تعالى منه .

وخَطيبُ الجبلِ شرَفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الشيخِ أبى عمرَ[2] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

والسيفُ أحمدُ بنُ عيسى بنِ الإمامِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ[3] .

وفيها تُوُفِّى إمامُ الكَلَّاسةِ الشيخُ **تاجُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ أبى جعفرٍ**[4] ، مُسْنِدُ وقتِه ، وشيخُ الحديثِ فى زمانِه رِوايةً وصَلاحًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

والمُحَدِّثان الكبيران الحافظان المُفِيدان **شَرَفُ الدينِ أحمدُ بنُ الجَوْهرىِّ ، وتاجُ الدينِ عبدُ الجَليلِ الأَبْهَرىُّ**[5] .

= ٢٩/ ٣١٤، والعبر ٥/ ١٧٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ٢٤٦.

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٩٤.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، والعبر ٥/ ١٧٦، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١١٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٨، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٧٣، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤١.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٦، والعبر ٥/ ١٧٩.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٥.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] كسَر المنصورُ الخُوارَزْميةَ عندَ بُحَيْرةِ حِمْصَ ، واسْتَقَرَّت يدُ نُوَّابِ الصالحِ أيوبَ على دمشقَ وبَعْلَبَكَّ وبُصْرَى ، ثم فى جُمادَى الآخِرةِ كسَر فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ الخُوارَزْميةَ على الصَّلْتِ كَسْرةً ، فرَّق بقيةَ[2] شَمْلِهم ، ثم حاصَر الناصرَ بالكَرَكِ ، ورجَع عنه إلى دمشقَ .

وقدِم الصالحُ أيوبُ إلى دمشقَ فى ذى القَعْدةِ ، فأحْسَن إلى أهلِها ، وتسَلَّم هذه المدنَ ، وانْتَزَع صَرْخَدَ مِن يد عِزِّ الدينِ أيْبَك ، وعوَّضه عنها ، وأخَذ الصَّلْتَ مِن الناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ ، وأخَذ حصنَ الصُّبَيبَةِ من السعيدِ بنِ العزيزِ بنِ العادلِ ، وعظُم شأنُه جدًّا ، وزار فى رُجوعِه بيتَ المقدسِ ، وتفَقَّد أحوالَه ، وأمَر بإعادةِ أسْوارِه أن تُعَمَّرَ كما كانت فى الدولةِ الناصريةِ ، [3]فاتحِ القدسِ[3] ، وأن يُصْرَفَ الخَراجُ وما يَتَحَصَّلُ مِن غَلَّاتِ بيتِ المقدسِ فى ذلك ، وإن عاز شيئًا صرَفه مِن عندِه .

وفيها قدِمتِ الرسلُ مِن عندِ البابا الذى للنصارى تُخْبِرُ بأنه قد أباح دمَ الأنبرورِ ملِكِ الفِرِنجِ ؛ لتَهاوُنِه فى قتالِ المسلمين ، وأرْسَل طائفةً مِن عندِه ليَقْتُلوه ، فلما انْتَهَوْا إليه كان قد اسْتَعَدَّ لهم ، وأجْلَس مَمْلوكًا له على السَّريرِ ، فاعْتَقدوه

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٦٠ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٩، والعبر ٥/ ١٨١، ١٨٢.

(٢) فى الأصل : « عليه » .

(٣ - ٣) كذا فى الأصل ، م ، ويعنى المصنف بالدولة الناصرية الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف .

الملكَ فقتَلوه ، فعندَ ذلك أخَذهم الأنبِرورُ فصلَبهم على بابِ قَصْرِه بعدَ ما ذبَحَهم وسلَخهم وحشَا جلودَهم تِبْنًا ، فلما بلَغ ذلك البابا أرْسَل إليه جيشًا كثيفًا لقتالِه ، فأوْقَع اللَّهُ تعالى بينهم الخلافَ بسببِ ذلك ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ .

وفيها[1] هبَّت ريحٌ عاصفةٌ شديدةٌ بمكةَ يومَ الثلاثاءِ ثامنَ عشرَ ربيعٍ الآخِرِ [١٠/٣٨و] ، فألْقَت سِتارةَ الكعبةِ المُشَرَّفةِ ، وكانت قد عَتُقَت ، فإنها مِن سنةِ أربعين لم تُجَدَّدْ ؛ لعدمِ الحجِّ فى تلك السِّنينَ مِن ناحيةِ الخليفةِ ، فما سكَنَت الريحُ إلا والكعبةُ عُرْيانةٌ وقد زال عنها شِعارُ السَّوادِ ، وكان هذا فَأْلًا على زَوالِ دولةِ بنى العباسِ ، ومُنْذِرًا بما سيَقَعُ بعدَ هذا مِن كائنةِ التَّتارِ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى . فاسْتَأْذَن نائبُ اليَمَنِ عمرُ بنُ رسولٍ شيخَ الحرمِ العفيفَ منصورَ بنَ منعةَ فى أن يَكْسُوَ الكعبةَ ، فقال : لا يَكونُ هذا إلا مِن مالِ الخليفةِ . ولم يَكُنْ عندَه مالٌ ، فاقْتَرَض ثلاثَمائةِ دينارٍ ، واشْتَرَى ثيابَ قُطْنٍ ، وصبَغها سَوادًا ، وركَّب عليها طِرازاتِها العَتيقةَ ، وكسَا بها الكعبةَ ، ومكَثَت الكعبةُ ليس عليها كِسْوةٌ إحدى وعشرين ليلةً .

وفيها فُتِحَت دارُ الكتبِ التى أنْشَأها الوزيرُ مُؤَيِّدُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ العَلْقَمىُّ بدارِ الوِزارةِ ، وجاءت فى نهايةِ الحُسْنِ ، ووُضِع فيها مِن الكتبِ النَّفيسةِ النافعةِ شىءٌ كثيرٌ ، وامْتَدَحها الشعراءُ بأبياتٍ وقَصائدَ حِسانًا .

وفى أواخِرِ ذى الحِجَّةِ طهَّر الخليفةُ المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ ولديه الأميرَيْن أبا العباسِ أحمدَ وأبا الفَضائلِ عبدَ الرحمنِ ، وعُمِلَت وَلائمُ ومآكلُ وأفراحٌ لا يُسْمَعُ بمثلِها

---

(١) انظر إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٣/ ٦٢.

مِن أزمانٍ مُتَطاوِلةٍ ، وكان ذلك وَداعًا لمَسَرَّاتِ بغدادَ وأهلِها فى ذلك الزمانِ .

وفيها احْتاط الناصرُ داودُ صاحبُ الكَرَكِ على الأميرِ عمادِ الدينِ داودَ بنِ مُوسَك ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ والأجْوادِ الأمجادِ ، واصْطَفى أموالَه كلَّها ، وسجَنه عندَه فى الكَرَكِ ، فشفَع فيه فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ لمَّا كان مُحاصِرَه فى الكَرَكِ فأطْلَقه ، فخرَجَت فى حَلْقِه خُرَاجةٌ[1] ، فبطَّها فمات ، ودُفِن عندَ قبرِ جعفرٍ والشُّهداءِ بمُؤْتَةَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفيها تُوُفِّى ملكُ الخُوارَزْميةِ قَبْلًا بركات[2] خان لما كُسِرَت أصحابُه عندَ بُحَيْرةِ حمصَ ، كما تقَدَّم ذِكْرُه .

وفيها تُوُفِّى : الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ إبراهيمُ بنُ الملكِ المُجاهِدِ أسدِ الدينِ شِيركُوه[3] صاحبُ حِمْصَ بدمشقَ ، بعد أن سلَّم بَعْلَبَكَّ للملكِ الصالحِ أيوبَ ، ونُقِل إلى حمصَ ، وكان نُزولُه أولًا ببُستانِ سامةَ[4] ، فلما مرِض حُمِل إلى الدَّهْشةِ بُسْتانِ الأشْرفِ بالنَّيْرَبِ ، فمات به .

وفيها تُوُفِّى : الصائنُ محمدُ بنُ حَسَّانَ بنِ رافعٍ العامرىُّ الخطيبُ[5] ، وكان كثيرَ السَّماعِ مُسْنِدًا ، وكانت وفاتُه بقصرِ حَجَّاجٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « جراحه » والخراجة : ما يخرج بالبدن من القروح . وبَطَّها : شقها . الوسيط (خ ر ج) ، (ب ط ط) .

(٢) فى مصدرى التخريج : « بركة » .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٦٤ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨١ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٣ ، والعبر ٥/ ١٨٣ ، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٠ .

(٤) فى مرآة الزمان : « أسامة » .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٩ - وفيه : « الضياء » - وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٧ ، والعبر ٥/ ١٨٤ .

وفيها تُوُفِّى : **الفَقيهُ العَلَّامةُ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ المراتِبىُّ**[1] **الحَنْبلىُّ** ، وكان فاضلًا ذا فنونٍ ، أثْنَى عليه أبو شامةَ ، وقال : صحِبْتُه قديمًا ، ولم يَتْرُكْ بعدَه بدمشقَ مثلَه فى الحَنابلةِ . وصُلِّى عليه بجامعِ دمشقَ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ .

والضِّياءُ عبدُ الرحمنِ العِمادىُّ[2] **المالكىُّ** ، الذى ولِى وَظائفَ الشيخِ أبى عمرِو بنِ الحاجبِ حينَ خرَج مِن دمشقَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين ، وجلَس فى حلْقتِه ، ودرَّس مكانَه بزاويةِ المالكيةِ .

والفَقيهُ تاجُ الدينِ إسماعيلُ بنُ جَهْبلٍ[3] بحلَبَ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا ، سَليمَ الصدرِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سقط من الأصل . وفى م : « المرامى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ والذيل على الروضتين ص ١٧٩، والعبر ٥/ ١٨٤، والوافى بالوفيات ٦/ ١١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢.
والمراتبى نسبة إلى باب المراتب ببغداد . انظر المشتبه ٢/ ٥٨١، وتاج العروس (ر ت ب) .

(٢) فى م : « الغمارى » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٧٩.

(٣) فى م : « جميل » . وانظر ترجمته فى المصدر السابق .

ثم دخَلت سنةُ خمسٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] كان عَوْدُ السلطانِ الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ مِن الشامِ إلى الديارِ المصريةِ[2] ، وزار فى طريقِه بيتَ المَقْدِسِ ، وفرّق فى أهلِه أموالًا كثيرةً ، وأمَر بإعادةِ سُورِه ، كما كان فى أيامِ عمِّ أبيه الملكِ الناصرِ فاتحِ القُدْسِ ، ونزَّل الجيوشَ لحِصارِ الفِرنْجِ ، ففُتِحَت طَبَرِيَّةُ فى عاشرِ صفرٍ ، وفُتِحَت عَسْقلانُ فى أواخِرِ جُمادَى الآخِرةِ[3] .

وفى رجبٍ عُزِل الخطيبُ عِمادُ الدينِ داودُ [4]بنُ خطيبِ[4] بيتِ الآبارِ عن الخَطابةِ بالجامعِ الأُمَوىِّ ، وتَدْريسِ [١٠/٣٨ظ] الغَزَّاليةِ ، ووَلِى ذلك القاضى عِمادُ الدينِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ الحَرَسْتانىِّ شيخُ دارِ الحديثِ بعدَ ابنِ الصلاحِ .

وفيها أرْسَل الصالحُ أيوبُ يَطْلُبُ جَماعةً مِن أعْيانِ الدَّماشِقةِ اتُّهِموا بمُمَالأةِ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٦٦ - ٧٦٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٥ - ٣٢٨، والعبر ٥/ ١٨٥.

(٢) ذُكِرتْ عودة الملك نجم الدين أيوب فى المرآة عام أربع وأربعين وستمائة ، وفى العبر عام سبع وأربعين وستمائة .

(٣) فى نهاية الأرب ذكر فتح عسقلان فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وأنه رحل بعدها إلى طبرية ففتحها ، وفى العبر ذكر أن فتح عسقلان كان فى جمادى الآخرة وأن فتح طبرية كان قبلها بأيام . ولم يتعرض لذكر الأشهر فى مرآة الزمان .

(٤ - ٤) فى نهاية الأرب : « خطيب » . ولم يذكره فى العبر . ولا تعارض بين كونه خطيب بيت الآبار ، وكونه ابن خطيبها . فقد كان أبوه خطيب بيت الآبار ، وكان هو كذلك خطيبه بعد وفاة أبيه ، فقد رجع إلى خطابة قريته بعد عزله ذلك الذى أشار إليه المصنف هنا ؛ انظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٤٨٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٤٣.

الصالحِ إسماعيلَ، منهم القاضى مُحْيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ، وبنو صَصْرَى وابنُ العمادِ الكاتبُ، والحكِيمِىُّ[1] مَملوكُ الصالحِ إسماعيلَ، والشِّهابُ غازى والى بُصْرَى، فلما وصَلوا إلى مصرَ لم يَكُنْ إليهم شىءٌ مِن العُقوباتِ والإهانةِ، بل خُلِع على بعضِهم وتُرِكوا باخْتِيارِهم مُكْرَمِين.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهِيرِ:

الحسينُ بنُ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ حَمْزةَ العَلَوىُّ الحُسَيْنىُّ، أبو عبدِ اللَّهِ الأَقْساسىُّ[2] النَّقيبُ قُطْبُ الدينِ، أصلُه مِن الكوفةِ، وأقام ببغدادَ، وولِى النِّقابةَ، ثم اعْتُقِل بالكوفةِ، وكان فاضلًا أديبًا شاعرًا مُطَبِّقًا، أوْرَد له ابنُ الساعى أشعارًا كثيرةً، رحِمه اللَّهُ.

الشَّلَوْبِينُ النَّحْوىُّ[3]: هو عمرُ بنُ محمدِ بنِ [4]عمرَ بنِ[4] عبدِ اللَّهِ الأزْدىُّ، أبو علىٍّ الأنْدَلُسىُّ الإشْبِيلىُّ، المعروفُ بالشَّلَوْبِينِ. وهو بلغةِ

---

(١) فى م: «الحليمى». ولم يذكر فى المرآة الحكيمى ولكن ذكر أبا الشامات مملوك الصالح إسماعيل، أما فى نهاية الأرب فقد ذكرهما معًا على أنهما شخصين مختلفين ولكن لم يذكر أن الحكيمى مملوك الصالح إسماعيل. ولم يتعرض لذكر الخبر فى الذيل على الروضتين والعبر.

(٢) فى الأصل، م: «الأفساسى». ولم نجد له ترجمة، وظاهر أن المصنف - رحمه اللَّه - ذكر وفاته من تاريخ ابن الساعى. وأثبتنا الأقساسى لأنه المذكور فى الأنساب ١/ ٢٠٠، ومعجم البلدان ١/ ٣٣٧، ٣٣٨؛ قال ياقوت: أقْساس قرية بالكوفة، وينسب إلى هذا الموضع أبو محمد يحيى بن محمد ... بن الحسين بن على بن أبى طالب الأقساسى، توفى سنة نيف وسبعين وأربعمائة بالكوفة، وجماعة من العلويين كذلك يُنسبون إليها. ولم نجد نسبة «الأفساسى» هذه.

(٣) إنباه الرواة ٢/ ٣٣٢، وإشارة التعيين ص ٢٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٧، والعبر ٥/ ١٨٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٤. وجاء فى الإنباه ووفيات الأعيان: «الشلوبينى». قال فى بغية الوعاة: بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية ونون، وربما زيد بعدها ياء النسبة.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته.

الأَنْدَلُسِيِّين : الأبيضُ الأَشْقَرُ . قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : خُتِم به أئمةُ النحوِ ، وكان فيه تَغَفُّلٌ . وذكَر له شعرًا ومُصَنَّفاتٍ ، منها « شَرْحُ الجُزُوليةِ » وكتابُ « التَّوْطِئةِ » . وأرَّخ وفاتَه بهذه السنةِ . وقد جاوَز الثمانين ، رحِمه اللَّهُ تعالى وعفا عنه .

الشيخُ عليٌّ [2]الحَرِيرِيُّ : عليُّ بنُ أبى الحسنِ بنِ المنصورِ البُسْرِيُّ[2] ، المعروفُ بالحريرِيِّ ، أصلُه مِن قريةِ بُسْرَ شرقيَّ زُرْعَ[3] ، وأقامَ بدمشقَ مدةً يَعْمَلُ صَنْعةَ الحَريرِ ، ثم ترَك ذلك ، وأقْبَل يَعْمَلُ الفقيرِيَّ[4] على يدِ الشيخِ عليٍّ المُغَرْبَلِ [5]تلميذِ الشيخِ رسلانَ التركمانيِّ الجعبرِيِّ ، فاتَّبعه طائفةٌ من الناسِ يقالُ لهم : الحريريةُ[5] . وابْتَنَى له زاويةً على الشَّرَفِ القبلِيِّ ، وبَدَرت منه أفعالٌ أنْكَرَها عليه الفُقهاءُ ، كالشيخِ عِزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، والشيخِ تَقِيِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ ، والشيخِ أبى عمرِو بنِ الحاجبِ شيخِ المالكيةِ وغيرِهم ، فلما كانت الدولةُ الأَشْرَفيةُ حُبِس فى قلعةِ عَزَّتا مدةَ سنين ، ثم أطْلَقه الصالحُ إسماعيلُ ، واشْتَرَط عليه أن لا يُقِيمَ بدمشقَ ، فلزِم بلدَه بُسْرَ مدةً حتى كانت وفاتُه فى هذه السنةِ .

قال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى « الذَّيْلِ »[6] : وفى رمضانَ أيضًا تُوُفِّى

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٤، والعبر ٥/ ١٨٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٨.

(٣) فى م : « ذرع » . وزُرْع من أعمال حَوْران ؛ وحوران كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد كانت زرع تسمى « زُرًا » و « زُرَّة » ، وذكر الحموى فى موضعٍ أن « زرع » تسمية العوامّ . انظر معجم البلدان ١/ ٦٢١، ٢/ ٣٥٧، ٩٢١.

(٤) يعمل الفقيرى : أى تَمَفْقَر . بلفظ الحافظ الذهبى فى العبر . وقال عنه فى سير أعلام النبلاء : كبير الفقراء البَطَلَةِ . ويعنى المصنف أنه صار من الصوفية .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٠.

الشيخُ عليٌّ المعروفُ بالحَريرىِّ ، المُقِيمُ بقريةِ بُسْرَ فى زاويتِه ، وكان يَتَرَدَّدُ إلى دمشقَ ، وتبِعه طائفةٌ مِن الفُقراءِ ، وهم المَعْروفون بالحَريريةِ أصحابِ الزىِّ[1] المُنافى للشَّريعةِ ، وباطنُهم شرٌّ مِن ظاهرِهم ، إلا مَن رجَع إلى اللَّهِ منهم ، وكان عندَ هذا الحَريرىِّ مِن الاسْتِهزاءِ بأمورِ الشريعةِ والتَّهاوُنِ بها مِن إظهارِ شِعارِ أهلِ الفُسوقِ والعِصْيانِ شىءٌ كثيرٌ ، وانْفَسَد بسببِه جَماعةٌ كثيرةٌ مِن أولادِ كُبَراءِ دمشقَ ، وصاروا على زِىِّ أصحابِه ، وتبِعوه بسببِ أنه كان خَليعَ العِذارِ[2] ، يَجْمَعُ مجلسُه الغِناءَ الدائمَ والرَّقْصَ والمُرْدانَ ، وترْكَ الإنكارِ[3] على أحدٍ فيما يَفْعَلُه ، وترْكَ الصلواتِ ، وكثْرَةَ النَّفَقاتِ ، فأضَلَّ خلقًا كثيرًا ، وأفْسَد جَمًّا غَفيرًا ، ولقد أفْتَى فى قتلِه مِرارًا جماعةٌ مِن علماءِ الشَّريعةِ ، ثم أراح اللَّهُ تعالى منه . هذا لفظُه بحروفِه .

واقفُ العِزِّيةِ الأميرُ عِزُّ الدينِ أيْبَك[4] أُستاذُ دارِ المُعَظَّمِ ، وكان مِن العُقلاءِ الأجْوادِ الأمْجادِ ، اسْتَنابه المُعَظَّمُ على صَرْخَدَ ، فظهَرت منه نَهْضةٌ وكِفايةٌ[5] ، ووقَف العِزِّيَّتَيْن الجَوَّانيةَ والبَرَّانيةَ . ولما أخَذ منه الصالحُ أيوبُ صَرْخَدَ عوَّضه عنها[6] ، وأقام بدمشقَ ، ثم وُشِى به بأنه يُكاتِبُ الصالحَ إسماعيلَ ، فاحْتِيط

---

(١) سقط من : م .

(٢) خليع العذار : منهمك فى الغى لا يستحى . انظر الوسيط (ع ذ ر) .

(٣) فى الذيل على الروضتين : « الاحتجار » .

(٤) مرآة الزمان ٧٦٧/٨ (القسم الثانى) ، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٨٠. وأرخت وفاته فى المختصر وتاريخ ابن الوردى سنة ست وأربعين وستمائة .

(٥) بعده فى م : « وسداد » .

(٦) كذا قال المصنف ، ونقَل ذلك عنه صاحب الدارس ١/ ٥٥١، ولكن لم نجد فى المصادر أن الصالح أيوب عوضه عن صرخد ، أما فى مرآة الزمان ونهاية الأرب فذكرا اعتقاله مباشرة ، وفى المختصر وتاريخ ابن الوردى جاء أنه اعتقل سنة أربع وأربعين وستمائة ثم حُبس حتى مات فى حبسه .

[١٠/٣٩و] عليه وعلى أموالِه وحَواصِلِه ، فمرِض وسقَط إلى الأرضِ ، وقال : هذا آخِرُ عهدى . ولم يَتَكَلَّمْ حتى مات ، ودُفِن ببابِ النصرِ بمصرَ ، ثم نُقِل إلى تربتِه التى فوقَ الوَرَّاقةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وإنما أرَّخ السِّبْطُ وفاتَه فى سنةِ سبعٍ وأربعين . فاللَّهُ أعلمُ[1] .

الشِّهابُ غازى بنُ العادلِ[2] صاحبُ مَيَّافارِقِينَ وخِلَاطَ وغيرِهما مِن البُلْدانِ ، كان مِن عُقلاءِ بنى أيوبَ وفُضلائِهم ، وأهلِ الدِّيانةِ منهم ، ومما أنْشَد قولُه[3] :

ومِن عجبِ الأيامِ أنك جالسٌ ... على الأرضِ فى الدنيا وأنت تَسِيرُ
فسَيْرُك يا هذا كَسَيْرِ سفينةٍ ... بقومٍ جُلوسٍ والقُلوعُ تَطِيرُ

---

(١) كذا قال المصنف - رحمه اللَّه تعالى - وهو أحد التأريخين اللذين ذكرهما السبط ، والتأريخ الأول هو سنة خمس وأربعين وستمائة ، فقد ذكره السبط فى وفياتها وبعدها ساق ترجمته قال : وقيل إنه مات فى سنة سبع وأربعين وستمائة .

(٢) مرآة الزمان ٧٦٨/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٩، وأرّخ وفاته سنة ستّ وأربعين وستمائة ، والعبر ٥/ ١٨٧، ومرآة الجنان ٤/ ١١٤.

(٣) انظر مرآة الزمان ٧٦٩/٨ (القسم الثانى) .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] قدِم السلطانُ الصالحُ نَجْمُ الدينِ أيوبُ مِن الديارِ المصريةِ إلى دمشقَ، وجهَّز الجيوشَ والمجَانِيقَ إلى حمصَ؛ لأنه كان صاحبُها الملكُ الأشرفُ موسى بنُ المنصورِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه قد قايَض بها تَلَّ باشِرٍ لصاحبِ حلَبَ الناصرِ يوسُفَ بنِ العَزيزِ، ولما علِمَت الحلَبِيُّون بخُروجِ الدَّماشقةِ برَزُوا أيضًا فى جَحْفَلٍ عظيمٍ ليَمْنَعوا حمصَ منهم، واتَّفَق مجىءُ الشيخِ نَجْمِ الدينِ البادَرَائىِّ مدرسِ النِّظاميةِ ببغدادَ فى رسالةٍ، فأصْلَح بينَ الفريقَيْن، وردَّ كلًّا مِن الفئتَيْن إلى مُسْتَقَرِّها، وللَّهِ الحمدُ.

وفيها قَتَل مملوكٌ تركىٌّ شابٌّ صبىٌّ سيدَه على دَفْعِه عنه لمّا أراد به مِن الفاحشةِ، فصُلِب الغلامُ مُسَمَّرًا، وكان شابًّا حسنًا جدًّا، فتأسَّف الناسُ له لكونِه صغيرًا ومظلومًا وحسنًا، ونظَموا فيه قَصائدَ؛ وممَّن نظَم فيه الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ فى «الذَّيْلِ»[2]، وقد أطال قصتَه جدًّا.

وفيها سقَطَت قَنْطرةٌ رُوميَّةٌ قَديمةُ البناءِ بسُوقِ الدقيقِ مِن دمشقَ، عندَ قصرِ أمِّ حَكيمٍ، فتهَدَّم بسببِها شىءٌ كثيرٌ مِن الدُّورِ والدَّكاكينِ، وكان سُقوطُها نَهارًا.

وفى ليلةِ الأحدِ الخامسِ والعشرين مِن رجبٍ وقَع حريقٌ بالمَنارةِ الشرقيةِ،

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٧٠ - ٧٧٢ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٥ - ٣٢٨، والعبر ٥/ ١٨٥.

(٢) لعل الذى فى الذيل ليس من نظم أبى شامة، فقد قال: ومما قيل فيه:.... وساق القصيدة.

فأحْرَق جميعَ حَشْوِها ، وكانت سَلالمُها سِقالاتٍ مِن خشبٍ ، وهلَك للناسِ وَدائعُ كثيرةٌ كانت فيها ، وسلَّم اللَّهُ الجامعَ ، وللَّه الحمدُ . وقدِم السلطانُ بعدَ أيامٍ إلى دمشقَ ، فأمَر بإعادتِها كما كانت .

قلتُ : ثم احْتَرَقَت وسقَطَت بالكليةِ بعدَ سنةِ أربعين وسبعِمائةٍ ، وأُعِيدَت عِمارتُها أحسنَ مما كانت ، وللَّهِ الحمدُ ، وبقِيَت حينَئذٍ المَنارةُ البَيْضاءُ الشرقيةُ بدمشقَ كما نطَق به الحديثُ فى نزولِ عيسى ، عليه السلامُ ، عليها ، كما سيأتى بيانُه وتَقْريرُه فى موضعِه إن شاء اللَّهُ تعالى[1] .

ثم عاد السلطانُ الصالحُ أيوبُ مَريضًا فى مِحَفَّةٍ إلى الديارِ المصريةِ وهو ثَقيلٌ مُدْنِفٌ ، [2]وما شغَله مرضُه وما هو فيه[2] عن أمرِه بقتلِ أخيه العادلِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ الذى كان صاحبَ الديارِ المصريةِ بعدَ أبيه ، وقد كان سجَنه سنةَ اسْتَحْوذ على مصرَ ، فلما كان فى هذه السنةِ فى شوالِها أمَر بخَنْقِه ، فخُنِق ودُفِن بتربةِ شمسِ الدولةِ ، فما عُمِّر بعدَه إلا إلى النصفِ مِن شعبانَ فى العامِ القابلِ فى أسوأِ حالٍ وأشدِّ مرضٍ ، فسبحانَ مَن له الخلقُ والأمرُ .

وفيها كانت وفاةُ قاضى القُضاةِ بالديارِ المصريةِ :

أفضلِ[3] **الدينِ الخُونَجِىِّ** ، الحكيمِ المَنْطِقىِّ البارعِ فى ذلك ، وكان مع ذلك جيدَ السِّيرةِ فى أحكامِه . قال أبو شامةَ[4] : أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ .

---

(١) انظر ما سيأتى فى الفتن والملاحم .

(٢ - ٢) فى م : « شغله ما هو فيه » .

(٣) فى م : « فضل » . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ١٨٢، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٨، والوافى بالوفيات ٥/ ١٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٠٥.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢.

وممن تُوفِّى فيها :

علىُّ بنُ يحيى ، جَمالُ الدينِ أبو الحسنِ المُخرِّمىُّ[1] ، كان شابًّا فاضلًا أديبًا شاعرًا ماهرًا ، صنَّف كتابًا مُخْتَصَرًا وَجيزًا جامعًا لفُنونٍ كثيرةٍ فى الرياضةِ [١٠/٣٩ظ] والعقلِ وذمِّ الهَوَى ، وسمَّاه « نَتائجَ الأفْكارِ » ، قال فيه مِن الكَلِمِ المُسْتفادةِ الحِكْمِيةِ : السلطانُ إمامٌ مَتْبوع ، ودينٌ مشروع ، فإن ظلَم جارت الحكامُ لظلمِه ، وإن عدَل لم يَجُرْ أحدٌ فى حكمِه ، مَن مكَّنه اللَّهُ فى أرضِه وبلادِه ، وائْتَمَنه على خلقِه وعبادِه ، وبسَط يدَه وسلطانَه ، ورفَع مَحَلَّه ومكانَه ، فحَقيقٌ عليه أن يُؤَدِّىَ الأمانة ، ويُخْلِصَ الدِّيانة ، ويُجَمِّلَ السَّريرة ، ويُحْسِنَ السِّيرة[2] ، ويَجْعَلَ العَدلَ دَأْبَه المعهود ، [3]والأمنَ بحْرَ[3] غرضِه المقصود ، فالظلمُ يُزِلُّ القَدَم ، ويُزِيلُ النِّعَم ، ويَجْلُبُ النِّقَم[4] ، ويُهْلِكُ الأمم .

وقال أيضًا : مُعارَضةُ الطَّبيب تُوجِبُ التَّعْذيب . رُبَّ حِيلة أنْفَعُ مِن قَبيلة . [5]الموتُ فى طلبِ الثار خيرٌ من الحياةِ فى العار[5] . سَمينُ الغضبِ مَهْزول ، ووالى الغَدْرِ مَعْزول . قلوبُ الحُكماءِ تَسْتَشِفُّ الأسْرار مِن لَمَحاتِ الأبصار . ارْضَ مِن أخيك فى ولايتِه بعُشْرِ ما كنتَ تَعْهَدُه مِن مودتِه . التَّواضُعُ مِن مَصائدِ الشرفِ . ما أحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ لولا أن فيه[6] العجزَ . ما أقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ لولا أن فيه الحَزْمَ .

---

(١) الأعلام للزركلى ٥/ ١٨٥، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٦١.

(٢) فى الأصل : « السريرة » .

(٣ - ٣) فى م : « والأجر » .

(٤) فى م : « الفقر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « منه » .

وذكَر فى غُبونِ كلامِه أن خادمًا لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ أذْنَب ، فأراد ابنُ عمرَ أن يُعاقِبَه على ذنبِه ، فقال : يا سيدى ، أمَا لك ذنبٌ تَخافُ اللَّهَ تعالى منه ؟ قال : بلى . قال : فبالذى أمْهَلَك لمّا أمْهَلْتَنى . ثم أذْنَب العبدُ ثانيًا ، فأراد عُقوبتَه ، فقال له مثلَ ذلك ، فعفا عنه ، ثم أذْنَب الثالثةَ ، فعاقَبه وهو لا يَتَكَلَّمُ ، فقال له ابنُ عمرَ : ما لك لم تَقُلْ ما قلتَ فى الأَوَّلَتَيْنِ[1] ؟ فقال : يا سيدى ، حَياءً مِن حِلْمِك مع تَكرارِ جُرْمى . فبكَى ابنُ عمرَ وقال : أنا أحَقُّ بالحَياءِ مِن ربى ، أنت حرٌّ لوجهِ اللَّهِ تعالى .

ومِن شعرِه يَمْدَحُ الخليفةَ :

يا مَن إذا ضنَّ[2] السَّحابُ بمائِه ... هطَلَت يداه على البَرِيَّةِ عَسْجَدَا[3]

جَوَّرْتَ كِسْرى يا مُبَخِّلَ حاتمٍ ... فغدَتْ بنو الآمالِ نحوَكَ سُجَّدَا

وقد أوْرَد له ابنُ الساعى أشعارًا كثيرةً حسنَةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو عمرٍو بنُ الحاجبِ المالكىُّ[4] عثمانُ بنُ عمرَ بنِ أبى بكرِ بنِ يونُسَ الدَّوِينىُّ[5] ثم المصرىُّ ، العَلَّامةُ أبو عمرٍو بنُ الحاجبِ شيخُ المالكيةِ ، كان أبوه حاجبًا[6] للأميرِ عزِّ الدينِ مُوسَك الصَّلاحىِّ ، واشْتَغل هو بالعلمِ ، فقرَأ

---

(١) فى الأصل : « الأوليين » .

(٢) فى م : « بخل » .

(٣) العسجد : الذهب . الوسيط (عسجد) .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥١٦، والطالع السعيد ص ٣٥٢، والديباج المذهب ٢/ ٨٦، وبغية الوعاة ٢/ ١٣٤.

(٥) فى الأصل : « الرونى » ، وفى م : « الروينى » ، والمثبت من مصادر الترجمة ، والدوينى نسبة إلى دَوِين ؛ بلدة فى نواحى أرّان فى آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس . معجم البلدان ٢/ ٦٣٢.

(٦) فى الأصل ، م : « صاحبًا » ، والمثبت من مصادر الترجمة .

القِراءاتِ ، وحرَّر النحوَ تَحريرًا بَليغًا ، وتفَقَّه وساد أهلَ عصرِه ، ثم كان رأسًا فى علومٍ كثيرةٍ ، منها الأُصولُ والفُروعُ والعربيةُ والتَّصْريفُ والعَروضُ والتَّفْسيرُ ، وغيرُ ذلك .

وقد كان اسْتَوْطَن دمشقَ فى سنةِ سبعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، ودرَّس بها للمالكيةِ بالجامعِ حتى كان خُروجُه بصُحْبةِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ فى سنةِ ثمانٍ وثلاثين ، فصارا إلى الديارِ المصريةِ حتى كانت وفاةُ الشيخِ أبى عمرٍو فى هذه السنةِ بالإسْكَنْدَريةِ ، ودُفِن بالمَقْبَرةِ التى بينَ المَنارةِ والبلدِ .

قال الشيخُ أبو شامةَ[1] : وكان مِن أذْكَى الأمَّةِ قَريحةً ، وكان ثقةً حُجَّةً مُتَواضِعًا عَفيفًا ، كثيرَ الحَياءِ ، مُنْصِفًا مُحِبًّا للعلمِ وأهلِه ناشِرًا له ، مُحْتَمِلًا للأذَى ، صَبورًا على البَلْوَى ، قدِم دمشقَ مِرارًا ، آخرُها سنةَ سبعَ عشْرةَ ، فأقام بها مُدَرِّسًا للمالكيةِ وشيخًا للمُسْتَفِيدِين عليه فى عِلْمَيِ القِراءاتِ والعربيةِ ، وكان رُكْنًا مِن أركانِ الدينِ فى العلمِ والعملِ ، بارعًا فى العلومِ[2] ، مُتْقِنًا لمذهبِ مالكِ بنِ أنسٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد أثْنَى عليه ابنُ خَلِّكانَ ثَناءً كثيرًا[3] ، وذكَر أنه جاء إليه فى أَداءِ شَهادةٍ حينَ كان ابنُ خلكانَ نائبًا [١٠/٤٠و] فى الحكمِ بمصرَ ، وسأَله عن مسألةِ اعْتِراضِ[4] الشَّرْطِ على الشَّرْطِ ، كإذا قال : إن أكَلْتِ إن شَرِبْتِ فأنت طالقٌ . لِمَ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٢.

(٢) بعده فى الذيل : « الأصولية وتحقيق علم العربية » .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٢٤٨ - ٢٥٠.

(٤) فى الأصل : « دخول » .

كان لا[1] يَقَعُ الطلاقُ [2]حتى تشرَبَ[2] أولًا ؟ وذكَر أنه أجاب عن ذلك فى تُؤَدَةٍ وسُكونٍ .

قلتُ : له مُخْتَصَرٌ فى الفقهِ مِن أحسنِ المُخْتَصَراتِ ، انْتَظَم فيه « جواهرَ[3] ابنِ شاشٍ » ، ومُخْتَصَرٌ فى أصولِ الفقهِ اسْتَوْعَب فيه عامَّةَ فَوائِدِ « الإحْكامِ » لسيفِ الدينِ الآمِدىِّ ، وقد منَّ اللَّهُ تعالى علىَّ بحفظِه ، وجمَعْتُ كَرارِيسَ فى الكلامِ على ما أوْدَعه فيه مِن الأحاديثِ النبويةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وله « شَرْحُ المُفَصَّلِ » و « الأمالى » فى العربيةِ و « المُقَدِّمةُ » المَشْهورةُ فى النحوِ ، اخْتَصَر فيها « مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرىِّ » وشرَحها ، وقد شرَحها غيرُه أيضًا ، وله « التَّصْريفُ » و « شرحُه » ، وله العَروضُ على وزنِ الشاطبيةِ ، رحِمه اللَّهُ ورضِى عنه .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حتى يشرب » . وفى م : « حين شربت » . والمثبت موافق لسياق وفيات الأعيان .

(٣) فى م : « فوائد » . وانظر معجم المؤلفين ٦/ ١٥٨.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وَفاةُ الملكِ الصالحِ أيوبَ ، وقَتْلُ ابنِه المُعَظَّمِ تُورانْشاه ، وتوليةُ المُعِزِّ عِزِّ الدينِ أَيْبَكَ التُّرْكمانيِّ على ما سيأتى .

وفى رابعِ المُحَرَّمِ يومِ الاثنين توَجَّه السلطانُ الملكُ الصالحُ مِن دمشقَ إلى الديارِ المصريةِ فى مِحَفَّةٍ . قاله السِّبْطُ[2] : وكان قد نادَى فى دمشقَ : مَن له عندَنا شىءٌ فلْيَأْتِ . فاجْتَمَع خلقٌ كثيرٌ بالقلعةِ ، فدُفِعَت إليهم أموالُهم .

وفى عاشرِ صفرٍ دخَل إلى دمشقَ نائبُها الأميرُ جَمالُ الدينِ بنُ يَغْمُورٍ مِن جهةِ الصالحِ أيوبَ ، فنزَل بدَرْبِ الشَّعَّارينَ داخلَ بابِ الجابيةِ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ أمَر النائبُ بتَخْريبِ الدَّكاكينِ المُحْدَثةِ فى وسَطِ بابِ البريدِ ، وأمَر أن لا يَبْقَى فيه دُكَّانٌ سوى ما فى جانبَيْه إلى جانبِ الحائِطَينِ القِبْلىِّ والشماليِّ[3] ، وما فى الوسطِ يُهْدَمُ . قال أبو شامةَ[4] : وقد كان العادلُ هدَم ذلك ، ثم أُعِيد ، ثم هدَمه ابنُ يَغْمورٍ ، والمَرْجُوُّ اسْتِمرارُه على هذه الصفةِ .

وفيها توَجَّه الناصرُ داودُ مِن الكَرَكِ إلى حَلَبَ ، فأرْسَل الصالحُ أيوبُ إلى نائِبِه بدمشقَ جَمالِ الدينِ بنِ يَغْمورٍ بخَرابِ دارِ سامةَ المَنْسوبةِ إلى الناصرِ بدمشقَ ،

---

(١) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ - ٧٧٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٣٣٤/٢٩ - ٣٥٥، والعبر ١٩٢/٥ - ١٩٥.

(٢) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ (القسم الثانى) .

(٣) فى م : « والشامى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٣.

وبُسْتانِه الذى بالقابونِ ، وهو بُسْتَانُ القَصْرِ ، وأن تُقْلَعَ أشْجارُه ويُخَرَّبَ القصرُ ، وتَسَلَّم الصالحُ أيوبُ الكَرَكَ مِن الأمْجَدِ حسنِ بنِ الناصرِ ، وأخْرَج مَن كان بها مِن بيتِ المُعَظَّمِ ، واسْتَحْوَذ على حَواصِلِها وأموالِها ، فكان فيها مِن الذهبِ ألفُ ألفِ دينارٍ ، وأقْطَع الصالحُ الأَمْجَدَ هذا إقْطاعًا جيدًا .

وفيها[1] طغَى الماءُ ببغدادَ حتى أتْلَف شيئًا كثيرًا مِن المَحالِّ والدُّورِ الشهيرةِ ، وتعَذَّرَت الجُمَعُ فى أكثرِ الجَوامعِ بسببِ ذلك سوى ثلاثةِ جَوامعَ ، ونُقِلَت تَوابيتُ جَماعةٍ مِن الخلفاءِ إلى التُّرَبِ مِن الرُّصافةِ خوفًا عليهم مِن أن تَغْرَقَ مَحالُّهم ؛ منهم المُعْتَضِدُ بنُ الأميرِ أبى أحمدَ بنِ المُتَوَكِّلِ ، وذلك بعدَ دفنِه بنيِّفٍ وخمسين سنةً وثلاثِمائةِ سنةٍ ، وكذا نُقِل ولدُه المُكْتَفِى ، [2]وكذا المُتَّقِى[2] بنُ المُقْتَدِرِ باللَّهِ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

وفيها هجَمَت الفِرنْجُ على دِمْياطَ ، فهرَب مَن كان فيها مِن الجندِ والعامَّةِ ، واسْتَحْوَذ الفِرنْجُ على الثَّغْرِ ، وقتَلوا خلقًا كثيرًا مِن المسلمين ، وذلك فى ربيعٍ الأولِ منها ، فنصَب السلطانُ المُخَيَّمَ تُجاهَ العدوِّ بجميعِ الجيشِ ، وشنَق[3] خلقًا ممَّن هرَب مِن الفِرنْجِ ، ولامَهم على تركِ المُصابَرةِ قليلًا ليُرْهِبوا عدوَّ اللَّهِ وعدوَّهم ، وقوِى المرضُ ، وتزايَد بالسلطانِ جدًّا ، فلما كانت ليلةُ النصفِ مِن شعبانَ تُوُفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى بالمنصورةِ ، فأخْفَت جاريتُه أمُّ ولدِه خَليلٍ المَدْعُوَّةُ شجرَ الدُّرِّ

---

(١) لم نقف لهذا الخبر على مصدر ، ولعله فى تاريخ ابن الساعى .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، وفى م : « وكذا المقتفى » . وهو تصحيف . والتصويب مما تقدم من ترجمة المتقى لله فى ٣١٤/١٥ فى وفيات سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وتقدمت ترجمة المقتفى فى ٣٩٣/١٦ فى وفيات سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

(٣) فى الأصل : « حبق » . وحبقه . ضربه بأداة كالجريد أو الحبل أو السوط . الوسيط (ح ب ق) .

موتَه ، وأظْهَرَت أنه مرَيضٌ مُدْنِفٌ لا يُوصَلُ إليه ، وبقِيَت تُعْلِمُ عنه بعَلامتِه سَواءً ، وأعْلَمَت إلى أعْيانِ الأمراءِ ، فأرْسَلوا إلى ابنِه [١٠/٤٠ظ] الملكِ المُعَظَّمِ تُورانْشاه ، وهو بحصنِ كَيْفَا ، فأقْدَموه إليهم سريعًا ، وذلك بإشارةِ أكابرِ الأمراءِ ؛ منهم فخرُ الدينِ بنُ الشيخِ ، فلما قدِم إليهم ملَّكوه عليهم ، وبايَعوه أجْمَعون ، فركِب فى عَصائبِ المُلْكِ ، وقاتَل الفِرنْجَ ، فكسَرهم وقتَل منهم ثلاثين ألفًا ، وللَّهِ الحمدُ ، وذلك فى أولِ السنةِ الداخلةِ ، ثم قتَلوه بعدَ شهرين مِن مُلْكِه عليهم ، ضرَبه بعضُ الأمراءِ - وهو عِزُّ الدينِ أيْبَكُ التُّركمانىُّ ، [1] فضرَبه فى يدِه ، فقطَع بعضَ أصابعِه [1] ، فهرَب إلى قصرٍ مِن خشبٍ فى المُخَيَّمِ ، فحاصَروه فيه ، وأحْرَقوه عليه ، فخرَج مِن بابِه مُسْتَجِيرًا برسولِ الخليفةِ ، فلم يَقْبَلوا منه ، فهرَب إلى النِّيلِ ، فانْغَمَر فيه ، ثم خرَج ، فقُتِل سريعًا شَرَّ قِتْلةٍ ، وداسُوه بأرجلِهم ، ودُفِن كالجِيفةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وكان فيمَن ضربَه البُنْدُقْدارِىُّ على كتفِه ، فخرَج السيفُ مِن تحتِ إبطِه الآخَرِ ، وهو يَسْتَغِيثُ فلا يُغاثُ .

ومِمَّن قُتِل فى هذه السنةِ :

فخرُ الدينِ يوسُفُ بنُ الشيخِ بنِ حَمُّوَيْهِ [2] ، وكان فاضلًا دَيِّنًا مَهِيبًا وَقورًا ، خَليقًا بالمُلْكِ ، كانت الأمراءُ تُعَظِّمُه جدًّا ، ولو دعاهم إلى مُبايعتِه بعدَ الصالحِ لما اخْتَلَف عليه اثنان ، ولكنه كان لا يَرَى ذلك ؛ حِمايةً لجانبِ بنى أيوبَ ، قتَلَته الداوِيَّةُ مِن الفِرنْجِ شهيدًا قبلَ قُدومِ المُعَظَّمِ تُورانْشاه إلى مصرَ ، فى ذى القَعْدةِ ،

(١ - ١) فى الأصل : « وهو جالس على السماط فى يده بالسيف وذلك أنه صالح على أيبك التركمانى فضربه فى يده فأنكاه » .

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٧٦ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٠ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٨ ، والعبر ٥/ ١٩٤ .

ونُهِبَت أموالُه وحَواصلُه وخيولُه ، وخُرِّبَت دارُه ، ولم يَتْرُكوا شيئًا مِن الأفعالِ الشَّنيعةِ البَشِعةِ إلا صنَعوه به ، مع أن الذين تعاطَوْا ذلك مِن الأمراءِ كانوا مُعَظِّمِين له غايةَ التَّعْظيمِ . ومِن شعرِه :

عصَيْتُ هَوَى نفسى صغيرًا فعندَما رمَتْنى الليالى بالمَشيبِ وبالكِبَرْ
أطَعْتُ الهَوَى عكسَ القضيةِ ليتَنى خُلِقْتُ كبيرًا وانتَقَلْتُ إلى الصِّغَرْ

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وأربعين وستّمائةٍ[1]

فى ثالثِ المُحَرَّمِ يومِ الأربعاءِ كان كَسْرُ المُعَظَّمِ تُورانْشاه للفِرنْجِ على ثَغْرِ دِمْياطَ، فقتَل منهم ثلاثين ألفًا، وقيل: مائةَ ألفٍ. وغنِموا شيئًا كثيرًا، وللَّهِ الحمدُ، ثم قتَل جَماعةً مِن الأمراءِ الذين أُسِروا، وكان فيمَن أُسِر ملكُ الإفْرَنْسِيسِ وأخوه، وأُرْسِلت غِفارةُ[2] ملكِ الإفْرَنْسِيسِ إلى دمشقَ، فلبِسها نائبُها فى يومِ المَوْكِبِ، وكانت مِن سَقِرْلاط[3] أحمرَ، تحتَها فَرْوُ سِنْجابٍ، فأنْشَد فى ذلك جَماعةٌ مِن الشعراءِ فَرَحًا بما وقَع، ودخَل الفقراءُ كَنيسةَ مَرْيَمَ، فأقاموا بها سَماعًا[4]؛ فَرَحًا بما نصَر اللَّهُ تعالى على النصارَى، وكادوا أن يُخَرِّبوها، وكانت النصارى ببَعْلَبَكَّ وقد فرِحوا حينَ أخَذَت النصارى دِمْياطَ، فلما كانت هذه الكَسْرةُ عليهم سَخَّموا وُجوهَ الصُّوَرِ، فأرْسَل نائبُ البلدِ فجَنّاهم، وأمَر اليهودَ فصفَعوهم، ثم لم يَخْرُجْ شهرُ المُحَرَّمِ حتى قتَل الأمراءُ ابنَ أُسْتاذِهم المُعظَّمَ تُورانْشاه، ودفَنوه إلى جانبِ النِّيلِ مِن الناحيةِ الأخرى، رحِمه اللَّهُ تعالى، ورحِم أسْلافَه بمَنِّه وكرمِه.

---

(١) مرآة الزمان ٧٧٨/٨ - ٧٨٥ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٥٥، والعبر ١٩٥/٥ - ٢٠١.

(٢) الغفارة: زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. والغفارة: المعطف. والجمع غفائر. اللسان (غ ف ر). وانظر السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٣).

(٣) فى م: «سقرلاط». وفى الذيل على الروضتين: «اسكرلاط»، وفى نهاية الأرب: «اسقلاط». وهو نوع من القماش كان يرد من بلاد أيرلندة لونه قرمزى. السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٤).

(٤) سقط من: م.

تمليكُ الملكِ المُعِزِّ عِزِّ الدينِ أيْبَكَ التُّرْكُمانيِّ مصرَ بعدَ بنى أيوبَ ، وتَداوُلُ دولةِ الأتراك

لما قتَل الأمراءُ البَحْريةُ وغيرُهم مِن الصالحيةِ ابنَ أُسْتاذِهم المُعَظَّمَ غِياثَ الدينِ تُورانْشاه بنَ الصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ ، وكان مُلْكُه بعدَ أبيه بشهرين كما تقدَّم بيانُه ، ثم لمَّا قُتِلَ وانْفَصَل أمرُه نادَوْا فيما بينَهم : لا بأسَ لا بأسَ . واسْتَدْعَوْا مِن بينِهم الأميرَ عِزَّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانيَّ ، [١٠/٤١و] فملَّكوه عليهم وبايَعوه ، ولقَّبوه بالملكِ المُعِزِّ ، وركِبوا إلى القاهرةِ ، ثم بعدَ خمسةِ أيامٍ أقاموا لهم صَبِيًّا مِن بنى أيوبَ ابنَ عشْرِ سنين ، وهو الملكُ الأشرفُ مُظَفَّرُ الدينِ موسى بنُ الناصرِ يوسُفَ بنِ المسعودِ[1] أقْسِيسَ بنِ الكاملِ ، وجعَلوا المُعِزَّ أتابِكَه ، فكانت السِّكَّةُ والخُطْبةُ باسمِهما ، وكاتبوا أُمراءَ الشامِ بذلك ، فما تمَّ لهم الأمرُ بالشامِ ، بل خرَج عن أيديهم ، ولم تَسْتَقِرَّ لهم المَمْلكةُ إلا على الديارِ المصريةِ ، وكلُّ ذلك عن أمرِ الخاتونِ شجَرِ الدُّرِّ أمِّ خَليلٍ حَظِيَّةِ الصالحِ أيوبَ ، فتزَوَّجَت بالمُعِزِّ ، وكانت الخُطْبةُ والسِّكَّةُ باسمِها ، يُدْعَى لها على المَنابرِ أيامَ الجُمَعِ بمصرَ وأعمالِها ، وكذا تُضْرَبُ السِّكَّةُ باسمِها أمِّ خَليلٍ ، والعَلامةُ على المَناشِيرِ والتَّواقيعِ بخطِّها واسمِها ، مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ قبلَ المُعِزِّ ، ثم آل أمْرُها إلى ما سنَذْكُرُه مِن الهَوانِ والقتلِ .

ذِكْرُ مُلْكِ الناصرِ بنِ العَزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ فاتحِ القُدْسِ ، صاحبِ حَلَبَ ، لدمشقَ حرَسها اللَّهُ تعالى

لما وقَع بالديارِ المصريةِ مِن قَتْلِ الأُمراءِ للمُعَظَّمِ تُورانْشاه بنِ الصالحِ أيوبَ

---

(١) فى الأصل : « المنصور » .

ركِب الحلَبيون ، معهم ابنُ أُسْتاذِهم الناصرُ يوسُفُ بنُ العزيزِ محمدِ بنِ الظاهرِ غازى بنِ الناصرِ يوسُفَ فاتحِ بيتِ المقدسِ ، ومَن كان عندَهم مِن ملوكِ بنى أيوبَ ، منهم الصالحُ إسماعيلُ بنُ العادلِ ، وكان أحَقَّ الموجودين بالمُلْكِ ، مِن حيث السِّنُّ والعَقْلُ[1] والحُرْمةُ والرِّياسةُ ، ومنهم الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ بنِ العادلِ ، والأشْرَفُ موسى بنُ المنصورِ إبراهيمَ بنِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه الذى كان صاحبَ حمصَ ، وغيرُهم ، فجاءوا إلى دمشقَ ، فحاصَروها فملَكوها سريعًا ، ونُهِبَت دارُ ابنِ يَغْمورٍ ، وحُبس فى القلعةِ ، وتسَلَّموا ما حولَها ، كبَعْلَبَكَّ وبُصْرَى والصَّلْتِ وعجْلُونَ[2] وصَرْخَدَ ، وامْتَنَعَت عليهم الكَرَكُ والشَّوْبَكُ بالمَلِكِ المُغيثِ عمرَ بنِ العادلِ بنِ الكاملِ ، كان قد تغَلَّب عليهما فى هذه السنةِ حينَ قُتِل المُعَظَّمُ تُورانْشاه ، فطلَبه المِصْريون ليُمَلِّكوه عليهم ، فخاف مما حلَّ بابنِ عمِّه ، فلم يَذْهَبْ إليهم .

ولما اسْتَقَرَّت يدُ الحلَبِيِّين على دمشقَ وما حولَها جلَس الناصرُ فى القلعةِ ، وطيَّب قلوبَ الناسِ ، ثم ركِبوا إلى غَزَّةَ ليَتَسَلَّموا الدِّيارَ المِصْريةَ ، فبرَز إليهم الجيشُ المِصْرىُّ ، فاقْتَتلوا معهم أشَدَّ القِتالِ ، فكُسِر المِصْريون أولًا بحيث إنه خُطِب للناصرِ بها ذلك اليومَ ، ثم كانت الدائرةُ على الشامِيِّين ، فانْهَزَموا وأُسِر مِن أعْيانِهم خلقٌ كثيرٌ ، وعُدِم مِن الجيشِ الصالحُ إسماعيلُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد أنْشَد هنا الشيخُ أبو شامةَ رحِمه اللَّهُ تعالى لبعضِهم[3] :

---

(١) فى الأصل : « العقدد » ، وفى م : « التعدد » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٢) سقط من : م .

(٣) لم نقف على البيتين فى الذيل على الروضتين ، وهما فى المنهل الصافى ٢/ ٤٢٢ ، ونسبهما إلى أحمد بن المعلم .

ضيَّع إسماعيلُ أموالَنا وخرَّب المغْنى بلا معنى
وراح مِن جِلَّقَ[1] هذا جَزا مَن أَفْقَرَ الناسَ وما اسْتَغْنى

ذكرُ شيءٍ مِن ترجمةِ الصالحِ [2]أبى الخيَشِ[2] إسماعيلَ واقفِ تُرْبةِ أمِّ الصالحِ .

وقد كان الصالحُ ، رحِمه اللَّهُ ، مَلِكًا عاقلًا حازِمًا ، تَقَلَّبَت به الأحْوالُ أطْوارًا كثيرةً ، وقد كان الأشْرفُ موسى أوْصَى له بدمشقَ مِن بعدِه ، فملَكها شهورًا ، ثم انْتَزَعها منه أخوه الكاملُ ، ثم ملَكها مِن يدِ الصالحِ أيوبَ خَديعةً ومَكْرًا ، فاسْتَمَرَّ فيها أزْيَدَ مِن أربعِ سنينَ ، ثم اسْتَعادها منه الصالحُ أيوبُ عامَ الخُوارَزْميةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعين ، واسْتَقَرَّت بيدِه بلَداه بَعْلَبَكُّ وبُصْرَى ، ثم أُخِذَتا منه كما ذكَرْنا ، ولم يَبْقَ له بلدٌ يَأْوِى إليه ، فلجَأ إلى المَمْلَكةِ الحَلَبيةِ فى جوارِ الناصرِ يوسُفَ صاحبِ حَلَبَ ، فلما كان فى هذه السنةِ كما ذكَرْنا [١٠/٤١ظ] عُدِم بالديارِ المصريةِ فى المعركةِ ، فلا يُدْرَى ما فُعِل به . واللَّهُ تعالى أعْلَمُ . وهو واقفُ التُّرْبةِ والمدرسةِ ودارِ الحديثِ والإقراءِ بدمشقَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ والمشاهيرِ :

الملكُ المُعَظَّمُ تُورانْشاه بنُ الصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ بنِ العادلِ[3] ، كان

---

(١) جلق : اسم لدمشق ، أو غوطتها . تاج العروس (ج ل ق) .

(٢ - ٢) سقط من : م . وفى الأصل : «أبى الخيس» . والمثبت من المشتبه ١/ ٢٥٦، وتبصير المنتبه ١/ ٢٨٣. وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٣٤، والعبر ٥/ ١٩٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٢١٥، وعقد الجمان ١/ ٤٧، والمنهل الصافى ٢/ ٤٢٠. ووقع فى العبر وعقد الجمان والمنهل الصافى : «أبو الجيش» .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٨١ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٥، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٥٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٩٣، والعبر ٥/ ١٩٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٤٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٣٤.

أولًا صاحبَ حصنِ كَيْفَا فى حياةِ أبيه ، وكان أبوه يَسْتَدْعِيه إليه فى أيامِه فلا يُجِيبُه ، فلما تُوُفِّى أبوه كما ذكَرْنا اسْتَدْعاه الأمراءُ ، فأجابهم وجاء إليهم فملَّكوه عليهم ، ثم قتَلوه كما ذكَرْنا ، وذلك يومَ الاثنين السابعَ والعشرين مِن المُحَرَّمِ ، وقد قيل : إنه كان مُتَخَلِّعًا لا يَصْلُحُ للمُلْكِ . وقد رُئِى أبوه فى المَنامِ بعدَ قتلِ ابنِه ، وهو يَقولُ :

قتَلوه شرَّ قِتْلَةْ ... صار للعالمِ مُثْلَةْ
لم يُراعُوا فيه إلَّا ... لا ولا مَن كان قبلَةْ
ستَراهمْ عن قريبٍ ... لأقلِّ الناسِ أُكْلَةْ

وكان ما ذكَرْنا مِن اقْتِتالِ المصريين والشاميين .

ومن عُدِم فيما بينَ الصَّفَّيْن مِن أعيانِ الأمراءِ والمسلمين ، فمنهم الشمسُ لُؤْلُؤٌ[1] مُدَبِّرُ مَمالكِ الحَلَبِيِّين ، وكان مِن خِيارِ عِبادِ اللَّهِ الصالحين الآمِرين بالمعروفِ والناهين عن المنكرِ .

[2]**وواقِفَةُ الحافِظِيَّةِ**[2] : وفيها كانت وفاةُ **الخاتونِ أرغون**[3] **الحافظيةِ** ، سُمِّيَت الحافظيةَ لخدمتِها وتربيتِها الحافظَ صاحبَ قلعةِ جَعْبَرٍ ، وكانت امرأةً عاقلةً مُدَبِّرةً ، عُمِّرَت دهرًا ، ولها أموالٌ جَزيلةٌ عظيمةٌ ، وهى التى كانت تُصْلِحُ الأطْعِمةَ للمُغِيثِ عمرَ بنِ الصالحِ أيوبَ ، فصادَرها الصالحُ إسماعيلُ ، وأخَذ

---

(١) مرآة الزمان ٧٨٣/٨ (القسم الثانى) .

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى : الوافى بالوفيات ٣٥١/٨ ، وعقد الجمان ٥٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١/٧ .

(٣) فى م : « أرغوانية » ، وفى عقد الجمان والنجوم الزاهرة : « أرغوان » .

منها أربعَمائةِ صُنْدوقٍ مِن المالِ، وقد وقَفَت دارَها بدمشقَ على خُدَّامِها، واشْتَرَت بُسْتانَ النَّجيبِ ياقوتٍ الذى كان خادمَ الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدىِّ، وجعَلَت فيه تُرْبةً ومَسْجدًا، ووقَفَت عليهما[1] أوْقافًا جيدةً، رحِمها اللَّهُ.

واقفُ الأَمِينيةِ التى ببَعْلَبَكَّ، أميـنُ الدولةِ أبو الحسنِ غَزّالٌ المُتَطَبِّبُ[2]، وزيرُ الصالحِ إسماعيلَ أبى الـخِيَشِ الذى كان مَشْئومًا على نفسِه وعلى سلطانِه، وسببًا فى زَوالِ النِّعْمةِ عنه وعن مَخْدومِه، وهذا هو وزيرُ السَّوْءِ، وقد اتَّهَمه السِّبْطُ[3] بأنه كان مُتَستِّرًا[4] بالدينِ، وأنه لم يَكُنْ له فى الحقيقةِ دينٌ، فأراح اللَّهُ تعالى منه عامَّةَ المسلمين، وكان قتلُه فى هذه السنةِ لمَّا عُدِم الصالحُ إسماعيلُ بديارِ مصرَ؛ عمَد مَن عمَد مِن الأُمراءِ إليه وإلى ابنِ يَغْمورٍ ناصرِ الدينِ، فشنَقوهما وصلَبوهما على القلعةِ بمصرَ. وقد وُجِد لأمينِ الدولةِ غَزَّالٍ هذا مِن الأموالِ والتُّحَفِ والجَواهرِ والأثاثِ ما يُساوِى ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وعشَرةُ آلافِ مجلدٍ بخطٍّ مَنْسوبٍ، وغيرُ ذلك مِن الخُطوطِ النَّفيسةِ الفائقةِ.

---

(١) فى الأصل، م: «عليها». والمثبت من الدارس ٢/٢٤٣ نقلا عن المصنف.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٨٤ (القسم الثانى)، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٢٣، والعبر ٥/ ١٩٩، وعقد الجمان ١/ ٤٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١.

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٨٤ (القسم الثانى).

(٤) فى م: «مستهترًا».

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وأربعين وستّمائةٍ

فيها[1] عاد الملكُ الناصرُ صاحبُ حلَبَ إلى دمشقَ، وقدِمَت عَساكرُ المصريين، فحكَموا على بلادِ السواحلِ إلى حدِّ الشَّريعةِ[2]، فجهَّز إليهم الناصرُ جيشًا، فطردوهم حتى رَدُّوهم إلى الديارِ المصريةِ، وقصَروهم عليها.

وتزَوَّجَت فى هذه السنةِ أمُّ خَليلٍ شَجَرُ الدُّرِّ بالملكِ المُعِزِّ عزِّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانىِّ، مَمْلوكِ زوجِها الصالحِ أيوبَ.

وفيها نُقِل تابوتُ الصالحِ أيوبَ إلى تربتِه بمدرستِه، ولبِسَت الأتراكُ ثِيابَ العَزاءِ، [١٠/٤٢و] وتصَدَّقَت أمُّ خَليلٍ بأموالٍ جَزيلةٍ.

وفيها خرَّبَت التُّركُ دِمْياطَ، ونقَلوا آلاتِها[3] إلى مصرَ، وأخْلَوُا الجزيرةَ أيضًا خوفًا مِن عَوْدِ الفِرنْجِ.

وفيها كمَل شرْحُ الكتابِ المُسَمَّى بـ «نَهْجِ البَلاغةِ» فى عشرين مجلدًا مما ألَّفه عبدُ الحميدِ بنُ هِبَةِ اللَّهِ بنِ أبى الحَديدِ المَدائنىُّ، الكاتبُ للوزيرِ مُؤَيِّدِ الدينِ بنِ العَلْقَمىِّ، فأطْلَق له الوزيرُ مائةَ دينارٍ وخِلْعةً وفرَسًا، وامْتَدَحه عبدُ الحَميدِ بقَصيدةٍ؛ لأنه كان شِيعيًّا مُعْتَزِليًّا.

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٨٥، ٧٨٦ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٣ - ٤٢٦، وعقد الجمان ١/٥٣ - ٥٥.

(٢) الشريعة: أى نهر الشريعة، وهو موضع بالقرب من بيت المقدس. انظر تاج العروس (ش ر ع).

(٣) فى م: «الأهالى».

وفى رمضانَ اسْتُدْعِى الشيخُ سِراجُ الدينِ عمرُ بنُ بَرَكة النَّهْرُقُلِّىُّ مدرسُ النِّظاميةِ ببغدادَ ، فوَلِى قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ مع التَّدْريسِ المذكورِ ، وخُلِع عليه .

وفى شعبانَ[1] ولِى تاجُ الدينِ عبدُ الكريمِ بنُ أستاذِ دارِ الشيخِ مُحْيى الدينِ يوسُفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ حِسْبةَ بغدادَ بعدَ أخيه عبدِ اللَّهِ الذى ترَكها تَزَهُّدًا عنها ، وخُلِع عليه بطَرْحةٍ ، ورُفِع على رأسِه غاشيةٌ ، وركِب الحُجَّابُ فى خدمتِه .

وفى هذه السنةِ صُلِّيت صلاةُ العيدِ يومَ الفطرِ بعدَ العصرِ ، وهذا اتفاقٌ غريبٌ .

وفيها وصَل كتابٌ إلى الخليفةِ مِن ملكِ اليمنِ صلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ عمرَ ابنِ رسولٍ يَذْكُرُ فيه أن رجلًا باليمنِ خرَج يدَّعى الخِلافةَ ، وأنه أنْفَذ إليه جيشًا ، فكسَروه وقتَلوا خلقًا مِن أصحابِه ، وأخَذ منه صَنْعاءَ ، وهرَب هو بنفسِه فى شِرْذِمةٍ قليلةٍ ممّن بقِى مِن أصحابِه .

وفيها أرْسَل إليه الخليفةُ بالخِلَعِ والتقْليدِ .

وفيها كانت وفاةُ بَهاءِ الدينِ علىِّ بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ سَلَامةَ الجُمَّيْزِىِّ[2] خَطيبِ القاهرةِ ، رحَل فى صِغَرِه إلى العراقِ ، فسمِع شُهْدَةَ[3] وغيرَها ، وكان فاضلًا ، أتْقَن مَعْرفةَ مذهبِ الشافعىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان دَيِّنًا حسَنَ

---

(١) فى الأصل : « شوال » .

(٢) فى م : « الحميرى » . وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٨/٧٨٦ (القسم الثانى) . والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠١.

(٣) فى م : « بها » . وشهدة : هى شهدة الكاتبة . انظر ترجمتها فى سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٤٢.

الأخْلاقِ ، واسِعَ الصَّدْرِ ، كثيرَ البِرِّ ، قلَّ أن قَدِمَ عليه أحدٌ إلا أطْعَمه شيئًا ، وقد سمِع الكثيرَ على السِّلَفيِّ وغيرِه ، وأسْمَع الناسَ شيئًا كثيرًا مِن مَرْوِيَّاتِه ، وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وله تسعون سنةً ، ودُفِن بالقَرافةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ :

أقضى القُضاةِ أبو الفضلِ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ إبراهيمَ اللَّمْغانىُّ الحَنَفىُّ[1] ، مِن بيتِ العلمِ والقَضاءِ ، درَّس بمشهدِ أبى حَنيفةَ ، وناب عن قاضى القُضاةِ ابنِ فَضْلانَ الشافعىِّ ، ثم عن قاضى القُضاةِ أبى صالحٍ نصرِ بنِ عبدِ الرَّزَّاقِ الحَنْبلىِّ ، ثم عن قاضى القضاةِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُقْبِلٍ الواسطىِّ ، ثم بعدَ وفاتِه فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين اسْتَقَل القاضى عبدُ الرحمنِ اللمغانىُّ المذكورُ بوِلايةِ الحكمِ ببغدادَ ، ولُقِّب أقْضَى القُضاةِ[2] ، ودرَّس للحَنَفيةِ بالمُسْتَنْصِريةِ فى سنةِ خمسٍ وثلاثين ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ فى أحْكامِه ونَقْضِه وإبْرامِه . ولما تُوُفِّى تولَّى بعدَه قَضاءَ القُضاةِ ببغدادَ شيخُ النِّظاميةِ سِراجُ الدينِ النَّهْرُقُلِّىُّ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٠، والجواهر المضية ٢/ ٣٨١، وعقد الجمان ١/ ٥٦.

(٢) بعده فى م : «ولم يخاطب بقاضى القضاة» .

سنةُ خمسين وستّمائةٍ

فيها[1] وصَلَت التَّتارُ إلى الجَزيرةِ وسَروجَ ورأسِ العينِ وما والَى هذه البلادَ ، فقتَلوا وسبَوْا ونهَبوا وخرَّبوا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ووقَعوا بتُجَّارٍ[2] يَسِيرون بينَ حَرَّانَ ورأسِ العينِ ، فأخَذوا منهم ستَّمائةِ حِمْلِ سُكَّرٍ ومَعْمولٍ مِن الديارِ المصريةِ ، وستَّمائةِ ألفِ دينارٍ ، وكان عِدَّةُ مَن قتَلوا فى هذه السنةِ مِن أهلِ الجَزيرةِ نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ قَتيلٍ ، وأسَروا مِن الوِلْدانِ والنِّساءِ ما يُقارِبُ ذلك ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

[١٠/٤٢ظ] قال السِّبْطُ[3] : وفيها حجَّ الناسُ مِن بغدادَ ، وكان لهم عشْرُ سِنينَ لم يَحُجُّوا مِن زمنِ المُسْتَنْصِرِ .

وفيها[4] وقَع حَريقٌ بحلَبَ ، احْتَرَق بسببِه ستُّمائةِ دارٍ ، يقالُ : إن الفِرِنْجَ ، لعَنهم اللَّهُ تعالى ، ألْقَوْه فيها قَصْدًا .

وفيها أعاد قاضى القُضاةِ عمرُ بنُ علىٍّ النَّهْرُقُلِّىُّ أمْرَ المدرسةِ التاجيةِ التى كان قد اسْتَحْوَذ عليها طائفةٌ مِن العَوامِّ ، وجعَلوها كالقَيْساريةِ يَتَبايَعون فيها مدةً طويلةً ، وهى مدرسةٌ جيدةٌ حسَنةٌ قَريبةُ الشَّبَهِ مِن النِّظاميةِ ، وقد كان بانيها يقالُ

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٨٧ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٦، والعبر ٥/ ٢٠٤.

(٢) فى م : « بسنجار » .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٨٧ (القسم الثانى) .

(٤) انظر السلوك ١/٣٨٤ (القسم الثانى) .

له : تاجُ المُلْكِ . وزيرُ مَلِكْشاه السَّلْجوقيِّ ، وأولُ مَن درَّس بها الشيخُ أبو بكرٍ الشاشيُّ .

وفيها كانت وفاةُ جَمالِ الدينِ بنِ مَطْروحٍ[1] ، وقد كان فاضلًا رئيسًا كَيِّسًا شاعرًا مِن خيارِ المُتَعَمِّمين ، ثم اسْتَنابه الملكُ الصالحُ أيوبُ فى وقتٍ على دمشقَ ، فلبِس لُبْسَ الجُنْدِ . قال السِّبْطُ[2] : وكان لا يَلِيقُ فى ذلك . ومِن شعرِه فى الناصرِ داودَ صاحبِ الكَرَكِ لما اسْتَعاد القدسَ مِن الفِرِنْجِ حينَ سُلِّمَت إليهم فى سنةِ ستٍّ وثلاثين فى الدولةِ الكامليةِ ، فقال هذا الشاعرُ ابنُ مَطْروحٍ :

المسجدُ الأقْصَى له عادةٌ ... سارتْ فصارَت مَثَلًا سائرًا
إذا غدا للكفرِ مُسْتَوْطَنًا ... أن يَبْعَثَ اللَّهُ له ناصرًا
فناصرٌ طهَّره أوَّلًا ... وناصرٌ طهَّره آخِرًا

ولما عزَله الصالحُ عن النِّيابةِ أقام خاملًا ، وكان كثيرَ البِرِّ بالفُقراءِ والمَساكينِ ، وكانت وفاتُه بمصرَ .

وفيها تُوُفِّى شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سعدٍ المَقْدسيُّ[3] ، الكاتبُ الحسنُ الخَطِّ ، كان كثيرَ الأدبِ ، سمِع الكثيرَ ، وخدَم السلطانَ الصالحَ إسماعيلَ والناصرَ داودَ ، وكان دَيِّنًا فاضلًا شاعرًا ، له قصيدةٌ يَنْصَحُ فيها السلطانَ الصالحَ إسماعيلَ ، وما يَلْقاه الناسُ مِن وزيرِه وقاضيه وغيرِهما مِن حَواشِيه[4] .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٨٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٥٨، وفيه أنه توفى سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكذا فى سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٣.

(٢) مرآة الزمان ٨/٧٨٩ (القسم الثانى) .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٨٧ (القسم الثانى) ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤٩، والوافى بالوفيات ٣/ ٩١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٨، وعقد الجمان ١/ ٧٤.

(٤) بعده فى حاشية الأصل : « وكانت وفاته بدمشق ودفن بقاسيون » .

وممَّن تُوُفِّى فيها : **عبدُ العزيزِ بنُ علىِّ بنِ عبدِ الجبَّارِ** [1]**المغَربىُّ أبوه**[1] ، وُلِد ببغدادَ ، وسمِع بها الحديثَ ، وعُنِى بطلبِ العلمِ ، وصنَّف كتابًا فى مجلداتٍ على حُروفِ المُعجَمِ فى الحديثِ ، وحرَّر فيه حِكايةَ مَذْهَبِ الإمامِ مالكٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ غانمِ بنِ كَريمٍ[2] **الأصْبَهانىُّ** ، قدِم بغدادَ ، وكان شابًّا فاضلًا ، فتَتَلْمَذ للشيخِ شِهابِ الدينِ السُّهْرَوَرْدىِّ ، [3]فانتفع به ، وتكلَّم بعدَه على الناسِ فى[3] التَّصوفِ ، وفيه لَطافةٌ ، ومِن كلامِه فى الوَعْظِ : العالمُ كالذَّرَّةِ فى فَضاءِ عَظَمتِه ، والذَّرَّةُ كالعالمِ فى كتابِ حِكْمتِه ، الأصولُ فروعٌ إذا تجلَّى جَمالُ أوليَّتِه ، والفُروعُ أصولٌ إذا طلَعَت مِن مَغْرِبِ نفيِ الوَسائطِ شمسُ آخِريَّتِه ، أسْتارُ الليلِ مَسْدولة ، وشُموعُ الكواكبِ مَشْعولة ، وأعْيُنُ الرُّقَباءِ عن المُشْتاقِين مَشْغولة ، وحِجابُ الحُجُبِ عن أبوابِ الوَصْلِ مطرودةٌ مَعْزولة ، ما هذه الوَقْفةُ[4] والحَبيبُ قد فتَح الباب ؟! ما هذه الفترةُ والمَوْلَى قد صرَف[5] حاجبَ الحُجَّاب ؟!

وُقوفى بأكْنافِ العَقيقِ عُقوقُ ... إذا لم أَرِدْ والدمعُ فيه عقيقُ
وإذ لم أَمُتْ شوقًا إلى ساكنِ الحِمَى ... فما أنا فيما أَدَّعِيه صَدوقُ
أيا رَبْعَ ليلى ما المُحِبُّون فى الهَوى ... سواءٌ ولا كلُّ الشرابِ رَحيقُ

(١ - ١) فى الأصل : « المقرى » . وانظر ترجمته فى عقد الجمان ١/ ٧٤.
(٢) فى الأصل : « عبد الكريم » . وانظر ترجمته فى عقد الجمان ١/ ٧٥.
(٣ - ٣) فى م : « وكان حسن الطريقة ، له يد فى التفسير ، وله تفسير على طريقة » .
(٤) فى م : « الوقعة » .
(٥) فى م : « خرق » .

ولا كلُّ مَن يَلْقاكَ[1] يَلْقاكَ قلبُه ولا كلُّ مَن يَحْنُو إليك مَشُوقُ
تكاثَرت الدَّعْوى على الحبِّ فاسْتَوَى أسيرُ صَباباتِ الهَوَى وطَليقُ

أيها الآمِنون، هل فيكم مَن يَصْعَدُ إلى السماءِ؟ أيها المحْبوسون فى مَطامِيرِ مُسَمَّياتِهم، هل فيكم سليمانُ[2] الفَهِمُ لِفهْمِ رُمُوزِ الوُحوشِ والأطْيار؟ هل فيكم موسوىُّ الشوقِ [١٠/٤٣و] يقولُ بلسانِ شوقِه: أَرِنى أنْظُرْ إليك، فقد طال الانْتِظار؟!

وقال بعدَ الاسْتِسْقاءِ: لما صعِدَت إلى اللَّهِ عز وجل نفسُ المُشْتاق، بكَتْ آماقُ الآفاق، وجادَت بالدُّرِّ مُرْضِعةُ السَّحاب، فامتَصَّ لبنَ الرحمةِ رَضيعُ التراب، وخرَج مِن أخْلافِ الغَمامِ نِطافُ الماءِ النَّمير، فاهتَزَّت به الهامدةُ وقرَّت عُيونُ الغَدِير[3]، وتزَيَّنَت الرِّياضُ بالسُّنْدُسِ الأخضرِ، فحبَّر الصِّبْغُ حِبرَها أحْسَنَ تَحْبير، وانْفَلَق بأَنْمُلةِ الصِّبا أكْمامُ الأنْوارِ، وانْشَقَّت بنَفَحاتِ أنْفاسِه جُيوبُ الأزْهارِ، ونطَقَت أجْزاءُ الكائناتِ بلُغاتِ صفاتِها وعاداتِ عِبَرِها: أيُّها النائمون تيَقَّظوا، أيها المستَعِدُّون[4] تعرَّضوا: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ عبدِ الباقى بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ يحيى بنِ بصاقةَ[5] الغِفارىُّ الكِنانىُّ المِصْرىُّ، ثم الدِّمَشقىُّ، كان مِن أخِصَّاءِ

---

(١) فى م: «تلقاه».
(٢) فى م: «سليم».
(٣) فى م: «المدر».
(٤) فى م: «المبعدون».
(٥) فى الأصل: «براقه»، وفى م: «صاقعة». والمثبت من مصادر ترجمته؛ فوات الوفيات ٤/ ١٨٧، والسلوك ١/ ٣٨٥ (القسم الأول)، وعقد الجمان ١/ ٧٥.

الملكِ المُعَظَّمِ وولدِه الناصرِ داودَ ، وقد سافَر معه إلى بغدادَ فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وستِّمائةٍ ، وكان أدِيبًا مَليحَ المُحاضَرةِ ، ومِن شعرِه :

ولمّا أبَيْتُمْ سادتى عن زِيارتى ... وعوَّضْتُمونى بالبِعادِ عن القرْبِ
ولم تَسْمَحوا بالوَصْلِ فى حالِ يَقْظَتى ... ولم يَصْطَبِرْ عنكمْ لرِقَّتِهِ قلْبى
نصَبْتُ لصيدِ الطيفِ جَفْنى حِبالةً ... فأدْرَكْتُ خفضَ العيشِ بالنومِ والنصْبِ

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] دخَل الشيخُ نَجْمُ الدينِ الباذَرائيُّ رسولُ الخليفةِ بينَ صاحبِ مصرَ وصاحبِ الشامِ، وأصْلَح بينَ الجيشَيْن، وكانوا قد اشْتَدَّت الحربُ بينَهم ونشِبَت، وقد مالأ الجيشُ المِصريُّ الفِرِنْجَ، ووعَدهم أن يُسَلِّموا إليهم بيتَ المقدسِ إن نصَروهم على الشامِيِّين، وجرَت خُطوبٌ كثيرةٌ، فأَصْلح بينَهم وخلَّص جماعةً مِن بُيوتِ الملوكِ مِن الديارِ المِصريةِ؛ منهم أولادُ الصالحِ إسماعيلَ، وبنتُ الأشْرَفِ وغيرُهم مِن أولادِ صاحبِ حمصَ وغيرِهم، فجزاه اللَّهُ خيرًا.

وفيها، فيما ذكَر ابنُ الساعى، كان رجلٌ ببغدادَ على رأسِه [2]زَبادِيٌّ قاشانيٌّ[2]، فزلَق فتكَسَّرَت، ووقَف يَبْكى، فتألَّم الناسُ له لفقرِه وحاجتِه، وأنه لم يكنْ يَمْلِكُ غيرَها، فأعْطاه رجلٌ مِن الحاضِرين دينارًا، فلما أخَذه نظَر فيه طويلًا، ثم قال: واللَّهِ هذا الدينارُ أَعْرِفُه، وقد ذهَب منى فى جملةِ دَنانيرَ عامَ أولَ، فشتَمه بعضُ الحاضِرين، فقال له ذلك الرجلُ: فما عَلامةُ ما قلتَ؟ قال: زِنةُ هذا كذا وكذا. وكان معه ثلاثةٌ وعشرون دينارًا، فوزَنوه فوجَدوه [3]كما ذكَر، فأخْرَج له الرجلُ ثلاثةً وعشرين دينارًا، وكان قد وجَدها[3]، كما قال، حينَ

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٨٩، ٧٩٠ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٦.

(٢ - ٢) فى م: «قابسى». والزبادىّ: جمع زِبْدِيّة، وهى وعاء من خزف. وقاشانىّ: نسبة إلى قاشان، وهى مدينة قرب أصبهان. انظر تاج العروس، والوسيط (ز ب د)، ومعجم البلدان ٤/ ١٠.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

سقَطَت منه ، فتعَجَّب الناسُ مِن ذلك . قال : ويَقْرُبُ مِن هذا أن رجلًا بمكةَ نزَع ثيابَه ليَغْتَسِلَ مِن ماءِ زَمْزَمَ ، وأخْرَج مِن عَضُدِه دُمْلُجًا[1] زِنَتُه خمسون مِثْقالًا ، فوضَعه مع ثيابِه ، فلما فرَغ مِن اغْتِسالِه لبِس ثيابَه ، ونسِى الدُّمْلُجَ ومضَى ، وصار إلى بغدادَ ، وبقِى مدةَ سنتين[2] بعدَ ذلك ، وأيِس منه ، ولم يَبْقَ معه سوى شىءٍ يسيرٍ ، فاشْتَرَى به زُجاجًا مِن القَوارِيرِ ليَبيعَها ويَتَكَسَّبَ بها ، فبينما هو يَطوفُ بها إذ تَعِسَ[3] ، فسقَطَت القَوارِيرُ ، فتكَسَّرَت فوقَف يَبْكى ، واجْتَمَع الناسُ عليه يَتَأَلَّمون له ، فقال فى جملةِ كلامِه : واللَّهِ ياجماعةُ ، لقد ذهَب منى مِن مدةِ سنتين دُمْلُجٌ مِن ذهبٍ عندَ بئرِ زَمْزَمَ زِنَتُه خمسون مثقالًا ، ما تألَّمْتُ لفقدِه ما تألَّمْتُ لتَكْسيرِ هذه القواريرِ ، وما ذاك إلا لأن هذه كانت جميعَ ما أَمْلِكُ . فقال له رجلٌ مِن الجماعةِ : فأنا واللَّهِ لقِيتُ [١٠/٤٣ظ] ذلك الدُّمْلُجَ . وأخْرَجه مِن عَضُدِه فدفَعه إليه ، فتعَجَّب الناسُ والحاضرون .

---

(١) الدُّمْلُج : الحُلِىّ . لسان العرب (دملج) .

(٢) فى الأصل : « سنين » .

(٣) تعس : انكب فعثر ، فسقط على يديه وفمه . لسان العرب (ت ع س) .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وخمسين وستّمائةٍ[1]

قال سِبْطُ ابنِ الجَوْزىِّ فى كتابِه «مِرْآةِ الزمانِ»[2] : فيها ورَدَت الأخبارُ مِن مكةَ ، شرَّفها اللَّهُ تعالى ، بأن نارًا ظهَرَت فى أرضِ عَدَنَ فى بعضِ جبالِها ، بحيث إنه يَطِيرُ شَرَرُها إلى البحرِ فى الليلِ ، ويَصْعَدُ منها دُخانٌ عظيمٌ فى أثناءِ النهارِ ، فما شكُّوا أنها النارُ التى ذكَر النبىُّ ﷺ ، أنها تَظْهَرُ فى آخِرِ الزمانِ[3] ، فتاب الناسُ ، وأقْلَعوا عما كانوا عليه مِن المَظالمِ والفَسادِ ، وشرَعوا فى أفعالِ الخيرِ والصَّدَقاتِ .

وفيها قدِم الفارسُ أَقْطاى[4] مِن الصَّعيدِ ، وقد نهَب أموالَ المسلمين ، وأسَر بعضَهم ، ومعه جَماعةٌ مِن البَحْريةِ المُفْسِدِين فى الأرضِ ، وقد بغَوْا وطغَوْا وتجبَّروا ، ولا يَلْتَفِتون إلى الملكِ المُعِزِّ أيْبَك التُّرْكُمانىِّ ، ولا إلى زوجتِه شَجَرِ الدُّرِّ ، فشاوَر المُعِزُّ زوجتَه شَجَرَ الدُّرِّ فى قتلِ أَقْطَاى ، فأذِنَت له ، فعمِل عليه حتى قتَله فى هذه السنةِ بالقلعةِ المنصورةِ بمصرَ ، فاسْتَراح المسلمون مِن شرِّه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها درَّس الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ بمدرسةِ الصالحِ أيوبَ بينَ القَصْرَيْنِ .

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٩٠، ٧٩٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٧ - ٤٣٨.

(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧٩٠، ٧٩١ (القسم الثانى).

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٧.

(٤) فى الأصل: «أقطايا». وكذا فى مرآة الجنان ٤/ ١٢٨.

وفيها قدِمَت بنتُ ملكِ الرومِ فى تَجمُّلٍ عظيمٍ وإقاماتٍ هائلةٍ إلى دمشقَ زوجةً لصاحبِها الناصرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ، وجرَت أوقاتٌ حافلةٌ بدمشقَ بسببِها.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن المَشاهِيرِ:

الخُسْرُوشاهِىُّ المُتَكَلِّمُ: عبدُ الحَميدِ بنُ عيسى، الشيخُ شمسُ الدينِ[1] **الخُسْرُوشاهِىُّ**، أحدُ مَشاهيرِ المُتَكَلِّمِين، وممَّن اشْتَغل على الفخرِ الرازىِّ فى الأصولِ وغيرِها، ثم قدِم الشامَ، فلزِم الملكَ الناصرَ داودَ بنَ المُعَظَّمِ، وحظِى عندَه.

قال أبو شامةَ[2]: وكان شيخًا مَهِيبًا فاضلًا مُتواضِعًا، حسَنَ الظاهرِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

قال السِّبْطُ[3]: وكان مُتواضِعًا كَيِّسًا، مَحْضَرَ خيرٍ، لم يُنْقَلْ عنه أنه آذَى أحدًا، إن قدَر على نفعٍ وإلا سكَت، تُوُفِّى بدمشقَ، ودُفِن بقاسِيونَ على بابِ تُرْبةِ الملكِ المُعَظَّمِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ مجدُ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، صاحبُ «الأحْكامِ»[4] **عبدُ السلامِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى القاسمِ الخَضِرِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ، ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانىُّ الحَنْبلىُّ**[5]، جدُّ الشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، وُلِد فى حدودِ سنةِ تسعينِ[4]

---

(١) بعده فى م: «بن». وانظر ترجمته فى: مرآة الزمان ٨/٧٩٣ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٥/ ٢١١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٧.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٩٣ (القسم الثانى).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) العبر ٥/ ٢١٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩١، وفوات الوفيات ٢/ ٣٢٣، وعقد الجمان ١/ ٩٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٩.

(١) وخمسِمائةٍ، وتفقَّه فى صِغَرِه على عمِّه الخطيبِ فخرِ الدينِ، وسمِع الكثيرَ، ورحَل إلى البلادِ، وبرَع فى الحديثِ والفقهِ وغيرِه، ودرَّس وأفْتَى وانْتَفَع به الطلبةُ، ومات يومَ الفطرِ بحَرَّانَ(١).

الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ طَلْحةَ(٢)، الذى ولِى الخَطابةَ بدمشقَ بعدَ الدَّوْلَعىِّ، ثم عُزِل وصار إلى الجَزيرةِ، فولِى قَضاءَ نَصِيبِينَ، ثم صار إلى حلَبَ، فتُوُفِّى بها فى هذه السنةِ.

قال أبو شامةَ(٣): وكان فاضلًا عالمًا، طُلِب أن يَلِىَ الوِزارةَ، فامْتَنع مِن ذلك، وكان هذا مِن التَّأْييدِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

السَّدِيدُ(٤) **بنُ علّانَ**، آخِرُ مَن روَى عن الحافظِ ابنِ عساكرَ سَماعًا بدمشقَ.

الناصحُ فرجُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَبَشىُّ(٥)، كان كثيرَ السَّماعِ مُسْنِدًا خَيِّرًا صالحًا مُواظِبًا على سَماعِ الحديثِ وإسْماعِه، إلى أن مات بدارِ الحديثِ النُّوريةِ بدمشقَ، رحِمه اللَّهُ.

النُّصْرةُ بنُ صَلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ(٦)، تُوُفِّى بحلَبَ فى هذه السنةِ.

وآخَرون رحِمهم اللَّهُ أجْمَعين.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٥/ ٢١٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٢٨، والسلوك ١/ ٣٩٦ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٩٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٤) فى م: «السيد». وانظر ترجمته فى: الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٦، والعبر ٥/ ٢١٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٢٩، وعقد الجمان ١/ ٩٥.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وتكملة الإكمال ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٠، والعبر ٥/ ٢١٣، وعقد الجمان ١/ ٩٥.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

ثم دخلَت سنةُ ثلاثٍ وخمسين وستّمائةٍ[1]

قال السِّبْطُ[2] : فيها عاد الناصرُ داودُ مِن الأنْبارِ إلى دمشقَ ، ثم عاد وحجَّ مِن العراقِ ، وأصْلَح بينَ العراقيِّين وأهلِ مكةَ ، ثم عاد معهم إلى الحَلَّةِ[3] .

قال أبو شامةَ[4] : [١٠/٤٤و] وفيها فى ليلةِ الاثنين ثامنَ عشَرَ صفرٍ ، تُوُفِّى بحلَبَ الشيخُ الفَقيهُ :

ضِياءُ الدينِ صَقْرُ[5] بنُ يحيى بنِ سالمٍ ، وكان فاضلًا دَيِّنًا ، ومِن شعرِه قولُه رحِمه اللَّهُ تعالى :

مَن ادَّعى أن له حالةً ... تُخْرِجُه عن مَنْهَجِ الشرعِ
فلا تَكُونَنَّ له صاحبًا ... فإنه ضُرٌّ بلا نَفْعِ

واقفُ القُوصيةِ ، أبو العربِ[6] إسماعيلُ بنُ حامدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأنْصاريُّ القُوصيُّ ، واقفُ دارِه بالقربِ مِن الرَّحْبةِ على أهلِ الحديثِ ، وبها

---

(١) مرآة الزمان ٨/٧٩٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) مرآة الزمان ٨/٧٩٣ (القسم الثانى) .
(٣) الحَلَّة بفتح الحاء : قرية مشهورة فى طرف دُجَيْل بغداد من ناحية البرية ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . ودجيل : نهر . والحلة بكسر الحاء : علم لعدة مواضع بالعراق . انظر معجم البلدان ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣.
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤.
(٥) فى الذيل على الروضتين : « سقر » .
(٦) فى الأصل ، م : « العز » ، والمثبت من مصادر الترجمة : الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٨، والوافى بالوفيات ٩/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥.

قبرُه ، وكان مُدَرِّسًا بحَلْقةِ جمالِ الإسلامِ تُجاهَ البرادةِ[1] ، فعُرِفَت به ، وكان ظريفًا مَطْبوعًا ، حسَنَ المُحاضَرةِ ، وقد جمَع له مُعْجَمًا حكَى فيه عن مَشايخِه أشياءَ كثيرةً مُفيدةً .

قال أبو شامةَ[2] : وقد طالَعْتُه بخطِّه فرأَيْتُ فيه أَغاليطَ وأوْهامًا فى أسماءِ الرجالِ وغيرِها ، فمِن ذلك أنه انْتَسَب إلى سعدِ بنِ عُبادةَ بنِ دُلَيْمٍ ، فقال : سعدُ ابنُ عُبادةَ بنِ الصامتِ . وهذا غلطٌ فاحشٌ . وقال فى مسندِ[3] خرقةِ التَّصَوُّفِ ، فغلِط وصحَّف حبيبًا[4] أبا محمدٍ : حُسَيْنًا . قال أبو شامةَ[5] : رأَيْتُ ذلك بخطِّه ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنين سابعَ عشَرَ ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد **تُوُفِّى الشريفُ المُرْتَضَى**[6] نَقيبُ الأشْرافِ بحلَبَ ، وكانت وفاتُه بها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « البدارة » . وانظر الدارس ١/ ٤٣٨.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣) فى م : « شدة » . وفى الذيل : « سنه » .

(٤) فى م : « حييا » .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/ ٤١٠.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] كان ظهورُ النارِ مِن أرضِ الحِجازِ التى أضاءَت لها أعْناقُ الإبلِ ببُصْرَى ، كما نطَق بذلك الحديثُ المُتَّفَقُ عليه ، وقد بسَط القولَ فى ذلك الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ الحافظُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ المَقْدِسىُّ فى كتابِه « الذَّيْلِ »[2] وشرَحه واختصره ، واسْتَحْضَره مِن كتبٍ كثيرةٍ ورَدَت مُتَواتِرةً إلى دمشقَ مِن أرضِ الحجازِ بصفةِ أمْرِ هذه النارِ التى شُوهِدَت مُعايَنةً ، وكيفيةِ خُروجِها وأمْرِها ، وهذا مُحَرَّرٌ فى كتابِ دَلائلِ النُّبوةِ مِن السيرةِ النبويةِ ، فى أوائلِ هذا الكتابِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ومُلَخَّصُ ما أوْرَده أبو شامةَ رحِمه اللَّهُ تعالى أنه قال : وجاء إلى دمشقَ كتبٌ مِن المدينةِ النَّبويةِ ، على ساكنِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، بخُروجِ نارٍ عندَهم فى خامسِ جُمادَى الآخِرةِ من هذه السنةِ ، وكُتِبَت الكتبُ فى خامسِ رجبٍ ، والنارُ بحالِها ، ووصَلَت الكتبُ إلينا فى عاشرِ شعبانَ . ثم قال :

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، ورَد إلى مدينةِ دمشقَ ، حرَسها اللَّهُ تعالى ، فى أوائلِ شعبانَ مِن سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ كتبٌ مِن مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيها شرْحُ أمرٍ عظيمٍ حدَث بها ، فيه تصديقٌ لما فى « الصحيحَيْن »[3] مِن حديثِ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩ - ١٩٥، ونهاية الأرب ٢٩/٤٤١ - ٤٥٥، والعبر ٥/٢١٥ - ٢٢٠، ودول الإسلام ٢/١٥٨، ١٥٩، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٩١، ١٩٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ١/٤ - ٩.

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/٢٩٧.

أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَقومُ الساعةُ حتى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ تُضِئُ[1] أعْناقَ الإبلِ ببُصْرَى » . فأخْبَرَنى بعضُ مَن أَثِقُ به ممَّن شاهَدها أنه بلَغه أنه كتَب بتَيْماءَ على ضوئِها الكتبَ . قال : وكنا فى بيوتِنا تلك الليالىَ ، وكأنَّ فى دارِ كلِّ واحدٍ منا سِراجًا ، ولم يَكُنْ لها [2]حرٌّ ولَفْحٌ[2] على عِظَمِها ، إنما كانت آيةً مِن آياتِ اللَّهِ عز وجل . قال أبو شامةَ : وهذه صورةُ ما وقَفْتُ عليه مِن الكتبِ الواردةِ فيها : لما كانت ليلةُ الأربعاءِ ثالثَ جُمادَى الآخِرةِ سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ ظهَر بالمدينةِ - يعنى النبويَّةَ - دَوِىٌّ عظيمٌ ، ثم زَلْزلةٌ عظيمةٌ رجَفَت منها الأرضُ[3] والحيطانُ والسُّقوفُ والأخشابُ والأبوابُ ، ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى يومِ الجمعةِ الخامسِ مِن الشهرِ المذكورِ ، ثم ظهَرَت نارٌ عظيمةٌ [١٠/ ٤٤ظ] فى الحَرَّةِ قريبةٌ مِن قُرَيْظةَ نُبْصِرُها مِن دُورِنا مِن داخلِ المدينةِ كأنها عندَنا ، وهى نارٌ عظيمةٌ ، إشْعالُها أكثرُ مِن ثلاثِ مَنائرَ ، وقد سالت أوْدِيةٌ منها بالنارِ إلى وادى شَظَا[4] مَسيلَ الماءِ ، وقد سدَّت سَبيلَ شَظَا وما عاد بسَبيلٍ ، واللَّهِ لقد طلَعْنا جَماعةً نُبْصِرُها ، فإذا الجبالُ تَسِيلُ نِيرانًا ، وقد سدَّت الحَرَّةَ طريقَ الحاجِّ العراقىِّ ، فسارت إلى أن وصَلَت إلى الحَرَّةِ ، فوقَفَت بعدَما أشْفَقْنا أن تَجِىءَ إلينا ، ورجَعَت تَسيرُ فى الشرقِ ، ويخرُجُ مِن وسَطِها سهولٌ[5] وجبالُ نِيرانٍ تَأْكُلُ الحِجارةَ ، فيها أُنْموذَجٌ عما أخْبَر اللَّهُ تعالى فى كتابِه : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

---

(١) بعده فى م : « لها » .

(٢ - ٢) فى الذيل : « ضوء » .

(٣) فى الذيل : « المدينة » .

(٤) شظا : جبل بمكة أو قرب مكة . معجم البلدان ٣/ ٢٩٢.

(٥) فى الأصل ، م : « سهود » .

كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣]. وقد أكَلَت الأرضَ. وقد كتَبْتُ هذا الكتابَ يومَ خامسِ رجبٍ سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ، والنارُ فى زيادةٍ ما تغيَّرَت، وقد عادَت إلى الحِرارِ فى قُرَيْظةَ طريقِ عِيرِ الحاجِّ العراقىِّ إلى الحَرَّةِ[1] كلِّها نِيرانٌ تَشْتَعِلُ، نُبْصِرُها فى الليلِ مِن المدينةِ كأنها مَشاعِلُ الحاجِّ. وأمَّا أمُّ[2] النارِ الكبيرةِ فهى جبالُ نِيرانٍ حُمْرٌ، والأمُّ الكبيرةُ التى سالت النِّيرانُ منها مِن عندِ قُرَيْظةَ، وقد زادَت وما عاد الناسُ يَدْرُون[3] أىَّ شىءٍ يَتِمُّ بعدَ ذلك، واللَّهُ يَجْعَلُ العاقبةَ إلى خيرٍ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ هذه النارَ.

قال أبو شامةَ[4]: وفى كتابٍ آخَرَ: ظهَر فى أولِ جمعةٍ مِن جُمادَى الآخِرةِ سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ، ووقَع فى شرقىِّ المدينةِ المُشَرَّفةِ، نارٌ عظيمةٌ بينَها وبينَ المدينةِ نصفُ يومٍ، انْفَجَرت مِن الأرضِ، وسال منها وادٍ مِن نارٍ حتى حاذَى جبلَ أُحُدٍ، ثم وقَفَت وعادت إلى الساعةِ، ولا نَدرِى ماذا تَفْعَلُ؟ ووقْتُ ما ظهَرت دخَل أهلُ المدينةِ إلى نبيِّهم، عليه الصلاةُ والسلامُ، مُسْتغْفِرين تائِبين إلى ربِّهم تعالى، وهذه دَلائلُ القيامةِ.

قال[5]: وفى كتابٍ آخَرَ: لما كان يومُ الاثنين مُسْتَهَلَّ جُمادَى الآخِرةِ، سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ وقَع بالمدينةِ صوتٌ يُشْبِهُ صوتَ الرَّعْدِ البَعيدِ تارةً وتارةً، أقام على هذه الحالِ يومين، فلما كانت ليلةُ الأربعاءِ ثالثَ الشهرِ المذكورِ تعَقَّب

---

(١) فى الأصل: «الحيرة».
(٢) سقط من: الأصل.
(٣) فى الذيل: «يرون».
(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ١/٤ - ٩.
(٥) المصدر السابق ص ١٩١.

الصوتَ الذى كنا نَسْمَعُه زَلازِلُ ، فتُقيمُ[1] [2]على هذه الحالِ ثلاثةَ أيامٍ يقعُ فى اليومِ والليلةِ أربعَ عشْرةَ زلزلةً[2] ، فلما كان يومُ الجمعةِ خامسَ الشهرِ المذكورِ انْبَجَسَتِ الحَرَّةُ بنارٍ عظيمةٍ يكونُ قَدْرُها مثلَ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهى برَأْيِ العينِ مِن المدينةِ ، نُشاهِدُها وهى تَرْمى بشَرَرٍ كالقصرِ ، كما قال اللَّهُ تعالى ، وهى بموضعٍ يقالُ له : أُحَيْلِينُ[3] . وقد سال مِن هذه النارِ وادٍ يكونُ مِقْدارُه أربعةَ فَراسِخَ ، وعرضُه أربعةَ أميالٍ ، وعمقُه قامةً ونصفًا ، وهى تَجْرِى على وجهِ الأرضِ ، ويَخرُجُ منها أمهادٌ وجبالٌ صِغارٌ ، ويسيرُ على وجهِ الأرضِ ، وهو صخرٌ يَذُوبُ حتى يَبْقَى مثلَ الآنُكِ[4] ، فإذا جَمَد[5] صار أسودَ ، وقبلَ الجُمودِ لونُه أحمرُ ، وقد حصَل بطريقِ هذه النارِ إقْلاعٌ عن المَعاصى ، والتَّقَرُّبُ إلى اللَّهِ تعالى بالطاعاتِ ، وخرَج أميرُ المدينةِ عن مَظالمَ كثيرةٍ إلى أهلِها .

قال الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ[6] : ومِن كتابِ شمسِ الدينِ سِنانِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ نُمَيْلةَ[7] الحُسَيْنىِّ قاضى المدينةِ إلى [١٠/٤٥و] بعضِ أصحابِه ؛ لما كانت ليلةُ الأربعاءِ ثالثَ جُمادَى الآخِرةِ حدَث بالمدينةِ فى الثُّلُثِ الأخيرِ مِن الليلِ زَلْزلةٌ عظيمةٌ أشْفَقْنا منها ، وباتَت باقىَ تلك الليلةِ تُزَلْزِلُ كلَّ يومٍ وليلةٍ قَدْرَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « أحلبر » ، وفى م : « أجيلين » ، وفى الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « أجلين » . والمثبت من النجوم الزاهرة ٧/ ١٨.

(٤) الآنك : هو الرصاص الأبيض . وقيل : الأسود . وقيل : الخالص منه . النهاية ١/ ٧٧.

(٥) فى الذيل : « خمد » . وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٨.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩١.

(٧) فى الأصل : « قتله » ، وفى الذيل : « تميلة » . وانظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٨.

عشْرِ نَوْباتٍ ، واللَّهِ لقد زَلْزَلَت مرةً ونحن حولَ حجرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، اضْطُرب لها المِنْبرُ إلى أن أوْجَسْنا منه[1] صوتًا للحديدِ الذى فيه ، واضْطَرَبت قَناديلُ الحَرَمِ الشريفِ ، وتَمَّت الزَّلْزَلةُ إلى يومِ الجمعةِ ضُحًى ، ولها دَوِىٌّ مثلُ دَوِىِّ الرعدِ القاصفِ ، ثم طلَع يومَ الجمعةِ فى طريقِ الحَرَّةِ[2] فى رأسِ جَبَلَيْن[3] نارٌ عظيمةٌ مثلُ المدينةِ العظيمةِ ، وما بانَت لنا إلا ليلةَ السبتِ ، وأشْفَقْنا منها ، وخِفْنا خوفًا عظيمًا ، وطلَعْتُ إلى الأميرِ وكلَّمْتُه ، وقلتُ له : قد أحاط بنا العذابُ ، ارْجِعْ إلى اللَّهِ تعالى . فأعْتَق كلَّ مَماليكِه ، وردَّ على جَماعةٍ أموالَهم ، فلما فعَل ذلك قلتُ : اهْبِطِ الساعةَ معنا إلى النبىِّ ﷺ . فهبَط وبِتْنا ليلةَ السبتِ ، والناسُ جميعُهم والنِّسوانُ وأولادُهم ، ولا بقِى أحدٌ لا فى النَّخيلِ ولا فى المدينةِ إلا عندَ النبىِّ ﷺ ، [4]وأشفَقْنا منها ، وظهَر ضوءُها إلى أن أُبصرتْ من مكةَ ومن الفَلاةِ جميعِها[4] . ثم سال منها نهرٌ مِن نارٍ ، وأخَذ فى [5]وادى أُجَيْلين[5] وسدَّ الطريقَ ، ثم طلَع إلى بَحْرةِ[6] الحاجِّ ، وهو بحرُ نارٍ يَجْرِى ، وفوقَه جَمْرٌ يَسِيرُ إلى أن قطَعَت الوادىَ ؛ وادىَ الشَّظَا ، وما عاد يَجرى[7] فى الوداى سَيْلٌ قطُّ ؛ لأنها [8]حفَرتْه نحوَ[8] قامتَيْن

---

(١) بعده فى م : « إذ سمعنا » ، وأوجسنا منه : وقع فى نفوسنا الخوف . والوجس : الفزع يقع فى القلب أو فى السمع من صوت أو غير ذلك . انظر اللسان والوسيط (و ج س) .

(٢) فى الأصل : « البصرة » .

(٣) فى م : « أجيلين » . وفى الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « أجلين » . وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٨ .

(٤ - ٤) سقط من الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان .

(٥ - ٥) فى الأصل : « واد بين أجبلين » ، وفى م : « وأدى أجيلين » . والذيل على الروضتين وذيل مرآة الزمان : « وادى أجلين » . والمثبت من نسخة لذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة ٧/ ١٨ .

(٦) البحرة من الأرض : الواسعة والمنخفضة . تاج العروس (ب ح ر) .

(٧) فى الأصل ، م ، والذيل على الروضتين : « يجىء » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة .

(٨ - ٨) فى الأصل ، والذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « حرة تجىء » ، وفى م : « حضرته نحو » . والمثبت من نسخة من ذيل مرآة الزمان ، والنجوم الزاهرة .

وثلُثِ عُلُوِّها ، وباللَّهِ يا أخى إن عيشتَنا اليومَ مُكَدَّرةٌ ، والمدينةُ قد تاب جميعُ أهلِها ، ولا بقِى يُسْمَعُ فيها رَبابٌ ، ولا دُفٌّ ولا شُرْبٌ ، وتمَّت النارُ تَسِيرُ[1] إلى أن سدَّت بعضَ طريقِ الحاجِّ وبعضَ بَحْرةِ الحاجِّ ، وجاء فى الوادى إلينا منها قَتيرٌ[2] ، وخِفْنا أنه يَجِيئُنا ، فاجْتَمَع الناسُ ، ودخَلوا على النبىِّ ﷺ ، وباتوا[3] عندَه جميعُهم ليلةَ الجمعةِ ، وأما قَتِيرُها الذى مما يَلِينا فقد طَفِئ بقدرةِ اللَّهِ ، سبحانه وتعالى ، وأنها إلى الساعةِ ما نقَصَت إلا تَرَى مثلَ الجِمالِ حِجارةً من نارٍ ، ولها دَوِىٌّ ما يَدَعُنا نَرْقُدُ ولا نَأْكُلُ ولا نَشْرَبُ ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ لك عِظَمَها ، ولا ما فيها مِن الأَهْوالِ ، وأبْصَرها أهلُ يَنْبُعَ[4] وندَبوا قاضيَهم ابنَ أسْعَدَ ، وجاء وعَدا إليها ، وما أصبَح[5] يَقْدِرُ يَصِفُها مِن عِظَمِها ، وكتَب الكُتَّابُ يومَ خامسِ رجبٍ ، وهى على حالِها ، والناسُ منها خائِفون ، والشمسُ والقمرُ مِن يومَ طلَعَت ما يَطْلُعان إلا كاسِفَيْن ، فنَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ .

قال أبو شامةَ[6] : وبان عندَنا بدمشقَ أثرُ الكُسوفِ مِن ضعفِ نُورِهما على الحيطانِ ، وكنا حَيارَى مِن ذلك [7]أَيْشٍ هو ؟[7] إلى أن جاءنا الخبرُ عن هذه النارِ .

قلتُ : وكان أبو شامةَ قد أرَّخ قبلَ مَجِىءِ الكتبِ بأمرِ هذه النارِ ، فقال[8] : وفيها فى ليلةِ الاثنينِ السادسَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخِرةِ خسَف القمرُ أولَ الليلِ ،

---

(١) فى م : « تسيل » .

(٢) فى م : « تسير » .

(٣) فى م : « تابوا » .

(٤) ينبع : موضع عن يمين رَضْوَى - جبل بالمدينة - لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر وهى قرية كبيرة . معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٦.

(٥) فى الأصل : « يصبح » ، وفى م : « صبح » . والمثبت من الذيل على الروضتين وذيل مرآة الزمان .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩٢.

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، م .

(٨) المصدر السابق ص ١٨٩.

وكان شديدَ الحُمْرةِ، ثم انْجَلَى، وكسَفت الشمسُ، وفى غدِه احْمَرَّت وقتَ طُلوعِها وغُروبِها وبقِيَت كذلك أيامًا مُتَغَيِّرةَ اللونِ، ضَعيفةَ النورِ، واللَّهُ تعالى على كلِّ شىءٍ قَديرٌ، ثم قال[1]: واتَّضَح بذلك ما صوَّره الشافعىُّ مِن اجْتماعِ الكُسوفِ والعيدِ، واسْتَبْعَده أهلُ النِّجامةِ. ثم قال أبو شامةَ[2]: ومِن كتابٍ آخَرَ مِن بعضِ [١٠/٤٥ظ] بنى الفاشانىِّ[3] بالمدينةِ يقولُ فيه: وصَل إلينا فى جُمادَى الآخِرةِ نَجابةٌ مِن العراقِ، وأخْبَروا عن بغدادَ أنه أصابها غرَقٌ عظيمٌ حتى دخل[4] الماءُ مِن أسْوارِ بغدادَ إلى البلدِ، وغرِق كثيرٌ من البلدِ، ودخَل الماءُ دارَ الخليفةِ وسْطَ البلدِ، وانْهَدَمَت دارُ الوزيرِ وثلاثُمائةٍ وثمانون دارًا، وانْهَدم مَخْزَنُ الخليفةِ، وهلَك مِن خِزانةِ السلاحِ شىءٌ كثيرٌ [5]بل تلِف كلُّه[5]، وأشْرَف الناسُ على الهَلاكِ، وعادَت السفنُ تَدْخُلُ إلى وسَطِ البَلدِ، وتَخْتَرِقُ أَزِقَّةَ بغدادَ.

قال: وأما نحن فإنه جرَى عندَنا أمرٌ عظيمٌ؛ لما كان بتاريخِ ليلةِ الأربعاءِ الثالثِ مِن جُمادَى الآخِرةِ ومِن قبلِها بيومين، عاد الناسُ يَسْمَعون صوتًا مثلَ صوتِ الرَّعْدِ [6]ساعةً بعد ساعةٍ - وما فى السماءِ غيمٌ حتى نقولَ إنه منه - يومين إلى ليلةِ الأربعاءِ، ثم ظهَر الصوتُ حتى سمِعه الناسُ وتزلزلتِ الأرضُ ورجَفتْ بنا رجْفةً لها صوتٌ كدوىِّ الرعدِ[6]، فانْزَعَج لها الناسُ كلُّهم، وانْتَبَهوا مِن

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢.

(٣) فى الأصل الفاء غير منقوطة، وفى ذيل مرآة الزمان ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٥٢: «القاشانى» بالقاف. والفاشانى نسبة إلى قرية من قرى مرو يقال لها: فاشان. والقاشانى نسبة إلى قاشان وهى بلدة عند قم. انظر الأنساب ٤/ ٣٣٨، ٤٢٦.

(٤) فى م: «طفح».

(٥ - ٥) سقط من: م. وفى الأصل: «تلف». والمثبت من الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

(٦ - ٦) سقط من: م.

مَراقِدِهم ، وضجَّ الناسُ بالاسْتِغْفارِ إلى اللَّهِ تعالى ، وفزِعوا إلى المسجدِ ، وصَلَّوْا فيه ، وتمَّت تَرْجُفُ بالناسِ ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى الصبحِ ؛ وذلك اليومَ كلَّه يومَ الأربعاءِ وليلةَ الخميسِ كلَّها [1] ويومَ الخميسِ [1] وليلةَ الجمعةِ . وصبحَ يومِ الجمعةِ [2] ارْتَجَّت الأرضُ رَجَّةً قويةً إلى أن اضْطَرَب مَنارُ المسجدِ بعضُه ببعضٍ ، وسُمِع لسقفِ المسجدِ صَريرٌ عظيمٌ ، وأشْفَق الناسُ مِن ذُنوبِهم ، وسكَنَت الزَّلْزلةُ بعدَ صُبْحِ يومِ الجمعةِ إلى قبلِ الظهرِ ، ثم ظهَرَت عندَنا بالحَرَّةِ وراءَ قُرَيْظةَ على طريقِ السُّوارِقِيَّةِ [3] بالمَقاعِدِ مَسيرةً مِن الصبحِ إلى الظهرِ نارٌ عظيمةٌ تَنْفَجِرُ مِن الأرضِ ، فارْتاع لها الناسُ رَوْعةً عظيمةً ، ثم ظهَر لها دُخانٌ عظيمٌ فى السماءِ يَنْعَقِدُ [4] حتى يَبْقَى كالسَّحابِ الأبيضِ [5] ، إلى قبلِ مَغيبِ الشمسِ مِن يومِ الجمعةِ ، ثم ظهَرَت النارُ ، لها أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فى الهواءِ إلى السماءِ حَمراءَ كأنها العَلَقَةُ [6] ، وعظُمَت وفزِع الناسُ إلى المسجدِ النبويِّ ، [7] وإلى الحجرةِ الشريفةِ ، واسْتَجار الناسُ بها ، وأحاطوا بالحُجْرةِ وكشَفوا رُءوسَهم [7] ، وأقَرُّوا بذُنوبِهم ، وابْتَهَلوا إلى اللَّهِ تعالى ، واسْتَجاروا بنبيِّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وأتَى الناسُ إلى المسجدِ مِن كلِّ فَجٍّ ومِن النَّخْلِ ، وخرَج النساءُ مِن البيوتِ والصِّبْيانُ ، واجْتَمَعوا كلُّهم ، وأخْلَصوا للَّهِ ، وغطَّت حُمْرةُ النارِ السماءَ كلَّها حتى بقِى الناسُ فى مثلِ ضَوْءِ القمرِ ، وبقِيَت

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده فى الذيل : « لخامس من الشهر » .

(٣) السوارقية : قرية أبى بكر بين مكة والمدينة وهى نجدية . معجم البلدان ٣/ ١٨٠ .

(٤) ينعقد : يغلظ ويتراكم . انظر الوسيط (ع ق د) .

(٥) بعده فى الأصل : « متصل » ، وبعده فى م : « فيصل » .

(٦) فى م : « القلعة » ، والعلقة : قطعة الدم المتكون منه الجنين . الوسيط (ع ل ق) .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى الذيل .

السماءُ كالعَلَقَةِ ، وأيْقَن الناسُ بالهلاكِ أو العذابِ ، وبات الناسُ تلك الليلةَ بينَ مُصَلٍّ وتالٍ للقرآنِ وراكعٍ وساجدٍ ، وداعٍ إلى اللَّهِ عز وجل ، ومُتَنَصِّلٍ مِن ذُنوبِه ومُسْتَغْفِرٍ وتائبٍ ، ولزِمت النارُ مكانَها ، وتناقَص تَضاعُفُها ذلك ولَهيبُها ، وصعِد الفَقيهُ والقاضى إلى الأميرِ يَعِظونَه ، فطرَح المَكْسَ ، وأعْتَق مَماليكَه كلَّهم وعبيدَه ، وردَّ علينا كلَّ ما لنا تحتَ يدِه ، وعلى غيرِنا ، وبقِيَت تلك النارُ على حالِها تَلْتَهِبُ الْتِهابًا ، وهى كالجبلِ العظيمِ وكالمدينةِ ارتفاعًا وعَرْضًا ، يخْرُجُ منها حَصًى يَصْعَدُ فى السماءِ ، ويَهْوِى فيها ، ويَخْرُجُ منها كالجبلِ العظيمِ نارٌ تَرْمِى كالرَّعْدِ ، [١٠/٤٦و] وبقِيَت كذلك أيامًا ، ثم سالت سَيَلانًا فى وادى أُحَيْلين ، تَنْحَدِرُ مع الوادى إلى الشَّظَاة ، (١) حتى لحِق سَيَلانُها بالبَحْرةِ بَحْرةِ الحاجِّ ، والحجارةُ معها تَتَحَرَّكُ وتَسِيرُ (١) حتى كادَت تُقارِبُ حَرَّةَ العريضِ ، ثم سكَنَت ، ووقَفَت أيامًا ، ثم عادَت النارُ تخرُجُ وتَرْمِى بحجارةٍ خلفَها وأمامَها ، حتى بنَت لها جبَلَيْن ، وما بقِى يَخْرُجُ منها مِن بينِ الجبَلَيْن لسانٌ لها أيامًا ، ثم إنها عَظُمَت (٢) الآنَ ، وسَنَاها (٢) إلى الآنَ ، وهى تَتَّقِدُ كأعظمِ ما يكونُ ، ولها كلَّ يومٍ صوتٌ عظيمٌ آخرَ الليلِ إلى ضَحْوةٍ ، ولها عَجائبُ ما أَقْدِرُ أن أَشْرَحَها لك على الكَمالِ ، وإنما هذا طرَفٌ منها كبيرٌ يَكْفِى ، والشمسُ والقمرُ كأنهما مُنْكَسِفان إلى الآنَ ، وكتبتُ (٣) هذا الكتابَ ، ولها شهرٌ ، وهى فى مكانِها ما تَتَقَدَّمُ ولا تَتَأَخَّرُ ، وقد قال فيها بعضُهم أبْياتًا :

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، م . انظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٨.

(٢ - ٢) فى الأصل : « ولسانها » ، وفى م : « وسناءها » . والمثبت من الذيل على الروضتين ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٤٣.

(٣) فى الأصل ، م : « كتب » . والمثبت من المصدرين السابقين وذيل مرآة الزمان . غالب هذه الأبيات تقدمت فى ٩/ ٢٩٩، ٣٠٠.

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جَرائِمِنا ... لقد أحاطَت بنا ياربُّ بَأْساءُ
نَشْكُو إليك خُطوبًا لا نُطِيقُ لها ... حَمْلًا ونحن بها حقًّا أحِقَّاءُ
زَلازِلًا تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلابُ لها ... وكيف يَقْوَى على الزِّلزالِ شَمَّاءُ
أقام سبعًا يَرُجُّ الأرضَ فانْصَدَعَت ... عن مَنْظَرٍ منه عينُ الشمسِ عَشْواءُ
بَحْرٌ مِن النارِ تَجْرِى فوقَه سُفُنٌ ... مِن الهِضابِ لها فى الأرضِ إرْساءُ[1]
يُرى[2] لها شَرَرٌ كالقصرِ طائشةً ... كأنها دِيمةٌ[3] تَنْصَبُّ هَطْلاءُ
تَنْشَقُّ منها قلوبُ الصَّخْرِ إنْ زَفَرَتْ ... رعبًا وتَرْعُدُ مِثلَ السيفِ[4] أضواءُ
منها تكاثَفَ فى الجوِّ الدُّخَانُ إلى ... أن عادتِ الشمسُ منه وهْى دَهْماءُ
قد أثَّرَتْ سُفْعَةً فى البدرِ لَفْحَتُها ... فلَيْلةُ التِّمِّ بعدَ النورِ لَيْلاءُ[5]
تُحَدِّثُ النَّيِّراتِ السَّبْعَ أَلْسُنُها ... بما يُلاقِى بها تحتَ الثرى الماءُ
وقدْ أحاطَ لظاها بالبروجِ إلى ... أن كاد يُلْحِقَها بالأرضِ إهْواءُ
فيا لَها آيةً مِنْ مُعْجِزاتِ رسو ... لِ اللَّهِ يَعْقِلُها القومُ الأَلِبَّاءُ
فباسْمِك الأعْظَمِ المكْنونِ إنْ عَظُمتْ ... منَّا الذنوبُ وساءَ القلبُ أسواءُ
فاسمحْ وهَبْ وتَفَضَّلْ وامْحُ واعْفُ وجُدْ ... واصْفَحْ فكلٌّ لِفَرْطِ الجهلِ خطّاءُ
فقومُ يونسَ لما آمنوا كُشِفَ الـ ... ـعذابُ عنهمْ وعَمَّ القومَ نَعماءُ

---

(١) بعده فى الأصل، م:
« كأنما فوقه الأجبال طافية ... موج عليه لفرط البهج وعثاء ».

(٢) فى الأصل، م: « ترمى ».
(٣) الديمة: المطر يطول زمانه فى سكون: الوسيط (د و م).
(٤) فى الأصل، م: « السعف ». وهو لفظ ما فى نهاية الأرب.
(٥) ليلاء: أشدُّ ليالى الشهر ظلمة. اللسان (ل ى ل).

ونحن أمةُ هذا المصطفى ولنا منه إلى عفوِك المرجوِّ دَعّاءُ
هذا الرسولُ الذى لَوْلاه ما سلكتْ مَحَجَّةٌ فى سبيلِ اللَّهِ بيضاءُ
فارحَمْ وصَلِّ على المختارِ ما خَطَبَتْ على عُلا منبرِ الأوراقِ ورقاءُ

قلتُ : والحديثُ الواردُ فى أمرِ هذه النارِ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحَيْن »[(١)] مِن طريقِ الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تَقومُ الساعةُ حتى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ تُضِىءُ أعْناقَ الإبلِ ببُصْرَى » . وهذا لفظُ البُخارىِّ .

وقد وقَع هذا فى هذه السنةِ - أعْنِى سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ - كما ذكَرْنا ، وقد أخْبَرَنى قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ علىُّ بنُ أبى القاسمِ التَّمِيمىُّ[(٢)] الحَنفىُّ الحاكمُ بدمشقَ فى بعضِ الأيامِ [(٣)] فى المُذاكَرةِ[(٣)] ، وجرَى ذِكْرُ هذا الحديثِ ، وما كان مِن أمرِ هذه النارِ فى هذه السنةِ فقال : سِمعْتُ رجلًا مِن الأعرابِ يُخْبِرُ والدى ببُصْرَى فى تلك الليالى أنهم رأَوْا أعْناقَ الإبلِ فى ضوءِ هذه النارِ التى ظهَرَت فى أرضِ الحجاز .

قلتُ : وكان مولدُه فى سنةِ ثنتين وأربعين وستِّمائةٍ ، وكان والدُه مُدَرِّسًا [١٠/٤٦ظ] للحَنَفيةِ بمدينةِ بُصْرَى ، وكذلك كان جَدُّه وهو أيضًا ، فدرَّس بها ، ثم انْتَقَل إلى دمشقَ ، فدرَّس بالصادريةِ وبالمُقَدَّميَّةِ[(٤)] ، ثم ولِى قَضاءَ القُضاةِ الحَنَفيةِ ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ فى الأحْكامِ ، وقد كان عمرُه حينَ وقَعَت هذه

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٧. من رواية البخارى . وهو فى مسلم (٤٢/ ٢٩٠٢) .
(٢) انظر ما تقدم فى ٩/ ٢٩٨. حاشية (٦، ٧) .
(٣ - ٣) فى الأصل : « المذكورة » . وانظر عقد الجمان ١/ ١٢٧.
(٤) فى م : « بالمعدمية » . وانظر الدارس ١/ ٥٩٤، ٥٩٧.

النارُ بالحجازِ ثنتَىْ عشْرةَ سنةً ، ومثلُه ممَّن يَضْبِطُ ما يَسْمَعُ مِن الخبرِ أن الأعْرابيَّ أخْبَر والدَه فى تلك الليالى . وصلواتُ اللَّهِ وسلامُه على نبيِّه سيدِنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

ومما نظَمه بعضُ الشُّعراءِ فى هذه النارِ الحجازيةِ وغَرَقِ بغدادَ قولُه[1] :

سبحانَ مَن أصْبَحَت مَشيئتُه ... جاريةً فى الوَرَى بِمِقْدارِ
أغْرَق بَغْدادَ بالمياهِ كما ... أحْرَق أرضَ الحجازِ بالنارِ

قال أبو شامةَ[2] : والصَّوابُ أن يُقالَ :

فى سَنَةٍ أَغْرَق العراقَ وقد ... أحْرَق أرضَ الحجازِ بالنارِ

وقال ابنُ الساعى فى تاريخِ سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ : وفى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ رجبٍ - يَعْنى مِن هذه السنةِ - كنتُ جالسًا بينَ يدى الوزيرِ ، فورَد عليه كتابٌ مِن مدينةِ الرسولِ ﷺ صُحْبةَ قاصدٍ يُعْرَفُ بقَيْمازَ العَلَوىِّ الحَسَنىِّ المَدَنىِّ ، فناوَله الكتابَ فقرَأه ، وهو يَتَضَمَّنُ أن مدينةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ زُلْزِلَت يومَ الثلاثاءِ ثانىَ جُمادَى الآخِرةِ حتى ارْتَجَّ المِنْبرُ[3] الشريفُ النبوىُّ ، وسُمِع صَريرُ الحديدِ ، وتحرَّكَت السَّلاسِلُ ، وظهَرت نارٌ على مَسيرِ أربعةِ فَراسِخَ مِن المدينةِ ، وكانت تَرْمى بشررٍ[4] كأنه رُءُوسُ الجبالِ ، ودامَت خمسةَ عشَرَ يومًا . قال القاصدُ : وجئتُ ولم تَنْقَطِعْ بعدُ ، بل كانت على حالِها ، وسأَله : إلى أىِّ الجهاتِ تَرْمِى ؟ فقال : إلى جهةِ الشرقِ . واجْتَزْتُ عليها أنا ونَجابةُ اليمنِ ، ورَمَيْنا

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٣. وتقدم البيتان فى ٩/ ٣٠٠.
(٢) المصدر السابق .
(٣) فى م : « القبر » .
(٤) فى م : « بزبد » .

فيها سَعَفةً ، فلم تُحْرِقْها ، بل كانت تُحْرِقُ الحِجارةَ وتُذِيبُها ، وأخْرَج قَيْمازُ المذكورُ شيئًا مِن الصخرِ المُحْتَرِقِ ، وهو كالفحمِ لونًا وخِفَّةً .

قال : وذكَر فى الكتابِ ، وكان بخطِّ قاضى المدينةِ ، أنهم لما زُلْزِلوا دخَلوا الحَرَمَ ، وكشَفوا رءوسَهم واسْتَغْفَروا ، وأن نائبَ المدينةِ أعْتَق جميعَ مَماليكِه ، وخرَج مِن جميعِ المَظالمِ ، ولم يَزالوا مُسْتَغْفِرين متضرِّعين[1] حتى سكَنَت الزَّلْزلةُ ، إلا أن النارَ التى ظهَرت لم تَنْقَطِعْ ، وجاء القاصدُ المذكورُ ، ولها خمسةَ عشَرَ يومًا وإلى الآنَ .

قال ابنُ الساعى : وقرأْتُ بخطِّ العَدْلِ محمودِ بنِ يوسُفَ بنِ الأمعانىِّ شيخِ [2]حَرَمِ المدينةِ النبويةِ ، على ساكنِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ[2] ، يقولُ : إن هذه النارَ التى ظهَرَت بالحجازِ آيةٌ عظيمةٌ ، وإشارةٌ صحيحةٌ مستقيمةٌ دالّةٌ على اقْتِرابِ الساعةِ ، فالسعيدُ مَن انْتَهَز الفُرْصةَ قبلَ الفَوْتِ[3] ، وتَدارَك أمْرَه بإصلاحِ حالِه مع اللَّهِ عز وجل قبلَ الموتِ ، وهذه النارُ فى أرضٍ ذاتِ حجرٍ ، لا شجرَ فيها ولا نَبْتَ ، وهى تَأْكُلُ بعضُها بعضًا إن لم تَجِدْ ما تَأْكُلُه ، وهى تُحْرِقُ الحِجارةَ وتُذِيبُها ، حتى تعودَ كالطِّينِ المَبْلولِ ، ثم يَضْرِبُه الهواءُ حتى يعودَ كخَبَثِ الحديدِ الذى يخرجُ مِن الكِيرِ ، فاللَّهُ يَجْعَلُها عِبْرةً للمسلمين ورَحْمةً للعالمين ، بمحمدٍ وآلِه الطاهِرين .

قال أبو شامةَ[4] : وفى ليلةِ الجمعةِ مُسْتَهَلَّ رمضانَ مِن هذه السنةِ احْتَرَق

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حرم رسول اللَّه ﷺ » .

(٣) فى م : « الموت » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٤. وانظر ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠، ١١، وعقد الجمان ١/ ١٢٨.

مسجدُ المدينةِ ، على ساكنِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، ابْتَدَأ حَريقُه مِن زاويتِه [١٠/ ٤٧و] الغَرْبيةِ مِن الشمالِ ، وكان دخَل أحدُ القومةِ إلى خِزانةِ ثَمَّ ، ومعه نارٌ فعلِقَت فى الآلاتِ[١] ثَمَّ ، واتَّصَلَت بالسقفِ بسرعةٍ ، ثم دبَّت فى السقوفِ ، وأخَذَت قِبْلةً ، فأعْجَلَت الناسَ عن قطعِها ، فما كان إلا ساعةٌ حتى احْتَرَقَت سقوفُ المسجدِ أجْمَعَ ، ووقَعَت بعضُ أساطينِه ، وذاب رَصاصُها ، وكلُّ ذلك قبلَ أن ينامَ الناسُ ، واحْتَرَق سقفُ الحجرةِ النبويةِ ، ووقَع ما وقَع منه فى الحجرةِ ، وبقى على حالِه حتى[٢] شُرِع فى عِمارةِ سقفِه وسقفِ المسجدِ النبوىِّ ، على صاحبِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ، وأصْبَح الناسُ ، فعزَلوا موضعًا للصلاةِ ، وعُدَّ ما وقَع مِن تلك النارِ الخارجةِ وحريقِ المسجدِ مِن جُملةِ الآياتِ ، وكأنَّها كانت مُنْذِرةً بما يَعْقُبُها فى السنةِ الآتيةِ مِن الكائناتِ على ما سنَذْكُرُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى . هذا كلامُ الشيخِ شهابِ الدينِ أبى شامةَ .

وقد قال أبو شامةَ فى الذى وقَع فى هذه السنةِ وما بعدَها شعرًا ، وهو قولُه[٣] :

بعد ستٍّ مِن المِئِينَ وخمسيـ ... ـن لدى أربعٍ جرَى فى العامِ
نارُ أرضِ الحجازِ معْ حَرْقِ المسْـ ... ـجدِ معْه تَغْريقُ دارِ السلامِ
ثم أخْذُ التَّتارِ بغدادَ فى أوّ ... لِ عامٍ مِن بعدِ ذاك وعامِ
لم يُعَنْ أهلُها وللكفرِ أعْوا ... نٌ عليهمْ يا ضَيْعةَ الإسلامِ
وانْقَضَت دولةُ الخِلافةِ منها ... صار مُسْتَعْصِمٌ بغيرِ اعْتِصامِ

---

(١) فى م : « الأبواب » .
(٢) فى الأصل : « حتى لما » ، وفى الذيل على الروضتين : « لما » .
(٣) المصدر السابق .

فحنانًا على الحِجازِ ومصْرٍ وسلامًا على بلادِ الشامِ
ربِّ سلِّمْ وصُنْ وعافِ بَقايا الْـ ـمُدْنِ يا ذا الجَلالِ والإكْرامِ

وفى هذه السنةِ[1] كمَلَت عِمارةُ المدرسةِ الناصريةِ الجَوَّانيةِ داخلَ بابِ الفَراديسِ، وحضَر فيها الدرسَ واقفُها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسُفُ بنُ الملكِ العزيزِ محمدِ بنِ الملكِ الظاهرِ غِياثِ الدينِ غازى بنِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسُفَ ابنِ أيوبَ بنِ شادى فاتحِ بيتِ المقدسِ، ودرَّس فيها قاضى البلدِ صَدْرُ الدينِ بنُ سَنىِّ الدولةِ، وحضَر عندَه الأمراءُ والدولةُ والعلماءُ وجُمْهورُ أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ بدمشقَ.

وفيها[2] أُمِر بعِمارةِ الرِّباطِ الناصرىِّ بسفحِ قاسِيونَ.

وممَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعْيانِ:

الشيخُ عِمادُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ بنِ النَّحَّاسِ[3]، ترَك الخدمَ[4]، وأقْبَل على الزَّهادةِ والتِّلاوةِ، والعِبادةِ والصِّيامِ المُتَتابِعِ، والانْقِطاعِ بمسجدِه بسفحِ قاسِيونَ نحوًا مِن ثلاثين سنةً، وكان مِن خِيارِ الناسِ. ولما تُوُفِّى دُفِن عندَ مسجدِه بتربةٍ مشهورةٍ به، وحمامٍ يُنْسَبُ إليه فى مساريقِ الصالحيةِ، وقد أثْنَى عليه السِّبْطُ[5]، وأرَّخوا وفاتَه كما ذكَرْنا[6].

---

(١) عقد الجمان ١/ ١٢١، والدارس ١/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٢) عقد الجمان ١/ ١٢٢.

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٩٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠٨، وذيل مرآة الزمان ١/ ٢٤، وعقد الجمان ١/ ١٣١.

(٤) فى م: «الخلائق».

(٥) انظر مرآة الزمان ٨/٧٩٤ (القسم الثانى).

(٦) بعده فى الأصل: «وقد توفى السبط فى أواخر هذه السنة الشيخ شمس الدين ابن الجوزى».

يوسفُ بنُ الأميرِ حُسامِ الدينِ قِزُغْلِى بنِ عبدِ اللَّهِ عَتيقِ الوزيرِ عَوْنِ الدينِ يحيى بنِ هُبَيْرةَ الحَنْبلىُّ[1] ، الشيخُ شمسُ الدينِ ، أبو المُظَفَّرِ الحَنَفىُّ البَغْدادىُّ ، ثم الدمشقىُّ ، سِبْطُ ابنِ الجوزىِّ ، أمُّه رابعةُ بنتُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبى الفرجِ بنِ الجوزىِّ الواعظِ ، وقد كان حسنَ الصُّورةِ ، طيبَ الصوتِ ، حسَنَ الوَعْظِ ، كثيرَ الفَضائلِ والمُصَنَّفاتِ ، وله « مِرْآةُ الزمانِ » فى عشرينَ مجلدًا مِن أحسنِ التَّواريخِ ، انتظَم فيه « المُنْتَظَمَ » لجدِّه ، وزاد عليه ، وذَيَّلَ إلى زمانِه ، وهو مِن أحسَنِ التَّواريخِ وأبْهَجِها ، قدِم دمشقَ فى حُدودِ الستِّمائةِ ، وحظِى عندَ ملوكِ بنى أيوبَ ، وقدَّموه وأحْسَنوا [١٠/٤٧ظ] إليه ، وكان له مَجْلِسُ وَعْظٍ كلَّ يومِ سبتٍ بُكْرةَ النهارِ عندَ الساريةِ التى يَقومُ عندَها الوُعَّاظُ اليومَ عندَ بابِ مَشْهَدِ علىِّ بنِ الحسينِ زَيْنِ العابدين ، وقد كان الناسُ يَبِيتون ليلةَ السبتِ بالجامعِ ، ويَتْرُكون البَساتِينَ فى الصيفِ حتى يَسْمَعوا مِيعادَه ، ثم يُسْرِعون إلى بَساتينِهم ، فيَتَذاكَرون ما قاله مِن الفَوائدِ والكلامِ الحَسَنِ ، على طريقةِ جدِّه .

وقد كان الشيخُ تاجُ الدينِ الكِنْدىُّ ، وغيرُه مِن المشايخِ ، يَحْضُرون عندَه تحتَ قُبَّةِ يَزيدَ ، التى عندَ بابِ المَشْهَدِ[2] ، ويَسْتَحْسِنون ما يقولُ ، ودرَّس بالعِزِّيةِ[3] البَرَّانيةِ التى بَناها الأميرُ عِزُّ الدينِ أيْبَك المُعَظَّمىُّ ، أُستاذُ دارِ المُعَظَّمِ ، وهو واقفُ العِزِّيةِ الجَوَّانيةِ التى بالكشكِ أيضًا ، وكانت قديمًا تُعْرَفُ بدُورِ[4] ابنِ مُنْقِذٍ ، ودرَّس السِّبْطُ أيضًا بالشِّبْليةِ التى بالجبلِ عندَ جسرِ كُحَيْلٍ ، وفُوِّض إليه البَدْريةُ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٢، والذيل على مرآة الزمان ١/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٦، والعبر ٥/ ٢٢٠، وعقد الجمان ١/ ١٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٩.

(٢) فى الأصل : « البريد » .

(٣) فى الأصل : « بالغرالية » . وانظر الدارس ١/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) فى الأصل : « بدرب » .

التى قُبالتَها ، فكانت سَكَنَه ، وبها تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ الحادى والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وحضَر جِنازتَه سلطانُ البلدِ الناصرُ بنُ العزيزِ فمَن دونَه ، وقد أثْنَى عليه الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ[1] فى عُلومِه وفَضائلِه ورِياستِه وحُسْنِ وَعْظِه وطِيبِ صوتِه ونَضارةِ وجهِه ، وتَواضُعِه وزُهْدِه وتَوَدُّدِه ، لكنه قال : وقد كنتُ مَريضًا ليلةَ وفاتِه ، فرأَيْتُ وفاتَه فى المَنامِ قبلَ اليَقَظةِ ، ورأَيْتُه فى حالةٍ مُنْكَرةٍ ، ورآه غيرى أيضًا كذلك ، فنَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ ، ولم أَقْدِرْ على حُضورِ جِنازتِه ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، حضَرها خلقٌ كثيرٌ ؛ السلطانُ فمَن دونَه ، ودُفِن هناك ، وقد كان فاضلًا عالمًا ظَريفًا ، مُنْقَطِعًا مُنْكِرًا على أربابِ الدولِ ما هم عليه مِن المُنْكَراتِ ، وقد كان مُقْتَصِدًا فى لِباسِه ، مُواظِبًا على المُطالَعةِ والاشْتِغالِ والجَمْعِ والتَّصْنيفِ ، مُنْصِفًا لأهلِ العلمِ والفضلِ ، مُبايِنًا لأَهلِ [2]الجَبْرِيَّةِ و[2] الجهلِ ، وتَأْتى الملوكُ وأرْبابُ الدُّولِ إليه زائرِين وقاصِدِين ، ورُبِّى فى طُولِ زمانِه فى جاهٍ عَريضٍ عندَ الملوكِ والعَوامِّ نحوَ خمسين سنةً ، وكان مَجْلِسُ وَعْظِه مُطْرِبًا ، وصوتُه فيما يُورِدُه فيه حسنًا طيبًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ورضِى عنه .

[2]قلتُ : وهو ممَّن يُنْشَدُ له عندَ مَوتِه قولُ الشاعِرِ[3] :

مازلتَ تَدْأبُ فى التاريخِ مُجْتَهِدًا حتى رأيتُك فى التاريخِ مَكْتُوبًا[2]

وقد سُئِل يومَ عاشُوراءَ زمنَ الملكِ الناصرِ صاحبِ حلَبَ أن يَذْكُرَ للناسِ شيئًا مِن مَقْتَلِ الحسينِ ، فصعِد المِنْبرَ ، وجلَس طويلًا لا يَتَكَلَّمُ ، ثم وضَع المِنْدِيلَ على

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥.

(٢ - ٢) سقط من : م.

(٣) البيت لأبى عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخولانى النحوى ، قاله يرثى به الحافظ عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى المصرى المؤرخ . انظر إنباه الرواه ٢/ ١٥٨، ١٥٩.

وجهِه ، وبكَى ثم أنْشَأ يقولُ وهو يَبْكِى شديدًا :

وَيْلٌ لمَن شُفعاؤُه خُصَماؤُه والصُّورُ فى نَشْرِ الخَلائقِ يُنْفَخُ
لابدَّ أن تَرِدَ القِيامةَ فاطِمٌ وقميصُها بدمِ الحسينِ مُلَطَّخُ

ثم نزَل عن المنبرِ وهو يَبْكى ، وصعِد إلى الصالحيةِ وهو يَبْكى كذلك ، رحِمه اللَّهُ .

واقفُ مَارَسْتانِ الصالحيةِ : الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ أبو الحسنِ يوسفُ بنُ أبى الفَوارسِ بنِ مُوسَك القَيْمَرىُّ الكُرْدىُّ[1] ، أكبرُ أُمراءِ القَيْمَرية ، كانوا يَقِفون بينَ يديه كما تُعامَلُ الملوكُ ، ومِن أكبرِ حَسَناتِه وَقْفُه المارَسْتانَ الذى بسفحِ قاسِيونَ ، وكانت وفاتُه ودفْنُه بالسَّفْحِ فى القُبَّةِ التى تُجاهَ المارَسْتانِ المذكورِ ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ وثَرْوةٍ ، رحِمه اللَّهُ .

مُجِيرُ الدينِ يعقوبُ بنُ الملكِ العادلِ [١٠/٤٨و] **أبى بكرِ بنِ أيوبَ**[2] ، دُفِن عندَ والدِه بتُرْبةِ العادليةِ .

الأميرُ مُظَفَّرُ الدينِ إبراهيمُ[3] **بنُ صاحبِ صَرْخَدَ عِزِّ الدينِ أيْبَكَ أُستاذِ دارِ المُعَظَّمِ واقفِ العِزِّيَّتَيْن**[4] ؛ **البَرَّانيةِ والجَوَّانيةِ** على الحَنَفيةِ ، ودُفِن عندَ والدِه بالتربةِ تحتَ القُبَّةِ عندَ الوَرَّاقةِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٤٣، والعبر ٥/ ٢١٤، وعقد الجمان ١/ ١٣٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٩.
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٤، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧، والعبر ٥/ ٢١٩، وعقد الجمان ١/ ١٣٥.
(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٥، وعقد الجمان ١/ ١٣٦.
(٤) فى م : « المعزيتين » .

الشيخُ شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ نوحٍ المَقْدِسيُّ[1] ، الفَقيهُ الشافعيُّ مُدَرِّسُ الرَّواحيةِ بعدَ شيخِه تَقيِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ ، ودُفِن بالصُّوفيةِ ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ ، رحِمه اللَّهُ .

قال أبو شامةَ[2] : وكثُر فى هذه السنةِ موتُ الفَجْأةِ . فمات خلقٌ كثيرٌ بسببِ ذلك .

وممَّن تُوُفى فيها : [3]زَكيُّ بنُ الفويرةِ[3] ، أحدُ المُعَدِّلِين بدمشقَ ، وبدرُ الدينِ ابنُ التِّبْنينيِّ[4] أحدُ رُؤسائِها ، وعِزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ أبى طالبِ بنِ عبدِ الغَفَّارِ التَّغْلِبيُّ[5] [6]ابنُ الحنويِّ[6] ، وهو سِبْطُ القاضى جَمالِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانيِّ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى وعفا عنهم أجْمَعين .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٩، والعبر ٥/ ٢١٨، وعقد الجمان ١/ ١٣١.
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.
(٣ - ٣) فى م : « زكى الدين أبو الغورية » . وانظر المصدر السابق .
(٤) فى م : « السنى » .
(٥) فى م : « الثعلبى » . وانظر المصدر السابق ص ١٩٤.
(٦ - ٦) فى الأصل : « بن الحيرى » ، وفى م : « أبى الحسين » والمثبت من المصدر السابق .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] أصْبَح الملكُ المعزُّ[2] صاحبُ مصرَ عِزُّ الدينِ أيْبَكُ التُّرْكُمانىُّ بدارِه مَيِّتًا ، وقد ولِى المُلْكَ بعدَ أُسْتاذِه الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بشُهورٍ ، كان فيها ملَك تُورانْشاه المُعَظَّمُ بنُ الصالحِ ، ثم خلَفَته شَجَرُ الدُّرِّ أمُّ خَليلٍ مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ ، ثم أُقِيم هو فى المُلْكِ ومعه المَلِكُ الأشْرَفُ موسى بنُ الناصرِ يوسُفَ بنِ أَقْسِيسَ بنِ الكاملِ مدةً ، ثم اسْتَقَلَّ بالمُلْكِ بلا مُنازَعةٍ ، وكسَر الناصرَ لما أراد أخْذَ الديارِ المصريةِ ، وقتَل الفارسَ أقْطاى فى سنةِ ثنتين وخمسين ، وخلَع بعدَه الأشْرَفَ ، واسْتَقَلَّ بالمُلِكِ وحدَه ، ثم تزَوَّج بشجرِ الدُّرِّ أمِّ خَليلٍ ، وكان كريمًا شُجاعًا حَكيمًا[3] دَيِّنًا ، ثم كان موتُه فى يومِ الثلاثاءِ الثالثِ والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ ، وهو واقفُ المدرسةِ المُعِزِّيَّةِ التى بمصرَ ، ومَجازُها مِن أحسنِ[4] الأشْياءِ ، وهى مِن داخلٍ ليست بتلك الفائقةِ . وقد قال بعضُهم فيها : هذه مَجازٌ لا حقيقةَ له . ولما قُتِل ، رحِمه اللَّهُ ، اتَّهم مَماليكُه زوجتَه أمَّ خليلٍ المسماةَ بشجرِ الدُّرِّ به ، وكان قد عزَم على تَزويجِ ابنةِ صاحبِ المَوْصِلِ بدرِ الدينِ لؤلؤٍ ، فأمَرَت جَواريَها أن يُمْسِكْنَه لها ، فما زالت تَضْرِبُه بقَباقِيبِها ، والجَوارِى يَعْرُكْنَ[5] فى مَعارِيه حتى مات وهو

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ - ١٩٨، وذيل مرآة الزمان ١/٤٥ - ٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٥٦ - ٤٦٥، وكنز الدرر ٨/٣٠ - ٣٣، والعبر ٥/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) فى م : « المعظم » .

(٣) فى م : « حييا » .

(٤) فى م : « أحق » .

(٥) فى الأصل : « يفركن » . وعرك : دلك وحك . والمعارى : العورة والفرج . اللسان (ع ر ك) ، (ع ر ى) .

كذلك ، ولما سَمِع مَماليكُه أقْبَلوا بصُحبةِ مَملوكِه الأكبرِ سيفِ الدينِ قُطُز ، فقتَلوها وألْقَوْها على مَزْبَلةٍ غيرَ مَستورةِ العَوْرةِ ، بعدَ الحِجابِ المَنيعِ والمَقامِ الرفيعِ ، وقد علَّمَت على المَناشِيرِ والتَّواقيعِ ، وخطَب الخُطباءُ باسمِها ، وضُرِبَت السِّكَّةُ برَسْمِها ، فذهَبَت فلا تُعْرَفُ بعدَ ذلك بعينِها ولا رسمِها : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ٢٦] . وأقامت الأتْراكُ بعدَ أُسْتاذِهم عِزِّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانيِّ - بإشارةِ أكبرِ مَماليكِه الأميرِ سيفِ الدينِ قُطُز - ولدَه نُورَ الدينِ عليًّا ، ولقَّبوه الملكَ المنصورَ ، وخُطِب له على المَنابرِ ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه ، وجرَت الأمورُ على ما يَخْتارُه برأيِه ورَسْمِه .

وفيها كانت فتنةٌ عظيمةٌ ببغدادَ بينَ الرافضةِ وأهلِ السنةِ ، فنُهِبت الكَرْخُ ودُورُ الرافضةِ حتى دُورُ قَراباتِ الوزيرِ ابنِ العَلْقَميِّ ، وكان ذلك مِن أقوى الأسبابِ فى مُمالأتِه التتارَ .

وفيها دخَلَت الفُقراءُ الحَيْدريةُ الشامَ ، ومِن شِعارِهم لُبْسُ الفَراجِى[1] والطَّراطيرِ ، ويَقُصُّون لحاهم ، ويَتْرُكون شَواربَهم ، وهو خِلافُ السنةِ ، ترَكوها لمُتابعةِ [١٠/٤٨ظ] شيخِهم حَيْدَرٍ حينَ أسَره المَلاحِدةُ ، فقصُّوا لحيتَه ، وترَكوا شَواربَه ، فاقْتَدَوْا به فى ذلك ، وهو مَعْذورٌ مَأْجورٌ ، وقد نهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن ذلك[2] ، وليس لهم فيه قُدْوةٌ ، وقد بُنِيَت لهم زاويةٌ بظاهرِ دمشقَ قريبًا مِن العونيةِ .

---

(١) فى م : « الرحى » . والفراجى : جمع فَرَجِيّة ، وهى جبة مفتوحة من الأمام من أعلاها حتى الذيل ومزودة بصف من الأزرار . انظر الملابس المملوكية ص ٩١.

(٢) ورد فى هذا الباب عدة أحاديث ؛ منها ما جاء فى الصحيحين من حديث عبد اللَّه بن عمر - واللفظ للبخارى - أن النبى ﷺ قال : « خالفوا المشركين ، ووفروا اللحى . وأحفوا الشوارب » البخارى (٥٨٩٢، ٥٨٩٣) ، ومسلم (٢٥٩، ٢٦٠) .

وفى يومِ الأربعاءِ [1]ثامنَ عشَرَ[1] ذى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ المُباركةِ عُمِل عَزاءُ واقفِ الباذَرائيةِ بها الشيخِ **نَجْمِ الدينِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ الباذَرائىِّ البغدادىِّ**[2] ، مُدَرِّسِ النِّظاميةِ ، ورسولِ الخلافةِ إلى ملوكِ الآفاقِ فى الأمورِ المُهِمةِ ، وإصلاحِ الأحوالِ المُدْلَهِمَّةِ ، وقد كان فاضلًا بارعًا رئيسًا وَقورًا مُتواضِعًا ، وقد ابْتَنَى بدمشقَ مدرسةً حسنةً مكانَ دارِ الأميرِ أسامةَ ، وشرَط على المُقيمِ بها العُزوبةَ ، وأن لا يَكونَ الفَقيهُ فى غيرِها مِن المدارسِ ، وإنما أراد بذلك توفيرَ خاطرِ الفقيهِ وجَمْعِيَّتَه على طلبِ العلمِ ، ولكن حصَل بذلك خَلَلٌ كثيرٌ وشرٌّ لبعضِهم كبيرٌ ، وقد كان شيخُنا الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الشافعيةِ بالشامِ وغيرِها بُرْهانُ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الشيخِ تاجِ الدينِ الفَزارىِّ مُدَرِّسُ هذه المدرسةِ وابنُ مُدَرِّسِها ، يَذْكُرُ أنه لما حضَر الواقفُ فى أولِ يومٍ دَرَّس بها ، وحضَر عندَه السلطانُ الناصرُ ، قُرِئَ كتابُ الوَقْفِ ، وفيه : ولا يَدْخُلُها امرأةٌ . فقال السلطانُ : ولا صبىٌّ ؟ فقال الواقفُ : يا مولانا ، ربُّنا ما يَضْرِبُ بعصاتَيْن . فإذا ذكَر هذه الحِكايةَ تبَسَّم عندَها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وكان هو أولَ مَن درَّس بها ، ثم ولدُه كَمالُ الدينِ مِن بعدِه ، وجعَل نَظَرَها إلى وَجيهِ الدينِ بنِ سُوَيْدٍ ، ثم صار فى ذُريتِه إلى الآنَ . وقد نظَر فى بعضِ الأوقاتِ القاضى شمسُ الدينِ بنُ الصائغِ ، ثم انْتُزِع منه حيث أثْبَت لهم النظرَ ، وقد أوْقَف البادَرائىُّ على هذه المدرسةِ أوقافًا حسنةً دارَّةً ، وجعَل فيها خِزانةَ كتبٍ

(١ - ١) فى الأصل : « عاشر » وانظر الذيل على الروضتين ، وفيه أنه عمل فى ذلك اليوم صلاة الغائب ؛ لأنه توفى ببغداد ، ولم يذكر العزاء .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٣٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٩.

حسَنةً نافعةً ، وقد عاد إلى بغدادَ فى هذه السنةِ ، فوَلى بها قضاءَ القُضاةِ كُرْهًا منه ، فأقام فيه سبعةَ عشَرَ يومًا ، ثم تُوُفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى فى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ[1] مِن هذه السنةِ . ودُفِن بالشُّونيزِيةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى ذى الحجَّةِ مِن هذه السنةِ بعدَ موتِ الباذَرائىِّ بأيامٍ قَلائلَ نزَلَت التَّتارُ على بغدادَ مُقَدِّمةً لمِلكهم هُولاوو بنُ تُولى بنِ جِنْكِزْخان ، عليهم لَعائنُ الرحمنِ ، وكان افْتِتاحُهم لها وجِنايتُهم عليها فى أولِ السنةِ الآتيةِ على ما سيأتى بيانُه وتفصيلُه ، وباللَّهِ المُسْتعانُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ :

الباذَرائىُّ واقفُ المدرسةِ الباذَرائيةِ التى بدمشقَ ، كما تقَدَّم بيانُه .

والشيخُ تَقىُّ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الفَهْمِ اليَلْدانىُّ[2] بها فى ثامنِ ربيعِ الأولِ ، ودفِن بها ، وكان شيخًا صالحًا مُشْتَغِلًا بالحديثِ سَماعًا وكِتابةً وإسْماعًا ، إلى أن تُوُفِّى وله نحوٌ من مائةِ سنةٍ .

قلتُ : وأكثرُ كتبِه ومَجامِيعِه التى بخطِّه مَوْقوفةٌ بخِزانةِ الفاضليةِ مِن الكَلَّاسةِ ، وقد رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى النومِ فقال له : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أنا رجلٌ جيدٌ ؟ [3]قال : بلى ، أنت رجلٌ جيدٌ[3] . رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه .

الشيخُ شرفُ الدينِ محمدُ بنُ أبى الفضلِ المُرْسِىُّ[4] ، وكان شيخًا فاضلًا

---

(١) فى الأصل : « ذى القعدة » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٥، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١١، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٧٦. واليلدانى : نسبة إلى يلدان قرية من قرى الشام . معجم البلدان ٤/ ١٠٢٥.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) معجم الأدباء ١٨/ ٢٠٩، والذيل على الروضتين ص ١٩٥، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٦، وسير =

مُفْتِيًا مُحقِّقَ البحثِ ، كثيرَ الحجِّ ، له مكانةٌ عندَ الأكابرِ ، وقد اقْتَنَى [١٠/٤٩و] كتبًا كثيرةً ، وكان أكثرُ مُقامِه بالحجازِ ، وحيث حلَّ عظَّمه رُؤساءُ تلك البَلْدةِ ، وكان مُقْتَصِدًا فى أُمورِه ، وكانت وفاتُه ، رحِمه اللَّهُ ، بالزعْقَةِ بينَ العَرِيشِ والدَّارُومِ[1] فى منتصفِ ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الملكُ الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ[2] ، ملَك دمشقَ بعدَ أبيه ، ثم انْتُزِعَت مِن يدِه ، وأخَذها عمُّه الأشْرَفُ ، واقْتَصَر على الكَرَكِ ونابُلُسَ ، ثم تَقلَّبت به الأحوالُ ، وجرَت له خُطوبٌ طِوالٌ حتى لم يَبْقَ معه شىءٌ مِن المَحالِّ ، وأوْدَع وَديعةً تُقارِبُ مائةَ ألفِ دينارٍ عندَ الخليفةِ المستعصِمِ[3] ، فأنْكَره إياها ، ولم يَرُدَّها عليه ، وقد كان له فَصاحةٌ وشعرٌ جيدٌ ، ولديه فَضائلُ جَمَّةٌ ، واشْتَغَل فى علمِ الكلامِ على الشمسِ الخُسْرُوشاهىِّ تلميذِ الفخرِ الرازىِّ ، وكان يَعْرِفُ علومَ الأوائلِ جيدًا ، وقد حكَوْا عنه أشْياءَ تَدُلُّ - إن صحَّت - على سُوءِ عَقيدتِه . فاللَّهُ أعلمُ .

وذُكِر أنه حضَر أولَ درسِ ذِكْرٍ بالمُسْتَنْصِريةِ فى سنةِ ثنتين وثلاثين وستِّمائةٍ ، وأن الشعراءَ أنْشَدوا المُسْتَنْصِرَ مَدائحَ كثيرةً ، فقال بعضُهم فى جملةِ قصيدةٍ له :

= أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٥٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦٩، والعقد الثمين ٢/ ٨١، وطبقات المفسرين للداوودى ٢/ ١٦٨، وبغية الوعاة ١/ ١٤٤.

(١) الداروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ . معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٩٦، ودول الإسلام ٢/ ١٦٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٦، وفوات الوفيات ١/ ٤١٩. وقد وردت ترجمته فى المصادر السابقة فى وفيات سنة ستمائة وست وخمسين .

(٣) فى م : « المستنصر » .

لو كنتَ فى يومِ السَّقيفةِ شاهدًا كنتَ المُقَدَّمَ والإمامَ الأعْظَمَا

فقال الناصرُ داودُ للشاعرِ : اسْكُتْ ، فقد أخْطَأْتَ ، قد كان جَدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ شاهدًا يومَئذٍ ، ولم يَكُنِ المُقَدَّمَ ، وما الإمامُ الأعظمُ إلا أبو بكرٍ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدَق . فكان هذا مِن أحسنِ ما نُقِل عنه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد تقاصَر أمْرُه إلى أن رسَم عليه الناصرُ بنُ العزيزِ بقريةِ البُوَيْضا التى لعمِّه مجيرِ[1] الدينِ يَعْقوبَ ، حتى تُوُفِّى بها فى هذه السنةِ ، فاجْتَمَع الناسُ بجِنازتِه ، وحُمِل منها ، فصُلِّى عليه ، حتى دُفِن عندَ والدِه بسفحِ قاسِيونَ .

الملكُ المُعِزُّ عزُّ الدينِ أيْبَك التُّرْكُمانىُّ[2] ، أولُ ملوكِ الأتْراكِ ، كان مِن أكبرِ مَماليكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ ، وكان دَيِّنًا صَيِّنًا عَفيفًا كريمًا ، مكَث فى الملكِ نحوًا مِن سبعِ سنين ، ثم قتَلَته زوجتُه شجرُ الدُّرِّ أمُّ خَليلٍ ، وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولدُه نورُ الدينِ علىٌّ ، ولُقِّب بالملكِ المَنْصورِ ، وكان مُدَبِّرَ مَملكتِه مَمْلوكُ أبيه سيفُ الدينِ قُطُز ، ثم عزَله واسْتَقَلَّ بالملكِ بعدَه نحوًا مِن سنةٍ ، وتَلَقَّب بالمُظَفَّرِ ، فقدَّر اللَّهُ كَسْرَ التَّتارِ على يديه بعينِ جالوتَ ، وقد بسَطْنا هذا كلَّه فى الحَوادثِ فيما تقَدَّم وما سيأتى ، وللَّهِ الحمدُ .

شجرُ الدُّرِّ بنتُ عبدِ اللَّهِ ، أمُّ خَليلٍ التركيةُ[3] ، كانت مِن حَظايا الملكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبَ ، وكان ولدُها منه خَليلٌ مِن أحسنِ الصُّوَرِ ، فمات

---

(١) فى م : « مجد » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤، ودول الإسلام ٢/ ١٥٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٩٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٦٩.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ٦١، وعقد الجمان ١/ ١٦٥، والدليل الشافى فى المنهل الصافى ١/ ٣٤٢، والسلوك ١/ ٤٠٤ (القسم الثانى)، وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٨.

صغيرًا ، وكانت تَكونُ فى خدمتِه ، لا تُفارِقُه حضَرًا ولا سفرًا مِن شدةِ مَحَبتِه لها ، وقد ملَكَت الدِّيارَ المِصْرية بعدَ مَقْتلِ ابنِ زوجِها المُعَظَّمِ تُورانْشاه ، فكان يُخْطَبُ لها ، وضُرِبت السِّكَّةُ باسمِها ، وعلَّمَت على المَناشِيرِ مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ ، ثم تَمَلَّك المُعِزُّ كما ذكَرْنا ، ثم تزَوَّجها بعدَ تَمَلُّكِه الديارَ المصريةَ بسنواتٍ ، ثم غارت عليه لما بَلغها أنه يُرِيدُ أن يَتَزَوَّجَ بنتَ صاحبِ الموصلِ بدرِ الدينِ لؤلؤ ، فعمِلَت عليه حتى قتَلَته كما تقَدَّم ذكرُه ، فتمالأ عليها مَماليكُه المُعِزِّيةُ فقتَلوها وألْقَوْها على مَزْبَلةٍ ثلاثةَ أيامٍ ، ثم نُقِلَت إلى تربةٍ لها بالقربِ مِن قبرِ الستِّ نَفيسةَ ، رحِمها اللَّهُ تعالى ، وكانت قويةَ النفسِ ؛ لما علِمَت أنه قد أُحِيط بها أتْلَفَت شيئًا كثيرًا مِن الجَواهرِ واللآلئ ، كسَرَتْه فى الهاوُنِ ، لا لها ولا لغيرِها ، وكان وزيرَها فى دولتِها الصاحبُ بَهاءُ الدينِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ سُلَيْمٍ[1] المعروفَ بابنِ حِنَّاءَ ، وهو أولُ مَناصبِه .

الشيخُ الأسعدُ هِبةُ اللَّهِ بنُ صاعدٍ ، شرفُ الدينِ الفائزىُّ[2] ؛ لخدمتِه قديمًا [١٠/٤٩ظ] الملكَ الفائزَ سابقَ الدينِ إبراهيمَ بنَ الملكِ العادلِ ، وكان نَصْرانيًّا فأسْلَم ، وكان كثيرَ البرِّ والصدقاتِ والصِّلاتِ ، اسْتَوْزَره المُعِزُّ ، وكان حَظِيًّا عندَه جدًّا ، لا يَفْعَلُ شيئًا إلا بعدَ مُراجَعتِه ومُشاوَرتِه ، وكان قبلَه فى الوِزارةِ القاضى تاجُ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ ، وقبلَه القاضى بدرُ الدينِ السِّنْجارىُّ ، ثم صارت بعدَ ذلك كلِّه إلى هذا الشيخِ الأسْعَدِ المسلمانىِّ ، وقد كان الفائزىُّ يُكاتِبُه المُعِزُّ بالمملوكِ ، ثم لما قُتِل المُعِزُّ أُهِين الأسعدُ حتى صار شَقِيًّا ، وأخَذ الأميرُ سيفُ الدينِ

---

(١) فى م : « سليمان » . وستأتى ترجمته فى صفحة ٥٤٨ ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة .
(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٨٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٨، والسلوك ١/٤٠٧ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ١٦٣.

قُطُز خَطَّه بمائةِ ألفِ دينارٍ، وقد هجاه بَهاءُ الدينِ زُهَيْرُ بنُ عليٍّ، فقال:

لعَن اللَّهُ صاعدًا وأباه فصاعدَا
وبنيه فنازلًا واحدًا ثم واحدَا

ثم قُتِل بعدَ ذلك كلِّه، ودُفِن بالقَرافةِ، وقد رثاه القاضى ناصرُ الدينِ بنُ المُنيرِ، وله فيه مَدائحُ وأشْعارٌ حسنةٌ يُقرِّظُهُ بها، فصيحةٌ رائقةٌ.

ابنُ أبى الحَديدِ العراقىُّ الشاعرُ: عبدُ الحَميدِ بنُ هِبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ[1] **بنِ محمدِ**[1] **بنِ الحسينِ، أبو حامدِ بنُ أبى الحَديدِ، عِزُّ الدينِ المَدائنىُّ**، الكاتبُ الشاعرُ المُطَبِّقُ الشِّيعىُّ الغالى، له «شرحُ نَهْجِ البلاغةِ» فى عشرين مجلدًا، وُلِد بالمَدائنِ سنةَ ستٍّ وثمانين وخمسِمائةٍ، ثم صار إلى بغدادَ، فكان أحدَ الكُتَّابِ والشعراءِ بالدِّيوانِ الخليفتىِّ، وكان حَظِيًّا عندَ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمىِّ، لما بينَهما مِن المُناسبةِ والمُقارَبةِ والمُشابَهةِ؛ فى التَّشَيُّعِ والأدبِ والفَضيلةِ، وقد أوْرَد له ابنُ الساعى أشياءَ كثيرةً مِن مَدائحِه وأشْعارِه الفائقةِ الرائقةِ، وكان أكثرَ فَضيلةً وأدبًا مِن أخيه أبى المعالى مُوَفَّقِ الدينِ أحمدَ[2] بنِ هِبةِ اللَّهِ، وإن كان الآخرُ فاضلًا بارعًا أيضًا، وقد ماتا فى هذه السنةِ، رحِمهما اللَّهُ تعالى.

المُشِدُّ الشاعرُ، الأميرُ سيفُ الدينِ علىُّ بنُ عمرَ بنِ قزل[3]، مُشِدُّ الدِّيوانِ

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ١/ ٦٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٩، والوافى بالوفيات ١٨/ ٧٦. وعقد الجمان ١/ ١٦٤.

(٢) سقط من: م. قال: فى وفيات الأعيان ٥/ ٣٩١: موفق الدين أبو المعالى أحمد، ويدعى القاسم أيضا. وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٤، ٣٧٢، والوافى بالوفيات ١/ ١٥٤. وجاءت وفاته فى هذه المصادر فى السنة الآتية.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، والعبر ٥/ ٢٣٣، وفوات الوفيات ٣/ ٥١، والوافى بالوفيات ٢١/ ٣٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٧، وعقد الجمان ١/ ١٦١، وسمى المشد لأنه تولى شد الدواوين. وهى =

بدمشقَ، وكان شاعرًا مُطَبِّقًا، له دِيوانٌ مشهورٌ، وقد رآه بعضُهم بعدَ موتِه، فسأَله عن حالِه، فأنْشَده:

نُقِلْتُ إلى رَمْسِ القبورِ وضيقِها ... وخوفى ذنوبى أنها بى تُعَثِّرُ
فصادَفْتُ رَحْمانًا رءوفًا وأنْعُمًا ... حبانى بها نَفْيًا[1] لما كنتُ أَحْذَرُ
ومَن كان حُسْنُ الظنِّ فى حالِ موتِه ... جميلًا بعفوِ اللَّهِ فالعفوُ أجْدَرُ

بِشارةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأرْمَنىُّ الأصلِ، بدرُ الدينِ الكاتبُ[2]، مولى شِبْلِ الدولةِ المُعَظَّمىِّ، سمِع الكِنْدىَّ وغيرَه، وكان يَكْتُبُ خطًّا جيدًا، وأسْنَد إليه مولاه النظرَ فى أوقافِه، وجعَله فى ذريتِه، فهم إلى الآنَ يَنْظُرون فى الشِّبْلِيَّتَيْن، وكانت وفاتُه فى النصفِ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ.

القاضى تاجُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ قاضى القُضاةِ جَمالِ الدينِ المِصْرىِّ[3]، ناب عن أبيه، ودرَّس بالشاميةِ، وله شعرٌ، فمنه قولُه:

صيَّرْتُ فمِى لفيهِ باللثمِ لثامْ ... عمْدا ورَشَفْتُ من ثناياهُ مُدامْ
فازْوَرَّ وقال أنت فى الفقهِ إمامْ ... رِيقى خمرٌ وعندَك الخمرُ حَرامْ

= وظيفة من بحضرة السلطان. موضوعها، أن يكون صاحبها رفيقًا للوزير متحدثًا فى استخلاص الأموال، وما فى معنى ذلك، وعادتها إمرة عشرة. انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٢.

(١) فى م: «سقيا».

(٢) الوافى بالوفيات ١٠/ ١٤١، وعقد الجمان ١/ ١٦٢.

(٣) عقد الجمان ١/ ١٦٢، والدارس ١/ ٢٨٠.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وخمسين وستّمائةٍ

فيها[1] أخَذَت التَّتارُ بغدادَ ، وقتَلوا أكثرَ أهلِها حتى الخليفةَ ، وانْقَضَت دولةُ بنى العباسِ منها .

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ وجنودُ التَّتارِ قد نازَلَت بغدادَ صُحْبةَ الأميرَيْن اللذين [١٠/٥٠و] على مُقَدِّمةِ عَساكرِ سلطانِ التَّتارِ هُولاكُوقان ، [2]وجاءَت إليهم أمْدادُ صاحبِ الموصلِ يُساعِدونهم على البَغادِدةِ ومِيرتُه وهداياه وتُحَفُه ، وكلُّ ذلك خوفًا على نفسِه مِن التتارِ ، ومُصانَعةً لهم ، قبَّحهم اللَّهُ تعالى[2] ، وقد سُتِرت بغدادُ ، ونُصِبَت فيها المَجانِيقُ والعَرَّادَاتُ وغيرُها مِن آلاتِ المُمانَعةِ التى لا تَرُدُّ مِن قدَرِ اللَّهِ سبحانه وتعالى شيئًا ، كما ورَد فى الأثَرِ[3] : « لن يُغْنِىَ حَذَرٌ مِن قَدَرٍ » . وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح : ٤] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] . وأحاطَت التَّتارُ بدارِ الخلافةِ يَرْشُقونها بالنُّشَّابِ مِن كلِّ جانبٍ ، حتى أُصِيبَت جاريةٌ كانت تَلْعَبُ بينَ يدى الخليفةِ وتُضْحِكُه ، وكانت مِن جملةِ الحَظايا ، وكانت مُوَلَّدةً تُسَمَّى عرفةَ ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، ١٩٩، وذيل مرآة الزمان ١/٨٥ - ٩٢، ونهاية الأرب ٢٧/٣٨٠ - ٣٨٣، والعبر ٥/ ٢٢٥، ٢٢٦، وعقد الجمان ١/١٦٧ - ١٨٣.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/٤٩٢ بسنده عن عائشة عن النبى ﷺ بأطول من هذا ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وفى إسناده زكريا بن منظور ، قال الحافظ الذهبى معقبا على الحاكم : زكريا مجمع على ضعفه .

جاءها سهمٌ مِن بعضِ الشَّبابيكِ فقتَلها وهى تَرْقُصُ بينَ يدى الخليفةِ ، فانْزَعَج الخليفةُ مِن ذلك ، (١) وفزِع فزَعًا (١) شديدًا ، وأحْضَر السهمَ الذى أصابها بينَ يديه ، فإذا عليه مَكْتوبٌ : إذا أراد اللَّهُ إنفاذَ قَضائِه وقدرِه سلبَ (٢) ذَوِى العقولِ عُقولَهم . فأمَر الخليفةُ عندَ ذلك بزيادةِ الاحْتِرازِ ، وكَثْرةِ السَّتائرِ على دارِ الخلافةِ ، وكان قدومُ هولاكوقان بجُنودِه كلِّها - وكانوا نحوًا مِن مائتَىْ ألفِ مُقاتِلٍ - إلى بغدادَ فى ثانى عشَرَ المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ ، وهو شديدُ الحَنَقِ على الخليفةِ بسببِ ما كان تقَدَّم مِن الأمرِ الذى قدَّره اللَّهُ وقضاه وأنْفَذه وأمْضاه ، وهو أن هولاكوقان لما كان أولُ بُروزِه مِن هَمَذان مُتَوَجِّهًا إلى العراقِ أشار الوزيرُ مُؤَيِّدُ الدينِ محمدُ بنُ العَلْقمىِّ على الخليفةِ بأن يَبْعَثَ إليه بهدايا سَنِيةٍ ؛ ليَكونَ ذلك مُداراةً له عما يُرِيدُه مِن قصدِ بلادِهم ، فخذَّل الخليفةَ عن ذلك دُوَيْدارُه (٣) الصغيرُ أَيْبَك وغيرُه ، وقالوا : إن الوزيرَ إنما يُرِيدُ بهذا مُصانعةَ ملكِ التتارِ بما يَبْعَثُه إليه مِن الأموالِ ، وأشاروا بأن يَبْعَثَ إليه بشىءٍ يسيرٍ ، فأرْسَل شيئًا مِن الهدايا ، فاحْتَقَرها هولاكوقان ، وأرْسَل إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه دُوَيْدارَه المذكورَ ، وسليمان شاه ، فلم يَبْعَثْهما إليه ، ولا بالى به حتى أزِف قدومُه ، ووصَل إلى بغدادَ بجُنودِه الكثيرةِ الكافرةِ الفاجرةِ الظالمةِ الغاشمةِ ، ممَّن لا يُؤْمِنُ باللَّهِ ولا باليومِ الآخِرِ ، فأحاطوا ببغدادَ مِن ناحيتِها الغربيةِ والشرقيةِ ، وجُنودُ بغدادَ فى غايةِ القلةِ ونهايةِ الذِّلَّةِ ، لا

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) فى م : « أذهب من » .

(٣) فى ذيل مرآة الزمان ، ونهاية الأرب وعقد الجمان جاءت صفته ، أنه الدوادار . ولم يُذكر فى الذيل على الروضتين . والمثبت موافق لما فى العبر . والدوادرية : تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وتقديم البريد ، هو وأمير جاندار وكاتب السر ، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب ، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شىء بمرسوم ؛ حمل رسالته وعينت فيما يكتب . انظر صبح الأعشى ٤/ ١٩.

يَبْلُغون عشَرةَ آلافِ فارسٍ، وهم (١ فى غايةِ الضعفِ ١)، وبقيةُ الجيشِ كلُّهم قد صُرِفوا عن إقْطاعاتِهم حتى اسْتَعْطَى كثيرٌ منهم فى الأسْواقِ وأبوابِ المساجدِ، وأنْشَد فيهم الشعراءُ القصائدَ يَرْثون لهم، ويَحْزَنُون على الإسلامِ وأهلِه، وذلك كلُّه عن آراءِ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمىِّ الرافضىِّ، وذلك أنه لما كان فى السنةِ الماضيةِ كان بينَ أهلِ السنةِ والرافضةِ حربٌ شديدةٌ، نُهِبَت فيها الكَرْخُ مَحَلَّةُ الرافضةِ، حتى نُهِبَت دُورُ قَراباتِ الوزيرِ، فاشْتَدَّ حَنَقُه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبَّر على الإسلامِ وأهلِه ما وقَع مِن الأمرِ الفَظيعِ الذى لم يُؤَرَّخْ أَشنعُ منه منذ بُنِيَت بغدادُ، وإلى هذه الأوقاتِ، ولهذا كان أولَ مَن برَز إلى التَّتارِ هو، فخرَج فى أهلِه وأصحابِه وخدَمِه وحَشَمِه، فاجْتَمَع بالسلطانِ هولاكوقان، لعَنه اللَّهُ تعالى، ثم عاد فأشار على الخليفةِ بالخروجِ إليه والمُثولِ بينَ يديه لتَقَعَ المُصالَحَةُ على أن يَكونَ نصفُ خَراجِ العراقِ لهم ونصفُه للخليفةِ، فاحْتاج الخليفةُ إلى أن خرَج فى سبعِمائةِ راكبٍ مِن القُضاةِ والفُقهاءِ والصوفيةِ ورُءوسِ الأمراءِ والدولةِ والأعيانِ، فلما اقْتَرَبوا [١٠/٥٠ظ] مِن منزلِ السلطانِ هولاكوقان حُجِبوا عن الخليفةِ إلا سبعةَ عشَرَ نفسًا، فخلَص الخليفةُ بهؤلاء المَذْكورين، وأُنْزِل الباقون عن مَراكِبِهم ونُهِبَت، وقُتِلوا عن آخِرِهم، وأُحْضِر الخليفةُ بينَ يدى هولاكو فسأَله عن أشياءَ كثيرةٍ، فيقالُ: إنه اضْطَرَب كلامُ الخليفةِ مِن هَوْلِ ما رأَى مِن الإهانةِ والجَبَروتِ، ثم عاد إلى بغدادَ وفى صحبتِه خواجا نَصِيرٌ الطُّوسىُّ، لعنةُ اللَّهِ عليه، والوزيرُ ابنُ العَلْقَمىِّ وغيرُهما، والخليفةُ تحتَ الحَوْطةِ والمُصادَرةِ، فأحْضَر مِن دارِ الخلافةِ شيئًا كثيرًا مِن الذهبِ والحُلِىِّ والمَصاغِ والجَواهرِ والأشياءِ النَّفيسةِ، وقد أشار أولئك المَلأُ مِن الرافضةِ، لعنةُ اللَّهِ عليهم، وغيرُهم مِن المنافِقِين على

(١ - ١) سقط من: م.

هولاكوقان أن لا يُصالحَ الخليفةَ ، وقال الوزيرُ : متى وقَع الصلحُ على المُناصَفةِ لا يَسْتَمِرُّ هذا إلا عامًا أو عامين ، ثم يَعودُ الأمرُ إلى ما كان عليه قبلَ ذلك . وحسَّنوا له قتْلَ الخليفةِ ، فلما عاد الخليفةُ إلى السلطانِ هولاكوقان أمَر بقتلِه ، ويقالُ : إن الذى أشار بقتلِه الوزيرُ ابنُ العَلْقَمىِّ والنصيرُ الطُّوسىُّ . وكان النَّصِيرُ عندَ هولاكوقان قد اسْتَصْحَبه فى خدمتِه لما فتَح قِلاعَ الأَلْموتِ وانْتَزَعها مِن أيدى الإسْماعيليةِ ، وكان النَّصِيرُ وزيرًا لشمسِ الشموسِ ولأبيه[1] مِن قبلِه عَلاءِ الدينِ ابنِ جَلالِ الدينِ ، وكانوا ينتسبون إلى نِزارِ بنِ المُسْتَنْصِرِ العُبَيْدىِّ ، وانْتَخَب هولاكوقان النَّصِيرَ ليَكونَ فى خدمتِه كالوزيرِ المُشِيرِ ، فلما قدِم هولاكوقان وتهَيَّب مِن قتلِ الخليفةِ هوّن عليه الوزيران[2] ذلك ، فقتَلوه رَفْسًا وهو فى جُوالقَ ؛ لئلا يَقَعَ إلى الأرضِ شىءٌ مِن دمِه ، خافوا أن يُؤْخَذَ بثأرِه فيما قيل لهم ، وقيل : بل خُنِق . ويقالُ : غُرِّقَ . فاللَّهُ أعلمُ . فباءوا بإثمِه وإثمِ مَن كان معه مِن ساداتِ العلماءِ والقُضاةِ والأكابرِ والرُّؤَساءِ والأمراءِ وأُولى الحَلِّ والعَقْدِ ببلادِ بغدادَ - وستَأْتى ترجمةُ الخليفةِ فى الوَفَياتِ - ومالوا على البلدِ ، فقتَلوا جميعَ مَن قدَروا عليه مِن الرجالِ والنساءِ والوِلدانِ والمَشايخِ والكُهولِ والشُّبَّانِ ، ودخَل كثيرٌ مِن الناسِ فى الآبارِ وأماكنِ الحُشوشِ ، وقُنِىِّ[3] الوَسَخِ ، وكمَنوا كذلك أيامًا لا يَظْهَرون ، وكان الفِئامُ مِن الناسِ يَجْتَمِعون فى الخاناتِ ، ويُغْلِقون عليهم الأبوابَ ، فتَفْتَحُها التتارُ إمَّا بالكسرِ أو بالنارِ ، ثم يَدْخُلون عليهم فيَهْرُبون منهم إلى أعالى المكانِ ، فيَقْتُلونهم فى الأسْطِحَةِ ، حتى تَجْرِىَ المَيازِيبُ مِن الدماءِ فى

---

(١) فى الأصل : « لابنه » .

(٢) فى م : « الوزير » .

(٣) قنى : جمع قناة . انظر الوسيط (ق ن و) .

الأَزِقَّةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، وكذلك فى المساجدِ والجَوامعِ والرُّبُطِ ، ولم يَنْجُ منهم أحدٌ سوى أهلِ الذِّمَّةِ مِن اليهودِ والنصارى ، ومَن الْتَجأ إليهم وإلى دارِ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمىِّ الرافضىِّ ، وطائفةٍ مِن التجارِ أخَذوا لهم أمانًا بذَلوا عليه أموالًا جَزيلةً حتى سلِموا وسلِمَت أموالُهم . وعادت بغدادُ بعدَما كانت آنَسَ المدنِ كلِّها كأنها خَرابٌ ليس فيها أحدٌ إلا القليلُ مِن الناسِ ، وهم فى خوفٍ وجُوعٍ وذِلةٍ وقِلةٍ . وكان الوزيرُ ابنُ العَلْقَمىِّ قبلَ هذه الحادثةِ يَجْتَهِدُ فى صرفِ الجُيوشِ وإسْقاطِ أسهمِهم[1] مِن الدِّيوانِ ، فكانت العَساكرُ فى آخِرِ أيامِ المُسْتَنْصِرِ قريبًا مِن مائةِ ألفِ مُقاتِلٍ ، فيهم مِن الأمراءِ مَن هو كالملوكِ الأكابرِ ، فلم يَزَلْ يَجْتَهِدُ فى تَقْليلِهم إلى أن لم يَبْقَ إلَّا عشَرةُ آلافٍ ، ثم كاتَب التَّتارَ ، وأطْمَعَهم [١٠/٥١و] فى أخْذِ البلادِ ، وسهَّل عليهم ذلك ، وجلَّى لهم حَقيقةَ الحالِ ، وكشَف لهم ضعفَ الرجالِ ، وذلك كلُّه طَمَعًا منه أن يُزيلَ السُّنَّةَ بالكُليةِ ، وأن يُظْهِرَ البِدْعةَ الرافضيةَ وأن يُقِيمَ خليفةً مِن الفاطِمِيِّين ، وأن يُبِيدَ العُلماءَ والمُفتِين ، واللَّهُ غالبٌ على أمْرِه ، وقد ردَّ كيدَه فى نحرِه ، وأذَلَّه بعدَ العِزةِ القَعْساءِ[2] ، وجعَله حوشكاشًا للتتارِ بعدَ ما كان وزيرًا للخُلفاءِ ، واكْتَسَب إثْمَ مَن قُتِل بمدينةِ بغدادَ مِن الرجالِ والنساءِ والأطْفالِ ، فالحكمُ للَّهِ العلىِّ الكبيرِ ربِّ الأرضِ والسماءِ .

وقد جرَى على بنى إسْرائيلَ ببيتِ المقدسِ قريبٌ ممَّا جرَى على أهلِ بغدادَ ، كما قصَّ اللَّهُ تعالى علينا ذلك فى كتابِه العزيزِ ، حيث يقولُ : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا

---

(١) فى م : « اسمهم » .

(٢) القعساء : الممتنعة الثابتة . انظر الوسيط (ق ع س) .

جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [الاسراء ٤، ٥] الآيات . وقد قُتِل مِن بنى إسْرائيلَ خَلْقٌ مِن الصُّلَحاءِ ، وأُسِر جماعةٌ مِن أولادِ الأنْبياءِ ، وخُرِّب بيتُ المَقْدِسِ بعدَما كان مَعْمورًا بالعبادِ والزُّهَّادِ والأحْبارِ والأنبياءِ ، فصار خاويًا على عُروشِه ، واهىَ البناءِ .

وقد اخْتَلَف الناسُ فى كميةِ مَن قُتِل ببغدادَ مِن المسلمين[1] فقيل : ثمانُمائةِ ألفٍ . وقيل : ألفُ ألفٍ وثمانُمائةِ ألفٍ . وقيل : بلَغَت القَتْلَى ألْفَىْ ألفِ نفسٍ . فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ العلىِّ العظيمِ .

وكان دخولُهم إلى بغدادَ فى أواخِرِ المُحَرَّمِ ، وما زال السيفُ يَقْتُلُ أهلَها أربعين صباحًا ، وكان قتلُ الخليفةِ المُسْتَعْصِمِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين يومَ الأربعاءِ رابعَ عشَرَ صفرٍ ، وعَفَى قبرُه ، وكان عمرُه يومَئذٍ ستًّا وأربعين سنةً وأربعةَ أشهرٍ ، ومدةُ خلافتِه خمسَ عشْرةَ سنةً وثمانيةُ أشهرٍ وأيامٌ ، وقُتِل معه ولدُه الأكبرُ أبو العباسِ أحمدُ ، وله خمسٌ وعشرون سنةً ، ثم قُتِل ولدُه الأوسطُ أبو الفضلِ عبدُ الرحمنِ ، وله ثلاثٌ وعشرون سنةً ، وأُسِر ولدُه الأصغرُ مُبارَكٌ ، وأُسِرَت أخَواتُه الثلاثُ ؛ فاطمةُ وخديجةُ ومريمُ ، وأُسِر مِن دارِ الخِلافةِ مِن الأبْكارِ ما يُقارِبُ ألفَ بكرٍ فيما قيل ، واللَّهُ أعلمُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وقُتِل أُستاذُدارِ[2] الخلافةِ الشيخُ مُحْيى الدينِ [3]يوسُفُ بنُ[3] الشيخِ أبى الفرجِ

---

(١) بعده فى م : « فى هذه الوقعة » .

(٢) فى الأصل ، وعقد الجمان : « استادار » . والمثبت موافق لما فى العبر وذيل مرآة الزمان ١٣٣/١ فى ترجمة محيى الدين هذا ، ولم يُذكر فى الذيل على الروضتين ونهاية الأرب . واستادار من الاستاداريَّة : وهى وظيفة موضوعها التحدث فى أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٠.

(٣ - ٣) فى عقد الجمان : « بن يوسف » . وانظر ما يأتى فى ترجمته ومصادرها ص ٣٧٦ .

ابنِ الجَوْزىِّ ، وكان عدُوَّ الوزيرِ ، وقُتِل أولادُه الثلاثةُ ؛ عبدُ الرحمنِ ، وعبدُ اللَّهِ ، وعبدُ الكريمِ ، وأكابرُ الدولةِ واحدًا بعدَ واحدٍ ، منهم الدُّوَيْدارُ الصغيرُ مُجاهِدُ الدينِ أيْبَك ، وشِهابُ الدينِ سليمان شاه ، وجَماعةٌ مِن أُمراءِ السُّنَّةِ وأكابرِ البلدِ .

وكان الرجلُ يُسْتَدْعَى به مِن دارِ الخلافةِ مِن بنى العباسِ ، فيَخْرُجُ بأولادِه ونسائِه وجواريه ، فيُذْهَبُ به إلى مَقْبَرةِ الخَلَّالِ ، تُجاهَ المَنْظَرةِ ، فيُذْبَحُ كما تُذْبَحُ الشاةُ ، ويُؤْسَرُ مَن يَخْتارُون مِن بناتِه وجَوارِيه .

وقُتِل شيخُ الشيوخِ مُؤَدِّبُ الخليفةِ صَدْرُ الدينِ علىُّ بنُ النَّيَّارِ ، وقُتِل الخُطَباءُ والأئمةُ ، وحَمَلةُ القرآنِ ، وتعَطَّلَت المساجدُ والجَماعاتُ والجُمعاتُ مدةَ شهورٍ ببغدادَ ، وأراد الوزيرُ ابنُ العَلْقَمىِّ ، قبَّحه اللَّهُ ولعَنه ، أن يُعَطِّلَ المَساجدَ والجوامعَ والمَدارسَ والرُّبُطَ ببغدادَ ، ويَسْتَمِرَّ بالمَشاهِدِ ومحَالِّ الرَّفْضِ ، وأن يَبْنىَ للرافضةِ مدرسةً هائلةً يَنْشُرون [١٠/٥١ظ] عِلْمَهم وعَلَمَهم بها وعليها ، فلم يُقْدِرْه اللَّهُ تعالى على ذلك ، بل أزال نِعْمتَه عنه ، وقصَف عمرَه بعد شهورٍ يَسيرةٍ مِن هذه الحادثةِ ، وأتْبَعه بولدِه فاجْتَمَعا - واللَّهُ أعلمُ - فى الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النارِ .

ولما انْقَضَى أمَدُ الأمرِ المَقْدورِ ، وانْقَضَت الأرْبعون يومًا بقِيَت بَغْدادُ خاويةً على عُروشِها ، ليس بها أحدٌ إلا الشاذُّ مِن الناسِ ، والقَتْلَى فى الطرقاتِ كأنها التُّلولُ ، وقد سقَط عليهم المَطَرُ ، فتغَيَّرت صُوَرُهم ، وأنْتَنَت البلدُ مِن جِيَفِهم ، وتغَيَّر الهواءُ ، فحصَل بسببِه الوَباءُ الشديدُ ، حتى تعَدَّى وسرَى فى الهواءِ إلى بلادِ الشامِ ، فمات خلقٌ كثيرٌ مِن تغيرِ الجوِّ وفَسادِ الرِّيحِ ، فاجْتَمَع على الناسِ الغَلاءُ والوَباءُ والفَناءُ والطَّعْنُ والطاعونُ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ولما نُودِى ببغدادَ بالأمانِ خرَج مَن كان تحت الأرضِ بالمَطامِيرِ والقُنىِّ

والمَغايِرِ[1] كأنهم الموْتَى إذا نُبِشوا مِن القبورِ ، وقد أنْكَر بعضُهم بعضًا ، فلا يَعْرِفُ الوالدُ ولدَه ولا الأخُ أخاه ، وأخَذَهم الوَباءُ الشديدُ ، فتَفانَوْا ولَحِقوا بمَن سلَف مِن القَتْلَى ، واجْتَمَعوا فى البِلَى تحتَ الثَّرَى ، بأمْرِ الذى يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى ، اللَّهُ لا إله إلا هو له الأسماءُ الحُسْنَى .

وكان رَحيلُ السلطانِ المُسَلَّطِ هولاكوقان عن بَغدادَ فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ إلى مَقَرِّ مُلْكِه ، وفوَّض أمْرَ بغدادَ إلى الأميرِ علىٍّ بَهادُر ، فوَّض إليه الشِّحْنَكِيَّةَ[2] بها وإلى الوزيرِ مؤيدِ الدينِ محمدِ بنِ العَلْقَمىِّ ، فلم يُمْهِلْه اللَّهُ ولا أهْمَله بعدُ ، بل أخَذه أخْذَ عزيزٍ مُقْتَدرٍ ، فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ عن ثلاثٍ وستين سنةً ، وكان عندَه فَضيلةٌ فى الإنْشاءِ ، ولديه فَضيلةٌ فى الأدبِ ، ولكنه كان شِيعيًّا جَلْدًا خَبيثًا رافِضيًا ، فمات كمَدًا وغَمًّا وحُزْنًا ونَدَمًا ، إلى حيث ألْقَتْ رَحْلَها أمُّ قَشْعَمٍ[3] ، فوَلِىَ بعدَه الوِزارةَ ولدُه عِزُّ الدينِ [4]أبو الفضلِ[4] محمدٌ ، فألْحَقه اللَّهُ بأبيه فى بقيةِ هذا العامِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وذكَر أبو شامةَ وشيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهبىُّ وقُطْبُ الدينِ اليُونينىُّ[5] ، أنه أصاب الناسَ فى هذه السنةِ بالشامِ وَباءٌ شديدٌ ، وذكَروا أن سببَ ذلك مِن فَسادِ

---

(١) فى م : « المقابر » .

(٢) الشحنكية : وظيفة يتولاها الشحنة وهو صاحب الشرطة أو متولى رئاسة الشرطة . دوزى . كذا ذكر معناه فى حاشية عقد الجمان ١/ ١٧٦.

(٣) هذه عبارة المصنف مأخوذة من قول زهير :

فشَدَّ ولم يُفْزِعْ بيوتًا كثيرةً ... لدى حيث ألقتْ رحلَها أمُّ قَشْعَمِ

وأم قشعم : الحرب ، وقيل : المَنِيَّة . وقيل : الضَّبُع . وقيل : العنكبوت . وقيل : الذِّلَّة . وبكلٍّ فُسِّر قولُ زهير المذكور . انظر اللسان (قشعم) .

(٤ - ٤) فى م : « بن الفضل » .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٩١، والعبر ٥/ ٢٢٦.

الهواءِ والجوِّ، فسَد مِن كثرةِ القَتْلَى ببلادِ العراقِ، وانْتَشَر حتى تعَدَّى إلى بلادِ الشامِ. فاللَّهُ أعلمُ.

وفى هذه السنةِ اقْتَتَل المِصْريون مع صاحبِ الكَرَكِ الملكِ المُغِيثِ عمرَ بنِ العادلِ بنِ أبى بكرِ بنِ العادلِ الكبيرِ، وكان فى جيشِه[1] جَماعةٌ مِن أمراءِ البَحْريةِ، منهم رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ، فكسَرهم المِصْريون، ونهَبوا ما كان معهم مِن الأثْقالِ والأموالِ، وأسَروا منهم جَماعةً مِن رءوسِ الأمراءِ، [2]فقُتِلوا صَبْرًا[2]، وعادوا إلى الكَرَكِ فى أَسْوأ حالةٍ وأشْنَعِها، وجعَلوا يُفْسِدون فى الأرضِ، ويَعِيثون فى البلادِ، فأرْسَل إليهم الناصرُ صاحبُ دمشقَ جيشًا ليَكُفَّهم عن ذلك، فكسَرهم البَحْريةُ، واسْتَنْصَروا فبرَز إليهم الناصرُ بنفِسه، فلم يَلْتَفِتوا إليه، وقطَعوا أطْنابَ خيمتِه التى هو فيها بإشارةِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ المذكورِ، وجرَت حروبٌ وخُطوبٌ يَطولُ بَسْطُها، وباللَّهِ المُسْتعانُ.

ذكرُ مَنْ تُوُفِّى فى هذه السنةِ مِن المشَاهيرِ والأعْيانِ:

خليفةُ الوقتِ المُسْتَعْصِمُ باللَّهِ[3] أميرُ المؤمنين، آخِرُ خلُفاءِ بنى العباسِ بالعراقِ، وهو أبو أحمدَ عبدُ اللَّهِ بنُ أميرِ المؤمنين [١٠/٥٢و] المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ أبى جعفرٍ منصورِ بنِ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين المُسْتَضِىءِ بأمرِ اللَّهِ أبى محمدٍ الحسنِ بنِ أميرِ المؤمنين

---

(١) فى م: «حبسه».

(٢ - ٢) زيادة من: م. توافق ما ذكره صاحب ذيل مرآة الزمان؛ أنه قُبض يومئذٍ على بعض الأمراء - سمّاهم هناك - وأُحضروا بين يدى سيف الدين قطز وبهادر وأُمِر بضرب أعناق هؤلاء الأمراء، فضُربت وحُملت رءوسهم إلى القاهرة.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٧٤، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٠، والعقد الثمين ٥/ ٢٩٠، وعقد الجمان ١/ ٢٠٥.

المُسْتَنْجِدِ باللَّهِ أبى المُظَفَّرِ يوسُفَ بنِ أميرِ المؤمنين المُقْتَفِى لأمرِ اللَّهِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ المُقْتَدِى بأمرِ اللَّهِ أبى القاسمِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأميرِ الذَّخِيرةِ أبى العباسِ محمدِ بنِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ القادرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ باللَّهِ أبى الفضلِ جعفرِ بنِ المُعْتضِدِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ المُوَفَّقِ أبى أحمدَ طَلْحةَ ابنِ المُتَوَكِّلِ على اللَّهِ أبى الفضلِ جعفرِ بنِ المُعْتَصِمِ باللَّهِ أبى إسحاقَ محمدِ بنِ الرَّشيدِ أبى محمدٍ هارونَ بنِ المَهْدىِّ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ المنصورِ أبى جعفرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ الهاشمىُّ العباسىُّ ، مَوْلِدُه سنةَ تسعٍ وستِّمائةٍ ، وبُويع له بالخِلافةِ فى العشرين مِن جُمادَى الأولى سنةَ أربعين ، وكان مَقْتَلُه فى يومِ الأربِعاءِ الرابعَ عشَرَ مِن صفرٍ سنةَ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، فيَكونُ عمرُه يومَ قُتِل سبعًا وأربعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، حسنَ الصُّورةِ ، جيدَ السيرةِ صحيحَ السَّريرةِ ، صَحيحَ العَقيدةِ ، مُقْتَدِيًا بأبيه المُسْتَنْصِرِ فى المَعْدَلةِ وكَثْرةِ الصَّدَقاتِ وإكْرامِ العلماءِ والعُبّادِ ، وقد اسْتَجاز له الحافظُ ابنُ النَّجّارِ مِن مَشايخِ خُراسانَ ، منهم المُؤَيَّدُ الطوسىُّ ، وأبو رَوْحٍ عبدُ المُعِزِّ[1] بنُ محمدٍ الهَرَوىُّ ، وأبو بكرٍ القاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ الصَّفَّارِ وغيرُهم ، وحدَّث عنه جَماعةٌ منهم مُؤَدِّبُه شيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ النَّيَّارِ ، وأجاز هو للإمامِ مُحْيى الدينِ بنِ الجَوْزىِّ ، وللشيخِ نَجْمِ الدينِ الباذَرائىِّ ، وحدَّثا عنه بهذه الإجازةِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « عبد العزيز » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان وسير أعلام النبلاء . وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٠٧.

وقد كان ، رحِمه اللَّهُ تعالى سُنِّيًا على طريقةِ السلفِ واعْتِقادِ الجماعةِ كما كان أبوه وجَدُّه ، ولكن كان فيه لِينٌ وعدمُ تَيَقُّظٍ ومَحَبَّةٌ للمالِ وجَمْعِه ، ومِن جملةِ ذلك أنه غَلَّ الوَديعةَ التى اسْتَوْدَعه إياها الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ ، وكانت قيمتُها نحوًا مِن مائةِ ألفِ دينارٍ ، فاسْتُقْبِح هذا مِن مثلِ الخليفةِ ، وهو مُسْتَقْبَحٌ ممَّن هو دونَه بكثيرٍ ؛ بل مِن أهلِ الكتابِ مَن إن تَأْمَنْه بقِنْطارٍ يُؤَدِّه إليك كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾[آل عمران : ٧٥] .

قتَلَته التَّتارُ مَظلومًا مُضْطَهَدًا فى يومِ الأربعاءِ رابعَ عشَرَ صفرٍ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ ستةٌ وأربعون سنةً وأربعةُ أشهرٍ . وكانت مدةُ خلافتِه خمسَ عشْرةَ سنةً وثمانيةَ أشهرٍ وأيامًا ، فرحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه ، وبلَّ بالرَّحمةِ ثَراه . وقد قُتِل بعدَه وَلَداه ، وأُسِر الثالثُ مع بناتٍ ثلاثٍ مِن صُلْبِه ، وشغَر مَنْصِبُ الخِلافةِ بعدَه ، ولم يَبْقَ فى بنى العباسِ مَن سدَّ مَسَدَّه ، فكان آخرَ الخلفاءِ مِن بنى العباسِ الحاكمين بالعَدْلِ بينَ الناسِ ، ومَن يُرْتَجَى منهم النَّوالُ ويُخْشَى منهم الباسُ ، وخُتِموا بعبدِ اللَّهِ المُسْتَعْصِمِ ، كما افتُتِحوا بعبدِ اللَّهِ السَّفَّاحِ ، (١) وكان عدةُ خلفاءِ بنى العباس إلى المستعصمِ سبعةً وثلاثين خليفةً ، فكان أولَهم عبدُ اللَّهِ السفاحُ (١) ، بُويع له بالخِلافةِ ، وظهَر مُلْكُه وأمْرُه فى سنةِ ثنتين وثلاثين ومائةٍ ، بعدَ انْقِضاءِ دولةِ بنى أميةَ كما تقَدَّم بيانُه ، وآخرُهم عبدُ اللَّهِ المُسْتَعْصِمُ ، وقد زال مُلْكُه ، وانْقَضَت خِلافتُه فى هذا العامِ ، أعنى سنةَ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ ، [١٠/٥٢ظ] فجملةُ أيامِهم خمسُمائةِ سنةٍ وأربعٌ وعشرون سنةً ، وزالت يدُهم عن العراقِ والحكمِ بالكليةِ مدةَ سنةٍ وشهورٍ فى أيامِ البَساسِيرىِّ بعدَ الخمسين وأربعِمائةٍ ، ثم عادت

(١ - ١) سقط من : م .

كما كانت . وقد بسَطنا ذلك فى موضعِه فى أيامِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ ، وللَّهِ الحمدُ .

ولم تَكُنْ أيدى بنى العباسِ حاكمةً على جَميعِ البلادِ كما كانت بنو أميةَ قاهرةً لجميعِ البلادِ والأقْطارِ والأمْصارِ ، فإنه قد خرَج عن بنى العباسِ بلادُ المغربِ ، ملَكها فى أوائلِ الأمرِ بعضُ بنى أميةَ ممَّن بقى منهم مِن ذريةِ عبدِ الرحمنِ ابنِ مُعاويةَ بنِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، ثم تغَلَّب عليه الملوكُ بعدَ دُهورٍ مُتَطاوِلةٍ كما ذكَرْنا ، وقارَن بنى العباسِ دولةُ المُدَّعِين أنهم مِن الفاطِمِيِّين ببلادِ مصرَ وبعضِ بلادِ المغربِ وما هنالك ، وبلادِ الشامِ فى بعضِ الأحْيانِ والحَرَمَيْن فى أزمانٍ طويلةٍ[1] .

واسْتَمَرَّت دولةُ الفاطِمِيِّين قريبًا مِن ثلاثِمائةِ سنةٍ حتى كان آخِرَهم العاضدُ الذى مات بعدَ الستين وخمسِمائةٍ فى الدولةِ الصَّلاحيةِ الناصريةِ المقَّدسيةِ كما ذكرنا ، وكانت عِدَّةُ مُلوكِ الفاطِمِيِّين أربعةَ عشَرَ ملِكًا[2] مُتَخَلِّفًا ، ومدةُ ملكِهم تَحْريرًا مِن سنةِ سبعٍ وتسعين ومائتين إلى أن تُوُفِّى العاضدُ سنةَ بضعٍ وستين وخمسِمائةٍ ، والعجبُ أن خلافةَ النبوةِ التاليةَ لزمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كانت ثلاثين سنةً ، كما نطَق بها الحديثُ الصحيحُ[3] ، فكان فيها أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، ثم علىٌّ ، ثم ابنُه الحسنُ بنُ علىٍّ ستةَ أشهرٍ حتى كمَلت بها الثلاثون ، كما قرَّرْنا ذلك فى دَلائلِ النبوةِ ، ثم كانت مُلْكًا ، فكان أولَ ملوكِ الإسلامِ مِن بنى أبى سفيانَ مُعاويةُ بنُ أبى سفيانَ صَخْرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ ، ثم ابنُه يزيدُ ، ثم

---

(١) بعده فى م : « وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر وتداولتها الملوك دولا بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال فى أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطا فى الحوادث والوفيات .

(٢) فى الأصل : « خليفة وإن شئت قلت » .

(٣) تقدم فى ٩/ ١٥٣، ١٥٤.

ابنُ ابنِه مُعاويةُ بنُ يزيدَ بنِ مُعاويةَ ، وانْقَرَض هذا البَطْنُ المُفْتَتَحُ بمُعاويةَ المُخْتَتَمُ بمُعاويةَ ، ثم ملَك مَرْوانُ بنُ الحكمِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَىٍّ ، ثم ابنُه عبدُ الملكِ ، ثم الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم أخوه سليمانُ ، ثم ابنُ عمِّه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثم يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم هشامُ بنُ عبدِ الملكِ ، ثم الوليدُ بنُ يزيدَ ، ثم يزيدُ بنُ الوليدِ ، ثم أخوه إبراهيمُ الناقصُ ، وهو ابنُ الوليدِ أيضًا ، ثم مَرْوانُ بنُ محمدٍ المُلَقَّبُ بالحِمارِ ، وكان آخرَهم ، فكان أولُهم اسمُه مَرْوانُ وآخِرُهم اسمُه مَرْوانُ[1] ، وكان أولَ خلفاءِ بنى العباسِ السَّفَّاحُ واسمُه عبدُ اللَّهِ ، وكانَ آخِرَهم المُسْتَعْصِمُ واسمُه عبدُ اللَّهِ ، كذلك أولُ خلفاءِ الفاطِمِيِّين اسمُه عبدُ اللَّهِ المهدىُّ[2] ، وآخِرُهم عبدُ اللَّهِ العاضدُ ، وهذا اتِّفاقٌ غريبٌ جدًّا ، قلَّ مَن يَتَنَبَّهُ له . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وهذه أُرْجوزةٌ لبعضِ الفُضلاءِ انتظَم فيها ذِكرَ جميعِ الخُلفاءِ[3] :

الحمدُ للَّهِ العظيمِ عَرْشُهُ ... القاهرِ الفَرْدِ القوىِّ بَطْشُهُ
مُقَلِّبِ الأيامِ والدُّهورِ ... وجامعِ الأنامِ للنُّشُورِ
ثم الصلاةُ بدَوامِ الأَبَدِ ... على النبىِّ المُصْطَفَى محمدِ
وآلِه وصحبِه الكِرامِ ... السادةِ الأئمةِ الأعْلامِ
[4]وبعدَ هذا هذه أُرْجوزةْ[4] ... نظَمْتُها لَطيفةٌ وَجيزةْ
نظَمْتُ فيها الرَّاشِدِين الخُلَفا ... مَن قام من بعدِ النبِىِّ المُصْطَفَى

---

(١) بعده فى م : « ثم انقرضوا من أولهم إلى آخرهم » .

(٢) فى م : « العاضد » .

(٣) نقلها العينى فى عقد الجمان ١/ ٢١٠.

(٤ - ٤) فى الأصل : « وبعد هذه أرجوزة » . وفى م : « وبعد فإن هذه أرجوزة » . والمثبت من عقد الجمان .

ومَـن تـلاهـمْ وهَـلُـمَّ جَـرًّا ... جـعَـلْـتُـهـا تَـبْـصِـرةً وذِكْـرَى

لِيَعْلَمَ العاقلُ ذو التَّصويرِ ... [١٠/٥٣و] كيف جرَت حَوادثُ الأمورِ

وكـلُّ ذى مَـقْـدِرةٍ ومُـلْـكِ ... مُـعَـرَّضـون لـلـفَـنـا والـهُـلْـكِ

وفى اخْتلافِ الليلِ والنهارِ ... تَـبْـصـرةٌ لـكـلِّ ذى اعْـتِـبـارِ

والمُلْـكُ لـلـجَـبّـارِ فـى بـلادِهِ ... يُـورِثُـهُ مَـن شـاء مِـن عـبـادِهِ

وكـلُّ مـخـلـوقٍ فـلـلـفَـنـاءِ ... وكـلُّ مُـلْـكٍ فـإلـى انْـتِـهـاءِ

ولا يَـدومُ غـيرُ مُلْكِ البارى ... سـبـحـانـه مِـن مَـلِـكٍ قَـهَّـارِ

مُـنْـفَـرِدٍ بـالـعِـزِّ والـبَـقـاءِ ... ومـا سـواه فـإلـى انْـقِـضـاءِ

أولُ مَـن بُـويِـع بـالخِلافـهْ ... بعدَ النبىِّ ابنُ أبى قُحافهْ

أعْنِى الإمامَ العادلَ[1] الصِّدِّيقا ... ثم ارْتَضَى مِن بعدِه الفَاروقا

فـفـتَـح الـبـلادَ والأمْـصـارَا ... واسْـتَـأْصَـلَـتْ سيُوفُهُ الكُفارَا

وقـام بـالـعَـدْلِ قِـيامًـا يُـرْضِـى ... بـذاك جـبـارَ الـسـمـا والأرضِ

ورضِـىَ الـنـاسُ بـذى الـنُّـورَيْـنِ ... ثـم عـلـىٍّ والـدِ الـسِّـبْـطَـيْـنِ

ثـم أتَـت كَـتـائـبٌ مع الحسنْ ... كادوا بأن يُجَدِّدوا بها الفِتَنْ

فـأصْـلَـح الـلَّـهُ عـلـى يـديـهِ ... كـمـا عَـزَا نـبـيُّنا إلـيـهِ

وأجمَع[2] الناسُ على مُعاويه ... ونـقَـل الـقـصـةَ كـلُّ راوِيَـه

فـمـهَّـد المُلْـكَ كـمـا يُـرِيـدُ ... وقـام فيه بـعـدَه يَـزيـدُ

ثـم ابـنُـه وكـان بَـرًّا راشـدا ... أَعْنِى أبا ليلى وكان زاهدا

---

(١) فى م: «الهادى».

(٢) فى م: «وجمع».

فتـرَك الإمْـرةَ لا عـن غـلَـبَـهْ ... ولم يَكُـنْ منـه إليـهـا طَـلِبَـهْ[1]

وابـنُ الـزبـيـرِ بـالحجـازِ يَـدْأَبُ ... فى طلبِ الملكِ وفيه يَنْصَبُ

وبـالـشـآمِ بـايَـعـوا مَـرْوانـا ... بحكْمِ مَن يقولُ كُنْ فكانا

ولم يَدُمْ فى الملكِ غيرَ عامِ ... وعـافَـصَـتـه أسـهـمُ الحِمـامِ

واسْتَوْسَق الملكُ لعبدِ الملكِ ... ونارَ[2] نَجْمُ سَعْدِه فى الفَلَكِ

وكـلُّ مَـن نـازَعَـهُ فـى الملـكِ ... خرَّ صَريعًا بسيوفِ الهُلْكِ

فـقـتَـل المُصْـعَـبَ بـالـعـراقِ ... وسيَّـر الحجـاجَ ذا الـشِّـقـاقِ

إلـى الحجـازِ بسيـوفِ النِّقَـمِ ... وابـنُ الـزبـيـرِ لائـذٌ بـالحَرَمِ

فـجـاء[3] بـعـدَ قـتـلِـه بـصَـلـبِـهِ ... ولم يَخَفْ فى أمرِه مِن ربِّهِ

وعـنـدَ مـا صـفَـتْ لـه الأمـورُ ... تـقَـلَّـبَـت لـحَـينِه[4] الـدُّهـورُ

ثـم أتـى مِـن بـعـدِه الـولـيـدُ ... ثـم سـلـيـمـانُ الـفَـتَـى الـرَّشِـيـدُ

ثم اسْتَفاض فى الوَرَى عدلُ عمرْ ... تـابـعَ أمـرَ ربِّـه كـمـا أمَـرْ

وكـان يُـدْعَـى بـأشَـجِّ الـقـومِ ... وذى الـصلاةِ والتُّقَـى والـصومِ

فـجـاء بـالـعَـدْلِ وبـالإحْـسـانِ ... وكـفَّ أهـلَ الـظـلـمِ والـطُّغْـيـانِ

مُـقْـتَـدِيًـا بـسـنـةِ الـرسـولِ ... والـراشِـدِيـن مِـن ذَوِى الـعُـقـولِ

فـجُـرِّع الإسـلامُ كـأسَ فَـقْـدِهِ ... ولم يـرَوا مِـثْـلًا لـه مِـن بـعـدِهِ

ثـم يـزيـدُ بـعـدَه هـشـامُ ... ثـم الـولـيـدُ فُـتَّ مـنـهُ الـهـامُ

---

(١) الطَّلِبة: الحاجة. الوسيط (ط ل ب).

(٢) فى العقد: «ثار». ونار: انتشر. الوسيط (ن و ر).

(٣) فى م: «فجار».

(٤) فى م: «بجسمه».

ثم يزيدُ وهْو يُدْعَى الناقصا ... فجاءه حِمامُهُ مُعافِصا
ولم تَطُلْ مدةُ إبْراهيمَا ... وكان كلُّ أمرِه سَقيمَا
وأسْنَد المُلكَ إلى مَرْوانا ... فكان مِن أمورِه ما كانا
وانْقَرَض المُلكُ على يَدَيْهِ ... وحادثُ الدهرِ سَطَا عليهِ
وقتْلُه قد كان بالصَّعيدِ ... ولم تُفِدْه كثرةُ العَديدِ
وكان فيه حَتْفُ آلِ الحكَمِ ... واسْتُنْزِعَت عنهم ضُروبُ النِّعَمِ
ثم أتَى مُلْكُ بنى العباسِ ... لا زال فينا ثابتَ الأساسِ
وجاءت البيعةُ مِن أرضِ العَجَمْ ... وقلَّدَت بيعتَهم كلُّ الأُمَمْ
وكلُّ مَن نازعَهم مِن أُمَمِ ... خرَّ صَريعًا لليدين والفَمِ
وقد ذكَرْتُ مَن تولَّى منهمُ ... حينَ تولَّى القائمُ المُسْتَعْصِمُ
أولُهم يُنْعَتُ بالسَّفَّاحِ ... وبعدَه المنصورُ ذو النَّجاحِ
ثم أتَى (١مِن بعدِه١) المهدىُّ ... يَتْلوه موسى الهادىَ الصَّفِىُّ
وجاء هارونُ [١٠/٥٣ظ] الرشيدُ بعدَهُ ... ثم الأمينُ حين ذاق فقدَهُ
وقام بعدَ قتلِه المأمونُ ... وبعدَه المُعْتَصِمُ المَكِينُ
واسْتُخْلِف الواثقُ بعد المُعْتَصِمْ ... ثم أخوه جعفرٌ مُوفِى الذِّمَمْ
وأخْلَص النيةَ فى التَّوَكُّلِ(٢) ... للَّهِ ذى العَرْشِ القديمِ الأولِ(٣)
فأدْحَض البدعةَ(٤) فى زمانِهْ ... وقامت السُّنَّةُ فى أوانِهْ

(١ - ١) فى الأصل: «محمد».
(٢) فى الأصل، م: «المتوكل»، وهو تحريف. والمثبت من عقد الجمان.
(٣) فى الأصل: «الأزلى».
(٤) فى الأصل: «الباطل».

ولم يُبَقِّ بِدْعَةً مُضِلَّهْ وألْبَس المُعْتَزِلِىَّ ذِلَّهْ[1]
فرحمةُ اللَّهِ عليه أبدا ما غار نَجْمٌ فى السماءِ أو بَدَا
وعندَما اسْتَشْهَد قام المُنْتَصِرْ والمُسْتَعِينُ بعدَه كما ذُكِرْ
وجاء بعدَ موتِه المُعْتَزُّ والمُهْتَدِى المكرَّمُ[2] الأعَزُّ
وبعدَه اسْتَوْلَى وقام المُعْتَمِدْ ومهَّد المُلْكَ وساس المُعْتضِدْ[3]
والمُكْتَفِى فى الصحُفِ العُلْيا سُطِرْ وبعدَه ساس الأمورَ المُقْتَدِرْ
واسْتَوْسق الملكُ بعِزِّ القاهرِ وبعدَه الراضى أخو المَفاخرِ
والمُتَّقى مِن بعدُ والمُسْتَكْفِى ثم المُطِيعُ ما به مِن خُلْفِ
والطائعُ الطائعُ ثم القادرُ والقائمُ الزاهدُ وهْو الشاكرُ
والمُقْتَدِى مِن بعدِه المُسْتَظْهِرُ ثم أتَى المُسْتَرْشِدُ المُوَقَّرُ
وبعدَه الراشدُ ثم المُقْتَفِى وحينَ مات اسْتَنْجَدوا بيوسُفِ
والمستضى العادلُ فى أفعالِهِ الصادقُ الصدوقُ فى أقوالِهِ
والناصرُ الشهمُ الشديدُ الباسِ ودام طولُ مُكْثِه فى الناسِ
ثم تلاهُ الظاهرُ الكريمُ وعَدْلُه كلٌّ بهِ عليمُ
ولم تَطُلْ أيامُه فى المملكهْ غيرَ شهورٍ واعترتْهُ الهلَكَهْ
وعهدُه كان إلى المستنصرِ العادلِ البَرِّ الكريمِ العنصرِ
دام يسوسُ الناسَ سبْعَ عشْرَهْ وأشهرًا بعَزَماتٍ برّهْ
ثم تَوُفِّى عامَ أربعينا وفى جُمادى صادفَ المنونا

---

(١) فى م: «ثوب ذلة».
(٢) فى م: «الملتزم».
(٣) فى م: «المقتصد».

وبـايَـعَ الخلائـقُ المُسْـتَـعْـصِـمـا صـلَّـى عـلـيـهِ ربُّـنـا وسـلَّـمـا
(١يَبعثُ نُجْبَ١) الرُّسْلِ فى الآفاقِ يـقـضُـون بـالـبـيـعـةِ والـوِفـاقِ
وشـرّفـوا بـذكـرِه المنـابـرا ونـشـروا(٢) مـن جُـودِهِ المَفـاخِـرا
وسار فى الآفاقِ حُسْنُ سيرتِهْ وعـدلُـهُ الـزائـدُ فـى رعـيـتِـهْ

قال الشيخ عمادُ الدينِ ابنُ كثيرٍ: ثم قلت أنا بعدَ ذلك أبياتًا:

ثـم ابـتـلاه اللَّـهُ بـعـدُ بـالـتـتـارِ أتـبـاعِ (٣جِـنْـكِـز الخانِ٣) الجبَّـارِ
(٤صحبةَ إبْنِ ابنٍ له٤) هولاكو فـلـمْ يَـكُـنْ مـن أَمْـرِهِ فِـكَـاكُ
فـمـزَّقـوا جـنـودَه وشـمـلَـهُ وقَـتَـلـوهُ نـفـسَـه وأَهْـلَـهُ
ودمَّـروا بـغـدادَ والـبـلادا وقَـتَّـلـوا الأحـفـادَ والأجْـدادا
وانـتـهـبـوا المالَ مـع الحريمِ ولم يـخـافـوا سـطـوةَ الـعـظـيـمِ
وغـرَّهـمْ إنـظـارُه وحِـلْـمُـهُ ومـا اقـتـضـاه عـدلُـه وحـكـمُـهُ
وشَـغَـرتْ مـن بـعـدِه الخلافـهْ ولم يـؤرِّخْ مـثْـلُـهـا مـن آفـهْ
ثـم أقـام المَلْكُ(٥) أعنى الظاهرا خـلـيـفـةً أَعْـنِـى بـه المستنصرا
ثـم وَلِـى من بعدِ ذاك الحاكمُ قـسـيـمُ بَـيْـبَـرْسَ الإمـامُ الـعـالمُ
ثـم ابـنُـه الخلـيـفـةُ المستـكْـفِـى وبـعـضُ هـذا لـلَّـبِـيـبِ يـكْـفِـى
ثـم وَلِـى مـن بـعـدِه جـمـاعـهْ مـا عـنـدَهـمْ عـلـمٌ ولا بـضـاعـهْ

(١ - ١) فى م: «فأرسل».
(٢) فى الأصل: «بشروا».
(٣ - ٣) فى الأصل: «جنكزخان»، وفى م: «جنكيزخان». والمثبت من عقد الجمان.
(٤ - ٤) فى م: «صحبته ابن ابنه».
(٥) المَلْك: المَلِك. اللسان (م ل ك).

ثم (١خليفةُ الوقتِ١) المعتضِدْ ... ولا يكادُ الدهرُ مِثْلَهُ يَجِدْ
فى حُسْنِ خُلْقٍ واعتقادٍ وحِلَى ... وكيف لا وهْو من (٢الشُّمِّ الأُلَى٢)
سادوا البلادَ والعبادَ فضلا ... ومَلَئُوا الأقطارَ [١٠/٥٤و] حِكَمًا وعدلًا
أولادِ عمِّ المصطفى محمدِ ... وأفضلِ الخلقِ بلا تردُّدِ
صلَّى عليهِ اللَّهُ ذو الجلالِ ... ما دامتِ الأيامُ والليالى

فصلٌ

والفاطميون قليلو العدَّهْ ... لكنهمْ مُدَّ لهمْ فى المدَّهْ
فَمُلِّكوا بضعًا وستينَ سَنهْ ... من بعدِ مائتين وكانتْ كالسِّنَهْ
والعِدَّةُ اربعَ عشْرةَ المهدِىُّ ... والقائمُ المنصورُ والمَعْدِىُّ
أعنى بهِ المعزَّ بانِى القاهرَهْ ... ثم العزيزُ الحاكمُ الكوافِرَهْ
والظاهرُ المسْتَنْصِرُ المستعْلِى ... والآمرُ الحافظُ سوءَ الفعلِ
والظافرُ الفائزُ ثم العاضدُ ... آخرُهمْ وما لهذا جاحدُ
أُهْلِكَ بعدَ البِضْعِ والسِّتِّينا ... من قبلِها خمسُمائةٍ سِنينا
(٣وقد رقَمْتُ العُمْرَ فوق الاسم ... ومُدَّةَ الدولةِ تحت الرسْمِ
وقد بسطنا ذاك فيما سلَفا٣) ... وأصلُهم يهودُ (٤ما هم٤) شُرفا

(١ - ١) فى م: «تولى وقتنا». وفى الوزن اضطراب.
(٢ - ٢) فى الأصل: «السم الأولى»، وفى م: «السيم الأولى».
(٣ - ٣) سقط من: م. وقد أعلم المصنف - كما قال - بالأرقام عمر كل واحد منهم ومدة ملكه، ولكن جاءت الأرقام مختلطة وغير واضحة.
(٤ - ٤) فى م: «ليسوا».

بـذاك أفـتـى الـسـادةُ الأئـمـةْ أنصارُ دينِ اللّهِ من ذى الأمةْ

فصـلٌ

وهـكـذا خُـلْـفـا بـنـى أمـيـةْ عـدَّتُـهـم كـعـدَّةِ الـرفـضـيَّـةْ
ولـكـنِ المدةُ كـانـت نـاقـصـةْ عن مائةٍ من السنين خالصةْ
وكـلُّـهـمْ قـد كـان نـاصـبـيّـا إلا الإمـامَ عـمـرَ الـتـقـيّـا
مُـعـاويـةْ ثـم ابـنُـهُ يـزيـدُ وابـنُ ابـنِـه مُـعـاوىَ الـسـديـدُ[1]
مَرْوانُ ثم ابنٌ له عبدُ الملكْ مُنابِذٌ لابنِ الزُّبيرِ حتى هَلَكْ
ثـم اسـتـقـلَّ بـعـدَه بـالمُلْـكِ فى سائرِ الأرضِ بغيرِ شكٍّ
ثم الوليدُ النَّجْلُ بانى الجامعِ وليس مثلُ شكلِه من جامعِ
ثـم سـلـيـمـانُ الجوَادُ وعـمـرْ ثـم يـزيـدُ وهـشـامٌ وغُـدَرْ
أعنى الوليدَ بنَ يزيدَ الفاسِقا ثـم يـزيـدُ بـنُ الـولـيـدِ فـائِـقـا
يُلَقَّبُ الناقصَ وهْو كاملُ ثُـمَّـت إبـراهـيـمُ وهْـوَ عـاقـلُ
ثـم مـروانُ الحمـارُ الجَعْـدِى آخِرُهم فاظفرْ بذا من بَعْدِى[2]

---

(١) فى الأصل : « السعيد » .

(٢) بعده فى م :

« والحمد للّه على التمام كذاك نحمده على الإنعام
ثم الصلاة مع تمام العدد على النبى المصطفى محمد
وآلـه وصـحـبـه الأخـيـار فى سائر الأوقات والأعصار
وهذه الأبيات نظم الكاتب ثـمـانـيـة تـتـمـة المناقـب »

وممَّن قُتِل مع الخليفةِ **واقفُ الجَوْزيةِ بدمشقَ أستاذُ دارِ الخلافةِ الصاحبُ مُحْيى الدينِ يوسُفُ** بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ أبى الفرجِ بنِ الجَوْزىِّ عبدِ الرحمنِ ابنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبد اللَّهِ بنِ حمّادِ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ بنِ النَّضْرِ بنِ محمدِ بنِ أبى بكرٍ الصِّديقِ القرشىُّ التَّيْمىُّ البَكْرىُّ البَغْدادىُّ الحَنْبلىُّ المعروفُ بابنِ الجوزىِّ[(١)] ، وُلِد فى ذى القَعْدةِ سنةَ ثمانين وخمسِمائةٍ ، ونشَأ شابًّا حسنًا ، وحينَ تُوُفِّى أبوه وعَظ فى موضعِه ، فأحْسَن وأجاد وأفاد ، ثم تقدَّم وولِى حِسْبةَ بغدادَ مع الوَعْظِ الرائقِ والأشعارِ الحسنةِ الرائقةِ ، وولِى تَدْريسَ الحَنابلةِ بالمُسْتَنْصِريةِ سنةَ ثنتين وثلاثين وستِّمائةٍ ، وكانت له تَدارِيسُ أُخَرُ ، [(٢)]ثم لما ولِىَ مؤيدُ الدينِ بنُ العلقمىِّ الوِزارةَ وشغَر عنه الأُستاذْدارية وَلِيَها محيى الدينِ هذا[(٢)] ، وانْتَصَب ابنُه عبدُ الرحمنِ للحِسْبةِ والوَعْظِ ، [(٣)]فأجاد فيها ، وشَعَرَ أيضًا حسنًا[(٣)] ، ثم كانت الحِسْبةُ تَنْتَقِلُ فى بَنيه الثلاثةِ ؛ جمالِ الدينِ عبدِ الرحمنِ ، وشرفِ الدين عبدِ اللَّهِ ، وتاجِ الدين عبدِ الكريمِ ، وقد قُتِلوا معه فى هذه السنةِ ، رحِمهم اللَّهُ . ولمُحْيى الدينِ هذا مُصَنَّفٌ فى مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، وقد ذكَر له ابنُ الساعى أشعارًا حسنةً يُهَنِّئُ بها الخليفةَ فى المَواسِمِ والأعيادِ ، تَدُلُّ على فَضيلةٍ تامَّةٍ وفَصاحةٍ بالغةٍ ، وقد وقَف المدرسةَ الجَوْزيةَ بدمشقَ ، وهى مِن أحسنِ المدارسِ وأوجهِهَا ، تقَبَّل اللَّهُ منه وأثابه برحمتِه .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٢، والعبر ٥/ ٢٣٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٨، وعقد الجمان ١/ ١٨٤.

(٢ - ٢) فى م : « ولى أستاذ دار الخلافة وكان رسولا للملوك من بنى أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء » .

(٣ - ٣) سقط من : م . و « شعر » أى نظم الشعر .

الصَّرْصَرىُّ المادحُ : يَحْيَى [١٠/٥٤ظ] **بنُ يوُسفَ بنِ يحيى بنِ منصورِ بنِ المُعَمَّرِ بنِ**[(١)] **عبدِ السلامِ** ، الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ البارعُ ، جَمالُ الدينِ أبو زكريا الصَّرْصَرىُّ ، الشاعرُ[(٢)] المادحُ الحَنْبلىُّ الضَّريرُ البَغْدادىُّ ، وشعرُه فى مَدائِحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مَشْهورٌ ، ودِيوانُه فى ذلك مَعْروفٌ غيرُ مَنْكورٍ ، [(٣)]وُلد سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ والفقهَ واللغةَ[(٣)] ، ويقالُ : إنه كان يَحْفَظُ « صِحاحَ الجَوْهرىِّ » بكَمالِها . وصحِب الشيخَ علىَّ بنَ إدريسَ تلميذَ الشيخِ عبدِ القادرِ ، وكان ذَكِيًّا يَتَوَقَّدُ[(٤)] ، يَنْظِمُ على البَدِيهةِ سَريعًا أشياءَ حسنةً فصيحةً بَليغةً ، وقد نظَم « الكافىَ » للشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ ، و « مُخْتَصَرَ الخِرَقىِّ » ، وأما مَدائحُه فى رسولِ اللَّهِ ﷺ فيُقالُ : إنها تَبْلُغُ عشرين مُجَلَّدًا[(٥)] . ولما دخَل التَّتارُ إلى بغدادَ دُعِى إلى [(٦)]دارٍ بها قَرْمانٌ من هولاكو[(٦)] ، فأبَى أن يُجِيبَ إليه ، وأعَدَّ فى دارِه حِجارةً ، فحينَ دخَل عليه التتارُ رماهم بتلك الأحْجارِ ، فهشَم منهم جَماعةً ، فلما خلَصوا إليه قتَل بعُكَّازِه أحدَهم ، ثم قتَلوه شهيدًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى وأكرَم مَثواه ، وله مِن العمرِ ثمانٍ وستون سنةً . وقد أوْرَد له الشيخُ قطبُ

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الذيل على مرآة الزمان ١/ ٢٥٧، والعبر ٥/ ٢٣٧، وفوات الوفيات ٤/ ٢٩٨، ونكت الهميان ص ٣٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٢، وعقد الجمان ١/ ١٨٥، والسلوك ١/٤١٣ (القسم الثانى) .

(٢) فى م : « الفاضل » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده فى م : « نورا » .

(٥) بعده فى م : « وما اشتهر عنه أنه مدح أحدًا من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء » .

(٦ - ٦) فى الأصل : « دار بها قرمان بن هولاكو » ، وفى م : « ذارئها كرمون بن هولاكو » . والمثبت من عقد الجمان نقلا عن المصنف . وليس لهولاكو ابن اسمه قرمان . انظر جامع التواريخ ١/٣٢٣ - ٣٢٩، وعقد الجمان ١/ ٦٦٣، وفيهما سرد لأبناء هولاكو . والقرمان : الأمر . المعجم الذهبى ص ٤٣٠.

الدينِ اليُونِينىُّ مِن دِيوانِه قطعةً صالحةً فى ترجمتِه فى «الذَّيْلِ»[1]، اسْتَوْعَب حُروفَ المُعْجَمِ كلَّها، وذكَر قَصائدَ طِوالًا كثيرةً حسنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

البَهاءُ زُهَيْرٌ صاحبُ الدِّيوانِ[2]، وهو زُهَيْرُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ الحسنِ[3] بنِ جعفرِ بنِ منصورِ بنِ عاصِمٍ المُهَلَّبىُّ العَتَكىُّ المصرىُّ، وُلِد بمكةَ، ونشَأ بقُوصَ، وأقام بالقاهرةِ، الشاعرُ المُطَبِّقُ، الكاتبُ الجَوَّادُ فى حسنِ الخطِّ، له ديوانٌ مشهورٌ، وقدِم على السلطانِ المَلِكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبَ، وكان غَزيرَ المُروءةِ، حسَنَ التَّوَسُّطِ فى إيصالِ الخيرِ إلى الناسِ، ودفْعِ الشرِّ عنهم، وقد أثْنَى عليه القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ[4]، وقال: أجاز لى رِوايةَ دِيوانِه، [5]وهو مشهورٌ[5]. وقد بسَط ترجمتَه الشيخُ قطبُ الدِّينِ اليُونِينىُّ.

الحافظُ زَكِىُّ الدينِ المُنْذِرىُّ عبدُ العظيمِ بنُ عبدِ القَوِىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامةَ بنِ سعدِ بنِ سعيدٍ[6]، الإمامُ العلَّامةُ الحافظُ أبو محمدٍ زَكِىُّ الدينِ المُنْذِرىُّ الشافعىُّ المصرىُّ، وأصلُه مِن الشامِ، ولكنَّه وُلِد بمصرَ، وكان شيخَ الحديثِ بها مدةً طويلةً، إليه الوِفادةُ والرِّحْلةُ مِن سنينَ مُتطاولةٍ، [7]وقيل: إنه[7]

---

(١) الذيل على مرآة الزمان ١/٢٥٨ - ٣٣٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢، والذيل على مرآة الزمان ١/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٥، والعبر ٥/ ٢٣٠، وعقد الجمان ١/ ١٨٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٦.

(٣) فى الأصل، م: «الحسين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢، ٣٣٦.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٦، والعبر ٥/ ٢٣٢، وفوات الوفيات ٢/ ٣٦٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٥٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٢٣.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

وُلِد بالشامِ سنةَ إحدى وثمانين وخمسِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ، ورحَل وطلَب، وعُنِى بهذا الشأنِ، حتى فاق أهلَ زمانِه فيه، وصنَّف وخرَّج، واخْتَصَر «صحيحَ مسلمٍ»، و«سننَ أبى داودَ»، وهو أحسنُ اخْتِصارًا مِن الأولِ، وله يدٌ طولَى فى اللغةِ والفقهِ والتاريخِ، وكان ثقةً حُجَّةً مُتَحَرِّيًا زاهدًا، وتُوُفِّى يومَ السبتِ رابعَ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ بدارِ الحديثِ الكامليةِ بمصرَ. ودُفِن بالقَرافةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

النُّورُ أبو بكرٍ[1] **محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ**[2] **عبدِ الرحيمِ**[2] **بنِ رُسْتُمَ الإسْعَرْدىُّ**، الشاعرُ المشهورُ الخَليعُ، كان القاضى صَدْرُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ قد أجْلَسه مع الشهودِ تحتَ الساعاتِ[3]، ثم اسْتَدْعاه الناصرُ صاحبُ البلدِ، وجعَله مِن جُلَسائِه ونُدَمائِه، وخلَع عليه خِلَعَ الأجْنادِ، فانْسَلَخ مِن هذا الفنِّ إلى غيرِه، وجمَع كتابًا سمَّاه «الزَّرْجُون فى الخَلاعةِ والمُجونِ» وذكَر فيه أشياءَ كثيرةً مِن النَّظْمِ والنَّثْرِ فى الخَلاعةِ، [١٠/٥٥و] ومِن شعرِه:

لذةُ العمرِ خمسةٌ فاقْتَنِيها ... مِن خَليعٍ غدا أديبًا فَقيهَا
فى نَديمٍ وقَيْنةٍ وحَبيبٍ ... ومُدامٍ وسبِّ مَن لام فيها

الوزيرُ ابنُ العَلْقَمىِّ الرافضىُّ، قبَّحه اللَّهُ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ، الوزيرُ مُؤَيِّدُ الدينِ أبو طالبٍ بنُ العَلْقمىِّ البَغْدادىُّ[4]،

---

(١) بعده فى الأصل، م: «بن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الوافى بالوفيات ١/ ١٨٨، وفوات الوفيات ٣/ ٢٧١، والسلوك ١/ ٤١٤ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ١٨٩، وفى الدليل الشافى ٢/ ٦٨٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٤.

(٢ - ٢) فى الوافى بالوفيات، وفوات الوفيات: «عبد الصمد».

(٣) انظر ما تقدم عن الساعات فى ١٢/ ٥٩٩.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦١، والعبر ٥/ ٢٣٥، والوافى بالوفيات ١/ ١٨٤، وفوات الوفيات =

خدَم فى أيامِ المُسْتَنْصِرِ أُستاذَ دارِ الخلافةِ مدةً طويلةً ، ثم استَوزره المُسْتَعْصِمُ ، ولم يكنْ وزيرَ صِدْقٍ ، فإنه كان مِن الفُضلاءِ الأُدَباءِ ، إلا أنه كان رافضيًّا خَبيثًا ، رَدئَ الطَّوِيةِ على الإسْلامِ وأهلِه ، وقد حصَل له مِن التعظيمِ والوَجاهةِ فى أيامِ المُسْتَعْصِمِ ما لم يَحْصُلْ لكثيرٍ ممَّن قبلَه مِن الوُزراءِ ، ثم مالأَ على الإسلامِ وأهلِه للتتارِ أصحابِ هولاكوقان ، حتى جاءوا فجاسوا خِلالَ الديارِ وكان أمرًا مفعولًا ، ثم حصَل له مِن الإهانةِ فى أيامِهم والقِلةِ والذلَّةِ وزوالِ سَتْرِ اللَّهِ ، ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، رأَته امرأةٌ وهو راكبٌ فى أيامِ التتارِ بِرْذَوْنًا ، وسائقٌ يَضْرِبُ فرسَه ، فوقَفَت إلى جانبِه وقالت : يا بنَ العَلْقميِّ ، هكذا كان بنو العباسِ يُعامِلونك ؟ فوقَعَت كلمتُها فى قلبِه ، وانْقَطَع فى دارِه إلى أن مات كَمَدًا فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ مِن هذه السنةِ ، وله مِن العمرِ ثلاثٌ وستون سنةً ، ودُفِن فى قُبورِ الرَّوافِضِ ، وقد سمِع بأذنيه ورأَى بعينَيْه مِن الإهانةِ مِن التتارِ والمسلمين ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، وتوَلَّى بعدَه ولدُه الوِزارةَ ، ثم أخَذه اللَّهُ إليه سريعًا ، وقد هجاه بعضُ الشعراءِ فقال :

يا فِرْقةَ الإسلامِ نُوحُوا وانْدُبوا ... أسَفًا على ما حلَّ بالمُسْتَعْصِمِ
دَسْتُ الوِزارةِ كان قبلَ زمانِه ... لابنِ الفُراتِ فصار لابنِ العَلْقَمِى

محمدُ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَيْدَرةَ ، فتحُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ العَدْلِ[1] ، مُحْتَسِبُ دمشقَ ، كان مِن الصدورِ المَشكورِين ، حسنَ الطريقةِ ،

= ٣/ ٢٥٢، ومرآة الجنان ٤/١٤٧ - وفى هذه المصادر : « محمد بن محمد بن على بن أبى طالب » - وعقد الجمان ١/ ٢٠٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٢، وفيهما : « محمد بن أحمد بن على بن أبى طالب » .

(١) الوافى بالوفيات ٣/ ٢٥٧، وعقد الجمان ١/ ١٩٠.

وجدُّه العَدْلُ نَجيبُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ حَيْدَرةَ ، وهو واقفُ المدرسةِ التى بالزَّبَدانىِّ[1] فى سنةِ تسعين وخمسِمائةٍ ، تقَبَّل اللَّهُ منه .

القُرْطبىُّ صاحبُ « المُفْهِم فى شرحِ مسلمٍ » : أحمدُ بنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ بنِ عمرَ ، أبو العباسِ الأنصارىُّ القُرْطُبىُّ المالكىُّ[2] ، الفَقيهُ المُحَدِّثُ المُدَرِّسُ بالإسْكَنْدَريةِ ، وُلِد بقُرْطبةَ سنةَ ثمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ هناك ، واخْتَصَر « الصحيحَيْن » ، وشرَح « صحيحَ مسلمٍ » بكتابِه المُسَمَّى بـ « المُفْهِمِ » ، وفيه أشياءُ حسَنةٌ مُفِيدةٌ مُحَرَّرةٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الكَمالُ إسحاقُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ[3] ، أحدُ مَشايخِ الشافعيةِ ، أخَذ عنه الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّواوىُّ وغيرُه ، وكان مُدَرِّسًا بالرَّواحيةِ ، وكانت وفاتُه فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ .

العِمادُ داودُ بنُ عمرَ بنِ [4]**يوسفَ بنِ**[4] **يحيى بنِ عمرَ بنِ كاملٍ أبو المَعالى وأبو سليمانَ الزُّبَيْدىُّ المَقْدسىُّ ثم الدمشقىُّ** ، خطيبُ بيتِ الآبارِ ، وقد خطَب بدمشقَ ستَّ سنين بعدَ انفصالِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ عنها ، ودرَّس بالغَزّاليَّةِ ، ثم عُزل عنها وعاد إلى بيتِ الآبارِ ، فمات بها .

---

(١) الزبدانى : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك . معجم البلدان ٢/ ٩١٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٩٥، والعبر ٥/ ٢٢٦، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٦٤، والديباج المذهب ١/ ٢٤٠، وعقد الجمان ١/ ١٩٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٩.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٤٨، والعبر ٥/ ٢٠٥، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٠٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٢٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٤١. ووقع فى هذه المصادر أن وفاته كانت فى سنة خمسين وستمائة . غير أن الحافظ الذهبى عاد وذكره فى سنة ست وخمسين فى العبر ٥/ ٢٢٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠١، والعبر ٥/ ٢٢٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٤٢.

عليُّ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ، صَدْرُ الدينِ أبو الحسنِ بنُ النَّيَّارِ[1] شيخُ الشيوخِ ببغدادَ، وكان أولًا مُؤَدِّبًا للإمامِ المُسْتَعْصِمِ باللَّهِ، فلما صارَت الخِلافةُ إليه نال الشيخُ رِفْعَةً عظيمةً ووَجاهةً هائِلةً، وولاه مشيخةَ الشيوخِ ببغدادَ، وانتَظَمت إليه أَزِمَّةُ الأمورِ، ثم إنه [١٠/٥٥ظ] ذُبِح بدارِ الخلافةِ كما تُذْبَحُ الشاةُ فى هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ العابدُ عليٌّ الخَبَّازُ[2]، كان له أصحابٌ وأتباعٌ ببغدادَ، وله زاويةٌ يُزارُ فيها، قتَلَته التَّتارُ، وأُلْقِى على مَزْبَلةٍ ببابِ زاويتِه ثلاثةَ أيامٍ حتى أكَلَت الكلابُ مِن لحمِه، ويقالُ: إنه أخْبَر بذلك عن نفسِه فى حياتِه، رحِمه اللَّهُ تعالى.

محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ بنِ أبى [3]**الفَتْحِ، أبو**[3] **عبدِ اللَّهِ المَقْدسىُّ خطيبُ مَرْدا**[4]، سمِع الكثيرَ، وعاش تسعين سنةً، وقدِم فى سنةِ ثلاثٍ وخمسين، فسمِع الناسُ عليه الكثيرَ بدمشقَ، ثم عاد فمات ببلدِه فى هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ.

البدرُ لؤلؤٌ صاحبُ الموصلِ المُلَقَّبُ بالملكِ الرحيمِ[5]، كانت وفاتُه فى

---

(١) عقد الجمان ١/ ١٩١، والدليل الشافى ١/ ٤٧٧.

(٢) العبر ٥/ ٢٣٣، وعقد الجمان ١/ ١٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٠.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وفى م: «الفرج أبو». والمثبت من مصادر ترجمته؛ سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٢٥، والعبر ٥/ ٢٣٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٢١٩، وعقد الجمان ١/ ١٩٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٧، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٣.

(٤) فى م: «براد». ومردا: قرية قرب نابلس. معجم البلدان ٤/ ٤٩٣.

(٥) كنز الدرر ٨/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٦، والعبر ٥/ ٢٤٠، ومرآة الجنان ٤/ ١٤٨، وعقد الجمان ١/ ١٩٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٩.

وقد ذكرت هذه المصادر وفاته فى سنة سبع وخمسين وستمائة ما عدا عقد الجمان، فذكره فى وفيات هذه السنة نقلا عن المصنف.

شعبانَ مِن هذه السنةِ عن مائةِ سنةٍ[1] ، وقد ملَك المَوْصِلَ نحوًا مِن خمسين سنةً ، وكان ذا عقلٍ ودَهاءٍ ومَكْرٍ ، لم يَزَلْ يَعْمَلُ على أولادِ أُسْتاذِه حتى أبادهم ، وزالت الدولةُ الأتابَكيةُ عن الموصلِ ، ولما انفَصَل هولاكوقان عن بغدادَ بعدَ الوقعةِ الفَظيعةِ ، سار إلى خدمتِه مُتاقيًا[2] له ، ومعه الهَدايا والتُّحَفُ ، فأكْرَمه واحْتَرَمه ، ورجَع مِن عندِه ، فمكَث بعدَ مَرْجِعِه بالموصلِ أيامًا يَسيرةً ، ثم مات ، ودُفِن بمدرستِه البَدْريةِ ، وتأسَّف الناسُ عليه لحُسْنِ سِيرتِه وجَودةِ مَعْدِلتِه ، وقد جمَع له الشيخُ عِزُّ الدينِ بنُ الأثيرِ كتابَه المُسَمَّى بـ « الكاملِ فى التاريخِ » ، فأجازه عليه ، وأحْسَن إليه ، وكان يُعْطِى لبعضِ الشعراءِ ألفَ دينارٍ ونحوَها ، وقد قام فى الملكِ بعدَه ولدُه الصالحُ إسماعيلُ .

وقد كان بدرُ الدينِ لؤلؤٌ أرْمَنيًّا اشْتَراه رجلٌ خَيَّاطٌ ، ثم صار إلى المَلِكِ نورِ الدينِ أرسلان شاه بنِ عِزِّ الدينِ مسعودِ بنِ مودودِ بنِ زَنْكِى بنِ آقْسُنْقُرَ الأتابَكىِّ صاحبِ الموصلِ ، وكان مَليحَ الصورةِ ، فحظِى عندَه ، وتقَدَّم فى دولتِه إلى أن صارت الكلمةُ دائرةً عليه ، والوفودُ مِن سائرِ جهاتِ مُلْكِهم إليه . ثم إنه أَخْنى على أولادِ أُسْتاذِه[3] فقتَلهم غِيلةً واحدًا بعدَ واحدٍ ، إلى أن لم يَبْقَ معه أحدٌ منهم ، فاسْتَقَلَّ بالملكِ حينَئذٍ ، وصفَت له الأمورُ وراقَت ، وكان يَبْعَثُ فى كلِّ سنةٍ إلى مشهدِ علىٍّ قِنْديلًا[4] زِنَتُه ألْفُ دينارٍ ، وقد بلَغ مِن العُمرِ قريبًا مِن تسعين

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى كنز الدرر : « نيف وخمسة وثمانين سنة » ، وفى سير أعلام النبلاء : « عاش قريبا من تسعين سنة » - ووافقه المصنف فى آخر الترجمة - وفى عقد الجمان : « ثمانين سنة » ، وفى النجوم الزاهرة : « فى عشر التسعين سنة » ، وفى شذرات الذهب : « نيف على الثمانين » .

(٢) فى م : « طاعة » . وقوله : « متاقيا » لعلها من معنى التقيَّة .

(٣) أخنى عليهم : غدر بهم . انظر اللسان (خ ن و) .

(٤) بعده فى م : « ذهبًا » .

سنةً ، وكان شابًّا حسنَ الشبابِ ، مِن نَضارةِ وجهِه ، وحُسْنِ شكلِه ، وكانت العامةُ تُلَقِّبُه بقَضيبِ الذهبِ ، وكان ذا هِمَّةٍ عاليةٍ ، وداهيةً شديدَ المكرِ ، بعيدَ الغَوْرِ[(١)] .

الملكُ الناصرُ داودُ بنُ المُعَظَّمِ[(٢)] ، ترْجَمه الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونينيُّ فى تَذْييلِه على « المِرْآةِ »[(٣)] فى هذه السنةِ ، وبسَط ترجمتَه جدًّا ، وما جرَى له مِن مُبْتَدَأ أمرِه إلى [(٤)]آخرِ زمانِه ، وأورَد مِن أشعارِه وأقوالِه شيئًا كثيرًا ، وأفاد أشياءَ حسنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى[(٤)] . وقد ذكَرْنا ترجمتَه [(٥)(٦)]فى الحوادثِ[(٦)] ، واللَّهُ أعلمُ ، وقد مَلَك بعدَ أبيه مدينةَ دِمشقَ وأعمالَها مدةً ، ثم تمالأ عليه عمّاه الكاملُ والأشرفُ وانتزعاها مِن يدِه ، وعوَّضاه منها الكَرَكَ والصَّلْتَ وعَجْلونَ ونابُلُسَ ، ثم ذهَب ذلك كلُّه من يدِه وصار إلى العراقِ[(٥)] ، فاستَودَع الخليفةَ المُسْتَعْصِمَ فى سنةِ سبعٍ وأربعين وَديعةً قِيمتُها مائةُ ألفِ دينارٍ ، فغلَّها ولم يردَّها إليه ، وتكَرَّر وُفودُه إليه وتوَسُّلُه بالناسِ فى ردِّها إليه ، فلم يُفِدْ مِن ذلك شيئًا ، ومِن أحسنِ مَقاماتِ [١٠/٥٦و] الناصرِ داودَ ؛ لمّا حضَر الدرسَ بالمُستَنصِرِيَّةِ فى سنةِ ثلاثٍ وثلاثين وستِّمائةٍ ، والخليفةُ حاضرٌ ، فقام الفقيهُ وجيهُ الدينِ القَيْروانيُّ فامتدح الخليفةَ بقصيدةٍ قال فى بعضِها :

---

(١) بعده فى م : « وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب فى كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه ، والله أعلم » .

(٢) تقدمت ترجمته فى صفحة ٣٥١.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦.

(٤ - ٤) فى م : « آخره » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) فى الأصل : « فيما بعد » . وقد تقدمت فى التراجم .

لو كنتَ فى يومِ السَّقيفةِ حاضرًا كنتَ المُقَدَّمَ والإمامَ الأَرْوَعا[1]

فقال له الناصرُ داودُ : أَخْطَأْتَ ؛ قد كان جَدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ حاضرًا يومَ السَّقيفةِ[2] ، وإنما كان المُقَدَّمَ والإمامَ الأَرْوَعا أبو بكرٍ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدَق . وخلَع عليه ، ونفَى الوَجيهَ القَيْرَوانىَّ[3] إلى مصرَ ، [4]فدرَّس فى مدرسةِ الوزيرِ صفىِّ الدينِ بنِ شُكْرٍ[4] ، وكانت وفاةُ الناصرِ داودَ بقريةِ البُوَيْضا مُرَسَّمًا عليه ، وشهِد جِنازتَه صاحبُ دمشقَ[5] .

---

(١) وفى م : « الأورعا » . وانظر : ذيل مرآة الزمان ١/ ١٣٦.

(٢) بعده فى م : « ولم يكن المقدم وهو أفضل من أمير المؤمنين » .

(٣) فى الأصل ، م : « الفزارى » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ١/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٩.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « حلب » . وكانت دمشق وحلب كلتاهما للملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازى بن الناصر فاتح القدس .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وخمسين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ[1] وليس للمسلمين خَليفةٌ، وسلطانُ دمشقَ وحلَبَ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ العزيزِ محمدِ بنِ الظاهرِ غازى بنِ الناصرِ فاتحِ بيتِ المقدسِ، وهو واقعٌ بينَه وبينَ المصريين[2]، وقد ملَّكوا نُورَ الدينِ عليَّ ابنَ المُعِزِّ أيْبَك التُّرْكمانيَّ، ولقَّبوه بالمنصورِ، وقد أرْسَل الملكُ الغاشمُ هولاكوقان إلى الملكِ الناصرِ بدمشقَ يَسْتَدْعِيه إليه، فأرْسَل ولدَه العزيزَ وهو صغيرٌ، ومعه هَدايا كثيرةٌ وتحفٌ، فلم يَحْتَفِلْ به هولاكو، وغضِب على أبيه إذ لم يُقْبِلْ إليه[3]، وقال: أنا الذى أَسِيرُ إلى بلادِه بنفسى. فانْزَعَج الناصرُ لذلك، وبعَث بحَريمِه وأهلِه إلى الكَرَكِ ليُحَصِّنَهم بها، وخاف أهلُ دمشقَ خوفًا شديدًا حين بلَغهم أن التَّتارَ قد قطَعوا الفراتَ، فصار كثيرٌ منهم إلى الديارِ المصريةِ فى زمنِ الشتاءِ، ومات كثيرٌ منهم ونُهِب آخرون، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وأقْبَل هولاكو، فقصَد نحوَ الشامِ بجُنودِه وعَساكرِه، وقد كانت ميّافارِقِين قد امْتَنَعَت على التتارِ مدةَ سنةٍ ونصفٍ، فأرْسَل إليها ولدَه أَشموطَ، فافْتَتَحها قَسْرًا، واسْتَنْزَل ملكَها الكاملَ بنَ الشِّهابِ غازى بنِ العادلِ، فأرْسَله إلى أبيه وهو مُحاصِرٌ حلبَ، فقتَله بينَ يديه، واسْتَناب عليها بعضَ مَماليكِ الأشْرَفِ، وطِيف

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠١ - ٢٠٣، وذيل مرآة الزمان ١/٣٤٢ - ٣٤٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٨١ - ٣٨٤، ٤٦٧ - ٤٧٠، والعبر ٥/ ٢٣٨، وعقد الجمان ١/٢١٧ - ٢٢٤.

(٢) أى: والحرب قائمة بينه وبين المصريين.

(٣) بعده فى م: «وأخذ ابنه».

برأسِ الكاملِ فى البلادِ ، ودخَلوا برأسِه إلى دمشقَ ، فنُصِب على بابِ الفَرادِيسِ البَرَّانىِّ ، ثم دُفِن بمسجدِ الرأسِ (١داخلَ بابِ الفَراديسِ الجَوَّانىِّ١) ، فنظَم أبو شامةَ[٢] فى ذلك قَصيدةً يَذْكُرُ فيها فَضْلَه وجهادَه ، وشبَّهه بالحسينِ فى قتلِه مَظْلومًا ، ودُفِن رأسُه عندَ رأسِه .

وفيها عمِل الخَواجا نَصِيرُ الدينِ الطُّوسىُّ الرَّصَدَ[٣] بمدينةِ مَرَاغةَ ، ونقَل إليه شيئًا كثيرًا مِن كتبِ الأوْقافِ التى كانت ببغدادَ ، وعمِل دارَ حِكْمةٍ فيها فَلاسِفةٌ ، لكلِّ واحدٍ فى اليومِ ثلاثةُ دَراهمَ ، ودارَ طِبٍّ ، فيها للحكيمِ فى اليومِ درهمان ، ومدرسةً ، لكلِّ فقيهٍ فى اليومِ درهمٌ ، ودارَ حديثٍ ، لكلِّ مُحَدِّثٍ نصفُ درهمٍ فى اليومِ .

وفيها قدِم القاضى الوزيرُ كَمالُ الدينِ عمرُ بنُ أبى جَرادةَ المَعْروفُ بابنِ العَديمِ إلى الديارِ المصريةِ رسولًا مِن صاحبِ دمشقَ الناصرِ بنِ العزيزِ يَسْتَنْجِدُ المِصْرِيِّين على قِتالِ التَّتارِ ، بأنهم قد اقْتَرَب قُدومُهم إلى الشامِ ، وقد اسْتَوْلَوْا على بلادِ الجَزيرةِ (٤وحَرَّانَ٤) وغيرِها ، فى هذه السنةِ ، وقد جاز أشموطُ بنُ هولاكو الفُراتَ ، [١٠/٥٦ظ] واقترَب مِن مدينةِ حَلبَ ، فعُقِد عند ذلك مجلسٌ بينَ يدى المنصورِ ابنِ المُعِزِّ التُّرْكمانىِّ ، وحضَر قاضى الديارِ المصريةِ بدرُ الدينِ السِّنْجارىُّ ، والشيخُ عِزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ ، وأفاضوا الكلامَ فيما يَتَعَلَّقُ بأخْذِ شىءٍ مِن أموالِ العامَّةِ لمُساعَدةِ الجُنْدِ ، وكانت العُمْدةُ على ما يَقُولُه ابنُ عبدِ السلامِ ، فكان

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، حوادث سنة ثمان وخمسين وستمائة .

(٣) الرصد : دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء . انظر السلوك ١/ ٤٢٠، ٤٢١ (القسم الثانى) .

(٤ - ٤) سقط من : م .

حاصلُه : إذا لم يَبْقَ فى بيتِ المالِ شىءٌ ، وأنْفَقْتُم الحَوائِصَ[1] الذَّهَبَ وغيرَها مِن الزِّينةِ ، وتساوَيْتُم أنتم والعامَّةُ فى الملابِسِ سوى آلاتِ الحربِ ، ولم يَبْقَ للجُنْدىِّ شىءٌ سوى فرسِه التى يَرْكَبُها ، ساغ أخْذُ شىءٍ مِن أموالِ الناسِ فى دفعِ الأعْداءِ ؛ لأنه إذا دهَم العدوُّ وجَب على الناسِ كافةً أن يدفعوهم بأموالِهم وأنفسِهم .

وِلايةُ الملكِ المُظَفَّرِ قُطُز

وفيها قبَض الأميرُ سيفُ الدينِ قُطُز على ابنِ أُسْتاذِه نُورِ الدينِ علىٍّ المُلَقَّبِ بالمنصورِ ، وذلك فى غَيْبةِ أكثرِ الأمراءِ مِن مَماليكِ أبيه وغيرِهم فى الصيدِ ، فأمْسَكَه وسَيَّره مع أمِّه وابنيه وإخْوتِه[2] إلى بلادِ الأشكرى[3] ، وتسَلْطَن هو ، وسمَّى نفسَه بالملكِ المُظَفَّرِ ، وكان هذا مِن رحمةِ اللَّهِ تعالى بالمسلمين ، فإنه الذى يسَّر اللَّهُ على يديه كَسْرَةَ التَّتارِ كما سيَأْتى بيانُه إن شاء اللَّهُ تعالى . وهذا الذى اعْتَذَر به إلى[4] ابنِ العَديمِ ، فإنه قال : لابد للناسِ مِن سلطانٍ قاهرٍ يُقاتِلُ التتارَ ، وهذا صبىٌّ صغيرٌ لا يَعْرِفُ تَدْبيرَ المَمْلكةِ .

وفيها برَز الملكُ الناصرُ صاحبُ دمشقَ إلى وَطْأةِ بَرْزَةَ فى جَحافلَ كثيرةٍ مِن

---

(١) فى م : « الحوائض » .

(٢) فى نهاية الأرب وعقد الجمان أنه سيره مع أمه وأخيه . ولم تذكر بقية المصادر ذلك .

(٣) كذا فى عقد الجمان ، وذكر أيضًا هو والنويرى فى نهاية الأرب أنه سُفِّر هو وأخوه وأمهما إلى القسطنطينية ، فلعلها هى المقصودة ببلاد الأشكرى ، وذكر فى حاشية عقد الجمان أن المقصود الدولة البيزنطية .

(٤) بعده فى م : « الفقهاء والقضاة وإلى » . وليس فى المصادر اعتذاره هذا ، ولكن ذكر فى عقد الجمان أن تولى قطز السلطة كان بحضرة ابن العديم .

الجيشِ والمُطَّوِّعةِ والأعْرابِ وغيرِهم ، ولما علِم ضعفَهم عن مُقاومةِ المَغولِ ارفضَّ[1] ذلك الجَمْعُ ، ولم يَصبرْ[2] لا هو ولا هم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها تُوُفِّى مِن الأعْيانِ :

واقفُ الصَّدْريةِ[3] الرئيسُ صَدْرُ الدينِ أسْعَدُ [4]بنُ عثمانَ بنِ أسعدَ[4] بنِ المُنَجَّا[5] بنِ بَرَكاتِ بنِ مُؤَمَّلٍ[6] التَّنوخىُّ المَعَرِّىُّ[7] ، ثم الدِّمشقىُّ الحَنْبلىُّ ، أحدُ المُعَدِّلِين ذوِى الأموالِ والمُروءاتِ والصَّدَقاتِ الدارَّةِ البارَّةِ ، وقَف مدرسةً للحَنابلةِ ، وقبرُه بها إلى جانبِ تربةِ القاضى المصرىِّ فى رأسِ دَرْبِ الرَّيْحانِ مِن ناحيةِ الجامعِ الأُمَوىِّ[8] ، وقد ولِى نظرَ الجامعِ مدةً ، وقد اسْتَجَدَّ أشْياءَ كثيرةً ، منها سوقُ النَّحَّاسِين قِبلىَّ الجامعِ ، ونقَل الصاغةَ إلى مكانِها الآن ، وقد كانت قبلَ ذلك حيث يُقال لها : الصاغةُ العَتيقةُ . وجدَّد الدَّكاكِينَ التى بينَ أعْمِدةِ الزِّيادةِ[9] ، وثَمَّر للجامعِ أموالًا جَزيلةً ، وكانت له صَدَقاتٌ كثيرةٌ ، وذُكِر عنه أنه

---

(١) ارفضَّ : تفرَّق . الوسيط (ر ف ض) .

(٢) فى م : « يسر » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣، والعبر ٥/ ٢٣٩، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٨، والسلوك ١/ ٤٢١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ٢٢٥. وقد جاء اسمه مختصرا على الشهرة فى الذيل على الروضتين والسلوك « صدر الدين أسعد بن المنجا » وزاد فى السلوك كنيته « أبا الفتوح » . وانظر الحواشى القادمة .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، وليس فى عقد الجمان . والمثبت من العبر والوافى والذيل على طبقات الحنابلة .

(٥) فى م : « المنجاة » .

(٦) فى الوافى : « المؤيد » . وقد ذكره على الصواب فى ترجمة جده القاضى وجيه الدين بن المنجا ٩/ ٤٤.

(٧) فى الأصل ، م : « المغربى » . والمثبت من عقد الجمان لانفراده بذكر النسبة . وانظر أيضا نسبته فى ترجمة جده القاضى وجيه الدين فى سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٦.

(٨) فى الأصل : « المبرور » .

(٩) فى م : « الزيارة » .

يَعْمَلُ[1] صنعةَ الكِيميا ، وأنه صحَّ معه[2] عملُ الفضةِ ، وعندى أن هذا لا يَصِحُّ عنه . واللَّهُ أعلمُ .

الشيخُ يوسفُ القَمينىُّ[3] كان يُعْرَفُ بالأقْمِينىِّ ؛ لأنه كان يَسْكُنُ قَمينَ حَمَّامِ نورِ الدينِ الشَّهيدِ ، وكان يَلْبَسُ ثيابًا طِوالًا تَحُفُّ[4] على الأرضِ ، ويَبُولُ فى ثيابِه ، ورأسُه مَكْشوفٌ ، وله أحوالٌ وكُشوفٌ كثيرةٌ ، وكان كثيرٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم يَعْتَقِدون صلاحَه ووِلايتَه ؛ وذلك لأنهم لا يَعْلَمون [5]أن الكُشوفَ قد تَصْدُرُ مِن المُؤمنِ والكافرِ كما كان ابنُ صَيَّادٍ ، ومن البَرِّ والفاجرِ[5] ، فلابدَّ مِن اخْتبارِ صاحبِ الحالِ بالكتابِ والسنةِ ، فمَن وافَق حالُه الكتابَ والسنةَ ، فهو رجلٌ صالحٌ [١٠/٥٧و] سواءٌ كاشَف أم لا ، ومَن لم يُوافِقْ فليس برجلٍ صالحٍ سواءٌ كاشَف أم لا .

قال الشافعىُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى[6] : إذا رأيْتُم الرجلَ يَمْشِى على الماءِ ، ويَطِيرُ فى الهواءِ ، فلا تَغْتَرُّوا به حتى تَعْرِضوا أمْرَه على الكتابِ والسنةِ .

ولما مات دُفِن بتربةٍ بسفحِ قاسِيونَ ، وهى مشهورةٌ به شَرْقىَّ [7]تربةِ أبى عمرَ المقدسىِّ[7]

---

(١) فى م : « كان يعرف » .

(٢) فى عقد الجمان : « عنده » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٨، والعبر ٥/ ٢٤٠، وعقد الجمان ١/ ٢٢٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٩.

(٤) فى م : « تحف » . وتجحف : تجرف . اللسان (ج ح ف) .

(٥ - ٥) فى م : « شرائط الولاية ولا الصلاح ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر كالرهبان وغيرهم وكالدجال وابن صياد وغيرهم فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسى ولاسيما من يكون مجنونا أو غير نقىّ الثياب من النجاسة » .

(٦) أخرجه البيهقى فى مناقب الشافعى ١/ ٤٥٣ بإسناده عنه بنحوه .

(٧ - ٧) سقط من : م .

الرَّواحيةِ ، وهى مُزَخْرَفةٌ ، قد اعْتَنَى بها بعضُ من كان يَعْتَقِدُ فيه[1] . وكانت وفاتُه فى سادسِ شعبانَ مِن هذه السنةِ . وكان الشيخُ إبراهيمُ[2] الجيعانةُ لا يَتَجاسَرُ[3] أن يَدْخُلَ البلدَ والقَمِينىُّ حىٌّ ، فيومَ مات الأقمينىُّ دخَلها [4]وكان بالشَّاغُورِ[4] ، ودخَل العَوامُّ معه يَصِيحون ويَصْرُخون . [5]وهم أتْباعُ كلِّ ناعقٍ[5] .

الشمسُ علىُّ بنُ النُّشَبِىُّ[6] المُحَدِّثُ ، ناب فى الحِسْبةِ عن الصَّدْرِ البَكْرىِّ ، فى أيامِه ، وقرَأ الكثيرَ بنفسِه ، وسمِع وأسْمَع ، وكتَب بخطِّه كثيرًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

أبو عبدِ اللَّهِ الفاسىُّ شارحُ « الشاطبيةِ »[7] ، اشْتَهَر بالكُنْيةِ ، وقيل : إن اسمَه القاسمُ . وكانت وفاتُه بحلبَ ، وكان عالمًا فاضلًا فى العربيةِ والقِراءاتِ وغيرِ ذلك ، وقد أجاد فى شرحِه « للشاطبيةِ » وأفاد ، واسْتَحْسَنه الشيخُ شهابُ الدينِ

---

(١) بعده فى م : « فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة وهذا كله من البدع » .

(٢) بعده فى م : « بن سيعد » . ولم نجد قصته هذه فى مصادر ترجمة يوسف القمينى .

(٣) بعده فى م : « فيما يزعم » .

(٤ - ٤) سقط من : م . والشاغور : محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة فى ظاهر المدينة . معجم البلدان ٣/ ٢٣٦.

(٥ - ٥) فى م : « أذن لنا فى دخول البلد . وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، فقيل لجيعانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضا فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن بالشاغور وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة ، وقد دفن جيعانة عنده فى تربته بالسفح . واللَّه أعلم بأحوال العباد » .

(٦) فى الأصل ، م : « الشبى » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : الذيل على الروضتين ص ١٩٩، والعبر ٥/ ٢٣٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٨، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٠، وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٧) الذيل على الروضتين ص ١٩٩، والعبر ٥/ ٢٣٥، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٣٣، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٥٤، والجواهر المضية ٣/ ١٣٠، وعقد الجمان ١/ ١٩٤. وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

أبو شامةَ شارحُها أيضًا .

النَّجْمُ أخو البدرِ مُفَضَّلٌ[1] ، وكان شيخَ الفاضليةِ بالكَلَّاسةِ ، وكان له إجازةٌ مِن السِّلَفيِّ .

خطيبُ العُقَيْبةِ[1] **بدرُ الدينِ يحيى بنُ الشيخِ عِزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ** ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ على جدِّه[2] ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

سعدُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ مُحْيى الدينِ بنِ عَربيٍّ[3] ذكَره أبو شامةَ ، وأثْنَى عليه فى فَضيلتِه وأدبِه وشعرِه ، [4]وذكَر ما يَدُلُّ على فَضِيلتِه وأدبٍ وشعرٍ فيه قوةٌ[4] .

وقد ذكَر أبو شامةَ[3] وفاةَ الملكِ الناصرِ داودَ فى هذه السنةِ ، [5]وقد قدمنا ترجمتَه فى التى قبلُ[5] .

سيفُ الدينِ بنُ صَبِرةَ[3] مُتَوَلِّى شُرْطةِ دمشقَ ، ذكَر أبو شامةَ أنه حينَ مات جاءَت حيةٌ فنهَشَت أفْخاذَه ، وقيل : إنها الْتَفَّت فى أكْفانِه ، وأعْيَى الناسَ دفعُها . قال : وقيل : إنه كان نُصَيْرِيًّا[6] رافضيًّا خَبيثًا مُدْمِنَ خمرٍ . نَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ .

النَّجِيبُ بنُ شُقَيْشِقَةَ[7] **الدِّمشقيُّ** ، أحدُ الشهودِ بها ، له سَماعُ حَديثٍ ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٩، ذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٢) أى على قبر جده ، كما فى الذيل على الروضتين .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠. ذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٤ - ٤) فى م : « هذا إن لم يكن من أتباع أبيه » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) نُصَيْريا : منسوب إلى النُّصَيْرِيَّة وهى طائفة من الزنادقة مشهورة يقولون بألوهية علىٍّ ، تعالى اللَّه علوا كبيرا . انظر تاج العروس (ن ص ر) .

(٧) فى م : « شعيشعة » . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٢٠١، والعبر ٥/ ٢٣٦، وعقد الجمان ١/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٥. وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة عندهم .

ووقَف دارَه بدَرْبِ البانِياسيِّ دارَ حديثٍ ، وهى التى كان يَسْكُنُها شيخُنا الحافظُ المِزِّىُّ[1] قبلَ انْتِقالِه إلى دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ . قال أبو شامةَ[2] : وكان ابنُ شُقَيْشِقةَ ، وهو النَّجيبُ أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ بنُ أبى [3]العزِّ بنِ أبى[3] طالبٍ الشَّيْبانىُّ ، مَشْهورًا بالكذبِ ورِقَّةِ الدينِ وغيرِ ذلك ، وهو أحدُ الشهودِ المَقْدوحِ فيهم ، ولم يَكُنْ بحالٍ[4] أن يُؤْخَذَ عنه . قال : وقد أجْلَسه أحمدُ بنُ يحيى [5]بنِ هبةِ اللَّهِ[5] المُلَقَّبُ بالصَّدْرِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ فى حالِ وِلايتِه قضاءَ القُضاةِ بدمشقَ ، فأنْشَد فيه بعضُ الشعراءِ :

جلَس الشُّقَيْشقةُ الشَّقىُّ ليَشْهَدا ... بِأَبيكُما[6] ماذا عدا فيما بدا
هل زُلزِلَ الزِّلْزالُ أم قد أُخرِجَ الدَّ ... جالُ أم عُدِم الرجالُ ذَوُو الهُدَى
عجبًا لمَحْلولِ العَقيدةِ جاهلٍ ... بالشرعِ قد أذِنوا له أن يَعْقِدا[7]

[١٠/٥٧ظ] قال أبو شامةَ[8] : فى سنةِ سبعٍ وخمسين وستِّمائةٍ تُوفِّى شخصٌ زِنْديقٌ يَتَعاطَى الفَلْسفةَ والنَّظرَ فى علمِ الأوائلِ ، وكان يَسْكُنُ مَدارسَ فقهاءِ المسلمين ، وقد أفْسَد عَقائدَ جَماعةٍ مِن الشبابِ المُشْتَغِلِين فيما بلَغَنى ، وكان

---

(١) فى الأصل : « المعزى » .
(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠١.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى م : « بأهل » .
(٥ - ٥) سقط من : م . وأجلسه : يعنى أجلسه شاهدًا .
(٦) فى م : « تبا لكم » .
(٧) فى م : « يقعدا » . ولعل مناسبة ذكر هذا اللفظ أن ابن سنى الدولة ميزه بأن جعله عاقدًا للأنكحة ، كما صرح بذلك صاحب الذيل على الروضتين .
(٨) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢.

(١ يَتَجاهَرُ باسْتِنْقاصِ الأنبياءِ عليهم السلامُ ، وهو يُعْرَفُ (٢ بابنِ الفَخْرِ ٢) بنِ البديعِ البندهيِّ ، كان ١) أبوه يَزْعُمُ أنه مِن جملةِ تَلامِذةِ (٣ الفَخْرِ الرّازيِّ ابنِ خَطيبِ الرَّيِّ ٣) صاحبِ المُصَنَّفاتِ ٤) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الذيل على الروضتين : « بالفخر » . وانظر عقد الجمان ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، فقد ترجمه نقلا عن أبى شامة بمثل ما أثبتناه .

(٣ - ٣) فى م : « ابن خطيب الرى الرازى » .

(٤) بعده فى م : « حية ولد حية » .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وخمسين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ بيومِ الخميسِ وليس للناسِ خَليفةٌ ، ومَلِكُ العِراقَيْن وخُراسانَ وغيرِ ذلك مِن بلادِ الشرقِ السلطانُ هولاكوقان مَلِكُ التَّتارِ ابنُ تُولى بنِ جنْكِزْخان ، وسلطانُ ديارِ مصرَ الملكُ المُظَفَّرُ سيفُ الدينِ قُطُز مملوكُ المُعِزِّ أيْبَك التُّرْكُمانيِّ ، وسلطانُ دمشقَ وحلَبَ الملكُ الناصرُ بنُ العزيزِ بنِ الظاهرِ غازى بنِ الناصرِ فاتحِ القدسِ ، وبلادُ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ للملكِ المُغِيثِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، وهو حِزبٌ[2] مع الناصرِ صاحبِ دمشقَ على المصريين ، ومعهما الأميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ ، وقد عزَموا على قتالِ المصريين وأخْذِ البلدِ منهم .

أخْذُ التتارِ حلبَ ودِمَشْقَ

وبينما الناسُ على هذه الحالِ ، وقد تواتَرَت الأخْبارُ بقَصْدِ التَّتارِ بلادَ الشامِ ، إذ دخَل جيشُ المَغولِ صُحْبةَ ملكِهم هولاكو ، وجازوا الفُراتَ على جُسورٍ عمِلوها ، ووصَلوا إلى حلبَ فى ثانى صفرٍ مِن هذه السنةِ ، فحاصَروها سبعةَ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ - ٢١١، وذيل مرآة الزمان ١/٣٤٩ - ٣٧٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٧١، وكنز الدرر ٨/٤٥ - ٦٦، والعبر ٥/ ٢٤١، ٢٤٤.

(٢) فى م : « حرب » .

أيامٍ ، ثم افْتَتَحوها بالأمانِ ، وغدَروا بهم ، فقتَلوا من أهلِها خلقًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ عز وجل ، ونهَبوا الأموالَ وسبَوُا النساءَ والأطفالَ ، وجرَى عليهم قريبٌ مما جرَى على أهلِ بغدادَ ، فجاسوا خلالَ الديارِ ، وجعَلوا أعِزَّةَ أهلِها أَذِلَّةً وكذلك يفعلون ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وامْتَنَعَت عليهم قلْعتُها شهرًا ، ثم تَسَلَّمُوها بالأمانِ ، وخَرَّب أسوارَ البلدِ وأسْوارَ القلعةِ ، وبقِيَت حلَبُ كأنها حِمارٌ أَجْرَبُ ، وكان نائبَها الملكُ المُعَظَّمُ تُورانْشاه بنُ صلاحِ الدينِ ، وكان عاقلًا حازمًا ، لكنه لم يُوافِقْه الجيشُ على (١المصلحةِ ولكن سَرِعوا١) وكان أمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدورًا . وقد كان السلطانُ هولاكو أرسل إلى أهلِ البلدِ يقولُ لهم حين قدِم بجحافلِه : نحن إنما جئْنا لقتالِ الملكِ الناصرِ بدمشقَ ، ونحن نريدُ منكم أن تَجْعَلوا بالقلعةِ شِحْنةً ، فإن كانت النُّصْرةُ لنا فالبلادُ كلُّها فى حُكْمِنا ، وإن كانت علينا فإن شئتم قَتلْتُم[٢] الشِّحْنةَ وإن شئْتُم أطلَقْتُموه . فأجابوه : ما لك عندنا إلا السيفُ . فتعَجَّب مِن ضعفِهم وجوابِهم بهذا ، فزحَف حينئذٍ إليهم ، وأحاط بالبلدِ ، وكان ما كان بقضاءِ اللَّهِ وقدَرِه ، ولما فُتِحَت حلبُ أرْسَل صاحبُ حَماةَ بمَفاتيحِها إليه ، فاسْتَناب عليها رجلًا مِن العَجَمِ يَدَّعِى أنه مِن ذُريةِ خالدِ بنِ الوليدِ يقالُ له : خُسْرُوشاه . فخرَّب أسْوارَها كما فُعِل بمدينةِ حلبَ .

(١ - ١) فى م : « القتال » ، وسرعوا : عجلوا . الوسيط (س ر ع) .

(٢) فى م : « قبلتم » .

صفةُ أخْذِهم لدمشقَ [١٠/٥٨و]

وزَوالِ مُلْكِهم عنها سريعًا

أرْسَل هولاكو وهو نازلٌ على حلبَ جيشًا مع أميرٍ مِن كبارِ دولتِه يقالُ له : كَتْبُغَا نُوين . فورَدُوا دمشقَ فى آخِرِ صفرٍ ، فأخَذوها سريعًا مِن غيرِ مُمانَعةٍ ولا مُدافعةٍ ، بل تلَقَّاهم كبارُها بالرُّحْبِ والسَّعَةِ ، وقد كتَب معهم السلطانُ هولاكو فرمانَ أمانٍ لأهلِ البلدِ ، فقُرِئ بالمَيْدانِ الأخْضَرِ ، ونُودِى به فى البلدِ ، فأمِن الناسُ على وَجَلٍ أن يَغدِروا كما فُعِل بأهلِ حلَبَ ، هذا والقلعةُ مُمْتَنِعةٌ مَسْتورةٌ ، وفى أعالِيها المَجانِيقُ مَنْصوبةً ، والحالُ شديدةٌ ، فأحْضَرَت التَّتارُ مجانيقَ تُحْمَلُ على عَجَلٍ والخيولُ تَجُرُّها ، وهم راكبون على الخيلِ ، وأسْلِحتُهم تُحْمَلُ على أبْقارٍ كثيرةٍ ، فنُصِب المَجانِيقُ على القلعةِ مِن غربيِّها ، وهدموا حِيطانًا كثيرةً وأخَذوا حِجارتَها ورمَوْا بها القلعةَ رَمْيًا مُتواتِرًا كالمطرِ المُتَدارِكِ ، فهدَموا كثيرًا مِن أعالِيها وشُرُفاتِها ، وتَداعَت للسقوطِ ، فأجابَهم مُتَوَلِّيها فى آخِرِ ذلك النهارِ للمُصالَحَةِ ، ففتَحوها وخرَّبوا كلَّ بدنةٍ فيها ، وأعالىَ بُروجِها ، وذلك فى المنتصفِ من جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، وقتَلوا المُتَوَلِّىَ بها بدرَ الدينِ بنَ قراجا[(١)] ، ونَقيبَها [(٢)]جمالَ الدينِ[(٢)] بنَ الصَّيْرفىِّ الحلَبىَّ ، وسلَّموها[(٣)] إلى أميرٍ منهم يقالُ له : إيل سبان . وكان لعَنه اللَّهُ تعالى مُعَظِّمًا لدينِ النصارَى ، فاجْتَمَع به أساقِفتُهم وقُسوسُهم ، فعظَّمهم جدًّا وزار كَنائسَهم ، فصارت لهم دولةٌ وحَوْلةٌ وَصَولةٌ

---

(١) فى نهاية الأرب : « قرمجاه » ، وفى عقد الجمان : « قزل » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « قربجار » .

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان : « كمال الدين » .

(٣) فى م : « وسلموا البلد والقلعة » .

بسببِه ، لعَنهم اللَّهُ تعالى ، وذهبت طائفةٌ مِن النصارى إلى هولاكو بهدايا وتُحَفٍ ، وقدِموا من عندِه ومعهم أمانٌ ؛ فَرَمانٌ مِن جهتِه ، ودخَلوا البلدَ مِن بابِ تُوماء ومعهم صَليبٌ منصوبٌ يَحْمِلونه على رُءوسِ الناسِ ، وهم يُنادُون بشِعارِهم ، ويَقولون : ظهَر الدينُ الصحيح ، دينُ المسيحِ . ويَذُمُّون دينَ الإسلامِ وأهلَه ، ومعهم أَوانى فيها خَمْرٌ لا يَمُرُّون على بابِ مسجدٍ إلا رشُّوا عندَه خَمْرًا ، وقَماقمُ مَلْآنةٌ خمرًا يَرُشُّون منها على وُجوهِ الناسِ ، ويَأْمُرُون كلَّ مَن يَجْتازون به فى الأسواقِ والطرقاتِ أن يقومَ لصَلِيبِهم ، ودخَلوا مِن دربِ الحجرِ ، فوَقَفُوا عندَ رِباطِ الشيخِ أبى البيانِ ، ورشُّوا هنالك خمرًا ، وكذلك على بابِ مسجدَىْ دَرْبِ الحجرِ الصغيرِ والكبيرِ ، واجْتازوا فى السوقِ حتى وصَلوا إلى دربِ الرَّيْحانِ أو قريبٍ منه ، فتَكاثَر عليهم المسلمون ، فردُّوهم إلى سوقِ كَنيسةِ مَرْيَمَ ، فوقَف خطيبُهم إلى دَكَّةِ دُكَّانٍ فى عطفةِ السوقِ هنالك ، فذكر فى خطبتِه مدْحَ دينِ النصارى ، وذمَّ دينِ الإسلامِ وأهلِه ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . ثم ولَجوا بعدَ ذلك إلى كنيسةِ مريمَ ، وكانت بعدُ عامرةً ، ولكن كان هذا سببَ خَرابِها ، وللَّهِ الحمدُ .

وحكَى الشيخُ قطبُ الدينِ فى « الذيلِ على المرآةِ »[1] أنهم ضرَبوا بالناقوسِ بكنيسةِ مريمَ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال[2] : وذكَر أنهم دخَلوا إلى الجامعِ بخمرٍ ، وكان من نيتِهم إن طالت مدةُ التَّتارِ أن يُخَرِّبوا كثيرًا مِن المساجدِ وغيرِها ، فكفى اللَّهُ شرَّهم . ولما وقَع هذا فى

---

(١) لم نقف عليه فى الذيل ، وانظر عقد الجمان ١/ ٢٤٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٢، ٣٦٣.

البلدِ اجْتَمَع قُضاةُ المسلمين والشُّهودُ والفُقهاءُ ، فدخَلوا القلعةَ يَشْكُون هذا الحالَ إلى مُتَسَلِّمِها إيل سبان ، فأُهِينوا وطُرِدوا ، [١٠/٥٨ظ] وقُدِّم كلامُ رُؤساءِ النَّصارَى عليهم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وقد كان فى أولِ هذه السنةِ سلطانُ الشامِ الناصرُ بنُ العزيزِ ، قد أقام فى وَطْأةِ بَرْزَةَ ، ومعه خلقٌ كثيرٌ مِن الجيوشِ والأمراءِ وأبناءِ الملوكِ ليُناجِزوا التَّتارَ إن قدِموا عليهم ، وكان مِمَّن معه الأميرُ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ فى جَماعةٍ مِن البَحْرِيةِ ، والكلمةُ بينَ الجيوشِ مُخْتَلِفةٌ غيرُ مُؤْتَلِفةٍ ، لما يُرِيدُه اللَّهُ عز وجل . وقد عزَمت طائفةٌ مِن الأمراءِ على خَلْعِ الملكِ الناصرِ وسَجْنِه ومُبايَعةِ أخيه شقيقِه الملكِ الظاهرِ علىٍّ ، فلمَّا تنسَّمَ[1] الناصرُ ذلك هرَب إلى القلعةِ المنصورةِ وتفرَّقَت العساكرُ شَذَرَ مَذَرَ ، وساق الأميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ فى أصحابِه إلى ناحيةِ غَزَّةَ ، فاسْتَدْعاه الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز إليه ، واسْتَقْدَمه عليه ، وأقْطَعه قَلْيُوبَ ، وأنْزَله بدارِ الوِزارةِ ، وعظُم شأنُه لديه ، وإنما كان حَتْفُه على يديه .

وَقْعةُ عَيْنِ جالوتَ[2]

واتَّفَق وُقوعُ هذا كلِّه فى العشْرِ الأخيرِ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ ، فما مضَت إلا ثلاثةُ أيامٍ حتى جاءت البِشارةُ بنُصْرةِ المسلمين على التَّتارِ بعَيْنِ جالوتَ وللَّهِ الحمدُ ، وذلك أن الملكَ المُظَفَّرَ سيفَ الدين قُطُز صاحبَ الديارِ المصريةِ لما بَلغه أن التَّتارَ قد فعَلوا بالشامِ ما ذكَرْنا ، وقد نهَبوا البلادَ كلَّها حتى وصَلوا إلى

---

(١) فى م : « عرف » . وتنسم فلان الخبرَ : تلطف فى التماسه شيئا فشيئا . الوسيط (ن س م) .
(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٦ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٧٢ .

غَزَّةَ ، وقد عزَموا على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ [1] وقد عزَم المِلكُ الناصرُ صاحبُ دمشق على الرحيلِ إلى مصر ، وليتَه فعل [1] . وكان فى صُحبتِه الملكُ المنصورُ صاحبُ حَماةَ ، وخلقٌ مِن الأمراءِ وأبناءِ الملوكِ ، وقد وصَل إلى قَطْيَةَ [2] ، وتهيّأ الملكُ المظفَّرُ للقائِه وأرسل إليه وإلى المنصورِ مستحِثّين ، وأرسل إليه يقولُ : تقدَّمْ حتى نكونَ كَتِفًا واحدًا على التتارِ . فتخيَّل من ذلك وخاف أن ينتصرَ عليه ، فكرَّ راجعًا إلى ناحيةِ تِيهِ بنى إسْرائيلَ ، ودخَل عامةُ من كان معه إلى الديارِ المصريةِ وأكْرَم المُظَفَّرُ الملكَ صاحبَ حماةَ ، ووعَده ببلدِه ، ووفَّى له بذلك ، ولم يَدْخُلِ الناصرُ وليتَه فعل فإنه كان على كل حالٍ أيْسَرَ عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لعداوةِ ما بينه وبينهم ، فعدَل إلى ناحيةِ الكَرَكِ ، فتحَصَّن بها ، وليتَه اسْتَمَرَّ فيها ، ولكنه قلِق ، فركِب نحوَ البَرِّيَّةِ - وليتَه ذهَب فيها - واسْتَجار ببعضِ أمراءِ الأعرابِ ، فقصدَته التَّتارُ ، وأتْلَفوا تلك الديارَ ونهَبوا ما هنالك مِن الأموالِ ، وقتَلوا الكِبارَ والصغارَ ، وهجَموا على الأعرابِ التى بتلك النَّواحى ، فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وسبَوْا مِن نسائِهم وأبنائهم ، وقد اقتص منهم العربُ بعدَ ذلك ، فأغاروا على خيلِ جِشارِهم [3] فى نصفِ شعبانَ ، فساقوها بأسْرِها ، فساقَت وراءَهم التَّتارُ ، فلم يُدْرِكوا منهم الغُبارَ ، ولا اسْتَرَدُّوا منهم فرسًا ولا حمارًا ، وما زال التَّتارُ وراءَ الناصرِ حتى أخَذوه وأسروه عندَ بِرْكةِ زَيْزَاء [4] ، وأرْسَلوه مع ولدِه العزيزِ وهو صغيرٌ ، وأخيه إلى ملكِهم هُولاكُو وهو نازلٌ على حلَب ، فكانوا فى

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) قطية : قرية من نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام وفى وسط الرمل قرب الفرما . انظر معجم البلدان ٤/ ١٤٤. والقاموس الجغرافى ١/ ٣٥٠ (القسم الأول) .

(٣) خيل جشارهم: الخيل ترى أمام البيوت . تاج العروس (ج ش ر) .

(٤) زيزاء : من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة . معجم البلدان ٢/ ٩٦٦.

أسْرِه حتى قتَلهم فى السنةِ الآتيةِ ، كما سنَذْكُرُه .

والمقصودُ أن المُظَفَّرَ لما بلَغه ما كان مِن أمرِ التَّتارِ بالشامِ المحْروسةِ ، وأنهم عازِمون على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ بعدَ تمهيدِ مملكتِهم [١٠/٥٩و] بالشامِ ، بادَرهم هو قبلَ أن يُبادِروه ، وبرَز إليهم ، أيَّده اللَّهُ تعالى ، وأقْدَم عليهم قبلَ أن يُقْدِموا عليه ، فخرَج بالعَساكرِ المصريةِ ، وقد اجْتَمَعت الكلمةُ عليه ، حتى انْتَهَى بمن معه من العساكرِ المنصورةِ إلى الشامِ ، واسْتَيْقَظ له عسكرُ المَغولِ ، وعليهم كَتْبُغَا نُوين ، وكان إذ ذاك فى البِقاعِ ، فاسْتَشار الأشْرفَ صاحبَ حِمْصَ والقاضىَ مجيرَ الدينِ بنَ الزَّكِىِّ فى لقاءِ المظفرِ ، فأشار بعضُهم بأنه لا قِبَلَ له بالمُظَفَّرِ حتى يَسْتَمِدَّ هُولاكُو ، فأبَى إلا أن يُناجِزَه سريعًا ، (١) فصمدَوا إليه (١) ، فكان اجْتماعُهم على عَيْنِ جالوتَ يومَ الجمعةِ الخامسَ والعشرين مِن رمضانَ ، فاقْتَتلوا قِتالًا عظيمًا شديدًا ، فكانت النُّصْرةُ ، وللَّهِ الحمدُ ، للإسلامِ وأهلِه ، فهزَمهم المسلمون هزيمةً هائلةً ، وقُتِل كَتْبُغا نُوينُ وجَماعةٌ مِن بنيه ، وقد قيل : إن الذى قتَل كَتْبُغا نُوينَ الأميرُ جَمالُ الدينِ آقُوش الشَّمْسِىُّ ، واتَّبَعهم الجيشُ الإسْلامىُّ يُقَتِّلونهم فى كلِّ موضعٍ وفى كلِّ مأزقٍ ، وقد قاتَل الملكُ المنصورُ صاحبُ حَماةَ مع الملكِ المُظَفَّرِ فى هذه الوقعةِ قتالًا عظيمًا ، وكذلك الأميرُ فارسُ الدينِ أَقْطاى المُسْتَعْرِبُ ، وكان أتابَكَ العَسْكرِ ، وقد أُسِر مِن جماعةِ كَتْبُغَا نُوين الملكُ السعيدُ بنُ العزيزِ بنِ العادلِ ، فأمَر المُظَفَّرُ بضربِ عنقِه ، واسْتَأْمَن الأشرفُ صاحبُ حمصَ وكان مع التَّتارِ ، وقد جعَله هُولاكو نائبًا على الشامِ كلِّه ، فأمَّنه الملكُ المُظَفَّرُ ، وردَّ إليه حمصَ ، وكذلك ردَّ حَماةَ إلى المنصورِ ، وزادَه المَعَرَّةَ (٢)

(١ - ١) فى م : « فساروا إليه وسار المظفر إليهم » .

(٢) المعرة : معرة النعمان ، وهى مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . انظر معجم البلدان ٤/ ٥٧٤، ٥٧٥.

وغيرَها ، وأطْلَق سَلَمْيَةَ للأميرِ شرفِ الدينِ عيسى بنِ مُهَنَّا بنِ مانعٍ أميرِ العربِ ، واتَّبع الأميرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ وجماعةٌ مِن الشُّجْعانِ التَّتارَ يُقَتِّلونهم فى كلِّ مكانٍ ، إلى أن وصَلوا خلفَهم إلى حلَبَ ، وهرَب مَن بدمشقَ منهم ، وكان هربُهم منها يومَ الأحدِ السابعَ والعشرين مِن رمضانَ (١) صبيحةَ النصرِ الذى جاءت فيه البِشارةُ بالنصرةِ على عينِ جالوتَ (١) ، فتبِعهم المسلمون مِن دمشقَ يُقَتِّلون ويأسِرون ويَنهَبُون الأموالَ فيهم ، ويَسْتَفِكُّون الأُسارَى مِن أيديهم قَهْرًا وللَّهِ الحمدُ والمنُّ على جبرِه الإسلامَ ، ومعاملتِه إيَّاهم بلُطْفِه الحسنِ . وجاءت بذلك البِشارةُ السارةُ ، فجاوَبَتها البَشائرُ مِن القلعةِ المنصورةِ وفرِح المؤمنون يومئذٍ بنصرِ اللَّهِ فرحًا شديدًا ، وأيَّد اللَّهُ الإسلامَ وأهلَه تأْيِيدًا ، وكُبِت أعداءُ اللَّهِ النَّصارَى واليهودُ والمُنافِقون ، وظهَر دينُ اللَّهِ وهم كارِهون ، ونصَر اللَّهُ دينَه ونبيَّه ولو كره الكافرون . فتَبادَر عندَ ذلك المسلمون إلى كنيسةِ النَّصارَى التى خرَج منها الصَّليبُ ، فانْتَهَبوا ما فيها ، وأحْرَقوها وألْقَوُا النارَ فيما حولَها ، فاحْتَرَقت دُورٌ كثيرةٌ للنَّصارَى ، ومَلأ اللَّهُ بيوتَهم وقبورَهم نارًا ، وأُحْرِق بعضُ كَنيسةِ اليَعاقبةِ ، وهمَّت طائفةٌ بنهبِ اليهودِ ، فقيل لهم : إنهم لم يكُنْ منهم فيما ظهَر مِن الطُّغْيانِ كما كان مِن عَبَدةِ الصُّلْبانِ . وقتَلَت العامَّةُ فى وسطِ الجامعِ شيخًا رافضيًّا كان مُصانِعًا للتتَّارِ على أموالِ الناسِ يقالُ له : الفخرُ محمدُ بنُ يوسفَ الكَنْجِيُّ . كان خَبيثَ الطَّوِيةِ مَشْرِقيًّا مُمالِئًا لهم على أموالِ المسلمين ، قبَّحه اللَّهُ تعالى ، وقتَلوا جَماعةً مثلَه مِن المُنافِقِين الممالئين على المسلمين ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥].

وقد كان السلطانُ هُولاكُو أرْسَل تَقْليدًا بولايةِ القَضاءِ على جميعِ المَدائنِ ؛

(١ - ١) سقط من : م .

الشامِ ، [1]والجَزيرةِ[1] ، والموصلِ ، [١٠/٥٩ظ] ومارِدِينَ ، ومَيّافارِقينَ ، والأكْرادِ وغيرِ ذلك ، للقاضى كَمالِ الدينِ عمرَ بنِ بُنْدارٍ[2] التَّفْليسىِّ . وقد كان نائبَ الحكمِ بدمشقَ عن القاضى صَدْرِ الدينِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ هِبةِ اللَّهِ بنِ سَنىِّ الدولةِ مِن مدةِ خمسَ عشْرةَ سنةً ، فحينَ وصَل التَّقْليدُ فى سادسِ وعشرين ربيعِ الأولِ قُرِئَ بالمَيْدانِ الأخْضَرِ ، فاسْتَقَلَّ بالحكمِ فى دمشقَ ، وكان من الفضلاءِ ، فسار القاضيان المَعْزُولان صدرُ الدينِ بنُ سَنىِّ الدولةِ ومُحْيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ إلى خدمةِ السلطانِ هُولاكُو إلى البلادِ الحلبيةِ ، فخدَع ابنُ الزكىِّ لابنِ سَنىِّ الدولةِ ، وبذَل أموالًا كثيرةً ، وتولَّى القضاءَ بدمشقَ ورجَعا ، فمات ابنُ سَنىِّ الدولةِ ببَعْلَبَكَّ ، وقدِم ابنُ الزَّكىِّ على القَضاءِ ، ومعه تَقْليدُه وخِلْعةٌ مُذَهَّبةٌ ، فلبِسها وجلَس فى خدمةِ إيلِ سِبان تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ [3]عندَ البابِ الكبيرِ[3] ، وبينَهما الخاتونُ زوجةُ إيل سبان حاسِرةً عن وجهِها ، وقُرِئَ التَّقْليدُ هنالك والحالُ كذلك ، وحينَ ذُكِر اسمُ هولاكو ، لعَنه اللَّهُ تعالى ، نُثِر الذهبُ والفضةُ فوقَ رءوسِ الناسِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، [4]قبَّح اللَّهُ ذلك القاضىَ والأميرَ والزوجةَ والسلطانَ[4] .

وذكَر أبو شامةَ[5] أيضًا أنه اسْتَحْوَذ على مدارسَ كثيرةٍ فى مدتِه هذه القصيرةِ ، فإنه عُزِل قبلَ رأسِ الحَوْلِ ، فأخَذ العَذْراويةَ والسُّلْطانيةَ والفَلَكيةَ والرُّكْنيةَ والقَيْمُريَّةَ والعَزيزيةَ مع المدرستَيْن اللتين كانتا بيدِه ؛ التَّقَويةِ والعَزيزيةِ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « بدار » .

(٣ - ٣) فى عقد الجمان : « وهو النائب الكبير » .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، ٢٠٦.

وأخَذ لولدِه عيسى تَدْريسَ الأمِينيةِ ومَشْيَخةَ الشُّيوخِ ، وأخَذ أمَّ الصالحِ لبعضِ أصحابِه ، وهو العِمادُ المِصْرىُّ ، وكذا أخَذ الشاميةَ البَرَّانيةَ لصاحبٍ له ، واسْتَناب أخاه لأمِّه شِهابَ الدينِ إسماعيلَ بنَ أسْعَدَ بنِ حُبَيْشٍ فى القَضاءِ ، وولَّاه الرواحيةَ والشاميةَ البَرَّانيةَ . قال أبو شامةَ[1] : مع أن شَرْطَ واقفِها أن لا يُجْمَعَ بينَها وبينَ غيرِها .

ولما رجَعَت المملكةُ إلى المسلمين سعَى القاضى محيى الدينِ وبذَل أموالًا جزيلةً ليستمرَّ فى القضاءِ والمدارسِ التى استولى عليها فى مدةِ هذه الشهورِ ، فلم يَسْتَمِرَّ بل عُزِل بالقاضى نَجْمِ الدينِ أبى بكرِ بنِ صَدْرِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ ، فقُرِئ تَوْقيعُه بالقَضاءِ يومَ الجمعةِ بعدَ الصلاةِ فى الحادى والعشرين مِن ذى القَعْدةِ بالشُّبَّاكِ الكَمالىِّ مِن مَشْهَدِ عثمانَ مِن جامعِ دمشقَ . وللَّهِ الحمدُ .

ولما كسَر الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز عساكرَ التَّتارِ بعَيْنِ جالوتَ ساق وراءَهم ، ودخَل دمشقَ فى أُبَّهةٍ عَظيمةٍ ، وفرِح الناسُ به فرَحًا شديدًا ، ودعَوا له دُعاءً كثيرًا ، وأقَرَّ صاحبَ حِمصَ الملكَ الأشْرفَ على بلدِه ، وكذلك المنصورَ صاحب حَماةَ ، واسْتَرَدَّ حلَبَ أيضًا من أيدى التتارِ ، وعاد الحقُّ إلى نِصابِه ، ومهَّد القَواعدَ ، وكان قد أرْسَل بينَ يديه الأميرَ رُكْنَ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدارِىَّ ليَطْرُدَ التَّتارَ ويتسلمَ مدينةَ حلَبَ ، ووعَده بنيابتِها ، فلما طرَدهم عنها ، وأخْرَجهم منها ، وتسَلَّمها المسلمون اسْتَناب عليها غيرَه ، وهو علاءُ الدينِ بنُ صاحبِ الموصلِ ، وكان ذلك سببَ الوَحْشةِ التى وقَعَت بينَهما ، واقْتَضَت قتلَ الملكِ المُظَفَّرِ قُطُز سريعًا ، وللَّهِ الأمرُ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٦.

وعزَم المظفَّرُ على الذهابِ إلى الديارِ المصريةِ فاسْتَناب على دمشقَ الأميرَ عَلَمَ الدينِ سَنْجَرَ الحلبيَّ الكبيرَ والأميرَ مُجِيرَ الدينِ بنَ الحسينِ ، وعزَل ابنَ الزَّكيِّ عن قَضاءِ دمشقَ ، وولَّى عليها نجمَ الدينِ ابنَ سَنِيِّ الدولةِ ، [١٠/٦٠و] ثم عاد إلى الديارِ المصريةِ ، والعَساكرُ الإسلاميةُ فى خدمتِه ، وعُيونُ الأعْيانِ تَنْظُرُ إليه شَزْرًا مِن شدةِ هَيْبتِه .

ذِكْرُ سَلْطنةِ الملكِ الظاهرِ ، وهو الأسدُ الضارى بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ[1]

وذلك أن السلطانَ الملكَ المُظَفَّرَ قُطُز لما عاد بالعساكرِ قاصدًا الديارَ المصريةَ ، فوصل إلى ما بينَ الغُرَابيِّ[2] والصَّالحيةِ[3] ، عدا عليه الأُمراءُ ، فقتَلوه هنالك ، وقد كان رجلًا صالحًا ، كثيرَ الصلاةِ فى الجماعةِ ، ولا يَتَعاطَى الشرابَ ولا شيئًا مما يَتعاطاه الملوكُ ، وكانت مدةُ ملكِه مِن حينَ عزَل ابنَ أُسْتاذِه المنصورَ عليَّ بنَ المُعِزِّ التُرْكُمانيَّ إلى هذه المدةِ ، وهى أواخرُ ذى القَعْدةِ نحوًا مِن سنةٍ ، رحِمه اللَّهُ ، وجزاه عن الإسلامِ وأهلِه خيرًا . وكان الأميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِيُّ قد اتَّفَق مع جَماعةٍ مِن الأُمراءِ على قتلِه ، فلما وصَل إلى هذه المنزِلةِ ضرَب دِهْليزَه ، وساق خلفَ أرنبٍ ، وساق معه أولئك الأُمراءُ ، فشفَع عندَه رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْسُ فى شيءٍ فشفَّعه ، فأخَذ يدَه ليُقَبِّلَها فأمْسَكها ، وحمَل عليه أولئك الأُمراءُ فضرَبوه بالسُّيوفِ ، وألْقَوْه عن فرسِه ، ورشَقُوه بالنُّشَّابِ حتى أجْهَزوا عليه ، ثم كرُّوا راجِعِين إلى المُخَيَّمِ ، وبأيديهم السيوفُ مُصْلَتةً ، فأخْبَروا مَن هناك بالخبرِ ، فقال

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/١ - ٣، ونهاية الأرب ٣/٣٠ - ١٦، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢٠٧، ٢٠٨، وعقد الجمان ١/٢٦١ - ٢٦٤.

(٢) فى م : « الغزالى » . والغرابى : رمل معروف بطريق مصر بين قطية والصالحية . انظر معجم البلدان ٣/ ٧٨٠.

(٣) الصالحية : قرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وهى غير الصالحية التى تتبع محافظة القليوبية . انظر القاموس الجغرافى ١/ ٤٢، ١١٢ (القسم الثانى) .

بعضُهم : مَن قتلَه ؟ (١) فقال رُكْنُ الدينِ : أنا (١) . فقيل له : أنت الملكُ . وقيل : لما قُتِل حار الأُمراءُ بينَهم فيمَن يُوَلُّون المُلْكَ ، وصار كلُّ واحدٍ منهم يَخْشَى (٢) غائلةَ ذلك ، وأن يُصِيبَه ما أصاب غيرَه سريعًا ، فاتَّفَقَت كلمتُهم على أن بايَعوا الأميرَ ركنَ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْداريَّ ، ولم يَكُنْ مِن أكابرِ المُقَدَّمِين فيهم ، ولكن أرادوا أن يُجَرِّبوا فيه ، ولقَّبوه الملكَ الظاهرَ ، فجلَس على سَريرِ المَمْلكةِ وحكَمه ، ودقَّت البَشائرُ ، وضُرِبَت الطُّبولُ والبُوقاتُ ، وصفَّرَت الشبَّابةُ (٣) ، وزعَقَت الشاوُوشيةُ بينَ يديه ، وكان يومًا مشهودًا ، وتوَكَّل على اللَّهِ واسْتَعان به ، ثم دخَل مصرَ والعساكرُ في خدمتِه ، فدخَل قلعةَ الجبلِ ، وجلَس على كرسيِّها ، وحكَم فعدَل ، وقطَع ووصَل ، وكان شهْمًا شُجاعًا ، أقامه اللَّهُ للناسِ لشدةِ احْتِياجِهم إليه في هذا الوقتِ الشديدِ والأمْرِ العَسيرِ ، وكان أولًا قد لقَّب نفسَه بالملكِ القاهرِ ، فقال له الوزيرُ : إن هذا اللقبَ لم يُفْلِحْ مَن تَلَقَّبَ به ؛ تلَقَّب به القاهرُ بنُ المعتضدِ (٤) فلم تَطُلْ أيامُه حتى خُلِع وسُمِل ، ولُقِّب به القاهرُ صاحبُ الموصلِ ، فسُمَّ فمات . فعدَل عن هذا اللَّقَبِ إلى الملكِ الظاهرِ ، ثم شرَع في مَسْكِ مَن يَرَى في نفسِه رِئاسةً مِن أكابرِ الأُمراءِ حتى مهَّد المُلْكَ كما يريدُ ، واللَّهُ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ .

وقد كان السلطانُ هُولاكُوقان لما بلَغه ما جرَى على جيشِه بعَيْنِ جالوتَ أرْسَل جماعةً كثيرةً مِن جيشِه إلى بلادِ الشامِ ليَسْتَعِيدوه مِن أيدى جيشِ الإسلامِ ، فحِيل بينَهم وبينَ ما يَشْتَهون ، ورجَعوا وهم خائِبون خاسِرون ، وذلك أنه نهَض إليهم الهِزَبْرُ الكاسرُ والسيفُ الباترُ السلطانُ الملكُ المؤيَّدُ الظاهرُ ، فقدِم إلى

(١ - ١) في م : « فقالوا : ركن الدين بيبرس . فقالوا : أنت قتلته .. فقال : نعم » .

(٢) في الأصل : « يحتمى من » .

(٣) في م : « الشغابة » .

(٤) في م : « المعتمد » .

دمشقَ ، وأرْسَل الجيوشَ مِن كلِّ جانِبٍ ؛ لحفظِ الثُّغورِ والمَعاقلِ بالأسلحةِ التامَّةِ والجَحافِلِ ، فلم يَقْدِرِ التَّتارُ على الدُّنُوِّ إليه ، ولا القدومِ عليه ، ووجَدوا الدولةَ قد تغيَّرت ، والسَّواعِدَ قد شُمِّرَت ، (١) والسيوفَ البواترَ قد سُلَّت ، والرماحَ الخَطِّيَّةَ قد اعتُقلت ، والقِسِيَّ قد وُتِّرَت ، والنبالَ قد حُصِّلت (٢) ، والخيولَ قد ضُمِّرت (٣) ، والطبولَ قد حُصِّلت (١) ، وعِنايةَ اللَّهِ بأهلِ الشامِ قد تنزَّلت ، ورحمتَه بهم قد تَدَاركت ، فعندَ ذلك نكَصَت شَياطينُهم على أعْقابِها ، وكرّت راجعَةً [١٠/٦٠ظ] القَهْقَرَى على أذنابِها ، والحمدُ للَّهِ الذى بنعمتِه تَتِمُّ الصالحات ، (١) وتكمُلُ المَسَرَّات ، فى هذه الحياةِ الدنيا وبعدَ الممات (١) .

وقد كان الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز ، رحِمه اللَّهُ اسْتَناب على دمشقَ الأميرَ عَلَمَ الدينِ سَنْجَرَ الحَلَبيَّ أحدَ الأتْراكِ ، فلما بَلغَه مَقْتَلُ المُظَفَّرِ دخَل القلعةَ ، ودعا لنفسِه وتسَمَّى بالملكِ المُجاهِدِ ، فلما جاءَت البَيْعةُ للملكِ الظاهرِ خطَب له يومَ الجمعةِ السادسَ مِن ذى الحِجَّةِ ، فدعا الخطيبُ أولًا للمُجاهدِ ، ثم للظاهرِ ثانيًا ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِهما معًا ، ثم ارْتَفَع المُجاهِدُ هذا مِن البينِ ، كما سيأتى .

وقد اتَّفَق فى هذا العامِ أُمورٌ عَجيبةٌ ، وهى أن أولَ هذه السنةِ كانت الشامُ للسلطانِ الناصرِ بنِ العزيزِ ، ثم فى المُنتَصَفِ مِن صفرٍ صارت لهولاكوقان ملكِ التتارِ ، ثم فى آخرِ رمضانَ صارت للمُظَفَّرِ قُطُز ، ثم فى أواخِرِ ذى القَعْدةِ انتَقلت إلى مملكةِ السلطانِ الظاهِرِ بَيْبَرْسَ ، وقد شرَكه فى دمشقَ الملكُ المُجاهِدُ علمُ الدينِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أى جمعت وأحضرت ...

(٣) تضمر الخيول بأن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا قوتا . لسان العرب (ض م ر) .

سَنْجَرُ ، كما ذكرنا ، وكذلك كان القَضاءُ فى أولِها بالشامِ لصَدْرِ الدِّينِ ابنِ سَنِىِّ الدولةِ ، ثم للكَمالِ عمرَ التَّفْلِيسىِّ ، ثم لمُحْيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ ، ثم لنَجْمِ الدينِ ابنِ سَنِىِّ الدولةِ . وكذلك كان خطيبَ جامعِ دمشقَ عِمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانىِّ مِن سنينَ مُتَطاوِلةٍ ، فعُزِل فى شوالٍ مِن هذه السنةِ بالعمادِ الإسْعَرْدِىِّ ، وكان صَيِّتًا قارئًا مُجِيدًا ، ثم أُعِيد العمادُ الحَرَسْتانىُّ فى أولِ ذى القَعْدِة منها . فسبحانَ مَن بيدِه الأمورُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ويَحْكُمُ ما يُرِيدُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ أحمدُ بنُ يحيى بنِ هِبةِ اللَّهِ بنِ الحسنِ[(1)] بنِ يحيى بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ صَدَقةَ بنِ الخَيَّاطِ ، قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ أبو العباسِ بنُ سَنِىِّ الدولةِ التَّغْلِبىُّ الدمشقىُّ الشافعىُّ ، وسَنِىُّ الدولةِ [(2)]هو الحسنُ[(2)] بنُ يحيى المذكورُ كان كاتِبًا[(3)] لبعضِ مُلوكِ دمشقَ فى حدودِ الخمسِمائةِ ، وله أوْقافٌ على ذرِّيتِه . وابنُ الخَيَّاطِ الشاعرُ صاحبُ الدِّيوانِ ، هو أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ يحيى بنِ صَدَقةَ التَّغْلِبىُّ ، عمُّ سَنِىِّ الدولةِ .

وُلِد القاضى صَدْرُ الدِّينِ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وخمسِمائةٍ ، وسمِع الخُشُوعىَّ وابنَ طَبَرْزَدَ والكِنْدىَّ وغيرَهم ، وحدَّث ودرَّس فى عدةِ مَدارِسَ وأفْتَى ، وكان

---

(١) فى م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى الذيل على الروضتين ص ٢٠٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨٥، ٢/ ١٠، والعبر ٥/ ٢٤٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤١، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤١، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٤٨، وعقد الجمان ١/ ٢٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩١.

(٢ - ٢) فى م : « الحسين » .

(٣) فى م : « قاضيا » .

فاضِلًا عارفًا بالمَذهَبِ ، مَشْكورَ السِّيرةِ ، ولكنِ الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ يَنالُ منه[1] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد ولِى الحكمَ بدمشقَ اسْتِقلالًا سنةَ ثلاثٍ وأربعين ، واسْتَمَرَّ إلى هذه السنةِ ، فسار حينَ عُزِل بالكَمالِ التَّفْلِيسىِّ هو والقاضى مُحْيى الدينِ بنُ الزَّكىِّ إلى هولاكو ، ثم عاد مِن عندِه وقد تولّى ابنُ الزَّكىِّ القَضاءَ ، فاجْتاز ابنُ سَنِىِّ الدولةِ ببَعْلَبَكَّ وهو مُتَمَرِّضٌ ، فمات بها ، ودُفِن عندَ الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد كان الملكُ الناصرُ يُثْنِى عليه كما كان الملكُ الأشرفُ يُثْنِى على والدِه قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ . ولما اسْتَقَرَّ أمرُ السُّلْطانِ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ ولَّى ولدَه القاضىَ نَجْمَ الدينِ [2]أبا بكرٍ بنَ قاضى القُضاةِ صدرِ الدينِ القضاءَ بدمشقَ ، وعزَل ابنَ الزَّكِىِّ ، ثم عزَله بعدَ سنةٍ ، وثَنَّى بابنِ خَلِّكانَ على ما سيأتى [١٠/٦١و] بيانُه ، وباللَّهِ المستعانُ . والقاضى صدرُ الدينِ[2] ابنُ سَنِىِّ الدولةِ هذا هو الذى أحدَث فى زمنِ المِشْمِشِ بَطالةَ الدُّروسِ ؛ لأنه كان له بُسْتانٌ بأرضِ السهمِ ، فكان يَشُقُّ عليه النُّزولُ فى ذلك الوقتِ إلى الدَّرْسِ ، فبطَّل للناسِ هذه الأيامَ ، فاتَّبَعوه فى ذلك[3] .

وفيها تُوُفِّى صاحبُ ماردِينَ الملكُ السعيدُ نَجْمُ الدينِ[4] إيلْ غازى بنُ

---

(١) جاءت ترجمة صدر الدين فى الذيل على الروضتين قصيرة مقتضبة ولم نجد ما يدل على أن أبا شامة نال منه .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولاسيما أصحاب البساتين فى أيام الفواكه وكثرة الشهوات فى تلك الأيام ولاسيما القضاة » .

(٤) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٨، ٢/ ١٤، وكنز الدرر ٨/ ٦٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢٧، وعقد الجمان ١/ ٢٧٦، والمنهل الصافى ٣/ ١٨٨.

المنصورِ أَرْتُق[1] **أرسَلان بنِ إيلْ غازى بنِ** [2]**أَلْبى**[3] **بنِ تِمرْتَاش بنِ إيلْ غازى ابنِ**[2] **أرْتُق**، وكان شُجاعًا معظَّمًا، ملَك يومًا فى قلعتِه[4].

تُورَان شاه بنُ الملكِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ[5]، كان نائبًا للملكِ النَّاصِرِ بنِ العزيزِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ على حَلَبَ حتى تَملَّكَ دِمشقَ، وقد حصَّن حلبَ مِن أيدى المَغولِ مدةَ شهرٍ، ثم سَلَّمها بعدَ مُحاصَرةٍ شديدةٍ صُلْحًا. ثم كانت وفاتُه فى هذه السنةِ ودُفِن بدِهْليزِ دارِه.

وفيها قُتِل **الملكُ السعيدُ حسنُ بنُ**[6] **العزيزِ عثمانَ بنِ الملكِ العادلِ أبى بكرِ ابنِ أيوبَ**، كان صاحبَ الصُّبَيْبةِ وبانِيَاسَ بعدَ أبيه، ثم أُخِذَتا منه، وحُبِس بقلعةِ البِيرَةِ، فلما جاءت التَّتارُ كان معهم، وردُّوا عليه بلادَه، فلما كانت وَقْعةُ عينِ جالوتَ أُتِى به أَسيرًا إلى بينِ يَدَى المَلِكِ المُظَفَّرِ قُطُز، فضُرِب عنقُه؛ لأنه كان قد لبِس سراقوجَ التَّتارِ[7]، وناصَحهم.

عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الرَّحيمِ بنِ [8]**عبدِ الرحمنِ بنِ**[8] **الحسنِ بنِ**

---

(١) بعده فى م: «بن».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «السنى». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) كذا فى الأصل، م. ولعل هنا سقطا فى الترجمة.

(٥) ذيل مرآة الزمان ١/ ٤٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٨، والعبر ٥/ ٢٤٥، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٤٣، والسلوك ١/ ٤٤٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٠.

(٦) بعده فى م: «عبد». وانظر مصادر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦، والعبر ٥/ ٢٤٥، والوافى بالوفيات ١٢/ ١٠٠، وعقد الجمان ١/ ٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٢.

(٧) السراقوج: قلنسوة لها مخروطى طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى. انظر الملابس المملوكية ص ٥٦.

(٨ - ٨) سقط من: م. وفى الأصل: «عبد الرحيم بن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٤٨، والعبر ٥/ ٢٤٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٥٧، وعقد الجمان ١/ ٢٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٣.

عبدِ الرحمنِ بنِ طاهرِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ، أبو طالبٍ شَرَفُ الدينِ بنُ العَجَميِّ الحلَبيُّ الشافعيُّ، مِن بيتِ العلمِ والرِّئاسةِ بحلبَ، درَّس بالظاهريةِ، ووقَف مدرسةً بها، ودُفِن بها، وكانت وفاتُه حينَ دخَلَت التَّتارُ حلبَ فى صفرٍ، فعذَّبوه بأن صبُّوا عليه ماءً باردًا فى الشتاءِ، فتشَنَّج حتى مات، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الملكُ المُظَفَّرُ قُطُز بنُ عبدِ اللَّهِ سيفُ الدينِ التُّرْكيُّ[1]، أخَصُّ مَماليكِ الملكِ المُعِزِّ عزِّ الدينِ أيبكَ التُّرْكُمانيِّ، أحدُ مَماليكِ الصالحِ أيوبَ، ثم إنّه لما قُتِل أُسْتاذُه المُعِزُّ قام فى توليةِ ابنِ أستاذِه المنصورِ نورِ الدِّينِ عليٍّ، فلما سمِع بأمرِ التَّتارِ خاف أن تَخْتَلِفَ الكلمةُ بسببِ صغرِ ابنِ أُسْتاذِه، فعزَله ودعا إلى نفسِه، فبُويِع فى ذى القَعْدةِ سنةَ سبعٍ وخمسين وستِّمائةٍ كما تقدَّم، ثم سار إلى التَّتارِ، فجعَل اللَّهُ على يديه نُصْرةَ الإسلامِ كما ذكَرْنا بعيْنِ جالوتَ، وقد كان شُجاعًا بطلًا، كثيرَ الخيرِ، مُمالِئًا للإسلامِ وأهلِه، وهم يُحِبُّونه.

ذُكِر عنه أنه لما كان بالمعركةِ يومَ عينِ جالوتَ قُتِل جَوادُه، ولم يَجِدْ أحدًا فى الساعةِ الراهنةِ مِن الوشاقيَّةِ[2] الذين معهم الجنائبُ، فترَجَّل وبقِى واقفًا كذلك على الأرضِ ثابتًا فى مَحَلِّ المعركةِ وموضعِ السَّلْطنةِ مِن القلبِ، فلما رآه بعضُ الأمراءِ ترَجَّل عن فرسِه، وحلَف على السلطانِ لِيَرْكَبَ، فامْتَنَع السلطانُ وقال: ما كنتُ لأَحْرِمَ المسلمين نفعَك. ولم يَزَلْ كذلك حتى جاءت الوشاقيةُ فركِب،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٩، ٢/ ٢٨، وكنز الدرر ٨/ ٣٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٠، والعبر ٥/ ٢٤٧، وفوات الوفيات ٣/ ٢٠١، وعقد الجمان ١/ ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٢.

(٢) الوشاقية أو الأُوشاقية أو الأوجاقية، واحدها أوجاقى وهو لقب الذى يتولى ركوب الخيول للتسيير والرياضة. انظر صبح الأعشى ٤/ ٤٥٤.

فلامَه بعضُ الأمراءِ وقال: يا خُونْدُ، لمَ لا ركِبْتَ فرسَ فلانٍ؟ فلو كان رآك بعضُ الأعداءِ لَقتَلَك وهلَك الإسلامُ بسببِك. فقال: أما أنا فكنتُ أَرُوحُ إلى الجنةِ، وأما الإسلامُ فله ربٌّ لا يُضَيِّعُه، قد قُتِل فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ - وعدَّد خلقًا مِن الملوكِ - فلم يُضَيِّعِ اللَّهُ الإسلامَ.

وكان حينَ ساق مِن الديارِ المصريةِ فى خدمتِه خلقٌ مِن كبارِ الأمراءِ البَحْرِيةِ وغيرِهم، ومعه المنصورُ صاحبُ حَماةَ وجماعةٌ [١٠/٦١ظ] مِن أبناءِ الملوكِ، فأرْسَل إلى صاحبِ حَماةَ يقولُ له: لا تتعنَّ بمَدِّ سِماطٍ فى هذه الأيامِ، ولْيَكُنْ مع الجنديِّ لَحمةٌ (١فى سَوْلَقِه١) يَأْكُلُها، والعَجَلَ العَجَلَ. وكان اجتماعُه بعدوِّه كما ذكَرْنا فى العشْرِ الأخيرِ مِن رمضانَ يومَ الجمعةِ، وهذه بِشارةٌ عظيمةٌ، فإن وقعةَ بدرٍ كانت يومَ الجمعةِ فى شهرِ رمضانَ، ولهذا نصرَ اللَّهُ الإسلامَ نصرًا عزيزًا، ولما قدِم دمشقَ فى شوالٍ أقام بها العَدْلَ، ورتَّب الأمورَ كما ذكَرنا، وأرْسَل الأميرَ رُكنَ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْدَارىَّ خلفَ التتارِ ليُخْرِجَهم ويَطْرُدَهم عن حلبَ، ووعَده بنيابتِها، فلم يَفِ له(٢)، فوقَعَت الوَحْشةُ بينَهما بسببِ ذلك، فلما عاد المُظَفَّرُ قُطُز إلى مصرَ تَمالأَ عليه البُنْدُقْدَارىُّ وغيرُه مِن الأمراءِ فقتَلوه بينَ الغُرابِيِّ والصالحيَّةِ، ودُفِن بالقَصْرِ(٣)، وكان قبرُه يُزارُ، فلمَّا تمكَّن الظاهرُ مِن المُلْكِ بعَث إلى قبرِه فغيَّبه عن الناسِ، فكان لا يُعْرَفُ بعدَ ذلك، وكان مَقْتَلُه يومَ السبتِ

(١ - ١) سقط من: م. والسولق والصولق: كيس من جلد يضعه الشخص فى حزامه على الجانب الأيمن. انظر الملابس المملوكية ص ٤٣.

(٢) بعده فى م: «لما رآه من المصلحة».

(٣) كذا فى الأصل، م. وفى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٩، وعقد الجمان: «القصير». والقصر والقصير اسمان قديمان لقرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية، وتسمى اليوم الجعافرة، وهى غير الجعافرة التى تتبع محافظة القليوبية. انظر القاموس الجغرافى ١/ ٣٢، ١١١ (القسم الثانى).

سادسَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وحكَى الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ فى « الذَّيلِ على المِرْآةِ »[1] عن الشيخِ عَلاءِ الدينِ بنِ غانمٍ ، عن المَوْلَى تاجِ الدينِ أحمدَ بنِ الأثيرِ كاتبِ السِّرِّ فى أيامِ الناصرِ صاحبِ دمشقَ ، قال : لما كنا مع السلطانِ الناصرِ بوَطأَةِ بَرْزةَ جاءت البَرِيديةُ يُخبرون بأنَّ المُظَفَّرَ قُطُز قد تولَّى السَّلْطنةَ بالدِّيارِ المصريةِ ، فقرأْتُ ذلك على السلطانِ ، فقال : اذْهَبْ إلى فلانٍ وفلانٍ فأخْبِرْهم بهذا . قال : فلما خرَجْتُ مِن عندِه لقِيَنى بعضُ الأجْنادِ فقال لى : جاءكم الخبرُ مِن الديارِ المصريةِ بأن قُطُز قد تمَلَّك ؟ فقلتُ : ما عندى مِن هذا علمٌ ، وما يُدْرِيك أنت بهذا ؟ فقال : بلى واللَّهِ إنه سيَلى المَمْلَكةَ ، ويَكْسِرُ التتارَ . فقلتُ : مِن أين تَعْلَمُ هذا ؟ فقال : كنتُ أَخْدُمُه وهو صغيرٌ ، وكان عليه قَمْلٌ كثيرٌ ، فكنتُ أَفْلِيه وأُهِينُه ، فقال لى يومًا : ويلَك ، أَيْشِ تُرِيدُ أن أُعْطِيَك إذا ملَكْتُ الديارَ المصريةَ ؟ فقلتُ له : أنت مجنونٌ ؟! فقال : لقد رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المَنامِ ، وقال لى : أنت تَمْلِكُ الديارَ المصريةَ ، وتَكْسِرُ التَّتارَ . وقولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حقٌّ لا شكَّ فيه . فقلتُ له حينَئذٍ - وكان صادقًا -: أُرِيدُ منك إمْرةَ خمسين فارسًا . فقال : نعم . قال ابنُ الأثيرِ : فلما قال لى هذا قلتُ : هذه كتبُ المِصْريين بأنه قد تولَّى السَّلْطنةَ . فقال : واللَّهِ لَيَكْسِرَنَّ التَّتارَ . فكان كذلك كما قال . ولما رجَع الناصرُ إلى ناحيةِ الديارِ المصريةِ ، وأراد دُخولَها ، ورجَع عنها ودخَلها أكثرُ الجيوشِ الشاميةِ كان هذا الأميرُ الحاكى فى جملةِ مَن دخَلها ، فأعطاه المُظَفَّرُ إمْرةَ خمسين فارسًا ، ووفَى له بالوعدِ ، وهو الأميرُ [2]حسامُ الدينِ البَرَكةُ خانىُّ[2] . قال ابنُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٣٨١ - ٣٨٣، ٢/٣٠ - ٣٢.

(٢ - ٢) فى الأصل : « جمال الدين التركخانى » ، وفى م : « جمال الدين التركمانى » . والمثبت من مرآة الزمان ١/ ٣٨٣، ٢/ ٣٠. وانظر كنز الدرر ٨/ ٤١، ٤٢.

الأثيرِ : فلقِيَنى بالدِّيارِ المصريةِ بعدَ أن تأمَّر ، فذكَّرنى بما كان أخْبَرَنى عن المُظَفَّرِ ، فذكَرْتُه ، ثم كانت وقعةُ التتارِ على إثْرِ ذلك[1] ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفيها هلَك **كَتْبُغا نُوين**[2] نائبُ هولاكو على بلادِ الشامِ ، لعَنهما اللَّهُ ، ومعنى نُوين يَعْنى أميرَ عشَرةِ آلافِ ، وكان هذا الخَبيثُ قد فتَح لأُسْتاذِه هولاوو مِن أقصى بلادِ العَجَمِ إلى الشامِ ، وقد أدْرَك جِنْكِزْخان[3] جدَّ هولاوو ، وقد كان كَتْبُغا هذا يَعْتَمِدُ فى حُروبِه للمسلمين ببلادِ خراسانَ والعراقِ أشْياءَ لم يَسْبِقْه إليها أحدٌ ، كان إذا فتَح بلدًا ساق المُقاتِلةَ منه إلى البلدِ الذى يَلِيه ، ويَطْلُبُ مِن أهلِ البلدِ [١٠/٦٢و] أن يُؤْووا هؤلاء إليهم ، فإن فعَلوا حصَل مَقْصودُه فى تَضْييقِ الأطْعِمةِ والأشْرِبةِ عليهم ، فتَقْصُرُ مُدَّةُ الحِصارِ عليه[4] ، وإن امْتَنعوا مِن إيوائِهم عندَهم قاتَلهم[5] بهؤلاء حتى يَفْنَى هؤلاءِ ، فإن حصَل الفتحُ وإلا كان قد أضعَف أولئك بهولاءِ ثم استأنَف قتالَهم بمَن عندَه حتى يَفْتَحَه . وكان يَبْعَثُ إلى الحصنِ يقولُ لهم : إن ماءَكم قد قلَّ ، فافْتَحوا صُلحًا قبلَ أن نَأْخُذَكم قَسْرًا . فيقولون : إن الماءَ عندَنا كثيرٌ فلا نَحْتاجُ إلى ماءٍ . فيَقولُ : لا أُصَدِّقُ حتى أَبْعَثَ مِن عندى مَن يُشْرِفُ عليه ، فإن كان كثيرًا انْصَرَفْتُ عنكم . فيقولون : ابْعَثْ مَن يُشْرِفُ

---

(١) بعده فى م : « فكسرهم وطردهم عن البلاد وقد روى عنه أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفىء الظلال وتهب الرياح ويدعوا لنا الخطباء والناس فى صلاتهم رحمه اللَّه تعالى » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣، والعبر ٥/ ٢٤٩، وعقد الجمان ١/ ٢٨٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٨، وذكره فى وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة ، وهو الصواب ؛ لأنه قتل فى معركة عين جالوت وكانت فى سنة سبع وخمسين وستمائة .

(٣) بعده فى الأصل : « الكبير » ، وبعده فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥: « الأخير » .

(٤) بعده فى م : « لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم » .

(٥) بعده فى م : « بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذى فتحه قبل ذلك فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك » .

على ذلك . فيُرْسِلُ رجالًا مِن جيشِه ، معهم رِماحٌ مُجَوَّفةٌ مَحْشُوَّةٌ سُمًّا ، فإذا دخَلوا ساطوا[1] ذلك الماءَ بتلك الرماحِ ، فيَنْفَتِحُ ذلك السُّمُّ ويَسْتَقِرُّ فى الماءِ ، فيَكُونُ سببَ هَلاكِهم وهم لا يَشْعُرون ، لعَنه اللَّهُ لَعْنةً تَدْخُلُ معه فى قبرِه . وكان شيخًا كبيرًا قد أسَنَّ ، وكان يَمِيلُ إلى دينِ النصارى ، ولكن لا يُمْكِنُه الخروجُ عن حكمِ جِنْكِزْخان فى الياساقِ .

قال الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ[2] : وقد رأَيْتُه ببَعْلَبَكَّ حينَ حاصَر قلعتَها ، وكان شيخًا حسَنًا ، له لحيةٌ طويلةٌ مُسْتَرْسِلةٌ رقيقةٌ قد ضفَرها مثلَ الدَّبُّوقةِ ، وتارةً يُعَلِّقُها فى حلقةٍ بأُذُنِه ، وكان مَهيبًا ، شديدَ السَّطْوةِ . قال : وقد دخَل الجامعَ ، فصعِد المَنارةَ ليَتَأَمَّلَ القلعةَ منها ، ثم خرَج مِن البابِ الغربىِّ ، فدخَل دُكَّانًا خَرابًا ، فقضَى حاجتَه والناسُ يَنْظُرون إليه ، وهو مَكْشوفُ العَوْرةِ ، فلما فرَغ مسَحه بعضُ أصحابِه بقطنٍ مُلَبَّدٍ مَسْحةً واحدةً .

قال[3] : ولما بلَغه خروجُ المُظَفَّرِ إليه بالعَساكرِ المصريةِ تلَوَّم فى أمرِه ، ثم حمَلَته نفسُه الأبِيَّةُ على لقائِهم ، وظنَّ أنه يَنْتَصِرُ كما كانت عادتُه ، فحمَل يومَئذٍ على المَيْسَرةِ فكسَرها ، ثم أيَّد اللَّهُ المسلمين وثبَّتهم ، فحمَلوا حملةً صادقةً على التَّتارِ ، فهزَموهم هزيمةً لا تُجْبَرُ أبدًا ، وقُتِل كَتْبُغانُوين فى المعركةِ ، وأُسِر ابنُه ، وكان شابًّا حسنًا ، فأُحْضِر بينَ يدى المُظَفَّرِ قُطُز ، فقال له : أهَرَب أبوك ؟ قال : إنه لا يَهْرُبُ . فطلَبوه فوجَدوه بينَ القَتْلَى ، فلما رآه ابنُه صرَخ وبكَى ، فلما تحقَّقه

---

(١) ساطوا : خَلَطوا ومَزجوا . الوسيط (س و ط) .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٤.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٥.

المُظَفَّرُ[1] قال : نام[2] طَيِّبًا ، كان هذا سَعادةَ التَّتارِ ، وبقتلِه ذهَب سَعْدُهم . وهكذا كان كما قال ، ولم يُفْلِحوا بعدَه أبدًا ، وكان قتلُه يومَ الجمعةِ الخامسَ والعشرين مِن رمضانَ ، لعَنه اللَّهُ تعالى ، وكان الذى قتَل كُتْبُغانوين الأميرُ جمالُ الدينِ آقوشُ الشَّمْسىُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ محمدٌ الفقيهُ اليُونِينىُّ الحنبلىُّ البَعْلَبَكِّىُّ الحافظُ[3] ، هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عيسى بنِ أبى الرجالِ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ محمدِ[4] ابنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ إسحاقَ بنِ جعفرٍ الصادقِ - كذا نقَل هذا الانتسابَ الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ مِن خطِّ أخيه الأكبرِ أبى الحسينِ[5] علىٍّ ، وأخْبَره أن والدَه قال له : نحن مِن سُلالةِ جعفرٍ الصادقِ . قال[6] : وإنما ذكَر له هذا عندَ الموتِ ليَتَحَرَّجَ مِن قَبولِ الصَّدقةِ - أبو عبدِ اللَّهِ بنُ أبى الحسينِ اليُونِينىُّ الحنبلىُّ تَقىُّ الدينِ الفَقيهُ الحَنْبلىُّ الحافظُ المُفِيدُ البارعُ العابدُ الناسكُ ، وُلِد سنةَ ثنتَيْن وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الخُشُوعىَّ وحَنْبَلًا والكِنْدىَّ والحافظَ عبدَ الغَنىِّ المَقْدِسىَّ ، وكان يُثْنِى عليه ، وتفَقَّه على الشيخِ المُوَفَّقِ ، ولزِم صحبةَ الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونِينىِّ ، وانْتَفَع به ، وكان الشيخُ عبدُ اللَّهِ يُثْنِى عليه ، ويُقَدِّمُه ويَقْتَدِى به فى الفَتاوَى الشرعيةِ ، وقد لَبِس الخِرْقةَ مِن الشيخِ عبدِ اللَّهِ البَطائحىِّ ، وبرَع فى علمِ

---

(١) بعده فى م : « سجد للَّه تعالى ثم » .

(٢) كذا فى الأصل ، وذيل مرآة الزمان . وفى م : « أنام » . والذى قال ذلك ابن كتبغا ، قاله للسلطان قطز . والصواب : « نم » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، والذيل على مرآة الزمان ٢/ ٣٨ ، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩ ، والعبر ٥/ ٢٤٨ ، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢١ ، والدليل الشافى ٢/ ٥٨٨ ، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٤ .

(٤) بعده فى ذيل مرآة الزمان : « بن أحمد » .

(٥) فى ذيل مرآة الزمان : « الحسن » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٥٦ ، ٥٧ .

الحديثِ ، وحفِظ « الجمعَ [١٠/٦٢ظ] بينَ الصحيحَيْن » بالفاءِ والواوِ ، وحفِظ قطعةً صالحةً مِن « مُسْندِ الإمامِ أحمدَ » ، وكان يَعْرِفُ العربيةَ ، أخَذ ذلك عن التاجِ الكِنْدىِّ ، وكتَب مَليحًا حسنًا ، وكان الناسُ يَنْتَفِعون بفُنونِه الكثيرةِ ، ويَأْخُذون عنه الطريقةَ الحسنةَ ، وحصَلَت له وَجاهةٌ عظيمةٌ عندَ الملوكِ وغيرِهم ، توَضَّأ مرةً عندَ الملكِ الأشرفِ وهو عندَه بالقلعةِ حالَ سَماعِ « البُخارىِّ » على الزَّبيدىِّ ، فلما فرَغ مِن الوضوءِ نقَض السلطانُ تَخْفِيفةً ، وبسَطها على الأرضِ لِيَطَأَ عليها ، وحلَف السلطانُ له أنها طاهرةٌ ولابد أن يَطَأَها برِجْلِه ، ففعَل ذلك .

ولما قدِم الكاملُ على أخيه الأشرفِ دمشقَ ، أنْزَلَه القلعةَ ، وتحَوَّل الأشْرفُ لدارِ السعادةِ ، وجعَل يَذْكُرُ للكاملِ مَحاسِنَ الشيخِ الفقيهِ ، فقال : أَشْتَهى أن أَراه . فأرْسَل إليه إلى بَعْلَبَكَّ بطاقةً ، فاسْتَحْضَره فوصَل إلى دارِ السَّعادةِ ، فنزَل الكاملُ إليه ، وتحادَثا وتَذاكَرا شيئًا مِن العلمِ ، فذُكرتْ مسألةُ القتلِ بالمُثَقِّلِ ، وجرَى ذكرُ حديثِ الجاريةِ التى قتَلها اليهودىُّ ، فرَضَّ رأسَها بينَ حجَرَيْن ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتلِه[1] ، فقال الكاملُ : إنه لم يَعْتَرِفْ . فقال الشيخُ الفقيهُ : فى « صحيحِ مسلمٍ » : فاعترف . فقال الكاملُ : أنا اخْتَصَرْتُ « صحيحَ مسلمٍ » ، ولم أَجِدْ هذا فيه . [2]فقال : بلى[2] . فأرْسَل الكاملُ ، فأحْضَر خمسَ مجلداتِ اخْتِصارِه « لمسلم » ، فأخَذ الكاملُ مجلدًا ، والأشرفُ مجلدًا ، وعِمادُ الدينِ بنُ مُوسَك آخرَ ، [3]والملكُ الصالحُ مجلدًا[3] وأخَذ الشيخُ الفَقيهُ مجلدًا ، فأولَ ما فتَحه وجَد الحديثَ كما قال الشيخُ الفقيهُ ، فتعَجَّب الكاملُ مِن اسْتِحْضارِه وسُرْعةِ كشفِه ،

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤١٣) ، ومسلم (١٦٧٢) كلاهما من حديث أنس بن مالك .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وهو الصواب ليكون عدد الأشخاص مناسبًا لعدد المجلدات .

وأراد أن يَأْخُذَه معه إلى الديارِ المصريةِ ، فأرْسَله الأشْرَفُ سريعًا إلى بَعْلَبَكَّ ، وقال للكاملِ : إنه لا يُؤْثِرُ ببَعْلَبَكَّ شيئًا . فأرْسَل له الكاملُ ذهبًا كثيرًا[1] . قال ولدُه قُطْبُ الدينِ[2] : كان والدى يَقْبَلُ بِرَّ الملوكِ ، ويَقولُ : أنا لى فى بيتِ المالِ أكثرُ مِن هذا . ولا يَقْبَلُ مِن الأمراءِ ولا مِن الوُزراءِ شيئًا إلا أن يَكونَ هديةَ مأكولٍ ونحوِه ، ويُرْسِلُ إليهم مِن ذلك ، فيَقْبَلونه على سبيلِ التَّبَرُّكِ والاسْتِشْفاءِ . وذكَر أنه كثُر مالُه وأَثْرَى ، وصار له سَعَةٌ مِن المالِ كثيرةٌ ، وذُكِر له أن الأشرفَ كتَب له كتابًا بقريةِ يُونِين ، وأعْطاه لمُحْيى الدينِ بنِ الجوزىِّ ليَأْخُذَ عليه خطَّ الخليفةِ ، فلما شعَر والدى بذلك أخَذ الكتابَ ومزَّقه ، وقال : أنا فى غُنْيةٍ عن ذلك . قال : وكان والدى لا يَقْبَلُ شيئًا مِن الصدقةِ ، ويَزْعُمُ أنه مِن ذريةِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه . قال : وقد كان قبلَ ذلك فقيرًا لا شىءَ له . وكان للشيخِ عبدِ اللَّهِ زوجةٌ ، ولها ابنةٌ جميلةٌ ، وكان الشيخُ يقولُ لها : زَوِّجِيها مِن الشيخِ محمدٍ . فتقولُ : إنه فقيرٌ ، وأنا أُحِبُّ أن تَكونَ ابنتى سعيدةً . فيقولُ لها : كأنى أَنْظُرُ إليهما إياه وإياها فى دارٍ فيها بِرْكةٌ ، وله رزقٌ كثيرٌ ، والملوكُ يَتَرَدَّدون إلى زيارتِه . فزوَّجَتها منه ، فكان الأمرُ كذلك ، وكانت أُولَى زوجاتِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وكانت الملوكُ كلُّها تجىءُ مدينتَه ، ويُعظِّمونه جدًّا ؛ بنو العادلِ وغيرُهم ، وكذلك كان مَشايخُ الفقهاءِ كابنِ الصلاحِ ، وابنِ عبدِ السلامِ ، وابنِ الحاجبِ ، والحَصِيرىِّ ، وشمسِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ ، وابنِ الجَوْزىِّ ، وغيرِهم يُعَظِّمونه ويَرْجِعون [١٠/٦٣و] إلى قولِه لعلمِه وعملِه ودِيانتِهِ وأمانتِهِ .

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان أنه امتنع من قبول الذهب .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤، ٤٥.

وقد ذُكِرَت له أحوالٌ ومُكاشَفاتٌ وكَراماتٌ كثيرةٌ، قدَّس اللَّهُ رُوحَه، وزعَم بعضُهم[1] أنه قُطْبٌ منذ ثنتَيْ عشْرةَ سنةً. فاللَّهُ أعلمُ. وذكَر الشيخُ الفَقيهُ قال: كنتُ عزَمْتُ مرةً على الرحلةِ إلى حَرَّانَ، وكان قد بلَغَنى أن رجلًا بها يَعْلَمُ علمَ الفَرائضِ جيدًا، فلما كانت الليلةُ التى أُرِيدُ من صبيحتِها أسافرُ جاءَتْنى رسالةُ الشيخِ عبدِ اللَّهِ اليُونينىِّ يَعْزِمُ علىَّ إلى القدسِ الشريفِ، وكأنى كرِهْتُ ذلك، وفتَحْتُ المُصْحفَ، فطلَع قولُه: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١]. فخرَجْتُ معه إلى القدسِ، فوجَدْتُ ذلك الرجلَ الحَرَّانىَّ بالقدسِ الشريفِ، فأخَذْتُ عنه علمَ الفَرائضِ حتى خُيِّل لى أنى قد صِرْتُ أبْرَعَ فيه منه.

وقال الشيخُ أبو شامةَ[2]: كان رجلًا ضخمًا، وحصَل له قَبولٌ كثيرٌ مِن الأمراءِ وغيرِهم، وكان يَلْبَسُ قُبَّعًا، صوفُه إلى خارجٍ، كما كان شيخُه عبدُ اللَّهِ اليُونينىُّ. قال: وقد صنَّف شيئًا فى المِعْراجِ، فردَدْتُ عليه فى كتابٍ سمَّيْتُه «الواضحَ الجلىَّ فى الردِّ على الحنبلىِّ». وذكَر ولدُه قُطْبُ الدينِ أنه مات فى التاسعَ عشَرَ مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ عن ثمانٍ وثمانين سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

محمدُ بنُ خَليلِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ بدرٍ، أبو عبدِ اللَّهِ البَيْطارُ الأكَّالُ[3]، أصلُه مِن جبلِ بنى هِلالٍ، ووُلِد بقصرِ حَجَّاجٍ، وكان مُقيمًا بالشاغورِ، وكان

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٦٦.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٧٢، والوافى بالوفيات ٣/ ٤٩.

فيه صلاحٌ ودينٌ وإيثارٌ للفقراءِ والمَحاويجِ والمَحابيسِ ، وكانت له حالٌ غريبةٌ ؛ لا يَأْكُلُ لأحدٍ شيئًا إلا بأُجْرةٍ ، وكان أهلُ البلدِ يَتَرامَوْن عليه ليَأْكُلَ لهم الأشْياءَ المُفْتَخَرةَ الطيبةَ ، فيَمتَنِعُ إلا بأُجْرةٍ جيدةٍ ، وكلما تمنَّع مِن ذلك حلا عندَ الناسِ ، وأحَبُّوه ومالوا إليه ، فيأْتُونه بأشياءَ كثيرةٍ مِن الحَلاواتِ والشِّواءِ وغيرِ ذلك ، وأُجْرةٍ جيدةٍ مع ذلك ، وهذا غريبٌ جدًّا ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورضِى عنه بمنِّه وكرمِه آمِينَ .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وخمسين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] بيومِ الاثنينِ لأيامٍ خلَوْن مِن كانونَ الأولِ ، وليس للمسلمين خليفةٌ ، وصاحبُ مكةَ أبو نُمَيٍّ بنُ أبى سعدٍ[2] بنِ علىٍّ بنِ قَتادةَ الحسَنىُّ ، وعمُّه إدريسُ بنُ علىٍّ شَريكُه ، وصاحبُ المدينةِ الأميرُ عِزُّ الدينِ جَمَّازُ بنُ شِيحَةَ الحُسَينىُّ ، وصاحبُ الديارِ المصريةِ والشاميةِ[3] السلطانُ الملكُ الظاهرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدَارىُّ ، وشريكُه فى دمشقَ وبَعْلَبَكَّ والصُّبَيبةِ وبانياسَ الأميرُ علمُ الدينِ سَنْجَرُ الحلبىُّ المُلَقَّبُ بالملكِ المجاهدِ ، وشَريكُه فى حلَبَ الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجين[4] الجُوكَنْدَار[5] العَزيزىُّ ، والكَرَكُ والشَّوْبَكُ للملكِ المُغيثِ فتحِ الدينِ عمرَ ابنِ العادلِ سيفِ الدينِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ الكبيرِ سيفِ الدينِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ . وحصْنُ صِهْيَونَ[6] وبَرْزَيَةَ[7] فى يدِ الأميرِ مُظَفَّرِ الدينِ عثمانَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/٨٧ - ٨٩، وعقد الجمان ١/ ٢٨٧، ٢٨٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) فى الأصل، م: «سعيد». والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) يعنى معظم الشام كما فى ذيل مرآة الزمان، وسيذكر المصنف فيما يأتى بعض مناطق الشام - حماة وغيرها - لغير الملك الظاهر.

(٤) فى م: «لاشين».

(٥) فى م: «الجوكندارى». والجُوكَانْدار: لقبٌ على الذى يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة، ويجمع على جُوكان دارِيَّة، وهو مركب من لفظتين فارسيتين، إحداهما جوكان، وهو المِحْجَن الذى تُضْرَب به الكُرَة، ويعبر عنه بالصَّوْلَجان أيضًا: والثانية: دار، ومعناه مُمْسِك. فيكون المعنى: ممسك الجوكان. والعامة تقول: جُكَندار. بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف. انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨.

(٦) فى م: «جهيون». وصهيون: موضع معروف بالبيت المقدس، محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضا: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٣٨.

(٧) فى الأصل: «باررنا»، وفى م: «بازريا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان. وبرزيه: =

ابنِ ناصرِ الدينِ مَنْكورس[1] ، وصاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ بنُ تَقيِّ الدينِ محمودٍ ، وصاحبُ حِمْصَ الأشرفُ بنُ المنصورِ إبراهيمَ بنِ أسدِ الدينِ الناصرِ ، وصاحبُ المَوْصلِ الملكُ الصالحُ إسماعيلُ بنُ البدرِ لؤلؤٌ ، وأخوه الملكُ المُجاهِدُ صاحبُ جَزيرةِ ابنِ عمرَ ، وصاحبُ ماردِينَ الملكُ السعيدُ نَجْمُ الدينِ إيل غازى ابنُ أُرْتُق ، وصاحبُ بلادِ الرومِ رُكْنُ الدينِ قِلِيج[2] أرسَلان بنُ كَيْخُسْرُو السَّلْجوقيُّ ، وشَريكُه فى الملكِ أخوه كَيْكاوُس والبلادُ بينَهما نصفين ، وسائرُ بلادِ المشرقِ من خُراسانَ والعراقِ بأيدى التَّتارِ أصحابِ هُولاكوقان ، وبلادُ اليمنِ يَمْلِكُها غيرُ واحدٍ مِن الملوكِ ، [١٠/٦٣ظ] وكذلك بلادُ[3] المغربِ ، فى كلِّ قُطْرٍ منها مَلِكٌ .

وفى هذه السنةِ[4] أغارت التَّتارُ على بلادِ حلَبَ ، [5]وانجفَل الناسُ وحَصَل لهم رعبٌ شديدٌ والتقى التَّتَرُ مع نائبِ حلبَ الأميرِ[5] حسامِ الدينِ الجُوكَنْدَار العَزيزىِّ ، والمنصورِ صاحبِ حَماةَ ، والأشْرَفِ صاحبِ حِمْصَ ، وكانت الوَقْعةُ عند[6] حمصَ قريبًا مِن قبرِ خالدِ بنِ الوليدِ ، والتَّتارُ فى ستةِ آلافٍ ، وإنما كان مع هؤلاء من المسلمين ألفٌ وأربعُمائةٍ ، فهزَمهم اللَّهُ تعالى ، وقتلوا أكثرَ التتارِ وللَّهِ

= حصن قرب السواحل الشامية على سنّ جبل شاهق ، و « برزيه » نطق العامة - كما قال الحموى - ولعلَّ المصادر ذكرتْه لاشتهاره واسمها : « بزرويه » . انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٥.

(١) فى الأصل ، م : « مكورس » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٢) فى م : « فلج » .

(٣) بعده فى م : « الجوكندى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١١، ٢١٢، وذيل مرآة الزمان ٢/٨٩ - ٩١، ونهاية الأرب ٣٠/٤٠ - ٤٣، والعبر ٥/ ٢٥١، ٢٥٢، وعقد الجمان ١/٢٦٧ - ٢٧٠.

(٥ - ٥) فى م : « فلقيهم صاحبها » .

(٦) فى م : « شمالى » .

الحمدُ ، فرجَع التتَّارُ إلى حلبَ ، فحصَروها أربعةَ أشهرٍ ، وضيَّقوا عليها الأقْواتَ ، وقتَلوا مِن الغُرباءِ خلقًا كثيرًا صبْرًا ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، والجيوشُ الذين كسَروهم على حمصَ لم يَرْجِعوا إلى حَلَبَ ، بل ساقوا إلى الديارِ المصريةِ فتلَقَّاهم السلطانُ الملكُ الظاهرُ (١ فى أُبَّهةِ السَّلْطنةِ ١) ، وأحْسَن إليهم ، وبقِيَت حلبُ مُحاصَرةً لا ناصرَ لها فى هذه المدةِ ، ولكن سلَّم اللَّهُ سبحانَه وتعالى .

وفى يومِ الاثنينِ سابع صفرٍ (٢) ركِب الملكُ الظاهرُ فى أُبَّهةِ المُلْكِ ، ومشَى الأمراءُ والأجْنادُ بينَ يديه ، وكان ذلك أولَ رُكوبِه ، واسْتَمَرَّ بعدَ ذلك يُتابِعُ الرُّكوبَ واللَّعِبَ بالكرةِ .

وفى (٣ الحادىَ عشَرَ من ٣) صفرٍ خرَج الأُمراءُ بدمشقَ (٤) على الأميرِ علَمِ الدينِ سَنْجَرَ الحلبىِّ ، فقاتَلوه فهزَموه ، وألجئوه إلى القلعةِ ، وحَصَروه فيها ، فهرَب منها إلى قلعةِ بَعْلَبَكَّ ، وتسَلَّم قلعةَ دمشقَ الأميرُ علاءُ الدينِ أَيْدِكِين البُنْدُقْدارىُّ ، وكان مملوكًا لجَمالِ الدينِ بنِ (٥) يَغْمُورٍ ، ثم للصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ ، وإليه يُنْسَبُ الملكُ الظاهرُ ، فأرْسَله السلطانُ ليَتَسَلَّمَ دمشقَ مِن الحَلَبىِّ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ ، فأخَذها وسكَن القلعةَ بها نيابةً عن الملكِ الظاهرِ ، ثم حاصَروا الحَلَبىَّ ببَعْلَبَكَّ ، حتى أخرجوه منها على بَغْلٍ ، وأرسلوه إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، فدخَل عليه ليلًا ، فعاتَبه ثم أطْلَق له أشْياءَ وأكْرَمه .

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩١، والسلوك ١/ ٤٤٣، ٤٤٤ (القسم الثانى) .

(٣ - ٣) فى م : « سابع عشر » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩١، ٩٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨، ٣٩، وعقد الجمان ١/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٥) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ١/ ٩٤، والسلوك ١/ ٤٤٥ (القسم الثانى) .

وفى يومِ الاثنينِ ثامن ربيعٍ الأولِ[1] اسْتَوْزَر الملكُ الظاهرُ بَهاءَ الدينِ علىَّ بنَ محمدٍ ، المعروفَ بابنِ الحِنَّا .

وفى ربيعٍ الآخِرِ[2] قبَض الظاهرُ على جَماعةٍ مِن الأمراءِ بلَغه عنهم أنهم يُرِيدون الوُثوبَ عليه . وفيه أرْسَل إلى الشَّوْبَكِ[3] فتسَلَّمها مِن أيدى نُوَّابِ المُغيثِ صاحبِ الكَرَكِ .

وفيها جهَّز الظاهرُ جيشًا إلى حلَبَ[4] ليَطْرُدوا التَّتارَ عنها ، فلما وصَل الجيشُ إلى غَزَّةَ كتَب الفِرِنْجُ إلى التَّتارِ يُنْذِرونهم ، فرحَلوا عنها مُسْرِعين ، واسْتَوْلى على حلَبَ جَماعةٌ مِن أهلِها ، فصادَروا ونهَبوا وبلَغوا أغْراضَهم ، وقدِم إليها الجيشُ الظاهرىُّ ، فأزالوا ذلك كلَّه ، وصادَروا بعضَ أهلِها بألفِ ألفٍ وستِّمائةِ ألفٍ ، ثم قدِم الأميرُ شمسُ الدينِ آقوشُ البَرْلى[5] مِن جهةِ الظاهرِ ، فاستولى على البلدِ واستحوذ عليها ، فقطَع ووصَل وحكَم [6] ولكن ما عدَل[6] .

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشرِ جُمادَى الأولى[7] باشَر القَضاءَ بالديارِ المصريةِ العلّامةُ الشيخُ تاجُ الدينِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ بنتِ القاضى الأعَزِّ أبى القاسمِ خلفِ بنِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨، والسلوك ١/٤٤٧ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٢، ٩٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨، ١٩، والسلوك ١/٤٤٧ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٢٨٩.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ٤٩.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٣، ٩٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٤٢، ٤٣، وعقد الجمان ١/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٥) هنا وما سيأتى فى م: «التركى».

(٦ - ٦) فى م: «وعدل».

(٧) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩، والسلوك ١/٤٤٨ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٢٨٩.

القاضى رَشيدِ الدينِ[1] أبى الثَّناءِ محمودِ بنِ بدرِ العَلامىِّ[2]، وذلك بعدَ شُروطٍ ذكَرها للظاهرِ شديدةٍ، فدخَل تحتَها الملكُ الظاهرُ، وعُزِل عن القَضاءِ بدرُ الدينِ أبو المَحاسِنِ يوسُفُ بنُ علىٍّ السِّنْجارىُّ، ورُسِم عليه أيامًا، ثم أُفْرِج عنه.

ذِكر البيعةِ بالخِلافةِ للمُسْتَنْصِرِ باللَّـهِ أبى القاسمِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين الظاهرِ [3]بأمرِ اللَّـهِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين الناصرِ لدينِ اللَّـهِ أبى العباسِ أحمدَ العباسىّ وهو عمُّ المستعصمِ[3]

وكان مُعْتَقَلًا ببغدادَ ثم أُطْلِق، فكان مع جَماعةِ الأعرابِ بالعراقِ، [١٠/ ٦٤و] ثم قصَد الظاهرَ حينَ بلَغه مُلْكُه، فقدِم مصرَ صُحبْةَ جَماعةٍ مِن أمراءِ الأعرابِ عشرةٍ، منهم الأميرُ ناصرُ الدينِ مُهَنَّا، وكان دخولُه إلى القاهرةِ فى ثامنِ رجبٍ، فخرَج السلطانُ ومعه الوزيرُ [4]و[5]القاضى تاجُ الدينِ[4] والشهودُ والمُؤَذِّنون فتلَقَّوْه، وكان يومًا مشهودًا، وخرَج أهلُ التَّوْراةِ بتَوْراتِهم، والنَّصارَى بإنْجِيلِهم، ودخَل مِن بابِ النصرِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ، فلما كان يومُ الاثنينِ ثالثَ عشَرَ رجبٍ جلَس السلطانُ والخليفةُ فى الإيوانِ بقلعةِ الجبلِ، والوزيرُ والقاضى والأُمراءُ على طَبَقاتِهم، وأُثْبِت نسبُ الخليفةِ المذكورِ على

---

(١) بعده فى الأصل، م: «بن». والمثبت كما فى ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان.

(٢) فى م: «العلائى».

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/٩٤ - ٩٨، والسلوك ١/٤٤٨ - ٤٥١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/٢٩٣ - ٢٩٧.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: الأصل. والمثبت من مصادر التخريج.

الحاكمِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ بنِ بنت الأعَزِّ.

وهذا الخليفةُ هو أخو المُسْتَنْصِرِ بانى المُسْتَنْصِريةِ[1]، وعمُّ المُسْتَعْصِمِ[2]، بُويع بالخِلافةِ بمصرَ، بايَعه الملكُ الظاهرُ والقاضى والوزيرُ والأمراءُ، وركِب فى دَسْتِ الخِلافةِ بديارِ مصرَ والأُمراءُ بينَ يديه، والناسُ حولَه، وشقَّ القاهرةَ، وكان يومًا مشهودًا، وذلك فى الثالثَ عشَرَ من رجبٍ من هذه السنةِ، وهذا الخليفةُ هو الثامنُ والثلاثون مِن خُلفاءِ بنى العباسِ، بينَه وبينَ العباسِ أربعةٌ وعشرون أبًا، وكان أولَ مَن بايَعه يومئذٍ القاضى تاجُ الدينِ عندما ثبت عنده نسبُه، ثم السلطانُ الملكُ الظاهرُ ثم الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ والأُمراءُ والدولةُ، ولله الحمدُ والمنةُ، وخُطِب له على المَنابرِ، وضُرِب اسمُه على السِّكَّةِ، وكان مَنْصِبُ الخِلافةِ شاغِرًا منذُ ثلاثِ سنينَ ونصفٍ؛ لأن المُسْتَعْصِمَ قُتِل فى أولِ سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّمائةٍ، وبُويع هذا فى يومِ الاثنينِ فى الثالثَ عشَرَ من رجبٍ مِن هذه السنةِ - أعْنِى سنةَ تسعٍ وخمسين وستِّمائةٍ - وكان أسمرَ وَسيمًا، شديدَ القُوَى، عالىَ الهِمَّةِ، له شَجاعةٌ وإقْدامٌ، وقد لقَّبوه بالمُسْتَنْصِرِ كما كان أخوه بانى المدرسةِ ببغدادَ تلقَّب، وهذا أمْرٌ لم يُسْبَقْ إليه؛ أن خليفَتَيْن أخوين يُلَقَّبُ كلٌّ منهما بالآخَرِ، وقد ولِى الخلافةَ أخوان كهذين؛ السَّفَّاحُ وأخوه المنصورُ وَلَدا[3] محمدِ ابنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ العباسِ، والهادى والرشيدُ [4]ابنا[5] المهدِىِّ بنِ المنصورِ، والواثقُ والمتوكلُ ابنا المعتصمِ بنِ الرشيدِ[4]، والمُسْتَرْشِدُ والمُقْتَفِى وَلَدا المُسْتَظْهِرِ،

---

(١) فى الأصل: «المدرسة». وهى المدرسة المستنصرية ببغداد، كما سيشير لذلك المصنف قريبًا.

(٢) فى الأصل: «المستنصر».

(٣) فى الأصل، م: «وكذا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى الأصل: «وكذلك». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

وأما ثلاثةٌ ؛ فالأمينُ والمأمونُ والمُعْتَصِمُ[1] أولادُ الرَّشيدِ ، والمُنْتَصِرُ[2] والمُعْتَزُّ و[3]المُعْتَمِدُ أولادُ المُتَوَكِّلِ[3] ، وأما أربعةٌ فأولادُ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ؛ الوليدُ وسليمانُ ويزيدُ وهشامٌ .

[4]وقد وَلِيَ هذا الخلافةَ بعد ابنِ أخيه المستعصمِ بنِ المستنصرِ ، ولم يكنْ هذا قبلَه إلَّا[5] فى خلافةِ المقتفِى بنِ المستظهرِ ؛ فإنه وَلِيَها بعد ابن أخيه الراشدِ [6]بنِ المسترشدِ[6] بنِ المستظهرِ ، واللَّه أعلمُ[4] وكانت مدةُ خِلافتِه إلى أن فُقِد - كما سيأتى بيانُه - خمسةَ أشهرٍ وعشرين يومًا ، وكان أقْصَرَ مدةً مِن جميعِ خلفاءِ بنى العباسِ .

وأما بنو أميةَ فكانت مدةُ خلافةِ مُعاويةَ بنِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ أربعين يومًا ، وإبراهيمَ بنِ الوليدِ[7] سبْعين يومًا ، وأخيه يزيدَ بنِ الوليدِ [١٠/٦٤ظ] خمسةَ أشهرٍ . وكانت مدةُ خلافةِ الحسنِ بنِ علىٍّ بعدَ أبيه سبعةَ أشهرٍ وأحدَ عشَرَ يومًا ، [8]وكانت مدةُ مَرْوانَ بنِ الحكمِ تسعةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ[8] ، وقد كان فى خُلفاءِ بنى العباسِ مَن لم يَسْتَكِملْ سنةً ؛ منهم المُنْتَصِرُ بنُ المُتَوَكِّلِ ستةَ أشهرٍ ، والمُهْتَدِى بنُ الواثقِ أحدَ عشَرَ شهرًا وأيامًا .

---

(١) فى الأصل : « المستعصم » .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان : « المستنصر » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « المطيع أولاد المقتدر » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . وانظر المصدر السابق .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : الأصل . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٦١، ٥٦٨، ٥٦٩.

(٦ - ٦) سقط من : ذيل مرآة الزمان . وانظر المصدر السابق .

(٧) فى الأصل : « الوليد الناقص » ، وفى م : « يزيد الناقص » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . ويزيد الناقص هو أخوه الذى ذكره المصنف بعده مباشرة .

(٨ - ٨) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى ذيل مرآة الزمان .

وقد أُنْزل الخليفةُ المستنصرُ هذا بقلعةِ الجبلِ فى بُرْجٍ هو وحَشَمُه وخَدَمُه ، فلما كان يومُ سابعَ عشرَ رجبٍ ركِب فى أبَّهةِ السَّوادِ ، وجاء إلى الجامعِ بالقلعةِ ، فصعِد المنبرَ ، وخطَب الناسَ خُطْبةً ذكَر فيها شرفَ بنى العباسِ ، ثم اسْتَفْتَح ، فقرَأ صدرًا مِن « سورةِ الأنعامِ » ، ثم صلَّى على النبىِّ ﷺ ، وترَضَّى عن الصحابةِ ، ودعا للسلطانِ الظاهرِ ، ثم نزَل فصلَّى بالناسِ ، فاسْتَحْسَنوا ذلك منه ، وكان وقتًا حسنًا ويومًا مشهودًا .

تولية الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ باللَّهِ المَلِكَ الظاهرَ السَّلْطنةَ[1]

لما كان يومُ الاثنينِ الرابعُ مِن شعبانَ ركِب الخليفةُ والسلطانُ والوزيرُ والقُضاةُ والأمراءُ وأهلُ الحَلِّ والعَقْدِ إلى خَيْمةٍ عظيمةٍ قد ضُرِبَت ظاهرَ القاهرةِ ، فألْبَس الخليفةُ السلطانَ بيدِه خِلْعةً سوداءَ ، وطَوْقًا فى عنقِه ، وقيْدًا فى رجلَيه ، وهما مِن ذهبٍ ، وصعِد فخرُ الدينِ إبراهيمُ بنُ لُقْمانَ رئيسُ الكُتَّابِ مِنْبرًا ، فقرَأ عليه تَقْليدَ السلطانِ ، وهو مِن إنشائِه وبخطِّه نفسِه ، ثم ركِب السلطانُ بهذه الأُبَّهةِ ، والقَيْدُ فى رجليه ، والطَّوْقُ فى عنقِه ، والوزيرُ بينَ يديه ، وعلى رأسِه التَّقْليدُ ، والأُمراءُ والدولةُ فى خدمتِه مُشاةً سوى الوزيرِ ، فشقَّ القاهرةَ ، وقد زُيِّنَت له ، وكان يومًا مشهودًا يَقصُرُ اللسانُ عن وصفِه ، وقد ذكَر الشيخُ قُطْبُ الدينِ هذا التَّقْليدَ بتمامِه ، وهو مُطَوَّلٌ .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٨، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٠، والسلوك ١/ ٤٥٢ - ٤٥٧ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٢٩٦ - ٣٠٨.

ذكرُ تجهيزِ الخليفةِ قاصدًا إلى بغدادَ[1]

ثم إن الخليفةَ طلَب من السلطانِ أن يُجَهِّزَه إلى بغدادَ ، فرتَّب له جندًا هائلةً ، وأقام له من كلِّ ما ينبغى للملوكِ والخلفاءِ من الحشَمِ والخدمِ والطبلخاناه[2] وغيرِ ذلك ، ثم سار السلطانُ صُحْبتَه قاصِدِين دمشقَ المحروسةَ ، وكان سببَ خروجِ السلطانِ إلى الشامِ أن البُرْلى ، كما تقدَّم ، كان قد اسْتَحْوَذ على حلَبَ ، فأرْسَل إليه الظاهرُ الأميرَ عَلَمَ الدينِ سَنْجَرَ الحلبىَّ الذى كان قد تغَلَّب على دمشقَ ، فطرَده عن حلبَ ، وتسَلَّمها منه ، وأقام بها نائبًا عن السلطانِ ، ثم لم يَزَلِ البُرْلى حتى اسْتَعادها منه ، وأخْرَجه منها هاربًا واستولى عليها كما كان ، فاسْتَناب الظاهرُ على مصرَ عِزَّ الدينِ أَيْدَمُرَ الحِلِّىِّ[3] ، وجعَل تَدْبيرَ المملكةِ إلى الوزيرِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا ، واستَصحب ولدَه فخرَ الدينِ بنَ الحِنَّا وزيرَ الصحبةِ .

وجعَل تدبيرَ العَساكرِ والجُيوشِ إلى الأميرِ بدرِ الدينِ بيلِيك الخازندار[4] ، ثم كان دخولُ السلطانِ صحبةَ الخليفةِ إلى دمشقَ فى يومِ الاثنين سابعِ ذى القَعْدةِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وصلَّيا الجمعةَ بجامعِ دمشقَ ، [١٠/٦٥و] وكان دُخولُ الخليفةِ مِن بابِ البَريدِ ، ودخَل السلطانُ مِن بابِ الزيادةِ[5] ، وكان يومًا مشهودًا

---

(١) كنز الدرر ٨/ ٧٩، وعقد الجمان ١/ ٣١٠.

(٢) الطبلخاناه : طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تُدَقُّ فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب وهى من الآلات العامة لجميع الملوك . صبح الأعشى ٤/ ٨.

(٣) فى م : « الحلبى » .

(٤) ذكره ابن العماد فى الشذرات ٥٦/٧ بوظيفة جاشنكير .

(٥) فى م : « الزيارة » .

أيضًا ، ثم جهَّز السلطانُ الخليفةَ وأَصْحَبه[1] أولادَ صاحبِ الموصلِ ، وأنْفَق عليه وعليهم وعلى مَن اسْتَقَلَّ معه مِن الجيشِ - الذين يَرُدُّون عنه ما لم يُقَدِّرِ اللَّهُ - مِن الذهبِ[2] العينِ ألفَ ألفِ دينارٍ[2] ، وأطْلَق له وزاده ، فجزاه اللَّهُ خيرًا ، وقدِم إليه صاحبُ حمصَ الملكُ الأشرفُ ، فخلَع عليه ، وأطْلَق له ، وزاده تَلَّ باشِرٍ ، وقدِم صاحبُ حَماةَ المنصورُ ، فخلَع عليه ، وأطْلَق له ، وكتَب له تَقْليدًا ببلادِه ، ثم جهَّز جيشًا صُحْبةَ الأميرِ عَلاءِ الدينِ البُنْدُقْداريِّ إلى حلبَ لمُحارَبةِ البُرْليِّ المُتَغَلِّبِ عليها المُفْسِدِ فيها ، وقد أقام البُرْليُّ بحَلَبَ خليفةً آخرَ لقَّبه بالحاكمِ ، فلمَّا اجْتاز به المُسْتَنْصِرُ سار معه إلى العراقِ ، واتَّفَقا على المَصْلَحةِ وإنْفاذِ الحاكمِ للمُسْتَنْصِرِ ؛ لكونِه أكبرَ منه ، وللَّهِ الحمدُ . لكن خرَج عليهما فى آخرِ السنةِ طائفةٌ مِن التَّتارِ ، ففرَّقوا شمْلَهما ، وقتَلوا خلقًا ممَّن كان معهما ، وعُدِم المُسْتَنْصِرُ ، وهرَب الحاكمُ مع الأعْرابِ . فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وقد كان المُسْتَنْصِرُ هذا فتَح بُلْدانًا كثيرةً فى مَسِيرِه إلى العراقِ ، ولما قاتَله بَهادرُ عليٌّ شِحْنةُ بغدادَ كسَره المُسْتَنْصِرُ ، وقتَلَ أكثرَ أصحابِه ، ولكن خرَج كَمينٌ مِن التَّتارِ ، فهرَب العُرْبانُ والأكْرادُ الذين كانوا مع المُسْتَنْصِرِ ، وثبَت هو فى طائفةٍ ممَّن كان معه مِن التركِ ، فقُتِل كثيرٌ منهم أو أكثرُهم ، وفُقِد هو مِن البَيْنِ ، ونجا الحاكمُ فى طائفةٍ ، وكان هذا فى أولِ المحرمِ مِن سنةِ ستين وستِّمائةٍ ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَم مَثْواه . وهذا هو الذى أشْبَه الحسينَ بنَ عليٍّ فى تَوَغُّلِه فى أرضِ العراقِ مع كثرةِ جنودِها ، وكان الأَوْلَى لهذا أن يَسْتَقِرَّ فى بلادِ الإسلامِ حتى تَتَمَهَّدَ الأمورُ وتَصْفُوَ الأحْوالُ ، ولكن قدَّر اللَّهُ وما شاء فعَل .

---

(١) فى م : « إلى بغداد ومعه » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

وجهَّز السلطانُ الملكُ الظاهرُ جيشًا آخَرَ مِن دمشقَ إلى بلادِ الفِرِنْجِ ، فأغاروا وقتَلوا ، وسبَوْا ورجَعوا سالمين ، وطلَبَت الفِرِنْجُ مِن السلطانِ الصلحَ ، فصالَحَهم مدةً لاشْتغالِه بحلبَ وأعمالِها ، وكان قد عزَل فى شوالٍ عن قَضاءِ مصرَ وحدَها تاجَ الدينِ عبدَ الوهَّابِ ابنَ بنتِ الأعَزِّ ، وولَّى عليها بُرْهانَ الدينِ الخَضِرَ بنَ الحسنِ السِّنْجارىَّ ، وعزَل قاضىَ دمشقَ نجمَ الدينِ أبا بكرِ بنَ صَدْرِ الدينِ أحمدَ ابنِ شمسِ الدينِ يَحْيَى بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ ، وولَّى قاضىَ القُضاةِ شمسَ الدينِ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبى بكرِ بنِ خَلِّكانَ ، وقد ناب فى الحكمِ بالقاهرةِ مدةً طويلةً عن بدرِ الدينِ السِّنْجارىِّ ، فأضاف إليه مع القَضاءِ نظَرَ الأوْقافِ والجامعِ والمارَسْتانِ وتَدْريسَ سبعِ مَدارسَ ؛ العادليةِ والناصريةِ والعذراويةِ والفَلَكيةِ والرُّكْنيةِ والإقباليةِ والبَهنسِيَّةِ ، وقُرِئَ تَقْليدُه يومَ عرفةَ يومَ الجمعةِ بعدَ الصلاةِ بالشُّبَّاكِ الكَمالىِّ مِن جامعِ دمشقَ ، وسافَر القاضى المَعْزولُ مرسَّمًا عليه ، وقد تكَلَّم فيه الشيخُ أبو شامةَ ، وذكَر أنه خان فى وديعةِ ذهبٍ جعَلها فُلوسًا[1] ، فاللَّهُ أعلم . وكانت مدةُ وِلايتِه سنةً وأشهرًا ، وفى يومِ العيدِ يومِ السبتِ سافَر السلطانُ بالعَساكرِ المنصورةِ راجعًا إلى الديارِ المصريةِ ، وقد كان رسولُ الإسماعيليةِ قدِم على السلطانِ بدمشقَ يَتَهَدَّدُه ويَتَوَعَّدُه ويَطْلُبون منه إقْطاعاتٍ كثيرةً ، فلم يَزَلْ يُوقِعُ بينَهم حتى اسْتَأْصَل شَأْفَتَهم [١٠/٦٥ظ] واسْتَوْلَى على بلادِهم ، نصَره اللَّهُ تعالى ، ومكَّن به فى البلادِ ، ونصَر به عبادَه المؤمنين ، آمين .

وفيها فى السادسِ والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ عُمِل عَزاءُ السلطانِ الملكِ الناصرِ

---

(١) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤.

صلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ [1]العزيز محمدِ بنِ الظاهرِ غازِى بنِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ[1] أيوبَ بنِ شادى فاتحِ بيتِ المقدسِ، وكان عُمِل هذا العَزاءُ بقلعةِ الجبلِ مِن الديارِ المصريةِ بأمرِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ، وذلك لما بلَغهم أن هُولَاكُو مَلِكَ التتارِ قتَله، وقد كان فى قَبْضتِه[2]، كما تقدم ذكرُه، فلما بلَغه كَسْرُه أصحابَه بعينِ جالوتَ طلَبه إلى بينِ يديه، وقال له: أنت أرْسَلْتَ الجُيوشَ إلى الديارِ المصريةِ حتى اقْتَتَلوا مع المغُولِ، فكسَروهم. ثم أمَر بقتلِه، ويقالُ: إنه اعْتَذَر إليه، وذكَر أن المصريين كانوا أعْداءَه، وبينَه وبينَهم شَنَآنٌ وقِتالٌ، فأقاله ولكنه انْحَطَّت رُتبتُه عندَه، وقد كان مُكَرَّمًا فى خدمتِه، وقد وعَده أنه إذا ملَك الديارَ المصريةَ اسْتَنابه فى الشامِ، فلما كانت وَقْعةُ حِمْصَ فى هذه السنةِ، وقُتِل فيها أصحابُ هولاكو مع مُقَدَّمِهم بَيْدَرَةَ غضِب وقال له: أصحابُك مِن العزيزيةِ أُمراءِ أَبيك والناصريةُ مِن أصحابِك قتَلوا أصحابَنا. ثم أمَر بقتلِه، وقد ذُكر أنه رماه بالنُّشَّابِ وهو واقفٌ بينَ يديه، وهو يَسْأَلُ العَفْوَ، فلم يَفْعَلْ حتى قتَله وقتَل أخاه شقيقَه الملكَ الظاهرَ عليًّا، وأطْلَق ولَدَيْهما العزيزَ محمدَ ابنَ الناصرِ وزبالةَ بنَ الظاهرِ، وكانا صغيرين مِن أحسنِ أشْكالِ بنى آدمَ، فأما العزيزُ فإنه مات هنالك فى أسْرِ التَّتارِ، وأما زبالةُ فإنه صار إلى الديارِ المصريةِ، فكان أحسنَ مَن بها، وكانت أمُّه أمَّ ولدٍ يقالُ لها: وجهُ القمرِ. فتزَوَّجها بعضُ الأمراءِ بعدَ أستاذِها المذكورِ.

ويقالُ: إن هولاكو لما أراد قتلَ الناصرِ أمَر بأربعٍ مِن الشجرِ مُتَباعداتٍ، فجُمِعَت رءوسُها بحبالٍ، ثم رُبِط الناصرُ فى الأربعِ بأربعتِه، ثم أُطْلِقَت الحبالُ،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) بعده فى م: «منذ مدة».

فرجَعَت كلُّ واحدةٍ إلى مركزِها بعضوٍ مِن أعضاءِ الناصرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد قيل : إن ذلك كان فى الخامسِ والعشرين مِن شوالٍ سنةَ ثمانٍ وخمسين ، وكان مولدُه فى سنةِ سبعٍ وعشرين بحلبَ ، ولما تُوُفِّى أبوه فى سنةِ أربعٍ وثلاثين بُويع بالسَّلْطنةِ بحلبَ ، وعمرُه سبعُ سنينَ ، وقام بتَدْبيرِ مملكتِه جماعةٌ مِن مَماليكِ أبيه العزيزِ ، وكان الأمرُ كلُّه عن رأيِ جدَّتِه أمِّ أبيه صبغةَ خاتون بنتِ الملكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ ، فلما تُوُفِّيَت فى سنةِ أربعين وستِّمائةٍ اسْتَقَلَّ الناصرُ بالمُلْكِ ، وكان جيدَ السِّيرةِ فى الرَّعايا مُحَبَّبًا إليهم ، كثيرَ النَّفقاتِ ، ولا سيَّما لمَّا ملَك دمشقَ مع حلبَ وأعمالِها وبَعْلَبَكَّ وحَرَّانَ وطائفةٍ كثيرةٍ مِن بلادِ الجزيرةِ ، فيقالُ : إن سِماطَه كان كلَّ يومٍ يَشْتَمِلُ على أربعِمائةِ رأسِ غنمٍ سوى الدَّجاجِ والإوَزِّ وأنواعِ الطيرِ مطبوخًا بأنواعِ الأطعمةِ والقلويات ، وكان مَجموعُ ما يَغْرَمُ على السِّماطِ فى كلِّ يومٍ عشرين ألفًا ، وعامَّتُه يَخْرُجُ مِن بينِ يديه كما هو كأنه لم يُؤْكَلْ منه شىءٌ ، فيُباعُ على بابِ القلعةِ بأرْخَصِ الأثْمانِ حتى إن كثيرًا مِن أهلِ البيوتاتِ لا يَطْبُخون فى بيوتِهم شيئًا مِن الطُّرَفِ والأطعمةِ بل يَشْترون ذلك برُخْصٍ ، وكانت الأرزاقُ كثيرةً دارَّةً فى زمانِه وأيامِه ، وقد كان خَليعًا ظَريفًا حسنَ الشكلِ ، أدِيبًا يقولُ الشعرَ المُتوسطَ ، القوىَّ بالنسبةِ إليه [١٠/٦٦و] وقد أوْرَد له الشيخُ قُطْبُ الدينِ فى « الذَّيْلِ » قطعةً صالحةً مِن شعرِه ، وهى رائقةٌ لائقةٌ ، قُتِل ببلادِ المشرقِ ، ودُفِن هنالك وقد كان أعَدَّ له تربةً برِباطِه الذى بناه بسفحِ قاسِيونَ ، فلم يُقَدَّرْ دفنُه بها ، والناصريةُ البَرَّانيةُ بالسفحِ مِن أغربِ الأبنيةِ وأحسنِها بنيانًا من الموكدِ المُحْكَمِ قبلىَّ جامعِ الأفرمِ ، وقد بُنِىَ بعدَها بمدةٍ طويلةٍ وكذلك الناصريةُ الجَوَّانيةُ التى بناها داخلَ بابِ الفراديسِ هى مِن أحسنِ المدارسِ ، وبنَى الخانَ الكبيرَ تُجاهَ الزنجارىِّ وحُوِّلَت إليه دارُ الطعمِ ، وقد كانت قبلَ ذلك غربىَّ

القلعةِ فى إصْطَبْلِ السلطانِ اليومَ . رحمه اللَّهُ .

وهذا كلُّ ما بَلغَنا مِن وَقائعِ هذه السنةِ مُلَخَّصًا .

ثم دخَلت سنةُ ستين وستّمائةٍ[1]

فى أوائلِ هذه السنةِ فى ثالثِ المُحَرَّمِ قُتِل الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ الذى بُويع له فى رجبٍ فى السنةِ الماضيةِ بمصرَ، وكان قتْلُه بأرضِ العراقِ، كما ذكَرنا بعدَ ما هُزِم مَن كان معه مِن الجُنودِ والجيشِ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، واسْتَقَلَّ المَلِكُ الظاهرُ بجميعِ الشامِ [2]ومصرَ[2]، وصفَت له الأمورُ، ولم يَبْقَ له مُنازِعٌ سوى البُرْلِىِّ[3]، فإنه [4]قد استحوَذ على البيرةِ[4]، وعصى عليه هنالك.

وفى اليومِ الثالثِ مِن المُحَرَّمِ مِن هذه السنةِ خلَع السلطانُ الملكُ الظاهرُ ببلادِ مصرَ على جميعِ الأمراءِ والحاشيةِ وعلى الوزيرِ والقاضى تاجِ الدينِ [5]ابنِ بنتِ الأعزِّ[5]، وعزَل عنها بُرْهانَ الدينِ السِّنْجارىَّ.

وفى أواخِرِ[6] المحرمِ أعْرَس الأميرُ بدرُ الدينِ بِيلِيك الخزَنْدارُ على بنتِ الأميرِ لؤلؤٌ صاحبِ الموصلِ، واحْتَفل الظاهرُ بهذا العُرْسِ احْتِفالًا بالِغًا.

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦ - ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ١/٤٨٣ - ٥٢٩، ٢/١٥١ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٣٠/٥٣ - ٧٧، وكنز الدرر ٨/٨٦ - ٩٣، والعبر ٥/٢٥٨ - ٢٦٢، وعقد الجمان ١/ ٣٢٧ - ٣٤٤.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «التركى».

(٤ - ٤) فى م: «فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها».

(٥ - ٥) ليست فى: الأصل.

(٦) فى الأصل: «أوائل». وانظر نهاية الأرب ٣٠/٥٣.

قال ابنُ خَلِّكانَ[1] : وفى هذه السنةِ اصْطاد بعضُ أمراءِ الظاهرِ بجَرُودَ[2] حمارَ وَحْشٍ ، فطبَخوه فلم يَنْضَجْ ولا أثَّر فيه كثرةُ الوَقودِ ، ثم افْتَقَدوا أمرَه[3] ، فإذا هو موسومٌ على أذنِه : بَهْرام جُور . قال : وقد أحْضَروه إلىَّ ، فقرَأْتُه كذلك ، وهذا يَقْتَضِى أن لهذا الحمارِ قريبًا مِن ثمانِمائةِ سنةٍ ، فإن بَهْرام جُور كان قبلَ المَبْعثِ بمدةٍ مُتَطاولةٍ ، وحُمُرُ الوَحْشِ تَعِيشُ دَهْرًا طويلًا .

قلتُ : يَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا بَهْرام شاه الملكَ الأمْجَدَ[4] ، إذ يَبْعُدُ بَقاءُ مثلِ هذا بلا اصْطِيادٍ هذه المدةَ الطويلةَ ، ويكونُ الكاتبُ قد أخْطَأ ، فأراد كتابةَ : بَهْرام شاه . فكتَب بَهْرام جُور ، فحصَل اللَّبْسُ مِن هذا[5] . واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ بَيْعةِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ العباسىّ

فى السابعِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ دخَل الخليفةُ أبو العباسِ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أحمدُ بنُ الأميرِ أبى علىٍّ القُبِّىِّ بنِ الأميرِ علىِّ بنِ الأميرِ أبى بكرِ بنِ الإمامِ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ بنِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ مِن بلادِ الشرقِ ، وصُحْبتُه

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٤.

(٢) فى الأصل : « لبرود » ، وفى م : « بحدود حماة » . والمثبت من وفيات الأعيان . وجرود : قرية من أعمال دمشق من جهة حمص . انظر المصدر السابق ، وعقد الجمان ١/ ٣٣٤ .

(٣) فى م : « جلده » .

(٤) وهو الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه ابن نائب دمشق فَرُخشاه ، المتوفَّى سنة ثمان وعشرين وستمائة . انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٠.

(٥) بعده فى الأصل : « هذا بعيد جدا » . قال البدر العينى فى عقد الجمان ١/ ٣٣٥: قلت : كلام ابن كثير بعيد فأيش يحتاج إلى هذه التأويلات البعيدة ، ولا ضرورة إليها ، فإن عيش الحمر الوحشية هذه المدة غير بعيد ، وعدم وقوعها فى الصيد غير بعيد ، وأيضا فإن المواسم التى يسمون بها آذان الحيوان بأسماء الملوك مقررة عندهم مكتوبة صحيحة حتى لايقع الاشتباه ، فكيف يلتبس بهرام شاه ببهرام جور؟

جَماعةٌ من رُءوسِ تلك البلادِ ، وقد شهِد الوَقْعةَ صُحْبةَ المُسْتَنْصِرِ ، وهرَب هو فى جماعةٍ مِن المعركةِ فسلِم ، فلما كان يومُ دُخولِه تلَقَّاه السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وأظْهَر السُّرورَ والاحْتِفالَ ، وأنزَله فى البُرْجِ الكبيرِ مِن قلعةِ الجبلِ ، وأَجْرى عليه الأرْزاقَ الدارَّةَ والإحسانَ .

وفى ربيعِ الآخِرِ[1] عزَل الملكُ الظاهرُ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوش النَّجِيبيَّ عن أسْتاذداريتِه ، واسْتَبْدَل به غيرَه ، وبعدَ ذلك أرْسَله نائبًا على الشامِ كما سيأتى .

وفى يومِ الثلاثاءِ[2] تاسعِ رجبٍ حضَر السلطانُ الظاهرُ إلى دارِ العَدْلِ فى مُحاكمةٍ فى بئرٍ إلى [3]بينِ يدَيِ[3] القاضى تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ، فقام الناسُ إلا القاضى ، فإنه أشار عليه أن لا يقومَ ، وتَداعَيا ، وكان الحقُّ مع السلطانِ ، وله بيِّنةٌ عادلةٌ ، فانتُزِعتِ البئرُ مِن يدِ الغَريمِ ، وكان أحدَ الأمراءِ .

وفى شوالٍ[4] اسْتَناب السلطانُ الملكُ الظاهرُ على حلَبَ الأميرَ علاءَ الدينِ أَيْدِكِين الشِّهابيَّ ، وحينئذٍ [١٠/٦٦ظ] انحاز عَسكرُ سِيس على الفُوعَةِ[5] مِن أرضِ حلبَ ، فركِب إليهم الشِّهابيُّ ، فكسَرهم وأسَر منهم جَماعةً ، فسيَّرهم إلى مصرَ فوُسِّطوا[6] .

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٣.

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٤٨٨، ٢/ ١٥٣.

(٣ - ٣) فى م : « بيت » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٥، وكنز الدرر ٨/ ٩٠.

(٥) فى الأصل : « القرعة » ، وفى م : « القلعة » . والمثبت من المصدرين السابقين . وانظر معجم البلدان ٣/ ٩٢٣.

(٦) فى م : « فقتلوا » ، وهما بمعنى . وانظر الوسيط (و س ط) .

وفيها[1] اسْتَناب السلطانُ على دمشقَ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوشَ النَّجِيبيَّ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ، وعزَل عنها علاءَ الدينِ طَيْبَرْسَ الوَزِيريَّ، وحُمِل إلى القاهرةِ.

وفى ذى القَعْدةِ[2] خرَج مَرْسومُ السلطانِ إلى القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ أن يَسْتَنِيبَ مِن كلِّ مَذْهَبٍ مِن المَذاهِبِ الثلاثةِ نائبًا، فاسْتَناب صَدْرَ الدينِ سليمانَ الحَنَفيَّ، والشيخَ شمسَ الدينِ محمدَ بنَ الشيخِ العمادِ الحنبليَّ، وشرفَ الدينِ عمرَ السُّبْكيَّ المالكيَّ.

وفى ذى الحِجَّةِ[3] قدِمَت وفودٌ كثيرةٌ مِن التَّتارِ على الملكِ الظاهرِ مُسْتَأْمِنِين، فأكْرَمَهم وأحْسَن إليهم، وأقْطَعَهم إقْطاعاتٍ حسنةً، وكذلك فعَل بأولادِ صاحبِ الموصلِ، ورتَّب لإخوانِهم رَواتبَ كافيةً.

وفى هذه السنةِ[4] أرْسَل هولاكو طائفةً مِن جُندِه نحوًا من عشَرةِ آلافٍ، فحاصَروا الموصلَ، ونصَبوا عليها أربعةً وعشرين مَنْجَنِيقًا، وضاقَت بهم الأقْواتُ.

وفيها[4] أرْسَل الملكُ الصالحُ إسماعيلُ بنُ لؤلؤ إلى البُرْلِيِّ[5] يَسْتَنْجِدُه، فقدِم إليه، فهُزِمَت التَّتارُ، ثم ثبَتوا فالْتَقَوْا معه، وإنما كان معه تسعُمائةِ[6] مُقاتِلٍ، فهزَموه وجرَحوه، وعاد إلى البِيرَةِ، وفارَقه أكثرُ أصحابِه إلى الديارِ المصريةِ، ثم

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٥.

(٢) انظر المصدر السابق، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٥.

(٣) انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٦.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥٦، ١٥٧، وكنز الدرر ٨/ ٨٨.

(٥) فى م: «التركى».

(٦) فى م: «سبعمائة».

دخَل هو إلى بينِ يَدَى السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، فأنْعَم عليه ، وأحْسَن إليه ، وأقْطَعَه تسعين[1] فارسًا ، وأما التَّتارُ فإنهم عادوا إلى الموصلِ ، ولم يزالوا حتى اسْتَنْزَلوا صاحبَها الملكَ الصالحَ إليهم ، ونادَوْا فى البلدِ بالأمانِ حتى اطْمَأَنَّ الناسُ ، ثم مالوا عليهم ، فقتَلوهم تسعةَ أيامٍ ، وقتَلوا الملكَ الصالحَ إسماعيلَ وولدَه علاءَ الدينِ ، وخرَّبوا أسْوارَ البلدِ ، وترَكوها بَلاقِعَ ، ثم كرُّوا راجِعِين ، قبَّحَهم اللَّهُ أجْمَعِين .

وفيها[2] وقَع الخُلْفُ بينَ هولاكو وبينَ السلطانِ بَرَكةَ ابنِ عمِّه ، وأرْسَل إليه بَرَكةُ يَطْلُبُ منه نَصيبًا مما فتَحه مِن البلادِ[3] ، على ما جرَت به عادتُهم ، فقتَل رسلَه ، فاشْتَدَّ غضبُ بَرَكةَ ، وكاتَب الظاهرَ ليتَّفِقا على هُولاكُو .

وفيها[4] وقَع غَلاءٌ شديدٌ بالشامِ ، فأبِيع القمحُ الغِرارةُ بأربعِمائةٍ [5]وخمسين[5] ، والشَّعيرُ بمائتين وخمسين ، واللحمُ الرِّطْلُ بستةٍ [6]وبسبعةٍ[6] ، فباللَّهِ المستعانُ .

وحصَل فى النصفِ مِن شعبانَ[7] خوفٌ شديدٌ مِن التَّتارِ ، فتجَهَّز كثيرٌ مِن الناسِ إلى الديارِ المصريةِ ، وأبِيعَت الغَلَّاتُ[8] حتى حَواصلُ القَلعةِ والأمراءِ[9] ،

---

(١) فى م وكنز الدرر : « سبعين » .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦١، ١٦٢.
(٣) بعده فى م : « وأخذه من الأموال والأسرار » .
(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٦، وكنز الدرر ٨/ ٨٨.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، ونهاية الأرب .
(٦ - ٦) فى م : « أو سبعة » . وكل هذه الأنواع التى أبيعت تقديرها بالدرهم كما فى ذيل المرآة .
(٧) الذيل على الروضتين ص ٢١٩، ٢٢٠.
(٨) بعده فى الأصل : « حتى الأهراء » . والأهراء جمع هُرْى : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام البُرّ ونحوه ليوزعه السلطان . الوسيط (هـ ر ى) .
(٩) فى الأصل : « وتهيئوا للهرب من الشام » .

ورسَم ولاةُ الأمورِ على مَن له قدرةٌ أن يُسافِرَ مِن دمشقَ إلى مصرَ، ووقَعَت الرَّجْفةُ فى الشامِ وفى بلادِ الرومِ أيضًا، ويقالُ: إنه حصَل لبلادِ التَّتَرِ خوفٌ شديدٌ أيضًا، فسبحانَ الفَعَّالِ لما يُرِيدُ، الذى بيدِه الأمرُ. وكان الآمِرَ لأهلِ دمشقَ بالتَّحَوُّلِ منها إلى مصرَ نائبُها الأميرُ عَلاءُ[1] الدينِ طَيْبَرْسُ الوَزِيرِىُّ، فأرْسَل السلطانُ إليه فى ذى القَعْدةِ، فأمْسَكه وعزَله واسْتَناب عليها [2]جمالَ الدينِ آقوشَ[2] النَّجِيبِىَّ، واسْتَوْزَر بدمشقَ عزَّ الدينِ بنَ وَداعةَ.

وفى هذه السنةِ[3] نزَل القاضى شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ عن تَدْريسِ الرُّكْنيّةِ للشيخِ شهابِ الدينِ أبى شامةَ، وحضَر عندَه حينَ درَّس، وأخَذ فى أولِ «مُخْتَصَرِ المُزَنِىِّ»، أثابه اللَّهُ تعالى.

وفيها تُوُفِّى مِن الأعيانِ:

الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللَّهِ بنُ الظاهرِ بأمرِ اللَّهِ العباسىُّ[4] الذى بايَعه الظاهرُ بمصرَ فى رجبٍ من السنةِ الماضيةِ، كما ذكَرْنا، وكان قتلُه فى ثالثِ المحرمِ مِن هذه السنةِ، وكان شَهْمًا شُجاعًا، [١٠/٦٧و]بطلًا فاتِكًا، وقد كان السلطانُ الظاهرُ أنْفَق عليه حتى أقام له جيشًا بألفِ ألفِ دينارٍ وأزْيَدَ، وسار فى خدمتِه خَلْقٌ مِن أكابرِ الأمراءِ وأولادِ صاحبِ الموصلِ، وكان الملكُ الصالحُ إسماعيلُ مِن الوفدِ الذين قدِموا على الظاهرِ، فأرْسَله صُحْبةَ الخليفةِ، فلما كانت

---

(١) فى الأصل: «علم». وانظر المنهل الصافى ٧/ ٣٥.

(٢ - ٢) فى الأصل: «بهاء»، وفى م: «بهاء الدين». والمثبت من المصدر السابق ٣/ ٢٤.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وعقد الجمان ١/ ٣٣٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦٣، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٨٤- ٣٨٦، وعقد الجمان ١/ ٣٢٨، والمنهل الصافى ٢/ ٧٢- ٧٨.

الوقعةُ فُقِد المُسْتَنْصِرُ ، ورجَع الصالحُ إلى بلادِه ، فجاءته التَّتارُ ، فحاصَروه كما ذكَرْنا ، وقتَلوه وخرَّبوا بلادَه ، وقتَلوا أهلَها ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

العِزُّ الضَّريرُ النحويُّ اللُّغويُّ[1] واسمُه الحسنُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ نَجَا ، مِن أهلِ نَصِيبِينَ ، ونشَأ بإرْبِلَ ، فاشْتَغَل بعلومٍ كثيرةٍ مِن علومِ الأوائلِ ، وكان يَشْتَغِلُ عليه أهلُ الذِّمَّةِ وغيرُهم ، ونُسِب إلى الانْحِلالِ وقلةِ الدينِ ، وتَرْكِ الصلواتِ ، وكان ذَكِيًّا ، وليس بزَكِيٍّ ؛ [2]عالمَ اللسانِ ، جاهلَ القلبِ ، ذَكيَّ القولِ ، خبيثَ الفعلِ[2] ، وله شعرٌ جيدٌ رائقٌ أوْرَد منه الشيخُ قطبُ الدينِ قطعةً فى ترجمتِه ، وهو الضريرُ شَبيهٌ بأبى العَلاءِ المَعَرِّىِّ ، قبَّحَهما اللَّهُ .

ابنُ عبدِ السلامِ : عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبى[3] **القاسمِ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ المُهَذَّبِ ، الشيخُ عِزُّ الدينِ أبو محمدٍ السُّلَمىُّ الدمشقىُّ الشافعىُّ** ، شيخُ المذهبِ ومُفِيدُ أهلِه ، وصاحبُ مُصَنَّفاتٍ حِسانٍ ؛ منها « التَّفْسيرُ » ، و « اخْتِصارُ النهايةِ » ، و « القَواعِدُ الكُبرى » و « الصُّغْرَى » ، و « كتابُ الصلاةِ » و « الفَتاوَى المَوْصِليَّةُ » وغيرُ ذلك . وُلِد سنةَ سبعٍ أو ثمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع كثيرًا ، واشْتَغَل على فخرِ الدينِ بنِ عساكرَ وغيرِه ، وبرَع فى المَذْهَبِ ، وعلومٍ كثيرةٍ ، وأفاد الطلبةَ ، ودرَّس بعدةِ مَدارسَ بدمشقَ ، وولِى خَطابتَها ، ثم انتقَل عنها إلى الديارِ المصريةِ ، فدرَّس بها ، وخطَب وحكَم ، وانْتَهَت إليه رئاسةُ المذهبِ ،

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٣، وفوات الوفيات ١/ ٣٦٢، وبغية الوعاة ١/ ٥١٨، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠١.

(٢ - ٢) ليست فى : الأصل .

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٦، والعبر ٥/ ٢٦٠، والوافى بالوفيات ١٨/ ٥٢٠، وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٠٩، وعقد الجمان ١/ ٣٣٨، وطبقات المفسرين ١/ ٣٠٨.

وقُصِد بالفَتاوَى مِن الآفاقِ ، وكان لَطيفًا ظريفًا يَسْتَشْهِدُ بالأشعارِ ، وقد كان خُروجُه مِن الشامِ بسببِ ما كان أنكره على الصالحِ إسماعيلَ مِن تَسْليمِه (١ صَفَدَ والشَّقيفَ ١) إلى الفِرِنْجِ ، ووافَقه الشيخُ أبو عمرٍو بنُ الحاجبِ المالكيُّ ، فأخْرَجَهما مِن بلدِه ، فسار أبو عمرٍو إلى الناصِر داودَ صاحبِ الكَرَكِ فأكْرَمَه ، وسار ابنُ عبدِ السلامِ إلى الملكِ الصالحِ أيوبَ بنِ الكاملِ صاحبِ مصرَ ، فأكْرَمه واحترَمه وولَّاه قَضاءَ مصرَ وخَطابةَ الجامعِ العَتيقِ[٢] ، ثم انْتَزَعَهما منه ، وأقَرَّه على تَدْريسِ الصالحيةِ[٣] ، فلما حضَرَه الموتُ أوْصَى بها للقاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ، وتُوُفِّى فى عاشرِ جُمادَى الأولى ، وقد نَيَّف على الثمانين ، ودُفِن مِن الغدِ بسفحِ المُقَطَّمِ ، وحضَر جِنازتَه السلطانُ الظاهرُ وخَلْقٌ كثيرٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

كَمالُ الدينِ بنُ العَدِيمِ الحَنَفيُّ[٤] : عمرُ بنُ أحمدَ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ زُهَيْرِ بنِ هارونَ بنِ موسى بنِ عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ محمدِ بنِ أبى جَرَادةَ[٥] عامرِ بنِ ربيعةَ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ عوفِ بنِ عامرِ بنِ عُقَيْلٍ الحلَبيُّ الحَنَفيُّ ، كمالُ الدينِ أبو القاسمِ بنُ العَديمِ ، الأميرُ الوزيرُ الرَّئيسُ الكبيرُ ، وُلِد سنةَ ستٍّ وثمانين وخمسِمائةٍ ، سمِع الحديثَ ، وحدَّث وتفَقَّه وأفْتَى ودرَّس وصنَّف ، وكان إمامًا فى فُنونٍ كثيرةٍ ، وقد ترَسَّل إلى الخلفاءِ والملوكِ مِرارًا عَديدةً ، وكان يَكْتُبُ حسنًا طريقةً مشهورةً ، وصنَّف لحلبَ تاريخًا مُفيدًا يَقْرُبُ

(١ - ١) فى م : « صغد والثقيف » . وصفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان . والشقيف : قلعة حصينة جدًّا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق . معجم البلدان ٣/ ٣٩٩، ٣٠٩.

(٢) الجامع العتيق : جامع عمرو بن العاص . انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢١٠.

(٣) المعروفة بين القصرين بالقاهرة . انظر المصدر السابق .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١٧، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥١٠، ٢/ ١٧٧، والعبر ٥/ ٢٦١، وفوات الوفيات ٣/ ١٢٦- وفيه أنه توفى سنة ست وستين وستمائة - وعقد الجمان ١/ ٣٣٩.

(٥) بعده فى ذيل مرآة الزمان : « ابن » .

من أربعين مجلدًا ، وكان جيدَ المعرفةِ [١٠/٦٧ظ] بالحديثِ ، حسنَ الظَّنِّ بالفُقراءِ والصالحين ، كثيرَ الإحسانِ إليهم ، وقد أقام بدمشقَ فى الدولةِ الناصريةِ المتأخرةِ ، وكانت وفاتُه بمصرَ ، ودُفِن بسفحِ المُقطَّمِ بعدَ الشيخِ عزِّ الدين بعشَرةِ أيامٍ ، وقد أوْرَد له قُطْبُ الدينِ أشعارًا حسنةً[1] .

يوسفُ بنُ يوسفَ [2] بنِ يوسفَ [2] بنِ سلامةَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ بنِ محمدٍ القاقانىِّ الزَّيْنَبىِّ بنِ إبراهيمَ ابنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ، مُحْيى الدينِ أبو المُعِزِّ ، ويقالُ : أبو المَحاسِنِ . الهاشمىُّ العباسىُّ المَوْصلىُّ ، المعروفُ بابنِ زبلاقٍ الشاعرُ ، قتَلَته التَّتارُ لما أخَذوا الموصلَ فى هذه السنةِ عن سبعٍ وخمسين سنةً ، ومِن شعرِه قولُه :

بعَثْتَ لنا مِن سِحْرِ مُقْلَتِك الوَسْنَى ... سُهادًا يَذودُ الجَفنَ[3] أن يَأْلَفَ الجَفْنَا
وأبْصَرَ جسمى حُسْنَ خَصْرِك ناحلًا ... فحاكاه لكن زاد فى دقَّةِ المعْنَى
وأبْرَزْتَ وجْهًا أخْجَل الصبحَ طالعًا ... ومِلْتَ بقدٍّ علَّم الهَيِّفَ الغصنَا[4]
حكَيْتَ أخاك البدرَ ليلةَ تِمِّهِ ... سَنًا وسَناءً إذ تَشابَهْتُما سَنَا

وقال أيضًا ، وقد دُعِى إلى موضعٍ ، فبعَث يَعْتَذِرُ بهذين البيتَيْن :

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥١١، ٢/ ١٧٩.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ١/ ٥١٣، ٢/ ١٨١، والعبر ٥/ ٢٦٢، وفوات الوفيات ٤/ ٣٨٤، والسلوك ١/ ٤٧٦ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ١/ ٣٤٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٤.

(٣) فى م : « الكرى » .

(٤) فى م : « الغصن اللدنا » .

أنا فى منزلى وقد وهَب الـ ـلهُ نَديمًا وقَيْنةً وعُقارًا
فابسطوا العذرَ فى التأخرِ عنكمْ شَغَلَ الحَلْىَ أهلُه أن يُعارا[1]

قال أبو شامةَ[2] : وفيها فى ثانىَ عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ تُوُفِّى :

البدرُ المَرَاغىُّ الخِلافىُّ المعروفُ بالطويلِ، وكان قليلَ الدينِ، تاركًا للصلاةِ، مُغْتَبِطًا بما كان فيه مِن معرفةِ الجَدَلِ والخِلافِ على اصْطِلاحِ المتأخرين، [3]رحِمنا اللَّهُ تعالى وجميعَ المسلمين[3] .

وفيها تُوُفِّى محمدُ بنُ داودَ بنِ ياقوتِ الصارمىُّ[4] المُحَدِّثُ، كتَب كثيرًا؛ الطَّبَقاتِ وغيرَها، وكان دَيِّنًا خَيِّرًا، يُعِيرُ كتبَه، ويُداوِمُ على الاشْتِغالِ بسَماعِ الحديثِ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) هذا البيت ينسب إلى فضيل الأعرج، وإلى العباس بن الأحنف . انظر التمثيل والمحاضرة ص ٨٢، ومعجم الأدباء ٢/٢٨١ (ترجمة جحظة البرمكى) .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢١٧.

(٣ - ٣) فى م : « راضيًا بما لا يفيد » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٩، وعقد الجمان ١/ ٣٤٣.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وستين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] وسلطانُ الدِّيارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ المَلِكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ البُنْدُقْدارِىُّ ، ونائِبُه على الشامِ جمالُ الدينِ آقوشُ النَّجِيبىُّ ، وقاضيه شمسُ الدينِ ابنُ خَلِّكانَ ، والوزيرُ بها عِزُّ الدينِ بنُ وَداعةَ ، وليس للناسِ خليفةٌ ، وإنما تُضْرَبُ السِّكَّةُ باسمِ المُسْتَنْصِرِ الذى قُتِل فى السنةِ الماضيةِ .

ذكرُ خلافةِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ الأميرِ أبى علىٍّ القُبِّىِّ بنِ الأميرِ علىِّ بنِ الأميرِ أبى بكرِ بنِ الإمامِ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ أميرِ المؤمنين أبى منصورِ الفضلِ بنِ الإمامِ المُسْتَظْهِرِ باللَّهِ أبى العباسِ أحمدَ العباسىِّ الهاشمىِّ .

فلما كان يومُ الخميسِ [2]ثانى المحرمِ[2] ، جلَس السلطانُ الملكُ الظاهرُ [3]ركنُ الدينِ بَيْبَرسُ وأمراؤُه وأهلُ الحَلِّ والعقدِ[3] فى الإيوانِ الكبيرِ بقلعةِ الجبلِ ، وجاء

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١، ٢٢٢، وذيل مرآة الزمان ١/٥٣٠ - ٥٥٠، ٢/١٨٦ - ٢٢٩، ونهاية الأرب ٣٠/٧٩ - ٩٠.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٣٠: «تاسع المحرم».

(٣ - ٣) فى م : «والأمراء».

الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ راكبًا حتى نزَل عندَ الإيوانِ، وقد بُسِط له إلى جانبِ السلطانِ، وذلك بعدَ ثبوتِ نسبِه، فقُرِئ نسبُه على الناسِ، ثم أقْبَل عليه المَلِكُ الظاهرُ بَيْبَرْسُ، فبايَعه وبايَعه الناسُ بعدَه، وكان يومًا مشهودًا.

فلما كان يومُ الجمعةِ ثانيهِ خطَب الخليفةُ بالناسِ، فقال فى خطبتِه[1]: الحمدُ للَّهِ الذى أقام لآلِ العباسِ رُكْنًا ظَهيرًا، وجعَل لهم مِن لَدُنْه سُلطانًا نَصيرًا، أَحْمَدُه على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وأَستَعِينُه على شكرِ ما أَسْبَغ [١٠/٦٨و] مِن النَّعْماءِ، وأَسْتَنْصِرُه على دَفْعِ الأعْداءِ، وأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شَريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلى اللهُ عليه وسلَّم وعلى آلِه وصحبِه نُجومِ الاهْتِداءِ، وأئمةِ الاقْتِداءِ الأربعةِ، وعلى العباسِ عمِّه وكاشفِ غَمِّه أبى السادةِ الخلفاءِ [2]الراشدين وأئمةِ المَهديين[2]، وعلى بقيةِ الصحابةِ أجمعين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، أيُّها الناسُ، اعْلَموا أن الإمامةَ فرضٌ مِن فروضِ الإسلامِ، والجهادَ محتومٌ على جميعِ الأنامِ، ولا يَقومُ عَلَمُ الجهادِ إلا باجتماعِ كلمةِ العبادِ، ولا سُبِيَت الحُرَمُ إلا بانتِهاكِ المَحارمِ، ولا سُفِكَت الدماءُ إلا بارْتكابِ الجَرائمِ، فلو شاهَدْتُم أعداءَ الإسلامِ لـمَّا دخَلوا دارَ السلامِ، واسْتَباحوا الدماءَ والأموالَ، وقتَلوا الرجالَ والأطفالَ[3]، وهتَكوا حَرَمَ الخلافةِ والحَريمِ، [4]وأذاقُوا مَن استَبْقَوا العذابَ الأليمَ، فارتفَعتِ الأصواتُ بالبكاءِ والعويلِ[4]، وعلَت الضَّجّاتُ مِن هَوْلِ ذلك اليومِ الطويلِ، فكم مِن شيخٍ خُضِبَت شيبتُه

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٨٨. وانظر عقد الجمان ١/ ٣٤٩.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) بعده فى م: «وسبوا الصبيان والبنات وأيتموهم من الآباء والأمهات».

(٤ - ٤) سقط من: م.

بدمائِه ، وكم مِن طفلٍ بكَى فلم يُرْحَمْ لبُكائِه ، فشَمِّروا عن ساقِ الاجتهادِ فى إحياءِ فرضِ الجهادِ ، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] فلم يَبْقَ مَعْذِرةٌ فى القُعودِ عن أعداءِ الدينِ ، والمُحاماةِ عن المسلمين ، وهذا السلطانُ الملكُ الظاهرُ السيدُ الأجَلُّ العالمُ العادلُ المُجاهِدُ المُؤَيَّدُ رُكْنُ الدنيا والدِّينِ ، قد قام بنصرِ الإمامةِ عندَ قلةِ الأنصارِ ، وشرَّد جيوشَ الكفرِ بعدَ أن جاسوا خلالَ الديارِ ، فأصْبَحَت البَيْعةُ باهتِمامِه مُنْتَظِمةَ العُقودِ ، والدولةُ العباسيةُ به مُتَكاثِرةَ الجنودِ ، فبادِروا عبادَ اللَّهِ إلى شُكرِ هذه النعمةِ ، وأخْلِصوا نِياتِكم تُنْصَروا ، وقاتِلوا أولياءَ الشيطانِ تَظْفَروا ، ولا يَرُوعَنَّكم ما جرَى ، فالحربُ سِجالٌ والعاقبةُ للمتقين ، والدهرُ يومان ، والأجرُ للمؤمنين ، جمَع اللَّهُ على الهُدَى أمْرَكم ، وأعَزَّ بالإيمانِ نصرَكم ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العظيمَ لى ولكم ولسائرِ المسلمين ، فاسْتَغْفِروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ . ثم خطَب الثانيةَ ، ونزَل فصلَّى .

وكتَب بيعتَه إلى الآفاقِ ليُخْطَبَ له ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه . قال أبو شامةَ[1] : فخُطِب له بجامعِ دمشقَ وسائرِ الجوامعِ يومَ الجمعةِ سادسَ عشَرَ المحرمِ مِن هذه السنةِ . وهذا الخليفةُ هو التاسعُ والثلاثون مِن خلفاءِ بنى العباسِ ، ولم يَلِ الخلافةَ مِن بنى العباسِ مَن ليس والدُه وجدُّه خليفةً بعدَ السَّفَّاحِ والمنصورِ سوى هذا ، فأما مَن ليس والدُه خليفةً فكثيرٌ ، منهم المُسْتَعِينُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُعْتَصِمِ ، والمُعْتَضِدُ بنُ طلحةَ بنِ المُتَوَكِّلِ ، والقادرُ بنُ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ ، والمُقْتَدِى بنُ الذَّخِيرةِ بنِ القائمِ بأمرِ اللَّهِ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١.

ذكرُ أخْذِ الظاهرِ الكَرَكَ وإعْدامِ صاحبِها

وفيها[1] ركِب الملكُ الظاهرُ من الديارِ المصريةِ فى العَساكرِ المَنْصورةِ قاصدًا ناحيةَ بلادِ الكَرَكِ، واسْتَدْعَى صاحبَها الملكَ المُغِيثَ عمرَ بنَ العادلِ أبى بكرِ بنِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ، فلما قدِم عليه بعدَ جَهْدٍ أرْسَله إلى الديارِ المصريةِ [١٠/٦٨ظ] مُعْتَقَلًا فكان آخرَ العهدِ به، وذلك أنه كاتَب هولاوو، وحثَّه على القُدومِ إلى الشامِ مرةً أخرى، وجاءَته كتبُ التَّتارِ بالثَّباتِ ونيابةِ البلادِ، وأنه سيقْدَمُ عليه عشرون ألفًا لفتحِ الديارِ المصريةِ، وأخْرَج السلطانُ فَتاوَى الفُقهاءِ بقتلِه، وعرَض ذلك على ابنِ خَلِّكانَ - وكان قد اسْتَدْعاه مِن دمشقَ - وعلى جَماعةٍ مِن الأمراءِ، ثم سار فتسَلَّم الكَرَكَ [2]يومَ الجمعةِ ثالثَ عشَرَ جُمادَى الأولى[2]، ودخَلها يومَئذٍ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ، ثم عاد إلى الديارِ المصريةِ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا.

وفيها قدِمَت رسلُ بَرَكة خان إلى الظاهرِ يقولُ له: قد علِمْتَ مَحَبَّتى لدينِ الإسلامِ، وعلِمْتَ ما فعَل هولاكو بالمسلمين، فارْكَبْ أنت مِن ناحيةٍ، وآتِيَه أنا مِن ناحيةٍ حتى نَصْطَلِمَه أو نُخْرِجَه مِن البلادِ، وأيّا مّا كان أعْطَيْتُك جميعَ ما كان بيدِه مِن البلادِ. فاسْتَصْوَب الظاهرُ هذا الرأىَ، وشكَره وخلَع على رسُلِه وأكْرَمَهم.

وفيها زُلْزِلَت الموصلُ زَلْزلةً عظيمةً وتهَدَّمَت أكثرُ دُورِها.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٥٣١ - ٥٣٣، ٢/١٩٢ - ١٩٤، ونهاية الأرب ٣٠/٧٩ - ٨٤.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩٤: «يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الآخرة»، وفى نهاية الأرب ٣٠/ ٨٢: «يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة».

وفى رمضانَ جهَّز الملِكُ الظاهرُ صُنَّاعًا وأخشابًا وآلاتٍ كثيرةً لعِمارةِ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ حَريقِه، فطِيف بتلك الأخْشابِ والآلاتِ بالدِّيارِ المصريةِ فرحةً بها وتعظيمًا لها، ثم ساروا بها إلى المدينةِ النبويةِ.

وفى شوالٍ سار الظاهرُ إلى الإسْكَنْدَريةِ، فنظَر فى أحوالِها وأمورِها، وعزَل قاضيَها وخطيبَها ناصرَ الدينِ أحمدَ بنَ المُنِيرِ، وولَّى غيرَه.

وفيها الْتَقَى بَرَكةُ قان وهولاوو ومع كلٍّ واحدٍ جُيوشٌ كثيرةٌ، فاقْتَتَلوا فهُزِم هولاكو هزيمةً فَظيعةً، وقُتِل أكثرُ أصحابِه، وغرِق أكثرُ مَن بقِى، وهرَب هو فى شِرْذِمةٍ قليلةٍ مِن أصحابِه، وللَّهِ الحمدُ. ولما نظَر بَرَكةُ قان إلى كثرةِ القَتْلَى قال: يَعِزُّ علىَّ أن يَقْتُلَ المَغولُ بعضُهم بعضًا، ولكن كيف الحِيلةُ فيمَن غيَّر سُنَّةَ جِنْكِزخان؟! ثم أغار بَرَكةُ على بلادِ القُسْطَنْطِينيَّةِ، فصانَعه صاحبُها، وأرْسَل الظاهرُ هَدايا عَظيمةً إلى بَرَكةَ وتحفًا كثيرةً هائِلةً.

ومِمن تُوُفِّى فيها من الأعيانِ:

[1]محمدُ بنُ أحمدَ[1] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ سيِّدِ الناسِ، أبو بكرٍ اليعْمُرىُّ الأنْدَلُسىُّ الحافظُ، وُلِد سنةَ سبعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ، وسمِع الكثيرَ، وحصَّل كتبًا عظيمةً، وصنَّف أشياءَ حسنةً، وخُتِم به الحُفَّاظُ فى تلك البلادِ، تُوُفِّى بمدينةِ تُونُسَ فى [2]الرابعِ والعشرينَ مِن[2] رجبٍ مِن هذه السنةِ.

(١ - ١) فى م: «أحمد بن محمد». وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣١، والعبر ٥/ ٢٥٥، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢١، وعقد الجمان ١/ ٣٢٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٨.
وجاءت وفاته فى هذه المصادر فى سنة تسع وخمسين وستمائة.
(٢ - ٢) فى م: «سابع عشرين».

عبدُ الرزاقِ بنُ (١) رزقِ اللَّهِ (١) بنِ أبى بكرِ بنِ خلفٍ عزُّ الدينِ ، أبو محمدٍ الرَّسْعَنىُّ (٢) ، المُحَدِّثُ المُفَسِّرُ ، سمِع الكثيرَ وحدَّث ، وكان مِن الفُضلاءِ الأدباءِ ، له مَكانةٌ عندَ البَدْرِ لؤلؤَ صاحبِ الموصلِ ، وكذلك عندَ صاحبِ سِنْجارَ ، وبها تُوُفِّى فى ليلةِ الجمعةِ الثانى عشَرَ مِن ربيعِ الآخِرِ ، وقد جاوَز السبعين (٣) ، ومِن شعرِه :

نعَب الغرابُ فدلَّنا بنَعِيبِه ... أن الحبيبَ دنا أوانُ مَغيبِه
يا سائلى عن طيبِ عيشى بعدَهمْ ... جُدْ لى بعيشٍ ثم سَلْ عن طِيبِه

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عَنْتَرٍ السُّلَمىُّ الدمَشقىُّ (٤) مُحْتَسِبُها ، وكان من عُدولِها وأعْيانِها ، وله بها أمْلاكٌ وثروةٌ وأوْقافٌ ، تُوُفِّى بالقاهرةِ ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ .

[١٠/٦٩و] **عَلَمُ الدينِ (٥) أبو محمدٍ (٥) القاسمُ بنُ أحمدَ ابنِ المُوَفَّقِ بنِ جعفرٍ المُرْسِىُّ اللَّوَرْقىُّ (٦)** اللغوىُّ النحوىُّ المُقْرِئُ ، شرَح « الشاطبيةَ » شرحًا مختصَرًا ، وشَرح « المُفَصَّلَ » فى عدةِ مجلداتٍ ، وشرَح « الجُزُوليةَ » وقد اجْتَمَع بمُصَنِّفِها ، وسأَله عن بعضِ مسائِلِها ، وكان ذا فُنونٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، حسنَ الشكلِ ،

(١ - ١) فى الأصل ، م : « عبد اللَّه » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤٥، ٢/ ٢١٩، والعبر ٥/ ٢٦٤، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٤، وعقد الجمان ١/ ٣٦٧، والسلوك ١/ ٥٠٢ (القسم الثانى) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١١، وطبقات المفسرين ١/ ٢٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٥.

(٢) فى الأصل : « الرسغنى » ، وهو تصحيف . انظر الأنساب ٣/ ٦٤، ومعجم البلدان ٢/ ٧٣٢.

(٣) فى الأصل : « التسعين » . وانظر مصادر الترجمة .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٦، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٠، وعقد الجمان ١/ ٣٦٧.

(٥ - ٥) فى م ، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢١ : « أبو القاسم » . قال الحافظ الذهبى فى العبر ٥/ ٢٦٦ : والعلم أبو القاسم والأصح أبو محمد . وانظر بقية مصادر ترجمته : غاية النهاية ٢/ ١٥، والسلوك ١/ ٥٠٢، ٥٠٣ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١/ ٣٦٨، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٧.

(٦) فى م : « البورقى » ، وفى السلوك : « اللورى » . وانظر المصادر السابقة .

مليحَ الوجهِ، له هيئةٌ حسنةٌ وبِزَّةٌ وجمالٌ، وقد سمِع الكِنْدىَّ وغيرَه.

الشيخُ أبو بكرٍ الدِّينَوَرىُّ[1]، وهو بانى الزاويةِ بالصالحيةِ، وكانت له فيها جَماعةٌ مُرِيدون يَذْكُرون اللَّهَ بأصواتٍ حسنةٍ طيبةٍ، رحِمه اللَّهُ.

مَوْلِدُ الشيخِ تَقِىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ شيخِ الإسلامِ[2]، قال الشيخُ شمسُ الدينِ الذَّهبىُّ: وفى هذه السنةِ وُلِد شيخُنا تَقىُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الشيخِ شِهابِ الدينِ عبدِ الحَليمِ بنِ أبى القاسمِ ابنُ تَيْمية الحَرَّانىُّ بحَرَّانَ يومَ الاثنينِ عاشرَ ربيعِ الأولِ مِن سنةِ إحدى وستين وستِّمائةٍ.

الأميرُ الكبيرُ مُجِيرُ الدينِ أبو الهيْجاءِ بنُ[3] **عيسى بنِ خُشْتَرِين**[4] **الأزْكُشِىُّ**[5] **الكُرْدىُّ الأُمَوىُّ**[6]، كان مِن أعيانِ الأمراءِ وشُجْعانِهم، وله يومَ عينِ جالوتَ اليدُ البيضاءُ فى كسرِ التَّتارِ، ولما دخَل الملكُ المُظَفَّرُ إلى دمشقَ بعدَ الوَقْعةِ جعَله مع الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ الحلبىِّ نائِبِ البلَدِ مُسْتَشارًا ومُشارِكًا فى الرأيِ والمَراسِيمِ والتَّدْبيرِ، وكان يَجْلِسُ معه فى دارِ العدلِ، وله الإقْطاعُ الكاملُ والرِّزقُ الواسعُ، إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ. قال أبو شامةَ[7]: ووالدُه الأميرُ

---

(١) عقد الجمان ١/ ٣٦٨.

(٢) ستأتى ترجمته فى وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

(٣) سقط من: م. والمثبت موافق لبعض مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٠، والسلوك ١/ ٥٠٢ (القسم الثانى)، وما فى «م» موافق لما فى عقد الجمان ١/ ٣٦٩، وما فى النجوم الزاهرة موافق لما فى م ولكنه مصحح إلى ما أثبتناه.

(٤) فى الأصل: «حشير»، وفى م: «حثير». والمثبت من مصادر الترجمة. وانظر الوافى بالوفيات ١٣/ ٣١٨.

(٥) فى الأصل، والسلوك: «الأركسى». وفى ترجمة ابنه: «الإربلى» والتى ستأتى ضمن وفيات سنة سبعمائة.

(٦) فى الأصل: «الأسدى».

(٧) الذيل على الروضتين ص ٢٢٧. وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٣.

حُسامُ الدينِ تُوُفِّى فى حَبْسِ[1] الملكِ الأشرفِ ببلادِ الشرقِ هو والأميرُ عِمادُ الدينِ أحمدُ بنُ المَشْطوبِ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

قلتُ : وولدُه الأميرُ عزُّ الدينِ تولَّى وِلايةَ هذه المدينةِ - أعنى دمشقَ - مدةً ، وكان مَشكورَ السِّيرةِ ، وإليه يُنْسَبُ دَرْبُ سقون[2] بالصاغةِ العَتيقةِ ، فيقالُ : دربُ ابنِ أبى الهَيْجاءِ . لأنه كان به سَكَنُه ، وكان يَعْمَلُ الوِلايةَ فيه ، فعُرِف به ، وبعدَ موتِه بقليلٍ كان فيه نُزولُنا حينَ قدِمْنا مِن حَوْرانَ وأنا صغيرٌ ، فختَمْتُ فيه القرآنَ العظيمَ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « جيش » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) فى الأصل : « ابن سنون » ، وفى م : « ابن سقور » . والمثبت مما سيأتى صفحة ٧٤١ .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وستين وستّمائةٍ

اسْتَهَلَّت[1] والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ العباسيُّ ، وسلطانُ الإسلامِ الذابُّ عن حَوْزتِه الملكُ الظاهرُ ركنُ الدين بَيْبرسُ البُنْدُقداريُّ - أيده اللَّهُ وشدَّ عَضُدَه - ونائبُ الشامِ الأميرُ جمالُ الدين آقوش النجيبيُّ ، وقاضيه شمسُ الدينِ بنُ خلكانَ .

وفيها[2] فى أولِها كمَلت المدرسةُ الظاهريةُ التى بينَ القَصْرَيْن ، ورُتِّب لتَدْريسِ الشافعيةِ بها القاضى تقيُّ الدينِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ رَزِينٍ ، ولتَدريسِ الحنفيةِ مجدُ[3] الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالِ الدينِ عمرَ بنِ العَديمِ ، ولمشيخةِ الحديثِ بها الشيخُ شرفُ الدينِ عبدُ المؤمنِ بنُ خلفٍ الحافظُ الدِّمْياطيُّ .

وفيها[4] عمَّر الظاهرُ بالقدسِ الشريفِ خانًا ، ووقَف عليه أوْقافًا للنازلِين به مِن إصلاحِ نِعالِهم وأكْلِهم وغيرِ ذلك ، وبنَى به طاحُونًا وفُرْنًا .

وفيها[5] قدِمَت رسلُ الملكِ بَرَكة قان إلى الملكِ الظاهرِ ، ومعهم الأشرفُ بنُ شهابِ الدينِ غازى بنِ العادلِ ، ومعهم مِن الكتبِ والمُشافَهاتِ ما فيه سُرورٌ للإسْلامِ وأهلِه مما حلَّ بهولاكو وأهلِه .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٠، ٢/ ٢٢٩، وكنز الدرر ٨/ ١٠٢.
(٢) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٣، وكنز الدرر ٨/ ١٠٣.
(٣) فى الأصل: «مجير».
(٤) ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٤، ٢/ ٢٣١، وعقد الجمان ١/ ٣٧٥.
(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢.

وفى جُمادَى الآخِرةِ منها[1] درَّس الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ عبدُ الرحمنِ ابنُ [2]إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ[2] المَقْدِسىُّ بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ، بعدَ وفاةِ القاضى عمادِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ، وحضَر عندَه القاضى شمسُ الدينِ ابنُ خَلِّكانَ وجَماعةٌ مِن الفضلاءِ[3] والأعيانِ، وذكَر خُطْبةَ كتابِه «المَبْعَثِ»، [١٠/٦٩ظ] وأوْرَد الحديثَ بسندِه ومتنِه، وذكَر فَوائدَ كثيرةً مُسْتَحْسَنةً، ويقالُ: إنه لم يُراجِعْ شيئًا حتى أورد درْسَه، ومثلُه لا يُسْتَكْثَرُ عليه ذلك. رحِمه اللَّهُ تعالى.

وفيها قدِم نَصِيرُ الدينِ الطُّوسىُّ إلى بغدادَ مِن جهةِ السلطانِ هولاكو قان، فنظَر فى الأوقافِ وأحوالِ البلدِ، وأخَذ كتبًا عظيمةً كثيرةً مِن سائرِ المدارسِ، وحوَّلها إلى الرَّصَدِ الذى بناه بمَرَاغةَ، ثم انْحَدَر إلى واسطٍ والبصرةِ.

وفيها كانت وفاةُ:

الملكِ الأشرفِ موسى بنِ الملكِ المنصورِ إبراهيمَ بنِ الملكِ المُجاهِدِ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيركُوه الكبيرِ[4]، كانوا مُلوكَ حمصَ كابرًا عن كابرٍ إلى هذا الحينِ، وقد كان مِن الكُرماءِ المَوْصُوفِين، والكُبَراءِ الدماشقةِ المُتْرَفِين، ويعتنى بالمآكلِ والمَشاربِ، والملابسِ والمَراكِبِ، وقَضاءِ الشَّهواتِ والمآرِبِ، وكثرةِ التنَعُّمِ بالمَغانى والحَبائبِ[5]، ولما تُوُفِّى وُجدَت له

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٠.

(٢ - ٢) فى الأصل: «إبراهيم إسماعيل»، وفى م: «إسماعيل». والمثبت من مصادر ترجمته، وستأتى ترجمته فى ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٣) فى م: «القضاة».

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٥، ٢/ ٣١٠- ٣١٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٤، والعبر ٥/ ٢٧٠، وعقد الجمان ١/ ٣٧٢.

(٥) بعده فى م: «ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضغاث أحلام، أو كظل زائل، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره».

حَواصلُ مِن الجَواهرِ النَّفيسةِ والأموالِ الكثيرةِ ، وعاد ملكُه إلى الدولةِ الظاهريةِ[1] .

وتُوُفِّى معه فى هذه السنةِ الأميرُ حُسامُ الدينِ الجُوكَنْدار نائبُ حلبَ[2] .

وفيها كانت كَسْرةُ التَّتارِ على حمصَ ، وقُتِل مُقَدَّمُهم بَيْدَرَةُ بقَضاءِ اللَّهِ وقَدَرِه الحسنِ الجميلِ .

وفيها كانت **وفاةُ الرَّشيدِ العَطَّارِ**[3] المُحَدِّثِ بمصرَ ، والذى حضَر مَسْخَرةَ[4] الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ .

والتاجرِ المشهورِ الحاجِّ **نصرِ بنِ تروس**[5] ، وكان ملازمًا للصلواتِ بالجامعِ ، وكان مِن ذَوِى اليَسارِ والخيرِ .

الخطيبُ عِمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانىِّ : عبدُ الكَريمِ بنُ قاضى القضاةِ جَمالِ الدينِ عبدِ الصمدِ بنِ محمدِ بنِ الحَرَسْتانىِّ[6] ، كان خَطيبًا بدمشقَ ، وناب فى الحكمِ عن أبيه فى الدولةِ الأشْرفيةِ بعدَ ابنِ الصَّلاحِ ، إلى أن تُوُفِّى فى دارِ الخَطابةِ فى التاسعِ والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنةِ ، وصُلِّىَ عليه بجامعِ دمشقَ ، ودُفِن عند أبيه بقاسِيون ، وكانت جنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وقد جاوَز الثمانين بخمسِ سنين ، وقد تولَّى بعدَه الخَطابةَ والغَزَّاليةَ ولدُه مجيرُ[7]

---

(١) بعده فى الأصل : « واستناب ببلاده من الممالك البحرية » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٠، والعبر ٥/ ٢٧١، وعقد الجمان ١/ ٣٩٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩.

(٤) مسخرة : جمعها مساخر ؛ وهى ألعاب لإضحاك الناس . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٤٩ الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام نقلا عن معجم dozy .

(٥) فى م : « دس » . وانظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وفيه : « بردس » ، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٤.

(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٩٥، والعبر ٥/ ٢٦٨، وعقد الجمان ١/ ٣٨٩.

(٧) فى م : « مجد » .

الدينِ ، وباشَر بعده مشيخةَ دارِ الحديثِ الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ .

مُحْيِي الدينِ [1] محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ [1] بنِ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ سُراقةَ الحافظُ المُحَدِّثُ الأنْصاريُّ الشاطبيُّ ، أبو بكرٍ المَغْرِبيُّ ، عالمٌ فاضلٌ دَيِّنٌ ، وأقام بحلبَ مدةً ، ثم اجْتاز بدمشقَ قاصدًا الديارَ المصريةَ . وقد ولِيَ دارَ الحديثِ الكَاملية بعدَ زَكيِّ الدينِ عبد العظيمِ المُنْذِريِّ ، وقد كان له سَماعٌ جيدٌ ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ ، وقد جاوَز السبعين .

الشيخُ الصالحُ محمدُ بنُ منصورِ بنِ يحيى الشيخِ أبى القاسمِ القَبَّاريُّ الإسْكَنْدَرانيُّ [2] ، كان مُقيمًا بغَيْطٍ له يَقْتاتُ منه ، ويَعْمَلُ فيه ويَبْذُرُه ، ويَتَوَرَّع جدًّا ، ويُطْعِمُ الناسَ مِن ثمارِه ، وكانت وفاتُه فى سادسِ شعبانَ من هذه السنةِ بالإسْكَنْدريةِ ، وله خمسٌ وسبعون سنةً ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ ، ويَنْهَى عن المنكرِ ، ويَرْدَعُ الولاةَ عن الظلمِ ، فيَسْمَعون منه ويُطِيعونه [3] ، وإذا جاء الناسُ إلى زيارتِه إنما يُكَلِّمُهم مِن طاقةِ المنزلِ ، وهم راضون منه بذلك .

ومِن غريبِ ما حُكِى عنه أنه باع دابةً له مِن رجلٍ ، فلما كان بعدَ أيامٍ جاءه الرجلُ [١٠/٧٠و] فقال : يا سيدى ، إن الدابةَ [4] لا تَأْكُلُ عندى شيئًا . فنظَر إليه الشيخُ ، فقال له : ما تُعانى من الصنائعِ [5] ؟ فقال : رَقَّاصٌ عندَ الوالى . فقال : إن

(١ - ١) كذا فى الأصل ، م . وفى مصادر ترجمته : « محمد بن محمد » : الذيل على الروضتين ص ٢٣٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٤، والعبر ٥/ ٢٧٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢٠٨، والدليل الشافى ٢/ ٦٩٠.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٥، والعبر ٥/ ٢٧١، وعقد الجمان ١/ ٣٩٠.

(٣) بعده فى م : « لزهده » .

(٤) بعده فى م : « التى اشتريتها منك » .

(٥) فى م : « الأسباب » .

دابَّتَنا لا تَأْكُلُ الحَرامَ . ودخَل منزلَه فأعْطاه دراهمَه ومعها دراهمُ كثيرةٌ قد اخْتَلَطَت بها فلا تُـميَّزُ ، فاشْتَرَى الناسُ مِن الرَّقَّاصِ كلَّ درهمٍ بثلاثةٍ لأجلِ البركة ، وأخَذ دابَّتَه ، ولما تُوُفِّى ترَك مِن الأثاثِ ما يُساوِى خمسين درهمًا[1] ، فأبيع بمبلغِ عشرين ألفًا .

قال أبو شامةَ[2] : وفى الثامنِ[3] والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ **تُوُفِّى مُحْيى الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ صَفِىِّ الدينِ إبراهيمَ بنِ مَرْزوقٍ** بدارِه بدمشقَ المُجاوِرةِ للمدرسةِ النُّوريةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

قلتُ : دارُه هذه هى التى جُعِلَت مدرسةً للشافعيةِ ، وقَفها الأميرُ جَمالُ الدينِ آقوشُ النَّجِيبىُّ ، [4]التى يقالُ لها : النَّجيبِيةُ[4] . تقَبَّل اللَّهُ منه ، وبها إقامتُنا ، جعَلها اللَّهُ دارًا تَعْقُبُها دارُ القَرارِ فى الفوزِ العظيمِ .

وقد كان أبوه صَفِىُّ الدينِ وزيرًا مدةً للملكِ الأشرفِ ، وملَك مِن الذهبِ ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ خارجًا عن الأملاكِ[5] والأثاثِ والبَضائعِ ، وكانت وفاةُ أبيه بمصرَ فى سنةِ تسعٍ وخمسين ، ودُفِن بتربتِه عندَ جبلِ المُقَطَّمِ . رحِمه اللَّهُ تعالى .

قال أبو شامةَ[6] : وجاء الخبرُ مِن مصرَ **بوفاةِ الفخرِ عثمانَ المصرىِّ المعروفِ بعَيْـنِ عين**[7] .

---

(١) فى الأصل : « دينارًا » .
(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣١.
(٣) فى م : « الرابع » .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥) فى الأصل : « الأموال » .
(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢.
(٧) فى م : « غين » .

قال[1] : وفى ثامنَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ تُوُفِّى الشمسُ الوتارُ[2] الموصلىُّ ، وكان قد حصَّل شيئًا مِن علمِ الأدبِ ، وخطَب بجامعِ المزَّةِ مدةً . فأنْشَدنى لنفسِه فى الشَّيْبِ وخِضابِه :

وكنتُ وإياها مذ اخْتَطَّ عارضى ... كرُوحَيْن[3] فى جسمٍ وما نَقضَتْ عهدَا
فلما أتانى الشَّيْبُ يَقْطَعُ بينَنا ... توَهَّمْتُه سيفًا فألْبَسْتُه غِمْدَا

وفيها[4] اسْتَحْضَر الملكُ هولاكوقان ملكُ التتارِ الزَّيْنَ الحافظىَّ ، وهو سليمانُ [5]ابنُ المؤيدِ[5] بنِ عامرٍ العقربانىُّ المعروفُ بالزَّيْنِ الحافظىِّ ، وقال له : قد ثبَت عندى خِيانتُك . وقد كان هذا المُغْتَرُّ لما قدِم التَّتارُ مع[6] هولاكو دمشقَ وغيرَها مالأ على المسلمين وآذاهم ، ودلَّ على عَوْراتِهم ، حتى سلَّطهم اللَّهُ عليه بأنواعِ العُقوباتِ والـمَثُلَاتِ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وفى الجملةِ مَن أعان ظالمًا سُلِّط عليه ، [7]فإن اللَّهَ يَنْتَقِمُ مِن الظالمِ بالظالمِ ، ثم يَنْتَقِمُ مِن الظالمين جميعًا ، نَسْأَلُ اللَّهَ العافيةَ مِن انتقامِه وغضبِه وعقابِه وشرِّ عبادِه[7] .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢.
(٢) فى م : « الوبار » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٠.
(٣) فى الذيل على الروضتين : « كزوجين » . والمثبت من الأصل ، م موافق لما فى ذيل مرآة الزمان الموضع السابق .
(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٣٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٠٩، وكنز الدرر ٨/ ١٠٤.
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) فى الأصل : « سنة » .
(٧ - ٧) زيادة من : م .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وستين وستّمائةٍ

فيها[1] جهَّز السلطانُ الملكُ الظاهرُ عَسْكرًا جمًّا كثيفًا إلى ناحيةِ الفُراتِ لطرْدِ التَّتارِ النازِلِين بالبِيرَةِ ، فلما سمِعوا بالعَساكرِ الظاهريةِ قد أقْبَلَت تولَّوا على أعقابِهم منهزمين ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ، فطابَت تلك الناحيةُ ، وأمِنَت تلك المُعامَلةُ ، وقد كانت قبلَ ذلك لا تُسكَنُ مِن كثرةِ الفَسادِ بها والخوفِ ، فعمَرَت وأمِنَت وللَّهِ الحمدُ .

وفيها[1] خرَج الملكُ الظاهرُ فى عَساكرَ أُخَرَ عظيمةٍ ، فقصَد بلادَ الساحلِ لحصارِ الفِرِنْجِ ، ففتَح قَيْسارِيَّةَ فى ثلاثِ ساعاتٍ مِن يومِ الخميسِ ثامنِ جُمادَى الأولى وهو يومُ نُزولِه عليها ، وتسَلَّم قلعتَها فى يومِ الخميسِ الآخَرِ خامسَ عشَرَه فهدَمها ، وانْتَقل إلى غيرِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، ثم جاء الخبرُ بأنه فتَح مدينةَ أَرْسُوفَ[2] ، وقتَل مَن بها مِن الفِرِنْجِ ، وجاءت البَرِيديةُ بذلك . فدقَّت البشائرُ فى بلادِ[3] المسلمين ، وفرِحوا بذلك فرحًا شديدًا .

وفيها[4] ورَد خبرٌ مِن بلادِ المغربِ بأنهم انْتَصَروا على الفِرِنْجِ ، وقتَلوا منهم خمسةً وأربعين ألفَ مقاتلٍ وأسَروا عشَرةَ آلافٍ ، واسْتَرْجَعوا منهم ثنتين

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٨، وكنز الدرر ٨/ ١٠٧.

(٢) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ١/ ٢٠٧.

(٣) فى الأصل : « قلاع » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤، وعقد الجمان ١/ ٤٠٩.

[١٠/٧٠ظ] وثلاثين[١] بَلْدةً، منها شَرِيشُ[٢] وإشْبِيلِيَةُ وقُرْطبةُ ومُرْسِيَةُ، وكانت النُّصْرةُ فى يومِ الخميسِ الرابعَ عَشَر من رمضانَ سنةَ ثنتين وستين.

وفى رمضانَ[٣] مِن هذه السنةِ شُرِع فى تَبْليطِ بابِ البريدِ مِن بابِ الجامعِ إلى القَناةِ التى عندَ الدَّرَجِ، وعُمِل فى الصفِّ القِبْلىِّ منها بِرْكةٌ وشاذِرْوانُ. وكان فى موضِعِها قَناةٌ مِن القَنواتِ يَنْتَفِعُ الناسُ بها عندَ انْقِطاعِ نهرِ بانِياسَ[٤]، فغُيِّرَت وعُمِل هذا الشاذِرْوانُ. قلتُ: ثم غُيِّر ذلك وعُمِل مكانَه دَكاكِينُ.

وفيها[٥] اسْتَدْعَى السلطانُ نائبَه على دمشقَ الأميرَ جمالَ الدينِ آقوش النجيبىَّ فسار إليه سَمْعًا وطاعةً، وقد ناب عنه الأميرُ عَلَمُ الدينِ الحِصْنىُّ حتى عاد مُكَرَّمًا مَعَزَّزًا.

وفيها[٦] ولَّى السلطانُ الملكُ الظاهرُ مِن بقيةِ المَذاهبِ قُضاةً فى الديارِ المصريةِ مُسْتَقِلِّين، يُولُّون مِن جهتِهم فى البُلْدانِ أيضًا كما يُوَلِّى الشافعىُّ، فكان للشافعيةِ القاضى تاجُ الدينِ عبدُ الوهَّابِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ، وتولى قضاءَ الحنفيةِ شمسُ الدينِ سليمانُ، وقضاءَ المالكيةِ شمسُ الدينِ السبكىُّ، والحَنابلةِ شمسُ الدينِ محمدٌ[٧] المَقْدِسىُّ، وكان ذلك يومَ الاثنينِ الثانىَ والعشرين مِن ذى الحجَّةِ بدارِ العدلِ[٨]،

---

(١) فى م: «أربعين».

(٢) فى الأصل: «سريش»، وفى م: «برنس»، وفى عقد الجمان: «سرين»، والمثبت من الذيل على الروضتين. وشريش: مدينة كبيرة من كورة شَذُونة وهى قاعدة هذه الكورة، وشذونة: مدينة بالأندلس. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٨٥، ٢٦٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٦.

(٤) كذا فى الأصل، والذيل على الروضتين، وفى م: «ماناس». ولعل الصواب «باناس». انظر معجم البلدان ١/ ٤٨٢.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥، والعبر ٥/ ٢٧٢، وعقد الجمان ١/ ٤٠٧.

(٧) بعده فى الأصل: «بن».

(٨) فى الأصل: «العقل».

وكان سببَ ذلك كثرةُ تَوَقُّفِ القاضى تاجِ الدين ابنِ بنتِ الأعَزِّ[1] [1] فى أمُورٍ تُخالِفُ مَذْهبَ الشّافِعىِّ ، وتُوافِقُ غيرَه مِن المذاهبِ[1] ، فأشار الأميرُ جَمالُ الدينِ أَيْدُغْدِى العَزِيزىُّ على السلطانِ بأن يُوَلِّىَ مِن كلِّ مَذْهَبٍ قاضىَ قضاةٍ وكان يُحبُّ رأيَه ومشورتَه ، فأجابه إلى ذلك ففعَل كما ذكرنا ، [2] وبعَث بأخشابٍ ورَصاصٍ وآلاتٍ كثيرةٍ لِعمارةِ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأرْسَل مِنْبرًا ، فنُصِب هنالك .

وفيها وقَع حَريقٌ عظيمٌ ببلادِ مصرَ ، واتُّهِم النَّصارى ، فعاقَبهم الملكُ الظاهرُ عُقوبةً عظيمةً[2] .

وفيها[3] جاءت الأخبارُ بأن سلطانَ التَّتارِ هولاكو هلَك إلى لعنةِ اللَّهِ وغضبِه فى سابعِ ربيعِ الآخِرِ بمرضِ الصَّرْعِ بمدينةِ مَرَاغةَ[4] ، ودُفِن بقلعةِ تَلَا ، وبُنِيَت عليه قبةٌ ، واجْتَمَعت التَّتارُ على ولدِه أَبْغَا ، فقصَده الملكُ بَرَكة خان ، فكسَره وفرَّق جُموعَه ، ففرِح الملكُ الظاهرُ بذلك فرحًا شديدًا ، وعزَم على جمعِ العَساكرِ ليَأْخُذَ بلادَ العراقِ ، فلم يَتَمَكَّنْ مِن ذلك لتَفَرُّقِ العَساكرِ فى الإقْطاعاتِ .

وفيها[5] فى ثانى عشَرَ شوالٍ سلْطَن الملكُ الظاهرُ ولدَه الملكَ السعيدَ محمدَ بَرَكة قان ، وأخَذ له البَيْعةَ مِن الأمراءِ ، وأرْكَبه ومشَى الأمراءُ بينَ يديه ، وحمَل والدُه الغاشيةَ بنفسِه ، والأميرُ بدرُ الدينِ بَيْسَرِى الشمسىُّ حاملُ الجِترَ[6] ،

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر نهاية الأرب ٣٠/ ١١٥.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٢، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٢، وكنز الدرر ٨/ ١١٤.

(٤) ستأتى ترجمته صفحة ٤٦٨، ضمن وفيات سنة أربع وستين.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٢.

(٦) فى م : «الخبز» . والجِتْر : المظلة ؛ من الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ، وهى قُبَّةٌ من حرير أصفر مزركش بالذهب ؛ على أعلاها طائر من فضةٍ مَطْلِيَّة بالذهب تحمل على رأس الخليفة عند =

والقاضى تاجُ الدينِ ابنُ بنتِ الأعزِّ والوزيرُ بَهاءُ الدينِ بنُ حِنَّا راكبان بينَ يديه ، وأعيانُ الأمراءِ رُكْبانٌ ، وبقيتُهم مُشاةٌ حتى شقُّوا القاهرةَ وهم كذلك ، وكان يومًا مشهودًا .

وفى ذى القَعْدِة[1] ختَن السلطانُ ولدَه الملكَ السعيدَ المذكورَ ، وخُتِن معه جماعةٌ مِن أولادِ الأمراءِ ، وكان يومًا مشهودًا .

وممن تُوُفِّى فيها :

الزينُ خالدُ بنُ يوسُفَ بنِ سعدٍ النابُلُسىُّ[2] الشيخُ زينُ الدينِ الحافظُ[3] ، شيخُ دارِ الحديثِ النُّوريةِ بدمشقَ ، كان عالمًا بصناعةِ الحديثِ ، حافظًا لأسماءِ الرجالِ ، اشْتَغل عليه فى ذلك الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّواوىُّ وغيرُه ، وتولَّى بعدَه مَشْيَخةَ النُّوريةِ الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ ، وكان الشيخُ زَيْنُ الدينِ حسَنَ الأخْلاقِ ، فَكِهَ النفسِ ، كثيرَ المزاحِ على طريقةِ المُحَدِّثِين ، وكان قد رحَل إلى بغدادَ ، فاشْتَغَل بها ، وسمِع الحديثَ [١٠/٧١و] وكان فيه خيرٌ وصلاحٌ وعِبادةٌ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ أبو القاسم الحُوَّارىُّ : هو أبو القاسمِ بنُ يوسُفَ بنِ أبى القاسمِ بنِ عبدِ السلامِ الأُمَوىُّ[4] الشيخُ المشهورُ صاحبُ الزاويةِ بحُوَّارى ، تُوُفِّى ببلدِه ،

= ركوبه ، ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكبر الأمراء . انظر صبح الأعشى ٣/ ٤٦٩، ٤/ ٧.

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٣.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٦، والعبر ٥/ ٢٧٣، وفوات الوفيات ١/ ٤٠٣، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٨٣، وعقد الجمان ١/ ٤١١.

(٣) فى م : « ابن الحافظ » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٦، والعبر ٥/ ٢٧٥، وعقد الجمان ١/ ٤١٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٣.

وكان خَيِّرًا صالحًا ، له أتباعٌ وأصحابٌ يُحِبُّونه ، وله مُرِيدون كثيرٌ مِن قَرايا حَورانَ فى [1]الـجُبَيلِ والبَثَنِيَّةِ[1] ، وهم حنابلةٌ لا يَرَوْن الضربَ بالدُّفِّ بل بالكَفِّ ، وهم أمثلُ من غيرِهم .

القاضى بدرُ الدينِ الكُرْدىُّ السِّنْجارىُّ[2] الذى باشَر القضاءَ بالديارِ المصريةِ مِرارًا وكانت وفاتُه بالقاهرةِ . قال أبو شامةَ[3] : وكانت سِيرتُه معروفةً فى أخْذِ الرِّشَا مِن قُضاةِ الأطْرافِ والشهودِ والمُتَحاكِمِين ، إلا أنه كان جَوَادًا كريمًا ثم صُودِر هو وأهلُه .

(١ - ١) فى م : « الحل والثبنية » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٢، والعبر ٥/ ٢٧٤، وعقد الجمان ١/ ٤١١.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وستين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ المسلمين الملكُ الظاهرُ ، وقُضاةُ مصرَ أربعةٌ .

وفيها استجدَّ بدمشقَ أربعةُ قُضاةٍ[2] ، كما فُعِل فى العامِ الماضى فى ديارِ مصرَ وسيأتى تفصيلُه ، ونائبُ الشامِ آقوشُ النَّجِيبيُّ ، وفيها وردت الولاياتُ لقَضاءِ القُضاةِ من المذاهبِ ؛ فصار كلُّ مذهبٍ فيه قاضى قضاةٍ ، فكان فى منصبِ الشافعيةِ شمسُ الدين أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ خلكانَ البَرْمَكِيُّ ، وصار على قضاءِ الحنفيةِ شمسُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عَطا ، والحنابلةِ شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ الشيخِ أبى عمرَ [3]محمدِ بنِ أحمدَ بنِ قُدَامةَ[3] ، وللمالكيةِ عبدُ السلامِ ابنُ الزواويِّ ، وقد امْتَنَع مِن الوِلايةِ ، فأُلْزِم بها حتى قبِل ، ثم عزَل نفسَه ، ثم أُلْزِم بها ، فقبِل بشرطِ أن لا يُباشِرَ أوقافًا ، ولا يَأْخُذَ جامَكيةً على أحكامِه[4] ، فأجيب إلى ذلك ، وكذلك قاضى الحنابلةِ لم يأخذْ على أحكامِه أجرًا وقال : نحن فى كفايةٍ . فأُعْفِى مِن ذلك أيضًا ، رحِمَهم اللَّهُ . وقد كان هذا الصَّنيعُ الذى لم يُسْبَقْ إلى مثلِه قد فُعِل فى العامِ الماضى بالديارِ المصريةِ أيضًا ، واسْتَقَرَّت الأحْوالُ على هذا المِنْوالِ وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٢٧.

(٢) بعده فى م : « من كل مذهب قاض » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « الحاكم » .

وفيها كمَل عِمارةُ الحوضِ الذى شرقىَّ قناةِ بابِ البريدِ ، وعُمِل له شاذِرْوانٌ ، وفيه[1] أنابيبُ يَجْرِى فيها الماءُ من القناةِ التى هى غرْبيُّه إلى جانبِ الدَّرَجِ الشَّماليةِ .

وفيها قدِم السلطانُ الملكُ الظاهرُ بعساكرِه ونازَل مدينةَ صَفَدَ ، واسْتَدْعَى بالمَجانِيقِ مِن دمَشقَ ، وأحاط بها ، ولم يَزَلْ حتى افْتَتَحها ، ونزَل أهلُها على حكمِه ، فتسَلَّم البلدَ فى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ شوالٍ من هذه السنةِ ، وقتَل المُقاتِلةَ ، وسبَى الذُّرِّيَّةَ ، وقد كان الملكُ صلاحُ الدينِ افتتحها فى شوالٍ أيضًا فى سنةِ أربعٍ وثمانين وخمسِمائةٍ ، ثم اسْتَعادوها أيضًا فانتزعها منهم قَسْرًا وقهرًا الملكُ الظاهرُ رحِمه اللَّهُ فى هذه السنةِ ، وللَّهِ الحمدُ ، وكان السلطانُ فى نفسِه منهم شىءٌ كثيرٌ ، فلما توَجَّه إلى فتحِها طلَبوا الأمانَ[2] ، فأجْلَس على سَريرِ مَمْلكتِه الأميرَ سيفَ الدينِ كرمونَ التَّتَرىَّ ، وجاءت رسلُهم ، فحلّفوه[3] وانْصَرَفوا ، [4]ولا يَشْعُرون أن الذى أعْطاهم العُهودَ بالأمانِ إنما هو الأميرُ الذى أجْلَسه على السريرِ[4] ، والحربُ خَدْعةٌ ، فلما خرَجَت الإسْبتاريةُ والداوِيَّةُ مِن القلعةِ ، وقد فعَلوا بالمسلمين الأَفاعيلَ ، فأمكن اللَّهُ [١٠/٧١ظ] منهم ، فأمَر السلطانُ بضَرْبِ أعناقِهم عن آخِرِهم ، وجاءت البشائرُ إلى القلاعِ بذلك ، فدقَّت البشائرُ ، وزُيِّنَت البلادُ وفرِح العبادُ وللَّهِ الحمدُ ، ثم بُثَّت السَّرايا يمينًا وشمالًا فى بلادِ الفِرنْجِ ، فاسْتَوْلى المسلمون على حصونٍ كثيرةٍ تُقارِبُ عشرين حصنًا ،

---

(١) فى م : « قبة و » .

(٢) بعده فى الأصل : « على أن يعطيهم السلطان الأمان » .

(٣) فى م : « فخلعوه » .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

وأَسَروا قريبًا مِن ألفِ أسيرٍ ما بينَ امرأةٍ وصبيٍّ ، وغنِموا شيئًا كثيرًا ، ودقَّت البشائرُ فى البُلْدانِ ، وفرِح المسلمون بنصرِ اللَّهِ وتأييدِه .

وفيها[1] قدِم ولدُ الخليفةِ المُسْتَعْصِمِ بنِ المُسْتَنْصِرِ بنِ الظاهرِ بنِ الناصرِ العباسيِّ - واسمُه عليٌّ - إلى دمشقَ فأُكْرِم وأُنْزِل بالدارِ الأَسَديةِ تُجاهَ المدرسةِ العَزيزيةِ ، وقد كان أسيرًا فى أيدى التَّتارِ ، فلما كسَرَهم بَرَكةُ خان تخَلَّص من أيديهم ، وصار إلى دمَشقَ ، ولما فتَح السلطانُ صَفَدَ أخْبَره بعضُ مَن كان بها مِن أَسْرَى المسلمين أن سبَبَ أسْرِهم أن أهلَ قريةِ قارا كانوا يَأْخُذونهم فيَحْمِلونهم إلى الفِرِنْجِ ، فيَبِيعُونهم منهم ، فعندَ ذلك ركِب السلطانُ قاصدًا قارا ، فأوْقَع بهم بأسًا شديدًا ، وقتَل منهم خلقًا كثيرًا ، وأسَر مِن أبنائِهم ونسائِهم أخْذًا بثأرِ المسلمين ، جزاه اللَّهُ خيرًا . ثم أرْسَل السلطانُ الملكُ الظاهرُ جيشًا هائلًا إلى بلادِ سِيسَ ، فجاسوا خلالَ الديارِ ، وفتَحوا سِيسَ عَنْوةً ، وأسَروا ابنَ ملكِها وقتَلوا أخاه ، ونهَبوها وقتَلوا أهلَها ، وأخَذوا بثأرِ الإسلامِ وأهلِه منهم ؛ وذلك أنهم كانوا أضَرَّ شىءٍ على المسلمين زمنَ التَّتارِ ، لما أخَذوا مدينةَ حلبَ وغيرَها أسَروا مِن نساءِ المسلمين وأطْفالِهم خلقًا كثيرًا وجمًّا غفيرًا ، ثم كانوا بعدَ ذلك يُغِيرون على بلادِ المسلمين [2]فى زمنِ هولاكو[2] ، فكبَته اللَّهُ وأهانه على يدى أنصارِ الإسلامِ ، [3]وللَّهِ الحمدُ والمنةُ كثيرًا دائمًا ، وكانت النُّصرةُ عليهم فى[3] يومِ الثلاثاءِ العشرين مِن ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، وجاءت الأخبارُ بذلك إلى البلادِ ، وضُرِبَت البَشائرُ .

---

(١) عقد الجمان ١/ ٤٢٦.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى م : « هو وأميره كتبغا وكان أخذ سيس » .

وفى الخامسِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ دخَل السلطانُ الملكُ الظاهرُ دمشقَ المحروسةَ وبينَ يديه ابنُ صاحبِ سِيسَ وجَماعةٌ مِن ملوكِ الأرْمَنِ أُسارَى أَذِلَّاءَ صَغَرةً والعساكرُ صُحْبتُه، وكان يومًا مشهودًا. ثم سار إلى الديارِ المصريةِ مُؤَيَّدًا منصورًا مسرورًا محبورًا وللَّهِ الحمدُ، وطلَب صاحبُ سِيسَ أن يُفادِىَ ولدَه من السلطانِ فقال: لا نُفادِيه إلا بأسيرٍ لنا عندَ التَّتارِ يقالُ له: سُنْقُرُ الأَشْقَرُ. فذهَب صاحبُ سِيسَ إلى ملكِ التَّتَرِ، فتذَلَّل وتخضَّع له، حتى أَطْلَق له سُنْقُرَ الأَشْقَرَ فأطلق السلطانُ ابنَ صاحبِ سِيسَ.

وفيها[1] عمَّر الظاهرُ الجِسْرَ المشهورَ بينَ قَراوا[2] ودامية، توَلَّى عِمارتَه الأميرُ جَمالُ الدينِ محمدُ بنُ نهارٍ[3] وبدرُ الدينِ محمدُ بنُ رحالٍ والى نابُلُسَ والأغْوارِ، ولما تمَّ بناؤُه اضْطَرب بعضُ أركانِه، فقلِق السلطانُ لذلك، وأمَر بتأكيدِه، فلم يَسْتَطِيعوا مِن قوةِ جَرْيِ الماءِ حينَئذٍ، فاتَّفَق بإذنِ اللَّهِ أن انْسالَت على النهرِ أَكَمَةٌ[4] مِن تلك الناحيةِ، فسكَن الماءُ بمقدارِ ما أصْلَحوا ما يُرِيدون، ثم عاد الماءُ كما كان، وذلك بتَيْسيرِ اللَّهِ وعونِه وعِنايتِه العظيمةِ.

وممن تُوفِّى فيها:

أَيْدُغْدِى بنُ عبدِ اللَّهِ، الأميرُ جَمالُ الدينِ العَزِيزىُّ[5]، كان [١٠/٧٢و] مِن

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٤٦.

(٢) فى الأصل: «سرارا»، وفى م: «قرارا». والمثبت من المصدر السابق. وقراوا: قرية من أعمال نابلس. انظر معجم البلدان ٤/ ٥١.

(٣) فى الأصل: «بهار»، وفى م: «بهادر». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٤١ حاشية (٢)..

(٤) الأكمة: التّلّ. الوسيط (أ ك م).

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٣٠، والعبر ٥/ ٢٧٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٨٤، والمنهل الصافى ٣/ ١٥٩.

أكابرِ الأمراءِ وأحْظاهم عندَ الملكِ الظاهرِ، لا يَكادُ يَخْرُجُ عن رأيِه، وهو الذى أشار عليه بوِلايةِ القُضاةِ مِن كلِّ مذهبٍ على سَبيلِ الاسْتِقلالِ، وكان، رحمه اللَّهُ تعالى، مُتَواضِعًا لا يَلْبَسُ مُحَرَّمًا، كريمًا وَقورًا رئيسًا مُعَظمًا فى الدولةِ، أصابَته جِراحةٌ فى حِصارِ صَفَدَ فلم يَزَلْ مَريضًا منها حتى مات ليلةَ عرفةَ، ودُفِن بالرِّباطِ الناصرىِّ بسفحِ قاسِيونَ[1].

هُولَاكُوقان بنُ تُولى قان بنِ جِنْكِزْخان[2] ملكُ التَّتارِ بنُ ملكِ التَّتارِ بنِ ملكِ التتارِ، وهو والدُ ملوكِهم، والعامَّةُ يقولون هَولَاوُون مثل قلاوون، وقد كان مَلِكًا جبَّارًا عنيدًا، قتَل مِن المسلمين شرقًا وغربًا ما لا يَعْلَمُ عددَهم إلا الذى خلَقهم، وسيُجازِيه على ذلك شرَّ الجزاءِ، كان، لعنه اللَّهُ، لا يَتَقَيَّدُ بدينٍ مِن الأدْيانِ، وإنما كانت زوجتُه ظفرخاتون قد تنَصَّرَت، وكانت تُفَضِّلُ النصارى، وكان، لعنه اللَّهُ، يَتَرامَى على محبةِ المَعْقولاتِ، ولا يَتَصَوَّرُ منها شيئًا، وكان أهلُها مِن أفراخِ الفَلاسِفةِ عندَه لهم وَجاهةٌ ومَكانةٌ، وإنما كانت همَّتُه فى تَدْبيرِ مملكتِه وتَمَلُّكِ البلادِ شيئًا فشيئًا، حتى أباده اللَّهُ فى هذه السنةِ، وقيل: فى سنةِ ثلاثٍ وستين[3]، ودُفِن بمدينةِ تَلَا، لا رحِمه اللَّهُ، وقام فى الملكِ مِن بعدِه ولدُه أَبْغَا فى المملكةِ، وكان أَبْغَا أحدَ إخوةٍ عشَرةٍ ذكورٍ. واللَّهُ سبحانه أعلمُ، وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ.

---

(١) بعده فى م: «من صلاحية دمشق رحمه اللَّه».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥٧، ودول الإسلام ٢/ ١٦٩.

(٣) انظر ما تقدم صفحة ٤٦١.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى يومِ الأحدِ ثانى المحرمِ توَجَّه السلطانُ الملكُ الظاهرُ مِن دمشقَ إلى الديارِ المصريةِ ، وصُحْبتُه العساكرُ المنصورةُ ، وقد اسْتَوْلَت الدولةُ الإسلاميةُ على بلادِ سِيسَ بكَمالِها ، وعلى كثيرٍ مِن مَعاقِلِ الفِرنْجِ فى هذه السنةِ ، وقد أرْسَل العَساكرَ بينَ يديه إلى غَزَّةَ ، وعدَل هو إلى ناحيةِ الكَرَكِ ليَنْظُرَ فى أحوالِها ، فلما كان عندَ بِرْكةِ زَيْزَى تصَيَّد هنالك ، فسقَط عن فرسِه ، فانْكَسَرَت فَخِذُه ، فأقام هنالك أيامًا يَتَداوَى حتى أمْكَنه أن يَرْكَبَ فى المحِفَّةِ ، وسار إلى مصرَ ، فبرَأَت رجلُه فى أثناءِ الطريقِ ، فأمْكَنه الركوبُ وحدَه على الفرسِ . ودخَل القاهرةَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وتجَمُّلٍ هائلٍ ، وقد زُيِّنَت البلدُ ، واحْتَفَل الناسُ له احتفالًا عظيمًا ، وفرِحوا بقُدومِه وعافيتِه فرحًا كثيرًا . ثم فى رجبٍ منها رجَع مِن القاهرةِ إلى صَفَدَ ، وحفَر خَنْدَقًا حولَ قلعتِها ، وعمِل فيه بنفسِه وأمرائِه وجيشِه ، وأغار على ناحيةِ عَكَّا ، فقتَل وأسَر وغنِم وسلِم ، وضَرَبَت لذلك البَشائرُ بدمشقَ . وفى ثانى عشَرَ ربيعِ الأولِ[2] صلَّى الظاهرُ بالجامعِ الأزهرِ الجمعةَ ، ولم تَكُنْ تُقامُ به الجمعةُ مِن زمنِ العُبَيْدِيِّين إلى هذا الحينِ ، مع أنه أولُ مسجدٍ وضع بالقاهرةِ ، بناه جَوْهَرٌ القَائدُ ، وأقام فيه الجمعةَ ، فلما بنَى الحاكمُ جامعَه حوَّل الجمعةَ منه إليه ، وترَك الأزهرَ لا جمعةَ فيه ، فصار فى حكمِ بقيةِ المَساجدِ ، وشعِث حالُه ، وتغَيَّرَت

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٨، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٣٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٠، وعقد الجمان ٢/ ٦.

أحوالُه ، فأمَر السلطانُ بعِمارتِه وبَياضِه وإقامةِ الجمعةِ ، وأمَر بعِمارةِ جامعِ الحُسَيْنِيةِ ، فكَمَل فى سنةِ سبعٍ وستين ، كما سيأتى ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفيها أمَر الظاهرُ أن لا يَبِيتَ أحدٌ مِن المُجاوِرين بجامعِ دمشقَ ، وأمَر بإخْراجِ الخَزائنِ منه ، والمَقاصِيرِ التى كانت فيه ، فكانت قريبًا مِن ثلاثِمائةِ [١٠/٧٢ظ] خِزانةٍ ومَقْصورةٍ ، ووجَدوا فيها قَوارِيرَ البولِ والفُرُشَ والسَّجاجِيدَ الكثيرةَ ، فاسْتَراح الناسُ والجامعُ مِن ذلك ، واتَّسع على المُصَلِّين .

وفيها[1] أمَر السلطانُ بعِمارةِ أسْوارِ صَفَدَ وقلعتِها ، وأن يُكْتَبَ عليها : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وفيها[2] الْتَقَى أَبْغَا ومَنْكُوتَمُر الذى قام مَقامَ بَرَكة خان ، فكسَره أبْغَا وغنِم منه شيئًا كثيرًا .

وحكَى ابنُ خَلِّكانَ فيما نقَل مِن خطِّ الشيخِ قُطْبِ الدينِ اليُونِينىِّ قال[3] : بلَغَنا أن رجلًا [4]بديرِ أبى سلَامةَ[4] مِن ناحيةِ بُصْرَى ، كان فيه مُجونٌ واسْتِهْتارٌ ، فذُكِر عندَه السواكُ وما فيه مِن الفَضيلةِ ، فقال : واللَّهِ لا أَسْتاكُ إلا فى المَخْرَجِ . يعنى دُبُرَه ، فأخَذ سِواكًا ، فوضَعه فى مَخْرَجِه ثم أخْرَجه ، فمكَث بعدَه تسعةَ

---

(١) نهاية الأرب ٣٠/ ١٣٧، وعقد الجمان ٢/ ٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٣.

(٣) عقد الجمان ٢/ ١٠.

(٤ - ٤) فى م : « يدعى أبا سلامة » .

أشهرٍ ، فوضَع ولدًا على صفةِ الجُرْذانِ ، له أربعةُ قَوائمَ ، ورأسُه كرأسِ السمكةِ ، وله دبرٌ كدبرِ الأرنبِ . ولما وضَعه صاح ذلك الحيوانُ ثلاثَ صَيْحاتٍ ، فقامت ابنةُ ذلك الرجلِ فرضَخَت رأسَه فمات ، وعاش ذلك الرجلُ بعدَ وضعِه له يومين ، ومات فى الثالثِ ، وكان يقولُ : هذا الحيوانُ قتَلَنى وقطَّع أمْعائى . وقد شاهَد ذلك جَماعةٌ مِن أهلِ تلك الناحيةِ وخُطباءُ ذلك المكانِ ، ومنهم مَن رأَى ذلك الحيوانَ حيًّا قبل أن يموتَ ، ومنهم مَن رآه بعدَ موتِه .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

السلطانُ برَكَة خان بنُ تُولى بنِ جِنْكِزْخان بنِ خاقان[1] وهو ابنُ عمِّ هُولَاكُو ، وقد أسْلَم بَرَكَة خان هذا ، وكان يُحِبُّ العُلماءَ والصالحين ، ومِن أكبرِ حَسَناتِه كَسْرُه لهولاكو وتَفْريقُه جُنودَه ، وكان يُناصِحُ الملكَ الظاهرَ ويُعَظِّمُه ويُكْرِمُ رسلَه إليه ، ويُطْلِقُ لهم شيئًا كثيرًا ، وقد قام فى الملكِ بعدَه بعضُ أهلِ بيتِه ، وهو مَنْكُوتَمُر بنُ طغان بنِ باتو بنِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان ، وكان على طريقتِه ومِنْوالِه ، وللَّهِ الحمدُ .

قاضى القُضاةِ بالديارِ المصريةِ تاجُ الدينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ خلفِ بنِ بدرِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ الشافعىُّ[2] ، كان دَيِّنًا عَفيفًا نَزِهًا ، لا تَأْخُذُه فى اللَّهِ لومةُ لائمٍ ، ولا يَقْبَلُ شَفاعةَ أحدٍ ، وجُمِع له قَضاءُ الديارِ المصريةِ بكَمالِها ، والخَطابةُ والحِسْبةُ ،

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٤، ونهاية الأرب ٢٧/ ٣٥٨، والعبر ٥/ ٢٨٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ١١٧، وعقد الجمان ٢/ ١٦.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٤٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٤٠، والعبر ٥/ ٢٨١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٨، وعقد الجمان ٢/ ١٢.

ومَشْيَخةُ الشُّيوخِ ، ونَظَرُ الأحباسِ[1] ، وتَدْريسُ قُبّةِ[2] الشافعيِّ والصالحيةِ وإمامةُ الجامعِ ، وكان بيدِه خمسَ عشْرةَ وظيفةً ، وباشَر الوِزارةَ فى بعضِ الأوْقاتِ ، وكان السلطانُ يُعَظِّمُه ، والوزيرُ ابنُ الحنَّا يَخافُ منه كثيرًا ، وكان يُحِبُّ أن يَنْكُبَه عندَ السلطانِ ويَضَعَه ، فلا يَسْتَطيعُ ذلك ، وكان يَشْتَهِى أن يَأْتِىَ دارَه ولو عائدًا ، فمرِض فى بعضِ الأحْيانِ ، فجاءه القاضى عائدًا ، فقام لتَلَقِّيه إلى وسَطِ الدارِ ، فقال له القاضى : إنما جِئْنا لعِيادتِك ، فإذا أنت سَوِىٌّ صَحيحٌ ، سلامٌ عليكم . فرجَع ولم يَجْلِسْ عندَه . وكان مولدُه فى سنةِ أربعٍ وستِّمائةٍ ، وتوَلَّى بعدَه القَضاءَ تَقِىُّ الدينِ بنُ رَزِينٍ .

واقفُ القَيْمُرِيَّةِ الأميرُ الكبيرُ ناصرُ الدينِ أبو المَعالى الحسينُ بنُ عزيزِ بنِ أبى الفَوارِسِ القَيْمُرىُّ الكُرْدىُّ[3] ، كان مِن أعظمِ الأُمراءِ مكانةً عندَ الملوكِ ، وهو الذى سلَّم الشامَ إلى الملكِ الناصرِ صاحبِ حلَبَ ، حينَ قُتِل تُورَانْشاه بنُ الصالحِ أيوبَ بمصرَ ، وهو واقفُ المدرسةِ القَيْمُرِيةِ [١٠/٧٣و] عندَ مِئْذَنةِ فَيْرُوزَ ، وعمِل على بابِها الساعاتِ التى لم يُسْبَقْ إلى مثلِها ، ولا عُمِل على شكلِها ، يقالُ : إنه غرِم عليها أربعين ألفَ درهمٍ .

الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شامةَ[4] **: عبدُ الرحمنِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ**

---

(١) فى الأصل : « الجيش » ، وفى م : « الأجياش » ، والمثبت من عقد الجمان .

(٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٤٦، والعبر ٥/ ٢٨٠، وعقد الجمان ٢/ ١٥.

(٤) الذيل على الروضتين ص ٣٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٧، والعبر ٥/ ٢٨٠، والوافى بالوفيات ١٨/ ١١٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٦٥، غاية النهاية ١/ ٣٦٥، وبغية الوعاة ٢/ ٧٧، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٦٣.

عثمانَ بنِ أبى بكرِ بنِ عباسٍ، أبو[1] محمدٍ وأبو القاسمِ المَقْدِسىُّ، الشيخُ الإمامُ العلامةُ الحافظُ المُحَدِّثُ الفَقِيهُ المؤَرِّخُ المَعْروفُ بأبى شامةَ، شيخُ دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ، ومدرسُ الرُّكْنيةِ، وصاحبُ المُصَنَّفاتِ العَديدةِ المفيدةِ، له «اخْتِصارُ تاريخِ دمشقَ» فى مجلداتٍ كثيرةٍ، وله «شرْحُ الشاطبيةِ»، وله «الردُّ إلى الأمرِ الأولِ»، وله فى البعثِ[2] وفى الإسْراءِ[3]، وكتابُ «الرَّوْضَتَيْن فى الدولتَيْن النُّوريةِ والصَّلاحيةِ»، وله «الذَّيْلُ» على ذلك، وله غيرُ ذلك مِن الفَوائدِ الحِسانِ والفرائدِ[4] التى هى كالعِقْيانِ. وُلِد ليلةَ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ سنةَ تسعٍ و[5]تسعين وخمسِمائةٍ[5]، وذكَر لنفسِه ترجمةً فى هذه السنةِ فى «الذَّيْلِ»، وذكَر مَرْباه ومَنْشَأَه، وطلبَه العلمَ، وسَماعَه الحديثَ، وتفَقُّهَه على الفخرِ بنِ عساكرَ، وابنِ عبدِ السلامِ، والسيفِ الآمِدىِّ، والشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ، وما رُئِى له مِن المَناماتِ الحسنةِ. وكان ذا فُنونٍ كثيرةٍ، أخْبَرَنى الشيخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالىُّ الحافظُ عن الشيخِ تاجِ الدينِ الفَزارىِّ، أنه كان يقولُ: بلَغ الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ رُتْبةَ الاجْتِهادِ، وقد كان يَنْظِمُ أشْعارًا فى أوقاتٍ، منها ما هو مُسْتَحْلًى، ومنها ما لا يُسْتَحْلَى. فاللَّهُ يَغْفِرُ لنا وله.

وبالجملةِ فلم يَكُنْ فى وقتِه مثلُه فى نفسِه ودِيانتِه، وعِفَّتِه وأمانتِه، وكانت وفاتُه بسببِ جماعةٍ[6] ألَّبُوا عليه، فأرْسَلوا إليه مَن اغْتاله، وهو بمنزلٍ له بطَوَاحِينِ الأُشْنانِ، وقد كان اتُّهِم بأمرٍ[7] الظاهرُ بَراءتُه منه، وقد قال جَماعةٌ مِن أهلِ

---

(١) كذا فى الأصل، م، وفى الذيل على الروضتين قال المصنف عن نفسه: يكنى أبا القاسم محمد، وفى ذيل مرآة الزمان: «بن».

(٢) وهو كتاب «شرح الحديث المقتضى فى مبعث المصطفى».

(٣) وهو كتاب «نور المسرى فى تفسير آية الإسْرا».

(٤) فى م: «الغرائب».

(٥ - ٥) فى الأصل: «ستمائة». وانظر الذيل على الروضتين ص ٣٧.

(٦) فى م: «محنة».

(٧) فى م: «برأى».

الحديثِ وغيرِهم : إنه كان مظلومًا . ولم يَزَلْ يَكْتُبُ فى « التاريخِ » حتى وصَل إلى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، فذكَر أنه أُصِيب بمِحْنةٍ فى منزلِه بطَوَاحِينِ الأُشْنانِ ، وكان الذين قتَلوه جاءوه قبلُ ، فضَرَبوه ليَموتَ ، فلم يَمُتْ ، فقيل له : ألا تَشْتَكِى عليهم . فلم يَفْعَلْ ، وأنْشَأ يقولُ[1] :

قلتُ لمَن قال ألا تَشْتَكِى ... ما قد جرَى فهْو عَظيمٌ جَليلْ
يُقَيِّضُ اللَّهُ تعالى لنا ... مَن يَأْخُذُ الحقَّ ويَشْفِى الغَليلْ
إذا توَكَّلْنا عليه كفَى ... فحسْبُنا اللَّهُ ونعمَ الوكيلْ

وكأنهم عادوا إليه مرةً ثانيةً ، وهو فى المنزلِ المذكورِ ، فقتَلوه بالكليةِ فى ليلةِ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ من رمضانَ ، رحِمه اللَّهُ . [2]ودُفِن مِن يومِه بمقابرِ بابِ[3] الفَرادِيسِ[2] ، وباشَر بعدَه مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّوَوىُّ .

وفى هذه السنةِ كان مَوْلدُ الحافظِ عَلَمِ الدينِ القاسمِ بنِ محمدٍ البِرْزالىِّ ، وقد ذيَّل على تاريخِ الشيخِ أبى شامةَ ؛ لأن مولدَه فى سنةِ وفاتِه ، فحذا حَذْوَه ، وسلَك نحوَه ، ورتَّب تَرتيبَه ، وهذَّب تَهْذيبَه ، وهذا ممَّن يقالُ فيه وفى أمثالِه فى تراجمِهم[4] :

ما زلتَ تَكْتُبُ فى التاريخِ مُجْتَهِدًا ... حتى رأيْتُك فى التاريخِ مَكْتوبَا

ويُناسِبُ أن يُنْشَدَ هنا قولُ الشاعرِ[5] :

إذا سيِّدٌ منا خَلَا قام سيدٌ ... قَؤُولٌ لما قال الكِرامُ فَعولُ

---

(١) الأبيات فى الذيل على الروضتين ص ٢٤٠.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل.
(٣) فى الأصل : « دار » . والمثبت من غاية النهاية وعقد الجمان ٢/ ١٥.
(٤) انظر ما تقدم صفحة ٣٤٤.
(٥) البيت للسموأل بن عاديا . انظر الحماسة لأبى تمام ١/ ٨١، وديوان السموأل المجموع ص ٩١.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وستين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ والحاكمُ العباسيُّ خليفةٌ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الظاهرُ، وفى أولِ جُمادَى الآخِرةِ خرَج السلطانُ [١٠/٧٣ظ] مِن الديارِ المصريةِ بالعَساكرِ المنصورةِ، فنزَل على مدينةِ يَافَا بَغْتةً، فأخَذَها عَنْوةً، وسلَّم إليه أهلُها قلعتَها صُلحًا، فأجْلاهم منها إلى عَكَّا، وخرَّب القلعةَ والمدينةَ [2]أيضًا، وقد كان الفِرِنجُ اعتنَوا بعمارتِها وتحصينِها، فجعلها بلقعًا لئلا يكونَ لهم إليها عودةٌ[2]، وسار منها فى رجبٍ قاصدًا حصنَ الشَّقِيفِ، وفى بعضِ الطريقِ أخَذ مِن بعضِ بَرِيديةِ الفِرِنْجِ كتابًا مِن أهلِ عَكَّا إلى أهلِ الشَّقِيفِ يُعْلِمونهم بقُدومِ السلطانِ عليهم، ويَأْمُرونهم بتَحْصينِ البلدِ، والمُبادَرةِ إلى إصْلاحِ أماكنَ يُخْشَى على البلدِ منها. ففهِم السلطانُ كيف يَأْخُذُ البلدَ، وعرَف مِن أين تُؤْكَلُ الكَتِفُ، واسْتَدْعَى مِن فَوْرِه رجلًا مِن الفِرِنْجِ، فأمَرَه أن يَكْتُبَ بدلَه كتابًا على ألسنتِهِم إلى أهلِ الشَّقِيفِ، يُحَذِّرُ الملكَ مِن الوزيرِ، والوزيرَ مِن الملكِ، ويَرْمِى الخُلفَ بينَ الدولةِ. فوصَل إليهم، فأوْقَع اللَّهُ الخُلْفَ بينَهم بحولِه وقوتِه، وجاء السلطانُ فحاصَرَهم ورماهم بالمَنْجَنِيقِ، فسلَّموه الحصنَ فى التاسعِ والعشرين مِن رجبٍ، وأجْلاهم إلى صُورَ، وبعَث بالأثقالِ[3] إلى دمشقَ، ثم ركِب جَريدةً فيمَن نشِط مِن

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/٣٧٣ - ٤٠٦، ونهاية الأرب ٣٠/١٥٠ - ١٥٦، وكنز الدرر ٨/١٢٣ - ١٣٩، والعبر ٥/٢٨٣.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «بالأنفال».

الجيشِ ، فشنَّ الغارةَ على طَرابُلُسَ وأعْمالِها ، فنهَب وقتَل وأرْعَب ، وكرَّ راجعًا مُؤَيَّدًا مَنْصورًا ، فنزَل على حصنِ الأكْرادِ[1] تحته[2] فى المَرْجِ ، فحمَل إليه أهلُه مِن الفِرِنْجِ الإقاماتِ ، فأبَى أن يَقْبَلَها وقال : أنتم قتَلْتُم جُنْديًّا مِن جيشى ، وأُرِيدُ ديتَه مائةَ ألفِ دينارٍ. ثم سار ، فنزَل على حمصَ ، ثم منها إلى حَماةَ ، ثم إلى أفَامِيَة[3] ، ثم سار مَنْزِلةً أخرى ، ثم سار ليلًا ، وتقَدَّم إلى العَسْكَرِ فلبِسوا العُدَّةَ ، وساق حتى أحاط بمدينةِ أَنْطاكِيَةَ .

فتحُ أَنْطاكِيَةَ على يدِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ

وهى مدينةٌ عظيمةٌ كثيرةُ الخيرِ ، يقالُ : إن دَوْرَ سُورِها اثنا عشرَ ميلًا ، وعددَ بُروجِها مائةٌ وستةٌ وثلاثون بُرْجًا ، وعددَ شُرفاتِها أربعةٌ وعشرون ألفَ شرفةٍ ، كان نزولُه عليها فى مُسْتَهَلِّ شهرِ رمضانَ ، فخرَج إليه أهلُها يَطْلُبون منه الأمانَ ، وشرَطوا شُروطًا عليهم له ، فأَبَى أن يُجِيبَهم ، وردَّهم خائبين ، وصمَّم على حِصارِها ، ففتَحها يومَ السبتِ رابعَ شهرِ[4] رمضانَ بحولِ اللَّهِ وقوتِه وتَأْييدِه ونصرِه ، وغنِم منها شيئًا كثيرًا ، وأطْلَق للأُمراءِ أموالًا جزيلةً ، ووجَد مِن أُسارَى

---

(١) حصن الأكراد : من أعمال حمص وهو قلعة حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ربض ، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس ، وهى على مرحلة من حمص وكذلك عن طرابلس وهى بين حمص وطرابلس . النجوم الزاهرة ١٤٢/٧ حاشية (٤) .

(٢) فى م : « لمحبته » .

(٣) فى الأصل : « إقامته » ، وهو تصحيف . وأفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ... ويسميها بعضهم فامية . معجم البلدان ١/ ٣٢٣.

(٤) فى م : « عشر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٤٣.

المسلمين مِن الحلَبِيِّين فيها خلقًا كثيرًا ، كلُّ هذا فى مِقْدارِ أربعةِ أيامٍ . وقد كان الأفريس[1] صاحبُها وصاحبُ طَرابُلُسَ ، مِن أشدِّ الناسِ أَذِيةً للمسلمين ، حينَ ملَك التَّتارُ حلبَ ، وفرَّ الناسُ منها ، فانْتَقَم اللَّهُ سبحانه منه بمَن أقامه للإسلامِ ناصرًا وللصليبِ دامِغًا وكاسرًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وجاءت البِشارةُ بذلك مع البَرِيديةِ ، فجاوَبَتْها البَشائرُ مِن القلعةِ المنصورةِ ، وأرْسَل أهلُ بَغْرَاسَ[2] حينَ سمِعوا بقصدِ السلطانِ إليهم يَطلُبون منه أن يَبْعَثَ إليهم مَن يَتَسَلَّمُها ، فأرْسَل إليهم أستاذَدارِه الأميرَ آقْسُنْقُرَ الفارقانىَّ فى ثالثَ عشَرَ رمضانَ فتسَلَّمها ، وتسَلَّموا حُصونًا كبيرةً وقِلاعًا كثيرةً ، وعاد السلطانُ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا ، فدخَل دمشقَ فى السابعِ والعشرين مِن رمضانَ مِن هذه السنةِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ وهَيْبةٍ هائلةٍ ، وقد زُيِّنَت له البلدُ ، ودُقَّت له البَشائرُ فرَحًا بنُصْرةِ الإسلامِ على الكَفَرةِ الطَّغامِ ، لكنه كان قد عزَم على أخْذِ أراضٍ كثيرةٍ مِن القُرى والبَساتِينِ التى بأيدى مُلَّاكِها بزَعْمِ أنه قد كانت التَّتارُ اسْتَحْوذوا عليها ، [١٠/٧٤و] ثم اسْتَنْقَذها منهم ، وقد أفْتاه بعضُ الفُقهاءِ مِن الحَنَفيةِ بذلك ، تَفْريعًا على أن الكفارَ إذا أخَذوا شيئًا مِن أموالِ المسلمين ملَكوها ، فإذا اسْتُرْجِعَت لم تُرَدَّ إلى أصحابِها ، وهذه المسألةُ مشهورةٌ ، وللناسِ فيها قولان ؛ أصحُّهما قولُ الجمهورِ أنه يَجِبُ ردُّها إلى أصحابِها ؛ لحديثِ العَضْباءِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] ، حينَ اسْتَرْجَعها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد كان أخَذها المشركون ، اسْتَدَلُّوا بهذا وأمثالِه على أبى حَنيفةَ رحمه اللَّهُ تعالى . وقال بعضُ العلماءِ : إذا أخَذ الكفارُ أموالَ المسلمين ، وأسْلَموا وهى فى أيديهم

---

(١) فى م : « الأغريس » .

(٢) بغراس : مدينة فى لحف - أصل - جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس . انظر معجم البلدان ١/ ٦٩٣.

(٣) تقدم تخريجه فى ٦/ ١٧٥.

اسْتَقَرَّت على أملاكِهم . واسْتَدَل على ذلك بقولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ[1] : « وهل ترَك لنا عَقِيلٌ مِن رِباعٍ » . وقد كان اسْتَحْوَذ على أمْلاكِ المسلمين الذين هاجَروا ، وأسْلَم عَقيلٌ وهى فى يدِه ، فلم تُنْتَزَعْ مِن يدِه ، وأما إذا انْتُزِعَت مِن أيديهم قبلُ ، فإنها تُرَدُّ إلى أرْبابِها لحديثِ العَضْباءِ .

والمقصودُ أن الظاهرَ عقَد مجلسًا اجْتَمَع فيه القُضاةُ والفُقهاءُ مِن سائرِ المَذاهبِ ، وتكَلَّموا فى ذلك ، وصمَّم السلطانُ على ذلك اعْتمادًا على ما بيدِه مِن الفَتاوَى ، وخاف الناسُ مِن غائلةِ ذلك ، فتوَسَّط الصاحبُ فخرُ الدينِ بنُ الوزيرِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا ، وكان قد درَّس بالشافعىِّ بعدَ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ، فقال : يا خُونْد ، أهلُ البلدِ يُصالِحونك عن ذلك كلِّه بألفِ ألفِ درهمٍ تُقَسَّطُ ؛ كلَّ سنةٍ مائتَا ألفِ درهمٍ . فأبَى إلا أن تكونَ مُعَجَّلةً بعدَ أيامٍ ، وخرَج مُتَوَجِّهًا إلى الديارِ المصريةِ ، وقد أجاب إلى تَقْسيطِها ، وجاءت البِشارةُ بذلك [2]وقُرِئَت على المنبرِ ، ففرِح الناسُ بذلك[2] ، ورسَم أن يُعَجِّلوا مِن ذلك أربعَمائةِ ألفِ درهمٍ ، وأن تُعادَ إليهم[3] الغَلَّاتُ التى كانوا قد احْتاطوا عليها فى زمنِ القَسْمِ والثِّمارِ ، وكانت هذه الفَعْلةُ مما شَعَّثَت خَواطرَ الناسِ على السلطانِ .

ولما اسْتَقَر أمْرُ أَبْغَا على التَّتارِ أمَر باسْتِمْرارِ وزيرِه نَصِيرِ الدينِ الطُّوسىِّ ، واسْتَناب على بلادِ الرومِ البَرْوَانَاه[4] ، وارْتَفَع قَدْرُه عندَه جدًّا ، واسْتَقَلَّ بتَدْبيرِ تلك البلادِ ، وعظُم شأنُه فيها .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٦/ ٥٥٥، كما أخرجه مسلم (٤٣٩ ، ٤٤٠/ ١٣٥١) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « إليه » . وانظر كنز الدرر ٨/ ٣٨٧.

(٤) البرواناه : لفظ فارسى معناه فى الأصل الحاجب ، وقد أطلق فى دولة السلاجقة الروم بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر . انظر السلوك ١/ ٥٧٢ (القسم الثانى) حاشية (١) .

وفيها كتَب صاحبُ اليمنِ إلى الظاهرِ بالخُضوعِ والانْتماءِ إلى جانبِه ، وأنه يَخْطُبُ له ببلادِ اليمنِ ، وأرْسَل إليه هَدايا وتُحَفًا كثيرةً ، فأرْسَل إليه السلطانُ هَدايا وخِلَعًا وسَنْجَقًا وتَقْليدًا .

وفيها رافَع ضِياءُ الدينِ بنُ الفُقَاعيِّ للصاحبِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا عندَ الظاهرِ ، واسْتَظْهَر عليه ابنُ الحِنَّا ، فسلَّمه الظاهرُ إليه ، فلم يَزَلْ يَضْرِبُه بالمَقارِعِ ويَسْتَخْلِصُ أموالَه إلى أن مات ، فيقالُ : إنه ضرَبه قبلَ أن يَموتَ سبعةَ عشَرَ ألفَ مِقْرَعةٍ وسبعَمائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وفيها عمِل البَرْوَانَاه على قتلِ الملكِ عَلاءِ الدينِ صاحبِ قُونِيَةَ ، وأقام ولدَه غِياثَ الدينِ مكانَه وهو ابنُ عشرِ سنينَ ، وتمكَّن البَرْوَانَاه فى البلادِ [١٠/٧٤ظ] والعِبادِ ، وأطاعه جيشُ الرومِ .

وفيها[1] قتَل الصاحبُ علاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ ببغدادَ ابنَ الخُشْكريِّ النُّعْمانيَّ الشاعرَ ؛ وذلك أنه اشْتَهَر عنه أشْياءُ عَظيمةٌ ، منها أنه يَعْتَقِدُ فضلَ شعرِه على القرآنِ المَجيدِ ، واتَّفَق أن الصاحبَ انْحَدَر إلى واسِطٍ ، فلما كان بالنُّعْمانيةِ حضَر ابنُ الخُشْكريِّ عندَه ، وأَنْشَده قَصيدةً قد قالها فيه ، فبينَما هو يُنْشِدُها بينَ يديه إذ أذَّن المُؤَذِّنُ ، فاسْتَنْصَتَه الصاحبُ ، فقال ابنُ الخُشْكريِّ : يا مولانا ، اسْمَعْ شيئًا جديدًا ، وأَعْرِضْ عن شيءٍ له سنون . فثبَت عندَ الصاحبِ ما كان يقالُ عندَه عنه ، ثم باسَطه وأظْهَر أنه لا يُنْكِرُ عليه شيئًا مما قال حتى اسْتَعْلَم ما عندَه ، فإذا هو زِنْدِيقٌ ، فلما ركِب قال لإنسانٍ معه : اسْتَفْرِدْه فى أثناءِ الطريقِ واقْتُلْه . فسايَره ذلك الرجلُ حتى إذا انْقَطَع عن الناسِ قال لجَماعةٍ معه : أنْزِلوه عن فرسِه . كالمُداعِبِ له ، فأنْزَلوه وهو يَشْتُمُهم ويَلْعَنُهم ، ثم قال : انْزِعوا عنه ثيابَه . فسلَبوها

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٥.

وهو يُخاصِمُهم ، ويقولُ : إنكم أجْلافٌ ، وإن هذا لَعِبٌ باردٌ . ثم قال : اضْرِبوا عنقَه . فتقَدَّم إليه أحدُهم ، فضرَبه بسيفِه ، فأبان رأسَه .

وفيها تُوُفِّى :

الشيخُ عَفيفُ الدينِ يوسُفُ بنُ البَقَّالِ[1] ، شيخُ رِباطِ المَرْزُبانيةِ ، كان صالحاً وَرِعًا زاهدًا ، حكَى عن نفسِه قال : كنتُ بمصرَ فبلَغَنى ما وقَع مِن القتلِ الذَّريعِ ببغدادَ فى فِتنةِ التتارِ ، فأنْكَرْتُ فى قلبى ، وقلتُ : ياربِّ ، كيف هذا وفيهم الأطْفالُ ومَن لا ذنبَ له ؟ فرأَيْتُ فى المَنامِ رجلًا وفى يدِه كتابٌ ، فأخَذْتُه فقرَأْتُه ، فإذا فيه هذه الأَبياتُ ، فيها الإنكارُ علىَّ :

دَعِ الإعْتِراضَ فما الأمرُ لكْ ... ولا الحكمُ فى حَرَكاتِ الفَلَكْ
ولا تَسْأَلِ اللَّهَ عن فعلِهِ ... فمَن خاض لُجَّةَ بحرٍ هلَكْ
إليه تَصِيرُ أُمورُ العبادِ ... دَعِ الإعْتِراضَ فما أجْهَلَكْ

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الحافظُ أبو إبراهيمَ إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[2] المَعْروفُ بابنِ قاضى اليمنِ ، عن ثمانٍ وستين سنةً ، ودُفِن بالشَّرَفِ الأعلَى ، وكان قد تفرَّد برِواياتٍ جيدةٍ ، وانْتَفَع الناسُ به .

وفيها[3] وُلِد الشيخُ شَرَفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ ابنُ تَيْمِيةَ ، أخو الشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمية ، والخَطيبُ القَزْوينىُّ[4] .

---

(١) عقد الجمان ٢/ ٣٥.
(٢) بعده فى الأصل : « بن عبد اللَّه » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .
(٣) عقد الجمان ١/ ٣٨.
(٤) ستأتى ترجمته فى ٤١٧/١٨ ضمن وفيات سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها جدَّد السلطانُ الظاهرُ البَيْعةَ لولدِه مِن بعدِه الملكِ السعيدِ محمدِ بَرَكة خان ، وأحْضَر الأمراءَ كلَّهم والقُضاةَ والأعيانَ ، وأرْكَبه ومشَى بينَ يديه ، وكتَب له ابنُ لُقْمانَ تَقْليدًا هائلًا بالمُلْكِ مِن بعدِ أبيه ، وأن يَحْكُمَ عنه أيضًا فى حالِ حياتِه ، ثم ركِب السلطانُ فى عساكرِه فى جُمادَى الآخِرةِ قاصدًا الشامَ ، فلما دخَل دمشقَ جاءته رسلٌ مِن أَبْغَا ملكِ التَّتارِ ، معهم مُكاتَباتٌ ومُشافَهاتٌ ، فمِن جملةِ المُشافَهاتِ : أنت مَمْلوكٌ أُبِعْتَ بسِيواسَ[2] ، فكيف يَصْلُحُ لك أن تُخالِفَ مُلوكَ الأرضِ ؟! واعْلمْ أنك لو صَعِدْتَ إلى السماءِ أو هبَطْتَ إلى الأرضِ ما تخَلَّصْتَ منى فاعْمَلْ لنفسِك على مُصالحةِ السلطانِ أَبْغَا . فلم يَلْتَفِتْ إلى ذلك ، ولا عدَّه شيئًا ، بل أجاب عنه أتَمَّ جَوابٍ ، وقال لرُسُلِه : أعْلِموه أنى مِن ورائِه بالمُطالَبةِ ، ولا أَزالُ حتى أَنْتَزِعَ منه جميعَ البلادِ التى اسْتَحْوَذ عليها مِن بلادِ الخليفةِ ، وسائرِ أقْطارِ الأرضِ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ رسَم السلطانُ [١٠/٧٥و] الملكُ الظاهرُ بإراقةِ الخمورِ وتَبْطيلِ المُفْسِداتِ والخَواطِئِ بالبلادِ كلِّها ، فنُهِبَت الخَواطِئُ وسُلِبْنَ جميعَ ما كان معَهن [3] وحُبِسن [3] حتى يَتَزَوَّجْنَ ، وكتَب إلى جميعِ البلادِ بذلك ، وأُسْقِطت

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٠٦- ٤٣٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٥٧ - ١٦٧، وكنز الدرر ٨/ ١٣٩- ١٤٢.

(٢) سيواس : بلد بالروم . التاج (س و س) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

المُكوسُ التى كانت مُرَتَّبةً على ذلك ، وعوَّض مَن كان مُحالًا على ذلك بغيرِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ثم عاد السلطانُ بعَساكرِه إلى مصرَ ، فلما كان فى أثناءِ الطريقِ عندَ خَربةِ اللُّصوصِ تعَرَّضَت له امرأةٌ ، فذكَرَت له أن ولدَها دخَل مدينةَ صُورَ ، وأن صاحبَها الفِرِنْجىَّ غدَر به وقتَله ، وأخَذ مالَه ، فركِب السلطانُ وشنَّ الغارةَ على صُورَ ، فأخَذ منها شيئًا كثيرًا ، وقتَل خلقًا ، فأرْسَل إليه مَلِكُها : ما سببُ هذا ؟ فذكَر له غَدْرَه ومَكْرَه بالتُّجارِ ، ثم قال السلطانُ لمُقَدَّمِ الجُيوشِ : أوْهِمِ الناسَ أنى مَريضٌ ، وأنى بالمحِفَّةِ ، وأَحْضِرِ الأطِباءَ ، واسْتَوْصِفْ لى منهم ما يَصْلُحُ لمريضٍ به كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك ، فأحْضِرِ الأشربةَ إلى المِحَفَّةِ ، وأنتم سائرون . ثم ركِب السلطانُ على البَريدِ ، وساق مُسْرِعًا (١) حتى دخَل الديارَ المصريةَ (١) ، فكشَف أحْوالَ ولدِه ، وكيف الأمرُ بالديارِ المصريةِ بعدَه ، ثم عاد مُسْرِعًا إلى الجيشِ ، فجلَس فى المحِفَّةِ ، وأظْهَروا عافيتَه ، وتَباشَروا بذلك . وهذه جُرْأةٌ عظيمةٌ ، وإقدامٌ هائلٌ .

وفيها حجَّ السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وفى صحبتِه الأميرُ بدرُ الدينِ الخزندار ، وقاضى القُضاةِ صدرُ الدينِ سليمانُ الحَنَفىُّ ، وفخرُ الدينِ بنُ لُقْمانَ ، وتاجُ الدينِ ابنُ الأثيرِ ، ونحوٌ مِن ثلاثِمائةِ مملوكٍ ، وأجنادٌ مِن الحلقةِ المنصورةِ ، فسار على طريقِ الكَرَكِ ، ونظَر فى أحوالِها ، ثم منها إلى المدينةِ النبويةِ ، فأحْسَن إلى أهلِها ، ونظَر فى أحوالِها ، ثم منها إلى مكةَ ، فتصَدَّق على المُجاوِرين ، ثم وقَف بعرفةَ ، وطاف طَوافَ الإفاضةِ ، وفُتِحَت له الكعبةُ ، فغسَلها بماءِ الوردِ ، وطيَّبها بيدِه ، ثم

(١ - ١) سقط من : م .

وقَف ببابِ الكعبةِ ، فتناوَل أيدىَ الناسِ ليَدْخُلوا الكعبةَ ، وهو بينَهم كأحدِهم[1] ، ثم رجَع فرمَى الجَمَراتِ ، ثم تعَجَّل النَّفْرَ ، فعاد على المدينةِ النبويةِ ، فزار القبرَ الشريفَ مرةً ثانيةً ، على ساكنِه أفْضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ ، وعلى آلِه وأهلِ بيتِه الطيِّبين الطاهرِين وصحابتِه الكرامِ أجمَعين إلى يومِ الدينِ . ثم سار إلى الكَرَكِ ، فدخلَها فى التاسعِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، وأرْسَل البَشيرَ إلى دمشقَ بقُدومِه سالمًا ، فخرَج الأميرُ جمالُ الدينِ آقوشُ النَّجِيبىُّ نائبُها ليَتَلَقَّى البَشيرَ فى ثانى المحرمِ ، فإذا هو السلطانُ نفسُه يَسِيرُ فى المَيْدانِ الأخْضرِ ، وقد سبَق الجميعَ ، فتعَجَّب الناسُ مِن سرعةِ سَيْرِه وصبرِه وجَلَدِه ، ثم سار مِن فَوْرِه حتى دخَل حلَبَ فى سادسِ المحرمِ ليَتَفَقَّدَ أحْوالَها ، ثم عاد إلى حَماةَ ، ثم رجَع إلى دمشقَ ، ثم سار إلى مصرَ ، فدخَلها يومَ الثلاثاءِ ثالثَ صفرٍ مِن السنةِ المُقْبِلةِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى أواخِرِ ذى الحِجَّةِ هبَّت ريحٌ شديدةٌ أغْرَقَت مائتَىْ مَرْكَبٍ فى النِّيلِ ، وهلَك فيها خلقٌ كثيرٌ ، ووقَع هنالك مطرٌ شديدٌ جدًّا ، وأصاب الشامَ مِن ذلك صَقْعةٌ أهْلَكَت الثِّمارَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفيها أوْقَع اللَّهُ تعالى الخُلْفَ بينَ التَّتارِ مِن أصحابِ أَبْغَا وأصحابِ ابنِ مَنْكُوتَمُر ابنِ عمِّه وتفرَّقوا واشْتَغَلوا ببعضِهم بعضًا ، وللَّهِ الحمدُ .

وفيها خرَج أهلُ حَرَّانَ منها وقدِموا الشامَ ، وكان فيهم شيخُنا العَلَّامةُ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ تَيْمِيةَ صُحْبةَ أبيه ، وعمرُه ستُّ سِنينَ ، وأخوه زَيْنُ الدينِ عبدُ الرحمنِ وشرفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ ، وهما أصغرُ منه .

---

(١) ليست فى : م .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الأميرُ عزُّ الدينِ أَيْدَمُرُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحِلِّىُّ[1] **الصالحىُّ** ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ وأحْظاهم عندَ الملوكِ ، ثم عندَ الملكِ الظاهرِ ، كان يَسْتَنِيبُه إذا [١٠/٧٥ظ] غاب ، فلما كانت هذه السنةُ أخَذه معه ، وكانت وفاتُه بقلعةِ دمشقَ ، ودُفِن بتربتِه بالقربِ مِن اليَغْمُوريةِ ، وخلَّف أموالًا جَزيلةً ، وأوْصَى إلى السلطانِ فى أولادِه ، وحضر السلطانُ عَزاءَه بجامعِ دمشقَ .

شرفُ الدينِ [2]**أبو الطاهرِ**[2] **محمدُ بنُ الحافظِ أبى الخطابِ عمرَ بنِ دِحْيةَ المِصْرىُّ** ، وُلِد سنةَ عشرٍ وستِّمائةٍ ، وسمِع أباه وجماعةً ، وتوَلَّى مَشْيخةَ دارِ الحديثِ الكامليةِ مدةً ، وحدَّث ، وكان فاضلًا .

القاضى تاجُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ وَثَّابِ بنِ رافعٍ البجيلىُّ الحنفىُّ[3] ، درَّس وأفْتَى عن ابنِ عَطاءٍ بدمشقَ ، ومات بعدَ خُروجِه مِن الحمامِ على مَساطِبِ الحمامِ فجأةً ، ودُفِن بقاسِيونَ .

الطبيبُ الماهرُ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ يوسُفَ بنِ حَيْدَرَةَ الرَّحَبىُّ[4] ، شيخُ الأطباءِ بدمشقَ ، ومدرسُ الدخْواريةِ عن وصيةِ واقفِها بذلك ، وله التَّقْدُمةُ فى هذه الصناعةِ على أقرانِه مِن أهلِ زمانِه ، ومِن شعرِه قولُه :

---

(١) فى م : « الحلبى » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤١٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٥، والسلوك ١/ ٥٨٢ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٥٦، والمنهل الصافى ٣/ ١٧٠.

(٢ - ٢) فى م : « أبو الظاهر » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢١، والوافى بالوفيات ٣/ ٤١، وعقد الجمان ٢/ ٥٢، والدليل الشافى ٢/ ٦١٩.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢٨، والوافى بالوفيات ٥/ ١٧٣، والجواهر المضية ٣/ ٣٨٩، والدليل الشافى ٢/ ٧١٠.

(٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٧٥، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٥١، والسلوك ١/ ٥٨٣ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٥٢، والدارس ٢/ ١٣٠ وفيه : الرضى بدلا من : الرحبى ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧.

يُساقُ بنو الدنيا إلى الحَتْفِ عَنْوةً ... ولا يَشْعُرُ الباقى بحالةِ مَن يَمْضِى
كأنهمُ الأنْعامُ فى جهلِ بعضِها ... بما تمَّ[1] مِن سَفْكِ الدماءِ على بعضِ

الشيخُ نَصِيرُ الدينِ المباركُ بنُ يحيى بنِ أبى الحسنِ، أبو البَرَكاتِ بنُ الطباخِ[2] الشافعىُّ، العَلَّامةُ فى الفقهِ والحديثِ، درَّس وأفْتَى وصنَّف وانْتُفِع به، وعُمِّر ثمانين سنةً، وكانت وفاتُه فى حادى عشَرَ جُمادَى الآخرةِ[3] مِن هذه السنةِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ الكُوفىُّ المَغْربىُّ[4] النَّحوىُّ، المُلَقَّبُ بسِيبَوَيْهِ، وكان فاضلًا بارعًا فى صناعةِ النحوِ، تُوُفِّى بمارَسْتانِ القاهرةِ فى هذه السنةِ، عن سبعٍ وستين سنةً، رحِمه اللَّهُ. ومِن شعرِه:

عذَّبْتَ قلبى بهَجْرٍ منك مُتَّصِلِ ... يا مَن هواه ضميرٌ غيرُ مُنْفَصِلِ
ما زادنى غيرَ تَأْكيدِ صَدُّك لى ... فما عُدُولُك مِن عَطفٍ إلى بَدَلِ

وفيها[5] وُلِد شيخُنا العَلَّامةُ كمالُ الدينِ محمدُ بنُ علىٍّ الأنصارىُّ بنُ الزَّمْلكانىِّ، شيخُ الشافعيةِ.

---

(١) فى م: «ثم». وانظر مصادر الترجمة.
(٢) فى م: «الصباغ». وانظر ترجمته فى: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٦، وعقد الجمان ٢/ ٥٣، وحسن المحاضرة ١/ ٤١٦.
(٣) فى م: «الأولى». وانظر مصادر الترجمة.
(٤) فى الأصل، م: «المقرى». والمثبت من مصادر ترجمته: السلوك ١/ ٥٨٣ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٥٣، والدليل الشافى ١/ ٤٦٠، وبغية الوعاة ٢/ ١٧٠.
(٥) عقد الجمان ٢/ ٥١. وستأتى ترجمته فى ١٨/ ٢٩١، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى ثانى المحرمِ منها دخَل السلطانُ مِن الحجازِ[2] على الهُجُنِ، فلم يَرُعِ[3] الناسَ إلا وهو فى المَيْدانِ الأخْضرِ يَسِيرُ، ففرِح الناسُ بذلك، وأراح الناسَ مِن تَلَقِّيه بالهدايا والتحفِ، وهذه كانت عادتَه، وقد عجِب الناسُ مِن سرعةِ مَسيرِه وعلوِّ همتِه، ثم سار إلى حلبَ، ثم سار إلى مصرَ، فدخَلها فى ثالثِ[4] الشهرِ مع الرَّكْبِ المصرىِّ، وكانت زوجتُه أمُّ الملكِ السعيدِ فى الحجازِ هذه السنةَ، ثم خرَج فى ثالثَ عشَرَ صفرٍ هو وولدُه والأمراءُ إلى الإسْكَندريةِ، فتصَيَّد هنالك، وأطْلقَ للأمراءِ الأموالَ الكثيرةَ والخِلَعَ، ورجَع مُؤَيَّدًا منصورًا.

وفى المحرمِ منها قُتِل صاحبُ مَرَّاكُشَ أبو العَلاءِ إدريسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ ابنِ يوسفَ المُلَقَّبُ بالواثقِ، قتَله [5]بنو مَرينٍ[5] فى حربٍ كانت بينَه وبينَهم بالقربِ مِن مَرَّاكُشَ.

وفى ثالثَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ منها وصَل السلطانُ إلى دمشقَ فى طائفةٍ مِن جيشِه، وقد لقُوا فى الطريقِ مشقةً كثيرةً مِن البَرْدِ والوَحْلِ، فخَيَّم على

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٠- ٤٤٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٦٩- ١٧١، وكنز الدرر ٨/ ١٤٢ - ١٥٠، وانظر العبر ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) أى دخل السلطان دمشق قادمًا من الحجاز بعد أداء حجه. انظر ما تقدم صفحة ٤٨٣.

(٣) فى الأصل: «يزع».

(٤) فى م: «سادس». وانظر ما تقدم صفحة ٤٨٢، ٤٨٣.

(٥ - ٥) فى م: «بنومزين». وهو تصحيف. وانظر السلوك ١/ ٥٨٨ (القسم الثانى)، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧.

الزَّنبقيةِ[1] ، وبلَغه أن ابنَ أختِ زيتونٍ[2] خرَج مِن عَكَّا يَقْصِدُ جيشَ المسلمين ، فركِب إليه سريعًا ، فوجَده قريبًا مِن عكَّا ، فدخَلها خوفًا منه[3] .

وفى رجبٍ تسَلَّم نُوَّابُ السلطانِ مِصْيافَ[4] مِن الإسْماعيليةِ ، وهرَب منها [١٠/٧٦و] أميرُهم الصارمُ مبارَكُ بنُ الرَّضِيِّ ، فتحَيَّل عليه صاحبُ حَماةَ حتى أسَرَه ، وأرْسَله إلى السلطانِ ، فحبَسه فى بعضِ الأبرجةِ بالقاهرةِ .

وفيها أرْسَل السلطانُ الدَّرابِزيناتِ[5] إلى الحجرةِ النبويةِ ، وأمَر أن تُقامَ حولَ القبرِ صِيانةً له ، وعمِل لها أبوابًا تُفْتَحُ وتُغْلَقُ مِن الديارِ المصريةِ ، فركَّب ذلك عليها .

وفيها اسْتَفاضَت الأخْبارُ بقصدِ الفِرِنْجِ بلادَ الشامِ ، فجهَّز السلطانُ العَساكرَ لقتالِهِم ، وهو مع ذلك مُهْتَمٌّ بالإسْكَنْدريةِ خوفًا عليها ، وقد حصَّنها ، وعمِل جسورةً إليها إن دهَمها العدوُّ ، وأمَر بقتلِ الكلابِ منها .

وفيها انْقَرَضَت دولةُ بنى عبدِ المؤمنِ مِن بلادِ المغربِ ، وكان آخرَهم إدريسُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ [6]محمدِ بنِ[6] يوسفَ صاحبُ مَرَّاكُشَ ، قتَله بنو مَرِينٍ فى هذه السنةِ .

---

(١) فى الأصل : « الزفيفية » .

(٢) فى الأصل : « ريبون » .

(٣) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣١ : « فصادف ابن أخت زيتون قد خرج فالتقى به فكسره واستأسره وجماعة من أصحابه وقتل منهم خلقا » .

(٤) فى الأصل : « مصيات » . وانظر معجم البلدان ٤/ ٥٥٦، وصبح الأعشى ٤/ ١٤٦.

(٥) الدرابزينات : جمع الدرابزين ، وهو الحاجز .

(٦ - ٦) سقط من : م .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الصاحبُ زَيْنُ الدينِ يعقوبُ بنُ (١عبدِ الرَّفيعِ١) بنِ زيدِ بنِ مالكٍ المصرىُّ المعروفُ بابنِ الزُّبَيْرىِّ[٢] ، كان فاضلًا رَئيسًا ، وزَر للملكِ المُظَفَّرِ قُطُز ، ثم للظاهرِ بَيْبَرْسَ فى أولِ دولتِه ، ثم عزَله ، وولَّى بَهاءَ الدينِ بنَ الحِنَّا ، فلزِم منزلَه حتى أدْرَكته مَنِيَّتُه فى الرابعَ عشَرَ مِن ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ ، وله نَظْمٌ جيدٌ .

الشيخُ مُوَفَّقُ الدينِ أحمدُ بنُ القاسمِ بنِ خَليفةَ الخَزْرجىُّ الطَّبيبُ ، المعروفُ بابنِ أبى أُصَيْبِعةَ[٣] ، له « تاريخُ الأطباءِ » فى عشرِ مجلداتٍ لِطافٍ ، وهو وَقْفٌ بمشهدِ ابنِ عُرْوةَ بالأُمَوىِّ ، تُوُفِّى بصَرْخَدَ ، وقد جاوَز السَّبْعينَ[٤] .

الشيخُ زينُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ الدائمِ بنِ نِعْمةَ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ بُكَيْرٍ ، أبو العباسِ المَقْدسىُّ النابُلُسىُّ[٥] ، تفرَّد بالروايةِ عن جماعةٍ مِن المشايخِ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وقد سمِع ، ورحَل إلى بُلْدانٍ شَتَّى ، وكان فاضلًا يَكْتُبُ سريعًا ، حكَى الشيخُ عَلَمُ الدينِ أنه كتَب « مُخْتَصَرَ الخِرَقىِّ » فى ليلةٍ واحدةٍ ، وخطُّه حسنٌ قوىٌّ حُلْوٌ ، وقد كتَب « تاريخَ ابنِ عساكرَ » مرتين ، واخْتَصَره لنفسِه أيضًا ، وأضَرَّ فى آخِرِ عمرِه أربعَ سنينَ ،

(١ - ١) فى م : « عبد الله » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٧٢، والسلوك ١/٥٨٩ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٦٥، والدليل الشافى ٢/ ٧٩١.

(٢) فى الأصل : « الزين » . وانظر نهاية الأرب ، وعقد الجمان .

(٣) فى الأصل : « صبيعة » . وانظر ترجمته فى : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٥، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٧، والوافى بالوفيات ٧/ ٢٩٥، وعقد الجمان ٢/ ٦٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧.

(٤) فى م : « التسعين » .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٦، والعبر ٥/ ٢٨٨، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٤، وفوات الوفيات ١/ ٨١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٧٨ وفيه : بكر بدل بكير ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٥.

وله شعرٌ أوْرَد منه قُطْبُ الدينِ فى « تَذْيِيلِه » ، تُوُفِّى بسفحِ قاسِيونَ ، وبه دُفِن فى بُكْرةِ الثلاثاءِ عاشرِ رجبٍ ، وقد جاوَز التسعين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضى مُحْيى الدينِ بنُ الزكِىِّ : أبو الفضلِ يَحْيَى بنُ قاضِى القُضاةِ مُحيى[1] الدينِ أبى المَعالى محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ علىٍّ[2] بنِ [3]الحسينِ بنِ محمدٍ[3] بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبانِ بنِ عثمانَ بنِ عفَّانَ القُرشىُّ الأُمويُّ ابنُ الزَّكىِّ ، تولَّى قَضاءَ دمشقَ غيرَ مرةٍ ، وكذلك آباؤُه مِن قبلِه ، كلٌّ قد ولِيها ، وقد سَمِع الحديثَ مِن حنبلٍ وابنِ طَبَرْزَد والكِنْدىِّ وابنِ الحَرَسْتانىِّ وجماعةٍ ، وحدَّث ودرَّس فى مَدارسَ كثيرةٍ ، وقد ولِى قَضاءَ الشامِ فى الدولةِ الهَلاوُونيةِ ، فلم يُحْمَدْ ، على ما ذكَره أبو شامةَ[4] ، تُوُفِّى بمصرَ فى الرابعَ عشَرَ مِن رجبٍ ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ ، وقد جاوَز السبعين . وله شعرٌ جيدٌ قوىٌّ ، وحكَى الشيخُ قُطْبُ الدينِ فى ذيلِه[5] - بعدَ ما نسَبه كما ذكَرْنا - عن ولدِه[6] القاضى بَهاءِ الدينِ أنه كان يَذْهَبُ إلى تَفْضيلِ علىٍّ على عثمانَ مُوافَقةً لشيخِه مُحْيى الدينِ بنِ عَرَبى ،

---

(١) فى م : « بهاء » . والمثبت من مصادر ترجمته : نهاية الأرب ٣٠/ ١٧١، والعبر ٥/ ٢٨٩، والسلوك ١/٥٨٩ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ٦٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧. ولم يذكر فى ذيل مرآة الزمان ٢/٤٤٠ لقبه وإنما ذكر اسمه .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « بن عبد العزيز بن على » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٣ - ٣) فى الأصل : « الحسن » .

(٤) انظر الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، ٢٠٦، وانظر ما تقدم صفحة ٤٠٣، ٤٠٤.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٠، ٤٤١.

(٦) فى الأصل ، م : « والده » . وهو خطأ . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١، وعقد الجمان ٢/ ٦٧، وفيه : « شهاب الدين » بدل « بهاء الدين » . والولد هو ابن الشيخ محيى الدين أبى الفضل صاحب الترجمة .

ولمَنامٍ رآه بجامعِ دمشقَ مُعْرِضًا عنه بسببِ ما كان مِن بنى أميةَ إليه فى أيامِ صِفِّينَ ، فأصْبَح فنظَم فى ذلك قصيدةً يَذْكُرُ فيها ميلَه إلى علىٍّ ، وإن كان هو أمويًّا :

أدِينُ بما دان الوَصِىُّ ولا أَرَى ... سواه وإن كانت أُمَيَّةُ مَحْتِدِى
ولو شهِدَتْ صِفِّينَ خيلى لأَعْذَرَتْ ... [١٠/٧٦ظ] (١) وساءَ بنى (١) حربٍ هنالِك مَشْهَدى
لكنتُ أَسُنُّ البِيضَ عنهم مَواضيَا(٢) ... (٣) وأرْوِىَ أَرْماحى ولمّا تَقَصَّدِ(٤)
وأجْلِبُها خيلًا ورَجْلًا عليهمُ(٣) ... وأمنَعُهمْ نَيْلَ الخلافةِ باليدِ

ومِن شعرِه :

قالوا ما(٥) فى جِلَّقٍ نُزْهَةٌ ... تُسْلِيك عمَّن أنت به مُغْرى
يا عاذلى دونك فى لحظِه ... سهمًا وقد عارضه سطرَا

الصاحبُ فخرُ الدينِ محمدُ بنُ الصاحبِ بَهاءِ الدينِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ سُلَيْمِ بنِ الحِنَّا المصرىُّ(٦) ، كان وزيرَ الصُّحْبةِ ، وقد كان فاضلًا ، بنَى رِباطًا بالقَرافةِ الكبرى ، ودرَّس بمدرسةِ والدِه بمصرَ ، وبالشافعىِّ بعدَ ابنِ بنتِ الأعَزِّ ،

(١ - ١) فى الأصل : « وشاهدتنى » ، وفى م : « وشاءبنى » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١ ، والعبر ٥/ ٢٩٠ ، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٠ ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٨ .

(٢) فى الأصل ، م : « تراضيا » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو الحادّ السريع القطع .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤١ .

(٤) فى إحدى نسخ ذيل مرآة الزمان : « تفصد » . وتَقَصَّدَ الرمحُ : تَكَسَّر . الوسيط (ق ص د) .

(٥) فى الأصل : « أما » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٩ ، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٧١ ، والوافى بالوفيات ٤/ ١٨٥ ، وعقد الجمان ٢/ ٦٧ ، وفيه : سليمان بن الحنا ، والدليل الشافى ٢/ ٦٥٦ .

تُوُفِّى فى شعبانَ ، ودُفِن بسفحِ المُقَطَّمِ ، وفوَّض السلطانُ وِزارةَ الصُّحْبةِ إلى ولدِه تاجِ الدينِ .

الشيخُ أبو نصرِ بنُ أبى الحسنِ بنِ الخرَّازِ[1] **الصوفىُّ البغدادىُّ الشاعرُ** ، له دِيوانٌ حسنٌ ، وكان جميلَ المُعاشَرةِ ، حسنَ المُذاكَرةِ ، دخَل عليه بعضُ أصحابِه ، فلم يَقُمْ له ، وأنْشَده قولَه :

نهَض القلبُ حينَ أقْبَلْتَ إجْلا ... لًا لما فيه مِن صَحيحِ الوِدادِ
ونهوضُ القلوبِ بالوُدِّ أولى ... مِن نهوضِ الأجْسادِ للأجْسادِ

(١) فى الأصل : « الجزار » . وانظر ترجمته فى عقد الجمان ٢/ ٦٧.

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وستين وستّمائةٍ[1]

فى مُسْتَهَلِّ صفرٍ منها ركِب السلطانُ مِن الديارِ المصريةِ فى طائفةٍ مِن العَسْكَرِ إلى عَسْقَلانَ ، فهدَم ما بقى مِن سُورِها مما كان أُهْمِل فى الدولةِ الصَّلاحيةِ ، ووجَد فيما هدَم كُوزَيْن ، فيهما ألفا دينارٍ ، ففرَّقهما على الأمراءِ ، وجاءتْه البِشارةُ وهو هناك ، بأن مَنْكُوتَمُر كسَر جيشَ أَبْغَا ، ففرِح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرةِ .

وفى ربيعِ الأولِ بلَغ السلطانَ أن أهلَ عَكَّا ضرَبوا رِقابَ مَن فى أيديهم مِن أَسْرَى المسلمين صَبْرًا بظاهرِ عَكَّا ، فأمَر بمَن كان فى يدِه مِن أَسْرَى أهلِ عَكَّا فضُرِبَت رِقابُهم فى صَبيحةٍ واحدةٍ ، وكانوا قريبًا مِن مائةِ[2] أسيرٍ .

وفيها كمَل جامعُ المَنْشِيَّةِ[3] ، وأُقِيمَت فيه الجمعةُ فى [4]الثانى والعشرين[4] مِن ربيعِ الآخِرِ .

وفيها جرَت حُروبٌ يَطولُ ذِكْرُها بينَ أهلِ تونُسَ والفِرِنْجِ ، ثم تَصالَحوا بعدَ ذلك على الهُدْنةِ ووضْعِ الحربِ ، بعدَ ما قُتِل مِن الفريقَيْن خلائِقُ لا يُحْصَوْن .

وفى يومِ الخميسِ ثامنَ رجَبٍ دخَل الظاهرُ إلى دمشقَ ، وفى صُحْبتِه ولدُه

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٢- ٤٥٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٧٣- ١٨١، وكنز الدرر ٨/ ١٥٠ - ١٦٣. وانظر العبر ٥/ ٢٩٠- ٢٩١.

(٢) فى م : « مائتى » .

(٣) فى الأصل : « المزه » . وهو جامع بمنشأة المهرانى ، التى على نهر النيل . انظر نهاية الأرب ٣٠/ ١٨١، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٠.

(٤ - ٤) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٣: « ثامن عشرى » . وفى عقد الجمان ٢/ ٨٠ والنجوم الزاهرة الموضع السابق : « ثامن عشرين » .

الملكُ السعيدُ وابنُ الحِنَّا الوزيرُ وجُمهورُ الجيشِ ، ثم خرَجوا مُتَفَرِّقِين وتواعَدوا أن يَلْتَقُوا بالساحلِ ؛ ليَشُنُّوا الغارةَ على جَبَلةَ[1] واللَّاذِقيَّةِ ومَرْقَبَ[2] وعِرْقَةَ[3] وما هنالك مِن البلادِ ، فلما اجْتَمَعوا فتَحوا صافِيتا[4] والمِجْدَلَ ، ثم ساروا فنزَلوا على حصنِ الأكرادِ يومَ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ رجبٍ ، وله ثلاثةُ أسْوارٍ ، فنصَبوا عليها المَنْجَنِيقاتِ ، ففتَحها قَهرًا يومَ نصفِ شعبانَ ، فدخَل الجيشُ ، وكان الذى يُحاصِرُه ولدُ السلطانِ الملكُ السعيدُ ، فأطْلَق السلطانُ أهلَه[5] ، ومَنَّ عليهم وأجْلاهم إلى طرابُلُسَ ، وتسَلَّم القلعةَ بعدَ عشرةِ أيامٍ مِن الفتحِ ، فأجْلَى أهلَها أيضًا ، وجعَل كنيسةَ البلدِ جامعًا ، وأقام فيه الجمعةَ ، وولَّى فيها نائبًا وقاضيًا ، وأمَر بعِمارةِ البلدِ ، وبعَث صاحبُ أَنْطَرْطوسَ[6] بمفاتيحِ بلدِه يَطْلُبُ منه الصُّلحَ على أن يكونَ نصفُ مُغَلِّ بلادِه للسلطانِ ، وأن يكونَ له بها نائبًا ، فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فعَل صاحبُ المَرْقَبِ ، فصالَحه أيضًا على المُناصَفةِ ووضْعِ الحربِ عشْرَ سنينَ ، وبلَغ السلطانَ وهو مُخَيِّمٌ على حصنِ الأكْرادِ أن صاحبَ [١٠/٧٧و] جَزيرةِ قُبْرُسَ قد ركِب جيشَه إلى عَكَّا ليَنْصُرَ أهلَها خوفًا مِن السلطانِ ، فأراد

---

(١) جبلة : قلعة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية . معجم البلدان ٢/ ٢٥.

(٢) مرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس . معجم البلدان ٤/ ٥٠٠.

(٣) فى م : « عرقا » ، وعِرْقَة : بلدة فى شرقى طرابلس وهى آخر عمل دمشق وهى فى سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها . معجم البلدان ٣/ ٦٥٣.

(٤) فى م : « صافينا » وفى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٠ : « صافيثا » . وما فى الأصل ، م موافق لما فى كنز الدرر ٨/ ١٥١ ، ومسالك الأبصار ٨/ ١٢٢.

(٥) سقط من : الأصل . والمقصود أن السلطان أطلق أهل الحصن .

(٦) فى الأصل : « أنطرسوس » وهو موافق لما فى مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤ ، وفى م : « طرسوس » . والمثبت من معجم البلدان ١/ ٣٨٨ ، وأنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص . وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٢.

السلطانُ أن يَغْتَنِمَ هذه الفُرْصةَ، فبعَث جيشًا كَثيفًا فى سبْعَةَ[1] عشَرَ شينيًّا ليَأْخُذوا جزيرةَ قُبْرسَ فى غَيْبةِ صاحبِها عنها، فسارت المَراكبُ مُسْرِعةً، فلما قارَبَت الجزيرةَ جاءَتها رِيحٌ قاصفٌ، فصدَم بعضُها بعضًا، فانْكَسَر منها أربعةَ[2] عشَرَ مَرْكَبًا بإذنِ اللَّهِ تعالى، فغرِق خلقٌ، وأسَر الفِرِنْجُ مِن الصُّنَّاعِ والرجالِ قريبًا مِن ألفٍ وثمانِمائةِ إنسانٍ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون. ثم سار السلطانُ، فنصَب المَجانيقَ على حصنِ عَكَّا، فسأله أهلُها الأمانَ على أن يُجلِيَهم[3]، فأجابهم إلى ذلك، ودخَل البلدَ يومَ عيدِ الفِطْرِ فتسَلَّمه، وكان الحصنُ شديدَ الضَّرَرِ على المسلمين، وهو وادٍ بينَ جبَلَيْن، ثم سار السلطانُ نحوَ طَرابُلُسَ، فأرْسَل إليه صاحبُها يقولُ: ما مرادُ السلطانِ فى هذه الأرضِ؟ فقال: جئتُ لأَرْعَى زُروعَكم، وأُخَرِّبَ بلادَكم، ثم أَعُودَ إلى حصارِكم فى العامِ الآتى. فأرْسَل يَسْتَعْطِفُه ويَطْلُبُ منه المُصالَحَةَ ووَضْعَ الحربِ بينَهم عشْرَ سنينَ، فأجابه إلى ذلك، وأرْسَل إليه الإسْماعيليةُ يَسْتَعْطِفونه على والدِهم وكان مَسْجونًا بالقاهرةِ، فقال: سلِّموا إلىَّ العُلَّيْقةَ، وانْزِلوا فخُذوا إقْطاعاتٍ بالقاهرةِ، وتسَلَّموا أباكم. فلما نزَلوا أمَر بحبسِهم بالقاهرةِ، واسْتَناب بحصنِ العُلَّيْقةِ.

وفى يومِ الأحدِ الثانى عشَرَ مِن شوالٍ جاء سَيْلٌ عظيمٌ إلى دمشقَ، فأتْلَف شيئًا كثيرًا، وغرِق بسببِه ناسٌ كثيرٌ، لا سِيَّما الحُجَّاجُ مِن الرومِ الذين كانوا نُزولًا بينَ النهرَيْن، أخَذَهم السَّيْلُ وجِمالَهم وأحْمالَهم، فهلَكوا وغُلِّقَت أبوابُ البلدِ، ودخَل الماءُ إلى البلدِ مِن مَرَامِى[4] السُّورِ، ومِن بابِ الفَرادِيسِ، فغرَّق خانَ ابنِ

---

(١) فى م: «ثنى».

(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٥٤: «أحد».

(٣) فى م: «يخليهم».

(٤) فى م: «مراقى».

المقدمِ ، وأتْلَف شيئًا كثيرًا ، وكان ذلك فى زمنِ الصيفِ أيامَ المِشْمِشِ .

ودخَل السلطانُ إلى دمشقَ يومَ الأربعاءِ خامسَ عشَرَ شوالٍ ، فعزَل القاضىَ ابنَ خَلِّكانَ ، وكان له فى القَضاءِ عشْرُ سنينَ ، وولَّى القاضىَ عزَّ الدينِ بنَ الصائغِ ، وخلَع عليه ، وكان تَقْليدُه قد كُتِب بظاهرِ طرابُلُسَ بسِفارةِ الوزيرِ ابنِ الحِنَّا ، فسار ابنُ خَلِّكانَ فى ذى القَعْدةِ إلى مصرَ . وفى (١حادى عشَرَ١) شوالٍ دخَل خضرٌ(٢) الكُردىُّ شيخُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ وأصحابُه إلى كَنيسةِ اليهودِ ، فصلَّوْا فيها ، وأزالوا ما فيها مِن شَعائرِ اليهودِ ، ومدُّوا فيها سِماطًا ، وعمِلوا سَماعًا ، وبقُوا على ذلك أيامًا ، ثم أُعِيدَت إلى اليهودِ .

ثم خرَج السلطانُ إلى السواحلِ ، فافْتَتَح بعضَها ، وأشْرَف على عَكَّا وتأمَّلها ، ثم سار إلى الديارِ المصريةِ ، وكان مِقْدارُ ما غَرِمه فى هذه المدةِ وفى الغَزَواتِ قريبًا مِن ثمانِمائةِ ألفِ دينارٍ ، وأخْلَفها اللَّهُ عليه ، فكان وصولُه إلى القاهرةِ يومَ الخميسِ ثالثَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ . وفى اليومِ (٣السابعَ عشَرَ٣) مِن وصولِه أمْسَك على جماعةٍ مِن الأمراءِ ، منهم الحَلَبىُّ(٤) وغيرُه ، بلَغه أنهم أرادوا مَسْكَه على الشَّقِيفِ .

وفى اليومِ السابعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ أمَر بإراقةِ الخمورِ مِن سائرِ بلادِه ، وتهَدَّد مَن يَعْصِرُها أو يَعْتَصِرُها بالقتلِ ، وأسْقَط ضمانَ ذلك ، وكان ذلك بالقاهرةِ وحدَها ، (٥كلُّ يومٍ ضمانُه٥) ألفُ دينارٍ ، ثم سارَت البُرُدُ بذلك إلى الآفاقِ .

(١ - ١) فى م : « ثانى عشر » .

(٢) فى م : « حصن » . وانظر نهاية الأرب ٣٠/ ١٧٦، وعقد الجمان ٢/ ٧٨.

(٣ - ٣) كذا فى الأصل ، م ، وفى ذيل مرآة الزمان ٢/٤٥٣ وعقد الجمان ٢/ ٧٩: « الثانى » .

(٤) وهو علم الدين سنجر الحلبى الكبير . انظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٣، ١٥٤.

(٥ - ٥) فى الأصل : « ضمانه كل شهر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٥٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٤.

وفيها قبَض السلطانُ على العزيزِ بنِ المُغِيثِ صاحبِ الكَرَكِ ، وعلى [١٠/٧٧ظ] جماعةٍ مِن أصحابِه كانوا عزَموا على سَلْطنتِه .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

المَلِكُ تَقىُّ الدينِ عباسُ بنُ الملكِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ (١) بنِ شادى (١) ، وهو آخرُ مَن بقِى مِن أولادِ العادلِ ، وقد سمِع الحديثَ مِن الكِنْدىِّ وابنِ الحَرَسْتانىِّ ، وكان مُحْتَرَمًا عندَ الملوكِ ، لا يُرْفَعُ عليه أحدٌ فى المجالسِ والمَواكبِ ، وكان لَيِّنَ الأخْلاقِ ، حسَنَ العِشْرةِ ، لا تُمَلُّ مُجالَستُه . تُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثانى والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ بدربِ الرَّيْحانِ ، ودُفِن بتربتِه بسفحِ قاسِيونَ .

قاضى القُضاةِ شرفُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ صالحِ بنِ عيسى السُّبْكىُّ المالكىُّ (٢) ، وُلِد سنةَ خمسٍ وثمانين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وتفَقَّه وأفْتَى ودرَّس بالصَّالحيَّةِ ، وولِى حِسْبةَ القاهرةِ ، ثم ولِى القَضاءَ سنةَ ستٍّ (٣) وستين ، لما وَلَّوْا مِن كلِّ مذهبٍ قاضيًا ، وقد امْتَنَع أشدَّ الامْتِناعِ ، ثم أجاب بعدَ إكْراهٍ ، وشرَط أن لا يَأْخُذَ على القَضاءِ جامَكيةً ، وكان مشهورًا بالعلمِ والدينِ ، روَى عنه القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ وغيرُه . تُوُفِّى (٤ لخمسٍ بَقِين ٤) مِن ذى القَعْدةِ .

(١ - ١) ليس فى الأصل . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨١، وعقد الجمان ٢/ ٨٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢، والدليل الشافى ١/ ٣٨٠.

(٢) تكملة إكمال الإكمال ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦١، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨١، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٥٠٢، والسلوك ١/ ٥٩٦ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٨٤.

(٣) فى م : « ثلاث » .

(٤ - ٤) فى نهاية الأرب ٣٠/ ١٨٢: « ثانى عشرين » .

الطَّواشى شُجاعُ الدينِ مُرْشِدٌ المُظَفَّرىُّ الحَمَوىُّ[1] ، كان شُجاعًا بطَلًا مِن الأبطالِ الشُّجْعانِ ، وكان له رأىٌ سَديدٌ ، وكان أُستاذُه لا يُخالِفُه ، وكذلك الملكُ الظاهرُ ، تُوُفِّى بحَماةَ ، ودُفِن بتربتِه بالقربِ مِن مدرستِه بحَماةَ .

ابنُ سَبْعِينَ : عبدُ الحقِّ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ نصرِ بنِ محمدِ بنِ نصرِ ابنِ محمدِ بنِ سبعين ، قُطْبُ الدينِ أبو محمدٍ المَقْدِسىُّ الرُّقُوطِىُّ[2] ، نِسْبةً إلى رُقُوطةَ بَلْدةٍ قريبةٍ مِن مُرْسِيَةَ[3] ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، واشْتَغَل بعلمِ الأَوائلِ والفَلْسفةِ ، فتوَلَّد له مِن ذلك نوعٌ مِن الإلحادِ ، وصنَّف فيه ، وكان يَعْرِفُ السِّيمِيا[4] ، فكان يُلَبِّسُ بذلك على الأَغْبِياءِ مِن الأمراءِ والأَغْنياءِ ، ويَزْعُمُ أنه حالٌ مِن أحوالِ القومِ ، وله مِن المُصَنَّفاتِ كتابُ « البُدِّ »[5] ، وكتابُ « الهُو » ، وقد أقام بمكةَ ، واسْتَحْوَذ على عقلِ صاحبِها أبو[6] نُمَىٍّ ، وجاوَر فى بعضِ الأوقاتِ بغارِ حِراءَ يَرْتَجِى - فيما يُنْقَلُ عنه - أن يَأْتِيَه فيه[7] وَحْىٌ كما أتَى النبىَّ ﷺ ، بناءً على ما يَعْتَقِدُه مِن العَقيدةِ الفاسدةِ مِن أن النبوةَ مُكْتَسَبةٌ ، وأنها فَيْضٌ يَفِيضُ على العقلِ إذا صفا ، فما حصَل له إلا الخِزْىُ فى الدنيا والآخِرةِ ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأَى الطائِفِين حولَ البيتِ يقولُ عنهم : كأنهم الحَمِيرُ حولَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٥، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٣، وعقد الجمان ٢/ ٨٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٢، والعبر ٥/ ٢٩١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٣، والسلوك ١/ ٥٩٧ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ٨٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢.

(٣) مرسية : مدينة بالأندلس . معجم البلدان ٤/ ٤٩٧.

(٤) السيميا : السحر . الوسيط (س ى م) .

(٥) فى الأصل : « الند » ، وفى م : « البدو » . والمثبت من فوات الوفيات ٢/ ٢٥٥. وقد فسرها محمد بن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات بقوله : يعنى لابد للعارف منه .

(٦) فى الأصل ، م : « ابن » . والمثبت من مصادر ترجمته وستأتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة .

(٧) فى الأصل : « منه » .

المَدارِ ، وإنهم لو طافوا به كان ذلك أفضلَ مِن طَوافِهم بالبيتِ . فاللَّهُ يَحْكُمُ فيه وفى أمثالِه ، وقد نُقِلَت عنه عَظائمُ مِن الأقوالِ والأفعالِ ، تُوُفِّى فى الثامنِ والعشرين مِن شوالٍ بمكةَ .

ثم دخَلَت سنةُ سبعين وستّمائةٍ مِن الهجرةِ[1]

اسْتَهَلَّت وخليفةُ الوقتِ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ العباسيُّ ، وسلطانُ الإسلامِ الملكُ الظاهرُ .

وفى يومِ الأحدِ الرابعَ عشَرَ مِن المحرمِ[2] ركِب السلطانُ إلى البحرِ [3]لإلْقاءِ الشَّوانى[3] التى عُمِلَت عِوضًا عما غرِق بجزيرةِ قُبْرُسَ[4] ، فركِب فى شينىٍّ منها ، ومعه الأميرُ بدرُ الدينِ الخزَندارُ ، فمالت بهم فسقَط الخزَنْدارُ فى البحرِ ، فغاص فى الماءِ ، فألْقَى إنسانٌ نفسَه وراءَه [١٠/٧٨و] فأخَذ بشعرِه وأنْقَذه مِن الغرقِ ، فخلَع السلطانُ على ذلك الرجلِ ، وأحْسَن إليه .

وفى أواخِرِ المحرمِ[5] ركِب السلطانُ فى نفرٍ يسيرٍ مِن الخاصَّكِيةِ ، والأمراءِ مِن الديارِ المصريةِ حتى قدِم الكَرَكَ ، واسْتَصْحَب نائبَها معه إلى دمشقَ ، فدخَلَها فى ثانى عشَرَ صفرٍ ، ومعه الأميرُ عزُّ الدينِ أَيْدَمُرُ نائبُ الكَرَكِ ، فولَّاه نيابةَ دمشقَ ، وعزَل عنها جمالَ الدينِ آقوشَ النَّجِيبىَّ فى رابعَ عشَرَ صفرٍ ، ثم خرَج إلى حَماةَ ،

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٦- ٤٩٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٥- ١٩٥، وكنز الدرر ٨/ ١٦٤- ١٦٧. وانظر العبر ٥/ ٢٩٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٦، وعقد الجمان ٢/ ٨٩.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « لالتقاء الشوانى » . والمثبت من عقد الجمان . والشوانى جمع شَوْنة والشونة : المركب المعد للجهاد فى البحر . وهى لغة مصرية . تاج العروس (ش و ن) .

(٤) بعده فى م : « وهى أربعون شينيا » .

(٥) عقد الجمان ٢/ ٩٠.

وعاد بعدَ عشَرةِ أيامٍ .

وفى ربيعِ الأولِ[1] وصَلَت الجُفَالةُ[2] مِن حلَبَ وحَماةَ وحمصَ إلى دمشقَ بسببِ الخوفِ مِن التَّتارِ ، وجفَل[3] خلقٌ كثيرٌ مِن أهلِ دمشقَ .

وفى ربيعِ الآخِرِ وصَلَت العساكرُ المصريةُ إلى حَضْرةِ السلطانِ إلى دمشقَ ، فسار بهم منها فى سابعِ الشهرِ ، فاجْتاز بحَماةَ ، واسْتَصْحَب ملِكَها المنصورَ ، ثم سار إلى حلبَ ، فخيَّم بالمَيْدانِ الأخضرِ بها ، وكان سببَ ذلك أن عَساكرَ الرومِ جمَعوا نحوًا مِن عشَرةِ آلافِ فارسٍ ، وبعَثوا طائفةً منهم ، فأغاروا على عَيْنِ تابٍ[4] ، ووصَلوا إلى قَسْطُونَ[5] ، ووقَعوا على طائفةٍ مِن التُّرْكمانِ بينَ حارِمٍ وأنْطاكِيَةَ ، فاسْتَأْصَلوهم ، فلما سمِع التَّتارُ بوُصولِ السلطانِ ، رجَعوا على أعقابِهم ، وكان بلَغه أن الفِرِنْجَ أغاروا على بلادِ قاقُونَ[6] ، ونهَبوا طائفةً مِن التُّرْكُمانِ ، فقبَض على الأمراءِ الذين هناك ؛ حيث لم يَهْتَمُّوا بحفظِ البلادِ ، وعاد إلى الديارِ المصريةِ .

وفى ثالثِ شعبانَ[7] أمسَك السلطانُ قاضىَ الحَنابلةِ بمصرَ شمسَ الدينِ محمدَ[8] بنَ العِمادِ المَقْدسىَّ ، وأخَذ ما عندَه مِن الوَدائعِ ، فأخَذ زكاتَها ، وردَّ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٧، وعقد الجمان ٢/ ٩٠، ٩١.

(٢) فى م : « الجفال » . والجفالة : الجماعة من الناس ذهبوا أو جاءوا . اللسان (ج ف ل) .

(٣) جفل : انزعَج وفزِع . الوسيط (ج ف ل) .

(٤) عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية . معجم البلدان ٣/ ٧٥٩.

(٥) فى الأصل : « بسطون » ، وفى م : « نسطوم » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان وغيره . وقسطون : حصن كان بالرُّوج من أعمال حلب . معجم البلدان ٤/ ٩٧.

(٦) قاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل : من عمل قيسارية من ساحل الشام . المصدر السابق ٤/ ١٨.

(٧) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٧٠- ٤٧٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩٠، ١٩١.

(٨) ليس فى الأصل . وفى م : « أحمد » . والمثبت من المصدرين السابقين .

بعضَها إلى أربابِها ، واعْتَقَله إلى شعبانَ مِن سنةِ ثنتين وسبعين ، وكان الذى وشَى به رجلٌ مِن أهلِ حَرَّانَ يقالُ له : شَبيبٌ . ثم تبيَّنَ للسلطانِ نَزاهةُ القاضى وبَراءتُه ، فأعاده إلى مَنْصِبِه فى سنةِ ثنتين وسبعين ، وجاء السلطانُ فى شعبانَ إلى أراضى عَكَّا ، فأغار عليها ، فسأَله صاحبُها المُهادَنةَ ، فأجابه إلى ذلك ، فهادَنه عشْرَ سنينَ وعشَرةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيامٍ وعشْرَ ساعاتٍ ، وعاد إلى دمشقَ ، فقُرئ بدارِ السعادةِ كتابُ الصُّلحِ ، واسْتَمَرَّ الحالُ على ذلك ، ثم عاد السلطانُ إلى بلادِ الإسْماعيليةِ ، فأخَذ عامَّتَها . قال قُطْبُ الدينِ[1] : وفى جُمادَى الآخِرةِ وُلِدَت زَرافةٌ بقلعةِ الجبلِ ، وأُرْضِعَت مِن بقرةٍ . قال : وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ مثلُه .

وفيها تُوُفِّى :

الشيخُ كمالُ الدينِ سَلَّارُ[2] بنُ حسنِ بنِ عمرَ بنِ سعيدٍ الإرْبِلىُّ الشافعىُّ ، أحدُ مَشايخِ المذهبِ ، وقد اشْتَغل عليه الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّوَوىُّ ، وقد اخْتَصَر « البحرَ » للرُّويانىِّ فى مجلداتٍ عديدةٍ هى عندى بخطِّ يدِه ، وكانت الفُتْيا تَدورُ عليه بدمشقَ ، تُوُفِّى فى عَشْرِ السبعين ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ ، وكان مُعيدًا[3] بالباذَرائِيةِ مِن أيامِ الواقفِ ، لم يَطْلُبْ زيادةً على ذلك إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ .

وَجيهُ الدينِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ أبى طالبِ بنِ سُوَيْدٍ التَّكْرِيتىُّ[4] ، التاجرُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٩.

(٢) فى الأصل : « رسلان » . وانظر مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٧٩، والعبر ٥/ ٢٩٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٧١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤٩، وعقد الجمان ٢/ ٩٦.

(٣) فى م : « مفيدا » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٨٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩٣، والعبر ٥/ ٢٩٤، والوافى بالوفيات ٤/ ١٨٦، وعقد الجمان ٢/ ٩٧.

الكبيرُ[1] ذو الأموالِ الكثيرةِ، وكان مُعَظَّمًا عندَ الدولةِ، ولا سيَّما عندَ الملكِ الظاهرِ، كان يُجِلُّه ويُكْرِمُه؛ لأنه كان قد أسْدَى إليه جَميلًا فى حالِ إمْرتِه قبلَ أن يَلِىَ السَّلْطنةَ، ودُفِن برِباطِه وتربتِه بالقربِ مِن الرِّباطِ الناصرىِّ بقاسِيونَ، وكانت كتبُ الخليفةِ تَرِدُ إليه فى كلِّ وقتٍ، وكانت مُكاتَباتُه مَقْبولةً عندَ جَميعِ الملوكِ، حتى مُلوكِ الفِرنْجِ فى السواحلِ [١٠/٧٨ظ] وفى أيامِ التَّتارِ فى أيامِ هَولَاوون، وكان كثيرَ الصَّدَقاتِ والبِرِّ.

نَجْمُ الدينِ يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ اللبودىِّ[2] واقفُ اللبوديةِ التى عندَ حَمَّامِ الفلكِ المُسِيرى[3] على الأطباءِ، ولديه فَضيلةٌ بمعرفةِ الطبِّ، وقد ولِى نظَرَ الدَّواوينِ بدمشقَ، ودُفِن بتربتِه عندَ اللبوديةِ.

الشيخ علىٌّ البَكَّاءُ[4] صاحبُ الزاويةِ بالقربِ مِن بلدِ الخليلِ، عليه السلامُ، كان مشهورًا بالصلاحِ والعبادةِ والإطْعامِ لمَن اجْتاز به مِن المارَّةِ والزُّوَّارِ، وكان الملكُ المنصورُ قَلاوُون يُثْنِى عليه ويذكرُ أنَّه اجتمع به وهو أميرٌ، وأنه كاشَفه فى أشياءَ وقَعَت جميعُها، ومِن جملتِها أنه سيَمْلِكُ. نقَل ذلك قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ، وذكَر أن سببَ بُكائِه الكثيرِ أنه صحِب رجلًا كانت له أحْوالٌ وكَراماتٌ، وأنه خرَج معه مِن بغدادَ، فانْتَهَوْا فى ساعةٍ واحدةٍ إلى بَلْدةٍ بينَها وبينَ بغدادَ مَسيرةُ سنةٍ، وأن ذلك الرجلَ قال له: إنى سأَمُوتُ فى الوقتِ

---

(١) بعده فى الأصل: «بن التاجر بن سويد»، وفى م: «بين التجار بن سويد».

(٢) عقد الجمان ٢/ ٩٨، والدارس ٢/ ١٣٥.

(٣) فى الأصل: «المبرز»، وفى م: «المبرر». والمثبت من عقد الجمان.

(٤) الوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٥٧، وعقد الجمان ٢/ ٩٨، والسلوك ١/ ٦٠٤ (القسم الثانى).

الفُلانىِّ ، فاشْهَدْنى فى ذلك الوقتِ[1] . قال : فلما كان فى ذلك الوقتِ حضَرْتُ عندَه وهو فى السِّياقِ ، وقد اسْتَدار إلى جهةِ الشرقِ ، فحوَّلْتُه إلى القبلةِ ، فاسْتَدار إلى الشرقِ ، فحوَّلْتُه أيضًا ، ففتَح عينيه وقال : لا تَتْعَبْ فإنى لا أَموتُ إلا على هذه الجهةِ . وجعَل يَتَكَلَّمُ بكلامِ الرُّهْبانِ حتى مات ، فحمَلْناه فجِئْنا به إلى دَيْرٍ هناك ، فوجَدْناهم فى حُزْنٍ عظيمٍ ، فقلْنا لهم : ما شأْنُكم ؟ فقالوا : كان عندَنا شيخٌ كبيرٌ ابنُ مائةِ سنةٍ ، فلما كان اليومُ مات على الإسلامِ . فقلْنا لهم : خُذوا هذا بَدَلَه وسلِّموا إلينا صاحبَنا . قال : فولِيناه ، فغسَّلْناه وكفَّنّاه ، وصلَّيْنا عليه ودفَنَّاه مع المسلمين ، ووَلُوا هم ذلك الرجلَ فدفَنوه فى مَقْبرةِ النَّصارى ، نَسْأَلُ اللَّهَ تعالى حُسْنَ الخاتمةِ . مات الشيخُ علىٌّ فى رجبٍ من هذه السنةِ .

---

(١) بعده فى م : « فى البلد الفلانى » .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وسبعين وستّمائةٍ[1]

فى خامسِ المحرمِ وصَل الظاهرُ دمشقَ مِن بلادِ السَّواحلِ التى فتَحها وقد مهَّدها، وركِب فى أواخِرِ المحرمِ إلى القاهرةِ، فأقام بها سنةً، ثم عاد فدخَل دمشقَ فى رابعِ صفرٍ[2].

وفى المحرمِ منها وصَل صاحبُ النُّوبةِ إلى عَيْذَابَ[3]، فنهَب تُجَّارَها، وقتَل خلقًا مِن أهلِها، منهم الوالى والقاضى، فسار إليه الأميرُ عَلاءُ الدينِ أَيْدُغْدِى الخَزندارُ، فقتَل خلقًا مِن بلادِه، ونهَب وحرَّق وهدَم ودوَّخ البلادَ، وأخَذ بالثأرِ، ولِلَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وفى ربيعِ الأولِ تُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدينِ محمدُ بنُ مُظَفَّرِ الدينِ عثمانَ بنِ ناصرِ الدينِ مَنْكُورس[4] صاحبُ صِهْيَونَ، ودُفِن فى تربةِ والدِه فى عَشْرِ السبعين، وكان له فى مُلكِ صِهْيَونَ وبَرْزَيَه[5] إحدى عشْرةَ سنةً، وتسَلَّمها بعدَه ولدُه سابقُ الدينِ، وأرْسَل إلى الملكِ الظاهرِ يَسْتَأْذِنُه فى الحُضورِ، فأذِن له، فلما

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/١ - ٣٠، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٩٧- ٢٠١، وكنز الدرر ٨/ ١٦٨- ١٧١، وانظر العبر ٥/ ٢٩٥- ٢٩٧.

(٢) كذا فى الأصل، م. وفى المصادر أن السلطان الظاهر خرج من دمشق فى ثالث عشر من المحرم إلى مصر ثم عاد إلى دمشق فى رابع صفر من نفس السنة.

(٣) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم، وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد. معجم البلدان ٣/ ٧٥١.

(٤) فى الأصل: «منكور بن». وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥.

(٥) برزويه: بالفتح وضم الزاء وسكون الواو وفتح الياء، والعامة تقول برزيه: حصن قرب السواحل الشامية. معجم البلدان ١/ ٥٦٥.

حضَر أقْطَعه خبزًا[1] ، وبعَث إلى البلدَيْن نُوَّابًا مِن جهتِه .

وفى خامسِ جُمادَى الأولى[2] وصَل السلطانُ بعسكرِه إلى الفُراتِ ؛ لأنه بلَغه أن طائفةً مِن التَّتارِ هنالك ، فخاض إليهم الفُراتَ بنفسِه وجُندِه ، وقتَل مِن أولئك مَقْتَلةً كبيرةً وخلقًا كثيرًا ، وكان أولَ مَن اقْتَحَم الفُراتَ يومَئذٍ الأميرُ سيفُ الدينِ قَلَاوُون وبدرُ الدينِ بَيْسَرِى ، وتبِعَهما السلطانُ ، ثم فعَل بالتَّتارِ ما فعَل ، ثم ساق إلى ناحيةِ البِيرةِ ، وقد كانت مُحاصَرةً بطائفةٍ مِن التَّتارِ أخرى ، فلما سمِعوا [١٠/٧٩و] بقُدومِه هرَبوا وترَكوا أموالَهم وأثقالَهم ، ودخَل السلطانُ إلى البِيرةِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وفرَّق فى أهلِها أموالًا كثيرةً ، ثم عاد إلى دمشقَ فى ثالثِ جُمادَى الآخِرةِ ، ومعه الأسْرَى . وخرَج منها فى سابعِه إلى الديارِ المصريةِ ، وخرَج ولدُه الملكُ السعيدُ لتَلَقِّيه ، ودخَلا إلى القاهرةِ ، وكان يومًا مشهودًا . ومما قاله القاضى شِهابُ الدينِ محمودٌ الكاتبُ - وأولادُه يقالُ لهم : بنو الشِّهابِ محمودٍ - فى خَوْضِ السلطانِ الفُراتَ بالجيشِ :

سِرْ حيث شئتَ لك المُهَيْمِنُ جارُ ... واحْكُمْ فطَوْعُ مُرادِك الأقْدارُ
لم يَبْقَ للدِّينِ الذى أظْهَرْتَه ... يا رُكْنَه عندَ الأعادِى ثارُ
لـمَّا تراقَصَت الرءوسُ تحَرَّكَت ... مِن مطرِباتِ قِسيِّك الأوْتارُ
خُضْتَ الفُراتَ بسابحٍ[3] أفْضَى به ... [4]موجُ الصبا مِن فعلِه[4] الآثارُ

---

(١) خبز : جمعه أخباز ، من معانى هذا اللفظ فى عصر المماليك إقطاع من الأرض ، فيقال : أخباز الأجناد أى إقطاعاتهم . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مرجع العصر المماليكى ص ٤١٢ الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام نقلا عن معجم Dozy .

(٢) فى الأصل ، م : « الآخرة » والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢، وكنز الدرر ٨/ ١٦٩، ١٧٠ ، وهو ما يقتضيه سياق ما سيأتى .

(٣) فى م : « بعسكر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩ .

(٤ - ٤) فى م : « موج الفرات كما أتى » ، وفى المصدرين السابقين : « هوج الصبا من نعله » .

حمَلَتْك أمْواجُ الفُراتِ ومَن رأَى بحرًا سواك تُقِلُّه الأنهارُ
وتقطَّعَت فَرَقًا ولم يكُ طودَها إذ ذاك إلا جيشُك الجرارُ

وقال بعضُ مَن شاهَد ذلك[1] :

ولما تراءَيْنا الفُراتَ بخيلِنا سَكَرْناه[2] منا [3]بالقنا والصوارمِ[3]
فأَوقفتِ التيارَ عن جريانِه إلى حينِ عدْنا بالغِنى والغنائمِ

وقال آخرُ [4]ولا بأسَ به[4] :

الملكُ الظاهرُ سلطانُنا نَفْدِيه بالأموالِ والأهلِ
اقتحم الماءَ ليُطفِى به حرارةَ القلبِ من المُغْلِ[5]

وفى يومِ الثلاثاءِ ثالثِ رجبٍ خلَع على جميعِ الأُمراءِ مِن حاشيتِه ومُقَدَّمى الحَلْقةِ وأرْبابِ الدولةِ، وأعْطَى كلَّ إنسانٍ ما يَلِيقُ به مِن الخيلِ والذهبِ والحَوائصِ، وكان مَبْلَغُ ما أنْفَق بذلك نحوَ ثلاثِمائةِ ألفِ دينارٍ.

وفى شعبانَ أرْسَل السلطانُ إلى مَنْكُوتَمُر هدَايا عظيمةً.

وفى يومِ الاثنين ثانى عشَرَ شَوَّالٍ اسْتَدْعَى السلطانُ شيخَه الشيخَ خَضِرًا الكُرْدىَّ إلى بينِ يديه إلى القلعةِ، وحُوقِق على أشياءَ كثيرةٍ [6]رُمِى بها، وعلى منكراتٍ كثيرةٍ[6] ارْتَكَبها، فأمَر السلطانُ عندَ ذلك باعْتِقالِه وحَبْسِه ثم باغْتِيالِه، وكان آخرَ العهدِ به.

---

(١) هو الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكتانى الشاعر. انظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.
(٢) سكرناه: سكر النهر ونحوه: سده وحبسه. الوسيط (س ك ر).
(٣ - ٣) فى المصدرين السابقين: «بالقوى والقوائم». وانظر فوات الوفيات ١/ ٢٣٩.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل. والبيتان للموفق عبد الله بن عمر الأنصارى، وهما فى المصادر السابقة.
(٥) فى الأصل: «الغل».
(٦ - ٦) سقط من: م.

وفى ذى القَعْدةِ سلَّمَت الإسْماعيليةُ ما كان بقِى بأيديهم مِن الحصونِ ، [1]وهى الكَهْفُ والقَدَمُوسُ والمِيْنَقةُ[2][1] ، وعُوِّضوا عن ذلك بإقْطاعاتٍ ، ولم يَبْقَ بالشامِ شىءٌ لهم مِن القِلاعِ ، واسْتَناب السلطانُ فيها .

وفيها أمَر السلطانُ بعِمارةِ جُسُورةٍ فى السَّواحلِ ، وغرِم عليها مالًا كثيرًا ، وحصَل للناسِ بذلك رِفْقٌ كبيرٌ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ تاجُ الدينِ [3]أبو الفضلِ[3] يحيى بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حمزةَ بنِ علىِّ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ الحُبُوبىِّ[4] الثَّعْلبىُّ[5] الدمشقىُّ ، كان مِن أعْيانِ أهلِ دمشقَ ، ولِى نظرَ الأيْتامِ والحِسْبةَ ، ثم وِكالةَ بيتِ المالِ ، وسمِع الكثيرَ ، [6]وخرَّج له[6] ابنُ بَلَبانَ مَشْيَخةً قرَأها عليه الشيخُ شرفُ الدينِ الفَزارىُّ[7] بالجامعِ ، فسمِعها جَماعةٌ مِن الأعْيانِ والفُضلاءِ ، رحِمه اللَّهُ .

الخطيبُ فخرُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الغَنِىِّ بنِ محمدِ بنِ أبى القاسمِ بنِ محمدِ ابنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانىُّ[8] ، الخطيبُ بها ، وبيتُه مَعروفٌ بالعلمِ والخَطابةِ والرِّياسةِ ، ودُفِن بمَقْبرةِ الصوفيةِ ، وقد قارَب الستين ، رحِمه اللَّهُ تعالى ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « المنطقة » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « المنيقة » . والمثبت من صبح الأعشى ٤/ ١٤٧.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « أبو المظفر » . والمثبت من مصدرى ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦، وعقد الجمان ٢/ ١٠٧.

(٤) فى الأصل ، م : « الحوى » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « المحبوبى » . والمثبت من عقد الجمان ٢/ ١٠٧.

(٥) فى م : « التغلبى » . وانظر المصدرين السابقين .

(٦ - ٦) فى الأصل : « من » . وانظر عقد الجمان .

(٧) فى م : « الغرارى » . وانظر المصدر السابق .

(٨) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢٠١، والسلوك ١/ ٦٠٩ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٠٧.

وقد سمِع الحديثَ مِن جدِّه الخطيبِ فخرِ الدينِ صاحبِ دِيوانِ الخُطَبِ المشهورةِ، تُوُفِّى بخانْقاه القصرِ ظاهرِ دمشقَ.

الشيخُ خَضِرُ بنُ أبى بكرٍ المِهْرانىُّ العَدَوىُّ[1]، شيخُ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ، كان حَظِيًّا عندَه مُكَرَّمًا لديه، له عندَه المكانةُ الرَّفيعةُ، كان السلطانُ يَنْزِلُ بنفسِه إلى زوايتِه التى بناها له فى الحُسَيْنِيةِ فى كلِّ أسبوعٍ مرةً أو مرتين، وبنَى له عندَها جامعًا يَخْطُبُ فيه للجمعةِ، وكان يُعْطيه مالًا كثيرًا، ويُطْلِقُ له ما أراد، ووقَف [١٠/٧٩ظ] على زاويتِه شيئًا كثيرًا جدًّا، وكان مُعَظَّمًا عندَ الخاصِّ والعامِّ بسببِ حُبِّ السلطانِ وتَعْظيمِه له، وكان يُمازِحُه إذا جلَس عندَه، وكان فيه خيرٌ ودينٌ وصلاحٌ، وقد كاشَف السلطانَ بأشياءَ كثيرةٍ، وقد دخَل مرةً كَنيسةَ القُمامةِ بالمقدسِ، فذبَح قِسِّيسَها بيدِه، ووهَب ما فيها لأصحابِه، وكذلك فعَل بالكنيسةِ التى بالإسْكندريةِ، وهى مِن أعظمِ كَنائسِهم، نهَبها وحوَّلها مسجدًا ومدرسةً أنفق عليها أموالًا كثيرةً مِن بيتِ المالِ، وسمَّاها المدرسةَ الخَضْراءَ، وكذلك فعَل بكنيسةِ اليهودِ بدمشقَ، دخَلها ونهَب ما فيها مِن الآلاتِ والأمْتِعةِ، ومدَّ فيها سِماطًا، واتَّخَذَها مسجدًا مدةً، ثم سعَوْا إليه فى ردِّها إليهم وإبْقائِها عليهم، ثم اتَّفَق فى هذه السنةِ أنه وقَعَت منه أشياءُ أُنْكِرَت عليه، وحُوقِق عليها عندَ السلطانِ الملكِ الظاهرِ، فظهَر له منه ما أوْجَب سَجْنَه، ثم أمَر بإعْدامِه وهَلاكِه، وكانت وفاتُه فى هذه السنةِ، ودُفِن بزاويتِه، سامَحه اللَّهُ، وقد كان السلطانُ يُحِبُّه مَحبةً عظيمةً حتى إنه سمَّى بعضَ أولادِه خَضِرًا موافقةً لاسمِه، وإليه تُنْسَبُ القُبَّةُ التى على الجبلِ غربىَّ الرَّبْوةِ التى يقالُ لها: قبةُ الشيخِ خَضِرٍ.

---

(١) كذا ذكره المصنف فى وفيات هذه السنة، كما سيورده فى وفيات سنة ست وسبعين وستمائة وهو الذى رجحه المصنف نفسه هناك والمؤرخون كما فى مصادر ترجمته، انظر ما سيأتى صفحة ٥٣٨.

مُصَنِّفُ « التَّعْجِيزِ » العَلَّامةُ تاجُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ محمدِ [1] بنِ محمدِ [1] ابنِ يونُسَ [2] بنِ محمدِ بنِ سعدِ بنِ مالكٍ ، أبو القاسمِ الموصليُّ ، مِن بيتِ الفقهِ والرِّياسةِ والتَّدْريسِ ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع واشْتَغَل وحصَّل وصنَّف ، واخْتَصَر « الوَجيزَ » فى كتابِه « التَّعْجيزِ » ، واخْتَصَر « المَحْصولَ » ، وله طريقةٌ فى الخلافِ أخَذَها عن رُكْنِ الدينِ الطاوسيِّ ، وكان جدُّه عِمادُ الدينِ بنُ يونُسَ شيخَ المذهبِ فى وقتِه ، كما تقَدَّم .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٣، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٩١، ومرآة الجنان ٤/ ١٧١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٩١، وعقد الجمان ٢/ ١٠٨.

(٢) فى الأصل : « يوسف » .

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وسبعين وستّمائةٍ[1]

فى صفَرٍ منها قدِم الملكُ الظاهرُ إلى دمشقَ ، وقد بلَغه أن أَبْغَا وصَل إلى بغدادَ ، فتصَيَّد بتلك الناحيةِ ، فأرْسَل إلى العَساكرِ المصريةِ أن يَتَأَهَّبوا للحُضورِ ، واسْتَعَدَّ السلطانُ لذلك .

وفى جُمادَى الآخِرةِ أحْضَر ملكَ الكُرْجِ إلى بينِ يديه بدمشقَ ، وكان قد جاء مُتَنَكِّرًا لزيارةِ بيتِ المَقْدِسِ ، فظُهِر عليه ، فحُمِل إلى بينِ يديه ، فسجَنه بالقلعةِ .

وفيها كمَل بناءُ جامعِ دَيْرِ الطِّينِ ظاهرَ القاهرةِ ، وصُلِّىَ فيه الجمعةَ .

وفيها سار السلطانُ إلى القاهرةِ ، فدخَلها فى سابعِ رجبٍ .

وفى أواخِرِ رمضانَ دخَل الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ إلى دمشقَ فى طائفةٍ مِن الجيشِ ، فأقام بها شهرًا ثم عاد .

وفى يومِ عيدِ الفطرِ ختَن السلطانُ ولدَه خَضِرًا الذى سمَّاه باسمِ شيخِه ، وخُتِن معه جماعةٌ مِن أولادِ الأُمراءِ ، وكان وقتًا هائلًا .

وفيها فوَّض ملكُ التَّتارِ إلى عَلاءِ الدينِ صاحبِ الديوانِ ببغدادَ النظرَ فى أمرِ تُسْتَرَ وأعمالِها ، فسار إليها ليَتَصَفَّحَ أحوالَها ، فوجَد بها شابًّا مِن أبناءِ التُّجارِ يقالُ له : لى[2] . قد قرَأ القرآنَ وشيئًا مِن الفقهِ و « الإشاراتِ » لابنِ سِينا ، ونظَر فى

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠- ٣٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢٠٣- ٢١٧، وعقد الجمان ٢/ ١١٢- ١٢٠.

(٢) فى عقد الجمان : « كى » .

النجومِ ، ثم ادَّعى أنه عيسى ابنُ مريمَ ، وصدَّقه على ذلك جماعةٌ مِن جَهَلةِ تلك الناحيةِ ، وقد أسْقَط لهم مَن الفَرائضِ صلاةَ العصرِ وعِشاءَ الآخِرةِ ، فاسْتَحْضَره وسأَله عن ذلك ، فرآه ذَكيًّا ، إنما يَفْعَلُ ذلك عن قصدٍ ، فأمَر به ، فقُتِل [١٠/٨٠و] بينَ يديه ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، وأمَر العَوامَّ فنهَبوا أتباعَه[1] .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

مُؤَيِّدُ الدينِ أبو المَعالى الصدرُ الرئيسُ أسعدُ بنُ أبى غالبٍ المُظَفَّرِ[2] الوزيرِ مَؤَيِّدِ الدينِ أسعدَ بنِ حمزةَ بنِ أسعدَ بنِ علىِّ بنِ محمدٍ التَّميمىُّ بنُ القَلَانِسىِّ ، جاوَز التسعين ، وكان رئيسًا كبيرًا واسعَ النِّعْمةِ ، لا يُباشِرَ شيئًا مِن الوَظائفِ ، وقد ألْزَموه بعدَ ابنِ سُوَيْدٍ بمُباشَرةِ مَصالحِ السلطانِ ، فباشَرها بلا جامَكِيَّةٍ ، وكانت وفاتُه ببُسْتانِه ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ يومَ الثلاثاءِ ثالثَ عشَرَ المحرمِ . والدُ الصدرِ عزِّ الدينِ حمزةَ رئيسُ البلدَيْن دمشقَ والقاهرةِ ، وجدُّهم مُؤَيِّدُ الدينِ أسعدُ بنُ حمزةَ الكبيرُ ، كان وزيرًا للملكِ الأفضلِ علىِّ بنِ الناصرِ فاتحِ القدسِ ، كان رئيسًا فاضلًا ، له كتابُ « الوَصِية فى الأخلاقِ المَرْضِيَّةِ » وغيرُ ذلك ، وكانت له يدٌ جيدةٌ فى النَّظْمِ ، فمِن ذلك قولُه :

يا ربِّ جُدْ لى إذا ما ضمَّنى جَدَثى ... برحمةٍ منك تُنْجِينى مِن النارِ
أحْسِنْ جِوارِى إذا أمْسَيْتُ جارَك فى ... لَحْدِى فإنك قد أوْصَيْتَ بالجارِ

---

(١) فى م : « أمتعته وأمتعة العوام ممن كان اتبعه » .

(٢) فى الأصل ، م : « المظفرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٤، والعبر ٥/ ٢٩٧، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٩، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٤١.

وأمَّا والدُه حمزةُ بنُ أسْعَدَ بنِ عليٍّ بنِ محمدٍ التَّميمىِّ فهو العَميدُ، وكان يَكْتُبُ جيدًا، وصنَّف تاريخًا فيما بعدَ سنةِ أربعين وأربعِمائةٍ إلى سنةِ وفاتِه فى خمسٍ وخمسين وخمسِمائةٍ.

الأميرُ الكبيرُ فارسُ الدينِ أَقْطاى المُسْتَعْرِبُ[1]، أَتابَك العساكرِ المصريةِ، كان أولًا مَمْلوكًا لابنِ يُمْنٍ، ثم صار مملوكًا للصالحِ أيوبَ فأمَّره، ثم عظُم شأنُه فى دولةِ المُظَفَّرِ، وصار أَتابَكَ العَساكرِ، فلما قُتِل امْتَدَّت أطْماعُ أكابرِ الأمراءِ إلى المَمْلكةِ، فبايَع أَقْطاى الملكَ الظاهرَ، فتبِعه الجيشُ على ذلك، وكان الظاهرُ يَعْرِفُها له ولا يَنْساها، ثم قبلَ وفاتِه بقليلٍ انْهَضَم عندَ الظاهرِ، ومات فى هذه السنةِ بالقاهرةِ.

الشيخُ عبدُ اللَّهِ بنُ غانمِ بنِ عليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ عَساكرَ بنِ الحسينِ المَقْدسىُّ[2]، له زاويةٌ بنابُلُسَ، وله أشعارٌ رائقةٌ، وكلامٌ قوىٌّ فى علمِ التَّصَوُّفِ، وقد طوَّل اليُونِينىُّ ترجمتَه، وأوْرَد مِن أشعارِه شيئًا كثيرًا.

قاضى القُضاةِ كَمالُ الدينِ أبو الفتحِ عمرُ بنُ بُنْدارِ بنِ عمرَ بنِ علىٍّ التَّفْلِيسىُّ الشافعىُّ[3]، وُلِد بتَفْلِيسَ سنةَ إحدى وستِّمائةٍ، وكان فاضلًا أصوليًّا مُناظِرًا، ولِى نيابةَ الحكمِ مدةً، ثم اسْتَقَلَّ بالقَضاءِ فى دولةِ هَلاوُون، وكان عَفيفا نَزِهًا، لم يَزْدَدْ[4] مَنْصِبًا ولا تَدْرِيسًا مع كثرةِ عِيالِه وقلةِ مالِه، ولما انْقَضَت أيامُهم

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٦، وفيه أن وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة، والعبر ٥/ ٢٩٧، ودول الإسلام ٢/ ١٧٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٣١٨ ومرآة الجنان ٤/ ١٧٢، وعقد الجمان ٢/ ١٢٨.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٥١، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٩٨، وعقد الجمان ٢/ ١٢٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٦٤، والعبر ٥/ ٢٩٨، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٤٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٩، وعقد الجمان ٢/ ١٢٢.

(٤) فى م: «يرد».

تغَضَّب عليه بعضُ الناسِ ، ثم أُلْزِم بالمَسيرِ إلى القاهرةِ ، فأقام بها يُفِيدُ الناسَ ، إلى أن تُوُفِّى فى ربيعِ الأولِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالقَرافةِ الصُّغرى[1] .

إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ شاكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ التَّنوخىُّ[2] ، وتَنُوخُ مِن قُضاعةَ ، كان صَدْرًا كبيرًا ، وكتَب الإنْشاءَ للناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ ، وتوَلَّى نظرَ المارَسْتانِ النُّورِىِّ وغيرِه ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ ، وقد أثْنَى عليه غيرُ واحدٍ ، وقد جاوَز الثمانين ، ومِن شعرِه قولُه :

خـاب رَجـاءُ امْـرِئٍ لـه أمـلٌ ... بغيرِ ربِّ السماءِ قد وصَلَهْ
أيَـبْـتَـغِـى غـيـرَه أخـو ثـقـةٍ ... وهْو ببطنِ الأحْشاءِ قد كفَلَهْ

وله أيضًا :

خَرِس اللسانُ وكَلَّ عن أوصافِكمْ ... مـاذا يـقـولُ وأنـتـمُ مـا أنـتـمُ
الأمرُ أعـظـمُ مـن مَـقـالـةِ قـائـلٍ ... قد تاه عقلًا أن يُعَبِّرَ عنكمُ
[١٠/٨٠ظ] العجزُ والتَّقْصيرُ وَصْفى دائمًا ... والبِرُّ والإحْسانُ يُعْرَفُ منكمُ

الشيخُ جَمالُ الدينِ بنُ مالكٍ : محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ[3] **عبدِ اللهِ بنِ**[3] **مالكٍ**

---

(١) بعده فى حاشية الأصل : « الشيخ صدر الدين القنوى ، وله تصانيف عديدة ؛ من جملتها مفتاح الغيث وشرح الأسماء وشرح سورة الفاتحة ، وكان عالما تقيا عظيم الشأن ، وكان من أبناء الملوك ، ورباه الشيخ محيى الدين ابن العربى ، ودفن فى قونية رحمه الله رحمة واسعة » .

وصدر الدين هذا اسمه محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف . وتوفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وذكره الحافظ الذهبى فى وفياتها فى تذكرة الحفاظ ١٤٩١/٤ وقال : كبير مشايخ الاتحادية . وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات ٢/ ٢٠٠،وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨، والعبر ٥/ ٢٩٩، ودول الإسلام ٢/ ١٧٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٧١، وعقد الجمان ٢/ ١٢٣.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٧٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٤، والعبر ٥/ ٣٠٠، وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٧، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦٧، وعقد الجمان ٢/ ١٣٢، وغاية النهاية ٢/ ١٨٠، وبغية الوعاة ١/ ١٣٠، ونفح الطيب ٢/ ٢٢٢.

أبو عبدِ اللَّهِ الطائىُّ الـجَيَّانىُّ النحوىُّ، صاحبُ التَّصانِيفِ المشهورةِ المُفيدةِ؛ منها «الكافيةُ الشافيةُ» و«شرحُها»، و«التَّسْهيلُ» و«شرحُه»، و«الألفيةُ» التى شرَحها ولدُه بدرُ الدينِ شرحًا مفيدًا. وُلِد بجيَّانَ سنةَ ستِّمائةٍ، وأقام بحلبَ مدةً، ثم بدمشقَ، وكان كثيرَ الاجْتماعِ بابنِ خَلِّكانَ، وأثْنَى عليه غيرُ واحدٍ، وروَى عنه القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ، وأجاز لشيخِنا عَلَمِ الدينِ البِرْزالىِّ، تُوُفِّى ابنُ مالكٍ بدمشقَ ليلةَ الأربعاءِ ثانى عشَرَ رمضانَ، ودُفِن بتُرْبةِ القاضى عِزِّ الدينِ بنِ الصائغِ بقاسِيونَ.

النَّصِيرُ الطُّوسىُّ: محمدُ بنُ (١محمد بنِ الحسنِ أبو١) عبدِ اللَّهِ الطُّوسىُّ، كان يقالُ له: المولى نَصِيرُ الدينِ. ويقالُ: الخَواجَا نَصِيرُ الدينِ. اشْتَغَل فى شَبِيبتِه، وحصَّل علمَ الأوائلِ جيدًا، وصنَّف فى ذلك فى علمِ الكلامِ، وشرَح «الإشاراتِ» لابنِ سِينا، ووزَر لأصحابِ قِلاعِ الأَلَموتِ مِن الإسْماعيليةِ، ثم وزَر لهولاكُو، وكان معه فى واقعةِ بغدادَ، ومِن الناسِ مَن يَزْعُمُ أنه أشار على هُولَاكُو بأن يَقْتُلَ الخليفةَ، فاللَّهُ أعلمُ، وعندى أن هذا لا يَصْدُرُ مِن فاضلٍ ولا عاقلٍ. وقد ذكَره بعضُ البَغادِدةِ، فأثْنَى عليه وقال: كان عاقلًا فاضلًا، كريمَ الأخْلاقِ. ودُفِن فى مشهدِ موسى بنِ جعفرٍ، فى سِرْدابٍ كان قد أُعِدَّ للخليفةِ الناصرِ لدينِ اللَّهِ، وهو الذى كان قد بنَى الرَّصَدَ بمَراغةَ، ورتَّب فيه الحُكماءَ مِن الفَلاسفةِ والمُتَكَلِّمين والفُقهاءِ والمُحَدِّثين والأطِباءِ وغيرِهم مِن أنواعِ الفُضلاءِ، وبنَى له فيه قبةً عظيمةً، وجعَل فيه كتبًا كثيرةً جدًّا، تُوُفِّى ببغدادَ فى ثانى عشَرَ ذى الحِجَّةِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٧٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٨، والعبر ٥/ ٣٠٠، وفوات الوفيات ٣/ ٢٤٦، والوافى بالوفيات ١/ ١٧٩، وعقد الجمان ٢/ ١٢٤، وروضات الجنات ٦/ ٣٠٠.

مِن هذه السنةِ ، وله خمسٌ وسبعون سنةً ، وله شعرٌ جيدٌ قويٌّ ، وأصلُ اشْتِغالِه على المُعينِ سالمِ بنِ بدرانَ[1] بنِ عليٍّ المصريِّ المُعْتَزِليِّ المُتَشَيِّعِ ، فنزَع فيه عروقٌ كثيرةٌ منه ، حتى فَسَد اعْتِقادُه .

الشيخُ مُسَلَّمٌ[2] البَرْقيُّ البدَويُّ ، صاحبُ الرِّباطِ بالقَرافةِ الصغرى ، كان صالحًا مُتَعَبِّدًا يُقْصَدُ للزِّيارةِ والتَّبَرُّكِ بدعائِه ، وله اليومَ أصحابٌ مَعْروفون على طريقِه .

---

(١) فى الأصل ، م : « بدار » ، وفى عقد الجمان : « بدر » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) فى الأصل ، م : « سالم » . والمثبت من مصدرى ترجمته : الذيل على مرآة الزمان ٣/ ١٠٣، وعقد الجمان ٢/١٣٦ - وجاءت وفاته فيهما سنة ثلاث وسبعين وستمائة - وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٢٨٥.

ثُمَّ دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

فيها اطَّلَع السلطانُ على ثلاثةَ عشَرَ أميرًا من المصريين، منهم قجقارُ الحَمَوىُّ، وقد كانو كاتَبوا التَّتَرَ يَدْعُونهم إلى بلادِ المسلمين، وأنهم معهم على السلطانِ، فأُخِذوا فأَقَرُّوا بذلك، وجاءت كتبُهم مع البَرِيديةِ فكان آخرَ العهدِ بهم.

وفيها أَقْبَل السلطانُ بالعساكرِ، فدخَل بلادَ سِيسَ [2]من ناحيةِ الدَّرْبَنْداتِ[3]، فملكَها وملَك إياسَ والمِصِّيصةَ وأَذَنَةَ، وكان دخولُه إلى سِيسَ[2] يومَ الاثنينِ الحادى والعشرين مِن رمضانَ، فقتَلوا خلقًا لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ، وغنِموا شيئًا كثيرًا مِن الأبقارِ والأغْنامِ والأثْقالِ والدوابِّ والأنعامِ، فأُبِيع بأرخصِ ثمنٍ، ثم عاد فدخَل دمشقَ مُؤَيَّدًا منصورًا فى شهرِ ذى الحِجَّةِ، فأقام بها حتى انقَضَتِ السنةُ.

وفيها ثار على أهلِ الموصلِ رَمْلٌ حتى عمَّ الأُفُقَ، وخرَجوا مِن دُورِهم يَبْتَهِلون إلى اللَّهِ حتى كشَف ذلك عنهم. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٨٤ - ١١٠، ونهاية الأرب ٣٠/٢١٥ - ٢١٧، وكنز الدرر ٨/١٧٦ - ١٨٢، وعقد الجمان ٢/١٣٠ - ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٥ - ٢٤٨.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) الدربندات: باب الأبواب. معجم البلدان ٢/ ٥٦٤.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

ابنُ عَطاءٍ الحَنَفىُّ[1] : قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ الشيخِ شرفِ الدينِ محمدِ بنِ عَطاءِ بنِ حسنِ بنِ [٨١/١٠و] عَطاءِ بنِ جُبَيْرِ بنِ جابرِ بنِ وُهَيْبٍ الأَذْرَعىُّ الحنفىُّ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، سمِع الحديثَ وتفَقَّه على مذهبِ أبى حنيفةَ ، وناب فى الحكمِ عن الشافعىِّ مدةً ، ثم اسْتَقَلَّ بقَضاءِ الحنفيةِ أولَ ما وَلِيَتْ القُضاةُ مِن المذاهبِ الأربعةِ ، ولما وقَعَت الحَوْطةُ على أمْلاكِ الناسِ أراد السلطانُ منه أن يَحْكُمَ بها بمُقْتَضَى مذهبِه ، فغضِب مِن ذلك وقال : هذه أمْلاكٌ بأيدى أربابِها ، وما يَحِلُّ لمسلمٍ أن يَتَعَرَّضَ لها . ثم نهَض مِن المجلسِ فذهَب ، فغضِب السلطانُ مِن ذلك غضبًا شديدًا ، ثم سكَن غضبُه ، فكان يُثْنِى عليه بعدَ ذلك ويَمْدَحُه ، ويقولُ : لا تُثْبِتوا [2]كتابًا إلا عندَه[2] . كان ابنُ عَطاءٍ مِن العلماءِ الأخْيارِ ، كثيرَ التَّواضُعِ ، قليلَ الرغبةِ فى الدنيا ، روَى عنه ابنُ جَماعةَ ، وأجاز للبِرْزالىِّ . تُوُفِّى يومَ الجمعةِ تاسعَ جُمادَى الأولى ، ودُفِن بالقربِ مِن المُعَظَّمِيةِ بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

بِيمُنْدُ بنُ بِيمُنْدَ بنِ بِيمُنْدَ[3] ، إرِّيسُ[4] طرابُلُسَ الفِرِنْجىُّ ، كان جدُّه نائبًا لبنتِ صنجلَ[5] الذى تمَلَّك طَرابُلُسَ مِن ابنِ عَمَّارٍ فى حدودِ الخمسِمائةِ ، وكانت

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٦، والعبر ٥/ ٣٠١، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٣، والجواهر المضية ٢/ ٣٣٦، والسلوك ١/ ٦١٩ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ١٣٥.

(٢ - ٢) فى م : « كتبا إلا عنه » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٢، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٨، وعقد الجمان ٢/ ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٦، والمنهل الصافى ٣/ ٥١٥.

(٤) فى م : « ابرنس » . والإريس : الأمير . تاج العروس (أ ر س) .

(٥) فى الأصل ، م : « صيحل » . والمثبت من مصادر ترجمته .

يَتيمةً تَسْكُنُ بعضَ جَزائرِ البحرِ ، فتغَلَّب هذا على البلدِ لبُعدِها عنه ، ثم اسْتَقَلَّ بها ولدُه ، ثم حفيدُه هذا ، وكان شَكِلًا مَليحًا . قال قُطْبُ الدينِ اليُونِينيُّ[1] : رأيْتُه ببَعْلَبَكَّ فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وستِّمائةٍ حينَ جاء مُسَلِّمًا على كتبُغَا نُوين ، ورام أن يَطْلُبَ منه بَعْلَبَكَّ ، فشق ذلك على المسلمين . ولما تُوُفِّى دُفِن فى كَنيسةِ طَرابُلُسَ ، ولما فتَحها المسلمون فى سنةِ ثمانٍ وثمانين وستِّمائةٍ نبَش الناسُ قبرَه ، وأخْرَجوه منه ، وألْقَوْا عِظامَه على المَزابلِ للكِلابِ .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٢.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

لما كان يومُ الخميسِ ثامنَ جُمادَى الآخرةِ[2] نزَل التتارُ على البِيرَةِ فى ثلاثين ألفَ مُقاتِلٍ؛ خمسةَ عشَرَ ألفًا مِن المَغُولِ، وخمسةَ عشَرَ ألفًا مِن الرومِ، والمُقَدَّمُ على الجميعِ البَرْوَاناه، بأمْرِ أَبْغَا ملكِ التَّترِ، ومعهم جيشُ المَوْصلِ وجيشُ مارِدِينَ والأكْرادُ، ونصَبوا عليها ثلاثةً وعشرين مَنْجَنِيقًا، فخرَج أهلُ البِيرَةِ فى الليلِ، فكبَسوا[3] عسكرَ التَّتارِ، وأحْرَقوا المَنْجَنِيقاتِ، ونهَبوا شيئًا كثيرًا، ورجَعوا إلى بيوتِهم سالمين، فأقام عليها الجيشُ مدةً إلى تاسعَ عشَرَ الشهرِ المذكورِ، ثم رجَعوا عنها بغَيْظِهم لم يَنالُوا خيرًا، وكفَى اللَّهُ المؤمنين القِتالَ، وكان اللَّهُ قويًّا عَزيزًا. ولما بلَغ السلطانَ نُزولُ التترِ على البِيرَةِ أنْفَق فى الجيشِ ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ، ثم ركِب سريعًا وفى صحبتِه ولدُه السعيدُ، فلما كان فى أثناءِ الطريقِ بلَغه رَحيلُ التَّترِ عنها، فعاد إلى دمشقَ، ثم ركِب فى رجبٍ إلى القاهرةِ، فدخَلها فى ثامنَ عشَرَ، فوجَد بها خمسةً وعشرين رسولًا مِن جهةِ مُلوكِ الأرضِ يَنْتَظِرونه، فتلَقَّوه وحدَّثوه وقبَّلوا الأرضَ بينَ يديه، [4]ودخَل القلعةَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ[4].

ولما عاد البَرْوَاناه إلى بلادِ الرومِ حلَّف الأمراءَ الكبارَ؛ منهم شرفُ الدينِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١١١/٣ - ١٢٥، ونهاية الأرب ٢١٩/٣٠ - ٢٣١، وكنز الدرر ١٨٢/٨ - ١٨٧، وعقد الجمان ١٣٩/٢ - ١٥٠، والسلوك ٦١٩/١ - ٦٢٥ (القسم الثانى).

(٢) فى م: «الأولى».

(٣) فى الأصل: «فكسروا».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

مسعودٌ وضِياءُ الدينِ محمُودٌ ابنا الخَطِيرِ، وأمينُ الدينِ مِيكائِيلُ، وحُسامُ الدينِ بيجارُ[1]، وولدُه بَهاءُ الدينِ، على أن يَكُونوا مِن جهةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ، ويُنابِذوا أَبْغَا، فحلَفوا له على ذلك، وكتَب إلى الظاهرِ بذلك، وأن يُرْسِلَ إليه جيشًا، ويَحْمِلَ له ما كان يَحْمِلُه إلى التَّتارِ، ويَكونَ غِياثُ الدينِ كَيْخُسْرو على ما هو عليه، يَجْلِسُ على تَخْتِ مَمْلكةِ الرومِ.

وفى هذه السنةِ اسْتَسْقَى أهلُ بغدادَ ثلاثةَ أيامٍ وِلاءً فلم يُسْقَوْا.

[١٠/٨١ظ] وفيها فى رمضانَ منها وُجِد رجلٌ وامرأةٌ فى نَهارِ رمضانَ على فاحشةِ الزِّنَى، فأمَر عَلاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ برجْمِهما فرُجِما، ولم يُرْجَمْ ببغدادَ قبلَهما قطُّ أحدٌ منذُ بُنِيَت. وهذا غريبٌ جدًّا.

وفيها اسْتَسْقَى أهلُ دمشقَ أيضًا مرتين؛ فى أواخِرِ رجبٍ وأوائلِ شعبانَ - وكان ذلك فى آواخرِ كانونَ الثانى - فلم يُسْقَوْا أيضًا.

وفيها أرْسَل السلطانُ جيشًا إلى دُنْقُلةَ، فكسَر جيشَ السُّودانِ، وقتَلوا منهم خلقًا، وأسَروا شيئًا كثيرًا مِن السُّودانِ، بحيث أُبِيعَ الرَّقيقُ الرأسُ بثلاثةِ دراهمَ، وهرَب ملِكُهم داودُ إلى صاحبِ النُّوبةِ، فأرْسَله إلى الملكِ الظاهرِ مُحْتاطًا عليه، وقرَّر الملكُ الظاهرُ على أهلِ دُنْقُلةَ جِزْيةً تُحْمَلُ إليه فى كلِّ سنةٍ. كلُّ ذلك كان فى شعبانَ مِن هذه السنةِ.

وفيها عُقِد عَقْدُ الملكِ السعيدِ بنِ الظاهرِ، على بنتِ الأميرِ سيفِ الدينِ

---

(١) فى الأصل: «منجار»، وفى م: «ميجار». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٠.

قَلَاوُون الأَلْفىِّ ، فى الإيوانِ بحَضْرةِ السلطانِ والدولةِ على صَداقٍ خمسةِ آلافِ دينارٍ ، يُعَجَّلُ منها ألفا دينارٍ ، وكان الذى كتَبه وقرَأه مُحْيى الدينِ بنُ عبدِ الظاهرِ ، فأُعْطِى مائةَ دينارٍ ، وخُلِع عليه . ثم ركِب السلطانُ مُسْرِعًا ، فوصَل إلى حصنِ الكَرَكِ ، فجمَع القَيْمُرِيةَ الذين به فإذا هم ستُّمائةِ نفرٍ ، فأمَر بشَنْقِهم ، فشُفِع فيهم عندَه ، فأطْلَقهم وأجْلاهم منه إلى مصرَ ، وكان قد بلَغه عنهم أنهم يُرِيدُون قتلَ مَن فيه ، ويُقِيمُوا مَلِكًا عليهم ، وسلَّم الحصنَ إلى الطَّواشِى شمسِ الدينِ رِضْوانَ السُّهَيْلىِّ ، ثم عاد فى بقيةِ الشهرِ إلى دمشقَ ، فدخَلها يومَ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ الشهرِ .

وفيها كانت زَلْزلةٌ بأَخْلاطَ[1] ، واتَّصَلَت ببلادِ بكرٍ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الإمامُ الأديبُ العَلَّامةُ تاجُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ عابدِ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ التَّميمىُّ الصَّرْخَدىُّ الحَنَفىُّ[2] ، كان مَشْهورًا بالفقهِ والأدبِ ، والعِفَّةِ والصَّلاحِ ، ونَزاهةِ النفسِ ومَكارمِ الأخلاقِ . وُلِد سنةَ ثمانٍ وسبعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الحديثَ وروَى ، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيةِ فى ربيعٍ الآخِرِ منها ، وله ستٌّ وتسعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الإمـــامُ عِمادُ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القادرِ بنِ

---

(١) قال صاحب تاج العروس : خلاط : بلد بأرمينية مشهور . قال : ولا تقل : أخلاط ، بالألف كما هو على لسان العامة . تاج العروس (خ ل ط) .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٥٤، والعبر ٥/ ٣٠٢، وفوات الوفيات ٤/ ١٢١، والجواهر المضية ٣/ ٤٤١، والسلوك ١/ ٦٢٤ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٨.

(١ **ابنِ عبدِ الخالقِ** ١) **بنِ خَليلِ بنِ مَقْلَدٍ الأنصاريُّ الدمشقيُّ**، المَعْروفُ بابنِ الصائغِ، كان مُدَرِّسًا بالعَذْراويةِ وشاهدًا بالخِزانةِ بالقلعةِ، يَعْرِفُ الحسابَ جيدًا، وله سَماعٌ ورِوايةٌ، ودُفِن بقاسِيونَ.

ابنُ الساعى المُؤَرِّخُ(٢) **: تاجُ الدينِ بنُ المُحْتَسِبِ المَعْروفُ بابنِ الساعى البَغْدادىُّ**، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وتسعين، وسمِع الحديثَ، واعْتَنَى بالتاريخِ، وجمَع وصنَّف، ولم يَكُنْ بالحافظِ ولا الضابطِ المُتْقِنِ. وقد أوْصَى إليه ابنُ النَّجَّارِ حينَ تُوُفِّى، وله تاريخٌ كبيرٌ عندى أكثرُه، ومُصَنَّفاتٌ أُخَرُ مُفيدةٌ، وآخِرُ ما صنَّف كتابٌ فى الزُّهّادِ، كتَب فى حاشيتِه زَكِىُّ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ حَبيبٍ الكاتبُ:

ما زال تاجُ الدينِ طولَ المدى ... من عمرِهِ يُعْنِقُ(٣) فى السيرِ
فى طلبِ العلمِ وتدوينِه ... وفعلُه نفعٌ بلا ضيرِ
عَلا علىٌّ بتصانيفِه ... وهذه خاتمةُ الخيرِ

(١ - ١) فى الأصل، م، ومصادر ترجمته: عقد الجمان ٢/ ١٥١، والمنهل الصافى ٧/ ٣٠٢، والدارس ١/ ٣٧٦: «عبد الله». والمثبت مما سيأتى فى ترجمة أبيه فى صفحة ٥٩٤ ضمن وفيات سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٩، وعقد الجمان ٢/ ١٥٢، والدليل الشافى ١/ ٤٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٣، وتاريخ علماء المستنصرية ص ٣٣٧.

(٣) يعنق: يسرع. الوسيط (ع ن ق).

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

فى [2]ثالثَ عشَرَ المُحرمِ[2] منها دخَل السلطانُ إلى دمشقَ، وسبَق العَساكرَ إلى بلادِ حلبَ، فلما توافَت إليه أرْسَل بينَ يديه الأميرَ بدرَ الدينِ الأتابَكيَّ بألفِ فارسٍ إلى البُلُسْتَيْن[3]، فصادَف بها [١٠/٨٢و] جَماعةً مِن عسكرِ الرومِ، فركِبوا إليه وحمَلوا إليه الإقاماتِ، وطلَب جماعةٌ منهم أن يَدْخُلوا بلادَ الإسلامِ، فأذِن لهم، فدخَل طائفةٌ؛ منهم بيجارُ[4] وابنُ الخَطِيرِ، فرسَم لهم أن يَدْخُلوا القاهرةَ، فتلَقَّاهم الملِكُ السعيدُ، ثم عاد السلطانُ مِن حلبَ إلى القاهرةِ، فدخَلَها فى [5]ثانى عشَرَ رَبيعِ الآخِرِ[5].

وفى خامسِ جُمادَى الأولى عمِل السلطانُ عُرْسَ ولدِه الملكِ السعيدِ على بنتِ قَلَاوُون، واحْتَفَل السلطانُ به احْتِفالًا عظيمًا، وركِب الجيشُ فى المَيْدانِ خمسةَ أيامٍ يَلْعَبون ويَتَطارَدون، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعضٍ، ثم خُلِع على

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/١٦٤ - ١٨٧، ونهاية الأرب ٣٠/٢٣٣ - ٢٣٥، وكنز الدرر ٨/١٨٧ - ٢٠٧، والعبر ٥/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٦٥، ١٦٦: «أواخر المحرم»، وفى نهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٤: «رابع عشر المحرم».

(٣) فى معجم البلدان ١/ ٩٣: «أَبُلُسْتَيْن»، وهى مدينة ببلاد الروم قريبة من أبْسُس مدينة أصحاب الكهف.

(٤) فى الأصل: «نبجار»، وفى نهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٣: «بَيَنْجَار». وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٦٦.

(٥ - ٥) فى نهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٥: «رابع عشر ربيع الأول».

الأمراءِ وأربابِ المَناصبِ ، وكان مَبْلَغُ ما خُلِع ألفًا وثلاثَمائةِ خِلْعةٍ بمصرَ ، وجاءت مَراسِيمُه إلى الشامِ بالخِلَعِ على أهلِها ، ومدَّ السلطانُ سِماطًا عظيمًا حضَرَه الخاصُّ والعامُّ ، والشارِدُ والواردُ ، وجلَس فيه رسلُ التَّتارِ ورسلُ الفِرِنْجِ ، وعليهم كلِّهم الخِلَعُ الهائلةُ ، وكان وقتًا مشهودًا ، وحمَل صاحبُ حَماةَ هدايا عظيمةً ، وركِب إلى مصرَ للتهنئةِ .

وفى حادى عشَرَ شوالٍ طِيف بالمَحْمِلِ وبكُسْوةِ الكعبةِ المُشَرَّفةِ بالقاهرةِ ، وكان يومًا مشهودًا .

وَقْعةُ البُلُسْتَين وفَتْحُ قَيْسارِيَّةَ

ركِب السلطانُ مِن مصرَ فى العَساكرِ ، فدخَل دمشقَ فى سابعَ عشَرَ شوالٍ ، فأقام بها ثلاثةَ أيامٍ ، ثم سار حتى دخَل حلبَ فى مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدةِ ، فأقام بها يومًا ، ورسَم لنائبِ حلَبَ أن يُقِيمَ بعَسْكرِ حلبَ على الفُراتِ لحفظِ المَعابرِ ، وسار السلطانُ فقطَع الدَّرْبَنْدَ فى نصفِ يومٍ ، ووقَع سُنْقُرُ الأَشْقَرُ فى أثناءِ الطريقِ بثلاثةِ آلافٍ مِن المَغُولِ ، فهزَمهم يومَ الخميسِ تاسعِ ذى القَعْدةِ ، وصعِد العَسْكرُ الجبالَ ، فأشْرَفُوا على وَطْأَةِ البُلُسْتَيْن ، فرأوا التّتارَ قد رتّبُوا عسكرَهُم وكانوا أحدَ عشَرَ ألفَ مُقاتِلٍ ، وعزَلوا عنْهم عَسْكَرَ الرومِ خوفًا مِن مُخامَرَتِهم ، فلما تراءَى الجَمْعان حمَلت مَيْسَرةُ التَّتارِ ، فصدَمَت سَناجقَ السلطانِ ، ودخَلَت طائفةٌ منهم بينَهم فشقُّوها ، وساقَت إلى المَيْمَنةِ ، فلما رأَى السلطانُ ذلك أرْدَف المسلمين بنفسِه ومَن معه ، ثم لاحَت منه الْتِفاتَةٌ ، فرأَى المَيْسَرةَ قد كادَت أن تَتَحَطَّمَ ، فأمَر

جماعةً مِن الأمراءِ بإرْدافِها ، ثم حمَل بالعَسْكرِ جَمِيعِه حَمْلةً واحدةً على التَّتارِ ، فترجَّلوا إلى الأرضِ عن آخِرِهم ، وقاتَلوا المسلمين قِتالًا شديدًا ، وصبَر المسلمون صبرًا عظيمًا ، فأنْزَل اللَّهُ نصرَه على المسلمين ، فأحاطَت بالتَّتارِ العَساكرُ مِن كلِّ جانبٍ ، وقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وقُتِل مِن المسلمين أيضًا جماعةٌ ، وكان فى جُمْلةِ مَن قُتِل مِن ساداتِ المسلمين الأميرُ الكبيرُ ضِياءُ الدينِ ابنُ الخَطِيرِ ، و[1] سيفُ الدينِ قيماز[1] ، وسيفُ الدينِ قَفْجَقُ[2] الجاشْنَكِير ، وعزُّ الدينِ أَيْبَك الشقِيفىُّ[3] ، وأسِر جَماعةٌ مِن أمراءِ المَغُولِ ومِن أمراءِ الرومِ ، وهرَب البَرْوَاناه ، فنجا بنفسِه ، ودخَل قَيْسارِيَّةَ فى بُكْرةِ الأحدِ ثانى عشَرَ ذى القَعْدةِ ، وأعْلَم أُمراءُ الرومِ مَلِكَهم بكَسْرةِ التَّتارِ على البُلُسْتَيْن ، وأشار عليهم بالهزيمةِ ، فانْهَزَموا منها وأخْلوها ، فدخَلَها الملكُ الظاهرُ ، وصلَّى بها الجمعةَ سابعَ عَشَرَ ذى القَعْدةِ ، وخُطِب له بها ، ثم كرَّ راجعًا مُؤَيَّدًا منصورًا . وسارَت بذلك البَشائرُ إلى البُلْدانِ ، ففرِح المؤمنون يومَئذٍ بنصرِ اللَّهِ تعالى . ولما بلَغ خبرُ هذه الوَقْعةِ أَبْغَا جاء حتى وقَف بنفسِه وجيشِه ، وشاهَد مكانَ المعركةِ [١٠/٨٢ظ] ومَن فيها مِن قَتْلَى المَغُولِ ، فغاظه ذلك وأعْظَمه ، وحنق على البَرْوَاناه إذ لم يُعْلِمْه بجَلِيَّةِ الحالِ ، وكان يَظُنُّ أن أمرَ الملكِ الظاهرِ دونَ هذا كلِّه ، واشْتَدَّ غضبُه على أهلِ قَيْسارِيَّةَ وأهلِ تلك

(١ - ١) فى ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٥٢و وكنز الدرر ٨/ ١٩٩، والعبر ٥/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٩: « شرف الدين قيران العلائى » .

(٢) فى الأصل : « تنجو » . وفى م : « بنجو » . والمثبت من العبر . وانظر عقد الجمان ٢/ ٥٨١، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٩، والسلوك ١/ ٦٢٩ (القسم الثانى) . والجاشنكير : هو الذى يتحدث فى أمر الطعام والمطابخ مع الأستادار . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢١.

(٣) فى الأصل، م : « الثقفى » . وفى ذيل مرآة الزمان : « الشقيقى » . والمثبت من العبر، والنجوم الزاهرة .

الناحيةِ ، فقتَل منهم قريبًا مِن مائتَىْ ألفٍ ، وقيل : قتَل منهم خمسَمائةِ ألفٍ مِن قَيْسارِيَّةَ وأَرْزَنِ الرومِ ، وكان فى جملةِ مَن قُتِل القاضى جلالُ الدينِ حَبيبٌ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ أبو الفضلِ عيسى[1] **بنُ الشيخِ عُبَيْدِ بنِ عبدِ الخالقِ الدِّمشقىُّ** ، ودُفِن بالقربِ مِن الشيخِ رِسلانَ . قال الشيخُ عَلَمُ الدينِ : وكان يَذْكُرُ أن مَوْلدَه كان سنةَ أربعٍ وستين وخمسِمائةٍ .

الطَّواشِى يُمْنٌ الحَبَشىُّ[2] ، شيخُ الخُدّامِ بالحرمِ الشريفِ النبوىِّ ، كان دَيِّنًا عاقلًا عدلًا ، صادقَ اللَّهْجةِ ، مات فى عَشْرِ السبعين ، رحِمه اللَّهُ .

[3]**الشيخُ المُحَدِّثُ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ المَوْصِلىُّ ، ثم الدمشقىُّ الصوفىُّ**[4] ، سمِع الكثيرَ ، وكتَب الكتبَ الكبارَ بخطٍّ رفيعٍ جيدٍ واضحٍ ، جاوَز السبعين[3] ، ودُفِن ببابِ الفَرادِيسِ .

الشاعرُ شِهابُ الدينِ أبو المَكارِمِ محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ مسعودِ بنِ بَرَكةَ بنِ سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ الشَّيْبانىُّ التَّلَّعْفَرِىُّ[5] ، صاحبُ دِيوانِ الشعرِ ، جاوَز الثمانين ،

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى عقد الجمان ٢/ ١٦٩ ، وفيه : « عيسى بن عبد الله » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣١، وعقد الجمان ٢/ ١٧٣، والدليل الشافى ٢/ ٧٩٦.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) عقد الجمان ٢/ ١٦٩.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢١٨، والعبر ٥/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٥٥، وفوات الوفيات ٤/ ٦٢، والسلوك ١/ ٦٣٤ (القسم الثانى)، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٩.

تُوُفِّى بحَماةَ ، وكان الشُّعراءُ مُقِرِّين له مُعْتَرِفِين بفضلِه وتَقَدُّمِه فى هذا الفنِّ . ومِن شعرِه قولُه :

لسانى طَرِىٌّ منك يا غايةَ المُنَى ... ومِن ولَهِى أنى خطيبٌ وشاعرُ
فهذا لمعنَى حُسنِ وجهِك ناظمُ ... وهذا لدمعى فى تَجَنِّيك ناثِرُ

القاضى شمسُ الدينِ علىُّ بنُ محمودِ بنِ علىٍّ بنِ عاصمٍ الشَّهْرُزُورىُّ الدمشقىُّ[1] ، مُدَرِّسُ القَيْمُرِيَّةِ بشرطِ واقفِها له ولذريتِه مِن بعدِه[2] التدريسَ مَن تأَهَّل منهم ، فدرَّس بها إلى أن تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، ودرَّس بعدَه ولدُه صلاحُ الدينِ ، ثم ابنُ ابنِهِ بعدَ ابنِ جَماعةَ ، وطالت مدةُ حَفيدِه . وقد ولِى شمسُ الدينِ علىٌّ نِيابةَ ابنِ خَلِّكانَ فى الوِلايةِ الأُولى ، وكان فقيهًا جيدًا نَقَّالًا للمذهبِ ، رحِمه اللَّهُ[2] ، وقد سافَر مع ابنِ العَدِيمِ إلى بغدادَ ، فسمِع بها ، ودُفِن بمَقابرِ الصوفيَّةِ بالقُربِ مِن ابنِ الصَّلاحِ .

الشيخُ الصالحُ العالمُ الزاهدُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعدِ اللَّهِ بنِ جَماعةَ ابنِ علىِّ بنِ جَماعةَ بنِ حازمِ بنِ صَخْرٍ[3] **الكِنانىُّ الحَمَوىُّ** ، له معرفةٌ بالفقهِ والحديثِ ، وُلِد سنةَ ستٍّ[4] وتسعين بحَماةَ ، وتُوُفِّى بالقدسِ الشريفِ ، ودُفِن

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩٢، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٢٠، ٣٥٧، وعقد الجمان ٢/ ١٧٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م : « سنجر » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٨٧، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢٣٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١١٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥١.

(٤) فى ذيل مرآة الزمان : « سبع » .

بماملا ، وسمِع مِن الفخرِ بنِ عَساكرَ ، وروَى عنه ولدُه قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ ابنُ جَماعةَ .

الشيخُ الصالحُ جُنْدُلُ بنُ محمدٍ المَنِينىُّ[1] ، كانت له عِبادةٌ وزَهادةٌ وأعمالٌ صالحةٌ ، وكان الناسُ يَتَرَدَّدون إلى زيارتِه ، [2]زارَه الملكُ الظاهِرُ مراتٍ وكذلك الأمراءُ[2] بمَنِينَ ، وكان يَتَكَلَّمُ بكلامٍ كثيرٍ لا يَفْهَمُه أحدٌ مِن الحاضِرين ، بألفاظٍ غريبةٍ ، وحكَى عنه الشيخُ تاجُ الدينِ[3] أنه سمِعه يقولُ : ما تقَرَّب أحدٌ إلى اللَّهِ بمثلِ الذُّلِّ له والتَّضَرُّعِ إليه . وسمِعه يقولُ : المُوَلَّهُ مَنْفِيٌّ مِن طريقِ اللَّهِ يَعْتَقِدُ أنه واصلٌ ، ولو علِم أنه مَنْفِيٌّ رجَع عمّا هو فيه ؛ لأن طريقَ القومِ مِن أهلِ السلوكِ لا يَثْبُتُ عليها إلا ذَوُو العُقولِ الثابتةِ . وكان يقولُ : السَّماعُ وَظيفةُ أهلِ البَطالةِ . قال الشيخُ تاجُ الدينِ : وكان الشيخُ جُنْدُلٌ مِن أهلِ الطريقِ وعلماءِ التَّحْقيقِ . قال : وأخْبَرَنى فى سنةِ إحدى وستين وستِّمائةٍ أنه قد بلَغ مِن العمرِ خمسًا وتسعين سنةً . قلتُ : فعلى هذا يكونُ قد جاوَز المائةَ ؛ لأنه تُوُفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن فى زاويتِه المشهورةِ بقريةِ مَنينَ ، وورَد الناسُ إلى قبرِه يُصَلُّون عليه مِن دمشقَ وأعْمالِها ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

[4]محمدُ بنُ[4] عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ الحافظُ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩١، والوافى بالوفيات ١١/ ١٩٦، وعقد الجمان ٢/ ١٧١، والدليل الشافى ١/ ٢٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) هو تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى . انظر : ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩١.

(٤ - ٤) سقط من الأصل ، وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٠٣، والعبر ٥/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٣٥ ، والجواهر المضية ٣/ ٢١٩ ، والمقفى الكبير ٦/ ١٦١ ، وعقد الجمان ٢/ ١٧١،=

الفُوَيْرِه[1] **السُّلَمىُّ الحَنَفىُّ**، اشْتَغَل على الصدرِ سليمانَ وابنِ عَطاءٍ، وفى النحوِ على ابنِ مالكٍ، وحصَّل وبرَع ونظَم ونثَر، ودرَّس فى الشِّبْلِيةِ والقَصَّاعِين، وطُلِب لنيابةِ القَضاءِ فامْتَنَع، وكتَب الكِتابةَ المَنْسوبةَ. وقد رآه بعضُ أصحابِه فى المَنامِ بعدَ وفاتِه، فقال له: ما فعَل اللَّهُ بك؟ فأنْشَأ يقولُ:

ما كان لى مِن شافِعٍ عندَه ... غيرُ اعْتِقادى أنه واحدُ

وكانت وفاتُه فى جُمادَى الأولى[2]، ودُفِن بظاهرِ دمشقَ، رحِمه اللَّهُ.

محمدُ [١٠/٨٣و] **بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ مَنصورٍ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ الحَرَّانىُّ الحنبلىُّ**[3]، تِلْميذُ الشيخِ مَجْدِ الدينِ ابنِ تَيْمِيةَ، وهو أولُ مَن حكَم بالديارِ المصريةِ مِن الحَنابلةِ نيابةً عن القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، ثم ولِىَ شمسُ الدينِ بنُ الشيخِ العِمادِ القَضاءَ مُسْتَقِلًّا، فاسْتَناب به، ثم ترَك ذلك، ورجَع إلى الشامِ يَشْتَغِلُ ويُفْتِى إلى أن تُوُفِّى، وقد نيَّف على الستين، رحِمه اللَّهُ.

= والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٧.

(١) فى الأصل، م: «النويرة». والمثبت من مصادر ترجمته عدا الجواهر المضية.

(٢) فى م: «الآخرة».

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٠٦، والعبر ٥/ ٣٠٦، والوافى بالوفيات ٤/ ٧٥، وفوات الوفيات ٣/ ٤٢٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٨٧، والدليل الشافى ٢/ ٦٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٨.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وسبعين وستّمائةٍ[1]

فيها كانت وفاةُ الملكِ الظاهرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ، صاحبِ البلادِ المصريةِ والشاميةِ والحَلَبيةِ وغيرِ ذلك، وأقام ولدَه ناصرَ الدينِ أبا المَعالى محمدَ بَرَكة خان المُلَقَّبَ بالملكِ السعيدِ، مِن بعدِه، ووفاةُ الشيخِ مُحْيى الدينِ النَّوويِّ إمامُ الشافعيةِ فيها فى اليومِ السابعِ مِن المُحرمِ منها.

ودخَل السلطانُ الملكُ الظاهرُ مِن بلادِ الرومِ، وقد كسَر التَّتارَ على البُلُسْتَيْنِ، ورجَع مُؤَيَّدًا منصورًا، فدخَل دمشقَ، وكان يومُ دخولِه يومًا مشهودًا، فنزَل بالقصرِ الأبْلَقِ الذى بناه غربيَّ دمشقَ بينَ المَيْدانَيْن الأخضرَيْن، وتَواتَرَت الأخبارُ إليه بأن أَبْغا جاء إلى المعركةِ، ونظَر إليها، وتأسَّف على مَن قُتِل مِن المَغولِ، وأمَر بقتلِ البَرْوَاناه، وذكَروا أنه قد عزَم على قصدِ الشامِ، فأمَر السلطانُ بجمعِ الأُمراءِ، وضرَب مَشورةً، فاتَّفق مع الأُمراءِ على مُلاقاتِه حيث كان، وتقَدَّم بضَربِ الدِّهْلِيزِ على القصرِ، ثم جاء الخبرُ بأن أَبْغَا قد رجَع إلى بلادِه، فأمَر بردِّ الدِّهْلِيزِ، وأقام بالقَصرِ الأبْلَقِ يَجْتَمِعُ عندَه الأعْيانُ والأمراءُ والدولةُ فى أسَرِّ حالٍ، وأنْعَمِ بالٍ. وأما أبْغَا فإنه أمَر بقتلِ البَرْواناه - وكان نائبَه على بلادِ الرومِ - وكان اسمُه مُعِينَ الدينِ سليمانَ بنَ علىِّ بنِ محمدِ بنِ حسنٍ، وإنما قتَله لأنه اتَّهَمه بمُمالأتِه للملكِ الظاهرِ، وزعم أنه هو الذى حسَّن له دخُولَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٣٢ - ٢٩٢، ونهاية الأرب ٣٠/٣٦٥ - ٣٨٤، وكنز الدرر ٨/٢٠٧ - ٢٢٤، وانظر العبر ٥/٣٠٧ - ٣١٣.

بلادِ الرومِ ، وكان البَرْواناه شُجاعًا حازمًا كريمًا جوادًا ، وله مَيْلٌ إلى الملكِ الظاهرِ ، وكان قد جاوَز الخمسين لما قُتِل .

ثم لما كان يومُ السبتِ خامسَ عشَرَ المحرمِ **تُوُفِّى الملكُ القاهرُ بَهاءُ الدينِ عبدُ الملكِ بنُ السلطانِ المُعَظَّمِ عيسى بنِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ**[1] ، عن أربعٍ وستين سنةً ، وكان رجلًا جيدًا ، سَليمَ الصَّدْرِ ، كريمَ الأخْلاقِ ، ليِّنَ الكلمةِ ، كثيرَ التواضُعِ ، يُعانى ملابسَ العربِ ومَراكبَهم ، وكان مُعَظَّمًا فى الدولةِ شُجاعًا مِقْدامًا ، وقد روَى عن ابنِ اللَّتِّىِّ ، وأجاز للبِرْزالىِّ . قال البِرْزالىُّ : ويقالُ : إنه سُمَّ . وذكَر غيرُه أن السلطانَ الملكَ الظاهرَ سمَّه فى كأسٍ ثم ناوَله إياه ، فشرِبه وقام السلطانُ إلى المُرْتَفَقِ ، ثم عاد وأخَذ الساقى الكأسَ مِن يدِ القاهرِ ، فمَلأه وناوَله السلطانَ الظاهرَ ، والساقى لا يَشْعُرُ بشىءٍ ممّا جرَى ، وأنْسَى اللَّهُ السلطانَ ذلك الكأسَ ، أو ظنَّ أنه غيرُه لأمرٍ يُرِيدُه اللَّهُ ويَقْضِيه ، وكان قد بقى فى الكأسِ بقيَّةٌ كثيرةٌ مِن ذلك السُّمِّ ، فشرِب الظاهرُ ما فى الكأسِ ، ولم يَشْعُرْ حتى شرِبه ، فاشْتَكَى بطنَه مِن ساعتِه ، ووجَد الوَهَجَ والحرَّ والكَرْبَ الشديدَ مِن فوْرِه ، وأما القاهرُ فإنه حُمِل إلى منزلِه وهو مَغْلوبٌ ، [١٠/٨٣ظ] فمات مِن ليلتِه ، وتمَرَّض الظاهرُ مِن ذلك أيامًا حتى كانت وفاتُه يومَ الخميسِ بعدَ الظهرِ فى السابعِ والعشرين مِن المحرمِ بالقصرِ الأبْلَقِ ، وكان ذلك يومًا عظيمًا على الأمراءِ ، وحضَر نائبُ السَّلْطنةِ عزُّ الدينِ أَيْدَمُر وكبارُ الأمراءِ والدولةُ ، فصلَّوْا عليه سرًّا ، وجعَلوه فى تابوتٍ ، ورفَعوه إلى القلعةِ مِن السورِ ، وجعَلوه فى بيتٍ مِن بيوتِ البَحْرِيةِ إلى أن نُقِل إلى تربتِه التى بناها ولدُه له بعدَ موتِه ، وهى دارُ العقِيقىِّ تُجاهَ العادليةِ الكبيرةِ ، ليلةَ الجمعةِ خامسَ رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وكُتِم موتُه ، فلم يَعْلَمْ جُمْهورُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٧٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٨١ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٧٨ ، والدليل الشافى ١/ ٤٣٠ ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٦.

الناسِ به، حتى إذا كان العَشْرُ الأخيرُ مِن ربيعِ الأولِ، وجاءَت البَيْعةُ لولدِه السعيدِ مِن مصرَ، حزِن الناسُ عليه حُزْنًا شديدًا، وترَحَّموا عليه تَرَحُّمًا كثيرًا، وجُدِّدَت البَيْعةُ أيضًا بدمشقَ، وجاء تَقْليدُ النِّيابةِ بالشامِ مُجَدَّدًا إلى عزِّ الدينِ أَيْدَمُر نائبِها.

وقد كان الملكُ الظاهرُ شَهْمًا شُجاعًا، عاليَ الهِمَّةِ، بعيدَ الغَوْرِ، مِقْدامًا جَسورًا، مُعْتَنيًا بأمرِ السلطنةِ، يُشْفِقُ على الإسلامِ، مُتَحَلِّيًا بالمُلْكِ، له قَصْدٌ صالحٌ فى نُصْرةِ الإسلامِ وأهلِه، وإقامةِ شِعارِ الملكِ، واسْتَمَرَّت أيامُه مِن يومِ الأحدِ سابعَ عشَرَ ذى القَعْدةِ سنةَ ثمانٍ وخمسين إلى هذا الحينِ، ففتَح فى هذه المدةِ فُتوحاتٍ كثيرةً؛ قَيْساريَّةَ وأرْسُوفَ[1] ويَافَا والشَّقِيفَ وأنْطاكِيَةَ وبَغْراسَ[2] وطَبَرِيَّةَ والقُصَيْرَ وحصنَ الأكْرادِ وحصنَ عَكَّارٍ[3] والقُرَيْنَ[4] وصافِيتا وغيرَ ذلك مِن الحصونِ المَنيعةِ التى كانت بأيدى الفِرِنْجِ، ولم يَدَعْ مع الإسْماعيليةِ شيئًا مِن الحصونِ، وناصَف الفِرِنجَ على المَرْقَبِ وبانِياسَ وبلادِ أنْطَرْطوسَ[5]، وسائرِ ما بقى

---

(١) فى م: «أرسون». وانظر ما تقدم صفحة ٤٥٩.

(٢) فى م: «بعراض». وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٧٧.

(٣) فى الأصل، م: «عكا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٢٩.
وعكار: حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم، وموقعه شمالى طرابلس. السلوك ١/ ٥٩٢ (القسم الثانى) حاشية (١).

(٤) فى الأصل: «الفرين»، وفى م: «الغرين». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٣٢.
والقرين: حصن من حصون الأرمن، لطائفة منهم يقال لهم: الاسبتار وكان من أمنع الحصون وأضرها على صفد. انظر نهاية الأرب ٣٠/ ٣٣٢.

(٥) فى الأصل، م، وذيل مرآة الزمان: «أنطرسوس». والمثبت من نهاية الأرب ٣٠/ ٣٢٨ ومما تقدم صفحة ٤٩٣. وانظر معجم البلدان ١/ ٣٨٨.

بأيديهم مِن البلادِ والحُصونِ ، وولَّى فى نصيبِه مما ناصَفهم عليه النُّوابَ والعُمَّالَ ، وفتَح قَيْسارِيَّةَ مِن بلادِ الرومِ ، وأوْقَع بالرومِ والمَغولِ على البُلُسْتَينِ بأسًا لم يُسْمَعْ بمثلِه مِن دُهورٍ مُتَطاوِلةٍ ، واسْتَعاد مِن صاحبِ سِيسَ بلادًا كثيرةً ، وجاس خلالَ دِيارِهم وحُصونِهم ، واسْتَرَدَّ مِن أيدى المُتَغَلِّبين مِن المسلمين بَعْلَبَكَّ وبُصْرَى وصَرْخَدَ وحِمْصَ وعَجْلُونَ والصَّلْتَ وتَدْمُرَ والرَّحْبةَ وتَلَّ باشِرٍ وغيرَها ، والكَرَكَ والشَّوْبَكَ ، وفتَح بلادَ النُّوبةِ بكمالِها مِن بلادِ السُّودانِ ، وانْتَزَع بلادًا مِن التَّتارِ كثيرةً ، منها شَيْزَرُ[1] والبِيرةُ ، واتَّسَعَت مَمْلكتُه مِن الفُراتِ إلى أقْصَى بلادِ النُّوبةِ ، وعمَّر شيئًا كثيرًا مِن الحصونِ والمَعاقِلِ والجُسورِ على الأنهارِ الكبارِ ، وبنَى دارَ الذهبِ بقلعةِ الجبلِ ، وبنَى قُبةً على اثْنَىْ عشَرَ عمودًا مُلَوَّنةً مُذَهَّبةً ، وصوَّر فيها صُوَرَ خاصَّكِيَّتِه[2] وأشكالَهم ، وحفَر أنهارًا كثيرةً وخُلْجاناتٍ ببلادِ مصرَ ، منها نهرُ السَّرْدُوسِ[3] ، وبنَى جَوامعَ كثيرةً ومَساجدَ عَديدةً ، وجدَّد بناءَ مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ احْتَرَق ، ووضَع الدَّرَابِزِيناتِ حولَ الحجرةِ الشريفةِ ، وعمِل فيه منبرًا ، وسقَفه بالذهبِ ، وجدَّد المارَسْتانَ بالمدينةِ ، وجدَّد قبرَ الخليلِ ، عليه السلامُ ، وزاد فى زاويتِه وما يُصْرَفُ إلى المُقِيمِين ، وبنَى على المكانِ المَنْسوبِ إلى قبرِ موسى ، عليه السلامُ ، قبةً قِبْلِيَّ أَرِيحَا[4] ، وجدَّد بالقدسِ أشياءَ حسنةً ، مِن ذلك قبةُ السِّلْسِلةِ ، ورمَّم سقفَ الصَّخْرةِ ، [١٠/٨٤و] وغيرها ، وبنَى بالقدسِ خانًا هائلًا بماملا ، ونقَل إليه بابَ قصرِ الخلفاءِ الفاطِمِيِّين مِن مصرَ ، وعمِل فيه طاحونًا

---

(١) فى الأصل : « شيرز » . وفى م : « شيرزور » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٥٣.

(٢) خاصكية : ندماء الملك والمقربين . انظر المعجم الذهبى ص ٢٣١.

(٣) فى الأصل ، م : « السرداس » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٨، وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٤.

(٤) أريحا : مدينة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام . معجم البلدان ١/ ٢٢٧.

وفُرْنًا وبُسْتانًا ، وجعَل للوارِدِين إليه أشْياءَ تُصْرَفُ إليهم فى نفقةٍ وإصْلاحِ أمْتِعتِهم ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وبنَى على قبرِ أبى عُبَيدةَ بالقربِ مِن عَمْتَا[1] مشهدًا ، ووقَف عليه أشياءَ للوارِدِين إليه ، وعمَّر جسرَ دامِيةَ ، وجدَّد قبرَ جعفرٍ الطَّيَّارِ بناحيةِ الكَرَكِ ، ووقَف على الزائرِين له شيئًا كثيرًا ، وجدَّد قلعةَ صَفَدَ[2] وجامعَها ، وجدَّد جامعَ الرَّمْلةِ ، وغيرَها فى كثيرٍ مِن البلادِ التى كانت الفِرِنجُ قد أخَذَتها ، وخرَّبَت جَوامعَها ومساجدَها ، وبنَى بحلبَ دارًا هائلةً ، وبدمشقَ القصرَ الأبْلَقَ والمدرسةَ الظاهريةَ وغيرَها ، [3]وضرَب الدراهمَ والدنانيرَ الجيدةَ الخالصةَ على النُّصْحِ والمُعامَلةِ الجيدةِ الجاريةِ بينَ الناسِ ، فرحِمه اللَّهُ[3] .

وله مِن الآثارِ الحسنةِ والأماكنِ ما لم يُبْنَ فى زمنِ الخلفاءِ وملوكِ بنى أيوبَ ، مع اشتغالِه بالجهادِ فى سبيلِ اللَّهِ ، واسْتَخْدَم مِن الجيوشِ شيئًا كثيرًا ، ورَدَ إليه نحوٌ مِن ثلاثةِ آلافٍ مِن المَغُولِ فأقْطَعهم وأمَّر كثيرًا منهم ، وكان مُقْتَصِدًا فى مَلْبَسِه ومَطْعَمِه ، وكذلك جيشُه ، وهو الذى أنْشَأ الدولةَ العباسيةَ بعدَ دُثورِها وبقِى الناسُ بلا خَليفةٍ نحوًا مِن ثلاثِ سنينَ ، وهو الذى أقام مِن كلِّ مَذْهَبٍ قاضيًا مُسْتَقِلًّا قاضىَ قُضاةٍ .

وكان ، رحِمه اللَّهُ ، مُتَيَقِّظًا شَهْمًا شُجاعًا ، لا يَفْتُرُ عن الأعْداءِ ليلًا ولا نَهارًا ، بل هو مُناجِزٌ لأعْداءِ الإسلامِ وأهلِه ، ولمِّ شَعَثِه واجْتماعِ شَمْلِه .

وبالجملةِ أقامه اللَّهُ تعالى فى هذا الوقتِ المتأخِّرِ عَوْنًا ونَصْرًا للإسلامِ وأهلِه ، وشَجًا فى حُلوقِ المارِقِين مِن الفِرِنجِ والتَّتارِ والمشركين . وأبْطَل الخُمورَ ، ونفَى

---

(١) فى م : « عمتنا » ، وفى ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٩ : « بعثما » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٢٢.
(٢) فى الأصل ، م : « صفت » . والمثبت من نهاية الأرب ٣٠/ ١٣٧.
(٣ - ٣) زيادة من : م .

الفُسَّاقَ مِن البلادِ ، وكان لا يَرَى شيئًا مِن الفَسادِ والمَفاسدِ إلا سعَى فى إزالتِه بجُهْدِه وطاقتِه . وقد ذكَرْنا فى سيرتِه ما أرْشَد إلى حُسْنِ طَوِيَّتِه وسَريرتِه ، وقد جمَع له كاتبُه ابنُ عبدِ الظاهرِ سيرةً مُطَوَّلةً ، وكذلك ابنُ شَدَّادٍ أيضًا .

وقد ترَك مِن الأولادِ عشَرةً ؛ ثلاثةَ ذُكورٍ وسبعَ إناثٍ ، ومات وعمرُه ما بينَ الخمسين إلى الستين ، وله أوْقافٌ وصِلاتٌ وصَدقاتٌ ، تقبَّل اللَّهُ منه الحَسناتِ ، وتَجاوَز له عن السيئاتِ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه السعيدُ بمُبايعةِ أبيه له فى حالِ حياتِه ، وكان عمرُ السعيدِ يومَئذٍ دون العشرين سنةً ، وهو مِن أحسنِ الأشكالِ وأتمِّ الرجالِ .

وفى صفرٍ وصَلَت الهدايا مِن الفُنْشِ[1] مع رسلِه إلى الديارِ المصريةِ ، فوجَدوا السلطانَ قد مات ، وقد أُقِيم الملكُ السعيدُ ولدُه مكانَه ، والدولةُ لم تَتَغَيَّرْ ، والمَعْرفةُ بعدَه ما تنكَّرَت ، ولكن البلادُ قد فقَدَت أسدَها بل أسَدَّها وأشَدَّها ، بل الذى بلَغ أَشُدَّها ، وإذا انْفَتَحَت ثَغْرةٌ مِن سُورِ الإسلامِ سدَّها ، وكلما انْحَلَّت عُقْدةٌ مِن عُرَى العَزائمِ شدَّها ، وكلما رامَت فرقةٌ مارقةٌ مِن طَوائفِ الطَّغامِ أن تَلِجَ إلى حَوْمةِ الإسلامِ صدَّها وردَّها ، فسامَحه اللَّهُ ، وبلَّ بالرحمةِ ثراه ، وجعَل الجنةَ مُتَقَلَّبَه ومَثْواه .

وكانت العَساكرُ الشاميةُ قد سارت إلى الديارِ المصريةِ ، ومعهم مِحَفَّةٌ يُظْهِرون أن السلطانَ فيها مَريضٌ ، حتى وصَلوا إلى القاهرةِ ، فجدَّدوا البَيْعةَ للسَّعيدِ بعدَ ما أظْهَروا موتَ الملكِ السديدِ الذى هو إن شاء اللَّهُ شهيدٌ .

---

(١) ذكر القلقشندى أنها تطلق على ملوك الجلالقة من الفرنج الذين قاعدة ملكهم طليطلة وبرشلونة من الأندلس ، يقال لكل ملك منهم : « أدْفُونَش » . وأن هذا اللقب جار على ملوكهم إلى زماننا ، وأنه هو الذى تسميه العامة « الفنش » . صبح الأعشى ٥/ ٤٨٤.

وفى يومِ الجمعةِ السابعِ والعشرين مِن صفرٍ خُطِب فى جَميعِ الجوامعِ بالديارِ المصريةِ للملكِ السعيدِ، وصلَّى على والدِه الملكِ الظاهرِ، واسْتَهَلَّت عَيْناه [١٠/ ٨٤ظ] بالدُّموعِ.

وفى منتصفِ ربيعِ الأولِ ركِب الملكُ السعيدُ بالعَصائبِ على (١)عادةِ والدِه(١)، وبينَ يديه الجيشُ بكَمالِه المصرىُّ والشامىُّ، حتى وصَل إلى الجبلِ الأحمرِ، وفرِح الناسُ به فرحًا شديدًا، وعمرُه يومَئذٍ تسعَ عشْرةَ سنةً، وعليه أُبَّهةُ المُلْكِ ورِياسةُ السَّلْطنةِ.

وفى يومِ الاثنين رابعِ جُمادَى الأولى فُتِحَت مدرسةُ الأميرِ شمسِ الدينِ آقْسُنْقُرَ الفارِقانىِّ بالقاهرةِ، بحارَةِ الوَزيريةِ على مَذْهَبِ أبى حَنيفةَ، وعمِل فيها مشيخةَ حديثٍ وقارئٌ. وبعدَه بيومٍ عُقِد عقدُ ابنِ الخليفةِ المُسْتَمْسِكِ باللَّهِ بنِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ على ابنةِ الخليفةِ المُسْتَنْصِرِ(٢) بنِ الظاهرِ، وحضَر والدُه والسلطانُ ووُجوهُ الناسِ.

وفى يومِ السبتِ تاسعِ جُمادَى الأولى شُرِع فى بناءِ الدارِ التى تُعْرَفُ بدارِ العقيقىِّ، تُجاهَ العادليَةِ، لتُجْعَلَ مدرسةً وتربةً للملكِ الظاهرِ، ولم تَكُنْ قبلَ ذلك إلا دارًا للعقيقىِّ، وهى المُجاوِرةُ لحمَّامِ العقيقىِّ، وأُسِّس أساسُ التربةِ فى خامسِ جُمادَى الآخِرةِ، وأُسِّسَت المدرسةُ أيضًا.

وفى رمضانَ طلَعَت سَحابةٌ عظيمةٌ بمدينةِ صَفَدَ(٣) لَمَع منها بَرْقٌ شديدٌ،

(١ - ١) فى الأصل، م: «عادته». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٤، وعقد الجمان ٢/ ١٨٥، ١٨٦.
(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٥: «المنتصر».
(٣) فى الأصل، م: «صفت». والمثبت من المصادر.

وسطَع منها لسانُ نارٍ ، وسُمِع منها صوتٌ شديدٌ هائلٌ ، ووقَع منها على مَنارةِ صَفَدَ[1] صاعقةٌ شقَّتها مِن أعْلاها إلى أسْفلِها شَقًّا يَدْخُلُ الكَفُّ فيه .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

البَرْواناه[2] فى العَشْرِ الأولِ مِن المحرمِ .

والملكُ الظاهرُ[3] فى العَشْرِ الأخيرِ منه .

وقد تقَدَّم شىءٌ مِن ترجمتِهما .

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ بِيلِيك بنُ عبدِ اللَّهِ الخزِنْدارُ[4] ، نائبُ الديارِ المصريةِ للملكِ الظاهرِ ، كان جَوَادًا مُمَدَّحًا ، له إلمامٌ ومعرفةٌ بأيامِ الناسِ والتواريخِ ، وقد وقَف درسًا بالجامعِ الأزهرِ على الشافعيةِ ، ويقالُ : إنه سُمَّ فمات . فلما مات انْتَقَض بعدَه حبلُ الملكِ السعيدِ ، واضْطَرَبَت أمورُه .

قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ الحَنْبلىُّ محمدُ بنُ الشيخِ العمادِ أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ علىِّ بنِ سُرورٍ المَقْدسىُّ[5] ، أولُ مَن وُلِّى قَضاءَ قضاةِ الحَنابلةِ بالديارِ المصريةِ ، سمِع الحديثَ حُضورًا[6] على ابنِ طَبَرْزَدَ وغيرِه ، ورحَل

---

(١) فى الأصل ، م : « صفت » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٨، والعبر ٥/ ٣١٠، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٥٧، والسلوك ١/ ٦٤٧ (القسم الثانى) ، والمنهل الصافى ٦/ ٤٣، وعقد الجمان ٢/ ١٦٤.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٣٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٦٥، وكنز الدرر ٨/ ٢٠٨، والعبر ٥/ ٣٠٨، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٢٩، والسلوك ١/ ٤٣٦ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٧٥، والمنهل الصافى ٣/ ٤٤٧.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٢، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧١، والعبر ٥/ ٣٠٩، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٥، والسلوك ١/ ٦٤٣، ٦٤٨ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٦.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٧٩، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧٦، والعبر ٥/ ٣١١، والوافى بالوفيات ٢/ ٩، وعقد الجمان ٢/ ١٩٣، والسلوك ١/ ٦٤٨ (القسم الثانى) ، والدليل الشافى ٢/ ٥٧٩.

(٦) فى م : « خصوصا » .

إلى بغدادَ ، واشْتَغَل بالفقهِ ، وتفَنَّن[1] فى علومٍ كثيرةٍ ، وولِى مَشْيخةَ سعيدِ السُّعَداءِ ، وكان شيخًا مَهيبًا ، حسنَ الشَّيْبةِ ، كثيرَ التواضعِ والبِرِّ والصدقةِ ، وقد اشْتَرَط فى قَبولِ الوِلايةِ أن لا يكونَ له عليها جَامَكِيَّةٌ ليَقومَ فى الناسِ بالحقِّ فى حكمِه ، وقد عزَله الظاهرُ عن القَضاءِ سنةَ سبعين ، واعْتَقَله بسببِ الوَدائعِ التى كانت عندَه ، ثم أطْلَقه بعدَ سنتين ، فلزِم منزلَه ، واسْتَقَرَّ بتَدْريسِ الصالحيةِ إلى أن تُوُفِّى فى أواخِرِ المحرمِ ، ودُفِن عندَ عمِّه الحافظِ عبدِ الغنىِّ بسفحِ جبلِ المُقَطَّمِ ، وقد أجاز للبِرْزالىِّ .

قال الحافظُ البِرْزالىُّ : وفى يومِ السبتِ ثانى عشَرَ ربيعٍ الأولِ ورَد الخبرُ بموتِ ستةِ أمراءَ مِن الديارِ المصريةِ ؛ سُنْقُرُ البَغْدادىُّ ، وبسطا[2] البلدىُّ التَّتَرىُّ ، وبدرُ الدينِ الوَزيرىُّ ، وسُنْقُرُ الرُّومىُّ ، وآقْسُنْقُرُ الفارِقانىُّ[3] ، رحِمهم اللَّهُ .

الشيخُ خَضِرٌ الكُرْدىُّ شيخُ الملكِ الظاهرِ : خَضِرُ بنُ أبى بكرِ بنِ موسى الكُرْدىُّ المِهْرانىُّ[4] العَدَوىُّ ، ويقالُ : إن أصلَه مِن قريةِ المُحَمَّديةِ مِن جزيرةِ [١٠/ ٨٥و] ابنِ عمرَ . كان يُنْسَبُ إليه أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ ، ولكنه لما خالَط الناسَ افْتَتَن ببعضِ بناتِ الأمراءِ ، وكان يقولُ عن الملكِ الظاهرِ وهو أميرٌ : إنه سيَلى المُلْكَ . فلهذا كان الملكُ الظاهرُ يَعْتَقِدُه ويُبالِغُ فى إكْرامِه بعدَ أن ولِى المَمْلَكةَ ، ويُعَظِّمُه

---

(١) فى الأصل : « تعين » .

(٢) فى الأصل : « بطا » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٨ ، ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة) ، والعبر ٥/ ٣١٤ ، والوافى بالوفيات ٩/ ٣١ ، والسلوك ١/ ٦٤٤ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٧ ، والمنهل الصافى ٢/ ٤٩٤ .

(٤) فى الأصل ، م : « النهروانى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٤ ، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧٦ ، وكنز الدرر ٨/ ٢٢٠ ، والعبر ٥/ ٣٠٩ ، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٣ ، والمنهل الصافى ٥/ ٢١٨ ، والمقفى الكبير ٣/ ٧٥٠ .

تعظيمًا زائدًا ، ويَنْزِلُ إلى عندِه إلى زاويتِه فى الأسبوعِ مرةً أو مرتين ، ويَسْتَصْحِبُه معه فى كثيرٍ مِن أسْفارِه ، ويُكرمُه ويَحْتَرِمُه ويَسْتَشِيرُه ، فيُشِيرُ عليه برأيِه ومُكاشَفاتٍ صحيحةٍ مُطابِقةٍ ؛ إما رَحْمانيّةٍ أو شَيْطانيّةٍ ، أو حالٍ أو اسْتِفَادةٍ[1] ، لكنه افْتَتَن لما خالَط الناسَ ببعضِ بناتِ الأمراءِ ، وكن لا يَحْتَجِبْن منه ، فوقَع فى الفتنةِ . وهذا فى الغالبِ واقعٌ فى مُخالَطةِ الناسِ ، فلا يَسْلَمُ المُخالِطُ لهم مِن الفتنةِ ، ولا سيَّما مُخالَطةُ النساءِ مع تركِ الاحتجابِ[2] ، فلا يَسْلَمُ العبدُ الْبَتَّةَ منهن . فلما وقَع فيما وقَع فيه حُوقِق عندَ السلطانِ وبيسرى وقَلَاوُون والفارسِ أَقْطاى الأتابَك ، فاعْتَرَف ، فهمَّ بقتلِه ، فقال له : إنما بينى وبينَك أيامٌ قَلائلُ . فأمَر بسَجْنِه ، فسُجِن سنينَ عَديدةً مِن سنةِ إحدى وسبعين إلى سنةِ ستٍّ وسبعين ، وقد هدَم بالقدسِ كَنيسةً ، وذبَح قِسِّيسَها ، وعمِلها زاويةً ، وقد قدَّمْنا ترجمتَه قبلَ ذلك فيما تقَدَّم[3] ، ثم لم يَزَلْ مَسْجونًا حتى مات فى يومِ الخميسِ سادس المحرمِ مِن هذه السنةِ ، فأُخْرِج مِن القلعةِ ، وسُلِّم إلى قَرابتِه ، فدُفِن فى تربةٍ أنْشَأها فى زاويتِه . مات وهو فى عَشْرِ الستين ، وقد كان يُكاشِفُ السلطانَ فى أشْياءَ ، وإليه تُنْسَبُ قُبةُ الشيخِ خَضِرٍ التى على الجبلِ غربىَّ الرَّبْوةِ ، وله زاويةٌ بالقدسِ الشريفِ .

الشيخُ مُحْيى الدينِ النَّوَوىُّ ، يحيى بنُ شَرَفِ [4]بنِ مِرَى[4] بنِ حسنِ بنِ

---

(١) فى م : « سعادة » .

(٢) فى م : « الأصحاب » .

(٣) انظر ما تقدم صفحة ٥٠٨ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م : والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٣، والعبر ٥/ ٣١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى =

حسينِ بنِ جُمعةَ بنِ حِزامٍ الحِزاميُّ[1] **العالمُ ، مُحْيى الدينِ أبو زكريا النَّوويُّ ثم الدمشقيُّ الشافعيُّ العَلَّامةُ** ، شيخُ المذهبِ ، وكبيرُ الفقهاءِ فى زمانِه ، وُلِد بنَوَى سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمائةٍ ، ونَوَى قريةٌ مِن قُرَى حَوْرانَ ، وقد قدِم دمشقَ سنةَ تسعٍ وأربعين ، وقد حفِظ القرآنَ ، فشرَع فى قراءةِ « التَّنْبيهِ » ، فيقالُ : إنه قرَأه فى أربعةِ أشهرٍ ونصفٍ ، وقرَأ رُبْعَ العِباداتِ مِن « المهذَّبِ »[2] فى بقيةِ السنةِ ، ثم لزِم المشايخَ تَصْحيحًا وشرحًا ، فكان يَقْرَأُ فى كلِّ يومٍ اثنَىْ عشَرَ درسًا على المَشايخِ ، ثم اعْتَنَى بالتَّصْنيفِ ، فجمَع شيئًا كثيرًا ، منها ما أكْمَله ، ومنها ما لم يُكْمِلْه ، فمما كمَّل « شرحُ مسلمٍ » و « الرَّوْضةُ » و « المِنْهاجُ » و « الرِّياضُ » و « الأذكارُ » و « التِّبْيانُ » ، و « تَحريرُ التَّنْبيهِ وتَصْحيحُه » ، و « تَهْذيبُ الأسْماءِ واللُّغاتِ » ، و « طَبَقاتُ الفُقهاءِ » وغيرُ ذلك . ومما لم يُتَمِّمْه - ولو كمَل لم يَكُنْ له نَظيرٌ فى بابِه - « شرحُ المُهَذَّبِ » الذى سماه « المجموعَ » ، وصَل فيه إلى كتابِ الرِّبا ، فأبْدَع فيه وأجاد وأفاد ، وأحْسَن الانْتِقادَ ، وحرَّر الفقهَ فيه فى المذهبِ وغيرِه ، وحرَّر فيه الحديثَ على ما يَنْبَغى ، والغريبَ واللغةَ وأشياءَ مهمةً لا تُوجَدُ إلا فيه ، وقد جعَله نُخْبةً [3]على ما عنَّ له[3] ، ولا أَعْرِفُ فى كتبِ الفقهِ أحسنَ منه ، على أنه مُحْتاجٌ إلى أشْياءَ كثيرةٍ تُزادُ فيه وتُضافُ إليه .

وقد كان مِن الزَّهادةِ والعِبادةِ والوَرَعِ والتَّحرِّى والانْجِماعِ عن الناسِ على جانبٍ كبيرٍ ، لا يَقْدِرُ عليه أحدٌ مِن الفقهاءِ غيرُه ، وكان يَصومُ [١٠/٨٥ظ] الدهرَ

= ٨/ ٣٩٥، والسلوك ١/ ٦٤٨ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢/ ١٩٤.

(١) فى م : « الحازمى » . وانظر مصادر ترجمته السابقة .

(٢) فى م : « المذهب » . وهو خطأ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ما عضله » .

ولا يَجْمَعُ بين إدامَيْن ، وكان غالبُ قُوتِه ممَّا يَحْمِلُه إليه أبوه مِن نَوَى ، وقد باشَر تَدْريسَ الإقْباليةِ نِيابةً عن ابنِ خَلِّكانَ ، وكذلك ناب فى الفَلَكيةِ والرُّكْنيةِ ، وولِى مَشْيخةَ دارِالحديثِ الأشرفيةِ ، وكان لا يُضَيِّعُ شيئًا مِن أوقاتِه ، وحجَّ فى مدةِ إقامتِه بدمشقَ ، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المنكرِ للملوكِ وغيرِهم . تُوُفِّى فى ليلةِ أربعٍ وعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ بنَوَى ، ودُفِن هناك ، رحِمه اللَّهُ وعفا عنا وعنه .

علىُّ بنُ علىِّ بنِ أسفندِيارَ نجمُ الدينِ[1] ، الواعظُ بجامعِ دمشقَ أيامَ السُّبوتِ فى الأشهرِ الثلاثةِ ، وكان شيخَ الخانْقاه المُجاهديةِ ، وبها تُوُفِّى فى هذه السنةِ ، وكان فاضلًا بارعًا ، وكان جدُّه يَكْتُبُ الإنشاءَ للخليفةِ الناصرِ ، وأصلُهم مِن بُوشَنْجَ[2] . ومِن شعرِ نجمِ الدينِ هذا قولُه :

إذا زار بالجُثْمانِ غيرى فإننى ... أَزُورُ مع الساعاتِ رَبْعَك بالقلبِ
وما كلُّ ناءٍ عن ديارٍ بنازِحٍ ... ولا كلُّ دانٍ فى الحقيقةِ ذو قُرْبِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٧٦، والعبر ٥/ ٣١١، والدارس ٢/ ١٦٩، والسلوك ١/ ٦٤٨ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢/ ١٩٥.

(٢) بوشنج : بليدة نزهة خصيبة فى واد مشجر من نواحى هراة بينهما عشرة فراسخ . معجم البلدان ١/ ٧٥٨.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

كان أولُها يومَ الأربعاءِ، وكان الخليفةُ الحاكمَ بأمرِ اللَّهِ العباسيَّ، وسلطانُ البلادِ شامًا ومصرًا وحلبًا الملكَ السعيدَ.

وفى أوائلِ المحرمِ اشْتَهَر بدمشقَ ولايةُ القاضى ابنِ خَلِّكانَ قَضاءَ دمشقَ عَوْدًا على بَدْءٍ فى أواخِرِ ذى الحِجَّةِ، بعدَ عَزْلٍ سبعَ سنينَ، فامْتَنع القاضى عِزُّ الدينِ ابنُ الصائغِ مِن الحكمِ فى سادسِ المحرمِ، وخرَج الناسُ لتلَقِّى ابنِ خَلِّكانَ، فمنهم مَن وصَل إلى الرَّمْلةِ، وكان دخولُه فى يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرين مِن المحرمِ، فخرَج نائبُ السَّلْطنةِ عزُّ الدينِ أَيْدَمُر بجميعِ الأمراءِ والمَواكِبِ لتَلَقِّيه، وفرِح الناسُ بذلك، ومدَحه الشُّعراءُ، وأنْشَد الفَقيهُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ جَعْوانَ[2]:

لما تولَّى قَضاءَ الشامِ حاكمُه ... قاضى القُضاةِ أبو العباسِ ذو الكرمِ
مِن بعدِ سبعِ شِدادٍ قال خادمُه ... ذا العامُ فيه يُغاثُ الناسُ بالنِّعَمِ

وقال سعدُ اللَّهِ بنُ مَرْوانَ الفارِقىُّ:

أذَقْتَ الشامَ سبعَ سنينَ جَدْبًا ... غَداةَ هجَرْتَه هَجْرًا جَميلًا

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٢/٣ - ٢٩٧، ونهاية الأرب ٣٨٥/٣٠ - ٣٩١، وكنز الدرر ٢٢٤/٨ - ٢٢٦، وعقد الجمان ١٩٨/٢ - ٢٠٤.

(٢) فى الأصل، م: «جعفر». وفى عقد الجمان: «جعفران». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. والبيتان والأبيات التالية فى الوافى بالوفيات ٣١٠/٧ فى ترجمة ابن خلكان.

فلما زُرْتَه مِن أرضِ مصرٍ مدَدْتَ عليه مِن كفيك نِيلَا

وقال آخرُ:

رأيتُ أهلَ الشامِ طُرًّا ما فيهمُ قطُّ غيرُ راضِى
نالَهمُ الخيرُ بعدَ شرٍّ فالوقتُ بَسْطٌ بلا انْقِباضِ
وعُوِّضوا فَرْحةً بحُزْنٍ قد أنْصَفَ الدهرُ فى التَّقاضِى
وسرَّهمْ بعدَ طُولِ غَمٍّ بُدورُ قاضٍ وعَزْلُ قاضى
وكلُّهمْ شاكرٌ وشاكٍ بحالِ مُسْتقبلٍ وماضِى

قال اليُونِينىُّ[1]: وفى يومِ الأربعاءِ ثالثَ عشَرَ صفرٍ ذكَر الدرسَ بالظاهريةِ، وحضَر نائبُ السَّلْطنةِ أَيْدَمُر الظاهرىُّ، وكان درسًا حافلًا حضَره القُضاةُ، وكان مُدَرِّسَ الشافعيةِ الشيخُ رَشيدُ الدينِ محمودُ بنُ إسماعيلَ الفارِقىُّ، ومدرسَ الحَنَفيةِ الشيخُ صدرُ الدينِ سليمانُ الحنفىُّ، ولم يَكُنْ بناءُ المدرسةِ كمَل.

وفى جُمادَى الأولى[2] باشَر قَضاءَ الحنفيةِ صدرُ الدينِ سليمانُ المذكورُ عِوَضًا عن مَجْدِ الدينِ بنِ العَديمِ، بحكمِ وفاتِه، [١٠/٨٦و] ثم تُوُفِّى صدرُ الدينِ سليمانُ المذكورُ فى رمضانَ، وتوَلَّى بعدَه القَضاءَ حُسامُ الدينِ أبو الفَضائلِ الحسنُ بنُ أنوشِرْوانَ الرازىُّ الحنفىُّ، الذى كان قاضيًا بمَلَطْيَةَ قبلَ ذلك. وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذى القَعْدةِ فُتِحَت المدرسةُ النَّجِيبيةُ، وحضَر تَدْريسَها ابنُ خَلِّكانَ بنفسِه، ثم نزَل عنها لولدِه كمالِ الدينِ موسى، وفُتِحَت الخانْقاه النَّجِيبيةُ، وقد كانتا

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٤.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٠.

وأوقافُهما تحتَ الحَوْطةِ إلى الآن .

وفى يومِ الثلاثاءِ خامسِ ذى الحِجَّةِ[1] دخَل السلطانُ السعيدُ إلى دمشقَ ، وقد زُيِّنَت له ، وعُمِلَت له قِبابٌ ظاهرةٌ ، وخرَج أهلُ البلدِ لتَلَقِّيه ، وفرِحوا به فرحًا عظيمًا لمحبتِهم والدَه ، وصلَّى عيدَ النحرِ بالمَيْدانِ ، وعمِل العيدَ بالقلعةِ المنصورةِ ، واسْتَوْزَر بدمشقَ الصاحبَ فَتْحَ الدينِ عبدَ اللَّهِ بنَ القَيْسَرانىِّ ، وبالديارِ المصريةِ بعدَ موتِ بَهاءِ الدينِ بنِ الحِنَّا الصاحبَ بُرْهانَ الدينِ بنَ الخِضْرِ بنِ الحسنِ السِّنْجارىَّ ، وفى العَشْرِ الآخِرِ مِن ذى الحِجَّةِ جهَّز السلطانُ العَساكرَ إلى بلادِ سِيسَ صُحبةَ الأميرِ سيفِ الدينِ قَلَاوُون الصالحىِّ ، وأقام السلطانُ بدمشقَ فى طائفةٍ يَسيرةٍ مِن الأمراءِ والخاصَّكِيةِ والخَواصِّ ، وجعَل يُكْثِرُ التَّرَدُّدَ إلى الزَّنْبَقِيةِ .

وفى يومِ الثلاثاءِ السادسِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ جلَس السلطانُ بدارِ العدلِ داخلَ بابِ النصرِ ، وأسْقَط ما كان حدَّده والدُه على بَساتينِ أهلِ دمشقَ ، فتَضاعَفَت له منهم الأَدْعِيةُ ، وأحَبُّوه لذلك حبًّا شديدًا ، فإنه كان قد أُجْحِف بكثيرٍ مِن أصحابِ الأملاكِ ، وودَّ كثيرٌ منهم لو تخَلَّص مِن مُلْكِه جملةً بسببِ ما عليه .

وفيها[2] طُلِب مِن أهلِ دمشقَ خمسون ألفَ دينارٍ ، ضُرِبَت أُجْرةً على أملاكِهم مدةَ شهرين ، وجُبِيَت منهم على القَهْرِ والعَسْفِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٦.

(٢) عقد الجمان ٢/ ٢٠٤.

آقوشُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأميرُ الكبيرُ جَمالُ الدينِ النَّجيبيُّ أبو سعيدٍ الصالحيُّ[1] ، أعْتَقه الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ الكاملِ ، وجعَله مِن أكابرِ الأمراءِ ، وولَّاه أُسْتاذَداريتِه ، وكان يَثِقُ إليه ويَعْتَمِدُ عليه ، وكان مَوْلدُه فى سنةِ تسعٍ أو عشرٍ وستِّمائةٍ ، وولَّاه الملكُ الظاهرُ أيضًا أستاذَداريتِه ، ثم اسْتَنابه بالشامِ تسعَ سنينَ ، فاتَّخَذ فيها المدرسةَ النَّجيبيةَ ، ووقَف عليها أوقافًا دارَّةً واسعةً ، لكن لم يُقَرِّرْ للمُسْتَحِقِّين قَدْرًا يُناسِبُ ما وقَفه عليهم ، ثم عزَله السلطانُ واسْتَدْعاه لمصرَ ، فأقام بها مدةً بَطَّالًا ، ثم مرِض بالفالِجِ أربعَ سنينَ ، وقد عاده فى بعضِها الملكُ الظاهرُ ، ولم يَزَلْ به حتى كانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ خامسَ شهرِ ربيعٍ الآخِرِ بالقاهرةِ بدارِه بدربِ مُلُوخِيّا ، ودُفِن يومَ الجمعةِ قبلَ الصلاةِ بتربتِه التى أنْشَأها بالقَرافةِ الصُّغْرى ، وقد كان بنَى لنفسِه تُرْبةً بالنَّجِيبيةِ ، وفتَح لها شُبَّاكَيْن إلى الطريقِ ، فلم يُقَدَّرْ دفنُه بها . وكان كثيرَ الصدقةِ ، مُحِبًّا للعلماءِ ، مُحْسِنًا إليهم ، حسنَ الاعْتِقادِ ، شافعيَّ المذهبِ ، مُتَغالِيًا فى السنةِ ومَحَبَّةِ الصَّحابةِ وبُغْضِ الرَّوافِضِ ، ومِن جملةِ أوْقافِه الحِسانِ البُسْتانُ والأراضى التى أوْقَفها على الجُسُورَةِ التى قِبْلىَّ جامعِ كَرِيمِ الدينِ اليومَ ، وعلى ذلك أوقافٌ كثيرةٌ ، وجعَل النظَرَ فى أوقافِه لابنِ خَلِّكانَ .

أيدكِين بنُ عبدِ اللَّهِ الأميرُ الكبيرُ عَلاءُ الدينِ الشِّهابيُّ[2] ، واقفُ الخانْقاه [١٠/٨٦ظ] الشِّهابيةِ داخلَ بابِ الفَرَجِ ، كان مِن كبارِ الأمراءِ بدمشقَ ، وقد ولَّاه الظاهرُ بحلبَ مدةً ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ وشُجْعانِهم ، وله حسنُ ظَنٍّ بالفقراءِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٠، والعبر ٥/ ٣١٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٢٣، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٧، وعقد الجمان ٢/ ٢١١.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠١، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٩١، وعقد الجمان ٢/ ٢١٢، والمنهل الصافى ٣/ ١٥٢.

والإحسانِ إليهم ، ودُفِن بتربةِ الشيخِ عثمانَ[1] الرُّومىِّ بسفحِ قاسِيونَ ، فى خامسَ عشَرَ ربيعِ الأولِ ، وهو فى عَشْرِ الخمسين ، وخانَقاتُه داخلَ بابِ الفرجِ ، وكان لها شُبَّاكٌ إلى الطريقِ . والشِّهابىُّ نسبةٌ إلى الطَّواشِى شِهابِ الدينِ رَشيدٍ الكبيرِ الصالحىِّ .

قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ سليمانُ بنُ أبى العِزِّ وُهَيْبٍ أبو الربيعِ الحنفىُّ[2] ، شيخُ الحنفيةِ فى زمانِه ، وعالمُهم شرقًا وغربًا ، أقام بدمشقَ مدةً يُفْتِى ويُدَرِّسُ ، ثم انْتَقَل إلى الديارِ المصريةِ يُدَرِّسُ بالصالحيةِ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، فدرَّس بالظاهريةِ ، وولِى القَضاءَ بعدَ مَجْدِ الدينِ بنِ العَدِيمِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم كانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ سادسِ شعبانَ ، ودُفِن من الغدِ بعدَ الصلاةِ بدارِه بسفحِ قاسِيونَ ، وله ثلاثٌ وثمانون سنةً ، ومِن لطيفِ شعرِه فى مملوكٍ تزَوَّج جاريةً للملكِ المُعَظَّمِ :

يا صاحبىَّ قِفا لى وانْظُرَا عجبًا ... أتَى به الدهرُ فِينا مِن عجائبِه
البدرُ أصْبَح فوقَ الشمسِ مَنْزِلةً ... وما العُلُوُّ عليها مِن مَراتبِه
أضْحَى يُماثِلُها حُسْنًا و[3]صار لها[3] ... كُفْوًا وسار إليها فى مَواكبِه
فأشْكَل الفرقُ لولا وَشْىُ نَمْنَمَةٍ ... بصُدْغِه واخْضرارٌ فوقَ شاربِه

طه بنُ إبراهيمَ بنِ أبى بكرٍ كمالُ الدينِ الهَذْبانىُّ[4] **الإرْبِلىُّ** ، كان أديبًا

---

(١) فى الأصل ، م : « عمار » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٢، والعبر ٥/ ٣١٥، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٠٤، والجواهر المضية ٢/ ٢٣٧، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٥.

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « شاركها » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٤) فى الأصل ، م ، وعقد الجمان : « الهمدانى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٣ ، =

فاضلًا شاعرًا ، له قُدْرةٌ فى تَصْنيفِ دُوبيتٍ ، وقد أقام بالقاهرةِ حتى تُوُفِّى بها فى جُمادَى الأولى مِن هذه السنةِ ، وقد اجْتَمَع مرةً بالملكِ الصالحِ أيوبَ ، فجعَل يَتَكَلَّمُ فى علمِ النجومِ ، فأنْشَدَه على البَدِيهةِ هذين البيتَيْن :

دَعِ النجومَ لطُرْقِيٍّ يَعِيشُ بها ... وبالعَزِيمةِ فانْهَضْ أيُّها الملكُ
إن النبيَّ وأصحابَ النبيِّ نَهَوْا ... عن النجومِ وقد أبْصَرْتَ ما مَلَكوا

وكتَب إلى صاحبٍ له اسمُه شمسُ الدينِ يستَزِيرُه[1] بعدَ رَمَدٍ أصابه فبرَأ منه :

يَقولُ لىَ الكَحَّالُ عينُك قد هُدَتْ ... فلا تَشْغَلَنْ قلبًا عليها وطِبْ نَفْسَا
ولى مدةٌ يا شمسُ لم أَرَكُم بها ... وآيةُ بُرْءِ العينِ أن تُبْصِرَ الشَّمْسَا

عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسنِ بنِ عثمانَ[2] جَمالُ الدينِ بنُ الشيخِ نجمِ الدينِ الباذَرائىُّ البغدادىُّ ثم الدمشقىُّ ، درَّس بمدرسةِ أبيه مِن بعدِه حتى حينِ وفاتِه يومَ الأربعاءِ سادسِ رجبٍ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، وكان رئيسًا حسنَ الأخْلاقِ ، جاوَز خمسين سنةً .

قاضى القُضاةِ مَجْدُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالِ[3] الدينِ عمرَ بنِ أحمدَ

= وطبقات الشافعية للإسنوى ١/١٥٣ ، والسلوك ١/٦٥١ (القسم الثانى) ، وشذرات الذهب ٥/٣٥٧.
وجاء لقبه فى مرآة الزمان والسلوك وعقد الجمان : « جمال الدين » .

(١) يستزيره : يطلب زيارته .

(٢) فى م : « عفان » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٦، والوافى بالوفيات ١٨/١٦٨، وعقد الجمان ٢/٢٠٦.

(٣) فى الأصل ، م : « جمال » . والمثبت من ترجمة كمال الدين عمر التى تقدمت فى صفحة ٤٤٢. وانظر ترجمة مجد الدين فى : ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٦، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٠، والعبر ٥/٣١٥، والوافى بالوفيات ١٨/٢٠١، والجواهر المضية ٢/٣٨٦، وعقد الجمان ٢/٢٠٦، والمقفى الكبير ٤/٨٩.

ابنِ العَدِيمِ الحلبىُّ ثم الدمشقىُّ الحنفىُّ، ولِى قَضاءَ الحَنَفيةِ بعدَ ابنِ عَطاءٍ بدمشقَ، وكان رئيسًا ابنَ رئيسٍ، له إحسانٌ وكرمُ أخلاقٍ، وقد ولِى الخطابةَ بجامعِ القاهرةِ الكبيرِ، وهو أولُ حنفىٍّ ولِيَه، تُوُفِّى بجَوْسَقِه بدمشقَ فى ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، ودُفِن بالتربةِ التى أنْشَأها عندَ زاويةِ الحَرِيرىِّ على الشَّرَفِ القِبْلىِّ غربىَّ الزَّيْتونِ.

الوزيرُ ابنُ الحِنَّا: علىُّ بنُ محمدِ بنِ سُلَيْمٍ[1] **بنِ عبدِ اللَّهِ الصاحبُ** [١٠/ ٨٧و] **بَهاءُ الدينِ أبو الحسنِ بنُ الحِنَّا الوزيرُ المِصْرىُّ**، وزيرُ الملكِ الظاهرِ وولدِه السعيدِ إلى أن تُوُفِّى فى سَلْخِ ذى القَعْدةِ، وهو جَدُّ جَدٍّ، وكان ذا رأيٍ وعَزْمٍ وتَدْبيرٍ، ذا تمكُّنٍ فى الدولةِ الظاهريةِ، لا تَمْضِى الأمورُ إلا عن رأيِه وأمْرِه، وله مَكارِمُ على الأمراءِ وغيرِهم، وقد امْتَدَحه الشُّعراءُ، وكان ابنُه تاجُ الدينِ وزيرَ الصُّحْبةِ، وقد صُودِر فى الدولةِ السَّعيديةِ.

الشيخُ محمدُ بنُ الظَّهِيرِ اللُّغوىُّ: محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ أبى شاكرٍ مَجْدُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ الإرْبِلىُّ الحنفىُّ المعروفُ بابنِ الظَّهِيرِ[2]، وُلِد بإرْبِلَ سنةَ ثنتَيْن وستِّمائةٍ، ثم أقام بدمشقَ، ودرَّس بالقَيْمازِيَّةِ، وأقام بها حتى تُوُفِّى بها ليلةَ الجمعةِ ثانى عشَرَ ربيعٍ الآخِرِ[3]، ودُفِن بمَقابرِ الصُّوفيةِ، وكان بارعًا فى النحوِ واللغةِ، وكانت له يدٌ طُولَى فى النَّظْمِ، وله دِيوانٌ مشهورٌ، وشعرٌ

---

(١) فى الأصل: «سليمان». وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٨، والعبر ٥/ ٣١٥، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٣٠، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨٦، والعبر ٥/ ٣١٦، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢٣، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٨، والجواهر المضية ٣/ ٥٢، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضى شهبة ص ٤٨، والمقفى الكبير ٥/ ٢٣٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٧.

(٣) فى عقد الجمان: «الأول».

رائقٌ ، فمِن شعرِه قولُه :

كلُّ حيٍّ إلى المَماتِ مآبُهْ ... ومدى عُمْرِه سريعٌ ذَهابُهْ
(١)ثم من قبرِه سَيُحْشَرُ فردًا ... وَاقِفًا وحدَه يُوفَّى حسابَهْ
معه سائقٌ له وشهيدٌ ... وعلى الحرصِ ويْحَهُ إكبابُهْ(١)
يُخْرِبُ الدارَ وهْى دارُ بَقاءٍ ... ثم يُبْنَى عما قريبٍ خَرابُهْ
عجبًا وهْو فى الترابِ غَريقٌ ... كيف يُلهِيه طيبُه وعِلابُهْ
كلُّ يومٍ يَزِيدُ نَقْصًا وإن عُمِّـ ... ـر حلت أوصالَه أوصابُهْ
والوَرَى فى مَراحِلِ الدهرِ رَكْبٌ ... دائمُ السَّيْرِ لا يُرَجَّى إيابُهْ
فتزَوَّدْ إن التُّقَى خيرُ زادٍ ... ونصيبُ اللبيبِ منه لُبابُهْ
وأخو العقلِ مَن يَقْضِى بصدقٍ ... (٢)شَيْبَه فى صلاحِه وشبابَهْ(٢)
وأخو الجهلِ يَسْتَلِذُّ هَوَى النفـ ... ـسِ فيَغْدُو(٣) شهدًا لديه(٣) مصابُهْ

وهى طويلةٌ جدًّا قريبةٌ مِن مائةٍ وخمسين بيتًا ، وقد أوْرَد الشيخُ قطبُ الدينِ شيئًا كثيرًا مِن شعرِه الحسنِ الفائقِ الرائقِ .

ابنُ إسرائيلَ الحَريرىُّ ، محمدُ بن سَوَّارِ بنِ إسْرائيلَ بنِ الخَضِرِ بنِ إسْرائيلَ ابنِ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ نجمُ الدينِ أبو المَعالى الشَّيْبانىُّ الدِّمَشقىُّ(٤) ، وُلِد فى ضُحى يومِ الاثنين ثانى عشَرَ ربيعِ الأولِ سنةَ ثلاثٍ

(١ - ١) سقط من : م .
(٢ - ٢) فى الأصل : « عمره فى مشيبه وشبابه » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « سهلًا عليه » .
(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٠٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٩١، والعبر ٥/ ٣١٦، والوافى بالوفيات ٣/ ١٤٣، وفوات الوفيات ٣/ ٣٨٣، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٩، والمقفى الكبير ٥/ ٧٠٨، ولسان الميزان ٥/ ١٩٥ .

وستِّمائةٍ ، وصحِب الشيخَ عليَّ بنَ أبى الحسنِ بنِ منصورٍ البُسْرىَّ الحَرِيرىَّ ، فى سنةِ ثمانَ عشْرةَ ، وكان قد لبِس الخِرْقةَ قبلَه مِن الشيخِ شِهابِ الدينِ السُّهْرَوَرْدِىِّ ، وزعَم أنه أجْلَسه فى ثلاثِ خَلَواتٍ ، وكان ابنُ إسرائيلَ يَزْعُمُ أن أهلَه قدِموا الشامَ مع خالدِ بنِ الوليدِ فاسْتَوْطَنوا دمشقَ ، وكان أديبًا فاضلًا فى صناعةِ الشعرِ ، بارعًا فى النَّظْمِ ، ولكن فى كلامِه ونَظْمِه ما يُشِيرُ به إلى نوعٍ من الحُلولِ والاتحادِ على طريقةِ ابنِ عَرَبى وابنِ الفارِضِ وشيخِه الحَرِيرىِّ . واللَّهُ أعلمُ بحالِه وحقيقةِ أمرِه . تُوُفِّى بدمشقَ ليلةَ الأحدِ الرابعَ عشَرَ مِن ربيعٍ الآخِرِ من هذه السنةِ ، عن أربعٍ وسبعين سنةً ، ودُفِن بتربةِ الشيخِ رِسْلانَ معه داخلَ القُبَّةِ ، وكان الشيخُ رِسْلانُ شيخَ الشيخِ عليٍّ المغربلِ الذى تخَرَّج على يديه الشيخُ عليٌّ الحَرِيرىُّ شيخُ ابنِ إسْرائيلَ ، فمِن شعرِه قولُه[1] :

لقد عادَنى مِن لاعجِ الشَّوْقِ عائدُ ... فهلْ عهدُ ذاتِ الخالِ بالسفحِ عائدُ
وهل نارُها بالأجرعِ الفردِ تَعْتَلِى ... [١٠/٨٧ظ] لمنفردٍ شابَ الدُّجَى وهْو شاهدُ
نَدِيمَىَّ مِن سُعْدَى أَديرا حديثَها ... فذِكْرَى هَواها والمُدامةُ واحدُ
مُنَعَّمةُ الأطرافِ رقَّت مَحاسنًا ... [2]كما جلَّ فى حُبِّى لها ما أُكابِدُ[2]
فللبدرِ ما لاثتْ عليه خمارُها ... وللشمسِ[3] ما جالَت عليه القَلائدُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٠٦.

(٢ - ٢) فى الأصل : « حلى لى فى حبى لها ما أكابد » ، وفى م : « حلى لى فى حبها ما أكابد » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان .

(٣) فى المصدر : « للغصن » .

وله[1] :

أيُّها المعتاضُ بالنومِ السَّهرْ ... ذاهلًا يَسْبَحُ فى بحرِ الفِكَرْ
سلِّم الأمرَ إلى مالكِهِ ... واصْطَبِرْ فالصبرُ عُقْباه الظَّفَرْ
لا تَكُونَنْ آيسًا مِن فرَجْ ... إنما الأيامُ تَأْتى بالغِيَرْ[2]
كَدَرٌ يَحْدُثُ فى وقتِ الصَّفَا ... وصَفًا يَحْدُثُ فى وقتِ الكَدَرْ
وإذا ما ساء[3] دَهْرٌ مرةً ... سر أهلِيهِ ومهما ساء[3] سَرّْ
فارْضَ عن ربِّك فى أقْدارِه ... إنما أنت أسِيرٌ للقَدَرْ

وله قصيدةٌ فى مدحِ النبىِّ ﷺ طويلةٌ حسنةٌ سمِعها الشيخُ كَمالُ الدينِ الزَّمْلَكانىُّ وأصحابُه على الشيخِ أحمدَ الأَعْفَفِ عنه ، وأوْرَد له الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِينىُّ أشعارًا كثيرةً ، فمنها قَصيدتُه الداليةُ المُطَوَّلةُ التى أولُها[4] :

وفَى لىَ مَن أهْواه جهرًا لمَوْعِدى ... وأرْغَم عُذَّالى عليه وحُسَّدِى
وزارَ على شَحْطِ[5] المَزارِ مُطَوَّلًا ... على مُغْرَمٍ بالوَصْلِ لم يَتَعَوَّدِ
فيا حُسْنَ ما أبدَى[6] لعينى جمالُه ... ويا بَرْدَ ما أهْدَى إلى قَلْبىَ الصَّدِى
ويا صِدْقَ أحْلامى ببُشْرَى وِصالِه ... ويا نيلَ آمالى ويا نُجْحَ مَقْصِدِى

---

(١) الذيل على مرآة الزمان ٣/ ٤١٤.
(٢) فى م : « بالعبر » .
(٣) فى المصدر : « شاه » .
(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤١٧، وفوات الوفيات ٣/ ٣٨٤.
(٥) فى الأصل ، م : « شط » . والمثبت من مصدرى التخريج . والشحط : البعد . الوسيط (ش ح ط) .
(٦) فى الأصل ، م : « أهدى » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(١ تجلَّى وُجودى إذ تجلَّى لباطنى ... بجَدٍّ سعيدٍ أو بسعدٍ مُجَدَّدِ
لقد حُقَّ لى عشقُ الوجودِ وأهلِه ... وقد علِقَت كفَّاىَ جمعًا بمُوجِدى ١)

(٢ ثم تغزَّل فأطال ، إلى أن قال ٢) :

فلما تجلَّى لى على كلِّ شاهدٍ ... وسامَرنى بالرمزِ فى كلِّ مَشْهَدِ
تجَنَّبْتُ تَقْييدَ الجِمالِ ترَفُّعًا ... وطالَعْتُ أسْرارَ الجَمالِ المُبَدَّدِ
وصار سَماعى مُطْلَقًا منه بَدْؤُه ... وحاشَى لمثلِى مِن سماعٍ مُقَيَّدِ
ففى كلِّ مَشْهودٍ لقَلْبىَ شاهدٌ ... وفى كلِّ مَسْموعٍ له لحنُ مَعْبَدِ (٣)
أراه بأوْصافِ الجَمالِ جَميعِها ... بغيرِ اعْتِقادٍ للحُلولِ المبعَّدِ
ففى كلِّ هَيْفاءِ المَعاطِفِ غادةٍ ... وفى كلِّ مَصْقولِ السَّوالِفِ أغيدِ
وفى كلِّ بدرٍ لاح فى ليلِ شعرِه ... على كلِّ غُصْنٍ مائسِ العِطْفِ أملدِ (٤)
وعندَ اعْتِناقى كلَّ قدٍّ مُهَفْهَفٍ ... ورشفى رِضابًا كالرحيقِ المُبَرَّدِ
وفى الدُّرِّ والياقوتِ والطِّيبِ والحُلى ... على كلِّ ساجى الطرفِ لَدْنِ المُقَلَّدِ
وفى حُللِ الأثوابِ راقت لناظِرِى ... بزبرجِها مِن مُذْهَبٍ ومُوَرَّدِ (٥)
وفى الراحِ والرَّيْحانِ والسمعِ والغِنا ... وفى سجعِ تَرْجيعِ الحمامِ المغرِّدِ
وفى الدَّوحِ والأنهارِ والزهرِ (٦) والنَّدَى ... وفى كلِّ بُسْتانٍ وقصرٍ مُشَيَّدِ

(١ - ١) ليس فى فوات الوفيات .

(٢ - ٢) زيادة من : م . والأبيات فى ذيل مرآة الزمان ٣/٤١٩ - ٤٢٢ . وفيها تلميح وتصريح بالحلول والاتحاد كما ذكر المصنف .

(٣) فى المصدر : « معيد » . ومعبد هذا هو : معبد بن وهب . نابغة الغناء العربى فى العصر الأموى . انظر الأعلام ٨/ ١٧٧.

(٤) المائس : المختال المتبختر . والعطف : الإبط ، أو المنكب . والأملد : اللين . تاج العروس (م ى س) ، (ع ط ف) ، (م ل د) .

(٥) فى المصدر : « معمد » .

(٦) فى المصدر : « الروح » .

وفى الروضةِ الفَيْحاءِ تحتَ سَمائِها ... يُضاحِكُ نورَ الشمسِ نوَّارُها النَّدِى
وفى صَفْوِ رَقراقِ الغديرِ إذا حكى ... وقد جَعلَتْه[1] الريحُ صفحةَ مَبْرِدِ
وفى اللهوِ والأفْراحِ والغَفْلةِ التى ... تُمكِّنُ أهلَ الفرقِ من كلِّ مقصدِ
وعند انتِشاءِ الشربِ فى كلِّ مجلسٍ ... بَهِيجٍ بأنواعِ الثِّمارِ المنضَّدِ
وعندَ اجْتماعِ الناسِ فى كلِّ جمْعةٍ ... وعيدٍ وإظهارِ الرياشِ المجدَّدِ
وفى لَمَعانِ المَشْرَفِيّاتِ بالوغى ... وفى ميلِ أعْطافِ القَنا[2] المتأوِّدِ
وفى الأَعْوَجيَّاتِ العِتاقِ إذا انْبرَت ... تُسابقُ وَفْدَ الريحِ فى كلِّ مَطردِ
وفى الشمسِ تُجلى[3] وهْى فى بُرْجِ نورِها ... لدى الأُفُقِ الشرقىِّ مرآةَ عَسْجَدِ
وفى البدرِ بدرِ الأُفْقِ ليلةَ تِمِّه ... جَلَتْه سماءٌ مثلُ صَرْحٍ مُمَرَّدِ
وفى أنْجُمٍ زانَت دُجاها كأنها ... نِثارُ لآلٍ فى بِساطِ زَبَرْجَدِ
[١٠/٨٨و] وفى الغيثِ روَّى الأرضَ بعدَ هُمودِها ... قُبَالَ نَداه مُتْهِمٌ بعد مُنْجِدِ
وفى البرقِ يَغْدُو موهنًا فى سحابِه ... كباسمِ ثغرٍ أو حُسامٍ مُجَرَّدِ
وفى حسنِ تَنْميقِ الخطابِ وسرعةِ الـ ... ـجوابِ وفى الخطِّ الأنيقِ المجوَّدِ
وفى رقةِ الأشْعارِ راقَت لسامعٍ ... بَدائِعُها مِن مُقْصَرٍ ومُقَصَّدِ
وفى عَوْدِ عيدِ الوصلِ مِن بعدِ جَفْوةٍ ... وفى أمْنِ أحْشاءِ الطَّريدِ المُشَرَّدِ
وفى رحمةِ المَعْشوقِ شَكْوى مُحبِّه ... وفى رقةِ الألْفاظِ عندَ التَّودُّدِ
وفى أرْيَحِيَّاتِ الكريمِ إلى النَّدَى ... وفى عاطفاتِ العفوِ مِن كلِّ سيِّدِ

---

(١) فى الأصل، م: «جعدته». والمثبت من المصدر.
(٢) كذا فى الأصل، م. وفى المصدر: «الفتى». والمتأود: المتثنى. تاج العروس (أ و د).
(٣) فى م: «تحكى».

وحالةِ بسطِ العارفِين وأُنْسِهِمْ ... وتَحْريكِهِمْ عندَ السَّماعِ المقيَّدِ
وفى لطفِ آياتِ الكتابِ التى بها ... تَنَسَّمُ[1] روحُ الوعدِ بعدَ التَّوَعُّدِ
كذلك أوصافُ الجَلالِ مَظاهِرٌ ... أُشاهِدُهُ فيها بغيرِ تَرَدُّدِ
ففى صولةِ[2] القاضى الجَليلِ وسَمْتِه ... وفى سَطْوةِ المَلْكِ الشَّديدِ التَّمُّردِ
وفى حِدَّةِ الغَضْبانِ حالةَ طَيْشِه ... وفى نَخْوةِ القَرْمِ المهيبِ المسوَّدِ
وفى صَوْلةِ الصَّهْباءِ حارَ مُديرُها ... وفى بؤسِ أخْلاقِ النَّديمِ المُعَرْبدِ
وفى الحرِّ والبردِ اللذَّيْنِ تَقسَّما ... الزمانَ وفى إيلامِ كلِّ مُجَسَّدِ
وفى سرِّ تَسْليطِ النُّفوسِ بشرِّها[3] ... علىَّ وتحسينِ التَّعَدِّى لمعتدِى
[4]وفى عَسَرِ العاداتِ يَسْتَعْرِفُ القضا[4] ... وتَكْحُلُ عينُ الشمسِ منه بإثْمِدِ
وعندَ اصْطِدامِ الخيلِ فى كلِّ موقفٍ ... يُعَثَّرُ فيه بالوشيجِ المنضَّدِ
وفى شَدَّةِ الليثِ الصَّئولِ وبأسِه ... وشِدةِ عيشٍ بالسِّقامِ مُنَكَّدِ
وفى جَفْوةِ المَحْبوبِ بعدَ وِصالِه ... وفى غَدْرِه مِن بعدِ عهدٍ مُؤَكَّدِ
وفى رَوْعةِ البَيْنِ المُسِيءِ ومَوْقِفِ الـ ... ـوداعِ لِحَرَّانِ الجوانحِ مُكْمَدِ
وفى فُرقةِ الأُلَّافِ بعدَ اجتماعِهِمْ ... وفى كلِّ تَشْتيتٍ وشَمْلٍ مُبَدَّدِ
وفى كلِّ دارٍ أقْفَرَت بعدَ أُنْسِها ... وفى طَلَلٍ بالٍ دَراسٍ مُعَهَّدِ
وفى هولِ أمْواجِ البحارِ ووَحْشةِ الـ ... ـقِفارِ وسيلٍ بالمَزاييبِ مُزْبَدِ

---

(١) فى الأصل : « تقسم » . وفى ذيل المرآة : « تبسم » . وتنسم : تتنسم .
(٢) فى م : « سطوة » .
(٣) فى ذيل مرآة الزمان : « ونشرها » .
(٤ - ٤) فى م : « وفى عسر العادات يشعر بالقضاء » ، وفى ذيل المرآة : « وفى عثر الغارات يستعرف الفضا » .

وعندَ قِيامى بالفَرائِضِ كلِّها ... وحالةِ تسليمٍ لسرِّ التَّعَبُّدِ
وعندَ خُشوعى فى الصلاةِ لعزةِ الـ ... ـمُناجَى وفى الإطراقِ عندَ التَّهَجُّدِ
وحالةِ إهْلالِ الحَجِيجِ بحجِّهم ... وإعْمالِهِمْ للعِيسِ فى كلِّ فدفدِ[1]
وفى عسرِ تَخْليصِ الحلالِ وفترةِ الـ ... ـمَلالِ لقلبِ الناسكِ المُتَعَبِّدِ
وفى ذكرِ آياتِ العذابِ وظلمةِ الـ ... ـحجابِ وقبضِ الناسِكِ المُتَزَهِّدِ
ويَبْدُو بأوْصافِ الكَمالِ فلا أَرَى ... برؤيتِه شيئًا قبيحًا ولا رَدِى
فكلُّ مُسِيءٍ لى إلىَّ كمُحْسِنٍ ... وكلُّ مُضِلٍّ لى إلىَّ كمُرْشِدِ
فلا فرقَ عندى بينَ أُنْسٍ ووَحْشةٍ ... ونُورٍ وإظْلامٍ ومُدْنٍ ومُبْعِدِ
وسِيَّانَ إفْطارى وصومى وفترتى ... وجَهْدى ونومى وادِّعاءُ تهَجُّدى
أُرَى تارةً فى حانةِ الخمرِ خالعًا ... عِذارِى وطَورًا فى حَنِيَّةِ مَعْبَدِ[2]
تجلَّى لِسرِّى بالحقيقةِ مشربٌ ... فوقتىَ مَمْزوجٌ بكشفٍ مُسَرْمَدِ
تعَمَّرَت الأوطانُ بى وتحَقَّقَت ... مظاهرُها عندى بعينى ومشهدى
وقلبى مع الأشياءِ [3]أجْمَعَ قُلَّبٌ[3] ... وسرِّىَ[4] مَقْسومٌ على كلِّ مَوْرِدِ
فهيكلُ أوثانٍ ودَيْرٌ لراهبٍ ... وبيتٌ لنِيرانٍ وقِبلَةُ مسجدِ
و[5]مَرْجٌ لغزلانٍ[5] وحانةُ قهوةٍ ... وروضةُ أزهارٍ ومطلعُ أسعدِ

---

(١) فى الأصل : « فرقد » .
(٢) فى م : « مسجد » . وخلع فلان عذاره : انهمك فى الغى ولم يستح . والحنية : القوس . ويريد بها محراب القبلة لأنه مقوس . الوسيط (ع ذ ر) ، (ح ن و) .
(٣ - ٣) فى الأصل : « جمع مقلب » . وأجمع : أى الأشياء جميعها . وقُلَّبٌ : يتقلب كيف يشاء . تاج العروس (ق ل ب) .
(٤) فى م : « شربى » .
(٥ - ٥) فى م ، وذيل المرآة : « مسرح غزلان » .

وأسرارُ عِرفانٍ ومفتاحُ حِكمةٍ وأنفاسُ وجدانٍ وفيضُ تبلُّدِ
وجيشٌ لضِرغامٍ وخِدرٌ لكاعبٍ وظلمةُ حَيْرانٍ ونورٌ لمُهْتدِى
تقابلتِ الأضدادُ عندى [١٠/٨٨ظ] جميعُها كمحنةِ مجهودٍ ومِنْحةِ مُجْتدِى
وأحكمتُ تقريرَ المراتبِ صورةً ومعنًى ومن عينِ التفرّدِ موردِى
فما موطنٌ إلا ولى فيهِ مَوْقفٌ على قَدَمٍ قامتْ بحقِّ التفردِ
فلا غَرْوَ إن فُتُّ الأنامَ بها وقد عَلِقْتُ بحبلٍ من حبالِ محمدِ
عليه صلاةُ اللّهِ تشفعُ دائمًا بروحِ تحياتِ السلامِ المردّدِ

ابنُ العُودِ الرافضىُّ أبو القاسمِ بنُ[1] الحسينِ بنِ العُودِ نَجيبُ الدينِ الأسَدىُّ الحِلِّىُّ، شيخُ الشِّيعةِ وإمامُهم وعالمُهم فى أنفسِهم، كانت له فضيلةٌ ومُشارَكةٌ فى علومٍ كثيرةٍ، وكان حسنَ المُحاضَرةِ والمُعاشَرةِ، لَطيفَ النادرةِ، وكان كثيرَ التَّعَبُّدِ بالليلِ، وله شعرٌ جيدٌ. وُلِد سنةَ إحدى وثمانين وخمسِمائةٍ، وتُوُفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ عن ستٍّ وتسعين سنةً. واللّهُ أعلمُ بأحوالِ عبادِه وسَرائرِهم ونيَّاتِهم.

---

(١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٤٣٤/٣، والعبر ٣٢٥/٥، ومرآة الجنان ١٩١/٤. وجاءت وفاته فى المصدرين الأخيرين فى سنة تسع وسبعين وستمائة.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

كان أولَها يومُ الأحدِ، والخليفةُ والسلطانُ هما المَذْكوران فى التى قبلَها. وقد اتَّفَق فى هذه السنةِ أمورٌ عَجيبةٌ، وذلك أنه وقَع الخُلْفُ بينَ المَمالِكِ كلِّها، اخْتَلَفَت التَّتارُ فيما بينَهم، واقْتَتلوا فقُتِل منهم خَلْقٌ كثيرٌ، واخْتَلَفَت الفِرِنجُ فى السواحلِ، وصال بعضُهم على بعضٍ، وقتَل بعضُهم بعضًا، وكذلك الفِرِنجُ الذين فى داخلِ البُحورِ وجَزائرِها اخْتَلَفوا واقْتَتَلوا، واقْتَتَلت قبائلُ الأعْرابِ بعضُها فى بعضٍ قِتالًا شديدًا، وكذلك وقَع الخُلْفُ بينَ العَشِيرِ مِن الحوارنةِ، وقامت الحربُ بينَهم على ساقٍ، وكذلك وقَع الخُلْفُ بينَ الأمراءِ الظاهريَّةِ، بسببِ أن السلطانَ الملكَ السعيدَ بنَ الظاهرِ لما بعَث الجيشَ إلى سِيسَ أقام بعدَه بدمشقَ، وأخَذ فى اللَّهْوِ واللعبِ والانْبِساطِ مع الخاصِّكِيَّةِ، وتمكَّنوا مِن الأمورِ، وبَعُد عنه الأُمراءُ الكِبارُ، فعصَت طائفةٌ منهم ونابذوه وفارَقوه، وأقاموا بطريقِ العساكرِ الذين توَجَّهوا إلى سِيسَ وغيرِهم، فرجَعَت العساكرُ إليهم، فلما اجْتَمَعوا شعَّثوا قلوبَهم على الملكِ السعيدِ، ووحَّشوا خَواطرَ الجيشِ عليه، وقالوا: المَلِكُ لا يَنْبَغى له أن يَلْعَبَ ولا يَلْهُوَ، وإنما هِمَّةُ الملوكِ فى العدلِ ومَصالحِ المسلمين، والذَّبِّ عن حَوْزَتِهم، كما كان أبوه[2]. ثم راسَله الجيشُ فى إبعادِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ١٢، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٣ - ٤٠٠، ٣١/٧ - ٣٠، وكنز الدرر ٨/٢٢٦-٢٣٥، والعبر ٥/٣١٧ - ٣٢٢، وتذكرة النبيه ١/٤٨ - ٥٢، وعقد الجمان ٢/٢١٥ - ٢٣٩.

(٢) بعده فى م: «وصدقوا فيما قالوا فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك وفساد الرعية».

الخاصِّكِيَّةِ عنه ودُنُوِّ ذَوِى الأحْلامِ والنُّهَى إليه كما كان أبوه يَفْعَلُ ، فلم يَقْبَلْ ، وذلك كان لا يُمْكِنُه ذلك ؛ لقوةِ شَوْكةِ الخاصِّكِيَّةِ وكثرتِهم ، فركِب الجيشُ وساروا قاصِدِين مَرْجَ الصُّفَّرِ ، ولم يُمْكِنْهم العُبورُ على دمشقَ ، بل أَخَذوا مِن شرقِها ، فلما اجْتَمَعوا كلُّهم بمَرْجِ الصُّفَّرِ أرْسَل السلطانُ أمَّه إليهم ، فتَلَقَّوْها وقبَّلوا الأرضَ بينَ يديها ، فأخَذَت تَتَأَلَّفُهم[1] وتُصْلِحُ الأمورَ ، فأجابوها واشْتَرَطوا شُروطًا على ولدِها السلطانِ ، فلما رجَعَت إليه لم يَلْتَزِمْ بها ، ولم تُمَكِّنْه الخاصِّكيَّةُ مِن ذلك ، فسارَت العَساكرُ إلى الديارِ المصريةِ ، فساق السلطانُ خلفَهم ليَتَلافَى الأمورَ قبلَ تَفاقُمِها ، فلم يَلْحَقْهم [١٠/٨٩و] ، وسبَقوه إلى القاهرةِ ، وقد كان أرسَل أهلَه وأولادَه وثَقَلَه إلى الكَرَكِ ، فحصَّنهم فيها ، وركِب فى طائفةٍ مِن الجيشِ الذين بقُوا معه والخاصِّكِيةِ قاصِدَ الديارِ المصريةِ ، فلما اقْتَرَب منها صدُّوه عنها ، وقاتَلوه فقُتِل مِن الفريقَيْن نفَرٌ يَسيرٌ ، فأخَذَه بعضُ الأمراءِ ، فشقَّ به الصُّفوفَ ، وأدْخَله قلعةَ الجبلِ ليَسْكُنَ الأمرُ ، فما زادهم ذلك إلّا نُفورًا ، فحاصَروا حينَئذٍ القلعةَ ، وقطَعوا عنها الماءَ ، وجرَت خُطوبٌ طويلةٌ وأحوالٌ صعبةٌ . ثم اتَّفَق الحالُ بعدَ ذلك مع الأميرِ سيفِ الدينِ قَلاوُونَ الألْفِيِّ الصالحيِّ - وهو المُشارُ إليه حينَئذٍ - على أن يَتْرُكَ الملكُ السعيدُ المُلْكَ ، ويَتَعَوَّضَ بالكَرَكِ والشَّوْبَكِ ، ويَكُونَ فى صُحْبتِه أخوه نَجْمُ الدينِ خَضِرٌ ، وتَكُونَ المَمْلَكةُ إلى أخيهما الصَّغيرِ بدرِ الدينِ سَلَامُش ، ويَكُونَ الأميرُ سيفُ الدينِ قَلاوُون أتابَكَه .

---

(١) فى الأصل : « تتلافاهم » .

ذكرُ خَلْعِ الملكِ السعيدِ
وتَوْليةِ أخيه الملكِ العادلِ سَلَامُش

لما اتَّفَق الحالُ على ما ذكَرْنا نزَل السلطانُ الملكُ السعيدُ مِن القلعةِ إلى دارِ العدلِ فى سابعَ عشَرَ الشهرِ، وهو ربيعٌ الآخِرُ، وحضَر القُضاةُ والدولةُ مِن أُولى الحَلِّ والعَقْدِ، فخَلع السعيدُ نفسَه مِن السَّلْطنةِ، وأشْهَدَهم على نفسِه بذلك، وبايَعوا أخاه بدرَ الدينِ سَلَامُش، ولُقِّب بالملكِ العادلِ، وعمرُه يومَئذٍ سبعُ سنينَ، وجعَلوا أتابَكَه الأميرَ سيفَ الدينِ قَلَاوُون الأَلْفىَّ الصالحىَّ، وخطَب الخُطَباءُ، ورُسمَت السِّكَّةُ باسمِهما، وجُعِل للسعيدِ الكَرَكُ، ولأخيه خَضِرٍ الشَّوْبَكُ، وكُتِبَت بذلك مَكاتِيبُ، ووضَع القُضاةُ والمُفْتون خُطوطَهم بذلك، وجاءَت البَرِيديةُ إلى الشامِ بالتَّحْليفِ لهم على ما حلَف عليه المِصْريون. ومُسِك الأميرُ أَيْدَمُر نائبُ الشامِ الظاهرىُّ، واعْتُقِل بالقلعةِ عندَ نائبِها، وكان نائبَها إذ ذاك عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الدوادارىُّ، وأُحِيط على أموالِ نائبِ الشامِ وحَواصِلِه، وجاء على نِيابةِ الشامِ الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُرُ الأَشْقَرُ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ، وتحكَّم مَكِينٍ، فنزَل بدارِ السعادةِ، وعظَّمه الناسُ وعامَلوه معامَلةَ الملوكِ، وعزَل السلطانُ قضاةَ مصرَ الثلاثةَ؛ الشافعىَّ والحنفىَّ والمالكىَّ، وولَّوُا القضاءَ صَدْرَ الدينِ عمرَ ابنَ القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأَعَزِّ عِوَضًا عن الشافعىِّ، وهو تَقِىُّ الدينِ بنُ رَزِينٍ، وكأنهم إنما عزَلوه لكونِه توَقَّف فى خَلْعِ الملكِ السعيدِ. واللَّهُ أعلمُ.

ذكرُ بَيْعةِ الملكِ المنصورِ قَلاوُون الصالحىّ

لما كان يومُ الثلاثاءِ الحادى والعشرين مِن رجبٍ اجْتَمَع الأُمراءُ بقلعةِ الجبلِ مِن مصرَ، وخلَعوا الملكَ العادلَ سَلَامُش بنَ الظاهرِ، وأخْرَجوه مِن البَيْنِ، وإنما كانوا قد بايَعوه صورةً ليَسْكُنَ الشَّرُّ عندَ خَلْعِ الملكِ السعيدِ، ثم اتَّفَقوا على بَيْعةِ الملكِ المنصورِ قَلاوُون الصالحىِّ، ولقَّبوه بالملكِ المنصورِ، وجاءَت البَيْعةُ إلى دمشقَ، فوافَق الأمراءُ وحلَفوا، وذُكِر أن الأميرِ شمسَ الدينِ سُنْقُرَ الأشْقَرَ لم يَحْلِفْ مع الناسِ ولم يَرْضَ بما وقَع، وكأنه داخلُه حسَدٌ مِن المنصورِ؛ لأنه كان يَرَى أنه أعْظَمُ منه عندَ الظاهرِ. وخُطِب للمنصورِ على المَنابرِ المصريةِ والشاميةِ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه، وجرَت الأمورُ فى البلادِ بمُقْتَضَى رأيِه، [١٠/٨٩ظ] فعزَل وولَّى، ونفَذَت مَراسِيمُه فى سائرِ البلادِ بذلك، فعزَل عن الوِزارةِ بُرْهانَ الدينِ السِّنْجارىَّ، وولَّى مكانَه فخرَ الدينِ بنَ لُقْمانَ كاتبَ السِّرِّ وصاحبَ دِيوانِ الإنْشاءِ بالديارِ المصريةِ.

وفى يومِ الخميسِ حادى عشَرَ ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ تُوُفِّى الملكُ السعيدُ ابنُ الملكِ الظاهرِ بالكَرَكِ، وسيَأْتى ذِكْرُ ترجمتِه، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وفيها حُمِل الأميرُ أَيْدَمُر الذى كان نائبَ الشامِ، فى مِحَفَّةٍ - لمرضٍ لَحِقه - إلى الديارِ المصريَّةِ، فدخَلَها فى أواخِرِ ذى القَعْدةِ، واعْتُقِل بقلعةِ مصرَ.

ذكرُ سلطنةِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ بدمشقَ

لما كان يومُ الجمعةِ الرابعُ والعشرون مِن ذى القَعْدةِ ركِب الأميرُ شمسُ الدينِ

سُنْقُرُ الأَشْقَرُ مِن دارِ السَّعادةِ بعدَ صلاةِ العصرِ، وبينَ يديه جَماعةٌ مِن الأمراءِ والجُنْدِ مُشاةً، وقصَد بابَ القلعةِ الذى يلى المدينةَ، فهجَم منه، ودخَل القلعةَ، واسْتَدْعَى الأمراءَ، فبايَعوه على السَّلْطنةِ، ولُقِّب بالملكِ الكاملِ، وأقام بالقلعةِ، ونادَت المُنادِيةُ بدمشقَ بذلك، فلما أصْبَح يومَ السبتِ اسْتَدْعَى بالقُضاةِ والعُلماءِ والأعْيانِ ورُؤساءِ البلدِ إلى مسجدِ أبى الدَّرْداءِ بالقلعةِ وحلَّفهم، وحلَف له بقيةُ الأمراءِ والعَسْكرِ، وأرْسَل العَساكرَ إلى غَزَّةَ لحفظِ الأطْرافِ وأخْذِ الغَلَّاتِ، وأرْسَل الملكُ المنصورُ إلى الشَّوْبَكِ، فتسَلَّمها نُوَّابُه، ولم يُمانِعْهم نَجْمُ الدينِ خَضِرٌ.

وفيها جُدِّدَت خمسةُ[1] أضْلاعٍ فى قبةِ النَّسْرِ مِن الناحيةِ الغربيةِ.

وفيها عُزِل فتحُ الدينِ بنُ القَيْسَرانىِّ مِن الوِزارةِ بدمشقَ، ووليها تَقىُّ الدينِ[2] تَوْبَةُ التَّكْرِيتىُّ.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

عزُّ الدينِ بنُ غانمٍ الواعظُ: عبدُ السلامِ بنُ أحمدَ بنِ غانمِ بنِ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ عَساكرَ بنِ حسينٍ عِزُّ الدينِ [3]أبو محمدٍ[3] الأنْصارىُّ المَقْدِسىُّ، الواعظُ المُطَبِّقُ المُفْلِقُ الشاعرُ الفَصيحُ، الذى نسَج على مِنْوالِ ابنِ الجَوزىِّ وأمثالِه، وقد أوْرَد له قُطْبُ الدينِ أشياءَ حسنةً كثيرةً مَليحةً، وكان له قَبولٌ عندَ الناسِ، تكَلَّم مرةً تُجاهَ الكعبةِ المعَظَّمةِ، وكان فى الحَضْرةِ الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ، والشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العيدِ، وابنُ العُجَيْلِ مِن اليمنِ وغيرُهم مِن

---

(١) فى م: «أربعة».

(٢) بعده فى الأصل، م: «بن». والمثبت من عقد الجمان ٢/ ٢٣٦، والسلوك ١/ ٦٦٥.

(٣ - ٣) فى م: «أحمد». وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٣، وتذكرة النبيه ١/ ٥٤، والعبر ٥/ ٣٢١، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤١٤، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٠، وعقد الجمان ٢/ ٢٣٨.

العلماءِ والعُبَّادِ ، فأجاد وأفاد ، وخطَب فأبْلَغ وأحْسَن . نقَل هذا المجلسَ الشيخُ شرفُ[1] الدينِ الفَزاريُّ ، وأنه كان فى سنةِ خمسٍ وسبعين .

الملكُ السعيدُ بنُ الملكِ الظاهرِ بَرَكَةُ خان : ناصرُ الدينِ محمدُ بَرَكة خان أبو المَعالى ابنُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْسَ البُنْدُقْداريِّ[2] ، بايَع له أبوه الأمراءَ فى حياتِه ، فلما تُوُفِّى أبوه بُويع له بالمُلْكِ ، وله تسعَ عشْرةَ سنةً ، ومشت له الأمورُ فى أولِ الأمرِ على السعادةِ ، ثم إنه غلَبَت عليه الخاصِّكِيةُ ، فجعَل يَلْعَبُ معهم فى المَيْدانِ الأخْضرِ فيما قيل أولَ هُوِيٍّ ، فربما جاءَت النَّوْبةُ عليه ، فيَنْزِلُ لهم ، فأنْكَرَت الأمراءُ الكبارُ ذلك ، وأنِفُوا أن يَكُونَ مَلِكُهم يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ ، ويَجْعَلَ نفسَه كأحدِهم ، فراسَلوه فى ذلك ليَرْجِعَ عما هو عليه ، فلم يَقْبَلْ ، فخلَعوه كما ذكَرْنا ، وولَّوُا السلطانَ الملكَ المنصورَ قَلاوُون فى أواخِرِ رجبٍ كما تقَدَّم . ثم كانت وفاتُه فى هذه السنةِ بالكَرَكِ [١٠/٩٠و] فى يومِ الجمعةِ الحادى عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ ، يقالُ : إنه سُمَّ . فاللَّهُ أعلمُ[3] . وقد دُفِن أولًا عندَ قبرِ جعفرٍ وأصحابِه الذين قُتِلوا بمُؤْتةَ ، ثم نُقِل إلى دمشقَ ، فدُفِن فى تربةِ أبيه سنةَ ثمانين وستِّمائةٍ ، وتملَّك الكَرَكَ بعدَه أخوه نَجْمُ الدينِ خَضِرٌ ، ولُقِّب بالملكِ المسعودِ ، فانْتَزَعها المنصورُ مِن يدِه ، كما سيأتى إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل : « تقى » ، وفى م : « تاج » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٣، والعبر ٥/ ٣٢١، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٧٤، وتذكرة النبيه ١/ ٥٣، والسلوك ١/ ٦٦٩ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٢٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٩.

(٣) وذكرت أكثر المصادر أن مما قيل أيضًا فى سبب موته أنه تَقَطَّر من على فرسه - أى وقع من فوقه على جنبه - فحُمَّ بسبب ذلك فمات بعد مدة .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وسبعين وستّمائةٍ[1]

كان أولَها يومُ الخميسِ ثالث أيَّارَ ، والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أحمدُ العباسيُّ ، ومِلِكُ مصرَ الملكُ المنصورُ قَلاوُون الصالحيُّ ، وبعضِ بلادِ الشامِ أيضًا ، وأما دمشقُ وأعمالُها فقد ملَكها سُنْقُرُ الأشْقَرُ ، وصاحبُ الكَرَكِ الملكُ المسعودُ[2] بنُ الظاهرِ ، وصاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ تَقيِّ الدينِ محمودٍ ، والعراقُ وبلادُ الجزيرةِ وخُراسانُ والمَوْصِلُ وإرْبِلُ وأَذْرِبيجانُ وبلادُ بكرٍ وخِلاطُ وما والاها وغيرُ ذلك مِن البلادِ بأيدى التتارِ ، وكذلك بلادُ الرومِ فى أيديهم أيضًا ، ولكن فيها غِياثُ الدينِ بنُ[3] رُكنِ الدينِ ، ولا حُكْمَ له سوى الاسمِ ، وصاحبُ اليمنِ الملكُ المُظَفَّرُ شمسُ الدينِ يوسفُ[3] بنُ عمرَ ، وصاحبُ الحرمِ الشريفِ نجمُ الدينِ بنُ أبى نُمَيٍّ[4] الحَسَنيُّ ، وصاحبُ المدينةِ عزُّ الدينِ جَمَّازُ ابنُ شِيحةَ الحُسَيْنيُّ .

ففى مُسْتَهَلِّ السنةِ المذكورةِ ركِب السلطانُ الملكُ الكاملُ سُنْقُرُ الأشْقَرُ مِن القلعةِ إلى المَيْدانِ ، وبينَ يديه الأمراءُ ومُقَدَّمو الحَلَقةِ يَحْمِلون[5] الغاشيةَ ، وعليهم الخِلَعُ ، والقُضاةُ والأعيانُ رُكَّابٌ معه ، فسِير فى المَيْدانِ ساعةً ، ثم رجَع إلى

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٣٥ - ٥٤، ونهاية الأرب ٣١/٦٣ - ٧٢، والعبر ٥/٣٢٢ - ٣٢٥، وكنز الدرر ٨/٢٣٥ - ٢٣٩ ، وتذكرة النبيه ١/٥٧ - ٦٠ ، وعقد الجمان ٢/٢٤٠ - ٢٥٨.

(٢) فى الأصل : « السعيد » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « شمى » . وانظر ترجمته فيما سيأتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة .

(٥) سقط من : م .

القلعةِ ، وجاء إلى خدمتِه الأميرُ شرفُ الدينِ عيسى بنُ مُهَنَّا ملكُ العربِ ، فقبَّل الأرضَ بينَ يديه ، وجلَس إلى جانبِه وهو على السِّماطِ ، وقام له المَلِكُ الكاملُ ، وكذلك جاء إلى خدمتِه ملكُ الأعرابِ بالحِجازِ ، وأمَر الكاملُ سُنْقُرُ أن تُضافَ البلادُ الحَلَبيةُ إلى ولايةِ القاضى شمسِ الدينِ بنِ خَلِّكانَ ، وولَّاه تَدْريسَ الأمِينيةِ ، وانْتَزَعها مِن ابنِ سَنِيِّ الدولةِ .

ولما بلَغ الملكَ المنصورَ بالديارِ المصريةِ ما كان مِن أمرِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ بالشامِ أرْسَل إليه جيشًا كثيفًا ، فهزَموا عَسْكرَ سُنْقُرَ الأشْقرِ الذى كان قد أرْسَله إلى غَزَّةَ ، وساقُوهم بينَ أيديهم حتى وصَل جيشُ المِصْريين إلى قريبِ دمشقَ ، فأمَر الملكُ الكاملُ أن يُضْربَ دِهْليزُه بالجُسُورةِ ، وذلك فى يومِ الأربعاءِ ثانى عشَرَ صفرٍ ، ونهَض بنفسِه وبمَن معه ، فنزَل هنالك ، واسْتَخْدَم خلقًا كثيرًا ، وأنْفَق أموالًا جَزيلةً ، وانْضاف إليه عربُ الأميرِ شرفِ الدينِ عيسى بنِ مُهَنَّا ، وشِهابِ الدينِ أحمدَ بنِ حجِّى ، ونَجْدةُ حلبَ ونَجْدةُ حَماةَ ورجالٌ كثيرةٌ مِن جبالِ[1] بَعْلَبَكَّ ، فلما كان يومُ الأحدِ السادسَ عشَرَ مِن صفرٍ أقْبَل الجيشُ المصرىُّ صُحْبةَ الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ الحَلَبىِّ ، فلما تَراءَى الجَمْعان وتَقابلَ الفريقان تَقاتَلوا إلى الرابعةِ فى النهارِ ، فقُتِل نَفَرٌ كثيرٌ ، وثبَت الملكُ الكاملُ سُنْقُرُ الأشْقَرُ ثَباتًا جيدًا ، ولكن خامَر عليه الجيشُ ، فمنهم مَن صار إلى المصرىِّ ، ومنهم مَن انْهَزَم فى كلِّ وجهٍ ، وتفرَّق عنه أصحابُه ، فلم يَسَعْه إلا الانْهِزامُ على طريقِ المَرْجِ فى طائفةٍ يَسِيرةٍ ، فى صُحْبةِ عيسى بنِ مُهَنَّا ، فسار بهم إلى بَرِّيَّةِ الرَّحْبةِ ، فأنْزَلَهم فى بيوتٍ مِن شَعْرٍ ، وأقام بهم وبِدَوابِّهم مدةَ مُقامِهم عندَه ، ثم بعَث الأمراءُ الذين انْهَزموا

---

(١) فى م : « رجال » .

عنه ، فأخَذوا لهم أمانًا مِن الأميـرِ سَنْجَرَ ، وقد نزَل فى ظاهرِ دمشقَ وهى مَغْلوقةٌ ، [١٠/٩٠ظ] فراسَل نائبَ القلعةِ ، ولم يَزَلْ به حتى فتَح بابَ الفَرَجِ مِن آخرِ النهارِ ، وفُتِحَت القلعةُ مِن داخلِ البلدِ ، فتسَلَّمها للمنصورِ ، وأُفْرِج عن الأميرِ ركنِ الدين بَيْبَرْسَ العجمىِّ المعروفِ بالجالقِ[1] ، والأميرِ حسامِ الدينِ لاجين المَنْصورىِّ ، وغيرِهم مِن الأمراءِ الذين كان قد اعْتَقَلهم سُنْقُرُ الأَشْقَرُ ، وأرْسَل سَنْجَرُ البَرِيديةَ إلى الملكِ المنصورِ يُعْلِمونه بصورةِ الحالِ ، وأرْسَل سَنْجَرُ ثلاثةَ آلافٍ فى طلبِ سُنْقُرَ الأَشْقَرِ .

وفى هذا اليومِ جاء ابنُ خَلِّكانَ ليُسَلِّمَ على الأميرِ سَنْجَرَ الحلبىِّ ، فاعْتَقَله فى عُلْوِ الخانَقاه النَّجِيبيةِ ، وعزَله فى يومِ الخميسِ العشرين مِن صفرٍ ، ورسَم للقاضى نجمِ الدينِ بنِ سَنِىِّ الدولةِ بالقَضاءِ فباشَره ، ثم جاءَت البَرِيديةُ معهم كتابٌ مِن الملكِ المنصورِ بالعَتْبِ على طَوائفِ الناسِ ، والعَفْوِ عنهم كلِّهم ، فتَضاعَفَت له الأدْعِيةُ ، وجاء تَقْليدُ النِّيابةِ بالشامِ للأميرِ حُسامِ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارِ المَنْصورىِّ ، فدخَل معه عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الحلبىُّ ، فرتَّبه بدارِ السَّعادةِ ، وأمَر سَنْجَرُ القاضىَ ابنَ خَلِّكانَ أن يَتَحَوَّلَ مِن المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ ؛ ليَسْكُنَها نَجْمُ الدينِ ابنُ سَنِىِّ الدولةِ ، وألَحَّ عليه فى ذلك ، فاسْتَدْعَى جِمالًا ليَنْقُلَ أهلَه وثَقَلَه عليها إلى الصالحيةِ ، فجاء البريدُ بكتابٍ مِن السلطانِ ، فيه تَقْريرُ ابنِ خَلِّكانَ على القَضاءِ ، والعَفْوُ عنه وشُكْرُه والثَّناءُ عليه ، وذِكْرُ خدمتِه المُتَقدِّمةِ ، ومعه خِلْعةٌ سَنيةٌ له ، فلبِسها وصلَّى بها الجمُعةَ ، وسلَّم على الأمراءِ ، فأكْرَموه وعظَّمُوه ، وفرِح الناسُ به وبما وقَع مِن الصَّفْحِ عنه .

---

(١) فى م : « بالحالق » .

وأما سُنْقُرُ الأَشْقَرُ فإنه لما خرَجَت العَساكرُ فى طلبِه فارَق الأميرَ عيسى بنَ مُهَنَّا، وسار إلى السَّواحلِ، فاسْتَحْوَذ منها على حُصونٍ كثيرةٍ؛ منها صِهْيونُ، وقد كان بها أولادُه وحَواصلُه، وحصنُ بَلَاطُنُسَ[1] وبَرْزَيَةَ وعَكّارٍ وجَبَلَةَ واللَّاذِقِيَّةِ، والشُّغْرِ و[2]بَكَاسَ وشَيْزَرَ، واسْتَناب فيها الأميرَ عزَّ الدينِ أَزْدَمُرَ الحاجَّ، فأرْسَل السلطانُ المنصورُ لحصارِ شَيْزَرَ طائفةً مِن الجيشِ، فبينما هم كذلك إذ أقْبَلَت التَّتارُ مِن كلِّ فجٍّ لما سمِعوا بتَفْريقِ كلمةِ المسلمين، فانْجَفَل الناسُ مِن بينِ أيديهم مِن سائرِ البلادِ إلى الشامِ، ومِن الشامِ إلى مصرَ، فوصَلَت التَّتارُ إلى حلبَ، فقتَلوا خلقًا كثيرًا، ونهَبوا شيئًا كثيرًا، وظنُّوا أن جيشَ سُنْقُرَ الأشقرِ يَكونُ معهم على المنصورِ، فوجَدوا الأمرَ بخلافِ ذلك، وذلك أن المنصورَ[3] كتَب إلى سُنْقُرَ الأشقرِ: إن التَّتارَ قد أقْبَلوا إلى المسلمين، والمَصْلحةُ أن نَتَّفِقَ عليهم لئلا يَهْلِكَ المسلمون بينَنا وبينَهم، وإذا ملَكوا البلادَ لم يَدَعُوا منا أحدًا. فكتَب إليه سُنْقُرُ بالسمعِ والطاعةِ، وبرَز مِن حصنِه، فخيَّم بجيشِه ليَكُونَ على أُهْبةٍ متى طُلِب أجاب، ونزَلَت نُوَّابُه مِن حُصونِهم، وبقُوا مُسْتَعِدِّين لقِتالِ التَّتارِ، وخرَج الملكُ المنصورُ مِن مصرَ فى أواخِرِ جُمادَى الآخِرةِ، ومعه العَساكرُ.

---

(١) فى م: «بلاطس». وبلاطنس: حص منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب. معجم البلدان ١/ ٧١٠.

(٢) سقط من: م. والمثبت من مرآة الزمان. والشغر: قلعة حصينة يقابلها قلعة بكاس. وانظر معجم البلدان ١/ ٧٠٤.

(٣) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٤٥: «أمراء العسكر المصرى».

وفى يومِ الجمعةِ [1]الثامنِ والعشرينَ[1] مِن جُمادَى الآخِرةِ قُرِئَ على منبرِ جامعِ دمشقَ كتابٌ مِن السلطانِ أنه قد عهِد بالمُلكِ إلى ابنِه عليٍّ ، ولُقِّب بالملكِ الصالحِ ، فلما فُرِغ مِن قراءةِ الكتابِ جاءَت البَرِيديةُ ، فأخْبَروا برُجوعِ التَّتارِ مِن حلبَ إلى بلادِهم ، وذلك لما بلَغهم مِن اتِّفاقِ كلمةِ المسلمين ، [١٠/٩١و] ففرِح المسلمون بذلك ، وللَّهِ الحمدُ ، وعاد المنصورُ إلى مصرَ ، وكان قد وصَل إلى غَزَّةَ ، أراد بذلك تَخْفيفَ الوَطْأةِ عن الشامِ ، فوصَل إلى مصرَ فى نصفِ شعبانَ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ أُعِيد بُرْهانُ الدينِ السِّنْجاريُّ إلى وِزارةِ مصرَ ، ورجَع فخرُ الدينِ بنُ لُقْمانَ إلى كتابةِ الإنشاءِ .

وفى أواخِرِ رمضانَ أُعِيد إلى القَضاءِ ابنُ رَزِينٍ ، وعُزِل ابنُ بنتِ الأعَزِّ ، وأُعِيد القاضى نَفِيسُ الدينِ بنُ شُكْرٍ المالكيُّ ، ومُعِينُ الدينِ الحَنَفيُّ ، وتوَلَّى قَضاءَ الحَنابلةِ عزُّ الدينِ المَقْدِسيُّ .

وفى ذى الحِجَّةِ جاء تَقْليدُ ابنِ خَلِّكانَ بإضافةِ المُعامَلةِ الحَلَبيةِ إليه يَسْتَنِيبُ فيها مَن يشاء مِن نُوّابِه .

وفى مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ خرَج الملكُ المنصورُ مِن بلادِ مصرَ بالعَساكرِ قاصدًا الشامَ ، واسْتَناب على مصرَ ولدَه الملكَ الصالحَ عليَّ بنَ المنصورِ إلى حينِ رُجوعِه .

قال الشيخُ قُطْبُ الدينِ[2] : وفى يومِ عَرَفةَ وقَع ببلادِ مصرَ بَرَدٌ كِبارٌ أتْلَف شيئًا كثيرًا مِن المُغَلَّاتِ ، ووقَعَت صاعقةٌ بالإسْكَنْدَريةِ وأخرى فى يومِها تحتَ

(١ - ١) فى الأصل ، م : « الثالث » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤/ ٤٦.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٣.

الجبلِ الأحمرِ على صخرةٍ فأحْرَقَتها ، فأُخِذ ذلك الحديدُ فسُبِك ، فخرَج منه أواقٍ بالرِّطْلِ المصرىِّ .

وجاء السلطانُ فنزَل بعَساكرِه تُجاهَ مدينةِ عَكَّا ، فخافَت الفِرِنجُ منه خوفًا شديدًا ، وراسَلوه فى طلبِ تجْديدِ الهُدْنةِ [1] فإنّه كان قد انْتهى أمَدُ ما كان قبلَها ، فأقام بهذه المنزلةِ إلى أولِ سنةِ ثمانينَ ، فكانت فيها الهُدْنَةُ [1] ، وجاء الأميرُ عيسى ابنُ مُهَنَّا مِن بلادِ العراقِ إلى خدمةِ المنصورِ وهو بهذه المَنْزلةِ ، فتلَقَّاه السلطانُ بجيشِه وأكْرَمه واحْتَرَمه ، وعامَله بالصَّفْحِ والعَفْوِ والإحسانِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأميرُ الكبيرُ جَمالُ الدينِ آقوشُ الشَّمْسىُّ [2] ، أحدُ أمراءِ الإسلامِ ، وهو الذى باشَر قتْلَ كَتْبُغانُوين أحدِ مُقَدَّمى التَّتارِ ، وهو المُطاعُ فيهم يومَ عينِ جالوتَ ، وهو الذى مسَك عِزَّ الدينِ أَيْدَمُرَ الظاهرىَّ فى حلبَ مِن السنةِ الماضيةِ ، وكانت وفاتُه بها .

الشيخُ الصالحُ داودُ بنُ حاتمِ بنِ عمرَ الحَبَّالُ [3] ، كان حَنْبلىَّ المَذْهَبِ ، له كَراماتٌ وأحْوالٌ صالحةٌ ومُكاشَفاتٌ صادقةٌ ، وأصلُ آبائِه مِن حَرَّانَ ، وكانت إقامتُه ببَعْلَبَكَّ ، وتُوُفِّى فيها ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، عن ستٍّ وتسعين سنةً ، وقد أثْنَى عليه الشيخُ قُطْبُ الدينِ بنُ الشيخِ الفَقيهِ اليُونينىُّ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٥، والوافى بالوفيات ٩/ ٣٢٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٦٠، والمنهل الصافى ٣/ ٢١- وجاءت وفاته فيه فى سنة ثمان وسبعين وستمائة - والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٤.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٥٩، والدليل الشافى ١/ ٢٩٥.

الأميرُ الكبيرُ نورُ الدينِ عليُّ بنُ عمرَ، أبو الحسنِ الطوريُّ[1]، كان مِن أكابرِ الأمراءِ، [2]وله السَّعيُ المَشْكورُ فى قتالِ الفِرِنجِ، وله عندَهم ذِكرٌ عظيمٌ، وموقعٌ كبيرٌ، مات[2] وقد نَيَّف على تسعين سنةً، وكانت وفاتُه بسببِ أنه وقَع يومَ مَصَافٍّ سُنْقُرَ الأشقرِ تحتَ سَنابكِ الخيلِ، فمكَث بعدَ ذلك مُتَمَرِّضًا إلى أن مات بعدَ شهرين، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ.

الجزَّارُ الشاعرُ، يحيى بنُ عبدِ العظيمِ بنِ يحيى بنِ محمدِ بنِ عليٍّ، جَمالُ الدينِ أبو الحسينِ[3] **المصريُّ**، الشاعرُ الماجنُ، المعروفُ بالجزَّارِ، مدَح الملوكَ والوُزراءَ والأمراءَ، وكان ماجنًا ظريفًا حُلْوَ المحاضَرةِ[4]، وُلِد فى حدودِ ستِّمائةٍ بعدَها بسنةٍ أو سنتين، وتُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ ثانى عشَرَ شوالٍ مِن هذه السنةِ. ومِن شعرِه:

أَدْرِكونى فبى مِن البَرْدِ هَمٌّ ... ليس يُنْسَى وفى حَشاىَ[5] الْتِهابُ
أَلْبَسَتْنى الأَطْماعُ [١٠/٩١ظ] وهْمًا فها جِسْـ ... ـمِىَ عارٍ ولى قِرًى وثيابُ
كلما ازْرَقَّ لونُ جسمى مِن البَرْ ... دِ تخَيَّلْتُ أنه سِنْجابُ

وقال وقد تزَوَّج أبوه بعَجوزةٍ:

---

(١) فى الأصل: «الطيورى». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٥٦، ونهاية الأرب ٣١/ ٧١، والسلوك ١/ ٦٨٤ (القسم الثالث).

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «الحسن». وانظر مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦١، ونهاية الأرب ٣١/ ٧١، والعبر ٥/ ٣٢٤، وفوات الوفيات ٤/ ٢٧٧، والسلوك ١/ ٦٨٤ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٥.

(٤) فى م: «المناظرة».

(٥) فى الأصل: «حياتى»، وفى ذيل مرآة الزمان: «حشائى».

تزَوَّج الشيخُ أبى[1] شيخةً ... ليس لها عَقْلٌ ولا ذِهْنُ
كأنها فى فَرْشِها رِمَّةٌ ... وشَعرُها مِن حولِها قُطْنُ
[2]وقائلٌ قال لى[2] كم سنُّها ... فقلتُ ما فى فمِها سِنُّ
لو سَفَرَت غُرَّتُها فى الدُّجَى ... ما جسَرَتَ تُبْصِرُها الجِنُّ

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦٤: «إلى».
(٢ - ٢) في م: «وقال لى»، وفى الأصل: «قائل لى قال». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ، وسلطانُ البلادِ الملكُ المنصورُ قَلَاوُون.

وفى عاشرِ المحرمِ انْعَقَدَت الهُدْنةُ بينَ أهلِ عَكَّا والمَرْقَبِ والسلطانِ، وكان نازلًا على الرَّوْحاءِ[2]، وقد قبَض على جَماعةٍ مِن الأمراءِ ممَّن كان معه، وهرَب آخرون إلى قلعةِ صِهْيَوْنَ إلى خدمةِ سُنْقُرَ الأشقرِ، ودخَل المنصورُ إلى دمشقَ فى التاسعَ عشَرَ مِن المحرمِ، فنزَل القلعةَ وقد زُيِّنَت له البلدُ، وفى يومِ التاسعِ والعشرين مِن المحرمِ أعاد القَضاءَ إلى عزِّ الدينِ بنِ الصائغِ، وعزَل ابنَ خَلِّكانَ.

وفى أولِ صفرٍ باشَر قَضاءَ الحَنابلةِ نجمُ الدينِ بنُ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ أبى عمرَ، وقد كان المَنْصِبُ شاغرًا منذ عزَل والدُه نفسَه عن القَضاءِ، وتوَلَّى قَضاءَ حلبَ فى هذا الشهرِ تاجُ الدينِ يحيى بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ الكُرْدىُّ.

وجلَس الملكُ المنصورُ بدارِ العدلِ فى هذا الشهرِ، فحكَم وأنْصَف المظلومَ مِن الظالمِ، وقدِم عليه صاحبُ حَماةَ، فتلَقَّاه المنصورُ بنفسِه فى موكبِه، ونزَل بدارِه ببابِ الفَرادِيسِ.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٨٦ - ١٠٠، ونهاية الأرب ٣١/٧٣ - ٨٢، والعبر ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦، وكنز الدرر ٨/٢٤٠ - ٢٤٨، وتذكرة النبيه ١/٦٢ - ٦٥، وعقد الجمان ٢/٢٦٣ - ٢٨٨.

(٢) فى ذيل مرآة الزمان: «اللجون».

وفى ربيعِ الأولِ وقَع الصلحُ بينَ الملكِ المنصورِ قَلاوُون وبينَ سُنْقُرَ الأشْقَرِ الملكِ الكاملِ على أن يُسَلِّمَ للسلطانِ شَيْزَرَ ويُعَوِّضَه عنها بأنْطاكِيَةَ وكَفْرَ طَابَ وشُغْرٍ وبَكَاسَ وغيرِ ذلك ، وعلى أن يُقِيمَ على ما بيدِه ستَّمائةِ فارسٍ ، وتحالَفا على ذلك ، ودَقَّت البَشائرُ لذلك ، وكذلك صالَح صاحبَ الكَرَكِ الملكَ خَضِرَ بنَ الظاهرِ على تَقْريرِ ما بيدِه ، ونُودِى بذلك فى البلادِ .

وفى العَشْرِ الأولِ[1] مِن هذا الشهرِ ضُمِن الخمرُ والزِّنَى بدمشقَ ، وجُعِل عليه دِيوانٌ ومُشِدٌّ ، فقام فى إبْطالِ ذلك جماعةٌ مِن العلماءِ والصُّلحاءِ والعُبَّادِ ، فأُبْطِل بعدَ عشرين يومًا ، وأُرِيقَت الخُمورُ وأُقِيمَت الحُدودُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى تاسعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ[2] وصَلَت الخاتونُ ابنةُ[3] بركة خان زوجةُ الملكِ الظاهرِ ، ومعها ولدُها الملكُ السعيدُ قد نقَلَته مِن قريةِ المساجدِ بالقربِ مِن الكَرَكِ لتَدْفِنَه عندَ أبيه بالتربةِ الظاهريةِ ، فرُفِع بحِبالٍ مِن السُّورِ ، ودُفِن عندَ والدِه الظاهرِ ، ونزَلَت أمُّه بدارِ صاحبِ حمصَ ، وهُيِّئَت لها الإقاماتُ ، وعُمِل عَزاءُ ولدِها يومَ الحادى والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ بالتربةِ المذكورةِ ، وحضَر السلطانُ المنصورُ وأربابُ الدولةِ والقُرَّاءُ والوُعَّاظُ .

وفى أواخِرِ ربيعِ الآخِرِ عُزِل التَّقىُّ[4] تَوْبَةُ التَّكْرِيتىُّ مِن الوِزارةِ بدمشقَ ،

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٨٩: « الأوسط » .

(٢) فى الأصل ، م : « الأول » . والمثبت من المصدر السابق .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من المصدر السابق .

(٤) بعده فى م : « بن » . وانظر هذا الحدث فى عقد الجمان ٢/ ٢٦٩ .

وباشَرها بعدَه تاجُ الدينِ السَّنْهوريُّ[1] .

وكتَب السلطانُ المنصورُ إلى مصرَ وغيرِها مِن البلادِ يَسْتَدْعِى الجيوشَ لأجلِ اقْتِرابِ مَجيءِ التتارِ ، فدخَل أحمدُ بنُ حجِّى ومعه بشرٌ كثيرٌ مِن الأعرابِ ، وجاء [١٠/٩٢و] صاحبُ الكَرَكِ الملكُ المسعودُ نَجْدةً للسلطانِ يومَ السبتِ الثانىَ[2] عشَرَ مِن جُمادَى الآخِرةِ ، وقدِم الناسُ عليه ، ووفَدوا إليه مِن كلِّ مكانٍ ، وجاءته التُّرْكُمانُ والأعْرابُ وغيرُهم ، وكثُرَت الأَراجِيفُ بدمشقَ ، وكثُرَت العَساكرُ بها ، وانجفَل الناسُ مِن بلادِ حلبَ وتلك النَّواحِى ، وترَكوا الغَلَّاتِ والأموالَ خوفًا مِن أن يَدْهَمَهم العدوُّ مِن التَّتارِ ، ووصَلَت التَّتَرُ صُحبةَ مَنْكُوتَمُر بنِ هُولَاكُو إلى [3]عينِ تَاب[3] ، وسارَت العَساكرُ المنصورةُ إلى نواحِى حلبَ يَتْبَعُ بعضُها بعضًا ، ونازَلَت التَّترَ بالرَّحْبةِ فى أواخِرِ جُمادَى الآخِرةِ طائفةٌ مِن الأعرابِ ، وكان فيهم ملكُ التَّتارِ أَبْغَا مُخْتَفِيًا يَنْظُرُ ماذا يصنَعُ أصحابُه ، وكيف يُقاتِلون أعداءَه ، ثم خرَج الملكُ المنصورُ مِن دمشقَ ، وكان خُروجُه منها فى أواخِرِ جمادَى ، وقنَت الخُطباءُ والأئمةُ بالجوامعِ والمساجدِ وغيرِها فى الصلواتِ ، وجاء مَرْسومُ السلطانِ باسْتِسْلامِ أهلِ الذِّمَّةِ مِن الدَّواوينِ والكَتَبةِ ، ومَن لا يُسْلِمُ يُصْلَبُ ، فأسْلَمُوا كُرْهًا ، فكانوا يَقولون : آمَنَّا وحكَم الحاكمُ بإسْلامِنا . بعدَ أن عرَض مَن امْتَنَع منهم على الصَّلْبِ بسوقِ الخيلِ ، وجُعِلَت الحِبالُ فى أعناقِهم ، فأجابوا والحالةُ هذه ، ولما انْتَهَى السُّلطانُ الملكُ المنصورُ إلى حمصَ كتَب إلى الملكِ الكاملِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ يَطْلُبُه إليه نَجْدةً ، فجاء إلى خدمتِه ، فأكْرَمه السلطانُ ، واحْتَرَمه ورتَّب له

---

(١) فى عقد الجمان : « الشهرزورى » .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٠ : « الثامن » .

(٣ - ٣) فى م : « عنتاب » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٥٩.

الإقاماتِ ، وتَكامَلَت الجيوشُ كلُّها فى صُحْبةِ الملكِ المنصورِ عازِمين على لقاءِ العدوِّ لا مَحالةَ مُخْلِصِين فى ذلك ، واجْتَمَع الناسُ بعدَ خُروجِ السلطانِ فى جامعِ دمشقَ ، ووضَعوا المُصْحَفَ العُثْمانىَّ بينَ أيديهم ، وجعَلوا يَبْتَهِلون إلى اللَّهِ تعالى فى نُصْرةِ الإسلامِ وأهلِه على الأعْداءِ ، وخرَجوا كذلك والمُصْحفُ على رءُوسِهم إلى المُصَلَّى يَدْعُون ويَبْتَهِلون ويَبْكون ، وأقْبَلَت التَّترُ قليلًا قليلًا ، فلما وصَلوا حَماةَ أحْرَقوا بُسْتانَ المَلِكِ وقصرَه وما هنالك مِن المَساكنِ ، والسلطانُ المنصورُ مُخَيِّمٌ بحمصَ فى عساكرَ مِن الأتراكِ والتُّرْكمانِ وغيرِهم فى جَحْفلٍ كثيرٍ جدًّا ، فأقْبَلَت التَّترُ فى مائةِ ألفِ مُقاتلٍ أو يَزيدون ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ .

وقعةُ حمصَ

لما كان يومُ الخميسِ رابعَ عشَرَ رجبٍ الْتَقَى الجمعانِ ، وتواجَه الخَصْمانِ عندَ طُلوعِ الشمسِ ، وعَسْكَرُ التَّترِ فى مائةِ ألفِ فارسٍ ، وعَسْكَرُ المسلمين على النصفِ مِن ذلك أو يَزِيدُ قليلًا ، والجميعُ فيما بينَ مَشْهَدِ خالدِ بنِ الوليدِ إلى الرَّسْتَنِ[1] ، فاقْتَتلوا قِتالًا عظيمًا لم يُرَ مثلُه مِن أعْصارٍ مُتَطاوِلةٍ ، فاسْتَظْهر التَّترُ أولَ النهارِ ، وكسَروا المَيْسَرةَ ، واضطَرَبَت المَيْمَنةُ أيضًا ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ . وانكسَر جَناحُ القلبِ الأيْسَرُ ، وثبَت السلطانُ ثَباتًا عظيمًا جدًّا فى جَماعةٍ قليلةٍ ، وقد انْهَزَم كثيرٌ مِن عَسْكَرِ المسلمين ، والتَّترُ فى آثارِهم حتى وصَلوا وراءَهم إلى بُحَيْرةِ

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٣: « الرستين » . والرستن : بليدة قديمة بين حماة وحمص . انظر معجم البلدان ٢/ ٧٧٨.

حمصَ ، ووصَلوا إلى حمصَ وهى مُغَلَّقةُ الأبوابِ ، فقتَلوا خلقًا مِن العامَّةِ وغيرِهم ، وأشْرَف المسلمون على خُطَّةٍ[1] عظيمةٍ مِن الهلاكِ ، ثم إن أعيانَ الأمراءِ مِن الشُّجْعانِ والفُرْسانِ تَذامَروا فيما بينَهم ؛ مثلَ سُنْقُرَ الأشْقَرِ وبَيْسَرِى وطَيْبَرْسَ الوَزِيرىِّ وبَدْرِ الدينِ أميرِ سلاحٍ وأَيْتَمُش [١٠/٩٢ظ] السَّعْدىِّ وحُسامِ الدينِ لاجِين وحُسامِ الدينِ طُرُنْطاى[2] والدَّوَادارِىِّ وأمثالِهم ، لما رأَوْا ثَباتَ السلطانِ رَدُّوا إلى السلطانِ ، وحمَلوا حَمَلاتٍ مُتَعَدِّدَةً صادقةً ، ولم يَزالوا يُتابِعون الحَمْلةَ بعدَ الحَمْلةِ حتى كسَر اللَّهُ بحولِه وقوتِه التَّتَرَ ، وجُرِح مَنْكُوتَمُر ، وجاءهم الأميرُ عيسى بنُ مُهَنَّا مِن ناحيةِ العَرْضِ فصَدم التَّتَرَ ، فاضطربتِ الجيوشُ لصدمتِه ، وتمَّت الهزيمةُ ، وللَّهِ الحمدُ ، وقتَلوا مِن التَّترِ مَقْتَلةً عظيمةً جدًّا ، ورجَعَت الطائِفةُ مِن التَّترِ الذين اتَّبعوا المُنْهَزِمين مِن المسلمين ،فوجَدوا أصحابَهم قد كُسِروا ، والعَساكرُ فى آثارِهم يَقْتُلون ويَأْسِرون ، والسلطانُ ثابتٌ فى مكانِه تحتَ السَّناجِقِ[3] ، والكُوساتُ تُضْرَبُ خلفَه ، وما معه إلا نحوُ ألفِ فارسٍ ، فطمِعوا فيه فقاتلوه ، فثبَت لهم ثَباتًا عظيمًا ، فانْهَزَموا مِن بينِ يديه ، فلحِقهم فقتَل أكثرَهم ، وكان ذلك تَمامَ النصرِ ، وكان انْهِزامُ التَّترِ قبلَ الغُروبِ ، وافْتَرَقوا فِرْقتَيْن ؛ أخَذَت فِرْقةٌ منهم إلى ناحيةِ سَلَمْيَةَ والبَرِّيَّةِ ، والأخرى إلى ناحيةِ حلبَ والفُراتِ ، فأرْسَل السلطانُ فى آثارِهم مَن يَتْبَعُهم ، وجاءت البِطاقةُ بالبِشارةِ بما وقَع مِن النصرِ إلى دمشقَ يومَ الجمعةِ خامسَ عشَرَ رجبٍ ، فدَقَّت البَشائرُ ، وزُيِّنَت البلدُ ، وأُوقِدَت الشُّمُوعُ ، وفرِح الناسُ ، فلما أصبح الناسُ يومَ السبتِ

---

(١) الخطة : الأمر ، والحالة . الوسيط (خ ط ط) .

(٢) فى الأصل : « طرقطاى » .

(٣) السناجق : جمع سَنْجَق وسُنْجَق ، وهى الراية . انظر المعجم الذهبى ص ٣٥٢.

أقْبَلَت طائفةٌ مِن المُنْهَزِمين؛ منهم بِيلِيك[1] الناصرىُّ والجالقُ وغيرُهم، فأخْبَروا الناسَ بما شاهَدوه مِن الهزيمةِ فى أولِ الأمرِ، ولم يَكُونوا شاهَدوا ما بعدَ ذلك، فبقِى الناسُ فى قلَقٍ عظيمٍ، وخوفٍ شديدٍ، وتهَيَّأ ناسٌ كثيرٌ للهربِ، فبينما الناسُ فى ذلك إذ أقْبَلَت البَرِيديةُ وأخْبَروا الناسَ بصُورةِ ما وقَع فى أولِ الأمرِ وآخرِه، فتراجَع الناسُ وفرِحوا فرحًا شديدًا، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

ثم دخَل السلطانُ إلى دمشقَ [2]يومَ الجُمعةِ[2] الثانى والعشرين مِن رجبٍ، وبينَ يديه الأُسارَى، بأيديهم الرِّماحُ عليها شَعَفُ[3] رُءوسِ القَتْلَى منهم، وكان يومًا مشهودًا، ومع السلطانِ طائفةٌ مِن أصحابِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ؛ منهم عَلَمُ الدينِ الدَّوَادارىُّ، فنزَل السلطانُ بالقلعةِ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا، وقد كثُرَت له المحبةُ والأدْعِيةُ، وكان سُنْقُرُ الأشْقَرُ قد ودَّع السلطانَ مِن حمصَ، ورجَع إلى صِهْيَوْنَ، وأما التَّتَرُ فإنهم انْهَزَموا فى أسوأِ حالٍ وأتْعَسِه؛ يُتَخَطَّفُون مِن كلِّ جانبٍ، ويُقْتَلون مِن كلِّ فَجٍّ، حتى وصَلوا إلى الفُراتِ، فغرِق أكثرُهم، ونزَل إليهم أهلُ البِيرةِ، فقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأسَروا آخَرِين، والجيوشُ فى آثارِهم يَطْرُدونهم عن البلادِ، حتى أراح اللَّهُ منهم الناسَ.

وقد اسْتُشْهد فى هذه الوَقْعةِ جَماعةٌ مِن ساداتِ الأمراءِ؛ منهم الأميرُ الكبيرُ الحاجُّ عزُّ الدينِ أَزْدَمُر الجَمَدَارُ[4]، وهو الذى جرَح ملكَ التَّتارِ يومَئذٍ مَنْكُوتَمُر،

---

(١) فى الأصل: «يملك».

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى م: «شقف». والشَّعَف: جمع الشَّعَفة، وهى الخُصْلة فى أعلى الرأس. انظر تاج العروس (ش ع ف).

(٤) الحاج: من ألقاب مَقَدَّمى الدولة ومِهْتارية البيوت ومن فى معناهم وإن لم يكن قد حج. والجمدار: هو الذى يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وأصله جاما دار فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقالا وقيل جَمَدَار. صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩، ٦/ ١١.

فإنه خاطَر بنفسِه ، وأوهم أنه مُقْفِرٌ إليه ، وقلَب رمحَه حتى وصَل إليه ، فطعَنه فجرَحه ، فقتَلوه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ودُفِن بالقربِ مِن مشهدِ خالدٍ .

وخرَج السلطانُ مِن دمشقَ قاصدًا الديارَ المصريةَ يومَ الأحدِ ثانى شعبانَ ، والناسُ يَدْعُون له ، [١٠/٩٣و] وخرَج معه عَلَمُ الدينِ الدَّوَاداريُّ ، ثم عاد مِن غَزَّةَ ، وقد ولَّاه الشَّدَّ[1] فى الشامِ والنظرَ فى المَصالحِ ، ودخَل السلطانُ إلى مصرَ فى [2]ثانى عشَرَ[2] شعبانَ .

وفى سَلْخِ شعبانَ وُلِّى قَضاءُ مصرَ والقاهرةِ للقاضى وَجِيهِ الدينِ البَهْنَسِيِّ الشافعيِّ .

وفى يومِ الأحدِ سابع رمضانَ فُتِحَت المدرسةُ الجَوْهَريةُ بدمشقَ فى حياةِ مُنْشِئِها وواقِفِها الشيخِ نجمِ الدينِ محمدِ بنِ عباسِ بنِ أبى المكارِمِ التَّمِيمىِّ الجوهرىِّ ، ودرَّس بها قاضى الحَنَفيةِ حُسامُ الدينِ الرازىُّ .

وفى بُكْرةِ يومِ السبتِ التاسع والعشرين مِن شعبانَ وقَعَت مِئْذَنةُ مدرسةِ أبى عمرَ بقاسِيونَ على المسجدِ العَتيقِ ، فمات شخصٌ واحدٌ ، وسلَّم اللَّهُ تعالى بقيةَ الجَماعةِ .

وفى عاشرِ رمضانَ وقَع بدمشقَ ثلجٌ عظيمٌ وبَرَدٌ كثيرٌ مع هَواءٍ شَديدٍ ، بحيث إنه ارْتَفَع عن الأرضِ نحوًا مِن ذراعٍ ، وفسَدَت الخَضْراواتُ ، وتعَطَّلت على الناسِ مَعايشُ كثيرةٌ .

---

(١) فى م : « المشد » .

(٢ - ٢) فى نهاية الأرب ٣١/ ٣٦: « الثانى والعشرين » .

وفى شوالٍ وصَل صاحبُ سِنْجارَ إلى دمشقَ مُقْفِرًا مِن التَّتارِ داخلًا فى طاعةِ السلطانِ بأهلِه ومالِه ، فتلَقَّاه نائبُ البلدِ ، وأكْرَمه وسيَّره إلى مصرَ مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا .

وفى شوالٍ عُقِد مجلسٌ بسببِ أهلِ الذِّمَّةِ من الكُتّابِ الذين كانوا قد أسلَموا كُرْهًا ، وقد كتَب لهم جَماعةٌ مِن المُفْتِين بأنهم كانوا مُكْرَهِين ، فلهم الرجوعُ إلى دينِهم ، وأُثْبِت الإكْراهُ بينَ يدى القاضى جَمالِ الدينِ بنِ أبى يعقوبَ المالكىِّ ، فعاد أكثرُهم إلى دينِهم ، وضُرِبَت عليهم الجزيةُ كما كانوا ، سوَّد اللَّهُ وجوهَهم يومَ تَبْيَضُّ وُجوهٌ وتَسْوَدُّ وُجوهٌ . وقيل : إنهم غرِموا مالًا جَزيلًا ، جملةً مُسْتَكْثَرةً على ذلك ، قبَّحهم اللَّهُ .

وفى ذى القَعْدةِ قبَض السلطانُ على أَيْتَمُش السعدىِّ ، وسجَنه بقلعةِ الجبلِ ، وقبَض نائبُه بدمشقَ على سيفِ الدينِ بَلَبَانَ الهارُونىِّ وسجَنه بقلعتِها .

وفى بُكْرةِ الخميسِ التاسعِ[1] والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ، وهو العاشرُ[2] مِن آذارَ ، اسْتَسْقَى الناسُ بالمُصَلَّى بدمشقَ ، فسُقُوا بعدَ عشَرةِ أيامٍ . وفى هذه السنةِ أخْرَج الملكُ المنصورُ جميعَ آلِ الملكِ الظاهرِ مِن النساءِ والوِلْدانِ والخُدَّامِ مِن الديارِ المصريةِ إلى الكَرَكِ ليَكُونوا فى كَنَفِ الملكِ المسعودِ خَضِرِ بنِ الظاهرِ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أَبْغَا ملكُ التَّترِ بنُ هُولَاكُوقان بنِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان[3] ، كان عالىَ الهِمَّةِ ،

---

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٩: « الثامن » .

(٢) فى المصدر السابق : « الثانى عشر » .

(٣) تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ص ٢ ، وذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٠، والعبر ٥/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ٦/ ١٨٧، والسلوك ١/ ٧٠٤ (القسم الثالث)، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٦.

بعيدَ الغَوْرِ ، له رأىٌ وتدبيرٌ ، وبلَغ مِن العمرِ خمسين سنةً ، ومدةُ مُلْكِه ثمانى عشْرةَ سنةً ، ولم يَكُنْ بعدَ والدِه فى التَّدْبيرِ والحَزْمِ مثلُه ، ولم تَكُنْ وَقْعةُ حِمْصَ هذه برأيِه ولا عن مَشورتِه ، ولكن أخوه مَنْكُوتَمُر أحَبَّ ذلك ، فلم يُخالِفْه .

ورأيْتُ فى بعضِ تَواريخِ البَغادِدةِ أن قدومَ مَنْكُوتَمُر إلى الشامِ إنما كان عن مُكاتَبةِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ إليه . فاللَّهُ أعلمُ . وقد جاء أَبْغَا هذا بنفسِه فنزَل قريبًا مِن الفُراتِ لينظرَ ماذا يَكُونُ مِن الأمرِ ، فلما جرَى عليهم ما جرَى ساءه ذلك ، ومات غَمًّا وحُزْنًا . تُوُفِّى بينَ العِيدَيْن مِن هذه السنةِ ، وقام فى الملكِ بعدَه ولدُه[1] السلطانُ أحمدُ .

قاضى القُضاةِ نَجْمُ الدينِ أبو بكرِ بنُ قاضى القُضاةِ صَدْرِ الدينِ أحمدَ بنِ قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ يحيى بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ الحسنِ بنِ يحيى بنِ محمدِ ابنِ [١٠/٩٣ظ] **علىٍّ الشافعىُّ ، ابنُ سَنِىِّ الدولةِ**[2] ، وُلِد سنةَ ستَّ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وبرَع فى المَذْهَبِ ، وناب عن أبيه وشُكِرَت سِيرتُه ، واسْتَقَلَّ بالقَضاءِ فى الدولةِ المُظَفَّريةِ ، فحُمِد أيضًا ، وكان الشيخُ شِهابُ الدينِ يَنالُ منه ومِن أبيه[3] ، وقال البِرْزالىُّ : كان شديدًا فى الأحكامِ مُتَحَرِّيًا ، وقد أُلْزِم بالمُقامِ بمصرَ ، فدرَّس بجامعِ مصرَ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، فدرَّس بالأمِينيةِ والرُّكْنيةِ ، وباشَر قضاءَ حلَبَ ، وعاد إلى دمشقَ ، وولَّاه سَنْجَرُ قَضاءَ دمشقَ ، ثم عُزِل بابنِ خَلِّكانَ كما تقَدَّم ، ثم كانت وفاتُه يومَ الثلاثاءِ ثامِنِ المحرمِ ، ودُفِن مِن

---

(١) كذا فى الأصل ، م . والصواب أنه أخوه . وانظر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢١١، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٢٧، والعبر ٥/ ٣٤٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٣، ونهاية الأرب ٣١/ ٨٤، والعبر ٥/ ٣٣٠، والوافى بالوفيات ٢/ ١٢٩، وتذكرة النبيه ١/ ٦٦، والسلوك ١/ ٧٠٤ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٢٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٧.

(٣) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

الغدِ يومَ تاسُوعاءَ بتُربةِ جدِّه بقاسِيونَ .

وفى عاشرِ المحرمِ **تُوُفِّى قاضى القُضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ القاضى تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ خلفِ بنِ أبى القاسمِ العَلَامِىُّ**[1] ، **ابنُ بنتِ الأعَزِّ المصرىُّ** ، كان فاضلًا بارعًا عارفًا بالمذهبِ ، مُتَحَرِّيًا فى الأحكامِ كأبيه ، ودُفِن بالقَرافةِ .

الشيخُ إبراهيمُ بنُ سعيدِ الشاغُورِىُّ المُوَلَّهُ المعروفُ بالجَيْعانةِ[2] ، كان مشهورًا بدمشقَ ، ويُذْكَرُ له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ على أَلْسنةِ العَوامِّ ومَن لا يَعْقِلُ ، ولم يَكُنْ ممَّن يُحافِظُ على الصَّلَواتِ ، ولا يَصومُ مع الناسِ ، ومع هذا كان كثيرٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم يَعْتَقِدونه ! تُوُفِّى يومَ الأحدِ سابعِ جُمادَى الأولى ، ودُفِن بتربةِ المُوَلَّهِين بسفحِ قاسِيونَ عندَ الشيخِ يوسُفَ القَمِينىِّ[3] ، وقد تُوُفِّى الشيخُ يوسُفُ قبلَه بمدةٍ ، وكان الشيخُ يوسُفُ يَسْكُنُ قَمِينَ حمامِ نورِ الدينِ الشهيدِ بالبُزُورِيِّين ، وكان يَجْلِسُ على النَّجاساتِ والقَذَرِ ، وكان يَلْبَسُ ثيابًا بَدَاوِيةً تَجْحَفُ على النجاساتِ فى الأَزِقَّةِ ، وكان له قَبولٌ مِن الناسِ ومحبةٌ وطاعةٌ ، وكان العَوامُّ يُغالُون فى محبتِه واعْتقادِه ، وكان لا يُصَلِّى ولا يَتَّقِى نَجاسةً ، ومَن جاءه زائرًا جلَس عندَه بالقَمِينِ على النجاسةِ ، وكان العَوامُّ يَذْكُرون له مُكاشَفاتٍ

---

(١) فى الأصل : « الغلامى » . ولعله تصحيف ، وفى م : « الغلابى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١١٩، والعبر ٥/ ٣٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٠، وتذكرة النبيه ١/ ٦٧، والسلوك ١/ ٦٨٧، ٧٠٤ (القسم الثالث)، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٠- وفيه : « المولد المعروف بجيفانة » - والعبر ٥/ ٣٢٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٨، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٦.

(٣) فى م : « القيمينى » . وتقدمت ترجمته فى صفحة ٣٩٠ فى وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة .

وكَراماتٍ ، وكلُّ ذلك خُرافاتٌ مِن خُرافاتِ العَوامِّ وأهلِ الهَذَيانِ ، كما يَعْتَقِدون ذلك فى غيرِه مِن المَجانينِ والمُوَلَّهين . ولما مات الشيخُ يوسفُ القَمِينىُّ خرَج فى جِنازتِه خلقٌ كثيرٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم ، وكانت جنازتُه حافلةً بهم ، وحُمِل على أعْناقِ الرجالِ إلى سفحِ قاسِيونَ ، وبينَ يديه غَوْغاءُ وغوشٌ كثيرٌ وتَهْليلٌ وأمورٌ لا تَجوزُ مِن فعلِ العَوامِّ ، حتى جاءوا به إلى تربةِ المُوَلَّهين بقاسِيونَ فدفَنوه بها ، وقد اعْتَنَى بعضُ العَوامِّ بقبرِه ، فعمِل عليه حِجارةً مَنْقوشةً ، وعمِل على قبرِه سَقْفًا مُقَرْنصًا[1] بالدِّهانِ وأنواعِه ، وعمِل عليه مَقْصورةً وأبوابًا ، وغالَى فيه مُغالاةً زائدةً ، ومكَث هو وجماعةٌ مُجاوِرون عندَ قبرِه مدةً فى قراءةٍ وتَهْليلٍ ، ويُطبَخُ لهم الطَّبيخُ فيَأْكُلون ويَشْرَبون هناك . والمقصودُ أن الشيخَ إبراهيمَ الجَيْعانةَ لما مات الشيخُ يوسفُ القَمِينىُّ جاء مِن الشاغورِ إلى بابِ الصغيرِ فى جماعةٍ مِن أتْباعِه ، وهم فى صُراخٍ وضَجَّةٍ وغوشٍ كثيرٍ ، وهم يقولون : أُذِن لنا فى دخولِ البلدِ ، أُذِن لنا فى دخولِ البلدِ . يُكَرِّرون ذلك ، فقيل له فى ذلك ، فقال : لى عشرون سنةً ما دخَلْتُ داخلَ سُورِ[2] دمشق ؛ لأنى كلما أتَيْتُ بابًا[١٠/٩٤و] مِن أبوابِها أَجِدُ هذا السَّبُعَ رابضًا بالبابِ ، فلا أَسْتَطِيعُ الدخولَ خوفًا منه ، فلما مات أُذِن لنا فى الدخولِ . وهذا كلُّه تَرْويجٌ على الطَّغامِ والعَوامِّ مِن الهَمَجِ الرَّعاعِ ، الذين هم أتباعُ كلِّ ناعقٍ ، وقيل : إن الشيخَ يوسفَ كان يُرسلُ إلى الجيعانةِ مما يأتيه من الفتوحِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ بأحوالِ عبادِه ، وإليه المُنْقَلَبُ والمآبُ ، وعليه الحِسابُ .

---

(١) سقف مقرنس - بالسين - عُمِل على هيئة السُّلَّم . تاج العروس (قرنس ، قرنص) .
(٢) فى الأصل : « صور » .

وقد ذكَرْنا أنه اسْتُشْهِد فى وَقْعةِ حِمْصَ جَماعةٌ مِن الأمراءِ منهم **الأميرُ عزُّ الدينِ أَزْدَمُر السِّلَحْدارُ**[1] عن نحوٍ مِن ستين سنةً ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ ، وله همَّةٌ عاليةٌ يَنْبَغى أن يَنالَ بها مكانًا عاليًا فى الجنةِ .

قاضى القُضاةِ تَقىُّ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ رَزِينِ بنِ موسى العامرىُّ الحَمَوىُّ الشافعىُّ[2] ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستِّمائةٍ ، وقد سمِع الحديثَ ، وانْتَفَع بالشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ الصلاحِ ، وأَمَّ بدارِ الحديثِ مدةً ، ودرَّس بالشاميةِ ، وولِى وَكالةَ بيتِ المالِ بدمشقَ ، ثم سار إلى مصرَ ، فدرَّس بها بعدةِ مَدارسَ ، وولِى الحكمَ بها ، وكان مَشكورًا ، تُوُفِّى ليلةَ الأحدِ ثالث رجبٍ منها ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ .

وفى يومِ السبتِ الرابعِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ تُوُفِّى **الملكُ الأشْرَفُ مُظَفَّرُ الدينِ موسى** بنُ الملكِ الزاهرِ مُحْيِى الدينِ داودَ بنِ الملكِ المُجاهِدِ[3] أسدِ الدينِ شِيرْكُوه بنِ الناصرِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه بنِ شاذى بنِ صاحبِ حمصَ ، ودُفِن بتربتِهم بقاسِيونَ .

وفى ذى القَعْدةِ **تُوُفِّى الشيخُ جَمالُ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ الحاسبُ بدمشقَ** ، وكان له مكتبٌ تحتَ مَنارةِ فيروزَ[4] ، وقد انْتَفَع به خلقٌ كثيرٌ ، وكان شيخَ

---

(١) فى م : « السلحدارى » . وتقدم فى صفحة ٥٧٦ أنه جَمَدار . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٥، ونهاية الأرب ٣١/ ٣٧، والعبر ٥/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٧٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٦.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٤، والعبر ٥/ ٣٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٥، والوافى بالوفيات ٣/ ١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٦، والسلوك ١/ ٧٠٤ (القسم الثالث)، والدليل الشافى ٢/ ٦١٦.

(٣) بعده فى م : « بن » . وانظر مصادر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٨، وعقد الجمان ٢/ ٢٩١.

(٤) فى م : « كيروز » .

الحِسابِ فى وقتِه ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ عَلَمُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ الإمامِ أبى علىٍّ الحسينِ بنِ عتيقِ[1] **ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَشِيقٍ الرَّبَعىُّ المالكىُّ المصرىُّ** ، ودُفِن بالقَرافةِ ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ ، وقد كان فَقيهًا مُفْتِيًا ، سمِع الحديثَ ، وبلَغ خمسًا وثمانين سنةً .

وفى يومِ الاثنين الخامسِ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ تُوُفِّى **الصَّدْرُ الكبيرُ** [2]**شمسُ الدينِ**[2] **أبو الغَنائِمِ المُسْلِمُ بنُ**[3] **محمدِ بنِ المُسْلِمِ بنِ**[3] **مَكِّىِّ بنِ خلفِ بنِ عَلّانَ**[4] **القَيْسىُّ الدمشقىُّ** ، مَوْلدُه سنةَ أربعٍ وتسعين ، وكان مِن الرُّؤساءِ الكِبارِ وأهلِ البُيوتاتِ ، وقد ولِى نظرَ الدواوينِ بدمشقَ وغيرَ ذلك ، ثم ترَك ذلك كلَّه ، وأقْبَل على العبادةِ وكتابةِ الحديثِ ، وكان يَكْتُبُ سَريعًا ؛ يَكْتُبُ فى اليومِ الواحدِ ثلاثَ كَراريسَ ، وقد أسْمَع « مسندَ الإمامِ أحمدَ » ثلاثَ مراتٍ ، وحدَّث « بصحيحِ مسلمٍ » و « جامعِ الترمذىِّ » وغيرِ ذلك ، وسمِع منه البِرْزالىُّ والمِزِّىُّ وابنُ تَيْمِيةَ ، ودُفِن مِن يومِه بسفحِ قاسِيونَ عن ستٍّ وثمانين سنةً ، رحِمهم اللَّهُ جميعًا .

الشيخُ صَفِىُّ الدِّينِ [5]**أبو القاسمِ**[5] **بنُ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ محمدٍ التَّمِيمىُّ الحنفىُّ** ، شيخُ الحنفيةِ ببُصْرَى ، ومدرسُ الأَمِينيةِ بها مدةَ سِنينَ كثيرةٍ ، كان

---

(١) فى الأصل ، م ، وعقد الجمان ٢/ ٢٩١: « عيسى » . والمثبت من مصار ترجمته ؛ نهاية الأرب ٣١/ ٨٤، والوافى بالوفيات ٣/ ١٩، والديباج المذهب ٢/ ٣٢٢، والدليل الشافى ٢/ ٦١٦.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر مصادر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٥، والعبر ٥/ ٣٣٢، وتذكرة النبيه ١/ ٦٩، والسلوك ١/ ٧٠٥ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٩.

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « غيلان » .

(٥ - ٥) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٠: « القاسم » . وانظر ترجمته أيضا فى الجواهر المضية ٤/ ١١٣.

بارعًا فاضلًا عالمًا عابدًا مُنْقَطِعًا عن الناسِ ، وهو والدُ قاضى القُضاةِ صدرِ الدينِ علىٍّ ، وقد عُمِّر دهرًا طويلًا ، فإنه وُلِد فى سنةِ [1]ثلاثٍ وثمانين وخمسِمائةٍ[1] ، وتُوُفِّى ليلةَ نصفِ شعبانَ مِن هذه السنةِ عن سبعٍ[2] وتسعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٠: « ثمان وستمائة » .

(٢) فى الأصل ، م : « تسع » . والمثبت من الجواهر المضية .

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وثمانين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ، والسلطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوُون.

[١٠/٩٤ظ] وفيها أرْسَل مَلكُ التَّترِ أحمدُ إلى الملكِ المنصورِ يَطْلُبُ منه المُصالَحَةَ وحَقْنَ الدماءِ فيما بينَهم، وجاء فى الرَّسْليةِ الشيخُ قُطْبُ الدينِ الشِّيرازىُّ أَحدُ تَلاميذِ النَّصِيرِ الطُّوسىِّ، فأجاب المنصورُ إلى ذلك، وكُتِبت المُكاتَباتُ إلى ملكِ التَّتَرِ بذلك.

وفى مُسْتَهَلِّ صفرٍ قبَض السلطانُ على الأميرِ الكبيرِ بدرِ الدينِ بَيْسَرِى السَّعْدىِّ، وعلى الأميرِ عَلاءِ الدينِ السَّعْدىِّ الشَّمْسىِّ أيضًا.

وفيها[2] درَّس القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ بالقَيْمُرِيةِ، والشيخُ شمسُ الدينِ ابنُ الصَّفِىِّ الحَرِيرىُّ بالفَرْخْشاهِيةِ[3]، وعَلاءُ الدينِ بنُ الزَّمْلكانىِّ بالأَمِينيةِ.

وفى يومِ الاثنينِ الحادى عشَرَ مِن رمضانَ وقَع حريقٌ باللَّبَّادِين[4] عظيمٌ، وحضَر نائبُ السلطنةِ إذ ذاك الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارُ وجَماعةٌ كثيرةٌ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٤١ - ١٤٩، ونهاية الأرب ٣١/٨٧، ٩٢، وكنز الدرر ٨/٢٤٩ - ٢٦٠، والعبر ٥/٣٣٣، وتذكرة النبيه ١/٧٢ - ٧٥، والسلوك ١/٧٠٦ - ٧١١ (القسم الثالث).

(٢) الدارس ١/ ١٩١، ٥٦٤.

(٣) فى م: «بالسرحانية».

(٤) اللبادين: موضع بدمشق مشرف على باب جَيْرُون. معجم البلدان ٤/ ٣٤٥.

مِن الأمراءِ، وكانت ليلةً هائلةً جدًّا وقَى اللَّهُ تعالى شرَّها، واسْتَدْرَك بعدَ ذلك أمْرَها القاضى محيى[1] الدينِ بنُ النَّحَّاسِ ناظرُ الجامعِ، فأصْلَح الأمرَ، وسدَّ وأعاد البناءَ أحسنَ مما كان، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ الصالحُ بَقيةُ السلفِ بُرْهانُ الدينِ أبو إسحاقَ بنُ الشيخِ صَفِيِّ الدينِ أبى الفِدا إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ يحيى بنِ علوى بنِ الرَّضِىِّ الحَنَفىُّ[2]، إمامُ العِزِّيَّةِ[3] بالكُشْكِ. وسَمِع مِن جَماعةٍ منهم الكِنْدىُّ و ابنُ الحَرَسْتانىِّ، ولكن لم يَظْهَرْ سَماعُه منهما إلا بعدَ وفاتِه، وقد أجاز له أبو جعفرٍ[4] الصَّيْدَلانىُّ وعَفِيفةُ الفارِقانيةُ وابنُ المُنادِى، وكان رجلًا صالحًا مُحِبًّا لإسْماعِ الحديثِ، كثيرَ البِرِّ بالطلبةِ له، وقد قرَأ عليه الحافظُ جَمالُ الدينِ المِزِّىُّ «مُعْجَمَ الطَّبَرانىِّ الكبيرَ»، وسمِعه منه بقراءةِ الحافظِ البِرْزالىِّ وجَماعةٌ كثيرون. وكان مولدُه فى سنةِ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ، وتُوُفِّى يومَ الأحدِ سابع صفرٍ، وهو اليومُ الذى قدِم فيه الحُجَّاجُ إلى دمشقَ مِن الحجاز، وكان هو معهم، فمات بعدَ اسْتِقْرارِه بدمشقَ.

القاضى أمينُ الدينِ الأَشْتَرِىُّ[5] أبو العباسِ أحمدُ بنُ شمسِ الدينِ أبى

---

(١) فى م: «نجم».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٨، والعبر ٥/ ٣٣٥، والوافى بالوفيات ٥/ ٣٢٧، والجواهر المضية ١/ ٧٢، والمنهل الصافى ١/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٦.

(٣) فى م: «المعزية». والمراد بالعزية: المدرسة العزية الجوانية، نسبة إلى عز الدين أيبك المعظمى. انظر الدارس ١/ ٥٥٥.

(٤) فى م: «نصر».

(٥) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٦٥، والعبر ٥/ ٣٣٤، والوافى بالوفيات ٧/ ١٢٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٥٤، والدليل الشافى ١/ ٥٥.

بكرِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الجبَّارِ بنِ طَلْحةَ الحلَبيُّ، المعروفُ بالأَشْتَرِيِّ، الشافعيُّ المُحَدِّثُ، سمِع الكثيرَ وحصَّل، ووقَف أجزاءً بدارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ. [1]تُوُفِّي بالخانَقاه الأندلسيةِ يومَ الخميسِ الرابعِ والعشرين من ربيعٍ الأولِ عن ستٍّ وستين سنةً[1]، وكان الشيخُ مُحْيي الدينِ النَّوويُّ يُثْني عليه، ويُرْسِلُ إليه الصِّبْيانَ ليَقْرَءوا عليه في بيتِه؛ لأمانتِه عندَه وصيانتِه ودِيانتِه.

الشيخُ بُرْهانُ الدينِ أبو الثَّناءِ محمودُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ المَرَاغيُّ الشافعيُّ[2]، مُدَرِّسُ الفَلَكيةِ، كان فاضلًا بارعًا، عُرِض عليه القَضاءُ فلم يَقْبَلْ، تُوُفِّي يومَ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ عن ستٍّ وسبعين سنةً، وسمِع الحديثَ وأسْمَعه، ودرَّس بعدَه بالفَلَكيةِ القاضي بَهاءُ الدينِ بنُ الزَّكِيِّ.

القاضي الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ القُرَّاءِ زَيْنُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ السلامِ ابنُ عليِّ بنِ عمرَ الزَّوَاوِيُّ المالكيُّ[4]، قاضي قُضاةِ المالكيةِ بدمشقَ، وهو أولُ مَن باشَر القَضاءَ بها، وعزَل نفسَه عنه تَوَرُّعًا وزَهادةً، واسْتَمَرَّ بلا وِلايةٍ ثمان سنينَ، ثم كانت وفاتُه ليلةَ الثلاثاءِ ثامنَ رجبٍ منها عن ثلاثٍ وثمانين سنةً، وقد سمِع الحديثَ، واشْتَغل [١٠/٩٥و] على السَّخاويِّ وابنِ الحاجبِ.

الشيخُ صَلاحُ الدينِ محمدُ بنُ القاضي شمسِ الدينِ عليِّ بنِ محمودِ بنِ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٧، والعبر ٥/ ٣٣٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٣٦٩، وتذكرة النبيه ١/ ٧٧، والسلوك ١/ ٧١١ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٦، والدارس ١/ ٢٢٢، ٤٣٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٣، ونهاية الأرب ٣١/ ٩٢، والعبر ٥/ ٣٣٥، والوافي بالوفيات ١٨/ ٤٣١، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٧، وتذكرة النبيه ١/ ٧٦، والدليل الشافي ١/ ٤١٣، وغاية النهاية ١/ ٣٨٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٤.

عليٌّ[1] **الشَّهْرُزُورِيُّ**، مدرسُ القَيْمُرِيةِ وابنُ مُدَرِّسِها، تُوُفِّى فى أواخِرِ رجبٍ، وتُوُفِّى أخوه شرفُ الدينِ بعدَه بشهرٍ، ودرَّس بالقَيْمُرِيةِ بعدَ الصلاحِ المذكورِ القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ.

ابنُ خَلِّكانَ قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبى بكرِ بنِ خَلِّكانَ الإرْبِلِيُّ الشافعيُّ[2]، أحدُ الأئمةِ الفُضلاءِ، والسادةِ العلماءِ، والصدورِ الرؤساءِ، وهو أولُ مَن جُدِّد فى أيامِه قَضاءُ القُضاةِ مِن سائرِ المذاهبِ، فاستَقلُّوا[3] بالأحكامِ بعدَ ما كانوا نُوابًا له، وقد كان المَنْصِبُ بينَه وبينَ ابنِ الصائغِ دُوَلًا؛ يُعْزَلُ هذا تارةً ويُوَلَّى هذا، ويُعْزَلُ هذا ويُوَلَّى هذا، وقد درَّس ابنُ خَلِّكانَ فى عِدةِ مدارسَ لم تُجْمَعْ لغيرِه، ولم يَبْقَ معه فى آخرِ وقتِه سوى الأمِينيةِ، وبيدِ ابنِه كَمالِ الدينِ موسى النَّجِيبيةُ. تُوُفِّى ابنُ خَلِّكانَ بالمدرسةِ النَّجِيبيةِ المذكورةِ بإيوانِها يومَ السبتِ آخِرَ النهارِ، فى السادسِ والعشرين مِن رجبٍ، ودُفِن مِن الغدِ بسفحِ قاسِيونَ عن ثلاثٍ وسبعين سنةً، وقد كان يَنْظِمُ نَظْمًا حسنًا رائقًا، وقد كانت مُحاضَرتُه فى غايةِ الحسنِ، وله التاريخُ المُفِيدُ الذى رسمَه «بوَفَياتِ الأعْيانِ» مِن أبْدَعِ المُصَنَّفاتِ. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

---

(١) بعده فى الأصل: «بن محمود بن» وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٥، والوافى بالوفيات ٤/ ١٩٠، والدارس ١/ ٤٤٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٩، ونهاية الأرب ٣١/ ٩٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٦٠، والعبر ٥/ ٣٣٤، وفوات الوفيات ٢/ ٤٢٠، والوافى بالوفيات ٧/ ٣٠٨، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٣، والسلوك ١/ ٧١١ (القسم الثالث)، والدارس ١/ ١٩١.

(٣) فى م: «فاشتغلوا».

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] قدِم الملكُ المنصورُ إلى دمشقَ فى يومِ الجمعةِ سابع رجبٍ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وكان يومًا مشهودًا .

وفيها ولِى الخَطابةَ بدمشقَ الشيخُ عبدُ الكافى بنُ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الكافى ، عِوَضًا عن مُحْيى الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ الذى تُوُفِّى فيها كما سيأْتى ، وخطَب يومَ الجمعةِ الحادى والعشرين مِن رجبٍ مِن هذه السنةِ . وفى هذا اليومِ قبلَ الصلاةِ احْتِيط على القاضى عزِّ الدينِ بنِ الصائغِ بالقلعةِ ، وأثْبَت ابنُ الحُصْرىِّ نائبُ الحنفىِّ مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أن عندَه وَدِيعةً بِمِقْدارِ ثمانيةِ آلافِ دينارٍ مِن جهةِ ابنِ الإسْكافِ ، وكان الذى أثار ذلك شخصٌ قدِم مِن حلبَ يُقالُ له : تاجُ الدينِ بنُ السِّنْجارىِّ . وولِى القَضاءَ بعدَه بَهاءُ الدينِ يوسفُ بنُ مُحْيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ ، وحكَم يومَ الأحدِ ثالث وعشرين رجبٍ ، ومنَع الناسَ مِن زيارةِ ابنِ الصائغِ ، وسعَى فى إثباتِ مَحْضَرٍ آخَرَ أن عندَه وَدِيعةً بقيمةِ خمسةٍ وعشرين ألفَ دينارٍ للصالحِ إسماعيلَ بنِ أسدِ الدينِ ، وقام فى ذلك ابنُ الشاكرىِّ والجَمالُ بنُ الحَمَوىِّ وآخرون ، وتكَلَّموا فى قضيةٍ ثالثةٍ ، ثم عُقِد له مجلسٌ نالَه فيه شدةٌ شديدةٌ ، وتعَصَّبوا عليه ، ثم أُعِيد إلى اعْتِقالِه ، وقام فى صفِّه نائبُ السَّلْطنةِ حُسامُ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٧٩ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٣١/٩٥ - ١١٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٦١، ودول الإسلام ٢/ ١٨٥، وتذكرة النبيه ١/ ٨٠، ٨١، والسلوك ١/٧١٢ (القسم الثالث) .

الدينِ لاجِين وجَماعةٌ مِن الأمراءِ، فكلَّموا فيه السلطانَ، فأطْلَقه وخرَج إلى منزلِه، وجاء الناسُ إلى تهنئتِه يومَ الاثنينِ الثالث والعشرين مِن شعبانَ، وانْتَقَل مِن العادليةِ إلى دارِه بدَرْبِ النَّقَّاشةِ، وكان عامَّةُ جلوسِه فى المسجدِ تُجاهَ دارِه.

وفى رجبٍ باشر حسبةَ دمشقَ جمالُ الدينِ بنُ صَصْرَى.

وفى شعبانَ درَّس الخطيبُ جَمالُ الدينِ بنُ عبدِ الكافى بالغَزَّاليةِ عِوَضًا عن الخطيبِ بنِ الحَرَسْتانىِّ، وأُخِذ منه [١٠/٩٥ظ] الدَّوْلَعيةُ لكَمالِ الدينِ بنِ النَّجَّارِ، الذى كان وَكيلَ بيتِ المالِ، ثم أخَذ شمسُ الدينِ الإرْبِلىُّ تَدْريسَ الغَزَّاليةِ مِن ابنِ عبدِ الكافى المذكورِ.

وفى آخرِ شعبانَ باشَر نيابةَ الحكمِ عن ابنِ الزَّكىِّ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ نِعْمةَ المقدسىُّ أحدُ أئمةِ الفُضلاءِ وساداتِ العلماءِ المُصَنِّفين، ولما تُوُفِّى أخوه شمسُ الدينِ محمدٌ فى شوالٍ ولِى مكانَه تدريسَ الشاميةِ البَرَّانيةِ، وأُخِذَت منه العادليةُ الصغيرةُ، فدرَّس فيها القاضى نجمُ الدينِ أحمدُ بنُ صَصْرَى التَّغْلِبىُّ فى ذى القَعْدةِ، وأُخِذَت مِن شرفِ الدينِ أيضًا الرَّواحيةُ، فدرَّس فيها نجمُ الدينِ البيانىُّ نائبُ الحكمِ، رحِمهم اللَّهُ أجْمَعين.

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الصدرُ الكبيرُ عمادُ الدينِ أبو الفضلِ[1] محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٩٨، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٣، ودول الإسلام ٢/ ١٨٥، والوافى بالوفيات ١/ ٢٠١، وتذكرة النبيه ١/ ٨٢، والسلوك ١/٧١٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٠.

أبى نصرٍ محمدِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ الشِّيرازىِّ، صاحبُ الطَّريقةِ المَنْسوبةِ فى الكِتابةِ، سمِع الحديثَ، وكان مِن رؤساءِ دمشقَ وأعْيانِها، تُوُفِّى فى صَفَرٍ منها.

شيخُ الجبلِ الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ شمسُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ الشيخِ أبى عمرَ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ الحَنْبلىُّ[1]، أولُ مَن ولِى قَضاءَ الحَنابلةِ بدمشقَ - ثم ترَكه وتوَلَّاه ابنُه نَجْمُ الدينِ - وتَدْريسَ الأشْرفيةِ بالجبلِ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ، وكان مِن علماءِ الناسِ وأكثرِهم دِيانةً فى عصرِه وأمانةً، مع هَدْيٍ صالحٍ وسَمْتٍ حسنٍ، وخُشوعٍ ووَقارٍ. تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ سَلْخ ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، عن خمسٍ وثمانين سنةً، ودُفِن فى مَقْبرةِ والدِه، رحِمهم اللَّهُ.

ابنُ جَعْوانَ[2] **العلَّامةُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ عباسِ ابنِ جَعْوانَ الأنْصارىُّ الدمشقىُّ**، المُحَدِّثُ الفَقيهُ الشافعىُّ البارعُ فى النحوِ واللغةِ، سمِعْتُ شيخَنا تَقىَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيةَ وشيخَنا الحافظَ أبا الحَجَّاجِ المِزِّىَّ يقولُ كلٌّ منهما للآخَرِ: إن هذا الرجلَ قرَأ «مسندَ الإمامِ أحمدَ» - وهما يَسْمَعان - فلم نَضْبِطْ عليه لَحْنَةً مُتَّفَقًا عليها. وناهِيك بهذين ثَناءً على هذا، وهما هما.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٦، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٦، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٤١، وتذكرة النبيه ١/ ٨١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٠٤، والسلوك ١/ ٧٢٠ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٨، والدارس ١/ ٤٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

(٢) فى م: «ابن أبى جفوان». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٩٧، والوافى بالوفيات ١/ ٢٠٣، وتذكرة النبيه ١/ ٨٤، وعقد الجمان ٢/ ٣١٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٠، وبغية الوعاة ١/ ٢٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨١.

الخطيبُ مُحْيى الدينِ محمدُ[1] **بنُ الخطيبِ قاضى القُضاةِ عِمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ قاضى القُضاةِ جَمالِ الدينِ بنِ الحَرَسْتانىِّ الشافعىِّ**، خطيبُ دمشقَ ومدرسُ الغَزَّاليةِ، كان فاضلًا بارعًا، أفْتَى ودرَّس وولى الخِطابةَ والغَزَّاليةَ بعدَ أبيه، وحضَر جِنازتَه نائبُ السلطنةِ وخلقٌ كثيرٌ، تُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ عن ثمانٍ وستين سنةً، ودُفِن بقاسِيونَ.

وفى خامسِ رجبٍ تُوُفِّى **الأميرُ الكبيرُ ملكُ عربِ آلِ مِرَى**[2] **أحمدُ بنُ حَجِّى** بمدينةِ بُصْرَى، وصُلِّى عليه بدمشقَ صلاةُ الغائبِ.

الشيخُ الإمامُ العالمُ شِهابُ الدينِ عبدُ الحَليمِ بنُ الشيخِ الإمامِ العَلَّامةِ مَجْدِ الدينِ [3]**عبدِ السلامِ**[3] **بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى القاسمِ بنِ تَيْمِيةَ الحَرَّانىِّ**، والدُ شيخِنا العَلَّامةِ العَلَمِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيةَ، مُفْتِى الفِرَقِ، الفارقُ بينَ الفِرَقِ، كانت له فضيلةٌ حسنةٌ، ولديه فوائدُ كثيرةٌ، وكان له كُرْسِىٌّ بجامعِ دمشقَ يَتَكَلَّمُ عليه عن ظهرِ قلبِه، ولِى مَشْيخةَ دارِ الحديثِ السُّكَّريةِ بالقَصَّاعِين، وبها كان مسكنُه، ثم درَّس ولدُه الشيخُ تَقىُّ الدينِ بها بعدَه فى السنةِ الآتيةِ، كما سيأْتى، ودُفِن بمقابرِ [١٠/٩٦و] الصُّوفيةِ، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى الأصل، م: «يحيى». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٩٦، والعبر ٥/ ٣٤٠، الوافى بالوفيات ٣/ ٢٨٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٤٧، وتذكرة النبيه ١/ ٨٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٠، والدليل الشافى ٢/ ٧٧٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٠.

(٢) فى م: «مثرى»، وانظر مصادر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٣، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٧، والوافى بالوفيات ٦/ ٣٠٤، والسلوك ١/ ٧٢١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣١٤- وفيه: «مرين» - والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٧، والمنهل الصافى ١/ ٢٦٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٥، والعبر ٥/ ٣٣٨، وتذكرة النبيه ١/ ٨٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣١٠، وعقد الجمان ٢/ ٣١٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٠، والدارس ١/ ٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وثمانين وستّمائةٍ[1]

فى يومِ الاثنين ثانى المحرمِ منها درَّس الشيخُ الإمامُ العالمُ العَلَّامةُ العَلَمُ تَقىُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحَليم بنِ عبدِ السلامِ ابنُ تَيْمِيةَ الحَرَّانىُّ بدارِ الحديثِ السُّكَّريةِ التى بالقَصَّاعِين، وحضَر عندَه قاضى القُضاةِ بهاءُ الدينِ بنُ الزَّكِىِّ الشافعىُّ، والشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ شيخُ الشافعيةِ، والشيخُ زَيْنُ الدينِ ابنُ المُرَحِّلِ، وزَيْنُ الدينِ بنُ المُنَجَّا الحنبلىُّ، وكان درسًا هائلًا حافلًا، وقد كتَبه الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ بخطِّه لكثرةِ فَوائدِه، وكثرةِ ما اسْتَحْسَنه الحاضِرون، وقد أطْنَب الحاضِرون فى شكرِه على حَداثةِ سنِّه وصغرِه، فإنه كان عمرُه إذ ذاك عشرين سنةً وسنتين. ثم جلَس الشيخُ تقىُّ الدينِ المذكورُ أيضًا يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ بالجامعِ الأُمَوىِّ بعدَ صلاةِ الجمعةِ على مِنْبرٍ قد هُيِّئ له لتفسيرِ القرآنِ العزيزِ، فابْتَدَأ مِن أولِه فى تفسيرِه، وكان يَجْتَمِعُ عندَه الخلقُ الكثيرُ والجَمُّ الغَفيرُ، ومِن كثرةِ ما كان يُورِدُ مِن العلومِ المُتَنَوِّعةِ المُحَرَّرةِ مع الدِّيانةِ والزَّهادةِ والعِبادةِ، سارَت بذكرِه الرُّكْبانُ فى سائرِ الأقاليمِ والبُلْدانِ، واسْتَمَرَّ على ذلك مدةَ سنينَ مُتَطاوِلةٍ.

وفيها قدِم السلطانُ إلى دمشقَ مِن مصرَ يومَ السبتِ ثانى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ، فجاء صاحبُ حَماةَ الملكُ المنصورُ إلى خدمتِه، فتَلقاه السلطانُ فى موكبِه وأكْرَمه. فلما كان ليلةُ الأربِعاءِ الرابع والعشرين مِن شعبانَ وقَع مطرٌ عظيمٌ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٠١/٤ - ٢٠٦، ونهاية الأرب ١١٩/٣١ - ١٢٤، وكنز الدرر ٢٦٢/٨ - ٢٦٧، وتذكرة النبيه ٨٨/١ - ٩٠، وعقد الجمان ٣٢٣/٢ - ٣٣١.

بدمشقَ ، ورَعْدٌ وبَرْقٌ ، وجاء سيلٌ عظيمٌ جدًّا حتى كسَر أقْفالَ بابِ الفَراديسِ ، وارْتَفَع الماءُ ارْتفاعًا كثيرًا ، بحيث أَغْرَق خلقًا كثيرًا ، وأخَذ جِمالَ الجيشِ المصرىِّ وأثْقالَهم ، فخرَج السلطانُ إلى الديارِ المصريةِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، وتوَلَّى شَدَّ الدَّواوينِ الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُرُ عِوَضًا عن الدَّوادارىِّ عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ .

وفيها اخْتَلَف التَّترُ فيما بينَهم على ملكِهم السلطانِ أحمدَ ، فعزَلوه عنهم وقتَلوه ، وملَّكوا عليهم السلطانَ أرغون بنَ أَبْغَا ، ونادَوْا بذلك فى جيشِهم ، وتأَطَّدَت أحْوالُهم ، ومشَت أمورُهم على ذلك ، وبادَت دولةُ السلطانِ أحمدَ ، وقامت دولةُ أرغون بنِ أَبْغَا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ طالبٌ الرِّفاعىُّ[1] ، بقصرِ حَجَّاجٍ ، وله زاويةٌ مشهورةٌ به ، وكان يَزُورُ بعضَ المُرِيدِين فمات .

القاضى الإمامُ عزُّ الدينِ أبو المَفاخِرِ محمدُ بنُ شرفِ الدينِ عبدِ القادرِ بنِ عَفِيفِ الدينِ عبدِ الخالقِ بنِ خَليلٍ الأنْصارىُّ الدمشقىُّ[2] ، ولِى قضاءَ القَضاةِ بدمشقَ مرتين ، عُزِل به ابنُ خَلِّكانَ ، [3]ثم عُزِل بابنِ خلكانَ[3] ، ثم عُزِل ابنُ خَلِّكانَ به ثانيةً ، ثم عُزِل وسُجِن ووُلِّى بعدَه بَهاءُ الدينِ بنُ الزَّكىِّ ، وبقِى مَعْزولًا إلى أن تُوُفِّى ببُسْتانِه فى تاسعِ ربيعٍ الأولِ ، وصُلِّى عليه بسوقِ الخيلِ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، وكان مولدُه سنةَ ثمانٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وكان مَشْكورَ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢١٤، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٢، والعبر ٥/ ٣٤٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٧٤، وتذكرة النبيه ١/ ٩١، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٣.

(٣ - ٣) سقط من : م .

السِّيرةِ، له عَقْلٌ وتَدْبيرٌ واعْتِقادٌ كثيرٌ فى الصالحين، وقد سمِع الحديثَ، (١وخرَّج١) له ابنُ بَلَبانَ مَشْيَخةً قرَأها ابنُ جعوانَ[٢] عليه، ودرَّس بعدَه بالعذراويةِ الشيخُ زَيْنُ الدينِ عمرُ بنُ مَكِّىِّ بنِ المُرَحِّلِ، وكيلُ بيتِ المالِ، ودرَّس ابنُه مُحْيى الدينِ أحمدُ بالعِماديةِ وزاويةِ الكَلَّاسةِ مِن جامعِ دمشقَ، ثم تُوُفِّى ابنُه أحمدُ هذا بعدَه فى يومِ الأربعاءِ ثامن رجبٍ، فدرَّس بالدماغيةِ والعماديةِ [١٠/٩٦ظ] الشيخُ زينُ الدينِ ابنُ الفارِقىِّ شيخُ دارِ الحديثِ، نِيابةً عن أولادِ القاضى عزِّ الدينِ بنِ الصائغِ بدرِ الدينِ وعلاءِ الدينِ.

وفيها تُوُفِّى: **الملكُ السعيدُ فتحُ الدينِ عبدُ الملكِ بنُ الملكِ الصالحِ أبى الحسنِ إسماعيلَ ابنِ الملكِ العادلِ**[٣] - وهو والدُ الملكِ الكاملِ ناصرِ الدينِ محمدٍ - فى ليلةِ الاثنين ثالث رمضانَ، ودُفِن مِن الغدِ بتربةِ أمِّ الصالحِ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ مُحْتَرَمًا كَبيرًا رئيسًا، روَى «المُوَطَّأَ» عن يحيى بنِ بُكَيْرٍ، عن مُكْرَمِ بنِ أبى الصَّقْرِ، وسمِع ابنَ اللَّتِّىِّ[٤] وغيرَه.

القاضى نجمُ الدينِ عمرُ بنُ نصرِ بنِ مَنْصورٍ البَيْسانىُّ[٥] **الشافعىُّ**، تُوُفِّى فى شوالٍ منها، وكان فاضلًا، ولِى قَضاءَ زُرْعَ، ثم قَضاءَ حَلَبَ، ثم ناب فى دمشقَ، ودرَّس بالرَّواحيةِ، وباشَرها بعدَه شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ نوحٍ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى م: «جفوان».

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٢٤، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٢، وتذكرة النبيه ١/ ٩٤، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٥، والدليل الشافى ١/ ٤٢٩.

(٤) فى م، وعقد الجمان: «الليثى».

(٥) فى الأصل، م: «البيانى». والمثبت من مصادر ترجمته؛ تذكرة النبيه ١/ ٩٤، والسلوك ١/٧٢٧ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٤، والدارس ١/ ٢٦٨.

المَقْدسيُّ ، يومَ عاشرِ شوالٍ .

وفى هذا اليومِ تُوُفِّى بحَماةَ ملكُها **الملكُ المنصورُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه**[1] **بنِ أيوبَ** ، وُلِد سنةَ [2]ثنتين و[2] ثلاثين وستِّمائةٍ ، وتمَلَّك حَماةَ سنةَ ثنتين وأربعين وله عشرُ سنينَ ، فمكَث فى الملكِ أَزْيَدَ مِن أربعين سنةً ، وكان له بِرٌّ وصَدَقاتٌ ، وقد أَعْتَق فى مرضِ موتِه خلقًا مِن الأَرِقَّاءِ ، وقام فى الملكِ بعدَه ولدُه الملكُ المُظَفَّرُ بتَقْليدِ الملكِ المنصورِ له بذلك .

القاضى جمالُ الدينِ أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ الزواوىُّ[3] ، قاضى قُضاةِ المالكيةِ ، ومُدَرِّسُهم بعدَ القاضى زَيْنِ الدينِ الزَّواوىِّ الذى عزَل نفسَه ، وقد كان يَنُوبُ عنه ، فاسْتَقَلَّ بعدَه بالحكمِ ، تُوُفِّى فى الخامسِ مِن ذى القَعْدةِ وهو فى طريقِ الحجازِ ، وكان عالمًا فاضلًا ، قليلَ التَّكْليفِ والتَّكَلُّفِ ، وقد شغَر المنصبُ بعدَه ثلاثَ سنينَ ، ودرَّس بعدَه للمالكيةِ الشيخُ جَمالُ الدينِ الشَّرِيشىُّ ، وبعدَه أبو إسحاقَ اللَّوْرىُّ[4] ، وبعدَه بدرُ الدينِ أبو بكرٍ التونسىُّ[5] ، ثم لما وصَل القاضى جَمالُ الدينِ بنُ سليمانَ حاكمًا درَّس بالمدارسِ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « ملكشاه » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٦، والعبر ٥/ ٣٤٥، والوافى بالوفيات ٥/ ١١، وتذكرة النبيه ١/ ٨٨، والسلوك ١/ ٧٢٦ (القسم الثالث) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، م : « الرازى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٩، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٣٤، والدليل الشافى ٢/ ٨٠٢، والدارس ٢/ ٥.

(٤) فى الأصل ، وإحدى نسخ الدارس : « الكورى » . وانظر المشتبه ٢/ ٥٦٠.

(٥) فى م : « البريسى » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وثمانين وستّمائةٍ[1]

فى أواخِرِ المحرمِ قدِم الملكُ المنصورُ إلى دمشقَ ومعه الجيوشُ، وجاء إلى خدمتِه صاحبُ حَماةَ الملكُ المُظَفَّرُ بنُ المنصورِ، فتلَقَّاه بجَميعِ الجيوشِ، وخلَع عليه خِلْعةَ الملوكِ، ثم سافَر السلطانُ بالعَساكرِ المصريةِ والشاميةِ، فنزَل المَرْقَبَ، ففتَحه اللَّهُ عليهم فى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشَرَ صفرٍ، وجاءَت البِشارةُ بذلك إلى دمشقَ، فدَقَّت البَشائرُ، وزُيِّنَت البلدُ، وفرِح المسلمون بذلك؛ لأن هذا الحصنَ كان مَضَرَّةً على المسلمين، ولم يَتَّفِقْ فتحُه لأحدٍ مِن الملوكِ لا لصلاحِ الدينِ، ولا للظاهرِ، وفتَح حولَه بُلُنْيَاسَ ومَرَقِيَّةَ[2]، وهى بَلْدةٌ صغيرةٌ إلى جانبِ البحرِ عندَ حصنٍ منيعٍ جدًّا، لا يَصِلُ إليه سهمٌ ولا حجرُ مَنْجَنيقٍ، فأرْسَل إلى صاحبِ طَرابُلُسَ، فهدَمه تقَرُّبًا إلى السلطانِ الملكِ المنصورِ، واسْتَنْقَذ المنصورُ خلقًا كثيرًا مِن أُسارَى المسلمين الذين كانوا عندَ الفِرِنْجِ، وللَّهِ الحمدُ، ثم عاد المنصورُ إلى دمشقَ، ثم سافَر بالعَساكرِ المصريةِ إلى القاهرةِ.

وفى أواخِرِ جُمادَى الآخِرةِ وُلِد للمنصورِ ولدُه الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قَلاوُون.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٣٩ - ٢٥٩، ونهاية الأرب ٣١/١٢٥ - ١٢٨، وكنز الدرر ٨/٢٦٨ - ٢٧٦، وتذكرة النبيه ١/٩٦، ٩٧، وعقد الجمان ٣٣٧ - ٣٤٢.

(٢) فى م: «مرقب». وانظر معجم البلدان ٤/ ٥٠١.

وفيها عُزِل مُحْيى الدينِ بنُ النَّحَّاسِ عن نظرِ الجامعِ، ووَلِيَه عزُّ الدينِ بنُ محيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ، [١٠/٩٧و] وباشَر ابنُ النَّحَّاسِ الوِزارةَ عِوَضًا عن التَّقىِّ تَوْبَةَ التَّكْريتىِّ، وطُلِب التَّقىُّ تَوْبَةُ إلى الديارِ المصريةِ، وأُحِيط على أموالِه وأملاكِه.

وعُزِل سيفُ الدينِ طوغان عن وِلايةِ المدينةِ، وباشَرها عزُّ الدينِ بنُ أبى الهَيْجاءِ.

وممَّنْ تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الشيخُ عزُّ الدينِ محمدُ بنُ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ شَدَّادٍ[1]، تُوُفِّى فى صفرٍ، وكان فاضلًا مشهورًا، له كتابُ «سِيرةِ الملكِ الظاهرِ»، وكان مُعْتَنِيًا بالتاريخِ.

[2]**البُنْدُقْدارُ**[3]، أستاذُ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ، وهو الأميرُ الكبيرُ عَلاءُ الدينِ أَيْدِكِين[2] البُنْدُقْدارُ الصالحىُّ، كان مِن خِيارِ الأمراءِ، سامَحه اللَّهُ، تُوُفِّى فى ربيعٍ الآخِرِ منها، وقد كان الصالحُ نجمُ الدينِ صادَر البُنْدُقْدارَ هذا، وأخَذ منه مملوكَه بَيْبَرْسَ، فأضافه إليه لشَهامتِه ونهضتِه، فتقَدَّم عندَه على أُسْتاذِه وغيرِه.

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزاهدُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ إسماعيلَ الإخْمِيمِىُّ[4]، كانت له جِنازةٌ هائلةٌ، ودُفِن بقاسِيونَ، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧٠، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٨، والعبر ٥/ ٣٤٩، والوافى بالوفيات ٤/ ١٨٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٣، واسمه فى ذيل مرآة الزمان والعبر: «محمد بن إبراهيم بن على».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٦٢، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٨، والعبر ٥/ ٣٤٨، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٩١، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٦، والمنهل الصافى ٣/ ١٥٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧١، والعبر ٥/ ٣٥٠- وفيه: «محمد بن محمد بن حسن» - والوافى بالوفيات ٢/ ٣٥٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٩.

ابنُ عامرٍ المُقْرِئ[1] ، الذى يُنْسَبُ إليه المِيعادُ الكبيرُ ، الشيخُ الصالحُ المُقْرِئُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عامرِ بنِ أبى بكرٍ الغسولىُّ الحنبلىُّ ، سمِع الحديثَ مِن الشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بنِ قُدامةَ وغيرِه ، وكان يَعْمَلُ الميعادَ ليلةَ الأحدِ ، فإذا فرَغوا مِن ذلك دعا بهم ثم وعَظهم . تُوُفِّى يومَ الأربعاءِ حادى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بالقربِ مِن تربةِ الشيخِ عبدِ اللَّهِ الأرْمَنىِّ .

القاضى عِمادُ الدينِ داودُ بنُ يحيى بنِ كاملٍ القُرشىُّ البُصْرَوىُّ[2] **الحنفىُّ** ، مدرسُ العِزِّيَّةِ بالكُشْكِ ، وناب فى الحكمِ عن مَجْدِ الدينِ بنِ العَديمِ ، وسمِع الحديثَ ، وتُوُفِّى ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ ، وهو والدُ الشيخِ نجمِ الدينِ القَحْفازىِّ[3] ، شيخِ الحنفيةِ ، وخطيبِ جامعِ تَنْكِز .

الشيخُ حسنٌ الرومىُّ[4] ، شيخُ سعيدِ السُّعداءِ بالقاهرةِ[5] ، وقد وليها بعدَه شمسُ الدينِ الأَيْكِىُّ[6] .

الرَّشيدُ سعيدُ بنُ علىِّ بنِ سعيدٍ ، الشيخُ رَشيدُ الدينِ الحنفىُّ[7] ، مدرسُ

---

(١) العبر ٥/ ٣٥٠، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٩.

(٢) فى م : « النصروى » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ١٣/ ٤٩٨، والجواهر المضية ٢/ ١٩٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٤، والدليل الشافى ١/ ٢٩٧، والدارس ١/ ٥٥٦.

(٣) فى م ، والدليل الشافى : « القجقارى » .

(٤) عقد الجمان ٢/ ٣٤٤.

(٥) سعيد السعداء : هو خانَقاه للصوفية ، كان أولا دارًا لأستاذ من خدام قصر المستنصر العبيدى الفاطمى ، كان يلقب بسعيد السعداء ، وقد قتل سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقد وقفها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - بعد أن تملك مصر وأزال الدولة العبيدية - على الصوفية . انظر خطط المقريزى ٣/ ٤٠١ - ٤٠٤ .

(٦) فى الأصل ، م : « الأتابكى » . والمثبت من عقد الجمان . وستأتى ترجمته فى صفحة ٧٠٦ ضمن وفيات سنة سبع وتسعين وستمائة .

(٧) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٦٥ ، والعبر ٥/ ٣٤٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٢٤٦، وتذكرة النبيه ١/ ٩٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٤، والمنهل الصافى ٥/ ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٨٥،=

الشِّبْلِيةِ ، وله تَصانيفُ مُفيدةٌ كثيرةٌ ، ونظمٌ حسنٌ ، فمِن ذلك قولُه[1] :

قُلْ لمَن يَحْذَرُ أن تُدْرِكَهُ ... نَكَباتُ الدهرِ لا يُغْنِى الحَذَرْ
أذْهَبِ الحُزْنَ اعْتِقادى أنَّه ... كلُّ شىءٍ بقَضاءٍ وقَدَرْ

ومِن شعرِه قولُه[2] :

إلهى لك الحمدُ الذى أنت أهلُه ... على نِعَمٍ منها الهِدايةُ للحمدِ
صحيحًا خلَقْتَ الجسمَ منى مسلَّمًا ... ولُطْفُك بى مازال مذ كنتُ فى المَهْدِ
وكنتُ يتيمًا قد أحاط بىَ الرَّدَى ... فآوَيتَ واسْتَنْقَذْتَ مِن كلِّ ما يُرْدِى
وهَبْتَ لىَ العقلَ الذى بضِيائِه ... إلى كلِّ خيرٍ يَهْتَدِى طالبُ الرُّشْدِ
ووفَّقْتَ للإسلامِ قلبى ومَنْطِقى ... فيا نعمةً قد جلَّ موقعُها عندى
ولو رُمْتُ جَهْدى أن أُجازِى فضيلةً ... فَضَلْتَ بها لم يَجْزِ أطرافَها جِدِّى[3]
ألستَ الذى أرجو جَنابَك[4] عندما ... يُخَلِّفُنى الأهلون وحْدىَ فى لَحدى
فجُدْ لى بلُطْفٍ منك يَهْدِى سَريرتى ... وقلبى ويُدْنينى إليك [5]من البُعْدِ[5]

تُوُفِّى يومَ السبتِ ثالث رمضانَ ، وصُلِّى عليه بعدَ[6] العصرِ بالجامعِ المُظَفَّرىِّ ، ودُفِن بالسفحِ .

= والطبقات السنية ٤/ ٣٧.
(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٦٧ .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/٢٦٦ .
(٣) فى م : « جهدى » .
(٤) فى الأصل : « جنانك » ، وفى م : « حنانك » . والمثبت من المصدر السابق .
(٥ - ٥) فى م : « بلا بعد » .
(٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل المرآة ٤/٢٦٥ ، وعقد الجمان .

أبو القاسمِ عليُّ بنُ بَلَبانَ بنِ عبدِ اللَّهِ الناصريُّ[1] ، المُحَدِّثُ المُفِيدُ الماهرُ ، تُوُفِّى يومَ الخميسِ مُسْتَهَلَّ رَمضانَ .

الأميرُ مُجِيرُ الدينِ محمدُ بنُ يعقوبَ بنِ عليٍّ[2] ، المعروفُ بابنِ تَميمٍ الحَمَويُّ الشاعرُ ، صاحبُ الدِّيوانِ فى الشعرِ ، فمِن شعرِه قولُه :

عايَنْتُ وردَ الرَّوْضِ يَلْطِمُ خَدَّه ... ويقولُ قولًا فى البَنَفْسَجِ يُحْنَقُ
لا تَقْرَبوه وإن تَضَوَّعَ نَشْرُه ... ما بينكم فهُو العدوُّ الأزرقُ

الشيخُ العارفُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ عثمانَ بنِ عليٍّ الروميُّ[3] ، [١٠/٩٧ظ] ودُفِن بتربتِهم بسفحِ قاسِيونَ ، ومِن عندِهم خرَج الشيخُ جَمالُ الدينِ محمدٌ الساوجى[4] ، وحلَق ودخَل فى زِىِّ الجواليقيةِ ، وصار شيخَهم ومُقَدَّمَهم .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٦٩، والعبر ٥/ ٣٤٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٠١، والسلوك ١/ ٧٣٠ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧٧، والعبر ٥/ ٣٥٠، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٢٨، وتذكرة النبيه ٤/ ١٠٠، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٥، والدليل الشافى ٢/ ٧١٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧٤، والعبر ٥/ ٣٥٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٦، وتذكرة النبيه ١/ ٩٨، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٥.

(٤) فى م : « الساوحى » .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثمانين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ أبو العباسِ أحمدُ، والسلطانُ الملكُ المنصورُ قَلَاوُون، ونائبُه بالشامِ الأميرُ حسامُ الدينِ لاجين السِّلَحْدارُ المنصوريُّ، والأميرُ بدرُ الدينِ الصَّوَابِيُّ مُحاصِرٌ مدينةَ الكَرَكِ فى أواخِرِ السنةِ الماضيةِ، وقدِم عليه مِن مصرَ عَسْكرٌ صُحْبةَ الأميرِ حُسامِ الدينِ طُرُنْطاى، فاجْتَمَعوا على حِصارِ الكَرَكِ حتى أنْزَلوا منها صاحبَها الملكَ المسعودَ خَضِرَ بنَ الملكِ الظاهرِ، فى مُسْتَهَلِّ صفرٍ، وجاءت البِشارةُ بذلك إلى دمشقَ، فدَقَّت البَشائرُ ثلاثةَ أيامٍ، وعاد طُرُنْطاى بالملكِ خَضِرٍ وأهلِ بيتِه إلى الديارِ المصريةِ، كما فعَل الملكُ الظاهرُ أبوه بأهلِ الملكِ المُغيثِ عمرَ بنِ العادلِ، كما تقَدَّم ذلك. واسْتَناب فى الكَرَكِ نائبًا عن أمرِ المنصورِ، ورتَّب أمورَها، وأجْلَوْا منها خلقًا مِن الكَرَكِيِّين، واسْتَخْدموا بقلعةِ دمشقَ. ولما اقْتَرَب دخولُ آلِ الظاهرِ إلى القاهرةِ تلَقَّاهم المنصورُ، فأكْرَم لُقْياهم، وأحْسَن إلى الأخوَيْن نجمِ الدينِ خَضِرٍ وبدرِ الدينِ سَلَامُش، وجعَلَهما يَرْكَبان مع ابنيه علىٍّ والأشرفِ خليلٍ، وجعَل عليهما عُيونًا يَرْصُدون ما يَفْعَلان[2]، وأُنْزِلا الدُّورَ بالقلعةِ، وأُجْرِىَ عليهم مِن الرَّواتِبِ والنَّفَقاتِ ما يَكْفِيهم وزيادةٌ كثيرةٌ.

وكتَب الأميرُ بدرُ الدينِ بَكْتُوتُ العَلائِيُّ، وهو مُجرَّدٌ بحمصَ إلى نائبِ دمشقَ لاجين، أنه قد انْعَقَدَت زَوْبَعةٌ فى يومِ الخميسِ سابعِ صفرٍ بأرضِ حمصَ،

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨١، ٢٨٢، ونهاية الأرب ١٢٩/٣١ - ١٣٣، وكنز الدرر ٨/ ٢٧٦-٢٧٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٢، ١٠٣، وعقد الجمان ٣٤٨/٢ - ٣٥٤.

(٢) فى الأصل: «يقولان».

ثم ارْتَفَعَت فى السماءِ كهيئةِ العمودِ والحيَّةِ العظيمةِ ، وجعَلَت تَخْتَطِفُ الحِجارةَ الكِبارَ ، فتصْعَدُ بها فى الجَوِّ كأنها سهامُ النُّشَّابِ ، وحمَلَت شيئًا كثيرًا مِن الجِمالِ بأحْمالِها ، والأثاثِ والخيامِ والدَّوابِّ ، ففَقد الناسُ مِن ذلك شيئًا كثيرًا من الرحالِ والأمتعةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وفى هذا اليومِ وقَع مطرٌ عظيمٌ بدمشقَ ، وجاء سيلٌ كثيرٌ ولا سيَّما بالصالحيةِ .

وفيها أُعِيد عَلَمُ الدينِ الدَّوَادارىُّ إلى شَدِّ الدَّواوِينِ بدمشقَ ، والصاحبُ تَقىُّ الدينِ تَوْبَة إلى الوِزارةِ بدمشقَ .

وفيها تولَّى قَضاءَ المالكيةِ بمصرَ زَيْنُ الدينِ بنُ أبى مَخْلوفٍ النُّوَيرىُّ[1] عِوَضًا عن القاضى تَقىِّ الدينِ [2]بنِ شاسٍ[2] الذى تُوُفِّى بها .

وفيها درَّس بالغَزَّاليةِ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ ، انْتَزَعها مِن يدِ شمسِ الدينِ إمامِ الكَلَّاسةِ الذى كان يَنُوبُ عن شمسِ الدينِ الأيكىِّ ، والأيكىُّ شيخُ سعيدِ السُّعَداءِ ، باشَرها شهرًا ، ثم جاء مرسومٌ بإعادتِها إلى الأيكىِّ ، وقد اسْتَناب عنه جَمالَ الدينِ الباجُرْبَقىَّ ، فباشَرها الباجُرْبَقىُّ فى ثالثِ رجبٍ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أحمدُ بنُ شَيْبانَ بنِ تَغْلِبَ الشَّيْبانىُّ[3] ، أحدُ مَشايخِ الحديثِ المُسْنِدِين

---

(١) فى الأصل : « البربرى » ، وفى م : « البريدى » ، وفى عقد الجمان : « التبريزى » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ١٣٤. وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « برساس » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ١٣٣، والسلوك ١/ ٧٣٢ (القسم الثالث) .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨٢، والعبر ٥/ ٣٥١، والوافى بالوفيات ٦/ ٤١٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٥.

المُعَمَّرِين بدمشقَ ، تُوُفِّى فى صفرٍ عن ثمانٍ وثمانين سنةً ، ودُفِن بقاسِيونَ .

الشيخُ الإمامُ العالمُ البارِعُ جَمالُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سُحْمانَ البَكْرىُّ الشَّرِيشِىُّ المالكىُّ[1] ، ولد بشَرِيشَ سنةَ إحدى وستِّمائةٍ ، ورحَل إلى العراقِ ، فسمِع بها الحديثَ مِن المشايخِ ؛ القَطِيعىِّ وابنِ زوربةَ وابنِ اللَّتِّىِّ وغيرِهم ، واشْتَغل وحصَّل ، وساد أهلَ زمانِه ، ثم عاد إلى [١٠/٩٨و] مصرَ ، فدرَّس بالفاضليةِ ، ثم أقام بالقدسِ شيخَ الحَرَمِ ، ثم جاء إلى دمشقَ ، فولِى مَشْيخَةَ الحديثِ بتُرْبةِ أمِّ الصالحِ ، ومَشْيَخةَ الرِّباطِ الناصرىِّ بالسفحِ ، ومَشْيَخةَ المالكيةِ ، وعُرِض عليه القضاءُ فلم يَقْبَلْ . تُوُفِّى يومَ الاثنين الرابعِ والعشرين مِن رجبٍ بالرِّباطِ الناصرىِّ بقاسِيونَ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ تُجاهَ الناصريةِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً جدًّا .

قاضى القُضاةِ أبو الفضلِ يوسفُ بنُ قاضى القضاةِ مُحْيى الدينِ أبى الفضلِ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ علىِّ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ[2] **بنِ الوليدِ بنِ القاسم بنِ الوليدِ بن عبدِ الرحمنِ**[2] **بنِ أبانِ بنِ عثمانَ بنِ عفانَ القرشىُّ الدمشقىُّ المعروفُ بابنِ الزَّكىِّ الشافعىُّ** ، كان فاضلًا مُبَرِّزًا ، وهو آخِرُ مَن تولَّى القَضاءَ مِن بنى الزَّكِىِّ إلى يومِنا هذا ، وُلِد فى سنةِ أربعين ، وسمِع الحديثَ ، تُوُفِّى ليلةَ الاثنين حادىَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وتولَّى بعدَه ابنُ الخُوَيِّىِّ شِهابُ الدينِ .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٩٢، والعبر ٥/ ٣٥٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٧، والديباج المذهب ٢/ ٣١٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٧. انظر مصادر ترجمته : ونهاية الأرب ٣١/ ١٣٤، والعبر ٥/ ٣٥٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٦٥، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٦.

وتقدمت ترجمة أبيه فى وفيات سنة سبع وستين وستمائة ، وفى نسبه بعض الاختلاف .

الشيخُ مجدُ الدينِ يوسفُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ المِصْرىُّ ثم الدمشقىُّ الشافعىُّ الكاتبُ المعروفُ بابنِ المِهْتارِ[1] ، كان فاضلًا فى الحديثِ والأدبِ ، يَكْتُبُ كتابةً حسنةً جدًّا ، وتوَلَّى مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ النُّوريةِ ، وقد سمِع الكثيرَ ، وانْتَفَع الناسُ به وبكتابتِه ، تُوُفِّى عاشرَ ذى الحِجَّةِ ، ودُفِن ببابِ الفَرادِيسِ .

الشاعرُ الأديبُ شِهابُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ المُنْعِمِ بنِ محمدٍ المعروفُ بابنِ الخَيْمىِّ[2] ، كانت له مُشارَكةٌ فى علومٍ كثيرةٍ ، ويدٌ طُولَى فى النَّظْمِ الرائقِ الفائقِ ، جاوَز الثمانين ، وقد تَنازَع هو ونجمُ الدينِ بنُ إسرائيلَ فى قصيدةٍ بائيةٍ[3] ، فتَحاكَما إلى ابنِ الفارضِ ، فأمَرَهما بنَظْمِ أبياتٍ على وزنِها ، فنظَم كلٌّ منهما فأحْسَن ، ولكن لابنِ الخَيْمىِّ يدٌ طُولَى عليه ، وكذلك فعَل ابنُ خَلِّكانَ ، وامْتَدَحه على وزنِها بأبياتٍ حِسانٍ ، وقد أطال ترجمتَه الجَزَرىُّ فى كتابِه .

وفيها كانت **وفاةُ الحاجِّ شَرَفِ بنِ مِرَى**[4] ، والدِ الشيخِ مُحْيى الدينِ النَّوَوىِّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٧، والعبر ٥/ ٣٥٦، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٤.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٠٠، ونهاية الأرب ٣١/ ١٣٥، والعبر ٥/ ٣٥٤، والوافى بالوفيات ٤/ ٥٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٦، وفوات الوفيات ٢/ ٤٥٨، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٦.

(٣) فى الأصل: «تائية». وأورد القصيدة اليونينى فى مرآة الزمان والصفدى فى الوافى بالوفيات، ومطلعها:

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب ... إليك آل التقصى وانتهى الطلب

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٤- وفيه أنه توفى سنة ثنتين وثمانين وستمائة - والدليل الشافى ١/ ٣٤٣.

يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ ، أبو يوسُفَ المَرينىُّ[1] ، سلطانُ بلادِ المغربِ ، خرَج على الواثقِ باللَّهِ [2]أبى دَبُّوسٍ[2] ، فسلَبه الملكَ بظاهرِ مَرَّاكُشَ ، واسْتَحْوَذ على بلادِ الأنْدَلُسِ والجزيرةِ الخَضْراءِ فى سنةِ ثمانٍ وستين وستِّمائةٍ ، واسْتَمَرَّت أيامُه إلى مُحَرَّمِ هذه السنةِ ، وزالَت على يديه دولةُ المُوَحِّدِين بها .

البَيْضاوىُّ صاحبُ التَّصانِيفِ : هو القاضى الإمامُ العَلَّامةُ ناصرُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ الشِّيرازىُّ[3] ، قاضيها وعالمُها وعالمُ أَذْرَبِيجانَ وتلك النَّواحى ، مات بتِبْريزَ سنةَ خمسٍ وثمانين وستِّمائةٍ ، ومِن مُصَنَّفاتِه « المنهاجُ فى أصولِ الفقهِ » ، وهو مشهورٌ ، وقد شرَحه غيرُ واحدٍ ، وله « شرحُ التَّنْبيهِ » فى أربعِ مُجَلَّداتٍ ، وله « الغايةُ القُصْوَى فى دِرايةِ الفَتْوَى » ، و « شرحُ المُنْتَخَبِ » و « الكافيةُ فى المَنْطِقِ » ، وله « الطَّوالعُ » و « شرحُ المَحْصولِ » أيضًا ، وله غيرُ ذلك مِن التَّصانِيفِ المُفيدةِ ، وقد أَوْصَى إلى القُطْبِ الشِّيرازىِّ أن يُدْفَنَ بجانبِه بتِبْرِيزَ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « المدينى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ دول الإسلام ٢/ ١٨٧، والسلوك ١/ ٧٣٣ (القسم الثالث) ، والدليل الشافى ٢/ ٧٩٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٤.

(٢ - ٢) فى الأصل : « إلى ربوس » .

(٣) الوافى بالوفيات ١٧/ ٣٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٤، والسلوك ١/ ٧٣٣ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٥٧، والدليل الشافى ١/ ٣٨٨، وبغية الوعاة ٢/ ٥٠ وطبقات المفسرين للداوودى ١/ ٢٤٢.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وثمانين وستّمائةٍ[1]

فى أولِ المُحَرَّمِ ركِبَت العَساكرُ صُحْبةَ نائبِ الشامِ حُسامِ الدينِ لاجين إلى مُحاصَرةِ صِهْيَوْنَ وحصنِ بَرْزَيَه ، فمانَعَهم الأميرُ سيفُ الدينِ سُنْقُرُ الأشْقَرُ ، فلم يَزالوا به [١٠/٩٨ظ] حتى اسْتَنْزَلوه ، وسلَّمهم البلادَ ، وسار إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ المنصورِ ، فتَلقَّاه بالإكْرامِ والاحْتِرامِ ، وأعْطاه تَقْدُمةً ألفَ فارسٍ ، ولم يَزَلْ مُعَظَّمًا فى الدولةِ المنصوريةِ إلى آخرِها ، وانْقَضَت تلك الأحوالُ .

وفى النصفِ مِن المحرمِ حكَم القاضى جَلالُ الدينِ الحَنَفيُّ نِيابةً عن أبيه حُسامِ الدينِ الرازيِّ .

وفى الثالثَ عشَرَ مِن ربيعٍ الأولِ قدِم القاضى شِهابُ الدينِ محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الخَليلِ الخُوَيِّيُّ مِن القاهرةِ على قَضاءِ قُضاةِ دمشقَ ، وقُرِئ تَقْليدُه يومَ الجمعةِ مُسْتَهَلَّ ربيعٍ الآخِرِ ، واسْتَمَرَّ بنِيابةِ شرفِ الدينِ المَقْدِسيِّ .

وفى يومِ الأحدِ ثالثِ شوالٍ درَّس بالرَّواحيةِ الشيخُ صَفِيُّ الدينِ الهِنْديُّ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والشيخُ تاجُ الدينِ الفَزاريُّ ، وعَلَمُ الدينِ الدُّواداريُّ ، وتوَلَّى قَضاءَ قُضاةِ القاهرةِ تَقيُّ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ بنتِ الأعَزِّ ، عِوَضًا عن بُرْهانِ

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/٣١٤ - ٣١٦، ونهاية الأرب ٣١/١٤٥ - ١٥١، وكنز الدرر ٨/ ٢٨٠، ٢٨١، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٨- ١١٠، وعقد الجمان ٢/٣٥٨ - ٣٦٣.

الدينِ الخَضِرِ بنِ الحسنِ السِّنْجاريِّ ، وقد كان وَلِيَها شهرًا بعدَ ابنِ الخُوَيِّيِّ ، فاجْتَمَع حينئذٍ لابنِ بنتِ الأعَزِّ بينَ القَضاءِ كلِّه بالديارِ المصريةِ ، وذلك فى أوائلِ صفرٍ منها .

وفيها اسْتُدْعِى سيفُ الدينِ السامَرِّيُّ مِن دمشقَ إلى الديارِ المصريةِ ليُشْتَرَى منه رِيعُ حَرْزَما[1] الذى اشْتَراه مِن بنتِ الملكِ الأشرفِ موسى ، فذكَر لهم أنه وقَفه ، وكان المُتَكَلِّمَ فى ذلك عَلَمُ الدينِ الشُّجاعيُّ[2] ، وكان قد اسْتَنابه الملكُ المنصورُ بديارِ مصرَ ، وجعَل يَتَقَرَّبُ إليه بتَحْصيلِ الأموالِ ، ففتَق لهم ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المَقْدِسيُّ أن السامَرِّيَّ اشْتَرَى هذا مِن بنتِ الأشرفِ وهى غيرُ رَشيدةٍ ، وأثْبَت سَفَهَها عليٌّ زَيْنُ الدينِ بنُ مَخْلوفٍ[3] ، وأبْطَل البيعَ مِن أصلِه ، واسْتَرْجَع على السامَرِّيِّ بمغَلٍّ مدةِ عشرين سنةً مائتَىْ ألفِ درهمٍ ، وأخَذوا منه حِصَّةً مِن الزَّنْبَقيةِ قيمتُها سبعون ألفًا ، وعشَرةَ آلافِ مُكَمِّلةً ، وترَكوه فقيرًا على برْدِ الديارِ ، ثم أثْبتوا رُشْدَها ، واشْتَرَوْا منها تلك الحِصَص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يَسْتَدْعُوا بالدَّماشقةِ واحدًا بعدَ واحدٍ ويُصادِرُونهم ، وذلك أنه بلَغَهم أن مَن ظَلم بالشامِ لا يُفْلِحُ ، ومَن ظلَم بمصرَ أفْلَح وطالَت مدتُه ، فكانوا يَطْلُبونهم إلى مصرَ أرضِ الفَراعِنةِ والظلمِ ، فيَفْعَلون معهم ما أرادوا .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ قُطْبُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ أبى

---

(١) فى م : « جزرماء » . وحرزم : اسم بليدة فى واد ذات نهر جار وبساتين بين ماردين ودنيسر . معجم البلدان ٢/ ٢٣٩.

(٢) بعده فى م : « وكان ظالما » .

(٣) بعده فى م : « الجائر الجاهل » .

العباسِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ المَيْمونُ القَيْسيُّ التَّوْزَرِيُّ[1] **المصريُّ ثم المكِّيُّ**[2] **، الشافعيُّ المعروفُ بالقَسْطَلّانيِّ** ، شيخُ دارِ الحديثِ الكامليةِ بالقاهرةِ ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، ورحَل إلى بغدادَ فسمِع الكثيرَ ، وحصَّل علومًا ، وكان يُفْتِى على مذهبِ الشافعيِّ ، وأقام بمكةَ مدةً طويلةً ، ثم صار إلى مصرَ ، فولِى مَشْيَخةَ الحديثِ ، وكان حسنَ الأخْلاقِ ، مُحَبَّبًا إلى الناسِ ، تُوُفِّى فى آخِرِ المحرمِ ، ودُفِن بالقرَافةِ الكبرى ، وله شعرٌ حسنٌ ، أوْرَد منه ابنُ الجَزَرِيِّ قطعةً صالحةً .

عمادُ الدينِ محمدُ بنُ عباسٍ الدُّنَيْسَرِيُّ[3] ، الطَّبيبُ الماهرُ ، والحاذِقُ الشاعرُ ، خدَم الأكابرَ والوزراءَ ، وعُمِّرَ ثمانين سنةً ، تُوُفِّى فى صفرٍ مِن هذه السنةِ بدمشقَ .

قاضى القُضاةِ بُرْهانُ الدينِ الخَضِر بنُ الحسنِ[4] **بنِ عليٍّ السِّنْجاريُّ** ، تولَّى الحكمَ بالديارِ المصريةِ [١٠/٩٩و] غيرَ مرةٍ ، وولِى الوِزارةَ أيضًا ، وكان رئيسًا وَقورًا مَهيبًا ، وقد باشَر القَضاءَ بعدَه تَقِيُّ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ .

---

(١) فى الأصل ، م : « النورى » . وفى ذيل مرآة الزمان : « النوريزى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٣٠، ونهاية الأرب ٣١/ ١٥٠، ودول الإسلام ٢/ ١٨٧، والوافى بالوفيات ٢/ ١٣٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٤٣، وتذكرة النبيه ١/ ١١٠، والسلوك ١/٧٣٨ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٥/ ٣٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٣.

والتوزرى : نسبة إلى تورز مدينة بأقصى إفريقية . معجم البلدان ١/ ٨٩٢.

(٢) فى الأصل ، م والسلوك : « المالكى » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٦١، وذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٨، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٠٠، وتذكرة النبيه ١/ ١١٢، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٥.

(٤) فى م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣١٩، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٤٣، والسلوك ١/٧٣٨ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٥، والدليل الشافى ١/ ٢٨٨.

شرفُ الدينِ سليمانُ بنُ بُنَيْمان[1] ، الشاعرُ المشهورُ ، له دِيوانٌ ، مات فى صفرٍ منها .

الشيخُ الصالحُ عزُّ الدينِ عبدُ العَزيزِ بنُ عبدِ المُنْعِمِ بنِ الصَّيْقَلِ الحَرَّانىُّ[2] ، وُلِد سنةَ أربعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، ثم اسْتَوْطَن مصرَ حتى تُوُفِّى بها فى رابعَ عَشَرَ رجبٍ ، وقد جاوَز التِّسعين ، وقد سمِع منه الحافظُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالىُّ لما رحَل إلى مصرَ فى سنةِ أربعٍ وثمانين ، وحكَى عنه أنه شهِد جِنازةً ببغدادَ فتبِعهم نَبَّاشٌ ، فلما كان الليلُ جاء إلى ذلك القبرِ ففتَح عن الميتِ ، وكان الميتُ شابًّا قد أصابَتْه سَكْتةٌ ، فلما فتَح القبرَ نهَض ذلك الشابُّ الميتُ جالسًا ، فسقَط النَّبَّاشُ ميتًا فى القبرِ ، وخرَج الشابُّ مِن قبرِه [3]إلى أهلِه[3] .

وحكَى له قال : كنتُ مرةً بقَلْيُوبَ ، وبينَ يدىَّ صُبْرةُ قمحٍ ، فجاء زُنْبُورٌ فأخَذ واحدةً ثم ذهَب بها ، ثم جاء فأخَذ أخرى ثم ذهَب بها ، ثم جاء فأخَذ واحدةً أخرى أربعَ مراتٍ . قال : فاتَّبَعْتُه ، فإذا هو يَضَعُ الحَبَّةَ فى فمِ عُصْفورٍ أعْمَى بينَ تلك الأشجارِ التى هناك .

قال : وحكَى لىَ الشيخُ عبدُ الكافى أنه شهِد مرةً جِنازةً ، فإذا عبدٌ أسودُ معنا ، فلما صلَّى الناسُ عليها لم يُصَلِّ ، فلما حضَرْنا الدفنَ نظَر إلىَّ وقال : أنا

---

(١) فى الأصل ، م : « عثمان » . والمثبت من مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ١٥/ ٣٥٦، وفوات الوفيات ٢/ ٥٧، والسلوك ١/ ٧٣٨ (القسم الثالث) ، والمنهل الصافى ٦/ ٢٤. وجاء اسمه فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢١، وتذكرة النبيه ١/ ١١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٥: « سليمان بن بليمان » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٨، ودول الإسلام ٢/ ١٨٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ٥٢٣، وتذكرة النبيه ١/ ١١٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٦، والمنهل الصافى ٧/ ٢٨١، والدليل الشافى ١/ ٤١٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٦.

(٣ - ٣) فى م : « ودفن فيه النباش » .

عملُه . ثم ألْقَى نفسَه فى قبرِ ذلك الميتِ . قال : فنظَرْتُ فلم أَرَ شيئًا .

الحافظُ أبو اليُمْنِ أَمِينُ الدينِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عَساكرَ الدمشقىُّ[1] ، ترَك الرِّياسةَ والأمْلاكَ ، وجاوَر بمكةَ ثلاثين سنةً ، مُقْبِلًا على العبادةِ والزَّهادةِ ، وقد حصَل له قَبولٌ مِن الناسِ شاميِّهم ومصريِّهم وغيرِهم ، تُوُفِّى بالمدينةِ النبويةِ فى ثانى رجبٍ منها .

---

(١) الوافى بالوفيات ١٨/ ٤٤٧، وفوات الوفيات ٢/ ٣٢٨، والسلوك ١/ ٧٤٦ (القسم الثالث) - وفيهم أنه توفى سنة سبع وثمانين وستمائة - وعقد الجمان ٢/ ٣٦٧، والعقد الثمين ٥/ ٤٣٢، والمنهل الصافى ٧/ ٢٦٦، والدليل الشافى ١/ ٤١٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٥.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] قدِم الشُّجاعىُّ مِن مصرَ إلى الشامِ بنِيَّةِ المُصادَرةِ لأرْبابِ الأموالِ مِن أهلِ الشامِ.

وفى أواخِرِ رَبيعِ الآخِرِ قدِم الشيخُ ناصرُ الدينِ عبدُ الرحمنِ المَقْدِسىُّ مِن القاهرةِ على وَكالةِ بيتِ المالِ ونَظَرِ الأوْقافِ ونَظَرِ الخاصِّ، ومعه تَقاليدُ وخِلَعٌ، فتردَّد الناسُ إلى بابِه، وتكَلَّم فى الأمورِ، وآذَى كثيرًا من الناسِ، وكانت وِلايتُه بسِفارةِ الأميرِ عَلَمِ الدينِ الشُّجاعىِّ المُتَكَلِّمِ فى الديارِ المصريةِ، توَسَّل إليه بالشيخِ شمسِ الدينِ الأيكىِّ وبابنِ الوَجيهِ[2] الكاتبِ، وكانا عندَه لهما صُورةٌ، وقد طلَب جَماعةً مِن أعيانِ الدَّماشقةِ فى أولِ هذه السنةِ إلى الديارِ المصريةِ، فطُولِبوا بأموالٍ كثيرةٍ، فدافَع بعضُهم بعضًا، وهذا مما يُخَفِّفُ عُقوبتَه مِن ظلمِهم، وإلا فلو صبَروا لعُوجِل الظالمُ بالعقوبةِ، ولَزال عنهم ما يَكْرَهون سريعًا. ولما قدِم ابنُ المَقْدِسىِّ إلى دمشقَ كان يَحْكُمُ بتربةِ أمِّ الصالحِ، والناسُ يَتَرَدَّدون إليه ويَخافون شرَّه، وقد اسْتَجَدَّ باشُورةً[3] ببابِ الفَرادِيسِ ومَساطِبَ بابِ الساعاتِ للشُّهودِ، وجدَّد بابَ الجابيةِ الشماليَّ ورفَعه وكان مُتَواطِئًا، وأصْلَح الجسرَ الذى تحتَه،

---

(١) نهاية الأرب ٣١/١٥٣ - ١٦٥، وكنز الدرر ٨/ ٢٨١، ٢٨٢، وتذكرة النبيه ١/ ١١٥، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٩، والسلوك ١/ ٧٣٩- ٧٤٦ (القسم الثالث).

(٢) فى م: «الوحيد».

(٣) الباشورة: سد من التراب يمنع وصول الخيالة والرجالة والسهام إلى مواضع المحاربين. السلوك ١/ ١٥٠ (القسم الأول) حاشية (٤).

وكذلك أصْلَح جسرَ بابِ الفَرادِيسِ تحتَ السُّوَيْقةِ التى جدَّدها عليه مِن الجانبَيْن . وهذا مِن أحسنِ ما عمِله ابنُ المَقْدِسىِّ ، وقد كان مع ذلك كثيرَ الأذِيةِ للناسِ ظَلُومًا غَشُومًا ، ويَفْتَحُ على الناسِ أبوابًا مِن الظلمِ لا حاجةَ إليها .

وفى عاشرِ [١٠/٩٩ظ] جُمادَى الأولى قدِم مِن الديارِ المصريةِ أيضًا قاضى القُضاةِ حُسامُ الدينِ الحَنَفىُّ ، والصاحبُ تَقىُّ الدينِ تَوْبَةُ التَّكْرِيتىُّ ، وقاضى القُضاةِ جَمالُ الدينِ محمدُ بنُ سليمانَ الزَّواوىُّ المالكىُّ على قَضاءِ المالكيةِ بعدَ شُغورِه عن حاكمٍ بدمشقَ ثلاثَ سنين ونصفٍ ، فأقام شِعارَ المَنْصِبِ ، ودرَّس ونشَر المذهبَ ، وكان له سُؤْدُدٌ ورِياسةٌ .

وفى ليلةِ الجمعةِ رابع شعبانَ تُوُفِّى الملكُ الصالحُ عَلاءُ الدينِ بنُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون بالدُّوسَنْطاريَّةِ[(١)] فوَجَدَ عليه أبوه وَجْدًا شديدًا ، وقد كان عهِد إليه بالأمرِ مِن بعدِه ، وخُطِب له معه على المَنابرِ مِن مدةِ سنينَ ، فدفَنه فى تربتِه ، وجعَل ولايةَ العَهْدِ مِن بعدِه إلى ابنِه الأشرفِ خَليلٍ ، [(٢)]وكتَب بذلك إلى الآفاقِ ، ولما جاءت البريديةُ فى شوالٍ بولايةِ الأشرفِ خليلٍ[(٢)] مِن بعدِ أبيه ، خُطِب له على المَنابرِ مِن بعدِ ذِكْرِ أبيه يومَ الجمعةِ ، ودَقَّت البَشائرُ ، وزُيِّنتِ البلدُ سبعةَ أيامٍ ، ولبِس الجيشُ الخِلَعَ وركِبوا ، وأظْهَر الناسُ سُرورًا لشَهامتِه[(٣)] .

وفى رمضانَ باشَر حِسْبةَ دمشقَ شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ عِوَضًا عن شَرَفِ الدينِ بنِ الشَّيْرَجِىِّ[(٤)] .

---

(١) فى الأصل : « بالبيطارية » ، وفى م : « بالسنطارية » . والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) بعده فى م : « مع ما فى قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى » .
(٤) فى الأصل : « الشيرازى » ، وفى م : « الشيزرى » ، وفى نهاية الأرب : « الشيرحى » ، وفى السلوك : « السيرجى » . والمثبت من ترجمته فى السلوك ٢/٢٧٨ (القسم الأول) ، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٦٧.
وابن الشيرجى هو أبو الفتح أحمد بن عيسى بن مظفر بن محمد ، توفى سنة ست وعشرين وسبعمائة .

وفيه توَجَّه الشيخُ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ إلى خَطابةِ القدسِ بعدَ موتِ خَطِيبِه قُطْبِ الدينِ، فباشَر بعدَه تَدْريسَ القَيْمُرِيةِ عَلاءُ الدينِ أحمدُ بنُ القاضى تاجِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ (١أخو قاضى مِصرَ، ثم بعد ثلاثِ سنين أخَذ ابنُ جَماعةَ قضاءَ الديارِ المصريةِ عِوَضًا عن ابنِ بنتِ الأعزِّ١) .

وفى شهرِ رمضانَ كُبِس نَصْرانىٌّ وعندَه مُسْلمةٌ، وهما يَشْرَبان الخمرَ فى نَهارِ رمضانَ، فأمَر نائبُ السَّلْطنةِ حُسامُ الدينِ لاجين بتَحْريقِ النَّصْرانىِّ، فبذَل فى نفسِه أمْوالًا جَزيلةً، فلم يُقْبَلْ منه، وأُحْرِق بسوقِ الخيلِ، وعمِل الشِّهابُ محمودٌ فى ذلك أبياتًا فى قَصيدةٍ مَليحةٍ[٢] .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الخطيبُ الإمامُ قُطْبُ الدينِ أبو الزَّكاءِ عبدُ المُنْعِمِ بنُ يحيى بنِ إبراهيمَ بنِ علىِّ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ سعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ عوفٍ القرشىُّ الزُّهْرىُّ[٣]، خطيبُ بيتِ المقدسِ أربعين سنةً، وكان مِن الصُّلحاءِ الكِبارِ، مجموعًا عن الناسِ، حسَنَ الهَيْئةِ مَهيبًا، عَزيزَ النفسِ، يُفْتِى الناسَ، ويَذْكُرُ التَّفْسيرَ مِن حفظِه فى المِحْرابِ بعدَ صلاةِ الصبحِ، وقد سمِع الكثيرَ، وكان مِن الأخْيارِ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وستِّمائةٍ، وتُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ سابعِ رمضانَ عن أربعٍ وثمانين سنةً .

الشيخُ الصالحُ العابدُ إبراهيمُ بنُ مِعْضادِ بنِ شَدَّادِ بنِ ماجدٍ الجَعْبَرىُّ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) بعده فى م : «وأما المرأة فجلدت الحد».

(٣) تذكرة النبيه ١/ ١١٩، والسلوك ١/ ٧٤٦ (القسم الثالث) - وفيهما: «أبو الذكاء» - وعقد الجمان ٢/ ٣٧٣ - وفيه: «أبو الوفا» - والمنهل الصافى ٧/ ٣٦٦، والدليل الشافى ١/ ٤٣٠ - وفيهما: «أبو البركات» - والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٨، والأنس الجليل ٢/ ١٣٦ - وفيه: «أبو الذكا».

تَقِىُّ الدينِ أبو إسحاقَ[1] ، أصلُه مِن قلعةِ جَعْبَرٍ ، ثم أقام بالقاهرةِ ، فكان يَعِظُ الناسَ ، وكان الناسُ يَنْتَفِعون بكلامِه كثيرًا ، تُوُفِّى بالقاهرةِ يومَ السبتِ الرابعِ والعشرين مِن المحرمِ ، ودُفِن فى تربتِه بالحُسَيْنيةِ ، وله نَظْمٌ حسنٌ ، وكان من الصُّلَحاءِ المشهورين ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الصالحُ ياسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُقْرِئُ الحَجَّامُ[2] ، شيخُ الشيخِ مُحْيِي الدينِ النَّواوىِّ ، وقد حجَّ عشرين حَجَّةً ، وكانت له أحْوالٌ وكَراماتٌ .

الخُونْدَه غازِيَةُ خاتون بنتُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون[3] ، زوجةُ الملكِ السعيدِ .

الحكيمُ الرئيسُ عَلاءُ الدينِ علىُّ بنُ أبى الحزْمِ بنِ نَفِيسٍ[4] ، شرَح « القانونَ » لابنِ سِينا ، [١٠/١٠٠و] وصنَّف « المُوجَزَ » وغيرَه مِن الفَوائدِ ، وكان يَكْتُبُ مِن حفظِه ، وكان اشْتِغالُه على ابنِ الدَّخْوَارِىِّ ، وتُوُفِّى بمصرَ فى ذى القَعْدةِ .

الشيخُ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ بنِ مالكٍ النَّحْوىُّ[5] ، شارحُ « الألفيةِ » التى عمِلها أبوه ، وهو مِن أحْسَنِ الشُّروحِ وأكثرِها فَوائدَ ، وكان لطيفًا ظريفًا فاضلًا ، تُوُفِّى يومَ الأحدِ الثامنَ مِن المحرمِ ، ودُفِن مِن الغدِ ببابِ الصغيرِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دول الإسلام ٢/ ١٨٨، والوافى بالوفيات ٦/ ١٤٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٢٣، وتذكرة النبيه ١/ ١١٦، والدليل الشافى ١/ ٢٩، والسلوك ١/ ٧٤٦ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٣.

(٢) مرآة الجنان ٤/ ٢٠٦، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٥، والدليل الشافى ٢/ ٧٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٣.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ١٥٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٨.

(٤) دول الإسلام ٢/ ١٨٨، ومسالك الأبصار ٩/ ٣٤٩، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/ ١١٥، والسلوك ١/ ٧٤٦ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٧٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧، ومعجم الأطباء ص ٢٩٢. وهو المعروف بابن النفيس.

(٥) الوافى بالوفيات ١/ ٢٠٤، وتذكرة النبيه ١/ ١١٠، والسلوك ١/ ٧٣٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/ ٣٦٥، وبغية الوعاة ١/ ٢٢٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٨. وفيهم أنه توفى سنة ست وثمانين وستمائة.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] كان فَتْحُ مدينةِ طَرابُلُسَ، وذلك أن السلطانَ قَلاوُون قدِم بالجيوشِ المنصورةِ المصريةِ فى صُحْبتِه إلى دمشقَ فدخَلها فى الثالثَ عَشَرَ من صفرٍ، ثم صار بهم وبجيشِ دمشقَ وصُحْبتُه خلقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ، منهم القاضى نجمُ الدينِ الحَنْبلىُّ قاضى الحَنابلةِ، وخَلْقٌ مِن المَقادِسةِ وغيرِهم، فنازَل طَرابُلُسَ يومَ الجمعةِ مُسْتَهَلَّ ربيعٍ الأولِ، وحاصَرها بالمَجانِيقِ حِصارًا شديدًا، وضيَّقوا على أهلِها تَضْييقًا عظيمًا، ونصَب عليها تسعةَ عشَرَ مَنْجَنِيقًا، فلما كان يومُ الثلاثاءِ [2]رابعُ ربيعٍ الآخِرِ[2] فُتِحَت طَرابُلُسُ فى الساعةِ الرابعةِ مِن النهارِ عَنْوةً، وشمِل القتلُ والأَسْرُ جميعَ مَن فيها، وغرِق كثيرٌ مِن أهلِ الميناءِ ونُهِبت الأموالُ، وسُبِيَت النساءُ والأطفالُ، وأُخِذَت الذَّخائرُ والحَواصلُ، وقد كان لها فى أيْدِى الفِرِنْجِ مِن سنةِ ثلاثٍ وخمسِمائةٍ إلى هذا التاريخِ [3]كان المَلِكُ صنجيلُ[4] الفِرِنْجِ حاصَرها سبعَ سنين حتى ظفِر بها كما ذكَرنا[3]، وقد كانت قبلَ ذلك فى أيدى

---

(١) نهاية الأرب ١٦٣/٣١ - ١٦٥، وكنز الدرر ٢٨٢/٨ - ٣٠٠، والعبر ٣٥٦/٥ - ٣٦٠، وتذكرة النبيه ١٩٢/١ - ١٩٤، وعقد الجمان ٢/ ٢٧٩- ٢٨٩.

(٢ - ٢) فى الأصل، م، عقد الجمان: «رابع جمادى الآخرة». وفى كنز الدرر: «رابع عشر ربيع الآخر». والمثبت من نهاية الأرب والعبر. وجاء فى تذكرة النبيه أن الحصار دام ثلاثة وثلاثين يوما.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) فى الأصل: «صحيل». والمثبت من الكامل ١٠/ ٤١١، ٤٧٥، وكنز الدرر، وعقد الجمان.

المسلمين مِن زمانِ مُعاويةَ ، فقد فتَحها سفيانُ بنُ مُجيبٍ[1] لمعاويةَ ، فأسْكَنها مُعاويةُ اليهودَ ، ثم كان عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ جدَّد عِمارتَها ، وحصَّنها وأسْكَنها المسلمينَ ، وصارَت آمِنةً عامرةً مُطْمَئِنَّةً ، وبها ثِمارُ الشامِ ومصرَ ، فإن بها الجَوْزَ والمَوْزَ والثَّلْجَ والقَصَبَ ، والمياهُ جاريةٌ فيها تَصْعَدُ إلى أمكنةٍ عاليةٍ ، وقد كانت قبلَ ذلك ثلاثَ مدنٍ مُتَقاربةٍ ، ثم صارت بلدًا واحدًا ، ثم حُوِّلَت مِن موضعِها كما سيأْتى الآن . ولمّا وصَلَت البِشارةُ إلى دمشقَ دَقَّت البشائرُ ، وزُيِّنَت البلادُ ، وفرِح الناسُ فرحًا شديدًا ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

ثم أمَر السلطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوُون أن تُهْدَمَ البلدُ بما فيها مِن العَمائرِ والدُّورِ والأسْوارِ الحصينةِ التى كانت عليها ، وأن يُبْنَى على مِيلٍ منها بَلْدةٌ غيرُها أمْكَنُ منها وأحْسَنُ ، ففُعِل ذلك ، فهى هذه البَلْدةُ التى يقالُ لها : طَرابُلُسُ[2] التى جعَلها اللَّهُ تعالى دارَ أمانٍ وإيمانٍ .

ولما فرَغ السلطانُ [من][3] فَتْحِ طرابُلُسَ[2] عاد إلى دمشقَ مُؤَيَّدًا مَنْصورًا مسرورًا مَحْبورًا ، فدخَلها يومَ النصفِ مِن جُمادَى الآخِرةِ ، ولكنه فوَّض الأمورَ والكلامَ فى الأموالِ إلى عَلَمِ الدينِ الشُّجاعىِّ ، فصادَر جَماعةً وجمعَ أموالًا كثيرةً ، وحصَل بسببِ ذلك أذَى الخلقِ ، وبئْسَ هذا الصَّنيعُ ؛ لأن ذلك تَعْجيلٌ لدَمارِ الظالمِ وهَلاكِه ، فلم يُغْنِ عن المنصورِ ما جمَع له الشُّجاعىُّ مِن الأموالِ شيئًا ، فإنه لم يَعِشْ بعدَ ذلك إلا اليَسيرَ حتى أخَذه اللَّهُ ، كما سيأْتى . ثم سافَر السلطانُ فى ثانى شعبانَ بجيشِه إلى الديارِ المصريةِ ، فدخَلَها فى أواخِرِ شعبانَ .

---

(١) فى الأصل ، م ، عقد الجمان : « نجيب » . والمثبت من أسد الغابة ٢/ ٤٠٧ . وانظر الإكمال ١/ ٢١٠، ٢١١.
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) سقط من : الأصل . وأضفناها لتستقيم العبارة .

وفيها فُتِحَت قِلاعٌ كثيرةٌ [١٠/١٠٠ظ] بناحيةِ حلبَ ؛ كَرْكَرُ[١] وتلك النَّواحى ، وكُسِرَت طائفةٌ مِن التَّتَرِ هناك ، وقُتِل ملكُهم خَرْبَندا نائبُ التَّتَرِ على مَلَطْيَةَ .

وفيها تولَّى الحِسْبةَ بدمشقَ جَمالُ الدينِ يوسفُ بنُ التَّقىِّ تَوْبَةَ التَّكْريتىِّ ، ثم أخَذها بعدَ شهورٍ تاجُ الدينِ الشِّيرازىُّ .

وفيها وُضِع منبرٌ عندَ مِحْرابِ الصَّحابةِ بسببِ عِمارةٍ كانت فى المَقْصورةِ ، فصلَّى بُرْهانُ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ نائبُ الخطيبِ بالناسِ هناك مدةَ شهرِ الجماعاتِ والجُمُعاتِ ، ابْتَدَءوا ذلك مِن يومِ الجمعةِ الثانى والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخةُ فاطمةُ بنتُ الشيخِ إبراهيمَ [٢]بنتُ الرُّعَيْنىِّ[٢] ، زوجةُ النَّجْمِ بنِ إسرائيلَ ، كانت مِن بيتِ الفقرِ ، لها سَلْطنةٌ وإقدامٌ وترجمةٌ وكلامٌ فى طريقةِ الحريريةِ وغيرِهم ، وحضَر جِنازتَها خلقٌ كثيرٌ ، ودُفِنَت عندَ الشيخِ رَسلان .

العلمُ ابنُ الصاحبِ الماجنُ ، هو الشيخُ الفاضلُ عَلَمُ الدينِ أحمدُ بنُ يوسُفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ شُكْرٍ[٣] ، كان مِن بيتِ علمٍ ورِياسةٍ ، وقد درَّس فى بعضِ المدارسِ ، وكانت له وَجاهةٌ ورِياسةٌ ، ثم ترَك ذلك كلَّه ، وأقْبَل على الحرفشةِ وصُحْبةِ الحَرافِيشِ[٤] والتَّشَبُّهِ بهم فى اللِّباسِ والطريقةِ ، وأكَل الحَشيشَ

---

(١) كركر : حصن قرب ملطية . معجم البلدان ٤/ ٢٦٢.

(٢ - ٢) سقط من : م . انظر ترجمتها فى عقد الجمان ٢/ ٣٩١، وفيه : « الزعيبى » .

(٣) العبر ٥/ ٣٥٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٩٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٧، وعقد الجمان ٢/ ٣٨٩، والمنهل الصافى ٢/ ٢٧٤، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٣.

(٤) الحرافيش مفردها حرفوش وهم الرعاع .

(١ واسْتَعْمَل ما ١) كان مِن إلْفِهم فى الخَلاعةِ والمُجونِ والزَّوائدِ الرائقةِ الفائقةِ التى لا يُلْحَقُ فى كثيرٍ منها ، وقد كان له أولادٌ فُضَلاءُ يَنْهَوْنه عن ذلك ، فلا يَلْتَفِتُ إليهم ، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَه حتى تُوُفِّى ليلةَ الجمعةِ الحادى والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ .

ولما وَلى القُضاةُ الأربعةُ كان ابنُ خالتِه تاجُ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ مُسْتَقِلًّا فى القَضاءِ قبلَ ذلك ، فقال له ابنُ الصاحبِ المذكورُ : ما مِتُّ حتى رأيْتُك صاحبَ رَبْعٍ (٢) . فقال له : تَسْكُتُ وإلا خلَّيْتُهم يَسْقُونك السُّمَّ . فقال له : فى قلةِ دينِك تَفْعَلُ ، وفى قلةِ عُقولِهم يَسْمَعوا منك .

وقال يَمْدَحُ الحَشِيشةَ الخَسِيسةَ :

فى خُمارِ الحَشيشِ معنى مَرامِى ... يا أُهَيْلَ العقولِ والأفْهامِ
حرَّموها عن غيرِ عقلٍ ونقلٍ ... وحَرامٌ تَحْريمُ غيرِ الحَرامِ

وله أيضًا :

يا نَفْسُ مِيلى إلى التَّصابى ... فاللَّهْوُ منه الفَتَى يَعِيشُ
ولا تَمَلِّى مِن سُكْرِ يومٍ ... إن أعْوزَ الخمرُ فالحشيشُ

وله أيضًا :

جمَعْتُ بينَ الحَشيشِ والخَمْرِ ... فرُحْتُ لا أَهْتَدِى مِن السُّكْرِ
يا مَن يُرينى لباب مدرستى ... يَرْبَحُ واللَّهُ غايةُ الأجْرِ

(١ - ١) فى م : « واستعمله » .
(٢) الربع : الحكم . انظر الوسيط (ر ب ع) .

وقال يَهْجُو الصاحبَ بَهاءَ الدينِ بنَ الحِنَّا[1] :

اقْعُدْ بها وتَهَنَّا لابدَّ أن تَتَعَنَّى
تَكْتُبْ على ابنِ محمدْ[2] من أين لكْ يا بنَ حِنّا

فاسْتَدْعاه فضرَبه ، ثم أمَر به إلى المارَسْتانِ ، فمكَث فيه سنةً ، ثم أُطْلِق .

شمسُ الدينِ الأصْبَهانيُّ شارحُ « المَحْصولِ » محمدُ بنُ محمودِ بنِ محمدِ ابنِ عَبَّادٍ السَّلْمانيُّ العَلَّامةُ[3] ، قدِم دمشقَ بعدَ الخمسين وستِّمائةٍ ، وناظَر الفُقَهاءَ ، واشْتَهَرَت فَضائِلُه ، وسمِع الحديثَ ، وشرَح « المَحْصولَ » للرازيِّ ، وصنَّف القَواعدَ فى أربعةِ فُنونٍ ؛ أصولِ الفقهِ ، وأصولِ الدينِ ، والمَنْطِقِ ، والخِلافِ ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالمَنْطِقِ والنحوِ والأدبِ ، وقد رحَل إلى مصرَ ، فدرَّس بمشهدِ الحسينِ والشافعيِّ وغيرِهما ، ورحَل إليه الطَّلَبةُ ، تُوُفِّى فى العشرين مِن رجبٍ فى القاهرةِ ، عن ثنتين وسبعين سنةً .

الشمسُ[4] **محمدُ بنُ العَفِيفِ سليمانَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ التِّلِمسانيُّ** ، الشاعرُ المُطَبِّقُ ، كانت وفاتُه فى حياةِ أبيه ، فتألَّم له ، ووجَد عليه وَجْدًا شديدًا ، [١٠/١٠١و] ورثاه بأشعارٍ كثيرةٍ ، تُوُفِّى يومَ الأربعاءِ الرابعَ عشَرَ مِن

---

(١) لم نقف على هذه الأبيات .

(٢) فى الأصل : « بحر » .

(٣) العبر ٥/ ٣٥٩، والوافى بالوفيات ٥/ ١٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٥، والسلوك ١/ ٧٥٠ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٦.

(٤) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر مصادر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٥٩، والوافى بالوفيات ٣/ ١٢٩، وفوات الوفيات ٣/ ٣٧٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٦، والسلوك ١/ ٧٥٠ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٥.

رجبٍ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن بالصُّوفيةِ . فمِن رائقِ شعرِه قولُه :

وإنَّ ثَـنـايـاه نجـومٌ لـبَـدْرِهِ ... وهنَّ لعِقدِ الحُسْنِ فيه فَرائدُ
وكم يَتَجافَى خَصْرُه وهْو ناحِلٌ ... وكم يَتَحَلَّى ثغرُه وهْو باردُ

وله يَذُمُّ الحَشِيشةَ :

ما للحَشِيشةِ فضلٌ عندَ آكلِها ... لكنه غيرُ مَصْروفٍ إلى رَشَدِهْ
صفراءُ فى وجهِهِ خَضْراءُ فى فمِهِ ... حمراءُ فى عينهِ سوداءُ فى كبدِهْ[1]

ومِن شعرِه أيضًا :

بدا وجهُه مِن فوقِ ذابلِ قَدِّه[2] ... وقد لاح مِن سُودِ الذَّوائِبِ فى جُنْحِ
فقلت عجيبٌ كيف لم يَذْهَبِ الدُّجَى ... وقد طلَعَت شمسُ النَّهارِ على رُمْحِ

وله مِن جُملةِ أبياتٍ[3] :

مـا أنـت عـنـدى والـقَـضـيـ ... ـبُ الـلَّـذْنُ فـى حـدٍّ سَـوَا
هـذاك حـرَّكـه الـهَـوا ... ءُ وأنـت حـرَّكْـتَ الـهَـوَى

الملكُ المنصورُ شِهابُ الدينِ محمودُ بنُ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ[4] ، تُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ ثامنَ عشَرَ شعبانَ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن مِن يومِه بتربةِ جدِّه ، وكان ناظرَها ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكان يُحِبُّ أهلَه ، وكان فيه لُطْفٌ وتَواضُعٌ .

---

(١) فى الأصل : « جسده » .
(٢) فى الأصل ، م : « خده » . والمثبت من فوات الوفيات ٣/ ٣٧٨.
(٣) انظر عقد الجمان ٢/ ٣٨٩.
(٤) نهاية الأرب ٣١/ ١٦٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٤، وعقد الجمان ٢/ ٣٩٠.

الشيخُ فخرُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ يوسُفَ البَعْلَبَكِّيُّ الحنْبلىُّ[1] ، شيخُ دارِ الحديثِ النُّوريةِ ومشهدِ ابنِ عُرْوةَ ، وشيخُ الصَّدْريةِ ، كان يُفْتِى ويُفِيدُ الناسَ مع دِيانةٍ وصَلاحٍ وزَهادةٍ وعِبادةٍ ، وُلِد سنةَ إحدى عشْرَةَ[2] وستِّمائةٍ ، وتُوُفِّى فى رجبٍ منها .

---

(١) العبر ٥/ ٣٥٨، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣١٩، وعقد الجمان ٢/ ٣٨٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٤.

(٢) فى الأصل : « وعشرين » .

ثم دخَلَت سنةُ تسعٍ وثمانين وستّمائةٍ

فيها[1] كانت وفاةُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون ، وكان الخليفةُ الحاكمَ العباسيَّ ، ونائبُ مصرَ حُسامَ الدينِ طُرُنْطاى[2] ، ونائبُ الشامِ حُسامَ الدينِ لاجِين ، وقُضاةُ الشامِ شِهابَ الدينِ بنَ الخويِّيِّ الشافعيَّ ، وحُسامَ الدينِ الحَنَفيَّ ، ونجمَ الدينِ بنَ شيخِ الجبلِ الحنبليَّ[3] ، وجَمالَ الدينِ الزَّواويَّ المالكيَّ .

وجاء البريدُ بَطَلَبِ شمسِ الدينِ سُنْقُرَ الأعسرِ[4] إلى الديارِ المصريةِ ، فأكْرَمه السلطانُ وقوَّاه ، وشدَّ يدَه ، وأمَره باسْتِخْلاصِ الأموالِ ، وزاده شدَّ الجيوشِ ، والكلامَ على الحُصونِ إلى البِيرَةِ وكختا وغيرِ ذلك ، فقوِيَت نفسُه ، وزاد تجَبُّرُهُ ، ولكن كان يَرْجِعُ إلى مُروءةٍ وسَتْرٍ ، ويَنْفَعُ مَن يَنْتَمِى إليه ، وذلك مَودةٌ فى الدنيا فى أيامِ قَلائلَ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ جاء البَريدُ بالكشفِ على ناصرِ الدينِ بنِ المَقْدِسيِّ وكيلِ بيتِ المالِ وناظرِ الخاصِّ [5]والأوقافِ[5] ، فظهَرت عليه مَخازٍ مِن أكلِ الأوْقافِ وغيرِها ، فرُسِم عليه بالعَذْراويةِ ، وطُولِب بتلك الأموالِ ، وضُيِّق عليه ،

---

(١) نهاية الأرب ١٦٧/٣١ - ١٨٤، وكنز الدرر ٣٠٠/٨ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٦، وعقد الجمان ٣/ ١٠- ٤٠، والسلوك ٧٥١/١ - ٧٥٩ (القسم الثالث).

(٢) فى م: «طرقطاى». وانظر المصادر السابقة.

(٣) سقط من: م. وانظر المصادر السابقة.

(٤) فى م: «الأشقر».

(٥ - ٥) سقط من: م.

وعمِل فيه سيفُ الدينِ أبو العباسِ السامَرِّىُّ قَصيدةً يَتَشَفَّى فيها لِما كان أسْدَى إليه مِن الظلمِ والإيذاءِ، مع أنه راح إليه، وتغَمَّم له وتَمازَحا هنالك، ثم جاء البريدُ بطلبِه إلى الديارِ المصريةِ، فخاف النُوَّابُ مِن ذَهابِه، (١إليها وفُضولِه وشرِّه١)، فأصْبَح يومَ الجمعةِ (١ثالث شعبانَ١) وهو مَشْنوقٌ بالمدرسةِ العَذْراويةِ، فطُلِبَت القُضاةُ والشُّهودُ، فشاهَدوه كذلك، ثم جُهِّز وصُلِّى عليه بعدَ الجمعةِ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ عندَ أبيه، وكان مدرسًا بالرَّواحِيةِ وتُرْبةِ أمِّ الصالحِ، مع الوِكالتَيْن والنَّظَرِ.

وجاء البريدُ بعملِ مَجانِيقَ لحِصارِ عَكَّا، فركِب الأعْسَرُ إلى أراضى بَعْلَبَكَّ لِما هنالك مِن الأخشابِ العظيمةِ التى لا يُوجَدُ مثلُها بدمشقَ، وهى تَصْلُحُ لذلك، فكثُرَت الجِناياتُ والجِبايَاتُ والسُّخْرُ، وكلَّفوا الناسَ تَكْليفًا كثيرًا، وأخَذوا أخشابَ الناسِ، وحُمِلَت إلى دمشقَ بكُلْفةٍ عظيمةٍ وشدةٍ كثيرةٍ، فإنا للَّهِ [١٠/١٠١ظ] وإنا إليه راجِعون.

وفاةُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون، بينما الناسُ فى هذا الهَمِّ والمُصادَراتِ وأمثالِ ذلك إذ ورَدتْ بريديةٌ، فأخْبَروا بوَفاةِ الملكِ المنصورِ يومَ السبتِ سادس ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ، بالمُخَيَّم ظاهرَ القاهرةِ، ثم حُمِل إلى قلعةِ الجبلِ ليلًا، وجلَس بعدَه ولدُه الملكُ الأشْرَفُ خَليلٌ بوِلايةِ العهدِ له، وحلَف له جميعُ الأمراءِ، وخُطِب له على المَنابرِ، وركِب فى أُبَّهةِ المُلكِ، والعَسكرُ كلُّهم فى خدمتِه مُشاةً مِن قلعةِ الجبلِ إلى المَيْدانِ الأسْودِ الذى هو سوقُ الخيلِ، وعلى الأمراءِ والمُقَدَّمين الخِلَعُ وعلى القُضاةِ والأعْيانِ، ولما جاءت الأخْبارُ بذلك حلَف

(١ - ١) سقط من: م.

له الأُمراءُ بالشامِ ، وقبَض على حُسامِ الدينِ طُرُنطاى نائبِ أبيه ، وأخَذ منه أموالًا جَزيلةً جدًّا ، فأنْفَق منها على العَسكرِ .

وفيها ولِى خطابةَ دمشقَ زَيْنُ الدينِ عمرُ بنُ مَكِّىِّ بنِ المُرَحِّلِ عِوَضًا عن جَمالِ الدينِ بنِ عبدِ الكافى ، وكان ذلك بمُساعدةِ الأعْسَرِ ، وتوَلَّى نظرَ الجامعِ الرئيسُ وَجيهُ الدينِ بنُ المُنَجَّا الحَنْبلىُّ ، عِوَضًا عن ناصرِ الدينِ بنِ المَقْدِسىِّ ، وثمَّر وَقْفَه وعمَّره ، وزاد مائةً وخمسين ألفًا .

وفيها احْتَرَقَت دارُ صاحبِ حَماةَ ، وذلك أنه وقَع فيها نارٌ فى غَيْبتِه ، فلم يَتَجاسَرْ أحدٌ يَدْخُلُها ، فعمِلَت النارُ فيها يومين ، فاحْتَرَقَت واحْتَرَق كلُّ ما فيها .

وفى شَوَّالٍ درَّس بتربةِ أمِّ الصالحِ بعدَ ابنِ المَقْدسىِّ القاضى إمامُ الدينِ القُونَوِىُّ .

وفيها باشَر الشَّرَفُ حسنُ[1] بنُ أحمدَ بنِ الشيخِ أبى عمرَ قَضاءَ الحَنابلةِ عِوَضًا عن ابنِ عمِّه نجمِ الدينِ بنِ شيخِ الجبلِ ، عن مَرْسومِ الملكِ المنصورِ قبلَ وفاتِه .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ مِن الشامِ الأميرُ بدرُ الدينِ [2]بَكْتُوت الزوباسىُّ[2] ، وحجَّ قاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّىِّ ، وشمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ ، ومُقَدَّمُ الرَّكْبِ الأميرُ عُتْبةُ ، فتوَهَّم منه أبو نُمَىٍّ ، وكان بينَهما عَداوةٌ ، فأغْلَق أبوابَ مكةَ ، ومنَع الناسَ مِن دخولِها ، فأحْرِق البابُ ، وقُتِل جماعةٌ ، ونُهِبَتْ بعضُ الأماكنِ ، وجرَت خُطوبٌ فَظيعةٌ ، ثم أرْسَلوا القاضىَ ابنَ

---

(١) فى الأصل ، م : « حسين » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ١٧٢، وعقد الجمان ٣/ ٤٦، والسلوك ١/ ٧٥١ (القسم الثالث) . وستأتى ترجمته فى صفحة ٦٨٩ ضمن وفيات سنة خمس وتسعين وستمائة .

(٢ - ٢) فى م : « بكتوت الدوباسى » ، وفى عقد الجمان ٣/ ٤٠: « بكتاش الزومانتى » .

الخُوِّىِّ ليُصْلِحَ بينَ الفريقَيْن ، ولما اسْتَقَرَّ عندَ أبى نُمَىٍّ رحيلُ الرُّكوبِ[1] ، وبقِى هو فى الحَرَمِ وحْدَه ، أرْسَل معه أبو نُمَىٍّ مَن ألْحَقه بهم سالمًا مُعَظَّمًا . وجاء الخبرُ بموتِ المنصورِ إلى الناسِ وهم بعَرَفاتٍ ، وهذا شىءٌ عجيبٌ ، وجاء كتابٌ يَسْتَحِثُّ الوزيرَ ابنَ السَّلْعُوسِ فى المَسيرِ إلى الديارِ المصريةِ ، وبينَ الأسْطُرِ بخطِّ الملكِ الأشرفِ : يا شقير ، يا وجهَ الخير ، احْضُرْ لتتسَلَّمَ الوِزارةَ . فساق إلى القاهرةِ ، فوصَلها يومَ الثلاثاءِ عاشر المحرمِ ، فتسَلَّم الوِزارةَ كما قال السلطانُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

السلطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوُون بنُ عبدِ اللَّهِ التُّرْكىُّ الصالحىُّ الأَلْفىُّ[2] ، اشْتَراه الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ الملكِ الكاملِ محمدِ بنِ العادلِ أبى بكرِ ابنِ أيوبَ بألفِ[3] دينارٍ ، وكان مِن أكابرِ الأمراءِ عندَه وبعدَه ، ولما تزَوَّج الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ بابنتِه غازِيَةَ خاتون ، عظُم شأنُه جدًّا عندَ الظاهرِ ، وما زال يَرْتفِعُ فى الدولةِ حتى صار أتابِكَ سَلَامُش بنِ الظاهرِ ، ثم رفَعه مِن البَيْنِ ، واسْتَقَلَّ بالمُلْكِ فى [4]سنةِ ثمانٍ وسبعين ، وكسَر التتارَ على حمصَ فى سنةِ ثمانين ، فأحبَّه الناسُ ، وفتَح المَرْقَبَ فى[4] سنةِ أربعٍ وثمانين ، وفتَح طَرابُلُسَ سنةَ ثمانٍ وثمانين ، وعزَم على فتحِ [١٠/١٠٢و] عَكَّا وبرَز لها ، فعاجَلَته المَنِيَّةُ فى السادسِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ، ودُفِن بتربتِه بمدرستِه الهائلةِ التى أنْشَأها بينَ

---

(١) الركوب : جمع الرَّكْب .

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ١٧٣، وكنز الدرر ٨/ ٣٠١، والعبر ٥/ ٣٦٣، وفوات الوفيات ٣/ ٢٠٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٥، والسلوك ١/٧٥٤ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٢، والدليل الشافى ٢/ ٥٤٨.

(٣) فى م : « بألفى » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

القَصْرَيْن ، التى ليس بديارِ مصرَ ولا بالشامِ مثلُها ، وفيها دارُ حديثٍ ومارَسْتانٌ ، وعليها أوْقافٌ دارَّةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ ، مات عن قريبٍ مِن ستين سنةً[1] ، وكانت مدةُ ملكِه اثنتى عشْرةَ سنةً ، وكان حسنَ الصورةِ مَهِيبًا ، عليه أُبَّهةُ السَّلْطنةِ ومَهابةُ المُلْكِ ، تامَّ القامةِ ، حسنَ اللحيةِ ، عالىَ الهِمَّةِ ، شُجاعًا وَقورًا ، سامَحه اللَّهُ .

الأميرُ حسامُ الدينِ طُرُنْطاى[2] ، نائبُ السلطنةِ المنصوريةِ بمصرَ ، أخَذه الأشْرَفُ فسَجَنه بقلعةِ الجبلِ ثم قتَله ، وبقِى ثمانيةَ أيامٍ لا يُدْرَى به ، ثم لُفَّ فى حَصيرٍ وأُلْقى على مَزْبَلةٍ ، وحَنَّ[3] عليه بعضُ الناسِ ، فكُفِّن كآحادِ الفُقَراءِ بعدَ النَّعيمِ الكثيرِ ، والدنيا المُتَّسِعةِ ، والكلمةِ النافذةِ ، وقد أخَذ السلطانُ مِن حَواصِلِه ستَّمائةِ ألفِ دينارٍ وسبعين قِنْطارًا بالمصرىِّ فِضَّةً ، ومِن الجواهِرِ شيئًا كثيرًا ، سوى الخيلِ والبِغالِ والجِمالِ والأمْتِعةِ والبُسُطِ الجِيادِ ، والأسلحةِ المُثَمَّنةِ ، وغيرِ ذلك مِن الحَواصِلِ والأمْلاكِ بمصرَ والشامِ ، وترَك ولدَيْن أحدُهما أعْمَى ، وقد دخَل هذا الأعْمى على الأشرفِ ، فوضَع المِنْديلَ على وجهِه وقال : شىءٌ للَّهِ . وذكَر له أن لهم أيامًا لا يَجِدون شيئًا يَأْكُلونه ، فرقَّ لهم وأطْلَق لهم الأمْلاكَ يَأْكُلون مِن رِيعِها ، فسبحانَ اللَّهِ المُتَصَرِّفِ فى خلقِه بما يَشاءُ ، يُعِزُّ مَن يَشاءُ ويُذِلُّ مَن يَشاءُ .

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ رَشِيدُ الدينِ عمرُ بنُ إسماعيلَ بنِ مسعودٍ الفارقىُّ الشافعىُّ[4] ، مدرسُ الظاهريةِ ، تُوُفِّى بها وقد جاوَز التسعين ، وُجِد مَخْنوقًا فى

---

(١) بعده فى الأصل : « وقيل ثمانين سنة » .

(٢) فى م : « طرقطاى » . وانظر ترجمته فى : نهاية الأرب ٣١/ ١٨٠، والعبر ٥/ ٣٦١، المنهل الصافى ٦/ ٣٨٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٣.

(٣) فى م : « حزن » .

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ١٧٢، والعبر ٥/ ٣٦٣، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٤٣١، وفوات الوفيات =

المُحَرِم ، ودُفِن بالصوفيةِ ، وقد سمِع الحديثَ ، وكان منفردًا فى فنونٍ مِن العلومِ كثيرةٍ ، منها النحوُ والأدبُ وحَلُّ المُتَرْجَمِ والكِتابةُ والإنشاءُ وعلمُ الفَلَكِ والنُّجومِ وضربُ الرَّمْلِ والحسابُ وغيرُ ذلك ، وله نَظْمٌ حسنٌ .

الخطيبُ جَمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكافى بنُ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الكافى الرَّبَعىُّ[1] ، تُوُفِّى بدارِ الخَطابةِ ، وحضَر الناسُ الصلاةَ عليه يومَ السبتِ سَلْخَ جُمادَى الأولى ، وحُمِل إلى السفحِ ، فدُفِن إلى جانبِ الشيخِ يوسُفَ الفُقَاعِىِّ .

فخرُ الدينِ [2]**أبو الطاهرِ**[2] **إسماعيلُ بنُ عِزِّ القُضاةِ أبى الحسنِ علىِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أبى اليُمْنِ** ، الشيخُ الزاهدُ المُتَقَلِّلُ مِن مَتاعِ الدنيا ، تُوُفِّى فى العشرين مِن رمضانَ ، وصُلِّى عليه فى الجامعِ ، ودُفِن بتربةِ بنى الزَّكىِّ بقاسِيونَ مَحَبَّةً فى مُحْيى الدينِ بنِ عَرَبىٍّ ؛ فإنه كان يَكْتُبُ مِن كلامِه كلَّ يومٍ ورقتَيْن ، ومِن الحديثِ ورقتَيْن ، وكان مع هذا يَحْسُنُ الظَّنُّ به ، وكان يُصَلِّى مع الأئمةِ كلِّهم بالجامعِ ، وقد أخْبَر عنه بعضُ العلماءِ أنه رأَى بخطِّه :

وفى كلِّ شىءٍ له آيةٌ ... تَدُلُّ على أنه عينُهُ

وقد صَحَّح على « عينُه » ، وإنما الصحيحُ المَرْوِىُّ عمن أنْشَد هذا الشعرَ أولًا :

* تَدُلُّ على أنه واحدُ[3] *

= ٢/٢٠٣ - وفيه أنه توفى سنة سبع وثمانين وستمائة - وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٠٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٣١، وعقد الجمان ٣/ ٤١، والدارس ١/ ٣٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢١٦.

(١) العبر ٥/ ٣٦٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٢٨٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٣١، وعقد الجمان ٣/ ٤٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٦.

(٢ - ٢) فى م : « أبو الظاهر » . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٦١، وفوات الوفيات ١/ ١٧٩، والوافى بالوفيات ٩/ ١٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٠، وعقد الجمان ٣/ ٤٤، والمنهل الصافى ٢/ ٤٠٨.

(٣) وهو لأبى العتاهية . انظر التمثيل والمحاضرة ص ١١.

وله شعرٌ فمنه :

(١) والنهرُ قد(٢) جُنَّ بالغصونِ هوًى ... فـراح فـى قـلـبِـه يمـثِّـلُـهـا (١)

فـغـار مـنـه النَّـسـيـمُ عـاشِـقُـهـا ... فـجـاء عـن وصـلِـه يُمـيِّـلُـهـا

وله أيضًا :

لما تحَقَّق بـالإمـكـانِ فـوقَـكـمُ ... وقد بدا حكمُه فى عالمِ الصُّوَرِ

[١٠٢/١٠ظ] تَميَّز(٣) الجمعُ عنه وهْو مُتَّحِدٌ ... فلاحَ فوقَكمُ(٤) فى عالمِ الصورِ

وله :

لـى سـادةٌ لا أَرَى سِـواهـمْ ... هم عينُ مَعْناىَ عينُ(٥) جَوْفى

لـقـد أحـاطـوا بـكـلِّ جـزءٍ ... منِّى وعزُّوا عن دَرْكِ طَرْفى

هـمْ نظَروا فى عـمـومِ فَقْرى ... وطـولِ ذُلِّـى وفَـرْطِ ضَـعْـفـى

فـعـامَـلـونـى بـبَـحْـتِ جـودٍ ... وصَـرْفِ بـرٍّ ومَـحـضِ لُـطْـفِ

فـلا تَـلُـمْ إن جـرَرْتُ ذَيْـلـى ... فخرًا بهم أو ثَنَيتُ عِطْفِى

وله :

مواهبُ ذى الجَلالِ لدىَّ تَتْرَى ... فقد أخْرَسْنَنى ونَطَقْنَ شُكْرا

(١ - ١) فى الأصل :

« وللدهر منذ حسر بالغصون هوى ... فصار برانا قبلته يمثلها »

(٢) فى م : « مذ » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) فى م : « فميز » .

(٤) فى م : « فرقكم » .

(٥) فى الأصل : « غير » .

فنُعْمى إثرَ نُعمى إثرَ نُعْمى (١ وبُشرى بعدَ بُشرى بعدَ بُشرى ١)
لها بَدْءٌ وليس لها انْتِهاءٌ يَعُمُّ مزيدُها دنيا وأخرى

الحاجُّ طَيْبَرْسُ بنُ عبدِ اللَّهِ، عَلاءُ الدينِ الوزيرىُّ(٢)، صِهْرُ الملكِ الظاهرِ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ ذوِى الحَلِّ والعَقْدِ، وكان دَيِّنًا، كثيرَ الصَّدَقاتِ، له خانٌ بدمشقَ أوْقَفه، وله فى فِكاكِ الأسْرَى وغيرِ ذلك، وأوْصَى عندَ موتِه بثلاثِمائةِ ألفٍ تُصْرَفُ على الجُنْدِ بالشامِ ومصرَ، فحصَل لكلِّ جندىٍّ خمسون درهمًا، وكانت وفاتُه فى ذى الحِجَّةِ، ودُفِن بتربتِه بسفحِ المُقَطَّمِ.

قاضى القُضاةِ نجمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ(٣) **بنُ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ أبى عمرَ المقدسىُّ**، تُوُفِّى ثانى عشَرَ (٤ جمادى الآخرةِ منها، وحضَر جنازتَه خلقٌ كثيرٌ ونائبُ السلطنةِ، ودُفِن بقاسِيونَ، وله أربعون سنةً سواءً ٤)، وكان فاضلًا بارعًا خطيبًا مُدَرِّسًا، درَّس بأكثرِ المدارسِ، وهو شيخُ الحَنابلةِ وابنُ شيخِهم، وتوَلَّى بعدَه القضاءَ الشيخُ شرفُ الدينِ حسنُ(٥) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عمرَ. واللَّهُ أعلمُ.

(١ - ١) فى الأصل: «ويسرا بعد يسرا بعد يسرا».

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ١٨٥، وعقد الجمان ٣/ ٤٩، والدليل الشافى ١/ ٣٧٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٥.

(٣) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٠، والوافى بالوفيات ٧/ ٤٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٢٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٢٢، وعقد الجمان ٣/ ٤٥، والمنهل الصافى ١/ ٣٣٠.

(٤ - ٤) فى م: «رجب بسوا».

(٥) فى الأصل، م: «حسين». وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٢٥.

ثم دخَلَت سنةُ تسعين وستّمائةٍ مِن الهجرةِ[1]

فيها فُتِحَت عَكّا وبقيةُ السَّواحِلِ التى كانت بأيدى الفِرِنْجِ مِن مُدَدٍ مُتَطاوِلةٍ، ولم يَبْقَ لهم فيها حجرٌ واحدٌ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ العباسىُّ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الأشرفُ خَليلُ بنُ المنصورِ قَلاوُون، ونائبُه بمصرَ وأعمالِها بدرُ الدينِ بَيْدَرا، ووَزيرُه ابنُ السَّلْعُوسِ الصاحبُ شمسُ الدينِ، ونائبُه بالشامِ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارُ المنصوريُّ، وقُضاةُ الشامِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها، وصاحبُ اليمنِ الملكُ المُظَفَّرُ شمسُ الدينِ يوسفُ بنُ المنصورِ نورِ الدينِ عمرَ بنِ علىِّ بنِ رسولٍ، وصاحبُ مكةَ نجمُ الدينِ أبو نُمَىٍّ محمدُ بنُ إدْريسَ بنِ علىِّ بنِ قَتادةَ الحَسَنىُّ، وصاحبُ المدينةِ عزُّ الدينِ جَمَّازُ بنُ شِيحَةَ الحُسَيْنىُّ، وصاحبُ الرومِ غِياثُ الدينِ كَيْخُسرو بنُ رُكْنِ الدينِ قِلِيج أرْسَلان السَّلْجوقىُّ[2]، وصاحبُ حَماةَ الملكُ المظفَّرُ تَقىُّ الدينِ[3] محمودُ بنُ الملكِ المنصورِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ الملكِ المُظَفَّرِ تَقىِّ الدينِ محمدٍ، وسلطانُ بلادِ العراقِ وخُراسانَ وتلك

---

(١) نهاية الأرب ١٨٧/٣١ - ٢٢٣، وكنز الدرر ٣٠٥/٨ - ٣٢١، وتذكرة النبيه ١٣٧/١ - ١٤٣، والسلوك ٧٦٠/١ - ٧٧٥ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٥٠/٣ - ٨٩.

(٢) جاء فى أحداث سنة ثنتين وثمانين وستمائة فى مختصر أخبار البشر ١٧/٢، وعقد الجمان ٣١٩/٢، والسلوك ٧١٨/١ (القسم الثالث) أن غياث الدين قتله أرغون ملك التتر، وتولى بعده مسعود بن عز الدين كيكاوس بن كيخسر وبن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان، وأن مسعودا هذا كان آخر من سمى بالسلطان من السلجوقية، وتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة.

(٣) بعده فى الأصل: «محمد بن».

النَّواحى أرْغون بنُ أَبْغَا بنِ هُولَاكُو بنِ تُولى بنِ جِنْكِزْخان .

وكان أولَ هذه السنةِ يومُ الخميسِ ، وفيه تُصُدِّق عن الملكِ المنصورِ بأموالٍ كثيرةٍ جدًّا مِن الذهبِ والفضةِ ، وأُنْزِل السلطانُ إلى تربتِه فى ليلةِ الجمعةِ ، فدُفِن بها تحتَ القُبَّةِ ، ونزَل فى قبرِه بدرُ الدينِ بَيْدَرا وعَلَمُ الدينِ الشُّجاعىُّ ، وفُرِّقَت صَدَقاتٌ كثيرةٌ حينئذٍ ، ولما قدِم الصاحبُ شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ مِن الحجازِ [١٠/١٠٣و] خُلِع عليه للوِزارةِ ، وكتَب تَقْليدَه بها القاضى مُحْيى الدينِ بنُ عبدِ الظاهرِ كاتبُ الإنْشا بيدِه ، وركِب الوزيرُ فى أُبَّهةِ الوِزارةِ إلى دارِه وحكَم .

ولما كان يومُ الجمعةِ قُبِض على شمسِ الدينِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ وسيفِ الدينِ جرمك الناصرىِّ ، وأُفْرِج عن الأميرِ زَيْنِ الدينِ كَتْبُغَا ، وكان قد قُبِض عليه مع طُرُنْطاى[1] ، ورُدَّ عليه إقْطاعَه ، وأُعِيد التَّقىُّ تَوْبَةُ إلى وِزارةِ دمشقَ مرةً أخرى .

وفيها[2] أثْبَت ابنُ الخُوَيِّىِّ مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أن يَكونَ تَدْريسُ الناصريةِ للقاضى الشافعىِّ ، وانْتَزَعها مِن زينِ الدينِ الفارِقىِّ .

ذكرُ فتحِ عَكَّا وبقيةِ السَّواحلِ[3]

وفيها جاء البَريدُ إلى دمشقَ فى مُسْتَهَلِّ ربيعٍ الأولِ لتَجْهيزِ آلاتِ الحِصارِ

---

(١) فى م : « طرقطاى » .

(٢) الدارس ١/ ٤٦٠.

(٣) نهاية الأرب ٣١/١٩٥ - ٢٠٠، وكنز الدرر ٨/٣٠٨ - ٣١١، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٧، وعقد الجمان ٣/ ٥٤، ٥٧ - ٦٥.

لعَكَّا ، ونُودِى فى دمشقَ : الغَزاةَ فى سبيلِ اللَّهِ إلى عَكَّا . وقد كان أهلُ عَكَّا فى هذا الحينِ عدَوْا على مَن عندَهم مِن تُجارِ المسلمين ، فقتَلوهم وأخَذوا أموالَهم ، فأُبْرِزَت المَجانيقُ إلى ناحيةِ الجُسُورةِ ، وخرَجَت العامَّةُ والمُطَّوِّعَةُ يَجُرُّون فى العَجَلِ ، حتى الفُقهاءُ والمدرسون والصُّلَحاءُ ، وتوَلَّى سياقتَها الأميرُ عَلَمُ الدينِ الدَّوادارىُّ ، وخرَجَت العَساكرُ بينَ يدى نائبِ الشامِ ، وخرَج هو فى آخِرِهم ، ولحِقه صاحبُ حَماةَ الملكُ المُظَفَّرُ ، وخرَج الناسُ مِن كلِّ صَوْبٍ ، واتَّصَل بهم عَسْكرُ طَرابُلُسَ ، وركِب الأشرفُ مِن الديارِ المصريةِ بعساكرِه قاصدًا عَكَّا ، فتَوافَت الجُيوشُ هنالك ، فنازَلهم يومَ الخميسِ رابع[1] ربيعِ الآخِرِ ، ونُصِبَت عليها المَجانيقُ مِن كلِّ ناحيةٍ يُمْكِنُ نَصْبُها عليها ، واجْتَهَدوا غايةَ الاجْتِهادِ فى مُحاربتِها والتَّضْييقِ على أهلِها ، واجْتَمَع الناسُ بالجَامعِ لقراءةِ « صحيحِ البخارىِّ » ، فقرَأه الشيخُ شَرَفُ الدينِ الفَزارىُّ ، وحضَر القُضاةُ والفقهاءُ والأعيانُ ، وفى أثْناءِ مُحاصَرةِ عكا وقَع تَخْبيطٌ مِن نائبِ الشامِ حُسامِ الدينِ لاجِين ، فتوَهَّم أن السلطانَ يُرِيدُ مَسْكَه ، وكان قد أخْبَره بذلك الأميرُ الذى يُقالُ له : أبو خُرْص[2] . فركِب هاربًا ، فردَّه عَلَمُ الدينِ الدَّوادارىُّ بالمسابه ، وجاء به إلى السلطانِ ، فطيَّب قلبَه ، وخلَع عليه ، ثم أمْسَكَه بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، وبعَثه إلى قلعةِ صَفَدَ ، واحْتاط على حَواصِلِه ، ورسَم على أُسْتَدارِه بدرِ الدينِ بكداش ، وجرَى ما لا يَلِيقُ وقوعُه هنالك ، إذ الوقتُ وقتُ عُسْرٍ وضِيقٍ وحِصارٍ ، وصمَّم السلطانُ على الحِصارِ ، فرتَّب الكُوساتِ ثلاثَمائةِ حِمْلٍ ، ثم زَحَف يومَ الجمعةِ سابعَ عشَرَ

---

(١) فى المصادر : « ثالث » .

(٢) فى الأصل : « خوص » .

جُمادَى الأولى ، ودَقَّت الكُوساتُ جُملةً واحدةً عندَ طُلُوعِ الشمسِ ، وطلَع المسلمون على الأسْوارِ مع طُلوعِ الشمسِ ، ونُصِبَت السَّناجقُ الإسلاميةُ فوقَ أسْوارِ البلدِ ، فولَّت الفِرِنْجُ عندَ ذلك الأدْبارَ ، وركِبوا هارِبين فى مَراكِبِ التُّجارِ ، وقُتِل منهم عددٌ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ تعالى ، وغنِموا مِن الأمْتِعةِ والرَّقيقِ والبَضائعِ شيئًا كثيرًا جدًّا ، وأمَر السلطانُ بهَدْمِها وتَخْريبِها ، بحيث لا يُنْتَفَعُ بها بعدَ ذلك ، فيسَّر اللَّهُ فتْحَها نَهارَ جمُعةٍ ، كما أخَذَتها الفِرِنجُ مِن المسلمين فى يومِ الجمعةِ ، وسَلَّمَتْ صُورُ وصَيْدَا قِيادَهما إلى الأشرفِ ، فاسْتَوْسَق الساحلُ للمسلمين ، وتنَظَّف مِن الكافرين ، وقُطِع دابرُ القومِ الذين ظلَموا ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

وجاءت البِطاقةُ إلى دمشقَ بذلك ، ففرِح المسلمون ، ودَقَّت البَشائرُ فى جميعِ الحُصونِ ، وزُيِّنَت البلادُ ليَتَنَزَّهَ [١٠٣/١٠ظ] فيها الناظِرون والمُتَفَرِّجون ، وأرْسَل السلطانُ إلى صُورَ أميرًا ، فهدَم أسْوارَها ، وعفا آثارَها ، وقد كان لها فى أيدى الفِرِنْجِ مِن سنةِ ثمانِ عَشْرةَ وخمسِمائةٍ . وأما عَكَّا فقد كان الملكُ الناصرُ يوسفُ بنُ أيوبَ أخَذَها مِن أيدى الفِرِنْجِ ، ثم إن الفِرِنْجَ جاءوا فأحاطوا بها بجيوشٍ كثيرةٍ ، ثم جاء صلاحُ الدينِ بالجيوشِ ليُمانِعَهم عنها مدةَ سبعةٍ وثلاثين شهرًا ، ثم فى آخرِ ذلك اسْتَمْلَكوها ، وقتَلوا مَن كان فيها مِن المسلمين ، كما تقَدَّم ذلك .

ثم إن السلطانَ الملكَ الأشرفَ خَليلَ بنَ المنصورِ قَلاوُون سار مِن عَكَّا قاصدًا دمشقَ فى أُبَّهةِ المُلْكِ وحُرْمةٍ وافرةٍ ، وفى صُحبتِه وزيرُه ابنُ السَّلْعُوسِ والجيوشُ المنصورةُ ، وفى هذا اليومِ اسْتَناب بالشامِ الأميرُ عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ ، وسكَن بدارِ السَّعادةِ ، وزِيد فى إقْطاعِه حَرَسْتَا ، ولم تُقْطَعْ لغيرِه ، وإنما كانت

لمَصالحِ حَواصِلِ القلعةِ ، وجُعِل له فى كلِّ يومٍ ثلاثُمائةٍ على دارِ الطُّعْمِ[1] ، وفُوِّض إليه أن يُطْلِقَ مِن الخزانةِ ما يُرِيدُ مِن غيرِ مُشاوَرةٍ ولا مُراجَعةٍ ، وأرْسَله السلطانُ إلى صَيْدَا ؛ لأنه كان قد بقِى بها بُرْجٌ عاصٍ ، ففتَحه ودقَّت البَشائرُ بسببِه ، ثم عاد سريعًا إلى السلطانِ فودَّعه ، وسار السلطانُ نحوَ الديارِ المصريةِ فى أواخِرِ رجبٍ ، وبعَثه إلى بيروتَ ليَفْتَحَها ، فسار إليها ففتَحها فى أقْربِ وقتٍ ، وسُلِّمَت عَثْلِيثُ[2] وأَنْطَرْطُوسُ وجُبَيْلٌ . ولم يَبْقَ بالسواحلِ - وللَّهِ الحمدُ - مَعْقِلٌ للفِرِنجِ إلا بأيدى المسلمين ، وأراح اللَّهُ منهم البلادَ والعِبادَ ، ودخَل السلطانُ إلى القاهرةِ فى تاسعِ شعبانَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ جدًّا ، وكان يومًا مشهودًا ، وأفْرَج عن بدرِ الدينِ بَيْسَرِى بعدَ سَجْنٍ تسعَ[3] سِنينَ ، وردَّ عليه إقطاعَه ، ورجَع عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ نائبُ دمشقَ إلى دمشقَ فى سابعِ عشرين الشهرِ المذكورِ ، وقد نظَّف السَّواحلَ مِن الفِرِنجِ بالكليةِ ، ولم يَبْقَ لهم بها حَجَرٌ .

وفى رابعِ رمضانَ أفْرَج عن حُسامِ الدينِ لاجِين مِن قلعةِ صَفَدَ ، ومعه جَماعةُ أُمراءَ ، وردَّ إقْطاعاتِهم إليهم ، وأحْسَن إليهم وأكْرَمهم .

وفى أوائلِ رمضانَ طُلِب القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ مِن القدسِ الشريفِ - وهو حاكمٌ به وخطيبٌ فيه - على البَريدِ إلى الديارِ المصريةِ ، فدخَلها فى رابعَ عشَرَةَ ، وأفْطَر ليلتَئذٍ عندَ الوزيرِ ابنِ السَّلْعُوسِ ، وأكْرَمه جدًّا واحْتَرَمه ،

---

(١) فى م : « الطعام » . ودار الطعم : دار بدمشق بمثابة الوكالة بالديار المصرية . انظر صبح الأعشى ٤/ ١٨٧.

(٢) فى م : « عثلية » . وعثليث : اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر . معجم البلدان ٣/ ٦١٦.

(٣) فى الأصل ، م : « سبع » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ٨٨، ٢١٤، ٢١٥، وكنز الدرر ٨/ ٣١٢. وتقدم فى حوادث سنة إحدى وثمانين وستمائة أن السلطان المنصور قلاوون قبض عليه .

وكانت ليلةَ الجمعةِ ، فصرَّح الوزيرُ بعَزْلِ تقيِّ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ وتَوْليةِ ابنِ جَماعةَ بالديارِ المصريةِ قَضاءَ القُضاةِ ، وجاء القُضاةُ إلى تهنئتِه ، وأصْبَح الشُّهودُ فى خدمتِه ، ومع القَضاءِ خَطابةُ الجامعِ الأزهرِ ، وتَدْريسُ الصالحيةِ ، وركِب فى الخِلْعةِ والطَّرْحَةِ ، ورسَم لبقيةِ القُضاةِ أن يَسْتَمِرُّوا بلُبْسِ الطَّرَحاتِ ، وذهَب فخطَب بالجامعِ الأزهرِ ، وانْتقل إلى المدرسةِ الصالحيةِ ، ودرَّس بها فى الجمعةِ الأخرى ، وكان درسًا حافلًا ، ولما كان يومُ الجمعةِ رسَم السلطانُ للحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أن يَخْطُبَ هو بنفسِه الناسَ يومَئذٍ ، وأن يَذْكُرَ فى خطبتِه أنه قد ولَّى السَّلْطنةَ للأشْرفِ خَليلِ بنِ المنصورِ ، فلبِس خِلْعةً سوداءَ ، وخطَب الناسَ بالخطبةِ التى كان خطَب بها فى الدولةِ الظاهريةِ ، وكانت مِن إنْشاءِ الشيخِ شرفِ الدينِ المقدسىِّ فى سنةِ ستين وستِّمائةٍ ، [١٠/١٠٤و] فيَكونُ بينَ الخطبتَيْن أَزْيَدُ مِن ثلاثين سنةً ، وذلك بجامعِ قلعةِ الجبلِ ، ثم اسْتَمَر ابنُ جَماعةَ يَخْطُبُ بالقلعةِ عندَ السلطانِ ، وكان يَسْتَنِيبُ فى الجامعِ الأزهرِ .

وأما ابنُ بنتِ الأعَزِّ فناله مِن الوزيرِ إخْراقٌ ومُصادَرةٌ وإهانةٌ بالغةٌ ، ولم يَتْرُكْ له مِن مَناصِبِه شيئًا ، وكان بيدِه سبعةَ عشَرَ مَنْصِبًا ؛ منها القَضاءُ ، والخَطابةُ ، ونَظَرُ الأحْباسِ ، ومَشْيَخةُ الشيوخِ ، ونظرُ الخِزانةِ ، وتَداريسُ كِبارٌ ، وصادَرَه بنحوٍ مِن أربعين ألفًا ، غيرَ مَراكبِه وأشياءَ كثيرةٍ ، ولم يَظْهَرْ منه اسْتِكانةٌ له ولا خُضوعٌ ، ثم عاد فرضِى عنه ، وولَّاه تَدْريسَ الشافعىِّ .

وعُمِلَت خَتْمةٌ عندَ قبرِ الملكِ المنصورِ فى ليلةِ الاثنينِ رابع ذى القَعْدةِ ، وحضَرها القُضاةُ والأمراءُ ، ونزَل السلطانُ ومعه الخليفةُ إليهم وقتَ السَّحَرِ ، وخطَب الخليفةُ بعدَ الخَتْمةِ خُطْبةً بَليغةً ، حرَّض الناسَ فيها على غَزْوِ بلادِ العراقِ ، واسْتِنْقاذِها مِن أيدى التَّتَرِ ، وقد كان الخليفةُ قبلَ ذلك مُحْتَجِبًا ، فرآه

الناسُ جَهْرةً ، وركِب فى الأسواقِ بعدَ ذلك .

وعمِل أهلُ دمشقَ خَتْمةً عظيمةً بالمَيْدانِ الأخضرِ إلى جانبِ القصرِ الأبْلَقِ ، فقُرِئَت خَتَماتٌ كثيرةٌ ، ثم خطَب الناسَ بعدَها الشيخُ عزُّ الدينِ الفارُوثىُّ[1] ، ثم ابنُ البُزُورىِّ ، ثم تكَلَّم مَن له عادةٌ بالكلامِ ، وجاءَت البَريديةُ بالتَّهَيُّؤ لغَزْوِ العراقِ ، ونُودِى فى الناسِ بذلك ، وعُمِلَت سَلاسِلُ عِظامٌ بسببِ الجُسورةِ على دِجْلةِ بغدادَ ، وحُصِّلَت الأُجورُ على المقصودِ ، وإن لم يَقَعِ المقصودُ ، وحصَل لبعضِ الناسِ أذًى بسببِ ذلك .

وفيها نادَى نائبُ الشامِ الشُّجاعىُّ أن لا تَلْبَسَ امرأةٌ عِمامةً كبيرةً ، وخرَّب الأبْنيةَ التى على نهرَىْ بانِيَاسَ والجَداولَ كلَّها والمَسالحَ والسِّقاياتِ التى على الأنهارِ كلِّها ، وأخْرَب جِسْرَ الزلابيةِ وما عليه مِن الدَّكاكينِ ، ونادَى أن لا يَمْشِىَ أحدٌ بعدَ العِشاءِ الآخِرةِ ، ثم أطْلَق لهم هذه فقط ، وأخْرَب الحَمَّامَ الذى كان بناه الملكُ السعيدُ ظاهرَ بابِ النصرِ ، ولم يَكُنْ بدمشقَ أحْسَنُ منه ، ووسَّع المَيْدانَ الأخْضرَ مِن ناحيةِ الشَّمالِ مِقْدارَ سدسِه ، ولم يَتْرُكْ بينَه وبينَ النهرِ إلا مِقْدارًا يَسِيرًا ، وعمِل هو بنفسِه والأُمراءُ فى حِيطانِه .

وفيها حُبِس الأميرُ جَمالُ الدينِ آقوشُ الأفْرَمُ المَنْصورىُّ وأميرٌ[2] آخرُ معه فى القَلْعةِ .

وفيها حُمِل الأميرُ عَلَمُ الدينِ الدَّوادارىُّ إلى الديارِ المصريةِ مُقَيَّدًا .

وقد نظَم الشيخُ شِهابُ الدينِ محمودٌ قَصيدةً فى فتحِ عَكَّا[3] :

---

(١) فى م : « القارونى » .

(٢) هو الأمير سيف الدين قرار سلان المنصورى ، انظر السلوك ٧٧٤/١ (القسم الثالث) .

(٣) نهاية الأرب ٢٠٣/٣١ - ٢٠٨.

الحمدُ للَّهِ زالَت دولةُ الصُّلُبِ وعَزَّ بالتُّرْكِ دينُ المُصْطَفَى العَرَبى
هذا الذى كانت الآمالُ لو طلَبَت رؤياه فى النومِ لاسْتَحْيت مِن الطَّلَبِ
ما بعدَ عَكَّا وقد هُدَّت قَواعدُها فى البحرِ للشركِ[1] عندَ البَرِّ مِن أَرَبِ
لم يَبْقَ مِن بعدِها للكفرِ إذ خَرِبت فى البرِّ والبحرِ ما يُنْجِى سِوَى الهربِ
أمُّ الحروبِ فكم قد أنْشَأَتْ فتنًا شابَ الوليدُ بها هولًا ولم تَشِبِ
يا يومَ عَكَّا لقد أنْسَيْتَ ما سبَقَت به الفتوحُ وما قد خُطَّ فى الكتُبِ
لم يَبْلُغِ النُّطْقُ حدَّ الشكرِ فيكَ فما عسى يَقُومُ به ذو الشِّعرِ والأدبِ
أغْضَبْتَ عُبَّادَ عيسى إذ أبَدْتَهمُ [2]للَّهِ أىُّ[2] رضًى فى[١٠/١٠٤ظ] ذلك الغضبِ
وأشْرَف المصطفى الهادى البَشيرُ على ما أسْلَف الأشرفُ السلطانُ مِن قُرَبِ
فقرَّ عَيْنًا لهذا الفتحِ وابْتَهَجت ببُشْرِه الكعبةُ الغَرَّاءُ فى الحُجُبِ
وسار فى الأرضِ سيرًا قد سمِعْتُ به فالبَرُّ فى طربٍ والبحرُ فى حَرَبِ[3]

وهى طويلةٌ جدًّا ، وله ولغيرِه فى فتحِ عكا أشعارٌ كثيرةٌ .

ولما رجَع البريدُ أخْبَر بأن السلطانَ لما عاد إلى مصرَ خلَع على وزيرِه ابنِ السَّلْعُوسِ جميعَ ملابسِه التى كانت عليه ، ومَرْكوبَه الذى كان تحتَه ، فركِبه ورسَم له بثمانيةٍ وسبعين ألفًا مِن خِزانةِ دمشقَ ، ليَشْتَرِىَ له بها قريةَ قَرَحْتَا[4] مِن بيتِ المالِ .

وفى هذه السنةِ انْتَهَت عِمارةُ قلعةِ حَلَبَ بعدَ الخَرابِ الذى أصابَها مِن هُولَاكُو وأصحابِه عامَ ثمانٍ وخمسين .

---

(١) فى م : « للترك » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « فرب راى » .
(٣) فى كنز الدرر ٨/ ٣١٧: فالبَرُّ فى طَلَبٍ والبحر فى هَرَبٍ .
(٤) قرحتا : من قرى دمشق . معجم البلدان ٤/ ٥٣.

وفى شوالٍ منها شُرِع فى عِمارةِ قلعةِ دمشقَ وبناءِ الدُّورِ السُّلْطانيةِ والطارمةِ والقُبَّةِ الزَّرقاءِ، حسَبَ ما رسَم به السلطانُ الأشْرفُ خَليلُ بنُ قَلاوُون لنائبِه عَلَمِ الدينِ سَنْجَرَ الشُّجاعىِّ.

وفيها فى رمضانَ أُعِيد إلى نِيابةِ القلعةِ الأميرُ أرجواش، وأُعْطِى إقْطاعاتٍ سَنِيةً.

وفيها أُرْسِل الشيخُ الرجيحىُّ مِن ذريةِ الشيخِ يونُسَ مُضَيَّقًا عليه، مَحْصورًا إلى القاهرةِ.

وفيها درَّس عزُّ الدينِ الفارُوثىُّ[1] بالمدرسةِ النَّجِيبيةِ عِوَضًا عن كمالِ الدينِ ابنِ خَلِّكانَ، وفى ذلك اليومِ درَّس نجمُ الدينِ مَكِّىٌّ بالرَّواحيةِ عِوَضًا عن ناصرِ الدينِ بنِ المَقْدسىِّ، وفيه درَّس كَمالُ الدينِ الطَّبيبُ بالمدرسةِ الدَّخْوارِيَّةِ الطِّبِّيةِ.

وفى هذا الشهرِ درَّس الشيخُ جَلالُ الدينِ الخَبَّازِىُّ[2] بالخاتونيةِ البَرَّانيةِ، وجَمالُ الدينِ بنُ الباجُرْبَقىِّ بالقِليجةِ[3]، وبُرْهانُ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ بالقُوصِيةِ التى بالجامعِ، والشيخُ نجمُ الدينِ الدمشقىُّ بالشَّريفيةِ عندَ حارةِ الغرباءِ.

وفيها أُعِيدَت الناصريةُ إلى الفارِقىِّ، وفيه درَّس بالأمينيةِ القاضى نجمُ الدينِ ابنُ صَصْرَى بعدَ ابنِ الزَّمْلكانىِّ، وأُخِذَت منه العادليةُ الصغيرةُ لكَمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلكانىِّ.

---

(١) فى م: «القارونى».
(٢) فى الأصل: «الحناوى». وانظر ترجمته فى صفحة ٦٥٥ فى وفيات السنة الآتية.
(٣) فى الأصل، م: «بالفتحية». والمثبت من عقد الجمان ٣/ ٨٧، والدارس ١/ ٥٠٤.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

أَرْغُون بنُ أَبْغَا ملكُ التَّترِ[1] ، كان شَهْمًا شُجاعًا سَفَّاكًا للدماءِ ، قتَل عمَّه السلطانَ أحمدَ بنَ هولاكو ، فعظُم فى أعْينِ المَغُولِ ، فلما كان فى هذه السنةِ مات مِن شَرابٍ شرِبه فيه سُمٌّ ، فاتَّهَمَت المَغولُ اليَهودَ به - وكان وزيرُه سعدُ الدولةِ بنُ الصَّيْفِى[2] يَهُوديًّا - فقتَلوا مِن اليهودِ خلقًا كثيرًا ، ونهَبوا منهم أموالًا عظيمةً جدًّا فى جميعِ مَدائنِ العراقِ ، ثم اخْتَلَفوا فيمَن يُقِيمونه بعدَه ، فمالت طائفةٌ إلى كَيْخَتُو ، فأجْلَسُوه على سَريرِ المَمْلَكةِ ، فبقِى مدةً ، قيل : سنةً . وقيل أقلُّ مِن ذلك . ثم قتَلوه وملَّكوا بعدَه بَيْدَرَا[3] ، وجاء الخبرُ بوفاةِ أَرْغُون إلى الملكِ الأشرفِ وهو مُحاصِرٌ عَكَّا ، ففرِح بذلك كثيرًا ، وكانت مدةُ مُلْكِ أَرْغُون ثمانَ سنينَ ، وقد وصَفه بعضُ مُؤَرِّخِى العراقِ بالعدلِ والسِّياسةِ الجيدةِ .

المَسْنِدُ المُعَمَّرُ الرُّحَلَةُ [١٠/١٠٥و] **فخرُ الدينِ بنُ البخارىِّ**[4] ، وهو أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الواحدِ المَقْدسىُّ الحَنْبلىُّ المعروفُ بابنِ البُخارِىِّ ، وُلِد فى سَلْخِ [5]سنةِ خمسٍ[5] أو مسْتَهَلِّ سنةِ ستٍّ وتسعين[6] وخمسِمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، ورحَل مع أهلِه ، وكان رجلًا صالحًا عابدًا زاهدًا وَرِعًا ناسِكًا ، تفرَّد

---

(١) نهاية الأرب ٢٧/ ٤٠٤، وكنز الدرر ٨/ ٣٢٢، والعبر ٥/ ٣٦٦، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٤١، وعقد الجمان ٣/ ١٠٤، والمنهل الصافى ٢/ ٣١٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤١١.

(٢) فى م : « الصفى » .

(٣) فى الأصل : « بندر » .

(٤) فى م : « النجار » . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٦٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٤، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٢٥، وعقد الجمان ٣/ ٩٠، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٤.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، م . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٦) فى م : « وسبعين » .

برواياتٍ كثيرةٍ لطولِ عمرِه، وخُرِّجَتْ له مَشْيَخاتٌ، وسمِع منه الخلقُ الكثيرُ والجَمُّ الغَفيرُ، وكان منصوبًا لذلك حتى كبِر وأسَنَّ وضعُف عن الحركةِ، وله شعرٌ حسنٌ، منه قولُه[1]:

تكَرَّرَت السِّنون علىَّ حتى ... بَلِيتُ وصِرْتُ مِن سَقَطِ المَتاعِ
وقلَّ النَّفْعُ عندى[2] غيرَ أنِّى ... أعلِّلُ بالروايةِ والسَّماعِ
فإن يَكُ خالصًا فله جَزاءٌ ... وإن يَكُ مالِقًا[3] فإلى ضَياعِ

وله أيضًا:

إليك اعْتِذارى مِن صلاتىَ قاعدًا ... وعَجْزىَ عن سَعْيى إلى الجُمُعاتِ
وتَرْكى صلاةَ الفَرْضِ فى كلِّ مسجدٍ ... تَجَمَّع فيه الناسُ للصَّلَواتِ
فيا ربِّ لا تَمْقُتْ صَلاتى ونَجِّنى ... مِن النارِ واصْفَحْ لى عن الهَفَواتِ

تُوُفِّى ضُحَى نَهارِ الأرْبِعاءِ ثانى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ عن خمسٍ وتسعين سنةً، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ، ودُفِن عندَ والدِه الشيخِ شمسِ الدينِ أحمدَ بنِ عبدِ الواحدِ بسفحِ قاسِيونَ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشيخُ تاجُ الدينِ الفَزارىُّ، عبدُ الرحمنِ بنُ[4] إبراهيم بنِ[4] سِبَاعِ بنِ ضِياءِ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ الفَزارىُّ، الإمامُ العَلَّامةُ العَلَمُ، شيخُ الشافعيةِ فى زمانِه، حاز قَصَبَ السَّبْقِ دونَ أقرانِه، وهو والدُ شيخِنا العَلَّامةِ بُرْهانِ الدينِ. كان مولدُ

---

(١) الأبيات فى ذيل طبقات الحنابلة، وعقد الجمان، وشذرات الذهب.
(٢) فى الأصل: «منى».
(٣) فى الأصل: «مايمًا»، وفى ذيل طبقات الحنابلة وشذرات الذهب: «مانعا».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصدر ترجمته؛ العبر ٥/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٨/ ٩٦، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٦٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٣، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٣.

الشيخِ تاجِ الدينِ فى سنةِ ثلاثين وستِّمائةٍ[1] ، وتُوُفِّى ضُحَى يومِ الاثنينِ خامسِ جُمادَى الآخِرةِ بالمدرسةِ الباذَرائيَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ بالأُمويِّ ، تقَدَّم للصَّلاةِ عليه قاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّىِ ، ثم صَلَّى عليه عندَ جامعِ جراحٍ الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ ، ودُفِن عندَ والدِه ببابِ الصغيرِ ، وكان يومًا شديدَ الزِّحامِ ، وقد كان ممَّن اجتَمعت فيه فُنونٌ كثيرةٌ مِن العلومِ النافعةِ ، والأخْلاقِ اللطيفةِ ، وفَصاحةِ المَنْطِقِ ، وحُسْنِ التَّصْنيفِ ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ ، وفقهِ النَّفْسِ ، وكتابُه « الإقْلِيدُ » الذى جمَعه على أبوابِ « التَّنْبيهِ » وصَل فيه إلى بابِ الغَصْبِ ، دليلٌ على فقهِ نفسِه وعُلُوِّ قَدْرِه ، وقُوةِ هِمَّتِه ، ونُفوذِ نظرِه ، واتِّصافِه بالاجْتِهادِ الصحيحِ فى غالبِ ما سَطَّره ، وقد انْتَفَع به الناسُ ، وهو شيخُ أكابرِ مَشايخِنا هو والشيخُ مُحْيى الدينِ النوويُّ ، وله « اخْتِصارُ المَوْضُوعاتِ » لابنِ الجوزىِّ ، وهو عندى بخطِّه ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وحضَر عندَ ابنِ[2] الزَّبيدىِّ « صحيحَ البُخارىِّ » ، وسمِع مِن ابنِ اللَّتِّىِّ وابنِ الصلاحِ ، واشْتَغَل عليه وعلى ابنِ عبدِ السَّلامِ ، وانْتَفَع بهما ، وخرَّج له الحافظُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالىُّ أحدُ تَلاميذِه مَشْيَخةً فى عشَرةِ أجزاءٍ عن مائةِ شيخٍ ، فسمِعها عليه الأعْيانُ ، وكان له شعرٌ جيدٌ ، فمنه قولُه :

لِلَّهِ أيامُ جَمْعِ الشَّمْلِ ما برِحتْ ... بها الحوادثُ حتى أصبحتْ سَمَرا
ومُبْتَدَا الحُزْنِ مِن تاريخِ مَسْألَتى ... عنكم فلم أَلْقَ لا عينًا ولا أثَرا
يا راحلين قَدَرْتُمْ فالنَّجاةُ لكمُ ... ونحن للعَجْزِ لا نَسْتَعْجِزُ القَدَرا

---

(١) فى مصادر الترجمة أنه ولد سنة أربع وعشرين وستمائة .
(٢) سقط من : الأصل .

وقد ولِى الدرسَ بعدَه بالباذَرائيةِ والحَلْقةِ والفُتْيا بالجامعِ ولدُه شيخُنا بُرْهانُ الدينِ، فمشَى على طريقةِ والدِه وهَدْيِه ودَلِّه وسَمْتِه، رحِمه اللَّهُ.

وفى ثالثِ شعبانَ تُوُفِّى **الطَّبيبُ الماهرُ عزُّ الدينِ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طَرْخانَ** [١٠/١٠٥ظ] **السُّوَيْدىُّ الأنصارىُّ**[١]، ودُفِن بالسفحِ عن تسعين سنةً، وروَى شيئًا مِن الحديثِ، وفاق أهلَ زمانِه فى صناعةِ الطبِّ، وصنَّف كتبًا[٢] فى ذلك، وكان يُرْمَى بقلةِ الدينِ، وتَرْكِ الصَّلَواتِ، وانْحِلالٍ فى العقيدةِ، وإنْكارِ أمورٍ كثيرةٍ مما يَتَعَلَّقُ باليومِ الآخِرِ، واللَّهُ يَحْكُمُ فيه وفى أمثالِه بأمرِه العَدْلِ الذى لا يَجُورُ ولا يَظْلِمُ. وفى شعرِه ما يَدُلُّ على قلةِ عقلِه ودينِه وعدمِ إيمانِه، واعْتراضِه على تَحريمِ الخمرِ، وأنه قد طال رمضانُ عليه فى تركِها، وغيرِ ذلك.

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ عَلاءُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ ابنُ[٣] **الإمامِ العَلَّامةِ كَمالِ الدينِ عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ خَلَفٍ الأنْصارىُّ الزَّمْلَكانىُّ**، [٤]مدرسُ الأمينيةِ، وهو والدُ شيخِنا الإمامِ العلّامةِ كمالِ الدينِ بنِ أبى المعالى محمدِ بنِ علىٍّ الزَّمْلَكانىِّ[٤]، وقد درَّس بعدَ أبيه المذكورِ بالأَمِينيةِ، وكانت وفاةُ والدِه هذا ليلةَ الثلاثاءِ التاسع والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ[٥] بالأَمينيةِ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ عندَ والدِه.

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٥٩، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٣، وفوات الوفيات ١/ ٤٨، والمنهل الصافى ١/ ١٤٢.

(٢) فى الأصل: «كتابا».

(٣) بعده فى الأصل: «الحسن». وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٩، والوافى بالوفيات ٢١/ ٢٩١، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٧.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى طبقات الشافعية للإسنوى: «الأول».

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ يمكُ[1] بنُ عبدِ اللَّهِ الناصريُّ، ناظرُ الرِّباطِ بالصالحيةِ عن وصيةِ أُسْتاذِه، وهو الذى ولَّى الشيخَ شَرَفَ الدِّينِ الفَزاريَّ مَشْيَخةَ الرِّباطِ بعدَ ابنِ الشَّرِيشيِّ جَمالِ الدينِ، وقد دُفِن بالتربةِ الكبيرةِ داخلَ الرِّباطِ المذكورِ.

الشيخُ الإمامُ أبو حفصٍ عمرُ بنُ يحيى بنِ عمرَ الكَرَجيُّ[2]، صِهْرُ الشيخِ تَقيِّ الدينِ بنِ الصَّلاحِ، وأحدُ تلاميذِه، وُلِد سنةَ تسعٍ وتسعين وخمسِمائةٍ، ومات يومَ الأربعاءِ ثانى ربيعٍ الآخِرِ مِن هذه السنةِ، ودُفِن إلى جانبِ ابنِ الصَّلاحِ.

الملكُ العادلُ [3]بدرُ الدينِ[3] سَلامُش بنُ الظاهرِ، الذى كان قد بُويع بالـمُلْكِ بعدَ أخيه الملكِ السعيدِ، وجُعِل الملكُ المنصورُ قَلاوُون أتابِكَه، ثم اسْتَقَلَّ قَلاوُون بالملكِ، وأرْسَلهم إلى الكَرَكِ، ثم أعادهم إلى القاهرةِ، ثم سفَّرَهم الأَشْرَفُ خَليلٌ فى أولِ دولتِه إلى بلادِ الأَشْكُرِيِّ مِن ناحيةِ إصْطَنْبُول، فمات سَلامُش هناك، وبَقِيَ أخوه نجمُ الدينِ خَضِرٌ وأهْلُوهم بتلك الناحيةِ، وقد كان سَلامُش مِن أحسنِ الشبابِ شكلًا وأبْهاهم منظرًا، وقد افْتَتَن به خلقٌ كثيرٌ [4]مِن الناسِ[4]، وشبَّب به الشعراءُ، وكان عاقلًا رئيسًا مَهِيبًا وَقُورًا.

---

(١) فى م: «على». وانظر ترجمته فى: نهاية الأرب ٣١/ ٢٢٣، وعقد الجمان ٣/ ١٠٣ والمنهل الصافى ٤/ ١٥٥- وفيهما: «تنكر» - وورد ذكر اسمه فى كنز الدرر ٨/ ٢٤٥ فى حوادث سنة ثمانين وستمائة، وفى السلوك ١/ ٦٧٥ (القسم الثالث) حوادث سنة تسع وسبعين وستمائة.

(٢) فى م: «الكرخى». والكرجى: نسبة إلى الكَرَج، وهى مدينة بين همذان وأصبهان. معجم البلدان ٤/ ٢٥٠، ٢٥١. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٤٤، وعقد الجمان ٣/ ٩٥ والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٣ - وفيهما أيضًا: «الكرخى» - وشذرات الذهب ٥/ ٤١٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٢٦، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٢، والمنهل الصافى ٦/ ١٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤١١.

(٤ - ٤) فى م: «واللوطية الذين يحبون المردان».

العَفِيفُ التِّلْمِسانىُّ ، أبو الربيعِ سليمانُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ علىِّ بنِ ياسينَ العابدىُّ الكوفىُّ[1] ثم التِّلْمِسانىُّ ، الشاعرُ المُتْقِنُ فى علومٍ ؛ منها النحوُ والأدبُ والفقهُ والأصولُ ، وله فى ذلك مُصَنَّفاتٌ ، وله شرحُ « مَواقِفِ النِّفَّرِىِّ » ، و « شرحُ أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى » ، وله دِيوانٌ مشهورٌ ، ولولدِه محمدٍ دِيوانٌ آخَرُ ، وقد نُسِب هذا الرجلُ إلى عَظائمَ فى الأقوالِ والاعْتِقادِ فى الحُلولِ والاتحادِ والزَّنْدقةِ والكفرِ المَحْضِ ، وشهرتُه تُغْنِى عن الإطْنابِ فى ترجمتِه ، تُوُفِّى يومَ الأربعاءِ خامس رجبٍ ، ودُفِن بالصوفيةِ ، ويُذْكَرُ عنه أنه عمِل أربعين خَلْوةً ، كلُّ خَلْوةٍ أربعين يومًا مُتَتابِعةً . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « الكركى » ، وفى م : « الكومى » . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٥/ ٣٦٧، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٠٨، وفوات الوفيات ٢/ ٧٢، ومرآة الجنون ٤/ ٢١٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٧، وعقد الجمان ٣/ ٩٥، والمنهل الصافى ٦/ ٣٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٢.

ثم دخَلَت سنةُ إحدى وتسعين وستّمائةٍ

فيها[1] فُتِحَت قلعةُ الرومِ ، وسلطانُ البلادِ مِن دُنْقُلةَ إلى مصرَ إلى أقْصَى بلادِ الشامِ بكَمالِه وسَواحِلِه [١٠/١٠٦و] وبلادِ حلبَ وغيرِ ذلك الملكُ الأشرفُ خَليلٌ ، ووزيرُه شمسُ الدينِ بنُ السَّلْعوسِ ، وقُضاتُه بالشامِ ومصرَ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، ونائبُ مصرَ بدرُ الدينِ بَيْدارُ ، ونائبُ الشامِ عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ ، وسلطانُ التَّتَرِ بَيْدو[2] بنُ أَرْغُون بنِ أَبغا ، والعمارةُ [3]فى الطَّارِمَةِ ، وفى الدورِ السلطانيةِ بالقلعةِ .

وفى رابعِ عشرين المحرمِ وقَع حريقٌ عظيمٌ بقلعةِ الجبلِ ببعضِ[3] الخزائنِ ، أتْلَف شيئًا كثيرًا مِن الذَّخائرِ والنَّفائسِ والكُتبِ .

وفى التاسعِ والعشرين مِن ربيعِ الأولِ خطَب الخليفةُ الحاكمُ ، وحثَّ فى خُطْبتِه على الجهادِ والنَّفيرِ ، وصلَّى بهم الجمعةَ ، وجهَر بالبَسْملةِ .

وفى ليلةِ السبتِ ثالثَ عشَرَ صفرٍ جِىء بهذا الجُرْزِ[4] الأحمرِ الذى ببابِ البرادةِ مِن عَكَّا ، فوُضِع فى مكانِه .

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٢٥ - ٢٤٦، ودول الإسلام ٢/١٩٣ ، ١٩٤، وتذكرة النبيه ١/١٤٩ - ١٥٩، والسلوك ٣/٧٧٧ - ٧٨٢ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/١١٠ - ١٣٥.

(٢) فى م : « بيدار » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل : « الجرن » . والجُرْز والجُرُز : العمود من الحديد . والجُرْن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به . اللسان (ج ر ز) ، (ج ر ن) .

وفى ربيعِ الأولِ كمَل بناءُ الطارمةِ وما عندَها مِن الآدُرِ[1] والقُبَّةِ الزَّرْقاءِ، وجاءت فى غايةِ الحسنِ والكَمالِ والارْتفاعِ.

وفى يومِ الاثنينِ ثانى جُمادَى الأولى[2] ذكَر الدرسَ بالظاهريةِ الشيخُ صَفىُّ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ الأُرْمَوِىُّ، عِوَضًا عن عَلاءِ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، وفى هذا اليومِ درَّس بالدَّوْلَعيةِ كمالُ الدينِ بنُ الزكىِّ.

وفى يومِ الاثنينِ سابعِ جُمادَى الآخرةِ درَّس بالنَّجِيبيةِ الشيخُ ضِياءُ الدينِ عبدُ العزيزِ الطُّوسىُّ، بمُقْتَضَى نُزولِ الفاروثىِّ له عنها.

فتحُ قلعةِ الرومِ

وفى ربيعِ الآخرِ[3] توَجَّه السلطانُ الأشْرفُ بالعساكرِ نحوَ الشامِ، فقدِم دمشقَ، ومعه وزيرُه ابنُ السَّلْعوسِ، فاسْتَعْرَض الجيوشَ، وأنْفَق فيهم أموالًا جَزيلةً، ثم سار بهم نحوَ بلادِ حلبَ، ثم سار إلى قلعةِ الرومِ، فافْتَتَحها بالسيفِ قهرًا فى يومِ السبتِ حادى عشَرَ رجبٍ، وجاءت البِشارةُ بذلك إلى دمشقَ، وزُيِّنَت البلدُ سبعةَ أيامٍ، وبارَك اللَّهُ [4]لخميسِ المسلمين فى سبتِهم[4]، وكان يومُ السبتِ ألْبًا على أهلِ يومِ الأحدِ، وكان الفتحُ بعدَ حِصارٍ عظيمٍ جدًّا، مدةَ ثلاثةٍ وثلاثين يومًا، وكانت المَنْجَنِيقاتُ تَزِيدُ على ثلاثين مَنْجَنِيقًا،

---

(١) فى م: «الدور». والآدر: جمع الدار. اللسان (د و ر).

(٢) انظر الدارس ١/ ٢٤٤، ٣٥٢.

(٣) فى م: «الأول منها».

(٤ - ٤) فى م: «لجيش المسلمين فى سعيهم». والخميس: الجيش الجرَّار.

واسْتُشْهِد مِن الأمراءِ شَرَفُ الدينِ بنُ الخَطِيرِ، وقد قُتِل مِن أهلِ البلدِ خلقٌ كثيرٌ، وغنِم المسلمون منها شيئًا كثيرًا، ثم عاد السلطانُ إلى دمشقَ، وترَك الشُّجاعيَّ بقلعةِ الرومِ يُعَمِّرون ما وَهَى مِن قلعتِها؛ بسببِ رَمْيِ المَنْجَنِيقاتِ عليها وقتَ الحِصارِ، وكان دخولُه إلى دمشقَ بُكْرةَ يومِ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ شعبانَ، فاحْتَفل الناسُ لدخولِه، ودعَوْا له وأحَبُّوه، وكان يومًا مشهودًا، بُسِط له كما يُبْسَطُ له إذا قدِم مِن الديارِ المصريةِ، وإنما كان ذلك بإشارةِ ابنِ السَّلْعوسِ، فهو أولُ مَن بسَط له، وقد كسَر أبوه التَّتَرَ على حِمْصَ، ولم يُبْسَطْ له، وكذلك الملكُ الظاهرُ كسَر التَّتَرَ والرومَ على البُلُسْتَيْن وفى غيرِ مَوْطِنٍ ولم يُبْسَطْ له، وهذه بِدْعةٌ شَنْعاءُ قد أحْدَثها هذا الوزيرُ للمُلوكِ، وفيها إسْرافٌ وضَياعُ مالٍ وأَشَرٌ وبَطَرٌ ورِياءٌ وتَكْليفٌ للناسِ، وأخْذُ أموالٍ ووضْعُها فى غيرِ مَواضعِها، واللَّهُ سبحانه سائلُه عنها، وقد ذهَب وترَكها يَتَوارَثُها الملوكُ والناسُ عنه، وقد حصَل للناسِ بسببِ ذلك ظلمٌ عظيمٌ، فلْيَتَّقِ العبدُ ربَّه، ولا يُحْدِثْ فى الإسلامِ بسببِ هَواه ومُرادِ نفسِه ما يَكونُ [١٠/١٠٦ظ] سببَ مَقْتِ اللَّهِ له، وإعراضِه عنه، فإن الدنيا لا تَدُومُ لأحدٍ، ولا يَدُومُ أحدٌ فيها. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

وكان ملكُ قلعةِ الرومِ مع السلطانِ أسيرًا، وكذلك رُءوسُ أصحابِه، فدخَل بهم دمشقَ، وهم يَحْمِلون رءوسَ أصحابِهم على رءوسِ الرماحِ، وجهَّز السلطانُ طائفةً مِن الجيشِ نحوَ جبلِ كَسْروانَ والجرد[1] بسببِ مُمَالأتِهم للفِرِنْجِ قديمًا على المسلمين، وكان مُقَدَّمُ العَساكرِ بَيْدَرا[2]، وفى صحبتِه سُنْقُرُ الأشْقَرُ، وقَراسُنْقُر

(١) فى م: «الجزر».

(٢) هنا وفيما يأتى فى م: «بندار».

المَنْصوريُّ الذى كان نائبَ حَلَبَ ، فعزَله عنها السلطانُ ، وولَّى مكانَه سيفَ الدينِ بَلبانَ الطَّباخِيَّ[1] المنصوريَّ ، وجماعةٌ آخرون مِن الأمراءِ الكبارِ ، فلما أحاطوا بالجبلِ ، ولم يَبْقَ إلا دَمارُ أهلِه ، حمَلوا فى الليلِ إلى بيدْرا حِمْلًا كثيرًا ، ففتَر فى قضيتِهم ، ثم انْصَرَف بالجُيوشِ عنهم ، وعادوا إلى السلطانِ ، فتلَقَّاهم السلطانُ ، وترَجَّل السلطانُ للأميرِ بيدرا ، وهو نائبُه على مصرَ ، ثم إن ابنَ السَّلْعوسِ نبَّه السلطانَ على ما فعَل بيدرا ، فلامَه وعنَّفه ، فمرِض من خوفِه مِن ذلك مَرَضًا شديدًا أشْفَى به على الموتِ ، حتى قيل : إنه مات . ثم عُوفِىَ ، فعمِل خَتْمةً عظيمةً بجامعِ دمشقَ حضَرها القُضاةُ والأعْيانُ ، وأشْعَل الجامعَ نَظيرَ ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ ، وكان ذلك ليلةَ العَشْرِ الأوَّلِ مِن رمضانَ ، وأطْلَق السلطانُ أهلَ الحُبوسِ ، وترَك بقيةَ الضَّمانِ عن أربابِ الجِهاتِ السُّلْطانيةِ ، وتصَدَّق عنه بشىءٍ كثيرٍ ، ونزَل هو عن ضَماناتٍ كثيرةٍ ، وكان قد حاف فيها على أربابِها ، وقد امْتَدَح الشِّهابُ محمودٌ الملكَ الأشرفَ خليلًا على فتحِه قلعةَ الرومِ بقصيدةٍ هائلةٍ فاضلةٍ ، أولُها[2] :

لك الرايةُ الصَّفراءُ يَقْدُمُها النصرُ ... فمَن كَيْقُباذُ إن رآها وكَيْخُسْرُو
إذا خفقَتْ فى الأرضِ[3] هدَّت بنودُها ... هَوَى الشركِ واسْتَعْلى الهُدَى وانْجَلَى الثغرُ
وإن نُشِرتْ مثلَ الأصائلِ فى وَغًى ... جلا النَّقْعَ مِن لأْلَاءِ طلعتِها البدرُ
وإن يَمَّمَتْ زُرْقَ العِدى سار تحتَها ... كتائبُ خُضْرٌ دَوحُها البِيضُ والسُّمْرُ

---

(١) فى الأصل ، م : « البطاحى » . والمثبت من المصادر ، وانظر ترجمته فى الوافى بالوفيات ١٠/ ٢٨٢.
(٢) القصيدة بتمامها فى كنز الدرر ٨/ ٣٣٤. ومختصرة فى فوات الوفيات ١/٤١٤، ٤١٥.
(٣) فى م ، وكنز الدرر : « الأفق » .

كأن مُثارَ النَّقعِ ليلٌ وخفقَها ... بُروقٌ وأنت البدرُ والفَلَكُ الجَثْرُ[1]

وفتحٌ أتَى فى إثرِ فتحٍ كأنما ... سماءٌ بدَت تَتْرَى كواكبُها الزُّهرُ

فكم قطَمت[2] طوعًا وكَرْهًا مَعاقلًا ... مضى الدهرُ عنها وهْى عانسةٌ بكرُ

بذَلْتَ لها عزمًا فلولا مهابةٌ ... كساها الحيا جاءَتْك تَسْعَى ولا مَهْرُ

قَصَدتَ حمًى مِن قلعةِ الرومِ لم يُبَحْ ... لغيرِك إذ غرَّتهمُ المُغْلُ فاغْتَرُّوا

ووالُوهمُ سرًّا ليُخفوا أذاهمُ ... وفى آخرِ الأمرِ اسْتَوَى السرُّ والجَهْرُ

صرَفْتَ إليهم همةً لو صرَفْتَها ... إلى البحرِ لاسْتَوْلَى على مدِّه الجزرُ[3]

وما قلعةُ الرومِ التى حُزْتَ فتحَها ... وإن عظُمَت إلا إلى غيرِها جِسرُ

طليعةُ ما يَأْتِى مِن الفتحِ بعدَها ... كما لاح قبلَ الشمسِ فى الأُفُقِ الفَجْرُ

فصبَّحْتَها بالجيشِ كالروضِ بَهْجةً ... صوارمُه أنْهارُه والقنا الزُّهرُ

وأَبْعَدْتَ بل كالبحرِ والبيضُ مَوْجُه ... وجُرْدُ المَذاكى السفْنُ والخُوَذُ الدُّرُ

وأغربتَ بل كالليلِ عُوجُ سيوفِهِ ... أهِلَّتُهُ والنَّبْلُ أنجمُهُ الزهرُ

وأخطأتَ لا بل كالنهارِ شموسُه ... مُحيّاك والآصالُ راياتُك الصفرُ

[١٠/١٠٧و] لُيوثٌ مِن الأتراكِ آجامُها القَنا ... لها كلَّ يومٍ فى ذَوِى[4] ظُفُرٍ ظُفْرُ

فلا الريحُ تَجْرِى بينَهم لاشْتِباكِها ... عليهم ولا يَنْهَلُّ مِن فوقِهم قَطْرُ

عيونٌ[5] إذا الحربُ العوانُ[6] تعَرَّضَتْ ... لخُطَّابها بالنفسِ لم يَغْلُها مهرُ

---

(١) فى الأصل: «الحبر». وفى م: «الحتر». وفى كنز الدرر وإحدى نسخ الفوات: «الجتر». وفى الفوات: «البحر». والجثر: الواسع. تاج العروس (ج ث ر).

(٢) فى م: «فطمت». وفى المصدرين: «وطئت».

(٣) فى الأصل: «الزجر».

(٤) فى م، والمصدرين: «ذرى».

(٥) يقال: حربٌ عوان: قوتل فيها مرة بعد أخرى. الوسيط (ع و ن).

(٦) فى الأصل: «غيوث».

ترى الموتَ معقودًا بهُدبِ نِبالِهم ... إذا ما رماها القَوْسُ والنظرُ الشَّزْرُ
ففى كلِّ سرجٍ غُصْنُ بانٍ مُهَفْهَفٌ ... وفى كلِّ قوسٍ مَدَّه ساعدٌ بدرُ
إذا صدَموا شُمَّ[1] الجبالِ تزَلْزَلَتْ ... وأصبح سهلًا تحتَ خيلِهمُ الوعرُ
ولو ورَدَتْ ماءَ الفراتِ خيولُهم ... لقيل هنا قد كان فيما مضَى نهرُ
أداروا بها سُورًا فأضْحَت [2]كخِنْصَرٍ ... لَدَى خاتَمٍ[2] أو تحتَ مِنْطَقةٍ خَصْرُ
وأَرْخَوْا إليها مِن [3]بحارِ أَكُفِّهِمْ[3] ... سحابَ رَدًى لم يَخْلُ مِن قَطْرِهِ قُطْرُ
كأن المَجانِيقَ التى قُمن حولَها ... رواعِدُ سُخْطٍ وَبْلُهَا النارُ والصخرُ
أقامت صلاةَ الحربِ ليلًا صخورُها ... فأكْثرُها شفعٌ وأكثرُها[4] وِتْرُ
ودارَت بها تلك النقوبُ فأشْرَفَت[5] ... وليس عليها فى الذى فَعَلَتْ حَجْرُ[6]
فأضْحَت بها كالصَّبِ يُخفِى غرامَه ... حذارِ أعاديه وفى قلبِه جمرُ
وشبَّت بها النِّيرانُ حتى تمَزَّقَت ... وباحت بما أخْفَتْه وانْهَتَك السِّتْرُ
فلاذوا بذيلِ العَفْوِ منك فلم يَخِبْ ... رَجاهُم ولو لم يَشُبْ[7] قصدَهم مكرُ
وما كَرِه المُغْلُ اشتغالَك عنهمُ ... بها عندَما فَرُّوا ولكنهمْ سُرُّوا
فأحْرَزْتَها بالسيفِ قسْرًا وهكذا ... فُتوحُك فيما قد مضَى كلُّه قَسْرُ
وأضْحَت بحمدِ اللَّهِ ثَغْرًا مُمَنَّعًا ... تَبِيدُ الليالى والعِدَى وهْو مُفْتَرُّ
فيا أشرفَ الأمْلاكِ فُزْتَ بغَزْوةٍ ... تَحَصَّل منها الفتحُ والذكرُ والأجرُ

---

(١) فى كنز الدرر والفوات : « صم » .
(٢ - ٢) فى الأصل : « كخاتم لذى خنصر » . وفى م « كخاتم لدى خنصر » . والمثبت من المصدرين السابقين .
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « أكف بحارهم » . والمثبت من المصدرين السابقين .
(٤) فى م : « أكبرها » . وفى كنز الدرر : « أقتلها » .
(٥) فى م : « فأسرفت » .
(٦) فى الأصل : « هجر » .

لِيَهْنِكَ عندَ المُصْطَفَى أنَّ دينَه تَوالَى له فى يُمْنِ دولتِك النصرُ
وبُشْراك أرْضَيْتَ المسيحَ وأحمدًا وإن غضِب النِّقْفورُ[1] مِن ذاك والكفرُ
فسِرْ حيث ما تَخْتارُ فالأرضُ كلُّها بِحُكْمِكَ والأمْصارُ أجمعُها مِصْرُ
ودُمْ وابْقَ للدنيا ليَحْيَى بك الهُدَى ويُزْهَى على ماضى العصورِ بك العصرُ

حذَفْتُ منها أشْياءَ كثيرةً .

وفيها تولَّى خَطابةَ دمشقَ الشيخُ عزُّ الدينِ أحمدُ الفاروثىُّ الواسطىُّ بعدَ وفاةِ زَيْنِ الدينِ بنِ المُرَحِّلِ ، وخطَب واسْتَسْقَى بالناسِ فلم يُسْقَوْا ، ثم خطَب مرةً ثانيةً بعدَ ذلك بأيامٍ عندَ مسجدِ القدمِ[3] فلم يُسْقَوْا ، ثم ابْتَهَل الناسُ مِن غيرِ دُعائه واستسقائه فسُقُوا ، ثم عُـزِل الفاروثىُّ بعدَ أيامٍ بالخطيبِ مُوَفَّقِ الدينِ أبى[4] المَعالى محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ حسنٍ المِهْرانىِّ الحَمَوىِّ ، كان خطيبَ حَماةَ ، ثم انتقل إلى دمشقَ فى هذه السنةِ ، فقام وخطَب ، وتألَّم الفاروثىُّ لذلك ، ودخَل على السلطانِ ، واعْتَقَدَ أن الوزيرَ عزَله مِن غيرِ علمِه ، فإذا هو قد شعَر بذلك ، واعْتَذَرَ بأنه إنما عزَله لضعفِه ، فذكَر له أنه يُصَلِّى ليلةَ النصفِ مائةَ ركعةٍ بمائةِ « قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ » ، فلم يَقْبَلوا ذلك منه واسْتَمَرُّوا بالحَمَوىِّ . وهذه دَناءةٌ بَشِعةٌ وقلةُ عقلٍ وعدمُ إخْلاصٍ مِن الفاروثىِّ ، [١٠/١٠٧ظ] وأصاب السلطانُ فى عزلِه .

وفى هذا اليومِ قبَض السلطانُ على الأميرِ سُنْقُرَ الأشْقَرِ وغيرِه ، فهرَب هو

---

(١) فى الأصل ، م : « اليعفور » ، وفى كنز الدرر : « التكفور » . والنقفور : لقب ملك الأرمن .
(٢) فى الأصل : « بن » .

والأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدارُ، فنادَت عليه المُنادِيةُ بدمشقَ: مَن أحْضَره فله ألفُ دينارٍ، ومَن أخْفاه شُنِق. وركِب السلطانُ ومَماليكُه فى طلبِه، وصلَّى الخطيبُ بالناسِ فى المَيْدانِ الأخضرِ، وعلى الناسِ كآبَةٌ بسببِ تَفَرُّقِ الكلمةِ واضْطِرابِ الجيشِ، واخْتَبَط الناسُ، فلما كان سادسُ شوالٍ أمْسَكَت العربُ سُنْقُرَ الأشْقَرَ، فردُّوه على السلطانِ، فأرْسَله مُقَيَّدًا إلى مصرَ.

وفى هذا اليومِ ولَّى السلطانُ نِيابةَ دمشقَ لعزِّ الدينِ أيْبَك الحَمَوىِّ، عِوَضًا عن الشُّجاعىِّ، وقدِم الشُّجاعىُّ مِن الرومِ فى هذا اليومِ الثانى من عزلِه، فتلَقَّاه الفاروثىُّ وقال: قد عُزِلْنا مِن الخطابةِ. فقال: ونحن مِن النِّيابةِ. فقال الفاروثىُّ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فلما بلَغ ابنَ السَّلْعوسِ تغضَّب عليه، وكان قد عيَّن له القَيْمُرِيةَ فترَك ذلك، وسافَر السلطانُ عاشرَ شوالٍ إلى مصرَ، فدخَلَها فى أُبَّهةِ المُلْكِ، وفى يومِ دُخولِه أقْطَع قَرَاسُنْقُرَ مائةَ فارسٍ بمصرَ عِوَضًا عن نيابةِ حلبَ.

وفى هذه السنةِ اشْتَرَى الأميرُ سيفُ الدينِ طغاى الأشْرفىُّ[1] قَيْسارِيَّةَ القطنِ المعروفةَ بإنْشاءِ الملكِ المُعَظَّمِ بنِ العادلِ مِن بيتِ المالِ، بمَرْسومٍ مِن السلطانِ، وكان حَظِيًّا عندَه، ونقَل سوقَ الحَرِيريِّين تلك المدةَ، وكان السلطانُ قد أفْرَج عن علمِ الدينِ الدَّوَادارىِّ بعدَ رجوعِه مِن قلعةِ الرومِ، واسْتَحْضَره إلى دمشقَ، وخلَع عليه، واسْتَصْحَبه معه إلى القاهرةِ، وأقْطَعه مائةَ فارسٍ، وولَّاه مُشِدَّ الدواوينِ مُكْرَهًا.

---

(١) فى م: «الأشقرى».

وفى ذى القَعْدةِ اسْتَحْضَر السلطانُ سُنْقُرَ الأشْقَرَ وطُقُصُوا ، فعاقَبَهما فاعْتَرَفا بأنهما أرادا قتْلَه ، فسألَهما عن لاجِين فقالا : لم يَكُنْ معنا ولا عِلْمَ له بهذا . فخَنَقَهما ، وأطْلَقه بعدَما جعَل الوَتَرَ فى حَلْقِه ، وكان قد بقِى له مدةٌ لابد أن يَبْلُغَها ، وقد ملَك بعدَ ذلك كما سنَذْكُرُه ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وفى ذى الحِجَّةِ عقَد الشيخُ بُرْهانُ الدينِ بنُ الشيخِ تاجِ الدينِ عقْدَه على بنتِ قاضى القُضاةِ شِهابِ الدينِ ابنِ الخُوَيِّىِّ بالباذَرائيةِ ، وكان حافلًا .

وفيها دخَل الأميرُ سُنْقُرُ الأعْسَرُ على بنتِ الوزيرِ شمسِ الدينِ بنِ السَّلْعُوسِ على صَداقِ ألفِ دينارٍ ، وعجَّل لها خمسَمائةٍ .

وفيها قفَز جَماعةٌ مِن التَّتَرِ نحوٌ مِن ثلاثِمائةٍ إلى الديارِ المصريةِ ، فأُكْرِموا .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الخطيبُ زَيْنُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ مَكِّىِّ بنِ عبدِ الصَّمَدِ الشافعىُّ المعروفُ بابنِ المُرَحِّلِ[1] ، وهو والدُ الشيخِ صَدْرِ الدينِ بنِ الوَكيلِ ، سمِع الحديثَ ، وبرَع فى الفقهِ وفى علومٍ شَتَّى ، منها علمُ الهَيْئةِ ، وله فيه مصنَّفٌ ، تولَّى خطابةَ دمشقَ ، ودرَّس وأفْتَى ، تُوُفِّى ليلةَ السبتِ الثالث والعشرين مِن ربيعٍ الأولِ ، وصُلِّى عليه مِن الغدِ ببابِ الخَطابةِ .

الشيخُ عزُّ الدينِ الفارُوثىُّ[2] ، ولِى الخطابةَ قليلًا ، ثم عُزِل ، ثم مات ، ودُفِن

---

(١) العبر ٥/ ٣٧٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣٤٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٥٥، وعقد الجمان ٣/ ١٣٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٦.

(٢) العبر ٥/ ٣٨١، والوافى بالوفيات ٦/ ٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٣، وغاية النهاية ١/ ٣٤، والسلوك ١/ ٨١١ (القسم الثالث)، والذى فى هذه المصادر أن وفاته كانت سنة أربع وتسعين وستمائة .

ببابِ الصَّغيرِ، عفا اللَّهُ عنا وعنه.

الصاحبُ فتحُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ [١٠/١٠٨و] **محمدُ بنُ مُحْيى الدينِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الظاهرِ**(١)، كاتبُ الأسْرارِ فى الدولةِ المنصوريةِ بعدَ ابنِ لُقْمانَ، وكان ماهرًا فى هذه الصناعةِ، وحظِى عندَ المنصورِ، وكذا عندَ ابنِه الأشرفِ، وقد طلَب منه ابنُ السَّلْعوسِ أن يَقْرَأَ عليه كلَّ ما يَكْتُبُه، فقال: هذا لا يُمْكِنُ، فإن أسْرارَ المُلوكِ لا يَطَّلِعُ عليها غيرُهم، وأبْصِروا لكم غيرى يَكُونُ معكم بهذه المَثابةِ. فلما بلَغ ذلك الأشرفَ أعْجَبه منه، وازْدادَت عندَه منزلتُه. تُوُفِّى يومَ السبتِ نصفَ رمضانَ، وأُخْرِجَت فى تَرِكتِه قَصيدةٌ قد رَثَى(٢) بها تاجَ الدينِ بنَ الأثيرِ، وكان قد تَشَوَّش فاعْتَقَد أنه يَموتُ، فعُوفِىَ فبقِيَت عنده، وتولَّى ابنُ الأثيرِ بعدَه، ورثاه تاجُ الدينِ كما رثاه، وتُوُفِّى ابنُ الأثيرِ بعدَه بشهرٍ وأربعةِ أيامٍ.

يونُسُ بنُ علىِّ بنِ رضوانَ بنِ بِرْقِشٍ(٣) **الأميرُ عمادُ الدينِ**، كان أحدَ الأمراءِ الطَّبْلَخانةِ فى الدولةِ الناصريةِ، ثم خَمَل، وبطَّل الجُنْديةَ بالكليةِ فى الدولةِ المُظَفَّريةِ، وهَلُمَّ جَرًّا إلى هذه السنةِ، وكان الظاهرُ يُكْرِمُه، تُوُفِّى فى شوالٍ، ودُفِن عندَ والدِه بتربةِ الخزيميين.

جَلالُ الدينِ الحَبَّازىُّ(٤) **عمرُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ، أبو محمدٍ الخُجَنْدىُّ**،

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٢٤٥، والعبر ٥/ ٣٧٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٥٦، والسلوك ١/ ٧٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٤٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٥.

(٢) فى الأصل، م: «رثاه». والمثبت موافق لما فى الوافى بالوفيات.

(٣) عقد الجمان ٣/ ١٤٦. وفيه: «قرقس».

(٤) فى الأصل: «الحناوى». وانظر ترجمته فى: الجواهر المضية ٢/ ٦٦٨، وعقد الجمان ٣/ ١٣٦، والدليل الشافى ١/ ٥٠٥، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٩.

أحدُ مَشايخِ الحَنَفيةِ الكِبارِ، أصلُه مِن بلادِ ما وراءَ النهرِ، مِن بلدٍ يقالُ لها: خُجَنْدَةُ. واشْتَغل هناك ودرَّس بخُوارَزْم، وأعاد ببغدادَ، ثم قدِم دمشقَ فدرَّس بالعِزِّيةِ والخاتونيةِ البَرَّانيةِ، وكان فاضلًا بارعًا مُنْصِفًا، مُصَنِّفًا فى فُنونٍ كثيرةٍ، تُوُفِّى لخمسٍ بقِين مِن ذى الحِجَّةِ منها، وله ثِنْتان وستون سنةً، ودُفِن بالصوفيةِ.

الملكُ المُظَفَّرُ قَرَا أرْسَلان الأرتقِىُّ[1]، صاحبُ ماردِينَ، تُوُفِّى وله ثمانون سنةً، وقام من بعدِه ولدُه شمسُ الدينِ داودُ، ولُقِّب بالملكِ السعيدِ. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

---

(١) فى م: «الأفريقى». وانظر ترجمته فى: دول الإسلام ٢/ ١٩٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٥٩، والدليل الشافى ٢/ ٥٣٦، والسلوك ١/ ٧٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٤٨.

ثم دخَلَت سنةُ ثنتين وتسعين وستُّمائةٍ[1]

فى تاريخِ ظَهِيرِ الدينِ الكازَرُونىِّ[2] : ظهَرت نارٌ بأرضِ المدينةِ النبويةِ فى هذه السنةِ ، نَظيرُ ما كان فى سنةِ أربعٍ وخمسين على صفتِها ، إلا أن هذه النارَ كان يَعْلُو لَهِيبُها كثيرًا ، وكانت تُحْرِقُ الصخرَ ، ولا تُحْرِقُ السَّعَفَ ، واسْتَمَرَّت ثلاثةَ أيامٍ .

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ [3]والدولةُ المذكورون هم الذين كانوا فى التى قبلَها[3] .

وفى جُمادَى الآخِرةِ قدِم الأشْرفُ دمشقَ ، فنزَل فى القصرِ الأَبْلَقِ والمَيْدانِ الأخْضَرِ ، وجهَّز الجُيوشَ ، وتهَيَّأ لغَزْوِ بلادِ سِيسَ ، وقدِم فى غُبونِ ذلك رُسُلُ صاحبِ بلادِ سِيسَ يَطْلُبون الصُّلحَ ، فشفَع الأمراءُ فيهم ، فسلَّموا بَهَسْنا[4] وتَلَّ حَمْدونَ ومَرْعَشَ ، وهى أكبرُ بلادِهم وأحْسنُها وأحْصَنُها ، وهى فى فَمِ الدَّرْبَنْدِ .

ثم ركِب السلطانُ فى ثانى رجبٍ نحوَ سَلَمْيَةَ بأكثرِ الجيشِ ، صُورةَ أنه يُرِيدُ أن يُصِيبَ الأميرَ حُسامَ الدينِ لاجِين ، فأضافه الأميرُ مُهَنَّا بنُ عيسى ، فلما

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٤٧ - ٢٥٧، وكنز الدرر ٨/٣٤٠ - ٣٤٤، وتذكرة النبيه ١/١٦٠ - ١٦٦، والسلوك ١/٧٨٢ - ٧٨٧ (القسم الثالث).

(٢) انظر عقد الجمان ٣/ ١٤٩.

(٣ - ٣) فى م : « والخليفة الحاكم العباسى وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا وبالشام عز الدين أيبك الحموى وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا فى التى قبلها والوزير شمس الدين بن السلعوس » .

(٤) بهسنا : قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط ، وهى اليوم من أعمال حلب . انظر معجم البلدان ١/ ٧٧٠.

انْقَضَت الضِّيافةُ أُمْسِك له حُسامُ الدينِ لاجِين ، وكان عندَه ، فجاء به ، فسجَنه فى قلعةِ دمشقَ ، وأمْسَك مُهَنَّا بنَ عيسى[1] ، وولَّى مكانَه محمدَ بنَ علىٍّ بنِ حُذيفةَ[2] ، ثم أرْسَل السلطانُ جُمهورَ الجيشِ بينَ يديه إلى الديارِ المصريةِ صُحْبةَ نائبِه بَيدرا ، ووزيرِه ابنِ السَّلْعُوسِ ، وتأَخَّر هو فى خاصِّكِيتِه ، ثم لحِقهم .

وفى المحرمِ منها حكَم القاضى حُسامُ الدينِ الرازىُّ الحنفىُّ بالتَّشْريكِ بينَ العَلَوِيِّين والجَعْفَرِيِّين [١٠/١٠٨ظ] فى الدِّباغةِ التى كانوا يَتَنازَعونها مِن مدةِ مائتَىْ سنةٍ ، وكان ذلك يومَ الثلاثاءِ سادسَ عشرين المحرمِ ، بدارِ العدلِ ، ولم يُوافِقْه ابنُ الخُوَيِّىِّ ولا غيرُه ، وحكَم للأعناكيين بصحةِ نسَبِهم إلى جعفرٍ الطَّيَّارِ .

وفيها رسَم الأشرفُ بتَخْريبِ قلعةِ الشَّوْبَكِ فهُدِمت ، وكانت مِن أحْصنِ القِلاعِ وأمْنَعِها وأنْفعِها ، وإنما خرَّبها عن رأيِ عُتْبةَ العَقَبىِّ ، ولم يَنْصَحْ للسلطانِ فيها ولا للمسلمين ؛ لأنها كانت شَجًا فى حُلوقِ الأعْرابِ الذين هناك .

وفيها أرْسَل السلطانُ الأميرَ عَلَمَ الدينِ الدَّوَادارىَّ إلى صاحبِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وإلى أولادِ بَرَكَة ، ومع الرسولِ تحفٌ كثيرةٌ جدًّا ، فلم يَتَّفِقْ خُروجُه حتى قُتِل السلطانُ ، فعاد إلى دمشقَ .

وفى عاشرِ جُمادَى الأولى درَّس القاضى إمامُ الدينِ القَزْوِينىُّ بالظاهريةِ البَرَّانيةِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ .

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى المصادر أن السلطان قبض على الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأرسله إلى دمشق صحبة حسام الدين لاجين .

(٢) كذا فى الأصل ، م ، ونهاية الأرب . وفى كنز الدر وتذكرة النبيه والسلوك : « حُدَيْثة » .

وفى الثانى والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ يومَ الاثنينِ[1] طهَّر الملكُ الأشرفُ أخاه الملكَ الناصرَ محمدًا وابنَ أخيه الملكَ المُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدينِ موسى بنَ الصالحِ علىٍّ ابنِ المنصورِ، وعُمِل مُهِمٌّ عظيمٌ، ولعِب الأشرفُ بالقَبَقِ[2]، وتمَّت لهم فرحةٌ هائلةٌ، كانت كالوداعِ لسلطنتِه مِن الدنيا.

وفى أولِ المحرمِ درَّس الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ غانمٍ بالعَصْرُونيةِ، وفى مُسْتَهَلِّ صفرٍ درَّس الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ بالرَّواحيةِ عِوَضًا عن نجمِ الدينِ بنِ مَكِّىٍّ؛ بحكمِ انْتقالِه إلى حلبَ وإعْراضِه عن المدرسةِ المذكورةِ.

ودخَل الرَّكْبُ الشامىُّ فى خامسِ[3] صفرٍ، وكان ممَّن حجَّ فى هذه السنةِ الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ، رحِمه اللَّه، وكان أميرَهم الباسطىُّ، ونالَهم فى مَعَانَ[4] ريحٌ شديدةٌ جدًّا مات بسببِها جَماعةٌ، وحمَلَت الريحُ جِمالًا عن أماكنِها، وطارَت العَمائمُ عن الرءوسِ، واشْتَغَلَ كلُّ أحدٍ بنفسِه.

وفى صفرٍ منها وقَع بدمشقَ بَرْدٌ عظيمٌ أفْسَد شيئًا كثيرًا مِن المُغَلَّاتِ، بحيث أُبِيع القمحُ كلُّ عشْرِ أواقٍ بدرهمٍ، ومات شىءٌ كثيرٌ مِن الدَّوابِّ، وفيه زُلْزِلَت ناحيةُ الكَرَكِ، وسقَط مِن قلْعتِها[5] أماكنُ كثيرةٌ.

---

(١) عقد الجمان ٣/ ١٧٠.

(٢) القبق: عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى بَرَاح من الأرض، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، وتقف الرعاة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة، لكى تمر داخلها إلى غرض هناك؛ تمرينا لهم على إحكام الرمى، ويعبر عن هذا بالقبق فى لغة الترك. السلوك ١/٥١٨ (القسم الثانى) حاشية (٦).

(٣) فى م: «آخر». والخبر فى عقد الجمان ٣/١٩٠ بدون ذكر التاريخ.

(٤) فى عقد الجمان ٣/ ١٩٠: «مكة». ومعان: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء. معجم البلدان ٤/ ٥٧١.

(٥) فى الأصل: «تلقيتا»، وتَلْفيتا من قُرى سَنِّير من أعمال دمشق. معجم البلدان ١/ ٨٩٨.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الأُرْمَوِىُّ ، الشيخُ الصالحُ القُدْوةُ العارفُ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الشيخِ الصالحِ أبى محمدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسُفَ بنِ يونُسَ بنِ إبراهيمَ بنِ سَلْمانَ [1] بنِ البنكو [1] الأُرْمَوِىُّ ، المُقِيمُ بزاويتِه بسفحِ قاسِيونَ ، كان فيه عِبادةٌ وانْقِطاعٌ ، وله أوْرادٌ وأذْكارٌ ، وكان مُحَبَّبًا إلى الناسِ ، تُوُفِّى بالمحرمِ ، ودُفِن عندَ والدِه بالسفحِ .

ابنُ الأَعْمَى صاحبُ « المقامةِ » [2] كمالُ الدينِ علىُّ بنُ [2] الشيخِ ظَهِيرِ الدينِ محمدِ بنِ المُبارَكِ بنِ سالمِ بنِ أبى الغَنائمِ الدِّمشقىُّ ، المعروفُ بابنِ الأعْمَى ، وُلِد سنةَ عشْرٍ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، وكان فاضلًا بارعًا ، له قَصائدُ يَمْتَدِحُ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سمَّاها الشفعيةَ ، عددُ كلِّ قَصيدةٍ اثنان وعشرون بيتًا . قال البِرْزالىُّ : سمِعْتُه ، وله « المقامةُ البحريةُ » المشهورةُ . تُوُفِّى فى المحرمِ ، ودفِن بالصوفيةِ .

الملكُ الزاهرُ مُجِيرُ الدينِ ، أبو سليمانَ داودُ بنُ الملكِ المجاهدِ أسدِ الدينِ شِيرْكُوه صاحبِ حمصَ ابنِ ناصرِ الدينِ [١٠/١٠٩و] **محمدِ بنِ الملكِ المُعَظَّمِ** [3] ، تُوُفِّى ببستانِه عن ثمانين سنةً ، وصُلِّى عليه بالجامعِ المُظَفَّرِى ، ودُفِن بتربتِه بالسفحِ ، وكان دَيِّنًا ، كثيرَ الصلاةِ فى الجامعِ ، وله إجازةٌ مِن المُؤَيَّدِ

(١ - ١) سقط من : م . وفى الأصل : « السكن » . والمثبت من : الوافى بالوفيات ٦/ ٣٦، والمقفى الكبير ١/ ٢٣٨. وانظر بقية مصادر ترجمته : العبر ٥/ ٣٧٥، ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٠، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٣، والسلوك ١/٧٨٧ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ١٩١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ العبر ٥/ ٣٧٦، وفوات الوفيات ٣/ ٨٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٢٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٥، والسلوك ١/٧٨٨ (القسم الثالث) - وفيه : « على بن على بن محمد ... » - وعقد الجمان ٣/ ١٩٢.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٢٥٥، والوافى بالوفيات ١٣/ ٤٧١، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٣، وعقد الجمان ٣/ ١٩٨.

الطُّوسىِّ وزَيْنبَ الشَّعْريةِ وأبى رَوْحٍ وغيرِهم ، تُوُفِّى فى جُمادَى الآخِرةِ .

الشيخُ تَقىُّ الدينِ الواسطىُّ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ فضلٍ الواسطىُّ ثم الدمشقىُّ الحنبلىُّ ، تقىُّ الدينِ[1] ، شيخُ الحديثِ بالظاهريةِ بدمشقَ ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ آخِرَ النهارِ رابع عشرين جُمادَى الآخِرةِ عن تسعين سنةً ، وكان رجلًا صالحًا عابدًا ، تفرَّد بعُلُوِّ الرِّوايةِ ، ولم يَخْلُفْ بعدَه مثلَه ، وقد تفقَّه ببغدادَ ، ثم رحَل إلى الشامِ ، ودرَّس بالصاحِبةِ[2] مدةَ عشرين سنةً ، وبمدرسةِ أبى عمرَ ، وولِى فى آخرِ عمرِه مَشْيخةَ الحديثِ بالظاهريةِ بعدَ سفَرِ الفارُوثىِّ ، وكان داعيةً إلى مذهبِ السلفِ والصدرِ الأولِ ، وكان يَعودُ المَرْضَى ، ويَشْهَدُ الجَنائزَ ، ويَأْمُرُ بالمعروفِ ، ويَنْهَى عن المنكرِ ، وكان مِن خيارِ عبادِ اللَّهِ تعالى ، وقد درَّس بعدَه بالصاحِبةِ[2] الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ القَوِىِّ المَرْداوىُّ ، وبدارِ الحديثِ الظاهريةِ شرفُ الدينِ عمرُ بنُ خَوَاجَا ، إمامُ الجامعِ المعروفُ بالناصحِ .

ابنُ صاحبِ حَماةَ ، الملكُ الأفْضَلُ نورُ الدينِ علىُّ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ تَقىِّ الدينِ محمودِ بنِ الملكِ المنصورِ محمدِ بنِ الملكِ المُظَفَّرِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ[3] ، تُوُفِّى بدمشقَ ، وصُلِّى عليه بجامِعِها ، وخُرِج به مِن بابِ الفَرادِيسِ مَحْمولًا إلى مدينةِ أبيه وتربتُهم بها ، وهو والدُ الأميرَيْن الكبيرين بدرِ الدينِ حسنٍ وعمادِ الدينِ إسماعيلَ الذى تَمَلَّك حَماةَ بعدَ جدِّه[4] .

---

(١) العبر ٥/ ٣٧٥، والوافى بالوفيات ٦/ ٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٢، والمنهل الصافى ١/ ٢٢، وعقد الجمان ٣/ ١٩٤.

(٢) فى م : « بالصالحية » . وهى المدرسة الصاحبة والصاحبية . انظر الدارس ٢/ ٧٩.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٢٥٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٨٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٢، والسلوك ١/ ٧٨٧ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ١٩٩.

(٤) فى م : « مدة » .

ابنُ عبدِ الظاهرِ مُحيى الدينِ[1] **عبدُ اللَّهِ بنُ رَشيدِ الدينِ عبدِ الظاهرِ بنِ نَشْوانَ بنِ عبدِ الظاهرِ بنِ عليِّ بنِ نَجْدَةَ السَّعْدىُّ**، كاتبُ الإنْشاءِ بالديارِ المصريةِ، وآخِرُ مَن برَز فى هذا الفنِّ على أهلِ زمانِه، وسبَق سائرَ أقرانِه، وهو والدُ الصاحبِ فتحِ الدينِ النَّديمِ، وقد تقَدَّم ذكرُ وفاتِه قبلَ والدِه، وقد كانت له مُصَنَّفاتٌ، منها «سِيرةُ الملكِ الظاهرِ»، وكان ذا مُروءةٍ، وله النَّظْمُ الفائقُ والنَّثْرُ الرائقُ، تُوُفِّى يومَ الثلاثاءِ رابعَ رجبٍ، وقد جاوَز السبعين، ودُفِن بتربتِه التى أنْشَأها بالقَرافةِ.

الأميرُ عَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الحلبىُّ[2]، الذى كان نائبَ قُطُز على دمشقَ، فلما جاءَتْه بَيْعةُ الظاهرِ دعا إلى نفسِه، فبُويع وتَسَمَّى بالملكِ المُجاهِدِ، ثم حُوصِر وهرَب إلى بَعْلَبَكَّ، فحُوصِر فأجاب إلى خدمةِ الظاهرِ، فسجَنه مدةً وأطْلَقه، وسجَنه المنصورُ مدةً، وأطْلَقه الأشرفُ، واحْتَرَمه وأكْرَمه، بلَغ الثمانين سنةً، وتُوُفِّى فى هذه السنةِ.

---

(١) بعده فى الأصل، م: «بن». والمثبت كما فى مصادر ترجمته؛ نهاية الأرب ٣١/ ٢٥٦، والعبر ٥/ ٣٧٦، والوافى بالوفيات ١٧/ ٢٥٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٤، والمنهل الصافى ٧/ ٩٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٨.

(٢) الوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٣، وكنز الدرر ٨/ ٣٤٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٦١، وعقد الجمان ٣/ ١٩٩، والمنهل الصافى ٦/ ٧٦.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

فى أولِها كان مَقْتَلُ الأشْرَفِ ، وذلك أنه خرَج إلى الصيدِ فى ثالثِ المحرمِ ، فلما كان بأرضِ تَرُوجَةَ[2] بالقربِ مِن الإسْكَنْدَريةِ ثانى عشَرَ المحرمِ ، حمَل عليه جَماعةٌ مِن الأمراءِ الذين اتَّفَقوا على قتلِه حينَ انْفَرَد عن جُمهورِ الجيشِ ، فأولُ مَن ضرَبه نائبُه بَيْدَرَا ، وتـمَّم عليه لاجِينُ المَنْصوريُّ ، ثم اخْتَفَى إلى رمضانَ ، وظهَر يومَ العيدِ ، وكان ممَّن شارَك فى قتلِ الأشْرفِ بدرُ الدينِ بَيْسَرِى وشمسُ الدينِ قَرَاسُنْقُرُ المَنْصوريُّ ، فلمَّا قُتِل الأشْرفُ اتَّفَق الأمراءُ على تَمْليكِ بَيْدَرَا ، وسمَّوْه الملكَ القاهرَ [١٠/١٠٩ظ] أو الأوْحَدَ ، فلم يَتِمَّ له ذلك ، فقُتِل فى اليومِ الثانى بأمْرِ كَتْبُغَا ، ثم اتَّفَق زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا ، وعَلَمُ الدينِ سَنْجَرُ الشُّجاعىُّ على أن يُمَلِّكوا أخاه محمدًا الملكَ الناصرَ بنَ قَلَاوُون ، وكان عمرُه إذ ذاك ثمانِ سِنِينَ وشهورًا ، فأجْلَسوه على سَريرِ المَمْلَكةِ يومَ الرابعَ عشَرَ مِن المحرمِ ، وكان الوزيرُ ابنُ السَّلْعُوسِ بالإسْكَنْدَريةِ ، وكان قد خرَج فى صُحْبةِ السلطانِ ، وتقَدَّم هو إلى الإسْكَنْدَريةِ ، فلم يَشْعُرْ إلا وقد أحاط به البَلاءُ ، وجاءه العَذابُ مِن كلِّ ناحيةٍ ، وذلك أنه كان يُعامِلُ الأمراءَ الكِبارَ مُعاملةَ الصِّغارِ ، فأخَذوه ، وتوَلَّى عُقوبتَه مِن

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٥٩ - ٢٧٩، وكنز الدرر ٨/٣٤٥ - ٣٥٦، وتذكرة النبيه ١/١٦٧- ١٦٩، والسلوك ١/٧٨٨ - ٨٠٤ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٢٠١ - ٢٤٦.

(٢) فى م: «بروجه». وتروجة: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. معجم البلدان ١/٨٤٥.

بينِهم الشُّجاعىُّ ، فضُرِب ضربًا عظيمًا ، وقُرِّر على الأموالِ ، ولم يَزالوا يُعاقِبونه حتى كانت وفاتُه فى عاشِر صفرٍ بعدَ أن احْتِيط على حَواصِلِه كلِّها . وأُحْضِر جسدُ الأشْرفِ ، فدُفِن بتربتِه ، وتألَّم الناسُ لفقدِه ، وأعْظَموا قتلَه ، وقد كان شَهْمًا شُجاعًا ، عالىَ الهمةِ ، حسنَ النظَرِ[1] ، كان قد عزَم على غَزْوِ العراقِ واسْتِرْجاعِ تلك البلادَ مِن أيدى التَّتارِ ، واسْتَعَدَّ لذلك ، ونادَى به فى بلادِه ، وقد فتَح فى مدةِ ملكِه - وكانت ثلاثَ سِنين - عَكَّا وسائرَ السَّواحلِ ، ولم يَتْرُكْ للفِرِنْجِ فيها مَعْلَمًا ولا حَجَرًا ، وفتَح قلعةَ الرومِ وبَهَسْنا وغيرَها .

فلما جاءَت بيعةُ الملكِ الناصرِ إلى دمشقَ خُطِب له بها على المَنابرِ ، واسْتَقَرَّ الحالُ على ذلك ، وجُعِل الأميرُ كَتْبُغا أتابَكَه ، والشُّجاعىُّ مُشاوِرًا كبيرًا ، ثم قُتِل[2] بعدَ أيامٍ بقلعةِ الجبلِ ، وحُمِل رأسُه إلى كَتْبُغا ، فأُمِر أن يُطافَ به فى البلدِ ، ففرِح الناسُ بذلك فرحًا شديدًا ، وأعْطَوُا الذين حمَلوا رأسَه مالًا ، ولم يَبْقَ لكَتْبُغا مُنازِعٌ ، ومع هذا كان يُشاوِرُ كبارَ الأمراءَ تَطْيِيبًا لقُلوبِهم .

وفى صفرٍ ، بعدَ موتِ ابنِ السَّلْعُوسِ ، عُزِل بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ عن القَضاءِ ، وأُعِيد تَقىُّ الدينِ ابنُ بنتِ الأعَزِّ ، واسْتَمَرَّ ابنُ جَماعةَ مُدَرِّسًا بمصرَ فى كِفايةٍ ورِياسةٍ ، وتوَلَّى الوِزارةَ بمصرَ الصاحبُ تاجُ الدينِ بنُ الحِنَّا ، وفى ظهرِ يومِ الأرْبِعاءِ الحادى والعشرين مِن صفرٍ رُتِّب إمامٌ بمِحْرابِ الصَّحابةِ ، وهو كمالُ الدينِ[3] عبدُ الرحمنِ بنُ القاضى مُحْيى الدينِ بنِ الزَّكىِّ ، وصلَّى يومئذٍ بعدَ الخطيبِ ، ورُتِّب بالمكتبِ الذى ببابِ الناطفانيين إمامٌ أيضًا ، وهو ضِياءُ الدينِ بنُ

---

(١) فى م : « المنظر » .

(٢) أى علم الدين سنجر الشجاعى كما سيأتى .

(٣) بعده فى الأصل : « بن » . لم نجد ترجمة كمال الدين هذا .

بُرْهانِ الدينِ الإسْكَنْدرىُّ ، وباشَر نظرَ الجامعِ الشريفِ زَيْنُ الدينِ حسينُ بنُ محمدِ بنِ عَدْنانَ ، وعاد سُوقُ الحَرِيريِّين إلى سُوقِه ، وأخْلَوْا قَيْسارِيةَ القطن الذى كان نوابُ طُقْجِى[1] ألْزَمُوهم بسُكْناها ، وولِى خطابةَ دمشقَ الشيخُ العَلَّامةُ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ جَمالِ الدينِ أحمدَ بنِ نِعْمةَ بنِ أحمدَ المَقْدسىُّ ، بعدَ عَزْلِ مُوَفَّقِ الدينِ الحَمَوىِّ ، دعوه إلى حَماةَ ، فخطَب المقدسىُّ يومَ الجمعةِ نصفَ رجبٍ ، وقُرِئَ تَقْليدُه ، وكانت وِلايتُه بإشارةِ تاجِ الدينِ بنِ الحِنَّا الوزيرِ بمصرَ ، وكان فَصيحًا بَليغًا عالمًا بارعًا .

وفى أواخِرِ رجبٍ حلَف الأمراءُ للأميرِ زَيْنِ الدينِ كَتْبُغا مع الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، وسارَت البَيْعةُ بذلك فى سائرِ المدنِ والمعاقلِ .

واقعةُ عسَّافٍ النَّصرانىّ

كان هذا الرجلُ مِن أهلِ السُّوَيْداءِ قد شهِد عليه جَماعةٌ أنه سبَّ النبىَّ ﷺ ، وقد اسْتَجار عَسَّافٌ [١٠/١١٠و] هذا بابنِ أحمدَ بنِ حجِّى أميرِ آلِ علىٍّ ، فاجْتَمَع الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميةَ ، والشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ شيخُ دارِ الحديثِ ، فدخَلا على الأميرِ عزِّ الدينِ أيْبَك الحَمَوىِّ نائبِ السلطنةِ ، فكَلَّماه فى أمرِه ، فأجابَهما إلى ذلك ، وأرْسَل ليُحْضِرَه ، فخرَجا مِن عندِه ومعهما خلقٌ كثيرٌ مِن الناسِ ، فرأَى الناسُ عَسَّافًا حينَ قدِم ومعه رجلٌ مِن العربِ ، فسبُّوه وشتَموه ، فقال ذلك الرجلُ البَدَوىُّ : هو خيرٌ منكم . يَعْنى النَّصْرانىَّ ، فرجَمهما الناسُ بالحجارةِ ، وأصابَت عَسَّافًا ، ووقَعَت خَبْطةٌ قويةٌ ، فأرْسَل النائبُ ، فطلَب

---

(١) فى م : « طغجى » .

الشيخَيْن ابنَ تَيْمية والفارِقيَّ ، فضرَبَهما بينَ يديه ، ورسَم عليهما فى العَذْراوية ، وقدِم النصرانيُّ ، فأسْلَم وعُقِد مَجْلسٌ بسببِه ، وأثْبَت بينَه وبينَ الشهودِ عَداوةً ، فحقَن دمَه ، ثم اسْتَدْعَى بالشيخَيْن ، فأرْضاهما وأطْلَقَهما ، ولحِق النَّصرانيُّ بعدَ ذلك ببلادِ الحجازِ ، فاتَّفَق قتلُه قريبًا مِن مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قتَله ابنُ أخيه هنالك ، وصنَّف الشيخُ تَقيُّ الدينِ ابنُ تَيْمية فى هذه الواقعةِ كتابَه « الصارمَ المَسْلولَ على سابِّ الرسولِ » .

وفى شعبانَ[1] منها ركِب الملكُ الناصرُ فى أُبَّهةِ الملكِ ، وشقَّ القاهرةَ ، وكان يومًا مشهودًا ، وكان هذا أولَ رُكوبِه ، ودقَّت البَشائرُ بالشامِ ، وجاء المرسومُ مِن جهتِه ، فقُرِئ على المنبرِ بالجامعِ فيه الأمرُ بنشرِ العدلِ وطَيِّ الظلمِ ، وإبْطالِ ضَمانِ الأوْقافِ والأمْلاكِ إلا برِضَا أصحابِها .

وفى اليومِ الثانى والعشرين مِن شعبانَ[2] درَّس بالمَسْرورِيةِ القاضى جَمالُ الدينِ القَزْوينيُّ ، أخو إمامِ الدينِ ، وحضَر أخوه وقاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّيِّ ، والشيخُ تَقيُّ الدينِ ابنُ تَيْمية ، وكان درسًا حافلًا .

قال البِرْزاليُّ[3] : وفى شعبانَ اشْتهَر أن فى الغَيطةِ بجِسْرِينَ تِنِّينًا عظيمًا ابْتَلَع رأسًا مِن المَعْزِ كبيرًا صحيحًا .

وفى أواخرِ رمضانَ ظهَر الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين ، وكان مُخْتَفِيًا منذ قتَل الأشرفَ ، فاعْتُذِر له عندَ السلطانِ ، فقبِلَه وخلَع عليه وأكْرَمه ، ولم يَكُنْ قتَله باخْتِيارِه .

---

(١) السلوك ١/٨٠٣ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

(٢) الدارس ١/ ٤٥٦.

(٣) انظر عقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

وفى شوالٍ منها[1] اشْتَهَر أن مُهَنَّا بنَ عيسى خرَج عن طاعةِ السلطانِ الناصرِ، وانْحاز إلى التَّتَرِ.

وفى يومِ الأربعاءِ ثامنَ ذى القَعْدةِ[2] درَّس بالغَزَّاليةِ الخطيبُ شرفُ الدينِ المقدسىُّ عِوَضًا عن قاضى القُضاةِ شِهابِ الدينِ بنِ الخُوَيِّىِّ - لمَّا[3] تُوُفِّى - وترَك الشاميةَ البَرَّانيةَ، وقدِم على قَضاءِ الشامِ القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ يومَ الخميسِ الرابعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ، ونزَل العادليةَ، وخرَج نائبُ السَّلْطنةِ والجيشُ بكمالِه لتَلَقِّيه، وامْتَدَحه الشُّعراءُ، واسْتَناب تاجَ الدينِ الجعبرىَّ نائبَ الخَطابةِ، وباشَر تَدْريسَ الشاميةِ البَرَّانيةِ - عِوَضًا عن شرفِ الدينِ المقدسىِّ - الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ[4] وانْتُزِعَت مِن يدِه الناصريةُ، فدرَّس بها ابنُ جَماعةَ، وبالعادليةِ فى العشرين مِن ذى الحِجَّةِ.

وفى هذا الشهرِ أخْرَجوا الكِلابَ مِن دمشقَ إلى ظاهرِ الفَلاةِ بأمْرِ واليها جَمالِ الدينِ أقباى، وشُدِّد على الناسِ والبوَّابِين فى ذلك.

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الملكُ الأشرفُ خَليلُ بنُ قَلاوُون المنصورِ[5]، وبَيْدَرا[6] [١٠/ ١١٠ظ]

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

(٢) الدارس ١/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الدارس.

(٤) فى م: «الفاروثى».

(٥) نهاية الأرب ٣١/ ٣٥٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٢٩، وكنز الدرر ٨/ ٣٤٥، والعبر ٥/ ٣٧٨، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٦٧، وعقد الجمان ٣/ ٢٠١، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤٠، والمنهل الصافى ٥/ ٢٧٠، والمقفى الكبير ٣/ ٧٩٣.

(٦) نهاية الأرب ٣١/ ٢٦٣، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٦، وعقد الجمان ٣/ ٢١٦، والمنهل الصافى ٣/ ٤٩٣، والمقفى الكبير ٢/ ٥٦٢.

والشُّجاعيُّ[1] ، وشمسُ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ[2] .

الشيخُ الإمامُ العَلامةُ تاجُ الدينِ موسى بنُ محمدِ بنِ مسعودِ المَراغيُّ[3] ، المعروفُ [4]بأبى الجَوّابِ[4] الشافعيُّ ، درَّس بالإقْباليةِ وغيرِها ، وكان مِن فُضلاءِ الشافعيةِ ، له يدٌ فى الفقهِ والأصولِ والنحوِ ، وفهمٌ جيدٌ ، تُوُفِّى فَجأةً يومَ السبتِ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وقد جاوَز السبعين .

الخاتون مُؤنسةُ بنتُ السلطانِ العادلِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ[5] ، وتُعْرَفُ [6]بالدارِ القطبيةِ ، وبدارِ إقبالٍ[6] ، وُلِدَت سنةَ ثلاثٍ وستِّمائةٍ ، وروَت بالإجازةِ عن عفيفةَ الفارِفانيةِ[7] ، وعن عينِ الشمسِ بنتِ أحمدَ بنِ أبى الفرجِ الثَّقَفيةِ ، تُوُفِّيَت فى ربيعِ الآخرِ بالقاهرةِ ، ودُفِنَت ببابِ زويلةَ .

الصاحبُ الوزيرُ فخرُ الدينِ ، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ لُقْمانَ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ الشَّيْبانيُّ[8] المصريُّ ، رأسُ الموقعين ، وأستاذُ الوُزراءِ المشهورين ، وُلِد

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٣، وكنز الدرر ٨/ ٣٥٣، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٧٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٢، وعقد الجمان ٣/ ٢٣٤، والمنهل الصافى ٦/ ٨٠.

(٢) ستأتى ترجمته آخر وفيات هذه السنة .

(٣) عقد الجمان ٣/ ٢٤٧، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٢، والدارس ١/ ١٦١.

(٤ - ٤) كذا فى الأصل ، م . وفى عقد الجمان والدليل الشافى : « بابن الحيوان » ، وفى الدارس : « بابن الجواب » .

(٥) عقد الجمان ٣/ ٢٥٦، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٥.

(٦ - ٦) فى الأصل : « بالدار القطينة بدار إقبال » .

(٧) فى الأصل ، م ، والعقد : « الفارقانية » وفى الدليل الشافى : « الفارقية » . والمثبت من ترجمتها فى العبر ٥/ ١٧. وهى عفيفة بنت أحمد بن عبد اللّه بن محمد أم هانئ الفارفانية نسبة إلى فارفان : قرية من قرى أصبهان . وانظر معجم البلدان ٣/ ٨٣٩.

(٨) فى الأصل ، م : « البنانى » . والمثبت من مصادر الترجمة ؛ نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٩، والوافى =

سنةَ ثنتَيْ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وروَى الحديثَ ، تُوُفِّى فى آخِرِ جُمادَى الآخِرةِ فى القاهرةِ .

الملكُ الحافظُ غِياثُ الدينِ[1] محمدُ بنُ الملكِ السعيدِ مُعِينِ الدينِ شاهنشاه بنِ الملكِ الأمْجدِ بَهْرام شاه بنِ المُعِزِّ عِزِّ الدينِ فَرُّخْشاه بنِ شاهِنْشاه بنِ أيوبَ ، وكان فاضلًا بارعًا ، سمِع الحديثَ ، وروَى « البُخارىَّ » ، وكان يُحِبُّ العلماءَ والفُقراءَ ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ سادسَ شَعبانَ ، ودُفِن عندَ جدِّه لأمِّه ابنِ المُقَدَّمِ ، ظاهرَ بابِ الفَرادِيسِ .

قاضى القُضاةِ شِهابُ الدينِ بنُ الخُوَيِّىِ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ قاضى القُضاةِ شمسِ الدينِ أبى العباسِ أحمدَ بنِ خَليلِ بنِ سعادةَ بنِ جعفرِ بنِ عيسى ابنِ محمدٍ الشافعىُّ[2] ، أصلُهم مِن خُوَىٍّ ، اشْتَغل وحصَّل علومًا كثيرةً ، وصنَّف كتبًا كثيرةً ، منها كتابٌ فيه عشرون فنًّا ، وله « نَظْمُ علومِ الحديثِ » و « كِفايةُ المُتَحَفِّظِ » وغيرُ ذلك ، وقد سمِع الحديثَ الكثيرَ ، وكان مُحِبًّا له ولأهلِه ، وقد درَّس وهو صغيرٌ بالدماغيةِ ، ثم ولِى قَضاءَ القدسِ ثم المحلَّة ، ثم بَهْسَنا ، ثم ولِى قَضاءَ حلبَ ، ثم عاد إلى المحلةِ ، ثم ولِى قَضاءَ القاهرةِ ، ثم قدِم على قَضاءِ الشامِ

= بالوفيات ٦/ ٩٧، وفوات الوفيات ١/ ٤٣، والسلوك ١/ ٨٠٤ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ٥٠، والمنهل الصافى ١/ ١٣٦، والمقفى الكبير ١/ ٢٦٠.

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى : نهاية الأرب ٣١/ ٢٨٠، والوافى بالوفيات ٣/١٤٧ - وفيه أن وفاته كانت سنة ثلاث وثمانين وستمائة - ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٢، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٤، والمقفى الكبير ٥/ ٧١٦.

(٢) العبر ٥/ ٣٧٩، والوافى بالوفيات ٢/ ١٣٧، وفوات الوفيات ٣/ ٣١٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٠١، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٠، والدليل الشافى ٢/ ٥٩١، والمقفى الكبير ٥/ ١٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٢٣.

مع تَدْريسِ العادليةِ والغَزَّاليةِ وغيرِهما ، وكان مِن حَسَناتِ الزمانِ وأكابرِ العلماءِ الأعلامِ ، عَفِيفًا نَزِهًا بارعًا مُحِبًّا للحديثِ وعلمِه وعلمائِه ، وقد خرَّج له شيخُنا الحافظُ المِزِّيُّ أربعين حديثًا مُتَباينةَ الإسْنادِ ، وخرَّج له تَقيُّ الدينِ بنُ عُتْبةَ الإسْعِرْدِيُّ مَشْيخةً على حُروفِ المُعْجَمِ ، اشْتَمَلَت على مائتين وستةٍ وثلاثين شيخًا . قال البِرْزاليُّ : وله نحوُ ثلاثِمائةِ شيخٍ لم يُذْكَروا فى هذا المُعْجَمِ . تُوُفِّى يومَ الخميسِ الخامس والعشرينِ مِن رمضانَ ، عن سبعٍ وستين سنةً ، وصُلِّى عليه ودُفِن مِن يومِه بتربةِ والدِه بسفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الأميرُ عَلاءُ الدينِ الأعْمَى[1] ، ناظرُ القدسِ ، وبانى كثيرٍ مِن معالمِه اليومَ ، وهو الأميرُ الكبيرُ عَلاءُ الدينِ أَيْدِكِينُ بنُ عبدِ اللَّهِ الصالحيُّ النَّجْميُّ ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ ، فلما أضَرَّ أقام بالقدسِ الشريفِ وولى نظَرَه ، فعمَّره وثمَّره ، وكان مَهِيبًا لا تُخالَفُ مَراسِيمُه ، وهو الذى بنَى المَطْهرةَ قريبًا مِن مسجدِ النبىِّ ﷺ ، فانْتَفَع الناسُ بها فى الوُضوءِ وغيرِه ، ووجَد الناسُ بها تَيْسيرًا ، وأنشأ بالقدسِ رُبُطًا كثيرةً ، وآثارًا حسنةً ، وكان يُباشِرُ [١٠/ ١١١و] الأمورَ بنفسِه ، وله حُرْمةٌ وافرةٌ ، تُوُفِّى فى شوالٍ منها .

الوزيرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى الرجالِ التَّنُوخىُّ[2] ، المعروفُ بابنِ السَّلْعوسِ ، وزيرُ الملكِ الأشرفِ ، مات تحتَ الضَّرْبِ الذى جاوَز ألفَ

---

(١) الوافى بالوفيات ٩/ ٤٨٥، ونكت الهميان ص ١٢٣، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٣، والمنهل الصافى ٣/ ١٦٣، والأنس الجليل ٢/ ٢٧٠.

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٠، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣١، والعبر ٥/ ٣٨٠، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٣، وعقد الجمان ٣/ ٢٢٧، والمقفى الكبير ٦/ ٢٠٤، والمقفى الكبير ٦/ ٢٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٤.

مِقرعةٍ ، فى عاشِرِ صفرٍ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن بالقَرافةِ[1] ، وقيل : إنه نُقِل إلى الشامِ بعدَ ذلك . وكان ابْتِداءَ أمْرِه تاجرًا ، ثم ولِى الحِسْبةَ بدمشقَ بسِفارةِ تَقىِّ الدينِ تَوْبَةَ ، ثم كان يُعامِلُ الملكَ الأشرفَ قبلَ السلطنةِ ، فظهَر منه على عَدْلٍ وصدقٍ ، فلما ملَك بعدَ أبيه المنصورِ اسْتَدْعاه مِن الحجِّ فولَّاه الوِزارةَ ، وكان يَتَعاظَمُ على أكابرِ الأمراءِ ، ويُسَمِّيهم بأسْمائِهم ، ولا يَقومُ لهم ، فلما قُتِل أستاذُه الأشرفُ تسَلَّموه بالضَّرْبِ والإهانةِ وأخْذِ الأموالِ ، حتى أعْدَموه حياتَه وصَبَروه ، وأسْكَنوه الثرى بعدَ أن كان عندَ نفسِه قد بلَغ الثُّرَيَّا ، ولكنَّ حقًّا على اللَّهِ أنه ما رفَع شيئًا إلا وضَعه .

---

(١) فى الأصل : « بالقاهرة » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قَلاوُون، وعمرُه إذ ذاك اثْنَتا عشْرةَ سنةً وأشهرًا، ومُدَبِّرُ المَمالِك وأتابِكُ العَساكرِ الأميرُ زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا، ونائبُ الشامِ الأميرُ عزُّ الدينِ أيْبَك الحَمَوىُّ، والوزيرُ بدمشقَ تَقىُّ الدينِ تَوْبةُ التَّكْريتىُّ، وشادُّ الدواوينِ شمسُ الدينِ الأعْسَرُ، وقاضى الشافعيةِ ابنُ جَماعةَ، والحَنَفيةِ حُسامُ الدينِ الرازىُّ، والمالكيةِ جَمالُ الدينِ الزَّواوىُّ، والحَنابلةِ شرفُ الدينِ حسنٌ، والمُحْتَسِبُ شِهابُ الدينِ الحنفىُّ، ونقيبُ الأشْرافِ زَيْنُ الدينِ بنُ عَدْنانَ، ووكيلُ بيتِ المالِ وناظرُ الجامعِ تاجُ الدينِ الشِّيرازىُّ، وخَطيبُ البلدِ شرفُ الدينِ المَقْدسىُّ.

فلما كان يومُ عاشُوراءَ نهَض جماعةٌ مِن مَماليكِ الأشْرَفِ، وخرَقوا حرمةَ السلطانِ، وأرادوا الخروجَ عليه، وجاءوا إلى سوقِ السلاحِ، فأخَذوا ما فيه، ثم احْتِيط عليهم، فمنهم مَن صُلِب، ومنهم مَن شُنِق، وقُطِع أيدى آخَرِين منهم وألسنتُهم، وجرَت خَبْطةٌ عظيمةٌ جدًّا، وكانوا قريبًا مِن ثلاثِمائةٍ أو يَزِيدُون.

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٨١ - ٢٨٨، وكنز الدرر ٨/٣٥٦ - ٣٦٢، والعبر ٥/ ٣٨٠.

ذكرُ سلطنةِ الملكِ العادلِ كَتْبُغا

وأصبَح الأميرُ كَتْبُغا فى اليومِ [1] الحادى عشَرَ [1] مِن المحرمِ ، فجلَس على سَريرِ المَمْلَكةِ ، وخلَع الملكَ الناصرَ محمدَ بنَ المنصورِ ، وألْزَمه بيتَ أهلِه ، وأن لا يَخْرُجَ منه ، وبايَعه الأمراءُ على ذلك وهنَّأوه ، ومدَّ سِماطًا حافلًا ، وسارَت البَرِيديةُ بذلك إلى الأقاليمِ ، فبُويع وخُطِب له مُسْتَقِلًّا ، وضُرِبَت السِّكَّةُ باسمِه ، وتمَّ الأمرُ ، وزُيِّنَت البلادُ ، ودقَّت البَشائرُ ، ولُقِّب بالملكِ العادلِ ، وكان عمرُه إذ ذاك نحوًا مِن خمسين سنةً ، فإنه مِن سَبْيِ وَقْعةِ حِمْصَ الأولى التى كانت فى أيامِ الملكِ الظاهرِ بعدَ وقعةِ عَينِ جالوتَ ، وكان مِن العُوَيْراتِيَّةِ [2] ، وهم طائفةٌ مِن التَّتَرِ ، واسْتَناب فى مصرَ الأميرَ حُسامَ الدينِ لاجِين السِّلَحْدار المنصوريَّ ، وكان بينَ يديه مُدَبِّرَ المَمالكِ . وقد ذكرَ ابنُ الجَزَرِيِّ فى « تاريخِه » [3] عن بعضِ الأمراءِ أنه شهِد هُولَاكُو قان قد سأَل مُنَجِّمَه أن يَسْتَخْرِجَ له مِن هؤلاء المُقَدَّمِين فى عَسْكرِه الذى يَمْلِكُ الدِّيارَ المصريةَ ، فضرَب وحسَب ، وقال له : أَجِدُه رجلًا يَمْلِكُها اسمُه كَتْبُغا . فظنَّه كَتْبُغانُوين ، وكان صِهْرَ هولاكو ، فقدَّمه على العَساكرِ ، فلم يَكُنْ هو ، فقُتِل فى عَينِ جالوتَ كما ذكَرْنا ، وإنما الذى [١٠/ ١١١ظ] ملَك مصرَ هذا الرجلُ ، وكان مِن خِيارِ الأمراءِ وأجْودِهم سِيرةً ومَعْدَلَةً وقَصْدًا فى نُصْرةِ الإسلامِ .

وفى يومِ الأربعاءِ مُسْتَهَلِّ ربيعِ الأولِ ركِب كَتْبُغا فى أُبَّهةِ الملكِ ، وشقَّ القاهرةَ ، ودعا له الناسُ ، وعزَل الصاحبَ تاجَ الدينِ بنَ الحِنَّا عن الوِزارةِ ، وولَّى

(١ - ١) فى كنز الدرر ٨/ ٣٥٧: « يوم الخميس ثالث عشر » .

(٢) فى م : « الغويرانية » . وانظر السلوك ١/ ٧٠٨ (القسم الثالث) حاشية (٣) .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٨/ ٥٥.

فخرَ الدينِ بنَ الخَلِيلىِّ ، واسْتَسْقَى الناسُ بدمشقَ عندَ مسجدِ القدمِ ، وخطَب بهم تاجُ الدينِ صالحٌ الجعبرىُّ نِيابةً عن مستخلفِه الشيخِ شرفِ الدينِ المقدسىِّ ، وكان مريضًا ، فعزَل نفسَه عن القَضاءِ ، وخطَب الناسَ بعدَ ذلك ، وذلك يومَ الأربعاءِ خامس جُمادَى الأولى ، فلم يُسْقَوْا ، ثم اسْتَسْقَوْا مرةً أخرى يومَ السبتِ سابعِ جُمادَى الآخِرةِ بالمكانِ المذكورِ ، وخطَب بهم شرفُ الدينِ المقدسىُّ ، وكان الجمعُ أكثرَ مِن الأولِ ، فلم يُسْقَوْا .

وفى رجبٍ حكَم كمالُ[1] الدينِ بنُ الشَّرِيشىِّ نِيابةً عن القاضى بدرِ الدينِ ابنِ جَماعةَ .

وفيه درَّس بالمُعَظَّميةِ القاضى شمسُ الدينِ بنُ العِزِّ ، انْتَزَعَها مِن عَلاءِ الدينِ بنِ الدَّقَّاقِ .

وفيه ولِى القدسَ والخَليلَ الملكُ الأوحدُ ابنُ الملكِ الناصرِ داودَ ابنِ المُعَظَّمِ .

وفى رمضانَ رُسِم للحَنابلةِ أن يُصَلُّوا قبلَ الإمامِ الكبيرِ ، وذلك أنهم كانوا يُصَلُّون بعدَه ، فلما أُحْدِث [2]محْرابُ الصَّحابةِ[2] كانوا يُصَلُّون جَميعًا فى وقتٍ واحدٍ ، فكان يحصُلُ تَشْويشٌ بسببِ ذلك ، فاسْتَقَرَّت القاعدةُ على أن يُصَلُّوا قبلَ الإمامِ الكبيرِ ، فى وقتِ صلاةِ مَشْهَدِ علىٍّ بالصَّحْنِ عندَ محرابِهم فى الرواقِ الثالثِ الغربىِّ .

قلتُ : وقد تغَيَّرَت هذه القاعدةُ بعدَ العشرين وسبعِمائةٍ كما سيأتى .

وفى أواخِرِ رمضانَ قدِم القاضى نجمُ الدينِ بنُ صَصْرَى مِن الديارِ المصريةِ

---

(١) فى م : « جمال » . وانظر الدارس ١/ ٢٧.

(٢ - ٢) فى م : « لمحراب الصحابة إمام » .

على قَضاءِ العَساكرِ بالشامِ .

وفى ظهرِ يومِ الخميسِ خامسِ شوالٍ صلَّى القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ بمِحْرابِ الجامعِ إمامًا وخطيبًا عِوَضًا عن الخطيبِ المُدَرِّسِ شرفِ الدينِ المَقْدسىِّ ، ثم خطَب مِن الغدِ ، وشُكِرَت خُطْبتُه وقراءتُه ، وذلك مُضافٌ إلى ما بيدِه مِن القَضاءِ وغيرِه .

وفى أواخِر[1] شوالٍ قدِمَت مِن الديارِ المصريةِ تَواقِيعُ شَتَّى ؛ منها تدريسُ الغَزَّاليةِ لابنِ صَصْرَى عِوَضًا عن الخطيبِ المقدسىِّ ، وتوقيعٌ بتَدْريسِ الأمِينيةِ لإمامِ الدينِ القَزْوينىِّ عِوَضًا عن نجمِ الدينِ بنِ صَصْرَى ، ورُسِم لأخيه جَلالِ الدينِ بتَدْريسِ الظاهريةِ البَرَّانيةِ عوضًا عنه .

وفى شوالٍ كَمَلَت عِمارةُ الحمامِ الذى أنْشَأه عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ بمسجدِ القَصَبِ ، وهو مِن أحسنِ الحَمَّاماتِ ، وباشَر مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ النُّوريةِ الشيخُ عَلاءُ الدينِ بنُ العَطَّارِ عِوَضًا عن شرفِ الدينِ المَقْدسىِّ .

وحجَّ فيها الملكُ المُجاهِدُ أنسُ بنُ الملكِ العادلِ كَتْبُغا ، وتصَدَّقوا بصَدَقاتٍ كثيرةٍ فى الحرمَيْن وغيرِهما .

ونُودِى بدمشقَ يومَ عرفةَ أن لا يَرْكَبَ أحدٌ مِن أهلِ الذِّمَّةِ خيلًا ولا بِغالًا ، ومَن رأَى مِن المسلمين أحدًا مِن أهلِ الذِّمَّةِ قد خالَف ذلك فله سَلْبُه .

وفى أواخِرِ هذه السنةِ والتى تَلِيها حصَل بديارِ مصرَ غَلاءٌ شديدٌ ، هلَك

---

(١) فى م : « أوائل » .

بسببِه خلقٌ كثيرٌ، هلَك فى شهرِ ذى الحِجَّةِ نحوٌ مِن عشرين ألفًا.

وفيها ملَك التَّترَ قازان بنُ أَرْغُون بنِ أَبْغَا بنِ تولى بنِ جِنْكِزْخان، فأسْلَم وأظْهَر الإسلامَ على يدِ الأميرِ نَوْروزَ[1]، رحِمه اللَّهُ تعالى، ودخَلَت التَّترُ أو أكثرُهم فى الإسلامِ، ونُثِر الذهبُ والفضةُ واللؤلؤُ على رءوسِ الناسِ يومَ إسلامِه، وتسَمَّى بمحمودٍ، وشهِد الجمعةَ والخُطْبةَ، وخرَّب كَنائسَ كثيرةً، وضرَب عليهم [١٠/ ١١٢و] الجِزْيةَ، وردَّ مَظالمَ كثيرةً ببغدادَ وغيرِها مِن البلادِ، وظهَرَت السُّبَحُ والهَياكلُ مع التَّترِ، والحمدُ للَّهِ وحدَه.

وفيها تُوُفِّى مِن الأعْيان:

الشيخُ أبو الرجالِ المَنِينىُّ: الشيخُ الصالحُ الزاهدُ العابدُ أبو الرجالِ بنُ مِرِى[2] بنِ بُحترٍ المَنِينىُّ، كانت له أحْوالٌ ومُكاشَفاتٌ، وكان أهلُ دمشقَ والبلادِ يَزُورُونه فى قريةِ مَنِينَ، وربما قدِم هو بنفسِه إلى دمشقَ فيُكْرَمُ ويُضَافُ، وكانت له زاويةٌ ببلدِه، وكان بَريئًا مِن هذه السَّماعاتِ الشَّيطانيةِ، وكان تلميذَ الشيخِ جَنْدَلٍ، وكان شيخُه الشيخُ جَنْدَلٌ مِن كبارِ الصالحين، سالكًا طريقَ السَّلَفِ أيضًا، وقد بلَغ الشيخُ أبو الرجالِ ثمانين سنةً، وتُوُفِّى بمَنِينَ فى منزلِه فى عاشرِ المُحَرَّمِ، وخرَج الناسُ مِن دمشقَ إلى جِنازتِه، فمنهم مَن أدْرَكها، ومِن الناسِ مَن لم يُدْرِكْ فصلَّى على القبرِ، ودُفِن بزاويتِه، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) فى م: «توزون». وانظر كنز الدرر ٨/ ٣٦١.

(٢) فى م: «مرعى». وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٨٥، ومسالك الأبصار ٨٠/ ١٧٥، ومرآة الجنان ٤/ ٢٢٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٠، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٨.

وفيها فى أواخِرِ ربيعِ الأولِ جاء الخبرُ بأن **عَسَّافَ بنَ أحمدَ بنِ حَجِّى**[1] الذى كان قد أجار ذلك النَّصْرانىَّ الذى سبَّ الرسولَ عليه السلامُ قُتِل، ففرِح الناسُ بذلك.

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزاهدُ الوَرِعُ بقيةُ السَّلَفِ، جَمالُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ الحَرَسْتانىِّ بنِ قاضى القُضاةِ وخطيبِ الخُطَباءِ عِمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ جَمالِ الدينِ عبدِ الصمدِ[2]، سمِع الحديثَ وناب عن أبيه فى الإمامةِ وتَدْريسِ الغَزَّاليةِ، ثم ترَك المَناصِبَ والدنيا، وأقْبَل على العِبادةِ، وكان للناسِ فيه اعْتِقادٌ حسنٌ صالحٌ، يُقَبِّلون يدَه ويَسْأَلونه الدعاءَ، وقد جاوَز الثمانين، ودُفِن بالسفحِ عندَ أهلِه فى أواخِرِ ربيعِ الآخِرِ.

الشيخُ مُحِبُّ الدينِ الطَّبَرىُّ المكِّىُّ الشافعىُّ[3]، سمِع الكثيرَ وصنَّف فى فُنونٍ كثيرةٍ، مِن ذلك كتابُ «الأحكامِ» فى مجلداتٍ كثيرةٍ مفيدةٍ، وله كتابٌ على ترتيبِ «جامعِ المسانيدِ» أسْمَعَه لصاحبِ اليمنِ، وكان مولدُه يومَ الخميسِ السابع والعشرين مِن جُمادَى الآخِرةِ [3]من سنةِ خمسَ عشْرَةَ وستِّمائةٍ[3]، ودُفِن بمكةَ، وله شعرٌ جيدٌ، فمنه قَصيدتُه فى المَنازِلِ التى بينَ مكةَ والمدينةِ تَزِيدُ على ثلاثِمائةِ بيتٍ، كتَبها عنه الحافظُ شرفُ الدينِ الدِّمْياطىُّ فى «مُعْجَمِه».

الملكُ المُظَفَّرُ صاحبُ اليمنِ، يوسفُ بنُ المنصورِ نورِ الدينِ عمرَ بنِ علىٍّ

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٣٩٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٧٤.

(٢) العبر ٥/ ٣٨٣، والوافى بالوفيات ١٨/ ٤٤٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٦.

(٢) العبر ٥/ ٣٨٢، والوافى بالوفيات ٧/ ١٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٤، والمقفى الكبير ١/ ٥١٦، والمنهل الصافى ١/ ٣٤٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٥.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «منها». والمثبت من مصادر ترجمته عدا عقد الجمان وفيه: «عشر وستمائة».

ابنِ رَسُولٍ[1] ، أقام فى مَمْلكةِ اليمنِ بعدَ أبيه سبعًا وأربعين سنةً ، وعُمِّر ثمانين سنةً ، وكان أبوه قد ولِى أزيدَ مِن مدةِ عشرين سنةً بعدَ الملكِ أَقْسِيسَ بنِ الكاملِ محمدٍ ، وكان عمرُ بنُ رَسُولٍ مُقَدَّمَ عَساكرِ أَقْسِيسَ ، فلما مات أَقْسِيس وثَب على المُلكِ ، فتمَّ له الأمْرُ ، وتسَمَّى بالملكِ المنصورِ ، واسْتَمَرَّ أَزْيَدَ مِن عشرين سنةً ، ثم ابنُه المُظَفَّرُ سبعًا وأربعين سنةً ، ثم قام مِن بعدِه فى الملكِ ولدُه الملكُ الأشرفُ مُمهِّدُ الدِّينِ ، فلم يَمْكُثْ سنةً حتى مات ، ثم قام أخوه المُؤَيَّدُ هِزَبْرُ[2] الدينِ داودُ بنُ المُظَفَّرِ ، فاسْتَمَرَّ فى الملكِ مدةً ، وكانت وفاةُ الملكِ المُظَفَّرِ المذكورِ فى رجبٍ مِن هذه السنةِ ، وقد جاوَز الثمانين ، وكان يُحِبُّ الحديثَ ويَسْمَعُه ، وجمَع لنفسِه أربعين حديثًا .

شرفُ الدِّينِ المَقْدسىُّ ، الشيخُ الإمامُ الخطيبُ المدرسُ المُفْتِى : شرفُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الشيخِ كَمالِ الدينِ أحمدَ بنِ نِعْمةَ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ حسينِ بنِ حمادٍ المقدسىُّ الشافعىُّ[3] ، [١٠/١١٢ظ] وُلِد سنةَ ثنتين وعشرين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وكتَب حَسَنًا ، وصنَّف فأجاد وأفاد ، وولِى القَضاءَ نِيابةً بدمشقَ والتَّدريسَ والخَطابةَ بدمشقَ ، وكان مدرسَ الغَزَّاليةِ ودارِ الحديثِ النُّوريةِ مع الخَطابةِ ، ودرَّس فى وقتٍ بالشاميةِ البَرَّانيةِ ، وأَذِن فى الإفْتاءِ لجَماعةٍ مِن الفُضَلاءِ ؛ منهم الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ أبو العباسِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ، وكان يَفْتَخِرُ بذلك ويَفْرَحُ به ، ويقولُ : أنا أَذِنْتُ لابنِ تَيْمِيَّةَ بالإفْتاءِ . وكان يُتْقِنُ فُنونًا

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٢٨٩، والعبر ٥/ ٣٨٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٩٣، والنجوم الزاهرة ٨/ ٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٧.

(٢) فى الأصل، م: «عز». والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان. وانظر ترجمته فى: المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩١، وكنز الدرر ٩/ ٣٠٧، والوافى بالوفيات ١٣/ ٥٠١، وفوات الوفيات ١/ ٤٢٨.

(٣) العبر ٥/ ٣٨٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٣١، وفوات الوفيات ١/ ٥٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٥، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٨، وعقد الجمان ٣/ ٢٨٥، والمقفى الكبير ١/ ٣٦١، والمنهل الصافى ١/ ٢٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٤.

كثيرةً مِن العلومِ ، وله شعرٌ حسنٌ ، وصنَّف كتابًا فى أُصولِ الفقهِ جمَع فيه شيئًا كثيرًا ، وهو عندى بخطِّه الحسنِ ، تُوُفِّى يومَ الأحدِ سابعَ عشَرَ رمضانَ ، وقد جاوَز السبعينَ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ كَيْسانَ عندَ والدِه ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ورحِم أباه . وقد خطَب بعدَه يومَ العيدِ الشيخُ شرفُ الدينِ الفَزارىُّ خطيبُ جامعِ جراحٍ ، ثم جاء المرسومُ لابنِ جَماعةَ بالخَطابةِ . ومِن شعرِ الخطيبِ شرفِ الدينِ ابنِ نِعْمَةَ المقدسىِّ :

احجُجْ إلى الزَّهْرِ لتَسْعَى به ... وارْمِ جِمارَ الهَمِّ مُسْتَنْفِرَا[1]

مَن لم يَطُفْ بالزَّهرِ فى وقتِه ... مِن قبلِ أن يَحْلِقَ قد قصَّرا

واقفُ الجَوْهريةِ الصدرُ نجمُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عَيَّاشٍ[2] بنِ أبى المكارِمِ التَّميمى الجوهرىُّ ، واقفُ الجَوْهريةِ على الحنفيةِ بدمشقَ ، تُوُفِّى ليلةَ الثلاثاءِ تاسعَ عشَرَ شوالٍ ، ودُفِن بمدرستِه ، وقد جاوَز الثمانين ، وكانت له خِدمٌ على المُلوكِ فمَن دونَهم .

الشيخُ الإمامُ العالمُ المُفْتِى الخطيبُ الطَّبيبُ ، مَجْدُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوَهَّابِ بنُ أحمدَ بنِ أبى الفتحِ بنِ سُحْنُونٍ التَّنُوخىُّ الحنفىُّ[3] ، خَطيبُ النَّيْرَبِ ومدرسُ الدماغيةِ للحَنَفيةِ ، وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا ، تُوُفِّى بالنَّيْرَبِ ، وصُلِّى عليه بجامعِ الصالحيةِ ، وكان فاضلًا ، وله شعرٌ حسنٌ ، وروَى شيئًا مِن الحديثِ ، تُوُفِّى

---

(١) فى فوات الوفيات ، والمنهل الصافى : « مستهترا » .

(٢) فى العبر ٥/ ٣٨٥، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٨: « عباس » . وانظر عقد الجمان ٣/ ٢٩٢، والدارس ١/ ٤٩٨.

(٣) العبر ٥/ ٣٨٣، وفوات الوفيات ٢/ ٤١٧، وتذكرة النبيه ١/ ١٨١، والدليل الشافى ١/ ٤٣٢، والطبقات السنية فى تراجم الحنفية ٤/ ٤٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٦، ومعجم الأطباء ص ٢٨١.

ليلةَ السبتِ خامسِ ذى القَعْدةِ عن خمسٍ وسبعين سنةً .

الفارُوثىُّ الشيخُ الإمامُ العابدُ الزاهدُ الخطيبُ عزُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ الشيخِ مُحْيى الدينِ إبراهيمَ بنِ عمرَ بنِ الفرجِ بنِ سابُور بنِ علىٍّ بنِ غُنَيْمَةَ الفاروثىُّ الواسطىُّ[1] ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، ورحَل فيه ، وكانت له فيه يدٌ جيدةٌ ، وفى التَّفْسيرِ والفقهِ والوَعْظِ والبَلاغةِ ، وكان دَيِّنًا وَرِعًا زاهدًا ، قدِم إلى دمشقَ فى دولةِ الظاهرِ ، فأُعْطِى تَدْريسَ الجاروخِيَّةِ[2] وإمامَةَ مسجدِ ابنِ هشامٍ ، ورُتِّب له فيه[3] شىءٌ على المَصالحِ ، وكان فيه إيثارٌ ، وله أحْوالٌ صالحةٌ ، ومُكاشَفاتٌ كثيرةٌ ؛ تَقَدَّم يومًا فى مِحْرابِ مسْجدِ ابنِ هشامٍ ليُصَلِّىَ بالناسِ ، فقال قبلَ أن يُكَبِّرَ للإحْرامِ - والْتَفَت عن يَمينِه - فقال : اخْرُجْ فاغْتَسِلْ . فلم يَخْرُجْ أحدٌ ، ثم كرَّر ذلك ثانيةً وثالثةً ، فلم يَخْرُجْ أحدٌ ، فقال : يا عثمانُ ، اخْرُجْ فاغْتَسِلْ . فخرَج رجلٌ مِن الصفِّ ، فاغْتَسَل ثم عاد ، وجاء إلى الشيخِ يَعْتَذِرُ إليه ، وكان الرجلُ صالحًا فى نفسِه ، ذكَر أنه أصابه فَيْضٌ مِن غيرِ أن يَرَى شخصًا ، فاعْتَقَد أنه لا يَلْزَمُه غُسْلٌ ، فلما قال الشيخُ ما قال اعْتَقَد أنه يُخاطِبُ غيرَه ، فلما عيَّنه باسمِه عَلِم أنه المرادُ .

ثم قدِم الفارُوثىُّ مرةً أخرى فى أواخِرِ أيامِ المنصورِ قَلاوُون ، [١٠/١١٣و] فخطَب بجامعِ دمشقَ مدةَ شهورٍ ، ثم عُزِل بمُوفَّقِ الدينِ بنِ الحَمَوىِّ ، وتقَدَّم ذكْرُ

---

(١) معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٥٢، والعبر ٥/ ٣٨١، والوافى بالوفيات ٦/ ٢١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٣، وغاية النهاية ١/ ٣٤، وعقد الجمان ٣/ ٢٩٠، والمقفى الكبير ١/ ٣٥٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٥.

(٢) فى م : « الجاروضية » . وانظر الدارس ١/ ٢٢٥.

(٣) فى الأصل : « فيها » .

ذلك ، وكان قد درَّس بالنَّجيبيَّةِ وبدارِ الحديثِ الظاهريةِ ، فترَك ذلك كلَّه ، وسافَر إلى وطنِه ، فمات به بُكْرةَ يومِ الأربعاءِ مُسْتَهَلَّ ذى الحِجَّةِ ، وكان يومُ موتِه يومًا مشهودًا بواسِطٍ ، وصُلِّى عليه بدمشقَ وغيرِها ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وكان قد لبِس خِرْقةَ التصوفِ مِن السُّهْرَوَرْدِىِّ ، وقرَأ القِراءاتِ العشْرةَ ، وخلَّف أَلْفَىْ مجلدٍ ومائتَىْ مجلدٍ ، وحدَّث بالكثيرِ ، وسمِع منه البِرْزالىُّ كثيرًا « صحيحَ البُخارىِّ » ، و « جامعَ التِّرْمذىِّ » ، و « سننَ ابنِ ماجه » ، و « مُسْنَدَ الشافعىِّ » ، و « مُسْنَدَ عبدِ ابنِ حُمَيْدٍ » ، و « مُعْجَمَ الطَّبَرانىِّ الصغيرَ » ، و « مُسْنَدَ الدَّارمىِّ » ، و « فَضائلَ القرآنِ » لأبى عُبَيْدٍ ، وثمانين جزءًا وغيرَ ذلك .

الجَمالُ المُحَقِّقُ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ الدمشقىُّ[1] ، اشْتَغل بالفقهِ على مذهبِ الشافعىِّ ، وبرَع فيه ، وأفْتَى وأعاد ، وكان فاضلًا فى الطبِّ ، وقد ولِى مَشْيَخةَ الدَّخْوارِيةِ لتَقَدُّمِه فى صِناعةِ الطِّبِّ على غيرِه ، وعاد المَرَضَى بالمارَسْتانِ النُّورىِّ على قاعدةِ الأطِبَّاءِ ، وكان مدرسًا للشافعيةِ بالفَرُّخْشاهيةِ[2] ، ومُعِيدًا بعدَّةِ مدارسَ ، وكان جيدَ الذهنِ ، مُشارِكًا فى فُنونٍ كثيرةٍ ، سامَحه اللَّهُ تعالى .

الستُّ خاتون بنتُ الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ[3] ، زوجةِ ابنِ عمِّها المنصورِ بنِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ ، وهى التى أُثْبِت سَفَهُها زمنَ المنصورِ قَلاوُون حتى اشْتَرَى منها حَرْزَمَا ، وأخَذَت الزَّنْبَقِيةَ مِن زَيْنِ الدينِ السَّامَرِّىِّ[4] .

---

(١) العبر ٥/ ٣٨٢، والوافى بالوفيات ٧/ ١٣٦، وعقد الجمان ٣/ ٢٩١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٦، ومعجم الأطباء ص ١٠٩.

(٢) فى الأصل ، م : « بالفرخشانية » . والمثبت من الوافى بالوفيات . وانظر الدارس ١/ ٥٦١.

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٢٩١، والوافى بالوفيات ١٣/ ٢٣٧.

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ٦٠٨.

الصدرُ جَمالُ الدينِ يوسفُ بنُ عليِّ بنِ مُهاجِرٍ التَّكْريتيُّ ، أخو الصاحبِ تَقيِّ الدينِ تَوْبَةَ[1] ، ولِى حِسْبةَ دمشقَ فى وقتٍ ، ودُفِن بتربةِ أخيه بالسفحِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، وكان له عقلٌ وافرٌ وتَواضُعٌ وثَرْوةٌ ومُروءةٌ ، وخلَّف ثلاثَ بنينَ ؛ شمسُ الدينِ محمدٌ ، وعَلاءُ الدينِ عليٌّ ، وبدرُ الدينِ حسنٌ .

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٢٩١.

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت وخليفةُ الوقتِ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ العَبَّاسىُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ العادلُ زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا ، ونائبُه بمصرَ الأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِين السِّلَحْدار المنصورىُّ ، ووزيرُه فخرُ الدينِ بنُ الخَليلىِّ ، وقُضاةُ مصرَ والشامِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها ، ونائبُ الشامِ عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ ، ووزيرُه تَقىُّ الدينِ تَوْبَةُ ، وشادُّ الدَّواوينِ الأعْسَرُ ، وخطيبُ البلدِ وقاضيها ابنُ جَماعةَ .

وفى المُحَرَّمِ ولِى نظرَ الأيْتامِ نَجمُ[2] الدينِ بنُ هلالٍ عِوَضًا عن شرفِ الدينِ بنِ الشِّيرَجىِّ .

وفى مُسْتَهَلِّ هذه السنةِ كان الغَلاءُ والفَناءُ بديارِ مصرَ شديدًا جدًّا ، وقد تَفانَى الناسُ إلا القليلَ ، وكانوا يَحْفِرون الحَفِيرةَ ، فيَدْفِنون فيها الفِئامَ مِن الناسِ ، والأسْعارُ فى غايةِ الغَلاءِ ، والأقْواتُ فى غايةِ القلةِ والغَلاءِ ، والموتُ عَمَّالٌ ، فمات بها فى شهرِ صفرٍ مائةُ ألفٍ ونحوٌ مِن ثلاثين ألفًا ، ووقَع غَلاءٌ بالشامِ ، فبلَغَت الغِرَارةُ إلى مائتين ، وقدِمَت طائفةٌ مِن التَّتَرِ العُوَيْراتِيَّةِ لما بلَغَهم سلطنةُ كَتْبُغَا إلى الشامِ ؛ لأنه منهم ، فتَلَقَّاهم الجيشُ بالرُّحْبِ والسَّعَةِ ، ثم سافَروا إلى الديارِ المصريةِ مع الأميرِ قَرَاسُنْقُرَ المنصورىِّ .

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٩٣ - ٣٠٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/٣٣، وكنز الدرر ٨/٣٦٢ - ٣٦٦، وتذكرة النبيه ١/١٨٤ - ١٩٢، وعقد الجمان ٣/٢٩٩ - ٣٢٢.

(٢) فى م : « برهان » .

وجاء الخبرُ باشْتِدادِ الغَلاءِ والفَناءِ بمصرَ، حتى قيل: إنه بِيعَ الفَرُّوجُ [١٠/١١٣ظ] بالإسْكَنْدَريةِ بستةٍ وثلاثين درهمًا، وبالقاهرةِ بتسعةَ عشَرَ، والبَيْضُ كلُّ ثلاثةٍ بدرهمٍ، وأُفْنِيَت الحُمُرُ والخيلُ والبِغالُ والكلابُ مِن أَكْلِ الناسِ لها، ولم يَبْقَ شيءٌ مِن هذه الحيواناتِ يَلُوحُ إلا أكَلُوه.

وفى يومِ السبتِ الثانى عشَرَ مِن جُمادَى الأولى ولِى قَضاءَ القُضاةِ بمصرَ الشيخُ العَلَّامةُ تَقيُّ الدينِ بنُ دَقِيقِ العِيدِ عِوَضًا عن تَقِيِّ الدينِ ابنِ بنتِ الأعَزِّ، ثم وقَع الرُّخْصُ بالديارِ المصريةِ، وزال الضُّرُّ والجُوعُ فى جُمادَى الآخِرةِ، وللَّهِ الحمدُ.

وفى يومِ الأربعاءِ ثانى شهرِ رجبٍ درَّس القاضى إمامُ الدينِ بالقَيْمُريةِ عِوَضًا عن صدرِ الدينِ بنِ رَزِينٍ الذى تُوُفِّى.

قال البِرْزالىُّ: وفيها وقَعَت صاعقةٌ على قُبَّةِ زَمْزمَ، فقتَلَت الشيخَ علىَّ بنَ محمدِ بنِ عبدِ السلامِ مؤذنَ المسجدِ الحرامِ، كان يُؤَذِّنُ على سَطْحِ القُبَّةِ المذكورةِ، وكان قد روَى شيئًا مِن الحديثِ.

وفيها قدِمَت امرأةُ الملكِ الظاهرِ أمُّ سَلَامُش مِن بلادِ الأشكرىِّ إلى دمشقَ فى أواخِرِ رمضانَ، فبعَث إليها نائبُ البلدِ بالهَدايا والتُّحَفِ، ورَتَّب لها الرَّواتبَ والإقاماتِ، وكان قد نفاهم خَليلُ بنُ المَنْصورِ لما وَلِى السَّلْطنةَ.

قال ابنُ الجَزَرىِّ: وفى رجبٍ درَّس كَمالُ الدينِ بنُ القَلَانِسىِّ (١) بالظاهريةِ البرّانيةِ (١) عِوَضًا عن جَلالِ الدينِ القَزْوينىِّ.

وفى يومِ الأربعاءِ سابعَ عشَرَ شعبانَ درَّس الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ شيخُ الإسلامِ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر الدارس ١/ ٣٤٥.

تَقِيُّ الدينِ بنُ تَيْمِيةَ الحَرَّانيُّ بالمدرسةِ الحَنْبليةِ عِوَضًا عن الشيخِ زَيْنِ الدينِ بنِ المُنَجَّا ، تُوُفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ ، ونزَل ابنُ تَيْمية عن حلقةِ العمادِ بنِ المُنَجَّا لشمسِ الدينِ بنِ الفخرِ البَعْلَبَكِّيِّ .

وفى أواخرِ شوالٍ ناب القاضى جَمالُ الدينِ الزُّرَعيُّ الذى كان حاكمًا بزُرْعَ - وهو سليمانُ بنُ عمرَ بنِ سالمٍ الأَذْرَعيُّ - عن ابنِ جَماعةَ بدمشقَ ، فشُكِرَت سِيرتُه .

وفيها خرَج السلطانُ كَتْبُغا مِن مصرَ قاصدًا الشامَ فى أواخرِ شوالٍ ، ولما جاء البريدُ بذلك ضَرَبَت البَشائرُ بالقلعةِ ، ونزَلوا بالقلعةِ ؛ السلطانُ ونائبُه لاجين ووزيرُه ابنُ الخَليليِّ .

وفى يومِ الأحدِ سادسَ عشَرَ ذى القَعْدةِ(*) وَلِى قَضاءَ الحَنابلةِ الشيخُ تَقَيُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ المقدسيُّ عِوَضًا عن شرفِ الدينِ ، مات رحِمه اللَّهُ ، وخُلِع عليه وعلى بقيةِ الحكامِ وأربابِ الولاياتِ الكِبارِ وأكابرِ الأمراءِ ، ووَلِى نجمُ الدينِ بنُ أبى الطَّيِّبِ وِكالةَ بيتِ المالِ عوضًا عن ابنِ الشِّيرازيِّ ، وخلِع عليه مع الجماعةِ . ورُسِم على الأعْسَرِ وجماعةٍ مِن أصحابِه وخلقٍ مِن الكَتَبةِ والوُلاةِ ، وصُودرُوا بمالٍ كثيرٍ ، واحْتِيط على أموالِهم وحَواصلِهم ، وعلى بيتِ ابنِ السَّلْعوسِ وابنِ عَدْنانَ وخلقٍ ، وجرَت خَبْطةٌ عظيمةٌ . وقدِم ابنا الشيخِ عليٍّ الحَرِيريِّ ؛ حسنٌ وشِيثٌ(1) مِن بُسْرَ لزيارةِ السلطانِ ، فحصَل لهما منه رِفْدٌ

(*) من هنا يبدأ القسم الثانى من الجزء الرابع من النسخة المصرية التى يرمز لها بـ (ص) .

(1) فى الأصل : « سبت » ، وفى ص : « شبيب » ، وستأتى ترجمته فى صفحة ٦٩٩.

وإسْعافٌ ، وعادا إلى بلدِهما[1] . وضيَّفَت القلندريةُ[2] السلطانَ بسفحِ جبلِ المزَّةِ[3] ، فأعْطاهم نحوًا مِن عشَرةِ آلافٍ . وقدِم صاحبُ حَماةَ إلى خدمةِ السلطانِ ، ولعِب معه الكرةَ بالمَيْدانِ . واشْتَكَت الأشْرافُ مِن نَقيبِهم زينِ الدينِ ابنِ عَدْنانَ ، فرفَع الصاحبُ يدَه عنهم ، وجعَل أمرَهم إلى القاضى الشافعىِّ . [١٠/ ١١٤و] فلما كان يومُ الجمعةِ الثامِن[4] والعشرين مِن ذى القَعْدةِ صلَّى السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغا بمَقْصورةِ الخَطابةِ ، وعن يمينِه صاحبُ حَماةَ ، وتحتَه بدرُ الدينِ أمير سلاحٍ ، وعن يسارِه أولادُ الحَرِيرىِّ حسنٌ وأخواه ، وتحتَهم نائبُ المملكةِ حُسامُ الدينِ لاجِين ، وإلى جانبِه نائبُ الشامِ عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ ، وتحتَه بدرُ الدينِ بَيْسَرِى ، وتحتَه قَرَاسُنْقُر ، وإلى جانبِه الحاجُّ بَهادُر ، وخلفَهم أُمراءُ كبارٌ ، وخلَع على الخطيبِ بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ خِلْعةً سَنِيةً ، ولما قُضِيَت الصلاةُ سلَّم على السلطانِ ، وزار السلطانُ المصحفَ العُثمانىَّ ، ثم أصْبَح يومَ السبتِ ، فلعِب الكرةَ بالمَيْدانِ على العادةِ .

وفى يومِ الاثنينِ ثانى ذى الحِجَّةِ عُزِل الأميرُ عزُّ الدينِ الحَمَوىُّ عن النيابةِ ، وعاتَبه السلطانُ عِتابًا كثيرًا على أشياءَ صَدَرَت منه ، ثم عفا عنه ، وأمَره بالمَسيرِ معه إلى مصرَ ، واسْتَناب بالشامِ الأميرَ سيفَ الدينِ غرلو[5] العادلىَّ ، وخلَع على

---

(١) بعده فى ص : « بحوران » .

(٢) القلندرية : طائفة تنتمى إلى الصوفية ، نشأت بإيران وامتد أثرها إلى الشام ومصر منذ زمن الأيوبيين ، فكان أربابها من الأعاجم على أنهم لم يتقيدوا بآداب المجالسات ولم يحفلوا بالصوم والصلاة والتزموا ألا يدخروا شيئا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا ، وزعموا أنهم قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى ولم يتطلعوا إلى طلب مزيد ويعتبرون طيب القلب رأس مالهم . نهاية الأرب ٣١/ ٣٠٨ حاشية (٣)

(٣) فى ص : « قاسيون » .

(٤) فى الأصل ، م : « الثانى » . وانظر عقد الجمان ٣/ ٣١٠.

(٥) فى نهاية الأرب ٣١/ ٣٠٦، وعقد الجمان ٣/ ٣١٠: «أغرلوا» . وانظر تذكرة النبيه ١/ ١٨٥.

المُوَلَّى وعلى المَعْزولِ أيضًا ، وحضَر السلطانُ دارَ العدلِ ، وحضَر عندَه الوزيرُ والقُضاةُ والأمراءُ ، وكان عادلًا كما سُمِّىَ .

(١) وفيه تولَّى الوِزارَةَ شهابُ الدينِ الحنفىُّ عوضًا عن التَّقِىِّ ابن البَيِّعِ التَّكريتىِّ ، ووَلِى تقىُّ الدينِ بنُ شهابِ الدينِ الحِسْبَةَ عوضًا عن أبيه وخلَع عليهما (١) .

ثم سافَر السلطانُ فى ثانى عشَرَ ذى الحِجَّةِ واجْتاز على جُوسِيَةَ (٢) ، ثم أقام بالبَرِّيَّةِ أيامًا ، ثم عاد فنزَل حمصَ ، وجاء إليه نُوابُ البلادِ . وجلَس الأميرُ سيفُ الدينِ غرلو بدارِ العدلِ ، فحكَم وعدَل ، وكان محمودَ السِّيرةِ ، سَديدَ الحكمِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ زيـنُ الدينِ بنُ مُنَجَّا : هو الإمامُ العالمُ العَلَّامةُ مُفْتِى المسلمين الصدرُ الكاملُ زَيْـنُ الدينِ أبو البركاتِ (٣) المُنَجَّا بنُ الصدرِ عزِّ الدينِ أبى عمرٍو (٤) عثمانَ بنِ أسْعَدَ بنِ المُنَجَّا بنِ بركاتِ بنِ المُؤَمَّلِ التَّنوخىُّ ، شيخُ الحَنابلةِ وعالمُهم ، وُلِد سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ وتفَقَّه ، فبرَع فى فُنونٍ كثيرةٍ مِن الأصولِ والفروعِ والعربيةِ والتَّفْسيرِ وغيرِ ذلك ، وانْتَهَت إليه رِياسةُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى الأصل ، م : « حرستا » . وفى ص : « حرسته » . والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ٣٠٨، المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣٣، وعقد الجمان ٣/ ٣١٠. وجُوسِيَة : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير . معجم البلدان ٢/ ١٥٤.

(٣) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وانظر مصادر ترجمته ؛ تذكرة النبيه ١/ ١٩٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٢، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٣، والدليل الشافى ٢/ ٧٤٣، والدارس ٢/ ٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٣.

(٤) فى م ، ص : « عمر » .

المذهبِ ، وصنَّف فى الأصولِ ، وشرَح « المُقْنِعَ » ، وله تَعالِيقُ فى التَّفسيرِ ، وكان قد جُمِع له بينَ حُسْنِ الشكلِ والسَّمْتِ والدِّيانةِ والعلمِ والوَجاهةِ وصحَّةِ الذهنِ والعقيدةِ والمُناظَرةِ وكثرةِ الصدقةِ ، ولم يَزَلْ يُواظِبُ الجامعَ للاشْتغالِ مُتَبَرِّعًا حتى تُوُفِّى فى يومِ الخميسِ رابع شعبانَ ، وتُوُفِّيَت معه زوجتُه أمُّ محمدٍ ستُّ البهاءِ بنتُ صدرِ الدينِ الخُجَنْدىِّ ، وصُلِّى عليهما بعدَ الجمعةِ بجامعِ دمشقَ ، وحُمِلا جميعًا إلى سفحِ قاسِيونَ شمالىِّ الجامعِ المُظَفَّرىِّ تحتَ الرَّوْضةِ ، فدُفِنا فى تربةٍ واحدةٍ ، رحِمَهما اللَّهُ تعالى . وهو والدُ قاضى القُضاةِ عَلاءِ الدينِ ، وكان شيخَ المسماريةِ ، ثم ولِيَها بعدَه ولداه شرفُ الدينِ وعَلاءُ الدينِ ، وكان شيخَ الحَنْبليةِ ، فدرَّس بها بعدَه الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ تيميّةَ ، كما ذكَرْنا فى الحوادثِ .

المَسْعودىُّ صاحبُ الحَمَّامِ بالمِزَّةِ : هو الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ لُؤْلُؤُ بنُ عبدِ اللَّهِ المسعودىُّ[1] ، أحدُ كبارِ الأمراءِ المشهورين بخدمةِ الملوكِ ، تُوُفِّى ببستانِه بالمِـزَّةِ يومَ السبتِ سابع عشرين من شعبانَ ، ودُفِن صبحَ يومِ الأحدِ بتربتِه بالـمِزَّةِ ، وحضَر نائبُ السلطنةِ جِنازتَه ، وعُمِل عَزاؤُه تحتَ النَّسْرِ بجامعِ دمشقَ ، [١٠/١١٤ظ] رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الخالدىُّ : الشيخُ الصالحُ إسرائيلُ بنُ علىِّ بنِ حسينٍ الخالدىُّ[2] ، له زاويةٌ خارجَ بابِ السَّلامةِ ، يُقْصَدُ فيها للزيارةِ ، وكان مُشْتَمِلًا على عِبادةٍ وزَهادةٍ ، لا يَقُومُ لأحدٍ مِن الناسِ ، ولو كان مَن كان ، وعندَه سُكونٌ ومعرفةٌ ، لا يَخْرُجُ مِن منزلِه إلا للجمعةِ ، حتى كانت وفاتُه فى النصفِ من رمضانَ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) عقد الجمان ٣/ ٣٣٧، والدليل الشافى ٢/ ٥٦٨.

(٢) عقد الجمان ٣/ ٣٢٣، والمنهل الصافى ٢/ ٣٦٧، والدليل الشافى ١/ ١١٨.

الشرفُ حسنٌ[1] **المَقْدِسيُّ** : هو قاضى القُضاةِ شرفُ الدينِ أبو الفضل الحسنُ بنُ الشيخِ الإمامِ الخطيبِ شرفِ الدينِ أبى بكرٍ عبدِ اللَّهِ بنِ الشيخِ أبى عمرَ المقدسيُّ ، سمِع الحديثَ وتفَقَّه ، وبرَع فى الفُروعِ والنحوِ واللغةِ ، وفيه أدبٌ وحسنُ مُحاضَرةٍ ، مَلِيحُ الشكلِ ، تولَّى القَضاءَ بعدَ نجمِ الدينِ بنِ الشيخِ شمسِ الدينِ فى أواخِرِ سنةِ تِسعٍ[2] وثمانين ، ودرَّس بدارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بالسفحِ ، وكانت وفاتُه ليلةَ الخميسِ الثانى والعشرين مِن شوالٍ ، وقد قارَب الستين ، ودُفِن مِن الغدِ بمقبرةِ جدِّه بالسفحِ ، وحضَر نائبُ السلطنةِ والقُضاةُ والأعْيانُ جِنازتَه ، وعُمِل مِن الغدِ عَزاؤُه بالجامعِ المُظَفَّرىِّ ، وباشَر القَضاءَ بعدَه تَقىُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ ، وكذا مَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بالسفحِ ، وقد ولِيها شهابُ الدينِ العابرُ[3] الحنبلىُّ النابُلُسىُّ مدةَ شهورٍ ، ثم صُرِف عنها ، واسْتَقَرَّت بيد قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ المقدسىِّ .

الشيخُ الصالحُ الإمامُ العالمُ البارِعُ الناسكُ أبو محمدٍ بنُ أبى حمزةَ[4] **المَغربىُّ المالكىُّ** ، تُوُفِّى بالديارِ المصريةِ فى ذى القَعْدةِ ، وكان قَوَّالًا بالحَقِّ ، أمَّارًا بالمعروفِ نَهَّاءً عن المنكرِ ، رحِمه اللَّهُ .

الصاحبُ مُحْيِى الدينِ بنُ النَّحَّاسِ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ بدرِ الدينِ

---

(١) فى الأصل ، م : « حسين » . وانظر مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ١٢/ ٩٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٨٩، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٤، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٤، والدليل الشافى ١/ ٢٦٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٠، والدارس ١/ ٥١.

(٢) فى النسخ : « سبع » . والمثبت من عقد الجمان . وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٢٥.

(٣) سقط من : ص . وانظر مصدرى ترجمته ؛ عقد الجمان ٣/٣٢٤ - وفيه : « جمره » - وبدائع الزهور ١/٣٩٠ (القسم الأول) .

(٤) فى م ، ص : « الغابر » . وستأتى ترجمته فى صفحة ٧٠٧.

يعقوبَ بنِ إبراهيمَ بنِ (١هِبَةِ اللَّهِ١) بنِ طارقِ بنِ سالمِ بنِ النَّحَّاسِ الأسَدىُّ الـحَلَبىُّ الحَنفىُّ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ بحلبَ، واشْتَغل وبرَع وسمِع الحديثَ، وأقام بدمشقَ مدةً، ودرَّس بها بمدارسَ كبارٍ؛ منها الظاهريةُ والزنجاريةُ[٢]، وولى القضاءَ بحلبَ، والوِزارةَ بدمشقَ، ونظَرَ الخزانةِ، ونظَرَ الدواوينِ والأوْقافِ، ولم يَزَلْ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا مَعْروفًا بالفَضيلةِ والإنْصافِ فى المُناظَرةِ، مُحِبًّا للحديثِ وأهلِه على طريقةِ السلفِ، وكان يُحِبُّ الشيخَ عبدَ القادرِ وطائفتَه وطريقتَه، وكانت وفاتُه بِبُسْتانِه بالمِزَّةِ عشيةَ الاثنينِ سَلْخَ ذى الحِجَّةِ، وقد جاوَز الثمانين، ودُفِن يومَ الثلاثاءِ مُسْتَهَلَّ المُحَرَّمِ سنةَ ستٍّ وتسعين بمَقْبَرةٍ له بالمِزَّةِ، وحضَر جِنازتَه نائبُ السَّلْطنةِ والقُضاةُ.

قاضى القُضاةِ تَقىُّ الدينِ، أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ أبى محمدٍ عبدِ الوَهَّابِ ابنِ بنتِ القاضى الأعَزِّ أبى القاسمِ خلَفِ بنِ بدرٍ، العَلائىُّ الشافعىُّ[٣]، تُوُفِّى فى جُمادَى الأولى، ودُفِن بالقَرافةِ بتربتِهم، رحِمه اللَّهُ تعالى.

(١ - ١) فى النسخ: «عبد اللَّه». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الوافى بالوفيات ٥/ ٢٢٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٠، والجواهر المضية ٣/ ٤٠١، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٥، والدليل الشافى ٢/ ٧١٢، والدارس ١/ ٥٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٢.

(٢) فى م: «الزنجانيه».

(٣) فوات الوفيات ٢/ ٢٧٩، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٧٢، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٢، وعقد الجمان ٣/ ٣٢٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٨٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣١.

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وتسعين وستمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ العادلُ زَيْنُ الدين كَتْبُغا وهو فى نواحى حِمْصَ يَتَصَيَّدُ ، ومعه نائبُ الديارِ المصريةِ حسامُ الدينِ لاجين السِّلَحْدارىُّ المنصوريُّ ، وأكابرُ الأمراءِ ، ونائبُ الشامِ بدمشقَ الأميرُ سيفُ الدينِ غرلو العادلىُّ ، [2]وقضاةُ الشامِ هم المذكورون فى التى قبلَها غيرَ الحنبلىِّ فإنه تقىُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ ، والوزيرُ شهابُ الدين الحنفىُّ وابنُه المحتسبُ وخطيبُ البلدِ قاضى القضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ الشافعىُّ[2] ، فلما كان يومُ الأربعاءِ [١٠/١١٥و] ثانى المحرمِ دخَل السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغا ضُحىً إلى دمشقَ من نواحى حِمْصَ ، وصلَّى الجمعةَ بالمقصورةِ ، وزار قبرَ هُودٍ ، وصلَّى عندَه ، وأخَذ مِن الناسِ قُصَصَهم بيدِه ، وجلَس بدارِ العدلِ يومَ السبتِ ، ووقَّع على القُصَصِ هو ووزيرُه فخرُ الدينِ الخَليلىُّ .

وفى هذا الشهرِ حضَر شِهابُ الدينِ ابنُ مُحْيى الدينِ بنِ النَّحَّاسِ فى مدرسَتَىْ أبيه[3] ؛ الريحانيةِ[4] والظاهريةِ ، وحضَر الناسُ عندَه ، ثم حضَر السلطانُ دارَ العدلِ يومَ الثلاثاءِ ، وجاء إلى صلاةِ الجمعةِ ، فصلَّى بالمقصورةِ ثم صعِد فى

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣١١ - ٣٢٧، وكنز الدرر ٣٦٦ - ٣٦٩ ، وتذكرة النبيه ١/١٩٣ - ٢٠١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى ص : « ابنه » .

(٤) فى الأصل : « الزنجانية » .

هذا اليومِ إلى مَغارةِ الدمِ وزارها، ودعا[1] هنالك، وتصَدَّق بجملةٍ مِن المالِ، وحضَر الوزيرُ فخرُ الدينِ بنُ الخَليليِّ ليلةَ الأحدِ ثالثَ عشَرَ المحرمِ إلى الجامعِ بعدَ العشاءِ، فجلَس عندَ شُبَّاكِ الكامليةِ، وقرَأ القُرّاءُ بينَ يديه، ورسَم بأن يُكَمَّلَ داخلُ الجامعِ بالفُرُشِ، ففعَلوا ذلك، واسْتَمَرَّ ذلك نحوًا مِن شهرين، ثم عاد إلى ما كان عليه.

وفى صَبيحةِ هذا اليومِ درَّس القاضى شمسُ الدينِ بنُ الحَريرىِّ بالقَيْمازيةِ عوضًا عن ابنِ النَّحَّاسِ باتفاقٍ منهم، وحضَر عندَه جَماعةٌ، ثم صلَّى السلطانُ الجمعةَ بالمقصورةِ، ومعه وزيرُه ابنُ الخَليليِّ، وهو ضعيفٌ مِن مرضٍ أصابه، وفى سابعَ [2]عشَرَ المحرمِ[2] أُمِر للملكِ الكاملِ بنِ الملكِ السعيدِ بنِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ بطبلخانةٍ ولُبْسِ الشَّرَبُوشِ، ودخَل القلعةَ، وضُرِبت الكُوساتُ على بابِه، وخرَج السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغا بالعساكرِ المنصورةِ مِن دمشقَ بُكْرةَ يومِ الثلاثاءِ [3]ثانى عشرين[4] المحرمِ، وخرَج بعدَه الوزيرُ[3]، فاجْتاز بدارِ الحديثِ، وزار الأثرَ النبوىَّ، وخرَج إليه الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ، وشافَهه بتدريسِ الناصريةِ، وترَك زَيْنُ الدينِ تَدْريسَ الشاميةِ البَرّانيةِ، فوليها القاضى كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشىِّ، وذُكِر أن الوزيرَ أعْطَى الشيخَ [5]زينَ الدينِ[5] شيئًا مِن حُطامِ الدنيا فقبِله، وكذلك أعْطَى خادمَ الأثَرِ [6]وهو المَعِينُ[6] خَطَّابٌ. وخرَج الأعْيانُ والقضاةُ مع الوزيرِ لتَوْديعِه. ووقَع فى هذا اليومِ مطرٌ جيدٌ اسْتَشْفَى الناسُ به،

---

(١) فى الأصل: «عاد».
(٢ - ٢) فى ص: «عاشر».
(٣ - ٣) سقط من: ص.
(٤) فى الأصل: «عشر».
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.
(٦ - ٦) فى ص: «والعين».

وغسَل آثارَ العَساكرِ مِن الأوْساخِ وغيرِها ، وعاد التَّقىُّ تَوْبةُ مِن تَوْديعِ الوزيرِ ، وقد فوَّض إليه نظرَ الخزانةِ ، وعزَل عنها شِهابَ الدينِ بنَ النَّحَّاسِ ، ودرَّس الشيخُ زَيْنُ[1] الدينِ بالناصريةِ الجَوَّانيةِ عوضًا عن القاضى بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ فى يومِ الأربعاءِ آخرِ يومٍ مِن المحرمِ .

وفى هذا اليومِ تحَدَّث الناسُ فيما بينَهم بوُقوعِ تَخْبيطٍ بينَ العسكرِ وخُلْفٍ وتَشْويشٍ ، فغُلِّق بابُ القلعةِ الذى يَلى المدينةَ ، ودخَل الصاحبُ شِهابُ الدينِ إليها مِن بابِ الخَوْخَةِ ، وتهَيَّأ النائبُ والأمراءُ ، وركِب طائفةٌ مِن الجيشِ على بابِ النصرِ وُقوفًا هنالك ، فلما كان وقتُ العصرِ وصَل السلطانُ الملكُ العادلُ كَتْبُغَا إلى القلعةِ فى خمسةِ أنْفُسٍ أو ستةٍ مِن مَماليكِه ، فدخَل القلعةَ ، فجاء إليه الأمراءُ ، وأَحضَر ابنَ جَماعةَ وحسامَ الدينِ الحَنفىَّ ، وتجدَّد تحليفُ الأمراءِ ثانيةً فحلَفوا له ، وخلَع عليهم ، وأمَر بالاحْتِياطِ على نُوَّابِ الأميرِ حُسامِ الدينِ لاجين وحَواصِلِه ، وأقام العادلُ بالقلعةِ هذه الأيامَ ، وكان الخُلْفُ الذى وقَع بينَهم بوادى فَحْمَةَ[2] يومَ الاثنينِ الثامنِ[3] والعشرين مِن المحرمِ ، وذلك أن الأميرَ حُسامَ الدينِ لاجِين كان قد واطَأ جَماعةً مِن الأمراءِ فى الباطنِ على العادلِ ، وتوَثَّق منهم ، وأشار على العادلِ حينَ [١٠/١١٥ظ] خرَجوا مِن دمشقَ أن يَسْتَصْحِبَ معه الخزانةَ ؛ وذلك لئلا يَبْقَى بدمشقَ شىءٌ مِن المالِ يَتَقَوَّى به العادلُ إن فاتهم ورجَع إلى دمشقَ ، ويَكونُ قوةً له هو فى الطريقِ على ما عزَم عليه مِن الغدرِ ، فلما كانوا

---

(١) فى الأصل ، م : « ناصر » . وانظر الدارس ١/٤٦١ .
(٢) فحمة : مركز من مراكز البريد بين قاقون وجينين . انظر صبح الأعشى ١٤/٣٧٩ .
(٣) فى م : « التاسع » . وانظر النجوم الزاهرة ٨/ ٦٣.

بالمكانِ المذكورِ قتَل لاجينُ الأميرَ سيفَ الدينِ بَتْخاص وبَكْتُوت الأزْرقَ العادليَّيْن، وأخَذ الخزانةَ من بينِ يديه والعَسْكرَ، وقصَد الديارَ المصريةَ، فلما سمِع العادلُ بذلك خرَج من الدِّهْلِيزِ، وساق جَريدةً إلى دمشقَ، فدخَلَها كما ذكَرْنا، وتراجَع بعضُ مَماليكِه كزَيْنِ الدينِ غلبك وغيرِه، ولزِم شِهابُ الدينِ الحنفيُّ القلعةَ لتدبيرِ المملكةِ، ودرَّس كمالُ الدين بنُ الشَّرِيشيِّ بالشاميةِ البَرَّانيةِ بُكْرةَ يومِ الخميسِ مُسْتَهَلِّ صفرٍ، وتقَلَّبَت أمورٌ كثيرةٌ فى هذه الأيامِ، ولزِم السلطانُ القلعةَ لا يَخْرُجُ منها، وأطْلَق كثيرًا مِن المُكوسِ، وكتَب بذلك تَواقِيعَ، وقُرِئَت على الناسِ، وغلا السعرُ جدًّا، فبلَغَت الغِرَارةُ مائتين، واشْتَدَّ الحالُ وتَفاقَم الأمْرُ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

سَلْطنةُ الملكِ المنصورِ لاجين السّلَحْدارِ[1]

وذلك أنه لما اسْتاق الخزانةَ، وذهَب بالجيوشِ إلى الديارِ المصريةِ دخَلها فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ، وقد اتَّفَق معه جُمهورُ الأمراءِ الكِبارِ، وبايَعوه وملَّكوه عليهم، وجلَس على سَريرِ الملكِ يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ، ودقَّت بمصرَ البَشائرُ، وزُيِّنَت البلدُ، وخُطِب له على المَنابرِ وبالقدسِ والخَليلِ، ولُقِّب بالملكِ المنصورِ، وكذلك بالكَرَكِ ونابُلُسَ وصَفَدَ، وذهَبَت إليه طائفةٌ مِن أمراءِ دمشقَ، وقدِمَت الجريدةُ[2] مِن جهةِ الرَّحْبةِ صُحْبةَ الأميرِ سيفِ الدينِ كُجْكُن، فلم يَدْخُلوا البلدَ بل نزَلوا

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣١٣ - ٣١٦، والسلوك ١/٨٢٠ - ٨٢٧ (القسم الثالث)، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٤، وعقد الجمان ٣/ ٣٤٥.

(٢) فى الأصل، م: «التجريدة».

بمَيْدانِ الحصى[1] ، وأظْهَروا [2]مُخالَفةَ العادلِ وطاعةَ[2] المنصورِ لاجِين بمصرَ ، وركِب إليه الأُمراءُ طائفةً بعدَ طائفةٍ ، وفَوْجًا بعدَ فَوْجٍ ، فضعُف أمرُ العادلِ جدًّا . فلما رأَى انْحِلالَ أمْرِه قال للأمراءِ : هو خُشْداشِى ، وأنا وهو شىءٌ واحدٌ ، وأنا له سامعٌ مُطيعٌ ، وأنا أَجْلِسُ فى أىِّ مَكانٍ مِن القلعةِ أراد ، حتى تُكاتِبوه وتَنْظُروا ما يقولُ . وجاءت البَريديةُ بالمُكاتَباتِ بأمرِ الاحْتِياطِ على القلعةِ وعلى الملك العادلِ ، وبقِى الناسُ فى هَرْجٍ وأقوالٍ مختلفةٍ ، وأبوابُ القلعةِ مُغَلَّقةٌ ، وأبوابُ المدينةِ سوى بابِ النصرِ إلا الخَوْخةَ ، والعامَّةُ حولَ القلعةِ قد ازْدَحموا حتى سقَطَ طائفةٌ منهم فى الخَنْدَقِ ، فمات بعضُهم ، وأمْسَى الناسُ عَشيةَ السبتِ وقد أُعْلِن باسمِ الملكِ المنصورِ لاجِين ، ودقَّت البَشائرُ بذلك بعدَ العصرِ ، ودعا له المُؤَذِّنون فى سَحَرِ ليلةِ الأحدِ بجامعِ دمشقَ ، وتلَوْا قولَه تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

وأصْبَح الناسُ يومَ الأحدِ ، فاجْتَمَع القُضاةُ والأُمراءُ ، وفيهم غرلو العادلىُّ بدارِ السَّعادةِ ، فحلَفوا للمنصورِ لاجين ، ونُودِى بذلك فى البلدِ ، وأن يَفْتَحَ الناسُ دَكاكينَهم ، واخْتَفَى الصاحبُ شِهابُ الدينِ وأخوه زَيْنُ الدينِ المُحْتَسِبُ ، فعمِل الوالى ابنُ النشابىِّ[3] حِسْبةَ البلدِ ، ثم ظهَر زَيْنُ الدينِ ، فباشَرها على عادتِه . وكذلك ظهرَ أخوه شِهابُ الدينِ ، وسافَر الأميرُ سيفُ الدين غرلو وسيفُ الدينِ جاغان إلى الديارِ المصريةِ يُعْلِمان السلطانَ بوُقوعِ التَّحْليفِ على ما رسَم به ،

---

(١) فى م ، ص : « الحصن » .

(٢ - ٢) فى ص : « مملكة » .

(٣) فى عقد الجمان : « الشهابى » .

وجاء كتابُ السلطانِ أنه جلَس على السَّريرِ يومَ الجمعةِ عاشرَ صفرٍ ، وشقَّ القاهرةَ فى سادسَ عشَرَه فى أُبَّهةِ المُلْكِ وعليه الخِلْعةُ الخَليفيةُ ، [١٠/١١٦و] والأمراءُ بينَ يديه مُشاةً ، وأنه قد اسْتَناب بالديارِ المصريةِ الأميرَ شمسَ[1] الدينِ قراسُنْقُرَ المَنْصوريَّ ، وخُطِب للمنصورِ لاجين بدمشقَ أولَ يومٍ من رَبيعِ الأولِ ، وحضَر المَقْصورةَ القُضاةُ وشمسُ الدينِ الأعْسَرُ وكُجْكُن ، وأسَنْدَمُر[2] وجَماعةٌ مِن أمراءِ دمشقَ ، وتوَجَّه القاضى إمامُ الدينِ القَزْوينىُّ وحُسامُ الدينِ الحنفىُّ وجَمالُ الدينِ المالكىُّ إلى الديارِ المصريةِ مَطْلوبين ، وقدِم الأميرُ حُسامُ الدينِ أستاذدارِ السلطانِ ، وسيفُ الدينِ جاغان مِن جهةِ السلطانِ ، فحُلِّف الأمراءُ ثانيةً ، ودخَلوا على العادلِ إلى القلعةِ ، ومعهم القاضى بدرُ الدينِ ابنُ جَماعةَ وكُجْكُن ، فحلَّفوه أيمانًا مُؤَكَّدةً بعدَ ما طال بينَهم الكلامُ بالتُّركىِّ ، وذكَر فى حَلِفِه أنه راضٍ بما يُعَيِّنُه له مِن البُلْدانِ أىَّ بلدٍ كان ، فوقَع التَعْيينُ بعدَ اليمينِ على قلعةِ صَرْخَدَ ، وجاءَت المَراسِيمُ بالوِزارةِ لتَقىِّ الدينِ تَوْبةَ ، وعَزْلِ شِهابِ الدينِ الحنفىِّ ، وبالحِسْبةِ لأمينِ الدينِ يوسُفَ الأَرْمَنىِّ الرومىِّ صاحبِ شمسِ الدينِ الأيكىِّ ، عوضًا عن زينِ الدينِ الحنفىِّ ، [3]أخى شهابِ الدينِ الذى كان وزيرًا[3] ودخَل الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجق المنصورىُّ على نيابةِ الشامِ إلى دمشقَ بُكْرةَ السبتِ السادسَ عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ[4] ، ونزَل دارَ السَّعادةِ عوضًا عن غرلو العادلىِّ ، وقد خرَج الجيشُ بكَمالِه لتَلَقِّيه ، وحضَر يومَ الجمعةِ إلى المقصورةِ ، فصلَّى بها ، وقُرِئ بعدَ الجمعةِ

---

(١) فى الأصل ، م : « سيف » .

(٢) فى م ، ص : « استدمر » ، وفى عقد الجمان : « أزدمر » ، وانظر النجوم الزاهرة ٨/ ٦٢.

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤) فى ص : « الآخر » .

كتابُ السلطانِ بإبطالِ الضَّماناتِ مِن الأوْقافِ والأمْلاكِ بغيرِ رِضَا أصحابِها ، قرَأه القاضى مُحْيى الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ صاحبُ دِيوانِ الإنشاءِ ، ونُودِى فى البلدِ : مَن له مَظْلِمةٌ فلْيَأْتِ يومَ الثلاثاءِ إلى دارِ العدلِ . وخلَع على الأمراءِ والمُقَدَّمِين وأربابِ المَناصبِ مِن القُضاةِ والكَتَبةِ وغيرِهم ، وخلَع على ابنِ جَماعةَ خِلْعَتَيْن ؛ واحدةً للقَضاءِ والأخرى للخَطابةِ .

ولما كان فى شهرِ جُمادَى الآخِرةِ وصَل البريدُ فأخْبَر بتوليةِ القاضى إمامِ الدينِ القَزْوينىِّ قَضاءَ القضاةِ بالشامِ عوضًا عن بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ ، وإبْقاءِ ابنِ جَماعةَ على الخَطابةِ ، وأضيف إليه تَدْريسُ القَيْمُريةِ التى كانت بيدِ إمامِ الدينِ ، وجاء كتابُ السلطانِ بذلك ، وفيه احْتِرامٌ وإكْرامٌ له ، فدرَّس بالقَيْمُريةِ يومَ الخميسِ ثانى رجبٍ ، ودخَل إمامُ الدينِ إلى دمشقَ عَقيبَ صلاةِ الظهرِ يومَ الأربعاءِ الثامنَ مِن رجبٍ ، فجلَس بالعادليةِ ، وحكَم بينَ الخصومِ وامْتَدَحه الشُّعراءُ بقَصائدَ ، منها قَصيدةٌ لبعضِهم[1] يقولُ فى أولِها :

تبَدَّلَتِ الأيامُ مِن عُسْرِها يُسْرَا فأضْحَتْ ثُغورُ الشامِ تَفْتَرُّ بالبُشْرَى

وكان حالَ دُخولِه عليه خِلْعةُ السلطانِ ، ومعه القاضى جَمالُ الدينِ الزَّواوىُّ قاضى قُضاةِ المالكيةِ وعليه خِلْعةٌ أيضًا ، وقد شكَر سِيرةَ إمامِ الدينِ فى السفرِ ، وذكَر مِن حُسْنِ أخلاقِه ورِياضتِه ما هو حسنٌ جميلٌ ، ودرَّس بالعادليةِ بُكْرةَ الأربعاءِ منتصفِ رجبٍ ، وأشْهَد عليه بعدَ الدرسِ بتوليةِ أخيه جَلالِ الدينِ نِيابةَ

---

(١) يعنى كمال الدين بن الزملكانى . انظر نهاية الأرب ٣٢٣/٣١ ، ٣٢٤ .

الحكمِ ، وجلَس فى الإيوانِ[1] الصغيرِ وحكَم ، وألبسه أخوه خلعةً وجاء الناسُ يُهَنِّئُونه ، وقُرِئ تَقْليدُه يومَ الجمعةِ بالشُّبَّاكِ الكَماليِّ بعدَ الصلاةِ بحَضْرةِ نائبِ السلطنةِ وبقيةِ القُضاةِ ، قرَأه شرفُ الدينِ الفَزاريُّ .

وفى شعبانَ وصَل الخبرُ بأن شمسَ الدينِ الأعْسَرَ تولَّى بالديارِ المصريةِ شدَّ الدواوينِ والوِزارةَ ، وباشَر المَنْصبَيْن جميعًا ، وباشَر نظرَ الدَّواوينِ بدمشقَ فخرُ الدينِ بنُ الشِّيرَجيِّ عوضًا عن [2]نجمِ[3] الدينِ بنِ صَصْرَى ، ثم عُزِل بعدَ قليلٍ بشهرٍ أو أقلَّ بأمينِ الدينِ[2] بنِ هلالٍ ، وأُعِيدَت الشاميةُ البَرَّانيةُ إلى الشيخِ زَيْنِ الدينِ الفارقيِّ مع الناصريةِ بسببِ غَيْبةِ كمالِ الدينِ بنِ الشَّريشيِّ بالقاهرةِ [١٠/ ١١٦ظ] [4]ودرَّس فيها فى شهرِ رمضانَ يومَ اثنين بعدَ العصْرِ[4] .

وفى الرابعَ عشَرَ مِن ذى القَعْدةِ مُسِك الأميرُ شمسُ الدينِ قَرَاسُنْقُر المنصوريُّ نائبُ الديارِ المصريةِ للاجينَ هو وجماعةٌ مِن الأمراءِ معه ، واحْتِيط على حَواصلِهم وأمْوالِهم بمصرَ والشامِ ، وولَّى السلطانُ نيابةَ مصرَ الأميرَ سيفَ الدينِ مَنْكُوتَمُر الحُساميَّ ، وهؤلاء الأمراءُ الذين مسَكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وبايَعوه على العادلِ كَتْبُغا ، وقدِم الشيخُ كَمالُ الدينِ بنُ الشَّريشِيِّ من الديارِ المصريةِ ومعه تَوْقيعٌ بتَدْريسِ الناصريةِ عوضًا عن الشاميةِ البَرَّانيةِ [4]ودرَّس فيها يومَ السبتِ يومَ عرفةَ[4] ، وأُمْسِك الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُر الأعْسَرُ وزيرُ مصرَ وشادُّ الدَّواوينِ يومَ السبتِ الثالثَ والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، واحْتِيط على أموالِه وحَواصلِه بمصرَ والشامِ أيضًا ، ونُودِى بمصرَ فى ذى الحِجَّةِ أن لا يَرْكَبَ أحدٌ مِن أهلِ الذِّمَّةِ فرسًا

---

(١) فى م : « الديوان » .

(٢ - ٢) فى ص : « أمين الدين » .

(٣) فى الأصل ، م : « زين » ، وفى ص : « أمين » . والمثبت من النجوم الزاهرة ٨/ ١٢٣ ، والدارس ١/ ٣٦٥.

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

ولا بغلًا ، ومَن وُجِد منهم راكبًا ذلك أُخِذ منه .

وفيها ملَك اليمنَ السلطانُ الملكُ المُؤَيَّدُ هِزَبْرُ الدينِ داودُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ المُتَقَدِّمِ ذكرُه فى التى قبلَها .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

قاضى قضاةِ الحَنابلةِ بمصرَ عزُّ الدينِ عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ [1]عمرَ بنِ[1] عِوَضٍ المَقْدسىُّ الحَنْبلىُّ[2] ، سمِع الحديثَ ، وبرَع فى المذهبِ ، وحكَم بالديارِ المصريةِ ، وكان مَشْكورًا فى سِيرتِه وحُكْمِه ، تُوُفِّى فى صفرٍ ، ودُفِن بالمُقَطَّمِ ، وتوَلَّى بعدَه شرفُ الدينِ عبدُ الغَنىِّ بنُ يحيى بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نصرٍ الحَرَّانىُّ بديارِ مصرَ .

الشيخُ الإمامُ الحافظُ القُدْوةُ ، عَفِيفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ السلامِ بنُ محمدِ بنِ مَزْروعِ بنِ أحمدَ بنِ عَزَّازٍ المصرىُّ الحنبلىُّ[3] ، تُوُفِّى بالمدينةِ النبويةِ فى أواخِرِ صفرٍ ، وُلِد سنةَ خمسٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وسمِع[4] الكثيرَ ، وجاوَر بالمدينةِ النبويةِ خمسين سنةً ، وحجَّ فيها أربعين حَجَّةً مُتَواليةً ، وصُلِّى عليه بدمشقَ صلاةَ الغائبِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ شِيثُ[5] **بنُ الشيخِ علىٍّ الحَرِيرىُّ** ، تُوُفِّى بقريةِ بُسْرَ مِن حَوْرانَ يومَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٥، والسلوك ١/ ٨٣٠ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٣٦٩، والدليل الشافى ١/ ٤٩٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ١١١.

(٣) تذكرة النبيه ١/ ١٩٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٤، والسلوك ١/ ٨٣١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٥.

(٤) فى ص : « صنف » ، وبعده فى م : « الحديث » .

(٥) فى الأصل : « سبت » ، وفى ص : « شنبث » . ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

الجمعةِ ثالثَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ ، وتوَجَّه أخوه حسنٌ والفُقراءُ مِن دمشقَ إلى هناك لتَعْزيةِ أخيهم حسنِ الأكبرِ فيه .

الشيخُ الصالحُ المُقْرِىءُ جمالُ الدينِ عبدُ الواحدِ بنُ كَثيرِ بنِ[1] **ضِرغامِ المِصْرىُّ** ، ثم الدمشقىُّ ، نَقِيبُ السُّبْعِ الكبيرِ والغَزَّاليةِ ، كان قد قرأ على السخاوىِّ وسمِع الحديثَ ، توفى فى أواخرِ رجبٍ وصُلِّى عليه بالجامعِ الأُمَوىِّ ، ودُفِن بالقُربِ مِن قُبَّةِ الشيخِ رَسْلانَ .

واقفُ السامَرِّيَّةِ الصَّدْرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ ، أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ جعفرٍ البَغْدادىُّ السامَرِّىُّ[2] ، واقفُ السامَرِّيةِ التى إلى جانبِ الكَرَوَّسِيةِ بدمشقَ ، وكانت دارَه التى يَسْكُنُ بها ، ودُفِن بها ، ووقَفها دارَ حديثٍ وخانْقاه ، وكان قد انْتَقَل إلى دمشقَ ، وأقام بها بهذه الدارِ مدةً ، وكانت قديمًا تُعْرَفُ بدارِ ابنِ قوامٍ ، بناها مِن حجارةٍ مَنْحوتةٍ كلِّها ، وكان السامَرِّىُّ كثيرَ الأموالِ ، حسنَ الأخلاقِ ، مُعَظَّمًا عندَ الدولةِ ، جميلَ المُعاشَرةِ ، له أشْعارٌ رائقةٌ ومُبْتَكراتٌ فائقةٌ ، تُوُفِّى يومَ الاثنينِ ثامنَ عشَرَ شعبانَ[3] . وقد كان ببغدادَ له حُظْوةٌ عندَ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمىِّ ، وامْتَدَح المُسْتَعْصِمَ ، وخلَع عليه خِلْعةً سوداءَ سَنِيةً ، ثم قدِم دمشقَ فى أيامِ الناصرِ صاحبِ حلبَ ، فحظِى عندَه أيضًا ، فسعَى فيه أهلُ الدولةِ ، فصنَّف فيهم أُرْجوزةً فتَح عليهم بسببِها بابًا فصادَرهم الملكُ بعشرين ألفَ دينارٍ ، فعظَّموه جدًّا ، وتوَسَّلوا به [١٠/١١٧و] إلى أغراضِهم ، وله قَصيدةٌ فى مدحِ النبىِّ ﷺ ، وقد كتَب عنه الحافظُ الدِّمْياطىُّ شيئًا مِن شعرِه .

---

(١) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : عقد الجمان ٣/ ٣٦٩.

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٧، والوافى بالوفيات ٨/ ٦٦، وفوات الوفيات ١/ ١٣٤، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٩، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٠، والمنهل الصافى ٢/ ١٤٨.

(٣) بعده فى ص : « بداره وصلى عليه بالجامع الأموى ثم أعيد إلى داره فدفن بها رحمه تعالى » .

واقفُ النَّفِيسِيةِ التى بالرصيفِ : الرئيسُ نَفِيسُ الدينِ أبو الفِداءِ إسماعيلُ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ إسماعيلَ بنِ سَلَّامةَ[1] بنِ علىٍّ بنِ صَدَقةَ الحَرَّانىُّ، كان أحدَ [2]عُدولِ القسمةِ[2] بدمشقَ، وولِى نظرَ الأيْتامِ فى وقتٍ، وكان ذا ثَرْوةٍ مِن المالِ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وعشرين وستِّمائةٍ، وسمِع الحديثَ، ووقَف دارَه دارَ حديثٍ، تُوُفِّى يومَ السبتِ بعدَ الظهرِ الرابعِ مِن ذى القَعْدةِ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ بُكْرةَ يومِ الأحدِ بعدَ ما صُلِّى عليه بالأُمويِّ.

الشيخُ أبو الحسنِ المعروفُ بالشاروتِ[2] الدمشقىُّ، يُلَقَّبُ بنجمِ الدينِ، ترْجَمه الحَرِيرىُّ فأطْنَب، وذكَر له كَراماتٍ وأشْياءَ مِن علمِ الحروفِ وغيرِها. واللَّهُ أعلمُ بحالِه.

وفيها[3] قتَل قازانُ الأميرَ نورُوز الذى كان إسلامُه على يديه، كان نُورُوز هذا هو الذى اسْتَسْلَمه، ودعاه للإسلامِ، فأسْلَم وأسْلَم معه أكثرُ التَّتَرِ، فإن التَّتَرَ شوَّشوا خاطرَ قازان عليه، واسْتَمالوه منه وعنه، فلم يَزَلْ به حتى قتَله وقتَل جميعَ مَن يُنْسَبُ إليه، وكان نورُوز هذا مِن خِيارِ أمراءِ التَّتَرِ عندَ قازان، وكان ذا عِبادةٍ وصدقٍ فى إسلامِه وأذْكارِه وتطَوعاتِه، وقصدِه الجيدِ، رحِمه اللَّهُ وعفا عنه، ولقد أسْلَم على يديه منهم خلقٌ كثيرٌ لا يَعْلَمُهم إلا اللَّهُ، واتَّخَذوا السُّبَحَ والهَياكلَ، وحضَروا الجُمَعَ والجَماعاتِ، وقرَءُوا القرآنَ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى م: «سلام»، وفى ص: «سلامش». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ٩/ ٢١٢، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٢، والمنهل الصافى ٢/ ٤٢٨، والدارس ١/ ١١٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٥.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «شهود القيمة».

(٣) فى الأصل، م: «الساروب»، وفى ص: «الساروت». والمثبت من مصدر ترجمته: عقد الجمان ٣/ ٣٨٠.

(٤) انظر السلوك ١/ ٨٣٧، ٨٧٤ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٨/ ٧١.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ المنصورُ حسامُ الدينِ لاجينُ السِّلَحدارُ المنصوريُّ ، ونائبُه بمصرَ منكوتَمُر ، وبدمشقَ سيفُ الدين قَبْجَق[2] ، وقاضى الشافعيةِ إمامُ الدينِ القَزوينيُّ ، وقاضى الحنفيةِ حسامُ الدينِ الرازيُّ ، ثم وَلِى ابنُه جلالُ الدينِ مكانَه بدمشقَ فى عاشرِ صفرٍ ، وركِب بالخِلْعةِ والطَّرحةِ ، وهنَّأه الناسُ ، وكُتبِ فى الإسْجالاتِ قاضى القضاةِ . وقاضى المالكيةِ جمالُ الدينِ الزواويُّ ، وقاضى الحنابلةِ تقيُّ الدينِ سليمانُ بنُ حَمزةَ بنِ الشيخِ أبى عمرَ ، وخطيبُ البلدِ بَدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ ، وطُلب قاضى القضاةِ حسامُ الدينِ الرازيُّ إلى الديارِ المصريةِ ، فأقام عندَ السلطانِ لاجين ، وولَّاه قضاءَ القضاةِ الحنفيةِ بمصرَ عوضًا عن شمسِ الدينِ[3] السَّرُوجيِّ ، واسْتَقَرَّ ولدُه جلالُ الدينِ بالقضاءِ فى الشامِ بدمشقَ قاضىَ قُضاةِ الحَنَفيةِ ، ودرَّس بمدرستى أبيه الخاتونيةِ والمُقَدَّميةِ ، وترَك مدرسةَ القَصّاعِين والشِّبْليةِ .

وجاء الخبرُ على يدى البريدِ بعافيةِ السلطانِ مِن الوَقْعةِ التى كان وقَعها ، فدَقَّت البَشائرُ وزُيِّنَت البلدُ ، فإنه سقَط عن فرسِه وهو يَلْعَبُ بالكرةِ ، فكان كما

---

(١) نهاية الأرب ٣٢٩/٣١ - ٣٥٠، وكنز الدرر ٣٦٩/٨ - ٣٧٢، وتذكرة النبيه ٢٠٢/١ - ٢١١، وانظر عقد الجمان ٣٨٣/٣ - ٤٢٠.

(٢) فى ص : « قفجاق » .

(٣) بعده فى ص : « بن » .

قال الشاعرُ[1] :

حوَيتَ بَطْشًا وإحسانًا ومعرفةً وليس يَحْمِلُ هذا كلَّه الفرسُ

وجاء التَقْليدُ والخِلْعةُ لنائبِ السَّلْطنةِ ، فقُرِىء التَّقْليدُ ، وباس العَتَبةَ ، وكان يومًا مشهودًا .

وفى ربيعِ الأولِ[2] درَّس بالجَوْزيةِ عزُّ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ تَقىِّ الدينِ سليمانَ ، وحضَر عندَه إمامُ الدينِ الشافعىُّ وأخوه جَلالُ الدينِ وجَماعةٌ مِن الفُضلاءِ ، وبعدَ التَّدْريسِ جلَس وحكَم عن أبيه بإذنِه له فى ذلك .

وفى ربيعِ الأولِ[3] غضِب قاضى القُضاةِ تَقىُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العيدِ ، وترَك الحكمَ بمصرَ أيامًا ، ثم اسْتُرْضِى وعاد ، وشُرِط عليه أن لا يَسْتَنِيبَ ولدَه المُحِبَّ .

وفى يومِ الجمعةِ عاشرِ ربيعِ الآخِرِ[4] أُقِيمَت الجمعةُ بالمدرسةِ المُعَظَّمِيةِ ، وخطَب فيها مدرسُها القاضى شمسُ الدينِ بنُ العِزِّ الحَنَفىُّ . واشْتَهَر فى هذا الحينِ القَبْضُ على بدرِ الدينِ بَيْسَرِى بالديارِ المصريةِ ، واحْتِيط على أموالِه بديارِ مصرَ[5] . وأرْسَل السلطانُ بجرَيدةٍ صُحْبةَ عَلَمِ الدينِ الدَّوَادارىِّ إلى تَلِّ حَمْدونَ ، ففُتِحت بحمدِ اللَّهِ ومنِّه ، وجاء الخبرُ بذلك إلى دمشقَ فى الثانى عشرَ مِن

---

(١) كنز الدرر ٨/ ٣٧١.

(٢) انظر الدارس ٢/ ٣٧.

(٣) السلوك ١/ ٨٤٨، ٨٤٩ (القسم الثالث)، وعقدالجمان ٣/٣٨٤ - ٣٨٦.

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ٣٣٦، والسلوك ١/٨٣٦ (القسم الثالث)، والدارس ١/ ٥٨٦.

(٥) بعده فى ص : « والشام » .

رمضانَ [١٠/١١٧ظ] ، وضُرِبَت[١] به الخَليليةُ ، وأُذِّن بها الظهرُ ، وكان أخْذُها يومَ الأربعاءِ سابع رمضانَ ، ثم فُتِحَت مَرْعَشُ بعدَها ، فدَقَّت البَشائرُ ، ثم انْتَقَل الجيشُ إلى قلعةِ حموصَ[٢] ، فأُصِيب جماعةٌ مِن الجيشِ ، منهم الأميرُ عَلَمُ الدين سَنْجَرُ طُقْصُبا ، أصابه زَيَارٌ[٣] فى فخِذِه ، وأصاب الأميرَ عَلَمَ الدينِ الدَّوادارىَّ حَجَرٌ فى رجلِه .

ولما كان يومُ الجمعةِ سابعَ[٤] عشَرَ شوالٍ عمِل الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمية مِيعادًا فى الجهادِ ، وحرَّض فيه ، بالَغ فى أجورِ[٥] المُجاهِدِين ، وكان وقتًا مشهودًا وميعادًا جَليلًا .

وفى هذا الشهرِ[٦] عاد الملكُ المسعودُ نجمُ الدينِ خَضِرُ بنُ الظاهرِ ، مِن بلادِ الأشْكُرِىِّ إلى ديارِ مصرَ بعدَ أن مكَث هناك مِن زمنِ الأشرفِ بنِ المنصورِ ، وتلَقَّاه السلطانُ بالموكبِ ، وأكْرَمه وعظَّمه ، وحجَّ الأميرُ خَضِرُ بنُ الظاهرِ فى هذه السنةِ مع المصريين ، وكان فيهم الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ العَباسىُّ .

وفى شهرِ شوالٍ جلَس المُدَرِّسون بالمدرسةِ التى أنْشَأها نائبُ السَّلْطنةِ بمصرَ ، وهى المَنْكُوتَمُرية داخلَ بابِ القَنْطَرةِ .

---

(١) فى م : « خربت » .

(٢) فى دول الإسلام : « حميمص » . وانظر نهاية الأرب ٣١/٣٤٠ ، والسلوك ١/٨٤٠ (القسم الثالث) .

(٣) الزيار أو الزيارة : جمعه زيارات ، آلة حربية كالقوس الذى يرمى به البندق . السلوك ١/٥٣٦ (القسم الثانى) حاشية (٢) نقلا عن معجم DOZY . وانظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام .

(٤) فى الأصل ، ص : « ثامن » . وانظر الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) فى ص : « إمداد » .

(٦) نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٩، وكنز الدرر ٨/ ٣٧١، والسلوك ١/٨٣١ (القسم الثالث) .

وفيها[1] دَقَّت البَشائرُ لأجلِ أخْذِ قَلْعَتَىْ حُميْصَ ونُجَيْمَةَ مِن بلادِ سِيسَ .

وفيها وصَلَت الجَريدةُ[2] مِن بلادِ مصرَ قاصِدِين بلادَ سِيسَ مَدَدًا لأصحابِهم ، وهم نحوٌ مِن ثلاثةِ آلافِ مُقاتِلٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى منتصفِ ذى الحِجَّةِ[3] أُمْسِك الأميرُ عِزُّ الدينِ أيْبَكُ الحَمَوىُّ الذى كان نائبَ الشامِ هو وجمَاعةٌ مِن أهلِه وأصحابِه مِن الأمراءِ .

وفيها قلَّت المياهُ بدمشقَ جدًّا حتى بقِى ثَوْرًا فى بعضِ الأماكنِ لا يَصِلُ إلى رُكْبةِ الإنسانِ ، وأما بَرَدَى فإنه لم يَبْقَ فيه مُسْكةُ ماءٍ ، ولا يَصِلُ إلى جسرِ جِسْرينَ[4] ، وغلا سعرُ الثلجِ بالبلدِ ، وأما نِيلُ مصرَ فإنه كان فى غايةِ الزِّيادةِ والكَثْرةِ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ حسنُ بنُ الشيخِ علىٍّ الحَرِيرىُّ[5] ، تُوُفِّى فى ربيعِ الآخِرِ[6] بقريةِ بُسْرَ[7] ، وكان أكبرَ الطائفةِ ، وللناسِ إليه مَيْلٌ لحُسْنِ أخلاقِه وجَوْدةِ مُعاشَرتِه ، وُلِد سنةَ إحدى وعشرين وستّمائةٍ .

الصدرُ الكبيرُ شِهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى الرَّجاءِ بنِ أبى الزُّهْرِ التَّوخىُّ ، المعروفُ بابنِ السَّلْعوسِ[8] ، أخو الوزيرِ شمسِ الدينِ ، قرأ

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٠٠.

(٢) فى الأصل، ص: «التجريدة»، وانظر نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٧، وكنز الدرر ٨/ ٣٦٩، ودول الإسلام ٢/ ٢٠٠.

(٣) دول الإسلام ٢/ ٢٠٠.

(٤) جسرين: قرية من قرى غُوطة دمشق. معجم البلدان ٢/ ٨٢.

(٥) الوافى بالوفيات ١٢/ ١٦٢، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٧، وعقد الجمان ٣/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٨/ ١١٣.

(٦) فى الأصل، م: «الأول».

(٧) بسر: قرية من أعمال حوران من أراضى دمشق. معجم البلدان ١/ ٦٢١.

(٨) الوافى بالوفيات ٧/ ١٧٩، والمنهل الصافى ١/ ٣٨٧، والدليل الشافى ١/ ٥٩، والدرر الكامنة ١/ ٢١٢.

الحديثَ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان مِن خِيارِ عبادِ اللَّهِ ، كثيرَ الصدقةِ والبِرِّ ، تُوُفِّى بدارِه فى جُمادَى الأولى ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ ، وعُمِل عَزاؤُه بمسجدِ ابنِ هشامٍ ، وقد ولِى فى وقتٍ نَظَرَ الجامعِ ، وشُكِرت سِيرتُه ، وحصَل له وَجاهةٌ (١عظيمةٌ عَريضةٌ١) أيامَ وِزارةِ أخيه ، ثم عاد إلى ما كان عليه قبلَ ذلك حتى تُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وشهِد جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ مِن الناسِ .

الشيخُ شمسُ الدينِ الأيْكىُّ : محمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدٍ الفارسىُّ[٢] ، المَعْروفُ بالأيْكىِّ ، أحدُ الفُضَلاءِ الحلَّالِين للمُشْكلاتِ ، المُفَسِّرين[٣] المُعْضِلاتِ ، لاسيَّما فى علمِ الأصلَيْن و[٤]المَنْطِقِ وعلمِ الأوائلِ ، باشَر فى وقتٍ مَشْيَخةَ الشيوخِ بمصرَ ، وأقام مدرسَ الغَزَّاليةِ قبلَ ذلك[٥] ، تُوُفِّى بقريةِ المِزَّةِ يومَ جمعةٍ ، ودُفِن يومَ السبتِ (٦بعدَما صُلِّى عليه بجامعِ المِزَّةِ٦) ، ومشَى الناسُ فى جِنازتِه ، منهم قاضى القُضاةِ إمامُ الدينِ القَزْوينىُّ ، [١٠/١١٨و] وذلك فى الرابعِ مِن رمضانَ ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيةِ إلى جانبِ الشيخِ شَمْلَةَ ، وعُمِل عَزاؤُه بخانْقاه السُّمَيْساطِيَّةِ ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ ، وكان مُعَظَّمًا فى نفوسِ كثيرٍ مِن العلماءِ وغيرِهم .

الصدرُ ابنُ عُقْبةَ : إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ عُقْبةَ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عطاءٍ البُصْراوىُّ

(١ - ١) زيادة من : م ، ص .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١١٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ١٥٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٩، والسلوك ١/ ٨٥١ (القسم الثالث)، وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٩.

(٣) فى ص : «وميسرين»، وفى م : «الميسرين».

(٤) سقط من : الأصل.

(٥) بعده فى ص : «وبعده».

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، م.

الحنفيُّ[1] ، درَّس وأعاد ، وولِى فى وقتٍ قَضاءَ حلبَ ، ثم سافَر قبلَ وفاتِه إلى مصرَ ، فجاء بتَوْقيعٍ فيه قَضاءُ حلبَ ، فلما اجْتاز بدمشقَ تُوُفِّى بها فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وله سبعٌ وثمانون سنةً .

« يَشِيبُ المَرْءُ ويَشِبُّ معه خَصْلتانِ ؛ الحِرْصُ ، وطُولُ الأملِ »[2] .

الشَّهابُ العابرُ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ نِعْمةَ المَقْدسيُّ الحنبليُّ[3] ، الشيخُ شِهابُ الدينِ عابرُ الرُّؤْيا ، سمِع الكثيرَ ، وروَى الحديثَ ، وكان عَجَبًا فى تَفْسيرِ المَناماتِ ، وله فيه اليدُ الطُّولَى ، وله تَصْنيفٌ فيه ، ليس كالذى يُؤْثَرُ عنه مِن الغَرائبِ والعَجائِبِ ، وُلِدِ سنةَ ثمانٍ وعشرين وستّمائةٍ ، وتُوُفِّى فى ذى القَعْدةِ مِن هذه السنةِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٥/ ٣١١، والجواهر المضية ١/ ٦٧، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٥، وعقد الجمان ٣/ ٤١٥، والمنهل الصافى ١/ ٣١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٨.

(٢) ورد بلفظ « يهرم ابن آدم ...» فى صحيح مسلم (١٠٤٧) ، والترمذى (٢٣٣٩) ، وابن ماجة (٤٢٣٤) كلهم من حديث أنس ، وانظر كشف كشف الخفا (٣٢٥٤) .

(٣) الوافى بالوفيات ٧/ ٤٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٠، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٦، والسلوك ١/ ٨٥٠ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٤١٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٧.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

[2]اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ، وسلطانُ البلادِ المنصورُ لاجِين، ونائبُه بمصرَ مملوكُه سيفُ الدينِ مَنْكوتَمُر، وقاضى الشافعيةِ الشيخُ تَقىُّ الدينِ بنُ دَقيقِ العيدِ، والحَنَفىُّ [3]حُسامُ الدينِ الرازىُّ، والمالكىُّ والحنبلىُّ كما تقَدَّم، ونائبُ الشامِ[3] سيفُ الدينِ قَبْجَق[4] المَنْصورىُّ، وقُضاةُ الشامِ هم المَذْكورون فى التى قبلَها، والوزيرُ تَقىُّ الدينِ تَوْبةُ، والخطيبُ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ[2].

ولما كان فى أثناءِ المُحَرَّمِ رَجَعَت طائفةٌ مِن الجيشِ مِن بلادِ سِيسَ بسببِ المرضِ الذى أصاب بعضَهم، فجاء كتابُ السلطانِ بالعَتْبِ الأَكيدِ والوَعيدِ الشديدِ لهم، وأن الجيشَ يَخْرُجُ جميعُه صُحْبةَ نائبِ السَّلْطنةِ قَبْجَق إلى هناك، ونصَب مَشانِقَ لمَن تأَخَّر بعُذْرٍ أو غيرِه، فخرَج نائبُ السَّلْطنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق[4]، وصُحْبتُه الجيوشُ، وخرَج أهلُ البلدِ للفُرْجةِ على الأَطْلابِ على ما جرَت به العادةُ، فبرَز نائبُ السَّلْطنةِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ وتجمُّلٍ هائلٍ، فدعَت له العامَّةُ، وكانوا يُحِبُّونه، واسْتَمَرَّ الجيشُ سائرِين قاصِدِين بلادَ سِيسَ، فلما وصَلوا إلى حمصَ بلَغ الأميرَ سيفَ الدينِ قَبْجَق وجَماعةً مِن الأمراءِ معه أن السلطانَ مُتَقَلِّبُ الخاطِرِ عليهم بسببِ سَعْيِ مَنْكُوتَمُر فيهم، وعلِموا أن السلطانَ لا يُخالِفُه لمحَبَّتِه

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٥١ - ٣٨١، وكنز الدرر ٨/٣٠٠ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/٢١٢ - ٢١٩ وانظر العبر ٥/ ٣٨٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) فى ص: « قفجق ».

له ، فاتَّفَق جَماعةٌ منهم على الدخولِ إلى بلادِ التَّتارِ والنَّجاةِ بأنفسِهم ، فساقوا مِن حمصَ فيمَن أطاعهم ، وهم قَبْجَق وبزلى[1] وبَكْتَمُر السِّلَحْدارُ أَلْبَكِّى[2] ، واسْتَمَروا ذاهبِين ، فرجَع كثيرٌ مِن الجيشِ إلى دمشقَ ، وتخَبَّطَت الأمورُ ، وتأَسَّفت العوامُّ على قَبْجَق لحسنِ سِيرتِه فيهم ، وذلك فى ربيعِ الآخِرِ مِن هذه السنةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

ذكرُ مَقْتَلِ المنصورِ لاجين وعَوْدِ المُلْكِ إلى الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون

لما كان يومُ السبتِ التاسعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ وصلَ جَماعةٌ مِن البَريديةِ ، وأخْبَروا بمَقْتَلِ السلطانِ الملكِ المنصورِ لاجِين ونائبِه سيفِ الدينِ مَنْكُوتَمُر ، وأن ذلك كان ليلةَ الجمعةِ حادى عشَرَه ، على يدِ الأميرِ سيفِ الدينِ كُرْجِى الأَشْرفىِّ ومَن وافَقه ، وذلك بحُضورِ القاضى حُسامِ الدينِ الحنفىِّ وهو جالسٌ فى خدمتِه يَتَحَدَّثان ، وقيل : كانا يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج . فلم يَشْعُرا إلا وقد دخَل عليهما ، فبادَروا إلى السلطانِ [١٠/١١٨ظ] بسرعةٍ جَهْرةً ليلةَ الجمعةِ ، فقتَلوه وقُتِل نائبُه صَبْرًا صَبِيحةَ يومِ الجمعةِ ، وأُلْقِى على مَزْبَلةٍ ، واتَّفَق الأمراءُ على إعادةِ ابنِ أُسْتاذِهم الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، فأرْسَلوا وراءَه ، وكان بالكَرَكِ ، ونادَوْا له بالقاهرةِ ، وخُطِب له على المَنابرِ قبلَ قُدومِه ، وجاءت الكتبُ إلى نائبِ الشامِ سيفِ الدينِ قَبْجَق ، فوجَدوه قد فرَّ خوفًا مِن غائلةِ لاجين ، فسارت البَرِيديةُ

---

(١) فى ص : « برلاز » .

(٢) فى الأصل ، ص : « الأيكى » ، وفى م : « الأيلى » . والمثبت من مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ٩/ ٣٥٢، والمقفى الكبير ٢/ ٢٧٥، والمنهل الصافى ٣/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٤.

وراءَه ، فلم يُدْرِكوه إلا وقد لحِق بالمَغُولِ عندَ رأسِ العَيْنِ ، مِن أعمالِ ماردِينَ ، وتفارَط الحالُ ، ولا قوةَ إلا باللَّهِ .

وكان الذى شمَّر العَزْمَ وراءَهم ، وساق ليَرُدَّهم الأميرُ سيفُ الدينِ بَلَبَان ، وقام بأعْباءِ البلدِ نائبُ القلعةِ عَلَمُ الدينِ أَرْجُواش والأميرُ سيفُ الدينِ جاغان ، واحْتاطوا على كلِّ مَنْ كان له اخْتِصاصٌ بتلك الدولةِ ، فكان منهم جَمالُ الدينِ يوسُفُ الرُّوميُّ مُحْتَسِبُ البلدِ وناظرُ المارَسْتانِ ، ثم أُطْلِق بعدَ مدةٍ ، وأُعِيد إلى وَظائفِه ، واحْتِيط أيضًا على سيفِ الدينِ جاغان وحسامِ الدينِ لاجِين والى البرِّ ، وأُدْخِلا القلعةَ ، وقُتِل بمصرَ الأميران[1] سيفُ الدينِ طُغْجِى - وكان قد ناب عن الناصرِ أربعةَ أيامٍ - وكُرْجِى الذى تولَّى قتْلَ لاجِين ، فقُتِلا وأُلْقِيا على المَزابلِ ، وجعَل الناسُ مِن العامَّةِ وغيرِهم يَتَأَمَّلُون صُورةَ طُغْجِى ، وكان جَميلَ الصورةِ جدًّا ، [2]ثم بعدَ الدَّلالِ والمالِ والملكِ وارَتهم هناك قبورٌ[2] ، فدفِن السلطانُ لاجِين ، وعندَ رجليه نائبُه ومملوكُه سيفُ الدينِ مَنْكوتَمُر ، ودُفِن الباقون فى مَضاجعِهم هنالك .

وجاءَت البَشائرُ بدُخولِ الملكِ السلطانِ الناصرِ إلى مصرَ يومَ السبتِ رابع جُمادَى الأولى ، وكان يومًا مشهودًا ، وضَربَت البَشائرُ ، ودخَل القُضاةُ وأكابِرُ الدولةِ إلى القلعةِ ، وبُويع بحَضْرةِ عَلَمِ الدينِ أَرْجُواش ، وخُطِب له على المَنابرِ بدمشقَ وغيرِها بحَضْرةِ أكابرِ العلماءِ والقُضاةِ والأمراءِ ، ثم جاء الخبرُ بأنه قد ركِب وشقَّ القاهرةَ ، وعليه خِلْعةُ الخليفةِ ، والجيشُ معه مُشاةً [3]بينَ يديه ، وكان يومًا مشهودًا[3] ، وضرَبَت البشائرُ أيضًا . وجاءت مَراسِيمُه ، فقُرِئَت على السُّدَّةِ ،

---

(١) فى م ، ص : « الأمير » .

(٢ - ٢) هذا كلام مأخوذ من قول الشاعر عدى بن زيد العِبادى :

ثـم بعـد الفـلاح والملك والإمّـة وارتهـم هنـاك القبـور

والفلاح : البقاء . والإمة : النعمة . أمالى ابن الشجرى ١/١٣٧، ١٥٥ .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

وفيها الرِّفْقُ بالرَّعايا والأمْرُ بالإحْسانِ إليهم ، فدعَوْا له ، وقدِم الأميرُ جمالُ الدينِ آقوش الأفْرَمُ نائبًا على دمشقَ ، فدخَلَها يومَ الأرْبعاءِ قبلَ العصرِ ثانى عشرين من جُمادَى الأولى ، فنزَل بدارِ السَّعادةِ على العادةِ ، وفرِح الناسُ بقُدومِه ، وأشْعَلُوا له الشُّموعَ ، وكذلك يومَ الجمعةِ أشْعَلوا له لما جاء إلى صلاةِ الجمعةِ بالمقصورةِ ، وبعدَ أيامٍ أُفْرِج عن جاغان ولاجِين والى البرِّ مِن القلعةِ ، وعادا إلى ما كانا عليه ، واسْتَقَرَّ الأميرُ حُسامُ الدينِ الأُسْتادارُ أتابِكًا للعَساكرِ المصريةِ ، والأميرُ سيفُ الدينِ سَلَّار نائبًا بمصرَ ، وأُخْرِج الأعْسَرُ فى رمضانَ مِن الحَبْسِ ، ووَلِى الوِزارةَ بمصرَ ، وأُخْرِج قَرَاسُنْقُر المنصوريُّ مِن الحبسِ أيضًا ، وأُعْطِى نِيابةَ الصُّبَيْبةِ ، ثم لما مات صاحبُ حَماةَ الملكُ المُظَفَّرُ نُقِل قَرَاسُنْقُر إليها .

وكان قد وقَع فى أواخِرِ دولةِ لاجين بعدَ خُروجِ قَبْجَق مِن البلدِ مِحْنةٌ للشيخِ تقيِّ الدينِ ابنِ تَيْميةَ ؛ قام عليه جَماعةٌ مِن الفُقهاءِ ، وأرادوا إحْضارَه إلى مجلسِ القاضى جَلالِ الدينِ الحنفيِّ ، فلم يَحْضُرْ ، فنُودِى فى البلدِ فى العَقيدةِ التى كان قد سأَله عنها [١١٩/١٠و] أهلُ حَماةَ المُسَمَّاةِ « بالحَمويةِ » ، فانْتَصَر له الأميرُ سيفُ الدينِ جاغان ، وأرْسَل يَطْلُبُ الذين قاموا عليه[1] ، فاخْتَفَى كثيرٌ منهم ، وضُرِب جَماعةٌ ممَّن نادَى على العَقيدةِ ، فسكَت الباقون ، فلما كان يومُ الجمعةِ عمِل الشيخُ تَقيُّ الدينِ الميعادَ بالجامعِ على عادتِه ، وفسَّر فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، ثم اجْتَمَع بالقاضى إمامِ الدينِ [2]القَزْوينىِّ صَبيحةَ[2] يومِ السبتِ ، واجْتَمَع عندَه جَماعةٌ مِن الفُضَلاءِ ، وبحَثوا فى « الحَمويةِ » وناقَشوه

---

(١) فى م : « عنده » .

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

فى أماكنَ منها ، فأجاب عنها بما أسْكَتَهم بعدَ كلامٍ كثيرٍ ، ثم قام الشيخُ تَقىُّ الدينِ ، وقد تَمَهَّدَت الأُمورُ ، وسكَنَت الأحْوالُ ، وكان القاضى إمامُ الدينِ مُعْتَقَدُه حسنٌ ومَقْصِدُه صالحٌ .

وفيها وقَف عَلَمُ الدينِ سَنْجَر الدَّوَادار رِواقَه داخلَ بابِ الفرجِ مدرسةً ودارَ حديثٍ ، وولَّى مَشْيَخَتَه الشيخَ علاءَ الدينِ بنَ العطَّارِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ ، وعمِل لهم ضِيافةً ، (١وأفْرِج عن قَرَاسُنْقُر١) .

وفى يومِ السبتِ حادى عشَرَ شوالٍ فُتِح مَشْهَدُ عثمانَ الذى جدَّده ناصرُ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ ناظرُ الجامعِ ، وأضاف إليه مَقْصورةَ الخُدَّامِ مِن شَماليِّه ، وجعَل له إمامًا راتبًا ، وحاكَى به مشهدَ علىِّ بنِ الحسينِ زَيْنِ العابدِين .

وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذى الحِجَّةِ عاد القاضى حُسامُ الدينِ الرازىُّ الحنفىُّ[٢] إلى قَضاءِ الشامِ ، وعُزِل عن قَضاءِ مصرَ ، وعُزِل ولدُه عن قَضاءِ الشامِ . وكثُرَت الأراجِيفُ فى ذى الحِجَّةِ بقَصْدِ التتارِ بلادَ الشامِ ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

وممَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ نِظامُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ جَمالِ الدينِ محمودِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ السلامِ الحَصِيرىُّ[٣] الحنفىُّ ، مدرسُ النُّوريةِ ، تُوفِّى ثامنَ المحرمِ ، ودُفِن فى تاسعِه يومَ الجمعةِ فى مَقابرِ الصُّوفيةِ ، كان مُفْتِيًا فاضلًا ، ناب فى الحكمِ فى وقتٍ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى النسخ : « الحصرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٥/ ٣٨٧، والوافى بالوفيات ٨/ ١٦٥، والجواهر المضية ١/ ٣٢٥، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٣، والمنهل الصافى ٢/ ٢١٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤١.

ودرَّس بالنُّوريــةِ بعدَ أبيه ، ودرَّس بعدَه بها الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ الصدرِ سليمانَ [1] فى يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ المحرمِ [1] .

ابنُ النَّقِيبِ المُفَسِّرُ ، الشيخُ الإمامُ العالمُ الزاهدُ جَمالُ الدينِ [2] أبو عبدِ اللَّهِ [2] محمدُ بنُ سليمانَ بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ البَلْخىُّ ، ثم المقدسىُّ الحنفىُّ ، وُلِدِ فى النصفِ مِن شعبانَ سنةَ إحدى عشْرةَ وستِّمائةٍ بالقدسِ ، واشْتَغل بالقاهرةِ ، وأقام مدةً بالجامعِ الأزْهَرِ ، ودرَّس فى بعضِ المدارسِ هناك ، ثم انْتَقَل إلى القدسِ ، فاسْتَوْطَنه إلى أن مات فى المحرمِ منها ، وكان شيخًا فاضلًا فى التَّفْسيرِ ، وله فيه مُصَنَّفٌ حافلٌ كبيرٌ ، جمَع فيه خمسين مُصَنَّفًا مِن التَّفاسيرِ ، وكان الناسُ يَقْصِدون زيارتَه بالقدسِ الشريفِ ، ويَتَبَرَّكون به .

الشيخُ أبو يعقوبَ الـمَغْرِبىُّ المُقِيمُ بالقدسِ [3] ، كان الناسُ يَجْتَمِعون به وهو مُنْقَطِعٌ بالمسجدِ الأقْصَى ، وكان الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميةَ يقولُ فيه : هو على طريقةِ ابنِ عَرَبى وابنِ سَبْعِين . تُوُفِّى فى المحرمِ مِن هذه السنةِ .

التَّقِىُّ تَوْبَةُ الوزيرُ [4] ، [1] الصاحبُ الكبيرُ الصدرُ الوزيرُ [1] تَقىُّ الدينِ تَوْبةُ بنُ علىِّ بنِ مُهاجِرِ بنِ شُجاعِ بنِ تَوْبةَ الرَّبَعىُّ التَّكْرِيتىُّ ، وُلِد سنةَ عشرين وستِّمائةٍ يومَ

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « عبد اللَّه بن » . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٨٩، والوافى بالوفيات ٣/ ١٣٦، والجواهر المضية ٣/ ١٦٥، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٥، والسلوك ١/ ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٤، وطبقات المفسرين للداودى ٢/ ١٤٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٢.

(٣) عقد الجمان ٣/ ٤٧٤.

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ٣٨٠، والعبر ٥/ ٣٨٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٣٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٧، والمقفى الكبير ٢/ ٦٢٢، والسلوك ١/ ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٥، والمنهل الصافى ٤/ ١٧٩.

عَرفةَ بعرَفةَ ، وتنَقل فى الخَدَمِ إلى أن صار وزيرًا بدمشقَ مراتٍ عديدةً ، حتى تُوُفِّى ليلةَ الخميسِ ثانى جُمادَى الآخِرةِ ، وصُلِّى عليه غُدْوةً بالجامعِ وسوقِ الخيلِ ، ودُفِن بتربتِه تُجاهَ دارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بالسَّفْحِ ، وحضَر جِنازتَه القُضاةُ والأعْيانُ ، رحِمه اللَّهُ ، وباشَر بعدَه نَظَرَ الدَّواوينِ فخرُ الدينِ بنُ الشَّيْرَجىِّ ، [١٠/١١٩ظ] وأخَذ أمينُ الدينِ بنُ الهِلالِ نظَرَ الخزانةِ .

الأميرُ الكبيرُ شمسُ الدينِ بَيْسَرِى[(١)] ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ المُقَدَّمِين فى خدمةِ الملوكِ مِن زمنِ قَلاوُون وهَلُمَّ جَرًّا ، تُوُفِّى فى السِّجْنِ بقلعةِ مصرَ[(٢)] ، وعُمِل له عَزاءٌ بالجامعِ الأُمَوىِّ ، وحضَره نائبُ السَّلْطنةِ الأفْرمُ والقُضاةُ والأعْيانُ .

السلطانُ الملكُ المُظَفَّرُ تَقىُّ الدينِ محمودُ بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ تَقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنشاه بنِ أيوبَ[(٣)] ، صاحبُ حَماةَ ، وابنُ مُلوكِها كابرًا عن كابِرٍ ، تُوُفِّى يومَ الخميسِ الحادى والعشرين مِن ذى القَعْدةِ ، ودُفِن ليلةَ الجمعةِ .

الملكُ الأوْحَدُ نجمُ الدينِ يوسُفُ بنُ الملكِ الناصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ[(٤)] ، ناظرُ القدسِ الشريفِ ، تُوُفِّى به ليلةَ الثلاثاءِ [(٥)]الرابع مِن ذى الحِجَّةِ[(٥)] ودُفِن برِباطِه عندَ

---

(١) نهاية الأرب ٣١/ ٣٧٧، والعبر ٥/ ٣٨٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٤، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٤، والمقفى الكبير ٢/ ٥٧٦، والسلوك ١/ ٨٨٠ (القسم الثالث)، والمنهل الصافى ٣/ ٥٠٠.

(٢) فى ص: «القاهرة».

(٣) نهاية الأرب ٣١/ ٣٧٩، والعبر ٥/ ٣٨٩، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٤، والسلوك ١/ ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٥، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٢.

(٤) نهاية الأرب ٣١/ ٣٧٩، والعبر ٥/ ٣٩٠، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٨، والسلوك ١/ ٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/ ٤٨٣، والأنس الجليل ٢/ ٢٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٣.

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «رابع ذى القعدة».

بابِ حِطة[1] عن سبعين سنةً ، وحضَر جنازتَه خلقٌ كثيرٌ ، وكان مِن خِيارِ أبناءِ الملوكِ دِينًا وفَضيلةً وإحْسانًا إلى الضُّعفاءِ ، رحِمه اللَّهُ .

القاضى شِهابُ الدينِ يوسُفُ بنُ [2]الصاحبِ مُحْيِى[2] الدينِ بنِ النَّحَّاسِ ، أحدُ رُؤساءِ الحَنَفيةِ ، ومُدَرِّسُ الرَّيْحانيةِ[3] والظاهريةِ ، [4]وقد ولِى نظرَ الخِزانةِ ونظرَ الجامعِ فى وقتٍ ، وكان صدرًا كبيرًا كافيًا[4] ، تُوُفِّى ببُسْتانِه بالمِزَّةِ ثالثَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، ودرَّس بعدَه بالرَّيْحانيةِ[3] القاضى جلالُ الدينِ بنُ حُسامِ الدينِ .

الصدرُ الكبيرُ الرئيسُ الصاحبُ أمينُ[5] الدينِ أبو الغَنائِمِ ، سالمُ بنُ محمدِ ابنِ سالمِ [6]بنِ الحسنِ[6] بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ مَحْفوظِ بنِ صَصْرَى التَّغْلِبِىُّ ، كان أسنَّ[7] مِن أخيه القاضى نجمِ الدينِ بنِ صَصْرَى ، وقد سمِع الحديثَ وأسْمَعَه ، وكان صدْرًا مُعَظَّمًا ، ولِى نظرَ الدَّواوِينِ ونظرَ الخِزانةِ ، ثم ترَك المَناصِبَ وحج وجاوَر بمكةَ ، ثم قدِم دمشقَ ، فأقام بها دونَ السنةِ ومات ، تُوُفِّى يومَ الجمعةِ الثامن والعشرين مِن ذى الحِجَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الجمعةِ بالجامعِ ، ودُفِن بتُرْبتِهم بسفحِ قاسِيونَ ، وعُمِل عَزاؤُه بالصاحبيةِ .

---

(١) فى ص : « خطه » . وانظر مسالك الأبصار ١/ ١١٦، والأنس الجليل ٢/ ٢٧١.

(٢ - ٢) فى م : « الصالح محب » وانظر ترجمته فى الجواهر المضية ٣/ ٦٣٩، والسلوك ١/ ٨٨٢ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٤، والدليل الشافى ٢/ ٨٠٦.

(٣) فى الأصل ، م : « الزنجابية » . وانظر الدارس ١/ ٥٢٥.

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥) فى الأصل : « نصير » ، وفى م : « نصر » . وانظر مصادر ترجمته : الوافى بالوفيات ١٥/ ٩٠، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٦، والمنهل الصافى ٥/ ٣٨٠، والسلوك ١/ ٨٨٢ (القسم الثالث) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى الأصل ، م : « أحسن » ، وبعده فى م : « حالًا » .

ياقوتُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أبو الدُّرِّ المُسْتَعْصِمىُّ الكاتبُ[1] ، لَقَبُه جَمالُ الدينِ ، وأصلُه رُومىٌّ ، كان فاضلًا ، مَليحَ الخَطِّ ، مَشْهورًا بذلك ، كتَب خِتَمًا حِسانًا ، وكتَب الناسُ عليه ببغدادَ ، وتُوُفِّى بها فى هذه السنةِ ، وله شعرٌ رائقٌ ، فمنه ما أوْرَده البِرْزالىُّ فى « تاريخِه » عنه :

تُجَدِّدُ الشمسُ شَوْقى كلما طَلَعَتْ ... إلى مُحَيَّاك يا سَمْعى ويا بَصَرِى
وأَسْهَرُ الليلَ فى أُنْسٍ بلا وَنَسٍ ... إذ طِيبُ ذِكْراك فى ظُلْماتِه يَسْرِى
وكلُّ يومٍ مضَى لا أراك به ... فلستُ مُحْتَسِبًا ماضيه مِن عُمُرِى
ليلى نَهارٌ إذا ما دُرْت فى خَلَدى ... لأن ذِكْرَك نورُ القلبِ والبصرِ

---

(١) العبر ٥/ ٣٩٠، وتذكرة النبيه ١/ ٢١٩، وعقد الجمان ٣/ ٤٧٩، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٣.

ثم دَخلت سنةُ تسعٍ وتسعين وستّمائةٍ[1]

وفيها كانت وَقْعةُ قازان ، وذلك أن هذه السنةَ اسْتَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الشاميةِ والمصريةِ وما يَتْبَعُها من الممالكِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون ، ونائبُ مصرَ سَلَّار ، وبالشامِ جمالُ الدينِ آقوش الأفْرَمُ ، والقضاةُ بالدِّيارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ هم المَذْكُورون فى التى قبلَها ، وقد تَواتَرَت الأخْبارُ بقصدِ التَّترِ إلى بلادِ الشامِ ، وقد خاف الناسُ مِن ذلك خوفًا شديدًا ، وجفَل الناسُ مِن بلادِ حَلَبَ وحَماةَ ، وبلَغ كِراءُ الجملِ مِن حَماةَ إلى دمشقَ نحوَ المائتَيْ درهمٍ ، فلما كان يومُ الثلاثاءِ ثانى المحرمِ ضَرَبَت البَشائرُ بسببِ خُروجِ السلطانِ مِن الديارِ المصريةِ قاصدًا الشامَ ، فلما كان يومُ الجمعةِ ثامن ربيعِ الأولِ دخَل السلطانُ [١٠/١٢٠و] إلى دمشقَ ، وقد أقام بغَزَّةَ قَريبًا مِن شهرَيْن ، وذلك لما بلَغَه قُدومُ التَّترِ إلى الشامِ ، تهَيَّأ لذلك ، وجاء فدخَل دمشقَ فى اليومِ الذى ذكرْنا فى مطرٍ شديدٍ ووحَلٍ كثيرٍ ، ومع هذا خرَج الناسُ لتلقِّيه والدعاءِ له ، فنزَل بالطارمةِ ، وزُيِّنَت له البلدُ ، وكثُرَت له الأدْعِيةُ ، وكان وقتًا شديدًا ، وحالًا صعبًا ، وامْتَلأ البلدُ مِن الجافِلِين النازِحِين عن بلادِهم ، وجلَس الأعْسَرُ وزيرُ الدولةِ ، وطالَب العُمالَ ، واقْتَرضوا أموالَ الأيْتامِ وأموالَ الأسْرَى لأجلِ تقويةِ الجيشِ ، وخرَج السلطانُ بالجيشِ مِن دمشقَ يومَ الأحدِ سابعَ عشَرَ ربيعِ الأولِ ، ولم يَتَخَلَّفْ أحدٌ مِن الجيوشِ ، وخرَج معهم خلقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ ، وأخَذ الناسُ فى الدعاءِ والقُنوتِ فى الصلواتِ بالجامعِ وغيرِه ، وتضَرَّعوا واسْتَغاثوا وابْتَهَلوا إلى اللَّهِ بالأدْعيةِ .

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٨٣ - ٤٠٨، وكنز الدرر ٩/١٣ - ٤٠، وتذكرة النبيه ١/٢٢٠ - ٢٢٤، وعقد الجمان ٤/٧ - ٨٧ .

وقعةُ قازان

لما وصَل السلطانُ إلى وادى الخزَنْدار عند وادى سَلَمْيَةَ، الْتَقَى التَّتَارَ هنالك يومَ الأربعاءِ السابع[1] والعشرين مِن ربيعِ الأولِ، فالْتَقَوْا معهم، فكسَروا المسلمين، وولَّى السلطانُ هاربًا، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون، وقُتِل جَماعةٌ مِن الأمراءِ وغيرِهم ومِن العوامِّ خَلقٌ كثيرٌ، وفُقِد فى المعركةِ قاضى الحنفيةِ [2]حسامُ الرازىُّ[2]، وقد صبَروا، وأبْلَوْا بَلاءً حسنًا، ولكن كان أمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدورًا، فولَّى المسلمون لا يَلْوِى أحدٌ على أحدٍ، ثم كانت العاقبةُ بعدَ ذلك للمُتَّقِين، غيرَ أنه رجَعَت العَساكرُ على أعقابِها إلى الديارِ المصريةِ، واجْتاز كثيرٌ منهم على دمشقَ، وأهلُها فى خوفٍ شديدٍ على أنفسِهم وأهالِيهم وأموالِهم[3]، ثم إنهم اسْتَكانوا واسْتَسْلَموا للقَضاءِ والقَدَرِ، وماذا يُجْدِى الحَذَرُ إذا نزَل القَدَرُ، ورجَع السلطانُ فى طائفةٍ مِن الجيشِ على ناحيةِ بَعْلَبَكَّ[4]، وأبوابُ دِمشقَ مُغَلَّقةٌ، والقلعةُ مُحَصَّنةٌ، والغَلاءُ شديدٌ، والحالُ ضيقٌ، وفرجُ اللَّهِ قريبٌ، وقد هرَب جَماعةٌ مِن أعيانِ البلدِ وغيرِهم إلى الديارِ المصريةِ، كالقاضى إمامِ الدينِ الشافعىِّ، وقاضى المالكيةِ [5]جمالِ الدينِ[5] الزَّواوىِّ، وتاجِ الدينِ بنِ[6] الشَّيْرازىِّ، وعَلَمِ الدينِ الصَّوَابىِّ والى البرِّ، وجَمالِ الدينِ بنِ النَّحَّاسِ والى المدينةِ، والمُحْتَسِبِ وغيرِهم مِن التُّجارِ والعوامِّ، وبقِى البلدُ شاغرًا ليس فيه

---

(١) فى نهاية الأرب ٣١/ ٣٨٤: «الثامن».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) بعده فى ص: «فما شاء الله كان ومالم يشأ ربنا لم يكن».

(٤) بعده فى الأصل، م: «والبقاع».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م وفى ص: «جمال الدين بن» والمثبت من نهاية الأرب ٣١/ ٣٨٧.

(٦) سقط من: الأصل، م.

حاكمٌ ولا زاجِرٌ ولا رادِعٌ سوى نائبِ القلعةِ (١علمِ الدينِ أَرجواش، وهو مشغولٌ عن البلدِ بالقلعةِ١) .

وفى ليلةِ الأحدِ ثانى ربيعِ الآخِرِ(٢) كسَر المحْبُوسون بحَبْسِ بابِ الصغيرِ بابَ السِّجْنِ وخرَجوا منه قريبًا مِن مائتَى رجلٍ، فنهَبوا ما قدَرُوا عليه، وجاءوا إلى بابِ الجابيةِ، فكسَروا أقْفالَ البابِ (١الجَوّانىِّ وأخذوا مِن الباشورةِ ما شاءوا، ثم كسَروا أقفال البابِ١) البَرّانىِّ، وخرَجوا منه على حَمِيَّةٍ، فتفرَّقوا حيث شاءوا لا يَقْدِرُ أحدٌ على ردِّهم ولا صَدِّهم، وعاثَت الحَرافِشةُ فى ظاهرِ البلدِ، فكسَروا أبوابَ البَساتِينِ، وقلَعوا مِن الأبوابِ والشَّبابيكِ وغيرِ ذلك شيئًا كثيرًا، وباعوه بأرْخَصِ الأثْمانِ .

هذا وسلطانُ التتارِ قد قصَد دمشقَ بعدَ الوَقْعةِ، فاجْتَمَع أعيانُ البلدِ والشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميةَ فى مشهدِ علىٍّ، واتَّفَقوا [١٠/١٢٠ظ] على المَسيرِ إلى قازان لتَلَقِّيه، وأخْذِ الأمانِ منه لأهلِ دمشقَ، فتوَجَّهوا يومَ الاثنينِ ثالث ربيعِ الآخِرِ، فاجْتَمَعوا به عندَ النَّبْكِ(٣)، وكلَّمه الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ كلامًا قويًّا شديدًا، فيه مَصْلحةٌ عظيمةٌ عاد نفعُها على المسلمين، وللَّهِ الحمدُ. ودخَل المسلمون ليلتَئذٍ مِن جهةِ قازان، فنزَلوا الباذَرائيةَ، وغُلِّقَتْ أبوابُ البلدِ سوى بابِ تُومَا، وخطَب الخطيبُ يومَ الجمعةِ بالجامعِ، ولم يَذْكُرْ سلطانًا فى خطبتِه، وبعدَ الصلاةِ قدِم الأميرُ إسماعيلُ ومعه جَماعةٌ مِن الرسلِ، فنزَلوا ببُسْتانِ الظاهرِ عندَ

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الأصل، م: «الأول».

(٣) النبك: قرية بذات الذخائر بين حمص ودمشق. معجم البلدان ٤/ ٧٣٩.

الطرنِ . وحضَر الفَرْمانُ بالأمانِ ، وطِيف به فى البلدِ ، وقُرِئَ يومَ السبتِ ثامن الشهرِ بمقصورةِ الخَطابةِ ، ونُثِر شىءٌ مِن الذهبِ والفضةِ . وفى [1]اليومِ الثالثِ[1] مِن المُناداةِ بالأمانِ طُلِبَت الخُيولُ والسِّلاحُ والأموالُ المُخَبَّأةُ عندَ الناسِ مِن جهةِ الدولةِ ، وجلَس دِيوانُ الاسْتِخْلاصِ إذ ذاك بالمدرسةِ القَيْمُرِيةِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، وفى يومِ الاثنين عاشر الشهرِ قدِم الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق المنصوريُّ ، فنزَل بالمَيْدانِ ، واقْتَرَب جيشُ التتارِ ، وكثُر العَيْثُ فى ظاهرِ البلدِ ، وقُتِل جَماعةٌ ، وغلَت الأسعارُ بالبلدِ جدًّا ، وضاق الحالُ عليهم ، وأرْسَل قَبْجَق إلى نائبِ القلعةِ ليُسَلِّمَها إلى التتارِ ، فامْتَنَع أَرْجُواش مِن ذلك أشدَّ الامْتِناعِ ، فجمَع له قَبْجَق أعْيانَ البلدِ ، فكلَّموه أيضًا ، فلم يُجِبْهم إلى ذلك ، وصمَّم على تَرْكِ تَسْليمِها إليهم وفيها عينٌ تَطْرِفُ ، فإن الشيخَ تَقىَّ الدينِ ابنَ تَيْمية أرْسَل إلى نائبِ القلعةِ يقولُ له ذلك ، [2]فاشْتَدَّ عَزْمُه على ذلك ، وقال له[2] : لو لم يَبْقَ فيها إلا حجرٌ واحدٌ ، فلا تُسَلِّمْهم ذلك إن اسْتَطَعْتَ . وكان فى ذلك مَصْلَحةٌ عظيمةٌ لأهلِ الشامِ ، فإن اللَّهَ تعالى حفِظ لهم هذا الحصنَ والمَعْقِلَ الذى جعَله اللَّهُ حِرْزًا لأهلِ الشامِ التى لا تزَالُ دارَ أمانٍ وسُنَّةٍ ، حتى يَنْزِلَ بها عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ .

وفى يومِ دُخولِ قَبْجَق إلى دمشقَ دخَل السلطانُ ونائبُه سَلَّار إلى مصرَ كما جاءت البطائقُ بذلك إلى القلعةِ ، ودَقَّت بها البَشائرُ ، فقوِى جأْشُ الناسِ بعضَ الشىءِ ، ولكن الأمرُ كما يقالُ :

(١ - ١) فى الأصل ، م : « ثانى يوم » .
(٢ - ٢) سقط من : م .

كيف السبيلُ إلى سُعادَ ودونَها قُلَلُ الجبالِ ودونَهن حُتوفُ
الرِّجْلُ حافِيةٌ وما لىَ مَرْكَبٌ والكفُّ صِفْرٌ والطريقُ مَخُوفُ

وفى يومِ الجمعةِ رابعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ خُطِب لقازانَ على مِنْبرِ دمشقَ بحُضورِ المَغولِ بالمَقْصورةِ، ودُعِى له على السُّدَّةِ بعدَ الصلاةِ، وقُرِئَ عليها مَرْسومٌ بنيابةِ قَبْجَق على الشامِ، وذهَب إليه الأعْيانُ فهنَّئوه بذلك، فأظْهَر الكرامةَ، وأنه فى تعبٍ عظيمٍ مع التَّتارِ، (١ثم شرَع فى طَلَبِ الخيولِ التى عندَ الناسِ والأموالِ لأجلِ النَّفَقَةِ على التتارِ١)، ونزَل شيخُ المَشايخِ نظامُ الدينِ محمودُ بنُ علىٍّ الشَّيْبانىُّ بالمدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ.

وفى يومِ السبتِ النصف مِن ربيعِ الآخِرِ شرَعَت التَّتارُ وصاحبُ سِيسَ فى نَهْبِ الصالحيةِ (٢فوجدوا فيها شيئًا كثيرًا مِن الغلّاتِ، وقلَّعوا الأبوابَ والشبابيكَ وخرَّبوا أماكنَ كثيرةً؛ كالرباطِ الناصِرىِّ وغيرِه مِن الأماكنِ الحسنةِ، والمارَسْتانِ بالصالحيةِ٢) ومسجدِ الأسَديةِ ومسجدِ خاتون ودارِ الحديثِ الأشْرفيةِ بها، واحْتَرَق جامعُ (٣التَّوبةِ بالعَقِيبَةِ٣)، وكان [١٠/ ١٢١و] هذا مِن جهةِ الكُرْجِ (٤والأرْمَنِ مِن النصارَى الذين هم مع التَّتارِ، قبَّحهم اللَّهُ تعالى٤)، وسبَوْا مِن أهلِها خلقًا كثيرًا وجَمًّا غَفيرًا، ولجأ أكثرُ الناسِ إلى رِباطِ الحَنابلةِ، فاحْتاطَ به التَّتارُ، فحماه منهم شيخُ الشيوخِ المذكورُ، وأُعْطِى فى الساكنِ مالٌ له صورةٌ، ثم قَحَموا عليه، فسبَوْا منه خلقًا كثيرًا مِن بناتِ المَشايخِ وأولادِهم، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣ - ٣) فى ص: «العقبة». وانظر الدارس ٢/ ٤٢٦.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(١ ولما نُكِب دَيْرُ الحَنابلةِ فى ثانى جُمادَى الأولى قتَلوا خلقًا مِن الرجالِ ، وسَبَوْا مِن النساءِ كثيرًا ، ونال قاضىَ القُضاة تَقىَّ الدين منهم أذًى كثيرٌ ، يُقالُ : إنهم قتَلوا مِن أهلِ الصالحيةِ قريبًا مِن أربعِمائةٍ ، وأسَروا نحوًا مِن أربعةِ آلافِ أسيرٍ ، ونُهِبَت كتبٌ كثيرةٌ مِن الرِّباطِ الناصرىِّ والضِّيائيةِ ، وخِزانةِ ابنِ البُزُورىِّ ، فكانت تُباعُ وهى مَكتوبٌ عليها الوَقْفِيَّةُ١) ، وفعَلوا بالمِزَّةِ مثلَ ما فعَلوا بالصالحيةِ ، وكذلك بدَارَيَّا وغيرِها ، وتحَصَّن الناسُ منهم فى الجامعِ بدارَيَّا ، ففتَحوه قَسْرًا ، وقتَلوا منهم خلقًا ، وسبَوْا نساءَهم وأولادَهم ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون[٢] .

وخرَج الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيةَ فى جَماعةٍ مِن أصحابِه يومَ الخميسِ العشرين مِن ربيعِ الآخِرِ إلى ملكِ التَّتارِ ، وعاد بعدَ يومين ، ولم يَتَّفِقِ اجتماعُه بقازَانَ ، حجَبه عنه الوزيرُ سعدُ الدينِ والرَّشيدُ مُشيرُ[٣] الدولةِ المَسْلَمانىُّ بنُ يَهُودى ، والْتَزَما له بقَضاءِ الشغلِ ، وذكَرا له أن التتارَ لم يَحْصُلْ لكثيرٍ منهم شىءٌ إلى الآن ، ولابدَّ لهم مِن شىءٍ .

واشْتَهَر بالبلدِ أن التَّتَرَ يُرِيدون دُخولَ دمشقَ ، فانْزَعَج الناسُ لذلك ، وخافوا خوفًا شديدًا ، وأرادوا الخروجَ منها والهربَ ، وأين ؟ ولات حينَ مَناصٍ ! وقد أُخِذ مِن البلدِ فوقَ العشَرةِ آلافِ فت أموالٌ كثيرةٌ على البلدِ مُوَزَّعةً على أهلِ الأسْواقِ ، كلُّ سوقٍ بحسَبِه مِن المالِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى ص : « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

(٣) فى ص : « سيد » .

باللَّهِ. وشرَع التترُ فى عملِ مَجانِيقَ بالجامعِ ليَرْمُوا بها القلعةَ مِن الصَّحْنِ، وغُلِّقَت أبوابُه، ونزَل التَّترُ فى مَشاهدِه يَحْرُسون أخشابَ المجَانِيقِ، ويَنْهَبون ما حولَه مِن الأسواقِ، وأَحْرَق أرجواش ما حولَ القلعةِ مِن الأبْنيةِ؛ كدارِ الحديثِ الأشْرَفيةِ وغيرِ ذلك، إلى حدِّ العادليةِ الكبيرةِ ودارِ السَّعادةِ؛ لئلا يَتَمَكَّنوا مِن مُحاصَرَةِ القلعةِ مِن أعاليها، ولزِم الناسُ منازلَهم لئلا يُسَخَّروا فى طَمِّ الخَنْدقِ، وكانت الطُّرقاتُ لا يُرَى بها أحدٌ إلا القليلُ، والجامعُ لا يُصَلِّى فيه أحدٌ إلا اليَسيرُ، ويومُ الجمعةِ لا يَتَكامَلُ فيه الصفُّ الأولُ وما بعدَه إلا بجَهْدٍ جَهيدٍ، ومَن خرَج مِن منزلِه فى ضَرورتِه يَخْرُجُ (١بثيابِ زِيِّهم١)، ثم يَعودُ سريعًا، ويَظُنُّ أنه لا يَعودُ إلى أهلِه، وأهلُ البلدِ قد أذاقهم اللَّهُ لِباسَ الجُوعِ والخوفِ بما كانوا يَصْنَعون، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون.

والمُصادَراتُ والتَّراسِيمُ والعُقوباتُ عَمَّالةٌ فى أكابرِ أهلِ البلدِ ليلًا ونَهارًا، حتى أُخِذ منهم شىءٌ كثيرٌ مِن الأموالِ والأوْقافِ، كالجامعِ وغيرِه، ثم جاء مَرْسومٌ بصيانةِ الجامعِ وتوفيرِ أوقافِه وصَرْفِ ما كان يُؤْخَذُ [١٠/١٢١ظ] لخَزائنِ السلاحِ إلى الحجازِ، وقُرِئ ذلك المرسومُ بعدَ صلاةِ الجمعةِ بالجامعِ فى (٢تاسعَ عشَرَ٢) جُمادَى الأولى. وفى ذلك اليومِ توَجَّه السلطانُ قازان إلى بلادِه، وترَك نُوابَه بالشامِ فى ستين ألفَ مُقاتِلٍ، نحوَ بلادِ العراقِ، وجاء كِتابُه: إنا قد ترَكْنا نوابَنا بالشامِ فى ستين ألفَ مُقاتِلٍ، ومن عزْمِنا العَوْدُ إليها فى زمنِ الخَريفِ، والدخولُ إلى الديارِ المصريةِ وفَتْحُها. وقد أعْجَزَتهم القلعةُ أن يَصِلوا إلى حجرٍ منها وللَّهِ الحمدُ، وخرَج الأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق لتَوْديعِ قُطْلُوشاه نائبِ

(١ - ١) فى الأصل: «بتبان زيهم»، وفى ص: «بثياب رثة».
(٢ - ٢) فى ص: «تاسع عشرين». وانظر نهاية الأرب ٣١/ ٣٩٨.

قازان، وسار وراءَه، وضَرَبت البَشائرُ بالقلعةِ فرحًا لرحيلِهم، ولم تُفْتَحِ القلعةُ، وأرْسَل أَرْجُواش ثانىَ[1] يومٍ مِن خُروجِ قَبْجَق لتوديعِ قُطْلُوشاه - القَلْعيَّةَ إلى الجامعِ، فكسَروا أخْشابَ المَنْجَنِيقاتِ المنصوبةِ به، وعادوا إلى القلعةِ سَريعًا سالمين آمنين، واسْتَصْحَبوا معهم جماعةً ممَّن كانوا يَلُوذون بالتّتارِ قَهْرًا إلى القلعةِ، منهم الشريفُ القُمِّىُّ، وهو شمسُ الدينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ ابنِ أبى القاسمِ المُرْتَضَى العَلَوىُّ، وجاءَت الرسلُ مِن قَبْجَق إلى دمشقَ، فنادَوْا بها: طَيِّبوا قلوبَكم، وافْتَحُوا دَكاكينَكم، وتهَيَّئوا غدًا لتَلَقِّى سلطانِ الشامِ سيفِ الدينِ قَبْجَق. فخرَج الناسُ إلى أماكِنِهم، فأشْرَفوا عليها، فرَأَوْا ما بها مِن الفسادِ والدمارِ، وانْفَكَّ رُؤساءُ البلدِ مِن التَّراسِيمِ بعدما وُزِنوا شيئًا كثيرًا.

وقال الشيخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالىُّ[2]: ذكَر لى الشيخُ وَجيهُ الدينِ بنُ المُنَجَّا أنه حُمل إلى خِزانةِ قازان ثلاثةُ آلافِ ألفٍ وستُّمائةِ ألفِ درهمٍ، سوى ما تَمَحَّقَ[3] مِن التَّراسيمِ والبَراطيلِ[4]، وما أخَذ غيرُه مِن الأمراءِ والوُزراءِ، وأن شيخَ المَشايخِ حصَل له نحوٌ مِن ستِّمائةِ ألفِ درهمٍ، والأَصِيلَ بنَ النَّصِيرِ الطُّوسىَّ مائتا[5] ألفٍ، والصَّفِىَّ السِّنجارىَّ ثمانون ألفًا، وعاد الأميرُ سيفُ الدين قَبْجَق إلى دمشقَ يومَ الخميسِ بعدَ الظهرِ الخامس والعشرين من جُمادَى

---

(١) فى ص: «فى ثامن». وانظر نهاية الأرب ٣١/ ٣٩٩.
(٢) انظر كنز الدرر ٩/ ٣٣.
(٣) فى ص: «يمحق». وفى كنز الدرر: «لحق».
(٤) البراطيل: جمع بِرْطِيل، وهو الرشوة. الوسيط (برطل).
(٥) فى النسخ: «مائة». والمثبت من مصادر التخريج.

الأولى، ومعه الألبكى[1] وجماعةٌ، وبينَ يديه السيوفُ مُسَلَّلةً، وعلى رأسِه عِصابةٌ، فنزَل بالقصرِ، ونُودِى بالبلدِ: إن نائبَكم سيفَ الدينِ قَبْجَق قد جاء فافْتَحوا دَكاكِينَكم، واعْمَلوا مَعاشَكم، ولا يُغَرِّرْ أحدٌ بنفسِه. هذا والأسعارُ فى غايةِ الغلاءِ والقلةِ، قد بلَغَت الغِرارةُ إلى أربعِمائةٍ، واللحمُ الرَّطلُ بنحوِ العشَرةِ، والخبزُ كلُّ رَطْلٍ بدرهمين ونصفٍ، والعشَرةُ الدقيقِ بنحوِ الأربعين، والجبنُ الأُوقيةُ بدرهمٍ، والبَيْضُ كلُّ خمسةٍ بدرهمٍ، ثم فُرِّج عنهم فى أواخرِ الشهرِ، ولما كان فى أواخِرِ الشهرِ نادَى قَبْجق بالبلدِ أن يَخْرُجَ الناسُ إلى قُراهم، وأمَّرَ جماعةً، وانْضاف إليه خَلْقٌ مِن الأجْنادِ، وكَثُرَت الأراجيفُ على بابِه، وعظُم شأنُه، ودَقَّت البَشائرُ بالقلعةِ وعلى بابِ قَبْجق يومَ الجمعةِ رابع جُمادَى الآخِرَةِ، وركِب قَبْجَق بالعَصائبِ فى البلدِ، والشاويشِيَّةُ بينَ يديه، وجهَّز نحوًا مِن ألفِ فارسٍ نحوَ خَرِبةِ اللُّصوصِ، ومشَى مَشْىَ الملوكِ فى الوِلاياتِ وتَأْميرِ الأُمراءِ والمَراسيمِ العاليةِ النافذةِ، وصار كما قال الشاعرُ[2]:

يا لكِ مِن قُنْبَرةٍ بمَعْمَرِ
خلا لكِ الجوُّ فبِيضى واصْفِرِى
ونقِّرى ما شئتِ أن تُنَقِّرِى

ثم إنه ضمِن الخَمَّاراتِ [١٠/١٢٢و] ومواضعَ الزنَى مِن الحاناتِ وغيرِها، وجُعِلَت دارُ ابنِ جَرَادةَ خارجَ بابِ تُومَا خَمَّارةً وحانةً أيضًا، وصار له على ذلك فى كلِّ يومٍ ألفُ درهمٍ. وهى التى دمَّرَته، ومحَقت آثارَه، وأخَذ أموالًا

---

(١) فى الأصل: «الأيبكى»، وفى م: «الأليكى».
(٢) تقدم فى ١١/٤٩٦.

أُخَرَ مِن أوقافِ المدارسِ وغيرِها، ورجَع بُولَاى مِن جهةِ الأغْوارِ، وقد عاث فى الأرضِ فسادًا، ونهَب البلادَ وسبى وخرَّب، ومعه طائفةٌ كبيرةٌ مِن التترِ، وقد خرَّبوا قُرًى كثيرةً، وقتَلوا مِن أهلِها خلقًا، وأسروا مِن أطفالِها جماعاتٍ، وجُبِى لبُولاى مِن أهلِ دمشقَ أيضًا جِبايةٌ أخرى، وخرَج طائفةٌ مِن القلعةِ، فقتَلوا طائفةً مِن التترِ ونهَبوهم، وقُتِل جماعةٌ مِن المسلمين فى غُبونِ ذلك، وأخَذوا طائفةً ممَّن كان يَلوذُ بالتَّترِ، ورسَم قَبْجَق لخَطيبِ البلدِ وجَماعةٍ معه مِن الأعيانِ أن يَدْخُلوا القلعةَ، فيتَكَلَّموا مع نائبِها فى المُصالحةِ، فدخَلوا عليه يومَ الاثنينِ ثانى عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ، فكلَّمــوه وبالَغوا معه، فلم يُجِبْ إلى ذلك، وقد أجاد وأحْسَن[1].

وفى ثانى[2] رجبٍ طلَب قَبْجَق القُضاةَ والأعْيانَ، فحلَّفهم على المُناصَحةِ للدولةِ المحموديةِ - يعنى قازان - فحلَفوا له. وفى هذا اليومِ خرَج الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميةَ إلى مُخَيَّمِ بُولاى، فاجْتَمَع به فى فِكاكِ مَن معه مِن أُسارَى المسلمين، فاسْتَنْقَذ كثيرًا منهم مِن أيديهم، وأقام عندَه ثلاثةَ أيامٍ ثم عاد، ثم راح إليه جماعةٌ مِن أعيانِ دمشقَ، ثم عادوا مِن عندِه، فشُلِّحوا عندَ بابِ شرقِى، وأُخِذت ثيابُهم وعَمائمُهم، ورجَعوا فى شرٍّ حالةٍ، ثم بعَث فى طلبِهم، فاخْتَفَى أكثرُهم، وتغَيَّبوا عنه، ونُودِى بالجامعِ بعدَ الصلاةِ ثالثَ رجبٍ مِن جهةِ نائبِ القلعةِ بأن العَساكرَ المصريةَ قادمةٌ إلى الشامِ، وفى عَشيةِ يومِ السبتِ رحَل بُولاى وأصحابُه مِن التترِ، وانْشَمَروا عن دمشقَ، وقد أراح اللَّهُ منهم، وساروا مِن على

---

(١) بعده فى م، ص: «وأرجل فى ذلك، بيض الله وجهه».

(٢) فى م، ص: «ثامن». وانظر كنز الدرر ٩/ ٣٥.

عَقَبةِ دُمَّرَ[1] ، فعاثوا فى تلك النَّواحى فسادًا ، ولم يَأْتِ سابعُ الشهرِ وفى حَواشِى البلدِ منهم أحدٌ ، وقد أزاح اللَّهُ عز وجل شرَّهم عن العِبادِ والبلادِ ، ونادَى قَبْجَق فى الناسِ : قد أمِنَت الطُّرُقاتُ ، ولم يَبْقَ بالشامِ مِن التترِ أحدٌ . وصلَّى قَبْجق يومَ الجمعةِ عاشر رجبٍ بالمقصورةِ ، ومعه جَماعةٌ من أصحابِه ، عليهم لأْمَةُ الحربِ مِن السيوفِ والقِسِيِّ والتراكِيشِ فيها النُّشَّابُ ، وأمِنَت البلدُ ونواحيها ، وخرَج الناسُ للفُرْجةِ فى غياضِ السَّفَرْجَلِ على عادتِهم ، فعاثَت عليهم طائفةٌ مِن التتارِ ، فلما رأَوْهم رجَعوا إلى البلدِ هارِبين مُسْرِعين ، ونهَب بعضُ الناسِ بعضًا ، ومنهم مَن ألْقَى نفسَه فى النهرِ ، وإنما كانت تلك الطائفةُ مُجْتازِين ليس لهم قَرارٌ ، وتقَلَّق قَبْجَق مِن البلدِ ، ثم إنه خرَج منها فى جَماعةٍ مِن رُؤسائها - منهم عزُّ الدينِ بنُ القَلانسيِّ - لتلقِّى الجيشِ المصرىِّ ، وذلك أنهم خرَجوا إلى الشامِ فى تاسعِ رجبٍ ، وجاءت البَرِيديةُ بذلك ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وبقِى البلدُ ليس به أحدٌ ، ونادَى أرْجُواش فى البلدِ أن احْفَظوا الأسْوارَ ، وأخْرِجوا ما كان عندَكم مِن الأسلحةِ ، ولا تُهْمِلوا الأسوارَ والأبوابَ ، ولا يَبِيتَنَّ أحدٌ إلا على السورِ ، ومَن بات فى دارِه شُنِق . فاجْتَمَع الناسُ [١٠/ ١٢٢ظ] على الأسوارِ لحفظِ البلدِ ، وكان الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيميةَ يَدورُ كلَّ ليلةٍ فوقَ الأسْوارِ يُحَرِّضُ الناسَ على الصبرِ والقتالِ ، ويَتْلو عليهم آياتِ الجهادِ والرِّباطِ .

وفى يومِ الجمعةِ سابعَ عشَرَ رجبٍ أُعِيدتَ الخُطبةُ بجامعِ دمشقَ لصاحبِ مصرَ السلطانِ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوون ، ففرِح الناسُ بذلك ، وكان يُخْطَبُ لقازان بدمشقَ وغيرِها مِن بلادِ الشامِ مائةَ يومٍ سَواءً . وفى بُكْرةِ يومِ الجمعةِ

---

(١) دمر : عقبة تطل على غُوطة دمشق . معجم البلدان ٢/ ٥٨٧.

المذكورِ دار الشيخُ تَقيُّ الدينُ ابنُ تَيْمية ، رحِمه اللَّهُ ، وأصحابُه على الخَمَّاراتِ والحاناتِ ، فكسَروا آنيةَ الخمورِ ، وشقوا الظُّروفَ ، وأراقوا الخُمورَ ، وعزَّروا جَماعةً مِن أهلِ الحاناتِ المُتَّخَذَةِ لهذه الفَواحشِ ، ففرِح الناسُ بذلك ، ونُودِى يوَم السبتِ ثامنَ عشَرَ رجبٍ بأن تُزَيَّنَ البلدُ لقدومِ العَساكرِ المصريةِ ، وفُتِح بابُ الفَرَجِ مُضافًا إلى بابِ النصرِ يومَ الأحدِ تاسعَ عشَرَ رجبٍ ، ففرِح الناسُ بذلك وانْفَرَجوا ؛ لأنهم لم يَكونوا يَدْخُلون إلا مِن بابِ النصرِ ، وقدِم الجيشُ الشاميُّ صُحْبةَ نائبِ دمشقَ جَمالِ الدينِ آقوشَ الأفرمِ إلى دمشقَ يومَ السبتِ عاشرِ شَعبانَ ، وثانىَ يومٍ دخَل بقيةُ العَساكرِ ، وفيهم الأمِيران شمسُ الدينِ قَرَاسُنْقُرُ المَنْصوريُّ وسيفُ الدين قطلبك فى تَجَمُّلٍ .

وفى هذا اليومِ فُتِح بابُ الفراديسِ . وفيه[1] درَّس القاضى جَلالُ الدينِ القَزْوينيُّ بالمدرسةِ الأَمِينيةِ عِوَضًا عن أخيه قاضى القُضاةِ إمامِ الدينِ ، تُوُفِّى بالديار المصريةِ ، كما سيأتى بيانُه .

وفى يومِ الاثنينِ والثلاثاءِ والأربعاءِ تَكامَل دُخولُ العَساكرِ المصريةِ صُحْبةَ نائبِ مصرَ سيفِ الدينِ سَلَّار ، وفى خدمتِه الملكُ العادلُ كَتْبُغَا ، وسيفُ الدينِ الطبَّاخىُّ[2] فى تجَمُّلٍ باهرٍ ، ونزَلوا بالمَرْجِ ، وكان السلطانُ قد خرَج عازمًا على المجىءِ ، فوصَل إلى الصالحيةِ ، ثم عاد إلى مصرَ .

وفى يومِ الخميسِ النصف مِن شَعبانَ أُعِيد القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ إلى

---

(١) الدارس ١/ ١٩٦.

(٢) فى الأصل ، م : « الطراخى » .

قَضاءِ القُضاةِ بدمشقَ مع الخَطابةِ بعدَ إمامِ الدينِ ولبِس الخِلعةَ ، ولبِس معه فى هذا اليومِ أمينُ الدينِ العَجَمىُّ خِلْعةَ الحِسْبةِ ، وفى يومِ السبتِ سابعَ عشَرِه لبِس خِلْعةَ نَظَرِ الدَّواوين الصدرُ تاجُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ عِوَضًا عن فخرِ الدينِ بنِ الشِّيرَجىِّ ، ولبِس [1]أقجبا خلعةَ[1] شدِّ الدَّواوينِ فى بابِ الوزيرِ شمسِ الدينِ سُنْقُرَ الأعْسَرِ[2] ، وباشَر الأميرُ عزُّ الدينِ أيْبَك الدَّوادارَ النَّجيبىُّ وِلايةَ البرِّ ، بعدَ ما جُعِل مِن أُمراءِ الطَّبلخاناه .

ودرَّس الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ بأمِّ الصالحِ عِوَضًا عن جَلالِ الدينِ القَزْوينىِّ يومَ الأحدِ الحادى والعشرين مِن شعبانَ ، وفى هذا اليومِ ولِى قَضاءَ الحنفيةِ شمسُ الدينِ بنُ الصَّفِىِّ الحَريرىُّ ، عوضًا عن حُسامِ الدينِ الرازىِّ ، فُقِد يومَ المعركةِ ، [3]وجاءَه بعدَ ذلك تدريسُ الخاتونيةِ عِوَضًا عن حسامِ الدينِ الرازىِّ[3] فى ثانى رمضانَ ، ورُفِعَت السَّتائرُ عن القلعةِ فى ثالثِ رمضانَ .

وفى مُسْتَهَلِّ رمضانَ جلس الأميرُ سيفُ الدين سَلَّار بدارِ العدلِ فى المَيْدانِ الأخْضَرِ ، وعندَه القُضاةُ والأمراءُ يومَ السبتِ ، وفى السبتِ الآخَرِ خلَع على عزِّ الدينِ بنِ القَلَانِسىِّ خِلْعةً سَنِيةً ، وجعَل ولدَه عمادَ الدينِ عبدِ العزيزِ شاهدًا فى الخِزانةِ . وفى هذا اليومِ رجَع سَلَّار بالعَساكرِ إلى مصرَ ، وانْصَرَفَت العَساكرُ الشاميةُ إلى مواضعِها وبُلْدانِها .

وفى يومِ الاثنينِ عاشر رمضانَ درَّس صدرُ الدينِ علىُّ بنُ [١٠/١٢٣و] الصَّفِىِّ ابنِ أبى القاسمِ البُصْراوىُّ الحنفىُّ بالمدرسةِ المقدَّميةِ .

(١ - ١) فى م : «أقبجا» . وانظر نهاية الأرب ٣١/٤٠٦، والسلوك ١/٩٠١ (القسم الثالث) .
(٢) فى ص : «الأشقر» .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

وفى شوالٍ منها عُرِفَت جماعةٌ ممَّن كان يَلُوذُ بالتَّتَرِ ويُؤْذِى المسلمين ، فشُنِق منهم طائفةٌ ، وسُمِر آخرون ، وكُحِل بعضُهم ، وقُطِعَت ألْسُنٌ ، وجرَت أمورٌ كثيرةٌ .

وفى منتصفِ شوالٍ درَّس بالدَّوْلَعيةِ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ الزُّرَعىُّ نائبُ الحُكْمِ عوضًا عن جَمالِ الدينِ بنِ الباجُرْبَقىِّ .

وفى يومِ الجمعةِ العشرين من شوالٍ ركِب نائبُ السَّلْطنةِ جَمالُ الدينِ آقوشُ الأفرمُ فى جيشِ دمشقَ إلى جبالِ الجَرَدِ وكسروانَ ، وخرَج الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميةَ ، ومعه خلقٌ كثيرٌ مِن المُطَّوِّعةِ والحوارنةِ لقتالِ أهلِ تلك الناحيةِ ، بسببِ فسادِ دينِهم وعقائدِهم وكفرِهم وضلالِهم ، وما كانوا عامَلوا به العَساكرَ لما كسَرهم التَّتَرُ وهرَبوا ؛ حينَ اجْتازوا ببلادِهم وثَبوا عليهم ونهَبوهم ، وأخَذوا أسلحتَهم وخيولَهم ، وقتَلوا كثيرًا منهم ، فلما وصَلوا إلى بلادِهم جاء رؤساؤُهم إلى الشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ تيميةَ ، فاسْتَتابهم ، وبيَّنَ لكثيرٍ منهم الصوابَ ، وحصَل بذلك خيرٌ كثيرٌ ، وانْتصارٌ كبيرٌ على أولئك المُفْسِدِين ، والْتَزَموا بردِّ ما كانوا أخَذوه مِن أموالِ الجيشِ ، وقرَّر عليهم أموالًا كثيرةً يَحْمِلونها إلى بيتِ المالِ ، وأُقْطِعَت أراضيهم وضِياعُهم ، ولم يَكُونوا قبلَ ذلك يَدْخُلون فى طاعةِ الجندِ ولا يَلْتَزِمون أحكامَ المِلَّةِ ، ولا يَدِينون دينَ الحقِّ ، ولا يُحَرِّمون ما حرَّم اللَّهُ ورسولُه . وعاد نائبُ السَّلْطنةِ يومَ الأحدِ ثالثَ عشَرَ ذى القَعْدةِ ، وتلَقَّاه الناسُ بالشُّموعِ إلى طريقِ بَعْلَبَكَّ وسَطَ النهارِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادسَ عشَرِه نُودِى بالبلدِ أن يُعَلِّقَ الناسُ الأسلحةَ بالدَّكاكينِ ، وأن يَتَعَلَّمَ الناسُ الرَّمْىَ ، فعُمِلَت الآماجاتُ[1] فى أماكنَ كثيرةٍ مِن

---

(١) الآماجات : جمع آماج ، وهو الهدف . انظر المعجم الذهبى ص ٤٧ .

البلدِ ، وعُلِّقَت الأسْلحةُ بالأسواقِ ، ورسَم قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جماعةَ بعملِ الآماجاتِ فى المدارسِ ، وأن يَتَعَلَّمَ الفُقهاءُ الرَّمْىَ ، ويَسْتَعِدُّوا لقتالِ العدوِّ إن حضَر ، وباللَّهِ المستعانُ .

وفى الحادى والعشرين مِن ذى القَعْدةِ اسْتَعْرَض نائبُ السَّلْطنةِ أهلَ الأسواقِ بينَ يديه ، وجعَل على كلِّ سُوقٍ مُقَدَّمًا ، وحولَه أهلُ سوقِه ، وفى يومِ الخميسِ الرابعِ والعشرين عُرِضَت الأشْرافُ مع نَقيبِهم نِظامِ المُلْكِ الحُسَيْنىِّ بالعِدَدِ والتَّجَمُّلِ الحسنِ ، وكان يومًا مشهودًا .

ومما كان مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ أنه جُدِّد إمامٌ راتبٌ عندَ رأسِ قبرِ زكريا ، وهو الفقيهُ شَرَفُ الدينِ أبو بكرٍ الحَمَوىُّ ، وحضَر عندَه ظهرَ[1] يومِ عاشُوراءَ القاضى إمامُ الدينِ الشافعىُّ ، وحُسامُ الدينِ الحَنَفىُّ وجماعةٌ ، ولم تَطُلْ مدتُه إلا شهورًا ، ثم عاد الحَمَوىُّ إلى بلدِه ، وبطَلَت[2] هذه الوظيفةُ إلى الآن ، وللَّهِ الحمدُ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القاضى حُسامُ الدينِ أبو الفَضائلِ الحسنُ بنُ القاضى تاجِ الدينِ أبى المَفاخِرِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ[3] أَنُوشِرْوان الرازىُّ الحنفىُّ ، ولِى قَضاءَ مَلَطْيَةَ مدةَ عشرين سنةً ، ثم قدِم دمشقَ ، فوليها مدةً ، ثم انْتَقَل إلى مصرَ ، فوليَها مدةً ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « شغرت » .

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : العبر ٥/ ٣٩٧، ومعجم شيوخ الذهبى ص ١٦٨، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٩٧، والجواهر المضية ١/ ١٥٦، وتذكرة النبيه ١/ ٢٢٧، وعقد الجمان ٤/ ٨٩، والمقفى الكبير ٣/ ٣٠٣، والمنهل الصافى ٥/ ٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٦.

وولدُه جَلالُ الدينِ بالشامِ، ثم صار إلى الشامِ، فعاد إلى الحكمِ بدمشقَ، ثم لما خرَج الجيشُ إلى لقاءِ قازان بوادى الخزَنْدار [١٠/١٢٣ظ] عندَ وادى سَلَمْيَةَ خرَج معهم، ففُقِد مِن الصفِّ، ولم يُدْرَ ما خبرُه، وقد قارَب السبعين، وكان فاضلًا بارعًا رئيسًا، له نَظْمٌ حسنٌ، ومولدُه بأَقْسرا[1] مِن بلادِ الرومِ فى المحرمِ سنةَ إحدى وثلاثين وستِّمائةٍ، فُقِد يومَ الأربعاءِ الرابعِ والعشرين مِن ربيعِ الأولِ منها، وقد قُتِل يومَئذٍ عِدَّةٌ مِن مَشاهيرِ الأمراءِ، ثم ولِى بعدَه القَضاءَ شمسُ الدينِ الحَرِيرىُّ.

القاضى الإمامُ العالى إمامُ الدينِ أبو المَعالى عمرُ بنُ القاضى سعدِ الدينِ أبى القاسمِ عبدِ الرحمنِ بنِ الشيخِ إمامِ الدينِ أبى حَفْصٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ القَزْوينىُّ الشافعىُّ[2]، قدِم دمشقَ هو وأَخوه جَلالُ الدينِ، فقُرِّرا فى تَداريسَ، ثم انْتَزَع إمامُ الدينِ قَضاءَ القُضاةِ بدمشقَ مِن بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ كما تقَدَّم فى [3]سنةِ ستٍّ وتسعين[3]، وناب عنه أخوه، وكان جَميلَ الأخلاقِ، كثيرَ الإحسانِ، قليلَ الأذى، ولما أزِف قدومُ التَّتارِ سافَر إلى مصرَ، فلما وصَل إليها لم يُقِمْ بها سوى أسبوعٍ وتُوُفِّى، ودُفِن بالقربِ مِن قُبَّةِ الشافعىِّ عن ستٍّ وأربعين سنةً، وصار المَنْصِبُ إلى بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ كما كان، مُضافًا إلى ما بيدِه مِن الخَطابةِ وغيرِها، ودرَّس أخوه بعدَه بالأَمِينيةِ.

المُسْنِدُ المُعَمَّرُ الرُّحَلةُ، شرفُ الدينِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ هِبةِ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل، م: «بأقسيس».

(٢) العبر ٥/ ٤٠٢، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٥٠٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ٣١٠، وتذكرة النبيه ١/ ٢٢٦، وعقد الجمان ٤/ ٩٠، والدارس ١/ ١٩٥.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «سنة سبع وسبعين»، وفى ص، وعقد الجمان ٣/٣٥٣: السنة السابعة والتسعين». والمثبت من الوافى بالوفيات. وانظر ما تقدم صفحة ٦٩٧.

(١ابنِ أحمدَ بنِ محمدٍ١) بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ(٢) بنِ عَساكرَ الدمشقيُّ، وُلِد سنةَ أربعَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، وسمِع الكثيرَ وروَى، تُوُفِّى خامسَ عشَرَ جُمادَى الأولى عن خمسٍ وثمانين سنةً.

الخطيبُ الإمامُ العالمُ مُوَفَّقُ الدينِ أبو المَعالى، محمدُ بنُ محمدِ بنِ المُفَضَّلِ(٣) البَهْرَانيُّ(٤) القُضاعيُّ الحَمَويُّ، خطيبُ حَماةَ، ثم خطَب بدمشقَ عِوَضًا عن الفارُوثيِّ كما ذكرنا، ودرَّس بالغَزَّاليةِ، ثم عُزِل بابنِ جَمَاعةَ، وعاد إلى بلدِه، ثم قدِم دمشقَ عامَ قازان، فمات بها.

الصدرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سلمانَ(٥) بنِ حمائلَ بنِ عليٍّ المقدسيُّ المعروفُ بابنِ غانمٍ، وكان مِن أعْيانِ الناسِ وأكثرِهم مُروءةً، ودرَّس بالعَصْرونيةِ، توفِّى وقد جاوَز الثمانين، كان مِن الكُتابِ المشهورين المَشْكورين، وهو والدُ الصدرِ عَلاءِ الدينِ بنِ غانمٍ.

(١ - ١) سقط من: الأصل، م. وانظر ترجمته فى: العبر ٥/ ٣٩٥، ومعجم شيوخ الذهبى ص ٨٣، وعقد الجمان ٤/ ٩١، وغاية النهاية ١/ ١٤٦، والمنهل الصافى ٢/ ٢٥٤، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٥.

(٢) فى الأصل، م: «الحسن».

(٣) فى الأصل، م: «الفضل». وانظر ترجمته فى: معجم شيوخ الذهبى ص ٥٦٩، والعبر ٥/ ٤٠٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨٨، وعقد الجمان ٤/ ٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٥٣، وفى المصادر الثلاثة الأخيرة: «الفضل».

(٤) فى الأصل، م، وشذرات الذهب: «النهروانى»، وفى ص: «المهرانى»، وفى تذكرة الحفاظ: «النهرانى». والمثبت من معجم شيوخ الذهبى، العبر، وعقد الجمان. والبهرانى نسبة إلى بهراء وهى قبيلة من قضاعة كما ذكر ذلك السمعانى فى الأنساب ١/ ٤٢٠.

(٥) فى النسخ والدارس ١/ ٤٠٣: «سليمان». والمثبت من مصادر ترجمته: معجم شيوخ الذهبى ص ٤٩٨، والعبر ٥/ ٤٠٢، وعقد الجمان ٤/ ٩٢، والمقفى الكبير ٥/ ٦٨٥، والنجوم الزاهرة ١/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٥١.

الشيخُ جَمالُ الدينِ أبو محمدٍ ، عبدُ الرحيمِ بنُ عمرَ بنِ عثمانَ الباجُرْبَقيُّ الشافعيُّ[1] ، أقام مدةً بالموصلِ يَشْتَغِلُ ويُفْتِي ، ثم قدِم دمشقَ عامَ قازان ، فمات بها ، وكان قد أقام بها مدةً كذلك ، ودرَّس بالفَتْحيةِ[2] والدَّوْلَعيةِ ، وناب فى الخَطابةِ ، ودرَّس بالغَزَّاليةِ نِيابةً عن الشمسِ الأيكيِّ ، وكان قليلَ الكلامِ ، مَجْموعًا عن الناسِ ، وهو والدُ الشمسِ محمدٍ المنسوبِ إلى الزَّنْدَقةِ والانحلالِ ، وله أتباعٌ يُنْسَبون إلى ما يُنْسَبُ إليه ، ويَعْكُفون على ما كان يَعْكُفُ عليه ، وقد حدَّث جمالُ الدينِ المَذْكورُ بـ « جامعِ الأُصولِ » عن بعضِ أصحابِ مُصَنِّفِه ابنِ الأَثيرِ ، وله نَظْمٌ ونَثْرٌ حسنٌ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

---

(١) العبر ٥/ ٤٤٩، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٨/ ١٩٠، وتذكرة النبيه ٩/ ٢٢٨، وعقد الجمان ٤/ ٩٣، والمقفى الكبير ٦/ ٦٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٩.

(٢) فى م : « القليجية » . وانظر الدارس ١/ ٤٢٩.

ثم دخَلَت سنةُ سبعِمائةٍ مِن الهجرةِ النبويةِ[1]

اسْتَهَلَّت والخليفةُ [2] والسلطانُ ونوابُ البلادِ والحُكامُ بها هم المذكورون فى التى قبلَها، غيرَ الشافعىِّ والحنفىِّ [2]. ولما كان ثالثُ المحرمِ جلَس المُسْتَخْرِجُ لاسْتِخْلاصِ أجرةِ أربعةِ أشهرٍ من جميعِ أملاكِ الناسِ وأوْقافِهم بدمشقَ، فهرَب أكثرُ الناسِ مِن البلدِ، وجرَت [١٠/١٢٤و] خَبْطةٌ قويةٌ وشقَّ ذلك على الناسِ مشقةً عظيمةً جدًّا.

وفى مُسْتَهَلِّ صفرٍ ورَدَت الأخبارُ بقصدِ التَّتارِ بلادَ الشامِ، وأنهم عازِمون على دُخولِ مصرَ، فانْزَعَج الناسُ لذلك وازْدادوا ضعفًا على ضعفِهم، وطاشَت عقولُهم وألبابُهم، وشرَع الناسُ فى الهربِ إلى بلادِ مصرَ والكَرَكِ والشَّوْبَك والحصونِ المَنيعةِ، فبلَغَت المَحَارَةُ [3] إلى مصرَ خمسَمائةٍ، وبِيعَ الجَمَلُ بألفٍ، والحِمارُ بخمسِمائةٍ، وبِيعَت الأمْتِعةُ والثِّيابُ والغلاتُ بأرخصِ الأثمانِ، وجلَس الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تيميةَ فى ثانى صفرٍ بمَجْلِسِه فى

---

(١) نهاية الأرب ٣١/٤١١ - ٤٤٣، وكنز الدرر ٩/٤١ - ٦٤، وتذكرة النبيه ١/٢٣٣ - ٢٣٨.

(٢ - ٢) فى ص: «الحاكم العباسى وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ونائب مصر الأمير سيف الدين رسلان، وقضاء مصر القاضى تقى الدين بن دقيق العيد الشافعى والحنفى [ ] ونائب الشام الأمير جمال الدين آقوش الأفرم. وقاضى الشافعية بها بدر الدين بن جماعة والوزير شمس الدين سنقر الأعسر».

(٣) فى م: «الحمارة»، والمحارة: المَرْجِع. انظر الوسيط (م ح ر). ويعنى بالمحارة هنا تكلفة الرجوع إلى مصر.

الجامعِ ،وحرَّض الناسَ على القتالِ ، وساق لهم الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ فى ذلك ، ونهَى عن الإسْراعِ فى الفِرارِ ، ورغَّب فى إنْفاقِ الأموالِ فى الذَّبِّ عن المسلمين وبلادِهم وأموالِهم ، وأن ما يُنْفَقُ فى أجرةِ الهربِ إذا أُنْفِق فى سبيلِ اللَّهِ تعالى كان خيرًا ، وأوْجَب جِهادَ التَّتَرِ حَتْمًا فى هذه الكَرَّةِ ، وتابَع المجَالسَ فى ذلك ، ونُودِى فى البلدانِ : لا يُسافِرْ أحدٌ إلا بمرسومٍ وورقةٍ . فتوَقَّف الناسُ عن السيرِ ، وسكَن جَأْشُهم ، وتحَدَّث الناسُ بخروجِ السلطانِ مِن القاهرةِ بالعَساكرِ المنصورةِ ودَقَّت البَشائرُ لخروجِه[1] ، لكن كان قد خرَج جَماعةٌ مِن بُيوتاتِ دمشقَ كبيتِ ابنِ صَصْرَى وبيتِ ابنِ فضلِ اللَّه وابنِ مُنَجَّا وابنِ سُوَيْدٍ وابنِ الزَّمْلكانىِّ وابنِ جَماعةَ .

وفى أولِ ربيعِ الآخِرِ قوِى الإرْجافُ بأمرِ التَّتارِ ، وجاء الخبرُ بأنهم قد وصَلوا إلى البِيرةِ ، ونُودِى فى البلدِ أن تَخْرُجَ العَامَّةُ مع العَسْكرِ ، وجاء مَرْسومُ النائبِ مِن المَرْجِ بذلك ، فاسْتُعْرِضوا فى أثناءِ الشهرِ ، فعُرِض نحوٌ من خمسةِ آلافٍ مِن العامَّةِ بالعُدَّةِ والأسْلحةِ على قدرِ طاقتِهم ، وقنَت الخطيبُ ابنُ جَماعةَ فى الصلواتِ كلِّها ، واتَّبَعه أئمةُ المساجدِ ، وأشاع المُرْجِفون بأن التَّتارَ قد وصَلوا إلى حَلَبَ ، وأن نائبَ حلبَ تقَهْقَر إلى حَماةَ ، ونُودِى فى البلدِ بتَطْييبِ قُلوبِ الناسِ وإقْبالِهم على مَعايشِهم ، وأن السلطانَ والعساكرَ واصلةٌ ، وأُبْطِل دِيوانُ المُسْتَخْرِجِ وأُقِيموا ، ولكن كانوا قد اسْتَخْرَجوا أكثرَ مما أُمِروا به ، وبقِيَت بواقٍ على الناسِ الذين قد اخْتَفَوْا ، فعُفِى عما بقِى ، ولم يُرَدَّ ما سلَف ، لا جَرَمَ أن عَواقبَ هذه الأفعالِ خُسْرٌ ونُكْرٌ ، وأن أصحابَها لا يُفْلِحون ، ثم جاءت الأخبارُ بأن سلطانَ

---

(١) فى ص : « لخروج السلطان من ديار مصر إلى الشام » .

مصرَ رجَع عائدًا إلى مصرَ (١ بعدَ أن خرَج منها قاصدًا الشامَ ١) ، فكثُر الخوفُ ، واشْتَد الحالُ ، وكثُرَت الأمطارُ جدًّا ، وصار بالطُّرُقاتِ مِن الأوْحالِ والسُّيولِ ما يَحُولُ بينَ المَرْءِ وبينَ ما يُرِيدُه مِن الانْتِشارِ فى الأرضِ والذَّهابِ فيها ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون .

وخرَج كثيرٌ مِن الناسِ خِفافًا وثِقالًا يَتَحَمَّلون بأهاليهم وأولادِهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمون ، وجعَلوا يَحْمِلون الصِّغارَ فى الوَحَلِ الشديدِ والمَشَقَّةِ على الدوابِّ والرِّقابِ ، وقد ضعُفَت الدَّوابُّ مِن قلةِ العَلَفِ مع كثرةِ الأمْطارِ والزَّلْقِ والبردِ الشديدِ والجوعِ وقلةِ الشىءِ ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ العلىِّ العظيمِ ، واسْتَهَل جُمادَى الأولى ، والناسُ على خُطَّةٍ صعبةٍ مِن الخوفِ ، وتأخُّرِ السلطانِ واقْتِرَابِ العدوِّ ، وشدةِ الأمرِ والحالِ ، وخرَج الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تيميةَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، فى مُسْتَهَلِّ هذا الشهرِ ، وكان [١٠/١٢٤ظ] يومَ السبتِ ، إلى نائبِ الشامِ وعساكرِه بالمَرْجِ ، فثبَّتهم وقوَّى جَأْشَهم ، وطيَّب قلوبَهم ، ووعَدهم بالنصرِ والظَّفَرِ على الأعداءِ ، وتلا قولَه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج : ٦٠] . وبات عندَ العَسْكرِ ليلةَ الأحدِ ، ثم عاد إلى دمشقَ ، وقد سأَله النائبُ والأمراءُ أن يَرْكَبَ على البَريدِ إلى مصرَ يَسْتَحِثُّ السلطانَ على المَجِىءِ ، فساق وراءَ السلطانِ ، وكان السلطانُ قد وصَل إلى الساحلِ ، فلم يُدْرِكْه إلا وقد رجَع إلى القاهرةِ ، وتفارَط الحالُ ، ولكنه اسْتَحَثَّهم على تَجْهيزِ العَسـاكرِ إلى الشامِ

(١ - ١) فى ص : « من الزلزلة التى كان بها فى نواحى الساحل » .

(١) إن كان لهم به حاجةٌ، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعْرَضْتُم عن الشامِ وحمايتِه، أقَمْنا له سلطانًا يَحُوطُه ويَحْمِيه، ويَسْتَغِلُّه فى زمنِ الأمنِ. ولم يَزَلْ بهم حتى جُرِّدَت العَساكرُ إلى الشامِ، ثم قال: لو قُدِّر أنكم لسْتم حُكَّامَ الشامِ ولا مُلوكَه واسْتَنْصَركم أهلُه وجَب عليكم النصرُ، فكيف وأنتم حُكامُه وسَلاطينُه، وهم رَعاياكم وأنتم مسئولون عنهم. وقوَّى جَأْشَهم، وضمِن لهم النصرَ هذه الكَرَّةَ، فخرَجوا إلى الشامِ(١)، فلما تواصَلَت العَساكرُ إلى الشامِ فرِح الناسُ فَرَحًا شديدًا، بعدَ أن كانوا قد يَئِسوا مِن أنفسِهم وأهْلِيهم وأموالِهم، ثم قوِيَت الأَراجِيفُ بوصولِ التَّتارِ وتحَقَّق أهلُ الشامِ عَوْدَ السلطانِ إلى مصرَ، ونادَى ابنُ النَّحَّاسِ مُتَوَلِّى دمشقَ فى الناسِ: مَن قدَر على السفرِ فلا يَقْعُدْ بدمشقَ. فتَصايحَ النِّساءُ والوِلدانُ، ورهِق الناسَ ذِلَّةٌ عظيمةٌ وخَمْدةٌ، وزُلْزِلوا زِلْزالًا شديدًا، وغُلِّقَت الأسْواقُ، وتيقَّن الناسُ أن لا ناصرَ لهم إلا اللَّهُ عز وجل، وأن نائبَ الشامِ لما كان فيه قوةٌ مع السلطانِ عامَ أولَ لم يَقْوَ على الْتِقاءِ جيشِ التَّتارِ فكيف به الآن وقد عزَم على الهربِ؟ ويَقُولون: ما بقِى أهلُ دمشقَ إلا طُعْمةَ العدوِّ. (٢)ودخَل كثيرٌ من الناسِ القلعةَ، وامتنعَ الناسُ من النومِ والقَرارِ، وخرج(٢) كثيرٌ مِن الناسِ إلى البَرارىِّ والقِفارِ بأهاليهم مِن الكِبارِ والصغارِ، ونُودِى فى الناسِ: مَن كانت نيتُه الجهادَ فلْيَلْحَقْ بالجيشِ؛ فقد اقْتَرَب وُصولُ التَّتارِ. ولم يَبْقَ بدمشقَ مِن أكابرِها إلا القليلُ، وسافَرَ القاضى ابنُ جَماعةَ وشمسُ الدينِ بنُ الحَرِيرىِّ ونجمُ الدين ابنُ صَصْرَى ووجيهُ الدينِ ابنُ مُنَجَّا، وقد سبَقتهم بيوتُهم إلى الديارِ المصريةِ، وجاءت الأخبارُ بوصولِ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

التَّتارِ إلى سَرْمِينَ[1] ، وخرَج الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارقىُّ والشيخُ إبراهيمُ الرَّقِّىُّ وابنُ قِوامٍ[2] وشرفُ الدينِ ابنُ تيميةَ وابنُ خبارةَ[3] إلى نائبِ السلطنةِ الأفْرمِ ، فقَوَّوَا عزمَه على مُلاقاةِ العدوِّ ، واجْتَمَعوا بمُهَنَّا أميرِ العربِ ، فحرَّضوه على قتالِ العدوِّ ، فأجابهم بالسمعِ والطاعةِ ، وقوِيَت نِياتُهم على ذلك ، وخرَج طُلْبُ سَلَّار مِن دمشقَ إلى ناحيةِ الجيشِ بالمَرْجِ ، واسْتَعَدوا للحربِ والقتالِ بنياتٍ صادقةٍ .

ورجَع الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تيميَةَ مِن الديارِ المصريةِ فى السابعِ والعشرين مِن جُمادَى الأولى على البريدِ ، وقد أقام بقلعةِ مصرَ ثمانيةَ أيامٍ واجْتَمع بالسلطانِ والوزيرِ وأعْيانِ الدولةِ ، وحثَّهم وحرّضهم ، فأجابوه . وقد غلَت الأسعارُ بدمشقَ جدًّا ، حتى أنه أُبيع خرُوفانِ بخمسِمائةِ درهمٍ ، واشْتَدَّ الحالُ جدًّا ، [١٠/١٢٥و] ثم جاءَت الأخبارُ بأن ملكَ التَّتارِ قد خاض الفُراتَ راجعًا عامَه ذلك ؛ لضعفِ جيشِه وقلةِ مددِه ، فطابَت النفوسُ بذلك ، وسكَن الناسُ ، وعادوا إلى منازلِهم مُنْشَرِحِين آمِنِين مُسْتَبْشِرين ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين . ولما جاءَت الأخبارُ بعدمِ وصولِ التَّتارِ إلى الشامِ فى جُمادَى الآخِرةِ تراجَعَت أنفسُ الناسِ إليهم ، وعاد نائبُ السَّلْطنةِ إلى دمشقَ ، وكان مُخَيِّمًا فى المَرْجِ مِن مدةِ أربعةِ أشهرٍ مُتَتابِعةٍ ، وكان هذا مِن أعظمِ الرِّباطِ ، وتراجَع الناسُ إلى أوْطانِهم .

وكان الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارقىُّ قد درَّس بالناصريةِ لغَيْبةِ مدرسِها كمالِ الدينِ بنِ الشَّرِيشىِّ بِالكَرَكِ هاربًا ، ثم عاد إليها فى رمضانَ ، وفى أواخِرِ الشهرِ

---

(١) فى الأصل ، م : « سرقين » . وسرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . معجم البلدان ٣/ ٨٣.
(٢) فى ص : « قرام » .
(٣) فى ص : « حيازة » وفى عقد الجمان : « حبان » .

درَّس ابنُ الزَّكىِّ بالدَّوْلَعيةِ عِوَضًا عن القاضى جَمالِ الدينِ الزُّرَعىِّ لغَيْبتِه ، وفى يوم الاثنينِ قُرِئَت شُروطُ الذِّمَّةِ عليهم ، وأُلْزِموا بها ، واتَّفَقَت الكلمةُ على عزلِهم عن الجهاتِ ، وأُخِذوا بالصَّغارِ ، ونُودِى بذلك فى البلدِ ، وأُلْزِم النَّصارى بالعَمائمِ الزُّرْقِ ، واليهودُ بالصُّفْرِ ، والسَّامِرَةُ بالحُمْرِ ، فحصَل بسببِ ذلك خيرٌ كثيرٌ ، وتَمَيَّزوا عن المسلمين . وفى عاشرِ رمضانَ جاء المَرْسومُ بالمُشارَكةِ بينَ أرْجُواش والأميرِ سيفِ الدينِ أقجِبا فى نِيابةِ القلعةِ ، وأن يَرْكَبَ كلُّ واحدٍ منهما يومًا ، ويَكُونَ الآخَرُ بالقلعةِ يومًا ، فامْتَنع أَرْجُواش مِن ذلك .

وفى شوالٍ درَّس بالإقْباليةِ الشيخُ شِهابُ الدينِ بنُ المجْدِ عِوَضًا عن عَلاءِ الدينِ القُونوِىِّ[1] بحكمِ إقامتِه بالقاهرةِ ، وفى يومِ الجمعةِ الثالثِ والعشرين مِن ذى القَعْدةِ عُزِل شمسُ الدينِ بنُ الحَرِيرىِّ عن قَضاءِ الحنفيةِ بالقاضى جَلالِ الدينِ ابنِ حُسامِ الدينِ على قاعدتِه وقاعدةِ أبيه ، وذلك باتِّفاقٍ مِن الوزيرِ الأميرِ شمسِ الدينِ سُنْقُر الأعْسَرِ ، ونائبِ السلطنةِ جمالِ الدينِ آقوش الأفْرَمِ .

وفيها وصَلَت رسلُ ملكِ التَّتارِ إلى دمشقَ فى أواخرِ الشهرِ ، فأُنْزِلوا بالقَلْعةِ ، ثم ساروا إلى مصرَ .

ومِمَّن تُوُفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ الصالحُ حسنٌ الكُرْدىُّ[2] ، المقيمُ بالشاغورِ فى بُسْتانٍ له ، يَأْكُلُ مِن غَلَّتِه ، ويُطْعِمُ مَن ورَد عليه ، وكان يُزارُ ، ولما احْتُضِر اغْتَسَل ، وأخَذ مِن شعرِه ، واسْتَقْبَل القِبلةَ ، وركَع رَكَعاتٍ ، ثم تُوُفِّى ، رحِمه اللَّهُ ، يومَ الاثنينِ الرابع مِن

---

(١) فى الأصل : « القزوينى » .

(٢) الوافى بالوفيات ١٢/٣١٣، وعقد الجمان ٤/١٤٧، والمنهل الصافى ٥/١٤٦، والدليل الشافى ١/٢٧٢.

جُمادَى الأولى ، وقد جاوَز المائةَ سنةٍ .

الطَّواشِى صَفِىُّ الدينِ جَوْهَرٌ التَّفْلِيسىُّ المُحَدِّثُ[1] ، اعْتَنى بسَماعِ الحديثِ وتَحْصيلِ الأجْزاءِ ، وكان حسنَ الخُلقِ ، ليِّنَ الجانبِ ، وكان رجلًا جيدًا مباركًا صالحًا ، وأوقَف أجْزاءَه التى ملَكها على المُحَدِّثِين .

الأميرُ عزُّ الدينِ محمدُ بنُ أبى الهَيْجاءِ بنِ محمدٍ الهذبانىُّ الإرْبِلىُّ[2] ، مُتَوَلِّى دمشقَ ، كان لديه فَضائلُ كثيرةٌ فى التاريخِ والشعرِ ، وربما جمَع شيئًا فى ذلك ، وكان يَسْكُنُ بدربِ سقون[3] فعُرِف به ، فيقالُ : دربُ ابنِ أبى الهَيْجاءِ . وهو أولُ منزلٍ نزَلْناه حينَ قدِمْنا دمشقَ فى سنةِ ستٍّ وسبعِمائةٍ ، ختَم اللَّهُ لنا بخيرٍ فى عافيةٍ آمِين ، وكانت وفاةُ ابنِ أبى الهَيْجاءِ فى طريقِ مصرَ ، وله ثمانون سنةً ، وكان مَشْكورَ السِّيرةِ ، حسَنَ المُحاضَرةِ .

الأميرُ جَمالُ الدينِ آقوشُ الشَّرِيفىُّ[4] ، والى الوُلاةِ بالبلادِ القِبْلِيةِ ، تُوُفِّى فى شوالٍ ، وكانت له هَيْبةٌ وسَطْوةٌ [١٠/١٢٥ظ] وحُرْمةٌ .

---

(١) عقد الجمان ٤/ ١٥٦، والمنهل الصافى ٥/ ٤٥، والدليل الشافى ١/ ٢٥٥ وفيه : « النفيسى » .

(٢) الوافى بالوفيات ٥/ ١٧٠، والسلوك ١/ ٩١٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٤/ ١٥٥، والدرر الكامنة ٥/ ٤٩، والدليل الشافى ٢/ ٧١٠.

(٣) فى الأصل : « سقور »، وفى م : « سحور »، وفى عقد الجمان : « سعود » .

(٤) كنز الدرر ٩/ ٦٣، وعقد الجمان ٤/ ١٥٥، والسلوك ١/ ٩١٧ (القسم الثالث) .

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دَخَلَت سنةُ إِحْدَى وسبعِمائةٍ[1]

اسْتَهلَّت والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قَلاوون، ونائبُه بمصرَ الأميرُ سيفُ الدينِ سَلَّار، وبالشّامِ الأميرُ جمالُ الدينِ آقُوش الأَفْرَمُ. وفى أوَّلِها عُزِل الأميرُ قُطْلُبَك عن نِيابةِ البلادِ الساحليةِ، وتولَّاها الأميرُ سيفُ الدينِ أَسَنْدَمُر[2]، وعُزل عن وِزارةِ مصرَ شمسُ الدينِ الأعْسرُ، وتولَّى سيفُ الدينِ آقْجِبَا[3] المنصوريُّ نيابةَ غزَّةَ، وجُعل عِوضَه بالقلعةِ الأَميرُ سيفُ الدينِ بَهَادُر السنجريُّ[4] وهو مِن البُرْجيَّةِ[5].

وفى صفرٍ رجَعَتْ رسلُ ملكِ التترِ مِن مصرَ إلى دمشقَ، فتلقّاهم نائبُ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٤٦، وذيول العبر ص ١٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٤٩، والسلوك ١/٣/ ٩١٨.

(٢) فى م: «استدمر». وسيأتى فى وفيات سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

(٣) فى ص: «محناى». وانظر الوافى بالوفيات ٩/ ٣٠٥، والمنهل الصافى ٢/ ٤٩٣.

(٤) فى م: «السيجرى»، وفى الدرر الكامنة ٢/ ٣٢: «الشجرى». وانظر السلوك ١/٣/ ٩٤٩، ٢/١/ ١٠٦.

(٥) فى الأصل، م: «الرحبة»، وفى ص: «الترحبة».

السلطنةِ والجيشُ والعامةُ. وفى نصفِ صفرٍ ولى تدريسَ النُّوريَّةِ الشيخُ صدرُ الدينِ علىٌّ البُصْراوىُّ الحنفىُّ عوضًا عن الشيخِ ولىٍّ[1] الدينِ السَّمرْقَندِىِّ، وإنَّما كان وليَها ستةَ أيامٍ، ودرَّس بها أربعةَ دروسٍ بعدَ بنى الصَّدرِ سليمانَ، تُوفِّى، وكان مِن كبارِ الصالحينَ، يُصَلِّى كلَّ يومٍ مائةَ ركعةٍ.

وفى يومِ الأربعاءِ تاسعَ عشَرَ[2] ربيعٍ الأولِ جلَس قاضى القضاةِ وخطيبُ الخطباءِ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ بالخانَقاه السُّمَيْساطِيَّةِ شيخَ الشيوخِ بها عن طلبِ الصوفيةِ له فى ذلك، ورغبتِهم فيه، وذلك بعدَ وفاةِ الشيخِ يوسفَ بنِ حَمُّويه الحَمَوِىِّ، وفرِحَتِ الصوفيةُ به وجلَسوا حولَه، ولم تجتمِعْ هذه المناصبُ قَبلَه لغيرِه، ولا بلَغنا أنَّها اجتمَعَتْ لأحدٍ بعدَه إلى زمانِنا هذا: القضاءُ والخطابةُ ومشيخةُ الشيوخِ[3].

وفى يومِ الاثنين الرابعِ والعشرينَ من ربيعٍ الأوَّلِ قُتِلَ الفَتْحُ [4]أحمدُ بنُ البَقَقِىِّ[4] بالديارِ المِصْرِيَّةِ، حكَم فيه القاضى زَيْنُ الدينِ بنُ مَخْلُوفٍ المالكىُّ بما ثَبتَ عندَه مِن تَنَقُّصِه للشريعةِ المُطهَّرةِ، واستِهزائِه بالآياتِ المُحْكماتِ، ومعارضَةِ

---

(١) فى ص: «زكى». وانظر الدرر الكامنة ٣/٤٧، والدارس ١/٦٢١، والطبقات السنية ٤/٤٢٨. وانظر ما سيأتى فى صفحة ٨.

(٢) فى الدارس ٢/١٥٦ نقلًا عن المصنف: «عشرين».

(٣) بعده فى الأصل زيادة: «قلت: قد اجتمعت بعد موت المؤلف لجماعة؛ منهم برهان الدين بن جماعة، وبعده شرف - فى الأصل: سرير - الدين وعلاء الدين بن أبى البقاء، وشهاب الدين الباعونى، وقبله الغزى - فى الأصل: ابن القرشى - شهاب الدين، وشمس الدين الأخنائى، وشهاب الدين بن حجى، وغير هؤلاء تولوا هذه الوظائف على قاعدة بدر الدين بن جماعة». والنص فى الدارس ٢/١٥٦ من كلام النعيمى، والتصويب منه.

(٤ - ٤) فى الأصل: «محمد بن الثقفى»، وفى م، وشذرات الذهب ٦/ ٢: «أحمد بن الثقفى». وانظر المنهل الصافى ١/ ١٨٧، والدليل الشافى ١/ ٨٧.

المُشْتَبِهاتِ بعضِها ببعضٍ ، ويُذكَرُ عنه أنَّه كان يُحِلُّ المحَرَّماتِ ؛ مِن اللِّواطِ والخمرِ وغيرِ ذلك ، لمَن كان يجتَمِعُ به[1] مِن الفَسَقَةِ مِن التُّرْكِ وغيرِهم من الجَهَلَةِ ، هذا ، وقد كان لَدَيْه فَضِيلةٌ ، وله اشتِغالٌ وهَيْئَةٌ جَميلَةٌ فى الظَّاهِرِ ، وبِزَّتُه ولُبْسَتُه جيدةٌ ، ولمَّا أُوقِفَ عندَ شُبَّاكِ دارِ الحديثِ الكامِليَّةِ بينَ القَصْرَينِ استَغاثَ بالقاضى تقِيِّ الدينِ بنِ دَقِيقِ العيدِ وقال : ما تعرِفُ منِّى ؟ فقال : إنَّما أعْرِفُ منك الفَضيلَةَ ، ولكنَّ حكْمَكَ [2]إلى القاضى[2] زَينِ الدينِ . فأمَر القاضى للوالِى أنْ يُضْرَبَ عُنُقُه ، فضُرِبَ عنُقُه وطِيفَ برأسِه فى البَلدِ ، ونُودِىَ عليه : هذا جزاءُ مَن طعَنَ فى اللَّهِ ورسولِه .

قال الشيخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزَالِىُّ فى « تاريخِه »[3] : وفى وسَطِ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ ورَد كتابٌ مِن بلادِ حَماةَ مِن جهَةِ قاضِيها ، يخْبِرُ فيه أنَّه وقَع فى هذه الأيامِ بِبارِينَ[4] [١٠/١٢٨و] مِن عمَلِ حَماةَ ، بَرَدٌ كِبارٌ على صُوَرِ حيواناتٍ مختلِفةٍ[5] ، مِنها سِباعٌ وحيّاتٌ وعَقارِبُ وطُيورٌ ومَعْزٌ وبَلَشُون[6] ، ورجالٌ فى أوسْاطِهم حوائِصُ ، وأنَّ ذلك ثبَت بمَحْضَرٍ عندَ قاضى الناحيةِ ، ثم نُقِلَ ثُبوتُه إلى قاضى حَماةَ .

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشِرِ[7] ربيعِ الآخرِ شُنِقَ الشيخُ علىٌّ الحَورانِىُّ[8] بوّابُ

---

(١) فى م : « فيه » .

(٢ - ٢) فى ص : « للقاضى » ، وفى حاشية الأصل إشارة إلى أن فى نسخة : « آل إلى القاضى » .

(٣) وانظر كنز الدرر ٩/ ٧٨، ودول الإسلام ٢/ ٢٠٦، وعقد الجمان ٤/ ١٩٢.

(٤) بارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب . معجم البلدان ١/ ٤٦٥.

(٥) بعده فى الأصل ، م : « شتى » .

(٦) فى الأصل ، ص : « نساء » . والبلشون : طائر طويل العنق والرجلين ، يعرف بمالك الحزين ، يعيش بالقرب من المياه ، ويحزن على ذهابها . انظر حياة الحيوان ١/ ٢٢٢، ٢/ ٣١٣.

(٧) فى ص : « خامس » . وانظر الدارس ١/ ٥٤٥ .

(٨) فى م : « الحويرالى » .

الظاهرِيَّةِ على بابِها ، وذلك أنَّه اعْتَرفَ بقَتْلِ الشيخِ زَيْنِ[1] الدينِ السَّمَرقَنْدِىِّ . وفى النِّصفِ منه حضَر القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ تدريسَ الناصريَّةِ الجَوَّانِيَّةِ عِوضًا عن كمالِ الدينِ بنِ الشَّريشِىِّ[2] ، وذلك أنه ثَبَتَ مَحْضَرٌ أنَّها لقاضى الشافعيَّةِ بدمشقَ ، فانْتَزَعَها مِن يدِ ابنِ الشَّرِيشِىِّ .

وفى يومِ الثلاثاءِ التاسعِ والعِشرينَ مِن جُمادَى الأُولَى قَدِمَ الصَّدْرُ علاءُ الدينِ ابنُ شرَفِ الدينِ بنِ[3] القَلانِسِىِّ على أهلِه مِن بلادِ[4] التترِ بعدَ الأسرِ سنتَيْنِ وأيّامٍ ، وقد حُبِسَ مُدَّةً ثم لطَفَ اللَّهُ به ، وتلَطَّفَ حتى تخَلَّصَ منهم ورجَع إلى أهلِه ففَرِحُوا به .

وفى سادِسِ جُمادَى الآخِرةِ قَدِمَ البريدُ مِن القاهرةِ وأخْبَرَ بوَفاةِ أميرِ المؤْمِنين الخليفةِ الحاكمِ بأمْرِ اللَّهِ العباسِىِّ ، وأنَّ ولَدَه وَلِىَ الخِلافةَ مِن بعدِه ، وهو أبو الرَّبيعِ سُليمانُ ، ولُقِّبَ بالمُسْتَكْفِى باللَّهِ ، وأنَّه حضَر جِنازَتَه الناسُ كلُّهم مُشاةً ، ودُفِنَ بالقُرْبِ مِن السِّتِّ نَفِيسَةَ ، وله أربَعونَ سنةً فى الخلافةِ . وقدِمَ مع البريدِ تقليدٌ بالقَضاءِ لشمسِ الدينِ بنِ[5] الحرِيرِىِّ الحنَفِىِّ ، وبنَظَرِ الدَّواوينِ[6] لشرفِ الدينِ بنِ مُزْهِرٍ[6] ، واستَمرَّتِ الخاتونيَّةُ الجوَّانيَّةُ بيدِ القاضى جلالِ الدينِ بنِ حسامِ الدينِ بإذْنِ نائبِ السَّلطَنةِ . وفى يومِ الجُمُعةِ تاسعِ جُمادَى الآخِرةِ خُطِب للخليفةِ

---

(١) فى ص : « زكى » . وتقدم فى صفحة ٦ وكناه : ولى الدين . وفى دول الإسلام ٢٠٦/٢ ، والدليل الشافى ٤٣٧/١ ، والدارس ٥٤٥/١ - نقلا عن المصنف - : ركن الدين . ولم نجد من كناه زين الدين أو زكى الدين .

(٢) فى ص : « الشيرشى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٣) سقط من : ص . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

(٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : م . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

(٦ - ٦) فى ص : « لسيف الدين نزهر » . وسيأتى فى وفيات سنة أربع عشرة وسبعمائة .

المُسْتَكفِى باللَّهِ ، وتُرُحِّمَ على والدِه بجامعِ دِمشقَ ، وأُعِيدتِ النّاصِريَّةُ إلى ابنِ الشَّرِيشِيِّ ، وعُزِلَ عنها ابنُ جَماعةَ ، ودرَّسَ بها يومَ الأرْبعاءِ الرابعَ عَشَرَ[1] مِن جُمادَى الآخِرةِ .

وفى شوَّالٍ [2]قَدِم إلى الشامِ[2] جَرادٌ عظيمٌ أكَل الزَّرعَ والثِّمارَ ، وجَرَّدَ الأشْجارَ حتى صارَتْ مثلَ العِصِيِّ ، ولم يُعْهَدْ مثلُ هذا . وفى هذا الشهرِ عُقِد مَجلِسٌ لليهودِ الخيابِرَةِ وأُلزِمُوا بأَداءِ الجِزْيَةِ أُسْوَةَ أمْثالِهم مِن اليهودِ ، فأحضَروا كِتابًا معهم يزْعُمون أنَّه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بوَضْعِ الجِزْيَةِ عنهم ، فلمّا وقَف عليه الفُقَهاءُ تبيَّنُوا أنَّه مكْذوبٌ مُفْتَعَلٌ ؛ لِمَا فيه مِن الألفاظِ الرَّكِيكَةِ ، والتَّواريخِ المخُبَّطةِ واللحْنِ الفاحِشِ ، وحاقَقَهم عليه شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْميَّةَ ، وبيَّنَ لهم خَطأَهم وكَذِبَهم ، وأنَّه مُزَوَّرٌ مَكْذُوبٌ ، فأنابُوا إلى أداءِ الجِزْيَةِ ، وخافوا مِن أَن يُسْتَعادَ [3]عليهم بالسنِينَ[3] الماضِيَةِ .

قلتُ : وقد وقَفْتُ أنا على هذا الكتابِ فرأيتُ فيه شهادةَ سعدِ بنِ معاذٍ عامَ خَيْبَرَ ، وقد تُوفِّى قبلَ ذلك بنحوٍ مِن [4]ثلاثِ سِنينَ ، وشهادةَ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، ولم يكنْ أسْلَم إذْ ذاك ، وإنَّما أسْلَم بعدَ ذلك بنحوٍ مِن[4] سَنتينِ ، وفيه : وكتَب علىُّ بنُ أبو[5] طالبٍ . وهذا لحنٌ[6] لا يصْدُرُ عن أميرِ المؤمنينَ علىٍّ ؛ لأنَّ علمَ النحوِ إنما أُسْنِد إليه مِن طريقِ أبى الأسْوَدِ الدُّئلىِّ عنه ، وقد جمَعْتُ فيه جزءًا

---

(١) سقط من : ص . وانظر الدارس ١/٤٦٢ .

(٢ - ٢) فى ص : « حصل بالشام » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « منهم السنون » ، وفى م : « منهم الشئون » . وانظر الخبر فى عقد الجمان ٤/ ١٩٠، ١٩١.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : م ، وفى ص : « أبى » .

(٦) ليس هذا لحنًا ، وإنما له وجه ذكره ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٧ .

مُفردًا ، وذكَرْتُ ما جَرَى فيه أيامَ القاضى الماوَرْدِىِّ وكِبارِ[1] أصحابِنا فى ذلك العصرِ ، وقد ذكَره [١٠/١٢٨ظ] فى « الحاوِى » ، وصاحبُ « الشّامِلِ » فى كتابِه وغيرُ واحدٍ ، وبيَّنوا خطَأَه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى هذا الشهرِ ثار جماعةٌ مِن الحسَدَةِ على الشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْميَّةَ ، وشَكَوْا منه أنَّه يُقِيمُ الحُدودَ ويعَزِّرُ ويَحلِقُ رُءوسَ الصِّبيانِ ، وتكلَّم هو أيضا فى مَن يشْكُو منه ذلك ، وبيَّنَ خطأَهم ، ثم سكنَتِ الأُمورُ .

وفى ذِى القَعْدةِ ضربتِ البشائرُ بقلعةِ دِمشقَ أيامًا بسببِ فتحِ أماكنَ مِن بلادِ سِيسَ عَنْوَةً ، ففتَحها[2] المسلمون ، وللَّهِ الحمدُ . وفيه قدِم عزُّ الدينِ بنُ مُيَسَّرٍ[3] على نظَرِ الدَّواوينِ عِوضًا عن ابنِ مُزهرٍ .

وفى يومِ الثلاثاءِ رابع ذِى الحِجَّةِ حضَر[4] عبدُ السيدِ بنُ[5] المُهَذّبِ دَيَّانُ[6] اليهودِ إلى دارِ العَدلِ ، ومعه أولادُه فأسلَموا كلُّهم ، فأكرَمهم نائبُ السَّلطَنةِ ، وأمَر أن يركَبَ بخِلْعَةٍ وخلفَه الدَّبادِبُ تَضْربُ والبُوقاتُ إلى دارِه ، وعمِل ليلَتئذٍ [7]فى دارِه[7] خَتْمةً عظيمةً حضَرها القُضاةُ والعلماءُ ، وأسلَم على يدَيْهِ جماعةٌ كَثيرةٌ[8] مِن اليهودِ ، وخرَجوا يومَ العيدِ كلُّهم يُكَبِّرون مع المسلمين ، وأكرَمهم

---

(١) فى م : « كتاب » .

(٢) فى الأصل : « فتحها » .

(٣) فى الأصل ، والدارس ٢/١٥٧ : « مبشر » . وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة .

(٤) بعده فى الأصل : « عند » .

(٥) سقط من : ص . وسيأتى فى وفيات سنة خمس عشرة وسبعمائة .

(٦) الديان : الرئيس الدينى ، وهو معرب اللفظ الإسبانى (dean) المشتق من الكلمة اللاتينية (decanus) . السلوك ١/٣/٩١٠ حاشية (٣) .

(٧ - ٧) زيادة من : ص .

(٨) سقط من : ص ، وفى م : « كبيرة » .

النّاسُ إكرامًا زائدًا .

وقدِمت رسلُ التتارِ فى سابعَ عشَرَ [(١) ذِى الحجَّةِ (١)] فنزَلوا بالقلعةِ ، وسافَروا إلى القاهرةِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، وبعد مسيرِهم بيومينِ مات أرْجَواش [(٢)] . وبعدَ موتِه بيومينِ قدِم الجيشُ مِن بلادِ سِيسَ وقد فتَحوا جانبًا منها ، فخرَج نائبُ السَّلطَنةِ والجيشُ لتلقِّيهم ، وخرَج النّاسُ للفُرْجَةِ على العادةِ ، وفرِحوا بقُدومِهم ونصرِهم .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأَعيانِ:

أميرُ المؤمنيـنَ الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المسترشِدِ باللَّهِ الهاشمىُّ العباسىُّ البغدادىُّ المصرىُّ [(٣)] ، بُويِعَ بالخلافةِ فى الدولةِ الظّاهرِيَّةِ فى أوَّلِ سنةِ إحدَى وستِّينَ وستِّمائةٍ ، فاستَكمَل أربعينَ سنةً فى الخلافةِ ، وتُوفِّى ليلةَ الجُمُعةِ ثامنَ عشَرَ [(٤)] جُمادَى الأُولَى ، وصُلِّى عليه وقتَ صلاةِ العصرِ بسوقِ الخيلِ [(٥)] بمصر [(٦)] ، وحضَر جِنازَته الأعْيانُ والدولةُ كلُّهم مُشَاةً ، [(٧)] ودُفِن قريبًا من الستِّ نفيسةَ [(٧)] ، وكان قد عَهِد بالخلافةِ إلى ولَدِه المذكورِ أبى الربيعِ سُلَيمانَ ، [(٧)] ولُقِّبَ بالمُسْتَكفِى باللَّهِ أميرِ المؤمنينِ [(٧)] .

(١ - ١) فى ص : « ذى القعدة » .

(٢) فى م ، ص : « أرجواس » . وستأتى ترجمته قريبا فى الوفيات .

(٣) ذيول العبر ص ١٧ ، والوافى بالوفيات ٦/ ٣١٧ ، والسلوك ١/٣/ ١٩١٩ ، والدرر الكامنة ١/ ١٢٨ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢ .

(٤) سقط من : ص .

(٥) سوق الخيل : كان بمنطقة الرميلة ، تحت ساحة قلعة الجبل . المنهل الصافى ٣/٤٦ حاشية (٦) .

(٦) سقط من : م .

(٧ - ٧) زيادة من : ص .

خلافةُ المستكفِى باللّـهِ أميرِ المؤمنيـنَ ابنِ الحاكمِ بأمرِ اللّـهِ العباسِـىِّ

لمّا عهِد إليه أبوه[1] كُتِبَ تَقْلِيدُه بذلك ، وقُرِئَ بحَضْرةِ السّلطانِ والدولةِ يومَ الأحدِ العشرينَ مِن ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السنةِ ، وخُطِبَ له على المنابرِ بالديارِ المصريّةِ والشاميَّةِ ، وسارَتْ بذلك البريديَّةُ إلى جميعِ البلادِ الإسلاميَّةِ .

وتُوفِّى فيها **الأميرُ عزُّ الدينِ أَيْبك** [2]**بنُ عبدِ اللّهِ**[2] **النَّجِيبِىُّ الدَّوَادَار**[3] ، والى [4]البَرِّ بدِمَشْقَ[4] ، وأحدُ أمراءِ الطَّبْلَخانَاه[5] بها ، وكان مشكُورَ السِّيرةِ ، ولم تطُلْ مدَّتُه ، ودُفِن بقاسِيونَ ، تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ سادسَ عشَرَ ربيعٍ الأوَّلِ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : عقد الجمان ٤/ ٢٠٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٥٢.

(٣) فى م ، ص : « الدويدار » . والدوادار : ممسك الدواة ، وهو لقب على الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير ويتولى أمرها مع ما يلزم من ذلك من حكم وتنفيذ أمور . صبح الأعشى ٥/ ٤٦٢.

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « دمشق » ، وفى ص : « البريد » . والمثبت من مصدرى الترجمة . وكانت هذه الوظيفة مختصة بشئون ظواهر دمشق ، وكانت وظيفته مع والى دمشق التحدث فى أمر الشرطة . انظر صبح الأعشى ٤/ ١٨٧، ١٩٨، ٣٢٠، والسلوك ١/٣/ ٧٢٣، ٧٢٤ حاشية (٤) .

(٥) فى الأصل ، م : « الطبلخانة » . والطبلخاناه : طبول متعددة معها أبواق تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ، تدق فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب . صبح الأعشى ٤/ ٨.

الشيخُ الإمامُ العالمُ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الشيخِ الإمامِ العالـم العلَّامةِ الحافظِ الفقيهِ تَقِيِّ الدينِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ (١)الشيخِ أبى الحسينِ(٢) أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عيسَى (٣)بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ(٣) اليُونينيُّ البَعْلَبَكِّيُّ(١) ، وكان أكبرَ مِن أخيه الشيخِ قُطْبِ الدينِ بنِ الشيخِ الفقيهِ ، وُلِدَ شرفُ الدينِ سنَةَ إحدَى وعشرينَ وستِّمائةٍ ، فأسْمَعه أبوه الكثيرَ ، واشْتَغل وتفَقَّه ، وكان عابدًا عاملًا كثيرَ الخشوعِ ، [١٠/١٢٩و] دخَل عليه إنسانٌ وهو بخِزانَةِ الكُتُبِ فجعَل يضْرِبُه بعصًا فى رأْسِه ثم بسكِّينٍ ، فَبَقِى مُتَمَرِّضًا أيامًا ، ثم تُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ يومَ الخميسِ حادِى عشَرَ رمضانَ(٤) ببعلَبكَّ ، ودُفِنَ ببابِ سَطْحا(٥) ، وتأسَّفَ النّاسُ عليه لعلْمِه وعملِه وحِفْظِه الأحاديثَ وتوَدُّدِه إلى النّاسِ وتواضُعِه وحسنِ سَمْتِه ومُرُوءَتِه ، تَغمَّده اللَّهُ برحمَتِه .

الصّدرُ ضياءُ الدينِ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ شيخِ السَّلَامِيَّةِ(٦) ، والدُ القاضِى قُطْبِ الدينِ موسَى الذى تولَّى فيما بعدُ نظَرَ الجيشِ بالشامِ وبمصرَ أيضًا ،

(١ - ١) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٤٥، والدرر الكامنة ٣/ ١٧١، وعقد الجمان ٤/ ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٨.

(٢) فى م : « الحسن » .

(٣ - ٣) فى ص : « بن محمد بن أحمد » .

(٤) فى ص : « شعبان » .

(٥) فى النسخ : « بطحا » . والمثبت من ذيل طبقات الحنابلة وعقد الجمان ، وانظر صفحة ٣٨.

(٦) فى ص : « الإسلام » . والسلامية : قرية كبيرة بنواحى الموصل على شرقى دجلتها بينهما ثمانية فراسخ للمنحدر إلى بغداد . معجم البلدان ٣/ ١١٣.

وانظر ترجمته فى : السلوك ١/٣/ ٩٢٤، والدرر الكامنة ١/ ١٣٣، وعقد الجمان ٤/ ٢٠٠.

تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ عشرينَ[1] ذِى القَعْدةِ، ودُفِنَ بقاسِيونَ، وعُمِلَ عَزاؤُه بالرَّواحِيَّةِ.

الأميرُ الكبيرُ المجاهدُ المرابطُ علمُ الدينِ أَرْجَوَاش بنُ عبدِ اللَّهِ المنصوريُّ[2]، نائبُ القلعةِ بالشّامِ، كان ذا هَيْبَةٍ وهِمَّةٍ وشَهامةٍ وقَصْدٍ صالحٍ، قَدَّرَ اللَّهُ على يدَيْه حفْظَ مَعْقِلِ المسلمين لمَّا ملَكتِ التَّتارُ الشّامَ أيامَ قازانَ، وعصَتْ عليهم القلعةُ، ومنَعها اللَّهُ منهم على يدَىْ هذا الرجلِ، فإنَّه التَزم أنْ لا يسَلِّمَها إليهم ما دامَ بها عَيْنٌ تطْرِفُ، واقتَدَت بها بقيّةُ القِلاعِ الشاميَّةِ، وكانت وفاتُه بالقلعةِ ليلةَ السبتِ الثانِى والعشرينَ مِن ذى الحِجَّةِ، وأُخْرِج منها ضَحْوةَ يومِ السبتِ فصُلِّىَ عليه، وحضَر نائبُ السَّلطَنةِ فمَن دونَه جِنازتَه، ثم حُمِلَ إلى سفْحِ قاسِيونَ فدُفِنَ فى تربَتِه، رحِمَه اللَّهُ تعالى.

الأَبَرْقُوهِىُّ المُسْنِدُ المُعَمَّرُ المِصرىُّ[3]، هو الشيخُ الجليلُ المُسْنِدُ الرُّحْلَةُ، بقِيَّةُ السّلفِ، شهابُ الدينِ أبو المعالِى أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ المؤيّدِ بنِ علىِّ ابنِ إسماعيلَ بنِ أبى طالبٍ، الأَبَرْقُوهِىُّ الهَمَذانىُّ ثم المِصرىُّ، وُلِدَ بأَبَرْقُوه[4] من بلادِ شِيرازَ فى رجبٍ أو شعبانَ سنةَ خمسَ عشْرةَ وستِّمائةٍ، وسمِعَ الكثيرَ مِن

---

(١) فى عقد الجمان: «العاشر».

(٢) الوافى بالوفيات ٨/ ٣٣٨، والسلوك ١/٣/ ٩٢٤، والدرر الكامنة ١/ ٣٧١، والمنهل الصافى ٢/ ٢٩٤، والدليل الشافى ١/ ١٠٣. وسماه فى النجوم الزاهرة ٨/ ١٩٨، سنجر بن عبد اللَّه المعروف بأرجواش المنصورى.

(٣) ذيول العبر ص ١٨، والوافى بالوفيات ٦/ ٢٤٢، والعقد الثمين ٣/ ١٥، والدرر الكامنة ١/ ١٠٩، والمنهل الصافى ١/ ٢٣٥، والدليل الشافى ١/ ٣٩.

(٤) أبرقوه: يكتبها بعضهم: أبرقويه، وأهل فارس يسمونها وَرْكُوه، ومعناها فوق الجبل، وهو بلد مشهور بأرض فارس من كورة إصطخر قرب يَزْد. معجم البلدان ١/ ٨٥. وانظر دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٧٧.

الحديثِ على المشايخِ الكثيرين، وخُرِّجت له مَشْيَخاتٌ، وكان شيخًا حسنًا مُتَيقِّظًا[1]، تُوفِّى بمكةَ بعدَ خُروجِ الحجِيجِ بأرْبَعةِ أيامٍ، رحِمَه اللَّهُ تعالى.

وفيها تُوفِّى **صاحبُ مَكةَ الأميرُ الشّريفُ أبو نُمَيٍّ**[2] **محمدُ بنُ الأميرِ أبى سعدٍ حسنِ بنِ علىِّ بنِ قَتادةَ الحَسَنِىُّ**[3]، صاحبُ مكةَ منذُ أربعينَ سنةً، وكان حليمًا وَقورًا ذا رأيٍ وسِياسةٍ وعقْلٍ ومُروءَةٍ.

وفيها وُلد كاتبُه إسماعيلُ بنُ عمرَ بنِ كثيرٍ القرشىُّ البُصْروىُّ[4] الشافعىُّ، عَفا اللَّهُ عنه. واللَّهُ سبحانه أعلمُ.

---

(١) فى الأصل، م: «لطيفًا مطيقًا». وانظر عقد الجمان ٤/ ٢٠٠.

(٢) فى الأصل: «سمى»، وفى م: «تمى». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٦، والعقد الثمين ١/ ٤٥٦، والسلوك ١/٣/ ٩٢٦، والدرر الكامنة ٤/ ٤٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢.

(٣) فى الأصل: «الحسينى».

(٤) فى م: «المصرى». وهو مؤلف الكتاب رحمه اللَّه.

ثم دخَلَتْ سنةُ اثنتينِ وسبعِمائةٍ[1]

اسْتهَلَّتْ والحكامُ هم المذكورون فى التى قبلَها .

وفى يومِ الأربعاءِ ثانى صَفَرٍ منها فُتِحت جزيرةُ أَرْوَادَ[2] بالقربِ مِن أَنْطَرْطُوسَ[3] ، وكانتْ مِن أضرِّ الأماكنِ على أهلِ السّواحلِ ، فجاءَتْها مراكِبُ مِن الدِّيارِ المصريَّةِ فى البحرِ [4]واردٌ فيها[4] جيوشُ طَرابُلُسَ ، ففُتِحَتْ ، وللَّهِ الحمدُ ، إلى[5] نِصْفِ النّهارِ ، وقَتَلوا مِن أهلِها قريبًا مِن ألفَينِ ، وأَسَرُوا قريبًا مِن خَمسِمائةٍ [6]ودَقَّتِ البشائرُ بدمشقَ ثلاثةَ أيّامٍ سُرورًا وفرَحًا[6] ، وكان فَتْحُها مِن تَمامِ فتْحِ السّواحلِ ، وأرَاحَ اللَّهُ المسلمينَ مِن شَرِّ أهْلِها .

وفى يومِ الخميسِ سابعَ عشرَ صَفَرٍ وصَل البريدُ إلى دمشقَ ، فأخبَر بوفاةِ قاضِى القُضاةِ ابنِ دقيقِ العيدِ ، ومعه كتابُ السّلطانِ إلى قاضِى القُضاةِ بدرِ الدينِ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٤٧، وكنز الدرر ٩/ ٦٤، وذيول العبر ص ٢١، ودول الإسلام ٢/ ٢٠٧.

(٢) جزيرة أرواد : جزيرة فى البحر قرب قسطنطينية ، غزاها المسلمون وفتحوها فى سنة ٥٤هـ. معجم البلدان ١/ ٢٢٤. السلوك ١/٣/٩٢٣ حاشية (٧) .

(٣) فى النسخ ، والسلوك ١/٣/ ٩٢٨: «أنطرسوس» . وانظر ١٦/ ٧٩.

(٤ - ٤) فى م : «وأردفها» ، وفى ص : «وأورد فيها» .

(٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) زيادة من : ص .

ابنِ جَماعةَ ، فيه تعْظيمٌ له واحترامٌ وإكْرامٌ ، يستَدْعِيه إلى قُرْبه ليباشِرَ وظيفةَ القضاءِ بمصرَ على عادَتِه ، فتهيَّأَ لذلكَ ، ولما عزَم[1] خرَج معه نائبُ السّلطنةِ الأَفْرَمُ وأهلُ الحلِّ والعقدِ وأعيانُ النّاسِ ليودِّعُوه ، [١٠/١٢٩ظ] وسَتأْتِى ترجمةُ ابنِ دقيقِ العيدِ فى الوفيَاتِ . ولما وصَل ابنُ جماعةَ إلى مصرَ أكرَمه السُّلطانُ إكرامًا زائدًا ، وخلَع عليه خِلْعَةَ صُوفٍ وبَغْلَةً تساوى ثلاثةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، وباشَر الحكْمَ بمصرَ يومَ السبتِ رابع ربيعِ الأوَّلِ . ووصلَتْ رسلُ التتارِ فى أواخرِ ربيعِ الأوَّلِ قاصدينَ بلادَ مصرَ .

وباشر شرفُ الدينِ الفَزارِىُّ مَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ الظاهريَّةِ يومَ الخميسِ ثامن ربيعِ الآخِرِ عِوضًا عن شرفِ الدينِ الناسخِ ، وهو أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ حسنِ بنِ خواجَا إمـــام الدينِ[2] الفارِسىُّ ، تُوفِّى بها عن سبعينَ سنةً ، وكان فيه بِرٌّ ومعروفٌ وله[3] أخلاقٌ حسَنةٌ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، وذكَر الشيخُ شرفُ الدينِ المذْكورُ درسًا مُفيدًا ، وحضَر عندَه جماعةٌ مِن الأعيانِ .

وفى يومِ الجمعةِ حادى عشْرين[4] جُمادَى الأُولَى خُلِع على قاضِى القُضاةِ نجمِ الدينِ بنِ صَصْرَى بقَضاءِ الشّامِ عِوَضًا عن ابنِ جَماعةَ ،وعلى الشيخِ زينِ الدينِ الفارِقِىِّ بالخطابَةِ ، وعلى الأميرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْس

---

(١) فى الأصل ، م : « خرج » .
(٢) سقط من : م ، ص . و انظر الدارس ١/ ٣٥٧.
(٣) سقط من : م .
(٤) فى م : « عشر » .

التِّلاوِىِّ[1] بشَدِّ الدَّواوينِ[2] ، وهنَّأهم النّاسُ ، وحضَر نائبُ السّلطَنَةِ والأعيانُ المقْصُورةَ لسماعِ الخُطْبَةِ ، وقُرِئَ تقليدُ ابنِ صَصْرَى بعدَ الصلاةِ ، ثم جلَس فى الشُّبَّاكِ الكَمالِـىِّ ، وقُرِئَ تقلِيدُه مرَّةً ثانيةً .

وفى جُمادى الأُولَى وقَع بيدِ نائبِ السّلطنةِ كتابٌ مُزَوَّرٌ ، فيه أنَّ الشيخَ تقىَّ الدينِ ابنَ تَيْميَّةَ والقاضىَ شمسَ الدينِ بنَ الحرِيرىِّ وجماعةً مِن الأُمراءِ والخواصِّ الذين ببابِ السلطنةِ يُناصِحون التترَ ويكاتِبُوهم[3] ، ويريدُونَ توليةَ قَبْجَق على الشامِ ، وأنَّ الشيخَ كمالَ الدينِ بنَ الزَّمْلَكَانِىِّ يعْلِمُهم بأحوالِ الأميرِ جمالِ الدينِ آقُوش الأَفْرَمِ ، وكذلك كمالُ الدينِ بنُ العَطَّارِ ، فلمّا وقَف عليه نائبُ السلطنَةِ عرَف أنّ هذا مُفْتَعَلٌ ، ففحَص عن واضِعِه فإذا هو فقيرٌ كان مُجاوِرًا بالبيتِ الذى كان إلى جانبِ مِحرابِ الصّحابةِ ، يقالُ له : اليَعْفُورِىُّ . وآخرُ معه يقالُ له : أحمدُ الفنارىُّ[4] . وكانا معروفَين بالشرِّ والفُضولِ ، ووُجد معهما مُسَوَّدَةُ هذا الكتابِ ، فتحَقَّق نائبُ السّلطَنةِ ذلك ، فعُزِّرا تعْزِيرًا عَنِيفًا ، ثم وُسِّطا[5] بعدَ ذلك [6]فى مُسْتهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ[6] ، وقُطِعتْ يدُ الكاتبِ الذى كتَب لهما هذا الكتابَ ، وهو التّاجُ بنُ[7] المناديلىِّ . وفى أواخرِ جُمادَى الأُولى انتَقلَ الأميرُ سيفُ

---

(١) فى الأصل ، م : « العلاوى » ، وفى ص : « السلارى » . والمثبت من السلوك ١/٣/ ٩٢٩. وانظر النجوم الزاهرة ٨/ ٢١٢.

(٢) شد الدواوين : التفتيش عليها ، ويسمى متولى هذه الوظيفة الشادّ مضافا إلى جهة الاختصاص ، وكان عمله معاونة الوزير فى مراقبة الحسابات ومراجعتها . السلوك ١/١/١٠٥ حاشية (٢) .

(٣) هكذا بحذف النون ، وهى لغة صحيحة معروفة . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١/ ٣٦.

(٤) فى م : « الغنارى » ، وفى ذيول العبر ص ١٩ : « القبارى » .

(٥) التوسيط : عقوبة ، وصفته أن يعرى المحكوم عليه من الثياب ، ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب ويطرح على ظهر جمل ، ثم يضربه السياف ضربة قوية تحت السرة تقسمه نصفين فتندلق أمعاؤه على الأرض . السلوك ١/٢/٤٠٤ حاشية (١) .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : م .

الدينِ بَلَبَان الجُوكَنْدَار[1] المنْصُورِىُّ إلى نيابةِ القلعةِ عِوضًا عن أَرْجَواش.

عَجِيبةٌ مِن عجائبِ البحرِ

قال الشيخُ علمُ الدينِ البِرزالىُّ فى «تاريخِه»[2]: قرأْتُ فى بعضِ الكتبِ الواردةِ مِن القاهرةِ أنَّه لمَّا كان بتاريخِ يومِ الخميسِ رابعِ جمادَى الآخِرةِ ظهَرتْ دابةٌ مِن البحرِ عجيبةُ الخِلْقَةِ مِن بحرِ النيلِ إلى أرضِ المنوفيَّةِ، بينَ بلادِ منيةِ مُسَوَّدٍ[3] وإِصْطُبارِىٍّ والرَّاهبِ[4]، وهذه صفتُها: لونُها لونُ الجاموسِ بلا شَعْرٍ، [5]وآذانُها كآذانِ الجملِ[5]، وعَيْناها[6] وفرجُها مثلُ[7] الناقةِ، يُغَطِّى فرجَها ذنَبٌ طولُه شبرٌ ونصفٌ، طرفُه[8] كذنبِ السمكةِ، ورقبتُها مثلُ غلَظِ التِّلِّيسِ[9] المحشوِّ تِبْنًا، وفمُها وشفَتاها مثلُ الكِرْبالِ[10]، ولها أربعةُ أنيابٍ، اثنانِ مِن فوقَ واثنانِ

---

(١) الجوكندار والجوكاندار: لقب على الذى يحمل الجوكان - المحجن والصولجان - مع السلطان فى لعب الكرة. صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨.

(٢) وعزاه إليه العينى فى عقد الجمان ٤/ ٢٦٦. وانظر كنز الدرر ٩/ ٨٠، والسلوك ١/٣/ ٩٢٩، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٠.

(٣) فى الأصل، م: «مسعود». ومنية مسود من القرى القديمة من أعمال المنوفية، حُرِّف اسمها إلى ميت مسود ثم غيَّره أهلها إلى ميت مسعود. القاموس الجغرافى ٢/ ١٩٥.

(٤) إصطبارى والراهب: بلدتان من القرى القديمة من أعمال المنوفية. القاموس الجغرافى ٢/ ١٨٤، ١٨٥.

(٥ - ٥) فى ص: «وأذنها كأذن الخيل».

(٦) فى ص: «عينها».

(٧) فى ص: «من».

(٨) سقط من: الأصل، م.

(٩) فى النسخ: «التنين»، وفى عقد الجمان: «الكيس». والمثبت من السلوك، والنجوم الزاهرة. والتليس: الكيس الذى يستعمل لتعبئة الغلال والأتبان، ويقال له تليسة أيضا. تهذيب اللغة ١٢/ ٣٨٤.

(١٠) الكِرْبالُ: المِنْدَف الذى يُنْدَف به القطن. اللسان (ك ر ب ل).

مِن أسفلَ، طولُ كلِّ واحِدٍ دونَ الشبرِ فى عَرْضِ أُصبُعينِ، وفى فمِها ثمانيةٌ وأربعونَ ضِرْسًا [١٠/١٣٠و] وسِنًّا[١] مثلَ بيادقِ الشِّطْرَنْجِ، وطولُ يديها مِن باطِنِها إلى الأرضِ شبرانِ ونصفٌ، ومِن ركبتِها إلى حافِرِها مثلُ بطنِ الثعبانِ؛ أصفرُ مُجعَّدٌ، ودَوْرُ حافِرِها مثلُ السُّكُرُّجَةِ، بأربعةِ أظافيرَ مثلِ أظافيرِ الجملِ، وعَرْضُ ظهرِها مقدارُ ذراعينِ ونصفٌ، وطولُها مِن فمِها إلى ذَنَبِها خمسةَ عشَرَ قدمًا، وفى بطنِها ثلاثةُ كُرُوشٍ، ولحمُها أحمرُ، وزُفْرَتُه[٢] مثلُ السمكِ، وطعمُه كلحمِ الجملِ، و[٣]غِلَظُ جِلْدِها[٣] أربعةُ أصابعَ، ما تَعْمَلُ فيه السيوفُ، وحُمِلَ جلدُها على خمسةِ أجْمالٍ فى مدارِ ساعةٍ مِن ثِقْلِه، على جملٍ بعدَ جملٍ، وأحضَروه إلى بينِ يَدَيِ السلطانِ بالقلعةِ، وحَشَوْه تِبْنًا وأقاموه بينَ يَدَيْه.

وفى شهرِ رجبٍ قَوِيَتِ الأخبارُ بعزمِ التتارِ على دُخولِ بلادِ الشامِ، فانزَعَجَ الناسُ لذلك واشتَدَّ خوفُهم جدًّا، وقنَت الخطيبُ فى الصلواتِ، وقُرِئَ «البخاريُّ»، وشرَع الناسُ فى الجفلِ إلى الديارِ المصريةِ والكَرَكِ والحصونِ المنيعةِ، وتأخَّرَ مَجِيءُ العساكرِ المصريةِ عن أوانِها[٤] فاشتَدَّ لذلك الخوفُ.

وفى شهرِ رجبٍ باشَر نجمُ الدينِ بنُ أبى الطيبِ نظرَ الخِزانَةِ عِوضًا عن [٥]الصدرِ أمينِ الدينِ بنِ هلالٍ، تُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى، وباشَر نظَرَ الجامعِ جمالُ الدينِ بنُ الصَّدرِ سليمانَ عِوضًا عن شَرفِ الدينِ بنِ الشَّيْرَجِيِّ[٥].

---

(١) فى النسخ: «سن».
(٢) فى م: «زفر».
(٣ - ٣) فى م: «غلظه».
(٤) فى م: «إبانها»، وفى ص: «إيابهم».
(٥ - ٥) فى الأصل، م: «أمين الدين سليمان».

وفى يومِ السبتِ ثالث شعبانَ باشَر مشيخةَ الشيوخِ بعدَ ابنِ جَماعةَ القاضى ناصرُ الدينِ بنُ[1] عبدِ السلامِ ، وكان جمالُ الدين الزُّرَعىُّ يسدُّ الوظيفةَ إلى هذا التاريخِ .

وفى يومِ السبتِ عاشر شعبانَ ضَربَتِ البشائرُ بالقلعةِ والطَّبْلَخاناه على أبوابِ الأمراءِ بخروجِ السلطانِ بالعساكرِ مِن مصرَ لمناجزةِ التتارِ المخذولينَ . وفى هذا اليومِ بعينِه كانت وقعةُ عُرْضٍ[2] ؛ وذلك أنه التقَى جماعةٌ مِن أمراءِ الإسلامِ فيهم أَسَنْدَمُر وبَهَادُرآص[3] وكُجْكُن وغُرْلُو العادلىُّ ، وكلٌّ منهم سيفٌ مِن سيوفِ [4]المِلَّةِ و[4]الدينِ ، فى ألفٍ وخمسِمائةِ فارسٍ ، [5]مع التترِ[5] ، وكان التتارُ فى سبعةِ آلافِ مُقاتلٍ ، فاقتتلُوا معهم ، وصبَر المسلمون صبرًا جيدًا ، فنصَرهم اللَّهُ وخذَل التترَ ، فقتَلُوا منهم خلقًا وأسَروا آخَرينِ ، وولَّوْا عندَ ذلك مُدْبِرين ، وغنِم المسلمون منهم غنائمَ ، وعادُوا سالمين لم يُفْقَدْ منهم إلَّا القليلُ ممَّن أَكْرَمه اللَّهُ تعالى بالشهادةِ ، ووُقِّعتِ البطاقةُ[6] بذلك ، ثم قدِمت الأُسارَى يومَ الخميسِ مُنْتَصف شعبانَ ، وكان يومَ خميسِ النصارَى .

---

(١) سقط من : م ، وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وسبعمائة .

(٢) فى م : « غرض » . وعرض : بُلَيْد فى برِّيَّة الشام ، وهو بين تدمر والرصافة الهشامية . معجم البلدان ٣/ ٦٤٤.

(٣) فى م : « أخى » . وآص طائفة من التتار . المنهل الصافى ٣/ ٤٣٠. وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثلاثين وسبعمائة .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) البطاقة : رسالة يحملها الحمام الزاجل . انظر صبح الأعشى ٧/٢٣١ ، ١٤/٣٨٩ - ٣٩٢.

أوائلُ وقْعةِ شَقْحَب[1]

وفى ثامنِ عشرِه قدِمَتْ طائفةٌ كثيرةٌ[2] مِن جيشِ المصريين فيهم الأَميرُ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْس الجَاشْنَكِير[3] ، والأَميرُ حسامُ الدينِ لاجِين المعروفُ بالأُستادارِ[4] المنصوريُّ ، والأَميرُ سيفُ الدينِ كَرَاى المنصوريُّ ، ثم قدِمت بعدَهم طائفةٌ أُخْرَى فيهم بدرُ الدينِ أميرُ سِلاحٍ[5] وأَيْبَك الخَزِنْدار[6] ، فَقَوِيَتِ القلوبُ واطمأَنَّ كثيرٌ مِن الناسِ ، ولكنَّ الناسَ فى جفلٍ عظيمٍ مِن بلادِ حَلَبَ وحَمَاةَ وحِمْصَ وتلك النواحى ، وتَقَهْقَر الجيشُ الحَلَبِيُّ والحَمَوِيُّ إلى حِمْصَ ، ثم خافوا أن يَدْهَمَهم التترُ فجاءوا فنزَلوا المَرْجَ يومَ الأحدِ [7]خامس عِشرينَ[7] شعبانَ ، ووصَل التترُ إلى حِمْصَ وبَعْلَبَكَّ وعاثُوا فى تلك الأَراضى فسادًا ، وقلِق الناسُ قلقًا عظيمًا ، وخافوا خوفًا شديدًا ، واختبَط البلدُ لتأَخُّرِ قدومِ السلطانِ [١٠/١٣٠ظ] ببقيةِ الجيشِ ، وقال الناسُ : لا طاقةَ لجيشِ الشامِ مع هؤلاء المصريينَ بلقاءِ التترِ لكثرتِهم ، وإنَّما سبيلُهم

---

(١) شقحب : موضع قرب دمشق . تاج العروس (ش ق ح ب) . وانظر النجوم الزاهرة ١٥٩/٨ حاشية (٣) .

(٢) فى الأصل ، م : « كبيرة » .

(٣) الجاشنكير : هو الذى يتصدى لذَوَقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير ؛ خوفًا من أن يُدَسَّ عليه فيه سم ونحوه . صبح الأعشى ٥/ ٤٦٠ .

(٤) فى الأصل : « بالأستاددار » ، وفى ص : « بالأستاذدار » . وكله بمعنى من يلى أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ وبيوت الشراب والحاشية والخدم ، وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكسى وغيرها . معجم (Dozy) ١٢٦/١ وحاشيته .

(٥) أمير سلاح : لقب على الذى يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير . صبح الأعشى ٥/ ٤٥٦ .

(٦) فى ص : « الجندار » . والخزندار : لقب ممسك الخزانة . أى : المتولِّى لأمرها . صبح الأعشى ٥/ ٤٦٢ .

(٧ - ٧) فى م : « خامس » .

أن يتأخَّروا عنهم مرحلةً مرحلةً. وتحدَّث الناسُ بالأَراجيفِ، فاجتمَع الأُمراءُ يومَ الأحدِ المذكورِ بالميدانِ الأَخْضَرِ[1] وتحالَفوا على لقاءِ العدوِّ، وشجَّعوا أنفسَهم، ونُودِىَ بالبلدِ أن لا يَرْحَلَ أحدٌ منه، فسكَن الناسُ. وجلَس القضاةُ بالجامعِ وحلَّفوا جماعةً مِن الفقهاءِ والعامةِ على القتالِ، وتوجَّه الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ إلى العسكرِ الواصلِ مِن حَمَاةَ، فاجتَمَعَ بهم فى القُطَيِّفَةِ[2] فأعْلَمَهم بما تحالَفَ عليه الأُمراءُ والناسُ مِن لقاءِ العدوِّ، فأجابوا إلى ذلك وحلَفوا معهم، وكان الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ يحلِفُ للأُمراءِ والناسِ: إنَّكم فى هذه الكَرَّةِ منصورون [3]على التتارِ[3]. فيقولُ له الأُمراءُ: قُلْ: إن شاء اللَّهُ. فيقولُ: إن شاء اللَّهُ تَحْقِيقًا لا تَعْلِيقًا. وكان يتأوَّلُ فى ذلك أشياءَ مِن كتابِ اللَّهِ؛ منها قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وقد تكلَّم الناسُ فى كيفيةِ قتالِ هؤلاء التترِ مِن أىِّ قبيلٍ هو، فإنَّهم يُظْهِرون الإسلامَ وليسوا بُغاةً على الإمامِ؛ فإنَّهم لم يكونوا فى طاعَتِه فى وقتٍ ثم خالَفوه؟ فقال الشيخُ تقىُّ الدينِ[4]: هؤلاء مِن جنسِ الخوارجِ الذين خرَجوا على علىٍّ ومعاويةَ، ورأَوا أنَّهم أحقُّ بالأَمرِ منهما، وهؤلاء يزعُمون[5] أنَّهم أحقُّ بإقامةِ الحقِّ مِن المسلمين، ويَعِيبون على المسلمين ما هم مُتَلَبِّسون به مِن المعاصى والظلمِ،

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى م: «القطيعة»، وفى ص: «الوظيفة». والقطيفة: قرية دون ثَنِيَّةِ العُقاب لمن طلب دمشق. معجم البلدان ٤/ ١٤٤.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) انظر كلام شيخ الإسلام مطولًا فى مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠١ وما بعدها.

(٥) فى الأصل: «يرجون».

وهم مُتَلَبِّسون بما هو أعظمُ منه بأضعافٍ مضاعفةٍ ، فَتَفَطَّن العلماءُ والناسُ لذلك . وكان يقولُ للناسِ : إذا رأَيتُمونى مِن ذلك الجانبِ وعلى رأسى مصحفٌ فاقتُلونى . فَتَشَجَّع الناسُ فى قتالِ التترِ وقَوِيَتْ قلوبُهم ونياتُهم ، وللَّهِ الحمدُ .

ولما كان يومُ (١الأربعاءِ الثامن١) والعشرينَ مِن شعبانَ خرَجتِ العساكرُ الشاميةُ فخيَّمَتْ على الجُسُورَةِ[٢] مِن ناحيةِ الكُسْوَةِ[٣] ومعهم القضاةُ ، فصارَ الناسُ فيهم فريقين ؛ فريقٌ يقولون : إنَّما سارُوا ليختارُوا موضِعًا للقتالِ ، فإنَّ المَرْجَ فيه مياهٌ كثيرةٌ فلا يستطيعون معها القتالَ . وقال فريقٌ : إنَّما سارُوا إلى تلك الجهةِ لِيهرُبوا ولِيلْحَقوا بالسلطانِ .

فلمَّا كانت ليلةُ الخميسِ سارُوا إلى ناحيةِ الكُسْوَةِ ، فقَوِيَتْ ظنونُ الناسِ فى هَرَبِهم ، وقد وصَلتِ التتارُ إلى قارَةَ[٤] - وقيل : إنَّهم وصَلوا إلى القُطَيِّفَةِ - فانزعَج الناسُ لذلك انزعاجًا شديدًا ، ولم يَبْقَ حولَ البلدِ مِن القُرَى والحواضرِ أحدٌ ، وامتلأتِ القلعةُ ، وازدَحمتِ المنازلُ والطرقاتُ ، واضطَرَب الناسُ ، وخرَج الشيخُ تقيُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ صَبيحةَ يومِ الخميسِ مِن الشهرِ المذكورِ مِن بابِ النصرِ بمشقةٍ كبيرةٍ[٥] وصُحْبَتُه جماعةٌ ، لِيشهَدَ القتالَ بنفسِه ومَن معه ، فظنُّوا أنَّه إنَّما خرَج هاربًا ، فحصَل له لومٌ مِن بعضِ الناسِ وقالوا : أنت مَنَعْتَنَا مِن الجفلِ وها أنت هاربٌ مِن البلدِ ! فلم يَرُدَّ عليهم ، وبَقِى البلدُ ليس فيه حاكمٌ ، وعاثتِ

(١ - ١) فى الأصل : « الأربعاء الرابع » ، وفى م : « الرابع » .

(٢) الجسورة : موضع بظاهر دمشق . النجوم الزاهرة ٧/٢٩٥ (حاشية ٣) .

(٣) الكسوة : قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . معجم البلدان ٤/ ٢٧٥.

(٤) قارة : قرية كبيرة على قارعة الطريق ، وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق . معجم البلدان ٤/ ١٢.

(٥) فى الأصل ، ص : « كثيرة » .

اللصوصُ والحرافيشُ فيه وفى بساتينِ الناسِ يُخْرِبون ويَنْهَبون ما قَدَروا عليه، ويَقْطَعون المشمِشَ[1] قبلَ أوانِه، وكذلك الباقِلَاءُ والقمحُ [2]والشعيرُ[2] وسائرُ الخَضْراواتِ، وحِيلَ بينَ الناسِ وبينَ خبرِ الجيشِ، وانقَطَعَت الطرقُ إلى الكُسْوَةِ، وظَهَرَتِ الوحشةُ على البلدِ والحواضرِ، وليس للناسِ شغلٌ غيرُ الصعودِ إلى المآذنِ ينظُرون يمينًا وشمالًا وإلى ناحيةِ الكُسْوَةِ، فتارةً يقولون: رأينا غَبَرَةً. فيخافون أن تكونَ مِن التترِ، ويتعجَّبون مِن خبرِ الجيشِ مع كثرتِهم وجودةِ عُدَّتِهم أين ذهَبوا! ولا يَدْرون ما فعَل اللَّهُ بهم، فانقَطَعت الآمالُ، وألحَّ الناسُ فى الدعاءِ والابتهالِ وفى الصلواتِ وفى كلِّ حالٍ، وذلك يومُ الخميسِ التاسعِ والعشرينَ مِن شعبانَ، وكان الناسُ فى خوفٍ ورعبٍ لا يُعَبَّرُ عنه، لكنْ كان الفرجُ مِن ذلك قريبًا، ولكنَّ أكثرَهم لا يَعْلمون، كما جاء فى حديثِ أبى رَزِينٍ[3]: «عجِب ربُّك مِن قُنُوطِ عبادِه وقُرْبِ غِيَرِهِ[4]، ينظُرُ إليكم أزِلِينَ[5] قَنِطِينَ، فيظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أنَّ فرَجَكم قريبٌ»[6]. فلمَّا كان آخرُ هذا اليومِ وصَل الأميرُ فخرُ الدينِ أياس المَرْقَبِيُّ أحدُ أمراءِ دمشقَ، فبشَّر الناسَ بخيرٍ، وهو أنَّ السلطانَ قد وصَل وقد اجتَمَعتِ العساكرُ المصريةُ والشاميةُ، وقد أرسَلنى أكشِفُ هل طَرَقَ البلدَ أحدٌ مِن التترِ؟ فوجَد الأمرَ كما يُحِبُّ،

---

(١) فى الأصل: «الثمر».

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى ص: «ذر».

(٤) الغِير: تغير الحال. النهاية ٣/ ٤٠١.

(٥) الأَزِل بوزن كتف، من الأَزْل، وهو الشدّة. زاد المعاد ٣/ ٦٧٩.

(٦) سنن ابن ماجه (١٨١)، مسند أحمد ٤/ ١١، ١٢، مسند الطيالسى (١١٨٨). بلفظ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره». (ضعيف ابن ماجه ٣١). وانظر ما تقدم فى ٧/٣٣٢ - ٣٣٤.

لم يَطْرُقْها أحدٌ منهم؛ وذلك أنَّ التترَ عرَّجوا عن[1] دمشقَ إلى ناحيةِ العساكرِ المصريةِ، ولم يشتغِلوا بالبلدِ؛ بل قالوا: إنْ غَلَبْنا فالبلدُ لنا، وإنْ غُلِبْنا فلا حاجةَ لنا به. ونُودِىَ فى البلدِ بتطييبِ الخواطرِ، وأنَّ السلطانَ قد وصَل، فاطمَأَنَّ الناسُ وسكَنَتْ قلوبُهم. وثبَت الشهرُ ليلةَ الجمعةِ على القاضى تقىِّ الدينِ الحنبلىِّ، فإن السماءَ كانت مغيمةً، فعُلِّقَتِ القناديلُ، وصُلِّيَتِ التراويحُ، واستَبْشَر الناسُ بشهرِ رمضانَ وبركَتِه، وأصبَح الناسُ يومَ الجمعةِ فى همٍّ شديدٍ وخوفٍ أكيدٍ لأنَّهم لا يعلَمون ما خبرُ الناسِ، فبينما هم كذلك إذ جاء الأميرُ سيفُ الدينِ غُرْلُو العادِلىُّ فاجتَمع بنائبِ القلعةِ ثم عاد سريعًا ولم يَدْرِ أحدٌ ما أخْبَر به، ووقع الناسُ فى الأراجيفِ والخَوْضِ.

وقعةُ شَقْحَبَ

أصبَحَ الناسُ يومَ السبتِ على ما كانوا عليه مِن شدةِ الحالِ وضيقِ الأَمرِ، فرأَوا مِن المآذنِ سوادًا وغَبَرَةً مِن ناحيةِ العسكرِ والعدوِّ، فغَلَب على الظنونِ أنَّ الوَقْعَةَ فى هذا اليومِ، فابتَهلوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ بالدعاءِ فى الجامعِ والبلدِ، وطلَع النساءُ والصغارُ على الأسطحةِ وكشَفوا رُءُوسَهم، وضجَّ البلدُ ضجَّةً عظيمةً، ووقَع فى ذلك الوقتِ مطرٌ عظيمٌ غزيرٌ، ثم سكَن الناسُ. فلمَّا كان بعدَ الظهرِ قُرِئَتْ بطاقةٌ بالجامعِ تتضَمَّنُ أنَّ فى الساعةِ الثانيةِ مِن نهارِ السبتِ هذا اجتمَعتِ الجيوشُ الشاميةُ والمصريةُ مع السلْطانِ فى مَرْجِ الصُّفَّرِ، وفيها طَلَبُ الدعاءِ مِن الناسِ، والأمرُ بحفظِ القلعةِ والتحرزِ على الأسوارِ، فدعا الناسُ فى المآذنِ

---

(١) فى م: «من».

والبلدِ ، وانقضَى النهارُ ، وكان يومًا مزعجًا هائلًا .

وأصبَح الناسُ يومَ الأحدِ يتحدَّثون بكسرِ التترِ ، وخرَج ناسٌ إلى ناحيةِ الكُسْوَةِ ، فرجَعوا ومعهم شيءٌ مِن المكاسبِ ورُءوسِ التترِ ، وصارَتْ أدلةُ كَسْرَةِ التترِ تَقْوَى وتَتزايدُ قليلًا حتى اتَّضحتْ جُملةً ، ولكنَّ الناسَ [١٠/١٣١ظ] لما عندَهم مِن شدةِ الخوفِ وكَثْرةِ التُّتَر لا يُصَدِّقون . فلمَّا كان بعدَ الظهرِ قُرِئَ كتابُ السلطانِ إلى مُتولِّى القلعةِ يُخْبرُ فيه باجتماعِ الجيشِ ظُهْرَ السبتِ بِشَقْحَبَ وبالكُسْوَةِ ، ثم جاءَتْ بطاقةٌ بعدَ العصرِ مِن نائبِ السلطانِ جمالِ الدينِ آقُوش الأفْرمِ إلى نائبِ القلعةِ ، مضمونُها أنَّ الوقعةَ كانَتْ مِن العصرِ يومَ السبتِ إلى الساعةِ الثانيةِ مِن يومِ الأحدِ ، وأنَّ السيفَ كان يَعْمَلُ فى رقابِ التترِ ليلًا ونهارًا ، وأنَّهم هرَبُوا وفرُّوا واعْتَصَموا بالجبالِ والتلالِ ، وأنَّه لم يَسْلَمْ منهم إلا القليلُ ، فأمْسَى الناسُ وقد استقَرَّتْ خواطِرُهم ، وتباشَروا بهذا الفتحِ العظيمِ والنصْرِ المُبارَكِ ، ودقَّت البشائرُ بالقلعةِ مِن أولِ النهارِ المذكورِ ، ونُودِىَ بعدَ الظهرِ بإخراجِ الجُفَّالِ مِن القَلعةِ لأجلِ نُزولِ السلطانِ ، فشرَعوا فى الخروجِ .

وفى يومِ الاثنينِ رابع الشهرِ رجَع الناسُ مِن الكُسْوَةِ إلى دمشقَ فبشَّروا الناسَ بالنصرِ . وفيه دخَل الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيميَّةَ البلدَ ومعه أصحابُه ، من الجِهادِ ، ففرِح الناسُ به ودَعَوا له وهَنَّئُوه بما يسَّر اللَّهُ تعالى على يديه مِن الخيرِ ؛ وذلك أنَّه ندَبه العسكرُ الشاميُّ أنْ يسيرَ إلى السلطانِ يستَحِثُّه على السيرِ إلى دِمشقَ ، فسارَ إليه فحثَّه على المجىءِ إلى دمشقَ بعدَ أَن كاد يرجِعُ إلى مصرَ ، فجاءَ هو وإيَّاه جميعًا ، فسأَلَه السلطانُ أن يقِفَ معه فى معركةِ القتالِ ، فقال له الشيخُ : السُّنَّةُ أنْ يَقِفَ الرجلُ تحتَ رايةِ قومِه ، ونحنُ مِن جيشِ الشامِ لا نَقِفُ إلَّا معهم . وحرَّض السلطانَ على القتالِ وبشَّره بالنصرِ ، وجعَل يحلِفُ له باللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو :

إنَّكم منصورون عليهم فى هذه المرةِ . فيقولُ له الأُمراءُ : قل : إن شاء اللَّهُ . فيقولُ : إنْ شاء اللَّهُ تحقيقًا لا تعليقًا . وأفتى الناسَ بالفطرِ مدةَ قتالِهم وأفطَرَ هو أيضًا ، وكان يدورُ على الأطْلابِ[1] والأُمَراءِ فيأكُلُ مِن شيءٍ معه فى يدِه ؛ ليُعْلِمَهم أن إفْطارَهم ليَتَقَوَّوا على القتالِ أفضلُ ، فيأكُلُ الناسُ ، وكان يتأَوَّلُ فى الشاميينَ قولَه ﷺ : « إنَّكم مُلاقوا العدوِّ غدًا ، والفطرُ أَقْوَى لكم » . فعزَم عليهم فى الفطرِ عامَ الفتحِ كما فى حديثِ أبى سعيدٍ الخدرىِّ[2] . وكان الخليفةُ أبو الربيعِ سليمانُ فى صحبةِ السلطانِ ، ولمَّا اصطَفَّتِ العساكرُ والتحَمَ القتالُ ثبَت السلطانُ ثباتًا عظيمًا ، وأمَر بجوادِه فَقُيِّدَ حتى لا يَهْرُبَ ، وبايَعَ اللَّهَ تعالى فى ذلك الموقفِ ، وجرَتْ خطوبٌ عظيمةٌ ، وقُتِل جماعةٌ مِن ساداتِ الأُمراءِ يومئذٍ ؛ منهم الأَميرُ حسامُ الدينِ لاچين الرومىُّ أُسْتادار السلطانِ ، وثمانيةٌ مِن المقدَّمين معه ، وصلاحُ الدينِ بنُ الملكِ الكاملِ بنِ السعيدِ بنِ الصالحِ[3] إسماعيلَ ، وخلقٌ مِن كبارِ الأُمراءِ ، ثم نزَل النصرُ على المسلمين قَرِيبَ العصرِ يومَئذٍ ، واستَظْهَر المسلمون عليهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ . فلمَّا جاءَ الليلُ لجأ التترُ إلى اقتحامِ التُّلولِ والجبالِ والآكامِ ، فأحاطَ بهم المسلمون يحرُسُونهم مِن الهربِ ، ويرمُونهم عن قوسٍ واحدةٍ إلى وقتِ الفجرِ ، [١٠/١٣٢و] فقتَلوا منهم ما لا يَعْلَمُ عددَه إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وجعَلوا يجيئُون بهم فى الحبالِ فتُضْرَبُ أعناقُهم ، ثم اقتَحَم منهم جماعةٌ الهزيمةَ[4] ، فنجا منهم قليلٌ ، ثم

---

(١) الأطلاب : جمع طُلب ، وهو لفظ كردى ، معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال ، ويطلق أيضا على قائد المائة أو السبعين ، وكان أول ما استعمل هذا اللفظ بمصر والشام أيام السلطان صلاح الدين ، ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش . السلوك ٢٤٨/٢/١ حاشية (٢) نقلا عن (DOzy) .

(٢) صحيح مسلم (١٠٢/١١٢٠) ، وسنن أبى داود (٢٤٠٦) .

(٣) بعده فى ص : « بن » .

(٤) فى الأصل : « للهزيمة » .

كانوا يتســاقَطون فى الأوديةِ والمهالكِ ، ثم بعدَ ذلك غرِق منهم جماعةٌ فى الفراتِ [1] بسببِ الظلامِ [1] ، وكشَف اللَّهُ بذلك عن المسلمين غُمَّةً عظيمةً شديدةً ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ودخَل السلطانُ إلى دمشقَ يومَ الثلاثاءِ خامس رمضانَ وبينَ يديه الخليفةُ ، وزُيِّنَت البلدُ ، وفرِح [2] كلُّ واحدٍ مِن [2] أهلِ الجمعةِ والسبتِ والأحدِ ، فنزَل السلطانُ فى القصرِ الأَبْلَقِ والميدانِ ، ثم إنَّه تحوَّل إلى القلعةِ يومَ الخميسِ ، وصلَّى بها الجمعةَ ، وخلَع على نُوّابِ البِلادِ وأمَرهم بالرجوعِ إلى بلادِهم ، واستقرَّتِ الخواطرُ ، وذهَب اليأسُ [3] وطابَتْ قلوبُ الناسِ ، وعزَل السلطانُ ابنَ النحاسِ عن ولايةِ المدينةِ ، وجعَل مكانَه الأميرَ علاءَ الدينِ أَيْدُغْدِى أميرَ علمٍ [4] ، وعزَل صارمَ الدينِ إبراهيمَ والىَ الخاصِّ [5] عن ولايةِ البرِّ ، وجعَل مكانَه الأميرَ حسامَ الدينِ لاجِين الصغيرَ ، ثم عاد السلطانُ إلى الديارِ المصريةِ يومَ الثلاثاءِ ثالث شوَّالٍ بعدَ أنْ صامَ رمضانَ وعيَّد بدمشقَ . وطلَب الصوفيةُ مِن نائبِ دمشقَ الأفرمِ أنْ يُوَلِّىَ عليهم مشيخةَ الشيوخِ للشيخِ صفىِّ الدينِ الهندىِّ ، فأذِن له فى المباشرةِ يومَ الجُمعةِ سادس شوالٍ عوضًا عن ناصرِ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، ودخَل السلطانُ القاهرةَ يومَ الثلاثاءِ ثالث عشرينَ [6] شوالٍ ، وكان يومًا مشهودًا ، وزُيِّنَت القاهرةُ .

(١ - ١) فى الأصل : « بسبب الأمة » ، وفى ص : « أمة بئست الأمة » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « من أهلها » . والمقصود : المسلمين واليهود والنصارى .

(٣) فى الأصل ، ص : « الناس » .

(٤) أمير علم : هو الذى يتولى أمر الأعلام والسناجق والرايات السلطانية . صبح الأعشى ٤/ ٨، ٥/ ٤٥٦ - ٤٥٨ .

(٥) والى الخاص : هو الذى يقوم بالنظر فى أموال السلطان والتحدث فى جهاته ومضافاته . صبح الأعشى ٣/ ٤٥٢، وخطط المقريزى ٣/ ٧٣.

(٦) كذا فى النسخ وحق هذا الثلاثاء على ما تقدم أن يكون أربعا وعشرين .

وفيها جاءَتْ زلزلةٌ عظيمةٌ يومَ الخميسِ بكرةَ الثالثِ والعشرين مِن ذى الحجةِ مِن هذه السنةِ، وكان جمهورُها بالديارِ المصريةِ، تلاطَمَتْ بسببِها البحارُ فكُسِرَتِ المراكبُ وتهدَّمت الدورُ، وماتَ خلقٌ كثيرٌ لا يعلَمُهم إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وتشقَّقت الحيطانُ، ولم يُرَ مثلُها فى هذه الأعصارِ، وكان منها بالشامِ طائفةٌ، لكنْ كان ذلك أخفَّ مِن سائرِ البلادِ غيرِها.

وفى ذى الحِجةِ باشَر الشيخُ أبو الوليدِ بنُ الحاجِّ الإشْبِيلِيُّ المالكيُّ إمامةَ مِحرابِ المالكيةِ بجامعِ دِمشقَ بعدَ وفاةِ الشيخِ شمسِ الدينِ محمدِ الصِّنْهاجِيِّ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

ابنُ دَقِيقِ العيدِ، الشيخُ الإمامُ العالمُ العلَّامةُ الحافِظُ قاضِى القُضاةِ تقىُّ الدينِ بنُ دَقِيقِ العيدِ القُشَيرىُّ المصرىُّ[1]، وُلِدَ يومَ السبتِ الخامس والعشرينَ مِن شعبانَ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وسِتِّمائةٍ بساحلِ مدينةِ يَنْبُعَ مِن أرضِ الحِجازِ، سمِعَ الحديثَ الكثيرَ ورحَل وخرَّج وصنَّف فيه - إسنادًا ومَتنًا - مُصنفاتٍ عديدةً فريدةً مفيدةً، وانتهَتْ إليه رياسةُ العِلمِ فى زمانِه، وفاق أقْرانَه، ورَحَل إليه الطلبةُ، ودرَّس فى أماكنَ كثيرةٍ، ثم ولِىَ قضاءَ الديارِ المصريةِ فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ[2] وسِتِّمائةٍ، ومَشْيَخةَ دارِ الحديثِ الكامليةِ[3]، وكان وقورًا قليلَ

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨١، والطالع السعيد ص ٥٦٧، والوافى بالوفيات ٤/ ١٩٣، وفوات الوفيات ٣/ ٤٤٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٠٧، والديباج المذهب ٢/ ٣١٨.

(٢) فى الأصل: «سبعين». وانظر عقد الجمان ٤/ ٢٨٦.

(٣) بعده فى م: «وقد اجتمع به الشيخ تقى الدين بن تيمية، فقال له تقى الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه: ما أظن بقى يخلق مثلك». والخبر ذكره ابن رجب فى ترجمة ابن تيمية. انظر الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.

الكلامِ غزيرَ الفوائدِ كثيرَ العلومِ، فى ديانةٍ ونزاهةٍ، وله شعرٌ رائقٌ، تُوفِّى يومَ الجمعةِ حادى عشرَ شهرِ صفرٍ، وصُلِّى عليه يومَ الجمعةِ المذكورِ بسوقِ الخيلِ، وحضَر جِنازتَه نائِبُ السلطنةِ والأمراءُ، ودُفِنَ بالقرافةِ الصُّغرى، رحِمه اللَّهُ.

الشيخُ بُرهانُ الدينِ [١٠/١٣٢ظ] **السكندرىُّ إبراهيمُ بنُ فَلَاحِ بنِ محمدِ ابنِ حاتمٍ**(١)، سمِع الحديثَ (٢)وتفقَّه ودرَّس بالقُوصِيَّةِ(٣)، وأعَاد وأفتَى، وناب فى الخطابةِ مُدَّةً، وفى الحُكمِ عن ابنِ جَمَاعةَ(٢)، وكان ديِّنًا فاضلًا، وُلِد سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وسِتِّمائةٍ، وتُوفِّى يومَ الثلاثاءِ الرابع والعشرينَ مِن شوالٍ عن خمسٍ وستينَ سنةً.

وبعدَ (٤)شهرٍ سوىٍّ(٤) كانتْ وفاةُ **الصدرِ كمالِ**(٥) **الدينِ بنِ العطارِ** - كاتبِ(٦) الدَّرْجِ منذُ أربعين سنةً - أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبى الفتحِ محمودِ بنِ أبى الوحشِ أسدِ بنِ سلامةَ (٧)بنِ سلمانَ(٧) بنِ فِتْيانَ الشيبانىُّ، كان مِن خِيارِ الناسِ

---

(١) معجم شيوخ الذهبى ص ١١٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨٣، وغاية النهاية ١/ ٢٢، والسلوك ١/٣/ ٩٤٥، والدرر الكامنة ١/ ٥٤.

(٢ - ٢) زيادة من: ص.

(٣) من مدارس الشافعية، وهى الحلقة بالجامع الأموى، تجاه البرادة، قيل: إن واقفها جمال الإسلام، وعرفت بالقوصى مدرسها. الدارس ١/ ٤٣٨.

(٤ - ٤) فى م: «شهور بسواء»، وفى ص: «شهور سواء». ويرجح ما أثبتناه أن وفاة كمال الدين العطار فى الرابع والعشرين من ذى القعدة كما فى السلوك ١/٣/ ٩٤٦، وفى النجوم الزاهرة ٨/٢٠٣ أنه توفى فى الرابع عشر من ذى القعدة.

(٥) فى الأصل، م: «جمال». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ٨/ ١٦٧، والمنهل الصافى ٢/ ٢١٠، والدليل الشافى ١/ ٨٨، وتذكرة النبيه ١/ ٢٥٦، وعقد الجمان ٤/ ٢٩٠.

(٦) فى الأصل: «وكاتب». وكتاب الدرج هم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو إشارة النائب ونحو ذلك من المكاتبات والتواقيع والمراسيم. صبح الأعشى ١/ ١٣٨.

(٧ - ٧) سقط من: م. وفى النجوم الزاهرة: «بن سليمان». والمثبت موافق لما فى السلوك وعقد الجمان.

وأحسنِهم تقيةً[1] ، ودُفِنَ بتُربةٍ لهم تحتَ الكهفِ بسفحِ قاسِيونَ ، وتأسَّفَ الناسُ عليه لإحسانِه إليهم ، رحِمه اللَّهُ .

الملكُ العادلُ زينُ الدينِ كَتْبُغا[2] ، تُوفِّى بحَمَاةَ نائبًا عليها بعدَ صرْخدَ يومَ الجُمعةِ يومَ عيدِ الأضحَى ، ونُقِلَ إلى تربتِه بسفحِ قاسِيونَ غَرْبىَّ الرباطِ الناصرىِّ ، يقالُ لها : العادليَّةُ . وهى تُربةٌ مليحةٌ ذاتُ شبابيكَ وبوابةٍ ومِئْذَنةٍ ، وله عليها أوقافٌ دارّةٌ على وظائفَ ، مِن قراءةٍ وأذانٍ وإمامةٍ وغيرِ ذلكَ ، وكان مِن كبارِ الأُمراءِ المنصوريَّةِ ، وقد ملكَ البلادَ بعدَ مقتلِ الأشرفِ خليلِ بنِ المنصورِ . ثم انتزَعَ المُلْكَ لاجِين وجلَس فى قلْعةِ دمشقَ ، ثم تحوَّل إلى صَرْخَدَ فكان بها حتى قُتلَ لاجِين ، وأخَذ المُلكَ الناصرُ بنُ قلاوون ، فاستنابَه بحَماةَ حتى كانتْ وفاتُه بها كما ذكرْنا ، وكان مِن خيارِ الملوكِ وأعدلِهم وأكثرِهم برًّا ، وكان مِن خيارِ الأُمراءِ والنُّوابِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « تقية » ، وفى ص : « هيبة » .

(٢) ذيول العبر ص ٢٢، وتذكرة النبيه ١/ ٢٥٤، والسلوك ١/٣/ ٩٤٧، والدرر الكامنة ٣/ ٣٤٨، وعقد الجمان ٤/ ٢٩٥، والنجوم الزاهرة ٨/ ٥٥.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وسبعمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ والحكامُ هم المذْكُورون فى التى قبلَها . وفى صَفَرٍ تولَّى الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشِىِّ نظَرَ الجامعِ الأُمويِّ وخُلِعَ عليهِ ، وباشَرَه مُباشَرَةً مَشْكورةً وساوَى بينَ الناسِ ، وعزَلَ نَفْسَه فى رجبٍ منها . وفى صَفَرٍ تولَّى الشيخُ شمسُ الدينِ الذَّهَبِىُّ خَطابَةَ كَفْر بَطْنَا[2] وأقامَ بها .

ولمّا تُوفِّى الشيخُ زينُ الدينِ الفارِقِىُّ فى هذه السنةِ كان نائبُ السلطنةِ فى نَواحِى البَلْقاءِ يَكْشِفُ بعضَ الأُمورِ ، فلمّا قدِمَ تكَلَّموا معه فى وظائفِ الفارِقِىِّ ، فَعَيَّنَ الخَطابةَ لشَرَفِ الدينِ الفَزارِىِّ ، وعَيَّنَ الشامِيَّةَ البَرّانِيَّةَ ودارَ الحديثِ للشيخِ كَمالِ الدينِ بنِ الشَّرِيشِىِّ ، وذلك بإشارَةِ الشيخِ تَقِىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، وأخذَ منه الناصِرِيَّةَ للشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانِىِّ ، ورَسَمَ بكِتابةِ التَّواقِيعِ بذلك ، وباشَرَ الشيْخُ شَرَفُ الدينِ الإمامَةَ والخَطابَةَ ، وفرِحَ الناسُ به ؛ لحُسْنِ قِراءَتِه وطِيبِ صَوْتِه وجَوْدَةِ سِيرَتِه . فلمّا كان بُكْرَةُ يومِ الاثْنَينِ ثانى عِشْرِين ربيعٍ الأوَّلِ وصَل البَرِيدُ مِن مصرَ صُحْبَةَ الشيخِ صَدْرِ الدينِ بنِ الوَكيلِ ، وقد سَبَقَه مَرْسومُ السُّلْطانِ له بجَمِيعِ جِهاتِ الفارِقِىِّ مضافًا إلى ما بيَدِه مِنَ التَّدْرِيسَيْنِ ، فاجْتَمَعَ بنائِبِ السلطَنةِ بالقَصْرِ ، وخرَجَ مِن عندِه إلى الجامعِ ، ففُتِحَ له بابُ دارِ الخَطابةِ فنزَلَها ،

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٥٠، وكنز الدرر ٩/ ١٠٩، وذيول العبر ص ٢٣، ودول الإسلام ٢/ ٢١٠.

(٢) كفر بطنا : من قرى غوطة دمشق من إقليم داعية ، نسب إليها جماعة . معجم البلدان ٤/ ٢٨٦.

وجاءَه الناسُ يُهَنِّئونَه ، وحضَر عندَه القُرّاءُ والمؤذِّنُون ، وصلَّى بالناسِ العصرَ ، وباشَر الإمامَةَ يَوْمَين فأظْهَرَ الناسُ التَّألُّمَ مِن صلاتِه وخَطابَتِه ، وسَعَوْا فيه إلى نائبِ السَّلْطَنَةِ فمنَعَه مِن الخَطابَةِ وأقَرَّه على التَّدارِيسِ ودارِ الحَدِيثِ ، وجاءَ تَوْقِيعٌ سُلْطانِيٌّ للشيخِ شَرَفِ الدينِ الفَزارِيِّ بالخَطابَةِ ، فخَطَبَ يومَ الجمعةِ سابعَ عَشَرَ جُمادَى الأُولَى ، وخُلِعَ عليه بطَرْحَةٍ[1] ، وفَرِحَ الناسُ به ، وأَخَذَ الشيخُ كَمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِيِّ تَدْرِيسَ الشّامِيَّةِ البَرّانِيَّةِ من يَدِ ابنِ الوَكيلِ ، وباشَرَها فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأُولَى ، واسْتَقَرَّتْ دارُ الحَدِيثِ بيَدِ ابنِ الوَكيلِ مع مَدرسَتَيْه الأُولَيَيْن ، وأَظُنُّهما العَذْراوِيَّةَ والشّامِيَّةَ الجَوّانِيَّةَ .

ووَصَلَ البَرِيدُ فى ثانِى عَشَرَ جُمادَى الأُولَى بإعادَةِ السنجرِيِّ [١٠/١٣٣ظ] إلى نيابةِ القلعةِ ، وتَوْلِيةِ نائبِها الأَمِيرِ سَيْفِ الدينِ الجُوكَنْدَار[2] نِيابَةَ حِمْصَ عِوَضًا عن عِزِّ الدينِ الحَمَوِيِّ ، تُوفِّى .

وفى يومِ السبْتِ ثانى عَشَرَ رَمَضانَ قدِمَتْ ثَلاثةُ آلافِ فارِسٍ من مصرَ ، وأُضِيفَ إليها أَلْفانِ من دِمَشْقَ ، وسارُوا فأخَذُوا معهم نائِبَ حِمْصَ الجُوكَنْدَار ، ووصَلوا إلى حَمَاةَ ، فصَحِبَهم نائِبُها الأميرُ سَيْفُ الدينِ قَبْجَق ، وجاءَ إليهم أَسَنْدَمُر نائبُ طرابُلُسَ ، وانْضافَ إليهم قَراسُنْقُر نائِبُ حَلَبَ ، وانْفَصلُوا كلُّهم عنها فانْفَرَقوا فِرْقَتَيْن ، سارَتْ طائفةٌ صُحْبَةَ قَبْجَق[3] إلى ناحِيةِ مَلَطْيَةَ وقَلْعَةِ

---

(١) الطرحة : وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين ، وكان ذلك فى الأصل امتيازًا لقاضى الشافعية ثم منح لغيره من القضاة ، والطيلسان هو أقرب الأشياء شبها بالطرحة . الملابس المملوكية ص ٩٣، ٩٤.

(٢) فى م : « الجوكندرانى » .

(٣) فى الأصل ، ص : « قفجق » ، وفى م : « فيجق » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة عشر وسبعمائة .

الرُّومِ ، والفِرْقَةُ الأُخْرَى صُحْبَةَ قَراسُنْقُر حتى دَخَلوا الدَّرْبَنْدات[1] وحاصَرُوا تَلَّ حَمْدُونَ[2] فتَسَلَّمُوه عَنْوةً فى ثالثَ عشَرَ[3] ذِى القَعْدَةِ بعدَ حِصارٍ طويلٍ ، فدَقَّتِ البَشائِرُ بدِمَشْقَ لذلك ، ووَقَع الاتِّفاقُ مع صاحِبِ سِيسَ على أن يكونَ للمسلمينَ من نَهْرِ جَيْهَانَ إلى حلبَ ، وبلادُ ما وراءَ النهرِ إلى ناحِيَتِهم لهم ، وأن يُعَجِّلُوا حِمْلَ سَنَتَيْن ، ووَقَعَتِ الهُدْنَةُ على ذلك بعدَ ما قُتِلَ خَلْقٌ مِن الأُمَراءِ الأَرْمَنِ ورُؤسائِهم ، وعادتِ العَساكِرُ إلى دِمَشْقَ مُؤَيَّدِين مَنْصُورِين ، ثم توَجَّهَتِ العَساكِرُ المِصْرِيَّةُ صُحْبَةَ مُقَدَّمِهم أمِيرِ سِلاحٍ إلى مصرَ .

وفى أواخِرِ السنةِ كان موتُ قازان وتوليةُ أخيه خَرْبَنْدا ، وهو ملكُ التترِ قازان ، واسمُه محمودُ بنُ أرْغُون بنِ أبْغا[4] ، فى رابِعه أو حادِى عشَرِه بالقُرْبِ من هَمَذَان ، ونُقِلَ إلى تُرْبَتِه بتِبْرِيزَ[5] بمَكانٍ يُسَمّى الشّامَ ، ويقالُ : إنَّه ماتَ مَسْمُومًا . وقامَ فى المُلْكِ بعدَه أخوه خَرْبَنْدَا محمدُ بنُ أرْغُون ، ولَقَّبُوه المِلِكَ غياثَ الدينِ ، وخُطِبَ له على مَنابِرِ العِراقِ وخُرَاسانَ وتلك النَّواحِى والبلادِ .

وحَجَّ فى هذه السنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ سَلَّار نائِبُ مصرَ ، وفى صُحْبَتِه

---

(١) دَرْبَنْد : فارسى معرب ، ومعناه : زقاق مغلق آخره ، أو مضيق فى جبل . الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦١، والمعجم الذهبى ص ٢٥٩.

(٢) تل حمدون : قلعة حصينة ببلاد الأرمن ، وهى على القرب من جيحان على بعض مرحلة فى جهة الجنوب عنه ، وبين تل حمدون وسيس نحو مرحلتين . النجوم الزاهرة ٨/ ١٤ حاشية (٥) نقلا عن تقويم البلدان ، وانظر مسالك الأبصار (مخطوط) ٢/ ٣١٦.

(٣) سقط من : الأصل ، م . وفى كنز الدرر ٩/ ١١١: « ثالث وعشرين » . والمثبت موافق لما فى عقد الجمان ٤/ ٣٠١، حيث نقل الخبر عن المصنف .

(٤) ذيول العبر ص ٢٦، والسلوك ١/٣/ ٩٥٦، والدرر الكامنة ٣/ ٢٩٢، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢١٢، والدليل الشافى ٢/ ٥١٧، ٥٢٧. وفى هذه المصادر : غازان . بالغين المعجمة . وقال ابن حجر : يقوله العامة : قازان .

(٥) فى م : « بيبرين » .

أرْبَعُون أميرًا ، وجَمِيعُ أولادِ الأُمَراءِ ، وحَجَّ معهم وزيرُ مِصْرَ الأَمِيرُ عِزُّ الدينِ البَغْدَادِيُّ ، وتوَلَّى مَكانَه بالبركةِ الأَميرُ ناصرُ الدينِ محمدٌ الشَّيْخِيُّ[1] ، وخرَج سَلَّار فى أُبَّهةٍ عَظِيمةٍ جِدًّا ، وأمِيرُ رَكْبِ المِصْرِيِّين الحاجُّ[2] أناق[3] الحُسامِيُّ . وتَرَك الشيخُ صَفِيُّ الدينِ مشْيَخَةَ الشيوخِ ، فوليها القاضِى[4] عبدُ الكَرِيمِ بنُ قاضِى القُضاةِ مُحْيى الدينِ بنِ الزَّكِيِّ ، وحضَر الخانَقاه يومَ الجمعةِ [5]حادِى عشْرِينَ[5] مِن ذِى القَعْدَةِ ، وحضَر عندَه ابنُ صَصْرَى ، وعِزُّ الدينِ ابنُ[6] القَلَانِسِيِّ ، والصّاحِبُ[7] ابنُ مُيَسَّرٍ[8] ، والمُحْتَسِبُ وجَماعةٌ .

وفى ذِى القَعْدَةِ وَصَل مِن التترِ مُقَدَّمٌ كَبِيرٌ قد هرَب منهم إلى بِلادِ الإسْلامِ ، وهو الأَمِيرُ بدْرُ الدينِ جَنْكَلِى[9] بنُ البابا ، وفى صُحْبَتِه نَحْوٌ مِن عشَرَةٍ ، فحضَرُوا الجُمُعَةَ فى الجامِعِ ، وتوَجَّهُوا إلى مصرَ ، فأُكْرِمَ وأُعْطِى إمْرَةَ ألفٍ ، وكان مُقامُه ببلادِ آمِدَ ، وكان يُناصِحُ السُّلْطانَ ويُكاتِبُه ويُطْلِعُه على عَوْراتِ التترِ ، فلهذا عَظُم شَأْنُه فى الدولةِ الناصِرِيَّةِ .

---

(١) فى ص : « السنجى » . وانظر النجوم الزاهرة ٨/ ٢١٤.

(٢) الحاج : من ألقاب مقدمى الدولة ومهتارية البيوت ومن فى معناهم ،وإن لم يكن قد حج . صبح الأعشى ٦/ ١١.

(٣) فى الأصل : « أياق » ، وفى م : « أباق » . وغير منقوطة فى ص . وانظر السلوك ١/٣/ ٩٥٤.

(٤) بعده فى ص : « تقى الدين بن » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ١٨، والدارس ٢/ ١٥٧، وفيه نص المصنف .

(٥ - ٥) فى م : « الحادى عشر » ، وفى الدارس ٢/ ١٥٧ : « سادس عشرين » .

(٦) سقط من : م . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

(٧) الصاحب : لفظ جرى فى عهد الأيوبيين بمصر للدلالة على الوزير ، وقد سبقهم إلى استعماله بنو بويه من دون الدول الإسلامية المتقدمة . انظر السلوك ٢/١/١١٦ حاشية (٤) .

(٨) فى الأصل : « مبشر » .

(٩) فى النسخ : « جنكى » . وفى السلوك : ١/٣/ ٩٥٠ : « جنغلى » . والمثبت من الدرر الكامنة ٢/ ٧٦، وعقد الجمان ٤/ ٣٠٣- نقلا عن المصنف - والمنهل الصافى ٥/ ٢٢.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

مَلِكُ التترِ قازان بنُ أَرْغُون بنِ أَبْغَا ، تَقَدَّمَ .

الشيخُ القُدْوةُ العابِدُ الزّاهِدُ الوَرِعُ ، أبو إسْحاقَ إبْراهِيمُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ ابنِ (١ مَعالِى بنِ محمدِ ١) [١٠/١٣٤و] **بنِ عبدِ الكَريمِ الرَّقِّىُّ الحَنْبَلِىُّ** ، كان أصلُه مِن بلادِ الشرقِ ، ومولِدُه بالرَّقَّةِ فى سنةِ سَبْعٍ وأرْبَعِين وستِّمائةٍ ، واشْتَغَلَ وحَصَّلَ وسَمِعَ شيئًا مِن الحديثِ ، وقدِم دِمشْقَ فسَكَن بالمِئْذَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ فى أسْفَلِها بأهْلِه إلى جانِب الطَّهّارَةِ[٢] بالجامعِ[٣] ، وكان مُعَظَّمًا عندَ الخاصِّ والعامِّ ، فَصِيحَ العِبارَةِ ، كَثِيرَ العِبادَةِ ، خَشِنَ العَيْشِ ، حَسَنَ المُجالَسَةِ ، لَطِيفَ المفاكَهَةِ[٤] ، كثيرَ التِّلاوَةِ ، قَوِىَّ التَّوَجُّهِ ، مِن أفْرادِ العالِمِ ، عارِفًا بالتفْسِيرِ والحديثِ والفِقْهِ والأصْلَيْنِ[٥] ، وله مُصَنَّفاتٌ وخُطَبٌ ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ ، تُوفِّى بمنزِله ليلةَ الجُمُعةِ خامِسَ عشَرَ المحرَّمِ ، وصُلِّى عليه عَقِيبَ الجُمعةِ ، ونُقِلَ إلى تُرْبَةِ الشيخِ أبى عُمَرَ[٦] بالسَّفْحِ ، وكانت جِنازَتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ وأكْرَمَ مَثْواه .

وفى هذا الشهرِ تُوفِّى **الأمِيرُ زَيْنُ الدينِ قَراجَا أُسْتَدار الأفرمُ**[٧] ، ودُفِن بتُرْبَتِه بمَيْدانِ الحَصَا عندَ النَّهْرِ .

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٣، والوافى بالوفيات ٥/ ٣١٣، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٤٩، والدرر الكامنة ١/ ١٥، والمنهل الصافى ١/ ٣٤.

(٢) الطهارة : الميضأة المعدة للتطهير والحش . كشاف القناع ١/ ٧١.

(٣) سقط من : ص ، وفى الأصل : « والجامع » .

(٤) فى الأصل ، م : « الكلام » .

(٥) الأصلين : من مصطلحات الصوفية ، ويريدون به الكتاب والسنة . معجم المصطلحات الحضارية (ضمن فهارس طبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٩٢) .

(٦) فى الأصل : « عمرو » .

(٧) عقد الجمان ٤/ ٣٣٩.

والشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ إبراهِيمَ بنِ عبدِ السَّلامِ[1] ، عُرِفَ بابنِ الحبليِّ ، كان مِن خِيارِ الناسِ ، يَتَرَدَّدُ إلى عكَّا [2]أيامَ كانتْ[2] الفِرَنْجُ ، فى فِكاكِ أُسارَى المسلمين ، جَزاه اللَّهُ خيرًا ، وعَتَقَه من النارِ ، وأدْخَلَه الجنَّةَ برحْمَتِه .

الخَطيبُ ضِياءُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ الخَطِيبِ جَمالِ الدينِ أبى الفَرَجِ عبدِ الوهابِ بنِ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ عقيلٍ السُّلَمِىُّ[3] ، خَطِيبُ بَعْلَبَكَّ نحوًا مِن سِتِّينَ سنةً بعدَ[4] والِدِه ، وُلِد سنةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ وسِتِّمائةٍ ، وسَمِع الكثيرَ ، وتفَرَّدَ عن القَزْوِينىِّ ، وكان رجلًا جَيِّدًا حَسَنَ القِراءةِ ، مِن كبارِ العُدولِ ، تُوفِّى ليلةَ الاثْنَينِ ثالث صَفَرٍ ، ودُفِن ببابِ سَطْحا .

الشيخُ زَيْنُ الدينِ الفارِقىُّ ، عبدُ اللَّهِ بنُ مَرْوانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ فِهْرِ[5] **بنِ الحسَنِ ، أبو محمدٍ الفارِقىُّ** ، شيخُ الشافِعيَّةِ ، وُلد سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وسِتِّمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، واشْتَغل ودَرَّسَ فى عدةِ مَدارِسَ ، وأفْتَى مدةً طَوِيلةً ، وكانت له هِمَّةٌ وشَهامَةٌ وصرامَةٌ ، وكان يُباشِرُ الأوقافَ جَيِّدًا ، وهو الذى عَمَر دارَ الحديثِ بعدَ خَرابِها زَمَنَ[6] قازانَ ، وقد باشَرَها سَبْعًا وعِشْرِينَ سَنَةً من بعدِ

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢ - ٢) فى م : « أياما حين ما كانت فى أيدى » .

(٣) ذيول العبر ص ٢٤، والوافى بالوفيات ١٨/ ١٨٣، وتذكرة النبيه ١/ ٢٦١، والدرر الكامنة ٢/ ٤٤٣، وعقد الجمان ٤/ ٣٢٥، وشذرات الذهب ٦/ ٩.

(٤) فى الأصل ، م : « هو و » .

(٥) فى ص : « قنبر » ، وفى السلوك ١/٣/ ٩٥٧: « فير » ، وفى الدرر الكامنة ٢/ ٤١١: « فيروز » ، وفى الدارس ١/ ٢٦: « قيرانى الحسن » ،وفى نسخة منه : « مروان أبى الحسن » ، وفى الشذرات ٦/ ٨: « خير » . ولم يذكر هذا الجد فى عقد الجمان ٤/ ٣٢٦.وانظر فى ترجمته أيضا : ذيول العبر ص ٢٥، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٤٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٩٢، ودرة الحجال ٣/ ٦١.

(٦) فى م : « بيد » ، وفى ص : « من » .

النوَوِيِّ إلى حينِ وَفاتِه ، وكانت معه الشامِيَّةُ البَرّانِيَّةُ وخَطابَةُ الجامعِ الأُمَوِيِّ تِسْعَةَ أَشهرٍ ، باشَرَ به الخَطَابَةَ قبلَ وفاتِه ، وقد انْتَقَل إلى دارِ الخَطابَةِ وتُوفِّى بها يومَ الجُمُعةِ بعدَ العصرِ ، وصَلَّى عليه ضَحْوةَ السبتِ ابنُ صَصْرَى عندَ بابِ الخَطابةِ ، وبسوقِ الخَيلِ قاضِى الحَنَفِيَّةِ شمسُ الدينِ بنُ الحريرِيِّ ، وعندَ جامعِ الصالِحِيَّةِ قاضى الحَنابِلَةِ تَقِيُّ الدينِ سُليمانُ ، ودُفِن بتُرْبَةِ أهلِه شَمالِيّ تُرْبَةِ الشيخِ أبى عمرَ ، رحِمه اللَّهُ ، وباشَرَ بعدَه الخَطابَةَ شَرَفُ الدينِ الفَزارِيُّ ، ومَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ ابنُ الوَكيلِ ، والشّامِيَّةَ البَرّانِيَّةَ ابنُ الزَّمْلَكانِيِّ ، وقد تَقَدَّمَ ذلك .

الأميرُ الكَبِيرُ عِزُّ الدينِ أَيْبَك الحَمَوِيُّ[1] ، ناب بدمَشقَ مُدَّةً ، ثم عُزِل عنها إلى صَرْخَدَ ، ثم نُقِل قَبلَ موتِه بشَهْرٍ إلى نِيابَةِ حِمْصَ ، وتُوفِّى بها يومَ الأحَدِ العِشْرِينَ من رَبيعٍ الآخِرِ ، ونُقِل إلى تُرْبَتِه بالسَّفْحِ غَرْبِيّ [١٠/١٣٤ظ] زاوِيَةِ ابنِ قَوَامٍ[2] ، وإليه يُنْسَبُ الحَمّامُ بمسجِدِ القَصَبِ الذى يُقالُ له : حَمّامُ الحَمَوِيِّ . عمَرَه فى أيامِ نِيابَتِه .

الوَزِيرُ فَتْحُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أَحمدَ بنِ خالدِ بنِ محمدِ بنِ نَصْرِ بنِ صَغِيرٍ[3] **القُرَشِيُّ المَخْزُومِيُّ ، ابنُ القَيْسَرانِيِّ** ، كان شَيخًا جَلِيلًا أدِيبًا شاعِرًا مُجِيدًا ، مِن بَيْتِ الرِّياسَةِ والوِزارَةِ ، وقد وَلِىَ وِزارَةَ دِمَشْقَ مُدّةً ، ثم أقامَ بمصرَ مُوَقِّعًا مُدَّةً ، وكان له اعْتِناءٌ بعُلومِ الحديثِ وسَماعِه

---

(١) ذيول العبر ص ٢٥، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٧٩، والدرر الكامنة ١/ ٤٥١، والمنهل الصافى ٣/ ١٣٢، والدليل الشافى ١/ ٢٦١.

(٢) غربى قاسيون ، والزاوية السيوفية ، ودار الحديث الناصرية ، على حافة نهر يزيد . الدارس ٢/ ٢٠٨.

(٣) فى م : « صقر » ، وفى ص : « صفر » . وانظر ترجمته فى : السلوك ١/٣/ ٩٥٧، والدرر الكامنة ٢/ ٣٨٩، وعقد الجمان ٤/ ٣٢٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢١٣، والدليل الشافى ١/ ٣٩٠، وشذرات الذهب ٦/ ٩.

(١ وإسْماعِه ١)، وله مُصَنَّفٌ فى أسْماءِ الصَّحابةِ[٢] الذينَ خُرِّج لهم فى «الصَّحِيحَيْن»، وأوْرَدَ شيئًا مِن أحادِيثِهم فى مُجَلَّدِينِ مَوْقُوفَيْنِ بالمَدْرَسَةِ[٣] النّاصِرِيَّةِ بدِمَشْقَ، وكان له مُذاكَرَةٌ جَيِّدةٌ مُحَرَّرَةٌ باللفظِ والمَعْنَى، وقد خَرَّج عنه الحافظُ الدِّمْياطِىُّ، وهو آخِرُ من تُوفِّى من شُيوخِه، تُوفِّى بالقاهرةِ فى يومِ الجمعةِ الحادِى والعِشْرِين من ربيعٍ الآخِرِ، وأصْلُهم من قَيْسارِيَّةِ الشامِ، وكان جَدُّه مُوَفَّقُ الدينِ أبو البَقاءِ خالدٌ وَزِيرًا لنُورِ الدينِ الشَّهِيدِ، وكان مِن الكُتَّابِ المُجِيدِينَ المُتْقِنِين، له كِتابَةٌ جَيِّدَةٌ مُحَرَّرَةٌ جِدًّا، تُوفِّى فى أيام صلاح الدين سَنَةَ ثَمانٍ وثمانينَ وخَمْسِمائةٍ، وأبوه محمدُ بنُ نَصْرِ بنِ صَغِيرٍ[٤] وُلِدَ بعَكَّا قبلَ أخْذِ الفِرَنْجِ لها سَنَةَ ثمانٍ وسَبْعِين وأرْبعِمائةٍ، (٥ فلمَّا أُخِذَتْ بعدَ التسعِينَ[٦] وأرْبعِمائةٍ ٥) انْتَقَل أهْلُهم إلى حَلَبَ فكانوا بها، وكان شاعِرًا مُطْبِقًا[٧] له دِيوانٌ مَشْهُورٌ، وكان له مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بالنُّجومِ والهَيْئَةِ وغيرِ ذلك.

وفيها تُوفِّى الوالِدُ، **وهو الخَطِيبُ شِهابُ الدينِ أبو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ كَثِيرِ بنِ ضَوْءِ بنِ كَثِيرِ بنِ ضَوءِ بنِ درعٍ القُرَشِىُّ**، من بَنِي حَصْلَةَ، وهم يَنْتَسِبُون إلى الشَّرَفِ وبأَيْدِيهم نَسَبٌ، وَقَف على بَعْضِها شيخُنا المِزِّىُّ فأعْجَبَه ذلك وابْتَهَجَ به، فصار يَكْتُبُ فى نَسَبِى بسَبَبِ ذلك: القُرَشِىُّ - من قَرْيةٍ يقالُ لها:

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) واسمه معرفة الصحابة. كشف الظنون ٢/ ١٧٣٩، وقال: فى مجلدات. وانظر هدية العارفين ١/ ٤٦٤.

(٣) فى الأصل، ص: «بالمدينة».

(٤) فى الأصل: «صفر»، وفى م، ص: «صقر». وتقدم فى وفيات سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) فى الأصل، م: «السبعين». وتقدم أن عكا أخذت سنة سبع وتسعين وأربعمائة. انظر ما تقدم فى ١٦/ ١٨٥.

(٧) فى الأصل، ص: «مطيقا»، وفى عقد الجمان: «مطيعا».

الشركوين . غَرْبِىّ بُصْرَى ، بينها وبينه أذْرِعات ، وُلِد بها فى حُدُودِ سَنَةِ أرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ ، واشْتَغَلَ بالعلمِ عندَ أخْوالِه بَنِى عُقْبَةَ ببُصْرَى ، فقرأ « البِدايَةَ » فى مَذْهَبِ أبى حَنِيفَةَ ، وحَفِظ « جُمَلَ الزَّجَّاجِىِّ » ، وعُنِى بالنحوِ والعَرَبِيَّةِ واللغةِ وحفْظِ أَشْعارِ العربِ ، حتى كان يَقُولُ الشِّعْرَ الجَيِّدَ الفائِقَ الرَّائِقَ فى المديحِ والمَراثِى وقَلِيلٍ مِن الهِجاءِ ، وقُرِّرَ فى مدارِسِ بُصْرَى بمَبْرَكِ النّاقَةِ شَمالِىّ البَلَدِ حيثُ يزارُ ، وهو المبرَكُ المشْهورُ عند الناسِ ، واللَّهُ أعلمُ بصحةِ ذلك ، ثم انْتَقَلَ إلى خَطابَةِ القَرْيَةِ شَرْقِىّ بُصْرَى ، وتَمَذْهَبَ للشافعىِّ ، وأخَذ عن النَّوَاوِىِّ والشيخِ تاجِ[1] الدينِ الفَزارِىِّ ، وكان يُكْرِمُه ويَحْتَرِمُه فيما أخْبَرَنِى شَيْخُنا العَلَّامَةُ ابنُ الزَّمْلَكَانِىِّ ، فأقامَ بها نحوًا مِن ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سنةً ، ثم تَحَوَّل إلى خَطابَةِ مجيْدلِ[2] القَرْيَةِ التى منها الوالِدَةُ ، فأقام بها مُدَّةً طَوِيلَةً فى خَيْرٍ وكِفايَةٍ وتِلَاوَةٍ كَثِيرَةٍ ، وكان يَخْطُبُ جَيِّدًا ، وله قَبولٌ عندَ النّاسِ ، ولكَلَامِه وَقْعٌ ؛ لدِيانَتِه وفَصاحَتِه وحَلاوَتِه ، وكان يُؤْثِرُ الإقامَةَ فى البِلادِ لما يَرَى فيها من الرِّفْقِ ووُجُودِ الحَلالِ له ولعِيالِه ، وقد وُلِد له عِدَّةُ أولَادٍ مِن الوالِدَةِ ومِن أُخْرَى قبلها ، [١٠/١٣٥و] أكْبَرُهم إسماعيلُ ثم يُونسُ وإدْرِيسُ ، ثم مِن الوالِدَةِ عبدُ الوهَّابِ وعبدُ العَزِيزِ ومحمدٌ وأخَواتٌ عِدَّةٌ ، ثم أنا أصْغَرُهم ، وسُمِّيتُ باسمِ الأخِ إسْماعِيلَ ؛ لأنَّه كان قد قَدِم دِمَشْقَ فاشْتَغَل بها بعدَ أن حَفِظ القرآنَ على والِدِه ، وقَرَأ مُقَدِّمَةً فى النحوِ ، وحَفِظ « التَّنْبِيهَ » و « شَرْحَه » على العَلَّامَةِ تاجِ الدينِ الفَزارِىِّ ، وحَصَّلَ « المُنْتَخَبَ » فى أصُولِ الفِقْهِ ، قاله لى شَيْخُنا ابْنُ الزَّمْلَكَانِىِّ ، ثم إنه سَقَط مِن

---

(١) فى الأصل ، م : « تقى » ، وفى عقد الجمان ٤/ ٣٣٦: « عز » . وتقدمت ترجمة تاج الدين الفزارى فى وفيات سنة تسعين وستمائة . وانظر الصفحة الآتية .

(٢) فى الأصل : « مجيد » ، وفى ص : « محبدل » . وانظر عقد الجمان ٤/ ٣٣٧.

سَطْحِ الشّامِيَّةِ البَرّانِيَّةِ ، فمَكَثَ أيامًا ومات ، فوَجَد الوالدُ عليه وَجْدًا كَثِيرًا ، ورَثاه بأبْياتٍ كثيرةٍ ، فلمّا وُلِدْتُ أنا له بعدَ ذلك سَمَّانِى باسْمِه ، فأكْبَرُ أوْلَادِه إسْماعِيلُ وآخِرُهم وأصْغَرُهم إسْماعِيلُ ، فرحِم اللَّهُ مَن سَلَفَ ، وخَتَم بخَيْرٍ لمَن بَقِى ، وكانت وَفاةُ الوالدِ فى شَهْرِ جُمادَى الأُولَى سنَةَ ثلاثٍ وسَبْعِمائةٍ ، فى قَرْيَةِ مجيْدلِ القريةِ ، ودُفِنَ بمَقْبَرَتِها الشَّماليةِ عندَ الزَّيْتُونَةِ ، وكنتُ إذْ ذاك صغيرًا ابنَ ثلاثِ سِنينَ أو نحوِها ، لا أُدْرِكُه إلَّا كالحُلْمِ ، ثم تَحَوَّلْنا مِن بَعدِه فى سَنَةِ سَبْعٍ وسَبْعِمائةٍ[1] إلى دِمَشْقَ صُحْبَةَ الأخِ كمالِ الدينِ عَبْدِ الوَهَّابِ ، وقد كان لنا شَقِيقًا ، وبنا رَفِيقًا شَفُوقًا ، وقد تَأَخَّرَتْ وَفَاتُه إلى سَنَةِ خَمْسِينَ ، فاشْتَغَلْتُ على يَدَيْه فى العلمِ ، فَيَسَّرَ اللَّهُ تعالى منه ما يسَّر ، وسَهَّلَ منه ما تَعَسَّرَ . واللَّهُ أعْلَمُ .

وقد[2] قال شَيْخُنا الحافظُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالِيُّ فى « مُعْجَمِه » فيما أخْبَرَنى عنه شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سَعْدٍ المَقْدِسِيُّ مُخَرِّجُه له ، ومِن خَطِّ المُحَدِّثِ شمسِ الدينِ بنِ سَعْدٍ هذا نَقَلْتُ ، وكذلك وقَفْتُ على خَطِّ الحافظِ البِرْزالِيِّ مِثْلَه فى السَّفِينَةِ الثانيةِ من السُّفُنِ الكِبارِ ، قال : عمرُ بنُ كَثيرٍ القُرَشِيُّ خَطِيبُ القَرْيَةِ ، وهى قريةٌ مِن أعْمالِ بُصْرَى ، رَجُلٌ فاضِلٌ له نَظْمٌ جَيِّدٌ ، ويَحْفَظُ كَثِيرًا من اللُّغْزِ ، وله هِمَّةٌ وقُوةٌ ، كتَبْتُ عنه مِن شِعْرِه بحُضُورِ شَيْخِنا تاجِ الدينِ الفَزارِيِّ ، وتُوفِّى فى جُمادى الأُولَى سَنَةَ ثلاثٍ وسَبْعِمائةٍ بمجيْدلِ القَرْيَةِ مِن عَمَلِ بُصْرَى ، أَنْشَدَنا الخطيبُ شِهابُ الدينِ أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ كثيرٍ القُرَشِيُّ خطيبُ القريةِ بها لنَفْسِه فى مُنْتَصَفِ شعبانَ من سَنَةِ سَبْعٍ وثمانينَ وسِتِّمائةٍ[3] :

---

(١) فى الأصل : « تسعمائة » .

(٢) من هنا إلى آخر الترجمة زيادة من : م ، وفى الحاشية أنها زيادة من نسخة أخرى .

(٣) الأبيات غير كاملة فى عقد الجمان ٤/ ٣٣٨، ٣٣٩.

نَأى النَّوْمُ عن جَفْنِى فَبِتُّ مُسَهَّدَا ... أَخَا كَلَفٍ حِلْفَ الصَّبابةِ مُوجِدا[1]

سَمِيرَ الثُّرَيا والنُّجومِ مُدَلَّهًا ... فمِنْ وَلَهِى خِلْتُ الكَواكِبَ رُكَّدا

طريحًا على فُرُشِ الصَّبابةِ والأَسَى ... فما ضَرَّكُمْ لو كُنْتُمُ لِىَ عُوَّدا

تُقَلِّبُنِى أيْدِى الغَرامِ بِلَوْعَةٍ ... أَرَى النَّارَ مِن تِلْقائِها لِىَ أَبْرَدا

ومَزَّقَ[2] صَبْرِى بَعْدَ جِيرانِ حاجِزٍ ... سَعِيرُ غَرامٍ باتَ فى القَلْبِ مُوقَدا

فأَمْطَرْتُه دَمْعِى لعلَّ زَفِيرَهُ ... يقِلُّ فزَادَتْهُ الدُّموعُ تَوَقُّدا

فَبِتُّ بلَيْلٍ نابِغِىٍّ ولا أرَى ... على النَّأْيِ مِن بعدِ الأَحِبَّةِ مُسْعِدا[3]

فيا لَكَ من ليلٍ تَباعَدَ فَجْرُه ... علىَّ إلى أنْ خِلْتُهُ [4]قَدْ تَخَلَّدا[4]

غَرامًا ووَجْدًا لا يُحَدُّ أَقَلُّه ... بأَهْيفَ مَعْسُولِ المراشِفِ أغْيَدا

له طَلْعَةٌ كالبَدْرِ زَانَ جَمالَهَا ... بِطُرَّةِ شَعْرٍ حالِكِ اللوْنِ أسْودَا

يَهُزُّ مِن القَدِّ الرَّشِيقِ مُثَقَّفًا ... ويُشْهِرُ مِن جَفْنَيهِ سَيْفًا مُهَنَّدا

[5]وفى[5] وَرْدِ خَدَّيهِ وآسِ عِذارِهِ ... وضَوْءِ ثَناياهُ فَنِيتُ تَجَلُّدا

غَدا كُلُّ حُسْنٍ دُونَهُ مُتَقاصِرًا ... وأَضْحَى له رَبُّ الجَمالِ مُوحِّدا

إذا ما رَنا واهْتَزَّ عِنْدَ لِقائِه ... سَبَاكَ فلم تَمْلِكْ لِسانًا ولا يَدا

وتَسْجُدُ إجْلَالًا له وكَرامَةً ... وتُقْسِمُ قد أَمْسَيْتَ فى الحُسْنِ أَوْحَدا

---

(١) فى عقد الجمان : « مكمدا » .

(٢) فى عقد الجمان : « ومزقنى » .

(٣) قوله « بليل نابغى » يشير إلى بيت النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... دليلِ أقاسيه بطىء الكواكبِ

انظر : ثمار القلوب ص ٦٣٥ .

(٤ - ٤) فى عقد الجمان : « أن يخلدا » .

(٥ - ٥) فى عقد الجمان : « إلى » .

ورُبَّ أخِى كُفْرٍ تَأَمَّلَ حُسْنَهُ فأَسْلَمَ مِن إجْلَالِهِ وتَشَهَّدا
وأنْكَرَ عِيسَى والصَّلِيبَ ومَرْيَما وأَصْبَحَ يَهْوَى بَعْدَ بُغْضٍ مُحَمّدا
أيا كَعْبَةَ الحُسْنِ التى طافَ حَوْلَها فُؤادِى أما لِلصَّدِّ عِنْدَكَ مِنْ فِدا ؟
قَنِعْتُ بطَيْفٍ من خَيالِك طارِقٍ وقد كُنْتُ لا أَرْضَى بوَصْلِك سَرْمَدا
فقد شَفَّنِى شَوْقٌ تَجاوَزَ حَدَّهُ وحَسْبُكَ مِن شَوْقٍ تَجاوَزَ واعْتَدا
سَأَلْتُكَ إلَّا ما مَرَرْتَ بحَيِّنا بفَضْلِكَ يا رَبَّ المَلَاحَةِ والنَّدا
لعلَّ جُفُونى أنْ تَغِيضَ دُمُوعُها ويَسْكُنَ قلبٌ مُذْ هَجَرْتَ فما هَدا
غَلِطْتَ بهِجْرانِى ولو كُنْتَ صَابِيًا لما صَدَّكَ الواشُونَ عَنِّى ولا العِدا

وعِدَّتُها ثَلَاثَةٌ وعِشْرُونَ بيتًا ، واللَّهُ يغفِرُ له ما صَنَع مِن الشِّعرِ .

ثم دخلَتْ سنةُ أربعٍ وسبعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ والخليفةُ والسُّلطانُ والحكامُ والمباشِرُون[2] هم المذْكُورون فى التى قبلَها. وفى يومِ الأحدِ ثالث ربيعِ الأوَّلِ حَضَرْتُ[3] الدُّروسَ والوظائفَ التى أنْشَأها الأميرُ بَيْبَرْس الجاشْنَكير المنصوريُّ بجامعِ الحاكمِ، بعدَ أن جَدَّده مِن خَرابِه بالزَّلْزَلةِ التى طرَقت ديارَ مصرَ فى آخِرِ سنةِ ثِنْتين وسبعِمائةٍ، وجعَل القُضاةَ الأربعةَ هم المُدَرِّسين للمَذاهِبِ، وشيخَ الحَدِيثِ سعدَ الدِّينِ الحارِثيَّ، وشيخَ النَّحوِ أثيرَ الدينِ أبا حَيَّانَ، وشيخَ القِراءاتِ السبعِ نورَ الدينِ الشَّطَّنَوْفِيَّ[4]، وشيخَ إفادَةِ العلومِ علاءَ الدينِ القُونَوِيَّ.

وفى جُمادَى الآخِرةِ باشَرَ الأميرُ رُكنُ الدينِ بَيْبَرْس الحُجُوبِيَّةَ[5] مع الأميرِ سيفِ الدينِ بَكْتَمُر[6]، وصارا حاجِبَيْن كَبيرَيْن فى دِمَشْقَ.

وفى رَجَبٍ منها أُحْضِر إلى الشَّيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ شيخٌ كان يلبَسُ

---

(١) كنز الدرر ٩/ ١١٨، وذيول العبر ٢٦، ومرآة الجنان ٤/ ٢٣٩، وتذكرة النبيه ١/ ٦٣.

(٢) المباشرون: الموظفون الإداريون. كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٤٦ الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام.

(٣) فى الأصل: «دارت».

(٤) فى الأصل: «الشطرفى»، وفى ص: «الشنطوفى». وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٢١٦.

(٥) الحجوبية: يسمى صاحبها حاجب الحجاب، وهو يقوم بالنظر فى مخاصمات الأجناد واختلافهم فى أمور الإقطاعات ونحو ذلك. خطط المقريزى ٢/ ٢١٩.

(٦) فى الأصل، ص: «بكتم». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

دلقًا[1] كبيرًا مُتَّسِعًا جِدًّا ، [2]يُسَمَّى المُجاهِدَ[2] إبراهيمَ القَطَّانَ ، فأمَر الشيخُ بتَقْطِيعِ ذلك الدلقِ ، فتناهَبه الناسُ مِن كلِّ جانبٍ ، وقطَّعوه حتى لم يَدَعُوا منه[3] شيئًا ، وأمَر بحلقِ رأسِه ، وكان ذا شَعْرٍ ، وقَلْمِ أظْفارِه ، وكانوا طِوالًا جدًّا ، وحفِّ شارِبِه المُسْبَلِ على فَمِه المخالِفِ للسُّنةِ ، واسْتَتابَه مِن كلامِ الفُحْشِ ، وأكْلِ ما لا يجوزُ أكلُه مِن المحرَّماتِ ومِمّا يُغَيِّرُ العَقْلَ ؛ مِن الحَشِيشَةِ وغيرِها . وبعدَه اسْتُحْضِر الشيخُ محمدٌ الخَبّازُ البلاسِيُّ فاسْتَتابَه أيضًا عن أكْلِ المُحرّماتِ ، ومخالَطَةِ أهلِ الذِّمَّةِ ، وكَتَب عليه مَكْتُوبًا أن لا يَتَكَلَّمَ فى تَعْبيرِ المَناماتِ ولا فى غيرِها مِمّا لا علْمَ له به .

وفى هذا الشَّهرِ بعينِه راح الشيخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابنُ تَيمِيَّةَ إلى مسجدِ النَّارَنْجِ[4] ، وأمَر أصحابَه ومعهم حَجّارون بقَطْعِ صَخْرةٍ كانت هناك بنَهْرِ قَلُوطٍ[5] تُزارُ ويُنْذَرُ لها ، فقَطَعها [١٠/١٣٥ظ] وأراح المسلمينَ منها ومِن الشِّرْكِ بها ، فأزاح عن المسلمين شُبهةً كان شرُّها عَظيمًا ، وبهذا وأمْثالِه حَسَدُوه وأبْرَزوا له العَداوةَ ، وكذلك بكَلامِه فى ابنِ عَرَبِيٍّ وأتْباعِه ، فحُسِد على ذلك وعُودِىَ ، ومع هذا لم تَأْخُذْه فى اللَّهِ لومةُ لائِمٍ ، ولا بالى ، ولم يَصِلُوا إليه بمَكْروهٍ ، وأكثرُ ما نالوا منه

---

(١) الدلق ، بكسر الدال وسكون اللام ، أو بفتح الدال وكسر اللام : رداء يتكون من عدة قطع من القماش على ألوان مختلفة يشبه العباءة وكان يرتديه المتصوفة والقضاة والعلماء . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤١٦ نقلا عن (Dozy) .

(٢ - ٢) فى ص : « تسمى بالمجاهد بن » .

(٣) فى م : « فيه » .

(٤) فى النسخ ، ونسخة من السلوك : « التاريخ » . والمثبت من السلوك ٢/١/٨، وعقد الجمان ٤/ ٣٥٧. ويسمى أيضا مسجد الحجر : وهو مسجد كبير فيه بئر وسقاية ، وله منارة ، قبلى المصلى من شرقيه . انظر خطط دمشق ص ٩٣ ، والدارس ٢/ ٣٦١.

(٥) القلوص : نهر جار تنصب إليه الأقذار والأوساخ ، وأهل الشام يسمونه القلوط ، بالطاء . التاج (ق ل ص) ، (ق ل ط) .

الحَبْسُ ، مع أنَّه لم ينقَطِعْ فى بَحْثٍ لا بمصرَ ولا بالشّامِ ، ولم يَتَوجَّهْ لهم عليه ما يَشِينُ ، وإنما أخَذوه وحَبَسوه بالجاهِ كما سيأْتِى ، وإلى اللَّهِ إيابُ الخلقِ وعليه حِسابُهم .

وفى رَجَبٍ جلَسَ قاضى القضاةِ نَجْمُ الدينِ بنُ صَصْرَى بالمدرسةِ العادِليَّةِ الكبيرةِ ، وعُمِلَت التُّخوتُ بعدَ ما جُدِّدَتْ عِمارةُ المدرسةِ ، ولم يكنْ أحدٌ يَحْكُمُ بها بعدَ وَقْعةِ قازان بسببِ خَرابِها ، وجاء المَرْسُومُ للشيخِ بُرهانِ الدينِ الفَزَارِىِّ بوَكالَةِ بيتِ المالِ فلم يقْبَلْ ، وللشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانِىِّ بنَظَرِ الخِزانَةِ فقَبِل وخُلِع عليه بطرحةٍ ، وحضَر بها يومَ الجُمعةِ ، وهاتان الوظِيفَتان كانتا مع نَجْمِ الدينِ بنِ أبى الطَّيِّبِ ، تُوفِّىَ إلى رَحمةِ اللَّهِ تعالَى .

وفى شعبانَ سعَى جَماعَةٌ فى تَبْطيلِ الوقيدِ ليلةَ النصفِ ، وأخذوا خُطوطَ العُلماءِ فى ذلك ، وتكَلّمُوا مع نائِبِ السّلْطَنةِ فلم يَتَّفِقْ ذلك ، بل أشْعَلُوا وصُلِّيَتْ صلاةُ ليلةِ النصفِ أيضًا . وفى خامِسِ رمضانَ وصَل الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشىِّ مِن مصرَ بوَكالةِ بيتِ المالِ ، ولبِسَ الخِلْعَةَ (١ يومَ الجمعةِ ١) سابع رمضانَ ، وحضَر عنده[٢] ابنُ صَصْرَى بالشُّبَّاكِ الكَمالِىِّ . وفى سابعِ شوَّالٍ عُزِلَ وزيرُ مصرَ ناصرُ الدينِ بنُ الشَّيْخِىِّ ، وقُطِع إقطاعُه ، ورُسِمَ[٣] عليه ، وعُوقِبَ إلى أن ماتَ فى ذى القَعدةِ ، وتوَلَّى الوِزارةَ سعْدُ الدينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ عطايا[٤] وخُلِع عليه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ، م ، ص : « عند » .

(٣) الترسيم : الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة . السلوك ١/٣/ ٧٤٠ حاشية (٤) .

(٤) فى م ، ص : « عطاء » . وانظر السلوك ١/٢/ ١٠، ٢٤، وعقد الجمان ٤/ ٣٦٥.

وفى يومِ الخميسِ الثانى والعشرين مِن ذِى القَعدةِ حَكَم قاضى القُضَاةِ جمالُ الدينِ الزَّواوِىُّ بقَتْلِ الشمسِ محمدِ بنِ جَمالِ الدينِ[1] عبدِ الرحيمِ[2] الباجُرْبَقىِّ[3] ، وإراقَةِ دَمِه وإن تاب وإن أسْلَم ، بعدَ إثباتِ مَحْضَرٍ عليه يَتَضَمَّنُ كُفْرَ الباجُرْبَقىِّ المَذْكورِ ، وممن شَهِد عليه فيه الشيخُ مجدُ الدينِ التُّونُسِىُّ النَّحوىُّ الشّافِعىُّ ، فهَرَبَ الباجُرْبَقىُّ إلى بِلادِ الشَّرقِ ، فمَكَث بها مُدَّةَ سِنِينَ ، ثم جاء بعدَ موتِ الحاكِمِ المذكورِ كما سيأْتى .

وفى ذى القَعْدةِ كان نائبُ السَّلطَنَةِ فى الصَّيْدِ ، فقصَدَهم فى الليلِ طائِفةٌ مِن الأعرابِ ، فقَاتَلَهم الأمَراءُ ، فقَتَلوا مِن العَربِ نحوَ النِّصْفِ ، وتَوَغَّلَ فى العربِ أميرٌ يُقالُ له : سيفُ الدينِ بَهادُر سَمِز[4] . احتِقارًا بالعَربِ ، فضرَبَه واحدٌ منهم برُمْحٍ فقتَله ، فكَرَّت الأمَراءُ عليهم فقَتَلوا منهم خلقًا أيضًا ، وأخذُوا واحدًا منهم زَعَمُوا أنَّه الذى قتَله ، فصُلِبَ تحتَ القَلْعَةِ ، ودُفِن الأميرُ المذكورُ بقبرِ السِّتِّ .

وفى ذِى القَعْدةِ تكلَّمَ الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ النَّقِيبِ وجَماعةٌ مِن الفُقهاءِ فى الفَتاوَى الصادرةِ مِن الشيخِ عَلاءِ الدينِ بنِ العَطّارِ شيخِ دارِ الحَدِيثِ النُّورِيَّةِ والقُوصِيَّةِ[5] ، وأنَّها مُخالِفةٌ [١٠/١٣٦و] لمَذْهَبِ الشّافِعىِّ ، وفيها تَخْبِيطٌ كثيرٌ ، فتوَهَّم مِن ذلك وراح إلى الحَنَفِىِّ فحَقَن دمَه وأبْقاه على وظائِفِه ، ثم بلَغ ذلك نائبَ السَّلْطنةِ فأنكَر على المُنْكِرين عليه ، ورسَم عليهم ، ثم اصْطَلَحوا ، ورسَم

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وعشرين وسبعمائة .

(٢) فى م : « الرحمن » .

(٣) فى الأصل ، م : « الباجريقى » ، وفى ص : « التاجزتقى » .

(٤) فى الأصل : « تمراز » ، وفى م : « تمر » . والسمز : لفظ تركى بمعنى السمين . انظر النجوم الزاهرة ٨/ ٢١٧ ، والمنهل الصافى ٣/ ٤٣٣ ، والدليل الشافى ١/ ٢٠١ .

(٥) بالقرب من الرحبة ، وبها قبر واقفها القوصى . الدارس ١/ ٩٧ .

نائبُ السَّلْطَنةِ أن لا تُثارَ الفِتَنُ بينَ الفُقَهاءِ.

وفى مُسْتَهَلِّ ذِى الحِجَّةِ[1] رَكِب الشيخُ تَقِىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ وجَماعَةٌ مِن أصْحابِه إلى جَبلِ الجُرْدِ[2] والكَسْروانِيين، ومعه نقيبُ الأشْرافِ زَيْنُ الدينِ بنُ عدنانَ فاسْتَتابُوا خَلقًا منهم، وألْزَمُوهم بشَرائِع الإسلامِ، ورجَع مُؤَيَّدًا مَنْصورًا.

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

الشيخُ تاجُ الدينِ بنُ شمسِ الدينِ بنِ الرِّفاعِىِّ[3]، شيخُ الأحْمَدِيَّةِ بأمِّ عُبيدَةَ مِن مُدَّةٍ عَديدَةٍ[4]، وعنه تُكْتَبُ إجازاتُ الفُقراءِ، ودُفِنَ هناك عندَ سَلَفِه بالبَطائِح.

الصَّدْرُ نَجْمُ الدينِ[5] **عُمرُ بنُ أبى القاسِمِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ**[6] **بنِ أبى الكَتائِبِ بنِ محمدِ بنِ أبى الطَّيِّبِ**، وَكيلُ بيتِ المالِ وناظِرُ الخِزانَةِ، وقد وَلِىَ فى وَقْتٍ نَظَرَ المَارَسْتانِ النُّورِىِّ وغير ذلك، وكان مَشْكورَ السِّيرَةِ رجلًا جَيِّدًا، وقد سَمِع الحديثَ وروَى أيضًا، تُوفِّىَ ليلةَ الثّلاثاءِ الخامسَ عشَرَ مِن جُمادَى الآخِرَةِ، ودُفِنَ بتُرْبَتِهم ببابِ الصَّغيرِ.

---

(١) فى ص: «القعدة». وانظر السلوك ٢/٢/١٢.

(٢) فى الأصل: «الحرد». والجرد: مقاطعة جبلية بلبنان، يقال لأهلها: الجرديون، وسكانها دروز ونصارى. انظر تاريخ بيروت ص ٣٢، وأخبار الأعيان بجبل لبنان ص ٢٧.

(٣) ذيول العبر ص ٢٨، ومرآة الجنان ٤/ ٢٣٩، والدرر الكامنة ١/ ٣٢٨، وعقد الجمان ٤/ ٤٧٦.

(٤) فى م: «مديدة».

(٥) بعده فى الأصل، م: «بن». وانظر ترجمته فى: السلوك ٢/١/١٣، والدرر الكامنة ٣/ ٢٥٩، وعقد الجمان ٤/ ٣٧١.

(٦) بعده فى الدرر: «بن على».

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وسبعِمائةٍ[1]

استهَلَّت والحُكَّامُ هم المَذْكُورون فِيما مضَى. وجاء الخبرُ [2]فى أوَّلِها[2] أن جماعةً مِن التَّتَرِ كمَنوا لجيشِ حَلَبَ، وقتَلوا مِنهم خلقًا مِنَ الأعيانِ وغيرِهم، وكثُر النَّوحُ ببلادِ حلبَ بسببِ ذلك. وفى مُستهلِّ المحرمِ حكَم جَلالُ الدينِ القَزْوِينىُّ أخو قاضِى القُضاةِ إمامِ الدينِ نيابةً عن ابنِ صَصْرَى. وفى ثانيه خرَج نائبُ السَّلْطَنةِ بمَن بقِى معه مِن الجُيُوشِ الشَّاميَّةِ، وقد كان تقدَّم بينَ يَديْه طائفةٌ مِنهم مع ابنِ تيميَّةَ فى ثانى المحرمِ، فَسَارُوا إلى بلادِ الجُرْدِ والرَّفْضِ والتَّيامِنةِ[3]، فخرَج نائبُ السلطنةِ الأفْرَمُ بنفسِه بعدَ خروجِ الشيخِ لغزوِهم، فنصَرهم اللَّهُ عليهم، وأبادُوا خلقًا كثيرًا منهم ومِن فرقتِهم الضالةِ، ووطِئوا أراضىَ كثيرةً مِن منيعِ[4] بلادِهم، وعاد نائبُ السلطنةِ إلى دمَشقَ فى صُحبةِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيْميَّةَ والجيشِ، وقد حصَل بسببِ شهودِ الشيخِ هذه الغزوةِ خيرٌ كثيرٌ، وأبان الشيخُ علمًا وشجاعةً فى هذه الغزوةِ، وقد امْتَلأت قلوبُ أعدائِه حسدًا له وغمًّا.

---

(١) كنز الدرر ٩/ ١٣٠، وذيول العبر ص ٢٩، والسلوك ٢/١/ ١٤، وعقد الجمان ٤/ ٣٧٧.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «اليتامنة». ولعلها منسوبة إلى وادى التيم. انظر تاريخ بيروت ص ٤٩، ٦١، ١٣٦، ٢٠١، وخطط الشام ٦/ ٢٦٤، ٢٦٨.

(٤) فى م: «صنع».

وفى مُستهلِّ جُمادى الأُولى قَدِم القاضى أمينُ الدينِ أبو بكرِ بنُ القاضى وجيهِ الدينِ[1] عبدِ العظيمِ بنِ الرّقاقىِّ[2] المصرىُّ مِن القاهرةِ على نَظَرِ الدَّوَاوينِ بدمَشقَ، عِوَضًا عن عزِّ الدينِ بنِ مُيَسَّرٍ[3].

ذِكرُ ما جرَى للشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيْميَّةَ مع الأحمديَّةِ وكيفَ عُقِدت له المجالسُ الثلاثةُ[4]

وفى يومِ السبتِ تاسع جُمادى الأُولى حضَر جماعةٌ كثيرةٌ مِن الفقراءِ الأحمَديَّةِ إلى نائبِ السَّلطنة بالقصرِ الأبلَقِ[5]، وحضَر الشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تيْميَّةَ، فسألوا مِن نائبِ السَّلطنةِ بحضْرةِ الأمراءِ أن يَكُفَّ الشيخُ تقىُّ الدينِ إنكارَه عليهم، وأن يُسَلِّمَ لهم حالَهم، فقال الشيخُ: هذا ما يُمكنُ، ولابُدَّ لكلِّ أحدٍ أن يدخلَ تحتَ الكتابِ والسنَّةِ قولًا وفعلًا، ومَن خرَج عنهما وجَب الإنكارُ عليه على كلِّ أحدٍ. فأرادُوا أن يفعَلُوا شيئًا مِن أحوالِهم الشَّيْطانِيَّةِ التى يَتعَاطَوْنَها [١٠/١٣٦ظ] فى سماعاتِهم، فقال الشيخُ: تلك أحوالٌ شيطانيةٌ باطلةٌ، وأكثرُ أحوالِكم مِن بابِ الحيَلِ والبُهتانِ، ومَن أراد مِنكم أن يَدخُلَ النَّارَ فليَدخُلْ أوَّلًا إلى الحمَّامِ وليَغْسِلْ جسَدَه غَسْلًا جيِّدًا ويَدلِكْه بالخلِّ والأُشنَانِ ثم يَدخُلْ بعدَ

---

(١) بعده فى الأصل: «بن». وانظر الدليل الشافى ٢/ ٨١٧.

(٢) فى م: «الرفاقى». وفى ص، ونسخة من الدرر الكامنة ١/ ٤٧٨: «الدقاق». وسيأتى فى وفيات سنة عشر وسبعمائة.

(٣) فى الأصل، م: «مبشر»، وفى ص: «بشير». وتقدم فى صفحة ١٠، ٣٦، وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة.

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٥ - ٤٧٥.

(٥) القصر الأبلق: بدمشق، بناه الظاهر بيبرس، سمى بالأبلق لكونه مبنيا بالحجارة البيض والحجارة السود. خطط الشام ٥/ ٢٦٩.

ذلك إلى النَّارِ إن كان صادقًا ، ولو فُرِض أن أحدًا مِن أهلِ البِدَعِ دخَل النَّارَ بعدَ أن يَغتسِلَ ، فإن ذلك لا يَدُلُّ على صَلَاحِه ولا على كَرَامتِه ، بل حَالُه مِن أحْوَالِ الدَّجاجِلةِ المُخالفةِ للشَّريعةِ المحمديَّةِ ، إذا كان صاحبُها على السُّنةِ ، فما الظنُّ بخلافِ ذلك ! فابتدر شيخُ المُنَيْعِ الشيخُ صالحٌ وقال : نحن أحوالُنا إنَّما تنْفَقُ[1] عندَ التَّترِ ، ليسَتْ تنْفَقُ[1] عندَ الشرعِ . فضبَط الحاضرون عليه تلك الكلمةَ ، وكثُر الإنكارُ عليهم مِن كلِّ أحدٍ ، ثم اتَّفَق الحالُ على أنهم يَخْلَعون الأطواقَ الحديدَ مِن رقابِهم ، وأن مَن خرَج على الكتابِ والسنَّةِ ضُرِبَتْ عُنقُه . وصنَّف الشيخُ جُزْءًا فى طريقةِ الأحمدِيَّةِ ، وبيَّن فيه فَسَادَ أحوالِهم ومَسَالِكِهم وتَخيُّلاتِهم ، ومَا فى طريقتِهم مِن مَقبولٍ ومَردودٍ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، وأظْهَر اللَّهُ السُّنَّةَ على يَدَيْهِ وأخْمَد بِدْعَتَهم ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى العَشرِ الأوسطِ مِن هذا الشهرِ خُلِع [2]على علاءِ الدينِ[2] بنِ معبدٍ ، وعِزِّ الدينِ خَطَّابٍ ، وسيفِ الدينِ بَكْتَمُر مملوكِ بَكْتَاش الحُسَامِيِّ بالإمْرَةِ ، ولَبِسُوا التَّشاريفَ ورَكِبوا بها ، وسَلَّموا إليهم جبلَ الجُرْدِ والكَسْرَوانِ والبِقَاعِ .

وفى يومِ الخميسِ ثالث[3] رجبٍ خرَج النَّاسُ للاسْتِسْقاءِ إلى سَطْحِ المِزَّةِ ، ونَصَبُوا هناك مِنْبَرًا ، وخرَج نائبُ السَّلطَنةِ ، وجميعُ الناسِ مِن القُضاةِ والعلماءِ والفقراءِ ، وكان مَشْهَدًا هَائِلًا ، وخُطبةً عَظيمةً فَصِيحةً ، فاسْتَسْقَوا فلم يُسْقَوا يومَهم ذلك .

---

(١) فى الأصل : « تتفق » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « عن جلال الدين » ، وفى م : « على جلال الدين » ، وفى ص : « علاء الدين » . وانظر السلوك ٢/١/١٦، وعقد الجمان ٤/ ٣٨٠.

(٣) كذا فى النسخ ، وصوابه أن يكون الخميس رابع رجب ليتفق مع ما بعده .

أوَّلُ المَجالسِ الثَّـلاثةِ لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيْميَّةَ

وفى يومِ الاثْنَينِ ثامن[1] رجبٍ حضَر القُضاةُ والعُلماءُ وفيهم الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميَّةَ عندَ نائبِ السلطنةِ بالقصرِ، وقُرِئت عقيدةُ الشيخِ تقىِّ الدينِ «الواسِطِيَّةُ»، وحصَل بحثٌ فى أماكنَ منها، وأُخِّرت مواضعُ إلى المجلسِ الثَّانى، فاجْتَمَعُوا يومَ الجُمُعةِ بعدَ الصَّلاةِ [2]ثانِى عشَرَ[2] الشهرِ المذكورِ، وحضَر الشيخُ صفىُّ الدينِ الهِندىُّ، وتكلَّم مع الشيخِ تقىِّ الدينِ كلامًا كثيرًا، ولكنَّ ساقيتَه لاطَمَت بحرًا، ثم اصطَلَحوا على أن يكونَ الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ هو الذى يُحاقِقُه مِن غيرِ مُسامَحَةٍ، فتناظرَا فى ذلك، وشكَر الناسُ مِن فضائلِ الشَّيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانىِّ وجَودَةِ ذِهنِه وحُسنِ بحثِه، حيثُ قاوَم ابنَ تَيميَّةَ فى البحثِ وتكَلَّم معه، ثم انفصَل الحالُ على قَبولِ العقيدةِ، وعاد الشيخُ إلى منزلِه مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا، وبلَغنى أن العامةَ حمَلوا له الشَّمعَ مِن بابِ النَّصرِ إلى القَصَّاعِين على جارِى عادتِهم فى أمثالِ هذه الأشياءِ، وكان الحاملَ على هذه الاجتماعاتِ كتابٌ ورَد مِن السُّلطانِ فى ذلك، كان الباعثَ على إرسالِه قاضِى المالكيَّةِ ابنُ مَخْلُوفٍ، والشيخُ نصرٌ المَنْبِجِىُّ[3] شيخُ الجَاشْنَكِير، وغيرُهما مِن أعدائِه، وذلك أن الشيخَ تقىَّ الدينِ ابنَ تَيمِيَّةَ كان يتكلَّمُ فى المَنْبِجِىِّ، ويَنسِبُه إلى اعتقادِ ابنِ عربىٍّ، وكان للشيخِ تقىِّ الدينِ مِن الفُقَهَاءِ جماعةٌ يَحسُدُونَه لتَقَدُّمِه [١٠/١٣٧و] عندَ الدَّولةِ، وانْفِرادِه بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكَرِ، وطاعةِ الناسِ له، ومَحبَّتِهم له، وكَثْرةِ أتْبَاعِه، وقِيامِه فى الحَقِّ، وعِلمِه وعَمَلِه،

---

(١) فى الأصل: «من»، وفى ص: «ثانى». وانظر كنز الدرر ٩/ ١٣٣.

(٢ - ٢) فى كنز الدرر: «ثامن عشر». وانظر عقد الجمان ٤/ ٤١١.

(٣) فى الأصل: «المنيجى». وانظر الدرر الكامنة ٥/ ١٦٥.

ثم وقَع بدمشقَ خَبْطٌ كثيرٌ وتَشْويشٌ بسببِ غَيْبةِ نائبِ السلطنةِ فى الصَّيدِ، وطلَب القاضِى جماعةً مِن أصحابِ الشيخِ وعزَّر بعضَهم، ثم اتَّفَق أنَّ الشيخَ جمالَ الدينِ المِزِّىَّ الحافظَ قرَأ فصلًا فى الرَّدِّ على الجَهميَّةِ مِن كتابِ «خَلْقِ أفعالِ العِبادِ» للبخارىِّ تحتَ قُبَّةِ النَّسرِ[1] بعدَ قِراءةِ مِيعادِ[2] «البخارىِّ» بسببِ الاسْتِسْقاءِ، فغضِب بعضُ الفقهاءِ الحاضرين وشَكَاه إلى القاضى الشافعىِّ ابنِ صَصْرَى، وكان عَدُوَّ الشيخِ، فسَجَن المِزِّىَّ، فبلَغ ذلك الشيخَ تقىَّ الدينِ فتَألَّم لذلك، وذهَب إلى السِّجنِ فأخرَجه مِنه بنفسِه، وراح إلى القصرِ فوجَد القاضىَ هناك، فتَقَاوَلا بسببِ الشيخِ جمالِ الدينِ المِزِّىِّ، فحلَف ابنُ صَصْرَى ولابُدَّ أن يُعيدَه إلى السِّجنِ وإلَّا عزَل نفسَه، فأمَرالنَّائبُ بإعَادَتِه تَطييبًا لقلبِ القاضِى، فحبَسه عندَه فى القُوصِيَّةِ أيَّامًا ثم أطْلَقَه. ولمَّا قَدِم نائبُ السَّلطنةِ ذكَر له الشيخُ تقىُّ الدينِ ما جرَى فى حقِّهِ وحقِّ أصحابِه فى غَيْبَتِه، فتألَّم النائبُ لذلك ونادَى فى البلدِ أن لا يتكلَّمَ أحدٌ فى العقائِدِ، ومَن تكلَّم فى ذلك حلَّ مالُه ودمُه، ونُهِبَت دارُه وحانوتُه، فسكَنتِ الأُمُورُ. ولقد رأَيْتُ فصلًا مِن كلامِ الشيخِ تقىِّ الدينِ فى كَيفِيَّةِ ما وقَع فى هذه المجالسِ الثلاثةِ مِن المُناظَراتِ.

ثم عُقِد المجلسُ الثالثُ سابعَ شعبانَ بالقصرِ، واجتَمَع الجماعةُ على الرِّضَا بالعقيدةِ المذكورةِ. وفى هذا اليومِ عزَل ابنُ صَصْرَى نفسَه عن الحُكْمِ بسببِ كلامٍ سمِعه مِن بعضِ الحاضرين، وهو الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِىِّ، فى المجلسِ المذكورِ، ثم جاء كتابُ السلطانِ فى السادسِ[3] والعشرين مِن شعبانَ فيه

---

(١) فى الأصل: «الشر»، وفى ص: «النثر». وانظر كنز الدرر ٩/ ١٣٤، وعقد الجمان ٤/ ٤١٠.

(٢) الميعاد: درس دينى للوعظ والإرشاد والحث على التقوى، وكان أهم هذه المواعيد ميعاد الرقائق. كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٥٧ نقلا عن (Dozy)

(٣) فى كنز الدرر ٩/ ١٣٦: «الثامن».

إعادةُ ابنِ صَصْرَى إلى القضاءِ، وذلك بإشارَةِ المَنْبِجِيِّ، وفى الكتابِ: إنَّا كنَّا رسَمْنا[1] بعَقدِ مجلسٍ للشيخِ تقيِّ الدينِ ابنِ تَيميَّةَ، وقد بَلَغَنا ما عُقِد له مِن المجالسِ، وأنه على مذهبِ السَّلَفِ، وإنما أرَدْنا بذلك براءةَ ساحتِهِ مما نُسِب إليه. ثم جاء كتابٌ آخرُ فى خامسِ رمضانَ يوم الاثنينِ وفيه الكشفُ عمَّا كان وقَع للشيخِ تقيِّ الدينِ ابنِ تَيميَّةَ فى أيامِ جَاغَان والقاضى إمامِ الدينِ القَزْوِينيِّ، وأن يُحمَلَ هو والقاضى ابنُ صَصْرَى إلى الدِّيارِ المِصريَّةِ، فتَوَجَّها على البريدِ نحوَ مصرَ، وخرَج مع الشيخِ خَلْقٌ مِن أصحابِه، وبَكَوْا وخَافُوا عليه مِن أعدائِه، وأشار عليه نائبُ السَّلْطنةِ الأفْرمُ[2] بتركِ الذَّهابِ إلى مصرَ، وقال له: أنا أُكاتبُ السلطانَ فى ذلك، وأُصلحُ القَضَايا. فامتَنَع الشيخُ تقيُّ الدينِ مِن ذلك، وذكَر له أنَّ فى توجُّهِه لمصرَ مصلحةً كبيرةً، ومصالحَ كثيرةً، فلمَّا توجَّه إلى مصرَ ازدَحَم الناسُ لوَداعِه ورُؤْيَتِه حتى انتشَروا[3] مِن بابِ دارِه إلى قُرْبِ الجسورةِ، فيما بينَ دِمَشْقَ والكُسْوَةِ، وهم ما بينَ باكٍ وحزينٍ، ومُتَفَرِّجٍ ومُتَنَزِّهٍ، ومُزَاحِمٍ مُتَغَالٍ فيه. فلمَّا كان يومُ السبتِ دخَل الشيخُ تقيُّ الدينِ غزَّةَ فعمِل بجامِعِها مجلسًا [١٠/١٣٧ظ] عظيمًا، ثم رحَلا[4] معًا إلى القاهرةِ، والقلوبُ معه وبه مُتعلِّقةٌ، فدخَلا مصرَ يومَ الاثنينِ الثانى والعشرينِ مِن رمضانَ، وقيل[5]: إنهما دخَلَاها يومَ الخميسِ. فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ بعدَ الصلاةِ عُقِد للشيخِ تقيِّ الدينِ

---

(١) فى م: «سمعنا».
(٢) فى م: «ابن الأفرم».
(٣) فى الأصل: «وصلوا».
(٤) فى م، ص: «دخلا».
(٥) انظر كنز الدرر ٩/ ١٣٧.

مجلسٌ بالقلعةِ ، اجتَمَع فيه القُضاةُ وأكابرُ الدولةِ ، وأراد أن يَتَكلَّمَ على عادَتِه فلم يُمَكَّنْ مِن البحثِ والكلامِ ، وانتَدَب له [1] الشمسُ بنُ عَدْلان [1] خَصمًا احتسابًا ، وادَّعى عليه عندَ ابنِ مخلوفٍ المالكيِّ أنه يقولُ : إن اللَّهَ فوقَ العرشِ حقيقةً ، وإن اللَّهَ يَتَكلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ . فسألَه القاضى جوابَه ، فأخَذ الشيخُ فى حمدِ اللَّهِ والثَّناءِ عليه ، فقِيل له : أجِبْ ، ما جِئْنا بك لِتَخْطُبَ . فقال : ومَن الحاكمُ فيَّ ؟ فقِيل له : القاضى المالكيُّ . فقال له الشيخُ : كيف تَحكُمُ فيَّ وأنت خَصْمى . فغضِب غضبًا شديدًا وانزَعَج ، وأُقيم مُرَسَّمًا [2] عليه ، وحُبِس فى برجٍ أيَّامًا ، ثم نُقِل مِنه ليلةَ العيدِ إلى الحبسِ المعروفِ بالجُبِّ هو وأخَواه [3] شرفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ ، وزينُ الدينِ عبدُ الرحمنِ .

وأمَّا ابنُ صَصْرَى فإنَّه جُدِّد له توقِيعٌ بالقضاءِ بإشارةِ المَنْبِجِيِّ شيخِ الجاشْنَكِير حاكمِ مصرَ ، وعاد إلى دِمَشْقَ يومَ الجُمعةِ سادس ذى القَعْدَةِ ، والقلوبُ له ماقتةٌ ، والنفوسُ منه نافرةٌ ، وقُرِئ تقليدُه بالجامعِ ، وبعدَه قُرِئ كتابٌ فيه الحطُّ على الشيخِ تقيِّ الدينِ ومخالفتُه فى العقيدةِ ، وأن يُنادَى بذلك فى البلادِ الشاميةِ ، وأُلْزِم أهلُ مذْهبِه بمُخالفتِه ، وكذلك وقَع بمصرَ ، قام عليه جاشْنَكِير وشيخُه نصرٌ المَنْبِجِيُّ ، وساعَدَهم جماعةٌ كثيرةٌ مِن الفقهاءِ والفقراءِ ، وجَرَت فِتنٌ كثيرةٌ مُنْتشرةٌ ، نعوذُ باللَّهِ مِن الفتنِ ، وحَصَل للحنابلةِ

(١ - ١) فى الأصل ، م : « الشمس بن عدنان » ، ولم يرد فى ص ، وفى كنز الدرر ٩/ ١٣٧ : « شرف الدين بن عدلان » . والمثبت من السلوك ٢/١/ ١٧ . وانظر عقد الجمان ٤/ ٣٥٤، وغيرها . وانظر صفحة ٦٧، ٧٤.

(٢) فى الأصل : « موسما » .

(٣) فى م : « أخوه » .

بالديارِ المصريةِ إهانةٌ عظيمةٌ كثيرةٌ ، وذلك أن قاضِيَهم كان قليلَ العلمِ مُزْجَى البِضاعةِ ، وهو شرفُ الدينِ الحرّانيُّ ، فلذلك نال أصحابَهم ما نالَهم ، وصارت حالُهم حالَهم .

وفى شهرِ رمضانَ جاء كتابٌ مِن مُقدَّمِ الخدّامِ بالحرمِ النبويِّ يسْتأذِنُ السلطانَ فى بيعِ طائفةٍ مِن قناديلِ الحرمِ النبويِّ ؛ ليُنْفِقَ ذلك فى بناءِ مِئْذَنَةٍ عندَ بابِ السَّلامِ الذى عندَ المِطْهَرةِ ، فرَسَم له بذلك ، وكان فى جملةِ القناديلِ قِنْديلان مِن ذهبٍ زِنَتُهما[1] ألفُ دينارٍ ، فباع ذلك وشرَع فى بنائِها ، ووَلِى سِراجُ الدينِ عمرُ قضاءَها مع الخطابةِ ، فشَقَّ ذلك على الروافِضِ .

وفى يوم الخميسِ ثانى عَشَرَ ذى القَعْدةِ وَصَل البريدُ مِن الديارِ المصريةِ بتوليةِ القاضى شمسِ الدين محمدِ بنِ إبراهيمَ [2]بنِ إبراهيمَ[2] بنِ داودَ الأذْرَعِيِّ الحنفيِّ قضاءَ الحنفيةِ عِوضًا عن ابنِ الحريرىِّ ، وتوليةِ الفزارىِّ الخطابةَ عوضًا عن عمِّه شرفِ الدينِ ، تُوفِّى ، وخُلِع عليهما بذلك ، وباشرا يومَ الجمُعةِ ثالثَ عَشَرَ الشهرِ ، وخطَب الشيخُ بُرْهانُ الدينِ خطبةً حسنةً حَضَرها الناسُ والأعْيانُ ، ثم بعدَ خمسةِ أيامٍ عَزَل نفسَه عن الخطابةِ وآثَر بقاءَه على البادَرَائيّةِ[3] حينَ بَلَغه أنَّها طُلِبت لتُؤْخَذَ منه ، فبَقِى مَنْصِبُ الخطابةِ شاغرًا ، ونائبُ الخطيبِ يُصلِّى بالناسِ ويَخْطُبُ ، ودخَل عيدُ الأضحَى وليس للناسِ خطيبٌ ، وقد كاتبَ نائبَ السلطنةِ [١٠/١٣٨و] فى ذاكَ ، فجاء المرسُومُ بإلزامِه بذلك ، وفيه : لعِلْمِنا بأهليَّتِه وكفايتِه ، واسْتِمْرارِه على ما بيدِه مِن تدريسِ البادَرَائيةِ .

---

(١) فى الأصل : « زنتها » .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتى عشرة وسبعمائة .

(٣) فى ص : « الباذرائية » . وانظر ما تقدم فى ١٧/ ٣٢.

[1]فباشَرها معها مرَّةً ثانيةً ، ثم إن كمالَ الدينِ بنَ الشِّيرازيِّ[1] سعَى فى البادَرَائيةِ فأخَذَها ، وباشَرها فى صَفَرٍ مِن السنةِ الآتيةِ بتَوْقيعٍ سلطانيٍّ ، فعزَل الفَزاريُّ نفسَه مِن الخطابةِ ولَزِم بيتَه ، فراسلَه نائبُ السلطنةِ فى ذلك ، فصمَّم على العزلِ ، وأنَّه لا يعودُ إليها أبدًا ، وذكَر أنَّه عاجزٌ عنها ، فلمّا تحقَّق ذلك نائبُ السلطنةِ أعاد إليه مدرستَه وكتَب له بها توقيعًا فى العَشرِ الأُوَلِ مِن ذى الحِجةِ ، وخلَع على شمسِ الدينِ بنِ الحظيرىِّ[2] بنظرِ الخِـزانةِ عوضًا عن ابنِ الزَّمْلكانىِّ .

وحَجَّ بالناسِ فى هذه السنةِ الأميرُ شرفُ الدينِ [3]حسينُ بنُ جَنْدَرٍ[3] .

ومِمّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ عيسى بنُ الشيخِ سيفِ الدينِ الرُّجَيْحىِّ[4] بنِ سابقِ بنِ الشيخِ يونُسَ القُنَيِّىّ[5] ، ودُفِن بزاوِيَتِهم التى بالشَّرَفِ[6] الشمالىِّ بدِمَشْقَ ، غربىّ الوراقةِ والعِزِّيَّةِ ، يومَ الثلاثاءِ سابع[7] المحرَّمِ .

(١ - ١) فى الأصل : « فباشر فى صفر مع كمال الدين بن السيراجى معى » ، وفى م : « فباشرها القيسى جمال الدين بن الرحبى سعى » ، وفى الدارس ١٠/٢٠٩ . نقلا عن المصنف : « فباشرها فى صفر كمال الدين بن الشيرازى وسعى » .

(٢) فى م : « الخطيرى » . وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « حسن بن حيدر » ، وفى م : « حسين بن حيدر » . والمثبت من الدرر الكامنة ٢/ ١٣٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧٦، والدليل الشافى ١/ ٢٧٣، والتاج (ج ن د ر) .

(٤) فى م : « الرحبى » ، وفى الدرر الكامنة : « ايرحجى » ، وفى ترجمة والده ٢/٢٠٠ سيف الدين كالمثبت . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/ ٢٧٩، وعقد الجمان ٤/ ٤١٣، والدليل الشافى ١/ ٥١١، والدارس ٢/ ٢١٦. وستأتى ترجمة والده سيف الدين فى وفيات سنة ست وسبعمائة .

(٥) فى م : « القيسى » . و القنية قرية من أعمال دارا من نواحى ماردين . انظر وفيات الأعيان ٧/ ٢٥٦، السير ٢٢/ ١٧٨. ترجمة الشيخ يونس بن يوسف .

(٦) فى م ، ص : « بالشرق » . وانظر عقد الجمان ٤/ ٤١٣، والدارس ٢/ ٢١٣.

(٧) فى ص : « التاسع عشرين » . وفى الدرر الكامنة وعقد الجمان : « سابع عشر » ، وفى الدارس ٢/٢١٦ نقلا عن المصنف : « تاسع » .

الملكُ الأوحدُ تقيُّ الدينِ شاذِى بنُ الملكِ الزاهرِ مُجيرِ الدينِ داودَ بنِ الملكِ المجاهدِ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ أسدِ الدينِ شِيركُوه بنِ شاذِى[1] ، تُوفِّى بجَبَلِ الجُرْدِ[2] فى آخرِ نهارِ الأربعاءِ ثانى صَفرٍ ، وله من العمْرِ سبعٌ وخمسون سنةً ، فنُقِل إلى تُرْبتِهم بالسفحِ ، وكان مِن خيارِ الدولةِ ، معظَّمًا عندَ الملوكِ والأُمراءِ ، وكان يَحْفَظُ القرآنَ ، وله معرفةٌ بعلومٍ ، ولديه فضائلُ .

الصدرُ علاءُ الدينِ علىُّ بنُ مَعالى الأنصارىُّ الحرّانىُّ الحاسبُ[3] ، يُعْرَفُ بابنِ الوزيرِ[4] ، وكان فاضلًا بارعًا فى صناعةِ الحسابِ ، انتَفَع به جماعةٌ ، تُوفِّى فى أواخِرِ هذه السنةِ فجأةً ، ودُفن بقاسِيُونَ ، وقد أخَذْتُ الحسابَ عن الحاضرىِّ عن علاءِ الدينِ[5] الطيورىِّ عنه .

الخطيبُ شرفُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ سِباعِ بنِ ضياءِ الفَزَارىُّ[6] ، الشيخُ الإمامُ العلامةُ أخو العلّامةِ شيخِ الشافعيةِ تاجِ الدينِ عبدِ الرحمنِ ، وُلِد سنةَ ثلاثين ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وانتَفع على المشايخِ فى ذلك العصرِ ؛ كابنِ الصلاحِ ، و[7] السَّخاوىِّ ، وغيرِهما ، وتفقَّهَ ، وأفتَى وناظَر ،

---

(١) تذكرة النبيه ١/ ٢٧٠، والسلوك ٢/١/ ٢١، والدرر الكامنة ٢/ ٢٨١، وعقد الجمان ٤/ ٤١٨، والدليل الشافى ١/ ٣٣٩، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢١٩.

(٢) فى الأصل : « بالجرد » ، وفى ص : « الجزد » .

(٣) الدرر الكامنة ٣/ ٢٠٧، وعقد الجمان ٤/ ٤١٥.

(٤) فى الأصل : « الزير » ، وفى م : « الزريز » .

(٥) بعده فى الأصل : « بن » .

(٦) تذكرة النبيه ١/ ٢٧١، والدرر الكامنة ١/ ٩٤، وعقد الجمان ٤/ ٤١٣، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٧، والدارس ١/ ١١٩.

(٧) فى الأصل، م : « وابن » .

وبرَع ، وساد أقرانَه ، وكان أستاذًا فى العربيةِ واللغةِ والقِراءاتِ وإيرادِ الأحاديثِ النبويَّةِ ، أكثرَ التَّرْدادَ إلى المشايخِ للقراءةِ عليهم ، وكان فصيحَ العبارةِ ، حُلوَ المُحاضرةِ ، لا تُمَلُّ مُجالستُه ، وقد درَّس بالطيِّبيةِ[1] وبالرِّباطِ الناصرىِّ مدةً ، ثم تحوَّل عنه إلى خَطابةِ جامعِ جراحٍ ، ثم انتقل إلى خطابةِ جامعِ دمشقَ ، بعدَ الفارقىِّ فى سنةِ ثلاثٍ ، ولم يزَلْ به حتى تُوفِّىَ يومَ الأربعاءِ عشيةَ التاسعِ مِن شوالٍ ، عن خمسٍ وسبعين سنةً ، وصُلِّى عليه صَبيحةَ يومِ الخميسِ على بابِ الخطابةِ ، ودُفِن عندَ أبيه وأخيه ببابِ الصغيرِ ، رحِمهم اللَّهُ ، ووَلِى الخطابةَ[2] ابنُ أخيه .

[١٠/١٣٨ظ] **شيخُنا العلامةُ بُرْهانُ الدينِ الحافظُ الكبيرُ الدِّمْياطىُّ**[3] ، وهو الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ شيخُ المحدِّثين ، شرفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ المؤمنِ بنُ خلفِ بنِ أبى الحسنِ بنِ شرفِ بنِ الخضِرِ بنِ موسى الدِّمْياطىُّ ، حاملُ لواءِ هذا الفنِّ - أعْنى صناعةَ الحديثِ وعلمَ اللغةِ - فى زمانِه ، مع كبرِ السنِّ والقدْرِ ، وعُلوِّ الإسنادِ ، وكثرةِ الرِّوايةِ ، وجودةِ الدِّرايةِ ، وحسنِ التصنيفِ ، وانتشارِ التواليفِ ، وتردُّدِ الطلبةِ إليه مِن سائرِ الآفاقِ ، مولِدُه فى آخرِ سنةِ ثلاثَ عشْرةَ وستِّمائةٍ ، وقد كان أوَّلُ سماعِه فى سنةِ ثِنْتين وثلاثين بالإسكنْدريةِ ، سمِع الكثيرَ على المشايخِ ، ورحَل وطاف وحصَّل ، وجمعَ فأوْعى ، ولكنْ ما منَع ولا بخِل ،

---

(١) فى م : « الطبية » . والطيبة : من مدارس الشافعية ، قبلى النورية الحنفية وشرقى تربة زوجة تنكز ، بقرب الخواصين داخل دمشق ، بانيها على بن أبى بكر . الدارس ١/ ٣٣٧.

(٢) بعده فى الأصل ، ص : « بعد » .

(٣) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٧، وفوات الوفيات ٢/ ٤٠٩، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٠٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٥٥٢، وغاية النهاية ١/ ٤٧٢، وذكره فى عقد الجمان ٤/ ٣٧٠ فى وفيات سنة أربع وسبعمائة .

بل بذَل ونشَر العلمَ ، ووَلِى المناصبَ بالدِّيارِ المصريةِ ، وانتفَع به الناسُ كثيرًا ، وجمَع معجمًا لمشايخِه الذين لقِيهم بالحجاز وبالشامِ والجزيرةِ والعِراقِ وديارِ مِصرَ ، يزيدُون على ألفٍ وثلاثِمائةِ شيخٍ ، وهو مجلَّدان ، وله « الأربَعون المُتباينَةُ الإسنادِ » ، وغيرُها ، وله كتابٌ فى الصلاةِ الوسطَى مفيدٌ جدًّا ، ومصنَّفٌ فى صيامِ ستةِ أيامٍ مِن شوّالٍ ، أفاد فيه وأجادَ ، وجمَع ما لم يُسْبَقْ إليه ، وله كتابُ « الذكرِ والتسبيحِ عَقِيبَ الصلواتِ » ، وكتابُ « التسلِّى والاغْتباطِ بثوابِ مَن تَقدَّم مِن الأفْراطِ » ، وغيرُ ذلك مِن الفوائدِ الحسانِ ، ولم يزَلْ فى إسماعِ الحديثِ إلى أن أدركتْه وفاتُه وهو صائمٌ فى مجلسِ الإملاءِ ، غُشِى عليه فحُمِل إلى منزلِه ، فمات مِن ساعتِه يومَ الأحدِ (١ خامسَ عشَرَ ١) ذى القَعْدَةِ بالقاهرةِ ، ودُفِن مِن الغدِ بمقابرِ بابِ النصرِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً جدًّا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « عاشر » .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت والحكامُ هم المذْكُورون فى التى قبلَها ، والشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ مَسْجونٌ بالجبِّ مِن قلعةِ الجبلِ .

وفى يومِ الأربعاءِ جاء البريدُ بتوليةِ الخطابةِ للشيخِ شمسِ الدينِ إمامِ الكَلَّاسَةِ وذلك فى ربيعٍ الأولِ ، وهُنِّئَ بذلكَ فأظهَر التكرُّهَ لذلكَ والضعفَ عنه ، ولم تحصُلْ له مباشرةٌ لغيبةِ نائبِ السلطنةِ فى الصيدِ ، فلمَّا حضَر أذِن له ، فباشرَ يومَ الجمُعةِ العشرينَ مِن الشهرِ ، فأوَّلُ صلاةٍ صلَّاها الصبحُ يومَ الجمعةِ ، ثم خُلِع عليه وخطَب بها يومَئذٍ . وفى يومِ الأربعاءِ ثامنَ عشَرَ ربيعٍ الأوَّلِ باشرَ نيابةَ الحكمِ عن الشافعىِّ القاضى نجمُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ المحسنِ بنِ حسنٍ المعروفُ بالدمشقىِّ ، عوضًا عن القاضى تاجِ الدينِ[2] صالِحِ بنِ ثامِرِ[3] بنِ [4]حامدِ بنِ علىٍّ[4] الجعبرىِّ ، وكان معمَّرًا قديمَ الهجرةِ ، كثيرَ الفضائلِ ، ديِّنًا وَرِعًا ، جيدَ المباشرةِ ، وكان قد ولِى الحكمَ فى سنةِ سبعٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ ، فلمَّا ولِى ابنُ صَصْرَى كرِه نيابَتَه .

وفى يومِ الأحدِ العشرينَ مِن ربيعٍ الآخِرِ قدِم البريدُ مِن القاهرةِ ومعه تجديدُ توقيعٍ للقاضى شمسِ الدينِ الأَذْرَعىِّ الحنفىِّ ، فظنَّ الناسُ أنَّه بولايةِ القضاءِ لابنِ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٥٢، وكنز الدرر ٩/ ١٤٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٥٤، ودول الإسلام ٢/ ٢١٢.

(٢) بعده فى النسخ : « بن » . وسيأتى التعليق على باقى اسمه فى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

(٣) فى م ، ص : « تامر » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « حامد » ، وفى م : « خان » .

الحريرىِّ ، فذهَبُوا إليه ليهنِّئُوه مع [١٠/١٣٩و] البريدِىِّ إلى الظاهريةِ ، واجتَمع الناسُ لقراءةِ التقليدِ على العادةِ ، فشرَع الشيخُ علَمُ الدينِ البِرْزالىُّ فى قراءَتِه ، فلمَّا وصَل إلى الاسمِ تبينَّ أنَّه ليس له وأنَّه للأذْرَعىِّ ، فبطَل القارئُ ، وقامَ الناسُ مع البريدىِّ إلى الأذْرَعىِّ ، وحصَلتْ كسرةٌ وخمدةٌ على الحريرىِّ والحاضرين . ووصَل معَ البريدىِّ أيضًا كتابٌ فيه طلبُ الشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانىِّ إلى القاهرةِ ، فتوهَّم مِن ذلكَ وخافَ أصحابُه عليه بسببِ انتسابِه إلى الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ ، فتلطَّف به نائبُ السلطنةِ ، ودارَى عنه حتى أُعفِى مِن الحضورِ إلى مِصرَ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى يومِ الخميسِ تاسع جُمادَى الأُولى دخَل الشيخُ بُرَاقٌ[1] إلى دمشقَ وفى صحبتِه مائةُ فقيرٍ كلُّهم مَحْلُوقون قد وفَّروا شوارِبَهم عكس ما وردتْ به السُّنَّةُ ، وعلى رُءُوسِهم قرونُ لبابيدَ ، ومعهم أجراسٌ وكعابٌ وجواكين خشبٍ ، فنزلوا بالمُنَيْبِعِ وحضَروا الجمُعةَ برواقِ الحنابلةِ ، ثم توجَّهُوا نحوَ القدسِ الشريفِ فزارُوا ، ثم اسْتَأْذنُوا فى الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ فلم يُؤْذنْ لهم ، فعادُوا إلى دمشقَ فصامُوا بها رمضانَ ثم انْشَمرُوا راجعينَ إلى بلادِ الشرقِ ، إذْ لم يَجِدُوا بدمشقَ قبولًا ولا منزلًا ولا مَقيلًا . وقد كان شيخُهم بُراقٌ المذكورُ رُوميًّا مِن بعضِ قُرَى دَوْقَاتَ[2] ، مِن أبناءِ الأربعينَ ، وقد كانتْ له منزلةٌ عندَ قازان ومكانةٌ ، وذلك أنه سلَّطَ عليه نَمِرًا فزجَرَه فهرَب منه وترَكه ، فحظِى عندَه وأعطاه فى يومٍ واحدٍ ثلاثينَ ألفًا ففرَّقها كلَّها فأحبَّه . ومن طريقةِ أصحابِه أنَّهم لا يَقْطعُونَ لهم صلاةً ، ومَن ترَك صلاةً ضرَبُوه أربعينَ جَلدةً ، وكان يزعُمُ أنَّ طريقَه الذى سلَكه إنَّما

---

(١) فى م : « ابن براق » . وانظر الوافى بالوفيات ١٠/ ١٠٦، والدليل الشافى ١/ ١٨٤.

(٢) فى الأصل : « درقات » . ودوقات ، وتوقات : بلدة بأرض الروم بين قونيا وسيواس ، ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة ، بينها وبين سيواس يومان . معجم البلدان ١/ ٨٩٥.

سلَكه ليُخَرِّبَ على نفسِه ، ويرَى أنَّه زِيُّ المَسخرةِ ، وأنَّ هذا هو الأليقُ بالدُّنيا ، والمقصودُ إنَّما هو الباطنُ والقلبُ وعمارةُ ذلك ، ونحن إنَّما نحكمُ بالظاهرِ ، واللَّهُ أعلمُ بالسرائرِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادس جُمادَى الآخرةِ حضَر تدريسَ النَّجِيبيةِ القاضى بهاءُ الدينِ يوسفُ بنُ كمالِ الدينِ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ العجميُّ الحلبيُّ ، عِوضًا عن الشيخِ ضياءِ الدينِ الطوسيِّ ، تُوفِّى ، وحضَر عندَه قاضى ابنُ صَصْرَى وجماعةٌ مِن الفضلاءِ .

وفى هذه السنةِ صُلِّيتْ صلاةُ الرغائبِ و[1] النصفِ بجامعِ دِمَشقَ بعدَ أن كانت قد أبْطلَها ابنُ تيميَّةَ منذُ أربعِ سنينَ ، ولمَّا كانتْ ليلةُ النصفِ حضَر الحاجبُ رُكنُ الدينِ بَيْبرس العلائيُّ ، ومَنَع الناسَ مِن الوصولِ إلى الجامعِ ليلتَئِذٍ ، وغُلِّقتْ أبوابُه ، فباتَ كثيرٌ مِن الناسِ فى الطرقاتِ ، وحصَل للناسِ أذًى كثيرٌ ، وإنَّما أراد صيانةَ الجامعِ مِن اللَّغوِ والرَّفثِ والتخليطِ .

وفى سابعَ عشرَ رمضانَ حكَم القاضى تقيُّ الدينِ الحنبليُّ بحقنِ دمِ محمدٍ[2] البَاجُرْبَقيِّ ، وأثبَتَ عندَه محضرًا بعَداوَةِ ما بيْنَه وبينَ الشهودِ الستَّةِ الذين شَهِدوا عليه عندَ المالكيِّ حينَ حكَم بإراقَةِ دَمِه ، وممَّنْ شَهِد بهذه العَداوَةِ ناصِرُ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ ، وزَيْنُ الدينِ [١٠/١٣٩ظ] بنُ الشَّرِيفِ عَدْنانَ ، وقُطْبُ الدينِ بنُ شيخِ السّلَامِيَّةِ وغيرُهم .

وفيها باشَر كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِيِّ نظَرَ دِيوانِ ملكِ الأُمَراءِ عِوَضًا عن

---

(١) فى الأصل ، م : « فى » .

(٢) بعده فى الأصل ، ص : « بن » .

شِهَابِ الدين الحنفيِّ ، وذلك فى آخرِ رمضانَ ، وخُلِعَ عليه بطَيْلَسانَ وخِلْعَةٍ ، وحضَر بها دارَ العَدْلِ .

وفى ليلةِ عيدِ الفطرِ أحضَر الأميرُ سيفُ الدينِ سلَّار نائبُ مصرَ القُضاةَ الثلاثةَ وجَماعةً مِن الفُقهاءِ ؛ فالقضاةُ ؛ الشّافعيُّ ، والمالِكيُّ ، والحَنفيُّ ، والفقهاءُ ؛ الباجيُّ[1] ، والجزَرىُّ[2] ، والنِّمْرَاوىُّ[3] ، وتكلَّمُوا فى إخْراجِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ مِن الحبسِ ، فاشْتَرطَ بعضُ الحاضِرينَ شُروطًا عليه فى ذلك ، مِنها أنَّه يلْتَزِمُ بالرُّجوعِ عن بعضِ العَقيدَةِ ، وأرْسَلُوا إليه ليحْضُرَ ليتَكلَّمُوا معه فى ذلك ، فامتَنع من الحُضورِ وصمَّم ، وتكرَّرتِ الرُّسلُ إليه ستَّ مراتٍ ، فصمَّم على عدمِ الحضورِ ، ولم يَلْتَفِتْ إليهم ولم يَعِدْهم شيئًا ، فطال عليهم المجْلِسُ فتفرَّقُوا وانْصَرفُوا غيرَ مأْجُورِينَ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ ثانِى شوَّالٍ أَذِن نائبُ السلْطنَةِ الأفرمُ للقاضى جَلالِ الدينِ القَزْوينىِّ أَن يُصَلِّىَ بالناسِ ويخْطُبَ بجامعِ دِمَشْقَ عِوَضًا عن الشيخِ شمسِ الدينِ إمامِ الكَلَّاسَةِ ، تُوفِّى ، فصلَّى الظهرَ يَوْمَئِذٍ ، وخطَبَ الجُمُعَةَ ، واسْتَمرَّ فى الإمَامَةِ والخَطَابَةِ حتى وصلَ توقِيعُه بذلك من القاهرةِ فى مُسْتَهَلِّ ذِى القَعْدَةِ ، وحضَر نائبُ السلْطَنَةِ والقُضاةُ والأُمَراءُ والأعْيانُ ، وشُكِرَتْ خُطْبَتُه .

وفى مُسْتَهَلِّ ذِى القَعْدَةِ كَمَلَ بِناءُ الجامعِ الذى أنشَأه وبَناه وعمَرَه الأميرُ

---

(١) فى الأصل ، والسلوك ٢/١/٤٠ حوادث سنة سبع وسبعمائة : « التاجى » ، وفى ص ، ونسخة من السلوك : « الناجى » . وانظر كنز الدرر ٩/ ١٤٦ ، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٣٩ ، وعقد الجمان ٤/ ٤٣٠ .

(٢) فى الأصل : « الحزرى » ، وفى ص : « الحريرى » . والمثبت من م ، وهو موافق لما فى كنز الدرر ٩/١٥١ - حوادث سنة سبع وسبعمائة ، وعقد الجمان الموضع السابق .

(٣) فى ص : « الغمراوى » . وهو منسوب إلى نِمْرَى كذكرى من أعمال الغربية بمصر . تاج العروس (ن م ر) . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة عشر وسبعمائة .

جمالُ الدينِ نائبُ السلْطَنَةِ الأفرمُ بالسفحِ شماليِّ الرِّباطِ الناصِرِيِّ ، ورَتَّبَ فيه خطيبًا ، فخطَب به يومَ الجُمُعةِ ، وهو القاضى شمسُ الدينِ محمدُ بنُ العِزِّ الحَنَفِيُّ ، وحَضَرَ نائبُ السلْطَنَةِ والقُضاةُ ، وشُكِرَتْ خُطْبَةُ الخطيبِ به ، ومَدَّ الصاحِبُ شِهابُ الدينِ الحَنَفِيُّ سِمَاطًا بعدَ الصلاةِ بالجامعِ المذْكُورِ ، وهو الذى كان السَّاعِىَ فى عِمارَتِه ، والمُسْتَحِثَّ عليها ، فجاءَ فى غايَةِ الإتْقانِ والحُسْنِ ، تَقبَّلَ اللَّهُ منهم .

وفى ثالثِ ذِى القَعْدَةِ اسْتَنابَ ابنُ صَصْرَى القاضِىَ صَدْرَ الدينِ سُليمانَ بنَ هلالِ بنِ شِبْلٍ الجَعْفَرِىَّ[1] خَطِيبَ دَارَيَّا فى الحُكْمِ عِوَضًا عن جَلالِ الدينِ القَزْوينِىِّ ، بسبَبِ اشْتِغالِه بالخَطابَةِ عن الحُكْمِ . وفى يومِ الجُمُعَةِ التاسِعِ والعِشْرينَ من ذِى القَعْدَةِ قَدِمَ قاضى القُضاةِ صَدْرُ الدينِ أبو الحَسنِ علىُّ بنُ الشيخِ صَفِىِّ الدينِ أبى القاسمِ محمدٍ الحَنَفِىُّ البُصْرَاوِىُّ إلى دِمَشْقَ مِن القاهرةِ مُتَوَلِّيًا قضاءَ الحَنَفِيَّةِ عِوَضًا عن الأَذْرَعِىِّ ، مع ما بيَدِه من تَدْريسِ النُّورِيَّةِ والمُقَدَّمِيَّةِ[2] ، وخرَجَ الناسُ لتَلقِّيه وهَنَّئُوه ، وحكَمَ بالنُّورِيَّةِ ، وقُرِئَ تَقْلِيدُه بالمقْصُورةِ الكِنْدِيَّةِ فى الزاويةِ الشرقيةِ من جامعِ بنى أُمَيَّةَ .

وفى ذى الحجَّةِ[3] وُلِّى الأَميرُ عِزُّ الدينِ بنُ صُبْرَةَ على الصَّفْقَةِ[4] القِبْلِيَّةِ وَالِىَ الوُلاةِ ، عِوَضًا عن الأميرِ جمالِ الدينِ آقُوش الرُّسْتُمِىِّ ، بحكْمِ وِلايَتِه شدَّ الدَّواوينِ بدمَشْقَ ، وجاءَ كِتابٌ من السلْطانِ بولايةِ وَكالَتِه للرئيسِ عِزِّ الدينِ

---

(١) فى م ، ص : « الجعبرى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

(٢) من مدارس الحنفية داخل باب الفراديس الجديد ، أنشأها الأمير شمس الدين محمد بن المقدم فى الأيام الصلاحية . الدارس ١/ ٥٩٤.

(٣) فى ص : « القعدة » .

(٤) فى الأصل ، م : « البلاد » . وانظر السلوك ١/٢/ ٢٨.

(١ حَمْزَةَ بِن ١) القَلَانِسِيِّ ، عِوَضًا عن ابنِ عمِّهِ شرَفِ [١٠/١٤٠و] الدينِ ، فكَرِهَ ذلك .

وفى اليومِ الثامنِ والعِشْرينَ من ذِى الحِجَّةِ أُخْبِرَ نائبُ السَّلْطَنَةِ بوُصولِ كتابٍ من الشيخِ تقىِّ الدينِ مِن الحبْسِ الذى يقالُ له : الجُبُّ . فأرْسَلَ فى طلَبِه ، فجِىءَ به ، فقُرِئَ على الناسِ ، وجعَل يشْكُرُ الشيخَ ويُثْنِى عليه وعلى عِلْمِه ودِيانَتِه وشَجاعَتِه وزُهْدِه ، وقال : مَا رأيْتُ مِثْلَه . وإذا هو كتابٌ مُشْتَمِلٌ على ما هو عليه فى السجنِ مِن (٢) التَّوَجُّهِ إلى اللَّهِ ، وأنَّه لم يَقْبلْ مِن أحدٍ شيئًا لا مِن النَّفقاتِ السلْطانِيَّةِ ولا مِن الكُسْوَةِ ولا مِن الإدْراراتِ ولا غيرِها ، ولا تدَنَّسَ بشىءٍ مِن ذلك .

وفى هذا الشهرِ يومِ الخميسِ السابعِ والعِشْرِين منه طُلِبَ أخَوَا الشيخِ تَقِىِّ الدينِ - شرَفُ الدينِ وزَيْنُ الدينِ - من الحبسِ إلى مجْلسِ نائبِ السلْطانِ سَلَّار ، وحضَر نائبَ السلطَنةِ ابنُ مخلُوفٍ المالِكِىُّ ، وجرَى بينهم كلامٌ كثيرٌ ، فظهَر شرَفُ الدينِ بالحُجَّةِ على القاضى المالِكِىِّ بالنَّقْلِ والدَّليلِ والمعْرِفَةِ ، وخَطَّأه فى مَواضِعَ ادَّعَى فيها دَعاوَى باطلةً ، وكان الكلامُ فى مسألةِ العَرْشِ ، ومسْألَةِ الكلامِ ، وفى مسْألةِ النُّزولِ . (٣ وفى يومِ الجُمُعَةِ أُحضِرَ شرفُ الدينِ أخو الشيخِ تقىِّ الدينِ وحدَه فى مجلسِ نائبِ السلْطنةِ سَلَّار ، وحضَر ابنُ عَدْلانَ (٤) ، وتكلَّم معه الشيخُ شرَفُ الدينِ وناظَرَه ، وبحَث معه ، وظهَر عليه أيضًا ٣) .

(١ - ١) فى م : « بن حمزة » .
(٢) فى الأصل : « ومن » .
(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .
(٤) فى الأصل : « عدنان » . وانظر صفحة ٥٦ ، ٧٤ .

وفى يومِ الجُمُعَةِ [1] الثامنِ والعشرين مِن [1] ذِى الحجَّةِ وصَل على البريدِ مِن مِصْرَ نَجْمُ [2] الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ فَخْرِ الدينِ ابنُ أخِى قاضى القُضاةِ البُصْراوِىِّ وزَوْجُ ابنتِه على الحِسْبَةِ بدِمَشْقَ ، عِوَضًا عن جمالِ الدينِ يُوسُفَ العجَمِىِّ ، وخُلِعَ عليه بطَيْلَسانَ ، ولَبِسَ الخِلْعَةَ ، ودارَ بها فى البَلدِ فى مُسْتَهَلِّ سنَةِ سَبْعٍ وسَبْعِمائةٍ .

وفى هذه السنَةِ عمَرَ فى حَرَمِ مَكَّةَ نحوُ [3] مِائةِ ألفٍ [4] . وحجَّ بالناسِ مِن الشامِ الأميرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيبَرْس المجنونُ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

القاضى تاجُ الدِّينِ صالحُ بنُ ثامرِ [5] بنِ حامدِ بنِ علىٍّ الجَعْبَرِىُّ [6] الشافِعِىُّ ، نائبُ الحُكْمِ بدِمَشْقَ ، ومُعِيدُ [7] الناصِرِيَّةِ ، كان ثِقَةً دَيِّنًا عَدْلًا مرْضِيًّا زاهِدًا ، حكَم مِن سنَةِ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وسِتِّمائةٍ ، له فضائلُ وعلومٌ ، وكان حَسَنَ الشكلِ والهيئةِ ، تُوفِّى فى رَبِيعِ الأوَّلِ عن سِتٍّ وسَبْعِينَ سنَةً ، ودُفِنَ بالسَّفْحِ ، ونابَ فى الحكْمِ بعدَه نَجْمُ الدِّينِ الدِّمَشْقِىُّ .

الشيخُ ضِياءُ الدِّينِ الطُّوسِىُّ ، أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ

(١ - ١) فى الأصل : « ثانى عشر » ، وفى م : « ثانى عشرين » .

(٢) فى م : « نصر » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

(٣) فى الأصل : « بنحو من » ، وفى م : « بنحو » .

(٤) بعده فى ص : « وعشرين ألف » .

(٥) فى م : « أحمد » . وانظر ترجمته فى : تذكرة النبيه ١/ ٢٧٥، والدرر الكامنة ٢/ ٢٩٨، وعقد الجمان ٤/ ٤٣٧. وفى المنهل الصافى ٦/ ٣٢٦، والدليل الشافى ١/ ٣٥، والدارس ١/ ٤٤٦: « تامر » . وانظر تبصير المنتبه ١/ ٢١٧.

(٦) فى م : « الجعدى » .

(٧) فى م : « مفيد » . والمعيد : ثانى رتبة المدرس ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه . صبح الأعشى ٥/ ٤٦٤.

الشافعيُّ[1] ، مُدَرِّسُ النَّجيبيَّةِ ، شارِحُ « الحاوِى » ، و « مُخْتَصَرِ ابنِ الحاجِبِ » ، كان شيخًا فاضلًا بارعًا ، وأعادَ فى الناصِريَّةِ أيضًا ، وتُوفِّى يومَ الأربعاءِ - بعدَ مرْجعِه من الحمَّامِ - التاسِع والعِشرينَ[2] من جُمادَى الأُولَى ، وصُلِّى عليه يومَ الخميسِ ظاهِرَ بابِ النصْرِ ، وحضَر نائبُ السَّلْطَنَةِ وجماعَةٌ من الأمَراءِ والأعْيانِ ، ودُفِنَ بالصُّوفِيةِ ، ودرَّسَ بعدَه بالمدرسةِ بَهاءُ الدينِ[3] العَجَمِيُّ .

الشيخُ جَمالُ الدِّينِ إبْراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سَعْدٍ الطيبيُّ[4] ، المَعْروفُ بابنِ [5]السَّوامِلِيِّ ، والسَّوامِلُ[5] الطَّاسَاتُ ، كان مُعَظَّما ببِلادِ الشرقِ جدًّا ، وكان تاجرًا كبيرًا ، تُوفِّى فى هذا الشهرِ المذْكُورِ .

الشيخُ الجَليلُ سَيْفُ الدينِ الرُّجَيحِيُّ بنُ سابِقِ بنِ هلَالِ بنِ يونُسَ[6] ، شيْخُ اليُونُسِيَّةِ[7] بمقامِهم ، صُلِّى عليه سادِسَ رجَبٍ [١٠/١٤٠ظ] بالجامعِ ، ثم أُعيدَ إلى دارِه التى كان يَسْكُنُها داخِلَ بابِ تُومَاء ، وتُعْرَفُ بدارِ أمينِ الدولةِ ، فدُفِنَ بها ،

---

(١) الوافى بالوفيات ١٨/ ٥٥٦، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٨١، والدليل الشافى ١/ ٤١٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٤.

(٢) فى م : « عشر » . وانظر السلوك ٢/١/ ٣٢، وعقد الجمان ٤/ ٤٣٨.

(٣) بعده فى الأصل ، م : « بن » .

(٤) ذيول العبر ص ٣٥، والوافى بالوفيات ٦/ ١٣٦، والدرر الكامنة ١/ ٦١، وعقد الجمان ٤/ ٤٣٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٣.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « السوابلى ، والسوابل » . وانظر اللسان ، والقاموس (س م ل) .

(٦) السلوك ٢/٢/ ٣١، والدرر الكامنة ٢/ ٢٠٠، وعقد الجمان ٤/ ٤٣٨، والمنهل الصافى ٦/ ١٩٢، والدليل الشافى ١/ ٣٣٨.

(٧) نسبة إلى الشيخ يونس بن يوسف الشيبانى المخارقى ، كان ذا كشف وحال ، ولم يكن عنده كبير علم ، وله شطح وشعر ملحون ينظمه على لسان الربوبية ، وبعضه كأنه كذب ، توفى سنة تسع عشرة وستمائة . سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٧٨، وخطط المقريزى ٣/ ٤٣٥.

وحضَر جِنازَتَهُ خَلْقٌ كثيرٌ مِن الأعْيانِ والقُضاةِ والأُمَراءِ، وكانتْ له حُرْمَةٌ كَبِيرَةٌ عندَ الدولةِ وعندَ طائفتِه، وكان ضَخْمَ الهامَةِ[1] جدًّا محْلُوقَ الشَّعْرِ، وخلَّفَ أمْوالًا وأوْلادًا.

الأمِيرُ الكبيرُ فارِسُ الدِّينِ الرَّدَّادِيُّ[2]، تُوفِّى فى العَشْرِ الأخيرِ من رمضانَ، وكان قد رأَى النبىَّ ﷺ قبلَ وَفاتِه بأيامٍ وهو يقولُ له: أنتَ مَغْفُورٌ لك. و[3] نحوَ هذا، وهو مِن أُمَراءِ حُسامِ الدين لاجِين.

[4]**الشيخُ القدوةُ العابدُ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مُطرِّفٍ**[5]، تُوفِّى بمكةَ فى شهرِ رمضانَ، ومكَث مُجَاوِرًا ستينَ سنةً، [6]وكان يطوفُ كلَّ يومٍ وليلةٍ خمسِين أُسبوعًا[7]، وتُوفِّى عن تسعينَ سنةً، رَحِمَه اللَّهُ[6][4].

الشيخُ الإمامُ العابِدُ الزاهِدُ الصالحُ خَطِيبُ دِمَشْقَ، شمسُ الدينِ محمدُ ابنُ الشيخِ أحمدَ بنِ عُثْمانَ الخِلَاطِيُّ[8]، إمامُ الكَلَّاسَةِ، كان شيْخًا حسَنًا بَهِيَّ المَنْظَرِ، كثيرَ العِبادَةِ، عليه سكونٌ ووقَارٌ، باشَر إمَامةَ الكَلَّاسَةِ قريبًا مِن أرْبعينَ

---

(١) فى ص: «القامة».

(٢) فى م: «الروادى»، وفى ص: «الرداوى». والردادى: نسبة إلى الرداد، جد. انظر ترجمته فى: السلوك ٢/١/ ٣٢، وعقد الجمان ٤/ ٤٤٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٢٥، والمنهل الصافى ٢/ ٤٥٥، والدليل الشافى ١/ ١٣٤. وانظر لب اللباب ١/ ٣٤٩.

(٣) فى م: «أو».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) العقد الثمين ١/ ٤٥٢، والسلوك ٢/١/٤٢ (وفيات سنة سبع وسبعمائة)، وعقد الجمان ٤/ ٤٤٠، والدليل الشافى ٢/ ٦١٢، وإتحاف الورى ٣/ ١٤٤.

(٦ - ٦) زيادة من: ص.

(٧) المراد بالأسبوع هنا الطواف سبع مرات. النهاية ٢/ ٣٣٦.

(٨) ذيول العبر ص ٣٥، والوافى بالوفيات ٢/ ١١٩، والدرر الكامنة ٣/ ٤٢٤، والدليل الشافى ٢/ ٥٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٤.

سنةً ، ثم خُطِب[1] إلى أن يكونَ خَطِيبًا بدِمَشْقَ بالجامعِ من غيرِ سُؤالٍ منه ولا طَلَبٍ ، فباشَرَها سِتَّةَ أشهرٍ ونِصْفًا أحْسَنَ مُباشرَةٍ ، وكان حسَنَ الصوتِ ، طيِّبَ النَّغْمَةِ ، عارِفًا بصِناعةِ المُوسِيقا ، مع دِيانَةٍ وعِبادةٍ ، وقد سمِع الحديثَ ، تُوفِّى فجأَةً بدارِ الخَطابَةِ يومَ الأَرْبعاءِ ثامِن شَوّالٍ عن ثِنْتَيْنِ وسِتِّينَ سنةً ، وصُلِّى عليه بالجامعِ وقد امْتلأَ بالناسِ ، ثم صُلِّى عليه بسُوقِ الخَيْلِ ، وحضَرَ نائبُ السلْطَنَةِ والأُمَراءُ والعامَّةُ ، وقد غُلِّقَتِ الأسْواقُ ، ثم حُمِلَ إلى سَفحِ قاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى م : « طلب » .

ثم دخَلَتْ سنةُ سَبعٍ وسَبْعِمائةٍ[1]

استهلَّت والحكّام هم المذكُورون فى التى قبلَها ، والشيخُ تَقىُّ الدينِ ابنُ تَيميَّةَ مُعْتقَلٌ بالـجُبِّ مِن قلعةِ الجبلِ بمصرَ . وفى أوائلِ المحرمِ أظهرَ السلطانُ الملكُ النّاصرُ الغضبَ على الأميرينِ سلَّار والچاشْنَكِير ، وامتَنع مِن العلامَةِ[2] وأغلَقَ القلعةَ وتحصَّنَ فيها ، ولزِم الأميران بيوتَهما ، واجتمع عليهما جماعةٌ مِن الأمراءِ ، وحُوصِرتِ القلعةُ ، وجرَتْ خَبْطَةٌ عظيمةٌ ، وغُلِّقتِ الأسواقُ ، ثم راسَلوا السلطانَ فتَأَطَّدتِ الأمورُ وسكَنتِ الشّرورُ على دَخَنٍ وتَنافُرِ قلوبٍ ، وقوِى الأميران أكثرَ ممّا كانا قبلَ ذلك ، وركِب السُّلطانُ ، ووقَع الصُّلحُ على دَخَنٍ .

وفى المحرمِ وقَعتِ الحربُ بينَ التَّترِ وبينَ أهلِ كِيلانَ ؛ وذلك أنَّ ملكَ التّترِ طلَب مِنهم أن يجْعلوا فى بلادِهم طريقًا إلى عَسْكَرِه فامْتَنعوا مِن ذلك ، فأرْسَل مَلكُ التترِ خَرْبَنْدَا جيشًا كثِيفًا ستِّين ألفًا مِن المُقَاتِلةِ ؛ أربعين ألفًا مع قُطْلُوشَاه[3] ، وعشرينَ ألفًا مع جُوبَان ، فأمْهَلَهم أهلُ كِيلانَ حتى توسَّطوا

---

(١) كنز الدرر ٩/ ١٤٧، المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٥٣، ومرآة الجنان ٤/ ٢٤٢، وتذكرة النبيه ١/ ٢٨١.

(٢) العلامة السلطانية : هى ما يكتبه السلطان بخطه على صورة اصطلاحية ، وكان لكل سلطان علامة وتوقيع . السلوك ١/٢/٣٤٤ حاشية (١) .

(٣) فى ص : « خطلو شاه » . وانظر الدليل الشافى ٢/ ٥٤٧.

بلادَهم ، ثم أرْسَلوا عليهم خلِيجًا مِن البحرِ ورَمَوهم بالنِّفْطِ ، فغرِق كثيرٌ منهم واحترَق آخرونَ ، وقتَلوا بأيدِيهم طائفةً كثيرةً ، فلم يُفْلِتْ منهم إلَّا القليلُ ، وكان فى مَن قُتِلَ أميرُ التَّترِ الكبيرُ قُطْلُوشاه ، فاشتَدَّ غَضَبُ خَرْبَنْدا على أهلِ كِيلانَ ، ولكنّه فرِح بقتْلِ قُطْلوشَاه ؛ فإنه كان يريدُ قتلَ خَرْبَنْدَا فكُفِىَ أمرَه ، ثم قُتِل بعدَه بُولاى . ثم إنَّ ملكَ التترِ أرسَل الشيخَ بُرَاقًا[1] الذى قدِم الشامَ فيما تقدَّم إلى أهلِ كِيلانَ يُبلِغُهم عنه رسالةً ، فقتَلوه وأراحُوا النّاسَ مِنه . وبلادُهم [١٤١/١٠و] مِن أخصنِ البلادِ وأطْيبِها ، لا تُسْتَطاعُ ، وهم أهلُ سُنَّةٍ ، وأكثرُهم حنابلةٌ لا يَسْتَطِيعُ مُبْتَدِعٌ أن يسكُنَ بينَ أظْهُرِهم .

وفى يومِ الجُمُعةِ رابعَ عشَرَ صَفَرٍ اجتَمع قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ بالشيخِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ فى دارِ الأوْحَدِىِّ مِن قلعةِ الجبلِ ، وطال بينهما الكلامُ ، ثم تفرَّقا قبلَ الصلاةِ والشيخُ تَقِىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ مصمِّمٌ على عدَمِ الخُروجِ مِن السجنِ . فلمّا كان يومُ الجُمُعةِ الثالث والعشرين مِن ربيعٍ الأوَّلِ جاء الأميرُ حسامُ الدِّينِ مُهَنَّا بنُ عِيسى مَلكُ العربِ إلى السجنِ بنفسِه ، وأقْسَم على الشيخِ تقىِّ الدينِ لَيَخْرُجَنَّ إليه ، فلمَّا خرَج أقْسَم عليه ليَأْتِيَنَّ معه إلى دارِ سلَّار ، فاجتَمَع به بعضُ الفقهاءِ بدارِ سلَّار وجرَتْ بينهم بحوثٌ كثيرةٌ ، ثم فرَّقَتْ بينهم الصلاةُ ، ثم اجتَمَعوا إلى المغربِ ، وبات الشيخُ تقىُّ الدينِ عندَ سَلَّار ، ثم اجتَمَعوا يومَ الأحدِ بمرْسُومِ السُّلطانِ جميعَ النّهارِ ، ولم يحضُرْ أحدٌ من القُضاةِ ، بل اجتَمَع مِن الفُقهاءِ خلقٌ كثيرٌ أكثرُ مِن كلِّ يومٍ ، مِنهم الفقيهُ نجمُ الدينِ بنُ رِفْعَةَ[2] ، وعلاءُ الدينِ

---

(١) فى الأصل ، م : « براق » ، وص : « برذاق » .

(٢) فى م : « رفع » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة عشر وسبعمائة .

الباجِيُّ[1] ، وفخرُ[2] الدينِ بنُ بنتِ[3] أبى سعْدٍ[4] ، وعزُّ الدينِ النِّمْراوِيُّ ، وشمسُ الدينِ بنُ عَدْلانَ[5] ، وجماعةٌ مِن الفقهاءِ ، وطلَبوا القُضاةَ فاعتذَروا بأعْذارٍ ، بعضُهم بالمرضِ ، وبعضُهم بغيرِه ، لمعرفتِهم بما ابنُ تَيميَّةَ مُنْطوٍ عليه مِن العلومِ والأَدلَّةِ ، وأنَّ أحدًا مِن الحاضرين لا يُطِيقُه ، فقبِلَ عذْرَهم نائبُ السلطَنةِ ، ولم يكلِّفْهم الحُضورَ بعدَ أنْ رسَم السلطانُ بحضورِهم ، وانفَصل المجلسُ على خيرٍ ، وبات الشيخُ عندَ نائبِ السّلطَنةِ ، وكان الأميرُ حسامُ الدينِ مُهَنَّا يريدُ أن يستَصْحِبَ الشيخَ تَقِيَّ الدينِ معه إلى الشامِ[6] ، فأشار سلَّار بإقامةِ الشيخِ مُدَّةً بمصرَ عنده ؛ ليرَى الناسُ فَضْلَه وعِلْمَه ، وينتفِعَ الناسُ به ويشتغِلوا عليه . وكتَب الشيخُ كتابًا إلى الشامِ يتضمَّن ما وقَع له مِن الأُمورِ[7] .

قال البِرزالِيُّ[8] : وفى شوَّالٍ منها شكَى الصُّوفيَّةُ بالقاهرةِ على الشيخِ تقيِّ الدينِ وكلامِه[9] فى ابنِ عربيٍّ وغيرِه إلى الدولةِ ، فرَدُّوا الأمرَ فى ذلك إلى القاضِى الشافعيِّ ، فعُقِد له مجلسٌ وادَّعَى عليه ابنُ عَطاءٍ بأشياءَ ، فلم يَثْبُتْ عليه مِنها شىءٌ ، لكنَّه قال : لا يُسْتغاثُ إلَّا باللَّهِ ، ولا يستغاثُ بالنبىِّ ﷺ استِغاثَةً بمعنى

---

(١) فى الأصل ، م : « التاجى » ، وفى ص : « الناجى » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٦٥.

(٢) فى ص ، وعقد الجمان ٤/ ٤٦٠ : « تقى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع عشرة وسبعمائة .

(٣) فى كنز الدرر ٩/ ١٥١ : « أبى » .

(٤) فى ص : « سعيد » .

(٥) فى الأصل ، م : « عدنان » .

(٦) فى الأصل ، م : « دمشق » .

(٧) بعده فى الأصل زيادة كبيرة منصوص عليها أنها من كلام ابن عبد الهادى ، وقد استغرقت هذه الزيادة من منتصف صفحة [١٤١/ و] ، إلى منتصف السطر الثانى فى صفحة [١٤٤/ظ] ، ولذا اختل التسلسل فى ترقيم المخطوط .

(٨) وانظر عقد الجمان ٤/ ٤٦٠.

(٩) فى م : « كلموه » .

العبادةِ ، ولكن يُتَوسَّلُ به ، ويُتَشَفَّعُ به إلى اللَّهِ[1] . فبعضُ الحاضرينَ قال : ليس عليه فى هذا شىءٌ . ورأى القاضى بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ أنَّ هذا فيه قلَّةُ أدَبٍ ، فحضَرتْ رسالةٌ إلى القاضى أنْ يَعمَلَ معه ما تقتَضِيه الشَّريعةُ ، فقال القاضى : قد قلتُ له ما يُقالُ لمثلِه . ثم إنَّ الدولةَ خيَّرُوه بينَ أشياءَ ؛ إمّا أنْ يسيرَ إلى دمشقَ أو الإسكندريةِ بشروطٍ ، أو الحبسِ ، فاختارَ الحبسَ ، فدخَل عليه جماعةٌ فى السّفرِ إلى دِمَشقَ مُلتزِمًا ما شُرِط ، فأجاب أصحابَه إلى ما اختاروا جبرًا لخواطرِهم ، فركِب خيْلَ البريدِ ليلةَ الثّامنَ عشَرَ مِن شوَّالٍ ، ثم أرسَلوا خلْفَه مِن الغَدِ بريدًا آخرَ ، فرَدُّوه وحضَر عندَ قاضى القُضاةِ ابنِ جماعةَ وعندَه جماعةٌ مِن الفقهاءِ ، فقال له بعضُهم : إنَّ الدولةَ ما ترضَى إلا بالحبسِ . فقال القاضى : وفيه مصلحةٌ له . واستَنابَ شمسَ الدينِ التُّونُسِىَّ المالِكىَّ ، وأذِن له أنْ يحكُمَ عليه بالحبسِ ، فامتنَع وقال : ما ثبَت عليه شىءٌ . فأذِن لنورِ الدينِ الزَّواوِىِّ المالكىِّ فتحيَّر ، فلما رأَى الشيخُ توقُّفَهم فى حَبْسِه قال : أنا أمضِى إلى الحبسِ ، وأتَّبِعُ ما تقتَضِيه المصلحةُ . فقال نورُ الدينِ الزَّواوِىُّ : يكونُ فى موضعٍ يصلُحُ لمثلِه . فقيل له : الدّولةُ ما ترضَى إلَّا بمُسَمَّى الحبسِ . فأُرسِل إلى حبسِ القاضِى ، وأُجْلس فى المكانِ الذى أُجْلس فيه القاضى تقىُّ[2] الدينِ بنُ بنْتِ الأعزِّ حينَ سُجِن ، وأُذِن له أن يكونَ عندَه مَن يَخْدُمُه ، وكان ذلك كلُّه بإشارةِ نَصْرِ المَنْبِجِىِّ - لوجاهَتِه فى الدولةِ ، فإنه كان قد استَحْوذ على عقلِ الجاشْنَكِير الذى تسَلْطَنَ فيما بعدُ - وغيرِه من الدَّولةِ ، والسلطانُ مقهورٌ معه ، واستَمرَّ الشيخُ فى الحبسِ يُسْتَفْتَى ويقْصِدُه النّاسُ ويزُورُونَه ، وتأْتِيه الفَتاوَى المُشْكِلَةُ التى لا يستَطيعُها الفقهاءُ ، مِن الأمراءِ وأعيانِ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما التوسل بالنبى ﷺ والتوجه به فى كلام الصحابة فيريدون التوسل بدعائه وشفاعته ، أما التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فلا يجوز . قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ص ٨٠ ، وانظر مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٣٢.

(٢) فى الأصل : «زين» . وانظر عقد الجمان ٤/ ٤٦١، وحسن المحاضرة ١/ ٤١٥.

الناسِ ، فيكْتُبُ عليها بما يُحيِّرُ العقولَ من الكتابِ والسُّنَّةِ . ثم عُقِدَ للشيخِ مجلسٌ بالصّالحيَّةِ بعدَ ذلك كلِّه ، ونزَل الشيخُ بالقاهرةِ بدارِ ابنِ شقيرٍ ، وأكبَّ الناسُ على الاجتماعِ به ليلًا ونهارًا .

وفى سادسِ رجَبٍ باشَر الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلكانِيِّ نَظَرَ ديوانِ المارَسْتَانِ عِوضًا عن جمالِ الدينِ يوسفَ العَجَمِيِّ ، تُوفِّى ، وكان مُحْتَسِبًا بدمشقَ مُدَّةً ، فأخَذها منه نجمُ الدينِ[1] البُصْراوِيُّ قبلَ هذا بستَّةِ أشْهرٍ ، وكان العَجَمِيُّ مَوْصُوفًا بالأَمَانَة والكفاءةِ .

وفى ليلةِ النِّصفِ مِن شعبانَ أُبْطِلتْ صلاةُ ليلةِ النِّصفِ ؛ لكونِها بدعةً ، وصِين الجامعُ مِن الغَوْغاءِ والرَّعاعِ ، وحصَل بذلك خيرٌ كثيرٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى رمضانَ قَدِم الصَّدرُ نجمُ الدينِ [١٠/١٤٥و] البُصْراوِيُّ ومعه توقيعٌ بنظَرِ الخزانةِ عوضًا عن شمسِ الدينِ بنِ الحَظِيرِيِّ مضافًا إلى ما بيدِه من الحِسْبَةِ . ووقع فى أواخرِ رمضانَ مَطَرٌ قَوِيٌّ شديدٌ ، وكان الناسُ لهم مدةٌ لم يُمْطَروا ، فاستبشَروا بذلك ، ورخُصتِ الأسعارُ ، ولم يُمْكِنِ الناسَ الخروجُ إلى المصلَّى مِن كَثْرةِ المطَرِ ، فصلَّوا فى الجامعِ ، وحضَر نائبُ السلطنةِ فصلَّى بالمقصُورةِ . وخرَج المَحْمَلُ وأميرُ الحجِّ عامئذٍ الأميرُ سيفُ الدينِ بَلَبانُ البَدْرِيُّ التَّتَرِيُّ . وفيها حجَّ القاضى شرفُ الدينِ البارِزِيُّ مِن حَمَاةَ .

وفى ذِى الحِجَّةِ وقَع حريقٌ عظيمٌ بالقُرب من الظاهريَّة ، مَبْدَؤُه مِن الفرنِ[2] تُجاهَها الذى يقالُ له : [3]فُرْنُ الصُّوفيةِ[3] . ثم لطَف اللَّهُ ، وكفَّ شَرَّها وشرَرَها .

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « بن » .

(٢) فى الأصل ، ص : « القرن » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « قرن الصوفية » ، وفى م : « فرن العوتية » .

قلت : وفى هذه السنةِ كان قُدُومنا مِن بُصرَى إلى دمشقَ بعدَ وفاةِ الوالدِ ، وكان أوَّلُ ما سكَنَّا بدَرْبِ سقون[1] الذى يقالُ له : دربُ ابنِ أبى الهيْجاءِ . بالصّاغَةِ العتيقةِ عندَ الطيورِيِّين[2] ، ونسألُ اللَّهَ حُسْنَ العاقبةِ والخاتمةِ ، آمين .

ومِمن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأميرُ الكبيرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْس العَجَمِىُّ الصّالِحِىُّ[3] ، المعروفُ بالجالِقْ[4] ، كان (٥ رأْسَ الجَمَدارِيَّةِ ٥) فى أيامِ الملكِ الصّالحِ نَجْمِ الدينِ أيُّوبَ ، وأمَّره الملكُ الظاهرُ ، وكان مِن أكابرِ الدولةِ ، كثيرَ الأمْوالِ ، تُوفِّى بالرَّمْلةِ ؛ لأنَّه كان فى قسمِ إقطاعِه فى نِصْفِ جُمادَى الأولَى ، ونُقِلَ إلى القدسِ فدُفِنَ به .

الشيخُ صالحُ الأحْمَدِىُّ الرِّفاعِىُّ[6] ، شيخُ المُنَيْبِعِ ، كان التَّترُ يُكْرِمُونَه لمّا قدِمُوا دمشقَ ، ولما جاء قُطْلُوشاه نائبُ التّترِ نزَل عندَه ، وهو الذى قال للشيخِ تَقىِّ الدينِ بنِ تَيْمِيَّةَ بالقصرِ : نحن ما يَنْفَقُ[7] حالُنا إلَّا عندَ التَّترِ ، وأما عندَ الشّرعِ فلَا .

---

(١) فى م : « سعور » ، وفى ص : « شقون » .

(٢) فى الأصل : « الطيورين » ، وفى م : « الطورين » . وانظر الدارس ١/ ١٦٧، ٤٩٠، ٢/ ٧. وفى نسخة منه : « الطيورين » .

(٣) الوافى بالوفيات ١٠/ ٣٤٨، والسلوك ٢/١/ ٤٠، والدرر الكامنة ٢/ ٤١، والمنهل الصافى ٣/ ٤٧٤، والدليل الشافى ١/ ٢٠٤.

(٤) الجالق ، آخره قاف ساكنة ، تركى : وهو اسم للفرس الحاد المزاج الكثير اللعب . النجوم الزاهرة ٨/ ٢٢٧.

(٥ - ٥) فى الأصل : « رأس نوبة الحمدارية » ، وفى ص : « من الجزارية » .

والجمدار : هو الذى يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه . صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩.

(٦) الدرر الكامنة ٢/ ٣٠٠، وعقد الجمان ٤/ ٤٧٣، والمنهل الصافى ٦/ ٣٣٤، والدليل الشافى ١/ ٣٥٢.

(٧) فى ص : « يتفق » ، وغير منقوطة بالأصل .

ثم دخلَت سنةُ ثمانٍ وسبعمِائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ والحُكّامُ هم المذكُورون فى التى قبلَها ، والشيخُ تقىُّ الدين فى[2] الحبس ، والناسُ قد انعكَفُوا عليه زيارةً وتعلُّمًا وإفْتاءً وغيرَ ذلك .

وفى مستهَلِّ ربيعٍ الأولِ أُفرِج عن الأميرِ نجمِ الدينِ خِضْرِ بنِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ ، فأُخرج مِن البُرجِ وأُسكِن دارَ الأفْرَمِ بالقاهرةِ ، ثم كانت وفاتُه فى خامسِ رجبٍ مِن هذه السنةِ . وفى أواخرِ جُمادَى الأُولَى تولَّى نظرَ ديوانِ ملكِ الأُمراءِ الشريفُ زينُ الدينِ بنُ عَدْنانَ عوضًا عن ابنِ الزَّمْلَكانىِّ ، ثم أُضيف إليه نظرُ الجامعِ أيضًا عوضًا عن ابنِ الحَظيرىِّ ، وتولَّى نجمُ الدينِ[3] الدِّمَشقىُّ نظَرَ الأيتامِ عوضًا عن نجمِ الدينِ بنِ هلالٍ . وفى رمضانَ عُزِل الصاحبُ أمينُ الدينِ بنُ[4] الرّقاقىِّ[5] عن نظَرِ الدواوينِ بدِمَشْقَ ، وسافرَ إلى مِصرَ .

وفيها عزَل كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشِىِّ نفسَه عن وَكالةِ بيتِ المالِ ، وصمَّم على الاستِمرارِ على العزلِ ، وعُرض عليه العوْدُ فلم يقْبلْ ، وحُمِلت إليه الخِلعةُ لمّا خُلع على المُباشرين فلم يَلْبَسْها ، واستمرَّ معزولًا إلى يومِ عاشوراءَ مِن السنةِ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٥٥، وكنز الدرر ٩/ ١٥٥، ودول الإسلام ٢/ ٢١٣.

(٢) فى م : « قد أخرج من » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « بن » .

(٤) سقط من النسخ ، وانظر صفحة ٥١، وسيأتى فى وفيات سنة عشر وسبعمائة .

(٥) فى م : « الرفاقى » ، وفى ص : « الرقانى » .

الآتيةِ ، فجُدِّد له تقليدٌ وخُلِع عليه فى الدولةِ الجديدةِ .

وفيها خرَج الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قَلَاوون مِن الديارِالمصريةِ قاصدًا الحجَّ ، وذلك فى السادسِ والعشْرين مِن رمضانَ ، [١٠/١٤٥ظ] وخرَج معه جماعةٌ مِن الأُمراءِ لتودِيعِه فردَّهم ، ولمّا اجْتاز بالكَرَكِ عَدَل إليها فنُصِب له الجِسرُ ، فلمّا توسَّطه كُسِر به ، فسلِمَ مَن كان أمامَه وقفَز به الفرسُ فسلِم ، وسقَط مَن كان وراءَه وكانوا خمسين ، فمات منهم أربعةٌ وتهشَّم أكثرُهم فى الوادى الذى تحتَه ، وبقِى نائبُ الكرَكِ الأميرُ جمالُ الدين آقُوش خجِلًا يتوهَّمُ أن يكونَ هذا يظُنُّه السلطانُ عن قصدٍ ، وكان قد عمِل للسلطانِ ضيافةً غرِم عليها أربعةَ عشَرَ ألفًا ، فلم تَقعِ الموقعَ ؛ لاشتِغالِ السلطانِ بهمِّه وما جرَى له ولأصحابِه ، ثم خلَع على النائبِ وأذِن له فى الانصرافِ إلى مصرَ فسافرَ ، واشتغلَ السلطانُ بتدْبيرِ المملكةِ فى الكَرَكِ وحدَها ، فكان يحضُرُ دارَ العدلِ ويُباشرُ الأُمورَ بنفسِه ، وقدِمت عليه زوجتُه مِن مصرَ ، فذكَرَت له ما كانوا فيه مِن ضيقِ الحالِ وقلةِ النفَقاتِ .

ذِكرُ سلطنةِ الملكِ المظفَّرِ ركنِ الدينِ بَيبَرْس الجاشْنَكِير

لمّا استقرّ الملكُ الناصرُ بالكَرَكِ ، وعزَم على الإقامةِ بها ، كتَب كتابًا إلى الديارِ المصريةِ يتضمَّنُ عزْلَ نفسِه عن المملكةِ ، فأثبتَ ذلك على القضاةِ بمِصرَ ، ثم نفَذ على قضاةِ الشامِ ، وبُويع الأميرُ ركنُ الدينِ بَيبَرْس الجاشْنَكِير بالسلطنةِ فى الثالثِ والعشْرين مِن شوّالٍ يومَ السبتِ بعدَ العصرِ ، بدارِ الأميرِ سيفِ الدينِ سَلَّار ، اجتمَع بها أعيانُ الدولةِ مِن الأُمراءِ وغيرِهم وبايَعوه وخاطَبوه بالـمَلكِ المظفَّرِ ، ثم ركِب إلى القلعةِ ومشَوْا بينَ يدَيه ، وجلَس على سريرِ المملَكةِ بالقلعةِ ، ودَقَّتِ البشائرُ وسارتِ البريديَّةُ بذلك إلى سائرِ البُلدانِ . وفى مستهَلِّ ذى القَعْدَةِ وصَل الأميرُ عزُّ الدينِ البَغداديُّ إلى دِمَشْقَ ، فاجتَمع بنائبِ السلطنةِ والقُضاةِ والأُمراءِ والأعيانِ بالقصرِ الأبْلقِ ، فقرَأ عليهم كتابَ الناصرِ إلى مِصرَ ، وأنَّه قد نزَل عن الملكِ وأعْرضَ عنه ، فأثبتَه القُضاةُ وامتنَع الحنبليُّ مِن إثباتِه وقال : ليس أحدٌ يترُكُ المُلك مختارًا ، ولولا أنَّه مضطَهَدٌ ما ترَكه . فعُزِل ، وأُقيم غيرُه ، ثم استحْلَفهم للسلطانِ الملكِ المظفَّرِ ، وكُتِبت العلامةُ على القلعةِ ،وألقابُه عليها وعلى محالِّ المملَكةِ ، ودَقَّتِ البشائرُ وزُيِّن البلدُ ، ولمّا قُرئ كتابُ السلطانِ على الأُمراءِ بالقصرِ ، وفيه : إنِّى قد صحِبْتُ الناسَ عشْرَ سنِين ، ثم اخترْتُ المُقامَ بالكَرَكِ . تباكَى جماعةٌ مِن الأُمراءِ ثم بايَعوا كالمُكرَهين ، وتولَّى مكانَ بَيبَرْس الأميرُ سيفُ الدينِ بُرُلْغِى[1] ، ومكانَ بُرُلْغى سيفُ الدينِ بَتْخاص[2] ، ومكانَ بَتْخاص جمالُ الدينِ آقُوش نائبُ الكَرَكِ ، وخُطِب للمظفَّرِ يومَ الجُمُعةِ على المنابرِ بدِمَشْقَ وغيرِها ، وحضَر نائبُ السَّلطنةِ

---

(١) فى الأصل : « ترغلى » ، وفى م : « بن على » ، وفى ص : « بن غلى » . والمثبت من الدرر الكامنة ٢/ ٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٦، ويقال بتقديم الغين على اللام .

(٢) فى م : « بنخاص » ، وفى ص : « بنخاض » . وسيأتى فى وفيات سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

الأفْرَمُ والقضاةُ فى تاسعَ عشَرَ ذى القَعْدَةِ ، وقرَأ تقليدَ النائبِ كاتبُ السرِّ القاضى محيى الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ بالقصرِ بحضْرةِ الأُمراءِ ، وعليهم الخِلَعُ كلِّهم ، وركِب الملكُ المظفَّرُ بالخِلْعَةِ السوداءِ الخَلِيفَتِيَّةِ والعمامةِ المدوَّرةِ ، والدولةُ بينَ يدَيه عليهم [١٠/١٤٦و] الخِلَعُ ، يومَ السبتِ سابع ذى القَعْدَةِ ، والصاحبُ ضياءُ الدينِ النَّشائىُّ[١] حاملٌ تقليدَ السلْطانِ مِن جهةِ الخليفةِ فى كيسٍ أطلسَ أسودَ ، وأولُه : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . [النمل : ٣٠] ويقالُ : إنَّه خلَع فى القاهرةِ قَريبَ ألفِ خِلعةٍ ومائتى خِلْعةٍ . وكان يومًا مشهودًا ، وفرِح بنفسِه أيامًا يسيرةً ، وكذلك شيخُه المَنْبِجِىُّ ، ثم أزال اللَّهُ عنهما نعمتَه سريعًا .

وفيها خطَب ابنُ جَماعةَ بالقلعةِ ، وباشَر الشيخُ علاءُ الدينِ القُونَوِىُّ تدريسَ الشريفيَّةِ[٢] .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الصالحُ عثمانُ الحلبونىُّ[٣] ، أصلُه مِن صعيدِ مصرَ ، فأقام مدةً بقريةِ حلبونَ وغيرِها مِن تلك الناحيةِ ، ومكَث مدةً لا يأْكُلُ الخبزَ ، واجتَمع عليه جماعةٌ مِن المريدِين ، وتوفِّى بقريةِ بَرْزَةَ[٤] فى أواخرِ المحرمِ ، ودُفن بها ، وحضَر جِنازتَه نائبُ الشامِ والقضاةُ وجماعةٌ مِن الأعْيانِ .

الشيخُ الصالحُ أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ كثيرٍ الحرّانىُّ الحنبلىُّ[٥] ، إمامُ

---

(١) فى النسخ : « النسائى » . والمثبت من تذكرة النبيه ١/ ٢٧٥، والسلوك ٢/١/ ٤٧. وانظر الدرر الكامنة ١/ ٤٧٤.
(٢) المدرسة الشريفية : من مدارس الشافعية ، كانت عند حارة الغرباء ، لم يعرف واقفها . الدارس ١/ ٣١٦.
(٣) ذيول العبر ص ٤٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٤٤، والسلوك ٢/٢/ ٥٠، والدرر الكامنة ٣/ ٥٦، ٦٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٦.
(٤) فى م : « برارة » ، وفى ص : « مرفدة » .
(٥) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

مسجدِ عطيةَ[1] ، ويُعرَفُ بابنِ المُقْرئِ ، روَى الحديثَ ، وكان فقيهًا بمدارسِ الحنابلةِ ، وُلد بحَرّانَ سنةَ أربعٍ وثلاثين وستِّمائةٍ ، وتُوفِّى بدِمَشْقَ فى العشرِ الأخيرِ مِن رمضانَ ، ودُفن بسفْحِ قاسِيُونَ .

وتُوفِّى قبلَه الشيخُ **أميرُ**[2] **الدينِ** [3]**بنُ سعدٍ**[3] **الحَرّانىُّ** بغزَّةَ ، وعُمِل عزاؤُه بدِمَشْقَ ، رحِمهما اللَّهُ .

السيدُ الشريفُ زينُ الدينِ أبو علىٍّ الحسينُ[4] **بنُ محمدِ بنِ عَدْنانَ الحسينىُّ** ، نقيبُ الأشرافِ ، كان فاضلًا بارعًا فصيحًا متكلمًا ، يَعْرِفُ طريقةَ الاعْتزالِ ، ويُباحِثُ الإماميةَ ، ويُناظِرُ على ذلك بحضْرةِ القضاةِ وغيرِهم ، وقد باشَرَ قبل وفاتِه بقليلٍ نظَرَ الجامعِ ونظرَ دِيوانِ الأفْرَمِ ، تُوفِّى يومَ الخامسِ[5] مِن ذى القَعْدَةِ عن خمسٍ وخمسِين سنةً ، ودُفِن بتُربتِهم ببابِ الصغيرِ .

الشيخُ الجليلُ ظهيرُ الدينِ ، أبو عبدِاللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الفَضْلِ ، ابنُ مَنَعَةَ البغدادىُّ[6] ، شيخُ الحرمِ الشريفِ بمكةَ بعدَ عمِّه عفيفِ الدينِ منصورِ ابنِ مَنَعَةَ ، وقد سمِع الحديثَ وأقام ببغدادَ مدةً طويلةً ، ثم سار إلى مكةَ بعدَ موتِ عمِّه ، فتولَّى مشيخةَ الحرمِ إلى أن تُوفِّى بها .

---

(١) يعرف بمسجد عطية الحائك ، كان عند باب الجابية ، فى رأس درب الأسديين ، سفل كبير ، له منارة وإمام ووقف . الدارس ٢/ ٣٣٥.

(٢) فى الأصل ، م : « زين » ، ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤) فى الأصل ، م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ١٣/ ٥٠، وتذكرة النبيه ١/ ٢٩٠، والدرر الكامنة ٢/ ١٠٣، ١٤٥، ١٥٧، والدارس ١/ ٤٩٤، وفى الموضع الأول من الدرر الكامنة : الحسن بن عدنان . وصوب أنه الحسين بن محمد بن عدنان .

(٥) فى الأصل ، ص : « الخميس » .

(٦) ذيول العبر ص ٤٣، والعقد الثمين ٢/ ٥٧، وإتحاف الورى ٣/ ١٤٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٧.

ثم دَخَلَت سَنَةُ تِسْعٍ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت وخَلِيفةُ الوَقْتِ المُسْتَكْفِى باللَّهِ أميرُ المؤمنينَ ابنُ الحاكمِ بأَمْرِ اللَّهِ العباسِىّ ، وسُلْطانُ البلادِ الملكُ المُظَفَّرُ رُكْنُ الدينِ بَيبَرْس الجاشْنَكِير ،ونائبُه بمِصْرَ الأميرُ سَيْفُ الدينِ سَلَّار ، وبالشامِ آقُوش الأفْرَمُ ، وقُضاةُ مصرَ والشامِ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها . وفى ليلةِ سَلْخِ صَفَرٍ تَوَجَّهَ الشيخُ تَقِىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ مِن القاهرةِ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ صُحْبَةَ أميرٍ مُقَدَّمٍ[2] ، فأَدْخَلَه دارَ السُّلْطانِ وأنْزَله فى بُرْجٍ منها فَسِيحٍ مُتَّسِعِ الأكْنافِ ، فكان الناسُ يَدْخُلون عليه ويَشْتَغِلون فى سائِرِ العُلومِ ، ثم كان بعدَ ذلك يَحْضُرُ الجُمُعاتِ ويَعْمَلُ المَواعِيدَ على عادَتِه فى الجَوامِعِ ، وكان دُخولُه إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ يومَ الأحَدِ ، وبَعدَ عَشَرَةِ أيامٍ وَصَل خَبَرُه إلى دِمَشْقَ ، فحصَل للناسِ عليه تَألُّمٌ وخافوا عليه من غائِلَةِ الجاشْنَكِير [١٠/١٤٦ظ] وشَيْخِه نَصْرٍ المَنْبِجِىِّ ، فتَضاعَف له الدُّعاءُ ، وذلك أنَّهم لم يُمَكِّنوا أحدًا مِن أصْحابِه أن يَخْرُجَ معه إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فضاقَتْ له الصُّدورُ ، وذلك أنه تَمكَّنَ منه عَدوُّه نَصْرٌ المَنْبِجِىُّ . وكان سَبَبَ عَداوَتِه له أنَّ الشَّيْخَ تَقِىَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ كان يَنالُ مِن الجاشْنَكِيرِ ومِن شَيْخِه نَصْرٍ المَنْبِجِىِّ ، ويقولُ : زالَتْ

---

(١) كنز الدرر ٩/ ١٦١، ومرآة الجنان ٤/ ٢٤٥، وتذكرة النبيه ٢/ ٦٢، والسلوك ٢/١/ ٥٤.

(٢) ويسمى أمير مائة مقدم ألف : أعلى مراتب الأمراء فى عصر المماليك ، وهذه المرتبة خاصة بأرباب السيوف ويكون فى خدمة صاحبها مائة مملوك ، وهو فى نفس الوقت مقدم على ألف جندى من أجناد الحلقة فى وقت الحرب . السلوك ١/١/٢٣٩ حاشية (١) .

أيّامُه وانْتَهَتْ رِياسَتُه ، وقَرُبَ انْقِضاءُ أجَلِه . ويَتَكَلَّمُ فيهما وفى ابنِ عَرَبِىٍّ وأَتْباعِه ، فأرادُوا أن يُسَيِّروه إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ كهيئةِ المَنْفِىِّ لَعَلَّ أحَدًا مِن أهْلِها يَتَجاسَرُ عليه فيقْتُلَه غِيلَةً فيَسْتَرِيحوا منه ، فما زادَ ذلكَ الناسَ إلا مَحَبَّةً فيه ، وقُرْبًا منه ، وانْتِفاعًا به ، واشْتِغالًا عليه ، وحُنُوًّا وكرامةً له ، وجاءَ كِتابٌ مِن أخِيه يقولُ فيه : إنَّ الأخَ الكَرِيمَ قد نَزَل بالثَّغْرِ المَحْروسِ على نِيَّةِ الرِّباطِ ؛ فإنَّ أعْداءَ اللَّهِ قَصَدوا بذلك أُمُورًا يكِيدُونَه بها ، ويكيدُونَ الإسْلامَ وأهْلَه ، فكانت تلك كرامَةً فى حقِّنا ، وظَنُّوا أنَّ ذلك يُؤَدِّى إلى هَلاكِ الشيخِ ، فانقَلَبَتْ عليهم مَقاصِدُهم الخَبِيثَةُ وانْعَكَسَتْ مِن كلِّ الوُجوهِ ، وأصْبَحُوا وأمْسَوْا وما زالوا عندَ اللَّهِ وعندَ عِبادِه العارِفين سُودَ الوُجوهِ ، يتَقَطَّعون حَسَراتٍ ونَدَمًا على ما فَعَلوا ، وانْقَلَب أهْلُ الثَّغْرِ أجمعينَ إلى الأخِ مُقْبِلِين عليه مُكْرِمين له ، وفى كلِّ وَقْتٍ يَنْشُرُ من كِتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسولِه ما تَقَرُّ به أعْيُنُ المُؤْمِنِين ، وذلك شَجًى فى حُلوقِ الأعْداءِ ، واتَّفقَ أنَّه وَجَد بالإسْكَنْدَرِيَّةِ إبْليسَ قد باضَ فيها وفَرَّخَ ، وأضَلَّ بها فِرَقَ السَّبْعِينِيَّةِ والعَرَبِيَّةِ ، فمَزَّقَ اللَّهُ بقُدومِه عليهم شَمْلَهم ، وشَتَّتَ جُموعَهم شَذَرَ مَذَرَ ، وهتَكَ أسْتارَهم وفَضَحَهم ، واسْتَتابَ جَماعَةً كَثِيرةً منهم ، وتَوَّبَ رَئِيسًا من رُؤسائِهم ، واسْتَقَرَّ عندَ عامَّةِ المؤمنِين وخَواصِّهم - من أميرٍ وقاضٍ ، وفَقِيهٍ ومُفْتٍ ، وشَيْخٍ وجماعَةِ المُجْتَهِدين ، إلَّا مَن شَذَّ مِن الأَغْمارِ الجُهَّالِ ، مع الذِّلَّةِ والصَّغارِ - مَحَبَّةُ الشيخِ وتَعْظِيمُه ، وقَبولُ كَلامِه ، والرُّجوعُ إلى أمرِه ونَهْيِه ، فَعَلَتْ كَلِمةُ اللَّهِ بها على أعْداءِ اللَّهِ ورسولِه ، ولُعِنوا سِرًّا وجَهْرًا ، وباطِنًا وظاهرًا ، فى مجامعِ النّاسِ بأسْمائِهم الخاصَّةِ بهم ، وصار بذلك عندَ نَصْرٍ المَنْبِجِىِّ المُقِيمَ المُقعِدَ ، ونَزَل به مِن الخَوْفِ والذُّلِّ ما لا يُعَبَّرُ عنه . وذكَر كَلامًا كَثِيرًا .

والمقْصودُ أنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدينِ أقامَ بثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ثَمانِيةَ أشهرٍ مُقيمًا ببُرْجٍ مُتَّسِعٍ مَلِيحٍ نَظِيفٍ له شُبّاكان؛ أحدُهما إلى جِهَةِ البَحْرِ، والآخرُ إلى جِهَةِ المدينةِ، وكان يَدْخُلُ عليه مَن شاء، ويَتَرَدَّدُ إليه الأكابرُ والأعيانُ والفقهاءُ، يَقْرَءُون عليه ويَسْتَفِيدون منه، وهو فى أطْيَبِ عيشٍ وأشْرَحِ صَدْرٍ.

وفى آخرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ عُزِل الشيْخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ عن نَظَرِ المَارَسْتَانِ بسبَبِ انْتِمائِه إلى ابنِ تَيْمِيَّةَ بإشارَةِ المَنْبِجِىِّ، وباشَرَه شمسُ الدينِ عبدُ القادِرِ بنُ الحَظِيرِىِّ.

وفى يومِ الثُّلاثاءِ ثالث رَبِيعٍ الآخِرِ وَلِىَ قَضاءَ الحنابلةِ بالديارِ المصريةِ الشَّيْخُ الإمامُ الحافِظُ سَعْدُ الدينِ أبو محمودٍ [١٠/١٤٧و] مَسْعُودُ بنُ أحمدَ بنِ مَسْعُودِ بنِ زَيْنِ الدينِ الحارِثِىُّ، شَيْخُ الحَدِيثِ بمصرَ، بعدَ وَفاةِ القاضِى شَرَفِ الدينِ أبى محمدٍ عبدِ الغَنِىِّ بنِ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نَصْرِ بنِ أبى بَكْرٍ الحَرَّانِىِّ.

وفى جُمادَى الأُولى بَرَزَتِ المراسِيمُ السُّلْطانِيَّةُ المُظَفَّرِيَّةُ إلى نوّابِ[1] البلادِ السَّواحِلِيَّةِ بإبْطالِ الخُمورِ وتخْرِيبِ الخاناتِ[2] ونَفْيِ أهْلِها، فَفُعِل ذلك، وفَرِح المُسْلِمون بذلك فَرَحًا شَدِيدًا.

وفى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الآخِرةِ وصل بَرِيدىٌّ بتَوْلِيةِ قَضاءِ الحنابِلَةِ بدِمَشْقَ للشيخِ شِهابِ الدينِ أحمدَ بنِ شَرَفِ[3] الدينِ حَسَنِ بنِ الحافِظِ جمالِ الدينِ أبى موسى عبدِ اللَّهِ بنِ الحافظِ عبدِ الغَنِىِّ المَقْدِسِىِّ، عِوَضًا عن قاضِى القُضاةِ التقىِّ

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى م: «الحانات». والخانات جمع خان: أماكن اللهو والعبث. كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص نقلا عن (Dozy).

فى م: «شريف».

سُلَيمانَ بنِ حَمْزَةَ ، بسبَبِ تَكلُّمِه فى نُزولِ الملكِ النَّاصِرِ عن المُلكِ ، وأنه إنما نَزَل عنه مُضْطَهَدًا فى ذلك ، ليس بمُخْتارٍ ، وقد صَدَق فيما قال .

وفى العِشْرِينَ مِن جُمادَى الآخِرةِ وَصَل البريدُ بِولايَةِ شدِّ الدَّواوينِ للأمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَكْتَمُر الحاجِبِ عِوضًا عن الرُّسْتُمِىِّ ، فلم يَقْبَلْ ، وبنَظَرِ الخِزانَةِ للأميرِ عِزِّ الدينِ أحمدَ بنِ زَيْنِ الدينِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمودٍ المعروفِ بابنِ القَلانِسِىِّ ، فباشرها[1] ، وعُزِل عنها البُصْراوِىُّ مُحْتَسِبُ البلدِ .

وفى هذا الشهرِ باشرَ قاضِى القُضاةِ ابنُ جَماعةَ مَشْيَخَةَ سعيدِ السُّعَداءِ بالقاهرةِ بطَلَبِ الصُّوفِيَّةِ له ، ورَضُوا منه بالحُضورِ عندَهم فى الجُمُعَةِ مَرَّةً واحِدَةً ، وعُزِلَ عنها الشيخُ كَرِيمُ الدينِ الآمُلِىُّ[2] ؛ لأَنَّه عَزَل منها الشُّهودَ ، فثارُوا عليه وكتَبُوا فى حَقِّه مَحاضِرَ بأشْياءَ قادِحَةٍ فى الدِّينِ ، فَرُسِمَ بصَرْفِه عنهم ، وعُومِل بنَظِيرِ ما كان يُعامِلُ به الناسَ ، ومِن جُمْلةِ ذلك قيامُه على شيخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ وافْتِراؤُه عليه الكَذِبَ ، مع جَهْلِه وقِلَّةِ ورَعِه ، فعجَّلَ اللَّهُ له هذا الجَزاءَ[3] على يدَىْ أصْحابِه وأصْدِقائِه جزاءً وِفاقًا .

وفى شَهْرِ رَجَبٍ كَثُرَ الخَوْفُ بدِمَشْقَ ، وانْتَقَل النَّاسُ من ظاهِرِها إلى داخِلِها ، وسَبَبُ ذلك أنَّ السُّلْطانَ الملكَ الناصِرَ محمدَ بنَ قَلاوون رَكِبَ مِن الكَرَكِ قاصِدًا دِمَشْقَ يَطْلُبُ عَوْدَه إلى المُلْكِ ، وقد مَالأه جَماعَةٌ مِن الأُمَراءِ وكاتَبوه فى الباطِنِ وناصَحُوه ، وقَفَزَ إليه جَماعةٌ مِن أُمَراءِ المِصْرِيينَ ، وتحَدَّث

---

(١) فى م : « فباشرهما » .

(٢) فى الأصل ، ص : « الأبكى » ، وفى م : « الأيكى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة عشر وسبعمائة .

(٣) فى م : « الخزى » .

الناسُ بسَفَرِ نائبِ الشَّامِ الأفْرَمِ إلى القاهرةِ ؛ ليكونَ[1] مع الجَمِّ الغَفِيرِ ، فاضْطَرَبَ الناسُ ، ولم تُفْتَحْ أبوابُ البلدِ إلى ارْتِفاعِ النَّهارِ ، وتخَبَّطَتِ الأُمُورُ ، فاجْتَمَع القُضاةُ وكَثِيرٌ مِن الأُمَراءِ بالقَصْرِ ، وجدَّدُوا البَيْعَةَ للملكِ المظفَّرِ ، وفى آخِرِ نهارِ السبتِ غُلِّقَتْ أبوابُ البلدِ بعدَ العَصْرِ ،وازْدَحَم الناسُ ببابِ النَّصْرِ ، وحصَلَ لهم تَعَبٌ عَظِيمٌ ، وازْدَحَم البَلَدُ بأهلِ القُرَى ، وكَثُر النَّاسُ بالبلدِ ، وجاءَ البريدُ بوُصولِ الملكِ الناصرِ إلى الخَمّانِ[2] ، فانْزَعَجَ نائبُ الشَّامِ لذلك ، وأظْهَرَ أنه يريدُ قِتالَه ومَنْعَهُ مِن دُخولِ البلدِ ، وقفَزَ إليه الأَمِيرانِ رُكْنُ الدينِ بَيبَرْس المجْنونُ وبَيبَرْس العَلائىُّ[3] ، ورَكِبَ إليه الأمِيرُ سَيْفُ الدينِ بَكْتَمُر الحاجِبُ[4] يُشِيرُ عليه بالرُّجوعِ ، ويُخْبِرُه بأنه لا طاقَةَ له بقتالِ المِصْرِيِّين ، ولَحِقَه الأميرُ سيفُ الدينِ [5]بَهادُر آص[5] يُشِيرُ عليه بمثلِ ذلك ، ثم [١٠/١٤٧ظ] عاد إلى دِمَشْقَ يومَ الثلاثاءِ خامس رَجَبٍ ، وأخْبَرَ أنَّ السلْطانَ الملكَ الناصِرَ قد عاد إلى الكَرَكِ ، فسَكَن الناسُ ورَجَع نائبُ السَّلْطَنَةِ إلى القَصْرِ ، وتراجعَ بعضُ الناسِ إلى مَساكِنِهم ، واسْتَقَرُّوا بها .

---

(١) فى الأصل ، م : « وأن يكون » .

(٢) خمان : من نواحى البثنية من أرض الشام . معجم البلدان ٢/ ٤٦٩ . وفى تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٥٦ : « حمان » . بالحاء المهملة : قرية قريبة من رأس الماء .

(٣) فى الأصل ، م : « العلمى » . والمثبت من كنز الدرر ٩/ ١٧١ ، ودول الإسلام ٢/ ٢١٤ ، وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٤٢ .

(٤) فى م : « حاجب الحجاب » .

(٥ - ٥) فى م : « بهادرا » .

صفةُ عَوْدِ المَلِكِ الناصرِ
محمدِ بنِ الملكِ المنصورِ قلاوونَ

إلى الـمُلْكِ وزوالُ دولةِ الملِكِ المظفَّرِ الجاشْنَكِير بَيبَرْس
وخِذلانُه وخِذلانُ شيخِه نصرِ المَنْبِجِيِّ الاتِّحادِيِّ الـحُلُولِيِّ[1]

لمَّا كان [2]ثالثَ عشَرَ[2] شعبانَ جاءَ الخبرُ بقدومِ الملكِ الناصرِ إلى دمشقَ ، فساقَ إليه الأميرانِ سيفُ الدينِ قُطْلُوبَك والحاجُّ بَهَادُر إلى الكَرَكِ ، وحَضَّاه على ذلك ، واضْطَربَ نائبُ دمشقَ ، وركِب فى جماعةٍ مِن أتباعِه على الهُجُنِ فى سادسَ عشَرَ شعبانَ ، ومعه ابنُ صُبْحٍ[3] ، [4]إلى شَقِيفِ أَرْنُون[4] ، وهُيِّئَتْ بدمَشْقَ أُبَّهةُ السلطنةِ والإقاماتُ اللائقةُ به والعصائبُ[5] والكُوسَاتُ[6] ، وركِب مِن الكَرَكِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وأرسَل الأمانَ إلى الأفْرَمِ ، ودَعا له المؤذِّنون فى المِئذَنةِ ليلةَ الاثنينِ سابعَ

---

(١) كنز الدرر ٩/ ١٧١، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٥٦، وتذكرة النبيه ٢/ ١٩، والسلوك ٢/١/ ٧٢، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٦٥.

(٢ - ٢) فى كنز الدرر، وتاريخ ابن الوردى : « الثلاثاء ثامن عشر » ، وفى السلوك ٢/١/ ٦٧، والنجوم الزاهرة : « الثلاثاء ثانى عشر » . وفى مختصر أخبار البشر ٤/٥٧ كالمثبت .

(٣) فى ص : « صبيح » . وانظر السلوك ٢/٣/ ٥٨٤، ٧٩٩، ٨٠٤.

(٤ - ٤) فى الأصل : « سقيق أربون » ، وفى م : « صاحب شقيف أربون » . والشقيف كالكَهْف أضيف إلى أرنون اسم رجل ، إما رومى وإما إفرنجى . وهو قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل . معجم البلدان ٣/ ٣٠٩.

(٥) العصائب ، والواحدة عصابة : راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطنة . السلوك ١/٢/٤٤٣ حاشية (١) .

(٦) الكوسات ، ومفردها كوسة : وهى صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . صبح الأعشى ٤/ ٩.

عشَرَ شعبانَ ، فضَجَّ الناسُ له بالدعاءِ والسرورِ بذكرِه ، ونُودِىَ فى الناسِ بالأمانِ ، وأن يَفْتَحُوا دكاكينَهم ويأمَنُوا فى أوطانِهم ، وشرَع الناسُ فى الزينةِ ، ودَقَّتِ البشائرُ ، ونامَ الناسُ فى الأَسْطِحَةِ ليلةَ الثلاثاءِ ليتفرَّجوا على السلطانِ حينَ يدخُلُ البلَدَ ، وخرَج القُضاةُ والأُمراءُ والأعيانُ لتلقِّيهِ ، وكان دخولُه يومَ الثلاثاءِ وَسَطَ النهارِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وبُسِطَ له مِن عندِ المُصَلَّى (١إلى القلعةِ١) .

قال كاتبُه ابنُ كثيرٍ : وكنتُ فى مَن شاهَد دخولَه وعليه أُبَّهةُ المُلكِ ، والبُسُطُ تحتَ أقدامِ فرسِه ، كلَّما جاوَز شُقَّةً طُوِيَتْ مِنْ ورائِه ، والچترُ[٢] على رأسِه ، والأُمراءُ السِّلِحْدارِيةُ عن يمينِه وشمالِه وبينَ يَدَيْه ، والناسُ يَدْعُون له ويَضِجُّون بذلك ضجيجًا عاليًا ، وكان يومًا مشهودًا . قال الشيخُ علمُ الدينِ البِرزالىُّ : وكان على السلطانِ يومَئذٍ عمامةٌ بيضاءُ ، وكَلُّوتَةٌ[٣] حمراءُ ، وكان الذى حمَل الغاشِيَةَ[٤] على رأسِه يومَئذٍ الحاجُّ بَهَادُر ، وعليه خِلْعَةٌ مُعَظَّمَةٌ مُذَهَّبَةٌ بفَرْوِ قَاقُم[٥] ، ولمَّا وصَل إلى القلعةِ نُصِبَ له الجسرُ ، ونزَل إليها نائبُها الأميرُ سيفُ الدينِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « الخيل » ، وفى م : « الجد » . والچتر - بجيم مكسورة قد تبدل شينا معجمة - المظلة : وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، تحمل على رأس الخليفة فى العيدين ، وهى من بقايا الدولة الفاطمية . صبح الأعشى ٤/ ٧.

(٣) فى م : « كاوثة » . والكلوتة ، وجمعها كلوتات : غطاء للرأس ، طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة ، وتسمى أيضا كلفة وكلفتاة وكلفتة . السلوك ٤٩٣/٢/١ حاشية (١) ، والنجوم الزاهرة ٣٣٠/٧ حاشية (١) ، والملابس المملوكية ص ٥١، ٥٢.

(٤) الغاشية : غاشية سرج من أديم مخروزةٌ بالذهب ، يخالها الناظر مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يدى السلطان عند الركوب فى المواكب الحفلة . صبح الأعشى ٤/ ٧.

(٥) فى م : « فاخم » . والقَاقُم والققم : حيوان برى يشبه الفأرة إلا أنه أطول منه ، وموطنه بلاد الشمال ، وله فروة تكون ناصعة البياض فى الشتاء ، كانت تستعمل فى تزيين ملابس السلاطين والأمراء وأشباههم فى مصر فى العصور الوسطى . السلوك ٩٨/١/٢ حاشية (١) . وانظر الحيوان ٥/ ٤٨٤، والملابس المملوكية ص ١١٣.

السنجرىُّ[1] ، فقبَّل الأرضَ بينَ يدَيْه ، فأشارَ إليه : إنِّى الآنَ لا أنزِلُ هـٰهنا . وسارَ بفرسِه إلى جهةِ القصرِ الأَبْلَقِ ، والأُمراءُ بينَ يديه ، فنزَل بالقصرِ وخُطِبَ له يومَ الجمُعةِ .

وفى بُكرةِ يومِ السبتِ الثانى والعشرين مِن الشهرِ وصَل الأميرُ جمالُ الدينِ آقُوش الأفْرَمُ نائبُ دمشقَ مُطيعًا للسلطَانِ ، فقبَّل الأرضَ بينَ يديه ، فتَرَجَّلَ له السلطانُ ، وأَكْرَمَه ، وأذِن له فى مباشرةِ النيابةِ على عادتِه ، وفرِح الناسُ بطاعةِ الأفْرَمِ له . ثم وصَل إليه الأَميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق[2] نائبُ حماةَ ، والأَميرُ سيفُ الدينِ أَسَنْدَمُر نائبُ طرابُلُسَ يومَ الاثنينِ الرابع والعشرين مِن الشهرِ[3] وخرَج الأمراءُ لتلقِّيهما ، وتلقَّاهما السلطانُ كما تلقَّى الأفْرَمَ .

وفى هذا اليومِ رسَم السلطانُ بتقليدِ قضاءِ الحنابلةِ وعَوْدِه إلى تقىِّ الدينِ سليمانَ ، وهنَّأه الناسُ ، وجاءَ إلى السلطانِ فسلَّم عليه ، ومضَى إلى الجَوْزِيَّةِ فحكَم بها ثلاثةَ أشهرٍ ، وأُقيمَتِ [١٠/١٤٨و] الجُمُعَةُ الثانيةُ بالميدانِ ، وحضَر السلطانُ والقضاةُ إلى جانبِه ، وأكابرُ الأُمراءِ والدولة وكثيرٌ مِن العامةِ . وفى هذا اليومِ وصَل إلى السلطانِ الأميرُ قَرَاسُنْقُر المنصورىُّ نائبُ حلَبَ ، [4]وخرَج السلطانُ لتلقِّيه أيضًا ، ووصَل جيشُ حَلَبَ يومَ الأربعاءِ ثالث رمضانَ[4] ، وخرَج دِهْلِيزُ[5] السلطانِ يومَ الخميسِ رابعِ رمضانَ ومعه القُضاةُ والقُرّاءُ وقتَ العصرِ ،

---

(١) فى الأصل : « التنجرى » ، وفى ص : « الشنجرى » . وانظر كنز الدرر ٩/ ١٧٤.

(٢) فى ص : « قفجق » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة عشر وسبعمائة .

(٣) فى الأصل ، م : « شعبان » .

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥) الدهليز هنا الخيمة التى ترافق السلطان فى الحرب ، وتختلف عن غيرها مما يقام للسلطان فى الصيد والتنزه ، بكونها خيمة قائمة بذاتها ، ليس بجوانبها خيم صغيرة ، كالتى تقام عادة لتجهيز حاجات السلطان فى أيام السلم . السلوك ١/١/٢٤٨ حاشية (١) نقلا عن (Dozy) .

وأُقِيمَتِ الجُمُعةُ خامسَ رمضانَ بالميدانِ أيضًا . ثم خرَج السلطانُ مِن دِمَشْقَ يومَ الثلاثاءِ تاسع رمضانَ وفى صُحْبَتِه ابنُ صَصْرَى ، وصدرُ الدينِ الحنفىُّ قاضى العساكرِ ، والخطيبُ جلالُ الدينِ ، والشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِىِّ ، والموقِّعون[1] وديوانُ الجيشِ وجيشُ الشامِ بكمالِه ، قد اجْتَمَعوا عليه مِن سائرِ مدنِه وأقاليمِه بنوّابِه وأمرائِه ، فلمَّا انتهَى السلطانُ إلى غزَّةَ دخَلها فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وتلقَّاه الأَميرُ سيفُ الدينِ بَهَادُر آص وجماعةٌ مِن أُمراءِ المِصريين ، فأخبَرُوه أنَّ الملكَ المظفَّرَ قد خلَعَ نفسَه مِن المملكةِ ، ثم تواترَ قُدومُ الأمراءِ مِن مصرَ إلى السلطانِ وأخبَروه بذلك ، فطابَتْ قلوبُ الشاميينَ واستَبْشروا بذلك ودَقَّتِ البشائرُ ، وتأخَّر مجىءُ البريدِ بصورةِ [2]ما جرَى[2] .

واتَّفَق فى يومِ هذا العيدِ أنَّه خَرَج نائبُ الخطيبِ الشيخُ تقىُّ الدينِ الجَزَرِىُّ المعروفُ بالمِقَصَّاتىِّ[3] فى السناجقِ[4] إلى المُصلَّى على العادةِ ، واستنابَ فى البلدِ الشيخَ مجدَ الدينِ التُّونُسِىَّ ، فلمَّا وصَلوا إلى المصلَّى وجَدوا خطيبَ المصلَّى قد شرَع فى الصلاةِ ، فنُصِبَت السناجقُ فى صَحْنِ المصلَّى ، وصلَّى بينَهما تقىُّ الدينِ المِقَصَّاتىُّ ثم خطَب ، وكذلك فعَل ابنُ حسّانَ داخِلَ المصلَّى ، فعُقِد فيه صلاتانِ وخُطْبتانِ يومَئذٍ ، ولم يتَّفِقْ مثلُ هذا فيما نعلَمُ .

وكان دخولُ السلطانِ الملكِ الناصرِ إلى قَلَعَةِ الجَبَلِ آخرَ يومِ عيدِ الفطرِ من هذه السنةِ ، ورَسَم لسَلَّار أن يُسافِرَ إلى الشَّوْبكِ ، واستنابَ بمصرَ الأميرَ سيفَ

---

(١) الموقع : هو الذى يكتب المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى ، وكان يعرف بكاتب الدرج ،وغلب عليه اسم الموقع زمن القلقشندى . صبح الأعشى ٥/ ٤٦٥ ، والسلوك ١/٢/٨٨٨ حاشية (٢) .

(٢ - ٢) فى م : « الناصرى » .

(٣) فى م : « المقضاى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

(٤) السناجق جمع سنجق ، وهى رايات صفر صغار تربط بطرف الرماح ويحملها السنجقدار . صبح الأعشى ٤/٨ ، ٥/٤٥٦ - ٤٥٨.

الدينِ بَكْتَمُر الجُوكَنْدار الذى كان نائبَ صَفَدَ، وبالشامِ الأَميرَ شمسَ الدينِ قَرَاسُنْقُر المنصوريَّ، وذلك فى العشرين مِن شوّالٍ، واسْتَوْزَرَ الصاحبَ فخرَ الدينِ[1] بنَ الخَلِيلِيِّ بعدَها بيومين، وباشَر القاضى [2]فخرُ الدينِ[2] كاتبُ المماليكِ[3] نظرَ الجيوشِ[4] بمصرَ بعدَ بهاءِ الدينِ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ علىٍّ بنِ المظفّرِ، ابنِ[5] الحِلِّىِّ، تُوفِّى ليلةَ الجُمُعةِ عاشر شوّالٍ، وكان مِن صدورِ المصريينَ وأعيانِ الكبارِ، وقد روَى شيئًا مِن الحديثِ. وصرَف الأَميرَ جمالَ الدينِ آقُوش الأَفْرَمَ إلى نيابةِ صَرْخَدَ، وقدِم إلى دمشقَ الأَميرُ زينُ الدينِ كَتْبُغَا رأسُ نوبةِ الجَمَدَرايةِ مُشِدَّ الدواوينِ وأُسْتاذ دار الأُسْتاداريةِ عوضًا عن سيفِ الدينِ آقْجِبا، وتغيَّرتِ الدولةُ وانقلَبتِ قلبةً عظيمةً.

وقال الشيخُ علمُ الدينِ البِرزالىُّ: ولمّا دخَل السلطانُ إلى مصرَ يومَ عيدِ الفطرِ لم يكنْ له دأْبٌ إلَّا طلَبَ الشيخِ تقىِّ الدينِ بنِ تَيميَّةَ مِن الإسْكندَريَّةِ معزَّزًا مُكرَّمًا مُبَجَّلًا، فوجَّه إليه فى ثانى يومٍ مِن شوّالٍ بعدَ وُصولِه بيومٍ أو يَوْمين، فقدِم الشيخُ تقىُّ الدينِ على السلطانِ فى يومِ ثامنِ الشهرِ، وخرَج مع الشيخِ خلقٌ يُوَدِّعونه، واجتَمع بالسلطانِ [١٠/١٤٨ظ] يومَ الجمعةِ، فأكْرَمه وتلقَّاه فى مجلسٍ حافلٍ فيه قضاةُ المصريين والشاميين، وأصْلَح بينَه وبينَهم، ثم نزَل الشيخُ إلى القاهرةِ وسكَن بالقربِ مِن مشهدِ الحُسَيْنِ، والناسُ يَتَرَدَّدون إليه والأُمراءُ والجندُ وجماعةٌ كثيرةٌ من الفقهاءِ والقضاةِ، منهم مَن يعتذِرُ إليه ويَتَنَصَّلُ ممَّا وقَع منه، فقال:

---

(١) سقط من: الأصل، م. وستأتى ترجمته فى وفيات سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

(٢ - ٢) فى ص: «شرف الدين». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

(٣) فى م، ص: «الممالك».

(٤) نظر الجيوش: وظيفة رفيعة المقدار، موضوعها التحدث فى أمر الإقطاعات بالشام ومصر، والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان وأخذ خطه. صبح الأعشى ٤/ ٢٩.

(٥) سقط من: الأصل، م. وانظر: كنز الدرر ٩/ ٢٠٥، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٨١.

أنا قد حالَلْتُ كلَّ مَن آذانى .

قلتُ : وقد أخْبَرَنى القاضى جمالُ الدينِ بنُ القَلانِسِىِّ بتفاصيلِ هذا المجلسِ ، وما وقَع فيه مِن إكرامِ الشيخِ تَقىِّ الدينِ ، وما حصَل له مِن الشكرِ والمدحِ مِن السلطانِ ، وكذلك أخْبَرَنى بذلك قاضى القضاةِ صدرُ[1] الدينِ الحنفىُّ ، ولكنَّ إخْبارَ ابنِ القَلانِسىِّ أكثرُ تفصيلًا - وذلك أنَّه كان إذ ذاك قاضىَ العسكرِ ، وكلاهما كان حاضرًا هذا المجلسَ - ذكَر أنَّ السلطانَ لمّا قدِم عليه الشيخُ تقىُّ الدينِ بنُ تيميَّةَ نهَض قائما للشيخِ أوَّلَ ما رآه ،ومشَى له إلى طَرَفِ الإيوانِ واعْتَنَقَا هناك هُنَيْهَةً ، ثم أخَذ بيدِه فذهَب به إلى صُفَّةٍ[2] فيها شُبّاكٌ إلى بُسْتانٍ ، فجلَسا ساعةً يتحَدَّثان ، ثم جاءَ ويدُ الشيخِ فى يدِ السلطانِ ، فجلَس السلطانُ وعن يمينِه ابنُ جَمَاعَةَ قاضى مصرَ ، وعن يسارِه ابنُ الخَلِيلِىِّ الوزيرُ ، وتحتَه ابنُ صَصْرَى ، ثم صدرُ الدينِ علىٌّ الحنفِىُّ ، وجلَس الشيخُ تقىُّ الدينِ بينَ يدَىِ السلطانِ على طَرَفِ طُرَّاحَتِه[3] ، وتكلَّم الوزيرُ فى إعادةِ أهلِ الذِّمَّةِ إلى لُبْسِ العمائمِ البيضِ بالعلائمِ[4] ، وأنهم قد التزَموا للديوانِ بسبعِ مائةِ ألفٍ فى كلِّ سنةٍ ، زيادةً على الجاليةِ[5] ، فسكَت الناسُ ، وكان فيهم قضاةُ مصرَ والشامِ ، وأكابرُ العلماءِ مِن أهلِ مصرَ والشامِ ، مِن جُمْلتِهم ابنُ الزَّمْلَكانىِّ .

قال ابنُ القَلانِسىِّ : وأنا فى مجلسِ السلطانِ إلى جنبِ ابنِ الزَّمْلَكانىِّ ، فلم

---

(١) فى م : « منصور » .

(٢) فى م : « طبقة » .

(٣) مفرد طراريح ؛ وهى مرتبة يفترشها السلطان إذا جلس . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٣٢ ، نقلا عن (Dozy) .

(٤) فى ص : « بالعمائم » .

(٥) فى م : « الحالية » . والجالية : ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة عليهم كل سنة . صبح الأعشى ٣/ ٤٥٨.

يتكلَّمْ أحدٌ مِن العلماءِ ولا القضاةِ ، فقال لهم السلطانُ : ما تقولُون ؟ يَسْتَفْتيهم فى ذلك ، فلم يتكلَّمْ أحدٌ ، فجَثا الشيخُ تقىُّ الدينِ على رُكْبَتَيه وتكلَّم مع السلطانِ بكلامٍ غليظٍ ، وردَّ على الوزيرِ ما قاله ردًّا عنيفًا ، وجعَل يرفَعُ صوتَه ، والسلطانُ يتلافاه ويُسْكِتُه بترفُّقٍ وتودُّدٍ وتوقيرٍ ، وبالَغ الشيخُ فى الكلامِ وقال ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يقومَ بمثلِه ولا قريبٍ منه ، وبالغ فى التشنيعِ على مَن يوافِقُ على ذلك . وقال للسلطانِ : حاشاكَ أن يكونَ أولُ مجلسٍ جلَسْتَه فى أُبَّهةِ المُلْكِ تَنْصُرُ فيه أهلَ الذِّمَّةِ لأجلِ حطامِ الدنيا الفانيةِ ، فاذكُرْ نعمةَ اللَّهِ عليك إذْ رَدَّ مُلْكَك إليك ، وكبَت عدوَّك ، ونصَرك على أعدائِك . فذكَر أنَّ الچاشْنَكِير هو الذى جدَّد عليهم ذلك . فقال : والذى فعَله الچاشْنَكير كان مِن مراسيمِك ؛ لأنَّه إنَّما كان نائبًا لك ، فأعجَبَ السلطانَ ذلك ، واستمَرَّ بهم على ذلك . وجرَت فصولٌ يطولُ ذِكْرُها ، وقد كان السلطانُ أعلمَ بالشيخِ مِن جميعِ الحاضِرين وبعلْمِه ودينِه وقيامِه بالحقِّ وشجاعتِه ، وسمِعْتُ الشيخَ تقىَّ الدينِ يذكُرُ ما كان بينَه وبينَ السلطانِ من الكلامِ لمَّا انفردَا فى ذلك الشُّباكِ الذى جلَسا فيه ، وأنَّ السلطانَ اسْتَفْتَى الشيخَ فى قتلِ بعضِ القضاةِ بسببِ ما كانوا [١٠/١٤٩و] تكلَّموا فيه ، وأخرَج له فتاوَى بعضِهم بعزلِه مِن المُلْكِ ومبايعةِ الچاشْنَكير ، وأنهم قاموا عليك وآذَوْك أنت أيضًا ! وأخَذ يَحُثُّه بذلك على أنْ يُفْتِيَه فى قتلِ بعضِهم - وإنَّما كان حَنَقُه عليهم بسببِ ما كانوا سَعَوا فيه مِن عزلِه ومبايعةِ الچاشْنَكير - ففَهِم الشيخُ مرادَ السلطانِ ، فأخَذ فى تعظيمِ القضاةِ والعلماءِ ، وينكِرُ أنْ ينالَ أحدًا منهم سوءٌ ، وقال له : إذا قتَلْتَ هؤلاءِ لا تجِدُ بعدَهم مثلَهم . فقال له : إنَّهم قد آذَوْك وأرادوا قَتْلَك مِرارًا . فقال الشيخُ : مَن آذانى فهو فى حِلٍّ ، ومَن آذى اللَّهَ ورسولَه فاللَّهُ ينتَقِمُ منه ، وأنا لا أنتَصِرُ لنفسى . وما زال به حتى حَلُم عنهم وصفَح .

قال : وكان قاضِى المالِكِيَّةِ ابنُ مَخْلُوفٍ يقولُ : ما رَأَيْنا مثلَ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، حَرَّضْنا عليه ، فلم نَقْدِر عليه ، وقَدَر عَلَينا فصَفَح عنا وحاجَجَ عنا . ثم إنَّ الشيخَ بعدَ اجْتِماعِه بالسُّلْطانِ نزَل إلى القاهِرَةِ ، وعاد إلى بَثِّ العلمِ ونَشْرِه ، وأَقْبَلَتِ الخَلْقُ عليه ، ورَحَلوا[1] إليه يَشْتَغِلون عليه ، ويَسْتَفْتونَه ويُجِيبُهم بالكِتابةِ وبالقولِ ، وجاءَته الفُقَهاءُ يَعْتَذِرون مما وَقَع منهم فى حَقِّه ، فقال : قد جَعَلْتُ الكلَّ فى حِلٍّ . وبَعَث الشيخُ كِتابًا إلى أهْلِه يَذْكُرُ ما هو فيه مِن نِعَمِ اللَّهِ وخَيْرِه الكثيرِ ، ويَطْلُبُ منهم جملةً من كُتُبِ العلمِ التى له ، ويَسْتَعِينوا على ذلك بجَمالِ الدينِ المِزِّىِّ ؛ فإنَّه يَدْرِى كيف يَسْتَخْرِجُ له ما يريدُه مِن الكتُبِ التى أشارَ إليها ، وقال فى هذا الكتابِ : والحقُّ كلُّ ما له فى عُلُوٍّ وازْدِيادٍ وانْتِصارٍ ، والباطِلُ فى انْخفاضٍ وسُفولٍ واضْمِحْلالٍ ، وقد أَذَلَّ اللَّهُ رِقابَ الخُصومِ ، وطلَب أَكابرُهم من السَّلَمِ ما يَطُولُ وَصْفُه ،وقد اشْتَرَطْنا عليهم مِن الشُّروطِ ما فيهِ عِزُّ الإسْلامِ والسُّنَّةِ ، وما فيه قَمْعُ الباطِلِ والبِدْعَةِ ، وقد دَخَلوا تحتَ ذلك كلِّه ، وامْتَنَعْنا مِن قَبُولِ ذلك منهم حتى يظهرَ إلى الفِعْلِ ، فلم نَثِقْ لهم بقولٍ ولا عَهْدٍ ، ولم نُجِبْهم إلى مَطْلوبِهم حتى يَصِيرَ المَشْروطُ مَعْمولًا ، والمَذْكُورُ مَفْعولًا ، ويَظْهَر مِن عِزِّ الإسْلامِ والسُّنَّةِ للخاصَّةِ والعامَّةِ ما يكونُ مِن الحسناتِ التى تَمْحُو سَيِّئاتِهم . وذَكَر كَلامًا طَويلًا يَتَضَمَّنُ ما جَرَى له مع السُّلْطانِ فى قَمْعِ اليهودِ والنَّصارَى وذُلِّهم ، وتَرْكِهم على ما هم عليه من الذِّلَّةِ والصَّغارِ ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

وفى شوَّالٍ أمْسَكَ السُّلْطانُ جماعةً مِن الأُمَراءِ قريبًا من عِشْرِين أميرًا . وفى سادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ وَقَع بينَ أهلِ حَورانَ مِن قَيْسٍ ويَمَنٍ ، فقُتِل منهم مَقْتَلةٌ عَظِيمةٌ جدًّا ، قُتِل مِن الفَرِيقَيْنِ نَحْوٌ من ألفِ نفسٍ بالقُرْبِ من السُّويداءِ ، وهم يُسَمُّونَها

---

(١) فى الأصل : « دخلوا » .

يومَ السُّويداءَ ، ووَقْعَةَ السُّويداءِ ، وكانتِ الكَسْرَةُ على يَمَنٍ ، فهَرَبُوا مِن قَيْسٍ حتى دخَل كَثِيرٌ منهم إلى دِمَشْقَ فى أَسْوَأ حالٍ وأَضْعَفِه ، وهَرَبَتْ قيسٌ خوفًا من الدَّولةِ ، وبَقِيتِ القُرَى خاليةً ،والزُّروعُ سائِبةً ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعونَ .

وفى يومِ الأَرْبعاءِ سادِس ذى القَعْدَةِ قَدِم الأَمِيرُ سَيْفُ الدينِ قَبْجَق المَنْصورِىُّ نائبًا على حَلَبَ ، فنَزَل القَصْرَ ومعه جَماعَةٌ مِن أُمراءِ المِصْرِيِّين ، ثم سافرَ إلى حَلَبَ بمَنْ معه من الأمراءِ ، [١٠/١٤٩ظ] واجتاز الأميرُ سَيْفُ الدينِ الحاجُّ بَهادُر بدِمَشْقَ ذاهبًا إلى نيابةِ طَرابُلُسَ والفتوحاتِ السَّاحِلِيَّةِ عِوَضًا عن الأميرِ سَيْفِ الدِّينِ أَسَنْدَمُر ، ووصَل جَماعةٌ ممَّن كان قد سافَرَ مع السُّلْطانِ إلى مِصْرَ فى ذى القَعْدَةِ ؛ منهم قاضى قُضاةِ الحَنَفِيَّةِ صَدْرُ الدينِ ، ومُحْيى الدينِ ابنُ فَضْلِ اللَّهِ ، وغيرُهما .

قلتُ[1] : وجَلَسْتُ يومًا إلى القاضِى صَدْرِ الدينِ الحَنَفِىِّ بعدَ مَجِيئِه مِن مِصْرَ ، فقال لى : أَتُحِبُّ ابنَ تَيْمِيَّةَ ؟ قلتُ : نعم . فقال لى وهو يَضْحَكُ : واللَّهِ لقد أَحْبَبْتَ شيئًا مَلِيحًا . وحَكَى قَرِيبًا ممَّا ذكرَ ابنُ القَلانِسِىِّ ، لكنَّ سِياقَ ابنِ القلانِسِىِّ أَتَمُّ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ الجاشْنَكِير

كان قد فَرَّ الخَبِيثُ فى جماعةٍ مِن أَصْحابِه ، فلمّا خَرَج الأَمِيرُ سَيْفُ الدينِ قَرَاسُنْقُر المَنْصُورِىُّ مِن مِصْرَ مُتَوَجِّهًا إلى نِيابةِ الشَّامِ عِوضًا عن الأَفْرَمِ ، فلمّا كان فى غَزَّةَ فى سابِعِ ذى القَعْدَةِ ضَرَب حَلْقَةً لأَجْلِ الصَّيْدِ ، فوَقَع فى وَسَطِها الجاشْنَكِير فى ثَلاثِمِائةٍ مِن أَصْحابِه ، فأُحِيطَ بهم وتَفَرَّقَ عنه أصحابُه ، فأَمْسَكوه ،

---

(١) فى م : « فقمت » .

ورَجَع معه قَراسُنْقُر وسَيْفُ الدينِ بَهادُرآص على الهُجنِ ، فلما كان بالخَطّارَةِ[1] تلقّاهم أَسَنْدَمُر فتَسَلَّمَه منهم ورَجَعا إلى عَسْكَرِهم ، ودخَل به أَسَنْدَمُر على السُّلْطانِ فعاتَبَه ولامَه ، وكان آخِرَ العَهْدِ به ، قُتِل ودُفِن بالقَرافَةِ ، ولم يَنْفَعْه شَيْخُه المَنْبِجِيُّ ولا أَمْوالُه ، بل قُتِل شَرَّ قِتْلَةٍ ، ودَخَل قَراسُنْقُر دِمَشْقَ يومَ الاثْنَيْنِ الخامِس والعِشْرِينَ مِن ذِى القَعْدَةِ ، فنَزَل بالقَصْرِ ، وكان فى صُحْبَتِه ابنُ صَصْرَى ، وابنُ الزَّمْلَكانِيِّ ، وابنُ القَلانِسِيِّ ، وعَلاءُ الدينِ بنُ غانِمٍ ، وخَلْقٌ مِن الأُمَراءِ المِصْرِيِّين والشّامِيِّين ، وكان الخَطِيبُ جَلالُ الدينِ القَزْوِينِيُّ قد وَصَل قبلَهم يومَ الخَمِيس الثانِى[2] والعِشْرِينَ مِن الشهرِ ، وخَطَب يومَ الجُمُعةِ على عادَتِه ، فلمّا كان يومُ الجُمُعةِ الأُخْرَى وهو التّاسِعُ والعِشْرُون مِن الشَّهْرِ ، خطَب بجامعِ دِمَشْقَ القاضى بَدْرُ الدينِ محمدُ بنُ عُثْمانَ بنِ يوسُفَ بنِ الحَدّادِ الحَنْبَلِيُّ ، عن إذْنِ نائبِ السَّلْطَنَةِ ، وقُرِئَ تَقْلِيدُه على المِنْبَرِ بعدَ الصلاةِ بحَضْرَةِ القُضاةِ والأكابرِ والأعْيانِ ، وخُلِعَ عليه عَقِيبَ ذلك خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ ، واسْتَمَرَّ يُباشِرُ الإمامَةَ والخِطابَةَ اثْنَيْنِ وأرْبَعِينَ يومًا ، ثم أُعِيدَ الخَطِيبُ جَلالُ الدينِ بمَرْسُومِ السُّلْطانِ ، وباشَرَ يومَ الخميسِ ثانِى عَشَرَ المحرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الآتيةِ .

وفى ذى الحِجَّةِ دَرَّسَ كمالُ الدينِ بنُ الشِّيرازِيِّ بالمدرَسَةِ الشاميّةِ البَرّانِيَّةِ ، انْتَزَعَها مِن يدِ الشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانِيِّ ، وذلك أنَّ أَسَنْدَمُر ساعَدَه على ذلك .

وفيها أظْهَر مَلِكُ التترِ خَرْبَنْدا الرَّفْضَ فى بِلادِه ، وأمَر الخُطَباءَ[3] أن لا

---

(١) موضع قرب القاهرة من أعمال الشرقية . تاج العروس (خ ط ر) .
(٢) كذا بالنسخ ، وصوابه أن يكون الخميس الحادى والعشرين ليتفق مع ما قبله وما بعده .
(٣) بعده فى م : « أولا » .

يَذْكُروا فى خُطَبِهم إلَّا علىَّ بنَ أبى طالبٍ ووَلَدَيه وأهْلَ بيتِه ، ولما وَصَل خَطِيبُ بابِ الأَزَجِ إلى هذا المَوْضِعِ مِن خُطْبَتِه بَكَى بُكاءً شَدِيدًا ، وبكَى النَّاسُ معه ، ونزَل ولم يَتَمَكَّنْ مِن إتْمامِها ، فأُقِيمَ مَن أتَمَّها عنه وصَلَّى بالنَّاسِ . وظَهَر على الناسِ بتلك البلادِ مِن أهْلِ السُّنَّةِ أهْلُ البِدْعَةِ ، فإنّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُون .

ولم يحُجَّ فيها أحدٌ مِن أهْلِ الشَّامِ بِسببِ تَخْبِيطِ الدَّولةِ وكَثْرَةِ الاخْتِلافِ .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأَعْيانِ :

الخَطِيبُ ناصِرُ الدينِ أبو الهُدَى ، أحمدُ بنُ الخَطِيبِ بَدْرِ الدينِ يَحْيى بنِ [١٠/١٥٠و] **الشَّيْخِ عِزِّ الدينِ بنِ عبدِ السَّلَامِ**(١) ، خَطِيبُ العُقيبةِ بدارِه(٢) ، وقد باشَرَ نَظَرَ الجامِعِ الأُمَوِىِّ وغير ذلك ، تُوفِّى يومَ الأَرْبِعاءِ النِّصْف مِن المُحَرَّمِ ، وصُلِّى عليه بجامعِ العُقيبةِ ، ودُفِنَ عندَ والِدِه ببابِ الصَّغيرِ ، وكان مِن صُدورِ دِمَشْقَ ، وقد روَى الحديثَ ، وباشَرَ الخَطابَةَ (٣ بعده ولدُه ٣) بَدْرُ الدينِ ، وحضَرَ عندَه نائِبُ السَّلْطَنةِ والقُضاةُ والأعْيانُ .

قاضِى الحَنابِلَةِ بمِصْرَ ، شَرَفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغَنِىِّ بنُ يَحْيَى بنِ محمدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نَصْرِ بنِ أبى بَكْرٍ الحَرَّانِىُّ(٤) ، وُلِد بحَرّانَ سَنَةَ خَمْسٍ وأرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ ، وسَمِع الحَدِيثَ ، وقَدِم مِصْرَ فباشَرَ نَظَرَ الخِزانَةِ وتَدْرِيسَ الصّالِحِيَّةِ ، ثم أُضِيفَ إليه القَضاءُ ، وكان مَشْكُورَ السِّيرَةِ ، كَثِيرَ المَكارِمِ ، تُوفِّى ليلةَ الجُمُعَةِ رابعَ

---

(١) الوافى بالوفيات ٨/ ٢٥١، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٢.

(٢) فى الأصل ، م : « بداره بها » .

(٣ - ٣) فى م : « بعد والده » .

(٤) تذكرة النبيه ٢/ ٢٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٥٨، والسلوك ٢/١/ ٨٤، والدرر الكامنة ٢/ ٤٩٨، والدليل الشافى ١/ ٤٢٠.

عَشَرَ رَبيعِ الأَوَّلِ ، ودُفِن بالقَرافَةِ ، ووَلِىَ بعدَه سَعْدُ الدينِ الحارِثِىُّ ، كما تَقَدَّم .

الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ أيُّوبُ بنُ سُلَيمانَ بنِ مُظَفَّرٍ المِصْرِىُّ[1] ، المَعْروفُ بمُؤَذِّنِ النَّجِيبِىِّ ، كان رئيسَ المُؤَذِّنينَ بجامِعِ دِمَشْقَ ونَقِيبَ الخُطَباءِ ، وكان حَسَنَ الشَّكْلِ ، رَفِيعَ الصَّوتِ ، استَمَرَّ فى ذلك نحوًا مِن خَمْسِين سنةً إلى أن تُوفِّى فى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأُولى .

وفى هذا الشَّهْرِ تُوفِّى **الأَمِيرُ شَمْسُ الدينِ سُنقُر الأَعْسَرُ المَنْصُورِىُّ**[2] ، تَوَلَّى الوِزارَةَ بالدِّيارِ المِصْرِيةِ مع شَدِّ الدَّواوِين معًا ، وباشَر شَدَّ الدَّواوِينِ بالشّامِ مَرّاتٍ ، وله دارٌ وبُسْتانٌ بدِمَشْقَ مَشْهورانِ به ، وكان فيه نَهْضَةٌ ، وله هِمَّةٌ عالِيَةٌ وأَمْوالٌ كَثِيرةٌ ، تُوفِّى بمِصْرَ .

الأَمِيرُ جَمالُ الدينِ آقُوش بنُ عَبْدِ اللَّهِ الرُّسْتُمىُّ[3] ، شادُّ الدَّواوِينِ بدِمَشْقَ ، وكان قبلَ ذلك والِىَ الوُلاةِ بالصَّفْقةِ القِبْلِيَّةِ بعدَ الشرِيفىِّ ، وكانت له سَطْوةٌ ، تُوفِّى يومَ الأَحدِ [4]ثانِى وعِشْرِينَ[4] جُمادَى الأُولى ، ودُفِن ضَحْوَةً بالقبةِ التى بناها تُجاهَ قُبَّةِ الشَّيْخِ رَسْلانَ ، وكان فيه كفايةٌ وخِبْرَةٌ ، وإنَّما وَلِى الشَّدَّ بدِمَشْقَ مدةً يَسِيرَةً ، وباشَر بعدَه شَدَّ الدَّواوِينِ آقْجِبا .

وفى شَعْبانَ أو فى رَجَبٍ تُوفِّى **التَّاجُ ابنُ سَعيدِ الدَّوْلَةِ**[5] ، وكان مُسْلِمانِيًّا ، وكان مُشِيرَ[6] الدَّولَةِ ، وكانتْ له مَكانةٌ عندَ الجاشْنَكير بسبَبِ صُحْبَتِه لنصرِ

---

(١) ذيول العبر ص ٤٧، والوافى بالوفيات ١٠/ ٤٧، والدرر الكامنة ١/ ٤٦٣، والمنهل الصافى ٣/ ٢٢٦، والدليل الشافى ١/ ١٧٨.

(٢) ذيول العبر ص ٤٨، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٤، والسلوك ٢/١/ ٨٤، والدرر الكامنة ٢/ ٢٧٣، والدليل الشافى ١/ ٣٢٧، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٧٨.

(٣) فى م : « الرسيمى » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/١/ ٨٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٢٦.

(٤ - ٤) فى م : « تاسع عشر » .

(٥) تذكرة النبيه ٢/ ٢٧، والسلوك ٢/١/ ٨٥، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٧٩.

(٦) فى الأصل : « شقى » ، وفى م : « سفير » .

المَنْبِجِيِّ شَيْخِ الجَاشْنَكير، وقد عُرِضَتْ عليه الوِزارَةُ فلم يَقْبَلْ، ولما تُوفِّى تَولَّى وَظِيفَتَه ابنُ أُخْتِه[1] كَرِيمُ الدِّينِ الكبيرُ.

الشَّيْخُ شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبى المَكارمِ بنِ نَصْرِ الأَصْبَهانِيُّ[2]، رَئيسُ المُؤَذِّنِينَ بالجامعِ الأُمَوِيِّ، وُلِد سنةَ اثْنَتَيْنِ[3] وستِّمائةٍ، وسَمِع الحَدِيثَ، وباشَر وَظِيفةَ الأذانِ من سَنةِ خَمْسٍ وأرْبَعِينَ إلى أنْ تُوفِّىَ ليلةَ الثلاثاءِ خامس ذى القَعْدَةِ، [4]ودُفِن ببابِ الصغيرِ[4]، وكان رجلًا جيدًا. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى ص: «أخيه».

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر.

(٣) فى ص: «ثلاثين».

(٤ - ٤) سقط من: م.

ثم دخلَت سنةُ عشْرٍ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت وخليفةُ الوقتِ المستَكْفِى باللَّهِ أبو الربيعِ سليمانُ العباسىُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ المنصورِ قَلاوون ، والشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ مقيمٌ بمصرَ معظَّمًا مكرَّمًا ، والنائبُ بمصرَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَكْتَمُر أميرُ جانْدَار[2] ، وقُضاتُه هم المَذكورون فى التى قبلَها ، سِوى الحنبلىِّ فإنه سعدُ الدينِ الحارثىُّ ، والوزيرُ بمصرَ فخرُ الدينِ بنُ الخليلىِّ ، وناظرُ الجيوشِ فخرُ الدينِ كاتبُ المماليكِ ، ونائبُ الشامِ قَراسُنْقُر [١٠/١٥٠ظ] المنصورىُّ ، وقضاةُ دمشقَ هم هم ، ونائبُ حلبَ قَبْجَق ، ونائبُ طَرابُلُسَ الحاجُّ بَهادُر ، والأفْرَمُ بصَرْخَدَ .

وفى المحرمِ منها باشَر الشيخُ أمينُ[3] الدينِ سالمُ بنُ أبى الدُّرِّ[4] وكيلُ بيتِ المالِ إمامُ مسجدِ ابنِ[5] هشامٍ تدريسَ الشاميَّةِ الجَوَّانيَّةِ ، والشيخُ صدرُ الدينِ سليمانُ بنُ موسى الكُردِىُّ تدريسَ العَذْراوِيَّةِ ، كلاهما انتَزَعها مِن ابنِ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٥٦، وكنز الدرر ٩/ ٢٠٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٥٩.

(٢) فى الأصل ، م : « خزندار » . وأمير جاندار : هو الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء ؛ للخدمة السلطانية ، ويدخل أمامهم إلى الديوان . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٠، ٥/ ٤٦١.

(٣) فى ص : « أمير » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

(٤) فى الأصل : « الذرين » ، وفى م : « الدرين » ، وفى ص : « البذر » .

(٥) سقط من : م . وهذا المسجد بناه القاضى بدر الدين بن مزهر ، ولا يزال هذا المسجد معروفا بهذا الاسم ، وله منارة لطيفة ، وهو فى سوق جقمق المعروف اليوم بسوق مدحت باشا . الدارس ١/ ٣٠٦ حاشية (١) ، ٢/ ٣٠٥.

الوكيلِ بسببِ إقامتِه بمصرَ، وكان قد وفَد إلى المظفَّرِ فأكرَمَه ورتَّب له رواتبَ؛ لانتمائِه إلى نَصْرِ المَنْبِجِيِّ، ثم عاد بتوقيعٍ سلطانيٍّ بمدرستَيْهِ، فأقام بهما شهرًا أو سبعةً[1]، ثم استعَادَاهما منه ورجَعتا إلى المدرِّسَينِ الأوَّلَينِ؛ الأمينُ سالمٌ، والصدرُ الكُردىُّ، ورجَع الخطيبُ جلالُ الدينِ إلى الخطابةِ فى سابعَ[2] عشَرَ المحرَّمِ، وعُزِل عنها البدرُ بنُ الحدَّادِ، وباشَر الصاحبُ شمسُ الدينِ نظَرَ الجامعِ والأسرَى والأوقافِ قاطبةً يومَ الاثنينِ، وخُلِع عليه، ثم أُضِيف إليه شرفُ الدينِ بنُ صَصْرَى فى نظرِ الجامعِ، وكان ناظرُه مُستقِلًّا به قبلَهما. وفى يومِ[3] عاشوراءَ قدِم أَسَنْدَمُر إلى دمشقَ مُتَوَلِّيًا نيابةَ حماةَ، وسافَر إليها بعدَ سبعةِ أيامٍ.

وفى المُحَرَّمِ باشَر بدرُ الدينِ بنُ الحدّادِ نظَرَ المَارَسْتانِ عِوَضًا عن شمسِ الدينِ ابنِ الحَظِيرىِّ، ووقَعَتْ مُنازَعَةٌ بينَ الشيخِ صدرِ الدينِ بنِ الوكيلِ[4] وبينَ الصدرِ سليمانَ الكُردىِّ بسببِ العَذراوِيَّةِ، وكتَبوا فى ابنِ الوكيلِ مَحْضَرًا يَتضَمَّنُ أشياءَ مِن القبائحِ والفضائحِ والكُفريَّاتِ على ابنِ الوكيلِ، فبادَر ابنُ الوكيلِ إلى القاضى تقىِّ الدينِ سليمانَ الحنبلىِّ، فحكَم بإسلامِه، وحَقْنِ دمِه، وإسقاطِ التعزيرِ عنه، والحُكْمِ بعدالتِه واستحقاقِه للمناصبِ، [5]وأشهَد عليه بذلك فى شهرِ المُحَرَّمِ المذكُورِ[5]، ولكن خرَجَت عنه المَدْرَستان؛ العَذْراوِيَّةُ لسليمانَ

---

(١) بعده فى م: «وعشرين يوما».

(٢) فى الأصل: «ثامن»، وفى ص: «ثالث».

(٣) بعده فى ص: «الأربعاء». وهو خطأ، وصوابه أن يكون الثلاثاء.

(٤) فى الأصل، م: «المرحل». وهو مما يعرف به فى الشام، وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة.

(٥ - ٥) فى م: «وكانت هذه هفوة من الحنبلى».

الكُردىِّ، والشامِيَّةُ الجَوَّانِيَّةُ للأمينِ سالمٍ، ولم يَبْقَ معه سِوى دارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ.

وفى ليلةِ الاثنينِ السابع مِن صَفَرٍ وصَل النَّجمُ محمدُ بنُ عثمانَ البُصْراوِىُّ مِن مصرَ مُتَوَلِّيًا الوِزارةَ بالشامِ، ومعه توقيعٌ بالحِسْبَةِ لأخِيهِ فخرِ الدينِ سُليمانَ، فباشَرَا المَنْصِبَيْنِ المذكورينِ بالخِلَعِ[1]، ونَزَلا بدربِ سقون[2] الذى يُقالُ له: دربُ ابنِ أبى[3] الهَيْجاءِ. ثم انتَقَل الوزيرُ إلى دارِ الأعْسَرِ عندَ بابِ البريدِ، واستمَرَّ نَظَرُ الخِزَانةِ لعزِّ الدينِ أحمدَ بنِ القَلَانِسِىِّ[4] أخى الشيخِ جلالِ الدينِ.

وفى مُسْتَهَلِّ ربيعٍ الأوَّلِ باشَر القاضى جمالُ الدينِ الزُّرَعِىُّ قضاءَ القُضاةِ بمصرَ عِوَضًا عن بدرِ الدِّينِ بنِ جَمَاعةَ، وكان قد أُخِذ منه قبلَ ذلك مَشْيَخَةُ الشُّيوخِ فى ذى الحِجَّةِ، وأُعِيدَت إلى الكريمِ الآمُلِىِّ[5]، وأُخِذَت منه الخطابةُ أيضًا. وجاء البريدُ إلى الشامِ بطَلَبِ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الحريرىِّ لقضاءِ الديارِ المصرِيَّةِ، فسار فى العشرينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ، وخرَج معه جماعةٌ لتودِيعِه، فلمَّا قدِم على السلطانِ أكرَمَه وعظَّمَه وولَّاه قضاءَ الحنفِيَّةِ وتدريسَ [١٠/١٥١و] الناصِرِيَّةِ والصالِحِيَّةِ، وجامعَ الحاكمِ، وعُزِل عن ذلك القاضى [6]شمسُ الدينِ السَّرُوجِىُّ[6]، فمكَث أيَّامًا ثم مات. وفى مُنتصَفِ هذا الشهرِ مُسِك مِن دمشقَ

---

(١) فى م: «بالجامع».

(٢) فى الأصل: «سقوت»، وفى م: «سفون»، وفى ص: «شنون». وانظر صفحة ٧٧.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الأصل: «القلاشى». وانظر ذيول العبر ص ٥٠، والسلوك ٢/٢/ ٤٠٤.

(٥) فى الأصل، ص: «الأيلى»، وفى م: «الأيكى». وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة.

(٦ - ٦) فى الأصل: «شمس السروجى»، وفى ص: «شمس الدين بن السروجى». وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة.

سبعةُ أمراءَ ، ومِن القاهرةِ أربعةَ عشَرَ أميرًا .

وفى ربيعِ الآخِرِ اهتَمَّ السُّلطانُ بطَلَبِ الأميرِ سيفِ الدينِ سَلَّار ، فحضَر هو بنفسِه إليه فعَاتَبَه ، ثم استُخْلِصت منه أموالُه وحَواصِلُه فى مُدَّةِ شهرٍ ، ثم قُتِل بعدَ ذلك ، فوُجِد معه مِن الأموالِ والحيوانِ والأملاكِ والأسلحةِ والمماليكِ والجمالِ والبغالِ والحميرِ أيضًا والرِّباعِ شىءٌ كثيرٌ ، وأمَّا الجواهرُ والذهبُ والفِضةُ فشىءٌ لا يُحَدُّ ولا يُوصفُ مِن كثرتِه ، وحاصلُ الأمرِ أنه كان قد اسْتَأْثَر لنفسِه طائفةً كبيرةً مِن بيتِ المالِ وأموالِ المسلمين تُجْرَى إليه ، ويُقالُ : إنَّه كان مع هذا كثيرَ العطاءِ كريمًا مُحَبَّبًا إلى الدولةِ والرَّعِيَّةِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد باشَر نيابةَ السَّلطنةِ بمصرَ مِن سنةِ ثمانٍ وتسعين إلى أن قُتِل يومَ الأربعاءِ رابع عشرين هذا الشهرِ ، ودُفِن بتُربتِه ليلةَ الخميسِ بالقَرَافةِ ، سامَحَه اللَّهُ .

وفى ربيعِ الآخِرِ درَّس القاضى شمسُ الدينِ [1] بنُ العزِّ [1] الحنفىُّ بالظاهِرِيَّة عِوَضًا عن شمسِ الدينِ بنِ الحريرىِّ ، وحضَر عندَه خالُه الصدرُ علىٌّ قاضى قضاةِ الحنفِيَّةِ وبقيَّةُ القضاةِ والأعيانِ .

وفى هذا الشهرِ كان الأميرُ سيفُ الدينِ أَسَنْدَمُر قدِم دِمَشْقَ لبعضِ أشغالِه ، وكان له حُنوٌّ على الشيخِ صدرِ الدينِ بنِ الوكيلِ ، فاستنجَز له مَرْسُومًا بنَظَرِ دارِ الحديثِ وتدريسِ العَذراوِيَّةِ ، فلم يُباشِرْ ذلك حتى سافر أَسَنْدَمُر ، فاتَّفَق له بعدَ يَوْمَين أنه وقَعت كائنةٌ بدارِ ابنِ دِرْباسٍ [2] بالصَّالحيَّةِ ، مِن الحنابلةِ وغيرِهم ، وذكَروا أنَّه وُجِد شىءٌ مِن المُنكرِ وغيرِ ذلك ، فاجتَمَع عليه جماعةٌ مِن الحنابلةِ

(١ - ١) فى الأصل : « محمد بن العز » ، وفى م : « بن المعز » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة .

(٢) فى الأصل : « دوباس » .

وغيرِهم ، وبلَغ ذلك نائبَ السَّلطنةِ فكَاتَب فيه ، فورَد الجوابُ بعَزْلِه عن المناصبِ الدِّينيَّةِ ، فخرَجَت عنه دارُ الحديثِ الأشرفيَّةُ ، وبقِىَ بدِمَشْقَ وليس بيدِه وظيفةٌ ، فلمّا كان فى آخرِ رمضانَ سافَر إلى حلبَ فقَرَّر له نائبُها أَسَنْدَمُر شيئًا على الجامعِ ، ثم ولَّاه تدريسًا هناك وأحسَن إليه . وكان الأميرُ أَسَنْدَمُر قد انتَقَل إلى نيابةِ حلبَ فى جُمادَى الآخِرَةِ عِوَضًا عن سيفِ الدينِ قَبْجَق ، تُوفِّى ، وباشَر مملكةَ حَماةَ بعدَه[1] الأميرُ عمادُ الدينِ إسماعيلُ بنُ الأفضلِ علىِّ بنِ محمودِ بنِ تقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شَاهِنْشَاه بنِ أيوبَ ، وانتَقَلَ جمالُ الدينِ آقُوش الأفْرَمُ مِن صَرْخَدَ إلى نيابةِ طرابُلُسَ عِوَضًا عن الحاجِّ بَهادُر .

وفى يومِ الخميسِ سادسَ عشرَ شعبانَ باشَر الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ مَشيخةَ دارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ عِوَضًا عن ابنِ الوكيلِ ، وأخَذ فى التفسيرِ والحديثِ والفِقْهِ ، فذَكَر مِن ذلك دُروسًا حسنةً ، ثم لم يَستمِرَّ بها سِوى خمسةَ عشَرَ يومًا حتى انتزَعَها منه كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشىِّ ، فباشَرَها يومَ الأحدِ ثالثَ[2] شهرِ رمضانَ .

وفى شعبانَ رسَم قَرَاسُنْقُر نائبُ الشَّامِ بتَوْسِعَةِ المقصورةِ ، فأُخِّرت سُدَّةُ المؤذِّنين إلى الرُّكْنَين المؤَخَّرَين تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ ، ومُنِعتِ الجنائزُ مِن دُخولِ الجامعِ أيَّامًا ثم أُذِن فى دُخولِهم .

وفى خامسِ [١٠/١٥١ظ] رمضانَ قدِم فخرُ الدينِ أياس - الذى كان نائبًا بقلعةِ الرُّومِ - إلى دمشقَ شادَّ الدَّوَاوِينِ عِوَضًا عن زينِ الدينِ كَتْبُغا المنصورىِّ ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « بعد » .

(٢) فى الدارس ١/٣٣ نقلًا عن المصنف : « ثامن » . وفيه أيضا أن ذلك كان سنة ست عشر وسبعمائة .

[1]وولى بعدَه وِزارةَ مصرَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَكْتَمُر الحاجبُ عوضًا عن فخرِ الدينِ ابنِ[2] الخليليِّ .

وخرَج الركبُ الشاميُّ فى شوَّالٍ وأميرُهم الأميرُ زينُ الدينِ كَتْبُغا المنصوريُّ الذى كان شادَّ الدواوينِ[1] . وفى شوَّالٍ باشَر الشيخُ علاءُ الدينِ علىُّ بنُ إسماعيلَ القُونَوِىُّ مَشيخةَ الشُّيوخِ بالدِّيارِ المصريَّةِ عِوَضًا عن الشيخِ كريمِ الدينِ عبدِ الكريمِ ابنِ الحسينِ الآمُلِىِّ ، تُوفِّىَ ، وكان له تَجْرِيدٌ ، وله هِمَّة ، وخُلِع على القُونَوِىِّ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ ، وحضَر سعيدَ[3] السُّعَداءِ بها .

وفى يومِ الخميسِ ثالث ذى القَعْدَةِ خُلِع على الصَّاحِبِ عزِّ الدينِ بنِ القَلانِسِىِّ خِلْعَةُ الوِزارةِ بالشامِ عِوَضًا عن النَّجْمِ البُصْراوِىِّ بحُكْمِ إقطاعِهِ إمْرَةَ عشرةٍ[4] وإعراضِهِ عن الوِزارَةِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادسَ عشرَ ذى القَعْدَةِ عاد الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِىِّ إلى تدريسِ الشَّامِيَّةِ البرَّانِيَّةِ ، وفى هذا اليومِ لبِس تقىُّ الدينِ بنُ الصاحبِ شمسِ الدينِ بنِ السَّلْعُوسِ خِلْعَةَ النَّظَرِ على الجامعِ الأُمَوِىِّ ، ومُسِك الأميرُ سيفُ الدينِ أَسَنْدَمُر نائبُ حلبَ فى ثانى[5] ذى الحِجَّةِ ، وحُمِل[6] إلى مصرَ ، وكذلك مُسِك نائبُ البِيرَةِ سيفُ الدينِ طُوغان[7] بعدَه بلَيَالٍ .

(١ - ١) زيادة من : ص . وفيها : « ركن الدين كيبغا » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . وانظر كنز الدرر ٩/ ٢٠٨، والسلوك ٢/١/ ٩٠.

(٢) سقط من : ص .

(٣) سعيد السعداء : اسم خانقاه معروفة . انظر ص ١٠٨ .

(٤) إمرة عشرة : مرتبة حربية يكون فى خدمة صاحبها عشرة مماليك ، ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٣٩٣.

(٥) بعده فى ص : « عشر » .

(٦) فى الأصل ، م : « ودخل » .

(٧) فى م : « ضرغام » . وانظر السلوك ٢/١/ ٩٤.

وممَّن تُوفِّىَ فيها مِن الأعْيَانِ :

قاضى القُضاةِ الإمامُ العلاَّمةُ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الغنىِّ السَّرُوجِىُّ الحنفىُّ[1] ، شارحُ « الهدايةِ » ، كان بارعًا فى علومٍ شتَّى.، ووَلِىَ الحكمَ بمصرَ مُدَّةً ، وعُزِل قبلَ موتِه بأيَّامٍ ، وكانت وفاتُه يومَ الخميسِ ثانى عشرين[2] ربيعِ الآخِرِ ، ودُفِن بالقربِ مِن الشافعىِّ ، وله اعتراضاتٌ على الشيخِ تقىِّ الدينِ بنِ تَيميَّةَ فى علمِ الكلامِ أضْحَك فيها على نفسِه ، وقد رَدَّ الشيخُ تقىُّ الدينِ عليه فى مُجلَّداتٍ ، وأبطَلَ حُجَجَه .

وفيها تُوفِّى **سَلَّار**[3] مَقْتولًا كما تقدَّم .

والصاحبُ [4]**أمينُ الدينِ**[4] **أبو بكرِ بنُ الوجيهِ عبدِ العظيمِ بنِ يوسفَ**[5] ، المعروفُ بابنِ الرّقاقىِّ .

والحاجُّ بَهَادُر[6] ، نائبُ طرابُلُسَ ، مات بها .

والأميرُ سيفُ الدينِ قَبْجَق[7] ، نائبُ حلبَ ، مات بها ودُفِن بتربتِه بحماةَ

---

(١) ذيول العبر ص ٥٣، والجواهر المضية ١/ ١٢٣، والدرر الكامنة ١/ ٩٦، والمنهل الصافى ١/ ٢٠١، والطبقات السنية ١/ ٢٦١.

(٢) فى م : « عشر » . وقال ابن تغرى بردى فى المنهل ١/ ٢٠٥: الأقوال متفقة على السنة واليوم من وفاته ، وخالف الحافظ عبد القادر [صاحب الجواهر] فى الشهر . والله أعلم .

(٣) ذيول العبر ص ٥٣، وفوات الوفيات ٢/٨٦ ، والنجوم الزاهرة ٩/١٦ ، ٢١٧ ، والمنهل الصافى ٦/٥ ، والدليل الشافى ١/ ٣١٤.

(٤ - ٤) فى م : « أمين الدولة » ، وفى ص : « تقى الدين » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/١/ ٩٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٧٨، والدليل الشافى ٢/ ٨١٧.

(٥) فى الأصل : « يونس » .

(٦) ذيول العبر ص ٥٣، والوافى بالوفيات ١٠/ ٢٩٥، والدرر الكامنة ٢/ ٣٣، والمنهل الصافى ٣/ ٤٣٦، والدليل الشافى ١/ ٢٠٢.

(٧) فى ص : « قفجق » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٥٤، وكنز الدرر ٩/ ٢١٠، والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٥، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٦، والدليل الشافى ٢/ ٥٣٣.

فى ثانى جُمادَى الآخِرةِ، وكان شهمًا شجاعًا، وَلِىَ نيابةَ دِمشقَ فى أيامِ لاجِين، ثم قفَز إلى التَّتَرِ خوفًا مِن لاجِين، ثم جاء مع التَّتَرِ، وكان على يدَيه فرَجُ المسلمين كما ذكَرْنا فى عامِ قَازانَ، ثم تنقَّلَت به الأحوالُ إلى أنْ مات بحلبَ، ثم وَلِيَها بعدَه أسَنْدَمُر، ومات أيضًا فى أواخرِ السنةِ.

وفيها تُوفِّى **الشيخُ كريمُ الدينِ** [1]**أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ**[1] **بنُ الحسينِ الآمُلِىُّ**[2]، شيخُ الشيوخِ بمصرَ، كان له وُصْلَةٌ بالأُمَراءِ، وقد عُزِل مرَّةً عن المَشْيَخَةِ بابنِ جماعةَ، تُوفِّى ليلةَ السبتِ سابع[3] شوَّالٍ بخَانَقَاه سعيدِ السُّعَداءِ، وتولّاها بعدَه الشيخُ علاءُ الدينِ القُونَوِىُّ، كما تقدَّم.

الفقيهُ عِزُّ الدينِ [4]**عبدُ العزيزِ بنُ**[4] **عبدِ الجَليلِ النِّمْرَاوِىُّ الشافِعِىُّ**، كان فاضلًا بارعًا، وقد صحِب سَلَّار نائبَ مصرَ، وارتفَع فى الدنيا بسببِهِ.

ابنُ الرِّفْعَةِ[5]، هو الإمامُ العلَّامةُ نجمُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدٍ، شارحُ «التَّنْبِيهِ»، وله غيرُ ذلك، كان فقيهًا فاضلًا إمامًا فى علومٍ كثيرةٍ. رحِمَهم اللَّهُ تعالى.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: السلوك ٢/١/ ٩٤، والدرر الكامنة ٣/ ١٠، والدليل الشافى ٤٢٥/١ وفيه: «عبد الكريم بن حسن».

(٢) فى الأصل: «الأبكى»، وفى م: «الأبلى»، وفى ص: «الأبلى».

(٣) فى السلوك: «تاسع».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. وانظر ترجمته فى: السلوك ٢/١/ ٩٤، والدرر الكامنة ٢/ ٤٨١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥.

(٥) ذيول العبر ص ٥٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٦٠١، والدرر الكامنة ١/ ٣٠٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢.

ثم دخَلَت سنةُ إحْدى عشْرةَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت والحكّامُ هم المذْكورون فى التى قبلَها غيرَ الوزيرِ بمصرَ ، فإنَّه عُزِل ووَلِى سيفُ الدينِ بَكْتَمُر ، [١٠/١٥٢و] ووزيرُ دِمَشقَ النَّجمُ البُصْراوىُّ عُزِل أيضًا بعزِّ الدينِ بنِ القلانسىِّ ، وقد انتقَل الأفْرَمُ إلى نيابةِ طرابُلُسَ [2]بإشارةِ ابنِ تيميَّةَ على السلطانِ بذلك[2] ، ونائبُ حَماةَ المَلِكُ المؤيَّدُ عمادُ الدينِ إسماعيلُ على قاعِدَةِ أسلافِه فيها ، وقد مات نائبُ حَلَبَ أَسَنْدَمُر وهى شاغرةٌ عن نائبٍ ، وأَرْغُون الدَّوادَار الناصرىُّ قد وصَل إلى دِمَشْقَ لتسفيرِ قَرَاسُنْقُر منها إلى نيابةِ حَلَبَ ، وإحْضارِ الأميرِ سيفِ الدينِ كَرَاى إلى نيابةِ دِمَشقَ ، وغالبُ العساكرِ بحَلَبَ ، والأعرابُ محْدِقةٌ بأطرافِ البلادِ ، فخرَج قَرَاسُنْقُر المنصورىُّ مِن دِمَشْقَ فى ثالثِ المحرمِ بجميعِ حواصِلِه وحاشِيَتِه وأتباعِه ، وخرَج الجيشُ لتوديعِه ، وسار معه أَرْغُون لتقريرِه بحَلَبَ ، وجاء المرسومُ إلى نائبِ القلعةِ الأميرِ سيفِ الدينِ بَهَادُر السنجرىِّ أن يتكلَّمَ فى أُمورِ دِمَشقَ إلى أن يأتيَها نائبٌ ، فحضَر عندَه الوزيرُ والموقِّعون ، وباشَر النِّيابةَ [3]وقَويت شوكتُه[3] ، وقوِيت شوكةُ الوزيرِ إلى أن ولَّى ولاياتٍ عديدةً ، منها لابنِ أخيه عمادِ الدينِ نظرُ الأسْرَى[4] ، واستمَر فى يدِه ، وقدِم نائبُ السلطنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ كَرَاى المنصورىُّ إلى دِمَشقَ نائبًا عليها فى يومِ الخميسِ الحادى عشرينِ مِن المحرَّمِ ، فخرَج الناسُ لتلقِّيه وأُوقِدت الشُّموعُ ،

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٦٣، وكنز الدرر ٩/ ٢١٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٥٩، وتذكرة النبيه ٢/ ٣٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) فى م : « الأسرار » .

وأُعِيدت المقْصورةُ بالجامعِ إلى مكانِها [1]يومَ الأحدِ[1] رابعِ عشرين المحرَّمِ، وانفَرج الناسُ، ولبِس النجمُ البُصْراوىُّ خِلْعَةَ الإمرةِ يومَ الخميسِ ثالثَ عشَرَ صَفَرٍ على قاعدةِ الوُزراءِ بالطرحةِ، وركِب مع المقدَّمين الكبارِ وهو أميرُ عشَرةٍ بإقطاعٍ يُضاهى إقطاعاتِ كبارِ الطَّبْلَخاناه.

وفى يومِ الأربعاءِ سابعَ عشَرَ ربيعِ الأوَّلِ جلَس القضاةُ الأربعةُ بالجامعِ؛ لإنفاذِ أمرِ الشهودِ بسببِ تزويرٍ وقَع مِن بعضِهم، فاطَّلع عليه نائبُ السلطنةِ فغضِب، وأمَر بذلك، فلم يكنْ منه كبيرُ شىءٍ، ولم يتغيَّرْ حالٌ. وفى هذا اليومِ ولِى الشريفُ نقيبُ الأشرافِ أمينُ الدينِ جعفرُ بنُ [2]محمدِ بنِ[2] عدنانِ نظرَ الدواوينِ، عوضًا عن شهابِ الدينِ بنِ[3] الواسطىِّ، وأُعيد تقىُّ الدينِ بنُ الزَّكىِّ إلى مشيخةِ الشيوخِ.

وفى هذا الشهرِ وَلِى ابنُ جَماعةَ تَدريسَ الناصريةِ بالقاهرةِ، وضياءُ الدينِ النشائىُّ[4] تدريسَ الشافعىِّ، والميعادَ العامَّ بجامعِ طُولُون، ونظرَ الأحباسِ أيضًا. ووَلِى الوِزارةَ بمِصرَ أمينُ الملكِ أبو سعيدٍ[5] عوضًا عن الأميرِ سيفِ الدينِ بَكْتَمُر الحاجبِ فى ربيعِ الآخِرِ.

وفى هذا الشهرِ احْتِيط على الوزيرِ عزِّ الدينِ بنِ القلانسىِّ بدِمَشقَ، ورُسِم عليه مدةَ شَهْرين، وكان نائبُ السلطنةِ كثيرَ الحَنَقِ عليه، ثم أُفْرج عنه، وأُعيدَ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «محيى الدين». ومحيى الدين كنية أبيه محمد لا جده عدنان. انظر ذيول العبر ص ٧٨، والدرر الكامنة ٢/ ٧٤.

(٣) سقط من الأصل، م. وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٤.

(٤) فى النسخ: «النسائى». وانظر صفحة ٨٠.

(٥) فى الأصل: «معيد». وانظر ذيول العبر ص ٥٧.

بدرُ الدينِ بنُ جَماعةَ إلى الحكمِ بديارِ مصرَ فى حادى عشرين[1] ربيعِ الآخِرِ، مع تدريسِ دارِ الحديثِ الكامِليَّةِ وجامِعِ طُولون والصالحيَّةِ والناصريَّةِ، وحصَل[2] له إقبالٌ [١٠/١٥٢ظ] كثيرٌ مِن السلطانِ، واستقَر جمالُ الدينِ الزُّرَعىُّ على قَضاءِ العسكرِ وتدريسِ جامعِ الحاكمِ، ورُسِم له أن يَجلِسَ مع القضاةِ بينَ الحنفىِّ والحنبلىِّ بدارِ العدلِ عندَ السلطانِ.

وفى مستهَلِّ جُمادَى الأُولَى أشْهد القاضى نجمُ الدينِ الدِّمَشْقىُّ نائبُ ابنِ صَصْرَى على نفسِه بالحكمِ ببطلانِ البيعِ فى المِلكِ الذى اشْتراه ابنُ القلانسىِّ مِن تَرِكةِ المنصورِ فى الرمثا[3] والتوجةِ[4] والفضاليةِ[5]؛ لكونِه بدونِ ثمنِ المثلِ، ونفَّذه بقيةُ الحكّامِ، وأُحضِر ابنُ القلانسىِّ إلى دارِ السعادةِ وادَّعى عليه برَيعِ ذلك، ورُسِم عليه بها، ثم حكَم قاضى القضاةِ تقىُّ الدينِ الحنبلىُّ بصحةِ هذا البيعِ وبنقضِ ما حكَم به الدمشقىُّ، ثم نفَّذ بقيةُ الحكامِ ما حكَم به الحنبلىُّ.

وفى هذا الشهرِ قُرِّر على أهلِ دِمَشقَ ألفٌ وخمسُمائةِ فارسٍ، لكلِّ فارسٍ خمسُمائةِ درهمٍ، وضُرِبت على الأملاكِ والأوقافِ، فتألَّم الناسُ مِن ذلك تألُّمًا عظيمًا، وسعَوْا إلى الخطيبِ جلالِ الدينِ فسَعى إلى القضاةِ، واجتمَع الناسُ بُكرةَ يومِ الاثنينِ ثالثَ عشَرَ الشهرِ، [6]واختلَفوا فى الاجتماعِ[6]، وأخْرجوا معهم

---

(١) فى م: «عشر». وانظر السلوك ٢/١/١٠١.

(٢) فى م: «جعل».

(٣) فى ص: «الدمنا».

(٤) فى م: «الثوجة»، وفى ص: «السوخة».

(٥) فى م: «الفصالية».

(٦ - ٦) فى م: «احتفلوا بالاجتماع»، وفى ص: «احتفلوا فى الاجتماع».

المصحفَ العثمانيَّ والأثرَ النبويَّ والسناجقَ الخَلِيفتيَّةَ ، ووقَفوا فى الموكبِ ، فلمّا رَآهم النائبُ تَغيَّظ عليهم وشتَم القاضىَ والخطيبَ ، وضرَب مجدَ الدينِ التُّونسىَّ ، ورسَم عليهم ، ثم أطلَقهم بضمانٍ وكفالةٍ ، فتألَّم الناسُ مِن ذلك كثيرًا ، فلم يُمْهِلْه اللَّهُ إلَّا عشَرةَ أيامٍ ، فجاءَه الأمرُ فجأةً ، فعُزِل وحُبِس ، ففرِح الناسُ بذلك فرحًا شديدًا ، ويقالُ : إنَّ الشيخَ تقىَّ الدينِ لمَّا بلَغه ذلك الخبرُ عن أهلِ الشامِ فأخبرَ السلطانَ بذلك ، فبَعث مِن فورِه فمسَكه شرَّ مِسْكةٍ . وصفةُ مسكِه أنَّه قدِم الأميرُ سيفُ الدينِ أَرْغُون الدَّوَادَار[1] فنزَل القصرَ ، فلمّا كان يومُ الخميسِ الثالث والعشرين مِن جُمادَى الأُولى خَلَع على الأميرِ سيفِ الدينِ كَراى خِلعةً سنيَّةً ، فلبِسها وقبَّل العتَبةَ ، وحضَر المؤكبَ ومدَّ السِّماطَ ، فقيَّده بحضرةِ الأُمراءِ ، وحُمل على البريدِ إلى الكَرَكِ صحبةَ غُرْلُو العادلىِّ وبَيبَرْس المجنونِ ، وخرَج عزُّ الدينِ بنُ[2] القلانسىِّ مِن الترسيمِ مِن دارِ السعادةِ ، فصلَّى فى الجامعِ الظهرَ ، ثم عاد إلى دارِه وقد أُوقِدت له الشُّموعُ ودَعا له الناسُ ، ثم رجَع إلى دارِ الحديثِ الأشرفيةِ فجَلَس فيها نحوًا مِن عشرين يومًا ، حتى قدِم الأميرُ جمالُ الدينِ نائبُ الكَرَكِ .

وفى هذا الشهرِ مُسِك نائبُ صَفَدَ الأميرُ سيفُ الدينِ قُطْلُوبَك ، [3]وقُيِّد وحُمِل إلى الكَرَكِ أيضًا ، ومُسِك نائبُ مِصرَ سيفُ[3] الدينِ بَكْتَمُر أميرُ جانْدار[4] ، وعُوِّض عنه بالكَرَكِ بَيبَرْس الدَّوادار المنصوريُّ ، ومُسِك نائبُ غزَّةَ ،

---

(١) فى ص : « الدويدار » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .
(٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى الأصل ، م : « خزندار » .

وعُوِّض عنه بالجاوِلِىِّ ، فاجْتَمع فى حبسِ الكَرَكِ أَسَنْدَمُر نائبُ حَلَبَ ، وبَكْتَمُر نائبُ مِصرَ ، وكَراى نائبُ دِمَشْقَ ، وقُطْلُوبَك نائبُ صَفَدَ ، وقُطْلُقْتَمُر[1] نائبُ غزَّةَ ، وبَتْخاص[2] ، وقدِم جمالُ الدينِ آقُوش المنصورىُّ [١٠/١٥٣و] الذى يقالُ له : نائبُ الكَرَكِ . على نِيابةِ دِمَشقَ فى يومِ الأربعاءِ رابعَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ ، وتلقّاه الناسُ ، وأُشْعلت له الشُّموعُ ، وفى صحبتِه الحَظِيرِىُّ[3] ليُقرِّرَه فى النيابةِ ، وقد باشَر نِيابةَ الكَرَكِ مِن سنةِ تِسعين وستِّمائةٍ إلى سنةِ تِسعٍ وسبعِمائةٍ ، وله بها آثارٌ حسنةٌ ، وخرَج عزُّ الدينِ بنُ القَلَانِسىِّ لتلقِّى النائبِ ، وقُرِئ يومَ الجُمُعةِ بعد الصلاةِ كتابُ السلطانِ على السُّدَّةِ[4] بحضرةِ النائبِ والقُضاةِ والأعْيانِ ، وفيه الأمرُ بالإحسانِ إلى الرعيَّةِ ، وإطلاقُ البواقى[5] التى كانت قد فُرِضت عليهم أيامَ كَراى ، فكثُرت الأدعيةُ للسلطانِ ، وفرِح الناسُ .

وفى يومِ الاثنينِ تاسعَ عشَرِه خُلِع على الأميرِ سيفِ الدينِ بَهادُرآص بنِيابةِ صَفَدَ ، فقبَّل العتَبةَ وسار إليها يومَ الثلاثاءِ . وفيه لبِس الصدرُ بدرُ الدينِ بنُ أبى الفوارسِ خِلْعَةَ نظرِالدواوينِ بدِمَشقَ ، مشاركًا للشريفِ ابنِ عَدْنانَ ، وبعدَ ذلك بيَوْمَيْن قدِم تقليدُ عزِّ الدينِ بنِ القَلَانِسىِّ وَكالةَ السلطانِ على ما كان عليه ، وأنَّه أُعْفى من الوِزارةِ لكراهتِه لذلك . وفى رَجَبٍ باشَر تقىُّ الدينِ بنُ السَّلْعوسِ نظرَ

---

(١) فى الأصل : « فطلتم » ، وفى م : « قلطتمز » ، وفى ص : « قطلقتم » . والمثبت من الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٥، وانظر السلوك ٢/١/ ١٠١.

(٢) فى م : « بنحاص » . وسيأتى فى وفيات هذه السنة .

(٣) فى الأصل ، م : « الخطيرى » .

(٤) السدة : ما حول المسجد من الرواق . تاج العروس (س د د) .

(٥) البواقى : ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٣٩٩.

الأوقافِ عوضًا عن شمسِ الدينِ غِبْرِيالَ[1] .

وفى شعبانَ ركِب نائبُ السلطنةِ بنفسِه إلى أبوابِ السُّجونِ ، فأطلَق المحْبوسين بنفسِه ، فتَضاعفت له الأدعيةُ فى الأسواقِ وغيرِها . وفى هذا اليومِ قدِم الصاحبُ عزُّ الدينِ بنُ القَلَانِسىِّ مِن مِصرَ فاجتَمع بالنائبِ وخلَع عليه ، ومعه كتابٌ يتضمَّنُ احترامَه وإكرامَه واستِمرارَه على وَكالةِ السلطانِ ونظرِ الخاصِّ ، والإنكارَ لما ثبَت عليه بدِمَشقَ ، وأنَّ السلطانَ لم يعلَمْ بذلك ولا وكَّل فيه ، وكان المساعدُ له على ذلك كريمَ الدينِ ناظرَ الخاصِّ السلطانىِّ ، والأميرَ سيفَ الدينِ أَرْغُون الدَّوَادَار . وفى شعبانَ منَع ابنُ صَصْرَى الشهودَ والعقّادَ مِن جهتِه ، وامتَنع غيرُه أيضًا ، وردَّهم المالكىُّ .

وفى رمضانَ جاء البريدُ بتوليةِ الأميرِ زينِ الدينِ كَتْبُغا المنصورىِّ حجوبيةَ الحُجابِ ، والأميرِ بدرِ الدينِ بَكْتُوت[2] القَرَمانىِّ[3] شدَّ الدواوِينِ عوضًا عن طُوغان ، وخُلِع عليهما معًا . وفيها ركِب بَهادُر السنجرىُّ نائبُ قلعةِ دِمَشْقَ على البريدِ إلى مصرَ ، وتولَّاها سيفُ الدينِ بَلَبان البَدْرىُّ ، ثم عاد السنجرىُّ فى آخرِ الشهرِ[4] على نِيابةِ البِيرَةِ فسار إليها . وجاء الخبرُ [5]فى آخِر رمضانَ[5] بأنَّه قد احتِيط على جماعةٍ مِن قُضاةِ[6] المسلمين ببغدادَ ، فقُتِل منهم ابنُ[7] العُقابِ ،

---

(١) فى الأصل : « غربال » ، وفى م : « عدنان » ، وفى ص : « بن غربال » . وانظر السلوك ٢/١/ ١١١ .
(٢) فى م : « ملتوبات » . وفى ص : « بكتون » . وانظر الدرر الكامنة ٢/٢٢ .
(٣) فى ص : « القريانى » .
(٤) فى م : « النهار » .
(٥ - ٥) سقط من : م .
(٦) فى الأصل ، م : « قصاد » .
(٧) سقط من : ص .

(١ وابنُ البَدْرِ ١) ، وتخلَّص عبيدةُ وجاء سالمًا .

وخرَج المحْمَلُ فى شوَّالٍ وأميرُ الحاجِّ الأميرُ علاءُ الدينِ طَيْبُغا أخو بَهادُرآص .

وفى عاشرِ ذى القَعْدَةِ جاء الخبرُ بأنَّ الأميرَ قَرَاسُنْقُر رجَع مِن طريقِ الحجازِ بعدَ أن وصَل إلى بِرْكَةِ زَيْزاءَ (٢) ، وأنَّه لحِق بمُهَنَّا بنِ عيسى ، فاسْتجار به خائفًا على نفسِه ، ومعه جماعةٌ مِن خواصِّه ، [١٠/١٥٣ظ] ثم سار مِن هناك إلى التترِ بعدَ ذلك كلِّه ، وصحِبه الأفْرَمُ والزَّرَدْكاش (٣) .

وفى العشرينَ مِن ذى القَعْدَةِ وصَل الأميرُ سيفُ الدينِ (٤) أَرْغُون فى خمسةِ آلافٍ إلى دِمَشقَ ، ثم توجَّهوا إلى ناحيةِ حِمْصَ وتلك النواحى . وفى سابعِ ذى الحِجَّةِ وصَل الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشِىِّ مِن مِصرَ مستمِرًّا على وَكالةِ بيتِ المالِ ، ومعه توقيعٌ بقَضاءِ العسكرِ الشامىِّ ، وخُلِع عليه يومَ عرفةَ . وفى هذا اليومِ وصَل ثلاثةُ آلافٍ عليهم سيفُ الدينِ قُلِّى (٥) مِن الديارِ المصريَّةِ ، فتوجَّهوا وراءَ أصحابِهم إلى البلادِ الشماليةِ (٦) .

وفى آخرِ الشهرِ وصَل شهابُ الدينِ الكاشْغَرِىُّ (٧) الشريفُ مِن القاهرةِ ومعه توقيعٌ بمشيخةِ الشيوخِ ، فنزَل الخانَقاه وباشَرها بحضْرةِ القضاةِ والأعيانِ ،

(١ - ١) فى الأصل : « وابن البدرى » ، وفى ص : « وضوء البدوى » .

(٢) فى م : « زيرا » . وزيزاء : من قرى البلقاء ، كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق ، وفيها بركة عظيمة . معجم البلدان ٢/ ٩٦٦.

(٣) هو الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش ، والزردكاش : الصانع الذى يعمل فى السلاح خاناه ، فى صنع السلاح وإصلاحه وتجديده . صبح الأعشى ٤/ ١٢، وسيأتى ذكره فى صفحة ١٢٠.

(٤) بعده فى الأصل : « بن » .

(٥) فى الأصل ، م : « ملى » . وانظر النجوم الزاهرة ٩/ ٣٩، ٢٤١.

(٦) فى ص : « الشامية » .

(٧) فى م : « الكاشنغرى » . وانظر السلوك ٢/١/ ١٦١. وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة .

وانفصَل ابنُ الزَّكىِّ عنها . وفيها باشَر الصدرُ علاءُ الدينِ بنُ تاجِ الدينِ ابنِ الأثيرِ كتابَةَ السرِّ بمصرَ ، وعُزِل عنها شرفُ الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ إلى كِتابةِ السِّرِّ بدِمَشقَ عِوَضًا عن أخيه مُحْيى الدينِ ، واستمَرَّ محيى الدينِ على كِتابةِ الدَّسْتِ[1] بمعلومِه أيضًا . واللَّهُ أعلمُ .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

الشيخُ الرئيسُ بدرُ الدينِ محمدُ بنُ رئيسِ الأطباءِ أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ طَرْخانَ الأنصاريُّ[2] ، مِن سُلالةِ سعدِ بنِ معاذٍ ، السُّوَيْدِىِّ ، مِن سُوَيْداءِ حَوْرانَ[3] ، سمِع الحديثَ وبرَع فى الطبِّ ، تُوفِّى فى ربيعٍ الأوَّلِ ببُستانِه بقُرْبِ الشِّبْلِيَّةِ ، ودُفِنَ فى تربةٍ له فى قُبَّةٍ فيها عن سبْعين[4] سنةً .

الشيخُ شعبانُ بنُ أبى بكرٍ محمدِ[5] **بنِ عمرَ الإرْبِلىُّ** ، شيخُ الحلبيةِ بجامع بنى أُميةَ ، كان صالحًا مبارَكًا ، فيه خيرٌ كثيرٌ ، كان كثيرَ العبادةِ وإيجادِ الراحةِ للفقراءِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً جدًّا ، صُلِّى عليه بالجامعِ بعدَ ظهرِ يومِ السبتِ تاسع عشرين رَجَبٍ ، ودُفِن بالصُّوفيةِ وله سبعٌ وثمانون سنةً ، وروَى شيئًا مِن الحديثِ ، وخُرِّجَتْ له مشيخةٌ حضَرها الأكابرُ .

---

(١) كتّاب الدست : هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل فى المواكب على ترتيب منازلهم بالقُدمة ، ويقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر . صبح الأعشى ١/ ١٣٧.

(٢) الدرر الكامنة ٣/ ٣٠٨، والدارس ١/ ٥٣٦.

(٣) سويداء حوران : قرية من نواحى دمشق . معجم البلدان ٣/ ١٩٧.

(٤) فى م : « ستين » .

(٥) سقط من : الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٦٢، والدرر الكامنة ٢/ ٢٨٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦، والدارس ١/ ٤٨٧.

(١ وقبلَه بيومٍ تُوفِّى **الشيخُ العريانُ**[٢] ، **ونائبُ إسكندريةَ بَكْتُوت** أميرُ شِكَار[٣] ١) .

الشيخُ ناصرُ الدينِ[٤] **يحيى بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ العثمانىُّ** ، خادمُ المصحفِ العثمانىِّ نحوًا مِن ثلاثِين سنةً ، وصُلِّى عليه بعدَ الجمُعةِ رابعِ[٥] رمضانَ ، ودُفِن بالصوفيَّةِ ، وكان لنائبِ السلطنةِ الأفْرَمِ فيه اعْتقادٌ ، ووصَله[٦] منه افْتقادٌ[٧] ، وبلَغ خمسًا وستين سنةً .

الشيخُ الصالحُ الجليلُ القدوةُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ القدوةِ إبراهيمَ ابنِ الشيخِ عبدِ اللَّهِ الأُرْمَوِىُّ[٨] ، تُوفِّى فى العشرينَ مِن رمضانَ بسفحِ قاسِيُون ، وحضَر الأُمراءُ والقضاةُ والصدورُ جِنازتَه ، وصُلِّى عليه بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، ثم دُفِن عندَ والدِه ، وغُلق يومئذٍ سوقُ الصالحيَّةِ ، وكانت له وَجاهةٌ عندَ الناسِ وشفاعةٌ مقبولةٌ ، وكان عندَه فضيلةٌ ، وفيه تودُّدٌ ، وجمَع أجزاءً فى أخبارٍ جيدةٍ ، وسمِع الحديثَ وقاربَ السبعِين[٩] ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) زيادة من : ص .

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) أمير شكار : أمير الصيد ، وهو لقب على الذى يتحدث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد . صبح الأعشى ٥/ ٤٦١ .

وانظر ترجمة بكتوت هذا فى : السلوك ٢/١/ ١١١ ، والدرر الكامنة ٢/ ٢٢ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٧ . وفى السلوك أنه توفى فى ثامن عشر ، وفى عقد الجمان - كما فى حاشية النجوم - ثانى عشر ، وفى النجوم ثامن الشهر .

(٤) بعده فى ص : « محمد بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٥) فى م : « سابع » .

(٦) فى ص : « فضله » .

(٧) فى ص : « انتقاد » .

(٨) فى م : « الأموى » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/ ٣٧٣ .

(٩) فى ص : « التسعين » .

ابنُ الوحيدِ الكاتبُ[1] ، هو الصدرُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ شريفِ بنِ يوسُفَ [١٠/١٥٤و] الزُّرَعِيُّ ، المعروفُ بابنِ الوحيدِ ، كان مُوَقِّعًا بالقاهرةِ ، وله معرفةٌ بالإنشاءِ ، وبلَغ الغايةَ فى الكِتابةِ فى زمانِه ، وانتفَع الناسُ به ، وكان فاضلًا مِقْدامًا شجاعًا ، تُوفِّى بالمارَسْتانِ المنصوريِّ بمصرَ [2]يومَ الثلاثاءِ[2] سادسَ عَشَرَ[3] شعبانَ[4] .

الأميرُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ عمادِ الدينِ حسنِ بنِ النَّسائيِّ[5] ، أحدُ أُمراءِ الطَّبْلَخاناه ، وهو حاكمُ البُنْدُقِ[6] ، وَلِى ذلك بعدَ سيفِ الدينِ بَلَبان ، تُوفِّى فى العشرِ[7] الأخيرِ مِن رمضانَ .

التميميُّ الداريُّ[8] ، تُوفِّى يومَ عيدِ الفطرِ ، ودُفن بالقَرافةِ الصغرَى ، وقد ولِى الوِزارةَ بمصرَ ، وكان خبيرًا كافيًا ، ومات معزولًا ، وقد سمِع الحديثَ وسمِع عليه بعضُ الطلبةِ .

---

(١) ذيول العبر ص ٦٢، والوافى بالوفيات ٣/ ١٥٠، وفوات الوفيات ٣/ ٣٩٠، والدرر الكامنة ٤/ ٧٣، والدليل الشافى ٢/ ٦٢٧.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) سقط من: ص. وفى النجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٠: «سادس عشرين». والمثبت موافق لما فى السلوك ٢/١/ ١١٣.

(٤) فى الأصل، م: «شوال». وانظر شذرات ٦/ ٢٧.

(٥) فى ص: «الشيبانى». وفى الدرر الكامنة ٤/ ٤٦: «النسابى».

(٦) البندق: كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص، يستخدمها الرماة فى تطيير الحمام. كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٣٩٨.

(٧) فى م: «العشرين».

(٨) هو ابن الخليلى الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز. انظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٥٨، والسلوك ٢/١/ ١١٣، والدرر الكامنة ٣/ ٢٤٦، والدليل الشافى ١/ ٥٠٠، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨.

وفى ذى القَعْدَةِ جاء الخبرُ إلى دِمَشقَ بوفاةِ **الأميرِ الكبيرِ أَسَنْدَمُر**[1] ، **وبَتْخاص**[2] فى السِّجنِ بقلعةِ الكَرَكِ .

القاضى الإمامُ العلامةُ الحافظُ سعدُ الدينِ مسعودٌ الحارثىُّ الحنبلىُّ[3] ، الحاكمُ بمِصرَ ، سمِع الحديثَ ، وجمَع وخرَّج وصنَّف ، وكانت له يَدٌ طُولَى فى هذه الصناعةِ فى[4] الأسانِيدِ والمُتونِ ، وشَرَح قِطْعَةً مِن « سُنَنِ أبى داودَ » فأجاد وأفاد ، وأحْسَن الانتقادَ[5] .

---

(١) ذيول العبر ص ٦٤، والوافى بالوفيات ٩/ ٢٤٨، والسلوك ٢/١/١٦٨ (وفيات سنة ٧١٦) ، والدرر الكامنة ١/٤١٤ (وفى إحدى نسخه سنة ٧٢١) ، والدليل الشافى ١/ ١٣٢.

(٢) ذيول العبر ص ٦٤، والدرر الكامنة ٢/ ٥، والدليل الشافى ١/ ١٨٢.

(٣) ذيول العبر ص ٦٤، ودول الإسلام ٢/ ١١٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٢، والدرر الكامنة ٥/ ١١٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨.

(٤) فى الأصل ، م : « و » .

(٥) فى م : « الإسناد » ، وفى ص : « الانتقاء » .

وجاء فى الأصل بعد ذلك زيادة كبيرة من منتصف صفحة [١٥٤و] إلى منتصف صفحة [١٥٥و] من كلام ابن عبد الهادى فى ترجمته لابن تيمية .

ثم دخَلَت سنةُ اثْنَتَى عَشْرَةَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّت والحُكامُ هم المَذْكُورون فى التى قبلَها . وفى خامِسِ المُحَرَّمِ تَوَجَّه الأميرُ عِزُّ الدينِ أَيْدَمُر[2] الزَّرَدْكاش وأمِيرانِ معه إلى الأفْرَمِ ، وسارُوا بأجْمعِهم حتى لَحِقوا بقَراسُنْقُر وهو عندَ مُهَنّا ، وكاتَبُوا السُّلطانَ ، [3]ثم سارُوا نحوَ التتارِ[3] ، فكانوا كالمُسْتَجِيرِينَ مِن الرَّمْضاءِ بالنَّارِ ، وجاء البَريدُ [4]فى صَفَرٍ[4] بالاحْتِياطِ على حواصِلِ الأفْرَمِ وقَراسُنْقُر والزَّرَدْكاش وجميعِ ما يتَعَلَّقُ بهم ، وقَطْعِ خُبْزِ[5] مُهَنَّا وجَعْلِ مَكانَه فى الإمْرَةِ أخاه محمدًا ، وعادتِ العَساكِرُ صُحْبَةَ أرْغُون مِن البِلادِ الشَّماليَّةِ ، وقد حصَل للنّاسِ مِن قَراسُنْقُر وأصْحابِه هَمٌّ وغَمٌّ وحُزْنٌ . وقَدِم سَوْدِى مِن مصرَ على نيابةِ حلَبَ فاجتَاز بدمشقَ ، فخرَج النائبُ[6] والجيشُ لتَلقِّيه ، وحضَر السِّماطُ ، وقُرِئَ مَرسومُ السلطانِ بطَلبِ الأميرِ جمالِ الدينِ نائبِ دمشقَ إلى مصرَ ، فركِب مِن ساعتِه على البَريدِ إلى مصرَ ، وتكلَّم فى [7]نيابةِ الغَيْبَةِ قَرَالاچين[7] نيابَتِه لغَيْبَةِ لاچين . وطُلِبَ فى هذا اليومِ قُطْبُ الدينِ مُوسَى بنُ[8]

---

(١) كنز الدرر ٩/ ٢٤٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٦١، وتذكرة النبيه ٢/ ٤٥، والسلوك ٢/١/ ١١٤.

(٢) فى الأصل، م: «أزدمر».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى ص: «من مصر».

(٥) فى الأصل: «خبر». والخبز وجمعه أخباز: إقطاع من الأرض، فيقال: أخباز الأجناد. أى إقطاعاتهم. كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤١٢ نقلا عن (Dozy).

(٦) فى م: «الناس».

(٧ - ٧) فى م: «نيابة لغيبة لاچين».

(٨) سقط من: م. وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

شيخِ السَّلَامِيَّةِ ناظِرُ الجيشِ إلى مصرَ، فركِب من آخرِ النّهارِ وسار إليها، فتولَّى بها نظَرَ الجيوشِ عِوضًا عن فخرِ الدينِ الكاتبِ كاتبِ المماليكِ، بحُكْمِ عَزْلِه ومُصَادَرَتِه وأخْذِ أموالِه الكثيرةِ مِنه فى عاشرِ ربيعِ الأوَّلِ.

وفى الحادِى عَشَرَ منه باشَر الحُكْمَ للحنابِلَةِ بمصرَ القاضى تَقِيُّ الدينِ أحمدُ ابنُ[1] المعزِّ[2] عمرَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ عوضٍ المَقْدِسيُّ، وهو ابنُ بنتِ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ العمادِ أوَّلِ قُضاةِ الحنابلةِ. وقدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ تَمُر على نيابةِ طَرابُلُسَ عِوضًا عن الأفْرَمِ بحكمِ هرَبِه إلى التَّتَرِ.

وفى ربيعِ الآخرِ مُسِكَ بَيبَرس العلائِيُّ نائبُ حِمْصَ، وبَيبَرس المجنُونُ، وطُوغَان وجماعةٌ آخرون [١٠/١٥٤ظ] مِن الأُمَراءِ، ستَّةٌ فى نهارٍ واحدٍ، وسُيِّرُوا إلى الكَرَكِ مُعْتقلِينَ بها. وفيه مُسِكَ نائبُ مصرَ الأميرُ ركنُ الدينِ بَيبَرَسُ الدَّوَادار[3] المنصُورِيُّ، ووَلِيَ بعدَه أرْغُون الدَّوادار، ومُسِكَ نائبُ الشامِ جمالُ الدينِ نائبُ الكَرَكِ، وشمسُ الدينِ سُنْقُر الكَمالِيُّ حاجبُ الحُجَّابِ بمصرَ، وخمسةُ أمراءَ آخرون، وحُبِسُوا كلُّهم بقلعةِ الكَرَكِ فى بُرْجٍ هناك. وفيه وقَع حريقٌ داخِلَ بابِ السَّلامةِ[4]، احْتَرقَ فيه دُورٌ كثيرةٌ، منها دارُ ابنِ أبى الفَوارِسِ، ودارُ الشَّريفِ القبانيِّ[5].

---

(١) سقط من: ص. وانظر الدرر الكامنة ١/ ٢٣٩.

(٢) فى الأصل: «العز».

(٣) فى ص: «الدويدار».

(٤) فى م: «السلامية».

(٥) فى ص: «العتابى».

نيابةُ تَنْكِز على الشامِ

فى يومِ الخميسِ العشرينَ مِن ربيعِ الآخِرِ دخَل الأميرُ سيفُ الدينِ تَنْكِز بنُ عبدِ اللَّهِ المالِكىُّ النّاصِرىُّ نائبًا على دمشقَ، بعدَ مَسْكِ نائبِ الكَرَكِ، ومعه جماعةٌ مِن مماليكِ السُّلطانِ؛ منهم الحاجُّ أَرُقْطَاى، على خُبْزِ بَيْبَرْس العلائىِّ، وخرَج الناسُ لتلَقِّيه، وفرِحُوا به كثيرًا، ونزَل بدارِ السّعادةِ، ووقَع عندَ قُدومِه مَطرٌ[1] عَظِيمٌ، وكان ذلك اليومُ يومَ الرابعِ والعشرينَ مِن آبٍ، وحضَر يومَ الجُمُعةِ الخُطْبَةَ بالمقصُورَةِ، وأُشْعِلتْ له الشُّموعُ فى طريقِه. وجاء توقيعٌ لابنِ صَصْرَى بإعادَةِ قَضَاءِ العَسْكَرِ إليه، وأنْ يَنْظُرَ الأَوْقافَ فلا يُشارِكَه أحدٌ فى الاستِنَابَةِ فى البلادِ الشّاميَّةِ على عادةِ مَن تقَدَّمَه مِن قُضاةِ الشافعيَّةِ. وجاء مَرْسُومٌ لشمسِ الدينِ أبى طالبِ بنِ حُمَيْدٍ بنَظرِ الجيشِ عِوضًا عن ابنِ شيخِ السَّلَاميّةِ بحكمِ إقامتِه بمصرَ، ثم بعدَ أيامٍ وصَل الصَّدْرُ معينُ[2] الدينِ هبةُ اللَّهِ بنُ حَشِيشٍ[3] ناظرُ الجيشِ، وجُعِلَ ابنُ حُمَيْدٍ فى وظِيفةِ ابنِ البَدْرِ[4]، وسافر ابنُ البَدْرِ[4] على نظرِ جيشِ طَرابُلُسَ، وتَولَّى أَرْغُون نيابةَ مصرَ، وعاد فخرُ الدينِ كاتبُ المماليكِ إلى وظيفَتِه مع استِمْرارِ قُطْبِ الدينِ بنِ شيخِ السَّلَاميَّةِ أيضًا مُبَاشِرًا معه.

---

(١) فى م: «مصر فرح».

(٢) فى الأصل: «شمس». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

(٣) فى م: «خشيش».

(٤) فى ص: «المنذر».

وفى هذا الشهرِ قام الشيخُ محمدُ بنُ قَوَامٍ وجماعةٌ من الصالحين على ابنِ زهرةَ[1] المغربيِّ الذى كان يتكَلَّمُ بالكَلَّاسةِ، وكتَبوا عليهِ محاضِرَ تَتضمَّنُ استِهانَتَه بالمُصْحَفِ، وأنَّه يتكلَّمُ فى أهلِ العلمِ، فأُحضِرَ إلى دارِ العدلِ فاستَسْلم وحُقِنَ دَمُه، وعُزِّر تعْزِيرًا بَليغًا عَنِيفًا، وطِيفَ به فى البَلدِ باطِنِه وظاهِرِه وهو مَكْشُوفُ الرَّأْسِ ووَجْهُه مَقْلُوبٌ وظَهْرُه مَضْرُوبٌ، يُنادَى عليه: هذا جزاءُ من يتكلَّمُ فى العلمِ بغيرِ مَعْرِفَةٍ. ثم حُبِسَ وأُطْلِقَ، فهرَب إلى القاهرةِ، ثم عاد على البريدِ فى شعبانَ، ورجَع إلى ما كان عليه.

وفيه[2] قَدِمَ بَهادُرآص مِن نيابةِ صَفَدَ إلى دمشقَ وهنَّأَه النّاسُ. وفيه[2] قَدِم كتابٌ مِن السُّلطانِ إلى دمشقَ أنْ لا يُوَلَّى أحدٌ بمالٍ ولا برِشْوَةٍ؛ فإنّ ذلك يُفْضِى إلى ولايَةِ مَن لا يسْتَحِقُّ الولايةَ، وإلى ولايَةِ غيرِ الأهْلِ، فقرَأَه ابنُ الزَّمْلَكَانِيِّ على السُّدَّةِ، وبلَّغَه عنه ابنُ صَبيحٍ[3] المُؤَذِّنُ، وكان سبَبُ ذلك الشيخَ تَقِيَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ، رحِمَه اللَّهُ.

وفى رَجَبٍ وشَعْبانَ حصَل للنّاسِ خوفٌ بدمَشْقَ بسبَبِ أنَّ التَّتَرَ قد تحرَّكُوا للمجِيءِ إلى الشامِ، فانزَعجَ النّاسُ مِن ذلك وخَافُوا، وتحوَّل[4] كثيرٌ مِنهم إلى البلدِ، وازْدَحَموا فى الأبْوابِ، وذلك فى شهرِ رمضانَ، وكَثُرَتِ الأراجِيفُ بأنهم قَد وصَلوا إلى الرَّحْبَةِ، وكذلك جرَى، واشْتَهَر أنَّ ذلك بإشارَةِ قَراسُنْقُر وذوِيهِ، فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى الأصل: «نهرة».
(٢) فى م: «فيها».
(٣) فى الأصل: «صبح»، وفى م: «حبيب». وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة.
(٤) فى م: «تجول».

[١٥٦/١٠و] وفى رمضانَ جاء كتابُ السُّلطانِ أنَّ مَن قَتَلَ لا يَجْنِى أحَدٌ عليه، بل يُتَّبَعُ القاتِلُ حتى يُقْتَصَّ مِنه بحُكمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ، فقرَأه ابنُ الزَّمْلَكانِىِّ على السُّدَّةِ بحَضْرَةِ نائبِ السَّلطَنَةِ[1] تَنْكِز، وسببُه ابنُ تَيْمِيَّةَ، هو أمَر بذلك وبالكتابِ الأوَّلِ قبلَه.

وفى أوَّلِ رمضانَ وصَل التَّتَرُ إلى الرَّحْبَةِ فحاصرُوها عِشْرِينَ يومًا، وقاتَلَهم نائِبُها الأميرُ بَدْرُ الدينِ مُوسَى الأُزْكُشِىُّ[2] خمسةَ أيامٍ قتالًا عظيمًا، ومنَعهم منها، فأشَار رشيدُ الدولةِ بأن ينْزِلوا إلى خِدْمَةِ السُّلطانِ خَرْبَنْدَا ويُهْدُوا له هَدِيَّةً ويطلُبوا منه العفوَ، فنزَل القاضى نجمُ الدينِ إسْحاقُ وجَماعةٌ، وأهْدَوْا له خَمْسةَ رءُوسِ خَيْلٍ، وعَشَرةَ أبالِيجَ سُكَّرٍ، فقَبِلَ ذلك ورجَع إلى بلادِه، وكانت بلادُ حَلَبَ وحَمَاةَ وحِمْصَ قد أُجْلُوا مِنها وخَرِبَ أكثرُها، ثم رجَعُوا إليها لمّا تحقَّقُوا رُجُوعَ التَّتَرِ عن الرَّحْبَةِ، وطابَتِ الأخْبارُ، وسكَنَتِ النُّفوسُ، ودقَّتِ البَشائرُ، وترَكَتِ الأئِمَّةُ القُنُوتَ، وخطَبَ الخطِيبُ يومَ العيدِ وذكَّر النّاسَ بهذه النِّعْمَةِ. وكان سبَبُ رُجُوعِ التَّتَرِ قلَّةَ العَلَفِ وغَلاءَ الأسْعارِ وموتَ كثيرٍ مِنهم، وأشارَ على سلطَانِهم بالرُّجُوعِ الرَّشِيدُ وجُوبان.

وفى ثامنِ شوَّالٍ دقَّتِ البشائرُ بدمَشْقَ بسببِ خروج السُّلطانِ مِن مصرَ لأجْلِ مُلاقَاةِ التترِ، وخرَج الرَّكْبُ فى نصفِ شوَّالٍ وأميرُهم حسامُ الدينِ لاجِين الصّغِيرُ، الذى كان والِىَ البَرِّ، وقدِمَتِ العساكِرُ المَنْصُورةُ المصريَّةُ أرسالًا، وكان قدُومُ السلطانِ ودخولُه دمشقَ يومَ الثلاثاءِ ثالث عشرينَ شوَّالٍ،

---

(١) بعده فى م: «ابن».

(٢) فى م: «الأزدكشى»، وفى ص: «الأركشى». وانظر الدليل الشافى ٢/ ٧٤٨.

واحتَفل النَّاسُ لدخولِه ، فنزَل بالقلعةِ وقد زُيِّن البَلدُ ، ودَقَّتِ البَشائرُ ، ثم انتقَل بعدَ لَيْلَتئذٍ إلى القصرِ ، وصلَّى الجُمعةَ بالجامعِ بالمقْصُورَةِ ، وخلَع على الخطيبِ ، وجلَس فى دارِ العَدْلِ يومَ الاثنَينِ ، وقَدِمَ وزِيرُه أمينُ الملكِ يومَ الثلاثاءِ عشرينَ الشَّهرِ ، وقدِمَ صُحْبةَ السُّلطانِ الشيخُ الإمامُ العالِمُ العلَّامَةُ تقىُّ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ تَيْمِيَّةَ إلى دِمشقَ يومَ الأرْبِعاءِ مُسْتَهَلَّ ذِى القَعْدَةِ ، وكانت غَيْبَتُه عنها سَبْعَ سِنينَ كوامِلَ ، ومعه أخَوَاه وجماعةٌ مِن أصحابِه ، وخرَج خَلْقٌ كثيرٌ لتَلقِّيه ، وسُرُّوا بقُدومِه وعافِيَتِه ورُؤْيَتِه ، واستَبْشَرُوا بِه حتى خرَج خَلْقٌ مِن النِّساءِ أيضًا لرُؤْيَتِه ، وقد كان السلطانُ صَحِبَه معه مِن مصرَ ، فخرَج معه بِنِيَّةِ الغَزَاةِ ، فلمّا تحقَّقَ عَدَمَ الغَزَاةِ وأنّ التَّترَ قد رَجَعُوا إلى بلادِهم فارَقَ الجيشَ مِن غَزَّةَ ، وزارَ القُدْسَ وأقام به أيّامًا ، ثم سافَر على عَجْلُونَ وبلادِ السوادِ وزُرَعَ ، ووصَل دمشقَ فى أوَّلِ يومٍ مِن ذِى القَعْدَةِ ، فدخَلها فوجَد السُّلطانَ قد توَجَّه إلى الحجازِ الشَّريفِ فى أربعينَ أميرًا مِن خَواصِّه يومَ الخميسِ ثانى ذِى القَعْدَةِ ، ثم إنَّ الشيخَ بعدَ وُصولِه إلى دمشقَ واسْتِقرَارِه بها لم يَزلْ مُلازِمًا لاشْتِغالِ النّاسِ فى سائرِ العُلومِ ، ونَشْرِ العِلْمِ ، وتصنيفِ الكُتبِ ، وإفْتاءِ الناسِ بالكلامِ والكِتَابةِ المُطَوَّلةِ ، والاجْتِهادِ فى الأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، ففِى[1] بعضِ الأحْكَامِ يُفْتِى بما أدَّى إليــه اجْتِهــادُه مِن مُوافَقَةِ أئِمَّةِ المذاهبِ الأرْبَعةِ ، وفى بعْضِها يُفْتِى بخِلافِهم [١٠/١٥٦ظ] وبخِلافِ المشْهُورِ فى مذاهِبِهم ، وله اختياراتٌ كثيرةٌ مُجلَّداتٌ عديدَةٌ ، أفْتَى فيها بما أدَّى إليه اجْتِهادُه ، واسْتَدَلَّ على ذلك مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ وأقْوَالِ الصَّحابَةِ والسَّلفِ . فلمَّا سار السلطانُ إلى الحجِّ فرَّقَ العساكِرَ والجُيوشَ بالشامِ ، وترَك أَرْغُون بدمشقَ .

---

(١) فى الأصل : « فبقى » .

وفى يومِ الجُمعةِ لَبِس الشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِىِّ خِلْعَةَ وَكالةِ بيْتِ المالِ عِوضًا عن ابنِ الشَّرِيشِىِّ، وحضَر بها الشُّبَّاكَ، وتكلَّم الوَزيرُ أمينُ المُلْكِ فى البَلَدِ، وطلَب (١مِن النَّاسِ١) أموالًا كثيرةً، وصادَر، وضرَب بالمَقَارِعِ، وأهانَ جماعَةً مِن الرُّؤَساءِ؛ مِنهم الصَّدرُ محيى الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ. وفيه عُيِّنَ الشيخُ شهابُ الدينِ بنُ جَهْبَلٍ(٢) لتدريسِ الصَّلاحِيَّةِ بالقُدْسِ الشَّريفِ عِوضًا عن نَجْمِ الدينِ دَاوُدَ الكُردِىِّ، تُوفِّى، وقد كان مُدَرِّسًا بها مِن نحوِ ثلاثينَ سنةً، فسافر ابنُ جَهْبَلٍ إلى القُدْسِ بعدَ عيدِ الأَضْحَى.

وفيها مات مِلِكُ دَشْتِ القَفْجاق المُسَمَّى طُقْطَاى(٣) خان، وكان له فى المُلْكِ ثلاثٌ وعشرونَ سنةً، وكان عمْرُه (٤يومَ مات٤) ثلاثِينَ(٥) سنةً، وكان شَهْمًا شُجاعًا، على دينِ التَّتَرِ فى عِبادَةِ الأصْنامِ والكواكِبِ، يُعَظِّمُ المجسِّمَةَ والحُكماءَ والأطبّاءَ، ويُكْرِمُ المسلمينَ أكثرَ مِن جميعِ الطّوائفِ، وكان جيشُه هائلًا، لا يجْسُرُ أحدٌ على قِتالِه؛ لكَثْرَةِ جيشِه وقوَّتِهم وعَدَدِهم وعُدَدِهم،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «جهيل»، وفى ص: «جيل». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

(٣) فى م: «طغطاى». وانظر دول الإسلام ٢/ ٢١٩، والدرر الكامنة ٢/ ٣٢٧. وذكره المقريزى فى وفيات سنة أربع عشرة وسبعمائة. السلوك ٢/١/ ١٣٧. وذكره ابن تغرى بردى فى المنهل والدليل - وكذا ابن العماد فى شذرات الذهب ٦/ ٤٠ - فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة. وذكره فى النجوم فى وفيات سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. المنهل الصافى ٦/ ٤٢٥، والدليل الشافى ١/ ٣٦٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٦، وفى ذويل العبر ص ٧٢، وشذرات الذهب ٦/ ٣١ - وفيات سنة اثنتى عشرة وسبعمائة: «طقططيه». ومثلها ابن الوردى ٢/ ٢٦٢، وسماه: «طقططاى».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «ثمانًا وثلاثين».

ويُقالُ : إنّه جرَّد مَرَّةً تجْريدَةً مِن كلِّ عَشَرَةٍ مِن جيشِه واحدًا ، فبلغَتِ التَّجْرِيدَةُ مائَتَىْ ألفٍ وخَمسينَ ألفًا . تُوفِّى فى رمضانَ مِن هذه السنةِ ، وقام فى الـمُلْكِ مِن بعدِه ابنُ أخيه أُزْبَك خان ، وكان مُسلمًا ، فأَظْهَر دينَ الإسلامِ ببلادِه ، وقتَل خَلْقًا مِن أُمراءِ الكَفَرةِ ، وعلَتِ الشَّريعةُ المحمديَّةُ على سائِرِ الشَّرائعِ هناك ، ولِلَّه الحمدُ والمِنَّةُ على الإسلامِ والسُّنَّةِ .

ومِمَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الملكُ المَنْصُورُ صاحِبُ مارِدِينَ[1] ، وهو نَجْمُ الدينِ أبو الفَتْحِ غَازِى بنُ المُظَفَّرِ قَرا أَرْسَلان بنِ الملكِ السعيدِ نَجْمِ الدينِ غازِى بنِ الملكِ المنصُورِ ناصرِ الدينِ أُرْتُق بنِ غازِى بنِ ألبى[2] بنِ تَمُرْتَاش[3] بنِ غازِى بنِ أُرْتُق الأُرْتُقِىُّ ، صاحبُ مارِدِينَ من عِدَّةِ سنينَ ، كان شيخًا حسَنًا مهيبًا كامِلَ الخِلْقَةِ ، بدِينًا سَمِينًا ، إذا ركِب يكونُ خلْفَه مَحَفَّةٌ خوفًا مِن أنْ يمسَّه لُغُوبٌ فيَرْكَبَ فيها ، تُوفِّى فى تاسِعِ [4]ربيعِ الآخِرِ[4] ، ودُفِنَ فى مدرستِه تحتَ القَلْعَةِ ، وقد بلَغ مِن العُمْرِ فوقَ السّبعينَ ، ومكَث فى المُلْكِ قريبًا مِن عشرينَ سنةً ، وقامَ مِن بعدِه فى المُلْكِ ولَدُه العادِلُ عليٌّ ، فمكَث سَبْعَةَ عشَرَ يومًا ، ثم ملَك أخُوه [5]الصالحُ ابنُ المَنْصُورِ[5] .

---

(١) ذيول العبر ص ٦٩، والسلوك ٢/١/ ١٢١، والدرر الكامنة ٣/ ٢٩٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٤، والدليل الشافى ٢/ ٥١٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣١.

(٢) فى الأصل ، وهامش الدرر الكامنة : « التى » ، وفى م : « المنى » ، وفى ص : « النى » ، وفى متن الدرر الكامنة : « بنالى » . والمثبت من باقى مصادر الترجمة .

(٣) فى الأصل : « تمرقاش » .

(٤ - ٤) فى السلوك : « رجب » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « المنصورى » ، وفى م : « المنصور » .

وفيها مات **الأميرُ سيفُ الدينِ قُطْلُوبَك الشَّيْخِيُّ**[1] ، كان مِن أُمراءِ دمشقَ الكِبارِ .

الشيخُ الصالحُ نورُ الدينِ أبو الحسَنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ هارُونَ بنِ محمدِ ابنِ هارُونَ بنِ عليِّ بنِ حُمَيْدٍ الثَّعْلَبِيُّ[2] **الدِّمشْقِيُّ** ، قارِئُ الحديثِ بالقاهرةِ ومُسنِدُها ، روَى عن ابنِ الزَّبيدِيِّ[3] ، وابنِ اللَّتِّيِّ[4] ، وجَعْفَرٍ الهَمَذانِيِّ ، [5]وابنِ[5] الشِّيرازِيِّ وخَلْقٍ ، وقد خرَّج له الإمامُ العلَّامَةُ تَقيُّ الدينِ السُّبْكِيُّ [١٠/١٥٦و] مَشْيَخَةً ، وكان رجلًا صالحًا ، تُوفِّى بُكْرَةَ الثُّلاثاءِ تاسِعَ عَشَرَ رَبيعٍ الآخرِ ، وكانت جِنازَتُه هائلةً حافلةً .

الأميرُ الكبيرُ المِلِكُ المُظَفَّرُ شهابُ الدينِ غازِى بنُ الملكِ النّاصرِ داودَ بنِ المُعَظَّمِ[6] ، سمِعَ الحديثَ ، وكان رجلًا مُتواضِعًا ، تُوفِّى بمِصْرَ ثانِى عَشَرَ رَجَبٍ ، ودُفِنَ بالقاهرةِ .

قاضى القضاةِ شمسُ الدينِ أبو عبدِاللَّهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ [7]**بنِ إبراهيمَ**[7] **ابنِ داودَ بنِ حازمٍ**[8] **الأَذْرَعِيُّ الحنَفيُّ** ، كان بارعًا فاضلًا ، درَّس وأَفْتَى ، ووَلِىَ

---

(١) الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٤.

(٢) دول الإسلام ٢/ ٢١٨، والسلوك ١/٢/ ١٢١. وفى ذيول العبر ص ٦٩، والدرر الكامنة ٣/ ١٩٥، وشذرات الذهب ٦/ ٣١: «التغلبى».

(٣) فى الأصل: «الزبير». وانظر ذيول العبر ص ٧٠.

(٤) فى م: «الليثى».

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) ذيول العبر ص ٧١، والسلوك ٢/١/ ١٢١، والدرر الكامنة ٣/ ٢٩٥، والدليل الشافى ٢/ ٥١٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣١.

(٧ - ٧) سقط من النسخ، والمثبت من الجواهر المضية ٣/ ٥، وتذكرة النبيه ٢/ ٥٢، والدرر الكامنة ٣/ ٣٦٥.

(٨) فى م: «خازم».

قَضاءَ الحنَفيَّةِ بدِمَشْقَ سَنَةً ثم عُزِلَ ، واستمرَّ على تَدْرِيسِ الشِّبْلِيَّةِ مُدَّةً ، ثم سافر إلى مصرَ ، فأقامَ بسعيدِ السُّعداءِ خمسةَ أيّامٍ ، وتُوفِّى يومَ الأرْبِعاءِ (١ ثانِى عِشرينَ رَجَبٍ . واللَّهُ أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : ص .

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثَ عَشْرةَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّتْ والحكامُ هم هم، والسلطانُ فى الحجازِ لم يَقْدَمْ بعدُ، وقد قدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ قِجْلِيس[2] يومَ السبتِ مُسْتهلَّ المحرمِ مِن الحجازِ، وأخْبرَ بسلامةِ السلطانِ وأنَّه فارقَه مِن المدينةِ النبويةِ، وأنَّه قد قاربَ البلادَ، فدَقَّت البشائرُ فرَحًا بسلامتِه، ثم جاءَ البريدُ فأخْبرَ بدخولِه إلى الكَرَكِ ثانِى المحرَّمِ يومَ الأحدِ، فلمَّا كان يومُ الثلاثاءِ حادِى[3] عشَرَ المحرمِ دخلَ دمشقَ، وخرَج الناسُ لتَلَقِّيه على العادةِ، وقد رأيتُه مرْجِعَه مِن هذهِ الحِجَّةِ على شفَتِه ورقةٌ قد ألْصَقَها عليها، فنزَل بالقصرِ، وصلَّى الجمعةَ رابعَ عشَرَ المحرمِ بمقصورةِ الخطابةِ، وكذلك الجمعةُ التى تَلِيها، ولعِبَ فى الميدانِ بالكرةِ يومَ السبتِ النصف مِن المحرمِ، ووَلَّى نظَرَ الدواوينِ للصاحبِ شمسِ الدينِ غِبْرِيَالَ يومَ الأحدِ سادسَ[4] عشَرَ المحرمِ، وشدَّ الدواوينِ لفخرِ الدينِ [5]أياسِ الأعْسَرِ[5] عِوضًا عن القَرَمانىِّ، وسافرَ القَرَمانىُّ إلى نيابةِ الرَّحْبةِ، وخلَع عليهما وعلى وزيرِه، وخلَع على ابنِ صَصْرى، وعلى الفخرِ كاتبِ المماليكِ وكان مع السلطانِ فى الحجِّ، وولَّى شرفَ الدينِ بنَ

---

(١) كنز الدرر ٩/ ٢٦٤، ودول الإسلام ٢/ ٩٩، وتذكرة النبيه ٢/ ٥٤.

(٢) وضبطه صاحب الدليل الشافى - ٢/٥٣٥ - بفتح القاف ضبط قلم، والضبط كما فى الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٧.

(٣) فى ص: «ثانى». وانظر السلوك ٢/١/ ١٢٢.

(٤) فى الأصل، م: «حادى».

(٥ - ٥) فى الأصل: «أياس الأعسوى»، وفى م: «إياس الأعسرى»، وفى السلوك ٢/١/ ١٢٣: «أياز الشمسى». وانظر فهارسه. وتقدم فى صفحة ١٠٥.

صَصْرَى حجابةَ[1] الديوانِ ، وباشرَ فخرُ الدينِ بنُ شيخِ السَّلَاميَّةِ نظرَ الجامعِ ، وباشرَ بهاءُ الدينِ ابنُ[2] عليمةَ[3] نظَر الأوقافِ ، والمَنْكورَسِيُّ شدَّ الأوقافِ . وتوجَّه السلْطانُ راجعًا إلى الديارِ المصريةِ بُكْرَةَ الخميسِ السابعِ والعشرينَ مِن المحرمِ ، وتقدَّمتِ الجيوشُ بين يدَيه ومعه .

وفى أواخرِ صفرٍ اجتازَ على البريدِ فى الرسليَّةِ إلى مُهنَّا الشيخُ صدرُ الدينِ بنُ الوكيلِ ، وموسى بنُ مُهَنَّا ، والأميرُ علاءُ الدينِ أَلْطُنْبُغَا ، فاجتمعُوا به فى تَدمُرَ ، ثم عاد أَلْطُنْبُغَا وابنُ الوكيلِ إلى القاهرةِ ، [4]ثم عاد صدرُ الدينِ إلى مُهَنَّا ورجَع مِن عندِه فى رجبٍ إلى القاهرةِ[4] .

وفى آواخِر جُمادَى الآخرةِ مُسِكَ أمينُ الملكِ وجَماعَةٌ مِن الكُتابِ[5] معه ، وصُودِرُوا بأمْوالٍ كثيرةٍ ، وأُقِيمَ عِوَضَه بَدْرُ الدِّينِ بنُ التُّرْكُمَانىِّ الذى كانَ وَالِىَ البحَريةِ[6] . وفى رَجَبٍ كَمَلَتْ أرْبَعةُ مَجانِيقَ ، واحِدٌ لقَلْعَةِ دِمَشْقَ ، وثلاثَةٌ تُحْمَلُ إلى الكَرَكِ ، ورُمِىَ باثْنَيْنِ عندَ بابِ الميدانِ ، وحضرَ نائبُ السَّلْطَنَةِ تَنْكِز والعامَّةُ . وفى شعبانَ تَكامَلَ حَفْرُ النهرِ الذى عمِلَه سَوْدِى نائبُ حلَبَ بها ، [١٠/١٥٦ظ] وكان طولُه مِن نهرِ السَّاجُورِ[7] إلى نهرِ قُوَيْقٍ[8] أرْبَعِينَ ألف ذِراعٍ فى عرضِ ذِراعَيْنِ وعُمْقِ ذِراعَيْنِ ، وغُرِم عليه ثلاثُمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ ،وعمِل بالعَدْلِ ولم يَظْلِمْ فيه أحدًا .

---

(١) فى الأصل، ص: «صحابة». وانظر صبح الأعشى ١/ ١٣٦.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى النسخ: «عليم». والمثبت مما سيأتى فى صحفة ١٤٤، ١٥١، والدرر الكامنة ١/٧٩، وفيه: «شرف الدين».

(٤ - ٤) زيادة من: ص.

(٥) فى م: «الكبار».

(٦) فى الأصل، م: «الخزانة». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

(٧) فى ص: «الساجون». والساجور: نهر صغير بمنبج. معجم البلدان ٣/ ٨، وصبح الأعشى ٤/ ١١٧.

(٨) فى ص: «بونق». وانظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٦، والسلوك ٢/١/ ١٣١.

وفى يومِ السبتِ ثامِن شوَّالٍ خرَجَ الركبُ مِن دِمَشْقَ وأميرُه سيفُ الدِّينِ بَلَبَان التَّتَرِىُّ ، وحجَّ صاحِبُ حَمَاةَ فى هذه السَّنَةِ وخَلْقٌ من الرومِ [1] والغُرباءِ وغيرِهم [1] .

وفى يومِ السبتِ السادِس والعِشْرِينَ من ذى الحِجَّةِ وصَل القاضى قُطْبُ الدِّينِ مُوسَى بنُ شيْخِ السَّلَامِيَّةِ مِن مِصرَ على نَظَرِ الجيوشِ الشاميَّةِ كما كانَ قبلَ ذلك ، وراحَ مُعِينُ الدينِ بنُ الحَشِيشِ [2] إلى مِصْرَ فى رمضانَ صُحْبَةَ الصاحبِ شمسِ الدِّينِ غِبْرِيَالَ ، وبعدَ وصُولِ ناظرِ الجيوشِ بيومينِ وصلَتِ المناشيرُ [3] بمُقْتضَى إراكةِ [4] الإقْطاعاتِ الشاميَّةِ على ما رآه السلْطانُ بعدَ نظَرِه فى ذلك بنفسِه أرْبَعةَ أشهرٍ .

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعْيانِ :

الشيخُ الإمامُ المحدِّثُ فخرُ الدِّينِ أبو عمرٍو عُثْمانُ [5] بنُ محمدِ بنِ عُثْمانَ ابنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ داودَ التَّوْزَرِىُّ [6] ، بمَكَّةَ يومَ الأحَدِ حادِى عشرَ [7]

(١ - ١) فى الأصل : « والعربان » ، وفى م : « والغرباء » .

(٢) فى م : « الخشيش » ، وفى ص : « الحسيس » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

(٣) فى الأصل ، م : « البشائر » . والمناشير ، جمع منشور : وهى فى الأصل كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا تحتاج إلى ختم ، كالمكاتبات الخاصة بالولايات ومنح الإقطاعات . صبح الأعشى ١٣/ ١٥٧، وكشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٥٥.

(٤) فى م ، ص : « إزالة » . والروك : كلمة قبطية ، وقد اصطلح على استعمالها فى القيام بعملية قياس الأرض وحصرها وتدوينها فى سجلات وتقدير درجة خصوبتها ؛ لتقدير الخراج عليها ، ويقابل الروك حاليا عملية فك الزمام وتعديل الضرائب ، يقولون : راك البلاد ويروكها . انظر خطط المقريزى ١/ ١٥٠ - ١٦١، ودول الإسلام ٢/ ٢١٩ حاشية (١)، والسلوك ٢/ ١/ ١٤٦، حاشية (١) .

(٥) فى م : « عفان » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٧٤، والعقد الثمين ٦/ ٤١، وغاية النهاية ١/ ٥١٠، والدرر الكامنة ٣/ ٦٤، وإتحاف الورى ٣/ ١٥١، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢.

(٦) فى م : « التوزى » ، وفى ص : « الثورى » . والتوزرى : نسبة إلى توزر ، مدينة بأقصى إفريقية . معجم البلدان ١/ ٨٩٢.

(٧) سقط من : م .

ربيعِ الآخرِ، وقد سَمِع الكثيرَ، وأجازَه خلْقٌ يزيدُونَ على ألْفِ شيخٍ، وقرَأ الكُتُبَ الكِبارَ وغيرَها، وقرأ «صحيحَ البخارِيِّ» أكثرَ مِن ثلاثينَ مرَّةً، رحِمه اللَّهُ.

عِزُّ الدينِ محمدُ بنُ العدلِ شِهابِ الدينِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ إلْياسَ الرَّهَاوِيُّ[1]، كان يُبَاشِرُ اسْتِيفاءَ الأوقافِ وغيرَ ذلك، وكان مِن أخِصَّاءِ أمينِ الملكِ، فلمَّا مُسِكَ بمِصْرَ، أُرْسِل إلى هذا وهو مُعْتَقَلٌ بالعَذراوِيَّةِ ليَحْضُرَعلى البريدِ، فمرِضَ فماتَ بالمدرسةِ العَذراوِيَّةِ ليلةَ الخميسِ التاسِعَ عَشَرَ مِن جُمادَى[2] الآخِرةِ، وله من العُمْرِ خمسٌ وثلاثُونَ سنةً، وكان قد سَمِع مِن أصحابِ[3] ابنِ طَبَرْزَد و[4] الكِندِيِّ، ودُفِن مِن الغَدِ ببابِ الصغيرِ، وترَك مِن بعدِه ولدَيْنِ ذكرَيْنِ؛ جمالُ الدِّينِ محمدٌ، وعِزُّ الدِّينِ.

الشيخُ الكبيرُ المقرِئُ تقيُّ[5] **الدينِ المِقَصَّاتيُّ**[6]، هو أبو بكرِ بنُ[7] عمرَ[8] ابنِ المشيّعِ الجَزَرِيُّ المعروفُ بالمِقَصَّاتيِّ، نائبُ الخِطابةِ، وكانَ يُقْرِئُ الناسَ

---

(١) الدرر الكامنة ٣/ ٤٣٤.

(٢) فى ص: «ربيع».

(٣) سقط من الأصل، م.

(٤) سقط من: م.

(٥) فى الأصل، م: «شمس». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٧٤، وغاية النهاية ١/ ١٨٣، والسلوك ٢/١/ ١٣٢، والدرر الكامنة ١/ ٤٨٤، والدارس ١/ ١٢١، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢.

(٦) فى م: «المقصاى»، وفى ص: «المقضاى». والمقصاتى نسبة إلى صناعة المقصات كما فى السلوك.

(٧) سقط من: ص.

(٨) وكذا ورد اسمه فى غاية النهاية، والدرر الكامنة، والدارس، وفى ذيول العبر: «أبو بكر بن محمد»، وفى الشذرات: أبو بكر بن ثابت، وفى منتخب المختار - كما فى حاشية ذيول العبر -: «محمد بن عمر»، وفى السلوك: «أبو بكر بن محمد، وقيل: عمر».

القراءاتِ مِن نحوِ خمسين سنةً بالعراقِ والشامِ، وكان شيخًا عارفًا بالقِراءاتِ السبعِ وغيرِها مِن الشَّواذِّ، وله إلمامٌ بالنَّحْوِ، وفيه ورَعٌ واجْتِهادٌ، تُوفِّى ليلةَ السبتِ حادِى عشرين جُمَادَى الآخرةِ، ودُفِنَ مِن الغدِ بسَفْحِ قاسِيُونَ تُجاهَ الرِّباطِ الناصِرِىِّ، وقد جاوَزَ الثَّمانِينَ، رحِمَه اللَّهُ.

ثم دَخَلَت سنةُ أرْبَعَ عَشْرَةَ وسَبْعِمائةٍ[1]

استهلَّت والحكّامُ هم هم فى التى قبلَها ، إلَّا الوزيرَ أمينَ المُلْكِ فمكانَه بدرُ الدينِ بنُ[2] التُّرْكُمانىِّ . وفى رابعِ المحرمِ عادَ الصاحِبُ شَمْسُ الدينِ غِبْرِيالُ مِن مصرَ على نَظَرِ الدَّواوينِ ، وتلَقَّاه أصحابُه .

وفى عاشِرِ المحرمِ يومِ الجُمعةِ قُرِئَ كِتابُ السُّلْطانِ على السُّدَّةِ بحَضْرَةِ نائبِ السَّلْطَنَةِ والقُضاةِ والأُمَراءِ ، يتَضَمَّنُ إطْلاقَ البَواقِى من سَنَةِ ثَمانٍ وتِسْعِينَ وسِتِّمائةٍ إلى آخِرِ سَنَةِ ثلاثَ عَشْرَةَ وسَبْعِمائةٍ ، فتَضاعَفَتِ الأَدْعِيَةُ للسُّلْطانِ ، وكان القارِئُ جَمالَ[3] الدِّينِ بنَ[4] القَلانِسىِّ ، ومُبَلِّغُه بَدْرَ[5] الدينِ بنَ صَبيحٍ[6] المُؤَذِّنَ ، ثم قُرِئَ فى الجُمُعةِ الأُخْرَى مَرْسُومٌ آخرُ فيه الإفْراجُ عن المَسْجونِينَ ، [١٠/١٥٧و] وأن لا يُؤْخَذَ مِن كُلِّ واحِدٍ سوى نِصْفِ دِرْهَمٍ ، ومَرْسُومٌ آخرُ فيه إطلاقُ السخرِ[7] والقَصَبِ[8] وغَيرِه عن الفَلاحِينَ ، قَرَأه ابنُ الزَّمْلكانىِّ ، وبلَّغَه عنه أَمِينُ الدِّينِ محمدُ بنُ مُؤَذِّنِ النَّجِيبِىِّ[9] .

---

(١) كنز الدرر ٩/ ٢٨٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٦٢، وتذكرة النبيه ٢/ ٥٨، والسلوك ٢/١/ ١٣٤.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى ص : « كذلك عماد » .

(٤) سقط من الأصل .

(٥) فى الأصل ، م : « صدر » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

(٦) فى م ، ص : « صبح » .

(٧) فى ص : « الشجر » . وانظر السلوك ٢/١/ ١٣٦.

(٨) فى م : « الغصب » .

(٩) النجيبى : مسجد ، كما سيأتى .

وفى المحرمِ اسْتَحْضَرَ السُّلْطانُ إلى بينِ يدَيْه الفَقِيهَ نورَ الدِّينِ عَلِيًّا البَكْرِىَّ ، وهَمّ بقَتْلِه ، فشفَع فيه الأُمَراءُ ، فنفاه ومنَعه مِنَ الكَلامِ فى الفَتْوَى والعلمِ ، وكان قد هرَب لما طُلِب مِن جِهَةِ الشَّيْخِ تَقِىِّ الدينِ بنِ تَيْمِيَّةَ ، فهرَب واخْتَفَى ، وشفَع فيه أيضًا ، ثم لمّا ظفَر به السُّلْطانُ الآنَ وأرادَ قَتْلَه شَفَع فيه الأُمراءُ ، فنفاه ومَنَعَه مِن الكَلامِ والفَتوى ؛ وذلكَ لاجْتِرائِه وتَسَرُّعِه على التَّكْفِيرِ والقَتْلِ ، والجَهْلُ الحامِلُ له على هذا وغيرِه .

وفى يومِ الجُمُعةِ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ قرَأ ابنُ الزَّمْلَكانِىِّ كِتابًا سُلْطَانِيًّا على السُّدَّةِ بحَضْرَةِ نائِبِ السُّلْطانِ القاضى ، وفيه الأَمْرُ بإطْلاقِ ضَمانِ القَواسِين[1] وضَمانِ النَّبِيذِ وغيرِ ذلك ، فدعا النَّاسُ للسُّلْطانِ .

وفى أواخِرِ رَبيعٍ الأوَّلِ اجْتَمَع القضاةُ بالجامعِ للنظرِ فى أمرِ الشُّهودِ ، ونَهَوْهم عن الجُلوسِ فى المساجدِ ، وأنْ لا يكونَ أحدٌ منهم فى مَرْكَزَيْنِ ، وأن لا يَتَوَلَّوا ثَباتَ الكُتُبِ ، ولا يَأْخُذوا أجْرًا على أداءِ الشَّهَادَةِ ، وأن لا يَغْتابُوا أحَدًا ، وأنْ يَتَناصَفُوا فى المَعِيشَةِ ، ثم جَلَسُوا مَرّةً ثانيةً لذلك ، وتواعدُوا ثالِثةً ، فلم يَتَّفِقِ اجْتِماعُهم ، ولم يُقْطَعْ أحَدٌ مِن مَرْكَزِه .

وفى يومِ الأَرْبعاءِ الخامسِ والعِشْرِينَ منه عُقِد مَجْلِسٌ فى دارِ ابنِ صَصْرَى لبَدْرِ الدِّينِ بنِ بَصْخَانَ[2] ، وأُنْكِر عليه شىءٌ مِن القِراءاتِ ، فالتَزَم بتَرْكِ الإقْراءِ بالكُلِّيَّةِ ، ثم اسْتَأْذَن بعدَ أيامٍ فى الإقْراءِ فأُذِن له ، فجلَس بينَ الظهرِ والعصرِ بالجامعِ ، وصارَتْ له حَلْقَةٌ على العادةِ .

---

(١) فى م : « القواسير » . وقد شرح المقريزى فى السلوك ٢/١/ ١٥١، وفى خططه ١٦٣/١ وما بعدها المقررات والمكوس الخاصة بمصر ولم يذكر فيها ضمان القواسين وضمان النبيذ .

(٢) فى الأصل : « بضخان » ، وفى م : « بضيان » ، وفى ص : « نصيحان » . وستأتى وفاته فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

وفى مُنْتَصَفِ رَجَبٍ تُوفِّى نائبُ حَلَبَ الأميرُ سَيْفُ الدِّينِ سَوْدِى ، ودُفِن بتُرْبَتِه ، ووَلِى مَكانَه الأَمِيرُ عَلاءُ الدِّينِ أَلْطُنْبُغا الصّالِحِىُّ الحاجِبُ بمِصْرَ قبلَ هذه النيابةِ .

وفى تاسِعِ شَعْبانَ[1] خُلِع على الشَّرِيفِ شَرَفِ الدينِ عَدْنانَ بنِقابَةِ الأَشْرافِ ، بعدَ والِدِه أمينِ الدينِ جَعْفَرِ بنِ محمدِ بنِ عَدْنانَ الحُسَينِىِّ ، بحُكْمِ وفاةِ أَبِيه فى الشهرِ الماضِى ، وقد كان رئيسًا كبيرًا .

وفى خامسِ شَوَّالٍ دُفِن الملكُ شَمْسُ الدِّينِ [2]دُوباجُ بنُ مَلِكْشَاه[2] بنِ رُسْتُم صاحِبُ كيلانَ بتُرْبَتِه المَشْهورةِ بسَفْحِ قاسِيونَ ، وكان قد قَصَد الحَجَّ فى هذا العامِ ، فلمّا كان بغَباغِبَ أدْرَكَتْه مَنِيَّتُه يومَ السبتِ السّادِس والعِشْرِينَ مِن رمضانَ ، فحُمِل إلى دِمَشْقَ ، وصُلِّى عليه ودُفِن فى هذه التُّرْبَةِ ، اشْتُرِيتَ له وتُمِّمَتْ وجاءتْ حَسَنةً ، وهى مَشْهورَةٌ عندَ المُكارِيَّةِ شَرْقِىّ الجامِعِ المُظَفَّرِىِّ[3] ، وكان له فى مَمْلَكَةِ كيلانَ خمسٌ وعِشْرونَ سَنَةً ، وعُمِّر أرْبعًا وخَمْسِينَ سَنَةً ، وأَوْصَى أن يَحُجَّ عنه جَماعةٌ ففُعِلَ ذلك . وخَرَج الرَّكْبُ فى ثالثِ[4] شَوَّالٍ وأميرُه سَيْفُ الدِّينِ سُنْقُر الإبْراهِيمىُّ ، وقاضِيه مُحْيى الدِّينِ قاضى الزَّبَدانِىِّ .

وفى يومِ الخميسِ سابع ذِى القَعْدَةِ قَدِم القاضِى بَدْرُ الدينِ بنُ الحَدَّادِ مِن القاهِرَةِ مُتَولِّيًا حِسْبَةَ دِمَشْقَ ، فخُلِع عليه عِوَضًا [١٠/١٥٧ظ] عن فَخْرِ الدينِ

---

(١) فى ص : « رجب » . وانظر السلوك ٢/١/ ١٤٠.

(٢ - ٢) فى ذيول العبر ص ٧٩: « دوباج بن فينشاه » - وفى الدارس ٢/٢٤٦ نقلًا عن الذيول : « دوباج بن فيشاة » - وفى تذكرة النبيه ٢/ ٦٢: « دوباج بن قطلوشاه » ، وفى الدرر الكامنة ٢/ ١٩٣: « دوباج بن قطلى شاه » ، وفى المنهل الصافى ٥/ ٣٣٢، والدليل الشافى ١/ ٣٠٠: « ديباج بن عبد اللّه » . ولقبه فى المنهل سيف الدين .

(٣) انظر الدارس ٢/ ٢٤٥.

(٤) فى ص : « ثالث عشر » .

سليمانَ البُصْراوِىِّ ، عُزِل ، فسافَرَ سَرِيعًا إلى البَرِّيَّةِ ليَشْترِىَ خَيْلًا للسُّلْطانِ يُقَدِّمُها رِشْوَةً على المَنْصِبِ المَذْكورِ ، فاتَّفَق مَوْتُه فى البَرِّيَّةِ فى سابعَ عَشَرَ مِن الشَّهْرِ المَذْكورِ ، وحُمِل إلى بُصْرَى ، فدُفِن بها عِنْدَ أَجْدادِه فى ثامنِ ذى القَعْدَةِ ، وكان شابًّا ، كريمَ الأَخْلاقِ ، حَسَنَ الشَّكْلِ .

وفى أواخِرِه مُسِكَ نائِبُ صَفَدَ بَلَبان طُرْنا[1] المَنْصورِىُّ وسُجِن ، وتَوَلَّى مكانَه سَيْفُ الدينِ بَلَبَان[2] البَدْرِىُّ .

وفى سادسِ ذى الحِجَّةِ باشرَ وِلايةَ البَرِّ الأَمِيرُ عَلاءُ الدينِ علىُّ بنُ محمودِ بنِ معبدٍ البَعْلَبَكِّىُّ عِوضًا عن شَرَفِ الدِّينِ عِيسى بنِ البرطاسِىِّ[3] . وفى يومِ عيدِ الأَضْحَى وَصَل الأَمِيرُ علاءُ الدِّينِ بنُ صُبْحٍ من مصرَ وقد أُفْرِجَ عنه ، فسَلَّم عليه الأُمَراءُ ، وفَرِحوا به وهنَّئوه بالسَّلامةِ . وفى هذا الشَّهْرِ أُعِيدَ أمينُ المُلْكِ إلى نَظَرِ النُّظَّارِ بمصرَ ، وخُلِع عليه وعلى الصّاحِبِ [4]ضياءِ الدينِ النَّشائىِّ[4] بنَظرِ الخِزانَةِ عِوضًا عن سَعْدِ الدينِ[5] حَسَنِ بنِ الأَقْفَهسِىِّ[6] .

وفيه وَرَدَتِ البَرِيدِيَّةُ بأمْرِ السُّلْطانِ للجُيوشِ الشاميَّةِ بالمَسِيرِ إلى بلادِ حَلَبَ ، وأن يكونَ مُقَدَّمُ العَساكِرِ كُلِّها تَنْكِز نائبَ الشامِ ، وقَدِم مِن مِصْرَ سِتَّةُ آلافِ

---

(١) فى الأصل : « طوبا » ، وفى م : « طوباى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

(٢) فى م : « بلباى » . وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٢٥.

(٣) فى الأصل : « بن البرطاسى » ، وفى م : « بن البركاسى » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٦.

(٤ - ٤) فى النسخ : « بهاء الدين النسائى » . والمثبت من السلوك ٢/١/ ١٤٢. وتقدم فى صفحة ٤٨.

(٥) بعده فى ص : « بن » ، وترجمه فى السلوك : « سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد المجيد بن صفى الدين عبد اللّه الأقفهسى » ، وفى الدرر الكامنة ٢/ ٩٩: « الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسى سعد الدين » ، وفى حاشيته أن فى هامش المطبوعة : « الحسن بن عبد الرحيم الأقفهسى » .

(٦) فى الأصل : « الأنقاصى » ، وفى م : « الأفقاصى » ، وفى ص : « الأقفاصى » . والمثبت من السلوك والدرر الكامنة .

مُقاتلٍ عليهم الأمِيرُ سَيْفُ الدينِ بَكْتَمُر الأَبوبَكْرِيُّ ، وفيهم قِجْلِيس ، وبَدْرُ الدينِ الوَزِيرِيُّ ، [1] وكشلِي [1] ، وابنُ طَيبرَس ، وساطِي [2] ، وابنُ سَلّار وغيرُهم ، فتَقَدَّموا إلى البِلادِ الحَلَبِيَّةِ بينَ يدَىْ نائبِ الشامِ تَنْكِز .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

سَوْدِى [3] ، نائبُ حلبَ ، فى رَجبٍ [4] ، ودُفِنَ بتُرْبَتِه ، وهو الذى أجْرَى فيها نَهَرًا غَرِم عليه ثلاثَمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ ، وكان مشكورَ السيرةِ حميدَ الطريقةِ ، رحِمَه اللَّهُ .

وفى شعبانَ تُوفِّى **الصاحِبُ شَرَفُ الدينِ يعقوبُ بنُ مُزْهِرٍ** [5] ، وكان بارًّا بأهلِهِ وقرابتِهِ ، رحِمَه اللَّهُ .

والشيخُ رشيدُ الدينِ [6] **أبو الفداءِ إسماعيلُ بنُ** [7] **محمدٍ القُرَشِيُّ الحنفيُّ** ، المعروفُ بابنِ المُعَلِّمِ ، كان مِن أعيانِ الفقهاءِ والمُفْتينَ [8] ، ولديه علومٌ شتَّى وفوائدُ

(١ - ١) سقط من : ص ، وفى م : « كتشلى » . وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/٢٦١.

(٢) فى الأصل ، م ، ونسخة من السلوك : « شاطى » . وفى النجوم ٨/ ٢٣٥: « شادى » . انظر السلوك ٢/١/٤٧، ١٤٥، والدرر الكامنة ٢/ ١٦.

(٣) دول الإسلام ٢/٢١٩ وفيه : « سوذكى » ، وذيول العبر ص ٧٧، والسلوك ٢/١/١٤٠ ، والدليل الشافى ١/٣٣٧، وفى نسخة منهما : « سودون » ، والدرر الكامنة ٢/ ٢٧٥، والمنهل الصافى ٦/ ١٨٢، وقال فى المنهل عن اسم سودى : « ومعناه أحب من المحبة » .

(٤) فى كنز الدرر ٩/ ٢٨٣: أنه توفى فى العاشر من جمادى الأول .

(٥) ذيول العبر ص ٧٨، والسلوك ٢/١/ ١٤١، والدرر الكامنة ٥/ ٢١١، والدليل الشافى ٢/ ٧٩١، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٧.

(٦) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٧٧، والوافى بالوفيات ٩/ ١٥٥، والجواهر المضية ١/ ٤١٨، والسلوك ٢/١/ ١٤٠، والدرر الكامنة ١/ ٣٩٤. وانظر مصادر ترجمة أخرى له فى حاشية الجواهر المضية .

(٧) فى م : « أبو » . وهو إسماعيل بن عثمان بن عبد الكريم بن تمام بن محمد .

(٨) فى ص : « المفسرين » . وانظر نص المصنف فى الدارس ١/ ٤٨٣.

وفرائدُ ، وعندَه زهدٌ وانقطاعٌ عن الناسِ ، وقد درَّس بالبَلْخِيَّةِ[1] مدَّةً ثم ترَكها لولدِه ، وسارَ إلى مصرَ فأقامَ بها ، وقد عُرِض عليه قضاءُ دمشقَ فلم يَقْبَلْ ، وقد جاوَزَ التسعينَ[2] مِن العُمْرِ ، تُوفِّى سَحَرَ يومِ الأربعاءِ خامس رجبٍ ، ودُفِن بالقرافةِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

وفى شوَّالٍ تُوفِّى **الشيخُ سليمانُ التُّركُمَانِىُّ المُوَلَّهُ**[3] ، الذى كان يجْلِسُ على مصطَبةٍ[4] بالعلبيين ، وكان قبلَ ذلك مُقِيمًا بطَهّارةِ[5] بابِ البريدِ ، وكان لا يتَحاشى مِن النَّجاساتِ ولا يتَّقِيها ، ولا يُصلِّى الصلواتِ ولا يأْتِيها ، وكان بعضُ الناسِ مِن الهَمَجِ له فيه عقيدةٌ ، [6]وهذه[6] قاعدةُ الهَمَجِ الرَّعاعِ الذين هم أتباعُ كلِّ ناعِقٍ مِن المولَّهينَ والمجانِين ، ويزعُمونَ أنه يُكاشَفُ ، وأنَّه رجلٌ صالحٌ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ فى يومٍ كثيرِ الثَّلْجِ .

وفى يومِ عرَفَةَ تُوفِّيتِ **الشَّيْخَةُ الصّالحةُ العابدةُ النّاسِكَةُ أمُّ زَيْنَبَ فاطِمةُ بنتُ عباسٍ**[6] **بنِ أبى الفتحِ بنِ محمدٍ البَغْدادِيَّةُ** ، بظاهرِ القاهرةِ ، وشَهِدها خَلْقٌ كثيرٌ ، وكانت مِن العالماتِ الفاضلاتِ ، تأْمُرُ بالمعروفِ وتَنْهى عن المُنْكرِ ، وتقومُ

---

(١) فى ص : « بالقليجية » ، والبلخية : من مدارس الحنفية ، أنشأها الأمير ككز الدقاقى بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة للشيخ برهان الدين أبى الحسن على البلخى . الدارس ١/ ٤٨١ .

(٢) فى الأصل ، م : « السبعين » .

(٣) ذيول العبر ص ٧٩، ومرآة الجنان ٤/ ٢٥٣، والدرر الكامنة ٢/ ٢٦٤، والدليل الشافى ١/ ٣٢٢، وذكر أنه توفى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، وشذرات الذهب ٦/ ٣٣.

(٤) فى م : « مصطبته » .

(٥) فى الأصل : « بطاره » ، وفى ذيول العبر ، ومرآة الجنان ، والشذرات : « بسقاية » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى ص : « عياش » . والمثبت كما فى ذيول العبر ص ٨٠، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤، وحسن المحاضرة ١/ ٣٩٠، وأعلام النساء ٤/ ٦٦. وفى مرآة الجنان ٤/ ٢٥٤، والدرر الكامنة ٣/ ٣٠٧: « عياش » .

على الأحْمَدِيَّةِ فى مؤاخاتِهم النِّساءَ والمُرْدَانَ ، [١٠/١٥٨و] وتُنكِرُ أحْوالَهم وأَحْوالَ[1] أهلِ البِدعِ وغيرِهم ، وتفْعلُ مِن ذلك ما لا يقْدِرُ عليه الرِّجالُ ، وقد كانت تحضُرُ مَجْلِسَ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، فاستفادَتْ منه ذلك وغيرَه ، وقد سمِعْتُ الشيخَ تقىَّ الدينِ يُثْنى عليها ويصِفُها بالفَضيلَةِ والعلْمِ ، ويَذْكُرُ عنها أنَّها كانت تَسْتَحْضِرُ كثيرًا مِن « المُغْنى » أو أكثرَه ، وأنه كان يَسْتَعِدُّ لها مِن كَثْرَةِ مسائِلِها وحُسْنِ سُؤالاتِها وسُرْعَةِ فَهْمِها ، وهى التى خَتَّمَتْ نِساءً كثِيرًا القُرآنَ ، منهُنَّ أمُّ زَوْجَتى عائشةُ بنتُ صدِّيقٍ ، زَوْجَةُ الشيخِ جمالِ الدينِ المِزِّىِّ ، وهى التى أقْرَأَتِ ابْنَتَها زَوْجَتى أَمَةَ الرَّحيمِ زَيْنَبَ ، رَحِمَهُنَّ اللَّهُ تعالى ، وأَكرَمهُنَّ برحْمَتِه وجنَّتِه ، آمينَ .

---

(١) فى م : « أصول » .

ثم دخَلَت سنةُ خمسَ عشْرةَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت والحكّامُ فى البلادِ هم المذكورون فى التى قبْلَها .

فتحُ مَلَطْيَةَ

فى يومِ الاثنينِ مستهلَّ المحرمِ خرَج الأميرُ سيفُ الدينِ تَنْكِز بالجيوشِ قاصدًا مَلَطْيَةَ ، وخرَجت الأطلابُ على راياتِها ، وأبرَزُوا ما عندَهم مِن العُدَدِ وآلاتِ الحربِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وخرَج مع الجيشِ ابنُ صَصْرَى ؛ لأنَّه قاضى العساكِرِ وقاضى قُضاةِ الشافعيةِ ، فسارُوا حتى دخَلوا حَلَبَ فى الحادى عَشَرَ مِن الشهرِ ، ومنها وصَلُوا فى السادسَ عشَرَ إلى بلادِ الرومِ إلى مَلَطْيَةَ ، فشرَعوا فى مُحاصرتِها يومَ الحادى والعشْرين مِن المحرمِ ، وقد حُصِّنت ومُنِّعت وغُلِّقت أبوابُها ، فلمّا رأَوْا كثرةَ الجيشِ نزَل متولِّيها وقاضِيها وطلَبوا الأمَانَ ، فأمَّنوا المسلمين ودخَلوها ، فقتَلوا مِن الأرْمَنِ خلقًا ومِن النصارَى ، وأسرُوا ذُرِّيةً كثيرةً ، وتعدَّى ذلك إلى بعضِ المسلمين ، وغنِموا شيئًا كثيرًا ، وأُخِذت أموالُ كثيرٍ مِن

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٧٤، وكنز الدرر ٩/ ٢٨٧، ودول الإسلام ٢/ ٢٢٠، وتذكرة النبيه ٢/ ٦٥.

المسلمين، ورجَعوا عنها بعدَ ثلاثةِ أيامٍ يومَ الأربعاءِ رابع عشْرين المحرمِ إلى عينِ تابٍ إلى مَرْجِ دابِقٍ[1]، وزُيِّنَت دِمَشْقُ، ودَقَّت البشائرُ.

وفى أولِ صَفَرٍ رحَل[2] نائبُ مَلَطْيَةَ متوجهًا إلى السلطانِ. وفى نصفِ الشهرِ وصَل[3] قاضيها الشريفُ شمسُ الدينِ ومعه خلقٌ كثيرٌ مِن المسلمين مِن أهلها. وفى بُكرةِ نهارِ الجُمُعةِ سادسَ عَشَرَ ربيعِ الأولِ وصَل إلى دِمَشْقَ نائبُها الأميرُ تَنْكِز الناصرىُّ، أعزَّه اللَّهُ تعالى، وفى خدمتِه الجُيوشُ الشاميةُ والمصريةُ، وخرَج الناسُ [4]للفُرجةِ عليه[4] على العادةِ، وأقام المِصريُّون قليلًا ثم ترحَّلوا إلى القاهرةِ، وقد كانت مَلَطْيَةُ إقطاعًا للجُوبان، أطْلَقها له ملكُ التترِ، فاسْتناب فيها رجلًا كُرديًّا، فتعدَّى وأساءَ وظلَمَ، فكاتَب أهلُها السلطانَ الملكَ الناصرَ، وأحبُّوا أن يكونوا مِن رعيَّتِه، فلمّا سارُوا إليها وأخَذوها، وفعَلوا ما فعَلوا فيها، جاءَها بعدَ ذلك الجُوبان فعمَّرها وردَّ إليها خلقًا كثيرًا مِن الأرْمَنِ وغيرِهم.

وفى التاسعَ عشَرَ مِن هذا الشهرِ وصَل إلينا الخبرُ بمَسْكِ بَكْتَمُر الحاجِبِ وأيْدُغْدِى شُقَيْر وغيرِهما، وكان ذلك يومَ الخميسِ مستهلَّ هذا الشهرِ؛ وذلك لأنَّهم اتفَقوا على السلطانِ، فبلَغه الخبرُ فمسَكهم، واحتِيط على أموالِهم وحواصِلِهم، [١٠/١٥٨ظ] وظهَر لبَكْتَمُر أموالٌ كثيرةٌ وأمتعةٌ وأخشابٌ وحواصلُ

---

(١) دابق: قرية بحلب، إليها نسب المرج، وهى على أربعة فراسخ من حلب، والأغلب على دابق التذكير والصرف، وقد يؤنث ولا يصرف. تاج العروس (د ب ق).

(٢) فى الأصل، ص: «دخل».

(٣) فى الأصل: «دخل».

(٤ - ٤) فى م: «للفرجة عليهم»، وفى ص: «لتلقيه».

كثيرةٌ ، وقدِم قِجْلِيس مِن القاهرةِ فاجْتاز بدِمَشْقَ إلى ناحيةِ طَرابُلُسَ ، ثم قدِم سريعًا ومعه الأميرُ سيفُ الدينِ تَمُر[1] نائبُ طَرابُلُسَ تحت الحَوْطةِ ، ومُسِك بدِمَشقَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَهادُر آص المنصوريُّ ، فحُمِل الأوَّلُ إلى القاهرةِ ، وجُعِل مَكانَه فى نيابةِ طرابُلُسَ كُشْتَاى[2] ، وحُمِل الثانى [3]إلى الكَرَكِ[3] ، وحزِن الناسُ عليه ودعَوْا له . وفى يومِ الخميسِ الحادى والعشْرين مِن ربيعٍ الآخِرِ قدِم عزُّ الدينِ بنُ مُيَسَّرٍ[4] إلى دِمَشقَ متولِّيًا حِسْبتَها ونظَرَ الأوقافِ ، وانصَرف ابنُ الحدّادِ عن الحِسْبَةِ ، وبهاءُ الدينِ بنُ عليمةَ عن نظَرِ الأوقافِ .

وفى ليلةِ الاثنَين [5]الثالث والعشْرين مِن[5] جُمادَى الأُولَى وقَع حريقٌ قُبالةَ مسجدِ الشنباشيِّ داخلَ بابِ الصغيرِ ، واحترَق منه دكاكينُ كثيرةٌ ودورٌ ، وأموالٌ وأمتعةٌ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادسَ عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ درَّس قاضى مَلَطْيَةَ الشريفُ شمسُ الدينِ بالمدرسةِ الخاتُونيَّةِ البرَّانيَّةِ عِوضًا عن قاضى القضاةِ الحنفيِّ البُصْرَوِيِّ ، وحضَر عندَه الأعيانُ ، وهو رجلٌ جيدٌ له فضيلةٌ وحسنُ خلقٍ ، كان قاضيًا بمَلَطْيَةَ وخطيبًا بها نحوًا مِن عشرين سنةً . وفى يومِ الخميسِ رابع[6] جُمادَى

---

(١) فى م : « تمير » . وانظر السلوك ٢/١/ ١٤٤.

(٢) فى م : « كسناى » ، وفى ص : « كساى » ، وفى نسخة من السلوك ٢/١/ ١٤٤: « كسا » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٣٥٣، ونص على ضبطه هكذا ، وضبطه فى الدليل الشافى ٢/ ٥٥٨: « كَسَتَاى » ، ضبط قلم ، وفى ذيول العبر ص ٨٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٩: « كُشْتيه » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، م : « مبشر » . وسيأتى فى وفيات سنة ست عشرة وسبعمائة .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « ثالث عشر » .

(٦) كذا فى النسخ ، وصوابه أن يكون الخميس ثالث جمادى الآخرة ، ليتفق مع ما ذكره المصنف من التواريخ قبله وبعده .

الآخِرةِ أُعِيد ابنُ الحدّادِ إلى الحِسْبةِ ، واستمَرَّ ابنِ مُيسَّرٍ ناظِرَ الأوقافِ . وفى يومِ الأربعاءِ تاسع جُمادَى الآخِرةِ درَّس ابنُ صَصْرَى بالأتَابَكِيَّةِ عوضًا عن الشيخِ صفِيِّ الدينِ الهندىِّ . وفى يومِ الأربعاءِ الآخَرِ حضَر ابنُ الزَّمْلَكانىِّ درسَ الظاهريةِ الجَوَّانِيَّةِ عوضًا عن الهندىِّ أيضًا بحكمِ وفاتِه ، كما ستأْتى ترجَمَتُه .

وفى أواخرِ رجبٍ أُخرِج الأميرُ جمالُ الدينِ آقُوش نائبُ الكَرَكِ مِن سجنِ القاهرةِ ، وأُعِيد إلى الإمرةِ بها . وفى شعبانَ توجَّهَ خمسةُ آلافٍ مِن بلادِ حَلَبَ ، فأغاروا على بلادِ آمِدَ ، وفتَحُوا بُلدانًا كثيرةً ، وقتَلوا وسَبَوْا وعادُوا سالِمِين ، وخمَّسُوا ما سبَوْا ، فبلَغ سهمُ الخُمْسِ أربعةَ آلافِ رأسٍ وكسورًا .

وفى أواخرِ[1] رمضانَ وصَل قَرَاسُنْقُر المنصورىُّ إلى بغدادَ ومعه زوجتُه الخاتون بنتُ أَبْغَا ملكِ التتَرِ ، وجاء [2]إلى خِدْمةِ[2] خَرْبَنْدَا ، واسْتأْذَنه فى الغارةِ على أطرافِ بلادِ المسلمين فلم يَأْذَنْ له ، ووثَب عليه رجلٌ فداوىٌّ مِن جهةِ صاحبِ مصرَ فلم يَقْدِرْ عليه ، وقُتل الفداوىُّ . وفى يومِ الأربعاءِ [3]سادس عشْرين[3] رمضانَ درَّس بالعادليَّةِ الصغيرةِ الفقيهُ الإمامُ فَخْرُ الدينِ محمدُ بنُ علىٍّ المصرىُّ المعروفُ بابنِ كاتبِ قُطْلُوبَك ، بمُقْتَضَى نُزُولِ مدرِّسِها كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانىِّ له عنها ، وحضَر عندَه القضاةُ والأعيانُ والخطيبُ وابنُ الزَّمْلَكانىِّ أيضًا .

وفى هذا الشَّهرِ كَمَلتْ عمارةُ القَيْسارِيَّةِ[4] المعروفةِ بالدَّهْشةِ عندَ الورّاقِينَ

---

(١) فى ص : « أول » .

(٢ - ٢) بياض فى ص ، وفى م : « فى خدمته » .

(٣ - ٣) فى م : « سادس عشر » . وانظر الدارس ١/ ٣٦٩.

(٤) القيسارية ، وجمعها قياسر : السوق المسقوفة ، وأطلقت أيضا على الخان أو الوكالة ، أى البناء الذى يحتوى على غرف ومخازن للتجار ، ويعلوه طباق للسكنى بارتفاع دورين أو ثلاثة . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٤١ نقلا عن (Dozy) . وانظر ما يأتى فى صفحة ٢٧١.

واللبّادِينَ ، وسكَنها التجارُ ، فتمَيَّزَت بذلك أوقافُ الجامعِ ، وذلك بمباشرةِ الصَّاحبِ شمسِ الدِّينِ .

وفى ثامنِ[1] شوَّالٍ قُتِل أحمدُ [١٠/١٥٩و] الرويسُ[2] ، شُهِد عليه بالعظائمِ ؛ مِن تَرْكِ الواجباتِ ، واسْتِحْلالِ المحرماتِ ، واستهانتِه وتَنَقُّصِه بالكتابِ والسنةِ ، فحكَم المالكىُّ بإراقةِ دَمِهِ وإن أسْلَم ، فاعتُقِل ثم قُتِل ، لعَنه اللَّهُ . وفى هذا اليومِ كان خروجُ الركْبِ الشامىِّ ، وأميرُه سيفُ الدينِ طقْتَمُر[3] الموساوىُّ ، وقاضيه قاضى مَلَطْيَةَ ، وحجَّ فيه قاضى حَماةَ وحَلَبَ ومارِدِينَ ، ومحيى الدينِ كاتبُ ملكِ الأمراءِ تَنْكِز ، وصهرُه فخرُ الدينِ المصرىُّ ، [4]وتقىُّ الدينِ الفاضلىُّ . وفى ثامِن ذى الحِجَّةِ وُلِد للسلطانِ ولدٌ ذكرٌ ، فزُيِّنَت البلادُ له[4] .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ العدلِ عمادِ الدينِ[5] بنِ أبى الفضلِ محمدِ بنِ أبى الفتحِ نصرِ اللَّهِ بنِ المُظَفَّرِ بنِ أسعدَ بنِ حمزةَ بنِ أسدِ بنِ علىِّ بنِ محمدٍ التميمىُّ الدِّمَشقىُّ ، ابنُ القَلانِسىِّ ، وُلِد سنةَ ستٍّ وأربعين وستِّمائةٍ ، وباشَر نظَرَ الخاصِّ ، وقد شهِد قبلَ ذلك فى القيمةِ ثم ترَكها ، وقد ترَك أولادًا وأموالًا جمَّةً ، تُوفِّى ليلةَ السبتِ ثانى عشَرَ صفرٍ ، ودُفن بقاسِيُون .

---

(١) فى ص : « ثالث » .

(٢) فى الأصل : « الدوسى » ، وفى م ، ص : « الروسى » ، وفى الدارس ١٣/٢ نقلا عن المصنف : « الزوينى » ، والمثبت من ذيول العبر ص ٨٢، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥، وانظر السلوك ٤٩٤/٢/٢ حاشية (١) .

(٣) فى ص : « طيهتمر » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى م : « محمد » . وانظر تذكرة النبيه ٢/ ٦٧، والسلوك ١٥٨/١/٢، والدرر الكامنة ٥/ ٧.

الشيخُ صفيُّ الدينِ الهندىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ بنِ محمدٍ الأُرْمَوِىُّ[1] **الشافعىُّ المتكلمُ** ، وُلد بالهندِ سنةَ أربعٍ وأرْبعين وستِّمائةٍ ، واشْتَغل على جدِّه لأُمِّه ، وكان فاضلًا ، وخرَج مِن دِهْلَى[2] فى رجبٍ سنةَ سبعٍ[3] وستِّين فحجَّ وجاور ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم دخَل اليمنَ فأعْطاه ملِكُها المظفَّرُ أربعَمائةِ دينارٍ ، ثم دخَل مصرَ فأقام بها أربعَ سِنين ، ثم سافَر إلى الرُّومِ على طريقِ أنْطاكِيَةَ ، فأقام إحْدى عشْرَةَ سنةً بقُونيَّةَ ، وبسيواسَ خمسًا ، وبقَيْساريَّةَ سنةً[4] ، واجْتمَع بالقاضى سراجِ الدينِ فأكْرمه ، ثم قدِم إلى دِمَشقَ فى سنةِ خمسٍ وثمانين فأقام بها واستَوْطنَها ، ودرَّس بها فى الرَّواحِيَّةِ والدَّوْلعيَّةِ والظاهريَّةِ والأتابَكِيَّةِ ، وصنَّف فى الأُصولِ والكلامِ ، وتصدَّر[5] للاشْتغالِ والإفتاءِ ، ووقَف كُتبَه بدارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ ، وكان فيه برٌّ وصِلَةٌ ، تُوفِّى ليلةَ الثلاثاءِ [6]تاسِع عشْرين[6] صفرٍ ، ودُفِن بمقابرِ الصوفيَّةِ ، ولم يكنْ معه وقتَ موتِه سوى الظاهريَّةِ وبها مات ، فدرَّس بعدَه فيها ابنُ الزَّمْلَكانىِّ ، وأخذَ ابنُ صَصْرَى الأتابِكيَّةَ .

القاضى المُسْنِدُ المعمَّرُ الرَّحَلَةُ تقىُّ الدينِ سُليمانُ بنُ حمزةَ بنِ أحمدَ بنِ

---

(١) فى الأصل : « الأموى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٨٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٣٥، وفيه : « محمد بن عبد الرحمن » ، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٦٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥٣٤، والدرر الكامنة ٤/ ١٣٢.

(٢) فى ص : « الهند » . ودهلى ودلى لغة فى دلهى ، وكانت أعظم مدن الهند الإسلامية - وهى الآن عاصمة الهند - وقد ذكرها ابن بطوطة فى رحلته ، وأوسع فيها الكلام. انظر مسالك الأبصار (مخطوط) ١/ ٣٦٧، وغيرها ، وتاج العروس (د هـ ل) .

(٣) فى ص : « أربع » .

(٤) فى ص : « ستا » .

(٥) فى م : « تصدى » .

(٦ - ٦) فى ص : « الثالث والعشرين من » . وانظر الدارس ١/ ١٣١.

عمرَ بنِ الشيخِ أبى عمرَ المقدسيُّ الحنبليُّ[1] ، الحاكمُ بدِمَشْقَ ، وُلِد فى نصفِ رجبٍ سنةَ ثمانٍ وعشْرين وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ ، وقرَأ بنفسِه وتفقَّهَ وبرَع ، وولِى الحكمَ ، وحدَّث ، وكان مِن خيارِ الناسِ وأحسنِهم خُلُقًا وأكثرِهم مروءةً ، تُوفِّى فجْأةً بعدَ مَرْجِعِه مِن البلدِ وحكمِه بالجَوْزِيَّةِ ، فلمّا صار إلى منزِلِه بالدَّيْرِ تغيَّرت حالُه ، ومات عَقِيبَ صلاةِ المغربِ ليلةَ الاثنين حادى عشْرين ذى القَعْدةِ ، ودُفِن مِن الغدِ بتُرْبةِ جدِّه ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ علىُّ بنُ الشيخِ علىٍّ الحريرىُّ[2] ، كان [١٠/١٥٩ظ] مقدَّمًا فى طائفتِه ، مات أبوه وعمْرُه سنَتان ، تُوفِّى فى قريةِ بُسْرَ فى جُمادَى الأُولَى .

الحكيمُ الفاضلُ البارعُ بهاءُ الدينِ[3] **عبدُ السيدِ بنُ المهذّبِ إسحاقَ بنِ يحيى** ، الطبيبُ الكحّالُ المُتشرِّفُ بالإسلامِ ، ثم قرَأ القرآنَ جميعَه ؛ لأنَّه أسلَم على بصيرةٍ ، وأسلَم على يديه خلْقٌ كثيرٌ مِن قومِه وغيرِهم ، وكان مباركًا على نفسِه وعليهم ، وكان قبلَ ذلك ديانَ اليهودِ ، فهَداه اللَّهُ تعالى ، وتُوفِّى يومَ الأحدِ سادس جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن مِن يومِه بسفحِ قاسِيُونَ ، وأسلَم على يدَىْ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ لمّا بيَّن له بطلانَ دينِهم وما هم عليه ، وما بدَّلوه مِن كتابِهم وحرَّفوه مِن الكلمِ عن مواضِعِه ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) ذيول العبر ص ٨٥، وفوات الوفيات ٢/ ٨٣، والوافى بالوفيات ١٥/ ٣٧٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٤، والدرر الكامنة ٢/ ٣٤١.

(٢) الدرر الكامنة ٣/ ١٦٠، وفى نسخة منه :« الجريرى » . بالجيم .

(٣) فى م : « نسر » .

(٤) بعده فى ص : « بن » . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٣ ، والدرر الكامنة ٢/ ٤٧٦.

ثم دخَلَت سنةُ ستَّ عشْرةَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّت وحُكَّامُ البلادِ هم المذكُورون فى التى قبلَها ، غيرَ الحنبلىِّ بدِمَشقَ فإنَّه تُوفِّى فى السَّنةِ الماضيةِ . وفى المحرَّمِ تَكمَّلت تفرقةُ المِثالاتِ[2] السلطانيةِ بمصرَ بمُقْتَضى [3]إراكةِ الأخبازِ[3] ، وعَرْضِ الجيشِ على السلطانِ ، وأبطَلَ السلطانُ المَكْسَ[4] بسائرِ البلادِ القبليَّةِ والشَّاميَّةِ . وفيه وقعَت فتنةٌ بينَ الحنابلةِ والشافعيَّةِ ببَعْلَبَكَّ بسببِ العقائدِ ، وترافَعُوا إلى دِمَشْقَ ، فحضَروا بدارِ السعادةِ عندَ نائبِ السلطنةِ تَنْكِز ، فأصلَح بينَهم ، وانفصَل الحالُ على خيرٍ مِن غيرِ محاققةٍ ولا تشويشٍ على أحدٍ من الفريقَين ، وذلك يومَ الثلاثاءِ سادسَ عشَرَ المحرَّمِ .

وفى يومِ الأحدِ سادسَ عشَرَ صفرٍ قُرِئَ تقليدُ قاضى القضاةِ شمسِ الدينِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ مُسَلَّمِ بنِ مالكِ بنِ مزروعٍ الحنبلىِّ بقضاءِ الحنابلةِ والنَّظَرِ فى أوقافِهم ، عِوضًا عن التقىِّ سليمانَ بحُكْمِ وفاتِه ، رحِمه اللَّهُ ،

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/٨٠ ، وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٣، والسلوك ٢/١/١٦٠.

(٢) المثالات ، واحدها المثال : أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذانا بإعطاء أحد المماليك إقطاعا من الإقطاعات الخالية . انظر صبح الأعشى ١٣/١٥٣، وكشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٤٦.

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « إراكة الأخبار » ، وفى م : « إزالة الأجناد » . وانظر صفحة ١٢٠، ١٣٢.

(٤) المكس ، وجمعه مكوس : وهى كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان ، أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفى الدولة خارجا عن الخراج الشرعى . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٥٣.

وتاريخُ التَّقليدِ مِن سادسِ ذى الحِجَّةِ، وقرِئَ فى الجامعِ الأُمويِّ بحضورِ القضاةِ والصاحبِ والأعيانِ، ثم مشَوْا معه وعليه الخِلْعةُ إلى دارِ السَّعادةِ، فسَلَّم على النائبِ، وراح إلى الصالحيَّةِ، ثم نزَل مِن الغَدِ إلى الجوزيَّةِ فحكَم بها على عادةِ مَن تقدَّمَه، واستَنابَ بعدَ أيامِ الشيخَ شرَفَ الدِّينِ بنَ الحافظِ. وفى يومِ الاثنينِ (١سابعَ عشَرَ صفرٍ المذكورِ١) وصَل الشيخُ كمالُ الدِّينِ ابنُ الشَّرِيشِيِّ مِن مصرَ على البريدِ ومعَه توقيعٌ بعَوْدِ الوَكالةِ إليه، فخُلِع عليه، وسلَّم على النائبِ والخِلعةُ عليه. وفى هذا الشَّهرِ مُسِكَ الوزيرُ عزُّ الدِّينِ بنُ القَلانِسِيِّ واعتُقِل بالعَذْراوِيَّةِ، وصولِح (٢) بخمسِين ألفًا، ثم أُطلِق له ما كان أُخِذ منه، وانفصَل مِن ديوانِ نظرِ الخاصِّ.

وفى ربيعِ الآخرِ وصَل من مصرَ الأميرُ فضلُ بنُ عيسى (٣ومعه تقليدٌ بإمرةِ العربِ عِوضًا عن أخيه مُهَنّا بنِ عيسى٣)، وأُجرِى له ولابنِ أخيه موسى بنِ مُهَنّا إقطاعاتٌ جيدَةٌ(٤)؛ وذلك بسببِ دخولِ مُهَنّا إلى بلادِ التَّتَرِ واجتماعِه بمَلِكِهم خَرْبَنْدَا.

وفى يومِ الاثنَينِ (٥السادسِ والعشْرين مِن٥) جُمادَى الأُولى باشَر ابنُ صَصْرَى مشيخةَ الشيوخِ بالسُّميْساطيةِ بسؤالِ الصُّوفيَّةِ وطلبِهم له مِن نائبِ السلطنةِ، فحضَرها، وحضَر عندَه الأعيانُ فى هذا اليومِ، عِوضًا عن الشَّريفِ [١٠/١٦٠و]

(١ - ١) فى الأصل، م: «سابع صفر».
(٢) فى الأصل، م: «صودر».
(٣ - ٣) زيادة من: ص.
(٤) فى م: «صيدا».
(٥ - ٥) فى الأصل، م: «سادس عشر»، وفى تاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٤ أن ذلك كان فى آخر ربيع الآخر. وانظر الدارس ٢/١٥٧.

شهابِ الدِّين أبى القاسمِ محمدِ بنِ [1]عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحيمِ[1] ابنِ عبدِ الكريمِ بنِ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ بنِ يحيى بنِ موسى بنِ جعفرٍ الصادقِ ، وهو الكاشْغَرِىُّ[2] ، تُوفِّى عن ثلاثٍ وستِّين سنةً ، ودُفِن بالصّوفيةِ .

وفى جُمادَى الآخِرةِ باشر بهاءُ الدينِ[3] إبراهيمُ بنُ جمالِ الدِّينِ يحيى ، المعروفُ بابنِ عليمةَ[4] الحنفىُّ - وهو ناظرُ ديوانِ النائبِ بالشَّامِ - نظَرَ الدواوِين عوضًا عن شمسِ الدِّينِ محمدِ بنِ عبدِ القادرِ بنِ يوسفَ بنِ المظفرِ بنِ صدقةَ بنِ الحظيرىِّ[5] الحاسبِ الكاتبِ[6] ، تُوفِّى ، وقد كان مُباشِرًا عدَّةً من الجهاتِ الكبارِ : مثل نظرِ الخزانةِ ، ونظرِ الجامعِ ، ونظرِ المَارَستانِ ، وغيرِ ذلك ، واستمَرَّ نظرُ المَارَستانِ مِن يومئذٍ بأيدى نظَّارِ ديوانِ نائبِ السلطنةِ مَن كان ، وصارت عادةً مُستمِرَّةً .

وفى رجبٍ نُقِل نائبُ حِمصَ الأميرُ شهابُ الدِّينِ قَرَطاى إلى نيابةِ طرابُلُسَ عِوضًا عن الأميرِ سيفِ الدِّينِ التركستانىِّ بحكمِ وفاتِه ، وولى الأميرُ سيفُ الدِّينِ أرُقْطاى نيابةَ حِمصَ ، [7]وسار إليها مِن دمشقَ فى يومِ الأحدِ سابعِ رجبٍ[7] ، وتولَّى نيابةَ الكَرَكِ سيفُ الدينِ طُقْطَاى الناصرىُّ عِوضًا عن سيفِ الدِّينِ بَيْبُغَا[8] . وفى يومِ الأربعاءِ عاشر رجبٍ درَّس بالنَّجيبيَّةِ القاضى شمسُ الدِّينِ الدِّمشقىُّ ،

(١ - ١) فى ص : « عبد الرحيم بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن » . وسيأتى ذكره فى وفيات هذه السنة .

(٢) فى م : « الكاشنغر » ، وفى ص : « الكاشغورى » .

(٣) بعده فى ص : « بن » . وانظر صفحة ١٣١، ١٥١ .

(٤) فى م : « علية » .

(٥) فى م : « الخطيرى » . وسيأتى ذكره فى وفيات هذه السنة .

(٦) فى م : « الكاسب » .

(٧ - ٧) زيادة من : ص .

(٨) فى م : « تيبغا » .

عِوضًا عن الصدرِ بهاءِ الدينِ يوسفَ بنِ كمالِ[1] الدينِ أحمدَ بنِ الظَّاهرِ[2] العجميِّ الحلَبيِّ، سِبْطِ الصاحبِ كمالِ الدِّينِ بنِ العديمِ، تُوفِّى ودُفِن عندَ خالِه ووالدِه بتربةِ[3] العديمِ.

وفى أواخرِ شعبانَ وصَل القاضى شمسُ الدِّينِ بنُ عزِّ الدِّينِ يحيى الحرَّانىُّ أخو قاضى قضاةِ الحنابلةِ بمصرَ شرفِ الدِّينِ عبدِ الغنىِّ إلى دمشقَ، مُتَولِّيًا نظَرَ الأوقافِ بها عِوضًا عن الصَّاحبِ عزِّ الدِّينِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ[4] بنِ مُيَسَّرٍ، تُوفِّى فى مستهلِّ رجبٍ بدِمَشقَ، وقد باشر نظَرَ الدواوينِ بها وبمصرَ والحِسْبةَ، وبالإسكندَريَّةِ وغيرِ ذلك، ولم يكنْ بقِى معه فى آخِرِ وقتٍ سوى نظرِ الأوقافِ بدمشقَ، مات[5] وقد قارَبَ الثمانينَ، ودُفِن بقاسِيونَ.

وفى تاسِعِ[6] شوَّالٍ خرَج الرَّكبُ الشَّامِىُّ وأميرُهم سيفُ الدِّينِ أَرْغُون السِّلِحدار الناصِرِىُّ الساكنُ عندَ دارِ الطرازِ بدِمشقَ، وحجَّ مِن مصرَ سيفُ الدِّينِ أرْغُون[7] الدَّوَادَار، وقاضى القضاةِ ابنُ جماعةَ، وقد زار القُدْسَ الشَّريفَ فى هذه السَّنةِ بعدَ وفاةِ ولَدِه الخطيبِ جمالِ الدِّينِ عبدِ اللَّهِ، وكان قد رأسَ وعظُمَ شأْنُه.

وفى ذِى القَعْدةِ سار الأميرُ سيفُ الدِّينِ تَنْكِز إلى زيارةِ القُدسِ فغابَ عشرينَ يومًا. وفيه وصَل الأميرُ سيفُ الدِّينِ بَكْتَمُر الحاجبُ إلى دمشقَ مِن مصرَ، وقد

---

(١) فى النسخ: «جمال». وسيأتى ذكره فى وفيات هذه السنة.
(٢) فى م: «الظاهرى»، وفى ص: «طاهر»، وفى الدرر الكامنة ٥/ ٢٢٢: «الظافر».
(٣) بعده فى ص: «ابن».
(٤) فى ص: «محمد». وسيأتى ذكره فى وفيات هذه السنة.
(٥) سقط من: م، ص.
(٦) فى م: «آخر».
(٧) سقط من: م.

كان مُعتَقَلًا فى السِّجنِ ، فأُطلِقَ وأُكرِم ، ووَلِىَ نيابةَ صَفَدَ ، فسار إليها بعدَ ما قضَى أشغالَه بدِمشقَ ، ونقِلَ القاضى حسامُ الدِّينِ القَزْوينىُّ مِن قضاءِ صَفَدَ إلى قضاءِ طرابُلُسَ ، وأُعِيدَتْ وِلايةُ قضاءِ صَفَدَ إلى قاضى دِمشقَ ، فوَلَّى فيها ابنُ صَصْرَى شرفَ الدِّينِ النهاوندىَّ[(١)] ، وكان مُتَولِّيًا [١٠/١٦٠ظ] طرابُلُسَ قبلَ ذلك ، ووصَل مع بَكْتَمُر الحاجبِ [(٢)] الطوَاشِىُّ[(٣)] ظهيرُ الدينِ مُخْتارٌ المعروفُ بالزُّرَعِىِّ ، مُتَوَلِّيًا الخِزانةَ بالقلعةِ عِوَضًا عن الطوَاشِىِّ ظهيرِالدينِ[(٢)] مُخْتارِ البُلْبَيْسِىِّ[(٤)] ، تُوفِّى .

وفى هذا الشَّهرِ ، أعْنِى ذا القَعْدَةِ ، وصَلتِ الأخبارُ بموتِ مِلِكِ التَّتَرِ خَرْبَنْدا محمدِ بنِ أَرْغُون بنِ أَبْغَا بنِ هُولاكُو قان ، ملكِ العراقِ وخُراسانَ وعراقِ العجَمِ والرُّومِ وأذْرَبِيجانَ [(٥)] وبلادِ الأرّانةِ[(٥)] وديارِ بكرٍ ، وكانت وفاتُه فى السابعِ والعشرِينَ مِن رمضانَ ، ودُفِن بتربتِه بالمدينةِ التى أنشأها ، التى يُقالُ لها : السُّلطانيَّةُ[(٦)] . وقد جاوز الثلاثِينَ مِن العُمْرِ ، وكان موصُوفًا بالكَرَمِ ومحبةِ اللَّهوِ واللَّعِبِ والعمائرِ ، وأظهَرَ الرَّفْضَ [(٧)] فى بلادِه[(٧)] ، أقام سَنَةً على السُّنَّةِ ، ثم تحَوَّلَ عنها[(٨)] إلى الرَّفْضِ

---

(١) فى م : « الهاوندى » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) الطواشى : وجمعه طواشية ؛ وهم الخصيان الذين استخدموا فى الطباق المملوكية ، وفى الحريم السلطانى ، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة ، ويعد شيخهم من أعيان الناس . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المملوكى ص ٤٣٣.

(٤) فى الأصل : « البلستينى » ، وفى ص : « المتقليسى » ، وفى م : « البلستين » . وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « والبلاد الإرمينية » . والمثبت موافق لما فى تاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٤. ففيه : « والبلاد الأرانية » . وأران : ولاية واسعة بينها وبين أذربيجان نهر الرس ، وأرّان أيضًا حران مضر . معجم البلدان ١/١٨٣.

(٦) السلطانية : اسمها « قُنْغُرْلان » . وهى مدينة محدثة بناها خربندا على القرب من جبال كيلان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسى مملكته . صبح الأعشى ٤/ ٣٥٨، وانظر النجوم الزاهرة ٩/٢٣٩ حاشية (١) .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) سقط من : م .

فأقام شعائرَه ببلادِه ، وحظِىَ عندَه الشيخُ جمالُ الدِّينِ بنُ مُطَهَّرٍ[1] الحِلِّىُّ[2] تلميذُ نصيرِ الدِّينِ الطُّوسِىِّ ، وأقطَعه عدَّةَ بلادٍ ، ولم يزَلْ على هذا المذهبِ الفاسدِ إلى أن مات فى هذه السَّنةِ ، وقد جرَت فى أيامِه فِتَنٌ كِبارٌ ومصائبُ عِظامٌ ، فأراحَ اللَّهُ مِنه العِبادَ والبلادَ ، وقام فى المُلْكِ بعدَه ولدُه بُو[3] سعيدٍ وله إحْدَى عشْرةَ سنةً ، ومُدَبِّرُ الجُيوشِ والمَمالِكِ له الأميرُ جوبان ، واستَمَرَّ فى الوِزَارةِ على شاه[4] التِّبْرِيزِىُّ ، وأخَذ أهلَ دولتِه بالمصادرةِ وقتْلِ الأعيانِ ممَّن اتَّهَمَهم بقَتْلِ أبيهِ مَسْمُومًا ، ولعِب كثيرٌ مِن الناسِ به فى أوَّل دولَتِهِ ، ثم عدَل إلى العدلِ وإقامةِ السُّنَّةِ ، فأمَر بإعادةِ[5] الخُطبَةِ بالتَّرضِّى عن الشَّيْخينِ أوَّلًا ، ثم عثمانَ ثم علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، ففرِح الناسُ بذلك ، وسكَنت بذلك الفِتَنُ والشُّرورُ والقِتالُ الذى كان بينَ أهلِ تلكَ البلادِ بهَرَاةَ وأصبهانَ وبغدادَ وإربِلَ وساوةَ وغيرِ ذلك ، وكان صاحبُ مكةَ الأميرُ حُمَيْضَةُ[6] بنُ أبى نُمَىٍّ[7] الحَسَنِىُّ قد قصَد ملِكَ التَّتَرِ خَرْبَنْدَا لينْصُرَه على أهلِ مكةَ ، فساعدَه الرَّوافِضُ هناك وجهَّزُوا معه جيشًا كثيفًا مِن خُراسانَ لأجلِ ذلك ، فلمَّا مات خَرْبَنْدَا بطَل ذلك بالكُلِّيَّةِ ، وعاد حُمَيْضَةُ خائبًا خاسِئًا ، وفى صُحْبَتِه أميرٌ مِن كِبارِ الرَّوافِضِ مِن التَّتَرِ يقالُ له : الدلقندىُّ[8] . وقد جمَع لحُمَيْضَةَ أموالًا كثيرةً ؛ ليقيمَ الرَّفْضَ بذلك فى بلادِ الحجازِ ، فوقَع بهما

---

(١) فى ص : « مظهر » .

(٢) فى ص : « على » .

(٣) فى النسخ : « أبو » . وسيأتى التعليق عليه فى وفيات سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

(٤) فى ص : « ساز » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وعشرين وسبعمائة .

(٥) فى م : « بإقامة » .

(٦) فى الأصل ، م : « خميصة » ، وفى ص : « خبيصة » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة عشرين وسبعمائة .

(٧) فى ص : « تمى » ..

(٨) فى الأصل : « الدلقبدى » ، وفى المختصر فى أخبار البشر ٤/٨١: « الدرفندى » . ويقال فيه : « درقندى » ، و : « دقلندى » . انظر العقد الثمين ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠، والدرر الكامنة ٢/ ١٦٧.

الأميرُ محمدُ بنُ عيسى أخو[1] مُهَنَّا، وقد كان فى بلادِ التَّتَرِ أيضًا ومعه جماعةٌ مِن العربِ، فكسَرهما ومَن كان معهما، ونهَب ما كان معهما مِن الأموالِ، وتفرَّق الرجالُ، وبلَغت أخبارُ ذلك إلى الدولةِ الإسلامِيَّةِ، فرضِىَ عنه السلطانُ الملكُ الناصرُ وأهلُ دولتِه، وغسَل ذلك ذَنْبَه عندَه، فاسْتَدْعى به السلطانُ إلى حضرتِه، فحضَر سامعًا مُطِيعًا، فأكرمَه نائبُ الشَّامِ، فلمَّا وصَل إلى السلطانِ أكرَمه أيضًا، ثم إنَّه اسْتَفْتَى الشيخَ تقِىَّ الدينِ ابنَ تيميَّةَ، وكذلك أرسَل إليه السلطانُ يسألُه عن الأموالِ التى أُخِذتْ من الدلقندىِّ، فأفتاهم بأنَّها تُصْرَفُ فى المصالحِ التى يعودُ نفعُها على المسلِمين؛ لأنَّها كانت مُعَدَّةً لعنادِ الحقِّ ونُصْرَةِ أهلِ البِدْعةِ على السُّنَّةِ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

خَرْبَنْدَا[2] ملِكُ التَّتارِ كما تقدَّم، **وعزُّ الدِّينِ** [3]**بنُ مُيَسَّرٍ**[3]، **والشِّهابُ الكاشْغَرِىُّ**[4] شيخُ الشيوخِ، [5]**وشمسُ الدِّينِ بنُ الحظيرىِّ**[5]، **والبهاءُ العجمىُّ**[6] مُدرِّسُ النجيبيَّةِ.

---

(١) فى ص: «بن». وكلاهما صواب، وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

(٢) ذيول العبر ص ٨٨، والوافى بالوفيات ٢/ ١٨٥، ١٣/ ٣٠٣، والدرر الكامنة ٣/ ٤٦٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٨، وشذرات الذهب ٦/ ٤٠، وذكره المقريزى فى السلوك ٢/١/١٥٩ فى وفيات سنة خمس عشرة وسبعمائة.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «المبشر»، وفى ص: «المشير». وقد تقدم ذكره فى أحداث هذه السنة وفى صفحة ١٠، وانظر ترجمته فى: السلوك ٢/١/ ١٦٧، والدرر الكامنة١/ ٣٠٦.

(٤) فى م: «الكاشنغرى»، وفى ص: «الكاشغورى». وانظر السلوك ٢/١/ ١٦١، والدرر الكامنة ٤/ ١١٩، والدارس ٢/ ١٥٧.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، وفى ص، ، وذيول العبر ص ٨٧، والسلوك ٢/١/ ١٦٧: «الخطيرى». والمثبت موافق لما فى الدرر الكامنة ٣/ ٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣٨.

(٦) تذكرة النبيه ٢/ ٧٩، والدرر الكامنة ٥/ ٢٢٢، والدارس ١/ ٤٧١.

وفيها قُتِل **خطيبُ المِزَّةِ**[1] ، قتلَه رجلٌ جَبَلِيٌّ ، ضرَبه بفأسِ اللجامِ[2] فى رأسِه فى السُّوق ، فبقِىَ أيامًا ومات ، وأُخِذ القاتلُ فشُنِقَ فى السوقِ الذى قتَل فيه ، وذلك يومَ الأحدِ ثالثَ عشَرَ ربيعِ الآخِرِ ، ودُفِن هناك وقد جاوز السِّتِّينَ .

الشَّرفُ صالحُ بنُ محمدِ بنِ عربشاه[3] **بنِ أبى بكرٍ الهَمَذانىُّ** ، مات فى جُمَادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بمقابرِ النَّيْرِبِ ، وكان مَشْهُورًا بطِيبِ القراءةِ وحُسْنِ السِّيرةِ ، وقد سمِع الحديثَ وروَى[4] « جزءَ ابنِ[4] عَرَفةَ » .

صاحبُ « التَّذكِرةِ الكنديَّةِ » الشيخُ الإمامُ المُقرِئُ المُحدِّثُ النَّحْوِىُّ الأديبُ علاءُ الدِّينِ علىُّ بنُ المُظَفَّرِ بنِ إبراهيمَ بنِ عمرَ بنِ زيدِ بنِ هبةِ اللَّهِ الكندىُّ الإسكَنْدَرانىُّ ثم الدِّمشقىُّ[5] ، سَمِع الحديثَ على أزيدَ مِن مِائَتَىْ شيخٍ ، وقرَأ القراءاتِ السَّبعَ ، وحصَّل علومًا جيِّدَةً ، ونظَم الشعرَ الحسَنَ الرائقَ الفائقَ ، وجمَع كتابًا فى نحوٍ من خمسِينَ مُجلَّدًا ، فيه علومٌ جَمَّةٌ أكثرُها أدبِيَّاتٌ سمَّاه « التذكِرةَ الكندِيَّةَ »[6] ، وقفَها بالسُّميْساطِيَّةِ ، وكتَب حسَنًا ، وحسَب جيِّدًا ، وخدَم فى عدَّةِ خدَمٍ ، وولِىَ مشيخةَ دارِ الحديثِ النَّفِيسِيَّةِ فى مدَّةِ عشْرِ سِنينَ ، وقرَأ

---

(١) بعده فى ص : « شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن داود فارس المنبجى وقد كان من مدة متطاولة خطيب المزة » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى م : « اللحام » . وفأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك ، وقيل : هى المعترضة فيه . تاج العروس (ف أ س) .

(٣) فى الأصل : « عريشاه » ، وفى ص : « عزابشاه » . وانظر ترجمته فى : معجم شيوخ الذهبى ص ٢٤٣ ، والدرر الكامنة ٢/ ٣٠٢ .

(٤ - ٤) فى م : « جزءا ابن » ، وفى ص : « خبره ابن » . وقد جمع فى المطبوعة بين ابن عرفة وصاحب التذكرة الكندية على أنهما ترجمة لشخص واحد ، والصواب ما أثبتناه ، فصاحب التذكرة الكندية يعرف بكاتب ابن وداعة .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠٣ ، وذيول العبر ص ٨٧ ، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٩٩ ، وفوات الوفيات ٣/ ٩٨ ، والدرر الكامنة ٣/ ٢٠٤ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٥ ، وشذرات الذهب ٦/ ٣٩ .

(٦) وتسمى التذكرة العلائية . انظر كشف الظنون ١/ ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

« صحيحَ البُخارِىِّ » مرَّاتٍ عديدةً ، وأسمَع الحديثَ ، وكان يلوذُ بشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ ، وتُوفِّى بِبُسْتانِه عندَ قُبَّةِ المُسَجِّفِ[1] ليلةَ الأربعاءِ سابعَ عشَرَ رجبٍ ، ودُفِن بالمِزَّةِ عن سِتٍّ وسبعِينَ سنةً .

الطَّوَاشِىُّ ظَهيرُ الدِّينِ مختارٌ البُلْبَيْسِىُّ[2] ، الخِزَنْدار بالقلعةِ ، وأحدُ أمراءِ الطَّبْلَخَاناه بدمشقَ ، كان زكيًّا خيِّرًا[3] فاضلًا ، يحفَظُ القرآنَ ويُؤدِّيه بصوتٍ طيِّبٍ ، ووقَف مَكْتبًا للأيتامِ على بابِ قَلْعةِ دِمشقَ ، ورتَّب لهم الكُسْوَةَ والجَامَكيَّةَ[4] ، وكان يمتحِنُهم بنفسِه ، ويفرَحُ بهم، وعَمِل له تربةً خارجَ بابِ الجابيةِ ، ووقَف عليها المقرئِينَ[5] ، وبنَى عندَها مسجدًا حسَنًا ، ووقفَه بإمامٍ ، وهى مِن أوائلِ ما عُمِلَ مِن التُّرَبِ بذلك الخَطِّ ، ودُفِن بها فى يومِ الخميسِ عاشر شعبانَ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان حسَنَ الشَّكلِ والأخلاقِ ، عليه سَكِينةٌ ووقارٌ وهَيبةٌ ، وله وجاهةٌ فى الدولةِ ، سامَحَه اللَّهُ ، وولِى بعدَه الخزانةَ سمِيُّه ظهيرُ الدِّينِ مختارٌ الزُّرَعىُّ .

الأميرُ بدرُ الدِّينِ محمدُ بنُ الوزيرىِّ[6] ، كان مِن الأُمراءِ المقدَّمين ، ولديه فضيلةٌ ومعرفةٌ وخبرةٌ ، وقد ناب عن السُّلطانِ بدارِ العدلِ مرَّةً بمصرَ ، وكان

---

(١) فى الأصل : « السجف » ، وفى م : « المسجد » ، وفى ص : « المصحف » . والمثبت من الوافى بالوفيات ، وفوات الوفيات ، والدارس ١/ ١١٥. وقبة المسجف : نسبة إلى عبد الرحمن بن أبى القاسم ، ابن المسجف ، وقبره معروف قرب المزة . انظر الوافى بالوفيات ١٨/ ٢٢٠، وحاشية الدارس .

(٢) فى الأصل : « البلستينى » ، وفى ص : « التقليسى » ، وفى م : « البكنسى » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/ ١/ ١٦٩، والدرر الكامنة ٥/ ١١٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٧، والدليل الشافى ٢/ ٧٣٠، والدارسى ٢/٢٨٧.

(٣) فى الأصل ، م : « خبيرا » .

(٤) الجامكية ، وجمعها جوامك : الراتب المربوط لشهر أو أكثر . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٠٤ نقلا عن (Dozy) .

(٥) فى الأصل ، م : « القريتين » .

(٦) السلوك ٢/١/١٦٩ ، والدارس ٢/٢٣٣ .

حاجبَ الميسرةِ ، وتكلَّم فى الأوقافِ وفيما يتعلَّقُ بالقُضَاةِ والمدرسِينَ ، ثم نُقِل إلى دِمَشقَ ، فمات بها فى سادسَ عشَرَ شعبانَ ، ودُفِن بميدانِ الحَصَا فوقَ خانِ[1] النَّجيبِيِّ ، وخلَّف تَرِكةً عظيمةً .

الشيخةُ الصالحةُ سِتُّ الوُزراءِ بنتُ عمرَ بنِ أسعدَ بنِ المُنَجَّا[2] ، راويةُ « صحيحِ البخاريِّ » وغيرِه ، جاوزَتِ التسعِين سنةً ، وكانت مِن الصالحاتِ ، تُوفِّيتْ ليلةَ الخميسِ [3]ثامنَ عشَرَ[3] شعبانَ ، ودُفِنت بتربتِهم [4]بالقُربِ مِن[4] الجامعِ المُظفَّرِيِّ بقاسِيونَ .

القاضى محبُّ الدِّينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ قاضى القضاةِ تقىِّ الدينِ بنِ دقيقِ العيدِ[5] ، اسْتنابه أبوه فى أيامِه ، وزوَّجه بابنةِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ ، ودرَّس بالكهَّاريَّةِ[6] ، ورأَس بعدَ أبيهِ ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنينِ تاسعَ عشَرَ رمضانَ ، وقد قارب السِّتِّينَ ، ودُفِن عندَ أبيه بالقرافةِ .

---

(١) الخان ، وجمعه الخانات : الفنادق المعدة لاستقبال النجار وبضائعهم ودوابهم ، ويوجد به بئر ماء وميضأة ، وإصطبل للدواب ، وفى أعلاه طباق ومساكن للنازلين . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤١١ : نقلًا عن عبد اللطيف إبراهيم : دراسات .

(٢) ذيول العبر ص ٨٨ ، والسلوك ١٦٩/١/٢ ، والدرر الكامنة ٢٢٣/٢، والنجوم الزاهرة ٢٣٧/٩ ، وشذرات الذهب ٤٠/٦ ، وأعلام النساء ١٧٣/٢ . وشهرة ست الوزراء هذه : وزيرة . انظر ما يأتى ص ٣٣٨.

(٣ - ٣) فى ص : « خامس » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « فوق » .

(٥) الوافى بالوفيات ٢٢ /١٠٣ ، والبدر الطالع ص ٤٠٤ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٣٦٧/١٠ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢٣٤/٢ ، والدرر الكامنة ١٨٧/٣ ، وحسن المحاضرة ٤٢٢/١ ، وشذرات الذهب ٣٧/٦ .

(٦) فى الأصل ، م : « اللهارية » ، وفى ص : « العقارية » ، وفى نسخة من الوافى ، ونسخة من السلوك ، والدارس ١٣٤/١ ، ٢٣٩ ، ٣١٧ : « الهكارية » ، وفى نسخة من البدر الطالع : « الجهادية السنية » ، والمثبت من المصادر الأخرى ، والكهارية : من مدارس الشافعية بمصر ، كانت بدرب الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك إليه من القماحين . خطط المقريزى ٣٦١/٢ ، وانظر تحقيق مكانها الآن فى حاشية النجوم الزاهرة ٦٧/٩ .

[١٠/١٦١ظ] **الشَّيْخةُ الصَّالحةُ المُعَمَّرةُ سِتُّ النِّعمِ**[١] **بنتُ عبدِ الرحمنِ بنِ عليِّ بنِ عَبدُوسٍ الحَرَّانِيَّةُ**، والدةُ الشَّيخِ تقيِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ، عُمِّرت فوقَ السبْعِينَ سنةً، [٢]وكانت مِن الصالحاتِ، ولَدت تسعةَ بنينَ[٢]، ولم تُرزَقْ بنتًا قطُّ، تُوفِّيت يومَ الأربعاءِ العشرينَ مِن شوَّالٍ[٣]، ودُفِنت بالصُّوفيةِ، وحضَر جِنازتَها خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، رحِمها اللَّهُ.

الشيخُ نجمُ الدِّينِ موسى بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الحَلَبِيُّ[٤] **ثم الدِّمَشقيُّ**، الكاتبُ الفاضلُ المعروفُ بابنِ البُصَيْصِ، شيخُ صناعةِ الكتابةِ فى زمانِه، لاسيَّما فى المزَوَّجِ والمُثلَّثِ، وقد أقام يكتِّبُ الناسَ خمسينَ سنةً، وأنا ممَّن كتَب عليه، أثابه اللَّهُ الجنَّةَ، وكان شيخًا حسَنًا بهِيَّ المنظرِ، يَشْعُرُ جيدًا، تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ عاشرِ ذى القَعْدَةِ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصَّغيرِ، وله خمسٌ وستُّون[٥] سنةً.

الشيخُ تقِيُّ الدِّينِ المَوْصِلِيُّ، أبو بكرِ بنُ [٦]**محمدِ بنِ أبى بكرِ بنِ**[٦] **أبى الكرمِ**، شيخُ القراءةِ عندَ مِحْرابِ الصَّحابةِ، وشيخُ ميعادِ ابنِ عامرٍ مدَّةً طويلةً، وقد انتفَع الناسُ به نحوًا مِن خمسينَ سنةً فى التَّلقينِ والقِراءاتِ، وختَّم خلقًا كثيرًا، وكان يُقْصَدُ لذلك، ويجمَعُ تصديقاتٍ يقولُها الصِّبيانُ ليالِىَ ختمِهم، وقد سمِع الحديثَ، وكان خيِّرًا ديِّنًا، تُوفِّى ليلةَ[٧] الثلاثاءِ سابعَ عشَرَ ذى

---

(١) فى م، ص: «المنعم». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٦٤.

(٢ - ٢) زيادة من: ص.

(٣) فى ص: «رمضان».

(٤) فى الأصل: «الحلى»، وفى م: «الجيلى». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٨٩، وتذكرة النبيه ٢/ ٧٦، والسلوك ٢/١/١٧٠، والدرر الكامنة ٥/١٤٧، والنجوم الزاهرة ٩/٢٣٣، والدليل الشافى ٢/٧٥٠.

(٥) فى ص: «سبعون».

(٦ - ٦) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: غاية النهاية ١/١٨٣.

(٧) فى ص: «يوم».

القَعْدةِ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشَّيخُ الصَّالحُ الزَّاهدُ المُقرِئُ أبو عبدِاللَّهِ محمدُ بنُ الخطيبِ سلامةَ بنِ سالمِ بنِ الحسنِ بنِ ينبوبَ[1] **المالينيُّ** ، أحدُ الصُّلحاءِ المشهُورِينَ بجامعِ دِمَشقَ ، سمِع الحديثَ ، وأقرأ النَّاسَ نحوًا مِن خمسِينَ سنةً ، وكان يُفصِّحُ[2] الأولادَ فى الحروفِ الصَّعبةِ ، وكان مُبْتَلًى فى فمِه ، يحمِلُ طاسةً تحتَ فَمِه مِن كثرةِ ما يَسِيلُ منه من الرِّيالِ وغيرِه ، وقد جاوز الثمانِينَ بأربعِ سنينَ ، تُوفِّى بالمدرسةِ الصَّارميَّةِ[3] يومَ الأحدِ [4]ثانى عشْرين[4] ذى القَعْدَةِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ بالقربِ مِن القَلَنْدَرِيَّةِ[5] ، وحضَر جِنازتَه خلقٌ كثيرٌ جدًّا نحوٌ مِن عشَرةِ آلافٍ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ بنُ الوَكِيلِ[6] ، هو العَلَّامةُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشَّيْخِ الإمامِ مُفْتِى المسلمينَ زَيْنِ الدِّينِ عُمَرَ بنِ مَكِّىِّ بنِ عبدِ الصَّمَدِ ، المَعْرُوفُ بابْنِ المُرَحِّلِ وبابنِ الوَكِيلِ ، شَيْخُ الشافعيَّةِ فى زَمانِه ، وأشْهَرُهم فى وَقْتِه بالفَضِيلةِ وكَثْرَةِ الاشْتِغالِ[7] والمُطالَعَةِ والتَّحْصِيلِ والافْتِنانِ فى العُلومِ العَدِيدَةِ ، وقد أجاد مَعْرِفَةَ المَذْهَبِ والأَصْلَيْنِ ، ولم يكنْ فى النَّحْوِ بذاكَ القَوِىِّ ، فكان يَقَعُ منه اللَّحْنُ

---

(١) فى ص : « بكتوت » . وانظر ترجمته فى : الدارس ٣٣٠/١ نقلًا عن المصنف .

(٢) فى الأصل : « ينصح » . وانظر ص ٢٤٦ .

(٣) المدرسة الصارمية : من مدارس الشافعية ، داخل باب النصر والجابية قبلى العذراوية بشرق ، بانيها صارم الدين أزبك مملوك قايماز النجمى . الدارس ٣٢٦/١ .

(٤ - ٤) فى م : « ثانى عشر » ، وفى ص : « الثالث والعشرين » .

(٥) فى الأصل ، م : « القندلاوى » ، وفى ص : « القنلاوى » . والقلندرية : زاوية بمقبرة باب الصغير شرقى محلة مسجد الذبان وشرقى مئذنة البصير . الدارس ٢١٠/٢ .

(٦) ذيول العبر ص ٩٠ ، والوافى بالوفيات ٢٦٤/٤ ، وفوات الوفيات ٥٠٠/٢ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٢٥٣/٩ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٤٥٩/٢ .

(٧) فى الأصل ، ص : « الأشعار » .

الكَثِيرُ ، مع أنه قرأ فيه « المُفَصَّلَ » للزَّمَخْشَرِيِّ ، وكانتْ له مَحْفوظاتٌ كَثِيرةٌ ، وُلِد فى شَوَّالٍ سنةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وسِتِّمائةٍ ، وسَمِع الحَدِيثَ على المَشايخِ ، من ذلك « مُسْنَدُ الإمامِ أحمدَ » على ابنِ عَلَّانَ ، و « الكُتُبُ السِّتَّةُ » ، وقُرِئَ عليه قِطْعَةٌ كَبِيرةٌ من « صحيحِ مسلمٍ » بدارِ الحديثِ عن الأَمِيرِ الإرْبِلِيِّ والعامِرِيِّ والمِزِّيِّ ، وكان يَتَكَلَّمُ على الحديثِ بكلامٍ مَجْموعٍ مِن عُلومٍ كَثِيرةٍ ؛ من الطِّبِّ والفَلْسَفَةِ وعِلْمِ الكَلامِ - وليس ذلك بعلمٍ - وعلومِ الأَوائِلِ ، وكان يُكْثِرُ مِن ذلك ، وكان يقولُ الشِّعْرَ جَيِّدًا ، وله ديوانٌ مَجْموعٌ مُشْتَمِلٌ على أَشْياءَ لَطِيفةٍ ، وكان له أَصْحابٌ يَحْسُدونَه [١٠/١٦٢و] ويُحِبُّونَه ، وآخرونَ يَحْسُدونَه ويُبْغِضونَه ، وكانوا يَتَكَلَّمون فيه بأشياءَ ويَرْمُونَه بالعَظائِمِ ، وقد كان مُسْرِفًا على نَفْسِه ، قد أَلْقَى جِلْبابَ الحياءِ فيما يَتعاطاه مِن القاذوراتِ والفواحِشِ ، وكان يَنْصِبُ العَداوةَ للشَّيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، ويُناظِرُه فى كَثِيرٍ مِن المَحافِلِ والمَجالِسِ ، وكان يَعْتَرِفُ للشَّيْخِ تَقيِّ الدِّينِ بالعلومِ الباهِرَةِ ويُثْنِى عليه ، ولكنَّه كان يُجاحِفُ عن مذهَبِه وناحِيَتِه وهَواه ، ويُنافِحُ عن طائِفَتِه . وقد كان شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ يُثْنِى عليه وعلى عُلومِه وفضائِلِه ، ويَشْهَدُ له بالإسْلامِ إذا قِيل له عن أَفْعالِه وأَعْمالِه القَبِيحَةِ ، وكان يقولُ : كان مُخَلِّطًا على نَفْسِه ، مُتَّبِعًا مُرادَ الشَّيْطانِ منه ، يَمِيلُ إلى الشَّهْوةِ والمُحاضَرَةِ ، ولم يكنْ كما يقولُ فيه بَعْضُ أَصْحابِه مِمَّن يَحْسُدُه ويتَكَلَّمُ فيه . هذا أو ما هو فى معناه . وقد دَرَّس بعدةِ مَدارِسَ بمِصْرَ والشَّامِ ، فدَرَّسَ بدِمَشْقَ بالشَّامِيَّتَيْنِ والعَذْراوِيَّةِ ودارِ الحَدِيثِ الأَشْرَفِيَّةِ ، وَوَلِىَ فى وَقْتٍ الخطابَةَ أيامًا يَسِيرَةً كما تقدَّم ، ثم قام الخَلْقُ عليه وأَخْرَجُوها مِن يَدِه ، ولم يَرْقَ مِنْبَرَها ، ثم خالَط نائبَ السلطنةِ الأَفْرَمَ ، فجَرَت له أُمورٌ لا يَحْسُنُ ذِكْرُها ولا يَرْشُدُ أَمْرُها ، ثم آلَ به الحالُ على أن عزَم على الانْتِقالِ مِن دِمَشْقَ إلى حَلَبَ ؛

لاسْتِحْواذِه على قَلْبِ نائبِها ، فأقام بها ودَرَّس ، ثم تَرَدَّدَ فى الرسليَّةِ بينَ السُّلْطانِ ومُهَنّا صُحْبَةَ أَرْغُون وأَلْطُنْبُغا ، ثم اسْتَقَرَّ به المنزلُ بمصرَ ، ودَرَّس فيها بمَشْهَدِ الحسينِ إلى أن تُوفِّىَ بها بُكْرَةَ نَهارِ الأَرْبِعاءِ رابعِ عِشْرِينَ ذِى الحِجَّةِ بدارِه قريبًا من جامعِ الحاكمِ ، ودُفِن من يومِه قَرِيبًا مِن الشيْخِ محمدِ بنِ أبى حَمْزَةَ[1] بتربةِ القاضِى ناظِرِ الجيشِ بالقَرافَةِ ، ولمّا بَلَغَتْ وفاتُه دِمَشْقَ صُلِّى عليه بجامِعِها صلاةَ الغائِبِ بعدَ الجُمُعةِ ثالث المُحَرَّمِ مِن السَّنةِ الآتيةِ ، ورثاه جَماعَةٌ ؛ منهم ابنُ غانمٍ عَلاءُ الدِّينِ ، والقَحْفازِىُّ[2] ، [3]والصَّفَدِىُّ ؛ لأنهم كانوا مِن عُشَرائِه[3] .

وفى يوم عَرَفَةَ تُوفِّى **الشيخُ عِمادُ الدينِ إسماعيلُ** [4]**بنُ عبدِ اللَّهِ**[4] **الفُوعِىُّ** ، وكيلُ قِجْلِيس ، وهو الذى بَنَى له الباشورةَ[5] على بابِ الصغيرِ بالبَرَّانيَّةِ الغربيَّةِ ، وكانتْ فيه نهضةٌ وكفايةٌ ، وكان من بيتِ الرَّفْضِ ، اتَّفق أنه استحْضرَه نائبُ السلْطَنَةِ فضرَبَه بينَ يَدَيْه ، وقامَ النائبُ إليه بنَفْسِه فجعَلَ يضرِبُه بالمهامِيزِ[6] فى وَجْهِه ، فرُفِع مِن بين يدَيْهِ وهو تالِفٌ ، فماتَ فى يومِ عَرَفَةَ ، ودُفِنَ مِن يوْمِه بسَفْحِ قاسِيونَ ، وله دارٌ ظاهرَ بابِ الفرادِيسِ .

---

(١) فى م ، وشذرات الذهب ١٠٩/٦ - ترجمة ابن سيد الناس : « جمرة » . وانظر الدارس ٣٠/١ .

(٢) فى م : « القجفازى » . وستأتى وفاته سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

(٣ - ٣) فى الأصل : « والصدى » ، وفى ص : « ونجم الدين الصفدى » .

(٤ - ٤) زيادة من : ص . ومكان لفظ الجلالة بياض . وانظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٤٠٨/١. وفيه : إسماعيل بن مزورع ... ويقال : إن اسم أبيه عبد اللَّه .

(٥) الباشورة والجمع بواشير : سد من التراب لمنع وصول الخيالة والرجالة والسهام إلى موضع المحاربين . السلوك ١٥٠/١/١ حاشية (٤) .

(٦) المهاميز واحدها مهمز ، ومهماز : ما همزت به الدابة ، وهى حديدة فى مؤخر خف الرائض . تاج العروس (هـ م ز) .

ثم دخلَت سنةُ سبعَ عشْرةَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت والحكّامُ هم المذكُورون فى التى قبلَها . وفى صَفَرٍ شُرِع فى عِمارةِ الجامعِ الذى أنشَأه ملكُ الأُمراءِ سيفُ الدينِ تَنْكِز نائبُ الشامِ ظاهرَ بابِ النصرِ تُجاهَ حِكْرِ السماقِ[2] على نهْرِ بانْياسَ بدِمَشْقَ ، وتردَّد القُضاةُ والعُلماءُ فى تحريرِ قبلتِه ، فاستقرَّ الحالُ فى أمرِها على ما قاله الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ فى يومِ الأحدِ الخامسِ والعشْرين منه ، وشرَعوا فى بنائِه بأمرِ السلطانِ ومُساعدتِه لنائبِه فى ذلك .

وفى صَفَرٍ هذا جاء سيلٌ عظيمٌ [١٠/١٦٢ظ] بمدينةِ بَعْلَبَكَّ ، أهلَك خلقًا كثيرًا مِن الناس ، وخرَّب دورًا وعمائرَ كثيرةً ، وذلك فى يومِ الثلاثاءِ [3]سابع عشْرين[3] صفرٍ .

ومُلخَّصُ ذلك أنَّه جاءَهم قبلَه رعدٌ وبرقٌ عظيمٌ معهما مطرٌ وبرَدٌ ، فسالتِ الأوديةُ ، ثم جاءهم بعدَه سيلٌ هائلٌ خَسَف مِن سورِ البلدِ مِن جهةِ الشمالِ بشرقٍ مقدارَ أربَعين ذراعًا ، مع أنَّ سُمكَ الحائطِ خمسةُ أذْرُعٍ ، وحمَل برجًا صحيحًا ، ومعه مِن جانبيه بعض بَدْنِيَّتَينِ[4] ، فحمَله كما هو حتى مرَّ فحفَر فى

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/٨١ ، وكنز الدرر ٩ / ٢٩٠ ، ومرآة الجنان ٤/٢٥٦ ، وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٥ .

(٢) فى ص : « السباق من الشام » . وانظر الدارس ٢/٤٢٥ .

(٣ - ٣) فى ص : « التاسع والعشرين » ، وفى السلوك ٢/١/١٧١ : « سابع » . وانظر المختصر فى أخبار البشر .

(٤) فى الأصل ، ص : « بدنتين » ، وفى م : « مدينتين » ، وفى المختصر : « النثتين » ، وفى تذكرة النبيه ٢/٨٠ : « بدنة » . والبَدْنية : حجر كبير منحوت . انظر ١/٢٥٩ (Dozy) .

الأرضِ نحوَ خمسِمائةِ ذراعٍ ، سعةَ ثلاثين ذِراعًا ،وحمَل السيلُ ذلك إلى غربيِّ البلدِ ، لا يمُرُّ على شيءٍ إلَّا أتلَفه ، ودخَل المدينةَ على حينِ غفْلةٍ من أهلِها ، فأتلَف ما يزيدُ على ثلُثِها ، ودخَل الجامعَ فارتفَع فيه على قامةٍ ونصفٍ ، ثم قوِى على حائطِه الغربيِّ فأخرَبه ، وأتلَف جميعَ ما فيه مِن[1] الحواصلِ والكتُبِ والمصاحفِ ، وأتلَف شيئًا كثيرًا مِن رِباعِ الجامعِ ، وهلَك تحتَ الهدْمِ خلقٌ كثيرٌ مِن الرجالِ والنساءِ والأطفالِ ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون ، وغرِق فى الجامعِ الشيخُ علىُّ بنُ محمدِ بنِ الشيخِ علىٍّ الحريرىِّ هو وجماعةٌ معه مِن الفُقراءِ[2] ، ويقالُ : جملةُ مَن هلَك بالغَرَقِ[3] فى هذه الكائنةِ مِن أهلِ بَعْلَبَكَّ مائةٌ وأربعةٌ وأربَعون نفسًا سوى الغُرباءِ ، وجملةُ الدُّورِ التى خرَّبها والحوانيتِ التى أتلَفها نحوٌ مِن ستِّمائةِ دارٍ وحانوتٍ ، وجملةُ البساتينِ التى جرَف أشجارَها عشْرونُ بُستانًا ، ومِن الطواحينِ ثمانيةٌ سوى الجامعِ والأمِينيَّةِ[4] ، وأمّا الأماكنُ التى دخَلها وأتلَف ما فيها ولم تَخْرَبْ فكثيرٌ جدًّا .

وفى هذه السنةِ زاد النيلُ زيادةً عظيمةً لم يُسْمَعْ بمثلِها مِن مُدَدٍ ، وغرَّق بلادًا كثيرةً ، وهلَك فيها ناسٌ كثيرٌ أيضًا ، وغرَّق مُنْيَةَ الشِّيرَجِ[5] ، فهلَك للناسِ فيها شىءٌ كثيرٌ ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « الفقهاء » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل : « الأبنية » . وفى السلوك فى تقدير ما أتلفه السيل خلاف كبير عما هنا .

(٥) فى الأصل ، م : « السيرج » . ويقال لها : منية الأمير ، ومنية الأمراء . وهى بلدة كبيرة ذات سوق على ميلين من القاهرة على شط النيل بين القاهرة وقليوب . المشترك وضعا ص ٤٠٨ ، وخطط المقريزى ٥٢٣/٢ ، وانظر فى تحقيق مكانها الآن النجوم الزاهرة ١٨٣/٩ حاشية (١) .

وفى مستهلِّ ربيعِ الآخِرِ [1] جلَس السُّلطانُ بو[2] سعيدِ بنُ خَرْبَنْدَا على تَخْتِ المملكةِ بالمدينةِ السُّلطانيةِ . وفى ربيعِ الآخِرِ[1] منها أغار جيشُ حَلَبَ على مدينةِ آمِدَ فنهَبُوا وسبَوْا وعادُوا سالمين . وفى يوم السبتِ [3]تاسعِ عشْرين[3] منه قدِم قاضى المالكيَّةِ إلى الشام مِن مصرَ ، وهو الإمامُ فخرُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ سَلَامَةَ بنِ أحمدَ[4] بنِ سلامةَ الإسكنْدرِىُّ المالكىُّ على قَضاءِ دِمَشقَ عوضًا عن قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ الزَّواوىِّ ؛ لضعْفِه واشْتدادِ مرضِه ، فالتَقاه القُضاةُ والأعيانُ ، وقرِئ تقليدُه بالجامعِ ثانىَ يومِ وُصولِه ، وهو مُؤرَّخٌ بثانى عشَرَ الشهرِ ، وقدِم نائبُه الفقيهُ نورُ الدينِ السَّخاوِىُّ[5] ، ودرَّس بالجامعِ فى مُستهلِّ[6] جُمادَى الأُولَى ، وحضَر عندَه الفقهاءُ والأعيانُ والقضاةُ ، وشُكِرت فضائلُه وعُلومُه ونَزاهتُه وصَرامتُه ودِيانتُه ، وبعدَ ذلك بتسعةِ أيامٍ تُوفِّى الزَّواوىُّ المعزولُ ، وقد باشَر القضاءَ بدِمَشقَ ثلاثين سنةً .

وفيه[7] أُفرِج عن الأميرِ سيفِ الدينِ بَهَادُرآص مِن سِجنِ الكَرَكِ ، وحُمِل إلى القاهرةِ ، [١٠/١٦٣و] وأكرَمه السلطانُ ، وكان سَجَنه بها مُطاوعةً لإشارةِ نائبِ الشامِ بسببِ ما كان وقَع بينَهما بمَلَطْيَةَ .

وخرَج المحمَلُ فى يومِ الخميسِ تاسع شوَّالٍ ، وأميرُ الحجِّ سيفُ الدينِ كُجْكُن[8]

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « أبو » . وسيأتى فى وفيات سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

(٣ - ٣) فى ص : « السابع والعشرين » ، وفى الدارس ١٤/٢ - نقلا عن المصنف - : « ثالث عشرين » ، وفى السلوك ١٧٦/١/٢ أن ذلك كان فى جمادى الأولى .

(٤) بعده فى م : « بن أحمد » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٥) فى الأصل ، ص : « السنجارى » . وانظر السلوك ٢٣/١/٣ ، والدرر الكامنة ١٥٠/٣ .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى م : « فيها » .

(٨) فى م : « كجكنى » . وانظر الدرر الكامنة ٣٥١/٣ .

المنصوريُّ . وممّن حجَّ ؛ قاضى القُضاةِ نجمُ الدينِ بنُ صَصْرَى ، وابنُ أخيه شَرفُ الدينِ ، وكمالُ الدينِ بنُ الشيرازيِّ ، والقاضى جلالُ الدينِ الحنفيُّ ، والشيخُ شرفُ الدينِ ابنُ تيميَّةَ وخلقٌ .

وفى سادسِ هذا الشهرِ درَّس بالجارُوخيَّةِ القاضى جمالُ[1] الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ كمالِ الدينِ الشَّرِيشِيِّ[2] بعدَ وفاةِ الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ[3] سَلَّامٍ ، وحضَر عندَه الأعْيانُ . وفى التاسعَ عشَرَ منه درَّس ابنُ الزَّمْلَكانيِّ بالعَذْراوِيَّةِ عوضًا عن ابنِ سَلّامٍ . وفيه[4] درَّس الشيخُ شرَفُ الدينِ ابنُ تيميَّةَ بالحنْبليَّةِ عن إذنِ أخيه له فى ذلك بعدَ وفاةِ أخيهما لأُمِّهما بدرِ الدينِ قاسمِ بنِ محمدِ بنِ خالدٍ[5] ، ثم سافَر الشيخُ شرَفُ الدينِ إلى الحجِّ ، وحضَر الشيخُ تقيُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ الدرسَ بنفسِه ، وحضَر عندَه خلقٌ كثيرٌ مِن الأعْيانِ وغيرِهم ، حتى عاد أخوه وبعدَ عَودِه أيضًا ، وجاءتِ الأخبارُ بأنَّه قد أُبْطلتِ الخُمورُ والفواحشُ كلُّها مِن بلادِ السواحلِ وطرابُلُسَ وغيرِها ، ووُضِعت مُكوسٌ كثيرةٌ عن الناسِ هنالِك ، وبُنِيت بقُرَى النُّصَيْرِيَّةِ فى كلِّ قريةٍ مسجدٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفى بُكرةِ نهارِ الثلاثاءِ الثامن والعشْرين مِن شوَّالٍ وصَل الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الكتّابِ شهابُ الدينِ محمودُ بنُ سَلْمانَ[6] الحلبيُّ على البريدِ مِن مصرَ إلى دِمَشقَ متولِّيًا كتابةَ السرِّ بها ، عوضًا عن شرَفِ الدينِ عبدِ الوهابِ بنِ فضلِ اللَّهِ ،

---

(١) فى م : « جلال » ، وفى الدارس ٢٢٩/١ نقلا عن المصنف : « كمال » ، وترجمه فى ١١٧/١ كما أثبتناه . وانظر شذرات الذهب ٢٦٣/٦ .

(٢) فى ص : « الشيرازى » .

(٣) بعده فى م : « أبى » . وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

(٤) فى الأصل : « فيها » .

(٥) فى ص : « حامد » . وانظر الدارس ٧٤/٢ .

(٦) فى م : « سليمان » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

تُوفِّى إلى رحْمةِ اللَّهِ .

وفى ذى القَعْدةِ يومَ الأحدِ درَّس بالصمصاميَّةِ[1] التى جُدِّدت للمالكيَّةِ ، وقد وقَف عليها الصاحبُ شمسُ الدينِ غِبْرِيالُ درسًا ، ودَرَّسَ بها فقهًا ، وعيَّن تَدْريسَها لنائبِ الحكمِ الفقيهِ نورِ الدينِ علىِّ بنِ عبدِ النصيرِ[2] المالكىِّ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ ، وممّن حضَر عندَه الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ ، وكان يعرِفُه مِن إسكندريَّةَ . وفيه درَّس بالدخواريَّةِ الشيخُ جمالُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ شهابِ[3] الدينِ أحمدَ الكحالُ ، ورُتِّب فى رياسةِ الطبِّ عوضًا عن أمينِ الدينِ سليمانَ الطبيبِ ، بمرْسومِ نائبِ السلطنةِ تَنْكِز ، واخْتارَه لذلك .

واتَّفَق أنَّه فى هذا الشهرِ تجمَّع جماعةٌ مِن التجارِ بمارِدِينَ ، وانْضاف إليهم خلقٌ مِن الجفالِ مِن الغلا[4] قاصِدِين بلادَ الشامِ ، فسارُوا حتى إذا كانوا بمَرْحَلَتين مِن[5] رأسِ العينِ لحِقهم ستُّون فارسًا مِن التتارِ ، فمالُوا عليهم بالنُّشّابِ وقتَلوهم عن آخرِهم ، ولم يَبْقَ منهم سوى صبيانِهم نحوَ سبعِين صبيًّا ، فقالوا : مَن يقتُلُ هؤلاء ؟ فقال واحدٌ منهم : أنا ، بشرطِ أن تَنْفُلونى بمالٍ مِن الغنيمةِ . فقتَلهم كلَّهم عن آخرِهم ، وكان جملةُ مَن قُتل مِن التُّجارِ ستَّمائةٍ ، ومِن الجفالِ[6] ثلاثَمائةٍ مِن

---

(١) فى الأصل : « بالصمصاوية » . والصمصامية : من مدارس المالكية ، بمحلة حجر الذهب شرقى دار القرآن الوجيهية ، وقبلى المسرورية الشافعية وشام الخاتونية العصمية الحنفية . الدارس ٨/٢ .

(٢) فى م : « البصير » . وانظر صفحة ١٦٥ .

(٣) فى ص : « جمال الدين محمد بن الشيخ جمال » . وانظر الدارس ١٣٢/٢ . وسيذكر المصنف مرة أخرى فى ترجمة أمين الدين سليمان بن داود فى وفيات سنة ثنتين وثلاثين وسبعمائة .

(٤) كذا فى النسخ وتاريخ ابن الوردى ٢٦٦/٢. ولعلها العُلا : موضع من ناحية وادى القرى بينها وبين الشام . معجم البلدان ٧٠٩/٣ .

(٥) فى الأصل : « عن » ، وفى ص : « من بعد » .

(٦) فى الأصل ، م : « الجفلان » .

المسلمين ، فإنّا للّهِ وإنّا إليه راجِعون ، وردَموا بمَوْتاهم خمسَ[1] صهاريجَ هناك حتى امْتَلأت بهم ، رحِمهم اللّهُ ، ولم يَسْلَمْ [١٠/١٦٣ظ] مِن الجميعِ سوى رجلٍ واحدٍ تُرْكمانيٍّ هرب ، وجاء إلى رأسِ العينِ فأخْبر الناسَ بما رَأى وشاهَد مِن هذا الأمرِ الفظيعِ المؤْلِمِ ، فاجْتَهد مُتَسلِّمُ دِيارِ بكرٍ سُوتَاى[2] فى طَلَبِ أولئك التترِ حتى أهلَكهم عن آخرِهم ، ولم يَبْقَ منهم [3]رجلٌ واحدٌ[3] ، لا جمَع اللّهُ بهم شملًا ، ولا بهم مرحبًا ولا أهلًا ، آمينَ يا ربَّ العالمينَ .

صفةُ خُروجِ المهدىِّ الضالِّ بأرضِ جَبَلَة

وفى هذه السنةِ خرَجتِ النُّصَيْرِيَّةُ عن الطاعةِ ، فأقاموا مِن بينِهم رجلًا سمَّوْه محمدَ بنَ الحسنِ المهدىَّ القائمَ بأمرِ اللّهِ ، وتارةً يدَّعى أنَّه[4] علىُّ بنُ أبى طالبٍ فاطرُ السمواتِ والأرضِ ، تعالى اللّهُ عمّا يقولُون عُلوًّا كبيرًا ، وتارةً يَدَّعى أنَّه محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ صاحبُ البلادِ ، وصَرَّح بكفْرِ المسلِمين ، وأنَّ النُّصيريَّةَ على الحقِّ ، واحتَوى هذا الرجلُ على عُقولِ كثيرٍ مِن كبارِ النُّصيريَّةِ الضُّلّالِ ، وعيَّن لكلِّ إنسانٍ منهم تَقْدِمةَ ألفٍ ، وبلادًا كثيرةً ونيابةَ قلعةٍ ، وحمَلوا على مدينةِ

---

(١) فى ص : « خمسين » .

(٢) فى النسخ : « سويای » . والمثبت من تاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٦ ، ونكت الهميان ص ١٦١ ، والوافى بالوفيات ١٦/٣٩ ، وتذكرة النبيه ٢/٢٣٤ ، والمنهل الصافى ٦/١٠١ ، وفى نسخة من السلوك ٢/٢/٣٥٥ : « سوبان » . وأثبته المحقق : « سونتای » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « سوى رجلين » .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

جَبَلَةَ ، فدخَلوها وقتَلوا خلقًا مِن أهلِها ، وخرَجوا منها يقولُون : لا إلهَ إلّا عليٌّ ، ولا حجابَ إلَّا محمدٌ ، ولا بابَ إلَّا سلمانُ . وسبُّوا الشيخَيْن ، وصاح أهلُ البلدِ : والإسْلَاماه ، واسُلْطاناه ، وأمِيراه . فلم يكنْ لهم يومئذٍ ناصرٌ ولا مُنجِدٌ ، وجعَلوا يَبْكُون ويتضرَّعُون إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فجمَع هذا الضالُّ تلك الأموالَ فقسَمها على أصحابِه وأتباعِه ، قبَّحهم اللَّهُ أجمَعين ، وقال لهم : لم يَبْقَ للمسلمين ذِكرٌ ولا دَولةٌ ، ولو لم يَبْقَ معى سوى عشَرةِ نفرٍ لملَكْنا البلادَ كلَّها . ونادَى فى تلك البلادِ : إنَّ المُقاسمةَ بالعُشْرِ لا غيرُ . ليُرَغِّبَ الفلّاحين[1] فيه ، وأمَر أصحابَه بخرابِ المساجدِ واتِّخاذِها خَمّاراتٍ ، وكانوا يقولُون لمَن أسرُوه مِن المسلمين : قلْ : لا إلهَ إلَّا عليٌّ ، واسجُدْ لإلهِك المهدىِّ الذى يُحْيِى ويُميتُ ، حتى يَحْقِنَ دَمَك ، ويَكْتُبَ لك فَرْمانَ . وتَجَهَّزُوا[2] ، وعمِلوا أمرًا عظيمًا جدًّا ، فُجرِّدت إليهم العساكرُ فهزَموهم وقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وجمًّا غفيرًا ، وقُتِل المهدىُّ الذى[1] أضلَّهم ، وهو يكونُ يومَ القيامةِ مُقدَّمَهم وهاديَهم إلى عذابِ السعيرِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج ٣، ٤] .

وفيها حجَّ الأميرُ حسامُ الدينِ مُهَنّا وولدُه سُليمانُ فى ستةِ آلافٍ، وأخوه محمدُ بنُ عيسى فى أربعةِ آلافٍ ، ولم يَجْتَمِعْ مُهَنّا بأحدٍ مِن المصريِّين ولا الشامِيِّين ، وقد كان فى المصريِّين قِجْلِيس وغيرُه . واللَّهُ أعلمُ .

وممّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ :

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، ص : « تجهرموا » .

الشيخُ الصالحُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الجُبُنِّيُّ[1] ، كان فاضلًا ، وكتَب حسنًا ، نسَخ « التنْبِيهَ » و « العُمْدَةَ » وغيرَ ذلك ، وكان الناسُ يَنْتَفِعون به ، ويُقابِلون معه ، ويُصَحِّحون عليه ، ويَجْلِسون إليه عندَ صُندوقٍ كان له بالجامِعِ ، تُوفِّى ليلةَ الاثْنَين سادس[2] المحرَّمِ ، ودُفن بالصوفيَّةِ ، وقد صحَّحْتُ عليه فى « العُمْدَةِ » وغيرِه .

الشيخُ شهابُ الدينِ الرُّوميُّ ، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ[3] **المرَاغِيُّ** ، درَّس بالمُعينيَّةِ ، وأمَّ بمِحْرابِ الحنفيَّـةِ بمَقْصُورتِهم الغربيَّةِ ، إذ كان محرابُهم هناك ، [١٠/١٦٤و] وتولَّى مشيخةَ الخاتُونيَّةِ[4] ، وكان يؤُمُّ بنائبِ السلْطنةِ الأفْرَمِ ، وكان يقْرأُ حسنًا بصوتٍ مليحٍ ، وكانت له مكانةٌ عندَه ، وربَّما راح إليه الأفْرَمُ ماشيًا حتى يَدْخُلَ عليه زاوِيتَه التى أنشَأها بالشرفِ الشمالىِّ على المَيْدانِ الكبيرِ ، ولمَّا تُوفِّى بالمحرَّمِ ودُفِن بالصوفيَّةِ قام وَلَداه عمادُ الدينِ وشَرفُ الدينِ فى وظائفِه .

الشيخُ الصالحُ العدلُ الأمينُ فخرُ الدينِ عثمانُ بنُ أبى الوفا بنِ نِعْمَةِ[5] **اللَّهِ الأعزازِىُّ**[1] ، كان ذا ثروةٍ مِن المالِ ، كثيرَ المُروءةِ والتلاوةِ ، أدَّى الأمانةَ فى ستِّين

---

(١) فى الأصل : « الحسنى » ، وفى م : « المنتزه » ، وفى ص : « الحسينى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٩٢ ، وشذرات الذهب ٦/ ٤٥، ونص على ضبطه هكذا نسبة إلى الجبن المأكول ، وفى الدرر الكامنة ٣/ ١٨٥: « الختنى » . وفى نسخة منه غير منقوطة .

(٢) بعده فى ص : « عشر » .

(٣) بعده فى م : « ابن » . وانظر ترجمته فى : الجواهر المضية ١/ ٢٤٤ ، وتذكرة النبيه ٢/ ٨٦ ، والدرر الكامنة ١/ ٢٥٧ ، والدارس ١/ ٥٩٠ ، والطبقات السنية ٢/ ١٧ .

(٤) فى الأصل : « الحانوتية » . والخانقاه الخاتونية : ظاهر باب النصر ، فى أول الشرف القبلى على بانياس ، وهى شرقى جامع دنكز ولصيقه ، منسوبة إلى خاتون بنت معين الدين أنر . الدارس ٢/ ١٤٤ .

(٥) فى ص : « نعم » .

ألفِ دينارٍ وجواهرَ، حيث لا يَعْلَمُ بها إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، بعدَ ما مات صاحبُها مُجرَّدًا فى الغَزاةِ، وهو عزُّ الدينِ الجراحىُّ نائبُ غزَّةَ، أودَعه إياها فأدّاها إلى أهلِها، أثابَه اللَّهُ، ولهذا لمّا مات يومَ الثلاثاءِ الثالث[2] والعشْرين مِن ربيعٍ الآخِرِ حضَر جِنازتَه خلقٌ لا يَعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ تعالى، حتى قيل: إنَّهم لم يَجْتَمِعوا فى مثلِها قبلَ ذلك. ودُفِن ببابِ الصغيرِ، رحِمه اللَّهُ.

قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ سليمانَ بنِ سومر[3] الزّواوىُّ، قاضى المالكيةِ بدِمَشقَ مِن سنةِ سبعٍ وثمانين وستِّمائةٍ، قدِم مِصرَ مِن المغربِ واشْتَغل بها وأخَذ عن مشايخِها؛ منهم الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ، ثم قدِم دِمَشقَ قاضيًا فى سنةِ سبعٍ وثمانِين وستِّمائةٍ، وكان مَوْلدُه تقريبًا فى سنةِ تسعٍ وعشْرين وستِّمائةٍ، وأقام شِعارَ مذهبِ مالكٍ، وعمَّر الصمصاميّةَ فى أيامِه، وجدَّد عِمارةَ النُّوريَّةِ، وحدَّث بـ «صحيحِ مسلمٍ»، و «مُوَطَّأ مالكٍ» عن يحيى ابنِ يحيى عن مالكٍ، وكتابِ «الشِّفا» للقاضى عياضٍ، وعُزِل قبلَ وفاتِه بعشْرين يومًا عن القضاءِ، وهذا مِن خَيْرِه حيث لم يَمُتْ قاضيًا، تُوفِّى بالمدرسةِ الصمصاميَّةِ يومَ الخميسِ التاسع مِن جُمادَى الآخِرَةِ، وصُلِّى عليه بعدَ الجُمعةِ،

---

(١) ترجم ابن حجر فى الدرر الكامنة ٦٥/٣ لعثمان بن أبى المعالى بن خضر بن جياد بن أبى الجيش التنوخى المعرى فخر الدين المؤذن. وذكر فى ترجمته رده أمانة عز الدين الخفاجى.

(٢) فى ص: «الرابع».

(٣) فى الأصل، م، والدارس ١٤/٢: «يوسف». وقد اختلفت المصادر فى هذا الاسم فجاء: «سومر» كما فى النسخة ص، وذيول العبر ص ٩٣، والديباج المذهب ٣٢٠/٢، وتذكرة النبيه ٨٢/٢، والسلوك ١٧٩/١/٢، والدرر الكامنة ٦٨/٤، وشذرات الذهب ٤٥/٦. وورد: «سرور» فى الوافى بالوفيات ١٣٧/٣. و«سوير» فى الدارس ١٢/٢. و«سويد» فى النجوم الزاهرة ٢٣٩/٩، ونسخة من السلوك. و«سومى» فى نهاية الأرب ١١٤/٣٠.

ودُفِن بمَقابرِ بابِ الصغيرِ تُجاهَ مَسجدِ النّارَنْجِ[1] ، وحضَر الناسُ جِنازتَه وأثْنَوْا عليه خيرًا ، وقد جاوَز الثمانِين كمالكٍ ، رحِمه اللَّهُ ، ولم يَبْلُغْ إلى سبعَ عشْرةَ مِن عمْرِه على مُقْتَضَى مذهبِه أيضًا .

القاضى الصدرُ الرئيسُ رئيسُ الكُتَّابِ شرفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهّابِ بنُ جمالِ الدينِ[2] فضلِ اللَّهِ بنِ مُجلِّى[3] القرشىُّ العدوىُّ العُمَرىُّ[4] ، وُلدَ سنةَ تسعٍ[5] وعشرينَ وستِّمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ ، وخدَم ، وارتفَعتْ منزلتُه حتى كتَب الإنْشاءَ بمصرَ ، ثم نُقِل إلى كتابةِ السِّرِّ بدمشقَ إلى أن تُوفِّى فى ثامنِ[6] رمضانَ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وقدْ [7]قارَب التسعينَ[7] ، وهو ممتَّعٌ بحواسِّه وقُواهُ ، وكانتْ له عقيدةٌ حسنةٌ فى العلماءِ ، ولا سيّما فى ابنِ تيميَّةَ وفى الصُّلحاءِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد رثَاه الشهابُ محمودٌ كاتبُ السرِّ بعدَه بدمشقَ ، وعلاءُ الدينِ ابنُ غانمٍ ، وجمالُ الدينِ بنُ نُباتةَ .

الفقيهُ الإمامُ العالمُ المُناظرُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ الحسينُ بنُ الإمامِ

---

(١) فى النسخ : « التاريخ » . وانظر صفحة ٤٦ .

(٢) بعده فى ص : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٩٤ ، وفوات الوفيات ٤٢١/٢ ، وتذكرة النبيه ٨٣/٢ ، والسلوك ١٧٩/١/٢ ، والدرر الكامنة ٤٢/٣ ، والدليل الشافى ٤٣٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٤٠/٩ ، وشذرات الذهب ٤٦/٦ .

(٣) فى النسخ : « الحلى » ، وفى الدليل الشافى : « المحلى » . والمثبت من ذيول العبر ، وتذكرة النبيه ، والنجوم الزاهرة ، وشذرات الذهب .

(٤) فى م ، ص : « المعمرى » . والمثبت موافق لما فى السلوك ، والدليل الشافى ، والنجوم الزاهرة .

(٥) كذا فى النسخ والذى فى مصادر الترجمة أنه ولد سنة ثلاث وعشرين .

(٦) فى الأصل : « ثانى » .

(٧ - ٧) وهذا على أن مولده سنة تسع وعشرين ، وعلى اعتبار أن مولده سنة ثلاث وعشرين كما فى المصادر - فقد جاوز التسعين بأربع سنوات .

كمالِ الدين عليِّ بنِ إسحاقَ بنِ سلَّامٍ الدِّمَشقيُّ الشافعيُّ[1] ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وسبْعينَ وسِتِّمائةٍ ، واشْتَغل وبرَع وحصَّلَ ، ودرَّس بالجَاروخِيَّةِ [١٠/١٦٤ظ] والعَذْرَاوِيَّةِ ، وأعاد بالظاهريَّةِ ، وأَفتى بدارِ العدلِ ، وكان واسعَ الصَّدرِ ، كثيرَ الهِمَّةِ ، كريمَ النفسِ ، مشكورًا فى فَهمِه وخطِّه وحفظِه وفَصاحَتِه ومُناظرتِه ، تُوفِّى فى رابعِ عشرينَ رمضانَ ، وترَك أولادًا ودَيْنًا كثيرًا ، فوفَّته عنه زوجتُه بنتُ زويزَانَ ، تقبَّل اللَّهُ مِنها وأحْسَنَ إليها .

الصاحِبُ أنِيسُ المُلوكِ بدرُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ إبْراهيمَ الإربلىُّ[2] ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وستِّمائةٍ ، واشْتَغل بالأدبِ فحصَل على جانبٍ جيدٍ منه ، وارْتَزقَ عند الملوكِ به ، [3]فمِن رقيقِ شعرِه ما أوردَه الشّيخُ علمُ الدينِ فى ترجمتِه قوله :

ومُـــدامَـــةٍ حـمـراءَ تُـشْـ ... ـبِهُ خَدَّ مَنْ أهْوَى ودَمْعِى
[4]يَسْعَى بها قمرٌ[4] أعـزُّ ... علىَّ مِن [5]نَظَرِى وسَمْعِى[5]

وقولُه فى مُغنِّيةٍ :

وغَرِيرةٍ هيْفاءَ ناعمةِ السَّنا ... طَوعِ العِناقِ مريضةِ الأَجْفانِ
غنَّتْ وماسَ قِوامُها فكأنَّها الـ ... وَرْقاءُ تَسْجَعُ فوقَ غُصْنِ البانِ[3]

---

(١) ذيول العبر ص ٩٥ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٤٠٨/٩ ، وتذكرة النبيه ٨٧/٢ ، والدرر الكامنة ١٤٥/٢ ، والدارس ٢٢٨/١ .

(٢) تذكرة النبيه ٨٨/٢ ، والدرر الكامنة ٤٢٨/٢ ، والدليل الشافى ٣٩٦/١ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « يسقى بها قمرا » . والمثبت من تذكرة النبيه ، والدليل الشافى .

(٥ - ٥) فى م ، ص : « سمعى ومن بصرى » وبها ينكسر الوزن ، والمثبت من تذكرة النبيه ، والدليل الشافى . وقد ورد البيتان فى م ، ص مضطربين غير موزونين فقمنا بتصحيحهما .

الصَّدرُ الرئيسُ شرَفُ الدينِ محمدُ [1] **بنُ جمالِ الدينِ إبراهيمَ** [1] **بنِ شرفِ الدينِ** [2] **عبدِ الرحمنِ** [2] **بنِ أمينِ الدينِ سالمِ بنِ الحافظِ بهاءِ الدينِ الحسنِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ محفوظِ بنِ صَصْرَى** ، [3] باشرَ عِدةَ جهاتٍ ، وخرَج مع خالِه قاضى القضاةِ ابنِ صَصْرى [3] إلى الحجازِ الشريفِ ، فلمّا كانوا ببرَدَى [4] اعتَراه مرضٌ ، ولم يزلْ به حتى ماتَ ، تُوفِّى بمكةَ وهو مُحْرِمٌ مُلَبٍّ ، فشَهِدَ الناسُ جِنازَتَه وغَبَطُوه بهذه الموتَةِ ، وكانت وفاتُه يومَ الجُمُعةِ آخِرَ النَّهارِ سابع ذِى الحجَّةِ ، ودُفِن ضُحَى يومِ السبتِ بمقْبرةِ الحجُونِ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى ، وأكرَم مَثْواه .

(١ - ١) فى ص : « بن خالد بن إبراهيم » . وانظر ترجمته فى : العقد الثمين ٣٩٨/١ ، والسلوك ١٨٠/١/٢ ، وإتحاف الورى ١٥٩/٣ .

(٢ - ٢) فى العقد الثمين : « عبد الله » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) فى الأصل : « بيدر » . وبردى : جبل بالحجاز . معجم البلدان ٥٥٨/١ .

ثم دخَلَت سنةُ ثمانِ عَشْـرَةَ وسَبعِمائةٍ[1]

الخليفةُ والسلطانُ هُما هُما، وكذلك النُّوابُ والقُضاةُ، سِوى المالِكِيِّ بدمشقَ، فإنّه العلَّامةُ فخرُ الدينِ بنُ سلامةَ، بعدَ القاضِى جمالِ الدينِ الزَّواوِىِّ، رحِمه اللَّهُ. ووصَلتِ الأخْبارُ فى المحرَّمِ مِن بلادِ الجزيرةِ وبلادِ الشرقِ: سِنْجَارَ والمَوْصلِ ومارِدِينَ وتلك النواحِى، بغلاءٍ عظيمٍ، وفناءٍ شديدٍ، وقلَّةِ الأمطارِ، وجورِ[2] التَّتارِ، وعدمِ الأَقْواتِ، وغلاءِ الأسعارِ، وقلَّةِ النَّفقاتِ، وزَوالِ النِّعمِ، وحلُولِ النِّقَمِ، بحيثُ إنَّهم أكلُوا ما وجَدُوه من الجَماداتِ والحيواناتِ والمَيْتاتِ[3]، وباعُوا حتى أوْلادَهم وأهالِيَهم، فبِيعَ الوَلدُ بخَمْسينَ دِرْهمًا وأقلَّ مِن ذلك، حتى إنّ كثيرًا [4]مِن الناسِ[4] كانوا لا يشترُونَ مِن أوْلادِ المسلمين تأثُّمًا[5]، وكانتِ المرأةُ [6]تُصرِّحُ بأنّها[6] نصْرانيَّةٌ، ليُشْتَرَى منها ولدُها، لتَنتَفِعَ بثمَنِه، ويحصُلَ لها[7] مَن يُطْعِمُه فيعيشُ، وتأمَنَ عليه مِن الهلاكِ، فإنّا للَّهِ وإنا إليه راجعُون.

وجرَت فى تلك البلادِ أحوالٌ صَعْبةٌ يطُولُ ذِكْرُها، وتَنْبُو الأسْماعُ عن وَصْفِها، وقد ترَحَّلتْ منهم فرقةٌ قريبُ الأربعِمائةِ إلى ناحيةِ مَرَاغَةَ، فسقَط عليهم ثَلْجٌ أهلَكَهم عن آخرِهم، وصَحِبَتْ طائفةٌ منهم فرقةً مِن التَّتارِ، فلمّا انتَهَوا إلى

---

(١) كنز الدرر ٢٩٣/٩، وتاريخ ابن الوردى ٢٦٦/٢، وتذكرة النبيه ٨٩/٢، والسلوك ١٨٠/١/٢.

(٢) فى م، ص: «خوف».

(٣) فى الأصل: «النبات».

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: م، ومكانه بياض فى ص.

(٦ - ٦) فى الأصل: «تصرخ بابنها».

(٧) فى م: «له». ومكانه بياض فى ص.

عَقَبَةٍ صعِدها التَّتارُ ثم منَعُوهم أن يصْعَدوها ؛ لِئلَّا يتكَلَّفوا بهم ، فماتوا عن آخرِهم ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ .

وفى بُكْرةِ الاثنينِ السابع[1] مِن صَفَرٍ قَدِم القاضى كريمُ الدينِ عبدُ الكريمِ بنُ العلمِ هبةِ اللَّهِ وكيلُ الخاصِّ السلطانىِّ بالبلادِ جميعِها - قدِم إلى دمشقَ فنزَل بدارِ السّعادةِ وأقام بها أربعةَ أيامٍ ، وأمَر ببناءِ جامعِ القُبيباتِ الذى يقالُ له : جامعُ كريمِ الدينِ . وراح لزيارةِ بيتِ المَقْدسِ ، وتصدَّق بصدقاتٍ كثيرةٍ وافرةٍ ، وشرَع فى بناءِ جامعِه بعدَ سَفرِه .

وفى ثانى صَفَرٍ جاءَت ريحٌ شديدةٌ ببلادِ طرابُلُسَ على [2]بُيوتِ مُقَدَّمِ[2] تُرْكمانَ ، فأهلَكتْ لهم شيئًا[3] كثيرًا مِن الأَمْتِعةِ ، وقتَلتْ أميرًا منهم يقالُ له : طرالى[4] . وزوجتَه وابْنَيْه[5] [6]وابْنَى ابْنَيْه[6] وجاريَتَه وأحدَ عَشَرَ نَفْسًا ، وقتَلتْ جِمالًا كثيرةً وغيرَها ، وكسَرتِ الأمْتِعةَ والأثَاثَ ، وكانت ترْفَعُ البعيرَ فى الهواءِ مقدارَ عَشَرَةِ أرْماحٍ ثم تُلْقِيه مُقَطَّعًا ، ثم سقَط بعد ذلك مطرٌ شديدٌ وبَرَدٌ عظيمٌ ، بحيثُ أتْلَف [١٠/١٦٥و] زُرُوعًا كثيرةً فى قُرًى عديدةٍ نحوِ مِن أربعٍ وعشرينَ قريةً ، حتى إنَّها لا تُردُّ بدارِها .

وفى صفرٍ أُخرِجَ الأميرُ سيفُ الدينِ طُغَاى الخاصكىُّ إلى نيابةِ صَفَدَ ، فأُقِيم

---

(١) فى ص : « الرابع » وفى الدارس ٤١٦/٢ نقلًا عن المصنف : « التاسع » . وانظر السلوك ١٨١/١/٢ .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « ذوق » ، وفى ص : « رق » . والمثبت من تاريخ ابن الوردى ٣٦٧/٢. وانظر السلوك ١٨١/١/٢ .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ص : « طرانى » ، وفى نسخة من السلوك ١٨٢/١/٢ : « طوالى » .

(٥) فى م : « ابنتيه » ، وفى ص : « ابنته » .

(٦ - ٦) فى ص : « وابن ابنته » .

بها شهرين ثم مُسِكَ ، والصاحبُ أمينُ المُلْكِ[1] إلى نَظَرِ الدواوينِ[2] بطرابُلُسَ على معْلُومٍ وافرٍ .

قال الشيخُ علمُ الدينِ : وفى يومِ الخميسِ منتصف ربيعِ الأوَّلِ اجتَمع قاضى القُضاةِ شمسُ الدينِ بنُ مُسَلَّمٍ بالشيخِ الإمامِ العلَّامَةِ تَقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، وأشار عليه بتَرْكِ الإفْتاءِ فى مسألةِ الحَلِفِ بالطَّلاقِ ، فقبِل الشيخُ نصيحتَه ، وأجابَ إلى ما أشار به ؛ رعايةً لخاطرِه وخواطرِ الجماعَةِ المُفْتِين ، ثم ورَد البريدُ فى مُسْتَهلِّ جُمادى الأُولَى بكتابٍ مِن السلطان فيه مَنْعُ الشيخِ تقىِّ الدينِ مِن الإفتاءِ فى مسألةِ الحلفِ بالطلاقِ ، وعُقِدَ فى ذلك مجلسٌ ، وانفَصَل الحالُ على ما رسَم به السلطانُ ، ونُودِىَ به فى البلدِ ، وكان قبلَ قُدُومِ المرسُومِ قد اجتَمع بالقاضى ابنِ مُسَلَّمٍ الحَنْبَلِىِّ جماعةٌ مِن المُفْتِينَ الكبارِ ، وقالوا له أن يَنصَحَ الشيخَ فى ترْكِ الإفتاءِ فى مسألةِ الطَّلاقِ ، فعَلِمَ الشيخُ نَصِيحتَه ، وأنَّه إنَّما قصَد بذلك ترْكَ ثَوَرانِ فِتْنَةٍ وشَرٍّ .

وفى عاشرِه جاءَ البريدُ إلى صَفَدَ بمسْكِ سيفِ الدينِ طُغَاى وتوليةِ بدرِ الدينِ القَرَمانىِّ نيابةَ حمصَ .

وفى هذا الشهرِ كان مَقْتَلُ رَشيدِ الدولةِ فَضْلِ اللَّهِ بنِ أبى الخيرِ بنِ عالِى[3] الهَمَذانىِّ ، كان أصلُه يهوديًّا عطّارًا ، فتقدَّم بالطبِّ ، وشمِلَتْه السَّعادةُ حتى صار عندَ خَرْبَنْدَا الجُزْءَ الذى لا يتجَزَّأُ ، وعلَتْ رُتْبَتُه وكلِمتُه ، وتولَّى مناصِبَ الوُزراءِ ، وحصَل له مِن الأموالِ والأَمْلاكِ والسّعادةِ ما لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ ، وكان قد أظْهَر

---

(١) فى الأصل ، م : « الدين » ، وفى ص : « الدين الملك » . وتقدم صفحة ١٣١، ١٣٥ .

(٢) فى م : « الأوقاف » .

(٣) فى ص : « المجلس » .

(٤) فى م ، ص : « على » ، وفى الدرر الكامنة ٣/ ٣١٤: « غالى » . وانظر السلوك ١٨٩/١/٢ .

الإسلامَ ، وكانت لدَيْه فضائلُ جَمَّةٌ ، وقد فسَّر القرآنَ ، وصنَّفَ كُتُبًا كثيرةً ، وكان له أولادٌ وثَروةٌ عظيمةٌ ، وبلَغ الثمانين مِن العُمْرِ ، وكانت له يدٌ جيِّدةٌ يومَ الرَّحْبةِ ، فإنَّه صانَع عن المسلمين ، وأتقَن القضيَّةَ فى رُجوعِ ملكِ التترِ عن البلادِ الشّاميَّةِ ، سنةَ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ كما تقدَّم ، وكان يُناصِحُ الإسلامَ ، ولكن قد نال منه خَلْقٌ كثيرٌ مِن النّاسِ ، واتهمُوه على الدينِ ، وتكلَّموا فى تفسيرِه هذا ، ولا شكَّ أنَّه كان مُخَبِّطًا مُخَلِّطًا ، وليس لديْه عِلمٌ نافعٌ ، ولا عمَلٌ صالحٌ . ولمّا تولَّى بو[1] سعيدِ المَمْلَكةَ عزَله ، وبقِىَ مدَّةً خامِلًا ، ثم استَدعاه جُوبان ، وقال له : أنت سقَيْتَ السلْطانَ خَرْبَنْدا سمًّا ؟ فقال له : أنا كنتُ [2]فى غايةِ الحَقارَةِ والذِّلةِ ، فصِرْتُ فى أيامِه وأيامِ أبيه[3][2] فى غايةِ العظمةِ والعِزَّةِ ، فكيف أعْمَدُ إلى سَقْيِه والحالةُ هذه ! فأُحضِرتِ الأطباءُ ، فذكَروا صُورةَ مرضِ خرْبَنْدا وصفَتَه ، وأنَّ الرَّشيدَ أشار بإسهالِه لِمَا عنْدَه فى باطِنِه مِن الحواصِلِ ، فانطَلق باطِنُه نحوًا من سَبْعينَ مَجْلِسًا ، فمات ، فاعترف[4] بذلك على وَجْهِ أنه أخْطَأ فى الطِّبِّ . فقال : فأنتَ إذًا قتَلتَه . فقَتَله وولدَه إبراهيمَ ، واحْتِيطَ على حواصِلهِ وأموالِه ، فبلَغتْ شيئًا كثيرًا ، وقُطِّعتْ أعضاؤُه ، وحُمِل كلُّ جُزْءٍ منها إلى بَلْدَةٍ ، ونُودِىَ على رأسه بتِبْرِيزَ : هذا رَأْسُ اليهودِىِّ الذى بدَّل كلامَ اللَّهِ . لعنَه اللَّهُ ، ثم أُحرِقت جُثَّتُه ، وكان القائمُ عليه على شاه .

وفى هذا الشّهرِ - أعنى جُمادَى الأُولَى - تولَّى قضاءَ المالكيَّةِ [١٠/١٦٥ظ] بمصرَ قاضى القضاةِ تَقىُّ الدينِ الأخْنَائىُّ عِوضًا عن زينِ الدينِ بنِ مَخْلُوفٍ ، تُوفِّى

(١ - ١) فى النسخ : «أبو» . وسيأتى التعليق عليه فى وفيات سنة ست وثلاثين وسبعمائة .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى م : « أخيه » .
(٤) سقط من : الأصل ، م .

عن أرْبعٍ وثمانينَ سنَةً ، وله فى الحكمِ ثلاثٌ وثلاثون[1] سنةً .

وفى يومِ الخميسِ عاشر رجَبٍ لبِس صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ الملكِ الأوْحدِ خِلْعَةَ الإمْرَةِ بمرسُومِ السلطانِ . وفى آخرِ رجَبٍ جاء سيلٌ عظيمٌ بظاهرِ حِمْصَ خَرَّبَ شيئًا يسيرًا[2] ، وجاء إلى البلدِ ليدْخُلَها فمنَعه الخَنْدقُ .

وفى شعبانَ تكامَل بناءُ الجامعِ الذى عمَره تَنْكِز ظاهِرَ بابِ النَّصرِ ، وأقيمَتِ الجُمُعةُ فيه يومَ عاشِرِ شعبانَ ، وخطَب فيه الشيخُ نجمُ الدينِ علىُّ بنُ داودَ بنِ يحْيَى الحنَفِىُّ المعروفُ بالقَحْفازِىِّ ، مِن مشاهيرِ الفُضلاءِ ذوِى الفُنونِ المتعدِّدَةِ ، وحضَر نائبُ السلطنةِ والقُضاةُ والأعيانُ والقُرَّاءُ والمُنْشدُون ، وكان يومًا مَشْهُودًا .

وفى يومِ الجُمُعةِ التى تَلِيها خُطب بجامعِ القُبَيباتِ الذى أنشأه كريمُ الدينِ وكيلُ السلْطانِ ، وحضَر فيه القُضاةُ والأعيانُ ، وخطَب فيه الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ يوسفَ بنِ الوزيرِ[3] الحرَّانِىُّ الأسَدِىُّ الحَنْبَلِىُّ ، وهو مِن الصّالحينَ الكبارِ ، ذَوِى الزَّهَادَةِ والعِبادَةِ والنُّسُكِ والتَّوجُّهِ وطِيبِ الصَّوتِ وحُسْنِ السَّمْتِ .

وفى حادِى عَشرَ رمضانَ خرَج الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ النَّقِيبِ إلى حِمْصَ حاكمًا بها مَطْلُوبًا مَسئولًا[4] مَرْغُوبًا فيه ، وخرَج الناسُ لتودِيعِه . وفى هذا الشهرِ حصَل سَيلٌ عظيمٌ بسَلَمْيَةَ ومثلُه بالشَّوْبَكِ .

وخرَج المَحْمَلُ فى تاسعِ[5] شوَّالٍ وأميرُ الرَّكبِ الأميرُ علاءُ[6] الدينِ بنُ

---

(١) فى ص : « ستون » . وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

(٢) فى الأصل ، م : « كثيرًا » . وانظر تاريخ ابن الوردى ٣٦٨/٢.

(٣) فى الأصل ، م : « الرزين » . وستأتى وفاته سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

(٤) فى م : « مولى » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى ص : « جلال » . وانظر السلوك ١٦/١/٢ .

مَعْبَدٍ والِى البَرِّ ، وقاضِيه زينُ الدينِ بنُ قاضي الخَليلِ الحاكمُ بحَلبَ .

ومِمَّن حجَّ فى هذه السنةِ مِن الأعيانِ : الشيخُ برهانُ الدينِ الفَزارِىُّ ، وكمالُ الدينِ بنُ الشَّريشِىِّ وولدُه ، وبدرُ الدينِ بنُ العَطَّارِ[1] .

وفى الحادِى عشَرَ[2] مِن ذِى الحجَّةِ انتقَل الأميرُ فخرُ الدينِ أياس الأعسرِىُّ مِن شدِّ الدواوينِ بدمشقَ إلى طرابُلُسَ أميرًا . وفى يومِ الجُمُعةِ السابعَ عَشَرَ مِن ذى الحجَّةِ أُقِيمَتِ الجُمعةُ فى الجامعِ الذى أنشَأه الصّاحبُ شمسُ الدينِ غِبريالُ ناظرُ الدَّواوِينِ بدمَشْقَ خارِجَ بابِ شَرقِىٍّ ، إلى جانبِ ضِرارِ بنِ الأَزْوَرِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، بالقُرْبِ مِن مَحِلَّةِ القَعاطلةِ[3] ، وخطَب فيه الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ التَّدْمُرِىِّ ، المعروفُ بالنَّيْربانِىِّ[4] ، وهو مِن كبارِ الصالحينَ ذَوِى العبادَةِ والزَّهادَةِ ، وهو من أصحابِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، وحضَره الصّاحبُ المذكُورُ وجماعةٌ مِن القُضاةِ والأعيانِ .

وفى يومِ الاثنينِ العشرينَ مِن ذِى الحجَّةِ باشَر الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ عثمانَ الذَّهَبِىُّ المحدِّثُ الحافِظُ (٥مَشْيَخةَ الحديثِ٥) بتُرْبةِ أمِّ الصالحِ عوضًا عن كمالِ الدينِ بنِ الشَّريشىِّ ، تُوفِّى بطريقِ الحجِّ[6] فى شوَّالٍ ، وقد كان له فى مَشْيَخَتِها ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً ، وحضَر عندَ الذَّهبىِّ جماعةٌ مِن القُضَاةِ .

---

(١) فى ص : « القطان » .

(٢) فى الأصل ، م : « والعشرين » .

(٣) فى ص : « الفقاطلة » . وانظر الدارس ٢/٤٢١ .

(٤) فى ص : « التبرباني » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى م : « الحجاز » .

وفى يومِ الثلاثاءِ صَبيحَة هذا الدرسِ أُحضِر الفقيهُ زينُ الدينِ بنُ عبيدانَ الحَنْبلىُّ [١٠/١٦٦و] مِن بَعْلَبَكَّ ، وحوقِقَ على منَامٍ رآه ، زعَم أنّه رآه بينَ النّائمِ واليقظانِ ، وفيه تَخْلِيطٌ وتخبِيطٌ وكلامٌ كثيرٌ لا يصْدُر عن مستقيمِ المِزاجِ ، كان كتَبه بخطِّه وأرسَله إلى بعضِ أصحابِه ، فاسْتَسْلَمه القاضى الشّافعِىُّ ، وحقَن دمَه ، وعزَّرَه ، ونُودِىَ عليه فى البلدِ ، ومُنِع مِن الفَتْوَى وعقُودِ الأنْكِحَةِ ، ثم أُطْلِقَ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ بُكْرَةً باشَر بدرُ الدينِ محمدُ بنُ بَصْخَانَ[1] مَشْيَخَةَ الإقراءِ بتُرْبَةِ أمِّ الصالحِ عِوضًا عن الشيخِ مَجْدِ الدينِ التُّونُسِىِّ ، توفِّى ، وحضَر عندَه الأعيانُ والفُضلاءُ ، وقد حضَرْتُه يومئذٍ ، وقَبْلَ ذلك باشَر مَشْيَخَةَ الإقْرَاءِ بالأشرفيةِ عِوضًا عن[2] الشيخِ محمدِ[3] بنِ خَروفٍ المَوْصِلىِّ .

وفى يومِ الخميسِ ثالث عشرين ذِى الحجَّةِ باشَر الشيخُ الإمامُ العلَّامَةُ الحافظُ الحجَّةُ شيخُنا ومفيدُنا أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ الزَّكِىِّ عبدِالرحمنِ بنِ يوسفَ المِزِّىُّ مَشْيخَةَ دارِ الحديثِ الأشْرَفيَّةِ عِوضًا عن كمالِ الدينِ بنِ الشَّريشىِّ ، ولم يحضُرْ عندَه كبيرُ أحدٍ ؛ لما فى نُفوسِ بعضِ الناسِ مِن وِلايَتِه لذلك ، مع أنَّه لم يتولَّها أحدٌ قبلَه أحَقُّ بها منه ، ولا أحفَظُ منه ، وما عليه منهم إذْ لم يحضُروا عندَه ، فإنَّه لا يُوحِشُه إلا حضُورُهم عندَه ، وبُعْدُهم عنه أُنْسٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « بضحان » ، وستأتى وفاته سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

(٢) فى الأصل ، م : « عنه أيضا » .

(٣) فى ص : « مجد الدين » . وانظر الدارس ٢/٢٩٨ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الصالحُ العابدُ الناسكُ الوَرِعُ الزاهِدُ القُدْوَةُ بقيةُ السلفِ وقُدْوَةُ الخلفِ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ الصالحِ عمرَ بنِ السيدِ القُدْوَةِ الناسِكِ الكبيرِ العارفِ أبى بكرِ بنِ قَوَامِ (١ بنِ علىِّ بنِ قَوَامِ ١) البَالِسِىُّ ، وُلِدَ سنَةَ خمسينَ وستِّمائةٍ ببالِسَ ، وسمِع من أصْحابِ ابنِ طَبَرْزد ، وكان شيخًا جليلًا بشُوشَ الوَجْهِ ، حسنَ السَّمتِ ، مَقْصِدًا لكلِّ أحَدٍ ، كثيرَ الوَقارِ ، عليه سِيمَا العِبادةِ والخيرِ ، وكانَ يومَ قازان فى جُملةِ مَن كان مع الشيخِ تقىِّ الدِّينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ لمَّا تكلَّمَ مع قَازَان ، فحكَى عن كلامِ شيخِ الإسْلامِ تقىِّ الدينِ لقازان وشجاعتِه وجُرْأتِه عليه ، وأنَّه قال لتَرْجُمانهِ : قل للقان : أنتَ تَزْعُمُ أنَّكَ مُسلمٌ ومعك مُؤَذِّنُونَ وقاضٍ وإمامٌ وشيْخٌ على ما بَلغَنا ، فغزَوْتَنا ودَخلْتَ[٢] بلادَنا على ماذَا ؟ وأبوكَ وجَدُّك هولاكو كانا كافِرَيْنِ ، وما غزَوَا بلادَ الإسلامِ ، بل عاهَدا فوفَّيَا[٣] ، وأنتَ عاهَدْتَ فغدرْتَ ، وقُلْتَ فما وَفَّيْتَ . قال : وجرَتْ له مع قازَان وقُطْلُوشَاه وبُولاى[٤] أمورٌ ونُوَبٌ ، قامَ ابنُ تَيْمِيَّةَ فيها كلِّها للَّهِ ، وقالَ الحَقَّ ، ولم يَخْشَ إلا اللَّهَ عزَّ وجلَّ . قال : وقُرِّبَ إلى الجماعَةِ طعامٌ فأكَلُوا منه إلا ابنَ تَيْمِيَّةَ ، فقيلَ له : ألا تأكُلُ ؟ فقال : كيفَ آكُلُ مِن طعامِكم وكلُّه ممَّا نَهَبْتُم مِن أَغْنامِ الناسِ ، وطبَخْتُموه بما قَطَعْتُم مِن أشْجارِ الناسِ ؟ قال : ثم إنَّ قازَان طلَب منه الدُّعاءَ ،

(١ - ١) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ٩٦ ، والوافى بالوفيات ٢٨٤/٤ ، وتذكرة النبيه ٩٦/٢ ، والدرر الكامنة ٢٤٢/٤ ، وشذرات الذهب ٧٩/٦ .

(٢) فى م : « بلغت » .

(٣) فى م : « قومنا » .

(٤) فى الأصل : « بولادى » .

فقال فى دُعائِه : اللَّهُمَّ إنْ كانَ عبدُك هذا محمودٌ إنَّما يُقاتِلُ لتكونَ كَلِمتُكَ هى العُلْيا ، وليكونَ الدِّينُ كلُّه لك ، فانْصُرْه وأيِّدْه ، ومَلِّكْه البِلادَ والعِبادَ ، وإنْ كان إنَّما قامَ رِياءً وسُمْعَةً وطَلبًا للدنْيا ، ولِتَكُونَ كَلِمتُه هى العُلْيا ، ولِيُذِلَّ الإسلامَ وأهلَه ، فَاخذُلْه ، [١٠/١٦٦ظ] وزَلْزِلْه ، ودَمِّرْه ، واقْطَعْ دَابِرَه . قال : وقازَان يُؤَمِّنُ على دُعَائِه ، ويرْفَعُ يدَيْه . قال : فجعَلْنا نجْمَعُ ثِيابَنا خوفًا مِن أنْ تتلوَّثَ بدَمِه إذا أمَر بقَتْلِه . قالَ : فلمَّا خرَجْنا مِن عندِه قال له قاضى القُضاةِ نَجْمُ الدِّينِ بنُ صَصْرَى وغيرُه : كِدْتَ أن تُهْلِكَنا ، وتُهْلِكَ نفْسَك ، واللَّهِ لا نَصْحَبُكَ مِن هنا . فقال : وأنا واللَّهِ لا أصْحَبُكم . قال : فانْطَلَقنا عُصْبَةً ، وتأخَّرَ هو فى خاصَّةِ نفْسِه ، ومعه جماعَةٌ مِن أصْحابِه ، فتَسامَعَتْ به الخَواتِينُ[1] والأُمَراءُ مِن أصْحابِ قازان ، فأتَوْه يتَبرَّكُونَ بدُعائِه ، وهو سائرٌ إلى دِمَشْقَ ، ويَنْظُرونَ إليه ، قال : واللَّهِ ما وصَل إلى دِمَشْقَ إلَّا فى نَحْوِ ثَلَاثِمائةِ فارِسٍ فى رِكابِه ، وكنتُ أنا مِن جُملةِ مَن كانَ معه ، وأمَّا أولئكَ الذينَ أبَوا أنْ يصْحَبُوه ، فخرَج عليهم جماعةٌ من التَّتَرِ فشلَّحُوهم[2] عن آخرِهم . هذا الكلامُ أو نحْوُه . وقد سمِعْتُ هذه الحِكايةَ مِن جماعةٍ غيرِه ، وقد تقدَّمَ ذلك[3] .

تُوفِّى الشيخُ محمدُ بنُ قَوامٍ ليلةَ الاثنينِ الثانِى والعِشْرِينَ مِن صَفَرٍ بالزَّاوِيَةِ المعروفةِ بهم غَرْبىّ الصالِحِيَّةِ والناصِرِيَّةِ والعادِلِيَّةِ ، وصُلِّى عليه بها ، ودُفِنَ فيها ، وحضَر جِنازَتَه ودَفْنَه خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفِيرٌ ، وكان فى جملةِ الجَمْعِ الشيخُ تقىُّ

---

(١) فى م : « الخواقين » .

(٢) شُلِّح فلان : إذا خرج عليه قطاع الطريق ، فسلبوه ثيابه وعرّوه ، قال الأزهرى : وأحسبها نبطية . تهذيب اللغة ٤/١٨٣.

(٣) انظر ما تقدم فى أحداث سنة تسع وتسعين وستمائة .

الدِّينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ؛ لأنَّه كان يُحِبُّه كثيرًا ، ولم يكنْ للشيخِ محمدٍ مُرَتَّبٌ على الدولةِ ، ولا لزاوِيَتِه مرتبٌ ولا وَقْفٌ ، وقد عُرِضَ عليه ذلك غيرَ مَرَّةٍ فلم يقْبَلْ ، وكان يُزارُ ، وكان لدَيْه علمٌ وفضائلُ جَمَّةٌ ، وكان فَهْمُه صحيحًا ، وكانتْ له معْرِفَةٌ تامَّةٌ ، وكان حسنَ العَقِيدَةِ ، وطوِيَّتُه صحِيحَةٌ ، وكان مُحِبًّا للحديثِ وآثارِ السَّلَفِ ، كثيرَ التِّلاوَةِ والجَمعِيَّةِ[1] على اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وقد صنَّفَ جُزْءًا فيه أخْبارٌ جيِّدَةٌ ، رحِمه اللَّهُ ، وبَلَّ ثراه بوابِلِ الرَّحمةِ ، آمِينَ .

الشيخُ الصالِحُ الأدِيبُ البارِعُ الشاعِرُ المجِيدُ تَقِيُّ الدِّينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ ابنُ الشيخِ أحمدَ بنِ تَمَّامِ بنِ حَسَّانَ التَّلِّيُّ[2] ثم الصَّالِحِيُّ الحَنْبَلِيُّ ، أخو الشيخِ محمدِ بنِ تمَّامٍ ، وُلِدَ سنةَ خَمْسٍ وثلاثِينَ[3] وسِتِّمائةٍ ، وسَمِع الحديثَ ، وصحِبَ الفُضَلاءَ ، وكان حسَنَ الشكلِ والخُلُقِ ، طَيِّبَ النفسِ ، مَلِيحَ المُجاوَرَةِ والمُجالَسَةِ ، كثيرَ المُفاكَهَةِ ، أقامَ مُدَّةً بالحِجازِ ، واجْتمعَ بابنِ سبعينَ و[4]بالتَّقِيِّ الحَوْرَانِيِّ[4] ، وأخذَ النحوَ عن ابنِ مالكٍ ، [5]وابنِه بَدْرِ الدِّينِ[5] ، وصَحِبَه مُدَّةً ، وقد صَحِبَه الشِّهابُ محمودٌ مُدَّةَ خَمْسِينَ سنَةً ، وكان يُثْنِي عليه بالزهدِ والفَراغِ مِن الدنْيَا ، تُوفِّي ليلةَ السبتِ الثالثَ[6] من رَبِيعٍ الآخِرِ ،

---

(١) الجمعية : عند الصوفية اجتماع الهمم فى التوجه إلى اللَّه تعالى ، والاشتغال به عما سواه ، وبإزائها التفرقة . جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون ١/ ٤١٠ .

(٢) فى م : « البلى » . وانظر ترجمته فى : فوات الوفيات ١٦١/٢ ، والوافى بالوفيات ٥٣/١٧ ، وذيل طبقات الحنابلة ٣٧١/٢ ، والدرر الكامنة ٣٤٦/٢ ، والدليل الشافى ٣٨١/١ .

(٣) فى الأصل : « ثمانين » .

(٤ - ٤) فى ص : « البقى الحَوارى » . وانظر ذيل طبقات الحنابلة الموضع السابق .

(٥ - ٥) فى ص : « ابن نذر » .

(٦) فى ص : « الرابع » . وانظر ذيل طبقات الحنابلة الموضع السابق ، والدرر الكامنة ٣٤٧/٣ .

ودُفِنَ بالسَّفْحِ، وقد أوْرَدَ الشيخُ علَمُ الدِّينِ البِرْزَالىُّ فى ترْجَمَتِه قطعةً مِن شعْرِه، فمِن ذلك قَولُه[1]:

أَسُكَّانَ المعاهدِ مِن فُؤادِى ... لكم فى [2]خافقٍ منه[2] سُكُونُ
أُكَرِّرُ فِيكُمُ أبدًا حَدِيثِى ... فيَحْلُو والحدِيثُ له[3] شُجُونُ
وأنْظِمُه عُقُودًا[4] مِنْ دُموعِى ... فتَنْثُرُهُ المحاجِرُ والجُفُونُ
[5]وأبْتَكِرُ المَعانِىَ فى[5] هَواكُمْ ... وفِيكُمْ كلُّ قافِيَةٍ تَهُونُ
وأَسْأَلُ عنْكُمُ الباكين[6] سِرًّا ... وسِرُّ هواكُمُ سِرٌّ [١٠/١٦٧و] مَصُونُ
وأَعْتَبِقُ[7] النَّسِيمَ لأنَّ فيه ... شَمائِلَ مِنْ مَعَاطِفِكُمْ تَبِينُ
فَكَمْ لى فى مَحَبَّتِكُمْ غَرامٌ ... وكَمْ لى فى الغَرامِ بكُمْ فُنونُ!

قاضى القُضاةِ زَيْنُ الدِّينِ علىُّ بنُ مَخْلُوفِ بنِ ناهِضِ بنِ مُسلمِ بن مُنْعِمِ[8]

---

(١) انظر الذيل على طبقات الحنابلة ٣٧١/٢، ودرة الحجال ٦٨/٣.

(٢ - ٢) فى الأصل: «خافقه»، وفى ص: «جارحة»، وفى درة الحجال: «كل جارحة».

(٣) فى ص: «لكم». والحديث له شجون: مأخوذ من قولهم: الحديث ذو شجون. أى: فنون وتشبث بعضه ببعض، وأول من تكلم بهذا المثل ضَبَّةُ بن أدٍّ بن طابخة. وانظر الفاخر ص ٥٩، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٧٧، واللسان (ش ج ن).

(٤) فى م: «عقيقا».

(٥ - ٥) فى درة الحجال ٦٩/٣: «وأجريت المدامع من».

(٦ - ٦) فى الأصل، م: «البكاء»، وفى ذيل طبقات الحنابلة: «النكباء»، وفى درة الحجال: «فى البعد».

(٧) فى م: «وأغتبق»، وفى ص: «فأغتبق»، وفى ذيل طبقات الحنابلة، ودرة الحجال: «أعتنق».

(٨) فى ص: «منيع». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٩٧، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٨٩، وتذكرة النبيه ٩٣/٢، والسلوك ١٨٨/١/٢، والدرر الكامنة ٢٠٢/٣، والنجوم الزاهرة ٢٤٢/٩.

ابنِ خَلَفٍ النُّوَيْرِىُّ المالِكِىُّ ، الحاكمُ بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، وُلِدَ[1] سنَةَ أرْبَعٍ وثلاثينَ وسِتِّمِائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، واشْتَغَلَ ، وحصَّل ، ووَلِىَ الحُكْمَ بعدَ ابنِ شاسٍ[2] سنةَ خَمْسٍ وثَمانِينَ ، وطالَتْ أيامُه إلى هذا العامِ ، وكان غزيرَ المُروءَةِ والاحتمالِ والإحْسانِ إلى الفُقَهاءِ والشُّهودِ ومَن يَقْصِدُه ، تُوفِّىَ ليلةَ الأرْبِعاءِ [3]حادِى عَشَرَ[3] جُمادَى الآخرةِ ، ودُفِنَ بسَفْحِ [4]المُقَطَّمِ بمِصْرَ[4] ، وتوَلَّى الحُكْمَ بعدَه بمِصْرَ تقىُّ الدِّينِ الأخْنائىُّ المالِكىُّ .

الشَّيْخُ إبْراهِيمُ بنُ أبى العَلاءِ المُقْرِئُ الصَّيِّتُ المَشْهورُ المَعْروفُ بابنِ شَعْلانَ[5] ، وكان رَجُلًا جَيِّدًا فى شهودِ المِسْمارِيَّةِ ، ويُقْصَدُ للخَتَماتِ لطِيبِ صوتِه ، تُوفِّى وهو كهلٌ يومَ الجُمُعةِ ثالثَ عَشَرَ جُمادَى الآخرةِ ، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيُونَ .

الشيخُ الإمامُ العالِمُ الزاهِدُ أبو الوَليدِ محمدُ بنُ أبى القاسمِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى[6] **جَعْفَرٍ أحمدَ بنِ خلَفِ بنِ إبْراهيمَ بنِ أبى عِيسَى ابنِ الحاجِّ**[7] **التُّجِيبِىُّ**[8] **القُرْطُبِىُّ ثم الإشْبِيلِىُّ** ، وُلِدَ بإشْبِيلِيَةَ سنةَ ثَمانٍ وثلاثينَ

---

(١) سقط من : م . وفى السلوك والنجوم الزاهرة أن مولده كان سنة ٦٢٠ هـ . وانظر تذكرة النبيه ، والدرر الكامنة .

(٢) فى الأصل : « ساس » ، وفى م : « شاش » . وانظر الدليل الشافى ٢٧٤/١ .

(٣ - ٣) فى السلوك : « ثانى عشر » ، وفى الدرر الكامنة : « الحادى والعشرين » ، وفى النجوم الزاهرة : « ثامن عشر » .

(٤ - ٤) فى ص : « قاسيون المعظم » . وانظر السلوك ١٨٨/١/٢ .

(٥) فى ص : « بقسقلان » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٦) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٩٧ ، وتاريخ ابن الوردى ٣٦٨/١ ، ومرآة الجنان ٢٥٧/٤ ، والسلوك ١٨٩/١/٢ ، والدرر الكامنة ٤٤٠/٣ .

(٧) فى ص : « الحجاج » .

(٨) فى الأصل ، م : « النجيبى » .

وسِتِّمِائةٍ، وقد كان أهْلُه بيتَ العِلْمِ والخَطابةِ والقَضاءِ بمدِينَةِ قُرْطُبَةَ، فلمَّا أخذَها الفِرَنْجُ انْتَقَلُوا إلى إشْبِيلِيَةَ، وتمحَّقتْ أمْوالُهم وكتُبُهم، وصادَرَ ابنُ الأَحْمَرِ جدَّه القاضىَ بعِشْرِينَ ألفِ دينارٍ، وماتَ أبوه وجَدُّه سَنةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ وسِتِّمِائةٍ، ونشَأَ يتِيمًا، ثم حجَّ وأقْبَل إلى الشامِ، فأقَامَ بدِمَشْقَ من سَنَةِ أربعٍ وثَمانِين، وسَمِع مِن ابنِ البُخارِىِّ وغيرِه، وكتَب بيَدِه نحوًا مِن مِائةِ مُجَلَّدٍ؛ إعانَةً لوَلدَيْهِ أبى عَمْرٍو وأبى عبدِ اللَّهِ على الاشْتِغالِ، ثم كانت وَفاتُه بالمدْرسَةِ الصَّلاحِيَّةِ يومَ الجُمُعَةِ وَقْتَ الأَذانِ ثامِنَ عَشَرَ رَجَبٍ، وصُلِّى عليه بعدَ العصرِ، ودُفِنَ عندَ الفِنْدَلاوِىِّ ببابِ الصغيرِ بدِمَشْقَ، وحضَر جِنازَتَه خَلْقٌ كثيرٌ.

الشيخُ كَمالُ الدِّينِ بنُ الشَّريشِىِّ، أحمدُ بنُ الإمامِ العلَّامَةِ جَمالِ الدينِ[1] **أبى بكرٍ**[2] **محمدِ بنِ أحمدَ بنِ** [3]**محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ**[3] **بنِ سُحْمانَ**[4] **البَكْرِىُّ الوائلِىُّ**[5] **الشَّريشِىُّ**، كان أبوه مالكيًّا كما تقدَّمَ، واشْتَغلَ هو فى مذْهبِ الشافعِىِّ، فبرَع وحصَّل علُومًا كثيرةً، وكان خَبِيرًا بالكِتابةِ مع ذلك، وسَمِعَ الحديثَ، وكتبَ الطِّباقَ وقرَأه بنَفْسِه، وأفْتَى ودرَّسَ وناظرَ، وباشرَ عِدَّةَ مَدارِسَ ومَناصِبَ كبارٍ، أوَّلَ ما باشرَ مَشْيَخَةَ الحديثِ بتُرْبَةِ أمِّ الصالحِ بعدَ والدِه مِن سَنَةِ

---

(١) بعده فى م: «بن». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٩٩، والوافى بالوفيات ٣٣٧/٧، والسلوك ١٨٧/١/٢، والدرر الكامنة ٢٦١/١، والنجوم الزاهرة ٢٤٣/٩، وشذرات الذهب ٤٧/٦.

(٢) بعده فى الأصل، م: «بن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) كذا فى النسخ، والسلوك، ونسخة من النجوم الزاهرة، وفى الدرر الكامنة، ونسخة من النجوم الزاهرة: «سجمان».

(٥) فى الأصل: «الوايكى»، وفى ص: «الوابلى».

خَمْسٍ وثَمانِين وسِتِّمائةٍ إلى أن تُوفِّىَ ، ونابَ فى الحُكْمِ عن ابنِ جَماعةَ ، ثم ترَك ذلك ووَلِىَ وَكالةَ بيتِ المالِ وقَضاءَ العَسْكَرِ ونظَرَ الجامعِ مَرّاتٍ ، ودرَّسَ بالشامِيَّةِ البَرّانِيَّةِ ، ودرَّسَ بالناصِرِيَّةِ عِشْرِين سنةً ، ثم انْتزَعَها مِن يَدِه ابنُ جَماعةَ وزَيْنُ الدِّينِ الفارِقِىُّ ، فاسْتَعادَها منهما ، وباشَر مَشْيَخَةَ الرِّباطِ الناصِرِىِّ بقاسِيُونَ مدةً ، ومَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ [١٠/١٦٧ظ] الأَشْرَفِيَّةِ ثمانِ سِنينَ ، وكانَ مشْكُورَ السِّيرَةِ فيما تَولَّاه مِن الجِهاتِ كلِّها ، وقد عزَم فى هذه السنَةِ على الحَجِّ ، فخرَج بأهْلِه فأدْرَكَتْه مَنِيَّتُه بالحَسَا[1] فى سَلْخِ شوَّالٍ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ هناك ، رحِمهُ اللَّهُ ، وتَولَّى بعدَه الوَكالةَ جمالُ الدِّينِ بنُ القَلانِسِىِّ ، ودرَّسَ فى الناصِرِيَّةِ كمالُ الدينِ ابنُ الشِّيرازِىِّ ، وبدارِ الحديثِ الأَشْرَفِيَّةِ الحافِظُ جمالُ الدينِ المِزِّىُّ ، وبأُمِّ الصالحِ الشيخُ شمسُ الدينِ الذَّهَبِىُّ ، وبالرِّباطِ الناصِرِىِّ ولَدُه جمالُ الدِّينِ .

الشهابُ المُقْرِئُ أحمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ أحمدَ[2] البَغْدادِىُّ ، نقِيبُ المتعمِّمينَ ، كان عندَه فَضائلُ جمَّةٌ نظمًا ونثرًا ، ممّا يُناسِبُ الوَقائعَ وما يحضُرُ فيه من التَّهانِى والتَّعازِى ، ويعرفُ المُوسِيقَى والشَّعْبَذَةَ ، وضَرْبَ الرَّمْلِ ، ويَحْضُرُ المجالِسَ المُشْتَمِلَةَ على اللَّهْوِ والمُسْكِرِ واللَّعِبِ والبَسْطِ ، ثم انْقَطَعَ عن ذلك كلِّه لكِبَرِ سِنِّه ، وهو ممَّا يقالُ فيه وفى أمْثالِه :

ذهبتُ عن تَوْبَتِهِ سائِلًا ... وجَدْتُها تَوْبَةَ إفلاسِ

وكان مولِدُه بدِمَشْقَ سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ وسِتِّمائةٍ ، وتُوفِّى ليلةَ السبتِ

---

(١) مكان بين الكرك ومعان . انظر الدرر الكامنة ١/٢٦١ ، وبغية الوعاة ١/٣٥٨ ، وفى الوافى بالوفيات : توفى بدرب الحجاز بالكرك .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى ذيول العبر ص ١٠٠، وشذرات الذهب ٦/٤٧: « حطة » .

خامس ذِى القَعْدةِ ، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصغيرِ فى قَبْرٍ أعدَّه لنفْسِه ، عن خَمْسٍ وثمانِينَ سنَةً ، سامَحه اللَّهُ .

قاضى القُضاةِ فَخْرُ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ تاجِ الدينِ أبى الخَيْرِ سلامةَ ابنِ زَيْنِ الدينِ أبى العبَّاسِ أحمدَ بنِ سلامةَ[1] **الإسْكَنْدَرِىُّ المالِكِىُّ** ، وُلِدَ سنةَ إحْدَى وسَبْعِينَ وسِتِّمائةٍ ، وبرَع فى عُلومٍ كثيرةٍ ، ووَلِىَ نِيابةَ الحُكْمِ فى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فحُمِدَتْ سِيرتُه ودِيانتُه وصَرامتُه ، ثم قَدِمَ على قَضاءِ الشامِ للمالِكيَّةِ فى السنَةِ الماضيةِ ، فباشرَها أحْسَنَ مُباشَرَةٍ سنَةً ونِصْفًا ، إلى أنْ تُوفِّى بالصّمصامِيَّةِ بُكْرَةَ الأرْبِعاءِ مُسْتَهَلّ ذِى الحِجَّةِ ، ودُفِنَ إلى جانبِ الفِنْدَلاوِىِّ ببابِ الصغيرِ ، وحضَرَ جِنازَتَه خَلْقٌ كثيرٌ ، وشكَرَه الناسُ وأثْنَوا عليه ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م « سلام » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٠٠ ، وتذكرة النبيه ٢/٩٢ ، والديباج المذهب ١/ ٢٤٩، والسلوك ٢ /١/ ١٨٧ ، والدرر الكامنة ١/١٥٠ .

ثم دخَلَتْ سنَةُ تِسْعَ عَشْـرَةَ وسَبْعِمائةٍ[1]

استهلَّت والحكّامُ هم المذكُورون فى التى قبلَها . وفى مستهلِّ المحرَّمِ هبَّت ريحٌ شديدةٌ بدِمَشْقَ ، سقَط بسببِها شىءٌ كثيرٌ[2] مِن الجُدْرانِ ، واقتلَعت أشجارًا كثيرةً . وفى يومِ الثلاثاءِ سادِس عشرينَ المحرَّمِ خُلِعَ على القاضِى جَمالِ الدينِ بنِ القَلانسِىِّ بوكَالةِ بيتِ المالِ عوَضًا عن ابنِ الشَّريشِىِّ .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ خامس صفرٍ درَّس بالناصريَّة الجَوَّانيَّةِ ابنُ صَصْرَى ، عِوَضًا عن ابنِ الشَّريشِىِّ أيضًا ، وحضَر عندَه الناسُ على العادةِ . وفى عاشرِه[3] باشَر شدَّ الدواوِينِ جمالُ الدينِ آقوش الرحْبىُّ عِوَضًا عن فخْرِ الدينِ أياس ، وكان آقُوش مُتَولِّىَ دِمَشْقَ مِن سنَةِ سَبْعِ وسبْعِمائةٍ ، ووَلِىَ مَكانَه بالبلادِ[2] الأميرُ علَمُ الدينِ طرقشى[4] الساكِنُ العقيبةِ[5] .

وفى هذا اليومِ نُودى بالبلَدِ أن يصومَ الناسُ لأجْلِ الخروجِ إلى الاستِسْقاءِ ، وشُرِعَ فى قراءةِ « البُخَارِىِّ » ، وتهَيَّأ الناسُ لذلك ، ودَعَوا عَقِيبَ الصَّلواتِ وبعدَ الخُطَبِ ، [١٠/١٦٨و] وابتَهَلوا إلى اللَّهِ تعالى فى الاستِسقاءِ ، فلمّا كان يومُ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٨٥، وكنز الدرر ٩/ ٢٩٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٦٨، والسلوك ٢/ ١/ ١٩٠.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص : « عاشر شعبان » .

(٤) فى م : « طرقش » ، وفى ص : « طرقس » .

(٥) فى م ، ص : « بالعقبية » .

السبتِ منتصف صفَرٍ ، وكان سابعَ نَيْسَانَ ، خرجَ أهلُ البلَدِ برُمَّتِهم إلى عندِ مسجدِ القدمِ ، وخرَج نائبُ السلْطَنةِ والأُمراءُ مشاةً يبكُونَ ويتضرَّعُونَ ، واجتَمعَ الناسُ هنالك ، وكان مَشْهَدًا عظيمًا ، وخطَب بالناسِ القاضى صَدْرُ الدينِ سُلَيمانُ الجَعْفَرِىُّ ، وأَمَّن النَّاسُ على دُعائِه (١ورجَعوا١) ، فلمَّا أصبَح الناسُ مِن اليومِ الثانى جاءَهم الغيثُ بإذنِ اللَّهِ ورحمتِه ورأْفَتِه ، لا بحَوْلِهم ولا بقُوَّتِهم ، ففرِحَ الناسُ فرَحًا شديدًا ، (٢وعمَّ٢) البلادَ كلَّها ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى أواخِرِ الشهرِ شرَعُوا فى إصْلاحِ رُخامِ الجامعِ وتَرْميمِه ، وجَلْيِ(٣) أبْوابِه وتَحْسينِ ما فيه .

وفى رابعَ عَشَرَ ربيعِ الآخرِ درَّسَ بالناصرِيَّةِ الجَوَّانِيَّةِ ، ابنُ الشِّيرازِىِّ بتوقيعٍ سلطانىٍّ ، وأَخَذَها مِن ابنِ صَصْرَى وباشرَها إلى أنْ ماتَ .

وفى يومِ الخميسِ سادسَ عَشَرَ جُمَادَى الأولَى باشَر ابنُ شَيخِ السّلَاميَّةِ فخرُ الدينِ - أخو ناظرِ الجيشِ - الحِسْبَةَ بدِمَشْقَ ، عِوَضًا عن ابنِ الحدّادِ ،وباشرَ ابنُ الحدَّادِ نظرَ الجامعِ عوضًا عن ابنِ شيخِ السّلامِيَّةِ ، وخُلِعَ على كلٍّ منهما .

وفى بُكْرةِ الثلاثاءِ خامس جُمادَى الآخرةِ قدِمَ مِن مصرَ إلى دِمَشْقَ قاضى القُضَاةِ شرَفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ قاضى القُضاةِ مُعِينِ الدينِ أبى بكرِ بنِ الشيخِ زكىِّ الدينِ ظافرٍ الهَمْدانىُّ المالِكىُّ ، على قضاءِ المالكيَّةِ بالشامِ ، عوضًا عن ابنِ سلامةَ ، تُوفِّى ، فكان بينَهما ستَّةُ أشهرٍ ، ولكنَّ تقليدَ هذا مُؤَرَّخٌ بآخرِ ربيعٍ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « عم » .

(٣) فى م : « وحلى » .

الأوَّلِ ، ولبِس الخِلعةَ ، وقُرِئَ تقليدُه بالجامعِ .

وفى هذا الشهرِ درَّسَ بالخاتونيَّةِ البرَّانيَّةِ القاضى بَدْرُ الدينِ بنُ الفُوَيْرِه[1] الحنفِيُّ ، وعُمْرُه خمسٌ وعشرونَ سنةً ، عِوَضًا عن القاضى شمسِ الدينِ محمدٍ قاضى مَلَطْيَةَ . توفِّى .

وفى يومِ السبتِ خامس رمضانَ وصلَ إلى دِمَشْقَ سَيْلٌ عظيمٌ أتلَفَ للناسِ شيئًا كثيرًا ، وارتفعَ حتى دخلَ مِن بابِ الفرَجِ ، ووصلَ إلى العقيبةِ ، وانزعَجَ الناسُ له ، وانتقَلوا مِن أماكنِهم ، ولم تطُلْ مدَّتُه ؛ لأنَّ أصلَه كان مطرًا وقعَ بأرضِ آبِلِ[2] السُّوقِ والحُسيْنِيةِ .

وفى هذا اليومِ باشرَ طرقشى شدَّ الدواوينَ بعدَ موتِ جمالِ الدينِ الرَّحْبىِّ ، وباشرَ وِلايةَ المدينةِ صارِمُ الدينِ الجُوكَندار ، وخُلِع عليهما .

ولما كان يومُ الثلاثاءِ التاسع والعشرينَ من رمضانَ اجتَمَعَ القُضاةُ وأعيانُ الفقَهاءِ عندَ نائبِ السلْطَنَةِ بدارِ السَّعادةِ ، وقرِئَ عليهم كتابٌ من السلْطَانِ يتضمَّنُ منْعَ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيْمِيَّةَ من الفُتْيا فى مسألةِ الطَّلاقِ ، وانفَصَلَ المجلسُ على تأْكيدِ المَنْعِ مِن ذلك .

وفى يوم الجُمُعَةِ تاسع شوالٍ خطَب القاضى صدْرُ الدينِ الدَّارانىُّ عوضًا عن

---

(١) فى الأصل ، م : « نويرة » ، وفى ص : « جمال الدين بن الفويره » ، وفى الدارس ٥٠٦/١ نقلًا عن المصنف : « أبو نويرة » . والمثبت من الجواهر المضية ٣٩٥/٣، ونص على ضبطه بكسر الراء المهملة ، وقال : واشتهر بين الناس بفتح الراء ، كذا قاله لى شيخنا قطب الدين . الجواهر المضية ٢١٩/٣. وانظر الدرر الكامنة ٥٤/٥.

(٢) فى الأصل : « أيل » ، وفى ص : « وأبل » ، وفى دول الإسلام ٢/ ٢٢٦: « أهل » . وآبل السوق : قرية بوادى بردى من دمشق . تبصير المنتبه ١/ ٣٤، وقال فى الدرر الكامنة ٢٥/٤ فى ترجمة محمد ابن أبى بكر بن على الإبلى : بكسر الهمزة والموحدة ، نسبة إلى إبل السوق بوادى بردى .

بدرِ الدينِ بنِ ناصرِ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، بجامعِ جراحٍ ، وكان فيه خطيبًا قبلَه ، فتولَّاه[1] بدرُ الدينِ حسنٌ العقربَانِيُّ ، واستمرّ ولدُه [١٠/١٦٨ظ] فى خِطابةِ داريَّا التى كانتْ بيَدِ أبيهِ مِن بعدِه[2] .

وفى يومِ السبتِ عاشره خرَج الركبُ وأميرُهم عِزُّ الدينِ أيبك المنصوريُّ أميرُ علمٍ .

وحجَّ فيها صَدْرُ الدينِ قاضِى القضاةِ الحنفيُّ ، وبرهانُ الدينِ بنُ عبدِ الحقِّ ، وشَرفُ الدينِ ابنُ تيميةَ ، ونجمُ الدينِ الدِّمَشْقِيُّ وهو قاضِى الرَّكْبِ ، ورَضِيُّ الدينِ المِنْطيقيُّ ، وشمسُ الدينِ بنُ الوزيرِ[3] خطيبُ جامعِ القُبَيباتِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَشيقٍ المالكيُّ وغيرُهم .

وفيها حجَّ سلطانُ الإسلامِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوونَ ومعه جمعٌ كثيرٌ مِن الأمراءِ ، ووكيلُه كريمُ الدينِ ، وفخرُ الدينِ كاتبُ المماليكِ ، وكاتبُ السرِّ ابنُ الأثيرِ ، وقاضِى القضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جماعةَ ، وصاحِبُ حماةَ الملكُ عِمادُ الدينِ ، والصاحبُ شمسُ الدينِ غِبْرِيالُ ، فى خدمَةِ السلطانِ ، وكان فى خِدْمَتِه خلقٌ كثيرٌ مِن الأعْيانِ .

وفيها كانت وَقْعَةٌ عظيمةٌ بينَ التتارِ ، بسبَبِ أنّ سلطانَهم بو[4] سعيدٍ كان قد ضاقَ ذرعًا بجُوبان وعجَزَ عن مَسْكِه ، فانتدَبَ له جماعةٌ من الأمراءِ عن

---

(١) بعده فى ص : « بعد » .

(٢) فى ص : « مدة » .

(٣) فى م : « الزريز » . وتقدم فى صفحة ١٧٩، وستأتى وفاته سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

(٤) فى النسخ : « أبا » . وانظر السلوك ١٩٥/١/٢ ، وسيأتى فى وفيات سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

أمرِه؛ منهم أبو يَحْيَى خالُ أبيه، ودُقماق[1] وقَرْمَشى[2]، وغيرُهم مِن أكابرِ الدولةِ، وأرادوا كبْسَ جُوبان فهرَبَ وجاءَ إلى السلطانِ، فانتَهى إليه ما كان منهم، وفى صُحبتِه الوزيرُ على شَاه، ولم يزَلْ بالسلطانِ حتى رضِى عن جُوبان وأمدَّه بجيشٍ كثيفٍ، وركِبَ السلطانُ معه أيضًا والتقَوْا مع أولئك فكسَروهم وأسَرُوهم، وتحكَّم فيهم جُوبان، فقتَلَ منهم إلى آخرِ هذه السنَةِ نحوًا مِن أربَعينَ أميرًا.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ المُقْرِئُ شِهابُ الدِّينِ أبو عبدِ اللَّهِ الحسينُ[3] بنُ سُلَيمانَ بنِ فَزارةَ[4] بنِ بَدْرٍ الكَفْرِىُّ[5] الحَنَفِىُّ، ولِدَ تقريبًا فى سنةِ سبعٍ وثلاثينَ وستِّمائةٍ، وسمِعَ الحديثَ وقرأَ بنفسِه «كتابَ التِّرْمِذِىِّ»، وقرَأَ القراءاتِ، وتفرَّدَ بها مدةً يشتغِلُ الناسُ عليه، وجمَع عليه السَّبْعَ أكثرُ من عشرينَ طالبًا، وكان يعرِفُ النحوَ والأدبَ وفنونًا كثيرةً، وكانت مجالستُه حسنةً، وله فوائدُ كثيرةٌ، ودرَّس بالطَّرْخانِيَّةِ أكثرَ من أربعينَ سنةً، ونابَ فى الحُكْمِ عن الأذْرَعِىِّ مدةَ وِلايَتِه، وكان خيِّرًا مباركًا، وأضَرَّ فى آخرِ عمرِه، وانقطعَ فى بيتِه مواظِبًا على

---

(١) فى ص: «دكمان». وانظر السلوك ٢/١/١٩٥.

(٢) فى الأصل، م: «قرشى». وانظر السلوك الموضع السابق.

(٣) فى م، ص: «الحسن». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٠٦، والوافى بالوفيات ١٢/ ٣٧٧، والجواهر المضية ٢/ ١١١، وغاية النهاية ١/ ٢٤١، والدرر الكامنة ٢/ ١٤٢، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٥.

(٤) فى م: «خزارة».

(٥) فى ص: «الدين الكندى».

التِّلاوَةِ والذِّكْرِ وإقراءِ القرآنِ إلى أن تُوفِّى [1] يومَ الاثنين [1] ثالِثَ عشَرَ جُمادى الأُولَى ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ يومئذٍ بجامعِ دمَشْقَ ، ودفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى هذا الشهرِ جاء الخبرُ بموتِ **الشيخِ الإمامِ تاجِ الدِّينِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ محمدِ بنِ أبى حامدٍ التِّبْرِيزِىِّ الشافِعىِّ المعروفِ بالأَفْضَلِىِّ** [2] ، بعدَ رجُوعِه من الحجِّ ببَغْدادَ فى العَشْرِ الأُولِ من صَفَرٍ ، وكان صالحًا فقيهًا مباركًا ، وكان ينكِرُ على رشيدِ الدولةِ ويحُطُّ عليه ، ولمَّا قُتِلَ قالَ : كان قتلُه أنفعَ من قَتْلِ مائةِ ألفِ نَصْرانىٍّ . وكان رشيدُ الدولةِ يريدُ أن يترضَّاه فلا يقْبلُ ، وكانَ لا يقْبَلُ من أحدٍ شيئًا ، ولما توفِّى دفِنَ بتربةِ الشُّونيزِىِّ ، وكان قد قاربَ الستِّين ، رحِمه اللَّهُ .

مُحْيى الدِّينِ محمدُ [3] **بنُ مفضلِ بنِ فَضْلِ اللَّهِ المِصْرِىُّ** ، كاتبُ ملكِ الأُمَراءِ ، ومُستَوْفِى الأوقافِ ، كان مشكورَ السيرةِ ، محبًّا للعلماءِ والصُّلحاء ، فيه كرمٌ وخدمةٌ كثيرةٌ للناسِ ، تُوفِّى [١٠/ ١٦٩] رابعَ عشرين جُمادَى الأولَى ، ودفِنَ بتربةِ ابنِ [4] هلالٍ بسَفْحِ قاسِيونَ ، وله سِتٌّ وأرْبَعُونَ سنةً ، وباشرَ بعدَه فى وظيفَتِه أمينُ الدينِ بنُ النَّحَّاسِ .

الأميرُ الكبيرُ غُرْلُو [5] **بنُ عبدِ اللَّهِ العادِلىُّ** ، كان مِن أكابرِ الدولةِ ومن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيول العبر ص ٩٨، والوافى بالوفيات ١٨/ ٢٥٩، والدرر الكامنة ٢/ ٤٥٠، وشذرات الذهب ٦/ ٤٩. وفى ذيول العبر وشذرات الذهب ضمن وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

(٣) فى ص : « يحيى » . وانظر ترجمته فى : الدررالكامنة ٥/ ٣٠.

(٤) فى ص : « بنى » .

(٥) فى ص ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٥: « إغزلو » . وفى السلوك ٢/١/١٩٩: شجاع الدين أغرلوا . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ١٠٧، وتذكرة النبيه ٢/ ١٠٤، والدرر الكامنة ١/ ٤١٨.

الأُمَراءِ المقدَّمينَ الأُلوفِ ، وقد نابَ بدِمَشْقَ عن أستاذِه الملكِ العادلِ كَتْبُغَا نحوًا من ثلاثَةِ أشهرٍ فى سنةِ خمسٍ وتسعينَ[1] وستِّمائةٍ ، وأوَّلِ سنةِ ستٍّ[2] وتسعِينَ ، واستمرَّ أميرًا كبيرًا إلى أن تُوفِّى فى سَلخِ[3] جُمادَى الأولَى يومِ الخميسِ ، ودُفِنَ بتربتِه بشمالىِّ جامعِ المظفَّرِىِّ بقاسِيونَ ، وكان شَهْمًا شجاعًا ناصحًا للإسلامِ وأهلِه ، ماتَ فى عَشْرِ السِّتينَ .

الأميرُ جَمالُ الدينِ آقُوش الرَّحْبىُّ المَنْصُورِىُّ[4] ، وَلِىَ دِمَشْقَ مدةً طويلةً ، كان أصْلُه مِن قُرَى إرْبِلَ ، وكان نَصْرانِيًّا فسُبِىَ وأُبِيعَ من نائبِ الرَّحْبَةِ ، ثم انتَقَلَ إلى المَلِكِ المنصورِ فأعتقَه وأمَّره ، وتولَّى الوِلايةَ بدِمَشْقَ نحوًا مِن إحْدَى عَشْرَةَ سنةً ، ثم انتقَلَ إلى شدِّ الدَّواوينِ أربعةَ أشهرٍ قبلَ وفاتِه ، [5]وكانَت وفاتُه ليلةَ الخميسِ حادِى عشرينَ جُمادى الآخرةِ ، ودفِن بمقابرِ الصوفيةِ[5] ، وكان محبوبًا إلى العامة مدةَ ولايتِه .

الخطيبُ صَلاحُ الدِّينِ يوسُفُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللطيفِ بن الـمُغَيْزِلِ[6] **الحموِىُّ** ، له تصانيفُ وفوائدُ ، وكان خَطِيبَ جامعِ السوقِ الأسفلِ بحماةَ ، وسمِع من أصحابِ ابنِ طَبَرْزَد ، تُوفِّى فى جُمادَى الآخرةِ .

---

(١) فى م : « سبعين » .

(٢) فى ص : « تسعة » .

(٣) فى م : « سابع » . وانظر السلوك ٢/١/ ١٩٩.

(٤) الدرر الكامنة ٤٢٨/١ . وفيه : آقش .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « المعتزل » ، وفى ص : « المغيزلى » . وانظر ترجمته فى : تذكرة النبيه ٢/ ١٠٥، والدرر الكامنة ٥/ ٢٤٥.

العلامةُ فخرُ الدينِ أبو عمرٍو[1] عثمانُ بنُ عليِّ بنِ يَحْيَى بنِ هِبَةِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ بنِ المُسَلَّمِ بنِ عليٍّ الأنصارِيُّ الشَّافِعِيُّ، المعروفُ بابنِ بنتِ أبى سعدٍ المصرِيِّ، سمِعَ الحديثَ، وكان مِن ثقاتِ[2] العُلماءِ، ونابَ فى الحُكْمِ بالقاهرةِ مدَّةً، ووَلِى مكانَه فى ميعادِ جامعِ طُولُون الشيخُ علاءُ الدينِ القُونَوِيُّ شيخُ الشيوخِ، وفى ميعادِ الجامعِ الأزهَرِ شمسُ الدينِ بنُ عَلَّانَ، كانت وفاتُه ليلةَ الأحدِ الرّابع والعشرينَ من جُمادَى الآخرةِ، ودُفِن بمصرَ وله من العُمْرِ تسعون[3] سنةً.

الشيخُ الصالِحُ العابِدُ أبو الفَتْحِ نَصْرُ بنُ [4]سليمانَ بنِ عُمرَ[4] المَنبِجِيُّ[5]، له زاويةٌ بالحُسينيَّةِ يُزارُ فيها ولا يَخْرجُ منها إلا إلى الجمُعةِ، سمِع الحديثَ، تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ بعدَ العصرِ السادسِ والعشرينَ من جُمادَى الآخرةِ، ودُفِن من الغَدِ بزاويتِه المذكورةِ، رحِمه اللَّهُ.

الشيخُ الصالحُ المُعَمَّرُ الرُّحْلَةُ عيسَى بنُ عبدِ الرحمنِ [6]بنِ مَعالى بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ[6] بنِ عطافِ بنِ مبارَكِ بنِ عليِّ بنِ أبى الجيشِ المقدسِيُّ

---

(١) فى ص: «حمزة». وانظر ترجمته فى: طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٢٥، والسلوك ٢/١/ ٢٠٠، والدرر الكامنة ٣/ ٦٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٧.

(٢) فى الأصل، م: «بقايا».

(٣) فى م: «سبعون».

(٤ - ٤) فى ص: «سلمان بن عز». وانظر ترجمته فى: دول الإسلام ٢/٢٢٦، وذيول العبر ص ١٠٧، والجواهر المضية ٣/٥٣٨، والسلوك ٢/١/١٩٩، وغاية النهاية ٢/ ٣٣٥، والدرر الكامنة ٥/ ١٦٥، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٨، وشذرات الذهب ٦/ ٥٢. وفى بعض المصادر: نصر بن سلمان.

(٥) فى الأصل: «التجى»، وفى م: «الكبجى».

(٦ - ٦) سقط من: ص. وانظر ترجمته فى: دول الإسلام ٢/ ٢٢٦، ومعجم شيوخ الذهبى ص ٤١٠، وذيول العبر ص ١٠٨، والدرر الكامنة ٣/ ٢٨٢، وذكر أن وفاته سنة ٧١٧هـ، وشذرات الذهب ٦/ ٥٢.

الصالحيُّ المُطْعِمُ، راوِى « صحيحِ البخَارِىِّ » وغيرِه، وقد سمِع الكثيرَ مِن مشايخَ عِدَّةٍ، وترجَمَه الشَّيْخُ علمُ الدينِ فى « تاريخِه »، تُوفِّى ليلةَ الثلاثاءِ رابعَ عشَرَ ذِى الحجَّةِ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ فى اليومِ المذكورِ بالجامعِ المظفَّرِىِّ، ودفِن بالساحةِ بالقربِ من تربةِ المولَّهِينَ، وله أربَعٌ وتسعُونَ[1] سنةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

---

(١) فى م: « سبعون »، وفى ص: « ستون ».

ثم دخلَت سنَةُ عشْرينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

استَهَلَّت وحكامُ البلادِ هم المذكُورونَ فى التى قبلَها ، وكان السلطانُ فى هذه السنةِ فى الحَجِّ ، وعادَ إلى القاهرةِ يومَ السَّبْتِ ثانى عَشَرَ المحرَّمِ ، ودقَّتِ البشائِرُ ، ورجَع [١٠/١٦٩ظ] الصَّاحِبُ شمسُ الدينِ على طريقِ الشامِ وفى صُحْبَتِه الأميرُ ناصرُ الدينِ الخزِنْدار ، وعاد صاحِبُ حَماةَ مع السلطانِ إلى القاهرةِ ، وأنعَمَ عليه السلطانُ ، ولقَّبه بالملِكِ المؤَيَّدِ ، ورَسَم أن يُخطَبَ له على مَنابرِ حَماةَ وأعمالِها ، وأن يخاطبَ بالمَقامِ العالِى المَوْلَوِىِّ السلطانىِّ المَلَكِىِّ المُؤَيَّدِىِّ ، على ما كان عليه عمُّه المنصورُ .

وفيها عمَر ابنُ المَرْجَانِىِّ[2] شِهابُ الدينِ مسجدَ الخَيْفِ ، وأنفَق عليه نحوًا مِن عشرين ألفًا . وفى المُحرَّمِ استَقَال أمينُ المُلْكِ[3] مِن نَظَرِ طرابُلُسَ وأقام بالقدسِ . وفى آخرِ صَفَرٍ باشَر نيابةَ الحُكْمِ المَالِكِىِّ القاضى شمسُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ القَفَصِىُّ ، وكان قد قدِم مع قاضى القُضاةِ شرفِ الدينِ مِن مصرَ . وفى يومِ الاثنينِ الخامس والعشرين مِن ربيعٍ الأوَّلِ ضُرِبتْ عُنُقُ شخصٍ يُقالُ له : عبدُ اللَّهِ

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٨٦، وكنز الدرر ٩/ ٢٩٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٦٨، والسلوك ٢/ ١/ ٢٠٠.

(٢) فى ص : « المرجا » . وانظر العقد الثمين ٣/ ١١٣، وإتحاف الورى ٣/ ١٧٢.

(٣) فى الأصل ، م : « الدين » .

الرُّومىُّ . وكان غُلامًا لبعضِ التُّجَّارِ ، وكان قد لزِم الجامعَ ، ثم ادَّعى النُّبوَّةَ ، فاسْتُتِيب ، فلم يَرْجِعْ ، فَضُرِبَتْ عُنقُه ، وكان أشْقَرَ أزْرَقَ العَيْنَيْن جاهلًا ، وكان قد خالَطَه شيطانٌ حسَّن له ذلك ، واضْطَرَب عقلُه فى نفسِ الأمرِ ، وهو فى نفسِهِ شيطانٌ إنْسِيٌّ .

وفى يومِ الاثنينِ ثانى ربيعِ الآخِرِ عُقِد عَقْدُ السلطانِ على المرأةِ التى قَدِمَتْ مِن بلادِ القَبْجَاق ، وهى مِن بناتِ المُلوكِ ، وخُلِع على القاضِى بدرِ الدينِ بنِ جماعةَ ، (١وكاتبِ١) السرِّ وكريمِ الدينِ وجماعةِ الأُمراءِ . ووَصَلَتِ العساكرُ فى هذا الشهرِ إلى بلادِ سِيسَ ، وغَرِق فى نهرِ جاهان مِن عسكرِ طرابُلُسَ نحوٌ مِن ألفِ فارسٍ ، وجَاءتْ مَرَاسِيمُ السلطانِ فى هذا الشهرِ[٢] إلى الشامِ بالاحتياطِ على أخبازِ[٣] آلِ مُهَنَّا ، وإخراجِهم مِن بلادِ الإسلامِ ؛ وذلك لغَضَبِ السلطانِ عليهم ، لعدمِ قُدُومِ والدِهم مُهَنَّا على السلطانِ .

وفى يومِ الأربعاءِ رابع عشرين جُمادَى الأُولَى درَّس بالرُّكْنِيَّةِ الشيخُ مُحيى الدينِ الأسمرُ[٤] الحنفىُّ ، وأُخِذَتْ منه الجَوْهَرِيَّةُ لشمسِ الدينِ الرَّقِّىِّ[٥] الأعرجِ ، وتدريسُ جامعِ القلعةِ لعمادِ الدينِ بنِ مُحيى الدينِ الطَّرَسُوسِىِّ ، الذى ولِى قضاءَ الحنفِيَّةِ بعدَ هذا ، وأُخِذ مِن الرَّقِّىِّ[٥] إمامةُ مسجدِ نورِ الدينِ[٦] بحارةِ اليهودِ

(١ - ١) فى ص : « كاتب » . وانظر ذيول العبر ص ١٠٩، والسلوك ٢/١/ ٢٠٥.

(٢) فى م : « اليوم » .

(٣) فى النسخ : « أخبار » . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٢٠ .

(٤) فى الأصل : « الأشنمر » . وانظر الجواهر المضية ٥٨٩/٣ .

(٥) فى م : « البرقى » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٤٣١.

(٦) بعده فى الأصل ، م : « له » .

لعمادِ[1] الدينِ بنِ الكيَّالِ، وإمامةُ الرَّبْوَةِ للشيخِ محمدٍ الصِّينىِّ[2].

وفى جُمادَى الآخِرةِ اجتَمَعتِ الجيوشُ الإسلاميةُ بأرضِ حلبَ نحوًا مِن عِشرين ألفًا، عليهم كلِّهم نائبُ حلبَ ألطُنْبُغَا، وفيهم نائبُ طرابُلُسَ شهابُ الدينِ قَرَطَاى[3]، فدخَلُوا بلادَ الأرْمَنِ من بابِ[4] إسكَنْدَرونةَ[5] ففَتَحوا الثَّغْرَ[6]، ثم تلَّ حَمْدُونَ، ثم خاضُوا جاهانَ فغَرِق منهم جماعةٌ، ثم سلَّم اللَّهُ، ثم وصَلُوا إلى سِيسَ فحاصَرُوها، وضَيَّقُوا على أهلِها، وأحْرَقُوا دارَ الملِكِ التى فى البلدِ، وقطَعوا أشجارَ البساتينِ، وسَاقُوا الأبقارَ والجواميسَ والأغنامَ، وكذلك فَعَلُوا بطَرَسُوسَ، وخرَّبُوا الضِّياعَ والأمَاكِنَ، وأحْرَقُوا الزُّروعَ، ثم رَجَعُوا فخاضُوا النَّهرَ المَذْكُورَ فلم يَغْرَقْ مِنهم أحدٌ، وأخْرَجُوا بعدَ رُجُوعِهِم مُهَنًّا وأوْلادَه مِن بلادِهِم، وسَاقُوا خَلْفَهم إلى عانةَ وحديثة، ثم بلَغ الجيوشَ [١٠/١٧٠و] موتُ صاحبِ سِيسَ وقيامُ وَلَدِه مِن بَعْدِه، فشَنُّوا الغاراتِ على بلادِه وتابَعُوها، وغَنِمُوا وأسَرُوا [7]وسَلِمُوا[7]، إلَّا فى المرَّةِ الرابعةِ، فإنه قُتِل منهم جماعةٌ.

---

(١) فى م: «ولعماد». وانظر الدارس ١/ ٥٢١.

(٢) فى الأصل، م: «الصبيبى»، وفى الدارس ١/٥٢١: «النصيبى».

(٣) فى الأصل: «فرطيه»، وفى م: «قرطبة». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى الأصل: «إسكندرية». ومطموسة تمامًا فى: ص. وانظر مسالك الأبصار (مخطوط) ٢/ ٣، ١٥٣، وتذكرة النبيه ٢/١٠٧ حاشية (١).

(٦) فى الأصل: «البعض»، وفى ص: «النقير». وهو ثغر الأرمن. مسالك الأبصار (مخطوط) ٣/ ٢٧٢.

(٧ - ٧) سقط من: م.

وفى أوائلِ[1] هذه السنةِ كانت وقعةٌ عظيمةٌ ببلادِ المغربِ[2] بينَ المسلمين والفِرَنْجِ ، فنصَر اللَّهُ المسلمين على أعدائِهم ، فقَتَلُوا مِنهم خمسين ألفًا [3]وأكثرَ[3] ، وأسَرُوا خمسةَ آلافٍ ، وكان فى جُمْلَةِ القَتْلَى خمسةٌ وعشرون مَلِكًا مِن ملوكِ الإفْرَنْجِ ، وغَنِمُوا شيئًا كثيرًا مِن الأموالِ ، يقالُ : كان مِن جُمْلةِ ما غَنِمُوا سبعون قِنْطارًا مِن الذهبِ والفِضَّةِ ، وإنَّما كان جيشُ الإسلامِ يومَئذٍ ألفين وخمسَمائَةِ فارسٍ غيرَ الرُّماةِ ، ولم يُقْتَلْ منهم سوى أحَدَ عَشَرَ قتيلًا ، وهذا مِن غريبِ ما وقَع وعجيبِ ما سُمِع .

وفى يومِ الخميسِ ثانِى عِشرين رجبٍ عُقِد مَجْلِسٌ بدارِ السَّعادةِ للشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، بحَضْرَةِ نائبِ السَّلْطَنَةِ ، واجتَمَعَ فيه القُضاةُ والمُفْتُون مِن المذاهبِ ، وحضَر الشيخُ ، وعاتَبُوه على العودِ إلى الإفتاءِ بمسألةِ الطَّلاقِ ، ثم حُبِس الشيخُ يومئذٍ بالقلعةِ . وبعدَ ذلك بأربعةِ أيامٍ أُضِيف شَدُّ الأوْقافِ إلى الأميرِ علاءِ الدينِ ابنِ مَعْبدٍ مع[4] ما بيدِهِ من وِلايةِ البَرِّ ، وعُزِل بدرُ الدينِ المنْكورسِىُّ عن الشدِّ[5] .

وفى أواخرِ شعبانَ مُسِك الأميرُ [6]علمُ الدينِ الجاوِلِىُّ[6] نائبُ غَزَّةَ ، وحُمِل

---

(١) زيادة من : ص . والذى فى المصادر أن هذه الوقعة كانت فى سنة تسع عشرة وسبعمائة . قال الذهبى فى دول الإسلام ٢/٢٢٧- أحداث سنة عشرين وسبعمائة - : وبلغنا أمر الوقعة الكبرى بالأندلس وأنها كانت فى العام الماضى . وفى حاشيته أن فى نهاية الأرب (مخطوط) أنها كانت فى شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة . وانظر ذيول العبر ص ١٠٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٩، والسلوك ٢/١/١٩٨.

(٢) فى الأصل : « الغرب » .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤) فى م : « إلى » .

(٥) فى م : « الشام » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « علاء الدين الجاولى » . وفى ص : « علم الدين الجاملى » . وستأتى وفاته سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

إلى الإسكندريَّةِ ؛ لأنَّه اتُّهِم بأنه يريدُ الدُّخولَ إلى بلادِ اليمنِ ، واحْتِيط على أموالِه وحواصِلِه، وكان له بِرٌّ وإحسانٌ ومعروفٌ وأوقافٌ، وقد بنَى بغزَّةَ جامِعًا حَسَنًا مَلِيحًا.

وفى هذا الشهرِ أراق ملِكُ التَّتَرِ بو سعيدٍ الخُمورَ وأبطَل الخاناتِ ، وأظْهَر العدلَ والإحسانَ إلى الرعايا ، وذلك أنه أصابَهم بَرَدٌ عظيمٌ ، وجاءَهم سيلٌ هائِلٌ ، فلَجَئُوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وابْتَهَلُوا إليه فسَلِمُوا ، فتَابُوا وأنَابُوا ، وعَمِلُوا الخيرَ عَقِيبَ ذلك .

وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن شَوَّالٍ جرَى الماءُ بالنَّهرِ الكَرِيمِيِّ الذى اشْتَرَاه كريمُ الدينِ بخَمْسةٍ وأربعين ألفًا ، وأجْرَاه فى جَدْوَلٍ إلى جامِعِه بالقُبَيْبات ، فعاش به الناسُ ، وحصَل به أُنْسٌ لأهْلِ تلك الناحيةِ ، ونُصِبت عليه الأشجارُ والبساتينُ ، وعُمِل حوضٌ كبيرٌ تُجَاهَ الجامعِ مِن الغربِ يَشْرَبُ منه الناسُ والدَّوابُّ ، وهو حوضٌ كبيرٌ ، وعُمِل مِطْهَرَةٌ ، وحصَل بذلك نفعٌ كثيرٌ ورِفْقٌ زَائِدٌ . أثابَه اللَّهُ .

وخرَج الرَّكْبُ فى حَادِىَ عشَرَ[1] شَوَّالٍ وأميرُه الملكُ صلاحُ الدينِ بنُ الأوحدِ ، وفيه زَيْنُ الدينِ كَتْبُغا الحاجبُ ، والشيخُ كمالُ الدينِ بنُ الزَّمْلَكانِيِّ ، والقاضِى شمسُ الدينِ بنُ العِزِّ[2] ، وقاضِى حماةَ شرفُ الدينِ [3]بنُ البارِزِيِّ[3] ، وقُطْبُ الدينِ بنُ شيخِ السَّلَامِيَّةِ ، وبدرُ الدينِ بنُ العَطَّارِ ، وعلاءُ الدينِ بنُ غانمٍ ، [4]ونورُ الدينِ السخاوىُّ[4] ، وهو قاضِى الرَّكْبِ ، ومِن المِصْرِيِّين قاضِى الحنفيَّةِ ابنُ الحريرِىِّ ، وقاضِى الحَنَابِلَةِ ، ومَجْدُ الدينِ حَرْمِىٌّ[5] ، والشَّرَفُ عِيسى المالِكِىُّ ،

---

(١) فى ص : « عشرين » .

(٢) فى م ، ص : « المعز » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة .

(٣ - ٣) فى الأصل : « البارزى » ، وفى م : « البازرى » ، وفى ص : « بن الباذرى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

(٤ - ٤) فى الأصل : « نور الدين السنجارى » . وفى ص : « بدر الدين السنجارى » . وانظر صفحة ١٦٥ .

(٥) فى ص : « حرى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

وهو قاضِى الرَّكْبِ. وفيه كَمَلَت عِمَارةُ الحَمَّامِ الذى [١٠/١٧١ظ] عمَره أُلْجَيْبُغا[١] غَرْبِىَّ دارِ الطُّعْمِ، ودخَلَه النَّاسُ.

وفى أوَاخِرِ ذى الحجَّةِ وصَل إلى دِمَشْقَ مِن عِنْدِ مَلِكِ التَّتَرِ الخَوَاجا مَجْدُ الدِّينِ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ يَاقُوتٍ السَّلامِىُّ، وفى صُحْبَتِه هَدَايَا وتُحَفٌ لصَاحبِ مصرَ مِن مَلِكِ التَّتَرِ، واشتَهَر أنَّه إنَّما جاء ليُصْلِحَ بينَ المسلمين والتَّتَرِ، فتَلَقَّاه الجُنْدُ والدَّوْلةُ، ونزَل بدارِ السَّعادَةِ يومًا واحدًا، ثم سار إلى مِصرَ.

وفيها وقَف النَّاسُ بعَرَفَاتٍ مَوْقِفًا عظيمًا لم يُعْهَدْ مثلُه، أتَوْه مِن جميعِ أقطارِ الأرضِ، وكان مع العِراقِيِّين مَحَامِلُ كثيرةٌ، مِن جُمْلَتِها مَحْمَلٌ قُوِّم ما عليه مِن الذَّهبِ واللَّآلِئِ بألفِ ألفِ دِينَارٍ مصريَّةٍ، وهذا أمرٌ عَجِيبٌ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيَانِ:

الشَّيخُ إبراهيمُ الدِّهِسْتَانِىُّ[٢]، وكان قد أسَنَّ وعُمِّر، وكان يَذكُرُ أنَّ عُمْرَه كان حينَ أخَذتِ التترُ بغدادَ أربعين سنةً، وكان يحضُرُ الجُمُعَةَ هو وأصْحَابُه تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ، إلى أنْ توُفِّى ليلةَ الجُمُعةِ السابع والعشرين مِن ربيعٍ الآخِرِ بزاوِيَتِه التى عندَ سُوقِ الخيلِ بدِمَشْقَ، ودُفِن بها وله مِن العُمْرِ مائةٌ وأربعُ سِنين، كما قال. واللَّهُ أعلمُ.

الشيخُ محمدُ بنُ محمودِ بنِ علىٍّ الشَّحَّامُ المُقْرِئُ[٣]، شيخُ مِيعادِ ابنِ عامرٍ،

---

(١) فى ص: «الحيبغا». وستأتى وفاته سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

(٢) فى ص: «الدهشبانى». وانظر ترجمته فى: المنهل الصافى ١/ ١٩٢، والدليل الشافى ١/ ٣٢، والدارس ٢/ ٢٠٠.

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر.

وكان شَيْخًا حَسَنًا بَهِيًّا مُواظِبًا على تِلاوَةِ القرآنِ إلى أنْ توفِّى فى لَيْلَةِ توفِّى الدِّهِسْتَانِىُّ المَذْكُورُ، أو قَبلَه بلَيْلَةٍ. رحِمَهما اللَّهُ.

الشيخُ شمسُ الدينِ الصَّائِغُ[1] **اللُّغَوِىُّ**، هو أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الحسنِ[2] بنِ سِبَاعِ بنِ أبى بكرٍ الجُذامِىُّ المِصْرِىُّ الأصلِ، ثم انتَقَل إلى دمشَقَ، وُلِد تَقْرِيبًا سنةَ خمسٍ وأربعين وسِتِّمائَةٍ بمصرَ، وسمِع الحديثَ، وكان أديبًا فاضِلًا بارِعًا فى النَّظْمِ والنَّثْرِ، وعِلْمِ العَروضِ والبَديعِ، والنَّحوِ واللُّغَةِ، وقد اخْتَصَرَ «صِحاحَ الجَوْهَرِىِّ»، وشرَح «مَقْصُورَةَ ابنِ دُرَيْدٍ»، وله قصيدةٌ تائيَّةٌ تَشْتَمِلُ على ألْفَىْ بيتٍ فأكثرَ، ذكرَ فيها العُلومَ والصَّنائِعَ، وكان حسنَ الأخْلاقِ، لَطِيفَ المُحاوَرَةِ والمُحاضَرَةِ، وكان يَسْكُنُ بينَ[3] دَرْبِ الحبالِين والفراشِ عِنْدَ بُسْتانِ القِطِّ. وتُوُفِّى بدَارِهِ[4] يومَ الاثنينِ ثالث شعبانَ، ودُفِن[5] ببابِ الصَّغِيرِ.

---

(١) فى الأصل، م، والدرر الكامنة ٤/ ٤٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٨، وبغية الوعاة ١/ ٨٤: «ابن الصائغ». وانظر: ذيول العبر ص ١١٤، والوافى بالوفيات ٢/ ٣٦١، وفوات الوفيات ٢/ ٣٢٦، وتذكرة النبيه ٢/ ١١٣، والدليل الشافى ٢/ ٦١٤.

وفى الوافى وغيره أنه أقام بالصاغة زمانا يقرئ الناس العروض والأدب، وعليه فهو نفسه المنسوب إلى الصاغة وليس أبوه.

(٢) فى م: «حسين».

(٣) سقط من: ص.

(٤) فى ص: «بدر الدين».

(٥) فى ص: «توفى».

ثمّ دَخَلَتْ سَنةُ إحْدَى وعِشْرِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتَهلتْ وحكَّامُ البلادِ هم المذْكورون فى التى قبلَها . وفى أوَّلِ يومٍ مِنْها فُتِحَ حَمَّامُ الزيْتِ الذى فى رأسِ دَرْبِ الحجرِ ؛ جدَّد عمارتَه رجلٌ سامَرِّىٌّ[2] بعد ما كان قد درَس ودثَر مِن زمانِ الخُوارَزْمِيَّةِ مِن نحوِ ثمانينَ سنةً ، وهُو حمّامٌ جيدٌ مُتَّسِعٌ .

وفى سادسِ المحرّمِ وصلَتْ هديةٌ مِن ملِكِ التتارِ بو سعيدٍ إلى السلطانِ ؛ صناديقُ وتحفٌ ودقِيقٌ[3] . وفى يومِ عاشوراءَ خرَج الشّيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ مِن السجنِ بالقلعةِ بمرْسومِ السلطانِ ، وتَوجَّه إلى دارِه ، وكانتْ مدةُ مقامِه بالقلعةِ[4] خمسةَ أشْهرٍ وثمانِيةَ عشَرَ يومًا ، رحِمه اللَّهُ .

وفى رابعِ ربيعٍ الآخِرِ وصَل إلى دِمشقَ القاضى كريمُ الدينِ وكيلُ السلطانِ ، فنزَل بدارِ السعادةِ ، وقدِم قاضى القضاةِ تقىُّ الدينِ بنُ عوضٍ الحاكمُ الحنبلىُّ بمصرَ ، وهو ناظِرُ الخزانةِ أيضًا ، فنزَل بالعادليةِ الكبيرةِ التى للشافعيةِ ، فأقام بها أيامًا ، ثم توجَّه[5] إلى مِصرَ ؛ جاء فى بعضِ أشغالِ السلطانِ وزار القدسَ .

وفى هذا الشهرِ كان السلطانُ قد حفَر بِرْكةً قريبًا مِن المَيْدانِ ، وكان فى

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧١، والسلوك ٢/١/ ٢١٤.

(٢) فى م : « ساوى » .

(٣) فى الأصل ، ص : « رقيق » . وانظر تاريخ ابن الوردى الموضع السابق .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، ص : « توجه » .

جِوارِها كنيسةٌ فأمَر الوالى بهدْمِها ، فلمّا هُدِمَتْ تسلَّطَ الحرافيشُ[1] وغيرُهم على الكنائسِ بمصرَ يهْدِمُون ما قَدرُوا عليه ، فانزَعجَ السلطانُ من ذلكَ وسأَل القُضاةَ ماذا يجبُ على مَن تَعاطَى ذلك منهم؟ فقالُوا : يُعزَّرُ . فأَخْرجَ جماعةً مِن السّجُونِ ممّن وجَب عليه قتْلٌ ، فقَطع وصلَب[2] وخزَم وعاقَب ؛ مُوهمًا أنّه إنَّما عاقَب مَن تعاطَى تَخْريبَ الكنائسِ ، فسكَن الناسُ ، وأَمِنتِ النَّصارَى ، وظَهروا بعدَ ما كانوا قد اخْتَفَوا أيامًا .

وفيه ثارَتِ الحراميَّةُ ببَغْدَادَ ، ونَهَبُوا سوقُ الثلاثاءِ وَقْتَ الظهرِ ، فثارَ الناسُ وراءَهم ، وقتَلوا مِنهم قريبًا مِن مائةٍ ، وأسرُوا آخَرِينَ .

قال الشيخُ علمُ الدينِ البِرْزالىُّ - ومِن خطِّه نقلتُ - : وفى يومِ الأربعاءِ[3] السادس مِن جُمادَى الأُولَى خرَج القضاةُ والأعيانُ والمفتُونَ إلى القابونِ ، ووقَفُوا على قِبْلةِ الجامعِ الذى أمَر ببنائِه القاضِى كريمُ الدينِ وكيلُ السلطانِ بالمكانِ المذكورِ ، وحرَّرُوا قِبْلتَه ، واتَّفقُوا على أنْ تكونَ مِثلَ قبلةِ جامعِ دِمشْقَ . وفيه وقَعتْ مُراجعةٌ بينَ الأميرِ جُوبان أحدِ المقدَّمينَ الكبارِ بدمَشقَ وبينَ نائبِ السلْطنةِ تَنْكِز ، فمُسِكَ جُوبان ، ورُفِعَ إلى القلعةِ ليلتين ، ثم حوِّلَ إلى القاهرةِ فعوتِبَ فى ذلكَ ، ثم أُعطِىَ خُبْزًا يليقُ به .

وذكَر الشيخُ علمُ الدينِ أنَّ فى هذا الشهرِ[4] وقَع حريقٌ عظيمٌ فى القاهرةِ فى

---

(١) الحرافيش ؛ جمع الحرفوش : وهو الرجل من الطبقة السفلى . السلوك ٣٩٦/٢/٢ حاشية (٢) نقلا عن (DOZY) .

(٢) بعده فى م : « وحرم » .

(٣) فى ص : « الثلاثاء » .

(٤) فى م : « اليوم » . وانظر السلوك ٢/١/ ٢٢٠.

الدُّورِ الحسنةِ والأماكنِ المليحةِ المُرْتَفعةِ[1] وبعضِ المساجدِ، وحصَل للناسِ مَشقَّةٌ عظيمةٌ مِن ذلكَ، وقنَتُوا فى الصلواتِ، ثم كشفُوا عن القضيةِ فإذا هو مِن فِعْلِ النَّصارَى؛ بسببِ ما كان أُحْرِقَ لهم مِن كنائِسِهم وهُدِم، فقتَل السلطانُ بعضَهم، وألْزَم النصارَى أنْ يلْبَسُوا الزُّرْقةَ على رءوسِهم وثِيابِهم كلِّها، وأنْ يَحْمِلُوا الأجْراسَ فى الحمّاماتِ، وأنْ لا يُسْتَخْدمُوا فى شىءٍ مِن الجهاتِ، فسكَن الأمْرُ وبطَل الحريقُ.

وفى جُمادَى الآخِرةِ خرَّبَ ملكُ التَّتارِ[2] بو سعيدٍ البازارَ[3]، وزوَّجَ الخواطِئَ، وأراقَ الخمورَ، وعاقَب فى ذلك أشدَّ العقوبةِ، وفرِحَ المسلمونَ بذلك ودَعَوْا له. رحِمه اللَّهُ وسامحَه.

وفى الثالثَ عشرَ[4] مِن جُمادَى الآخرةِ أُقِيمتِ الجُمُعةُ بجامعِ القصَبِ، وخطَبَ به الشيخُ عليٌّ المَناخِليُّ. وفى يومِ [5]الخميسِ تاسعِ عشرين[5] جُمادَى الآخرةِ فُتِحَ الحمّامُ الذى أنْشأه تَنْكِز تُجَاهَ جامِعِه، وأُكرِىَ فى كلِّ يومٍ بأربعينَ دِرهمًا؛ لحُسْنِه وكَثرةِ ضَوئِه ورُخامِه.

وفى يومِ السبتِ تاسعَ عشرَ رجبٍ خُرِّبتْ كنيسةُ القرَّائينَ[6] التى

---

(١) فى م: «المرتفقة».

(٢) فى ص: «النصارى».

(٣) البازار: فارسى معرب، بمعنى السوق. ص ٢٣٠ (DOZY)، والمعجم الذهبى ص ٩٥.

(٤) فى ص: «عشرين».

(٥ - ٥) فى م: «الخميس تاسع عشر»، فى ص: «الجمعة التاسع والعشرين». وفى السلوك ٢/١/ ٢٢٧، أن الثلاثاء وافق سابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة، والمثبت يوافق ما سيأتى من السبت تاسع عشر رجب.

(٦) نسبة إلى جماعة القرّائين، وهى جماعة من اليهود معروفون فى هذه الملة بملازمة الأدلة. انظر صبح الأعشى ١١/ ٣٨٧.

(١ تُجاهَ حارةِ ١) اليهودِ، بعدَ إثباتِ كونِها محدَثةً، وجاءتِ المراسِيمُ السلطانيَّةُ بذلك.

وفى أواخِرِ رَجَبٍ نَفَذَتِ الهدايا مِن السلطانِ إلى بو سعيدٍ ملكِ التترِ، صُحبةَ الخَواجَا مَجْدِ الدينِ السُّلاميِّ، وفيها خَمْسُون جَملًا وخيولٌ وحمارٌ عتّابيٌّ.

وفى مُنْتَصَفِ رمضانَ أُقِيمتِ الجمعةُ بالجامعِ الكَرِيميِّ بالقابونِ، وشهِدَها يومَئذٍ القُضاةُ والصاحِبُ وجماعةٌ مِن الأعيانِ.

قال الشيخُ علمُ الدينِ: وقدِمَ دِمشقَ الإمامُ قَوامُ الدينِ أمير (٢) كاتِب (٣) بنُ الأميرِ العميدِ عمرَ (٣) (٤ الإتْقانيُّ الفارابيُّ ٤) مدرِّسُ مَشْهدِ الإمامِ أبى حنيفةَ بِبغْدادَ، فى أوّلِ رمضانَ، وقد حجَّ فى (٥ هذه السَّنةِ ٥)، وتوجَّه إلى مصرَ وأقامَ بها أشهُرًا، ثم مرّ بدِمشقَ مُتوجِّهًا إلى بغدادَ، فنَزلَ بالخاتُونيَّةِ الحنفيَّةِ، وهو ذو فُنونٍ وبَحْثٍ وأدبٍ وفِقْهٍ.

وخرَج الرَّكبُ الشَّاميُّ يومَ الاثنينِ عاشر شوّالٍ وأمِيرُه شمسُ الدينِ حمزةُ التُّركمانيُّ، وقاضِيه نجْمُ الدينِ الدِّمَشقيُّ. وفى هذه السنةِ حَجَّ تَنْكِز نائِبُ الشَّامِ وفى صُحْبتِه جماعةٌ مِن أهْلِه، وقَدِم مِن مِصْرَ الأميرُ رُكنُ الدينِ بَيْبرسُ الحاجبُ، لينوبَ عنه فى غيبتِه إلى أنْ يَرجعَ، فنَزل بالنَّجِيبيةِ البرَّانيَّةِ.

(١ - ١) فى الأصل: «بحارة».

(٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) فى ص: «عميد».

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «الأكفانى القازانى»، وفى ص: «الإتقانى الفازانى». والمثبت من الجواهر المضية ٤/ ١٢٨، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٥.

(٥ - ٥) فى ص: «العام الماضى».

وممَّن حَجَّ فيها الخطيبُ جَلالُ الدينِ القَزْوينىُّ ، وعِزُّ الدينِ حَمْزةُ بنُ القَلانِسىِّ ، وابنُ العِزِّ شَمْسُ الدينِ الحنفىُّ ، والقاضى جلالُ الدينِ بنُ حسامِ الدينِ الحنفىُّ ، وبَهاءُ الدينِ بنُ عليمةَ[1] ، والشيخُ علمُ الدينِ البِرْزالىُّ .

ودرَّس ابنُ جَماعةَ بزاويةِ الشافعىِّ يومَ الأربعاءِ ثامنَ[2] عشَرَ شوالٍ عِوضًا عن شهابِ الدينِ أحمدَ بنِ محمدٍ الأنْصارِىِّ ، لسُوءِ تصَرُّفِه ، وخُلِعَ على ابنِ جَماعةَ ، وحضَر عندَه مِن الأعيانِ والعامَّةِ ما يشابِهُ[3] جميعةَ الجُمُعَةِ ، وأُشْعِلَت شموعٌ كثيرةٌ فرَحًا بزَوالِ المعزُولِ .

قال البِرْزَالىُّ - ومِن خَطِّه نَقَلْتُ - : وفى يومِ الأحدِ سادسَ عشرَ شوالٍ ذكَر الدَّرْسَ الإمامُ العلَّامةُ تقىُّ الدينِ السُّبْكِىُّ ، المُحدِّثُ بالمدرسةِ الكَهَّارِيَّةِ[4] عِوضًا عن ابنِ الأنْصارِىِّ أيضًا ، وحضَر عندَه جَماعةٌ ؛ منهم القُونَوىُّ ، ورَوى فى الدَّرسِ حدِيثَ المُتَبايِعَيْنِ بالخيارِ[5] ، عن قاضِى القُضاةِ ابنِ جَماعةَ .

وفى شوالٍ عُزِل علاءُ الدينِ بنُ مَعْبدٍ عن ولايةِ البَرِّ وشَدِّ الأوقافِ ، وتَولَّى وِلايةَ الولاةِ بالبلادِ القِبليَّةِ بحَورانَ عِوضًا عن بَكْتَمُر ؛ لسَفرِه إلى الحجازِ ، وباشَر أخوه بدرُ الدينِ شدَّ الأوقافِ ، والأميرُ علمُ الدينِ الطرقشى وِلايَةَ البَرِّ مع شَدِّ الدواوينِ ، وتَوجَّه ابنُ الأَنصارىِّ إلى حلبَ مُتولِّيًا وَكالةَ بيتِ المالِ عِوضًا عن تاجِ[6] الدينِ أخِى شَرفِ الدينِ يعقُوبَ ناظرِ حلبَ ، بحُكْمِ ولايةِ التاجِ المذكورِ

---

(١) فى النسخ : « علية » . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٣١، ١٤٤، ١٥١.
(٢) فى ص : « ثانى » .
(٣) فى م : « نشأ به » .
(٤) فى الأصل : « النهارية » ، وفى م ، ص : « الهكارية » . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٥٨ .
(٥) البخارى (٢١٠٧) .
(٦) فى م : « ناصر » .

نَظَرَ الكَرَكِ .

وفى يومِ عيدِ الفطرِ ركِب الأَميرُ تَمُرْتَاش بنُ جوبان نائبُ بو سعيدٍ على بلادِ الرُّومِ مِن قَيْساريَّةَ فى جَيشٍ كَثيفٍ مِن التّتارِ والتُّركمانِ والقَرمانِ ، ودخَل بِلادَ سِيسَ ، فقَتَل وسَبى وحرَّقَ وخرَّب ، وكان قدْ أرسَل إلى نائبِ حلَبَ أَلْطُنْبُغا ليُجهِّزَ له جيشًا يكونُ عَونًا له على ذلك ، فلم يُمكِنْه ذلك بغيرِ مرسومِ السُّلطانِ .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الصالحُ المقرئُ بقيّةُ السَّلفِ عَفيفُ الدِّينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الحقِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الأَحدِ[1] بنِ علىٍّ القُرشىُّ المخزُومىُّ الدَّلاصىُّ ، شيخُ الحرمِ بمكةَ ، أقامَ فيه أَزْيَدَ مِن ستينَ سَنةً يُقْرِئُ النَّاسَ القرآنَ احْتِسَابًا ، وكانتْ وفاتُه ليلةَ الجُمُعَةِ الرابعَ عشَرَ مِن المحرَّمِ بمكةَ ، وله أزْيدُ مِن تسعينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الفاضِلُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أبى [١٠/١٧١و] **بكرِ ابنِ أبى القاسمِ الهَمَذَانىُّ[2]** ، أبُوه الصّالحىُّ المعروفُ بالسَّكاكينىِّ ، وُلِدَ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وسِتّمائةٍ بالصالحيَّةِ ، وقرأ بالرواياتِ ، واشْتَغلَ فى مُقَدِّمةٍ فى النّحوِ ، ونظَم قَويًّا، وسمِعَ الحديثَ ، وخرَّجَ له [3]ابنُ الفخرِ[3] البَعْلَبَكىُّ جُزءًا عن شيوخِه ، ثم دخَل فى التَّشيُّعِ ، فقَرأ على أبى صالحٍ الحلبىِّ[4] شيخِ الشيعَةِ ،

---

(١) فى الأصل ، م : « الواحد » . وانظر ترجمته فى : العقد الثمين ٥/ ١٩٦، وغاية النهاية ١/ ٤٢٧، والسلوك ٢/١/ ٢٣٥، والدرر الكامنة ٢/ ٣٧١، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥١، والدليل الشافى ١/ ٣٨٦.

(٢) فى الأصل ، م ، والدرر الكامنة ٤/ ٣٠: « الهمدانى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١١٧، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٦٥، وتذكرة النبيه ٢/ ١٢٣، وشذرات الذهب ٦/ ٥٥.

(٣ - ٣) فى م : « الفخر ابن » ، وفى ص : « الفخر » . وانظر الوافى بالوفيات ٢/ ٢٦٦.

(٤) فى الأصل ، م : « الحلى » .

وصحِبَ ابنَ[1] عدنانَ ، وقرأَ عليه أَولادُه ، وطَلَبه أَميرُ المدينةِ النبويَّةِ الأميرُ منصورُ ابنُ جَمّازٍ[2] فأَقامَ عندَه نحْوًا مِن سبعِ سنينَ ، ثم عادَ إلى دِمشْقَ وقد ضَعُفَ وثَقُلَ سمعُه ، وله سُؤالٌ فى الجَبْرِ[3] ، أجابه فيه الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ [4]وكَلَّ عنه غيرُه[4] . وظهَرَ له بعدَ موتِه كِتابٌ[5] فيه انْتِصَارٌ لليهودِ وأهلِ الأَديانِ الفاسِدةِ - فغسَله تقىُّ الدينِ السبكىُّ لما قدِمَ دِمشْقَ قاضيًا - وكان بخطِّه ، ولمّا ماتَ لم يشْهَدْ جنازَتَه القاضى شمسُ الدينِ بنُ مُسَلَّمٍ . تُوفِّى يومَ الجُمُعَةِ سادس عشْرين[6] صَفَرٍ ، ودُفِنَ بسَفْحِ قاسِيونَ ، وقُتِلَ ابنُه [7]فيما بعدُ[7] على قَذْفِه أُمَّهاتِ المؤمنينَ عائِشةَ وغيرَها ، رضِىَ اللَّهُ عنهنَّ وقَبَّح قاذِفَهنَّ .

وفى يومِ الجُمُعَةِ مُسْتهلِّ رمضانَ صُلِّى بدمَشْقَ على غائِبَيْنِ هما **الشيخُ نجمُ الدينِ**[8] **عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الأَصْبَهانىُّ** ، تُوفِّى بمكةَ ، [9]أَحدُ العبَّادِ والزهّادِ[9] [10]الذين يُقْصدُونَ للزيارةِ ، وعلَى الشيخِ **محمدٍ الزَّيْلَعِىِّ**[11] ، تُوفِّى بمكةَ أيضًا ، وهو مِن الصالحين أيضًا[10] ، وعلى جَماعةٍ تُوفُّوا بالمدينةِ النَّبويَّةِ ، مِنْهم **أبو**[12]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى م : « حماد » .

(٣) فى م : « الخبر » .

(٤ - ٤) فى م : « وكل فيه عنه غيره » ، وفى ص : « وغيره » .

(٥) ولكن ابن حجر فى الدرر الكامنة رجح أن الكتاب ليس له .

(٦) فى م : « سادس عشر » .

(٧ - ٧) فى الأصل : « فيها » ، وفى م : « قيماز » .

(٨) بعده فى ص : « عمر بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١١٩ ، والعقد الثمين ٥/ ٢٧١، والسلوك ٢/١/ ٢٣٤، والدرر الكامنة ٢/ ٤٠٨، وإتحاف الورى ٣/ ١٧٥، وشذرات الذهب ٦/ ٥٥.

(٩ - ٩) زيادة من : ص .

(١٠ - ١٠) زيادة من : ص .

(١١) فى ص : « الزينبى » . والمثبت من العقد الثمين ٢/ ٤١٤.

(١٢) سقط من : الأصل ، م . وانظر تذكرة النبيه ٢/ ١١٩.

عبدِ اللَّهِ محمدُ[1] **بنُ أبى القاسمِ بنِ فرحونَ** مُدرِّسُ المالكيةِ بها ، والشيخُ **يَحيى الكرديُّ**[2] ، **والشيخُ حسنٌ**[3] **المغْربيُّ السَّقّا**[3] .

الشيخُ الإمامُ العالمُ علاءُ الدينِ عليُّ بنُ [4]**سعيدِ بنِ سالمٍ**[4] **الأَنْصاريُّ** ، إمامُ مَشْهدِ عليٍّ مِن جامِعِ دِمَشْقَ ، كان بَشُوشَ الوجْهِ ، مُتَواضعًا ، حسَنَ الصـوتِ بالقراءةِ ، مُلازِمًا لإقراءِ الكِتابِ العزيزِ بالجامعِ ، وكان يَؤُمُّ نائِبَ السلطنةِ [5]وهو والدُ[5] العلامَةِ بهاءِ الدينِ محمدِ بنِ عليٍّ مُدرِّسِ الأمينيةِ ومُحْتِسبِ دِمشقَ ، تُوفِّى ليلةَ الاثنينِ رابع رمضانَ ودُفِنَ مِن الغدِ بسَفْحِ قاسِيونَ .

الأَميرُ حاجِبُ الحجَّابِ زَيْنُ الدينِ كَتْبُغَا المنْصُورِيُّ[6] ، حاجِبُ دِمشْقَ ، كان مِن خِيارِ الأُمراءِ وأَكْثرِهِم بِرًّا للفقراءِ والمساكينِ ، يُحِبُّ الخَتَمَ والمواعِيدَ والـموالدَ[7] ، وسماعَ القرآنِ والحديثِ ، ويُكْرِمُ أهلَ ذلكَ ، ويُحْسِنُ إليهم كثيرًا ، وكان مُلازِمًا لشيخِنا أبى العبَّاسِ ابنِ تيميَّةَ كثيرًا ، وكان يَحُجُّ ويتَصدَّقُ ، تُوفِّى يومَ الجُمُعَةِ آخِرَ النهارِ ، ثامنِ عشرينَ[8] شوالٍ ، ودُفِنَ مِن الغَدِ بتُرْبَتِه قبلىّ القُبَيْبَاتِ ، وشَهِدَه خلْقٌ كثيرٌ ، وأَثْنَوا عليه ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى الأصل : « حسين » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) فى ص : « المقرئ » .

(٤ - ٤) فى ص : « سعد بن الأسلم » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/ ١٢١، والدارس ١/ ١٩٩.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « ولده » .

(٦) ذيول العبر ص ١٢٠ ، والسلوك ٢/١/ ٢٣٤، والدرر الكامنة ٣/ ٣٥٠، وفيه : « العادلى » ، والدليل الشافى ٢/ ٥٥٤، والدارس ٢/ ٢٦١.

(٧) فى م : « المواليد » . وانظر تذكرة النبيه ٢/ ١١٧. وفيه : كتبغا العادلى .

(٨) فى م : « عشر » .

والشيخُ بهاءُ الدينِ بنُ[1] **المقدسيِّ ، والشيخُ سَعْدُ الدينِ أبو زكريا يَحيى المقْدسِيُّ**[2] ، والدُ الشيخِ شَمْسِ الدينِ محمدِ بنِ سَعْدٍ المحدِّثِ المشهورِ ، رحِمه اللهُ .

وفيها تُوفِّى سيفُ الدينِ الناسخُ[3] ، المُنادى على الكُتُبِ .

والشيخُ أحمد الحرامُ[4] ، المقرئُ على الجنائزِ ، وكان يُكرِّرُ عليَّ « التَّنْبِيهَ » ، ويَسألُ عن أشياءَ منها ما هو حَسَنٌ ، ومنها ما ليس بحَسَنٍ .

---

(١) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١١٩، والدرر الكامنة ١/ ٦٢، وشذرات الذهب ٦/ ٥٤.

(٢) ذيول العبر ص ١٢١ ، والدرر الكامنة ٥/ ٢٠١، والدليل الشافى ٢/ ٧٨١، وشذرات الذهب ٦/ ٥٦.

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٤) فى الأصل : « الحزام » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

ثم دخَلَت سنةُ ثِنتَينِ وعشرينَ وسَبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّتْ وأربابُ الوِلاياتِ هم المذكورونَ فى التى قبلَها ، سوَى والِى البَرِّ[2] بدِمَشْقَ فإنه علمُ الدينِ طرقشى ، وقد صُرِف ابنُ معبدٍ إلى ولايةِ حَورَانَ ؛ لشَهَامتِه وصرامَتِه وديانتِه وأمانَتِه .

وفى [3]رابعَ عشَرَ[3] المحرمِ حصَلَتْ زلزلةٌ [١٠/١٧١ظ] عظيمةٌ بدِمَشْقَ ، وقَى اللَّهُ شرَّها . وقدِم نائبُ السلْطنةِ تَنْكِز مِن الحجازِ ليلةَ[4] الثلاثاءِ [5]حادى عشَرَ[5] المحرَّمِ ، وكانت مدةُ غيبتِه ثلاثةَ أشهرٍ ، وقدمَ لَيْلًا لئلَّا يتكلَّفَ أحدٌ لقُدومِه ، وسافرَ نائبُ الغيبَةِ عنه قبل وُصولِه بيومَيْنِ ؛ لِئلَّا يُكَلِّفَه بهديَّةٍ ولا غيرِها ، وقد قدِمَ مُغْلَطَاى عبدُ الواحِدِ الجَمَدار ، أحدُ الأُمَراءِ بمصرَ بخِلْعَةٍ سَنِيَّةٍ من السلطانِ لتَنْكِز ، فلبِسَها وقبَّلَ العتبةَ الشريفةَ عَلَى العادَةِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادِس صَفَرٍ درَّسَ الشيخُ نَجْمُ الدينِ القَحْفازىُّ بالظاهرِيَّةِ للحنفيَّةِ ، وهو خَطِيبُ جامعِ تَنْكِز ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيَانُ ، ودرَّس فى قولِه تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] . وذلك

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩١، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣، والسلوك ٢/١/ ٢٣٥.

(٢) فى ص : « البريد » .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤) فى ص : « يوم » .

(٥ - ٥) فى ص : « الحادى والعشرين من » .

(٦) فى ص : « الاثنين » .

بعدَ وفاةِ القاضِى شمسِ الدِّينِ بنِ العِزِّ الحنَفىِّ ، توفِّى فى مرجِعِه مِن الحجازِ ، وباشرَ بعدَه نيابةَ القضاءِ عمادُ الدينِ الطَّرَسُوسىُّ ، وهو زَوْجُ ابنَتِه ، وكان ينُوبُ عنه فى حالِ غيبتِه ، فاستمرَّ بعدَه ، ثم وَلِىَ الحُكْمَ بعدَ[1] مستَنِيبِه فيها . وفيه قَدِمَ الخُوارَزْمىُّ حاجبًا عِوَضًا عن كَتْبُغَا .

وفى ربيعٍ الأوَّلِ قدِمَ إلى دِمَشْقَ الشيخُ قوامُ الدينِ مَسْعُودُ بنُ الشيخِ بُرْهانِ الدينِ[3] محمدِ بنِ الشيخِ شرَفِ الدينِ محمدٍ الكَرْمَانِىُّ الحَنَفىُّ ، فنزَلَ بالقَصَّاعِينَ ، وتردَّد إليه الطَّلَبَةُ ، ودخَل إلى نائبِ السَّلْطَنَةِ واجتمَعَ به ، وهو شابٌّ مولِدُه سنَةَ إحْدَى وسبعِمائةٍ[4] ، وقد اجْتَمَعْتُ به ، وكان عندَه مُشاركةٌ فى الفُروعِ والأُصُولِ ، ودَعْواه أوسَعُ مِن محصُولِه ، وكانت لأبِيه وجَدِّه مصنَّفَاتٌ ، ثم صارَ بعدَ مدَّةٍ إلى مصرَ ، وماتَ بها كما سيَأتِى .

وفى ربيعٍ الآخِرِ[4] تكاملَ فتحُ آياسَ[5] ومُعامَلَتِها ، وانتزاعُها مِن أيْدِى الأرمَنِ ، وأُخِذَ البُرْجُ الأطْلَسُ ، وبينه وبينَها فى البحرِ رميَةٌ ونصفٌ ، فأخَذَه المسلمون بإذن اللَّه وخَرَّبُوه ، وكانتْ حجارتُه[6] مَطليَّةً بالحديدِ والرَّصاصِ ،

---

(١) فى م : « بعده » .

(٢) بعده فى ص : « بن » . وانظر الدرر الكامنة ١٢٠/٥ .

(٣) فى م : « سبعين » . ولكن ابن حجر ذكر أن مولده سنة أربع وستين وستمائة ، وأن وفاته سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وترجم قبله فى صفحة ١١٦ لمسعود بن إبراهيم الكرمانى قوام الدين ومولده سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته مثل مسعود بن محمد ، وكلاهما أقام بسطح الأزهر مدة ، أما المصنف فلم يذكر أحدا منهما فى الوفيات كما ذكر . وانظر الجواهر المضية ٤٦٣/٣ (مسعود بن إبراهيم) ، والسلوك ٧٥٥/٣/٢، والنجوم الزاهرة ١٨٣/١٠ (كلاهما فى ترجمة مسعود بن محمد) .

(٤) فى م : « الأول » . وانظر الخبر فى تاريخ ابن الوردى ٢٧٢/٢ ، وتذكرة النبيه ١٢٤/٢ .

(٥) آياس : مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر . صبح الأعشى ١٣٣/٤ .

(٦) فى الأصل ، م : « أبوابه » .

وعرضُ سُورِه ثلاثَةَ عشَرَ ذِراعًا بالنجارِيِّ[1] ، وغَنِم المسلمونَ غنائمَ كثيرةً جدًّا ، وحاصَرُوا كوارَةَ[2] ، فقَوِىَ عليهم الحَرُّ والذُّبابُ ، فرَسَم السلطانُ بعَوْدِهم ، فحرَّقوا ما كانَ معهم من المجانيقِ ، وأخَذُوا حدِيدَها ، وأقبَلُوا سالِمِينَ غانِمِين ، وكان معهم خَلْقٌ مِن المتطوِّعينَ .

وفى يومِ الخميسِ الثالث والعشرِينَ من جُمادَى الأُولَى كمَل بَسْطُ داخِلِ الجامعِ ، فاتَّسع على النَّاسِ ، ولكنْ حصَل حرَجٌ بحَمْلِ الأمتِعَةِ على خِلافِ العادَةِ ، فإنَّ الناسَ كَانُوا يمرُّونَ وسَطَ الرِّواقات ويخرُجونَ من بابِ البرادَةِ ، ومَن شاء استمرَّ يمشِى إلى البابِ الآخرِ بنَعْلَيْه ، ولم يكنْ ممنوعًا سِوَى المَقْصُورَةِ ، لا يمكِنُ أحدًا الدخولُ إليها بالمدَاسَاتِ ، بخِلافِ باقِى الرِّواقاتِ ، فأمَر نائبُ السلطَنَةِ بتكميلِ بَسْطِه ، بإشارَةِ ناظرِه ابنِ مراجلٍ .

وفى جمادَى الآخرةِ رَجَعت العساكِرُ من بلادِ سيسَ ومُقَدَّمُهم آقُوشُ نائبُ الكَرَكِ .

وفى أواخِرِ[3] رجبٍ باشَر القاضِى محيى الدينِ[4] إسماعيلُ بنُ جَهْبَلٍ نيَابَةَ الحُكْمِ عن ابنِ صَصْرَى عِوضًا عن الدَّارانِيِّ الجعفرِيِّ ، واستَغْنَى الدارانِيُّ بخطبةِ جامعِ العقيبةِ عنها .

---

(١) فى النسخ : « النجار » . والمثبت من تاريخ ابن الوردى .

(٢) فى معجم البلدان ٤/ ٣١٥: كوار ، بالضم من نواحى فارس . وفى حاشية تذكرة النبيه ١٠٧/٢ أن كورة أو كورا وردت فى المختصر ٤/ ٣٦: « كوير » . وفى تاج العروس (ك و ر) . وفى مختصر البلدان كوير مصغرًا : جبل بضرية مقابلة جُراز .

(٣) فى ص : « خامس » .

(٤) بعده فى م : « بن » .

وفى [1] ثالثَ عشرَ [1] رجبٍ ركِبَ نائبُ السلْطَنَةِ إلى خِدْمَةِ السلطانِ ، فأكرمَه وخَلَع عليه ، [١٠/١٧٢و] وعادَ فى أوَّلِ شعبانَ ، ففرِح به الناسُ .

وفى رَجَبٍ كَمَلَتْ عمارةُ الحمَّامِ الذى بَناه الأميرُ علاءُ الدينِ بنُ صُبْحٍ جِوارَ دارِه شمالىَّ الشاميةِ البرَّانيةِ .

وفى يومِ الاثنين تاسع [2] شعبانَ عقَد الأميرُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ أَرْغُون نائبِ السلطنةِ عقْدَه علَى ابنةِ السُّلطانِ الملكِ الناصرِ ، وخُتِنَ فى هذا اليومِ جماعةٌ مِن أولادِ الأمراءِ بينَ يَدَيْه ، ومَدَّ سِماطًا عظيمًا ، ونُثِرَتِ الفضَّةُ على رءوسِ المطهِّرينَ ، وكانَ يومًا مشهودًا . ورَسَم السلطانُ فى هذا الشهرِ [3] بوضعِ المكْسِ عن المأْكُولاتِ بمَكَّةَ ، وعوَّضَ صاحِبَها عن ذلك بإقطاعٍ فى بلادِ الصعيدِ .

وفى أواخرِ رمضانَ كَمَلَتْ عِمَارَةُ الحمَّامِ الذى بَناه بهاءُ الدينِ ابنُ عليمةَ [4] بزُقاقِ الماجيةِ [5] من قاسِيُونَ بالقُرْبِ من سكَنِه ، وانتفَعَ به أهلُ تلك الناحِيَةِ ومَن جاوَرَهم .

وخرجَ الرَّكْبُ الشامِىُّ يومَ الخميسِ ثامن شوَّالٍ وأميرُه سيفُ الدينِ بلطى [6] نائبُ الرَّحْبَةِ ، وكانَ سَكَنُه داخِلَ بابِ الجابيةِ بدَرْبِ ابنِ صبرةَ ، وقاضيه شمسُ الدينِ بنُ النقِيبِ قاضى حِمْصَ .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « ثالث » ، وفى السلوك ٢/١/٢٣٧ : « تاسع عشر » .

(٢) فى ص : « ثامن » ، وفى السلوك ٢/١/ ٢٣٧: « ثانى » .

(٣) فى الأصل ، م : « اليوم » .

(٤) فى م : « عليم » .

(٥) فى الأصل : « الماصية » .

(٦) فى الأصل ، م : « بلبطى » . وغير واضحة فى ص ، وفى السلوك ٢/١/٢٩٨ : « بلبطى » . وسيأتى فى صفحة ٣١٣.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِنَ الأعْيَانِ :

القاضى شمسُ الدِّينِ بنُ العِزِّ الحنَفِىُّ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ شرَفِ الدينِ أبى البَرَكاتِ محمدِ بنِ الشيخِ عِزِّ الدِّينِ أبى العِزِّ بنِ[1] صالحِ بنِ أبى العِزِّ بنِ وُهَيْبِ[2] بنِ عطَاءِ بنِ جُبَيْرِ بنِ جابرِ[3] بنِ وُهَيْبٍ[4] الأذْرَعىُّ الحنَفِىُّ ، أحدُ مشايخِ الحنَفِيَّةِ وأئمتِهِم وفُضَلائِهِم فى فُنونٍ من العلُومِ مُتَعَدِّدَةٍ ، حكَم نيابةً نحوًا من عشرينَ سنةً ، وكان سَدِيدَ الأحكامِ ، محمودَ السِّيرَةِ ، جيِّدَ الطريقةِ ، كريمَ الأخْلاقِ ، كثيرَ البرِّ والصلَةِ والإحسانِ إلى أصحابِه وغيرِهم ، وخطَبَ بجامعِ الأفرَمِ مدةً ، وهو أوَّلُ مَن خطَب به ، ودرَّسَ بالمعظَّميَّةِ واليغمُوريَّةِ والقِليجيَّةِ والظاهِريَّةِ ، وكان ناظِرَ أوقافِها ، وأذِن للناسِ بالإفتاءِ ، وكان كبيرًا معظَّمًا مَهِيبًا ، تُوفِّى بعدَ مرجِعِه من الحجِّ بأيامٍ قلائِلَ ، يومَ الخميسِ سَلْخ المحرَّمِ ، وصُلِّى عليه يومَئِذٍ بعدَ الظهرِ بجامعِ الأفرمِ ، ودُفِن عندَ المعظَّمِيَّةِ عندَ أقاربِهِ ، وكانت جِنازَتُه حافلةً ، وشهِدَ له النَّاسُ بالخيرِ وغَبَطُوه بهذه الموتةِ ، رحمهُ اللَّهُ ، ودرَّسَ بعدَه بالظَّاهريَّةِ الشيخُ نجمُ الدينِ القَحْفازىُّ ، وفى المُعَظمِيَّةِ والقِليجيَّةِ والخَطابةِ بجامعِ الأفرمِ ابنُه علاءُ الدينِ ، وباشَر بعدَه نيابةَ[4] الحكمِ القاضِى عمادُ الدينِ الطَّرَسُوسِىُّ مُدَرِّسُ القَلْعَةِ .

الشَّيخُ الإمامُ العالِمُ بَقِيَّةُ السلَفِ رَضِىُّ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ

---

(١) سقط من : م ، ومن الجواهر المضية فى ترجمته ، وجاء على الصواب فى ترجمة أبيه ٣/ ٢٤٤. وانظر ترجمته فى : الجواهر المضية ٣/ ٣٣٨، والدرر الكامنة ٥/ ١٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٤، والدارس ١/ ٥٤٧، وشذرات الذهب ٦/ ٥٨.

(٢) فى الدرر الكامنة : « وهب » .

(٣) فى الأصل : « كاين » ، وفى م ، ص : « كابن » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٤) بعده فى الأصل : « فى » ، وفى الدارس : « نائبه فى » .

محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبى بَكْرِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ الطَّبَرِىُّ المكِّىُّ[1] **الشافِعِىُّ**، إمامُ المقامِ أكثرَ مِن خمسينَ سنةً، سمِع الحديثَ مِن شيوخِ بلَدِه والوارِدِينَ إليها، ولم يكنْ له رحلةٌ، وكان يُفْتِى الناسَ مِن مدَّةٍ طويلةٍ، ويذكرُ أنه اختَصَر «شَرْحَ السنَّةِ» للبَغَوِىِّ، رحِمهما اللَّهُ تَعالى. تُوفِّى يومَ السبتِ بعدَ الظهرِ ثامن ربيعِ الأوَّلِ بمكَّةَ، ودُفِنَ من الغَدِ، وكان مِن أئمةِ المشايخِ.

شيْخُنَا الزَّاهِدُ الوَرِعُ بقيَّةُ السَّلَفِ زكىُّ[2] **الدينِ أبو يحيى زكريَّا بنُ يوسفَ بنِ سُلَيمانَ بنِ حامدٍ**[3] **البَجَلِىُّ**[4] **الشافِعِىُّ**، نائبُ الخطابَةِ، ومُدَرِّسُ الطَّيِّبِةِ[5] والأسَدِيَّةِ، وله حَلْقَةٌ للاشْتِغالِ بالجامعِ [١٠/١٧٢ظ] يحضُرُ بها عندَه الطَّلَبةُ، و[6]كان يشتغِلُ فى الفرائضِ وغيرِها، مواظِبًا على ذلك. تُوفِّى يومَ الخميسِ الثالث والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الأُولَى عن سَبْعِينَ[7] سنةً، ودُفِنَ قريبًا مِن شَيْخِه العلامةِ تاجِ الدينِ الفَزارِىِّ، رحِمهما اللَّهُ.

نصيرُ الدِّينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ وَجِيهِ الدينِ أبى عبدِ اللَّهِ[8] **محمدِ بنِ**

---

(١) فى ص: «المالكى». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٢٤، والوافى بالوفيات ٦/ ١٢٦، والعقد الثمين ٣/ ٢٤٠، والدرر الكامنة ١/ ٥٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٥، والمنهل الصافى ١/ ١٦٣.

(٢) فى الأصل، م، ونسخة من الدارس ١/ ١٥٤: «ركن». والمثبت موافق لما فى الدرر الكامنة ٢/ ٢٠٨، ونسخة من الدارس، وانظر طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨. ولم يذكر فيه لقبه.

(٣) فى الأصل، م: «حماد».

(٤) فى ص: «النخل».

(٥) فى الأصل، م: «الطيبية». وانظر الدارس ١/ ٣٣٧.

(٦) ليست فى النسخ.

(٧) فى الأصل: «سبع وستين».

(٨) بعده فى م: «على بن». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٢٥، والدرر الكامنة ٢/ ٤٠٦، وشذرات الذهب ٦/ ٥٧.

عليّ بنِ أبي طالبِ بنِ سويدِ بنِ مَعالِي بنِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الرَّبَعِيُّ التَّغْلِبيُّ[1] **التَّكْرِيتيُّ**، أحَدُ صدُورِ دِمَشْقَ، قَدِمَ أبُوه قبلَه إليها، وعظُمَ فى أيامِ الظَّاهرِ وقبلَه، وكان مولِدُه فى حُدودِ سنةِ خمسينَ وستِّمائةٍ، ولهم الأموالُ الكثيرةُ والنِّعْمَةُ الباذِخَةُ، تُوفِّى يومَ الخميسِ عِشْرين رَجَبٍ، ودُفِنَ بتربتِهِم بسَفْحِ قَاسِيُونَ، رحِمه اللَّهُ.

وفى يومِ الأحَدِ حادِى عَشَرَ شَوَّالٍ تُوفِّى **شمسُ الدينِ محمدُ بنُ المَغْرِبِيِّ**[2]، التاجرُ السَّفَّارُ، بانِى خانَ الصَّنمَيْنِ[3] الذى على جَادَّةِ الطريقِ للسبيلِ، رحِمه اللَّهُ وتقبَّلَ منه، وهو فى أحْسَنِ الأماكنِ وأنفَعِها.

الشيخُ الجَليلُ الزاهدُ نجمُ الدِّينِ أبو عبدِ اللَّهِ الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ إسماعِيلَ المقدسيُّ[4]، **المعروفُ بابنِ عَبّودٍ**[5] **المصْرِيُّ**، كانتْ له وجَاهَةٌ وإقدامٌ على الدولةِ، تُوفِّى بُكْرَةَ الجُمُعَةِ ثالث عشرين شَوَّالٍ، ودُفِنَ بزَاوِيَتِه، وقامَ[6] بعدَه فيها ابنُ أخِيه[7] شمسُ الدينِ محمدُ بنُ الحسَنِ[7].

الشيخُ الفقيهُ محيى الدينِ[6] **أبو الهدى أحمدُ بنُ الشيخِ شهابِ الدينِ أبى شامةَ**[8]، وُلِدَ سنَةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ، فأسمعَه أبُوه على المشايخِ، وقرأ القرآنَ، واشتغَلَ بالفِقْهِ، وكان ينسَخُ، ويُكثِرُ التِّلاوَةَ ويحضُرُ المدارسَ والسُّبعَ

---

(١) فى الأصل: «الثعلبى».

(٢) فى ص: «الغربى». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/٢٧٣ وفيه: محمد المغربى.

(٣) فى الأصل: «الضمين». والصنمان قرية من أعمال دمشق بينها وبين دمشق مرحلتان. معجم البلدان ٣/ ٤٢٩.

(٤) فى الأصل، م: «القرشى». وانظر ترجمته فى: الدرر الكامنة ٢/١٥٣.

(٥) فى م: «عنقود». وبعده فى ص: «كاتب».

(٦ - ٦) سقط من: ص.

(٧) بعده فى م: «ابن».

(٨) الدرر الكامنة ١/١٧٦.

الكبيرَ، تُوفِّى فى سابعِ عشرينَ شوالٍ، ودُفنَ عندَ والدِه بمقابرِ بابِ الفَرادِيسِ.

الشيخُ الصالحُ العابِدُ جلالُ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ زينِ الدينِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمودِ بنِ محمدٍ العقيلىُّ، المَعْروفُ بابنِ القَلانِسِىِّ[1]، ولِدَ سنةَ أربَعٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ، وسمِعَ مِن ابنِ عبدِ الدائمِ «جزءَ ابنِ عرفةَ»، ورَوَاه غيرَ مَرَّةٍ، وسمِعَ على غيرِه أيضًا، واشتَغَل بصناعَةِ الكتابةِ والإنشاءِ، ثم انقطَعَ وترَكَ ذلك كلَّه، وأقْبلَ على العبادَةِ والزَّهَادَةِ، وبنَى له الأُمَراءُ بمصرَ زاويةً، وتردَّدُوا إليه، وكان فيه بشَاشَةٌ وفصاحَةٌ، وكان ثقيلَ السَّمْعِ، ثم انتقَل إلى القدسِ، وقدِمَ دِمشْقَ مرَّةً فاجتَمَع به الناسُ وأكرَمُوه، وحدَّثَ بها ثم عادَ إلى القُدْسِ، وتُوفِّى به ليلةَ الأحَدِ ثالث ذى القَعْدَةِ، ودُفنَ [2]بمقابرِ ماملّا[2]، رحِمه اللَّهُ، وهو خالُ المحتَسِبِ عزِّ الدينِ بنِ القلانِسِىِّ، وهذا خالُ الصاحِبِ تقىِّ[3] الدينِ بنِ مَراجلٍ.

الشيخُ الإمامُ قُطْبُ الدينِ[4] **محمدُ بنُ عبدِ الصَّمَدِ بنِ عبدِ القادرِ السُّنبَاطِىُّ المصرىُّ**، اختصَر «الرَّوْضَةَ»، وصنَّفَ كتَابَ «تصحيحِ[5] التعجيزِ»، ودرَّسَ بالفَاضِلِيَّةِ، ونابَ فى الحكمِ بمصرَ، وكان من أعيانِ الفقهاءِ، تُوفِّى يومَ

---

(١) ذيول العبر ص ١٢٥، والوافى بالوفيات ٦/ ١٣٥، والدرر الكامنة ١/ ٥٩، والمنهل الصافى ١/ ١٤٥، والدليل الشافى ١/ ٢٥.

(٢ - ٢) فى ص: «بمقامها».

(٣) فى ص: «عزِّ».

(٤) بعده فى: ص «بن». وانظر ترجمته فى: طبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٦٤، وتذكرة النبيه ٢/ ١٢٩، والدرر الكامنة ٤/ ١٣٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٧، وحسن المحاضرة ١/ ٤٢٣.

(٥) سقط من: م، ص. وانظر كشف الظنون ١/ ٤١٨.

الجُمُعَةِ رابعَ عَشَرَ ذِى الحجةِ[1] عن سبعينَ سنةً ، وحضَر بعدَه تدريسَ الفاضليةِ ضياءُ الدينِ المُنادِى ، نائبُ الحُكْمِ بالقاهرةِ ، وحضَر عندَه ابنُ جَماعةَ والأعيانُ . واللَّهُ أعلمُ .

(١) فى ص : « القعدة » .

ثم دخَلَت سنةُ ثَلاثٍ وعشْرين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت يومَ الأحدِ فى كانُونَ الأصَمِّ ، والحكّامُ هم المذكورونَ [١٠/١٧٣و] فى التى قبلَها ، غيرَ أنَّ والىَ البَرِّ بدمشقَ هو الأميرُ علاءُ الدينِ علىُّ بنُ الحسنِ[2] المَروَانِىُّ ، باشرَها فى صفرٍ مِن السنةِ الماضيةِ . وفى صفرٍ مِن هذه السنةِ باشَر ولايةَ دمشقَ[3] الأميرُ شهابُ الدينِ بنُ[4] برقٍ ، عِوضًا عن صارمِ الدينِ الجُوكَنْدَار . وفى صفرٍ عُوفِىَ القاضى كريمُ الدينِ وكيلُ السلطانِ مِن مرضٍ كان قد أصابه ، فزُيِّنَت القاهرةُ وأُشْعِلَتِ الشُّموعُ ، وجُمِعَ الفقراءُ[5] بالمارَستانِ المنصُورىِّ ليأخُذُوا مِن صدقتِه ، فمات بعضُهم مِن الزِّحامِ .

وفى سلخِ ربيعٍ الأوَّلِ درَّس الإمامُ العلّامةُ المحدِّثُ تقىُّ الدينِ السُّبْكِىُّ الشافعىُّ بالمنصوريَّةِ بالقاهرةِ ، عِوضًا عن القاضى جمالِ الدينِ الزُّرَعِىِّ ، بمُقْتضَى انتِقالِه إلى دمشقَ ، وحضَر عندَه علاءُ الدينِ شيخُ الشيوخِ القُونَوِىُّ الشافعىُّ ، [6]ودرَّس بعدَه بجامعِ الحاكمِ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عَدْلانَ بالعِزِّيَّةِ[7] ، وكانت ولايةُ القاضى جمالِ الدينِ الزُّرَعِىِّ لقضاءِ الشامِ[6]

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/٢٧٣ ، وتذكرة النبيه ٢/ ١٣٤، والسلوك ٢/١/ ٢٤٠.

(٢) سقط من: ص. وانظر الدرر الكامنة ٣/ ١١٠.

(٣) فى الأصل، م: «المدينة».

(٤) فى ص: «أبو». وانظر السلوك ٢/٢/ ٤٠٥.

(٥) فى الأصل: «القراء».

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) فى ص: «وبالمغربة».

عوضًا عن النَّجمِ ابنِ صَصْرَى فى يومِ الجُمعةِ [1]رابعِ عشرينِ ربيعِ الأوَّلِ، وخُلِع عليه بمصرَ، وكان قدومُه إلى دمشقَ آخرَ نهارِ الأربعاءِ رابع[1] جمادَى الأُولَى، فنزَل العادليَّةَ، وقد قدِم على القضاءِ ومشيخةِ الشيوخِ وقضاءِ العساكرِ وتدريسِ العادليَّةِ والغزَّاليَّةِ والأتابَكيَّةِ.

وفى [2]ربيعِ الآخِرِ[2] مُسِك القاضى كريمُ الدينِ[3] عبدُ الكريمِ بنُ هبةِ اللَّهِ بنِ السديدِ[4] وكيلُ السلطانِ، وكان قد بلَغ مِن المنزلةِ والمكانةِ عندَ السلطانِ ما لم يصِلْ إليه غيرُه مِن الوزراءِ الكبارِ، واحتِيطَ على أموالِه وحواصلِه، ورُسِم عليه عندَ نائبِ السلطنةِ، ثم رُسِم له أن يكونَ بتربتِه التى بالقَرافةِ، ثم نُفِى إلى الشَّوْبَكِ، وأُنْعِم عليه بشىءٍ مِن المالِ، ثم أُذِن له فى الإقامةِ بالقدسِ الشريفِ برباطِه. ومُسِك ابنُ أخيه كريمُ الدينِ الصغيرُ ناظرُ الدواوينِ، وأُخِذَتْ أموالُه وحُبِسَ فى بُرْجٍ، وفرِح العامةُ بذلك، ودعَوا للسلطانِ بسببِ مَسْكِهما، ثم أُخْرِجَ إلى صَفَدَ.

وطُلِب مِن القدسِ أمينُ الملكِ عبدُ اللَّهِ، فوَلِى الوِزارةَ بمصرَ، وخُلِع عليه عَوْدًا على بَدْءٍ، وفرِح العامةُ بذلك، وأشْعَلوا له الشُّموعَ، وطُلِب الصاحبُ شمسُ[5] الدينِ غِبْرِيالُ مِن دمَشْقَ، فرَكِب ومعه أموالٌ كثيرةٌ، ثم خُوِّل أموالَ كريمِ الدينِ الكبيرِ، وعادَ إلى دمشقَ مُكَرَّمًا، وقدِم القاضى معينُ الدينِ بنُ الحَشِيشِ[6] على نظرِ الجيوشِ الشَّاميةِ، عِوضًا عن القطبِ ابنِ شيخِ السَّلَاميَّةِ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «يوم الأحد». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٤.

(٣) بعده فى الأصل، م: «بن». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

(٤) فى م: «الشديد».

(٥) فى م: «بدر».

(٦) فى م: «الحشيشى»، وفى ص: «الخسيس». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

عُزِل عنها، ورُسِم عليه فى العَذْراوِيَّةِ نحوًا مِن عشرين يومًا، ثم أُذِنَ له فى الانصرافِ إلى منزلِه مَصْرُوفًا عنها.

وفى جُمادى الأولَى عُزِل طرقشى عن شدِّ الدواوينِ، وتولّاها الأميرُ بَكْتَمُر والى الوُلاةِ. وفى ثانى جُمادى الآخرةِ باشَر القاضى ابنُ جهبلٍ نيابةَ الحكمِ عن الزُّرَعىِّ، وكان قد باشَر قبلها بأيامٍ نظَرَ الأيْتامِ عِوضًا عن ابنِ هِلالٍ. وفى شعبانَ أُعِيدَ طرقشى إلى الشَّدِّ، وسافَر بَكْتَمُر إلى نيابةِ الإسكندريَّةِ، فكان بها إلى أن تُوفِّى.

وفى رمضانَ قدِم جماعةٌ مِن حُجَّاجِ الشَّرْقِ وفيهم بنتُ الملكِ أبْغا بنِ هُولاكُو وأختُ أَرْغُون وعمَّةُ [١٠/١٧٣ظ] قازَان وخَرْبَنْدا، فأُكْرِمَتْ وأُنْزِلَتْ بالقصرِ الأَبْلَقِ، وأُجْرِيتْ عليها الإقاماتُ والنَّفقاتُ إلى أوانِ الحجِّ.

وخرَج الرَّكْبُ يومَ الاثنينِ ثامن شوَّالٍ، وأميرُه قُطْلِيجا[1] الأبو بكرى الذى بالقصّاعين، وقاضى الرَّكبِ شمسُ الدينِ قاضى القضاةِ ابنُ مُسَلَّمٍ الحَنْبَلِىُّ، وحجَّ معهم جمالُ الدينِ المِزِّىُّ، وعمادُ الدينِ بنُ الشَّيْرَجىِّ[2]، وفُوِّض الكلامُ فى ذلك إلى شرفِ الدينِ بنِ سعدِ الدينِ بنِ نجيحٍ، كذا أخبرَنى به شهابُ الدينِ الظّاهرىُّ. ومِن المصريين قاضى القُضاةِ بدرُ الدين بنُ جَمَاعةَ، وولدُه عزُّ الدينِ، وفخرُ الدينِ كاتبُ المماليكِ، وشمسُ الدينِ الحارثىُّ، وشِهابُ الدينِ الأذْرَعِىُّ، وعلاءُ الدينِ الفارسِىُّ.

---

(١) فى م: «قطلجا»، وفى ص: «قليجا».

(٢) فى الأصل: «السيرجى»، وفى ص: «السريجى». وانظر ذيول العبر ص ١٨٤.

وفى شوَّالٍ باشَر تقىُّ الدينِ السبكىُّ مَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ الظاهِريَّةِ بالقاهرةِ بعدَ وَفاةِ[1] زَكىِّ [2]الدينِ المُنادِى[2]، ويقالُ له: عبدُ العظيمِ بنُ الحافظِ شرفِ الدينِ الدِّمْياطِىِّ. ثم انْتُزِعَت مِن السُّبْكِىِّ لفتحِ الدينِ بنِ سَيِّدِ النّاسِ اليَعْمُرِىِّ، باشَرها فى ذِى القَعْدَةِ.

وفى يومِ الخميسِ مُسْتَهَلِّ ذِى الحجَّةِ خُلِع على قطبِ الدينِ بنِ شيخِ السَّلَامِيَّةِ، وأُعِيد إلى نظرِ الجيشِ مُصاحبًا لمعينِ الدينِ بنِ الحَشيشِ، ثم بعدَ[3] مديدةٍ استقَلَّ قطبُ الدينِ بالنَّظرِ وحدَه، وعزِل ابنُ حَشيشٍ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الإمامُ المُؤرِّخُ كمالُ الدينِ بنُ[4] الفُوَطِىِّ[5] أبو الفَضْلِ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ[6] أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ أبى المَعالِى الشَّيْبانِىُّ البَغْدادِىُّ[7]، المعروفُ بابنِ الفُوَطِىِّ[5]، وهو جدُّه لأُمِّه، وُلِد سنةَ اثْنَتَينِ وأربعين وسِتِّمائةٍ ببغدادَ، وأُسِر فى واقعةِ التَّترِ ثم تخلَّص مِن الأسْرِ، فكان مُشارفًا على الكُتُبِ بالمُسْتنصِريَّةِ، وقد صنَّف تاريخًا فى خَمْسٍ وخمسينَ[7] مجلَّدًا، وآخرَ فى نحوِ عشرينَ، وله مُصنّفاتٌ كثيرةٌ، وشِعرٌ حَسَنٌ، وقد سمِع الحديثَ[8] مِن مُحْيى الدينِ بنِ الجَوْزِىِّ،

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى ص: «المبارك».

(٣) بعده فى م: «مدة».

(٤) سقط من: الأصل، م. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٢٨، وفوات الوفيات ٢/ ٣١٩، والدرر الكامنة ٢/ ٤٧٤، والدليل الشافى ١/ ٤١١، وشذرات الذهب ٦/ ٦٠.

(٥) فى الأصل: «الغوطى» والفوطى: نسبة إلى بيع الفوط المعروفة. لب اللباب ٢/ ١٦٣.

(٦) سقط من: م.

(٧) فى ص: «عشرين».

(٨) فى م: «الحسن».

تُوفِّى ثالثَ المُحرَّمِ ودفِن بالشُّونيزيةِ .

قاضى القُضاةِ نجمُ الدينِ بنُ صَصْرَى ، أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ العَدْلِ [1] عمادِ الدينِ [2] محمدِ بنِ العَدْلِ [1] أمينِ الدينِ سالمِ بنِ الحافظِ المُحَدِّثِ بهَاءِ الدينِ أبى المواهبِ الحسنِ [3] بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ مَحْفُوظِ بنِ الحسنِ [4] بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ [5] بنِ صَصْرَى التَّغْلِبِىُّ [6] الرَّبَعِىُّ الشافعىُّ ، قاضى القُضاةِ بالشّامِ ، ولِد فى ذِى القَعْدَةِ سنةَ خَمْسٍ وخمسين وسِتّمائةٍ ، وسَمِع الحديثَ واشتَغل وحصَّل ، وكتَب عن القاضى شمسِ الدينِ بنِ خَلِّكانَ « وفياتِ الأعيانِ » وسَمِعها عليه ، وتفقَّه بالشيخِ تاجِ الدينِ الفَزارِىِّ ، وعلى أخيه شرفِ الدينِ فى النَّحوِ ، وكان له يَدٌ فى الإنْشاءِ وحُسْنِ العِبارَةِ ، ودرَّس بالعادِليَّةِ الصغيرةِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثمانين ، وبالأمينيَّةِ سنةَ تسعينَ ، وبالغزَّاليَّةِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ، وتولَّى قضاءَ العساكرِ فى دولةِ العادلِ كَتْبُغَا ، ثم تَولَّى قضاءَ الشامِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسبعِمائةٍ بعدَ ابنِ جَماعةَ حينَ طُلِب [١٠/١٧٤و] لقضاءِ مصرَ بعدَ ابنِ دَقِيقِ العيدِ ، ثم أُضِيف إليه مَشْيَخَةُ الشيوخِ مع تدريسِ العادِليَّةِ والغَزَّاليَّةِ والأتابَكيَّةِ ، وكلُّها مَناصِبُ دُنْيويَّةٌ انسَلَخ منها وانسَلَخت منه ، ومضَى عنها وترَكها لغيرِه ، وأكبرُ أُمْنِيَّتِه بعدَ وفاتِه أنّه لم يكنْ تولَّاها وهى :

(١ - ١) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٢٨، وفوات الوفيات ١/ ١٢٥، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٠، والدرر الكامنة ١/ ٢٨٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٨.

(٢) بعده فى الأصل ، م : « بن » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٣) سقط من الأصل ، م .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « بن الحسن » .

(٥) فى ص : « أحمد » .

(٦) فى مطبوعة الطبقات ، ومرآة الجنان ٤/ ٢٧٠، والنجوم الزاهرة ، والدليل الشافى ١/ ٧٥ : « الثعلبى » . وبنو تغلب ربعيون .

* متاعٌ قليلٌ مِن حبيبٍ مُفارِقِ[1] *

وقد كان رئيسًا مُحْتشِمًا، وقُورًا كريمًا، جميلَ الأخلاقِ، مُعَظَّمًا عندَ السلطانِ والدولةِ، توفِّى فجْأةً ببُستانِه بالسهمِ ليلةَ الخميسِ سادسَ عشرَ ربيعِ الأوَّلِ، وصُلِّى عليه بالجامعِ المُظفَّرِىِّ، وحضَر جِنازتَه نائبُ السلطنةِ والقُضاةُ والأمراءُ والأعيانُ، وكانت جِنازتُه حافلةً، ودُفِن بتربتِهم عندَ الرُّكْنِيَّةِ[2].

علاءُ الدينِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أحمدَ بنِ أبى المنىِّ[3] بنِ محمدِ ابنِ نَحْلَةَ الدِّمَشْقِىُّ الشافعىُّ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ، وقرأ «المُحَرَّرَ»، ولازَم الشيخَ زينَ الدينِ الفَارِقىَّ، ودرَّس بالدَّوْلَعِيَّةِ والرُّكْنِيَّةِ، وكان[4] ناظرَ بيتِ المالِ، وابْتَنَى دارًا حسَنةً إلى جانبِ الرُّكْنِيَّةِ، ومات وترَكها فى ربيعِ الأوَّلِ، ودرَّس بعدَه بالدَّوْلَعِيَّةِ القاضى جمالُ الدينِ بنُ جُمْلةَ، وبالرُّكْنِيَّةِ رُكنُ الدينِ الخُراسانىُّ.

وفى ربيعِ الأوَّلِ قُتِل **الشيخُ ضياءُ الدينِ عبدُ اللَّهِ الدَّرْبَنْدِىُّ[5] النَّحْوِىُّ**، كان قد اضْطَرب عقلُه، فسافَر مِن دمشقَ إلى القاهرةِ، فأشار شيخُ الشُّيوخِ

---

(١) عجز بيت صدره:

* وقفت على قبر مقيم بقفره *

انظر مسالك الأبصار ٢٤/٢٧٨ (مخطوط).

(٢) يعنى المدرسة الركنية الجوانية التى للشافعية، وقد وقفها ركن الدين منكورس، عتيق ملك الدين سليمان العادلى. الدارس ١/ ٢٥٣.

(٣) كذا فى النسخ، وفى الدارس ١/ ٢٤٥: «المهنى».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى الأصل: «الزرنيدى»، وفى م: «الزربندى». والدربندى: نسبة إلى دَرْبَنْد، وهو باب الأبواب. وانظر ترجمته فى: دول الإسلام ٢/ ٢٣١، وتاريخ ابن الوردى ص ٢٧٤، والسلوك ٢/١/ ٢٤١، والدرر الكامنة ٢/ ٤١٨.

القُونَوِىُّ [1]أن يُودَعَ[1] بالمارَستانِ فلم يُوافَقْ، ثم دخَل إلى القلعةِ وبيدِه سيفٌ مسلولٌ فقتَل نصرانِيًّا، فحُمِل إلى السلطانِ وظنُّوه جاسُوسًا فأمَر بشنْقِه فشُنِق، وكنتُ ممَّن اشتَغل عليه فى النَّحوِ.

الشيخُ الصالحُ المُقرِئُ الفاضِلُ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ الطَّبيبِ[2] بنِ عبدِ اللَّهِ الحلىُّ[3] العَزِيزىُّ الفوارِسىُّ، المعروفُ بابنِ الحلبيَّةِ، سَمِع مِن خطيبِ مَرْدا وابنِ عبدِ الدائمِ، واشتغَل وحصَّل وأقْرَأ الناسَ، وكانت وفاتُه فى ربيعٍ الأوَّلِ عن ثمانٍ وسبعين سنةً، ودُفِن بالسَّفْحِ.

شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ[4] ابنِ قطينَةَ[5] الزُّرَعىُّ[6]، التاجرُ المشهورُ بكَثْرةِ الأمْوالِ والبضائِعِ والمتاجرِ، قيلَ: بلغَتْ زكاةُ مالِه فى سنةِ قازَانَ خَمْسةً وعشرين ألفَ دينارٍ. وتوفِّى فى ربيعٍ الآخرِ مِن هذه السنةِ، ودُفِن بتُرْبتِه التى ببابِ بُستانِه المسمَّى بالمرفعِ[7] عندَ ثَوْرَا[8] فى طريق القابونِ، وهى تربةٌ هائلةٌ، وكانت له أمْلاكٌ.

القاضى الإمامُ جمالُ الدينِ أبو بكرِ بنُ عبّاسِ بنِ عبدِ اللَّهِ الخَابُورِىُّ[9]، قاضى بَعْلَبَكَّ، وأكبرُ أصحابِ الشيخِ تاجِ الدينِ الفَزارِىِّ، قَدِم مِن بَعْلَبكَّ ليتلقَّى

(١ - ١) فى م: «فأودع».

(٢) فى ص: «الطيب». ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٣) فى م: «عبيد».

(٤) فى ص: «الحلبى».

(٥) سقط من: ص. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٢٩، والدرر الكامنة ١/ ٣١٤، والدارس ٢/ ٢٧٢، وشذرات الذهب ٦/ ٥٩.

(٦) فى م: «قطنية»، وفى الدرر الكامنة «قطنبة».

(٧) فى ص: «المرتع».

(٨) ثورا: نهر عظيم بدمشق. معجم البلدان ١/ ٩٣٨.

(٩) تذكرة النبيه ٢/ ١٣٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٨٥.

القاضى الزُّرَعِىّ ، فمات بالمدرسةِ البادَرائيةِ ليلةَ السبتِ سابع جُمادَى الأُولَى ، ودُفِن بقاسِيونَ ، وله من العُمْرِ سبعُون سنةً أضغاثُ حِلْمٍ .

الشيخُ المُعَمَّرُ المُسِنُّ جمالُ الدينِ عُمرُ بنُ إلْياسَ بنِ الرشيدِ البَعْلَبَكِّىُّ[1] ، التاجرُ ، وُلِد سنةَ ثِنْتَين وعشرِين[2] وسِتِّمائَةٍ ، وتُوفِّى فى ثانِى عَشَرَ جُمادَى الأُولَى ، عن مائةِ [3]سنةٍ و[3] سنةٍ ، ودُفِن [١٠/١٧٤ظ] [4]ببابِ سَطْحا[4] ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الإمامُ المحدِّثُ اللغوىُّ المفيدُ صفىُّ الدينِ أبو الثناءِ محمودُ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ [5]بنِ حامدِ بنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ[5] بنِ يحيى بنِ الحسينِ الأُرْمَوِىُّ الصوفىُّ ، وُلِدَ سنةَ سبعٍ[6] وأربعين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ورحَل وطلَب وكتَب الكثيرَ ، وذيَّل على « النهايةِ » لابنِ الأثيرِ ، وكان قد قَرَأ « التنبيهَ » ، واشتَغَل باللغةِ فحصَّل منها طرفًا جيدًا ، ثم اضْطَرب عقلُه فى سنةِ سبعٍ وتسعين[7] وغلَبَتْ عليه السَّوداءُ[8] ، وكان يُفِيقُ منها فى بعضِ الأحيانِ فيُذاكِرُ صَحيحًا ثم يَعْتَرِضُه المرضُ المذكورُ ، ولم يَزَلْ كذلك حتى تُوفِّى فى جمادى الآخِرةِ مِن هذه

---

(١) ذيول العبر ص ١٢٩.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « وعشرين » . وحقه على ما سبق فيهما من سنة مولده أن يكون عمره عند موته مائة وإحدى وعشرين سنة .

(٤ - ٤) فى الأصل : « بمسطحا » ، وفى م : « بمطحا » .

(٥ - ٥) فى م : « الحسنى » . وانظر ترجمته فى : دول الإسلام ٢/ ٢٣١، وذيول العبر ص ١٣٠، وتذكرة النبيه ٢/ ١٣٨، والدرر الكامنة ٥/ ١١٠، وشذرات الذهب ٦/ ٦٢.

(٦) فى الأصل ، م : « ست » .

(٧) فى م : « سبعين » .

(٨) السَّوْداء : أحد الأخلاط الأربعة التى زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها ، بها قِوامه ، ومنها صلاحه وفساده . وهى تعنى هنا حالة تشبه الجنون . معجم المصطلحات الحضارية (ضمن فهارس طبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٦٠٤) .

السنةِ بالمَارَسْتَانِ النُّورِىِّ[1] ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ .

الخاتون المصونةُ[2] **خاتون بنتُ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العادلِ بنِ أبى بكرِ بنِ أيوبَ بنِ شَاذِى** ، بِدَارِها ، وتُعْرَفُ بدارِ كافورٍ ، كانت رئيسةً محترمةً ، ولم تتزوَّجْ قَطُّ ، وليس فى طَبَقَتِها مِن بنى أيُّوبَ غيرُها فى هذا الحينِ ، تُوفِّيَتْ يومَ الخميسِ[3] الحادى والعشرينَ مِن شعبانَ ، ودُفِنَتْ بتربةِ أمِّ الصالحِ ، رحِمها اللَّهُ .

شيخُنا الجليلُ المسنِدُ المعمَّرُ الرُّحْلَةُ بهاءُ الدينِ أبو محمدٍ[4] **القاسمُ بنُ الشيخِ بدرِ الدينِ أبى غالبِ المظفرِ بنِ**[5] **نجمِ الدينِ بنِ أبى الثناءِ محمودِ بنِ تاجِ الأمناءِ أبى الفضلِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ عساكرَ الدمشقىُّ الطبيبُ المعمَّرُ** ، وُلِدَ سنةَ تسعٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وسَمِع حضورًا وسماعًا على الكثيرِ مِن المشايخِ ، وقد خرَّج له الحافظُ علمُ الدينِ البِرْزالىُّ مَشْيَخَةً سَمِعْناها عليه فى سنةِ وفاتِه ، وكذلك خرَّج له الحافظُ صلاحُ الدينِ العلائىُّ عَوالِىَ مِن حديثِه ، وكتَب له المحدِّثُ المفيدُ ناصرُ الدينِ ابنُ طُغْرِيل[6] مشيخةً فى سبعِ مجلداتٍ ، تشتمِلُ على خمسِمائةٍ وسبعين شيخًا ؛ سماعًا وإجازةً ، وقُرِئَتْ عليه فسَمِعها الحفّاظُ وغيرُهم . قال البِرْزالىُّ : وقد قرَأتُ عليه ثلاثةً وعشرين مجلَّدًا بحذفِ المُكَرَّراتِ ، ومِن الأجزاءِ

---

(١) فى ص : « المنصورى » .

(٢) بعده فى ص : « محمودة » . وانظر الدارس ١/ ٣١٨.

(٣) فى ص : « السبت » .

(٤) سقط من النسخ ، والمثبت من تذكرة النبيه ٢/ ١٣٤ ، والدارس ١/ ٥٥ - نقلا عن المصنف - ودرة الحجال ٣/ ٢٧٣ ، وانظر فى ترجمته أيضا : ذيول العبر ص ١٣٠ ، والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٣ ، وشذرات الذهب ٦/ ٦١.

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى م ، ص : « طغربك » . وانظر الوافى بالوفيات ٣/ ١٧٢.

خمسَمائةٍ وخمسين جزءًا بالمكرراتِ . قال : وكان قد اشتَغَل بالطبِّ ، وكان يُعالِجُ الناسَ بغيرِ أُجرةٍ ، وكان يحفَظُ كثيرًا مِن الأحاديثِ والحكاياتِ والأشعارِ ، وله نَظْمٌ ، وخدَم فى[1] عدةِ جهاتٍ الكتابةَ ، ثم ترَك ذلك ولزِم بيتَه وإسماعَ الحديثِ ، وتفرَّد فى آخرِ عمرِه فى أشياءَ كثيرةٍ ، وكان سَهْلًا فى التسميعِ ، ووقَف آخرَ عمرِه دارَه دارَ حديثٍ ، وخصَّ الحافظَ البِرْزالىَّ والمِزِّىَّ بشىءٍ مِن بِرِّه ، وكانت وفاتُه يومَ الاثنين وقتَ الظهرِ خامس عشرينَ شعبانَ ، ودُفِن بقاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ .

الوزيرُ ثم الأميرُ نجمُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ فخرِ الدينِ[2] عثمانَ بنِ أبى القاسمِ البُصْرَاوِىُّ الحنفىُّ ، درَّس بِبُصْرَى بعدَ عمِّه القاضى صدر الدينِ الحنفىِّ ، ثم ولِى الحسبةَ بدِمشقَ ونظَرَ الخزانةِ ، ثم وَلِى الوِزارةَ ، ثم سأَل الإقالةَ منها فَعُوِّضَ [١٠/١٧٥و] بإمْرِيَّةِ عَشَرَةٍ عنها بإقطاعٍ هائلٍ ، وعُومِلَ فى ذلك معاملةَ الوزراءِ فى حُرْمَتِه ولُبْسَتِه ، حتى كانَتْ وفاتُه بِبُصْرَى يومَ الخميسِ ثامن[3] عشرينِ شعبانَ ، ودُفِن هناك ، وكان كريمًا مُمَدَّحًا وَهَّابًا كثيرَ الصدقةِ والإحسانِ إلى الناسِ ، وترَك مالًا وأولادًا ، ثم تفانَوا كلُّهم بعدَه ، وتفرَّقت أموالُه ، ونُكِحت نساؤُه ، وسُكِنت منازلُه .

الأميرُ صارمُ الدينِ إبراهيمُ بنُ قَرَاسُنْقُر الجُوكَنْدار[4] ، مُشِدُّ الخاصِّ ، ثم

---

(١) فى الأصل ، م : « من » .

(٢) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٣١، والوافى بالوفيات ٤/ ٨٩، والسلوك ٢/١/ ٢٥٢، والدرر الكامنة ٤/ ١٦٥، وشذرات الذهب ٦/ ٦٢. وذكر ابن حجر : أنه رأى فى حاشية بخط العلائى أن محمدًا هذا كانت وفاته أربع عشرة وسبعمائة ، وأن الذى عاش إلى سنة ثلاث وعشرين وولى الحسبة أخوه فخر الدين أحمد .

(٣) فى الأصل : « ثانى » . وتقدم أن يوم الخميس وافق السابع من شعبان .

(٤) الدارس ٢/ ٢٤٢.

وَلِى دِمشقَ ولايةً ، ثم عُزِل عنها قبلَ موتِه بستَّةِ أشهرٍ ، تُوفِّى تاسعَ رمضانَ ودُفِن بتربَتِه [1]المُشَرَّفَةِ المُبَيَّضَةِ[1] شَرْقِىّ مسجدِ النَّارَنْجِ كان قد أعدَّها لنفسِه .

الشيخُ أحمدُ الأعقفُ الحريرِىُّ شِهابُ الدِّينِ أحْمدُ بنُ حامدِ بنِ سعيدِ التَّنُوخِىُّ الحَرِيرِىُّ[2] ، وُلِدَ سنةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ ، واشْتَغَل فى صِباه على الشَّيْخِ تاجِ الدِّينِ الفَزارِىِّ فى « التَّنْبِيهِ » ، ثم صَحِب الحرِيرِيَّةَ وخدَمَهم ، ولَزِم مُصاحبَةَ الشيخِ نَجْمِ الدِّينِ بنِ إسْرائِيلَ ، وسَمِع الحديثَ ، وحجَّ غيرَ مَرَّةٍ ، وكان مليحَ الشَّكْلِ ، كثيرَ التَّوَدُّدِ إلى النّاسِ ، حسَنَ الأَخلاقِ ، تُوفِّى يومَ الأَحدِ ثالِث عشرين رمضانَ بزاويتِه بالمِزَّةِ ، ودُفِن بمَقْبَرتِه بالمِزَّةِ ، وكانتْ جِنازَتُه حافِلةً .

وفى يومِ الجُمُعَةِ ثامِن عِشْرِينَ رمضانَ صُلِّى بدِمَشْقَ على غائِبٍ ، وهو **الشيخُ هارونُ المَقْدِسىُّ**[3] ، تُوفِّى ببَعْلَبَكَّ فى العَشْرِ الأخيرِ مِن رمضانَ ، وكان صالِحًا مَشْهورًا عندَ الفقراءِ[4] .

وفى يومِ الخميسِ ثالث ذى القَعْدَةِ تُوفِّى **الشيخُ الإمامُ المقرئُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسفَ بنِ غُصْنٍ**[5] **الأَنصارىُّ القَصْرِىُّ ثم السَّبْتِىُّ** ، بالقدسِ ، ودُفِن بمامِلّا ، وكانت له جِنازةٌ حافلةٌ حضَرها كريمُ الدينِ والناسُ مشاةً ، وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ ، وكان شيخًا مهيبًا ، أحمرَ اللحيةِ مِن الحنَّاءِ ، اجتمعتُ به وبحثتُ معه فى هذه السنةِ حينَ زُرْتُ القدسَ الشريفَ ،

(١ - ١) فى الأصل : « المشرقة البيضاء » .

(٢) الدارس ٢/ ١٩٩.

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٤) فى ص : « الفقهاء » .

(٥) فى م : « عصر » . وانظر ترجمته فى غاية النهاية ٢/ ٤٧، ودرة الحجال ٢/ ٢٥٨، ونفح الطيب ٢/ ٢٠٧.

وهى أوَّلُ زيارةٍ زُرْتُه ، وكان مالكىَّ المذهبِ ، قد قرأ « المُوَطَّأَ » فى ثمانيةِ أشهرٍ ، وأخَذ النحوَ عن الأستاذِ ابنِ[1] أبى الربيعِ شارحِ « الجُمَلِ » للزجاجىِّ مِن طريقِ شُرَيْحٍ .

شيخُنا الأصيلُ شمسُ الدينِ أبو نصرٍ[2] محمدُ بنُ عمادِ الدينِ أبى[3] الفضلِ محمدِ بنِ شمسِ الدينِ أبى نصرٍ محمدِ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يحيى ابنِ بُنْدارِ بنِ مَمِيل[4] الشِّيرَازِىُّ ، مولِدُه فى شوَّالٍ سنةَ تسعٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وسَمِع الكثيرَ وأسْمَع ، وأفادَ فى علَّتِه[5] شيخَنا المِزِّىَّ تغمَّدَه اللَّهُ برحمتِه ، قرأ[6] عليه عدةَ أجزاءٍ بنفسِه ، أثابَه اللَّهُ ، وكان شيخًا حسنًا خيِّرًا مباركًا متواضعًا ، يُذَهِّبُ الرَّبَعَاتِ[7] والمصاحفَ ، له فى ذلك يدٌ طُولَى ، ولم يتدنَّسْ بشىءٍ مِن الولاياتِ ، ولا تدنَّسَ بشىءٍ مِن وظائفِ المدارسِ ولا الشهاداتِ ، إلى أنْ تُوفِّى فى يومِ عرفةَ ببستانِه مِن المِزَّةِ ، وصُلِّى عليه بجامِعِها ، ودُفِنَ بتربتِها ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الصالحُ العابِدُ النَّاسِكُ أبو بكرٍ بنُ[8] أيُّوبَ [١٠/١٧٥ظ] **بنِ سَعْدٍ الزُّرَعِىُّ الحَنْبَلِىُّ** ، قَيِّمُ الجَوْزِيَّةِ ، كان رجلًا صالحًا مُتَعبِّدًا قليلَ التكَلُّفِ ، وكانَ فاضِلًا ، وقد سَمِع[9] شيئًا مِنْ « دلائلِ النُّبُوَّةِ » عن الرشيدِىِّ العامِرِىِّ ، تُوفِّى فَجْأَةً

---

(١) سقط من النسخ ، وانظر ترجمة ابن أبى الربيع فى : بغية الوعاة ٢/ ١٢٥.

(٢) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى : دول الإسلام ٢/ ٢٣١، وذيول العبر ص ١٣١، والدرر الكامنة ٤/ ٣٥١، وشذرات الذهب ٦/ ٦٢.

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « ممل » . وبندار معناه الحافظ . ومميل معناه محمد . انظر : تاج العروس (ب ن د ر) ، وطبقات الشافعية ٨/ ١٠٦.

(٥) فى م ، ص : « علية » .

(٦) فى الأصل : « قرأتى » ، وفى ص : « والى » .

(٧) فى الأصل : « الربعان » . والربعات مفردها الربعة ؛ وهى صندوق فيه أجزاء المصحف الكريم . تاج العروس (ر ب ع) .

(٨) سقط من : ص . وانظر الدرر الكامنة ١/ ٤٧٢.

(٩) فى ص : « أسمع » .

ليلةَ الأَحدِ تاسعَ عَشَرَ ذى الحجَّةِ بالمدْرسَةِ الجَوْزِيَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ بالجامعِ ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ ، وكانتْ جِنَازَتُه حافلةً ، وأثْنَى عليه الناسُ خَيْرًا ، رحِمه اللَّهُ ، وهو والِدُ العَلَّامَةِ شمسِ الدِّينِ محمدِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ صاحِبِ المُصَنَّفاتِ الكثيرةِ النافِعةِ الكافيةِ .

الأميرُ عَلاءُ الدينِ علىُّ[1] **بنُ شَرَفِ الدينِ**[2] **محمودِ بنِ إسْماعِيلَ بنِ معبدٍ**[3] **البَعْلَبَكِّىُّ** ، أحدُ أُمَراءِ الطَّبلَخَاناه ، كان والِدُه تاجرًا ببَعْلَبَكَّ فنَشأَ ولَدُه هذا واتَّصلَ بالدولةِ ، وعلَتْ مَنْزِلَتُه ، حتى أُعْطِىَ طَبْلخَانَه ، وباشَر وِلايةَ البَرِّ بدِمَشْقَ مع شدِّ الأَوْقافِ ، ثم صُرِفَ إلى وِلايَةِ الوُلاةِ بحَورانَ[4] ، فاعتراه مرَضٌ ، وكان سَبْطَ[5] البَدَنِ عَبْلَه[6] ، فسألَ أن يُقَال فأُجِيبَ ، فأقامَ ببُسْتانِه بالمِزَّةِ إلى أنْ تُوفِّى فى خامسِ عِشْرِينَ ذِى الحجَّةِ ، وصُلِّى عليه هناك ، ودُفِنَ بمَقْبَرةِ المِزَّةِ ، وكان مِن خيارِ الأُمَراءِ وأحْسَنِهم ، مع ديانةٍ وخيرٍ ، سامَحه اللَّهُ .

وفى هذا اليومِ تُوفِّى **الفَقِيهُ العابدُ النَّاسِكُ شَرَفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ**[7] **بنُ**[8] **سعدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الأحدِ**[9] **بنِ سعدِ اللَّهِ بنِ عبدِ القاهرِ بنِ عبدِ**

---

(١) سقط من الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/ ٢٠٠، والدليل الشافى ١/ ٤٨٣.

(٢) بعده فى ص : « بن » .

(٣) كذا فى النسخ ، والدليل الشافى ، وفى الدرر الكامنة : « سعد » .

(٤) فى ص : « بالصفقة القبلية » .

(٥) فى الأصل : « بسيط » .

(٦) فى الأصل : « عثله » . والعَبْلُ : الضخم من كل شىء . لسان العرب مادة (ع ب ل) .

(٧) بعده فى الأصل ، م : « بن محمد » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٤/ ٦٤، وشذرات الذهب ٦/ ٦١.

(٨) بعده فى ص : « سعد الدين » .

(٩) فى ص : « عبد الواحد » .

الأحدِ[1] **بنِ عُمرَ الحَرَّانِيُّ**، المعْروفُ بابنِ النَّجِيحِ، تُوفِّى فى وادِى بنى سالمٍ، فحُمِلَ إلى المدينةِ فغُسِّلَ، وصُلِّى عليهِ فى الرَّوْضَةِ، ودُفِنَ بالبَقِيعِ شرْقىّ قبرِ عَقِيلٍ، فغَبَطَه الناسُ بهذه المَوْتَةِ وهذا القَبْرِ، رحِمه اللَّهُ، وكان ممَّن غبطه الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ مُسَلَّمٍ قاضى الحنابِلَةِ، فماتَ بعدَه، ودُفِنَ عندَه، وذلك بعدَه بثَلاثِ سِنينَ، رحِمَهما اللَّهُ. وجاءَ يومَ حضَر جِنَازةُ الشيخِ شَرَفِ الدينِ محمدٍ المذْكُورِ شَرَفُ [2]الدينِ بنُ[2] أبى العِزِّ الحَنَفِيُّ قبلَ ذلك بجُمُعَةٍ، مرْجِعَه مِن الحجِّ بعدَ انْفِصالِه عن مَكَّةَ بمَرْحلتَيْنِ، فغَبَطَ الميِّتَ المذْكُورَ بتلكَ المَوْتَةِ، فرُزِقَ مثْلَها بالمدينةِ، وقد كان شرَفُ الدينِ بنُ نَجِيحٍ هذا قد صَحِبَ شيْخَنَا العَلَّامةَ تقىَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ، وكان معه فى مَواطِنَ كبارٍ صَعْبَةٍ لا يسْتَطِيعُ الإقْدامَ عليها إلَّا الأَبْطالُ الخُلَّصُ الخَواصُّ، وسُجِنَ معه، وكان مِنْ خُدَّامِه وخَواصِّ أصْحابِه، يَنالُ فيه الأَذَى، وأُوذِىَ بسببِه مَرَّاتٍ، وكلُّ ما له فى ازديادٍ ومحبةٍ فيه وصَبرٍ[3] على أذَى أعدائِه، وقد كان هذا الرجلُ فى نفسِه وعندَ الناسِ جيِّدًا مشكورَ السيرةِ، جيِّدَ العَقْلِ والفَهْمِ، عظيمَ الدِّيانةِ والزُّهْدِ، ولهذا كانت عاقِبَتُه هذه المَوْتَةَ عَقِيبَ الحَجِّ، وصُلِّى عليه برَوْضَةِ مَسْجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ودُفِنَ بالبَقِيعِ - بَقِيعِ الغَرْقَدِ - بالمدينةِ النَّبويَّةِ، فخُتِمَ له بصالحِ عملِه، وقد كان كثيرٌ مِن السَّلَفِ يتمَنَّى أن يموتَ عَقِيبَ عملٍ صالحٍ يعْمَلُه، وكانتْ له جِنازَةٌ حَافِلَةٌ، رحِمه اللَّهُ تعالَى، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ.

---

(١) سقط من ص، وفى م: «عبد الواحد».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل. وسيأتى فى صفحة ٢٤٥، وسماه شرف الدين بن العز.

(٣) فى الأصل، م: «صبرا». ولم ترد فى سياق ص.

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وعشْرين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّتْ والحُكَّامُ هم المذكُورون [١٠/١٧٦و] فى التى قبلَها؛ الخليفةُ المُستَكفِى باللَّهِ أبو الرَّبيعِ سليمانُ بنُ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ العباسىّ، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ، ونائبُه بمصرَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ أرْغُون، ووزيرُه أمينُ المُلكِ، وقضاتُه بمصرَ هم المذكُورون فى التى قبلَها، ونائبُه بالشامِ الأميرُ سيفُ الدِّينِ تَنْكِز، وقضاةُ الشَّامِ؛ الشافعىُّ جمالُ الدِّينِ الزُّرَعِىُّ، والحَنَفِىُّ الصدرُ علىٌّ البُصْراوِىُّ، والمالِكِىُّ شرَفُ الدِّينِ الهَمْدَانِىُّ، والحَنبلِىُّ شمسُ الدِّينِ بنُ مُسَلَّمٍ، وخطيبُ الجامعِ الأُمويِّ جلالُ الدِّينِ القَزْوِينىُّ، ووكيلُ بيتِ المالِ جمالُ الدِّينِ ابنُ القلانِسِىِّ، ومُحتَسِبُ البلدِ فخرُ الدِّينِ بنُ شيخِ السَّلَاميَّةِ، وناظرُ الدَّواوينِ شمسُ الدِّينِ غِبريالُ، ومُشدُّ الدواوينِ علمُ الدِّينِ طرقشىّ، وناظرُ الجيشِ قطبُ الدِّينِ بنُ شيخِ السَّلَاميَّةِ ومعينُ الدِّينِ بنُ الحَشِيشِ[2]، وكاتبُ السِّرِّ شهابُ الدِّينِ محمودٌ، ونقيبُ الأشرافِ شرَفُ الدِّينِ بنُ عدنانَ، وناظرُ الجامعِ بدرُ الدِّينِ بنُ الحدَّادِ، وناظرُ الخزانةِ عزُّ الدِّينِ بنُ القلانِسِىِّ، ووالى البَرِّ علاءُ الدِّينِ بنُ المَرْوانىِّ، ووالى دِمشقَ شهابُ الدِّينِ بنُ[3] برقٍ.

وفى [4]خامسَ عشَرَ[4] ربيعِ الأوَّلِ باشَر عزُّ الدِّينِ بنُ القَلانسِىِّ الحِسْبةَ عِوضًا

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩٢، وكنز الدرر ٩/ ٣١٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٤، والسلوك ٢/١/ ٢٥٣.

(٢) فى م: «الخشيش». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

(٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى ص: «الخامس والعشرين من».

عن فخرِ الدِّينِ بنِ شيخِ السَّلَاميَّةِ ، وباشَر ابنُ القلانسِيِّ الحِسْبَةَ مع نظرِ الخزانةِ .

وفى هذا الشَّهرِ حُمِل كريمُ الدِّينِ (١ وكيلُ السلطانِ ١) مِن القُدْسِ إلى الدِّيارِ المصريَّةِ ، فاعتُقِل ثم أُخِذتْ منه أموالٌ وذخائرُ كثيرةٌ ، ثم نُفِىَ إلى الصَّعيدِ ، وأُجرِىَ عليه نفقاتٌ سُلطانِيَّةٌ له ولمَن معه مِن عيالِه ، وطُلِب كريمُ الدِّينِ الصغيرُ وصُودِرَ بأموالٍ جمَّةٍ ، (٢ وحُبِسَ ثم أُطلِقَ ٢) .

وفى يومِ الجُمُعةِ الحادى عشَرَ مِن ربيعٍ الآخِرِ قُرِئَ كتابُ السلطانِ بالمقصُورةِ مِن الجامعِ الأُموِىِّ بحضرةِ النائبِ والقضاةِ ، يتضَمَّنُ إطلاقَ مَكْسِ الغَلَّةِ بالشَّامِ المحرُوسِ جميعِه ، فكثُرَتِ الأدعيةُ للسلطانِ من الخواصِّ والعوامِّ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقدِم البريدُ إلى نائبِ الشَّامِ يومَ الجُمُعةِ (٣ خامِس عشرينَ ٣) ربيعٍ الآخرِ بعَزْلِ قاضى الشَّافعِيَّةِ الزُّرَعىِّ ، فبلَغه ذلك فامتنَع بنفسِه مِن الحُكْمِ ، وأقام بالعادِلِيَّةِ بعدَ العَزْلِ خمسةَ عشَرَ يومًا ، ثم انتقَلَ منها إلى الأتابِكِيَّةِ ، واستَمَرَّتْ بيدِه مشيخةُ الشُّيوخِ وتدريسُ الأتابِكِيَّةِ ، واسْتَدْعَى نائبُ السَّلطنةِ شيخَنا الإمامَ الزَّاهدَ برهانَ الدِّينِ الفزارِىَّ ، فعرَض عليه القضاءَ فامتَنَع ، فألَحَّ عليه بكُلِّ مُمكِنٍ فأَبَى وخرَج مِن عندِه ، فأرسَل فى أثَرِه أعيانَ الناسِ إلى المدرسةِ ، فدخَلُوا عليه بكُلِّ حِيلةٍ فامتَنَع مِن قَبُولِ الوِلايةِ وصَمَّمَ أشدَّ التصميمِ ، جزَاه اللَّهُ خيرًا عن مرُوءَتِه . فلمّا كان يومُ الجمعةِ قدِم البريدُ (٤ مِن الديارِ المصريةِ بطلبِ الخطيبِ جلالِ الدينِ القزوينىِّ إلى الديارِ المصريةِ لتوليةِ قضاءِ ٤) الشَّامِ . وفى هذا اليومِ خُلِع على الصدرِ تقِىِّ الدِّينِ

(١ - ١) فى ص : « الكبير » . وكلاهما صحيح ، وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عشرين » . وانظر الدارس ١/٣٦٥ حيث نقل هذا النص عن المصنف .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فأخبر بتوليه قضاء » ، وفى م : « فأخبر بتوليته قضاء » . وانظر الدارس الموضع السابق .

سليمانَ بنِ مَرَاجِلٍ بنظرِ الجامعِ عِوضًا عن بَدْرِ الدِّينِ بنِ الحدَّادِ ، تُوفِّى ، وأُخِذ مِن ابنِ مَرَاجِلٍ نظَرُ المارَسْتانِ الصَّغيرِ لبدرِ الدِّينِ بنِ العطَّارِ .

وخسَفَ القمرُ ليلةَ الخميسِ للنِّصفِ من جُمادَى الآخِرةِ[1] بعدَ العشاءِ ، فصَلَّى الخطيبُ صلاةَ الكُسوفِ بأربعِ سورٍ : ق ، واقتَرَبَت ، والواقعة ، والقِيامة ، ثم صلَّى العِشاءَ ، [١٠/١٧٦ظ] ثم خطَب بعدَها للكسوفِ ، ثم أصبَح فصلَّى بالناسِ الصُّبحَ ، ثم ركِب على البريدِ إلى مصرَ فرُزِق مِن [2]السلطانِ قَبُولًا[2] ، وولَّاه بعدَ أيامِ القضاءَ ، ثم كرَّ راجِعًا إلى الشَّامِ فدخَل دمشقَ فى خامسِ رجبٍ على القضاءِ مع الخطابةِ وتدريسِ العادِليَّةِ والغزَّاليَّةِ ، فباشَرَ ذلك كلَّه ، وأُخِذَتْ منه الأمِينيَّةُ ، فدرَّس فيها جمالُ الدِّينِ بنُ القلانسِيِّ مع وَكالةِ بيتِ المالِ ، وأُضِيفَ إليه قضاءُ العساكرِ ، وخُوطِبَ بقاضى القضاةِ جلالُ الدِّينِ القَزْوِينىُّ .

وفيها قدِم ملكُ التَّكْرُورِ[3] إلى القاهرةِ بسببِ الحَجِّ فى خامسِ عشْرين رجبٍ ، فنزَل بالقرافةِ ومعه من المغاربةِ والخدَمِ نحوٌ مِن عشرينَ ألفًا ، ومعهم ذهَبٌ كثيرٌ بحيثُ إنَّه نزَل سعرُ الذَّهبِ[4] دِرْهَمينِ[5] ، ويُقالُ له : الملكُ الأشرَفُ موسى بنُ أبى بكرٍ . وهو شابٌّ جميلُ الصُّورةِ ، له مملكةٌ مُتَّسِعَةٌ مسِيرةَ ثلاثِ سِنينَ ، ويُذْكَرُ أن تحتَ يدِه [6]أربعةً وعشرِينَ[6] ملِكًا ، كلُّ ملِكٍ تحتَ يدِه خلقٌ

---

(١) فى السلوك ٢/١/ ٢٥٥: أن طلوع القمر مخسوفا كان ليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى .

(٢ - ٢) فى م : « السلطان فتولاه » ، وفى ص : « الناس قبولا » .

(٣) التكرور : بلاد تنسب إلى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج . معجم البلدان ١/ ٨٣١. وانظر تذكرة النبيه ٢/١٤٢ حاشية (٣) .

(٤) فى ص : « الدينار » . وفى السلوك أنه انحط ستة دراهم . وانظر ذيول العبر ص ١٣٣.

(٥) بعده فى م : « فى كل مثقال » .

(٦ - ٦) فى تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٥: « أربعة عشر » .

وعساكرُ، ولما [(١) دخَل إلى (١)] قلعةِ الجبلِ ليُسلِّمَ على السُّلطانِ أُمِرَ بتَقْبِيلِ الأرضِ [(٢) فامتَنَع مِن ذلك (٢)]، فأكرَمه السلطانُ، ولم يُمَكِّنْ مِن الجلوسِ أيضًا حتى خرَج مِن بينِ يدَيِ السُّلطانِ، فأُحضِرَ له حِصانٌ أشْهَبُ بزُنَّارِيٍّ[(٣)] أطلَسَ أحمرَ[(٤)]، وهُيِّئَتْ له هُجُنٌ وآلاتٌ كثيرةٌ تليقُ بمثلِه، وأرسَل هو أيضًا إلى السلطانِ بهدَايا كثيرةٍ، مِن جملتِها أربعونَ ألف دِينارٍ، وإلى النائبِ [(٥) بنحوِ عشَرةِ آلافِ (٥)] دينارٍ، وتحفٌ كثيرةٌ.

وفى شعبانَ ورمضانَ زاد النيلُ بمصرَ زيادةً عظيمةً لم يُرَ مِثْلُها مِن نحوِ مائةِ سنةٍ أو[(٦)] أزْيدَ منها، ومكَث على الأراضى نحوَ ثلاثةِ أشهرٍ ونِصْفٍ، وغرَّق أقصابًا كثيرةً، ولكن كان نفعُه أعظمَ مِن ضَرَرِه.

وفى يومِ [(٧) الخميسِ ثامنَ (٧)] عشَرَ شعبانَ استناب قاضى القضاةِ جلالُ الدِّينِ القَزْوينىُّ نائِبَين فى الحكمِ، وهما يوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ جُمْلَةَ المَحَجِّىُّ الصالحىُّ، وقد وَلِى القضاءَ فيما بعدَ ذلك كما سيأْتى، ومحمدُ بنُ علىِّ بنِ إبراهيمَ المصرىُّ، وحكَما يومَئذٍ بالعادليةِ[(٨)]، ومن الغدِ جاء البريدُ ومعه تقليدُ قضاءِ

(١ - ١) فى م: «دخل»، وفى ص: «صعد».

(٢ - ٢) فى ص، وتاريخ ابن الوردى: «وأكره على ذلك»، وفى السلوك: «فلم يجبر على ذلك».

(٣) فى ص: «بزبارى»، وفى ذيول العبر: «بزنارين». والزنارى: كسوة للحصان تكون مفتوحة فوق صدره ومسدولة على الكفل بحيث لا يرى الذيل، وكان يعطى لمن عظمت مقدرته، ويصنع من الأطلس الأحمر أو الجوخ. السلوك ١/٣/٨٥١ حاشية (١).

(٤) فى الأصل، م: «أصفر».

(٥ - ٥) فى ص: «بنحو من عشرين ألف».

(٦) فى ص: «و».

(٧ - ٧) فى الأصل: «الخميس ثانى»، وفى ص: «الجمعة الثانى».

(٨) سقط من: م.

حَلَبَ للشيخِ كمالِ الدِّينِ بنِ الزَّمْلَكانىِّ ، فاستدعاه نائبُ السَّلْطنةِ وفاوضَه فى ذلك فامتَنَع ، فراجَعه النائبُ ثم راجَع السلطانَ ، فجاء البريدُ فى ثانِى عشَرَ رمضانَ بإمضاءِ الولايةِ ، فشرَع فى التأهُّبِ لبلادِ حَلَبَ ، وتمادَى فى ذلك حتى كان خروجُه إليها فى بُكْرةِ يومِ الخميسِ رابعَ عشَرَ شوَّالٍ ، ودخَل يومَ الثلاثاءِ سادس عشرِين شوَّالٍ ، فأُكرِمَ إكرامًا زائدًا ، ودرَّس بها ، وألقَى علومًا أكبرَ مِن تلك البلادِ ، وحصَل لهم الشَّرفُ بفنونِه وفوائدِه[1] ، وحصَل لأهلِ الشَّامِ الأسفُ على دروسِه الأنيقةِ الفائقةِ ، وما أحسَنَ ما قال الشاعرُ ، وهو شمسُ الدِّينِ محمدٌ الخياطُ[2] فى قصيدةٍ له مُطَوَّلةٍ ، أوَّلُها قولُه :

أسِفتْ لِفَقْدِكَ جِلَّقُ الفيحاءُ وتباشَرَتْ بقُدُومِكَ الشهباءُ

وفى [١٠/١٧٧و] ثامنِ[3] رمضانَ عُزِل أمينُ المُلكِ عن وِزارةِ مصرَ ، وأُضِيفَتِ الوِزارةُ إلى الأميرِ علاءِ الدِّينِ مُغْلَطَاى الجمالىِّ أستادار السلطانِ . وفى أواخرِ رمضانَ طُلِبَ الصاحبُ شمسُ الدِّينِ غبريالُ إلى القاهرةِ ، وتولَّى بها نظَرَ الدَّواوينِ عِوضًا عن كريمِ الدِّينِ الصَّغيرِ ، وقدِم كريمُ الدِّينِ المذكورُ إلى دمشقَ [4]مُباشرًا بها نظَرَ الدواوينِ ، فقدِمها[4] فى شوَّالٍ ، فنزَل بدارِ[5] العدلِ من القَصَّاعِينَ .

ووليَ سيفُ الدِّينِ قُدَيْدار[6] ولايةَ مصرَ ، وهو شَهْمٌ سفَّاكٌ للدِّماءِ ، فأراقَ

---

(١) فى الأصل : « وفرائده » .

(٢) فى م : « الحناط » .

(٣) فى الأصل ، م : « ثانى عشر » . وانظر السلوك ٢/١/٢٥٦.

(٤ - ٤) سقط من : م ، وفى الأصل : « فولى بها نظر الدواوين قدمها » .

(٥) بعده فى ص : « بن » .

(٦) فى السلوك ٢/١/٢٥٦، ٣٢٧، والنجوم الزاهرة ٩/٢٨٣: « قدادار » . وسيأتى فى وفيات سنة ثلاثين وسبعمائة .

الخمورَ وأحرَقَ الحشيشةَ وأمسَكَ الشُّطَّارَ، واستقامَتْ به أحوالُ القاهرةِ ومصرَ، وكان هذا الرجلُ مُلازِمًا لابنِ تيميَّةَ مدَّةَ مُقامِه بمصرَ.

وفى رمضانَ قدِم إلى مصرَ الشيخُ نجمُ الدِّينِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ الشَّحَّامِ المَوْصِلىُّ مِن بلادِ السلطانِ أُزْبَك، وعندَه فنونٌ مِن علمِ الطِّبِّ وغيرِه، ومعه كتابٌ بالوصِيَّةِ به، فأُعطِىَ تَدْريسَ الظاهِريَّةِ البَرَّانيَّةِ، نزَل له عنها جمالُ الدِّينِ بنُ القلانِسِىِّ، فباشَرَها فى مُسْتهلِّ ذى الحجَّةِ، ثم درَّس بالجاروخيَّةِ.

وخرَج الرَّكْبُ فى تاسعِ شوَّالٍ وأميرُه كوكنجيار[1] المحمدىُّ، وقاضِيه شهابُ الدِّينِ الظاهرىُّ. وممَّن خرَج إلى الحجِّ؛ برهانُ الدِّينِ الفَزَارِىُّ، وشهابُ الدِّينِ قَرَطاى الناصرىُّ نائبُ طرابُلُسَ، وصارُوجا وشهرى وغيرُهم.

وفى نصفِ شوَّالٍ زاد السلطانُ فى عدَّةِ الفقهاءِ بمدرستِه الناصرِيَّةِ، كان فيها مِن كلِّ مذهبٍ ثلاثونَ ثلاثونَ، فزادَهم إلى أربعةٍ وخمسِينَ مِن كلِّ مذهب، وزادهم فى الجواملِكِ أيضًا.

وفى الثالثِ والعشرِينَ منه وُجِد كريمُ الدِّينِ الكبيرُ وكيلُ السلطانِ قد شنَقَ نفسَه داخلَ خِزانةٍ له قد أغلَقها عليه من داخلٍ، و[2] ربَط حَلْقَه فى حَبْلٍ، وكان تحتَ رِجْلَيه قَفَصٌ فدفَعَ القفصَ برِجلَيه، فمات فى مدينةِ أُسوانَ، وستأْتى ترجمتُه.

وفى سابعَ عَشَرَ ذى القَعْدَةِ زُيِّنَتْ دمشقُ بسببِ عافيةِ السلطانِ من مرضٍ كان قد أشْفَى منه على الموت. وفى ذى القَعْدَةِ درَّس جمالُ الدِّينِ بنُ القلانِسِىِّ

---

(١) فى ص: «كوكيحيارو».

(٢) سقط من: م.

بالظاهرِيَّةِ الجَوانِيَّةِ عِوضًا عن ابنِ الزَّمْلَكانيِّ ، سافَر على قضاءِ حَلَبَ ، وحضَر عندَه القاضى القزوينىُّ .

وجاء كتابٌ صادقٌ مِن بغدادَ إلى المَوْلَى [1] شمسِ الدِّينِ بنِ سنانٍ [1] يذكُرُ فيه أنَّ الأميرَ جُوبان أعْطَى الأميرَ محمدَ حسيناه [2] قدَحًا فيه خمرٌ ليَشْرَبَه ، فامتَنَع مِن ذلك أشدَّ الامتناعِ ، فألَحَّ عليه وأقسَمَ ، فأَبَى أشدَّ الإباءِ ، فقال له : إن لم تَشْرَبْها كلَّفْتُكَ أن تَحْمِلَ ثلاثينَ تومانًا [3] . فقال : نعم أحمِلُ ولا أشرَبُها . فكتَب عليه حُجَّةً بذلك ، وخرَج من عندِه إلى أميرٍ آخرَ يقالُ له : يلبى [4] . فاستَقْرَضَ منه ذلك المالَ ؛ ثلاثينَ تومانًا ، فأَبَى أن يُقرِضَه إلا بربحِ عشَرةِ توامِينَ ، فاتَّفَقا على ذلك ، فبعَث يلبى [4] إلى جُوبان يقولُ له : المالُ الذى طلبتَه مِن حسيناه عندِى ، فإن رسَمْتَ حملتُه إلى الخزانةِ الشريفةِ ، وإن رسَمْتَ تُفرِّقُه على الجيشِ . [١٠/١٧٧ظ] فأرسَلَ جوبان إلى محمد حسيناه فأحضرَه عندَه فقال له : تَزِنُ أربعِينَ تومانًا ولا تَشْرَبُ قدحًا مِن خمرٍ ؟ قال : نعم . فأعجَبَه ذلك مِنه ، ومزَّق الحُجَّةَ المُكْتَتَبَةَ عليه ، وحظِىَ عندَه وحكَّمه فى أمورِه كُلِّها ، وولَّاه ولاياتٍ كِبارًا [5] ، وحصَل لجُوبان إقلاعٌ وإنابةٌ ورُجوعٌ عن كثيرٍ ممَّا كان يتعاطاه ، رحِمَ اللَّهُ حسيناه [6] .

وفى هذه السنةِ كانت فِتنةٌ بأصْبَهانَ قُتِلَ بسببِها ألوفٌ مِن أهلِها ، واستَمَرَّتِ

(١ - ١) فى م : « شمس بن حسان » ، وفى ص : « شمس الدين بن مسات » .

(٢) سقط من : ص ، وفى تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٧ : « حسينا » .

(٣) تومان : الليرة الإيرانية الحالية وتعادل خمسًا وخمسين قرشًا سوريًا ، وتساوى عشرة ريالات ، كل ريال بخمسة قروش تقريبًا . المعجم الذهبى ص ١٩٢ .

(٤) فى الأصل ، م : « بكتى » .

(٥) فى م : « كتابه » .

(٦) فى الأصل : « حسينا » .

الحربُ بينَهم شُهورًا. وفيها كان غلاءٌ مُفْرِطٌ بدمشقَ، بلغَتِ الغِرارةُ مائتينِ وعشرِينَ، وقلَّتِ الأقواتُ، ولولا أنَّ اللَّهَ أقام للناسِ مَن يحمِلُ لهم الغَلَّةَ مِن مصرَ لاشتَدَّ الغلاءُ وزاد أضعافَ ذلك، وكان مات أكثرُ الناسِ، واستَمَرَّ ذلك مدَّةَ شُهورٍ مِن هذه السنةِ، وإلى أثناءِ سنةِ خمسٍ وعشرِينَ، حتى قدِمَتِ الغلّات ورخُصَتِ الأسعارُ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

تُوفِّى فى مُستَهَلِّ المحرَّمِ **بدرُ الدِّينِ محمدُ**[1] **بنُ ممدودِ**[2] **بنِ أحمدَ الحَنَفِيُّ**، قاضى قلعةِ الرُّومِ بالحجازِ الشَّريفِ، وقد كان عبدًا صالحًا، حجَّ مرَّاتٍ عديدةً، وربما أحرَم من قلعةِ الرومِ، [3]وأحرَم مِن[3] بيتِ المقدسِ، وصُلِّى عليه بدمشقَ صلاةَ الغائبِ، وعلى **شرفِ الدِّينِ بنِ العزِّ**، وعلى **شرَفِ الدِّينِ بنِ نجيحٍ**، تُوفُّوا فى أقلَّ مِن نصفِ شهرٍ، كلُّهم بطريقِ الحجازِ بعدَ فراغِهم من الحجِّ؛ وذلك أنهم غبَطُوا ابنَ نَجيحٍ صاحبَ الشيخِ تقيِّ الدِّينِ ابنِ تيميَّةَ بتلك الموتَةِ كما تقدَّم، فرُزِقُوها، فماتُوا عَقِيبَ عملِهم الصالحِ بعدَ الحجِّ.

الجِهَةُ[4] **الكبيرةُ** [5]**خَوَنْد بنتُ نوكاى**[5]، زوجةُ السلطانِ الملكِ الناصرِ، وقد

---

(١) سقط من: م. ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) فى م: «ممدوح»، وفى ص: «مهدور».

(٣ - ٣) فى م: «أو حرم».

(٤) فى الأصل: «الحجية»، وفى م: «الحجة». والجهة: كناية عن زوجة الخليفة أو حظّيته، وعن زوجة السلطان أو حظيته. وقد يراد بها أحيانا: السيدة المتزوجة مطلقا، وتجمع على جهات. وقد جاء ذلك فى عنوان كتاب لابن الساعى: نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء. ص ٤٣.

(٥ - ٥) فى الأصل: «خوند ابنة مكية»، وفى م: «خوندا بنت مكية»، وفى ص: «خوندا بنت بكسة». وهى أردكين بنت نوكاى بنت قطغان. انظر ترجمتها فى السلوك ٢/١/٢٥٨، والدرر الكامنة ١/ ٣٧٠.

كانت زوجةَ أخيهِ الملكِ الأشرفِ ، ثم هجَرَها الناصرُ وأخرَجها من القلعةِ ، وكانت جِنازَتُها حافلةً ، ودُفِنتْ بتربتِها التى أنشأَتْها .

الشيخُ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ[1] **فرعُوش** ، ويقالُ له : اللَّبَّادُ ، ويُعْرَفُ بالمُولَّهِ ، كان يُقرِئُ الناسَ بالجامعِ نحوًا مِن أربعينَ سنةً ، وقد قرَأْتُ عليه شيئًا مِن القرآنِ[2] ، وكان يُعلِّمُ الصِّغَارَ[3] الحروفَ المُشِقَّةَ[4] كالرَّاءِ ونحوِها ، وكان مُتقَلِّلًا مِن الدُّنيا لا يَقْتَنِى شيئًا ، وليس له بيتٌ ولا خِزانةٌ ، إنما كان يأكُلُ فى السُّوقِ وينامُ فى الجامعِ ، تُوفِّى فى مُسْتَهَلِّ صفَرٍ وقد جاوز السبعينَ ، ودُفِن ببابِ الفراديسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى هذا اليومِ تُوفِّى بمصرَ **الشيخُ أيوبُ السعودىُّ**[5] ، وقد قارَبَ المائةَ ، أدْرَكَ الشَّيخَ أبا السعُودِ ، وكانت جِنازتُه مَشْهُودةً ، ودُفِن بتُربةِ شَيْخِه بالقرافةِ ، وكتَب عنه قاضى القُضاةِ تقِىُّ الدِّينِ السُّبكِىُّ فى حياتِه ، وذكَر الشيخُ أبو بكرٍ الرَّحبىُّ أنَّه لم يَرَ مثلَ جِنازتِه بالقاهرةِ منذُ سكَنَها ، رحِمه اللَّهُ .

الشَّيخُ الإمامُ الزَّاهِدُ نورُ الدِّينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ يعقوبَ بنِ جبريلَ البكرِىُّ المصرىُّ الشَّافعىُّ[6] ، له تصانيفُ ، وقرَأ « مُسندَ الشافعىِّ » على وزيرةَ

---

(١) سقط من : ص . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى م : « القراءات » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « عقد الراء و » .

(٤) فى الأصل : « الشقة » ، وفى م : « المتقنة » . وانظر صفحة ١٦٠ .

(٥) فى ص : « الستعروى » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ١/ ٤٦٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦١، وفيه « المسعودى » .

(٦) ذيول العبر ص ١٣٣، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٧٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٢٨٨، والدرر الكامنة ٣/ ٢١٤، وشذرات الذهب ٦/ ٦٤.

بنتِ المُنَجَّا ، ثم إنَّه أقام بمصرَ ، وقد كان فى جملةِ مَن يُنكِرُ على شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ ، فأراد بعضُ الدَّولةِ قتلَه ، فهرَب واختَفَى[1] كما تقدَّم لمّا كان [١٠/ ١٧٨و] ابنُ تيميَّةَ مُقيمًا بمصرَ ، وما مثالُه إلَّا مثالُ ساقيةٍ ضعيفةٍ كَدِرَةٍ لاطَمَتْ بحرًا عظيمًا صافِيًا ، أو رَمْلَةٍ أرادَتْ زوالَ جبلٍ ، وقد أَضْحَكَ العُقَلَاءَ عليه ، وقد أرادَ السلطانُ قَتْلَه فشفَع فيه بعضُ الأمراءِ ، ثم أنكَر مرَّةً شيئًا على الدولةِ فَنُفِىَ مِن القاهرةِ إلى بلدةٍ يُقالُ لها : دَهْرُوطُ[2] . فكان بها حتى تُوفِّى يومَ الاثنينِ سابع ربيعِ الآخرِ ، ودُفِن بالقرافةِ ، وكانت جِنازتُه مشهورةً [3]غيرَ مشْهودةٍ[3] ، وكان شيخُه يُنْكِرُ عليه إنكارَه على ابنِ تيميَّةَ ، ويقولُ له : أنت لا تُحْسِنُ أن تتكلَّمَ .

الشمسُ محمدٌ الباجُرْبَقِىُّ[4] ، الذى تُنْسَبُ إليه الفِرْقةُ الضَّالةُ الباجُرْبَقِيَّةُ ، والمشهورُ عنهم إنكارُ الصانِعِ جلَّ جلالُه ، وتقدَّسَتْ أسماؤُه ، وقد كان والدُه الشيخُ جمالُ الدينِ[5] عبدُ الرحيمِ[6] بنُ عمرَ المَوْصِلِىُّ رجلًا صالحًا مِن علماءِ الشّافعيةِ ، ودرَّس فى أماكنَ بدِمَشْقَ ، ونَشَأ ولدُه هذا بين الفُقهاءِ ، واشْتَغل بعضَ شىءٍ ، ثم أقبَل على السُّلوكِ[7] ، ولازَمه جماعةٌ يعتقِدون فيه ويزُورُونه[8] ممَّن هو

---

(١) بعده فى م : « عنده » .

(٢) فى م : « ديروط » . ودهروط : بليد على شاطئ غربى النيل من ناحية الصعيد قرب البهنسا . معجم البلدان ٢/ ٦٣٣.

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤) فى الأصل : « الباجريقى » ، وفى ص : « الباجر تقى الدين » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٣٤، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٤٩، وفوات الوفيات ٣/ ٣٩٧، والدرر الكامنة ٤/ ١٣٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٢.

(٥) بعده فى م : « بن » .

(٦) فى ص ، ونسخة من النجوم الزاهرة : « عبد الرحمن » .

(٧) فى ص : « الملوك » .

(٨) بعده فى الأصل : « يروقونه » ، وفى م : « يرزقونه » .

على طريقتِه ، وآخَرون لا يفْهَمُونه ، ثم حكَم القاضى المالِكىُّ بإراقَةِ دَمِه فهرَب إلى الشَّرقِ ، ثم إنَّه أثْبَت عداوَةً بينَه وبينَ الشُّهودِ ، فحكَم الحَنْبَلِىُّ بحَقْنِ دمِه ، فأقام بالقابُونِ مدةَ سِنينَ حتى كانت وفاتُه ليلةَ الأربعاءِ سادِسَ عَشَرَ رَبيعِ الآخرِ ، ودُفِن بالقُربِ من مغارَةِ الدَّمِ بسَفْحِ قاسِيونَ فى قبَّةٍ فى أعلى ذَيْلِ الجَبَلِ تحتَ المَغارَةِ ، وله من العُمرِ سِتُّونَ سنةً .

شَيْخُنا القاضِى المُعَمَّرُ الفقيهُ مُحْيِى الدينِ أَبو زَكَرِيا يحْيَى بنُ الفاضِلِ[1] **جمالِ**[2] **الدينِ إسحاقَ بنِ خليلِ بنِ فارِسٍ الشيبانىُّ الشافعىُّ** ، اشْتَغلَ على النَّواوِىِّ ، ولازَم المقدسىَّ[3] ، وولِىَ الحُكمَ بزُرَعَ وغيرِها ، ثم أقام بدمشقَ يَشْتَغلُ فى الجامعِ ، ودرَّس فى الصارميَّةِ[4] ، وأعادَ فى مدارسَ عدةٍ إلى أنْ تُوفِّى فى سلخِ ربيعِ الآخرِ ، ودُفِنَ بقاسِيونَ وقد قاربَ الثمانينَ ، رحِمه اللَّهُ ، وسمِع كثيرًا ، وخرّج له الذهبىُّ شيئًا ، وسَمِعنَا عليه « الدارقطنىَّ » وغيرَه .

الفقيهُ الكبيرُ الصدرُ الإمامُ العالِمُ الخطيبُ بالجامع بدرُ الدينِ أَبو [5]**عبدِ اللَّهِ محمدُ**[5] **بنُ عثمانَ بنِ يُوسفَ بنِ محمدِ بنِ الحدادِ الآمدىُّ الحنبلىُّ** ، سمِعَ الحديثَ واشْتَغلَ ، [6]وحفِظ[6] « المحرَّرَ » فى مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، وبرَع على ابنِ

---

(١) فى ص : « القاضى » . وانظر ترجمته فى : معجم شيوخ الذهبى ص ٦٤١، والدرر الكامنة ٥/ ١٨٩، والدراس ١/ ٣٢٧.

(٢) فى ص ، ومعجم شيوخ الذهبى : « كمال » .

(٣) فى م ، ص : « ابن المقدس » .

(٤) من مدارس الشافعية ، داخل باب النصر والجابية قبل العذراوية بشرق . الدارس ١/ ٣٢٦.

(٥ - ٥) فى الأصل : « محمد ، عبد اللَّه » . وانظر ترجمته فى : ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٧٦، والدرر الكامنة ٤/ ١٦٤، وشذرات الذهب ٦/ ٦٥.

(٦ - ٦) فى ص : « بحفظ » .

حَمْدانَ ، وشرَحه عليه فى مدةِ سنينَ ، وقد كان ابنُ حَمدانَ يُثْنِى عليه كثيرًا وعلى ذِهْنِه وذكائِه ، ثم اشْتَغل بالكتابةِ ولزِمَ خدمةَ الأمِيرِ قَرَاسُنْقُر بحلبَ ، فولَّاه نَظَرَ الأوقافِ وخَطابةَ حَلَبَ بجامعِها الأعظمِ ، ثم لمّا صارَ إلى دِمشقَ ولَّاه الخَطابةَ ، فاستَمرَّ خطيبًا فيها اثنينِ وأربعِينَ يومًا ، ثم أُعيد إليها جلالُ الدينِ القَزْوِينىُّ ، ثم ولِى نَظَرَ المارَسْتانِ وولِى الحِسْبةَ ونظَرَ الجامعِ الأُمَوىِّ ، وعُيِّنَ لقضاءِ الحنابِلةِ فى وَقْتٍ ، ثم تُوفِّى ليلةَ الأرْبعاءِ سابع جُمادَى الآخرةِ ، ودُفِن ببابِ الصَّغيرِ ، رحِمه اللَّهُ .

الكاتبُ المفيدُ قُطبُ الدينِ أحمدُ بنُ مُفَضّلِ بنِ فَضْلِ اللَّهِ المِصْرِىُّ[1] ، أخو مُحْيِى الدينِ كاتبِ تَنْكِز ، ووالدُ الصاحبِ علَمِ الدينِ ، [١٠/١٧٨ظ] كان خبيرًا بالكتابةِ ، وقد وَلِىَ استيفاءَ الأوْقافِ بعد أخيه ، وكان أسنَّ مِن أخِيه ، وهو الذى علَّمَه صِناعةَ الكتابةِ وغيرَها ، تُوفِّى ليلةَ الاثنينِ ثانِى رَجَبٍ ، وعُمِلَ عزاؤُه بالسُّمَيْسَاطِيَّةِ ، وكان مُباشِرَ أوقافِها .

الأميرُ الكبيرُ مَلِكُ العَرَبِ محمدُ بنُ عيسى بنِ مُهَنَّا[2] ، أخو مُهَنَّا ، تُوفِّى بسَلَمْيَةَ[3] يومَ السبتِ سابع رَجَبٍ ، وقد جاوزَ السِّتينَ ، كان مَلِيحَ الشكلِ ، حسنَ السيرةِ ، عاقلًا عارفًا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى هذا الشهرِ وصَل الخبَرُ إلى دِمَشْقَ بموتِ **الوزيرِ الكبيرِ تاجِ الدينِ على**

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٢) ذيول العبر ص ١٣٤، والسلوك ٢/١/ ٢٥٨، والدرر الكامنة ٤/ ٢٤٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦١، وشذرات الذهب ٦/ ٦٦.

شَاه بنِ أبى بَكْرٍ التِّبْرِيزِىِّ[1] ، وزيرِ بو[2] سعيدٍ بعدَ قَتْلِ سَعْدِ الدينِ السَّاوِىِّ ، وكان شيخًا جليلًا ، فيه دِينٌ وخَيْرٌ ، وحُمِلَ إلى تِبْرِيزَ فدُفِن بها فى الشهرِ الماضِى ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الأميرُ سيفُ الدينِ بَكْتَمُر[3] ، والِى الوُلاةِ ، صاحبُ الأوقافِ فى بُلْدانٍ شتَّى ؛ من ذلك مدرسةٌ بالصلتِ[4] ، وله دَرْسٌ بمدْرسَةِ أبى عمرَ وغيرِ ذلك ، تُوفِّى بالإسْكندَرِيَّةِ وهو نائبُها فى خامسِ رمضانَ ، رحِمه اللَّهُ .

شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ[5] **محمدُ بنُ الشيخِ الإمام العلَّامَةِ زينِ الدينِ بن المُنَجَّا بنِ عثمانَ بنِ أسعدَ بنِ المُنَجَّا التَّنُوخِىُّ الحَنْبَلِىُّ** ، أخو قاضى القضاةِ علاءِ الدينِ ، سَمِعَ الحديثَ ودرَّسَ وأفْتَى ، وصحِبَ الشيخَ تَقىَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ ، وكان فيه دِينٌ ومَودةٌ وكرمٌ وقضاءُ حقوقٍ كثيرةٍ ، تُوفِّى رحِمه اللَّهُ ليلةَ الاثنينِ رابع شوالٍ ، وكان مَوْلِدُه فى سنَةِ خمسٍ وسبعينَ وسِتِّمائةٍ ، ودُفِنَ بتُرْبتِهم بالصَّالِحِيَّةِ .

الشيخُ حسنٌ الكردىُّ المُوَلَّهُ[6] ، كان يُخالِطُ النَّجاساتِ والقاذُورَاتِ ، ويمشِى حافِيًا ، ورُبَّما تكلَّمَ بشىءٍ من الهذَيانَاتِ التى تُشْبِهُ عِلمَ المغيباتِ ، [7]ولبعض الناسِ[7] فيه اعتقادَاتٌ ، كما هو المعروفُ مِن أهل العَمَى

---

(١) ذيول العبر ص ١٣٥، ودول الإسلام ٢/ ٢٣٢، وتذكرة النبيه ٢/ ١٤٨، والدرر الكامنة ٣/ ١٠٣، وشذرات الذهب ٦/ ٦٣.

(٢) فى النسخ : « أبى » . وسيأتى التنبيه على ذلك فى ذكر وفاته سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

(٣) الدرر الكامنة ٢/ ٢١، والدارس ٢/ ١٠٤.

(٤) فى م ، ص : « بالصلب » . وهى المدرسة السيفية ، وستأتى فى صفحة ٢٥٩، وانظر منادمة الأطلال ص ١٠٣ .

(٥) بعده فى ص : « بن بن الشيخ » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٣٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٧٧، والدرر الكامنة ٥/ ٣٥، والدارس ٢/ ١٢٠، وشذرات الذهب ٦/ ٦٥.

(٦) فى ص : « المولد » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٧ - ٧) فى م : « وللناس » .

والضَّلالاتِ ، ماتَ فى شوَّالٍ .

كريمُ الدينِ [1]**الذى كان وَكِيلَ السُلطانِ ، عبدُ الكريمِ**[1] **بنِ العلمِ هبةِ اللَّهِ المُسْلِمَانِىُّ** ، حصَل له من الأموالِ والتَّقَدُّمِ والمكانةِ والحُظوةِ عندَ السلطانِ ما لم يحصُلْ لغيرِه فى دولةِ الأتراكِ ، وقد وقَفَ الجامِعَينِ بدِمَشْقَ ؛ أحدُهما ، بالقُبَيباتِ والحَوْضِ الكبيرِ الذى تُجاهَ بابِ الجامعِ ،واشْتَرى له نَهْرَ ماءٍ بخمسينَ ألفًا ، فانْتَفَع به الناسُ انتفاعًا كثيرًا ، ووَجَدُوا رِفْقًا . والثانِى الذى بالقَابُونِ ، وله صَدَقاتٌ كثيرةٌ وافرةٌ تقَبَّلَ اللَّهُ منه وعَفَا عنه ، وقد مُسِكَ فى آخرِ عمْرِه فصودِرَ ثم نُفِى إلى الشَّوْبَكِ ، ثم إلى القُدْسِ ، ثم إلى الصَّعيدِ فخنَقَ نفسَه -كما قيلَ- فى عمامتِه بمدينةِ أُسْوانَ ، وذلك فى [2]الثالثِ والعِشْرِينَ[2] مِن شوَّالٍ ، وقد كان حسنَ الشكلِ ، تامَّ القامَةِ ، ووُجِدَ له بعدَ مَوْتِه ذَخائرُ كثيرةٌ ، سامَحه اللَّهُ .

الشيخُ الإمامُ العالِمُ عَلاءُ الدِّينِ[3] **علىُّ بنُ إبراهيمَ بنِ داودَ بنِ سليمانَ بنِ العطارِ** ، شيخُ دارِ الحديثِ النُّوريَّةِ ، ومُدرِّسُ القُوصِيَّةِ بالجامعِ ، وُلِدَ يومَ عيدِ الفطرِ سنَةَ أربعٍ وخَمسينَ وسِتِّمائةٍ ، وسَمِع الحديثَ ، واشتَغلَ على الشيخِ الإمامِ العالمِ العلّامةِ مُحْيِي الدينِ النَّوَاوِىِّ ولازَمه ، حتى كان يقالُ له : مُخْتَصَرُ النَّواوِىِّ . وله مُصَنَّفاتٌ وفوائِدُ ومَجاميعُ وتَخارِيجُ ، وباشَر مشيخةَ [١٠/١٧٩و] النُّورِيَّةِ من سنةِ

(١ - ١) فى ص : « الكبير » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٣٥، وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٧، والسلوك ٢/١/ ٢٥٩، والدرر الكامنة ٣/ ١٥، والمنهل الصافى ٧/ ٣٤٥، وشذرات الذهب ٦/ ٦٣. وأورد القبض عليه ثم شنقه فى تذكرة النبيه ٢/١٣٣ فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

(٢ - ٢) فى السلوك « العشرين » .

(٣) بعده فى ص : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٣٦، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٣٠، والدرر الكامنة ٣/ ٧٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦١، والدليل الشافى ١/ ٤٤٥.

أربعٍ وتسعينَ إلى هذه السنةِ ، مدَّةَ ثلاثينَ سنةً ، تُوفِّى يومَ الاثنينِ منها مُسْتَهَلَّ ذى الحِجَّةِ ، فوَلِى بعده النُّورِيَّةَ علمُ الدينِ البِرْزَالىُّ ، وتَولَّى القُوصِيَّةَ شهابُ الدينِ ابنُ حِرْزِ اللَّهِ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ودُفِنَ بقَاسِيونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

ثم دخلَتْ سنةُ خمسٍ وعشْرين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت وحكّامُ البلادِ هم المذكُورون فى التى قبلَها ، وأوَّلُها يومُ الأربعاءِ .

وفى خامسِ صفرٍ منها قدِم إلى دمشقَ الشيخُ شمسُ الدينِ محمودٌ الأصبهانىُّ بعدَ مرجِعِه مِن الحَجِّ وزيارةِ القُدْسِ الشريفِ ، وهو رجلٌ فاضلٌ له مصنَّفاتٌ ؛ منها « شرحُ مختصرِ ابنِ الحاجبِ » ، « وشرحُ التَّجريدِ[2] » وغيرُ ذلك ، ثم إنَّه شرَح « الحاجِبيَّةَ » أيضًا ، وجمَع تفسيرًا بعدَ صيرورتِه إلى مصرَ ، ولمّا قدِم إلى دمشقَ أُكْرِم واشتَغَل عليه الطَّلَبةُ ، وكان حظِيًّا[3] عندَ القاضى جلالِ الدينِ القَزْوينىِّ ، ثم إنَّه ترَك الكُلَّ ، وصار يتردَّدُ إلى الشيخِ تقىِّ الدينِ بنِ تَيْميَّةَ ، وسمِع عليه مِن مصنَّفاتِه ورَدِّه على أهلِ الكلامِ ، ولازَمه مدةً ، فلمَّا مات الشيخُ تقىُّ الدينِ تحوَّل إلى مصرَ وجمَع التفسيرَ .

وفى ربيعِ الأولِ جرَّد السلطانُ تجريدةً نحوَ خمسةِ آلافٍ إلى اليمنِ [4]صُحْبةَ الأميرِ رُكْنِ الدينِ بَيْبَرْس الحاجبِ وسيفِ الدينِ طِينَال[5] الحاجبِ أيضًا ، نَجْدةً لصاحبِ اليمنِ[4] ؛ لخروجِ عمِّه عليه ، وصَحِبَهم خَلْقٌ كثيرٌ مِن الحُجّاج ؛ منهم

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩٣، ودول الإسلام ٢/ ٢٣٣، وتذكرة النبيه ٢/ ١٤٩، والسلوك ٢/١/ ٢٥٩.

(٢) فى الأصل : « التجويد » ، وفى م : « الجويد » . وانظر الدرر الكامنة ٥/ ٩٦، والبدر الطالع ٢/ ٢٩٨.

(٣) فى الأصل : « خطيبا » ، وفى ص : « خصيصا » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل، ص : « طنيال » . وانظر السلوك ١/٢/ ٢٦٥.

الشيخُ فخرُ الدين النُّوَيْرىُّ .

وفيها مُنِع شهابُ الدينِ بنُ مُرِّىٍّ[1] البَعلبكِّىُّ مِن الكلامِ على الناسِ بمصرَ ، على طريقةِ الشيخِ تقىِّ الدينِ بنِ تيميَّةَ ، وعزَّره القاضى المالكىُّ بسببِ مسألةِ[2] الاستغاثةِ ، وحضَر المذكورُ بينَ يدىِ السلطانِ ، وأثنَى عليه جماعةٌ مِن الأمراءِ ، ثم سُفِّر إلى الشامِ بأهلِه فنزَل ببلادِ الخليلِ ، ثم [3]قدِم دمشقَ ، و[3] انتزَح إلى بلادِ الشرقِ ، وأقام بسِنْجارَ ومارِدِينَ ومعاملتِهما ، يتكلَّمُ ويعِظُ الناسَ إلى أن مات ، رحِمه اللَّه ، كما سنَذكُرُه .

وفى ربيعِ الآخِرِ عاد نائبُ الشامِ مِن مصرَ وقد أكرَمه السلطانُ والأمراءُ .

وفى جُمادَى الأولَى وقَع بمصرَ مطرٌ لم يُسمَعْ بمثلِه ، بحيثُ زاد النِّيلُ بسببِه أربعَ أصابعَ ، وتغيَّر أيامًا . وفيه زادت دِجْلةُ ببغدادَ حتى غرَّقَتْ ما حولَ بغدادَ ، وانحصَر الناسُ بها ستَّةَ أيامٍ لم تُفتَحْ أبوابُها ، وبقِيَتْ مثلَ السفينةِ فى وسَطِ البحرِ ، وغرِق خلقٌ كثيرٌ مِن الفَلّاحِين وغيرِهم ، وتلِف للناسِ ما لا يعلَمُ قيمتَه إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وودَّع أهلُ البلدِ بعضَهم بعضًا ، ولجَئُوا إلى اللَّهِ تعالَى وحمَلوا المصاحفَ على رُءوسِهم ، [4]وحمَل الناسُ[4] فى [5]سدِّ السُّكورِ[5] بأنفسِهم ، حتى القُضاةُ والأعيانُ ، وكان وقتًا عجيبًا ، ثم لطَف اللَّهُ بهم ، فغِيض الماءُ وتَناقَص ،

---

(١) فى ص : « سرى » . وانظر ذيول العبر ص ١٣٨، والدرر الكامنة ١/ ٣٢٣.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) زيادة من : ص .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥ - ٥) فى الأصل : « السوق » ، وفى م : « شدة الشوق » ، وفى ص : « شد السيوف » . والمثبت من : ذيول العبر ١٣٦، ١٣٧. والسُّكْر : كل ما سُدَّ به النهر والبثق ومنفَجر الماء ، وهو السِّداد . تاج العروس (س ك ر) .

وتراجَع الناسُ إلى ما كانوا عليه مِن أمورِهم الجائزة وغير الجائزة . وذكَر بعضُهم أنَّه غرِق بالجانبِ الغربيِّ نحوٌ مِن ستةِ آلافٍ وستِّمائةِ بيتٍ ، وإلى عَشْرِ سنين لا يَرجِعُ ما غرِق .

وفى أوائلِ جمادَى الآخِرةِ فتَح السلطانُ خانَقاه سِرْياقُوسَ التى أنشأها وساقَ إليها خليجًا ، [١٠/١٧٩ظ] وبنى عندَها مَحِلَّةً ، وحضَر بها ومعه القضاةُ والأعيانُ والأمراءُ وغيرُهم ، ووَلِيها مجدُ الدينِ الأَقْصُرائيُّ ، وعمِل السلطانُ بها وليمةً عظيمةً ، (١وهى فى الحقيقةِ وَكِيرَةٌ١) ، وسمِع على قاضى القضاةِ ابنِ جَماعةَ عشرين حديثًا ، بقراءةِ ولدِه عزِّ الدينِ بحضرةِ الدَّوْلةِ ؛ منهم أرْغُون النائبُ ،وشيخُ الشيوخِ القُونَوِيُّ وغيرُهم ، وخُلِع على القارئِ عزِّ الدينِ ، وأثْنَوا عليه ثناءً زائدًا ، وأُجلِس مُكرَّمًا ، وخُلِع أيضًا على والدِه ابنِ جماعةَ ، وعلى المالكيِّ ، وشيخِ الشيوخِ ، وعلى مجدِ الدينِ الأَقْصرائيِّ شيخِ الخانَقاه المذكورةِ ، وغيرِهم .

وفى يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ رجبٍ درَّس بقُبَّةِ المنصوريةِ فى الحديثِ الشيخُ زينُ الدينِ (٢بنُ الكَتّانيِّ٢) الدمشقيُّ ، بإشارةِ نائبِ الكَرَكِ وأرْغون ، وحضَر عندَه الناسُ ، وكان فقيهًا جيدًا ، وأمّا الحديثُ فليس مِن فنِّه ولا مِن شُغلِه .

وفى أواخرِ رجبٍ قدِم الشيخُ زينُ الدينِ محمدُ(٣) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المُرَحِّلِ مِن مصرَ على تدريسِ الشاميَّةِ البَرّانيةِ ، وكانت بيدِ ابنِ الزَّمْلَكانيِّ ، فانتقَل إلى قضاءِ حلبَ ، فدرَّس بها فى خامسِ شعبانَ ، وحضَر القاضى الشافعيُّ وجماعةٌ .

(١ - ١) سقط من : م . والوكيرة والوكرة : طعام يعمل عند الفراغ من البنيان ، تاج العروس (و ك ر) .
(٢ - ٢) فى الأصل : « الكافى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .
(٣) سقط من : م . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وفى سلخِ رجبٍ قدِم القاضى عزُّ الدينِ بنُ بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ مِن مصرَ ومعه ولدُه، وفى صحبتِه الشيخُ جمالُ[1] الدينِ الدِّمياطىُّ وجماعةٌ مِن الطلبةِ بسببِ سماعِ الحديثِ، فقرَأ بنفسِه وقرَأ الناسُ له واعتنَوْا بأمرِه، وسمِعْنا معهم وبقراءتِه شيئًا كثيرًا، نفَعَهم اللَّهُ بما قرَءوا وبما سمِعوا، ونفَع بهم.

وفى يومِ الأربعاءِ ثانى عشرَ شوَّالٍ[2] درَّس الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ[3] الأصبهانىِّ بالرَّواحيةِ بعدَ ذَهابِ ابنِ الزَّمْلكانىِّ إلى حلبَ، وحضَر عندَه القضاةُ والأعيانُ، وكان فيهم شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْميَّةَ، وجرَى يومَئذٍ بحثٌ فى «العامِّ إذا خُصَّ»، وفى «الاستثناءِ بعدَ النَّفْيِ»، ووقَع انتشارٌ وطال الكلامُ فى ذلك المجلسِ، وتكلَّم الشيخُ تقىُّ الدينِ كلامًا أبهَتَ الحاضرِين.

وتأخَّر ثبوتُ عيدِ الفطرِ إلى قريبِ الظهرِ يومَ العيدِ، فلما ثبَت دَقَّت البشائرُ، وصلَّى الخطيبُ العيدَ مِن الغَدِ بالجامعِ، ولم يَخرُجِ الناسُ إلى المُصلَّى، وتغضَّب النائبُ[4] على المؤذِّنِين وسجَن بعضَهم.

وخرَج الرَّكْبُ فى عاشرِه، وأميرُه صلاحُ الدينِ بنُ أيْبَك[5] الطويلُ، وفى الرَّكْبِ صلاحُ الدينِ بنُ الأوْحَدِ، والمَنْكورَسىُّ[6]، وقاضِيه شهابُ الدينِ الظاهرىُّ[7].

---

(١) فى ص: «عماد».
(٢) فى ص: «شعبان». وانظر الدارس ١/ ٢٧٢.
(٣) سقط من: ص.
(٤) فى الأصل، م: «الناس».
(٥) فى ص: «أتبك».
(٦) فى ص: «المنكوسى».
(٧) فى م: «الظاهر».

وفى سابع عشَرَه درَّس بالرِّباطِ الناصرىِّ بقاسِيُونَ حسامُ الدينِ القَرْمىُّ[1] الذى كان قاضىَ طرابُلُسَ، قايَضَه بها جمالُ الدينِ بنُ الشَّرِيشىِّ إلى تدريسِ المَسْرُورِيَّةِ، وكان قد جاء توقيعُه بالعَذْراوِيَّةِ والظاهريةِ، فوقَف فى طريقِه قاضى القضاةِ جلالُ الدينِ ونائباه؛ ابنُ جُمْلَةَ والفَخْرُ المصرىُّ، وعقَد له ولكمالِ الدينِ ابنِ الشِّيرازىِّ مجلسًا، ومعه توقيعٌ بالشامية البَرّانيَّةِ، فعُطِّل الأمرُ عليهما؛ لأنَّهما لم يُظهِرا استحقاقَهما فى ذلك المجلسِ، فصارتِ المدرَستان العَذْراويةُ والشاميَّةُ لابنِ المُرحِّلِ كما ذَكَرْنا، [2]وعُوِّض القَرْمىُّ[2] بالمَسْرورِيَّةِ، فقايَض منها لابنِ الشَّرِيشىِّ إلى الرِّباط الناصرىِّ، فدرَّس به فى هذا اليومِ، وحضَر [١٠/١٨٠و] عندَه القاضى جلالُ الدينِ، ودرَّس بعدَه ابنُ الشَّريشىِّ بالمسرورِيَّةِ، وحضَر عندَه الناسُ أيضًا.

وفيه عادتِ التجريدةُ اليمنيةُ وقد فُقِد منهم خلقٌ كثيرٌ مِن الغِلْمانِ وغيرِهم، فحُبِس مُقدَّمُهم الكبيرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْس، لسوءِ سِيرتِه فيهم.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ إبراهيمُ الصَّيّاحُ[3]، وهو إبراهيمُ بنُ منيرٍ البَعلبكِّىُّ، كان مَشْهورًا بالصَّلاحِ، وكان مقيمًا بالمَئْذَنةِ الشرقيةِ، توفِّى ليلةَ الأربعاءِ مُستَهَلَّ[4] المحرَّمِ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ، وكانت جِنازتُه حافلةً، وحمَله الناسُ على

---

(١) فى الأصل، م: «القزوينى». وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٩٧.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «وعظم القزوينى».

(٣) غير معجمة فى الأصل، وفى م، ونسخة من الدرر الكامنة: «الصباح»، وفى ص: «المصباح». وانظر ترجمته: فى تذكرة النبيه ٢/ ١٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٧٥.

(٤) فى ص: «ليلة».

(١ الرُّءُوسِ والأصابعِ ١) ، وكان ملازمًا لمجلسِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْميَّةَ .

إبراهيمُ المُوَلَّهُ[٢] ، الذى يقالُ له : القَمِينىُّ ؛ لإقامتِه بالقَمامين خارجَ[٣] بابِ شرقىٍّ ، وربَّما كاشَف بعضَ شىءٍ[٤] ، ومع هذا لم يكنْ مِن أهلِ الصلاةِ ، وقد استَتابَه الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْميَّةَ ، وضرَبه على تَرْكِ الصلاةِ ومخالطةِ القاذوراتِ ، وجَمعِ النساءِ والرجالِ حولَه فى الأماكنِ النَّجِسةِ ، توفِّى كهلًا فى هذا الشهرِ .

الشيخُ عفيفُ الدينِ (٥أحمدُ بنُ٥) محمدِ بنِ عمرَ بنِ عثمانَ بنِ عمرَ الصِّقلِّىُّ ثم الدِّمشقىُّ ، إمامُ مسجدِ الرأسِ ، آخرُ مَن حدَّث عن ابنِ الصَّلَاحِ ببعضِ « سُننِ البيهقىِّ » ، سمِعْنا عليه شيئًا منها ، توفِّى فى صفرٍ .

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزاهدُ الناسكُ عبدُ اللَّهِ بنُ موسى بنِ أحمدَ الجَزَرىُّ[٦] ، الذى كان مقيمًا بمشهدِ[٧] أبى بكرٍ مِن جامعِ دمشقَ ، كان مِن الصالحين الكبارِ ، مباركًا خيِّرًا ، عليه سَكينةٌ ووَقارٌ ، وكانت له مُطالعةٌ كثيرةٌ ، وله فَهْمٌ جيِّدٌ وعقْلٌ صحيحٌ ، وكان مِن الملازِمين لمجالسِ الشيخِ تقىِّ الدينِ بنِ تيميَّةَ ، وكان ينقُلُ مِن كلامِه أشياءَ كثيرةً ويفهَمُها ، يعجِزُ عنها كبارُ الفقهاءِ ،

(١ - ١) فى الأصل ، م : « رءوس الأصابع » .

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) فى الأصل ، ص : « برا » .

(٤) فى م : « العوام » ، وفى ص : « الناس » .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٣٩ ، وشذرات الذهب ٦/ ٦٧ ، والدارس ١/ ٢٢ .

(٦) الدرر الكامنة ٢/ ٤١٣ ، والدارس ٢/ ٣٩٩ .

(٧) سقط من : م .

توفِّى يومَ الاثنين [1]سادسِ عشْرين صفرٍ[1]، وصُلِّى عليه بالجامعِ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ، وكانت جِنازتُه حافلةً محمودةً.

الشيخُ الصالحُ الكبيرُ المعمَّرُ الرُّحْلةُ[2] الصالحُ تقىُّ الدينِ بنُ الصائغِ المُقرِئُ المصرىُّ الشافعىُّ، آخرُ مَن بقِى مِن مشايخِ القرّاءِ، وهو أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الخالقِ بنِ علىِّ بنِ سالمِ بنِ مكىٍّ، توفِّى فى صفرٍ، ودُفِن بالقَرافةِ، وكانت جِنازتُه حافلةً، قارَب التِّسعين ولم يَبْقَ له منها سوى سنةٍ واحدةٍ، وقد قرَأ عليه غيرُ واحدٍ، وهو ممَّن طال عُمْرُه وحسُن عملُه.

الشيخُ الإمامُ صدرُ الدينِ أبو زكريا[3] يحيى بنُ علىِّ بنِ تمّامِ بنِ موسى الأنصارىُّ السُّبْكىُّ الشافعىُّ، سمِع الحديثَ وبرَع فى الأُصولِ والفقهِ، ودرَّس بالسَّيْفِيَّةِ، وباشَرها بعدَه ابنُ أخيه تقىُّ الدينِ السبكىُّ الذى تولَّى قضاءَ الشامِ فيما بعدُ.

الشهابُ محمودٌ[4]، هو الصدرُ الكبيرُ الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ شيخُ صناعةِ الإنشاءِ الذى لم يكنْ بعدَ القاضى الفاضلِ مثلُه فى صنعةِ الإنشاءِ، وله خصائلُ[5] ليست للفاضلِ، مِن كثرةِ النظمِ والقصائدِ المُطَوَّلَةِ الحسنةِ البليغةِ؛ فهو شهابُ الدينِ أبو الثناءِ محمودُ بنُ سلمانَ[6] بنِ فهدٍ الحلبىُّ ثم الدمشقىُّ، وُلِدَ

(١ - ١) فى ص: «الثامن والعشرين من صفر».

(٢) فى الأصل، م: «الرجل». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٣٩، وغاية النهاية ٢/ ٦٥، والسلوك ١/٢/ ٢٧٠، والدرر الكامنة ٢/ ٤٠٩، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٦٦، وشذرات الذهب ٦/ ٦٩.

(٣) فى ص: «بكر حدثنا». وانظر ترجمته فى: طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٩١، وتذكرة النبيه ٢/ ١٥١، والدرر الكامنة ٥/ ١٩٧.

(٤) ذيول العبر ص ١٤٠، وفوات الوفيات ٤/ ٨٢، وتذكرة النبيه ٢/ ١٥٢، والدرر الكامنة ٥/ ٩٢.

(٥) فى م: «خصائص»، وفى ص: «من الخصائل».

(٦) كذا فى النسخ وفيما تقدم من مصادر الترجمة، وفى ذيول العبر ص ٣٦٤، ٣٧٠، والدليل =

سنةَ أربعٍ وأربعين وستِّمائةٍ بحلبَ، وسَمِع الحديثَ، وعُنِيَ باللغةِ والأَدبِ والشعرِ، وكان كثيرَ الفضائلِ، بارعًا فى علمِ الإنشاءِ نظمًا ونثرًا، وله فى ذلك [١٠/١٨٠ظ] كتبٌ ومصنفاتٌ حسنةٌ فائقةٌ، وقد مكَث فى ديوانِ الإنشاءِ نحوًا مِن خمسينَ سنةً، ثم عمِل كتابةَ السِّرِّ بدمشقَ نحوًا مِن ثمانى سِنين إلى أن تُوفِّى ليلةَ السبتِ ثانى عشرين شعبانَ فى منزلِهِ قُربَ بابِ الناطفانيين، وهى دارُ القاضى الفاضلِ، وصُلِّى عليه بالجامعِ، ودُفِن بتربةٍ له أنشأَها بالقربِ مِن اليَغْمُورِيَّةِ، وقد جاوَزَ الثمانينَ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

شيخُنا المُسنِدُ المُعَمَّرُ الرُّحْلَةُ عفيفُ الدينِ إسحاقُ بنُ يحيى [(١)] **بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ** [(١)] **بنِ إسماعيلَ الآمِدِىُّ ثم الدِّمشقىُّ الحنفىُّ**، شيخُ دارِ الحديثِ الظاهريةِ، وُلِدَ فى حدودِ الأربعين وستِّمائةٍ، وسَمِع الحديثَ على جماعةٍ كثيرين؛ منهم يوسفُ بنُ خليلٍ ومجدُ الدينِ ابنُ تيميَّةَ، وكان شيخًا حسنًا بهىَّ المنظرِ، سهلَ الإسماعِ [(٢)]، يُحِبُّ الرِّوايةَ، ولديه فضيلةٌ، تُوفِّى ليلةَ الاثنينِ ثانى عشْرين رمضانَ، ودُفِن بقاسِيونَ، وهو والدُ فَخرِ الدينِ [(٣)] ناظرِ الجيوشِ والجامعِ.

وقبلَه بيومٍ تُوفِّى **الصدرُ معينُ الدينِ يوسفُ بنُ زغيبٍ الرَّحبىُّ** [(٤)]، أحدُ كبارِ التجّارِ الأُمناءِ.

= الشافى ٢/ ٧٢٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٤، ونسخة من الدارس ٢/ ٢٣٦، وشذرات الذهب ٦/ ٦٩: «سليمان».

(١ - ١) سقط من: ص. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٤١، والوافى بالوفيات ٨/ ٤٣٠، والجواهر المضية ١/ ٣٧٤، والدرر الكامنة ١/ ٣٨١، والطبقات السنية ٢/ ١٦٠.

(٢) فى الأصل: «الاستماع»، وفى ص: «السماع».

(٣) بعده فى ص: «بن». وانظر الدارس ١/ ٣٥٨.

(٤) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينامن مصادر.

وفى رمضانَ تُوفِّى **البدرُ العوّامُ**[1] ، وهو محمدُ بنُ علىّ[2] البابا الحَلَبىُّ ، وكان فَرْدًا فى العَوْمِ وطِيبِ الأخلاقِ ، انتفع به جماعةٌ مِن التُّجارِ فى بحرِ اليمنِ كان معهم فغرِق بهم المَرْكبُ ، فلجَئُوا إلى صَخْرةٍ فى البحرِ[3] فكانوا عليها ، فخلَّصَهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ على يديهِ واحدًا واحدًا إلى السّاحلِ[3] ، وكانوا ثلاثةَ عشَرَ ، ثم إنه غطَس فاستَخرج لهم أموالًا مِن قرارِ البحرِ بعدَ أن أفلَسُوا وكادُوا أن يَهْلِكُوا ، وكان فيه ديانةٌ وصيانةٌ ، وقد قرَأ القرآنَ ، وحجَّ عَشْرَ مرَّاتٍ ، وعاش ثمانٍ وثمانينَ[4] سنةً ، رحِمه اللَّهُ ، وكان يسْمَعُ الشيخَ تَقىَّ الدينِ ابنَ تيميَّةَ كثيرًا .

وفيه تُوفِّى **الشهابُ أحمدُ بنُ عثمانَ الأَمْشَاطِىُّ**[5] ، الأديبُ فى الأَزْجالِ والمُوَشَّحاتِ والمَواليَا والدُّوبَيتِ[6] والبلاليقِ[7] ، وكان أستاذَ أهلِ هذه الصِّناعةِ ، مات فى عَشْرِ السِّتِّين .

القاضى الإمامُ العالمُ الزّاهدُ صَدْرُ الدينِ سليمانُ بنُ هِلالِ بنِ شِبْلِ بنِ فَلاحِ بنِ خَصِيبٍ[8] **الجَعْفَرىُّ الشافِعىُّ** ، المعروفُ بخطيبِ دارَيَّا ، وُلِد سنةَ ثِنتين

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) بعده فى ص : « بن » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى ص : « ثلاثين » .

(٥) الدرر الكامنة ١/ ٢١٣، وشذرات الذهب ٦/ ٦٦.

(٦) الدوبيت : شعر ذو أربع أشطار بحيث تكون قافية الأشطار الأولى والثانية والرابعة واحدة ، أما الثالثة فمخالفة ، والفرق بينها وبين الرباعى فى الوزن . المعجم الذهبى ص ٢٨٠.

(٧) البلاليق والواحد البلّيق : ضرب من الشعر العامى يغلب عليه الهزل والمجون . ص ٤٣٦ (Dozy) .

(٨) فى الأصل ، ص ، ونسخة من الدرر الكامنة ٢/ ٢٦٠: « حصيب » ، وفى نسخة من الدارس ١/ ٤٦٦: « خضيب » ، وفى نسخة : « خطيب » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٤٢ ، ودول الإسلام ٢/ ٢٣٤، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤٣٨، وفوات الوفيات ٢/ ٨٢، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٤٠، وشذرات الذهب ٦/ ٦٧.

وأربعِينَ وستِّمائةٍ، بقريةِ بُسْرَا[1] مِن عَمَلِ السَّوادِ، وقَدِمَ مع والدِه فقرأَ بالصالحِيَّةِ على الشيخِ نَصْرِ بنِ عُبَيدٍ، وسمِعَ الحديثَ، وتَفَقَّهَ على الشيخِ مُحْيِي الدينِ النَّوَوِيِّ، والشيخِ تاجِ الدينِ الفَزَارِيِّ، وتولَّى خَطابةَ دارَيَّا، وأعاد بالناصِرِيَّةِ، وتولَّى نِيابةَ القَضاءِ لابنِ صَصْرَى مُدَّةً، وكان مُتزهِّدًا لا يَتنَعَّمُ بحمَّامٍ ولا كَتَّانٍ ولا غيرِه، ولم يُغَيِّرْ ما اعتادَه فى البِرِّ، وكان مُتَواضِعًا، وهو الذى اسْتَسقَى بالناسِ فى سنةِ تسعَ عشْرةَ فسُقوا كما ذكَرْنا، وكان يَذْكُرُ له نَسَبًا إلى جَعْفَرِ الطَّيّارِ، [2]بينهما ثلاثةَ عشرَ أبًا[2]، ثم وَلِىَ خَطابةَ العُقَيْبَةِ[3]، فترَكَ نيابةَ الحكمِ، وقال: هذه تَكْفِى. إلى أن تُوفِّى ليلةَ الخميسِ ثامنِ ذِى القَعْدَةِ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ، وكانت جِنازتُه مشهودةً، رحِمه اللَّهُ، وتولَّى بعدَه الخطابةَ ولَدُه شِهابُ الدينِ[4] أحمدُ.

ابنُ صَبيحٍ المؤذِّنُ[5]، [١٠/١٨١و] الرئيسُ بالعروسِ[6] بجامِعِ دِمَشْقَ مع البُرْهانِ، [7]وهو[7] بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ صَبيحِ بنِ عبدِ اللَّهِ التَّفْلِيسِيُّ، مَوْلاهم المُقْرِئُ المؤذنُ، كان من أحسنِ الناسِ صوتًا فى زمانِه،

---

(١) فى الأصل: «بشرا»، وفى ص: «بسوه»، وفى الوافى: «بشرى»، وفى نسخة من فوات الوفيات «بصرى».

(٢ - ٢) فى الأصل: «بينه وبينه عشرة أيام»، وفى م: «بينه وبينه عشرة آباء». وانظر ذيول العبر، والدارس، وشذرات الذهب.

(٣) فى م: «العقبية»، وفى ص: «العقبة».

(٤) بعده فى ص: «بن».

(٥) الدرر الكامنة ٤/ ٧٧.

(٦) فى الأصل: «بالعروش»، وفى ص: «العروس». ومئذنة العروس هى المئذنة الشمالية القائمة إلى جانب باب العمارة. الدارس ١/ ٤٤٧ حاشية (٥).

(٧ - ٧) سقط من: م.

وأطْيَبِهم نَغْمَةً ، وُلِدَ سنَةَ ثنتينِ وخمسينَ وسِتِّمائةٍ تقريبًا ، وسمِعَ الحديثَ فى سنةِ سبعٍ وخمسينَ ، وممَّن سَمِع عليه ابنُ عبد الدَّائم وغيرُه من المشايخِ ، وحدَّث وكان رجلًا حسنًا ، أبُوه مَوْلًى لامرأةٍ اسمُها شامَةُ[1] بنتُ كاملِ الدينِ التَّفْلِيسِيِّ ، امرأةُ فخرِ الدينِ الكَرْخِيِّ ، وباشرَ مشارَفةَ الجامعِ وقراءةَ المصحفِ ، وأذَّنَ عندَ نائبِ السلطنةِ مدةً ، وتُوفِّى فى ذِى الحِجَّةِ بالطَّواويسِ ، وصُلِّى عليه بجامعِ العُقَيْبَةِ ، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الفَرَاديسِ .

خَطَّابٌ بانِى خَانِ خَطَّابٍ[2] ، الذى بين الكُسْوَةِ وغَباغِبَ ، الأميرُ الكبيرُ عِزُّ الدينِ خطابُ بنُ محمودِ بنِ مرتعشٍ[3] العِرَاقِيُّ ، كان شيخًا كبيرًا له ثروةٌ من المالِ كبيرةٌ ، وأملاكٌ وأموالٌ ، وله حمَّامٌ بحكرِ السِّماقِ ، وقد عمَرَ الخانَ المشهورَ به بعد مَوْتِه إلى ناحية [4]الكتفِ المصرىِّ[4] ، مما يلى غَباغِبَ ، وهو بمَرْجِ الصُّفَّرِ ، وقد حصَل لكثيرٍ من المسافرينَ به رِفقٌ ، تُوفِّى [5]فى تاسعَ عشرَ[5] ربيعِ الآخرِ ، ودُفِنَ بتُربَتِه بسفحِ قاسِيُونَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى ذى القَعْدةِ منها تُوفِّى رجلٌ آخرُ اسمُه **ركنُ الدينِ خطابُ بنُ الصاحبِ كمالِ الدينِ أحمدَ بنِ أُختِ**[6] **ابنِ خطابٍ الرُّومِيُّ السيواسِيُّ** ، له خانَقَاه ببلدِه

---

(١) فى الأصل : « سياسة » ، وفى ص : « سامية » .

(٢) ذيول العبر ص ١٤٠ ، والدرر الكامنة ٢/ ١٧٣ ، والدارس ٢/ ٢٤٤ .

(٣) فى الأصل : « رنقش » ، وفى م : « رتقش » ، وفى ص : « رتقس » ، وفى الدرر الكامنة : « رتعس » . والمثبت من الدارس .

(٤ - ٤) فى ص : « كيف البصرى » .

(٥ - ٥) فى م : « ليلة سبع عشرة » .

(٦) فى ص : « راحب » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٢/ ١٧٣ . وفيه خطاب بن أحمد بن خطاب .

بسيواسَ ، عليها أوقافٌ كثيرةٌ وبرٌّ وصدقةٌ ، تُوفِّى وهو ذاهبٌ إلى الحجازِ الشريفِ بالكَرَكِ ، ودُفِنَ بالقربِ من جَعْفَرٍ وأصحابِه بمُؤْتَةَ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى العشرِ الأخيرِ مِن ذِى القَعْدةِ تُوفِّى **بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ كمالِ الدينِ أحمدَ بنِ أبى الفتحِ بنِ أبى الوحشِ**[1] **أسدِ بنِ سلامةَ بنِ سَلْمانَ**[2] **بنِ فِتيانَ**[3] **الشَّيبانِىُّ** ، المعروفُ بابنِ العَطَّارِ ، وُلد سنةَ سَبْعينَ ، وسمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وكتبَ الخطَّ المنسوبَ ، واشتَغلَ « بالتَّنْبيهِ » ونظمِ الشعرِ ، ووَلِىَ كتابةَ الدَّرجِ ثم نظرَ الجيشِ ونظَرَ الأشرافِ ، وكانت له حُظْوَةٌ فى أيامِ الأفرمِ ، ثم حصَلَ له خمولٌ قليلٌ ، وكان مُتْرَفًا[4] مُنَعَّمًا ، له ثروةٌ ورِياسةٌ وتواضعٌ وحسنُ سيرةٍ ، ودُفِنَ بسفحِ قَاسِيونَ بتُرْبَتِهم ، رحِمه اللَّهُ .

القاضى محيى الدينِ أبو محمدٍ[5] **الحسنُ بنُ محمدِ بنِ عمّارِ**[6] **بنِ متوجٍ**[7] **الحارِثىُّ** ، قاضى الزَّبَدَانِىِّ مدةً طويلةً ، ثم وَلِى قَضاءَ الكَرَكِ ، وبها مات فى العشرين مِن ذِى الحجَّةِ ، وكان مولدُه سنةَ خمسٍ وأربعين وستِّمائةٍ ، وقد سَمِع الحديثَ واشتَغل ، وكان حسنَ الأخلاقِ متواضِعًا ، وهو والدُ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ قاضى الزَّبَدانِىِّ مُدرِّسِ الظاهريةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى ص : « الحوخش » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى م : « سليمان » .

(٣) فى ص : « قبال » .

(٤) فى ص : « مشرفا » .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وانظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٢/ ١٢٣ .

(٦) فى الأصل : « عماد » .

(٧) فى النسخ : « فتوح » . والمثبت من المصدر السابق .

ثم دخَلَت سنةُ ستٍّ وعشرين وسَبْعِمائةٍ[1]

استَهَلَّت والحُكَّامُ هم المذكُورون فى التى قبلَها ، سِوَى كاتبِ السرِّ بدِمَشقَ شهابِ الدينِ محمودٍ فإنَّه تُوُفِّى ، ووَلِىَ المنصِبَ من بعدِه ولَدُه الصَّدْرُ شمسُ الدينِ .

وفيها تحوَّل التجارُ فى قماشِ النِّساءِ المَخيطِ مِن الدَّهْشَةِ التى للجامعِ إلى دَهْشَةِ سُوقِ علىٍّ .

وفى يومِ الأحدِ[2] ثامنِ المحرَّمِ باشَر مَشْيخةَ الحديثِ الظّاهِرِيَّةِ الشيخُ شهابُ الدينِ بنُ جَهْبَلٍ [١٠/١٨١ظ] بعدَ وفاةِ العفيفِ إسحاقَ ، وترَك تدرِيسَ الصلاحيةِ بالقدسِ الشَّريفِ ، واختار دِمَشْقَ ، وحضَر عندَه القُضَاةُ والأعْيانُ .

وفى أوَّلِها فُتِح الحمَّامُ الذى بناه الأميرُ سيفُ الدينِ جُوبان جِوارَ دارِه ، بالقُرْبِ من دارِ الجالِقْ ، وله بابانِ ، أحدُهما إلى ناحيةِ مسجد الوزيرِ ، وحصَل به نَفْعٌ .

وفى يومِ الاثنينِ [3]الثانى والعشرين مِن[3] صَفرٍ قَدِم الصاحِبُ غِبْريالُ مِن مصرَ على البريدِ ، متولِّيًا نظرَ الدَّواوينِ بدِمَشْقَ على عادَتِه ، وانفَصَل عنها الكريمُ الصغيرُ ، وفَرِح الناسُ به .

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩٤، وتاريخ ابن الوردى ص ٢٧٨، والسلوك ٢/١/ ٢٧٠.
(٢) فى م : « الأربعاء » ، وفى ص : « الاثنين » . وانظر الدارس ١/ ٣٥٨.
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « ثانى » .

وفى يومِ الثلاثاءِ حادِى عشرِين ربيعِ الأوَّلِ بُكرةَ النهارِ[1] ضُرِبت عُنُقُ ناصرِ ابنِ الشرفِ أبى الفَضْلِ بنِ إسماعيلَ بنِ الهيتىِّ[2] بسُوقِ الخَيلِ، على كُفرِه واستِهانتِه واستهْتارِه بآياتِ اللَّهِ وصُحْبتِه الزَّنادِقَةَ؛ كالنَّجْمِ بنِ خَلِّكانَ، والشمسِ محمدٍ الباجُرْبَقىِّ، وابنِ المعمارِ[3] البَغْدادِىِّ، وكُلٌّ مِنهم فيه انحِلالٌ وزَندقةٌ مشهورٌ بها بينَ النَّاسِ.

قال الشيخُ علمُ الدينِ البِرْزَالِىُّ: وربما زاد هذا المذكورُ المضْرُوبُ العُنُق عليهم بالكُفْرِ والتَّلاعُبِ بدينِ الإسلامِ، والاستهانَةِ بالنُّبُوَّةِ والقرآنِ. قال: وحضَر قتلَه العُلَماءُ والأكابرُ وأعيانُ الدولةِ. قال: وكان هذا الرجلُ قد حفِظ «التنْبِيهَ» فى أوَّلِ أمرِه، وكان يقرَأُ فى الختمِ بصوتٍ حسَنٍ، وعندَه نباهَةٌ وفَهْمٌ، وكان مُنَزَّلًا فى المدارسِ والتُّرَبِ، ثم إنَّه انسَلَخ مِن ذلك جميعِه، وكان قَتْلُه عزًّا للإسلامِ، وذُلًّا للزَّنَادِقَةِ وأهلِ البِدَعِ.

قلتُ: وقد شَهِدْتُ قَتْلَه، وكان شيخُنَا العلامةُ أبو العبَّاسِ بنُ تيميَّةَ حاضرًا يومئذٍ، وقد أتاه[4] وقَرَّعَه على ما كانَ يَصْدُرُ مِنه قبلَ قتلِه، ثم ضُرِبَتْ عُنُقُه وأنا مشاهدٌ ذلك.

وفى شهرِ ربيعِ الأوَّلِ رُسِم بإخراجِ الكلابِ مِن مدينةِ دِمَشْقَ، فجُعِلوا فى الخندَقِ ظاهرَ بابِ الصغيرِ مِن ناحيةِ بابِ شرقىٍّ، الذُّكورُ على حِدَةٍ، والإناثُ على حِدَةٍ، وأُلزِمَ أصحابُ الدَّكاكينِ بذلك، وشَدَّدُوا فى أمرِهم أيامًا.

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى م: «الهيثى». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٨.

(٣) فى ص: «العماد».

(٤) فى ص: «أنبه».

وفى ربيعِ الآخِرِ[1] وَلِىَ الشيخُ علاءُ الدينِ المَقدِسِىُّ مُعيدُ البادَرَائيةِ مَشْيَخَةَ الصلاحِيةِ بالقُدْسِ الشَّريفِ ، وسافَر إليها .

وفى جُمادَى الآخرةِ عُزِلَ قَرَطاى عن نيابةِ طَرابُلُسَ ووِلِيَها طِينال ، وقدِم قَرَطاى على خُبزِ القَرَمانىِّ بدِمَشْقَ بحُكْمِ سَجنِ القَرَمانىِّ بقلعةِ دِمَشْقَ .

قال البِرْزالىُّ : وفى يومِ الاثنينِ [2]بعد العصرِ السادسِ مِن[2] شعبانَ اعتُقِلَ الشيخُ الإمامُ العالمُ العلّامةُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيْمِيَّةَ بقلعةِ دِمَشْقَ ، حضَر إليه مِن جِهَةِ نائبِ السلطنةِ تَنْكِز مُشِدُّ الأوْقافِ ، وابنُ الخطيرِ[3] أحَدُ الحجّابِ بدِمَشْقَ ، وأخبَراه أن مرسومَ السلطانِ ورَد بذلك ، وأحضَرَا معهما مركُوبًا ليَرْكَبه ، فأظْهَر السرورَ والفرحَ بذلك ، وقال : أنا كنتُ منتظِرًا لذلك ، وهذا فيه خَيْرٌ كثيرٌ ومَصْلحةٌ كبيرةٌ . وركِبُوا جميعًا مِن دارِه إلى بابِ القَلْعَةِ ، وأُخْلِيَتْ له قاعةٌ وأُجرِى إليها الماءُ ، ورُسِمَ له بالإقامَةِ فيها ، وأقام معه أخوه زَيْنُ الدينِ يَخدُمُه بإذنِ السلطانِ ، ورُسِمَ له بما يَقومُ بكفايتِه .

قالَ البرزالىُّ : وفى يومِ الجُمُعةِ عاشر الشهرِ المذكورِ قُرِئَ بجامعِ دِمَشْقَ الكتابُ السلطانىُّ الوارِدُ [١٠/١٨٢و] باعْتِقالِه ومَنْعِه مِن الفُتْيَا ، وهذه الواقِعَةُ سببُها فُتْيَا وُجِدَتْ بخطِّه فى [4]المنعِ مِن[4] السَّفَرِ وإعمالِ المَطِىِّ إلى زِيَارَةِ قُبورِ الأنبياءِ ، عليهم الصلاةُ والسلامُ ، وقبورِ الصالحين .

---

(١) فى الأصل ، م : « الأول » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « عند العصر سادس عشر » . وانظر السلوك ٢/١/ ٢٧٣.

(٣) فى الأصل ، م : « الخطيرى » ، وفى ص : « الحظير » . والمثبت من : تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٩، والسلوك ٢/١/٢٨١ . وسيأتى فى صفحة ٢٦٩.

(٤ - ٤) سقط من : م .

قال : وفى يومِ الأربعاءِ منتصف شعبانَ أمَر قاضى القُضاةِ الشافعىُّ بحبسِ جماعَةٍ مِن أصحابِ الشيخِ تقىِّ الدينِ فى سِجْنِ الحُكمِ ، وذلك بمَرْسُومِ نائبِ السلطنةِ وإذْنِه له فيما تَقتَضِيه الشريعةُ فى أمْرِهم ، وعُزِّر جماعةٌ مِنهم على دَوابَّ ونُودِىَ عليهم ، ثم أُطْلِقُوا سِوَى شمسِ الدينِ محمدِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ، فإنَّه حُبِس فى القلعةِ ، وسكَنتِ القضيَّةُ .

قال : وفى (١أوَّلِ رمضانَ١) وصَلتِ الأخبارُ إلى دِمَشْقَ أنه أُجْرِيَت عَيْنُ ماءٍ إلى مَكَّةَ ، شرَّفَها اللَّهُ تعالى ، وانتَفَع الناسُ بها انتِفاعًا كثيرًا ، وهذه العينُ تُعرَفُ قديمًا بعينِ باذانَ ، أجْرَاها جُوبان مِن بلادٍ بعيدةٍ حتى دخَلت إلى نفسِ مكَّةَ ، ووَصَلت إلى عندِ الصَّفا وبابِ إبراهيمَ ، واسْتَقَى الناسُ مِنها ؛ فقيرُهم وغنيُّهم ، وضَعيفُهم وشريفُهم ، كلُّهم فيها سواءٌ ، وارْتَفَق أهلُ مكَّةَ بذلك رِفقًا كثيرًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . وكانوا قد شرَعُوا فى حفرِها وتجدِيدِها فى أوائلِ هذه السنةِ إلى العَشْرِ الأُخَرِ من جُمادَى الأُولَى ، واتَّفَق أنَّ فى هذه السنةِ كانتِ الآبارُ التى فى مكةَ قد يبِسَت وقلَّ ماؤُها ، وقلَّ ماءُ زمزمَ أيضًا ، فلولا أنَّ اللَّهَ تعالَى لطَف بالناسِ بإجراءِ هذه القناةِ لنَزَح عن مكةَ أهلُها ، أو لهَلَك كثيرٌ مِمَّن يُقيم بها ، وأمَّا الحَجِيجُ فى أيامِ المَوْسِمِ فحصَل لهم بها رِفْقٌ عظيمٌ زائدٌ عن الوَصْفِ ، كما شاهَدْنا ذلك فى سنَةِ إحْدَى وثلاثينَ عامَ حَجَجْنا .

وجاء كِتَابُ السلطانِ إلى نائبِه بمكةَ بإخراجِ الزَّيْدِيِّينَ مِن المسجدِ الحرامِ ، وأن لا يكونَ لهم فيه إمامٌ ولا مجتَمَعٌ ، ففعَل ذلك .

(١ - ١) فى ص : « أوائل شعبان » . وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٧٩.

وفى يومِ الثلاثاءِ رابع[1] شعبانَ درَّسَ بالشامِيَّةِ الجَوَّانِيَّةِ الشيخُ شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ جَهْبَلٍ ، وحضَر عندَه القَزْوِينىُّ القاضِى الشافِعىُّ وجماعةٌ ، عِوَضًا عن الشيخِ أمينِ الدينِ سالمِ بنِ أبى الدُّرِّ إمامِ مسجدِ ابنِ هشامٍ ، تُوفِّى ، ثم بعدَ أيامٍ جاءَ تَوْقيعٌ بوِلايةِ القاضى الشافعىِّ ، فباشَرَها فى عشْرينِ رمضانَ .

وفى عاشرِ شوَّالٍ خرَج الركبُ الشامىُّ وأميرُه سَيْفُ الدينِ جُوبان ، وحجَّ عامَئذٍ القاضى شمسُ الدينِ بنُ مُسلَّمٍ قاضى الحنابِلَةِ ، وبَدْرُ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ جَلالِ الدينِ القَزْوينىِّ ، ومعه تُحَفٌ وهدايا وأمورٌ تتعلَّقُ بالأميرِ سَيفِ الدينِ أرْغُون نائبِ مصرَ ، فإنَّه حجَّ فى هذه السنةِ ومعه أولادُه وزوجتُه بنتُ السلطانِ ، وحجَّ فخرُ الدينِ بنُ شيخِ السَّلَاميَّةِ[2] ، وصدرُ الدينِ المالكىُّ ، وفخرُ الدينِ البَعْلَبَكِّىُّ ، وغيرُهم[3] .

وفى يومِ الأربِعاءِ عاشر ذِى القَعْدَةِ درَّسَ بالحَنْبَلِيَّةِ برهانُ الدينِ [4]إبراهيمُ بنُ[4] أحمدَ بنِ هِلالٍ الزُّرَعِىُّ الحَنْبَلىُّ ، عِوَضًا عن شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، وحضَر عندَه القاضى الشافعىُّ وجماعَةٌ مِن الفُقَهاءِ ، وشَقَّ ذلك على كثيرٍ مِن أصحابِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ، وكان [١٠/١٨٢ظ] ابنُ الخطيرِ[5] الحاجِبُ قد دخَل على الشيخِ تقىِّ الدينِ قبلَ هذا بيومٍ فاجتَمَع به وسَأله عن أشياءَ بأمرِ نائبِ السلطنةِ ، ثم يومَ الخميسِ دخَل إليه القاضِى جمالُ الدينِ بنُ جُمْلَةَ ، وناصرُ الدينِ مُشِدُّ

---

(١) بعده فى ص : « عشر » . وانظر الدارس ١/ ٣٠٦.

(٢) بعده فى ص : « وجلال الدين بن الساكى » . كذا ولم نهتد إليه .

(٣) فى م : « غيره » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر الدرر الكامنة ١/ ١٦، والدارس ٢/ ٧٤.

(٥) فى م : « الخطيرى » ، وفى ص : « الحظير » .

الأوقافِ ، وسألاه عن مَضمونِ قولِه فى مَسألةِ الزيارةِ ، فكتَب ذلك فى دَرَجٍ ، وكتَب تحتَه قاضى الشافِعيَّةِ بدِمَشْقَ : قابلتُ الجوابَ عن هذا السُّؤَالِ المكتوبِ على خطِّ ابنِ تَيمِيَّةَ فصَحَّ ... إلى أن قالَ : وإنَّما المَحَزُّ جعلُه زيارَةَ قبرِ النبىِّ ﷺ وقبورِ الأنبياءِ ، صلواتُ اللَّهِ عليهم وسلامُه ، معصيةً بالإجماعِ مقطُوعًا . فانظُرِ الآنَ هذا التحرِيفَ على شيخِ الإسلامِ ؛ فإن جوابَه على هذه المسألةِ ليسَ فيه مَنْعٌ مِن زيارَةِ قبورِ الأنبياءِ والصالِحِينَ ، وإنَّما فيه ذكرُ قوْلَينِ فى شدِّ الرِّحالِ والسفَرِ إلى مجَرَّدِ زيارَةِ القُبُورِ ، وزيارَةُ القُبُورِ مِن غير شَدِّ رَحْلٍ إليها مسْألةٌ، وشدُّ الرَّحْلِ لمُجرَّدِ الزيارَةِ مسألةٌ أُخرَى ، والشيخُ لم يَمْنعِ الزِّيَارةَ الخاليةَ عن شَدِّ رَحْلٍ ، بل يستحِبُّها ويندُبُ إليها ، وكُتُبُه ومناسِكُه تَشْهَدُ بذلك ، ولم يتعرَّضْ إلى هذه الزِّيارَةِ على هذا الوَجْهِ فى الفُتْيَا ، ولا قال إنَّها مَعْصِيَةٌ . ولا حكَى الإجماعَ على المنعِ منها ، ولا هو جاهِلٌ بقول الرسولِ ﷺ : « زورُوا القُبُورَ فإنها تُذَكِّرُكم الآخرَةَ »[1] . واللَّهُ سبحانَه لا يَخفَى عليه شىءٌ ، ولا تَخْفَى عليه خافِيَةٌ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

وفى يومِ الأحدِ رابعَ عشَرَ القعدَةِ فُتِحت المدرسةُ الحِمْصِيَّةُ تُجَاهَ الشاميَّةِ الجَوَّانِيَّةِ[2] ، ودَرَّس بها مُحْيِى الدينِ الطَّرَابُلُسِىُّ [3]وكان قاضىَ حصنِ عكَّار[3] ، ويُلَقَّبُ بأبى رباحٍ ، وحضَر عندَه القاضى الشافعىُّ .

وفى ذى القَعْدةِ سافَر القاضى جمالُ الدينِ الزُّرَعِىُّ مِن الأتابِكِيَّةِ إلى مصرَ ،

---

(١) مسلم (٩٧٦/١٠٥) .

(٢) فى الدارس ١/ ٢٣٢: « البرانية » .

(٣ - ٣) فى م : « قاضى هكار » .

ونزَل عن تدريسِها لمُحْيى الدِّينِ بنِ جَهْبَلٍ. وفى ثانى عشَرَ ذى الحِجَّةِ درَّس بالنَّجِيبيَّةِ ابنُ قاضى الزبَدانىِّ عِوضًا عن الدِّمَشْقِىِّ نائبِ الحكمِ؛ مات بالمدرسةِ المذكورةِ.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيانِ:

ابنُ المُطَهَّرِ الشِّيعِىُّ جمالُ الدِّينِ أبو مَنصُورٍ حسنُ[1] **بنُ** [2]**يوسُفَ بنِ**[2] **مُطَهَّرٍ الحِلِّىُّ**[3] **العِراقِىُّ الشِّيعِىُّ**، شَيْخُ الرَّوافِضِ بتلك النَّواحِى، وله التصانيفُ الكثيرةُ، يقالُ: إنَّها تَزِيدُ على مائةٍ وعِشْرِينَ مُجَلَّدًا. وعِدَّتُها خَمْسَةٌ وخَمْسُونَ مُصَنَّفًا، فى الفِقْهِ[4] والنَّحْوِ والأُصُولِ والفَلْسَفةِ والرَّفْضِ، وغيرِ ذلك من كبارٍ وصغارٍ؛ فمِن أشْهَرِها بينَ الطَّلَبَةِ «شَرْحُ مختصرِ ابنِ الحاجِبِ» فى أُصُولِ الفِقْهِ، وليس بذاكَ الفائِقِ، ورأيْتُ له مُجَلَّدينِ فى أُصُولِ الفِقْهِ على طَرِيقَةِ «المَحْصُولِ» و«الإحْكَامِ»، ولا بَأْسَ بها، فإنَّها مُشْتَمِلَةٌ على نَقْلٍ كَثِيرٍ وتَوَجُّهٍ جَيِّدٍ، وله كِتابُ «مِنهاجِ الاسْتِقامَةِ فى إثْباتِ الإمَامَةِ»، خَبَطَ فيه فى المَعْقُولِ والمَنْقُولِ، ولم يَدْرِ كيف يتَوَجَّهُ، إذْ خرَج عن الاسْتِقامَةِ، وقد انْتَدَبَ للرَّدِّ عليه فى ذلك الشَّيْخُ الإمامُ العَلَّامةُ شَيْخُ الإسْلامِ أبو العباسِ ابنُ تَيْمِيَّةَ فى مُجَلَّداتٍ، أتَى فيها بما بَهَرَ العُقولَ مِن الأشْياءِ المَلِيحةِ الحَسَنةِ، وهو كِتابٌ حافِلٌ.

وُلِد ابنُ المُطَهَّرِ - الذى لم تَطْهُرْ [١٠/١٨٣و] خَلائِقُه، ولم يتَطَهَّرْ مِن دَنَسِ

---

(١) أو حسين. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٤٧، وتذكرة النبيه ٢/ ١٦٢، والدرر الكامنة ٢/١٣٥، ١٥٨، والدليل الشافى ١/ ٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٧، وانظر الخلاف فى اسمه فى الأعلام ٢/ ٢٤٤.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى م: «الحلبى».

(٤) فى الأصل: «اللغة».

الرَّفْضِ - فى ليلةِ الجُمعةِ سابع عِشْرِينَ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وأرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ ، وتُوفِّى ليلةَ الجُمُعَةِ[1] عشْرِينَ المحَرَّمِ من هذه السَّنَةِ ، وكان اشْتِغالُه ببَغْدادَ وغيرِها مِن البلادِ واشتغل على النَّصِيرِ الطُّوسِيِّ وعلى غيرِه ، ولمّا تَرَفَّضَ الملِكُ خَرْبَنْدا ، حَظِىَ عندَه ابنُ المُطَهَّرِ وساد جدًّا ، وأقْطَعَه بِلادًا كَثِيرةً .

الشمسُ الكاتبُ محمدُ بنُ أسَدِ الحَرَّانِىُّ[2] ، المَعْروفُ بالنَّجَّارِ ، كان يَجْلِسُ ليَكْتُبَ الناسُ عليه بالمدْرسَةِ القِلِّيجِيَّةِ ، تُوفِّى فى رَبيعِ الآخرِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ[3] .

العِزُّ حَسَنُ بنُ أحْمَدَ بنِ زُفَرَ الإرْبِلِىُّ ثم الدِّمَشْقِىُّ[4] ، كان يَعْرِفُ طَرَفًا صالِحًا مِنَ النحوِ والحدِيثِ والتّارِيخِ ، وكان مُقِيمًا بدُوَيْرَةِ حمدٍ[5] صُوفيًّا بها ، وكان حَسَنَ المجُالَسَةِ ، أثْنَى عليه البِرْزالِىُّ فى نَقْلِه وحُسْنِ مَعْرِفَتِه ، ماتَ بالمارَسْتانِ الصغيرِ فى جُمادى الآخِرَةِ ، ودُفِن ببابِ الصَّغِيرِ عن ثلاثٍ وسِتِّينَ[6] سنةً .

الشيخُ الإمامُ أمِينُ الدِّينِ سالِمُ بنُ أبى الدُّرِّ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ الدِّمَشْقِىُّ الشافِعِىُّ[7] ، مدرسُ الشَّامِيَّةِ الجَوَّانِيَّةِ ، أخَذَها مِن ابنِ الوَكِيلِ قَهْرًا ، وهو إمامُ مَسْجدِ ابنِ هِشَامٍ ، ومُحَدِّثُ الكُرْسِىِّ به ، كان مَوْلِدُه فى سنَةِ خَمْسٍ وأرْبَعِينَ وستِّمائةٍ[8] ، اشْتَغلَ وحَصَّل ، وأثْنَى عليه النَّوَوِىُّ وغيرُه ، وأعادَ وأفْتَى

---

(١) فى ص : « الخميس » .

(٢) الدرر الكامنة ٣/ ٤٧٢، والدارس ١/ ٤٣٦.

(٣) بعده فى ص : « عن ثلاث وسبعين سنة » .

(٤) تذكرة النبيه ٢/ ١٦٧، والدرر الكامنة ٢/ ٩٢، والدليل الشافى ١/ ٢٦٠، والمنهل الصافى ٥/ ٦٥، وشذرات الذهب ٦/ ٧٢.

(٥) فى ص : « حميد » . ودويرة حمد : هى الخانقاه الدويرية بدرب السلسلة بباب البريد . الدارس ٢/ ١٤٦.

(٦) فى ص : « سبعين » . وانظر الدارس ٢/ ١٥٠.

(٧) الوافى بالوفيات ١٥/ ٨٠، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٩، والدرر الكامنة ٢/ ٢١٧، والدارس ١/ ٣٠٦.

(٨) قال فى الدرر الكامنة : وبخطه أيضا سنة ٦٤٦.

ودَرَّس ، وكان خَبِيرًا بالمُحاكَماتِ ، وكان فيه مُروءَةٌ وعَصَبِيَّةٌ لمن يَقْصِدُه ، تُوفِّى فى شعبانَ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ .

الشيخُ حَمّادٌ[1] ، وهو الشَّيْخُ الصَّالِحُ العابِدُ الزاهِدُ ، حَمَّادٌ الحَلَبِىُّ القَطَّانُ ، كان كثيرَ التِّلاوَةِ والصَّلاةِ ، مُواظِبًا على الإقامَةِ بجامعِ التَّوْبَةِ بالعُقَيْبَةِ فى الزَّاوِيَةِ الغَرْبِيَّةِ الشَّمالِيَّةِ ، يُقْرِئُ القُرْآنَ ويُكْثِرُ الصيامَ ، ويَتَرَدَّدُ الناسُ إليه للزِّيارَةِ ، مات وقد جاوَزَ التِّسْعِينَ[2] سنَةً على هذا القَدَمِ ، تُوفِّى ليلةَ الاثْنَيْنِ عِشْرِينَ شَعْبانَ ، ودُفِن ببابِ الصَّغيرِ ، وكانتْ جِنازَتُه حافِلةً ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ قُطْبُ الدِّينِ اليُونِينِىُّ[3] ، وهو الشيخُ الإمامُ العالِمُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ ، قُطْبُ الدِّينِ أبو الفَتْحِ مُوسَى ابنُ الشَّيْخِ الفَقِيهِ الحافظِ الكبيرِ شَيْخِ الإسْلامِ أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ [4]أحمدَ بنِ[4] عبدِ اللَّهِ بنِ عِيسَى بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ البَعْلَبَكِّىُّ اليُونِينِىُّ الحَنْبَلِىُّ ، وُلِدَ سنةَ أرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ بدارِ الفاضِلِ[5] بدِمَشْقَ ، وسَمِع الكَثِيرَ ، وأحْضَرَه والِدُه إلى المشايخِ واسْتَجازَ له ، وبَحَثَ ، واخْتَصَرَ « مِرْآةَ الزَّمانِ » للسِّبْطِ ، وذَيَّل عَلَيها ذَيْلًا حَسَنًا مُرَتَّبًا ، أفادَ فيه وأجادَ ، بعِبارَةٍ حَسَنَةٍ سَهْلَةٍ ، بإنْصافٍ وسَتْرٍ ، وأتَى فيه بأشْياءَ حسنةٍ وأشْياءَ فائقَةٍ رائقةٍ ، وكان كثيرَ التِّلاوَةِ ، حَسَنَ الهَيْئَةِ ، مُتَقَلِّلًا فى مَلْبَسِه ومَأْكَلِه ، تُوفِّى ليلةَ الخميسِ ثالثَ

---

(١) ذيول العبر ص ١٤٧، ومرآة الجنان ٤/ ٢٧٦، وتذكرة النبيه ٢/ ١٦٦، والدرر الكامنة ٢/ ١٦٢، وشذرات الذهب ٦/ ٧٢.

(٢) م : « السبعين » .

(٣) ذيول العبر ص ١٤٥، وتذكرة النبيه ٢/ ١٦٢، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٧٩، والدرر الكامنة ٥/ ١٥٣، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٢، وشذرات الذهب ٦/ ٧٣.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى م : « الفضل » .

عَشَرَ شَوَّالٍ ، ودُفِنَ ببابِ سَطْحَا عندَ أخِيه الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ ، رحِمَهما اللَّهُ.

قاضِى القُضاةِ ابنُ مُسَلَّمٍ ، شَمْسُ الدِّينِ أبو عَبْدِ اللَّهِ محمدُ بنُ مُسَلَّمِ بنِ مالكِ بنِ مَرْزُوعِ بنِ جَعْفَرٍ الصَّالحيُّ الحَنْبَلِيُّ[1] ، وُلِد سنةَ [2]ثِنْتَيْنِ و[2] سِتِّينَ وسِتِّمائةٍ ، وماتَ أبوه - وكان مِن الصَّالِحِينَ - سنةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ ، فنَشَأ يَتيمًا فقيرًا لا مالَ له ، ثم اشْتَغَل وحَصَّل وسَمِع الكثيرَ ، وانْتَصَب للإفادَةِ والاشْتِغالِ ، فطار ذِكْرُه ، فلمّا مات التَّقِيُّ سُلَيمانُ سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَلِيَ قضاءَ الحنابِلَةِ ، فباشَرَه أتـمَّ مُباشَرَةٍ ، وخُرِّجَتْ [١٠/١٨٣ظ] له تَخارِيجُ كثيرةٌ ، فلمَّا كانت هذه السَّنَةُ خرَج للحجِّ فتَمَرَّض فى الطريقِ ، فورَدَ المَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ - على ساكِنِها رسولِ اللَّهِ ﷺ أفْضلُ الصلاةِ والسَّلامِ - يومَ الاثْنَين الثالث والعِشْرِينَ من ذِى القَعْدَةِ ، فزار قَبْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصَلَّى فى مَسْجِدِه ، وكان بالأَشْواقِ إلى ذلك ، وكان قد تَمنَّى ذلك لمّا مات ابنُ نَجيحٍ ، ودُفِن بالبَقيعِ ، فمات فى عَشِيَّةِ ذلك اليومِ لَيْلَةَ[3] الثّلاثاءِ ، وصُلِّى عليه فى مَسْجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالرَّوْضَةِ ، ودُفِن بالبَقِيعِ إلى جانبِ قَبْرِ شَرَفِ الدِّينِ بنِ نجيحٍ - الذى كان قد غَبَطَه بمَوْتِه هناك سنةَ حَجَّ هو ؛ وهو قبلَ هذه الحَجَّةِ - شَرْقِيّ قَبْرِ عَقِيلٍ ، رَحِمَهم اللَّهُ ، ووَلِى القَضاءَ بعدَه عِزُّ الدِّينِ بنُ التَّقِيِّ سُلَيمانَ .

القاضى نَجْمُ الدِّينِ أحمدُ بنُ عبدِ المُحْسِنِ بنِ حَسَنِ بنِ مَعالى الدِّمَشْقِيُّ

---

(١) ذيول العبر ص ١٤٩، والوافى بالوفيات ٥/ ٢٨، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٠، والدرر الكامنة ٤/ ٢٥٨، وشذرات الذهب ٦/ ٧٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م، وكذا نقله فى الدارس ٢/٣٨ عن المصنف، والمثبت موافق لما فى مصادر الترجمة.

(٣) فى م: «يوم».

الشافعيُّ[1] ، وُلِد سنةَ تسْعٍ وأرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ ، واشْتَغَل على الشيخِ تاجِ الدِّينِ الفَزَارِيِّ ، وحَصَّل وبَرَع ، ووَلِى الإعادَةَ ثم الحُكْمَ بالقُدْسِ ، ثم عاد إلى دِمَشْقَ فدَرَّس بالنَّجِيبِيَّةِ ، ونابَ فى الحُكْمِ عن ابنِ صَصْرَى مُدَّةً ، تُوفِّى بالنجيبيَّةِ المَذْكُورَةِ يومَ الأحَدِ ثامنِ عشْرِينَ ذِى القَعْدَةِ ، وصُلِّى عليه العَصْرَ بالجامعِ ، ودُفِن ببابِ الصغيرِ .

ابنُ قاضِى شُهْبَةَ ، الشيخُ الإمامُ العالمُ شَيْخُ الطَّلَبَةِ ومُفِيدُهم ، كمالُ الدِّينِ أبو محمدٍ عبدُ الوَهَّابِ [2]**بنُ القاضى شرفِ الدينِ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ بنِ**[2] **ذُؤيبٍ الأَسَدِىُّ الشُّهْبِىُّ الشَّافِعِىُّ** ، وُلِد بحَورانَ سنةَ ثلاثٍ وخَمْسِينَ وسِتِّمائةٍ ، وقَدِمَ دِمَشْقَ ، واشْتَغَلَ على الشَّيْخِ تاجِ الدِّينِ الفَزارِيِّ ولازَمَه ، وانْتَفَع به ، وأعاد بحَلْقَتِه ، وتخَرَّج به ، وكذلك لازَمَ أخاه الشَّيْخَ شَرَفَ الدِّينِ ، وأخَذ عنه النَّحْوَ واللغةَ ، وكان بارعًا فى الفِقْهِ والنَّحْوِ ، له حَلْقَةٌ يَشْتَغِلُ فيها تُجاهَ مِحْرابِ الحَنابِلَةِ ، وكان يَعْتَكِفُ جميعَ شَهْرِ رمضانَ ، ولم يتَزَوَّجْ قَطُّ ، وكان حَسَنَ الهَيْئَةِ والشَّيْبَةِ ، حَسَنَ العَيْشِ والمَلْبَسِ ، مُتَقَلِّلًا مِن الدُّنيا ، له مَعْلومٌ يَقُومُ بكِفايَتِه من إعَاداتٍ وفقاهاتٍ وتَصْدِيرٍ بالجامعِ ، ولم يُدَرِّسْ قَطُّ ولا أفْتَى ، مع أنه كان ممَّن يَصْلُحُ أن يَأْذَنَ فى الإفْتَاءِ ، ولكِنَّه كان يَتَوَرَّعُ عن ذلك ، وقد سَمِع الكثيرَ ، وسَمِع « المُسْنَدَ » للإمامِ أحمدَ ، وغيرَ ذلك ، وتُوفِّى بالمَدْرَسَةِ المُجاهِدِيَّةِ - وبها كانتْ إقامتُه - ليلةَ الثُّلاثاءِ حادِى عِشْرِينَ ذِى الحِجَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ صَلاةِ الظُّهْرِ ، ودُفِن بمَقابرِ بابِ الصغيرِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ٢٠٢، والدارس ١/ ٤٧١.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص. وانظر ترجمته فى: تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٨٠، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٢٤، والدرر الكامنة ٣/ ٤٤، والدليل الشافى ١/ ٤٣٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٢٤.

وفيها كانتْ وفاةُ **الشَّرَفِ يَعْقُوبَ بنِ فارِسٍ الجَعْبَرِيِّ**[1] ، التّاجِرِ بفرجةِ[2] ابنِ عَمُودٍ ، وكان يَحْفَظُ القُرآنَ ، ويَؤُمُّ بمَسْجِدِ القَصَبِ ، ويَصْحَبُ الشيخَ تَقِيَّ الدِّينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ والقاضىَ [3]نَجْمَ الدِّينِ الدِّمَشْقِيَّ[3] ، وقد حَصَّل أموالًا وأمْلاكًا وثَرْوَةً ، وهو والِدُ صاحِبِنا الفَقِيهِ المشتغلِ[4] المُحَصِّلِ الزَّكِيِّ بَدْرِ الدِّينِ [5]محمدِ خالِ[5] الوَلَدِ عمرَ إنْ شاءَ اللَّهُ .

وفيها تُوفِّى **الحاجُّ أبو بَكْرِ بنِ تيمراز**[6] **الصَّيْرَفِيُّ** ، كانتْ له أموالٌ كثيرةٌ ودَائِرةٌ ومكارِمُ ، وبرٌّ [١٠/١٨٤و] وصَدَقاتٌ ، ولكِنَّه انْكَسَر فى آخِرِ عُمْرِه ، [7]وعُمِّر[7] ، وكاد أن يَنْكَشِفَ ، فجَبَره اللَّهُ بالوفاةِ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) فى ص: «بفريجة».

(٣ - ٣) فى ص: «شمس الدين».

(٤) فى م: «المفضل».

(٥ - ٥) فى الأصل: «بن محمد خال»، وفى ص: «محمد بن خال».

(٦) فى ص: «نمير». ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٧ - ٧) سقط من: م، ص.

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وعشرين وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّت يومَ الجُمُعةِ والحُكَّامُ والخليفةُ والسُّلطانُ والنُّوابُ والقُضاةُ والمُباشِرُون همُ المَذكُورُون فى التى قبلَها ، سوى الحنْبلىِّ كما تقدَّم .

وفى العشْرِ مِن المحرمِ دخَل مصرَ أرْغُون نائبُ مصرَ ، فمُسِك فى حادى عشَرَه فحُبِس أيَّامًا ثم أُطْلِق ، وبعَثه السُّلطانُ إلى حلبَ نائبًا ، فاجْتَاز بدِمَشْقَ بُكْرَةَ الجُمُعةِ ثانى عِشرين المحُرمِ ، فأنْزَله نائبُ السَّلطنةِ بدارِه المُجاوِرَةِ لجامِعِه ، فبات بها ليلةً[2] ، ثم سافَرَ إلى حلَبَ ، وقد كان قبلَه بيومٍ قد سافرَ مِن دِمَشْقَ أُلْجاى الدَّوَادَار إلى مصرَ ، وفى صُحْبَتِه نائبُ حلبَ علاءُ الدينِ ألطُنْبُغا مَعْزولًا عنها إلى حُجُوبِيَّةِ الحُجَّابِ بمصرَ .

وفى يومِ الجُمُعةِ تاسعَ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ قُرِئ تقليدُ قاضِى قُضاةِ الحنابلةِ عزِّ الدينِ محمدِ بنِ التقىِّ سليمانَ بنِ حمزةَ المقدسىِّ ، عِوَضًا عن ابنِ مُسَلَّمٍ ، بمقصُورَةِ الخَطابةِ بحَضْرَةِ القُضاةِ والأعْيانِ ، وحكَم ، وقُرِئ قبلَ ذلك بالصَّالحيَّةِ .

وفى أوَاخِرِ هذا الشهرِ وصَل البريدُ بتَوْلِيةِ ابنِ النَّقيبِ الحاكمِ بحِمْصَ قضاءَ القُضاةِ بطَرابُلُسَ ، ونَقْلِ الذى بها إلى حِمْصَ نائبًا عن قاضِى دِمَشْقَ ، وهو ناصرُ ابنُ محمودٍ الزُّرَعِىُّ .

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٨٠، والسلوك ٢/١/ ٢٧٨.
(٢) سقط من : م .

وفى [1]سادسِ عشرين[1] ربيعِ الآخِرِ عاد تَنْكِز مِن مصرَ إلى الشَّامِ، وقد حصَل له تكريمٌ مِن السلطانِ. وفى ربيعِ الأوَّلِ حصَلَتْ زلزلةٌ بالشامِ وقَى اللَّهُ شرَّها.

وفى يومِ الخميسِ مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأُولَى باشَر نيابةَ الحنبلىِّ القاضى برهانُ الدِّينِ الزُّرَعىُّ، وحضَر عندَه جماعةٌ مِن القضاةِ.

وفى يومِ الجُمُعةِ مُنتَصف جُمادَى الآخِرةِ جاء البريدُ بطلبِ القاضى القَزوينىِّ الشافعىِّ الخطيبِ إلى مصرَ، فدخَلها فى مُستَهَلِّ رجَبٍ، فخُلِعَ عليه بقضاءِ قُضاةِ مصرَ، مع تدريسِ النَّاصِرِيَّةِ والصالحيَّةِ ودارِ الحديثِ الكامليةِ، عِوضًا عن بدرِ الدِّينِ بنِ جماعةَ؛ لأجلِ كِبَرِ سِنِّهِ، وضَعْفِ نفسِه، وضرَرِ عينَيْهِ، فجبَرُوا خاطِرَه، فرُتِّب له ألفُ دِرْهَمٍ وعشَرَةُ أرادِبّ قمحٍ فى الشهرِ، مع تدريسِ زاويةِ الشافعىِّ، وأُرسِلَ ولدُه بدرُ الدِّينِ بنُ القَزْوينىِّ إلى دمشقَ خطيبًا بالأُموىِّ، وعلى تدريسِ الشَّامِيَّةِ الجَوانِيَّةِ[2]، على قاعدةِ والدِه جلالِ الدِّينِ القزوينىِّ فى ذلك، فخُلِعَ عليه فى أواخرِ رجبٍ ثامنِ عِشْرِينه، وحضَر عندَه الأعيانُ.

وفى رجبٍ كان عُرْسُ الأميرِ سيفِ الدِّينِ قَوْصُون الساقِى[3] الناصرِىِّ، على بنتِ السُّلطانِ، وقد كان وَقْتًا مَشْهُودًا، خُلِعَ على الأمراءِ والأكابرِ. وفى صَبِيحَةِ هذه الليلةِ عُقِدَ عَقْدُ الأميرِ شهابِ الدِّينِ أحمدَ بنِ الأميرِ سيفِ الدينِ بَكْتَمُر السَّاقِى على بنتِ تَنْكِز نائبِ الشَّامِ، وكان السلطانُ وكيلَ أبيها تَنْكِز، والعاقدُ

(١ - ١) فى م: «سادس عشر».

(٢) فى م: «البرانية».

(٣) فى الأصل: «الثلثاقى»، والساقى: الأمير الذى يتولى سقى السلطان على الموائد، والإشراف على مد السماط وتقطيع اللحم، وسقى المشروب بعد رفع السماط. صبح الأعشى ٥/ ٤٥٤.

ابنَ الحريرىِّ ، وخُلِعَ عليه ، وأُدْخِلت عليه[1] فى ذِى الحِجَّةِ مِن هذه السَّنةِ فى كُلْفَةٍ كثيرةٍ .

وفى رجبٍ جرَتْ فتنةٌ كبيرةٌ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ، [2]وذلك[2] فى سابعِ رجبٍ ، وذلك أنَّ رجلًا مِن المسلمينَ [١٠/١٨٤ظ] قد تخاصَمَ هو ورجُلٌ مِن الفِرنجِ على بابِ البحرِ ، فضرَب أحدُهما الآخرَ بنعلٍ ، فرُفِعَ الأمرُ إلى الوالى ، فجاء فأغلقَ بابَ البلدِ بعدَ العصرِ ، فقال له الناسُ : إنَّ لنا أموالًا وعبيدًا خارجَ البلدِ ، وقد أغْلَقْتَ البابَ قبلَ وقتِه . ففتَحَه فخرَج الناسُ فى زَحْمةٍ عظيمةٍ ، فقُتِلَ منهم نَحْوُ عشَرَةٍ ، ونُهِبَتْ عمائمُ وثيابٌ وغيرُ ذلك ، وكان ذلك ليلةَ الجمُعةِ ، فلمَّا أصبحَ الناسُ ذهَبُوا إلى دارِ الوالى فأحرَقُوها وثلاثَ دُورٍ لبعضِ الظَّلَمَةِ ، وجرَتْ أحوالٌ صعبةٌ ، ونُهِبَتْ أماكنُ[3] ، وكسَرَتِ العامَّةُ بابَ سجنِ الوالى فخرَج منه مَن فيه ، فبلَغ نائبَ السلطنةِ ، فاعتقَدَ النائبُ أنَّه السجنُ الذى فيه الأمراءُ ، فأمَر بوضعِ السَّيفِ فى البلدِ وتخريبِه ، ثم إنَّ الخبرَ بلَغ السلطانَ فأرسَل الوزيرَ طَيْبُغَا الجمالىَّ سريعًا [2]فوصَل بعدَ يومينِ[2] ، فضَرَب وصادَرَ ، وضرَبَ القاضىَ ونائبَه وعزَلَهم ، وأهانَ خلقًا مِن الأكابرِ وصادَرهم بأموالٍ كثيرةٍ جدًّا ، وعُزِلَ المُتَوَلِّى ثم أُعِيدَ ، ثم تولَّى القضاءَ بها[4] علمُ الدِّينِ الأخنائىُّ الشافعىُّ الذى تولَّى دمشقَ فيما بعدُ ، وعُزِل قاضى الإسكَنْدَرِيَّةِ المالكىُّ ونائباه ، ووُضِعتِ السلاسلُ فى أعناقِهم وأُهِينُوا ، وضُرِبَ ابنُ التِّنِّيسِىِّ[5] غيرَ مرَّةٍ .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « أموال » .

(٤) فى م : « بهاء الدين » .

(٥) فى الأصل : « التفشى » ، وفى م : « السنى » . وانظر دول الإسلام ٢/ ٢٣٦.

وفى يومِ السبتِ عشْرين شعبانَ وصَل إلى دمشقَ قاضى قُضاةِ حلَبَ كمالُ الدِّينِ بنُ الزَّمْلكانىِّ على البريدِ ، فأقام بدمشقَ أربعةَ أيامٍ ، ثم سار إلى مصرَ ليتولَّى قضاءَ قُضاةِ الشَّامِ بحضرةِ السلطانِ ، فاتَّفَقَ موتُه قبلَ وصُولِه إلى القاهرةِ : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

وفى يومِ الجُمُعةِ سادس عِشرين شعبانَ باشَر صدرُ الدينِ المالكىُّ مشيخةَ الشُّيوخِ مُضافًا إلى قضاءِ قُضاةِ المالكيَّةِ ، وحضَر الناسُ عندَه ، وقُرِئ تقليدُه بذلك بعدَ انفصالِ الزُّرَعىِّ عنها إلى مصرَ .

وفى نِصْفِ رمضانَ وصَل قاضى الحنفيَّةِ بدِمَشقَ لقضاءِ[1] القُضاةِ عمادُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الواحدِ الطَّرَسُوسِىُّ ، الذى كان نائبًا لقاضِى القُضاةِ صدرِ الدينِ علىٍّ البُصْرَوِىِّ ، فخلَفه بعدَه فى المنصبِ ، وقُرِئ تقليدُه بالجامعِ ، وخُلِع عليه ، وباشَر الحُكْمَ ، واسْتَناب القاضى عمادُ الدينِ ابنَ العزِّ ، ودرَّس بالنُّوريَّةِ مع القَضاءِ ، وشُكِرت سيرتُه .

وفى رمضانَ قدِم جماعةٌ مِن الأُسارَى مع تُجَّارِ الفِرنْجِ ، فأُنْزِلُوا بالمدرسةِ العادِليَّةِ الكبيرةِ واستَفَكُّوا مِن دِيوَانِ الأسْرَى بنحوِ مِن ستِّين[2] ألفًا ، وكَثُرَتِ الأدْعِيَةُ لمَن كان السببَ فى ذلك .

وفى ثامِن شوَّالٍ خرَج الرَّكْبُ الشَّامِىُّ إلى الحِجَازِ ، وأميرُه سيفُ الدينِ بَلَبَان المُحَمَّدىُّ ، وقاضِيه بدرُ الدينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ[3] قاضِى حَرَّانَ .

---

(١) فى الأصل : « قاضى » .

(٢) فى ص : « سبعين » . وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٨٣.

(٣) سقط من : م .

وفى شَوَّالٍ وصَل تقليدُ قَضاءِ الشافعيَّةِ بدِمَشْقَ لبدرِ الدينِ بنِ قاضِى القُضاةِ[1] عِزِّ الدينِ بنِ الصَّائِغِ، والخِلْعَةُ معه، فامْتَنَعَ مِن قَبولِ[2] ذلك أشدَّ الامتناعِ، وصمَّم، وألَحَّ عليه الدولةُ فلم يَقْبَلْ، وكَثُر بُكاؤُه، وتغيَّر مِزاجُه واغْتاظ، فلمَّا أصَرَّ على ذلك راجَع تَنْكِز السُّلطانَ فى ذلك، فلمَّا كان شهرُ ذى القَعْدةِ اشْتَهَر توليةُ علاءِ الدِّينِ [١٠/١٨٥و] علىِّ بنِ إسماعيلَ القُونَوِىِّ قضاءَ الشامِ، فسَار إليها مِن مِصرَ، وزار القدسَ، ودخَل دِمَشْقَ بُكْرَةَ[2] يومِ الاثنينِ [3]الخامس والعشرينِ مِن[3] ذى القَعدةِ، فاجْتَمَعَ بنائبِ[4] السَّلطنةِ [5]بدارِ السَّعادةِ[5]، ولبِس الخِلْعَةَ [5]مِن هنالِك[5]، وركِب معه[6] الحُجَّابُ والدَّولةُ إلى العادِلِيَّةِ، فقُرِئ تقليدُه بها، وحكَم بها على العادةِ، وفرِح الناسُ به وبحُسْنِ سَمْتِه، وطَيِّبِ لَفْظِه، ومَلاحَةِ شَمائِلِه، وتَوَدُّدِه، ووَلِى بعدَه مَشْيَخةَ الشُّيوخِ بديارِ مصرَ الشيخُ مَجْدُ الدينِ الأقْصُرائِىُّ الصُّوفِىُّ، شيخُ سِرْياقَوْسَ.

وفى يومِ السبتِ ثالث عِشرينَ ذِى القَعدةِ لَبِس القاضِى مُحيى الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ الخِلْعَةَ بكِتابةِ السِّرِّ عِوَضًا عن شمسِ الدينِ بنِ الشِّهابِ محمودٍ، واسْتَمَرَّ ولدُه شرفُ الدينِ فى كِتابَةِ الدَّسْتِ. وفى هذه المُدَّةِ[7] تولَّى قضاءَ حلبَ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «بن». وانظر فوات الوفيات ٣/ ٢٩٣.
(٢) سقط من: م.
(٣ - ٣) فى الأصل، م: «سابع عشرين».
(٤) فى الأصل، ص: «نائب».
(٥ - ٥) زيادة من: ص.
(٦) فى م: «مع».
(٧) فى م: «السنة».

عِوَضًا عن ابنِ الزَّمْلكانِيِّ القاضِى فخرُ الدينِ [1] بنُ البَارِزِىِّ [1] . وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذى الحِجَّةِ كَمَل تَرْخِيمُ الجامعِ الأُمَوِىِّ ؛ أعْنِى حائطَه الشَّمالِىَّ ، وجاء تَنْكِز حتى نظَر إليه فأعْجَبَه ذلك ، وشكَر ناظِرَه تقىَّ الدينِ بنَ مراجِلٍ .

وفى يومِ الأضْحَى جاء سَيْلٌ عَظِيمٌ إلى مدينةِ بُلْبَيْس ، فهَرَب أهلُها منها ، وتَعَطَّلَتِ الصلاةُ والأضَاحِى فيها ، ولم يُرَ مِثْلُه مِن [2] سِنين مُتَطاوِلَةٍ ، وخَرَّب شيئًا كثيرًا مِن حَوَاصِلِها [3] وبَسَاتِينِها ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُون .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعْيَانِ :

الأميرُ [4] أبو يَحْيَى [4] زكَرِيَّا بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ [5] أبى حَفْصٍ الهِنْتاتِىُّ [6] اللحيانىُّ [7] المَغْرِبىُّ ، أميرُ بلادِ المغرِبِ [8] ، ولِدَ بتُونُسَ قبلَ [9] سنَةِ خَمْسِينَ وستِّمائةٍ ، وقرأ الفِقْهَ والعربيَّةَ ، وكان ملُوكُ تُونُسَ تعَظِّمُه وتكرِمُه ؛ لأنَّه من بيتِ الملكِ والإمْرَةِ والوِزارةِ ، ثم بايَعه أهلُ تُونُسَ على المُلْكِ فى سنَةِ

(١ - ١) فى الأصل : « البارزى » ، وفى م : « البازرى » ، وفى ص : « البادزى » . والمثبت من تذكرة النبيه ٢/ ١٧٢. وانظر الدليل الشافى ١/ ٤٤١.

(٢) بعده فى م : « مدة » .

(٣) فى م ، ص : « حواضرها » .

(٤ - ٤) فى ص : « محيى الدين » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٥٢، والدرر الكامنة ٢/ ١٠٦، والدليل الشافى ١/ ٣٠٧، والمنهل الصافى ٥/ ٣٦٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٨.

(٥) سقط من الأصل ، م .

(٦) فى م : « الهنتانى » . وغير معجمة فى ص . والنسبة إلى هنتاتة ، قبيلة من البربر بالمغرب . لب اللباب ٢/ ٣٣٠.

(٧) سقط من : الأصل ، وفى م ، ص : « الجيانى » ، وفى نسخة من الدرر الكامنة : « الحيانى » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٨) فى الأصل : « العرب » .

(٩) فى م : « قيل » . وانظر المنهل الصافى والدرر الكامنة .

إحْدَى عَشْرَةَ وسَبْعِمائةٍ ، وكان شجاعًا مِقْدامًا ، وهو أوَّلُ مَن أبطَلَ ذِكْرَ ابنِ التُّومَرْتِ من الخُطْبةِ ، مع أنَّ جَدَّه أبا حَفْصٍ الهِنتاتىَّ[1] كانَ مِن أخَصِّ أصْحابِ ابنِ التُّومَرْتِ ، تُوفِّى فى المحرمِ مِن هذه السنَةِ بمدينةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الصالِحُ العابدُ الناسكُ ضِياءُ الدينِ أبو الفِدَاءِ إسماعيلُ بنُ [2]عزِّ الدينِ عمرَ[2] بنِ[3] رضىِّ الدينِ أبى الفَضْلِ المسلمِ بنِ الحسَنِ بنِ نَصْرٍ الدِّمَشْقِىُّ ، المعْروفُ بابنِ الحَمَوِىِّ ، كان هو وأبوه وجَدُّه من الكُتَّابِ المَشْهُورينَ المَشْكُورِينَ ، وكان هو كثيرَ التِّلاوَةِ والصلاةِ والصيامِ والبرِّ والصدَقَةِ والإحْسَانِ إلى الفقراءِ والأغنياءِ ، وُلِد سنَةَ خَمْسٍ وثلاثِينَ وسِتِّمائةٍ ، وسمِعَ الحديثَ الكثيرَ ، وخرَّج له البرزالِىُّ مشيَخَةً سمِعْنَاهَا عليه ، وكان من صُدُورِ أهلِ دِمَشْقَ ، تُوفِّى يومَ الجُمُعةِ رابعَ عشَرَ صَفَرٍ ، وصُلِّى عليه ضَحْوَةَ يومِ السبتِ ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ ، وحجَّ وجاور وأقامَ بالقدسِ مدةً ، ماتَ وله ثِنْتانِ وتسعون[4] سنةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى . وقد ذُكِر أنَّ والِدَه حينَ وُلِد له ، فَتَحَ المُصْحَفَ يتفاءَلُ فإذا قولُه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم : ٣٩] . فسَمَّاه إسْماعيلَ ، ثم وُلِد له آخَرُ فسمَّاهُ إسحاقَ ، وهذا من الاتفاقِ الحسَنِ ، رحِمهم اللَّهُ تعالى .

الشيخُ علىُّ المُجَارِفِىُّ[5] ، علىُّ بنُ أحمدَ بنِ هوسٍ الهِلَالِىُّ ، أصلُ جَدِّه مِن

---

(١) فى الأصل : « الهتنانى » ، وفى م : « الهنتانى » ، وفى ص : « الهتانى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، وفى الأصل : « عمر » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٥٣، وتذكرة النبيه ٢/ ١٧٦، والدرر الكامنة ١/ ٤٠٠، وشذرات الذهب ٦/ ٧٦.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٤) فى م : « سبعون » .

(٥) فى م : « المحارفى » ، وفى ص : « المحارقى » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

قريَةِ (١آبِلِ السوقِ١) ، وأقامَ والِدُه [١٠/ ١٨٥ظ] بالقُدْسِ ، وحجَّ هو مَرَّةً ، وجاوَرَ بمَكَّةَ سنَةً ثم حجَّ ، وكانَ رجلًا صالحًا مَشْهُورًا ، ويعرَفُ بالمجَارفيِّ ؛ لأنَّه كان يجرُفُ الأزِقَّةَ ويصلِحُ الرّصْفَانَ للَّهِ تعالى ، وكان يُكثِرُ التَّهْليلَ والذِّكْرَ جَهْرَةً ، وكان عليه هَيْبَةٌ ووَقارٌ ، ويتكلَّمُ بكلامٍ فيه تخويفٌ وتحذِيرٌ مِن النارِ وعَواقِبِ الرَّدَى ، وكان مُلازِمًا لمجالسِ ابنِ تَيْميَّةَ ، تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ ثالث عِشرِينَ ربيعِ الأوَّلِ ، ودُفِنَ بتُرْبَةِ الشيخِ مُوَفَّقِ الدينِ بالسفحِ ، وكانت جِنازَتُه حافلةً جِدًّا ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

المَلِكُ الكامِلُ ناصِرُ الدِّينِ أبو المَعالِى محمدُ بنُ الملكِ السعيدِ فَتْحِ الدينِ عبدِالملكِ بنِ السلطانِ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ أبى الجيشِ(٢) بنِ الملكِ العادِلِ أبى بكرِ بنِ أيُّوبَ(٣) ، أحدُ أكابرِ الأُمَرَاءِ وأبناءِ المُلوكِ ، كان مِن محاسِنِ البَلَدِ ذكاءً وفطنَةً وحُسْنَ عِشْرَةٍ ولطافَةَ كلامٍ ، بحيثُ يسرُدُ كثيرًا مِن الكَلَامِ بمنزِلَةِ الأمثالِ مِن قُوَّةِ ذِهْنِه وحَذاقَةِ فَهْمِه ، وكان رئيسًا مِن أجْوَادِ الناسِ ، تُوفِّى عشيَّةَ الأربعاءِ عشْرِينَ جمادَى الأُولَى ، وصُلِّى عليه ظهرَ الخميسِ بصَحْنِ الجامعِ تحتَ النَّسْرِ ، ثم أرادُوا دَفْنَه عندَ جَدِّه لأُمِّه الملكِ الكاملِ فلم يتيسَّرْ ذلك ، فدُفن بتربةِ أُمِّ الصالِحِ ، سامَحَه اللَّهُ ، وكان له سَمَاعٌ كثيرٌ ، سمِعْنا عليه منه ، وكان يحفَظُ تاريخًا جيدًا ، وقام ولدُه الأميرُ صلاحُ الدينِ مكانَه فى إمْرَةِ الطَّبْلَخَاناه ، وجُعِل أخُوه فى عشَرتِه ، ولَبِسَا الخِلَعَ السلطانِيَّةَ بذلك .

(١ - ١) فى م : « إيل البسوق » .

(٢) فى ص : « الحسن » . وانظر الدليل الشافى ١/ ٢٨ ترجمة إسماعيل بن محمد بن أيوب .

(٣) ذيول العبر للذهبى ص ١٥٣، والوافى بالوفيات ٤/ ٤٦، وتذكرة النبيه ٢/ ١٧٧، والسلوك ٢/١/ ٢٩١، والدرر الكامنة ٤/ ١٥٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٩.

الشيخُ الإمَامُ نَجْمُ الدِّينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبى الحَزْمِ[1] **القُرَشِيُّ المخزُومِيُّ القَمُولِيُّ**[2] ، كان مِن أعيانِ الشافعيةِ ، وشرَح « الوَسِيطَ » ، وشرَح « الحاجِبِيَّةَ » ، فى مجلَّدَيْنِ ، ودرَّس وحكَم بمِصْرَ ، وكان محتَسِبًا بها أيضًا ، وكان مشكورَ السِّيرَةِ فيها ، وقد تولَّى بعدَه الحكمَ نجْمُ الدينِ بنُ عقيلٍ ، والحِسْبَةَ ناصِرُ الدينِ بنُ فارِ السقوفِ[3] ، تُوفِّى فى رَجَبٍ وقد جاوَز الثَّمانِينَ ، ودُفِنَ بالقَرافَةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الصالِحُ أبو القاسِمِ عبدُ الرحمنِ بنُ مُوسَى بنِ خَلَفٍ الحزامىُّ[4] ، أحدُ مشاهيرِ الصالِحِينَ بمصرَ ، تُوفِّى بالرَّوضةِ [5]فى منتصفِ رجبٍ[5] ، وحُمِل إلى شاطئِ النِّيلِ ، وصُلِّى عليه ، وحُمِلَ على الرءوسِ والأصابعِ ، ودُفِنَ عندَ ابنِ أبى حَمْزَةَ وقد قارَبَ الثَّمانِينَ ، وكان ممَّن يُقْصَدُ للزيارةِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

القاضِى عزُّ الدِّينِ[6] **عبدُ العَزِيزِ بنُ أحمدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ عيسَى بنِ عمرَ بنِ الخضرِ الهَكَّارِىُّ الشافعىُّ** ، قاضى المَحَلَّةِ[7] ، كان مِن خِيارِ القُضَاةِ ، وله تصنيفٌ على حَديثِ المُجامِعِ فى رَمضانَ ، يقالُ : إنَّه استنبَطَ فيه ألفَ حُكْمٍ . تُوفِّى فى

---

(١) فى الأصل : « الحرم » . وانظر ترجمته فى : الطالع السعيد ص ١٢٥، وتذكرة النبيه ٢/ ١٧٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣٠، والسلوك ٢/١/ ٢٩٠، والدرر الكامنة ١/ ٣٢٤، وحسن المحاضرة ١/ ٤٢٤، وشذرات الذهب ٦/ ٧٥، وانظر حاشية الطالع السعيد .

(٢) سقط من : الأصل، وفى م : « التمولى » ، وفى ص : « العمرلى » . والمثبت من مصادر الترجمة . والقمولى نسبة إلى قمولة : بليدة بأعلى الصعيد من غربى النيل . معجم البلدان ٤/ ١٧٧.

(٣) فى م : « السبقوق » .

(٤) فى ص : « الخرامى » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى ص : « بن » . وانظر ترجمته فى : طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٨٢، والدرر الكامنة ٢/ ٤٧٨، وحسن المحاضرة ١/ ٤٢٤، وشذرات الذهب ٦/ ٧٧. وفى الطبقات والدرر الكامنة : عماد الدين .

(٧) هى مدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر . انظر النجوم الزاهرة ٩/٣٠٧ (٨)

رمضانَ ، وقد كان حصَّلَ كُتُبًا كثيرةً جيدةً ؛ منها « التهذِيبُ » لشيخِنا المِزِّىِّ .

الشيخُ كمالُ الدِّينِ بنُ الزَّمْلَكانىِّ[1][2] **شيخُنَا الإمامُ العلَّامةُ كمالُ الدينِ أبو المعالِي بنُ الشيخِ علاءِ الدينِ علىِّ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ خطيبِ زَمْلَكا عبدِ الكريمِ بنِ خَلَفِ بنِ نبهانَ الأنصارىُّ الشافعىُّ ، ابنُ الزملكانىِّ**[2] ، شيخُ الشافعيةِ بالشامِ وغيرِها ، انتهتْ إليه رياسَةُ المذهبِ تدريسًا وإفتاءً ومناظرةً ، ويقالُ فى نَسَبِه : السِّماكِىُّ . نِسْبَةً إلى أبى دُجَانَةَ سِماكِ بنِ خَرَشَةَ . واللَّهُ أعلمُ . وُلد ليلةَ الاثنينِ [١٠/١٨٦و] ثامن شَوَّالٍ سنَةَ ستٍّ وستِّينَ وستِّمِائةٍ ، وسمِعَ الكثيرَ ، واشتَغَل على الشيخِ [3]تاجِ الدِّينِ[3] الفَزارِىِّ ، وفى الأُصولِ على القَاضِى بهاءِ الدينِ بنِ الزكىِّ ، وفى النَّحْوِ على بَدْرِ الدينِ بنِ مالكٍ وغيرِهم ، وبرَعَ وحصَّلَ وسادَ أقرانَه مِن أهلِ مذهَبِه ، وحازَ قَصَبَ السَّبْقِ عليهِم بذِهْنِه الوقَّادِ فى تحصيلِ العلْمِ الذى أسهَرَه ومنَعَه الرّقَادَ ، وعِبارَتِه التى هى أشْهَى مِن كُلِّ شىءٍ معتادٍ ، وخَطِّه الذى هو أنضَرُ من أزَاهِيرِ الوِهَادِ ، وقد درَّسَ بعِدَّةِ مدارِسَ بمدينةِ دمشقَ ، وباشَر عِدَّةَ جهاتٍ كِبارٍ ؛ كنَظَرِ الخِزَانَةِ ، ونظَرِ المارَسْتانِ النُّورِىِّ ، وديوانِ المَلِكِ السعيدِ ، ووَكالَةِ بَيْتِ المالِ ، وله تعاليقُ مُفِيدَةٌ ، واختِياراتٌ حميدَةٌ سدِيدَةٌ ، ومناظَراتٌ سعيدَةٌ ، ومِمَّا علَّقَه قِطْعةٌ كبيرةٌ مِن « شرحِ المِنهاجِ » للنَّوَوِىِّ ، ومجلدٌ كبيرٌ فى الرَّدِّ على الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ فى مسألةِ الطَّلاقِ ، وغيرُ ذلك ،

---

(١) ذيول العبر ص ١٥٤، والوافى بالوفيات ٤/ ٢١٤، وفوات الوفيات ٢/ ٤٩٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٩٠، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ١٣، والدرر الكامنة ٤/ ١٩٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى ص : « نجم الدين بن » .

وأمَّا دروسُه فى المحافِلِ فلم أسمَعْ أحدًا مِن الناسِ درَّس أحسَنَ منها ، ولا أجْلَى[1] مِن عِبَارَتِه ، وحُسْنِ تقريرِه ، وجَوْدَةِ احتِرَازاتِه ، وصحَّةِ ذهنِه ، وقُوَّةِ قَرِيحَتِه ، وحُسْنِ نَظْمِه ، وقَد درَّس بالشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، والعذراوِيَّةِ ، والظاهِرِيَّةِ ، والجَوَّانِيَّةِ ، والرَّوَاحِيَّةِ ، والمسرُورِيَّةِ ، فكانَ يُعْطِى كلَّ واحدةٍ منهنَّ حقَّها ، بحيثُ كان يكادُ ينسَخُ بكلِّ واحدٍ من تلك الدُّرُوسِ ما قبلَه مِن حُسْنِه وفَصاحَتِه ، ولا يَهُولُه[2] تَعْدَادُ الدُّروسِ وكثرَةُ الفُقَهَاءِ والفضلاءِ ، بل كلَّما كانَ الجمعُ أكثرَ والفُضَلاءُ أكبرَ ، كانَ الدرسُ [3]أنضَرَ وأنظَرَ[3] وأبهَرَ وأحْلَى [4]وأجْلَى[4] وأنصَحَ وأفْصَحَ . ثم لمّا انتقَل إلى قَضَاءِ حَلَبَ وما معه مِن المدارِسِ العديدَةِ عامَلَها مُعامَلةَ مِثْلِها ، وأوسَعَ فى الفضيلةِ جميعَ أهلِها ، وسمِعُوا مِن العلُومِ ما لم يسْمَعُوا هم ولا آباؤُهم . ثم طُلِبَ إلى الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ليُوَلَّى البلادَ الشاميَّةَ دارَ السُّنَّةِ النبويَّةِ ، فعاجَلَتْه المَنِيَّةُ قبلَ وصُولِه إليها ، فمرِضَ وهو سائرٌ على البريدِ تسعَةَ أيامٍ ، ثم عقَبَ المرَضَ بُحْرانُ[5] الحِمَامِ ، فقبضَه هاذِمُ اللَّذّاتِ ، وحالَ بينَه وبينَ سائرِ الشَّهَواتِ والإرادَاتِ ، و : « الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ ، ومَن كانَت هِجْرَتُه إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أو امرَأةٍ يتزوَّجُهَا ، فهِجْرَتُه إلى مَا هاجَرَ إليه »[6] . وكانَ مِن نِيَّتِه الخَبِيثَةِ إذا

---

(١) فى م ، ص ، والدارس ١/ ٣٢: « أحلى » .

(٢) فى الأصل : « يهبله » ، وفى م : « يهيله » ، وفى ص : « يهتده » . والمثبت من الدارس .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أنظر » ، وفى م : وفى م : « أنضر » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « بحراق » . والبحران بالضم : التغير الذى يحدث للعليل دفعة فى الأمراض الحادة . تاج العروس : (ب ح ر) .

(٦) البخارى (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .

رجَعَ إلى الشَّامِ متَوَلِّيًا أن يُؤْذِىَ شيخَ الإسْلامِ ابنَ تَيْمِيَّةَ ، فدَعا عليه فلم يبْلُغْ أمَلَه ومُرَادَه ، فتُوفِّى فى سَحَرِ يومِ الأربعاءِ سادِسَ عَشَرَ شهرِ رمضانَ بمدينةِ بُلْبَيْسَ ، وحُمِل إلى القاهرةِ ودُفِن بالقَرَافَةِ ليلةَ الخميسِ جِوارَ قُبَّةِ الشافعِىِّ ، تغمَّدهما اللَّهُ برحمتِه .

الحاجُّ علىٌّ المُؤَذِّنُ المشهورُ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، الحاجُّ علىُّ بنُ نوحٍ[1] **بنِ أبى الفَضْلِ الكَتَّانِىُّ** ، كانَ أبُوه مِن خِيارِ المؤذِّنِينَ ، فيه صَلَاحٌ ودينٌ ، وله قَبُولٌ عندَ الناسِ ، وكان حَسَنَ الصوتِ حَهْوَرَه ، وفيه تَوَدُّدٌ وخدمةٌ وكرَمٌ ، وحجَّ غيرَ مرَّةٍ ، وسمِعَ مِن ابنِ[2] أبى عمرَ وغيرِه ، تُوفِّى ليلةَ الأربعاءِ[3] ثالث ذى القَعْدَةِ ، وصُلِّى عليه غُدْوَةً ، ودُفِنَ ببابِ الصَّغِيرِ .

وفِى ذِى القَعْدَةِ تُوفِّى **الشيخُ فَضْلُ** [١٠/١٨٦ظ] **بنُ الشيخِ الرجيحِىِّ التُّونُسِىِّ**[4] ، وأُجْلِسَ أخُوه يُوسُفُ مكانَه بالزَّاوِيَةِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « فرج » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/ ٢١٠.

(٢) سقط من : الأصل ، م . وانظر المصدر السابق .

(٣) فى الأصل : « الاثنين » .

(٤) انظر ترجمته فى : الدارس ٢/ ٢١٦.

ثم دخَلَت سنةُ ثمانٍ وعِشرِينَ وسبعِمائةٍ[1]

فى ذى القَعْدَةِ منها كانت وَفاةُ شيخِ الإسْلامِ أبى العباسِ أحمدَ ابنِ تَيْميَّةَ ، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَه .

اسْتَهَلَّت هذه السنَةُ وحُكَّامُ البِلادِ هم المَذْكُورونَ فى التى قبلَها سوى نائبِ مصرَ وقاضِى حَلَبَ .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ ثانِى المُحَرَّمِ دَرَّسَ بحَلْقَةِ صاحِبِ حِمْصَ[2] الشَّيخُ الحافِظُ صَلاحُ الدِّينِ العَلائِىُّ ، نزَل له عنها شَيْخُنا الحافِظُ المِزِّىُّ ، وحضَر عندَه الفقهاءُ والقُضاةُ والأعيانُ ، وذكَر درسًا حَسَنًا مُفِيدًا . وفى يومِ الجُمُعةِ رابع المحرمِ حضَر قاضِى القُضاةِ عَلاءُ الدِّينِ القُونَوِىُّ مَشْيَخَةَ الشُّيوخِ بالسُّمَيساطِيَّةِ عِوضًا عن القاضى المالِكىِّ شَرَفِ الدِّينِ ، وحَضَر عندَه الفُقهاءُ والصُّوفِيَّةُ على العادَةِ .

وفى يومِ الأحَدِ ثامِنَ عَشَرَ صَفَرٍ دَرَّسَ بالمَسْرُورِيَّةِ تقىُّ الدِّينِ عبدُ الرحمنِ بنُ الشيخِ كَمالِ الدِّينِ بنِ الزَّمْلَكانِىِّ عِوضًا عن جمالِ الدِّينِ بنِ الشَّرِيشِىِّ بحُكْمِ انتِقَالِه إلى قَضاءِ حِمْصَ ، وحَضَر النَّاسُ عندَه وتَرَحَّموا على والِدِه .

وفى يومِ الأحَدِ خامِس عِشْرِينَ صَفَرٍ وصَل إلى دِمَشْقَ الأمِيرُ الكبيرُ صاحِبُ بلادِ الرُّومِ تَمُرْتاش بنُ جُوبان قاصدًا إلى مصرَ ، فخرَج نائبُ السَّلْطَنَةِ والجَيْشُ

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٨٣، وتذكرة النبيه ٢/ ١٨٠، والسلوك ٢/١/ ٢٩١.

(٢) فى الأصل : « مصر » . وانظر الدارس ١/ ٥٩.

لتَلَقِّيه ، وهو شَابٌّ حَسَنُ الصُّورةِ ، تَامُّ الشَّكْلِ ، مَلِيحُ الوجهِ . ولما انتَهى إلى السُّلْطانِ بمِصْرَ أكْرَمه وأعْطاه تَقْدِمَةَ ألفٍ ، وفَرَّقَ أصحابَه على الأُمراءِ فأُكْرِموا إكْرامًا زَائِدًا ، وكان سَبَبَ قُدومِه إلى مصرَ أن صاحِبَ العِراقِ الملكَ بو سعيدٍ كان قد قَتَل أخاه [(١) خَواجا دمشق(١)] فى شَوَّالٍ من السَّنَةِ الماضِيةِ ، فهمَّ والِدُه جُوبان بمُحارَبَةِ السُّلْطانِ بو سعيدٍ ، فلم يتَمَكَّنْ من ذلك ، وكان جُوبان إذْ ذاكَ مُدَبِّرَ المماليكِ ، فخاف تَمُرْتَاش هذا عندَ ذلك من السُّلْطانِ ، ففَرَّ هاربًا بدَمِه إلى السُّلْطانِ الناصِرِ بمِصْرَ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ توَجَّه نائِبُ الشَّامِ سَيْفُ الدِّينِ تَنكِز إلى الدِّيارِ المصْرِيَّةِ لزِيارَةِ السُّلْطانِ ، فأكْرَمَه واحْتَرَمَه ، واشْتَرى فى هذه السَّفْرَةِ دارَ الفُلوسِ التى بالقُرْبِ مِن البزُورِيِّينَ والجَوزِيَّةِ ، وهى شَرْقِيَّهما(٢) ، وقد كان سوقُ البُزوريَّةِ اليومَ يُسَمَّى سُوقَ القَمْحِ ، فاشْتَرَى هذه الدَّارَ ، وعَمَرَها دارًا هائِلَةً ليس بدِمَشْقَ دارٌ أحْسَنَ منها ، وسمَّاهَا دارَ الذَّهَبِ ، وهدَم حَمّامَ سُويدٍ تِلْقاءَها ، وجعَله دارَ قُرْآنٍ وحديثٍ ، [(٣) وجَاءَتْ(٣)] فى غَايَةِ الحُسْنِ أيضًا ، ووقَف عليها أماكنَ ، ورَتَّبَ فيها المشايخَ والطَّلَبَةَ ، كما سيَأْتى تَفْصِيلُه فى مَوْضِعِه ، واجْتازَ فى رُجُوعِه من مصرَ بالقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وزارَه وأمَر ببناءِ حَمّامٍ به ، وببناءِ دارِ حَدِيثٍ أيضًا وخانَقاه ، كما سيَأْتى بيَانُه .

وفى أواخِرِ رَبِيعِ الأوَّلِ وصَلت القَناةُ إلى القُدْسِ الشريفِ التى أمَر بعِمارَتِها

(١ - ١) فى م : « جواجا رمشتق » ، وفى ص : « خواخا دمشق » . وانظر المختصر فى أخبار البشر ٤/ ٩٦، والسلوك ٢/١/ ٢٩٢.

(٢) فى الأصل : « شرقها » ، وفى م : « شرقيها » . ولم ترد فى سياق ص . والمثبت من الدارس ١/ ١٢٣.

(٣ - ٣) سقط من : م .

وتَجْديدِها سَيْفُ الدِّينِ قُطْلُبَك ، فقام بعِمارَتِها مع وُلاةِ تلكَ النَّواحِى ، وفَرِح المسلمونَ بها ، ودخَلت حتى إلى وسَطِ[1] المَسْجِدِ الأقْصَى ، وعُمِل به بِرْكَةٌ هائِلَةٌ ، وهى مُرَخَّمَةٌ [١٠/١٨٧و] ما بينَ الصَّخْرَةِ والأقْصَى ، وكان ابْتِدَاءُ عَمَلِها مِن شَوَّالٍ مِن السَّنَةِ المَاضِيَةِ .

وفى هذه المُدَّةِ عُمِّر سُقوفُ رُواقاتِ[2] المَسْجِدِ الحَرامِ بمكةَ[3] وأبْوابُه[4] ، وعُمِّرَتْ بمكةَ طَهّارةٌ مما يَلِى بابَ بَنِى شَيْبَةَ .

قال البِرْزالِىُّ : وفى هذا الشَّهْرِ كمَلت عِمارَةُ الحَمَّامِ الذى بسُوقِ بابِ تُوماءَ ، وله بابانِ .

قال[3] : وفى رَبِيعِ الآخِرِ نُقِضَ التَّرْخِيمُ الذى بحائطِ جامعِ دِمَشْقَ القِبْلِىِّ من جِهَةِ الغَرْبِ مما يَلِى بابَ الزِّيادَةِ ، فوَجَدُوا الحائِطَ مُتَجافِيًا فخِيفَ من أمْرِه ، وحضَر تَنْكِز بنَفْسِه ومعه القُضاةُ وأرْبابُ الخِبْرَةِ ، فاتَّفَقَ رَأْيُهم على نَقْضِه وإصْلاحِه ، وذلكَ يومَ الجُمُعَةِ بعدَ الصلاةِ سابعِ عشْرِينَ رَبِيعِ الآخِرِ ، فكتَب نائِبُ السَّلْطَنَةِ إلى السُّلْطانِ يُعْلِمُه بذلكَ ويَسْتَأْذِنُه فى عِمارَتِه ، فجاءَ المَرْسُومُ بالإذْنِ فى ذلك ، فشُرِع فى نَقْضِه يومَ الجُمُعةِ خَامِس[5] عشْرِينَ جُمادَى الأُولَى ، وشَرَعُوا فى عِمارَتِه يومَ الأحَدِ تاسِعَ عَشَرَ[6] جُمادَى الآخِرَةِ ، وعُمِل مِحْرابٌ فيما بينَ بابِ[3] الزِّيادَةِ ومَقْصورَةِ الخَطابَةِ يُضاهِى مِحْرابَ الصحابةِ ، ثم

---

(١) فى م : « شط » .

(٢) فى م : « شرافات » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « إيوانه » .

(٥) فى الأصل : « سابع » .

(٦) سقط من : الأصل ، م . وانظر الدارس ٢/ ٣٩٤.

جَدُّوا ولازَمُوا فى عِمارَتِه ، وتَبَرَّع كثيرٌ مِن النَّاسِ بالعَمَلِ فيه مِن سائِرِ النَّاسِ ، فكان يَعْمَلُ فيه كُلَّ يومٍ أزْيَدُ مِن مِائَةِ رجلٍ ، حتى كمَلت عِمَارَةُ الجِدارِ وأُعِيدَت طاقاتُه وسُقُوفُه فى العِشْرِينَ مِن رَجَبٍ ، وذلك بهِمَّةِ تَقِيِّ الدِّينِ بنِ مَرَاجِلٍ ، وهذا مِن العَجَبِ ، فإنه نُقِضَ الجِدارُ وما يُسامِتُه مِن السَّقْفِ وأُعِيدَ فى مُدَّةٍ لا يتَخَيَّلُ إلى أحَدٍ أنَّ عَمَلَه يَفْرُغُ فيما يُقارِبُ هذه المُدَّةَ جَزْمًا ، وساعَدَهم على سُرْعَةِ الإعادَةِ حِجارَةٌ وجَدُوها فى أسَاسِ الصَّوْمَعَةِ الغَرْبِيَّةِ التى عندَ الغَزّالِيَّةِ ، وقد كان فى كُلِّ زاوِيةٍ مِن هذا المَعْبَدِ صَوْمَعةٌ كما فى الغَرْبِيَّةِ والشَّرْقِيَّةِ القِبْلِيَّتَيْنِ منه ، فأُبِيدَت الشَّماليَّتان قديمًا ، ولم يَبْقَ منهما مِن مُدَّةِ ألوفٍ مِن السنينَ سِوى أُسِّ هذه المِئْذَنَةِ الغربيةِ الشَّماليَّةِ ، فكانتْ مِن أكْبَرِ العَوْنِ على إعادةِ هذا الجِدارِ سريعًا ، ومِن العجبِ أن ناظِرَ الجامعِ ابنَ مَرَاجِلٍ لم يَنْقُصْ أحدًا مِن أرْبابِ المُرَتَّباتِ على الجامعِ شيئًا مع هذه العِمَارَةِ .

وفى ليلةِ السبتِ خامس جُمادَى الأُولَى وقَع حَرِيقٌ عَظِيمٌ بالفرّائِين[1] ، واتَّصَل بالرماحين ، واحْتَرَقَت القَيْسَارِيَّةُ والمَسْجِدُ الذى هناك ، وهلَك للناسِ شىءٌ كثيرٌ مِن الفِراءِ والجُوخِ[2] والأقْمِشَةِ ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون .

وفى يومِ الجُمُعةِ[3] عاشِره بعدَ الصلاةِ صُلِّىَ على القاضِى شَمْسِ الدِّينِ بنِ الحريرِىِّ قاضِى قُضاةِ الحَنَفِيَّةِ بمصرَ ، وصُلِّى عليه صلاةُ الغائِبِ بدِمَشْقَ . وفى هذا اليومِ قَدِم البريدُ بطَلَبِ بُرْهانِ الدِّينِ بنِ عَبْدِ الحَقِّ الحنفىِّ إلى مصرَ لِيَلِىَ القَضاءَ بها

---

(١) فى م : « بالقرايين » ، وفى ص : « بالقواسين » . وانظر دول الإسلام ٢/ ٢٣٧، وذيول العبر ص ١٥٦.
(٢) الجوخ : نسيج صفيق من الصوف . الوسيط (ج و خ) .
(٣) فى ص : « السبت » .

بعدَ ابنِ الحَرِيرِىِّ ، فخَرج مُسافِرًا إليها ، ودخَل مصرَ فى خامِسِ عِشْرِينَ جُمادَى الأُولَى ، واجْتَمَع بالسلْطانِ فوَلَّاه القَضاءَ وأكْرَمه وخلَع عليه وأعْطَاه بَغْلةً بزُنارِىٍّ ، وحكَم بالمدرسةِ الصّالِحِيّةِ بحَضْرَةِ القُضاةِ والحُجَّابِ ، [١٠/١٨٧ظ] ورُسِم له بجميعِ جهاتِ ابنِ الحَرِيرِىِّ .

وفى يومِ الاثنينِ تاسِع جُمادَى الآخِرَةِ أُخْرِج ما كان عندَ الشيخِ تَقِىِّ الدِّينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ مِن الكُتُبِ والأوْراقِ والدَّواةِ والقَلمِ ، ومُنِع مِن الكَتْبِ والمُطالَعَةِ ، وحُمِلَتْ كُتُبُه فى مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ إلى خِزانَةِ الكُتُبِ بالعادِلِيَّةِ الكبيرةِ . قال البِرْزالِىُّ : وكانتْ نَحْوَ سِتِّينَ مُجَلَّدًا ، (١وأرْبَعَ عَشْرَةَ١) رَبْطَةَ كَراريسَ ، فنظَر القُضاةُ والفُقَهاءُ فيها وتفرَّقوها بينَهم . وكان سَبَبَ ذلك أنه أجابَ لما كان رَدَّ عليه التقىُّ بنُ الأخْنائِىِّ المالِكِىُّ فى مسْألةِ الزِّيارَةِ ، فرَدَّ عليه الشيخُ تَقِىُّ الدِّينِ واسْتَجْهَلَه ، وأعْلَمَه أنه قَلِيلُ البِضاعَةِ فى العلمِ ، فطلَع الأخْنائِىُّ إلى السُّلْطانِ وشَكاه ، فرَسَم السُّلْطانُ عندَ ذلك بإخْراجِ ما عندَه مِن ذلك ، وكانَ ما كان ، كما ذكَرْنا .

وفى أواخِرِه رُسِم لعَلاءِ الدِّينِ بنِ القَلانِسِىِّ فى الدَّسْتِ مكانَ أخِيه جمالِ[٢] الدِّينِ تَوقِيرًا لخاطِرِه عن المُباشَرَةِ ، وأن يكونَ مَعْلُومُه على قضاءِ العَساكرِ والوَكالةِ ، وخُلِع عليهما بذلك .

وفى يومِ الثلاثاءِ[٣] ثالث عشْرين رَجَبٍ رُسِم للأئِمَّةِ الثَّلاثَةِ ؛ الحنفىِّ والمالكىِّ

(١ - ١) فى ص : «أحد عشر» .

(٢) فى ص : «عماد» .

(٣) فى ص : «الجمعة» . وانظر الدارس ٢/ ٣٩٥.

والحَنْبَلِيِّ بالصلاةِ فى الحائطِ القِبْلِيِّ مِن الجامعِ الأُمَوِيِّ ، فعُيِّنَ المِحْرابُ الجديدُ الذى بينَ بابِ الزِّيادَةِ والمَقْصورَةِ للإمامِ الحَنَفِيِّ ، وعُيِّنَ مِحْرابُ الصَّحابةِ للمالِكِيِّ ، وعُيِّنَ مِحْرابُ مَقْصورَةِ الخَضِرِ الذى كان يُصَلِّى فيه المالِكِيُّ للحَنْبَلِيِّ ، وعُوِّض إمامُ مِحْرابِ الصَّحابةِ بالكَلَّاسَةِ ، وكان قبلَ ذلك فى حالِ العِمارَةِ قد بلَغ مِحْرابَ الحنفيةِ مِن المَقْصورَةِ المَعْروفةِ بهم ، ومِحْرابَ الحنابلةِ من خلفِهم فى الرُّواقِ الثالثِ الغَرْبِيِّ - وكانا بينَ الأعْمِدَةِ - فنُقِلَتْ تلكَ المحارِيبُ ، وعُوِّضوا بالمحارِيبِ المُسْتَقِرَّةِ فى الحائِطِ القِبْلِيِّ ، واسْتَقَرَّ الأمرُ كذلك .

وفى العِشْرِينَ مِن شَعْبانَ مُسِكَ الأميرُ تَمُرْتاش بنُ جُوبان الذى أتَى هاربًا إلى السُّلْطانِ النَّاصِرِ بمصرَ وجماعَةٌ من أصحابِه ، وحُبِسُوا بقَلْعَةِ مِصْرَ ، فلمَّا كان ثانِى شَوَّالٍ أُظْهِرَ موتُه ، يقالُ : إنه قَتَله السُّلْطانُ ، وأرْسَل رأسَه إلى بو سعِيدٍ صاحبِ العِراقِ ابنِ خَرْبَنْدا ملكِ التَّتارِ .

وفى يومِ الاثنينِ ثانِى[1] شَوَّالٍ خرَج الرَّكْبُ الشَّامِيُّ وأميرُه فخرُ الدِّينِ [2]بنُ محمدِ[2] بنِ الأميرِ شَمْسِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ الحَلَبِيُّ أحَدُ أُمراءِ دِمَشْقَ ، وقاضِيه قاضِى قُضَاةِ الحَنابلةِ عِزُّ الدِّينِ بنُ التَّقِيِّ سُلَيمانَ .

وممن حَجَّ ؛ الأميرُ حُسامُ الدينِ البَشْمَقْدار[3] ، والأمِيرُ قَبْجَق ، والأمِيرُ حسامُ الدينِ بنُ النَّجِيبِيِّ ، وتقيُّ الدينِ بنُ السَّلْعُوسِ ، وبَدْرُ الدينِ بنُ الصَّائغِ ، وابْنَا

---

(١) فى ص : « ثامن » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « عثمان » . وهو عثمان بن محمد بن لؤلؤ ، وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

(٣) فى الأصل : « الشمقدار » ، وفى م : « الشميقدار » ، وفى ص : « اليشمقدار » . والبشمقدار : هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير . صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩. وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٣١٧.

جَهْبَلٍ، والفَخْرُ المِصْرِىُّ، والشَّيْخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالِىُّ، وشِهابُ الدينِ الظاهِرِىُّ.

وقبلَ ذلك بيومٍ حكَم القاضِى المَنْفَلوطِىُّ الذى كان حاكمًا ببَعْلَبَكَّ بدمشقَ نيابةً عن شَيْخِه قاضِى القضاةِ علاءِ الدينِ القُونَوِىِّ، وكان مَشْكُورَ السِّيرةِ، تألَّمَ أهلُ بَعْلَبَكَّ لفقدِه، فحكَم بدِمَشْقَ عِوضًا عن القُونوِىِّ بسببِ عَزْمِه على الحجِّ، ثم لمَّا رجَع الفَخْرُ من الحجِّ عاد إلى الحُكْمِ، واسْتَمَرَّ المَنْفَلوطِىُّ يَحْكُمُ أيضًا، فصاروا [١٠/١٨٨و] ثلاثةَ نُوَّابٍ؛ ابنُ جُمْلَةَ[1]، والفَخْرُ المصرىُّ، والمَنْفَلُوطِىُّ.

وسافرَ القاضِى معينُ الدينِ بنُ الحَشِيشِ فى ثانِى عِشْرِينَ شَوَّالٍ إلى القاهرةِ لينوبَ عن القاضِى فخرِ الدينِ كاتبِ المماليكِ إلى حينِ رُجُوعِه مِن الحِجازِ، فلما وصَل وَلِىَ حِجابةَ ديوانِ الجيشِ، واسْتَمَرَّ هناك، واسْتَقَلَّ قُطْبُ الدينِ بنُ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ بنظرِ الجيشِ بدمشقَ على عادتِه.

وفى شَوَّالٍ خُلِع على أمينِ المُلْكِ بالديارِ المصريةِ، ووُلِّىَ نَظَرَ الدواوينِ، فباشَرَه شَهرًا ويومينِ، وعُزِل عنه.

ذِكْرُ وَفاةِ الشيخِ تَقِىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ[2]

قال الشيخُ عَلَمُ الدينِ البِرْزالِىُّ فى «تاريخِه»: وفى ليلةِ الاثنينِ العِشرينَ من

---

(١) فى ص: «جماعة».

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٨٤، والوافى بالوفيات ٧/ ١٥، وفوات الوفيات ١/ ٧٤، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٧، والدرر الكامنة ١/ ١٥٤، وشذرات الذهب ٦/ ٨٠، والبدر الطالع ١/ ٦٣.

ذى القَعْدَةِ تُوفِّى الشيخُ الإمامُ العَلّامةُ الفقيهُ الحافظُ القدوةُ ، شيخُ الإسلامِ تَقِىُّ الدينِ أبو العَبَّاسِ أحمدُ بنُ شَيْخِنا الإمامِ العَلّامةِ المُفتى شِهابِ الدينِ أبى المحاسِنِ عبدِ الحليمِ بنِ الشيخِ الإمام شيخِ الإسلامِ مجدِ الدينِ أبى البَرَكاتِ عبدِ السَّلامِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى القاسمِ ، ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِىُّ ثم الدِّمَشْقِىُّ ، بقَلْعَةِ دِمشقَ بالقاعَةِ التى كان مَحْبوسًا فيها ، وحضَر جمعٌ كثيرٌ إلى الغايةِ إلى القَلْعَةِ ، فأُذِن لهم فى الدُّخولِ ، وجلَس جماعةٌ عندَه قبلَ الغسْلِ وقرءُوا القرآنَ ، وتَبَرَّكوا برُؤْيَتِه وتَقْبِيلِه ، ثم انْصَرفوا ، وحضَر جماعةٌ مِن النِّساءِ ففعَلوا مثلَ ذلك[1] ثم انْصَرَفوا ، واقْتُصِر على مَن يُغَسِّلُه ، فلما فُرِغ من ذلك أُخْرِج وقد اجْتَمَع الناسُ بالقَلْعَةِ والطريقِ إلى الجامعِ ، وامْتلأ الجامِعُ وصَحْنُه ، والكَلّاسَةُ ، وبابُ البَريدِ ، وبابُ الساعاتِ ، إلى اللَّبّادِينِ والفوارةِ[2] ، وحضَرتِ الجِنازَةُ فى الساعةِ الرابعةِ مِن النهارِ أو نحوِ ذلك ، ووُضِعَتْ فى الجامعِ والجندُ يَحْفَظُونها مِن الناسِ من شِدَّةِ الزِّحامِ ،وصُلِّى عليه أوَّلًا بالقَلعَةِ ، تَقَدَّم فى الصَّلاةِ عليه الشَّيْخُ محمدُ بنُ تَمّامٍ ، ثم صُلِّى عليه بجامعِ دِمشقَ عَقِيبَ صلاةِ الظهرِ ، وحُمِل من بابِ البريدِ ، واشْتَدَّ الزِّحامُ ، وألقى النّاسُ على نَعْشِه منادِيلَهم وعمائِمَهم للتبرُّكِ ، وصارَ النَّعْشُ على الرُّءوسِ ، تارةً يتَقَدَّمُ وتارةً يتأخَّرُ ، وخرَج النَّاسُ مِن الجامعِ من أبْوابِه كلِّها من شِدَّةِ الزِّحامِ ، وكان المُعْظَمُ مِن الأبوابِ الأرْبَعَةِ ؛ بابِ الفَرَجِ الذى أُخْرِجَتْ منه الجِنازةُ ، وبابِ الفَرادِيسِ ، وبابِ النَّصْرِ ، وبابِ الجابِيةِ ، وعَظُمَ الأمْرُ بسوقِ الخَيلِ ، وتقَدَّم للصَّلاةِ عليه هناك أخوه زينُ الدِّينِ عبدُ الرحمنِ ، وحُمِل إلى مَقْبَرةِ الصُّوفيةِ ، فدُفِن إلى جانِبِ أخيه شَرَفِ الدِّينِ عبدِ اللَّهِ ، رحِمَهما اللَّهُ ،

---

(١) ذكر ابن رجب أنهن من أقارب الشيخ ، ولم يذكر أنهن قبلنه . ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٦.

(٢) فى م : « الغوارة » ، وفى ص : « الفوادة » . وانظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٦.

وكان دَفْنُه وقتَ العَصْرِ أو قَبْلَها بيسيرٍ، وغَلَّقَ الناسُ حَوانِيتَهم، ولم يتَخَلَّفْ عن الحُضورِ إلا القليلُ مِن الناسِ أو مَن عجَز لأجلِ الزِّحامِ، وحضَرها نساءٌ كثيرٌ بحيثُ حُزِرنَ (١بخَمْسَةَ عَشَرَ ألفًا١)، وأما الرجالُ (٢فحُزِروا بستينَ ألفًا وأكْثَرَ٢) إلى مائتَيْ ألْفٍ، وشَرِب جماعةٌ الماءَ الذى فَضَل من غَسْلِه، واقْتَسَم جماعةٌ بَقِيَّةَ السِّدْرِ الذى غُسِّل به، وقيل: إنَّ الطَّاقِيَّةَ التى كانت على رَأسِه دُفِع فيها خَمْسُمائةِ دِرهمٍ. وقِيل: إنَّ الخَيطَ الذى كان فيه الزِّئْبَقُ الذى كان فى عُنُقِه بسببِ القَمْلِ، دُفِعَ فيه مائةٌ وخمسونَ دِرهمًا. وحصَل فى الجنازةِ ضجيجٌ وبكاءٌ وتَضَرُّعٌ، وخُتِمَت له خَتَماتٌ كثيرةٌ بالصَّالِحِيَّةِ والبلدِ، وتَرَدَّدَ الناسُ إلى قَبْرِه أيَّامًا كثيرةً ليلًا ونهارًا، ورُئِيَتْ له مناماتٌ كثيرةٌ صالحةٌ، ورَثاه جَماعَةٌ [١٠/١٨٨ظ] بقصائِدَ جَمَّةٍ.

وكان مَوْلِدُه يومَ الاثْنين عاشِر رَبيعِ الأوَّلِ بحَرَّانَ سنةَ إحْدَى وسِتِّينَ وسِتِّمائةٍ، وقَدِم مع والِدِه وأهلِه إلى دمشقَ وهو صغيرٌ، فسَمِع الحديثَ من ابنِ عبدِ الدائمِ، وابنِ (٣أبى اليُسْرِ٣)، وابنِ عبدٍ(٤)، والشيخِ شَمْسِ الدِّينِ الحَنْبَلِيِّ، والقاضى شَمْسِ الدِّينِ بنِ عطاءٍ الحَنَفِيِّ، والشيخِ جمالِ الدِّينِ بنِ الصَّيْرَفِيِّ، ومَجْدِ الدينِ بنِ عساكِرَ، والشيخِ جمالِ الدِّينِ البَغْدادِيِّ، والنَّجِيبِ بنِ المِقْدادِ، وابنِ أبى الخَيْرِ، وابنِ عَلّان، و(٥ابنِ أبى بكرٍ الهَرَوِيِّ٥)، والكَمالِ عبدِ الرَّحيمِ،

(١ - ١) فى الأصل: «نحو من عشرين ألف». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/٢٨٤.

(٢ - ٢) فى الأصل: «بمائة ألف»، وفى م: «فحزروا بستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك».

(٣ - ٣) فى الأصل: «أبى الخير»، وفى ص: «عبد الخير». وانظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧. وسيذكر المصنف ابن أبى الخير قريبا.

(٤) فى م: «عبدان». وانظر المصدر السابق.

(٥ - ٥) فى م: «ابن أبى بكر اليهودى»، وفى ص: «أبى بكر الهروى».

والفَخْرِ عَلِيٍّ ، وابنِ شَيْبانَ ، والشَّرَفِ بنِ القَوَّاسِ ، وزيْنَبَ بنتِ مَكِّيٍّ ، وخَلْقٍ كثيرٍ ، وقرأ بنَفْسِه الكَثِيرَ ، وطلَب الحديثَ ، وكتَب الطِّباقَ والأثْباتَ ، ولازَم السَّماعَ بنَفْسِه مُدَّةَ سنينَ ، ثم اشْتَغَل بالعلومِ ، وكان ذَكِيًّا كثيرَ المَحْفوظِ ، فصارَ إمامًا فى التفسيرِ وما يتَعَلَّقُ به ، عارفًا بالفقهِ واختِلافِ العلماءِ ، والأصْلَيْن والنحـوِ واللغـةِ ، وغيرِ ذلك من العلومِ النَّقْلِيَّةِوالعَقْلِيَّةِ ، وما تَكَلَّم معه فاضِلٌ فى فَنٍّ من الفُنونِ العلميَّةِ إلا ظَنَّ أنَّ ذلك الفَنَّ فَنُّه ، ورآه عارفًا به مُتْقِنًا له ، وأما الحديثُ فكانَ حافِظًا له مَتْنًا وإسنادًا ، مُمَيِّزًا بيـنَ صَحِيحِه وسَقِيمِه ، عارفًا برِجالِه مُتَضَلِّعًا مِن ذلك ، وله تَصانِيفُ كثيرةٌ وتَعالِيقُ مُفيدةٌ فى الأُصولِ والفُروعِ ، كَمَّل منها جُمْلَةً وبُيِّضَتْ وكُتِبتْ عنه ، وجُمْلةٌ كبيرةٌ لم يُكْمِلْها ، وجُمْلَةٌ كَمَّلَها ولكنْ لم تُبَيَّضْ .

وأثْنَى عليه وعلى فَضائلِهِ جماعةٌ مِن علماءِ عَصْرِه ، مثلَ القاضِى الخُوبِىِّ ، وابنِ دَقِيقِ العيدِ ، وابنِ النَّحاسِ ، وابنِ الزَّمْلَكانِىِّ وغيرِهم .

ووَجَدْتُ بخَطِّ ابنِ الزَّمْلَكانِىِّ أنه اجْتَمَعَتْ فيه شروطُ الاجْتِهادِ على وَجْهِها ، وأنَّ له اليدَ الطُولَى فى حُسْنِ التَّصْنِيفِ ، وجَوْدَةِ العِبارَةِ والتَّرْتِيبِ ، والتَّقْسِيمِ والتَّبْيِينِ ، وكَتَب على مُصَنَّفٍ له هذه الأبْياتَ :

ماذا يَقُولُ الواصِفُونَ له ... وصِفاتُه جَلَّتْ عن الحَصْرِ
هو حُجَّةٌ للَّهِ قاهرةٌ ... هو بيـنَنا أعجُوبةُ الدَّهْرِ
هو آيةٌ فى الخَلْقِ ظاهرةٌ ... أنوارُها أرْبَتْ على الفَجْرِ

وهذا الثَّناءُ عليه وكان عُمْرُه نحوَ الثَّلاثِينَ سنةً ، وكان بَيْنى[1] وبَيْنَه مودةٌ

---

(١) فى الأصل : « بينه » .

وصُحْبَةٌ من الصِّغَرِ، وسماعُ الحديثِ والطَّلَبُ من نحوِ خمسينَ[1] سنةً، وله فَضائِلُ كثيرةٌ، وأسماءُ مُصَنَّفاتِه وسيرتُه وما جرَى بَيْنَه وبينَ الفقهاءِ والدولةِ، وحَبْسُه مَرَّاتٍ، وأحوالُه، لا يَحْتَمِلُ ذِكْرَ جَمِيعِها هذا المَوْضِعُ فى هذا الكِتابِ.

ولمّا ماتَ كنتُ غائبًا عن دِمَشْقَ بطريقِ [١٠/١٨٩و] الحِجازِ الشريفِ، وبلَغَنا خَبَرُه بعدَ موتِه بأكثرَ من خَمْسِينَ يومًا لما وَصَلْنا إلى تَبُوكَ، وحصَل التَّأَسُّفُ لفَقْدِه، رَحِمه اللَّهُ تعالى. هذا لَفْظُه فى هذا المَوْضِعِ من «تارِيخِه».

ثم ذكَر الشيخُ عَلَمُ الدِّينِ فى «تاريخِه» بعدَ إيرادِ هذه الترجمةِ جِنازَةَ أبى بكرِ بنِ أبى داودَ وعِظَمَها، وجِنازَةَ الإمامِ أحمدَ ببغدادَ وشُهْرَتَها، وقولَه: بينَنا وبينَ أهْلِ البدعِ يومُ الجنائزِ. ولا شَكَّ أنَّ جِنازَةَ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ كانت هائلةً عظيمةً، بسببِ كَثْرَةِ أهْلِ بلَدِه واجْتِماعِهم لذلك، والشيخُ تقيُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، رحِمه اللَّهُ، تُوفِّى ببلَدِه دمشقَ، وأهْلُها لا يَعْشُرُونَ[2] أهْلَ بغدادَ كثرةً، ولكِنَّهم اجْتَمَعُوا لجِنازَتِه اجْتماعًا لو جمَعهم سُلْطانٌ قاهِرٌ ودِيوانٌ حاصِرٌ لما بلَغُوا هذه الكَثْرَةَ التى انْتَهوا إليها، هذا مع أنَّه مات بالقلعة مَسْجونًا من جِهَةِ السُّلْطانِ، وكثيرٌ مِن الفقهاءِ يَذْكُرون عنه أشياءَ كثيرةً، مما يَنْفِرُ منها أهلُ الأدْيانِ، واتَّفَق وفاتُه فى سَحَرِ ليلةِ الاثْنَينِ المذْكُورِ، فذَكَر ذلك مُؤَذِّنُ القَلْعَةِ على المَنارَةِ بها، وتكَلَّم به الحُرّاسُ على الأبْرِجَةِ، فما أصْبَحَ الناسُ إلَّا وقد [3]تَسامَعوا بهذا[3] الخَطْبِ العَظِيمِ والأمْرِ الجسيمِ، فبادَر الناسُ على الفورِ إلى الاجتماعِ حَوْلَ القَلْعَةِ من كلِّ مكانٍ أمْكَنَهم المَجِىءُ منه، حتى مِن الغُوطَةِ والمَرْجِ، ولم يَطْبُخْ أهْلُ

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «يعدون»، وفى ص: «يعتبرون».

(٣ - ٣) فى الأصل: «تسابقوا لهذا».

الأسواقِ شيئًا ، ولا فَتَحوا كثيرًا من الدَّكاكِينِ التى مِن شَأْنِها أن تُفْتَحَ أوائلَ النَّهارِ على العادةِ ، وكان نائبُ السَّلْطَنةِ سَيْفُ الدينِ تَنْكِز فى بعضِ الأماكنِ يتَصَيَّدُ ، فحارتِ الدولةُ ماذا يَصْنَعونَ ، وجاء الصَّاحِبُ شمسُ الدِّينِ غِبْرِيالُ إلى نائبِ القَلْعَةِ فعَزَّاه فيه ، وجلَس عندَه وفَتَح بابَ القَلْعَةِ وبابَ القاعةِ لمن يَدْخُلُ مِن الخَواصِّ والأصْحابِ والأحْبابِ ، فاجْتَمَع عندَ الشَّيْخِ فى قاعَتِه خَلْقٌ من أخِصَّاءِ أصحَابِه مِن البلدِ والصَّالِحِيَّةِ ، وجَلَسُوا حَوْلَه وهم يَبْكُون ويُثْنُون ، وكنتُ فى مَن حَضَر هناك مع شَيْخِنا الحافظِ أبى الحَجّاجِ المِزِّىِّ ، رَحِمه اللَّهُ ،وكَشَفْتُ عن وَجْهِ الشيخِ ونَظَرْتُ إليه وعلى رأسِه عِمامةٌ بعَذَبَةٍ مَغْرُوزَةٍ وقد عَلاه الشَّيْبُ أكثرَ ممَّا فارَقْناه . وأخْبَر الحاضِرينَ أخُوه زَيْنُ الدِّينِ عبدُ الرحمنِ أنه قَرَأ هو والشيخُ منذُ دَخَلا القَلْعَةَ ثمانِينَ خَتْمَةً وشَرَعا فى الحادِيةِ والثَّمانينَ ، فانْتَهَيَا إلى آخِرِ « اقْتَرَبَتْ » ، فشرَع عندَ ذلك الشَّيْخانِ الصَّالِحانِ ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ المُحِبِّ[1] ، وعبدُ اللَّهِ الزُّرَعِىُّ الضَّريرُ - وكان الشيخُ يُحِبُّ قراءَتَهما - فابْتَدَآ من أوَّلِ سورةِ « الرَّحْمَنِ » حتى خَتَما القرآنَ وأنا حاضِرٌ أسمعُ وأرَى .

ثم شرَعُوا فى غسْلِ الشيخِ - وخَرَجْتُ إلى مَسْجدٍ هناك - ولم يَمْكُثْ عندَه إلَّا مَن ساعَدَ فى تغْسِيلِه ، وفيهم شَيْخُنا الحافِظُ المِزِّىُّ وجماعةٌ من كبارِ الصالِحِينَ ، فما فُرِغ منه حتى امتَلأَتِ القَلْعَةُ [2]بالرجالِ ، وكذلكَ ما حولها إلى الجامعِ ، فصُلِّى عليه بدَرَكاتِ القَلْعَةِ[2] ، وضَجَّ [١٠/١٨٩ظ] الناسُ بالبكاءِ والثَّناءِ والدعاءِ والترحُّمِ ، ثم سارُوا به إلى الجامعِ فسَلَكوا طريقَ العِماديَّةِ على العادِلِيَّةِ الكبيرةِ ، ثم عَطَفوا إلى بابِ البريدِ ؛ وذلك لأنَّ سُويقَةَ بابِ البريدِ كانتْ قد

---

(١) فى الأصل : « الحبنا » . وانظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٦.

(٢ - ٢) سقط من : م .

هُدِمَتْ لتُصْلَحَ ، ودَخلوا بالجنازَةِ الجامعَ الأُمَوىَّ ، والخلائقُ فيه لا يعْلَمُ عَدَدَهم إلا اللَّهُ تعالى ، فصرَخ صارِخٌ : هَكَذا تكونُ جنائِزُ أئِمَّةِ السُّنَّةِ . فتباكَى النَّاسُ عندَ سماعِ ذلك الصَّارِخِ ، ووُضِع الشَّيْخُ فى مَوْضِعِ الجنائزِ مما يلى المَقْصُورَةَ ، وجلَس النَّاسُ على غيرِ صُفوفٍ ، بل مَرْصُوصِينَ لا يَتَمَكَّنُ أحدٌ مِنَ السُّجُودِ إلا بكُلْفَةٍ ، وذلك قبلَ أذانِ الظهرِ بقليلٍ ، وجاءَ النَّاسُ مِن كلِّ مكانٍ ، وكَثُروا كَثْرَةً لا تُوصَفُ ، فلمَّا أذَّن الظهْرُ وفُرِغ مِن الأذانِ أُقِيمتِ الصَّلاةُ على السُّدَّةِ بخِلافِ العادَةِ ليُسْرِعُوا بالناسِ ، فلما فَرَغُوا مِن صَلاةِ الظهرِ خرَج نائبُ الخَطِيبِ لغيبتِه بالديارِ المصريةِ فصَلَّى عليه إمامًا ؛ وهو الشيخُ علاءُ الدينِ بنُ[1] الخَرَّاطِ ، ثم خرَج الناسُ مِن كلِّ مكانٍ مِن سائرِ أبوابِ الجامعِ والبلدِ كما ذكَرْنا ، واجْتَمَعوا بسُوقِ الخَيْلِ ، ومِن النَّاسِ مَن تَعَجَّلَ إلى مقابرِ الصُّوفِيَّةِ ، والناسُ فى بكاءٍ وتهليلٍ ، ودُعاءٍ وثناءٍ ، وتَأَسُّفٍ ،والنِّساءُ فوقَ الأسْطِحَةِ مِن هناكَ إلى المَقْبَرَةِ يَبْكِينَ ويَدْعِينَ .

وبالجملةِ كان يومًا مَشْهودًا لم يُعْهَدْ مِثْلُه بدِمَشقَ ، اللهُمَّ إلا أن يكونَ فى زَمَنِ بنى أُمَيَّةَ حينَ كان النَّاسُ بها كثيرًا جِدًّا ، ثم دُفِن عندَ أخِيه قريبًا من أذانِ العَصْرِ ، ولم يتَخَلَّفْ مِن الناسِ إلا القليلُ مِن الضُّعَفاءِ والمُخَدَّراتِ ، وما عَلِمْتُ أحدًا من أهْلِ العلمِ تَخَلَّفَ عن الحُضورِ فى جِنازَتِه إلَّا النَّفَرَ اليسيرَ ، وتَرَدَّد شَيْخُنا الإمامُ العلامَةُ برهانُ الدينِ الفزارىُّ إلى المَقْبَرةِ فى الأيامِ الثلاثةِ وكلَّ يومٍ بُكْرةَ النهارِ ، ويعودُ وهو راكبٌ على حِمارِه و عليه الجلالةُ والوقارُ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

---

(١) سقط من : الأصل ، م . وانظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٦.

وعُمِلَتْ له ختَماتٌ كثيرةٌ ، ورُئِيَتْ له مَناماتٌ باهرةٌ صالحةٌ عَجِيبةٌ ، ورُثِيَ بأشعارٍ كثيرةٍ جدًّا . وقد أُفْرِدَت له تَراجِمُ كثيرةٌ ، وصَنَّفَ فى ذلكَ جماعةٌ من الفُضَلاءِ وغيرهم . وسنَحْصُرُ مِن مجموعِ ذلك ترجمةً وجيزةً فى ذِكْرِ مناقِبِه وفضائِلِه وشجاعَتِه وكرمِه ونُصْحِه وزهادَتِه وعبادِته وعلومِه الكثيرةِ المُحَرَّرَةِ ، ومُصَنَّفَاتِه الكبارِ والصغارِ فى العلومِ ، ومفرداتِه فى الاخْتِياراتِ التى نصَرها وأفْتَى بها .

وبالجملةِ كان من كبارِ العلماءِ وممّن يُصِيبُ ويُخْطِئُ، وقد صَحَّ فى « البُخارِىِّ »[1] : « إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » . وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنَسٍ : كُلُّ أحدٍ يُؤْخَذُ مِن قَوْلِه ويُتْرَكُ إلا صاحبَ هذا القبرِ .

وفى السَّادِسِ والعِشْرِينَ مِن ذى القَعْدَةِ نقَل نائبُ السلطنةِ سيفُ الدينِ تَنْكِز حواصِلَه وأموالَه من دارِ الذَّهَبِ داخِلَ بابِ الفَرادِيسِ [١٠/١٩٠و] إلى الدارِ التى أنْشَأها ، وكانت تُعْرَفُ بدارِ فلوسٍ ، فسُمِّيَتْ دارَ الذهبِ . وعَزَل خَزِنْدَارَه ناصرَ الدينِ محمدَ بنَ عِيسَى ، ووَلَّى مكانَه مَمْلُوكَه أباجى .

وفى هذا الشهرِ الثانى والعشرين منه ، جاء إلى مدينةِ عَجْلونَ سَيْلٌ عظيمٌ مِن أوَّلِ النهارِ إلى العصرِ ، فهدَم من جامِعِها وأسواقِها ورِباعِها ودُورِها شيئًا كثيرًا ، وغَرِق سَبْعَةُ نفرٍ ، وهلَك للناسِ شىءٌ كثيرٌ مِن الأموالِ والغَلَّاتِ والأمْتِعَةِ والمَواشِى ، ما يقاربُ قِيمَتُه ألْفَ ألفِ دِرْهَمٍ . واللَّهُ أعلَم ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعُون .

---

(١) صحيح البخارى (٧٣٥٢) .

وفى يومِ الأحدِ ثامنَ عَشَرَ ذى الحِجَّةِ أَلْزَمَ القاضِى الشَّافِعىُّ الشيخُ علاءُ الدِّينِ القُونَوِىُّ جماعةَ الشُّهودِ بسائرِ المراكزِ أن يُرْسِلوا فى عمائِمِهم العَذَباتِ ليتَمَيَّزُوا بذلك عن عَوامِّ الناسِ ، ففَعَلُوا ذلك أيامًا ثم تَضَرَّرُوا من ذلك ، فأرْخَص لهم فى تَرْكِها ، ومنهم من اسْتَمَرَّ بها .

وفى يومِ الثُّلاثاءِ عشْرِينَ ذى الحِجَّةِ أُفْرِج عن الشيخِ الإمامِ العالمِ العلامَةِ أبى عبدِ اللَّهِ شمسِ الدينِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ، وكان مُعْتَقَلًا بالقَلْعَةِ أيضًا ، من بعدِ اعتقالِ الشيخِ تقىِّ الدينِ بأيامٍ من شعبانَ سنةَ سِتٍّ وعشرينَ إلى هذا الحينِ .

وجاءَ الخبرُ بأنَّ السلطانَ أفْرَج عن الجَاوِلىِّ ، والأميرِ فرجِ بنِ قَراسُنْقُر ، ولاچين المَنْصُورىِّ ، وأُحْضِرُوا بعدَ[1] العيدِ بينَ يدَيْه ، وخلَع عليهم .

وفيه وصَل الخبرُ بموتِ الأمِيرِ الكبيرِ جُوبان نائبِ السُّلْطانِ بو سعيدٍ على تلك البلادِ ، ووفاةِ قَراسُنْقُر المَنْصُورِىِّ أيضًا ، كِلاهما فى ذِى القَعْدَةِ من هذه السنةِ .

وجُوبان هذا هو الذى ساق القناةَ الواصلةَ إلى المسجدِ الحرامِ ، وقد غَرِم عليها أموالًا جزيلةً كثيرةً ، وله تربةٌ بالمدينةِ النبويةِ ، ومدرستُه مشهورةٌ ، وله آثارٌ حسنةٌ ، وكان جَيِّدَ الإسْلامِ ، له هِمَّةٌ عاليةٌ ، وقد دَبَّرَ المماليكَ فى أيامِ بوسعيدٍ مدةً طويلةً على السَّدادِ ، ثم أراد بوسعيدٍ مَسْكَه فتخَلَّص من ذلك ، كما ذكَرْنا فيما سَلَف ، ثم إنّ بوسعيدٍ قَتَل ابنَه خَواجا دمشق فى السنةِ الماضيةِ ففَرَّ ابنُه الآخَرُ تَمُرْتاش هاربًا إلى سُلْطانِ مصرَ ، فآواه شهرًا ، ثم تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بينَ

---

(١) فى م : « يوم » .

المَلِكَيْنِ فى قَتْلِه، فقتَلَه صاحبُ مصرَ فيما قيل، وأرْسَل برأسِه إليه، ثم تُوفِّى أبُوه بعدَه بقليلٍ، واللَّهُ أعلمُ بالسرائرِ.

وأمّا قَراسُنْقُر المَنْصُورِىُّ فهو من جُمْلةِ كبارِ أمراءِ مصرَ والشَّامِ، وكان من جُمْلةِ مَن قَتَل الأشْرَفَ خليلَ بنَ المنصورِ، كما تقدَّم، ثم وَلِى نيابةَ مصرَ مدةً، ثم صارَ إلى نيابةِ دِمَشقَ، ثم إلى نيابةِ حَلَبَ، ثم فرَّ إلى التتارِ هو والأفْرَمُ والزَّرَدْكَاش فآواهم مَلِكُ التتارِ خَرْبَنْدَا وأكْرَمَهم وأقْطَعهم بلادًا كثيرةً، وتزوَّج قَراسُنْقُر بنْتَ هُولاكو، ثم كانت وفاتُه بمَراغَةَ؛ بلدِه التى كان حاكمًا بها فى هذه السنةِ، وله نحْوُ تِسْعِينَ سنةً. واللَّهُ أعلمُ.

وممَّن تُوفِّى [١٠/١٩٠ظ] **فيها مِن الأعيانِ:**

شيخُ الإسلامِ العلامةُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ، كما تقدَّم ذِكْرُ ذلك فى الحوادِثِ، وسنُفرِدُ له ترجمةً على حِدَةٍ، إن شاء اللَّهُ تعالى.

الشريفُ العالمُ الزاهدُ المحدِّثُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ[1] **بنِ عبدِ المحسنِ العلوىُّ الحسينىُّ الغَرّافىُّ**[2] **الإسكندرىُّ الشافعىُّ**، سمِع الكثيرَ، وحفِظ «الوجيزَ» فى الفقهِ، و «الإيضاحَ» فى النحوِ، وكان زاهدًا متقلِّلًا مِن الدنيا، وبلَغ تسعِين سنةً وعقلُه وعلمُه وذِهْنُه ثابتٌ متيقِّظٌ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وثلاثين وستِّمائةٍ، وتُوفِّى يومَ الجمُعةِ خامس المحرمِ، ودُفِن بالإسكندريةِ بينَ

---

(١) فى الأصل: «إبراهيم». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٥٦، والوافى بالوفيات ٥/ ٣١٢، والدرر الكامنة ١/ ١٠، والمنهل الصافى ١/ ٤٠، وشذرات الذهب ٦/ ٨٠.

(٢) فى الأصل، م، ودول الإسلام ٢/ ٢٣٦، وشذرات الذهب: «العراقى»، وفى ص: «الغزالى». والمثبت من مصادر الترجمة. والنسبة إلى الغراف نهر تحت واسط على قرى كثيرة. معجم البلدان ٣/ ٧٨٠، وشذرات الذهب ٦/ ١٠ ترجمة أخيه على.

الماوِين[1] ، رَحِمَه اللَّهُ .

الشمسُ محمدُ بنُ عيسى التَّدْمُرىُّ[2] ، كانت فيه شَهامةٌ وصَرامةٌ ، وكان يكونُ بينَ يدىِ الشيخِ تقىِّ الدينِ بنِ تيميَّةَ كالمنفِّذِ لِما يأمُرُ به وينْهَى عنه ، ويُرْسِلُه إلى[3] الأمراءِ وغيرِهم فى الأمورِ المهمَّةِ ، وله معرفةٌ ومروءةٌ ، يُبلِّغُ[4] رسالتَه على أتمِّ الوجوهِ ، تُوفِّى فى الخامسِ مِن صَفَرٍ بالقُبَيْباتِ ، ودُفِن عندَ الجامعِ الكَريمىِّ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الصالحُ أبو بكرِ بنُ شرفِ بنِ مُحسنِ بنِ مَعْنِ بنِ عمّارٍ[5] **الصالحىُّ** ، وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وخمسِين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ صحبةَ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ والمِزِّىِّ ، وكان ممَّن يحبُّ الشيخَ تقىَّ الدينِ ، وكان معهما كالخادِمِ لهما ، وكان فقيرًا ذا عيالٍ ، يتناوَلُ مِن الزكاةِ والصَّدقاتِ ما يَقومُ بأوَدِه ، وأقام فى آخِرِ عُمرِه بحِمْصَ ، وكان فصيحًا مفوَّهًا ، له تعاليقُ وتصانيفُ فى الأصولِ وغيرِها ، وكان له عبادةٌ وفيه خيرٌ وصلاحٌ ، وكان يتكلَّمُ على الناسِ بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ إلى العصرِ مِن حفظِه ، وقد اجتمعْتُ به غيرَ مرةٍ صحبةَ شيخِنا المِزِّىِّ حينَ قدِم مِن حِمْصَ ، فكان قوىَّ العبارةِ فصيحَها ، متوسِّطًا فى العلمِ ، له مَيْلٌ إلى التصوفِ والكلامِ فى الأحوالِ والأعمالِ والقلوبِ وغيرِ ذلك ، وكان يُكثِرُ

---

(١) فى م : « المادين » ، وفى ص : « الإميايين » .

(٢) فى الأصل : « البكرى » ، وفى م : « التكريدى » ، وفى الدارس ٢/ ٤١٩ : « البكويدى » . وغيرها المحقق : « التكريدى » . عن مطبوعة البداية .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « وفهم بتبليغ » .

(٥) فى الأصل : « عثمان » ، وفى م : « عمان » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ١/ ٤٧٤ .

ذِكْرَ الشيخِ تقيِّ الدينِ بنِ تيميَّةَ ، تُوفِّى بحِمْصَ فى الثانى والعشرِين مِن صفرٍ مِن هذه السنةِ ، وقد كان الشيخُ يحُضُّ الناسَ على الإحسانِ إليه ، وكان يُعطيه ويَرفِدُه .

ابنُ الدَّواليبىِّ البَغْدادىُّ ، الشيخُ الصالحُ العالمُ العابدُ الرَّحْلَةُ المُسنِدُ المعمَّرُ عفيفُ الدينِ ، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ المحسنِ [1]بنِ أبى الحسنِ[1] بنِ عبدِ الغفارِ البَغْدادىُّ الأزَجِىُّ الحنبلىُّ ، المعروفُ بابنِ الدَّواليبىِّ ، شيخُ دارِ الحديثِ المستنصريَّةِ ، وُلِد فى ربيعٍ الأولِ سنةَ ثمانٍ[2] وثلاثين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وله إجازاتٌ عاليةٌ ، واشتغَل بحفظِ « الخِرَقىِّ » ، وكان فاضلًا فى النحوِ وغيرِه ، وله شِعرٌ حسنٌ ، وكان رجلًا صالحًا ، جاوَز التِّسعين ، وصار رُحْلةَ العراقِ ، توفِّى يومَ الخميسِ رابعِ عشْرين[3] مِن جُمادَى الأُولى ، ودُفِن بمقبرةِ الإمامِ أحمدَ فى مقابرِ الشهداءِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد أجازَنى فى مَن أجاز مِن مشايخِ بغدادَ ، وللَّهِ الحمدُ .

قاضى القضاةِ شمسُ الدينِ بنُ الحَريرىِّ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ صَفِىِّ الدينِ أبى عَمْرٍو عثمانَ بنِ أبى[4] الحسنِ بنِ[3] عبدِ [١٠/١٩١و] **الوهابِ الأنصارىُّ الحنفىُّ** ، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وخمسين ، وسمِع الحديثَ واشتَغل ، وقرَأ

(١ - ١) سقط من : ص ، وفى الأصل ، م : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيول العبر ص ١٥٦ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٢٨ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٤ ، والدرر الكامنة ٤/ ١٤٦ ، وشذرات الذهب ٦/ ٨٨ .

(٢) فى ص : « ثلاث » .

(٣) سقط من : م .

(٤) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٥٧ ، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٠ ، والجواهر المضية ٣/ ٢٥٠ ، والدرر الكامنة ٤/ ١٥٨ ، وحسن المحاضرة ١/ ٤٦٨ ، وشذرات الذهب ٦/ ٨٨ .

« الهداية » ، وكان فقيهًا جيِّدًا ، ودرَّس بأماكنَ كثيرةٍ بدِمشقَ ، ثم وَلِيَ القضاءَ بها ، ثم خُطِب إلى قضاءِ الديارِ المصريةِ ، فباشَر بها مدةً طويلةً ، محْفُوظَ العِرْضِ ، لا يَقبَلُ مِن أحدٍ هديةً ، ولا تأخُذُه فى الحكمِ لومةُ لائمٍ ، وكان يقولُ : إن لم يكنِ ابنُ تيميَّةَ شيخَ الإسلامِ فمَن ؟ وقال لبعضِ أصحابِه : تحبُّ الشيخَ تقيَّ الدينِ ؟ قال : نعم . قال : واللَّهِ لقد أحببتَ شيئًا مليحًا . توفِّى رحِمه اللَّهُ يومَ السبتِ رابع جُمادَى الآخِرةِ ودُفِن بالقَرافةِ ، وكان قد عَيَّنَ لمنصِبِه القاضِيَ برهانَ الدينِ بنَ عبدِ الحقِّ ، فنُفِّذَت وصيَّتُه بذلك ، وأُرسِل إليه إلى دمشقَ فأُحضِر ، فباشَر الحُكْمَ بعدَه وجمِيعَ جهاتِه .

الشيخُ الإمامُ العالمُ المقرِئُ شهابُ الدينِ أبو العباسِ[1] أحمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ تقيِّ الدينِ[2] محمدِ بنِ جُبارةَ[3] بنِ عبدِ الوليِّ بنِ جُبارةَ[3] المقدسيُّ المَرْداويُّ الحنبليُّ ، شارحُ « الشاطبيةِ » ، وُلِد سنةَ تسعٍ وأربعِين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وعُنِى بفنِّ القراءاتِ فبرَز فيه ، وانتفَع الناسُ به ، وقد أقام بمصرَ مدةً ، واشتغَل بها على القَرافيِّ[4] فى أصولِ الفقهِ ، وتوفِّى بالقدسِ رابعَ رجبٍ ، رحِمَه اللَّهُ ، كان يُعدُّ مِن الصُّلَحاءِ الأخيارِ ، سمِع عن خطيبِ مَرْدا وغيرِه .

ابنُ العاقوليِّ البَغداديُّ ، الشيخُ الإمامُ العلامةُ جمالُ الدينِ أبو محمدٍ

---

(١) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : تذكرة النبيه ٢/ ١٨٢، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٦، وشذرات الذهب ٦/ ٨٧.

(٢) بعده فى تذكرة النبيه : « بن » .

(٣) فى ص : « جنازة » .

(٤) فى م : « الفزارى » . وانظر الدرر الكامنة .

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ حمادِ بنِ ثابتٍ[1] **الواسطيُّ العاقوليُّ، ثم البغداديُّ الشافعيُّ**، مدرِّسُ المستنصريَّةِ مدةً طويلةً، نحوًا مِن أربعين سنةً، وباشَر نظَرَ الأوقافِ، وعُيِّنَ لقضاءِ القضاةِ في وقتٍ، وُلِد ليلةَ الأحدِ عاشر رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وستِّمائةٍ، وسمِع الحديثَ وبرَع واشتغَل، وأفتَى مِن سنةِ سبعٍ وخمسين إلى أن مات، وذلك مدةُ إحْدى وسبعِين سنةً، وهذا شيءٌ غريبٌ جدًّا، وكان قويَّ النفْسِ، له وَجاهةٌ في الدَّوْلةِ، فكم كشَف كُرْبةً عن الناسِ بسَعْيِه وقَصْدِه، توفِّي ليلةَ[2] الأربِعاءِ رابعِ عشرِين مِن شوالٍ، وقد جاوَز التسعِين سنةً، ودُفِن بدارِه، وقد كان أوقَفها على شيخٍ وعشَرةِ صبيانٍ يُسمِّعون القرآنَ ويحفَظُونه، وأوقَف عليها أملاكَه كلَّها، تقبَّلَ اللَّهُ منه ورحِمه، ودرَّس بعدَه بالمستنصريَّةِ قاضي القضاةِ قطبُ الدينِ.

الشيخُ الصالحُ العالمُ العابدُ التاجرُ البارُّ شمسُ الدينِ[3] **محمدُ بنُ داودَ**[3] **ابنِ محمدِ بنِ مُنتابٍ**[4] **السَّلَامِيُّ البغداديُّ**، أحدُ ذوي اليسارِ، وله برٌّ تامٌّ بأهلِ العلمِ، ولا سيَّما أصحاب الشيخِ تقيِّ الدينِ، وقد أوْقَف كُتبًا كثيرةً، وحجَّ مراتٍ، توفِّي ليلةَ الأحدِ[5] الرابع والعشرِين مِن ذي القَعْدَةِ بعدَ وفاةِ الشيخِ تقيِّ الدينِ بأربعةِ أيامٍ، وصُلِّي عليه بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ[6]، ودُفِن ببابِ الصغيرِ، رحِمه

---

(١) في م: «نائب». وانظر ترجمته في: ذيول العبر ص ١٥٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٨، وطبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٤٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٣٥، والدرر الكامنة ٢/ ٤٠٥.

(٢) في ص: «يوم».

(٣ - ٣) سقط من: ص. وانظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٥٧.

(٤) في الأصل: «يساب»، وفي م، ص: «ساب».

(٥) في ص: «الجمعة».

(٦) في ص: «الفجر».

اللَّهُ وأكرَم مَثْواه .

وفى هذه الليلةِ توفِّيتِ الوالدةُ **مريمُ بنتُ فرجِ** (١ **بنِ مفرِّجِ** ١) **بنِ علىٍّ** (٢) ، مِن قريةٍ كان الوالدُ خطيبًا بها - وهى مجيدلُ (٣) القريةِ - سنةَ ثلاثٍ (٤ وسبعِمائةٍ ٤) ، وصُلِّى عليها بعدَ الجُمُعةِ ، ودُفِنت [١٠/١٩١ظ] بالصوفيةِ شرقىّ قبرِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيميّةَ ، رحِمهما اللَّهُ تعالى .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) لم نجد لها ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) فى الأصل : « مجيد » .

(٤ - ٤) فى م : « وسبعين وستمائة » .

ثم دخَلت سنةُ تسعٍ وعشرينَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّتْ والخليفةُ والحكامُ هم المباشرونَ فى التى قبلَها ، غيرَ أنَّ قُطْبَ الدينِ ابنَ شيخِ السَّلَاميَّةِ اشتَغَل بنَظَرِ الجيشِ .

وفى المحرمِ طُلِب القاضى مُحيى الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ كاتبُ سِرِّ دمشقَ وولدُه الصدرُ شِهابُ الدينِ ، وشرَفُ الدينِ بنُ شمسِ الدينِ بنِ الشِّهابِ محمودٍ إلى مصرَ على البريدِ ، فباشَر القاضى الصَّدْرُ الكبيرُ مُحيى الدينِ المذكورُ كتابةَ السِّرِّ بها عِوضًا عن علاءِ الدينِ بنِ الأثيرِ لمرضٍ اعترَاه ، وأقام عندَه ولدُه شهابُ الدينِ ، وأقبلَ شرَفُ الدينِ بنُ[2] الشِّهابِ محمودٍ إلى دمشقَ على كتابةِ السِّرِّ عِوضًا عن ابنِ فضلِ اللَّهِ . وفيه ذهَب ناصرُ الدينِ مشدُّ الأوقافِ ناظرًا على القدسِ والخليلِ ، فعَمَرَ هناك عماراتٍ كثيرةً لملِكِ الأمراءِ تَنْكِز ، وفتَح فى الأقصى شُبَّاكَيْنِ عن يمينِ المِحْرابِ وشمالِه ، وجاء الأميرُ نَجمُ الدينِ داودُ بنُ محمدِ بنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ الزيبقِ مِن شدِّ الدَّواوينِ بحِمصَ إلى شَدِّها بدمشقَ .

وفى [3]يومِ الخميسِ السادس[3] والعشرينَ مِن صفَرٍ كمَل ترخيمُ الحائطِ القِبْلِيِّ

---

(١) كنز الدرر ٩/ ٣٥١، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٠، والسلوك ٢/٢/ ٣٠٩.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م ، والدارس ٢/ ٣٩٥: «الحادى» .

مِن جامعِ دمشقَ ، وبُسِطَ الجامعُ جميعُه ، وصلَّى الناسُ الجمُعةَ به مِن الغَدِ ، وفُتِح بابُ الزيادةِ ، وكان له أيامًا مغلقًا ، وذلك فى مُباشرةِ الصدرِ تقىِّ الدينِ بنِ مَرَاجلٍ .

وفى ربيعِ الآخِرِ قدِم مِن مصرَ أولادُ الأميرِ شمسِ الدينِ قَرَاسُنْقُر إلى دمشقَ فسكَنوا فى دارِ أبيهم داخلَ بابِ الفَراديسِ ، فى دِهْليزِ المقدميةِ ، وأُعِيدَت عليهم أملاكُهم المُخَلَّفَةُ عن أبيهم ، وكانت تحتَ الحَوطَةِ ، فلمَّا مات فى تلك البلادِ أُفرِج عنها أو أكثَرِها .

وفى يومِ الجمعةِ آخِر شهرِ ربيعِ الآخِرِ أُنزِلَ الأميرُ جوبان وولدُه مِن قلعةِ المدينةِ النَّبويَّةِ ، وهما ميِّتانِ مُصَبَّرانِ فى توابيتِهما ، فصُلِّى عليهما بالمسجدِ النَّبوىِّ ، ثم دُفِنا بالبَقِيعِ عن مرسومِ السلطانِ ، وكان مرادُ جوبان أن يُدفَنَ فى مدرستِه ، فلم يُمَكَّنْ مِن ذلك . وفى هذا اليومِ صُلِّى بالمدينةِ النَّبويَّةِ على الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وعلى القاضى نجمِ الدينِ البالِسِىِّ المصرىِّ صلاةَ الغائبِ .

وفى يومِ الاثنينِ مُنتصَف جُمادَى الآخِرةِ درَّس [1]القاضى شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ جَهْبَلٍ بالمدرسةِ البادَرائيةِ[2] عِوضًا عن شيخِنا برهانِ[1] الدينِ الفَزَارىِّ ، تُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى ، وأخَذ مشيخةَ دارِ الحديثِ منه حينَ ولِىَ البادَرَائِيَّةَ الحافظُ شمسُ الدينِ الذَّهبىُّ ، وحضَرها فى يومِ الأربعاءِ سابعَ عشرِه ، ونزَل عن خَطابةِ كَفْر بَطْنَا للشيخِ جمالِ الدينِ المَسَلَّاتىِّ المالكىِّ ، فخطَب بها يومَ الجمعةِ تاسعَ عشرِه .

(١ - ١) فى ص : « تاج » . وستأتى ترجمة برهان الدين فى وفيات هذه السنة .

(٢) فى م : « البادرانية » .

وفى أواخرِ هذا الشهرِ قدِم نائبُ حلَبَ الأميرُ سيفُ الدينِ أَرْغُون إلى دمشقَ قاصدًا بابَ السلطانِ ، فتَلقَّاه نائبُ دمشقَ وأنزلَه بدارِه التى عندَ جامعِه ، ثم سار نحوَ مصرَ فغابَ نحوًا مِن أربعينَ يومًا ، ثم عاد راجعًا إلى نيابةِ حلَبَ .

[١٠/١٩٢و] وفى عاشرِ رجبٍ طُلِب الصاحبُ تقىُّ الدينِ بنُ عمرَ بنِ الوزيرِ شمسِ الدينِ بنِ السَّلْعُوسِ إلى مصرَ ، فوَلِىَ نظَرَ الدَّواوينِ بها حتى ماتَ عن قريبٍ .

وخرَج الرَّكْبُ يومَ السبتِ تاسع شوالٍ وأميرُه سيفُ الدينِ بلطى[١] ، وقاضيه شِهابُ الدينِ القَيْمُرِىُّ[٢] ، وفى الحُجَّاجِ زوجةُ ملكِ [٣]الأمراءِ تَنْكِز[٣] ، وفى خدمتِها الطَّوَاشِىُّ شِبْلُ الدولةِ كافُور[٤] ، وصدرُ الدينِ المالكِىُّ ، وصلاحُ الدينِ ابنُ أخى الصاحبِ تقىِّ الدينِ توبةَ ، وأخوه شرَفُ الدينِ ، والشَّيخُ علىٌّ المغربِىُّ ، والشيخُ عبدُ اللَّهِ الضَّريرُ ، وجماعةٌ .

وفى بُكْرةِ الأربعاءِ ثالثَ عشَرَ[٥] شوَّالٍ جلَس القاضى ضياءُ الدينِ علىُّ بنُ سليمِ بنِ ربيعةَ للحكمِ بالعادِلِيَّةِ الكبيرةِ نيابةً عن قاضى القُضاةِ القُونَوِىِّ ، وعِوضًا عن الفخرِ المصرىِّ ، بحكمِ نُزولِه عن ذلك وإعراضِه عنه تاسِعَ عَشَرَ رمضانَ مِن هذه السنةِ .

---

(١) فى ص : « بلسطى » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٢١٨ .
(٢) فى ص : « النميرى » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) زيادة من : الأصل . وانظر الدليل الشافى ٢/٥٥٣ .
(٥) سقط من : الأصل ، م .

وفى يومِ الجمُعةِ سادس ذى القَعْدَةِ بعدَ أذانِ الجمُعةِ صعِد إلى منبرِ جامعِ الحاكمِ بمصرَ شخصٌ مِن مماليكِ الجاولِىِّ يقالُ له : أرضى[1] . فادَّعَى أنَّه المهدِىُّ ، وسجَع سَجَعاتٍ يسيرةً على رأيِ الكُهَّانِ ، فأُنزِلَ فى شَرٍّ خَيْبةٍ ، وذلك قبلَ حضُورِ الخطيبِ بالجامعِ المذكورِ .

وفى ذى القَعْدَةِ وما قبلَه وما بعدَه مِن أواخرِ هذه السَّنةِ وأوائلِ الأُخْرى وُسِّعتِ الطرُقاتُ والأسواقُ داخِلَ دمشقَ وخارِجَها ، مثل سُوقِ السِّلاحِ والرَّصيفِ ، والسُّوقِ الكبيرِ ، وبابِ البريدِ ، ومسجدِ القصبِ إلى الزنجيليةِ[2] ، وخارجِ بابِ الجابيةِ إلى مسجدِ الذبانِ[3] ، وغيرُ ذلك من الأماكنِ التى كانت تضِيقُ عن سُلوكِ الناسِ ، وذلك بأمرِ تَنْكِز ، وأمَر بإصلاحِ القنواتِ ، واستراح الناسُ مِن ترشيشِ الماءِ عليهم بالنجاساتِ .

ثم فى العَشْرِ الأخيرِ مِن ذى الحِجَّةِ رُسِم بقَتْلِ الكلابِ ، فقُتِل منهم شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، ثم جُمِعُوا خارجَ بابِ الصَّغيرِ مما يلى بابَ كيْسانَ فى الخَندَقِ ، وفُرِّقَ بينَ الذكورِ منهم والإناثِ ليموتُوا سريعًا ، ولا يتَوالَدُوا ، وكانت الجِيَفُ والميتاتُ تُنْقَلُ إليهم ، فاستَرَاحَ النَّاسُ من النَّجاسةِ مِن الماءِ والكلابِ ، وتوسَّعت لهم الطرقاتُ .

وفى يومِ الجمُعةِ ثانِى عشَرَ ذى الحِجَّةِ حضَر مشيخةَ الشيوخِ بالسُّمَيْساطِيَّةِ قاضى القُضاةِ شرَفُ الدينِ المالِكِىُّ بعدَ وفاةِ قاضى القُضاةِ الشافعِىِّ القُونوِىِّ ، وقرِئَ تقليدُه بالمشيخةِ بها ، وحضَره الأعيانُ ، وأُعِيدَ إلى ما كان عليه .

---

(١) فى ص : « أرحى » .

(٢) فى م : « الزنجبيلية » .

(٣) فى م : « الدبان » ، وفى ص : « الديان » . وانظر الدارس ١/ ٧.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الزاهدُ مُفْتِى المسلمينَ نجمُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ ابنُ عقيلِ بنِ أبى الحسنِ بنِ عقيلٍ البالِسِىُّ الشافعِىُّ[1] ، شارحُ « التَّنبيهِ » ، وُلِد سنةَ سِتِّينَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، واشتغَل بالفقهِ وغيرِه من فنونِ العلمِ فبَرَع فيها ، ولازَمَ ابنَ دَقِيقِ العيدِ ، ونابَ عنه فى الحُكمِ ، ودرَّس بالمعزيةِ والطيبرسِيَّةِ وجامعِ مصرَ ، وكان مشهورًا بالفَضيلةِ والدِّيانةِ وملازمةِ الاشتغالِ ، تُوفِّى ليلةَ الخميسِ [2] رابعَ عشَرَ [2] المحرمِ [١٠/١٩٢ظ] ودُفِن بالقرافةِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ .

الأميرُ سيفُ الدينِ قُطْلُوبَك الششنكير[3] **الرومىُّ** ، كان مِن أكابرِ الأمراءِ ، ووَلِىَ الحجوبيةَ فى وقتٍ ، وهو الذى عمَرَ القناةَ[4] بالقدسِ ، تُوفِّى يومَ الاثنينِ سابع ربيعِ الأولِ ، ودُفِن بتربتِه شمالىّ بابِ الفَرادِيسِ ، وهى مَشْهورةٌ حسَنةٌ ، وحضَر جِنازتَه بسُوقِ الخيلِ النائبُ والأمراءُ .

محدِّثُ اليمنِ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ فقيهِ زَبِيدَ أبى الخيرِ[5] **بنِ منصورٍ الشَّمَاخِىُّ المَذْحِجِىُّ** ، روَى عن المكِّيِّينَ وغيرِهم ، وبلَغت شيوخُه خمسَمائةٍ أو أزيدَ ، وكان رُحْلَةَ تلك البلادِ ومُفِيدَها الخيرَ ، وكان فاضِلًا فى صناعةِ الحديثِ

---

(١) ذيول العبر ص ١٥٩، والوافى بالوفيات ٤/ ٩٨، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٥٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٢٩٠، والدرر الكامنة ٤/ ١٦٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٠، وشذرات الذهب ٦/ ٩١.

(٢ - ٢) فى ص : « الرابع من » . انظر : السلوك ٢/٢/ ٣٠٩.

(٣) فى م : « التشنكير » ، وفى ص : « بن الششنكير » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/٣٣٨ ، والدارس ٢/ ٢٧٢.

(٤) فى ص : « القيصارية » .

(٥) فى الأصل ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فى : تبصير المنتبه ٢/ ٦٥٥، وتاج العروس (ز ب د) .

والفِقْهِ وغيرِ ذلك ، تُوفِّى فى ربيعِ الأوَّلِ من هذه السَّنةِ .

نجمُ الدينِ أبو الحسَنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ[1] **محمدِ بنِ المسلمِ**[2] **بنِ الحسنِ بنِ هلالِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ الأَزْدِىُّ**[2] ، أحدُ رؤساءِ دمشقَ المشهورِينَ ، له بيتٌ كبيرٌ ونسَبٌ عريقٌ ، ورِياسةٌ باذِخةٌ وكرمٌ زائدٌ ، باشَرَ نظَرَ الأيتامِ مدَّةً ، وسمِع الكثيرَ ، وحدَّث ، وكانت له فضائلُ وفوائدُ ، وله الثروةُ الكثيرةُ . وُلِد سنةَ تسعٍ وأربعينَ وستِّمائةٍ ، ومات يومَ الاثنينِ ضحوةَ خامسِ ربيعِ الآخِرِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الظُّهرِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيونَ بتربةٍ أعدَّها لنفسِه [3]وقبرٍ أرصَده[3] ، وكتَب على قبرِه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ الآية [الزمر : ٥٣] . وسمِعنا عليه « المُوَطَّأَ » وغيرَه .

الأميرُ بَكْتَمُر بنُ عبدِ اللَّهِ[4] **الحاجبُ** ، صاحبُ الحمَّامِ المشهورِ خارجَ بابِ النصرِ فى طريقِ مقابرِ الصُّوفِيَّةِ مِن ناحيةِ الميدانِ ، كانت وفاتُه بالقاهرةِ فى عشرِينَ ربيعِ الآخِرِ ، ودُفِن بمدرستِه التى أنشأها إلى جانبِ دارِه هناك .

الشيخُ شرَفُ الدينِ عيسى بنُ محمدِ بنِ قَرَاجَا بنِ سليمانَ السُّهرَوَرْدِىُّ الصُّوفىُّ الواعظُ[5] ، له شِعرٌ ومعرفةٌ بالألحانِ والأنغامِ ، ومِن شعرِه قولُه :

---

(١) فى الأصل ، م : « أبو » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٦٠ ، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٠ ، والوافى بالوفيات ٢٢/ ١٠٨ ، والدرر الكامنة ٣/ ١٨٩ ، وشذرات الذهب ٦/ ٩١ .

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « قبران عنده » .

(٤) الوافى بالوفيات ١٠/ ١٩٠ ، والمنهل الصافى ٣/ ٣٨٦ ، والدليل الشافى ١/ ١٩٤ ، وفيها أنه توفى سنة ثمان وثلاثين ، تذكرة النبيه ٢/ ١٨٣ ، والدرر الكامنة ٢/ ١٧ ، وفيهما أنه توفى سنة ثمان وعشرين ، والسلوك ٢/ ٢/ ٣١٤ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧٧ وفيات سنة تسع وعشرين .

(٥) الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٨ .

بُشْرَاكَ يا سعدُ هذا الحيُّ قَدْ بانا فَحِلَّها [1]تَسْتَظِلُّ الأَيكَ والبَانَا[1]
منازلٌ ما ورَدْنا طِيبَ موردِها[2] حتى شرِبْنَا كئوسَ الموتِ أَلْوانَا[3]
مِتنا غرامًا وشوقًا فى المسيرِ [4]فَمُذْ وافى نسيمُ اللِّقا والقربِ أحيانا[4]
تُوفِّى فى ربيعِ الآخِرِ.

شيخُنا العالمُ العلامةُ بُرهانُ الدينِ الفَزَارِىُّ[5]، هو الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ، شيخُ المَذهبِ وعَلَمُه، ومُفيدُ أهلِه، شيخُ الإسلامِ، مُفْتِى الفِرَقِ، بَقيَّةُ السَّلفِ، بُرهانُ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الشيخِ العلامةِ تاجِ الدينِ أبى محمدٍ عبدِ الرحمنِ بنِ الشيخِ الإمامِ المقرِئِ المُفْتِى برهانِ الدينِ أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ [6]سِباعِ بنِ ضِياءٍ[6] الفَزارِىُّ البَدْرِىُّ[7] الشافِعِىُّ، وُلِد فى ربيعِ الأوَّلِ سنةَ سِتِّين وستِّمائةٍ، وسمِع الحديثَ، واشتَغل على أبِيه، وأعاد فى حَلْقتِه، وبرَع وساد أقْرانَه وسائرَ أهلِ زمانِه فى دِرايةِ [١٠/١٩٣و] المَذهبِ ونَقْلِه وتحريرِه، ثم كان فى مَنْصِبِ أبِيه فى التَّدْريسِ بالبادَرائِيَّةِ، وأشْغَل الطلَبَةَ بالجامعِ الأُمَوِىِّ، فانتفَع به المسلمون، وقد عُرِضتْ عليه المناصبُ الكِبارُ فأباها؛ فمِن ذلك أنَّه باشَر الخطابةَ بعد عمِّه العلَّامةِ شرفِ الدينِ مدَّةً ثم ترَكها وعاد إلى البادَرائِيَّةِ، وعُرِض عليه

(١ - ١) فى الأصل: «تستطيل الأيك والبانا»، فى م: «سيبطل الإبل والبانا».
(٢) فى م: «منزلها».
(٣) فى م: «أحيانا».
(٤ - ٤) فى م: «لها فمنذ وافى نسيم القرب أحيانا»، وفى ص: «فدوافا الثنا نسيم القرب أحيانا».
(٥) ذيول العبر ص ١٦٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٠، والوافى بالوفيات ٦/ ٤٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣١٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٢٩٠، والدرر الكامنة ١/ ٣٥، والمنهل الصافى ١/ ٩٩.
(٦ - ٦) فى طبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣١٢، وتاج العروس (ب د ر) ابن ضياء بن سباع.
(٧) فى م: «المصرى».

قضاءُ الشامِ بعد ابنِ صَصْرَى ، وألَحَّ عليه نائبُ الشامِ بنَفْسِه وأعْوانُه مِن الدولةِ فلم يقْبَلْ ، وصمَّمَ وامتنَع أشدَّ الامتِناعِ ، وكان مُقبلًا على شأْنِه ، عارفًا بزمانِه ، مُستغرِقًا أوقاتَه فى الاشْتِغالِ والعبادةِ ليلًا ونهارًا ، كثيرَ المطالعةِ وإسماعِ الحديثِ ، وقد سمِعْنا عليه « صحيحَ مسلمٍ » وغيرَه ، وكان يُدرِّسُ بالمدرسةِ المذكورةِ ، وله تعليقٌ كبيرٌ[1] على « التَّنْبِيهِ » ، فيه مِن الفوائدِ ما ليس يوجَدُ فى غيرِه ، وله تعليقٌ على « مُخْتَصَرِ ابنِ الحاجبِ » فى أصولِ الفقهِ ، وله مصنفاتٌ فى غيرِ ذلك كبارٌ . وبالجملةِ فلم أرَ شافعِيًّا مِن مشايخِنا مثلَه .

وكان رحِمه اللَّهُ حسَنَ الشكلِ ، عليه البَهاءُ والجَلالةُ والوقارُ ، حسَنَ الأخلاقِ ، فيه حدَّةٌ ثم يعودُ قريبًا ، وكرمُه زائدٌ وإحسانُه إلى الطَّلبةِ كثيرٌ ، وكان لا يَقْتَنِى شيئًا ، بل يصرِفُ مرتَّبَه وجامكيَّةَ مدرستِه فى مصالحِه ، وقد درَّس بالبادَرائِيَّةِ مِن سنةِ [2]تسعين[3] وستِّمائةٍ إلى عامِه هذا ، تُوفِّى بُكْرَة يومِ الجمعةِ سابع جمادى الأولى بالمدرسةِ المذكورةِ[2] ، وصُلِّى عليه عَقِبَ الجُمُعةِ بالجامعِ ، وحُمِلت جنازتُه على الرُّءوسِ وأطرافِ الأناملِ ، وكانت حافلةً ، ودُفِن عند أبيه وعمِّه وذَوِيه ببابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الإمامُ العالمُ الزّاهدُ الوَرِعُ مَجْدُ الدينِ إسماعيلُ [4]بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ[4] الحَرَّانِىُّ الحَنْبلىُّ ، وُلِد سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وستِّمائةٍ ، وقرَأ القُرآنَ[5] ،

---

(١) فى الأصل ، م : « كثير » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م : « سبعين » . وانظر الدارس ١/١٠٩ و٢٠٨ وفيه أنه توفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٩/ ٢١٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٤٠٨ والدرر الكامنة ١/ ٤٠٣ ، والمنهل الصافى ٢/٤٢٢ ، وشذرات الذهب ٦/ ٨٩ .

(٥) فى م : « القراءات » .

وسَمِع الحديثَ فى دِمشقَ حينَ انتقَل مع أهلِه إليها [1]سنةَ إحْدَى وسبعينَ[1]، واشْتَغل على الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ أبى عُمرَ، ولازَمه وانتفَع به، وبرَع فى الفقهِ وصحَّةِ النَّقلِ وكثْرَةِ الصَّمْتِ عمَّا لا يَعْنِيه، ولم يزَلْ مُواظِبًا على جِهاتِه ووظائفِه لا ينْقطِعُ عنها إلّا مِن عُذْرٍ شَرْعىٍّ إلى أن تُوفِّى ليلةَ الأحدِ تاسع جُمادَى الأُولَى، ودُفِن ببابِ الصغيرِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

وفى هذا الحينِ تُوفِّى **الصاحبُ شرفُ الدينِ يَعْقُوبُ بنُ [2]عبدِ الكريمِ**[2]، الذى كان ناظرَ الدَّواوينِ بحَلَبَ ثم انتقَل إلى نظرِها بطَرَابُلُسَ، تُوفِّى بحَماةَ، وكان محبًّا للعلماءِ وأهلِ الخيرِ، وفيه كَرَمٌ وإحسانٌ، وهو والدُ القاضِى ناصرِ الدينِ كاتبِ السِّرِّ بدمِشقَ، وقاضى العساكرِ الحَلَبيَّةِ، والشيخُ بالسُّمَيْسَاطيَّةِ، ومُدرِّسُ الأَسَديَّةِ بحَلَبَ، والناصريَّةِ والشاميَّةِ الجَوَّانِيَّةِ بدمِشقَ.

القاضى معيـــنُ الدينِ هبَةُ اللَّهِ بنُ علمِ الدينِ مسعودِ بنِ أبى المَعالِى [3]عبدِ اللَّهِ[3] **بنِ أبى الفضلِ**[4] **بنِ الحَشيشِ**[5]، الكاتبُ وناظرُ الجيشِ بمصرَ[6] فى بعضِ الأحيانِ، ثم بدِمشقَ مدةً طويلةً، مُستقلًّا ومُشارِكًا لقطبِ الدينِ بنِ شيخِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) فى م: «عبد اللَّه». وانظر ترجمته فى: تذكرة النبية ٢/ ١٩٦، والسلوك ٢/٢/ ٣١٦، والدرر الكامنة ٥/ ٢٠٩، والدليل الشافى ٢/٧٩١ وفيه أنه توفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

(٣ - ٣) فى ص: «هبة اللَّه». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٦٢، والسلوك ٢/٢/ ٣١٥، والدرر الكامنة ٥/ ١٧٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٠، والدليل الشافى ٢/ ٧٦٧، وشذرات الذهب ٦/ ٩٢.

(٤) فى الدرر الكامنة ٥/ ١٧٧، والدليل الشافى ٢/ ٧٦٧: «أبى الفضائل».

(٥) فى م: «الخشيشى»، وفى ص: «الحسين».

(٦) فى الأصل: «بدمشق».

السَّلَاميَّـةِ ، وكان خبيرًا بديوانِ الجيشِ يحفَظُه على ذِهْنِه ، وكانت له يدٌ جيِّدةٌ فى [١٠/١٩٣ظ] العربيَّةِ والأدبِ والحسابِ ، وله نظمٌ جيدٌ ، وفيه تودُّدٌ وتواضُعٌ ، تُوفِّى بمصرَ فى نصفِ جُمادَى الآخرةِ ، ودُفِن بتربةِ الفَخْرِ كاتبِ المَماليكِ .

قاضى القُضاةِ وشيخُ الشيوخِ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ إسماعيلَ بنِ يوسفَ القُونَوِىُّ التِّبْريزِىُّ الشافِعىُّ[1] ، وُلِد بمدينةِ قُونِيَةَ[2] فى سنة ثمانٍ وستِّين وستِّمائةٍ تقريبًا ، واشْتَغل هناك ، وقدِم دمشقَ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ ، وهو معدودٌ مِن الفُضلاءِ ، فازدادَ بها اشتِغالًا ، وسمِع الحديثَ وتصدَّر للاشتِغالِ بجامعِها ، ودرَّس بالإقباليَّةِ ، ثم سافَر إلى مصرَ فدرَّس بها فى عدةِ مدارسَ كبارٍ ، ووَلِى مَشْيخةَ الشيوخِ بها وبدمشقَ ، ولم يزَلْ يشتغِلُ بها وينفَعُ الطَّلبةَ إلى أنْ قدِم دمشقَ قاضِيًا عليها فى سنةِ سبعٍ وعشرين ، وله تصانيفُ فى الفقهِ وغيرِه ، وكان يُحْرِزُ علومًا كثيرةً ؛ منها النحوُ والتصريفُ والأصلان والفقهُ ، وله معرفةٌ جيدةٌ بـ « كَشَّافِ الزَّمَخْشَرِىِّ » ، و فَهْمِ الحديثِ ، وفيه إنصافٌ كثيرٌ ، وأوصافٌ حسنةٌ ، وتعظيمٌ لأهلِ العلمِ ، وخُرِّجتْ له مَشْيَخَةٌ سمِعْناها عليه ، وكان يتواضَعُ لشيخِنا المِزِّىِّ كثيرًا ، تُوفِّى ببُستانِه بالسهمِ يومَ سبتٍ بعدَ العصرِ رابعَ عَشرَ ذى القَعْدةِ ، وصُلِّى عليه مِن الغدِ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيونَ ، سامَحه اللَّهُ .

الأميرُ حسامُ الدينِ لاجِين المَنْصُورِىُّ[3] **الحُسامِىُّ** ، ويُعرفُ بلاجِين

---

(١) ذيول العبر ص ١٦٢، ودول الإسلام ٢/ ٢٣٨، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٣٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٣٤، والدرر الكامنة ٣/ ٩٣.

(٢) فى الأصل : « قونوه » .

(٣) فى م : « المنصور » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/٢/ ٣١٦، والدرر الكامنة ٣/ ٣٥٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٠.

الصغيرِ ، وَلِى البَرَّ[1] بدِمشقَ مدَّةً ، ثم نيابةَ غزَّةَ ، ثم نيابةَ البِيرَةِ وبها مات فى ذِى القَعْدةِ ، ودُفِن هناك ، وكان ابْتَنى تُربةً لزوجتِه ظاهرَ بابِ شرقىٍّ فلم يتَّفِقْ دفنُه بها ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

الصاحبُ عزُّ الدينِ أبو يَعْلى حمزةُ بنُ مُؤَيَّدِ الدينِ أبى المَعالِى أسعدَ بنِ عزِّ الدينِ أبى[2] غالبِ المُظفَّرِ بنِ الوزيرِ مُؤَيَّدِ الدينِ أبى المعالى أسعدَ بنِ العَميدِ أبى يَعْلَى حَمْزةَ بنِ أسدِ بنِ علىِّ بنِ محمدٍ التَّميمِىُّ الدمَشقِىُّ ، ابنُ القَلانِسِىِّ[3] ، أحدُ رُؤساءِ دِمشقَ الكبارِ ، وُلد سنةَ تسعٍ وأربعينَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ مِن جماعةٍ ورَواه ، وسمِعْنا عليه ، وله رياسَةٌ باذِخةٌ وأصالةٌ كثيرةٌ ، وأملاكٌ هائلةٌ كافيةٌ لِما يحتاجُ إليه مِن أمورِ الدنيا ، ولم يزَلْ معه صناعةُ الوظائفِ إلى أن أُلْزِمَ بوَكالةِ بيتِ السلطانِ ، ثم بالوِزارَةِ فى سنةِ عَشْرٍ كما تقدَّم ، ثم عُزِلِ ، وقد صُودرَ فى بعضِ الأحيانِ ، وكانت له مكارمُ على الخواصِّ والكبارِ ، وله إحسانٌ إلى الفُقراءِ والمحتاجِين ، ولم يزَلْ مُعَظَّمًا وجِيهًا عندَ الدولةِ مِن النُّوابِ والملوكِ والأُمراءِ وغيرِهم ، إلى أن تُوفِّى ببستانِه ليلةَ السبتِ سادس ذى الحجَّةِ وصُلِّى عليه مِن الغدِ ، ودُفِن بتربتِه بسفحِ قاسِيونَ ، وله فى الصَّالحيَّةِ رِباطٌ حَسَنٌ بمَئْذَنَةٍ ، وفيه دارُ حديثٍ ، وبرٌّ وصَدَقةٌ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الأصل : « البريد » .

(٢) فى الأصل ، ص : « بن » .

(٣) ذيول العبر ص ١٦٣، والسلوك ٢/٢/ ٣١٥، والدرر الكامنة ٢/ ١٦٢، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٠، والدليل الشافى ١/ ٢٧٩.

ثم دخلَتْ سنةُ ثلاثين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت بالأربعاءِ، والحكامُ بالبلادِ هم المذكُورونَ بالتى قبلَها، سِوى الشافعىِّ، فإنَّه توفِّى ووَلِى مكانَه فى رابعِ [١٠/١٩٧و] المحرَّمِ منها علمُ الدينِ محمدُ بنُ أبى[2] بكرِ بنِ عيسى بنِ بدرانَ السَّعدىُّ[3] الأخنائىُّ الشافعىُّ، وقدِم دِمَشقَ فى الرابعِ والعشرين منه صحبةَ نائبِ السَّلْطنةِ تَنْكِز، وقد زار القدسَ، وحضَر معه تدريسَ التَّنْكِزيَّةِ التى أنشأها، ولما قدِم دمشقَ نزَل بالعادليةِ الكبيرةِ على العادةِ، ودرَّس بها وبالغَزّاليةِ، واستمرَّ بنيابةِ المنفلوطىِّ، ثم استناب زينَ الدينِ بنَ المُرحِّلِ.

وفى صفرٍ باشَر شرفُ الدينِ محمودُ بنُ الخَطيرِ[4] شدَّ الأوقافِ، وانفصَل عنها نجمُ الدينِ بنُ الزَّيْبقِ إلى ولايةِ نابُلُسَ.

(٥وفى يومِ السبتِ الحادى والعشرين مِن صفرٍ حكَم الشيخُ زينُ الدينِ محمدُ بنُ علَمِ الدينِ عبد اللَّهِ بنِ الشيخِ زينِ الدينِ عمرَ بنِ المُرحِّلِ، نيابةً عن قاضى القضاةِ علَمِ الدينِ الأخنائىِّ بالعادليَّةِ٥).

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٢، وتذكرة النبيه ٢/ ١٩٩، والسلوك ٢/٢/ ٣١٦.

(٢) سقط من : ص . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

(٣) فى الأصل، م : «السبكى».

(٤) فى م : «الخطيرى». وانظر الدرر الكامنة ٥/ ٩١.

(٥ - ٥) زيادة من ص . وانظر الدارس ١/ ٢٨٤ .

وفى ربيعِ الآخِرِ[1] شُرِع بترخيمِ الجانبِ الشرقىِّ مِن الأمويِّ ليُشبِهَ[2] الجانبَ الغربىَّ، وشاوَر ابنُ مَراجلٍ النائبَ والقاضىَ على جمعِ الفصوصِ مِن سائرِ الجامعِ فى الحائطِ القبلىِّ، فرَسَما له بذلك.

وفى يومِ الجمعةِ [3]الحادى والعشرينِ مِن ربيعٍ الأوَّلِ[3] أُقيمتِ الجمُعةُ فى إيوانِ الشافعيةِ بالمدرسةِ الصالحيةِ بمصرَ، وكان الذى أنشأ ذلك الأميرُ جمالُ الدينِ نائبُ الكَرَكِ، بعدَ أن استفتَى العلماءَ فى ذلك.

وفى ربيعٍ الآخِرِ تولَّى القضاءَ بحلبَ شمسُ الدينِ بنُ النَّقيبِ، عوضًا عن فخرِ الدينِ بنِ البارزىِّ[4]، تُوفِّى، وولى شمسُ الدينِ بنُ المجدِ البَعلبكِّىُّ قضاءَ طرابُلُسَ عوضًا عن ابنِ النقيبِ.

وفى آخِرِ[5] جمادَى الأُولى باشَر نيابةَ الحكمِ عن الأخنائىِّ محْيى الدينِ بنُ جَهْبَلٍ[6] عوضًا عن المنفلوطىِّ، توفِّى.

وفى هذا الشهرِ وقَف الأميرُ الوزيرُ علاءُ الدين مُغْلَطاى الناصرىُّ مدرسَةً على الحنفيةِ، وفيها صوفيةٌ أيضًا، ودرَّس بها القاضى علاءُ الدينِ بنُ التُّركمانىِّ، وسكنَها الفقهاءُ.

وفى جمادَى الآخِرةِ زُيِّنتِ البلادُ المصريةُ والشاميةُ، ودَقَّتِ البشائرُ بسببِ

---

(١) فى ص: «الأول». وانظر الدارس ٢/ ٣٩٦.
(٢) فى النسخ: «نسبة». والمثبت من الدارس.
(٣ - ٣) زيادة من: ص. وانظر السلوك ٢/٢/ ٣١٧.
(٤) فى م: «البازرى». وتقدم فى صفحة ٢٩٠.
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) فى الأصل: «جهيل»، وفى م: «جميل».

عافيةِ السلطانِ مِن وقعةٍ انصَدَعت منها يدُه ، وخَلَع على الأمراءِ والأطباءِ بمصرَ ، وأُطلِقتِ الحُبوسُ[1] .

وفى جمادَى الآخرةِ قدِم على السلطانِ رسلٌ مِن الفِرنْجِ يطلُبون منه بعضَ بلادِ السواحلِ ، فقال السلطانُ : لولا أنَّ الرسُلَ لا تُقتلُ لَقتلتُكم . ثم سيَّرهم إلى بلادِهم خاسِئين .

وفى يومِ الأحدِ سادس[2] رجبٍ حضَر الدرسَ الذى أنشأه القاضى فخرُ الدينِ كاتبُ المماليكِ على الحنفيةِ بمحرابِهم[3] بجامعِ دمشقَ ، ودرَّس به الشيخُ شهابُ الدينِ ابنُ قاضى الحصنِ[4] ، أخو قاضِى القضاةِ برهانِ الدينِ بنِ عبدِ الحقِّ بالديارِ المصريةِ ، وحضَر عندَه القضاةُ والأعيانُ ، وانصَرفوا مِن عندِه إلى عندِ ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ بالجوهريةِ ، فدرَّس بها عوضًا عن حميه شمسِ الدينِ ابنِ الزكىِّ[5] ، نزَل له عنها .

وفى آخِرِ رجبٍ خطِب بالجامعِ الذى أنشأه الأميرُ سيفُ الدينِ أُلْماس[6] الحاجبُ ، ظاهرَ القاهرةِ بالشارعِ . وخطِب بالجامعِ الذى أنشأه الأميرُ سيفُ الدينِ

---

(١) فى الأصل : « الجيوش » .

(٢) بعده فى ص : « عشر » . وانظر الدارس ١/ ٤٩٩، ثم نقل مثل هذا النص من خط البرزالى وفيه : سادس عشر .

(٣) بعده فى ص : « المحدد » .

(٤) فى م : « الحصين » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

(٥) فى ص، والدراس ١/ ٥٠٠: « الرقى » . فى كلامه على المدرسة الجوهرية ، وكالمثبت فى ٦٠٦/١ فى كلامه على المقصورة الحنفية .

(٦) فى الأصل : « المالس » ، وفى م ، ص : « الماشى » . والمثبت من السلوك ٢/٢/ ٣٢٣، الدليل الشافى ١/ ١٥٤.

قَوْصُون بينَ جامعِ طُولون والصالحيَّةِ[1] يومَ الجُمعةِ حادى عشَرَ رمضانَ ، وحضَر السلطانُ وأعيانُ الأمراءِ ، وتولَّى الخطبةَ يومَئذٍ قاضى القضاةِ جلالُ الدينِ القَزوينىُّ الشافعىُّ ، وخُلِع عليه خِلعةٌ سَنِيَّةٌ [2]وبغْلةٌ[2] ، واستقرَّ[3] [١٠/١٩٤ظ] فى خَطابتِه فخرُ [4]الدينِ بنُ شكر[4] .

وخرَج الركبُ الشامىُّ يومَ السبتِ حادى عشَرَ شوَّالٍ ، وأميرُه سيفُ الدينِ المُوساوىُّ[5] صِهرُ بَلَبَان البِيرىِّ[6] ، وقاضيه الشيخُ شهابُ الدينِ بنُ المجدِ عبدِ اللَّهِ[7] مدرسُ الإقباليةِ ، ثم تَولَّى قضاءَ القضاةِ كما سيأتى .

وممّن حجَّ فى هذه السنةِ ؛ رضىُّ الدينِ المِنْطيقىُّ[8] الحنفىُّ ، و[9]الشيخُ نورُ الدينِ[9] الأردبيلىُّ شيخُ الجاروخيَّةِ ، وصفىُّ الدينِ بنُ[10] الحريرىِّ ، وشمسُ الدينِ ابنُ خطيبِ يَبْرُودَ[11] ، والشيخُ محمدٌ النَّيْرَبانىُّ وغيرُهم ، فلمّا قَضَوْا مناسكَهم رجَعوا إلى مكةَ لطوافِ الوداعِ ، فبينَما هم فى وقتِ سماعِ الخطبةِ إذ سمِعوا جَلَبةَ الخيلِ مِن بنى حسنٍ وعبيدِهم ، يَحطِمون الناسَ وهم فى المسجدِ الحرامِ ، فثار إلى قتالِهم الأتراكُ ، فاقتتَلوا فقتِل أميرٌ مِن الطَّبْلَخاناه بمصرَ ، يقالُ له : سيفُ

---

(١) فى ص : « الصالح » .
(٢ - ٢) زيادة من : ص . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٢١.
(٣) فى الأصل ، م : « استقل » .
(٤ - ٤) فى م : « بدر الدين بن شكرى » .
(٥) فى م : « المرساوى » .
(٦) فى ص : « التبرى » .
(٧) بعده فى ص : « ابن » .
(٨) فى الأصل ، م : « ابن المنطقى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .
(٩ - ٩) فى الأصل ، م : « الشمس » . وانظر طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨٠.
(١٠) سقط من : الأصل .
(١١) فى م ، ص : « بيروذ » . ويبرود : بليدة بين حمص وبعلبك . معجم البلدان ٤/ ١٠٠٥.

الدينِ [1]ألْدَمُر[2] أميرُ[1] جَنْدار[3] وابنُه خليلٌ ومملوكٌ له، وأميرُ عَشَرةٍ[4] يُقالُ له: [5]ابنُ التَّاجى[5]. وجماعةٌ من الرجالِ والنساءِ، ونُهِبَتْ أموالٌ كثيرةٌ، ووقعتْ خبطةٌ عظيمةٌ فى الناسِ، وتهارَبوا إلى منازِلهم بأبيارِ الزاهرِ، وما كادُوا يصِلون إليها وما أكمِلتِ الجمعةُ إلَّا بعدَ جهدٍ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجِعون. [6]واجتمعتِ الأُمراءُ كلُّهم على الرجعةِ إلى مكةَ للأخذِ بالثأرِ منهم، ثم كرُّوا راجعين[6] وتبِعهم العبيدُ حتى وصَلوا إلى مخيمِ الحَجِيجِ، وكادوا ينهَبون الناسَ عامةً جهرةً، وصار أهلُ البيتِ فى آخِرِ الزمانِ يصدُّون الناسَ عن المسجدِ الحرامِ، وبَنُو الأتراكِ هم الذين ينصُرون الإسلامَ وأهلَه ويكفُّون الأذيَّةَ عنهم، بأنفسِهم [7]وأولادِهم[7] وأموالِهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤].

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ:

علاءُ الدينِ بنُ الأثيرِ[8]، كاتبُ السرِّ بمصرَ، علىُّ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ محمدِ بنِ الأثيرِ، الحلبىُّ الأصلِ ثم المصرىُّ، كانت له حُرمةٌ ووَجاهةٌ وأموالٌ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سقط من: ص، وفى الأصل، وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٩٤ - حوادث ٧٣١ - «أيدمر». والمثبت من النجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٢، وانظر الدرر الكامنة ١/٤٣٤: وفيه: الدِّمُر.

(٣) فى الأصل: «جمدار»، وفى م: «جخدار». وهو الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية، ويدخل أمامهم إلى الديوان. صبح الأعشى ٤/ ٢٠، ٥/ ٤٦١.

(٤) فى م: «عشيرة».

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «الباجى»، وفى ص: «الناجى». والمثبت من النجوم الزاهرة ٩/٢٨٣، وإتحاف الورى ٣/ ١٩٠.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧ - ٧) زيادة من: ص.

(٨) ذيول العبر ص ١٦٤، وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٩٢، وتذكرة النبيه ٢/ ١٩٥، والسلوك ٢/٢/ ٣٢٧، والدرر الكامنة ٣/ ٨٢.

وثروةٌ ومكانةٌ عندَ السلطانِ ، حتى ضرَبه الفالِجُ فى آخِرِ عُمْرِه فانعزَل عن الوظيفةِ وباشَرها ابنُ فضلِ اللَّهِ فى حياتِه ، (١)توفِّى فى منتصفِ المحرمِ(١) .

الوزيرُ العالمُ أبو القاسمِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ محمدِ بنِ سهلٍ الأزديُّ الغَرناطيُّ الأندلسيُّ(٢) ، مِن بيتِ الرياسةِ والحِشمةِ ببلادِ المغربِ ، قدِم علينا إلى دمشقَ فى جمادَى الأُولَى سنةَ أربعٍ وعشرِين ، وهو فى(٣) الحجِّ ، فسمِعتُ بقراءتِه « صحيحَ مسلمٍ » فى تسعةِ مجالسَ على الشيخِ نجمِ الدينِ بنِ العسقلانيِّ ، قراءةً صحيحةً ، ثم كانت وفاتُه فى القاهرةِ فى ثانى عشرين المحرمِ ، وكانت له فضائلُ كثيرةٌ فى الفقهِ والنحوِ والتاريخِ والأُصولِ ، وكان عاليَ الهمةِ شريفَ النفْسِ ، محترمًا ببلادِه جدًّا ، بحيثُ إنَّه يولِّى الملوكَ ويعزِلُهم ، ولم يَلِ مباشرةً(٤) ولا أهلُ بيتِه ، وإنَّما كان يُلقَّبُ بالوزيرِ مجازًا .

شيخُنا الصالحُ العابدُ الناسكُ الخاشعُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ الصالحِ العابدِ شرفِ الدينِ أبى الحسنِ بنِ حسينٍ(٥) **بنِ غَيْلانَ البعْلبكِّيُّ الحنبليُّ** ، إمامُ مسجدِ السّلالين بدارِ البِطِّيخِ العتيقةِ ، سمِع الحديثَ وأسمَعه ، وكان يُقرئُ القرآنَ طرفيِ النهارِ ، وعليه ختمتُ القرآنَ فى سنةِ إحْدَى عَشْرَة وسبعِمائةٍ ، وكان [١٠/١٩٥و] مِن الصالحِين الكبارِ ، والعُبّادِ الأخيارِ ، توفِّى يومَ السبتِ سادس صفرٍ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ودفِن ببابِ الصغيرِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً .

(١ - ١) زيادة من ص . وانظر النجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٣.

(٢) تذكرة النبيه ٢/ ٢٠٤، والسلوك ٢/٢/ ٣٢٧، والدرر الكامنة ٤/ ٢٩٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٤.

(٣) فى م : « بعزم » ، وفى ص : « فى عزم » . وفى تذكرة النبيه ، والنجوم الزاهرة : « قافلًا من الحج » .

(٤) فى م : « هو مباشرة شىء » .

(٥) فى ص : « حصين » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

وفى هذا الشهرِ - أعنى صفرًا - كانت وفاةُ والى القاهرةِ **قُدَيْدار**[1] ، وله آثارٌ غريبةٌ ومشهورةٌ .

بهادُرآص ، الأميرُ الكبيرُ رأسُ ميمنةِ الشامِ ، سيفُ الدينِ بهادُرآص المنصوريُّ[2] ، أكبرُ أمراءِ دِمشقَ ، وممَّن طال عمرُه فى الحِشمةِ والثروةِ ،وهو ممَّن اجتمعت فيه الآيةُ الكريمةُ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤] . وقد كان محبَّبًا إلى العامَّةِ ، وله برٌّ وصدقةٌ وإحسانٌ ، توفِّى ليلةَ الثلاثاءِ [3]تاسعَ عشرَ صفرٍ بدارِه داخلَ بابِ تُوماءَ المشهورةِ ، وحضَر نائبُ السَّلْطنةِ والأمراءُ جِنازتَه[3] ، ودُفِن بتربتِه خارجَ بابِ الجابيةِ ، وهى مشهورةٌ أيضًا .

الحَجّارُ ابنُ الشِّحْنةِ الشيخُ الكبيرُ المسنِدُ المعمَّرُ الرَّحْلةُ شهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبى طالبِ بنِ نِعمةَ بنِ حسنِ بنِ علىٍّ بنِ بَيّانٍ الدَّيرمقْرَنىُّ ثم الصالحىُّ الحَجّارُ[4] ، المعروفُ بابنِ الشِّحْنةِ ، سَمِع « البخارىَّ »[5] على الزَّبيدىِّ سنةَ ثلاثين وستِّمائةٍ بقاسِيونَ ، وإنَّما ظهَر سماعُه سنةَ ستٍّ وسبعِمائةٍ ، ففرِح بذلك المحدِّثون وأكثَروا السماعَ عليه ، فقُرِئَ « البخارىُّ »[5] عليه نحوًا مِن ستِّين

---

(١) فى الأصل ، م : « قدادار » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/٢/٢٨٣، والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٣. وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٤٢ حاشية (٥) .

(٢) ذيول العبر ص ١٦٤، والدرر الكامنة ٢/ ٣٠، والمنهل الصافى ٣/ ٤٢٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨١، والدليل الشافى ١/ ١٩٩.

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر شذرات الذهب ٦/ ٩٣.

(٤) ذيول العبر ص ١٦٤، والسلوك ٢/٢/ ٣٢٦، والدرر الكامنة ١/١٥٢ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨١، وشذرات الذهب ٦/ ٩٣ . وانظر صفحة ١٩ من مقدمة التحقيق .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

مرةً ، وغيرَه ، وسمِعْنا عليه بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ فى أيامِ الشِّتوياتِ نحوًا مِن خمسِمائةِ جزءٍ بالإجازاتِ والسماعِ ، وسماعه مِن الزَّبيدىِّ وابنِ اللَّتِّىِّ ، وله إجازةٌ مِن بغدادَ فيها مائةٌ وثمانيةٌ وثلاثون شيخًا مِن العَوالِى المسنِدِين ، وقد مكثَ مُدَّةً مُقَدَّمَ الحَجّارِين نحوًا مِن خمسٍ وعشرِين سنةً ، ثم كان يَخبطُ فى آخرِ عمرِه ، واستقرَّتْ عليه جامَكِيَّتُه لمّا اشتغَل بإسماعِ الحديثِ ، وقد سمِع عليه السلطانُ الملكُ الناصرُ ، وخلَع عليه وألبَسه الخِلْعةَ بيدِه ، وسمِع عليه مِن أهلِ الديارِ المصريةِ [1]والشاميةِ[1] أممٌ لا يُحصَوْن كثرةً ، وانتفَع الناسُ بذلك ، وكان شيخًا حسنًا ، بهىَّ المنظرِ ، سليمَ الصدرِ ، ممتعًا بحواسِّه وقُواه ، فإنَّه عاش مائةَ سنةٍ محقِّقًا ، وزاد عليها ؛ لأنَّه سمِع « البخارىَّ » مِن الزَّبيدىِّ فى سنةِ ثلاثين وستِّمائةٍ ، وأسْمَعَه هو فى سنةِ ثلاثين وسبعِمائةٍ فى تاسعِ صفرٍ بجامعِ دمشقَ ، وسمِعْنا عليه يومَئذٍ ، وللَّهِ الحمدُ ، ويقالُ : إنَّه أدرَك موتَ المعظمِ عيسى بنِ العادلِ لمّا توفِّى ، والناسُ يسمَعُهم يقولون : مات المعظَّمُ . وقد كانت وفاةُ المعظمِ فى سنةِ أربعٍ وعشرين وستِّمائةٍ ، وتوفِّى الحجّارُ يومَ الاثنين خامس عشرِين[2] صفرٍ مِن هذه السنةِ ، وصلِّى عليه بالجامعِ المظفَّرىِّ يومَ الثلاثاءِ ، ودُفِن بتربةٍ له عندَ زاويةِ الرُّومىِّ[3] ، [4]بجوارِ جامعِ الأفرمِ[4] ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، رحِمه اللَّهُ .

(١ - ١) زيادة من : م . وانظر شذرات الذهب ٦/ ٩٣.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م ، وشذرات الذهب : « الدومى » . وزاوية الرومى : زاوية بسفح قاسيون ، منسوبة إلى شرف الدين الرومى . الدارس ٢/ ١٩٧.

(٤ - ٤) سقط من الأصل .

الشيخُ نجمُ الدينِ[1] **عبدُ الرحيمِ بنُ عبدِ الرحمنِ أبو نصرٍ الموصليُّ**[2] ، المعروفُ بابنِ الشَّحّامِ ، اشتغَل ببلدِه ثم سافَر وأقام بمدينةِ سراى مِن مملكةِ أزبَك[3] ، ثم قدِم دمشقَ فى سنةِ أربعٍ وعشرِين ، فدرَّس بالظاهريةِ البرّانيةِ ثم بالجاروخيَّةِ ، وأضِيف إليه مشيخةُ رباطِ القصرِ ، ثم نزَل عن ذلك لزوجِ ابنتِه نورِ الدينِ الأردبيلىِّ ، [١٠/١٩٥ظ] توفِّى فى ربيعِ الأولِ ، وكان يعرفُ طرفًا مِن الفقهِ والطبِّ .

الشيخُ إبراهيمُ الهُدْمةُ[4] ، أصلُه كردىٌّ مِن بلادِ الشرقِ ، فقدِم الشامَ ، وأقام بينَ القدسِ والخليلِ ، فى أرضٍ كانت مَواتًا ، فأحياها وغرَسها وزرَع فيها أنواعًا ، وكان يُقصَدُ للزيارةِ ، ويحكِى الناسُ عنه كراماتٍ صالحةً ، وقد بلغَ مائةَ سنةٍ ، وتزوَّج فى آخرِ عُمْرِه ، ورُزِق أولادًا صالحِين ، توفِّى فى جمادَى الآخِرةِ ، رحِمه اللَّهُ .

الستُّ صاحبةُ التربةِ ببابِ الخوّاصِين الخُوندةُ المعظَّمةُ المحجَّبةُ المحترمةُ سُتَيْتةُ بنتُ الأميرِ سيفِ الدينِ كوكاىِ[5] **المنصوريِّ** ، زوجةُ نائبِ الشامِ تَنكِز ، توفِّيت بدارِ الذهبِ ، وصُلِّى عليها بالجامعِ ثالثَ رجبٍ ، ودفِنت بالتربةِ التى أمرَت بإنشائِها عندَ بابِ الخوّاصِين ، وفيها مسجدٌ ، وإلى جانبِها رباطٌ للنساءِ ومكتبٌ

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « ابن » . وانظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٤٦٥/٢ ، والدارس ٢٢٩/١ .
(٢) فى م : « المحصل » .
(٣) فى م : « إربل » ، وفى ص : « ابن أزبك » .
(٤) تاريخ ابن الوردى ٢٩٣/٢ .
(٥) فى الأصل ، م : « كركاى » ، وفى الدارس ٢/ ٢٧٤ : « كوكباى » . والمثبت موافق لما فى الدرر الكامنة ٣٥٦/٣ ترجمة كوكاى ، وانظر ترجمتها فى : تاريخ ابن الوردى ٢٩٣/٢ .

للأيتامِ ، وفيها صدقاتٌ وبرٌّ وصِلاتٌ ، وقرّاءٌ عليها ، كلُّ ذلك أمرَت به ، وكانت قد حجَّت فى العامِ الماضى ، رحِمها اللَّهُ .

قاضى قضاةِ طرابُلُسَ ، شمسُ الدينِ[1] **محمدُ بنُ عيسى بنِ محمودِ البعلبكىُّ** ، المعروفُ بابنِ المجدِ الشافعىِّ ، اشتغَل ببلدِه وبرَع فى فنونٍ كثيرةٍ ، وأقام بدمشقَ مدةً يدرِّسُ بالقُوصيةِ بالجامعِ[2] ، ويؤُمُّ بمدرسةِ[3] أمِّ الصالحِ ، ثم انتقَل إلى قضاءِ طرابُلُسَ فأقام بها مدَّةَ أربعةِ أشهرٍ ، ثم تُوفِّى فى سادسِ رمضانَ ، وتولّاها بعدَه ولدُه تقىُّ الدينِ ، وهو أحدُ الفُضلاءِ المشهورِين ،ولم تطُلْ مدتُه بعدَه[4] حتى عُزِل عنها وأُخرِج منها .

الشيخُ الصالحُ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى القاسمِ بنِ يوسُفَ بنِ أبى القاسمِ الحُوّارىُّ[5] ، شيخُ طائفتِهم ، وإليه مرجِعُ زاويتِهم بحُوَّارَ[6] ، كان عندَه تفقُّهٌ وزَهادةٌ ، ويُزارُ ، وله أصحابٌ يخدُمونه ، وبلَغ السبعين[7] سنةً ، وخرَج لتوديعِ بعضِ أهلِه إلى ناحيةِ الكَرَكِ مِن ناحيةِ الحجازِ فأدركَه الموتُ هناك ، فمات فى أولِ ذى القَعْدةِ .

الشيخُ حسنُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ الأنصارىُّ الضريرُ[8] ، كان بفردِ عينٍ أولًا ،

---

(١) بعده فى ص : « أبو عبد اللَّه » . وانظر ترجمته فى تاريخ ابن الوردى ٢/٢٩٣ ، والدرر الكامنة ٤/ ٢٤٨، والدارس ١/ ٤٣٩.

(٢) فى الأصل، م : « وبالجامع » . وانظر الدارس ١/ ٤٣٨.

(٣) فى ص : « بتربة » .

(٤) زيادة من : ص .

(٥) فى م : « الحورانى » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيجينا من مصادر .

(٦) فى م : « بحوران » . وحُوَّار ، بالضم والتشديد : جبل فى غربى جرجان من ثغور الشام . معجم البلدان ٢/ ٣٥٤.

(٧) فى ص : « تسعين » .

(٨) تاريخ ابن الوردى ٢/٢٩٤ .

ثم عمِى جملةً ، وكان يقرأُ القرآنَ ويكثِرُ التلاوةَ ، ثم انقطَع إلى المنارةِ الشرقيةِ ، وكان يحضُرُ السماعاتِ ويستمعُ ويتواجدُ ، ولكثيرٍ مِن الناسِ فيه اعتقادٌ على ذلك ، لمجاورتِه فى الجامعِ ، وكثرةِ تلاوتِه وصلاتِه ، واللَّهُ يسامحُه ، توفِّى يومَ السبتِ فى العشرِ[1] الأُوَلِ مِن ذى الحجةِ بالمئذنةِ الشرقيةِ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودفِن ببابِ الصغيرِ .

محيى الدينِ أبو الثناءِ محمودُ بنُ الصدرِ شرفِ الدينِ بنِ[2] القَلانسىِّ ، توفِّى فى ذى الحِجةِ ببستانِه[3] ، ودفِن بتربتِهم بسفحِ قاسِيُونَ ، وهو جَدُّ[4] الصدرِ جلالِ[5] الدينِ بنِ القَلانسىِّ ، وأخيه علاءِ الدينِ ، وهم ثلاثتُهم رؤساءُ .

الشابُّ الرئيسُ صلاحُ الدينِ يوسفُ بنُ القاضى قطبِ الدينِ موسى بنِ شيخِ السَّلَامية[6] ، ناظرُ الجيشِ أبوه ، نشَأ هذا الشابُّ فى نعمةٍ وحشمةٍ وترفُّهٍ وعِشرةٍ واجتماعٍ بالأصحابِ ، توفِّى يومَ السبتِ تاسع عشرِين ذى الحِجةِ فاستراح مِن حشمتِه وعشرتِه إن لم تكنْ وبالًا عليه ، ودفِن بتربتِهم تُجاهَ الناصريةِ بالسَّفْحِ ، وتأسَّف عليه أبواه ومعارفُه وأصحابُه ، [١٠/١٩٩و] سامَحه اللَّهُ .

---

(١) فى ص : « العشرين » .
(٢) سقط من الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٥/ ١٠٧.
(٣) بعده فى ص : « بأرض مغنوى » .
(٤) فى ص : « أخو » . وانظر الدرر الكامنة ١/ ٥٩ .
(٥) فى ص : « جمال » .
(٦) الدرر الكامنة ٥/ ٢٥٤.

ثم دخَلت سنةُ إحدَى وثلاثِينَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّتْ والحكَّامُ هم المذكُورونَ فى التى قبلَها ، وقد ذكَرْنا ما كان من عَبِيدِ مكةَ إلى الحُجَّاجِ ، وأنَّه قُتِلَ مِن المصرِيِّينَ أمِيرانِ ، فلمَّا بلَغ الخبرُ السلطانَ عظُم عليه ذلك ، وامتَنَع مِن الأكلِ على السِّماطِ - فيما يُقالُ - أيامًا ، ثم جرَّد سِتَّمائةِ فارسٍ ، وقيل : ألفًا . والأوَّلُ أصحُّ ، وأرسَلَ إلى الشَّامِ أن يُجَرِّدَ مقدَّمٌ آخرُ ، فجُرِّد الأميرُ سيفُ الدِّينِ أُلْجَيْبُغا العادلىُّ ، وخرَج مِن دمشقَ يومَ دخَلَها الرَّكْبُ فى سادسِ عشرينَ المحرَّمِ ، وأُمِر أن يَسِيرَ إلى أَيْلَةَ ليجْتَمِعَ مع المصرِيِّينَ ، وأن يسِيرُوا جميعًا إلى الحجازِ .

وفى يومِ الأربعاءِ تاسع صفَرٍ وصَل نهرُ السَّاجورِ إلى مدينةِ حلَبَ ، وخرَج نائبُ حَلَبَ أَرْغُون ومعه الأُمراءُ مشاةً إليه فى تهليلٍ وتكْبيرٍ وتحميدٍ يَلْتَقُون هذا النهرَ ، ولم يُمَكِّنْ أحدًا مِن المَغانى ولا غيرِهم أن يتكلَّمَ بغيرِ ذكرِ اللَّهِ تعالى ، وفرِح الناسُ بوُصُولِه إليهم فرحًا شديدًا ، وكانوا قد سعَوْا فى تخلِيصِه مِن أماكنَ بعيدةٍ احتاجُوا فيها إلى نَقْبِ بعضِ الجبالِ ، وفيها صخورٌ ضِخامٌ صُمٌّ ، وعَقَدُوا له قناطرَ على الأوديةِ ، وما وصَل إلَّا بعدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ ، وأمرٍ شديدٍ ، فللهِ الحمدُ وحدَه لا شريكَ له . وحينَ رجَع نائبُ حلَبَ أَرْغُون مرِض مرضًا شديدًا ومات ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٤، وتذكرة النبيه ٢/ ٢١٠، والسلوك ٢/٢/ ٣٢٨.

وفى سابعَ عَشَرَ[1] صفرٍ وسَّعَ تَنْكِز الطُّرُقاتِ بالشَّامِ ظاهرَ بابِ الجابيةِ، وخرَّب كلَّ ما يُضَيِّقُ الطُّرُقاتِ.

وفى ثانى ربيعِ الأوَّلِ لبِسَ علاءُ الدِّينِ بنُ[1] القلانِسِىِّ خِلْعةً سَنِيَّةً لمباشرةِ نظَرِ ديوانِ ملكِ الأُمراءِ، وديوانِ المارَسْتانِ، عِوضًا عن أمينِ الدِّينِ بنِ العسالِ[2]، ورجَع ابنُ العسالِ[2] إلى حجابةِ الدِّيوانِ الكبيرِ.

وفى يومِ الخميسِ[3] ثانى[4] ربيعِ الأوَّلِ لبِسَ عمادُ الدِّينِ بنُ الشِّيرازِىِّ خِلْعَةَ نظَرِ الأُمَوىِّ عِوضًا عن ابنِ مَراجلٍ؛ عُزِل عنه لا إلى بدلٍ، وباشَر جمالُ الدِّينِ بنُ الفُوَيْرِه[5] نظَرَ الأَسْرَى بدلًا عن ابنِ الشيرازِىِّ.

وفى يومِ الخميسِ آخرِ ربيعِ الأوَّلِ لبِسَ القاضى شرفُ الدِّينِ[6] عبدُ اللَّهِ بنُ شرفِ الدِّينِ حسنِ [7]بنِ الحافظِ[7] أبى موسى عبدِ اللَّهِ بنِ الحافظِ عبدِ الغنىِّ المَقْدِسىِّ خِلْعةَ قضاءِ الحنابلةِ عِوضًا عن عزِّ الدِّينِ بنِ التَّقِىِّ سليمانَ، تُوفِّى رحِمه اللَّهُ، وركِبَ من دارِ السَّعادةِ إلى الجامعِ، فقُرِئَ تقليدُه تحتَ النَّسْرِ بحضرةِ القُضاةِ والأعيانِ، ثم ذهَب إلى الجوزِيَّةِ فحكَم بها، ثم إلى الصالِحِيَّةِ وهو لابسٌ الخِلْعةَ، واستَناب يومئذٍ ابنَ أخيهِ التَّقِىَّ عبدَ اللَّهِ بنَ شهابِ الدِّينِ أحمدَ.

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الأصل: «العال»، وفى م: «العادل».

(٣) سقط من: م.

(٤) فى ص: «ثامن».

(٥) فى م: «القويرة»، وفى ص: «القونورة». وانظر الجواهر المضية ٣/٥٩٤، والدرر الكامنة ٥/٢٠٢ وكناه كمال الدين. وانظر ما تقدم فى صفحة ١٩٣.

(٦) بعده فى م: «بن». وستأتى ترجمته فى وفيات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

(٧ - ٧) فى ص: «أبو الطاهر».

وفى سَلْخِ ربيعِ الآخِرِ اجتازَ الأميرُ علاءُ الدِّينِ ألطُنْبُغَا بدِمَشقَ وهو ذاهبٌ إلى بلادِ حلَبَ نائبًا عليها، عِوضًا عن أرْغُون، تُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ، وقد تلقّاه الناسُ[1] والجيشُ.

وفى مُستَهَلِّ جُمَادَى الأُولَى حضَر الأميرُ الشَّرِيفُ رُمَيْثَةُ بنُ أبى نُمَىٍّ إلى مكَّةَ، فقُرِئَ تقليدُه بإمْرَةِ مكَّةَ مِن جهةِ السلطانِ صحبةَ التَّجريدةِ، وخُلِع عليه، وبايعَه الأمراءُ المجرَّدُونَ مِن مصرَ والشامِ داخلَ الكعبةِ، وقد كان وصولُ التَّجارِيدِ إلى مكَّةَ فى سابعِ ربيعٍ [١٠/١٩٦ظ] الأوَّلِ، فأقاموا ببابِ المُعَلَّى، وحصَل لهم خيرٌ كثيرٌ مِن الصلاةِ والطَّوافِ، وكانت الأسعارُ رخيصةً معهم.

وفى يومِ السبتِ سادس[2] [3]جُمادَى الآخِرَةِ[3] خُلِع على القاضى عزِّ الدِّينِ ابنِ قاضى القضاةِ بدرِ الدِّينِ بنِ جَماعةَ بوَكالةِ السلطانِ، ونظَرِ جامعِ طُولُونَ، ونظَرِ النَّاصِرِيَّةِ، وهنَّأه النَّاسُ، عِوضًا عن التَّاجِ أبى[4] إسحاقَ عبدِ الوهَّابِ، تُوفِّى ودُفِن بالقرافةِ. وفى هذا الشَّهرِ[5] تولَّى عمادُ الدِّينِ بنُ قاضى القضاةِ الأخنائىِّ تدرِيسَ الصارِمِيَّةِ وهو صغيرٌ بعدَ وفاةِ النَّجْمِ هاشمِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَعْلَبَكِّىِّ الشافعىِّ، وحضَرها فى رجبٍ، وحضَر عندَه الناسُ خِدْمةً لأبيهِ.

وفى [6]حادِى عشرِينَ[6] جُمَادَى الآخرةِ رجَعتِ التَّجْرِيدَةُ مِن الحجازِ صُحْبةَ

---

(١) فى م: «النائب».

(٢) فى م: «سابع».

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «ربيع الآخر». وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٣١.

(٤) فى م: «ابن». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٦، وتذكرة النبيه ٢/ ٢١٤.

(٥) أى جمادى الآخرة على ما سبق، ولكن الذى فى الدارس ١/٣٢٨ أنه فى شهر ربيع الآخر كما فى مخطوط الأصل، والنسخة المطبوعة.

(٦ - ٦) فى الأصل: «حادى عشر»، وفى السلوك ٢/٢/ ٣٣١: «سابع».

الأميرِ سيفِ الدِّينِ أُلْجَيْبُغا ، وكانت غَيبتُهم خمسةَ أشهرٍ وأيامًا ، وأقامُوا بمكةَ شهرًا واحدًا ويومًا واحدًا ، وحصَل للعربِ منهم رُعْبٌ شديدٌ وخوفٌ أكيدٌ ، وعزَلُوا عن مكَّةَ عُطَيْفَةَ[1] وولَّوا أخاه رُميثَةَ ، وصلَّوْا وطافُوا واعتَمَرُوا ، ومنهم مَن أقام هناكَ ليَحُجَّ .

وفى ثانى رجبٍ خُلِع على ابنِ أبى الطَّيِّبِ بنظَرِ ديوانِ بيتِ المالِ عِوضًا عن ابنِ السابقِ[2] ، تُوفِّى .

وفى أوائلِ شعبانَ حصَل بدمشقَ هواءٌ شديدٌ مُزْعِجٌ ، كسَر كثيرًا مِن الأشجارِ والأغْصانِ ، وألقَى بعضَ الجُدرانِ والحيطانِ ، وسكَن بعدَ ساعةٍ بإذنِ اللَّهِ . فلمَّا كان يومُ تاسعِه سقَط برَدٌ كِبارٌ مِقْدارُ بَيضِ الحَمامِ ، وكسَر بعضَ جاماتِ الحمامِ . وفى شهرِ شعبانَ هذا خُطِب بالمدرسةِ المُعِزِّيةِ على شاطئِ النيلِ ، أنشأها الأميرُ سيفُ الدِّينِ طُقُزْدَمُر[3] أمير مجلسِ النَّاصرىّ ، وكان الخطيبُ بها عزَّ الدِّينِ عبدَ الرَّحيمِ بنَ الفُرَاتِ الحَنَفِىُّ .

وفى [4]نصفِ رمضانَ[4] قدِم الشيخُ تاجُ الدِّينِ عمرُ بنُ علىِّ بنِ سالمٍ اللَّخْمِىُّ[5] ابنُ الفاكهانىِّ المالكىُّ ، نزَل عندَ القاضى الشافعىِّ ، وسمِع عليه شيئًا مِن مُصنَّفاتِه ، وخرَج إلى الحجِّ عامَئذٍ مع الشامِيِّينَ ، وزار القدسَ قبلَ وُصولِه إلى دمشقَ .

---

(١) فى الأصل ، م : « عطية » . وانظر العقد الثمين ٦/ ٩٥.

(٢) فى الأصل ، م : « الصاين » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٣٩.

(٣) فى م : « طغز دمر » . وانظر الدليل الشافى ١/ ٣٦٦.

(٤ - ٤) فى ص : « منتصف شعبان » . وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٦.

(٥) فى الأصل : « البلخى » ، وفى م : « الملحى » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

وفى هذا الشهرِ وُطِّئَ سوقُ الخيلِ ورُكِّبَتْ فيه حَصْباءُ[1] كثيرةٌ ، وعَمِل فيه نحوٌ مِن أربعِمائةِ نفسٍ فى أربعةِ أيامٍ حتى ساوَوْه وأصلَحُوه ، وقد كان قبلَ ذلك يكونُ فيه مياهٌ كثيرةٌ ومُلْقاتٌ . وفيه أُصلِح سوقُ الدَّقيقِ ظاهِرَ[2] بابِ الجابيةِ إلى الثابتِيَّةِ ، وسُقِّفَ عليه السُّقوفُ .

وخرَج الرَّكْبُ الشَّامِىُّ يومَ الاثنينِ ثامن شوَّالٍ وأميرُه عزُّ الدِّينِ أيبَك أميرُ علمٍ ، وقاضِيه شهابُ الدِّينِ الظاهرِىُّ . وممَّن حجَّ فيه ؛ شهابُ الدِّينِ بنُ جهبلٍ ، [3]وابنُ أبى اليُسْرِ[3] ، وابنُ جملةَ ، والفخرُ المِصرىُّ ، والصَّدرُ المالِكِىُّ ، وشرَفُ الدِّينِ الكَفْرِىُّ[4] الحنفىُّ ، والبهاءُ[5] بنُ إمامِ المشهدِ ، وجلالُ الدِّينِ الأعيالىُّ[6] ناظرُ الأيتامِ ، وشمسُ الدِّينِ الكُردِىُّ[7] ، وفخرُ الدِّينِ البَعْلَبَكِّىُّ ، ومجدُ الدِّينِ بنُ أبى المَجْدِ ، وشمسُ الدِّينِ بنُ قَيِّمِ الجوزِيَّةِ ، وشمسُ الدِّينِ بنُ خطيبِ يبرودَ[8] ، وشرَفُ الدِّينِ قاسمٌ العَجْلُونىُّ ، وتاجُ الدِّينِ بنُ الفاكهانِىِّ ، والشيخُ عمرُ السُّلَامىُّ[9] ، [١٠/١٩٧و] وكاتبُه إسماعيلُ بنُ كثيرٍ ، وآخرونَ مِن سائِرِ المذاهبِ ، حتى كان الشيخُ [10]بدرُ الدِّينِ[10] يقولُ : اجتَمَع فى رَكْبِنا هذا أربعُمائةِ فقيهٍ وأربعُ مدارسَ وخانَقَاه ودارُ حديثٍ . وقد كان معنا مِن المُفْتِينَ ثلاثةَ عشَرَ نَفْسًا ،

---

(١) فى م : « حصبات » .

(٢) فى م : « داخل » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « وأبو اليسر » ، وفى م : « وأبو النسر » .

(٤) فى م : « الكفوى » . وانظر الدرر الكامنة ١/ ١٣٣.

(٥) فى ص : « بدر الدين » . وانظر الدارس ١/ ١٩٩.

(٦) فى ص : « الأعتابى » .

(٧) فى الأصل : « الكرفجرى » .

(٨) فى الأصل : « يرود » ، وفى ص : « بيروت » ، وفى م : « بيرة » . وانظر صفحة ٣٣٠.

(٩) فى الأصل ، م : « السلاوى » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٣٣.

(١٠ - ١٠) فى ص : « أبو اليسر » .

وكان فى المصريين جماعةٌ مِن الفقهاءِ ؛ منهم قاضى المالِكِيَّةِ تقىُّ الدِّينِ الأخنائىُّ ، وفخرُ الدِّينِ النويرىُّ ، وشمسُ الدِّينِ بنُ الحارثىِّ ، ومجدُ الدِّينِ الأقْصُرائىُّ شيخُ الشيوخِ ، والشيخُ محمدٌ المرشِدِىُّ ، وفى ركْبِ العراقِ الشيخُ [1]أسدٌ المَراوِحىُّ[1] وكان مِن المشاهيرِ ، وفى الشَّامِيِّينَ الشيخُ علىٌّ الواسِطِىُّ صُحبةَ ابنِ التُّرْكُمانىِّ[2] ، وأميرُ المصريين مُغْلَطَاى الجمالِىُّ الذى كان وزيرًا فى وقتٍ ، وكان إذ ذاك مريضًا . ومَرَرْنا بعينِ تبُوكَ وقد أُصلِحَتْ فى هذه السنةِ ، وصِينَتْ مِن دَوْسِ الجمالِ و الجمَّالِينَ ، وصار ماؤُها فى غايةِ الحسنِ والصَّفاءِ والطِّيبِ ، وكانت الوقفةُ يومَ الجمُعةِ ، ومُطِرنا بالطَّوافِ ، وكانت سنةً مُرخِصةً آمنةً .

وفى نصفِ ذى الحِجَّةِ رجَع تَنْكِز من ناحيةِ قلعةِ جَعْبَرٍ ، وكان فى خدمتِه أكثرُ الجيشِ الشامِىِّ مِن الأمراءِ والمقدَّمين الكبارِ والصغارِ ، وأظهَرَ أُبَّهةً عظيمةً فى تلك النواحى .

وفى سادسِ عشرِينَ[3] ذى الحِجَّةِ وصَل توقيعُ القاضى علاءِ الدِّينِ بنِ القَلانِسِىِّ بجميعِ جهاتِ أخيه جمالِ الدِّينِ ، بحُكمِ وفاتِه ، مضافًا إلى جهاتِه ، فاجتَمَع له مِن المناصبِ الكبارِ ما لم يَجْتَمِعْ لغيرِه من الرؤساءِ فى هذه الأعصارِ ؛ فمِن ذلك وَكالةُ بيتِ المالِ ، وقضاءُ العسكرِ ، وكتابةُ الدَّسْتِ ، ووكالةُ ملكِ الأمراءِ ، ونظَرُ المارستانِ ، ونظَرُ الحرَمَينِ ، ونظرُ ديوانِ السَّعيدِ ، وتدريسُ الأمينِيَّةِ والظاهرِيَّةِ والعصرُونِيَّةِ وغيرُ ذلك .

(١ - ١) فى م : «أحمد السروجى أشد» .
(٢) فى الأصل ، م : «المرجانى» .
(٣) فى م : «عشر» .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

قاضى القُضاةِ عزُّ الدِّينِ بنُ قاضى القضاةِ تَقِىِّ الدِّينِ سليمانَ بنِ حمزةَ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ الشَّيخِ أبى[1] **عمرَ المقدسىُّ الحنبلىُّ** ، وُلِد سنةَ خمسٍ وستِّينَ وستِّمائةٍ ، وسمِع الحديثَ ، واشتَغل على والدِه ، واستَنابَه فى أيامِ ولايتِه ، فلمَّا وَلِى ابنُ مُسَلَّمٍ لزِم بيتَه يحضُرُ درْسَ الجَوزِيَّةِ ودارَ الحديثِ الأشرفِيَّةَ بالجبلِ ويأوِى إلى بيتِه ، فلما تُوفِّى ابنُ مُسَلَّمٍ ولِى قضاءَ الحنابلةِ بعدَه نحوًا مِن أربعِ سِنينَ ، وكان فيه تواضُعٌ وتودُّدٌ وقضاءٌ لحوائِجِ المسلمين ، وكانت وفاتُه يومَ الأربعاءِ تاسع صفرٍ ، وكان يومًا مَطِيرًا ، ومع هذا شهِد الناسُ جِنازتَه ، ودُفِن بتربتِهم ، رحِمهم اللَّهُ ، ووِلِىَ بعدَه نائبُه شرفُ الدِّينِ بنُ[2] الحافظِ ، وقد قاربَ الثمانِينَ .

وفى نصفِ صفرٍ تُوفِّى **الأميرُ سيفُ الدِّينِ قِجْلِيس سيفُ النقمةِ**[3] ، وقد كان سمِع على الحجَّارِ ووزيرَةَ[4] بالقُدْسِ الشَّرِيفِ[5] .

الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدِّينِ أَرْغُون بنُ عبدِ اللَّهِ الدَّوادَار الناصرىُّ[6] ، وقد عمِل على نيابةِ مصرَ مدَّةً طويلةً ، ثم غضِب عليه السلطانُ فأرسَلَه إلى نيابةِ حلَبَ ، فمكَث بها مدَّةً ثم تُوفِّى بها فى سابعَ عشَرَ ربيعِ الأوَّلِ ، ودُفِن بتربةٍ

---

(١) فى الأصل : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٦٦، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤١٥، والدرر الكامنة ٤/ ٦٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٦، وشذرات الذهب ٦/ ٩٦.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م : « النعمة » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/٢/ ٣٣٨، والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٨، والدليل الشافى ٢/ ٥٣٥، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٧.

(٤) هى ست الوزراء بنت عمر بن أسعد . سبقت ترجمتها ص ١٥٨.

(٥) بعده فى م : « وفى منتصف صفر توفى » . ووفاة الأمير أرغون فى شهر ربيع الأول ، وفى السلوك أنه توفى ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر .

(٦) ذيول العبر ص ١٦٧ ، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥٨، والسلوك ٢/٢/ ٣٣٩، والدرر الكامنة ١/ ٣٧٤، والمنهل الصافى ٢/ ٣٠٦.

اشتَرَاها بحلَبَ ، وقد كان عندَه فَهْمٌ وفِقْهٌ ، وفيه ديانةٌ واتباعٌ للشَّريعةِ ، وقد [١٠/١٩٧ظ] سمِع « البُخارِيَّ » (١على الحجَّارِ١) وكتَبه جميعَه بخطِّه ، وأذِن له بعضُ العلماءِ فى الإفتاءِ ، وكان يميلُ إلى الشيخِ تقيِّ الدِّينِ بنِ تيميَّةَ وهو بمصرَ ، تُوفِّى ولم يُكْمِلِ الخمسِينَ سنةً ، وكان يَكْرَهُ اللَّهوَ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ولما خرَج يلتقِى نهرَ السَّاجورِ خرَج فى ذُلٍّ ومسكنَةٍ ، وخرَج معه الأمراءُ كذلك مُشاةً فى تكبيرٍ وتهليلٍ وتحميدٍ ، ومنَعَ المغانِىَ مِن اللَّهوِ واللَّعِبِ فى ذلك ، رحِمه اللَّهُ .

القاضى ضياءُ الدِّينِ أبو الحسنِ علىُّ بنُ سليمِ بنِ رَبِيعةَ(٢) بنِ سليمانَ الأذْرَعِىُّ الشافعىُّ ، تَنَقَّل فى ولايةِ الأقضيةِ بمدارسَ(٣) كثيرةٍ مدَّةَ ستِّينَ سنةً ، وحكَم بطرابُلُسَ (٤ونابُلُسَ٤) وعجلُونَ (٥وحمصَ٥) وزُرَعَ وغيرِها ، وحكَم بدمشقَ نيابةً عن القُونوِىِّ نحوًا مِن شهرٍ ، وكان عندَه فضيلةٌ ، وله نَظْمٌ كثيرٌ ؛ نظَمَ « التَّنْبِيهَ » فى نحوِ ستةَ عشَرَ ألف بيتٍ ، وتَصحيحه(٦) فى ألفٍ وثلاثِمائةِ بيتٍ ، وله مدائحُ وموالِيَا وأزجالٌ وغيرُ ذلك ، ثم كانت وفاتُه بالرَّملَةِ يومَ الجُمعةِ ثالث عشرِينَ ربيعِ الأوَّلِ عن خَمْسٍ وثمانِينَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ ، وله عِدَّةُ أولادٍ ؛ منهم عبدُ الرَّزَّاقِ ، أحدُ الفُضلاءِ ، وهو ممَّن جمَع بينَ عِلْمَىِ الشَّريعةِ والطَّبيعةِ .

(١ - ١) فى الأصل : « بالحجاز » .

(٢) فى م : « ربيع » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٢١/ ١٤٠، وتذكرة النبيه ٢/ ٢١٢، والسلوك ٢/٢/ ٣٣٨، والدرر الكامنة ٣/ ١٢٣، والدليل الشافى ١/ ٤٥٦، وشذرات الذهب ٦/ ٩٦ . وفى السلوك والدليل : « على بن سليمان » .

(٣) فى ص : « بمدائن » .

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى النسخ : « تصحيحها » ، والمثبت من شذرات الذهب ، وتصحيح التنبيه للنووى . انظر طبقات الشافعية للسبكى ٨/ ٣٩٨.

أبو دبوسٍ[1] **عثمانُ بنُ سعيدٍ**[2] **المغربيُّ**، تملَّكَ فى وقتٍ بلادَ قابسَ ثم تغلَّب عليه جماعةٌ فانتزَعُوها منه، فقصَدَ مصرَ فأقام بها وأُقطِعَ إقطاعًا، وكان يركَبُ مع الجندِ فى زىِّ المغاربةِ مُتقلِّدًا سيفًا، وكان حسَنَ الهيئةِ يُواظِبُ الخِدْمةَ إلى أن تُوفِّى فى جُمَادَى الأُولَى.

الإمامُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ قطبِ الدِّينِ محمدِ بنِ عبدِ الصَّمدِ بنِ عبدِ القادرِ السُّنْباطِىُّ الشافعِىُّ[3]، مُدرِّسُ الحُسامِيَّةِ ونائبُ الحكمِ بمصرَ، وأعاد فى أماكنَ كثيرةٍ، وتفقَّه على والدِه، تُوفِّى فى جُمَادى الآخرةِ، وتوَلَّى الحُسامِيَّةَ بعدَ[4] ناصرِ الدِّينِ التبريزىِّ[5].

الصَّدْرُ الكبيرُ تاجُ الدِّينِ الكارِمِىُّ، المعروفُ بابنِ الدَّمامِينِىِّ[6]، كان [7]مِن أكابرِ[7] [8]التجارِ الكارِمِيَّةِ[8] بمصرَ، تُوفِّى فى جُمادَى الآخرةِ، يقالُ: إنَّه خلَّف مائةَ ألفِ دينارٍ، غيرَ البضائِعِ والأثاثِ والأملاكِ.

الإمامُ العلَّامةُ فَخْرُ الدِّينِ عثمانُ بنُ إبراهيمَ بنِ مُصْطَفى بنِ سليمانَ

---

(١) فى الأصل: «رويس». وفى ص: «أرويس». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٦.

(٢) فى الأصل: «معيد»، وفى ص: «إدريس».

(٣) السلوك ٢/٢/٣٤٠.

(٤) فى م: «بعده».

(٥) فى الأصل: «البريدى».

(٦) فى الأصل، م: «الرهايلى». وانظر ترجمته فى: السلوك ٢/٢/ ٣٤٠، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٨٩.

(٧ - ٧) فى م، ص: «أكبر».

(٨ - ٨) فى الأصل، م: «تجار دمشق الكارمية و».

والكارمية: تجار الكارم، وهم فئة التجار الذين كانت بيدهم تجارة البهار والتوابل الواردة إلى مصر من الهند، وكان معظمهم من بلاد الكانم الإسلامية بالسودان الغربى، فنسبوا إلى أصلهم بعد تحريفهم إلى الكارم، ثم أطلق اللفظ على جميع من مارس التجارة بمصر. السلوك ١/٣/٨٩١ حاشية (٢).

المارديني[1] **التُّركمانيُّ الحنفيُّ**، شرَح فخرُ الدِّينِ هذا «الجامعَ الكبيرَ» وألقاه دُرُوسًا فى مائةِ كرَّاسٍ، تُوفِّى فى رجبٍ وله إحْدى وسبْعون سنةً، كان شيخًا[2] عالمًا فاضلًا، مُوقَّرًا فصيحًا، حسَنَ المفاكهةِ، وله نَظْمٌ حسَنٌ، ووَلِىَ بعدَه المنصُورِيَّةَ ولدُه تاجُ الدِّينِ.

تقِىُّ الدِّينِ عمرُ بنُ الوزيرِ شمسِ الدِّينِ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ السَّلْعُوسِ[3]، كان صغيرًا لما مات أبوه تحتَ العُقوبةِ، ثم نشَأ فى الخدَمِ، ثم طلَبه السلطانُ فى آخرِ وقتٍ فولَّاه نظَرَ الدَّواوينِ بمصرَ، فباشرَه يومًا واحدًا، وحضَر بينَ يَدَىِ السلطانِ يومَ الخميسِ، ثم خرَج مِن عندِه وقد اضطرَب حالُه، فما وصَل إلى منزلِه إلَّا فى مِحَفَّةٍ، ومات بُكْرَةَ يومِ السَّبتِ سادس عشرِينَ ذِى القَعْدَةِ، وصُلِّىَ عليه بجامعِ عمرِو [١٠/١٩٨و] بنِ العاصِ، ودُفِن عندَ والدِه بالقرافةِ، وكانت جِنازتُه حافلةً.

جمالُ الدِّينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ شرفِ الدِّينِ بنِ جمالِ الدِّينِ محمدِ بنِ أبى الفتحِ نصرِ اللَّهِ بنِ [4]**المظفرِ بنِ**[4] **أسدِ بنِ حمزةَ بنِ أسدِ بنِ علىِّ بنِ محمدٍ التميمىُّ الدمشقىُّ، ابنُ القَلانِسِىِّ**، قاضى العساكرِ، ووكيلُ بيتِ المالِ، ومُدَرِّسُ الأمينيَّةِ وغيرِها، حفِظ «التَّنبيهَ» ثم «المُحَرَّرَ» للرَّافِعِىِّ، وكان يَسْتحضِرُه، واشْتَغَل على الشَّيخِ تاجِ الدِّينِ الفَزارِىِّ، وتقدَّم لطلَبِ العلمِ

---

(١) فى م: «بن المارداني». وانظر ترجمته فى: الجواهر المضية ٢/ ٥٢١، وفيه: عثمان بن مصطفى ابن إبراهيم، والسلوك ٢/٢/ ٣٤٠، والدرر الكامنة ٣/ ٤٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٠، والدليل الشافى ١/ ٤٣٨.

(٢) فى م: «شجاعًا».

(٣) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٧، والسلوك ٢/٢/ ٣٤١، والدرر الكامنة ٣/ ٢٦٤.

(٤ - ٤) سقط من: م. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٦٨، والدرر الكامنة ١/ ٣٢١، والمنهل الصافى ١/ ١٨٤، والدليل الشافى ١/ ٨٦، وشذرات الذهب ٦/ ٩٥.

والرِّئاسةِ ، وباشَر جهاتٍ كِبارًا ، ودرَّس فى أماكنَ ، وتفرَّدَ فى وقتِه بالرِّئاسةِ فى[1] البيتِ والمناصبِ الدِّينيةِ والدُّنيويَّةِ ، وكان فيه تواضعٌ وحُسْنُ سَمْتٍ وتودُّدٌ ، وإحسانٌ وبرٌّ بأهلِ العلمِ والفقراءِ والصَّالحِينَ ، وهو ممَّن أُذِن له فى الإفتاءِ ، وكتَب إنشاءَ ذلك وأنا حاضرٌ على البَدِيهةِ فأفادَ وأجادَ ، وأحْسَنَ التَّعبيرَ وعظُم فى عَيْنِى ، تُوفِّى يومَ الاثنينِ ثامن عشرِينَ ذِى القَعْدَةِ ، ودُفِن بتُرْبتِهم بالسَّفْحِ ، وقد سمِع الحديثَ على جماعةٍ مِن المشايخِ ، وخرَّج له فخرُ الدِّينِ البَعْلَبَكِّىُّ مشيخةً سمِعناها عليه ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « و » .

ثم دخَلَت سنةُ اثنتين وثلاثِين وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّتْ وحكامُ البلادِ هم هم. وفى أوَّلِها فُتِحَت القَيْساريَّةُ التى كانت مَسْبكَ الفُولاذِ جوًّا بابِ الصغيرِ، حوَّلها تَنْكِز قَيْسَاريَّةً ببِرْكةٍ.

وفى يوم الأربعاءِ[2] ذكَر الدرسَ بالأمِينيَّةِ والظاهريَّةِ علاءُ الدينِ بنُ القَلانِسِيِّ عِوَضًا عن أخِيه جمالِ الدِّينِ، وذكَر ابنُ أخِيه أمينُ الدينِ محمدُ بنُ جمالِ الدينِ الدرسَ بالعصرونِيَّةِ، ترَكَها له عمُّه، وحضَر عندَهما جماعةٌ من الأعيَانِ.

وفى تاسعِ المحرَّمِ جاءَ إلى حِمْصَ سَيْلٌ عظيمٌ غَرِقَ بسببِه خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ، وهلَكَ للناسِ أشْياءُ كثيرةٌ، وممَّن ماتَ فيه نحوُ مائتَى[3] امرأةٍ بحمامِ النائِبِ، كُنَّ مُجْتَمعاتٍ عَلَى عرُوسٍ أو عَرُوسَين فهلَكْنَ جميعًا.

[4]وفى صَفرٍ[4] أمَر تَنْكِز ببيَاضِ الجدرانِ المُقابِلَةِ لسُوقِ الخَيْلِ إلى بابِ الفرادِيسِ، وأمَر بتَجْديدِ خانِ الظاهرِ، فغَرِم عليه نحوًا من سبعينَ ألفًا. وفى هذا الشَّهْرِ وصَل تابوتُ لاچين الصغيرِ من الْبِيرَةِ، فدُفِن بتُربتِه خارجَ بابِ شرقيٍّ.

---

(١) كنز الدرر ٩/٣٥٩، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٧، وتذكرة النبيه ٢/ ٢١٩، والسلوك ٢/٢/ ٣٤١.

(٢) فى ص: «الجمعة سادس المحرم». وانظر الدارس ١/ ٤٠٤.

(٣) فى ص: «من مائة». وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٧، وتذكرة النبيه ٢/ ٢١٩.

(٤ - ٤) فى ص: «وفيه».

وفى تاسعِ[1] ربيعِ الآخرِ حضَر الدَّرسَ بالقيمَازيَّةِ عِمادُ الدِّينِ الطَّرَسُوسِيُّ الحَنفيُّ عِوَضًا عن الشيخِ رَضِيِّ الدينِ المِنطِيقيِّ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيَانُ .

وفى أوَّلِ رَبيعِ الآخِرِ خُلِعَ على الملكِ الأفْضَلِ عليِّ بنِ الملكِ المُؤيَّدِ صاحِبِ حَمَاةَ ، ووَلَّاهُ السلْطانُ الملكُ الناصِرُ مكانَ أبيه بحُكْمِ وَفاتِه ، وركِبَ بمِصْرَ بالعصَائبِ والشبابةُ[2] والغاشيةُ أمامَه . وفى نِصْفِ هذا الشهرِ سافرَ الشيخُ شمسُ الدينِ الأصفهانيُّ شارِحُ « المختَصَرِ »[3] ومُدرِّسُ الرَّوَاحِيَّةِ إلى الدِّيارِ المصريةِ عَلى خَيْلِ البريدِ ، وفارَقَ دِمَشْقَ وأهْلَها واستَوْطَنَ القاهرةَ .

وفى يومِ الجُمُعةِ تاسع جُمادى الأُولَى[4] خطَب بالجامعِ الذى أنشأه الأميرُ سَيْفُ الدينِ ألْمَلِك ، واستقرَّ فيه خطيبًا نورُ الدينِ عليُّ بنُ شبيبٍ الحنبَلِيُّ . وفيه أرسَلَ السلطانُ جماعةً مِن الأُمراءِ [١٠/١٩٨ظ] إلى الصَّعيدِ فأحاطُوا على [5]نحوِ من ستِّمائةِ[5] رَجُلٍ ممَّن كانَ يقطَعُ الطريقَ ، فأُتْلِفَ بَعْضُهم .

وفى جُمادَى الآخِرةِ تولَّى شدَّ الدَّواوِينِ بدِمَشْقَ نورُ الدِّينِ بنُ الخَشَّابِ عِوَضًا عن الطرقشِيِّ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ حادِى عَشَرَ رَجَبٍ خُلِعَ على قاضِى القُضاةِ عَلاءِ الدينِ بنِ الشيخِ زَيْنِ الدينِ بنِ المنَجَّا بقَضاءِ الحنابِلَةِ عوَضًا عن شرَفِ الدينِ بنِ الحافِظِ ، وقُرِئَ تَقْلِيدُه بالجامعِ ، وحضَره القضاةُ والأعيانُ ، وفى اليومِ الثانى استنَابَ برهانَ الدِّينِ الزُّرَعِيَّ .

---

(١) فى ص : « ثامن » . وانظر الدارس ١/ ٥٧٦.

(٢) فى م : « السبابة » . وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٨، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٢٥.

(٣) هو مختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه . وقد نشر هذا الشرح بجامعة أم القرى باسم : بيان المختصر ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

(٤) فى م ، ص : « الآخرة » .

(٥ - ٥) فى م : « ستمائة » .

وفى رَجَبٍ باشَر الصاحبُ شمسُ الدينِ[1] موسَى بنُ التاجِ أبى[2] إسحاقَ نظَرَ الجيُوشِ بمصرَ عِوَضًا عن فَخْرِ الدينِ كاتبِ المماليكِ ، تُوفِّى ، وباشرَ النَّشْو[3] مكانَه فى نظَرِ الخاصِّ ، وخُلِعَ عليهِ بطَرْحَةٍ ، فلمَّا كانَ فى شعبانَ عُزِل هو وأخُوه العلَمُ ناظِرُ الدَّواوِينِ وصودِرا وضرِبَا ضُربًا شديدًا ، وتولَّى نظَرَ الجيشِ [4]المكينُ بنُ قَرَوِينَةَ[4] ، ونظَرَ الدَّواوِينِ أخوه[5] شمسُ الدينِ بنُ قَرَوِينَةَ .

وفى شعبانَ كان عرسُ آنُوك - ويقالُ : اسمُه محمدُ - ابنُ السلطانِ الملكِ الناصِرِ ، على بنتِ الأميرِ سَيْفِ الدينِ بَكْتَمُر السَّاقِى ، وكان جهازُها بألفِ ألفِ دينارٍ ، وذُبح فى هذا العُرْسِ من الأغْنامِ والدَّجاجِ والإوَزِّ والخَيْلِ والبقَرِ وغيرِ ذلك نحوٌ من عشرِينَ ألفًا ، وعُملت حَلْوى بنحوِ ثمانِيَةَ عَشَرَ ألفِ[6] قِنْطارٍ ، وحُمِل له مِن الشمعِ ثلاثةُ آلافِ قنطارٍ ، قاله الشيخُ أبو بكرٍ الرَّحْبىُّ ، وكانَ هذا العُرْسُ ليلةَ الجمعةِ حادِى عَشَرَ شعبانَ .

وفى شعبانَ هذا حُوِّلَ القاضِى محيى الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ من كتابةِ السِّرِّ بمصرَ إلى كتابةِ السِّرِّ بالشامِ ، ونُقِلَ شرفُ الدينِ بنُ شمسِ الدينِ بنِ الشِّهابِ محمودٍ إلى كتابَةِ السِّر بمِصْرَ . وأقيمَتِ الجُمعةُ بالشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ فى خامسِ عشْرِين[7] شعبانَ ، وحضَرها القُضَاةُ والأمراءُ ، وخطَب بها الشيخُ زينُ الدينِ

---

(١) بعده فى ص : « بن » . وانظر السلوك ٢/٢/٣٤٧.

(٢) زيادة من : ص .

(٣) فى ص : « النشر » . وانظر السلوك ٢/٢/٣٤٣.

(٤ - ٤) فى الأصل : « الملكين بن قريتة » . وانظر السلوك ٢/٢/٣٤٨ : « مكين الدين بن إبراهيم بن قرونية » .

(٥) فى ص : « ابنه » .

(٦) سقط من : ص . وانظر السلوك ٢/٢/٣٤٦. وكنز الدرر ٩/ ٣٦٠.

(٧) فى م : « عشر » . وانظر الدارس ١/ ٢٩٨.

عبدُ النورِ المغربيُّ ، وذلك بإشارةِ الأميرِ حسامِ الدِّينِ البَشْمَقْدار الحاجِبِ بالشامِ ، ثم خطَب عنه كمالُ الدينِ بنُ الزكيِّ . وفيهِ أمرَ نائبُ السلْطَنَةِ بتبييضِ البُيوتِ من سُوقِ الخَيْلِ إلى مَيْدانِ الحصَا ، ففُعِل ذلك .

وفيه زادَتِ الفُراتُ زيادةً عظيمةً لم يُسْمَعْ بمِثْلِها ، واستمرَّت نحوًا من اثْنَيْ عشَرَ يومًا ، فأتلَفَتْ بالرَّحْبةِ أموالًا كثيرةً ، وكسَرَتِ الجِسْرَ الذِى عندَ [1]دَيْرِ بشرٍ[1] ، وغلَتِ الأسْعَارُ هناك ، فشرَعُوا فى إصْلاحِ الجِسْرِ ، ثم انكسَر مرَّةً ثانيةً لطيفةً[2] .

وفى يومِ السبتِ تاسِع شوَّالٍ خرَج الرَّكْبُ الشامِيُّ وأميرُه سيفُ الدينِ أَوْران[3] ، وقاضِيه جمالُ الدِّينِ بنُ الشَّريشِيِّ ، وهو قاضى حِمْصَ الآنَ ، وحجَّ السلْطَانُ فى هذه السنَةِ وفى[4] صُحْبتِه قاضى القُضَاةِ القَزْوِينيُّ ، وعزُّ الدِّين بنُ جَماعةَ ، وموفَّقُ الدينِ الحنبليُّ ، وسَبْعُونَ أميرًا .

وفى ليلَةِ الخميسِ [5]حادِى عشرينَ[5] شوَّالٍ رُسِمَ على الصاحبِ شمسِ الدينِ غِبْريالَ بالمدرسَةِ النجيبيَّةِ الجوَّانِيَّةِ ، وصُودِرَ وأُخِذَتْ منه أموالٌ [١٠/١٩٩و] كثيرةٌ ، وأفرِجَ عنه فى المحرمِ من السنَةِ الآتيةِ .

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ :

(١ - ١) فى م : « ديربسر » ، وفى ص : « دار بشير » ، وفى تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٩ : « ديربسير » . وديربشر : عند حجيرا بغوطة دمشق ، ينسب إلى بشر بن مروان بن الحكم . معجم البلدان ٢/ ٦٤٧.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، م : « أوزان » . وغير واضحة فى ص . والمثبت من الدرر الكامنة ١/ ٤٤٨، والدليل الشافى ١/ ١٥٧.

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى ص : « العشرين من » .

الشيخُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبى محمَّدِ بنِ محمدِ بنِ سُلْطانِ[1] **القَرامِزِىُّ**، أحدُ المشاهيرِ بالعِبَادَةِ والزَّهادَةِ، ومُلازَمَةِ الجامِعِ الأُمَوِىِّ، وكَثْرةِ التِّلاوةِ والذِّكْرِ، وله أصحابٌ يَجْلِسُونَ إليه، وله مع هذا ثروةٌ وأملاكٌ، تُوفِّى فى مستهلِّ المحرَّمِ عن خمسٍ أو سِتٍّ وثمانِينَ سنَةً، ودُفِنَ ببابِ الصَّغِيرِ، وكان قد سَمِع الحديثَ واشْتَغَل بالعلمِ، ثم ترَك ذلك واشتَغَل بالعبادةِ إلى أن ماتَ.

الملكُ المؤيَّدُ صاحِبُ حَمَاةَ عمادُ الدينِ إسماعِيلُ بنُ الملكِ الأفضَلِ نورِ الدِّينِ علىِّ بنِ الملكِ المُظَفَّرِ تقىِّ الدِّينِ محمودِ بنِ الملكِ المَنْصُورِ ناصِرِ الدينِ محمدِ بنِ الملكِ المظَفَّرِ تقىِّ الدينِ عمرَ بنِ شاهِنْشَاه بنِ أيُّوبَ[2]، كانت له فَضَائِلُ كثيرةٌ فى علومٍ متعدِّدَةٍ مِن الفِقْهِ والهَيئةِ والطِّبِّ وغيرِ ذلك، وله مصنَّفاتٌ عديدةٌ؛ منها تارِيخٌ حافلٌ حسنٌ مختصرٌ فى مجلدَيْنِ، [3]وله العُروضُ والأطوالُ والكلامُ على البُلدانِ فى مجلدٍ كبيرٍ[3]، وله نظمُ «الحاوِى» وغيرُ ذلك، وكان يُحبُّ العُلَماءَ ويُشاكِلُهم، ويُشارِكُهم فى فُنونٍ كثيرةٍ، وكان مِن فُضَلاءِ بنى أيُّوبَ، ووَلِىَ مُلْكَ حَمَاةَ مِن سنةِ إحْدى وعِشْرِين إلى هذا الحينِ، وكان الملكُ الناصِرُ يُكْرِمُه ويُعَظِّمُه، ووَلِىَ بعدَه فى المُلكِ ولدُه الأفْضَلُ علىٌّ، تُوفِّى سحَرَ يومِ الخميسِ ثامِنَ عِشْرِينَ المحرَّمِ، ودُفِنَ ضَحْوَةً عندَ والِدَيه[4] بظاهرِ حَمَاةَ.

القاضى الإمامُ المحدِّثُ تاجُ الدِّينِ أبو القَاسِمِ عبدُ الغَفَّارِ بنُ محمدِ بنِ

---

(١) فى ص: «سليمان». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٧٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤١٦، والدرر الكامنة ١/ ٤٥٥، والدارس ٢/ ٨٥، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٠.

(٢) ذيول العبر ص ١٧٠، والوافى بالوفيات ٩/ ١٧٣، وفوات الوفيات ١/ ١٨٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٤٠٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٤٥٥.

(٣ - ٣) فى م: «كبيرين».

(٤) فى ص: «والداه».

عبدِالكافِى بنِ عِوَضِ بنِ سِنَانٍ[1] **بنِ عبدِ اللَّهِ السَّعْدِىُّ الفَقِيهُ الشافِعِىُّ**، سمِع الكثيرَ، وخرَّجَ لنفْسِه مُعْجَمًا فى ثلاثِ مجلَّداتٍ، وقرَأ بنفْسِه الكثيرَ، وكتَب الخطَّ الجيِّدَ، وكان متقِنًا عارِفًا بهذا الشأنِ، يقالُ: إنه كتَب بخَطِّه نحوًا مِن خمسِمائةِ مُجلَّدٍ. وقد كان شافِعيًّا مُفْتِيًا، ومع هذا نابَ فى وَقْتٍ عن القاضى الحَنْبَلِىِّ، وولِى مَشيخَةَ الحديثِ بالمدرسةِ الصَّاحبيَّةِ، وتُوفِّى بمِصرَ فى مستَهَلِّ رَبِيعِ الأوَّلِ عن ثنتَيْنِ وثمانِينَ سنةً، رحِمه اللَّهُ.

الشيخُ رَضِىُّ الدِّينِ إبراهيمُ بنُ سُلَيمانَ المَنْطِيقِىُّ الحَنَفِىُّ[2]، أصْلُه مِن [3]آب كَرْم[3] من بلادِ قُونِيةَ، وأقامَ بحَمَاةَ ثم بدِمَشْقَ، ودرَّس بالقَيْمازِيَّةِ، وكان فاضلًا فى المَنطِقِ والجَدَلِ، وقد اشتَغل عليه جماعةٌ فى ذلك، بلَغ مِن العُمْرِ سِتًّا وثمانِينَ سنَةً، وحَجَّ سَبْعَ مرَّاتٍ، تُوُفِّى ليلةَ الجُمُعةِ سادس عشرِينَ ربيعِ الأوَّلِ، وصُلِّى عليهِ بعد الصلاةِ، ودُفِنَ بالصُّوفِيَّةِ.

وفى ربيعِ الأوَّلِ تُوفِّى **الأميرُ علاءُ الدينِ طَيْبُغا**[4]، ودُفِن بتُربتِه بالصَّالِحِيَّةِ. وكذلك الأميرُ **سَيْفُ الدِّينِ دُولَات**[5]، ودُفِن بتُربَتِه أيضًا.

قَاضِى القُضَاةِ شَرَفُ الدِّينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ الحسَنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى ص: «شيبان». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٧١، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٨٥، والدرر الكامنة ٢/ ٤٩٦، والدارس ٢/ ٨٥، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٢.

(٢) ذيول العبر ص ١٧٢، والجواهر المضية ١/ ٨٣، والدرر الكامنة ١/ ٢٨، والمنهل الصافى ١/ ٦٤، والطبقات السنية ١/ ١٩٧.

(٣ - ٣) فى ص: «أدكرب».

(٤) فى ص، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٩٨: «طنبغا». وانظر ترجمته فى: الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٣.

(٥) فى الأصل: «دولاف»، وفى م: «زولاق»، وفى ص: «دولان». ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولم نجد من يسمى بهذا الاسم كما ورد فى النسخ، ولعله تصحيف عما أثبتناه. وانظر الدليل الشافى ١/ ٢٩٩.

الحافظِ عبدِ الغَنِيِّ المقدِسِيُّ الحَنْبَلِيُّ[1] ، وُلِد سنَةَ سِتٍّ وأرْبَعِينَ وسِتِّمائةٍ ، [2]وسمِع الحديثَ ، واشتَغَل وحصَّل ، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ فى اللُّغَةِ والحديثِ[2] ، وباشَر نيابةَ ابنِ مُسَلَّمٍ مدَّةً ، ثم وَلِيَ القَضَاءَ فى السنَةِ الماضِيَةِ ، ثم كانت وفَاتُه فَجْأةً فى مستَهَلِّ جُمادَى الأُولَى ليلةَ الخميسِ ، ودُفِن مِن الغَدِ بتُربَةِ الشيخِ أبى عمرَ .

الشيخُ ياقوتُ الحَبَشِيُّ الشاذِلِيُّ الإسْكَنْدَرانِيُّ[3] ، [١٠/١٩٩ظ] بلَغ الثمانينَ ، وكان له أتباعٌ وأصحابٌ ، منهم شمسُ الدينِ بنُ اللَّبّانِ الفَقِيهُ الشافعيُّ ، وكان يُعَظِّمُه ويُطْرِيه ويَنسُبُ إليهِ مُبالغاتٍ ، اللَّهُ أعلمُ بصِحتِها وكذِبِها ، تُوفِّى فى جُمادَى ، وكانتْ جنازتُه حافلةً جدًّا .

النَّقيبُ ناصِحُ الدِّينِ محمدُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ بنِ قاسِمِ بنِ إسماعيلَ الدِّمَشْقِيُّ[4] ، نقيبُ المتعَمِّمِينَ ، تَتَلْمذ أولًا للشهابِ المُقْرِئِ ثم كان بعدَه فى المحافلِ للعَزاءِ والهَناءِ ، وكان يَعْرِفُ هذا الفنَّ جيدًا ، وكان كثيرَ الطَّلبِ مِن الناسِ ، ويَطْلُبُه النَّاسُ لذلك ، ومع هذا مات وعليه دُيونٌ كثيرةٌ ، تُوفِّى فى أوَاخِرِ رجبٍ .

القاضِى فخرُ الدِّينِ كاتبُ المَماليكِ[5] ، وهو محمدُ بنُ فَضْلِ اللَّهِ ناظرُ

---

(١) ذيول العبر ص ١٧٢، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٣٢، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤١٨، والدرر الكامنة ٢/ ٢٦١، والدارس ٢/ ٤٠، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٠.

(٢ - ٢) زيادة من: ص.

(٣) ذيول العبر ص ١٧٣، والسلوك ٢/٢/ ٣٥٥، والدرر الكامنة ٥/ ١٨٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٥، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٣.

(٤) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٥) ذيول العبر ص ١٧٣، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٢٧، والسلوك ٢/٢/ ٣٥٥، والدرر الكامنة ٤/ ٢٥٥، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٥.

الجيوشِ بمصرَ ، أصلُه قِبْطيٌّ فأسْلَمَ وحَسُنَ إسْلَامُه ، وكانت له أوقافٌ كثيرةٌ ، وبِرٌّ وإحسانٌ إلى أهلِ العلمِ ، وكانَ صدرًا معظَّمًا ، حصَلَ له مِن السلطانِ حظٌّ وافِرٌ ، وقَد جاوَزَ السَّبْعِين ، وإليه تُنْسَبُ الفَخْرِيَّةُ بالقدسِ الشريفِ ، تُوفِّى فى نِصْفِ رَجَبٍ ، واحْتِيطَ على أمْوَالِه وأمْلاكِه بعدَ وَفَاتِه ، رحِمه اللَّهُ .

الأميرُ سَيْفُ الدِّينِ أُجْاى[1] **الدَّوَادَار المَلِكِىُّ النَّاصرِىُّ** ، كان فَقِيهًا حَنَفِيًّا فَاضِلًا ، كتَب بخَطِّه رَبْعَةً[2] ، وحَصَّلَ كُتُبًا كثيرةً مُعْتَبَرةً ، وكان كثيرَ الإحْسَانِ إلى أهلِ العلمِ ، تُوفِّى فى سَلْخِ رَجَبٍ ، رحِمه اللَّهُ .

الطَّبِيبُ الماهِرُ الحاذِقُ الفاضِلُ أمينُ الدِّينِ سليمانُ بنُ داودَ بنِ سليمانَ[3] ، كان رئيسَ الأطبَّاءِ بدِمَشْقَ ، ومدَرِّسَهم مُدَّةً ، ثم عُزِل بجمالِ الدينِ ابنِ الشهابِ الكَحَّالِ مدةً قبلَ موتِه ؛ لأمرٍ تَغَصَّبَ[4] عليه فيه نائبُ السلطنَةِ ، تُوفِّى يومَ السبتِ سادِس عشرينَ شَوَّالٍ ، ودُفِن بالقُبَيْبات .

الشيخُ الإمامُ العالمُ المُقرِئُ شَيْخُ القرَّاءِ بُرْهانُ الدِّينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ [5]**ابنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ**[5] **بنِ خَليلٍ الجَعْبَرِىُّ ثم الخليلىُّ الشافعىُّ** ، صاحِبُ المصَنَّفاتِ الكثيرةِ فى القراءاتِ وغيرِها ، وُلِدِ سنةَ أربَعِينَ وستِّمائةٍ بقلعةِ جَعْبَرٍ ، واشتَغَل ببَغْدَادَ ، ثم قَدِم دِمَشْقَ ، وأقام ببَلَدِ الخليلِ نحوًا مِن أربعينَ سنةً يُقْرِئُ

---

(١) فى الأصل : « الجابى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٧٤ - وفيه ألجيه - وتذكرة النبيه ٢/ ٢٢٧، والدرر الكامنة ١/ ٤٣٣، والمنهل الصافى ٣/ ٣٩، والطبقات السنية ٢/ ٢١٥.

(٢) الربعة : المصحف مجزأ ثلاثين جزءا . الوسيط (ر ب ع) .

(٣) فى الأصل : « سلمان » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٧٤، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٢٨، والدرر الكامنة ٢/ ٢٤٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٠، ومعجم الأطباء ص ٢٠٧.

(٤) فى م ، ص : « تعصب » .

(٥ - ٥) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٧٤، والوافى بالوفيات ٦/ ٧٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣٩٨، وطبقات القراء ١/ ٢١، والدرر الكامنة ١/ ٥ .

الناسَ ، وشرَح « الشاطبيةَ » ، وسمِع الحديثَ ، وكانت له إجازةٌ من يوسفَ[1] بنِ خليلٍ الحافِظِ ، وصنَّف فى العربيةِ والعَروضِ والقِراءَاتِ نظمًا ونثرًا ، وكان مِن المشايخِ المشهُورِينَ بالفضائِلِ والرِّياسَةِ والخيرِ والدِّيانَةِ والعِفَّةِ والصِّيانَةِ ، تُوفِّى يومَ الأحدِ خامس شهرِ رمضانَ ، ودُفِن ببَلَدِ الخليلِ تحتَ الزَّيْتُونَةِ ، وله ثِنتَانِ وتِسْعُونَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

قَاضِى القُضاةِ علمُ الدِّينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ القاضِى شمسِ الدينِ أبى بكرِ بنِ عِيسَى بنِ بَدرانَ بنِ رَحمةَ الأَخْنائِىُّ السَّعْدِىُّ المِصْرِىُّ الشافِعِىُّ[2] ، الحاكِمُ بدِمَشْقَ وأعمالِها ، كان عفيفًا نَزِهًا[3] ذكِيًّا ، سَادَّ العِبارَةِ ، محبًّا للفضائِلِ ، مُعَظِّما لأهلِها ، كثيرًا لإسماعِ الحديثِ فى العادِليَّةِ الكبيرةِ ، توفِّى يومَ الجمعةِ ثالثَ عَشَرَ ذِى القَعْدَةِ ، ودُفِنَ بسَفْحِ قاسِيُونَ عندَ زَوْجَتِه تُجَاهَ تُرْبَةِ العادِلِ كتْبُغَا مِن ناحيةِ الجَبَلِ .

قُطْبُ الدِّينِ مُوسَى بنُ أحمدَ بنِ الحسَيْنِ بنِ شيخِ السَّلَامِيَّةِ[4] ، ناظِرُ الجُيُوشِ الشاميةِ ، كانت له ثروةٌ وأموالٌ كثيرةٌ ، وله فضلٌ وإفضالٌ وكرَمٌ وإحسانٌ إلى أهلِ الخَيرِ ، وكان مَقْصِدًا [١٠/٢٠٠و] فى المهمَّاتِ ، تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ ثانِى ذى الحِجَّةِ وقد جاوَز السَّبْعِينَ ، ودُفِن بتُربتِه تُجاهَ الناصريَّةِ بقاسِيُونَ ، وهو والدُ الشيخِ الإمامِ العلَّامَةِ عِزِّ الدينِ حَمْزَةَ مُدَرِّسِ الحنبَلِيَّةِ .

---

(١) فى الأصل : « يونس » . وانظر : طبقات الشافعية للسبكى ٩/٣٩٩ ، والدرر الكامنة ١/٥١ .

(٢) ذيول العبر ص ١٧٥، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٦٩، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣٠٩، والدرر الكامنة ٤/ ٢٧، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٣.

(٣) فى ص : « برعًا » .

(٤) ذيول العبر ص ١٧٦، والدرر الكامنة ٥/ ١٤٢، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٨، والدليل الشافى ٢/ ٧٤٧، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٣.

ثم دخَلَت سنةُ ثلاثٍ وثلاثِينَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّتْ بيومِ الأرْبعاءِ والحكّامُ هم المذكُورون فى التى قبلَها ، وليس للشافعيَّةِ قاضٍ ، وقَاضِى الحنَفِيَّةِ عمَادُ الدينِ الطَّرَسُوسِىُّ ، وقاضى المالِكِيَّةِ شرَفُ الدِّينِ الهمْدانِىُّ ، وقاضى الحنابِلَةِ علاءُ الدينِ بنُ المُنَجَّا ، وكاتبُ السِّرِّ مُحْيى الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ ، وناظِرُ الجامعِ عمادُ الدينِ بنُ الشيرازِىِّ .

وفى ثامنِ[2] المحرَّمِ قَدِم البَشِيرُ بسلامَةِ السلْطانِ من الحِجَازِ ، واقترابِ وصولِه إلى البِلادِ ، فدَقَّتِ البَشَائرُ وزُيِّنَتِ البَلَدُ ، وأخْبَر البشيرُ بوَفاةِ الأميرِ سيفِ الدِّينِ بَكْتَمُر السَّاقِى وولَدِه شهابِ الدِّين أحمدَ وهما راجِعانِ فى الطرِيقِ ، بعدَ أن حجَّا قريبًا من مصرَ ؛ الوَلَدُ[3] أوَّلًا ، ثم مِن بعدِه أبُوه بثَلَاثةِ أيامٍ بعُيونِ القَصَبِ[4] ، ثم نُقِلَا إلى تُرْبتِهما بالقرافَةِ ، ووُجِد لبَكْتَمُر مِن الأمْوالِ والجواهرِ واللَّآلِئِ والقُماشِ والأمْتِعَةِ والحواصِل شىءٌ كثيرٌ لا يكادُ ينحَصِرُ ولا ينضَبِطُ . وأُفْرِجَ عن الصَّاحِبِ شمسِ الدِّينِ غِبْرِيالَ فى المحرمِ ، وطُلِبَ فى صَفَرٍ إلى مصرَ فتوَجَّه علَى خيلِ البريدِ ، واحتِيطَ على أهْلِه بعدَ مسِيرِه ، وأخِذَتْ منهم أموالٌ كثيرةٌ لبيتِ المالِ .

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٤٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠١، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٣٥، والسلوك ٢/٢/ ٣٥٥.

(٢) فى الأصل، م : « ثانى » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٥٥.

(٣) فى م : « الوالد » .

(٤) عيون القصب : منزلة فى طريق الحجاز بين العقبة والمويلح قريبة من شاطئ البحر الأحمر . انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٨٤، ١٤/ ٣٨٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ١٠٥ حاشية (٢) .

وفى أواخرِ صَفَرٍ قَدِم الصَّاحبُ أمينُ المُلكِ[1] على نظَرِ الدَّواوِينِ بدِمَشْقَ عِوَضًا عن غِبْرِيالَ . وبعدَه بأربَعةِ أيامٍ قَدِمَ القاضى فخرُ الدينِ بنُ الحِلِّى[2] على نظرِ الجيشِ بعدَ وَفاةِ قُطْبِ الدينِ بنِ شَيْخِ السَّلَاميَّةِ .

وفى نصفِ ربيعِ الأوَّلِ لبِس ابنُ جُملَةَ خلعَةَ القضاءِ للشافعيةِ بدِمَشْقَ ، بدارِ السَّعادَةِ ، ثم جاء إلى الجَامعِ وهى عليهِ ، وذهَب إلى العادِلِيَّةِ ، وقُرِئَ تقْلِيدُه بها بحَضْرَةِ الأعيانِ ، ودرَّس بالعَادِلِيَّةِ والغَزَّالِيَّةِ يومَ الأرْبعاءِ [3]ثانى عَشَرَ[3] الشهرِ المذكورِ ، ثم فى يومِ الاثنينِ رابعِ عشْرينِهِ حضَر ابنُ أخِيه جمالُ الدينِ محمودٌ إعادةَ القَيْمَرِيَّةِ ، نزَل له عنها ، ثم استنابَه بعدَ ذلك فى المجْلِسِ ، وخرَج إلى العادِلِيَّةِ فحكَمَ بها ، ثم لم يَسْتَمِرَّ بعدَ ذلك ، ثم عُزِل عن النِّيابَةِ بيومِه ، واستنابَ بعدَه جمالَ الدِّينِ[4] إبراهيمَ بنَ شمسِ الدِّينِ محمدِ بنِ يوسُفَ الحُسْبانِىَّ ، وله هِمَّةٌ وعندَه نزاهةٌ وخبرةٌ بالأحْكامِ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ وَلِىَ الأميرُ شهابُ الدينِ قَرَطَاى نِيابةَ طرابُلُسَ ، وعُزِلَ عنها طَيْنال[5] إلى نِيابَةِ غَزَّةَ ، وتولَّى نائبُ غَزَّةَ نيابةَ حِمْصَ ، وحصَل للذى جاءَ بتقليدِهم مِائةُ ألفِ دِرْهَمٍ منهم .

وفى ربيعِ الآخِرِ أُعِيدَ القَاضِى محيى الدِّينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ وولدُه إلى كتابَةِ سِرِّ مصرَ ، ورجَع شرفُ الدينِ بنُ الشِّهابِ محمودٍ إلى كتابةِ سِرِّ الشامِ كما كانَ .

---

(١) فى ص : « الدين ملك » .

(٢) فى الأصل : « الحبلى » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٥٩.

(٣ - ٣) فى الأصل : « ثانى » ، وفى ص : « ثامن عشر » ، وفى الدارس ١/ ٤٢٤ : « ثانى عشرين » . وما أثبتناه يتوافق مع ما سيأتى من تاريخ يوم الاثنين .

(٤) بعده فى ص : « بن » . وانظر الدرر الكامنة ١/ ٧٢.

(٥) فى م : « طبلان » .

وفى منتصَفِ هذا الشَّهرِ ولِىَ نقابةَ الأشرافِ عِمادُ الدينِ مُوسَى الحسَيْنىُّ عِوَضًا عن أخِيه شرَفِ الدينِ عَدْنانَ ، تُوفِّى فى الشهرِ الماضِى ، ودُفِنَ بتُربَتِهم عندَ مسجدِ الذبانِ[1] . [١٠/٢٠٠ظ] وفيه درَّسَ الفخْرُ المِصْرِىُّ بالدولعيَّةِ[2] عِوَضًا عن ابنِ جملةَ بحُكمِ ولايتِه القَضاءَ .

وفى خامسِ عشرين رجَبٍ درَّسَ بالبادَرائيَّةِ القاضِى عَلاءُ الدينِ[3] علىُّ بنِ شريفٍ ، ويعرفُ بابنِ الوَحيدِ عِوضًا عن ابنِ جَهْبَلٍ ، تُوفِّى فى الشهرِ الماضِى ، وحضَر عندَه القُضَاةُ والأعيانُ ، وكنتُ إذ ذَاك بالقدسِ أنا والشيخُ شمسُ الدينِ ابنُ عبدِ الهادِى وآخرونَ . وفيه رسَمَ السلطانُ الملكُ الناصِرُ بالمنعِ من رمىِ البُنْدُقِ ، وأنْ لا تُبَاعَ قِسيُّه ولا تُعملَ ؛ وذلك لإفسادِ رُماةِ البندُقِ أولادَ الناسِ ، وأنَّ الغالبَ على مَنْ تعانَاه اللِّواطُ والفسقُ وقلَّةُ الدينِ ، ونُودِى بذلك فى البلادِ المصريَّةِ والشاميَّةِ .

قالَ البرزالِىُّ : وفى نِصْفِ شعبانَ أمَر السلطانُ بتَسْليمِ المُنَجِّمِينَ إلى وَالِى القاهرةِ ، فضُرِبُوا وحُبِسُوا [4]ثم نُفُوا[4] ، لإفسَادِهم حالَ النِّساءِ ، فماتَ منهم أربعةٌ تحتَ العقوبَةِ ؛ ثلاثةٌ من المسلمينَ ، ونصرانىٌّ . كتَب بذلك إلىَّ الشيخُ أبو بكرٍ الرَّحْبِىُّ .

وفى أوَّلِ رمضانَ وصَل البريدُ بتوليةِ الأميرِ فَخْرِ الدينِ بنِ الشمسِ لُؤْلُؤٍ وِلَايَةَ البَرِّ بدِمَشْقَ بعدَ وفاةِ شهابِ الدينِ بنِ المَرْوَانِىِّ . ووصَلَ كتابٌ من مَكَّةَ إلى

---

(١) فى م : « الدبان » ، وفى ص : « الديان » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣١٣ حاشية (٣) .
(٢) فى الأصل : « بالرواحية » . وانظر الدارس ١/ ٢٤٥.
(٣) بعده فى ص : « بن » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ١٢٥، والدارس ١/ ٢١١.
(٤ - ٤) سقط من : ص .

دِمَشْقَ فى رمضانَ يُذكَرُ فيه أنه وقعَت صواعِقُ ببلادِ الحجازِ فقتَلَت جماعةً متفرِّقينَ فى أماكِنَ شَتَّى ، وأمطارٌ كثيرةٌ جدًّا .

وجاءَ البريدُ فى رابعِ رمضانَ بتوليةِ القاضِى محيى الدينِ بنِ جَهْبَلٍ قضاءَ طرابُلُسَ فذهَب إليها ، ودرَّس ابنُ المجدِ عبدُ اللَّهِ بالرَّواحِيَّةِ عِوَضًا عن الأصبَهانىِّ بحُكْمِ إقامتِه بمصرَ . وفى آخرِ رمضانَ أُفرِجَ عن الصاحِب علمِ[1] الدينِ وأخيه شمسِ الدينِ مُوسَى ابنى التاجِ أبى إسْحَاقَ بعدَ سَجْنِهما سنةً ونصفًا .

وخرَج الرَّكْبُ الشامِىُّ يومَ الخميسِ عاشر شَوَّالٍ وأميرُه بَدْرُ الدينِ بنُ معبدٍ ، وقاضيه عَلاءُ الدينِ بنُ مَنْصورٍ مُدرِّسُ الحنفيةِ بالقدسِ بمدرسةِ تَنْكِز ، وفى الحُجاجِ صدرُ الدينِ المالكىُّ ، وشِهابُ الدينِ الظَهِيرىُّ ، ومحيى الدِّين بنُ الأعْقَفِ وآخَرونَ .

وفى يومِ الأحَدِ ثالثَ عشَرِه درَّسَ بالأتَابَكيَّةِ ابنُ جُمْلةَ عوضًا عن ابنِ جَهْبَلٍ ، تولَّى قضاءَ طرابُلُسَ . وفى يومِ الأحدِ عشرينَه حكَم القَاضِى شمسُ الدين محمدُ بنُ كامِلٍ التَّدْمُرىُّ ، الذى كانَ فى خَطابةِ الخَلِيلِ بدِمشْقَ نيابةً عن ابنِ جملةَ ، وفَرِحَ الناسُ بدينِه وفضيلتِه .

وفى ذى القَعْدَةِ مسَك تَنْكِز دوادَاره ناصرَ الدينِ محمدًا ، وكان عندَه بمكانةٍ عظيمةٍ جدًّا ، فضَرَبَه بينَ يدَيه ضربًا مبرِّحًا ، واستَخْلَص منه أموالًا كثيرةً ، ثم حبَسَه بالقَلْعةِ ، ثم نَفاه إلى القُدْسِ ، وضَرَب جماعَةً من أصحابِه ؛ منهم علاءُ الدينِ بنُ مقلدٍ حاجبُ العربِ ، وقطَعَ لسانَه مرَّتين ، وماتَ ، وتَغَيَّرتِ الدولةُ وجاءتْ دولةٌ أُخرَى مُقَدَّمُها عندَه حمزةُ الذى كان سَمِيرَه وعَشِيرَه فى هذه

---

(١) فى م : «علاء» . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣١١.

(١ المرَّةِ المتأخِّرةِ ١) ، وانزاحَتِ النِّعْمَةُ عن الدَّوادار ناصرِ الدينِ وذويهِ ومن يَلِيه .

وفى يومِ الثلاثاءِ ثامنِ عشرين ذى القَعْدَةِ رُكِّبَ على الكَعْبَةِ بابٌ جديدٌ(٢) أرسلَه السلطانُ [١٠/٢٠١و] مرَصَّعًا مِن السَّنْطِ(٣) الأحمرِ كأنه آبنُوسُ ، مركَّبٌ عليه صفائِحُ من فِضَّةٍ زِنَتُهَا خمسةٌ وثلاثون ألفًا وثَلاثُمائةٍ وكَسْرٌ ، وقُلِع البَابُ العَتِيقُ ، وهو من خَشَبِ الساسَمِ(٤) ، وعليه صفائحُ تسَلَّمَها بنُو شَيْبَةَ ، وكان زِنَتُهَا ستِّينَ رَطْلًا فباعُوها كلَّ درهمٍ بدرهَمَين ، لأجْلِ التبرُّكِ - وهذا خطأٌ ، وهو رِبًا ، وكان ينبَغِى أنْ يَبِيعُوها بالذَّهبِ لئلَّا يحصُلَ رِبًا فى ذلك - وتُرِكَ خَشَبُ البابِ العَتِيقِ داخِلَ الكَعْبَةِ ، وعليه اسمُ صاحِبِ اليمَنِ فى الفردتَيْنِ ، واحدَةٌ عليها : اللهُمَّ يا وليُّ يا عليّ ، اغفِرْ ليوسُفَ بنِ عمرَ بنِ عليّ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الشَّيخُ العالمُ تقيُّ الدِّين محمودُ بنُ(٥) عليِّ بنِ محمودِ بن مُقْبِلٍ الدّقُوقىُّ (٦أبو الثناءِ٦) البَغْدَادِىُّ ، مُحَدِّثُ بغدادَ منذُ خمسينَ سنةً ، يَقرأُ لهم الحديثَ ، وقد وَلِىَ مشيخَةَ المستَنْصِريَّةِ ، وكان ضابطًا محصِّلًا بارعًا ، وكان يَعِظُ ويتكلَّمُ فى الأعْزِيَةِ والأهْنِيَةِ ، وكان فردًا فى زمَانِه وبلادِه ، رحِمه اللَّهُ ، تُوفِّى فى المحرَّمِ

(١ - ١) فى م : « المدة الأخيرة » .

(٢) فى م : « حديد » .

(٣) فى م : « السبط » . والسنط : شجر من الفصيلة القرنية ، ثمره القرظ ، يعيش فى الأقاليم الحارة ، ويكثر بمصر . الوسيط (س ن ط) .

(٤) فى الأصل : « السالم » ، وفى م : « الساج » . والساسم : شجر أسود ، أو هو الآبنوس أو الشيزى . تاج العروس (س س م) . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٦٣.

(٥) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٧٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢١، والدرر الكامنة ٥/ ٩٨، والدليل الشافى ٢/ ٧٢٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٦.

(٦ - ٦) فى الأصل، ص : « أبوه » .

وله قريبُ السبعِينَ سنةً ، وشهِدَ جنازتَه خلقٌ كثيرٌ ، ودُفِن بتربةِ الإمامِ أحمدَ ، ولم يخلِّفْ درهمًا واحدًا ، وله قصيدتان رثَى بهما الشيخَ تقيَّ الدينِ ابنَ تيميةَ كتَب بهما إليَّ الشيخُ الحافظُ البرزاليُّ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

الشيخُ الإمامُ العالمُ عِزُّ القُضاةِ فخرُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الواحدِ بنُ مَنْصُورِ بنِ محمدِ بنِ المُنَيِّرِ المالِكِيُّ الإسْكَنْدرِيُّ[1] ، أحدُ الفُضلاءِ المشهُورِينَ ، له تفسيرٌ فى ستِّ مجلَّداتٍ ، وقصائدُ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ حسنَةٌ ، وله فى « كانَ وكانَ » ، وقد سمِعَ الكثيرَ وروَى ، تُوفِّى فى جُمَادى الأولَى[2] عن ثنتَيْن وثمانين سنةً ، ودُفِنَ بالإسكندريَّةِ ، رحِمه اللَّهُ .

ابنُ جَماعةَ قاضِى القُضَاةِ العالمُ شيخُ الإسلامِ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ الزاهدِ أبى إسحاقَ إبراهيمَ بنِ سَعْدِ اللَّهِ بنِ جماعةَ[3] **ابنِ علىِّ بنِ جَماعةَ**[3] **بنِ حازِمِ بنِ صَخْرٍ الكِنانِيُّ الحَمَوِيُّ الأصْلِ** ، وُلِد ليلةَ السبتِ رابع ربيعِ الآخرِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّمائةٍ بحَمَاةَ ، وسمِعَ الحدِيثَ ، واشتَغَل بالعلمِ فحصَّل فنونًا متعدِّدَةً ، وتقدَّم وسادَ أقْرانَه ، وباشرَ تدريسَ القيمريَّةِ ، ثم وَلِىَ الحكْمَ والخَطابةَ بالقُدْسِ الشَّرِيفِ ، ثم نُقِلَ منه إلى قَضَاءِ مصرَ فى الأيامِ الأشرَفِيَّةِ ، مع[4] تدَارِيسَ كبارٍ بها فى ذلك الوَقْتِ ، ثم وَلِىَ قَضاءَ

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٢، والديباج المذهب ٢/ ٦٢، والدرر الكامنة ٣/ ٣٦، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ٣٥٩، وحسن المحاضرة ١/ ٤٥٩، وفى الديباج وطبقات المفسرين وحسن المحاضرة أنه توفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة . وقال فى درة الحجال ٣/ ١٤٦: توفى سنة ٧٣٣ وقيل فى غيرها .

(٢) فى ص : « الآخرة » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٧٨، والوافى بالوفيات ٢/ ٨، وفوات الوفيات ٣/ ٢٩٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٣٩، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٣٨٦.

(٤) فى الأصل ، م : « ثم باشر » .

الشامِ ، وجُمِعَ له معَه[1] الخَطَابةُ ومَشْيَخَةُ الشيوخِ وتَدْرِيسُ العادِلِيَّةِ وغيرِها مدَّةً طويلةً ، كلُّ هذا مع الرِّياسةِ والدِّيانةِ والصِّيانةِ والورَعِ وكَفِّ الأذَى ، وله التَّصانيفُ الفائِقَةُ النَّافعةُ ، وجَمَع خُطبًا كان يخطُبُ بها بطيبِ صَوْتٍ فيها وفى قراءتِه فى المحرابِ وغيرِه ، ثم نُقِل إلى قَضَاءِ الدِّيارِ المصريَّةِ بعد وفاةِ الشيخِ تقيِّ الدِّينِ بنِ دقيقِ العيدِ ، فلم يزَلْ حاكِمًا بها إلى أنْ أضرَّ وكبِرَ وضَعُفَتْ أحْوالُه ، فاسْتقَالَ فأُقِيلَ ، وتولَّى مكانَه القَزْوينيُّ ، وبقيَتْ معه بعضُ الجِهَاتِ ورُتِّبت له الرَّواتِبُ الكثيرةُ الدَّارَّةُ ، إلى أن توفِّى ليلةَ الاثنينِ بعدَ عِشَاءِ الآخرةِ حَادى عشرينَ جُمادَى الأُولَى ، وقد أكْملَ أربعًا وتسعِين[2] سنةً وشهرًا وأيامًا ، وصُلِّى عليه من الغدِ [١٠/٢٠١ظ] قبل الظهرِ بالجامِعِ النَّاصرىِّ بمصرَ ، ودُفِن بالقرافةِ ، وكانَتْ جِنَازتُه حافلةً هائلةً ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الإمامُ الفاضلُ الزاهدُ مُفْتِى المسلمينَ شِهابُ الدينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محيى الدِّينِ يحيى بنِ تاجِ الدينِ إسماعيلَ بن طاهرِ[3] بنِ نصرِ اللَّهِ ابنِ جَهْبَلٍ الحَلَبِيُّ الأصْلِ ثم الدِّمَشْقِيُّ الشافعيُّ ، كان من أعيانِ الفقَهَاءِ ، ولِدَ سنةَ سبعِينَ وستِّمائةٍ ، واشتغَلَ بالعلمِ ، ولَزِمَ المشايخَ ، ولازمَ صحبةَ الشيخِ الصدرِ بنِ الوَكيلِ ، ودرّس بالصلاحِيَّةِ بالقُدْسِ ، ثم ترَكَها وتحوَّلَ إلى دِمَشْقَ فباشَر مشيخةَ دارِ الحديثِ الظاهريةِ مدَّةً ، ثم ولِىَ مشيخةَ البادَرائيَّةِ فترَك الظاهريةَ وأقامَ فى تدريسِ البادَرائيةِ إلى أن ماتَ ، ولم يأخُذْ معلُومًا من واحدةٍ منهما ، تُوفِّى يومَ الخميسِ بعدَ العصرِ تاسع جمادَى الآخرةِ ، وصُلِّىَ عليه بعدَ الصلاةِ ، ودُفِنَ بالصوفيَّةِ ، وكانت جِنَازتُه حافلةً .

---

(١) فى الأصل : « مع » ، وفى ص : « من » .

(٢) فى ص : « سبعين » .

(٣) فى ص : « ظاهر » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٧٨ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣٤ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٣٩٠ ، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٠ ، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٤ .

تاجُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ أيوبَ[1] ، مُغَسِّلُ الموتَى مِن سنةِ ستِّين وستِّمائةٍ ، يقالُ : إنَّه غَسَّل ستِّين ألفَ ميِّتٍ . تُوفِّى فى رجبٍ وقد جاوَزَ[2] الثمانين .

الشيخُ فخرُالدينِ أبو[3] **محمدِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العظيمِ بنِ السَّقَطِيِّ الشافعيُّ** ، كان مباشرًا شَهادةَ الخِزانَةِ ، ونابَ فى الحكمِ عندَ بابِ النصرِ بمصرَ ، [4]وجمَع مَنْسَكًا كبيرًا ، ويقالُ : إنه شرَح « التنْبِيهَ » أيضًا . وكانت وفاتُه فى رمضانَ[4] ، ودُفِن بالقرافةِ .

الإمامُ الفاضلُ مجموعُ الفضائِلِ شهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الوهابِ البكْرىُّ[5] ، نسبةً إلى أبى بكرٍ الصِّديقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، كان لطيفَ المعانِى ، ناسخًا مطبِقًا[6] ، يكتُبُ فى اليومِ ثلاثَ كراريسَ ، وكتَب « البخارىَّ » ثمانىَ مرَّاتٍ ، ويُقابلُه ، ويُجلِّدُه ويبيعُ النسخةَ من ذلك بألفٍ ونحوِهِ ، وقد جمَع تاريخًا فى ثلاثين مجلدًا ، وكان ينسَخُه ويبيعُه أيضًا بأزيدَ مِن ألفٍ ، وذُكِرَ أن له كتابًا سَمّاه « مُنْتَهَى الأرَبِ فى عِلْمِ الأدَبِ » فى ثلاثينَ مجلدًا أيضًا ، وبالجملةِ كان نادرًا فى وقتِهِ ، تُوفِّى يومَ الجمعةِ عشرين رمضانَ ، رحِمَه اللَّهُ .

---

(١) بعده فى ص : « بن » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى ص : « قارب » .

(٣) بعده فى ص : « عبد اللَّه بن » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٢/ ٤٠١ .

(٤ - ٤) زيادة من : ص .

(٥) الطالع السعيد ص ٩٦، والوافى بالوفيات ٧/ ١٦٥، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٤٦، والدرر الكامنة ١/ ٢٠٩، والمنهل الصافى ١/ ٣٨١، والدليل الشافى ١/ ٥٨. وفى المنهل والدليل أنه توفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

(٦) فى م : « مطيقا » .

الشيخُ الصالحُ العابدُ الزّاهدُ الناسِكُ الكثيرُ الحجِّ ، عليُّ بنُ الحسنِ بنِ أحمدَ الواسطيُّ[1] ، المشهورُ بالخيرِ والصَّلاحِ وكثرةِ العبادةِ والتِّلاوةِ والحجِّ ، يقالُ : إنه حجّ أزيدَ من أربعينَ حجةً . وكانت عليه مهابةٌ ولديه فضيلَةٌ ، تُوفِّى وهو محرِمٌ يومَ الثلاثاءِ ثامن عشرين ذى القَعْدَةِ وقد قاربَ الثمانينَ ، رحِمه اللَّهُ .

الأميرُ عزُّ الدِّينِ إبرَاهيمُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ [2]**بنِ محمدٍ**[2] **بنِ أحمدَ بنِ القواسِ** ، كان مباشرًا الشدَّ فى بعضِ الجهاتِ السلطانيةِ ، وله دارٌ حسَنةٌ بالعقيبةِ الصغيرةِ ، فلمّا حضَرته الوفاةُ أوصَى أن تُجعَلَ مدرسةً ، ووقَف عليها أوقافًا ، وجعَل تدريسَها للشيخِ عمادِ الدينِ الكردىِّ الشافعىِّ ، تُوفِّى يومَ الأربعاءِ عشرين الحجةِ .

---

(١) ذيول العبر ص ١٧٩، ودول الإسلام ٢/ ١٨٣، والدرر الكامنة ٣/ ١٠٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٥.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٣، والدارس ١/ ٤٣٦.

ثم دخلَت سنةُ أرْبَعٍ وثَلاثِيـنَ وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّتْ بيومِ الأحدِ ، وحكامُ البلادِ هم المذكورونَ فى التى قبلها . وفى يومِ الجُمُعَةِ ثانِى رَبيعِ الأولِ أُقِيمت الجُمُعَةُ بالخَاتُونِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، وخطَب بها شمسُ الدينِ النَّجارُ المُؤذنُ المُؤقّتُ بالأُمَوىِّ ، وترَك خَطابةَ جامِعِ القابونِ .

وفى [١٠/٢٠٢و] مُسْتَهَلِّ هذا الشهرِ سافرَ شمسُ الدينِ محمدٌ التَّدْمُرىُّ[2] إلى القُدْسِ حاكمًا به ، وعُزِلَ عن نيابةِ الحكمِ بدِمَشقَ . وفى ثالثِه قَدِمَ من مصرَ زينُ الدِّينِ عبدُ الرحيمِ بنُ قاضى القضاةِ بَدْرِ الدِّينِ بنِ جماعةَ بخَطابَةِ القُدْسِ ، فخُلِعَ عليه من دِمَشْقَ ثم سافرَ إليها .

وفى آخرِ ربيعِ الأولِ باشَر الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ بَكْتَاش الحُسامىُّ شدَّ الأوقافِ عِوضًا عن شرفِ الدينِ محمودِ بنِ الخَطِيرىِّ ، سافرَ بأهلِه إلى مِصْرَ أميرًا[3] بها عند[4] أخِيه بدرِ الدينِ مَسْعودٍ ، وعُزِل القاضى علاءُ الدينِ بنُ القَلَانِسِىِّ ، وسائرُ الدواوينِ والمباشرونِ الذين فى بابِ[5] ملكِ الأمراءِ تَنْكِز ، وصُودِرُوا بمِائتَى ألفِ دِرْهَمٍ ، واستُدْعِىَ من غَزَّةَ ناظِرُها جمالُ الدينِ يوسفُ صِهْرُ السنىِّ[6] المُسْتوفى ، فباشرَ نظرَ ديوانِ النائبِ ونظَرَ المَارَسْتانِ النُّورِىِّ أيضًا على العادةِ .

---

(١) ذيول العبر ص ١٨٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٤، والسلوك ٢/٢/ ٣٦٧.

(٢) فى ص : « القدرى » .

(٣) بعده فى م : « نيابة » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٦٨.

(٤) فى م : « عن » .

(٥) فى الأصل : « بيت » .

(٦) فى ص : « القتبى » .

وفى شهرِ ربيعِ الأولِ أمَر تَنْكِز بإصلاحِ بابِ تُومَا ، فشُرِعَ فيه فُرِفِع بابُه عشَرَةَ أذْرُعٍ ، وجُدِّدت حِجارتُه وحديدُه فى أسرعِ وقتٍ . وفى هذا الوقتِ حصَل بدِمَشْقَ سَيْلٌ خرَّبَ بعضَ الجدرانِ ثم تناقصَ . وفى أوائلِ ربيعِ الآخرِ قَدِم مِن مِصْرَ الأميرُ جمالُ الدينِ آقُوش نائبُ الكَرَكِ مُجْتازًا إلى طَرابُلُسَ نائبًا بها عِوضًا عن الأميرَ شِهابِ الدينِ قَرَطَاى[1] ، تُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى .

وفى جُمَادَى الأُولَى طُلبَ القاضى شِهابُ الدينِ بنُ المجدِ عبدِ اللَّهِ إلى دارِ السعادةِ ، فوَلِىَ وكالةَ بيتِ المالِ عِوَضًا عن ابنِ القَلَانِسِىِّ ، ووَصَل تَقْلِيدُه من مِصْرَ بذلك ، وهنَّأه الناسُ . وفيه طُلِبَ الأميرُ نجمُ الدينِ بنُ الزَّيبَقِ[2] من وِلايةِ نابُلُسَ فوَلِىَ شَدَّ الدَّواوينِ بدِمَشْقَ ، وقد شغَرَ منصِبُه شُهورًا بعدَ ابنِ الخشَّابِ .

وفى رمضانَ خطَب الشيخُ بدرُ الدينِ أبو اليُسْرِ بنُ الصائغِ بالقُدْسِ عوضًا عن زينِ الدينِ بنِ جَماعةَ لإعراضِه عنها واخْتِيارِه العَوْدَ إلى بلَدِه .

قَضِيَّةُ[3] القاضى ابنِ جُمْلَةَ

لما كان فى العَشْرِ الأُخَرِ من رمضانَ وقَع بينَ القاضى ابنِ جُملةَ وبينَ الشيخِ الظَّهيرِ شيخِ ملكِ الأُمَراءِ - وكان هو السَّفِيرَ فى توليةِ ابنِ جُمْلَةَ القضاءَ - فوَقَع

---

(١) فى م : « قرطا » . وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

(٢) فى ص : « الرنق » . وانظر : الوافى بالوفيات ١٣/ ٤٦١، والدرر الكامنة ٢/ ١٨٧.

(٣) فى الأصل : « قصة » . وانظر هذه الحادثة فى : ذيول العبر ص ١٨٣، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٦، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٤٧.

بينَهما [1] منافَسةٌ ومُحاقَقَةٌ [1] فى أمورٍ كانت بينَه وبينَ الدَّوادَار المُتقدِّمِ ذكرُه ناصرِ الدينِ ، فحَلَفَ كلُّ واحدٍ منهما على خِلافِ ما حلَف الآخرُ عليه ، وتَفاصَلا مِن دارِ السعادةِ فى المسجدِ ، فلمَّا رجَع القاضى إلى منزلِه بالعَادِلِيَّةِ أرسَل إلى [2] الشيخِ الظَّهيرِ ليَحكُمَ فيه بما فيه المصلحةُ ، وذلك عن مرسومِ النائبِ ، وكأنه كان خَدِيعَةً فى الباطنِ وإظهارًا لنُصرَةِ القاضى عليه فى الظاهرِ ، [3] فبدَر به القاضى بادِئَ الرأيِ [3] فعَزَّرَه بين يَديْه ، ثم خرَج من عندِه فتسَلَّمَه أعوانُ ابنِ جُمْلَةَ فطَافوا به البلدَ على حمارٍ يومَ الأربعاءِ سابع عشرينَ رمضانَ ، وضربُوه ضربًا عنيفًا ، ونادَوا عليه : هذا جَزاءُ من يكذِبُ ويَفتاتُ على الشَّرْعِ . فتألَّمَ الناسُ له لكونِه فى الصيامِ فى العَشْرِ الأخيرِ من رمضانَ ، ويومِ سبعةِ عشرينَ ، وهو شيخٌ كبيرٌ صائمٌ ، فيقالُ : إنه ضُرِبَ يومئذٍ ألفَينِ ومائةً وإحدَى وسبعينَ دِرَّةً . واللَّهُ أعلمُ . فما أمسى حتى [١٠/٢٠٢ظ] اسْتُفْتِيَ على القاضى المذكُورِ ودارُوا على المشايخِ بسببِ ذلك عن مَرْسُومِ النائبِ ، فلما كان يومُ تاسعِ عشرينَ رمضانَ عقَد نائبُ السلطنةِ بين يديه بدارِ السَّعادةِ مجلسًا حافلًا بالقُضاةِ وأعيانِ المُفتِينَ من سائرِ المذاهبِ ، وأُحضِرَ ابنُ جُمْلَةَ قاضى القضاةِ الشافِعِيَّةِ ، والمجلسُ قد احتَفَل بأهلِه ، ولم يأذَنُوا لابنِ جُمْلَة فى الجلوسِ ، بل قامَ قائمًا ثم أُجْلِسَ بعد ساعةٍ [4] فى طرَفِ الحلَقةِ ، إلى جانبِ المحفَّةِ [5] التى فيها الشيخُ الظَّهيرُ ، وادَّعَى عليه عند بقيَّةِ القضاةِ أنَّه حكَم فيه لنفسِه ، واعتدَى عليه فى العُقوبةِ ، وأفاضَ الحاضِرونَ فى ذلك ، وانتشرَ

(١ - ١) فى الأصل : « مناقشة ومخانقة » .

(٢) فى م : « إليه » .

(٣ - ٣) فى ص : « فغدر فيه القاضى بابن الواقدى » .

(٤) بعده فى الأصل: « جيده » ، وفى م : « جيدة » .

(٥) فى الأصل : « الحفة » ، وفى ص : « الحلقة » .

الكلامُ ، وفَهِمُوا من نفسِ النائبِ الحطَّ على ابنِ جُمْلةَ ، والميْلَ عنه بعدَ أن كان إليه ، فما انْفَصلَ المجلسُ حتى حكَم القاضى شَرفُ الدينِ المالكىُّ بفِسْقِه وعَزْلِه وسَجْنِه ، فانْفضَّ المجلسُ على ذلك ، ورُسِمَ على ابنِ جُمْلَةَ بالعَذْرَاوِيَّةِ ثم نُقِلَ إلى القَلْعَةِ جزاءً وِفاقًا ، والحمدُ للَّهِ وحدَه ، وكان له فى القَضاءِ سنةٌ ونِصفٌ إلا أيامًا ، وكان يُباشِرُ الأحكامَ جيدًا ، وكذا الأوقافُ المُتعلِّقةُ به ، وفيه نزاهَةٌ وتمييزُ الأوقافِ بين الفقهاءِ والفقراءِ ، وفيه صرامَةٌ وشَهامةٌ وإقدامٌ ، لكنه أخطأ فى هذه الواقعةِ ، وتعَدَّى فيها ، فآل أمرُه إلى هذا .

وخرَج الركبُ يومَ الاثنينِ عاشر شوّالٍ ، وأميرُه أُلْجَيْبُغَا ، وقاضيه مَجْدُ الدينِ ابنُ حيَّانَ[1] المِصْرِىُّ .

وفى يومِ الاثنينِ الرابع والعشرينَ درَّسَ بالإقْبَالِيَّةِ الحنَفِيَّةِ نجمُ الدينِ بنُ قاضى القضاةِ عمادِ الدينِ الطَّرَسُوسِىِّ الحنَفِىِّ عوضًا عن شمسِ الدينِ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ محمدٍ الأصْبَهانِىِّ ابنِ العَجَمِىِّ الحَبَطِىِّ[2] ويُعرَفُ بابنِ الحنبلىِّ ، وكان فاضلًا ديِّنًا متقشِّفًا ، كثيرَ الوَسوسةِ فى الماءِ جدًّا ، وأما المدرسُ مكانَه وهو القاضى نجمُ الدينِ بنُ الحنفىِّ ؛ فإنَّه ابنُ خَمْسَ عشْرَةَ سنةً ، وهو فى النَّباهَةِ والفَهْمِ وحُسنِ الاشْتِغالِ والشكلِ والوَقارِ ، بحيثُ غبَط الحاضِرونَ كلُّهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمرُه أن تولَّى قضاءَ القُضاةِ فى حياةِ أبيه ، نزَل له عنه ، وحُمِدَتْ فيه[3] سِيرتُه وأحكامُه .

وفى هذا الشهرِ أُثْبِتَ محْضرٌ فى حقِّ الصاحبِ شمسِ الدينِ غِبْرِيالَ المتَوَفَّى هذه السنةَ ؛ أنَّه كان يشترِى أمْلاكًا من بيتِ المالِ ويُوقِفُها ويتَصرَّفُ فيها تصرُّفَ

---

(١) فى ص : « الخباب » .

(٢) فى ص : « الحنفى » ، وفى الدارس ١/ ٤٧٦ : « الحنيطى » ، وفى نسخة منه : « الخبطى » .

(٣) سقط من : م .

المُلَّاكِ لنفسِه ، وشَهِد بذلك كمالُ الدينِ بنُ الشِّيرازِىِّ ، وابنُ أخيه عمادُ الدينِ ، وعلاءُ الدينِ القَلَانِسِىُّ ، وابنُ خالِه عمادُ الدينِ القَلَانِسِىُّ ، وعِزُّ الدينِ بنُ المُنَجَّا ، وتقىُّ الدينِ بنُ مَرَاجِلٍ ، وجمالُ الدينِ بنُ الفُوَيْرِه ، وأثبتَ على القاضى بُرْهانِ الدينِ الزُّرَعِىِّ[1] الحَنْبَلِىِّ ، ونفَّذَه بقيةُ القضاةِ ، وامْتنعَ المُحْتَسِبُ عِزُّ الدينِ بنُ القَلَانِسِىِّ من الشَّهادةِ ، فرُسِمَ عليه بالعَذْراوِيَّةِ قريبًا من شهرٍ ، ثم أُفْرِجَ عنه وعُزِل عن الحِسْبَةِ ، واستمرَّ على نظرِ الخِزانةِ .

وفى يوم الأحدِ ثامن عشرينَ ذِى القَعْدَةِ حُمِلتْ خِلْعَةُ القضاءِ إلى الشيخِ شهابِ الدينِ بنِ المجْدِ وَكِيلِ بيتِ المالِ يَوْمَئِذٍ ، فلَبِسَها ورَكِب إلى دارِ السعادةِ ، وقُرِئَ [١٠/٢٠٣و] تقليدُه بحضرةِ نائبِ السلطَنةِ والقُضاةِ ، ثم رجَع إلى مدرسَتِه الإقْبَالِيَّةِ فقُرِئَ بها أيضًا ، وحكَم بين خَصْمَيْنِ ، وكتَب على أوراقِ السائِلينَ ، ودرَّسَ بالعَادِلِيَّةِ والغَزَّالِيَّةِ والأَتَابِكِيَّةِ[2] مع تدريسِ الإقْبَالِيَّةِ ، وذلك عوضًا عن ابنِ جُمْلَةَ .

وفى يومِ الجُمُعَةِ [3]رابع الحجةِ[3] حضَر الأميرُ حسامُ الدينِ مُهَنَّا بنُ عيسى وفى صحبتِه صاحبُ حَماةَ الملكُ الأفْضَلُ بنُ المؤيدِ ، فتَلقَّاهما تَنْكِز وأكرَمهما ، وصلَّيا الجُمُعَةَ عندَ النائبِ ، ثم توجَّها إلى مصرَ فتلقّاهما أعيانُ الأُمراءِ ، وأكْرَم السلطانُ مُهَنَّا بنَ عيسى ، وأطلقَ له أموالًا جزيلةً كثيرةً من الذَّهبِ والفِضَّةِ والقماشِ ، وأقْطعَه عِدَّةَ قُرًى ، ورَسَم له بالعَودِ إلى أهلِه ، ففَرِحَ الناسُ بذلك . قالوا : وكان

---

(١) بعده فى ص : « نائب » .

(٢) فى الأصل ، م : « الأتابكيتين » . وانظر الدارس ١/ ١٣٣.

(٣ - ٣) سقط من : ص ، وانظر كنز الدرر ٩/ ٣٧٩، والسلوك ٢/٢/ ٣٧٢، وقد ورد ذكر هذه الحادثة فى تذكرة النبيه ٢/ ٢٤٨، فى أحداث سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

جميعُ ما أنْعمَ عليه السطانُ به قيمةَ مائةِ[1] ألفِ دينارٍ، وخُلِعَ عليه وعلى أصحابِه [2]مائةٌ وسبعونَ[2] خِلْعَةً.

وفى يومِ الأحَدِ سادس الحجَّةِ حضَر درْسَ الرَّواحِيَّةِ الفخرُ المِصْرِىُّ عِوضًا عن قاضى القضاةِ ابنِ المجْدِ، وحضَر عندَه القضاةُ الأربعةُ وأعيانُ الفُضلاءِ.

وفى يومِ عرفةَ خُلِع على نَجْمِ الدينِ بنِ أبى الطيبِ بوَكالةِ بيتِ المالِ، عوضًا عن قاضى القضاةِ ابنِ المجْدِ، [3]وعلى الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ مُنَجَّا بنظرِ الجامعِ[3]، وعلى عمادِ الدينِ بنِ الشِّيرَازِى بالحِسْبَةِ عوضًا عن عِزِّ[4] الدينِ بنِ القَلَانِسِىِّ، وخرَج الثلاثةُ من دارِ السعادةِ بالطرحاتِ.

وممَّن تُوفِّى فيها من الأعيانِ:

الشيخُ الأجَلُّ التاجرُ الصدوقُ بدرُ الدينِ لؤلؤُ بنُ عبدِ اللَّهِ[5]، عتيقُ النَّقِيبِ شجاعِ الدينِ إدْرِيسَ، وكان رجُلًا حسَنًا يَتَّجِرُ فى الجُوخِ، مات فجأةً عصرَ يومِ الخميسِ خامس المُحَرَّمِ، وخَلَّفَ أولادًا وثروةً، ودُفِن ببابِ الصغيرِ، وله بِرٌّ وصدقةٌ ومعروفٌ، وسَبَّعَ[6] بمسجدِ ابنِ هشامٍ.

الصَّدْرُ أمينُ الدينِ محمدُ بنُ فخرِ الدينِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ يوسفَ[7] بنِ أبى[8] العَيْشِ الأنصارىُّ الدمشقىُّ،

---

(١) فى ص: «سبعون».
(٢ - ٢) فى تاريخ ابن الوردى: ٣٠٧/٢ «مائة وستين»، وفى السلوك ٢/٢/٣٧٣: «مائة».
(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. انظر ذيول العبر ص ١٨١.
(٤) فى ص: «عماد».
(٥) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.
(٦) سَبَّع القرآن: وَظَّفَ عليه قراءته فى كلِّ سبع ليال. تاج العروس (س ب ع).
(٧) فى الأصل: «يونس». وانظر ترجمته فى: الدرر الكامنة ٣/ ٣٩٥، والدارس ٢/ ٢٩٨.
(٨) سقط من: ص.

بانى المسجدِ المشهورِ به بالرَّبْوَةِ، على حافَّةِ بَرَدَى، والطَّهارةِ الحجارةِ[1] إلى جانبِه، والسُّوقِ الذى هناك، وله بجامعِ النَّيْرَبِ مِيعادٌ، وُلِدَ سنَةَ ثمانٍ وخمسينَ وسِتِّمائةٍ، وسَمِع «البخارِىَّ» وحدَّثَ به، وكان من أكابرِ التجارِ ذَوِى اليَسارِ، تُوفِّى بُكْرةَ يومِ الجُمُعَةِ سادِس المحرمِ، ودُفِنَ بتُرْبتِه بقَاسِيونَ، رحِمه اللَّهُ.

الخطيبُ الإمامُ العالِمُ عِمادُ الدينِ أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ[2] [3]**الخطيبِ ظَهِيرِ الدينِ عبدِ الرحيمِ بنِ يَحْيى بنِ إبْراهيمَ بنِ علىِّ بنِ جَعْفَرٍ**[3] **بنِ عبيدِ**[4] **اللَّهِ بنِ الحسنِ القُرَشِىُّ الزُّهْرِىُّ النَّابُلُسِىُّ**، خطيبُ القُدْسِ، وقاضى نابُلُسَ مدَّةً طويلةً، ثم جُمِعَ له بين خطابةِ القدسِ وقضائِها، وله اشْتِغالٌ، وفيه فضيلةٌ، وشرَح «صحيحَ مسلمٍ» فى مجلداتٍ، وكان سرِيعَ الحِفْظِ، سريعَ الكتابةِ، تُوفِّى ليلةَ الثلاثاءِ عاشر المحرمِ، ودُفِنَ بماملّا[5]، رحِمه اللَّهُ.

الصدرُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ حمّادٍ[6]، التاجرُ بقَيْسَارِيَّةِ الشُّرْبِ، كتَب المَنْسُوبَ[7]، وانتفَع به الناسُ، ووَلِىَ سَمسرةَ[8] التُّجّارِ لأمانَتِه ودِيانَتِه، وكانت له معرفةٌ[9] ومطالعةٌ فى الكتبِ، تُوفِّى فى تاسعِ صَفَرٍ عن نحوِ سِتِّينَ سنةً، ودُفِنَ بقَاسِيُونَ، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى ص: «والحجارة».

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى النسخ: «عبد». وانظر ترجمته فى: تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٤، والوافى بالوفيات ٢٢/ ٥٠٦، والدرر الكامنة ٣/ ٢٤٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٨.

(٥) فى ص: «مايلة».

(٦) لم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٧) أى الخط المنسوب.

(٨) سقط من: م، وفى الأصل: «سمرة».

(٩) فى الأصل: «وكان له معروف».

جمالُ الدينِ قاضى القضاةِ الزُّرَعِىُّ[1] ، هو أبو الربيعِ سليمانُ بنُ الخطيبِ مَجْدِ الدينِ عمرَ بنِ سالمٍ[2] بنِ عمرَ[3] بنِ عُثْمانَ الأَذْرَعِىّ الشافِعىُّ ، [١٠/ ٢٠٣ظ] وُلِد سنَةَ خمسٍ وأربعينَ وسِتّمائةٍ بأَذْرِعَاتٍ ، واشْتَغَلَ بدِمَشْقَ فحصَّل ، ونابَ فى الحكمِ بزُرَعَ مدَّةً ، فعُرِف بالزُّرَعِىِّ لذلك ، وإنما هو من أَذْرِعَاتٍ ، وأصلُه من بلادِ المَغْرِبِ ، ثم نابَ بدِمَشْقَ ، ثم انتقلَ إلى مصرَ فنابَ فى الحكمِ بها ، ثم استَقلَّ بولايةِ القضاءِ بها نحوًا من سنَةٍ ، ثم وَلِىَ قضاءَ الشامِ مدَّةً مع مَشْيَخَةِ الشيوخِ نحوًا من سَنةٍ أيضًا ، ثم عزِل وبقِىَ على مشيخةِ الشيوخِ[4] مع تَدْريسِ الأَتَابِكيَّةِ مدةً ، ثم تحوَّلَ إلى مصرَ فوَلِىَ بها التدريسَ وقضاءَ العسكرِ ، ثم تُوفِّى بها يومَ الأحدِ سادِس صَفَرٍ وقد قاربَ التسعينَ[5] ، رحِمه اللَّهُ ، وقد خرَّجَ له الشيخُ علمُ الدينِ البرزالِىُّ مَشْيخةً ، سَمِعْناها عليه وهو بدِمَشْقَ عن اثنَيْنِ وعشرينَ شيخًا .

الشيخُ الإمامُ العالِمُ الزاهِدُ زينُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ محمودِ ابنِ عُبَيْدانَ البَعْلَبَكِّىُّ الحَنْبَلِىُّ[6] ، أحدُ فضلاءِ الحنابلةِ ، ومَن صنَّفَ فى الحديثِ والفقهِ والتصوفِ وأعمالِ القلوبِ وغيرِ ذلك ، كان فاضلًا ، له أعمالٌ كثيرةٌ ،

---

(١) ذيول العبر ص ١٨١، والوافى بالوفيات ١٥/ ٤١٦، والسلوك ٢/٢/ ٣٧٦، والدرر الكامنة ٢/ ٢٥٥، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٤.

(٢) فى الأصل : « سليمان » .

(٣) فى الأصل ، ص ، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٤٩، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٧: « عمرو » .

(٤) بعده فى م : « نحوًا من سنة » .

(٥) فى الأصل ، م : « سبعين » .

(٦) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٣، والدرر الكامنة ٢/ ٤٥٦، وفيهما : « محمود بن عبيد » ، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٧.

وقد وقَعتْ له كائنَةٌ فى أيامِ الظاهرِ ؛ أنَّه أُصِيبَ فى عقْلِه أو زَوالِ فكرِه ، أو قد عمِلَ على الرياضةِ فاحترقَ باطِنُه من الجُوعِ ، فرأى خَيالاتٍ لا حقيقةَ لها فاعتقدَ أنَّها أمرٌ خارِجِىٌّ ، وإنَّما هو خيالٌ فكْرِىٌّ فاسِدٌ ، وكانتْ وفاتُه فى نصفِ صَفَرٍ ببَعْلَبَكَّ ، ودُفِنَ ببابِ سَطحا ، ولم يُكْمِلِ السِّتِّينَ ، وصُلِّى عليه بدِمَشْقَ صلاةَ الغائبِ ، وعلى القاضى الزُّرَعِىِّ معًا .

الأميرُ شهابُ الدينِ قَرَطَاى[1] ، نائبُ طَرابُلُسَ ، له أوقافٌ وصدقاتٌ ، وبِرٌّ وصِلاتٌ ، تُوفِّى بطَرَابُلُسَ يومَ الجُمُعَةِ [2]ثامنَ عشَرَ صفرٍ[2] ، ودُفِنَ هناك ، رحِمهُ اللَّهُ .

الشيخُ عبدُ اللَّهِ بنُ[3] **يوسفَ بنِ أبى بكرٍ الإسْعِرْدِىُّ المُوَقِّتُ** ، كان فاضلًا فى صناعةِ الميقاتِ وعلمِ الأَصطُرْلابِ[4] وما جرَى مَجْراه ، بارعًا فى ذلك ، غيرَ أنَّه لا يُنْتَفَعُ به ؛ لسوءِ أخلاقِه وشراسَتِها ، ثم إنَّه ضَعُفَ بصرُه فسقَط من قَيْسَارِيَّةٍ بحِشْيٍ[5] ، فمات[6] عشيةَ السبتِ عاشر ربيعِ الأولِ ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ .

---

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٨١، والسلوك ٢/٢/ ٣٧٦، والدرر الكامنة ٣/ ٣٣٢، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٤، والدليل الشافى ٢/ ٥٤٠، وفيه : « قراطاى » .

(٢ - ٢) سقط من : ص . وفى السلوك والنجوم : « ثامن عشرين صفر » .

(٣) سقط من : ص . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٢/ ٤١٤.

(٤) فى الأصل : « الأصطلاب » ، وفى ص : « الأسطرلات » . وعلم الأصطرلاب : علم يبحث فيه عن كيفية استعمال آلة معهودة يتوصل بها إلى معرفة كثير من الأمور النجومية على أسهل طريق مبين فى كتبها كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وسمت القبلة وغير ذلك . كشف الظنون ١/١٠٦ . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٣/٣٠٠ - ٣٠٤.

(٥) فى ص : « خشى » ، والحِشْىُ : حفيرة قريبة القعر ، قيل : إنه لا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل . اللسان (ح س و) .

(٦) سقط من : م .

الأميرُ سيفُ الدينِ بَلَبَانُ طُرْنَا[1] **بنُ عبدِ اللَّهِ الناصِرِىُّ**، كان مِن المقَدَّمينَ بدِمَشْقَ، وجرَتْ له فصولٌ يطولُ ذِكْرُها، ثم تُوفِّى بدارِه عند مِئْذَنَةِ فَيْرُوزَ ليلةَ الأربعاءِ[2] حادِى عِشْرِينَ ربيعِ الأوَّلِ، ودُفِنَ بتُرْبَةٍ اتخذَها إلى جانبِ دارِه، ووَقَفَ عليها مُقْرِئينَ، ورتَّبَ[3] عندَها مسجدًا بإمامٍ ومُؤَذِّنٍ.

شمسُ الدينِ محمدُ بنُ[4] **يحْيَى بنِ محمدِ بنِ قاضى حَرَّانَ**، ناظرُ الأوقافِ بدِمَشقَ، ماتَ الليلةَ التى مات فيها الذى قبلَه، ودُفِنَ بقَاسِيُونَ، وتولَّى مكانَه عمادُ الدينِ الشِّيرازِىُّ.

الشيخُ الإمامُ ذو الفُنونِ تاجُ الدينِ أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ علىِّ بنِ سالِمِ بنِ [5]**عبدِ اللَّهِ**[5] **اللَّخْمِى الإسْكَنْدَرانِىُّ**، المعروفُ [6]بابنِ الفاكِهانىِّ[6]، وُلِدَ سنَةَ أربعٍ وخمسينَ وسِتِّمائةٍ، وسَمِعَ الحديثَ واشتغلَ بالفقهِ على مذهبِ الإمامِ مالكٍ، وبرَع وتقَدَّمَ فى معرفةِ النحوِ وغيرِه، وله مُصَنَّفاتٌ فى أشياءَ مُتفرِّقَةٍ، قَدِم دِمَشْقَ فى سنةِ إحدى وثلاثينَ وسَبْعِمائةٍ فى أيامِ الأَخْنَائىِّ، فأنْزَلَه بالعادِلِيَّةِ[7] وسَمِعنا

---

(١) فى الأصل: «طوفان»، وفى م: «طرفا». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ١٠/ ٢٨٣، والسلوك ٢/٢/ ٣٣٧، والدرر الكامنة ٢/ ٢٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٤، والدارس ٢/ ٢٣١ وفيه: «طرناه».

(٢) فى ص: «الأحد». وانظر الدارس ٢/ ٢٣١.

(٣) فى م: «بنى».

(٤) بعده فى ص: «محمد بن». ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٥ - ٥) كذا فى النسخ، وفى مصادر ترجمته: «ابن صدقة»، انظر: الديباج المذهب ٢/ ٨٠، والدرر الكامنة ٣/ ٢٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٢١، وحسن المحاضرة ١/ ٤٥٨، وشذرات الذهب ٦/ ٩٦. وفى الدرر الكامنة، وبغية الوعاة، وشذرات الذهب أنه توفى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة.

(٦ - ٦) فى مصادر الترجمة: «الفاكهانى». والمثبت موافق لنسخة من الدرر الكامنة.

(٧) فى م: «فى دار السعادة».

عليه ومعه ، وحجَّ من دِمَشْقَ عامَئِذٍ ، وسُمِعَ عليه فى [١٠/٢٠٤و] الطريقِ ، ورجَعَ إلى بلادِه ، تُوفِّى ليلةَ الجُمُعَةِ سابع جُمادَى الأُولَى ، وصُلِّى عليه بدِمَشْقَ حين بَلَغهم خَبرُ موتِه .

الشيخُ الصالحُ العابدُ الناسكُ أمينُ الدينِ أيمنُ بنُ محمدٍ[١] ، وكان يَذْكُرُ أنَّ اسمَه محمدُ بنُ محمدِ [٢]بنِ محمدٍ[٢] ، إلى [٣]سبعةَ عشَرَ[٣] نفسًا ، كلُّهم اسْمُه محمدٌ ، وقد جاوَرَ بالمدينةِ مدَّةَ سِنينَ إلى أنْ تُوفِّى ليلةَ الخميسِ ثامن ربيعِ الأوَّلِ ، ودُفِن بالبَقِيعِ ، وصُلِّى عليه بدِمَشْقَ صلاةَ الغائبِ .

الشيخُ نَجْمُ الدينِ القِبَابِىُّ[٤]**الحَمَوىُّ ، عبدُ الرحمنِ بنُ الحسنِ بنِ يَحْيَى اللَّخْمِىُّ** – القِبَابُ[٥] قريةٌ مِن قُرى أُشْمُونِ الرُّمَّانِ[٦] – أقامَ بحَمَاةَ فى زاويةٍ يُزارُ ويُلْتَمَسُ دعاؤُه ، وكان عابدًا وَرِعًا زاهدًا ، أمَّارًا بالمعروفِ نهَّاءً عن المُنْكَرِ ، حسَنَ الطريقةِ ، إلى أن تُوفِّى بها آخرَ نَهارِ الاثنينِ رابعَ عشَرَ رجَبٍ ، عن ستٍّ وستينَ سنةً ، وكانتْ جِنازَتُه حافلةً هائلةً جدًّا ، ودُفِنَ شماليَّ حَمَاةَ ، وكان عندَه فضيلةٌ ، واشتغلَ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ ، وله كلامٌ حسَنٌ يُؤْثَرُ عنه ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) الوافى بالوفيات ١٠/ ٣٣، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٤٦٠.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى الوافى بالوفيات ، والدرر الكامنة : « أربعة عشر » .

(٤) فى م : « القبانى » ، وفى ص : « القنانى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٨٢، وذيل تذكرة الحفاظ ص ١٨، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٥، وفيه : « القبائى » ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٥، والدرر الكامنة ٢/ ٤٣٥.

(٥) فى النسخ : « القبابى » . وانظر القاموس الجغرافى ١/٢/ ٢٣١.

(٦) أشمون الرمان : من أقدم المدن المصرية ، وهى الآن الدقهلية ، وكانت تسمى فى عهد العرب أشمون طناح . انظر معجم البلدان ١/ ٢٨٢، والقاموس الجغرافى ١/٢/ ٢٢٩. وانظر ما تقدم فى ١/ ٥٩.

الشيخُ فَتْحُ الدينِ بنُ سيِّدِ الناسِ ، الحافظُ العلَّامَةُ البارِعُ فتحُ الدينِ[1] أبو الفتح محمدُ بنُ الإمامِ أبى عمرٍو[2] محمدِ بنِ الإمامِ الحافظِ الخطيبِ أبى بكرٍ[3] محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ يَحْيَى بنِ سَيِّدِ الناسِ الرَّبَعِىُّ[4] اليَعْمُرِىُّ الأنْدَلُسِىُّ الإشْبِيلِىُّ ثم المِصْرِىُّ ، وُلِدَ فى العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذِى الحجةِ سنةَ إحدَى وسبعينَ وسِتِّمائةٍ بالقاهرةِ[5] ، وسَمِع الكثيرَ ، وأجازَ له الرِّوايةَ عنهم جماعاتٌ مِن المشايخِ ، ودخَل دِمَشْقَ سنةَ تسعينَ ، وسَمِع من أصحابِ[6] الكِنْدِىِّ وغيرِهم[7] ، واشتغلَ بالعلمِ فبرَعَ وسادَ أقْرانَه فى علومٍ شتَّى ؛ من الحديثِ والفقهِ والنحوِ والعربيةِ وعِلْمِ السِّيَرِ والتاريخِ وغيرِ ذلك من الفنونِ ، وقد جمَع سِيرَةً حسنةً[8] فى مُجلَّدينِ ، وشرَح قِطعةً صالحةً من أوَّلِ « جامعِ التِّرْمِذِىِّ » ، رأيتُ منها مُجلَّدًا بخطِّه الحسَنِ ، وقد حرَّر وحبَّرَ ، وأفادَ وأجادَ ، ولم يسْلَمْ من بعضِ الانتقادِ ، وله الشِّعرُ الرَّائِقُ الفائِقُ ، والنثرُ الموافقُ ، و[9] البَلاغةُ التامَّةُ ، وحُسْنُ التَّرْصِيفِ[10] والتَّصْنيفِ ، والتعبيرِ ، وجوْدَةُ البدِيهَةِ ، وحسنُ

---

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر ترجمته فى :ذيول العبر ص ١٨٢، وذيل تذكرة الحفاظ ص ١٦، ٣٥٠، والوافى بالوفيات ١/ ٢٨٩، وفوات الوفيات ٣/ ٢٨٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٦٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٥١٠، والدرر الكامنة ٤/ ٣٣٠.

(٢) فى الأصل، وطبقات الإسنوى : « عمر » .

(٣) بعده فى الأصل : « بن » .

(٤) فى ص : « الرافعى » .

(٥) سقط من : م .

(٦) سقط من : الأصل، م . وانظر الوافى بالوفيات، وفوات الوفيات، والدرر الكامنة .

(٧) فى الأصل : « غيره » .

(٨) هى المطبوعة باسم : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسِّير .

(٩) سقط من : الأصل .

(١٠) فى الأصل : « التوصيف » ، وفى ص : « التصريف » . وانظر شذرات الذهب ٦/ ١٠٨.

الطَّويَّةِ ، والعقيدَةُ السَّلَفِيَّةُ الموضُوعَةُ على الآى والأخبارِ والآثارِ ، والاقتفاءِ بالآثارِ النبويةِ ، ويُذْكَرُ عنه [1] سوءُ أدبٍ فى أشياءَ أُخرَ [1] ، اللَّهُ يتولَّاه فيها ، وله مَدائِحُ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ حِسانٌ ، وكان شيخَ الحديثِ بالظاهِريَّةِ بمِصْرَ ، وخطيبَ جامعِ الخَنْدَقِ ، ولم يكُنْ بمِصْرَ فى مَجْمُوعِه مثْلُه فى حِفْظِ الأسانيدِ والمُتونِ والعِلَلِ ، والفِقْهِ والمُلَحِ والأشعارِ والحكاياتِ ، تُوفِّى فجأةً يومَ السبتِ حادِى عشَرَ شعبانَ ، وصُلِّى عليه من الغَدِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، ودُفِنَ عندَ ابنِ أبى حَمْزةَ [2] ، رحِمه اللَّهُ ، وجعَل الجنةَ مثْواه .

القاضى مَجْدُ الدينِ [3] حَرْمِىُّ [4] بنِ قاسمِ بنِ يوسفَ العامِرِىُّ الفاقُوسِىُّ الشافِعِىُّ ، وكيلُ بيتِ المالِ ، ومُدرِّسُ الشافِعِىِّ وغيرِه ، كانت له هِمَّةٌ ونهضَةٌ ، وعلَتْ سنُّه وهو مع ذلك يَحْفَظُ ويَشْتغِلُ ، ويُلْقِى الدروسَ من حفظِه إلى أن تُوفِّىَ ثانِىَ ذى الحِجَّةِ ، ووَلِىَ تدْريسَ الشافِعِىِّ بعدَه [١٠/٢٠٤ظ] شمسُ الدينِ بنُ القَمَّاحِ ،والمدرسةِ القُطْبِيَّةِ [5] بهاءُ الدينِ بنُ عَقيلٍ ، ووَلِىَ الوكالةَ نجمُ الدينِ الإسْعِرْدِىُّ المُحتَسِبُ ، وهو كان وكيلَ بيتِ الظاهرِ .

(١ - ١) فى ص : « شئون ، ويذكر عنه سوء » .

(٢) فى م ، ص : « جمرة » . وانظر صفحة ١٦٢.

(٣) بعده فى الأصل ، م : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٨٣، والوافى بالوفيات ١١/ ٣٤٣، والسلوك ٢/٢/ ٣٧٥، والدرر الكامنة ٢/ ٨٨، وفيه « حرمى بن هاشم » ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٥.

(٤) فى الأصل : « حرى » .

(٥) فى الأصل : « القطيبة » ، وفى ص : « المعظمية » . وانظر السلوك الموضع السابق .

ثم دخَلَت سنةُ خمسٍ وثلاثين وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّت وحكامُ البلادِ هم المذكورون فى التى قبلَها ، وناظِرُ الجامعِ عزُّ الدينِ ابنُ المنجّا ، والمحْتَسِبُ عمادُ الدينِ بنُ[2] الشيرازىِّ ، وغيرُهم .

وفى مُسْتهَلِّ المحرمِ يومَ الخميسِ حضَر الدرسَ بأمِّ الصالحِ الشيخُ الصَّالحُ شمسُ الدينِ بنُ خطيبِ يَبْرُودَ[3] عِوَضًا عن قاضِى القضاةِ شِهابِ الدينِ بنِ المجْدِ ، وحضَر عندَه القضاةُ والأعيانُ .

وفى سادسِ المحرمِ رجَع مُهَنَّا بنُ عيسى مِن عندِ السلطانِ فتَلقَّاه نائبُ السلطنةِ والجيشُ ، وعاد إلى أهلِه فى عِزٍّ وعافيةٍ .

وفيه أمَر السلطانُ بعِمارَةِ جامعِ القَلْعةِ وتوسيعِه ، وعِمارةِ جامعِ مصرَ العتيقِ .

وقدِم إلى دمشقَ القاضِى جمالُ الدينِ [4]عبدُ اللَّهِ بنُ كمالِ الدينِ[4] محمدِ بنِ عمادِ الدينِ [5]إسماعيلَ بنِ تاجِ الدينِ[5] بنِ الأثيرِ كاتبَ سرٍّ بها عِوَضًا عن شرفِ الدينِ بنِ الشِّهابِ محمودٍ . ووقَع فى هذا الشهرِ والذى بعدَه موتٌ كثيرٌ فى

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٤١، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٧، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٥٨، والسلوك ٢/٢/ ٣٧٧.
(٢) سقط من : م .
(٣) فى م : « تبرور » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٧٤.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

الناسِ بالخانوقِ[1] .

وفى ربيعِ الأولِ مُسِك الأميرُ نجمُ الدينِ بنُ[2] الزِّيبَقِ مُشِدُّ الدواوينِ ، وصُودِر وبِيعَت خُيولُه وحواصِلُه ، وتولَّاها بعدَه سيفُ الدينِ تَمُر مملوكُ بَكْتَمُر الحاجبِ ، وهو مُشِدُّ الزَّكاةِ .

وفيه كمَلت عمارةُ حمامِ الأميرِ شمسِ الدينِ حمزةَ الذى كان قد تمكَّن عندَ تَنْكِز بعدَ الأميرِ ناصرِ الدينِ الدَّوَادَار ، ثم وقَعتِ الشَّناعةُ عليه بسببِ ظُلْمِه فى عِمارَةِ هذا الحمامِ ، فقابَله النائبُ على ذلك ، وانْتَصَف للناسِ منه ، وضرَبه بينَ يدَيْه ، ورماه بالبُنْدُقِ بيدِه فى وجهِه وسائرِ جسدِه ، ثم أودَعه القلعةَ ، ثم نقَله إلى بُحيرةِ[3] طَبَرِيَّةَ فغرَّقه فِيها .

وعُزِل الأميرُ جمالُ الدينِ نائبُ الكَرَكِ عن نيابةِ طَرَابُلُسَ حسَبَ سؤالِه فى ذلك ، وراح إليها طَيْنَال ، وقدِم نائبُ الكَرَكِ إلى دمشقَ وقد رُسِم له بالإقامةِ فى صَرْخَدَ ، فلما تلقَّاه نائبُ السلطنةِ والجيشُ نزَل بدارِ السعادةِ ، وأخَذ سيفَه بها ، ونُقِل إلى القلعةِ ، ثم نُقِل إلى صَفَدَ ، ثم إلى الإسكندريةِ ، ثم كان آخرَ العهدِ به .

وفى جُمادَى الأولى احْتِيط على دارِ الأميرِ بَكْتَمُر الحاجبِ الحُسَامِيِّ بالقاهرةِ ، ونُبِشت وأُخِذ مِنها شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، وكان [4]جدُّ أولادِه[4] نائبَ الكَرَكِ المَذْكُورَ .

---

(١) كذا فى النسخ . وفى السلوك : « الخوانيق » ، وهو المرض المعروف بالذبحة ، ومن أنواعه الذبحة الصدرية . انظر السلوك ١/١/ ٥٥، ٢/٢/٣٨٧ وحاشيته .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل : « محلة » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « أولاد » .

وفى يومِ السبتِ تاسع جُمادَى الآخرةِ باشَر الأميرُ حسامُ الدينِ أبو بكرِ بنُ الأميرِ عِزِّ الدينِ أيْبَك النَّجِيبِيُّ[1] شَدَّ الأوقافِ عِوَضًا عن ابنِ بَكْتَاش ، اعْتُقِل ، وخُلِع على المُتَوَلِّى وهَنَّأه النَّاسُ .

وفى منتصفِ هذا الشهرِ عُلِّق السِّتْرُ الجديدُ على خِزانةِ المصحفِ العثمانىِّ ، وهو مِن خَزٍّ ، طُولُه ثمانيةُ أذرُعٍ ، وعَرْضُه أربعةُ أذرُعٍ ونِصْفٌ ، [2]غُرِم عليه أربعةُ آلافٍ وخمسمائةٍ ، وعُمِل فى مدَّةِ سنةٍ ونِصْفٍ[2] .

وخرَج الرَّكْبُ الشامِىُّ يومَ الخميسِ تاسع شوالٍ وأميرُه علاءُ الدينِ المرسىُّ ، وقاضِيه شِهابُ الدينِ الظاهِرِىُّ .

وفى هذا الشهرِ رجَع جيشُ حلبَ إليها ، وكانوا عَشَرةَ آلافٍ سِوَى مَن تبِعهم مِنَ التُّرْكُمانِ ، وكانوا فى بلادِ أَذَنَةَ[3] [١٠/٢٠٥و] وطَرَسُوسَ وآيَاسَ ، وقد خرَّبوا وقتَلوا [4]وسَبَوا وأسَروا[4] خلقًا كثيرًا ، ولم يُعْدَمْ مِنهم سِوَى رجلٍ واحدٍ ؛ غرِق بنهرِ جاهانَ ، ولكن قتَل الكفارُ مَن كان عِندَهم مِن المسلمين نحوًا مِن أَلْفَى[5] رجلٍ يومَ عيدِ الفِطْرِ ، [4]مِن التجارِ وغيرِهم[4] ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُون .

وفيه وقَع حريقٌ عظيمٌ بحَماةَ ، احْتَرَقت مِنه أسواقٌ كثيرةٌ وأملاكٌ وأوقافٌ ، وهلَكت أموالٌ لا تُحْصَرُ ، وكذلك احْتَرَق أكثرُ مدينةِ أنْطَاكِيةَ ، فتألَّم المسلمون لذلك .

---

(١) فى م : « التجيبى » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) أذنة : بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور . معجم البلدان ١/ ١٧٩.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « ألف » . وانظر ذيول العبر ص ١٨٤.

وفى ذِى الحجةِ خُرِّب المسجدُ الذى كان فى وَسَطِ[1] الطَّريقِ بينَ بابِ النَّصْرِ وبابِ الجَابِيَةِ، عن حُكْمِ القُضاةِ بأمرِ نائبِ السلطنةِ، وبُنِىَ غربيَّه مسجدٌ حَسَنُ الشَّكْلِ، أحْسَنُ وأنْفَعُ مِن الأوَّلِ.

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ الصَّالِحُ المُعَمَّرُ رئيسُ المؤَذِّنِين بجامعِ دمشقَ، بُرْهانُ الدينِ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ الوانىُّ[2]، وُلِد سنةَ ثلاثٍ وأربعين وستِّمائةٍ، وسمِع[3] الحديثَ ورَوَى، وكان حسنَ الصوتِ والشكلِ، مُحَبَّبًا إلى العَوَامِّ، تُوفِّى يومَ الخميسِ سادس صَفَرٍ، ودُفِن ببابِ الصَّغيرِ، وقام مِن بعدِه فى الرِّياسَةِ ولدُه **أمينُ الدينِ محمدٌ الوانىُّ**[4]، المُحدِّثُ المُفيدُ، وتُوفِّى بعدَه ببِضْعٍ وأربعين يومًا، رحِمهما اللَّهُ.

الكاتبُ المُطْبِقُ المُجوِّدُ المُحَرِّرُ، بهاءُ الدينِ محمودُ بنُ خطيبِ بَعْلَبَكَّ مُحْيِى الدينِ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ السُّلَمِىُّ[5]، وُلِد سنةَ ثمانٍ وثمانين وستِّمائةٍ، واعْتَنَى بهذه الصناعةِ فبرَع فيها، وتقدَّم على أهلِ زمانِه قاطبةً فى النَّسْخِ وبقيةِ الأقلامِ، وكان حَسَنَ الشَّكْلِ، طَيِّبَ الأخلاقِ، طيبَ الصوتِ،

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل: «الوافى». وكذا فيما يأتى. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٨٥، ومعجم شيوخ الذهبى ص ١٢٠، وذيل تذكرة الحفاظ ص ١٥، والدرر الكامنة ١/ ٥٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٩.

(٣) فى الأصل: «جمع».

(٤) ذيول العبر ص ١٨٥، ودول الإسلام ٢/ ٢٤١، والوافى بالوفيات ٢/ ٢١، والجواهر المضية ٣/ ١٢، والدرر الكامنة ٣/ ٣٧٩، وشذرات الذهب ٦/ ١١١.

(٥) ذيول العبر ص ١٨٦، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٨، والدرر الكامنة ٥/ ١٠٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٦/ ١١٢.

حَسَنَ التودِدِ ، تُوفِّى فى سَلْخِ ربيعِ الأوَّلِ ، ودُفِن بتُرْبةِ الشيخِ أبى عُمَرَ ، رحِمه اللَّهُ .

علاءُ الدينِ السِّنْجارِىُّ - واقفُ دارِ القرآنِ عندَ بابِ الناطفانيين شَمَالِىَّ الأمويِّ بدِمشقَ - **علىُّ بنُ إسماعيلَ بنِ محمودٍ**[1] ، كان أحدَ التُّجَّارِ الصُّدُقِ الأخْيَارِ ذَوِى اليَسَارِ المُسارِعِين إلى الخَيْراتِ ، تُوفِّى بالقاهرةِ ليلةَ الخميسِ ثالثَ عَشَرَ جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن عندَ قبرِ القاضِى شمسِ الدينِ بنِ[2] الحريرىِّ .

العَدْلُ نجمُ الدينِ التاجرُ عبدُ الرحيمِ بنُ أبى القاسمِ[3] **عبدِ الرحمنِ الرَّحْبِىُّ** ، بانِى التُّربةِ المشهورةِ بالمِزَّةِ ، وقد جعَل فيها مسجدًا ، وأوْقَف عليها أوقافًا دارَّةً ، وصَدَقاتٍ هناك ، وكان مِن خِيارِ أبناءِ جنسِه ، عَدْلٌ مَرْضِىٌّ عندَ جميعِ الحُكَّامِ ، وترَك أولادًا وأموالًا جَمَّةً ، ودَارًا هائلةً ، وبساتينَ بالمِزَّةِ ، وكانت وفاتُه يومَ الأربعاءِ سابع عشرين جُمادَى الآخِرةِ ، ودُفِن بتُربتِه المذكورةِ بالمِزَّةِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشَّيخُ الإمامُ الحافظُ قُطْبُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عبدِ النُّورِ بنِ مُنيرِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ علىِّ بنِ عبدِ الحقِّ بنِ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ النورِ[4] ، الحَلَبىُّ الأصلِ ، ثم المصرىُّ ، أحدُ مشاهيرِ المُحدِّثِين بها ، والقائمين بحفظِ الحديثِ ورِوايتِه وتدوينِه وشرحِه والكلامِ عليه ، وُلِد سنةَ أربعٍ وسِتِّين وستِّمائةٍ بحلبَ ،

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٩، والدارس ١/ ١٣.

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) بعده فى ص : « بن » . وانظر الدارس ٢/ ٢٤٦.

(٤) ذيول العبر ص ١٨٦، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٩، والجواهر المضية ٢/ ٤٥٤، والطبقات السنية ٤/ ٣٧٥. وجاءت كنيته « أبو على » فى ذيل تذكرة الحفاظ للحسينى ص ١٣، وغاية النهاية ١/ ٤٠٢، والدرر الكامنة ٣/ ١٢، والمنهل الصافى ٧/ ٣٣٦، وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطى ص ٣٤٩.

وقرأ القرآنَ بالرواياتِ ، وسمِع الحديثَ ، وقرأ « الشَّاطِبيَّةَ » و « الأَلْفِيَّةَ » ، وبرَع فى فنِّ الحديثِ ، [١٠/٢٠٥ظ] وكان حنفيَّ المذهبِ ، وكتَب كثيرًا ، وصنَّف شرحًا لأكثرِ « البخاريِّ » وجمَع تاريخًا لمصرَ ، ولم يُكْمِلْهما[1] ، وتكلَّم على السِّيرةِ التى جمَعها الحافظُ عبدُ الغَنيِّ ، وخرَّج لنفْسِه أربعينَ حَدِيثًا مُتباينةَ الإسنادِ ، وكان حسنَ الأخْلاقِ ، مُطَّرِحًا للكُلْفَةِ ، طاهرَ اللسانِ ، كثيرَ المطالعةِ والاشتغالِ ، إلى أن تُوفِّى يومَ الأحدِ سَلْخ رَجبٍ ، ودُفِن مِن الغدِ مُسْتَهَلّ شعبانَ عند خالِه نَصْرِ المَنْبِجِيِّ ، وخلَّف تسعةَ أولادٍ ، رحِمه اللَّهُ .

القاضِى الإمامُ زَيْنُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكافِى بنُ علىِّ بنِ تمَّامٍ[2] بنِ يوسُفَ السُّبْكِيُّ ، قاضِى المَحَلَّةِ ، ووالدُ[3] العَلَّامةِ قاضِى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِيِّ الشافعىِّ ، سمِع مِن ابنِ الأَنْماطِىِّ ، وابنِ خَطِيبِ المِزَّةِ ، وحَدَّث ، وكانت وفاتُه فى تاسعِ شعبانَ ، وتَبِعَتْه زَوْجَتُه **ناصِرِيَّةُ بنتُ القاضِى جمالِ الدينِ[4] إبراهيمَ بنِ الحُسينِ السُّبْكِيِّ** ، ودُفِنَتْ بالقَرَافةِ ، وقد سمِعَتْ مِن ابنِ الصابونىِّ شيئًا مِن « سُنَنِ النَّسائىِّ » ، وكذلك ابْنَتُها مُحَمَّديَّةُ ، وقد تُوفِّيت قبلَها .

تاجُ الدينِ علىُّ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الكريمِ المِصْرىُّ[5] ، ويُعْرَفُ بكاتبِ

---

(١) فى الأصل : « يحملهما » ، وفى ص : « يكملها » .

(٢) فى الأصل : « غانم » . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٩، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٨٩، والدرر الكامنة ٣/ ١٠، والمنهل الصافى ٧/ ٣٣١، وشذرات الذهب ٦/ ١١٠.

(٣) فى الأصل : « ولد » ، وفى م : « والده » .

(٤) بعده فى ص : « بن » . وانظر ترجمتها فى : السلوك ٢/٢/ ٣٨٩، والدرر الكامنة ٥/ ١٦٠.

(٥) الدرر الكامنة ٣/ ٧٥، والدارس ١/ ٣٧٣.

قُطْلُوبَك ، وهو والدُ[1] العلَّامةِ فخرِ الدينِ شيخِ الفقهاءِ الشَّافِعيَّةِ ومُدَرِّسِهم فى عِدَّةِ مدارسَ ، ووالِدُه هذا لم يَزَلْ فى الخِدْمَةِ والكِتابَةِ إلى أنْ تُوفِّى عندَه بالعادِلِيَّةِ الصَّغيرةِ ليلةَ الثلاثاءِ ثالث عِشرين[2] شعبانَ ، وصُلِّى عليه مِن الغدِ بالجامعِ ، ودُفِن ببابِ الصَّغيرِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشَّيخُ الصَّالِحُ عبدُ الكافى[3] ، ويُعْرَفُ بعبيدِ بنِ أبى الرِّجالِ بنِ حُسينِ بنِ سُلْطانِ بنِ خَلِيفَةَ المَنِينىِّ ، ويُعْرَفُ بابنِ أبى الأزْرَقِ ، مولدُه فى سنةِ أربعٍ وأربعين وسِتِّمائةٍ بقريةٍ مِن بلادِ بَعْلَبَكَّ ، ثم أقام بقريةِ مَنِين ، وكان مَشْهُورًا بالصَّلاحِ ، وقُرِئَ عليه شىءٌ مِنَ الحديثِ ، وجاوَز التسعين .

الشَّيخُ محمدُ بنُ عبدِ الحقِّ بنِ شَعْبانَ بنِ علىٍّ الأنْصَارِىُّ[4] ، المعروفُ بالشَّيَّاخِ[5] ، له زاويةٌ بسَفْحِ قاسِيُونَ بالوَادِى الشَّمالىِّ ، مَشْهُورةٌ به ، وكان قد بلَغ التِّسْعِين ، وسمِع الحديثَ وأسْمَعه ، وكانت له مَعْرفةٌ بالأُمُورِ ، وعندَه بعضُ مُكاشَفَةٍ ، وهو رجلٌ حَسَنٌ ، تُوفِّى فى أوَاخِرِ شَوَّالٍ مِن هذه السَّنةِ .

الأميرُ سُلْطانُ العربِ حُسامُ الدِّينِ مُهَنَّا بنُ عيسَى بنِ مُهَنَّا[6] ، أميرُ العربِ بالشَّامِ ، وهم يَزْعُمون أنَّهم مِن سُلالَةِ جَعْفرِ بنِ يَحْيَى بنِ خَالدٍ البَرْمَكِىِّ ، مِن ذُرِّيَّةِ الوَلَدِ الذى جَاءَهُ مِنَ العَبَّاسَةِ أختِ الرَّشِيدِ ، فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « ولد » .

(٢) فى م : « عشر » .

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر .

(٤) الدرر الكامنة ٤/ ١١١.

(٥) فى م : « بالسياح » .

(٦) ذيول العبر ص ١٨٧، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٠، والدرر الكامنة ٥/ ١٣٨، والدليل الشافى ٢/ ٧٤٧، وشذرات الذهب ٦/ ١١٢.

وقد كان كبيرَ القَدْرِ، مُحْتَرَمًا عندَ المُلوكِ كُلِّهم بالشَّامِ ومصرَ والعراقِ، وكان دَيِّنًا خَيِّرًا، مُتَحَرِّيًا للحقِّ، وخلَّف أوْلادًا ووَرَثَةً وأمْوَالًا كثيرةً، وقد بلَغ سِنًّا عاليةً، [1]وكان يُحِبُّ الشَّيخَ تقيَّ الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ حُبًّا زائِدًا، هو وذُرِّيَّتُه وعَرَبُه، وله عندَهم مَنْزِلَةٌ وحُرْمَةٌ وإكْرامٌ، يَسْمَعُون قَوْلَه ويَمْتَثِلونه، وهو الذى نَهَاهم أن يُغِيرَ بعضُهم على بعضٍ، وعرَّفهم أنَّ ذلك حرامٌ، وله فى ذلك مُصَنَّفٌ جَلِيلٌ[1]، وكانت وفاةُ مُهَنَّا هذا ببلادِ سَلَمْيَةَ فى ثامنَ عَشَرَ ذِى القَعْدَةِ، ودُفِن هناك، رحِمه اللَّهُ تعالى.

الشَّيخُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ فَضْلُ بنُ عيسَى بنِ قِنْدِيلٍ[2] العَجْلُونِىُّ الحَنْبلىُّ، المُقِيمُ بالمِسْمارِيَّةِ، أصْلُه مِن بلادِ [١٠/٢٠٦و] خَيْرانَ[3]، كان مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيا، يَلْبَسُ ثِيابًا طِوَالًا، وعِمامَةً هائلَةً، وهى بأرْخَصِ الأثْمانِ، وكان يَعْرِفُ تَعْبيرَ الرُّؤْيَا، ويُقْصَدُ لذلك، وكان لا يَقْبَلُ مِن أحدٍ شيئًا، وقد عُرِضَت عليه وَظَائِفُ بجَوَامِكَ كثيرةٍ وأموالٍ كثيرةٍ فلم يَقْبَلْها [4]ويَرْضَ[4] بالرَّغِيدِ الهَنِىِّ مِن العَيْشِ الحَسَنِ[5]، إلى أن تُوفِّى فى ذِى الحِجَّةِ، وله نَحْوُ تِسْعِين سنةً، ودُفِن بالقُرْبِ مِن قَبْرِ الشَّيْخِ تقىِّ الدِّينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، رحِمهما اللَّهُ، وكانت جِنازَتُه حَافِلَةً جِدًّا.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى ص: «قبل». وانظر ترجمته فى: تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٠، والدرر الكامنة ٣/ ٣١٤.

(٣) فى الأصل: «حبراص». وفى م: «حبراحى». وخَيران: بالفتح من قرى البيت المقدس، يقال لها: بيت خيران. معجم البلدان ٢/ ٥٠٦.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «بل رضى».

(٥) فى م: «الخشن».

ثم دخلَت سنةُ ستٍّ وثلاثيـنَ وسَبْعِمائةٍ[1]

استَهلَّت بيومِ الاثنين[2] ، والحكامُ هم المذكورونَ فى التى قبْلَها . وفى أوَّلِ يومٍ منها ركِب تَنْكِز إلى قلعةِ جَعْبرٍ ومعه الجيشُ والمجَانِيقُ ، فغابُوا شهرًا وخمسةَ أيامٍ ثم عادُوا سالِمين .

وفى ثانى[3] صَفرٍ فُتِحت الخانَقَاه التى أنْشَأها الأميرُ سيفُ الدينِ قَوصُون النّاصِرىُّ خارجَ بابِ القَرافةِ ، وتولَّى مشيختَها الشيخُ شمسُ الدينِ الأصْبهانِىُّ المتكَلِّمُ .

وفى عاشرِ صَفَرٍ خرَج ابنُ جُمْلَةَ مِن السجنِ بالقلعةِ .

وجاءتِ الأخبارُ بموتِ ملكِ التترِ بوسعيدِ بنِ خَرْبَنْدَا بنِ أرْغُون بنِ أبْغَا بنِ هُولاكُو[4] بنِ[5] تُولِى[6] بنِ جِنْكِزْخَان فى يومِ الخميسِ ثانىَ عَشَرَ ربيعِ الآخِرِ[7] بدارِ السلطنةِ بقَراباغ[8] ، وهو منزلُهم فى الشتاءِ ، ثم نُقِل إلى تُربتِه بمدينتِه التى

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٤٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١١، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٦٥، والسلوك ٢/٢/ ٣٨٩.

(٢) فى الأصل ، م : « الجمعة » . وانظر السلوك الموضع السابق فقد ذكر أن الخميس وافق الخامس والعشرين .

(٣) فى الأصل ، م : « ثامن » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٩٠.

(٤) فى ص : « هولاوون » .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) بعده فى ص : « خان » .

(٧) فى ص : « الأول » .

(٨) قراباغ : تسمية تركية فارسية معناها البستان الأسود ؛ لخصوبة السواد من أرضها . السلوك ٢/٢/ ٣٩٧ حاشية (٣) .

أنشأَها قريبًا مِن السلطانيةِ (١التى أنشَأها أبوه١) ، وقد كان من خيارِ ملوكِ التتارِ وأحسنِهم طريقةً وأثبتِهم على السُّنَّةِ وأقْومِهم بها ، وقد عزَّ أهلُ السُّنَّةِ فى زمانِه وذلَّتِ الرّافِضةُ - بخلافِ دولةِ أبيهِ - ثم مِن بعدِه لم يقُمْ للتتارِ قائمةٌ ، بل اختلَفوا فتفرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ إلى زمانِنا هذا ، وكان القائمُ مِن بعدِه بالأمرِ أرباكاوون[٢] مِن ذرِّيَّةِ أبْغَا ، ولم يستمرَّ له الأمرُ إلَّا قليلًا .

وفى يومِ الأربِعاءِ عاشر جُمادَى الأُولَى درَّس بالناصرِيَّةِ الجَوّانيَّةِ الشيخُ نورُ[٣] الدينِ الأَرْدُبِيلِيُّ عوضًا عن كمالِ الدينِ بنِ الشيرازِيِّ ، تُوفِّى ، وحضَر عندَه القُضاةُ . وفيه درَّس بالظاهريَّةِ البرَّانيَّةِ الشيخُ الإمامُ المُقرئُ سيفُ الدينِ أبو بكرٍ الحَرِيرِيُّ عِوضًا عن نورِ الدينِ الأَرْدُبِيلِيِّ ؛ ترَكها لمَّا حصَلتْ له الناصرِيَّةُ الجَوَّانيَّةُ . وبعدَه بيومٍ درَّس بالنَّجيبيَّةِ كاتبُه إسماعيلُ بنُ كثيرٍ عوضًا عن الشيخِ جمالِ الدينِ ابنِ قاضِى (٤الزَّبَدانِيِّ ؛ ترَكَها حين تعيَّنَ له تدرِيسُ الظاهريَّةِ الجَوانيَّةِ ، وحضَر عنده٤) القضاةُ والأعيانُ ، وكان درسًا حافلًا أثْنَى عليه الحاضرون وتعجَّبُوا مِن جَمْعِه وترتِيبِه ، وكان ذلك فى تفسيرِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] . وانساقَ الكلامُ إلى مسألةِ ربا الفضلِ .

وفى يومِ الأحدِ رابعَ عَشَرِه ذكَر الدرسَ بالظاهريَّةِ المذكورةِ ابنُ قاضى الزَّبَدانِيِّ عوضًا عن علاءِ الدينِ بنِ القلانِسِيِّ ، تُوفِّى ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعيانُ ، وكان يومًا مَطيرًا .

(١ - ١) فى الأصل : « مدينة أبيه » .

(٢) فى م : « ارتكاوون » وفى ص : « اركاوون » . وانظر الوافى بالوفيات ٢٣٤/٨ وفيه : أَرْبَكَوُون .

(٣) فى النسخ : « بدر » . والمثبت من ذيول العبر ص ٢٧٦، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨٠، وانظر الدارس ٤٦٢/١ نقلا عن المصنف .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

وفى أوَّلِ جُمادَى الآخرةِ وقَع غلاءٌ شديدٌ بديارِ مصرَ واشتدَّ ذلك إلى شهرِ شعبانَ[1] .

وتوجَّه خلقٌ كثيرٌ فى رجَبٍ إلى مكةَ نحوٌ مِن ألفين وخَمْسِمائةٍ ؛ منهم عزُّ الدينِ بنُ جماعةَ ، وفخرُ الدينِ النُّوَيرِىُّ ، وحسينٌ[2] السُّلامِىُّ ، وأبو الفتحِ السُّلامِىُّ ، وخلقٌ كثيرٌ .

وفى رجَبٍ كمَلَت عِمارةُ جسرِ بابِ الفرَجِ ، وعُمِل عليه باشُورَةٌ ، ورُسِم باستمرارِ [١٠/٢٠٦ظ] فَتْحِه إلى بعدَ عشاءِ الآخِرةِ كبقيَّةِ الأبوابِ ، وكان قبلَ ذلك يُغْلَقُ مِن المغربِ .

وفى سَلْخِ رَجَبٍ أُقيمتِ الجُمُعةُ بالجامعِ الذى أنشَأه نَجْمُ الدينِ بنُ خليخان[3] تُجاهَ بابِ كَيْسانَ مِن القِبْلةِ ، وخطَب به الشيخُ الإمامُ العلَّامةُ شمسُ الدينِ بنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ .

وفى ثانِى شعبانَ باشَر كتابةَ السِّرِّ بدِمشقَ القاضى علمُ الدينِ محمدُ بنُ قطبِ الدينِ أحمدَ بنِ مُفَضَّلٍ عِوضًا عن جمالِ[4] الدينِ بنِ الأثيرِ ، عُزِل وراح إلى مصرَ .

وفى يومِ الأربعاءِ رابعِ رمضانَ ذكَر الدَّرسَ بالأمِينِيَّةِ الشيخُ الإمامُ العلامةُ بهاءُ

---

(١) فى الأصل ، م : « رمضان » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٣٩٦.

(٢) فى الأصل ، م : « حسن » . وانظر الدرر الكامنة ١٤١/٢ .

(٣) فى الأصل ، م : « خيلخان » ، وفى ص : « خيلجان » . والمثبت من الدارس ٢/ ٤٢١، ومنادمة الأطلال ص ٣٧٦ .

(٤) فى النسخ : « كمال » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣٨٠ ، وانظر السلوك ٤٠٣/٢/٢ .

الدينِ بنُ إمامِ المشهدِ عوضًا عن علاءِ الدينِ بنِ القلانِسِيِّ . وفى العشرينَ مِنه خُلِع على الصدرِ نجمِ الدينِ بنِ أبى الطَّيِّبِ بنظَرِ الخزانةِ مضافًا إلى ما بيدِه من وَكالةِ بيتِ المالِ بعدَ وفاةِ ابنِ القلانِسيِّ بشُهورٍ .

وخرَج الركبُ الشامِيُّ يومَ الاثنينِ ثامن شوَّالٍ وأميرُه قُطْلُودَمُر[1] الخلِيلىُّ . وممن حجَّ فيه ؛ قاضى طَرابُلُسَ محيى الدينِ بنُ جَهْبَلٍ ، والفخرُ المصرِىُّ ، وابنُ قاضِى الزَّبَدانِىِّ ، وابنُ العزِّ الحنفِىُّ ، وابنُ غانمٍ ، والسَّخاوِىُّ ، وابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ ، وناصرُ الدينِ بنُ الرَّبْوَةِ[2] الحنفِىُّ .

وجاءَت الأخبارُ بوقْعَةٍ جرَتْ بينَ التتارِ [3]فى نصفِ رمضانَ[3] قُتِل فيها خلقٌ كثيرٌ منهم ، وانتصَر على باشا وسلطانُه الذى كان قد أقامَه - وهو موسى كاوون - على أَرْباكاوون وأصحابِه ، فقُتِل هو ووزيرُه ابنُ رشيدِ الدولةِ[4] ، وجرَت خُطوبٌ طويلةٌ ، وضربت البشائرُ بدِمَشقَ .

وفى رابعِ[5] ذِى القَعْدةِ خُلِع على ناظرِ الجامعِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ المُنَجَّا بسببِ إكمالِه البطائنَ فى الرُّواقِ الشمالىِّ والغربىِّ والشرقىِّ ، ولم يكنْ له قبلَ ذلك بطائنُ .

وفى يومِ الأربعاءِ سابع ذى الحجَّةِ ذكَر الدَّرسَ بالشِّبْلِيَّةِ القاضى نجمُ الدينِ بنُ قاضِى القُضاةِ عمادِ الدينِ الطَّرَسُوسِىِّ الحنفِىِّ ، وهو ابنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سنةً ، وحضَر

---

(١) فى ص : « فطلو دمشتق » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٩.

(٢) فى م : « البربوة » ، وفى ص : « الدرة » . وستأتى وفاته سنة أربع وستين وسبعمائة .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) كذا فى النسخ ، وفى السلوك ٢/٢/٣٩٧ : « الدين » .

(٥) زيادة من : ص .

عندَه القضاةُ والأعيانُ ، وشكَروا مِن فَضِيلتِه ونَباهتِه ، وفرِحوا لأبيهِ به .

وفيها عُزِل ابنُ النَّقيبِ عن قضاءِ حَلَبَ ، ووليَها فخرُ الدينِ بنُ خطيبِ جِبْرِينَ[1] ، ووَلِى الحِسْبةَ بالقاهرةِ ضياءُ الدينِ يوسفُ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ[2] خطيبِ بَيْتِ الآبَارِ[3] ،وخلَع عليه السلطانُ .

وفى ذِى القَعْدَةِ رَسَم السلطانُ باعتقالِ الخليفةِ المُسْتكفِى باللَّهِ وأهْلِه ، وأن يُمْنَعُوا مِن الاجتماعِ ، فآل أمرُهم كما كان فى أيامِ الظاهرِ والمَنْصورِ .

وممَّن تُوفِّى فِيها مِن الأعيانِ :

السلطانُ بو سعيدِ[4] **بنُ خَرْبَنْدَا** ، وكان آخرَ مَن اجتَمَع شَمْلُ التتارِ عليه ، ثم تفرَّقُوا مِن بعدِه .

الشيخُ المعمَّرُ الرِّحْلَةُ البَنْدَنِيجِىُّ شمسُ الدِّينِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ مَمْدُودِ[5] **ابنِ عيسَى البَنْدَنِيجِىُّ الصُّوفىُّ** ، قَدِمَ علينَا مِن بغدادَ شيخًا كبيرًا راويًا لأشْياءَ كثيرةٍ ؛ منها « صحيحُ مسلمٍ » و« التِرْمِذِىِّ » ، وغيرُ ذلكَ ، وعندَه فوائدُ ، وُلِدَ

---

(١) فى الأصل ، م : « جسربن » ، وفى ص : « جرين » . وستأتى ترجمته فى وفيات سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . وجبرين : قرية من قرى حلب . معجم البلدان ٢/ ١٩.

(٢) سقط من : م . وانظر السلوك ٢/١/ ٢٨٩.

(٣) بيت الآبار ؛ جمع بئر ، قرية يضاف إليها كورة من غُوطة دمشق فيها عدة قرى . معجم البلدان ١/ ٧٧٥.

(٤) فى النسخ وذيول العبر ص ١٩١، وشذرات الذهب ٦/ ١١٣: « أبو سعيد » . قال الصفدى : « أكثر الناس يقولون : أبو سعيد . على أنه كنيته ، والصحيح على أنه علم بلا ألف ، هكذا رأيت كتبه التى كانت تَرِدُ منه على السلطان الملك الناصر » . الوافى بالوفيات ١٠/ ٣٢٢، وانظر ترجمته أيضًا فى : الدرر الكامنة ٢/ ٢٣١، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٩، والدليل الشافى ٢/ ٨٢٨.

(٥) فى الأصل : « محمود » ، وفى ص : « مشدود » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٨٩، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٣، والسلوك ٢/٢/٤٠٦ وفيه : « شمس الدين محمد ...» ، والدرر الكامنة ٣/ ١٩٤، وشذرات الذهب ٦/ ١١٣.

سنةَ أربعٍ وأربعينَ وستِّمائةٍ ، وكان والِدُه محدِّثًا فأسمَعه أشْياءَ كثيرةً على مشايخَ عدَّةٍ ، وكان موتُه بدِمَشْقَ [(١) فى سابعِ (١)] المحرَّمِ .

قاضِى قضاةِ بغدادَ قطبُ الدينِ أبو الفضائلِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ الفضلِ التِّبْريزىُّ الشافِعِىُّ ، المعروفُ بالأَخَوَيْنِ[(٢)] ، سمِعَ شيئًا مِن الحديثِ ، واشْتَغَل بالفقهِ والأُصُولِ والمنطِقِ والعربيةِ والمعانِى والبيانِ ، وكان بارعًا فى [١٠/٢٠٧و] فنونٍ كثيرةٍ ، ودرَّس بالمستنصريةِ بعدَ العَاقُولىِّ ، وفى مدارسَ كبارٍ ، وكان حسنَ الخُلُقِ ، [(٣) كثيرَ الحنُوِّ (٣)] على الفقرَاءِ والضُّعَفاءِ ، متواضعًا ، يكتُبُ حسَنًا أيضًا ، تُوفِّى فى أواخرِ المحرَّمِ ، ودُفِن بتربةٍ له عِنْدَ دارِه ببغدادَ ، رحِمَه اللَّهُ .

الأمِيرُ صارِمُ الدِّينِ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ أبى القاسِمِ بنِ أبى الزهرِ[(٤)] ، المعروفُ بالغزالِ[(٥)] ، كانت له مطالعةٌ وعندَه شىءٌ مِن التاريخِ ، ويحاضِرُ جيدًا ، ولما تُوفِّى يومَ الجمعةِ وقْتَ الصلاةِ السادِسِ والعِشْرِينَ مِن المحرَّمِ دُفِنَ بتربةٍ له عندَ حمَّامِ العديمِ[(٦)] .

الأميرُ علاءُ الدِّينِ مُغْلَطَاى الخَازِنُ[(٧)] ، نائِبُ القلعةِ وصاحبُ التربةِ تُجاهَ الجامعِ المُظَفَّرِىِّ مِن الغَرْبِ ، كان رجلًا جيدًا ، له أوقافٌ وبِرٌّ وصَدَقَاتٌ ، تُوفِّى

(١ - ١) فى م : « رابع » . وانظر السلوك ٢/٢/٤٠٦ .

(٢) فى الأصل : « بالأخرس » ، وفى م : « بالأحوص » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٨٩ ، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٦٦ ، والدرر الكامنة ٤/ ٢٢٨ ، والدليل الشافى ٢/ ٦٧٠ وفيه أنه توفى سنة ثلاثين وسبعمائة ، وشذرات الذهب ٦/ ١١٤ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « سريع الخير » .

(٤) فى ص : « الزهراء » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر .

(٥) فى م : « بالمغزال » ، وفى ص : « بالغزالى » .

(٦) فى ص : « الأديم » .

(٧) الدرر الكامنة ٥/ ١٢٥ ، وفيه أنه توفى سنة ثلاثين وسبعمائة .

يومَ الجمعةِ بكرةَ عاشِرِ صفرٍ، ودُفِنَ بتربتِه المذْكُورةِ.

القاضِى كمالُ الدِّينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ [1] **القاضى شمسِ الدينِ أبى نصرٍ محمدِ** [1] **بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ الشِّيرازِىِّ الدِّمَشْقِىِّ** [2]، وُلِد سنةَ سَبْعين، وسَمِعَ الحديثَ، وتفقَّه على الشيخِ تاجِ الدِّينِ الفَزارِىِّ، والشيخِ زينِ الدِّينِ الفَارِقِىِّ، وحَفِظ «مختَصرَ المُزَنِىِّ»، ودرَّس فى وقتٍ بالبَادَرَائِيَّةِ، وفى وقتٍ آخَرَ بالشاميةِ البرَّانيةِ، ثم وَلِى تدريسَ الناصريةِ الجَوَّانيةِ مدةَ سِنين إلى حِينِ وفاتِه، وكان صدرًا كبيرًا، ذُكِرَ لقضاءِ قضاةِ دمشقَ غيرَ مرَّةٍ، وكانَ حسنَ المباشرةِ والشَّكْلِ، توفِّى فى ثالثِ صفرٍ، ودُفِنَ بتربتِهم بسَفْحِ قاسِيُون، رحِمه اللَّهُ.

الأميرُ ناصرُ الدِّينِ محمدُ بنُ الملكِ المسعودِ جلالِ الدِّينِ [3] **عبدِ اللَّهِ بنِ الملكِ الصالحِ إسماعيلَ بنِ العَادلِ**، كانَ شيخًا مُسِنًّا قد اعْتَنى بـ «صَحِيحِ البُخَارِىِّ» يختصِرُه، وله فهمٌ جيدٌ ولديهِ فضِيلَةٌ، وكانَ يسكُنُ المِزَّةَ، وبها توفِّى ليلَةَ السَّبْتِ خامس عشرينَ صفرٍ، وله أربعٌ وسبعونَ سنةً، ودُفِنَ بتربتِهم بالمِزَّةِ، رحِمَه اللَّهُ.

علاءُ الدِّينِ [4] **عَلِىُّ بنُ شرفِ الدينِ محمدِ بنِ محمدٍ، ابنُ القَلَانِسِىِّ**، قَاضِى العسكرِ، ووكيلُ بيتِ المالِ، ومُوَقِّعُ الدَّسْتِ، ومدرسُ الأمينيَّةِ والظاهـرِيَّةِ، وله غيرُ ذلك مِن المناصبِ، ثم سُلِبَها كُلَّها سِوَى التدريسِ،

(١ - ١) فى الأصل: «عبد اللَّه بن محمد»، وفى م: «عبد اللَّه».

(٢) ذيول العبر ص ١٩٠، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٣، والوافى بالوفيات ٨/ ١٢٧، والدرر الكامنة ١/ ٣٢١، والدارس ١/ ٢٠٩، وشذرات الذهب ٦/ ١١٢.

(٣) بعده فى الأصل: «بن». ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) بعده فى الأصل: «بن». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٩٠، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٣، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٧٤، والدرر الكامنة ٣/ ١٩٢، والدارس ١/ ١٩٨.

وبقِىَ معزولًا إلى أن تُوفِّى بكرةَ السَّبْتِ خامس عشرينَ صفرٍ، ودُفِنَ بتربتِهم.

عزُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ الشيخِ زَيْنِ الدِّينِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمودٍ العقيلِىُّ[1]، ويُعْرَفُ بابنِ القَلَانِسِىِّ، مُحْتَسِبُ دِمَشْقَ وناظِرُ الخِزَانَةِ، كانَ محمودَ المباشرةِ، ثم عُزِل عن الحِسْبَةِ واستمرَّ بالخزانةِ إلى أن تُوفى يومَ الاثنينِ تاسِعَ عشَرَ جُمَادَى الأُولَى، ودُفِنَ بقاسِيُون.

الشَّيْخُ عَلِىُّ بنُ أبِى المجدِ[2] **بنِ شرفٍ** [3]**بنِ أحمدَ بنِ أحمدَ**[3] **الحِمْصِىُّ ثم الدِّمَشْقِىُّ**، مُؤَذِّنُ الرَّبْوَةِ[4] خمسًا وأربعينَ سنةً، وله دِيوانُ شعْرٍ وتعاليقُ، وأشياءُ كثيرةٌ مما يُنْكَرُ أمرُها، وكانَ محلُولًا فى دينِه، تُوفِّى فى جُمَادَى الأُولى أيضًا.

الأميرُ شِهابُ الدِّينِ [5]**بنُ برقٍ**[5]، متولِّى دِمَشْقَ، شَهِدَ جِنازَتَه خلقٌ كثيرٌ، تُوفِّى فى ثانى[6] شعبانَ ودُفِنَ بالصَّالحيةِ، وأثْنَى عليه النَّاسُ.

الأمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ بنُ الشَّمْسِ لؤلؤٍ[7]، مُتَولِّى البَرِّ، كانَ مشكُورًا [١٠/٢٠٧ظ] أيضًا، تُوُفِّى رابعَ رمضانَ[8]، وكانَ شيخًا كبيرًا، تُوُفِّى ببستَانِه ببيتِ لِهْيا[9]، ودُفِن

---

(١) ذيول العبر ص ١٩١، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٣، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٣، والسلوك ٢/٢/ ٤٠٤، وشذرات الذهب ٦/ ١١٢.

(٢) فى ص: «محمد بن أحمد».

(٣ - ٣) ليس فى ص، وفى م: «بن أحمد». ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) فى م: «البربوة».

(٥ - ٥) فى ص: «أبرز». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ١٩٢، والسلوك ٢/٢/ ٤٠٤، والدرر الكامنة ١/ ١١٧، وشذرات الذهب ٦/ ١١٣.

(٦) فى ص: «ثامن».

(٧) ذيول العبر ص ١٩٢، والدرر الكامنة ٣/ ٦٥، وشذرات الذهب ٦/ ١١٣.

(٨) فى م: «شعبان».

(٩) فى ص: «لهنا». وبيت لهيا قال عنه ياقوت: كذا يتلفظ به، والصحيح بيت الإلهة، وهى قرية مشهورة بغوطة دمشق. معجم البلدان ١/ ٧٨٠.

بتربتِه هناك ، وترَكَ ذريةً كثيرةً ، رحِمه اللَّهُ .

عمادُ الدِّينِ إسماعيلُ بنُ شرفِ الدِّينِ محمدِ بنِ الوزيرِ فتحِ الدِّينِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ خالدِ [(١) **بنِ نصرِ بنِ** (١)] **صغيرِ بنِ القيسرانِيِّ** [(٢)] ، أحدُ كتابِ الدَّسْتِ ، وكان مِن خِيارِ الناسِ ، [(٣) مُحِبًّا للفُقراءِ (٣)] والصالحينَ ، وفيه مروءةٌ كثيرةٌ ، وكَتَب بمصرَ ، ثم صارَ إلى حلبَ كاتبَ سرِّها ، ثم انتَقَلَ إلى دِمَشْقَ فأقامَ بها إلى أن تُوفِّى ليلةَ الأحدِ ثالثَ عَشَرَ ذى القَعْدَةِ ، وصُلِّى عليه مِن الغَدِ بجَامِعِ دِمَشْقَ ، ودُفِن بالصُّوفيةِ عن خمسٍ وستِّين سنةً ، وقد سَمِع شيئًا من الحديثِ على الأَبَرْقُوهِيِّ وغيرِه .

وفى ذِى القَعْدَةِ تُوفِّى **شهابُ الدِّينِ ابنُ القديسةِ** [(٤)] المحدِّثُ ، بطريقِ الحجَازِ الشَّريفِ .

وفى ذى الحِجَّةِ تُوفِّى **الشَّمْسُ محمدٌ المؤذِّنُ** ، المعروفُ بالنجارِ ، ويعرَفُ بالبتىِّ [(٥)] ، وكانَ يتكَلَّمُ ويُنشِدُ فى المحافِلِ . واللَّهُ سبحانَه أعلَمُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، وفى م ، ص : « بن » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) فى ص : « القيس » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ١٩٣، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٧٣، والدرر الكامنة ١/ ٤٠٤، والمنهل الصافى ٢/ ٤٢٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١١.

(٣ - ٣) فى م : « محببا إلى الفقراء » .

(٤) فى الأصل : « العدية » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر .

(٥) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر .

ثم دخَلَت سنةُ سبعٍ وثلاثين وسَبعِمائةٍ[1]

استهَلَّت بيومِ الجُمُعةِ ، والخليفةُ المُستكْفِى باللَّهِ قد اعْتقَله السلطانُ الملكُ الناصرُ ، ومنَعه مِن الاجتماعِ بالناسِ ، ونائبُ الشامِ تَنْكِز بنُ عبدِ اللَّهِ الناصرِىُّ ، والقُضاةُ والمُباشرون هم المَذْكُورون فى التى قبلَها ، سِوى كاتبِ السرِّ فإنَّه علمُ الدينِ بنُ القُطْبِ ، ووَالِى البَرِّ الأميرُ بدرُ الدينِ بنُ قُطْلُوبَك بنِ شَشْنَكِير ، ووَالِى المدينةِ حُسامُ الدينِ طُرُنْطاى[2] الجُوكَنْدارِىُّ .

وفى أوَّلِ يومٍ مِنها يوم الجُمُعةِ وصَلتِ الأخبارُ بأنَّ على باشا كُسِر جيشُه ، وقيل : إنَّه قُتِل .

ووَصَلت كُتُبُ الحُجَّاجِ ؛ فى الثانى والعشرين مِن المحرمِ تَصِفُ مَشَقَّةً كثيرةً حصَلت للحُجَّاجِ ؛ مِن مَوتِ الجِمالِ ، وإلقاءِ الأحمالِ ، ومَشْيِ كثيرٍ مِن النساءِ والرجالِ ، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، والحمدُ للَّهِ على كلِّ حالٍ .

وفى أواخِرِ المحرَّمِ قدِم إلى دِمَشقَ القاضِى حسامُ الدينِ حسنُ بنُ محمدٍ الغورىُّ قاضِى بَغْدادَ ، والوزيرُ نجمُ الدينِ محمودُ بنُ علىِّ بنِ شِرْوان الكُردىُّ ، وشرفُ الدينِ عثمانُ بنُ حسنٍ البلدىُّ ، فأقامُوا ثلاثةَ أيامٍ ، ثم توجَّهوا إلى مِصرَ ، فحصَل لهم قَبولٌ تامٌّ مِن السلطانِ ، فاستَقْضَى الأوَّلَ على الحنفيةِ كما سيأتِى ،

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٣، وذيول العبر ص ١٩٤، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٧٩، والسلوك ٢/٢/٤٠٦ وفيه أن أولها السبت .

(٢) فى م : « طرقطاى » . وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٣١٨.

واستوزَر الثانىَ ، وأمَّر الثالثَ .

وفى يومِ عاشُوراءَ أُحضِر شمسُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ شهابِ الدينِ أحمدَ ابنِ اللبَّانِ الفقيهُ الشافعىُّ إلى مجلسِ الحُكْمِ الجَلالىِّ ، وحضَر معه شِهابُ الدينِ ابنُ فَضْلِ اللَّهِ ، ومجدُ الدينِ الأَقْصُرائىُّ شيخُ الشيوخِ ، وشمسُ[1] الدينِ الأصبهانىُّ ، فادُّعِىَ عليه بأشياءَ مُنْكَرةٍ مِن الحلولِ والاتحادِ ، والغُلُوِّ فى القَرْمطةِ ، وغيرِ ذلك ، فأقَرَّ ببعضِها ، فحُكِم بحقنِ دمِه ، ثم تُوُسِّطَ فى أمرِه ، وأُبْقِيَت عليه جِهاتُه ، ومُنِع مِن الكلامِ على الناسِ ، وقام فى صَفِّه جماعةٌ مِن الأُمَراءِ والأعْيانِ .

وفى صفرٍ احْتَرَق بقصرِ حَجَّاجٍ[2] حريقٌ عظيمٌ ، أتْلَف دورًا ودكاكينَ عديدةً .

وفى ربيعِ الأوَّلِ وُلِد للسلطانِ ولدٌ فدقَّت البشائِرُ ، وزُيِّنت البلدُ أيَّامًا . وفى مُنتصفِ ربيعِ الآخرِ أُمِّر الأميرُ [١٠/٢٠٨و] صارمُ الدينِ إبراهيمُ الحاجبُ الساكنُ تُجاهَ جامعِ كريمِ الدينِ طَبلَخاناه ، وهو مِن كبارِ أصحابِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وله مقاصدُ حسنةٌ صالحةٌ ، وهو فى نفسِه رجلٌ جيدٌ . وأُفْرِج عن الخليفةِ المستكفِى باللَّه ، وأُطلِق مِن البرجِ فى حادى عِشْرينَ ربيعِ الأوَّلِ[3] ، ولزِم بيتَه .

وفى يومِ الجمعةِ عِشْرينَ جُمادَى الآخرةِ أُقيمت الجمعةُ فى جامعَين بمصرَ ؛ أحدُهما أنشأه الأميرُ عِزُّ الدينِ أيْدَمُر بنُ عبدِ اللَّهِ الخَطيرىُّ[4] ، وماتَ بعدَ ذلك

---

(١) فى الأصل ، م : « شهاب » . وانظر طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨٣.

(٢) قصر حجاج : محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، وينسب إلى حجاج بن عبد الملك ابن مروان . معجم البلدان ٤/ ١١٠.

(٣) فى الأصل ، م : « الآخر » . وانظر : السلوك ٢/٢/ ٤١٦.

(٤) فى ص ، ونسخة من الدرر الكامنة ١/ ٤٥٨ : « الحظيرى » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٤٢٣.

باثْنَى عشَرَ يومًا ، رحِمه اللَّهُ ، والآخرُ أنشأتْه امرأةٌ يُقالُ لها : الستُّ حَدَق - دادَةُ[1] السلطانِ الناصرِ - عندَ قَنْطرةِ السباعِ .

وفى شعبانَ سافَر القاضِى شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ شرفِ بنِ[2] منصورٍ النائِبُ فى الحكمِ بدمشقَ إلى قضاءِ طرابُلُسَ ، وناب بعدَه فى الحكمِ الشيخُ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ النَّقيبِ البَعْلَبَكِّىُّ . وفيه خُلِع على القاضى عزِّ الدينِ بنِ جماعةَ بوَكالةِ بيتِ المالِ بمصرَ ، وعلى ضياءِ الدينِ بنِ[3] خطيبِ بيتِ الآبارِ بالحِسبةِ بالقاهرةِ ، مع ما بيدِه مِن نظَرِ الأوقافِ وغيرِه . وفيه أُمِّر الأميرُ ناصرُ الدينِ ناظرُ القدسِ بطَبْلَخَاناه ، ثم عاد إلى القدسِ .

وفى عاشرِ رمضانَ قَدِمت مِن مصرَ مُقَدَّمَتان ألفان إلى دِمشقَ ، سائرتان إلى بلادِ سِيسَ ، وفيهم علاءُ الدينِ ، فاجْتمَع به أهلُ العلمِ ، وهو مِن أفاضلِ الحنفيَّةِ ، وله مُصَنَّفاتٌ فى الحديثِ وغيرِه .

وخرَج الركبُ الشاميُّ يومَ الاثنينِ عاشر شوالٍ ، وأميرُه بهادُر قَبْجَق ، وقاضيه مُحْيى الدينِ الطرابُلُسىُّ مدرسُ الحِمْصيَّةِ ، وفى الركبِ تقىُّ الدينِ شيخُ الشيوخِ ، وعمادُ الدينِ بنُ الشِّيرازىِّ ، ونجمُ الدينِ الطرَسُوسِىُّ ، وجمالُ الدينِ المَرداوىُّ ، وصاحبُه شمسُ الدينِ بنُ مُفْلِحٍ ، والصدرُ المالكىُّ ، والشرفُ بنُ القَيسَرانىِّ ، والشيخُ خالدٌ المقيمُ عندَ دارِ الطُّعْمِ ، وجمالُ الدينِ بنُ الشهابِ محمودٍ .

---

(١) فى الأصل : « داية » . ودادة : أصلها كلمة : (دادا) الفارسية ، وتعنى : مربى الأطفال بشرط أن يكون مُسِنًّا . المعجم الذهبى ص ٢٥١. وانظر السلوك ٢/٢/ ٥٤٣، وخطط المقريزى ٣/ ٢٢٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ١٩٦، ٢٠٩.

(٢) فى ص : « الدين » . وانظر الدرر الكامنة ١/ ١٥٠.

(٣) سقط من : الأصل .

وفى ذِى القَعْدةِ وصَلتِ الأخْبارُ بأنَّ الجيشَ تَسلَّمُوا مِن بلادِ سِيسَ سبعَ قِلاعٍ، وحصَل لهم خيرٌ كثيرٌ، وللَّهِ الحمدُ، وفرِح المسلمون بذلك.

وفيه كانت وقعةٌ هائلةٌ بينَ التتارِ، انْتصَر فيها الشيخُ حسنٌ[1] وذَوُوه[2].

[3]وفى التاسعَ عشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ[3] نَفَى السلطانُ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون الخليفةَ وأهلَه وذَوِيه، وكانُوا قريبًا مِن مائةِ نَفْسٍ إلى بلادِ قُوصَ، ورَتَّب لهم هناك ما يقومُ بمصالحِهم، فإنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون.

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ:

الشيخُ علاءُ الدينِ بنُ غانمٍ، أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ سُلَيمانَ بنِ حَمائِلَ بنِ علىٍّ المقدسىُّ[4]، أحدُ الكُتَّابِ[5] المَشْهُورين بالفضائلِ وحُسْنِ التَّرسُّلِ وكثْرةِ الأدبِ والأشْعارِ والمُروءةِ التامَّةِ، مَولدُه سنةَ إحدَى وخمسين وسِتِّمائةٍ، وسمِع الحديثَ الكثيرَ، وحفِظ القرآنَ، «والتَّنْبِيهَ»، وباشَر الجِهاتِ، وقصَده الناسُ فى [6]الأُمورِ المُهِمَّاتِ[6]، وكان كثيرَ الإحسانِ إلى الخاصِّ والعامِّ، تُوفِّى مَرْجعَه مِن الحجِّ فى مَنزلةِ تبوكَ يومَ الخميسِ ثالثَ عشَرَ المحرَّمِ، ودُفِن هناك، رحِمه اللَّهُ، ثم تَبِعه أخوه **شهابُ الدينِ أحمدُ**[7] فى شهرِ رمضانَ، وكان أصغرَ

---

(١) زيادة من: ص. وانظر دول الإسلام ٢/ ٢٤٣، والسلوك ٢/٢/ ٤٠٤.

(٢) فى الأصل، ص: «ذويه».

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «وفيها». وانظر السلوك ٢/٢/ ٤١٧.

(٤) ذيول العبر ص ١٩٥، وفوات الوفيات ٣/ ٧٨، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٨١، والسلوك ٢/٢/ ٤٢٦، والدرر الكامنة ٣/ ١٧٨، وشذرات الذهب ٦/ ١١٤، وفى فوات الوفيات والدرر الكامنة: «بن سلمان».

(٥) فى الأصل، م: «الكبار».

(٦ - ٦) فى الأصل: «الأموال والمهمات».

(٧) ذيول العبر ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ٨/ ١٩، وفوات الوفيات ١/ ١٢٧، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٨٢، والمنهل الصافى ٢/ ١١٤.

مِنه سِنًّا بسنةٍ ، وكان [١٠/٢٠٨ظ] فاضلًا أيضًا ، بارعًا كثيرَ الدِّيانةِ[١] .

الشرفُ محمودٌ الحريرىُّ[٢] ، المؤَذِّنُ بالجامعِ الأُمويِّ ، بنَى حمّامًا بالنَّيْرَبِ ، ومات فى أواخرِ المحرَّمِ .

الشيخُ الصالحُ العابدُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ إبراهيمَ بنِ مِعْضادِ[٣] **ابنِ شدَّادِ بنِ ماجدِ بنِ مالكٍ الجَعْبَرِىُّ ثم المِصرىُّ**[٤] ، وُلِد سنةَ خمسين وسِتِّمائةٍ بقلعةِ جَعْبَرٍ ، وسمِع « صحيحَ مسلمٍ » وغيرَه ، وكان يَتكلَّمُ على الناسِ ويَعِظُهم ، ويَستَحضِرُ أشياءَ كثيرةً مِن التفسيرِ وغيرِه ، وكان فيه صلاحٌ وعبادةٌ ، تُوفِّى فى الرابعِ والعِشْرينَ مِن المحرَّمِ ، ودُفِن بزاوِيَتِهم عِندَ والدِه خارِجَ بابِ النَّصرِ .

الشيخُ شِهابُ الدينِ بنُ[٥] **عبدِ الحقِّ الحنفىُّ ، أحمدُ بنُ علىِّ بنِ أحمدَ بنِ علىِّ بنِ يوسفَ بنِ قاضِى الحِصْنِ**[٦] ، ويُعْرفُ بابنِ عبدِ الحقِّ الحنفىِّ ، شيخُ المذهبِ ، ومُدرِّسُ الحنفيةِ[٧] وغيرِها ، وكان بارعًا فاضلًا دَيِّنًا ، تُوفِّى فى ربيعِ الأولِ.

الشيخُ عمادُ الدينِ إبراهيمُ بنُ علىِّ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ نعمَةَ

---

(١) فى الأصل : « الدعاية » ، وفى م : « الدعابة » .

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) فى الأصل : « معضاذين » .

(٤) تذكرة النبيه ٢/ ٢٨٤، والسلوك ٢/٢/ ٤٢٧، والدرر الكامنة ٣/ ٣٨٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٣.

(٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل ، م : « الحنفيين » .وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٧/ ٢٤٦، والجواهر المضية ١/ ٢٠٧، والدرر الكامنة ١/ ٢١٧، والطبقات السنية ١/ ٣٩٩، وفى الجواهر والدرر والطبقات أنه توفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، ولم يذكر سنة وفاته فى الوافى .

(٧) فى الأصل : « العرواية » . ومطموسة تماما فى ص .

الـمَقْدِسىُّ النابُلُسِىُّ الحَنْبَلِىُّ[1] ، الإمامُ العالمُ العابدُ ، شيخُ الحنابلةِ بها ، ومُفتِيهم[2] مِن مُدةٍ طويلةٍ ، تُوفِّى فى ربيعِ الأولِ .

الشيخُ الإمامُ العابدُ الناسكُ مُحِبُّ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ المُحِبِّ عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ أبى بكرٍ[3] **محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ إسماعيلَ بنِ منصورٍ الـمَقْدِسِىُّ الحَنْبلىُّ**[4] ، سمِع الكثيرَ ، وقرَأ بنفسِه ، وكتَب الطِّباقَ ، وانتفَع الناسُ به ، وكانت له مَجالِسُ وعظٍ مِن الكتابِ والسنةِ فى الجامعِ الأُمَوِىِّ وغيرِه ، وله صوتٌ طَيِّبٌ بالقراءةِ جدًّا ، وعليه رَوحٌ وسَكينةٌ ووَقارٌ ، وكانت مَواعيدُه مُفيدةً يَنتفِعُ بها الناسُ ، وكان شيخُ الإسلامِ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميَّةَ يُحبُّه ويُحبُّ قِراءتَه ، تُوفِّى يومَ الاثنينِ سابع ربيعِ الأولِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً ، ودُفِن بقاسِيُونَ ، وشَهِد الناسُ له بالخيرِ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى ، وبلَغ خمسًا وخمسين سنةً .

المُحَدِّثُ البارعُ المُحَصِّلُ المُفِيدُ المُخَرِّجُ المُجِيدُ ، ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ طُغْرِيل ابنِ عبدِ اللَّهِ الصَّيْرَفِىُّ[5] أبُوه ، الخُوَارَزْمِىُّ الأصلِ ، سمِع الكثيرَ وقرَأ بنفسِه ، وكان سرِيعَ القراءةِ ، قرَأ[6] الكُتُبَ الكِبارَ والصِّغارَ ، وجمَع وخرَّج شيئًا كثيرًا ، وكان

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٨، وشذرات الذهب ٦/ ١١٥.

(٢) فى م : « فقيههم » ، وفى ص : « رئيسهم » .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « بن » .

(٤) ذيول العبر ص ١٩٦، ومعجم شيوخ الذهبى ص ٢٥٧، والوافى بالوفيات ١٧/ ٦٠، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٨٦، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٦، والدرر الكامنة ٢/ ٣٤٨، وشذرات الذهب ٦/ ١١٤.

(٥) ذيول العبر ص ١٩٦، والوافى بالوفيات ٣/ ١٧٢، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٨٣، والدرر الكامنة ٤/ ٧٩، والدليل الشافى ٢/ ٦٢٩، وشذرات الذهب ٦/ ١١٦.

(٦) فى ص : « كتب » .

بارعًا فى هذا الشأنِ ، رَحَل فأدْرَكَتْه مَنِيَّتُه بحَمَاةَ يومَ السبتِ ثانى عشَرَ[1] ربيعِ الأولِ ، ودُفِن مِن الغَدِ بمقابرِ طيبَةَ ، رحِمه اللَّهُ .

شيخُنا الإمامُ العالمُ العابدُ شمسُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ العَفِيفِ محمدِ بنِ الشيخِ تقىِّ الدينِ يوسفَ بنِ عبدِ المُنْعِمِ بنِ نعمَةَ الـمَقْدِسِىُّ النَّابُلُسِىُّ الحَنْبَلِىُّ[2] ، إمامُ مسجدِ الحنابلةِ بها ، وُلِد سنةَ تسعٍ[3] وأربعين وسِتِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ ، وكان كثيرَ العبادةِ ، حَسَنَ الصَّوتِ ، عليه البهاءُ والوَقارُ وحُسْنُ الشَّكلِ والسَّمتِ ، قرَأْتُ عليه عامَ ثلاثٍ وثلاثين وسبعِمائةٍ - مرجعَنا مِن القدسِ الشَّريفِ - كثيرًا مِن الأجزاءِ والفوائدِ ، وهو والدُ صاحبِنا الشيخِ جمالِ الدينِ يوسفَ أحَدِ مُفْتِى الحنابلةِ [4]وغيرِهم[4] ، والمَشهُورين بالخيرِ والصَّلاحِ ، وتُوفِّى يومَ الخميسِ ثانِى عِشْرين ربيعِ الآخِرِ ، ودُفِن هناك ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الـمَجْدِ إبراهيمَ المُرْشِدِىُّ[5] ، المُقِيمُ بمُنْيَةِ مُرْشِدٍ[6] ، يَقْصِدُه [١٠/٢٠٩و] الناسُ للزيارةِ ، ويُضِيفُ الناسَ على حسَبِ مَراتبِهم ، ويُنْفِقُ نَفَقاتٍ كثيرةً جدًّا ، ولم يكُنْ يأخُذُ مِن أحَدٍ شيئًا فيما يَبْدُو للناسِ ، واللَّهُ أعلمُ بحالِه ، وأصلُه مِن قريةِ دَهْرُوطَ ، وأقام بالقاهرةِ مدَّةً ، واشتَغَل بها ، ويُقالُ : إنَّه قرَأ « التَّنْبِيهَ » فى الفقهِ ، ثم انقَطَع بمُنْيَةِ مُرْشِدٍ ، واشتَهَر أمرُه فى

---

(١) سقط من : م .

(٢) ذيول العبر ص ١٩٧ ، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٤ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٨ ، والدرر الكامنة ٢/ ٤١٠ ، وشذرات الذهب ٦/ ١١٥ .

(٣) فى م : « سبع » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) ذيول العبر ص ١٩٨ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٥٤ ، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٧٩ ، والدرر الكامنة ٤/ ٨٢ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٣ ، وحسن المحاضرة ١/ ٥٢٥ .

(٦) منية مرشد : قرية بمصر من أعمال الغربية . انظر تاج العروس (ر ش د) ، والقاموس الجغرافى ٢/ ٢/ ١١٦ .

الناسِ ، وحجَّ مرَّاتٍ ، وكان إذا دخَل القاهرةَ يَزْدَحِمُ الناسُ عليه ، ثم كانت وفاتُه يومَ الخميسِ ثامن رمضانَ ، ودُفِن بزاوِيَتِه ، وصُلِّىَ عليه بالقاهرةِ ودِمَشْقَ وغيرِ ذلك مِن البلادِ .

الأميرُ أسَدُ الدينِ عبدُ القادرِ بنُ المُغيثِ عبدِ العزيزِ بنِ الملكِ المُعظَّمِ عيسى ابنِ العادلِ[1] ، وُلِد سنةَ ثِنتَيْن وأربعين وسِتِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ وأَسمَع ، وكان يأتِى كلَّ سنةٍ مِن مِصرَ إلى دِمَشْقَ ، ويُكرِمُ أهلَ[2] الحديثِ ، ولم يَبقَ بعدَه مِن بَنِى أيوبَ أعلى سِنًّا مِنه ، تُوفِّى بالرَّمْلَةِ فى سَلْخِ رمضانَ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الصالحُ الفاضلُ حُسَينُ[3] **بنُ إبراهيمَ بنِ حُسَينٍ**[3] **الجَاكِىُّ**[4] **الحِكْرِىُّ** ، إمامُ مسجدٍ هناك ، ومُذَكِّرُ الناسِ فى كلِّ جُمُعةٍ ، ولدَيْه فضائلُ ، وفى كلامِه نفْعٌ كثيرٌ ، إلى أن تُوفِّى فى العشرين مِن شوَّالٍ ، ولم يَرَ الناسُ مثلَ جِنازتِه بديارِ مِصرَ ، رحِمه اللَّهُ تعالَى .

---

(١) ذيول العبر ص ١٩٩، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٨٦، والسلوك ٢/٢/ ٤٢٦، والدرر الكامنة ٣/ ٣، والمنهل الصافى ٧/ ٣١٩، وشذرات الذهب ٦/ ١١٥.

(٢) فى الأصل : « لهذا » .

(٣) فى الأصل ، م : « حسن » . وانظر ترجمته فى : السلوك ٢/٢/ ٤٢٦.

(٤) فى الأصل ، م : « الحاكى » ، وفى ص : « المالكى » . والجاكى : نسبة إلى جامع شرف الدين الجاكى بسُوَيقة الرِّيش ، والمذكور فى السلوك باسم : « جامع الحاكمى » . انظر : خطط المقريزى ٣/ ٢٢٩، والسلوك ٢/٢/ ٥٤٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٠٠.

ثم دخلَت سنةُ ثمانٍ وثلاثين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت بيومِ الأربِعاءِ، والخليفةُ المستكفِى مَنفىٌّ ببلادِ قُوصَ، ومعه أهلُه وذَوُوه ومَن يَلوذُ به، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ الملكِ المنصورِ، ولا نائبَ بديارِ مصرَ ولا وزيرَ، ونائبُه بدِمَشْقَ تَنْكِز، وقضاةُ البلادِ ونوَّابُها ومباشرُوها هم المَذكورون فى التى قبلَها.

وفى ثالثِ ربيعِ الأولِ رسَم السلطانُ بتَسْفيرِ علىٍّ ومحمدٍ ابنَىْ داودَ بنِ سليمانَ بنِ داودَ بنِ العاضدِ آخرِ خلفاءِ الفاطميِّين إلى الفَيُّومِ[2] يُقيمون به.

وفى يومِ الجمعةِ ثانى عشرَ ربيعِ الآخِرِ عُزِل القاضى علمُ الدينِ بنُ القطبِ مِن كتابةِ السِّرِّ، وضُرِب وصُودِر، ونُكِب بسببِه القاضى فخرُ الدينِ المِصرِىُّ، وعُزِل عن مدرستِه الدَّوْلَعِيَّةِ[3]، وأخَذها ابنُ جُمْلةَ، والعادليَّةِ الصغيرةِ، وباشَرَها ابنُ النقيبِ، ورُسِّم عليه بالعَذْراوِيَّةِ مائةَ يومٍ، وأُخِذ شىءٌ مِن مالِه.

وفى ليلةِ الأحدِ ثالث عشرين ربيعِ الأولِ بعدَ المغربِ هبَّت ريحٌ شديدةٌ بمصرَ، وأعْقَبها رَعْدٌ وبَرْقٌ وبَرَدٌ بقدرِ الجَوْزِ، وهذا شىءٌ لم يُشاهَدْ مثلُه مِن أعصارٍ متطاوِلةٍ بتلك البلادِ.

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٥، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٨٩، والسلوك ٢/٢/ ٤٢٧.

(٢) الفيوم: فى موضعين؛ أحدهما؛ أحدهما ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، والآخر موضع قريب من هِيت بالعراق وانظر: معجم البلدان ٣/ ٩٣٣.

(٣) فى الأصل: «الرواحية». وانظر الدارس ١/ ٢٤٦.

وفى عاشِرِ جُمادَى الأُولى استهَلَّ الغيثُ بمكةَ مِن أولِ الليلِ ، فلمَّا انتصَف الليلُ جاء سيلٌ عظيمٌ هائلٌ لم يُرَ مثلُه مِن دهرٍ طويلٍ ، فخرَّب دورًا كثيرةً نحوًا مِن ثلاثين أو أكثرَ ، وغرَّق جماعةً ، وكسَر أبوابَ المسجدِ ، ودخَل الكعبةَ ، وارتفَع فيها نحوًا مِن ذراعٍ أو أكثرَ ، وجرَى أمرٌ عظيمٌ ، حكاه الشيخُ عفيفُ الدينِ المَطَرِىُّ[1] .

وفى سابعِ عشرين مِن جُمادَى الأُولى عُزِل القاضى جلالُ الدينِ القَزْوِينِىُّ عن قضاءِ مصرَ ، واتَّفَق وصولُ خبرِ موتِ قاضى الشامِ ابنِ المَجْدِ [2]بعدَ أن عُزِل بيَسيرٍ[2] ، فولَّاه السلطانُ قضاءَ الشامِ ، فسَار إليها راجعًا عَودًا على بَدءٍ ، ثم عزَل السلطانُ برهانَ الدينِ بنَ عبدِالحقِّ قاضىَ الحنفيةِ ، وعزَل قاضىَ الحنابلةِ تقىَّ الدينِ ، ورسَم على ولدِه صدرِ الدينِ [١٠/٢٠٩ظ] بأداءِ دُيونِ الناسِ إليهم ، وكانت قريبًا مِن ثلاثِمائةِ ألفٍ . فلمَّا كان يومُ الاثنينِ تاسعَ عشَرَ جُمادَى الآخِرةِ بعدَ سفَرِ جلالِ الدينِ بخمسةِ أيامٍ طلَب السلطانُ أعيانَ الفقهاءِ إلى بينِ يدَيْه ، فسَألَهم عمَّن يَصلُحُ للقضاءِ بمصرَ ، فوقَع الاختيارُ على القاضى عزِّ الدينِ بنِ جماعةَ ، فوَلَّاه فى الساعةِ الراهنةِ ، ووَلَّى قضاءَ الحنفيةِ لحسامِ الدينِ حسنِ بنِ محمدٍ الغُورِىِّ[3] البغدادىِّ قاضى بغدادَ ، وخرَجا مِن بينِ يدَيْه إلى المدرسةِ الصالحيةِ[4] ، وعليهما الخِلَعُ ، ونزَل عزُّ الدينِ بنُ جماعةَ عن دارِ الحديثِ الكامليةِ لصاحبِه الشيخِ عمادِ الدينِ الدِّمياطىِّ ، فدرَّس بها ، وأورَد حديثَ : « إنَّما الأعمالُ

---

(١) فى م : « الطبرى » . وانظر طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٤.

(٢ - ٢) سقط من : ص . وانظر السلوك ٢/٢/ ٤٤٤.

(٣) فى الأصل : « بن الغورى » . وانظر : الجواهر المضية ٢/ ٨٧، والطبقات السنية ٣/ ١٠٧.

(٤) فى الأصل : « الصلاحية » . وانظر خطط المقريزى ٣/ ٣٣٣.

بالنياتِ »[1] . بسنَدِه ، وتكلَّم عليه ، وعزَل[2] نُوّابَ الحُكمِ[3] ، واستَمرَّ بالمُناوِيِّ[4] الذى أشار بتوليتِه .

ولمَّا كان يومُ خامسِ عشرين منه وَلِى قضاءَ الحنابلةِ الإمامُ العالمُ موفَّقُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ المقدسىُّ ، عِوَضًا عن المعزولِ ، ولم يَبْقَ مِن القُضاةِ سِوى الأَخْنائِيِّ المالكىِّ .

وفى رمضانَ فُتِحت الصبَّابِيَّةُ التى أنشأها شمسُ الدينِ بنُ تقىِّ الدينِ بنِ الصَّبَّابِ التاجرُ دارَ قرآنٍ ودارَ حديثٍ ، وقد كانت خربةً شنيعةً قبلَ ذلك .

وفى رمضانَ باشَر علاءُ الدينِ علىُّ بنُ القاضى محيى الدينِ بنِ فضلِ اللَّهِ كتابةَ السِّرِّ بمصرَ ، بعدَ وفاةِ أبيه كما ستأتى ترجمتُه ، وخُلِع عليه وعلى أخيه بدرِ الدينِ ، ورُسِم لهما أن يحضُرا مجلسَ السلطانِ ، وذهَب أخوه شهابُ الدينِ إلى الحجِّ .

وفى هذا الشهرِ سقَط بالجانبِ الغربىِّ مِن مصرَ بَرَدٌ كالبيضِ وكالرمَّانِ ، فأتلَف شيئًا كثيرًا . ذكَر ذلك البِرْزالىُّ ، ونقَله مِن كتابِ الشهابِ الدِّمياطىِّ .

وفى ثالثِ عشرين[5] رمضانَ درَّس بالقبةِ المنصوريةِ بمَشيخةِ الحديثِ شهابُ الدينِ العَسْجَدِىُّ[6] ، عِوَضًا عن زينِ الدينِ الكَتَّانىِّ[7] ، تُوُفِّى ، فأورَد حديثًا مِن

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٣/ ٢٦٠، ٤٥٠.

(٢) بعده فى الأصل، م : «أكثر» .

(٣) بعده فى م : «واستمر بعضهم» ، وفى ص : «واستمر ببعضهم» . وفى السلوك ٢/٢/٤٤٣ أنه لم يبق على أحد من النواب .

(٤) فى النسخ : «المنادى» . وستأتى وفاته فى سنة خمس وستين وسبعمائة . وانظر السلوك الموضع السابق .

(٥) فى ص : «عشر» .

(٦) فى الأصل : «العنجدى» . وانظر طبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٨٦.

(٧) فى الأصل، م : «الكنانى» . وستأتى ترجمته فى وفيات هذه السنة .

« مسندِ الشافعىِّ » بروايتِه عن الجاولِىِّ بسندِه ، ثم صُرِف عنها فى ذى الحِجَّةِ بالشيخِ أثيرِ[1] الدينِ أبى حيانَ ، فسَاق حديثًا عن شيخِه ابنِ الزبيرِ ، ودعا للسلطانِ ، وحضَره القضاةُ والأعيانُ ، وكان مجلسًا حافلًا .

وفى ذى القَعدةِ حضَر تدريسَ الشاميةِ البرانيةِ قاضى القضاةِ شمسُ الدينِ بنُ النقيبِ ، عِوَضًا عن القاضى جمالِ الدينِ بنِ جُمْلَةَ ، تُوُفِّى ، وحضَر عندَه خلقٌ كثيرٌ مِن الفقهاءِ والأعيانِ .

وفى ثانى ذى الحِجَّةِ درَّس بالعادليةِ الصغيرةِ تاجُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ قاضى القضاةِ جلالِ الدينِ القزوينىِّ ، عِوَضًا عن ابنِ النقيبِ بحكمِ ولايتِه الشاميةَ البرانيةَ ، وحضَر عندَه القضاةُ والأعيانُ .

وفى هذا الشهرِ درَّس صدرُ الدينِ بنُ القاضى جلالِ الدينِ بالأتابَكيةِ ، وأخوهما الخطيبُ بدرُ الدينِ بالغزَّاليةِ والعادليةِ نيابةً عن أبيه .

وممَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ :

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدينِ محمدُ بنُ فخرِ الدينِ عيسى بنِ التُّرْكُمانىِّ[2] ، بانى جامعِ المِقياسِ[3] بديارِ مصرَ فى أيامِ وِزارتِه بها ، ثم عُزِل عنها أميرًا إلى الشامِ ، ثم رجَع إلى مصرَ فتُوفِّى بها فى خامسِ ربيعِ الآخرِ ، ودُفِن[4] بالحُسينيةِ ، وكان مشكورًا .

---

(١) فى الأصل : « أمين » . وانظر الوافى بالوفيات ٥/ ٢٦٧، ٢٦٨.
(٢) الدرر الكامنة ٤/ ٢٤٩.
(٣) فى الأصل : « المقتبى » . وانظر خطط المقريزى ٣/ ١٨٦.
(٤) فى م ، ص : « توفى » .

الشيخُ [١٠/٢١٠و] **الإمامُ العالمُ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ البُرْهَانِ**[١] ، شيخُ الحنفيةِ بحلبَ ، شرَح « الجامعَ الكبيرَ » ، وكان رجلًا صالحًا منقطعًا عن الناسِ ، وانتفَع الناسُ به ، وكانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ الثامِن والعشرين مِن رجبٍ ، وكانت له معرفةٌ بالقُرْآنِ والقراءاتِ والعربيةِ ، ومشاركاتٌ فى علومٍ أُخَرَ ، رحِمه اللَّهُ .

قاضى القضاةِ شهابُ الدينِ محمدُ بنُ المجدِ[٢] **عبدِ اللَّهِ بنِ الحسينِ بنِ علىٍّ الزُّرْزارىُّ**[٣] **الإرْبِلىُّ الأصلِ ، ثم الدمشقىُّ الشافعىُّ** ، قاضى قُضاةِ الشافعيةِ بدمشقَ ، ولِد سنةَ ثنتينِ وستِّين وستِّمائةٍ ، واشتغَل وبرَع وحصَّل وأفْتَى سنةَ ثلاثٍ وتسعين ، ودرَّس بالإقباليةِ ثم الرواحيةِ وتربةِ أمِّ الصالحِ ، وولِى وكالةَ بيتِ المالِ ، ثم صار قاضىَ قضاةِ الشامِ إلى أن تُوفِّى فى مستهلِّ جُمادى الأُولى[٤] بالمدرسةِ العادليةِ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الإمامُ العالمُ زينُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الشيخِ زينِ الدينِ عمرَ بنِ مكىِّ بنِ عبدِ الصمدِ بنِ المُرَحِّلِ[٥] ، مدرسُ الشاميةِ البرانيةِ والعذراويةِ[٦] بدمشقَ ، وكان قبلَ ذلك بمَشْهَدِ الحُسَيْنِ ، وكان فاضلًا بارعًا فقيهًا أصوليًّا

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٧، والجواهر المضية ١/ ١٤٩، والطبقات السنية ١/ ٢٦٠.

(٢) بعده فى م ، ص : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٠١، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٧٣، والسلوك ٢/٢/ ٤٥٦، والدرر الكامنة ٤/ ٨٦، والدليل الشافى ٢/ ٦٤٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٤.

(٣) فى الأصل : « الزوزارى » . م ، ص : « الرازى » ، وفى الوافى بالوفيات : « الزدزارى » . والمثبت من الدرر الكامنة والدليل الشافى والنجوم الزاهرة .

(٤) فى الأصل : « الآخرة » .

(٥) ذيول العبر ص ٢٠٣، والوافى بالوفيات ٣/ ٣٧٤، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٥٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٦٢، والدرر الكامنة ٤/ ٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ١١٨.

(٦) بعده فى الأصل : « ولد » .

مناظرًا ، حسنَ الشكلِ ، طيبَ الأخلاقِ ، [1]حسنَ التدريسِ[1] ، دينًا صينًا ، ونابَ فى وقتٍ عن الأَخْنَائىِّ فى الحكمِ فحُمِدَتْ سيرتُه ، تُوفِّى ليلةَ الأربعاءِ تاسعَ عشرَ[2] رجبٍ ، ودُفِن مِن الغدِ عندَ مسجدِ الذبانِ فى تربةٍ لهم هناك ، وحضَر جنازتَه خلقٌ كثيرٌ والقاضى جلالُ الدينِ ، وكان قدِم مِن مصرٍ له يومانِ ، وقدِم بعدَه[3] ابنُ[4] عبدِ الحقِ بخمسةِ أيامٍ هو وأهلُه وأولادُه ، وباشَر بعدَه تدريسَ الشاميةِ البرانيةِ ابنُ جُمْلَةَ ، تُوفِّى بعدَه بشهورٍ ، وذلك يومَ الخميسِ رابعَ عشرَ ذى القعدةِ ؛ وهذه ترجمتُه من تاريخِ الشيخِ علمِ الدينِ البرزالىِّ :

تُوفِّى الشيخُ الإمامُ العالم قاضى القضاةِ جمالُ الدينِ أبو المحاسنِ يوسفُ ابنُ إبراهيمَ بنِ جُمْلَةَ بنِ مسلمِ بنِ تَمَّامٍ[5] بنِ حسينِ بنِ يوسفَ الصالحىُّ الشافعىُّ المَحَجِّىُّ والده ، بالمدرسةِ المسروريةِ ، وصُلِّى عليه عَقيبَ الظهرِ يومَ الخميسِ رابعَ عشرَ[6] ذى القعدةِ[7] ، ودُفِن بسفحِ قاسيونَ ، ومولدُه فى أوائلِ سنةِ ثنتين وثمانين وستِّمائةٍ ، وسمِع مِن ابنِ البخارىِّ وغيرِه ، وحدَّث ، وكان رجلًا فاضلًا فى فنونٍ ، اشتغَل وحصَّل وأفتى وأعاد ودرَّس ، وله فضائلُ جمةٌ ومباحثُ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى الأصل : « عشرين » . وهو خطأ ؛ فإن الثامن والعشرين من رجب وافق يوم الجمعة ، كما مر قريبا فى ترجمة ابن البرهان . وانظر طبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٦٢.

(٣) فى الأصل : « بعد » .

(٤) فى م : « برهان الدين » .

(٥) فى م ، ص : « همام » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٠٢، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٤، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٩٢، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٣٩١، والدرر الكامنة ٥/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٦/ ١١٩.

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى م ، ص : « الحجة » .

وفوائدُ وهمةٌ عاليةٌ وحرمةٌ وافرةٌ ، وفيه تودّدٌ وإحسانٌ وقضاءٌ للحقوقِ ، وولِى القضاءَ بدمشقَ نيابةً واستقلالًا ، ودرَّس بمدارسَ كبارٍ ، [1]ومات[1] وهو مدرسُ الشاميةِ البرانيةِ ، وحضَر جنازتَه خلقٌ كثيرٌ مِن الأعيانِ ، رحِمه اللَّهُ .

الشيخُ الإمامُ شيخُ الإسلام قاضى القضاةِ شرفُ الدينِ أبو القاسمِ هبةُ اللَّهِ ابنُ قاضى القضاةِ نجمِ الدينِ[2] عبدِ الرحيمِ بنِ القاضى شمسِ الدينِ [3]أبى الطاهرِ[3] إبراهيمَ بنِ هبةِ اللَّهِ [4]بنِ المسلمِ بنِ هبةِ اللَّهِ الجُهَنِىِّ[4] الحمويُّ ، المعروفُ بابنِ البارِزِىِّ ، قاضى القضاةِ بحماةَ ، صاحبُ التصانيفِ الكثيرةِ المفيدةِ فى الفنونِ العديدةِ ، وُلِد فى خامسِ رمضانَ سنةَ خمسٍ وأربعين وستِّمائةٍ ، وسمِع الكثيرَ وحصَّل فنونًا كثيرةً ، وصنَّف [١٠/٢١٠ظ] كتبًا كثيرةً جمةً ، وكان حسنَ الأخلاقِ ، كريمَ[5] المحاضرةِ ، حسنَ الاعتقادِ فى الصالحينَ ، وكان مُعَظَّمًا عندَ الناسِ ، وقد أذِن لجماعةٍ مِن الطلبةِ[6] فى الإفتاءِ ، وعمِى فى آخرِ عُمرِه وهو يَحْكُمُ مع ذلك مدةً ، ثم نزَل عن المنصبِ لحفيدِه نجمِ الدينِ عبدِ الرحيمِ بنِ إبراهيمَ ، وهو مع ذلك لا يقطعُ نظرَه عن المنصبِ ، تُوفِّى ليلةَ الأربعاءِ العشرينِ مِن ذى القعدةِ بعد أن صَلَّى العشاءَ والوترَ ، فلم تَفُتْه فريضةٌ ولا نافلةٌ ، وصُلِّى عليه مِن الغدِ ، ودُفِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٠٢، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣١٩، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٢٨٢، والدرر الكامنة ٥/ ١٧٤، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٥.

(٣ - ٣) فى الأصل : « ابن الظاهر » . وانظر السلوك ٢/٢/ ٤٥٧.

(٤ - ٤) فى الأصل : « الجهينى » ، وفى م : « بن مسلم بن هبة اللَّه الجهينى » ، وانظر المصدر السابق ، وذيول العبر ص ٢٠٢.

(٥) فى م : « كثير » .

(٦) فى م ، ص : « البلد » .

(١ بعَقَبَةِ بَعْرِينَ ١) ، وله مِن العمرِ ثلاثٌ وتسعون سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

القاضى محيى الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ كاتبُ السِّرِّ(٢) ؛ هو أبو المعالى يحيى بنُ فضلِ اللَّهِ بنِ المُجَلِّى(٣) بنِ دَعْجانَ بنِ خلفٍ العَدَوِىُّ العُمَرِىُّ ، وُلِد فى حادى عشرَ شوالٍ سنةَ خمسٍ وأربعين وستِّمائةٍ بالكَرَكِ ، وسمِع الحديثَ وأسْمَعه ، وكان صدرًا كبيرًا مُعَظَّمًا فى الدولةِ فى حياةِ أخيه شرفِ الدينِ وبعدَه ، كتَب السِّرَّ بالشامِ وبمصرَ ، تُوفِّى ليلةَ الأربعاءِ تاسع رمضانَ بمصرَ ، ودُفِن مِن الغدِ بالقرافةِ ، وتولَّى المنصبَ بعدَه ولدُه القاضى علاءُ الدينِ ، وهو أصغرُ أولادِه الثلاثةِ المعينين بهذا المنصبِ .

الشيخُ الإمامُ العلامةُ زينُ الدينِ بنُ الكَتَّانِىِّ(٤) ، شيخُ الشافعيةِ بمصرَ ، وهو أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ (٥أبى الحَرَمِ٥) بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يونسَ الدمشقىُّ الأصلِ ، وُلِد بالقاهرةِ فى حدودِ سنةِ (٦ثلاثِ خمسين٦) وستِّمائةٍ ، واشتغَل

(١ - ١) فى الأصل : « بعقيبة نقيرين » ، وفى م : « بعقبة نقيرين » ، وفى ص : « بعقبة بعيرين » .
وبعرين : بليد بين حمص والساحل . معجم البلدان ١/ ٦٧٢. قال ياقوت : هكذا تتلفظ به العامة ، وهو خطأ ، وإنما هو بارين .
(٢) ذيول العبر ص ٢٠١، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٤، والسلوك ٢/٢/ ٤٥٧، والدرر الكامنة ٥/ ١٩٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٦.
(٣) فى النسخ : « المحلى » . والمثبت من مصادر الترجمة .
(٤) ذيول العبر ص ٢٠٣، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٧٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٥٨، والدرر الكامنة ٣/ ٢٣٧.
ويعرف أيضا بالكتنانى - بزيادة نون - كما ذكر الحافظ ابن حجر فى تبصير المنتبه ٣/ ١٢٠٨.
(٥ - ٥) فى م ، وذيول العبر ، وطبقات الإسنوى : « أبى الحزم » . وفى ص : « الحزم » .
(٦ - ٦) فى الأصل ، ص : « خمسين » .

بدمشقَ، ثم رحَل إلى مصرَ واستوطَنها، وتولَّى بها بعضَ الأقْضِيَةِ بالحكرِ[1]، ثم نابَ عن الشيخِ تقيِّ الدينِ بنِ دقيقِ العيدِ فحُمِدَتْ سيرتُه، ودرّس فى مدارسَ كبارٍ، وولِى مشيخةَ حديثٍ بالقبةِ المنصوريةِ، وكان بارعًا فاضلًا، عندَه فوائدُ جمةٌ كثيرةٌ جدًّا، غيرَ أنَّه كان سَيِّئَ الأخلاقِ منقبضًا عن الناسِ، لم يتزوَّجْ قطُّ، وكان حَسَنَ الشكلِ بهيَّ المنظرِ، يأكُلُ الطيباتِ، ويلبَسُ اللَّيِّنَ مِن الثيابِ، وله فوائدُ وزوائدُ على «الرَّوْضَةِ» وغيرِها، وكان فيه استهتارٌ ببعضِ العلماءِ، فاللَّهُ يسامِحُه، تُوفِّى يومَ الثلاثاءِ نصف رمضانَ، ودُفِن بالقرافةِ، رحِمه اللَّهُ.

الشيخُ الإمامُ العلامةُ ركنُ الدينِ بنُ القَوْبَعِ[2]، أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ[3] بنُ محمدِ[3] بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الجليلِ القرشيُّ[4] الهاشميُّ الجعفريُّ التونسيُّ المالكيُّ، المعروفُ بابنِ القوبعِ، كان مِن أعيانِ الفضلاءِ وسادةِ الأذكياءِ، وممَّن جمَع الفنونَ الكثيرةَ، والعلومَ الغزيرةَ الدينيةَ الشرعيةَ [5]والطبِّيةَ[5]؛ وكان مدرسًا بالمَنْكُوتَمُرِيَّةِ، وله وظيفةٌ فى المارستانِ

---

(١) فى الأصل، ص: «بالبر».
والحكر هو المكان المعروف بظاهر القاهرة. طبقات الإسنوى ١/ ٤٥٩، وانظر فهارسه. وانظر شذرات الذهب ٦/ ١١٧.

(٢) فى الأصل: «الفريع». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ١/ ٢٣٨، والدرر الكامنة ٤/ ٢٩٩، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٥.
وفى الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢: «القوبع على الألسنة بضم القاف، ونقل ابن رافع عنه أنه قال: إنه بفتح القاف، وذكر عن بعض المغاربة أن القوبع طائر». وفى بغية الوعاة ١/ ٢٢٦: «بفتح القاف فيما اشتهر على الألسنة، وقيل: هو بضمها. وهو طائر».

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) فى م: «الوسى».

(٥ - ٥) فى م، ص: «الطيبة». وانظر الدرر الكامنة ٤/ ٢٩٩.

المنصوريِّ ، وبها تُوفِّى فى بُكْرَةِ السابعَ عشرَ[1] مِن ذى الحجةِ [2]عن أربعٍ وسبعين سنةً[2] وترَك مالًا وأثاثًا كثيرًا ورِثه بيتُ المالِ[3] .

قلتُ : فهذا آخرُ ما أرَّخَه شيخُنا الحافظُ علمُ الدينِ البرزاليُّ فى كتابِه الذى ذيَّل به على « تاريخِ الشيخِ شهابِ الدينِ أبى شامةَ » [4]وقد كانت وفاةُ البرزاليِّ فى العامِ القابلِ وهو مُحْرِمٌ بمَنْزِلَةِ خُلَيْصٍ[5][4] ، وقد ذيَّلتُ على [١٠/٢١١و] « تاريخِه » رحِمه اللَّهُ إلى زمانِنا هذا ، وكان فراغى مِن الانتقاءِ من تاريخِه فى يومِ الأربِعاءِ العشرين مِن جُمادى الآخرةِ مِن سنةِ إحدى وخمسين وسبعِمائةٍ ، أحسَن اللَّهُ خاتمتَها ، آمين[6] .

---

(١) فى الوافى بالوفيات ١/٢٤٧ أنه توفى فى تاسع ذى الحجة .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل : « واللَّه سبحانه وتعالى أعلم والحمد للَّه وأستغفر اللَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « المقدسى » .

(٥) حصن : بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٢/ ٤٦٧ .

(٦) بعده فى الأصل : « إلى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إلى زماننا هذا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين » .

وفى م ، ص : « وإلى هنا انتهى ما كتبته من خلق آدم إلى زماننا هذا وللَّه الحمد والمنة وما أحسن ما قال الحريرى :

وإن تجد عيبا فسد الخللا ... فجل من لا عيب فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن ضوء القرشى الشافعى عفا اللَّه تعالى عنه آمين » .

وإلى هنا انتهت مخطوطة المكتبة الأحمدية والتى أشرنا إليها برمز « الأصل » بداية من ٣/ ١٠٠، وقد اعتمدنا مخطوطة دار الكتب المصرية - المشار إليها بالرمز « ص » - أصلا ، وستجد أرقامها بين معقوفين ، واللَّه المستعان .

ثم دخلَت سنةُ تسعٍ وثلاثين وسبعِمائةٍ[1]

استَهَلَّتْ وسلطانُ الإسلامِ والمسلمين بالديارِ المصريةِ وما والاها والديارِ الشاميةِ وما والاها والحرمينِ الشريفينِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ الملكِ المنصورِ قلاوون ، ولا نائبَ له ولا وزيرَ أيضًا بمصرَ ، وقضاةُ مصرَ ؛ أمَّا الشافعيُّ فقاضى القضاةِ عزُّ الدينِ بنُ قاضى القضاةِ بدرِ[2] الدينِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ جماعةَ ، وأمَّا الحنفيُّ فقاضى القضاةِ حسامُ الدينِ الغُورِيُّ حسنُ بنُ محمدٍ ، وأمَّا المالكيُّ فتَقِيُّ الدين الأَخْنائيُّ ، وأمَّا الحنبليُّ فَمُوَفَّقُ[3] الدينِ بنُ نَجا المقدسيُّ ، ونائبُ الشامِ الأميرُ سيفُ الدينِ تَنْكِز ، وقضَاتُه ؛ جلالُ الدينِ القزوينيُّ الشافعيُّ المعزولُ عن الديارِ المصريةِ ، والحنفيُّ عمادُ الدينِ الطَّرَسُوسِيُّ ، والمالِكِيُّ شرفُ الدينِ الهَمْدَانِيُّ ، والحنبليُّ علاءُ الدينِ بنُ المُنَجَّا التَّنُوخِيُّ .

ومما حدَث فى هذه السنةِ إكمالُ دارِ الحديثِ السكريَّةِ ، وباشَر مشيخةَ الحديثِ بها الشيخُ الإمامُ الحافظُ مؤرِّخُ الإسلامِ محمدُ بنُ أحمدَ الذهبيُّ ، وقُرِّرَ فيها ثلاثون محدِّثًا لكلٍّ منهم جرايةٌ وجَامَكِيَّةٌ ، كلَّ شهرٍ سبعةُ دراهمَ ونصفُ رَطْلِ خبزٍ ، وقُرِّر للشيخِ ثلاثون ورَطْلُ خبزٍ ، وقُرِّر فيها ثلاثون نفرًا

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/٣٢٣، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠٠، وتذكرة النبيه ٢/ ٢٩٩، والسلوك ٢/٢/٤٥٧.

(٢) فى النسختين : « صدر » . وتقدمت ترجمة بدر الدين بن جماعة فى وفيات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

(٣) فى الأصل : « فتقى » .

يقرءُون القرآنَ ، لكلِّ عَشَرَةٍ شيخٌ ، ولكلِّ واحدٍ مِن القراءِ نظيرُ ما للمحدِّثِين ، ورُتِّب لها إمامٌ وقارئُ حديثٍ ونوابٌ ، ولقارئِ الحديثِ عشرون درهمًا وثمانِ أواقِ خبزٍ ، وجاءت فى غايةِ الحسنِ فى شكالتِها[1] وبنائها ، وهى تُجَاهَ دارِ الذهبِ التى أنشأها الواقفُ الأميرُ تَنْكِز ، ووقف عليها عدَّة أماكنَ ؛ منها سوقُ القَشّاشِين ببابِ الفرجِ ، طولُه عشرون ذراعًا شرقًا وغربًا ، سمَّاه فى كتابِ الوقفِ ، وبَنْدَرُ زبدين[2] ، وحمّامٌ بحمصَ وهو الحمّامُ القديمُ ، ووقَف عليها حصصًا فى قَرايا أُخَرَ ، ولكنَّه تغلَّب على ما عدا القشاشين ، وبَنْدَر زبدين ، وحمّامَ حمصَ .

وفيها قدِم القاضى تقىُّ الدينِ علىُّ [٤/١٤٣] بنُ عبدِ الكافى السُّبْكىُّ الشافعىُّ مِن الديارِ المصريةِ حاكمًا على دمشقَ وأعمالِها ، ففرِح الناسُ به ، ودخَل الناسُ يُسَلِّمون عليه لعلمِه وديانتِه وأمانتِه ، ونزَل بالعادليةِ الكبيرةِ على عادةِ مَن تقدَّمَه ، ودرَّس بالغزّاليةِ والأتابَكيةِ ، واستنابَ[3] ابنَ عمِّه القاضىَ بهاءَ الدينِ أبا البقاءِ ، ثم استنابَ[3] ابنَ عمِّه أبا الفتحِ . وكانت ولايتُه الشامَ بعدَ وفاةِ قاضى القضاةِ جلالِ الدينِ محمدِ بنِ [4]عبدِ الرحمنِ[4] القزوينىِّ الشافعىِّ ، على ما سيأْتى بيانُه فى الوفَياتِ مِن هذه السنةِ .

ومِمَّن تُوفِّى فيها مِن الأعيانِ فى المحرمِ سنةَ تسعٍ وثلاثين وسبعِمائةٍ :

---

(١) فى م : « شكالاتها » .

(٢) فى الأصل ، م : « زيدين » ، بالياء التحتية ، وزبدين ، بالباء : قرية فى الغوطة الشرقية شرق دمشق ، والبندر بستان فيها معروف بهذا الاسم . انظر الدارس ١/ ١٢٧.

(٣) بعده فى الأصل : « ابن » . وانظر : طبقات الشافعية للسبكى ٨/ ١٧٩، ٩/ ١٦٧.

(٤ - ٤) فى م : « عبد الرحيم » .

العلامةُ قاضى القضاةِ فخرُ الدينِ عثمانُ[1] بنُ الزينِ علىِّ بنِ عثمانَ الحَلَبِىُّ، ابنُ خطيبِ جِبْرِينَ[2] الشافعىُّ، ولى قضاءَ حلبَ مدةً، وكان إمامًا علّامةً، صنَّف «شَرْحَ مختصرِ ابنِ الحاجبِ» فى الفقهِ، و «شرحَ البديعِ» لابنِ السَّاعاتىِّ، وله فوائدُ غزيرةٌ ومصنَّفاتٌ جليلةٌ، تولَّى حلبَ بعدَ عزلِ الشيخِ ابنِ النقيبِ، ثم طلَبه السلطانُ فمات هو وولدُه الكمالُ، وله بضعٌ وسبعون سنةً.

وممَّن تُوفِّى فيها:

قاضى القضاةِ جلالُ الدينِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ القزوينىُّ الشافعىُّ[3]، قدِم هو وأخوه أيامَ التترِ مِن بلادِهم إلى دمشقَ، وهما فاضلانِ، بعدَ التسعينَ وستِّمائةٍ، فدرَّس إمامُ الدينِ فى تربةِ أمِّ الصالحِ، وأعادَ جلالُ الدينِ بالبادَرَائيَّةِ عندَ الشيخِ برهانِ الدينِ بنِ الشيخِ تاجِ الدينِ شيخِ الشافعيةِ، ثم تنقَّلَت بهما الأحوالُ إلى أنْ وَلِى إمامُ الدينِ قضاءَ الشافعيةِ بدمشقَ؛ انتُزِع له مِن يدِ القاضى بدرِ الدينِ بنِ جماعةَ، ثم هرَب سنةَ قازانَ إلى الديارِ المصريةِ مع الناسِ فمات هنالك، وأُعِيد ابنُ جماعةَ إلى القضاءِ، وخلَتْ خطابةُ البلدِ سنةَ ثلاثٍ وسبعِمائةٍ، فوليها جلالُ الدينِ المذكورُ، ثم ولى القضاءَ بدمشقَ سنةَ خمسٍ وعشرين مِن الخطابةِ، ثم انتقَل إلى قضاءِ الديارِ المصريةِ سنةَ سبعٍ وعشرين، بعدَ

---

(١) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٢٠٥، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٢٦، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٣٩٣، والدرر الكامنة ٣/ ٥٨، والدليل الشافى ١/ ٤٤٠، وفيه أنه توفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

(٢) فى الأصل: «حزين». وفى م: «جسرين». وانظر ما تقدم فى صفحة ٣٩٢.

(٣) ذيول العبر ص ٢٠٥، والوافى بالوفيات ٣/ ٢٤٢، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٥٨، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٣٢٩، والدرر الكامنة ٤/ ١٢٠، وبغية الوعاة ١/ ١٥٦.

أن عجَز قاضى القضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جماعةَ بسببِ الضررِ فى عينيه ، فلمَّا كان فى سنةِ ثمانٍ وثلاثين تغضَّب[1] عليه السلطانُ الملكُ الناصرُ بسببِ أمورٍ يطولُ شرحُها ، ونَفاه إلى الشامِ ، واتفَق موتُ قاضى القضاةِ شهابِ الدينِ بنِ المجدِ عبدِ اللَّهِ ، كما تقدَّم ، فولَّاه السلطانُ قضاءَ الشامِ عَوْدًا على بدءٍ ، فاستنابَ ولدَه بدرَ الدينِ على نيابةِ القضاءِ ؛ الذى هو خطيبُ دمشقَ ، ثم كانت وفاتُه فى أوائلِ[2] هذه السنةِ ، ودُفِنَ بالصوفيةِ ، وكانت له يدٌ طُولَى فى المعانى والبيانِ ، ويُفْتِى كثيرًا ، وله مصنَّفاتٌ فى المعانى ، ومصنَّفٌ مشهورٌ[3] اختصَر فيه « المِفْتَاحَ » للسَّكَّاكىِّ ، وكان مجموعَ الفضائلِ ، مات وكان عمرُه قريبًا مِن السبْعين أو جاوزَها .

ومِمَّن تُوفِّى فيها رابعَ الحِجةِ يومَ الأحدِ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ علمُ الدينِ أبو محمدٍ القاسمُ بنُ محمدِ بنِ البرزالىِّ[4] ، مؤرِّخُ الشامِ الشافعىُّ ، وُلِد سنةَ وفاةِ الشيخِ[5] أبى شامةَ سنةَ خمسٍ وستِّين وستِّمائةٍ ، وقد كتَب تاريخًا ذيَّل به على الشيخِ شهابِ الدينِ ، مِن حينِ وفاتِه ومولدِ البرزالىِّ ، إلى أنْ تُوفِّى فى هذه السنةِ ، وهو مُحْرِمٌ ، فغُسِّل وكُفِّن ولم تُسْتَرْ رأسُه ، وحملَه الناسُ على نعشِه وهم يُلَبُّون[6] حولَه ، وكان يومًا

---

(١) فى م : « تعصب » .

(٢) فى م : « أواخر » . وانظر ذيول العبر ص ٢٠٥، والدرر الكامنة ٤/ ١٢٢.

(٣) بعده فى م : « [اسمه للتلخيص] » . كذا بين معقوفين . قال فى بغية الوعاة ١/ ١٥٧: « وله من التصانيف : تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان ، وهو من أجل المختصرات فيه ، وقد ملكته بخطّه الحسن المليح ، ونظمته فى أرجوزة » .

(٤) ذيول العبر ص ٢٠٩، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٥، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨١، وطبقات الشافعية للإسنوى ١/ ٢٩٢، والدرر الكامنة ٣/ ٣٢١.

(٥) بعده فى م : « ابن » . وانظر : الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٢.

(٦) فى م : « يبكون » .

مشهودًا ، سَمِع الكثيرَ مِن أزيدَ مِن ألفِ شيخٍ ، وخرَّج له المحدِّثُ شمسُ الدينِ ابنُ سعدٍ مشيخةً لم يُكْمِلْها ، وقرَأ شيئًا كثيرًا ، وأسْمَع شيئًا كثيرًا ، وكان له خطٌّ حَسَنٌ ، وخُلُقٌ حَسَنٌ ، وهو مشكورٌ عندَ القضاةِ ومشايخِ أهلِ العلمِ ، سمِعتُ العلامةَ ابنَ تيميَّةَ يقولُ : نَقْلُ البرزاليِّ نقرٌ فى حجرٍ . وكان أصحابُه [٤/ ١٤٤] مِن كلِّ الطوائفِ يُحبُّونَه ويُكْرِمونه ، وكان له أولادٌ ماتوا قبلَه ، وكتَبَتِ ابنتُه فاطمةُ « البخاريَّ » فى ثلاثةَ عشَرَ مجلدًا فقابَلَه لها ، وكان يقرَأُ فيه على الحافظِ المزِّيِّ تحتَ القبةِ ، حتى صارَتْ نسخَتُها أصلًا مُعْتَمَدًا يكتُبُ منها الناسُ ، وكان شيخَ حديثٍ بالنوريةِ ، وفيها وقَف كُتُبَه ، وبدارِ الحديثِ النَّفِيسِيَّةِ[(١)] ، وبدارِ الحديثِ القوصيةِ ، [(٢)]وكان قارئَ الحديثِ بدارِ الحديثِ الأشرفيةِ على المزِّيِّ ، ومَن قبلَه كابنِ الشَّرِيشيِّ ، وكان يعيدُ[(٢)] فى الجامعِ وغيرِه على كراسيِّ الحديثِ ، وكان متواضعًا محبَّبًا إلى الناسِ ، متودِّدًا إليهم . تُوفِّى عن أربعٍ وسبعين سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

المؤرخُ شمسُ الدينِ محمدُ[(٣)] بنُ إبراهيمَ الجَزَرِيُّ[(٤)] ، جمَع تاريخًا حافلًا كتَب فيه أشياءَ يستفيدُ منها الحافظُ ؛ كالمزيِّ والذهبيِّ والبرزاليِّ ، يكتُبون عنه ويعتمِدُون على نقلِه ، وكان شيخًا قد جاوَز الثمانين وثَقُل سمعُه وضعُف خطُّه ، وهو والدُ الشيخِ ناصرِ الدينِ محمدٍ وأخوه مجدُ الدينِ .

---

(١) فى م : « السنية » . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٢، والدارس ١/ ١١٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٠٨، والوافى بالوفيات ٢/ ٢٢، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠٣، والدرر الكامنة ٣/ ٣٨٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٢٤.

(٤) فى م : « الجوزى » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ أربَعِين وسبعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنةُ وسلطانُ المسلمينَ الملكُ الناصرُ، وولاتُه وقضاتُه المذكورونَ فى التى قبلَها، إلا الشافعيَّ بالشامِ فتُوفِّى القَزْوِينِيُّ، وتوَلَّى العلامةُ السُّبْكِيُّ.

ومما وقَع مِن الحوادثِ العظيمةِ الهائلةِ أنَّ جماعةً مِن رءُوسِ النَّصارَى اجْتَمَعوا فى كَنِيستِهم، وجَمَعوا مِن بينِهم مالًا جَزِيلًا، فدَفَعُوه إلى راهِبَيْنِ قَدِما عليها مِن بلادِ الرومِ، يُحْسنانِ صنعةَ النِّفْطِ، اسمُ أحَدِهما ميلانى[2]، والآخر عازَرُ، فعَمِلا كَعْكًا[3] مِن نِفْطٍ، وتلَطَّفا حتى عَمِلاه لا يَظْهَرُ تَأْثيرُه إلّا بعدَ أربعِ ساعاتٍ وأكثرَ مِن ذلك، فوَضَعا فى شُقُوقِ[4] دَكاكِينِ التُّجارِ فى سوقِ الرجالِ عندَ الدَّهْشَةِ فى عدّةِ دكاكينَ مِن آخرِ النهارِ، بحيث لا يشْعُرُ أحدٌ بهما، وهما فى زِيِّ المسلمينَ، فلمَّا كان فى أثناءِ الليلِ لم يَشْعُرِ الناسُ إلّا والنارُ قد عَمِلَتْ فى تلك الدَّكاكينِ حتى تعلَّقَتْ فى دَرابزِيناتِ المِئْذَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ المتاخمةِ[5] للسوقِ المذكورِ، واحْتَرَقَتِ الدَّرابزِينات، وجاءَ نائبُ السَّلْطَنةِ تَنْكِز والأمراءُ أمراءُ الأُلوفِ،

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٤٥، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٢٧، وتذكرة النبيه ٢/ ٣١٢، والسلوك ٢/٢/ ٤٧١.

(٢) فى الأصل: «فلانى»، وفى م: «ملانى». والمثبت من السلوك ٢/٢/ ٤٩٦.

(٣) فى م: «كحطا».

(٤) فى الأصل: «سقوف».

(٥) فى م: «المتجهة».

وصَعِدوا المنارةَ وهى تَشْتَعِلُ نارًا ، واحْتَرسُوا عن الجامعِ فلم يَنَلْه شىءٌ مِن الحريقِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، وأمَّا المِئْذَنَةُ فإنَّها تفَجَّرتْ أحْجارُها واحْتَرَقَتِ السِّقالاتُ التى بَدَل[1] السَّلَالِمِ فهُدِّمَتْ ، وأُعِيدَ بِناؤُها بحِجَارةٍ جُدُدٍ ، وهى المنارةُ الشَّرْقِيَّةُ التى جاءَ فى الحديثِ أنَّه ينزلُ عليها عِيسى ابنُ مَرْيَمَ ، كما سيأْتِى الكلامُ عليه فى نزولِ عيسى ، عليه السلامُ ، والبلدُ مُحاصَرٌ بالدجالِ .

والمقصودُ أنَّ النَّصارَى بعدَ ليالٍ عَمَدُوا إلى ناحيةِ الجامعِ مِن الغَرْبِ[2] إلى القَيْسارِيَّةِ [3]التى يُعْمَلُ فيها سلاحُ المسلمين مِن الأقواسِ ، فألقَوْا فيها النِّفْطَ ، فاحْتَرَقَتِ القَيْسارِيَّةُ[3] بكمالِها ، وبما فيها مِن الأقواسِ والعُدَدِ ، فإنّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، وتطايرَ شررُ النارِ إلى ما حولَ القَيْسارِيَّةِ مِن الدورِ والمساكنِ والمدارسِ ، واحْتَرقَ جانبٌ مِن المدرسةِ الأمينيَّةِ إلى جانبِ المدرسةِ المذكورةِ ، وما كان مَقْصُودُهم إلَّا وُصُولَ النارِ إلى معبدِ المسلمينَ ، فحالَ اللَّهُ بينَهم وبينَ ما يَرومُونَ ، وجاءَ نائبُ السَّلْطَنَةِ والأُمراءُ وحالوا بينَ الحريقِ والمسجدِ ، جزاهم اللَّهُ خيرًا .

ولمّا تحقَّقَ نائبُ السَّلْطَنَةِ أنَّ هذا من فِعْلِهم ، أمَر بمَسْكِ رءُوسِ النَّصارَى ، فأُمْسَك منهم نحوًا مِن ستِّينَ رجلًا ، فأُخِذوا بالمصادَراتِ والضَّرْبِ والعُقوباتِ وأنواعِ المُثْلاتِ ، ثم بعدَ ذلك صُلِبَ منهم أزْيَدُ من عَشَرَةٍ على الجِمالِ ، وطافَ بهم فى أرْجاءِ البلادِ ، وجعَلوا يَتماوتونَ واحدًا بعدَ واحدٍ ، ثم أُحْرِقوا بالنارِ حتى صاروا رمادًا ، لَعَنَهم اللَّهُ .

---

(١) فى الأصل : « تذل » ، وفى م : « تدل » .
(٢) فى م : « المغرب » .
(٣ - ٣) سقط من : م .

سَبَبُ مَسْكِ تَنْكِز

[١٤٥/٤] لمّا كان يومُ الثلاثاءِ الرابع والعِشْرِينَ مِن ذِى الحجَّةِ جاءَ الأميرُ طَشْتَمُر مِن صَفَدَ مُسْرِعًا ، ورَكِب جيشُ دمشقَ ملبسًا ، ودَخَل نائبُ السَّلْطَنةِ مِن قَصْرِه مُسْرعًا إلى دارِ السعادةِ ، وجاء الجيشُ فوقَفُوا على بابِ النَّصْرِ ، وكان أراد أن يَلْبَسَ ويُقاتِلَ[1] فعَذَلُوه فى ذلك ، وقالوا : المصلحةُ فى الخروجِ إلى السلطانِ سامِعًا مطيعًا . فخَرَج بلا سلاحٍ ، فلمّا بَرَز إلى ظاهِرِ البلدِ ، الْتَفَّ عليه الفَخْرِىُّ وغيرُه ، وأخَذُوه وذَهَبوا به إلى ناحيةِ الكُسْوَةِ ، فلمّا كان عندَ قُبَّةِ يَلْبُغَا نَزَلُوا وقَيَّدُوه وحظاياه[2] مِن قَصْرِه ، ثم رَكِب البريدَ وهو مُقَيَّدٌ ، وسارُوا به إلى السُّلْطانِ ، فلما وَصَل أمَر بمَسِيرِه إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وسَألوا عن ودائِعِه فأقَرَّ ببعضٍ ، ثم عُوقِبَ حتى أقَرَّ بالباقِى ، ثم قَتَلُوه ودَفَنوه بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ، ثم نَقلُوه إلى تُرْبتِه بدمشقَ ، رحِمَه اللَّهُ ، وقد جاوَز الستِّينَ ، وكان عادلًا مهيبًا ، عفيفَ الفَرْجِ واليدِ ، والناسُ فى أيامِه فى غايةِ الرُّخْصِ والأمْنِ والصِّيانةِ ، فرحِمَه اللَّهُ ، وبَلَّ بالرحمةِ ثَراه .

وله أوقافٌ كثيرةٌ ؛ مِن ذلك مَرَسْتانُ بصَفَدَ ، وجامعٌ بنابُلُسَ وعَجْلُونَ ، وجامعٌ بدِمشقَ ، ودارُ حديثٍ بالقُدْسِ ودمشقَ ، ومدرسةٌ وخَانَقَاه بالقدسِ ، ورِباطٌ وسوقٌ موقوفٌ على المسجدِ الأقْصَى ، وفَتَح شباكًا فى المسجدِ .

---

(١) فى م : « يقابل » .

(٢) فى م : « خصاياه » .

وممَّن توفِّى فيها مِن الأعيانِ :

أميرُ المؤمنيـنَ المُسْتَكْفِى باللَّهِ أبو الرَّبيعِ سُليمانُ بنُ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أبى[1] العَبّاسِ أحمدَ بنِ أبى علىٍّ الحسنِ بنِ أبى بكرِ بنِ أبى[2] علىٍّ بنِ أميرِ المؤمنيـنَ المُسْتَرْشِدِ باللَّهِ الهاشمىُّ العباسىُّ ، البغدادىُّ الأصلِ ، [3]المصرىُّ المولدِ[3] ، مؤْلِدُه سنةَ ثلاثٍ وثمانيـنَ وسِتِّمائةٍ ، أو فى التى قبلَها ، وقَرَأ واشْتَغَل قليلًا ، وعَهِد إليه أبُوه بالأمرِ ، وخُطِب له عندَ وفاةِ والِدِه سنةَ إحْدَى وسبعِمائةٍ ، وفَوَّض جميعَ ما يتَعَلَّقُ به مِن الحَلِّ والعَقْدِ إلى السُّلْطانِ الملكِ الناصرِ ، وسارَ إلى غَزْوِ التَّتَرِ فشَهِد مصافَّ شَقْحَبَ ، ودَخَل دمشقَ فى شعبانَ سنةَ اثْنَتَينِ وسَبْعِمائةٍ وهو راكبٌ مع السُّلْطانِ ، وجميعُ كُبَراءِ الجيشِ مشاةٌ ، ولمّا أعْرَض السُّلْطانُ عن الأمْرِ وانْعَزَلَ بالكَرَكِ ، الْتَمَسَ الأمراءُ مِن المُسْتَكْفِى أنْ يُسَلْطِنَ مَن يَنْهَضُ بالملكِ ، فقلَّدَ الملكَ المُظَفَّرَ رُكْنَ الدينِ بَيبَرْس الجاشْنَكِير وعَقَد له اللواءَ ، وألْبَسه خِلْعةَ السَّلْطَنةِ ، ثم عاد النّاصِرُ إلى مِصْرَ ، وعزَّر الخليفةَ فى فِعْلِه ، ثم غَضِب عليه السلطانُ وسَيَّره إلى قُوصَ ، فتُوفِّى فى هذه السنةِ بقوصَ ، فى مُسْتَهَلِّ شعبانَ .

---

(١) فى الأصل ، م : « ابن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢١٤، والسلوك ٢/٢/ ٥٠٤، والدرر الكامنة ٢/ ٢٣٦، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٢٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٢٦.

(٢) سقط من النسختين ، والمثبت من الدرر الكامنة . وانظر تذكرة النبيه ٢/ ٣١٥، والسلوك الموضع السابق .

(٣ - ٣) فى م : « والمولد » . وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٢٣٧.

ثم دخَلَت سنةُ إحْدَى وأرْبَعِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ بيَومِ الأربعاءِ وسلطانُ المسلمينَ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ الملكِ المنصورِ قَلاوون ، وقُضاتُه بمصرَ هم المَذْكورونَ فى السنةِ التى قَبلَها ، وليس فى دمشقَ نائبُ سَلْطَنةٍ ،وإنما الذى يسُدُّ الأمورَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ طَشْتَمُر الملقبُ بالحِمَّصِ الأخضرِ ، الذى جاء بالقبضِ على الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِز ، ثم جاءَه المرسومُ بالرجوعِ إلى صَفَدَ ، فرَكِب من آخرِ النهارِ وتوَجَّه إلى بلدِه ، وحواصِلُ الأميرِ سيفِ الدِّينِ تَنْكِز تحتَ الحَوْطَةِ كما هى .

وفى صَبِيحَةِ يومِ السبتِ رابع المُحَرَّمِ مِن السنةِ المذكورةِ قَدِم مِن الديارِ المصريةِ خمسةُ أمراءَ ؛ الأميرُ سيفُ الدينِ بَشْتَك النَّاصِرىُّ ، ومعه بَرَسْبُغا[2] الحاجِبُ ، وطاشار الدويدار ، وبَيْغَرا[3] ، وبُكا[4] ، فنزَل بَشْتَك بالقَصْرِ الأبْلَقِ والميادينِ ، وليسَ معه من مَماليكِه إلا القليلُ ، وإنما جاءَ لتَجْدِيدِ البَيْعةِ للسلطانِ لما توَهَّمُوا من مُمالأةِ بعضِ الأمراءِ لنائبِ الشامِ المنفصلِ ، وللحَوْطَةِ على حَواصِلِ الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِز المُنْفَصلِ عن نيابةِ الشامِ وتجهيزِها للديارِ المصريةِ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ سادسِه دخَل الأميرُ علاءُ الدينِ أَلْطُنْبُغَا إلى

---

(١) ذيول العبر ص ٢١٩، ودول الإسلام ٢/ ٢٤٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٠، والسلوك ٢/٢/ ٥٠٦.

(٢) فى النسختين : « برصبغا » . وانظر الدرر الكامنة ٢/٧ والضبط منه ، والدليل الشافى ١/ ١٨٧، وضبطه : بَرْسْبُغا .

(٣) فى م : « بنعرا » . وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٤٨.

(٤) فى م : « بطا » . وانظر الدرر الكامنة ٢/ ١٣.

دمشقَ نائبًا ، فتَلَقَّاه الناسُ [١٤٦/٤] وبَشْتَك والأمراءُ المِصْريون ، ونزَلوا إلى عَتَبَتِه فقَبَّلوا العتبةَ الشريفةَ ، ورجَعُوا معه إلى دارِ السَّعادةِ ، وقُرِئَ تَقْلِيدُه .

وفى صبيحةِ يومِ الاثنينِ ثالثَ عَشَرَه مُسِك مِن الأمراءِ المقدَّمينَ أميرانِ كبيرانِ ؛ أُلْجَيْبُغا العادِلىُّ ، و(١) طَيْبُغا حاجى (١) ، ورُفِعا إلى القَلْعَةِ المَنْصُورَةِ ، واحْتِيطَ على حواصِلِهما .

وفى يومِ الثُّلاثاءِ تحَمَّلوا بيتَ ملكِ الأمراءِ سيفِ الدينِ تَنْكِز وأهلَه وأولادَه إلى الديارِ المصريةِ .

وفى صبيحةِ يومِ الأربعاءِ خامسَ عَشَرِه رَكِب نائبُ السلطنةِ الأميرُ علاءُ الدينِ أَلْطُنْبُغا ومعه الأميرُ سيفُ الدينِ بَشْتَك النّاصِرِىُّ ، والحاجُّ أرُقْطاى (٢) ، وسيفُ الدينِ قُطْلُوبُغَا الفَخْرِىُّ وجماعةٌ مِن الأمراءِ المُقَدَّمِينَ ، واجْتَمَعوا بسوقِ الخَيلِ واسْتَدْعَوا بمَمْلُوكَي الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِز ؛ وهما جَنْغاى (٣) وطغاى (٤) ، فأمِر بتَوْسِيطِهما ، فوُسِّطا وعُلِّقا على الخَشَبِ ونُودِى عليهما : هذا جَزاءُ مَنْ تخامَرَ (٥) على الملكِ الناصرِ .

وفى يومِ الثلاثاءِ الحادِى والعِشْرِينَ مِن هذا الشهرِ كانتْ وفاةُ **الأميرِ سيفِ**

(١ - ١) فى الأصل « طنبغاحجى » ، وفى م : « طنبغا الحجى » . والمثبت من ذيول العبر ص ٣٢٧، والسلوك ٢/٢/ ٣٢٦، ٥٢٣، والنجوم الزاهرة ٩/ ١٦٤.

(٢) فى الأصل : « رخيطة » ، وفى م : « رقيطة » . والمثبت من ذيول العبر ص ٢٤٩، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٦١، والدرر الكامنة ١/ ٣٧٦.

(٣) فى م : « جغاى » . وانظر الدليل الشافى ١/ ٢٥١، والنجوم الزاهرة ٩/ ١٥٢. وفى دول الإسلام ٢/ ٢٤٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٠، والسلوك ٢/٢/ ٥٠٧: « جنغية » .

(٤) فى دول الإسلام الموضع السابق : « طنغية » ، وفى تاريخ ابن الوردى الموضع السابق ، والسلوك الموضع السابق : « طغية » ، والمثبت موافق لما فى الدرر الكامنة ٢/ ٣٢١، والدليل الشافى ١/ ٣٦٣.

(٥) فى م : « تجاسر » .

الدينِ تَنْكِز[1] نائبِ الشامِ بقَلْعَةِ إسْكَنْدَرِيَّةَ ؛ قِيل[2] : مَخْنوقًا . وقِيل : مَسْمُومًا . وهو الأَصَحُّ ، وقِيل غيرُ ذلك ، وتأسَّف النّاسُ عليه كثيرًا ، وطال حزْنُهم عليه ، وفى كلِّ وَقْتٍ يتذَكَّرُون ما كان منه مِن الهَيبَةِ والصِّيانَةِ والغَيرةِ على حَرِيمِ المسلمينَ ومَحارِمِ الإسْلامِ ، ومِن إقامته على ذوى الجاهاتِ[3] وغَيْرِهم ، ويشْتَدُّ تأسُّفُهم عليه ، رحِمه اللَّهُ .

وقد أخْبَر القاضِى أمينُ الدينِ بنُ القلانِسِىِّ ، رحِمه اللَّهُ ، شَيْخَنا الحافظَ العلامةَ عمادَ الدينِ بنَ كثيرٍ[4] ، رحِمه اللَّهُ ، أنَّ الأميرَ سيفَ الدِّينِ تَنْكِز مُسِك يومَ الثلاثاءِ ، ودخَل مصرَ يومَ الثلاثاءِ ، ودخَل الإسكندريَّةَ يومَ الثلاثاءِ ، وتُوفِّى[5] يومَ الثلاثاءِ ، وصُلِّى عليه بالإسكندريةِ ودُفِن بمَقْبَرَتِها فى الثالثِ والعِشْرِينَ من المُحَرَّمِ ، بالقربِ من قَبْرِ القَبَّارِىِّ ، وكانتْ له جِنازَةٌ جيدةٌ .

وفى يومِ الخميسِ سابعِ شهرِ[6] صَفَرٍ قَدِم الأميرُ سيفُ الدينِ طَشْتَمُر الذى مسَك تَنْكِز إلى دمشقَ ، فنَزَل بوَطْأةِ بَرْزَةَ بجَيشِه ومَن معه ، ثم تَوَجَّه إلى حَلَبَ المحروسةِ نائبًا بها عوضًا عن أَلْطُنْبُغا المُنْفَصِلِ عنها .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الخميسِ ثالِثَ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ نُودِى فى البلدِ بجِنازَةِ **الشيخِ الصالحِ العابدِ النّاسكِ القدوةِ الشيخِ محمدِ ابنِ تَمَّامٍ**[7] ، تُوفِّى

---

(١) فوات الوفيات ١/ ١٧٤، وتذكرة النبيه ٢/ ٣٢١، والدرر الكامنة ٢/ ٥٥، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٢٧، والدليل الشافى ١/ ٢٢٨.

(٢) فى الأصل : « قتل » .

(٣) فى م : « الحاجات » .

(٤) قائل هذه العبارة إما تلميذ المصنف وإما أحد النساخ .

(٥) فى الأصل : « تولى » .

(٦) فى الأصل : « عشر » .

(٧) ذيول العبر ص ٢٢٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٠، والوافى بالوفيات ٢/ ١٥٢، والدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠، وشذرات الذهب ٦/ ١٣١. وفى هذه المصادر جميعها : « محمد بن أحمد بن تمام » .

بالصالحِيَّةِ ، فذَهَب الناسُ إلى جِنازَتِه إلى الجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، واجْتَمَع الناسُ لصلاةِ الظهرِ ، فضاقَ الجامعُ المذكورُ عن أنْ يَسَعَهم ، وصَلَّى الناسُ فى الطرُقاتِ وأرْجاءِ الصّالحيَّةِ ، وكان الجمعُ كثيرًا جدًّا لم يَشْهَدِ النَّاسُ جِنازةً بعدَ جنازةِ الشيخِ تَقِىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ مثْلَها ، لكَثْرَةِ مَن حَضَرها مِن الناسِ رجالًا ونساءً ، وفيهم القُضاةُ والأعْيانُ والأمراءُ وجمهورُ الناسِ ؛ يقارِبُونَ عشرينَ ألفًا ، وانْتَظَر الناسُ نائبَ السَّلْطَنةِ ، فاشْتَغَل بكتابٍ وَرَد عليه من الديارِ المصريةِ ، فصُلِّى على[1] الشيخِ بعدَ صلاةِ الظهرِ بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، ودُفِن عندَ أخِيه فى تربةٍ بينَ تربةِ المُوفَقِّ وبينَ تربةِ الشيخِ أبى عمرَ ، رحِمهم اللَّهُ وإيانا .

وفى أوَّلِ شَهْرِ جُمادَى الأُولى تُوفِّيتِ **الشيخةُ العابدةُ الصالحةُ العالمةُ قارِئَةُ القرآنِ أمُّ فاطمةَ عائشةُ بنتُ إبراهيمَ بنِ صِدِّيقٍ**[2] ، زَوْجَةُ شيخِنا الحافظِ جمالِ الدِّينِ المِزِّىِّ ، عَشِيَّةَ يومِ الثلاثاءِ مُسْتَهَلّ هذا الشهرِ ، وصُلِّى عليها بالجامعِ صبيحةَ يومِ الأربعاءِ ، ودُفِنت بمقابرِ الصوفيةِ غرْبِىِّ قَبْرِ الشيخِ تَقِىِّ الدينِ ابنِ تيميَّةَ ، رَحِمَهم اللَّهُ ، كانت عديمةَ النَّظيرِ فى نساءِ زمانِها ، لكثرةِ عبادَتِها وتلاوَتِها وإقرائِها القرآنَ العظيمَ بفصاحةٍ وبلاغةٍ وأداءٍ صحيحٍ ، يَعجِزُ كثيرٌ مِن الرجالِ عن تجْوِيدِه ، وختَّمَتْ نساءً كثيرًا ، وقَرَأ عليها مِن النساءِ خَلْقٌ ، وانْتَفَعْنَ بها وبصَلاحِها ودِينِها وزُهْدِها فى الدُّنيا ، وتَقَلُّلِها منها ، مع طُولِ العمرِ ؛ بلغتْ ثمانينَ سنةً ، أنْفَقَتْها فى طاعةِ ربِّها صلاةً وتلاوةً ، وكان الشيخُ مُحْسِنًا إليها مُطِيعًا ، لا يكادُ يُخالِفُها ، لحُبِّه لها طبعًا وشرعًا ، [٤/١٤٧] فرحِمَها اللَّهُ ، وقَدَّس رُوحَها ، ونَوَّرَ مَضْجِعَها بالرحمةِ ، آمينَ .

---

(١) فى م : « عليه » .

(٢) دول الإسلام ٢/ ٢٤٦، والدرر الكامنة ٢/ ٣٣٩، وأعلام النساء ٣/ ٤، وفى دول الإسلام : « أم محمد » .

وفى يومِ الأربعاءِ الحادِى والعِشْرِينَ منه دَرَّس بمدرسةِ الشيخِ أبى عُمَرَ بسفحِ قاسِيونَ الشيخُ الإمامُ شمسُ الدِّينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الهادى المَقْدِسِىُّ الحَنْبَلِىُّ ، فى التَّدْرِيسِ البَكْتَمُرِىِّ ، عوضًا عن القاضِى بُرْهانِ الدينِ الزُّرَعِىِّ ، وحَضَر عندَه المَقادِسَةُ وكبارُ الحَنابلةِ ، ولم يتَمَكَّنْ أهلُ المدينةِ مِن الحضورِ لكثرةِ المطرِ والوَحْلِ يومئذٍ .

وتكامَلَ عمارةُ المنارةِ الشرقيةِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ فى العَشْرِ الأخِيرِ من رمضانَ ، واسْتَحْسَنَ الناسُ بناءَها وإتْقانَها ، وذَكَر بَعْضُهم أنَّه لم يُبْنَ فى الإسْلامِ منارةٌ مِثْلُها ، وللَّهِ الحمدُ . ووقَع لكثيرٍ مِن الناسِ فى غالبِ ظُنونِهم أنَّها المَنارةُ البيضاءُ الشرقيَّةُ التى ذُكِرَتْ فى حديثِ النَّوّاسِ بنِ سَمْعانَ فى نُزولِ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ على المنارةِ البيضاءِ[1] فى شَرْقِىِّ دِمشْقَ ، [2]فلعلَّ لفظَ الحديثِ انقلَب على بعضِ الرُّواةِ ، وإنَّما كان على المنارَةِ[2] الشرقيةِ بدمشقَ ، وهذه المنارةُ مشهورةٌ بالشرقيةِ لمُقابَلَتِها أُخْتَها الغربيةَ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وفى يومِ الثلاثاءِ سَلْخ شهرِ شوّالٍ عُقِد مجلسٌ فى دارِ العدلِ بدارِ السعادةِ وحضَرْتُه يَوْمئذٍ ، واجْتَمعَ القضاةُ والأعيانُ على العادةِ ، وأُحْضِر يومئذٍ عثمانُ الدُّوكَالِىُّ[3] ، قَبَّحَه اللَّهُ تعالى ، وادُّعِى عليه بعظائِمَ مِن القولِ لم يُؤْثَرْ مثلُها عن الحلّاجِ ، ولا عن [4]ابْنِ أبى العَزاقِرِ الشَّلْمَغانِىِّ[4] ، وقامتْ عليه البينةُ بدعْوى

---

(١) حديث النواس بن سمعان تقدم فى ٩/ ٣٠٤، ١٢/ ٥٩٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

(٣) فى الأصل : « الذكاكى » ، وفى م : « الدكاكى » . والمثبت من : دول الإسلام ٢/ ٢٤٧، والدرر الكامنة ٣/ ٥٦.

(٤ - ٤) فى الأصل : « أبى العزافر السلقمانى » ، وفى م : « ابن أبى الغدافر السلقمانى » . وقد تقدم فى ١٥/ ٨٢.

الإلَـهِيَّةِ ، لَعَنه اللَّهُ ، وأشياءَ أُخَرَ مِن التَّنْقيصِ بالأنبياءِ ، ومخالَطتِه أربابَ الرِّيَبِ مِن الباجُرْبَقيَّةِ وغيرِهم مِن الاتِّحادِيَّةِ ، عليهم لعائِنُ اللَّهِ ، ووقَع منه فى المَجْلِسِ مِن إساءَةِ الأدَبِ على القاضِى الحَنْبَلِيِّ ، وتضَمَّن ذلك تَكْفِيرَه مِن المالكيةِ أيضًا ، فادَّعَى أنَّ له دَوافِعَ وقَوادِحَ فى بعضِ الشُّهودِ ، فرُدَّ إلى السِّجْنِ مُقَيَّدًا مَغْلولًا مَقْبوحًا ، أمْكَنَ اللَّهُ منه بقُوَّتِه وتأييدِه . ثم لمّا كان يومُ الثلاثاءِ الحادِى والعِشْرينَ مِن ذِى القَعْدَةِ أُحْضِر عثمانُ الدُّوكالِيُّ المَذْكورُ إلى دارِ السعادةِ ، وأُقِيم بينَ يَدَى ملِكِ الأمراءِ والقضاةِ ، وسُئِل عن القوادحِ فى الشهودِ فعَجَز فلم يَقْدِرْ ، وعَجَز عن ذلك ، فتَوَجَّه عليه الحكمُ ، فسُئِل القاضِى المالِكِيُّ الحكمَ عليه ، فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه وصَلَّى على رسولِه ، ثم حَكَم بإراقَةِ دمِه وإنْ تاب ، فأُخِذ المَذْكورُ فضُرِبَتْ رَقَبَتُه بدمشقَ بسوقِ الخيلِ ، ونُودِى عليه : هذا جزاءُ مَنْ يكونُ على مَذْهَبِ الاتِّحادِيَّةِ . وكان يومًا مَشْهودًا بدارِ السعادةِ ، حضَر يومئذٍ خَلْقٌ مِن الأعيانِ والمشايخِ ، وحَضَر شَيْخُنا جمالُ الدينِ المِزِّيُّ الحافظُ ، وشَيْخُنا الحافظُ شمسُ الدينِ الذَّهَبِيُّ ، وتكَلَّما وحَرَّضا فى القضيةِ جدًّا ، وشَهِدا بزَنْدَقَةِ المذكورِ بالاسْتِفاضَةِ ، وكذا الشيخُ زينُ الدينِ أخو الشيخِ تَقِيِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، وخَرَج القُضاةُ الثلاثةُ المالكِيُّ والحنَفِيُّ والحَنْبَلِيُّ ، (١) وهم نَفَّذُوا (١) حُكْمَه فى المَجْلِسِ ، وحَضَروا قَتْلَ المذكورِ ، وكنتُ مُباشرًا لجميعِ ذلك مِن أوَّلِه إلى آخِرِه .

(١ - ١) فى الأصل : « وهما نقذا » .

وفى يومِ الجُمعةِ الثانى[1] والعِشْرِينَ من ذِى القَعْدَةِ أُفْرِج عن الأمِيرَيْنِ المُعْتَقَلَينِ[2] بالقلعةِ ؛ وهما طَيْبُغا حاجى وأُلْجَيْبُغَا ، وكذلك أُفْرِج عن خزانْدارِيَّةِ تَنْكِز الذين تَأَخَّروا بالقَلْعةِ ، وفَرِح النَّاسُ بذلك .

ذِكْرُ وَفاةِ الملكِ النّاصرِ محمدِ بنِ قَلاوون[3]

فى صبيحةِ يومِ الأرْبعاءِ السابع والعِشْرِينَ من ذِى الحِجَّةِ قَدِم إلى دِمشقَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا الفَخْرِىُّ ، فخَرَج نائبُ السَّلْطَنةِ وعامَّةُ الأمراءِ لتلَقِّيه ، وكان قدومُه على خيلِ البريدِ ، فأخبَرَ بوفاةِ السلطانِ الملكِ الناصرِ ؛ كانت وفاتُه يومَ الأربعاءِ آخرَه ، وأنَّه صُلِّى عليه ليلةَ الجمعةِ بعدَ العشاءِ ودُفِن مع أبِيه الملكِ المنصورِ على وَلَدِه آنُوك ، وكان قبلَ موتِه أخَذ العَهْدَ لابنِه [4]سيفِ الدينِ[4] أبى بكرٍ ولَقَّبَه بالملكِ المنصورِ ، فلما دُفِن السلطانُ ليلةَ الجمعةِ حَضَره مِنَ الأمراءِ [٤/١٤٨] قليلٌ ، وكان قد وُلِّى عليه الأميرُ عَلَمُ الدينِ الجاوِلِىُّ ، ورَجَلٌ آخرُ مَنْسوبٌ إلى الصَّلاحِ يُقالُ له : الشَّيْخُ عمرُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ الجَعْبَرِىُّ . وشخصٌ آخرُ من الجبابرِيَّةِ ، ودُفِن كما ذكَرنا ، ولم يحضُرْ

---

(١) فى م : « الثامن » .

(٢) فى م : « العقيلين » .

(٣) ذيول العبر ص ٢٢٣، والوافى بالوفيات ٤/ ٣٥٣، وفوات الوفيات ٤/ ٣٥٣، والدرر الكامنة ٤/ ٢٦١، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١، ١١٥، ٩/ ٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٣٤.

(٤ - ٤) كذا فى النسخ فى هذا المواضع ، وكناه شهاب الدين كما سيأتى فى صفحة ٤٤٩، وشهاب الدين هو الموافق لما فى المصادر . انظر الوافى بالوفيات ٨/ ٨٦، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٥٠.

ولَدُه وَلِيُّ عهدِه دفْنَه، ولم يخْرُجْ مِن القَلْعَةِ لَيْلَتِئِذٍ عن مَشُورَةِ الأمراءِ؛ لِئَلَّا يتَخَبَّطَ الناسُ، وصلَّى عليه القاضِى عِزُّ الدينِ بنُ جماعةَ إمامًا، والجاوِلِىُّ، وأيْدُغْمُش [1]أمير آخُور[1]، والقاضِى بهاءُ الدينِ أبو[2] حامدِ بنُ قاضِى دِمَشقَ السُّبْكِىّ، وجَلَس الملكُ المنصورُ سيفُ الدنيا والدِّينِ أبو المَعالى أبو بكرٍ على سريرِ المَمْلَكَةِ.

وفى صبيحةِ يومِ الخميسِ الحادِى والعِشْرِينَ من ذى الحِجَّةِ سنةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ وسَبْعِمائةٍ بايعَه الجَيْشُ المِصْرِىُّ، وقَدِم الفَخْرِىُّ لأخْذِ البيعةِ مِن الشَّامِيينَ، ونَزَل بالقَصْر الأبْلَقِ، وبايَعَ الناسُ للملكِ المَنْصُورِ بنِ النَّاصرِ بنِ المَنْصورِ، ودَقَّتِ البَشائِرُ بالقَلْعَةِ المَنْصُورةِ بدِمَشقَ صَبيحةَ يومِ الخميسِ الثامنِ والعِشْرِينَ منه، وفَرِح النَّاسُ بالملكِ الجديدِ، وترَحَّموا على الملكِ، ودَعَوْا له، وتأسَّفُوا عليه، رحِمَه اللَّهُ.

(١ - ١) فى الأصل: «أمير آخر»، وفى م: «وأمير آخر». وأمير آخور: وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على إصطبل السلطان أو الأمير، ورعاية ما فيه من خيل وحيوانات. انظر: صبح الأعشى ٥/ ٤٦١. وستأتى وفاة أيدغمش فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

(٢) فى النسختين: «بن». والمثبت من النجوم الزاهرة ١١/ ١٢١. وانظر مصادر ترجمته فى حاشيتها.

ثم دخلَتْ سنةُ ثنتين وأربعِين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت بيومِ الأحدِ ، وسلطانُ الإسلامِ بالديارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ وما وَالاها ، الملكُ المنصورُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ السلطانِ الملكِ الناصرِ ناصرِ الدينِ محمدِ بنِ السلطانِ الملكِ المنصورِ سيفِ الدينِ قلاوون الصالحيُّ ، ونائبُ الشامِ الأميرُ علاءُ الدينِ أَلْطُنْبُغا ، قضاةُ الشامِ ومصرَ هم المذكورون فى التى قبلَها ، وكذا المباشِرون سِوى الولاةِ .

شهرُ اللَّهِ المحرمُ : ولايةُ الخليفةِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ : وفى هذا اليومِ بُويع بالخِلافَةِ أميرُ المؤْمِنين أبو القاسمِ أحمدُ بنُ المستكفِى باللَّهِ أبى الربيعِ سليمانَ العباسيُّ ، ولبِس السوادَ ، وجلَس مع الملكِ المنصورِ على سريرِ المملكةِ ، وألبَسه خِلعةً سوداءَ أيضًا ، فجلَسا وعليهما السَّوادُ ، وخطَب الخليفةُ يومئذٍ خطبةً بليغةً فصيحةً مشتمِلةً على أشياءَ مِن المواعظِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ ، وخلِع يومئذٍ على جماعةٍ مِن الأمراءِ والأعيانِ ، وكان يومًا مشهودًا ، وكان أبو القاسمِ هذا قد عَهِد إليه أبوه بالخلافةِ ، ولكنْ لم يمكِّنْه الناصرُ مِن ذلك ، وولَّى أبا إسحاقَ إبراهيمَ ابنَ أخِى أبى الربيعِ ، ولَقَّبه الواثقَ باللَّهِ ، وخُطِب له بالقاهرةِ جمُعةً واحدةً فعزَله المنصورُ وقرَّر أبا القاسمِ هذا ، وأمضَى العهدَ ولقَّبه المستَنْصِرَ باللَّهِ ، كما ذكَرْنا .

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٤٧، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣١، وتذكرة النبيه ٣/ ٢٤، والسلوك ٢/٣/ ٥٥٨.

وفى يومِ الأحدِ ثامنِ المحرمِ مُسِك الأميرُ سيفُ الدينِ بَشْتك الناصرىُّ آخرَ النهارِ[1] ، وكان قد كُتِبَ تقليدُه بنيابةِ الشامِ وخُلِع عليه بذلك ، وبَرَز ثَقَلُه ، ثم دخَل على الملكِ المنصورِ ليودِّعَه ، فرحَّب به وأجلَسه وأحضَر طعامًا وأكَلا ، وتأسَّف السلطانُ على فِراقِه ، وقال : تذهَبُ وتَتْرُكُنى وحدِى . ثم قام لتوديعِه ، وذهَب بَشْتك مِن بينِ يديه ثمانىَ خطواتٍ أو نحوَها ، ثم تقدَّم إليه ثلاثةُ نفرٍ ، فقطَع أحدُهم سيفَه مِن وسَطِه بسكِّينٍ ، ووضَع الآخرُ يدَه على فمِه ، وكتَّفه الآخرُ ، وقيَّدوه ، وذلك كلُّه بحضرةِ السلطانِ ، ثم غُيِّب فلم يَدْرِ أحدٌ إلى أين صار ، ثم قالوا لمماليكِه : اذهبوا أنتم فائْتوا بمركوبِ الأميرِ غدًا ، فهو بائتٌ عندَ السلطانِ . وأصبَح السلطانُ وجلَس على سريرِ المملكةِ وأمَر بمَسْكِ جماعةٍ مِن الأمراءِ وتسعةٍ مِن الكبارِ ، واحتاطُوا على حواصلِه وأموالِه وأملاكِه ، فيقالُ : إنَّه وُجِد عندَه مِن الذهبِ ألفُ ألفِ دينارٍ وسبعُمائةِ ألفِ دينارٍ .

وفاةُ شيخِنا الحافظِ أبى الحجّاجِ المزِّىِّ[2] : [٤/١٤٩] تمرَّض أيامًا يسيرةً مرضًا لا يشغَلُه عن شهودِ الجماعةِ ، وحضورِ الدروسِ ، وإسماعِ الحديثِ ، فلمّا كان يومُ الجمُعةِ حادى عشرَ صفرٍ أسمَع الحديثَ إلى قَريبِ وقتِ الصلاةِ ، ثم دخَل منزلَه ليتوضَّأَ ويذهبَ للصلاةِ ، فاعْترضَه فى باطنِه مغْصٌ عظيمٌ ، ظَننَّا[3] أنَّه قُولَنْجُ ، وما كان إلَّا طاعونٌ ، فلم يقْدِرْ على حضورِ الصلاةِ ، فلمَّا فرَغْنَا مِن الصلاةِ أُخْبرتُ بأنَّه مُنْقطِعٌ ، فذهبْتُ إليه فدَخلتُ عليه فإذا هو يرْتَعِدُ رِعدةً

---

(١) بعده فى الأصل : « وكان قد اتهم بسقى السلطان والممالأة على ابنه المنصور » .

(٢) ذيول العبر ص ٢٢٩، وفوات الوفيات ٤/ ٣٥٣، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٩٥، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٦٤، والدرر الكامنة ٥/ ٢٣٣.

(٣) فى م : « ظن » .

شديدةً من قوةِ الألمِ الذى هو فيه ، فسألْتُه عن حالِه فجعلَ يكرِّرُ : الحمدُ للَّهِ . ثم أخبَرنى بما حصَل له من المغْصِ الشديدِ ، وصلَّى الظهرَ بنفسِه ، ودخَل إلى الطَّهَّارةِ وتوضَّأ على حافّةِ[1] البركَةِ وهو فى قُوَّةِ الوجعِ ، ثم اتَّصلَ به هذا الحالُ إلى الغدِ من يومِ السبتِ ، فلمّا كان وقتُ الظهرِ لم أكُنْ حاضِرَه إذ ذاكَ ، لكنْ أخْبَرَتْنى ابنتُه زينبُ زوجَتِى أنه لما أذَّن الظهرُ تغيَّر ذهنُه قليلًا ، فقالتْ : يا أبَتِ ، أذَّنَ الظهرُ . فذكرَ اللَّهَ وقال : أريدُ أن أُصلِّىَ . فتيَمَّم وصلَّى ، ثم اضْطجعَ فجعَل يقرَأُ آيةَ الكُرْسِىِّ حتى جعَل لا يفيضُ[2] بها لِسانُه ، ثم قُبِضَتْ رُوحُه بينَ الصلاتينِ ، رحِمه اللَّهُ ، يومَ السبتِ ثانى عَشَرَ صفرٍ ، فلم يُمكِنْ تَجْهِيزُه تلك الليلةَ ، فلمَّا كان من الغدِ يومُ الأحدِ ثالثَ عَشَرَ صفرٍ غُسِّلَ صبيحةَ ذلك اليومِ وكُفِّن وصُلِّى عليه بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، وحضَره القُضَاةُ والأعيانُ وخلائقُ لا يُحْصَوْنَ كثْرةً ، وخُرِج بجِنَازتِه من بابِ النصرِ ، وخَرجَ نائبُ السلْطَنَةِ الأميرُ علاءُ الدينِ ألْطُنْبُغا ومعه ديوانُ السلْطانِ والصاحبُ وكاتبُ السِّرِّ وغيرُهم من الأُمراءِ ، فصلَّوْا عليه خارجَ بابِ النصرِ ، أمَّهم عليه القاضى تقىُّ الدينِ السُّبْكىُّ الشافِعِىُّ ، وهو الذى صلَّى عليه فى الجامِعِ الأُمَوِىِّ ، ثم ذُهبَ به إلى مقابرِ الصوفيةِ فدُفِنَ هناك إلى جانبِ زوْجَتِه المرأةِ الصالحةِ الحافظةِ لكتابِ اللَّهِ ، عائشةَ بنتِ إبراهيمَ بنِ صدِّيقٍ ، غَرْبِىَّ قبرِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، رحِمَهم اللَّهُ أجمعينَ ، [3]وقد تَرْجَمْتُه فى أولِ شرحِ « البخارىِّ »[3] .

---

(١) سقط من : م ، وفى الأصل : « فة » . ولعل صوابها كما أثبتناه .

(٢) فى الأصل : « يقبض » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

كائِنةٌ غريبةٌ جدًّا

قَدِمَ يومَ الأرْبعاءِ الثلاثينَ من صفَرٍ أميرٌ من الديارِ المصريةِ ، ومعه الأمرُ بالبَيْعَةِ للملكِ الأشرفِ علاءِ الدينِ كُجُك بنِ السلطانِ الملكِ الناصرِ ، وذلك بعدَ عزلِ أخيه المنصورِ ، لما صدَر عنه من الأفعَالِ التى ذُكرَ أنَّه تَعاطَاهَا من شُرْبِ المُسْكِرِ وغِشْيانِ المُنْكراتِ ، وتَعاطِى ما لا يَليقُ به ، ومُعاشرَةِ الخاصِّكيَّةِ[1] مِن المُرْدانِ وغيرِهم ، فتَمالأَ على خَلْعِه كبارُ الأمراءِ لمَّا رأَوُا الأمرَ يَتفاقَمُ إلى الفَسادِ العريضِ فأحضَرُوا الخليفَةَ الحاكمَ بأمرِ اللَّهِ بنَ[2] أبى الربيعِ سُلَيمانَ ، فأُثبتَ بين يديهِ ما نُسبَ إلى الملكِ المنصورِ المذْكُورِ مِن الأُمورِ ، فحِينَئذٍ خلَعَه ، وخَلَعَه الأُمَراءُ الكِبارُ وغيرُهم ، واستبدَلُوا مكانَه أخاه هذا المَذْكُورَ ، وسيَّروه إذ ذاك إلى قوصَ مُضَيَّقًا عليه ومعه إخْوةٌ له ثلاثةٌ ، وقيلَ أكثرُ ، وأجْلَسُوا الملكَ الأشْرفَ هذا على السَّريرِ ، ونابَ له الأميرُ سيفُ الدينِ قَوْصُون الناصِرِىُّ ، واستمرَّت الأُمُورُ على السَّدَادِ ، وجاءَتِ البَيْعةُ[3] إلى الشامِ فبايَعه الأُمراءُ يومَ الأرْبعاءِ المذْكُورِ ، وضربت البشائِرُ عشيَّةَ الخميسِ مُسْتَهلّ ربيعِ الأوَّلِ ، وخُطِبَ له بدِمَشْقَ يومَ الجمُعةِ بحضرَةِ نائبِ السلْطَنةِ والقُضَاةِ والأعيانِ والأُمراءِ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ سابعَ عَشَرَ ربيعِ الأوَّلِ حضرَ الدرسَ[3] بدارِ الحديثِ الأشرفيَّةِ قاضى القُضَاةِ تقىُّ الدينِ السُّبْكِىُّ عوَضًا عن شيخِنَا الحافظِ جمالِ الدينِ

---

(١) الخاصكية : ندماء الملِك ومقرَّبوه . المعجم الذهبى ص ٢٣١. وانظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤١٠.

(٢) سقط من النسختين .

(٣) سقط من : م .

المِزِّىِّ ، ومشيخَةَ دارِ الحديثِ النُّورِيَّةِ عوَضًا عن ابنِه ، رحِمه اللَّهُ .

وفى شهرِ جُمادَى الأُولى اشْتَهَر أنَّ نائبَ حَلَبَ الأميرَ سيفَ الدينِ طَشْتَمُر المُلَقَّبَ بالحِمَّصِ الأخْضَرِ قائمٌ فى نُصْرَةِ ابنِ السلطانِ الأميرِ أحمدَ الذى بالكَرَكِ ، وأنَّه يَسْتَخْدِمُ لذلك ويَجْمَعُ الجُموعَ . فاللَّهُ أعلمُ . وفى العَشْرِ الثانى منه وصلَت الجيوشُ صُحْبَةَ الأميرِ سيفِ الدينِ قُطْلُوبُغا الفَخْرِىِّ إلى الكَرَكِ فى طلَبِ ابنِ السلطانِ الأميرِ أحمدَ .

وفى هذا الشهرِ كَثُرَ الكلامُ فى أمرِ الأميرِ أحمدَ بنِ الناصرِ الذى بالكَرَكِ ، بسبَبِ محاصرةِ الجيشِ [١٥٠/٤] الذى صُحْبَةَ الفَخْرِىِّ له ، واشتَهَرَ أنَّ نائبَ حلَبَ الأميرَ سيفَ الدينِ طَشْتَمُر الملَقَّبَ بالحِمَّصِ الأخْضَرِ قائمٌ بجنبِ أولادِ السلْطانِ الذين أُخْرِجُوا من الدِّيارِ المصريةِ إلى الصَّعيدِ ، وفى القيامِ بالمُدَافَعةِ عن الأمِيرِ أحمدَ ، ليصرِفَ عنه الجيشَ ، وتَرَكَ حِصارَه وعزَمَ بالذَّهابِ إلى الكَرَكِ لنُصْرَةِ أحمدَ ابنِ أستاذِه ، وتهيَّأ له نائبُ الشامِ بدِمَشْقَ ، ونادَى فى الجيشِ لمُلتقَاه ومُدافعتِه عمَّا يُريدُ من إقامَةِ الفِتْنَةِ وشقِّ العَصَا ، واهتَمَّ الجُنْدُ لذلك ، وتَأَهَّبُوا واستَعَدُّوا ، ولحِقَهم فى ذلك كُلْفَةٌ كثيرةٌ ، وانزَعَج الناسُ بسبَبِ ذلك ، وتخوَّفُوا أن تكونَ فتنةٌ ، وحَسِبُوا إن وقَع قتالٌ بينَهم أن تقومَ العَشِيراتُ فى الجبَالِ وحَوْرانَ ، وتَتعطَّلَ مصالحُ الزِّراعاتِ وغير ذلك ، ثم قَدِمَ من حَلَبَ حاجِبُ[1] السلطانِ فى الرسْلِيَّةِ إلى نائبِ دِمَشْقَ الأميرِ علاءِ الدينِ أَلْطُنْبُغَا ومعه مشافَهَةٌ فاستمَعَ لها ، فبعثَ معه صاحِبَ الميْسَرَةِ أيَان[2] السَّاقِىَ ، فذَهَبَا إلى حَلَبَ ثم

---

(١) فى م : « صاحب » .

(٢) فى الأصل : « أبان » ، وفى م : « أمان » . والمثبت من الوافى ٩/ ٤٦٨، والدرر الكامنة ١٠/ ٤٥٠.

رجَعَا فى أواخِرِ[1] جُمَادى الآخِرةِ ، وتوَجَّها إلى الديارِ المصريةِ ، واشتَهَرَ أنَّ الأمْرَ على ما هو عليه حتى توافقَ على ما ذُكرَ مِن رُجوعِ أوْلادِ الملكِ الناصرِ إلى مِصْرَ ما عدَا المنْصُورَ ، وأنْ يخلّى عن مُحَاصَرةِ الكَرَكِ .

وفى العَشْرِ الأخِيرِ من جُمَادى الأُولَى تُوفِّى **مُظَفَّرُ الدينِ موسى بنُ مُهَنَّا ملكُ العربِ**[2] ، ودُفِنَ بتَدْمُرَ .

وفى صبِيحَةِ يومِ الثلاثاءِ ثانى جُمادَى الآخِرةِ عندَ طُلُوعِ الشمسِ تُوفِّى **الخطيبُ بدرُ الدينِ محمدُ بنُ القاضى جلالِ الدينِ القَزْوِينىِّ**[3] ، بدارِ الخَطَابَةِ بعدَ رُجُوعِه من الديارِ المصريةِ كما قدَّمْنَا ، فخطَب جمعةً واحدةً ، وصلَّى بالناسِ إلى ليلةِ الجمعةِ الأُخْرَى ، ثم مَرِضَ فخطَب عنه أخُوه تاجُ الدينِ عبدُ الرحِيمِ على العادَةِ ثلاثَ جُمَعٍ وهو مريضٌ ، إلى أن تُوفِّى يومئذٍ ، وتأسَّفَ النَّاسُ عليه لحُسْنِ شكْلِه وصَبَاحَةِ وجْهِه وحُسْنِ مُلْتَقَاه وتَوَاضُعِه ، واجتَمَعَ النَّاسُ للصلاةِ عليه الظهرَ ، فتأخَّرَ تجهيزُه إلى العصرِ ، فصلَّى عليه بالجامعِ قاضِى القُضَاةِ تقىُّ الدِّينِ السُّبْكِىُّ ، وخرَج به الناسُ إلى الصوفيَّةِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً جدًّا ، فدُفِن عندَ أبيه بالتربةِ التى أنشأها الخطيبُ بدرُ الدِّين هناكَ ، رحِمَه اللَّهُ .

وفى يومِ الجمعةِ خامس الشَّهْرِ بعدَ الصلاةِ خرَج نائبُ السلطنةِ الأميرُ علاءُ الدِّينِ ألطُنْبُغَا هو وجميعُ الجيشِ ، قاصدِينَ البلادَ الحلبيةَ للقبضِ على نائبِ حلبَ

---

(١) فى الأصل : « أول » .

(٢) ذيول العبر ص ٢٣٠، والسلوك ٢/٣/ ٦١٥، والدرر الكامنة ٥/ ١٥٤، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٧٦، والدليل الشافى ٢/ ٧٥٣.

(٣) ذيول العبر ص ٢٢٨، والوافى بالوفيات ١/ ٢٤٨، والسلوك ٢/٣/ ٦١٥، والدرر الكامنة ٤/ ٣٠٣، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٧٧.

الأميرِ سيفِ الدِّينِ طَشْتَمُر، لأجلِ ما أظهَرَ من القيامِ مع ابنِ السلطانِ الأميرِ أحمدَ الذى فى الكَرَكِ، وخرَج النَّاسُ فى يومٍ شَدِيدِ المطرِ كثيرِ الوَحلِ، وكان يومًا مشهودًا عصيبًا، أحسنَ اللَّهُ العاقبةَ.

وأمرَ القاضى تقىُّ الدِّينِ السُّبْكىُّ الخطِيبَ و[1] المُؤَذِّنينَ بزيادَةِ أذكارٍ على الذى كان سنَّه فيهم الخطيبُ بدرُ الدينِ، من التَّسْبيحِ والتَّهْليلِ والتَّحْميدِ الكثيرِ ثلاثًا وثلاثينَ، فزادَهم السُّبْكِىُّ قبل ذلك: «أستَغْفِرُ اللَّهَ العظيمَ - ثلاثًا - اللهُمَّ أنتَ السلامُ ومنكَ السَّلامُ، تبارَكْتَ ياذا الجَلالِ والإكرامِ». [2]كما ثبَت[2] فى «صحيحِ مسلمٍ»[3]. و[1] بعدَ صلاةِ الصُّبْحِ والمغرِبِ [4]بعدَ التسبيحِ والتحميدِ والتكبيرِ[4]: «اللَّهُم أجِرْنَا منَ النارِ»[5]. سبعًا، «أعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ»[6]. ثلاثًا، وكانوا قبلَ تلك السَّنواتِ قد زادُوا بعدَ التَّأْذِينِ الآيةَ ليلةَ الجمعَةِ والتَّسْليمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، يَبْتَدِئُ الرئيسُ مُنْفَرِدًا ثم يعيدُ عليه الجماعَةُ بطريقةٍ حسنَةٍ، وصارَ ذلك سببًا لاجتماعِ الناسِ فى صَحْنِ الجامعِ لاسْتِماعِ ذلكَ، وكلَّما كان المبتدِئُ حسنَ الصوتِ كانتِ الجماعةُ أكثرَ اجتِماعًا، ولكنْ طالَ بسَببِ ذلك الفَصْلُ، وتأخَّرَتِ الصلاةُ عن أوَّلِ وَقْتِهَا.

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى م: «ثم أثبت ما».

(٣) مسلم (١٣٥/٥٩١).

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) أبو داود (٥٠٧٩)، النسائى فى الكبرى (٩٩٣٩). وهو ضعيف. انظر السلسلة الضعيفة (١٦٢٤).

(٦) النسائى فى الكبرى (١٠٤٢٣)، ابن ماجه (٣٥١٨). صحيح. (صحيح سنن الترمذى ٢٨٥١).

كائنةٌ غريبةٌ جدًّا[1]

وفى ليلةِ الأحدِ عشِيَّةِ السبتِ نزَل الأميرُ سيفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا الفَخْرِىُّ بظاهرِ دمشقَ، بينَ الجُسُورةِ ومَيدانِ الحصَا، بالأطْلابِ الذين جاءُوا معه مِن الديارِ المصريَّةِ لمُحاصرةِ الكرَكِ للقَبْضِ على ابنِ السُّلطانِ الأميرِ أحمدَ بنِ الناصرِ، فمكَثُوا على الثَّنِيَّةِ مُحاصرِينَ مُضَيِّقِينَ عليه إلى أن توَجَّه نائبُ الشَّامِ إلى حلَبَ، ومضَتْ هذه الأيامُ المذكورةُ، فما دَرَى الناسُ إلا وقد جاء الفَخْرِىُّ وجُموعُه، وقد بايَعُوا الأميرَ أحمدَ، [٤/ ١٥١] وسمَّوْه الناصرَ بنَ الناصِرِ، وخلَعُوا بيعةَ أخيهِ الملكِ الأشرفِ علاءِ الدِّينِ كُجُك واعتَلُّوا بصِغَرِه، وذكَرُوا أنَّ أتابَكَه الأميرَ سيفَ الدِّينِ قَوْصُون الناصِرىَّ قد عَدَى على ابْنَيِ السُّلطانِ فقَتَلهما خنْقًا ببلادِ الصَّعيدِ، وجهَّز إليهما مَن تولَّى ذلك، وهما الملكُ المنصورُ أبو بكرٍ ورمضانُ، فتنكَّر الأميرُ بسببِ ذلك، وقالوا: هذا يريدُ أن يجتاحَ هذا البيتَ ليتمَكَّنَ هو مِن أخْذِ المملَكةِ. فحَمُوا لذلك وبايَعُوا ابنَ أُستاذِهم، وجَدُّوا[2] فى الذَّهابِ خَلْفَ الجيشِ ليكُونوا عوْنًا للأميرِ سيفِ الدِّينِ طَشْتَمُر نائبِ حلَبَ ومَن معه، وقد كتَبُوا إلى الأمراءِ يستميلُونَهم إلى ذلك، ولما نزَلُوا بظاهرِ دمشقَ خرَج إليهم مَن بدمشقَ مِن الأكابرِ والقُضاةِ والمباشِرينَ، مثلُ والِى البرِّ، ووالِى المدينةِ، والمَهْمَنْدار[3]، وغيرُهم، فلمَّا كان الصباحُ خرَج أهلُ دمشقَ عن بَكْرةِ أبيهم، على عادتِهم فى

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٢، وتذكرة النبيه ٣/ ٢٧، ٢٨.

(٢) فى النسختين: «جاءوا».

(٣) فى م: «ابن سمندار». والمهمندار: هو الذى يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة، ويتحدث فى القيام بأمرهم. صبح الأعشى ٤/ ٢٢، ٥/ ٤٥٩.

قُدومِ السَّلاطِينِ ودُخولِ الحُجَّاجِ ، بل أكثرَ مِن ذلك مِن بعضِ الوُجوهِ ، وخرَج القضاةُ والصاحِبُ والأعيانُ والوُلاةُ وغيرُهم ، ودخَل الأميرُ سيفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا فى دَسْتِ نيابةِ السلطَنَةِ التى فوَّضَها إليه الملكُ الناصرُ الجديدُ ، وعن يمينه الشافعِىُّ ، وعن شمالِه الحنَفىُّ على العادةِ ، والجيشُ كلُّه مُحدِقٌ به فى الحديدِ ، والنقاراتُ[1] والبوقاتُ والشبابةُ[2] السلطانيةُ والسَّناجِقُ الخليفتِيَّةُ والسُّلطانِيَّةُ تَخْفِقُ ، والناسُ فى الدُّعاءِ والثَّناءِ للفَخْرِىِّ ، وهم فى غايةِ الاستبشارِ والفرحِ ، ورُبَّما نالَ بعضُ جَهَلةِ الناسِ مِن النائبِ الآخرِ الذى ذهَب إلى حلَبَ ، ودخَلتِ الأطلابُ بعدَه على ترتيبِهم ، وكان يومًا مشهودًا ، فنزَل شرقِىَّ دمشقَ قريبًا مِن خانِ لاچِينَ ، وبعَث فى هذا اليومِ فرسمَ على القُضاةِ والصَّاحبِ ، وأخَذ مِن أموالِ الأيتامِ وغيرِها خمسَمائةِ ألفٍ ، وعوَّضَهم عن ذلك بقَرْيَةٍ مِن بيتِ المالِ ، وكتَب بذلك سِجِلَّاتٍ ، واستَخْدَم جُندًا[3] ، وانضافَ إليه مِن الأمراءِ الذين كانوا قد تخلَّفُوا بدمشقَ جماعةٌ ؛ منهم تَمُر السَّاقِى مُقدَّمٌ ، وابنُ قَراسُنْقُر ، وابنُ الكاملِ ، وابنُ المعظَّمِ ، وابنُ البلدِىِّ وغيرُهم ، وبايَعَ هؤلاء كلُّهم مع مُباشرِى دمشقَ للملكِ الناصرِ بنِ الناصرِ ، وأقام الفَخْرِىُّ على خانِ لاچِينَ ، وخرَج المُتَعيِّشُونَ بالصَّنائعِ إلى عندِهم ، وضربتِ البشائرُ بالقلعةِ صَبِيحةَ يومِ الثلاثاءِ سادسَ عشَرَ الشهرِ ، ونُودِىَ بالبلدِ : إنَّ سُلطانَكم الملكُ الناصرُ أحمدُ بنُ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوُونَ ،ونائِبَكم سيفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا الفَخْرِىُّ . وفرِح كثيرٌ مِن الناسِ بذلك ، وانضَافَ إليه نائبُ صَفَدَ ، وبايَعه نائبُ بَعْلَبَكَّ ، واستَخْدَمُوا له رِجالًا

---

(١) فى الأصل : « الفعازات » ، وفى م : « العقارات » . والنقارات : آلة من الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ، وكانت على عشرين بغلا ، تسير فى المواكب اثنتين اثنتين ، ولها حسٌّ حسن . انظر : صبح الأعشى ٣/٤٧١ .

(٢) فى م : « النشابة » .

(٣) فى م : « جيدًا » .

وجُندًا ، ورجَع إليه الأميرُ سيفُ الدِّينِ سَنْجَر الجُمَقْدَار[1] رأسُ الميمنةِ بدمشقَ ، وكان قد تأخَّر فى السَّفَرِ عن نائبِ دمشقَ علاءِ الدِّينِ ألطُنْبُغَا ، بسببِ مرضٍ عرَض له ، فلمَّا قدِمَ الفَخْرِىُّ رجَع إليه وبايع الناصرَ بنَ الناصرِ ، ثم كاتبَ نائبَ حماةَ طُقُزْدَمُر - الذى نابَ بمصرَ للملكِ المنصورِ - فأجابَه إلى ذلك ، وقدِم على العسكرِ يومَ السبتِ السابعِ والعشرِينَ مِن الشَّهرِ المذكورِ ، فى تجمُّلٍ عظيمٍ ، وخزائنَ كثيرةٍ ، وثَقَلٍ هائلٍ .

وفى صَبيحةِ يومِ الأحدِ الثامن والعشرِينَ مِن هذا الشَّهرِ كسَفَتِ الشَّمسُ قبلَ الظهرِ .

وفى صبيحةِ يومِ الاثنينِ التاسع والعشرِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ قدِم نائبُ غزَّةَ الأميرُ آقْ سُنْقُر فى جيشٍ ، وهو قَريبٌ مِن ألفينِ ، فدخَلُوا دمشقَ وَقْتَ الفجرِ ، وغدَوْا إلى مُعَسْكَرِ الفَخْرِىِّ ، فانضافُوا إليهم ، ففرِحُوا بهم كثيرًا ، وصار فى قريبٍ مِن خمسةِ آلافِ مُقاتلٍ أو يزيدُونَ .

استَهَلَّ شهرُ رجبٍ الفردُ والجماعةُ مِن أكابرِ التُّجارِ مطلُوبون بسببِ أموالٍ طلَبها منهم الفَخْرِىُّ ، يُقَوِّى بها الجيشَ الذى معه ، ومبلَغُ المالِ الذى أرادَه منهم ألفُ ألفِ دِرْهمٍ ، ومعه مرسُومُ الناصرِ بنِ الناصرِ ببيعِ أملاكِ الأميرِ سيفِ الدِّينِ قَوْصُونَ أتابَك الملكِ الأشرفِ علاءِ الدِّينِ كُجُك بنِ الناصِرِ التى بالشَّامِ ، بسببِ إبائِه عن مُبايعةِ الأميرِ أحمدَ بنِ الناصرِ ، فأشار على الفَخْرِىِّ مَن أشار بأن يُباعَ للتُّجَّارِ شىءٌ مِن أملاكِ الخاصِّ ، ويُجْعَلَ مالُ قَوْصُون مِن جملةِ الخاصِّ ، فرسَمَ

---

(١) الجمقدار : هو الذى يمشى فى المواكب السلطانية حاملا دبوسا له رأس ضخم مذهب ، على أن يتجه نظره إلى السلطان من أول خروج الموكب حتى انفضاضه . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٠٥.

بذلك ، وأن يُباعَ للتُّجَّارِ قَرْيةُ دُومَةَ[1] [٤/ ١٥٢] قُوِّمَتْ بألفِ ألفٍ وخمسِمائةِ ألفٍ ، ثم لطَف اللَّهُ وأفرَج عنهم بعدَ ليلتَيْنِ أو ثلاثٍ ، وتعوَّضُوا عن ذلك بحواصِلِ قَوْصُون ، واستمَرَّ الفَخْرِىُّ بمَن معه ومَن أُضِيفَ إليه مِن الأمراءِ والأجنادِ مُقِيمِينَ بثَنِيَّةِ العُقَابِ ، واستخدَم مِن رجالِ البقاعِ جماعةً كثيرةً أكثرَ مِن ألفِ رامٍ ، وأميرُهم يحفَظُ أفواهَ الطُّرُقِ ، وأزِف قدومُ الأميرِ علاءِ الدِّينِ ألطُنْبُغَا بمَن معه مِن عساكرِ دمشقَ وجمهورِ الحلبِيِّينَ وطائفةٍ مِن الطَّرابُلُسِيِّينَ ، وتأهَّبَ هؤلاءِ لهم . فلمَّا كان الحادى من هذا الشهرِ اشتَهَر أنَّ ألطُنْبُغَا وصَل إلى القَسْطَلِ[2] وبعَث طلائعَه فالتقَتْ بطلائعِ الفَخْرِىِّ ، ولم يكنْ بينَهم قِتالٌ ، وللَّهِ الحمدُوالمِنَّةُ ، وأرسَل الفَخْرِىُّ إلى القُضاةِ ونُوَّابِهم وجماعةٍ مِن الفقهاءِ فخرَجُوا ، ورجَع الشافعىُّ مِن أثناءِ الطريقِ ، فلمَّا وصَلُوا أمرَهم بالسَّعْيِ بينَه وبينَ ألطُنْبُغَا فى الصُّلحِ ، وأن يُوافِقَ الفخرِىَّ فى أمرِه ، وأن يُبايعَ الناصرَ بنَ الناصرِ ، فأبَى ذلك ، فردَّهم إليه غيرَ مرَّةٍ ، وكلُّ ذلك يمتَنِعُ عليهم ، فلمَّا كان يومُ الاثنينِ رابعَ عشَرِه عندَ العصرِ جاء بريدٌ إلى مُتَولِّى البلدِ [3]عندَ العصرِ[3] مِن جهةِ الفَخْرِىِّ يأمُرُه بغَلْقِ أبوابِ البلدِ ، فغُلِّقَتِ الأبوابُ ؛ وذلك لأنَّ العساكِرَ توجَّهوا وتواقَفُوا للقتالِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، وذلك أنَّ ألطُنْبُغَا لمَّا علِم أنَّ جماعةَ قُطْلُوبُغَا على ثَنِيَّةِ العُقَابِ ، دار الدورةَ[4] مِن ناحيةِ المُعَيْصرَةِ ، وجاء بالجيوشِ من هنالك ، فاستَدَار له الأميرُ سيفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا الفَخْرِىُّ بجماعتِه إلى ناحيتِه ، ووقَف له فى طريقِه ، وحال بينَه وبينَ الوُصولِ إلى البلدِ ، وانزعَجَ الناسُ انزعاجًا عظيمًا ،

---

(١) فى م : « دوية » . ودومة : من قرى غوطة دمشق غير دومة الجندل . معجم البلدان ٢/ ٦٢٥.

(٢) قسطل : موضع بين حمص ودمشق ، وقيل هو اسم كورة هناك . معجم البلدان ٤/ ٩٥.

(٣ - ٣) كذا فى النسختين .

(٤) فى م : « الذروة » .

وغُلِّقَتِ القياسرُ والأسواقُ ، وخافَ الناسُ بعضُهم مِن بعضٍ أن يكونَ نَهْبٌ ، فركِب مُتَولِّى البلدِ الأميرُ ناصرُ الدِّينِ بنُ بَكْتَاش[1] ومعه أولادُه ونُوَّابُه والرَّجّالةُ ، فسار فى البلدِ وسكَّن الناسَ ودعَوْا له ، فلمَّا كان قريبُ المغربِ فتَح لهم بابَ الجابيةِ ليدخُلَ مَن هو من أهلِ البلدِ ، [2]ودخَل مَن هو مِن أهلِ البلدِ[2] ، فجرَتْ فى البابِ - على ما قِيل - زحْمةٌ عظيمةٌ ، وتسخَّطَ الجندُ على الناسِ فى هذه الليلةِ ، واتَّفقَ أنَّها ليلةُ الميلادِ ، وباتَ المسلمون مهْمومِين بسببِ العَسْكَرِ واختلافِهم ، فأصبَحَتْ أبوابُ البلدِ مُغَلَّقةً فى يومِ الثلاثاءِ سوى بابِ الجابيةِ ، والأمرُ على ما هو عليه ، فلمَّا كان عشِيَّةُ هذا اليومِ تقارَبَ الجيشان ، واجتَمَع ألطُنْبُغَا وأمراؤُه ، واتَّفَق أمراءُ دمشقَ أو جُمهورُهم الذين هم معَه على أن لا يقاتِلُوا مسلمًا ولا يسُلُّوا فى وَجْهِ الفخرىِّ وأصحابِه سيفًا ، وكان قضاةُ الشَّامِ قد ذهَبُوا إليه مِرارًا للصُّلْحِ ، فيأبَى عليهم إلا الاستِمرارَ على ما هو عليه ، وقَوِيَتْ نفسُه عليه . واللَّهُ أعلمُ .

عجيبةٌ مِن عجائبِ الدَّهرِ[3]

فباتَ الناسُ متقابِلِينَ فى هذه الليلةِ وليس بينَ الجيشَيْنِ إلَّا مقدارُ مِيلَيْنِ أو ثلاثةٍ ، وكانت ليلةً مطيرةً ، فما أصبَح الصُّبحُ إلَّا وقد ذهَب مِن جماعةِ ألطُنْبُغَا إلى الفَخْرِىِّ خلقٌ كثيرٌ مِن أجنادِ الحَلْقةِ[4] ومِن الأمراءِ والأعيانِ ، وطلَعتِ

---

(١) فى م : « بكباشى » . وانظر الدرر الكامنة ٤/ ١٥.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) كذا جاءت هذه العناوين فى النسختين ، وستأتى عناوين أخرى هكذا ، ولعلها من النساخ .

(٤) فى م : « الحلفاء » . وأجناد الحلقة : محترفو الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم ، ومرتباتهم من ديوان الجيش . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٥٦٦.

الشمسُ وارتفَعَتْ قليلًا ، فنفَّذ ألطُنْبُغَا القضاةَ وبعضَ الأمراءِ إلى الفَخْرِىِّ يتهدَّدُه ويتوَعَّدُه ويُقَوِّى نفسَه عليه ، فما سارُوا عنه قليلًا حتى[1] ساقَتِ العساكرُ مِن الميمنةِ والميسرةِ ومِن القلبِ ومِن كلِّ جانبٍ مُقْفِرِينَ إلى الفخرىِّ ، وذلك لِما هم فيه من ضِيقِ العيشِ وقلَّةِ ما بأيدِيهم مِن الأطعمةِ وعلَفِ الدَّوابِّ ، وكثرَةِ ما معهم من الكُلَفِ ، فرأَوْا أن هذا حالٌ يطولُ عليهم ، ومقَتُوا أمرَهم غايةَ المقتِ ، وتطايَبَتْ قلوبُهم وقلوبُ أولئكَ مع أهلِ البلدِ على كراهتِه ، لقُوَّةِ نفسِه فيما لا يُجدِى عليه ولا عليهم شيئًا ، فبايَعُوا على المُخامرةِ عليه ، فلم يَبْقَ معه سوى حاشيتِه فى أقلَّ مِن ساعةٍ واحدةٍ ، فلمَّا رأى الحالَ على هذه الصِّفةِ كرَّ راجعًا هاربًا من حيثُ جاء وصُحبتَه الأميرُ سيفُ الدِّينِ أَرُقْطاى[2] نائبُ طرابُلُسَ وأميرانِ آخرانِ ، [٤/١٥٣] والتقَتِ العساكرُ والأمراءُ ، وجاءَتِ البِشارةُ إلى دمشقَ قبلَ الظهرِ ، ففرِحَ الناسُ فرحًا شديدًا جدًّا ؛ الرِّجالُ والنساءُ والوِلدانُ ، حتى مَن لا نَوْبةَ له ، ودقَّتِ البشائرُ بالقلعةِ المنصورةِ ، فأرسَلُوا فى طلَبِ مَن هرَب ، وجلَس الفَخْرِىُّ هنالك بقيَّةَ اليومِ يُحَلِّفُ الأمراءَ على أمرِه الذى جاء له ، فحَلَفُوا له ، ودخَل دمشقَ عشِيَّةَ يومِ الخميسِ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ ، وحُرمةٍ وافرةٍ ، فنزَل القصرَ الأبلقَ ، ونزَل الأميرُ طُقُزْدَمُر بالميدانِ الكبيرِ ، ونزَل قُمَارِى[3] بدارِ السعادةِ ، وأخرَجُوا المُوساوِىَّ الذى كان مُعتَقلًا بالقلعةِ ، وجعَلُوه مشدًّا على حَوْطاتِ حواصلِ ألطُنْبُغَا ، وكان قد تغضَّبَ الفَخرِىُّ على جماعةٍ من الأمراءِ ؛ منهم الأميرُ

---

(١) فى م : « إلا » .

(٢) فى الأصل : « رقطبة » ، وفى م : « رقطية » . وانظر صفحة ٤٢٥ .

(٣) فى الأصل : « قماراى » ، وفى م : « عمارى » . وسيأتى على الصواب بعد ذلك . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٣٤١ . وانظر فهارس الجزء الثانى من السلوك .

حسامُ الدِّينِ البَشْمَقْدار[1] أمير حاجب ، بسببِ أنه صاحبٌ لعلاءِ الدِّينِ ألطُنْبُغَا ، فلمَّا وقَع ما وقَع هرَب فى مَن هرَب ، ولكن لم يأْتِ الفَخْرِىَّ ، بل دخَل البلدَ فتوسَّطَ فى الأمرِ ؛ لم يَذْهَبْ مع ذاكَ ولا جاء مع هذا ، ثم إنَّه استدرَكَ ما فاتَه فرجَع من البادِ[2] إلى الفخرِىِّ ، وقيل : بل رسَم عليه حينَ جاءوا وهو مَهْمُومٌ جدًّا ، ثم إنَّه أُعْطِى مِنديلَ الأمانِ . وكان معهم كاتبُ السِّرِّ القاضى شِهابُ الدِّينِ ابنُ فضلِ اللَّهِ ، ثم أُفرِج عنهم ، ومنهم الأميرُ سيفُ الدينِ حفطيةُ ، وكان شديدَ الحنَقِ عليه ، فأطلقَه مِن يومِه وأعادَه إلى الحُجوبيَّةِ ، وأظهرَ مكارمَ أخلاقٍ عظيمةً ، ورياسةً كبيرةً ، وكان للقاضى علاءِ الدِّينِ بنِ المُنَجّا قاضى قُضاةِ الحنابلةِ فى هذه الكائنةِ سَعْىٌ مشكورٌ ، ومراجعةٌ كبيرةٌ للأميرِ علاءِ الدِّينِ ألطُنْبُغَا ، حتى خِيفَ عليه منه ، وخاطرَ بنفسِه معه ، فأنجحَ اللَّهُ مقصِدَه وسلَّمه منه ، وكبَتَ عدُوَّه ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى يومِ السبتِ السادس والعشرِينَ منه قُلِّد قضاءَ العساكرِ المنصورةِ الشيخُ نورُ[3] الدِّينِ بنُ الصائغِ عِوضًا عن القاضى الحنفىِّ الذى كان مع النائبِ المنفصلِ ؛ وذلك لأنَّهم نقَمُوا عليه إفتاءَه ألطُنْبُغَا بقتالِ الفخرِىِّ ، وفرِح بولايتِه أصحابُ الشَّيخِ تقىِّ الدِّينِ ابنِ تيميَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وذلك لأنَّه مِن أخصِّ مَن صحِبَه قديمًا ، وأخَذ عنه فوائدَ كثيرةً وعلومًا .

وفى يومِ الأربعاءِ سلخ رجبٍ آخرِ النهارِ قدِم الأميرُ قُمَارِى مِن عندِ الملكِ الناصرِ بنِ الناصرِ مِن الكَرَكِ ، وأخبَرَه بما جرَى مِن أمرِهم وأمرِ ألطُنْبُغَا ، ففرِح

---

(١) بعده فى الأصل : « و » .

(٢) فى م : « البار » .

(٣) فى م : « فخر » . وانظر الدرر الكامنة ٤/ ٣٤٤.

بذلك ، وأخبَر قُمَارِى بقُدومِ السلطانِ ، ففرِح الناسُ بذلك واستعَدُّوا له بآلاتِ المملكةِ ، وكثُرَتْ مطالبَتُه أربابَ الأموالِ والذِّمَّةِ بالجزيةِ .

وفى مُستَهَلِّ رجبٍ مِن هذه السنةِ ركِب الفخرىُّ فى دَسْتِ النيابةِ بالموكبِ المنصورِ ، وهو أوَّلُ رُكوبِه فيه ، وإلى جانبِه قُمَارِى ، وعلى قُمَارِى خِلعةٌ هائلةٌ ، وكثُر دعاءُ الناسِ للفخرىِّ يومَئذٍ ، وكان يومًا مشهودًا . وفى هذا اليومِ خرَج جماعةٌ مِن المُقَدَّمِينَ الألوفِ إلى الكَرَكِ بإخبارِ ابنِ السلطانِ بما جرَى ؛ منهم طُقُزْدَمُر ، وأقْبُغَا عبدُ الواحدِ وهو السَّاقِى ، ومَنْكَلى[1] بُغَا وغيرُهم . وفى يومِ السبتِ ثالثه اسْتَدْعى الفخرىُّ القاضىَ الشافعىَّ وألَحَّ عليه فى إحضارِ الكتُبِ المعْتَقَلةِ[2] فى سلةِ الحكمِ التى كانت أُخِذت مِن عندِ الشيخِ تقىِّ الدِّينِ ابنِ تيمِيَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، مِن القلعةِ المنصورةِ فى أيامِ جلالِ الدِّينِ القَزْوينىِّ ، فأحضرَها القاضى بعدَ جَهْدٍ ومُدافعةٍ ، وخاف على نفسِه منه ، فقبَضَها منه الفَخْرِىُّ بالقصرِ ، وأذِنَ له بالانصرافِ مِن عندِه وهو مُتَغَضِّبٌ عليه ، ورُبَّما هَمَّ بعَزْلِه لمُمانعتِه إيَّاها ، ورُبَّما قال قائلٌ : هذه فيها كلامٌ يتعلَّقُ بمسألةِ الزِّيارةِ . فقال الفَخْرِىُّ : كان الشيخُ أعلمَ باللَّهِ وبرسولِه منكم . واستبشَرَ الفَخْرِىُّ بإحضارِها إليه ، فاسْتَدْعَى بأخى الشيخِ زينِ الدِّينِ عبدِ الرحمنِ ، [3]وبالشيخِ شمسِ الدِّينِ عبدِ الرحمنِ[3] بنِ قيِّمِ الجوزِيَّةِ وكان له سَعْىٌ مشكورٌ فيها ، فهَنَّأهما بإحضارِه الكُتُبَ ،وبيَّتَ الكُتُبَ تلك الليلةَ فى خِزانتِه [٤/١٥٤] للتَّبَرُّكِ ، وصلَّى به الشيخُ زينُ الدِّينِ أخو الشيخِ صلاةَ المغربِ بالقَصْرِ ، وأكرمَه الفخرِىُّ إكرامًا زائدًا لمحبَّتِه الشيخَ ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى النسختين : « ميكلى » . والمثبت من السلوك ٢/٣/ ٥٧٥. وانظر الدليل الشافى ٢/ ٧٤٥.
(٢) سقط من : م .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

وفى يومِ الأحدِ رابعِه دَقَّتِ البشائرُ بالقلعةِ وفى بابِ الميدانِ لقُدومِ بَشِيرٍ بالقَبْضِ على قَوصُون بالديارِ المصريَّةِ ، واجتَمَع الناسُ لذلك ، واستبشَر كثيرٌ منهم بذلك ، وأقبَلَ جماعةٌ مِن الأمراءِ إلى الكَرَكِ لطاعةِ الناصرِ بنِ الناصرِ ، واجتَمَعُوا مع الأمراءِ الشَّامِيِّينَ عندَ الكَرَكِ ، وطلَبُوا منه أن ينزِلَ إليهم فأبى ، وتوَهَّم أنَّ هذه الأمورَ كلَّها مَكِيدَةٌ ليقبِضُوه ويُسْلِمُوه إلى قَوصُون ، وطلَب منهم أن يَنظُرَ فى أمرِه ، وردَّهم إلى دمشقَ . وفى هذه الأيامِ وما قبلَها وما بعدَها أخَذ الفخرىُّ من جماعةٍ مِن التجارِ بالأسواقِ وغيرِها زكاةَ أموالِهم سنةً ، فتحصَّل مِن ذلك زيادةٌ على مائةِ ألفٍ وسبعةِ آلافٍ ، وصُودِرَ أهلُ الذِّمَّةِ بقريبٍ مِن ذلك زيادةً على الجزيةِ التى أُخِذَتْ منهم عن ثلاثِ سِنينَ سلَفًا وتعجيلًا ، ثم نُودِىَ فى البلدِ يومَ الاثنينِ الحادى والعِشرينَ مِن الشهرِ مُناداةً صادِرَةً[1] مِن الفخرِىِّ برفعِ الظُّلاماتِ والطَّلَباتِ وإسقاطِ ما تبقَّى مِن الزكاةِ والمُصادرَةِ ، غيرَ أنَّهم احتاطُوا على جماعةٍ مِن المُشَاةِ المُكثِرينَ ليشترُوا منهم بعضَ أملاكِ الخاصِّ ، والبُرْهانُ بنُ بشارةَ الحنفىِّ تحتَ المُصادرةِ والعقوبةِ على طلَبِ المالِ الذى وجدَه فى طُمَيْرَةٍ وجدَها فيما ذُكِر عنه ، واللَّهُ أعلمُ .

وفى يومِ الجمعةِ الرابعِ والعشْرينَ منه بعدَ الصلاةِ دخَل الأمراءُ السِّتَّةُ الذينَ توجَّهُوا نحوَ الكَرَكِ لطلَبِ السلطانِ أن يَقْدَمَ إلى دمشقَ ، فأبَى عليهم فى هذا الشهرِ ، ووعدَهم وقتًا آخرَ فرجَعُوا ، وخرَج الفخرىُّ لتلقِّيهم ، فاجتَمَعُوا قِبْلِىَّ جامعِ القُبَيْبَاتِ الكَريمىِّ ، ودخَلُوا كلُّهم إلى دمشقَ فى جمعٍ كثيرٍ مِن الأتراكِ الأمراءِ والجُندِ، وعليهم خَمْدَةٌ [2]لعدمِ قدومِ[2] السلطانِ ، أيَّدَه اللَّهُ . وفى يومِ

---

(١) فى الأصل : « سابقة » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « لقدوم » .

الأحدِ قدِم البريدُ خلفَ قُمَارِى وغيرِه مِن الأمراءِ يطلُبُهم إلى الكَرَكِ ، واشتَهَر أنَّ السلطانَ رأى النبىَّ ﷺ فى المنامِ وهو يأمُرُه بالنزولِ من الكَرَكِ وقبُولِ المملكةِ ، فانشرَحَ الناسُ لذلك .

وتُوفِّى **الشيخُ عمرُ بنُ أبى بكرٍ**[1] **الميهنى**[2] **البَسْطِىُّ** يومَ الأربعاءِ التاسع والعشرِينَ ، وكان رجلًا صالحًا ، كثيرَ التِّلاوةِ والصلاةِ والصَّدقةِ وحضُورِ مجالسِ الذِّكرِ والحديثِ ، له هِمَّةٌ وصَوْلَةٌ على الفقراءِ المُتشَبِّهينَ بالصّالِحِينَ وليسُوا منهم ، سمِع الحديثَ مِن الشيخِ فخرِ الدِّينِ بنِ البُخارِىِّ وغيرِه ، وقرأْتُ عليه عن ابنِ البُخارىِّ « مُختصرَ المَشيخةِ » ، ولازمَ مجالسَ الشيخِ تقىِّ الدِّينِ ابنِ تيميَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وانتَفَع به ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصَّغيرِ .

وفى شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ - أوَّلُه يومُ الجمُعةِ - كان قد نُودِىَ فى الجيشِ : آنَ الرحيلُ لمُلتَقَى السلطانِ فى سابعِ الشهرِ . ثم تأخَّر ذلك إلى بعدِ العَشْرِ ، ثم جاء كتابٌ مِن السلطانِ بتأخُّرِ ذلك إلى بعدِ العيدِ . وقدِمَ فى عاشرِ الشهرِ علاءُ الدِّينِ ابنُ تقىِّ الدِّينِ الحنفِىُّ ، ومعه ولايةٌ مِن السلطانِ الناصرِ بنِ الناصرِ بنَظَرِ البِيمارَسْتانِ النُّورِىِّ ومَشْيخةِ الرَّبوةِ ، ورُتِّب على الجهاتِ السلطانيةِ ، وكان قد قدِمَ قبلَه القاضى شهابُ الدِّينِ بنُ البارزِىِّ بقضاءِ حِمْصَ مِن السلطانِ ، أيَّدَه اللَّهُ تعالى ، ففرِحَ الناسُ بذلك حيثُ تكلَّم السلطانُ فى المملكةِ ، وباشرَ وأمَّرَ ، وولَّى ووقَّع ، وللَّهِ الحمدُ . وفى يومِ الأربعاءِ ثالثَ عشَرِه دخَل الأميرُ سيفُ الدِّينِ طَشْتَمُر المُلَقَّبُ بالحِمَّصِ الأخضرِ من البلادِ الحلَبِيَّةِ إلى دمشقَ المحرُوسةِ ، وتلَقَّاه

---

(١) بعده فى النسختين : « بن » . وانظر ترجمته فى : الدرر الكامنة ٣/٢٣٣ ، وانظر الجزء الأول صفحة ٢١ من مقدمة التحقيق .

(٢) فى الأصل : « الهيتى » ، وفى م : « اليثمى » . والمثبت من الدرر الكامنة .

الفخرِىُّ والأمراءُ والجيشُ بكمالِه، ودخَل فى أُبَّهةٍ حسَنةٍ، ودعا له الناسُ، وفرِحُوا بقُدومِه بعدَ شتاتِه فى البلادِ وهرَبِه من بينِ يَدَىْ ألطُنْبُغَا حينَ قصَده إلى حلَبَ، كما تقدَّم ذكرُه.

وفى يومِ الخميسِ رابعَ عَشَرِه خرَجتِ الجيوشُ مِن دمشقَ قاصِدينَ إلى غزَّةَ لنَظرةِ السلطانِ حين يخرُجُ من الكَرَكِ السعيدِ، فخرَج يومئذٍ مقدَّمان؛ طُقُزْدَمُر، وأقْبُغَا عبدُ الواحدِ، فبرَزَا إلى الكُسوةِ، فلما كان يومُ السبتِ خرَج [٤/١٥٥] الفخرىُّ ومعه طَشْتَمُر وجمهورُ الأمراءِ، ولم يَقُمْ بعدَه بدِمَشْقَ إلَّا مَن احْتِيجَ لمقامِهم لمُهِمَّاتِ المملكةِ، وخرَج معه بالقضاةِ الأربعةِ وقاضى العساكرِ والمُوقِّعِينَ والصاحبِ وكاتبِ الجيشِ وخلقٍ كثيرٍ.

وتُوفِّى الشيخُ الصالحُ العابدُ الناسكُ **أحمدُ**[1] **المُلَقَّبُ بالعَصيدةِ**[2] ليلةَ الأحدِ الرابعَ والعشرِينَ مِن رمضانَ، وصُلِّىَ عليه بجامعِ تَنْكِز[3]، ودُفِن بالصوفِيَّةِ قريبًا مِن قبرِ الشيخِ جمالِ الدِّينِ المِزِّىِّ، تغمَّدَهما اللَّهُ برحمتِه، وكان فيه صلاحٌ كثيرٌ، ومواظبةٌ على الصلاةِ فى جماعةٍ، وأمْرٌ بمعرُوفٍ ونَهْىٌ عن منكرٍ، مشهورًا[4] عندَ الناسِ بالخيرِ، وكان يُكْثِرُ مِن خدمةِالمَرْضَى بالمَارَسْتانِ وغيرِه، وفيه إيثارٌ وقناعةٌ وتَزَهُّدٌ كثيرٌ، وله أحوالٌ مشهورةٌ، رحِمه اللَّهُ وإيَّانا.

واشتهَرَ فى أواخرِ الشهرِ المذكورِ أنَّ السلطانَ الملكَ الناصرَ [5]شهابَ الدِّينِ[5] أحمدَ خرَج مِن الكَرَكِ المحروسِ صُحْبةَ جماعةٍ مِن العربِ والأتراكِ قاصدًا إلى

---

(١) بعده فى م: «ابن». ومكانه بياض فى الأصل.

(٢) فى م: «القصيدة». وانظر ترجمته فى: الدرر الكامنة ١/ ٣٦٥. وفيه: أحمد العصيدة. ولم ينسبه.

(٣) فى النسختين: «شكر». وقد تقدم ذكر هذا الجامع مرارا.

(٤) فى النسختين: «مشكورا».

(٥ - ٥) انظر صفحة ٤٣٠ حاشية (٤ - ٤).

الدِّيارِ المصريةِ ، ثم تحرَّر خروجُه منها فى يومِ الاثنينِ ثامنَ عشَرَ الشهرِ المذكورِ ، فدخَل الدِّيارَ المصريةَ بعدَ أيامٍ ، هذا والجيشُ صامِدونَ إليه ، فلمّا تحقَّقَ دخولُه مصرَ حثُّوا فى السيرِ إلى الدِّيارِ المصريةِ ، وبعَث يستحِثُّهم أيضًا ، واشتَهَر أنَّه لم يجلِسْ على سَريرِ المُلكِ حتى يقدَمَ الأمراءُ الشاميونَ صُحبةَ نائبِه الأميرِ سيفِ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا الفخرىُّ ، ولهذا لم تَدُقَّ البشائرُ بالقِلاعِ الشامِيَّةِ ولا غيرِها فيما بلَغَنا . وجاءتِ الكُتُبُ والأخبارُ من الديارِ المصريةِ بأنَّ يومَ الاثنينِ عاشر شوَّالٍ كان إجْلاسُ السلْطانِ الملكِ الناصرِ شهابِ الدِّينِ أحمدَ على سَريرِ المملَكةِ ، صعِد هو والخليفةُ الحاكمُ بأمْرِ اللَّهِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ المُستَكفِى فوقَ المِنْبَرِ ، وهما لابِسَانِ السَّوادَ ، والقُضاةُ تحتَهما على دَرَجِ المِنْبَرِ بحسبِ منازِلِهم، فخطَب الخليفةُ ، وخلَع الأشْرفَ كُجُك ووَلَّى هذا الناصِرَ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، واشْتَهَى[1] ولايتَه لطَشْتَمُر نِيابةَ مصرَ ، والفخرىِّ دمشقَ ، وأيْدُغْمُش حَلَبَ ، فاللَّهُ أعلمُ ، ودَقَّتِ البشائرُ بدِمَشْقَ ليلةَ الجمعةِ الحادِى والعِشرينَ مِن الشهرِ المذْكورِ ، واسْتَمَرَّتْ إلى يومِ الاثنينِ مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدَةِ ، وزُيِّنتِ البلدُ يومَ الأحدِ ثالث عِشرينَ منه ، واحْتَفَلَ الناسُ بالزينةِ .

وفى يومِ الخميسِ المذْكورِ دخَل الأميرُ سيفُ الدِّينِ أَلْمَلِك[2] أحدُ [3]رُءوسِ المَشُورَةِ[3] بمصرَ إلى دمَشقَ فى طلَبِ نيابةِ حَماةَ ، حرَسَها اللَّهُ تعالى . فلمَّا كان يومُ الجمُعةِ بعدَ الصلاةِ وَرد البريدُ مِن الدِّيارِ المصريةِ فأخْبَرَ أنَّ طَشْتَمُر الحِمَّصَ

---

(١) فى م : « أظهر » .

(٢) وضبطه فى الدليل الشافى ١/ ١٥٣ : آل مَلَك . ضبط قلم . والمثبت كما فى الوافى بالوفيات ٩/ ٣٧٢ نقلا عن أعيان العصر .

(٣ - ٣) فى الأصل : « رءوس المشهورة » ، وفى م : « الرءوس المشهورة » . والمثبت موافق لما فى الوافى بالوفيات الموضع السابق . وانظر الدرر الكامنة ١/ ٤٣٩ .

الأخْضَرَ مُسِكَ ، فتعجَّبَ الناسُ من هذه الكائنةِ كثيرًا ، فخرَج مَن بدِمَشْقَ مِن أعْيانِ الأمراءِ إلى[1] الحاجِّ[2] [3]ألْمَلِك وقد[3] خيَّمَ بوَطْأةِ بَرْزَةَ[4] فأخْبَروه[5] بذلك ، وأمَّرُوه عن مرْسُومِ السلْطانِ أنْ ينُوبَ بدِمَشْقَ حتى يأتِيَ المرسومُ بما يَعْتَمِدُونه[6] فأجابَ إلى ذلك ، وركِب فى المَوْكِبِ يومَ السبتِ السادِس [7]والعشْرين[7] منه ، وأمَّا الفَخْرِىُّ فإنَّه لما تنسَّم هذا الخبرَ وتحقَّقَه وهو بالزَّعْقةِ[8] ، فرَّ فى طائفةٍ من مَماليكِه قريبٍ من سِتِّينَ أو أكثرَ ، فاخْتَرَقَ[9] وساقَ سوقًا حثيثًا ، وجاءَه الطلبُ مِن ورائِه من الديارِ المصريةِ فى نحْوٍ من ألفِ فارسٍ صُحْبَةَ الأميرين ألطُنْبُغَا المارداني ويَلْبُغا اليَحْيَاوىِّ ، ففاتَهما وسبَق ، واعْتَرضَ له نائبُ غَزَّةَ فى جُنْدِه فلم يقْدِرْ عليه ، فسلَّطُوا عليه العشيراتِ ينهَبُونه ، فلم يقْدِرُوا عليه إلَّا فى شىءٍ يسيرٍ ، وقتَل منهم خلْقًا ، وقصَد نحوَ صاحِبِه - فيما يَزْعُمُ - الأميرِ علاءِ الدِّينِ أيْدُغْمُش نائِبِ حَلَبَ ، راجِيًا منه أنْ ينْصُرَه وأنْ يُوافِقَه على ما قامَ بنفْسِه ، فلمّا وصَل إليه[10] أكرمه وأنزلَه ، وباتَ عندَه ، فلمَّا أصْبَح قبَض عليه وقيَّده ورَدَّه على البريدِ إلى الدِّيارِ المصريةِ ومعه التَّراسِيمُ من الأُمراءِ وغيرِهم .

ولمَّا كان يومُ الاثنينِ سَلْخ ذى القَعْدَةِ خرَجَ السلْطانُ الملكُ الناصرُ شهابُ

---

(١) فى م : « أمير » .

(٢) فى النسختين : « الحج » . وسيأتى فى صفحة ٤٧١ .

(٣ - ٣) فى م : « وغيره و » .

(٤) بعده فى م : « وخرج إلى الحج أمير » .

(٥) فى النسختين : « فأخبروه » .

(٦) فى م : « يعتمد أمير الحج » .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) مركز من مراكز البريد ما بين العريش ورفح . انظر صبح الأعشى ١٤/ ٣٧٨ .

(٩) فى م : « فاحترق » .

(١٠) سقط من : م .

الدِّينِ أحمدُ بنُ الناصرِ محمدِ بنِ المنْصورِ من الدِّيارِ المصريةِ فى طائفةٍ [٤/١٥٦] من الجيشِ ، قاصدًا إلى الكَرَك المحروسِ ، ومعه أمْوالٌ جزيلةٌ ، وحَواصِلُ وأشْياءُ كثيرةٌ ، فدخَلها فى يومِ الثلاثاءِ من ذى الحجَّةِ وصُحْبتَه طَشْتَمُر فى مِحَفَّةٍ مُمَرَّضًا ، والفَخْرِىُّ مُقَيَّدًا ، فاعْتُقِلَا بالكَرَكِ المحروسِ ، وطلَب السلطانُ آلاتٍ من أخْشابٍ ونحوِها ، وحدَّادِينَ[1] [2]وصناعًا ونحوَهما[2] لإصْلاحِ مُهمَّاتٍ بالكَرَكِ ، وطلَب أشْياءَ كثيرةً من دِمشْقَ المحروسِ ، فحمِلتْ إليه .

ولمَّا كان يومُ الأحدِ السابع والعشْرينَ من ذى الحجَّةِ ورَد الخبرُ بأنَّ الأميرَ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبَرْس الأحْمَدِىَّ النائبَ بصَفَدَ المحروسةِ رِكِبَ فى مَماليكِه وخدَمِه ومَن أطاعه ، وخرَج منها فارًّا بنفْسِه مِن القبْضِ عليه ، وذُكِرَ أنَّ نائبَ غزَّةَ قصَده ليقْبِضَ عليه بمرسُومِ السلْطانِ ورَدَ عليه من الكَرَكِ ، فهرَبَ الأحْمدِىُّ بسببِ ذلك . ولمَّا وصَل الخبرُ إلى دِمَشقَ وليسَ بها نائبٌ ، انْزَعجَ الأُمراءُ لذلك واجْتَمعُوا بدارِ السعادةِ ، وضرَبُوا فى ذلك مشُورةً ، ثم جرَّدُوا إلى ناحيةِ بعْلَبَكَّ أميرًا ليَصُدُّوه عن الذَّهابِ إلى البرِّيَّةِ . فلمَّا أصْبَح الصباحُ من يومِ الاثنينِ جاء الخبرُ بأنَّه فى نواحِى الكُسْوةِ ، ولا مانِعَ مِن خَلاصِه ، فركِبُوا كلُّهم ونادَى المُنادِى : مَن تأخَّر من الجُندِ عن هذا النَّفِيرِ شُنِقَ . فاسْتَوْثَقُوا فى الخروجِ ، وقصَدُوا ناحيةَ الكُسوةِ وبعثُوا الرُّسُلَ إليه ، فذكَر اعْتِذارًا فى خُروجِه وتخلُّص منهم ، وذهَب يومَه ذلك ، ورجَعُوا وقد كانوا مُلبِسينَ فى يومٍ حارٍّ ، وليسَ معهم مِن الأزْوادِ ما يكْفِيهم سِوَى يومِهم ذلك . فلمَّا كانتْ ليلةُ الثلاثاءِ ركِب الأُمراءُ فى طلَبِه من ناحيةِ ثَنِيَّةِ العُقَابِ ، فرجَعُوا فى اليومِ الثانى وهو فى صُحْبتِهم ، ونزَل فى القُصورِ

---

(١) فى الأصل : « حجارين » .

(٢ - ٢) فى النسختين : « صناع ونحوها » .

التى بَناها تَنْكِز ، رحِمه اللَّهُ ، فى طريقِ دارَيَّا ، فأقامَ بها ، وأجْرَوْا عليه مُرَتَّبًا كاملًا من الشَّعِيرِ والغَنَمِ وما يحْتاجُ إليه مثلُه ، ومعه مماليكُه وخدَمُه . فلمَّا كان يومُ الثلاثاءِ سادِس المحرَّمِ ، ورَد كتابٌ من جهةِ السلْطانِ فقُرِئَ على الأُمراءِ بدارِ السعادةِ يتضمَّنُ إكرامَه واحْترامَه والصفحَ عنه ؛ لتَقدُّمِ خِدَمِه على السلطانِ الملكِ الناصرِ وابنِه الملكِ المنصورِ .

ولمَّا كان يومُ الأرْبعاءِ سابع المحرَّمِ ورَد البريدُ مِن الكَرَكِ إلى الأميرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرْس الحاجبِ نائبِ الغَيْبَةِ و[1] الحاجبِ أَلِلْمِش[2] بالقَبْضِ على الأحْمَدِيِّ ، فركِبَ الجيشُ مُلبِسينَ يومَ الخميسِ وأوْكَبُوا بسُوقِ الخيلِ وراسَلُوه - وقد ركِبَ فى مَماليكِه بالعُدَدِ وأظْهرَ الامْتِناعَ - فكانَ جوابُه أنْ لا أسمعَ ولا أُطيعَ إلَّا لمَن هو ملكُ الديارِ المصريَّةِ ، فأمَّا مَن هو مُقيمٌ بالكَرَكِ ويصْدُرُ عنه ما يقالُ عنه مِن الأفاعيلِ التى قد سارَتْ بها الرُّكْبانُ ، فلا . فلما بلَغ الأُمراءَ هذا تَوقَّفُوا فى أمْرِه وسَكَنوا ، ورجَعُوا إلى مَنازِلِهم ، ورجَع هو إلى قصرِه .

---

(١) فى م : « ابن » .

(٢) فى النسختين : « ألمش » . والمثبت من الوافى بالوفيات ٩/ ٣٧٠، والضبط منه نقلا عن أعيان العصر ، وقال فى الدرر الكامنة ١/ ٤٣٨: بلامين الأولى مشددة والميم ساكنة . وفى المنهل الصافى ٣/ ٨٤: أللّمِش .

ثم دخلَتْ سنَةُ ثلاثٍ وأرْبعِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ المُباركةُ وسُلْطانُ المسلمينَ الملكُ الناصرُ [2]أحمدُ ابنُ[2] ناصِرِ الدينِ محمدِ بنِ الملكِ المَنْصورِ قَلاوُونَ، وهو مُقيمٌ بالكَرَكِ، قد حازَ الحواصِلَ السلْطانيَّةَ من قلعةِ الجبلِ إلى قلعَةِ الكَرَكِ، ونائبُه بالديارِ المصريَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ آقْ سُنقُر السَّلَّارِيُّ، الذى كان نائبًا بغَزَّةَ، وقُضاةُ الديارِ المصريَّةِ هم المذْكُورونَ فى السنَةِ الماضيةِ، سِوى القاضِى الحنفيِّ. وأمَّا دِمَشقُ فليسَ لها نائبٌ إلى حِينئذٍ، غيرَ أنَّ الأميرَ رُكنَ الدينِ بَيْبَرْس الحاجِبَ كان استنابَه الفَخْرِيُّ بدِمشقَ نائبَ غَيْبَةٍ، فهو الذى يَسُدُّ الأُمورَ مع الحاجبِ أَلْلِمِش[3]، وتَمُر المَهمَندارُ، والأميرُ سيفُ الدينِ المُلَقَّبُ بحلاوةَ، والى البَرِّ، والأميرُ ناصرُ الدينِ بنُ بَكْتاش[4] متولِّى البلدِ، هؤلاءِ هم الذينَ يسُدُّونَ[5] الأشْغالَ والأمورَ السلْطانيةَ، والقُضاةُ هم الذين ذكَرْناهم فى السنَةِ الخاليةِ، وخطيبُ البلدِ تاجُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ القاضى جلالِ الدينِ القَزْوينيِّ، وكاتبُ السِّرِّ القاضِى شِهابُ الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ.

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٥٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٥، وتذكرة النبيه ٣/ ٣٩، والسلوك ٢/٣/ ٦١٧.

(٢ - ٢) سقط من : النسختين.

(٣) فى : «ألمش». وانظر الصفحة السابقة.

(٤) فى الأصل : «ركناس»، وفى م : «كباس». وتقدم فى صفحة ٤٤٣.

(٥) فى الأصل : «يشدون».

واسْتهلَّتْ هذه السنةُ والأميرُ ركنُ الدينِ بَيْبَرْس الأحْمَدِيُّ نازلٌ بقَصْرِ تَنْكِز بطريقِ دَاريَّا، وكُتبُ السلْطانِ وارِدَةٌ فى كلِّ وقتٍ بالاحْتِياطِ عليه والقبضِ، وأنْ يُمْسَكَ ويُرْسَلَ إلى الكَرَكِ، هذا والأمراءُ يتوَانَونَ فى أمْرِه ويُسَوِّفُونَ[1] المراسِيمَ، وقْتًا بعد وقتٍ، وحينًا [٤/١٥٧] بعدَ حينٍ، ويحْمِلُهم على ذلك أنَّ الأحْمَدِيَّ لا ذنْبَ له، ومتى مسَكه تطرَّقَ إلى غيرِه، مع أنَّ السلْطانَ يَبلُغُهم عنه أحْوالٌ لا تُرْضِيهم مِن اللَّعِبِ والاجْتماعِ مع الأراذِلِ والأطْرافِ ببلَدِ الكَرَكِ، مع قتْلِه الفَخْرِيَّ وطَشْتَمُر قتْلًا فظيعًا، وسلْبِه أهْلَهما، وسلْبِه لِما على الحَرِيمِ مِن الثِّيابِ والحُلِيِّ، وإخْراجِهم فى أسْوأِ حالٍ مِن الكَرَكِ، وتقْريبِه النصارَى وحُضورِهم عندَه، فحمَل الأُمَراءَ هذه الصِّفاتُ على أنْ بعَثُوا أحدَهم يكْشِفُ أمْرَه، فلم يَصِلْ إليه، ورجَع هارِبًا خائفًا، فلمَّا رجَع وأخبَر الأُمَراءَ بذلك انْزعَجُوا وتَشَوَّشُوا كثيرًا، واجْتَمعوا بسُوقِ الخيْلِ مرارًا وضرَبُوا مَشُورةً بيْنَهم، فاتَّفقُوا على أنْ يخْلَعُوه، فكتَبُوا إلى المصْرِيِّينَ بذلك، وأعْلَمُوا نائبَ حَلَبَ أيْدُغْمُش ونُوَّابَ البلادِ، وبقَوا مُتوهِّمينَ مِن هذا الحالِ كثيرًا ومُتردِّدينَ، ومنهم مَن يُصانِعُ فى الظاهرِ وليس معهم فى الباطنِ، وقالُوا: لا سَمْعَ له ولا طاعةَ حتى يرْجِعَ إلى الديارِ المصريةِ، ويجْلِسَ على سَريرِ المَمْلكةِ. وجاءَ كِتابُه إليهم يَعيبُهم ويعَنِّفُهم فى ذلك، فلم يُفِدْ، وركِبَ الأحْمدىُّ فى الموكبِ وركِبُوا عن يمينِه وشمالِه وراحُوا إليه إلى القصرِ، فسلَّموا عليه وخدَمُوه، وتفاقَمَ الأمرُ وعَظُمَ الخطْبُ، وحمَلُوا هُمومًا عظيمةً خوْفًا مِن أنْ يذهبَ إلى الديارِ المصريةِ فيُلَفَّ عليه المصريون فَيُتْلِفَ الشاميينَ، فحمَل الناسُ همَّهم، فاللَّهُ هو المسئولُ أنْ يُحسِنَ العاقبةَ.

---

(١) فى الأصل: «يسوقون».

فلمَّا كان يومُ الأحدِ الخامس[1] والعِشْرينَ مِن المحرمِ ورَد مُقَدَّمُ البريديَّةِ ومعه كتُبُ المصْريِّينَ بأنَّه لمَّا بلَغهم خبرُ الشاميِّينَ كان عندَهم مِن أمرِ السلْطانِ أضْعافُ ما حصَلَ عندَ الشاميِّينَ ، فبادَرُوا إلى ما كانوا عزَمُوا عليه ، ولكنْ تردَّدُوا خوفًا مِن الشاميِّينَ أنْ يُخالفُوهم فيه ويتَقدَّمُوا فى صُحْبَةِ السلطانِ لقتالِهم، فلمَّا اطمأنُّوا من جهةِ الشاميينَ صمَّمُوا على عزْمِهم ، فخلَعُوا الناصِرَ أحمدَ وملَّكُوا عليهم أخاه الملكَ الصالحَ إسْماعيلَ بنَ الناصرِ محمدِ بنِ المنْصورِ ، جعَله اللَّهُ مباركًا على المسلمينَ ، وأجْلَسُوه على السَّريرِ يومَ الثلاثاءِ العشْرينَ مِن المحرمِ المذْكورِ ، وجاءَ كتابُه مسلِّمًا على أمراءِ الشامِ ومُقدَّمِيه ، وجاءتْ كتبُ الأمراءِ على الأمراءِ بالسَّلامِ والإخْبارِ بذلك ، ففرِحَ المسلمونَ وأمراءُ الشامِ والخاصَّةُ والعامَّةُ بذلك فرحًا شديدًا ، ودَقَّتِ البشائرُ بالقلعةِ المنْصورةِ يَوْمَئذٍ ، ورُسِمَ بتَزْيينِ البلدِ ، فزَيَّنَ الناسُ صبيحةَ الثلاثاءِ السابع والعشرينَ منه . ولمَّا كان يومُ الجمعةِ سَلْخ المحرَّمِ خُطِبَ بدِمَشْقَ للملكِ الصالحِ عِمادِ الدنْيَا والدِّينِ إسْماعيلَ بنِ الناصرِ ابنِ المنْصورِ .

وفى يومِ الخميسِ سادِس صفَرٍ درَّس بالصَّدْرِيَّةِ صاحبُنا الإمامُ العلَّامَةُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ أيُّوبَ الزُّرَعِىُّ إمامُ الجَوْزِيَّةِ ، وحضَر عندَه الشيخُ عِزُّ الدينِ بنُ المُنَجَّا الذى نزَل له عنها ، وجماعَةٌ مِن الفُضلاءِ .

وفى يومِ الاثنينِ سابعَ عَشَرَ صفَرٍ دخَل الأميرُ سيفُ الدينِ طُقُزْدَمُر مِن الديارِ المصريةِ ، إلى دِمَشْقَ ذاهِبًا إلى نيابةِ حَلَبَ المحْروسةِ ، فنزَل بالقَابُونِ .

---

(١) فى م : « السادس » .

وفى يومِ الثلاثاءِ ثامِنَ عشَرَ صفَرٍ تُوفِّى **الشيخُ الإمامُ العالمُ العامِلُ الزاهدُ عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الوَليدِ الـمُقْرِئُ**[1] **المالكِىُّ**، إمامُ المالِكِيَّةِ، هو وأخوه أبو عمرٍو، بالجامعِ الأُمَوِىِّ بِمحْرابِ الصحابةِ. تُوفِّى ببُسْتانٍ بقُبَّةِ المُسَجِّفِ، وصُلِّىَ عليه بالمُصلَّى ودُفِن عندَ أبيه، رحِمَهما اللَّهُ، بمقابرِ بابِ الصغيرِ، وحضَر جِنازتَه الأعْيانُ والفُقهاءُ والقضاةُ، وكان رجلًا صالحًا مُجْمَعًا على دِيانتِه وجلالتِه، رحِمه اللَّهُ.

وفى يومِ الخميسِ العشْرينَ مِن صفَرٍ دخَل الأميرُ أيْدغْمُش نائبُ السلْطنَةِ بدِمَشْقَ، ودخَل إليها مِن ناحيةِ القَابُونِ قادِمًا من حَلَبَ، وتلقَّاه الجيشُ بكَمالِه، وعليه خِلْعَةُ النِّيابةِ، واحْتَفلَ الناسُ له، وأشْعلُوا الشُّموعَ، وخرَج أهلُ الذِّمَّةِ من اليهودِ والنصارَى يدْعُونَ له ومعهم الشموعُ، وكان يومًا مشْهودًا، وصلَّى يومَ الجُمُعَةِ بالمقْصُورةِ مِن الجامعِ الأُمَوِىِّ، ومعه الأُمراءُ والقُضاةُ، وقُرِئَ تقْليدُه هناك على السُّدَّةِ وعليه خِلْعتُه، ومعه الأميرُ سيفُ الدينِ [2]مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانىُّ[2]، وعليه خِلْعةٌ أيضًا.

وفى يومِ الثلاثاءِ الخامس والعِشْرينَ [٤/١٥٨] من صفَرٍ دخَل الأميرُ علَمُ الدينِ الجَاولىُّ دِمَشْقَ المحْروسةَ ذاهِبًا إلى نيابةِ حَمَاةَ المحْروسةِ، وتلقَّاه نائبُ السلْطَنةِ والأُمراءُ إلى مَسْجدِ القدمِ، وراحَ فنزَل بالقابُونِ، وخرَج القضاةُ والأعْيانُ إليه، وسُمِعَ عليه [3]مِن «مُسْنَدِ[3] الشافعىِّ» فإنَّه يرْوِيه، وله فيه عمَلٌ، ورتَّبه ترْتيبًا حسَنًا رأيتُه، وشرحَه أيضًا، وله أوْقافٌ على الشافِعيَّةِ وغيرِهم.

وفى يومِ الجمُعَةِ الثامن والعِشْرِينَ منه عُقِدَ مجْلسٌ بعدَ الصلاةِ بالشُّبَّاكِ

---

(١) فى الأصل: «المهرى». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٢٣٤، والدرر الكامنة ٢/ ٣٩٢، والدارس٢/ ٦.
(٢ - ٢) فى الأصل: «بكتم الرحولى»، وفى م: «ملكتم الرحولى». والمثبت من السلوك ٢/١/ ٢٣٠، وفى الدرر الكامنة ٥/ ١٢٩: «ملكتمر السرخوانى». وانظر فهارس الجزء الثانى من السلوك.
(٣ - ٣) فى الأصل: «بالمسند».

الكَمالِيِّ مِن مَشْهَدِ عثمانَ بسبَبِ القاضى فخرِ الدينِ المصرىِّ وصَدْرِ الدينِ عبدِ الكَريمِ بنِ القاضى جلالِ الدينِ القَزْوينِىِّ ، بسبَبِ العَادِليَّةِ الصغيرةِ ، فاتَّفقَ الحالُ على أنْ نزَل صَدْرُ الدينِ عن تدْريسِها ، ونزَل القاضى فخرُ الدينِ عن مِائةٍ وخَمْسِينَ على الجامعِ . وفى يومِ الأحَدِ سَلْخ الشهرِ المذْكُورِ حضَر القاضى فخرُ الدينِ المصرىُّ ودرَّس بالعَادِليَّةِ الصغيرةِ وحضَر الناسُ عنده على العادةِ ، وأخَذ فى قولِه تعالَى :﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ [يوسف : ٦٥] .

وفى أواخِرِ شهرِ رَبيعٍ الأوَّلِ جاء المرْسومُ من الديارِ المصْرِيةِ بأنْ تَخْرُجَ تجْريدةٌ من دِمَشْقَ بصُحْبَةِ الأميرِ حُسامِ الدينِ البَشْمَقْدار لحصارِ الكَرَكِ الذى تحصَّنَ فيه ابنُ السلْطانِ أحمدُ ، واسْتَحوذَ على ما عندَه مِن الأمْوالِ التى أخَذها من الخزائنِ من ديارِ مِصْرَ ، وبُرِّز المَنْجَنِيقُ من القلعةِ إلى قبلِىِّ جامعِ القُبَيْبَاتِ ، فنُصبَ هناك وخرَج الناسُ للتَّفَرُّجِ عليه ورُمِىَ به ، ومِن نِيَّتِهم أنْ يَسْتَصْحِبُوه معهم للحصارِ .

وفى يومِ الأربعاءِ ثانِى ربيعٍ الآخرِ قَدِمَ الأميرُ علاءُ الدينِ أَلْطُنْبُغَا المَارِدَانِىُّ من الديارِ المصريةِ (٢) على خَيْلِ البريدِ ذاهبًا إلى حَمَاةَ نائِبًا عليها ، ورُسِمَ بعَوْدِ الجَاوِلِىِّ إلى الديارِ المصريةِ (٢) على قاعِدتِه وعادَتِه .

وفى يومِ الخميسِ عاشره دخَل إلى دِمَشْقَ الأميرانِ الكبيرانِ ؛ رُكْنُ الدينِ بَيْبَرْس الأحْمَدِىُّ من طَرابُلُسَ وعلَمُ الدينِ الجَاولِىُّ من حَمَاةَ سَحَرًا ، وحضَرَا الموكبَ (٣) ، ووَقَفا مُكْتَنِفَينِ (٤) لنائبِ السلْطَنةِ ؛ الأحْمَدِىُّ عن يَمينِه ، والجَاولِىُّ عن يَسارِه ، ونزلَا ظاهِرَ البَلدِ ، ثم بعدَ أيامٍ يسيرةٍ توَجَّهَ الأحْمَدِىُّ إلى الديارِ المصريةِ

---

(١) فى النسختين : « السمقدار » . وتقدم فى صفحة ٤٤٥ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل : « وسحرا » .

(٤) فى م : « مكتفين » .

على عادَتِه وقاعِدَتِه رأسَ مشُورَةٍ ، وتوَجَّهَ الجَاوِلِيُّ إلى غَزَّةَ المحْروسةِ نائبًا عليها ، وكان الأميرُ بدرُ الدينِ مسعودُ بنُ الخطيرِ[1] على إمْرَةِ طَبْلَخاناه بدِمَشْقَ .

وفى يومِ الخميسِ ثالثه[2] خرجَتِ التَّجْريدَةُ مِن دِمشْقَ سَحَرًا إلى مدينةِ الكَرَكِ ، والأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ والِى الوُلاةِ بحَوْرَانَ مُشدُّ المجَانيقِ ، وخرَج الأميرُ سيفُ الدينِ بَهَادُر الشمسُ المُلَقَّبُ بحلاوَةَ والى البرِّ بدِمَشْقَ إلى وِلايةِ الوُلاةِ بحَوْرَانَ .

وفى يومِ الجُمُعَةِ ثامنَ عشَرِه وقَع بينَ النائبِ والقاضى الشافِعيِّ بسببِ كتابٍ وَرَد من الديارِ المصريةِ فيه الوَصَاةُ بالقاضى السُّبْكِيِّ المذكُورِ ، ومعه التوقيعُ بالخَطابةِ له مُضافًا إلى القضاءِ ، وخِلْعَةٌ من الديارِ المصريةِ ، فتغيَّظ[3] عليه النائبُ لأجْلِ أولادِ الجلالِ ؛ لأنَّهم عندَهم عائلةٌ كثيرةٌ وهم فقراءُ ، وقد نَهاه عنِ السَّعْيِ فى ذلك ، فتقدَّمَ إليه يَومئذٍ أن لا يصلِّيَ عندَه فى الشُّبَّاكِ الكَماليِّ ، فنَهَض مِن هناك وصلَّى فى الغَزَّالِيَّةِ .

وفى يومِ الأحَدِ العِشْرينَ منه دخَل دِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ أُرُنْبُغا[4] زوجُ ابنَةِ السلْطانِ الملكِ الناصرِ مُجْتازًا ذاهبًا إلى طَرابُلُسَ نائبًا بها ، فى تجَمُّلٍ وأُبَّهَةٍ ونَجائِبَ وجَنائِبَ[5] كثيرةٍ ، وعِدَّةٍ وسرك[6] كامِلٍ .

---

(١) فى الأصل ، والدرر الكامنة ٥/ ١١٧ : « الحظير » . وانظر ذيول العبر ص ٢٩٢، والسلوك ٢/٣/ ٩٠٥.

(٢) فى النسختين : « رابع عشره » . ولا يستقيم مع بقية التواريخ التى ذكرها المصنف ، والمثبت من السلوك ٢/٣/ ٦٢٤.

(٣) فى الأصل : « فتغير » .

(٤) فى م : « أريغا » . وانظر المنهل الصافى ٢/ ٣٣٥، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٩٩، وفى الوافى بالوفيات ٨/ ٣٦٦: آروم بُغا .

(٥) الجنائب : الخيول المسرجة التى كان من اللازم قيادتها وراء السلاطين خاصة فى المواكب والحروب ؛ لاحتمال الحاجة إليها . السلوك ٢/١/١٢٤ حاشية (٥) .

(٦) فى الأصل : « ترك » .

وفى يومِ الخميسِ الرابع والعِشْرينَ منه دخَل الأميرُ بدرُ الدينِ بنُ الخطيرِ[1] معزولًا عن نيابةِ غَزَّةَ المحروسةِ ، فأصْبحَ يومَ الخميسِ فركِب فى المَوْكِبِ وسُيِّرَ مع نائبِ السلْطنةِ ، ونزَل فى دارِه وراحَ الناسُ للسَّلامِ عليه .

وفى [2]جُمادَى الأُولَى صَبِيحَةَ[2] يومِ الثلاثاءِ ثالثَ عَشَرَ[3] زُيِّنَتِ البلدُ لعافيةِ السلْطانِ الملكِ الصالحِ لمَرَضٍ أصابَه ، ثم شُفِىَ منه .

وفى يومِ الجُمُعَةِ السادِسَ عشَرِه[4] قبلَ العصرِ ورَد البريدُ من الديارِ المصريةِ بطلَبِ قاضى القضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ إليها حاكِمًا بها ، فذَهَب الناسُ للسَّلامِ عليه ولتَوْديعِه ، وذلك بعد ما أرْجَفَ الناسُ به كثيرًا ، واشْتَهَرَ أنه سَيَنْعَقِدُ له مجلسٌ للدَّعْوَى عليه بما دفَعَه مِن مالِ الأيْتامِ إلى أَلْطُنْبُغَا وإلى الفَخْرِىِّ ، [٤/١٦٠] ، وكُتِبَتْ فَتْوَى عليه بذلك فى تغْريمِه ، ودارُوا بها على المُفْتِينَ ، فلم يكْتُبْ لهم أحدٌ فيها غيرُ القاضى جلالِ الدينِ بنِ حسامِ الدينِ الحنفىِّ ، رأيتُ خطَّه عليها وحدَه يَوْمئذٍ بعدَ الصلاةِ ، وسُئلتُ فى الإفْتاءِ عليها فامْتَنعْتُ ؛ لِما فيها مِن التَّشْويشِ على الحكَّامِ[5] ، وفى أوَّلِ مرْسُومِ نائبِ السلْطانِ أنْ يَتأمَّلَ المُفْتُونَ هذا السؤالَ ويُفْتُوا بما يقْتَضِيه حكمُ الشَّرْعِ الشريفِ ، وكانوا له فى نِيَّةٍ عجيبةٍ ففَرَّجَ اللَّهُ عنه بطلَبِه إلى الديارِ المصريةِ ، فسارَ إليها صُحبةَ البريدِ ليلةَ الأحَدِ ، وخرَج الكُبَراءُ والأعْيانُ لتَوْديعِه وفى خِدْمتِه .

اسْتهلَّ جُمادى الآخرةُ والتَّجْريدةُ عَمَّالَةٌ إلى الكَرَكِ ، والجيشُ المُجرَّدُونَ من الحَلْقةِ قريبٌ من ألفٍ أو يزيدُونَ ،ولمّا كان يومُ الثلاثاءِ رابعه بعدَ الظهرِ ماتَ **الأميرُ**

---

(١) فى م : « الخطيرى » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « صفر » .

(٤) فى الأصل : « عشرين » ، وفى م : « عشرينه » .

(٥) فى الأصل : « الأحكام » .

علاءُ الدينِ أيْدُغْمُش[1] نائبُ السلْطَنةِ بالشامِ المحرُوسِ فجأةً فى دارٍ وحدَه[2] ؛ بدارِ السعادةِ ، فدخَلوا عليه وكشَفُوا أمرَه وأُحْصِرُوا وخَشُوا أنْ يكونَ اعْتَراه سكْتَةٌ ، ويقالُ : إنَّه شُفِىَ . فاللَّهُ أعلمُ ، فانْتَظَرُوا به إلى الغَدِ احْتِياطًا ، فلمَّا أصْبحَ الناسُ اجْتَمعُوا للصلاةِ عليه ، فصُلِّى عليه خارِجَ بابِ النصرِ حيثُ يُصلَّى على الجَنائزِ ، وذهَبُوا به إلى نَحْوِ القِبْلَةِ ، ورامَ بعضُ أهْلِه أنْ يُدْفَنَ فى تربةِ غِبْرِيالَ إلى جانبِ جامعِ القُبَيْبَاتِ ، فلم يُمْكِنْ ذلك ، فدُفِن قِبْلِىَّ الجامعِ على حافَّةِ الطريقِ ، ولم يتَهيَّأْ دفْنُه[3] إلى بعدِ الظهرِ من يومئِذٍ ، وعمِلُوا عندَه خَتْمَةً ليلةَ الجمُعةِ ، رحِمه اللَّهُ وسامَحه .

واشْتَهَرَ فى أوائلِ هذا الشهرِ أنَّ الحِصارَ عمَّالٌ على الكَرَكِ ، وأنَّ أهلَ الكَرَكِ خرَجتْ طائفَةٌ منهم ، فقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، وقُتِلَ من الجيشِ واحِدٌ فى الحِصارِ ، فنزَلَ القاضى وجماعةٌ ومعهم شىءٌ مِن الجوْهَرِ ، وتراضَوا على أنْ يُسلِّمُوا البَلَدَ ، فلمَّا أصْبحَ أهلُ الحِصْنِ تحصَّنُوا ونصَبُوا المَجانِيقَ واسْتعدُّوا ، فلمَّا كان بعدَ أيامٍ رَمَوْا مَنْجَنِيقَ الجيشِ فكَسَرُوا السهمَ الذى له ، وعجَزُوا عن نقْلِه فحرَقُوه ، برأيِ أُمراءِ المُقَدَّمِينَ ، وجرَتْ أمورٌ فظيعةٌ ، فاللَّهُ يُحْسِنُ العاقبةَ .

ثم وقعَتْ فى أواخرِ هذا الشهرِ بين الجيشِ وأهلِ الكَرَكِ وَقْعَةٌ أخْرَى ؛ وذلك أنَّ جماعةً من رجال الكَرَكِ خرجُوا إلى الجيشِ ورَمَوْهم بالنُّشَّابِ ، فبرَز الجيشُ لهم مِن الخيامِ ، ورجَعُوا مُشاةً مُلبسِينَ بالسلاحِ ، فقتَلوا مِن أهلِ الكَرَكِ جماعةً من النصارَى وغيرِهم ، وجُرِحَ من العَسْكَرِ خلقٌ ، وقُتل واحدٌ أو اثْنانِ ، وأُسِرَ الأميرُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ بَهَادُرآص ، وقُتل أميرُ العربِ ، وأُسِرَ آخرونَ فاعْتُقِلوا

---

(١) ذيول العبر ص ٢٣١، والوافى بالوفيات ٩/ ٤٨٨، والدرر الكامنة ١/ ٤٥٥، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٩٩، والدليل الشافى ١/ ١٦٧.

(٢) فى الأصل : « واحدة » .

(٣) بعده فى م : « إلا » .

بالكَرَكِ ، وجرَتْ أمورٌ مُنْكَرةٌ ، ثم بعدَها تعرَّضَ العَسْكَرُ راجِعينَ إلى بلادِهم لم يَنالُوا مُرادَهم منها ، وذلك أنَّهم دَقَّهم البَرْدُ الشديدُ وقِلَّةُ الزادِ ، وحاصَرُوا أولئك شديدًا بلا فائدةٍ ، فإنَّ البَلدَ (١ بريدٌ مُتَطاولةٌ ومَجانِيقُ ١) ، ويشُقُّ على الجيشِ الإقامةُ هناك فى زمانِ(٢) كَوانِينَ ، والمَنْجَنِيقُ الذى حملُوه معهم كُسِرَ ، فرجَعُوا ليتأهَّبُوا لذلك .

ولمَّا كان فى يومِ الأرْبعاءِ الخامس والعِشْرينَ منه قَدِمَ من الديارِ المصريةِ على البريدِ القاضى بَدْرُ الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ كاتبًا على السِّرِّ عوضًا عن أخيه القاضى شِهابِ الدِّينِ ، ومعه كِتابٌ بالاحْتِياطِ على حَواصلِ أخيه شِهابِ الدِّينِ ، وعلى حوَاصِلِ القاضى عِمادِ الدِّينِ بنِ الشِّيرَازِىِّ المُحْتَسِبِ ، فاحْتِيطَ على أمْوالِهما وأُخْرِجَ مَن فى دِيارِهما من الحُرَمِ ، وضُرِبَتْ الأخْشابُ على الأبْوابِ ، ورُسِمَ على المُحْتَسِبِ بالعَذْراوِيَّةِ ، فسألَ أنْ يُحوَّلَ إلى دارِ الحديثِ الأشْرَفِيَّةِ فحُوِّلَ إليها . وأمَّا القاضى شِهابُ الدينِ ، فكان قد خرَج ليلْتَقِىَ الأميرَ سيفَ الدينِ طُقُزْدَمُر الحمَوِىَّ ، الذى جاءَ تقْليدُه بنِيابةِ الشامِ بدِمَشْقَ وكان بحَلَبَ ، وجاءَ هذا الأمرُ وهو فى أثْناءِ الطريقِ ، فرُسِمَ برَجْعَتِه ليُصادَرَ هو والمُحْتَسِبُ ، ولم يَدْرِ الناسُ ما ذنْبُهما .

وفى يومِ الأحَدِ ثامن شهرِ رجَبٍ آخر النَّهارِ رجعَ قاضى القُضاةِ تقىُّ الدِّينِ السُّبْكِىُّ إلى دِمَشْقَ على القضاءِ ، ومعه تقْليدٌ بالخطابةِ أيضًا ، وذهَب الناسُ إليه للسلامِ عليه ، ودخَل نائبُ السلْطَنةِ [٤/ ١٦١] الأميرُ سيفُ الدينِ طُقُزْدَمُر الحَمَوِىُّ(٣ فى يومِ الأحدِ ٣) بعدَ العصرِ الخامسَ عِشَرَ من حَلَبَ ، فتَلقَّاه الأُمراءُ إلى طريقِ القابُونِ ، ودَعا له الناسُ دعاءً كثيرًا ، وأحبُّوه لبُغْضِهم النائبَ الذى كان قبلَه ؛

(١ - ١) كذا بالنسختين .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل : « عشرين » ، وفى م : « عشرينه » .

وهو علاءُ الدينِ أيْدُغْمُش ، سامَحه اللَّهُ تعالَى ، فنزلَ بدارِ السعادةِ ، وحضَر المَوْكِبَ صبِيحَةَ يومِ الاثنَينِ ، واجْتمعَ طائفةٌ من العامَّةِ وسألُوه أنْ لا يغيِّرَ عليهم خَطِيبَهم تاجَ الدينِ عبدَ الرحيمِ بنَ جلالِ الدينِ ، فلم يلْتَفِتْ إليهم ، بل عمِلَ على تقْليدِ القاضى تقىِّ الدِّينِ السُّبْكِىِّ الخطابةَ ، ولَبِسَ الخِلْعَةَ ، وأكثرَ العَوامُّ لمَّا سمِعُوا بذلك الكلامَ والغَوْغاءُ ، وصارُوا يجْتَمِعُونَ (١ حِلَقًا حِلَقًا ١) بعدَ الصلواتِ ويكْثِرُونَ الفَرَحَ فى ذلك لمَّا مُنعَ ابنُ الجلالِ ، ولكِنْ بَقِىَ هذا لم يُباشِرِ السُّبْكِىّ فى المِحْرابِ ، واشْتَهرَ عن العوامِّ كلامٌ كثيرٌ ، وتوعَّدُوا السُّبْكِىَّ بالسَّفاهَةِ عليه إنْ خطَب ، وضاقَ بذلك ذَرْعًا ، ونُهُوا عن ذلك فلم ينْتَهُوا ، وقِيلَ لهم ولكثيرٍ منهم : الواجِبُ عليكم السمعُ والطاعةُ لأُولِى(٢) الأمْرِ ، ولو أُمِّرَ عليكم عبدٌ حَبشىٌّ . فلم يَرْعَوُوا . فلمَّا كان يومُ الجمعةِ العِشْرينَ منه اشْتَهرَ بينَ العامَّةِ بأنَّ القاضىَ نزَل عن الخطابةِ لابنِ الجلالِ ، ففَرِحَ العوامُّ بذلك ، وحشَدُوا فى الجامعِ ، وجاءَ نائبُ السلْطنَةِ إلى المقْصورَةِ والأُمراءُ معه ، وخطَب ابنُ الجلالِ على العادَةِ ، وفرِحَ الناسُ بذلك وأكْثَرُوا من الكلامِ والهَرَجِ ، ولمَّا سلَّم عليهم الخطيبُ حِينَ صَعِدَ ، ردُّوا عليه ردًّا بليغًا ، وتكلَّفُوا فى ذلك وأظْهَرُوا بِغْضَةَ القاضى السُّبْكِىِّ ، وتجاهَرُوا بذلك ، وأسْمَعُوه كلامًا كثيرًا ، ولمَّا قُضِيَتِ الصلاةُ قُرِئَ تقْليدُ النِّيابةِ على السُّدَّةِ ،وخرَج الناسُ فَرْحَى بخَطيبِهم ، لكَوْنِه اسْتَمَرَّ عليهم ، واجْتَمعُوا عليه يُسلِّمُونَ ويدْعُونَ له .

وفى يومِ الأرْبعاءِ ثالث شعبانَ درَّس القاضى بُرْهانُ الدِّينِ بنُ عبدِ الحقِّ بالمدْرسةِ العَذْراوِيَّةِ بمرْسُومٍ سُلْطانىٍّ بتوْلِيَتِه وعَزْلِ القَحْفازِىِّ ، وعُقِدَ لهما مجلسٌ يومَ الثلاثاءِ بدارِ العَدْلِ ، فرُجِّحَ جانبُ القاضى بُرْهانِ الدِّينِ لحاجَتِه وكوْنِه لا وظيفةَ له .

(١ - ١) فى الأصل : « خلقا خلقا » .

(٢) فى الأصل : « إلى ولى » .

وفى يومِ الجُمُعَةِ خامسه تُوفِّى **الشيخُ الصالحُ شِهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ الجَزَرِىِّ**[1] أحدُ المُسْنِدِينَ المُكْثِرِينَ الصالِحِينَ، ماتَ عن خمسٍ وتِسْعِينَ[2] سنةً، رحِمه اللَّهُ، وصُلِّى عليه يومَ الجُمُعَةِ بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ، ودُفِنَ بالروضةِ[3].

وفى يومِ الأرْبعاءِ السابعَ عَشَرَ منه تُوفِّى الشيخُ **الإمامُ العالمُ العابدُ الناسكُ الصالحُ الشيخُ شمسُ الدِّينِ محمدُ بنُ الوزيرِ**[4] خطيبُ الجامعِ الكَرِيمِىِّ بالقُبَيْبَاتِ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ يَوْمَئذٍ بالجامعِ المذْكُورِ، ودُفِن قِبْلِىَّ الجامعِ المذْكورِ، إلى جانبِ الطريقِ من الشرْقِ، رحِمه اللَّهُ تعالى.

واشْتَهَرَ فى أوائِلِ شهرِ رمضانَ أنَّ مَوْلُودًا وُلِدَ له رأْسانِ وأرْبَعُ أيْدٍ، وأُحْضِرَ إلى بينِ يدَىْ نائبِ السلْطَنَةِ، وذهَب الناسُ للنظرِ إليه فى مَحِلَّةٍ ظاهِرَ بابِ الفَرَادِيسِ، يقالُ لها: حكرُ[5] الوزيرِ. وكنتُ فِى مَن ذهَب إليه فى جماعةٍ من الفُقهاءِ يومَ الخميسِ ثالث الشهرِ المذْكورِ بعدَ العصرِ، فأحْضرَه أبُوه، واسْمُ أبيه سعادةُ[6]، وهو رجلٌ مِن أهلِ الجبَلِ، فنَظرْتُ إليه فإذا هما وَلَدانِ مُسْتَقِلَّانِ، فكلٌّ قد اشْتبَكَتْ أفْخاذُهما بعْضُهما ببعْضٍ، ورُكِّبَ كلُّ واحدٍ منهما ودخَل فى الآخرِ، والْتَحَمَتْ فصارَتْ جُثَّةً واحدةً، وهما مَيِّتانِ، فقالُوا: أحدُهما ذكَرٌ والآخرُ أنْثَى. وهما مَيِّتانِ حالَ رُؤْيَتِى إليهما. وقالُوا: إنَّه تأخَّرَ موتُ أحَدِهما عن الآخرِ بيَوْمَيْنِ أو نحوِهما. وكُتِبَ بذلك محْضَرُ جماعَةٍ مِن الشهودِ.

---

(١) ذيول العبر ص ٢٣٢، والدرر الكامنة ١/ ٢٢٠.

(٢) فى ذيول العبر أنه مات عن ثلاث وتسعين سنة وسبعة أشهر، وفى الدرر الكامنة أنه ستكمل أربعا وتسعين سنة ونصف سنة وشهرا.

(٣) فى م: «بالرواحية».

(٤) فى الأصل «الرزين»، وفى م: «الزبير»، وانظر ترجمته فى: الدرر الكامنة ٤/ ١٥٤، وفيه «رزيز»، والدارس ٢/ ٤١٧.

(٥) فى م: «حكى».

(٦) فى الأصل: «شهادة».

وفى هذا اليومِ احْتِيطَ على أرْبَعةٍ[1] من الأُمراءِ ؛ وهم أبْناءُ الكاملِ ؛ صلاحُ الدِّينِ محمدٌ ، أمير طَبْلَخَانَاه ، وغِيَاثُ الدينِ محمدٌ أميرُ عشَرَةٍ ، وعلاءُ الدينِ عليٌّ ، وابنُ أيْبَك الطويلُ طَبْلَخَانَاه أيضًا ، وصلاحُ الدينِ خليلُ بنُ بَلَبَانَ طُرْنَا طَبْلَخَانَاه أيضًا ؛ وذلك بسبَبِ أنَّهم اتُّهِمُوا على مُمالأةِ الملكِ أحمدَ بنِ الناصرِ الذى فى الكَرَكِ ومُكاتبتِه ، واللَّهُ أعلمُ بحالِهم ، فَقُيِّدُوا وحُمِلوا إلى القلعةِ [٤/١٦٢] المنْصورةِ من بابِ السرِّ[2] مُقابِلِ بابِ دارِ السعادةِ ؛ الثَّلاثةُ الطبلخاناه ، والغِيَاثُ مِن بابِها الكبيرِ ، وفُرِّقَ بينَهم فى الأماكنِ .

وخرجَ المَحْمَلُ يومَ الخميسِ خامِسَ عشَرِه ، ولَبِسَ الخطيبُ ابنُ الجلالِ خِلْعَةَ اسْتِقْرارِ الخَطابةِ فى هذا اليومِ ، وركِبَ بها مع القُضاةِ على عادَةِ الخُطباءِ .

وفى أواخرِ هذا الشهرِ نُصِبَ المَنْجَنِيقُ الكبيرُ على بابِ الميْدانِ الأخْضَرِ ، وطولُ أكْتافِه ثَمانِيَةَ عَشَرَ ذِراعًا ، وطولُ سَهْمِه سَبْعَةٌ وعِشْرونَ ذِراعًا ، وخرَجَ الناسُ للفُرْجَةِ عليه ، ورُمِيَ به فى يومِ السبتِ [3]الرابع والعشرين منه[3] حَجرٌ زِنَتُه سِتُّونَ رَطْلًا ، فبَلغَ إلى مُقابَلةِ القصرِ من الميدانِ الكبيرِ ، وذكَرَ مُعَلِّمُ المَجانيقِ أنَّه ليسَ فى حُصونِ الإسْلامِ مثْلُه ، وأنَّه عمِلَه الحاجُّ محمدٌ الصالِحِيُّ ليكونَ بالكَرَكِ ، فقَدَّرَ اللَّهُ أنَّه خرَجَ ليُحاصرَ به الكَرَكُ ، فاللَّهُ يُحْسِنُ العاقبةَ .

وفى أواخِرِه أيضًا مُسِكَ أربعةُ أُمراءَ ؛ وهم أقْبُغَا عبدُ الواحِدِ الذى كان مُباشرًا الأسْتَادارِيَّة للمَلكِ الناصرِ الكبيرِ ، فصُودِرَ فى أيامِ ابْنِه المنْصورِ ، وأُخرجَ إلى الشَّامِ فنابَ بحِمْصَ ، فسارَ سِيرةً غيرَ مرْضِيَّةٍ ، وذمَّه الناسُ وعُزل عنها ، وأُعْطِيَ تَقْدِمَةَ

---

(١) كذا فى النسختين ، والمذكور خمسة .

(٢) فى الأصل : « العسر » ، وفى م : « اليسر » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

ألفٍ بدِمَشْقَ ، وجُعل رأسَ المَيْمَنَةِ ، فلمَّا كان فى هذه الأيامِ اتُّهِم بمُمالأةِ السلْطانِ أحمدَ بنِ الناصرِ الذى بالكَرَكِ ، فمُسِكَ وحُمِلَ إلى القلعةِ ومعه الأميرُ سيفُ الدِّينِ بلو[1] ، [2]والأميرُ سيفُ الدينِ حطيةُ[3] الذى كان مباشرًا الحجوبيةَ فى أيامِ أَلْطُنْبُغا[2] ، والأميرُ سيفُ الدِّينِ سلامش[4] ، وكلُّهم بطَبْلَخَاناه ، فرُفِعُوا إلى القلعةِ المنْصورةِ ، فاللَّهُ يُحْسِنُ العاقبةَ .

وفى هذا الشهرِ خرَج قضاءُ حِمْصَ عن نيابةِ دِمَشْقَ بمرْسُومٍ سُلْطانىٍّ مُجَدِّدٍ للقاضى شِهابِ الدِّينِ البارزِىِّ ، وذلك بعدَ مُناقشَةٍ كثيرةٍ وقعت بينَه وبينَ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدِّينِ السُّبْكِىِّ ، وانْتَصرَ له بعضُ الدولةِ ، واسْتَخرجَ له المرْسُومَ المذْكورَ . وفيه أيضًا أُفْرِدَ قضاءُ القُدْسِ الشريفِ أيضًا باسْمِ القاضى شمسِ الدينِ ابنِ سالمٍ الذى كان مُباشِرَها مدَّةً طويلةً قبلَ ذلك نِيابةً ، ثم عُزِل عنها وبَقِىَ مُقيمًا ببلَدِه غَزَّةَ ، ثم أُعيدَ إليها مُسْتَقِلًّا بها فى هذا الوقتِ . وفى هذا الشهرِ رجَع القاضى شهابُ الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ منِ الديارِ المصريةِ ومعه توقيعٌ بالمرتَّبِ الذى كان له أوَّلًا ؛ كلُّ شهرٍ ألفُ دِرْهَمٍ ، وأقامَ بعِمارَتِه التى أنشَأها بسَفْحِ قاسِيُونَ شرْقِىِّ الصَّالِحِيَّةِ بقُرْبِ حمَّامِ النّحاسِ .

وفى صَبِيحَةِ مُسْتَهَلِّ ذى القَعْدَةِ خرَج المَنْجَنِيقُ قاصِدًا إلى الكَرَكِ على الجِمالِ والعَجلِ وصُحْبَتَه الأميرُ صارِمُ الدينِ إبْراهيمُ المسبقىُّ[5] أمير حاجب كان فى الدولةِ السكريَّةِ ، وهو المُقدَّمُ عليه يحُوطُه ويحْفَظُه ويتَولَّى تسْيِيرَه بطلبِه

---

(١) فى الأصل : « تلو » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) تقدم باسم حفطية .
(٤) فى الأصل : « متلامش » .
(٥) فى الأصل : « السنبقى » .

وأصْحابِه ، وتجهَّزَ الجيشُ للذَّهابِ إلى الكَرَكِ ، وتأهَّبُوا أتَمَّ الجِهازِ ، وبرَزَتْ أثْقالُهم إلى ظاهرِ البَلدِ وضُرِبَتِ الخيامُ ، فاللَّهُ يُحْسِن العاقبةَ .

وفى يومِ الاثنينِ رابعه تُوفِّى **الطَّواشِىُّ شبْلُ الدولةِ كافورٌ السكرىُّ**[1] ، ودُفِنَ صَبِيحَةَ يومِ الثلاثاءِ خامسه بتُرْبَتِه التى أنْشأها قديمًا ظاهِرَ بابِ الجابيةِ تُجاهَ تربةِ الطَّواشِىِّ ظهيرِ الدينِ الخازِنِ بالقلعةِ - كان - قُبَيْلَ مَسْجدِ الذبانِ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان قديمًا للصاحبِ تقىِّ الدِّينِ تَوْبَةَ[2] التَّكْرِيتىِّ ، ثم اشْتَراه تَنْكِز بعدَ مدةٍ طويلةٍ من ابْنَىْ[3] أخيه ؛ صلاحِ الدِّينِ وشرَفِ الدِّينِ ، بمبلغٍ جيِّدٍ ، وعوَّضَهُما إقْطاعًا زيادةً على ما كان بأيْدِيهما ؛ وذلك رَغْبَةً فى أمْوالِه[4] التى حصَّلها من أبْوابِ السلْطَنةِ ، وقد تغَضَّبَ عليه أسْتاذُه تَنْكِز ، رحِمه اللَّهُ ، فى وَقْتٍ وصُودِرَ وجرَتْ عليه فُصولٌ ، ثم سَلِمَ بعد ذلك ، ولمَّا ماتَ ترَك أمْوالًا جزيلةً وأوْقافًا جيدةً ، رحِمه اللَّهُ .

وخرَجتْ التَّجْريدةُ يومَ الأرْبعاءِ سادِسه والمُقدَّمُ عليها الأميرُ بدرُ الدينِ بنُ الخطيرِ ، ومعه مُقدَّمٌ آخرُ وهو الأميرُ علاءُ الدِّينِ بنُ قَرَاسُنْقُر .

وفى يومِ السبتِ سَلْخ هذا الشهرِ **تُوفِّى الشابُّ الحسَنُ شِهابُ الدِّينِ أحمدُ ابنُ فرَجٍ**[1] ، المُؤَذِّنُ [١٦٣/٤] بمئذَنَةِ العروسِ ، وكان شَهِيرًا بحُسْنِ الصوتِ ، ذا حُظْوةٍ عظيمةٍ عندَ أهلِ البلدِ ، وكان رحِمه اللَّهُ كما فى النفْسِ وزِيادَةً ، فى حُسْنِ الصوتِ الرَّخيمِ البليغِ المُطْرِبِ ، وليس فى القرَّاءِ ولا فى المُؤَذِّنينَ قريبٌ منه ولا مَن يُدانِيه فى وَقْتِه ، وكان فى آخرِ وَقْتِه على طريقَةٍ حسنَةٍ ، وعملٍ صالحٍ ، وانْقِطاعٍ

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى الأصل : « تربة » . وانظر الوافى بالوفيات ١٠/ ٤٣٨، وفوات الوفيات ١/ ٢٦١، والدارس ٢/ ٢٣٧.

(٣) بعده فى الأصل : « ولد » .

(٤) فى الأصل : « أموالهم » .

عن الناسِ ، وإقْبالٍ على شأْنِ نفْسِه ، فرحِمه اللَّهُ ، وأكْرمَ مَثْواه ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ يومئذٍ ، ودُفِنَ عندَ أخيه بمقْبرَةِ الصُّوفِيَّةِ .

وفى يومِ الخميسِ خامس ذى الحِجَّةِ **تُوفِّى الشيخُ بدرُ الدِّينِ بنُ بَصْخَانَ**[1] ، شيخُ القرَّاءِ السَّبْعِ فى البلدِ ، الشَّهيرُ بذلك ، وصُلِّى عليه بالجامعِ بعدَ الظهرِ يومَئذٍ ، بمقابرِ بابِ الفَرَادِيسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الأحَدِ تاسعه ، وهو يومُ عرَفَةَ ، حضَر الإقْراءَ بتُرْبَةِ أمِّ الصالحِ عِوَضًا عن الشيخِ بدْرِ الدِّينِ بنِ بَصخَانَ القاضى شِهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ النَّقيبِ البَعْلَبَكِّىُّ ، وحضَر عندَه جماعةٌ من الفُضلاءِ وبعضُ القُضاةِ ، وكان حضُورُه بغْتَةً ، وكان مُتَمَرِّضًا ، فألْقَى شيئًا من القِراءاتِ والإعْرابِ عندَ قولِه تعالَى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

وفى أواخرِ هذا الشهر غَلا السِّعْرُ جدًّا وقلَّ الخُبْزُ ، وازْدَحمَ الناسُ على الأفْرانِ زحمةً عظيمةً ، وبيعَ خبزُ الشَّعِيرِ المخْلُوطِ بالزُّوَانِ[2] والنُّقَارَةِ[3] ، وبلغَتِ الغِرارَةُ مائةً وسِتَّةً وثمانينَ[4] درْهمًا ، وتقلَّصَ السعرُ جدًّا حتى بِيعَ الخُبْزُ كلُّ رَطْلٍ بدِرْهَمٍ ، وفوقَ ذلك بيَسِيرٍ ودونَه ، بحسَبِ طِيبِه ورَداءَتِه ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ ، وكثُرَ السُّؤَّالُ وجاعَ العِيالُ ، وضعُفت[5] كثيرٌ مِن الأشياءِ[6]

---

(١) فى الأصل : « نصحان » ، وفى م : « بصحان » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٣٥، والوافى بالوفيات ٢/ ١٥٩، والدرر الكامنة ٣/ ٣٩٨، وغاية النهاية ٢/٥٧ وفيه : « بضحان » .

(٢) فى الأصل : « الزبوان » ، وفى م : « بالزيوان » . والزُّوان : عشب ينبت بين أعواد الحنطة غالبًا ، حبه كحبها إلا أنه أسود وأصفر ، يخالط البُرَّ فيكسبه رداءة . اللسان (ز و ن) .

(٣) النقارة : ما يتساقط من نَقْر الحجارةِ والخشب . الوسيط (ن ق ر) .

(٤) فى الأصل : « ثلاثون » .

(٥) فى م : « ضعف » .

(٦) فى م : « الأسباب » .

والأحْوالِ ، ولكنَّ لُطْفَ اللَّهِ عظيمٌ ، فإنَّ الناسَ مُتَرَقِّبُونَ مغلًّا هائلًا لم يُسْمعْ بمثْلِه مِن مدةِ سِنينَ عديدةٍ ، وقد اقْتَربَ أوَانُه ، وشرَعَ كثيرٌمِن البلادِ فى حَصادِ الشَّعِيرِ وبعْضِ القمحِ ، مع كثرَةِ الفُولِ وبوادِرِ التُّوتِ[1] ، فلوْلَا ذلك لكانَ غيرُ ذلك ، ولكنْ لطَفَ اللَّهُ بعبادِه ، وهو الحاكمُ المُتصرِّفُ الفَعَّالُ لما يريدُ ، لا إلهَ إلَّا هو .

(١) فى الأصل : « النوب » .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وأربعين وسبعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّت هذه السنةُ وسلْطانُ المسلمينَ الملكُ الناصرُ عمادُ الدُّنيا والدِّينِ إسماعيلُ بنُ الملكِ الناصرِ ناصرِ الدِّينِ محمدِ بنِ الملكِ المنصورِ سيفِ الدِّينِ قَلاوُون الصالحىّ ، ونائبُه بالدِّيارِ المِصريةِ الأميرُ سيفُ الدِّينِ آق سُنْقُر السَّلَّارِىُّ ، وقضاتُه بها هم المتقدِّمُ ذكْرُهم فى العامِ الماضى ، ونائبُه بدِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ طُقُزْدَمُر الحَمَوىُّ ، وقُضاتُه بها هم المتقدِّمُ ذكْرُهم ، وكذلك الصاحِبُ والخطيبُ وناظرُ الجامعِ والخِزانةِ ، وشَدُّ الأوْقافِ وولايةُ المدينةِ .

واسْتَهَلَّتْ والجيوشُ المِصريةُ والشاميَّةُ محيطةٌ بحِصْنِ الكَرَكِ يُحاصِرُونه ويُبالِغُونَ فى أمْرِه ، والمَنْجَنِيقُ منْصوبٌ ، وأنْواعُ آلاتِ الحصارِ كثيرةٌ ، وقد رُسِمَ[2] بتجْريدةٍ مِن مصرَ والشامِ أيضًا تخرُجُ إليها . وفى يومِ الخميسِ عاشر صَفَرٍ دخَلَتِ التَّجْرِيدةُ مِن الكَرَكِ إلى دِمَشْقَ واسْتَمَرَّتِ التَّجْريدةُ الجديدةُ على الكَرَكِ ؛ ألفانِ مِن مصرَ وألفانِ مِن الشامِ ، والمَنْجَنِيقُ منْقوضٌ موْضوعٌ عندَ الجيشِ خارجَ الكَرَكِ ، والأمورُ متوقِّفةٌ[3] ، وبرَد الحصارُ بعدَ رجُوعِ الأحمدِىِّ إلى مصرَ .

وفى يومِ السبتِ ثانى ربيعٍ الأوَّلِ تُوفِّى **السيدُ الشَّريفُ عِمادُ الدِّينِ**

---

(١) دول الإسلام ٢/ ٢٥١، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٦، وذيول العبر ص ٢٣٥، وتذكرة النبيه ٣/ ٤٨.

(٢) فى الأصل : « رتبهم » .

(٣) بعده فى م : « على » . وفى دول الإسلام ورد هذا الخبر فى السنة الماضية .

الخَشَّابُ[1] بالكُوشك فى دَرْبِ السيرجىِّ جِوارَ المدرسةِ العِزِّيَّةِ ، وصُلِّىَ عليه ضُحًى بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصَّغيرِ ، وكان رجلًا شَهْمًا كثيرَ العبادةِ والمحبَّةِ للسُّنَّةِ وأهلِها ، ممَّن واظَبَ الشَّيخَ تقىَّ الدِّينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ ، رحِمَه اللَّهُ ، وانْتَفَع به ، وكان مِن جملةِ أنصارِه وأعوانِه على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكرِ ، وهو الذى بعَثَه إلى [٤/١٦٣] صَيْدَنَايَا[2] مع بعضِ القِسِّيسِينَ ، فلوَّث يدَه بالعَذِرَةِ وضرَب اللحْمَةَ التى يُعَظِّمُونَها هُناك ، وأهانَها غايةَ الإهانَةِ لقُوَّةِ إيمانِه وشجاعَتِه ، رحِمه اللَّهُ وإيَّانا .

وفى يومِ الخميسِ سابعه اجْتَمَع الصاحبُ ومُشِدُّ الدَّواوينِ ووكيلُ بيتِ المالِ ومُشِدُّ الأوقافِ ومُباشِرُو الجامعِ ومعهم العَمَّالين بالنَّوْلِ[3] والمَعاولُ ؛ يحْفِرُونَ إلى جانبِ السَّارِيةِ عندَ بابِ مشْهَدِ علىٍّ تحتَ تلك الصخرةِ التى كانت هناك ، وذلك عن قولِ رجلٍ جاهلٍ زعَمَ أنَّ هناك مالًا مدْفُونًا ، فشاوَرُوا نائبَ السلْطَنةِ ، فأمَرهم بالحفْرِ ، واجْتَمَع الناسُ والعامَّةُ ، فأمَرَهم فأُخْرِجُوا وأُغْلِقَتْ أبْوابُ الجامعِ كلُّها ليتَمكَّنُوا مِن الحفرِ ، ثم حفَرُوا ثانيًا وثالثًا فلم يجِدُوا شيئًا إلَّا التُّرابَ المَحْضَ ، واشْتَهرَ هذا الحفِيرُ فى البلدِ وقصَدَه الناسُ للنظَرِ إليه والتعَجُّبِ مِن أمرِه ، وانْفَصَلَ الحالُ على أنْ حُبِسَ هذا الزاعِمُ لهذا المُحَالِ ، وطُمَّ الحفيرُ كما كان .

وفى يومِ الاثنينِ ثامِنَ عشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ قدِم قاضى حلَبَ ناصرُ الدِّينِ بنُ الخشَّابِ على البريدِ مُجْتازًا إلى دِمشْقَ ، فنزَلَ بالعادِلِيَّةِ الكبيرةِ ، وأخْبَرَ أنَّه صُلِّى

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) صيدنايا : بلدة من أعمال دمشق . معجم البلدان ٣/ ٤٤١ .

(٣) فى م : « بالقول » . وبالنول : أى بالأجر . انظر اللسان (ن و ل) .

على المُحَدِّثِ البارعِ الفاضلِ الحافظِ **شمسِ الدينِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ أَيْبك السَّرُوجِيِّ المِصْرِيِّ**[1] يومَ الجُمعةِ ثامن هذا الشهرِ بحَلَبَ ، رحِمه اللَّهُ ، ومَوْلِدُه سنَةَ خَمْسَ عشْرَةَ وسَبْعِمائةٍ[2] ، وكان قد أتْقَنَ طرَفًا[3] جيِّدًا فى علمِ الحديثِ ، وحفِظَ أسْماءَ الرِّجالِ ، وجمَعَ وخرَّجَ .

وفى مُسْتَهَلِّ ربيعِ الآخرِ وقَع حريقٌ عظيمٌ بسَفْحِ قاسِيُونَ ، احْتَرَق به سُوقُ الصالِحِيَّةِ الذى بالقُرْبِ من الجامعِ المُظَفَّرِيِّ ، وكانت جملةُ الدَّكاكينِ التى احترَقَت قريبًا مِن مائةٍ وعشرينَ دُكَّانًا ، ولم يُرَ حريقٌ مِن زَمانٍ أكبرُ منه ولا أعظمُ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

وفى يومِ الجمُعةِ سادِسه رُسِمَ بأنْ يُذَكَّرَ بالصَّلاةِ يومَ الجمُعةِ فى سائرِ مآذنِ البلَدِ كما يُذَكَّرُ فى مآذنِ الجامعِ ، ففُعِلَ ذلك .

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشره طُلِبَ مِن القاضى تقىِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ قاضى قُضاةِ الشافعيَّةِ أنْ يُقْرِضَ دِيوانَ السلْطانِ شيئًا مِن أمْوالِ الغُيَّابِ التى تحتَ يَدِه ، فامْتَنَعَ مِن ذلك امْتِناعًا كثيرًا ، فجاء شادُّ الدَّواوينِ وبعضُ حاشِيَةِ نائبِ السلْطَنةِ ففَتحُوا مَخْزَنَ الأيْتامِ وأخَذُوا منه خَمْسِينَ ألْفَ درهمٍ قهْرًا ، ودَفعُوها إلى بعضِ العربِ عمَّا كان تأخَّر له فى الدِّيوانِ السلطانىِّ ، ووقَع أمرٌ كبيرٌ لم يُعْهَدْ مثلُه .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ عاشر جُمادَى الأُولَى تُوفِّى صاحِبُنا **الشَّيخُ الإمامُ العالمُ العلَّامةُ الناقدُ البارِعُ فى فُنونِ العُلومِ شمسُ الدِّينِ محمدُ بنُ الشيخِ عِمادِ**

---

(١) فى م : « المضرى » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٤/ ٢٢٥، وذيول العبر ص ٢٣٨، وتذكرة النبيه ٣/ ٦١، والدرر الكامنة ٤/ ١٧٧، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٨.

(٢) فى مصادر ترجمته - عدا ذيول العبر ففيه كالمثبت - أن مولده سنة أربع عشرة وسبعمائة .

(٣) فى الأصل : « شرفا » .

الدِّينِ أحمدَ بنِ عبدِ الهادِى المقْدِسِىُّ الحنْبلىُّ[1] ، تغمَّده اللَّهُ برحْمَتِه ، وأسْكنَه بحْبُوحَةَ جنَّتِه ، مرِضَ قريبًا مِن ثلاثةِ أشهرٍ بقُرْحَةٍ وحُمَّى سُلٍّ ، ثم تفاقَم أمرُه وأفْرَط به إسْهالٌ ، وتزايَد ضَعْفُه إلى أنْ تُوفِّى يومَئذٍ قبلَ أذانِ العصرِ ، فأخبَرَنى والدُه أنَّ آخرَ كلامِه أنْ قال : أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأشْهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، اللَّهم اجْعَلْنِى مِن التوَّابينَ واجْعَلْنى مِن المُتَطَهِّرينَ . فصُلِّى عليه صبيحةَ يومِ الخميسِ بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، وحضَرَ جِنازَتَه قضاةُ البلدِ وأعيانُ الناسِ مِن العُلماءِ والأُمراءِ والتُّجارِ والعامَّةِ ، وكانت جِنازتُه حافلةً مَليحةً ، عليها[2] ضوءٌ ونورٌ ، ودُفِن بالرَّوْضَةِ إلى جانبِ قبرِ السيْفِ بنِ المَجْدِ ، رحِمَهما اللَّهُ تعالَى ، وكان مؤْلِدُه فى رجَبٍ سنةَ خمسٍ وسبعِمائةٍ ، فلم يبْلُغِ الأرْبَعِينَ ، وحصَّل مِن العُلومِ ما لا يبْلُغُه الشيوخُ الكِبارُ ، وتفنَّن فى الحديثِ والنحوِ والتصْريفِ والفِقْهِ والتفْسِيرِ والأصْلَين[3] والتاريخِ والقِراءاتِ ، وله مجاميعُ وتَعاليقُ مفيدةٌ كثيرةٌ ، وكان حافظًا جيِّدًا لأسْماءِ الرِّجالِ ، وطُرُقِ الحديثِ ، عارِفًا بالجَرْحِ والتعْديلِ ، بصِيرًا بعِلَلِ الحديثِ ، حسَنَ الفَهْمِ له ، جيِّدَ المُذاكرةِ ، صحيحَ الذِّهْنِ ، مُسْتقيمًا على طريقةِ السَّلَفِ ، واتِّباعِ الكتابِ والسُّنةِ ، مُثابِرًا على فِعْلِ الخيْراتِ .

وفى يومِ الثلاثاءِ سَلْخه درَّس بمِحْرابِ الحنابلَةِ شيخُنا[4] الشيخُ الإمامُ العلَّامةُ

---

(١) الوافى بالوفيات ٢/ ١٦١، وذيول العبر ص ٢٣٨، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٣٦، والدرر الكامنة ٣/ ٤٢١، وشذرات الذهب ٦/ ١٤١.

(٢) فى الأصل : « عليه » .

(٣) فى الأصل : « الأصول » .

(٤) فى م : « صاحبنا » .

شرَفُ [٤/ ١٦٤] الدِّينِ بنُ القاضى شرفِ الدِّينِ الحنْبَلىُّ فى حلْقَةِ الثلاثاءِ، عِوَضًا عن القاضى تقىِّ الدِّينِ بنِ الحافظِ، رحِمه اللَّهُ، وحضَر عندَه القضاةُ والفُضلاءُ، وكان درْسًا حسَنًا، أخَذ فى قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [سورة النحل: ٩٠]. وخرَج إلى مسْألةِ تفْضيلِ بعْضِ الأوْلادِ.

وفى يومِ الخميسِ ثانِى عشَرَ[١] جُمادَى الأُولَى خرَجتِ التَّجْريدةُ إلى الكَرَكِ، مُقَدَّمانِ مِن الأُمراءِ؛ وهما الأميرُ شهابُ الدِّينِ بنُ صُبْحٍ، والأميرُ سيفُ الدينِ قَلاوُون، فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ، وتجَمُّلٍ وجُيوشٍ ونَقَّاراتٍ[٢] وإزْعاجٍ كثيرةٍ.

وفى صَبِيحةِ يومِ الاثنينِ الحادِى والعِشْرينَ منه قُتل بسُوقِ الخيْلِ **حسَنُ بنُ الشيخِ محمدٍ السَّكاكِينىِّ**[٣]، على ما ظَهرَ منه مِن الرفْضِ الدَّالِّ على الكُفْرِ المحْضِ، شُهِدَ عليه عندَ القاضى شرَفِ الدينِ المالِكىِّ بشهاداتٍ كثيرةٍ تدُلُّ على كفْرِه، وأنَّه رافِضِىٌّ جَلْدٌ، فمِن ذلك تكْفيرُ الشيْخَيْنِ، رضِى اللَّهُ عنهما، وقذْفُه أُمَّيِ المؤمنينَ؛ عائشةَ وحَفْصَةَ، رضِى اللَّهُ عنهما، وزعَم أنَّ جبريلَ غلِط فأوْحَى إلى محمدٍ، وإنَّما كان مُرْسَلًا إلى علىٍّ، وغيرُ ذلك من الأقْوالِ الباطلةِ القَبِيحةِ، قبَّحه اللَّهُ تعالى، وقد فعَل.

وقد كان والدُه الشيخُ محمدٌ السَّكاكِينىُّ يَعْرِفُ مذْهبَ الرافضةِ والشِّيعَةِ جيِّدًا، وكانت له أسْئلةٌ على مذْهبِ أهلِ الجبْرِ، ونظَمَ فى ذلك قصيدةً أجابَه

---

(١) فى م: «شهر».

(٢) فى م: «بقارات». وانظر صفحة ٤٤٥.

(٣) الدرر الكامنة ٢/ ١١٩، وفى تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٨ ذكر قتل الزنديق إبراهيم بن يوسف المقصاتى بهذه الجرائر التى ذكرت عن المقتول هنا.

فيها شيْخُنا الإمامُ العلَّامَةُ شيخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وذكَر غيرُ واحدٍ مِن أصْحابِ الشيخِ أنَّ السَّكاكِينيَّ ما ماتَ حتى رجَعَ عن مَذْهَبِه ، وصارَ إلى قوْلِ أهلِ السُّنَّةِ ، فاللَّهُ أعلمُ . وأُخْبِرْتُ أنَّ ولدَه حسَنًا هذا القَبِيحَ ، كان قد أرادَ قتْلَ أبيه لمَّا أظْهَر السُّنَّةَ .

وفى ليْلةِ الاثنينِ خامس شهرِ رجَبٍ وصَل بدَنُ الأميرِ سيفِ الدِّينِ تَنْكِز نائبِ الشَّامِ ، كان ، إلى تُرْبَتِه التى إلى جانبِ جامِعِه الذى أنْشأه ظاهِرَ بَابِ النصرِ بدِمَشْقَ ، نُقِل مِن الإسْكَنْدَرِيَّةِ بعدَ ثلاثِ سِنينَ ونِصْفٍ أو أكثرَ ، بشَفاعَةِ ابنَتِه زوجةِ الناصِرِ عندَ ولَدِه السلطانِ الملكِ الصالحِ ، فأذِنَ فى ذلك ، وأرادُوا أنْ يُدْفَنَ بمدْرستِه بالقُدْسِ الشريفِ ، فلم يُمكنْ ، فجِىءَ به إلى تربَتِه بدِمَشْقَ ، وعُمِلت له الـخِتَمُ ، وحضَر القُضاةُ والأعْيانُ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الثلاثاءِ حادِى عَشَرَ شعبانَ المُباركِ تُوفِّى صاحِبُنا **الأميرُ صلاحُ الدِّينِ يُوسُفُ التَّكْرِيتِىُّ**[1] ابنُ أخى الصاحِبِ تقىِّ الدِّينِ بنِ تَوْبَةَ الوزيرِ ، بمنْزِلِه بالقَصَّاعِينَ ، وكان شابًّا مِن أبْناءِ الأرْبَعِينَ ، ذا ذكاءٍ وفِطْنَةٍ ، وكلامٍ وبَصِيرةٍ جيِّدةٍ ، وكان كثيرَ المحبَّةِ إلى الشيخِ تقىِّ الدِّينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، ولأصْحابِه خُصوصًا ، ولكُلِّ مَن يَراه مِن أهلِ العلمِ عُمومًا ، وكان فيه إيثارٌ وإحْسانٌ ، ومحبَّةُ الفقراءِ والصالِحِينَ ، ودُفِن بتُرْبَتِهم بسَفْحِ قاسِيُونَ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى صبيحةِ يومِ السبتِ الخامِسَ عشَرَ مِنه [2]قبْلَ الظهرِ[2] جاءَتْ زَلْزَلةٌ بدِمَشْقَ لم يشْعُرْ بها كثيرٌ مِن الناسِ لـخِفَّتِها ، وللَّهِ الحمدُ والـمِنَّةُ ، ثم تَواتَرتِ

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢ - ٢) سقط من : م .

الأخْبارُ بأنَّها شَعَّثَتْ فى بلادِ حلَبَ شيئًا كثيرًا مِن العُمْرانِ حتى سقَطَ بعضُ الأبْراجِ بقَلْعَةِ حلَبَ ، وكثيرٌ من دُورِها ومساجدِها ومشاهدِها وجُدْرانِها ، وأمَّا فى القلاعِ حولَها فكثيرٌ جدًّا ، وذُكِر أنَّ مدينةَ مَنْبِـجَ لم يَبْقَ منها إلَّا القليلُ ، وأنَّ عامَّةَ الساكنينَ بها هلَكُوا تحتَ الرَّدْمِ ، رحِمهم اللَّهُ .

وفى أواخرِ شهرِ شَوَّالٍ خرَجتِ التَّجاريدُ إلى الكَرَكِ ، وهما أميرانِ مُقَدَّمانِ ؛ الأميرُ علاءُ الدِّينِ قَرَاسُنْقُر ، والأميرُ الحاجُّ بَيْدَمُر ، واشْتَهَر فى هذه الأيامِ أنَّ أمْرَ الكَرَكِ قد ضَعُفَ ، وتَفاقَم عليهم الأمرُ ، وضاقَتِ الأرْزاقُ عندَهم جدًّا ، ونزَلَ منها جَماعاتٌ مِن رؤسائِها ، وخاصِّكِيَّةُ الأميرِ أحمدَ بنِ الناصرِ مُخامِرينَ عليه ، فسيَّرا[1] مِن الصبحِ [2]وقلاوُون[2] صُحْبَتَهم مُقَدَّمينَ مِن الحلْقةِ إلى الدِّيارِ المِصريةِ ، وأخْبَرُوا أنَّ الحواصِلَ عندَ أحمدَ قد قلَّتْ جدًّا ، فاللَّهُ المسئولُ أنْ يُحْسِنَ العاقبةَ .

وفى ليْلةِ الأرْبعاءِ الثامن[3] والعِشْرِينَ من شهرِ ذى الحِجَّةِ تُوفِّى **القاضى الإمامُ العلَّامةُ بُرْهانُ الدِّينِ بنُ عبدِ الحقِّ**[4] ، شيخُ الحَنفيَّةِ وقاضى القُضاةِ بالديارِ المِصريةِ مدَّةً طويلةً بعدَ ابنِ الحرِيرىِّ ، ثم عُزِل وأقامَ بدِمَشْقَ مدَّةً ، ودرَّس فى أيامِ طُقُزْدَمُر بالعَذراويةِ لولَدِه القاضى أمينِ الدِّينِ ، فذكَرَ بها الدرسَ يومَ الأحدِ قبلَ وفاةِ والدِه بثلاثةِ أيامٍ ، وكان موتُ بُرْهانِ الدِّينِ ، رحِمه اللَّهُ ، ببُسْتانِه من أراضِى الأَرْزةِ بطَريقِ الصالِحيَّةِ ، ودُفِن من الغَدِ بسَفْحِ قاسِيُونَ بمقبرةِ الشيخِ أبى عمرَ ، رحِمه اللَّهُ ، وصُلِّى عليه [٤/ ١٦٥] بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، وحضَر جِنازتَه القضاةُ والأعْيانُ والأكابرُ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى م : « فسيروا » .

(٢ - ٢) فى م : « إلى قلاوون و » .

(٣) فى الأصل : « الثانى » .

(٤) الجواهر المضية ١/ ٩٣، وتذكرة النبيه ٣/ ٦٠، والدرر الكامنة ١/ ٤٨، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٤، والمنهل الصافى ١/ ١٢٧، والطبقات السنية ١/ ٢١١.

ثم دخلَتْ سنَةُ خَمْسٍ وأرْبَعِيـنَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ الديارِ المصريةِ والديارِ الشاميَّةِ وما يتعَلَّقُ بذلك الملكُ الصالِحُ[2] إسْماعيلُ بنُ السلْطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنصورِ قَلاوُون، وقُضاتُه بالديارِ المصريةِ والشاميَّةِ هم المذْكُورونَ فى السنَةِ المتقدِّمةِ، ونائبُه بمصرَ الحاجُّ سيفُ الدينِ أَلْمَلِك، ووَزِيرُه المتقدِّمُ ذكْرُه، وناظِرُ الخاصِّ القاضِى مَكِينُ الدينِ [3]بنُ قَرَوِينَة[3]، وناظرُ الجُيوشِ القاضى علَمُ الدينِ بنُ القُطْبِ، والمُحْتَسِبُ المُتقدِّمُ، وشادُّ الدَّواوينِ الأميرُ علَمُ الدينِ الناصِرِىُّ، وشادُّ الأوْقافِ الأميرُ حسامُ الدينِ بنُ[4] النَّجِيبِىِّ، ووَكيلُ بيتِ المالِ القاضى علاءُ الدينِ [5]بنُ شمرنوخ[5]، وناظِرُ الخِزانةِ القاضى تقىُّ الدينِ بنُ أبى الطَّيِّبِ، وبَقِيَّةُ المُباشِرينَ والنُّظّارِ هم المُتقدِّمُ ذكْرُهم، وكاتبُ الدَّسْتِ القاضى بدرُ الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ كاتبُ السِّرِّ، والقاضى أمينُ الدينِ بنُ القَلانِسِىِّ، والقاضى شِهابُ الدينِ بنُ القَيْسَرانِىِّ، والقاضِى شرَفُ الدينِ بنُ شمسِ الدينِ بنِ الشِّهابِ محمودٍ، والقاضى علاءُ الدينِ [6]بنُ شمرنوخ[6].

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٩، وذيول العبر ص ٢٤٢، وتذكرة النبيه ٣/ ٦٣، والسلوك ٢/٣/ ٦٦٠.

(٢) بعده فى النسختين: «بن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) فى الأصل: «شمرثوخ»، وفى م: «شرنوخ». وسيأتى فى صفحة ٦٤٦.

(٦ - ٦) فى م: «شرنوخ».

شهرُ المُحرَّمِ أوَّلُه السبتُ ، اسْتَهلَّ والحِصارُ واقعٌ بقلعةِ الكرَكِ ، وأمَّا البلدُ فأُخِذ ، واستُنِيبَ فيه الأميرُ سيفُ الدينِ قُبْلاى[1] ، قَدِمَ إليها مِن الديارِ المصريةِ ، والتَّجاريدُ مِن الديارِ المصريةِ ومِن دِمَشْقَ مُحيطُونَ بالقلعةِ ، والناصرُ أحمدُ بنُ الناصرِ مُمْتنِعٌ من التسْليمِ ، ومن الإجابةِ إلى الإنابَةِ ، ومن الدخولِ فى طاعةِ أخيه ، وقد تفاقَمَتِ الأمورُ وطالَتِ الحروبُ ، وقُتِل خَلْقٌ كثيرٌ بسبَبِ ذلك مِن الجيوشِ ومِن أهلِ الكرَكِ ، وقد توجَّهَتِ القضِيةُ إلى خَيْرٍ ، إنْ شاءَ اللَّهُ ، وقبلَ ذلك بأيامٍ يسِيرةٍ هرَب مِن قلعةِ الكرَكِ الأميرُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنِ بهادُرآص الذى كان أُسِر فى أوائلِ حِصارِ الكرَكِ ، وجماعةٌ مِن مَماليكِ الناصرِ أحمدَ ، كان اتَّهمَهم بقَتْلِ الشهيبِ[2] ، الذى كان يَعْتَنِى به ويُحبُّه ، واسْتَبشَر الجيوشُ بنُزولِ أبى بكرٍ من عندِه وسلامَتِه مِن يَدِه ، وجَهَّزَه إلى الديارِ المصريةِ [3]على البريدِ[3] مُعَظَّمًا . هذا[4] والمجَانِيقُ الثلاثةُ مُسلَّطةٌ على القلعةِ مِن البلدِ ، تَضْرِبُ عليها ليْلًا ونَهارًا ، وتُدَمِّرُ فى بنائِها مِن داخلٍ ؛ فإنَّ سُورَها لا يؤثِّرُ فيه شىءٌ بالكلِّيَّةِ ، ثم ذُكِر أنَّ الحصارَ فَتَر ولكنْ مع الاحْتِياطِ على أن لا يدْخُلَ القلعةَ مِيرَةٌ ولا شىءٌ ممّا يَستعِينونَ به على المُقامِ فيها ، فاللَّهُ المسئولُ أنْ يُحْسِنَ العاقبةَ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ الخامس والعشرينَ مِن صفرٍ قَدِم البريدُ مُسْرعًا من الكرَكِ فأخْبَر بفَتْحِ القلعةِ ، وأنَّ بابَها أُحْرِقَ ، وأنَّ جماعةَ الأميرِ أحمدَ بنِ الناصرِ اسْتَغاثُوا

---

(١) فى النسختين : « قبلية » . والمثبت من الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٨، والدليل الشافى ٢/ ٥٣٣.
(٢) بعده فى م : « أحمد » . وانظر السلوك ٢/٢/٤٦٧ ، والدرر الكامنة ١/ ٣١٤ .
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) فى النسختين : « وهذا » .

بالأمانِ ، ففُتِحَت[1] ، وخرَج أحمدُ مُقَيَّدًا ، وسُيِّرَ على البريدِ إلى الديارِ المصريةِ ، وذلك يومَ الاثنينِ بعدَ الظُّهرِ الثالث والعِشْرِينَ مِن هذا الشهرِ ، وللَّهِ عاقبةُ الأمورِ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الجمُعةِ رابع رَبيعٍ الأوَّلِ دقَّتِ البَشائرُ بالقَلْعَةِ ، وزُيِّنَتِ البلدُ عن مرْسُومِ السلطانِ الملكِ الصالحِ سُرورًا بفَتْحِ البلدِ[2] واجْتِماعِ الكلمةِ عليه ، واسْتَمرَّت الزِّينةُ إلى يومِ الاثنين سابعِه ، فرُسِم برفْعِها بعدَ الظهرِ ، فتشوَّش كثيرٌ من العَوَامِّ ، وأرْجَفَ بعضُ الناسِ بأنَّ أحمدَ قد ظهَر أمْرُه وبايَعه الأُمراءُ الذين هم عندَه ، وليسَ لذلك حقيقةٌ . ودخَلتِ الأطلابُ مِن الكرَكِ صَبيحةَ يومِ الأحدِ ثَالثَ عَشَرَ ربيعٍ الأوَّلِ بالطبلخَاناه والجيوشِ ، واشْتَهر إعْدامُ أحمدَ بنِ الناصرِ .

وفى يومِ الجمُعةِ حَادِى عَشَرَ رَبيعٍ الأوَّلِ صُلِّى بالجامعِ الأُمَوِىِّ على **الشيخِ أثيرِ**[3] **الدينِ أبى حيَّانَ النَّحْوِىِّ** ، شيخِ البلادِ المصريةِ من مدَّةٍ طويلةٍ ، وكانت وفاتُه بمِصْرَ عن تِسْعينَ سنةً وخمسةِ أشهرٍ .

ثم اشْتَهَر فى رَبيعٍ الآخرِ **قَتْلُ السلْطانِ أحمدَ**[4] وحَزُّ رأْسِه ودَفْنُ جُثَّتِه بالكرَكِ ، وحُمِل رأسُه إلى أخِيه الملكِ الصالحِ إسْماعيلَ ، وحضَر بينَ يَدَيْه فى الرابعِ والعِشْرينَ مِن هذا الشهرِ ، ففَرِح الناسُ بذلك . ودخَل الشيخُ أحمدُ الزَّرَعىُّ على السلْطانِ الملكِ الصالحِ فطلَب منه أشْياءَ كثيرةً مِن تَبْطِيلِ مظالمٍ ومُكُوساتٍ ، وإطْلاقِ طبلخَانَاه للأميرِ ناصرِ الدينِ بنِ بَكْتاش ، وإطْلاقِ أُمَراءَ مَحْبُوسينَ بقلعةِ دِمَشقَ ، وغيرِ ذلك ، فأجابَه[5] إلى جميعِ ذلك ، فكان جملةَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « الملك » .

(٣) فى النسختين : « أمين » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٥/ ٢٦٧، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٢٧٦، وطبقات القراء ٢/ ٢٨٥، وطبقات ابن قاضى شهبة ص ٢٨٩، والدرر الكامنة ٥/ ٧٠.

(٤) الوافى بالوفيات ٨/٨٦ ، والدرر الكامنة ١/٣١٤ ، والنجوم الزاهرة ١٠/٥٠ ، والمنهل الصافى ٢/ ١٠٨ ، والدليل الشافى ١/ ٨٣.

(٥) فى الأصل : « فأجابوا » .

المراسيمِ التى أُجِيبَ فيها بِضْعٌ وثلاثون مرْسُومًا . [٤/١٦٦] فلمَّا كان آخرُ شهرِ رَبيعٍ الآخرِ قدِمتِ المراسِيمُ التى سألها[١] الشيخُ أحمدُ مِن السلطانِ الملكِ الصالحِ ، فأُمْضِيَتْ كلُّها أو كثيرٌ منها ، وأفْرِجَ عن صلاحِ الدينِ بنِ الملكِ الكاملِ ، والأميرِ سيفِ الدينِ بلو[٢] فى يومِ الخميسِ سَلْخِ هذا الشهرِ ، ثم رُوجِع فى كثيرٍ منها ، فتَوَقَّف حالُها .

وفى هذا الشهرِ عُمِلتْ منارةٌ خارِجَ بابِ الفَرَجِ ، وفُتِحتْ مدْرسةٌ كانت دارًا قديمةً فجُعِلت مدرسةً للحَنفِيَّةِ ومسْجِدًا ، وعُمِلت طهّارَةٌ عامةٌ ، ومُصَلًّى للناسِ ، وكلُّ ذلك منْسوبٌ إلى الأميرِ سيفِ الدينِ طَقْتَمُر[٣] الخَلِيلىِّ ، أمير حاجب ، كان ، وهو الذى جدَّدَ الدارَ المعْروفةَ به اليومَ بالقَصَّاعِينَ .

وفى ليْلةِ الاثنينِ عاشر جُمادَى الآخرةِ تُوفِّى صاحِبُنا المُحدِّثُ **تقىُّ الدينِ محمدُ بنُ صَدْرِ الدينِ سُلَيمانَ الجَعْبَرىُّ**[٤] زوجُ بِنْتِ الشيخِ جمالِ الدينِ المِزِّىِّ ، ووالدُ شرَفِ الدينِ عبدِ اللَّهِ وجمالِ الدينِ إبْراهيمَ وغيرِهم ، وكان فَقِيهًا بالمدارسِ ، وشاهدًا تحتَ الساعاتِ وغيرِها ، وعندَه فضيلةٌ جيِّدَةٌ فى قِراءَةِ الحديثِ ، وشىءٌ مِن العربيَّةِ ، وله نظْمٌ مُسْتَحْسَنٌ ، انْقَطَع يومَينِ وبعضَ الثالثِ ، وتُوفِّى فى الليلةِ المذْكُورَةِ فى وَسَطِ الليلِ ، وكنتُ عندَه وقْتَ العشاءِ الآخرةِ ليْلَتَئذٍ ، وحدَّثَنى وضاحَكنى ، وكانَ خفيفَ الرُّوحِ ، رحِمه اللَّهُ تعالى ، ثم تُوفِّى فى بقيَّةِ ليْلَتِه ، رحِمه اللَّهُ ، وكان أشْهَدَنى عليه بالتَّوْبَةِ مِن جميعِ ما يُسْخِطُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، وأنَّه عازِمٌ على تركِ الشهودِ أيضًا ، رحِمه اللَّهُ ، صُلِّى عليه ظُهرَ يومِ

---

(١) فى الأصل : « قبلها » .

(٢) فى الأصل : « تلو » .

(٣) فى الأصل : « نقطم » ، وفى م : « تقطم » . والمثبت من ذيول العبر ص ٢٥١ ، وفى الدارس ١/ ٢٣٦ : بكتمر .

(٤) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

الاثنين، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ عندَ أبوَيْه، رحِمَهم اللَّهُ.

وفى يومِ الجمُعةِ ثانِى عِشْرينَ شهرِ رَجبٍ خطَب القاضى عِمادُ الدينِ إسماعيلُ[1] بنُ العِزِّ الحَنفِىُّ بجامعِ تَنْكِز خارِجَ بابِ النصْرِ، عن نُزولِ الشيخِ نجْمِ الدينِ علىِّ بنِ داودَ القَحْفازِىِّ[2] له عن ذلك، وأيضًا نائبِ السلْطَنَةِ الأميرِ سيفِ الدينِ طُقُزْدَمُر، وحضُورِه عندَه فى الجامعِ المذْكُورِ يَوْمَئذٍ.

وفى يومِ الجمُعةِ تاسعِ عِشْرِينَ رجَبٍ تُوفِّى **القاضى الإمامُ العالِمُ جلالُ الدينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ قاضى القُضاةِ حُسامِ الدينِ الرُّومِىُّ الحَنَفىُّ**[3]، وصُلِّى عليه بعدَ صلاةِ الجمُعةِ بمسْجدِ دِمَشْقَ، وحضَره القضاةُ والأعْيانُ، ودُفِن بالمدْرسةِ التى أنْشأها إلى جانبِ الزَّرَدْكاش قريبًا مِن الخاتُونِيَّةِ الجوَّانِيَّةِ، وكان قد وَلِى قضاءَ قُضاةِ الحنَفِيَّةِ فى أيامِ وِلايةِ أبيه بالدِّيارِ المصريةِ، وكان مولِدُه سنَةَ إحْدَى وخمسينَ وسِتِّمائةٍ، [4]وأفتَى فى سنةِ سبعين وستِّمائةٍ[4]، وقَدِمُوا[5] الشامَ مع أبيه فأقامُوا بها، ثم لمَّا وُلِّى المَلِكُ المنْصورُ لاجِين وَلَّى أباه قَضاءَ الديارِ المصريةِ، ووَلَدَه هذا قَضاءَ الشامِ، ثم إنَّه عُزِل بعدَ ذلك واستمرَّ على ثلاثِ مدارسَ مِن خِيارِ مدارسِ الحنَفِيَّةِ، ثم حصَل له صَمَمٌ فى آخرِ عُمْرِه، وكان مُمتَّعًا بحَواسِّه - سِوَاه - وقُواه، وكان يُذْكَرُ[6] فى العلمِ وغيرِ ذلك. واللَّهُ أعلمُ.

وفى يومِ الأرْبِعاءِ الرابعِ والعِشْرِينَ من شعبانَ تُوفِّى **الشيخُ نَجْمُ الدينِ علىُّ بنُ داودَ القَحْفازىُّ**[7] خطيبُ جامعِ تَنْكِز، ومدرِّسُ الظاهِرِيَّةِ، وقد نزَل عنها قبلَ

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى النسختين: «القفجارى».

(٣) الجواهر المضية ١/ ٦٣، والسلوك ٢/٣/ ٦٧٤، والدرر الكامنة ١/ ١٢٦، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٩، والمنهل الصافى ١/ ٢٦٤، والطبقات السنية ١/ ٣٢٤.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «قدم».

(٦) فى م: «يذاكر».

(٧) فى م: «القفجارى». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ٢١/ ٨٣، وفوات الوفيات ٣/ ٢٣، =

وفاتِه بقليلٍ للقاضى عِمادِ الدينِ إسماعيلَ[1] بنِ العِزِّ الحَنفىِّ ، وصُلِّى عليه[2] بالجامعِ المذْكُورِ بعدَ صلاةِ الظهرِ يَوْمَئذٍ ، وعندَ بابِ النصْرِ ، وعندَ جامعِ جراحٍ ، ودُفِنَ بمقْبَرةِ ابنِ الشَّيْرَجِىِّ عندَ والدِه ، وحضَره القُضاةُ والأعيانُ ،وكان أُستاذًا فى النحوِ ، وله علُومٌ أُخَرُ ، لكِنْ كان نِهايَةً فى النَّحوِ والتَّصْريفِ .

وفى هذا اليومِ تُوفِّى **الشيخُ الصالِحُ العابدُ الناسكُ الشيخُ عبدُ اللَّهِ الضَّرِيرُ الزُّرَعِىُّ**[3] ، وصُلِّى عليه بعدَ الظهرِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، وبابِ النصْرِ ، وعندَ مقابرِ الصوفيَّةِ ، ودُفِن بها قريبًا من الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان كثيرَ التِّلاوَةِ حسنَها وصحيحَها ، كثيرَ العبادَةِ ، يُقْرِئُ الناسَ مِن دَهْرٍ طويلٍ ، ويقومُ بهم العَشْرَ الأخيرَ مِن رمضانَ ، فى مِحْرابِ الحنابلةِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الجمُعةِ ثانى شهرِ رمضانَ المعظمِ توفِّى **الشيخُ الإمامُ العالمُ العامِلُ العابدُ الزاهدُ الوَرِعُ أبو عمرٍو**[4] **بنُ أبى الوَليدِ المالِكِىُّ** ، إمامُ مِحرابِ الصحابَةِ الذى للمالِكِيَّةِ ، وصُلِّى عليه بعدَ الصلاةِ ، وحضَر جِنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، وتأسَّفَ الناسُ عليه وعلى صَلاحِه وفَتاوِيه النافعةِ الكثيرةِ ، ودُفِن إلى [٤/١٦٧] جانبِ[5] قبرِ أبيه وأخِيه ، إلى جانبِ قبرِ أبى [6]الحجّاجِ الفِندلاوِىِّ[6] المالِكِىِّ ، قريبًا مِن مسْجدِ النّارَنْجِ[7] ، رحِمه اللَّهُ ، ووَلِىَ مكانَه فى المحرابِ ولدُه وهو طفلٌ صغيرٌ ، فاسْتُنِيبَ له إلى حينِ صلاحِيتِه ، جبَره اللَّهُ ورحِمَ أباه .

= والجواهر المضية ٤/ ٢٨٣، والدرر الكامنة ٣/ ١١٦، والدليل الشافى ١/ ٤٥٥.

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى الأصل : « بعد » .

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) فى النسختين : « عمر » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٤٦، والدرر الكامنة ١/ ٢٦٢، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٧٣، والدارس ٢/ ٦.

(٥) فى الأصل : « جامع » .

(٦ - ٦) فى م : « الغندلاوى » . وانظر الدارس ٢/ ١٠ .

(٧) فى النسختين : « التاريخ » .

وفى صَبِيحَةِ ليْلةِ الثلاثاءِ سادس رمضانَ وقَع ثَلْجٌ عظيمٌ لم يُرَ مثلُه بدِمَشْقَ مِن مُدَّةٍ طويلةٍ ، وكان الناسُ مُحْتاجينَ إلى مطَرٍ ، فلِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وتكاثَفَ الثلجُ على الأسْطِحَةِ ، وتراكَمَ حتى أعْيَا الناسَ أمرُه ، ونقَلُوه عن الأسْطحَةِ إلى الأزِقَّةِ ، يُحْمَلُ ، ثم نُودِى بالأمْرِ بإزالَتِه من الطُّرقاتِ فإنَّه سدَّها وتعَطَّلَتْ مَعايِشُ كثيرٍ[1] من الناسِ ، فعوَّضَ اللَّهُ الضُّعَفاءَ بعَملِهم فى الثلجِ ، ولَحِقَ الناسَ كُلْفَةٌ كبيرةٌ[1] وغَرامَةٌ كثيرةٌ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليهِ راجِعُونَ .

وفى يومِ الجمُعةِ الثالث والعِشْرِينَ من رمضانَ صُلِّى بالجامعِ الأُمَوِىِّ على غائبٍ[2] وهو **الأميرُ علمُ**[3] **الدِّينِ الجاوِلىُّ** ، وقد تقدَّم شىءٌ من ترجمتِه ، رحِمه اللَّهُ .

وفى أوَّلِ شَوَّالٍ يومِ عيدِ الفطرِ وقَع فيه ثلجٌ عظيمٌ بحيثُ لم يَتمكَّنِ الخطيبُ مِن الوُصولِ إلى المُصلَّى ، ولا خرَج نائبُ السلطنَةِ ، بل اجْتَمعَ الأُمراءُ والقُضاةُ بدارِ السَّعادةِ ، وحضَر الخطيبُ فصلَّى بهم العيدَ[4] ، وكثيرٌ من الناسِ صلَّوُا العيدَ فى البُيوتِ .

وفى يومِ الأحَدِ الحادِى والعِشْرينَ من ذى القَعْدَةِ[5] درَّس قاضى القُضاةِ تقىُّ الدينِ السبْكِىُّ الشافِعىُّ بالشامِيَّةِ البَرَّانيَّةِ عن الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ النَّقِيبِ ، رحِمه اللَّهُ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ والأُمراءُ وخَلْقٌ مِن الفُضلاءِ ، وأخَذ فى قولِه تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) فى الأصل : « كثيرة » .

(٢) فى م : « نائب » .

(٣) فى النسختين : « علاء » . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ١٥/ ٤٨٢، والسلوك ٢/٣/ ٦٧٤، والدرر الكامنة ٢/ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٩، والمنهل الصافى ٦/ ٧٤، وشذرات الذهب ٦/ ١٤٢.

(٤) بعده فى م : « بها » .

(٥) فى م : « الحجة » .

الْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥] وما بعدَها .

وفى ذى الحِجَّةِ اسْتُفْتِىَ فى قَتْلِ كلابِ البلدِ ، فكتَب جماعةٌ مِن أهلِ البلدِ فى ذلك ، فرُسِمَ بإخْراجِهم يومَ الجمُعَةِ مِن البَلدِ الخامسِ والعِشْرِينَ منه ، لكِنْ إلى الخَنْدَقِ ظاهرَ بابِ الصغيرِ ، وكان الأَوْلَى قتْلَهم بالكُلِّيَّةِ وإحْراقَهم لِئَلَّا (١) يتأذَّى الناسُ بنَتْنِ ريحِهم (١) ، على ما أفْتَى به الإمامُ مالكُ بنُ أنَسٍ مِن جوازِ قتلِ الكلابِ ببَلْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ للمصْلَحَةِ إذا رأى الإمامُ ذلك(٢) ، ولا يُعارِضُ ذلك النَّهىُ عن قَتْلِ أُمَّةِ(٣) الكلابِ ؛ ولهذا كان عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ يأْمُرُ فى خُطْبَتِه بقتلِ الكلابِ وذَبْحِ الحمامِ(٤) .

(١ - ١) فى م : « تنتن الناس بريحهم » .

(٢) انظر : التمهيد ١٤/ ٢٢٥ وما بعده ، والاستذكار ٢٧/ ١٩٦، ومسلم بشرح النووى ١٠/ ٢٣٥.

(٣) سقط من : م . والمراد بالنهى هنا نهى النبى ﷺ عن قتل الكلاب بعد أمره بذلك ، كما فى صحيح مسلم (١٥٧٢ ، ١٥٧٣) . وانظر التمهيد ١٤/ ٢٣٠، والاستذكار ٢٧/ ١٩٧، ١٩٨.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٧٢. وقال الشيخ شعيب ١/ ٥٤٣: إسناده ضعيف . وانظر التفسير ٣/ ٣٩٧، وما تقدم فى ١٠/ ٣٨٦.

ثم دخلَتْ سنةُ سِتٍّ وأرْبعِيـنَ وسبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلطانُ المسلمينَ بالدِّيارِ المصريةِ والشامِيَّةِ والحَرَمَيْنِ والبلادِ الحَلَبِيَّةِ وأعْمالِ ذلك ، الملكُ الصالِحُ عِمادُ الدينِ إسماعيلُ بنُ الناصرِ بنِ المنْصورِ ، وقُضاتُه بالدِّيارِ المصريةِ والشامِيَّةِ هم المذْكُورونَ [2]في السنَةِ الماضِيةِ ، ونوابُه في البِلادِ هم المذكُورون أيضًا[2] . وفي يومِ الجُمعةِ سادِس [3]شهرِ المحرَّمِ[3] كَمَلَتْ عِمارَةُ الجامعِ الذى بالمِـزَّةِ الفَوْقَانِيَّةِ الذى جدَّدَه وأنشَأه الأميرُ بهاءُ الدينِ [4]ابنُ المرجَانى[4] ، الذى بنَى والِدُه مَسْجدَ الخَيْفِ بمِنًى ؛ وهو جامِعٌ حسَنٌ مُتَّسِعٌ فيه رَوحٌ وانْشِراحٌ ، تقبَّل اللَّهُ مِن بانِيه ، وعُقِدَتْ فيه الجُمعةُ بجَمْعٍ كثيرٍ وجَمٍّ غَفِيرٍ من أهلِ المِزَّةِ ، ومَن حضَر من أهلِ البلدِ ، وكنتُ أنا الخطيبَ - يعْنى الشيخَ عمادَ الدينِ المُصَنِّفَ تغَمَّدَه اللَّهُ برحْمَتِه - وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . ووَقعَ كلامٌ وبحثٌ فى مسألةِ[5] اشْتِراطِ المُحَلِّلِ فى المسابَقةِ ، وكان سَببَه أنَّ الشيخَ شمسَ الدينِ بنَ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ صنَّفَ فيه مُصَنَّفًا مِن قبلِ ذلك ، ونصَر فيه ما ذهبَ إليه الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ فى ذلك ، ثم صارَ يُفْتِى به جماعَةٌ من التُّرْكِ ولا يَعْزُوه إلى الشيخِ تقىِّ

---

(١) ذيول العبر ص ٢٤٨، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٢، وتذكرة النبيه ٣/ ٧٩، والسلوك ٢/٣/ ٦٧٦.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى م : « عشر محرم » .

(٤ - ٤) فى م : « المرجانى » . وستأتى وفاته سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

(٥) سقط من : م .

الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، فاعْتَقدَ مَن اعْتَقَدَ أنَّه قولُه ، وهو مُخالِفٌ للأئمةِ الأرْبَعةِ ، فحصَلَ عليه إنْكارٌ فى ذلك ، وطلَبه القاضِى الشافعِىُّ ، وحصَل كلامٌ فى ذلِك ، وانْفَصَل الحالُ على أنْ أظهرَ الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ المُوافَقةَ للجُمهُورِ .

وفاةُ الملِكِ الصَّالحِ إسْماعيلَ[1]

فى يومِ الأرْبعاءِ ثالث شهرِ رَبيعِ الآخرِ مِن هذه السنةِ أُظهرَ موتُ السلْطانِ الملكِ الصالِحِ عِمادِ الدينِ إسْماعيلَ بنِ الناصرِ بنِ المنْصورِ آخِرَ النَّهارِ ، وكان قد عهِدَ بالأمرِ إلى أخيهِ لأبَويْه الملكِ الكاملِ سيفِ الدينِ أبى الفُتوحِ شعبانَ ، فجلَس على سَريرِ المملكَةِ يومَ الخميسِ رابعِه ، وكان يومًا مشْهُودًا ، ثم قدِمَ الخبرُ إلى دِمَشْقَ عَشِيَّةَ الخَمِيسِ ليلةَ الجمُعةِ الثانِىَ عَشَرَ منه ، وكان البريدُ قد انْقطعَ عنِ الشامِ نحوَ عِشْرِينَ يومًا للشُّغْلِ بمرَضِ السلْطانِ ، فقدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْغَرا[2] للبَيْعةِ للملكِ الكاملِ ، فركِبَ عِلْيَةُ الجيشِ لتَلقِّيه ، فلمَّا كان صبيحةُ الجمُعةِ أُخِذَتِ البيعَةُ [٤/١٦٨] مِن النائبِ والمُقدَّمِينَ وبقِيَّةِ الأُمراءِ والجُنْدِ للسلْطانِ الملكِ الكاملِ بدارِ السَّعادةِ ، ودقَّتِ البشائرُ ، وزُيِّنَ البلدُ ، وخطبَ الخُطباءُ يَوْمَئذٍ للملكِ الكاملِ ، جعَله اللَّهُ وَجْهًا مُباركًا على المسلمينَ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ الثانى والعِشْرينَ من رَبيعِ الآخرِ درَّس القاضِى جمالُ الدينِ حُسَيْنُ بنُ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ الشافعىِّ بالمدْرسةِ الشاميَّةِ البَرَّانيَّةِ ، نزَل له أبوه عنها ، واسْتخرَجَ له مرْسُومًا سُلْطانيًّا بذلك ، فحضَر عندَه

---

(١) الوافى بالوفيات ٩/ ٢١٩، وتذكرة النبيه ٣/ ٧٩، والدرر الكامنة ١/ ٤٠٦، والمنهل الصافى ٢/ ٤٢٥، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٩٥.

(٢) فى م : « معزا » .

القُضاةُ والأعْيانُ وجماعةٌ من الأُمراءِ والفُقهاءِ، وجلسَ بينَ أبيه والقاضى الحَنفىِّ، وأخَذَ[1] الدرسَ فى قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] الآيات. وتكلَّم الشَّريفُ مجدُ الدينِ المُتكلِّمُ فى الدرسِ بكلامٍ فيه نَكارَةٌ وبشاعةٌ، فشنَّعَ عليه الحاضرونَ، فاستُتِيبَ بعدَ انْقِضاءِ الدرسِ وحُكِم بإسْلامِه، وقد طُلبَ إلى الديارِ المصريةِ نائبُ دِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ طُقُزْدَمُر وهو مُتمرِّضٌ، انْقَطعَ عن الجمُعةِ بسبَبِ المرضِ مرَّاتٍ، والبريدُ يذْهبُ إلى حَلَبَ لمجيءِ نائِبِها الأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغا لنيابةِ دِمَشْقَ، وذكرَ أنَّ الحاجَّ أرُقْطَاى تعينَّ لنيابةِ حلبَ.

وفى يومِ الجمُعةِ رابع شهرِ جُمادَى الأُولَى خَرجتْ أثْقَالُ الأميرِ سَيْفِ الدِّينِ طُقُزْدَمُر النائبِ وخُيولُه وهُجْنُه ومراكبُه[2] وحواصِلُه وطَبْلَخاناتُه وأوْلادُه فى تجمُّلٍ عظيمٍ، وأبَّهَةٍ هائلةٍ جدًّا، وخرجتِ المحافِلُ والكحاراتُ والمحَفَّاتُ لنِسائِه وبناتِه وأهلِه فى هَيْبَةٍ عجيبةٍ، وهذا كلُّه وهو بدارِ السَّعادةِ، فلمَّا كان مِن وَقْتِ السَّحَرِ فى يومِ السبتِ خامسه خرجَ الأميرُ سيفُ الدينِ طُقُزْدَمُر بنفْسِه إلى الكسوةِ فى مِحَفَّةٍ لمَرَضِه مَصْحوبًا بالسَّلامةِ، فلمَّا طَلعَتِ الشمسُ مِن يَوْمِئذٍ قَدِمَ مِن حَلَبَ أُسْتادار الأميرِ سيفِ[3] الدينِ يَلْبُغا اليَحْياوىِّ فتسلَّمَ دارَ السَّعادةِ، وفرِحَ الناسُ بهم، وذهَب النَّاسُ للتهْنِئَةِ والتوَدُّدِ إليهم.

ولمَّا كان يومُ السبتِ الثانى عشرَ من جُمادَى الأُولَى خرَج الجيشُ بكَمالِه لتلَقِّى نائبِ السلْطَنَةِ الأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغا، فدَخلَ فى تجمُّلٍ عظيمٍ، ثم جاءَ فنَزَل عندَ بابِ السِّرِّ، وقبَّلَ العَتَبَةَ على العادةِ ثم مشَى إلى دارِ السَّعادةِ.

---

(١) بعده فى م: «فى».

(٢) فى م: «مواليه».

(٣) فى الأصل: «شرف».

وفى عَشِيَّةِ يومِ الاثنينِ رابعَ عشَرِه قطَعَ نائبُ السلْطَنةِ ممَّن وجَب قطْعُه [1] مِن أهلِ [1] الحبْسِ ثَلاثَةَ عَشَرَ رجُلًا ، وأضافَ إلى قَطْعِ اليَدِ قَطْعَ الرِّجْلِ من كلٍّ منهم ؛ لما بلَغه أنَّه تكرَّرتْ [2] جِناياتُهم ، وصلَبَ ثلاثةً بالمساميرِ ممَّن وجَب قتْلُه ، ففرِحَ الناسُ بذلك لقَمْعِه المُفْسِدينَ وأهلَ الشُّرورِ والعبثِ [3] والفَسادِ .

واشْتَهَرَ فى العَشْرِ الأوْسطِ مِن شهرِ جُمادَى الآخرةِ [4] **وفاةُ الأميرِ سيفِ الدينِ** [4] **طُقُزْدَمُر** بعدَ وُصولِه إلى الديارِ المصريةِ بأيامٍ ، وكانَ ذلك ليلةَ الخميسِ مُسْتَهَلِّ هذا الشهرِ ، وذُكرَ أنَّه رُسمَ على وَلدِه وأُسْتاداره [5] ودواداره [5] ، وطُلبَ منهم مالٌ جزيلٌ ، فاللَّهُ أعْلَمُ .

وفى يومِ الاثنينِ ثانِى عشَرِه تُوفِّى **القاضى عَلاءُ الدينِ بنُ العِزِّ الحَنَفِيُّ** [6] نائبُ الحكْمِ ببُسْتانِه بالصَّالِحِيَّةِ ودُفن بها ، وذلك بعدَ عَوْدِ المدرسةِ الظاهِريَّةِ إليه ، وأخْذِه إيَّاها مِن عمِّه القَاضِى عِمادِ الدِّينِ إسْماعيلَ ، كما قدَّمْنا ، ولم يُدرِّسْ فيها إلَّا يومًا واحدًا وهو مُتَمرِّضٌ ، ثم عادَ إلى الصالِحِيَّةِ فتَمادَى به مرضُه إلى أنْ ماتَ ، رحِمه اللَّهُ .

وخرَج الرَّكْبُ إلى الحِجازِ الشَّريفِ يومَ السبتِ حادِى عشرَ شوَّالٍ ، وخرَج ناسٌ [7] وتجارٌ كثيرٌ جدًّا ، وكان قد وقَع قليلُ مطرٍ ، فلما برزُوا إلى الكُسوةِ [7]

(١ - ١) فى م : « فى » .

(٢) فى م : « تكرر من » .

(٣) فى م : « والعيث » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٥١ ، والدرر الكامنة ٣٢٦/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٤٢/١٠ ، والمنهل الصافى ٤٢٠/٦ ، والدليل الشافى ٣٦٦/١ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) ذيول العبر ص ٢٥١ ، والدرر الكامنة ١٩٣/٣ ، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠) ص ٧٩ .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(١ ونحوِها ودونِها ، ولم يخرجْ خلقٌ ١) كثيرٌ من البلدِ ، ووَقَع مطَرٌ عظيمٌ جدًّا ، ففرِح الناسُ به مِن جِهَةِ أنَّ المطَرَ كان قليلًا جدًّا فى شهرِ رمضانَ ، وهو كانونُ الأصَمُّ ، فلمَّا وقَع هذا اسْتَبْشَرُوا به وخافُوا على الحُجَّاجِ ضرَرَه[٢] ، ثم تدارَك[٣] المطَرُ وتَتابعَ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، لكنْ ترَحَّلَ الحُجَّاجُ فى أوْحالٍ كثيرةٍ وزَلَقٍ كثيرٍ ، واللَّهُ المسلِّمُ والمُعِينُ والحامِى . ولمَّا اسْتقلَّ الحَجِيجُ ذاهِبينَ وقَع عليهم مطَرٌ شديدٌ بالصَّنَمَينِ[٤] فعَوَّقهم أيَّامًا بها ، ثم تحَامَلُوا إلى زُرَعَ فلم يصِلُوها إلا بَعْدَ جهدٍ جَهيدٍ وأمرٍ شديدٍ ، ورَجَع كثيرٌ منهم أو أكْثَرُهم ، وذكَرُوا أشْياءَ عظِيمةً حصَلَتْ لهم مِن الشِّدَّةِ وقوَّةِ الأمطارِ وكثرةِ الأوْحالِ ، ومنهم مَن كان تقدَّمَ إلى أرْضِ بُصْرَى ، فحصَل لهم رِفْقٌ بذلك ، واللَّهُ المُسْتعانُ . وذُكِر أنَّ نِساءً كثيرةً من المُخَدَّراتِ مَشَيْنَ حُفاةً فيما بينَ زُرَعَ والصَّنَمَين وبعدَ ذلك ، وكان أميرُ الحاجِّ سيفَ الدينِ ملك آص ، وقاضِيه شِهابَ الدينِ بنَ الشجرةِ الحاكِمَ بمدينةِ بَعْلَبَكَّ يَوْمَئِذٍ ، واللَّهُ المُسْتعانُ . انْتَهى .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « منه » .

(٣) فى م : « تداول » .

(٤) فى م : « بين الصمين » . وانظر صفحة ٢٢١.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنةُ وسُلْطانُ البلادِ بالديارِ المصريةِ والشامِيَّةِ والحَرَمَيْنِ وغيرِ ذلك الملكُ الكامِلُ سيفُ الدينِ شعبانُ بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصورِ قَلاوُون ، وليس له بمِصْرَ نائبٌ ، وقُضاةُ مِصْرَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، ونائبُ دِمَشْقَ الأميرُ سيفُ [٤/١٦٩] الدينِ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِىُّ ، وقُضاةُ دِمَشْقَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، إلَّا أنَّ قاضىَ القُضاةِ عِمادَ الدينِ[2] إسْماعيلَ الحَنَفِىَّ نزَل[3] عن القَضاءِ لولَدِه قاضى القُضاةِ نجْمِ الدينِ ، واستَقلَّ بالوِلايَةِ وتدْريسِ النُّورِيَّةِ ، وبَقِىَ والدُه على تدْريسِ الرَّيْحَانِيَّةِ[4] .

وفى يومِ الجمُعَةِ السادِسَ عشَرَ مِن المُحَرَّمِ مِن هذه السنَةِ تُوفِّى **الشيخُ تقىُّ الدينِ ، الشيخُ الصالِحُ** [5]**محمدُ بنُ الشيخِ**[5] **محمدِ بنِ قَوَامٍ** بزاوِيَتِهم بالسَّفْحِ ، وصُلِّى عليه الجمُعَةَ بجامعِ الأفْرمِ ، ثم دُفِن بالزاويَةِ ، وحضَره القُضاةُ والأعْيانُ وخَلْقٌ كثيرٌ ، وكان بيْنَه وبينَ أخِيه ستَّةُ أشهرٍ وعشْرُونَ يومًا ، وهذا أشدُّ مِن ذلك .

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٣، وذيول العبر ص ٢٥٤، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠٧، وتذكرة النبيه ٣/ ٩٠، والسلوك ٢/٣/ ٦٩٩.

(٢) بعده فى م : « بن » .

(٣) فى الأصل : « عزل » .

(٤) فى الأصل : « الرويحانية » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ١/ ٢٧١، وتذكرة النبيه ٣/ ٩٤، والدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧.

وفُتِحت فى أوَّلِ السنَةِ القَيْسَارِيَّةُ التى أنْشَأها الأميرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغَا نائبُ السلْطَنَةِ ظاهِرَ بابِ الفَرَجِ ، وضُمنت ضَمانًا باهرًا بنَحْوٍ من سبْعَةِ آلافِ كلَّ شهرٍ ، وداخِلَها قَيْسَارِيَّةُ تجارَةٍ فى وسَطِها بِرْكَةٌ ومسْجدٌ ، وظاهِرَها دَكاكينُ ، وأعَالِيها بيوتٌ للسَّكَنِ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ ثانِى عشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ عُقِدَ مجْلسٌ بمَشْهَدِ عُثْمانَ للنورِ الخُرَاسَانِىِّ ، وكان يُقْرِئُ القرآنَ فى جامعِ تَنْكِز ، ويُعلِّمُ الناسَ أشْياءَ مِن فرائضِ الوُضوءِ والصَّلاةِ ، ادُّعِى عليه فيه أنَّه تكلَّمَ فى بعْضِ الأئمةِ الأرْبعَةِ ،وأنَّه تكلَّمَ فى شىءٍ من العقائدِ ، ويُطْلِقُ عِباراتٍ زائدةً على ما ورَد به الحديثُ ، وشَهِدَ عليه (١ بعضُ الشهودِ ١) بأشْياءَ مُتَعدِّدَةٍ ، فاقْتضَى الحالُ أنْ عُزِّرَ فى هذا اليومِ ، وطِيفَ به فى البلدِ ، ثم رُدَّ إلى السِّجنِ مُعْتَقَلًا . فلمَّا كان يومُ الخميسِ الثانِى عِشْرينَ منه شفَع فيه الأميرُ أحمدُ بنُ مُهَنَّا ملكُ العرَبِ عندَ نائبِ السلْطَنَةِ ، فاسْتَحْضَره بينَ يدَيْه وأطْلَقه إلى أهْلِه وعِيالِه .

ولمَّا كان تاريخُ يومِ الجمُعةِ ثالِثَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى صلَّى نائبُ السلْطَنَةِ الأميرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِىُّ الناصِرِىُّ بجامعِ تَنْكِز ظاهِرَ دِمَشْقَ بَرًّا بابِ النصْرِ ، وصلَّى عندَه القاضى الشافِعِىُّ والمالِكِىُّ وكِبارُ الأمراءِ ، ولمَّا أُقِيمَتِ الصلاةُ صلَّى وقعَد بعضُ مَماليكِه عن الصلاةِ ومعه السِّلاحُ حِراسَةً له ، ثم لمَّا انْصرَفَ من الصلاةِ اجْتَمعَ بالأمراءِ المذْكُورينَ وتشاوَرُوا طويلًا ، ثم نهَض النائبُ إلى دارِ السَّعادةِ ، فلمَّا كان آخِرُ النَّهارِ برَز بخدَمِه ومَماليكِه وحشَمِه ووطاقِه (٢) وسلاحِه وحواصِلِه ، ونزَل قِبْلِىَّ مسْجدِ القَدَمِ ، وخرَج الجُنْدُ والأُمَراءُ فى آخِرِ النَّهارِ وانْزَعَج

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) الوطاق : الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٦٢.

الناسُ ، واتَّفقَ طُلوعُ القَمرِ خاسِفًا ، ثم خرَج الجيشُ مُلبِسًا تحتَ الثِّيابِ وعليهم التَّراكِيشُ[1] بالنُّشَّابِ والخُيولِ الجناباتِ[2] ، ولا يَدْرِى الناسُ ما الخَبرُ ، وكان سبَبَ ذلك أنَّ نائبَ السلْطَنةِ بلَغه أنَّ نائبَ صَفَدَ قد ركِب إليه ليقْبِضَ عليه ، فانْزَعَجَ لذلك وقال : لا أموتُ إلَّا على ظَهرِ أفْراسِى ، لا على فِراشِى . وخرَج الجُنْدُ والأُمراءُ خَوْفًا مِن أنْ يفُوتَهم بالفِرارِ ، فنزَلُوا يَمْنَةً ويَسْرَةً ، فلم يذْهَبْ مِن تلك المنْزِلَةِ بل اسْتمرَّ بها يَعْمَلُ النيابةَ ، ويجْتَمِعُ بالأُمراءِ جماعةً وفُرادَى ، ويَسْتَمِيلُهم [3]إلى ما هو فيه مِن الرأيِ ، وهو خَلْعُ الملكِ الكاملِ شعبانَ ؛ لأنَّه يُكْثِرُ مِن مَسْكِ الأمَراءِ بغيرِ سبَبٍ[3] ، ويفْعَلُ أفْعالًا لا تليقُ بمثْلِه ، وذكَرُوا أمُورًا كثيرةً ، وأن يُولُّوا أخاه أمير حاجِّى بنَ الناصِر ؛ لحُسْنِ شكالَتِه وجميلِ فِعْلِه ، ولم يَزَلْ [4]يَفْتِلُ لهم فى الذِّرْوَةِ والغارِبِ حتى أجابُوه[4] إلى ذلك ، ووَافقُوه عليه ، وسلَّمُوا له ما يدَّعِيه ، وبايَعُوه على ما أشارَ إليه وتابعُوه ، ثم شرَعَ فى البَعْثِ إلى نُوَّابِ البلادِ يَستَمِيلُهم إلى مَا تمَالأَ عليه الدمَشقيون وكثيرٌ مِن المصريين ، وشرَع أيضًا فى التصَرُّفِ فى الأمورِ العامَّةِ الكُلِّيَّةِ ، وأخْرجَ بعضَ مَن كان الملكُ الكاملُ اعْتقلَه بالقلعةِ المنْصورَةِ ، ورَدَّ إليه إقْطاعَه بعدَ ما بعَث الملكُ الكاملُ إلى مَن أقطعَه منْشُورَه ، وعزَل ووَلَّى ، وأخَذ وأعْطَى ، وطلَب التجَّارَ يومَ الأربعاءِ ثامِنَ عشَرِه ليُباعَ عليهم غِلالُ الحواصِلِ السلْطانِيَّةِ فيَدْفَعُوا أثْمانَها فى الحالِ ، ثم يذْهَبُوا

---

(١) فى م : « التراكيس » . والتراكيش : جمع تركاش : وهو الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٠١ .

(٢) فى م : « والجنابات » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) هذا مثل يضرب فى الخداع والمماكرة . وأصله أن يكون البعير صعبًا شرسًا لا يعطى رأسه الرجل ، فيحك الرجل سنامه وغاربه ويفتل الوبر فيهما بأصابعه يؤنسه بذلك ويخدمه حتى يستمكن منه فيخطمه . انظر النهاية ٣/ ٣٥٠، ٤١٠، والمستقصى ٢/ ١٧٩، وجمهرة الأمثال ٢/ ٩٨، ومعجم الأمثال للميدانى ٢/ ٤٣٦، واللسان (غ ر ب) ، و (ذ ر ا) .

فيتَسلَّمُوها من البلادِ البَرَّانِيَّةِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ على العادَةِ والأُمراءُ والسَّادةُ ، وهذا كلُّه وهو مُخَيِّمٌ بالمكانِ المذْكورِ ، لا يَحْصُرُه بلَدٌ ولا يحْوِيه سُورٌ .

وفى يومِ الخميسِ رابع جُمادَى الآخِرةِ خرَجت تجْرِيدَةٌ نحوُ عشْرَةٍ طَلِيعَةً لتلَقِّى مَن يَقْدَمُ مِن الديارِ المِصريةِ [1] إمّا مُقاتلًا أو مخامرًا عليهم ، وهى ألفان بمُقَدَّمين ، هذا كلُّه والأخبارُ تَقْدَمُ مِن الديارِ المصرية بِاختِلافِ الأُمراءِ على السلطانِ ، وأن الأمراءَ مبايعون للشاميين ، وتَقْدَمُ التجاريدُ من الديار المصريةِ [1] من الأُمراءِ وغيرِهم ببَقاءِ الأمْرِ على ما كان عليه ، فلم يُصَدِّقْهم النائبُ ، ورُبَّما عاقَب بعْضَهم ، ثم رفَعهم إلى القلعةِ ، وأهْلُ دِمَشْقَ ما بينَ مُصدِّقٍ باخْتِلافِ المِصْرِيِّينَ وما بينَ قائلٍ : السلْطانُ الكاملُ قائمُ الصُّورَةِ [2] ، مُسْتَمِرٌّ على ما كانَ عليه ، والتَّجاريدُ المِصْرِيَّةُ واصِلَةٌ قريبًا ، ولابُدَّ من وُقوعِ خَبْطَةٍ عظيمةٍ . وتشَوَّشَتْ أذْهانُ الناسِ وأحْوالُهم بسبَبِ ذلك ، واللَّهُ المَسْئُولُ أنْ يُحْسِنَ العاقِبةَ .

وحاصِلُ القَضِيَّةِ أنَّ العامَّة ما بينَ تَصْديقٍ وتَكْذيبٍ ، ونائبُ السلْطَنةِ وخَواصُّه مِن كبارِ الأُمراءِ على ثِقَةٍ مِن أنفُسِهم ، وأن الأُمراءَ على خُلْفٍ شديدٍ فى الديارِ المصريةِ بينَ السلْطانِ الكاملِ شعبانَ وبينَ أخِيه أمير حاجِّى ، والجُمهورُ مع أخِيه أمير حاجِّى ، ثم جاءَتِ الأخْبارُ [٤/ ١٧٠] إلى [3] النائِبِ بأنَّ التَّجارِيدَ المصريةَ خرَجت تقْصِدُ الشامَ ومَن فيه مِن الجُنْدِ لتُوَطِّدَ الأمرَ ، ثم إنَّه تراجعَتْ رءوسُ الأُمراءِ فى الليلِ إلى مِصْرَ واجْتَمعُوا إلى إخْوانِهم ممَّنْ هو مُمالِئٌ لهم على السلْطانِ ، فاجْتَمعُوا ودَعَوْا إلى سَلْطَنَةِ أمير حاجِّى ، وضُربَتِ الطَّبْلَخاناه ، وصارَت باقى النفُوسِ مُتجاهِرَةً على نِيَّةِ تأْيِيدِه ، ونابَذُوا السلْطانَ الكامِلَ ، وعَدُّوا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « المنصورة » .

(٣) فى الأصل : « من » .

عليه مَساوِئَه ، وقُتل بعضُ الأُمراءِ ، وفرَّ الكاملُ وأنْصارُه فاحْتِيطَ عليه ، وخرَج أرْغُون العلائيُّ زوجُ ابْنَتِه واسْتَظهرَ أيضًا أمير حاجِّى ، فأجْلَسُوه على السَّريرِ ولَقَّبُوه بالملكِ المُظَفَّرِ ، وجاءَت الأخْبارُ إلى النائبِ بذلك ، فضربتِ البشائرُ عندَه ، وبعَث إلى نائبِ القَلْعَةِ فامْتنَعَ مِن ضَرْبِها ، وكان قد طُلِبَ إلى الوطاقِ فامْتَنعَ من الحضُورِ ، وأغْلَق بابَ القلعةِ، فانزعَج الناسُ واخْتَبَطَ البلدُ ، وتقَلَّصَ وُجودُ الخيرِ ، وحُصِّنَتِ القلعةُ ، ودَعوا للكاملِ بُكْرَةً وعَشِيَّةً على العادةِ ، وأرْجَفَ العامَّةُ بالجيشِ على عادَتِهم فى كثْرَةِ فُضولِهم ، فحصَل لبعْضِهم أذِيَّةٌ . فلما كان يومُ الاثنينِ ثامن الشهرِ قَدِمَ نائبُ حَمَاةَ إلى دِمَشْقَ مُطِيعًا لنائبِ السلْطَنَةِ فى تجَمُّلٍ وأُبَّهَةٍ ، (١كما جرَت به١) عادةُ أمْثالِه .

وفى هذا اليومِ وَقَعت بِطاقةٌ بقُدومِ الأميرِ سيفِ الدينِ بَيْغَرا حاجِبِ الحُجَّابِ بالديارِ المصريةِ لأجْلِ البَيْعَةِ للسلْطانِ الملكِ المُظَفَّرِ ، فدَقَّتِ البشائرُ بالوطاقِ ، وأُمِرَ بتَزْيِينِ البلدِ ، فزَيَّنَ الناسُ وليْسُوا مُنْشَرِحينَ ، وأكثَرُهم يظُنُّ أنَّ هذا مَكْرٌ وخَدِيعَةٌ ، وأنَّ التجارِيدَ المصريَّةَ واصِلَةٌ قريبًا . وامْتَنَع نائبُ القلعةِ من دَقِّ البشائرِ وبالَغ فى تَحْصينِ القَلعةِ ، وغَلَّقَ بابَها ، فلا يفْتَحُ إلَّا الخَوْخَةَ[٢] البَرَّانِيَّةَ والجَوَّانِيَّةَ ، وهذا الصَّنيعُ هو الذى يُشَوِّشُ خواطِرَ العامَّةِ ، يقولُون : لو كان ثَمَّ شىءٌ له صحَّةٌ كانَ نائبُ القلعةِ يطلعُ على هذا قبلَ الوطاقِ . فلمَّا كان يومُ الثلاثاءِ بعدَ الزَّوالِ قَدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْغَرا إلى الوطاقِ ، وقد تلَقَّوه وعظَّمُوه ، ومعه تقْليدُ النيابةِ

(١ - ١) فى م : « ثم أجريت له » .

(٢) الخوخة : هى باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن ؛ وكانت العادة فى العصور الوسطى فى مصر وغيرها أن يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون حاجة إلى فتح البوابة الكبرى إلا عند الاقتضاء أو الضرورة . انظر السلوك ٢/١/٢١٥ حاشية (٢) .

من المُظَفَّرِ إلى الأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغَا نائبِ السلْطَنةِ، وكِتابٌ إلى الأُمَراءِ بالسَّلامِ، ففرِحُوا بذلك وبايَعُوه وانْتَظَمتِ[1] الكلمةُ، وللَّهِ الحمدُ. ورَكِبَ بَيْغَرا إلى القلعةِ فتَرَجَّلَ وسَلَّ سيْفَه، ودخَل إلى نائبِ القلعةِ فبايَعه سرِيعًا، ودَقَّتِ البشائرُ فى القلعةِ بعدَ المغربِ حِينَ بلَغه الخبرُ، وطابَتْ أنْفُسُ الناسِ، ثم أصْبَحَتِ القلعةُ فى الزِّينَةِ وزادَتِ الزينةُ فى البلدِ وفرِح الناسُ. فلمَّا كان يومُ الخميسِ حادِى عشَرَ الشهرِ دخَل نائبُ السلْطَنةِ مِن الوطاقِ إلى البلدِ، والأطْلابُ بينَ يدَيْه فى تجَمُّلٍ وطَبْلَخاناه على عادةِ العَرْضِ، وقد خرَج أهْلُ البلدِ للفُرْجَةِ، وخرَج أهلُ الذِّمَّةِ بالتوراةِ، وأُشْعِلَتِ الشُّموعُ، وكان يومًا مَشْهُودًا.

وقد صلَّى فى شهرِ رمضانَ مِن هذه السنَةِ بالشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ صَبِيٌّ عُمرُه سِتُّ سِنينَ، وقد رأيْتُه وامْتَحنْتُه فإذا هو يُجيدُ الحِفْظَ والأداءَ، وهذا مِن أغْرَبِ ما يكونُ.

وفى العَشْرِ الأُوَلِ من هذا الشهرِ فُرِغَ مِن بِناءِ الحمَّامَيْنِ اللذَينِ بَناهما نائبُ السلْطَنةِ بالقُرْبِ مِن الثابتيَّةِ فى خانِ السلْطانِ العَتِيقِ، وما حولَها مِن الرِّباعِ والقَرَبِ[2] وغيرِ ذلك.

وفى يومِ الأحَدِ حادِى عشَرِه اجْتَمعَ نائبُ السلْطَنةِ والقُضاةُ الأرْبعةُ ووَكِيلُ بيتِ المالِ والدولةُ عندَ تَلِّ المُشنقِينَ[3]، مِن أجل أنَّ نائبَ السَّلْطَنَةِ قد عزَم على

---

(١) فى م: «انضمت».

(٢) القرب: البِئرُ القريبة الماء. تاج العروس (ق ر ب).

(٣) فى م فى هذا الموضع وما بعده: «المستقين». وانظر الدارس ٢/ ٤٢٣.

بناءِ هذه البُقعةِ[1] جامِعًا بقدرِ جامعِ تَنْكِز ، فاشتَوَرُوا هنالك ، ثم انْفَصَل الحالُ على أنْ يُعْمَلَ ، واللَّهُ وليُّ التوفيقِ .

وفى يومِ الخميسِ ثالث[2] ذى القَعْدَةِ صُلِّى على **الشيخِ زَينِ الدينِ عبدِ الرحمنِ ابنِ تَيْمِيَّةَ**[3] ، أخى الشيخِ تقيِّ الدينِ ، رحمهما اللَّهُ تعالى ، [4]بعد صلاةِ الظهرِ بالجامعِ ، وتَبِعَه[5] القُضاةُ والأعيانُ وخلقٌ كثيرٌ إلى المَقبرَةِ التى بالصُّوفِيَّةِ فدُفِن قبْلِيَّ قبرِ أخيه ، بينَهما قبرُ ابنِ عمتِهما عزِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ[4] .

وفى يومِ السبتِ ثانِى عشَرِه تُوفِّى **الشيخُ علىٌّ القَطَنَانِىُّ**[6] بقَطَنَا[7] ، وكان قد اشْتَهرَ أمْرُه فى هذه السِّنينَ ، واتَّبَعه جماعةٌ مِن الفلَّاحِينَ والشبابِ المُنْتَمِينَ إلى طريقةِ أحمدَ بنِ الرِّفاعِيِّ ، وعَظُمَ أمْرُه وسارَ ذِكْرُه ، وقصَده الأكابرُ [8]إلى بلدِه[8] للزيارةِ مرَّاتٍ ، وكان يقيمُ السّماعاتِ على عادةِ أمْثالِه ، وله أصْحابٌ يُظهِرونَ إشاراتٍ باطلةً ، وأحوالًا مُفْتَعَلةً ، وهذا ممَّا كان يُنْقَمُ عليه بسَببِه ، فإنَّه إن لم يكُنْ يعْلَمُ بحالِهم فجاهِلٌ ، وإن كان يُقِرُّهم على ذلك فهو مثْلُهم ، واللَّهُ سُبْحانه وتعالَى أعلمُ .

وفى أواخِرِ هذا الشهرِ - أعْنِى ذا الحِجَّةِ من العيدِ وما بعدَه - اهْتَمَّ ملكُ

---

(١) فى الأصل : « القلعة » .

(٢) فى الأصل : « سادس » .

(٣) ذيول العبر ص ٢٥٩، والدرر الكامنة ٢/ ٤٣٧، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠) ص ٨٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٥٢.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل : « سمعه » .

(٦) فى الأصل : « القبطانى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٥٩، والدرر الكامنة ٣/١٤٩ وفيه : القطبانى .

(٧) قَطَنا : قرية من قرى دمشق . معجم البلدان ٤/ ١٣٧.

(٨ - ٨) سقط من : م .

الأُمراءِ فى بناءِ الجامعِ الذى تحتَ القلعةِ مكانَ[1] تَلِّ المشنقِيـنَ ، وهدَم ما كان هناك مِن أبْنِيَةٍ ، وعُمِلَت العَجَلُ وأُخِذَتْ أحْجارٌ كثيرةٌ مِن أرْجاءِ البلدِ ، وأكْثَرُ ما أُخِذَتِ الأحْجارُ من الرَّحبَةِ التى للحَضَريين[2] ، مِن تحتِ المِئْذَنَةِ [٤/ ١٧١] التى فى رأسِ عَقَبةِ الكَتّانِ[3] ، تيَسَّرَ منها[4] أحْجارٌ كثيرةٌ[5] ، والأحْجارُ أيضًا مِن جبَلِ قاسِيُونَ ، وحُملَ على الجِمالِ وغيرِها ، وكان سَلْخَ هذه السنَةِ ، أعْنِى سنَةَ سَبْعٍ وأرْبَعِيـنَ وسَبْعِمائةٍ ، وقد بلغَتْ غِرارَةُ القمحِ إلى مائتَيْنِ فما دُونَها ، ورُبَّما بِيعَتْ بأكْثَر مِن ذلك ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ .

---

(١) فى م : « وكان » .
(٢) فى م : « للمصريين » .
(٣) فى م : « الكتاب » .
(٤) فى الأصل : « لهم » .
(٥) فى الأصل : « كبيرة » .

ثم دَخَلَتْ سنَةُ ثَمانٍ وأرْبَعِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ البلادِ المصريَّةِ و الشّامِيَّةِ والحرَمَيْنِ وغيرِ ذلك المَلِكُ المُظَفَّرُ أمير حاجِّى بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُونَ ، ونائبُه بالديارِ المصريَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ أرُقْطَاى ، وقُضاةُ مصرَ هم الذين كانوا فى الماضيَةِ بأعْيانِهم ، ونائبُه بالشامِ المَحْروسِ الأميرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغا الناصِرِىُّ ، وقُضاةُ الشامِ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها بأعْيانِهم ، غيرَ أنَّ القاضىَ عِمادَ الدينِ الحنَفِىَّ نَزَلَ لولَدِه قاضى القُضاةِ نَجْمِ الدينِ فباشرَ فى حياةِ أبيه ، وحاجِبُ الحُجَّابِ فخرُ الدينِ أياس .

واسْتَهلَّتْ هذه السنةُ ونائبُ السلْطَنَةِ فى هِمَّةٍ عاليةٍ فى عِمارَةِ الجامعِ الذى قد شَرَع فى بِنائِه غَرْبِىَّ سُوقِ الخيْلِ ، بالمكانِ الذى كان يُعْرَفُ بتَلِّ المُشنقِينَ .

وفى ثالثِ المُحَرَّمِ تُوفِّى **قاضِى القُضاةِ شرَفُ الدينِ محمدُ بنُ أبى بَكْرٍ الهَمْدانِىُّ المالِكِىُّ**[2] ، وصُلِّى عليه بالجامعِ ، ودُفِن بتُرْبَتِه بمَيْدانِ الحَصَا ، وتأسَّفَ الناسُ عليه لرِياسَتِه ودِياثَةِ[3] أخْلاقِه ، وإحْسانِه إلى كثيرٍ مِن الناسِ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يوم الأحدِ الرابعِ والعِشْرِينَ مِن المُحَرَّمِ وَصَل تقْليدُ قَضاءِ المالِكيَّةِ للقاضِى

---

(١) ذيول العبر ص ٢٦٠، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٥، وتذكرة النبيه ٣/ ٩٧، والسلوك ٢/٣/ ٧٢٤.
(٢) الوافى بالوفيات ٢/٢٧٠ ، وذيول العبر ص ٢٦٣ ، والدرر الكامنة ٤/٢٤ ، والنجوم الزاهرة ١٠/١٨٢ .
(٣) فى م : « ديانته و » .

جمالِ الدينِ المَسلَّاتِيِّ الذى كان نائبًا للقاضِى شَرَفِ الدينِ قبلَه ، وخُلِع عليه مِن آخِرِ النَّهارِ .

وفى شهرِ رَبيعٍ الأوَّلِ أخَذُوا لبِناءِ الجامعِ المُجَدَّدِ بسوقِ الخيل أعْمِدَةً كثيرةً مِن البَلَدِ وظاهرِ البَلدِ ؛ يُعَلِّقُونَ ما فوقَه مِنَ البِناءِ ويَأْخُذونَه ثم يقِيمُونَ بَدَله دِعامةً ، وأخَذُوا مِن دَرْبِ الصَّيقلِ ، وأخَذُوا العَمُودَ الذى كان بسُوقِ العلبيينَ[1] الذى فى تلكَ الدخْلَةِ على رأسِه مثلُ الكُرَةِ فيها حديدٌ ، وقد ذَكَر الحافِظُ ابنُ عساكِرَ أنَّه كان فيه طِلَّسْمٌ لعُسْرِ بَوْلِ الحَيوانِ إذا دَارُوا حولَه[2] بالدَّابَّةِ ينْحَلُّ أراقِيها . فلمَّا كانَ يومُ الأحَدِ السابع والعِشْرِينَ مِن رَبيعٍ الأوَّلِ من هذه السنَةِ خلَعُوه مِن موْضِعِه بعدَ ما كان له فى هذا المَوْضِعِ نَحْوٌ مِن أرْبَعَةِ آلافِ سنَةٍ ، واللَّهُ أعلمُ . وقد رأيتُه فى هذا اليومِ وهو مَمْدُودٌ فى سُوقِ العلبيينَ على الأخْشابِ ليَجُرُّوه إلى الجامعِ المذْكُورِ مِن السوقِ الكبيرِ ، ويخْرُجوا به مِن بابِ الجابيةِ الكبيرِ ، فلا إلهَ إلَّا اللَّهُ .

وفى أواخرِ شهرِ رَبيعٍ الآخرِ ارْتَفَعَ بناءُ الجامعِ الذى أنْشأه النائبُ ، وجَفَّتِ العَيْنُ التى كانتْ تحتَ جِدارِه حينَ أسَّسُوه ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى سَلْخِ رَبيعٍ الآخرِ ورَدَتِ الأخْبارُ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ بمَسْكِ جماعَةٍ من أعْيانِ[3] الأُمراءِ ، كالحِجازِيِّ ، وآقْ سُنْقُر النّاصِرِيِّ ، ومَنْ لَفَّ لَفَّهما ، فتَحرَّكَ الجُنْدُ بالشامِ ووَقَعَتْ خَبْطَةٌ[4] . ثم اسْتَهَلَّ شهرُ جُمادَى الأُولَى والجُنْدُ فى حرَكَةٍ

---

(١) سوق بدمشق على رأسه مسجد الطباخين عند قنطرة أم حكيم . انظر : خطط دمشق ٢/١/ ٦٠، والدارس ٢/ ٣١٢.

(٢) سقط من : م .

(٣) زيادة من : م .

(٤) فى الأصل : « خطبة » .

شديدةٍ ، ونائبُ السلْطَنَةِ يَسْتَدْعِى الأُمراءَ إلى دارِ السَّعادةِ بسبَبِ ما و قَع بالديارِ المصْرِيَّةِ ، وتَعاهدَ هؤلاءِ على أنْ لا يُؤْذِىَ أحَدًا أبدًا[1] ، وأنْ يكُونُوا يدًا واحدةً . وفى هذا اليومِ[2] تحوَّلُ مَلِكُ الأُمراءِ مِن دارِ السَّعادةِ إلى القَصْرِ الأَبْلَقِ واحْترزَ لنَفْسِه ، وكذلك حاشِيَتُه .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ الرابعَ عَشَرَ منه قَدِم أميرٌ مِن الديارِ المصرِيَّةِ على البريدِ ، ومعه كِتابٌ مِن السلْطانِ فيه التَّصْريحُ بعَزْلِ مَلِكِ الأُمراءِ يَلْبُغا نائبِ الشامِ ، فقُرِئَ عليه بحَضْرَةِ الأُمَراءِ بالقَصْرِ الأَبْلَقِ ، فتَغَمَّمَ لذلك وساءَه ، وفيه طَلبُه إلى الديارِ المصريَّةِ على البريدِ ليُوَلَّى نِيابةَ الديارِ المصريَّةِ ، والظاهِرُ أنَّ ذلك خَدِيعَةٌ له ، فأَظْهَر الامْتِناعَ ، وأنَّه لا يذْهبُ إلى الديارِ المصريَّةِ أبدًا ، وقال : إنْ كان السلْطانُ قد اسْتَكْثرَ علىَّ وِلايةَ دمشقَ فيُوَلِّينى أىَّ البلادِ شاءَ ، فأنا راضٍ بها . ورَدَّ الجوابَ بذلك .

ولمَّا أصْبحَ مِن الغَدِ وهو يومُ الخميسِ خامِسَ عشَرِه ، رَكِب فخَيَّم قريبًا مِن الجُسُورةِ ، فى المَوْضعِ الذى خَيَّم فيه عامَ أوَّلٍ ، وفى هذا الشهرِ أيضًا كما تقدَّم ، فباتَ ليلةَ الجُمُعةِ وأمرَ الأُمراءَ بنَصْبِ الخيامِ هُنالكَ على عادَتِهم عامَ أوَّلٍ .

فلمَّا كان يومُ الجُمعَةِ سادِسَ عشَرِه بعدَ الصلاةِ ما شَعَر الناسُ إلَّا والأُمَراءُ قد اجْتَمعُوا تحتَ القَلْعةِ ، وأحْضَرُوا مِن القلعةِ سَنْجَقَيْنِ سُلْطانِيَّيْنِ أصْفَرَيْنِ ، وضرَبُوا [٤/١٧٢] الطُّبولَ حَرْبِيًّا ، فاجْتَمَعُوا كلُّهم تحتَ السَّنجقِ السُّلْطانِىِّ ، ولم يتأخَّرْ منهم سِوَى النائبِ وذَوِيه ؛ كابنَيْه وإخْوَتِه وحاشِيَتِه والأميرِ سيفِ الدينِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) ليست فى الأصل ، وجاءت فى م بين معقوفين .

قَلاوُون أحَدِ مُقَدَّمِى الأُلوفِ ، وخُبْزُه أكبرُ أخْبازِ الأُمراءِ بعدَ النِّيابَةِ ، فبَعَث إليه الأُمراءُ أنْ هَلُمَّ إلى السمعِ والطاعَةِ للسلْطانِ ، فامْتَنعَ من ذلك ، وتكرَّرَتِ الرسُلُ بينَهم وبينَه فلم يقْبَلْ ، فسارُوا إليه فى الطَّبْلَخاناه والبُوقاتِ مُلبِسِينَ لأُمَّةَ الحربِ ، فلمَّا انْتَهَوا إليه وجَدُوه قد رَكِب خُيولَه مُلبِسًا واسْتَعدَّ للهرَبِ ، فلمَّا واجَهَهم هرَب هو ومَن معه وفرُّوا فِرارَ رجلٍ واحدٍ ، وساقَ الجُنْدُ وراءَه فلم يكْتَنِفُوا له غُبارًا ، وأقْبلَ العامَّةُ وتُركُمانُ القُبَيْباتِ ، فانْتَهَبُوا ما بَقِىَ فى مُعَسْكَرِه من الشَّعِيرِ والأغْنامِ والخيامِ ، حتى جعَلُوا يُقَطِّعونَ الخيامَ والأطْنابَ قِطَعًا قِطَعًا ، فعُدِم له ولأصْحابِه من الأمْتِعَةِ ما يُساوِى ألْفَ ألْفِ دِرْهَمٍ ، وانْتُدِب لطلَبِه والمَسِيرِ وراءَه الحاجِبُ الكبيرُ الذى قَدِم مِن الديارِ المصريَّةِ قريبًا ، (١ والأميرُ ١) شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ أحدُ مُقَدَّمِى الألوفِ ، فسارَ على طريقِ الأشْرَفِيَّةِ ثم عَدَل إلى ناحيةِ القَرْيَتَيْنِ .

ولمَّا كان يومُ الأحدِ قَدِم الأميرُ فخرُ الدينِ أياس نائبُ صَفَدَ منها ، فتَلَقَّاه الأُمراءُ والمُقَدَّمُونَ ، ثم جاءَ فنَزَل القَصْرَ ، ورَكِب مِن آخِرِ النَّهارِ فى الجَحافِلِ ، ولم يتْرُكْ بدمشقَ أحدًا مِن الجُنْدِ إلَّا رَكِب معه ، وساقَ وراءَ يَلْبُغا (١ ومَن معه ، وأتْبَعَهم الأزَوادَ والأثقالَ ، وساقَ يَلْبُغا ١) فابْتَدَأ(٢) نحوَ البَرِّيَّةِ ، فجعَلَتِ الأعْرابُ يعْتَرِضُونَه مِن كلِّ جانبٍ ، وما زالُوا يكُفُّونَه حتى سارَ نحوَ حَماةَ ، فخرَج إليه نائبُها وقد ضَعُف أمْرُه جدًّا ، وكَلَّ هو ومَن معه مِن كثْرَةِ السَّوْقِ ومُصاوَلَةِ الأعْداءِ مِن كلِّ جانبٍ ، فألْقَى بيدِه ، وأخَذ سيْفَه وسُيوفَ مَن معه واعْتُقِلُوا بحَماةَ ، وبُعِث بالسُّيوفِ إلى الديارِ المصرِيَّةِ ، وجاءَ الخَبرُ إلى دمشقَ صَبِيحَةَ يومِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « فانبرا » .

الأرْبعاءِ رابعَ عَشَرَ هذا الشهرِ ، فضربَتِ البشائرُ بالقَلْعَةِ وعلى بابِ المَيادِينِ على العادةِ ، وأحْدَقَتِ العساكِرُ بحَماةَ من كلِّ جانبٍ ينْتَظِرُونَ ما رَسَم به السلْطانُ مِن شأْنِه ، وقامَ أياس بجَيْشِ دمشقَ على حمصَ ، وكذلك جَيْشُ طَرابُلُسَ ، ثم دَخَلتِ العساكِرُ راجِعَةً إلى دمشقَ يومَ الخميسِ التاسعِ والعشْرِينَ مِن الشهرِ ، وقَدِم يَلْبُغا مُقَيَّدًا على كَدِيشٍ[1] هو وأبُوه وحَوْلَه الأُمراءُ المُوَكَّلُون به ومَن معه مِن الجُنودِ ، فدَخلُوا به بعدَ عِشاءِ الآخِرةِ فاجْتَازُوا به [2]فى سوقِ السبقَةِ[2] بعدَ ما غُلِّقَتِ الأسْواقُ ، وطُفِئَتِ السُّرُجُ ، وغُلِّقَتِ الطَّاقاتُ ، ثم مَرُّوا على الشيخِ رَسْلانَ والبابِ الشرقِيِّ على بابِ الصغيرِ ، ثم مِن عندِ مسْجدِ الذبانِ على المُصَلَّى ، واسْتَمَرُّوا ذاهِبِينَ نحوَ الديارِ المصريَّةِ ، وتَواتَرتِ البرِيدِيَّةُ مِن السلْطانِ بما رَسَم به فى أمْرِه وأصْحابِه الذين خرَجُوا معه مِن الاحْتِياطِ على حَواصِلِهم وأمْوالِهم وأمْلاكِهم وغيرِ ذلك ،وقدِم البريدُ مِن الديارِ المصْرِيَّةِ يومَ الأرْبعاءِ رابع[3] جُمادَى الآخرةِ فأخْبَر بقَتْلِ يَلْبُغا فيما بينَ قاقُونَ وغزةَ[4] ، وأُخِذَتْ رُءوسُهما إلى السلْطانِ ، وكذلك قُتِل بغزةَ الأُمَراءُ الثلاثةُ الذينَ خرَجُوا مِن مصرَ ، وهم[5] الوزيرُ ابنُ سردِ بنِ البَغْدادِيِّ ، والدّاودار طُغَيْتَمُر ، وبَيْدَمُر البَدْرِيُّ أحدُ المُقَدَّمِينَ ، كان قد نَقَم عليه السلْطانُ مُمالأةَ يَلْبُغا ، فأخْرَجَهم مِن مصرَ مَسْلُوبِينَ جميعَ أمْوالِهم وسَيَّرَهم إلى الشامِ ، فلمَّا كانُوا بغَزَّة لحِقَهم البريدُ بقَتْلِهم حيثُ وجَدَهم ،

---

(١) كديش : الفرس غير الأصيل . الوسيط (ك د ش) .

(٢ - ٢) فى م : « فم السبعة » .

(٣) فى النسختين : « ثالث » . ولا يتفق مع ما سيأتى .

(٤) فى الأصل : « وغيره » ، وفى م : « وغبره » . والمذكور هو الصواب يوضحه السياق بعده . وانظر السلوك ٢/٣/ ٧٥٥، والدرر الكامنة ٥/ ٢١٢، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٥.

(٥) فى م : « وحاكم » .

وكذلك رُسِم بقَتْلِ يَلْبُغا حيثُ الْتَقاه مِن الطريقِ ، فلمَّا انْفَصلَ البريدُ من غزةَ ، الْتَقَى يَلْبُغا فى طريقِ وادِى فحمةَ ، فخنَقَه ثم احْتَزَّ رأسَه وذَهَب به إلى السلْطانِ ، وقَدِم أمِيرانِ من الديارِ المصريَّةِ بالحَوْطةِ على حواصِلِ يَلْبُغا وطَواشىٍّ مِن بيتِ المَمْلَكةِ ، فتَسلَّمَ مَصاغًا وجَواهِرَ نَفِيسَةً جدًّا ، ورُسِم ببَيْعِ أمْلاكِه وما كان وقَفَه على الجامعِ الذى كان قد شَرَع فى عمارَتِه بسُوقِ الخَيْلِ ، وكان قد اشْتَهر أنَّه وَقَف عليه القَيسارِيَّةَ التى كان أنْشأها ظاهِرَ بابِ الفَرَجِ ، والحَمَّامَيْنِ المُتَجاوِرَيْنِ[1] ظاهِرَ بابِ الجابيةِ غرْبِىَّ خانِ السلْطانِ العَتِيقِ ، وخُصصًا فى قَرايا أُخَرَ كان قد اسْتَشْهَد على نفسِه بذلك قبلَ ذلك ، فاللَّهُ أعلمُ . ثم طُلِب بَقِيَّةُ أصْحابِه مِن حماةَ ، فحُمِلُوا إلى الديارِ المصريَّةِ ، وعُدِم خبرُهم ، فلا يُدْرَى على أىِّ صِفَةٍ هلَكُوا .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الثلاثاءِ الثامِنَ عَشَرَ مِن جُمادَى الآخرةِ من هذه السنةِ دَخَل الأميرُ سيفُ الدينِ أرغون شَاه دمشقَ المحْروسةَ نائبًا عليها ، وكان قُدومُه مِن حَلَبَ ، [2]انْفَصل عنها[2] ، وتوَجَّهَ إليها الأميرُ فخرُ الدينِ أياس الحاجِبُ ، فدَخَلَها أرْغون شَاه فى أُبَّهةِ النِّيابةِ[3] ، وعليه خِلْعَةٌ وعِمامَةٌ بطرَفَيْنِ ، وهو قريبُ الشكْلِ مِن تَنْكِز ، [٤/ ١٧٣] رحِمه اللَّهُ ، فنَزَل دارَ السَّعادةِ وحَكَم بها ، وفيه صَرامَةٌ وشَهامةٌ .

وفى يومِ الخميسِ الآخرِ الثالث والعِشْرِينَ منه صُلِّى على **الأميرِ علاءِ الدينِ ابنِ قَرَاسُنْقر**[4] بالجامعِ الأُمَوِىِّ وظاهرَ بابِ النصرِ ، وحَضَر القُضاةُ والأعْيانُ

---

(١) فى الأصل : « المتظاهرين » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « وانفصل عن نيابتها » .

(٣) سقط من : م .

(٤) السلوك ٧٥٤/٣/٢ ، والدرر الكامنة ١٦٩/٣ ، والدليل الشافى ٤٦٨/١ . وفيه أنه توفى يوم الأحد ثامن عشرين ، والذى ذكره المصنف هنا لا يستقيم مع ما تقدم من التواريخ .

والأُمراءُ، ودُفِن بتُرْبَتِه بمَيْدانِ الحصَا بالقربِ من الجامعِ الكَرِيمِيِّ.

وعُمِلتْ ليلةُ النِّصْفِ على العادةِ مِن إشْعالِ القَنادِيلِ، ولم يَشْتَغِلِ[1] الناسُ بما[2] هم فيه مِن الغَلاءِ، وتأخُّرِ المطَرِ، وقِلَّةِ الغَلَّةِ، [3]وغَلاءِ السعرِ[3]، كلُّ رَطْلٍ إلَّا وُقيَّةً بدِرْهَمٍ، وهو مُتَغيِّرٌ، وسائرُ الأشْياءِ غاليةٌ، والزَّيْتُ كلُّ رَطْلٍ بأرْبَعةٍ ونِصْفٍ، ومثْلُه الشَّيرَجُ[4]، والصَّابون، والأُرْزُ، والعَنْبَرِيس، كلُّ رَطْلٍ بثلاثةٍ، وسائرُ الأطْعِماتِ على هذا النَّحْوِ، وليسَ شيءٌ قريبَ الحالِ سِوَى اللحمِ بدِرْهَميْنِ ورُبْعٍ، ونحوِ ذلك، وغالبُ أهْلِ حَورانَ يَرِدُونَ مِن الأماكنِ البعيدةِ، ويجْلِبُونَ القمحَ للمُؤْنَةِ والبِدارِ مِن دمشقَ، وبِيعَ عندَهم القمحُ المُغْرْبَلُ كلُّ مُدٍّ بأرْبَعَةِ دَراهِمَ، وهُم فى جهدٍ شديدٍ، واللَّهُ هو المأْمُولُ المَسْئُولُ، وإذا سافرَ أحدٌ شَقَّ عليه تحْصِيلُ الماءِ لنفْسِه وفرَسِه ودابَّتِه؛ لأنَّ المياهَ التى فى الدَّرْبِ كلَّها نَفِدتْ، وأمَّا القُدْسُ فأشَدُّ حالًا وأبْلغُ فى ذلك.

ولمَّا كان العَشْرُ الأخِيرُ من شعبانَ من هذه السنَةِ مَنَّ اللَّهُ سبحانَه وتعالَى، وله الحمدُ والمِنَّةُ، على عِبادِه بإرْسالِ الغَيْثِ المُتَدارَكِ الذى أحْيَا العِبادَ والبلادَ، وتراجعَ الناسُ إلى أوْطانِهم لوُجودِ الماءِ فى الأوديةِ والغُدْرانِ، وامْتَلأتْ برْكَةُ زُرَعَ بعدَ أنْ لم يكنْ فيها قطرةٌ، وجاءتْ بذلك البَشائرُ إلى نائبِ السلْطَنَةِ، وذُكِر أنَّ الماءَ عمَّ البلادَ كلَّها، وأنَّ الثلجَ على جبلِ بَنى هِلَالٍ كثيرٌ، وأمَّا الجبالُ التى حولَ

---

(١) فى م: «يشعل».

(٢) فى م: «لما».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) الشيرج: معرب من شيره، وهو دهن السمسم، وربما قيل للدهن الأبيض وللعصير قبل أن يتغير شيرج تشبيها به لصفائه. انظر المغرب فى ترتيب المغرب ١/ ٤٣٧، والمصباح المنير (ش ر ج).

دمشقَ فعلَيها ثُلوجٌ كثيرةٌ جدًّا ، واطْمأنَّتِ القلوبُ وحَصَل فَرَحٌ[1] شديدٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وذلك فى آخِر يومٍ بَقِى من تِشْرِينَ الثانى .

وفى يومِ الثلاثاءِ الحادِى والعِشْرِينَ من رمضانَ تُوفِّى **الشيخُ عِزُّ الدينِ محمدٌ الحَنْبَلِىُّ**[2] ، بالصالحِيَّةِ وهو خطيبُ الجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، وكان مِن الصالحِينَ المشهورِينَ ، رحِمه اللَّهُ ، وكان كثيرًا ما يُلَقِّنُ الأمْواتَ بعدَ دَفْنِهم ، فلَقَّنَه اللَّهُ حُجَّتَه ، وثبَّتَه بالقولِ الثابتِ فى الحياةِ الدنيا وفى الآخرةِ .

مَقْتَلُ المُظَفَّرِ وتَوْليةُ الناصرِ حسَنِ بنِ الناصرِ

وفى العَشْرِ الأخيرِ مِن رمضانَ جاءَ البريدُ مِن نائبِ غَزَّةَ إلى نائبِ دمشقَ بقَتْلِ السلْطانِ الملكِ المُظَفَّرِ حاجِّى بنِ الناصرِ محمدٍ ، وَقَع بيْنَه وبينَ الأُمراءِ فتَحيَّزُوا إلى قُبَّةِ النَّسْرِ ، فخرَج إليهم فى طائفَةٍ قليلةٍ فقُتِل فى الحالِ ، وسُحِب إلى مَقْبرةٍ هناك ، ويُقال : إنَّه قُطِّع قِطعًا . فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

ولمَّا كان يومُ الجمعةِ آخرَ النهارِ وَرَد مِن الديارِ المصريَّةِ أميرٌ للبَيْعَةِ لأخِيه السلْطانِ الناصِرِ حسَنِ بنِ السلْطانِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، فدَقَّتِ البشائرُ فى القَلْعةِ المَنْصورَةِ ، وزَيَّن البلدَ فى الساعَةِ الرَّاهِنَةِ مَن أمْكَنَ مِن الناسِ ، وما أصبحَ الصباحُ يومِ السبتِ حتى زُيِّنَ البلدُ بكَمالِه ، وللَّهِ الحمدُ على انْتِظامِ الكلمةِ ، واجْتِماعِ الأُلْفَةِ .

---

(١) فى م : « فرح » .

(٢) ذيول العبر ص ٢٦٦ ، والدرر الكامنة ٣/٣٧٤ ، والدارس ٢/٩٧ ، وشذرات الذهب ٦/١٥٧ .

وفى يومِ الثُّلاثاءِ العِشْرِينَ من شَوَّالٍ قَدِم الأميرُ فخرُ الدينِ أياس نائبُ حلبَ مُحْتاطًا عليه ، فاجْتَمعَ بالنائبِ فى دارِ السَّعادةِ ، ثم أُدْخلَ القلعةَ مُضَيَّقًا عليه ، ويقالُ : إنَّه قد فوِّض أمْرُه إلى نائبِ دمشقَ ، فمهما فَعَل فيه فقد أُمْضِى له . فأقامَ بالقلعةِ المنْصُورةِ نَحْوًا من جُمُعَةٍ ، ثم أُرْكِب على البريدِ ليُسارَ به إلى الديارِ المصريَّةِ ، فلم يُدْرَ ما فُعل به .

وفى ليْلةِ الاثنينِ ثالث شهرِ ذى القَعْدَةِ تُوفِّى **الشيخُ الحافِظُ الكبيرُ مُؤرِّخُ الإسلامِ وشيخُ المُحدِّثينَ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عُثْمانَ الذَّهَبِىُّ**[1] ، بتُرْبَةِ أُمِّ الصالحِ ، وصُلِّىَ عليه يومَ الاثنينِ صلاةَ [١٧٤/٤] الظهرِ فى جامعِ دمشقَ ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ ، وقد خُتِم به شُيوخُ الحديثِ وحُفَّاظُه ، رَحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الأحَدِ سادِسَ عَشَرَ ذِى القَعْدَةِ حضَرْتُ تُرْبَةَ أُمِّ الصالحِ ، رحِمَ اللَّهُ واقِفَها ، عِوَضًا عن الشيخِ شمسِ الدينِ الذَّهَبِىِّ ، وحَضَر جماعةٌ مِن أعْيانِ الفُقَهاءِ وبعضُ القُضاةِ ، وكان درْسًا مشْهُودًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، أوْرَدْتُ فيه حديثَ أحمدَ[2] ، عن الشافعىِّ ،عن مالكٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعْبِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، أنَّ رسَولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّمَا نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فى شَجَرِ الجنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ [3]اللَّهُ تبارَكَ وتعالى[3] إلى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » .

---

(١) ذيول العبر ص ٢٦٨، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٩، والوافى بالوفيات ٢/ ١٦٣، وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٠، وطبقات الشافعية ٩/ ١٠٠ للسبكى ، وانظر مصادر ترجمته فى مقدمة الجزء الأول من سير أعلام النبلاء .

(٢) المسند ٣/ ٤٥٥ .

(٣ - ٣) تكملة من المسند .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ تاسعَ عَشَرِه أمرَ نائبُ السلْطَنَةِ بجماعَةٍ انْتَهبُوا شيئًا مِن الباعَةِ (١فقطَعَ أيدى١) أَحدَ عَشَرَ منهم، وسَمَّرَ سَبْعةً(٢) عَشَرَ تَسْمِيرًا، تَعْزِيرًا وتَأْدِيبًا.

(١ - ١) فى م: «فقطعوا».

(٢) سقط من: م.

ثم دخَلَت سنَةُ تِسعٍ وأربعِيـنَ وسَبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت وسُلطانُ الديارِ المصريَّةِ والشاميَّةِ الملكُ الناصرُ ناصرُ الدينِ حسنُ بنُ [2]الناصرِ بنِ[2] المنصُورِ، ونائبُه بالديارِ المصريَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْبُغا، ووَزيرُه مَنْجَك، وقُضاتُه عِزُّ الدينِ بنُ جَماعةَ الشافعيُّ، وتقيُّ الدينِ الأَخْنائيُّ المالِكيُّ، وعَلاءُ الدينِ بنُ التُّرْكُمانيِّ الحنَفِيُّ، ومُوَفَّقُ الدينِ المَقْدسِيُّ الحنبَلِيُّ، وكاتبُ سِرِّه القاضى علاءُ الدينِ بنُ مُحْيِى الدينِ بنِ فَضْلِ اللَّهِ العُمَرِيُّ، ونائبُ الشامِ المَحْروسِ بدِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ أرْغُون شَاه الناصرِيُّ، وحاجِبُ الحُجَّابِ الأميرُ طَيْدَمُر[3] الإسْماعِيلِيُّ، والقُضاةُ بدِمشقَ؛ قاضى القُضاةِ تقيُّ الدينِ السُّبْكِيُّ الشافعيُّ وقاضى القُضاةِ نجمُ الدينِ الحنَفيُّ، وقاضى القُضاةِ جمالُ[4] الدينِ المَسلَّاتِيُّ المالِكيُّ، وقاضى القُضاةِ علاءُ الدينِ بنُ مُنَجَّا الحنبَلِيُّ، وكاتبُ سِرِّه القاضى ناصرُ الدينِ الحلَبيُّ الشافعِيُّ، وهو قاضى العساكرِ بحَلَبَ، ومُدرِّسُ الأَسَديَّةِ بها أيضًا، مع إقامَتِه بدِمَشْقَ المحْروسةِ.

وتَواتَرَتِ الأَخْبارُ بوُقوعِ الوَباءِ فى أَطْرافِ البلادِ، فذُكِرَ عن بلادِ القِرْمِ أمرٌ هائلٌ ومَوَتانٌ فيهم كثيرٌ، ثم ذُكِر أنَّه انْتقلَ إلى بلادِ الفِرَنْجِ حتى قِيلَ: إنَّ أهلَ

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/٤٥٠، وتذكرة النبيه ٣/ ١١٠، والسلوك ٢/٣/ ٧٥٧، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٣.

(٢ - ٢) فى م: «الملك».

(٣) فى م: «طيردمر». وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٤.

(٤) فى م: «جلال».

قُبْرُصَ ماتَ أكثَرُهم أو ما يقارِبُ ذلك ، وكذا وقَع بغزَّةَ أمرٌ عظيمٌ [1] فى أوائلِ هذه السنةِ [1] . وقد جاءَتْ مُطالعَةُ نائبِ غَزَّةَ إلى نائبِ دِمَشْقَ أنَّه ماتَ مِن يومِ عاشُوراءَ [2] إلى مثْلِه [2] مِن شهرِ صَفَرٍ نحوٌ مِن بِضْعَة عشَرَ ألفًا ، وقُرِئَ « البُخَارِىُّ » فى ربعةِ [3] يومِ الجُمعةِ بعدَ الصلاةِ سابع رَبيعِ الأوَّلِ فى هذه السنَةِ ، وحضَرَ القُضاةُ وجماعةٌ مِن الناسِ ، وقرَأت [4] بعدَ ذلك المُقرِئونَ ، ودَعا الناسُ برفْعِ الوَباءِ عن البلادِ ، وذلك أنَّ الناسَ لِما بلَغَهم مِن حُلولِ هذا المرَضِ فى السّواحلِ وغيرِها مِن أرجاءِ البلادِ ، يتوهَّمُون ويخافون مِن وقُوعِه بمدِينةِ دِمشْقَ ، حَماها اللَّهُ وسلَّمها ، مع أنَّه قد [1] بلَغهم أنه قد [1] ماتَ جماعةٌ مِن أهْلِها بهذا الداءِ . وفى صَبِيحَةِ يومِ الأحدِ [3] تاسعِه اجْتَمعَ الناسُ بمِحْرابِ الصَّحابةِ وقرَءوا مُتَوَزِّعين [5] « سُورةَ نُوحٍ » ثلاثةَ آلافِ مرَّةٍ وثلاثَمِائةٍ وثَلاثَةً وسِتِّينَ مرَّةً ، عن رُؤْيَا رجلٍ أنَّه رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ يُرْشِدُه إلى قِراءَةِ ذلك كذلك .

وفى هذا الشهرِ أيضًا كثُرَ الموتُ فى الناسِ بأمراضِ الطَّواعينِ وزادَ الأمْواتُ فى كلِّ يومٍ على المائةِ ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعُون ، وإذا وقَع فى أهلِ بيتٍ لا يَكادُ يخْرُجُ منه حتى يموتَ أكثَرُهم ، ولكِنَّه بالنظرِ إلى كَثْرَةِ أهلِ البلدِ قليلٌ ، وقد تُوفِّى فى هذه الأيَّامِ من هذا الشهرِ خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفِيرٌ ، ولا سِيَّما مِن النساءِ ، فإنَّ الموتَ فِيهنَّ أكثرُ مِن الرِّجالِ بكثيرٍ كثيرٍ ، وشرَع الخطيبُ فى القُنوتِ فى سائرِ الصَّلواتِ والدُّعاءِ برَفْعِ الوَباءِ ، مِن المغربِ ليْلةَ الجُمعةِ سادِس شهرِ رَبيعِ الآخِرِ من هذه السنَةِ ، وحصَل للناسِ بذلك خُضوعٌ وخُشوعٌ وتضَرُّعٌ وإنابةٌ ، وكثُرَتِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « قرأ ربعة » .

(٥) زيادة من : م .

الأمْواتُ فى هذا الشهرِ جدًّا ، وزادُوا على المِائتَيْنِ فى كلِّ يومٍ ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ ، وتضاعَفَ عدَدُ المَوْتَى منهم ، وتعَطَّلَتْ مصالحُ الناسِ ، وتأخَّرَتِ المَوْتَى عن إخْراجِهم ، وزَاد ضَمانُ المَوْتَى جدًّا ، فتَضَرَّرَ الناسُ ولا سِيَّما الصَّعالِيكُ ؛ فإنَّه يُؤْخَذُ على الميتِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فرسَمَ نائبُ السلْطَنَةِ بإبْطالِ [٤/ ١٧٥] ضَمانِ النُّعوشِ والمُغَسِّلينَ والحَمَّالينَ ، ونُودِى بإبْطالِ ذلك فى يومِ الاثنينِ سادِسَ عشَرَ رَبيعِ الآخِرِ ، ووُقِفَتْ نُعوشٌ كثيرةٌ فى أرْجاءِ البلدِ ، واتَّسع الناسُ بذلك ، ولكِنْ كثُرَتِ المَوْتَى ، فاللَّهُ المُسْتَعانُ .

وفى يومِ الاثنينِ الثالث والعشرين منه نُودِىَ فى البلدِ أنْ يصُومَ الناسُ ثلاثةَ أيامٍ ، وأنْ يخْرُجُوا فى اليومِ الرابعِ وهو يومُ الجُمعةِ إلى عندِ مسَجدِ القَدمِ ، يتضرَّعُون إلى اللَّهِ ويسْألُونَه فى رَفْعِ الوَباءِ عنهم ، فصام أكثرُ الناسِ ، ونام الناسُ فى الجامعِ ، وأحْيَوُا الليلَ كما يفْعَلُون فى شهرِ رمضانَ ، فلمَّا أصْبحَ الناسُ يومَ الجُمعةِ السابع والعِشْرِينَ منه ، خرَج الناسُ مِن كلِّ فَجٍّ عَميقٍ (١) إلى الصحْراءِ (١) ، واليهودُ والنصارَى والسَّامِرةُ ، والشيوخُ والعَجائزُ والصِّبْيانُ ، والفقراءُ والأُمراءُ والكُبَراءُ والقُضاةُ ، مِن بعدِ صلاةِ الصبحِ ، فما زالُوا هُنالكَ يدْعُون اللَّهَ تعالَى حتى تَعالَى النَّهارُ جدًّا ، وكان يَوْمًا مَشْهودًا .

وفى يومِ الخميسِ عاشر جُمادَى الأُولَى صلَّى الخطيبُ بعدَ صلاةِ الظهرِ على ستَّةَ عشَرَ مَيِّتًا جُملةً واحدةً ، فتَهَوَّلَ الناسُ مِن ذلك وانْذَعَرُوا ، وكان الموتُ (٢) يومئذٍ كثيرًا ، رُبَّما يقارِبُ الثَّلاثَمائةِ بالبَلدِ وحَواضرِه ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، وصُلِّى بعدَ الصلاةِ على خمسةَ عشَرَ مَيِّتًا بجامعِ دِمَشْقَ ، وصُلِّى (١) بجامعِ الخيلِ (١) على إحْدَى عشرةَ نفْسًا ، رحِمهم اللَّهُ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « الوباء » .

وفى يومِ الاثنينِ الحادِى والعِشْرِينَ منه رسَم نائبُ السلْطَنةِ بقَتْلِ الكلابِ مِن البلدِ، وقد كانت كثيرةً بأرْجاءِ البلدِ، ورُبَّما ضرَّتِ الناسَ وقطَعَت عليهم الطُّرُقاتِ فى أثْناءِ الليلِ، أمَّا تنْجِيسُها الأماكِنَ فكثيرٌ قد عَمَّ الابْتِلاءُ به وشقَّ الاحْتِرازُ منه، وقد جمَعْتُ جُزْءًا فى الأحاديثِ الواردَةِ فى قتْلِهم، واخْتِلافِ الأئمَّةِ فى نَسْخِ ذلك، وقد كان عمرُ، رضِىَ اللَّهُ عنه، يأمُرُ فى خُطْبَتِه بذَبْحِ الحمامِ وقتلِ الكلابِ[1]. ونصَّ مالكٌ فى روايةِ ابنِ وَهْبٍ على جَوازِ قتلِ كلابِ بلْدَةٍ بعَيْنِها، إذا أذِنَ الإمامُ فى ذلك للمَصْلَحةِ.

وفى يومِ الاثنينِ الثامن والعِشْرِينَ منه تُوفِّى **زَيْنُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ شيْخِنا الحافِظِ المِزِّىِّ**[2]، بدارِ الحديثِ النُّورِيَّةِ، وهو شيخُها، ودُفِن بمقابرِ الصوفِيَّةِ عندَ[3] والدِه، رحِمهما اللَّهُ تعالى.

وفى مُنْتصفِ شهرِ جُمادَى الآخِرةِ قَوِى الموتُ وتزايدَ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ، وماتَ خَلائقُ مِن الخاصَّةِ والعامَّةِ ممَّن نعْرِفُهم وغيرِهم، رَحِمهم اللَّهُ تعالى وأدْخَلَهم جنَّته، وكان يُصلَّى فى أكثرِ الأيامِ فى الجامعِ على أزْيَدَ مِن مِائةِ ميتٍ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعونَ، وبعْضُ الموْتَى لا يُؤْتَى بهم إلى الجامعِ، وأمَّا حولَ البلدِ وأرْجاؤها فلا يعْلَمُ عدَدَ مَن يموتُ بها إلَّا اللَّهُ عَزَّ وجلَّ.

وفى يومِ الاثنينِ السابعِ والعِشْرِينَ منه تُوفِّى **الصَّدْرُ شمسُ الدينِ بنُ الصبابِ التاجِرُ السَّفَّارُ**[4]، بانِى المدْرسةِ الصبابِيَّةِ، التى هى دارُ قرآنٍ بالقُرْبِ من المدرسةِ الظاهِرِيَّةِ، وهى قِبْلِى العادِلِيَّةِ الكبيرةِ، وكانت هذه البُقْعَةُ بُرْهَةً مِن الزمانِ خَرِبَةً

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٧٨ عن عثمان، رضى اللَّه عنه.

(٢) ذيول العبر ص ٢٧٥، والدرر الكامنة ٢/٤٦٠.

(٣) فى الأصل: «عن»، وفى م: «على».

(٤) فى الأصل: «الصفار». وانظر ترجمته فى: ذيول العبر ص ٢٧٦، وذيل تذكرة الحفاظ للذهبى ص ١٢١، والدرر الكامنة ٣/٤٢٨، والدارس ١/١٢٨.

شَنِيعَةً ، فعَمَرَها هذا الرجلُ وجعَلَها دارَ قُرآنٍ ودارَ حديثٍ للحنابِلَةِ ، ووَقَف هو وغيرُه عليها أوْقافًا جيِّدةً ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وفى يومِ الجمعةِ [١٧٦/٤] ثانى[١] شهرِ رجَبٍ صُلِّى بعدَ الجمعةِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ على غائبٍ ؛ وهو القاضى عَلاءُ الدينِ بنُ قاضى شُهْبَةَ ، ثم صُلِّى على إحْدَى وأرْبعِينَ نفْسًا جُمْلَةً واحدةً ، فلم يتَّسِعْ داخِلُ الجامعِ لصَفِّهم بل خرَجُوا ببعْضِ المَوْتَى إلى ظاهرِ بابِ السِّرِّ ، وخَرَج الخطيبُ والنَّقِيبُ فصَلَّى عليهم كلِّهم هناكَ ، وكان وَقْتًا مشْهودًا ، وعِبْرَةً عظيمةً ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ .

وفى هذا اليومِ تُوفِّى **التاجرُ المُسَمَّى بأَفْرِيدُون**[٢] ، الذى بنَى المدْرسةَ التى بظاهرِ بابِ الجابيةِ تُجاهَ تُرْبَةِ بَهادُرآص ؛ حائِطُها مِن حِجارةٍ مُلَوَّنَةٍ ، وجعَلَها دارًا للقُرآنِ العظيمِ ، ووَقَف عليها أوْقافًا جيِّدةً ، وكان مشْهودًا مشْكُورًا ، رَحِمه اللَّهُ وأكْرَمَ مَثْواه .

وفى يومِ السبتِ ثالث رجَبٍ صُلِّى على **الشيخ علىٍّ**[٣] **المَغْرِبىِّ** ، أحدِ أصْحابِ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ بالجامعِ الأفرمِىِّ[٤] بسَفْحِ قاسِيُونَ ، ودُفن بالسَّفْحِ ، رحِمه اللَّهُ ، وكانتْ له عِبادةٌ وزَهادةٌ وتقَشُّفٌ ووَرَعٌ ، ولم يتَوَلَّ فى هذه الدنْيَا وظيفةً بالكُلِّيَّةِ ، ولم يكنْ له مالٌ ، بل كانَ يُؤْتَى بشىءٍ من الفُتوحِ يَسْتَنْفِقُه قليلًا قليلًا ، وكان يُعانِى التَّصَوُّفَ ، وترَكَ زوْجةً وثلاثةَ أوْلادٍ ، رَحِمه اللَّهُ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأرْبعاءِ سابع رَجَبٍ صُلِّى على **القاضى زَيْنِ الدينِ بنِ النجيحِ**[٥] ، نائبِ القاضى الحَنْبَلِىِّ ، بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ ، ودُفِن بسفحِ قاسِيُونَ ،

---

(١) فى م : « ثامن » .

(٢) ذيول العبر ص ٢٧٧، والدرر الكامنة ١/ ٤١٨، والدارس ٢/ ٢٢٣.

(٣) سقط من : الأصل ، ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى ص ٥٦ ، وذيول العبر ص ٢٧٣ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٣ ، والدرر =

وكان مشْكُورًا فى القَضاءِ، لدَيْه فضائلُ كثيرةٌ، ودِيانةٌ وعِبادةٌ، وكان مِن أصْحابِ الشيخِ تقيِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، وكان قد وَقَع بينَه وبينَ القاضى الشافِعىِّ مُشاجراتٌ بسبَبِ أُمورٍ، ثم اصْطلَحا فيما بعدَ ذلك.

وفى يومِ الاثنينِ ثانِى عَشَرِه بعدَ أذانِ الظهرِ حَصَل بدمشقَ وما حولَها رِيحٌ شديدٌ أثارَتْ غُبارًا شديدًا اصْفَرَّ الجوُّ منه ثم اسْوَدَّ حتى أظْلَمَتِ الدنْيا، وبَقِى الناسُ فى ذلك نَحْوًا مِن رُبْعِ ساعةٍ [1] يَجْأَرُونَ إلى [1] اللَّهِ عزَّ وجلَّ ويَسْتَغْفِرونَ ويبْكُونَ، مع ما هم فيه مِن شِدَّةِ الموتِ الذَّرِيعِ، ورَجَا الناسُ أنَّ هذا الحالَ يكونُ خِتامَ ما هم فيه مِن الطَّاعُونِ، فلم يَزْدَدِ الأمرُ إلَّا شِدَّةً، وباللَّهِ المُسْتَعانُ.

وبَلَغ المُصَلَّى عليهم فى الجامعِ الأُمَوِىِّ إلى نَحْوِ المِائَةِ وخَمْسِينَ، وأكثرَ مِن ذلك، خارِجًا عمَّن لا يُؤْتى بهم إليه مِن أرْجاءِ البلَدِ وممَّن يموتُ مِن أهلِ الذِّمَّةِ، وأمَّا حَواضِرُ البلدِ وما حولَها فأمرٌ كثيرٌ، يقالُ: إنَّه بَلَغ ألْفًا فى كثيرٍ مِن الأيامِ. فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ.

وصُلِّى بعدَ الظهرِ من هذا اليومِ بالجامعِ المُظَفَّرِىِّ على الشيخِ **إبْراهيمَ بنِ المُحِبِّ** [2]، الذى كان يُحدِّثُ فى الجامعِ الأُمَوِىِّ وجامعِ تَنْكِز، وكان مجْلسُه كثيرَ الجمْعِ لصَلاحِه وحسنِ ما كان يُؤدِّيه مِن المواعيدِ النافعَةِ، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيُونَ، وكانت جِنازتُه حافلةً، رحِمه اللَّهُ تعالى.

وعُمِلَتِ المواعيدُ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ليْلةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ من رجَبٍ، يقولُونَ: ليْلةُ المِعْراجِ. ولم يجْتَمعِ الناسُ فيه على العادةِ؛ لكثْرَةِ مَن ماتَ منهم، ولشُغْلِ

= الكامنة ٣/٢٤٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٢.

(١ - ١) فى م: «يستجيرون».

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى ص ٥٧، وذيول العبر ص ٢٧٨، والدرر الكامنة ١/ ٩.

كثيرٍ مِن الناسِ بمَرْضاهم ومَوْتاهم .

واتّفقَ فى هذه الليْلةِ أنَّه تأخَّرَ جماعةٌ من الناسِ فى الخيَمِ [1] ظاهِرَ البلدِ [1] ، فجاءوا ليدْخُلُوا مِن بابِ النصْرِ على عادَتِهم فى ذلك ، فكأنَّه اجْتَمعَ خَلْقٌ منهم بينَ البابَيْنِ فهلَك كثيرٌ منهم كنَحْوِ ما يهْلِكُ الناسُ فى هذا الحينِ على الجنائزِ ، فانْزَعَجَ نائبُ السلْطَنةِ ، فخرَج فوجدَهم ، فأمَر بجَمْعِهم ، فلمَّا أصْبحَ الناسُ أمرَ بتَسْمِيرِهم ، ثم عفَا عنهم ، وضَرَب مُتوَلِّىَ البَلدِ ضَرْبًا شديدًا ، وسمَّرَ نائبَه فى الليلِ ، وسمَّرَ البَوَّابَ ببابِ النصْرِ ، وأمَر أنْ لا يمْشِىَ أحدٌ بعدَ عِشاءِ الآخرةِ ، ثم سَمَح لهم فى ذلك .

واسْتهلَّ شهرُ شعبانَ والفَناءُ فى الناسِ كثيرٌ جدًّا ، ورُبَّما أنْتَنَتِ البلدُ ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ .

وتُوفِّى **الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ الصلاحِ** [2] مُدرِّسُ القيمرِيَّةِ الكبيرةِ بالمطرزيين [3] ، يومَ الخميسِ ثالِثَ عَشَر شعبانَ .

[٤/١٧٧] وفى يومِ الجمعةِ رابعَ عَشَرَ شعبانَ صُلِّى بعدَ الصلاةِ على جماعةٍ كثيرةٍ ، منهم **القاضى عِمادُ الدينِ بنُ الشِّيرَازِىِّ** ، مُحْتَسِبُ البلدِ ، وكان مِن أكابرِ رُؤَساءِ دمشقَ ، ووَلِى نَظَر الجامعِ مدةً ، وفى بعْضِ الأوْقاتِ نَظَر الأوْقافِ ، وجُمِع له فى وَقْتٍ بيْنَهما ، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيُونَ .

وفى العَشْرِ الأخيرِ من شهرِ شَوَّالٍ تُوفِّى **الأميرُ سيفُ الدينِ قرابغا دوادار النائبُ** [4] ، بدارِه غَرْبِىَّ حِكْرِ السماقِ ، وقد أنْشأ له إلى جانِبها تُربةً ومسْجدًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) ذيول العبر ص ٢٧٢.

(٣) فى الدارس ١/٤٤١ أنها بالحريميين .

(٤) الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٩.

وهو الذى أنْشأ السُّوَيْقَةَ المُجَدَّدَةَ عندَ دارِه، وعَمِل لها بابَيْنِ شرقِيًّا وغربِيًّا، وضُمنتْ بقيمَةٍ[1] كثيرةٍ بسبَبِ جاهِه، ثم بارَتْ وهُجِرتْ لقِلَّةِ الحاجَةِ إليها، وحَضَر الأُمراءُ والقُضاةُ والأكابرُ جِنازتَه، ودُفِن بتُرْبتِه هناك، وترَك أمْوالًا جزيلةً وحواصِلَ كثيرةً جدًّا، أخذَها مَخْدومُه نائبُ السلْطَنةِ.

وفى يومِ الثلاثاءِ سابع شهرِ ذى القَعْدَةِ تُوفِّى **خطيبُ الجامعِ، الخطيبُ تاجُ الدينِ عبدُ الرَّحيمِ بنُ القاضى جلالِ الدينِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ**[2] **القَزْوِينِىِّ**[3]، بدارِ الخَطابَةِ، مَرِض يومَيْنِ، وأصابَه ما أصابَ الناسَ مِن الطاعُونِ، وكذلك عامَّةُ أهلِ بيْتِه مِن جَوارِيه وأوْلادِه، [4]وتَبِعَه أخُوه بعدَ يومَينِ[4] صَدْرُ الدينِ عبدُ الكريمِ، وصُلِّى على الخطيبِ تاجِ الدينِ بعدَ الظهرِ يَوْمَئذٍ عندَ بابِ الخَطابةِ، ودُفِن بتُرْبَتِهم بالصوفِيَّةِ عندَ أبيه، وأخوَيْه بدْرِ الدينِ محمدٍ، وجمالِ الدينِ عبدِ اللَّهِ، رحِمَهم اللَّهُ.

وفى يومِ الخميسِ تاسعه اجْتَمَع القُضاةُ وكثيرٌ مِن الفُقَهاءِ المُفْتِين عندَ نائبِ السلْطَنَةِ بسبَبِ الخَطابةِ، فطُلِب إلى المجْلِس الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ محمودِ بنِ جملةَ، فوَلَّاه إيَّاها نائبُ السلْطَنَةِ، وانْتُزِعَتْ مِن يَدِه وظائفُ كان يُباشِرُها، ففُرِّقتْ على الناسِ، فوَلِى القاضى بهاءُ الدينِ أبو البَقاءِ تَدْريسَ الظاهِرِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ، وتوَزَّعَ الناسُ بقِيَّةَ جِهاتِه، ولم يبْقَ بيَدِه سِوَى الخطابَةِ، وصلَّى بالناسِ يَوْمَئذٍ الظهرَ، ثم خُلِع عليه فى بُكْرَةِ نهارِ الجمعةِ، وصلَّى بالناسِ يَوْمَئذٍ وخَطَبهم[5]

---

(١) فى الأصل: «بعير».

(٢) فى م: «عبد الرحيم».

(٣) ذيول العبر ص ٢٧٢، والسلوك ٢/٣/٧٩٣، والدرر الكامنة ٢/ ٤٧٠.

(٤ - ٤) فى الأصل: «وبيعة أخيه بعده بيوم».

(٥) فى الأصل: «خطيبهم».

على قاعدَةِ الخُطباءِ .

وفى يومِ عرَفَةَ ، وكان يومَ السبتِ ، تُوفِّى **القاضى شِهابُ الدينِ بنُ فضلِ اللَّهِ**[1] ، كاتِبُ الأسْرارِ الشَّريفةِ بالديارِ المصريَّةِ والبلادِ الشامِيَّةِ ، ثم عُزل عن ذلكَ ، وماتَ وليْسَ يُباشرُ شيئًا مِن ذلك مِن[2] رِياسةٍ وسَعادةٍ وأمْوالٍ جزيلَةٍ ، وأمْلاكٍ ومُرَتَّباتٍ كثيرةٍ ، وعمَر دارًا هائلةً بسَفْحِ قاسِيُونَ بالقُربِ مِن الرُّكْنِيَّةِ شَرْقِيِّها ليس بالسَّفْحِ مثْلُها ، وقد انْتَهتْ إليه رياسَةُ الإنْشاءِ ، وكان يُشَبَّهُ بالقاضى الفاضلِ فى زَمانِه ، وله مُصَنَّفاتٌ عديدةٌ بعِباراتٍ سعيدةٍ ، وكان حسَنَ المُذاكَرةِ ، سرِيعَ الاسْتِحْضَارِ ، جيِّدَ الحِفْظِ ، فصِيحَ اللسانِ ، جميلَ الأخْلاقِ ، يحبُّ العُلَماءَ والفقراءَ ، ولم يُجاوِزِ الخمسينَ ، تُوفِّى بدارِهم داخِلَ بابِ الفَرادِيسِ ، وصُلِّى عليه بالجامعِ الأموِىِّ ، ودُفِن بالسَّفْحِ مع أبِيه وأخِيه بالقُربِ مِن اليَغْمُورِيَّةِ ، سامَحه اللَّهُ وغَفَر له .

وفى هذا اليومِ تُوفِّى **الشيخُ أبو**[3] **عبدِ اللَّهِ بنُ رَشِيقٍ المَغْرِبِىُّ** ، كاتِبُ مُصَنَّفاتِ شيْخِنا العَلَّامَةِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، كان أبْصَرَ بخَطِّ الشيخِ منه ، إذا عَزَبَ شىءٌ منه على الشيخِ اسْتَخْرَجه أبو عبدِ اللَّهِ هذا ، وكان سريعَ الكتابةِ لا بَأْسَ به ، دَيِّنًا عابدًا ، كثيرَ التِّلاوَةِ ، حَسَنَ الصلاةِ ، له عِيالٌ وعليه دُيونٌ . رَحِمه اللَّهُ وغَفَر له ، آمِينَ .

---

(١) تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٥٤، والوافى بالوفيات ٨/ ٢٥٢، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٢، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٠.

(٢) فى الأصل : « لكن فى » .

(٣) سقط من : م .

ثم دخلَتْ سنَةُ خَمْسِينَ وسَبْعِمائَةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ البلادِ المصرِيَّةِ والشامِيَّةِ والحرَمَيْنِ وغيرِ ذلك مِن البلادِ الملكُ الناصِرُ حسَنُ بنُ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُونَ ، ونائبُ الديارِ المصْرِيَّةِ ومُدبِّرُ مَمالِكِه [٤/ ١٧٨] والأتابكُ سيْفُ الدِّينِ بَيْبُغَا ، وقُضاةُ الديارِ المصْرِيَّةِ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، ونائبُ الشامِ الأميرُ سيفُ الدِّينِ أرْغون شَاه الناصِرىُّ ، وقُضاةُ دِمَشْقَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، وكذلك أرْبابُ الوَظائفِ ، سِوَى الخطيبِ وسِوَى المُحْتَسِبِ .

وفى هذه السنَةِ ، وللَّهِ الحمدُ ، تقاصَرَ أمرُ الطَّاعُونِ جدًّا ، ونزَل ديوانُ المَوارِيثِ إلى العِشْرِينَ وما حولَها بعدَ أنْ بلَغ الخَمْسَمِائةِ فى أثْناءِ سنَةِ تسْعٍ وأرْبَعِينَ كما[2] تقدَّم ، ولكِنْ لم يرْتَفِعْ بالكُلِّيَّةِ ؛ فإنَّ فى يومِ الأرْبعاءِ رابع شهرِ اللَّهِ المُحرَّمِ تُوفِّى الفَقِيهُ **شِهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ الثِّقَةِ** هو وابنُه وأخُوه[3] فى ساعَةٍ واحدةٍ بهذا المرضِ ، وصُلِّى عليهم جميعًا ، ودُفِنُوا فى قبرٍ واحدٍ ، رحِمَهم اللَّهُ تعالى .

وفى يومِ الأرْبعاءِ الخامس والعِشْرِينَ مِن المحرَّمِ تُوفِّى **صاحِبُنا الشيخُ الإمامُ العالمُ العابدُ الزاهدُ الناسِكُ الخاشِعُ ناصرُ الدِّينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ**

---

(١) ذيول العبر ص ٢٧٨ ، وتذكرة النبيه ٣/ ١٣٣، والسلوك ٣/٢/ ٧٩٧، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٠٨.

(٢) فى م : « ثم » .

(٣) فى الأصل : « أخيه » .

ابنِ عبدِ القادرِ بنِ الصَّائغِ الشافِعىُّ[1] ، مُدرِّسُ العِمادِيَّةِ ، كان رحِمه اللَّهُ لدَيْه فَضائلُ كثيرةٌ على طَريقَةِ السَّلَفِ الصالحِ ، وفيه عِبادةٌ كثيرةٌ وتِلاوَةٌ وقِيامُ ليْلٍ وسُكونٌ حسَنٌ ، وخُلُقٌ حسَنٌ ، جاوَزَ الأرْبَعِينَ بنَحْوٍ مِن ثلاثِ سِنينَ ، رحِمه اللَّهُ وأكْرمَ مثْواه .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ ثالث صفَرٍ باشَرَ تقىُّ الدِّينِ بنُ رافِعٍ المُحدِّثُ مَشْيخةَ دارِ الحديثِ النُّورِيَّةِ ، وحضَر عندَه جماعةٌ مِن الفُضلاءِ والقُضاةِ والأعْيانِ .

مَسْكُ نائبِ السلْطَنةِ أرْغون شَاه

وفى ليْلةِ الخميسِ الثالث والعِشْرِينَ مِن رَبيعٍ الأوَّلِ مُسكَ نائبُ السلْطَنةِ بدِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ أرْغون شاه ، وكان قد انْتَقَل إلى القَصْرِ الأبْلَقِ بأهْلِه ، فما شعَرَ وَسَطَ الليلِ إلَّا [2]ونائبُ[2] طَرابُلُسَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ أُلْجَيْبُغَا المُظَفَّرِىُّ الناصِرِىُّ ركِب[3] إليه فى[4] طائفةٍ من الأُمراءِ الأُلوفِ وغيرِهم ، فأحاطُوا به ودخَل[5] عليه مَن دخَل وهو مع جَوارِيه نائمٌ ، فخرَج إليهم فقَبَضُوا عليه وقيَّدُوه ورَسَمُوا عليه ، وأصْبحَ الناسُ أكْثَرُهم لا يشْعُرُ بشىءٍ ممَّا وقَع ، فتحدَّثَ الناسُ بذلك واجْتَمعتِ الأتْراكُ إلى الأميرِ سيفِ الدينِ أُلْجَيْبُغا المذْكورِ ، ونزَل بظاهرِ

---

(١) ذيول العبر ص ٢٠٦ ، والوافى بالوفيات ١/٢٤٨ حاشية (١) ، وفوات الوفيات ٣/ ٢٩٣، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠١، والدرر الكامنة ٤/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٢٣. ولقبه فى هذه المصادر بدر الدين ، كما اتفقت هذه المصادر على أن وفاته كانت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

(٢ - ٢) فى الأصل : « نائب » .

(٣) فى الأصل : « وركب » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى الأصل : « دخلوا » .

البلدِ ، واحْتِيطَ على حواصِلِ أرْغون شاه ، فباتَ عزِيزًا وأصْبحَ ذليلًا ، وأمْسَى علَيْنا نائبَ السلْطَنةِ ، فأصْبحَ وقد أحاطَ به الفقرُ والمَسْكَنةُ ، فسُبْحانَ مَن بيَدِه الأمرُ مالكِ المُلْكِ ، يُؤْتِى المُلْكَ مَن يشَاءُ ، وينزِعُ المُلْكَ مِمَّن يشَاءُ ، ويُعِزُّ مَن يشَاءُ ، ويُذِلُّ مَن يَشَاءُ ، وهذا كما قال اللَّه تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٧ - ٩٩] . ثم لمَّا كان ليلةُ الجُمعةِ الرابع والعشْرِينَ مِن ربيعٍ الأوَّلِ أصْبحَ مذْبوحًا فأُثْبِتَ محْضَرٌ بأنَّه ذبَحَ نفْسَه . فاللَّهُ تعالى أعلمُ .

كائنَةٌ عَجِيبَةٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا

ثم لمّا كان يومُ الثلاثاءِ الثامن والعِشْرِينَ مِن رَبيعٍ الأوَّلِ سنَةَ خَمسينَ وسَبْعِمائَةٍ ، وقَع اخْتِلافٌ بينَ جيشِ دِمَشْقَ وبينَ الأميرِ سيفِ الدِّينِ أُلْجَيْبُغا نائبِ طَرابُلُسَ ، الذى جاءَ فأمْسَكَ نائبَ دِمَشْقَ الأميرَ سيْفَ الدِّينِ أرْغُون شَاه الناصرىَّ ، ليْلةَ الخميسِ وقتَله ليلةَ الجُمعةِ ، كما تقدَّم ، وأقامَ بالمَيْدانِ الأخْضَرِ يسْتَخْلِصُ أمْوالَه وحَواصِلَه ، ويجْمَعُها عندَه ، فأنْكَرَ عليه الأُمراءُ الكِبارُ ، وأمَرُوه أنْ يحْمِلَ الأمْوالَ إلى قَلْعَةِ السلْطانِ ، فلم يَقْبَلْ منهم ، فاتَّهَمُوه فى أمْرِه ، وشَكُّوا فى الكتابِ الذى[1] على يَدِه مِن الأمْرِ بمَسْكِه وقتْلِه ، [١٧٩/٤] ورَكِبُوا مُلْبِسينَ تحتَ القَلْعَةِ وأبْوابِ المَيادِينِ ، ورَكِبَ هو فى أصْحابِه وهم[2] فى دُونِ المائةِ ، وقائلٌ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « هو » .

يقولُ : هم ما بينَ السَّبْعِينَ إلى الثَّمانِينَ [1]والتِّسْعِينَ[1] . جعَلُوا يحْمِلُونَ على الجيشِ حَمْلَ المُسْتَقْبِلِينَ[2] ، إنَّما يُدافِعُهم مُدافَعةَ المُتَبرِّمِينَ[3] ، وليسَ معهم مرْسُومٌ بقَتْلِهم ولا قِتالِهم ، فلهذا وَلَّى أكْثَرُهم مُنْهَزِمِينَ ، فخرَج جماعَةٌ مِنَ الجيشِ حتى بعْضُ الأمراءِ المُقَدَّمِينَ ، وهو الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدِّينِ أُلْجَيْبُغا العادِلِيُّ ، فقُطِعتْ يدُه اليُمْنَى ، وقد قاربَ التِّسْعِينَ ، وقُتِل آخرونَ مِن أجْنادِ الحَلْقَةِ والمُسْتَخْدَمِينَ ، ثم انْفَصَلَ الحالُ على أنْ أخَذ أُلْجَيْبُغا المُظَفَّرِيُّ مِن خُيولِ أرْغُون شاه المُرْتَبِطَةِ فى إسْطَبْلِه ما أرادَ ، ثم انْصرَفَ من ناحيَةِ المِزَّةِ [4]صاعِدًا على عَقَبتِها[4] ، ومعه الأمْوَالُ التى جمعَها مِن حَواصِلِ أرْغون شاه ، واسْتَمرَّ ذاهِبًا ، ولم يَتْبَعْه أحدٌ مِن الجيشِ ، وصُحْبَته الأميرُ فخرُ الدِّينِ أياس ، الذى كان حاجِبًا ، ونابَ فى حلَبَ فى العامِ الماضى ، فذَهبَا بمَنْ معهما إلى طَرابُلُسَ ، وكتَب أُمَراءُ الشامِ إلى السلْطانِ يُعْلِمُونَه بصورةِ ما وقَع ، فجاءَ البريدُ بأنَّه ليس عندَ السلطانِ علمٌ بما وقعَ بالكليةِ ، وأنَّ الكتابَ الذى جاءَ على يدَيْه مفتعلٌ ، وجاءَ الأمْرُ لأرْبَعةِ آلافٍ مِن جيشِ دمشقَ أنْ يسِيرُوا وراءَه ليُمْسِكُوه ، ثم أُضِيفَ نائبُ صَفَدَ مُقدَّمًا على الجميعِ ، فخرَجُوا فى العَشْرِ الأُوَلِ مِن رَبيعِ الآخرِ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ سادِس رَبيعِ الآخرِ خرَجتِ العساكرُ فى طلَبِ سيفِ الدِّينِ أُلْجَيْبُغا [5]الذى فعَل الأفاعيلَ ، وخرَج مِن دمشقَ بالسالمى بعدَ ما قتَل نائبَ[5]

(١ - ١) فى الأصل : « أو السبعين » .

(٢) فى م : « المستقتلين » .

(٣) فى م : « المتبرئين » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « صاغرا على عقبتها » ، وفى م : « صاغرا على عقبيه » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

[1]سلطنتِها وجماعةً مِن أهلِها ، وجَرَح خلقًا من أجنادِها ، وقُطِعت يدُ الأميرِ سيفِ الدِّينِ أُلْجَيْبُغَا[1] العادِلِيِّ فى المعْركةِ ، وهو أحدُ الأُمَراءِ الأُلوفِ المُقدَّمِينَ .

ولمَّا كانتْ ليْلةُ الخميسِ سابعه نُودِى بالبلدِ على مَن يَقْرَبُها مِن الأجْنادِ أنْ لا يتَأَخَّرَ أحدٌ عن الخُروجِ بالغَدِ ، فأصْبَحُوا فى سُرْعَةٍ عظيمةٍ ، واسْتُنِيبَ فى البلدِ نِيابةً عن النائبِ الرَّاتِبِ الأميرُ بدرُ الدينِ بنُ[2] الخطيرِ ، فحكَمَ بدارِ السَّعادةِ على عادَةِ النُّوَّابِ .

وفى ليْلَةِ السبتِ بينَ العِشاءَيْنِ سادِسَ عشَرِه دخَل الجيشُ الذين خَرَجُوا فى طَلِب أُلْجَيْبُغا المُظَفَّرِىِّ ، وهو معهم أسِيرٌ ذليلٌ حقيرٌ ، وكذلك الفَخْرُ أياس الحاجِبُ مأْسُورٌ معهم ، فأُودِعَا فى القلعةِ مُهانَيْنِ[3] مِن جسْرِ بابِ النصْـرِ الذى تُجاهَ دارِ السَّعادةِ ، وذلك بحُضورِ الأميرِ بدرِ الدينِ الخطيرِ [1]فى دارِ السعادةِ وهو[1] نائبُ الغَيْبَةِ ، ففرِحَ الناسُ بذلك فرَحًا شديدًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

فلمَّا كان يومُ الاثنينِ الثامِنَ عشَرَ منه خرَجَا من القلعةِ إلى سُوقِ الخيلِ فوُسِّطا بحَضْرَةِ الجيشِ ، وعُلِّقَتْ جُثَّتُهما على الخُشُبِ ليَراهما الناسُ ، فمَكَثَا أيامًا ثم أُنْزِلَا فدُفِنَا بمقابرِ المسلمينَ .

وفى أوائلِ شهرِ جُمادَى الآخرةِ جاءَالخبَرُ بموتِ نائبِ حَلَبَ **سيفِ الدِّينِ قُطْليشا**[4] ، ففرِحَ كثيرٌ من الناسِ بمَوْتِه ، وذلك لسُوءِ أعْمالِه[5] فى مدينةِ حَمَاةَ فى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « فى ما » .

(٤) فى م : « قطليشاه » . وانظر ترجمته فى : تذكرة النبيه ٣/ ١٣٤، والسلوك ٢/٣/ ٨١٣، والدرر الكامنة ٣/ ٣٤٠، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١١٣.

(٥) فى الأصل : « اعتماده » .

زَمَنِ الطاعُونِ ، وذَكَرُوا أنَّه كان يَحْتاطُ على التَّرِكةِ وإنْ كان فيها ولَدٌ ذكرٌ أو غيرُه ، ويأْخذُ مِن أمْوالِ الناسِ جَهْرَةً ، حتى حصَلَ له منها شيءٌ كثيرٌ ، ثم نُقِلَ إلى حَلَبَ بعدَ نائِبها الأميرِ سيفِ الدِّينِ أرُقْطَاى الذى كان عُيِّنَ لنيابَةِ دِمَشْقَ بعدَ مَوْتِ أرْغون شَاه ، وخرَج الناسُ لتَلَقِّيه ، فما هو إلَّا أنْ برَز منْزِلةً واحدةً مِن حلَبَ فماتَ بتلك المَنْزِلَةِ ، فلمَّا صارَ قُطْليشا[1] إلى حَلَبَ لم يُقِمْ بها إلَّا يَسيرًا حتى ماتَ ، ولم يَنْتَفِعْ بتلك الأمْوالِ التى كان حصَّلها لا فى دُنْيَاه ولا فى أُخراه .

ولمَّا كان يومُ الخميسِ الحادِى عشَرَ من جُمادَى الآخرةِ دخَل الأميرُ سيفُ الدينِ أيْتَمُش الناصِرِىُّ مِن الديارِ المصْريَّةِ إلى دِمَشْقَ نائبًا عليها ، وبينَ يَديْه الجيشُ على العادةِ ، فقَبَّلَ العَتَبَةَ ولَبِسَ الحياصةَ[2] والسيْفَ ، وأُعْطِىَ تقْليدَه ومنْشُورَه هُنالِكَ ، ثم وقَف فى المَوْكِبِ على عادةِ النُّوَّابِ ، ورجَع إلى دارِ السَّعادةِ وحكَم[3] ، وفرِح الناسُ به ، وهو حسَنُ الشَّكلِ ، تامُّ الخِلْقَةِ ، وكان الشامُ بلا نائبٍ مُسْتقلٍّ قريبًا من شهْرينِ ونِصْفٍ . وفى يومِ دُخولِه حبَس أرْبعَةً مِن أُمَراءِ [٤/١٨٠] الطَّبْلَخاناه ؛ وهم القاسِمِىُّ ، وأوْلادُ الأبوبَكْرى[4] الثلاثةُ اعْتقَلَهم فى القَلْعَةِ لمُمالأتِهم أُلْجَيْبُغا المُظَفَّرِىَّ على أرْغُون شاه نائبِ الشامِ .

وفى يومِ الاثنينِ خامِسَ عشَرَ جُمادَى الآخرةِ حكَم القاضى نجْمُ الدينِ بنُ

---

(١) فى م : « قطلبشاه » .

(٢) فى الأصل : « الحياطة » ، والحياصة : جمعها حوائص ؛ وهى الحزام أو المنطقة .

(٣) بعده فى الأصل : « إلى دار السعادة » .

(٤) فى م : « آل أبو بكر » .

القاضى عِمادِ الدينِ[1] الطَّرَسُوسِىِّ[2] الحنَفِىِّ[3] ، وذلك بتَوْقيعٍ سُلْطانىٍّ وخِلْعَةٍ مِن الديارِ المصْرِيَّةِ .

وفى يومِ الثلاثاءِ[4] سادِسَ عشَرَ جُمادَى الآخرةِ حصَل الصلْحُ بينَ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدِّينِ السُّبْكِىِّ وبينَ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ، على يدَىِ الأميرِ سيفِ الدِّينِ بنِ فَضْلٍ ملِكِ العربِ ، فى بُسْتانِ قاضى القُضاةِ ، وكان قد نقَم عليه إكْثارَه مِن الفُتْيَا بمسْألَةِ الطَّلاقِ .

وفى يومِ الجُمعةِ السادِس والعِشْرِينَ منه نُقِلتْ جُثَّةُ الأميرِ سيفِ الدِّينِ أرْغُون شاه مِن مَقابرِ الصوفيَّةِ إلى تُرْبتِه التى أنْشأها تحتَ الطّارمةِ[5] ، وشرَع فى تكْميلِ التُّربةِ والمسْجدِ الذى قِبلَها ؛ وذلك أنَّه عاجَلَتْه المَنِيَّةُ على يَدَى أُلْجَيْبُغَا المُظَفَّرِىِّ قبلَ إتمامِهما ، وحينَ قتَلُوه ذَبْحًا دَفنُوه[6] ليْلًا فى مقابرِ الصوفِيَّة ، قريبًا مِن قبرِ الشيخِ تقىِّ الدينِ بن الصَّلاحِ ، ثم حُوِّلَ إلى تُرْبتِه فى الليْلةِ المذْكُورةِ .

وفى يومِ السبتِ تاسِعَ عشَرَ رجَبٍ أذَّن المُؤذِّنونَ للفجرِ قبلَ الوَقْتِ بقريبٍ من ساعةٍ ، فصَلَّى الناسُ فى الجامعِ الأُمَوِىِّ على عادَتِهم فى تَرْتيبِ الأئمَّةِ ، ثم رأَوُا الوقْتَ باقِيًا ، فأعادَ الخطيبُ الفجرَ بعدَ صلاةِ الأئمةِ كلِّهم ، وأُقِيمَتِ الصَّلاةُ ثانيًا ، وهذا شىءٌ لم يتَّفِقْ مثْلُه .

---

(١) بعده فى الأصل : « إسماعيل بن العز » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) بعده فى الأصل : « بالمدرسة النورية نيابة عن قاضى القضاة نجم الدين بن القاضى عماد الدين الطرسوسى الحنفى » .

(٤) فى الأصل : « السبت » .

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالقبة . لسان العرب (ط ر م) ، وانظر السلوك ١/٣/٧٧٥ حاشية (٤) .

(٦) فى م : « ودفنوه » .

وفى يومِ [1] الخميسِ ثامِن [1] شهرِ شعبانَ [2] تُوفِّى قاضى القُضاةِ **علاءُ الدينِ بنُ مُنَجَّا الحَنْبَلىُّ** [3] بالمسْمارِيَّةِ ، وصُلِّى عليه الظهرَ بالجامعِ الأُمويِّ ، ثم بظاهرِ بابِ النصرِ ، ودُفِن بسَفْحِ قاسِيُونَ ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الاثنينِ مِن [4] رمضانَ [2] بُكْرَةَ النَّهارِ اسْتُدْعِىَ الشيخُ جمالُ الدِّينِ المَرْداوِىُّ من الصالحِيَّةِ إلى دارِ السَّعادةِ ، وكان تقْليدُ القَضاءِ [5] لمذْهبِه قد وصَل إليه قبلَ ذلك بأيامٍ ، فأُحْضِرَتِ الخِلْعَةُ بينَ يدَيِ النائبِ والقُضاةِ الباقِينَ ، وأُرِيدَ على لُبْسِها وقَبُولِ الوِلايَةِ ، فامْتَنَع [6] من ذلك [6] ، فألحُّوا عليه فصَمَّمَ وبالغَ فى الامْتِناعِ جدًّا ، وخرَج وهو مُغضَبٌ ، فراحَ إلى الصالحِيَّةِ فبالغَ الناسُ فى تعْظيمِه ، وبقِىَ [7] القُضاةُ يومَ ذلك فى دارِ السَّعادةِ ، ثم بعَثُوا إليه بعدَ الظهرِ فحضَر من الصالحِيَّةِ ، فلم يزالُوا به حتى قَبِلَ ولَبِسَ الخِلْعَةَ ، وخرَج إلى الجامعِ فقُرِئَ تقْليدُه بعدَ العصرِ ، واجْتَمَع معه القُضاةُ وهنّأه الناسُ بذلك ، وفرِحُوا به لدِيانتِه وصِيانتِه وفَضيلتِه وأمانتِه .

وبعدَ هذا اليومِ بأيامٍ حكَم الفَقِيهُ شمسُ الدِّينِ محمدُ بنُ مُفْلِحٍ الحَنْبَلىُّ نِيابةً عن قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ المَرْداوِىِّ المَقْدِسِىِّ ، وابنُ مُفْلِحٍ زوجُ ابْنَتِه .

(١ - ١) فى الأصل : « ثانى » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ذيول العبر ص ٢٨١، والسلوك ٢/٣/ ٨١٣، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٧، والدرر الكامنة ٣/ ٢٠٩، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٧.

(٤) سقط من النسختين .

(٥) بعده فى الأصل : « دار السعادة » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) فى م : « وقى » .

وفى العَشْرِ الأخيرِ من ذِى القَعْدَةِ[1] حضر الفَقِيهُ الإمامُ المُحَدِّثُ المُفيدُ أمينُ الدينِ الإيجِىُّ[2] المالِكىُّ مَشْيخةَ [3]دارِ الحديثِ[3] بالمدْرسةِ الناصِرِيَّةِ الجَوَّانِيَّةِ ، نزَل له عنها الصَّدْرُ أمينُ الدينِ بنُ القلانسِىِّ وَكيلُ بيتِ المالِ ، وحضَر عندَه الأكابِرُ والأعْيانُ .

وفى أواخرِ هذه السنَةِ تكاملَ بناءُ التُّرْبَةِ التى تحتَ الطّارمةِ المنْسُوبَةِ إلى الأميرِ سيفِ الدِّينِ أرْغُون شاه ، الذى كان نائبَ السلْطنَةِ بدِمَشْقَ ، وكذلك القِبْلىّ منها ، وصلَّى فيها الناسُ ، وكان قبلَ ذلك مسْجدًا صغيرًا فعَمَرَه وكبَّرَه ، وجاءَ كأنَّه جامِعٌ ، تقبَّلَ اللَّهُ منه .

---

(١) فى الأصل : « الحجة » .
(٢) فى الأصل : « بن الأنقى » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة[1]

اسْتَهَلَّتْ وسُلْطانُ الشامِ ومِصْرَ الناصرُ حسنُ بنُ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون، ونائبُه بمصْرَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْبُغَا[2]، وأخوه سيفُ الدينِ مَنْجَك الوزيرُ، والمُشَاورونَ[3] جماعةٌ مِن المُقدَّمِينَ بديارِ مصرَ، وقُضاةُ مِصْرَ وكاتبُ السِّرِّ هم الذين كانُوا فى أولِ[4] السنَةِ الماضيةِ، ونائبُ الشامِ الأميرُ سيفُ الدينِ أيتَمُش[5] الناصرِىُّ، والقُضاةُ هم القُضاةُ سِوَى الحَنْبَلِىِّ فإنَّه الشيخُ جمالُ الدِّينِ يُوسُفُ المَرْداوِىُّ، وكاتبُ السِّرِّ، وشيخُ الشيوخِ تاجُ الدِّينِ، وكتابُ[6] الدَّسْتِ هم المُتَقَدِّمونَ، وأُضِيفَ إليهم شرَفُ الدِّينِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ القاضى علاءِ [٤/١٨١] الدِّينِ بنِ شمرنوخ، والمُحْتَسِبُ القاضى عِمادُ الدِّينِ بنُ الفرفورِ[7]، وشادُّ الأوْقافِ الشَّريفُ، وناظِرُ الجامعِ فخرُ الدِّينِ بنُ العَفِيفِ، وخطيبُ البلدِ جمالُ الدينِ محمودُ بنُ جملةَ.

وفى يومِ السبتِ عاشر المُحَرَّمِ نُودِىَ بالبلدِ مِن جهةِ نائبِ السلْطانِ عن كتابٍ

---

(١) ذيول العبر ص ٢٨٢، وتذكرة النبيه ٣/ ١٤٤، والسلوك ٢/٣/ ٨١٤، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١١٤.

(٢) فى م: «يلبغا».

(٣) فى م: «المشارون».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «ارتيمش».

(٦) فى م: «كاتب».

(٧) فى م: «العزفور». وانظر الدرر الكامنة ١/٣٨٧.

جاءَه من الديارِ المصريَّةِ أن لا تَلْبَسَ النساءُ الأكْمامَ الطِّوالَ العِراضَ[1] ، ولا البُرْدَ الحريرَ ، ولا شيئًا من اللِّباساتِ والثِّيابِ الثمينَةِ ، ولا الأقْمِشَةِ القِصارِ ، وبلَغنا أنَّهم بالديارِ المصريَّةِ شدَّدُوا فى ذلك جدًّا ، حتى قيلَ : إنَّهم غرَّقُوا بعضَ النساءِ بسبَبِ ذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

وجُدِّدَتْ وأُكْمِلتْ[2] فى أوَّلِ هذه السَّنَةِ دارُ قرآنٍ قِبْلِىَّ تُرْبَةِ امرأةِ تَنْكِز ، بمَحلَّةِ بابِ الخَوَّاصِينَ ، حوَّلَها - وكانت[3] صُورَةَ مدْرسَةٍ - الطَّواشِىُّ صَفِىُّ الدِّينِ عَنْبَرٌ ، مولَى ابنِ حَمْزَةَ ، وهو أحدُ الكبارِ الأجْوادِ ، تقبَّل اللَّهُ منه .

وفى يومِ الأحَدِ خامس شهرِ جُمادَى الأُولَى فُتِحَتِ المدْرسةُ الطَّيبانِيَّةُ[4] التى كانت دارًا للأميرِ سيفِ الدِّينِ طيبان[5] بالقُرْبِ من الشاميَّةِ الجَوَّانِيَّةِ ، بينَها وبينَ أمِّ الصالحِ ، اشْتُرِيَتْ مِن ثُلُثِه الذى وصَّى به ، وفُتِحَتْ مدرسةً وحُوِّلَ لها شُبَّاكٌ إلى الطريقِ فى صُفَّتِها القبلِيَّةِ منها ، وحضَر الدرسَ بها فى هذا اليومِ الشيخُ عِمادُ الدينِ بنُ شرَفِ الدِّينِ ابنِ عمِّ الشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانىِّ بوَصِيَّةِ الواقفِ له بذلك ، وحضَر عندَه قاضى القُضاةِ السُّبْكِىُّ والمالِكىُّ وجماعةٌ مِن الأعْيانِ ، وأخَذ فى قوْلِه تعالَى : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر : ٢] الآية .

واتفَقَ فى ليْلةِ الأحدِ السادسِ والعِشْرينَ من جُمادَى الأُولَى أنَّه لم يحْضُرْ أحدٌ مِن المُؤَذِّنينَ على السُّدَّةِ فى جامعِ دِمَشْقَ وقتَ إقامةِ الصلاةِ للمغْربِ سِوى

---

(١) فى م : « العرض » .
(٢) فى الأصل : « وادنوت » .
(٣) بعده فى فى م : « قاعة » ، وفى الأصل : « عاقة » . ولعلها محذوفة .
(٤) فى الأصل : « الطبيانية » .
(٥) سقط من : الأصل .

مُؤذِّنٍ واحدٍ ، فانْتَظرَ مَن يقيمُ معه الصلاةَ فلم يَجِئْ أحدٌ غيرُه بمقْدارِ دَرجةٍ أو أزيدَ منها ، ثم أقامَ هو الصلاةَ وحدَه ، فلمَّا أحْرمَ[1] الإمامُ بالصلاةِ تَلاحَقَ المُؤَذِّنونَ فى أثْناءِ الصلاةِ حتى بَلغُوا دونَ العشَرةِ ، وهذا أمرٌ غريبٌ مِن عِدَّةِ ثلاثين مُؤذِّنٍ أو أكثرَ ، لم يحْضُر سِوى مُؤذِّنٍ واحدٍ ، وقد أخْبرَ خَلْقٌ مِن المَشايخِ أنَّهم لم يرَوْا نَظِيرَ هذه الكائنَةِ .

وفى يومِ الاثنينِ سابعَ عشَرَ جُمادَى الآخرةِ اجْتَمعَ القُضاةُ بمَشْهدِ عُثْمانَ ، وكان القاضى الحَنْبَلىُّ قد حكَم فى دارِ المُعْتَمِدِ المُلاصِقَةِ لمدْرسَةِ الشيخِ أبى عمرَ بنَقْضِها[2] ، وكانتْ وَقْفًا ، لتُضافَ إلى دارِ القرآنِ ، ووُقِفَ عليها أوْقافٌ للفقراءِ ، فمنَعه الشافعىُّ مِن ذلك ، مِن أجْلِ أنَّه يَئُولُ أمرُها أنْ تكونَ دارَ حديثٍ ، ثم فتَحُوا بابًا آخرَ وقالُوا : هذه الدارُ لم يُستَهدَمْ جميعُها ، وما صادفَ الحُكْمُ مَحِلًّا ؛ لأنَّ مذْهبَ الإمامِ أحمدَ أنَّ الوَقْفَ يُباعُ إذا اسْتُهْدِمَ بالكُلِّيَّةِ ، ولم يَبْقَ ما[3] يُنْتَفَعُ به . فحكَم القاضى الحنَفِىُّ بإثْباتِها وَقْفًا كما كانت ، ونفَّذَه الشافعىُّ والمالكىُّ ، وانْفَصلَ الحالُ على ذلك ، وجرَتْ أمورٌ طويلةٌ ، وأشْياءُ عجيبةٌ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ السابعِ والعشْرينَ من جُمادَى الآخرةِ أصْبَحَ بوَّابُ المدْرسَةِ المُسْتَجدَّةِ التى يقالُ لها : الطيبانِيَّةُ . إلى جانبِ أمِّ الصالحِ مَقْتُولًا مذْبُوحًا ، وقد أُخِذَتْ من عندِه أمْوالٌ مِن المدرسةِ المذْكُورَةِ ، ولم يُطَّلَعْ على فاعلِ ذلك ، وكان البَوَّابُ رجلًا صالحًا مشْكُورًا ، رحِمه اللَّهُ .

---

(١) فى الأصل : « أخر » .
(٢) فى الأصل : « بيبغا » ، وفى م : « يلبغا » . وانظر ما سيأتى فى صفحة ٥٣٣ .
(٣) سقط من : الأصل .

تَرْجَمةُ الشيخِ شمسِ الدّينِ بنِ قَيّمِ الجَوْزِيَّةِ[1]

وفى ليْلةِ الخميسِ ثالثَ عشَرَ رجَبٍ وقتَ أذانِ العِشاءِ تُوفِّى صاحِبُنا الإمامُ الشيخُ العَلَّامَةُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ أيُّوبَ الزُّرَعِىُّ ، إمامُ الجَوْزِيَّةِ ، وابنُ قَيِّمِها ، وصُلِّى عليه بعدَ صلاةِ الظهرِ مِن الغَدِ بالجامعِ الأُموىِّ ، ودُفنَ عندَ والدتِه بمقابرِ البابِ الصغيرِ ، رحِمه اللَّهُ . وُلِدَ فى سنَةِ إحْدَى وتِسْعينَ وسِتِّمائةٍ ، وسمعَ الحديثَ ، واشْتغَلَ بالعلمِ ، فبرَع فى علُومٍ مُتَعدِّدَةٍ ، لا سِيَّما علْمُ [٤/١٨٢] التفْسيرِ والحديثِ والأصْلَيْنِ ، ولمَّا عادَ الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ مِن الديارِ المصريَّةِ فى سنَةِ اثنتى عشْرَةَ وسَبْعِمائةٍ لازَمَه إلى أنْ ماتَ الشيخُ ، فأخذَ عنه عِلْمًا جَمًّا ، مع ما سَلَفَ له مِن الاشْتِغالِ ، فصارَ فريدًا فى بابِه فى فُنونٍ كثيرةٍ ، مع كثْرةِ الطَّلبِ ليلًا ونهارًا ، وكثْرةِ [2]الصلاةِ و[2] الابتهالِ ، وكان حسنَ القراءةِ والخُلُقِ ، كثيرَ التوَدُّدِ ، لا يحْسُدُ أحدًا ولا يُؤْذِيه ، ولا يسْتَعِيبُه ولا يحْقدُ على أحدٍ ، وكنتُ مِن أصْحبِ الناسِ له وأحَبِّ النّاسِ إليهِ ، ولا أعْرِفُ [3]مِن أهلِ[3] العلمِ[4] فى زمانِنا أكثرَ عبادةً منه ، وكانت له طريقةٌ[5] فى الصلاةِ يُطِيلُها جدًّا ويمدُّ رُكوعَها وسجُودَها ، ويلُومُه كثيرٌ مِن أصْحابِه فى بعضِ الأحْيانِ ، فلا يرْجعُ

---

(١) الوافى بالوفيات ٢/ ٢٧٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٧، والدرر الكامنة ٤/ ٢١، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٩، وبغية الوعاة ١/ ٦٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٨، والبدر الطالع ٢/ ١٤٣.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « فى هذا » . والمثبت من الدرر الكامنة ٤/ ٢١ ، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠) ص ١١٦.

(٤) فى م : « العالم » .

(٥) فى الأصل : « حرفة » .

ولا ينْزِعُ عن ذلك ، رحِمه اللَّهُ ، وله مِن التَّصانيفِ الكبارِ والصِّغارِ شىءٌ كثيرٌ ، وكتبَ بخطِّه الحسَنِ شيئًا كثيرًا ، واقْتَنَى مِن الكُتبِ مالا يتهَيَّأُ لغيرِه تحْصِيلُ عُشْرِه مِن كُتبِ السَّلفِ والخلَفِ ، وبالجملةِ ، كان قليلَ النظيرِ ، (١) بل عديمَ النظيرِ (١) فى مجْموعِه وأمُورِه وأحْوالِه ، والغالبُ عليه الخيرُ والأخْلاقُ الصالحةُ ، سامحَه اللَّهُ ورحِمَه ، وقد كان مُتَصدِّيًا للإفْتاءِ بمسْألةِ الطلاقِ التى اخْتارَها(٢) الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحِمه اللَّهُ ، وجرَتْ له(٣) بسببِها فصولٌ يطولُ بسْطُها مع قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ وغيرِه ، وقد كانتْ جِنازتُه حافلةً(٤) ، رحِمه اللَّهُ ، شهِدَها القُضاةُ والأعْيانُ والصالحُونَ من الخاصَّةِ والعامَّةِ ، وتزاحَم الناسُ على حملِ نعْشِه ، وكمَلَ له مِن العُمْرِ سِتُّونَ سنةً ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الاثنينِ ثانى(٥) شهرِ شعبانَ ذكرَ الدَّرْسَ بالصَّدْرِيَّةِ شرَفُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ الشيخِ الإمامِ العَلّامَةِ شمسِ الدينِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ عِوَضًا عن أبيه ، رحِمه اللَّهُ ، فأفادَ وأجادَ ، وسرَدَ طرَفًا صالحًا فى فضْلِ العلمِ وأهْلِه .

ومِن العجائبِ والغَرائبِ التى لم يَتَّفِقْ مثلُها ولم يقَعْ مِن نَحْوِ مِائَتَىْ سنَةٍ وأكثرَ ، أنَّه بطَل الوَقِيدُ بجامعِ دِمَشْقَ فى ليْلةِ النصْفِ من شَعْبانَ ، فلم يَزِدْ فى وَقيدِه قِنْدِيلٌ واحدٌ على عادَةِ لياليه فى سائرِ السنَةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . وفرِحَ أهلُ العلمِ بذلك ، وأهلُ الدّيانَةِ ، وشكَرُوا اللَّهَ تعالَى على تَبْطِيلِ هذه البِدْعَةِ الشَّنِيعةِ ،

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل : « أجازها » .
(٣) سقط من : م .
(٤) بعده فى الأصل : « كثيرة » .
(٥) بعده فى م : « عشر » .

التى كان يتولَّدُ بسببِها شُرورٌ كثيرةٌ بالبلدِ ، [1]ولا سيَّما[1] بالجامعِ الأمويِّ ، وكانَ ذلك بمرْسُومِ السلْطانِ الملكِ الناصرِ حسَنِ بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، خلَّد اللَّهُ سلطانهَ ، وشيَّدَ أرْكانَه ، وكان الساعِىَ فى ذلك بالديارِ المِصْريَّةِ الأميرُ حسامُ الدينِ أبو بكرِ بنُ النَّجِيبىِّ ، بيَّضَ اللَّهُ وجْهَه ، وقد كان مُقيمًا فى هذا الحينِ بالديارِ المصريَّةِ ، وقد كنتُ رأيْتُ عندَه فُتْيَا عليها خطُّ الشيخِ تقىِّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ، والشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكانىِّ ، وغيرِهما فى إبْطالِ هذه البدْعةِ ، [2]فأنْفَذَ اللَّهُ ذلك ، وللَّهِ الحمدُوالمِنَّةُ . وقد كانت هذه البدْعةُ[2] قد اسْتقرَّتْ بينَ أظْهُرِ الناسِ من نحْوِ سنَةِ خَمْسِينَ وأرْبَعِمائةٍ وإلى زَمانِنا هذا ، وكم قد سعَى فيها مِن فَقيهٍ وقاضٍ ، ومُفْتٍ وعالمٍ ، وعابدٍ وأميرٍ ، وزاهدٍ ونائبِ سَلْطَنَةٍ وغيرِهم ، ولم يُيَسِّرِ اللَّهُ ذلكَ إلَّا فى عامِنا هذا ، والمسئولُ مِن اللَّهِ تعالى إطالَةُ عمرِ هذَا السلْطانِ ، ليعْلَمَ الجَهلَةُ الذينَ اسْتَقَرَّ فى أذْهانِهم من أنه إذا أُبْطِلَ هذا الوقيدُ فى عامٍ يموتُ سلْطانُ الوَقْتِ ، وإن كان هذا لا حَقِيقَةَ له ولا دَلِيلَ عليه إلَّا مُجَرَّدُ الوَهْمِ والخَيالِ .

وفى مُسْتَهَلِّ شهرِ رمضانَ اتَّفقَ أمرٌ غريبٌ لم يتَّفِقْ مثلُه مِن مُدَّةٍ مُتَطاولَةٍ ، فيما يتَعلَّقُ بالفُقهاءِ والمدارسِ ، وهو أنَّه كان قد تُوفِّى ابنُ الناصحِ الحَنْبَلىُّ بالصالحيَّةِ ، وكان بيَدِه نِصْفُ الصاحبيةِ[3] التى للحَنابِلَةِ بالصالحيَّةِ ، والنِّصْفُ الآخرُ للشيخِ شرَفِ الدينِ بنِ القاضى شرَفِ الدِّينِ الحَنْبَلىِّ شيخِ الحَنابِلَةِ بدِمَشْقَ ،

(١ - ١) فى الأصل : « الاستبحا » ، وفى م : « الاستيجار » . والمثبت من الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠) ص ١١٤ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م : « تدريس الضاحية » .

فاسْتَنْجَزَ مرْسُومًا بالنصْفِ الآخرِ ، وكانَتْ بيَدِه ولايَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ مِن القاضي عَلاءِ الدينِ بنِ المُنَجَّا الحَنْبلِيِّ ، فعارَضَه فى ذلك قاضى القُضاةِ جمالُ الدِّينِ المَرْداوِيُّ الحَنْبلِيُّ ، ووَلّى فِيها نائبَه القاضىَ شمسَ الدينِ بنَ مُفْلِحٍ ، ودرَّس بها[1] فى صَدْرِ هذا اليومِ ، فدَخَلَ القُضاةُ الثَّلاثةُ الباقُونَ ومعهم الشيخُ شرَفُ الدينِ المذْكُورُ إلى نائبِ السلْطَنَةِ ، وأنْهَوْا[2] إليه صُورَةَ الحالِ ، فرسَمَ له بالتدْريسِ ، فركِبَ القُضاةُ المذْكورونَ وبعضُ الحجابِ فى خِدْمتِه إلى المدْرسَةِ المذْكُورةِ ، واجْتَمعَ الفُضلاءُ [١٨٣/٤] والأعْيانُ ، ودرَّسَ الشيخُ شرَفُ الدينِ المذكُورُ ، وبَثَّ[3] فضائلَ كثيرةً ، وفرِحَ الناسُ .

وفى شَوَّالٍ كان فى جملةِ مَنْ توَجَّه إلى الحجِّ فى هذا العامِ نائبُ الديارِ المصْرِيَّةِ ومُدَبِّرُ مَمالِكِها الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْبُغا الناصِرِيُّ ، ومعه جماعةٌ مِن الأُمَراءِ ، فلمَّا استَقَلَّ الناسُ ذاهِبينَ نهضَ جماعَةٌ مِن الأُمراءِ على أخِيه الأميرِ سيفِ الدينِ مَنْجَك ، وهو وزيرُ المَمْلكَةِ ، وأُسْتادار الأسْتادارِيَّةِ ، وهو بابُ الحَوائجِ فى دوْلَتِهم ، وإليه يرْحَلُ ذوُو الحاجاتِ بالذهبِ والهدَايا ، فأمْسَكُوه ، وجاءَتِ البرِيديَّةُ إلى نائبِ الشامِ فى أواخرِ هذا الشهرِ بذلك ، وبعدَ أيامٍ يسيرَةٍ وصلَ الأميرُ سيفُ الدينِ شيخون ، وهو مِن أكابرِ الدولةِ المصْرِيَّةِ ، تحتَ التَّرْسيمِ ، فأُدْخِلَ إلى قلعةِ دِمَشْقَ ، ثم أُخِذَ منها بعدَ ليلةٍ ، فذُهِبَ به إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فاللَّهُ أعلمُ . وجاء البريدُ بالاحْتياطِ على دِيوانِه ودِيوانِ مَنْجَك بالشامِ ، وأُيِسَ مِن

---

(١) بعده فى م : « قاضى القضاة » .

(٢) فى الأصل : « وانهضوا » .

(٣) فى الأصل : « رتب » .

سَلامَتِهما ، وكذلك ورَدَتِ الأخْبارُ بمَسْكِ بَيْبُغا فى أثْناءِ الطريقِ ، وأُرْسِلَ سيْفُه إلى السلْطانِ ، وقَدِمَ أميرٌ مِن الديارِ المصْريَّةِ فحلَّفَ الأُمراءَ بالطاعَةِ إلى السلْطانِ [1]وأكَّد ذلك[1] ، وسارَ إلى حَلَبَ فحلَّفَ مَن بها مِن الأُمراءِ ثم عادَ إلى دمَشْقَ ، ثم عادَ راجِعًا إلى الديارِ المصريَّةِ ، وحصلَ له مِن الأمْوالِ شىءٌ كثيرٌ مِن النُّوَّابِ والأُمَراءِ .

وفى يومِ الخميسِ العِشْرينَ مِن ذى القَعْدَةِ مُسِكَ الأميرانِ الكَبيرانِ المُقدَّمانِ الشامِيَّانِ ، شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ صبحٍ ، ومَلك آص ، مِن دارِ السَّعادةِ بحَضْرَةِ نائبِ السلْطَنةِ والأُمَراءِ ، ورُفِعا إلى القلعةِ المنْصُورةِ ، سيرَ بهما ماشيَيْنِ مِن دارِ السَّعادةِ [2]إلى بابِ القلعةِ[2] مِن ناحِيَةِ دارِ الحديثِ ، وقُيِّدا وسُجِنَا بها . وجاءَ الخَبَرُ بأنَّ السلْطانَ اسْتَوْزَرَ بالديارِ المصرِيَّةِ القاضىَ علَمَ الدينِ [3]بنَ زُنْبُورٍ[3] ، وخلَع عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً لم يُسْمَعْ بمِثْلِها مِن أعْصارٍ مُتَقادِمَةٍ ، وباشَر وخلَع على الأُمراءِ والمُقَدَّمِينَ ، وكذلك خلَع على الأميرِ سيفِ الدينِ طَشْبُغا[4] وأُعيدَ إلى مُباشرَةِ الدويدارِيَّةِ بالديارِ المصريَّةِ ، وجُعلَ مُقَدَّمًا .

وفى أوائلِ شهرِ ذى الحجَّةِ اشْتَهرَ أنَّ نائبَ صَفَدَ شِهابَ الدينِ أحمدَ بنَ مشدِّ الشُّرْبخاناه[5] طُلِبَ إلى الديارِ المصرِيَّةِ فامْتَنعَ مِن إجابَةِ الدَّاعِى ، ونقضَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « بحضرة نائب السلطنة » .

(٣ - ٣) فى م : « زينور » . وانظر السلوك ٢/٣/ ٨٢٩.

(٤) فى الأصل : « طنبغا » ، وفى م : « طسبغا » . والمثبت من السلوك ٢/٣/ ٨٢٤، وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٣١٩.

(٥) شد الشربخاناه : وظيفة موضوعها التحدث فى أمر الشربخاناه السلطانية ، وما عمل إليها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدما ، وتارة يكون طبلخاناه . انظر صبح الأعشى ٤/ ٩، ٢١.

العَهْدَ ، وحصَّنَ قلْعَتَها ، وحصَّلَ فيها عِددًا ومدَدًا ، وادَّخرَ أشْياءَ كثيرةً بسبَبِ الإقامَةِ بها والامْتِناعِ فيها ، فجاءَتِ البريديَّةُ إلى نائبِ دِمَشْقَ بأنْ يركَبَ هو وجميعُ جيشِ دِمَشْقَ إليه ، فتجَهَّزَ الجيشُ لذلك وتأهَّبُوا له ، ثم خرَجَتِ الأطْلابُ على راياتِها ، فلمَّا برَزَ منها بعضٌ بدَا لنائبِ السلْطَنةِ فردَّهم ، وكان له[1] خبرةٌ عظيمةٌ ، ثم اسْتَقَرَّ الحالُ على تجْرِيدِ أرْبَعَةِ مُقَدَّمِينَ بأرْبَعَةِ آلافٍ إليه .

وفى يومِ الخميسِ ثانى عشَرِه وقعتْ كائنةٌ غريبةٌ بمِنًى ؛ وذلك أنَّه اخْتَلَفَ الأُمراءُ المصْرِيُّونَ والشامِيُّونَ مع صاحِبِ اليمنِ الملكِ المُجاهِدِ ، فاقْتتلُوا قِتالًا شديدًا قريبًا مِن وادِى محَسِّرٍ ، ثم انجلَتِ الوقْعةُ عن أسْرِ صاحِبِ اليمنِ المجاهِدِ فحُمِلَ مُقيَّدًا إلى مصرَ ، كذلك جاءَتْ بها كتبُ الحُجَّاجِ وهم أخْبَرُوا بذلك .

واشْتَهَرَ فى أواخِرِ ذى الحِجَّةِ أنَّ نائبَ حلَبَ الأميرَ سيفَ الدينِ أرْغُون شاه[2] الكامِلِىَّ قد خرجَ عنها بمَماليكِه وأصْحابِه ، فرامَ الجيشُ الحلَبِىُّ ردَّه فلم يسْتَطِيعُوا ذلك ، وجُرِحَ منهم جِراحاتٌ كثيرةٌ ، وقُتِل جماعَةٌ[3] ، فإنَّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ ، واسْتَمَرَّ ذاهِبًا ، وكان فى أمَلِه فيما ذُكِرَ أنْ يتلَقَّى سيفَ الدِّينِ بَيْبُغا فى أثْناءِ طريقِ الحِجازِ فيقدَمَ معه إلى دِمَشْقَ ، وإنْ كان نائبُ دِمَشْقَ قد اشْتَغلَ فى حِصارِ صَفَدَ أنْ يهْجُمَ عليها بَغْتَةً فيأخُذَها ، فلمَّا سارَ بمَنْ معه وأخَذَتْه القُطَّاعُ مِن كلِّ جانبٍ ونُهِبَتْ حَواصِلُه وبَقِىَ تجْرِيدَة فى نَفَرٍ يسيرٍ مِن مَماليكِه ، فاجْتازَ بحَماةَ لِيُهَرِّبَه نائبُها ، فأبَى عليه ، فلمّا اجْتازَ بحِمْصَ وَطَّنَ نفْسَه على المسِيرِ إلى السلطانِ بنفْسِه ، فقَدِمَ به نائبُ حمْصَ وتلَقَّاه بعضُ الحُجَّابِ وبعضُ مقدَّمى الأُلوفِ ،

---

(١) فى الأصل : « فى ذلك » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل : « من القتلى » .

ودخَل يومَ الجُمعةِ بعدَ الصلاةِ سابع عِشْرِينَ الشهرِ ، وهو فى أُبَّهَةٍ ، فنزَلَ بدارِ السَّعادةِ فى بعْضِ قاعاتِ الدويداريَّةِ .

ثم دخلَتْ سنَةُ اثْنَتَيْن وخَمْسِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

[٤/ ١٨٤] اسْتهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ البلادِ الشاميَّةِ والديارِ المصْريَّةِ والحرَمَيْنِ الشَّريفَيْنِ وما يلْحَقُ بذلك مِن الأقاليمِ والبُلْدانِ ، الملكُ الناصِرُ حسَنُ ابنُ السلْطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ السلْطانِ الملكِ المنْصورِ قَلاوُون الصالحىّ ، ونائبُه بالديارِ المصريَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْبُغا المُلَقَّبُ بحارِسِ الطيرِ ، وهو عِوَضٌ عنِ الأميرِ سيفِ الدينِ [2]بَيْبُغا آروس[2] الذى راحَ إلى بلادِ الحِجازِ ، ومعه جماعَةٌ مِن الأُمَراءِ بقَصْدِ الحجِّ الشَّريفِ ، فعزَلَه السلْطانُ فى غَيْبَتِه وأمْسَكَ على شَيْخُون واعْتقَلَه ، وأخذَ مَنْجَك الوزيرَ ، وهو أُسْتادار ومُقَدَّمُ ألفٍ ، واصْطَفَى أمْوالَه ، واعْتَاضَ عنه ووَلَّى مكانَه فى الوِزارةِ القاضىَ علَمَ الدينِ بنَ زُنْبورٍ ، واسْتَرْجَعَ إلى وظيفَةِ الدويداريَّةِ الأميرَ سيفَ الدينِ طَشْبُغا الناصِرىَّ ، وكان أمِيرًا بالشامِ مُقيمًا منذُ عُزلَ إلى أنْ أعيدَ فى أواخِرِ السنَةِ كما تقدَّم ، وأمَّا كاتبُ السِّرِّ بمِصْرَ وقُضاتُها فهم المذْكُورونَ فى التى قبلَها .

واسْتهلَّتْ هذه السنَةُ ونائبُ صَفَدَ قد حصَّنَ القلعةَ وأعدَّ فيها عُدَّتها وما ينْبَغِى لها مِن الأطْعِماتِ والذَّخائِرِ والعُدَدِ والرِّجالِ ، وقد نابذَ المملَكَةَ وحارَبَ ،

---

(١) ذيول العبر ص ٢٨٤، وتذكرة النبيه ٣/ ١٤٧، والسلوك ٢/٣/ ٨٣٤، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٥٠.
(٢ - ٢) فى الأصل : « يلبغا أروس » ، وفى م : « يلبغا أروش » ، والمثبت من الوافى بالوفيات ١٠/ ٣٥٦. وفى ذيول العبر ، والدرر الكامنة ٢/ ٤٤ : « بيبغا روس » . وفى النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٥٧: « بيبغا أرس » .

وقد قصَدَتْه العساكِرُ مِن كلِّ جانبٍ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ ودِمَشْقَ وطَرابُلُسَ وغيرِها ، والأخْبارُ قد ضمنَتْ عن بَيْبُغا ومَن معه ببلادِ الحِجازِ ما يكونُ مِن أمْرِه ، ونائبُ دِمَشْقَ فى احْتِرازٍ وخَوْفٍ من أنْ يأْتِيَ إلى بلادِ الشامِ فيَدْهَمَها بمَنْ معه ، والقُلوبُ وَجِلَةٌ مِن ذلك ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه رَاجِعُونَ .

وفيها ورَدَ الخبَرُ أنَّ صاحِبَ اليمَنِ حجَّ فى هذه السنَةِ[1] ، فوَقعَ بيْنَه وبينَ صاحِبِ مَكَّةَ عَجْلانَ ، بسبَبِ أنَّه أرادَ أنْ يُوَلِّيَ عليها أخاه ثَقَبَةَ[2] ، فاشْتَكَى عَجْلانُ ذلك إلى أُمَراءِ المِصْرِيِّين ، وكَبِيرُهم إذْ ذاكَ الأميرُ سيفُ الدينِ [3]طاز ، وأميرُ حَجَّتِهم وأميرُ حَجِيجِهم الأميرُ سيفُ الدينِ[3] بُزْلار ومعهم طائفةٌ كثيرةٌ ، وقد أمْسَكُوا أخاهم بَيْبُغَا وقيَّدُوه ، فقَوِيَ رأسُه عليهم واسْتَخَفَّ بهم ، فصَبَرُوا حتى قُضِيَ الحجُّ وفرَغَ الناسُ مِن المَنَاسِكِ ، فلمَّا كانَ يومُ النَّفْرِ الأوَّلِ يومُ الخميسِ تَواقَفُوا هم وهو ، فقُتِلَ مِن الفريقَيْنِ خَلْقٌ كثيرٌ ، والأكثرُ مِن اليَمَنِيِّينَ ، وكانت الوَقْعَةُ قريبَةً مِن وَادِى مُحَسِّرٍ ، وبَقِيَ الحَجِيجُ خائِفينَ أن تكونَ الدائرةُ على الأتْراكِ فتَنْهَبَ الأعْرابُ أمْوالَهم ورُبَّما قَتلُوهم ، ففَرَّجَ اللَّهُ تعالَى ونصَرَ الأتْراكَ على أهْلِ اليَمنِ ، ولجأ الملكُ المُجاهِدُ إلى جَبَلٍ فلم يعْصِمْه مِن الأتْراكِ ، بل أسَرُوه ذليلًا حَقِيرًا ، وأخذُوه مُقَيَّدًا أسِيرًا ، وعاث[4] عوامُّ الناسِ فى اليَمَنِيِّينَ فنَهبُوا شيئًا كثيرًا ، ولم يتْرُكوا لهم جَلِيلًا ولا حقِيرًا ، ولا قليلًا ولا كثيرًا ، واحْتاطَ الأُمراءُ على حَواصِلِ الملكِ وأمْوالِه وأمْتِعتِه وأثْقالِه ، وسارُوا بخَيْلِه وجِمالِه ، وأدنَوْا إلى

---

(١) تقدم أن صاحب اليمن حج فى السنة الماضية ، وكذا ورد هذا الحدث فى أحداث السنة الماضية فى السلوك ٢/٣/ ٨٣١، وإتحاف الورى ٣/ ٢٥٠.

(٢) فى م : « بعيثة » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « جاءت » .

صِنْدِيدٍ[1] مَن رَحَّلَه ورِجالَه، واستَصْحَبُوا معهم طُفَيلًا الذى كان حاصَر المدينةَ النبويَّةَ فى العامِ الماضى وقيَّدُوه أيضًا، وجعَلُوا الغُلَّ فى عُنقِه، واسْتَاقُوه كما يُسْتاقُ الأسِيرُ فى وَثاقِه مَصْحوبًا بهَمِّه وحَتْفِه، وانْشَمرُوا عن تلك البلادِ إلى دِيارِهم راجِعينَ، وقد فعَلُوا فَعْلَةً تُذْكَرُ بعدَهم إلى حِينٍ.

ودخلَ الرَّكْبُ الشامِىُّ إلى دِمَشْقَ يومَ الثلاثاءِ الثالث والعِشْرِينَ مِن المُحَرَّمِ على العادةِ المُسْتَمرَّةِ والقاعدَةِ المُسْتَقِرَّةِ.

وفى هذا اليومِ قدِمَتِ البرِيدِيَّةُ من تِلْقاءِ مدينةِ صَفَدَ مُخبِرةً بأنَّ الأميرَ شِهابَ الدينِ أحمدَ بنَ مشدِّ الشُّربخاناه، الذى كان قد تمَرَّدَ بها وطَغَى وبغَى حتى اسْتَحْوذَ عليها وقطَع سُبُلَها[2]، وقتَل الفُرْسَانَ والرَّجَّالةَ، وملأها أطْعِمَةً وأسلِحةً ومَماليكَه ورِجالَه، فعندما تحقَّقَ مَسْكَ بَيْبُغا آروس خضَعتْ تلك النفُوسُ، وخمدَتْ نارُه، وسكَنَ شَرارُه، [3]وأُخذ بنارِه[3]، ووضَح قَرارُه، وأنابَ إلى التوبةِ والإقْلاعِ، ورَغِبَ إلى السلامةِ والإخلاصِ، وخضَع وَلاتَ حِينَ مَناصٍ، وأرْسَل سيْفَه إلى السلْطانِ، ثم توَجَّهَ بنفْسِه على البريدِ إلى حضْرَةِ الملكِ الناصرِ، واللَّهُ المسْئُولُ أنْ يُحسِّنَه[4] عليه وأنْ يُقْبِلَ بقَلْبِه إليه.

وفى يومِ الأحَدِ خامس شهرِ صفَرٍ قدِمَ من الديارِ المصرِيَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ أَرْغون الكامليُّ مُعادًا إلى نيابةِ حَلَبَ، وفى صُحْبَتِه الأميرُ سيفُ الدينِ طَشْبُغَا الدوادار بالديارِ المصرِيَّةِ، وهو زوْجُ ابْنَةِ نائبِ الشامِ، فتلَقَّاه نائبُ الشامِ وأعْيانُ

---

(١) صنديد: اسم جبل بتهامة. تاج العروس (ص ن د د)، وفى معجم البلدان ٣/٤٢٠ «صندد».
(٢) فى النسختين: «سببها».
(٣ - ٣) فى م: «وحار بثأره».
(٤) فى م: «يحسن».

الأُمراءِ ، ونزَل طَشْبُغَا الدوادار عندَ زوجَتِه بدارِ مُنَجَّا فى مَحِلةِ مسْجدِ القصبِ التى كانت تُعرفُ بدارِ حُنَيْنِ بنِ حيدرٍ[1] ، وقد جُدِّدَتْ فى السنَةِ الماضيةِ ، وتوجَّهَا فى الليلةِ الثانيةِ من قدُومِهما إلى حَلَبَ .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ رابعَ عشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ اجْتَمَع القُضاةُ الثلاثةُ وطلَبُوا الحَنْبَلِىَّ ليتكلَّمُوا معه فيما يتَعلَّقُ بدارِ المُعْتَمدِ التى بجوارِ مدْرسةِ الشيخِ أبى عمرَ ، التى حَكمَ بنَقْضِ وَقْفِها [١٨٥/٤] وهَدْمِ بابِها وإضافَتِها إلى دارِ القرآنِ المذْكُورةِ ، وجاءَ مرْسُومُ السلْطانِ بوَقْفِ[2] ذلك ، وكان القاضى الشافِعىُّ قد أرادَ منْعَه مِن ذلك ، فلمَّا جاءَ مرْسُومُ السلْطانِ اجْتَمعُوا لذلك ، فلم يحْضُرِ القاضى الحَنْبَلِىُّ ، وقالَ : حتى يجِىءَ نائبُ السلْطَنَةِ .

ولمَّا كان يومُ الخميسِ خامِسَ عشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ حضَرَ القاضى حُسَيْنٌ ولَدُ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ عن أبيه مَشْيَخَةَ دارِ الحديثِ الأشْرَفِيَّةِ ، وقُرِئَ عليه شىءٌ كان قد خرَّجَه له بعضُ المُحَدِّثينَ ، وشاعَ فى البلدِ أنَّه نزَلَ له عنها ، وتكلَّمُوا فى ذلك زمانًا كلامًا كثيرًا ، وانْتَشرَ القولُ فى ذلك ، وذكَرَ بعضُهم أنَّه نزَلَ له عن الغَزالِيَّةِ والعادِلِيَّةِ ، واسْتَخْلفَه فى ذلك ، فاللَّهُ أعلمُ .

وفى سَحَرِ ليلةِ الخميسِ خامس شهرِ جُمادَى الأُولى[3] وقعَ حريقٌ عظيمٌ [4]فى الحرانيِّين[4] فى السُّوقِ الكبيرِ ، واحْتَرقتْ دَكاكِينُ الفَواخِرَةِ والمَناخليِّينَ ، وفرجةُ الغَرابِيلِ ، وإلى دَرْبِ القلى ، ثم إلى قريبِ دَرْبِ العميدِ ، وصارَتْ تلك

---

(١) فى م : « حندر » .
(٢) فى م : « يوفق » .
(٣) فى م : « الآخرة » .
(٤ - ٤) فى م : « بالحيوانين » .

الناحيةُ دَكًّا بلْقَعًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُونَ . وجاءَ نائبُ السلْطَنةِ بعدَ الأذانِ إلى هناكَ ورَسَم بطفْيِ النارِ ، وجاءَ المُتولِّى والقَاضِى الشافِعىُّ والحُجَّابُ ، وشرَعَ الناسُ فى طَفْيِ النارِ ، ولو تركُوها لأحْرقَتْ شيئًا كثيرًا ، ولم يُفْقَدْ ، فيما بلَغنا ، أحدٌ مِن الناسِ ، ولكنْ هلَكَ للناسِ شىءٌ كثيرٌ مِن المتَاعِ والأثاثِ والأمْلاكِ وغيرِ ذلك ، واحْتَرَق للجامعِ مِنَ الرِّباعِ فى هذا الحريقِ ما يُساوِى مِائَةَ ألْفِ دِرْهَمٍ .

كائنةٌ غريبةٌ جدًّا

وفى يومِ الأحَدِ خامِسَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى اسْتَسلمَ القاضى الحَنْبَلِىُّ جماعةً مِن اليهودِ كانَ قد صدَرَ منهم نوعُ اسْتِهْزاءٍ بالإسْلامِ وأهلِه ، فإنَّهم حمَلُوا رجلًا منهم ، صِفَةَ أنه ميِّتٌ على نَعْشٍ ، ويُهلِّلُونَ كتَهْليلِ المسلمينَ أمامَ الميتِ ، ويقْرَءُونَ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ١- ٤] فسمِعَ بهم مَن بحارَتِهم مِن المسلمينَ ، فأخذُوهم إلى وَلِىِّ الأمرِ نائبِ السلْطَنةِ فدَفَعهم إلى الحَنْبَلِىِّ ، فاقْتضَى الحالُ اسْتسْلامَهم ، فأسْلَمَ يَوْمَئذٍ منهم ثلاثةٌ ، وتَبِعَ أحدَهم ثلاثةُ أطْفالٍ ، وأسْلَمَ فى اليومِ الثانى ثمانيةٌ آخرونَ ، فأخذَهم المسلمونَ وطافُوا بهم فى الأسْواقِ يُهَلِّلُون ويُكبِّرُونَ ، وأعْطاهُم أهلُ الأسْواقِ شيئًا كثيرًا وراحُوا بهم إلى الجامعِ فصلَّوا ، ثم أخذُوهم إلى دارِ السَّعادَةِ ، فاسْتَطْلَقُوا لهم شيئًا ، ورجَعُوا وهم فى ضَجِيجٍ وتَهْليلٍ وتَقْديسٍ ، وكان يومًا مشْهُودًا . وللَّهِ الحمدُ .

مَمْلَكَةُ السلْطانِ الملكِ الصَّالحِ صلاحِ الدينِ صالحِ بنِ[1] النَّاصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصورِ قَلاوُون الصالحىِّ

فى العَشْرِ الأوْسَطِ من شهرِ رجَبٍ الفَرْدِ ورَدَتِ البرِيدِيَّةُ مِن الدِّيارِ المصْريَّةِ بعزلِ السلْطانِ الملكِ الناصرِ حسَنِ بنِ الناصرِ بنِ قَلاوُون ؛ لاخْتِلافِ الأُمراءِ عليه ، واجْتِماعِهم على أخِيه الملكِ الصالِح صالحٍ[1] ، وأُمُّه[2] بنتُ ملكِ الأُمراءِ تنكِز الذى كانَ نائبَ الشامِ مدةً طويلةً ، وهو ابنُ أرْبَعَ عشْرَةَ سنةً ، وجاءتِ الأُمَراءُ للحَلِفِ ، فدقَّتِ البشائرُ وزُيِّنَ البلدُ على العادةِ ، وقيلَ : إنَّ الملكَ الناصِرَ حسن خُنِقَ . ورجَعتِ الأُمراءُ الذينَ كانوا بالإسْكَنْدَرِيَّةَ مثلُ شيخون ومَنْجَك وغيرهما ، وأرْسَلُوا إلى بَيْبُغَا فجِىءَ به مِن الكركِ ، وكان مسْجُونًا بها مِن مرْجعِه مِن الحَجِّ ، فلمَّا عادَ إلى الديارِ المصرِيَّةِ شفَعَ فى صاحِب اليَمنِ الملكِ المُجاهِدِ الذى كان مسْجونًا فى الكركِ فأُخْرِجَ وعادَ إلى الديارِ المصريةِ[3] . وأمَّا الأُمراءُ الذين كانوا مِن ناحيةِ السلْطانِ حِينَ مُسِكَ مُغْلطاى[4] أمير آخور ومَنْكَلِى بُغا الفَخْرِىُّ وغيرُهما ، فاحْتِيطَ عليهم وأرْسِلُوا إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وخُطِبَ للملكِ الصالحِ بجامعِ دِمَشْقَ يومَ الجمعةِ السابعَ عشَرَ مِن شهرِ رجَبٍ ، وحضرَ نائبُ السلْطَنةِ والأُمراءُ والقُضاةُ للدُّعاءِ له بالمقْصُورةِ على العادةِ .

---

(١) سقط من : م . وانظر السلوك ٢/٣/٨٤٣.

(٢) بعده فى م : « صالحة » .

(٣) فى م : « الحجازية » .

(٤) فى الأصل : « معلطية » ، وفى م : « معارضة » . والمثبت من الدرر الكامنة ٥/ ١٢٥، وانظر فهارس الجزء العاشر من النجوم الزاهرة .

وفى أثْناءِ العَشْرِ الأخيرِ مِن رجَبٍ عُزِلَ نائبُ السلْطَنةِ سيفُ الدِّينِ أيتَمُش عن دِمَشْقَ مطْلُوبًا إلى الديارِ المصْريَّةِ ، فسار إليها يومَ الخميسِ .

وفى يومِ الاثنينِ حادِىَ عَشَرَ شعبانَ قَدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ أرْغُون الكامليُّ الذى كان نائبًا بالبلادِ الحلبِيَّةِ من هناك ، فدخَلَ دِمَشْقَ فى هذا اليومِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وخرجَ الأُمراءُ والمُقدَّمُونَ وأرْبابُ الوظائفِ لتَلقِّيه إلى أثْناءِ الطريقِ ، منهم مَن وصلَ إلى حَلَبَ وحَمَاةَ وحِمْصَ ، وجَرَى فى هذا اليومِ عجائبُ[1] لم تُرَ مِن دُهورٍ ، واسْتَبْشَرَ الناسُ به لصَرامَتِه وشَهامتِه وحِدَّتِه ، وما كان مِن لِينِ الذى قبلَه ورَخاوَتِه ، فنزَلَ [٤/١٨٦] دارَ السَّعادةِ على العادةِ . وفى يومِ السبتِ وقفَ فى موْكِبٍ هائلٍ قيلَ : إنَّه لم يُرَ مثلُه مِن مدةٍ طويلةٍ . ولمَّا سيرَ إلى ناحيَةِ بابِ الفَرَجِ اشْتَكَى إليه ثلاثُ نِسْوَةٍ على أميرٍ كبيرٍ يقالُ له : الطرخانى[2] . فأمرَ بإنْزالِه عن فرَسِه ، فأُنْزِلَ وأوقِفَ مَعهُنَّ فى الحُكُومَةِ .

واسْتَمرَّ بُطْلانُ الوَقِيدِ فى الجامعِ الأُموِىِّ فى هذا العام أيضًا كالذى قبلَه ،حَسَبَ مرْسُومِ السلْطانِ الناصرِ حسَنٍ[3] ، ففرحَ أهلُ الخيرِ بذلك فرحًا شديدًا ، وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ مثلُه مِن نحوِ ثلاثِمائةِ سنَةٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ونُودِى فى البلدِ فى هذا اليومِ والذى بعدَه عن النائبِ : مَن وجَدَ جُنْدِيًّا سَكْرانَ فلْيُنْزِلْه عن فرَسِه ولْيَأْخُذْ ثِيابَه ، ومَن أحْضرَه مِن الجُنْدِ إلى دارِ السَّعادةِ فله خُبْزُه . ففرحَ الناسُ بذلك ، واحتجرَ عن الخَمَّارينَ والعطارينِ والعَصَّارِين ،

---

(١) فى الأصل : « جنائب » .

(٢) فى م : « الطرخاين » .

(٣) بعده فى النسختين : « رحمه اللّه » . وهذا يوهم موت السلطان الناصر حسن ، وسيأتى عوده إلى السلطنة سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ورخصَت الأعْنابُ[1] ، وجادَتِ الأخْبازُ واللحمُ بعدَ أن كان بلَغ كلُّ رَطْلٍ أرْبعَةً ونِصْفًا ، فصارَ بدِرْهَمَيْنِ ونِصْفٍ وأقلَّ ، وأُصْلِحَتِ المَعايِشُ مِن هَيْبَةِ النائبِ ، وصارَ له صيتٌ حسَنٌ ، وذكْرٌ جميلٌ فى الناسِ بالعَدْلِ وجَوْدَةِ القَصْدِ وصِحَّةِ الفَهْمِ وقُوَّةِ العدلِ والإدْراكِ .

وفى يومِ الاثنينِ ثامِنَ عشَرَ شعبانَ وصلَ الأميرُ أحمدُ بنُ شادّ الشُّربْخاناه الذى كان قد عصَى فى صَفَدَ ، وكان مِن أمْرِه ما كانَ ، فاعْتُقِل بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ثم أُخْرِجَ فى هذه الدولةِ وأُعْطى نيابةَ حمَاةَ ، فدَخَل دِمَشْقَ فى هذا اليومِ سائرًا إلى حَماةَ ، فركِبَ مع النائب فى المَوْكِبِ ، وسيرَ عن يمينِه ونزلَ فى خِدْمَتِه إلى دارِ السَّعادةِ ، وتَرَجَّل[2] بينَ يدَيْه .

وفى يومِ الخميسِ الحادِى والعِشْرِينَ منه دَخَل الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْبُغا الذى كان نائبًا بالديارِ المصريةِ ، ثم مُسِك بالحِجازِ وأُودِعَ الكَرَكَ ، ثم أُخْرِجَ فى هذه الدولةِ وأُعْطِى نيابةَ حَلَب ، فتَلقَّاه نائبُ السلْطَنةِ ، وأُنْزِلَ دارَ السعادةِ حتى أُضِيف ، ونَزَل وِطاقُه بوَطْأةِ بَرْزَةَ ، وضُرِبَتْ له خَيْمَةٌ بالميدانِ الأخضرِ .

---

(١) فى الأصل : « الأعلاب » .

(٢) فى م : « رحل » .

ثم دخلَتْ سنَةُ ثلاثٍ وخَمْسِين وسَبْعِمائَةٍ[1]

استَهَلَّت هذه السَّنةُ وسُلْطانُ الدِّيارِ المصْرِيَّةِ والبلادِ الشَّامِيَّةِ والحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وما يتْبَعُ ذلك، الملكُ الصالحُ صلاحُ الدينِ صالِحُ بنُ السُّلْطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوُون، والخليفةُ الذى يُدْعَى له المُعْتَضِدُ بأمْرِ اللَّهِ، ونائبُ الدِّيارِ المصْرِيَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ قُبْلاى، وقُضاةُ مِصْرَ هم المذْكُورُونَ فى التى قبلَها، والوزيرُ القاضِى ابنُ زُنْبُورٍ، وأُولُو الأمْرِ الذين يُدَبِّرُونَ المَمْلكَةَ فلا تصْدُرُ الأُمورُ إلَّا عن آرائِهم لصِغَرِ السُّلْطانِ المذْكُورِ - جَماعةٌ مِن أعْيانِهم ثَلاثَةٌ؛ سيفُ الدينِ شَيْخُون، وطَاز، وصَرْغَتْمُش، ونائبُ دِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ [2]أرْغُون الكَامِلِىُّ، وقُضاتُها هم المَذْكُورونَ فى التى قبلَها، ونائبُ البلادِ الحَلَبِيَّةِ الأميرُ سيفُ الدينِ[2] بَيْبُغَا آروس، ونائبُ طَرابُلُسَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَكْلَمُش، ونائبُ حَمَاةَ الأميرُ شِهابُ الدينِ أحمدُ بنُ مُشِدِّ الشُّرْبخَانَه.

ووَصَل بعضُ الحُجَّاجِ إلى دِمَشْقَ فى تاسعِ الشهرِ - وهذا نادِرٌ - وأَخْبَر[3] بموتِ المؤَذِّنِ **شمسِ الدينِ بنِ سعيدٍ** بعدَ مَنْزِلَةِ[4] العُلَا فى المَطَالِعِ[5].

---

(١) ذيول العبر ص ٢٨٨، وتذكرة النبيه ٣/ ١٥٨، والسلوك ٢/٣/ ٨٥٨، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٨٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «أخبروا».

(٤) فى الأصل: «منزل».

(٥) فى م: «المدابغ».

وفى ليلةِ الاثنينِ سادِسَ عَشَرَ صفرٍ فى هذه السَّنةِ وقَع [1] حريقٌ عظيمٌ [1] عندَ بابِ جَيْرُونَ شَرْقِيِّه ، فأَحْرَق [2] دُكَّانَ الفقاعِيِّ الكبيرةَ المُزَخْرَفَةَ وما حولَها ، واتَّسَع اتِّساعًا فَظِيعًا ، واتَّصَل [3] الحريقُ بالبابِ الأَصْفَرِ مِن النُّحاسِ ، فبادَر دِيوانُ الجامعِ إليه فكَشَطُوا ما عليه مِن النُّحاسِ ، ونَقَلُوه مِن يومِه إلى خِزانَةِ الحَاصِلِ بمَقْصُورَتِه الحَلَبِيَّةِ بجِوَارِ مَشْهَدِ عليٍّ ، ثم غَدَوْا عليه يَكْسِرون خشَبَه بالفُئُوسِ [4] الحِدَادِ ، والسَّواعدِ الشِّدادِ [5] ، وإذا هو مِن خشَبِ الصَّنَوْبَرِ الذى فى غايةِ ما يكونُ مِن القُوَّةِ والثَّباتِ ، وتأسَّف الناسُ عليه ؛ لكَوْنِه كان مِن مَحَاسِنِ البلدِ ومَعَالِمِه ، وله فى الوُجودِ ما يُنَيِّفُ عن أرْبعةِ آلافِ سنةٍ .

تَرْجَمةُ بابِ جَيْرُونَ المشْهورِ بدِمَشْقَ

الذى كان هَلَاكُه وذَهابُه وكسْرُه فى هذه السنَةِ ، وهو بابُ شَرْقِيٍّ جامعِ دِمَشْقَ ، لم يُرَ بابٌ أوْسَعُ ولا أعْلَى مِنه فيما يُعرفُ مِن الأبْنِيَةِ فى الدُّنْيَا ، وله غَلَقَانِ مِن نُحاسٍ أصْفَرَ بمسامِيرَ مِن نُحاسٍ أصْفَرَ أيضًا بارِزَةٍ ، مِن عَجَائبِ الدُّنْيَا ، ومَحَاسِنِ دِمَشْقَ ومعَالِمِها ، وقد تَمَّ بِنَاؤُها ، وقد ذكَرَتْه العربُ فى أشْعارِها والناسُ ، وهو مَنْسُوبٌ إلى مَلِكٍ [6] يقالُ له [7] : جَيْرُونُ بنُ سعدِ بنِ عادِ بنِ عَوْصَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى م : « فاحترق به » .
(٣) فى الأصل : « اتسع » .
(٤) فى الأصل : « بالقوس » .
(٥) فى الأصل : « الحداد » .
(٦) فى الأصل : « محل » .
(٧) سقط من : الأصل .

ابنِ إرَمَ[1] بنِ سامِ بنِ نُوحٍ . وهو الذى بَناه ، وكان بِنَاؤُه له قبلَ الخَلِيلِ ، عليه السَّلامُ ، [٤/ ١٨٧] بل قبلَ ثَمُودَ وهُودٍ أيضًا ، على ما ذكَره الحافظُ ابنُ عَسَاكِرَ فى « تارِيخِه »[2] وغيرُه ، وكان فوقَه حِصْنٌ عظيمٌ ، وقَصْرٌ مُنِيفٌ ، ويُقَالُ : بل هو مَنْسُوبٌ إلى اسْمِ المارِدِ الذى بَناه لسُلَيْمانَ عليه السَّلامُ ، وكان اسْمُ ذلك المارِدِ جَيْرُونَ . والأوَّلُ أظْهَرُ وأشْهَرُ ، فعلى الأوَّلِ يكونُ لهذا البابِ مِن المُدَدِ المُتَطاوِلَةِ ما يُقارِبُ خمسةَ آلافِ سنَةٍ ، ثم كان انْجِعَافُ[3] هذا البابِ لا مِن تِلْقاءِ نفْسِه بل بالأيْدِى العادِيَةِ عليه ، بسبَبِ ما نالَه مِن شَوْظِ حريقٍ اتَّصَلَ إليه مِن[4] حريقٍ وقَع إلى[5] جانبِه فى صَبِيحَةِ ليلةِ الاثنينِ السادسَ عَشَرَ مِن صَفَرٍ ، سنَةَ ثلاثٍ[6] وخمسينَ وسَبْعِمائَةٍ ، فتَبادَر دِيوانُ الجَامِعِ[7] ففرَّقُوا شمْلَه ، [8]وقطَعُوا ثَمْلَه[8] ، وعَرَّوْا جِلْدَه النُّحاسَ عن بدَنِه الذى هو مِن خشَبِ الصَّنَوْبَرِ ، الذى كأنَّ الصانِعَ[9] قد فرَغ منه يومَئذٍ ، وقد شاهدْتُ الفُئُوسَ تَعْمَلُ فيه ولا تَكادُ تُحِيلُ فيه إلَّا بمَشَقَّةٍ ، فسُبْحانَ الذى خلَق الذين بَنَوْه أوَّلًا ، ثم قدَّر أهلَ هذا الزمانِ على أنْ هدَمُوه آخِرًا[10] بعدَ هذه المُدَدِ المُتَطاوِلَةِ ، والأُمَمِ المُتَداوِلَةِ ، ولكِنْ : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ

---

(١) فى الأصل : « عرم » ، وفى م : « آدم » . والمثبت من تاريخ دمشق ١/ ١٢.

(٢) تاريخ دمشق ١/ ١١ .

(٣) فى الأصل : « انعجاف » . والانجعاف : الانقلاب والانقلاع . تاج العروس (ج ع ف) .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « من » .

(٦) فى الأصل : « ثنتين » .

(٧) فى النسختين : « الجامعية » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « وقطعوا سهله » . وقضعوا ثمله : قهروا استقراره . الوسيط (ق ض ع) ، (ث م ل) .

(٩) فى الأصل : « الصائغ » .

(١٠) سقط من : م .

كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، ولا إلهَ إلَّا ربُّ العبادِ.

بيَانُ[1] تقدُّمِ مُدَّةِ هذا البابِ وزِيادَتِها على مُدَّةِ أرْبَعَةِ آلافِ سنَةٍ بل يُقاربُ الخَمْسَةَ

ذكَر الحافظُ ابنُ عساكِرَ فى أوَّلِ «تارِيخِه»[2] بابَ بناءِ دِمَشْقَ بسنَدِه عن القاضِى يَحْيَى بنِ حَمْزَةَ البَتْلَهِيِّ[3] الحاكمِ بها فى الزَّمَنِ المُتَقَدِّمِ - وقد كان هذا القاضِى مِن تلاميذِ [4]أبى عمرٍو[4] الأوْزَاعِيِّ - قال: لما فتَح عبدُ اللَّهِ بنُ علىٍّ دِمَشْقَ بعدَ حِصارِها - يعْنِى وانْتَزَعَها مِن أيْدِى بنى أُمَيَّةَ، وسلَبَهم مُلْكَهم - هدَمُوا[5] سُورَ دِمَشْقَ، فوَجدُوا حَجَرًا مكْتُوبًا عليه باليُونانِيَّةِ، [6]فجاءُوا براهبٍ[6] فقَرَأه لهم، فإذا هو مكْتوبٌ عليه: وَيْلَكِ إرَمَ الجبابر، مَن رَامَكِ بسُوءٍ قَصَمَه اللَّهُ، إذا وَهَى مِنْكِ جَيْرُونُ الغربِيُّ مِن بابِ البَرِيدِ، وَيْلَكِ مِن خَمْسَةِ أعْيُنٍ، نَقْضُ[7] سُورِكِ [8]على يدَيْه[8] بعدَ أرْبَعَةِ آلافِ سَنَةٍ تَعِيشِين رَغَدًا، فإذا وَهَى مِنْكِ جَيْرُونُ الشَّرْقِيُّ أُدِيل[9] لكِ مِمَّن يَعْرِضُ لكِ. قال: فوجَدْنا الخمسةَ أعْيُنٍ: عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) بعده فى الأصل: «مدة هذا الباب».

(٢) انظر تاريخ دمشق ١/ ١٧، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٤٦.

(٣) فى الأصل: «التهلمى»، وفى م: «التبلهى». والمثبت من تهذيب الكمال ٣١/ ٢٧٩.

(٤ - ٤) فى الأصل: «أبى عمر»، وفى م: «ابن عمرو». وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى. تهذيب الكمال ١٧/ ٣٠٧، ٣١/ ٢٨٠.

(٥) فى الأصل: «هدم».

(٦ - ٦) فى م: «فجاء راهب».

(٧) فى م: «ينقض».

(٨ - ٨) فى الأصل: «عليه».

(٩) فى م: «أؤمل».

عليِّ بنِ عبـدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ؛ عَيْنُ بنُ عَيْنِ بنِ عينِ بنِ عينِ [1] بنِ عينٍ [1] . فهذا يقْتَضِى أنَّه كان بسُورِها سِنِينًا إلى حينِ إخْرابِه على يَدِ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ أرْبَعَة آلافِ سنةٍ ، وقد كان إخْرابُه له فى سنَةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ ومِائَةٍ ، كما ذكَرْنا فى « التَّاريخِ الكبيرِ » ، فعلى هذا يكونُ لهذا البابِ إلى يومِ خَرِب مِن هذه السنَةِ - أعْنِى سنةَ [2] ثلاثٍ وخمسِين وسبعِمائةٍ [2] - أرْبَعَةُ آلافٍ وسِتُّمِائَةٍ وإحْدَى وعِشْرُونَ سنةً . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذكرَ ابنُ عساكِرَ [3] عن بعْضِهم أنَّ نُوحًا ، عليه السَّلامُ ، هو الذى أسَّس دِمَشْقَ بعدَ حَرَّانَ ، وذلك بعدَ مُضِىِّ الطُّوفانِ . وقيل [4] : بنَاها دمسقسُ غلامُ ذى القَرْنَيْنِ عن إشارَتِه . وقيل [5] : العَازَرُ [6] المُلَقَّبُ بِدِمشقَ [7] ، وهو غلامُ الخَلِيلِ . وقيلَ غيرُ ذلك مِن الأقْوالِ ، وأظْهَرُها أنَّها مِن بناءِ اليُونانِ ؛ لأنَّ مَحارِيبَ مَعابِدِها كانت مُوَجَّهَةً إلى القُطْبِ الشمالىِّ ، ثم كانَ بعدَهم النصارَى فصلَّوْا فيها إلى الشَّرقِ ، ثم كان فيها بعدَهم أجْمَعِين أُمَّةُ المسلمينَ فصلَّوا إلى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ .

وذكرَ ابنُ عساكِرَ [8] وغيرُه أنَّ أبْوابَها كانتْ سبْعَةً ، كلٌّ منها يُتَّخَذُ عندَه عيدٌ لهَيْكَلٍ مِن الهياكِلِ السَّبْعَةِ ؛ فبابُ القَمَرِ بابُ السَّلامَةِ ، وكانوا يُسَمُّونَه بابَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢ - ٢) فى النسختين : « ثنتين وثلاثين ومائة » .

(٣) تاريخ دمشق ١/ ١٢، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٤٣.

(٤) تاريخ دمشق ١/ ١٥، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٤٥.

(٥) تاريخ دمشق ١/ ١٣، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٤٤.

(٦) فى الأصل : « عار » ، وفى م : « عاد » . وفى تاريخ دمشق : « العادر » . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .

(٧) فى النسختين : « بدمشيق » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) انظر تاريخ دمشق ١/ ١٧، ومختصر تاريخ دمشق ١/ ٤٦.

الفَرادِيسِ (١المسدودَ(٢)، ولعُطارِدَ بابُ الفراديسِ١) الكبيرِ، وللزُّهَرَةِ بابُ تُومَاءَ، وللشمسِ البابُ الشرقِيُّ، وللمِرِّيخِ بابُ الجابيَةِ، وللمُشْتَرِى بابُ الجابيَةِ الصغيرِ، ولِزُحَلَ بابُ كَيْسَانَ.

وفى أوائلِ شهرِ رجَبٍ الفَرْدِ اشْتَهرَ أنَّ نائبَ حَلَبَ يَبْغا آروس اتَّفقَ مع نائبِ طَرابُلُسَ بَكْلَمُش، ونائبِ حَمَاةَ أميرِ أحمدَ بنِ مُشِدِّ الشُّرْبخَانه على الخُرُوجِ عن طاعَةِ السلْطانِ حتى يُمْسِكَ شَيْخُون وطَاز، وهما عَضُدَا الدولةِ بالدِّيارِ المصْرِيَّةِ، وبَعَثُوا إلى نائبِ دِمَشْقَ وهو الأميرُ سيفُ الدينِ أرْغُون الكامِلِيُّ، فأبَى عليهم ذلك(٣)، وكاتَبَ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ بما وقَع مِن الأمْرِ، وانْزَعَجَ الناسُ لذلك، وخافُوا مِن غائلَةِ هذا الأمرِ، وباللَّهِ المستعانُ. ولمَّا كان يومُ الاثنينِ ثامن الشهرِ جَمَع نائبُ السلطَنةِ الأُمراءَ عندَه بالقَصْرِ الأبْلَقِ، واستَحلفَهم بيْعَةً أخرَى لنائبِ السلطانِ(٤) الملكِ الصالحِ، فحَلَفُوا واتَّفَقُوا على السمعِ والطاعةِ والاستِمرارِ على ذلكَ. وفى ليلةِ الأرْبعاءِ سابعَ عشَرَ رجَبٍ جاءَتِ الجبليَّةُ الذين جمَعُوهم مِن البِقَاعِ لأجْلِ حِفْظِ ثَنِيَّةِ العُقَابِ مِن قُدومِ العساكرِ الحَلَبيَّةِ، ومَن معهم مِن أهْلِ طَرابُلُسَ وحَمَاةَ، وكان هؤلاء الجبليَّةُ [١٨٨/٤] قريبًا مِن أرْبعَةِ آلافٍ، فحصَلَ بسبَبِهم ضرَرٌ كثيرٌ على أهلِ برْزَةَ وما جاورَهم مِن الثِّمارِ وغيرِها.

وفى بُكْرَةِ يومِ السبتِ العِشْرِينَ منه رَكِبَ نائبُ السلْطَنةِ سيفُ الدينِ أرغُون ومعه الجيوشُ الدِّمَشْقِيَّةُ قاصِدينَ ناحِيةَ الكُسْوَةِ (٥لئلَّا يُقاتِلوا٥) المسلمينَ، ولم

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى م: «الصغير»، وفى تاريخ دمشق: «المسدد». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق.

(٣) بعده فى الأصل: «وأبى».

(٤) فى م: «السلطنة».

(٥ - ٥) فى م: «ليلًا يقاتلون».

يَبْقَ فى البلدِ مِن الجُنْدِ أحدٌ ، وأصْبَحَ الناسُ وليسَ لهم نائبٌ ولا عَسْكَرٌ ، وخَلَتِ الديارُ مِنهم ، ونائبُ الغَيْبَةِ الأميرُ سيفُ الدينِ أُلجَيْبُغا العادِلِيُّ ، وانْتَقلَ الناسُ مِن البساتِينِ ومِن أطرَافِ[1] العُقيْبَةِ وغيرِها إلى المدينةِ ، وأكْثَرُ الأُمراءِ نُقِلَتْ حَواصِلُهم وأهالِيهم إلى القلعةِ المنْصُورَةِ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ . ولمَّا اقْتربَ دُخُولُ الأميرِ بَيْبُغا[2] بمَن معه انْزعجَ الناسُ ، وانْتقَلَ أهلُ القُرى الذينَ فى طريقِه ، وسَرى ذلك إلى أطْرافِ الصالِحِيَّةِ والبساتِينِ وحواضِرِ البلدِ ، وغُلِّقَتْ أبْوابُ البَلدِ إلى ما يَلِى القَلْعةَ ؛ كبابِ النصْرِ ، وبابِ الفَرَجِ ، وكذا بابُ الفرادِيسِ ، وخَلَتْ أكثرُ المحَالِّ مِن أهالِيهم ، ونقَلُوا حَوائِجَهم وحَواصِلَهم وأنعامَهم إلى البلدِ على الدَّوابِّ والحَمَّالِينَ ، وبلَغَهم أنَّ أطرافَ الجيشِ انتهَبُوا ما فى القَرايا فى طريقِهم مِن الشَّعيرِ والتِّبْنِ وبعضِ الأنعامِ للأكلِ ، ورُبَّما وقَعَ فسادٌ غيرُ هذا مِن بعضِ الجهَلَةِ ، فخافَ الناسُ كثيرًا وتشوَّشَت خَواطِرُهم .

دُخولُ بَيْبُغا آرُوس إلى دِمَشْقَ

ولمَّا كانَ يومُ الأرْبعاءِ الرابع والعِشرينَ مِن رَجَبٍ دخَلَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْبُغا آرُوس نائبُ حَلَبَ إلى دِمَشقَ المحَروسةِ بمَن معه مِن العساكرِ الحَلَبِيَّةِ وغيرِهم وفى صُحْبَتِه نائبُ طَرابُلُسَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَكْلَمُش ، ونائبُ حَمَاةَ الأميرُ[3] شِهابُ الدينِ أحمدُ ، ونائبُ صَفَدَ الأميرُ علاءُ الدينِ طَيْبُغا ، يُلَقَّبُ

---

(١) فى م : « طرف » .
(٢) فى م : « يلبغا » .
(٣) بعده فى الأصل : « سيف الدين أو » .

بُرْناق[1] ، وكان قد توجَّه قِبَلَه[2] قِيلَ : بيومٍ . ومعه نُوَّابُ قِلاعٍ كثيرةٍ مِن بلادِ حَلَبَ وغيرِها ، فى عدَدٍ كثيرٍ مِن الأتْراكِ والتُّرْكمانِ ، فوقَفَ فى سُوقِ الخَيْلِ مكانَ نُوَّابِ السلْطانِ تحتَ القلعةِ ، واسْتَعرضَ[3] الجيوشَ الذينَ وفَدُوا معه هُناك ، فدَخلُوا فى تجَمُّلٍ كثيرٍ ، مُلبسينَ ، وكان عِدَّةُ مَن كان معه مِن أُمَراءِ الطَّبلخاناه قريبًا مِن سِتِّينَ أميرًا يزيدُونَ أو ينقُصونَ ، على ما استَفاضَ عن غيرِ واحدٍ ممَّن شاهدَ ذلك ، ثم سارَ[4] قريبًا مِن الزَّوالِ إلى المُخَيَّمِ الذى ضُرِب له قِبَلَ مسجدِ القدمِ عندَ قُبَّةِ يَلْبُغا[5] ، عندَ الجدوَلِ الذى هُناك ، وكان يومًا مشهودًا هائلًا ، لِمَا عايَنَ الناسُ مِن كثرةِ الجيوشِ والعُدَدِ ، وعَذَرَ كثيرٌ مِن الناسِ صاحبَ دِمَشقَ فى ذَهابِه بمَن معَه لِئَلَّا يُقاتِلَ[6] هؤلاء ، فنسألُ اللَّهَ أنْ يجمعَ قلوبَهم على ما فيه صَلاحُ المسلمينَ . وقد أرسلَ إلى نائبِ القلعةِ وهو الأميرُ سيفُ الدينِ أياجى يَطْلبُ منه حواصِلَ أرغُون التى عندَه ، فامتَنعَ عليه أيضًا ، وقد حصَّنَ القلعةَ وسترَها ، وأرْصدَ فيها الرجالَ والرُّمَاةَ والعُدَدَ ، وهَيَّأ[7] بعضَ المجَانيقِ ليبعُدَ بها فوقَ الأبرِجةِ ، وأمرَ أهلَ البلدِ أنْ[8] لا يفتَحُوا الدَّكاكِينَ ، ويُغْلِقُوا الأسواقَ ، وجعَلَ

---

(١) فى ذيول العبر ٣٤٠ : « برتاق » . وانظر الخبر فى الذيل التام (حوادث وتراجم ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « نحوه » .

(٣) فى الأصل : « استعرضت » .

(٤) فى الأصل : « سافر » .

(٥) فى الأصل : « بليغا » . وفى الذيل التام ص ١٢٥ : « قبر يلبغا » .

(٦) فى م : « يقابل » .

(٧) فى م : « هيأنها » .

(٨) سقط من : الأصل .

يُغلِقُ أبْوابَ البلدِ إلَّا بابًا أو بابَيْنِ منها ، واشْتَدَّ حَنَقُ العسكرِ عليه ، وهَمُّوا بأشْياءَ كثيرةٍ من الشرِّ ، ثم يرَعَوُونَ عن الناسِ ، واللَّهُ المسلِّمُ ، غيرَ أنَّ أقيالَ[1] العَسكرِ وأطْرافَه قد عاثُوا فيما جاوَرُوه مِن القَرايا والبَساتِينِ والكُرومِ والزُّروعِ[2] ، فيأْخذُونَ ما يأْكلُونَ وتأْكُلُ دَوابُّهم ، وأكْثَرَ مِن ذلكَ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . ونُهِبتْ قَرايا كثيرةٌ ، وفَجَروا بنساءٍ وبناتٍ ، وعظُمَ الخَطْبُ ، وأمَّا التجارُ ومَن يُذْكَرُ بكثْرَةِ مالٍ فأكثرُهم مُختَفٍ لا يَظْهَرُ لِمَا يخْشَى مِن المُصادَرَةِ ، واللَّهُ المسئُولُ أنْ يُحْسِنَ عاقِبَتَهم .

واسْتَهَلَّ شهرُ شعبانَ وأهلُ البلدِ فى خوفٍ شديدٍ ، وأهلُ القَرايا والحواضِرِ فى نُقْلَةِ أثاثِهم وأبقَارِهم ودَوابِّهم وأبْنائِهم ونِسائِهم ، وأكْثَرُ أبْوابِ البلدِ مُغلقةٌ سِوَى بابَيِ الفَرادِيسِ والجَابيَةِ ، وفى كلِّ يومٍ نسْمعُ بأُمورٍ كثيرةٍ مِن النَّهْبِ للقرايا والحواضِرِ ، حتى انْتَقَل كثيرٌ مِن أهلِ الصالِحِيَّةِ أو أكْثَرُهم ، وكذلك مِن أهلِ العُقَيبةِ[3] وسائرِ حَواضِرِ[4] البلدِ ، فنزَلُوا عند مَعارِفِهم وأصْحابِهم ، ومنهم مَن نزَلَ على قَارِعَةِ الطريقِ بنسَائِهم وأوْلادِهم ، فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العليِّ العظيمِ ، وقال كثيرٌ مِن المشَايخِ الذينِ أدرَكُوا زمنَ قازانَ : إنَّ هذا الوَقْتَ كانَ أصْعَبَ مِن ذلك ؛ لِما ترَكَ الناسُ مِن وَرائِهم مِن الغَلَّاتِ والثمارِ التى هى عُمْدَةُ قُوتِهم فى سَنَتِهم ، وأمَّا أهلُ البلدِ ففى قلَقٍ شديدٍ أيضًا لِمَا يبْلُغُهم

---

(١) فى م : « إقبال » .
(٢) فى الأصل : « المزارع » .
(٣) فى م : « القصبية » .
(٤) فى الأصل : « حواصل » .

(١ فى كلِّ وقتٍ من الأراجيفِ أنَّهم على عزْمِ نهبِ البلدِ ١) (٢)، فجعَل كثيرٌ مِن الناسِ يُودِعُون عزيزَ ما يملِكون عندَ مَن يأمَنون، واشتدَّ الحالُ جدًّا، وخافَ كثيرٌ مِن الناسِ أو أكثرُهم من العارِ؛ لما يَبلُغُهم (١) عنهم مِن [١٨٩/٤] الفُجورِ بالنِّساءِ، وجعَلُوا يدْعُونَ عَقِيبَ الصلواتِ عليهم، يُصَرِّحُونَ بأسْمائِهم ويعقِّبون (٣) بأسْماءِ أُمَرائِهم وأتْباعِهم، ونائبُ القلعةِ الأميرُ سيفُ الدينِ أياجى الناصِرِىُّ فى كلِّ وَقْتٍ يُسَكِّنُ جَأْشَ الناسِ ويقَوِّى عزْمَهم، ويُبَشِّرُهم بخُرُوجِ العساكرِ المنْصُورَةِ مِن الديارِ المصريَّةِ صُحْبَةَ السلْطانِ إلى بلادِ غَزَّةَ حيثُ الجيشُ الدِّمَشْقِىُّ، ليَجِيئُوا كلُّهم فى خِدْمَتِه وبينَ يدَيْهِ، وتدُقُّ البشائرُ فيفرَحُ الناسُ، ثم تسْكُنُ الأخْبارُ وتَبْطُلُ الرِّواياتُ (٤ فتَقْلَقُ، ويَخْرُجون فى كلِّ يومٍ ٤) وساعَةٍ فى تَجمُّلٍ عظيمٍ ووَعدٍ وهيئاتٍ حسنةٍ، ثم جاءَ السلْطانُ، أيَّدَه اللَّهُ تعالى، وقد تَرَجَّلَ الأُمَراءُ بينَ يدَيْهِ مِن حينَ بُسِطَ له عندَ مسْجدِ الذبانِ إلى داخِلِ القلعةِ المنْصُورةِ، وهو لابسٌ قَباءً (٥ أحْمَرَ له قِيمَتُه ٥)، على فَرَسٍ أصيلةٍ (٦) مُؤَدَّبَةٍ مُعَلَّمةٍ المشىَ على القَوْسِ لا تحيدُ عنه، وهو حسَنُ الصُّورَةِ، مقْبولُ الطَّلْعَةِ، عليه بَهاءُ (٧ المملَكَةِ والرِّياسَةِ، والخزُّ فوقَ رأسِه يحْمِلُه بعضُ الأُمراءِ الأكابرِ، وكُلَّما عاينَه ٧) مَن عاينَه مِن الناسِ يَبْتَهِلُونَ بالدعاءِ بأصْواتٍ عاليةٍ، والنِّساءُ بالزَّغْرَطَةِ، وفرِحَ الناسُ فرحًا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « البار » .

(٣) فى م : « يعنون » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل : « حمرانها قيم » .

(٦) فى الأصل : « هائلة » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

شديدًا ، وكان يومًا مشْهُودًا ،وأمْرًا حميدًا ، جعَلَه اللَّهُ مُباركًا على المسلمينَ ، فنزَلَ بالقلعةِ المنْصُورةِ ، وقد قَدِمَ معه الخليفةُ المُعْتَضِدُ أبو الفَتْحِ[1] أبو بكرِ بنُ[2] المُسْتَكْفِى باللَّهِ أبى الربيعِ سُلَيمانَ بنِ الحاكمِ بأمْرِ اللَّهِ أبى العبَّاسِ أحمدَ ، وكان راكِبًا إلى [3]جانِبِه مِن ناحيةِ اليسارِ ، ونزَلَ بالمدْرسةِ الدماغِيَّةِ فى أواخرِ هذا اليومِ سائرُ[3] الأُمَراءِ مع نائبِ[4] الشامِ ، ومُقَدَّمُهم [3]طَاز وشَيْخُون[3] فى طلَبِ بَيبُغَا ومَن معه مِن البُغاةِ المُفْسِدينَ .

وفى يومِ الجُمعةِ ثانيه حضَرَ السلطانُ ، أيَّدَه اللَّهُ ، إلى الجامعِ الأُموِىِّ وصلَّى فيه الجمُعَةَ بالمَشْهَدِ الذى يُصلِّى فيه نُوَّابُ السلْطانِ ، أيَّدَه اللَّهُ ، فكثُر الدعاءُ والمحبَّةُ له ذاهِبًا وآيِبًا ، تقبَّلَ اللَّهُ منه ، وكذلك فعَلَ فى الجُمُعةِ الأُخْرَى وهى تاسِعُ الشهرِ .

وفى يومِ السبتِ عاشره اجْتَمَعْنا - يقولُ الشيخُ عِمادُ الدينِ بنُ كثيرٍ المُصَنِّفُ ، رحِمه اللَّهُ - بالخليفةِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ أبى الفَتْحِ[5] أبى بكرِ بنِ المُسْتَكْفِى باللَّهِ أبى الرَّبيعِ سُلَيْمانَ بنِ الحاكمِ بأمرِ اللَّهِ أبى العبَّاسِ أحمدَ ، وسلَّمْنا عليه وهو نازِلٌ بالمدْرسةِ الدماغِيَّةِ داخِلَ بابِ الفَرَجِ ، وقرأتُ عندَه جُزْءًا فيه ما رَواه أحمدُ ابنُ حَنْبَلٍ ، عن محمدِ بنِ إدْريسَ الشافعىِّ فى « مُسْنَدِه » ، وذلك عن الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ الضِّيَاءِ الحَمَوِىِّ بسماعِه مِن ابنِ البخارِىِّ وزَيْنَبَ بنْتِ مَكِّىٍّ ، عن

---

(١) بعده فى م : « بن » . وانظر السلوك ٣/١/ ٧٧.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) بعده فى م : « بن » .

أحمدَ بنِ الحُصينِ ، عنِ ابنِ المُذْهِبِ ، عن أبى بكرِ بنِ مالكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ ، عن أبيه . فذكَرَهما ، والمقْصودُ أنَّه شابٌّ حسَنُ الشكلِ ، مَلِيحُ الكلامِ ، مُتَواضِعٌ ، جيِّدُ الفَهْمِ ، حُلْوُ العِبارةِ ، رحِمَ اللَّهُ سلَفَه .

وفى رابعِ عشَرِه قَدِم البريدُ مِن بلادِ حَلَبَ بسُيوفِ[1] الأُمَراءِ المَمْسُوكِينَ مِن أصْحابِ بَيْبُغَا . وفى يومِ الخميسِ خامس عشَرِه وقتَ العصرِ نزَل السلْطانُ الملِكُ الصالِحُ[2] مِن الطارِمَةِ إلى القَصْرِ الأبْلَقِ فى أُبَّهَةِ المَمْلَكَةِ ، ولم يحْضُرْ يومَ الجُمُعةِ إلى الصلاةِ ، بل اقْتَصَرَ على الصلاةِ بالقَصْرِ المذْكُورِ .

وفى يومِ الجُمعةِ باكِرِ النَّهارِ دخَل الأميرانِ سيفُ الدينِ شَيْخَون وطاز بمَن معهما مِن العساكرِ مِن بلادِ حَلَبَ ، وقد فات تَدارُكُ بَيْبُغَا وأصْحابِه لدُخولِهم بلادَ ابنِ[3] دُلغَادِر التُّرْكُمانِيِّ بمَن بَقِىَ معهم ، وهم القليلُ ، وقد أُسِرَ جماعةٌ مِن الأُمراءِ الذينِ كانُوا معه ، وهم فى القُيودِ والسَّلاسِلِ صُحْبةَ الأمِيرَيْنِ المذْكُورَيْن ، فدَخَلَا على السلْطانِ وهو بالقَصْرِ الأبْلَقِ ، فسلَّما عليه وقَبَّلا الأرضَ وهنَّآه بالعيدِ ، ونزَل طاز بدارِ أيتَمُش بالشرفِ الشمالِيِّ ، ونزَل شَيْخُون بدارِ أياس الحاجبِ بالقُرْبِ مِن الظاهِرِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ ، ونزَل بقِيَّةُ الجيشِ فى أرْجاءِ البلدِ ، وأمَّا الأميرُ سيفُ الدينِ أرغُون فأقامَ بحَلَبَ نائبًا بها عن سُؤَالِه إلى ما ذَكَرَ ،وخُوطِبَ فى تقْليدِه بألْقابٍ هائلةٍ ، ولَبِسَ خِلْعَةً سَنِيَّةً ، وعُظِّمَ تعظيمًا زائدًا ، ليَكُونَ هناك ألْبًا على بَيْبُغَا وأصْحابِه لشِدَّةِ ما بيْنَهما

---

(١) فى الأصل : « يسبون » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من النسختين ، وسيأتى على الصواب فى صفحة ٥٦١ ، ٥٦٢ . وانظر الدرر الكامنة ٣/ ٣٢٩ ، وفهارس الجزء الثانى من السلوك .

مِن العَداوَةِ ، ثم صلَّى السلْطانُ بمَن معه مِن المصْرِيِّينَ ومَن انضَافَ إليهم (١مِن الشامِيِّينَ١) صلاةَ عيدِ الفطرِ بالمَيْدانِ الأخْضَرِ ، وخطَب بهم القاضِى تاجُ الدينِ المُناوِىُّ المِصرىُّ ، قاضى العَسْكَرِ المِصْرِىِّ بمرْسُومِ السلْطانِ وذَوِيه ، وخُلِعَ عليه .

قَتْلُ الأُمَراءِ السَّبْعَةِ مِن أصْحابِ بَيْبُغا

وفى يومِ الاثنينِ ثالث شَوَّالٍ قبلَ العصرِ رَكِب السلْطانُ مِن القَصْرِ إلى الطَّارِمةِ وعلى رأْسِه القُبَّةُ والچترُ(٢) يحْمِلُهما الأميرُ بدرُ الدينِ بنُ الخطيرِ ، فجلَس فى الطَّارِمَةِ ووَقَفَ الجيشُ بينَ يدَيْه [٤/١٩٠] تحتَ القلعةِ ، وأحْضَرُوا الأُمَراءَ الذين قَدِمُوا بهم مِن بلادِ حَلَبَ ، فجَعَلُوا يُوقِفُونَ الأميرَ منهم ، ثم يُشاوِرُونَ عليه ؛ فمنهم مَن يُشْفَعُ فيه ، ومنهم مَن يُؤْمَرُ بتَوْسِيطِه ، فوُسِّطَ سبْعَةٌ : خمسُ طَبْلخاناه ومُقَدَّما(٣) ألفٍ ، منهم نائبُ صَفَدَ بُرْنَاق(٤) ، وشُفِعَ فى البَاقِينَ ، فرُدُّوا إلى السجنِ ، وكانوا خَمْسَةَ آخُور(٥) . وفى يومِ الأرْبعاءِ خامسه مُسِكَ جَماعةٌ مِن أُمَراءِ دِمَشْقَ ؛ سَبْعَةٌ ، وتحوَّلَتْ دُوَلٌ كثيرةٌ ، وتأمَّرَ جماعةٌ مِن الأجْنَادِ وغيرِهم .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى النسختين : « الطير » . وانظر السلوك ٢/٣/٨٧٥ ، وانظر ما تقدم فى صفحة ٨٩.

(٣) فى الأصل : « مقدم » .

(٤) فى الأصل : « برناقد » .

(٥) فى الأصل : « أخروين » ، وفى م : « آخرين » .

خُروجُ السلْطانِ مِن دِمَشْقَ مُتوجّهًا إلى بلادِ مصـرَ

وفى يومِ الجمُعةِ سابع شَوَّالٍ رَكِب السلْطانُ فى جَيْشِهِ مِن القَصْرِ الأبْلَقِ قاصِدًا لصلاةِ الجمُعةِ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، فلَمّا انْتَهى إلى بابِ النصْرِ تَرَجَّلَ الجيشُ بِكَمالِه بيـنَ يدَيْهِ مُشَاةً ، وذلك فى يومٍ شاتٍ كثيرِ الوَحلِ ، فصلَّى بالمقْصُورةِ إلى جانبِ المُصْحَفِ العُثْمانِىِّ ، وليس معه فى الصَّفِّ الأوَّلِ أحَدٌ ، بل بَقِيَّةُ الأُمراءِ خلفَه صفُوفٌ ، فسَمِع خُطْبَةَ الخطيبِ ، ولمَّا فرَغ مِن الصلاةِ قُرِئَ كِتابٌ بإطلاقِ أعشارِ الأوْقَافِ ، وخرَج السلْطانُ بمن معه مِن بابِ النصْرِ ، فرَكِبَ الجيشُ واسْتَقَلَّ ذاهِبًا نحوَ الكُسوةِ بمَنْ معه مِن العساكرِ المنْصُورَةِ ، مَصْحُوبيْـن بالسّلامَةِ والعافِيَةِ المُسْتَمرَّةِ ، وخرَج السلْطانُ وليسَ بدِمَشْقَ نائبُ سَلْطَنةٍ ، وإنَّما[1] الأميرُ بدرُ الدينِ بنُ الخَطِيرِ هو الذى يتَكلَّمُ فى الأُمورِ نائبُ غَيْبَةٍ ، حتى يقْدَمَ إليها نائبُها ويتَعَيَّنَ لها ، وجاءَتِ الأخْبارُ بوُصولِ السلْطانِ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ سالمًا ، ودخَلها فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ فى [2]أوَائِلِ شَهرِ[2] ذى القَعْدَةِ ، وكان يومًا مشهُودًا ، وخلَع على الأُمَراءِ كلِّهم ، ولَبِسَ خِلْعَةَ نِيابَةِ الشامِ الأميرُ علاءُ الدينِ على المارداِنىُّ ، ومُسِكَ الأميرُ علَمُ الدينِ بنُ زُنبورٍ ، وتوليةِ الوِزارةِ الصاحِبَ مُوَفّقَ الدينِ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ السبتِ خامسِ ذِى الحجَّةِ دخلَ الأميرُ علاءُ الدينِ على الجَمَدار مِن الديارِ المصْرِيَّةِ إلى دِمَشْقَ المحْرُوسَةِ فى أُبَّهةٍ هائلةٍ ، ومَوْكبٍ حافلٍ مُسْتَوْلِيًا نِيَابةً بها ، وبيـنَ يدَيْه الأُمَراءُ على العادةِ ، فوَقفَ عندَ تُرْبَةِ بَهَادُر آص حتى اسْتَعرضَ عليه الجيشُ فلَحِقَهم ، فدَخل دارَ السَّعادَةِ فنزَلها على عادةِ النُّوَّابِ قبْلَه ،

---

(١) فى م : « بها » .

(٢ - ٢) فى م : « أواخر » .

جعلَهُ اللَّهُ وجْهًا مُبارَكًا على المسلمين .

وفى يومِ السبتِ ثالثَ عشَرِه قَدِمَ دَوادَار السلْطانِ الأميرُ عِزُّ الدينِ طُقْطاى[1] مِن الديار المصريَّةِ فنزَل القَصْرَ الأبْلَقَ ، ومِن عَزْمِه الذَّهابُ إلى البلادِ الحلَبِيَّةِ ليجهِّزَ الجيوشَ نَحْوَ بَيْبُغا وأصْحَابِه .

---

(١) فى م : « مغلطاى » . وانظر الدرر الكامنة ٣٢٨/٢ .

ثم دخَلَت سنةُ أربعٍ وخمسين وسبعِمائةٍ[1]

استَهلَّت هذه السنةُ وسلطانُ الإسلامِ بالديارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِ والمملكةِ الحَلَبيَّةِ وما وَالاها والحرمينِ الشريفينِ الملكُ الصالحُ صلاحُ الدينِ صالحُ بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنصورِ قلاوون الصالحيّ، ونائبُه بالديارِ المصريةِ الأميرُ سيفُ الدينِ قُبْلَاى، والمشارُ إليهم فى تدبيرِ المملكةِ الأمراءُ الثلاثةُ؛ سيفُ الدينِ شَيْخُون، وسيفُ الدينِ طاز، وسيفُ الدينِ صَرْغَتْمُش؛ الناصريونَ[2]، وقضاةُ القضاةِ وكاتبُ السِّرِّ هناك هم المذكورونَ فى السنةِ الماضيةِ، ونائبُ حلبَ الأميرُ سيفُ الدينِ أرْغُون الكاملىُّ؛ لأجْلِ مُقاتَلةِ أولئكَ الأمراءِ الثلاثةِ؛ بَيْبُغَا وأمير أحمدَ وبَكْلَمُش، الذين فعَلوا ما ذكَرْنا فى رجبٍ مِن السنةِ الماضيةِ ثم لجَئُوا إلى بلادِ الأَبُلُسْتَيْنْ[3] فى خَفَارَةِ ابنِ[4] دُلْغَادِر التُّرْكُمانىِّ، ثم إنَّه احْتالَ عليهم مِن خوفِه مِن صاحبِ مصرَ وأسلَمهم إلى قبضةِ نائبِ حلبَ المذكورِ، ففرِح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ، ونائبُ طَرَابُلُسَ الأميرُ سيفُ

---

(١) ذيول العبر ص ٢٩٢، وتذكرة النبيه ٣/ ١٧١، والسلوك ٢/٣/ ٨٨٦، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٣٢.

(٢) فى م: «الناصرى».

(٣) فى الأصل: «البلسين»، وفى م: «البلبيسين». والمثبت من السلوك ٢/٣/ ٨٩٤، والذيل التام الموضع السابق، وهى مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أَبْسُس مدينة أصحاب الكهف. معجم البلدان ١/ ٩٣.

(٤) سقط من النسختين.

الدينِ أيْتَمُش الذى كان نائبَ دمشقَ كما ذكَرْنا ، ثم تقلَّبت به الأحوالُ حتى استُنِيبَ فى طَرَابُلُسَ حينَ كان السلطانُ بدمشقَ كما تقدَّم .

واستهلَّت هذه السنةُ وقد تَواتَرتِ الأخبارُ بأنَّ الأمراءَ الثلاثةَ بَيْبُغَا وبَكْلَمُش وأمير أحمدَ قد حصَلوا فى قبضةِ نائبِ حلبَ الأميرِ سيفِ الدينِ أرْغون ، وهم مسجونونَ بقلعتِها ، يُنتظَرُ ما يُرْسَمُ به فيهم ، وقد فرِح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا .

وفى يومِ السبتِ (١سابعَ عشرَ١) المحرمِ وصَل إلى دمشقَ الأميرُ عزُّ الدينِ طُقْطَاى(٢) الدَّوادار عائدًا مِن الحَلَبيَّةِ ، وفى صُحْبَتِه رأسُ بَيْبُغَا الباغِى ، أمْكَنَ اللَّهُ منه بعدَ وصولِ صاحِبَيْه بَكْلَمُش الذى كان نائبًا بطَرَابُلُسَ ، وأمير أحمدَ الذى [٤/ ١٩١] كان نائبَ حَماةَ ، فقُطِعَتْ رُءوسُهما بحلبَ بينَ يدَىْ نائبِها الأميرِ سيفِ الدينِ أرْغُونِ الكاملىِّ ،وسُيِّرَتْ إلى مصرَ ، ولمَّا وصَل بَيْبُغَا بعدَهما فُعِلَ به كفِعْلِهما جَهْرَةً بعدَ العصرِ بسُوقِ الخَيْلِ بينَ يدَىْ نائبِ السلطنةِ ، والجيشُ برُمَّتِه والعامَّةُ على الأجاجيرِ(٣) يتفرَّجونَ ويفْرَحونَ بمَصْرَعِه ، وسُرَّ المسلمونَ كلُّهم ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفى يومِ الجمعةِ الثامن والعشرينَ مِن شهرِ ربيعِ الأولِ أُقِيمَتْ جمعةٌ جديدةٌ بمحلَّةِ الشَّاغُورِ بمسجدٍ هناك يُقالُ له : مسجدُ المزازِ(٤) . وخطَب فيه جمالُ الدينِ

(١ - ١) فى الأصل : « عاشر » .

(٢) فى م : « مغلطاى » .

(٣) فى م : « الأحاجير » . والأجاجير جمع إجّار ، وهو السطح الذى ليس حواليه ما يرد الساقط عنه . النهاية ١/ ٢٦.

(٤) فى النسختين : « المزار » . والمثبت من الدارس ٢/ ٤٢١، وانظر خطط الشام ٦/ ٦٣.

عبدُ اللَّهِ بنُ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ، ثم وقَع فى ذلك كلامٌ ، فأَفْضَى الحالُ أنَّ أهلَ المحلَّةِ ذهَبوا إلى سُوقِ الخَيْلِ يومَ موكبٍ[1] ، وحمَلوا سناجقَ خَليفَتِيَّةً[2] مِن جامعِهم ومصاحفَ ، واشتَملوا[3] إلى نائبِ السلطنةِ وسألوا منه أن تستَمرَّ الخطبةُ عندَهم ، فأجابَهم إلى ذلك فى الساعةِ[4] الراهنةِ ، ثم وقَع نزاعٌ فى جَوازِ ذلك ، ثم حكَم القاضى الحنبلىُّ لهم بالاستمرارِ ، وجرَت خطوبٌ طويلةٌ بعدَ ذلك .

وفى يومِ الأحدِ سابع ربيعِ الآخِرِ تُوفِّى **الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ أُلْجَيْبُغَا العادلىُّ**[5] ، ودُفِنَ بتربتِه التى كان أنشأها قديمًا ظاهرَ بابِ الجابيةِ ، وهى مشهورةٌ تُعْرَفُ به ، وكان له فى الإمرةِ قريبًا مِن ستينَ سنةً ، وقد كان أصابَه فى نوبةِ أرْغُون شَاه وقَضِيَّتِه ضربةٌ أصابَتْ يدَه اليمنى ، واستَمرَّ مع ذلك على إمرتِه وتَقْدِمَتِه مُحْتَرمًا مُعَظَّمًا إلى أن تُوفِّىَ ، رحِمه اللَّهُ .

ذكرُ أمرٍ غريبٍ جدًّا

لمَّا ذهَبْتُ لتهنئةِ الأميرِ ناصرِ الدينِ بنِ الأقُوش[6] بنيابةِ بَعْلَبَكَّ وجَدْتُ هُنالك

---

(١) فى م : « موكبه » .

(٢) فى م : « خليفتين » .

(٣) فى الأصل : « أشبلوا » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) ذيول العبر ص ٢٩٢، والسلوك ٢/٣/ ٩٠٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٣٣، والمنهل الصافى ٣/ ٤٧، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠) ص ١٣٦.

(٦) فى النسختين : « الأقوس » . والمثبت من ذيول العبر ص ٣٢١، وفى الدرر الكامنة ٣/ ٣٥١: « لاقوش » .

شابًّا ، فذكَر لى مَن حضَر أنَّ هذا هو الذى كان أُنْثَى ثم ظهَر له ذَكَرٌ ، وقد كان أمْرُه اشْتَهرَ ببلادِ طَرَابُلُسَ ، وشاعَ بينَ الناسِ بدمشقَ وغيرِها ، وتحدَّثَ الناسُ به ، فلمَّا رأيتُه وعليه قُبَّعَةٌ تُرْكِيَّةٌ اسْتَدْعَيْتُه إلىَّ ، وسألْتُه بحَضْرَةِ مَن حضَر ؛ فقلتُ له : كيفَ كان أمرُك ؟ فاسْتَحْيَى وعلاه خجَلٌ يُشْبِهُ النساءَ ، فقالَ : كنتُ امرأةً مدةَ خمسَ عشْرةَ سنةً ، وزَوَّجونى بثلاثةِ أزواجٍ لا يَقْدِرون علىَّ ، وكلُّهم يُطَلِّقُ ، ثم اعترَضَنى حالٌ غريبٌ فغارَتْ ثَدْياى وصَغُرَتْ ،وجعَل النومُ يعترِينى ليلًا ونهارًا ، ثم جعَل يخْرُجُ مِن محلِّ الفرْجِ شىءٌ قليلًا قليلًا ، ويتزايدُ حتى برَز شِبْهُ ذَكَرٍ وأُنْثَيَانِ . فسألتُه : أهو كبيرٌ أم صغيرٌ ؟ فاسْتَحيَى ثم ذَكَر أنَّه صغيرٌ بقَدْرِ الأُصْبُعِ . فسألتُه : هل احتَلَم ؟ فذكرَ أنَّه احتلَم مرتينِ منذُ حصلَ له ذلك ؛ وكان له قريبًا مِن ستةِ أشهرٍ إلى حينَ أخْبَرنى ، وذكَر أنَّه يُحْسِنُ صنعةَ النساءِ كلَّها مِن الغزلِ والتطريزِ والزركاشِ وغيرِ ذلك . فقلتُ له : ما كان اسمُك وأنت على صفةِ النساءِ ؟ فقال : نفيسةُ . فقلتُ : واليومَ ؟ فقال : عبدُ اللَّهِ . وذكَر أنَّه لمَّا حصَل له هذا الحالُ كتَمه عن أهلِه حتى عن أبيه ، ثم عزَموا على تزويجِه برابعٍ ، فقالَ لأُمِّه : إنَّ الأمرَ ما صفتُه كيتَ وكيتَ . فلمَّا اطَّلَع أهلُه على ذلك أعلَموا به نائبَ السلطنةِ هناك ، وكتَب بذلك محضرًا ، واشتهَر أمرُه ، فقدِم دمشقَ ووقَف بينَ يدَىْ نائبِ السلطنةِ بدمشقَ ، فسأله فأخبرَه كما أخبرَنى ، فأخَذه الحاجبُ سيفُ الدينِ كُجْكُن[1] بنُ الأقُوش عندَه وألْبَسه ثيابَ الأجنادِ ، وهو شابٌّ حسَنٌ ، على وجهِه وسَمْتِه ومِشْيَتِه وحديثِه أُنُوثَةُ النساءِ ، فسبحانَ الفَعَّالِ لِمَا يشاءُ ، فهذا أمْرٌ لم يقَعْ مثلُه فى العالَم إلا قليلًا جدًّا . وعندى أنَّ ذكَرَه كان

---

(١) فى النسختين : « كحلن » . والمثبت من السلوك ٢/٣/ ٨٩٧، والدرر الكامنة ٣/ ٣٥١.

غائرًا فى [1]جُورَةٍ ظنُّوها فَرْجًا[1]، ثم لمَّا بلَغ ظهَر قليلًا قليلًا، حتى تكامَل ظهورُه، فتبيَّنوا أنَّه كان ذكَرًا، وذكَر لى أنَّ ذكَرَه برَز مَخْتُونًا، فسُمِّى خِتانَ القَمرِ، فهذا يُوجَدُ كثيرًا، واللَّهُ أعلمُ.

وفى يومِ الثلاثاءِ خامس شهرِ رجبٍ قدم الأميرُ عِزُّ الدينِ طُقْطَاى الدَّوادار مِن الديارِ الحلبيةِ وخبَّر عمَّا اتَّفقَ عليه العساكرُ الحلبيةُ مِن ذَهابِهم مع نائِبِهم ونُوَّابِ تلك الحصونِ وعساكِرَ خَلْفَ ابنِ دُلْغَادِر التُّرْكُمانيِّ - الذى كان أعانَ بَيْبُغَا وذَوِيه على خروجِه على السلطانِ، وقدِم[2] معه إلى دمشقَ، وكان مِن أمرِه ما تقدَّم بسطُه فى السنةِ الماضيةِ - وأنَّهم نهَبوا أموالَه وحواصلَه، وأسَروا خلقًا مِن بَنِيه وذَوِيه وحريمِه، وأنَّ الجيشَ أخَذ شيئًا كثيرًا مِن الأغنامِ والأبقارِ والرقيقِ والدَّوابِّ والأمتعةِ وغيرِ ذلكَ، وأنَّه لجأ إلى ابنِ أرِتْنا[3]، فاحْتاطَ عليه واعْتقلَه عندَه، وراسَلَ السلطانَ بأمرِه، ففرِح الناسُ براحةِ الجيشِ الحلبيِّ وسلامتِه بعدَما قاسَوْا شديدًا وتعبًا كثيرًا.

وفى يومِ الأربعاءِ ثالثَ عشَرِه كان قدومُ الأمراءِ الذين كانوا مسجونين بالإسكندريةِ مِن لَدُنْ عَوْدِ السلطانِ إلى الديارِ المصريةِ، ممَّن كان اتُّهِم [٤/ ١٩٢] بموالاةِ[4] بَيْبُغَا أو خدمتِه، كالأميرِ سيفِ الدينِ ملك آص، وعلاءِ الدينِ على البَشْمَقْدار، وساطلمش[5] الجلاليِّ ومَن معهم.

(١ - ١) فى م: «جوزة طير فأفرخا».

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى النسختين بالطاء بدلا من التاء. وانظر: السلوك ٢/١/ ١٨٦.

(٤) فى م: «بممالأة».

(٥) فى النسختين: «ساطلمس». والمثبت من السلوك.

وفى أولِ شهرِ رمضانَ اتفقَ أنَّ جماعةً مِن المفتين أفتَوْا بأحدِ [1]قوْلَيِ العلماءِ[1]، وهما وجهانِ لأصحابِنا الشافعيةِ، وهو جوازُ اسْتِعادَةِ ما اسْتَهْدَمَ مِن الكنائسِ، فتغضَّبَ عليهم قاضى القضاةِ تقىُّ الدينِ السبكىُّ، فقرَّعهم فى ذلك ومنَعهم مِن الإفتاءِ،وصنَّف فى ذلك مُصَنَّفًا يتضمَّنُ المنعَ مِن ذلك سمَّاه «الدسائس فى الكنائس».

وفى خامسِ عِشْرِى[2] رمضانَ قُدِم بالأميرِ ابنِ دُلغَادِر التركمانىِّ الذى كان مُؤَازِرًا بَيْبُغَا فى العامِ الماضى على تلك الأفاعيلِ القبيحةِ، وهو مُضَيَّقٌ عليه، فأُحْضِرَ بينَ يدَيِ النائبِ، ثم أُودِعَ القلعةَ المنصورةَ فى هذا اليومِ.

(١ - ١) فى الأصل: «قول الشافعى». وفى طبقات الشافعية للسبكى ١٠/٢٥٦ فتوى للسبكى فيما صححه من حيث المذهب. والفتوى بتمامها منشورة ضمن فتاوى السبكى ٢/ ٣٦٩- ٤١٧.

(٢) فى م: «شهر». وانظر السلوك ٢/٣/ ٨٩٨.

ثم دخَلَتْ سنةُ خَمْسٍ وخَمْسِينَ وسبعِمائَةٍ[1]

اسْتَهَلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ الديارِ المصريةِ والبلادِ الشاميةِوما يتْبَعُ ذلك، والحَرَمَيْنِ الشَّريفَيْنِ وما وَالاهما مِن بلادِ الحجازِ وغيرِها، الملكُ الصالحُ صلاحُ الدينِ صالحُ[2] بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوون الصالِحِيّ، وهو ابنُ بنتِ تَنْكِز نائبِ الشامِ - كان فى الدولةِ الناصِريةِ - ونائبُه بالديارِ المصريةِ الأميرُ سيفُ الدينِ قُبْلاى الناصِرىُّ، ووَزِيرُه القاضى مُوفَّقُ الدينِ، وقُضاةُ مصرَ هم المذْكُورونَ فى العامِ الماضى، ومنهم قاضى القُضاةِ عِزُّ الدينِ بنُ جَماعةَ الشافِعىُّ، وقد جاوَرَ فى هذه السنَةِ فى الحِجازِ الشريفِ، والقاضى تاجُ الدينِ المناوِىُّ يسُدُّ المنْصِبَ عنه، وكاتبُ السِّرِّ القاضى علاءُ الدينِ بنُ فَضْلِ اللَّهِ العَدوِىُّ، ومُدَبِّرُو المَمْلَكَةِ الأُمراءُ[3] الثلاثةُ؛ سيفُ الدينِ شَيْخُون [4]وطاز وصَرْغَتْمُش الناصِرِيُّون[4]، والداودارُ الأميرُ الكبيرُ عِزُّ الدينِ طُقْطاى الناصِرىُّ. ودَخَلت هذه السنَةُ والأميرُ سيفُ الدينِ شَيْخُون فى [5]طلبِ الأحْدَبِ[5] من مدةِ

---

(١) ذيول العبر ص ٢٩٥، وتذكرة النبيه ٣/ ١٧٥، والسلوك ٢/٣/ ٩٠٧، والذيل التام على دول الإسلام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٣٨.

(٢) سقط من: م.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤ - ٤) فى م: «وصرغتمس الناصرى».

(٥ - ٥) فى الأصل: «الأحدب»، وفى م: «الأحداث». والأحدب لقب رجل اسمه محمد بن واصل، كان قد ادعى السلطنة ببلاد الصعيد. وانظر فى تفصيل ذلك السلوك ٢/٣/٩٠٨ وما بعدها، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٣٤.

شهرٍ أو قريبٍ . ونائبُ دمشقَ الأميرُ عَلاءُ الدينِ أمير على المارداني ، وقُضاةُ دمشقَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، وناظِرُ الدَّواوينِ الصاحبُ شمسُ الدينِ موسى بنُ التاجِ إسْحاقَ ، وكاتِبُ السِّرِّ القاضى ناصِرُ الدينِ بنُ الشَّرفِ يَعْقُوبَ ، وخطيبُ البلدِ جمالُ الدينِ محمودُ بنُ جملةَ ، ومُحْتَسِبُه الشيخُ علاءُ الدينِ الأنْصارِىُّ ، قريبُ الشيخِ بَهاءِ الدينِ بنِ إمامِ المَشْهَدِ ، وهو مدرسُ الأمِينِيَّةِ مكانَه أيضًا .

وفى شهرِ رَبيعٍ الآخرِ قَدِم الأميرُ علاءُ الدينِ مُغْلَطَاى الذى كان مَسْجونًا بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ثم أُفْرِج عنه ، وقد كان قبلَ ذلك هو الدولةَ ، وأُمِر بالمَسِيرِ إلى الشامِ ليَكُونَ عندَ[1] أيْتَمُش نائبِ طَرابُلُسَ ، وأمَّا مَنْجَك الذى كان وزيرَه بالديارِ المصريةِ وكان مُعْتَقَلًا بالإسْكَنْدَرِيَّةِ مع مُغْلَطَاى ، فإنَّه صارَ إلى صَفَدَ مُقِيمًا بها بَطَّالًا[2] ، كما أنَّ مُغْلَطَاى أُمِر بالمقامِ بطَرابُلُسَ بَطَّالًا أيضًا إلى حينِ يحْكُمُ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ .

نادِرَةٌ مِن الغرائبِ

فى يومِ الاثنينِ سادِسَ عَشَرَ جُمادَى الأُولَى اجْتازَ رجلٌ مِن الرَّوافِضِ مِن أهلِ الحِلَّةِ بجامعِ دمشقَ [3]بعدَ صلاةِ الظهرِ[3] ، وهو يَسُبُّ أوَّلَ مَن ظَلَم آلَ

---

(١) بعده فى النسختين : « حمزة » .

(٢) البطال ، وجمعه البطالون : الأمراء والأجناد العاطلون من أعمال الدولة لغضب السلطان أو لكبر السن أو لغير ذلك . السلوك ٧٣/١/١ حاشية (٤) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

محمدٍ، يُكرِّرُ ذلك لا يفْتُرُ، ولم يُصَلِّ مع الناسِ، ولا صلَّى على الجِنازَةِ الحاضرةِ، بل[1] الناسُ فى الصلاةِ وهو يُكرِّرُ ذلك ويرفعُ صوْتَه به، فلمَّا فرَغْنا مِنَ الصلاةِ نَبَّهْتُ عليه الناسَ، فأخَذُوه وإذا قاضى القُضاةِ الشافعِىُّ فى تلك الجِنازَةِ حاضرٌ مع الناسِ، فجِئْتُ إليه واسْتَنْطَقْتُه: مَن الذى ظَلَمَ آلَ محمدٍ؟ فقالَ: أبو بكرٍ الصِّديقُ. ثم قال جَهْرَةً والناسُ يسمعونَ: لَعَن اللَّهُ أبا بكرٍ وعمرَ وعُثْمانَ ومُعاوِيةَ ويَزيدَ. فأعادَ ذلك مرَّتَيْنِ، فأمَرَ به الحاكِمُ إلى السجنِ، ثم اسْتَحْضَره المالِكىُّ وجلَده بالسِّياطِ، وهو مع ذلك يصْرخُ بالسَّبِّ واللَّعْنِ والكلامِ الذى لا يصْدُرُ إلَّا عن شَقِىٍّ، واسْمُ هذا اللَّعِينِ علىُّ بنُ أبى الفَضْلِ بنِ محمدِ بنِ حُسَيْنِ بنِ كثيرٍ، قبَّحه اللَّهُ وأخْزَاه، ثم لمَّا كان يومُ الخميسِ تاسع[2] عشَرِه عُقِد له مجْلسٌ بدارِ السَّعادةِ، وحَضَر القُضاةُ الأرْبَعةُ، وطُلِب إلى هُنالِكَ، فقَدَّرَ اللَّهُ أنْ حَكَم نائبُ المالِكِىِّ بقَتْلِه، فأُخِذ سَرِيعًا فضُرِبت عنُقُه تحتَ القلعةِ، وحرَّقَه العامَّةُ وطافُوا برأسِه البلدَ ونادَوْا عليه: هذا جزاءُ مَن سَبَّ أصْحابَ رسولِ اللَّه ﷺ. وقد ناظَرْتُ هذا الجاهِلَ بدارِ القاضى المالِكِىِّ، وإذا عندَه شىءٌ ممَّا يقولُه الرَّافِضَةُ الغلاةُ، وقد [٤/١٩٣] تلَقَّى عن أصْحابِ ابنِ مُطَهَّرٍ أشْياءَ مِنَ الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ، قبَّحه اللَّهُ وإيَّاهم.

ووَرَد الكِتابُ بإلْزامِ أهلِ الذِّمَّةِ بالشُّروطِ العُمَرِيَّةِ. وفى يومِ الجُمعَةِ ثامِنَ عَشَر رَجَبٍ الفَرْدِ قُرِئ بجامعِ دمشقَ بالمقْصُورةِ بحَضْرَةِ نائبِ السلْطَنةِ، وأُمَراءِ الأعْرابِ، وكِبارِ الأُمَراءِ، وأهلِ الحَلِّ والعَقْدِ والعامَّةِ، كتابُ السلْطانِ بإلْزامِ أهْلِ

---

(١) فى م: «على أن».

(٢) فى م: «سابع».

الذِّمَّةِ بالشُّروطِ العُمَرِيَّةِ وزِياداتٍ أُخَرَ؛ منها أنْ لا يُسْتَخْدَمُوا فى شىءٍ من الدَّواوِينِ السلْطانِيَّةِ والأمراءِ ولا فى شىءٍ مِن الأشْياءِ، وأنْ لا تَزِيدَ عِمامَةُ أحَدِهم على عَشَرَةِ أذْرُعٍ، ولا يرْكَبُوا الخيْلَ ولا البِغالَ ولكنَّ الحَمِيرَ بالأُكُفِ عَرْضًا، وأنْ لا[1] يدْخلُوا إلَّا [2]بالعَلامَاتِ مِن جَرَسٍ، أو بخاتَمِ نُحاسٍ أصْفَرَ أو رَصاصٍ، ولا تدْخلَ نِساؤُهم مع المُسْلماتِ[2] الحمَّاماتِ، وَلْيَكُنْ لهنَّ حمَّاماتٌ تخْتَصُّ بهنَّ، وأنْ يكونَ إزارُ النصْرانِيَّةِ مِن كَتَّانٍ أزْرَقَ، واليهوديةِ مِن كَتَّانٍ أصْفَرَ، وأنْ يكونَ أحَدُ خُفَّيْها أسْوَدَ والآخرُ أبْيَضَ، وأنْ يُحْمَلَ حكْمُ مَوارِيثِهم على الأحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ.

واحْتَرقَتْ باشورةٌ ببابِ الجابيةِ فى ليلةِ الأحَدِ العشْرِينَ مِن جُمادَى الآخرةِ، وعَدِم المسلمونَ تلك الأطْعِماتِ والحَواصِلَ النافِعَةَ مِن البابِ الجَوَّانِىِّ إلى البابِ البَرَّانِىِّ.

وفى مُسْتَهَلِّ شهرِ رمضانَ عَمِل الشيخُ الإمامُ العالمُ البارِعُ شمسُ الدينِ بنُ النَّقَّاشِ المِصْرِىُّ الشافعِىُّ - ورَدَ دمشقَ - بالجامعِ الأُمَوِىِّ تُجاهَ مِحْرابِ الصحابةِ، مِيعادًا للوَعْظِ، واجْتَمَعَ عندَه خَلْقٌ مِنَ الأعْيانِ والفُضلاءِ والعامَّةِ، وشكَرُوا كلامَه وطَلاقَةَ عبارتِه، مِن غيرِ تَلَعْثُمٍ ولا تخْلِيطٍ ولا توَقُّفٍ، وطالَ ذلك إلى قريبِ العصرِ.

وفى صَبيحَةِ يومِ الأحدِ ثالثه صُلِّى بجامعِ دمشقَ بالصَّحْنِ تحتَ النَّسْرِ على

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

القَاضِى جمالِ[1] الدينِ حسينِ بنِ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكىِّ الشافِعىِّ ، ونائبِه ، وحَضَر نائبُ السلْطَنةِ الأميرُ علاءُ الدِّينِ علىٌّ ، وقُضاةُ البلدِ والأعْيانُ والدولةُ وكثيرٌ مِن العامَّةِ ، وكانتْ جِنازتُه مَحْشُودةً ، وحَضَر والِدُه قاضى القُضاةِ وهو يُهادَى بينَ رجُلَيْنِ ، يظْهَرُ عليه الحزنُ والكآبةُ ، فصَلَّى عليه إمامًا ، وتأسَّفَ الناسُ عليه لسَماحَةِ أخْلاقِه وانْجِماعِه على نفْسِه ، لا يتَعدَّى شرُّه إلى غيرِه ، وكان يحْكُمُ جيِّدًا ، نظيفَ العِرْضِ فى ذلك ، وكان قد درَّس فى عدّةِ مدارسَ ، منها الشامِيَّةُ البرّانِيَّةُ والعذراوِيَّةُ ، وأفْتَى وتصدَّرَ ، وكانت لدَيْه فضيلةٌ جيدةٌ بالنحوِ والفِقْهِ والفَرائضِ وغيرِ ذلك ، ودُفِنَ بسَفْحِ قاسِيُونَ فى تُرْبَةٍ معْروفةٍ [2]لهم ، رَحِمهم اللَّهُ[2] .

عَوْدَةُ الملكِ الناصرِ حسَنِ بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون

وذلك يومُ الاثنينِ ثانِى شهرِ شَوَّالٍ اتَّفقَ جمهورُ الأُمَراءِ مع الأميرِ شَيْخُون وصَرْغَتْمُش فى غَيْبَةِ طَاز فى الصيدِ على خَلْعِ الملكِ الصالحِ صالحِ بنِ الناصِرِ ، وأُمُّه بنْتُ تَنْكِز ، وإعادةِ أخِيه الملكِ الناصرِ حسَنٍ ، وكان ذلك يومَئذٍ ، وأُلْزِم الصالِحُ بَيْتَه مُضَيَّقًا عليه ، وسُلِّم إلى أمِّه خوندةَ بنتِ الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِز نائبِ الشامِ ، كانَ ، فَطَلَبُوا طَاز ، وأُمْسِكَ أخُوه جَنْتَمُر[3] وأخو السلْطانِ الصالِحِ

---

(١) فى النسختين : « كمال » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٢٩٦، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٤١١، وتذكرة النبيه ٣/ ١٨٦، والدرر الكامنة ٢/ ١٤٨، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥- ٨٥٠) ص ١٤٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل .

(٣) فى النسختين : « سنتم » . والمثبت من الدرر الكامنة ٢/ ٧٥.

لأَمِّهِ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ بَكْتَمُر السَّاقِى ، ووَقَعَتْ خَبْطةٌ عظيمةٌ بالديارِ المصْرِيَّةِ ، ومع هذا فلم يُقْبِلِ البريدُ إلى الشامِ وخبرُ البَيْعَةِ إلَّا يومَ الخميسِ الثانىَ[1] عَشَر من هذا الشهرِ ، قَدِم بهما[2] الأميرُ عِزُّ الدِّينِ أيْدَمُر الشمْسِىُّ[3] ، وبايعَ النائبَ[4] بعدَ ما خَلَع عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً ، والأُمــراءُ بــدارِ السعادةِ على العادةِ ، ودَقَّتِ البشائرُ ، وزُيِّنَ البلدُ ، وخَطَبَ له الخطيبُ يومَ الجُمعةِ على المِنْبَرِ بحضْرَةِ نائبِ السلْطَنةِ والقُضاةِ والدولةِ .

وفى صَبيحَةِ يومِ الخميسِ تاسِعَ عَشَرَ[5] شَوَّالٍ دَخَل دمشقَ الأميرُ [6]سيفُ الدينِ مَنْجَك على نيابةِ طَرابُلُسَ ، ونَزَل القَصْرَ الأبْلَقَ مع الأميرِ[6] عزِّ الدِّين أيْدَمُر ، فأقامَ أيامًا عديدةً ثم سارَ إلى بَلدِه بعدَ أيامٍ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الخميسِ السادس والعِشْرِينَ منه دَخَل الأميرُ سيفُ الدينِ طَاز مِن الدِّيارِ المصريةِ فى جماعةٍ مِن أصْحابِه مُجْتازًا إلى نيابةِ حَلَبَ المحرُوسَة ، فتَلقَّاه نائبُ السلْـطَنةِ إلى قريبٍ مِن جامعِ كَرِيمِ الدِّينِ بالقُبيباتِ ، وشيَّعَه إلى قريبٍ [6]من بابِ الفَرادِيسِ ، فسارَ ونَزَل[6] بوَطْأَةِ برزَةَ فباتَ هُنالك ، ثم أصْبَح غادِيًا ، وقد كان بالديارِ المصريةِ نَظِيرَ الأميرِ شيْخُون ، ولكِنْ قَوِى عليه فسَيَّرَه إلى بلادِ حَلَبَ ، وهو مُحَبَّبٌ إلى العامَّةِ لما له مِن السَّعْيِ المشْكُورِ فى أمُورٍ كبارٍ ، كما تقدَّم .

---

(١) فى النسختين ، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠) ص ١٣٩ : « الثالث » . وهو لا يتفق مع ما سبق وما سيأتى ذكره من التواريخ .

(٢) فى الأصل : « بسبهما » ، وفى م : « بسببها » .

(٣) فى الأصل : « الشمينى » . وانظر الدليل الشافى ١/ ١٦٩.

(٤) فى الأصل : « الناس » .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

ثم دخلَتْ سنَةُ ستٍّ وخَمْسِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ الإسْلامِ والمسلمينَ السلْطانُ الملكُ الناصِرُ حسَنُ بنُ [١٩٤/٤] الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوون الصالِحِىّ ، وليسَ بالديارِ المصريَّةِ نائبٌ ولا وزيرٌ ، وقُضاتُها هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، ونائبُ دِمَشْقَ الأميرُ على المارداني ، والقُضاةُ والحاجِبُ[2] والخطيبُ وكاتِبُ السِّرِّ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، ونائبُ حَلَبَ الأميرُ سيفُ الدينِ طاز ، ونائبُ طَرابُلُس مَنْجَك ، ونائبُ حَمَاةَ أَسَنْدَمُر العُمَرِىُّ ، ونائبُ صَفَدَ الأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ ، ونائبُ حِمْصَ الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ الأقْوَش ، ونائبُ بَعْلَبَكَّ الحاجُّ كامِلٌ .

وفى يومِ الاثنينِ تاسِع صفَرٍ مُسِكَ الأميرُ أرْغُون الكامِلِىُّ الذى نابَ بدِمَشْقَ مدةً ثم بعدَها بحَلَبَ ثم طُلِبَ إلى الديارِ المصْريَّةِ حينَ ولِيهَا طاز ، فقُبِضَ عليه وأُرْسِلَ إلى الإسْكَنْدَرِيَّةِ مُعْتَقَلًا . وفى يومِ السبتِ مِن شهرِ صفَرٍ قدم تقْليدُ قَضاءِ الشافعِيَّةِ بدِمَشْقَ وأعْمالِها لقاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ ، على قاعدَةِ والدِه ، وذلك فى حَياةِ أبيه ، وذهَب الناسُ للسَّلامِ عَلَيه .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأحَدِ السادِس والعِشْرِينَ مِن رَبيعٍ الآخرِ توَجَّهَ قاضى

---

(١) ذيول العبر ص ٣٠٣، والسلوك ٣/١/١٧، والنجوم الزاهرة ١٠/٣١٨، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥- ٨٥٠ هـ) ص ١٤٣.

(٢) فى الأصل : « الصاحب » .

القُضاةِ تقيُّ الدينِ السُّبْكِيُّ بعدَ اسْتِقْلالِ ولَدِه تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ فى قَضاءِ القُضاةِ ومَشْيَخةِ دارِ الحديثِ الأشْرَفِيَّةِ مُسافِرًا نحوَ الديارِ المصريَّةِ فى محَفَّةٍ، ومعه جماعَةٌ مِن أهْلِه وذَوِيه، منهم سِبْطُه القاضى بَدْرُ الدينِ بنُ أبى الفَتْحِ وآخرونَ، وقد كان الناسُ ودَّعُوه قبلَ ذلك وعندَه ضَعْفٌ، ومِن الناسِ مَن يخافُ عليه مِن وَعْثاءِ السفرِ مع الكِبَرِ والضعفِ.

ولمَّا كان يومُ الجُمعةِ سابع[1] شهرِ جُمادَى الآخرةِ صُلِّى بعدَ الجمعةِ بدِمَشْقَ على قاضى القُضاةِ **تقيِّ الدينِ**[2] **علىِّ بنِ عبدِ الكَافِى بنِ تَمَّامٍ السُّبْكِيِّ المِصْرِىِّ الشافِعِىِّ**؛ تُوفِّى بمِصْرَ ليلةَ الاثنينِ ثالثه، ودُفِنَ مِن صَبِيحَةِ ذلك اليومِ وقد أكْملَ ثلاثًا وسبعينَ[3] سنَةً، ودَخَل فى الرابعةِ أشْهُرًا، ووَلِىَ الحكمَ بدِمَشْقَ نَحْوًا مِن سَبْعَ عشْرَةَ سنةً، ثم نزَلَ عن ذلك لوَلَدِه قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ، ثم ترحَّل فى محَفَّةٍ إلى الديارِ المصريَّةِ كما ذكَرْنا. ولمَّا وصَلَ مِصْرَ أقامَ دونَ الشهرِ ثم تُوفِّى كما ذَكَرْنا، وجاءتِ التَّعْزِيَةُ ومرْسُومٌ باسْتقْرارِ ولَدِه فى مدْرسَتِه اليَعْقُوبِيَّةِ والقيمرِيَّةِ وبتَشْرِيفٍ تَطْيِيبًا لقلْبِه، وذهبَ الناسُ إلى تعْزِيَتِه على العادةِ. وقد سمِعَ قاضى القُضاةِ السُّبْكِيُّ الحديثَ فى شَبِيبَتِه بديارِ مصرَ، ورحَلَ إلى الشامِ وقرأ بنفْسِه وكتبَ وخرَّجَ، وله تَصانيفُ كثيرةٌ مُنْتَشِرَةٌ كثيرةُ الفائدةِ، وما زالَ فى مدةِ القَضاءِ يُصَنِّفُ ويكْتُبُ إلى حينِ وفاتِه، وكان كثيرَ التِّلاوَةِ، وذُكِر لى أنَّه كان يقومُ مِن الليلِ، رحمهُ اللَّهُ.

---

(١) فى م: «سادس».

(٢) بعده فى م: «بن». وانظر ترجمته فى: طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٣٩، والدرر الكامنة ٣/ ٦٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٨٠، والبدر الطالع ١٤/ ٢٥٢، وطبقات القراء ١/ ٥٥١.

(٣) فى النسختين: «تسعين». وهو خطأ؛ فإنه ولد سنة ٦٨٣ وتوفى سنة ٧٥٦، وقد نص الحسينى على أنه توفى عن ثلاث وسبعين سنة. انظر: ذيول العبر ص ٣٠٤.

وفى شهرِ جُمادَى الأُولَى مِن هذه السنَةِ اشتَهرَ أخذُ الفِرَنْجِ المخذُولينَ لمدينةِ طرابُلُسَ المغربِ . وقرأتُ مِن كتابٍ لقاضى قُضاةِ المالكيةِ أن أخْذَهم إيَّاها كانَ ليلةَ الجمعةِ مستَهَلِّ ربيعٍ الأوَّلِ مِن هذه السنَةِ ، ثم بعدَ خَمْسَةَ عشَرَ يومًا استعادَها المسلمونَ وقتَلُوا منهم أضْعافَ ما قتلُوا أوَّلًا مِن المسلمين ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وأرْسَلَ الدولةُ إلى الشامِ يطْلُبونَ مِن أمْوالِ أوقافِ الأُسَارَى ما يَسْتَنْقِذُونَ به مَن بَقِىَ فى أيْدِيهِم مِن المسلمينَ .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ حادِى عشَرَ رَجبٍ الفَرْدِ من هذه السنَةِ حكم القَاضِى المَالِكىُّ ، وهو قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ المَسَلَّاتىُّ بقَتْلِ نصرانىٍّ مِن قريةِ الرأسِ من مُعاملَةِ بَعْلَبَكَّ ؛ اسمُه داودُ بنُ سالمٍ ، ثبتَ عليه بمجْلسِ الحكْمِ فى بَعْلَبَكَّ أنَّه اعْتَرفَ بما شَهِدَ عليه أحمدُ بنُ نورِ الدينِ علىُّ بنُ غازِى مِن قريةِ اللبوةِ من الكلامِ السَّيِّئِ الذى نالَ به مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسَبَّه وقَذَفه بكلامٍ لا يليقُ ذِكْرُه ، فقُتِلَ لعنَه اللَّهُ يوْمَئذٍ بعدَ أذانِ العصرِ بسُوقِ الخَيْلِ وحرَّقَه الناسُ ، وشفَى اللَّهُ صُدورَ قومٍ مؤمنينَ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأحدِ رابعَ عشَرَ شعبانَ درَّس القاضى بهاءُالدينِ أبو البَقاءِ السُّبْكِىُّ بالمدرسةِ القيمريَّةِ ، نزلَ له عنها ابنُ عمِّه قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ ، وحضرَ عندَه القُضاةُ والأعْيانُ علَى العَادةِ ، وأخذَ فى قولِه تعالَى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

وصُلِّى بعدَ الظهرِ فى هذا اليومِ على الشيخِ الشابِّ الفاضلِ المُحَصِّلِ [١] **جمالِ الدينِ** [١] **عبدِ اللَّهِ بنِ العَلَّامَةِ شمسِ الدينِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ الحَنْبَلِىِّ** ،

(١ - ١) فى الدرر الكامنة ٢/٣٩٦ : « شرف الدين » . وانظر ترجمته هناك وفى الدارس ٢/ ٢٩٠، وشذرات الذهب ٦/١٨٠ .

ودُفِنَ عندَ أبيه بمقابرِ بابِ الصغيرِ ، وكانت جنازتُه حافلةً ، وكانت لدَيْه علُومٌ جيدةٌ ، وذِهْنُه حاضرٌ خارِقٌ ، أفْتَى ودرَّس وأعادَ وناظَرَ وحجَّ مرَّاتٍ عديدةً ، رحِمه اللَّهُ وبلَّ بالرحمةِ ثَرَاه .

وفى يومِ الاثنينِ تاسِعَ عشَرَ شَوَّالٍ وقعَ حريقٌ هائلٌ فى سُوقِ القَطَّانِينَ بالنهارِ ، وذَهبَ إليه نائبُ السلْطَنةِ والحَجَبَةُ والقُضاةُ حتى اجتَهدَ الفعولُ والمُتبرِّعُونَ فى إخْمادِه وطَفْيِه ، حتى سكَنَ شرُّه . وقد ذهبَ بسببِه دكاكِينُ ودُورٌ كثيرةٌ جدًّا ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، وقد رأيْتُه مِن الغَدِ والنارُ كما هى عَمَّالَةٌ والدُّخَانُ صاعدٌ ، وقد ذهَب [٣٩٥/٤] الناسُ يُطْفونَه بالماءِ الكثيرِ الغَمْرِ والنارُ لا تخْمُدُ ، لكِن هدَّمَتِ الجُدْرانَ وخرَّبَتِ المساكِنَ وانْتَقَلَ السُّكَّانُ .

ثم دخلَتْ سنَةُ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ البلادِ بالديارِ المصريَّةِ والشاميَّةِ والحَرَمَيْنِ وغيرِ ذلك الملكُ الناصِرُ حسَنُ بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوُون الصالِحِيُّ ، ولا نائبَ ولا وزيرَ بمصْرَ ، وإنَّما يرْجِعُ تدْبيرُ المملَكَةِ إلى الأميرِ سيفِ الدِّينِ شَيْخُون ، ثم الأميرِ سيفِ الدينِ صَرْغَتْمُش ، ثم الأميرِ عِزِّ الدينِ طُقْطاى[2] الدويدار ، وقُضاةُ مِصْرَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلها سِوَى الشافِعِيِّ فإنَّه ابنُ المُتَوفَّى ، قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوَهَّابِ بنِ تقيِّ الدينِ السُّبْكِيِّ . ونائبُ حلَبَ الأميرُ سيفُ الدينِ طاز ، وطَرابُلُسَ الأميرُ سيفُ الدينِ مَنْجَك ، وبصفَدَ الأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صبحٍ ، وبحَمَاةَ أَسَنْدَمُر[3] العُمَرِيُّ ، وبحِمْصَ علاءُ الدينِ ابنُ المعظمِ ، وببَعْلَبَكَّ الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ الأَقْوَش .

وفى العَشْرِ الأُوَلِ من رَبيعِ الأوَّلِ تَكامَلَ إصْلاحُ بَلاطِ الجامعِ الأُمَوِيِّ وغسْلُ فُصوصِ المقْصُورَةِ والقُبَّةِ ، وبُسِطَ بَسْطًا حسَنًا ، وبُيِّضَتْ أطْباقُ القَنَادِيلِ ، وأضاءَ حالُه جدًّا ، وكَان المُسْتَحِثُّ على ذلك الأميرَ علاءَ الدينِ أيْدُغْمُش أحَدَ أُمَراءِ الطَّبْلخاناه ، بمرْسُومِ نائبِ السلْطَنةِ له فى ذلك .

---

(١) ذيول العبر ص ٣٠٩، والسلوك ٣/١/٢٧، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٢، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٥٠.

(٢) فى م : « مغلطاى » .

(٣) فى الأصل : « أيدمر » ، وفى م : « يدمر » . وانظر السلوك ٣/١/٧ .

وفى يومِ الجُمُعةِ الثامن والعِشْرِينَ من رَبِيعِ الآخرِ من هذه السنَةِ صُلِّى على **الأميرِ سيفِ الدينِ** (١**بُراق أمير آخور**١) بجامعِ تَنْكِز، ودُفِن بمقابرِ الصوفيَّةِ، وكان مشْكُورَ السِّيرةِ، كثيرَ الصلاةِ والصَّدَقةِ، مُحِبًّا للخيرِ وأهْلِه، مِن أكْبَرِ أصْحابِ الشيخِ تقيِّ الدينِ ابنِ تيميةَ، رَحِمه اللَّهُ تعالَى، وقد رُسِم لوَلَدَيْه ناصرِ الدينِ محمدٍ، وسيفِ الدينِ أبى بكرٍ؛ كلٍّ منهما بعَشَرَةِ أرْماحٍ، ولناصرِ الدينِ بمكانِ أبيه فى الوَظِيفَةِ بإصْطَبْلِ السلْطانِ.

وفى يومِ الخميسِ رابع شهرِ جُمادَى الأُولَى[٢] خُلِع على الأمِيرَيْنِ الأخوَيْنِ؛ ناصرِ الدينِ محمدٍ، وسيفِ الدينِ أبى بكرٍ، وَلَدَيِ الأميرِ سيفِ الدينِ بُراق، رَحِمه اللَّهُ تعالى، بأميرين عشرَتَيْنِ[٣].

ووَقَع فى هذا الشهرِ نِزاعٌ بينَ الحنابِلَةِ فى مسْألةِ المُناقَلَةِ، وكان [٤]سَبَبَها أنَّ القاضِيَ المالِكيَّ - وهو قاضِى القضاةِ جمالُ الدينِ المَسلَّاتيُّ - أَذِن للشيخِ شَرَفِ الدينِ[٤] ابنِ قاضى الجبَلِ الحَنْبَلِيِّ أن يحْكُمَ بالمُناقَلَةِ فى قَرارِ دارِ الأميرِ سيفِ الدينِ طَيْدَمُر الإسْماعِيلِيِّ حاجبِ الحُجَّابِ إلى أرضٍ أُخْرَى يجْعَلُها وَقْفًا على ما كانتْ قَرارُ دارِه عليه، ففَعَل ذلك بطريقِه، ونفَّذَه القُضاةُ الثلاثةُ؛ الشافعِيُّ، والحنَفِيُّ، والمالِكيُّ. فغَضِب القاضِى الحَنْبَلِيُّ - وهو قاضِى القُضَاةِ جمالُ الدِّينِ المَرْدَاوِيُّ المقدسيُّ - من ذلك، وعقَدَ بسبَبِ ذلكَ مَجالِسَ، وتَطاوَلَ الكلامُ فيه، وادَّعَى

(١ - ١) فى الأصل: «راق أمير أخر». وفى م: «براق أمير أرجو». وانظر ترجمته فى: الدرر الكامنة ٢/ ٦، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٥٤، ١٥٥ وفيهما أنه توفى فى ربيع الأول.

(٢) فى الأصل: «الآخرة».

(٣) بعده فى الأصل: «موسيين».

كثيرٌ منهم أنَّ مذْهبَ الإمامِ أحمدَ فى المُناقَلَةِ إنَّما هو فى حالِ الضرورَةِ ، وحيثُ لا يمْكِنُ الانْتِفاعُ بالمَوْقُوفِ ، فأمَّا المُناقَلَةُ لمجرَّدِ المصْلَحَةِ والمَنْفَعَةِالراجِحَةِ فلا ، وامْتنعُوا مِن قَبُولِ ما قَرَّرَه الشيخُ تقىُّ الدينِ ابنُ تيميةَ فى ذلك ونَقلَه عن الإمامِ أحمدَ من وُجوهٍ كثيرةٍ مِن طريقِ ابنِه[1] صالحٍ وحَرْبٍ وأبى داودَ وغيرِهم أنَّها تجوزُ للمَصْلَحَةِ الراجِحَةِ ، وصنَّف فى ذلك مسألةً مُفْرَدَةً وَقَفْتُ عليها[2] فرأيتُها فى غايةِ الحُسْنِ والإفادةِ ، بحيثُ لا يتَخالَجُ مَنِ اطَّلَعَ عليها ممَّنْ يذُوقُ طَعْمَ الفِقْهِ أنَّها مذْهبُ الإمامِ أحمدَ ، رحمهُ اللَّهُ ؛ فقد احْتَجَّ أحمدُ فى ذلك فى رِوايَةِ ابنِه صالحٍ بما رَواه عن يزيدَ بنِ هارونَ[3] ، عن المَسْعُودِىِّ ، [4]عنِ القاسمِ[4] بنِ محمدٍ ، أنَّ عمرَ كَتَب إلى [5]ابنِ مَسْعودٍ[5] أنْ يُحَوِّل المسْجِدَ الجامِعَ بالكُوفَةِ إلى مَوْضِعِ سُوقِ التَّمّارِينَ ، ويجْعَلَ السُّوقَ فى مكانِ المسْجدِ الجامِعِ العَتِيقِ ، ففَعَل ذلك . فهذا فيه أوْضَحُ دَلالَةٍ على ما اسْتَدلَّ به فيها مِنَ النَّقْلِ بمُجَرَّدِ المَصْلَحةِ ؛ فإنَّه لا ضرورةَ إلى جَعْلِ المسْجدِ العَتِيقِ سُوقًا ، على أنَّ الإسْنادَ فيه انْقِطاعٌ بينَ القاسمِ وبينَ عُمَرَ وبينَ القاسمِ وابنِ مَسْعودٍ ، ولكِنْ قد جزَمَ به صاحِبُ « المذْهَبِ » ، واحْتَجَّ به ، وهو ظاهِرٌ واضحٌ فى ذلك ، فعُقِدَ المجْلسُ فى يومِ الاثنينِ الثامن والعِشْرِينَ من الشهرِ .

وفى ليْلةِ الأرْبِعاءِ الرابع والعشرينَ مِن جُمادَى الأُولَى وَقَع حريقٌ عظيمٌ ظاهِرَ بابِ الفَرَجِ احْتَرقَ بسببِه قَياسِيرُ كثيرةٌ لطَاز ويلبُغَا ، وقيسريَّةُ الطَّواشِىِّ لِبنْتِ

---

(١) فى م : « ابنيه » .

(٢) بعده فى النسختين : « يعنى الشيخ عماد الدين بن كثير » .

(٣) فى م : « عوف » . وانظر : تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل.

(٥ - ٥) فى الشرح الكبير ١٦/٥٢٣ : « سعد » .

تَنْكِز ، وأُخَرُ كثيرةٌ ، ودورٌ ودَكاكِينُ ، وذَهَب للناسِ شيءٌ كثيرٌ مِن الأمْتِعَةِ والنُّحاسِ والبَضَائِعِ وغيرِ ذلك ، ممَّا يقاوِمُ ألفَ ألفٍ وأكثرَ خارِجًا عنِ الأمْوالِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون . وقد ذَكَر كثيرٌ مِن الناسِ أنَّه كانَ فِى هذه القياسيرِ شرٌّ كثيرٌ مِن الفِسْقِ والرِّبا والزَّغَلِ[1] وغيرِ ذلك .

وفى السابعِ والعِشْرِينَ من جُمادَى [٤/١٩٦] الأُولَى وَرَد الخبرُ بأنَّ الفِرَنْجَ ، لعَنَهم اللَّهُ ، اسْتَحْوذُوا على مدينةِ صَيْدَا[2] ؛ قدِمُوا فى سبعةِ مَراكِبَ وقتَلُوا طائفةً مِن أهْلِها ونهَبُوا شيئًا كثيرًا وأسَرُوا أيضًا ، وهجَمُوا على الناسِ وَقْتَ الفجرِ يومَ الجُمُعةِ ، وقد قتَلَ منهم المسلمونَ خَلْقًا كثيرًا وكسَرُوا مركَبًا مِن مراكِبِهم ، وجاءَ الفِرَنْجُ فى عَشِيَّةِ السبتِ قبلَ العصرِ وقَدِم الوالى وهو جريحٌ مُثقَلٌ ، فأمرَ نائبُ السلْطَنةِ عندَ ذلك بتَجْهيزِ الجيشِ إلى تلك الناحيةِ ، فسارُوا تلك الليلةَ ، وللَّهِ الحمدُ ، وتَقَدَّمَهم حاجِبُ الحُجَّابِ ، وتحَدَّرَ إليهم نائبُ صَفَدَ الأميرُ شِهابُ الدينِ ابنُ صُبْحٍ ، فسبَقَ الجيشَ الدِّمَشْقِىَّ ، ووَجَد الفِرَنْجَ قد برَزُوا بما غَنِمُوا مِن الأمْتِعَةِ والأُسارَى إلى جزيرةٍ تِلْقاءَ صَيْدَا فى البحرِ ، وقد أسَر المسلمون منهم فى المعْرَكةِ شيْخًا وشابًّا من أبْناءِ أشْرافِهم ، وهو الذى عاقَهم عنِ الذَّهابِ ، فراسَلَهم الجيشُ فى انْفِكاكِ الأُسارَى مِن أيْدِيهم ، ففادَوهم[3] عن كلِّ رأسٍ بخَمْسِمائةٍ ، فأخذُوا مِن دِيوانِ الأُسارَى مبْلَغَ ثلاثينَ ألفًا ، ولم يَبْقَ معهم - وللَّهِ الحمدُ - أحدٌ . واسْتَمرَّ الصبىُّ مِن الفِرَنْجِ مع المسلمينَ وأسْلَمَ ، ودُفِع إليهم الشيخُ الجريحُ ، وعَطِش الفِرَنْجُ عطَشًا شديدًا ، وأرادُوا أنْ يَرْوَوا مِن نهرٍ هناك ، فبادَرَهم الجيشُ إليه

---

(١) الزغل : الغش . الوسيط (ز غ ل) .

(٢) فى م : « صفد » . وانظر : السلوك ٣/١/٢٨.

(٣) فى م : « فبادرهم » .

فمنَعُوهم أنْ ينالُوا منه قَطْرةً واحدةً ، فرَحلُوا ليلةَ الثلاثاءِ مُنْشَمِرينَ بما معهم من الغنائمِ ، وبُعِثَتْ رُءوسُ جماعةٍ مِن الفِرَنْجِ ممنْ قُتِل فى المعركةِ فنُصِبَتْ على القلعةِ بدمشقَ ، وجاءَ الخبرُ فى هذا الوقتِ بأن آياسَ[1] قد أحاط بها الفِرَنْجُ ، وقد أخَذوا الرُبَضَ[2] وهم محاصِرونَ القَلعةَ ، وفيها نائبُ البلدِ ، وذَكَروا أنَّهم قتَلُوا خلقًا كثيرًا مِن أهلِها ، فإنا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون ، وذَهَب صاحبُ حَلَبَ فى جيشٍ كثيفٍ نحوَهم ، واللَّهُ المسْئُولُ أنْ يُظْفِرَهم بهم بحوْلِه وقوَّتِه ، وشاعَ بينَ العامةِ أيضًا أن الإسكندريةَ مَحاصَرةٌ ولم يتحَقَّقْ ذلك إلى الآنَ ، وباللَّهِ المستعانُ .

وفى يومِ السبتِ رابع جُمادَى الآخرةِ قَدِم رءوسٌ من قتْلَى الفِرَنْجِ على صَيْدَا ، وهى بِضْعٌ وثلاثونَ رأسًا ، فنُصِبَتْ على شُرُفاتِ القلعةِ فَفَرِحَ المسلمونَ بذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى ليلةِ الأربعاءِ الثانِى والعِشْرِينَ من جُمادَى الآخرةِ وَقَع حريقٌ عظيمٌ داخِلَ بابِ الصَّغيرِ مِن مَطْبَخِ السكَّرِ الذى عندَ السُّوَيْقَةِ الملاصِقَةِ لمسْجدِ الشنباشىِّ[3] ، فاحتَرقَ المَطبَخُ وما حولَه إلى حمَّامِ أبى نَصْرٍ ، واتصلَ بالسوَيْقَةِ المذكُورَةِ وما هنالِكَ مِن الأماكنِ ، فكان قريبًا أو أكثرَ مِن الحريقِ ظاهِرَ بابِ الفرَجِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، وحضَر نائبُ السلْطَنَةِ ، وذلك أنَّه كان وَقْتَ صلاةِ العِشاءِ ، ولكِنْ كان الريحُ قوِيًّا ، وذلك بتَقْديرِ العزيزِ العليمِ .

---

(١) فى م : « إيناس » .

(٢) فى م : « الربيض » . والربض : ما حول المدينة . الوسيط (ر ب ض) .

(٣) فى م : « الشناشين » . ومسجد الشنباشى : عند دار ابن السحارة ، من مساجد الناحية الشامية عن يمنة الداخل من الباب الشرقى ، جدده على الشنباشى . تاريخ مدينة دمشق (القسم الأول - خطط دمشق) ص ٧١. وانظر : منادمة الأطلال ص ٢٨١.

وتُوفِّى **الشيخُ عِزُّ الدينِ محمدُ بنُ إسْماعيلَ بنِ عمرَ الحَمَوِىُّ**[1] أحدُ مشايخِ الرُّواةِ، فى ليْلةِ الثلاثاءِ الثامن والعِشْرينَ من جُمادَى الآخرةِ، وصُلِّىَ عليه مِن الغَدِ بالجامعِ الأُموِىِّ بعدَ الظهرِ، ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصغيرِ. وكانَ مولِدُه فى ثانِى عشرَ[2] رَبيعِ الأوَّلِ سنَةَ ثمانينَ وسِتِّمائةٍ، فجمعَ الكثيرَ وتفرَّدَ بالرِّوايةِ عن جماعَةٍ فى آخرِ عمرِه، وانْقَطعَ بموْتِه سماعُ «السُّنَنِ الكبيرِ» للبَيْهَقِىِّ، رَحِمه اللَّهُ.

ووَقَع حريقٌ عظيمٌ ليلةَ الجُمعةِ خامِسَ عشرَ رجبٍ بمحلَّةِ الصالِحِيَّةِ من سَفْحِ قاسِيُونَ، فاحْتَرقَ السُّوقُ القِبْلِىُّ مِن جامعِ الحنابلَةِ بكَمالِه شرْقًا وغربًا، وجَنُوبًا وشَمالًا، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ.

وفى يومِ الجُمعةِ خامس شهرِ رمضانَ خُطِب بالجامعِ الذى أنْشأه سيفُ الدينِ يَلْبُغَا الناصِرِىُّ غرْبِىَّ سُوقِ الخَيْلِ، وفُتِح فى هذا اليومِ، وجاءَ فى غايةِ الحُسْنِ والبَهاءِ، وخَطَب الشيخُ ناصِرُ الدينِ بنُ الرَّبْوَةِ[3] الحَنَفِىُّ، وكان قد نازَعَه فيه الشيخُ شمسُ الدينِ الشافعِىُّ المَوْصِلِىُّ وأظْهرَ وِلايةً مِن واقِفِه يَلْبُغَا المذْكُورِ، ومَراسِيمَ شرِيفَةً سُلْطانيَّةً، ولكِنْ قد قَوِى عليه ابنُ الرَّبْوَةِ بسبَبِ أنَّه نائبٌ عن الشيخِ قوامِ الدينِ الإتقانِىِّ الحنَفِىِّ، وهو مُقيمٌ بمِصْرَ، ومعه وِلايةٌ مِن السلْطانِ مُتأخِّرَةٌ عن وِلايةِ المَوْصِلِىِّ، فَرُسِمَ لابنِ الرَّبْوَةِ، فلبِس يومَئِذٍ الخِلْعَةَ السَّوْداءَ مِن دارِ السَّعادةِ، وجاءُوا بينَ يدَيْه بالسَّناجِقِ السُّودِ الخليفتِيَّةِ، والمُؤَذِّنُونَ يكبِّرُونَ على العادةِ، وخَطَب يومَئذٍ خُطبةً حسنةً، أكثرُها فى فَضائلِ القرآنِ، وقرأ فى

---

(١) ذيول العبر ص ٣١٢، والدرر الكامنة ٤/ ٩.

(٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «الرتوة». وانظر الجواهر المضية ٣/ ٤٢.

المحرابِ بأوَّلِ سُورَةِ « طه » ، وحَضَر كثيرٌ مِن الأُمَراءِ والخاصَّةِ والعامَّةِ وبعْضُ القُضاةِ ، وكان يومًا مشْهُودًا ، وكنتُ ممَّنْ حضرَ قريبًا منه . والعَجَبُ أنِّى وَقَفْتُ فى شهرِ ذى القَعْدَةِ[1] على كتابٍ أرْسَله بعضُ الناسِ إلى صاحبٍ له مِن بلادِ طَرَابُلُسَ ، وفيه : والمَخْدومُ يُعَرِّفُ الشيخَ [2]عمادَ الدينِ[2] بما جَرى فى بلادِ السَّواحِلِ من الحريقِ ، مِن بلادِ طَرابُلُسَ إلى آخرِ مُعامَلَةِ بَيْرُوتَ إلى جميعِ كَسْروانَ ، أحْرقَ الجبالَ كلَّها ، وماتَ الوحوشُ كلُّها مثلَ النُّمورِ والدُّبِّ والثعْلبِ والخِنْزيرِ مِنَ الحريقِ ، ما بَقِىَ للوُحوشِ موْضعٌ [٤/١٩٧] يهْرُبُونَ فيه ، وبَقِىَ الحريقُ ثلاثةَ أيامٍ ، وهرَب الناسُ إلى جانبِ البحرِ مِن خوفِ النارِ ، واحْتَرقَ زَيْتونٌ كثيرٌ ، فلمَّا نَزَل المطَرُ أطْفأَه بإذْنِ اللَّهِ تعالى قال : ومِنَ العَجبِ أنَّ ورقةً من شجرةٍ سَقَطَت فى بيتٍ مِن مِدْخَنَتِه ، فأحْرقَتْ جميعَ ما فيه مِن الأثاثِ والثِّيابِ وغيرِ ذلك ، ومِن حَلْيِه حريرًا كثيرًا ، وغالبُ هذه البلادِ للدَّرْزِيَّةِ والرافضَةِ . نقلْتُه مِن خطِّ كاتِبه محمدِ بنِ بَلبانَ إلى صاحِبِهِ - وهما عندِى ثقتان - فياللَّهِ لِلعَجَبِ !

وفى هذا الشهرِ - يعْنِى ذا القَعْدَةِ - وَقَع بينَ الشيخِ عمادِ الدينِ إسْماعيلَ بنِ العِزِّ الحنَفِىِّ وبينَ أصْحابِه من الحنَفِيَّةِ مناقشةٌ بسبَبِ اعْتدائِه على بعضِ الناسِ فى مُحاكَمةٍ ، فاقْتضَى ذلك إحْضارَه إلى مجْلسِ الحكمِ ثلاثةَ أيامٍ [3]كمثْلِ المُتَمَرِّدِ[3] عندَهم ، فلمَّا لم يحْضُرْ فيها حكَمَ عليه القاضِى شِهابُ الدينِ الكفْرىُّ نائبُ الحنَفِىِّ بإسْقاطِ عدالَتِه ، ثم ظَهَر خبَرُه بأنَّه قصَدَ بلادَ مصرَ ، فأرْسَل النائبُ فى إثْرِه مَن يرُدُّه فعنَّفَه ، ثم أطْلقَه إلى منْزِلِه ، وشَفَع فيه قاضى القُضاةِ الحنَفِىُّ

---

(١) فى الأصل : « الحجة » .

(٢ - ٢) فى م : « جمال الدين » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « كمسألة المقرر » .

فاسْتُحْسِنَ ذلك ، وللَّهِ الحمدُ .

ثم دخلَتْ سنَةُ ثمانٍ وخَمْسِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنةُ والخليفةُ أميرُ المؤمنينَ المُعْتَضِدُ باللَّهِ أبو بكرِ بنُ المُسْتَكْفِى باللَّهِ أبى الرَّبيعِ سُلَيمانَ العَبَّاسِىّ ، وسُلْطانُ الإسلامِ بالديارِ المِصريَّةِ وما يتْبعُها وبالبلادِ الشامِيَّةِ وما وَالاهَا والحرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وغيرِ ذلك الملكُ الناصِرُ حسَنُ بنُ الملكِ النَّاصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوون الصالِحِىّ ، وليسَ له بمصرَ نائبٌ ولا وزيرٌ ، وإنَّما تُرْجَعُ الأُمورُ إصْدارًا وإيرادًا إلى الأمِيرَيْنِ الكبيرَيْنِ ؛ سيفِ الدينِ شَيْخُون وصَرْغَتْمُش الناصِرِيَّيْنِ ، وقُضاةُ مِصْرَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، ونائبُ الشامِ بدِمَشْقَ الأميرُ علاءُ الدينِ أمير على المارِدانىُّ ، وقُضاةُ دِمَشْقَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها .

كائنةٌ غريبةٌ جدًّا

لمَّا كان يومُ الأرْبعاءِ الرابع والعِشْرِينَ مِن رجَبٍ مِن هذه السنَةِ نَهَدَتْ جماعةٌ مِن مُجاوِرِى الجامعِ بدِمَشْقَ مِن مَشْهَدِ علىٍّ وغيرِه ، واتَّبعَهم جماعةٌ مِن الفقراءِ والمَغارِبَةِ ، وجاءوا إلى أماكِنَ مُتَّهمَةٍ بالخمرِ وبَيْعِ الحَشِيشِ فكسَرُوا أشْيَاءَ كَثِيرةً مِن أوانِى الخمرِ ، وأراقُوا ما فيها ، وأتلَفُوا شيئًا كثيرًا مِن الحشِيشِ وغيرِه ، ثم انْتَقلُوا

---

(١) ذيول العبر ص ٣١٤ ، والسلوك ٣/١/٣٣، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٢٤ ، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٥٦.

إلى حِكْرِ السِّماقِ وغيرهم ، فثارَ عليهم مِنَ البارذاريَّةِ والكلابرِيةِ وغيرِهم مِنَ الرَّعاعِ فتناوَشُوا ، وجرتَ بينهم ضَرباتٌ[1] بالأيْدِى وغيرِها ، ورُبَّما سَلَّ بعضُ الفُسَّاقِ السُّيوفَ عَلَيهم كما ذُكِر . وقد رَسَم ملكُ الأُمَراءِ لوالِى المدينةِ ووالِى البرِّ أنْ يكُونُوا عَضُدًا لهم وعَوْنًا على الخَمَّارِينَ والحشَّاشَةِ ، فنَصَرُوهم عليهم ، غيرَ أنَّه كَثُر معهم الضَّجِيجُ ، ونصَبُوا رايةً واجْتَمعَ عليهم خَلْقٌ كثِيرٌ . ولمَّا كان فى أواخِرِ النَّهارِ تقَدَّم جَماعَةٌ مِنَ النُّقَباءِ والخزانْدارِيَّةِ ومعهم جنازيرُ فأخَذُوا جَماعةً مِن مُجاوِرِى الجامعِ وغَيرِهم وضُرِبُوا بالمقارِعِ وطِيفَ بهم فى البَلدِ ونادَوا عليهم : هذا جَزاء مَن يتعرَّضُ لِمَا لا يَعْنِيه تحتَ عِلمِ السلْطانِ . فتَعجَّب الناسُ مِن ذلِك وأنْكَرُوه ، حتى إنَّه أنْكَر اثْنانِ مِن العامَّةِ على المُنادِيَةِ ، فضرَب بعضُ الجُندِ أحدَهما بدَبُّوسٍ فقتَلَه ، وضرَب الآخرَ فيُقالُ: إنَّهُ ماتَ أيضًا . فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُونَ .

وفى شعبانَ من هذه السنَةِ حُكِى عن جارِيةٍ من عَتِيقاتِ الأميرِ سيفِ الدينِ تَمُر المَهْمَنْدار أنَّها حملَتْ قريبًا مِن سَبْعِينَ يومًا ، ثم شرَعَتْ تطْرَحُ ما فى بطْنِها فوَضَعَتْ قَرِيبًا من أرْبَعِينَ يومًا فى أيامٍ مُتَوالِيةٍ ومُتَفرِّقَةٍ أربعةَ عَشَر بنتًا وصَبِيًّا بعْدَهُنَّ ، كُلُّهنَّ يَعرفُ بشكلِ الذكرِ مِنَ الأُنْثَى[2] .

وجاءَ الخبرُ بأنَّ الأميرَ سيفَ الدينِ شَيْخُون مدَبِّرَ المَمالِكِ بالديارِ المصْريَّةِ والشامِيَّةِ ظفَر عليه مَمْلوكٌ مِن مَماليكِ السلطانِ فضرَبَه بالسيفِ ضَربَاتٍ فجرحَه فى أماكِنَ فى جسَدِه ؛ منها ما هو فى وجْهِهِ ومنها ما هو فى يَدِه ، فحُمِل إلى منزلِهِ صَرِيعًا طرِيحًا جرِيحًا ، وغَضِبَتْ لذلكَ طَوائفُ مِن الأُمراءِ حتى قيلَ إنَّهم ركِبُوا

---

(١) فى النسختين : « ضرابات » .

(٢) ذكر هذه القصة ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٧٥٥هـ . النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٠٦. وقال ابن تغرى بردى بعد أن نقل الحكاية عن المصنف : « وابن كثير ثقة حجة فيما يرويه وينقله » .

ودَعَوْا إلى المُبارَزَةِ فلم يَجِئْ إليهم ، وعظُم الخطبُ بذلك جدًّا واتَّهَمُوا به الأميرَ سيفَ الدينِ صَرْغَتْمُش وغيرَه ، وأنَّ هذا إنَّما فُعِل عن مُمَالأةٍ منهم . فاللَّهُ أعلمُ .

وَفاةُ أرْغُون الكَامِلِيّ[1] بانِى البِيمارَسْتَان بحَلَبَ

[١٩٨/٤] كانت وفاتُه بالقُدْسِ الشَّـريفِ فى يومِ الخميسِ السادس والعِشْرِينَ مِن شَوَّالٍ من هذه السنَةِ ، ودُفِن بتُرْبَةٍ أنْشأها غرْبىَّ المسْجدِ بشمالِه ، وقد نابَ بدِمَشْقَ مدةً بعدَ حَلَبَ ، ثم جرَتِ الكائِنَةُ التى أصْلُها بَيْبُغا ، قَبَّحه اللَّهُ ، فى أيامِه . ثم صَارَ إلى نيابةِ حَلَبَ ، ثم سُجِن بالإسْكَنْدَرِيَّةِ مدةً ، ثُم أُفْرِجَ عنه فأقامَ بالقُدْسِ الشَّريفِ إلى أنْ كانت وفاتُه كما ذكَرْنا فى التاريخِ المذْكُورِ ؛ حرَّرَهُ[2] الشَّريفُ ابنُ زيرك[3] ، واللَّهُ أعلمُ .

وفاةُ الأميرِ شَيْخُون[4]

ورَد الخبَرُ مِن الديارِ المصرِيَّةِ بوفاةِ الأميرِ سيفِ الدينِ شَيْخُون ليْلَةَ الجُمعَةِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣١٦ ، والوافى بالوفيات ٨/ ٣٥٦، والسلوك ٣٦/١/٣ ، والدرر الكامنة ١/ ٣٧٥، والمنهل الصافى ٢/ ٣١٩.

(٢) فى م : « عزره » .

(٣) فى م : « زريك » .

(٤) فى : ذيول العبر ص ٣١٤ ، والسلوك ٣٣/١/٣، والدرر الكامنة ٢٩٣/٢، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٤، والدليل الشافى ١/ ٣٤٦.

السادس والعِشْرِينَ مِنْ ذِى القَعْدَةِ ، ودُفِن مِن الغَدِ بتُرْبَتِه ، وقد ابْتَنَى مَدْرسةً هَائِلةً وجعَل فيها المذاهبَ الأرْبعةَ ودارًا للحديثِ وخَانَقَاه للصوفِيَّةِ ، وأوقَف عليها شيئًا كثيرًا ، وقرَّر فيها مَعالِيمَ وافرةً[1] دارَّةً ، وترَك أمْوالًا جزيلةً وحَواصِلَ كثيرةً ودَواوِينَ فى سائرِ البلادِ المصريَّةِ والشاميَّةِ ، وخلَّف بناتٍ وزوْجَةً ، وورِث البَقِيَّةَ أوْلادُ السلْطانِ المذْكُورِ - بالوَلاءِ . ومُسِك بعدَ وفاتِه أُمراءُ كثيرونَ بمصرَ كانوا مِن حِزْبِه ؛ مِن أشْهَرِهم عِزُّ الدينِ طُقْطاى الدَّوادار ، وابنُ قَوصُون ، وأمُّه أختُ السلْطانِ ، خلَفَ عليها شَيْخُون بعدَ قوصُون .

---

(١) فى م : « وقراءة » .

ثم دخلَتْ سنةُ تِسْعٍ وخَمْسِينَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنةُ وسُلْطانُ الإسْلامِ بالبلادِ المصْرِيَّةِ والشامِيَّةِ والحرَمَيْنِ الشَّريفَيْنِ وما يتْبَعُ ذلك المَلِكُ الناصِرُ حسَنُ بنُ الملكِ الناصِرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصورِ قَلاوُون بنِ عبدِ اللَّهِ الصالِحِيّ ، وقد قَوِىَ جانِبُه وحاشِيَتُه بموتِ الأميرِ شَيْخُون ، كما ذكَرْنا ، فى سادِسِ عشْرِينَ ذى القَعْدَةِ من السنَةِ الماضيةِ ، وصارَ إليه مِن مِيراثِه مِن زَهْرَةِ الحياةِ الدُّنيا شىءٌ كثيرٌ من القَناطِيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذهبِ والفِضَّةِ والخيْلِ المُسَوَّمَةِ والأنْعامِ والحَرْثِ ، وكذلك مِن المَماليكِ والأسْلحةِ والعُدَّةِ والبَرَكِ[2] والمتاجرِ ما يَشُقُّ حَصْرُه ويتَعذَّرُ إحْصاؤُه هاهُنا ، وليسَ فى الديارِ المصْرِيَّةِ فيما بلَغَنا إلى الآنَ نائبٌ ولا وزيرٌ ، والقُضاةُ بها هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، وأمَّا دِمَشْقُ فنائبُها وقُضاتُها هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها سِوَى الحنَفِيِّ ، فإنَّه قاضى القُضاةِ شرَفُ الدينِ الكَفْرِىُّ عِوَضًا عن نجمِ الدِّينِ الطَّرَسُوسِىِّ[3] ؛ تُوفِّىَ فى شعبانَ من السنَةِ الماضيةِ . ونائبُ حَلَبَ سيفُ الدِّينِ طَاز ، وطَرابُلُسَ مَنْجَك ، وحَماةَ أَسَنْدَمر العُمَرِىُّ ، وصَفَدَ شِهابُ الدِّينِ بنُ صُبْحٍ ، وبحِمْصَ صلاحُ الدينِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣١٧، والسلوك ٣/١/ ٣٩، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٨، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥٠- ٨٥٠هـ) ص ١٦١.

(٢) البرك : لفظ فارسى معناه الثوب المصنوع من وبر الجمال ، ثم أصبح فى كتب المؤرخين لفظا اصطلاحيًا يطلق على مهمات الجيش. النجوم الزاهرة ٨/٨٧ حاشية (١).

(٣) فى النسختين : « الطوسى » .

خَلِيلُ بنُ [1] خاص تُرْك [1] ، وببَعْلَبَكَّ ناصِرُ الدينِ بنُ الأَقْوش .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ رابعَ عشَرَ المُحَرَّمِ خرَجتْ أرْبعةُ آلافٍ مع أرْبعةِ مُقدَّمينَ إلى ناحيةِ حَلَبَ نُصْرَةً لجيشِ حَلَبَ على مَسْكِ طَاز إنِ امْتَنعَ مِن السلْطَنَةِ كما أُمِر .

ولمَّا كان يومُ الحادِى والعِشْرينَ مِن المُحَرَّمِ نادَى المُنادِى من جهةِ نائبِ السلْطَنةِ أنْ يرْكَب مَن بَقِىَ مِن الجُنْدِ فى الحديدِ ويُوافُوه إلى سُوقِ الخَيْلِ ، فركِبَ معهم قاصِدًا ناحيةَ ثَنِيَّةِ العُقَابِ ليمْنَعَ الأميرَ طَاز مِن دخُولِ البلدِ لمَّا تحقَّقَ مَجِيئُه فى جيْشِه قاصدًا إلى الديارِ المصْرِيَّةِ ، فانْزَعجَ الناسُ لذلك وأُخْلِيَتْ دارُ السَّعادةِ مِن الحواصِلِ والحَرِيمِ إلى القلعةِ ، وتحصَّنَ كثيرٌ مِن الأُمَراءِ بدُورِهم داخِلَ البلدِ ، وأُغْلِقَ بابُ النصْرِ ، فاسْتَوْحَشَ الناسُ مِن ذلك بعضَ الشىءِ ، ثم غُلِّقَتْ أبْوابُ البلدِ كلُّها إلَّا بابَىِ الفَرَادِيسِ والفَرَجِ ، وبابَ الجابيةِ أيضًا لأجْلِ دخُولِ الحُجَّاجِ .

ودخَل المَحْمَلُ صَبيحَةَ يومِ الجُمُعَةِ الثالث والعِشْرِينَ مِن المُحَرَّمِ ولم يشْعُرْ به كثيرٌ مِن الناسِ لشُغْلِهم بما هم فيه مِن أمْرِ طَاز ، وأمرِ العشيرِ بحَوْرَانَ ، وجاءَ الخَبرُ بمَسْكِ الأميرِ سيفِ الدينِ طَيْدَمُر [2] الحاجبِ الكبيرِ بأرْضِ حَوْرَانَ وسجْنِه بقلعةِ صَرْخَدَ ،وجاءَ سيْفُه صُحْبَةَ الأميرِ جمالِ الدينِ الحاجبِ ، فذهَب به إلى الوطاقِ عندَ الثَنِيَّةِ ، وقد وصَل طَاز بجُنودِه إلى بابِ القُطَيِّفَةِ وتلاقَى شالِيشُه [3] بشالِيشِ

(١ - ١) فى م : « خاض برك » . وانظر الوافى بالوفيات ٣٩٨/١٣، والدرر الكامنة ١٧٨/٢.

(٢) فى الأصل : « صدمر » . وانظر الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٤.

(٣) الشاليش هو الجاليش : وهى راية عظيمة فى رأسها خُصلة من الشعر تحمل فى مواكب السلطان وخاصة فى الحروب ، وكان المماليك يطلقون اللفظ أيضًا على الطليعة من الجيش . صبح الأعشى ٤/ ٨، والسلوك ٦٢٨/٢/١ حاشية (٤) .

نائبِ الشامِ ، ولم يكُنْ منهم قِتالٌ ، وللَّهِ الحمدُ . ثم تَراسَلَ هو والنائبُ فى الصُّلْحِ على أنْ يسلِّمَ طَاز نفْسَه ، ويركَبَ فى عشَرَةِ سُروجٍ إلى السلْطانِ وينْسَلِخَ ممَّا هو فيه ، ويُكاتِبَ فيه النائبَ ويتلَطَّفُوا بأمْرِه عندَ السلْطانِ ، وبكلِّ ما يقْدِرُ عليه ، فأجابَ إلى ذلك وأرْسلَ يطْلُبُ مَن يُشهِدُه على وَصِيَّتِه ، فأرْسَلَ إليه نائبُ السلْطَنةِ القاضىَ شِهابَ الدِّينِ قاضىَ العَسْكَرِ ، فذَهَب إليه فأوْصَى لولَدِه وأمِّ ولدِه ولوالدِه نفْسِه ، وجعَل الناظِرَ على وَصِيَّتِه الأميرَ علاءَ الدينِ أمير على المَارِدانىِّ نائبَ السلْطَنةِ ، وللأميرِ صَرْغَتْمُش ، ورجَع النائبُ مِن الثَّنِيَّةِ عَشِيَّةَ يومِ السبتِ بينَ العشاءَيْنِ الرابع والعِشْرِينَ منه ، وتَضاعَفَتِ الأدْعِيَةُ له وفَرِح الناس بذلك [١٩٩/٤] فرحًا شديدًا ، ودَعَوْا إلى الأميرِ طَاز بسبَبِ إجْابَتِه إلى السمعِ والطَّاعةِ وعدمِ مُقاتَلتِه مع كثْرَةِ مَنْ كان معه من الجُيوشِ وقُوَّةِ مَن كان يُحَرِّضُه على ذلك مِن إخْوَتِه[1] وذَوِيه ، وقدِ اجْتَمَعْتُ بنائبِ السلْطَنةِ الأميرِ علاءِ الدينِ أمير على المَارِدانىِّ ، فأخْبَرنى بمُلَخَّصِ ما وقَعَ منذُ خرَج إلى أنْ رجَع ، ومضْمونُ كلامِه أنَّ اللَّهَ لطَف بالمسلمينَ لُطْفًا عظيمًا إذْ لم يقَعْ بيْنَهم قِتالٌ ؛ فإنَّه قال : لمَّا وصَل طَاز إلى القُطَيِّفَةِ وقد نزَلْنا نحنُ بالقُرْبِ مِن خانِ لاجِين ، أرْسَلْتُ إليه مَمْلُوكًا مِن مَماليكِى أقولُ له : إنَّ المرْسُومَ الشَّريفَ قد ورَدَ بذَهابِكَ إلى الديارِ المصريَّةِ فى عشَرَةِ سُروجٍ فقطْ ، فإذا جِئْتَ هكذا فأهْلًا وسَهْلًا ، وإنْ لم تفْعَلْ فأنتَ أصْلُ الفِتْنَةِ . وركِبتُ ليلةَ الجُمُعَةِ طولَ الليلِ فى الجيشِ وهو مُلبسٌ ، فرجَع مُمْلوكِى ومعه مَمْلُوكُه سرِيعًا يقولُ : إنَّه يسْألُ أنْ يدْخُلَ بطُلْبِه كما خرَج بطُلْبِه مِن مِصْرَ . فقلْتُ : لا سبيلَ إلى ذلك إلَّا فى عشَرَةِ سُروجٍ كما رسَمَ السلْطانُ . فرجَع

---

(١) فى م : « أخويه » .

وجاءَنِى الأميرُ الذى جاءَ مِن مِصْرَ بطلبِه ، فقالَ : إنَّه يطْلُبُ منك أنْ يدْخُلَ فى مَماليكِه ، فإذا جاوَزَ دِمَشْقَ إلى الكُسوةِ نزَلَ جيْشُه هناك وركِبَ هو فى عشَرَةِ سُروجٍ كما رُسِمَ . فقلْتُ : لا سبيلَ إلى أنْ يدْخُلَ دِمَشْقَ ويتَجاوَزَ بطُلْبِه أصْلًا ، وإنْ كان عندَه خَيْلٌ ورِجالٌ وعُدَّةٌ ، فعندِى أضْعافُ ذلك . فقالَ لى الأميرُ : يا خوند ، لا (١تكونُ تُنْشِئُ فِتْنَةً١) . فقلْتُ : لا يقَعُ إلَّا ما تسْمَعُ . فرجَع ، فما هو إلَّا أنْ ساقَ مِقْدارَ رَمْيَةِ سَهْمٍ ، وجاءَ بعضُ الجَواسِيسِ الذين لنا عندَهم فقال : يا خوند ، ها قد وصلَ جيشُ حَماةَ وطَرابُلُسَ ومَن معهم مِن جَيْشِ دِمَشْقَ الذينَ كانوا قد خرَجُوا بسببِه ، وقد اتَّفَقُوا هم وهو . قال : فحِينَئذٍ رَكِبتُ فى الجيشِ وأرْسَلْتُ طَلِيعَتَيْنِ أمامِى وقلْتُ : تَراءَوا للجُيوشِ الذين جاءُوا حتى يَرَوْكُم فيعْلَمُوا أنَّا قد أحَطْنا بهم مِن كلِّ جانبٍ . فحِينَئذٍ جاءَتِ البُرُدُ مِن جِهَتِه بطلَبِ الأمانِ ، ويجْهَرُونَ بالإجابةِ إلى أنْ يركَبَ فى عشَرَةِ سُروجٍ ، ويتْرُكَ طُلْبَه بالقُطَيِّفَةِ ، وذلك يومَ الجمعةِ ، فلمَّا كان الليلُ ركِبتُ أنا والجيشُ فى السلاحِ طُولَ الليلِ وخَشِيتُ أنْ تكونَ مَكِيدةً وخَدِيعَةً ، فجاءَتْنا الجواسيسُ فأخْبَرُونا أنَّهم قد أوْقَدُوا نُشَّابَهم ورِمَاحَهم وكثيرًا مِن سلاحِهم ، فتَحَقَّقنا عندَ ذلك طاعتَه وإجابتَه لكلِّ ما رُسِمَ به ، فلمَّا أصْبحَ يومَ السبتِ وصَّى وركِبَ فى عشَرَةِ سُروجٍ وسارَ نحوَ الديارِ المصريَّةِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى يومِ الاثنينِ الرابع والعِشْرِينَ مِن صفَرٍ دخَل حاجِبُ الحُجَّابِ الذى كان سُجِنَ فى قلعةِ صَرْخَدَ مع البريدِىِّ الذى قَدِمَ بسببِه مِن الديارِ المصْرِيَّةِ ، وتلَقَّاه جماعةٌ مِن الأُمَراءِ والكُبَراءِ ، وتصدَّقَ بصدقاتٍ كثيرةٍ فى دارِه ، وفرِحُوا به فرحًا

(١ - ١) فى م : « يكون تنسى قيمته » .

شديدًا ، وهو والناسُ يقولُون : إنَّه ذاهِبٌ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ مُعَظَّمًا مُكرَّمًا على تَقْدِمَةِ ألفٍ ووَظائفَ هناك . فلمَّا كان يومُ الخميسِ السابع والعِشْرِينَ منه لم يُفْجَأْ الناسُ إلَّا وقد دخَل القلعةَ المنْصُورَةَ مُعْتقَلًا بها مُضَيَّقًا عليه ، فتَعجَّبَ الناسُ من هذه التَّرْحَةِ مِن تلك الفَرْحَةِ ! فما شاءَ اللَّهُ كانَ .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ رابع رَبيعِ الأوَّلِ عُقِدَ مجْلسٌ بسبَبِ الحاجبِ بالمَشْهَدِ مِن الجامعِ[1] . وفى يومِ الخميسِ أُحْضِرَ الحاجِبُ من القلعةِ إلى دارِ الحديثِ ، واجْتَمعَ القُضاةُ هناك بسبَبِ دَعاوَى يطْلُبونَ منه حقَّ بعْضِهم . ثم لمَّا كان يومُ الاثنينِ تاسعه قَدِمَ مِن الديارِ المصْرِيَّةِ مُقدَّمُ البريدِيَّةِ بطَلَبِ الحاجبِ المذْكُورِ ، فأُخْرِجَ مِن القلعةِ المنصورةِ[2] وجاءَ إلى نائبِ السلْطَنةِ فقبَّلَ قدَمَه ، ثم خرَج إلى منْزِله ، ورَكِب مِن يومِه قاصِدًا إلى الديارِ المصْرِيَّةِ مُكرمًا ، وخرَج بينَ يدَيْه خَلْقٌ مِنَ العَوامِّ والحَرافيشِ يدْعُونَ له ؛ وهذا أغْرَبُ ما أُرِّخَ ، فهذا الرجلُ نالَتْه شدَّةٌ عظيمةٌ بسبَبِ سَجْنِه بصَرْخَدَ ثم أُفْرِجَ عنه ، ثم حُبِسَ فى قلعةِ دِمَشْقَ ثم أُفْرِجَ عنه ، وذلك كلُّه فى نحْوِ شهرٍ !

ثم جاءَت الأخْبارُ فى يومِ الأحدِ ثانىَ عشَرَ جُمادَى الأُولَى بعَزْلِ نائبِ السلْطَنَةِ عن دِمَشْقَ ، فلم يركَبْ فى المَوْكِبِ يومَ الاثنينِ ، ولا حضَر فى دارِ العَدْلِ ، ثم تحقَّقَتِ الأخْبارُ بذلك ، وبذَهابِه إلى نِيابةِ حَلَبَ ، ومَجِيءِ نائبِ حَلَبَ إلى دِمَشْقَ ، فتَأسَّفَ كثيرٌ مِن الناسِ عليه لديانَتِه ، وجُودِه ، وحُسْنِ مُعاملَتِه لأهلِ العلمِ ، ولكِنَّ حاشِيَتَه لا يُنفِّذُونَ أوامِرَه ، فتوَلَّدَ بسبَبِ ذلك فسادٌ عريضٌ ، وحَمَوْا

---

(١) فى الأصل : « الحاجب » .

(٢) فى م : « السلطانية » .

كثيرًا مِن البلادِ ، فوقَعتِ الحُروبُ بينَ أهْلِها بسبَبِ ذلك ، وهاجَتِ العشيراتُ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ .

وفى صَبِيْحَةِ يومِ السبتِ الخامس والعشْرينَ خرَج الأميرُ علىٌّ المَارِدانىُّ مِن دِمَشْقَ فى طُلْبِه مُسْتجمِلًا[1] فى أُبَّهَةِ النِّيابةِ ، قاصِدًا إلى حَلَبَ المحْروسةَ ، وقد ضرَبَ وطاقَه بوَطْأةِ بَرْزَةَ ، فخرَج الناسُ للتَّفَرُّجِ على طُلْبِه . وفى هذا اليومِ بعدَ خُروجِ النائبِ بقليلٍ دخَل الأميرُ سيفُ الدينِ طَيْدَمُر الحاجِبُ من الديارِ المصريَّةِ عائدًا إلى وظيفةِ[2] الحُجُوبيَّةِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، وتلقَّاه الناسُ بالشُّموعِ ودَعَوْا له ، ثم رَكِب مِن يومِه إلى خِدْمَةِ ملكِ الأُمراءِ إلى وَطْأةِ بَرْزَةَ ، فقبَّل يدَه وخلَع عليه ملكُ الأُمَراءِ ، واصْطَلحَا .

دخُولُ نائبِ السلْطَنةِ مَنْجَك إلى دِمَشْقَ المحروسةِ

[٤/٢٠٠] كان ذلك فى صَبيحَةِ يومِ الخميسِ الرابع والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الآخِرَةِ ، مِن ناحِيَةِ حَلَبَ ، وبينَ يدَيْه الأُمراءُ والجيشُ على العادةِ ، وأُوقِدَتِ الشُّموعُ وخرَج الناسُ ، ومنهم مَنْ باتَ تلكَ الليلةَ على الأسْطِحَةِ وكان يومًا هائلًا .

وفى أواخرِ شهرِ رجبٍ برَز نائبُ السلْطَنةِ إلى الرَّبْوَةِ ، وأحْضَر القُضاةَ ووُلاةَ

---

(١) فى م : « مستعجلا » .

(٢) فى الأصل : « وجوب » .

الأُمورِ ، ورسَم بإحْضارِ المُفْتِين - وكنتُ فِى مَنْ طُلِب يَوْمَئذٍ إلى الرَّبوةِ فركِبْتُ إليها - وكان نائبُ السلْطَنةِ عزَم يَوْمَئذٍ على تَخْرِيبِ المَنازِلِ المَبْنِيَّةِ بالرَّبْوَةِ وغَلْقِ الحمَّامِ مِن أجْلِ هذه ؛ فيما ذُكِر أنَّها بُنِيَتْ ليُقْضَى فيها وهذا الحمَّامُ أوْساخُه صائِرَةٌ إلى النهرِ الذى يشْرَبُ منه الناسُ ، فاتَّفقَ الحالُ فى آخرِ الأمْرِ على إبْقاءِ المساكنِ ورَدِّ المُرْتَفَقاتِ المُسَلَّطَةِ على [1]ثَوْرا وباناس[1] ، ويُتْرَكُ ما هو مُسَلَّطٌ على بَرَدَى ، فانْكَفَّ الناسُ عنِ الذَّهابِ إلى الرَّبْوَةِ بالكُلِّيَّةِ ، ورُسِم يَوْمَئذٍ بتَضْييقِ أكْمامِ النساءِ ، وأنْ تُزالَ الأجْراسُ والرُّكُبُ عن الحَميرِ التى للمُكَارِيَّةِ[2] .

وفى أوائلِ شهرِ شعبانَ رَكِب نائبُ السلْطَنةِ يومَ الجمعةِ بعدَ العصرِ ليَقِف على الحائطِ الرُّومىِّ الذى بالرَّحبةِ ، فخافَ أهلُ الأسْواقِ وغلَّقُوا دَكاكِينَهُم عن آخرِهم ، واعْتَقدُوا أنَّ نائبَ السلْطَنةِ أمَر بذلك ، فغَضِب مِن ذلك وتنَصَّلَ منه ، ثم إنَّه أمَر بهَدْمِ الحائطِ المذْكُورِ ، وأنْ يُنْقلَ إلى العِمارَةِ التى اسْتَجَدَّها خارِجَ بابِ النصْرِ فى دارِ الصِّناعَةِ التى إلى جانبِ دارِ العَدْلِ ؛ أمَر ببِنائِها خانًا ، ونُقِلَتْ تلك الأحْجارُ إليها .

عَزْلُ القُضاةِ الثلاثةِ بدمشقَ

ولمَّا كان يومُ الثلاثاءِ تاسع شعبانَ قَدِم مِنَ الديارِ المصريَّةِ بريدِىٌّ ومعه تَذْكِرَةٌ ورَقَّةٌ[3] فيها السلامُ على القُضاةِ المُسْتَجدِّينَ ، وأخْبرَ بعَزْلِ القاضى الشافعىِّ

(١ - ١) فى الأصل : « توره باناس » ، وفى م : « توره وناس » . وثورا وباناس : من أنهار دمشق . وانظر معجم البلدان ٤٨٢/١ ، ٩٣٨ .

(٢) المكارى : مكرى الدّواب . الوسيط (ك ر ى) .

(٣) الرَّقُّ : جلد رقيق يكتب فيه . الوسيط (ر ق ق) .

والحنَفِيِّ والمالِكيِّ ، وأنَّه وَلِيَ قَضاءَ الشافِعيَّةِ القاضى بهاءُ الدينِ أبو البَقَاءِ السُّبْكِيُّ ، وقَضاءَ الحنَفِيَّةِ الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ السِّراجِ الحنَفِيُّ ، وذهَب الناسُ إلى السَّلامِ عليهم والتَّهْنِئَةِ لهم واحْتَفلُوا بذلك ، وأُخْبِرُوا أنَّ القاضى المالِكيَّ سيقْدَمُ مِن الديارِ المصريَّةِ . ولما كان يومُ السبتِ السابع والعشرينَ من شعبانَ وصَل البريدُ مِنَ الديارِ المصريةِ ومعه تَقْليدانِ وخِلْعَتانِ للقاضى الشافِعيِّ والقاضِى الحنَفِيِّ ، فلَبِسَا الخِلْعَتَيْنِ وجاءَا مِن دارِ السَّعادةِ إلى الجامعِ الأُمَوِيِّ ، وجَلَسا فى مِحْرابِ المَقْصُورةِ ، وقرأ تَقْليدَ قاضى القُضاةِ بهاءِ الدينِ أبى البَقاءِ الشافِعيِّ الشيخُ نُورُ الدينِ بن الصَّارِمِ المُحدِّثُ على السُّدَّةِ تُجاهَ المحرابِ ، وقَرَأ تقْليدَ قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ بنِ السِّراجِ الحنَفِيِّ الشيخُ عِمادُ الدينِ بنُ السِّراجِ المُحدِّثُ أيضًا على السُّدَّةِ ، ثم حكَما هنالكَ ، ثم جاءَا معًا إلى الغزَّالِيَّةِ فدَرَّس بها قاضى القُضاةِ بهاءُ الدينِ أبو البَقاءِ ، وجَلَس الحنَفِيُّ إلى جانبِه عن يَمينِه ، وحضَرْتُ عندَه ، فأخَذَ فى صِيامِ يومِ الشَّكِّ ، ثم جاءَا معًا إلى المدْرسةِ النُّورِيَّةِ فدَرَّس بها قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ المذْكورُ ، وحَضَر عندَه قاضى القُضاةِ بهاءُ الدينِ ، وذَكَرُوا أنَّه أخَذ فى قوْلِه تعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ الآية [النساء: ١٣٥] . ثم انْصَرفَ بهاءُ الدينِ إلى المدْرسةِ العادِلِيَّةِ الكبيرةِ فدرَّس بها قولَه تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ الآية [النساء: ٥٨] .

وفى صَبيحَةِ يومِ الأرْبِعاءِ ثامن شهرِ رمضانَ دخَلَ القاضى المالِكيُّ مِنَ الديارِ المصْرِيَّةِ ، فلَبِس الخِلْعَةَ يَوْمَئذٍ ، ودَخَل المقْصُورةَ مِنَ الجامعِ الأُمَوِيِّ ، وقُرِئ هنالك تقْليدُه بحضْرَةِ القُضاةِ والأعْيانِ - قَرَأه الشيخُ نورُ الدينِ بنُ الصَّارِمِ المُحدِّثُ - وهو قاضى القُضاةِ شَرَفُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ شِهابِ الدينِ عبدِ الرحمنِ بنِ

الشيخِ شَمْسِ الدينِ محمدِ بنِ عَسْكَرٍ العِراقِيُّ البَغْدادِيُّ ، قَدِم الشامَ مِرارًا ، ثم اسْتَوْطَنَ الديارَ المصريةَ بعدَ ما حَكَم ببَغْدادَ نِيابةً عن قُطْبِ الدينِ الأخوين ، ودرَّس بالمُسْتَنْصِريَّةِ بعدَ أبِيه ، وحكَمَ بدِمْياطَ أيضًا ، ثم نُقِل إلى قَضاءِ المالكيَّةِ بدِمَشْقَ ، وهو شيخٌ حسنٌ ، كثيرُ التَّوَدُّدِ ، ومُسَدَّدُ العِبارةِ ، حسَنُ البِشْرِ عندَ اللِّقاءِ ، [٤/٢٠١] مشْكُورٌ ، فى مُباشرَتِه عِفَّةٌ ونَزاهَةٌ وكَرَمٌ ، اللَّهُ يُوفِّقُه ويُسَدِّدُه .

مَسْكُ الأميرِ صَرْغَتْمُش أتابَك الأُمَراءِ بالديارِ المصْريَّةِ

وَرَد الخَبرُ إلينا بمَسْكِه يومَ السبتِ الخامس والعِشْرِينَ من رمضانَ هذا ، وأنَّه قُبِض عليه بحَضْرَةِ السلْطانِ يومَ الاثنينِ العِشْرِينَ منه ، ثم اخْتَلَفتِ الرِّوايةُ فى قَتْلِه ، غيرَ أنَّه احْتِيطَ على حَواصِلِه وأمْوالِه ، وصُودِرَ أصْحابُه وأتْباعُه ، فكانَ فيمَنْ ضُرِب وعُصِر تحتَ المُصادَرَةِ القاضى ضِياءُ الدينِ بنُ خطيبِ بيتِ الآبارِ ، واشْتَهرَ أنَّه ماتَ تحتَ العقُوبَةِ ، وقد كان مَقْصِدًا للواردِينَ إلى الديارِ المصْريَّةِ ، لاسِيَّما أهلُ بلْدَةِ دمشقَ ، وقد باشرَ عِدَّةَ وَظائفَ ، وكان فى آخِرِ عُمرِه قد فُوِّض إليه نظَرُ جميعِ الأوْقافِ ببلادِ السلْطانِ ، وتكلَّمَ فى أمْرِ الجامعِ الأُمَوِيِّ وغيرِه ، فحصَل بسبَبِ ذلك قَطْعُ أرْزاقِ جماعاتٍ مِن الكَتَبَةِ وغيرِهم ، ومالأَ الأميرَ صَرْغَتْمُش فى أُمورٍ كثيرةٍ خاصَّةٍ وعامَّةٍ ، فهلَك بسبَبِه وقد قارَبَ الثَّمانينَ .

إعادَةُ القُضاةِ

وقد كان صَرْغَتْمُش عَزَل القُضاةَ الثلاثةَ بدمشقَ ؛ وهم الشافعيُّ والحنَفيُّ والمالكِيُّ كما تقدَّم ، وعزَلَ قبْلَهم ابنَ جَماعَةَ ووَلَّى ابنَ عقيلٍ ، فلمَّا مُسِك صَرْغَتْمُش رَسَم السلْطانُ بإعادةِ القُضاةِ على ما كانُوا عليه ، ولمَّا وَرَد الخبَرُ بذلك إلى دمشقَ امْتَنَعَ القُضاةُ الثلاثةُ مِنَ الحُكمِ ، غيرَ أنَّهم حضَرُوا ليلةَ العيدِ لرُؤْيَةِ الهِلالِ بالجامعِ الأُمَوِيِّ ، ورَكِبُوا مع النائبِ صَبيحَةَ العيدِ إلى المُصَلَّى على عادةِ القُضاةِ ، وهم على وَجَلٍ ، وقد انْتَقلُوا مِن مَدارسِ الحُكمِ ، فرَجَع قاضى القُضاةِ أبو البَقاءِ الشافِعيُّ إلى بُسْتانِه بالزعيفرِيَّةِ ، ورَجَع قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ بنُ السِّراجِ إلى دارِه بالتَّعْديلِ . وارْتحلَ قاضى القُضاةِ شَرَفُ الدينِ المالِكيُّ إلى الصالحِيَّةِ داخِلَ الصِّمصامِيَّةِ ، وتألَّمَ كثيرٌ مِن الناسِ بسببِه ؛ لأنَّه قد قَدِم غريبًا مِنَ الديارِ المصْرِيَّةِ وهو فَقِيرٌ وتَدَيَّن ، وقد باشَر الحكمَ جيِّدًا ، ثم تبيَّنَ بأَخَرَةٍ أنَّه لم يُعْزَلْ وأنَّه مُسْتَمِرٌّ كما سنَذْكُره ، فَفرِح أصْحابُه وأحْبابُه ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ بذلك . فلمَّا كان يومُ الأحَدِ رابع شَوَّالٍ قَدِم البريدُ وصُحْبَتَه تقْليدُ الشافِعيِّ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ بنِ السُّبْكِيِّ ، وتقْليدُ الحنَفِيِّ قاضى القُضاةِ شَرَفِ الدينِ الكَفْرِيِّ ، واسْتَمرَّ قاضى القُضاةِ شرَفُ الدينِ المالكِيُّ العراقيُّ على قَضاءِ المالِكيَّةِ ؛ لأنَّ السلْطانَ تذَكَّرَ أنَّه كان شافَهَه بوِلايةِ القَضاءِ بالشامِ ، وسَيَّرَه بينَ يدَيْه إلى دمشقَ ، فحُمِدَتْ سِيرتُه كما حَسُنَتْ سَرِيرَتُه ، إنْ شاءَ اللَّهُ ، وفَرِح الناسُ له بذلك .

وفى ذى القَعْدَةِ تُوفِّى المُحَدِّثُ **شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سَعْدِ الدينِ يحيى بنِ محمدِ بنِ سعدٍ الحَنْبَلِيُّ**[1] ؛ يومَ الاثنينِ ثالثه ، ودُفِن مِنَ الغَدِ بالسَّفْحِ ، وقد قاربَ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٢٣، وتذكرة النبيه ٣/ ٢١٦، والدرر الكامنة ٥/ ٥٤، وشذرات الذهب ٦/١٨٨.

السِّتِّينَ ، وكَتَب كثيرًا وخَرَّج ، وكانتْ له مَعْرفةٌ جيِّدةٌ بأسْماءِ الأجْزَاءِ[1] ورُواتِها من الشيوخِ المُتأخِّرينَ ، وقد كتَب للحافظِ البرزاليِّ قِطْعةً كبيرةً مِن مَشايخِه ، وخَرَّج له عن كلٍّ حدِيثًا أو أكْثَر ، وأثْبَت له ما سَمِعه عن كلٍّ منهم ، ولم يَتِمَّ حتى تُوفِّى البرزاليُّ ، رحِمه اللَّهُ .

وتُوفِّى **بهاءُ الدينِ بنُ المَرْجانِيِّ**[2] بانِى جامعِ الفوقانيِّ ، وكان مَسْجدًا فى الأصْلِ فبَنَاه جامعًا ، وجَعَل فيه خُطْبَةً - وكنتُ أوَّلَ مَن خطَب فيه سنَةَ ثمانٍ وأرْبَعِينَ وسَبْعِمائةٍ - وسَمِع شيئًا من الحديثِ .

وبلَغنا مَقْتَلُ الأميرِ **سيفِ الدينِ بنِ فَضْلِ بنِ عِيسَى بنِ مُهَنَّا**[3] أحدِ أمراءِ الأعْرابِ الأجْوادِ الأنْجادِ ، وقد وَلِىَ إمْرَةَ آلِ مُهَنَّا غيرَ مرَّةٍ كما وَلِيَها أبوه مِن قبلِه ؛ عدَا عليه بعضُ بَنِى عمِّه فقتَلَه عن غيرِ قَصْدٍ بقَتْلِه ، كما ذُكِر ، لكِنْ لمَّا حَمَل عليه السيفَ أرادَ أنْ يدْفَعَ عن نفْسِه ويَتَّقِيَه[4] ، فضَرَبه بسيفٍ فى رأسِه ففَلَقَه ، فلم يَعِشْ بعدَها غيرَ أيامٍ قلائلَ وماتَ ، رحمهُ اللَّهُ ، آمين [٤/٢٠٢] .

عَزْلُ مَنْجَك عن دمشقَ

ولمَّا كان يومُ الأحدِ ثامن[5] ذى الحجَّةِ قَدِم أمِيرٌ مِنَ الديارِ المصريَّةِ ومعه تقْليدُ نائبِ دمشقَ ؛ وهو الأميرُ سيفُ الدينِ مَنْجَك بنِيابةِ صَفَدَ المحرُوسَةِ ، فأصْبَحَ مِنَ

---

(١) فى النسختين : « الأحرار » . والمثبت من تاريخ ابن قاضى شهبة ٢/١٤٣. وانظر : الدرر الكامنة ٥/٥٤.
(٢) ذيول العبر ص ٣٢٣، والدرر الكامنة ٣/٤٣٥، والدارس ٢/٤٤٢، وشذرات الذهب ٦/١٨٧.
(٣) السلوك ٣/١/٤٦، والدرر الكامنة ٢/٢٧٩، والدليل الشافى ٢/٣٣٨، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٠.
(٤) فى م : « بنفسه » .
(٥) فى م : « ثانى » .

الغَدِ ، وهو يومُ عرفةَ ، وقدِ انْتَقلَ مِن دارِ السَّعادةِ إلى سَطْحِ المِـزَّةِ قاصِدًا إلى صَفَدَ المَحْروسَةِ ، فعمِل العيدَ بسطْحِ المِـزَّةِ ، ثم ترَحَّلَ نحوَ صَفَدَ ، وطَمِع كثيرٌ مِن المُفْسِدينَ والخَمَّارِينَ وغيرِهم وفَرِحوا بزَوالِه عنهم .

وفى يومِ العيدِ قُرِئَ كتابُ السلْطانِ بدارِ السَّعادةِ على الأمَراءِ وفيه التَّصْرِيحُ باسْتِنابةِ أمير على المارداني عليهم وعَوْدِهِ إليهم ، والأمْرِ بطاعَتِه وتَعْظيمِه واحْتِرامِه ، والشكرِ له والثناءِ عليه ، وقَدِم الأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ مِن نيابةِ صفَدَ ونزَل بدارِه بظاهرِ البلدِ بالقُرْبِ من الشامِيَّةِ البَرَّانِيَّةِ . ووَصَلَ البريدُ يومَ السبتِ الحادِى والعِشْرِينَ مِن ذى الحجَّةِ بنَفْيِ حاجبِ الحجابِ طَيْدَمر الإسْماعِيلىِّ إلى مدينةِ حماةَ بَطَّالًا فى سَرْجَيْنِ .

ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة[1]

استهلَّتْ هذه السنَةُ وسلطانُ الديارِ المصْرِيَّةِ والشامِيَّةِ وما يتْبَعُ ذلك مِن الممالكِ الإسْلاميَّةِ الملكُ الناصرُ حسَنُ بنُ السلْطانِ الملكِ الناصِرِ محمدِ بنِ السلْطانِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوُون الصالحىّ ، وقُضاتُه بمصْرَ هم المذْكُورونَ فى السنَةِ التى قبلَها ، ونائبُه بدِمَشْقَ الأميرُ علاءُ الدينِ أمير على المارداني ، وقُضاةُ الشامِ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها غيرَ المالكِىِّ ؛ فإنَّه عُزِل جمالُ الدينِ المَسَلَّاتىُّ بالقاضى شَرفِ الدينِ العراقىِّ ، وحاجِبُ الحُجَّابِ الأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ ، [2]وخطيبُ البلدِ وكاتبُ سرِّها المَذْكوران[2] . وفى صَبيحَةِ يومِ الأربعاءِ ثالث المُحَرَّمِ دخَل الأميرُ علاءُ الدينِ أمير على نائبُ السلْطَنةِ إلى دِمَشْقَ مِن نِيابةِ حَلَبَ ، ففرِح الناسُ به وتلَقَّوه إلى أثْناءِ الطريقِ ، وحمَلَتْ له [3]العامةُ الشموعَ[3] فى طُرُقاتِ البلدِ ، ولَبِس الأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ خِلْعةَ الحِجابةِ الكبيرةِ بدمَشْقَ عِوَضًا عن نِيابَةِ صَفَدَ .

ووَرَدَتْ كتُبُ الحُجَّاجِ يومَ السبتِ الثالثَ عشَرَ منه - مُؤَرَّخةً سابعَ عشْرِينَ ذى الحجَّةِ مِن العُلَا - وذكَرُوا أنَّ صاحِبَ المدينةِ النَّبَويَّةِ عدَا عليه فِداوِيَّانِ عندَ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٢٤، وتذكرة النبيه ٢١٧/٣، والسلوك ٤٧/١/٣، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٦٦.

(٢ - ٢) فى م : « وخطباء البلد كانت أكثرها المذكورون » .

(٣ - ٣) فى م : « العمامة الشجوع » .

لُبْسِه خِلْعَةَ السلْطانِ وقْتَ دُخولِ المحْمَلِ إلى المدينةِ الشَّريفَةِ فقتَلَاه من ساعتِه ، فعَدَتْ عَبِيدُه على الحَجِيجِ الذين هم داخِلَ المدينةِ فنَهبُوا مِن أمْوالِهم وقتَلُوا بعْضَهم وخرَجُوا ، وكانوا قد أغْلَقُوا أبْوابَ المدينةِ دونَ الجيشِ فأُحْرِقَ بعضُها ، ودخَل الجيشُ السلْطانِيُّ فاسْتَنْقَذُوا الناسَ مِن أيْدِى الظالمينَ . ودخَل المحْمَلُ السلْطانِيُّ إلى دِمَشْقَ يومَ السبتِ العِشْرِينَ من هذا الشهرِ على عادَتِه ، وبينَ يدَيِ المحْمَلِ الفِداوِيَّانِ اللذانِ قَتَلَا صاحبَ المدينةِ ، وقد ذُكِرَتْ عنه أمورٌ شَنِيعَةٌ بَشِعَةٌ ؛ من غُلُوِّه فى الرَّفْضِ المُفْرِطِ ، ومِن قوْلِه إنَّه لو تمكَّنَ لأَخْرجَ الشَّيْخَيْنِ مِن الحُجْرَةِ ، وغيرَ ذلك مِن عباراتٍ مُؤَدِّيَةٍ لعدَمِ إيمانِه إنْ صحَّ عنه ذلك ، واللَّهُ أعلمُ .

وفى صَبيحَةِ يومِ الثلاثاءِ سادس صَفَرٍ مُسِك الأميرُ شِهابُ الدينِ بنُ صُبْحٍ حاجِبُ الحُجَّابِ ووَلَدَاه الأميرانِ ، وحُبِسُوا فى القلعةِ المنْصُورةِ ، ثم سافَر به الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ جاربك[1] بعدَ أيامٍ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ ، وفى رِجْلِ ابنِ صُبْحٍ قَيْدٌ ، وذُكِر أنَّه فُكَّ مِن رِجْلِه فى أثْناءِ الطَّريقِ . وفى يومِ الاثنينِ ثالِثَ عشَرَ صَفَرٍ قدِم نائبُ طَرابُلُسَ الأميرُ سيفُ الدينِ عبدُ الغَنىِّ فأُدْخِلَ القلعةَ ثم سافَرَ به الأميرُ علاءُ الدينِ بنُ أبى بكرٍ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ مُحْتَفِظًا به مُضَيِّقًا عليه ، وجاءَ الخَبرُ بأنَّ مَنْجَك سافَر [٢٠٣/٤] مِن صفَدَ على البريدِ مَطْلُوبًا إلى السلْطانِ ، فلمَّا كان بيْنَه وبينَ غَزَّةَ بريدٌ واحدٌ دخَل بمَنْ معه مِن خدمِهِ التِّيهَ[2] فارًّا مِن السلْطانِ ،وحينَ وصَل الخبرُ إلى نائبِ غَزَّةَ اجْتَهدَ فى طلَبِه فأعْجَزَه وتَفارَطَ الأمْرُ .

---

(١) فى م : « خاربك » .

(٢) التيه : المفازة لا علامة فيها يهتدى بها . الوسيط (ت ى هـ) .

مَسْكُ الأميرِ علىٍّ المارداني نائبِ الشامِ

وأصْلُ ذلك أنَّه فى صَبيحَةِ يومِ الأرْبعاءِ الثانى والعِشرِينَ من رَجَبٍ رَكِب الجيشُ إلى تحتِ القلعةِ مُلبِسينَ وضربَتِ البشائرُ فى القلعةِ فى ناحيةِ الطَّارِمَةِ، وجاءَ الأُمراءُ بالطَّبْلخاناه مِن كلِّ جانبٍ، والقائمُ بأعْباءِ الأمْرِ الأميرُ سيفُ الدِّينِ بَيْدَمُر الحاجِبُ، ونائبُ السلْطَنةِ داخِلَ دارِ السَّعادةِ والرُّسُلُ مُرَدَّدَةٌ بيْنَه وبينَ الجيشِ، ثم خرَج فحُمِلَ على سُروجٍ يسيرةٍ مُحْتاطًا عليه إلى ناحيةِ الدِّيارِ المصْريَّةِ، واسْتَوْحَشَ مِن أهلِ الشامِ عندَ بابِ النصْرِ، فتَباكَى الناسُ رحمةً له وأسَفَةً عليه؛ لدِيانَتِه وقِلَّةِ أذِيَّتِه وأذِيَّةِ الرَّعِيَّةِ وإحْسانِه إلى العُلماءِ والفقراءِ والقُضاةِ.

ثم فى صَبيحَةِ يومِ الخميسِ الثالث والعِشْرِينَ منه احْتِيطَ على الأُمَراءِ الثلاثةِ؛ وهم الأميرُ سيفُ الدينِ طَيْبُغَا[1] حاجى أحدُ مُقَدَّمى الألُوفِ، والأميرُ سيفُ الدِّينِ قُطْلِيجَا[2] الدَّوادار أحدُ المُقدَّمِينَ أيضًا، والأميرُ علاءُ الدينِ أيْدُغْمُش المارداني أحدُ أُمَراءِ الطَّبْلخاناهِ، وكان هؤلاءِ ممَّنْ حضَر نائبَ السلَطْنَةِ المذْكُور وهم جُلَساؤُه وسُمَّارُه، والذينَ بسِفارتِه أُعْطوا الأخْبَازَ[3] والطَّبْلخاناه والتقادمَ، فرُفِعُوا إلى القلعةِ المنْصُورةِ مُعْتَقَلِينَ بها مع مَن بها مِن الأُمَراءِ، ثم ورَد الخَبرُ بأنَّ الأميرَ عليًّا رُدَّ مِن الطريقِ بعدَ مُجاوَزَتِه غَزَّةَ وأُرْسِلَ إليه بتقْليدِ نيابةِ صفَدَ المحروسةِ، فتماثَلَ الحالُ وفرِح بذلك أصْحابُه وأحْبابُه، وقَدِم مُتَسلِّمُ نائبِ دِمَشْقَ

---

(١) فى الأصل: «طنبغا». وانظر: ذيول العبر ص ٣٢٧.

(٢) فى م: «فطليخا». وانظر المصدر السابق.

(٣) فى م: «الأجناد».

الذى خُلِع عليه بنِيابَتِها بالديارِ المصْريَّةِ فى يومِ الخميسِ سادِسَ عشَرَ شهرِ رجَبٍ بعدَ أن اسْتَعْفَى مِن ذلك مِرارًا ، وباسَ الأرْضَ مِرارًا ، فلم يُعْفِه السلْطانُ ؛ وهو الأميرُ سيفُ الدينِ أسَنْدَمُر أخو يَلْبُغا اليَحْيَاوِىِّ ، الذى كان نائبَ الشامِ ، وبنتُه اليومَ زوجةُ السلْطانِ ، قَدِم مُتَسَلِّمُه إلى دِمَشْقَ يومَ الخميسِ سلْخَ الشهرِ ، فنزَل فى دارِ السَّعادةِ ، وراحَ القُضاةُ والأعْيانُ للسَّلامِ عليه والتَّوَدُّدِ إليه ، وحُمِلتْ إليه الضِّيافاتُ والتَّقادمُ .

كائنــةٌ وقَعَتْ بقَرْيَةِ حَوْرَانَ فأوْقَعَ اللَّـهُ بهم بأْسًا شديدا فى هذا الشهرِ الشَّريفِ

وذلك أنَّهم أشهرُ أهلِ قريةٍ بحَوْرَانَ ، وهى خاصٌّ لنائبِ الشامِ وهم حَلَبِيَّةُ يَمَنٍ ، ويقالُ لهم : بَنُو لبسه وبنى ناشى . وهى حَصينةٌ مَنِيعةٌ يضْوِى إليها كلُّ مُفْسِدٍ وقاطعٍ ومارقٍ ، ولَجَأ إليهم أحدُ شياطينِ روس[1] العشيرِ ؛ وهو عمرُ المعْروفُ بالدُّنيطِ . فأعدُّوا عُدَدًا كثيرةً ونهَبُوا ليَغْنَمُوا العشيرَ ، وفى هذا الحينِ بدَرَهم وَالِى الوُلاةِ المعْروفُ بشنكل منكل . فجاءَ إليهم ليَرُدَّهم ويَهْدِيَهم ، وطلَب منهم عمرَ الدُّنيطَ فأبَوْا عليه ، ورَامُوا مُقاتَلَتَه ، وهم جمعٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، فتأخَّر عنهم ، وكتَب إلى نائبِ السلْطَنَةِ ليَمُدَّه بجيشٍ عَوْنًا له عليهم وعلى أمْثالِهم ، فجهَّز له جماعةً مِن أُمراءِ الطَّبْلخاناه والعشراواتِ ومِائَةً مِن جُنْدِ الحلقَةِ الرُّماةِ ، فلمَّا بغَتَهم فى بلَدِهم تجمَّعُوا لقِتالِ العَسْكرِ ورَمَوْه بالحِجارَةِ والمَقاليعِ ، وحجَزُوا

---

(١) فى م : « رويمن » .

بينَهم وبينَ البلدِ ، فعندَ ذلك رمَتْهُم الأتْراكُ بالنِّبالِ مِن كلِّ جانبٍ ، فقتَلُوا منهم فوقَ المائةِ ، ففَرُّوا راجعين على أعْقابِهم ، وأسَر منهم وَالِى الوُلاةِ نحْوًا مِن سِتِّينَ رجلًا ، وأمَر بقَطْعِ رُءوسِ القَتْلَى وتعْلِيقِها فى أعْناقِ هؤلاءِ الأسْرَى ، ونُهِبَتْ بيوتُ الفلَّاحينَ كلُّها وسُلِّمَتْ إلى مَماليكِ نائبِ السلْطَنَةِ ؛ لم يَفْقِدْ منها ما يُساوِى ثَلاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وكَرَّ راجِعًا إلى بُصْرَى وشيوخُ العشراتِ معه ، فأخْبَرَنى[1] الأميرُ صلاحُ الدينِ ابنُ خاص ترك - وكان مِن جملةِ أُمَراءِ الطَّبْلخاناه الذين قاتلُوهم - بمَبْسُوطِ ما يخُصُّه ، وأنَّه كان إذا أعْيَا بعضُ أولئك الأسْرَى مِن الجَرْحَى أمَرَ المشاعليَّ بذَبْحِه وتَعْليقِ رأسِه على بَقِيَّةِ الأسْرَى ، وفعَل هذا بهم غيرَ مرَّةً حتى إنَّه قطَع رأسَ شابٍّ منهم وعلَّقَ رأسَه على أبيهِ ؛ شيْخٍ كبيرٍ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، [٤/٢٠٤] حتى قَدِم بهم بُصْرَى فشكَل طائفةً مِن أولئك المأْسُورِينَ ، وشكَل آخرينَ ووَسَّطَ الآخرِينَ ، وحبَس بعْضَهم فى القلعةِ ، وعلَّقَ الرُّءوسَ على أخْشابٍ نصَبها حولَ قَلْعَةِ بُصْرَى ، فحصَل بذلك تَنْكِيلٌ شديدٌ لم يقَعْ مثلُه فى هذا الأوانِ بأهلِ حَوْرَانَ ، وهذا كلُّه سُلِّطَ عليهم بما كسَبَتْ أيْدِيهم ، وما رَبُّكَ بظَلَّامٍ للعبيدِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩] . فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ .

دخُولُ نائبِ السلْطَنةِ الأميرِ سيفِ الدينِ أَسَنْدَمُر اليَحْيَاوِىّ

فى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ حادِىَ عشَرَ شَعبانَ مِن هذه السنَةِ كان دخولُ الأميرِ

---

(١) فى م : « فأخبر ابن » .

سيفِ الدِّينِ أَسَنْدَمُر اليَحْيَاوِىِّ نائبًا على دِمَشْقَ مِن جِهَةِ الديارِ المصريَّةِ ، وتلَقَّاه الناسُ واحْتَفلُوا له احْتِفالًا زائدًا ، وشاهَدْتُه حينَ ترَجَّلَ لتَقْبِيلِ العَتَبةِ وبعضُدِه الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر الذى كان حاجِبَ الحُجَّابِ وعُيِّنَ لنيابةِ حَلَبَ المَحْروسَةِ ، فاسْتَقبلَ القِبْلَةَ وسجَد [1]على العتبةِ[1] ، وقد بُسِطَ له عندَها مَفارِشُ وصَمْدَةٌ هائلةٌ ، ثم إنَّه ركِبَ فتَعَضَّدَه بَيْدَمُر أيضًا وسارَ نحوَ المَوْكِبِ فأَوْكَبَ[2] ، ثم عادَ إلى دارِ السَّعادةِ على عادةِ مَن تقَدَّمَه مِن النُّوَّابِ ، وجاءَ تقْليدُ الأميرِ سيفِ الدينِ بَيْدَمُر مِن آخِرِ النهارِ لنيابَةِ حَلَبَ المَحْروسةِ .

وفى آخِرِ نَهارِ الثلاثاءِ بعدَ العصرِ ورَد البريدُ البَشِيرِىُّ[3] وعلى يَدِه مرْسُومٌ شريفٌ بنَفْيِ القاضى بهاءِ الدينِ أبى البَقاءِ وأوْلادِه وأهْلِه إلى طَرابُلُسَ بلا وَظيفةٍ ، فشَقَّ ذلك عليه وعلى أهْلِيه ومَن يَلِيه ، وتغَمَّمَ له كثيرٌ مِن الناسِ ، وسافَر ليلةَ الجمُعةِ وقد أُذِنَ له فى الاسْتِنابَةِ فى جِهاتِه ، فاستَنابَ ولَدَه الكبيرَ ولِىَّ[4] الدِّينِ .

واشْتَهرَ فى شَوَّالٍ أنَّ الأميرَ سيفَ الدينِ مَنجَك الذى كان نائبَ السلْطَنةِ بالشامِ وهرَب ولم يُطَّلَعْ له على خَبَرٍ فلمَّا كان فى هذا الوقْتِ ذُكِرَ أنَّه مُسِكَ ببلدِ بحران[5] مِن معاملةِ مَارِدِينَ فى زِىٍّ فقيرٍ ، وأنَّه احْتُفِظَ عليه وأرْسَلَ السلْطانُ فداويه[6] ، وعَجِب كثيرٌ مِنَ الناسِ من ذلك ، ثم لم يظهَرْ لذلك حقيقةٌ ، وكان الذينَ رأَوْه ظنُّوا أنَّه هو ، فإذا هو فقيرٌ مِن جملةِ الفقراءِ ، يُشْبِهُه مِن بعضِ الوُجوهِ .

(١ - ١) فى م : « عند القبلة » .
(٢) فى م : « فأركب » .
(٣) فى الأصل : « البشير » .
(٤) فى م : « عز » .
(٥) فى الأصل : « انحران » .
(٦) فى م : « قراره » .

واشتهَر فى ذى القَعْدَةِ أنَّ الأميرَ عِزَّ الدينِ فياضَ بنَ مُهَنَّا مَلِك العربِ خرَج عن طاعةِ السلْطانِ وتوَجَّهَ نحوَ العراقِ ، فورَدَتِ المَراسيمُ السلْطانِيَّةُ لمَنْ بأرضِ الرَّحبةِ مِن العساكرِ الدِّمَشقيَّةِ ؛ وهم أرْبعَةُ مُقَدَّمِينَ فى أرْبَعَةِ آلافٍ ، وكذلك جيشُ حَلَبَ وغيرُه بتَطَلُّبِه وإحْضارِه إلى بينِ يدَيِ السلْطانِ ، فسَعَوْا فى ذلك بكُلِّ ما يقْدِرُونَ عليه ، فعجَزُوا عن لحاقِه والدُّخولِ وراءَه إلى البَرارِى ، وتَفارَط الحالُ وخلَص إلى أرضِ العِراقِ ، فضاقَ النِّطاقُ وتعَذَّرَ اللِّحاقُ .

ثم دخلَت سنَةُ إحْدَى وستّيـنَ وسبْعِمائةٍ[1]

اسْتهلَّتْ وسُلْطانُ المسلمينَ المِلِكُ الناصِرُ[2] حسَنُ بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ ابنِ الملكِ المَنْصُورِ قَلاوُون ، وقُضاةُ مِصْرَ والشامِ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، ونائبُ الشامِ الأميرُ سيفُ الدينِ أسَنْدَمُر أخو يَلْبُغا اليَحْياوِىِّ ، وكاتبُ السِّرِّ القاضى أمينُ الدينِ بنُ القلانِسىِّ .

وفى مُسْتَهَلِّ المحُرَّمِ جاءَ الخَبرُ بموتِ **الشيخِ صلاحِ الدينِ العَلائِىِّ**[3] بالقُدْسِ الشَّريفِ ليْلةَ الاثنينِ ثالث المحُرَّمِ ، وصُلِّى عليه مِن الغَدِ بالمَسْجِدِ الأقْصَى بعدَ صلاةِ الظهرِ ، ودُفِنَ بمَقْبَرةِ [4]بابِ الرَّحْمَةِ[4] ، وله مِن العُمرِ سِتٌّ وسِتُّونَ سنةً ، وكان مدةُ مُقامِه بالقُدْسِ مُدرسًا بالمدْرسةِ الصَّلاحِيَّةِ وشيْخًا بدارِ الحديثِ السكريَّةِ ثلاثينَ سنَةً ، وقد صَنَّفَ وألَّفَ وجمَعَ وخرَّجَ ، وكانتْ له يَدٌ طُولَى فى معرفتِه [٤/٢٠٥] العَالِىَ والنازِلَ ، وتخْريجِ الأجْزاءِ والفَوائدِ ، وله مُشارَكَةٌ قَوِيَّةٌ فى الفِقْهِ واللغةِ والعربيةِ والأدَبِ ، وفى كِتابَتِه ضَعْفٌ لكِن مع صِحَّةٍ وضَبْطٍ لمَا يُشْكِلُ ، وله عدَّةُ مُصَنَّفاتٍ ، وبَلغَنى أنَّه وقَفَها على الخَانقَاه السُّمَيْسَاطِيَّةِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٣٠، والسلوك ٣/١/ ٥٠، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٦، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥- ٨٥٠هـ) ص ١٧٠ .

(٢) بعده فى الأصل : « محمد بن المنصور » .

(٣) طبقات الشافعية ١٠/ ٣٥، والدرر الكامنة ٢/ ١٧٩، والسلوك ٣/١/٥٥، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٣٧، وشذرات الذهب ٦/١٩٠.

بدِمَشْقَ ، وقد وَلِىَ بعدَه التدْرِيسَ بالصَّلاحِيَّةِ[1] الخطيبُ بُرْهانُ الدينِ بنُ جماعةَ ، والنَّظَرَ بها ، وكان معه تَفْوِيضٌ منه مُتَقَدِّمُ التاريخِ .

وفى يومِ الخَميسِ السادِس مِن مُحَرَّمٍ احْتِيطَ على مُتَوَلِّى البَرِّ ابنِ بَهادُر السَّنْجَرِىِّ[2] ورُسِمَ عليه بالعَذْرَاوِيَّةِ بسَبَبِ أنَّه اتُّهِم بأخْذِ مَطْلَبٍ من نعمانِ البَلْقاءِ هو وكُجْكُن الحاجِبُ ، وقاضى حَسَّانَ[3] ، والظاهِرُ أنَّ هذه مُرافَعةٌ مِن خَصْمٍ عَدُوٍّ لهم ، وأنَّه لم يكُنْ مِن هذا شىءٌ ، واللَّهُ أعلمُ . ثم ظُهِرَ على رجلٍ يُزَوِّرُ المراسِيمَ الشَّريفَةَ ، وأُخِذَ بسببِه مدرِّسُ الصارِمِيَّةِ ؛ لأنَّه كان عندَه فى المدْرسَةِ المذْكُورَةِ ، وضُرِبَ بينَ يدَىْ ملكِ الأُمَراءِ ، وكذلك على الشيخِ زَيْنِ الدينِ زَيْدٍ المَغْرِبِىِّ الشافِعِىِّ ، وذُكِرَ عنه أنَّه يَطْلُبُ منه مَرْسومًا لمدْرسَةِ الأكْزِيةِ[4] ، وضُرِبَ أيضًا ورُسِمَ عليه فى حَبْسِ السُّدِّ ، وكذلك حُبِسَ الأميرُ شِهابُ الدينِ الذى كان مُتَوَلِّىَ البلدِ ؛ لأنَّه كان قد كُتِبَ له مَرْسُومٌ شَرِيفٌ بالوِلايةِ ، فلمَّا فَهِمَ ذلك كاتبُ السِّرِّ أطْلَعَ عليه نائبَ السلْطَنَةِ ، فانْفَتَحَ عليه البابُ ، وحُبِسُوا كلُّهم بالسُّدِّ ، وجاءَتْ كُتُبُ الحُجَّاجِ ليلةَ السبتِ الخامِسَ عشَرَ مِن المحَرَّمِ وأخْبَرَتْ بالخِصْبِ والرُّخْصِ والأمْنِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ودخَلَ المحْمَلُ بعدَ المَغْرِبِ ليلةَ السبتِ الثانى[5] والعِشْرِينَ منه ، ثم دخَلَ

---

(١) فى م : « بالصرخصية » .

(٢) فى الأصل : « الشريجى » ، وفى م : « الشيرجى » . والمثبت من السلوك ، ٢/١/ ١٠٦.

(٣) قرية حسان بين دير العاقول وواسط ، ويقال لها قرنا أم حسان أيضا . انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٦٦.

(٤) فى م : « الاكرية » . وهى مدرسة شافعية ، بانيها أكز حاجب نور الدين محمود ، وهى غربى الطيبة والتنكزية وشرقى أم الصالح . انظر : الدارس ١/ ١٦٦.

(٥) فى م : « الحادى » .

الحَجِيجُ بعدَه فى الطِّينِ[1] والدَّحَضِ، وقد لَقُوا[2] مِن ذلك مِن بلادِ حَوْرَانَ عَناءً[3] وشِدَّةً، ووَقَعَتْ جِمالاتٌ كثيرةٌ، وسُبِيَتْ نِساءٌ كثيرةٌ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ، وحصَلَ [4]لكثيرٍ مِن الناسِ[4] تعبٌ شديدٌ.

ولمَّا كان يومُ الاثنينِ الرابع والعِشْرِينَ قُطِعَتْ يدُ الذى زوَّرَ المراسِيمَ؛ واسْمُه السِّراجُ عُمَرُ القِفْطِىُّ المِصْرِىُّ - وهو شابٌّ كاتبٌ مِنْطِيقٌ[5] على ما ذُكِرَ - وحُمِلَ فى قَفَصٍ على جَملٍ، وهو مقْطوعُ اليَدِ، ولم يُحْسَمْ[6] بَعْدُ والدمُ ينْصَبُّ منها، وأُرْكِبَ معه الشيخُ زينُ الدينِ زيدٌ على جَملٍ وهو منْكُوسٌ وجْهُهُ إلى ناحيةِ دُبُرِ الجَملِ، وهو عُرْيانُ مَكْشُوفُ الرأسِ، وكذلك البَدْرُ الحِمْصِىُّ على جَملٍ آخرَ، وأُرْكِبَ الوَالى شِهابُ الدينِ على جَمَلٍ آخرَ وعليه تخْفِيفَةٌ[7] صغيرةٌ وخُفٌّ وقَباءٌ، وطِيفَ بهم فى مَحالِّ البلدِ، ونُودِى عليهم: هذا جَزاءُ مَن يُزَوِّرُ على السلْطانِ! ثم أُوْدِعُوا حبسَ البابِ الصغيرِ، وكانُوا قبْلَ هذا التَّعْزِيرِ فى حَبْسِ السُّدِّ، ومنه أُخِذُوا وأُشْهِرُوا، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون.

مَسْكُ مَنْجَك وصِفَةُ الظُّهورِ عليه وقد كان مُخْتَفِيًا بدِمَشْقَ قريبًا مِن سنةٍ

لمَّا كان يومُ الخميسِ السابع والعِشْرِينَ مِن المُحَرَّمِ جاءَ ناصِحٌ إلى نائبِ السلْطَنَةِ الأميرِ سيفِ الدينِ أَسَنْدَمُر فأخْبرَه بأنَّ مَنْجَك فى دارٍ بالشَّرَفِ الأعْلَى، فأرْسَلَ مِن فَوْرِه إلى ذلك المنْزِلِ [٤/٢٠٦] الذى هو فيه - بعْضَ الحَجَبَةِ ومَن عندَه مِن

---

(١) فى الأصل: «الدين».
(٢) فى الأصل: «كموا».
(٣) فى الأصل: «رخا».
(٤ - ٤) فى م: «للناس».
(٥) فى م: «مطيق».
(٦) يُقال: حَسَمَ العِرْقَ: قطَعه وكواه لئلا يسيل دمه. الوسيط (ح س م).
(٧) التخفيفة: العمامة. وانظر فهارس الملابس المملوكية.

خَواصِّه ، فأُحْضِرَ إلى بينِ يدَيْه مُحْتَفَظًا عليه جدًّا ، بحيثُ إنَّ بعْضَهم رَدَفَه[1] مِن وَرائِه واحْتَضنَه ، فلمَّا واجَهَه نائبُ السلْطَنَةِ أكْرمَه وتلَقَّاه وأجْلَسه معه على مِقْعَدتِه وتلَطَّفَ به وسقَاه وأضافَه - وقد قيلَ : إنَّه كان صائمًا فأفْطَرَ عِنْدَه - وأعْطاه مِن مَلابسِه ، وقيَّدَه وأرْسلَه إلى السلْطانِ مِن ليْلَتِه ؛ ليلةِ الجُمُعَةِ ، مع جماعَةٍ مِن الجُنْدِ وبعضِ الأُمَراءِ ؛ منهم حُسامُ الدينِ أمير حاجِب ، وقَدْ كان أرْسلَ نائبُ السلْطَنَةِ ولَدَه بسَيْفِ مَنْجَك مِن أوائلِ النَّهارِ ، وتعجَّبَ الناسُ مِن هذه القَضِيَّةِ جدًّا ، وما كانَ يظُنُّ[2] كثيرٌ مِن الناسِ إلَّا أنَّه قد عُدِمَ [3]باغْتِيالٍ أو أنَّه[3] فى بَعْضِ البلادِ النائِيَةِ ، ولم يَشْعُرِ الناسُ أنَّه فى وَسَطِ دِمَشْقَ وأنَّه يمْشِى بيْنَهُم مُتَنكِّرًا ، وقد ذُكِرَ أنَّه كان يحْضُرُ الجُمعاتِ بجامعِ دِمَشْقَ ويَمْشِى بينَ الناسِ مُتَنكِّرًا فى لُبْسِه وهَيْئَتِه ، ومع هذا لنْ يُغْنِىَ حَذَرٌ مِن قَدَرٍ ! ولكُلِّ أجلٍ كتابٌ ! وأُرْسِلَ ولدُ مَلِكِ الأُمراءِ بالسيفِ وبمَلابسِه التى كان يتَنَكَّرُ بها ، وبُعِثَ هو مع جماعَةٍ من الأُمَراءِ الحَجَبَةِ وغيرِهم وجَيْشٍ كثيفٍ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ مُقَيَّدًا مُحْتَفَظًا عليه ، ورجَعَ ابنُ ملكِ الأُمَراءِ بالتُّحَفِ والهدايَا والخِلَعِ والإنْعامِ لوالدِه ولحاجِبِ الحُجَّابِ ، ولَبِسَ ذلك الأُمَراءُ يومَ الجُمعةِ ، واحْتَفَلَ الناسُ بالشُّموعِ وغيرِها ، ثم تَواتَرَتِ الأخْبارُ بدُخولِ مَنْجَك إلى السلْطانِ وعَفْوِه عنه وخِلْعَتِه الكامِلَةِ عليْه وإطْلاقِه له الحُسامَ[4] والخيولَ المُسَوَّمَةَ والألْبسَةَ المُفْتَخَرَةَ والأمْوالَ والأمانَ ، وتَقْدِيمِ الأُمَراءِ والأكابرِ له مِن سائرِ صُنوفِ التُّحَفِ ، وقدِم الأميرُ علىٌّ مِن صَفَدَ قاصِدًا إلى حَمَاةَ لنِيابَتِها ، فنزَلَ القَصْرَ الأبْلَقَ ليلةَ الخميسِ رابع صَفَرٍ

---

(١) فى م : « رزفه » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى م : « باعتبار أنه » .

(٤) فى الأصل : « الحمام » .

وتَوَجَّهَ ليلةَ الأحَدِ سابعه .

وفى يومِ الخميس الثامِنَ[1] عشَرَ من صَفَرٍ قَدِمَ القاضى بَهاءُ الدينِ أبو البَقاءِ مِن طَرابُلُسَ بمرْسُومٍ شريفٍ أنْ يعُودَ إلى دِمَشْقَ على وظائِفه المُبْقاةِ عليه ، وقد كان ولدُه وَلِىُّ الدينِ ينُوبُ عنه فيها ، فتَلقَّاه كثيرٌ مِن الناسِ إلى أثْناءِ الطريقِ ، وبرَزَ إليه قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ إلى حَرَسْتَا[2] ، وراحَ الناسُ إلى تَهْنِئَتِه إلى دارِه ، وفرِحُوا برجُوعِه إلى وطَنِه . ووَقَع مَطَرٌ عظيمٌ فى أوَّلِ هذا الشهرِ ، وهو أثْناءُ شهرِ شُبَاطَ ، وسَقَطَ ثَلْجٌ عظيمٌ جدًّا ، فرَوِيَتِ البساتينُ التى كانتْ لها عن الماءِ عدَّةُ شُهورٍ ، ولا يحْصُلُ لأحَدٍ مِن الناسِ سَقْىٌ إلَّا بكُلْفَةٍ عظيمةٍ ومشَقَّةٍ ومَبْلغٍ كثيرٍ ، حتى كادَ الناسُ يقْتَتِلُونَ عليه بالأيْدِى والدَّبابيسِ وغيرِ ذلكِ مِنَ البَذْلِ الكَثيرِ ، وذلك فى شُهورِ كانُونَ الأوَّلِ والثانى ، وأوَّلِ شُبَاطَ ؛ وذلك لقِلَّةِ مِياهِ الأنْهَارِ وضَعْفِها ، وكذلك بلادُ حَوْرَانَ أكثرُهم يَرْوُونَ مِن أماكِنَ بَعيدةٍ فى هذه الشهورِ - ثم مَنَّ اللَّهُ تعالَى فجرَتِ الأوْدِيَةُ ، وكثُرَتِ الأمْطارُ والثُّلوجُ ، وغزُرَتِ الأنْهارُ - وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ - وتوالَتِ الأمْطارُ ، فكأنَّه حصَلَ السَّيْلُ فى هذه السنَةِ مِن كانُونَ إلى شُبَاطَ ، فكأنَّ شُبَاطَ هو كانُونُ ، وكانُونَ لم يَسِلْ فيه مِيزَابٌ واحدٌ . ووصَلَ فى هذا الشهرِ الأميرُ سيفُ الدينِ مَنْجَك إلى القُدْسِ الشَّريفِ ؛ ليَبْتَنِىَ للسلْطانِ مدْرسةً وخَانَقَاه غرْبِىَّ المسْجدِ الشَّريفِ ، وأُحْضِرَ الطَّرْخانُ[3] الذى كُتِبَ له بماءِ الذَّهبِ إلى دِمَشْقَ وشاهدَه الناسُ ، ووقَعْتُ على نُسْخَتِه وفيها تعْظيمٌ زائدٌ ومدحٌ

---

(١) فى الأصل : « الثانى » .

(٢) فى الأصل : « حرسا » . وحرستا : هى قرية كبيرة فى بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ . انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤١.

(٣) فى م : « الفرمان » . والطرخان المراد به أن يصير الشخص مسموحًا له بالخِدَم السلطانية ؛ يقيم حيث شاء ، ويرتحل متى شاء . وهو ما يشابه الرخصة فى زماننا . وانظر : صبح الأعشى ١٣/٤٨ وما بعدها .

وثَناءٌ له ، وشُكْرٌ على مُتَقَدَّمِ خِدَمِه لهذه الدولةِ ، والعَفْوُ عَمَّا مضى من زلَّاتِه ، وذِكْرُ سِيرَتِه بعبارةٍ حسَنةٍ .

وفى أوائلِ شهرِ رَبيعِ الآخرِ رُسِمَ على المُعَلِّمِ سنجر مَمْلُوكِ ابنِ هِلَالٍ صاحبِ الأمْوالِ الجزيلةِ بمَرْسُومٍ شريفٍ قَدِمَ مع البريدِ ، وطُلِبَ منه سِتُّمائَةِ ألفِ دِرْهَمٍ ، واحْتِيطَ على العِمارَةِ التى أنْشأها عندَ بابِ الناطفانيينَ ليجَعْلَها مدْرسةً ، ورُسِمَ بأنْ يُعْمَرَ مكانَها مكْتَبٌ للأيْتامِ ، وأنْ يُوقَفَ عليهم كِفايتُهم[1] جارِيَةً عليهم ، وكذلك رُسِمَ بأنْ يُجعَلَ فى كلِّ مدرسَةٍ من مَدارسِ المَمْلكَةِ الكِبارِ ، وهذا مقْصِدٌ جيِّدٌ ، وسُلِّمَ المعلِّمُ سنجر إلى شادّ الدَّواوينِ يسْتَخْلِصُ منه المبلغَ المذْكُورَ سريعًا ، فعَاجَلَ بحَمْلِ [٢٠٧/٤] مائَتَىْ ألفٍ ، وسُيِّرَتْ مع أميرِ عشرةٍ إلى الدِّيارِ المصْريَّةِ .

الاحْتِيَاطُ على الكَتَبَةِ والدَّواوينِ

وفى يومِ الأربعاءِ خامِسَ عَشَرَ ربيعِ الآخرِ ورَد مِن الديارِ المصريَّةِ أميرٌ معه مرْسُومٌ بالاحْتِياطِ على دَواوِينِ السُّلْطانِ ، بسبَبِ ما أكَلُوا مِن الأمْوالِ المُرَتَّبَةِ للناسِ مِن الصَّدَقاتِ السلْطانِيَّةِ وغيرِ ذلك ، فرُسِمَ عليهم بدارِ العَدْلِ البَرَّانِيَّةِ وأُلْزِمُوا بأمْوالٍ جزيلةٍ كثيرةٍ ، بحيثُ احْتاجُوا إلى بَيْعِ أثاثِهم وأقْمِشَتِهم وفُرُشِهم وأمْتعتِهم وغيرِها ، حتى ذُكِرَ أنَّ منهم مَن لم يكُنْ له شىءٌ يُعْطِيه فأحْضَرَ بَناتَه إلى الدَّكَّةِ ليَبِيعَهُنَّ ! فتَباكَى الناسُ وانْتحَبُوا رحمةً ورِقَّةً لأبِيهنَّ . ثم أُطْلِقَ بعْضُهم وهم الضُّعفاءُ منهم والفُقراءُ الذينَ لا شىءَ معهم ، وبَقِيَتِ الغَرامَةُ على الكُبَراءِ منهم ، كالصاحبِ والمُسْتَوْفِينَ ، ثم شُدِّدَت عليهم المُطالبَةُ وضُربُوا ضَرْبًا مُبَرِّحًا ،

---

(١) فى م : « كتابتهم » .

وأَلْزَموا الصاحِبَ بمالٍ كثيرٍ ، بحيثُ إنَّه احْتاجَ إلى أنْ سألَ مِن الأُمَراءِ والأكابرِ والتجارِ بنَفْسِه وبأوْراقِه ، فأسْعَفُوه بمبلغٍ كثيرٍ يُقارِبُ ما أُلزِمَ بِهِ ، بعدَ أنْ عُرِّىَ ليُضْرَبَ ، ولكِنْ تُرِكَ ، واشْتَهرَ أنَّه قد عُيِّنَ عِوَضُهُ مِن الديارِ المصريَّةِ .

مَوْتُ فَيَّاضِ بنِ مُهَنَّا[1] : ورَدَ الخبَرُ بذلك يومَ السبتِ الثامِنَ عشَرَ مِنه ، فاسْتَبْشَرَ بذلك كثيرٌ مِن الناسِ وأرْسِلَ إلى السلطانِ مبشرونَ بذلك ؛ لأنَّه كان قد خرَجَ عنِ الطاعةِ وفارَقَ الجماعةَ فماتَ مِيتَةَ جاهِليَّةٍ بأرْضِ العراقِ ، أرضِ الشِّقاقِ والنِّفاقِ ، وقد ذُكِرَتْ عن هذا المذكورِ أشْياءُ صدَرَتْ عنه مِن ظُلْمِ الناسِ والإفْطارِ فى شهرِ رمضانَ بلا عُذْرٍ ، وأمْرِهِ أصْحابَه وذَوِيه بذلِك فى هذا الشهرِ الماضى ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ . جاوَزَ السَّبْعِينَ .

كائنةٌ عَجِيبَةٌ جدًّا وهى هَدْمُ المعلمِ سنجر مَمْلوكِ ابنِ هِلَالٍ

فى اليومِ الرابعِ والعِشْرِينَ مِن رَبِيعٍ الآخرِ أُطْلِقَ المعلمُ الهِلَالِىُّ بعدَ أنِ اسْتَوْفَوْا منه تكْمِيلَ سِتِّمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ ، فباتَ فى مَنْزِله عندَ بابِ الناطفانيين سرُورًا بالخَلَاصِ ، ولمَّا أصْبَحَ ذَهَبَ إلى الحمَّامِ وقد ورَدَ البريدُ مِن جِهَةِ السلْطانِ مِن الدِّيارِ المصْريَّةِ بالاحْتِياطِ على أمْوالِه وحوَاصِلِهِ ، فأقْبَلَتِ الحَجَبَةُ ونُقَباءُ النَّقَبةِ والأعْوانُ مِن كلِّ مكانٍ ، فقَصَدُوا دارَه فاحْتاطُوا بها وعليها بما فيها ، ورُسِمَ عليه وعلى ولديْهِ ، وأُخرِجتْ نساؤُه من المنزلِ فى حالةٍ صعبةٍ ، وفتَّشُوا النساءَ وانتزَعُوا

---

(١) الدرر الكامنة ٣/٧١٣، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥- ٨٥٠هـ) ص ١٧٦.

عنهنَّ الحُلِىَّ والجواهِرَ والنَّفائِسَ ، واجْتَمعَتِ العامَّةُ والغَوْغَاءُ ، وحضَرَ بعضُ القُضاةِ ومعهُ الشُّهودُ بضَبْطِ الأمْوالِ والحُجَجِ والرُّهونِ ، وأحْضَرُوا المُعلّمَ ليَسْتَعْلِمُوا منهُ جَلِيَّةَ ذلك ، فوَجَدُوا مِن حاصلِ الفِضَّةِ أوَّلَ يومٍ ثلاثَمائةِ ألفٍ وسَبْعِينَ ألفًا ، ثم صَنادِيقَ أخْرَى لم تُفْتَحْ وحَواصِلَ لم يصِلُوا إليها لضِيقِ الوقتِ ، ثم أصْبَحُوا يومَ الأحَدِ فى مثْلِ ذلك ، وقد باتَ الحرَسُ على الأبْوابِ والأسْطحَةِ لِئَلَّا يُعْدَى عليها فى الليلِ ، وبات هو وأوْلادُه بالقلعةِ المنْصُورةِ مُحْتَفَظًا عليهم ، وقد رَقَّ له كثيرٌ مِنَ الناسِ لما أصابَه مِنَ المُصِيبَةِ العظيمةِ بعدَ التى قبلَها سريعًا .

وفى أواخرِ هذا الشهرِ تُوفِّى **الأميرُ ناصِرُ الدينِ محمدُ بنُ الدوادار السكرىُّ**[1] ، كان ذا مكانَةٍ عندَ أُسْتاذِه ومنْزِلَةٍ عاليةٍ ، ونالَ مِن السَّعادةِ فى وظيفَتِه أقْصاها ، ثم قلَبَ اللَّهُ قلْبَ أُسْتاذِه عليه فضَرَبَه وصادَره وعزَلَه وسجَنَه ، ونزَلَ قَدْرُه عندَ الناسِ ، وآلَ به الحالُ إلى أنْ كان يقِفُ على الباعةِ[2] بفرَسِه ويشْتَرِى منهم ويُحاكِكُهم ، ويحْمِلُ حاجتَه معه فى سَرْجِه ، وصارَ مُثْلَةً بينَ الناسِ بعدَ أنْ كان فى غايةِ ما يكونُ فيه الدوادرِيَّةُ مِن العِزِّ والجَاهِ والمالِ والرِّفعةِ فى الدنْيا ، وحقٌّ على اللَّهِ تعالَى أنْ لا يُرْفَعَ شىءٌ مِن أمْرِ الدنْيَا إلَّا وضَعَه !

وفى صَبيحَةِ يومِ الأحَدِ سابعَ عشَرِه أُفْرِجَ عنِ المعلِّمِ الهِلالىِّ وعن وَلَدَيْه ، وكانوا مُعْتقَلينَ بالقلعةِ المنْصُورةِ ، وسُلِّمتْ إليهم دُورُهم وحواصِلُهم ، ولكِنْ أُخِذَ ما كان حاصِلًا فى دارِه ؛ وهو ثَلاثُمائَةِ ألفٍ وعِشْرونَ ألفًا ، وخُتِمَ على [٤/ ٢٠٨] حُجَجِه ليُعْقَدَ لذلك مجْلسٌ ليرْجِعَ رأسُ مالِه منها ؛ عملًا بقولِه تعالى :

---

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) فى م : « أتباعه » .

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. ونُودِىَ عليهِ فى البلدِ: إنَّما فعَلنا به ذلك لأنَّه لا يُؤَدِّى الزَّكاةَ ويُعامِلُ بالرِّبا! وحاجِبُ السلْطانِ ومُتَوَلِّى البلدِ وبَقِيَّةُ المُتَعمِّمِينَ والمشاعليَّةُ تُنادِى عليهِ فى أسْواقِ البلدِ وأرْجائِها.

وفى اليومِ الثامِنِ والعِشْرِينَ مِنه ورَدَ المرْسُومُ السلْطانىُّ الشريفُ بإطْلاقِ الدَّواوينِ إلى ديارِهم وأهالِيهم، ففرِحَ الناسُ بسبَبِ ذلك لخَلاصِهم ممَّا كانوا فيه من العُقوبَةِ والمُصادَرةِ البليغةِ، ولكِنْ لم يَسْتَمِرَّ بهم فى مُباشَراتِهم.

وفى أواخرِ الشهرِ تكلَّمَ الشيخُ شِهابُ الدينِ المَقْدِسىُّ الواعظُ؛ قَدِمَ مِن الديارِ المصْريَّةِ تُجَاهَ مِحْرابِ الصحابةِ واجْتَمعَ الناسُ إليهِ وحضَرَ مِن قُضاةِ القُضاةِ الشافعِىُّ والمالِكىُّ، فتكلَّمَ على تفْسيرِ آياتٍ من القرآنِ، وأشارَ إلى أشْياءَ مِن إشاراتِ الصوفِيَّةِ بعباراتٍ طَلْقةٍ مُعْرَبةٍ حُلوةٍ صادِعَةٍ للقُلوبِ، فأفادَ وأجادَ، ووَدَّعَ الناسَ بعَوْدِه إلى بلَدِه، ولمَّا دعَا اسْتَنْهَضَ الناسَ للقيامِ فقامُوا فى حالِ الدعاءِ، وقدِ اجْتَمَعْتُ به بالمجْلسِ فرأيْتُه حسَنَ الهَيْئَةِ والكلامِ والتَّأدُّبِ، فاللَّهُ يصْلِحُه وإيَّانا، آمِينَ.

وفى مُسْتَهلِّ جُمادَى الآخرةِ ركِبَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر نائبُ حَلَبَ لقصْدِ غَزْوِ بلادِ سِيسَ فى جيشٍ كثيفٍ، لَقَّاه اللَّهُ النصرَ والتأْييدَ.

وفى مُسْتَهَلِّ هذا الشهرِ أصْبَحَ أهلُ القلعةِ وقد نَزَلَ جماعَةٌ مِن أُمَراءِ الأعْرابِ مِن أعالِى مَحْبَسِهم[1] فى عَمائِمَ وحِبَالٍ إلى الخَنْدَقِ وخاضُوه وخرَجُوا مِن عندِ

---

(١) فى م: «مجلسهم».

جِسْرِ الزلابيةِ ، فانْطَلقَ اثْنانِ[1] وأُمْسِكَ الثالثُ الذى تبقَّى فى السجنِ ، وكأنَّه كان يُمْسِكُ لهم الحيالَ حتى تدَلَّوا فيها ، فاشْتَدَّ نكِيرُ نائبِ السلْطَنةِ على نائبِ القلعةِ ، وضَرَبَ ابْنَيْه النَّقِيبَ وأخاه وسجَنَهما ، وكاتَبَ فى هذهِ الكائِنَةِ إلى السلْطانِ ، فوَرَد المَرْسُومُ بعَزْلِ نائبِ القلعةِ وإخْراجِه منها ، وطَلَبِه لمُحاسَبةِ ما قبَضَ مِن الأمْوالِ السلْطانِيَّةِ فى مُدَّةِ سِتِّ سنين مِن مُباشرَتِه ، وعَزْلِ ابْنِه عن النِّقابَةِ ، وابْنِه الآخرِ عن استادّارِيةِ السلْطانِ ، فنزَلُوا مِن عِزِّهم إلى عَزْلِهم .

وفى يومِ الاثنينِ سابعَ عشَرِه جاءَ الأميرُ تاجُ الدينِ جبْرِيلُ مِن عِندِ الأميرِ سيفِ الدينِ بَيْدَمُر نائبِ حَلَبَ ، وقد فتَحَ بَلَدَيْنِ مِن بلادِ سِيسَ ؛ وهما طَرَسُوسُ وأذَنةُ ، وأرْسَلَ مَفاتِيحَهما صُحْبَةَ جِبْرِيلَ المذْكُورِ إلى السلْطانِ ، أيَّدَهُ اللَّهُ تعالَى ، ثمّ افْتَتَحَ حُصُونًا أُخَرَ كثيرةً فى أسْرَعِ مدةٍ وأيْسَرِ كُلْفَةٍ ، وخطَبَ هناك القاضِى ناصِرُ الدينِ كاتبُ السِّرِّ خُطبَةً بليغةً حسنةً ، وبلَغَنِى فى كتابٍ أنَّ أبْوابَ كَنيسَةِ أذَنَةَ حُمِلَتْ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ فى المراكبِ . قلْتُ : وهذه هى أبْوابُ الناصرِيَّةِ التى بالسَّفْحِ ، أخذَها صاحبُ[2] سِيسَ[3] عامَ قَازَانَ ، وذلِك فى سنَةِ تسْعٍ وتِسعينَ وسِتِّمِائةٍ ، فاسْتُنْقِذَتْ وللَّهِ الحمدُ فى آخرِ هذه السنَةِ .

وفى أواخرِ هذا الشهرِ بلَغَنا أنَّ الشيخَ قُطْبَ الدينِ هرماس الذى كان شيخَ السلْطانِ طُرِدَ عن جنابِ مَخْدُومِه ، وضُرِبَ وصُودِرَ وخُرِّبَتْ دارُه إلى الأساسِ ، ونُفِىَ إلى مِصْيافِ[4] ، فاجْتَازَ بدِمَشْقَ ونزَل بالمدْرسةِ الحَلَبِيةِ[5] ظاهِرَ بابِ الفرَجِ ،

---

(١) فى الأصل : « أنباؤه » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى الأصل : « تمام » .

(٤) مصياف : بلدة جليلة ، ولها قلعة حصينة فى لحف جبل اللكام الشرقى عن حماة وطرابلس ، وهى قاعدة قلاع الدعوة من أعمال طرابلس . صبح الأعشى ٤/١١٣.

(٥) فى م : « الجليلة » .

وزُرْتُه فى مَنْ سَلَّم عليه واجتمعتُ به ، فإذا هو شيخٌ حسَنٌ عندَه ما يقالُ ويتَلفَّظُ مُعْرِبًا جيِّدًا ، ولدَيْه فَضِيلةٌ ، وعندَه تَواضُعٌ وتصَوُّفٌ ، فاللَّهُ يُحْسِنُ عاقِبتَه . ثمَّ تحوَّلَ إلى العَذْراوِيَّةِ .

وفى صَبيحَةِ يومِ السبتِ سابع شهرِ رجَبٍ توَجَّهَ الشيخُ شرَفُ الدينِ أحمدُ ابنُ الحسَنِ بنِ قاضى الجَبَلِ الحَنْبَلىُّ إلى الديارِ المصْرِيَّةِ مَطْلُوبًا على البريدِ مِن السلْطانِ لتَدْريسِ الطائفَةِ الحَنْبَلِيَّةِ بالمدْرَسةِ التى أنْشأها السلْطانُ بالقاهرةِ المُعِزِّيَّةِ ، وخرجَ لتَوْدِيعِه القُضاةُ والأعْيانُ إلى أثْناءِ الطريقِ ، كتبَ اللَّهُ سلامتَه .

مَسْكُ نائبِ السَّلْطَنَةِ أَسَنْدَمُر اليَحْيَاوِى[1]

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأربعاءِ الخامس والعشرينَ مِن رجبٍ قُبِضَ على نائبِ السلطنةِ الأميرِ سيفِ الدينِ أسَنْدَمُر أخِى يَلبُغا اليَحياوىِّ ، عَن كتابٍ ورَد مِن السلطانِ صُحبةَ الدَّوَادَار [٤/٢٠٩] الصغيرِ ، وكان يومَئِذٍ راكِبًا بناحِيةِ مَيْدانِ ابنِ أتابك ، فلمَّا رجَعَ إلى عندِ مَقابرِ اليهودِ والنَّصارَى احْتاطَ عليهِ الحاجِبُ الكبيرُ ومَن معهُ مِنَ الجيشِ ، وألزمُوه بالذَّهابِ[2] إلى ناحيةِ طرابُلُسَ ، فذهبَ مِن عَلى طريقِ الشيخِ رَسْلان ، ولمْ يُمَكَّنْ مِنَ المسِيرِ إلى دَارِ السَّعادةِ ، ورُسِمَ عليه مِن الجندِ مَن أوْصَلَه إلى طَرابُلُسَ مُقيمًا بها بطَّالًا ، فسُبحانَ مَن بيده ملكوتُ كلِّ شىءٍ ، يفعَلُ ما يشاءُ ! وبَقِىَ البلدُ بلا نائبٍ ، يحكُمُ فيهِ الحاجبُ الكبيرُ عن مرسومِ

---

(١) فى م : « البحناوى » . وانظر : الدرر الكامنة ١/٤١٣.

(٢) فى الأصل : « بالذاهب » .

السُّلطانِ ، وعُيِّن للنيابةِ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر النائبُ بحَلَبَ .

(١) وفى شَعبانَ وصَل تقليدُ الأميرِ سيفِ الدينِ بَيْدَمُر بنيابةِ دِمَشْقَ (١) ، ورُسِمَ له أنْ يركَبَ فى طائفةٍ مِن جيشِ حَلَبَ ويقصِدَ الأميرَ حيَّارَ بنَ مُهَنَّا ؛ ليُحضِرَه إلى خِدمةِ السُّلطانِ ، وكذلك رُسِمَ لنائِبَىْ حَمَاةَ وحِمْصَ أنْ يكونَا عونًا للأميرِ سيفِ الدينِ بَيْدَمُر فى ذلك ، فلمَّا كان يومُ الجُمُعةِ رابعُهُ التقَوا مع حيَّارٍ عندَ سَلَمْيَةَ ، فكانتْ بينَهم مناوشاتٌ ، فأخبَرَنى الأميرُ تاجُ الدينِ إسرائيلُ (٢) الدَّوادار - وكان مُشاهدَ الوقْعَةِ - أنَّ الأعْرابَ أحاطوا بهم مِن كلِّ جانبٍ ، وذلك لكثرةِ العَربِ وكانوا نحوَ الثَّمانِمائةِ ، وكانتِ التركُ مِن حَمَاةَ وحِمْصَ وحَلَبَ مائةً وخمسِينَ ، فرمَوا الأعرابَ بالنُّشَّابِ فقتَلوا منهم طائفةً كثيرةً ، ولم يُقتَلْ مِنَ التُّركِ سِوَى رجُلٍ واحدٍ ، رَماه بعضُ الترْكِ ظانًّا أنَّه مِنَ العربِ بناشِجٍ فقتَلَه ، ثم حَجز بينهم الليلُ ، وخرَجتِ التركُ مِن الدائرةِ ، ونُهِبت أمْوالٌ مِنَ الترْكِ ومِنَ العربِ ، وجرَت فتنةٌ وجُرِّدت أُمراءُ عدَّةٌ مِن دِمَشْقَ لتَدارُكِ الحالِ ، وأقامَ نائبُ السَّلطنةِ ينتظِرُ ورودَهم ، وقدِم الأميرُ عمرُ المُلَقبُ بمصمعِ بنِ مُوسى بنِ مُهَنَّا مِنَ الدِّيارِ المصريَّةِ أميرًا على الأعرابِ وفى صُحبتِه الأميرُ بدرُ الدينِ رَمْلَةُ بنُ جَمّازٍ أميرانِ على الأعْرابِ ، فنزَلَ مصمعٌ بالقَصرِ الأبْلَقِ ، ونزَل الأميرُ رَمْلَةُ بالنوريَّةِ (٣) على عادتِه ، ثم توَجَّهَا إلى ناحيةِ حيَّارٍ بمَن مَعهما مِن عرَبِ الطاعةِ ممَّن أُضيفَ إليهم مِن تجْرِيدَةِ دِمَشْقَ ومَن يكونُ معهمْ مِن جيشِ حَمَاةَ وحِمْصَ لتَحْصِيلِ الأميرِ حيَّارٍ ، وإحْضارِه إلى الخِدمةِ الشريفَةِ ، فاللَّهُ تعالى يُحسِنُ العاقبةَ .

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « بالتوزية » . وانظر الدارس ٢/٣٣٤.

دخُولُ نائبِ السَّلطنةِ
الأميرِ سيفِ الدينِ بَيْدَمُر إلى دِمَشْقَ

وذلك صَبيحَةَ يومِ السبتِ التاسِعَ عَشَرَ مِن شعبانَ ، أقبَلَ بجيشِه مِن ناحيةِ حَلَبَ ، وقد باتَ بوَطْأَةِ برْزَةَ ليلةَ السبتِ ، وتلقَّاه الناسُ إلى حَمَاةَ ودونِها ، وجرَت له وقعةٌ مع العَربِ كما ذكَرنا ، فلمَّا كان هذا اليومُ دخَلَ فى أُبَّهةٍ عظيمةٍ وتجمُّلٍ حافلٍ ، فقبَّلَ العتبةَ على العادةِ ، ومشَى إلى دارِ السَّعادةِ ، ثم أقبَلت جَنائِبُه فى لُبوسٍ هائلةٍ باهرةٍ ، وعَددٍ كثيرٍ وعُدَدٍ ثمينةٍ ، وفرِح المسلمون به لشهامتِه وصرامتِه وأمرِه بالمعروفِ ونهيِه عنِ المنكرِ ، واللَّهُ تعالَى يؤيِّدُه ويسدِّدُه .

وفى يومِ الجُمُعَةِ ثانى شهرِ رمضانَ خطَبتِ الحنابلةُ بجامعِ القُبَيْبَاتِ ، وعُزِل عنهُ القاضى شِهابُ الدينِ قاضى العسكرِ الحَنَفِيُّ[1] بمرسومِ نائبِ السلطانِ ؛ لأنَّه كان يعرِفُ أنَّه كان مختصًّا[2] بالحنابلةِ منذُ عُيِّنَ إلى هذا الحينِ .

وفى يومِ الجُمُعَةِ السادِسَ عشَرَ منه قُتِل عثمانُ بنُ محمدٍ المعروفُ بابنِ دَبادِب الدَّقَّاق - بالحديدِ على ما شهِد عليه به جماعةٌ لا يُمكنُ تواطُؤُهم على الكَذِبِ ؛ أنَّه كان يُكْثِرُ مِن شتْمِ الرسولِ ﷺ ، فَرفِعَ إلى الحاكمِ المالكيِّ وادُّعِى عليه فأظهرَ التجانُنَ[3] ، ثم استقَرَّ أمرُه على أنْ قُتِلَ ، قبَّحه اللَّهُ وأبعدَه ولا رحِمَه .

وفى يومِ الاثنينِ السادِس والعِشْرِينَ منه قُتل محمدٌ المَدْعُو زُبالةَ الذى

---

(١) فى م : « الحنبلى » .
(٢) فى م : « مختصرًا » .
(٣) فى م : « التجابن » .

انْحازَ[1] لابنِ مَعْبدٍ، على ما صدَرَ منه مِن سَبِّ النبيِّ ﷺ ودَعْواه أشْياءَ كُفْرِيَّةً، وذُكرَ أنَّه كان يكْثِرُ الصلاةَ والصيامَ، ومع هذا يصْدُرُ منه أحْوالٌ بَشِعَةٌ فى حقِّ أبى بكرٍ وعمرَ وعائشةَ أمِّ المؤمنينَ، وفى حقِّ النبيِّ ﷺ، فضُرِبَتْ عنُقُه أيضًا فى هذا اليومِ فى سُوقِ الخَيْلِ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وفى ثالِثَ عشَرَ شَوَّالٍ خرجَ المحْمَلُ السلْطانيُّ وأميرُه الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ قَرَاسُنْقُر، وقاضى الحَجِيجِ الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ سَنَدٍ المُحدِّثُ، أحَدُ المُفْتِينَ.

وفى أواخرِ شهرِ شَوَّالٍ[2] أخِذَ رجلٌ يقالُ له: حسَنٌ. كان خَيَّاطًا بمحلَّةِ الشَّاغُورِ، ومن شأْنِه أنْ ينْتَصِرَ لِفِرْعَوْنَ، لعنَه اللَّهُ، ويزْعُمُ أنَّه ماتَ على الإسْلامِ ويحْتَجُّ بأنَّه فى سُورَةِ «يُونُسَ» حِينَ أدْرَكَه الغَرَقُ قالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. ولا يفْهَمُ معْنَى قوْلِه: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ [٤/٢١٠] وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. ولا معْنَى قوْلِه: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥]. ولا معْنَى قوْلِه: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦]. إلى غيرِ ذلكِ مِن الآياتِ والأحاديثِ الكثيرةِ الدَّالَّةِ على أنَّ فِرْعَوْنَ أكْفَرُ الكافِرين، كما هو مُجْمَعٌ عليه بينَ اليهودِ والنصارَى والمسلمينَ.

وفى صَبِيحَةِ يومِ الجُمعةِ سادِس القَعْدَةِ قَدِم البرِيدُ بطَلبِ نائبِ السلْطَنةِ إلى

---

(١) فى الأصل: «مهتاز». وفى م: «بهتار».

(٢) كذا بالنسختين. وفى الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٢ ذكرت هذه القصة عن ابن كثير فى محرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

الديارِ المِصْرِيَّةِ فى تَكْرِيمٍ وتَعْظِيمٍ، على عادةِ تَنْكِز، فتوَجَّه النائبُ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ - وقد اسْتَصْحَبَ معه تُحَفًا سَنِيَّةً وهدايا مُعَظَّمَةً تصْلُحُ للإيوانِ الشَّريفِ - فى صَبِيحَةِ السبتِ رابعَ عشَرِه، وخرَج معه القُضاةُ والأعْيانُ مِن الحجَبَةِ والأُمَراءِ لتَوْديعِه.

وفى أوائلِ ذى الحِجَّةِ ورَدَ كتابٌ مِن نائبِ السلْطَنةِ بخَطِّه إلى قاضى القُضاةِ تاجِ الدِّينِ الشافِعىِّ يسْتَدْعِيه إلى القُدْسِ الشَّريفِ، وزِيارَةِ قَبْرِ الخَليلِ، ويذْكُرُ فيه ما عاملَه به السلْطانُ مِنَ الإحْسانِ والإكْرامِ والاحْتِرامِ والإطْلاقِ والإنْعامِ؛ مِن الخَيْلِ والتُّحَفِ والمالِ والغَلَّاتِ - فتوَجَّهَ نحْوَه قاضى القُضاةِ يومَ الجُمعةِ بعدَ الصلاةِ رابعه على سِتَّةٍ مِن خَيْلِ البريدِ، ومعه تحَفٌ وما يُناسِبُ مِنَ الهدَايا، وعادَ عَشِيَّةَ يومِ الجمعةِ ثامنَ عشَرِه إلى بُسْتانِه.

ووَقعَ فى هذا الشهرِ والذى قبلَه سُيولٌ كثيرةٌ جدًّا فى أماكِنَ مُتَعدِّدَةٍ عندَهم، (١من ذلك ما شاهَدْنا آثارَه فى مدينةِ بَعْلَبَكَّ، أتْلَفَ شيئًا كثيرًا مِن الأشْجارِ، واخْتَرقَ أماكِنَ كثيرةً مُتَعدِّدَةً عندَهم١)، وبَقِى آثارُ سَيْحِه على أراضٍ كثيرةٍ، ومِن ذلك سَيْلٌ وقعَ بأرضِ خَيرانَ[٢] أتْلَفَ شيئًا كثيرًا جدًّا، وغَرِقَ فيه قاضى تلك الناحيةِ ومعه بعْضُ الأخْيارِ[٣]، كانوا وُقوفًا على أكَمَةٍ[٤] فدَهَمَهم أمرٌ عظيمٌ، ولم يَسْتَطِيعُوا دَفْعَه ولا مَنْعَه، فَهلَكُوا، ومِن ذلك سيلٌ وقَع بناحيةِ (٥جبةِ عسالٍ٥) فهَلَكَ به شىءٌ كثيرٌ مِنَ الأشْجارِ والأغْنامِ، والأعْنابِ وغيرِها، ومِن

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى الأصل: «حراص». وفى م: «جعلوص». وانظر ما تقدم ص ٣٨١.

(٣) فى الأصل: «الأجناد».

(٤) فى الأصل: «حد».

(٥ - ٥) فى الأصل: «حسة جمال».

ذلك سيلٌ بأرضِ حَلَبَ هَلَكَ به خَلْقٌ كثيرٌ مِن التُّركمانِ وغيرِهم ، رِجالًا ونِساءً وأطْفالًا وغَنَمًا وإبلًا . قرأْتُه مِن كتابِ مَن شاهدَ ذلك عَيانًا ، وذكَرَ أنَّه سقَطَ عليهم بَرَدٌ ، وُزِنَتِ الواحدَةُ منه فبَلغَتْ زِنَتُها سَبْعَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وفيه ما هو أكْبَرُ مِن ذلك وأصْغَرُ .

الأَمْرُ بِإلْزامِ القَلَنْدَرِيَّةِ بتَرْكِ حَلْقِ لِحَاهم وحَواجِبِهم وشَوارِبِهم

وذلك مُحَرَّمٌ بالإجْماعِ حسَبَ ما حكَاه ابنُ حَزْمٍ[1] ، وإنَّما ذكَرَه بعضُ الفُقهاءِ بالكَراهةِ . ورَدَ كتابٌ مِنَ السلْطانِ أيَّدَه اللَّهُ إلى دِمَشْقَ فى يومِ الثلاثاءِ خامِسَ عشَرَ ذى الحِجَّةِ ، بإلْزامِهم بزِيِّ المسلمينَ وتَرْكِ زِيِّ الأعاجِمِ والمجُوسِ ، فلا يُمَكَّنُ أحدٌ منهم مِن الدخولِ إلى بلادِ السلْطانِ حتى يتْرُكَ هذا الزِّيَّ المُبْتَدَعَ ، واللِّباسَ المُسْتَشْنَعَ ، ومَن لا يلْتَزِمُ بذلك يُعَزَّرُ شَرْعًا ويُقْلَعُ مِن قَرارِه قَلْعًا . وكان اللَّائقُ أنْ يُؤْمَرُوا بتَرْكِ أكْلِ الحَشِيشَةِ الخَسِيسَةِ ، وإقامَةِ الحدِّ عليهم بأَكْلِها وسُكْرِها ، كما أفْتَى بذلك بعْضُ الفُقهاءِ . والمَقْصُودُ أنَّهم نُودِىَ عليهم بذلك فى جميعِ أرْجاءِ البلدِ ونَواحِيه فى صَبيحَةِ يومِ الأرْبِعاءِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وبلَغنا فى هذا الشهرِ وَفاةُ **الشيخِ الصالحِ أحمدَ بنِ مُوسَى الزُّرَعِىِّ**[2] بمدينةِ

---

(١) فى النسختين : « حازم » . والمثبت من الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٧٢. وانظر: مراتب الإجماع ص ١٥٧.

(٢) الدرر الكامنة ٣٤٤/١ ، والمنهل الصافى ٢٣١/٢، وشذرات الذهب ١٩٧/٦ وفيه أنه توفى سنة اثنتين وستين وسبعمائة .

خَيرانَ[1] يومَ الثلاثاءِ خامس ذى الحِجَّةِ، وكان مِن المُبتَلَينَ بالأمرِ بالمعرُوفِ والنهْيِ عنِ المُنْكرِ، والقِيامِ فى مَصالحِ الناسِ عندَ السلْطانِ والدولةِ، وله وجَاهَةٌ عندَ الخاصِّ والعامِّ، رحمَه اللَّهُ، **والأميرِ سيفِ الدينِ كُجْكُن بنِ الأَقْوَش**[2] الذى كان حاجِبًا بدِمَشْقَ وأمِيرًا، ثم عُزل عن ذلك كلِّه، ونَفاه السلْطانُ إلى طَرابُلُسَ، فماتَ هناك.

وقَدِمَ نائبُ السلْطَنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر عائِدًا مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ، وقد لَقِىَ مِن السلْطانِ إكْرامًا وإحْسانًا زائدًا، فاجْتازَ فى طريقِه بالقُدْسِ الشَّريفِ، فأَقامَ به يومَ عَرَفَةَ والنَّحْرِ، ثم سلَكَ على طريقِ غابَةِ أَرْصُوفَ[3] يَصْطادُ بها، فأَصابَه وعَكٌ منَعَه عن ذلك، فأَسْرَعَ السَّيْرَ فدخلَ دِمَشْقَ مِن صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ الحادِى والعِشْرِينَ منه فى أُبَّهَةٍ هائلةٍ، ورِياسَةٍ طائِلَةٍ، وتزايدَ خروجُ العامّةِ للتَّفَرُّجِ عليه والنَّظَرِ إليه فى مَجِيئِهِ هذا، فدَخلَ وعليه قَباءٌ مُعَظَّمٌ ومُطَرَّزٌ، وبينَ [4]يدَيْه ما جرَتْ به العادَةُ مِن الحوفِيَّةِ والشَّالِيشِيَّةِ وغيرِهم، ومِن نِيَّتِه الإحْسانُ إلى[4] الرَّعِيَّةِ والنَّظَرُ فى أحْوالِ الأوْقافِ وإصْلاحِها، على طريقَةِ الأميرِ سيفِ الدينِ تَنْكِز، رحِمه اللَّهُ.

---

(١) فى الأصل: «جراض»، وفى م: «جبراص».

(٢) الدرر الكامنة ٣/٢٦٥، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٧٧.

(٣) كذا فى النسختين. ولعلها (أَرْسُوف)، وهى مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. معجم البلدان ١/٢٠٧.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

ثم دخلَتْ سنَةُ اثْنَتَيْنِ وسِتّينَ وسَبْعِمائَةٍ[1]

اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ المُبارَكَةُ وسُلْطانُ الإسْلامِ بالديارِ المِصْرِيَّةِ والشامِيَّةِ والحرَمَيْنِ الشَّريفَيْنِ وما يتْبَعُ ذلك ويلْتَحِقُ به الملكُ الناصِرُ حسَنُ بنُ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ [٤/٢١١] الملكِ المنْصُورِ قَلاوُون الصالِحِيُّ، ولا نائبَ له بالدِّيارِ المِصْرِيَّةِ، وقُضاتُه بها هم المذْكُورونَ فى العامِ الماضى، ووَزِيرُه القاضى ابنُ خصيبٍ[2]، ونائبُ الشامِ بدِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر الخُوَارَزْمِيُّ، والقُضاةُ والخطيبُ وبَقِيَّةُ الأشْرافِ وناظِرُ الجيشِ والمُحْتَسِبُ هم المذْكُورونَ فى العامِ الماضى، والوزيرُ ابنُ قَرَوينَةَ، وكاتبُ السِّرِّ القاضى أمينُ الدينِ بنُ القَلانِسِيِّ، ووَكِيلُ بيتِ المالِ القاضى صلاحُ الدينِ الصَّفَدِيُّ، وهو أحدُ مُوَقِّعِى الدَّسْتِ الأَرْبعَةِ، وشادُّ الأوْقافِ الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ[3] فَضْلِ اللَّهِ، وحاجِبُ الحُجَّابِ اليُوسفيُّ، وقد توَجَّهَ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ؛ ليكونَ بها أمير جندار[4]، ومُتَوَلِّى البَلدِ ناصِرُ الدينِ، ونَقِيبُ النُّقَباءِ ابنُ الشُّجاعِيِّ.

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثْنَيْنِ سادس المُحَرَّمِ قدِمَ الأميرُ عليٌّ نائبُ حَمَاةَ منها، فدَخَلَ دِمَشْقَ مُجْتازًا إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ، فنزَلَ فى القَصْرِ الأَبْلَقِ، ثم تحوَّلَ إلى

---

(١) ذيول العبر ص ٣٣٨، وتذكرة النبيه ٣/٢٤٠، والسلوك ٣/١/٥٨، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٧٨.

(٢) فى م: «اخصيب». وانظر: السلوك ٣/١/٥٨.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «جنهار».

دارِ دَوَاداره يَلْبُغا الذى جدَّدَ فيها مسَاكِنَ كثيرةً بالقَصَّاعِينَ ، وتردَّدَ الناسُ إليه للسَّلامِ عليه ، فأقامَ بها إلى صَبِيحَةِ يومِ الخميسِ تاسعه ، فسارَ إلى الديارِ المِصْريَّةِ .

وفى يومِ الأحَدِ تاسِعَ عشَرَ المُحَرَّمِ أُحْضِرَ حسَنُ بنُ الخَيَّاطِ مِن مَحِلَّةِ الشَّاغُورِ إلى مَجْلسِ الحُكْمِ المالِكِيِّ مِنَ السجْنِ ، وناظَرَ فى إيمانِ فِرْعَوْنَ ، وادُّعِىَ عليه بدَعاوَى لانْتِصارِه لِفرْعَوْنَ ، لعَنَه اللَّهُ ، وصدَّقَ ذلك باعْتِرافِه أوَّلًا ثمَّ بمُناظَرَتِه فى ذلك ثانيًا ، وهو شيخٌ كبيرٌ جاهِلٌ عامِّيٌّ رابضٌ[1] لا يُقِيمُ دليلًا ولا يُحْسِنُه ، وإنَّما قامَ فى مُخَيَّلَتِه شُبْهَةٌ يَحْتَجُّ عليها بقَوْلِه إخْبارًا عن فِرْعَوْنَ حِينَ أَدْرَكَه الغَرَقُ وأُحِيطَ به ورأَى بأْسَ اللَّهِ وعايَنَ عذَابَه الأليمَ ، فقالَ حينَ الغَرَقِ : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] . قال اللَّهُ تعالَى : ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾ [يونس : ٩١، ٩٢] . فاعْتَقدَ هذا العامِّىُّ الرابضُ أنَّ هذا الإيمانَ الذى صدَرَ مِن فِرْعَوْنَ والحالَةُ هذه ينْفَعُه ، وقد قالَ تعالَى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدۡ خَلَتۡ فِى عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤، ٨٥] . وقالَ تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦، ٩٧] ، وقد دعا مُوسى على فِرْعَوْنَ فقال : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ

---

(١) فى م : « ذا نص » . والرابض : المريض . الوسيط (ر ب ض) .

ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]. ثم حضرَ فى يومٍ آخرَ وهو مُصَمِّمٌ على ضَلالِه فضُرِبَ بالسِّياطِ، فأظْهَرَ التَّوْبَةَ، ثم أُعِيدَ إلى السجنِ فى زِنْجِيرٍ، ثم أُحْضِرَ يومًا ثالثًا وهو يَسْتَهِلُّ بالتوبةِ فيما يُظْهِرُ، فنُودِىَ عليه فى البلدِ ثم أُطْلِقَ.

وفى ليلةِ الثلاثاءِ الرابعَ عشَرَ[1] طلَعَ القمرُ خاسِفًا كلُّه، ولكِنْ كان تحتَ السحابِ، فلمَّا ظهَر وَقْتَ العِشاءِ وقد أخذَ فى الجَلاءِ صَلَّى الخطيبُ صلاةَ الكُسوفِ قبْلَ العِشاءِ، وقرأَ فى الأُولَى بسُورَةِ «العَنْكَبُوتِ»، وفى الأُخْرَى بسُورَةِ «يَس»، ثم صَعِدَ المِنْبَرَ فَخطَبَ، ثم نزلَ بعْدَ العِشاءِ.

وقَدِمَتْ كُتُبُ الحُجَّاجِ يُخْبِرونَ بالرُّخْصِ والأَمْنِ، واسْتَمرَّتْ زِيادَةُ الماءِ مِن أوَّلِ ذى الحِجَّةِ وقبلَها إلى هذه الأيامِ مِن آخرِ هذا الشهرِ والأَمْرُ على حالِه، وهذا شىءٌ لم يُعْهَدْ كما أخْبرَ به عامَّةُ الشيوخِ، وسببُه أنَّه جاءَ ماءٌ مِن بعْضِ الجبالِ، انْهالَ فى طريقِ النهرِ.

ودخلَ المَحْمَلُ السلْطانِىُّ يومَ الثلاثاءِ الحادِى والعِشْرِينَ مِن المُحَرَّمِ قبْلَ الظُّهرِ، ومُسِكَ أميرُ الحاجِّ جَرَكْتَمُر المارِدانِىُّ الذى كان مُقيمًا بمَكَّةَ شرَّفَها اللَّهُ تعالَى وحَماهَا مِنَ الأَوْغادِ. فلمَّا عادَتِ التَّجْرِيدَةُ مع الحجَّاجِ إلَى دِمَشْقَ صُحْبَةَ القَراسُنْقُر[2] الذى تسلَّمَ الحجيجَ مِن مكةَ مِن أميرِهم فى الطلقةِ ناصرِ الدينِ بنِ قِرَاسُنْقُر المنصورىِّ فمُسِك[2] مِن ساعَةِ وصُولِه إلى دِمَشْقَ، فقُيِّدَ وسُيِّرَ إلى الديارِ

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢ - ٢) سقط من: م.

المِصْرِيَّةِ على البريدِ ، وبلَغنا أنَّ الأميرَ سندًا أميرَ مكَّةَ غرَّرَ بجندِ السلْطانِ الذين سارُوا صُحْبَةَ ابنِ قَراسُنْقُر المنصوريِّ وكبَسَهم وقتلَ مِن حَواشِيهم ، وأَخَذَ خيُولَهم ، وأنَّهم سارُوا جرائدَ[1] بغيرِ شَيءٍ مَسْلُوبِينَ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ، فإنّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

وفى أوَّلِ صَفَرٍ[2] اشْتَهرَ فيه وتَواتَرَ خَبَرُ الفَناءِ الذى بالديارِ المِصْرِيةِ بسبَبِ كَثْرَةِ المُسْتَنْقَعاتِ مِن فَيْضِ النِّيلِ عندَهم ، على خِلافِ المُعْتادِ ، فبلَغَنا أنَّه يموتُ مِن أهْلِها كلَّ يومٍ فوقَ الأَلْفَيْنِ ، فأمَّا المرَضُ فكثيرٌ جدًّا ، وغَلَتِ الأَسْعارُ عندَهم لِقلَّةِ مَن يتعَاطَى الأَشْغَالَ ، وغَلَا السُّكَّرُ والمياهُ والفاكِهَةُ جدًّا ، وتَبَرَّزَ السلْطانُ إلى ظاهرِ البلدِ ، وحصَلَ له تَشْوِيشٌ أَيْضًا ، ثم عُوفِيَ بحَمْدِ اللَّهِ .

وفى ثالثِ رَبيعٍ الآخرِ قَدِمَ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ ابنُ الحجانِ [٤/٢١٢] رسُولُ صاحبِ العراقِ لخِطْبَةِ بِنْتِ السلْطانِ ، فأجابَهم إلى ذلك بشَرْطِ أنْ يُصْدِقَها مملَكَةَ بَغْدادَ ، وأعْطاهم مُسْتَحَقًّا سُلْطانِيًّا وأطْلَقَ لهم مِن التُّحَفِ والخِلَعِ والأَمْوالِ شَيْئًا كثيرًا ، ورسَمَ للرسولِ بِمُشْتَرى قريةٍ من بيتِ المالِ لِتُوقَفَ على الخَانَقَاه التى يريدُ أنْ يتَّخِذَها بدِمَشْقَ قريبًا مِن الطَّواوِيسِ[3] ، وقد خرَجَ لتَلقِّيه نائبُ الغَيْبَةِ وهو حاجِبُ الحُجَّابِ والدولةُ والأَعْيانُ .

وقرأتُ فى يومِ الأحَدِ سابع شهرِ رَبيعٍ الآخرِ كِتابًا وَرَدَ مِن حَلَبَ بخطِّ الفَقِيهِ العَدْلِ شمسِ الدينِ العراقِيِّ من أهْلِها ، ذكَرَ فيه أنَّه كان فى حضْرَةِ نائبِ السلْطَنةِ

---

(١) الجريدة : فرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها . السلوك ١/١/١٠٦ حاشية (٨) .
(٢) فى م : « شوال » . وانظر الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٧٨ .
(٣) هى خانقاه الطواويس أو الطاووسية ، وهى مسجد كبير فيه قبر الملك دقاق فى قبة معروفة بقبة الطواويس بالشرف الأعلى ، ظاهر دمشق من ناحية الغرب . الدارس ٢/ ١٦٤، ١٦٥.

فى دارِ العَدْلِ يومَ الاثنينِ السابعَ عشَرَ مِن رَبيعِ الأوَّلِ ، وأنَّه أُحْضِرَ رجلٌ قد وُلِدَ له ولَدٌ عاشَ ساعةً وماتَ ، وأحْضرَه معه وشاهدَه الحاضِرُونَ ، وشاهَدَه كاتبُ الكتابِ ، فإذا هو شَكْلٌ سَوِيٌّ ، له على كلِّ كَتِفٍ رأسٌ بوَجْهٍ مُسْتَدِيرٍ ، والوَجْهانِ إلى ناحيةٍ واحدةٍ ، فسُبْحانَ الخلَّاقِ العليمِ !!

وبلَغَنا أنَّه فى هذا الشهرِ سقَطَتِ المنارَةُ التى بُنِيَتْ للمدْرسةِ السلْطانِيَّةِ بمِصْرَ ، وكانتْ مُسْتَجَدَّةً على صِفَةٍ غريبةٍ ؛ وذلك أنَّها مَنارَتانِ على أصْلٍ واحدٍ فوقَ قَبْوِ البابِ الذى للمدْرسةِ المذْكُورَةِ ، فلمَّا سقَطَتْ أَهْلَكَتْ خَلْقًا كثيرًا مِنَ الصُّنَّاعِ بالمدْرسَةِ والمارَّةِ والصِّبْيانِ الذينَ فى مَكْتَبِ المدْرَسَةِ ، ولم يَنْجُ مِنَ الصِّبْيانِ فيما ذُكِرَ شَىءٌ سِوَى سِتَّةٍ ، وكان جملةُ مَن هَلكَ بسَبِبِها نَحوَ ثَلاثِمائَةِ نَفْسٍ ، وقيلَ : أكثرُ . وقيلَ : أقلُّ . فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ .

وخرجَ نائبُ السلْطَنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر إلى الغَيْضَةِ[1] لإصْلاحِها وإزالَةِ ما فيها مِن الأَشْجارِ المُؤْذِيَةِ والدَّغَلِ يومَ الاثنينِ التاسعِ والعِشْرِينَ[2] مِنَ الشَّهْرِ ، وكان سَلْخَه ، وخرجَ معه جميعُ الجيشِ مِن الأُمراءِ وأصْحابِه وأجْنادِ الحَلْقَةِ برُمَّتِهم ، لم يتأخَّرْ منهم أحدٌ ، وكلُّهم يعْمَلُونَ فيها بأنفُسِهم وغِلْمانِهم ، وأُحْضِرَ إليهم خَلْقٌ مِن فلَّاحِى المَرْجِ والغُوطَةِ وغيرِ ذلك ، ورجَعَ يومَ السبتِ خامس الشهرِ الدَّاخِلِ ، وقدْ نظَّفُوها مِن[3] الدَّغَلِ والقَشِّ[4] .

---

(١) فى الأصل : « العيط » . والغيضة : مجتمع الشجر فى مغيض ماء ، وهى كثيرة ظاهر دمشق . انظر : معجم البلدان ٣/ ٨٢٨.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) بعده فى م : « الغل و » .

(٤) فى م : « والغش » .

[1] واتَّفقَتْ كائنةٌ غريبةٌ لبَعْضِ السُّؤَّالِ ، وهو أنَّه اجْتَمَع جماعَةٌ منهم قبْلَ الفجرِ لِيَأْخُذُوا خُبْزًا مِن صدَقَةِ تُرْبَةِ امرأةِ ملكِ الأُمَراءِ تَنْكِز عِنْدَ بابِ الخَوَّاصِينَ ، فتَضارَبُوا فيما بيْنَهم ، فعمَدُوا إلى رجُلٍ منهم فخنَقُوه خَنْقًا شديدًا ، وأَخذُوا منه جِرَابًا فيها نَحْوٌ مِن أَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وشَىءٌ مِن الذهبِ ، وذهَبُوا على حميةٍ[2] ، وأفاقَ هو مِنَ الغَشْيِ فلم يَجِدْهم ، واشْتَكَى أَمْرَه إلى مُتَوَلّى البَلَدِ ، فلم يَظْفَرْ بهم إلى الآنَ . وقَدْ أَخْبَرنى الذى أخَذُوا منه أنَّهم أَخذُوا منه ثلاثةَ آلافِ دِرْهَمٍ مُعامَلةً ، وألْفَ دِرْهَمٍ بُنْدُقِيَّةً ، ودِينارَيْنِ وَزْنُهما ثَلاثةُ دنانِيرَ . كذا قالَ لى إنْ كان صادِقًا .

وفى صَبِيحَةِ يومِ السبتِ خامس جُمادَى الأُولَى طَلَبَ قاضى القُضاةِ شرَفُ الدينِ الحَنفىُّ الشيخَ علىَّ بنَ البَنَّا ، وقد كانَ يتكلَّمُ فى الجامعِ الأُمَوِىِّ على العَوامِّ وهو جالسٌ على الأرضِ بشىءٍ مِنَ الوَعْظِيَّاتِ وما أشْبَهَها مِن صدْرِه ، فكأنَّه تعَرَّضَ فى غُضونِ كلامِه لأبى حَنِيفةَ ، رحِمه اللَّهُ ، فأُحْضِرَ فاستُتِيبَ مِن ذلك ، ومنَعه قاضى القُضاةِ شرَفُ الدينِ الكَفْرىُّ مِن الكلامِ على الناسِ وسَجَنَه ، وبَلَغنى أنَّه حكَمَ بإسْلامِه وأطْلقَه مِن يَوْمِه . وهذا المذْكُورُ ابنُ البَنَّا عندَه زَهادَةٌ وتَقَشُّفٌ ، وهو مِصْرِىٌّ يسمَعُ الحديثَ ويَقْرَؤُه ، ويتكلَّمُ بشىءٍ مِن الوَعْظِيَّاتِ والرقائقِ وضَرْبِ أَمْثالٍ ، وقد مالَ إليه كثيرٌ مِن العوامِّ واسْتَحْلَوه ، وكلامُه قريبٌ إلى مَفْهُومِهم ، ورُبَّما أَضْحكَ فى كلامِه ، وحاضِرَتِه وهو مَطْبوعٌ قريبٌ إلى [1]

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) كذا ، ولعلها تحريف (خفية) .

(١ الفَهْمِ ولكِنَّه أشارَ فيما ذُكِرَ عنه فى شَطْحَتِه إلى بعْضِ الأشْياءِ التى لا تَنْبَغِى أنْ تُذْكَرَ ، واللَّهُ المُوفِّقُ ، ثم إنَّه جلَسَ للناسِ فى يومِ الثلاثاءِ ثامنِه فتكلَّمَ على عادَتِه ، فتَطَلَّبَه القاضى المَذْكُورُ ، فيُقالُ : إنَّ المذْكُورَ تعَنَّتَ . انتهى ، واللَّهُ أعلمُ ١) .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

سَلْطَنةُ الملكِ المنْصورِ صلاحِ الدّينِ محمدِ بنِ الملكِ المُظَفَّرِ حاجيِّ بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصورِ قَلاوون بنِ عبدِ اللَّهِ الصالِحيّ، وزَوالُ دولةِ عمّه الملكِ الناصرِ حسَنِ بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصورِ قَلاوون

لمَّا كثُرَ طمَعُه وتزايدَ شرَهُه، وساءَتْ سِيرتُه إلى رَعِيَّتِه، وضيَّقَ عليهم فى معَايشِهم وأكْسابِهم، وبنَى البناياتِ الجبَّارةَ التى لا يُحْتاجُ إلى كثيرٍ منها، واسْتَحْوَذَ على كثيرٍ مِن أمْلاكِ بيتِ المالِ وأمْوالِه، واشْترَى منه قرايا كثيرةً ومُدُنًا أيضًا ورَسَاتيقَ، وشَقَّ ذلك على الناسِ جدًّا، ولم يتَجاسَرْ أحدٌ مِن القُضاةِ ولا الوُلاةِ ولا العُلماءِ ولا الصُّلَحاءِ على الإنْكارِ عليه، ولا الهُجومِ عليه، ولا النَّصِيحَةِ له بما هو مصلحةٌ له وللمسلمينَ - انْتَقَم اللَّهُ منه، فسلَّطَ عليه جُنْدَه، وقلَّب قلُوبَ رعيتِه مِن الخاصَّةِ والعامَّةِ عليه، لِمَا قطَعَ مِن أرْزاقِهم ومَعالِيمِهم وجَوامِكِهم وأخْبازِهم، وأضافَ ذلك جميعَه إلى خاصَّتِه، فقَلَّتِ الأُمَراءُ والأجْنادُ والمُقَدَّمُونَ والكتَّابُ والمُوَقِّعُونَ، ومسَّ الناسَ الضَّرَرُ، وتَعَدَّى على جَوامِكِهم وأوْلادِهم ومنْ يلُوذُ بهم، فعندَ ذلك قدَّرَ اللَّهُ تعالَى هلاكَه على يَدِ أحدِ خَواصِّه، وهو الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغَا الخَاصكيُّ؛ وذلك أنَّه أرادَ السلْطانُ مسْكَه فاعْتَدَّ لذلك، وركِبَ السلْطانُ لمَسْكِه فركِبَ هو فى جيشٍ، وتلاقَيَا فى ظاهرِ القاهرةِ حيثُ كانُوا نُزولًا فى الوِطَاقاتِ، فهُزِمَ السلْطانُ بعدَ كلِّ حِسابٍ، وقد قُتِلَ مِن الفريقَيْنِ طائفةٌ، ولجأَ السلْطانُ إلى قلعةِ الجبلِ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]. ولنْ يُنْجِيَ حذرٌ مِن قَدَرٍ، فباتَ الجيشُ بكَمالِه مُحدِقًا

بالقلعةِ ، فهَمَّ بالهربِ فى الليلِ على هُجُنٍ كان قد اعْتَدَّها ليهرُبَ إلى الكَرَكِ ، فلمَّا برَزَ مُسِكَ واعْتُقِلَ ودُخِلَ به إلى دارِ يَلْبُغَا الخَاصكىِّ المذْكُورِ ، وكان آخرَ العَهْدِ به ، وذلك فى يومِ الأرْبعاءِ تاسع جُمادَى الأُولَى من هذه السنَةِ ، وصارَتِ الدولةُ والمَشُورَةُ مُتناهِيَةً إلى الأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغَا الخَاصكىِّ ، فاتَّفَقَتِ الآراءُ واجْتَمعَتِ الكلمةُ وانْعَقَدتِ البَيْعَةُ للملكِ المنْصُورِ صلاحِ الدينِ محمدِ بنِ المُظَفَّرِ حاجِّى ، وخطَبَ الخُطَباءُ ، وضُرِبَتِ السَّكَّةُ ، وسارَتِ البرِيدِيَّةُ للبَيْعَةِ باسْمِه الشريفِ ، هذا وهو ابنُ ثِنْتَيْ عشْرَةَ ، وقيل : أربعَ عشْرَةَ . ومِن الناسِ مَن قال : سِتَّ عشْرَةَ . ورُسمَ بِعَوْدِ الأُمورِ إلى ما كانت عليه فى أيامِ والدِهم الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوون ، وأن يُبْطَلَ جميعُ ما كان أخذَه الملكُ الناصِرُ حسَنٌ ، وأنْ تُعادَ المُرَتَّباتُ والجَوامِكُ التى كان قطَعَها ، وأمرَ بإحْضارِ طَاز وطَشْتَمُر[1] القاسِمِىِّ من سجنِ إسْكَنْدرِيَّةَ إلى بينِ يدَيْه ليُكونَا أتَابَكا وجاءَ الخَبَرُ إلى دِمَشْقَ صُحْبَةَ الأميرِ سيفِ الدينِ بُزْلَار شادِّ الشُّرْبخاناه أحدِ أُمراءِ الطَّبْلخَاناه بمِصْرَ صَبِيحَةَ يومِ الأرْبعاءِ سادِسَ عشَرَ الشهرِ ، فضربَتِ البشائرُ بالقلعةِ وطَبْلخاناه الأُمَراءِ على [٤/٢١٣] أبْوابِهم ، وزُيِّنَ البلدُ بكَمالِه ، وأُخِذَتِ البَيْعةُ له صَبِيحَةَ يَومئذٍ بدارِ السَّعادةِ ، وخُلِعَ على نائبِ السلْطَنةِ تشْريفٌ هائلٌ ، وفرِحَ أكثرُ الأُمَراءِ والجُنْدُ والعامَّةُ ، وللَّهِ الأمرُ وله الحكْمُ ، قالَ اللَّهُ تعالَى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾الآية [آل عمران : ٢٦] . ووُجِدَ على حجَرٍ بالحِمْيَرِيَّةِ فقُرِئَتْ للمأْمونِ ، فإذَا فيها مكْتوبٌ :

ما اخْتَلفَ الليلُ والنهارُ ولا ... دارَتْ نجومُ السماءِ فى الفَلَكِ
إلَّا لنَقْلِ النَّعيمِ من مَلِكٍ ... قد زالَ سُلْطَانُه إلى مَلِكِ

---

(١) فى الأصل : « طاشتم » . وانظر النجوم الزاهرة ١١/ ٤.

ومُلْكُ ذِى العرشِ دائمٌ أبدًا ليْس بفانٍ ولا بمُشْتركِ

ورُوِى عن سُلَيمانَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ أنَّه خرَجَ يومًا لصلاةِ الجُمُعةِ، وكان سَوِىَّ الخَلْقِ حَسنَه، وقد لَبِس حُلَّةً خَضْراءَ، وهو شابٌّ مُمْتَلِئٌ شبَابًا، ويَنْظُرُ فى أعْطافِهِ ولِباسِه، فأعْجبَه ذلك من نفْسِه، فلمَّا بلَغَ إلى صَرْحَةِ الدَّارِ تلَقَّتْه جِنِّيَّةٌ فى صُورَةِ جارِيةٍ مِن حَظايَاه، فأنْشدَتْه[1]:

أنتَ نِعْم المتَاعُ[2] لو كنْتَ تَبْقَى غيرَ أنْ لا حَياةَ للإنسانِ

ليسَ فيما علِمْتُ فيكَ عَيْـ ـبٌ يُذْكَرُ غيرَ أنَّكَ فانِى

فصَعِدَ المِنْبَرَ الذى فى جامعِ دِمَشْقَ وخطَبَ الناسَ، وكان جَهْوَرِىَّ الصوتِ يُسْمِعُ أهلَ الجامعِ وهو قائمٌ على المِنْبَرِ، فضَعُفَ صوتُه قليلًا قليلًا حتى لم يسْمَعْه أهلُ المَقْصورةِ، فلمَّا فرَغَ مِن الصلاةِ حُمِل إلى منْزِلِه، فاسْتَحْضرَ تلكَ الجاريةَ التى تبَدَّتْ تلك الجِنِّيةُ على صُورتِها، وقالَ: كيفَ أنْشَدْتِينى تَيْنِكِ البيتينِ؟ فقالتْ: ما أنْشَدْتُكَ شيئًا. فقالَ: اللَّهُ أكبرُ، نُعِيَتْ واللَّهِ إلىَّ نفْسِى. فأوْصَى أنْ يكونَ الخليفةُ مِن بعدِه ابنَ عمِّه عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، رحِمه اللَّهُ.

وقَدِم نائبُ طَرابُلُسَ المعْزولُ [3]عَلِيلًا، والأميرُ[3] سيفُ الدينِ أَسَنْدَمُر الذى كان نائبَ دِمَشْقَ، وكانَا مُقيمينِ بطَرابُلُسَ جميعًا - فى صَبِيحَةِ يوم السبتِ السادس والعِشْرينَ منه، فدَخلا دارَ السعادةِ، فلم يَحْتَفِل بهما نائبُ السلْطَنةِ.

---

(١) البيتان لموسى شَهَواتٍ، وهما فى الشعر والشعراء ٢/ ٥٧٨، والعقد الفريد ٤/ ٤٢٥، ومعجم الشعراء ص ٢٨٦.

(٢) سقط من النسختين. والمثبت من مصادر التخريج.

(٣ - ٣) فى الأصل: «عليل الأمير».

وتكاملَ فى هذا الشهرِ تجْديدُ الرواقِ غرْبِىَّ باب النَّاطفَانِيِّينَ إصْلاحًا لدرَابزِيناتِه وتَبْيِيضًا لجُدْرانِه ومِحْرابٍ فيه ، وجُعلَ له شَبابِيكُ فى الدَّرابْزِيناتِ ، ووُقِفَ فيه قِراءةُ قرآنٍ بعدَ المغربِ ، وذَكرُوا أنَّ شخْصًا رأى منامًا فقَصَّه على نائبِ السلْطَنةِ ، فأمرَ بإصْلاحِه . وفيه نهضَ بناءُ المدْرسةِ التى إلى جانبِ هذا المكانِ مِن الشُّبَّاكِ ، وقد كان أسَّسَها أولًا نجمُ[1] الدينِ غلامُ[2] ابنِ هِلالٍ ، فلمَّا صُودِرَ أُخذَتْ منه وجُعلتْ مضافةً إلى السلْطانِ ، فبَنَوْا فوقَ الأساساتِ وجعَلُوا لها خمسةَ شبَابِيكَ مِن شرْقِها ، وبابًا قِبْلِيًّا ، ومِحْرابًا وبركةً وعراقيةً ، وجعلُوا حائِطَها بالحجارةِ البِيضِ والسُّودِ ، وكمَّلُوا عالِيَها بالآجُرِّ ، وجاءتْ فى غايةِ الحُسْنِ ، وقد كان السلطانُ الناصِرُ حسَنٌ قد رسَم بأنْ تُجعَلَ مَكْتَبًا للأيْتامِ ، فلم يَتِمَّ أمرُها حتى قُتِل ، كما ذكَرْنا .

[3]واشْتَهَر فى هذا الشهرِ أن بقَرةً كانتْ تَجِيءُ من ناحيةِ بابِ الجَابِيةِ تقْصِدُ جِراءً لكَلْبَةٍ ، قد ماتَتْ أُمُّهم ، وهى فى ناحيةِ كنِيسَةِ مَرْيَمَ فى خَرابَةٍ ، فتَجِيءُ إليهم فتَنْسَطِحُ على شِقِّها فتَرْضَعُ أولئكَ الجِراءُ منها ، تكَرَّرَ هذا منها مِرارًا ، وأخْبَرنى المُحدِّثُ المُفيدُ التَّقىُّ نورُ الدينِ أحمدُ بنُ المقصوصِ بمُشاهدَتِه ذلك .

وفى العَشْرِ الأَوْسَطِ من جُمادَى الآخرةِ نادَى مُنادٍ من جهَةِ نائبِ السلْطَنِة ، حرَسَه اللَّهُ تعالَى ، فى البلدِ أنَّ النساءَ يَمْشِينَ فى تَسَتُّرٍ ويَلْبَسْنَ أُزُرَهُنَّ إلى أسْفَلَ مِن سائِرِ ثِيابِهن ، ولا يُظْهِرْنَ زِينَةً ولا يَدًا ، فامْتَثَلْنَ ذلك ، وللَّهِ الحمدُ[3]

---

(١) فى النسختين : « علم » . والمثبت من الدرر الكامنة ٢/ ٢٧٠.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

[1] والمِنَّةُ . وقَدِم أميرُ العرَبِ حَيَّارُ[2] بنُ مُهَنَّا فى أُبَّهَةٍ هائلةٍ ، وتلَقَّاه نائبُ السلْطَنةِ إلى أثْناءِ الطريقِ ، وهو قاصِدٌ إلى الأبوْابِ الشريفةِ .

وفى أواخر رجبٍ قَدِم الأميرُ سيفُ الدينِ تَمُر المَهمَنْدار مِن نيابةِ غَزَّة حاجبَ الحُجَّابِ بدِمَشْقَ ، وعلى مُقَدَّمةِ رأسِ الميْمَنَةِ . وأَطْلقَ نائبُ السلْطَنةِ مُكُوساتٍ كثيرةً[3] ، وأبْطَلَ ما كان يُؤْخَذُ مِن المُحْتَسِبينَ زِيادةً على نِصْفِ دِرْهَمٍ ، وما يُؤْخَذُ مِن أجْرَةِ عدَّةِ المَوْتَى ؛ كلُّ ميتٍ بثلاثةٍ ونِصْفٍ ، وجعَل العدةَ التى فى القَيْسَارِيَّةِ للحاجةِ مُسبلَةً لا تنْحَجِرُ على أحَدٍ فى تَغْسِيلِ ميتٍ ، وهذا حسَنٌ جدًّا ، وكذلك منعَ التَّحَجُّرَ فى بَيْعِ الثَّلجِ[4] المُخْتَصِّ به ، وبيعَ مثْلَ بقيَّةِ الناسِ مِن غيرِ طَرْخانٍ[5] فرَخُصَ على الناسِ فى هذه السنَةِ جدًّا ، حتى قيلَ : إنه بِيعَ القِنْطارُ بعشَرَةٍ وما حولَها .

وفى شهرِ شعبانَ قَدِم الأميرُ حَيَّارُ بنُ مُهَنَّا مِن الديارِ المِصْريَّةِ ، فنزلَ القصرَ الأبْلَقَ ، وتلَقَّاه نائبُ السلْطَنِة وأكْرمَ كلٌّ منهما الآخرَ ، ثم ترَحَّلَ بعدَ أيامٍ قلائلَ ، وقدِمَ الأُمراءُ الذين كانوا بحَبْسِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ فى صَبِيحَةِ يومِ الجمُعةِ سابعه ، وفيهم الأميرُ شِهابُ الدِّينِ ابنُ صُبْحٍ ، وسيفُ الدِّينِ طَيْدَمُر الحاجِبُ ، وطُنَيْرِق[6] مُقدَّم ألف ، وعمرُ شَاه ، هذا[7] ونائبُ السلْطَنةِ الأميرُ سيفُ الدِّينِ بَيْدَمُر ، أعزَّه[1]

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م ، والسلوك (انظر فهارس الجزء الثانى) : « جبار » . والمثبت من الدرر الكامنة ١٦٩/٢ ، والمنهل الصافى ١٨٧/٥.

(٣) بعده فى م : « مثل مكس الحداية والخزل المرددن الجلب والطبابى » .

(٤) فى م : « البلح » .

(٥) فى م : « طرحان » .

(٦) فى م « طيبرف و » . وانظر : ذيول العبر ص ٣٣٩ .

(٧) فى م : « وهذا » .

(١) اللَّهُ ، يُبْطِلُ المُكوساتِ شيئًا بعدَ شيءٍ ممَّا فيه مَضَرَّةٌ بالمسلمينَ ، وبلَغَنِى عنه أنَّ مِن عزْمِه أنْ يُبْطِلَ جميعَ ذلك إنْ أمْكنَه اللَّهُ مِن ذلك ، آمِينَ ، انتَهى (١) .

تَنْبِيهٌ على وَاقعةٍ غريبةٍ واتفاقٍ عَجيبٍ

نائبُ السلْطَنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر - فيما بلغَنا - فى نفْسِه عتَبَ على أَتَابَك الديارِ المِصْرِيَّةِ الأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغَا الخاصكِىِّ مُدَبِّرِ الدولةِ بها ، وقد توَسَّمَ وتوَهَّمَ منه أنَّه يسعَى فى صَرْفِه عن الشامِ ، وفى نفْسِ نائِبِنَا قُوَّةٌ وصَرَامةٌ شديدةٌ ، فتنَسَّمَ منه ببعْضِ الإباءِ عن طاعةِ يَلْبُغَا ، مع اسْتِمْرارِه على طاعَةِ السلْطانِ ، وأنَّه إنِ اتَّفقَ عُزلَ مِن قِبَلِ يَلْبُغَا أنَّه لا يسْمَعُ ولا يُطيعُ ، فعملَ لذاك أعْمالًا ، واتَّفقَ فى غُضونِ هذا الحالِ موتُ نائبِ القلعةِ المنْصُورةِ بدِمَشْقَ ، وهو الأميرُ سيفُ الدينِ بُرْتاق (٢) النَّاصِرِىُّ ، فأرْسلَ نائبُ السلْطَنةِ مِن أصْحابِه وحاشِيَتِه مَن يتَسلَّمُ القلعةَ برُمَّتِها ، ودخَل هو بنفْسِه إليها ، وطلَبَ الأميرَ زَيْنَ الدِّينِ زبالة الذى كان فَقِيهًا ثم نائِبَها ، وهو مِن أخْبَرِ الناسِ بها وبخطاتِها وحَواصِلِها ، فدارَ معه فيها وأَرَاه حصُونَها وبرُوجَها ومفاتِحَها وأغْلاقَها ودُورَها وقُصورَها وعُدَدَها وبِركتَها ، وما هو مُعَدٌّ فيها ولها ، وتعجَّبَ الناسُ من هذا الاتِّفاقِ فى هذا الحالِ ، حيثُ لم يتَّفِقْ ذلك لأحَدٍ مِن النوابِ قبلَه قطُّ ، وفُتِحَ البابُ الذى هو تُجاهَ دارِ السَّعادةِ ، وجعَل نائبُ السلْطَنةِ يدْخُلُ منه إلى القلعةِ ويخْرُجُ بخدَمِه وحشَمِه وأُبَّهَتِه ؛ ليَكْشِفَ أمْرَها وينْظُرَ فى مَصالِحِها ، أيَّدَه اللَّهُ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « برفاق » ، وفى م : « برناق » .

ولمَّا كان يومُ السبتِ خامِسَ عشَرَ شعبانَ ركِبَ فى المَوْكِبِ على العادةِ واسْتَدْعَى الأميرَ سيفَ الدينِ أَسَنْدَمُر الذى كان نائبَ الشامِ، وهو فى مَنْزِلِه كالمُعْتَقَلِ فيه، لا يرْكَبُ ولا يَراه أحَدٌ، فأحْضرَه إليه وركِبَ معه، وكذلك الأُمراءُ الذينَ قدِمُوا [٤/٢١٤] مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ؛ طُنَيْرِق وهو أحدُ أُمراءِ الأُلوفِ، وطَيْدَمُر الحاجِبُ، كانَ، وأمَّا ابنُ صُبْحٍ وعمرشَاه فإنَّهما كانا قد سافرَا يومَ الجمُعةِ عَشِيَّةَ النهارِ، والمَقْصودُ أنَّه سيَّرهم وجميعَ الأُمراءِ بسُوقِ الخَيْلِ، ونزَلَ بهم كلِّهم إلى دارِ السَّعادةِ، فتَعاهَدُوا وتَعاقَدُوا، واتَّفَقُوا على أنْ يكونُوا كلُّهم كَتِفًا واحدًا وعُصْبَةً واحدةً على مُخالَفَةِ مَن أرادَهم بسُوءٍ، وأنَّهم يَدٌ على مَن سِواهُم ممَّنْ أرادَ عزلَ أحَدٍ منهم أوقتْلَه، وأنَّ مَن قاتلَهم على ذلك قاتَلُوه، وأنَّ السلْطانَ هو ابنُ أُسْتاذِهم الملكُ المنصُورُ محمدُ بنُ حاجِّى بنِ الناصرِ بنِ المنْصُورِ قلَاوون، فطَاوَعُوا كلُّهم لنائبِ السلْطَنةِ على ما أرادَ مِن ذلك، وحَلَفُوا له وخَرجُوا مِن عندِه على هذا الحَلِفِ، وقامَ نائبُ السلْطَنةِ على عادَتِه فى عظَمةٍ هائلةٍ، وأُبَّهةٍ كثيرةٍ، والمسئولُ مِن اللَّهِ حسنُ العاقبةِ.

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأحدِ سادسَ عشَرَ شعبانَ أبْطَلَ ملكُ الأُمراءِ المَكْسَ الذى يُؤْخَذُ مِن المِلْحِ، وأبْطَلَ مَكْسَ الأفْراحِ، وأبْطلَ أنْ لا تُغَنِّىَ امرأةٌ لرِجالٍ، ولا رجلٌ لنساءٍ، وهذا فى غايَةِ ما يكونُ مِن المصلحَةِ العظيمةِ الشاملِ نَفْعُها. وفى يومِ الثلاثاءِ ثامنَ عشَرِه شرَعَ نائبُ السلْطَنةِ سيفُ الدِّينِ بَيْدَمُر فى نَصْبِ مَجانِيقَ على أعْالِى بُروجِ القلعةِ، فنُصِبَتْ أرْبَعُ مَجانِيقَ مِن جِهاتِها الأرْبَعِ، وبلغَنِى أنَّه نصَبَ آخَرَ فى أرْضِها عندَ البَحْرَةِ، ثم نصبَ آخرَ وآخرَ، حتى شاهدَ الناسُ ستةَ مجَانِيقَ على ظُهورِ الأبْرجَةِ، وأَخْرجَ منها القَلْعِيَّةَ[1] وأسْكَنها خَلْقًا مِن الأَكْرادِ

---

(١) فى الأصل: «القليعة».

والتُّركمانِ وغيرِهم مِن الرجالِ الأَنْجادِ ، ونقَلَ إليها مِن الغَلَّاتِ والأَطْعِمَةِ والأَمْتِعَةِ وآلاتِ الحربِ شيئًا كثيرًا ، واسْتَعدَّ للحِصارِ إنْ حُوصِرَ فيها بما يحْتاجُ إليه مِن جميعِ ما يُرْصَدُ مِن القِلاعِ بما يفوتُ الحَصْرَ . ولمَّا شاهَد أهلُ البَساتِينِ المَجانِيقَ قد نُصِبتْ فى القلعةِ انْزَعَجُوا ، وانْتَقلَ أكثرُهم مِن البَساتينِ إلى البلدِ ، ومنهم مَن أوْدَعَ عندَ أهلِ البلدِ نَفائِسَ أمْوالِهم وأمْتِعَتِهم ، والعاقبةُ إلى خيرٍ إنْ شاءَ اللَّهُ تعالَى .

وجاءَتْنِى فُتْيَا صُورَتُها : ما يقولُ السادَةُ العُلماءُ فى مَلِكٍ اشْتَرى غُلامًا ، فأحْسَنَ إليه وأعْطَاه وقدَّمَه ، ثم إنَّه وثَبَ على سيِّدِه فقتلَه وأخَذ مالَه ومنعَ ورَثَتَه منه ، وتَصرَّفَ فى المَمْلَكَةِ ، وأرْسلَ إلى بعضِ نوَّابِ البلادِ ليقْدَمَ عليه ليقْتُلَه ، فهل له الامْتِناعُ منه ؟ وهل إذا قاتَلَ دونَ نفْسِه ومالِه حتى يُقْتَلَ يكونُ شَهِيدًا أمْ لا ؟ وهل يُثابُ السَّاعِى فى خَلاصِ حقِّ وَرَثَةِ الملكِ المقتُولِ مِن القِصاصِ والمالِ ؟ أفْتُونا مأْجُورِينَ .

فقلْتُ للذى جاءَنِى بها مِن جهةِ الأميرِ : إنْ كانَ مُرادُه خَلاصَ ذِمَّتِه فيما بينَه وبينَ اللَّهِ تعالَى فهو أعلَمُ بنِيَّتِه فى الذى يقْصِدُه ، ولا يسْعَى فى تحْصِيلِ حقٍّ مُعَيَّنٍ إذا ترَتَّبَ على ذلك مفْسدَةٌ راجِحَةٌ على ذلك ، فيُؤَخِّرُ الطَّلَبَ إلى وَقْتِ إمْكانِه بطَرِيقِه ، وإنْ كان مُرادُه بهذا الاسْتِفْتاءِ أنْ يتَقَوَّى بها فى جمعِ الدولةِ والأُمَراءِ عليه فلابُدَّ أنْ يكْتُبَ عليها كِبارُ القُضاةِ والمشايخِ أولًا ، ثم بعدَ ذلك يكْتُبُ بَقِيَّةُ المُفتينَ بطَرِيقِه ، واللَّهُ الموفِّقُ للصوابِ .

هذا وقدِ اجْتَمَع على الأميرِ نائبِ السلْطَنةِ جميعُ أُمَراءِ الشامِ ، حتى قيلَ : إنَّ فيهم مِن نوَّابِ السْلطَنةِ سَبْعَةَ عشَرَ أميرًا ، وكلُّهم يحْضُرُ معه المواكِبَ الهائلةَ ،

وينزِلُونَ معه إلى دارِ السَّعادة ، وَيمُدُّ لهم الأسْمِطَةَ ويأْكُلُ معهم ، وجاءَ الخَبَرُ بأنَّ الأمِيرَ مَنْجَك الطُّرْخانىَّ[1] المُقيمَ ببَيْتِ المَقْدِسِ قد أظْهَرَ المُوافقَةَ لنائبِ السلْطَنةِ ، فأرْسَلَ إليه جِبْريلَ ثم عادَ فأخْبرَ بالمُوافقَةِ ، وأنَّه قدِ اسْتَحْوَذَ على غَزَّةَ ونائبِه ، وقد جمعَ وحشَدَ واسْتَخدمَ طَوائِفَ ، ومَسَكَ على الجادَّةِ ، فلا يدَعُ أحدًا يَمُرُّ إلَّا أنْ يَفْتِشَ ما معه ؛ لاحْتِمالِ إيصالِ كُتُبٍ مِن هٰهُنا إلى هٰهُنا ، ومع هذا كلِّه فالمعدلَةُ ثابِتَةٌ جدًّا ، والأمْنُ حاصِلٌ هناك ، فلا يخافُ أحدٌ ، وكذلك بدِمَشْقَ وضَواحِيها ، لا يُهاجُ أحدٌ ولا يتَعَدَّى أحدٌ على أحدٍ ، ولا يُنهَبُ لأحَدٍ شىءٌ ، وللَّهِ الحمدُ ، غيرَ أنَّ بعْضَ أهلِ البَساتينِ قد انزَعَجوا وتوَهَّمُوا ونزَلوا المدينةَ وتحوَّلُوا ، وأوْدَعَ بعضُهم نَفائِسَ ما عندَهم ، وأقامُوا بها على وَجَلٍ ، وذلك لمَّا رأَوا المَجانِيقَ السِّتَّةَ منْصُوبةً على رُءوسِ قِلالِ الأبْراجِ التى للقلعةِ ، ثم أحْضَرَ نائبُ السلْطنةِ القُضاةَ الأرْبعَةَ والأُمراءَ كلَّهم وكتبُوا مكْتُوبًا سطَرَه بيْنَهم كاتبُ السِّرِّ أنَّهم راضُونَ بالسلْطانِ كارِهُونَ ليَلْبُغَا ، وأنَّهم لا يرِيدُونَه ولا يُوافِقُونَ على تصَرُّفِه فى المَمْلكَةِ ، وشَهِدَ عليهم القُضاةُ بذلك ، وأرْسَلُوا المكْتُوبَ معَ مَمْلُوكٍ للأميرِ طَيْبُغَا الطويلِ نَظِيرِ يلْبُغَا بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، وأرْسَل مَنْجَك إلى نائبِ السلْطَنةِ يسْتَحِثُّه فى الحُضورِ إليه فى الجيشِ ليُناجِزُوا المِصْرِيِّينَ ، فعَيَّنَ نائبُ الشامِ مِن الجيشِ طائفةً يَبْرُزونَ بينَ يدَيْه [٤/ ٢١٥] ، وخَرجَتِ التَّجْرِيدَةُ ليْلةَ السبتِ التاسع والعِشْرِينَ من شعبانَ صُحْبَةَ أَسَنْدَمُر الذى كانَ نائبَ الشامِ مَدَدًا للأميرِ مَنْجَك فى ألفَيْنِ ، ويذْكُرُ الناسُ أنَّ نائبَ السلْطَنةِ بمَنْ بَقِىَ من الجيشِ يذْهَبُونَ على إثْرِهم ، ثم خرجَتْ أخْرَى بعدَها ثلاثَةُ آلافٍ ليلةَ الثلاثاءِ ثانِى[2] مِن رمضانَ ،

---

(١) فى م : « الطرجاقسى » .

(٢) فى م : « الثامن » .

كما سيأْتى .

وتُوفِّى **الشيخُ الحافِظُ علاءُ الدِّينِ مُغْلَطَاى المِصْرِىُّ**[1] بها فى يومِ الثلاثاءِ الرابعِ والعِشْرِينَ من شَعْبَانَ مِن هذه السنَةِ ، ودُفِنَ مِن الغَدِ بالزَّيْدَانِيَّةِ ، وقد كتَب الكثيرَ وصنَّفَ وجمَعَ ، وكانتْ عندَه كُتبٌ كثيرةٌ جدًّا ، رحِمه اللَّهُ .

وفى مُسْتَهَلِّ رمضانَ أُحضرَ جماعةٌ مِن التجارِ إلى دارِ العَدْلِ ظاهِرَ بابِ النصْرِ ليُباعَ شىءٌ عليهم مِن القَنْدِ[2] والفُولاذِ والزُّجاجِ ممَّا هو فى حَواصِلِ يَلْبُغَا ، فامْتَنَعُوا مِن ذلك خَوْفًا مِن اسْتِعادَةِ ثمنِه منهم على تقْديرٍ ، فضُربَ بعضُهم ، منهم شِهابُ الدِّينِ بنُ الصَّوَّافِ ، بينَ يدَى الحاجبِ وشادِّ الدَّواوينِ ، ثم أُفْرِجَ عنهم فى اليومِ الثانى ، ففَرَّجَ اللَّهُ بذلك .

وخرَجَتِ التَّجْرِيدَةُ ليلةَ الثلاثاءِ بعدَ العِشاءِ صُحْبَةَ ثلاثةِ مُقَدَّمِينَ ؛ وهم عِرَاقٌ[3] ، ثم ابنُ صُبْحٍ ، ثم ابنُ طُرْغِيَةَ ، ودخلَ [4]نائبُ طَرَابُلُسَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ تُومَان إلى دِمَشْقَ صَبِيحَةَ يومِ الأرْبِعاءِ عاشر رمضانَ ، فتلقّاه ملكُ الأُمَراءِ[4] سيفُ الدِّينِ بَيْدَمُر إلى القصرِ ، ودخَلَا معًا فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ ، فنَزلَ تُومَان فى القَصْرِ الأبْلَقِ ، وبرَزَ مَن معه مِن الجيوشِ إلى عندِ قُبَّةِ يَلْبُغَا ، هذا والقَلْعَةُ منْصُوبٌ عليها المَجَانِيقُ ، وقد مُلِئَتْ حرَسًا شديدًا ، ونائبُ السلْطنةِ فى غايةِ التَّحَفُّظِ . ولمَّا أصبْحَ يومُ الخميسِ صمَّمَ تُومَان تَمُر على ملكِ الأُمراءِ فى الرَّحيلِ إلى غَزَّةَ ليتَوافَى

---

(١) الدرر الكامنة ١٢٢/٥، والنجوم الزاهرة ٩/١١، والدليل الشافى ٧٣٧/٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٩٧، والبدر الطالع ٣١٢/٢.

(٢) القند : عصارة قصب السكر إذا جمد . كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٤١.

(٣) فى الأصل : « عراف » . وانظر الدرر الكامنة ٦٨/٣.

(٤ - ٤) فى الأصل : « على نائب طرابلس الأمير » . وانظر : ذيول العبر ص ٣٤٠.

هو وبقِيَّةُ مَنْ تَقدّمَه من الجيشِ الشامِيِّ ، ومَنْجَك ومَن معه هُنالك ، ليقْضِيَ اللَّهُ أمرًا كان مفْعُولًا ، فأَجابَه إلى ذلك ، وأمرَ بتَقَدُّمِ السبقِ بينَ يَدْيه فى هذا اليومِ ، فخرَجَ السبقُ وأَغْلَقَتِ القلعةُ بابَها المَسْلُوكَ الذى عندَ دارِ الحديثِ ، فاستوْحَشَ الناسُ من ذلك ، واللَّهُ يُحْسنُ العاقبةَ .

خُروجُ ملكِ الأُمَراءِ بَيْدَمُر مِن دِمَشْقَ إلى غَزةَ

صلَّى الجمعةَ بالمقْصُورةِ الثانِى عشَرَ من رمضانَ هو و[1]نائبُ السلْطَنةِ بأَطْرابُلُسَ[1] ، ثم اجْتَمعا بالخُطْبَةِ فى مقْصُورةِ الخطابةِ ، ثم راحَ لدارِ السَّعادةِ ثم خرجَ طُلْبُه فى تجَمُّلٍ هائلٍ على ما ذُكِرَ بعدَ العصرِ ، وخرجَ معهم فاسْتَعْرَضَهم ، ثم عادَ إلى دارِ السَّعادةِ فباتَ إلى أنْ صَلَّى الصُبْحَ ، ثم ركِبَ خلفَ الجيشِ هو ونائبُ طَرابُلُسَ ، وخرجَ عامَّةُ مَن بَقِى مِن الجيشِ مِن الأُمراءِ وبقِيَّةُ الحَلْقةِ[2] فى أثناءِ الليلِ ، ومن جملةِ الذاهبين فى صحبتِه الولدُ عبدُ الرحمن أحدُ رجالِ الحلقةِ[2] ، وسلَّمَهم اللَّهُ ، وكذلك خرجَ القُضاةُ ، وكذا كاتِبُ السِّرِّ ووَكِيلُ بيتِ المالِ وغيرُهم مِن كُتَّابِ الدَّسْتِ ، وأصْبحَ الناسُ يومَ السبتِ وليس أحدٌ مِن الجُندِ بدِمَشْقَ ، سِوَى نائبِ الغَيْبَةِ الأميرِ سيفِ[3] الدِّينِ بنِ حَمْزَةَ التُّرْكُمانِيِّ ، وقَرِيبِه والِى البرِّ ، ومُتَوَلِّى البلدِ الأميرِ بَدْرِ الدِّينِ صدقَةَ بنِ أوْحدَ ، ومُحْتَسِبِ البَلدِ ، ونُوَّابِ القُضاةِ ، والقَلْعَةُ على حالِها ، والمجَانِيقُ منْصوبةٌ كما هى . ولمَّا كان صبحُ يومِ الأحدِ رجَعَ القُضاةُ بُكْرَةً ، ثم رجعَ ملكُ الأُمراءِ فى أثْناءِ النهارِ هو وتُومَان

(١ - ١) فى م : « نائب السلطنة ونائب طرابلس » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بياض فى الأصل مقدار كلمتين .

تَمُر ، وهم كلُّهم فى لبْسٍ وأسْلِحَةٍ تامَّةٍ ، وكلٌّ منهما خائفٌ مِن الآخرِ أنْ يُمْسِكَه ، فدَخَل هذا دارَ السَّعادةِ ، وراحَ الآخرُ إلى القَصْرِ الأبْلَقِ ، ولمَّا كان بعدَ العصرِ قَدِمَ مَنْجَك وأَسَنْدَمُر نائِبا السلْطَنةِ بدِمَشْقَ - كانَا - وهما مغْلُوبانِ قد كسَرَهما مَن كان قَدِمَ على مَنْجَك مِن العساكرِ التى جهَّزَها بَيْدَمُر إلى مَنْجَك قُوَّةً له على المِصريِّينَ ، وكان ذلك على يَدَيِ الأميرِ سيفِ الدِّينِ تَمُر حاجِبِ الحُجَّابِ ويُعْرَفُ بالمَهْمَنْدَار ؛ قالَ لمَنْجَك : كلُّنا فى خدْمَةِ مَنْ بِمِصْرَ ، ونحنُ لا نُطِيعُكَ على نُصْرَةِ بَيْدَمُر . [٤/٣١٦] فتقاوَلَا ثم تقَاتَلَا ، فهُزِمَ منجك وذهبَ تَمُر ومَنْجَك ومَنْ كان معهما كابنِ صُبْحٍ وطَيْدَمُر إلى المِصْرِيِّينَ . ولمَّا أصْبحَ الصباحُ مِن يومِ الاثنينِ خامِسَ عشَرَ لم يُوجَدْ لتُومَان تَمُر وطُنَيْرِق ولا أحَدٍ من أُمَراءِ دِمَشْقَ عَيْنٌ ولا أثَرٌ ، بل قد ذَهبُوا كلُّهم إلى طاعَةِ صاحبِ مِصْرَ ، ولم يَبْقَ بدِمَشْقَ مِن أُمرائِها سِوى ابنِ قَرَاسُنْقُر مِن الأُمراءِ المُقدمينَ ، وسِوى بَيْدَمُر ومَنْجَك وأَسَنْدَمُر ، والقلعةُ قد هُيِّئَتْ ، والمَجَانِيقُ منْصوبةٌ على حالِها ، والناسُ فى خوفٍ شديدٍ من دُخولِ بَيْدَمُر إلى القلعةِ ، (١) فيَحْصُلُ بعدَ ذلك عندَ قُدومِ الجيشِ المِصْرِىِّ حِصارٌ وتعَبٌ ومشَقَّةٌ على الناسِ ، واللَّهُ يحْسنُ العاقبةَ .

ولمَّا كان فى أثْناءِ نَهارِ الاثنينِ خامس (٢) عشَرِه دَقَّتِ البشائرُ فى القلعةِ (١) ، وأُظْهِر أنْ يَلْبُغَا الخَاصِّكِىَّ قد نفَاه السلْطانُ إلى الشامِ ، ثم ضُربَتْ وَقْتَ المغربِ ثم بعدَ العِشاءِ فى صَبِيحَةِ يومِ الثلاثاءِ أيضًا ، وفى كلِّ ذلك يرْكَبُ الأُمراءُ الثلاثةُ مَنْجَك وبَيْدَمُر وأَسَنْدَمُر مُلبسينَ ، ويخْرُجونَ إلى خارجِ البلدِ ، ثم يعُودُونَ ، والناسُ فيما يقالُ ما بينَ مُصَدِّقٍ ومُكذِّبٍ ، ولكِنْ قد شُرِعَ إلى تَسْتِيرِ القلعةِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « سادس » .

وتَهَيُّؤَ الحصارِ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ . ثم تبيَّنَ للناسِ أنَّ هذه البشائرَ لا حقيقةَ لها ، فاهتمَّ فى عملِ سَتائِرِ القلعةِ وحَمْلِ الزَّلَطِ والأحْجارِ ، والأغنامِ والحَواصلِ إليها ، وقد ورَدَتِ الأخْبارُ بأنَّ الرِّكابَ الشريفَ السلْطانِيَّ وصُحْبَتَه يَلْبُغَا فى جميعِ جيشِ مِصْرَ قد عَدَّا غَزَّةَ ، فعندَ ذلك خرجَ الصاحِبُ وكاتبُ السِّرِّ والقاضى الشافِعِىُّ وناظِرُ الجيْشِ ونُقباؤُه ومُتَوَلِّى البلدِ ، وتوجَّهُوا تِلْقاءَ حَمَاةَ لتَلَقِّى الأميرِ علىٍّ الذى قد جاءَه تقْليدُ دِمَشْقَ ، وبَقِىَ البلدُ شاغِرًا عن حاكمٍ فيها سِوَى المُحْتَسِبِ وبعْضِ القُضاةِ ، والناسُ كغَنَمٍ لا راعِىَ لهم ، ومع هذا الأحْوالُ صالحةٌ والأمورُ ساكِنَةٌ ، لا يعْدُو أحَدٌ على أحدٍ فيما بلَغنا ، هذا وبَيْدَمُر ومَنجك وأَسَنْدَمُر فى تحْصِينِ القلعةِ وتحْصِيلِ العُدَدِ والأقْواتِ فيها ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف : ٢١] . ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] . والسَّتائرُ تعْمَلُ فوقَ الأبْرجَةِ . وصلَّى الأميرُ بَيْدَمُر صلاةَ الجمعةِ تاسِعَ عشَرَ الشهرِ فى الشُّبَّاكِ الكَمالِىِّ ، فى مَشْهَدِ عُثْمانَ ، وصلَّى عندَه مَنْجَك إلى جانبِه داخِلَ موْضِعِ قاضِى القُضاةِ ، وليسَ هناك أحدٌ مِن الحَجَبَةِ ولا مِن النُّقَباءِ ، وليسَ فى البلدِ أحَدٌ مِن المُباشِرينَ بالكُلِّيَّةِ ، ولا مِنَ الجُنْدِ إلَّا القليلُ ، وكلُّهم قد سافَرُوا إلى ناحيةِ السلْطانِ ، والمُباشِرُونَ إلى ناحيةِ حَمَاةَ لتَلَقِّى الأميرِ علىٍّ نائبِ الشامِ المَحْروسِ ، ثم عادَ إلى القلعةِ ، ولم يحْضُرِ الصلاةَ أَسَنْدَمُر ؛ لأنَّه قيل[1] : كان مُنْقَطِعًا ، إذ[2] قد صلَّى فى القلعةِ .

وفى يومِ السبتِ العِشْرِينَ مِن الشهرِ وصَل البريدُ مِن جِهَةِ السلْطانِ مِن أبْناءِ

---

(١) فى الأصل : « قبل » .
(٢) فى م : « أو » .

الرسُولِ إلى نائبِ دِمَشْقَ يستعْلِمُ طاعتَه أو مُخالفَتَه ، وتعتَّبَ[1] عليه فيما اعْتَمده مِن استحواذِه على القلعةِ وتحصِينِها[2] ، وادِّخارِ الآلاتِ والأطْعماتِ فيها ، ونصبِ[3] المجَانِيقِ والسَّتائرِ عليها ، وكيف تصرَّفَ فى الأمْوالِ السلْطانِيَّةِ تصَرُّفَ المُلاكِ والمُلوكِ ، فتنَصَّلَ ملكُ الأُمراءِ من ذلك ، وذكرَ أنَّه إنَّما أرْصَدَ فى القلعةِ جنادتَها وأنَّه لم يدْخُلْها ، وأنَّ أبْوابَها مفْتوحَةٌ ، وهى قلعةُ السلْطانِ ، وإنَّما له غَرِيمٌ بيْنَه وبيْنَه الشرْعُ والقُضاةُ الأرْبعَةُ - يعْنِى بذلك يَلْبُغَا - وكتبَ بالجوابِ وأرْسَله صُحبَةَ البرِيدِىِّ ؛ وهو كيكلدى مَمْلُوكُ يقطيةَ الدَّوادَار ، وأرْسلَ فى صُحْبَتِه الأميرَ صارِمَ الدِّينِ أحدَ أُمرَاءِ العشَراتِ مِن يومِه ذلك .

وفى يومِ الاثنينِ الثانى والعشْرِينَ من رمضانَ تُصبحُ أبْوابُ البلدِ مُغَلَّقةً إلى قريبِ الظهرِ ، وليسَ ثمَّ مفْتُوحٌ سِوى بابَى النصْرِ والفَرَجِ ، والناسُ فى حَصْرٍ شديدٍ وانْزِعاجٍ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، ولكِنْ قدِ اقْتَربَ وصولُ السلْطانِ والعساكرِ المنْصُورَةِ . وفى صَبِيحَةِ الأرْبِعاءِ أصبحَ الحالُ كما كان وأزْيَدَ ، ونزلَ الأميرُ سيفُ الدِّينِ يَلْبُغَا الخَاصِّكِىُّ بقُبَّةِ يَلْبُغَا ، وامْتَدَّ طُلْبُه مِن سيْفِ دَارَيَّا إلى القُبَّةِ المذكُورَةِ فى أُبَّهَةٍ عظيمةٍ وَهيئةٍ حسنَةٍ ، وتأخَّرَ الرِّكابُ الشريفُ بتأَخُّرِه عنِ الصَّنَمَيْن[4] بعدُ ، ودخلَ بَيْدَمُر فى هذا اليومِ إلى القلعةِ وتحَصَّنَ بها . وفى يومِ الخميسِ الخامس والعِشْرِينَ [٢١٧/٤] منه اسْتمَرَّتِ الأبْوابُ كلُّها مُغَلَّقَةً سِوى بابَى النصْرِ والفرَجِ ، وضاقَ النِّطاقُ وانْحَصرَ الناسُ جدًّا ، وقطَعَ المِصْرِيُّونَ نهرَ بَانَاسَ

---

(١) فى م : « بعث » .

(٢) فى م : « ويخطب فيها » .

(٣) فى م : « عدم » .

(٤) فى م : « الصميين » .

والفَرْعَ الداخِلَ إليها وإلى دارِ السَّعَادَةِ من القَنواتِ ، واحْتاجُوا لذلك أنْ يقْطَعُوا القَنواتِ ليَسُدُّوا الفَرْعَ المذْكُورَ ، فانْزَعَج أهلُ البلدِ لذلك ، وملَئُوا ما فى بُيوتِهم مِن بِرَكِ المَدارسِ وغيرِ ذلك ، وبِيعَتِ القِرْبَةُ بدِرْهَمٍ والحُقُّ بنِصْفٍ ، ثم أُرْسِلَتِ القَنَواتُ وقتَ العصرِ مِن يَوْمِئذٍ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، فانْشَرحَ الناسُ لذلك ، وأصْبَحَ الصباحُ يومَ الجُمعةِ والأبوابُ مُغَلَّقةٌ ولم يُفْتَحْ بابَا النصرِ والفَرجِ إلَّا بعدَ طُلوعِ الشمسِ بزَمانٍ ، فأَرْسلَ يَلْبُغَا مِن جهَتِه أرْبَعَةَ أمَراءَ ؛ وهم الأميرُ زينُ الدِّين زُبَالة الذى كان نائبَ القلعةِ ، والملكُ صلاحُ الدِّينِ بنُ الكامِلِ ، والشيخُ عليٌّ الذى كان نائبَ الرَّحبَةِ من جِهَةِ بَيْدَمُر ، وأميرٌ آخَرُ ، فدَخلُوا البلدَ وكسَرُوا أقْفالَ أبْوابِ البلدِ وفتَحُوا الأبْوابَ ، فلمَّا رأَى بَيْدَمُر ذلك أرْسلَ مَفاتِيحَ البلدِ إليهم .

وصُولُ السُّلْطانِ الملكِ المنْصُورِ إلى المصْطَبَةِ[1] غرْبِىّ عَقَبةِ سجورا

كان ذلك فى يومِ الجُمعةِ السادس والعِشْرِينَ من شهرِ رمَضانَ فى جَحافِلَ عظيمةٍ كالجِبالِ ، فنَزلَ عندَ المصْطَبَةِ المنْسُوبةِ إلى عمِّ أبيهِ[2] الملكِ الأشْرَفِ خَلِيلِ ابنِ المنْصُورِ قَلاوون ، وجاءَتِ الأُمَراءُ ونُوَّابُ البلادِ لتَقْبِيلِ يَدِه والأرضِ بينَ يدَيْه ؛ كنائبِ حَلَبَ ونائبِ حَمَاةَ ، وهو الأميرُ علاءُ الدينِ المَارِدَانىُّ ، وقد عُيِّنَ لنيابةِ دِمَشْقَ ، وكُتبَ تَقْليدُه بذلك ، وأرْسَل إليه وهو بحَماةَ . فلمَّا كان يومُ

---

(١) فى الأصل : « السلطنة » .

(٢) فى م : « ابنته » .

السبتِ السابع[1] والعِشْرِينَ منه خُلِعَ على الأميرِ علاءِ الدينِ عليٍّ المارِدَانِيِّ بنِيَابَةِ دِمَشْقَ، وأُعِيدَ إليها عَوْدًا على بَدْءٍ، ثم هذه الكَرَّةُ الثالثةُ، وقبَّل يدَ السلْطانِ وركِبَ عن يَمِينِه، وخرجَ أهلُ البلدِ لتَهْنِئَتِه، هذا والقلعةُ مُحَصَّنَةٌ بيَدِ بَيْدَمُر، وقد دخلَها ليلةَ الجمعةِ واحْتَمى بها هو ومَنْجَك وأَسَنْدَمُر ومَنْ معه مِن الأعْوانِ بها، ولِسانُ حالِ القَدَرِ يقولُ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

ولمَّا كان يومُ الأحَدِ طُلبَ قُضاةُ القُضاةِ وأرْسِلُوا إلى بَيْدَمُر وذَوِيه بالقلعةِ ليُصالحُوه على شيءٍ[2] يشْتَرِطُونَه، فكان ما سنَذْكُرُه.

سَبَبُ خُروجِ بَيْدَمُر مِنَ القَلْعَةِ وصِفَةُ ذلك

لمَّا كان يومُ الأحَدِ الثامن[3] والعِشْرِينَ مِنْه أُرْسِلَ قُضاةُ القُضاةِ ومعهم الشيخُ شرَفُ الدينِ بنُ قاضى الجبَلِ الحَنْبَلِيُّ، والشيخُ سِرَاجُ الدينِ الهِنْدِيُّ الحنَفيُّ قاضى العَسْكَرِ المِصْرِيِّ للحَنَفِيَّةِ - إلى بَيْدَمُر ومَن معه ليتكَلَّمُوا معهم فى الصُّلْحِ لينْزِلُوا على ما يَشْتَرِطُونَ قبْلَ أنْ يشْرَعُوا فِى الحِصارِ بالرِّجالِ والمَجَانِيقِ التى قد اسْتُدْعِيَ بها مِن صَفَدَ وبَعْلَبَكَّ، وَأُحْضِرَ مِن رجالِ النقاعين نَحْوٌ مِن سِتَّةِ آلافِ رَامٍ، فلمَّا اجْتَمعَ به القُضاةُ ومَن معهم وأَخْبَرُوه عن السُّلْطانِ وأعْيانِ الأُمَراءِ بأنَّهم قد كتَبُوا له أَمَانًا إنْ أَنابَ إلى المُصالَحَةِ، فطلَبَ أنْ يكونَ بأهْلِه بِبَيْتِ المَقْدِسِ، وطلبَ أنْ يُعْطَى مَنْجَك بِلادًا بناحِيَةِ بلادِ سيسَ ليَسْتَرْزِقَ هُنالكَ، وَطلَبَ أَسَنْدَمُر أنْ يكونَ

---

(١) فى الأصل: «الثالث».

(٢) بعده فى م: «مميسور».

(٣) فى الأصل: «الرابع».

بَشْمَقْدار للأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغا الخاصِّكىِّ . فرَجَعَ القُضاةُ إلى السُّلْطانِ ومعهم الأميرُ زَيْنُ الدينِ جِبْرِيلُ الحاجِبُ ، كان ، فأخْبَرُوا السلْطانَ والأُمَراءَ بذلك ، فأُجِيبُوا إلى ما طلَبوا ، وخَلَعَ السُّلْطانُ والأُمَراءُ على جِبْرِيلَ خِلَعًا ، فرَجَعَ فى خِدْمَةِ القُضاةِ ومعهم الأَميرُ (١أَسَنْبُغا بنُ١) الأَبُوبَكْرِى ، فدَخلُوا القَلْعَةَ ، وباتُوا هُنالكَ كلُّهم ، وانْتَقلَ الأميرُ بَيْدَمُر بأَهْلِه وأثاثِه إلى دارِه بالمُطَرِّزِينَ ، فلمَّا أَصْبحَ يومُ [٣١٨/٤] الاثنينِ التاسع والعِشْرِينَ منه خرجَ الأُمَراءُ الثلاثةُ مِن القلعةِ ومعهم جِبْرِيلُ ، فدَخلَ القُضاةُ ، وسلَّمُوا القلعةَ بما فيها مِن الحَواصِلِ إلى الأميرِ سيفِ الدينِ أَسَنْبُغا بنِ الأَبو بَكْرِى .

دخُولُ السلْطانِ محمَّدِ بنِ المَلكِ أميرِ حاجّ بنِ الملكِ محمَّدِ بنِ الملك قلاوون إلى دِمَشْقَ فى جيْشِه وأُمَرائِه

لمَّا كان صَبيحَةُ يومِ الاثنينِ التاسع والعِشْرِينَ من رمضانَ من هذه السنَةِ رجَعَ القُضاةُ إلى الوطاقِ الشَّريفِ وفى صُحْبَتِهم الأُمَراءُ الذينَ كانوا بالقَلْعَةِ ، وقد أُعْطُوا الأَمانَ مِن جِهَةِ السُّلْطانِ ومَنْ معهم وذَوِيهم ، فدَخَلَ القُضاةُ وحُجِبَ الأُمَراءُ المذْكُورونَ ، (٢فَخُلِعَ على القُضاةِ الأَرْبَعةِ وانْصَرفُوا راجِعينَ مَجْبُورِينَ ، وأمَّا الأُمَراءُ المذْكُورونَ٢) فإنَّهم أُرْكبُوا على خَيْلٍ ضعيفةٍ ، وخَلْفَ كلِّ واحدٍ منهم وُشاقِىٌّ(٣) آخِذٌ بوَسَطِه - قيل : وفى يَدِ كلِّ واحدٍ مِنَ الوُشاقِيَّةِ خِنْجَرٌ كبيرٌ

(١ - ١) فى الأصل : « اسنبغا » . وفى م : « أستبغا بن » . وانظر : النجوم الزاهرة ١١/ ١٤٠، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ٢٨٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى م : « وساق » . والوشاقى : الغلام الساذج . المعجم الذهبى ص ٥٩٥ .

مسْلُولٌ لِئَلَّا يستَنْقِذَه منه أحدٌ فيقْتُلَه بها - فدَخلَ جَهْرَةً بينَ النَّاسِ لبَزِّهم وذِلَّتِهم التى قَدْ لَبِسَتْهُم ، وقد أَحْدَقَ النَّاسُ بالطَّرِيقِ مِن كُلِّ جانبٍ ، فقامَ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ اللَّهُ أعلمُ بِعِدَّتِهم ، إلَّا أنَّهم قَدْ يُقَارِبُونَ المائَةَ ألفٍ أو يزِيدُونَ عليها ، فَرَأَى النَّاسُ منْظرًا فَظِيعًا ، فدَخلَ بهم الوُشاقِيَّةُ إلى المَيْدانِ الأَخْضَرِ الذى فيه القَصْرُ ، فأُجْلِسُوا هُنالِكَ وهم سِتَّةُ نَفَرٍ ؛ الثلاثةُ النُّوَّابُ وجِبْرِيلُ وابنُ أَسَنْدَمُر ، وسادِسٌ [(١)] ، وظَنَّ كلٌّ مِنْهُم أنْ يُفْعَلَ به فاقِرَةٌ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، وأُرْسِلَتِ الجيوشُ داخلةً إلى دِمَشْقَ أطْلابًا أَطْلابًا فى تجَمُّلٍ عظيمٍ - ولُبْسُ الحَرْبِ [(٢)] يَبْهَرُ البصرَ [(٢)] - وخُيولٍ وَأَسْلِحَةٍ وَرِماحٍ ، ثم دخلَ السُّلْطانُ فى آخرِ ذلك كلِّه بعدَ العصرِ بزَمَنٍ ، وعَلَيْه مِنْ أَنْوَاعِ الملابسِ [(٣)] قَبَاءٌ زنجارىٌّ [(٣)] ، والقُبَّةُ والطيرُ يَحْمِلُهما على رَأْسِه الأميرُ سيفُ الدينِ تُومان [(٤)] تَمُر الذى كان نائبَ طَرابُلُسَ ، والأُمَراءُ مُشاةٌ بينَ يدَيْه ، والبُسُطُ تحتَ قَدَمَىْ فَرَسِه ، والبشائرُ تُضْرَبُ خَلْفَه ، فدَخَل القلعةَ المَنْصُورةَ المَنْصُورِيَّةَ لا البَدْرِيَّةَ ، ورأَى ما قد أُرْصِدَ بها مِنَ المَجَانِيقِ والأَسْلحةِ ، فاشْتَدَّ حَنَقُه على بَيْدَمُر وأَصْحابِه كثيرًا ، ونزَلَ الطَّارِمةَ ، وجلسَ على سَرِيرِ المَمْلَكَةِ ، ووَقَفَ الأُمَراءُ والنُّوابُ بين يَدَيْه ، ورجع الحقُّ إلى نصابِه ، وقد كان بين دخُولِه ودخولِ عمِّه الصالحِ صالحٍ [(٥)] إلى دِمَشْقَ فى قَضِيَّةِ بَيْبُغا آروس تسعُ سنين ، وكان دخُولُهما إليها فى رمضانَ ؛ الصالحُ [(٥)] فى أولِ يومٍ مِن رمضانَ ، وهذا فى التاسعِ والعِشْرِينَ منه ، وقد قيلَ : إنَّه سَلْخَه . واللَّهُ أعلمُ ، وشَرَعَ الناسُ فى الزِّينَةِ .

---

(١) فى الأصل : « شاورس » .

(٢ - ٢) فى م : « بنهر النصر » .

(٣ - ٣) فى م : « قباز بخارى » .

(٤) فى الأصل : « توماز » . وانظر : ذيول العبر ص ٣٣٩.

(٥ - ٥) سقط من : م .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الثلاثاءِ سَلْخ الشهرِ نُقلَ الأُمرَاءُ المغْضوبُ عليهم الذينَ ضَلَّ سعْيُهم فيما كانُوا أَبْرَمُوه مِن ضَمِيرِ سُوءٍ للمسلمينَ - إلى القلعةِ ، فأُنْزِلُوا فى أبْراجِها مُهانِينَ مُفَرَّقًا بيْنَهم بعدَ ما كانُوا بها آمِنينَ حاكِمينَ أصْبَحُوا مُعْتقَلِينَ مُهانِينَ خائفِينَ ، فخارُوا بعدَ ما كانوا رُؤَساءَ ، وأصْبَحُوا بعدَ عِزِّهم أذِلَّاءَ ، وبَقِيَتْ أَعْيانُ أصْحابِ هؤلاءِ الأُمراءِ ، ونُودِىَ عليهم فى البلدِ ، ووُعِدَ مَن دَلَّ على أحَدٍ منهم بمالٍ جزيلٍ ووِلايَةِ إِمْرَةٍ بحسَبِ ذلك ، ورُسِمَ فى هذا اليومِ على الرئيسِ أمينِ الدينِ بنِ القَلانِسِىِّ كاتبِ السِّرِّ ، وطُلِبَ منه أَلْفُ ألفِ دِرْهَمٍ ، وسُلِّم إلى الأميرِ زينِ الدينِ زُبالة نائبِ القلعةِ ، وقد أُعِيدَ إليها وأُعْطِىَ تقْدِمَةَ ابنِ قَراسُنْقُر ، وأَمَرَه أنْ يُعاقِبَه إلى أَنْ يَزِنَ هذا المبلغَ . وصلَّى السلْطانُ وأُمَراؤُه بالمَيْدانِ الأخْضَرِ صلاةَ العيدِ ؛ ضُرِبَ له خامٌ عظيمٌ ، وصلَّى به خَطِيبًا القاضى تاجُ الدينِ المُناوى[1] الشافِعىُّ قاضى العساكرِ المنْصُورَةِ للشافِعيَّةِ ، ودخلَ الأُمَراءُ مع السلْطانِ للقلعةِ مِن بابِ المدْرسَةِ ، ومدَّ لهم سِماطًا هائلًا أكلُوا منه ، ثم رجَعُوا إلى دُورِهم وقُصورِهم ، وحَمَلَ الجِتْرَ[2] فى هذا اليومِ على رأسِ السُّلْطانِ الأَميرُ علىٌّ نائبُ دِمَشْقَ ، وخُلِع عليه خِلْعةٌ هائلةٌ . وفى هذا اليومِ مُسِكَ الأميرُ تُومان تَمُر الذى كان نائبَ طَرابُلُسَ ثم قَدِمَ على بَيْدَمُر فكانَ معه ثم قَفَلَ إلى المصْرِيِّينَ واعْتذَرَ إليهم فعَذَروه فيما يبْدُو للناسِ ، ودخَل وهو حامِلٌ الجِتْرَ على رأسِ السلْطانِ يومَ الدُّخولِ ، ثم وَلَّوه نِيابةَ [٤/٢١٩] حِمصَ ، فصَغَّرُوه وحقَّرُوه ، ثم لمَّا اسْتَمرَّ ذاهبًا إليها فكانَ عندَ القابونِ أرْسَلُوا إليه فأَمْسَكُوه ورَدُّوه ، وطُلِبَ منه المِائةُ ألفِ التى كان قَبَضَها مِن بَيْدَمُر ، ثم ردُّوه إلى نيابةِ حِمْصَ .

---

(١) فى م : « الساوى » . وسيأتى فى وفيات سنة ٧٦٥هـ .

(٢) فى الأصل : « الخبر » . وفى م : « الطير » . وانظر ص ٨٩.

وفى يومِ الخميسِ اشْتَهرَ الخبَرُ بأنَّ طائفةً مِن الجيشِ بمْصرَ مِن طواشِيَّةٍ[1] وخاصِّكيَّةٍ ملَّكُوا عليهم حُسَيْنَ بنَ[2] الناصرِ، ثم اخْتلَفُوا فيما بيْنَهم واقْتتلُوا، وأنَّ الأمرَ قدِ انْفَصلَ ورُدَّ حُسَيْنٌ للمحلِّ الذى كان مُعْتَقَلًا فيه، وأَطْفَأَ اللَّهُ شرَّ هذه الطائفَةِ، وللَّهِ الحمدُ. وفى آخرِ هذا اليومِ لَبِسَ القاضى ناصِرُ الدينِ بنُ يَعْقُوبَ خِلْعَةَ كِتابَةِ السِّرِّ الشرِيفِيَّةَ والمدْرستَيْنِ ومَشْيخةِ الشيوخِ - عِوَضًا عن الرئيسِ علاءِ الدينِ بنِ القَلانسِىِّ؛ عُزِلَ وصُودرَ، وراحَ الناسُ لتَهْنِئَتِه بالعَوْدِ إلى وظيفَتِه كما كانَ.

وفى صَبِيحَةِ يومِ الجُمعَةِ ثالث شَوَّالٍ مُسكَ جماعةٌ مِن الأُمراءِ الشامِيِّين؛ منهم الحاجِبَانِ صلاحُ الدينِ وحسامُ الدينِ، والمَهْمَنْدار ابنُ أخى الحاجِبِ الكبيرِ تَمُر، وناصِرُ الدينِ بنُ الملكِ صلاحِ الدينِ بنِ الكامِلِ، وابنُ حَمْزَةَ، والطَّرْخانِىُّ، واثْنانِ أخَوانِ؛ وهما طَيْبُغا زفَر وبلجك[3]؛ كلُّهم طَبْلَخاناه، وأخْرَجُوا خيروتَمُر[4] حاجِبَ الحُجَّابِ، وكذلك الحجوبيةُ أيضًا، [5]وأَعْطَوا إقطاعَه لابنِ القشْتمرىِّ الذى كان نائبَ حَلَبَ، وأعطَوا الحجُوبيةَ[5] لِقُمارى[6] أحدِ أُمَراءِ مصرَ.

وفى يومِ الثلاثاءِ سابع شَوَّالٍ مُسِكَ سِتَّةَ عشَرَ أميرًا مِن أُمَراءِ العربِ بالقلعةِ المنْصورَةِ؛ منهم عمرُ بنُ مُوسى بنِ مُهَنَّا المُلَقَّبُ بالمُصَمَّعِ، الذى كان أميرَ العربِ

---

(١) فى الأصل: «طواسية».
(٢) سقط من: م. وانظر: الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨١.
(٣) فى م: «بلجات».
(٤) فى الأصل: «حمنرنم» كذا.
(٥ - ٥) سقط من: م.
(٦) فى م: «لقاربى».

فى وَقْتٍ ، وَمُعَيْقِلُ بنُ فَضْلِ بنِ مُهنَّا ، وآخرونَ ، وذكَرُوا أنَّ سبَبَ ذلك أنَّ طائفةً مِن آلِ فضلٍ عرَضُوا للأميرِ سيفِ الدينِ الأحْمَدِىِّ الذى اسْتَنابوه على حَلَبَ وأعمالِها ، وأخَذُوا منه شيئًا مِن بعضِ الأمْتِعَةِ ، وكادَتِ الحربُ تقَعُ بيْنَهم . وفى ليلَةِ الخميسِ بعدَ المغربِ حُمِلَ تِسْعَةَ عشَرَ أميرًا مِن الأتْراكِ والعربِ على البريدِ مُقَيَّدِينَ فى الأغْلالِ أيضًا إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ، منهم بَيْدَمُر ومَنْجَك وأسندمر وجِبْرِيلُ وصلاحُ الدينِ الحاجِبُ وحسامُ الدينِ أيضًا وبلجك وغيرُهم ، ومعهم نَحْوٌ مِن مِائَتَىْ فارسٍ مُلبسينَ بالسِّلاحِ مُتَوَكِّلينَ بحفْظِهم ، وسارُوا بهم نحْوَ الديارِ المِصْرِيَّةِ ، وأمروا جماعةً مِن البَطَّالِينَ ، منهم أوْلادُ الأقْوَش . وأُطْلِقَ الرئيسُ أمينُ الدينِ بنُ القَلانِسِىِّ مِن المُصادَرةِ والتَّرْسيمِ بالقلعةِ ، بعدَ ما وُزِن بعضُ ما طُلِبَ منه ، وصارَ إلى منْزِله ، وهنَّأه الناسُ .

خُروجُ السلْطانِ مِن دِمَشْقَ قاصِدًا مِصْـرَ

ولمَّا كان يومُ الجمعةِ عاشر شهرِ شَوَّالٍ خرجَ طُلْبُ يَلْبُغا الخاصِّكىِّ صَبِيحَتَه فى تجَمُّلٍ عظيمٍ لم يَرَ الناسُ فى هذه المُدَدِ مثلَه ؛ مِن نَجائِبَ وجَنائِبَ ومَماليكَ وعظَمَةٍ هائلةٍ ، وكانتْ عامَّةُ الأطْلابِ قد تقدَّمَتْ قبلَه بيومٍ ، وحضرَ السلْطانُ إلى الجامعِ الأُمَوىِّ قبلَ أذانِ الظهرِ ، فصلَّى فى مشْهَدِ عُثْمانَ هو ومَن معه مِن أُمَراءِ المِصْرِيِّينَ ونائبُ الشامِ ، وخرجَ مِن فَوْرِه مِن بابِ النصْرِ ذاهبًا نحْوَ الكُسْوةِ ، والناسُ فى الطُّرقاتِ والأسْطحَةِ على العادَةِ ، وكانتِ الزِّينةُ قد بَقِىَ أكْثَرُها فى الصَّاغَةِ والخَوَّاصِينَ وبابِ البريدِ إلى هذا اليومِ ، فاسْتَمرَّتْ نَحْوَ العشَرَةِ أيامٍ .

وفى يومِ السبتِ حادِى عشَرَ شوَّالٍ خُلِعَ على الشيخِ علاءِ الدينِ الأنْصارِىِّ

بإعادَةِ الحِسْبَةِ إليه وعُزِلَ عِمادُ الدينِ بنُ الشيرجيِّ . وخرجَ المَحْمَلُ يومَ الخميسِ سادِسَ عشَرَ شوالٍ على العادةِ ، والأميرُ مُصْطَفَى البيزِيُّ .

وتُوفِّى يومَ الخميسِ ويومَ الجمُعَةِ أرْبَعَةُ أُمَراءَ بدِمَشْقَ وهم **قَشْتَمُرزَفَر**[1] **وطَيْبُغا الفيلُ**[2] ، **ونوروز**[3] أحدُ مُقَدَّمِى الألوفِ ، **وتَمُر المَهْمَنْدار**[4] وقد كان مُقَدَّمَ ألفٍ وحاجِبَ الحُجَّابِ وعمِلَ نِيابةَ غَزَّةَ فى وَقْتٍ ثم تعَصَّبَ عليه المِصْـرِيُّونَ فعزَلُوه عن الإمْرَةِ وكان مريضًا ، فاسْتَمَرَّ مريضًا ، إلى أنْ تُوفِّىَ يومَ [٤/٢٢٠] الجُمعَةِ ، ودُفِن يومَ السبتِ بتُرْبَتِه التى أنْشأَها بالصُّوفِيَّةِ ، لكِنَّه لم يُدْفَنْ فيها بل على بابِها كأنَّه تَوَرَّع[5] أو نَدِمَ على بنائِها فوقَ قُبورِ المسلمينَ .

وتُوفِّى الأميرُ ناصِرُ الدينِ بنُ الأَقْوَش[6] يومَ الاثنينِ العِشْرِينَ مِن شَوَّالٍ ودُفِنَ بالقبيباتِ ، وقد نابَ ببَعْلَبَكَّ وبحِمْصَ ، ثم قُطِعَ خُبْزُه هو وأخوه كُجْكُن ونُفُوا عنِ البلدِ إلى بُلْدانٍ شَتَّى ، ثم رَضِىَ عنهم الأميرُ يَلْبُغا وأعادَ عليهم أخْبازًا بطَبْلخاناه ، فما لَبِثَ ناصرُ الدينِ إلَّا يسِيرًا حتى تُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالَى ، وقد أَثَرَ آثارًا حسنَةً كثيرةً ؛ منها عندَ عَقَبَةِ الرُّمَّانَةِ خانٌ مليحٌ نافعٌ ، وله بِبَعْلَبَكَّ جامِعٌ وحمَّامٌ وخانٌ وغيرُ ذلك ، وله مِنَ العُمْرِ سِتٌّ وخَمْسُونَ سنةً .

---

(١) فى الأصل : « طشتمروحز » . وفى م : « طشتمروفر » . والمثبت من الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٣، والذيل التام حوادث وتراجم سنوات (٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٦.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر .

(٣) الدرر الكامنة ٥/ ١٧١.

(٤) السلوك ٣/١/٧٢، والدرر الكامنة ٢/٥٤.

(٥) فى م : « مودع » .

(٦) الدرر الكامنة ٤/١٣، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٦.

وفى يومِ الأحدِ السادس والعِشرِينَ منه درَّس القاضى [1]نُورُ الدينِ محمدُ[1] ابنُ قاضى القُضاةِ بهاءِ الدينِ بنِ أبى البَقَاءِ الشافِعىُّ بالمدْرسَةِ الأتابَكِيَّةِ ؛ نزَلَ له عنها والِدُه بتَوْقيعٍ سُلْطانىٍّ ، وحضرَ عندَه القُضاةُ والأعْيانُ ، وأخذَ فى قوْلِه تعالَى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة : ١٩٧] . وفى هذا اليومِ درَّسَ القاضِى نجْمُ الدينِ أحمدُ بنُ عُثْمانَ النابُلُسِىُّ الشافِعىُّ ، المعْروفُ بابنِ الجابى بالمدْرسَةِ العَصْرُونيَّةِ ؛ اسْتُنْزِلَ له عنها القاضى أمينُ الدينِ بنُ القلانِسِىِّ فى مُصادَراتِه . وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ التاسع والعِشْرِينَ مِن شَوَّالٍ درَّسَ القاضى ولىُّ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ القاضى بهاءِ الدينِ أبى البَقاءِ بالمدْرستَيْنِ الرَّواحِيَّةِ ثم القَيْمرِيَّةِ ؛ نزلَ له عنهما والِدُه المذْكُورُ بتَوْقيعٍ سُلْطانىٍّ ، وحضرَ عندَه فيهما القُضاةُ والأعْيانُ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الخميسِ سَلْخ شَوَّالٍ شُهِّرَ الشيخُ أسَدُ بنُ الشيخِ الكُرْدِىِّ على جَملٍ ، وطِيفَ به فى حَواضرِ البلدِ ، ونُودِىَ عليه : هذا جزاءُ مَن يُخامِرُ على السلْطانِ ويُفْسِدُ نوَّابَ السلْطانِ ! ثم أُنْزِلَ عن الجملِ ، وحُمِلَ على حمارٍ وطِيفَ به فى البلدِ ، ونُودِىَ عليه بذلك ، ثم أُلْزِمَ السجنَ ، وطُلِبَ منه مالٌ جزيلٌ ، وقد كان المذْكُورُ مِن أعْوانِ بَيْدَمُر المُتقدِّمِ ذكْرُه وأنْصارِه ، وكان هو المُتَسَلِّمَ للقَلْعَةِ فى أيامِه .

وفى صَبيحةِ يومِ الاثْنَيْنِ حادِى عشَرَ ذى القَعْدَةِ خُلِعَ على قاضى القُضاةِ بَدْرِ الدينِ بنِ أبى الفَتْحِ بقَضاءِ العَسْكرِ الذى كان مُتَوفرًا عن علاءِ الدينِ [2]بنِ شمرنوخ[2] ، وهنَّأه الناسُ بذلك ، وركبَ البَغْلَةَ بالزُّنَّارِىِّ مُضافًا إلى ما بِيَدِه مِن نيابةِ

(١ - ١) فى ذيول العبر ص ٣٤٤، ٣٤٥، والذيل على العبر ١/٥٤، والدارس ١/٣٩، ٤٠، ١٣٥، ٢٧٣، ٤٤٥ أنه (ولى الدين عبد اللَّه) الآتى ذكره بعد قليل.

(٢ - ٢) فى م: «شرنوخ».

الحُكْمِ والتدْريسِ . وفى يومِ الاثْنَيْنِ ثامنَ عشَرِه أُعيدَ تدْريسُ الرُّكْنِيَّةِ بالصالحيَّةِ إلى قاضى القُضاةِ شَرفِ الدينِ الكَفْرِىِّ الحنَفِىِّ ؛ اسْتَرْجعَها بمرسُومٍ شريفٍ سُلْطانىٍّ مِن يَدِ القاضى عِمادِ الدينِ بنِ العِزِّ ، وخُلِعَ على الكَفْرِىِّ وذهبَ الناسُ إليه للتَّهْنِئَةِ بالمدرسةِ المذْكُورةِ .

وفى شهرِ ذى الحِجَّةِ اشْتَهرَ وقوعُ فِتَنٍ بينَ الفلَّاحين بناحيةِ عَجْلُونَ ، وأنَّهم اقْتَتَلُوا فقُتِلَ مِن الفريقَيْنِ اليَمنىِّ والقَيْسِىِّ طائفةٌ ، وأنَّ عَيْنَ حينا[1] التى هى شرْقىُّ عجْلُونَ دُمِّرَتْ وخُرِّبَتْ ، وقُطعَ أشْجارُها ودُمِّرَتْ بالكُلِّيةِ . وفى صَبِيحَةِ يومِ السبتِ الثانِى والعِشْرينَ من ذِى الحجَّةِ لم تُفْتحْ أبْوابُ دمَشْقَ إلى ما بعدَ طُلوعِ الشمسِ ، فأنْكَرَ الناسُ ذلك ، وكان سببَه الاحْتِياطُ على أميرٍ يقالُ له : كسغا[2] . كان يريدُ الهرَبَ إلى بلادِ الشرقِ ، فاحْتيطَ عليه حتى أمْسَكُوه .

وفى ليلةِ الأرْبِعاءِ السادس والعِشْرِينَ مِن ذِى الحجَّةِ قَدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ طاز مِن القُدْسِ فنزَلَ بالقَصْرِ الأبْلَقِ ، وقد عَمِىَ مِن الكَحْلِ حينَ كان مسْجونًا بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ، فأُطْلِقَ كما ذكَرْنَا ، ونَزلَ ببَيْتِ المَقْدِسِ مدةً ، ثم جاءَه تقْليدٌ بأنَّه يكونُ طرخانًا ينْزِلُ حيثُ شاءَ مِن بلادِ السلْطانِ ، غيرَ أنَّه لا يْدخُلُ دِيارَ مِصْرَ ، فجاءَ فنزَلَ بالقَصْرِ الأبْلَقِ ، وجاءَ الناسُ إليه على طَبقاتِهم ، نائبُ السلْطَنةِ فمَن دونَه ، يسلِّمُونَ عليه وهو لا يُبْصِرُ شيئًا ، وهو على عَزْمِ أنْ يشْترِىَ أو يَسْتَكْرِىَ له دارًا بدِمَشْقَ يسْكُنُها .

---

(١) فى م : « حيتا » .

(٢) فى م : « كسبغا » ، وفى تاريخ ابن قاضى شهبة : « كمشْبُغا » .

ثم دخلَتْ سنَةُ ثلاثٍ وسِتّين وسَبْعِمائةٍ[1]

[٤/٢٢١] استَهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ الديارِ المصريةِ والشاميةِ والحَرَمَين الشريفَين وما يَتْبعُ ذلك من الممالكِ الإسلاميةِ السلطانُ الملكُ المنصورُ صلاحُ الدينِ محمدُ بنُ الملكِ المُظَفَّرِ أمير حاج بنِ الملكِ [2]الناصرِ محمدِ بن الملكِ[2] المنصورِ قَلاوُون ، وهو شابٌّ دونَ العشرينَ ، ومُدَبِّرُ المَمالِكِ بين يديْه الأميرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغا ، ونائبُ الديارِ المصريةِ قَشْتَمُر[3] ، وقُضاتُها هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها ، [4]والوزيرُ سيْفُ الدينِ قَرَوِينَةُ ، وهو مريضٌ مُدْنِفٌ ، ونائبُ الشامِ بدمَشقِ الأميرُ علاءُ الدينِ المارِدانِىُّ ، وقضاتُه هم المذكورون فى التى قبلَها[4] ، وكذلك الخطيبُ ووَكِيلُ بيتِ المالِ ، والمحتسِبُ علاءُ الدينِ الأنصارىُّ ، عاد إليها فى السنةِ المنفصلةِ ، وحاجِبُ الحُجّابِ قُمارى ، والذى يَلِيه السُّلَيْمانىُّ [5]وآخرُ مِن مِصْرَ[5] أيضًا ، وكاتبُ السِّرِّ القاضى ناصِرُ الدينِ محمدُ بنُ يعقوبَ الحَلَبِىُّ ، وناظِرُ الجامعِ القاضى تَقِىُّ الدينِ ابنُ مَراجِلٍ . وأخبرنى قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ الشافعىُّ أنَّه

---

(١) تذكرة النبيه ٢٤٨/٣، والسلوك ٧٣/١/٣، والنجوم الزاهرة ١٣/١١، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٧.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « يسمر » ، وفى م : « طشتمر » . والمثبت من الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ثم موكل وآخر من مضرانهما » .

جُدِّدَ فى أوَّلِ هذه السنةِ قاضٍ حنفىٌّ بمدينةِ صَفَدَ المحروسَةِ مع الشافعىِّ ، فصار فى كلٍّ مِن حَمَاةَ وطَرابُلُسَ وصَفَدَ قاضيانِ ؛ شافعىٌّ وحنفىٌّ .

وفى ثانى المُحَرَّمِ قَدِمَ نائبُ السلطَنةِ بعدَ غَيْبةِ نحوٍ مِن خمسةَ عشَرَ يومًا ، وقد أوطَأَ بلادَ قُرْيَرَ[1] بالرُّعْبِ ، وأخَذ مِن مُقَدَّمِيهم طائفةً فأَودَعَهم الحبسَ ، وكان قد اشتَهَر أنَّه قصَد [2]العشيراتِ المُواسينَ[2] ببلادِ عَجْلُونَ ، فسأَلْتُه عن ذلك حينَ سلَّمْتُ عليه فأخبرَنى أنه لم يتَعَدَّ ناحيةَ قُرْيَرَ[3] ، وأن العشيراتِ قد اصطَلحوا واتفَقوا ، وأنَّ التَّجْريدَة عندَهم هناك ، وقد كبَس الأعرابُ مِن حرمِ التركِ فهزَمهم التركُ وقتَلوا منهم خلقًا كثيرًا ، ثم ظهَر للعربِ كَمِينٌ [4]فلجأ التركُ[4] إلى [5]وادِ حَرِجٍ[5] فحصَروهم هنالِك ، ثم وَلَّتِ الأعْرابُ فِرارًا ولم يُقْتَلْ مِن التركِ أحدٌ ، وإنما جُرِحَ منهم أميرٌ واحدٌ فقط ، وقُتِلَ مِن الأعرابِ فوقَ الخَمسينَ نَفْسًا .

وقَدِمَ الحُجَّاجُ يومَ الأحَدِ الثانى والعشرين مِن المحرَّمِ ، ودخَل المَحْمَلُ السلطانىُّ ليلةَ الاثنينِ بعدَ العِشاءِ ، ولم يُحْتَفَلْ لدُخولِه كما جرَت به العادةُ ؛ وذلك لِشدَّةِ ما نال الرَّكْبُ فى الرَّجْعَةِ مِن زَيْزاءَ[6] إلى هُنا مِن البَرْدِ الشديدِ ، بحيثُ إنه قد قِيل : إنه مات منهم بسببِ ذلك نحوُ المِائة ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، ولكِنْ أخبَروا برُخْصٍ كثيرٍ وأمْنٍ ، وبمَوتِ ثَقَبةَ أخى عَجْلانَ[7] صاحِبِ مكَّةَ ، وقد استبْشَر بمَوْتِه

---

(١) فى م : « فرير » . وقرير : بلد بين نصيبين والرقة . وانظر : معجم البلدان ٤/ ٧٨.

(٢ - ٢) فى الأصل : « السعران المداسين » .

(٣) فى الأصل : « زيزد » . وفى م : « فرير » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فألجأوا النزول » .

(٥ - ٥) فى م : « وادى صدح » .

(٦) فى م : « يزيز » . وزَيزاء : من قرى البلقاء كبيرة ، يطؤها الحاج ويقام لهم بها سوق . معجم البلدان ٣/ ١٦٣.

(٧) فى م : « نفسة » . وتقدم فى صفحة ٥٣٠ . وانظر تاريخ ابن قاضى شهبة ٢/ ١٩٠، ٢٠٠.

أهلُ تلك البلادِ لبَغْيِه على أخيه عَجْلانَ العادِلِ فيهم .

مَنامٌ غريبٌ جدًّا

ورأيْتُ - يعْنى المُصَنِّفَ - فى ليْلةِ الاثنينِ الثانى والعشرينَ مِن المحرَّمِ سنةَ ثلاثٍ وستينَ وسبعمِائَةٍ الشيخَ مُحْيى الدينِ النَّواوِىَّ ، رحِمه اللَّهُ ، فقلتُ له : يا سيدى الشيخُ ، لم لا أدْخَلت فى شَرْحِكَ « المُهَذَّبَ »[1] شيئًا مِن مُصنَّفاتِ ابنِ حَزْمٍ ؟ فقال ما معناه : إنه لا يُحِبُّه . فقلتُ له : أنتَ معْذُورٌ فيه ، فإنه جمَع بينَ طرَفَيِ النَّقِيضَيْنِ فى أصولِه وفُروعِه ؛ أمّا هو فى الفُروعِ فظاهِرِىٌّ جامدٌ يابِسٌ ، وفى الأُصولِ تولٌ[2] مائعٌ ، قرْمَطَةُ القَرامِطَةِ [3]وهُرْمُسُ الهرامِسَةِ[3] ، ورفعتُ بها صَوْتى حتى سمعْتُ وأنا نائمٌ ، ثم أشَرْتُ له إلى أرضٍ خَضْراءَ تُشْبِهُ النَّجِيلَ بل هى أرْدَأُ شكلًا منه ، لا يُنْتفَعُ بها فى اسْتِغْلالٍ ولا رَعْيٍ ، فقلتُ له : هذه أرضُ ابنِ حَزْمٍ التى زرَعها ، انظُرْ هل ترَى فيها شجَرًا مُثْمِرًا أو شيئًا يُنْتفَعُ به ؟ قلتُ : إنَّما تصْلحُ للجُلوسِ عليها فى ضَوءِ القَمرِ . فهذا حاصِلُ ما رأيتُه ، ووَقعَ فى خَلَدَى أنَّ ابنَ حَزْمٍ كان حاضِرَنا عندَما أشَرْتُ للشيخِ مُحْيِى الدينِ إلى الأرضِ المنْسُوبةِ لابنِ حَزْمٍ ، وهو ساكتٌ لا يَتَكَلَّمُ .

---

(١) فى الأصل : « المذهب » . والمقصود : « كتاب المجموع شرح المهذب » .

(٢) فى الأصل : « بول » .

(٣ - ٣) فى م : « وهرس الهرائسة » . وانظر : الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ١٤٢/٢، والملل والنحل للشهرستانى ٧٥٧/٢. والمقصود من كلام المصنف - والله أعلم - أن ابن حزم جمع بين القرامطة الذين ينحون الإسلام بالكلية ، وبين الهرامسة الذين يقررون مذهب الحنفاء فى إثبات الكمال فى الأشخاص البشرية وإيجاب القول باتباع النواميس الإلهية .

وفى يومِ الخميسِ الثالث والعِشْرِينَ مِن صفَرٍ خُلِعَ على القاضى عِمادِ الدينِ ابنِ الشيْرجِىِّ بعَوْدِ الحِسْبَةِ إليه ، بسببِ ضعْفِ علاءِ الدينِ الأنْصارِىِّ عن القيامِ بها لشُغلِه بالمرَضِ [٢٢٢/٤] المُدْنِفِ ، وهنَّأه الناسُ على العادةِ .

وفى ليْلةِ السبتِ السادس والعشرِينَ مِن صفَرٍ تُوفِّى **الشيخُ علاءُ الدينِ الأنْصارِىُّ**[١] ، المذْكُورُ بالمدرسةِ الأمِينِيَّةِ ، وصُلِّى عليه الظهرَ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، ودُفِن بمقابرِ بابِ الصغيرِ خلفَ مِحْرابِ جامعِ جراحٍ ، فى تُرْبَةٍ هُنالك ، وقد جاوَزَ الأرْبَعِينَ سنةً ، ودرَّس فى الأمِينِيَّةِ وفى الحِسْبَةِ مرَّتينِ ، وترَك أولادًا صغارًا وأموالًا جزيلةً ، سامحَهُ اللَّهُ ورحِمه . ووَلِىَ المدْرسةَ بعدَه قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ بنُ السُّبْكىِّ بمَرْسومٍ كَريمٍ شَريفٍ .

وفى العَشْرِ الأخيرِ مِن صفَرٍ بلَغَنا وفاةُ **قاضى القُضاةِ المالِكِيَّةِ الأَخْنائىِّ**[٢] بمِصْرَ وتوْلِيَةُ أخيه بُرْهانِ الدينِ بنِ قاضى القُضاةِ عَلَمِ الدينِ الأَخْنائِىِّ الشافعِىِّ أبوه - قاضِيًا مكانَ أخيه ، وقد كان على الحِسْبَةِ بمِصْرَ مشْكُورَ السِّيرةِ فيها ، وأُضِيفَ إليه نَظَرُ الخِزانَةِ كما كان أخُوه .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأحدِ رابعَ عشَرَ[٣] رَبِيعِ الأوَّلِ كان ابْتِداءُ حضُورِ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ أبى نَصْرٍ عبدِ الوهَّابِ ابنِ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ أبى[٤] الحسنِ بنِ[٥] عبدِ الكافِى السُّبكىِّ الشافِعىِّ تدْرِيسَ الأمِينِيَّةِ عِوَضًا عنِ الشيخِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٤٨، والذيل على العبر ص ٨٩ ، والدرر الكامنة ١٧٧/٣، والدارس ١/ ٢٠٠.
(٢) فى الأصل : « الإحتائى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٣٤٨، والسلوك ٧٩/١/٣، والدرر الكامنة ١٢/٥، والنجوم الزاهرة ١٤/١١، وبدائع الزهور ٥٩١/١/١.
(٣) فى م : « شهر » .
(٤) فى م : « بن » . وانظر النجوم الزاهرة ١٠٨/١١، ١٢١.
(٥) سقط من : الأصل . وانظر النجوم الزاهرة ١٠٨/١١.

علاءِ الدينِ المُحْتَسِبِ ، بحُكْمِ وفاتِه ، رحِمه اللَّهُ ، كما ذكرْنا ، وحضَر عندَه خَلْقٌ مِن العُلَماءِ والأشرافِ[1] والفُقَهاءِ والعامَّةِ ، وكان دَرْسًا حافِلًا ، أخَذَ فى قولِه تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآيـة وما بعدها [النساء : ٥٤] . فاسْتَنبطَ أشياءَ حسنةً ، وذكرَ ضَرْبًا مِن العُلومِ بعِبارةٍ طَلْقَةٍ جارِيةٍ معْسُولَةٍ ، أخَذ ذلك مِن غيرِ تَلَعْثُمٍ ولا تَلَجْلُجٍ ولا تَنحنُحٍ ولا تَكَلُّفٍ ، فأجادَ وأفادَ وشكَره الخاصَّةُ والعامَّةُ مِن الحاضِرينَ وغيرِهم ، حتى قال بعضُ الأكابرِ : إنَّه لم يسْمَعْ دَرْسًا مثلَه .

وفى يومِ الاثنينِ الخامس والعِشْرِينَ منه تُوفِّى **الصَّدْرُ بُرْهانُ الدينِ إبراهيمُ**[2] **ابنُ لُؤْلُؤٍ الحوضِىُّ**[3] ، فى دارِه بالقَصَّاعين ولم يَمْرَضْ إلَّا يومًا واحدًا ، وصُلِّى عليه مِن الغَدِ بجامعِ دِمَشْقَ بعدَ صلاةِ الظهرِ ، وخرَجُوا به مِن بابِ النصْرِ ، فخرَجَ نائبُ السلْطَنةِ الأميرُ علىٌّ ، فصلَّى عليه إمامًا خارِجَ بابِ النصْرِ ، ثم ذهَبُوا به فدَفَنُوه بمقَابرِهم بِبابِ الصغيرِ ، فدُفِنَ عندَ أبيه ، رحمهُما اللَّهُ ، وكانَ ، رحِمهُ اللَّهُ ، فيه مُروءَةٌ وقيامٌ مع الناسِ ، وله وَجاهَةٌ عندَ الدولةِ وقَبُولٌ عندَ نُوَّابِ السلْطَنةِ وغيرِهم ، ويحِبُّ العُلَماءَ وأهلَ الخيرِ ، ويُواظِبُ على سماعِ مَواعيدِ الحديثِ والخيرِ ، وكان له مالٌ وثَرْوَةٌ ومعْروفٌ ، وقارَبَ الثَّمانِينَ ، رحمهُ اللَّهُ .

وجاء البريدُ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ فأخْبَرَ بموتِ الشيخِ **شمسِ الدينِ محمدِ بنِ**

---

(١) فى م : « والأمراء » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل : « الجوخى » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

النَّقَّاشِ المِصْرِىِّ[1] بها ، وكان واعِظًا باهرًا ، و [2]فقيهًا بارعًا[2] ، نحوِيًّا شاعِرًا ، له يدٌ طُولَى فى فُنونٍ مُتَعدِّدَةٍ ، وقُدْرَةٌ على نَسْجِ[3] الكلامِ ، ودُخولٌ على الدولةِ وتحْصِيلُ الأمْوالِ ، وهو مِن أبْناءِ الأرْبَعِينَ ، رحمهُ اللَّهُ .

وأخْبَرَ البريدُ بِولايَةِ قاضى القُضاةِ شرَفِ الدِّينِ المالِكِىِّ البَغْدادِىِّ ، الذى كان قاضِيًا بالشامِ للمالِكِيَّةِ ، ثم عُزلَ بنَظَرِ الخِزانَةِ بمِصْرَ ، فإنَّه رُتِّبَ له معْلُومٌ وافِرٌ يكْفِيه ويفْضُلُ عنه ، ففرِح بذلك مَن يحبُّه .

وفى يومِ الأحدِ السابعَ عشَرَ مِن رَبيعٍ الآخِرِ تُوفِّى **الرئيسُ أمينُ الدِّينِ محمدُ ابنُ الصَّدْرِ جمالِ الدينِ أحمدَ بنِ الرئيسِ شرَفِ الدِّينِ محمدِ بنِ القَلَانِسِىِّ**[4] ، أحدُ مَن بَقِىَ مِن رُؤَساءِ البلدِ وكُبَرائِها ، وقد كان باشرَ مُباشَراتٍ كِبارًا كأبيه وعمِّه علاءِ الدِّينِ ، ولكِنْ فاقَ[5] هذا على أسْلافِه فإنَّه باشرَ وَكالةَ بيتِ المالِ مدةً ، ووَلِىَ قضاءَ العساكرِ أيضًا ، ثم وَلِىَ كتابةَ السِّرِّ مع مَشْيخَةِ الشيوخِ وتدْريسِ[6] النَّاصِرِيَّةِ والشامِيَّةِ الجَوَّانِيَّةِ ، وكان قد درَّس فى العَصْرُونِيَّةِ [٤/٢٢٣] مِن قبلِ سنَةِ ستٍّ وثلاثِينَ ، ثم لمَّا قَدِمَ الشامَ السلْطانُ فى السنَةِ الماضِيَةِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٤٩، والسلوك ٧٩/١/٣، والدرر الكامنة ١٩٠/٤، والنجوم الزاهرة ١٣/١١، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٩، وشذرات الذهب ١٩٨/٦، والبدر الطالع ٢١١/٢.

(٢ - ٢) فى م : « فصيحًا ماهرًا » . وانظر : الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٩.

(٣) فى الأصل : « نسخ » . وانظر المصدر السابق .

(٤) ذيول العبر ص ٣٤٩ ، والدرر الكامنة ٤٥٣/٣، والنجوم الزاهرة ١٥/١١، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٩٣، والدارس ٤٠٤/١.

(٥) فى الأصل : « شاذ » .

(٦) بعده فى الأصل : « الصالحية » . وانظر : الدارس ٣٠٧/١ .

عُزلَ عن مَناصبِه الكِبارِ ، وصُودِرَ بمبْلَغٍ كثيرٍ يُقاربُ مِائَتَىْ ألفٍ ، فباعَ كثيرًا مِن أمْلاكِه ، وما بَقِىَ بيَدِه مِن وَظائفِه شىءٌ ، وبَقِىَ خامِلًا مدةً إلى يوْمِه هذا ، فتُوفِّى بَغْتَةً ، وكان قد تشَوَّشَ قليلًا لم يشْعُرْ به أحدٌ ، وصُلِّى عليه العصرَ بجامعِ دِمشْقَ ، وخرَجُوا به من بابِ النَّاطفانِيِّينَ إلى تُرْبَتِهم التى بسَفْحِ قاسِيُونَ ، رحمهُ اللَّهُ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنين ثامنَ عشَرِه ، خُلِعَ على القاضى جمالِ الدِّينِ بنِ قاضى القُضاةِ شرَفِ الدينِ الكَفْرىِّ الحنَفِىِّ ، وجُعلَ مع أبيه شريكًا فى القَضاءِ ، ولُقِّبَ فى التوْقيعِ الوارِدِ صُحْبَةَ البريدِ من جهَةِ السلْطانِ : قاضىَ القُضاةِ . فلَبسَ الخِلْعةَ بدارِ السَّعادَةِ ، وجاءَ ومعه قاضى القُضاةِ تاجُ الدِّينِ السُّبْكِىُّ إلى النُّورِيَّةِ فقَعَدَ فى المسْجدِ ووُضِعَتِ الرَّبْعَةُ ، فقُرِئَتْ ، وقُرِئَ القرآنُ ولم يكُنْ درْسًا ، وجاءَتِ الناسُ للتَّهْنِئَةِ بما حصَلَ مِن الوِلايَةِ له مع أبيه .

وفى صَبيحةِ يومِ الثلاثاءِ تُوفِّى **الشيخُ الصالِحُ العابدُ الناسِكُ الخاشعُ فتْحُ الدِّينِ بنُ الشيخِ زَيْنِ الدِّينِ الفَارِقىُّ**[1] ، إمامُ دارِ الحديثِ الأشْرَفِيَّةِ ، وخازِنُ الأثَرِ بها ، ومُؤَذِّنٌ فى الجامعِ ، وقد أتَتْ عليه تِسْعُونَ سنةً فى خيرٍ وصِيانةٍ[2] وتِلاوَةٍ وصلاةٍ كثيرةٍ ، [3]وانْجِماعٍ عن الناسِ ، صُلِّى عليه صَبِيحَةَ يَوْمئذٍ ، وخُرِجَ به مِن بابِ النصْرِ إلى نَحْوِ الصالحِيَّةِ[3] ، رحمهُ اللَّهُ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الاثنينِ عاشر جُمادَى الأُولَى ورَدَ البريدُ وهو [4]قَرَابُغَا دَوادَار[4] نائبُ الشامِ الصغيرُ ومعه تقْليدٌ بقَضاءِ قُضاةِ الحنَفِيَّةِ للشيخِ جمالِ الدينِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٥٠، والذيل على العبر ١/٩٥، والسلوك ٣/١/٨٠، والدرر الكامنة ٥/١٩٥، والنجوم الزاهرة ١١/١٧، وبدائع الزهور ١/١/٥٩١، والدارس ١/ ٤٥.

(٢) فى الأصل « ضيافة » . وانظر الدرر الكامنة .

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فرابعا دوازار » .

(١) يُوسُفَ بنِ قاضى القُضاةِ شرَفِ الدينِ (١) الكَفْرىِّ ، بمُقْتَضَى نُزولِ أبيه له عن ذلك ، فلَبِسَ الخِلْعَةَ بدارِ السَّعادةِ ، وأُجْلِسَ تحتَ المالِكِىِّ ، ثم جاءوا إلى المَقْصُورَةِ مِن الجامعِ وقُرِئَ تقْليدُه هُنالكَ ، قرأَه شمسُ الدِّينِ بنُ السُّبْكِىِّ نائبُ الحِسْبَةِ ، واسْتَنابَ اثْنَيْنِ مِن أصْحابِهم ؛ وهما (٢) شمسُ الدِّينِ بنُ (٢) مَنْصورٍ ، وبَدْرُ الدِّينِ ابنُ الجواشِنىِّ (٣) ، ثم جاءَ معه القضاةُ إلى النُّوريَّةِ فدرَّسَ بها ، ولم يحْضُرْه والدُه بشىءٍ مِن ذلك .

مَوْتُ الخليفَةِ المُعْتَضِدِ باللَّهِ (٤)

كان ذلك فى العَشْرِ الأوْسَطِ مِن جُمادَى الأُولَى بالقاهرةِ ، وصُلِّى عليه يومَ الخميسِ ، أخْبَرنى بذلك قاضى القُضاةِ تاجُ الدِّينِ الشافِعىُّ ، عن كِتابِ أخيه الشيخِ بَهاءِ الدينِ ، رحِمَهُما اللَّهُ .

خلافَةُ المُتَوكِّلِ علَى اللَّهِ

ثم بُويِعَ بعدَه ولَدُه المُتَوكِّلُ (٥) على اللَّهِ (٥) علىٌّ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ المُعْتَضِدِ

(١ - ١) سقط من الأصل . وانظر الذيل على العبر ٨٢/١ .
(٢ - ٢) كذا بالنسختين وذيول العبر ص ٣٥١ ، وفى الدارس ٦٢٤/١ « عز الدين » .
(٣) فى م : « الخراش » ، وفى الأصل : « الحواشى » ، وفى الدارس ١/ ٦٢٤: « الجواشينى » . والمثبت من ذيول العبر ص ٣٥١، وانظر الذيل على العبر ٢/ ٣٣٠.
(٤) ذيول العبر ص ٣٥٠ ، وتذكرة النبيه ٢٤٨/٣، والذيل على العبر ٩٧/١، والدرر الكامنة ٤٧٣/١، والنجوم الزاهرة ١٤/١١، وشذرات الذهب ١٩٧/٦.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

أبى بكرٍ أبى الفَتْحِ بنِ المُسْتَكْفِى باللَّهِ أبى الرَّبيعِ سُلَيمانَ بنِ الحاكمِ بأمْرِ اللَّهِ أبى العبَّاسِ أحمدَ، رحِمَ اللَّهُ أسْلافَه.

وفى جُمادَى الأُولَى توَجَّهَ الرسولُ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ ومعه سناجقُ خَلِيفتيَّةٌ وسُلْطانِيَّةٌ، وتَقالِيدُ وخِلَعٌ، وتحفٌ لصاحِبَي المَوْصِلِ وسِنْجارَ[1] مِن جِهةِ صاحبِ مِصْرَ ليُخْطَبَ له فيهما، ووَلَّى قاضى القُضاةِ تاجُ الدِّين الشافِعىُّ السُّبْكِىُّ الحاكمُ بدِمَشْقَ لقاضِيهما مِن جِهَتِه تقْلِيدَيْنِ، حسَبَ ما أخْبرَنى بذلك، وأرْسِلَا مع ما أَرْسَلَ به السلْطانُ إلى البَلَدَيْنِ، وهذا أمْرٌ غريبٌ لم يقَعْ مثلُه فيما تقدَّمَ فيما أعلمُ، واللَّهُ أعلمُ.

وفى جُمادَى الآخرةِ خرجَ نائبُ السلْطَنةِ إلى مَرْجِ الغَسُولةِ[2]، ومعه حجَبَتُه ونُقَباءُ النُّقَباءِ وكاتِبُ السِّرِّ وذَوُوه، ومِن عزْمِهم الإقامَةُ مدةً، فقَدِمَ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ أميرٌ على البريدِ فأسْرَعُوا الأوْبَةَ، فدَخلُوا فى صَبِيحَةِ الأحدِ الحادِى والعِشْرِينَ منه، وأصبحَ نائبُ السلْطَنةِ فحضَرَ المَوْكبَ على العادةِ، وخلَعَ على الأميرِ سيفِ الدِّين يَلْبُغَا الصَّالحىِّ، وجاءَ النَّصُّ[3] مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ بخِلْعَةِ دَوادَار عِوَضًا عن سيفِ الدِّينِ كُجْكُن، [٤/٢٢٤] وخُلعَ فى هذا اليومِ على الصَّدْرِ شمسِ الدينِ بنِ مزى[4] بتَوْقيعِ الدَّسْتِ، وجِهَاتٍ أُخَرَ، قُدِمَ بها مِن الديارِ

---

(١) سنجار، بكسر أوله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره راء: مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. معجم البلدان ١٥٨/٣.

(٢) فى م: «الفسولة». والغسولة: قرية من قرى دمشق. معجم البلدان ٨٠٢/٣.

(٣) فى الأصل: «النصر».

(٤) فى م: «مرقى».

المِصْرِيَّةِ ، فانْتَشَر الخَبَرُ فى هذا اليومِ بإجْلاسِ قاضى القُضاةِ جَمَالِ[1] الدِّينِ بنِ[2] الكَفْرِىِّ الحَنفىِّ ، فوقَ قاضى القُضاةِ المالِكِيَّةِ ، لكِنْ لم يحْضُرْ فى هذا اليومِ ، وذلك بعدَ ما قد أُمِرَ بإجْلاسِ المالِكىِّ فوقَه .

وفى ثانِى رجَبٍ تُوفِّى **القاضى الإمامُ العالمُ شمسُ الدِّينِ بنُ مُفْلِحٍ المَقْدِسِىُّ الحَنْبَلِىُّ**[3] ، نائبُ مَشْيخةِ قاضى القضاةِ جمالِ الدينِ يوسُفَ بنِ محمدٍ المَقْدِسِىِّ الحَنْبَلِىِّ ، وزوجُ ابنَتِه ، وله منها سَبْعَةُ أولادٍ ذكورٌ وإناثٌ ، وكان بارعًا فاضلًا مُتفنِّنًا[4] فى علومٍ كثيرةٍ ، ولا سيَّما علمُ الفروعِ ، كان غايةً فى نقْلِ مذهبِ الإمامِ أحمدَ ، وجمَعَ مصنَّفاتٍ كثيرةً ؛ منها على[5] كتابِ « المُقْنِعِ » نحوًا مِن ثلاثينَ مجلَّدًا ، كما أخبرَنِى بذلك عنه قاضى القضاةِ جمالُ الدينِ ، وعلَّق على محفوظِهِ أحكامَ الشيخِ مجدِ الدينِ ابنِ تيميَّةَ مُجلَّدينِ[6] ، وله غيرُ ذلك مِن الفوائدِ والتعليقاتِ ، رحمهُ اللَّهُ . توفِّى عن نحوِ خمسينَ سنةً ، وصلِّى عليه بعدَ الظهرِ مِن يومِ الخميسِ ثانى الشهرِ بالجامعِ المُظفَّرِىِّ ، ودُفِنَ بمقبرَةِ الشيخِ المُوَفَّقِ ، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ حضرَها القضاةُ كلُّهم ، وخلْقٌ من الأعيانِ ، رحِمه اللَّهُ وأكرَمَ مثواه .

وفى صَبيحَةِ يومِ السبتِ رابع رجبٍ ضرَب نائبُ السلطَنةِ جماعةً مِن أهلِ

---

(١) فى م : « شمس » . وانظر : الذيل على العبر ٨٢/١، وبدائع الزهور ٥٨٩/١/١.
(٢) سقط من : م . وانظر الذيل على العبر ٨٢/١ .
(٣) ذيول العبر ٣٥٢، والذيل على العبر ٩٨/١، والنجوم الزاهرة ١٦/١١، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٩٢، وشذرات الذهب ١٩٩/٦.
(٤) فى الأصل : « مفتيًا » .
(٥) سقط من : م .
(٦) فى الأصل : « مجلدات » . وانظر السحب الوابلة ١٠٩٣/٣ .

(١ قبرِ عاتِكَةَ ١) أساءُوا الأدَبَ على النائبِ ومماليكِه وذَوِيه (٢) ، بسببِ جامعٍ للخُطْبةِ جُدِّد بناحِيَتِهم ، فأرادَ بعضُ الفقراءِ أنْ يأخُذَ ذلك الجامِعَ ويجعَلَه زاويَةً للرَّقاصِينَ ، فحكَم القاضى الحَنْبَلىُّ بجَعلِه جامعًا قد نُصِبَ فيه مِنبَرٌ ، وقد قدِم شيخٌ مِن (٢) الفقراءِ على يدَيْه مَرسومٌ شَريفٌ بتسليمِه إليه ، فأَنِفَتْ (٣) أنفُسُ أهلِ تلك الناحيةِ مِن عَوْدِه زَاويَةً بعدَ ما كان جامعًا ، وأعظَمُوا ذلك ، فتكلَّمَ بعضُهم بكلامٍ سيِّئٍ ، فاستحضَرَ نائبُ السلطَنةِ طائفةً منهم وضرَبهم بالمقارعِ بينَ يدَيْه ، ونُودِى عليهم فى البلدِ ، فأرادَ بعضُ العامَّةِ إنكارًا لذلك ، وحُدِّد (٤) مِيعادُ حديثٍ يُقرَأُ بعدَ المغربِ تحتَ قُبَّةِ النَّسْرِ على الكُرْسِىِّ الذى يُقرأُ عليه (٥) المُصْحفُ ، رَتَّبه أحدُ أوْلادِ القاضى عِمادِ الدينِ بنِ الشِّيرَازِىِّ ، وحدَّث فيه الشيخُ عِمادُ الدينِ بنُ السّراجِ ، واجتمَعَ عندَه خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفِيرٌ ، وقرأَ فى السِّيرَة النبويَّةِ مِن خَطِّى ، وذلك فى العَشْرِ الأُوَلِ من هذا الشهرِ .

أعجُوبةٌ من العَجَائبِ

وحضَر شابٌّ عَجَمِىٌّ مِن بلادِ تَبْرِيزَ وخُراسَانَ يزعُمُ أنَّه يحفَظُ « البخارىَّ » و « مُسلِمًا » و « جامِعَ المَسانيدِ » و « الكشَّافَ » للزَّمَخْشَرِىِّ ، وغيرَ ذلك من

(١ - ١) سقط من : م .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى الأصل : « فاتفقت » .
(٤) فى الأصل : « جدد » .
(٥) سقط من : الأصل .

محافيظَ[1] فى فُنونٍ أُخَرَ، فلمَّا كان يومُ الأربعاءِ سَلْخ شهرِ رجَبٍ قرأ - فى الجامعِ الأُمويِّ بالحائطِ الشماليِّ منه، عندَ بابِ الكلَّاسةِ - عليَّ[2] من أولِ «صحيحِ البخاريِّ» إلى أثناءِ كتابِ العِلمِ منه من حِفظِه، وأنا أُقابِلُ عليه مِن نُسخَةٍ بيَدِى، فأدَّى جيِّدًا، غيرَ أنَّه يُصَحِّفُ بعضَ الكَلِماتِ لعُجمٍ فيه، ورُبَّما لحَن أيضًا فى بعضِ الأحيانِ، واجتمعَ خلقٌ كثيرٌ من العامَّةِ والخاصَّةِ، وجماعَةٌ من المحُدِّثِينَ، فأَعجَبَ ذلك جماعةً كثيرين، وقال آخرون مِنهم: إنْ سرَد[3] بَقِيَّةَ الكتابِ على هذا المِنْوالِ لعَظيمٌ جدًّا، ثم اجتَمعْنا فى اليومِ الثانى وهو مُستَهَلُّ شعبانَ[4] فى المكانِ المذكُورِ، وحضَر قاضى القضاةِ الشافعيُّ وجماعةٌ مِن الفُضلاءِ، واجتَمعَ العامَّةُ مُحْدِقِينَ[5]، فقَرأ على العادَةِ غيرَ أنَّه لم يُطوِّلْ كأوَّلِ يومٍ، وسقَط عليه بعضُ الأحاديثِ، وصحَّفَ ولحَن فى بعضِ الألفاظِ، ثم جاءَ القاضيانِ؛ الحنفيُّ والمالكيُّ، فقَرَأ بحضْرَتِهما أيضًا بعضَ الشىءِ، هذا والعامَّةُ مُحتَفُون به مُتعجِّبُون من أمرِه، ومنهم مَن يتقرَّبُ بتقبيلِ [٤/٢٢٥] يدَيْه، وفرِح بكِتابتِى له بالسماعِ على الإجازَةِ، وقال: أنا ما خرَجتُ مِن بلادِى إلَّا إلى القَصدِ إليكَ، وأنْ تُجيزَنى، وذِكْرُكَ عندنا فى بلادِنا مشهورٌ. ثم رحَل إلى مصرَ ليلةَ الجُمعةِ، وقد كارمَه القضاةُ والأعيانُ بشىءٍ من الدَّراهمِ يُقارِبُ الألفَ.

---

(١) فى م: «محاضيرها».
(٢) سقط من: م.
(٣) فى الأصل: «نزد».
(٤) فى الأصل: «رجب».
(٥) فى الأصل: «محدثين».

عزلُ الأميرِ علىٍّ عن نيابَةِ دِمَشقَ المحروسةِ[1]

فى يومِ الأحدِ حادِى عشَرَ شعبانَ ورَد البريدُ مِن الديارِ المصريَّةِ وعلى يدَيْه مرسومٌ شريفٌ بعزلِ الأميرِ علىٍّ عن نيابةِ دِمَشقَ ، فأُحضِر الأمراءُ إلى دارِ السعادةِ وقرئَ المرسومُ الشَّريفُ عليهم بحضُورِه ، وخلِع عليه خِلعةٌ ورَدَت مع البريدِ ، ورسِم له بقَريَةِ دُومَةَ[2] ، وأخْرى فى بلادِ طَرابُلُسَ على سَبيلِ الراتبِ[3] ، وأن يكونَ فى أىِّ البلادِ شاءَ مِن دِمَشقَ أو القُدسِ أو الحِجازِ ، فانتقلَ مِن يومِه مِن دارِ السعادةِ وبباقِى أصحابِه ومماليكِه ، واستقَرَّ نزُولُه فى دارِ الخَلِيلِىِّ بالقَصَّاعينَ التى جدَّدَها وزادَ فيها دُوَيداره يَلبُغا ، وهى دارٌ هائلةٌ ، وراحَ الناسُ للتأَسُّفِ عليه والحُزْنِ له .

طَلَبُ[4] قاضى القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهَّابِ بنِ السُّبكىّ الشافعىّ[5] إلى الديارِ المصريةِ [6]معزولًا عن قضاءِ دِمَشقَ[6]

ورَد البريدُ بطَلَبِه مِن آخرِ نهارِ الأحدِ بعدَ العصرِ الحادِى عشَرَ من شعبانَ سنةَ

---

(١) سقط من : م . وانظر الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥- ٨٥٠ هـ) ص ١٨٧، وفيه أن الخلعة كانت على قشتمر .

(٢) هى قرية على سبع مراحل من دمشق بينهما وبين المدينة المنورة ، وتنسب إلى دوماء بن إسماعيل . معجم البلدان ٢/٦٢٥.

(٣) فى الأصل : « الراب » .

(٤) فى الأصل : « سفر » .

(٥) بعده فى الأصل : « مطلوبًا » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

ثلاثٍ وستِّينَ وسبعِمائةٍ ، فأرسلَ إليه حاجبُ الحجَّابِ قُمارِيٌّ ، وهو نائبُ الغَيْبَةِ أنْ يُسافرَ من يومِه ، فاستنظَرهم إلى الغدِ فَأُمهِل ، وقد ورَد الخبرُ بولايةِ أخيهِ الشيخِ بهاءِ الدينِ بنِ السُّبكِيِّ بقضاءِ دِمشقَ[1] عوَضًا عن أخيهِ تاجِ الدينِ ، وأرسلَ يستَنِيبُ ابنَ أُختِهما قاضى القضاةِ [5]بدرَ الدينِ بنَ أبى الفتحِ السُّبكيَّ ، بحكمِ أنْ يَقْدَمَ إلى دِمشقَ ، وأخَذَ قاضى القضاةِ[5] تاجُ الدينِ فى التأهُّبِ والسَّيرِ ، وجاءَ الناسُ إليه ليودِّعوه ، ويستوحِشُون له ، وركِب مِن بستانِه بعدَ العصرِ يومَ الاثنينِ ثانِى عشَرَ شعبانَ[2] متوجِّهًا على البريدِ إلى الديارِ المصريَّةِ ، وبينَ يَدَيْه قُضاةُ القُضاةِ والأعيانُ حتى قاضى القضاةِ بهاءُ الدينِ أبو البَقاءِ السُّبكِيُّ ، حتى ردَّهم قريبًا من الجسورَةِ ، ومنهم مَن جاوَزَها ، واللَّهُ المسئولُ فى حُسنِ الخاتمةِ فى الدنيا والآخرةِ .

أُعجوبةٌ أُخرَى غريبةٌ[3]

لمَّا كان يومُ الثلاثاءِ العِشْرِينَ من شعبانَ دُعِيتُ إلى بُستانِ الشيخِ العَلَّامَةِ جمالِ[4] الدينِ بنِ الشَّريشيِّ[5] شيخِ الشافعيَّةِ ، وحضَر جماعةٌ مِن الأعيانِ ، منهم ؛ [6]الشيخُ العلَّامَةُ شمسُ الدينِ بنُ المَوْصِلِيِّ الشافعيُّ[6] ، والشيخُ الإمامُ

---

(١) فى م : « الشام » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) زيادة من : م . وانظر الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٨، ١٨٩.

(٤) فى الأصل ، م : « كمال » . والمثبت من الذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٨٩.

(٥) فى الأصل : « السرشنى » .

(٦ - ٦) زيادة من : م .

العلَّامةُ صلاحُ الدينِ الصَّفَدِيُّ ، وَكيلُ بيتِ المالِ ، والشيخُ الإمامُ العلَّامةُ شمسُ الدينِ المَوصِلِيُّ الشافعيُّ ، والشيخُ الإمامُ العلَّامةُ مَجْدُ الدينِ محمدُ بنُ يَعْقُوبَ الشِّيرَازِيُّ مِن ذُرِّيةِ الشيخِ أبى إسحاقَ الفَيْرُوزَابادِيِّ[1] ، وهو مِن أئمةِ اللغويِّين ، والخطيبُ الإمامُ العلَّامةُ صدرُ الدينِ بنُ العزِّ الحنفيُّ أحدُ البلغاءِ الفضلاءِ ، والشيخُ الإمامُ العلَّامةُ نُورُ الدينِ عليُّ بنُ الصارِمِ أحدُ القرَّاءِ المحدِّثينَ البلغاءِ ، وأحضَرُوا نيِّفًا وأربعينَ مُجلَّدًا مِن كتابِ « المُنْتَهَى » فى اللغةِ للتَّمِيمِيِّ البرْمَكِيِّ ، وَقْفَ الناصِريَّةِ ، وحَضَر ولَدُ الشيخِ جمالِ[2] الدينِ بنِ الشريشيِّ ، وهو العلَّامةُ بدرُ الدينِ محمدٌ ، واجْتَمعنا كلُّنا عليه ، وأخَذ كلٌّ منَّا بيَدِه مجلَّدًا من تلك المُجلَّداتِ ، ثم أخَذْنا نسألُه عن بيوتِ الشِّعرِ المسْتَشهدِ عليها بها ، [٤/ ٢٢٦] فيَنشُرُ كلًّا منها ويتكلَّمُ عليه بكَلامٍ مُبِينٍ[3] مفيدٍ ، فجزَم الحاضرُون والسامعُون أنَّه يحفَظُ جميعَ شواهِدِ اللغةِ ، ولا يشِذُّ عنه منها إلَّا القليلُ الشَّاذُّ ، وهذا مِن أعجَبِ العجائبِ ، وأبلَغِ الإغرابِ .

دخولُ نائبِ السلطنةِ سيفِ الدينِ قَشْتَمُر[4]

كانَ[5] ذلك فى مستهلِّ رمضانَ يومَ السبتِ ضُحًى ، قَدِم[6] والحجَبَةُ بينَ

---

(١) فى الأصل : « القيردوزبادى » .

(٢) فى م : « كمال » .

(٣) فى الأصل : « متين » .

(٤) فى م : « تشتمر » . وانظر ذيول العبر ٣٥٢، والسلوك ٣/١/٧٤.

(٥) سقط من : م .

(٦) سقط من : م .

يدَيْه والجيشُ بكَمالِه ، فتقدَّم إلى سوقِ الخيلِ فأوكَب[1] فيه ثم جاءَ ونزَل عندَ بابِ النصرِ[2] ، وقبَّل العَتبَةَ ثم مشَى إلى دارِ السعادةِ والناسُ بينَ يدَيْه ، وكان أوَّلَ شيءٍ حكَم فيه أنْ أمَر بصَلبِ الذى كان قتَل بالأمسِ وَالِىَ الصالِحِيَّةِ ، وهو ذاهبٌ إلى صلاةِ الجُمعةِ ، ثم هرَب فتَبِعَه الناسُ فقَتل منهم آخَرَ وجرَح آخرِين ، ثم تكاثَروا عليه فمُسِك ، ولمَّا صُلب طافُوا به على جملٍ إلى الصالحيَّةِ فماتَ هناك بعدَ أيامٍ ، وقاسَى أمرًا شديدًا مِن العُقوباتِ ، وقد ظهَر بعدَ ذلك على أنَّه قتَل خلقًا كثيرًا مِن الناسِ ، قبَّحه اللَّهُ .

قُدومُ قاضى القضاةِ بهاءِ الدينِ أحمدَ بنِ قاضى القضاة تقىّ الدينِ عِوَضًا عن أخِيه قاضى القضاةِ تاجِ الدينِ[3] عبدِ الوهَّابِ

قَدِم يومَ الثلاثاءِ قبلَ العصرِ فبدَأ بمِلِكِ الأمَراءِ فسلَّم عليهِ[4] بدارِ السعادةِ ، ثمّ ذهَب إلى أمير على نائبِ السلطنةِ المعزولِ ، وهو بدارِه بالقصّاعين ، فسلَّم عليه[4] ، ثم مشَى إلى دارِ الحديثِ فصلَّى هناك ، ثم مشَى إلى المدرسةِ الرُّكنيَّةِ فنزَل بها عندَ ابنِ أختِه[5] قاضى القضاةِ بدرِ الدينِ بنِ أبى الفَتْحِ ، قاضى العساكرِ ، وذهَب الناسُ للسَّلامِ عليه وهو يَكْره مَن يُلقِّبُه[6] بقاضى القضاةِ ، وعليه تواضعٌ وتقشُّفٌ ، ويظهَرُ

---

(١) فى م : « فأركب » .

(٢) فى م : « السر » .

(٣) بعده فى م : « بن » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى النسختين : « أخيه » . وفى ذيول العبر ص ٣٢٧ أنه ابن عمه . وانظر ص ٦٦١.

(٦) فى الأصل : « تلقيه » .

عليه تأسُّفٌ على مفارقَةِ بلدِه ووَطَنِه وولدِه وأهلِه . واللَّهُ المسئولُ المأمولُ أن يُحسِنَ العاقبةَ .

وخرَج المَحْمَلُ السلْطانيُّ يومَ الخميسِ ثانىَ[1] عشَرَ شوَّالٍ ، وأميرُ الحاجِّ الملكُ صلاحُ الدينِ بنُ الملكِ الكاملِ بنِ السَّعيدِ بنِ[2] العادلِ الكبيرِ ، وقاضيه الشيخُ بهاءُ الدينِ بنُ سَبُعٍ مُدرِّسُ الأمينيَّةِ ببَعْلَبَكَّ . وفى هذا الشهرِ وقَعَ الحُكْمُ بعَوْدِ مَا يخُصُّ المُجاهِدينَ مِن وقفِ المدرسةِ التقويَّةِ إليهم ، وأَذِن القُضاةُ الأَرْبعَةُ إليهم[3] بحَضْرَةِ ملكِ الأمراءِ فى ذلك .

وفى ليلةِ الأحَدِ سادس[4] شهرِ ذى القَعْدةِ تُوفِّى القاضى **ناصرُ الدينِ محمدُ ابنُ يَعْقُوبَ**[5] كاتبُ السِّرِّ ،وشيخُ الشيوخِ ومدرسُ الناصريَّةِ الجَوَّانيَّةِ ، والشامِيَّةِ الجَوَّانيَّةِ بدِمَشْقَ ، ومدرسُ الأَسَدِيَّةِ بحَلَبَ ، وقد باشرَ كتابةَ السِّرِّ بحَلَبَ أيضًا ، وقضاءَ العساكرِ ، وأفتَى مِن زَمانِ وِلايةِ الشيخِ كمالِ الدينِ بنِ الزَّمْلَكَانىِّ قضاءَ حَلَبَ ، أذِن له هنالكَ فى حدودِ سنةِ سبعٍ وعشْرِينَ وسبعِمائةٍ ، ومولدُه سنَةَ سبعٍ وسبعِمائةٍ ، وقد قرَأ « التَّنْبيهَ » و « مُخْتَصَرَ ابنِ الحاجِبِ » فى الأصولِ وفى العربيَّةِ ، وكان عندَه نَباهَةٌ ومُمارسةٌ للعلمِ ، وفيه جودَةُ طباعٍ وإحسانٌ بحسبِ ما يقدرُ عليه ، وليسَ يُتَوسَّمُ منه سوءٌ ، وفيه دِيانةٌ وعِفَّةٌ ، حَلَفَ لى فى وقتٍ بالأيمانِ المغلَّظَةِ أنَّه لم يكنْ قطُّ منه فاحِشةُ اللِّواطِ ولا خطَر له ذلك ، ولم يزنِ ولم يشربْ مُسكِرًا ولا أكَل حَشِيشَةً ، فرحِمَه اللَّهُ وأكرَمَ مثواه ، صلِّى عليه بعدَ الظهرِ يومَئِذٍ

---

(١) فى م : « ثامن » .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م « ثالث » ، والمثبت موافق لما فى الدرر الكامنة ٥/٥٩.

(٥) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٥/٥٩، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠ هـ) ص ١٩١.

وخرجُوا بالجِنازةِ مِن بابِ النصرِ ؛ فخرَج نائبُ السلطَنةِ مِن دارِ السَّعادةِ فحضَر الصلاةَ عليه هنالكَ ، ودفِن بمقبرةٍ لهم بالصوفيةِ وتأَسَّفُوا عليه وترحَّمُوا ، وتزاحَم جماعةٌ من الفقهاءِ فى طَلَبِ مدارِسِه .

ثم دخلَتْ سنَةُ أرْبَعٍ وسِتّيـنَ وسَبْعِمائَةٍ[1]

[٤/٢٢٧] اسْتَهلَّتْ هذه السنَةُ وسُلْطَانُ الإسلام بالديارِ المِصْرِيَّةِ والشامِيَّةِ والحِجازِيَّةِ وما يتبعُ ذلك مِن الأقاليمِ والرَّساتِيقِ الملكُ المنْصُورُ صلاحُ الدينِ محمدُ ابنُ الملكِ المُظَفَّرِ[2] حاجى بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ الملكِ المنْصُورِ قَلاوُون الصَّالحيُّ، ومُدَبرُ الممالِكِ بيـنَ يدَيْه وأَتابَكُ العساكِر الأميرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغَا، وقُضاةُ مِصْرَ هم المذْكُورونَ فى التى قبلَها، غيرَ أنَّ ابنَ جَماعةَ قاضى الشافِعيَّةِ، ومُوَفَّقَ الدينِ قاضِى الحنابلةِ فى الحِجازِ الشَّريفِ. ونائبُ دِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ قَشْتَمُر المنْصُورِيُّ، وقاضى القُضاةِ الشافِعيَّةِ الشيخُ بهاءُ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ تقيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، وأخوه قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ مُقيمٌ بمِصْرَ، وقاضى قُضاةِ الحنفيَّةِ الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ شَرَفِ الدينِ الكَفْرِيِّ؛ آثَرَه والِدُه بالمنْصِبِ وأقامَ على تدْريسِ الرُّكْنِيَّةِ يتَعبَّدُ ويتْلُو ويَنْجمِعُ على العِبادَةِ، وقاضى قُضاةِ المالكِيَّةِ جمالُ الدينِ المَسَلَّاتِيُّ، وقاضى قُضاةِ الحنابِلَةِ الشيخُ جمالُ الدينِ المَرْدَاوِيُّ، [3]ووَكِيلُ بيتِ المالِ الشَّيخُ صلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ، وخَطيبُ البلدِ الشَّيخُ جمالُ الدِّينِ[3] محمودُ بنُ جُمْلَةَ، ومُحْتَسِبُ البلدِ الشيخُ عِمادُ الدينِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٥٧، وتذكرة النبيه ٢٥٧/٣، والذيل على العبر ١١٠/١، والسلوك ٨١/١/٣.

(٢) فى م: «المنصور المظفرى». وانظر: تذكرة النبيه ٢٥٨/٣.

(٣ - ٣) سقط من: م.

ابنُ الشَّيْرَجِيِّ ، وكاتبُ السِّرِّ جمالُ الدينِ[1] عبدُ اللَّهِ بنُ الأثيرِ ؛ قَدِم مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ عوضًا عن ناصِرِ الدينِ بنِ يَعْقُوبَ ، وكان قُدومُه يومَ سَلْخِ السنَةِ الماضيةِ ، وناظِرُ الدَّواوينِ بدرُ الدينِ حسَنُ بنُ النابُلُسِيِّ ، وناظِرُ الخِزانَةِ القاضى تَقِيُّ الدينِ ابنُ أبى الطَّيِّبِ ، وناظرُ الجيشِ علمُ الدِّينِ دَاودُ ، وناظرُ الجامعِ تقيُّ الدِّينِ بنُ مَرَاجِلٍ . ودخَل المَحْمَلُ السلْطانِيُّ يومَ الجُمعةِ الثانى والعِشْرِينَ مِن المُحَرَّمِ بعدَ العصرِ خَوْفًا مِن المطَرِ ، وكان وقَع مطَرٌ شديدٌ قبلَ أيَّامٍ ، فتلِف منه غلَّاتٌ كثيرةٌ بحَوْرَانَ وغيرِها ، ومَشاطِيخُ[2] زَبيبٍ[3] ، وغيرُ ذلك . فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجِعُون .

وفى ليلةِ الأرْبعاءِ السابع والعِشْرِينَ مِنه بعدَ عِشاءِ الآخِرةِ وقبلَ دَقَّةِ القلعةِ دخَلَ فارِسٌ مِن ناحيةِ بابِ الفَرَجِ إلى ناحيةِ بابِ القلعةِ الجَوَّانِيَّةِ ، ومِن ناحيةِ البابِ المذْكُورِ سِلْسِلَةٌ ، ومِن ناحيةِ بابِ النصْرِ أُخْرَى ، جُدِّدَتَا لِئَلَّا يمرَّ راكبٌ على بابِ القلعةِ المنْصُورَةِ ، فساقَ هذا الفارِسُ المذْكُورُ على السِّلْسِلَةِ الواحدةِ فقَطعَها ، ثم مرَّ على الأُخْرَى فقطَعَها وخرَج مِن بابِ النصْرِ ولم يُعْرَفْ لأنَّه مُلَثَّمٌ .

وفى حادِى عَشَرَ صفَرٍ وقبلَه بيومٍ قَدِم البريدُ مِن الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ بطَلَبِ الأميرِ زينِ[4] الدِّينِ زُبالة أحدِ أُمَراءِ الأُلوفِ إلى الديارِ المِصْرِيةِ مُكَرَّمًا ، وقد كان عُزِل عن نيابةِ القلعةِ بسبَبِ ما تقدَّم ، وجاءَ البريدُ أيضًا ومعه التَّواقِيعُ التى كانتْ بأيْدِى

---

(١) بعده فى الأصل : « بن » . وانظر تذكرة النبيه ٣/٢٦٣.

(٢) فى الأصل : « مشاطيح » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « سيف » . وانظر : السلوك ٣/٢/٤٨٤، والنجوم الزاهرة ١١/٢٩٦.

ناسٍ كثيرٍ ، زِياداتٌ على الجامعِ رُدَّتْ إليهم ، وأُقِرُّوا على ما بأَيْدِيهم مِن ذلك ، وكان ناظِرُ الجامِعِ الصاحِبُ تَقِيُّ الدينِ بنُ مَرَاجلٍ قد سعَى فى رفْعِ ما زِيدَ بعدَ التَّذْكِرَةِ التى كانتْ فى أيامِ صَرْغَتْمُش ، فلم يَفِ[1] ذلك . وتوَجَّه الشيخُ بَهاءُ الدينِ بنُ السُّبْكِيِّ قاضى قُضاةِ الشامِ الشافِعِيُّ مِن دِمَشْقَ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ يومَ الأحدِ سادِسَ عشَرَ صفَرٍ من هذه السنَةِ ، وخرجَ القُضاةُ والأعْيانُ لتوْديعِه ، وقد كان أخْبَرنا عندَ توْديعِه بأنَّ أخاه قاضى القُضاةِ تاجَ الدينِ قد لَبِس خِلْعَةَ القَضاءِ بالديارِ المِصْرِيَّةِ وهو مُتَوَجِّهٌ إلى الشامِ عندَ وصُولِه إلى دِيارِ مِصْرَ ، [2]وهذا مَسْرُورٌ جدًّا بذَهابِه إلى مِصْرَ[2] ، وذكَر لنا أنَّ أخَاه كارِهٌ للشامِ . وأنْشدَنى القاضى صَلاحُ الدينِ الصَّفَدِيُّ ليلةَ الجُمُعةِ رابع عَشَرِه لنفْسِه ، فيما عكَس على[3] المُتَنَبِّى فى يدَيْه مِن قَصِيدَتِه ؛ وهو قولُه[4] :

إِذَا اعْتَادَ الفَتَى خَوْضَ المَنَايَا ... فَأَيْسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الوُحُولُ[5]

وقال :

دُخُولُ دِمَشْقَ يُكْسِبُنَا نُحُولًا ... كَأَنَّ لَهَا دُخُولًا فى البَرَايَا
إِذَا اعْتَادَ الغَرِيبُ الخَوْضَ فِيهَا ... فَأَيْسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ المَنَايَا

---

(١) فى الأصل : « يبق » .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) فى م : « عن » .
(٤) البيت فى ديوان المتنبى من قصيدة مطلعها :
رُوَيْدَك أيها الملك الجليل ... تأنَّ وعُدَّه مما تُنيلُ
وفى الديوان : « فأهون ما يمر » . والمعنى : إذا تعود الإنسان أن يخوض غمرات الموت فأهون ما يعانيه خوض الماء والطين . وانظر : ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣/٥.
(٥) فى م : « الوصول » .

وهذا شِعرٌ قويٌّ ، وعَكْسٌ جَلِيٌّ لفْظًا ومعْنًى .

وفى ليلةِ الجمعةِ الحادِى والعِشْرِينَ [٤/٢٢٨] مِن صفرٍ عُملتْ خَيْمَةٌ حافلةٌ بالبِيمَارَسْتَانِ الدَّقَّاقِيِّ جوارَ الجامعِ ، بسبَبِ تَكامُلِ تجْديدِه قريبَ السَّقْفِ مَبْنِيًّا باللَّبِنِ حتَّى قَناطِره الأرْبَعِ بالحِجارَةِ البلقِ ، وجُعِل فى أعالِيه قَمَرِيَّاتٌ كِبارٌ مُضِيئَةٌ ، وفَتَق فى قِبْلَتِه إيوانًا حسَنًا زَادَ فى أعْمَاقِه أضْعافَ ما كان ، وبيَّضَه جميعَه بالجِصِّ[1] الحسَنِ المَلِيحِ ، وجُدِّدَتْ فيه خَزائنُ ومَصالِحُ ، وفُرُشٌ ولُحُفٌ جُدُدٌ ، وأشْياءُ حَسَنةٌ ، فأثَابَه اللَّهُ وأحْسَن جزَاءَه ، آمِينَ . وحضَر الخَيْمَةَ جماعاتٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ الخَواصِّ والعَوامِّ ، ولمَّا كانتِ الجُمُعةُ الأُخْرَى دخَلَه نائبُ السَّلْطَنةِ بعدَ الصَّلَاةِ ، فأعْجَبَه ما شاهَدَه مِنَ العِمارَةِ ، وأخْبَرَه بما كانت عليه حالُه قبلَ هذه العِمارَةِ ، فاسْتَجادَ ذلك مِن صَنِيعِ النَّاظِرِ المَذْكُورِ .

وفى أوَّلِ رَبِيعٍ الآخِرِ قَدِم قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ السُّبْكِيُّ مِنَ الديارِ المِصْرِيَّةِ على قَضاءِ الشَّامِ ، عَوْدًا على بَدْءٍ ، يومَ الثلاثاءِ رابع عَشَرِه ، فبَدَأ بالسَّلامِ على نائبِ السَّلْطَنةِ بدارِ السَّعادةِ ، ثم ذهَب إلى دارِ الأميرِ علىٍّ بالقَصَّاعِينَ فسلَّم عليه ، ثم جاءَ إلى العادِلِيَّةِ قبلَ الزَّوالِ ، وجاءه الناسُ مِن الخاصِّ والعامِّ يُسلِّمُونَ عليه ويُهَنِّئونَه بالعَوْدِ ، وهو يتَودَّدُ ويترَحَّبُ بهم ، ثم لمَّا كان صبحُ يومِ الخميسِ سادس عَشَرِه لَبِس الخِلْعَةَ بدارِ السعادةِ وجاءَ فى أبَّهَةٍ هائلةٍ لابسَها إلى العادِلِيَّةِ ، فقُرِئ تقْليدُه بها بحَضْرَةِ القُضاةِ والأعْيانِ ، وهنَّأه الناسُ و الشُّعراءُ والمُدَّاحُ .

---

(١) فى الأصل : « بالجبصين » .

وأخْبَرَ قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ بموْتِ **حُسَيْنِ بنِ الملكِ الناصِرِ**[1] ، ولم يكُنْ بَقِى مِن بَنِيه لصُلْبِه سِواه . ففرِح بذلك كثيرٌ مِن الأُمَراءِ وكِبارِ الدولةِ ؛ لِمَا كان فيه مِن حِدَّةٍ ، وارْتِكابِ أمُورٍ مُنْكَرَةٍ .

وأخْبَر بموتِ **القاضى فخرِ الدينِ سُلَيمانَ بنِ القاضى فخرِ الدينِ سُلَيمانَ ابنِ القاضى عِمادِ الدين بنِ الشَّيْرَجِىِّ**[2] ، وكان قد اتَّفَق له مِن الأَمْرِ أنَّه قُلِّدَ حِسْبَةَ دِمَشْقَ عِوَضًا عن أبيه ؛ نزَل له عنها باخْتِيارِه لكِبَرِه وضَعْفِه ، وخُلِع عليه بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، ولم يَبْقَ إلَّا أنْ يرْكَبَ على البريدِ ، فتمَرَّض يومًا وثانيًا وتُوفِّى إلى رحمةِ اللَّهِ تعالَى ، فتألَّم والدُه بسببِ ذلك تألُّمًا عظيمًا ، وعَزَّاه الناسُ فيه ، ووَجَدْتُه صابرًا مُحْتَسِبًا باكِيًا مُسْتَرْجِعًا مُتَوَجِّعًا .

بِشَارَةٌ عظيمةٌ بوَضْعِ الشَّطْرِ مِن مَكْسِ الغَنَمِ

مع وِلايَةِ الصاحبِ سَعْدِ الدينِ ماجِدِ بنِ التَّاجِ إسْحاقَ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ على نظَرِ الدَّواوِينِ بالشامِ المحروسِ ، ورُبَّما خُوطِب بالوِزَارَةِ عِوَضًا عن البدرِ حسنِ بنِ النَّابُلُسِىِّ ، الذى كان ناظرَ الدَّوَاوِينِ قَبْلَه ، ففَرِح الناسُ بولايَةِ هذا وقُدومِه ، وبعَزْلِ الأوَّلِ وانْصِرافِه عنِ البلدِ فرحًا شديدًا - ومعه مَرْسُومٌ شَرِيفٌ بوَضْعِ نِصْفِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٥٩، والذيل على العبر ١١٢/١، والسلوك ٨٩/١/٣، والدرر الكامنة ١٥٧/٢، والنجوم الزاهرة ٢١/١١، والمنهل الصافى ١٦٨/٥.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

مَكْسِ الغنَمِ ، وكان عَبْرَتُه[1] أرْبَعَةَ دراهِمَ ونِصْفًا ، فصارَ إلى دِرْهمَيْنِ[2] ورُبُعِ دِرْهَمٍ ، وقد نُودِىَ بذلك فى البلدِ يومَ الاثنينِ العِشْرِينَ مِن شهرِ رَبيعٍ الآخِرِ ، ففرِحَ الناسُ بذلك فرحًا شديدًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وتضَاعَفَتْ أدْعِيَتُهم لمَنْ كان السبَّبَ فى ذلك ، وذلك أنَّه يكْثُرُ الجَلَبُ برُخْصِ اللحمِ على الناسِ ، ويأْخُذُ الدِّيوانُ نَظِيرَ ما كان يُؤْخَذُ قبلَ ذلك ، وقدَّر اللَّهُ تعالَى قُدومَ وُفودٍ وقُفُولٍ بتَجائِرَ مُتَعَدِّدَةٍ وأخَذ منها الدِّيوانُ السُّلْطانِىُّ فى الزَّكاةِ والوَكالَةِ ، وقَدِم مَوَاكِبُ كثيرةٌ ، فأُخِذ منها فى العُشْرِ أضْعافُ ما أُطْلِقَ مِن المكْسِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، ثم قُرِئَ على النَّاسِ بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ قبلَ العَصْرِ .

وفى يومِ الاثنينِ العِشْرِين منه ضُرِب الفَقِيهُ شمسُ الدينِ[3] الصَّفَدِىُّ بدارِ السَّعادةِ بسَببِ خانَقَاه الطَّوَاوِيسِ ، فإنَّه جاء فى جماعةٍ مِنهم يتَظَلَّمُون مِن كاتبِ السِّرِّ الذى هو شيخُ الشُّيوخِ ، وقد تكلَّم معهم فيما يتَعَلَّقُ بشَرْطِ الواقِفِ ممَّا فيه مشَقَّةٌ عليهم ، فتكلَّم الصَّفَدِىُّ المذْكُورُ بكَلامٍ فيه غِلَظٌ، فبُطِح ليُضْرَب فشُفِع فيه ، ثم تكلَّم فشُفِع فيه ، ثم بُطِح الثالثةَ فضُرِب ثم [٤/ ٢٢٩] أُمِر به إلى السِّجنِ ، ثم أُخْرِج بعدَ لَيلَتيْنِ أو ثلاثٍ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأحَدِ السَّادِسِ والعِشْرِين مِنه درَّس قاضى القُضاةِ الشَّافِعِىُّ بمَدارِسِه ، وحضَر درْسَ النَّاصِرِيَّةِ الجَوَّانِيَّةِ بمُقْتَضَى شَرْطِ الوَاقِفِ الذى أثْبَتَه أخُوهُ بعدَ موتِ القاضى ناصِرِ الدِّينِ كاتبِ السِّرِّ ، وحضَر عندَه جماعةٌ مِنَ الأعْيانِ

---

(١) عبر المتاع والدراهم : نظركم وزنها وما هى . التاج (ع ب ر) .

(٢) فى الأصل : « درهم » .

(٣) بعده فى م : « بن » .

وبعضُ القُضاةِ ، وأخَذ فى سُورةِ الفَتْحِ ، قُرِئ عليه مِن تَفْسيرِ والدِه ، فى قَوْلِه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

وفى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأُولَى يوم الجُمُعةِ بعدَ صلاةِ الفَجْرِ ، مع الإمامِ الكبيرِ ، صُلِّى على **القاضى قُطْبِ الدينِ محمدِ بنِ** (١**عبدِ المُحْسِنِ**١) **الحاكمِ** بحِمْصَ ، جاءَ إلى دمَشْقَ لتَلَقِّى أخِى زوْجَتِه قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ السُّبْكِىِّ الشافِعِىِّ ، فتمَرَّض مُدَّةً ثم كانتْ وفاتُه بدِمَشْقَ ، فصُلِّى عليه بالجامعِ كما ذكَرْنا ، وخارِجَ بابِ الفرَجِ ، ثم صَعِدُوا به إلى سَفْحِ جبَلِ قاسِيُونَ ، وقد جاوَز الثَّمانينَ بسنَتَيْنِ ، وقد حدَّث ورَوَى شيئًا يسِيرًا ، رحِمه اللَّهُ .

وفى يومِ الأحدِ(٢) قَدِم قاضِيا قُضاةِ الحنَفِيَّةِ والحنابلةِ بحلبَ والخطيبُ بها والشيخُ شِهابُ الدينِ الأذْرَعِىُّ والشيخُ زينُ الدينِ البارينِىُّ ، وآخرونَ معهم ، فنَزلُوا بالمدْرسةِ الإقْبالِيَّةِ ، وهم وقاضى قُضاتِهم الشافِعِىُّ - وهو كمالُ الدينِ المِصْرِىُّ - مَطْلُوبونَ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ، فتَحَرَّر ما ذكَرُوه عن قاضِيهم ، وما نقَمُوه عليه مِنَ السِّيرَةِ السيئةِ فيما يذْكُرونَ فى المَواقِفِ الشَّريفةِ بمصرَ ، وتوَجَّهُوا إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ يومَ السبتِ عاشره .

وفى يومِ الخميسِ ثامنِه قَدِم الأميرُ زينُ الدينِ زُبالة نائبُ القلعةِ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ على البريدِ فى تجَمُّلٍ عظيمٍ هائلٍ ، وتلَقَّاه الناسُ بالشُّموعِ فى أثْناءِ الطريقِ ، ونزَل بدارِ الذهبِ ، وراحَ الناسُ للسَّلامِ عليه وتهْنِئَتِه بالعَوْدِ إلى نيابةِ

(١ - ١) فى م : « الحسن » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٣٥٩، والذيل على العبر ١/١١٢، والدرر الكامنة ٤/١٤٧، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٩٧.
(٢) بعده فى النسختين : « ثالثه » .

القلعةِ ، على عادَتِه ، وهذه ثالثُ مَرَّةٍ ولِيهَا ؛ لأنَّه مشْكورُ السِّيرةِ فيها ، وله فيها سَعْيٌ محمودٌ فى أوْقاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ .

وفى يومِ[1] [2]حادى عشرَه[2] صلَّى نائبُ السَّلْطَنةِ والقاضِيَان الشافِعِيُّ والحنَفِيُّ وكاتبُ السِّرِّ وجماعَةٌ مِن الأُمَراءِ والأعْيانِ بالمَقْصُورَةِ ، وقُرِئَ كتابُ السُّلْطانِ على السُّدَّةِ بوَضْعِ مَكْسِ الغَنَمِ إلى كلِّ رأسٍ بدِرْهَمَيْنِ ، فتضَاعَفَتِ الأدْعِيَةُ لوَلِيِّ الأمْرِ ، ولِمَن كان السببَ فى ذلك .

غَرِيبَةٌ مِن الغَرائِبِ ، وعجِيبةٌ مِنَ العجائِبِ

وقد كَثُرَتِ المِياهُ فى هذا الشهرِ وزادَتِ الأنْهارُ زِيادةً كثيرةً جدًّا ، بحيثُ إنَّه فاضَ الماءُ فى سُوقِ الخَيْلِ مِن نهرِ بردَى حتى عمَّ جميعَ العَرْصَةِ[3] المعْروفَةِ بموْقِفِ المَوْكِبِ ، بحيثُ إنَّه أُجْرِيَتْ فيه المراكبُ بالكِرَا[4] ، ورَكِبَتْ فيه المارَّةُ مِن جانبٍ إلى جانبٍ ، واسْتَمَرَّ ذلك جُمَعًا مُتَعدِّدَةً ، وامْتَنعَ نائبُ السلْطَنةِ والجيشُ مِن الوُقوفِ هناك ، ورُبَّما وقفَ نائبُ السلْطَنةِ بعْضَ الأيامِ تحتَ الطارِمَةِ تُجاهَ بابِ الإسْطَبْلِ السلْطانيِّ ، وهذا أمْرٌ لم يُعْهَدْ مثلُه ولا رأيْتُه قطُّ فى مدَّةِ عُمرِى ، وقد سقَطَتْ بسبَبِ ذلك بِناياتٌ ودُورٌ كثيرةٌ ، وتعَطَّلَتْ طَواحينُ كثيرةٌ غمَرها الماءُ .

وفى ليلةِ الثلاثاءِ العِشْرِينَ مِن جُمادَى الأُولَى تُوفِّى **الصَّدْرُ شمسُ الدينِ**

---

(١) بعده فى النسختين : « الخميس » .

(٢ - ٢) فى م : « الحادى والعشرين » .

(٣) العرصة : هى كل مكان متسع ليس فيه بناء ؛ وسميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها . تاج العروس (ع رص) .

(٤) فى النسختين : « بالكلك » . والمثبت من تاريخ ابن قاضى شهبة ٢/٢١٩. و(بالكرا) أى بالأجرة .

عبدُ الرحمنِ ابنُ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ مُنَجَّا التَّنُوخِيُّ[1] بعدَ العِشاءِ الآخرةِ، وصُلِّى عليه بِجامعِ دِمَشْقَ بعدَ صلاةِ الظهرِ، ودُفِن بالسَّفْحِ.

وفى صَبِيحَةِ هذا اليومِ تُوفِّى **الشيخُ ناصرُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ القُونَوِيُّ الحَنَفِيُّ**[2]، خطيبُ جامعِ يلبغا، وصُلِّى عليهِ عَقِيبَ صلاةِ الظهرِ أيضًا، ودُفِن بالصوفيَّةِ، وقد باشرَ عِوَضَه الخطابةَ والإمامةَ قاضى القُضاةِ جمالُ[3] الدينِ الكَفْرِيُّ الحنَفِيُّ.

وفى عصرِ هذا اليومِ تُوفِّى القاضى **عَلاءُ الدينِ بنُ القاضى شرَفِ الدينِ بنِ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الشِّهابِ محمودٍ الحَلَبِيُّ**[4]، أحدُ مُوَقِّعِى الدَّسْتِ بدِمَشْقَ، وصُلِّى عليه يومَ الأرْبِعاءِ، ودُفِن بالسَّفْحِ.

وفى يومِ الجُمُعَةِ الثالثِ والعِشْرِينَ منه خطَب قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ الكَفْرِيُّ الحنَفِيُّ بجامعِ يَلْبُغا عِوَضًا عنِ الشيخِ ناصرِ الدينِ بنِ القُونوِيِّ [٤/ ٢٣٠]، رحِمَه اللَّهُ تعالَى، وحضَر عندَه نائبُ السلْطَنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ قَشْتَمُر، وصلَّى معه قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ الشافِعِيُّ بالشُّبَّاكِ الغَرْبِيِّ القِبْلِيِّ منه، وحضَر خَلْقٌ مِنَ الأُمَراءِ والأعْيانِ، وكان يومًا مشْهُودًا، وخطَب (5ابنُ نُباتَةَ5) بأَداءٍ حسَنٍ وفصَاحَةٍ بليغةٍ، هذا مع علْمِ أنَّ كلَّ مَرْكبٍ صَعْبٌ.

وفى يومِ السبتِ خامِسَ عشَرَ جُمادَى الآخرةِ توَجَّهَ الشيخُ شرَفُ الدينِ

---

(١) ذيول العبر ص ٣٧٠، والذيل على العبر ١/ ١٤٦، والدرر الكامنة ٢/ ٤٤٩، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٠.

(٢) ذيول العبر ص ٣٦٩، والجواهر المضية ٣/ ٤٢، والذيل على العبر ١/ ١١٥، والسلوك ٣/١/ ٨٨، والدرر الكامنة ٣/ ٤١٦.

(٣) فى م: «كمال».

(٤) ذيول العبر ص ٣٧٠، والذيل على العبر ١/ ١٤٧، والدرر الكامنة ٣/ ١٠٢.

(٥ - ٥) فى الأصل: «الابن نيابة».

القاضى الحَنْبَلىُّ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ بطَلَبِ الأميرِ سيفِ الدينِ يَلْبُغا فى كتابٍ كتَبَه إليه يسْتَدْعِيه ويَسْتَحِثُّه فى القُدومِ عليه .

وفى يومِ الثلاثاءِ ثانى شهرِ رجَبٍ سقَط اثْنانِ سُكَارَى مِن سَطْحِ بحارَةِ اليهودِ ، أحدُهما مسلمٌ والآخرُ يهودِىٌّ ، فماتَ المسلمُ مِن ساعَتِه ، وانْقَلعَتْ عينُ اليهودِىِّ وانْكَسَرت يدُه ، لعَنه اللَّهُ ، وحُمِل إلى نائبِ السلْطَنَةِ فلم يُحِرْ جوابًا .

ورجَع الشيخُ شَرفُ الدينِ بنُ قاضى الجَبَلِ بعدَما قاربَ غَزَّةَ لِمَا بلغَه مِن الوَباءِ بالديارِ المِصْرِيَّةِ ، فعادَ إلى القُدْسِ الشريفِ ، ثم رجَع إلى وطَنِه فأصابَ السُّنَّةَ ؛ وقد ورَدَتْ كتُبٌ كثيرةٌ تخْبِرُ بشدَّةِ الوباءِ والطَّاعُونِ بمصرَ ، وأنَّه يُضْبطُ مِن أهْلِها فى النهارِ نحوُ الأَلْفِ ، وأنَّه ماتَ جماعةٌ ممَّنْ يُعْرفُونَ كوَلَدَىْ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ المُناوِىِّ ، وكاتبِ الحكَمِ ابنِ الفُرَاتِ ، وأهلِ بيْتِه أجمعينَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ .

وجاءَ الخبَرُ فى أواخرِ شهرِ رجَبٍ بمَوْتِ جماعةٍ بمِصرَ ؛ منهم **أبو حاتمٍ ابنُ الشيخِ بهاءِ الدينِ السُّبْكِىُّ المِصْرِىُّ**[1] بمِصرَ ، وهو شابٌّ لم يسْتَكْمِلِ العِشْرِينَ ، وقد درَّس بعِدَّةِ جهاتٍ بمِصرَ وخطَب ، ففَقدَه والدُه وتأسَّف الناسُ عليه ، وعَزَّوا فيه عمَّه قاضى القُضاةِ تاجَ الدينِ السُّبكِىَّ قاضى الشافِعيَّةِ بدِمَشْقَ . وجاءَ الخبَرُ بموتِ **قاضى القُضاةِ شِهابِ الدينِ أحمدَ**[2] **الرَّبَاحىِّ**[3] **المالكِىِّ** ، كان بحَلَبَ ، ولِيهَا مرَّتَيْنِ ثم عُزل ، فقصَد مصْرَ ، واسْتَوْطنَها مُدَّةً ليتمَكَّن مِن السَّعْيِ فى العَوْدَةِ ، فأَدْرَكَتْه مَنِيَّتُه فى هذه السَنةِ مِن الفَناءِ وولدان له معه أيضًا .

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٢٤، والذيل على العبر ١/ ١٢٢، والسلوك ٣/١/ ٨٧، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٩٧، وبدائع الزهور ١/٢/ ٩.

(٢) بعده فى الأصل بياض بمقدار ثلاث كلمات .

(٣) فى م : « الرباجى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٣٦٢، والذيل على العبر ١/ ١٢٤، والدرر الكامنة ١/ ٣٤٨، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٠.

وفى يومِ السبتِ سادِس شعبانَ توَجَّهَ نائبُ السلْطَنةِ فى صُحْبَةِ جُمْهورِ الأُمراءِ إلى ناحيةِ تَدْمُرَ؛ لأجْلِ الأَعْرابِ وأصْحابِ حَيَّارِ بنِ مُهَنَّا ومَنِ الْتَفَّ عليه منهم، وقد دمَّر بعْضُهم بلدَ تَدْمُرَ، وحرَّقُوا كثيرًا مِن أشْجارِها ورَعَوْها، وانْتَهبوا شيئًا كثيرًا، وخرَجُوا عن الطاعَةِ، وذلك بسبَبِ قَطْعِ إقْطاعاتِهم وتَمَلُّكِ أمْلاكِهم والحَيْلُولَةِ عليهم، فركِب نائبُ السلْطَنةِ بمَنْ معه، كما ذَكرنا، لطَرْدِهم عن تلك الناحيةِ، وفى صُحْبَتِهم الأميرُ حَمْزَةُ بنُ الخَيَّاطِ، أحدُ أُمَراءِ الطَّبْلَخاناه، وقد كان حاجِبًا لحيَّارٍ قبلَ ذلك، فرجَع عنه وألَّب عليه عندَ الأميرِ الكبيرِ يَلْبُغا الخاصِّكِيِّ، ووَعَدَه إنْ هو أمَّرَه وكبَّرَه أنْ يَظْفَرَ بحيَّارٍ وأنْ يأْتِيَه برأسِه، ففَعل معه ذلك، فقدِم إلى دِمَشْقَ ومعه مَرْسُومٌ بركوبِ الجيشِ معه إلى حيَّارٍ وأصْحابِه، فسارُوا كما ذَكَرْنا، فوَصلُوا إلى تَدْمُرَ، وهرَبَتِ الأعْرابُ مِن بينِ يدَىْ نائبِ الشامِ يمينًا وشمالًا، ولم يُواجِهُوه هَيْبَةً له، ولكِنَّهم يتَحَرَّفُونَ على حَمْزَةَ بنِ الخياطِ، ثم بلَغنا أنَّهم بيَّتُوا الجيشَ فقتَلُوا منه طائفةً وجرَحُوا آخرِينَ وأسَرُوا آخرينَ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ.

سَلْطَنَةُ الملكِ الأشْرَفِ ناصرِ الدينِ شعبانَ بنِ حسينٍ[1] بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ ابنِ قَلاوُون فى يومِ الثلاثاءِ خامِسَ عشَرَ شعبانَ

لـمَّا كان عَشِيَّةُ السبتِ[2] تاسِعَ عشَرَ شعبـانَ من هذه السنَةِ - أعْنى سنةَ أرْبَعٍ وستِّينَ وسَبْعِمائةٍ - قَدِمَ أميرٌ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ فنزَل بالقَصْرِ الأبْلَقِ، وأخْبَرَ

(١) فى م: «حسن». وانظر ذيول العبر ص ٣٥٨.
(٢) سقط من: الأصل.

بزَوالِ مَمْلَكَةِ الملكِ المنْصُورِ بنِ المُظَفَّرِ حاجى بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، ومُسِكَ واعْتُقِلَ وبُويعَ للملكِ الأشْرَفِ شعبانَ بنِ حُسَيْنِ بنِ[1] الناصرِ بنِ المَنْصُورِ قَلاوُون ، وله مِنَ العُمْرِ قريبُ العَشْرِ[2] - فدقَّتِ البشائرُ بالقلعةِ المنْصُورةِ ، وأصْبحَ الناسُ يومَ الأحدِ فى الزِّينَةِ . وأخبرَنى قاضى القُضاةِ [٤/ ٢٣١] تاجُ الدينِ والصاحِبُ سعْدُ الدينِ ماجِدٌ ناظرُ الدَّواوِينِ ، أنَّه لمَّا كان يومُ الثلاثاءِ الخامسَ عشَرَ مِن شَعْبانَ عُزِل الملِكُ المنْصُورُ وأُودِعَ منْزِلَه ، وأُجْلِسَ الملكُ الأشْرفُ ناصِرُ الدينِ شعبانُ على سَريرِ الملكِ ، وبُويعَ لذلك وقد وقَع رَعْدٌ فى هذا اليومِ ومطَرٌ كثيرٌ وجرَتِ المَزارِيبُ[3] ، فصارَ غُدْرَانًا فى الطُّرقاتِ ، وذلك فى خامسِ حُزَيْرانَ ، فتَعجَّبَ الناسُ مِن ذلك ، هذا وقد وقَع وباءٌ فى مِصْرَ[4] فى أوَّلِ شعبانَ فتزايدَ ، وجُمْهُورُه فى اليهودِ ، وقد وصَلُوا إلى الخَمسِينَ فى كلِّ يومٍ ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

وفى يومِ الاثْنَيْنِ سابعه اشْتَهرَ الخَبرُ عنِ الجيشِ بأنَّ الأعْرابَ اعْترَضُوا التَّجْرِيدَةَ القاصِدينَ إلى الرَّحبَةِ وأوقَفُوهم وقتَلُوا منهم ونَهبُوا وجرَحُوا ، وقد سارَ البريدُ خلفَ النائبِ والأُمَراءِ ليَقْدَمُوا إلى البَلدِ لأجْلِ البَيْعَةِ للسلْطانِ الجديدِ ، جعَلَه اللَّهُ مُباركًا على المسلمين ، ثم قدِمَ جماعةٌ مِن الأُمَراءِ المُنْهَزِمينَ من الأعْرابِ فى أسْوَأِ حالٍ وذِلَّةٍ ، ثم جاءَ البريدُ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ برَدِّهم إلى العسْكَرِ الذى مع نائبِ السلْطَنةِ على تَدْمُرَ ، مُتَوعَّدِينَ بأنواعِ العُقوباتِ ، وقطْعِ الإقْطاعاتِ .

وفى شهرِ رمضانَ تفَاقَمَ الحالُ بسبَبِ الطَّاعُونِ ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « العشرين » . وانظر السلوك ٣/١/ ٨٣.

(٣) المزراب : أنبوبة من الحديد ونحوه تركب فى جنب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر . الوسيط (ز ر ب) .

(٤) فى الأصل : « البلد » .

وجُمْهُورُه فى اليهودِ ، لعَلَّه قد فُقِدَ منهم مِن مُسْتهلِّ شعبانَ إلى مُسْتَهَلِّ رمضانَ نَحْوُ الألفِ نَسَمَةٍ خبيثةٍ ، كما أخْبَرَ[1] بذلك القاضى صلاحُ الدينِ الصَّفَدِىُّ وَكيلُ بيتِ المالِ ، ثم كثُرَ ذلك فيهم فى شهرِ رمضانَ جدًّا ، و[2]غَدَتِ العِدَّةُ[2] من المسلمينَ والذِّمَّةِ ثمانينَ[3] .

وفى يومِ السبتِ حادِى عشَرِه صلَّيْنا بعدَ الظهرِ على **الشيخِ المُعَمَّرِ الصَّدْرِ بدْرِ الدينِ محمدِ بنِ**[4] **الزَّقَّاقِ**[5] **المعْروفِ بابنِ الجوخىِّ**[6] ، وعلى **الشيخِ صلاحِ الدينِ محمدِ بنِ شاكرِ الكُتْبِىِّ**[7] ، تفَرَّدَ فى صِناعَتِه وجمَع تارِيخًا مُفيدًا نحْوًا مِن عَشْرِ مُجلَّداتٍ ، وكان يحْفَظُ ويُذاكِرُ ويُفيدُ ، رحِمه اللَّهُ وسامحَه .

وَفاةُ الخطيبِ جمالِ الدينِ محمودِ ابنِ جُمْلَةَ [8]المَحَجِّىِّ[9] الشافعىِّ[8] ومُباشَرةُ قاضى القضاةِ تاجِ الدينِ الشافعىِّ بعدَه

كانتْ وَفاتُه يومَ الاثنينِ بعدَ الظهرِ قريبًا مِن العصرِ . فصلَّى بالناسِ

---

(١) فى م : « أخبرنى » .

(٢) فى م : « عدة العدة » .

(٣) فى م : « بالثمانين » .

(٤) بعده فى الأصل بياض بمقدار كلمتين .

(٥) فى م : « الرقاق » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٣٦١، والذيل على العبر ١/ ١٢٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٦٥، وبدائع الزهور ١/٢/ ١٠، والدارس ١/ ١٤٠.

(٦) فى م : « الجوجى » .

(٧) فى النسختين : « الليثى » . وانظر ترجمته فى : ذيول العبر ص ٣٦٩، والذيل على العبر ١/ ١٢٨، والدرر الكامنة ٤/ ٧١، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٣.

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) ذيول العبر ص ٣٦٧، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٣٨٥، والذيل على العبر ١/ ١٢٩، والدرر الكامنة ٥/ ١٠١.

بالمِحْرابِ صلاةَ العصرِ قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ السُّبْكِىُّ الشافِعىُّ عِوضًا عنه ، وصلَّى بالناسِ الصبحَ أيضًا ، وقرَأ بآخِرِ « المائِدَةِ » من قوْلِه : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة : ١٠٩] . ثم لمَّا طلَعتِ الشمسُ ، وزالَ وَقْتُ الكَراهَةِ صُلِّى على الخطيبِ جمالِ الدينِ عندَ بابِ الخَطابَةِ ، وكان الجمعُ فى الجامعِ كثيرًا ، وخُرِجَ بجِنازَتِه مِن بابِ البريدِ ، وخرَج معه طائفةٌ مِن العَوامِّ وغيرِهم ، وقد حضَر جِنازَتَه بالصالحيَّةِ على ما ذُكِر جَمٌّ غَفِيرٌ وَخلْقٌ كثيرٌ ، ونالَ قاضىَ القُضاةِ الشافِعىَّ مِن بعْضِ الجهَلَةِ إساءةُ أدَبٍ ، فأُخِذَ منهم جماعةٌ وأُدِّبُوا ، وحضَر هو بنَفْسِه صلاةَ الظهرِ يَومَئذٍ ، وكذا باشَر الظهرَ والعصرَ فى بَقِيَّةِ الأيامِ ؛ يأْتى للجامعِ فى مَحْفِلٍ مِن الفُقَهاءِ والأعْيانِ وغيرِهم ، ذَهابًا وإيابًا ، وخطَب عنه يومَ الجُمعةِ الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ قاضى الزبدانىِّ[1] ، [2]وكذلك يومَ العيدِ بالمصلَّى ، وخُطْبَةَ الجُمُعَةِ يومَئذٍ ، وامْتَنَع قاضى القضاةِ[2] تاجُ الدينِ مِن المُباشرَةِ ، حتى يأْتِىَ التَّشْرِيفُ .

وفى يومِ الاثنينِ بعدَ العصرِ صُلِّى على **الشيخِ شِهابِ الدينِ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ البَعْلَبَكِّىِّ**[3] **المعْروفِ بابنِ النَّقِيبِ** ، ودُفِنَ بالصوفيَّةِ ، وقد قارَب السَّبْعِينَ أو جاوَزَها ، وكان بارِعًا فى القِراءاتِ والنحوِ والتَّصْريفِ والعربيةِ ، وله يَدٌ فى الفِقْهِ وغيرِ ذلك ، ووَلِى مكانَه مَشْيَخَةَ الإقْراءِ بأُمِّ الصالحِ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ اللَّبَّانِ ، وبالتُّرْبَةِ الأشرفيَّةِ الشيخُ أمينُ الدينِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ السَّلَّار .

وقَدِمَ نائبُ السلْطَنةِ مِن ناحيةِ الرَّحبَةِ وتَدْمُرَ وفى صُحْبتِه الجيشُ الذين كانوا

---

(١) فى م : « القضاة » .

(٢ - ٢) فى م : « و [منع] » .

(٣) ذيول العبر ص ٣٦٣، وطبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٨، والذيل على العبر ١/ ١٣٠، والدرر الكامنة ١/ ١٢٣، والدارس ١/ ٣٢٣.

معه بسبَبِ محاربةِ آلِ مُهَنَّا وذَوِيهم مِنَ الأعرابِ فى يومِ الأربِعاءِ سادس شوَّالٍ .

وفى ليلةِ الأحَدِ عاشره تُوفِّى **الشيخُ صلاحُ الدينِ خليلُ بنُ أيْبَك**[1] ، وَكيلُ بيتِ المالِ ، ومُوَقِّعُ الدَّسْتِ ، وصُلِّى عليه صَبِيحَةَ الأحدِ بالجامعِ ، ودُفِنَ بالصوفِيَّةِ ، وقد كتَبَ الكثيرَ مِن التاريخِ واللغةِ والأدَبِ ، وله الأشْعارُ الفائقَةُ ، والفُنونُ المُتَنَوِّعَةُ ، وجمَع وصنَّف ، وكتبَ ما يقارِبُ مِئِينَ مِن المُجَلَّداتِ .

وفى يومِ السبتِ عاشره جُمِعَ القُضاةُ والأعْيانُ بدارِ السَّعادةِ وكتَبُوا خُطوطَهم [٤/ ٢٣٢] بالرِّضا بخَطابَةِ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ السُّبْكِىِّ بالجامعِ الأُمَوِىِّ ، وكاتبَ نائبَ السلْطَنةِ فى ذلك .

وفى يومِ الأحدِ حادِى عشَرِه اسْتَقَرَّ عزلُ نائبِ السلْطَنَةِ سيفِ الدينِ قَشْتَمُر عن نِيابةِ دِمَشْقَ وأُمِرَ بالمَسِيرِ إلى نيابةِ صَفَدَ ، فأَنْزَلَ أهلَه بدارِ طَيْبُغا حاجى من الشَّرَفِ الأَعْلَى ، وبرَزَ هو إلى سَطْحِ المِزَّةِ ذاهبًا إلى ناحيةِ صَفَدَ .

وخرَجَ المَحْمَلُ صُحْبَةَ الحجِيجِ ، وهم جمٌّ غَفِيرٌ وخَلْقٌ كثيرٌ يومَ الخميسِ رابعَ عَشَرَ شَوالٍ .

وفى يومِ الخميسِ الحادِى والعِشْرِينَ مِن شوَّالٍ تُوفِّى **القاضى أمينُ الدينِ أبو حَيَّانَ ابنُ أخى قاضى القُضاةِ جمالِ**[2] **الدينِ المَسَلَّاتِىِّ المالِكىِّ**[3] وزَوْجُ ابْنَتِه ونائبُه فى الحكمِ مُطْلقًا وفى القَضاءِ والتدْريسِ فى غَيْبَتِه فعاجَلَتْه المَنِيَّةُ .

---

(١) ذيول العبر ص ٣٦٤، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٥، والذيل على العبر ١/ ١٣٤، والدرر الكامنة ٢/ ١٧٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٠.

(٢) فى م : « تاج » .

(٣) ذيول العبر ص ٣٦٦، والذيل على العبر ١/ ١٣٧، والدرر الكامنة ٤/ ١٣٥، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ١٩٩.

ومِن غريبِ ما وقَع فى أواخرِ هذا الشهرِ أنَّه اشْتَهَر بينَ النساءِ وكثيرٍ مِن العَوامِّ أنَّ رجلًا رأَى منامًا فيه أنَّه رأى النبىَّ ﷺ عندَ شَجَرَةِ تُوتَةٍ عندَ مَسْجدِ ضِرَارٍ خارِجَ بابِ شَرْقِىّ ، فتَبادَرَ النساءُ إلى تخْلِيقِ تلك التُّوتَةِ ، وأخَذُوا أوْراقَها للاسْتِشْفاءِ مِن الوَباءِ ، ولكنْ لم يظهَرْ صدقُ ذلك المنامِ ، ولا يَصِحُّ عمَّنْ يروِيه .

وفى يومِ الجُمعَةِ سابع شهرِ ذى القَعْدَةِ خَطبَ بجامعِ دِمَشْقَ قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ السُّبْكِىُّ خُطبةً بَلِيغةً فَصِيحةً أدَّاها أداءً حسَنًا ، وقد كان يَخْشَى[1] مِن طائفةٍ من العَوامِّ أنْ يُشَوِّشُوا ، فلم يتكلَّمْ أحدٌ منهم ، بل ضَجُّوا عندَ المَوْعِظَةِ وغيرِها ، وأعْجَبهمُ الخطيبُ وخُطْبَتُه وأداؤُه وتَبْلِيغُه ومَهابتُه ، واسْتَمرَّ يخطُبُ هو بنفْسِه .

وفى يومِ الثلاثاءِ ثامنَ عشَرِه تُوفِّى **الصاحِبُ تقىُّ الدينِ سُليمانُ بنُ مَرَاجِلٍ**[2] ، ناظرُ الجامعِ الأُمَوىِّ وغيرِه ، وقد باشرَ نظَرَ الجامعِ فى أيامِ تَنْكِز ، وعمَر الجانبَ الغرْبِىَّ مِن الحائطِ القِبْلِىِّ ، وكمَّلَ رُخامَه كلَّه ، وفتَقَ مِحْرابًا للحنَفِيَّةِ فى الحائطِ القِبْلِىِّ ، ومِحْرابًا للحنابِلَةِ فيه أيضًا فى غرْبِيِّه ، وأثَّر أشْياءَ كثيرةً فيه ، وكانتْ له هِمَّةٌ ، ويُنْسَبُ إلى أمانَةٍ وصَرامَةٍ ومُباشرَةٍ مشْكُورَةٍ مشْهُورةٍ ، ودُفِنَ بتُرْبَةٍ أنْشأَها تُجاهَ دارِه بالقُبَيْباتِ ، رحِمه اللَّهُ ، وقد جاوزَ الثَّمانينَ .

وفى يومِ الأرْبعاءِ تاسعَ عشَرِه تُوفِّى **الشيخُ بهاءُ الدينِ عبدُ الوَهَّابِ الإخْمِيمِىُّ المِصْرِىُّ**[3] ، إمامُ مَسْجدِ دَرْبِ الحجرِ ، وصُلِّى عليه بعدَ العصرِ

---

(١) فى م : « يحس » .

(٢) ذيول العبر ص ٣٦٥، والذيل على العبر ١/ ١٣٩، والسلوك ٣/١/ ٨٧، والدرر الكامنة ٢/ ٢٥٤، والدليل الشافى ١/ ٣٢٠.

(٣) ذيول العبر ص ٣٦٥ ، وطبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ١٢٣، والذيل على العبر ١/ ١٤٠، والدرر الكامنة ٣/ ٣٨.

بالجامعِ الأُمَوىِّ ، ودُفِنَ بقَصْرِ ابنِ الحلَّاجِ عندَ الطيورِيينَ[1] بزاوِيَةٍ لبعضِ الفقراءِ الخزَنَةِ هناك ، وقد كان له يَدٌ فى علمِ أصُولِ الفِقْهِ ، وَصنَّفَ فى الكلامِ كِتابًا مُشْتَمِلًا على أشياءَ مقْبولةٍ وغيرِ مقبولةٍ .

دُخولُ نائبِ السلْطَنةِ مَنْكَلِى بُغَا

فى يومِ الخميسِ السابع والعِشْرِينَ من ذِى القَعْدَةِ دخَل نائبُ السلْطَنةِ مَنْكَلِى بُغَا مِن حَلَبَ إلى دِمَشْقَ نائبًا عليها فى تجَمُّلٍ هائلٍ ، ولكنَّه مُسْتَمْرِضٌ فى بَدنِه بسبَبِ ما كانَ نالَه مِن التَّعَبِ فى مُصَابرَةِ الأعْرابِ ، فنَزَل دارَ السَّعادةِ على العادَةِ .

وفى يومِ الاثنينِ مُسْتَهَلِّ ذى الحِجَّةِ خُلِع على قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ السُّبْكِىِّ الشافعِىِّ للخَطابَةِ بجامعِ دِمَشْقَ ، واسْتَمَرَّ على ما كان عليه يخْطُبُ بنفْسِه كلَّ جُمعةٍ . وفى يومِ الثُّلاثاءِ ثانِيه قدِمَ القاضى فَتحُ الدينِ بنُ الشَّهيدِ ، ولَبِسَ الخِلْعَةَ ، وراحَ الناسُ لتَهْنِئتِه . وفى يومِ الخميسِ حضرَ القاضى فتحُ الدينِ بنُ الشهيدِ كاتبُ السرِّ مَشْيخةَ السُّمَيْسَاطِيَّةِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعْيانُ بعدَ الظهرِ ، وخُلِعَ عليه لذلك أيضًا ، وحضرَ فيها مِنَ الغَدِ على العادةِ ، وخُلِعَ فى هذا اليومِ على وكيلِ بيتِ المالِ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ الرَّهاوِىِّ ، وعلى الشيخِ شِهابِ الدينِ الزُّهْرِىِّ بفُتْيَا دارِ العَدْلِ .

---

(١) فى الأصل : « الطبورين » . وجاء فى ترجمته فى ذيول العبر : « ودفن بزاوية ابن السراج بالصاغة العتيقة داخل دمشق بالقرب من سكنه » . وانظر الدارس ٢/٢٨٩.

ثم دخَلَت سنَةُ خَمْسٍ وسِتّيـنَ وسَبْعِمائةٍ[1]

اسْتَهَلَّـتْ هذه السنَةُ وسُلْطانُ الديارِ المِصْرِيَّةِ والشامِيَّةِ والحرَمَيْنِ وما يتْبَعُ ذلك [٤/٢٣٣] الملكُ الأشْرَفُ ناصِرُ الدينِ شعبانُ بنُ سَيِّدِى حُسَيْنِ بنِ السلطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ المنْصُورِ قَلاوُون الصالِحِيُّ، وهو فى عُمْرِ عَشْرِ سِنينَ، ومُدَبِّرُ المَمالكِ بينَ يدَيْه الأميرُ الكبيرُ نظامُ الملكِ سيفُ الدينِ يَلْبُغا الخاصِّكِيُّ، وقُضاةُ مِصْرَ هم المذْكورونَ فى السنَةِ التى قبلَها، ووَزيرُها فخرُ الدينِ بنُ قَرَوِينةَ، ونائبُ دِمشقَ الأميرُ سيفُ الدينِ مَنْكَلِى بُغَا الشمسِيُّ، وهو مشْكُورُ السِّيرةِ، وقُضاتُها هم المذْكُورونَ فى السنةِ التى قبلَها، وناظِرُ الدَّواوينِ بها الصاحِبُ سَعْدُ الدينِ ماجِدٌ، وناظِرُ الجيشِ علَمُ الدينِ داودُ، وكاتِبُ السِّرِّ القاضى فَتْحُ الدينِ بنُ الشَّهيدِ، ووكيلُ بيتِ المالِ [2]القاضى جمالُ[2] الدينِ بنُ الرَّهاوِيِّ.

واسْتَهَلَّتْ هذه السنَةُ ودَاءُ الفناءِ موجودٌ فى الناسِ، إلَّا أنَّه خَفَّ وقَلَّ، وللَّهِ الحمدُ. وفى يومِ السبتِ توَجَّه قاضى القُضاةِ - وكان بهاءَ الدينِ أبا البَقاءِ السُّبْكِيَّ - إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ مَطْلُوبًا مِن جِهَةِ الأميرِ يَلْبُغا، وفى الكتابِ إجابَتُه له إلى ما سأل. وتوَجَّه بعدَه قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ الحاكِمُ بدِمَشْقَ وخَطِيبُها يومَ

---

(١) تذكرة النبيه ٣/ ٢٧٢، والسلوك ٣/١/ ٩٠، والنجوم الزاهرة ١١/٨٣، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٣، وبدائع الزهور ١/٢/ ١٠.

(٢ - ٢) فى الأصل: «الشيخ كمال».

الاثنينِ الرابعَ عشَرَ مِن المحرمِ على خَيْلِ البريدِ . وتوجَّهَ بعْدَهما الشيخُ شرَفُ الدينِ ابنُ قاضى الجَبَلِ الحَنْبلىُّ ، مَطْلُوبًا إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ، وكذلك توَجَّهَ الشيخُ ولىُّ[1] الدِّينِ المَنْفَلُوطِىُّ مَطْلوبًا .

وتُوفِّى فى العَشْرِ الأوْسطِ مِن المحرمِ صاحِبُنا **الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ العَطَّارِ الشافِعىُّ**[2] ، كان لدَيْه فَضِيلةٌ واشْتِغالٌ وله فَهْمٌ ، وعلَّق بخطِّه فَوائدَ جيِّدةً ، وكان إمامًا بالسجنِ مِن مَشْهَدِ علىِّ بنِ الحُسينِ بجامعِ دمَشْقَ ، ومُصَدَّرًا بالجامعِ ، وفَقِيهًا بالمدارسِ ، وله مشيخةُ[3] الحديثِ الوادعيَّةِ ، وجاوَزَ الخمسينَ بسَنَواتٍ ، ولم يتزَوَّجْ قطُّ . وقَدِمَ الركبُ الشافعىُّ[4] إلى دِمَشْقَ يومَ الخميسِ[5] الرابعِ والعِشْرِينَ مِن المحرمِ ، وهم شاكرونَ مُثْنُونَ بكلِّ خيرٍ عن هذه السَّنَةِ أمْنًا ورُخصًا ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى يومِ الأحدِ حادِى عشَرَ صفَرٍ درَّسَ بالمدرْسةِ الفَتْحِيَّةِ صاحِبُنا الشيخُ عِمادُ الدينِ إسمْاعيلُ بنُ خليفةَ الحُسْبانىُّ[6] الشافِعىُّ ، وحضَر عندَه جماعةٌ مِن الأعْيانِ والفُضلاءِ ، وأخَذ فى قولِه تعالَى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ [التوبة : ٣٦] .

وفى يومِ الخميسِ خامسَ عشَرِه نُودِىَ فى البلدِ على أهلِ الذِّمَّةِ بإلْزامِهم بالصَّغارِ وتَصْغيرِ العمائمِ ، وأنْ لا يُسْتَخْدَمُوا فى شىءٍ مِن الأعْمالِ ، وأنْ لا

---

(١) فى م : « زين » .
(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .
(٣) فى م : « مدرسة » .
(٤) فى م : « الشامى » .
(٥) سقط من : م .
(٦) سقط من : م . وانظر طبقات الشافعية ٨/ ١٧٩، والدارس ١/ ٤٢٩.

يرْكَبُوا الخيلَ ولا البِغالَ ويرْكَبُون[1] الحَمِيرَ بالأُكُفِ بالعَرْضِ، وأنْ يكونَ فى رِقابِهم ورِقابِ نسائِهم فى الحمَّاماتِ الأجْراسُ، وأنْ يكونَ أحدُ النَّعْلَيْنِ أسودَ مُخالفًا للونِ الأُخرى[2]، فَفرِح بذلك المسلمونَ ودَعَوْا للآمرِ بذلك.

وفى يومِ الأحدِ ثالث رَبيعِ الأوَّلِ قَدِمَ قاضى القُضاةِ تاجُ الدِّينِ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ مُستمِرًّا على القَضاءِ والخَطابةِ، فتلَقَّاه الناسُ وهنَّئوه بالعَوْدِ والسلامةِ. وفى يومِ الخميسِ سابعِه لَبِسَ القاضى الصاحبُ البَهْنَسِىُّ الخِلْعَةَ لنَظرِ الدواوينِ بدِمَشْقَ، وهنَّأه الناسُ بذلك، وباشَر بصَرامةٍ واسْتَعملَ فى غالبِ الجِهات مِن أبْناءِ المسلمين[3]. وفى يومِ الاثنينِ حادِى عشَرِه رَكِب قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ بنُ أبى الفتحِ على خيلِ البريدِ مُتوجِّهًا إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ لتَوَلِّيهِ قَضاءَ قُضاةِ الشافِعيَّةِ بدِمَشْقَ، عن رِضًى من خالِه قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ، ونزُولِه له عن ذلك.

وفى ليلَةِ[4] الخميسِ خامس رَبيعِ الآخِرِ[5] احْتَرقتِ الباشُورةُ التى ظاهِرَ بابِ الفرجِ على الجِسْرِ، ونال[6] حِجارةَ البابِ شىءٌ مِن حريقِها فاتَّسعَتْ، وقد حضَر طَفْأَها نائبُ السلْطَنةِ والحاجِبُ الكبيرُ ونائبُ القلعةِ والوُلاةُ وغيرُهم. وفى صَبيحَةِ هذا اليومِ زادَ النهرُ زِيادةً عظيمةً بسببِ كثْرةِ الأمْطارِ، وذلك فى أوائلِ كانُونَ الثانى، ورَكِب الماءُ سُوقَ الخيلِ بكمَالِه ووصَل إلى ظاهرِ بابِ الفَراديسِ

---

(١) فى الأصل: «يركبوا».
(٢) فى الأصل: «النصارى».
(٣) فى م: «السبيل».
(٤) فى م: «يوم».
(٥) فى م: «الأول».
(٦) فى الأصل: «تمال».

وتلك النواحِى ، وكسَر جِسْرَ الخشَبِ الذى عندَ جامعِ يَلْبُغا ، وجاءَ فصُدِمَ به جِسرُ الزلابِيَّةِ فكسَرَه أيضًا . وفى يومِ الخميسِ ثانى عشَرِه صُرِفَ حاجِبُ الحُجَّابِ قمارى [٤/ ٢٣٤] عنِ المُباشرَةِ بدارِ السَّعادةِ ، وأخذتِ القُضاةُ مِن يَدِه وانْصرفَ إلى دارِه فى قُلٍّ مِن الناسِ ، واسْتَبشرَ بذلك كثيرٌ مِن الناسِ ؛ لكَثْرَةِ ما كان يفْتاتُ على الأحْكامِ الشرعِيَّةِ .

وفى أواخرِه اشْتَهرَ موتُ **القاضى تاجِ الدينِ المُناوِىِّ**[1] بديارِ مِصْرَ ، ووِلايَةُ قاضى القُضاةِ بهاءِ الدينِ أبى البَقاءِ السُّبْكِىِّ مكانَه بقَضاءِ العساكرِ بها ، ووَكالةِ السلْطانِ أيضًا ، ورُتِّب له مع ذلك كِفايتُه . وتولَّى فى هذه الأيامِ الشيخُ سِراجُ الدينِ البُلْقَينىُّ إفْتاءَ دارِ العَدْلِ مع الشيخِ بهاءِ الدينِ أحمدَ بنِ قاضى القُضاةِ السُّبْكِىِّ بالشامِ ، وقد وَلِىَ هو أيضًا قَضاءَ الشامِ ، كما تقدَّم ، ثم عادَ إلى مِصْرَ مُوقَّرًا مُكرَّمًا ، وعادَ أخوه تاجُ الدينِ إلى الشامِ ، وكذلك وَلَّوا مع البُلْقَينىِّ إفْتاءَ دارِ العَدْلِ لحَنَفىٍّ يُقالُ له : [2]الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ الصائغِ . وهو مُفْتٍ حنفىٌّ أيضًا .

وفى يومِ الاثنينِ سابع رَبيعِ الأوَّلِ تُوفِّى[2] **الشيخُ نُورُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ أبى بكرٍ**[3] **بنِ الشيخِ محمدِ بنِ الشيخِ أبى بكرِ بنِ**[3] **قَوامٍ** ، بزاوِيَتِهم بسَفْحِ جبَلِ قاسِيُونَ ، وغدا الناسُ إلى جِنازَتِه . وقد كان مِن العُلماءِ الفُضلاءِ الفُقَهاءِ بمَذْهبِ

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى ٩/ ١٢٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/ ٤٦٧، والدرر الكامنة ٣/ ٤٧٠، وبدائع الزهور ١/٢/ ١٤، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : طبقات الشافعية للسبكى ٩/ ٣١١، وتذكرة النبيه ٣/ ٢٧٩، والدرر الكامنة ٤/ ٢٩، وشذرات الذهب ٩/ ٢٠٥.

الشافِعيِّ ، درَّس بالناصِريَّةِ البَرَّانِيَّةِ مدةَ سِنينَ بعدَ أبيه ، وبالرِّباطِ الدُّوَيْدارِيِّ داخِلَ بابِ الفرجِ ، وكان يَحْضُرُ المدارسَ ، ونزَل عندَنا بالمدرسةِ النَّجِيبيَّةِ ، وكان يحبُّ السُّنَّةَ ويَفْهَمُها جيِّدًا ، رحِمه اللَّهُ .

وفى مُسْتَهَلِّ جُمادَى الأُولى وَلِيَ قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ الشافِعيُّ مَشْيخَةَ دارِ الحديثِ بالمدْرسةِ التى فُتِحتْ بدَرْبِ القلى[1] ، وكانت دارًا لواقِفِها جمالِ الدينِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عيسى التَّدْمُرِيِّ الذى كان أُسْتاذًا للأميرِ طاز ، وجُعِل فيها درسٌ للحنابِلَةِ ، وجُعِل المدرِّسُ لهم الشيخُ بُرْهانُ الدينِ إبْراهيمُ بنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ، وحضَر الدرسَ وحضَر عندَه بعضُ الحنَابِلَةِ بالدرسِ ، ثم جرَتْ أمورٌ يطولُ بسْطُها . واسْتَحضرَ نائبُ السلْطَنةِ شُهودَ الحنابِلَةِ بالدرسِ ، واسْتَفْرَدَ كلًّا منهم وسأله كيفَ شَهِدَ فى أصْلِ الكتابِ - المَحْضَرِ - الذى أثْبتُوه لهم ، فاضْطَرَبُوا فى الشَّهاداتِ وضُبِط ذلك عليهم ، وفيه مُخالفَةٌ كثيرةٌ لِما شَهِدُوا به فى أصْلِ المَحْضَرِ ، وشنَّع عليهم كثيرٌ مِن الناسِ . ثم ظهَرت دُيونٌ كثيرةٌ لبَيْتِ طاز على جمالِ الدينِ التَّدْمُرِيِّ الواقِفِ ، وطُلبَ مِن القاضى المالِكِيِّ أن يحْكُمَ بإبْطالِ ما حكَم به الحَنْبَلِيُّ ، فتوَقَّفَ فى ذلك . وفى يومِ الاثنينِ الحادِى والعِشْرِينَ منه قُرِئَ كتابُ السلْطانِ بصَرْفِ الوُكلاءِ مِن أبْوابِ القُضاةِ الأرْبَعةِ فصُرِفُوا .

وفى شهرِ جُمادَى الآخرةِ تُوفِّى **الشيخُ شمسُ الدينِ شيخُ الحنابلَةِ بالصالِحِيَّةِ ، ويعْرَفُ بالتَّتَرِيِّ**[2] يومَ الخميسِ ثامنه . صُلِّى عليه بالجامعِ المُظَفَّرِيِّ

---

(١) فى الأصل : « العلى » ، وفى م : « القلبى » . والمثبت من الدارس ٢/ ٣٣٠.

(٢) فى النسختين : « بالبيرى » . وانظر ترجمته فى : الذيل على العبر ١/ ١٦٢، والدرر الكامنة =

بعدَ العَصْرِ، ودُفِنَ بالسَّفْحِ وقد قاربَ الثَّمانينَ.

وفى الرَّابعَ عشَرَ منه عُقِدَ بدارِ السعادةِ مجلسٌ حافلٌ اجْتَمعَ فيه القُضاةُ الأرْبَعةُ وجماعةٌ مِن المُفْتِين، وطُلِبْتُ فحضَرتُ معهم بسبَبِ المدرْسَةِ التَّدْمُرِيَّةِ وقَرابَةِ الواقفِ، ودَعْواهم أنَّه وَقَفَ عليهم الثُّلُثَ، فوَقفَ الحَنْبَلىُّ فى أمْرِهم ودافعَهم عن ذلك أشدَّ الدفاعِ.

وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن رجَبٍ وجِد جَرادٌ كثيرٌ مُنْتشرٌ، ثم تزايدَ وتَراكَمَ وتَضاعفَ، وتَفاقَمَ الأمرُ بسببِه، وسدَّ الأرضَ كَثْرةً وعاثَ يمينًا وشمالًا، وأفْسَدَ شيئًا كثيرًا مِن الكُرومِ والمَقاثى والزُّرُوعاتِ النفِيسَةِ، وأتْلَفَ للناسِ شيئًا كثيرًا، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون.

وفى يومِ الاثنينِ ثالث شعبانَ توَجَّهَ القُضاةُ ووَكيلُ بيتِ المالِ إلى بابِ كَيْسَانَ، فوَقَفُوا عليه وعلى هَيْئَتِه، ومِن نِيةِ نائبِ السلْطَنةِ فتْحُه ليتَفرَّجَ الناسُ به.

وعُدِم للناسِ غلَّاتٌ كثيرةٌ وأشْياءُ مِن أنْواعِ الزُّرُوعِ بسبَبِ كثرةِ الجَرادِ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعون. (١)وفى هذا الشهْرِ كَثُرَ الوباءُ والفناءُ فى الناسِ، وبلغتِ العِدَّةُ إلى السبعين، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون(١).

= ٢/ ٤٤٤، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٤.

(١ - ١) سقط من: م.

فَتْحُ بابِ كَيْسَانَ بعدَ غَلْقِه نَحْوًا مِن مِائَتَى سَنَةٍ

وفى يومِ الأرْبِعاءِ السادس والعِشْرِينَ من شعبانَ اجْتَمعَ نائبُ السلْطَنةِ والقُضاةُ عندَ بابِ كَيْسَانَ ، وشرَع الصُّنَّاعُ فى فَتْحِه عن مرْسومِ السلْطانِ [٤/ ٢٣٥] الواردِ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ وأمْرِ نائبِ السلطَنةِ وإذْنِ القُضاةِ فى ذلك ، واسْتَهلَّ رمضانُ وهم فى العَملِ فيه .

وفى العَشْرِ الأخيرِ من شعبانَ تُوفِّى **الشريفُ شمسُ الدينِ محمدُ بنُ علىِّ ابنِ الحسَنِ بنِ حَمْزَةَ الحُسَيْنِىُّ**[1] المحدِّثُ المحصِّلُ المُشتَغِلُ المؤلِّفُ الجامعُ لأشْياءَ مُهمةٍ فى الحديثِ ، قرَأ وسَمِع وجمَع وكتَب أسْماءَ رِجالٍ بـ « مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ » واخْتَصَر كتابًا فى أسْماءِ الرجالِ مُفيدًا ، ووَلِىَ مَشْيَخةَ الحديثِ التى وَقَفَها فى دارِه بَهاءُ الدينِ القاسِمُ بنُ عساكِرَ داخِلَ بابِ تُوماء .

وخُتِمَتِ البُخارِيَّاتُ فى آخِرِ شهرِ رمضانَ ، ووقَع بينَ الشيخِ عِمادِ الدينِ بنِ السَّرّاجِ قارِئِ « البُخارِىِّ » عندَ مِحْرابِ الصَّحابةِ وبينَ[2] الشيخِ بدرِ الدينِ بنِ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ الشَّرِيشىِّ ، وتَهاتَرا على رُءوسِ الأشْهادِ بسبَبِ لفْظَةِ « يَبْتَئِر[3] » بمعنى (يدَّخِر) ، وفى نُسْخَةٍ « يَبْتَئِز[4] » ، فحكَى ابنُ السراجِ عن الحافظِ المِزِّىِّ أنَّ

---

(١) الذيل على العبر ١/ ١٦٨، والدرر الكامنة ٤/ ١٧٩، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٧، والدارس ١/ ٥٨، والبدر الطالع ٢/ ٢٠٩.

(٢) فى الأصل « هن » .

(٣) فى م : « يبتز » . وانظر : صحيح البخارى (٦٤٨١، ٧٥٠٨) . ولفظه : (يبتئر) اختُلف فى روايتها . وانظر : مشارق الأنوار ١/٧٥، وفتح البارى ١١/٣١٢، ٣١٤، ١٣/٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٣.

(٤) فى م : « يتير » .

الصوابَ « يَبْتَزِز[1] » مِن قولِ العربِ : مَنْ عَزَّ بَزَّ[2] . وصدقَ فى ذلك ، فكأَنَّ مُنازِعَه خطَّأَ المزِّىَّ[3] ، فانْتَصرَ الآخَرُ للحافظِ المزِّىِّ ، فَنالَ[4] منه بالقولِ ثم قامَ والِدُه الشيخُ جمالُ الدينِ المُشارُ إليه فكشَفَ رأسَه على طريقَةِ الصوفِيَّةِ ، فكأَنَّ ابنَ السراجِ لم يلْتَفِتْ إليه ، وتدافَعُوا إلى القاضى الشافعِىِّ فانْتصَرَ للحافظِ المزِّىِّ ، وجرَتْ أمورٌ ثم اصْطَلحُوا غيرَ مرَّةٍ ، وعزَم أولئك على كَتْبِ مَحضرٍ على ابنِ السراجِ ، ثم انْطَفأتْ تلك الشُّرورُ . وكثُرَ الموتُ فى أثْناءِ شهرِ رمضانَ وقارَبَتِ العِدَّةُ مِائَةً ، ورُبَّما جاوزَت المائَةَ ، ورُبَّما كانت أقَلَّ منها وهو الغالِبُ ، وماتَ جماعةٌ من الأصْحابِ والمَعارفِ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . وكثُرَ الجرادُ فى البَساتينِ وعظُمَ الخَطْبُ بسبَبِه ، وأتْلفَ شيئًا كثيرًا مِن الغَلَّاتِ والثِّمارِ[5] والخَضْراواتِ ، وغَلَتِ الأسْعارُ وقَلَّتِ الثِّمارُ ، وارْتَفعتْ قِيَمُ الأشْياءِ ؛ فبِيعَ الدِّبْسُ بما فوقَ المائَتَيْنِ القِنْطارُ ، والرُّزُّ بأزْيدَ مِن ذلك .

وتكاملَ فتحُ بابِ كَيْسَانَ وسمَّوْه البابَ القِبْلىَّ ، ووُضِعَ الجسْرُ منه إلى الطريقِ السالِكَةِ ، وعرْضُه أزيدُ مِن عشَرَةِ أذْرُعٍ بالنجارِىِّ لأجْلِ عمَلِ الباشورةِ جَنَبَتَيْه ، ودخَلتِ المارَّةُ عليه مِن المُشاةِ والرُّكْبانِ ، وجاء فى غايةِ الحسْنِ ، وسلَكَ الناسُ فى حاراتِ اليهودِ[6] ، وانْكَشفَ دخَلُهم[7] وأمِنَ الناسُ مِن دخَنِهم وغِشِّهم ومَكْرِهم

---

(١) فى م : « يبتز » .

(٢) (من عز بز) مثل من أمثال العرب ، معناه : من غلب سلب . وانظر : أمثال العرب للمفضل الضبى ص ١٢٤ .

(٣) فى م : « ابن المزى » .

(٤) فى م : « فقاد »

(٥) بعده فى الأصل : « والمعانى » .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) الدَّخَل : ما داخل الإنسان من فساد فى عقل أو جسم . اللسان (د خ ل) .

وخُبْثِهم ، وانْفرجَ الناسُ بهذا البابِ المُباركِ .

واسْتَهَلَّ شَوَّالٌ والجرادُ قد أتْلفَ شيئًا كثيرًا مِن البلادِ ، ورَعَى الخَضْراواتِ والأشْجارَ وأوْسعَ أهلَ الشامِ فى الفَسادِ ، وغلَتِ الأسْعارُ واسْتمرَّ الفَناءُ وكثُرَ الضَّجيجُ والبُكاءُ ، وفقَدْنا كثيرًا مِن الأصْحابِ والأصْدقاءِ[1] . وقد تَناقصَ الفَناءُ فى هذه المدةِ وقَلَّ الوَقْعُ وتَناقصَ للخَمْسِينَ . وفى شهرِ ذى القَعْدَةِ تقاصَر الفَناءُ ، وللَّهِ الحمدُ ، ونزَل العَدَدُ إلى العِشْرِينَ فما حولَها . وفى رابعِه دُخِل بالفيلِ والزَّرافَةِ إلى مدينةِ دِمَشْقَ مِن القاهرةِ ، فأُنزِلا فى المَيْدانِ الأخْضَرِ قريبًا مِنَ القَصْرِ الأبْلَقِ ، وذهَب الناسُ للنَّظرِ إليهما على العادةِ .

وفى يومِ الجُمعَةِ تاسعه صُلِّى على **الشيخِ جمالِ الدينِ عبدِ الصَّمدِ بنِ خَليلٍ البَغْدادِىِّ ، المعُروفِ بابنِ الخضرىِّ**[2] ، محدِّثِ بَغْدادَ وواعِظِها ، كان مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ، رَحِمَه اللَّهُ .

تجْديدُ خُطْبَةٍ ثانيةٍ داخِلَ سُورِ دِمَشْقَ [3] ولم يتفِقْ ذلك فيما أعلَمُ [3] منذُ فُتوحِ الشامِ [3] إلى الآن [3]

اتفقَ ذلك فى يومِ الجُمعَةِ الثالثِ ، ثم تبيَّنَ أنَّه الرابعُ والعِشرونَ مِن ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنَةِ بالجامعِ الذى جدَّدَ بِناءَه نائبُ الشامِ سيفُ الدينِ مَنْكَلِى بُغَا

---

(١) بعده فى النسختين : « فلان مات » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤١٣، والدرر الكامنة ٢/٤٧٦ وفيه : « ابن الحصرى » ، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٦.

(٣ - ٣) سقط من : م .

بدَرْبِ البلاغةِ قِبْلِيَّ مسْجدِ دَرْبِ الحجرِ داخِلَ بابِ كَيْسَانَ [٤/ ٢٣٦] المُجَدَّدِ فتْحُه في هذا الحينِ كما تقدَّم، وهو معروفٌ عندَ العامَّةِ بمسجدِ الشَّاذُورِيِّ، وإنَّما هو في «تاريخِ ابنِ عساكِرَ» مسْجدُ الشَّهْرَزُورِيِّ[1]، وقد كان المَسجدُ رَثَّ الهَيْئَةِ قد تقادَمَ عهْدُه مَدَّ دَهْرٍ وهُجِرَ فلا يدْخُلُه أحدٌ مِن الناسِ إلَّا قليلٌ، فوَسَّعَه مِن قِبْلِيِّه وسقَفَه جديدًا وجعَل له صَرْحةً شماليَّةً مُبَلَّطَةً، ورُواقاتٍ على هيئةِ الجوامعِ، والداخلُ بأبْوابِه على العادةِ، وداخِلُ ذلك رواقٌ كبيرٌ له جَناحانِ شَرْقِيٌّ وغَرْبِيٌّ بأعْمِدَةٍ وقَناطِرَ، وقد كان قديمًا كَنِيسَةً فأُخِذَت منهم قبلَ الخَمسِمائَةِ وعُمِلتْ مسجدًا، فلم يزَلْ كذلك إلى هذا الحينِ، فلمَّا كَمَل كما ذكَرْنا وسِيقَ إليه الماءُ مِن القَنَواتِ ووُضِعَ فيه مِنْبَرٌ مُسْتَعملٌ كذلك، فيَوْمَئذٍ رَكِب نائبُ السلْطَنةِ ودخَل البلدَ من بابِ كَيْسَانَ وانْعَطفَ على حارَةِ اليهودِ حتى انْتَهى إلى الجامعِ المذْكُورِ، وقد اسْتَكَفَّ الناسُ عندَه مِن قُضاةٍ وأعْيانٍ وخاصَّةٍ وعامَّةٍ، وقد عُيِّنَ لخطابتِه الشيخُ صَدْرُ الدينِ بنُ مَنْصُورٍ الحنَفِيُّ مدرسُ التاجيَّةِ[2] وإمامُ الحنَفِيَّةِ بالجامعِ الأُمَوِيِّ، فلمَّا أُذِّن الأذانُ[3] الأوَّلُ تعَذَّرَ عليه الخروجُ مِن بيتِ الخطابةِ، قيلَ: لمَرَضٍ عرَضَ له. وقيلَ: لغيرِ ذلك مِن حَصْرٍ أو نحْوِه. فخطَبَ الناسَ يَوْمَئذٍ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ الحنَفِيُّ الكَفْرِيُّ، خِدْمَةً لنائبِ السلْطَنةِ.

واسْتهَلَّ شهرُ ذى الحِجَّةِ وقد رفَعَ اللَّهُ الوَباءَ عن دِمَشْقَ، وله الحمدُ والمِنَّةُ. وأهلُ البلدِ يموتُونَ على العادةِ، لا يَمْرَضُ أحَدٌ بتلك العِلَّةِ، ولكِنِ المَرَضُ المُعْتادُ.

---

(١) فى تاريخ ابن عساكر ٢/ ٢٩٧، والدارس ٢/ ٣١٧: «ابن الشهرزوى»، وفى نسخة لابن عساكر: «السهروردى».

(٢) فى الأصل: «التلجية». وفى م: «الناجية». والمثبت من الدارس ١/ ٤٨٣، وخطط الشام ٦/ ٨٨.

(٣) فى الأصل: «لذلك».

ثم دَخلتْ سنةُ سِتٍّ وسِتّيـنَ وسَبْعِمائَةٍ[1]

اسْتهلَّتْ هذه السنةُ والسلْطانُ الملكُ الأشرفُ ناصِرُ الدينِ شعبانُ ، والدولةُ بمصرَ والشامِ هُم هُم . ودخَل المحْمَلُ السلْطانىُّ فى صبيحةِ يومِ الاثنينِ الرابع والعشرينَ منه ، وذَكَرُوا أنَّهم نالَهم فى الرَّجْعَةِ شِدَّةٌ شديدةٌ مِن الغَلاءِ وموتِ الجمالِ وهَرَبِ الجَمَّالِينَ ، وقَدِم مع الركبِ الشامىِّ[2] ممَّنْ خرَج مِن الديارِ المصريَّةِ قاضى القُضاةِ بدْرُ الدينِ بنُ أبى الفَتْحِ ، وقد سَبَقَه التقْليدُ بقَضاءِ القُضاةِ [3]مع خالِه[3] تاجِ الدينِ ، يحْكُمُ فيما يحْكمُ فيه مُسْتَقِلًّا معه مُنْفرِدًا بعدَه .

وفى شهرِ اللَّهِ المحرمِ رَسَم نائبُ السلْطَنةِ بتَخْريبِ قريتينِ من وادِى التيمِ ؛ وهما مَشْغَرا تَلفيتا[4] ، وسببُ ذلك أنَّهما عاصِيانِ وأهْلُهما مُفْسِدانِ[5] فى الأرضِ ، والبَلَدانِ [6]والأرضُ حَصِينَانِ[6] لا يصلُ إليهما الطلبُ إلَّا بكُلْفَةٍ كثيرةٍ ، لا يرْتَقِى إليهما إلَّا فارِسٌ فارِسٌ ، فخرِّبَتا وعُمِّرَ بدَلَهما فى أسْفَلِ الوادِى ، بحيثُ يصِلُ إليهما حكمُ الحاكمِ والطلبُ بسهولةٍ ، فأخْبرَنى الملكُ صلاحُ الدينِ بنُ الكاملِ

---

(١) تذكرة النبيه ٣/ ٢٨١، والنجوم الزاهرة ١١/ ٨٦، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٠٩، وبدائع الزهور ١/٢/ ١٥.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر : الذيل على العبر ١/ ١٧٨.

(٤) فى الأصل : « تلتبانا » ، وفى م : « تلبناثا » . وتلفيتا : قرية من أعمال سنّير ، وهو جبل بين حمص وبعلبك .

(٥) هكذا ، وصوابه : « مفسدون » لكنه يحافظ على السجع ، وكذلك فيما يأتى .

(٦ - ٦) فى الأصل : « خصيبان » .

أنَّ بَلْدَةَ تَلفيتا عمِلَ فيها ألفُ فارِسٍ ، ونَقَل بعضَها[1] إلى أسْفَلِ الوادِى خمْسُمائَةِ حمارٍ عدةَ أيامٍ .

وفى يومِ الجُمعةِ سادس صفرٍ بعدَ الصلاةِ صُلِّى على **قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ يوسفَ بنِ قاضى القُضاةِ شرَفِ الدينِ أحمدَ بنِ أقْضَى القُضاةِ**[2] **الحُسَيْنِ الكَفْرِىِّ**[2] **الحَنَفِىِّ** ، وكانتْ وفاتُه ليلةَ الجُمعةِ المذْكُورَةِ بعدَ مرضٍ قريبٍ من شهرٍ وقد جاوزَ الأربعِينَ بثلاثٍ من السِّنينَ ، وَلِى قَضاءَ قُضاةِ الحنفيَّةِ وخَطَب بجامعِ يَلْبُغَا ، وحَضَر مَشْيخَةَ النَّفِيسيَّةِ ، ودرَّس بأماكِنَ مِن مدارسِ الحنفيةِ ، وهو أوَّلُ مَن خَطَب بالجامعِ المُسْتَجَدِّ داخِلَ بابِ كَيْسَانَ بحَضْرةِ نائبِ السلْطَنةِ .

وفى صَفَرٍ كانت وَفاةُ **الشيخِ جمالِ الدينِ عمرَ بنِ القاضى عبدِ المحيى**[3] بنِ إدْرِيسَ الحنفىِّ[4] مُحْتَسِبِ بغدادَ وقاضى الحنَابِلَةِ بها ، فتَعصَّبَتْ عليه الرَّوافِضُ حتى ضُرِب بينَ يدَىِ الوزارةِ ضرْبًا مُبَرِّحًا كان سببَ موتِه سرِيعًا ، رَحِمه اللَّهُ ، وكان من القائمينَ بالحقِّ الآمِرينَ بالمعروفِ والناهِينَ [٤/ ٢٣٧] عنِ المنكرِ ، مِن أكثرِ المُنْكِرِينَ على الرَّوافضِ وغيرِهم من أهلِ البِدَعِ ، رَحِمه اللَّهُ وبلَّ بالرحمةِ ثَرَاه .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ تاسع صفرٍ حضَر مشيخةَ النَّفِيسِيَّةِ الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ سندٍ ، وحضَر عندَه قاضِى القُضاةِ تاجُ الدينِ وجماعةٌ مِن الأعيانِ ، وأوْرَدَ حديثَ

---

(١) فى م : « نقضها » .

(٢ - ٢) فى النسختين : « بن الحسين المزى » . وانظر ترجمته فى : تذكرة النبيه ٣/ ٢٨٢، والذيل على العبر ١/ ١٨٠، والسلوك ٣/١/ ١٠٢، والدرر الكامنة ٥/ ٢٢٢، والنجوم الزاهرة ١١/ ٨٦، والدليل الشافى ٢/ ٧٩٧، وبغية الوعاة ٢/ ٣٥٤.

(٣) فى م : « الحى » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) فى م : « الحنبلى » .

عُبادةَ بنِ الصَّامتِ : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ[1] بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ »[2] . أسْندَه عن قاضى القُضاةِ المُشارِ إليه .

وجاءَ البريدُ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ بطَلَبِ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ إلى هناك ، فسَيَّرَ أهلَه قبلَه على الجمالِ ، وخرَجُوا يومَ الجُمعَةِ حادِى عشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ جماعةٌ مِن أهلِ بَيْتِهم لزيارةِ أهلِيهم هناك ، فأقامَ هو بعدَهم حتى قدِم نائبُ السلْطَنةِ مِن الرَّحْبَةِ[3] ورَكِب على البريدِ .

وفى يومِ الاثنينِ خامِسَ عَشَرَ جُمادَى الآخرةِ رَجَع قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ السُّبْكِىُّ مِن الديارِ المصريةِ على البريدِ وتلَقَّاه الناسُ إلى أثْناءِ الطريقِ ، واحْتَفلُوا[4] للسَّلامِ عليه وتَهْنِئَتِه بالسَّلامةِ .

قَتْلُ الرَّافِضِىِّ الخَبِيثِ

وفى يومِ الخميسِ ثامن[5] عشَرِه أوَّلَ النَّهارِ وُجِد رجلٌ بالجامعِ الأُمَوِىِّ اسْمُه **محمودُ بنُ إبْراهيمَ الشِّيرازِىُّ**[6] وهو يسُبُّ الشيْخَيْنِ ويُصَرِّحُ بلَعْنَتِهما ، فرُفِع إلى القاضى المالِكِىِّ قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ المَسَلَّاتِىِّ ، فاسْتَتابَه عن ذلك ، وأحْضَرَ الضَرَّابَ ، فأوَّلَ ضَرْبَةٍ قال : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ علىٌّ وَلِىُّ اللَّهِ ! ولمَّا

---

(١) بعده فى الأصل : « فيها » .
(٢) البخارى (٧٥٦) ، ومسلم (٣٩٤) .
(٣) فى الأصل : « السرحة » .
(٤) فى الأصل : « اختلفوا » .
(٥) فى م : « سابع » .
(٦) الدرر الكامنة ٥/ ٨٩.

ضُرِب الثانيةَ لَعَن أبا بكرٍ وعمرَ، فالْتَهَمه العامَّةُ فأوْسَعُوه ضربًا مُبَرِّحًا بحيثُ كادَ يهْلِكُ، فجَعَل القاضى يستَكِفُّهم عنه فلم يسْتَطِعْ ذلك، فجَعَل الرافِضِىُّ يسُبُّ ويلْعَنُ الصحابةَ، وقال: كانُوا على الضَّلالةِ. (١فعندَ ذلك حُمِل إلى نائبِ السلْطَنةِ، وشَهِد عليه قوْلُه بأنَّهم كانوا على الضَّلالَةِ١)، فعندَ ذلك حَكَم عليه القاضى بإراقَةِ دمِه، فأُخِذ إلى ظاهرِ البلدِ فضُرِبتْ عنُقُه، وأحْرَقَتْه العامَّةُ، قبَّحه اللَّهُ؛ وكان ممَّنْ يقرأُ بمدْرسَةِ أبى عمرَ، ثم ظَهَر عليه الرَّفْضُ فسجَنَه الحنبلىُّ أرْبَعِينَ يومًا، فلم ينفعْ ذلك، وما زالَ يُصَرِّحُ فى كلِّ مَوْطِنٍ يأمُرُ فيه بالسَّبِّ حتى كان يومُه هذا أظْهَر مذْهَبَه فى الجامعِ وكان سبَبَ قتْلِه، قبَّحه اللَّهُ كما قبَّحَ مَن كانَ قبلَه وقُتل كقَتْلِه[٢] فى سنَةِ خمسٍ وخَمْسِينَ.

اسْتِنابَةُ وَلىِّ الدينِ بنِ أبى البَقاءِ السُّبْكِىِّ[٣]

وفى آخرِ هذا اليومِ - أعْنى يومَ الخميسِ ثامن عشَرِه - حَكَم أقْضَى القُضاةِ وَلِىُّ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ بهاءِ الدينِ[٤] أبى البقاءِ بالمدْرَسَةِ العادليَّةِ الكبيرةِ نيابةً عن قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ مع اسْتِنابَةِ أقْضَى القُضَاةِ شمسِ الدينِ العِزِّىِّ[٥]،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى م: «بقتله».

(٣) الذيل على العبر ١/ ١٧٧، والسلوك ٣/١/ ٩٨.

(٤) بعده فى م: «ابن».

(٥) فى الذيل على العبر ١/ ١٧٨: «الغزى».

وأقْضَى القُضاةِ بدرِ الدينِ بنِ وهَيبةَ ، وأمَّا قاضى القُضاةِ بدرُ الدينِ ابنُ أبى الفَتْحِ فهو نائبٌ أيضًا ، ولكِنَّه بتَوْقيعٍ شريفٍ أنَّه يحكُمُ مُسْتَقِلًّا مع قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ .

وفى يومِ الاثنينِ الثانى والعِشْرينَ منه اسْتَحضرَ نائبُ السلْطَنةِ الأميرَ ناصِرَ الدينِ ابنَ العاوىِّ مُتَوَلِّىَ البلدِ ونَقَمَ عليه أشْياءَ وأمَر بضَرْبِه ، فضُرِب بينَ يدَيْه على أكْتافِه ضربًا ليسَ بمُبَرِّحٍ ، ثم عزَله واسْتَدْعَى بالأميرِ علَمِ الدينِ سليمانَ أحدِ الأمراءِ العشراواتِ ابنِ الأميرِ صَفِىِّ الدينِ بنِ أبى القاسمِ البُصْراوِىِّ أحدِ أمراءِ الطَّبْلخاناه ، كان قد وَلِىَ شدَّ الدواوينِ ونظرَ القُدْسِ والخَلِيلِ وغيرَ ذلك مِن الوِلاياتِ الكِبارِ ، وهو ابنُ الشيخِ فخرِ الدينِ عُثْمانَ بنِ الشيخِ صَفِىِّ الدينِ أبى القاسمِ التَّمِيمِىِّ الحنَفِىِّ وبأَيْدِيهم تدْريسُ الأمِينِيَّةِ التى بمِصْرَى والحكيمِيَّةِ أزْيَدَ مِن مائةِ سنَةٍ ، فوَلَّاه البلدَ على تَكَرُّهٍ منه ، فألْزمَه بها وخَلَع عليه ، وقد كان وَلِيها قبلَ ذلك فأحسْنَ السِّيرةَ وشُكِر سعْيُه لديانَتِه وأمانتِه وعفَّتِه ، وفَرِح الناسُ به ، وللَّهِ الحمدُ .

وِلايَةُ قاضِى القُضاةِ بَهاءِ الدينِ أبى البقاءِ السُّبْكِىِّ قَضاءَ مصرَ بعدَ عَزْلِ عِزِّ الدينِ بنِ جماعةَ نفسَه

وَرَد الخبرُ مع البريدِ من الديارِ المصريةِ بأَنَّ قَاضىَ القُضاةِ عزَّ [٤/ ٢٣٨] الدينِ عبدَ العزيزِ بنَ قاضى القُضاةِ بدرِ الدينِ بنِ جَماعةَ - عَزَل نَفْسَه عن القَضاءِ يومَ الاثنينِ السادِسَ عشَرَ مِن هذا الشهرِ ، وصَمَّم على ذلك ، فبَعَث الأميرُ الكبيرُ يَلْبُغَا إليه الأُمَراءَ يسْتَرْضُونَه فلم يقْبَلْ ، فرَكِب إليه بنَفْسِه ومعه القُضاةُ والأعْيانُ

فتلَطَّفُوا به فلم يَقْبَلْ وصَمَّم على الانْعِزالِ ، فقال له الأميرُ الكبيرُ : فعَيِّنْ لنا مَن يَصْلُحُ بعدَك . قالَ : ولا أقولُ لكم شيئًا غيرَ أنَّه لا يتوَلَّى رجلٌ واحدٌ ، ثم وَلُّوا مَن شِئْتُمْ - فأخْبَرَنى قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ السُّبْكِىُّ أنَّه قال : لا تُوَلُّوا ابنَ عقيلٍ - فعَيَّنَ الأميرُ الكبيرُ قاضىَ القُضاةِ بهاءَ الدينِ أبَا البقاءِ ، فقيلَ : إنَّه أظْهرَ الامْتِناعَ ، ثم قَبِل ولَبِسَ الخِلْعَةَ . وباشرَ يومَ الاثنينِ الثالث والعشرينَ مِن جُمادَى الآخرةِ ، [1]وتولَّى[1] قاضى القُضاةِ الشيخُ بهاءُ الدينِ بنُ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ قَضاءَ العساكرِ الذى كان بيدِ أبى البقاءِ .

وفى يومِ الاثنينِ سابع رجبٍ تُوفِّى الشيخُ **علىٌّ المراوحىُّ البغدادىُّ**[2] خادمُ الشيخِ أسَدِ المراوحىِّ البَغْدادِىِّ ، وكان فيه مُروءَةٌ كبيرةٌ ، ويأمُرُ بالمعْروفِ ويَنْهى عنِ المُنْكَرِ ويدْخُلُ على النُّوَّابِ ، ويُرْسِلُ إلى الوُلاةِ فتُقْبَلُ رِسالتُه ، وله قَبولٌ عندَ الناسِ وفيه بِرٌّ وصَدقةٌ وإحْسانٌ إلى المَحاوِيجِ ، وبيدِه مالٌ جيِّدٌ يُتَّجَرُ له فيه ، تَعلَّلَ مدةً طويلةً ثم كانتْ وَفاتُه فى هذا اليومِ ، فصُلِّى عليه الظهرُ بالجامعِ ثم حُمِل إلى سَفْحِ قاسِيُونَ ، رَحِمه اللَّهُ .

وفى صَبِيحَةِ يومِ الثُّلاثاءِ السابع[3] والعشرينَ من شعبانَ قَدِم الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر الذى كان نائبَ الشامِ فَنَزَل بدارِه عندَ مِئْذَنةِ فَيْروز ، وذَهَب الناسُ للسلامِ عليه بعدما سَلَّم على نائبِ السلْطَنةِ بدارِ السعادةِ ، وقد رُسِم له بطَبْلَخانَتَيْنِ وتَقْدِمَةِ ألفٍ [4]وولايةِ الولاةِ مِن غَزَّةَ إلى أقْصَى بلادِ الشامِ[4] ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) فى الأصل : « الثالث » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

وأكْرمَه ملكُ الأُمرَاءِ إكْرامًا زائدًا ، وفَرِحَتِ العامةُ بذلك فرحًا شديدًا بعَوْدِه إلى الوِلايةِ .

وخُتِمَتِ البُخارِيَّاتُ بالجامعِ الأُمَوِىِّ وغيرِه فى عدةِ أماكنَ ؛ من ذلك سِتَّةُ مَواعيدَ تُقْرَأُ على الشيخِ عِمادِ الدينِ بنِ كثيرٍ فى اليومِ ، أوَّلُها بمسْجدِ ابنِ هشِامٍ[1] بُكرةً قبلَ طُلوعِ الشمسِ ، ثم تحتَ النَّسْرِ ، ثم بالمدْرسةِ النُّوريَّةِ ، وبعدَ الظهرِ بجامعِ تَنْكِز ، ثم بالمدْرسةِ العِزِّيَّةِ ، ثم بالكُوشكِ لأُمِّ الزَّوْجَةِ السِّتِّ أسْماءَ بِنْتِ الوزيرِ ابنِ السَّلْعُوسِ إلى أذانِ العصرِ ، ثم مِن بعدِ العصرِ بدارِ ملكِ الأُمَراءِ أمير على بمحلَّةِ القَصَّاعِينَ إلى قريبِ الغروبِ ، ويُقْرَأُ « صَحِيحُ مُسْلِمٍ » بمِحْرابِ الحنابلةِ داخلَ بابِ الزيارةِ بعدَ قُبَّةِ النَّسْرِ وقبلَ النُّورِيَّةِ ، واللَّهُ المسْئولُ وهو المُعِينُ المُيَسِّرُ المُسَهِّلُ . وقد قُرِئَ فى هذه السنةِ فى عدةِ أماكنَ أُخَرَ من دُورِ الأمَراءِ وغيرِهم ، ولم يُعْهَدْ مثلُ هذا فى السنينِ الماضيةِ ، وللهِ الحمدُ والمنَّةُ .

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشر شوالٍ تُوفِّى **الشيخُ نورُ الدينِ علىُّ**[2] **بنُ الصّارمِ إبراهيمَ**[2] **بنِ أبى الهيجاءِ الكَرْكِىُّ الشوبَكِىُّ ثم الدمشقىُّ الشافِعىُّ** ، كان معنا فى المَقْرَأِ والكُتَّابِ ، وختَمْتُ أنا وهو فى سنةِ إحْدَى عشْرَةَ ، ونَشأَ فى صِيانَةٍ وعَفافٍ ، وقَرَأَ على الشيخِ بدرِ الدينِ بنِ سيحانَ للسَّبْعِ ولم يُكمِلْ عليه خَتْمَةً ، واشْتَغلَ فى « المِنْهاجِ » للنَّواوِىِّ ، فقَرَأَ كثيرًا منه أو أكْثرَه ، وكان ينْقُلُ منه ويَسْتَحْضِرُ ، وكان خفيفَ الرُّوحِ تحبُّه الناسُ لذلك ويرْغَبُونَ فى عِشْرَتِه لذلك

---

(١) مسجد ابن هشام : مسجد فى سوق الفسقار ، بناه القاضى بدر الدين بن مزهر من ماله ، وجاء فى غاية الحسن . الدارس ٢/ ٣٠٥.

(٢ - ٢) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : تاريخ ابن قاضى شهبة ٢/ ٢٦٤.

رَحِمه اللَّهُ، وكان يَسْتَحْضِرُ المُتَشابِهَ فى القرآنِ اسْتِحْضارًا حسنًا مُتْقَنًا، كثيرَ التِّلاوَةِ له، حسَنَ الصلاةِ، يقومُ الليلَ، وقرَأ علىَّ «صحيحَ البُخارِىِّ» بمَشْهَدِ ابنِ هشامٍ عدةَ سنينَ، ومهَر فيه، وكان صوْتُه جَهْوَرِيًّا فَصِيحَ العبارةِ، ثم وَلِى مشْيَخةَ الحلَبِيَّةِ بالجامعِ، وقرَأ فى عدَّةِ كراسٍ بالحائطِ الشمالىِّ، وكان مَقْبولًا عندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ، وكان يُداوِمُ على قيامِ العَشْرِ الأخيرِ فى مِحْرابِ الصحابةِ مع عِدَّةِ قُرَّاءٍ، يتناوبونَ[1] فيه ويُحْيُونَ الليلَ، ولمَّا كان فى هذه السنةِ أحْيَا ليلةَ العيدِ وحدَه بالمحْرابِ المذْكُورِ، ثم مَرِض خمسةَ أيامٍ، ثم ماتَ بعدَ الظهرِ يومَ الثلاثاءِ عاشر شوالٍ بدَرْبِ العَمِيدِ[2]، وصُلِّى عليه العصرُ بالجامعِ الأُمَوِىِّ، ودُفِن بمقابرِ [٤/٢٣٩] البابِ الصغيرِ عندَ والدِه[3] فى تُرْبَةٍ لهم، وكانتْ جِنازتُه حافلةً، وتأسَّفَ الناسُ عليه، رَحِمه اللَّهُ وبلَّ بالرحمةِ ثرَاه، وقد قارَب خَمْسًا وسِتِّينَ سنَةً، وتَرَك بنْتًا سُبَاعِيَّةً اسْمُها عائِشَةُ، وقد أقْرأَها شيئًا مِن القرآنِ إلى «تبارَكَ»، وحَفَّظَها «الأرْبَعِينَ النَّواوِيَّةَ» جبَرَها ربُّها ورَحِمَ أباها، آمِين.

وخرَج المَحْمَلُ الشامِىُّ[4] والحَجِيجُ يومَ الخميسِ ثانى عَشَرِه، وأميرُهم الأميرُ علاءُ الدينِ [5]علىُّ بنُ علَمِ الدينِ الهِلَالىِّ[5]، أحَدُ أُمراءِ الطَّبْلخاناه.

وتُوفِّى الشيخُ **عبدُ اللَّهِ الملطىُّ**[6] يومَ السبتِ رابعَ عَشَرِه، وكان مَشْهورًا

---

(١) فى م: «يبيتون».
(٢) فى الأصل: «العبيد».
(٣) فى الأصل: «والدته».
(٤) فى الأصل: «السلطانى».
(٥ - ٥) سقط من: الأصل.
(٦) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

بالمُجاوَرَةِ بالكَلَّاسَةِ فى الجامعِ الأُمَوِىِّ، له أشْياءُ كثيرةٌ من الطَّرارِيحِ والآلاتِ الفقيريَّةِ[1]، ويلْبَسُ على طريقَةِ الحريرِيَّةِ[2] وشكْلُه مُزْعِجٌ، ومِنَ الناسِ مَنْ كان يعْتقِدُ فيه الصَّلاحَ، وكنتُ ممَّنْ يكْرَهُه طبْعًا وشرْعًا أيضًا.

وفى يومِ الخميسِ الخامس والعِشْرِينَ مِن ذى القَعْدَةِ قَدِم البريدُ مِن ناحيةِ المَشْرقِ ومعهم قَماقِمُ ماءٍ مِن عينٍ هناك مِن خاصيَّتِه[3] أنه يَتْبَعُه طيرٌ يُسمَّى السَّمَرْمَرُ[4] أصفرُ الريشِ قريبٌ من شكلِ الخُطّافِ من شأْنِه إذا قَدِم الجَرَادُ إلى البلدِ الذى هو فيه أنَّه يُفْنِيه ويأكُلُه أكلًا سريعًا، فلا يلْبَثُ الجَرَادُ إلَّا قليلًا حتى يرْحَلَ أو يُؤْكَلَ على ما ذُكِر، ولم أُشاهِدْ ذلك.

وفى المُنْتَصفِ مِن ذى الحِجَّةِ كمَلَ بِناءُ القَيْسارِيَّةِ التى كانتْ معْملًا بالقُرْبِ مِن دارِ الحِجارَةِ قِبْلِىَّ سُوقِ الدَّهشةِ الذى للرِّجالِ، وفُتِحت وأُكْرِيت دَهشةٌ لقُماشِ النِّساءِ، وذلك كلُّه بمَرْسُومِ ملكِ الأُمَراءِ ناظرِ الجامعِ المَعْمُورِ، رحِمه اللَّهُ، وأخْبرنى الصَّدْرُ عِزُّ الدينِ السيرجىُّ[5] المُشارفُ بالجامعِ أنَّه غُرِم عليها مِن مالِ الجامعِ قريبُ ثَلاثينَ ألفَ دِرْهمٍ[6].

---

(١) فى م: «الفقرية».
(٢) الحريرية: نسبة إلى على الحريرى أبو محمد بن أبى الحسن على بن مسعود الدمشقى الفقير. انظر الدارس ٢/ ١٩٧، ١٩٨.
(٣) فى الأصل: «خاصيتهم».
(٤) فى الأصل: «السمزمر». وانظر: السلوك ٣/١/ ١٠١، وبدائع الزهور ١/٢/ ١٩. وانظر: الوسيط (سمرمر).
(٥) فى م: «الصيرفى».
(٦) سقط من: الأصل.

طَرْحُ مَكْسِ القُطْنِ المَغْزُولِ البَلَدِىّ والمَجْلُوبِ

وفى أواخرِ هذا الشهرِ جاء المرسومُ الشَّريفُ بطَرْحِ مَكْسِ القُطْنِ المَغْزولِ البلدِىِّ والجَلَبِ أيضًا ، ونُودِى بذلك فى البلدِ ، فكَثُرَتِ الدَّعواتُ لمَنْ أمَر بذلك ، وفَرِح المسلمونَ بذلك فرحًا شديدًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة[1]

اسْتَهلَّتْ وسُلْطانُ البلادِ المِصْريَّةِ والشامِيَّةِ والحرَمَيْنِ الشَّريفَيْنِ وما يتْبَعُ ذلك مِن الأقاليمِ الملكُ الأَشْرَفُ بنُ الحُسينِ بنِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوُون ، وعُمْرُه عشْرُ سِنينَ فما فوْقَها ، وأتابَكُ العساكرِ ومُدَبِّرُ مَمالكِه الأميرُ سيفُ الدينِ يَلْبُغا الخاصِّكيُّ ، وقاضى قُضاةِ الشافعِيَّةِ بمصرَ بهاءُ الدينِ أبو البَقاءِ السُّبْكِيُّ ، وبَقِيَّةُ القُضاةِ هم المذْكُورونَ فى السنَةِ التى قبلَها ، ونائبُ دِمَشْقَ الأميرُ سيفُ الدينِ مَنْكَلِى بُغا ، وقُضاةُ دِمَشْقَ هم المذكورونَ فى التى قبلَها سِوى الحنَفيِّ ؛ فإنَّه الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ السَّرَّاجِ شيخُ الحنَفِيةِ ، والخَطابةُ بيدِ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ الشافعِيِّ ، وكاتبُ السِّرِّ وشيخُ الشيوخِ القاضى فَتْحُ الدينِ بنُ الشَّهيدِ ، ووكيلُ بيتِ المالِ الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ الرَّهاوِيِّ[2] . ودخَل المحْمَلُ السلْطانيُّ يومَ الجُمعةِ بعدَ العصرِ قريبَ الغروبِ ، ولم يشْعُرْ بذلك أكثرُ أهلِ البلدِ ، وذلك لغَيْبَةِ النائبِ فى الرحبةِ[3] ممَّا يلى ناحيةَ الفُراتِ ؛ ليَكُونَ كالرَّدِّ للتَّجْريدَةِ التى تعَيَّنَتْ لتَخْريبِ الكنيْساتِ[4] التى هى إقْطاعُ حَيَّارِ بنِ مُهَنَّا مِن أرضِ[5] السلْطانِ أُوَيسٍ ملكِ العراقِ .

---

(١) الذيل على العبر ١/ ١٩١، والسلوك ٣/١/ ١٠٤، والنجوم الزاهرة ١١/ ٨٩، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢١٢، وبدائع الزهور ١/٢/ ٢١.

(٢) فى م : « الرماوى » .

(٣) فى النسختين : « السرحة » . وتقدم فى صفحة ٧٠٣.

(٤) فى م : « الكبيسات » .

(٥) فى م : « زمن » .

اسْتِيلاءُ الفِرَنْجِ لعَنهم اللّهُ على الإسْكَنْدَرِيَّةِ

وفى العَشْرِ الأخيرِ مِن شهرِ اللّهِ المُحَرَّمِ احْتِيطَ على الفِرَنْجِ بمدينةِ [٤/ ٢٤٠] دِمَشْقَ، وأودِعُوا فى الحبوسِ فى القلعةِ المَنْصُورَةِ، واشْتُهِرَ أنَّ سببَ ذلك أنَّ مدينةَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ مُحاصرَةٌ (١بعِدَّةِ شَوَانٍ١)، وذُكِرَ أنَّ صاحِبَ قُبْرُسَ معهم، وأنَّ الجيشَ المِصْرِىَّ صمَدُوا إلى حراسةِ مدينةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ، حرَسها اللّهُ تعالى وصانَها وحَماها، وسيَأْتى تفْصيلُ أمرِها فى الشهرِ الآتى فإنَّه وضَح لنا فيه، ومكَث القومُ[٢] بعدَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ بأيامٍ فيما بلَغنا، بعدَ ذلك حاصَرَها أميرٌ مِن التَّتارِ يقالُ له: ماميه. واسْتَعانَ بطائفةٍ مِن الفِرَنْجِ ففتَحُوها قَسْرًا، وقتَلوا مِن أهْلِها خلْقًا، وغَنِمُوا شيئًا كثيرًا، واستَقرَّتْ عليها يدُ ماميه مَلِكًا عليها.

وفى يومِ الجُمُعةِ سَلْخ هذا الشهرِ تُوفِّى الشيخُ **بُرْهانُ الدينِ إبْراهيمُ بنُ الشيخِ شمسِ الدينِ بنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ**[٣] بِبُسْتانِه بالمِزَّةِ، ونُقِل إلى عندِ والدِه بمقابرِ بابِ الصغيرِ، فصُلِّى عليه بعدَ صلاةِ العصرِ بجامعِ جراحٍ، وحضَر جِنازتَه القُضاةُ والأعْيانُ وخلقٌ مِن التُّجارِ والعامَّةِ، وكانت جِنازتُه حافلةً، وقد بلَغ مِن العُمرِ ثمانٍ وأرْبَعِينَ سنةً، وكان بارعًا فاضلًا فى النحوِ والفِقْهِ وفُنونٍ أُخَرَ على

(١ - ١) فى الأصل: «بعد شواى»، وفى م: «بعدة شواين». والشوان جمع شينى وشينية: أكبر نوع من السفن الحربية عرفته مصر فى العصر المماليكى، وكان يجدف بمائة وأربعين مجدافًا، وتركب فيه المقاتلة والجدافون. كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مراجع العصر المماليكى ص ٤٣٠.

(٢) فى الأصل: «القرم».

(٣) الذيل على العبر ١/ ١٩٥، والدرر الكامنة ١/ ٦٠، والدارس ٢/ ٨٩، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٨.

طريقةِ والدِه، رحِمَهما اللَّهُ تعالَى، وكان مُدرِّسًا بالصَّدْرِيَّةِ والتَّدْمُرِيَّةِ، وله تصْديرٌ بالجامعِ، وخطابةٌ بجامعِ ابنِ خليخان، وترَك مالًا جزيلًا يقاربُ المائةَ ألفِ درهمٍ.

ثم دخَل شهرُ صَفَرٍ وأوَّلُه الجُمُعةُ، أخْبَرنى بعضُ عُلَماءِ السِّيرِ أنَّه اجْتَمعَ فى هذا اليومِ؛ مُسْتَهَلِّ هذا الشهرِ، الكَواكِبُ السَّبْعَةُ سِوَى المرِّيخِ فى بُرْجِ العَقْرَبِ، ولم يتَّفِقْ مثلُ هذا مِن سنِينَ مُتَطاوِلةٍ، فأمَّا المرِّيخُ فإنَّه كان قد سبَق إلى بُرْجِ القَوْسِ.

فيه وردَتِ الأخْبارُ بما وقعَ مِن الأمْرِ الفَظيعِ بمدينةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ من الفِرَنْجِ، لعنَهم اللَّهُ؛ وذلك أنَّهم وصلُوا إليها فى يومِ الأرْبعاءِ الثانِى والعِشْرِينَ مِن شهرِ اللَّهِ المُحَرَّمِ فلم يجِدُوا بها نائبًا ولا جَيْشًا ولا حافِظًا للبَحْرِ ولا ناصِرًا، فدَخلُوها يومَ الجُمُعةِ بُكْرَةَ النَّهارِ بعدَ ما حرَقُوا أبْوابًا كثيرةً منها وعاثُوا فى أهْلِها فَسادًا، يقْتُلونَ الرجالَ ويأْخُذُونَ الأمْوالَ ويأْسِرُونَ النساءَ والأطْفالَ، فالحكمُ للَّهِ العلىِّ الكبيرِ المُتَعالِ! وأقامُوا بها يومَ الجُمعةِ والسبتِ والأحدِ والاثنينِ والثلاثاءِ، فلمَّا كان صَبِيحَةُ يومِ الأرْبِعاءِ قدِمَ الشاليشُ المِصْرِىُّ فأقْلَعَتِ الفِرَنْجُ، لعَنَهم اللَّهُ، عنها وقد أسَرُوا خلْقًا كثيرًا يقارِبون الأرْبعةَ آلافٍ، وأخَذُوا مِن الأمْوالِ ذهبًا وحريرًا وبُهارًا[1] وغيرَ ذلك ما لَا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، وقَدِمَ السلْطانُ والأميرُ الكبيرُ يَلْبُغا ظهرَ يَوْمَئِذٍ، وقد تَفارَطَ الحالُ وتحوَّلَتِ الغنائمُ كلُّها إلى الشَّوانى بالبَحْرِ، فسُمِع للأُسارَى مِن العَويلِ والبُكاءِ والشَّكْوَى والجأْرِ إلى اللَّهِ والاسْتِغاثَةِ به وبالمسلمينَ ما قطَّعَ الأكْبادَ وذرَفَتْ له العُيونُ

---

(١) البهار: القطن المحلوج. تاج العروس (ب هـ ر).

وأصمَّ الأسْماعَ ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ! ولمَّا بلَغَتِ الأخْبارُ إلى أهلِ دِمَشْقَ شقَّ عليهم ذلك جدًّا ، وذكرَ ذلك الخطيبُ يومَ الجُمعةِ على المِنْبَرِ ، فتباكَى الناسُ كثيرًا ، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ ، وجاءَ المرسُومُ الشريفُ مِن الديارِ المِصْريَّةِ إلى نائبِ السلطَنةِ بمَسْكِ النَّصارَى مِن الشامِ جملةً واحدةً ، وأنْ يَأْخُذَ منهم رُبُعَ أمْوالِهم لعِمارَةِ ما خُرِّبَ مِن الإسْكَنْدَرِيَّةِ ولعمارَةِ مراكبَ تغْزُو الفِرَنْجَ ، فأهانُوا النصارَى وطُلِبُوا مِن بيُوتِهم بعُنْفٍ وخافُوا أن يُقْتَلُوا ، ولم يفْهَمُوا ما يُرادُ بهم ، فهرَبُوا كلَّ مَهْرَبٍ ، ولم تكُنْ هذه الحرَكَةُ شرْعِيَّةً ، ولا يجوزُ اعْتِمادُها شرعًا ، وقد طُلِبْتُ يومَ السبتِ السادِسَ عشَرَ مِن صفرٍ إلى المَيْدانِ الأخْضَرِ للاجْتماعِ بنائبِ السلْطَنةِ ، وكان اجْتِماعُنا بعدَ العصرِ يومَئذٍ بعدَ الفَراغِ مِن لَعِبِ الكرةِ ، فرأيْتُ منه أُنْسًا كثيرًا ، ورأيْتُه كامِلَ الرأيِ والفَهْمِ حسنَ العبارةِ كريمَ المُجالسَةِ ، فذَكرْتُ له أنَّ هذا لا يجوزُ اعْتِمادُه فى النصارَى ، فقالَ : إن [٤/٢٤١] بعْضَ فُقَهاءِ مِصْرَ أفْتَى للأميرِ الكبيرِ بذلك ، فقلتُ له : هذا ممَّا لا يسُوغُ شرعًا ، ولا يجوزُ لأحَدٍ أنْ يفْتِيَ بهذا ، ومتَى كانُوا باقِينَ على الذِّمَّةِ يُؤَدُّونَ إلينا الجِزْيَةَ مُلْتَزِمينَ بالذِّلَّةِ والصَّغارِ ، وأحْكامُ المِلَّةِ قائمةٌ - لا يجوزُ أن يُؤْخَذَ منهم الدِّرْهَمُ الواحدُ الفَرْدُ فوقَ ما يبْذُلونَه مِن الجِزْيَةِ ، ومِثْلُ هذا لا يخْفَى على الأميرِ . فقالَ : كيْفَ أصْنعُ وقد ورَدَ المرْسُومُ بذلك ، ولا يُمْكِنُنى أنْ أُخالِفَه ؟ وذكَرْتُ له أشْياءَ كثيرةً مما ينْبَغِى اعْتِمادُه فى حقِّ أهلِ قُبْرُسَ مِن الإرْهابِ ووَعِيدِ العِقابِ ، وأنَّه يجوزُ ذلك وإنْ لم يَفْعَلْ ما يتَوعَّدُهم به ، كما قالَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ ، عليهما السَّلامُ : « ائْتُونِى بالسِّكِّينِ أَشُقُّه نِصْفَيْنِ » . كما هو الحديثُ مبْسُوطٌ فى « الصَّحِيحَيْنِ »[1] ، فجعَل

---

(١) البخارى (٣٤٢٧) ، ومسلم (١٧٢٠) .

يُعْجِبُه هذا جدًّا ، وذكَر أنَّ هذا كانَ فى قلْبِه وأنِّى كاشَفْتُه بهذا وأنَّه كتَب به مُطالعَةً إلى الديارِ المِصْريَّةِ ، وسيَأْتى جَوابُها بعدَ عشَرَةِ أيامٍ ، فتَجِئُ حتى تَقِفَ على الجوابِ ، وظهرَ منه إحْسانٌ وقَبُولٌ وإكْرامٌ زائدٌ ، رحِمه اللَّهُ . ثم اجْتَمعْتُ به فى دارِ السَّعادَةِ فى أوائلِ شهرِ رَبيعِ الأوَّلِ فبَشَّرَنى أنَّه قد رسمَ بعَملِ الشَّوانِى والمَراكبِ لغَزْوِ الفِرَنْجِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ . ثم فى صَبيحَةِ يومِ الأحدِ طُلِبَ النصارَى الذين اجْتَمعوا فى كَنِيسَتِهم إلى بينِ يدَيْه ، وهم قريبٌ مِن أرْبَعِمائَةٍ فحلَّفَهم : كمْ أمْوالُهم ؟ وألْزمَهم بأداءِ الرُّبُعِ مِن أَمْوالِهم ، فإنَّا للَّهِ وإنا إليه راجعونَ ، وقد أَمرُوا إلى الوُلاةِ بإحْضارِ مَن فى مُعامَلَتِهم ، ووَالِى البَرِّ قد خرجَ إلى القرايَا بسبَبِ ذلك ، وجُرِّدَتْ أُمَراءُ إلى النَّواحِى لاستخْلاصِ الأمْوالِ مِن النَّصارَى فى القُدْسِ وغيرِ ذلك .

وفى أوَّلِ شهرِ رَبيعِ الأوَّلِ كان سفرُ قاضى القُضاةِ تاجِ[1] الدينِ السُّبْكِيِّ الشافعِيِّ إلى القاهرةِ . وفى يومِ الأرْبعاءِ خامس رَبيعِ الأوَّلِ اجْتَمَعْتُ بنائبِ السلْطَنةِ بدارِ السَّعادةِ ، وسأَلْتُه عن جَوابِ المُطالعَةِ ، فذكرَ لى أنَّه جاءَ المرْسُومُ الشريفُ السلْطانىُّ بعَمَلِ الشَّوانِى والمرَاكِبِ لغَزْوِ قُبْرُسَ وقِتالِ الفِرَنْجِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وأمَر نائبُ السلْطَنةِ بتَجْهيزِ القَطَّاعِينَ والنَّشَّارِينَ مِن دِمَشْقَ إلى الغابَةِ التى بالقربِ مِن بَيْرُوتَ ، وأن يُشْرَعَ فى عَملِ الشَّوانِى . وفى آخِرِ يومٍ مِن هذا الشهرِ - وهو يومُ الجُمعةِ - فُتحتْ دارُ القرآنِ التى وقَفَها الشريفُ التفْتازانىُّ[2] إلى جانبِ حمَّامِ الكاسِ[3] شَماليَّ المدْرسَةِ البادَرائِيَّةِ ، وعُملَ فيها

---

(١) فى م : « تقى » . وانظر السلوك ٣/١/١١٣ ، وبدائع الزهور ١/٢/٣٢ .

(٢) فى الأصل : « التفادانى » ، وفى م : « التعادانى » . والمثبت من تاريخ ابن قاضى شهبة .

(٣) فى م : « الكلس » . وانظر تاريخ ابن قاضى شهبة ٢/٧١٦ .

وظيفةُ حديثٍ، وحضِر عند[1] واقِفِها يَوْمِيَّةُ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ السُّبْكىِّ.

عقـدُ مجْلسٍ بسبَبِ قـاضى القُضاةِ تاجِ الدّينِ السُّبْكِـىّ

ولمَّا كان يومُ الاثنينِ الرابع والعِشْرِينَ مِن رَبيعِ الأوَّلِ عُقدَ مجلسٌ حافلٌ بدارِ السَّعادةِ بسبَبِ ما رُمِىَ به قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ الشافعِىُّ ابنُ قاضى القُضاةِ تقىِّ الدينِ السُّبْكِىِّ، وكنتُ ممَّنْ طُلِبَ إليه، فحضَرْتُه فى مَن حضَر، وقدِ اجْتَمعَ فيه القُضاةُ الثلاثةُ وخَلْقٌ مِن المذاهبِ الأرْبَعةِ وآخرونَ مِن غيرِهم بحضْرَةِ نائبِ الشامِ سيفِ الدينِ مَنْكَلِى بُغَا، وكان قد سافَر هو إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ إلى الأبْوابِ الشَّريفَةِ، واسْتَنْجزَ كِتابًا إلى نائبِ السلْطَنةِ لجمْعِ هذا المجْلسِ لِيَسْأَلَ عنه الناسَ، وكان قد كُتبَ فيه مَحْضَرانِ مُتَعاكِسانِ؛ أحدُهما له والآخرُ عليه، وفى الذى عليه خَطُّ القاضِيَيْنِ. المالِكِىِّ والحَنْبَلِىِّ وجماعَةٍ آخرِينَ، وفيه عَظائمُ وأشْياءُ مُنْكَرَةٌ جدًّا ينْبُو السمعُ عنِ اسْتِماعِه، وفى الآخَرِ خُطوطُ جَماعاتٍ مِن المذاهبِ بالثَّناءِ عليه، وفيه خَطِّى بأنِّى ما رأيْتُ عليه إلَّا خيْرًا. ولمَّا اجْتمعُوا أمرَ نائبُ السلْطَنةِ بأنْ يَمْتازَ هؤلاءِ عن هؤلاءِ فى المجالسِ، فصارَتْ كلُّ طائفةٍ وحدَها، وتَحاوَرُوا[2] فيما بيْنَهم، وناضَل[3] عنه نائبُه

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى م: «تحاذوا».

(٣) فى م: «تأصل».

القاضى شمسُ الدينِ الغَزِّىُّ ، والنائبُ الآخَرُ بَدْرُ الدينِ بنُ وهيبةَ[1] وغيرُهما ، وصرَّح قاضى القُضاةِ [٤/٢٤٢] جمالُ الدينِ الحَنْبَلِىُّ بأنَّه قد ثبَت عِنْدَه ما كتبَ به خطُّه فيه ، وأجابَه بعضُ الحاضِرينَ منهم بدائمِ النُّفوذِ ، فبادرَ القاضى الغَزِّىُّ فقال للحَنْبَلِىِّ : أنتَ قد ثَبَتَتْ عداوَتُكَ لقاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ . فكثُرَ القولُ وارْتَفعتِ الأصواتُ وكثُرَ الجِدالُ والمَقالُ ، وتكلَّمَ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ المالِكِىُّ أيضًا بنَحْوِ ما قالَ الحَنْبَلِىُّ ، فأُجيبَ بمثلِ ذلك أيضًا ، وطالَ المجْلسُ ، فانْفَصَلُوا على مثلِ ذلك ، ولمَّا بلَغْتُ البابَ أمَر نائبُ السلْطَنةِ برجُوعِى إليه ، فإذا بَقِيَّةُ الناسِ مِن الطَّرَفَيْنِ والقُضاةُ الثلاثةُ جُلُوسٌ ، فأشارَ[2] نائبُ السلْطَنةِ بالصُّلْحِ بَيْنَهم وبينَ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ - يعْنِى وأنْ يرْجِعَ القاضِيَانِ عمَّا قالَا - فأشارَ الشيخُ شرَفُ الدينِ ابنُ قاضى الجبَلِ وأشَرْتُ أنا أيضًا بذلك ، فَلَانَ المالِكىُّ وامْتَنعَ الحَنْبَلِىُّ ، فقُمْنا والأمرُ باقٍ على ما تقدَّمَ . ثم اجْتَمعْنا يومَ الجُمعةِ بعدَ العصرِ عِنْدَ نائبِ السلْطَنةِ عن طلَبِه ، فتَراضَوْا كيف يكونُ جَوابُ الكتاباتِ مع مُطالعةِ نائبِ السلْطَنةِ ، فَفُعِلَ ذلك وسارَ البريدُ بذلك إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ، ثم اجْتَمعْنا أيضًا يومَ الجُمعةِ بعدَ الصلاةِ التاسِعَ عشَرَ مِن رَبيعِ الآخرِ بدارِ السَّعادةِ ، وحضَر القُضاةُ الثلاثةُ وجماعةٌ آخرونَ ، واجْتَهدَ نائبُ السلْطَنةِ فى الصُّلْحِ بينَ القُضاةِ وقاضى الشافِعيَّةِ وهو بمِصْرَ ، فحصَل خُلْفٌ وكلامٌ طويلٌ ، ثم كان الأمرُ أن سكَنَتْ أنفُسُ جماعَةٍ منهم إلى ذلك ، على ما سنَذْكُرُه فى الشهرِ الآتى .

وفى مُسْتَهَلِّ رَبيعِ الآخرِ كانتْ وَفاةُ **المُعَلِّمِ داودَ**[3] الذى كان مُباشِرًا لنِظارَةِ

---

(١) فى م : « وهبة » .

(٢) فى الأصل : « فأمر » .

(٣) لم نجد ترجمته فيما بين أيدينا من المصادر .

الجيشِ ، وأُضِيفَ إليه نظَرُ الدَّواوينِ إلى آخِرِ وَقْتٍ ، فاجْتَمعَ له هاتانِ الوَظيفَتانِ ، ولم يجْتَمِعا لأحدٍ قبلَه كما فى عِلْمِى ، وكان مِن أخْبَرِ الناسِ بنظَرِ الجيشِ وأعْلَمِهم بأسْماءِ رجالِه ومَواضِعِ الإقْطاعاتِ ، وقد كان والدُه نائبًا لنُظَّارِ الجُيوشِ ، وكان يهودِيًّا قَرَّائِيًّا[1] فأسْلَمَ ولَدُه هذا قبْلَ وفاةِ نفْسِه بسنَواتٍ عَشْرٍ أو نحوِها ، وقد كان ظاهِرُه جيِّدًا واللَّهُ أعلمُ بسِرِّه وسَرِيرَتِه ، وقد تمرَّضَ قبلَ وفاتِه بشهرٍ أو نحوِه ، حتى كانت وَفاتُه فى هذا اليومِ ، فصُلِّى عليه بالجامعِ الأُمَوِىِّ تُجاهَ النَّسْرِ بعدَ العصرِ ، ثم حُملَ إلى تُرْبَةٍ له أعدَّها فى بُسْتانِه بجَوْبَرَ[2] ، وله مِن العمرِ قريبُ الخمسينَ .

وفى أوائلِ هذا الشهرِ ورَد المرْسُومُ الشريفُ السلْطانِىُّ بالرَّدِّ على نِساءِ النصارَى ما كان أُخِذَ منهنَّ مع الجِبايَةِ التى كان تقدَّم أخْذُها منهنَّ ، وإنْ كان الجميعُ ظُلْمًا ، ولكنِ الأَخْذُ مِن النساءِ أفْحَشُ وأبْلَغُ فى الظُّلمِ ، واللَّهُ أعلمُ . وفى يومِ الاثنينِ الخامِسَ عشَرَ منه أمَر نائبُ السلْطَنةِ ، أعَــزَّهُ اللَّهُ تعالى ، بكَبْسِ بَساتينِ أهلِ الذِّمَّةِ ، فوجِدَ فيها مِن الخَمْرِ المُعْتَصَرِ فى الخَوابِى[3] والحِبَابِ[4] ، فأرِيقَتْ عن آخِرِها ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، بحيثُ جرَتْ فى الأَزِقَّةِ والطُرقاتِ ، وفاضَ نهرُ ثَوْرا مِن ذلك ، وأمَر بمُصادرةِ أهلِ الذِّمَّةِ الذينَ وُجدَ عندَهم ذلك بمالٍ جَزيلٍ وهم تحتَ الجِبايةِ ، وبعدَ أيامٍ نُودِىَ فى البلدِ بأنَّ نِساءَ

---

(١) فى الأصل : « قرانيا » .

(٢) فى النسختين : « بحوش » . وجوبر : قرية بظاهر دمشق . انظر تاج العروس (ج ب ر) وحاشيته .

(٣) فى الأصل : « الخوانى » .

(٤) الحباب : جمع حُب : وهى الجرة الضخمة . القاموس (ح ب ب) .

أهلِ الذِّمَّةِ لا تدْخُلُ الحمَّاماتِ مع المسلماتِ ، بل تدْخُلُ حمَّاماتٍ تخْتَصُّ بهِنَّ ، ومَن دخَل مِن أهْلِ الذِّمَّةِ الرجالِ مع الرجالِ المسلمينَ يكونُ فى رِقابِ الكفارِ عَلاماتٌ يُعْرَفُونَ بها مِن أجْراسٍ وخَواتِيمَ ونحْوِ ذلك ، وأمَرَ نِساءَ أهلِ الذِّمَّةِ بأن تلْبَسَ المرأةُ خُفَّيْها مُخالَفَيْنِ فى اللَّوْنِ بأنْ يكُونَ أحدُهما أبْيَضَ والآخَرُ أصْفَرَ ، أو نحْوَ ذلك .

ولمَّا كان يومُ الجُمعةِ التاسعَ عشَرَ من الشهرِ ، أعْنِى رَبِيعًا الآخرَ ، طُلِبَ القُضاةُ الثلاثةُ وجماعةٌ مِن المُفْتِينَ ؛ فمِنْ ناحيةِ الشافِعىِّ نائِبَاه ، وهما القاضى شمسُ الدينِ الغَزِّىُّ والقاضى بدرُ الدينِ بنُ وهيبةَ ، والشيخُ جمالُ الدينِ بنُ قاضى الزَّبَدَانىِّ ، والمصَنِّفُ الشيخُ عِمادُ الدينِ بنُ كثيرٍ ، والشيخُ بدْر الدينِ حسَنٌ الزُّرَعِىُّ ، والشيخُ تَقىُّ الدينِ الفَارِقىُّ . ومِن الجانبِ الآخَرِ قاضِيَا [٤/ ٢٤٣] القُضاةِ جمالُ الدينِ المالِكِىُّ والحَنْبَلِىُّ ، والشيخُ شرَفُ الدينِ بنُ قاضى الجَبَلِ الحَنْبَلِىُّ ، والشيخُ جمالُ الدينِ بنُ الشَّريشِىِّ ، والشيخُ عِزُّ الدينِ بنُ حَمْزَةَ بنِ شيخِ السَّلامِيَّةِ الحَنْبَلِىُّ ، وعِمادُ الدينِ الأَخْنائىُّ[1] ، فاجْتَمعْتُ مع نائبِ السلْطَنةِ بالقاعةِ التى فى صَدْرِ إيوانِ دارِ السعادةِ ، وجلَس نائبُ السلْطَنةِ فى صَدْرِ المكانِ وجلَسْنا حولَه ، فكانَ أوَّلَ ما قال : كنَّا نحنُ - التركَ - وغيرُنا إذا اخْتَلَفْنا واخْتَصَمْنا نَجِىءُ إلى العُلَماءِ فيُصْلِحُونَ بَيْنَنا ، فصِرْنا نحنُ إذا اخْتَلَفَتِ العُلَماءُ واخْتَصمُوا ، فمَنْ يُصْلِحُ بيْنَهم ؟! وشرَع فى تأْنيبِ مَن شنَّعَ على الشافِعىِّ بما تقدَّم ذكْرُه مِن تلك الأقوالِ والأَفاعيلِ التى كُتبتْ فى تلك الأَوْراقِ وغيرِها ، وأنَّ هذا يشْفِى الأَعْداءَ بنا ، وأشارَ بالصُّلْحِ بينَ القُضاةِ بعْضِهم مِن بعضٍ ، فصَمَّمَ بعْضُهم

---

(١) فى الأصل : « الجيانى » ، وفى م : « الحنائى » . والمثبت من الدارس ١/ ٣٢٨ .

وامْتَنعَ من ذلك ، وجرَتْ مُناقشاتٌ مِن بعضِ الحاضِرينَ فيما بَيْنهم ، ثم حصَل بَحْثٌ فى مَسائلَ ، ثم قالَ نائبُ السلْطَنةِ أخِيرًا : أمَا سَمِعْتُم قولَ اللَّهِ تعالَى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ [المائدة : ٩٥] . فلَانَتِ القُلوبُ عندَ ذلك ، وأمَر كاتِبَ السِّرِّ أنْ يكْتُبَ مَضْمونَ ذلك فى مُطالعةٍ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ ، ثم خرَجْنا على ذلك .

عَوْدُ قاضى القُضاةِ تاجِ الدينِ السُّبْكِىِّ إلى دِمَشْقَ

فى يومِ الأرْبِعاءِ التاسع والعِشْرِينَ مِن جُمادَى الأُولَى قَدِمَ مِن ناحيةِ الكُسوةِ وقد تلَقَّاه جَماعةٌ مِن الأعْيَانِ إلى الصَّنمَينِ ومَا فَوْقَها ، فَلَمَّا وصَلَ إلى الكُسوةِ كَثُرَ الناسُ جدًّا وقارَبَها قاضى قُضاةِ الحَنَفِيَّةِ الشيخُ جمالُ الدينِ بنُ السَّرّاجِ ، فلمَّا أشْرَفَ مِن عقَبةِ سجورا[1] تلَقَّاه خلائِقُ لا يُحْصَوْنَ كثرةً وأُشْعِلَتِ الشُّموعُ حتى مع النِّساءِ ، والناسُ فى سُرورٍ عظيمٍ ، فلمَّا كان قريبًا مِن الجُسُورَةِ تلَقَّته [2]السنَاجقُ الخَلِيفتيَّةُ[2] مع الجوامعِ ، والمُؤَذِّنُون يُكَبِّرُونَ ، والناسُ فى سرورٍ كثِيرٍ ، ولمَّا قاربَ بابَ النصْرِ وقَع مَطَرٌ عظيمٌ والناسُ معه لا تسَعُهم الطُّرقاتُ ، يدْعُونَ له ويفْرَحُونَ بقدُومِه ، فدخَل دارَ السَّعادةِ وسلَّم على نائبِ السلْطَنةِ ، ثم دخَلَ الجامِعَ بعدَ العصرِ وَمَعَهُ شُموعٌ عَظِيمَةٌ ، والرُّؤَساءُ أكثرُ مِن العامَّةِ . ولمَّا كان يومُ الجُمعةِ ثَانى شهرِ جُمادَى الآخرةِ ركبَ قاضِى القُضاةِ السُّبْكِىُّ إلى دارِ السَّعادةِ وقدِ اسْتَدعَى نائبُ السلْطَنةِ بالقاضِيَيْنِ ؛ المالِكِىِّ والحَنْبلِىِّ ، فأصْلَحَ بَيْنَهم ، وخَرَجُوا مِن عندِه ثلاثَتُهم يتَماشَوْنَ إلى الجامعِ ، فدَخلُوا دارَ الخطابةِ فاجْتَمعُوا هناك ، وضَيَّفَهُما الشافِعِىُّ ،

---

(١) فى النسختين : « شحورا » . وقد تقدم ص ٦٤٤ .

(٢ - ٢) فى م : « الخلائق الخليفيين » .

ثم حضَرَا خُطْبَتَهُ الحافلةَ البليغةَ الفصيحةَ ، ثم خرَجُوا ثلاثَتُهم مِن جَوًّا إلى دارِ المالِكِيِّ ، فاجْتَمَعُوا هُنالك وضيَّفَهُمُ المالِكيُّ هُنالكَ ما تَيَسَّرَ ، واللَّهُ الموفقُ للصوابِ .

وفى أوائلِ هذا الشهرِ وردَتِ المراسيمُ الشريفةُ السلْطَانِيةُ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ بأن يُجْعَلَ للأميرِ مِن إقْطاعِه النِّصْفُ خاصًّا له ، والنصْفُ الآخَرُ يكونُ لأجْنادِهِ ، فحصَل بِهذَا رِفْقٌ عظيمٌ بالجُنْدِ وعَدْلٌ كثيرٌ وللَّهِ الحمدُ ، وأنْ يتَجَهَّزَ الأجْنَادُ ويُحَرَّضُوا على السباقِ والرَّمْيِ بالنُّشَّابِ ، وأنْ يكونُوا مُسْتعدِّينَ ، متى اسْتُنْفِرُوا نفَرُوا ، فاسْتَعدُّوا لذلك وتأهَّبُوا لقِتالِ الفِرَنْجِ ، كما قالَ اللَّهُ تعالَى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الآيةُ [الأنفال : ٦٠] . وثبَت فى الحديثِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ على المِنْبَرِ : « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ »[1] . وفى الحديثِ الآخَرِ : « ارْمُوا وَارْكَبُوا ، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَىَّ [2]مِن أن تَركَبوا[2] » .

وفى يومِ الاثْنينِ بعدَ الظهرِ عُقدَ مَجْلِسٌ بدارِ السَّعادَةِ للكَشْفِ على قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ المَرْدَاوِىِّ الحَنْبَلِىِّ بمُقْتَضَى مَرْسُومٍ شريفٍ ورَد مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ بذلكَ ؛ وذَلِكَ بِسبَبِ مَا يَعْتَمِدُه كثيرٌ مِن شُهودِ مجْلسِه [٤/ ٢٤٤] مِنْ بَيْعِ أوْقافٍ لم يَسْتَوْفِ فيها شَرائِطَ المذْهبِ ، وإثْباتِ إعْساراتٍ أيضًا كذلك ، وغيرِ ذلك .

الوَقْعَةُ بيـنَ الأُمَـراءِ بالدّيارِ المصْريَّةِ

وفى العَشْرِ الأخيرِ مِن جُمادَى الآخرَةِ ورَد الخبرُ بأنَّ الأميرَ الكبيرَ يَلْبُغا

---

(١) مسلم : (١٩١٧) .

(٢ - ٢) سقط من : م . وفى الأصل : « من أن » ، وبعده بياض بمقدار كلمتين . والحديث أخرجه أبو داود : ٢٥١٣، والترمذى : ١٧٠٣، وابن ماجه : ٢٨١١ وضعفه الألبانى . وانظر ضعيف سنن الترمذى ص ١٨٩ .

الخاصِّكىّ خرَج عليه جَماعةٌ مِن الأُمراءِ مع الأميرِ سيفِ الدينِ طَيْبُغا الطَّويلِ، فبرَز إليهم إلى قُبَّةِ النَّصْرِ[1]، فالْتَقوا معه هُنالِكَ، فقتَل جَمَاعَةً وجرَح آخرِينَ، وانْفَصَلَ الحالُ على مَسْكِ الأَميرِ طَيْبُغَا الطَّويلِ وهو جريحٌ، ومُسِك أرْغُون الإسْعِرْدىُّ[2] الدَّوادار، وخَلْقٌ مِن أُمَراءِ الأُلوفِ والطَّبْلَخاناه، وجرَتْ خَبْطَةٌ عظيمةٌ اسْتَمرَّ فيها الأميرُ الكبيرُ يَلْبُغا على عِزِّهِ وتَأْيِيدِه ونَصْرِه، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وفى ثانى رجَبٍ يوم السبتِ توَجَّهَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمر الذى كان نائبَ دِمَشْقَ إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ بطَلَبِ الأميرِ يَلْبُغَا ليُؤَكِّدَ أمْرَه فى دُخولِ البحرِ لقِتالِ الفِرَنْجِ وفَتْحِ قُبْرُسَ، إنْ شاءَ اللَّهُ.

ممَّا يتَعلَّقُ بأمرِ بَغْدادَ

أخْبَرَنى الشيخُ عبدُ الرَّحمَنِ البَغْدادِىُّ أحدُ رُؤَساءِ بَغْدادَ وأصْحابِ التجاراتِ، والشيخُ شِهابُ الدينِ العَطَّارُ السِّمْسَارُ فى الشربِ - بَغْدادِىٌّ أيضًا - أنْ بَغْدادَ اسْتَعادَها أُوَيْسٌ ملكُ العراقِ وخُراسَانَ مِن يَدِ الطَّواشِىِّ مَرْجانَ، واسْتَحْضَرَه فأكْرمَه وأطْلقَ له، واتفقا أنَّ أصْلَ الفِتْنَةِ مِن الأميرِ أحمدَ أخى الوزيرِ، فأحْضَرَه السلْطانُ إلى بينِ يدَيْه وضرَبَه بسِكِّينٍ فى كَرِشِه فشَقَّه، وأمَر بعضَ الأُمَراءِ فقَتَلَه، فانْتَصَرَ أهلُ السُّنَّةِ لذلك نَصْرةً عظيمةً، وأخَذ جُثَّتَه أهْلُ بابِ الأَزَجِ فأحْرَقُوه وسكَنتِ الأمورُ، وتشَفَّوْا بمقْتَلِ الشيخِ جمالِ الدينِ الأنْبَارِىِّ الذى قَتَلَه الوزيرُ الرَّافِضِىُّ فأهْلَكَه اللَّهُ بعدَه سريعًا.

---

(١) فى م: «القصر».

(٢) فى م: «العردى». انظر السلوك ٣/١/ ١١٥.

وَفاةُ قاضى القُضاةِ عِـزّ الدينِ عبدِ العزيزِ بنِ حاتِمٍ الشافِعـىّ[1]

وفى العَشْرِ الأُوَلِ مِن شهرِ شعبانَ قَدِمَ كتابٌ مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ بوَفاةِ قاضى القُضاةِ [2]عِزِّ الدينِ ابنِ قَاضِى القضاةِ[2] بدرِ الدينِ محمدِ بنِ جَماعةَ بمكَّةَ شَرَّفَها اللَّهُ تَعَالى ، فى العاشرِ مِن جُمادَى الآخرةِ ، ودُفِنَ فى الحادِى عشَرَ فى بابِ المعلى ، وذكَرُوا أنَّه تُوُفِّى وهو يقْرَأُ القرآنَ ، وأخْبَرَنى صاحبُنا[3] الشيخُ مُحْيِى الدينِ الرحبِىُّ ، حفِظَه اللَّهُ تعالى ، أنَّه كان يقولُ كثيرًا : أشْتَهِى أنْ أموتَ وأنا مَعْزولٌ ، وأنْ تكونَ وَفاتِى بأحَدِ الحَرَمَيْنِ . فأعْطَاه اللَّهُ ما تَمَنَّاه ؛ عزَل نفْسَه فى السنَةِ الماضيةِ ، وهاجَر إلى مَكَّةَ ، ثم قَدِمَ المدينةَ لزيارةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم عادَ إلى مكَّةَ ، وكانت وَفاتُه بها فى الوقتِ المذكُورِ ، فرحِمه اللَّهُ ، وبلَّ بالرحمةِ ثَرَاه . وقد كان مؤْلِدُه فى سنَةِ أرْبَعٍ وتِسْعِينَ ، فتُوفِّى عن ثلاثٍ وسَبْعِينَ سنةً ، وقد نالَ العِزُّ عِزًّا فى الدنْيَا ورِفْعةً هائلةً ومَناصِبَ وتَدارِيسَ كِبارًا ، ثم عزَل نفْسَه وتفرَّغَ للعبادةِ والمُجاوَرَةِ بالحرمَيْنِ الشريفَيْنِ ، فيقالُ له ما قُلْتُه فى بعضِ المراثى :

فكأنْ[4] قد أُعلِمْتَ بالموتِ حتّى ... قد[5] تَزَوَّدْتَ[6] مِن خِيارِ الزَّادِ

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى ١٠/ ٧٩، والسلوك ٣/١/ ١٢٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ٨٩، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٨.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « صاحب » .

(٤) فى م : « فكأنك »

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « تزودت له » .

وحضَر عندِى فى يومِ الثلاثاءِ تاسعِ شَوَّالٍ البَتْرَكُ بِشَارَةُ المُلَقَّبُ بِمِيخَائِيلَ النَّصْرَانِىِّ المَلْكِىِّ[1] ، وأخْبَرَنِى أنَّ المَطَارِنَةَ بالشامِ بايَعُوه على أنْ جعَلُوه بتْركًا بدِمَشْقَ [٤/ ٢٤٥] عِوَضًا عنِ البتركِ بأَنْطَاكِيَّةَ ، فذَكَرْتُ لَهُ أنَّ هذا أمرٌ مُبْتَدَعٌ فى دِينِهم ، فإنَّه لا تكونُ البتارِكَةُ إلَّا أَرْبَعَةً ؛ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ وبالقُدْسِ وبأنْطَاكِيَّةَ وبرُومِيَّةَ ، فنُقِلَ بتْرَكُ رُومِيَّةَ إلى إسْطَنْبُولَ وهى القُسْطَنْطِينيَّةُ وقد أنْكَرَ عليهم كَثِيرٌ مِنْهُم إذْ ذاك ، فهَذَا الذى ابْتَدَعُوه فى هذا الوقتِ أعْظَمُ مِن ذلك ! لكِنِ اعْتَذَرَ بأنَّه فى الحقيقةِ هو عن أنْطاكِيَّةَ ، وإنَّما أُذِنَ له فى المُقامِ بالشامِ الشريفِ لأجْلِ أنَّه أمَره نائبُ السلْطَنةِ أنْ يكْتُبَ عنه وعن أهلِ مِلَّتِهم إلى صاحبِ قُبْرُسَ ، يَذْكُرُ له ما حلَّ بهم مِن الخِزْيِ والنَّكَالِ والجِنَايَةِ بسبَبِ عُدْوانِ صاحبِ قُبْرُسَ على مدينةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وأحْضَر لى الكُتُبَ إليه وإلى ملكِ إسْطَنْبُولَ[2] وقرأَها علىَّ مِن لفْظِه ، لعَنَهُ اللَّهُ ولعَنَ المكْتُوبَ إليهم أيضًا ، وقد تكلَّمْتُ معه فى دِينِهم ونُصوصِ ما يعْتَقِدُه كلٌّ مِن الطَّوائفِ الثلاثِ ؛ وهم المَلْكِيَّةُ واليَعْقُوبِيَّةُ - ومنهم الإفْرَنْجُ والقِبْطُ - والنّسْطُورِيَّةُ ، فإذا هو يفْهَمُ بعضَ الشىءِ ، ولكِنَّ حاصِلَه أنَّه حِمارٌ مِن أكْفَرِ الكُفَّارِ ، لعَنه اللَّهُ .

وفى هَذَا الشهرِ بلَغَنَا اسْتِعَادَةُ السلْطَانِ أُوَيْسٍ[3] بنِ الشيخِ حسَنٍ مَلِكِ العراقِ وخُرَاسَانَ لِمَدِينةِ بَغْدادَ مِن يَدِ الطَّواشِىِّ مَرْجَانَ الذى كان نَائِبَه عليها[4] وامْتَنَعَ مِن طاعَةِ أُوَيْسٍ ، فجاءَ إليه فِى جَحافِلَ كثيرةٍ ، فهرَبَ مَرجَانُ ودخَلَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « اطنبول » .

(٣) فى الأصل : « ابن أويس » .

(٤) فى م : « عليهما » .

أُوَيسٌ إلى بَغْدادَ دخُولًا هائِلًا ، وكانَ يومًا مشْهُودًا .

وفى يومِ السبتِ السابع والعِشْرِينَ من شعبانَ قَدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ بَيْدَمُر مِن الديارِ المِصْرِيَّةِ على البريدِ أميرَ مِائَةٍ مُقَدَّمَ ألفٍ ، وعلى نِيابةِ يَلْبُغَا فى جميعِ دَواوِينِه بدِمَشْقَ وغيرِها ، وعلى إمارةِ البحرِ وعَمَلِ المراكِبِ ، فلمَّا قَدِمَ أمَرَ بَجَمْعِ جميعِ النّشَّارِينَ والنَّجَّارِينَ والحدَّادِينَ وتجْهِيزِهم إلى بَيْرُوتَ لقَطْعِ الأخْشابِ ، فسُيِّرُوا يومَ الأرْبعاءِ ثانى رمضانَ وهو عازِمٌ عَلَى اللَّحاقِ بهم إلى هُنالكَ ، وباللَّهِ المُسْتَعَانُ ، ثم أُتْبِعُوا بآخرينَ مِن نَجَّارِينَ وحدادينَ وعَتَّالِينَ وغيرِ ذَلِكَ ، وجعلُوا كلَّ مَن وجَدُوه مِن رُكَّابِ الحَميرِ يُنْزِلُونَه ويرْكبُوا إلى ناحيةِ البِقَاعِ ، وسَخَّرُوا لَهُم مِن الصُّنَّاعِ وغيرِهم ، وجرَتْ خَبْطَةٌ عظيمةٌ وتَباكَى عَوائِلُهم وأطْفالُهم ، ولم يُسْلَفُوا شيئًا مِن أُجورِهم ، وكان مِن اللَّائقِ أنْ يُسْلَفُوه حتى يتْرُكُوه إلى أوْلادِهم .

وخطَب بُرْهَانُ الدينِ المَقْدِسِيُّ الحَنَفِيُّ بجامعِ يَلْبُغَا عِوَضًا عن تَقِيِّ الدينِ ابنِ قاضى القُضاةِ كمالِ الدينِ بن قاضى القضاةِ شرَفِ الدينِ الكَفْرِيِّ ، بِمَرْسُومٍ شريفٍ ومَرْسُومِ نائبِ صَفَدَ أسَنْدَمُر أخى يَلبُغا ، وشقَّ ذَلِكَ عليه وعلى جَدِّه وجَماعَتِهم ؛ وذلك يومَ الجُمعةِ الرابع من رمضانَ ، هذا وحضَر عندَه خَلْقٌ كثيرٌ .

وفى يومِ الخميسِ الرابعِ والعِشْرِينَ منه قُرِئَ تَقْلِيدُ قَاضِى القُضاةِ شَرَفِ الدينِ ابنِ قَاضِى الجَبَلِ لقَضَاءِ الحَنَابِلَةِ ، عِوَضًا عَنْ قَاضِى القُضاةِ جمالِ الدينِ المَرْدَاوِيِّ ، عُزِلَ هو والمالِكِيُّ معه أيضًا ، بسبَبِ أُمورٍ تقدَّم نِسْبَتُها لهما ، وقُرِئَ التقْليدُ بمِحْرابِ الحنابِلَةِ ، وحضَر عِنْدَه الشافِعِيُّ والحنَفِيُّ ، وكان المالِكِيُّ مُعْتَكِفًا بالقاعَةِ

مِن المَنارَةِ الغربيَّةِ فلم يخْرُجْ إليهم ؛ لأنَّه مَعْزُولٌ أيضًا (١بسَرِىِّ الدينِ١) قاضى حَمَاةَ ، وقد وقعَتْ شرورٌ وتَخْبِيطٌ بالصالحِيَّةِ وغيرِها .

وفى صَبِيحَةِ يوم الأرْبِعاءِ الثلاثينَ من شهرِ رمضانَ خُلِع على قاضى القُضاةِ سرىِّ الدينِ إسماعيلَ المالكىِّ ، قَدِم من حَمَاةَ على قَضَاءِ المالكيَّةِ ، عِوَضًا عن قاضى القُضاةِ جمالِ الدينِ المَسَلَّاتىِّ ؛ عُزِل عن المَنْصبِ ، وقُرِئَ تقْليدُه بمقْصُورَةِ المالِكِيَّةِ من الجامعِ ، وحضَر عندَه القُضاةُ والأعيانُ .

وفى صَبيحَةِ يومِ الأرْبِعاءِ سابع شوَّالٍ قَدِم الأميرُ حيَّارُ بنُ مُهَنَّا إلى دِمَشْقَ سامِعًا مُطيعًا ، بعدَ أنْ جرَت بينَه وبينَ الجيوشِ حروبٌ مُتَطاوِلةٌ ، كلُّ ذلك ليَطَأَ البِسَاطَ ، فأَبَى (٢) خوفًا مِنَ المَسْكِ والحبْسِ أو القتلِ ، فبعدَ ذلك كلِّه قَدِم هذا اليومَ قاصِدًا الديارَ المصْرِيَّةَ ؛ ليَصْطَلِحَ مع الأميرِ الكبيرِ يَلْبُغا ، فتلَقَّاه الحَجَبَةُ(٣) والمَهْمَنْدارِيَّةُ والخلقُ ، وخرَج الناسُ للفُرْجَةِ ، فنزَل القَصْرَ الأبْلَقَ ، وقَدِم معه نائبُ حَمَاةَ عمرُ شَاه فنزَل معه ثانى يومٍ إلى الديارِ المصريَّةِ . وأقْرأَنى القاضى وَلِىُّ الدينِ عبدُ اللَّهِ [٤/٢٤٦] وَكيلُ بيتِ المالِ كِتابَ والدِه قاضى القُضاةِ بهاءِ الدينِ أبى البَقاءِ قاضى قُضاةِ الشافعيَّةِ بالديارِ المصريةِ ؛ أنَّ الأميرَ الكبيرَ جدَّدَ دَرْسًا بجامعِ ابنِ طولُونَ فيه سبعةُ مدرِّسينَ للحنفيَّةِ ، وجعَل لكلِّ فَقِيهٍ منهم فى الشهرِ أربعين دِرْهمًا وإرْدَبَّ قمحٍ ، وذكَر فيه أن جماعةً مِن غيرِ الحنفيةِ انتقلُوا إلى مذْهبِ أبى حنيفةَ لينزِلُوا فى هذا الدرسِ .

(١ - ١) فى الأصل : « بسرى » ، وفى م : « برأى » . وسيأتى ذكره قريبًا .
(٢) فى الأصل : « فيأتى » .
(٣) فى الأصل : « الحجمية » .

[1] درسُ التفسيرِ بالجامعِ الأُمَوىِّ

وفى صَبِيحَةِ يومِ الأربِعاءِ الثامن والعشرينَ مِن شوالٍ سنَةَ سَبْعٍ وستينَ وسَبعِمائةٍ حضَر الشيخُ العَلَّامةُ عِمادُ الدينِ بنُ كثيرٍ [2] درسَ التفْسيرِ [2] الذى أنْشأَه ملِكُ الأُمَراءِ نائبُ السلطنةِ الأميرُ سيفُ الدينِ مَنْكَلِى بُغَا ، مِن أوقافِ الجامعِ التى جدَّدَها فى حالِ نظَرِه عليه ، أثابَه اللَّهُ ، وجعَل مِن الطَّلَبَةِ مِن سائرِ المذاهبِ خَمْسَةَ عَشَرَ طالبًا ، لكُلِّ طالبٍ فى الشهرِ عشَرَةُ دَراهِمَ [3] ، وللمُعيدِ عِشْرَونَ ، ولكاتبِ الغَيْبَةِ عشرونَ ، وللمدرِّسِ ثمانونَ ، وتصدَّق حينَ دَعَوْتُه لحضُورِ الدَّرسِ ، فحضَر واجْتَمَعَ القُضاةُ والأعْيانُ ، وأخَذتُ [4] فى أوَّلِ تفسيرِ « الفاتحةِ » ، وكان يومًا مشْهودًا ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وبه التوفيقُ والعِصْمةُ [1] .

(١ - ١) كذا فى النسختين . وسياق الكلام يدل على أنه من كلام تلميذ المصنف - رحمه اللَّه - ، وبعده فى الأصل بياض بمقدار ثلثى صفحة ، وفيه سقط الكلام المتعلق بأول السنة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى الأصل : « أيام » .

(٤) فى م : « أخذ » .

[1]ثم دخلت سنةُ ثمانٍ وستّين وسَبْعِمائةٍ[2]

استَهلَّت وقاضى[1] [٤/٢٤٧] قُضاةِ الحنابِلَة الشيخُ شرفُ الدينِ أحمدُ بنُ الحسَنِ بنِ قاضى الجَبَلِ المَقْدِسِيُّ، ونَاظِرُ الدَّواوينِ سَعدُ الدينِ بنُ التاجِ إسْحَاقَ، وكاتِبُ السِّرِّ فتحُ الدينِ بنُ الشَّهيدِ، وهو شيخُ الشيوخِ أيضًا، وناظِرُ الجُيوشِ الشامِيَّةِ بُرْهانُ الدينِ بنُ الحِلِّيِّ، ووَكيلُ بيتِ المالِ القاضى وَلِيُّ الدينِ بنُ[3] قاضى القُضاةِ بهاءِ الدينِ أبى البقاءِ.

سفرُ نائبِ السَّلْطَنةِ إلى الديارِ المِصْريَّةِ

لمَّا كانتْ ليلةُ الحادِى والعشرين مِن المحرَّمِ قدِم طَشْتَمُر دَوادار يَلْبُغا على البريدِ، فنزَل بدارِ السَّعادةِ، ثم ركِبَ هو ونائبُ السلطَنةِ بعدَ العِشاءِ الأخِيرةِ فى المشاعِلِ، والحجَبَةُ بينَ أيدِيهما والخلائقُ يدعُونَ لنائِبِهم، واستَمرُّوا كذلك ذاهِبينَ إلى الديارِ المصريَّةِ، فأكرمَه يَلبُغا وأنْعمَ عليه، وسألَه أنْ يكونَ ببلادِ حَلَبَ، فأجابَه إلى ذلك، وعادَ فنزَلَ بدارِ سنجرَ الإسماعِيلِيِّ، وارتَحلَ منها إلى حَلَبَ، وقد اجتَمعتُ به هُنالكَ، وتأسَّفَ الناسُ عليه، ونابَ فى الغَيْبَةِ الأميرُ

(١ - ١) زيادة يقتضيها السياق وانظر حاشية (١) من الصفحة السابقة.

(٢) تذكرة النبيه ٣/ ٣٠٠، والذيل على العبر ١/ ٢١٦، والسلوك ٣/١/ ١٢٧، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢١٨، وبدائع الزهور ١/٢/ ٤٢.

(٣) سقط من: الأصل. وانظر السلوك ٣/١/ ٤٠٣.

سيفُ الدينِ زُبَالةَ ، إلى أنْ قدِمَ النائبُ المُعِزُّ السَّيْفيُّ أَقْتَمُر[1] عبدُ الغَنيِّ ، على ما سيأتى .

وتُوفِّى القاضى شمسُ الدينِ بنُ منصورٍ الحنَفيُّ[2] الذى كان نائبَ الحكمِ ، رحِمَه اللَّهُ ، يومَ السبتِ السادسِ والعِشرينَ مِن المحرمِ ، ودفِنَ بالبابِ الصغيرِ ، وقد قارَب الثمانينَ .

وفى هذا اليومِ أوِ الذى بعدَه تُوفِّى **القاضى شِهابُ الدينِ أحمدُ ابنُ الوزوازَةِ**[1] ، ناظرُ الأوقافِ بالصالحِيَّةِ .

وفى صَبيحَةِ يومِ الجُمعةِ ثالث صفَرٍ نُودِى فى البلدِ أنْ لا يتخَلَّفَ أحدٌ مِن أجنادِ الحَلْقَةِ عنِ النفيرِ إلى بَيرُوتَ ، فاجتَمعَ الناسُ لذلك ، فبادرَ الناسُ والجيشُ مُلْبِسِينَ إلى سطحِ المزَّةِ ، وخرَجَ ملكُ الأُمراءِ أمير على ، نائبُ الشامِ ، مِن دارِه داخِلَ بابِ الجابيةِ فى جماعَتِهِ مُلْبِسِينَ فى هَيْئةٍ حسنةٍ وتَجمُّلٍ هائلٍ ، وولدُه الأميرُ ناصرُ الدينِ محمدٌ[3] وطُلْبُه معه ، وقد جاءَ نائبُ الغَيبَةِ والحجَبَةُ إلى بينِ يدَيْه إلى وطاقِه وشاوَرُوه فى الأمرِ ، فقالَ : ليسَ لى هاهُنا أمرٌ ، ولكِنْ إذا حضَر الحربُ والقتالُ ، فلى هناك أمْرٌ . وخرَج خَلقٌ مِن الناسِ مُتبرِّعينَ ، وخطَب قاضى القضاةِ تاجُ الدينِ الشافعيُّ بالناسِ يومَ الجمَعةِ على العادةِ ، وحرَّض الناسَ على الجهادِ ، وقد ألبَسَ جماعةً من غِلمانِه اللَّأمةَ والخُوَذَ وهو على عزْمِ المَسِيرِ مع الناسِ إلى بَيْرُوتَ ، وللَّهِ الحمدُ . ولمَّا كان مِن آخرِ النهارِ رجَع الناسُ إلى مَنازِلِهم وقد ورَد الخبَرُ بأنَّ المَراكِبَ التى رُئيَت فى البحرِ إنَّما هى مَراكِبُ تجارٍ لا مَراكِبُ قِتالٍ ،

---

(١) فى الأصل : «أقشتمر» . وفى م : «قشتمر» . وانظر ما سيأتى ص ٧٢٣.
(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر.
(٣) سقط من : الأصل.

فطابَتْ قلُوبُ الناسِ ، ولكِن ظهَر منهمُ اسْتِعْدادٌ عظيمٌ ، وللَّهِ الحمدُ .

وفى ليْلةِ الأحَدِ خامس صَفَرٍ قُدِمَ بالأميرِ سيفِ الدينِ شرشىٌّ ، الذى كان إلى آخرِ وَقْتٍ نائبَ حَلَبَ ؛ مُحْتاطًا عليه بعدَ العِشاءِ الآخرةِ إلى دارِ السَّعادةِ بدِمَشْقَ ، فَسُيِّر معْزُولًا عن حَلَبَ إلى طَرابُلُسَ بطَّالًا ، وبُعِثَ فى سَرْجَيْنِ صُحْبَةَ الأميرِ علاءِ الدينِ بنِ صبحٍ .

وبلَغَنا وفاةُ **الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ نُبَاتَةَ**[1] حامِلِ لواءِ شعراءِ زمانِه بديارِ مِصرَ بمَرَستانِ الملكِ المَنْصُورِ قَلاوون ، وذلك يومَ الثلاثاءِ سابع صَفَرٍ من هذه السنةِ ، رحِمَه اللَّهُ تعالى .

وفى ليلةِ الأربعاءِ ثامنِه هرَب أهلُ حَبْسِ السُّدِّ مِن سِجْنِهم وخرَجَ أكثرُهم ، فأرسَلَ الولاةُ صَبيحَةَ يومِئذٍ فى إثْرِهم ، فمُسِكَ كثيرٌ ممَّنْ هرَبَ ، فضَربُوهم أشدَّ الضرْبِ ، وردُّوهم إلى شرِّ المُنقَلَبِ .

وفى يومِ الأرْبِعاءِ خامسَ عشَرِه نُودِىَ بالبُلْدَانِ أنْ لا يُعامَلَ الفِرَنْجُ البَنادِقَةُ[2] والجَنَوِيَّةُ[3] والكنبلانُ[4] ، واجْتَمَعْتُ فى آخرِ هذا اليومِ بالأميرِ زَيْنِ الدينِ زُبالةَ نائبِ الغَيْبَةِ النازِلِ بدارِ الذَّهَبِ ، فأخْبَرَنى أنَّ البرِيدِىَّ أخْبَره أنَّ صاحِبَ قُبْرُسَ رأَى فى النجومِ أنَّ قُبْرُسَ مأْخُوذَةٌ ، فَجهّزَ مَرْكبَيْنِ مِن الأسْرَى الذينَ عندَه مِن

---

(١) تذكرة النبيه ٣/ ٣٠٤، والذيل على العبر ١/ ٢١٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ٩٥، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢٢٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢١٢.

(٢) فى الأصل : « وتر » . والبنادقة نسبة إلى البُنْدُقيّة ، وهم طائفة مشهورة من الفرنج ، وبلادهم شرقى بلاد الأنبردية . انظر : صبح الأعشى ٥/ ٤٠٤.

(٣) فى م : « الحبوية » . والجَنَوية : نسبة إلى مدينة جَنَوة ، وهم طائفة من الفرنج مشهورة . انظر المصدر السابق ٥/ ٤٠٥.

(٤) فى م : « الكيتلان » .

المسلمينَ إلى يَلبُغَا ، ونادَى فى بلادِه : أنَّ مَن كتَم مسلمًا صغيرًا أو كبيرًا قُتِلَ ! وكان مِن عَزْمِه أنْ لا يُبْقِيَ أحدًا مِن الأُسارَى إلَّا أرْسلَه .

وفى آخرِ نَهارِ الأربعاءِ خامسَ عشَرِه قَدِمَ مِن الديارِ المصريةِ قاضى القُضاةِ جمالُ الدينِ المَسَلَّاتِيُّ المالكيُّ الذى كان قاضىَ المالكيَّةِ [٤/ ٢٤٨] فعُزِلَ فى أواخِرِ رمضانَ مِن العامِ الماضى ، فحجَّ ثم قصَد الديارَ المصريةَ فدخَلها لعلَّه يسْتَغِيثُ ، فلم يُصادِفْه قَبُولٌ ، فادَّعَى عليه بعضُ الحُجَّابِ وحصَل له بعضُ ما يَسُوءُه ، ثم خرَج إلى الشامِ فجاءَ فنزَل فى التُّرْبَةِ الكامِلِيَّةِ شمالِيَّ الجامعِ ، ثم انْتقلَ إلى مَنْزِلِ ابْنَتِه مُتَمَرِّضًا والطلاباتُ والدَّعاوَى والمُصالَحاتُ عنه كثيرةٌ جدًّا ، فأحْسَنَ اللَّهُ عاقِبَتَه .

وفى يومِ الأحدِ بعدَ العصرِ دخَل الأميرُ سيفُ الدينِ طَيْبُغا الطَّويلُ مِن القُدْسِ الشَّريفِ إلى دِمَشقَ ، فنزَل بالقَصْرِ الأبْلَقِ ، ورحَل بعدَ يومينِ أو ثلاثةٍ إلى نيابةِ حَمَاةَ ، حرَسَها اللَّهُ تعالى ، بتَقْليدٍ مِن الديارِ المصريةِ ، وجاءت الأخبارُ بتوليةِ الأميرِ سيفِ الدينِ مَنْكَلِى بُغَا نِيابةَ حَلَبَ عِوَضًا عن نيابةِ دِمَشقَ ، وأنه حصَل له مِن التَّشْريفِ والتَّكْريمِ والتَّشاريفِ بدِيارِ مصرَ شىءٌ كثيرٌ ومالٌ جزيلٌ ، وخُيولٌ وأَقمشةٌ وتُحَفٌ يشُقُّ حصْرُها ، وأنه قد اسْتَقَرَّ بدمشقَ الأميرُ سيفُ الدينِ أَقْتَمُر[1] عبدُ الغَنِيِّ الذى كان حاجِبَ الحُجَّابِ بمصرَ ، وعُوِّضَ عنه فى الحُجُوبِيَّةِ الأميرُ علاءُ الدينِ طَيْبُغا أستاذُ دارِ يَلْبُغا ، وخُلِعَ على الثلاثةِ فى يومٍ واحدٍ .

وفى يومِ الأحدِ حادِى عشَرَ ربيعٍ الأولِ اشْتَهرَ فى البلدِ قضِيَّةُ الفِرَنْجِ أيضًا بمدينةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وقَدِمَ بريدِيٌّ مِن الديارِ المصريةِ بذلك ، واحْتِيطَ على مَن

---

(١) فى النسختين : «أقشتمر» . والمثبت من السلوك ٣/ ١/ ١٢٧. وانظر : الدرر الكامنة ١/ ٤٢٠.

كان بدمشقَ مِن الفِرَنْجِ ، وسُجِنُوا بالقلعةِ وأُخِذَت حَواصِلُهم ، وأخْبَرنى قاضى القُضاةِ تاجُ الدينِ الشافِعىُّ يَوْمَئذٍ أنَّ أصْلَ ذلك أنَّ سبْعَةَ مَراكِبَ مِن التجارِ مِن البَنادِقَةِ مِن الفِرَنْجِ قَدِموا إلى الإسْكَنْدَرِيَّةَ فباعُوا بها واشْتَرَوا ، وبلَغ الخَبرُ إلى الأميرِ الكبيرِ يَلْبُغا أنَّ مَرْكَبًا مِن هذه السبْعَةِ لصاحِبِ قُبْرُسَ ، فأرْسَلَ إلى الفِرَنْجِ يقولُ لهم أنْ يُسلِّمُوا هذا المَرْكَبَ ، فامْتَنعوا مِن ذلك وبادَرُوا إلى مَراكِبِهم ، فأرْسَل فى آثارِهم سِتَّةَ شَوانٍ مَشْحُونَةً بالمُقاتِلَةِ ، فالْتَقَوا هم والفِرَنْجُ فى البحرِ ، فقُتِلَ مِن الفريقَيْنِ خلقٌ ، ولكِنْ مِنَ الفِرَنْجِ أكثرُ ، وهرَبوا فارِّينَ بما معهم مِنَ البضائعِ[1] ... فجاء الأميرُ [2]عليٌّ الذى[2] كان نائبَ دمشقَ أيضًا فى جيشٍ مُبارَكٍ ومعه ولَدُه ومماليكُه فى تَجَمُّلٍ هائلٍ ، فرجَع الأميرُ عليٌّ واسْتَمرَّ نائبُ السلْطَنةِ حتى وقَف على بَيْرُوتَ ونظَر فى أمْرِها ، وعادَ سرِيعًا . وقد بلَغَنى أنَّ الفِرَنْجَ جاءوا طَرابُلُسَ غُزاةً وأخَذُوا مَرْكَبًا للمسلمينَ مِن المِينَا[3] وحرَّقوه ، والناسُ ينْظُرون ولا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهم ولا مَنْعَهم - وأن الفِرَنْجَ كَرُّوا راجِعين ، وقد أسَرُوا ثلاثةً مِن المسلمينَ ، فإنا للَّهِ وإنا إليه راجِعون . انتهى ، واللَّهُ أعلمُ .

مَقْتَلُ يَلْبُغا الأميرِ الكبيرِ[4]

جاءَ الخَبرُ بقَتْلِه إلينا بدِمَشْقَ فى ليلةِ الاثنينِ السابعَ عشَرَ مِن رَبيعٍ الآخرِ مع أسِيرَيْنِ جاءَا على البريدِ من الديارِ المِصْرِيَّةِ ، فأخْبرَا بمَقْتَلِه فى يومِ الأرْبِعاءِ ثانى

---

(١) بعده فى الأصل بياض يقرب من صفحتين ونصف .

(٢ - ٢) فى الأصل : « علاء الدين » .

(٣) إلى هنا انتهى المخطوط الأصل .

(٤) تذكرة النبيه ٣/ ٣٠١، والذيل على العبر ١/ ٢١٦، والدرر الكامنة ٥/ ٢١٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٦، والدليل الشافى ٢/ ٧٩٣.

عشَرَ هذا الشهرِ؛ تَمالأَ عليه مَمالِيكُه حتى قتَلُوه يَوْمَئِذٍ، وتغَيَّرَتِ الدولةُ، ومُسِكَ مِن أُمَراءِ الأُلوفِ والطَّبْلَخاناه جماعةٌ كثيرةٌ، واخْتَبَطَتِ الأمورُ جدًّا، وجرَتْ أحْوالٌ صعبةٌ، وقامَ بأعْباءِ القَضِيَّةِ الأميرُ سيفُ الدِّينِ طُغَيْتَمُر[1] النظامِيُّ، وقَوِىَ جانبُ السلْطانِ ورشَد، وفرِح أكثرُ الأُمَراءِ بِمِصْرَ بما وقعَ، وقَدِمَ نائبُ السلْطَنَةِ إلى دِمَشْقَ مِن بَيْرُوتَ فأمرَ بدَقِّ البشائرِ وتزيينِ البلدِ، ففُعِلَ ذلك، وأُطْلِقَتِ الفِرَنْجُ الذينِ كانوا بالقلعةِ المنْصُورةِ، فلم يَهُنْ ذلك على الناسِ.

وهذا آخِرُ ما وُجدَ مِن التاريخِ، والحمدُ للَّهِ وحدَه، وصلَواتُه على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصحْبِه وسلَّم.

---

(١) فى م: «طيتمر». والمثبت من: النجوم الزاهرة ١١/ ٤٠، والذيل التام (حوادث وتراجم سنوات ٧٤٥ - ٨٥٠هـ) ص ٢١٩.

[١ظ] بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يَسِّرْ وأعنْ .

قال الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ أبو الفداءِ عمادُ الدينِ إسماعيلُ بنُ كثيرٍ ، رحمه اللَّهُ تعالى : هذا كتابُ الفتنِ والمَلاحمِ الواقعةِ فى آخرِ الزمانِ ممّا أخبَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وذِكْرِ أشراطِ الساعةِ والأمورِ العِظامِ التى تكونُ قبلَ يومِ القيامةِ ، مما يجبُ الإيمانُ بها . الصادقُ المصدوقُ قد أخبر بها ، وهو لا ينطِقُ عن الهوَى .

وقد ذكَرْنا فيما تقدَّمَ من كتابِنا هذا إخبارَه ﷺ عن الغُيوبِ الماضيةِ ، وبسَطْناه فى بَدءِ الخَلْقِ ، وقَصَصِ الأنبياءِ ، وأيامِ الناسِ إلى زمانِنا ، وأتْبَعنا ذلك بذكرِ سيرتِه ﷺ وأيامِه ، وذكرِ شمائلِه ودلائلِ نُبوتِه ، وذكَرْنا فيها ما أخبَر به مِن الغيوبِ التى وقَعت بعدَه ﷺ طِبْقَ إخبارِه ، كما شُوهِد ذلك عَيانًا قبلَ زمانِنا هذا ، وقد أورَدْنا جملةَ ذلك فى آخرِ كتابِ دلائلِ النبوَّةِ من سيرتِه ، وذكَرْنا عندَ كلِّ زمانٍ ما ورَد فيه مِن الحديثِ الخاصِّ به عندَ ذِكْرِ حوادثِ الزمانِ ، ووَفياتِ الأعيانِ ، كما بسَطْنا فى كلِّ سنةٍ ما حدَث فيها مِن الأمورِ الغريبةِ ، وترجَمْنا مَن تُوفِّى فيها مِن مشاهيرِ الناسِ ؛ مِن الصحابةِ والخلفاءِ ، والملوكِ والوزراءِ والأمراءِ ، والفقهاءِ والصُّلَحاءِ ، والشعراءِ والنحاةِ والأدباءِ ، والمتكلمين ذوى الآراءِ ، وغيرِهم مِن النبلاءِ ، ولو أعَدْنا الأحاديثَ المذكورةَ

فيما تقدم لَطال ذلك ، ولكن نُشيرُ إلى ذلك ، إشارةً لطيفةً ، ثم نعودُ إلى ما قصَدنا له هـٰهنا وباللَّهِ المستعانُ .

فمِن ذلك قولُه ﷺ لتلك المرأةِ التى قالت : أرأيتَ إن لم أجِدْكَ ؟ كأنَّها تريدُ الموتَ ، فقال : « إنْ لَمْ تَجِدِينِى فَأْتِى أبَا بَكْرٍ » . روَاه البخارىُّ[1] ، فكان القائمَ بالأمرِ بعدَه أبو بكرٍ . وقولُه ﷺ حينَ أرادَ أن يكتُبَ للصِّدِّيقِ كتابًا بالخِلافةِ فترَكه ؛ لعِلْمِه أنَّ أصحابَه لا يَعْدِلُون عن أبى بكرٍ إلى غيرِه ؛ لعلمِهم بسابِقتِه وأفضلِيَّتِه ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال : « يَأْبَى اللَّهُ وَالمُؤْمِنُونَ إلَّا أبَا بَكْرٍ »[2] . وهو فى الصحيحِ أيضًا . وقولُه ﷺ : « اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِى ، أبِى بَكْرٍ ، وَعُمَرَ » . رَواه أحمدُ ، وابنُ ماجه ، والتِّرمذىُّ وحسَّنه ، وصحَّحه ابنُ حِبّانَ ، وهو مِن روايةِ حُذَيفَةَ بنِ اليَمانِ[3] . وقد رُوِىَ مِن طريقِ ابنِ مسعودٍ[4] ، وابنِ عمرَ ، وأبى الدرداءِ ، رضِى اللَّهُ عنهم . وقد بسَطْنا القولَ فى هذا فى فضائلِ الشيخَيْن .

والمقصودُ : أنَّه وقَع الأمرُ كذلك ؛ وَلِىَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ [٢و] الخلافةَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم وَلِيَها بعدَه عمرُ ، كما أخبَر ﷺ سَواءً بسَواءٍ .

وروَى مالكٌ والليثُ[5] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن ابنِ لكعبِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ » . وفى روايةٍ : « فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ؛ فإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا » . وقد افتتَحها عمرُو بنُ العاصِ

---

(١) البخارى (٣٦٥٩، ٧٢٢٠، ٧٣٦٠) .

(٢) مسلم (٢٣٨٧) . وانظر ما تقدم فى ٨/٣٦ وما بعدها .

(٣) المسند ٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢ (٢٣٢٩٣، ٢٣٣٢٤، ٢٣٤٣٤م، ٢٣٤٦٧) ، والترمذى (٣٦٦٢) ، وابن ماجه (٩٧) ، وابن حبان (٦٩٠٢) ، صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٩٥) .

(٤) الترمذى (٣٨٠٥) ، والمستدرك ٣/ ٧٥.

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٣٢٢، من طريق مالك والليث به ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير =

فى سنةِ عشرين ، أيامَ عمرَ بنِ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[1] عن أبى ذرٍّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا » .

[2]وقد مُصِّر فى أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ المِصْرانِ ؛ البَصْرَةُ والكوفةُ . فروَى أبو داودَ[3] ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الصَّبَّاحِ ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الصمدِ ، ثنا موسى الـحَنَّاطُ - لا أعلمُ إلَّا أنَّه ذكَره عن موسى بنِ أنسٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ - أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ[4] قال : « يا أنسُ[4] ، إنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا ، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ : الْبَصْرَةُ - أو الْبُصَيْرَةُ - فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا أَوْ دَخَلْتَهَا فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا[5] وكَلَّاءَها[6] وسُوقَهَا وَأَبْوَابَ أُمَرَائِهَا ، وعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا ؛ فإنَّه يكونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ[7] وَرَجْفٌ ، وَقَوْمٌ يُمْسَخُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ » .

خبرُ الأُبُلَّةِ[8] : قال أبو داودَ[9] : حدثنا ابنُ المُثَنَّى ، ثنا إبراهيمُ بنُ صالحِ بنِ دِرْهَمٍ ، سَمِعتُ أبى يقولُ : انطلقنا حاجِّين ، فإذا رجلٌ ، فقال لنا : مِن أين جِئْتُم[2] ؟

= ١٩/٦١ (١١٢) ، من طريق مالك عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بنحوه . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٥٥٣، من طريق الزهرى به .

(١) مسلم (٢٥٤٣) بلفظه ، و (٢٢٧/ ٢٥٤٣) صرح فيه بذكرمصر .

(٢ - ٢) ليست فى : ح ، ص .

(٣) أبو داود (٤٣٠٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٩) .

(٤ - ٤) زيادة من سنن أبى داود .

(٥) السباخ ، جمع سبخة : وهى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . النهاية ٢/ ٣٣٣.

(٦) الكلاء : اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة . معجم البلدان ٤/ ٢٩٣ .

(٧) بعده فى الأصل : « ومسخ » .

(٨) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة . معجم البلدان ١/ ٩٧ .

(٩) أبو داود (٤٣٠٨) بنحوه . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٨) .

[1] فقلنا : من بلدِ كذا وكذا . فقال : إنَّ بجنبِكم قريةً يقالُ لها : الأُبُلَّةُ ؟ فقلنا : نعم . فقال : مَن يضمنُ أن يصلِّيَ لى فى مسجدِ العَشَّارِ ركعتين أو أربعًا ، ويقولُ : هذه لأبى هريرةَ ؟ فإنى سمعت رسولَ اللَّه - ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ مَسْجِدِ العَشَّارِ شُهَدَاءَ لَا يَقُومُ مَعَ شُهَدَاءِ بَدْرٍ غَيْرُهُمْ [1] » .

وقال ﷺ فيما ثبَت عنه فى « الصحيحَيْن » [2] : « إذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ » . وقد وقَع ذلك كما أخبَر به سَواءً بسواءٍ ، فى زمنِ أبى بكرٍ ، وعُمرَ ، وعثمانَ ؛ انزاحت يدُ قيصرِ ذلك الوقتِ - واسمُه هِرَقْلُ - عن بلادِ الشامِ والجزيرةِ ، وثبَت مُلكُه مقصورًا على بلادِ الرومِ فقط ، والعربُ إنَّما كانوا يُسَمُّونَ قيصرَ لِمَن ملَك بلادَ الرومِ مع الشامِ والجزيرةِ . وفى هذا الحديثِ بِشارةٌ عظيمةٌ لأهلِ الشامِ ؛ وهو أنَّ يدَ ملكِ الرومِ لا تعودُ إليها أبدَ الآبدين . وسنُورِدُ هذا الحديثَ قريبًا بإسنادِه ومتنِه إن شاء اللَّهُ تعالى . وأما كِسرَى فإنَّه سُلِبَ عامَّةَ مُلكِه فى زمنِ عُمرَ بنِ الخطابِ ، ثم استُؤْصِل باقيه فى خلافةِ عثمانَ ، وقُتِل فى سنةِ ثِنْتَيْن وثلاثين ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وقد بسَطْنا ذلك مُطولًا فيما سلَف ، وقد دعا على كسرى رسولُ اللَّهِ ﷺ [3] حينَ بلَغه أنَّه مَزَّق كتابَه ، بأن يُمَزَّقَ مُلْكُه كلَّ مُمَزَّقٍ ، فوقَع الأمرُ كذلك .

وثبَت فى « الصحيحَيْن » مِن حديثِ الأعمشِ ، وجامعِ بنِ أبى راشدٍ ، عن

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٢٨.

(٣) البخارى (٦٤) .

شقيقِ بنِ سَلمةَ ، عن حُذَيْفةَ[1] ، قال : كُنّا جُلُوسًا عندَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فقال : أَيُّكُم يَحْفَظُ [٢ظ] حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الفِتْنَةِ ؟ قلت : أنا . قال : هَاتِ إنَّكَ لَجَرِىءٌ . فقلت : ذَكَر فِتْنةَ الرجلِ فى أهلِه ومالِه وولدِه وجارِه ، يكفِّرُها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عن المنكرِ . فقال : ليس هذا أعنِى ، إنَّما أعنى التى تَموجُ مَوجَ البحرِ . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ بينَك وبينَها بابًا مُغلقًا . فقال : وَيْحَكَ ! أيُفْتَحُ البابُ أم يُكسَرُ ؟ قلت : بل يُكسَرُ . قال : إذًا لا يُغلَقُ أبدًا . قلتُ : أجل . فقُلْنا لحذيفةَ : أكان عمرُ يعلَمُ مَن البابُ ؟ قال : نعم ؛ إنِّى حَدَّثتُه حديثًا ليس بالأغاليطِ . قال : فهِبْنا أن نسألَ حذيفةَ : مَن البابُ ؟ فقلنا لمسروقٍ : سَلْه . فسأله ، فقال : هو عُمَرُ . وهكذا وقَع الأمرُ سَواءً بعدَ مقتلِ عمرَ فى سنةِ ثلاثٍ وعشرين ؛ وقَعت الفتنُ بينَ الناسِ بعد مقتلِه ، وكان ذلك سببَ انتشارِها بينَهم .

وأخبَر ﷺ عن عثمانَ بنِ عفانَ أنَّه مِن أهلِ الجنةِ ، على بَلْوَى تُصيبُه[2] ، فوقَع الأمرُ كذلك ؛ حُصِر وقُتِل صابرًا مُحتسِبًا شهيدًا ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقد ذكَرْنا عندَ مقتلِه[3] [4]الأحاديثَ التى ورَدت بالإنذارِ بذلك ، والإعلامِ به قبلَ كونِه ؛ فوقَع طِبْقَ ذلك سَواءً بسَواءٍ[4] . وذكَرْنا ما ورَد من الأحاديثِ[5] فى الجَمَلِ وصِفِّينَ ، فوقع الأمرُ كذلك . وكذلك الإخبارُ بمقتلِ عمَّارٍ[6] . وما ورَد فى

---

(١) البخارى (٥٢٥، ٧٠٩٦) ، ومسلم كتاب الفتن ٢٢١٨/٤ (١٤٤) من حديث الأعمش به ، والبخارى (١٨٩٥) ، ومسلم كتاب الفتن ٢٢١٨/٤ (٢٧/ ١٤٤) من حديث جامع بن أبى راشد به .
(٢) البخارى (٣٦٩٣، ٣٦٩٥) .
(٣) تقدم الحصر فى ٢٨٥/١٠ ، وما ورد فى مقتله فى ١٠/ ٣٠٥.
(٤ - ٤) بعده فى الأصل : « ما ورد فى الأحاديث بمقتله فوقع الأمر كذلك » .
(٥) تقدم تخريجها فى ٩/ ١٧٤، ١٧٧، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩ - ١٩٢.
(٦) تقدم فى ٩/ ١٩٣.

الأحاديثِ بمقتلِ الخوارجِ الذين قتَلهم عليٌّ بنُ أبى طالبٍ رضِى اللَّهُ عنه، وصفتِهم، ونعتِ ذى الثُّدَيَّةِ[1] منهم. كلُّ ذلك قد حرَّرناه فيما سلَف، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ. وذكَرْنا عندَ مقتلِ عليٍّ الحديثَ الواردَ فى ذلك بطرقِه، وألفاظِه[2]، وتقدَّم الحديثُ الذى رواه أحمدُ، وأبو داودَ، والنسائىُّ، والتِّرمذىُّ وحسَّنه، مِن طريقِ سعيدِ بنِ جُمْهانَ، عن سَفينَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الْخِلَافَةُ بَعْدِى ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا»[3]. وقد اشتمَلت هذه الثلاثون سنةً على خلافةِ أبى بكرٍ الصدِّيقِ، وعمرَ الفاروقِ، وعثمانَ الشهيدِ، وعلىِّ بنِ أبى طالبٍ الشهيدِ أيضًا، وكان تمامُها وخِتامُها بستَّةِ أشهرٍ وَلِيها الحسنُ بنُ علىٍّ بعدَ أبيه، وعندَ تمامِ الثلاثين نزَل عن الأمرِ[4] لمعاويةَ بنِ أبى سفيانَ، وأصْفَقت البيعةُ لمعاويةَ وسُمِّى ذلك عامَ الجماعةِ، وقد بسَطْنا ذلك فيما تقدَّم. وروَى البخارىُّ[5] عن أبى بكْرةَ، رضى اللَّه عنه، أنَّه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ - والحسنُ بنُ علىٍّ إلى جانبِه على المنبرِ -: «إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». وهكذا وقَع.

وثبَت فى «الصحيحَيْن»[6] عن أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلْحانَ أن ناسًا من هذه الأمةِ يغزون البحرَ مرتين، وأنها تكونُ مع الأوَّلين، فكان الأمرُ كذلك فى سنةِ سبعٍ وعشرين، مع معاويةَ فى خلافةِ عثمانَ، حينَ استأذن عثمانَ فى غزوِ قُبرُسَ،

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٩٨، ١٩٩، ١٠/ ٥٩٢ - ٦٢٩.
(٢) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٤، ٢٠٥، ١١/ ٥ - ١٢.
(٣) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٣.
(٤) فى ح: «الإمرة».
(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٠٨.
(٦) البخارى (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

فأذِن له فركِب المسلمون المراكبَ إليها وفتَحوها قَسْرًا ، وتُوفِّيت أمُّ حَرامٍ فى هذه الغزوةِ ، وكانت أمُّ حَرامٍ مع زوجِها [٣و] عُبادةَ بنِ الصامتِ ، وكان مع معاويةَ فى هذه الغزوةِ زوجتُه فاخِتَةُ بنتُ قَرَظةَ[١] . وأما غزوةُ البحرِ الثانيةُ فكانت فى سنةِ ثِنتيْن وخمسين فى أيامِ مُعاويةَ أيضًا ، غزاها ابنُه يزيدُ ومعَه الجنودُ فدخلوا إلى القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وكان معه فى هذا الجيشِ جماعةٌ مِن أعيانِ الصحابةِ ، منهم أبو أيُّوبَ الأنصاريُّ خالدُ بنُ زيدٍ[٢] ، رضِى اللَّهُ عنه ، فمات هنالك وأوصَى إلى يَزيدَ ابنِ معاويةَ ، أن يدفِنَه تحتَ سنابكِ الخيلِ[٣] ، وأن يُوغِلَ به إلى أقصَى ما يُمكِنُ أن يُنتهَى به إلى نحوِ جهةِ العدوِّ ، ففعَل ذلك .

وتفرَّد البخاريُّ[٤] بما رَواه مِن طريقِ ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن عُميرِ بنِ الأسودِ العَنْسِيِّ ، عن أمِّ حَرامٍ ، أنَّها سمِعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِى يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أوْجَبُوا » . قالت أمُّ حرامٍ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا فيهم ؟ قال : « أنْتِ فِيهِمْ » . ثم قال النبىُّ ﷺ : « أوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِى يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ » . قلتُ : أنا فيهم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لَا » .

---

(١) فى ح : « قرطه » .

(٢) فى ص : « يزيد » .

(٣) أى : فى مكان الوقعة بعد انتهائها .

(٤) البخارى (٢٩٢٤) .

ذِكْرُ قِتالِ الهندِ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيَى بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا البَراءُ ، عن الحسنِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : حدَّثنى خليلى الصادقُ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال : « يَكُونُ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْثٌ إلَى السِّنْدِ وَالهِنْدِ » . فَإنْ أنَا أدْرَكْتُهُ فَاسْتُشْهِدْتُ فَذَاكَ ، وَإنْ أنَا - فَذَكَرَ كَلِمَةً - رجَعْتُ ، فأنَا أبو هُرَيْرَةَ المُحَرَّرُ ؛ قد أعْتَقَنى مِنَ النَّارِ . ورَوَاه أحمدُ[2] أيضًا ، عن هُشَيْمٍ ، عن سَيّارٍ ، عن جبرِ بنِ عَبِيدةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : وعَدَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ غزوةَ الهندِ ، فَإنِ اسْتُشْهِدْتُ ، كُنْتُ مِنْ خَيْرِ الشُّهَدَاءِ ، وَإنْ رَجَعْتُ فَأنَا أبُو هُرَيْرَةَ المُحَرَّرُ . ورواه النَّسائىُّ[3] مِن حديثِ هُشَيْمٍ وزيدِ بنِ أبى أُنَيْسَةَ ، عن سَيّارٍ ، عن جبرٍ[4] - ويقالُ : جُبَيْرٌ[4] - عن أبى هريرةَ ، فذكره .

وقد غزا المسلمون الهندَ فى سنةِ أربعٍ وأربعين ، فى إمارةِ معاويةَ أيضًا ، فجرَت هنالك أمورٌ قد ذكرناها مبسوطةً فيما تقدم ، وقد غزَاها الملكُ السعيدُ المحمودُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكين صاحبُ غَزْنَةَ وما وَالَاها ، فى حدودِ أربعِمائةٍ[5] ، ففعَل هُنالك أفعالًا مشهورةً ، وأمورًا مشكورةً ؛ كسَر الصنمَ الأعظمَ المسمَّى بسُومَناتَ ، وأخَذ قلائدَه وجواهرَه وذهبَه وشُنُوفَه[6] ، وأخذ من الأموالِ ما لا

---

(١) المسند ٢/٣٦٩ (٨٨٠٩) ، قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف البراء بن عبد الله الغنوى ، ولانقطاعه ؛ فإن الحسن - وهو البصرى - لم يسمع أبا هريرة . المسند ١٤/ ٤١٩.

(٢) المسند ٢/٢٢٨ (٧١٢٨) قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

تنبيه : قد فاتنا فيما سبق من أجزاء التنبيه على أن الحكم الذى نردفه بعد تخريج المسند دون إشارة هو من قول الشيخ أحمد شاكر .

(٣) النسائى (٣١٧٣) . ضعيف (ضعيف سنن النسائى ٢٠٢) .

(٤) فى الأصل : « خير » .

(٥) تقدم فى ١٥/ ٥٦٠، حوادث سنة أربع وأربعمائة ، وانظر ١٥/ ٦٤١.

(٦) الشنوف : جمع الشَّنْف : الذى يلبس فى أعلى الأذن ، والذى فى أسفلها القُرْط . لسان العرب (ش ن ف) .

يُحْصَى ، ورجَع إلى بلادِه سالمًا مؤيَّدًا منصورًا .

وقد كان نُوّابُ بنى أميةَ يقاتِلون الأتراكَ ، فى أقصَى بلادِ السِّندِ والصينِ ، وقهَروا مَلِكَهم القانَ الأعظمَ ، ومزَّقوا عساكرَه ، واستحوَذوا على أموالِه وحواصلِه ، وقد ورَدت الأحاديثُ بذكرِ صفتِهم ونعتِهم ، ولنذكُرْ شيئًا مِن ذلك على سبيلِ الإيجازِ :

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا أبو اليمانِ ، أخبرنا[2] [٣ظ] شعيبٌ ، أخبَرنا أبو الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ ؛ صِغَارَ الأَعْيُنِ ، حُمْرَ الوُجُوهِ ، ذُلْفَ[3] الأُنُوفِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ[4] المُطْرَقَةُ ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الأَمْرِ ، حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ ؛ خِيَارُهُمْ فِى الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِى الإِسْلَامِ ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِى أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ » . تفرَّد به البخاريُّ . ثم قال[5] : حدَّثنا يحيَى ، حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، عن مَعْمرٍ ، عن هَمّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ النَّبىَّ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا[6] وَكَرْمَانَ مِنَ الأَعَاجِمِ ، حُمْرَ الْوُجُوهِ فُطْسَ[7] الأُنُوفِ ، كَأَنَّ

---

(١) البخارى (٣٥٨٧- ٣٥٨٩) .

(٢) فى ح : « حدثنا » ، فى ص : « وأخبرنا أبو » .

(٣) الذَّلَف - بالتحريك- : قصر الأنف وانبطاحه . وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته ، والذُّلْف - بسكون اللام - جمع أذلف . النهاية ٢/ ١٦٥.

(٤) المجانّ : التُّرس والتُّرسَة ، والميم زائدة ، لأنه من الجُنة : السترة . النهاية ١/ ٣٠٨، ٤/ ٣٠١.

(٥) البخارى (٣٥٩٠) .

(٦) فى الأصل : « العورا » . والخُوز : قوم من العجم . فتح البارى ٦/ ٦٠٧.

(٧) الفَطَس : انخفاض قصبة الأنف وانفراشها . النهاية ٣/ ٤٥٨.

وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ » .[1] ورواه أحمدُ عن عبدِ الرزاقِ[1] .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، يبلُغُ به النبىَّ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ » ، وأخرجه الجماعةُ سوَى النَّسائىِّ ، مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ به[3] . ورَواه البخارىُّ عن علىِّ بنِ المَدِينىِّ ، عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ . ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، كلاهما[4] عن قَيْسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، فذكَر نحوَه . قال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ[5] : وهم أهلُ البارَزِ[6] . كذا قال سفيانُ ، ولعله : البازَرِ[7] ، وهو سوقُ الفُسوقِ الذى لهم .

حديثُ عمرِو بنِ تَغْلِبَ : وقال أحمدُ[8] : حدَّثنا عفّانُ ، حدَّثنا جَرِيرُ بنُ حازمٍ ، سمِعتُ الحسنَ ، حدَّثنا عَمرُو بنُ تغلِبَ ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا [9]نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ » أَوْ : « يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ » - وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا[9] عِرَاضَ الوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ » . ورواه البخارىُّ مِن حديثِ جَريرِ بنِ حازمٍ[10] .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص . والحديث فى المسند ٣١٩/٢ (٨٢٢٣ ، ٨٢٢٤) .

(٢) المسند ٢٣٩/٢ (٧٢٦٢) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) البخارى (٢٩٢٩) ، ومسلم (٢٩١٢) ، وأبو داود (٤٣٠٤) ، والترمذى (٢٢١٥) ، وابن ماجه (٤٠٩٦) .

(٤) البخارى (٣٥٩١) ، ومسلم (٦٦/ ٢٩١٢) .

(٥) فتح البارى ٦٠٨/٦ ، ٦٠٩ .

(٦) فى ح : « المبارز » ، وفى ص : « البازر » . وانظر ما تقدم فى ٢٢١/٩ .

(٧) فى ص : « البارز » .

(٨) المسند ٧٠/٥ (٢٠٦٩٦) .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠) البخارى (٢٩٢٧ ، ٣٥٩٢) .

[1] وقد رُوِى من حديثِ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ الأَسْلَمِىِّ . قال أحمدُ[2] : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، ثنا بَشيرُ بنُ المُهاجِرِ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : كنتُ جالسًا عند النبىِّ ﷺ فسمِعْتُه يقولُ : « إنَّ أُمَّتِى يَسُوقُهَا قَوْمٌ[3] صِغَارُ الْأَعْيُنِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الحَجَفُ[4] ، ثَلَاثَ مِرَارٍ[5] حَتَّى يُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ؛ أَمَّا السِّيَاقَةُ[6] الْأُولَى فَيَنْجُو [7]مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ[7] ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَيَنْجُو بَعْضٌ وَيَهْلِكُ بَعْضٌ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَيُصْطَلَمُونَ[8] كُلُّهُمْ مَن بَقِىَ مِنْهُمْ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن هم ؟ قال : « التُّرْكُ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيَرْبِطُنَّ خُيُولَهُمْ بِسَوَارِى مَسْجِدِ الْمُسْلِمِينَ » . قال : فكان بُرَيْدَةُ لا يُفارِقُه بَعِيران أو ثلاثةٌ ومَتاعٌ بعدَ ذلك للهربِ ؛ لِمَا سمِع مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن البَلاءِ فى التُّركِ . ورواه أبو داودَ[9] فى كتابِ المَلاحمِ مِن « سننِه » عن جعفرِ بنِ مُسافِرٍ ، عن خَلَّادِ بنِ يَحْيَى ، عن بَشِيرِ بنِ المُهاجِرِ . ورواه أبو يَعْلَى عنه ، به ، وفيه : « قَوْمٌ صِغَارُ الْعُيُونِ ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الحَجَفُ ، يُلْحِقُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ بِمَنَابِتِ[1]

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) المسند ٥/٣٤٨ (٢٣٠٠١) . وقال الهيثمى : رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٧/٣١١ .

(٣) بعده فى المسند : « عراض الأوجه » .

(٤) الحجف جمع حجفة ، وهى الترس . انظر النهاية ١/ ٣٤٥.

(٥) فى الأصل : « مرات » . والمثبت من المسند وانظر جامع المسانيد ٢/١٩٥ ، ومجمع الزوائد ٧/٣١١ وهما بمعنى .

(٦) فى المسند : « السابقة » .

(٧ - ٧) فى الأصل : « بيردهم » . والمثبت من المسند ، وانظر جامع المسانيد ٢/ ١٩٥، ومجمع الزوائد ٧/ ٣١١.

(٨) فى الأصل ، ومصدر التخريج : « يصطلون » ، والصواب ما أثبتنا وهو موافق لما جاء فى سنن أبى داود (٤٣٠٥) ، ولقد رواه ابن كثير فى جامع المسانيد ٢/١٩٤ (٧٦١) ، والقرطبى فى التذكرة ٢/ ٤٩٨ ، والهيثمى فى المجمع ٧/٣١١ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٦/٥٤ ، كلهم عن الإمام أحمد بلفظ « يصطلمون » ، كما أثبتنا .

والاصطلام : الاستئصال ، وأصله من الصلم وهو القطع . التذكرة ٢/٤٩٩ .

(٩) سنن أبى داود (٤٣٠٥) وفيه أن المسلمين هم الذين يسوقون الترك . قال فى عون المعبود بعد إيراده الحديثين : انظر كيف خالف [سياق أحمد] سياق أبى داود مخالفة بيّنة لا يظهر وجه الجمع بينهما . وبوب القرطبى فى التذكرة [٢/ ٤٩٨] بلفظ باب فى سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم ....، وإنى لست أدرى ما مراده من تبويبه بهذا اللفظ ، وإن أراد به الجمع بين روايتى أبى داود وأحمد ، =

(١) الشِّيحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ أَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ ، وَأَمَّا الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ فَيَنْجُو [٤و] بَعْضٌ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَيَهْلِكُونَ جَمِيعًا ، كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَبَطُوا خُيُولَهُمْ بِسَوَارِى الْمَسْجِدِ » . قيل : مَن هم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُمُ التُّرْكُ » .

حَدِيثُ أبى بَكْرَةَ الثَّقَفِىِّ فى ذلك :

قال الإمامُ أحمدُ(٢) : ثنا أبو النَّضْرِ هاشمُ بنُ القاسمِ ، ثنا الحَشْرَجُ(٣) بنُ نُباتةَ القَيْسىُّ الكوفىُّ ، ثنا سعيدُ بنُ جُمْهانَ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرةَ ، حدَّثنى أبى فى هذا المسجدِ مسجدِ البصرةِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتَنْزِلَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى أَرْضًا يُقَالُ لَهَا : الْبَصْرَةُ . فَيَكْثُرُ بِهَا عَدَدُهُمْ وَنَخْلُهُمْ ، ثُمَّ يَجِىءُ بَنُو قَنْطُورَاءَ(٤) ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ ، صِغَارُ الْعُيُونِ ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى جِسْرٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ : دِجْلَةُ . فَيَفْتَرِقُ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ فَتَلْحَقُ بِالْبَادِيَةِ ، فَهَلَكَتْ ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا(٥) ، فَكَفَرَتْ ، فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَجْعَلُونَ عِيَالَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيُقَاتِلُونَ ، فَقَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ » .

ورواه أبو داودَ فى المَلاحمِ(٦) ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ فارسٍ ، عن(١)

= بأنهما محمولان على زمانين مختلفين ... فهذا بعيد جدًّا ...، وعندى أن الصواب هى رواية أحمد ، وأما رواية أبى داود فالظاهر أنه قد وقع فيه وهم من بعض الرواة . عون المعبود ٤/ ١٨٧، ١٨٨ . وقد أورد القرطبى هذه السياقات الثلاث للترك عقب هذين الحديثين . التذكرة ٢/ ٤٩٩ - ٥٠١. ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٧) .

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) المسند ٥/ ٤٤ ، ٤٥ (٢٠٤٦٩) .

(٣) فى الأصل : « الحسن » ، والمثبت من المسند ، وانظر أطراف المسند ٦/ ١٠٦، وتهذيب الكمال ٦/ ٥٠٦ .

(٤) بنو قنطوراء ، ممدود ويقصر : الترك أو السودان ، وبه فسر حديث أبى بكرة (الذى بأيدينا) . تاج العروس (قنطر) . وانظر عون المعبود ٤/ ١٨٩ .

(٥) أى يطلبون أو يقبلون الأمان من بنى قنطورا . عون المعبود ٤/ ١٨٩.

(٦) أبو داود (٤٣٠٦) ، حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٨) .

[1] عبدِ الصَّمَدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بن جُمْهانَ ، ثنا مُسْلمُ بنُ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَنْزِلُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِى بِغَائِطِ[2] يُسَمُّونَهُ البَصْرَةَ عِنْدَ نهرٍ يُقَالُ لَهُ : دِجْلَةُ . يَكُونُ[3] عَلَيْه جِسْرٌ ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا ، وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ المُهَاجِرِينَ - وفى لفظٍ : المُسْلِمِينَ - فَإِذَا كَانَ فِى آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ عِرَاضُ الوُجُوهِ صِغَارُ الأَعْيُنِ ، حتى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ ، فَيَتَفَرَّقُ المُهَاجِرُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فِرْقَةٌ تَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا ، وفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَكَفَرُوا ، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ ، ويُقَاتِلُونَهُمْ ، وَهُمُ الشُّهَدَاءُ » .

وتقدَّم حديثُ أنسٍ[4] فى ذكرِ البصرةِ ، التى مُصِّرَت فى زمانِ عمرَ بن الخطابِ[5] .

وروَى مسلمٌ وأبو داودَ والنسائىُّ[6] ، عن قُتَيْبةَ ، عن يعقوبَ الإِسْكَنْدرانىِّ ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ التُّرْكَ ، قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ ، يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ » . وهذا لفظُ أبى داودَ[1] .

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) الغائط : المطْمئن الواسع من الأرض . عون المعبود ١٨٩/٤ .

(٣) بعده فى الأصل : « لهم » . والمثبت من المصدر . وانظر عون المعبود الموضع السابق .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٧ .

(٥) بعده فى الأصل : « ذكر قتالهم مع اليهود مع الدجال جيشه سبعون ألفا من الترك ، ووزراؤه اليهود وهم سبعون ألفا أيضا » . وهى غريبة فى موضعها مقحمة ، فآثرنا وضعها فى الحاشية .

(٦) مسلم (٢٩١٢/٦٥) ، سنن أبى داود (٤٣٠٣) ، النسائى (٣١٧٧) .

(١ وقد رُوِى مِن حديثِ أبى سعيدٍ ، فقال أحمدُ(٢) : ثنا عمّارُ(٣) بنُ محمدٍ ابنُ أختِ سُفْيانَ الثَّورىِّ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الْأَعْيُنِ ، عِرَاضَ الوُجُوهِ ، كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ حَدَقُ الْجَرادِ ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ ، وَيَتَّخِذُونَ الدَّرَقَ(٤) حَتَّى يَرْبِطُوا خُيُولَهُمْ بِالنَّخْلِ » . تَفَرَّد به أحمدُ(٥) .

حديثُ معاويةَ بنِ أبى سفيانَ فى قِتالِ التركِ : قال أبو يَعْلَى(٦) : ثنا محمدُ بنُ يحيى(٧) البَصْرىُّ ، ثنا محمدُ بنُ يعقوبَ ، ثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، (٨حدثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ الغَمْرِ ، مولى سموك٨) ، ثنا أبى ، عن جَدِّى ، سمِعْتُ مُعاويةَ بنَ حُدَيْجٍ يقولُ : كنتُ عندَ مُعاويةَ بنِ أبى سفيانَ إذ جاءه كتابُ عاملِه يُخْبِرُ أنه أوقَع بالتركِ وهزَمَهم ، وبكثرةِ مَن قُتِل منهم وكثرةِ ماغنِم منهم ، فغضِب معاويةُ مِن ذلك ، ثم أمرَ أن يُكْتَبَ إليه : قد فَهِمْتُ ما ذَكَرْتَ (٩مما قتلتَ وغنِمت٩) فلا أعْلَمَن أنك عُدْتَ إلى شىءٍ من ذلك ، ولا تُقاتِلْهم حتى يَأْتِيَك١)

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) المسند ٣/٣١ (١١٢٧٩) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٧/٣٦٤.

(٣) فى الأصل : « عباد » . والمثبت من المصدر ، وانظر أطراف المسند ٦/٣٤٣ .

(٤) الدرق : ضرب من الترسة ، الواحدة درقة ، والدرقة الحجفة وهى ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . اللسان (د ر ق) .

(٥) قوله : « تفرد به أحمد » كذا قال ، وقد رواه ابن ماجه (٤٠٩٩) من طريق عمار بن محمد بهذا الإسناد واللفظ . وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٣٥٠، وجامع المسانيد ٣٣/٨٥ .

(٦) مسند أبى يعلى (٧٣٧٦) بنحوه . قال محققه : إسناده مسلسل بالمجاهيل .

(٧) فى الأصل : « محمد » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/٦١٠ ، ٦٤٣.

(٨ - ٨) فى الأصل : « بن أحمد مولى السموأل » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر المطالب العالية ١٠/١١٣ (٥٠٢٠) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « غيمت » . والمثبت من مصدر التخريج .

[1]أمْرى . فقلتُ له : ولِمَ أميرَ المؤمنين ؟ فقال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ التُّرْكَ تُحَارِبُ الْعَرَبَ حَتَّى تُلْحِقَهَا بِمَنَابِتِ الشِّيحِ والقَيْصُومِ » . فأَكْرهُ قِتالَهم لذلك .

طريقٌ أخرى عن معاويةَ : قال الطَّبرانيُّ[2] : ثنا يحيى بنُ أيوبَ العَلَّافُ ، حدَّثنا أبو صالحٍ الحَرَّانيُّ ، ثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن كعبِ بنِ عَلْقمةَ التَّنوخيِّ ، ثنا حسانُ[3] بنُ كُرَيْبٍ الحِمْيَرِيُّ ، سمِعْتُ [4]ابنَ ذى الكَلاعِ[4] يقولُ : سمِعْتُ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ » . وروَى الطَّبَرانيُّ[5] ، عن إبراهيمَ بنِ أبى حاتمٍ ، عن نُعَيْمِ بنِ حمادٍ فى كتابِ « المَلاحِمِ » ، ثنا يحيى بنُ سعيدٍ العَطَّارُ وأبو المُغيرةِ ، عن إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ ، عن كعبِ الأحبارِ قال : يَنْزِلُ التُّركُ آمِدَ ويشربون[6] مِن نهرِ الدِّجْلةِ والفُراتِ ، سبعون ألفًا ، ويَسْعَوْن فى الجزيرةِ وأهلِ الإسلامِ ، فى الحيرةِ[7] ، لا يَسْتَطِيعون لهم شيئًا ، فيَبْعَثُ اللَّهُ عليهم ثلجًا بغيرِ كَيْلٍ فيه صِرٌّ مِن ريحٍ شديدةٍ وجَليدٍ ، فإذا هم خامِدون . [8]فيرجِعون فيقولون : إن اللَّهَ قد أهلَكهم وكفاكم العدوَّ ، ولم يَبْقَ منهم أحدٌ ، قد هلَكوا من عندِ آخرِهم[8][1] .

والمقصودُ : أنَّ التُّركَ قاتَلهم [٤ظ] الصحابةُ ، فهزَموهم ، وغنِموهم ، وسبَوا نساءَهم وأبناءَهم ، وظاهرُ هذه الأحاديثِ أنَّ قِتالَهم يكونُ مِن أشراطِ الساعةِ ،

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) المعجم الكبير ١٩/٣٧٥ (٨٨٢) ، قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات . المجمع ٥/ ٣٠٤.

(٣) فى الأصل : « حماد » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٠ .

(٤ - ٤) فى الأصل : « من ذى الأسماع » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تاج العروس (ك ل ع) .

(٥) لم أجده فى الطبرانى ، وهو فى « الفتن » لنعيم من طريق أخرى عن كعب (٦١٢) .

(٦) فى الأصل : « يثرب » ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) فى مصدر التخريج : « الجزيرة » .

(٨ - ٨) غير واضح فى الأصل ، والمثبت من مصدر التخريج .

وأشراطُها لا تكونُ إلا بينَ يَدَيْها قريبًا منها ، فقد يكونُ هذا واقعًا مرةً [1] أخرى عظيمةً [1] بينَ المسلمين والتركِ ، حتى يكونَ آخرَ ذلك [2] قتالُهم مع الدجالِ ، و [2] يأْجُوجُ ومأجُوجُ ، كما سيأتى ذكرُ ذلك ، وإن كان أشراطُ الساعةِ أعمَّ مِن أن يكونَ بينَ يَدَيْها قريبًا منها ، أو يكونَ ممّا يقَعُ فى الجُملةِ ، حتى ولو تقدَّم قبلَها بدهرٍ طويلٍ ، إلا أنَّه ممّا يقَعُ بعدَ زمنِ النبىِّ ﷺ ، وهذا هو الذى يظهَرُ بعدَ تأمُّلِ الأحاديثِ الواردةِ فى هذا البابِ ، كما ترى ذلك قريبًا إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقد ذكَرْنا ما ورَد فى مقتلِ الحسينِ بنِ علىٍّ بكَرْ بَلاءَ ، فى أيامِ يزيدَ بنِ معاويةَ ، كما سلَف [3] . وما ورَد مِن الأحاديثِ [4] فى ذكرِ خلفاءِ بنى أميةَ [5] و أُغَيْلِمةِ [5] بنى عبدِ المطلبِ ؛ قال أحمدُ [6] : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا أبو أمَيَّةَ عمرُو ابنُ يحيى بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، أخبرَنى جَدِّى سعيدُ بنُ عمرِو بنِ سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « هَلَكَةُ أُمَّتِى [7] عَلَى يَدَىْ غِلْمَةٍ » . فقال مروانُ ، وهو معنا فى الحلْقةِ قبلَ أن يَلِىَ شيئًا : لَعْنَةُ اللَّهِ عليهم غِلْمَةً . قال أبو هريرةَ : أمَا واللَّهِ لو أشاءُ أن أقولَ بنى فلانٍ ، وبنى فلانٍ لفعَلْتُ . قال [8] : فكنتُ أخْرُجُ مع أبى وجَدِّى إلى بنى مروانَ بعدَ ما ملكوا ، فإذا هُم يبايِعونَ

(١ - ١) فى ح : « ثانية أومرات كثيرة » .
(٢ - ٢) فى ح ، ص : « خروج » .
(٣) تقدم فى ٩/ ٢٣٤، ١١/ ٥٧٠ - ٥٧٦.
(٤) تقدم فى ٩ /٢٧٠ .
(٥ - ٥) فى ح : « أغيلمة » .
(٦) المسند ٢/ ٣٢٤ (٨٢٨٧) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .
(٧) قال ابن حجر : والمراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر ومن قاربهم لا جميع الأمة إلى يوم القيامة . فتح البارى ١٣/ ١٠ .
(٨) القائل هو عمرو بن سعيد .

الصِّبيانَ ، ومنهم مَن يُبايَعُ له وهو فى خِرْقَةٍ . قال لنا : هل عسَى أصحابُكم هؤلاء أن يكونوا الذين سمِعتُ أبا هريرةَ يذكُرُ أنَّ هذه الملوكَ يُشبِهُ بعضُها بعضًا . ورَواه البخاريُّ[1] بنحوِه عن أبى هريرةَ . والأحَاديثُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا ، وقد حرَّرناها فى دلائلِ النبوةِ .

وتقدَّم الحديثُ فى ذكرِ الكذّابِ والمُبيرِ مِن ثقيفٍ[2] ، فالكذابُ هو المختارُ ابنُ أبى عُبَيْدٍ الذى ظهَر بالكوفةِ أيامَ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ ، وكان رافضيًّا خبيثًا ، بل كان يُنْسَبُ إلى الزندقةِ ، وادَّعَى أنَّه يُوحَى إليه ، وقد قتله مصعبُ بنُ الزبيرِ ، وأما المُبيرُ فهو الحجاجُ بنُ يوسفَ الثقفيُّ ، الذى قتَل عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبيرِ ، وكان ناصبيًّا جبّارًا عنيدًا ، عكسَ الأولِ فى الرفضِ[3] . وتقدَّم حديثُ الراياتِ السُّودِ[4] التى جاء بها بنو العباسِ مِن خُراسانَ لمَّا استَلَبُوا المُلكَ مِن أيدى بنى أُميةَ ، وذلك فى سنةِ ثِنْتَيْن وثلاثين ومائةٍ ، أخَذوا الخلافةَ مِن مروانَ بنِ محمدِ بنِ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ العاصِ ويعرفُ بمَروانَ الحِمارِ الجَعْدىِّ ؛ (5)لاشتغالِه على الجعدِ بنِ درهمٍ المعتزليِّ[6] ، وكان آخِرَ خلفاءِ بنى أُميةَ(5) ، فصارت الخلافةُ إلى السفاحِ أولِ خلفاءِ بنى العباسِ ، وقد صُرِّح باسمِه فى الحديثِ الذى رواه أحمدُ ، وقد تقدَّم ذلك[7] .

وقال أبو داودَ الطيالسىُّ[8] : حَدَّثنا جريرُ بنُ حازمٍ ، عن ليثٍ ، عن

---

(١) البخارى (٣٦٠٥ ، ٧٠٥٨) .
(٢) تقدم فى ٩/ ٢٥١.
(٣) انظر ما تقدم فى ١٢/ ١٧٧.
(٤) تقدم فى ٩/ ٢٧٨.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦) بعده فى الأصل : « كان قد اشتغل على الجعد بن درهم المعتزلى شيخ الجهمية » .
(٧) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٨٠.
(٨) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٣.

عبدِ الرحمنِ[1] بنِ سابطٍ ، عن أبى ثعلبةَ الخُشَنِىِّ ، عن أبى عُبَيْدةَ بنِ الجرَّاحِ ، ومُعاذِ بنِ جبلٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ بَدَأ هَذَا الأَمْرَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ، وَكَائنًا خِلَافَةً وَرَحْمَةً ، وَكَائنًا مُلْكًا عَضُوضًا ، وَ كَائنًا عِزَّةً[2] وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فى الأُمَّةِ[3] ؛ يَسْتَحِلُّونَ الفُرُوجَ ، وَالخُمُورَ ، وَالحَرِيرَ ، وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا ، حَتَّى يَلْقَوُا اللَّهَ » . وروَى البَيْهَقىُّ[4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ محمدِ بنِ حاطبٍ الجُمَحىِّ ، عن سُهَيلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَعْدِلُونَ فِى عِبَادِ اللَّهِ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الخُلَفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالثَّأْرِ ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ ، وَيَصْطَفُونَ الأَمْوَالَ ، فَمُغَيِّرٌ بِيَدِهِ ، وَمُغَيِّرٌ بِلِسَانِهِ ، وَمُغَيِّرٌ بِقَلْبِهِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ شَىْءٌ »[5] .

وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[6] مِن حديثِ شُعبةَ ، عن فُراتٍ القزّازِ ، عن

---

(١) فى الأصل : « اللّه » ، وفى حاشيتها : « كذا والصحيح الرحمن » .

(٢) فى مصدر التخريج : « عنوة » .

(٣) فى مصدر التخريج : « الأرض » .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٢.

(٥) بعده فى الأصل : « أما حديث أرأيتكم هذه فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو كائن على وجه الأرض أحد وفى رواية عين تطرف فهو فى الصحيحين من حديث ابن عمر قال ابن عمر فوهل الناس فى مقالة رسول اللّه ﷺ وإنما أراد انخرام قرنه وله طرق وقد رواه الطبرانى من حديث ابن وهب عن عبد الرحمن ابن شريح سمعت سعيد بن أبى شمر السَّبائى سمعت سفيان بن أبى زهير الخولانى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لا تأتى [٥و] المائة وعلى ظهرها أحد باقى وتقدم عند رأس المائة من التاريخ قول على بن أبى طالب إنما رخاء هذه الأمة وفرجها بعد المائة وتفسير الحديث بانخرام ذلك القرن » . وسيأتى هذا فى موضعه إن شاء اللّه .

(٦) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٢.

أبى حازمٍ، عن أبى هريرةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «كَانَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبِيَاءُ؛ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قالوا: فما تأمُرُنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الأوَّلِ فَالأوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ».

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[1] مِن حديثِ أبى رافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ نَبِيٌّ إلَّا كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ، وَيَعْمَلُونَ مَا يُنْكِرُونَ».

وثبَت فى «الصحيحَيْن»[2] مِن روايةِ عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

ورَواه أبو داودَ[3] مِن طريقٍ أخرى، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ، قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ [4]اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»[4]. وفى روايةٍ[5]: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ مُسْتَقِيمًا أمْرُهَا، ظَاهِرَةً عَلَى عَدُوِّهَا، حَتَّى يَمْضِىَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ». قالوا: ثم يكونُ ماذا؟ قال: «يَكُونُ الهَرْجُ».

فهؤلاء الخلفاءُ المبشَّرُ بهم فى هذا الحديثِ ليسُوا بالاثنى عشَرَ الذين تزعُمُهم

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ١٥٢.
(٢) البخارى (٧٢٢٢، ٧٢٢٣)، ومسلم (٦/ ١٨٢١) كلاهما بنحوه.
(٣) أبو داود (٤٢٧٩).
(٤ - ٤) سقط من: ص.
(٥) دلائل النبوة ٦/ ٥٢٠.

الرَّوافضُ ، فإنَّ ذلك كذبٌ وبُهتانٌ منهم ؛ لأنَّ أكثرَ أولئك لم يَلِ أحدٌ منهم شيئًا مِن أعمالِ هذه الأمةِ فى خلافةٍ ، بل ولا فى بلدٍ من البلدانِ ، وإنَّما وَلِىَ منهم علىٌّ وابنُه الحسنُ ، وليس المرادُ مِن هؤلاء الاثنَى عشرَ الذين تتابعت ولايتُهم سَرْدًا إلى أثْناءِ دولةِ بنى أميّةَ ؛ لأنَّ حديثَ سَفِينَةَ : « الخِلَافَةُ بَعْدِى ثَلَاثُون سَنَةً »[1] . يمنَعُ مِن هذا المَسلكِ[2] ، وإن كان البيهقىُّ قد رجَّحَه ، وقد بحَثنا معه فى كتابِ دلائلِ النبوةِ من كتابِنا هذا بما أغنَى عن إعادتِه ، وللَّه الحمدُ ، ولكنَّ هؤلاء الأئمةَ الاثنَى عشرَ وُجِد منهم الأئمةُ الأربعةُ : أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، ثم علىٌّ ، وابنُه الحسنُ بنُ علىٍّ أيضًا ، ومنهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، كما هو عندَ كثيرٍ مِن الأئمةِ ، وجمهورِ الأمّةِ ، وكذلك وُجِد منهم طائفةٌ مِن بنى العباسِ ، وسيوجَدُ بقيَّتُهم فيما يُستقبَلُ مِن الزمانِ ، حتى يكونَ منهم المهدىُّ المبشَّرُ به فى الأحاديثِ الواردةِ فيه ، كما سيأتى بيانُها ، وباللَّهِ المستعانُ ، وعليه التُّكلانُ ، وقد نَصَّ على هذا الذى قلناه غيرُ واحدٍ ، كما قرَّرْنا ذلك .

[3]**حديثُ عبادةَ فيما يتعلقُ بما بعدَ المائةِ سنةٍ** : قال أحمدُ[4] : ثنا الحكمُ بنُ نافعٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ عياشٍ ، عن يزيدَ بنِ سعيدٍ ، عن أبى عطاءٍ يزيدَ بنِ عطاءٍ السَّكْسَكِىِّ ، عن مُعاذِ بن شقراءَ ، عن جُنادةَ بنِ أبى أميَّةَ ، أنَّه سمِع عبادةَ بنَ الصامتِ يذكرُ أنَّ رجلًا أتى النبىَّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما مدةُ أمتِكَ فى الرخاءِ؟ فلم يردَّ عليه شيئًا ، حتى سأله ثلاثَ مرارٍ ، كلَّ ذلك لا يُجيبُه ، ثم انصرف الرجلُ ، ثم إنَّ النبىَّ ﷺ قال : « أينَ السَّائلُ » ؟ فردوه عليه ، فقال[3] :

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/١٥٣.

(٢) فى ص : « الملك » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المسند ٥/٣٢٥ (٢٢٨٢٢) .

(١ « سألْتَنِى عَنْ شَىْءٍ (٢ مَا سَأَلَنِى عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِى ٢) ؛ مُدَّةُ أُمَّتِى مِنَ الرَّخَاءِ مائةُ سَنَةٍ » . قالها مرتين أو ثلاثًا ، فقال الرجلُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فهل لذلك من أمارةٍ أو علامةٍ أو آيةٍ ؟ فقال : « نَعَم ، الخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ المُجْلِبَةِ عَلَى النَّاسِ » . وفى « مسندِ أبى يعلى »[٣] ، والبزارِ[٤] من حديثِ مصعبِ بنِ مصعبٍ ، ولا أعرِفُه إلّا عن الزهرىِّ ، عن أبى سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تُرْفَعُ زِينَةُ الدُّنْيَا سَنَةَ خَمسٍ وعِشْرينَ وَمِائَةٍ » . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ١) .

حديثٌ فيما بعدَ المائتين مِن الهجرةِ

قال ابنُ ماجه[٥] : حدَّثنا الحسنُ بنُ علىٍّ الخلَّالُ ، حدَّثنا عَونُ بنُ عُمارةَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ المُثَنَّى بنِ ثُمَامةَ[٦] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أنَسِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه[٧] ، عن أنسٍ ، عن أبى قَتادةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْآيَاتُ بَعْدَ المِائَتَيْنِ » . ثم أورَده ابنُ ماجه مِن وجهَيْن آخرَيْن ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه[٨] ، ولا يَصِحُّ ، ولو صَحَّ فهو محمولٌ على ما وقَع مِن الفتنةِ بسببِ القولِ بخلقِ القرآنِ ، ومحنةِ الإمامِ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . والمثبت من المسند .

(٣) مسند أبى يعلى (٨٥١) .

(٤) البحر الزخار (١٠٢٧) .

(٥) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٣.

(٦) قال المزى : وذكر ثمامة هنا زيادة لاحاجة إليها ، فإن ثمامة أخو المثنى لا أبوه ، واللَّه أعلم . تحفة الأشراف ٩/ ٢٤١.

(٧) يعنى : عبد اللَّه بن أنس ؛ وذلك ، أن ثمامة زائد فى اسم عبد اللَّه بن المثنى . انظر الحاشية السابقة .

(٨) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٣، ٢٩٤.

أحمدَ وأصحابِه مِن أئمةِ الحديثِ ، كما بسَطْنا ذلك هنالك .

[٥ظ] وروَى رَوّادُ[(١)] بنُ الجرّاحِ - وهو مُنْكَرُ الروايةِ - عن سفيانَ الثوريِّ ، [(٢)]عن منصورٍ[(٢)] ، عن رِبْعيٍّ ، عن حذيفةَ مرفوعًا : « خَيْرُكُمْ بَعْدَ المِائتَيْنِ خَفِيفُ الحَاذِ » . قالوا : وما خَفِيفُ الحَاذِ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « مَنْ لَا أَهْلَ لَهُ ، وَلَا مَالَ وَلَا وَلَدَ » . [(٣)] وهذا منكرٌ[(٣)] .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[(٤)] مِن حديثِ شعبةَ ، عن [(٥)]أبى جَمْرةَ[(٥)] ، عن زَهْدَمِ ابنِ مُضَرِّبٍ ، عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتِى قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . قال عِمرانُ : فلا أدرى ذكَر بعدَ قرنِه قرنَيْن ، أو ثلاثةً : « ثُمَّ إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ » . لفظُ البخاريِّ .

ذِكْرُ سنةِ خَمسِمائةٍ

قال أبو داودَ[(٦)] : حدَّثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثنا[(٧)] أبو المُغيرةِ ، حدَّثنى صَفْوانُ ، عن شُرَيحِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ ، عن النبىِّ ﷺ أنَّه قال :

---

(١) فى الأصل : « داود » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧. وانظر ما تقدم فى ٩/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٥ - ٥) فى الأصل : « أبى ضمرة » ، وفى ح ، ص : « أبى حمزة » . والمثبت من المصدر ، وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٦٢، وتحفة الأشراف ٨/ ١٨١ ، ١٨٢ .

(٦) تقدم فى ٩/ ٢٩٦، ٢٩٧.

(٧) سقط من : الأصل .

«إنِّى لَأَرْجُو أنْ لَا تَعْجِزَ أُمَّتِى عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ». قِيلَ لسعدٍ: وكَمْ نِصْفُ يومٍ؟ قال: خَمسُمائةِ سنةٍ. تفرَّد به أبو داودَ.

وأخرَج أحمدُ بنُ حنبلٍ[1]، عن أبى ثَعْلَبَةَ الخُشَنىِّ مِن قولِه مثلَ ذلك. وهذا التحديدُ بهذه المدةِ لا يَنْفِى ما يزيدُ عليها، إن صَحَّ رفعُ الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ.

فأمَّا ما يُورِدُه كثيرٌ مِن العامّةِ أنَّ النبىَّ ﷺ قال[2]: لَا يُؤَلَّفُ تَحْتَ الأَرْضِ. فهو مِن قولِهم وكلامِهم، وليس له أصلٌ ولا ذِكْرٌ فى كُتُبِ الحديثِ المعتمدةِ، ولا سمِعناه فى شىءٍ مِن المبسوطاتِ، والأجزاءِ المختصراتِ، ولا ثبَت فى حديثٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه حَدَّ الساعةَ بمُدَّةٍ محصورةٍ، وإنَّما ذكَر شيئًا مِن أشراطِها وأماراتِها وعلاماتِها، على ما سنذكُرُه إن شاء اللَّهُ[3].

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٦.

(٢) زاد المسير ٧/ ٣٨٥، والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام لايؤلف فى قبره أى لا يمضى عليه ألف سنة من يوم مات إلى حين قيام الساعة. انظر ما تقدم فى ٩/ ٢٩٧.

ومن ادعاءات العامة أيضا: الدنيا تؤلف ولا تؤلفان. وهذا كله رجم بالغيب ولا يعلم الغيب إلا من خص نفسه به سبحانه: ﴿عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤].

(٣) بعده فى الأصل:

«لكن روَى الطَّبرَانىُّ [المعجم الكبير ٨/٣٦١ (٨١٤٦)] فى ترجمة الضحاك بن زِمل أنه قص على النبى ﷺ رؤيا رآها، قال: رأيت روضة خضراء، فى الروضة منبر، فيه سبع درجات، وأنت يا رسول اللَّه جالس فى أعلاها درجة، يعنى على السابقة منها. فقال له تعبيرها: أما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات فهو الدنيا، عمرها سبعة آلاف سنة، وأنا فى آخرها ألفا، وأما الروضة فهى الإسلام. أخرجه من طريق سليمان بن عطاء القرشى الحرانى، عن مسلمة بن عبد اللَّه، عن عمه أبى مشعجة [صوابه مشجعة، راجع مصدر التخريج، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦١]، بن ربعى الجهنى عن ابن زمل الجهنى فذكره. وقد استنكر البخارى وأبو حاتم وأبو زرعة وابن عدى [انظر الكامل فى الضعفاء ٣/ ١١٣٣] هذا الحديث من رواية سليمان بن عطاء هذا. وقال ابن حبان [المجروحين ١/ ٣٢٩]: يروى عن مسلمة، عن عمه أشياء موضوعة، فالتخبيط منه أو من مسلمة».

ذِكْرُ الخبرِ الواردِ فى ظهورِ نارٍ مِن أرضِ الحجازِ أضاءت لها أعناقُ الإبلِ ببُصْرى من أرضِ الشام ، وذلك فى سنةِ أربعٍ وخمسين وستّمائةٍ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا أبو اليمانِ ، حدَّثنا شُعَيْبٌ ، عن الزهريِّ ، قال : قال سعيدُ بنُ المُسيَّبِ ، أخبَرنى أبو هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِىءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى » .

ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ الليثِ ، عن عُقَيلٍ ، عن ابنِ شهابٍ ، به[2] .

[3]وقد رواه أبو نُعَيْمٍ الأَصْبَهانىُّ[4] ، ومِن خطِّه نقلْتُ مِن طريقِ أبى عاصمٍ النَّبيلِ[5] ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن عيسى بنِ علىٍّ الأنصارىِّ ، عن رافعِ ابنِ بشرٍ السَّلَمِىِّ[6] ، عن أبيه ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَخْرُجُ نَارٌ تُضِىءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى ، تَسِيرُ سَيْرَ بَطِيئَةِ[7] الْإِبِلِ ، تَسِيرُ النَّهَارَ وَتُقِيمُ اللَّيْلَ ، تَغْدُو وَتَرُوحُ ، فَيُقَالُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ غَدَتِ النَّارُ فَاغْدُوا . أَوْ : قَالَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقِيلُوا . غَدَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا . مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ » . هكذا رواه أبو نُعَيْمٍ ، وهو[3]

---

(١) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٧.

(٢) مسلم (٢٩٠٢) .

(٣ - ٣) ليست فى : ح ، ص .

(٤) لم نجده عند أبى نعيم ، وقد أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير ٢/ ٣٠ (١٢٢٩) بنحوه من طريق أبى عاصم به . وقال الهيثمى : أخرجه الطبرانى وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٨/ ١٣.

(٥) فى الأصل : « النيل » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٨١.

(٦) فى الأصل : « الأسلمى » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر التاريخ الكبير٣/ ٣٠٤، ولسان الميزان ٢/ ٤٤١ ، وأطراف المسند ١/ ٦٣٣.

(٧) فى الأصل : « مطية » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر المسند ٣/ ٤٤٣ (١٥٦٩٦) .

[1] فى « مسندِ أحمدَ »[2] مِن روايةِ رافعِ بنِ بشرٍ السَّلمِىِّ[3] ، عن أبيه ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بدونِ هذه الزيادةِ إلى : « تُضِىءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى » . وهو الصوابُ ؛ فإن هذه النارَ التى ذكَر أبو نُعَيْمٍ هى النارُ التى تَسُوقُ الناسَ إلى أرضِ المحْشَرِ ، كما سيأتى بيانُ ذلك قريبًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا وهبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبى ، سمِعْتُ الأعمشَ يُحَدِّثُ عن عمرو بن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن حَبيبِ[5] بنِ حِمَازٍ ، عن أبى ذرٍّ قال : أَقْبَلْنا مع رسولِ الله ﷺ ، فنَزَلْنا ذا الحُلَيْفَةِ فتعَجَّلَت رِجالٌ منا إلى المدينةِ ، وبات رسولُ اللَّهِ ، فلما أصْبَح سأَل عنهم ، فقيل : تعَجَّلوا إلى المدينةِ . فقال : « تَعَجَّلُوا إِلَى المَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ ، أَمَا إِنَّهُمْ سَيَدَعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ » . ثم قال : « لَيْتَ شِعْرِى ، مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ [٦و] الوَرَاقِ تُضِىءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإبلِ[6] بُرُوكًا ببُصرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ » . وهذا الإسنادُ لا بأسَ به ، وكأنه مما اشْتَبه على بعضِ الرُّواةِ ، فإن النارَ التى تَخْرُجُ مِن قَعْرِ عَدَنَ مِن اليمنِ ، هى التى تَسُوقُ الناسَ الموجودين فى آخرِ الزمانِ إلى المحْشَرِ ، وأما النارُ التى تُضِىءُ لها أعناقُ الإبلِ ، فتلك تَخْرُجُ مِن أرضِ المدينةِ النبويةِ ، كما تقَدَّم بيانُ ذلك[1] .

وقد ذكَر الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ[7] - وكان شيخَ المحُدِّثين فى زمانِه ،

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) المسند ٣/٤٤٣ (١٥٦٩٦) .

(٣) فى الأصل : « الأسلمى » . وانظر حاشية (٦) فى الصفحة السابقة .

(٤) المسند ٥/١٤٤ (٢١٣٢٧) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبيب بن حبان [حماز] . مجمع الزوائد ٨/ ١٢.

(٥) فى الأصل : « خبيب » ، والمثبت من المسند . وانظر المؤتلف ٢/ ٧٣٧،والإكمال ٢/٥٤٧ .

(٦) سقط من : الأصل ، المثبت من المسند .

(٧) تقدم تخريجه فى ٩/ ٢٩٧، ٢٩٨.

وأستاذَ المؤرِّخين فى أوانِه - أنَّ فى سنةِ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ فى يومِ الجمعةِ خامسِ جُمادَى الآخرةِ منها ظهَرت نارٌ بأرضِ الحجازِ فى أرضِ المدينةِ النبويَّةِ، فى بعضِ تلك الأوديةِ، طولَ أربعةِ فراسخَ وعرضَ أربعةِ أميالٍ، تُسِيلُ الصخرَ، حتى يبقى مثلَ الآنُكِ[1]، ثم يصِيرُ مثلَ الفحمِ الأسودِ، وأنَّ الناسَ كانوا يَسيرون على ضوئها بالليلِ إلى تَيْمَاءَ[2]، وأنَّها استمرّت شهرًا، وقد ضبَط ذلك أهلُ المدينةِ، وعمِلوا فيها أشعارًا، وقد ذكَرناها فيما تقدَّم[3].

وأخْبَرنى قاضى القضاةِ صدرُ الدينِ علىُّ بنُ أبى القاسمِ الحنفىُّ، قاضِيهم بدِمَشْقَ، عن والدِه الشيخِ صفىِّ الدينِ مدرِّسِ الحنفيةِ ببُصْرَى، أنَّه أخبَره غيرُ واحدٍ مِن الأعرابِ صَبِيحةَ تلك الليلةِ، ممّن كان بحَاضِرَةِ بلدِ بُصْرَى، أنَّهم شاهَدوا أعناقَ الإبلِ فى ضوءِ هذه النارِ التى ظهَرت مِن أرضِ الحجازِ، وقد تقدَّم بَسْطُ ذلك سنةَ أربعٍ وخمسين وستِّمائةٍ بما فيه كفايةٌ عن إعادتِه هنا[4].

ذِكْرُ إخبارِه ﷺ بالغيوبِ المستقبَلَةِ بعدَ زمانِنا هذا

قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا أبو عاصمٍ، حدَّثنا[6] عَزْرَةُ[7] بنُ ثابتٍ، حدَّثنا عِلْباءُ بنُ أحمرَ اليَشْكُرِىُّ، حدَّثنا أبو زيدٍ الأنصارِىُّ، قال: صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الصبحِ، ثم صَعِد المنبرَ، فخطَبَنا حتى حضَرتِ الظهرُ، ثم نزَل

---

(١) الآنك: الرصاص الأسود، وقيل الأبيض. وهو الرصاص الخالص. النهاية ١/ ٧٧.

(٢) تيماء: بليد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق. معجم البلدان ١/ ٩٠٧.

(٣) تقدم فى ٩/ ٢٩٩.

(٤) انظر ما تقدم فى ١٧/ ٣٢٨ وما بعدها.

(٥) المسند ٥/ ٣٤١ (٢٢٩٣٩).

(٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى ح، ص: «عروة». وانظر أطراف المسند ٦/ ٢٣٢، وتحفة الأشراف ٨/ ١٣٤.

فصلَّى الظهرَ، ثم صعِد المنبرَ، فخطَبَنا حتى حضَرت العصرُ، ثم نزَل فصلَّى العصرَ، ثم صعِد المنبرَ فخطَبَنا، حتى غابت الشمسُ، فحدَّثنا بما كان، وما هو كائنٌ، فأعْلَمُنا أَحْفَظُنا.

وقد رَواه مسلمٌ مُنفردًا به فى كتابِ الفتنِ مِن «صحيحِه»[1]، عن يعقوبَ ابنِ إبراهيمَ الدَّوْرَقِيِّ، وحَجَّاجِ بنِ الشاعرِ، عن أبى عاصمٍ الضحّاكِ بنِ مَخْلَدٍ النَّبيلِ، عن [2]عَزْرَةَ، عن[2] عِلْبَاءَ، عن أبى زيدٍ - وهو عمرُو بنُ أخطبَ بنِ رفاعةَ - الأنصاريِّ به.

وقال البخاريُّ فى كتابِ بدءِ الخلقِ مِن «صحيحِه»[3]: [4]رُوِى عن[4] عيسى ابنِ موسى غُنْجَارٍ، عن رَقَبَةَ[5]، عن قَيْسِ بنِ مُسلم، عن طارقِ بنِ شهابٍ، قال: سمِعتُ عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ: قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَقامًا، فأخبَرنا عن بدءِ الخلقِ، حتى دخَل أهلُ الجنةِ منازِلَهم، وأهلُ النارِ منازِلَهم، حفِظ ذلك مَن حَفِظَه، ونَسِيَه مَن نَسِيَه. هكذا ذكَره البخاريُّ مُعلَّقًا بصيغةِ التمريضِ عن عيسى غُنْجَارٍ[6]، عن رَقَبَةَ[5] [7]وهو ابنُ مَصْقَلَةَ، قال أبو مسعودٍ الدمشقيُّ فى «الأطرافِ»[8]: وإنما رواه عيسى غُنجارٌ عن أبى حمزةَ عن رقبةَ[7]. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) مسلم (٢٨٩٢).

(٢ - ٢) فى ح، ص: «عروة بن».

(٣) البخارى (٣١٩٢) معلقًا، وانظر تغليق التعليق ٣/ ٤٨٦.

(٤ - ٤) هكذا فى النسخ بصيغة التمريض، كما نص عليه ابن كثير وكما جاء فى التحفة ٨/ ٣١، والذى فى مصدر التخريج: «روى» بصيغة الجزم. وانظر فتح البارى ٦/ ٢٨٦.

(٥) فى ح، ص: «رقية». وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣١.

(٦) بعده فى ص: «عن أبى حمزة».

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) تحفة الأشراف ٨/ ٣١.

وقال أبو داودَ فى أولِ كتابِ الفتنِ مِن « سننِه »[1] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ ، عن حُذيفةَ قال : قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمًا ، فما ترَك شيئًا يكونُ فى مَقامِه ذلك إلى قيامِ الساعةِ إلا حدَّثه ، حَفِظه مَن حَفِظَه ، ونَسِيه مَن نَسِيه ، قد علِمه أصحابى[2] هؤلاءِ ، وإنَّه لَيكونُ منه الشىءُ[3] فَأذكُرُه كما يذكُرُ الرجلُ وجهَ الرجلِ إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرَفه . وهكذا رَواه البخارىُّ مِن حديثِ سُفيانَ الثورىِّ ، ومسلمٌ مِن حديثِ جريرٍ ، كلاهما عن الأعمشِ به[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، أنا مَعْمَرٌ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ العصرِ ذاتَ يومٍ بنهارٍ ، ثم قام فخطَبَنا إلى أن غابت الشمسُ ، فلم يدَعْ شيئًا ممَّا يكونُ إلى يومِ القيامةِ إلا حدَّثَناه ، حفِظ ذلك مَن حَفِظ ، ونَسِى ذلك من نَسِى ، [٦ظ] فكان مما قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ » . وذكَر تمامَها إلى أن قال : « وَقَدْ دَنَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ ، وَإِنَّ مَا بَقِىَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى منها مِثْلُ مَا بَقِىَ من يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ » .

علىُّ بنُ زيدِ بنِ جُدْعَانَ التيمىُّ له غرائبُ ومنكراتٌ ، ولكن لهذا الحديثِ

---

(١) أبو داود (٤٢٤٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٦٧) .

(٢) فى سنن أبى داود : « أصحابه » ، وقد وافق ما أثبتناه نسخة من نسخه . انظر عون المعبود ٤/ ١٥١ .

(٣) بعده فى ح : « قد نسيته » ، وهى رواية البخارى ومسلم ، انظر المصدر السابق .

(٤) البخارى (٦٦٠٤) ، مسلم (٢٨٩١/٢٣) .

(٥) المسند ٦١/٣ (١١٦٠٤) قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف على بن زيد ، وباقى رجاله ثقات . المسند ١٨/ ١٣٣ .

شواهدُ مِن وجوهٍ أُخرَ[1] . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] ، مِن طريقِ أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ بعضُه ، وفيه الدِّلالةُ على ما هو المقطوعُ به ؛ أنَّ ما بقِى مِن الدُّنيا بالنسبةِ إلى ما مضَى منها شىءٌ يسيرٌ جدًّا ، ومع هذا لا يَعْلَمُ مقدارَ ما بقى على التعيينِ[3] والتحديدِ إلا اللَّهُ تعالى ، كما لا يَعلَمُ مقدارَ ما مضَى منها إلا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ . والذى فى كُتُبِ الإسرائيليِّين وأهلِ الكتابِ مِن تحديدِ ما سلَف بألوفٍ ومِئين مِن السنين قد نَصَّ غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ على تخطئتِهم فيه ، وتغليطِهم ، وهم جديرون بذلك حقيقون به . وقد ورَد فى حديثٍ : « الدُّنْيَا جُمْعَةٌ مِنْ جُمَعِ الآخِرَةِ »[4] . ولا يَصِحُّ إسنادُه . وكذا كلُّ حديثٍ ورَد فيه تحديدٌ بوقتِ يومِ القيامةِ على التعيينِ ، لا يثبُتُ إسنادُه ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ إلى قولِه : ﴿ أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٢- ٤٤] وقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، والآياتُ فى هذا والأحادِيثُ كثيرةٌ ، وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] .

وثبَت فى الحديثِ الصحيحِ الذى رواه مسلمٌ وغيرُه[5] عن سهلِ بنِ سعدٍ ،

---

(١) البخارى (٢١٠٨، ٢١١٤) ، ومسلم (١٥٣٢) ، والترمذى (٢١٩١) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، ومصنف عبد الرزاق (٢٠٧٢٠) ، والمسند ٣/١٩ (١١١٥٩) .

(٢) مسلم (١٥/١٧٣٨) .

(٣) فى ح : « اليقين » ، وفى ص : « التبيين » .

(٤) ضعيف الجامع الصغير (٣٠١٤) ، وعزاه إلى الديلمى فى مسند الفردوس ، وكذا فى كنز العمال (٣٨٩٣٩) .

(٥) مسلم (٢٩٥٠) ، والبخارى (٤٩٣٦، ٥٣٠١، ٦٥٠٣) واللفظ للبخارى .

قال : سمِعت النبيَّ ﷺ يقولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » . وفى رواية[1] : « إنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِى » . وهذا يَدُلُّ على اقترابِها بالنسبةِ إلى ما مضَى مِن الدُّنيا ، وقال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ١] ، وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] وقال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورى : ١٨] .

وفى « الصحيحِ »[2] أنَّ رجلًا مِن الأعرابِ سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الساعةِ ، فقال : « إنَّهَا كَائِنَةٌ ، فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا » ؟ فقال الرجلُ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، لم أُعِدَّ لها كثيرَ صلاةٍ ولا عملٍ ، ولكنِّى أُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه . فقال : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحبَبْتَ » . فما فرِح المسلمون بشىءٍ فرحَهم بهذا الحديثِ .

وفى بعضِ الأحاديثِ[3] ، أنَّه ﷺ سُئِل عن الساعةِ ، فنظَر إلى غلامٍ فقال : « لَنْ يُدْرِكَ هَذَا الْهَرَمُ حَتَّى تَأْتِيَكُمْ سَاعَتُكُمْ » . والمرادُ : انْخِرَامُ قَرنِهم ، ودخولُهم فى عالمِ الآخرةِ ، فإنَّ كلَّ مَن مات فقد دخَل فى حُكمِ الآخرةِ ، وبعضُ الناسِ يقولُ : مَن مات فقد قامت قيامتُه . وهذا الكلامُ بهذا المعنى صحيحٌ ، وقد يقولُ هذا بعضُ الملاحدةِ ، ويُشيرُون به إلى شىءٍ من الزَّندقةِ والباطلِ . فأمَّا الساعةُ العُظْمَى وهو اجتماعُ الأوَّلِين والآخِرين فى صعيدٍ واحدٍ ، فهذا ممَّا استأثَر اللَّهُ تعالى بعلمِ وقتِه ، كما ثبَت فى الصحيح[4] : « خَمْسٌ لَا

---

(١) أخرجها الإمام أحمد فى المسند ٣٤٨/٥ (٢٢٩٩٧) .

(٢) البخارى (٣٦٨٨، ٦١٧١، ٧١٥٣) ، ومسلم (٢٦٣٩) بألفاظ قريبة ، واللفظ قريب لما فى المسند ٢٢٦/٣ (١٣٣٨٦) .

(٣) المسند ٢٨٣/٣ (١٤٠٤٤) ، والبخارى (٦١٦٧) .

(٤) البخارى (٥٠، ٤٧٧٧) . والمسند ٣٥٣/٥ (٢٣٠٣٦) ، واللفظ للإمام أحمد .

يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وقد سأَل جبريلُ النبيَّ ﷺ عن الإسلامِ فأخبرَه به ، ثم سأَلَه عن الإيمانِ فأخبَره به ، ثم سأَله عن الإحسانِ فأخبَره به ، فلمَّا سأله عن الساعةِ ، قال له : «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ »[1] . قال : فأخبِرْنى عَنْ أَشْرَاطِهَا . فأخبَره عن ذلك . كما سيأتى إيرادُه بسندِه ومَتنِه ، مع أمثالِه وأشكالِه مِن الأحاديثِ .

بابُ ذكرِ الفِتَنِ جُملةً
ثم نُفصِّلُ ذكْرَها بعدَ ذلك إن شاءَ اللهُ تعالى

قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا يحيَى بنُ موسَى ، حدَّثنا الوليدُ ، حدَّثنى ابنُ جابرٍ ، حدَّثنى بُسْرُ[3] بنُ عُبَيْدِ[4] اللَّهِ الحَضْرَمىُّ ، حدَّثنى أبو إدريسَ الخَوْلَانىُّ ، أنَّه سمِع حذيفةَ بنَ اليَمانِ يقولُ : كان الناسُ يسألون رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ ؛ مخافةَ أنْ يُدْرِكَنى ، فقُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا كُنَّا فى جاهليَّةٍ وشرٍّ ، فجاءنا[5] اللَّهُ بهذا الخيرِ ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قال : « نَعَمْ » . قُلتُ : وهل [٧و] بعدَ ذلك الشَّرِّ مِن خيرٍ ؟ قال : « نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ[6] » . قلتُ : وما دَخَنُه ؟ قال : « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِى ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » . قلتُ : فهل

---

(١) البخارى (٤٧٧٧) .

(٢) البخارى (٣٦٠٦) .

(٣) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥، ٧٦.

(٤) فى ص : « عبد » .

(٥) فى ح : « فجاء » .

(٦) الدخن : الحقد ، وقيل : الدغل . وقيل : فساد القلب . ومعنى الثلاثة متقارب . ويشير إلى أن الخير الذى يجىء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا بل فيه كدر . فتح البارى ١٣/ ٣٦.

بعدَ ذلك الخيرِ مِن شَرٍّ ؟ قال : « نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، صِفْهُم لنا . قال : « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا[1] ، ويتَكَلَّمُونَ بألْسِنَتِنَا » . قلتُ : فما تأْمُرُنى إنْ أدْرَكَنِى ذلك ؟ قال : « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإمَامَهُمْ » . قلتُ : فإنْ لم يكنْ لهم جَماعةٌ ولا إمَامٌ ؟ قال : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أنْ تَعَضَّ بأصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأنْتَ عَلَى ذَلِكَ » . ثم رواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، به[2] نحوَه .[3] وقد رُوِى هذا الحديثُ مِن طُرُقٍ كثيرةٍ ، عن حذيفةَ ؛ فرَواه أحمدُ ، وأبو داودَ ، والنسائيُّ ، مِن طريقِ نصرِ ابنِ عاصمٍ ، عن خالدِ بنِ خَالدٍ اليَشْكُرِيِّ الكوفيِّ ، عنه[4] مبسوطًا ، وفيه تفسيرٌ لما فيه مِن مُشْكِلٍ ، وقد روَاه النسائيُّ وابنُ ماجه مِن روايةِ عبدِ الرحمنِ بنِ قُرْطٍ ، عنه[5] . وفى « صحيحِ البخاريِّ »[6] ، من حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قَيْسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن حُذيفةَ ، قال : تعلَّمَ أصحابى الخيرَ ، وتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ[3] .

وثبَت فى الصحيحِ[7] من حديثِ الأعمَشِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحْوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الإسْلَامَ بَدَأَ

---

(١) من جلدتنا : أى من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا ، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب . فتح البارى ١٣/ ٣٦.

(٢) البخارى (٧٠٨٤) ، ومسلم (١٨٤٧/٥١) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المسند ٥/ ٣٨٦، ٤٠٣ (٢٣٣٣٠، ٢٣٤٧٦) ، وسنن أبى داود (٤٢٤٤، ٤٢٤٦) ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٣٢) .

(٥) النسائى فى الكبرى (٨٠٣٣) ، وابن ماجه (٣٩٨١) .

(٦) البخارى (٣٦٠٧) .

(٧) لم نجده من هذا الطريق فى الصحيحين ، وإنما أخرجه أحمد ٣٩٨/١١ (٣٧٨٤) والترمذى (٢٦٢٩) ، وابن ماجه (٣٩٨٨) . وهو فى مسلم (١٤٥) من طريق أبى هريرة . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وقال الألبانى : صحيح . (صحيح سنن الترمذى ٢١٢٠) .

غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى[1] لِلْغُرَبَاءِ » . قيل : وَمَنِ الغُرَباءُ ؟ قال : « النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ » . ورواه ابنُ ماجه[2] عن أنسٍ ، وأبى هريرةَ .

[3]وقال أحمدُ[4] : ثنا هارونُ بنُ معروفٍ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، أخبَرنى أبو صخرٍ[5] ، أنَّ أبا حازمٍ حدَّثه عن ابنِ لسعدِ بنِ أبى وقاصٍ ، قال[6] : سمِعت أبى يقولُ : سمِعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ الْإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ ؛ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ ، وَالَّذِى نَفْسُ أَبِى الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ[7] الْإِيمَانُ بَيْنَ[8] هَذَيْنِ الْمَسْجِدَيْنِ[9] كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا » .

وقال أحمدُ[10] ، ثنا حسنُ بنُ محمدِ بنِ موسَى ، ثنا ابنُ لهيعةَ ، ثنا جميلٌ الأَسْلَمِيُّ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعدىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكْنِى زَمَانٌ - [11]أو قال[11] : لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا - لَا يُتَّبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ وَلَا يُسْتَحْيَا فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ العَرَبِ » . تفرَّد به أحمدُ[3] .

---

(١) طوبى ، قال النووى : وطوبى فُعْلى من الطِّيب ، وأما معنى طوبى ...: فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه فرح وقرة عين ، وقال عكرمة : نعم مالهم ، وقال الضحاك : غبطة لهم . وقال قتادة : حسنى لهم . وقيل : الجنة . وقيل : شجرة فى الجنة . وكل هذه الأقوال محتملة فى الحديث ، والله أعلم . صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٧٦.

(٢) ابن ماجه (٣٩٨٦، ٣٩٨٧) . وقد أخرج الحديث من طرق أخرى مسلم (١٤٥) من حديث أبى هريرة ، و (١٤٦) من حديث ابن عمر .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المسند ١/ ١٨٤ (١٦٠٤) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٥) بعده فى المسند : « قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد : سمعته أنا من هارون » .

(٦) زيادة من : المسند .

(٧) يأرز : ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض . صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٧٧.

(٨) فى الأصل : « من » . والمثبت من المسند .

(٩) المقصود بالمسجدين : مسجدا مكة والمدينة .

(١٠) المسند ٥/ ٣٤٠ (٢٢٩٣٠) . قال الهيثمى : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف . مجمع الزوائد ١/ ١٨٣.

(١١ - ١١) فى المسند : « و » .

بابُ افْتِراقِ الأُمَمِ

وقال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ بِشْرٍ ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ عمْرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفرَّقَتْ أُمَّتِى عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » . ورواه أبو داودَ[2] عن وهبِ بنِ[3] بقيَّةَ ، عن خالدٍ ، عن محمَّدِ ابنِ عَمرٍو ، به .

وقال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا عمْرُو بنُ عُثْمانَ بنِ سعيدِ بنِ كَثِيرِ[5] بنِ دِينارٍ الحِمْصِىُّ ، حدَّثنا عَبَّادُ[6] بنُ يوسفَ ، حدَّثنا صَفْوانُ بنُ عمْرٍو ، عن راشدِ بنِ سعْدٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فى الْجَنَّةِ ، وَسَبْعُونَ فى النَّارِ ، وافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فى النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فى الْجَنَّةِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِى عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فِى الْجَنَّةِ ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِى النَّارِ » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قال : « الْجَمَاعَةُ » . تفرَّد به ، وإسنادُه لا بأسَ به .

---

(١) ابن ماجه (٣٩٩١) حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٢٥) .
(٢) أبو داود (٤٥٩٦) .
(٣) فى ح : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١١٥.
(٤) ابن ماجه (٣٩٩٢) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٢٦) .
(٥) فى ص : « كريش » .
(٦) فى ص : « عماد » .

وقال ابنُ ماجَه[1] أيضًا : حدَّثنا هِشَامٌ ، هو ابنُ عمَّارٍ[2] ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، حدَّثنا أبو عمرٍو ، حدَّثنا قتَادةُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنَّ أُمَّتِى سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِى النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَهِىَ الْجَمَاعَةُ » . وهذا إسنادٌ[3] قَوِىٌّ على شرْطِ الصَّحيحِ ، تفرَّد به ابنُ ماجَه أيضًا .

[4]وقد روَى أبو داودَ[5] ، من حديثِ الأَوْزَاعِىِّ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ وأبى سَعيدٍ ، قالا : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَيَكُونُ فِى أُمَّتِى اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ ، وَقَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ » . الحديثَ[4] .

وقال أبو داودَ[6] : حدَّثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ ، ومحمَّدُ بنُ يحيى بنِ فارسٍ ، قالا : حدَّثنا أبو المغيرةِ ، حدَّثنا صَفْوانُ ، هو ابنُ عمرٍو ، حدَّثنا أَزْهَرُ ، هو ابنُ عبدِ اللَّهِ الحَرَازِىُّ - [7]قال أحمدُ[7] - عن أبى عَامرٍ الهوْزَنِىِّ ، عن معاويةَ بنِ أبى سُفْيانَ ، أنه قام فقال : أَلَا إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قام فينا ، فقال : « أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ [٧ظ] مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ

---

(١) ابن ماجه (٣٩٩٣) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٢٧) .

(٢) فى ص : « عامر » .

(٣) بعده فى ص : « جيد » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) أبو داود (٤٧٦٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٨٧) .

(٦) أبو داود (٤٥٩٧) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٨٤٣) . والحديث فى المسند ١٠٢/٤ (١٦٩٧٩) .

(٧ - ٧) هكذا فى النسخ ، وهى غريبة فى موضعها ، والذى فى المسند : « ... حدثنا أزهر هو عبد اللَّه الهوزنى ، قال أبو المغيرة فى موضع آخر : الحرازى ، عن أبى عامر عبد اللَّه بن لحى » . وزاد أبو داود : ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا بقية قال : حدثنى صفوان ، به . وانظر التحفة ٨/ ٤٤٣ ، وأطراف المسند ٥/ ٣٤٠ .

الْمِلَّةَ[1] سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ». تفرَّد به أبو داودَ، وإسنادُه حَسَنٌ. وفى «مُستدركِ الحاكم»[2] أنَّ الصحابة لمّا سألُوه عن الفِرْقةِ النَّاجِيةِ: مَنْ هُمْ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

[3]وقال الإمام أحمدُ[4]: ثنا يحيى بنُ إسحاقَ، ثنا ابنُ لهيعةَ، عن بكرِ بنِ سوداةَ، عن سهلِ بنِ سعدٍ الأنصاريِّ، عن رسولِ اللَّه ﷺ، قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْلٍ». تفرَّد به أحمدُ من هذا الوجهِ»[3].

وقد تقدَّم فى حديثِ حُذَيْفةَ أنَّ المخْلَصَ من الفِتنِ عندَ وقُوعِها اتِّباعُ الجَماعةِ ولُزومُ الإمامِ بالطاعةِ [3]إذا كانوا على حقٍّ وإتباعِ الشرعِ، وإذا فسَدوا فلا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصيةِ الخالقِ، فإنَّما الطاعةُ فى المعروفِ. قال أبو بكرٍ الصديقُ[5]: أطيعونى ما أطعتُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فإذا خالفتُ فلا طاعةَ لى عليكم[3].

وقد قال ابنُ ماجه[6]: حدَّثنا العَبّاسُ بنُ عُثْمانَ الدِّمَشْقيُّ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدَّثنا مُعانُ بْن رِفاعةَ السَّلَامِيُّ، حدَّثنا أبو خَلَفٍ الأعْمى، أنه سمِع أنسَ ابنَ مالكٍ يقولُ: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى

---

(١) فى الأصل، ح: «الأمة».

(٢) المستدرك ١/ ١٢٩، من حديث عبد اللَّه بن عمرو، وسنده ضعيف. انظر السلسلة الصحيحة (١٣٤٨).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) المسند ٥/ ٣٤٠ (٢٢٩٢٩). قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى، وفى إسناد أحمد ابن لهيعة، وفيه ضعف. المجمع ٧/ ٢٦١.

(٥) تقدم فى ٨/ ٨٩.

(٦) ابن ماجه (٣٩٥٠). ضعيف جدًا، دون الجملة الأولى، (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٥٦)، وانظر السلسلة الضعيفة (٢٨٩٦).

ضَلَالَةٍ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ الاخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ » . ولكِن هذا حديثٌ ضَعيفٌ ؛ لأنَّ مُعانَ بنَ رفاعةَ السَّلَامىَّ قد ضعَّفه غيرُ واحدٍ من الأئمةِ . وفى بعضِ الرِّواياتِ[1] : « عَلَيْكُمْ بالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ ؛ الْحَقِّ وَأَهْلِه » . [2]وقد كان الإمامُ أحمدُ يقولُ[3] : السوادُ الأعظمُ محمدُ بنُ أسلمٍ الطوسىُّ . وقد كان[2] أهلُ الحَقِّ فى الصدرِ الأولِ هم أكثرَ الأُمةِ ؛ فكان لا يوجدُ فيهم مبتدعٌ لا فى الأقوالِ ولا الأفعالِ ، وفى الأعصارِ المتأخِّرةِ [2]فقد يجتمعُ الجَمُّ الغَفِيرُ على بدعةٍ ، وقد يخلو الحَقُّ فى بعْضِ الأزمانِ المتأخرةِ[2] عن عِصَابةٍ يقومون به ، كما قال فى حديثِ حُذيفةَ : فإنْ لم يكنْ لهم إمامٌ ولا جَمَاعةٌ ؟ قال له : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » . وتقدَّم الحديثُ الصحيحُ : « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ » . وسيأتى فى الحديثِ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ » .

والمقصودُ أنَّه إذا ظَهَرتِ الفتنُ ، فإنَّه يَسُوغُ اعتزالُ النَّاسِ حينَئذٍ ، كما ثبَت[4] عن النبىِّ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِى رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامِّ » .

وفى روايةٍ[5] : « إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً فَعَلَيْكَ

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة (٨٤) ، وقال الشيخ الألبانى : إسناده ضعيف جدًّا ، والشطر الأول منه صحيح له شواهد .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) لم نجده من قول الإمام أحمد ، وهو من قول أبى يعقوب إسحاق بن راهويه . انظر حلية الأولياء ٩/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) خلق أفعال العباد (١٧٠) ، وأبو داود (٤٣٤١) ، والترمذى (٣٠٥٨) ، بزيادة : « ودنيا مؤثرة » . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٣٤) .

(٥) ابن ماجه (٤٠١٤) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٦٩) .

بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانَ الصَّبْرِ ، صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ » ، وقد اعتزَل جماعةٌ مِن السلفِ الناسَ والجُمعَةَ والجماعةَ وهم أئمةٌ كبارٌ ؛ كأبى ذرٍّ وسعدِ بنِ أبى وقاصٍ ، وسعيدِ بنِ زيْدٍ ، وسلمةَ بنِ الأكوعِ فى جماعةٍ من الصحابةِ[1] ، حتى اعتزَلوا مسجدَ النبىِّ ﷺ الذى الصلاةُ فيه بألفِ صلاةٍ . واعتزَل مالكٌ الجمعةَ والجماعةَ فى مسجدِ النبىِّ ﷺ مع معرفتِه الحديثَ فى فضلِ الصلاةِ فيه ، فكانَ لا يشهدُ جمعةً ولا جماعةً ، وكان إذا ليمَ فى ذلك يقولُ : ما كلُّ ما يُعْلَمُ يُقَالُ . وقصتُه معروفةٌ[2] ، وكذلك اعتزَل سفيانُ الثوريُّ وخلقٌ من التابعينَ وتابعيهِم ؛ لِما شاهَدوه من الظلمِ والشرورِ والفتنِ خوفًا على إيمانِهم أَنْ يُسْلبَ منهم ، وقد ذكَر الخطَّابيُّ فى كتابِ « العزلةِ » وكذلك ابنُ أبى الدنيا قبلَه من هذا جانبًا كبيرًا .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ أخبرَنا مَالِكٌ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبَالِ ومواقعَ الْقَطْرِ ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » . لم يخرجْه مسلمٌ ، وقد روَاه أبو داودَ ، والنَّسائيُّ ، وابنُ ماجَه ، من طريقِ ابنِ أبى صعْصَعةَ به[4] ، ويجوزُ حينَئذٍ سؤالُ الموتِ وطلبُه من اللَّهِ عندَ ظهورِ الفتنِ والظلمِ وإن كان قد نُهِى عنه لغيرِ ذلك ، كما صحَّ به الحديثُ[5] .

---

(١) كان ذلك فى أثناء الفتنة التى وقعت فى خلافة أمير المؤمنين على ، رضى اللَّه عنه .

(٢) المعروف أن مالكا كان لا يصلى فى مسجد النبى ﷺ لسلس البول الذى أصابه ، أو لانفلات الريح منه بعد ما جلد . ترتيب المدارك ١/ ١٨١.

(٣) البخارى (٧٠٨٨) .

(٤) أبو داود (٤٢٦٧) ، والنسائى (٥٠٥١) ، وابن ماجه (٣٩٨٠) .

(٥) البخارى (٦٣٥١) ، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس .

[٨و] وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، حدَّثنا أبو يونسَ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال[(٢)] : « لَا يَتَمَنَّى[(٣)] أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ[(٤)] عَمَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا » . والدليلُ على جوازِ سؤالِ الموتِ عندَ الفتنِ ، الحديثُ الذى رواه أحمدُ فى « مسندِه »[(٥)] عن مُعَاذِ بنِ جَبلٍ ، وهو حديثُ المَنَامِ الطويلُ . وفيه : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِى وَتَرْحَمَنِى ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِى إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ ، [(٦)] اللَّهُمَّ إِنِّى [(٦)] أَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِى إِلَى حُبِّكَ » .

وهذه الأحاديثُ المتقدمةُ دالَّةٌ على أنَّه يأتى على النَّاسِ زَمَانٌ شَدِيدٌ لا يكُونُ فيه للمسلمين جَماعَةٌ قَائِمةٌ بالحقِّ ، إمَّا فى جميعِ الأرضِ أو فى بعضِهَا .

وقد ثبَت فى « الصحيحِ »[(٧)] عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلٰكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا[(٨)] جُهَّالًا ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ

---

(١) المسند ٢/٣٥٠ (٨٥٩٢) . وهو عند مسلم (٢٦٨٢) من حديث أبى هريرة ، بنحوه .

(٢) بعده فى الأصل : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وفى رواية » . وهى رواية لم ترد عند الإمام أحمد من هذا الوجه ، وإنما هى التى أشرنا إليها فى التخريج قبل السابق عند البخارى ومسلم .

(٣) فى النسخ : « لا يتمنين » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) بعده فى المسند : « عنه » .

(٥) المسند ٥/٢٤٣ (٢٢١٦٢) ، وهو عند الترمذى (٣٢٣٠) ، صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٨٢) .

(٦ - ٦) فى المسند : « و » .

(٧) البخارى (١٠٠، ٧٣٠٧) ، ومسلم (٢٦٧٣) .

(٨) فى ح ، ص : « رؤساء » .

عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » . وفى الحديثِ الآخرِ[1] : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » . وفى « صحيحِ البخارىِّ »[2] : « وَهُمْ بِالشَّامِ » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ وغيرُ واحدٍ من الأئمَّةِ : وهم أهلُ الحديثِ .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْرِىُّ[4] ، حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى أيوبَ ، عن شَراحيلَ بنِ يزيدَ المَعَافِرِىِّ ، عن أبى عَلْقمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَـٰذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا » . تفرَّد به أبو داودَ . ثم قال[5] : عبدُ الرَّحْمنِ بنُ شُرَيحٍ لم يَجُزْ به شَراحِيلَ . يعنى أنَّه موْقُوفٌ عليه ، وقد ادَّعى كلُّ قومٍ فى إمامِهِم أنَّه المُرَادُ بهذا الحديثِ ، والظَّاهِرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنَّه يَعُمُّ حمَلةَ العِلْمِ العاملين به من كلِّ طائفةٍ ، ممن عملُه مأخوذٌ عن الشارعِ ، أو ممن هو موافقٌ من كُلِّ طَائِفةٍ وكُلِّ صِنْفٍ من أصْنافِ العُلَماءِ ؛ من مفسِّرين ، ومُحَدِّثين ، وقُرَّاءَ ، وفُقَهاءَ ، ونُحَاةٍ ، ولُغَوِيِّين ، إلى غيرِ ذلك مِن أصنافِ العلومِ النافعةِ ، واللَّهُ أعلمُ . [6]قال سفيانُ بنُ عيينةَ : مَن فسَد من علمائِنا كان فيه شبهٌ من اليهودِ ، ومَن فسَد مِن عُبادِنا كان فيه شبهٌ من النَّصارَى[6] .

---

(١) مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان ، بنحوه .

(٢) صحيح البخارى (٣٦٤١) ، وهو موقوف على معاذ .

(٣) أبو داود (٤٢٩١) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٦) .

(٤) فى الأصل : « المهندى » ، وفى ص : « النهرى » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٠٩ .

(٥) أبو داود ، الموضع السابق .

(٦ - ٦) سقط من : ح ، ص .

وقولُه فى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو : « إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُه مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ بِقَبْضِ العُلَماءِ » . ظاهرٌ فى أنَّ العِلمَ لا يُنْتَزَعُ من صُدورِ العلماءِ بعدَ أنْ وهبَهمُ اللَّهُ إيَّاه . وقد ورَد فى الحديثِ الآخَرِ الذى رواه ابنُ ماجَه[1] عن بُندَارٍ ، ومحمَّدِ بنِ المُثَنَّى ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ سمِعتُ قتادةَ يُحدِّثُ عن أنسِ ابنِ مالكٍ قال : ألَا أحدِّثُكم حديثًا سمِعتُه من رسولِ اللَّهِ ﷺ لا يحدِّثُكم به أَحدٌ بعدِى ، سمِعتُه منه : « إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ ، ويَفْشُوَ الزِّنَى[2] ، ويُشْرَبَ الْخَمْرُ ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ ، ويَبْقى النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ » . وأخرَجاه فى « الصحيحيْن »[3] ، من حديثِ غُنْدَرٍ ، به . وقال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، حدَّثنا أَبِى ووَكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن شَقِيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامٌ ، يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَنْزِلُ فِيها الْجَهْلُ ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ ، والهرْجُ القتلُ » . وهكذا رواه البخارىُّ ومسلمٌ من حديثِ الأعمشِ ، به[5] .

وقال ابنُ ماجَه[6] : [7]حدَّثنى علىُّ بنُ محمدٍ[7] ، حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن أبى مالكٍ الأشْجَعِىِّ ، عن رِبْعِىِّ بنِ حِرَاشٍ ، عن حُذَيْفةَ بنِ اليَمانِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْىُ الثَّوْبِ ، حَتَّى لا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا

---

(١) ابن ماجه (٤٠٤٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٦٩) .
(٢) فى الأصل : « الربا » .
(٣) البخارى (٨١) عن مسدد عن يحيى عن شعبة به ، ومسلم (٢٦٧١/٩) كما قال المصنف .
(٤) ابن ماجه (٤٠٥٠) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٧٤) .
(٥) البخارى (٧٠٦٢، ٧٠٦٣) ، ومسلم (٢٦٧٢) .
(٦) ابن ماجه (٤٠٤٩) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٧٣) .
(٧ - ٧) سقط من : ح ، ص .

صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ ، وَيُسْرَى عَلَى الْكِتَابِ فِى لَيْلَةٍ ، فَلَا يَبْقَى فِى الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ ؛ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالْعَجُوزُ ، يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آباءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ : لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا » . فقَالَ له صِلَةُ : ما تُغْنِى عَنْهُمْ : « لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ » وهم لا يَدْرُونَ ما صَلاةٌ ولا صِيامٌ ، ولا نُسُكٌ ولا صَدَقةٌ ؟ فأعرَض عنه حُذَيْفةُ ، ثم ردَّها عليه ثلاثًا ، كلُّ ذلك يُعْرِضُ عنه حذيفةُ ، ثم أقبَل عليه فى الثالثةِ ، فقال : يا صِلَةُ ، تُنْجِيهم من النَّارِ . ثلاثًا .

وهذا دَالٌّ على أنَّ العلمَ قد يُرفعُ من صُدُورِ الرجالِ فى آخرِ الزمانِ ، حتى إنَّ القُرْآنَ يُسْرَى عليه فيُرْفَعُ من المَصاحفِ والصُّدُورِ ، ويبقَى النَّاسُ بلا علمٍ ولا قرآنٍ ، وإنما الشَّيْخُ الكَبيرُ والعَجُوزُ المُسنَّةُ يُخْبِران أنَّهم أدرَكُوا النَّاسَ وهم يقولون : لا إلهَ إلا اللَّهُ . [٨ظ] فهم يقُولُونها أيضًا على وَجْهِ التَّقَرُّبِ بها إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فهى نَافِعَةٌ لهم ، وإن لم يكنْ عندَهم من العَملِ الصَّالحِ والعِلْمِ النَّافعِ غيرُها ، وقولُه : تُنْجِيهم مِنَ النَّارِ . يحتملُ أن يكونَ المُرَادَ أنَّها تَدْفَعُ عنهم دُخولَ النَّارِ بالْكُلِّيَّةِ ، ويكونَ فرضُهُم فى ذلك الزمانِ القولَ المجرَّدَ عن العَمَلِ ؛ لعَدمِ تَكْلِيفِهم بالأعمالِ ، التى لم يُخَاطَبُوا بها ، واللَّهُ أعلمُ . ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ أراد نجاتَهم من النَّارِ بعد دُخُولِهم إليها ، وأنَّ لا إلهَ إلا اللَّهُ تكونُ سببَ نجاتِهم من العذابِ الدائمِ المستمرِّ . وعلَى هذا يَحْتَمِلُ أن يكونوا من المرادين بقوله تعالى فى الحديثِ[1] : « وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ : لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ » . كما سيأتى بيانُه فى أحاديثِ الشَّفَاعةِ ، ويحتملُ أن يكونَ أولئك قومًا آخرين . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) البخارى (٧٥١٠) ، ومسلم (٣٢٦/ ١٩٣) ، كلاهما بنحوه .

والمقصودُ : أنَّ العلمَ يُرفَعُ فى آخرِ الزَّمانِ ، ويَكْثرُ الجهلُ ، فى روايةٍ ، وفى روايةٍ : وينزلُ الجهلُ . أى يُلْهَمُ أهلُ ذلك الزمانِ الجهلَ ، وذلك من قَهْرِ اللَّهِ عليهم ، وخِذْلانِه إيّاهم ، نعوذُ باللَّهِ من ذلك ، ثم لا يزالون كذلك فى تَزَايُدٍ من الجَهالةِ والضَّلالةِ ، إلى منتهَى الآجَالِ ، كما فى الحديثِ الآخرِ[1] : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ » ، و « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى أَشْرَارِ النَّاسِ » .

وفى الطَّبَرانىِّ[2] مِن حديثِ مُطَّرِحِ بنِ يزيدَ ، عن علىِّ بنِ يزيدَ ، عن القاسمِ ، عن أبى أُمامةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لِهَذَا الدِّينِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا ، وَإِنَّ مِنْ إِقْبَالِهِ أَنْ تَفْقَهَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا الْفَاسِقُ أَوِ الْفَاسِقَانِ ، فَهُمَا ذَلِيلَانِ فِيهَا مُضْطَهَدَانِ ، إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَذُلَّا وَاضْطُهِدَا ، وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ هَذَا الدِّينِ أَنْ تَجْفُوَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا فَلَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا الْفَقِيهُ أَوِ الْفَقِيهَانِ ، فَهُمَا ذَلِيلَانِ مُضْطَهَدَانِ ، إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَاضْطُهِدَا ، وَيَلْعَنُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، أَلَا وَعَلَيْهِمْ حَلَّتِ اللَّعْنَةُ ، حَتَّى يُشْرَبَ الْخَمْرُ عَلَانِيَةً ، وَحَتَّى تَمُرَّ الْمَرْأَةُ بِالْقَوْمِ ، فَيَقُومَ إِلَيْهَا بَعْضُهُمْ ، فَيَرْفَعَ بِذَيْلِهَا كَمَا يُرْفَعُ بِذَنَبِ النَّعْجَةِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : أَلَا وَارَيْتَهَا وَرَاءَ حَائِطٍ . فَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِيهِمْ مِثْلُ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيكُمْ ، وَمَنْ أَمَرَ يَوْمَئِذٍ بِمَعْرُوفٍ ، وَنَهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، فَلَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِمَّنْ رَآنِى وَآمَنَ بِى وَأَطَاعَنِى وَبَايَعَنِى » .

---

(١) هما حديثان : الأول أخرجه مسلم (١٤٨) ، والثانى أخرجه مسلم أيضًا (٢٩٤٩) .

(٢) المعجم الكبير ٢٣٤/٨ (٧٨٠٧) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه على بن يزيد وهو متروك . مجمع الزوائد ٢٧١/٧ .

ذكرُ شُرورٍ تَحْدُثُ فى هذه الأُمَّةِ فى آخِرِ الزَّمَانِ وإن كان قد وُجِدَ بعْضُها فى زَمانِنا أيضًا

قال ابنُ ماجه فى كتابِ الفتنِ مِن «سننِه»[1] : حدَّثنا محمودُ بنُ خالدٍ الدِّمشقىُّ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ أبو أيُّوبَ ، عن ابنِ أبى مالكٍ ، عن أبيه ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، قال : أقبل علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ باللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فى قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِى أَسْلافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وعَهْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِى أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكتابِ اللَّهِ ، [2]وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا[2] أَنْزَلَ اللَّهُ ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» . تفرَّد به ابنُ ماجه ، وفيه غَرَابةٌ .

وقال الترمذىُّ[3] : حدَّثنا صَالِحُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا الفَرَجُ بنُ فَضَالَةَ أبو فَضَالَةَ الشَّامِىُّ ، عن يحيَى بنِ سعيدٍ ، عن محمدِ بنِ عُمرَ[4] بنِ علىٍّ ، عن

---

(١) ابن ماجه (٤٠١٩) . حسن . (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٦) . وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٦) .

(٢ - ٢) فى الأصل : «وما» ، وفى ح : «ويجهروا بما» ، وفى ص : «وسخروا بما» ، والمثبت من مصدر التخريج . ويتخيروا : أى يطلبوا الخير ، أى وما لم يطلبوا الخير والسعادة مما أنزل الله .

(٣) الترمذى (٢٢١٠) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٨٦) .

(٤) فى مصدر التخريج : «عمرو» . والمثبت كما فى تحفة الأحوذى ٣/ ٢٢٤ . وقال المزى : محمد =

عليِّ بنِ أبى طَالبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِى خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ فِيهَا الْبَلاءُ » . قِيلَ : وما هى يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُوَلًا ، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا ، والزَّكَاةُ مَغْرَمًا ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ ، وعَقَّ أُمَّهُ ، وَبَرَّ صدِيقَهُ ، وَجَفَا أَبَاهُ ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فى الْمَسَاجِدِ ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وشُرِبَتِ الْخَمْرُ ، وَلُبِسَ الْحَرِيرُ ، وَاتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ[1] ، وَالْمَعَازِفُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ ، أَوْ خَسْفًا ومَسْخًا » . ثم قال الترمذىُّ : هذا حديثٌ غريبٌ ، لا نعرفُه من حديثِ عليٍّ إلَّا من هذا الوجهِ ، ولا نعلمُ أحدًا روَى هذا الحديثَ عن يحيَى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ غيرَ الفرَجِ بنِ فَضالةَ ، [٩و] وقد تكلَّم فيه بعضُ أهلِ العلْمِ مِن قِبَلِ حِفْظِه ، وقد روَى عنه وكيعٌ وغيرُ واحدٍ من الأئِمةِ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزّارُ[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ الحسيْنِ القَيْسىُّ ، حدَّثنا يُونُسُ بنُ أرقمَ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ حسنِ [3]بنِ حسنٍ[3] ، عن زيدِ بنِ علىِّ بنِ الحسينِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه قال : صلّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ ، فلمّا صلَّى صلاتَه ناداه رجلٌ : متَى السَّاعةُ ؟ فزَبَرَه[4] رسولُ اللَّهِ ﷺ وانتهرَه ، وقال : « اسْكُتْ » . حتى إذا أسفَر

= ابن عمرو بن على إن كان محفوظا . تحفة الأشراف ٧/ ٤٤٤. وقال الحافظ ابن حجر : وليس فى أولاد على أحد اسمه عمرو . تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٧. وقال : رواية محمد بن عمر بن على عن جده مرسلة . تقريب التهذيب ٢/ ١٩٤.

(١) القينات : جمع قينة ؛ الأمة غنت أو لم تغن ، والماشطة ، وكثيرا ما يطلق على المغنية من الإماء . اللسان (ق ى ن) .

(٢) البحر الزخار (٥٠٧) . قال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه من لم أعرفهم . المجمع ٧/ ٣٢٨.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ومن نسخة من نسخ المصدر .

(٤) أى نهاه .

رفَع طرْفَه إلى السَّماءِ، فقال: «تَبارَكَ رَافِعُهَا وَمُدَبِّرُهَا». ثم رَمَى ببصرِه إلى الأرضِ، فقال: «تَبارَكَ دَاحِيهَا وَخَالِقُهَا». ثم قال: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» فجثَا الرَّجُلُ على رُكْبَتَيْهِ، فقال: أنا بأبى وأُمى سألتُكَ. فقال: «ذَلِكَ عِنْدَ حَيْفِ الْأَئِمَّةِ، وَتَصْدِيقٍ بالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبٍ بالْقَدَرِ، وَحَتَّى تُتَّخَذَ الْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالصَّدَقَةُ مَغْرَمًا، والْفَاحِشَةُ زِيَادَةً. فَعِنْدَ ذَلِكَ هَلَكَ قَوْمُكَ». ثم قال البزّارُ: لا نعرفُه إلَّا من هذا الوجهِ، ويونُسُ بنُ أرقمَ كان صَادِقًا، روَى عنه النَّاسُ، وفيه شيعيَّةٌ شديدةٌ.

ثم قال الترمذىُّ[1]: حدَّثنا علىُّ بنُ حُجْرٍ[2]، حدَّثَنا محمدُ بنُ يزيدَ، عن المُسْتلمِ[3] بنِ سعيدٍ، عن رُمَيْحٍ[4] الجُذَامىِّ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اتُّخِذَ الْفَيْءُ دُوَلًا، وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وتُعُلِّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَأَدْنَى صَدِيقَهُ، وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَظَهَرَتِ الْأَصْوَاتُ فِى الْمَسَاجِدِ، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ، وَخَسْفًا، وَمَسْخًا، وَقَذْفًا، وَآياتٍ تَتَابَعُ، كَنِظَامٍ[5] بَالٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فَتَتَابَعَ». وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلَّا من هذا الوجهِ.

---

(١) الترمذى (٢٢١١). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٨٧).

(٢) فى النسخ: «محمد». والمثبت من مصدر التخريج، وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٥٥.

(٣) فى ح، ص: «المسلم». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٢٩.

(٤) فى الأصل: «ربيح»، وفى ح، ص: «ذبيح». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال الموضع السابق، ٩/ ٢٢٦.

(٥) النظام: العِقد ونحوه مما ينظم فى سلك أو خيط.

حدَّثنا[1] عبّادُ بنُ يعقوبَ الكُوفيُّ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ القُدُّوسِ، عن الأعمشِ، عن هلالِ بنِ يِسَافٍ، عن عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ، وَمَسْخٌ، وقَذْفٌ». فقال رَجُلٌ من المسلمين: ومتى ذلك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ». ثم قال: هذا حديثٌ غريبٌ، ورُوِى هذا الحديثُ عن الأعمشِ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سَابِطٍ، عن النبيِّ ﷺ مرسلًا.

وقال التِّرمذيُّ[2]: حدَّثنا موسى بنُ عبدِ الرحمنِ الكِنْدِيُّ، حدَّثنا زيدُ بن حُبَابٍ، أخبَرنى موسى بنُ عُبَيْدَةَ، أخبَرنى عبدُ اللَّهِ بنُ دِينارٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ[3]، وَخَدَمَهَا أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ؛ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سُلِّطَ شِرَارُهَا على خِيَارِهَا». وهذا حديثٌ غريبٌ، وقد رواه أبو معاويةَ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، [4]عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ[4]، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرَ، فذكَره، ولا نعرِفُ له أصلًا، وقد روَاه مالكٌ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، مُرْسَلًا.

ثم روَى[5] من حديثِ صَالحٍ المُرِّيِّ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِيِّ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِيِّ، عن أبى هُرَيْرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ

---

(١) الترمذى (٢٢١٢). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٠١).

(٢) الترمذى (٢٢٦١). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٤٦).

(٣) المطيطاء، بالمد والقصر: مشية فيها تبختر ومد اليدين. النهاية ٤/ ٣٤٠.

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥) الترمذى (٢٢٦٦). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٩٣).

لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا ، [1] وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا [1] » . ثم قال : غريبٌ ، لا نعرفُه إلَّا من حديثِ صالحٍ المُرِّيِّ ، وله غرائبُ لا يُتابَعُ علَيها ، وهو رجلٌ صالحٌ .

[2] وروى الحافظُ أبو بكرٍ الإسماعيليُّ من طريقِ مباركِ بنِ حسانَ ، عن عمرَ ابنِ عاصمِ بنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَى [٩ظ] نِسَاؤُكُمْ ، وَفَتَقَ شَأْنُكُمْ ؟ » قالوا : يارسولَ اللَّهِ ، وإنَّ ذلك لَكَائنٌ ؟! قال : « وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ ؛ لَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » . قالوا : وإنَّ ذلك لكائنٌ ؟! قال : « وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ ؛ تَرَوْنَ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا » . قالوا : وإنَّ ذلك لَكائنٌ ؟! قال : « وَأَشَدُّ مِنْهُ ؛ تَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ » . قالوا : وإنَّ ذلك لكائنٌ ؟ قال : « وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بِئْسَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشَّهَوَاتِ بِالشُّبُهَاتِ ، وَبِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَمْشِي الْمُؤْمِنُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ » [2] .

وقال الإمامُ أحمدُ [3] : حدَّثنا خَلَفُ بنُ الوليدِ ، حدَّثنا عَبَّادُ بنُ عَبَّادٍ ، عن مُجالدِ بنِ سعيدٍ ، عن أبي الوَدَّاكِ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتَضْرِبَنَّ مُضَرُ عِبَادَ اللَّهِ حَتَّى لَا يُعْبَدَ لِلَّهِ اسْمٌ ، وَلَيَضْرِبَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى لَا يَمْنَعُوا ذَنَبَ تَلْعَةٍ » [4] . تفرَّدَ به أحمدُ من هذا الوجهِ .

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢ - ٢) ليست في : ح ، ص .

(٣) المسند ٣/٨٦ (١١٨٣٩) . قال الشيخ شعيب : حديث حسن وإسناده ضعيف . المسند ١٨/ ٣٤٠.

(٤) قوله : « حتى لا يمنعوا ذنب تلعة » الذنب - بفتحتين - الأسفل ، والتلعة - بفتح فسكون - =

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الصَّمدِ ، حدَّثنا حَمّادٌ ، يعنى ابنَ سلمةَ ، عن أيُّوبَ ، عن أبى قِلابَةَ ، عن أنَسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِى الْمَسَاجِدِ » .

ورواه أبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجه ، من حديثِ حَمّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن أيُّوبَ ، عن أبى قِلَابةَ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ الجَرْمىِّ ، زاد أبو داودَ : وعن قتادةَ ، كلاهما عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، به[2] ، وسيأتى فى ذكرِ أشراطِ الساعةِ حديثُ ابنِ مسعودٍ ، وفيه : « وَتُزَخْرَفُ الْمَحَارِيبُ ، وَتَخْرَبُ الْقُلُوبُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدَّثنا شَرِيكُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عثمانَ بنِ عُمَيْرٍ ، عن زَاذَانَ أبى عُمرَ ، عن عُلَيمٍ ، قال : كُنَّا جُلُوسًا عَلَى سَطْحٍ ، مَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - قال يزيدُ : لا أَعْلَمُهُ إلَّا عَبْسًا الغِفَارِىَّ - والناسُ يخرُجُون فى الطَّاعُونِ ، فقال عَبْسٌ : يا طَاعُونُ ، خُذْنى . ثلاثًا يقولُها ، فقال له عُلَيمٌ : لمَ تقولُ هذا ؟ ألم يَقُلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ ؛ فَإِنَّهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ ، وَلَا يُرَدُّ فَيَسْتَعْتِبُ » . فقال : إنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا : إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ ، وَنَشَوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ

= مسيل الماء من أعلى إلى أسفل ، وأذناب المسايل : أسافل الأودية ، والمراد وصفهم بالذل والضعف وقلة المنعة . اللسان (ذ ن ب) ، و(ت ل ع) ، والنهاية ٢/ ١٧٠.

(١) المسند ٣/ ١٣٤، ١٥٢ (١٢٤٠٢، ١٢٥٥٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم ٩٠/ ٣٧٢.

(٢) أبو داود (٤٤٩) ، والنسائى (٦٨٨) ، وابن ماجه (٧٣٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٢) .

(٣) المسند ٣/٤٩٤ (١٦٠٨٣) . صحيح (السلسلة الصحيحة ٩٧٩) .

يُقَدِّمُونَهُ[1] يُغَنِّيهِمْ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا » . تفرَّد به أحمدُ .

[2]وفى روايةِ أبى مُعَلَّى عن الحكمِ بنِ عمرٍو مثلُه أو نحوُه ، كما ذكَرْنا فى الزياداتِ على « مسندِ أحمدَ »[3] ، واللَّهَ سبحانَه أحمدُ ، وقد قال الطَّبَرانىُّ[4] : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ التُّسْتَرِىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ معاويةَ الجُمَحِىُّ ، حدَّثنا جَميلُ[5] ابنُ عُبيدٍ الطائىُّ ، حدَّثنا أبو مُعَلَّى ، قال : قال الحكمُ الغِفارىُّ : ياطاعونُ ، خُذْنى إليك . فقال له رجلٌ مِن القومِ : لمَ تَقولُ هذا ، وقد سمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ » ؟ فقال : قد سمِعْتُ ما سمِعْتُم ، ولكنى أُبادِرُ ستًّا : بَيْعَ الحُكْمِ ، وكثرةَ الشُّرَطِ ، وإمارةَ الصِّبيانِ ، وسفْكَ الدماءِ ، وقَطيعةَ الرَّحِمِ ، ونَشَوًا يكونون فى آخرِ الزمانِ يَتَّخِذون القُرآنَ مَزامِيرَ .

وروَى الطبرانىُّ[6] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ ، عن أبى حازمٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « سَيَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ » . قيل : ومتى ذلك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْقَيْنَاتُ ، وَاسْتُحِلَّتِ الْخَمْرُ » . له شاهدٌ فى « صحيحِ البخارىِّ »[7] من حديثِ أبى مالكٍ أو أبى عامرٍ ، كما جزَم به البخارىُّ[8] .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : ثنا يحيى بنُ أبى بُكَيرٍ ، ثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ إيادِ بنِ لَقِيطٍ[2] ،

---

(١) سقط من : ح ، ص .
(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .
(٣) جامع المسانيد والسنن ٣/ ٥٥٧، ٥٥٨.
(٤) المعجم الكبير ٣/ ٢٣٧، ٢٣٨ (٣١٦٢) .
(٥) فى الأصل : « حميد » . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٥١٩.
(٦) المعجم الكبير ٦/ ١٨٤، ١٨٥ (٥٨١٠) .
(٧) البخارى (٥٥٩٠) .
(٨) التاريخ الكبير ١/ ٣٠٥.
(٩) المسند ٥/٣٨٩ (٢٣٣٥٤) . قال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . المجمع ٧/ ٣٠٩.

(١) سمِعْتُ أبى يَذكُرُ عن حُذيفةَ ، قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الساعةِ ، فقال : « عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، وَلكِنْ أُخْبِرُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا ، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتَنًا وَهَرْجًا » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، الفتنةُ عرَفْناها ، فالهَرْجُ ما هو ؟ قال : « هُوَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْقَتْلُ » . قال : « وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَدًا » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال أحمدُ أيضًا(٢) : ثنا أبو المُغيرةِ ، ثنا صَفْوانُ ، حدَّثنى السَّفْرُ بنُ نُسَيْرٍ الأَزْدىُّ وغيرُه ، عن حذيفةَ بنِ اليَمانِ ، أنه قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنا كنا فى شرٍّ ، فذهَب اللَّهُ بذلك الشرِّ ، وجاء بخيرٍ على يديك ، [١٠و] فهل بعدَ الخيرِ مِن شرٍّ ؟ قال : « نَعَمْ » . قلتُ : ما هو ؟ قال : « فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، تَأْتِيكُمْ مُشْتَبِهَةً كَوُجُوهِ الْبَقَرِ لَا تَدْرُونَ أَيًّا مِنْ أَىٍّ » .

وقال أحمدُ(٣) : ثنا سليمانُ ، ثنا إسماعيلُ ، حدَّثنى عمرٌو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأَشْهَلىِّ ، عن حذيفةَ ، (٤)أن النبىَّ ﷺ(٤) قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ ، (٥)وَيَرُبَّ دُنْيَاكُمْ(٥) شِرَارُكُمْ » .

وبه(٦) : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ » .

وقال الطَّبَرانىُّ(٧) : ثنا الحسينُ بنُ إسحاقَ التُّسْتَرىُّ ، ثنا عمرُو بنُ هشامٍ(١)

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .
(٢) المسند ٣٩١/٥ (٢٣٣٧٦) .
(٣) المسند ٣٨٩/٥ (٢٣٣٥٠) .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل . والمثبت من المسند .
(٥ - ٥) فى المسند : « ويرث دياركم » . ويرب : يسوس . التاج (ر ب ب) .
(٦) المسند ٣٨٩/٥ (٢٣٣٥١) .
(٧) المعجم الكبير ٢٢١/٣ (٣١١١) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى ، وهو ثقة إلا أنه قيل فيه : يروى عن الضعفاء . وهذا من روايته عن صدقة بن خالد ، =

[1] أبو[2] أميةَ الحرَّانيُّ ، ثنا عثمانُ[3] بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن صَدَقةَ ، عن زيدِ بنِ واقدٍ ، عن العَلاءِ بنِ الحارثِ ، عن حِزامِ بنِ حَكيمِ بنِ حِزامٍ ، عن أبيه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِى زَمَانٍ كَثِيرٍ فُقَهَاؤُهُ ، قَلِيلٍ خُطَبَاؤُهُ ، كَثِيرٍ مُعْطُوهُ ، قَلِيلٍ سَائِلُوهُ ، الْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَسَيَأْتِى زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ ، كَثِيرٌ سُؤَّالُهُ ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ ، الْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ » .

وقال أحمدُ[4] : ثنا حمادُ بنُ أسامةَ ، أَخْبَرَنى مِسْعَرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن هِلالِ بنِ يِسافٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ظالمٍ ، عن سعيدِ بنِ زيدٍ قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فتنًا كقطعِ الليلِ المظلمِ ، أُراه قال : « فَيَذْهَبُ النَّاسُ أَسْرَعَ ذَهَابٍ » . قال : فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، كلُّهم هَالِكٌ أَوْ بَعْضُهُمْ ؟ قال : « حَسْبُهُم - أو : بِحَسْبِهِم - الْقَتْلُ » . تفرَّد به .

وقال أحمدُ أيضًا[5] : ثنا عبدُ الرحمنِ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن أبى عثمانَ ، عن خالدِ بنِ عُرْفُطةَ قال : قال[6] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا خَالِدُ ، إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِى أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ » .

وروَى الطَّبَرانيُّ[7] مِن حديثِ ثابتِ بنِ عَجْلانَ ، حدَّثنى أبو كَثيرٍ المُحاربيُّ[1] ،

= وهو من رجال الصحيح . المجمع ١/ ١٢٧.

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) فى الأصل : « بن » ، والمثبت من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٧٨.

(٣) فى الأصل : « عفان » . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٢٨.

(٤) المسند ١/١٨٩ (١٦٤٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ٣/ ١٨٧.

(٥) المسند ٥/٢٩٢ (٢٢٥٥٢) . قال الهيثمى : رواه أحمد والبزار والطبرانى ، وفيه على بن زيد ، وفيه ضعف وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات . المجمع ٧/ ٣٠٢.

(٦) بعده فى المسند : « لى » .

(٧) المعجم الكبير ٤/٢٥٨ (٤١٨٠) . قال الهيثمى : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى ، وفيه أبو كثير =

(١) سمِعْتُ خَرَشَةَ المُحاربيَّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ ، والجَالِسُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، (٢) وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ (٢) الْمَاشِى ، وَالْمَاشِى خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى ، أَلا فَمَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ فَلْيَمْشِ بِسَيْفِه إِلَى الصَّفَا(٣) فَلْيَضْرِبْ بِهِ حَتَّى يَنْكَسِرَ ، ثُمَّ لْيَضْطَجِعْ حَتَّى تَنْجَلِىَ عَمَّا انْجَلَتْ » . وذكَر الحديثَ(٤)(١) .

فصلٌ فى ذكرِ المهدىّ الذى يكونُ فى آخرِ الزَّمَانِ

وهو أحدُ الخلفاءِ الراشدين ، والأئمَّةِ المهديِّين ، وليس هو بالمنتَظَرِ الذى تزعُمُ الرافضةُ ، وتَرْتجى ظُهُورَه مِن سِرْدابِ سَامَرَّا ، فإنَّ ذلك ما لا حقيقةَ له ، ولا عينَ ، ولا أثرَ ، ويزعُمون أنَّه محمدُ بنُ الحسنِ العسكرىُّ ، وأنَّه دخَل السردابَ وعُمُرُه خمسُ سنينَ ، وأمّا ما سنذكرُه فقد نطَقت به الأحاديثُ المرويةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنَّه يكونُ فى آخرِ الزمانِ ، وأَظنُّ ظُهُورَه يكونُ قبلَ نُزولِ عيسَى ابنِ مريمَ ؛ فإنَّ هذا يملأُ الأرضَ عدْلًا ، كما مُلِئت جَوْرًا وظُلْمًا ، وهكذا عيسَى ابنُ مريمَ ، كما دلّت على ذلك الأحاديثُ .

قال الإمامُ أحمدُ(٥) : حدَّثنا حجّاجٌ وأبو نُعَيْمٍ ، قالا : حدَّثنا فِطْرٌ ، عن

= المحاربى ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . المجمع ٧/ ٣٠٠.

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . والمثبت من المعجم الكبير .

(٣) فى المعجم الكبير : « الصفاة » . والصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة والحجر الأملس . انظر النهاية ٣/ ٤١.

(٤) كذا فى الأصل . والحديث مذكور بتمامه كما فى المعجم الكبير .

(٥) المسند ١/ ٩٩ (٧٧٣) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناداه صحيحان ... حبيب فى الإسناد الثانى : هو حبيب بن أبى ثابت ، وخلاصة ذلك أن أحمد رواه عن حجاج وأبى نعيم ، عن فطر ، عن القاسم ، عن أبى الطفيل ، ورواه عن أبى نعيم وحده ، عن فطر ، عن حبيب ، عن أبى الطفيل .

القَاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، قال حجّاجٌ : سمِعتُ عليًّا يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنَّا يَمْلَؤُهَا عَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا » . قال أبو نُعَيمٍ : « رَجُلًا مِنِّى » . وقال : سَمِعتُه[1] مَرَّةً يذكُرُه عن حبيبٍ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن علىٍّ ، عن النبىِّ ﷺ . ورواه أبو داودَ[2] ، عن عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن أبى نُعَيْمٍ الفَضْلِ بنِ دُكَيْنٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا فضلُ بنُ دُكَيْنٍ ، حدَّثنا ياسينُ العِجْلىُّ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ ابنِ الحنَفِيَّةِ ، عن أبيه ، عن علىٍّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمَهْدِىُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِى لَيْلَةٍ » . ورَوَاه ابنُ ماجه[4] ، عن عثمانَ ابنِ أبى شَيْبَةَ ، عن أبى داودَ الْحَفَرِىِّ ، عن ياسينَ العِجْلىِّ ، وليس هذا ياسينَ ابنَ معاذٍ الزّياتَ ، الزياتُ ضعيفٌ ، والعِجْلىُّ أوثقُ منه .

وقال أبو داودَ[5] : حُدِّثتُ عن هارونَ بنِ المغيرةِ ، حدَّثنا عمرُو بنُ أبى قَيْسٍ ، عن شُعَيْبِ بنِ خالدٍ ، عن أبى إسحاقَ ، قال : قال علىٌّ ، ونَظَر إلى ابنِه الحسَنِ ، فقال : إنَّ ابنِى هذا سَيِّدٌ كمَا سَمّاهُ النبىُّ ﷺ ، وسيخرُجُ من صُلبِه رجُلٌ يُسَمَّى باسمِ نَبِيِّكم ﷺ ، يُشْبِهُهُ فى الخُلُقِ ، ولا يُشبِهُه فى الخَلْقِ - ثم ذكَر قصةً - يملأُ الأرْضَ عَدْلًا[6] .

وقد عقَد أبو داودَ السِّجستانىُّ ، رحِمه اللَّهُ ، كتابَ المهدِىِّ مُفْرَدًا فى

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . والقائل : هو أبو نعيم ، وسمعه من فطر .
(٢) أبو داود (٤٢٨٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٢) .
(٣) المسند ١/٨٤ (٦٤٥) .
(٤) ابن ماجه (٤٠٨٥) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٠٠) .
(٥) أبو داود (٤٢٩٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٤) .
(٦) قال ابن الأثير : أخرجه أبو داود ، ولم يذكر القصة . جامع الأصول ١٠/ ٣٣٢.

« سُنَنِه »[1] ، فأورَد فى صدْرِه حديثَ جابرِ بنِ سَمُرَةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً ، كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ » . وفى روايةٍ[2] : « لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَىْ عَشَرَ خَلِيفَةً » . قال : فكبَّر الناسُ وضَجُّوا ، ثم قال كلمةً خَفِيَّةً[3] ، قلتُ لأبى : ما قال ؟ قال : « كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ » . وفى روايةٍ[4] قال : فلمّا رجع إلى بيتِه أَتَتْهُ قريشٌ ، فقالوا : ثُمَّ يكونُ ماذا ؟ قال : « ثُمَّ يَكُونُ الْهَرْجُ » .

ثم روَى أبو داودَ[5] من حديثِ سُفيانَ الثوريِّ ، وأبى بكرِ بنِ عيّاشٍ ، وزائدةَ ، وفِطْرٍ ، ومحمدِ بنِ عُبَيْدٍ ، كلُّهم عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، وهو ابنُ بَهْدَلَةَ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ » . قال زائدةُ : « لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ » . ثم اتَّفقُوا[6] : « حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّى - أو : مِنْ أَهْلِ بَيْتِى - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِى ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِى » . زاد فى حديثِ فِطرٍ : « يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا » . وقال فى حديثِ سفيانَ : « لَا تَذْهَبُ - أو : لا تَنْقَضِى - الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى ، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِى » . وهكذا رواه أحمدُ عن عُمرَ بنِ عُبَيْدٍ ، وعن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، ومن حديثِ سفيانَ الثوريِّ ،

---

(١) أبو داود (٤٢٧٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٩٨) .

(٢) أبو داود (٤٢٨٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٩٩) .

(٣) فى ص ، وسنن أبى داود : « خفيفة » . والمثبت موافق لبعض النسخ . وهو الظاهر . وفى رواية لمسلم : « بكلمة خفيت علىَّ » . عون المعبود ٤/ ١٧٣.

(٤) أبو داود (٤٢٨١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٠) .

(٥) أبو داود (٤٢٨٢) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٢٨٢) .

(٦) أى الرواة .

كلُّهُمْ عن عاصمٍ ، به[1] . ورواه الترمذيُّ من حديثِ السُّفيانيْن ، به[2] ، وقال : حسَنٌ صَحِيحٌ . قال الترمذيُّ : وفى البابِ عن عليٍّ ، وأبى سَعيدٍ ، وأُمِّ سَلَمةَ ، وأبى هريرةَ .

ثم قال الترمذيُّ : حدَّثنا عبدُ الجبّارِ بنُ العَلاءِ العطَّارُ ، حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يَلِى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِى » . قال عاصمٌ : وأخبرَنا أبو صالحٍ[3] ، عن أبى هريرةَ ، قال : « لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِىَ » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو داودَ[4] : حدَّثنا سَهْلُ بنُ تمّامِ بنِ بَزِيعٍ ، حدَّثنا عِمرانُ القطّانُ ، عن قتادةَ ، عن أبى نضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمَهْدِىُّ مِنِّى ، أَجْلَى[5] الْجَبْهَةِ ، أَقْنَى[6] الْأَنْفِ ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ » .

وقال أبو داودَ[7] : حدَّثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعْفرٍ الرَّقِّىُّ ،

---

(١) المسند ١/ ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٤٨ (٣٥٧٢، ٤٢٧٩) عن عمر بن عبيد ، و ١/٣٧٦ (٣٥٧١) عن سفيان بن عيينة ، و ١/ ٣٧٧، ٤٣٠ (٣٥٧٣، ٤٠٩٨) من طريق سفيان الثورى .

(٢) الترمذى (٢٢٣٠) ، عن سفيان الثورى ، و (٢٢٣١) عن سفيان بن عيينة ، وسيأتى قريبا .

(٣) فى النسخ : « عاصم » . والمثبت من سنن الترمذى . قال فى تحفة الأحوذى ٣/ ٢٣٢: قوله : « قال عاصم : ونا أبو صالح ... إلخ » . هذا متصل بالإسناد السابق .

(٤) أبو داود (٤٢٨٥) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٤) .

(٥) الأجلى : الخفيف شعر ما بين النَّزَعَتين من الصدغين ، والذى انحسر الشعر عن جبهته . النهاية ١/ ٢٩٠.

(٦) القَنا فى الأنف : طولُه وَرِقَّةُ أَرْنَبَتِه مع حَدَبٍ فى وسطه . ويقال : رجل أقنى ، وامرأة قنواء . النهاية ٤/ ١١٦.

(٧) أبو داود (٤٢٨٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٣) .

حدَّثنا أبو المَلِيحِ الحسنُ بنُ عمرَ ، عن زيادِ بنِ بَيَانٍ ، عن عليِّ بنِ نُفَيلٍ ، عن سعيدِ ابنِ المسَيَّبِ ، عن أمِّ سَلَمةَ ، قالت : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي ، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ : سمِعتُ أبا المَلِيحِ يُثْنِي على عليِّ بنِ نُفَيْلٍ ، ويَذْكُرُ عنه صَلَاحًا . ورواه ابنُ ماجه ، عن أبي بكرِ بنِ أبي شَيْبةَ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ ، عن أبي المَلِيحِ الرَّقِّيِّ ، عن زِيادِ بنِ بَيانٍ ، به[1] .

فأمّا الحديثُ الذى رواه ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ ابنِ عليِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، وهو المهديُّ بنُ المنصورِ ، من طريقِ الدارقطنيِّ[2] ، ثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ موسى الهاشميُّ ، ثنا محمدُ بنُ الوليدِ القرشيُّ ، ثنا أسباطُ بنُ محمدٍ الضَّبِّيُّ ، وصِلةُ بنُ سليمانَ الواسطيُّ ، عن سليمانَ التيميِّ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن عثمانَ بنِ عفَّانَ ، سمِعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ الْعَبّاسِ عَمِّي » . فإنَّه حديثٌ غريبٌ ، كما قال الدارقطنيُّ ، تفرَّد به محمدُ بنُ الوليدِ مولى بنى هاشمٍ ، قال : ولم يُكْتَبْ إلَّا عن شيخِنا أبي إسحاقَ .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا معاذُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ ، عن صالحٍ أبى الخليلِ ، عن صَاحبٍ له ، عن أمِّ سلَمةَ [١١و] زوجِ النبيِّ ﷺ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ

---

(١) ابن ماجه (٤٠٨٦) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٠١) .
(٢) الحديث فى الجزء الساقط من ترجمة المهدى من تاريخ دمشق ، وهو فى المختصر ٢٢/ ٢٩٧، وقد أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١٤٣١) ، من طريق الدارقطنى ، ولم يذكر صلة بن سليمان .
(٣) أبو داود (٤٢٨٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢١) .

كَارِهٌ ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ ؛ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَيُبَايِعُونَهُ ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، أَخْوَالُهُ كَلْبٌ ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا ، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ ، وَيَعْمَلُ فِى النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَيُلْقِى الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ[1] إِلَى الْأَرْضِ ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ ، ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلِّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ » .

وقال أبو داودَ[2] : قال هَارونُ ، يعنى ابنَ المُغيرةِ ، حدَّثنا عمرُو بنُ أبى قيسٍ ، عن مُطَرِّفِ بنِ طَريفٍ ، عن أبى الحسنِ ، عن هلالِ بن عمرٍو ، سمِعتُ عَليًّا يقولُ : قال النبىُّ ﷺ : « يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهَرِ ، يُقَالُ لَهُ : الْحَارِثُ[3] . حَرَّاثٌ ، عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : مَنْصُورٌ . يُوَطِّئُ - أَوْ : يُمَكِّنُ - لآلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا مَكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَجَبَتْ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نُصْرَتُهُ » . أو قال : « إِجَابَتُهُ » .

وقال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا حَرْمَلَةُ بنُ يحيى المِصْرىُّ ، وإبراهيمُ بنُ سَعيدٍ الجَوْهَرىُّ ، قالا : حدَّثنا أبو صالحٍ عبدُ الغفّارِ بنُ داودَ الحرَّانىُّ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى زُرْعةَ عمرِو بنِ جابرٍ الحَضْرَمىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحَارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبيدِىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِىِّ » . يعنى سُلْطَانَه .

---

(١) يقال : ألقى فلان على هذا الأمر جرانه : وطن نفسه عليه . وضرب الإسلام بجرانه : ثبت واستقر .

(٢) أبو داود (٤٢٩٠) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٤) .

(٣) بعده فى ص ، وسنن أبى داود : « ابن » . قال فى عون المعبود ٤/ ١٧٧ : قوله : « يقال له : الحارث » . اسم له ، وقوله : « حرَّاث » . بتشديد الراء ، صفة له أى : زرّاع ، هكذا فى أكثر النسخ ، وهو المعتمد ، وفى بعض النسخ : « الحارث بن حراث » . والله أعلم .

(٤) ابن ماجه (٤٠٨٨) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٩) .

وقال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا معاويةُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنا عليُّ بنُ صالحٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقَمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : بينما نَحْنُ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِن بنى هاشمٍ ، فلمّا رآهم رسولُ اللَّهِ ﷺ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ ، وَتغَيَّرَ لَوْنُه ، قال : فقلتُ : ما نَزالُ نَرَى فى وَجْهِك شيئًا تَكْرهُه . فقال : « إنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِى سَيَلْقَوْنَ بَعْدِى بَلاءً وَتَشْرِيدًا[2] وَتَطْرِيدًا ، حَتَّى يَأْتِىَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ ، فيَسْأَلُونَ الخَيْرَ ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا ، فَلَا يَقْبَلُونَهُ حتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى ، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا ، كَمَا مَلَئُوهَا جَوْرًا ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا على الثَّلْجِ » . ففى هذا الحديثِ إشارةٌ إلى مُلكِ بنى الْعبَّاسِ ، كما تقدَّم[3] التَّنْبيهُ على ذلك عند ذكْرِ ابتداءِ دولَتِهم فى سنةِ ثِنتين وثلاثين ومائةٍ ، وفيه دِلالَةٌ على أنَّ المهدىَّ يكونُ بعدَ دولةِ بنى العباسِ ، وأنَّه يكُونُ مِن أهلِ البيتِ مِن ذُرِّيَّةِ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم مِن ولدِ الحسنِ ، لا الحُسَيْنِ ، كما تقدَّم فى حديثِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

وقال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ يَحْيَى ، وأحمدُ بنُ يوسفَ ، قالا : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، عن سُفيانَ الثورىِّ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن أبى قِلَابَةَ ، عن أبى أسماءَ الرَّحَبِىِّ ، عن ثَوْبَانَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقْتَتِلُ عِنْدَ كنْزِكُمْ

---

(١) ابن ماجه (٤٠٨٢) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٦) .

(٢) فى الأصل : « تشديدا » . وعليها علامة الصحة ، وفى الهامش : « تشريدا » وعليها علامة النسخة .

(٣) تقدم فى ١٣/ ٢٦٦.

(٤) ابن ماجه (٤٠٨٤) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٧) .

ثَلاثَةٌ كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ . ثُمَّ لا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ ، مِن قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ » . ثم ذكَر شيئًا لا أحْفَظُه ، فقال : « فإذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ ، وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ ؛ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ » . تفرَّد به ابنُ مَاجَه ، وإسنادُه قويٌّ صحيحٌ ، [١١ظ] والظاهرُ أن المرادَ بهذا الكَنْزِ المذكورِ كَنْزُ الكعبةِ ، يقتتلون عندَه ؛ ليأخذَه ثلاثةٌ من أولادِ الخلفاءِ ، حتى إذا كان فى آخرِ الزمانِ خرَج المهدىُّ مِن بلادِ المشرقِ ، وقيل : من مكةَ . لا مِن سِرْدابِ سامَرَّا ، كما تَزْعُمُه الرّافِضَةُ من أنَّه محبوسٌ فيه الآنَ ، وهم يَنْتَظِرون خروجَه فى آخرِ الزمان ، وهذا مِن الهَذَيان ، وقِسْطٌ كبيرٌ مِن الخِذْلان ، وهَوَسٌ شديدٌ مِن الشيطان ؛ إذ لا دليلَ على ذلك ولا بُرهان ، مِن كتابٍ ولا سُنَّةٍ ولا مَعْقولٍ صحيحٍ ولا بيان .

وقال الترمذىُّ[1] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، عن يونسَ ، عن ابنِ شهابٍ الزهرىِّ ، عن قَبيصَةَ بنِ ذُؤَيْبٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ ، فَلَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلْيَاءَ » . هذا حديثٌ غريبٌ . وهذه الراياتُ السودُ ليست هى التى أقبل بها أبو مُسْلِمٍ الخُراسَانىُّ ، فاستَلَبَ بها دولةَ بنى أميَّةَ ، فى سنةِ ثِنْتَيْن وثَلَاثِين ومائةٍ ، بل هى راياتٌ سودٌ أخرى تأتى صُحْبَةَ المهدىِّ ، وهو محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ العَلَوىُّ الفاطِمىُّ الحَسَنىُّ ، واللَّهُ أعلمُ ، يُصْلِحُه اللَّهُ فى ليلةٍ واحدةٍ ، أى : يَتُوبُ عليه ، ويُوَفِّقُه ، ويُلْهِمُه رُشْدَه ، بعدَ أن لم يكُنْ كذلك ، ويُؤَيِّدُه بناسٍ مِن أهلِ المَشْرِقِ ، يَنْصُرونَه ، ويُقِيمون سُلطانَه ، ويُشيِّدون أرْكانَه ، وتكونُ راياتُهم سُودًا أيضًا ،

---

(١) الترمذى (٢٢٦٩) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٣٩٥) .

وهو زىٌّ عليه الوقارُ؛ لأنَّ رايةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ كانت سوداءَ، يُقالُ لها: العُقَابُ. وقد رَكَزَها خالدُ بنُ الوليدِ على الثنيَّةِ التى هى شرقىَّ دِمَشْقَ، حينَ أقبَل من العِراقِ، فعُرِفَتْ بها الثَّنيَّةُ، فهى إلى الآنَ يقالُ لها: ثَنِيَّةُ العُقابِ. وقد كانت عِقابًا على الكُفَّارِ، من نَصارى الشامِ والرُّومِ والعَربِ والفرسِ. وأطَّدَتْ حُسْنَ العَاقبةِ لعِبادِ اللَّهِ الذين وعَدهم اللَّهُ أَنْ يرثوا الأرضَ، من المهاجرين والأنصارِ، ولمن كان معهم وبعدَهم إلى يومِ الدينِ. وكذلك دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ إلى مكَّةَ وعلى رأسِه المِغْفَرُ وكان أسودَ[1]، وجاء فى روايةٍ[2] أنَّه كان مُعْتَمًّا بعِمامةٍ سوداءَ، فوقَ البَيْضةِ.

والمقصودُ أنَّ المهدىَّ الموعودَ به يكونُ فى آخرِ الزمانِ، ويكونُ أصلُ خروجِه مِن ناحيةِ المشرقِ، ثم يأتى مكَّةَ، فَيُبايَعُ له عندَ البيتِ الحرامِ، كما ذُكِر ذلك فى الحديثِ[3]، وقد أفرَدْتُ فى ذِكْرِ المهدىِّ جُزءًا على حِدَةٍ.

وقال ابنُ ماجَه[4]: حدَّثنا نصرُ بنُ علىٍّ الجَهْضَمِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ مَرْوانَ العُقَيْلِىُّ، حدَّثنا عُمارةُ بنُ أبى حَفْصَةَ، عن زَيْدٍ العَمِّىِّ، عن أبى صِدِّيقٍ الناجىِّ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «يَكُونُ فِى أُمَّتِى الْمَهْدِىُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ تَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِى نَعْمَةً لَمْ (٥يَنْعَمُوا مِثْلَهَا٥) قَطُّ؛ تُؤْتِى الْأَرْضُ أُكُلَهَا، وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُ[6] شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ[7]، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يا مَهْدِىُّ،

---

(١) انظر صفة دخوله ﷺ مكة فيما تقدم فى ٦/ ٥٤٥.

(٢) تقدم تخريجها فى ٦/ ٥٤٥.

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٦١، ٦٢.

(٤) ابن ماجه (٤٠٨٣). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٩٩).

(٥ - ٥) فى الأصل: «يسمع بمثلها».

(٦) فى سنن ابن ماجه: «منهم».

(٧) كدوس: جمع كُدْس، والكدس: جماعة طعام، وكذلك ما يُجمع من دراهم، ونحوه. اللسان (ك د س).

أَعْطِنِى . فَيَقُولُ : خُذْ » .

وقال الترمذىُّ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شُعبةُ ، سمِعتُ زيدًا العَمِّىَّ ، سمِعتُ أبا الصِّدِّيقِ النَّاجىَّ يحدِّثُ عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، قال : خَشِينا أن يكونَ بعدَ نَبِيِّنا حَدَثٌ ، فسألنا نبىَّ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « إِنَّ فى أُمَّتِى الْمَهْدِىَّ ، يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا » . زيدٌ الشَّاكُّ ، قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : سِنِينَ . قال : « فَيَجِىءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فيَقُولُ : يَا مَهْدِىُّ ، أَعْطِنِى ، أَعْطِنِى » . قال : « فَيَحْثِى لَهُ فِى ثَوْبِهِ ما اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ » . هذا حديثٌ حسنٌ ، وقد رُوِى مِن غيرِ وجهٍ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، [١٢و] وأبو الصدِّيقِ النَّاجىُّ اسمُه بكرُ بنُ عمرٍو ، ويقالُ : بكرُ بنُ قَيْسٍ . وهذا يدلُّ على أنَّ أكثرَ مُدَّتِه تِسْعُ سنينَ ، وأقلَّها خَمْسٌ أو سَبْعٌ ، ولعلَّه هو الخليفةُ الذى يَحْثو المالَ حَثْيًا ولا يَعُدُّه عَدًّا ، واللَّهُ أعلمُ ، وفى زَمانِه تكونُ الثِّمارُ كثيرة ، والزُّرُوعُ غَزِيرة ، والمالُ وافر ، والسُّلْطَانُ قاهر ، والدينُ قائمٌ ظاهر ، والعدوُّ ملومٌ مخذولٌ داخر[2] ، والبلادُ آمنة ، والأمرُ والنهىُ قائم ، والرزقُ دارٌّ دائم .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا خَلَفُ بنُ الوليدِ ، حدَّثنا عَبّادُ بنُ عبّادٍ ، حدَّثنا مُجالدُ بنُ سعيدٍ ، عن أبى الودّاكِ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قلت : وَاللَّهِ مَا يَأْتِى عَلَيْنَا أَمِيرٌ إِلَّا وهو شَرٌّ مِنَ الْمَاضِى ، وَلَا عامٌ إِلَّا وهو شَرٌّ مِنَ الْمَاضِى . قال : لَوْلَا شَىْءٌ سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقُلْتُ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ولكنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ أُمَرَائِكُمْ أَمِيرًا يَحْثُو الْمَالَ حَثْوًا وَلَا يَعُدُّهُ عَدًّا ؛ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ

---

(١) الترمذى (٢٢٣٢) . حسن (صحيح سنن الترمذى ١٨٢٠) .

(٢) داخر : ذليل مهان . النهاية ٢/١٠٧ .

(٣) المسند ٣/٩٨ (١١٩٥٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد بن سعيد ، وبقية رجاله ثقات . المسند ١٨/ ٤٢٣.

فَيَسْأَلُهُ ، فَيَقُولُ : خُذْ . فيَبْسُطُ[1] ثَوْبَهُ ، فَيَحْثُو فِيهِ » . وَبَسَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِلْحَفَةً غَلِيظَةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، يَحْكِى صُنعَ[2] الرَّجُلِ ، ثُمَّ جمَع إِلَيْهِ أَكْنَافَهَا ، قالَ : « فَيَأْخُذُهُ ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ » . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقال ابنُ ماجه[3] : حدَّثنا هَدِيَّةُ[4] بنُ عبدِ الوهّابِ ، حدَّثنا سعدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، عن علىِّ بنِ زيادٍ اليمامِىِّ ، عن عِكْرِمةَ بنِ عَمّارٍ ، عن إسحاقَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « نَحْنُ ، وَلَدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ أَنَا ، وَحَمْزَةُ ، وَعَلِىٌّ ، وَجَعْفَرٌ ، وَالْحَسَنُ ، وَالْحُسَيْنُ ، وَالْمَهْدِىُّ » . قال شيخُنا أبو الحجاجِ المِزِّىُّ[5] : كذا وقَع فى « سننِ ابنِ ماجه » ، وفى إسنادِه علىُّ بنُ زِيادٍ اليمامىُّ ، والصوابُ : عبدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ السُّحَيْمِىُّ .

قُلتُ : وكذا أَورَده البخارىُّ فى « التاريخِ »[6] ، وابنُ أبى حاتمٍ فى « الجَرْحِ والتعديلِ »[7] ، وهو رجلٌ مجهولٌ ، وهذا الحديثُ مُنكرٌ .

[8]وفى « الطبرانىِّ »[9] مِن حديثِ حسينِ بنِ علىٍّ ، عن الأوزاعىِّ ، عن[8]

---

(١) بعده فى المسند : « الرجل » .

(٢) فى المسند : « صنيع » .

(٣) ابن ماجه (٤٠٨٧) . موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٤٨٨) .

(٤) فى النسخ : « هدبة » . وهو تصحيف . والمثبت من سنن ابن ماجه . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٥٧، وتبصير المنتبه ٤/ ١٤٥١.

(٥) تحفة الأشراف ١/ ٨٦، بنحوه .

(٦) التاريخ الكبير ٥/ ٩٥.

(٧) الجرح والتعديل ٥/ ٦٢.

(٨ - ٨) سقط من : ح ، ص .

(٩) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٧٤ (٩٣٧)قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه جماعة لم أعرفهم . المجمع ٥/ ١٩٠.

(١) قيسِ بنِ جابرٍ الصَدَفيِّ ، عن أبيه ، (٢) عن جدِّه (٢) مرفوعًا : « سَيَكُونُ بَعْدِى خُلَفَاءُ ، ثُمَّ مُلُوكٌ ، ثُمَّ أُمَرَاءُ[٣] ، ثُمَّ جَبَابِرَةٌ ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ الْقَحْطَانِيُّ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا هُوَ بِدُونِهِ » (١) .

فأمّا الحديثُ الذى روَاه ابنُ ماجه فى « سُننِه »[٤] : حدَّثنا يونُسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، حدَّثنا محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ ، حدَّثنى محمدُ بنُ خالدٍ الجَنَديُّ ، عن أبانِ بنِ صالحٍ ، عن الحسنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ » . فإنَّهُ حديثٌ مشهورٌ بمحمدِ بنِ خالدٍ الجَنَديِّ الصَّنْعانيِّ المؤذِّنِ ، شيخِ الشافعيِّ ، وروَى عنه غيرُ واحدٍ أيضًا ، وليس هو بمجهولٍ كما زعَمه الحاكمُ ، بل قد رُوِى[٥] عن ابنِ مَعينٍ أنَّه وَثَّقه ، ولكنْ مِن الرُّواةِ مَن حدَّث به عنه ، عن أبانِ بنِ أبى عَيّاشٍ ، عن الحسنِ البَصريِّ ، مُرسلًا[٦] ، وذكَر شيخُنا فى « التهذيبِ »[٦] ، عن بعضِهم ، أنَّه رأى الشافعيَّ فى المنامِ وهو يقولُ : كذَب علَيَّ يونُسُ بنُ عبدِ الأعلَى الصَّدَفيُّ ؛ ليس هذا من حديثى .

قُلتُ : يونُسُ بنُ عبدِ الأعلَى من الثقاتِ ، لا يُطْعَنُ فيه بمجردِ منَامٍ ، وهذا الحديثُ فيما يظهرُ فى بادِى الرأيِ مُخالفٌ للأحاديثِ التى أورَدناها فى إثباتِ مهديٍّ غيرِ عيسَى ابنِ مريمَ ، إمّا قبلَ نزولِه وهو الأظهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، وإمّا بعدَ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل . والمثبت من مصدر التخريج .
(٣) جاء فى مصدر التخريج ترتيب الأمراء قبل الملوك .
(٤) ابن ماجه (٤٠٣٩) .
(٥) انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٤٨، ١٤٩.
(٦) المصدر السابق ٢٥/ ١٥٠.

نزولِه ، وعندَ التأمُّلِ يكونُ هذا الحديثُ لا ينافيها ، ويكونُ المرادُ مِن ذلك أنَّ المهدىَّ حقَّ المهدىِّ هو عيسَى ابنُ مريمَ ، ولا ينفِى ذلك [١٢ظ] أن يكونَ غيرُه مَهْديًّا أيضًا .

ذِكرُ أنواعٍ مِن الفِتَنِ وقَعَت ، وستكثُرُ وتتفاقمُ فى آخرِ الزمانِ

قال البخارىُّ[(١)] : حدَّثنا مالِكُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا ابنُ عُيَيْنَةَ أنَّه سمِع الزُّهْرِىَّ ، عن عُرْوَةَ ، عن زينبَ بنتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، عن أُمِّ حَبِيبَةَ ، عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ ، أنَّها قالت : استيقَظ النبىُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ ، يقولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » . وعقَد سفيانُ تسعينَ أو مائةً ، قيلَ : أنَهْلِكُ وفينَا الصّالِحُونَ ؟ قال : « نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ » . وهكذا رواه مسلمٌ عن عمرٍو الناقدِ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، به[(٢)] . قال : وعقَد سفيانُ بيدِه عَشَرةً . وكذلك رواه[(٣)] عن حَرْمَلَةَ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن يونسَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، وقال : وحلَّق بإِصْبَعِه الإبْهامِ ، والتى تَلِيها . ثم روَاه[(٤)] عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، وسعيدِ بنِ عَمْرٍو ، وزُهَيرِ بنِ حَرْبٍ ، وابنِ أبى عمرَ ، عن سفيانَ ، عن الزُّهرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن زينبَ ، عن حَبِيبَةَ ، عن أُمِّ حَبيبَةَ ، عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ ، فاجتَمَع فيه تابِعيَّان ، ورَبيبَتان[(٥)] ،

---

(١) البخارى (٧٠٥٩) .

(٢) مسلم (٢٨٨٠) .

(٣) مسلم (٢/ ٢٨٨٠) .

(٤) مسلم (٢٨٨٠) .

(٥) فى ح : « زينبتان » . وفى ص : « زينبيتان » ، قال الحميدى : قال سفيان بن عيينة : أحفظ فى هذا =

وزَوجتان ؛ أرْبَعُ صحابيّاتٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهنَّ .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا وُهَيْبٌ ، حدَّثنا ابنُ طَاوُسٍ ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرَةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » . وعقَد وُهَيْبٌ تِسْعِين . وهكذا روَاه مسلمٌ من حديثِ وُهَيْبٍ مثلَه[2] .

وروَى البخاريُّ[3] من حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن هندَ بنتِ الحارثِ الفِرَاسِيّةِ ، أنَّ أمَّ سَلَمةَ زَوْجَ النبىِّ ﷺ قالت : استيقَظ النبىُّ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا ، يقولُ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أزواجه - لِكَىْ يُصَلِّينَ ، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِى الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِى الْآخِرَةِ » .

ثم روَى البخاريُّ ومُسْلِمٌ[4] من حديثِ الزهرىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ ، قال : أشرَفَ النبىُّ ﷺ على أُطُمٍ[5] مِن آطَامِ المدينةِ ، فقال : « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ » قالوا : لا . قال : « فَإِنِّى لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ ، كَوَقْعِ الْقَطْرِ » .

وروَى البُخاريُّ[6] من حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن

= الحديث عن الزهرى أربع نسوة قد رأين النبى ﷺ ، ثنتين من أزواجه ؛ أم حبيبة وزينب بنت جحش ، وثنتين ربيبتاه ؛ زينب بنت أم سلمة ، وحبيبة بنت أم حبيبة . مسند الحميدى ١/ ١٤٨، وانظر فتح البارى ١٣/ ١٢.

(١) البخارى (٧١٣٦) ، ولفظه : « يفتح الردم ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » . والمثبت موافق لرواية مسلم الآتى تخريجها .

(٢) مسلم (٢٨٨١) .

(٣) البخارى (١١٥، ١١٢٦، ٥٨٤٤، ٦٢١٨، ٧٠٦٩) .

(٤) البخارى (١٨٧٨، ٢٤٦٧، ٣٥٩٧، ٧٠٦٠) ، ومسلم (٢٨٨٥) .

(٥) الأطم بالضم : بناء مرتفع . النهاية ١/ ٥٤.

(٦) البخارى (٧٠٦١) .

النبيِّ ﷺ قال : « يَتقارَبُ الزَّمَانُ ، [1] وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ [1] ، وَيُلْقَى الشُّحُّ ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أَيُّمَا هو ؟ قال : « الْقَتْلُ ، الْقَتْلُ » . ورواه أيضًا [2] ، عن الزهريِّ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أبى هريرةَ ، ثم رواه [3] من حديثِ الأعمشِ ، عن شَقِيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، وأبى مُوسَى .

وقال البخاريُّ [4] : حدَّثنا محمدُ بنُ يوسفَ ، حدَّثنا سُفيانُ ، عن الزُّبيرِ بنِ عَدِيٍّ ، قال : أتَيْنا أَنَسَ بنَ مالِكٍ ، فشَكَونا إليه ما يَلْقَون [5] مِنَ الحَجَّاجِ ، فقالَ : « اصْبِرُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِى [6] عَلَى النَّاسِ [6] زَمَانٌ إِلَّا الَّذِى بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ » سَمِعتُه من نبيِّكم ﷺ . ورواه الترمذيُّ [7] من حديثِ الثوريِّ ، وقال : حسنٌ صحيحٌ . وهذا الحديثُ يُعَبِّرُ عنه العَوامُّ ، فيما يُورِدونه ، بلفظٍ آخرَ : كُلَّ عَامٍ تَرْذُلُون [8] .

ورَوَى البخاريُّ ومسلمٌ [9] من حديثِ الزهريِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، وعن

(١ - ١) فى صحيح البخارى : « وينقص العمل » . قال ابن حجر فى الفتح ١٣/ ١٤: قوله : « وينقص العلم » . كذا للأكثر ، وفى رواية المستملى والسرخسى : « العمل » .

(٢) البخارى (٦٠٣٧) .

(٣) البخارى (٧٠٦٢، ٧٠٦٣) .

(٤) البخارى (٧٠٦٨) .

(٥) قال ابن حجر فى الفتح ١٣/ ٢٠: قوله : « أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون » . فيه التفات ، ووقع فى رواية الكشميهنى : « فشكوا » . وهو على الجادة ، ووقع فى رواية ابن أبى مريم عن الفريابى شيخ البخارى فيه عند أبى نعيم : « نشكو » . بنون بدل الفاء ، وفى رواية عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عند الإسماعيلى : « شكونا إلى أنس ما نلقى من الحجاج » .

(٦ - ٦) فى صحيح البخارى : « عليكم » .

(٧) الترمذى (٢٢٠٦) .

(٨) انظر ما تقدم من كلام المصنف ، رحمه اللَّه ، على هذا القول فى ١٢/ ٥٤٣.

(٩) البخارى (٣٦٠١، ٧٠٨١، ٧٠٨٢) ، ومسلم (٢٨٨٦) .

أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ ، القَاعِدُ فِيها خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى ، والْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى ، مَنْ يُشْرِفْ[1] لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ » . ولمُسْلِمٍ عن أبى بَكْرَةَ نحوُه بأبْسَطَ منه[2] .

وقال البخارىُّ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ كثيرٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن زَيْدِ بنِ وَهْبٍ ، حدَّثنا حُذَيفَةُ ، قال : حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ حديثَين رأيتُ أحدَهما وأنا أنْتَظِرُ الآخرَ ، حدَّثنا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِى جَذْرِ قُلوبِ الرِّجالِ ، ثم عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ ، ثم عَلِموا مِنَ السُّنَّةِ . وحدَّثنا عن رَفْعِها قال : « يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُها مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ[4] ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ[5] ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الـمَجْلِ[6] ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ[7] ،

---

(١) فى صحيح مسلم : « تَشَرَّفَ » . وكذا بعض روايات البخارى . قال النووى فى شرح صحيح مسلم ١٨/ ٩: أما « تشرف » فروى على وجهين مشهورين أحدهما : بفتح المثناة فوق والشين والراء ، والثانى : « يُشْرِف » بضم الياء وإسكان الشين وكسر الراء ، وهو من الإشراف للشىء ، وهو الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له ، ومعنى « تستشرفه » : تقلبه وتصرعه ، وقيل : هو من الإشراف بمعنى الإشفاء على الهلاك ، ومنه أشفى المريض على الموت وأشرف .

(٢) مسلم (٢٨٨٧) .

(٣) البخارى (٦٤٩٧، ٧٠٨٦) .

(٤) فى ح : « الكواكب » ، وفى ص : « الكوكب » . والوكت : الأثر اليسير . كذا قاله الهروى . وقال غيره : هو سواد يسير . وقيل : هو لون يحدث مخالِفٌ للون الذى كان قبله . صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٦٩.

(٥) بعده فى الأصل : « الأمانة » . وهو موافق لرواية مسلم الآتى تخريجها .

(٦) المجل : هو التنفط الذى يصير فى اليد من العمل بفأس أو نحوها ، ويصير كالقبة فيه ماء قليل . صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٦٩.

(٧) قال النووى : قوله : « نفط » . ولم يقل : نفطَتْ . مع أن الرِّجْل مؤنثة ، إما أن يكون ذكّر « نفط » إتباعا للفظ الرجل ، وإما أن يكون إتباعا لمعنى الرجل وهو العضو . المصدر السابق .

فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا[1] ولَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، فيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ ، وَلَا يَكَادُ أَحَدٌ [١٣و] يُؤَدِّى الْأَمَانَةَ ، فَيُقَالُ : إنَّ فِى بَنِى فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَا أَعْقَلَهُ ، وَمَا أَظْرَفَهُ ، وَمَا أَجْلَدَهُ ! وَمَا فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِى أَيَّكُمْ بَايَعْتُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ[2] ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا » . ورَوَاه مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الأَعْمَشِ ، به[3] .

ورَوَى البُخَارِىُّ[4] مِن حَدِيثِ الزُّهْرِىِّ ، عَن سَالِمٍ ، عَن أَبيه ، ومن حديثِ الليثِ ، عن نَافِعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قامَ إِلَى جَنْبِ المِنْبَرِ وهو مُسْتَقْبِلُ المَشْرِقِ ، فقال : « أَلَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَـٰهُنَا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » . أو قال : « قَرْنُ[5] الشَّمْسِ » . ورَوَاه مُسْلِمٌ من حديثِ الزُّهْرِىِّ وغيرِه ، عن سالمٍ به[6] . ورَواه أحمدُ[7] من طَرِيقِ عبدِ اللَّهِ بنِ دِينَارٍ ، والطَّبَرَانِىُّ[8] مِن رِوَايَةِ عَطِيَّةَ ، كِلَاهُمَا عَن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، به .

---

(١) فى ح : « منيرا » ، وفى ص : « منبترا » . ومنتبرا : مرتفعا ، وأصل هذه اللفظة الارتفاع ، ومنه المنبر ؛ لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه . صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١٦٩.

(٢) ساعيه : أى الوالى عليه .

(٣) مسلم (٢٣٠/ ١٤٣) .

(٤) البخارى (٧٠٩٢) من طريق الزهرى عن سالم عن أبيه ، و (٧٠٩٣) من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر .

(٥) سقط من : الأصل ، ح .

(٦) مسلم (٤٧/ ٢٩٠٥) من طريق الزهرى ، و (٤٨/ ٢٩٠٥) من طريق عكرمة بن عمار ، و (٤٩/ ٢٩٠٥) من طريق حنظلة بن أبى سفيان ، و(٥٠/ ٩٠٥) من طريق فضيل بن غَزْوان وفيه قصة ، أربعتهم عن سالم عن أبيه .

(٧) المسند ٢/ ٢٣، ٥٠، ٧٣، ١١١ (٤٧٥٤، ٥١٠٩، ٥٤٢٨، ٥٩٠٥) .

(٨) لم نجده من طريق عطية ، والراجح أنه من الجزء الساقط من مسند عبد اللّه بن عمر من المعجم الكبير . والحديث فى المعجم الأوسط (٣٨٩) من طريق نافع عن ابن عمر .

وقال البُخَارِىُّ[1] : حدَّثنَا إسماعيلُ ، حدَّثَنى مَالِكٌ ، عن أَبى الزِّنَادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : يَالَيْتَنِى مَكَانَهُ » .

[2]وقال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عفانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أنا يونسُ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرَةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « تُوشِكُونَ أَنْ يَمْلَأَ اللَّهُ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْعَجَمِ - وقال عفانُ مرةً : مِنَ الْأَعَاجِمِ - يَكُونُونَ أُسْدًا لَا يَفِرُّونَ ، يَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ[4] ، وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ[2] » .

وقال البخارىُّ[5] : حدَّثَنا أبو اليمانِ ، أنا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، أَخْبرَنِى سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ أنَّ أَبا هُريرةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِى الْخَلَصَةِ » . وذو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ ، التِى كانُوا يَعْبُدُونَ فِى الجَاهِلِيَّةِ .

وقال البُخَارِىُّ[6] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ الكِنْدِىُّ ، عن عُقْبَةَ بنِ خَالِدٍ ، حدثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن خُبَيْبِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ، عن جدِّه حفصِ بنِ عَاصمٍ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ

---

(١) البخارى (٧١١٥) .
(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .
(٣) المسند ٥/١٧ ، ٢١ ، ٢٢ (٢٠١٩٣ ، ٢٠٢٦١) .
(٤) فى الأصل : « مقاتلكم » . والمثبت من المسند .
(٥) البخارى (٧١١٦) .
(٦) البخارى (٧١١٩) .

[1] كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَمَنْ حَضَرَه فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا » . قالَ عُقْبَةُ : وَحَدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدَّثَنا أبو الزِّنَادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أَبِى هُرَيْرَةَ ، عن النبىِّ ﷺ مِثْلَه ؛ إلَّا أنَّه قال : « يَحْسِرُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ » [1] . وكذلك رَواه مُسْلِمٌ [2] ، مِنْ حَدِيثِ عُقبةَ ابنِ خَالِدٍ ، مِنَ الوَجْهَيْنِ .

ثم رواه [3] عن قُتَيْبَةَ ، عن يَعقوبَ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ ، عن سُهَيلٍ ، عن أبيهِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : لَعَلِّى أَكُونُ أَنَا الَّذِى أَنْجُو » .

ثم رَوَى [4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، قال : كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَىِّ بنِ كَعْبٍ فِى ظِلِّ أُجُمٍ [5] حَسَّانَ ، فقال : لَا يزَالُ النَّاسُ مُختلفةً أعناقُهم فى طَلَبِ الدُّنْيَا ، قلتُ : أَجَلْ . قال : إنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ : لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيَذْهَبُنَّ بِهِ كُلِّهِ » . قال : « فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ » .

وقال البُخَارِىُّ [6] : حدَّثَنا أبو اليَمانِ ، أخبَرنا شُعَيْبٌ ، حدَّثَنا أبو الزِّنادِ ، عن

(١ - ١) فى الأصل : « جبل من ذهب وفى رواية عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا » ، وفى ح : « كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا وفى رواية يحسر عن جبل من ذهب » .

(٢) مسلم (٣٠/ ٢٨٩٤) من الوجه الأول ، و (٣١/ ٢٨٩٤) من الوجه الثانى .

(٣) مسلم (٢٩/ ٢٨٩٤) .

(٤) مسلم (٣٢/ ٢٨٩٥) .

(٥) فى ح : « أطم » . قال النووى : أُجُم : بضم الهمزة والجيم : الحصن ، وجمعه : آجام ، كأطم وآطام فى الوزن والمعنى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٩ .

(٦) البخارى (٧١٢١) .

عبدِ الرحمنِ، عن أبي هُريرةَ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وحتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ، كُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِى يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِى بِهِ[1]. وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِى الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِى مَكَانَهُ. وحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ وَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ. وَلَتَقُومَنَّ [١٣ظ] السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ[2] فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ[3] فَلَا يَسْقِى فِيهِ. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا».

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا سُريجُ بنُ النعمانِ، ثنا عبدُ العزيزِ، يَعْنِى الدَّرَاوَرْدِىَّ، عن زيدِ بنِ أسلمَ، عن سعدِ بن أبى وقاصٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ

---

(١) فى الأصل، ح: «فيه».

(٢) اللِّقحة، بالكسر والفتح: الناقة القريبة العهد بالنتاج، والجمع: لِقَحٌ، وناقة لقوح، إذا كانت غزيرة اللبن. النهاية ٤/ ٢٦٢.

(٣) قال ابن حجر فى الفتح ١٣/ ٨٨: قوله: «يليط حوضه». بفتح أوله من الثلاثى، وبضمه من الرباعى، والمعنى يصلحه بالطين والمدر، فيسد شقوقه؛ ليملأه، ويسقى منه دوابّه.

(٤) المسند ١/ ٨٤ (١٥٩٧). قال الشيخ شعيب: حسن لغيره، ورجاله رجال الصحيح إلا أن زيد بن أسلم لم يسمع من سعد. المسند ٣/ ١٥٤.

بِأَلْسِنَتِهَا[1] » . تفرَّد به أحمدُ .

وقالَ مسلمٌ[2] : حدَّثَنِى حَرْمَلَةُ بنُ يَحْيَى التُّجِيبِىُّ ، أنا ابنُ وهبٍ ، أنا يونُسُ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، أنَّ أَبا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِىَّ ، قال : قال حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ : واللَّهِ إِنِّى لَأَعْلَمُ النَّاسِ بكلِّ فِتْنَةٍ كَائِنَةٍ فيما بَيْنِى وبينَ الساعةِ ، وَمَا بِى إِلَّا أن يَكُونَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسَرَّ إِلَىَّ فى ذَلِكَ شيئًا لم يُحَدِّثْه غَيْرِى ، ولكنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وَهُوَ يُحدِّثُ مَجْلِسًا أنا فيه عن الفِتَنِ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يَعُدُّ الفتنَ : « مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا ، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ ، مِنْهَا صِغَارٌ ، وَمِنْهَا كِبَارٌ » . قال حُذَيفَةُ : فَذَهَبَ أُولئِكَ الرَّهْطُ كلُّهُمْ غَيْرِى .

وروَى مُسْلمٌ[3] مِن حَدِيثِ زُهَيْرٍ ، عن سُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَهَا وقَفِيزَهَا[4] ، ومَنَعَتِ الشامُ مُدْيَهَا[5] ودِينَارَهَا ، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا ودِينَارَهَا ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، [6]وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ[6] » . شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبى هُريرةَ ودَمُهُ .

---

(١) قوله ﷺ : « يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها » . قال المُناوى فى فيض القدير ٤/ ١٣١ : أى يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم كما تأخذ البقر بألسنتها ، ووجه الشبه بينهما ؛ لأنهم لا يهتدون من المأكل كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها ، والآخر أنهم لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام كما لا تميز البقرة فى رعيها بين رطب ويابس ، وحلو ومرّ ، بل تَلُفُّ الكُلَّ .

(٢) مسلم (٢٢/ ٢٨٩١) .

(٣) مسلم (٣٣/ ٢٨٩٦) .

(٤) القفيز : مكيال معروف لأهل العراق . قال الأزهرى : هو ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف ، وهو خمس كيلجات . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٢٠ .

(٥) المدى بضم الميم على وزن قفل ، وهو مكيال معروف لأهل الشام . قال العلماء : يسع خمسة عشر مكوكا . المصدر السابق .

(٦ - ٦) سقط من : ح ، ص . وفى الأصل : « وعدتم من حيث بدأتم » . والمثبت من صحيح مسلم .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا إسماعيلُ ، حدَّثَنا الجُرَيْرِيُّ ، عن أَبِى نَضْرَةَ ، قال : كُنَّا عِندَ جابرٍ فقالَ : يُوشِكُ أَهْلُ العِرَاقِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ ولا دِرْهَمٌ . قلْنا : مِنْ أينَ ذاكَ ؟ قال : مِنْ قِبَلِ العَجَم ، يَمْنَعُونَ ذاك . ثم قال : يُوشِكُ أَهْلُ الشّامِ أنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهم دِينَارٌ ولا مُدْىٌ[2] . قلنا : مِنْ أيْنَ ذاك . قال : مِنْ قِبَلِ الرُّومِ ، يمنَعون ذَاك . قال : ثُمّ سَكَتَ هُنَيْهَةً ، ثم قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ فِى آخِرِ أُمَّتِى خَلِيفَةٌ [3]يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا[3] لا يَعُدُّهُ عَدًّا » . قال الجُرَيْرِيُّ : فقلتُ لأبى نَضْرَةَ وأبى العَلَاءِ : أَتَرَيَانِهِ عمرَ بنَ عبدِ العَزِيزِ ؟ فقالَا : لا . ورَوَاهُ مسلمٌ من حديثِ الجُرَيْرِيِّ ، بنحوِه[4] .

وقالَ الإمامُ أحمدُ[5] : حدّثَنا أبو عامرٍ ، حدَّثَنا أفلَحُ بنُ سعيدٍ الأنصارىُّ ، شيخٌ من أهلِ قُبَاءٍ من الأنصارِ ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ رافعٍ مولَى أمِّ سَلَمةَ ، قال : سمِعتُ أبا هُريرَة يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنْ طَالَتْ بِكُمْ[6] مُدَّةٌ أَوْشَكَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِى سَخَطِ اللَّهِ ، وَيَرُوحُونَ فِى لَعْنَتِهِ ، فِى أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ » . وَأَخْرَجَه مُسْلِمٌ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيرٍ ، عن زيدِ بنِ

---

(١) المسند ٣/٣١٧ (١٤٤٤٦) .

(٢) فى المسند : « مد » .

(٣ - ٣) فى ح : « يحثى المال حثيا » ، وفى المسند : « يحثو المال حثوا » . والمثبت موافق لما فى صحيح مسلم (٦٨/ ٢٩١٤) . يقال : حثيت أحثى حثيا ، وحثوت أحثو حثوا ، لغتان ، وقد جاءت اللغتان فى هذا الحديث [مسلم ٦٨/٢٩١٤] ، وجاء مصدر الأولى على فعل الثانية ، وهو جائز ، من باب قوله تعالى ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٣٩ .

(٤) مسلم (٦٧/ ٢٩١٣) .

(٥) المسند ٢/ ٣٠٨ ، ٣٢٣ (٨٠٥٩ ، ٨٢٧٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده قوى على شرط مسلم . المسند ١٣/ ٤٣٨ .

(٦) فى مطبوعة المسند : « بك » . والمثبت موافق لنسختين من نسخ المسند . انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ١٣/ ٤٣٨ ، الحاشية (١) .

الحُبَابِ ، عن أَفْلَحَ بنِ سعيدٍ ، به[1] .

ثم روَى[2] عن زهيرِ بنِ حَرْبٍ ، عن جَرِيرٍ ، عن سُهَيْلٍ ، عن أبيهِ ، عن أبِي هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ ؛ قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ ، رُءوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ[3] ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » .

وقال أحمدُ[4] : حدّثنا زيدُ بنُ يحيى الدِّمَشْقِيُّ ، حدَّثنا أبو مُعَيْدٍ[5] ، حدَّثنا مَكْحُولٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، متَى نَدَعُ الائْتِمَارَ بالمَعْرُوفِ ، والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ ؟ قال : « إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ [6]مِثْلُ مَا[6] ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ إِذَا كَانَتِ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَّالِكُمْ ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ » . ورَوَاه ابنُ ماجه[7] ، عن العبَّاسِ بنِ الوليدِ الدِّمَشْقِيِّ ، عن زيدِ بنِ يحيَى بنِ عبيدٍ ، عن الهَيْثَمِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن أبي مُعَيْدٍ حَفْصِ بنِ غَيْلَانَ ، عن مَكْحُولٍ ، عن أَنسٍ ، فذكَر نحوَه .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا يحيى بنُ حمَّادٍ ، حدَّثَنا أبو عَوانَةَ ، عن عطاءٍ

---

(١) مسلم (٥٣/ ٢٨٥٧) .

(٢) مسلم (٥٢/ ٢١٢٨) .

(٣) أى يعظِّمن رءوسهن بالخُمُر والعمائم وغيرها مما يُلَفُّ على الرأس ، حتى تشبه أسنمة الإبل البخت . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٩١.

(٤) المسند ٣/١٨٧ (١٢٩٦٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده قوى . المسند ٢٠/ ٢٧٣.

(٥) فى ح : « معبد » ، وفى ص ، ومطبوعة المسند : « سعيد » . وانظر أطراف المسند ١/ ٥٣٠.

(٦ - ٦) فى المسند : « ما » .

(٧) ابن ماجه (٤٠١٥) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٧٠) .

(٨) المسند ٢/١٧٠ (٦٥٨٨) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١١/ ١٥٩.

ابنِ السَّائبِ ، عن أبيهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، أنّه حدَّثَهُم عن النبيِّ ﷺ قال : « ضَافَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَفِى دَارِهِ كَلْبَةٌ مُجِحٌّ[1] ، فَقَالَتِ الكَلْبَةُ : واللَّهِ لَا أَنْبَحُ ضَيْفَ أَهْلِى . قَالَ : فَعَوَى جِرَاؤُهَا فِى بَطْنِهَا . قال : قِيلَ : ما هَذَا ؟ قال : [١٤و] فَأَوْحَى اللَّهُ ، عزَّ وَجَلَّ ، إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ : هَذَا مَثَلُ أُمَّةٍ تَكُونُ مِنْ بعْدِكُمْ ، يَقْهَرُ سُفَهَاؤُهَا حُلَمَاءَهَا » .

وقال الإمامُ أحمدُ :[2] حدَّثَنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، حدّثَنا أبو إسْحاقَ ، عن الأَوْزَاعِىِّ ، حدَّثنى أبو عَمَّارٍ ، حدَّثَنِى جارٌ لجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قَدِمْتُ من سَفَرٍ ، فجاءَنِى جَابِرٌ يُسَلِّمُ علَىَّ ، فَجعَلْتُ أُحَدِّثُه عن افتِراقِ النَّاسِ ومَا أَحْدَثُوا ، فجَعَل جَابرٌ يَبْكِى ، ثم قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا يحيى بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثَنا أبو يونُسَ ، عن أبى هُريرةَ . وقال حسنٌ : حدَّثَنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثَنا أبو يونُسَ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ؛ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِى كَافِرًا ، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ ، المُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ » . أو قال : « عَلَى الشَّوْكِ » . وقال حَسَنٌ فى حديثِه : « بِخَبَطِ[4] الشَّوْكِ » .

---

(١) المجح : الحامل المُقْرِب . تاج العروس (ج ح ح) .

(٢) المسند ٣/٣٤٣ (١٤٧٣٧) ضعيف (ضعيف الجامع الصغير ١٧٩٦) .

(٣) المسند ٢/ ٣٩٠، ٣٩١ (٩٠٦٣) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح دون قوله : « المتمسك يومئذ بدينه ... إلخ » . فحسن لغيره ، وإسناده ضعيف .

(٤) فى النسخ : « يخبط » ، وكذا فى نسختين من نسخ المسند . وهو تصحيف ، وفى المسند : =

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا أبو جعفرٍ المدائِنىُّ ، حدَّثنا عبدُ الصَّمدِ بنُ حَبِيبٍ الأزْدِىُّ ، عن أبيه حَبِيبِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن شُبَيْلِ بنِ عوفٍ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لِثَوْبَانَ : « كَيْفَ أَنْتَ يَا ثَوْبَانُ ، إِذَا تَدَاعَتْ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ [2]كَتَدَاعِيهِمْ إِلَى قَصْعَةِ الطَّعَامِ ، يُصِيبُونَ مِنْهُ[2] ؟ » قالَ ثوبانُ : بِأبى وأُمِّى يا رسولَ اللَّهِ ، أمِنْ قلَّةٍ بِنَا ؟ قال : « لَا ، بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ يُلْقَى فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ » . قالُوا : وَمَا الوَهَنُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « حُبُّكُمُ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرنا مَعْمَرٌ ، عن رجلٍ ، عن عمرِو بنِ وابِصَةَ الأسَدِىِّ ، عن أبيهِ ، قال : إنِّى بالكُوفَةِ فى دَارِى ، إِذْ سَمِعْتُ على بابِ الدَّارِ : السَّلامُ عليكُم ، أَأَلِجُ ؟ فقلت : عَلَيْكُمُ السَّلَامُ ، فَلِجْ . فلمَّا دَخَلَ ، فإِذَا هو عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، فَقلتُ : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، أيَّةُ سَاعَةِ زيارَةٍ هذِه ؟! وَذَلِكَ فِى نَحْرِ الظَّهِيرةِ ، فقال : طال علىَّ النَّهارُ ، فَذَكَرْتُ مَنْ أتَحدَّثُ إليهِ . قال : فجَعَلَ يُحدِّثُنى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأُحَدِّثُه ، ثم أنشأ يُحدِّثُنى ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « تَكُونُ فِتْنَةٌ ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُضْطَجِعِ ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، والقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ

= « خبط » . والمثبت من مجمع الزوائد ٧/ ٢٨١. انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ١٥/ ٣٤، حاشية (١) .

والخبط بالتحريك : ما يتساقط من الشجر إذا ضُرب بالعصا . تاج العروس (خ ب ط) .

(١) المسند ٢/٣٥٩ (٨٦٩٨) . قال الشيخ شعيب : حسن لغيره ، وإسناده ضعيف . المسند ١٤/ ٣٣٢.

(٢ - ٢) فى المسند : « كتداعيكم إلى قصعة الطعام تصيبون منه » .

(٣) المسند ١/ ٤٤٨، ٤٤٩ (٤٢٨٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف على نكارة فى بعض ألفاظه . المسند ٧/ ٣١٦.

من الْمَاشِى ، وَالْمَاشِى خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنَ الْمُجْرِى[1] ، قَتْلَاهَا كُلُّهَا فِى النَّارِ » . قال : قلتُ : يا رسُولَ اللَّهِ ، وَمَتَى ذَلِكَ ؟ قال : « ذَلِكَ أَيَّامُ الهَرْجِ » . قلْتُ : ومتَى أيامُ الهَرْجِ ؟ قال : « حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ » . قالَ : قلتُ : فما تَأْمُرُنِى إنْ أدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قال : « اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ ، وَادْخُلْ دَارَكَ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أرأيتَ إن دخَلَ رجلٌ علىَّ دَارِى ؟ قال : « فَادْخُلْ بَيْتَكَ » . قال : قلتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَىَّ بَيْتِى ؟ قال : « فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ ، وَاصْنَعْ هَكَذا - وقَبَضَ بِيَمِينِه عَلَى الكُوعِ - وَقُلْ : ربِّىَ اللَّهُ . حَتَّى تَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ » .

وقال أبو داودَ[2] : حدّثَنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثَنا أبِى ، حدَّثَنا شِهابُ بنُ خِرَاشٍ ، عن القاسمِ بنِ غَزْوانَ ، عن إسْحَاقَ بنِ رَاشدٍ الجَزَرِىِّ ، عن سالمٍ ، حدَّثَنى عمرُو بنُ وَابِصَةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ مَسْعُودٍ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ، فذكَرَ بعْضَ حديثِ أبِى بَكْرَةَ[3] ، قال : « قَتْلَاهَا كُلُّهُمْ فِى النَّارِ » . قال فيه : قُلْتُ : متَى ذَلِكَ يا بنَ مسعودٍ ؟ قال : « تِلْكَ أَيَّامُ الْهَرْجِ ، حَيْثُ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ » . قلتُ : فما تَأْمُرُنِى إنْ أدْرَكَنِى ذَلِكَ الزّمانُ ؟ قال : « تَكُفُّ لِسَانَكَ وَيَدَك ، وَتَكُونُ حِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ[4] » . قال - يعنى وابِصَةَ -: فلما قُتِلَ عثمانُ طارَ قَلْبى مَطَارَهُ ، فَرَكِبْتُ حَتَّى أَتَيْتُ دِمَشْقَ ، [١٤ظ] فلَقِيتُ خُرَيْمَ بنَ فَاتِكٍ الأَسَدِىَّ ، فَحلَفَ باللَّهِ الذِى لا إلهَ إلَّا هُوَ لسَمِعَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما حدَّثَنِيهِ ابنُ مسعودٍ .

---

(١) فى حاشية السندى : المجرى : الذى يجرى فرسه .

(٢) أبو داود (٤٢٥٨) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٩١٥) .

(٣) حديث أبى بكرة سيأتى بعد هذا الحديث .

(٤) أحلاس البيوت : ما يبسط تحت حُرّ الثياب فلا تزال ملقاة تحتها ، وقيل : الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القَتَب والبرذعة ، شبهها به للزومها ودوامها ، والمعنى : الزموا بيوتكم ، والتزموا سكوتكم ؛ كيلا تقعوا فى الفتنة التى بها دينكم يفوتكم . عون المعبود ٤/ ١٦٢.

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا وَكِيعٌ ، عن عُثمانَ الشحّامِ ، حدَّثنى مسلمُ بنُ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ[2] ، الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْجَالِسِ ، وَالْجَالِسُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى ، وَالْمَاشِى خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما تأمُرُنى ؟ قال : « مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ » . قال : فمَن لم يكُنْ له شَىءٌ مِن ذلك . قال : « فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فَلْيَضْرِبْ بِحَدِّهِ عَلَى حَرَّةٍ[3] ، ثُمَّ لْيَنْجُ مَا اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ » . وقد روَاه مسلمٌ مِن حديثِ عثمانَ الشَّحّامِ بنحوِه[4] .

وقال أبو داودَ[5] : [6] حدَّثَنا يزيدُ بنُ خالدٍ الرَّمليُّ[6] ، حدَّثنا المفضَّلُ ، عن عيّاشٍ ، عن بُكَيرٍ ، عن بُسْرِ بنِ سعيدٍ ، عن حُسينِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأشجعيِّ ، أنه سمِع سعدَ بنَ أبى وقّاصٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، فى هذا الحديثِ قال : فقلتُ : يارسولَ اللَّهِ ، أرأَيتَ إن دخَل علىَّ بيتى ، وبسَط يدَه لِيقتُلَنى ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْ كَابْنِ آدَمَ »[7] . وتلا يزيدُ[8] : ﴿ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى ﴾

---

(١) أبو داود (٤٢٥٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٨٠) .

(٢) بعده فى سنن أبى داود : « يكون » .

(٣) الحرة : اسم لأرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . والمراد كسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث ؛ ليسد على نفسه باب هذا القتال . وقيل : هو مجاز ، والمراد ترك القتال . والأول أصح . صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ٩، ١٠، وتاج العروس (ح ر ر) .

(٤) مسلم (٢٨٨٧) .

(٥) أبو داود (٤٢٥٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٨١) .

(٦ - ٦) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٢٨١.

(٧) قوله ﷺ : « كن كابن آدم » . قال فى عون المعبود ٤/ ١٦١: المطلق ينصرف إلى الكامل ، وفيه إشارة لطيفة إلى أن هابيل المقتول المظلوم هو ابن آدم لا قابيل القاتل الظالم ، كما قال تعالى فى حق ولد نوح ، عليه الصلاة والسلام : ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾ .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

الآية [المائدة: ٢٨]. انفرَد به أبو داودَ مِن هذا الوجهِ.

وقال أحمدُ[(١)]: حدَّثَنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثَنا ليثُ بنُ سعدٍ، عن عيّاشِ بنِ عبّاسٍ، عن بُكَيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن بُسْرِ بنِ سعيدٍ، أن سعدَ بنَ أبى وقّاصٍ قال عندَ فتنةِ عثمانَ بنِ عفّانَ: أشهَدُ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى، وَالْمَاشِى خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى». قال: أفرأيتَ إنْ دخَل علىَّ بَيتى فبَسَطَ يَدَه إلىَّ لِيَقْتُلَنى؟ قال: «كُنْ كَابْنِ آدَمَ». وهكذا رَواه الترمذىُّ[(٢)]، عن قُتيبةَ، عن الليثِ، عن عيّاشِ بنِ عبّاسٍ القِتْبانىِّ، عن بُكَيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأشَجِّ، عن بُسرِ بنِ سعيدٍ الحَضْرمِىِّ، عن سعدِ بنِ أبى وقّاصٍ، فذكَره، وقال: هذا حديثٌ حسَنٌ، ورواه بعضُهم عن الليثِ، وزاد فى الإسنادِ رجلًا. يَعْنِى: الحُسَيْنَ - وقيل: الحُسَيْلُ - ابنَ عبدِ الرحمنِ، ويقالُ: عبدُ الرحمنِ بنُ الحُسَينِ عن سعدٍ، كما رواه أبو داودَ آنِفًا.

ثم قال أبو داودَ[(٣)]: حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ، عن محمدِ ابنِ جُحَادَةَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ثَرْوانَ، عن هُزَيلٍ، عن أبى موسى الأشعرِىِّ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِى كَافِرًا، وَيُمْسِى مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ - يَعْنِى[(٤)]: عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ - فَلْيَكُنْ

---

(١) المسند ١/١٨٥ (١٦٠٩). قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عياش بن عباس، فمن رجال مسلم. المسند ٣/ ١٦١.

(٢) الترمذى (٢١٩٤) صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٧٨٥).

(٣) أبو داود (٤٢٥٩). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٨٢).

(٤) سقط من: الأصل، ح.

كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا مرحومٌ ، حدَّثنى أبو عِمرانَ الجَوْنِىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ ، عن أبى ذرٍّ ، قال : ركِب رسولُ اللَّهِ ﷺ حمارًا ، وأَرْدَفَنِى خَلْفَه ، فقال : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ ، حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ ، كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ » قال : اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ . قال : « تَعَفَّفْ » . قال : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ ، يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ[2] - يعنى : القبرَ - كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ » قلتُ : اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ . قال : « اصْبِرْ » . قال : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - يَعْنِى حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ[3] مِنَ الدِّمَاءِ - كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ » قلت : اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ . قال : « اقْعُدْ فِى بَيْتِكَ ، وأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ » . قال : فإنْ لم أُتْرَكْ ؟ قال : « فَائْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ ، فَكُنْ فِيهِمْ » . قلت : فآخُذُ سِلَاحِى ؟ قال : « إِذًا تُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرْدَعَكَ[4] شُعَاعُ السَّيْفِ ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ كَىْ يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ » . هكذا روَاه الإمامُ أحمدُ ، وقد رواه أبو داودَ عن مُسدَّدٍ وابنُ ماجه عن أحمدَ بنِ عَبْدَةَ ، كلاهما عن حمّادِ ابنِ زيدٍ ، عن [١٥و] أبى عِمْرانَ الجَوْنِىِّ ، عن المُشَعَّثِ بنِ طَرِيفٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ الصامتِ ، عن أبى ذرٍّ ، بنحوِه[5] . ثم قال أبو داودَ : لم يذكُرِ المُشَعَّثَ فى هذا

---

(١) المسند ٥/١٤٩ (٢١٣٦٣) .

(٢) أى تكون قيمة القبر كقيمة العبد بسبب كثرة الأموات . انظر بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٤ .

(٣) قال ياقوت : أحجار الزيت : موضع بالمدينة قريب من الزوراء ، وهو موضع صلاة الاستسقاء ، وقال العِمْرانى : أحجار الزيت : موضع بالمدينة داخلها . معجم البلدان ١/ ١٤٤ .

(٤) فى المسند : « يروعك » .

(٥) أبو داود (٤٢٦١) ، وابن ماجه (٣٩٥٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٨٣) .

الحديثِ غيرُ حمَّادِ بنِ زيدٍ .

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ يَحيَى بنِ فارِسٍ ، ثنا عفّانُ بنُ مُسلمٍ ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زِيادٍ ، ثنا عاصمٌ الأَحْوَلُ ، عن أبى كَبْشَةَ ، قال : سمِعتُ أبا موسى يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كقِطَعِ اللَّيْلِ[2] ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا ، وَيُمسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى ،وَالْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى » . قالوا : فما تأمُرُنا ؟ قال : « كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثَنا حمّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيُّوبَ ، عن أبى قِلَابةَ ، عن أبى أسماءَ ، عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ زَوَى لِىَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ ما زُوِىَ لِىَ مِنْهَا ، وَإِنِّى أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ ؛ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى لِأُمَّتِى أَنْ لَا يُهْلِكُوا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : يا مُحَمَّدُ ، إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فإِنَّهُ لَا يُرَدُّ[4] ، وَإِنِّى أَعْطَيْتُ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ ، وَلَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - أَوْ قال : مَنْ بِأَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِى بَعْضًا ، وإِنَّما أَخَافُ عَلَى أُمَّتِى

---

(١) أبو داود (٤٢٦٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٨٤) .

(٢) بعده فى سنن أبى داود : « المظلم » .

(٣) المسند ٥/٢٧٨ (٢٢٤٤٨) .

(٤) بعده فى المسند : « وقال يونس لا يرد » . وهذا الحديث رواه أحمد عن يونس عن حماد بن يزيد ببعضه . وانظر أطراف المسند ١/ ٦٦٠.

الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وُضِعَ فِي أُمَّتِي السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . ورواه مسلمٌ ، وأبو داودَ ، والترمذيُّ ، وابنُ ماجه مِن طرقٍ ، عن أبي قِلَابةَ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ الجَرْمِيِّ ، عن أبي أسماءَ عمرِو بنِ مَرْثَدٍ ، عن ثَوْبانَ بنِ بُجْدُدٍ ، بنحوِه[1] ، وقال الترمذِيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو داودَ[2] : حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا أبو داودَ الحفَرِيُّ ، عن بدرِ بنِ عثمانَ ، عن عامرٍ ، عن رجلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « تَكُونُ فِي هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ أَرْبَعُ فِتَنٍ ، آخِرُهَا الْفَنَاءُ » .

ثم قال أبو داودَ[3] : حدَّثنا يَحيى بنُ عُثمانَ بنِ سعيدٍ الحِمْصِيُّ ، حدَّثَنا أبو المغيرةِ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ سالمٍ ، حدَّثَنى العَلاءُ بنُ عُتْبَةَ ، عن عُميرِ بنِ هانئٍ العَنْسِيِّ ، سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ يقولُ : كنّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَر الفِتنَ ، فَأَكْثَرَ فى ذِكْرِهَا ، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلَاسِ ، فقال قائلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، وما فتنةُ الأحـلاسِ ؟ قال : « هِيَ حَرَبٌ[4] وَهَـرَبٌ ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ[5] ،

---

(١) مسلم (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذى (٢١٧٦) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) .
(٢) أبو داود (٤٢٤١) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩١٢) .
(٣) أبو داود (٤٢٤٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٦٨) .
(٤) الحرب بالتحريك : نَهْبُ مال الإنسان ، وتَرْكُه لا شيء له . النهاية ١/ ٣٥٨.
(٥) السراء : البطحاء ، النهاية ٢/ ٣٦١.

دَخَنُهَا[1] مِنْ تَحْتِ قَدَمَىْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى ، يَزْعُمُ أَنَّه مِنِّى ، وَلَيْسَ مِنِّى ، وإِنَّما أَوْلِيَائِى الْـمُتَّقُونَ ، ثُمَّ يَصطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ[2] ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ[3] ، لَا تَدَعُ أَحدًا مِنْ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ[4] ، حَتَّى إِذَا قِيلَ : انْقَضَتْ . عَادَتْ[5] ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا ، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ[6] ؛ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ ، وفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمانَ فِيهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ ، فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ ، مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ » . تفَرد به أبو داودَ ، وقد روَاه أحمدُ فى « مسندِه »[7] ، عن أبى المُغيرةِ ، بمثلِه .

وقال أبو داودَ[8] : حدَّثَنا القَعْنبِىُّ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، يعنى ابنَ أبى حازمٍ ، عن أبيه ، عن عُمَارَةَ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « كَيْفَ بِكُمْ [9] وَزَمَانٍ - أو : أَوْشَكَ[9] أَنْ يَأْتِىَ زَمَانٌ - يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً ، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ[10] عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا

---

(١) دخنها : يعنى ظهورها وإثارتها ، شبهها بالدُّخَان المرتفع . والدخن بالتحريك : مصدر دخِنت النار تدخَن إذا ألقى عليها حطب رطب فكثر دخانها . وقيل : أصل الدخن أن يكون فى لون الدابّة كُدورةٌ إلى سواد . النهاية ٢/ ١٠٩.

(٢) أى يصطلحون على أمر واهٍ لانظام له ولااستقامة ؛ لأن الورك لايستقيم على الضلع ولا يتركّب عليه ؛ لاختلاف ما بينهما وبُعْده . النهاية ٥/ ١٧٦.

(٣) الدهيماء : هى تصغير الدهماء ، يريد الفتنة المظلمة ، والتصغير فيها للتعظيم ؛ وقيل : أراد بالدهيماء الداهية . النهاية ٢/ ١٤٦.

(٤) بعده فى سنن أبى داود : « لطمة » .

(٥) فى سنن أبى داود : « تمادت » .

(٦) قوله ﷺ : « إلى فسطاطين » . بضم الفاء وتكسر : أى فرقتين ، وقيل : مدينتين . وأصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحلّ وإرادة الحالّ ، قاله القارىّ . عون المعبود ٤/ ١٥٣.

(٧) المسند ٢/١٣٣ (٦١٦٨) .

(٨) أبو داود (٤٣٤٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٤٨) .

(٩ - ٩) فى سنن أبى داود : « بزمان أو يوشك » .

(١٠) مرجت : اختلطت . النهاية ٤/ ٣١٤.

هَكَذَا » . وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه ، فقالوا : كيفَ بنا يارسولَ اللَّهِ ؟ قال : « تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ ، وَتَدَعُونَ[1] مَا تُنْكِرُونَ ، تُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ ، وتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ » . قال أبو داودَ : هكذا رُوِى عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، عن النبىِّ ﷺ مِن غيرِ وجهٍ . وهكَذا روَاه ابنُ ماجَه ، عن هشامِ بنِ عمّارٍ ، ومحمدِ ابنِ الصَّبّاحِ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى حازمٍ ، [١٥ظ] به[2] . ورواه أحمدُ فى « مسندِه »[3] ، عن سعيدِ بنِ منصورٍ ، عن يعقوبَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى حازمٍ ، به . وقد روَاه الإمامُ أحمدُ[4] ، عن حُسَينِ بنِ محمدٍ ، عن [5]محمدِ بنِ[5] مُطرِّفٍ ، عن أبى حازمٍ ، عن عمرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيهِ ، عن جَدِّه ، فذكَر نحوَه ، أو مثلَه .

ثم قال أبو داودَ[6] : حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ ، حدَّثنا يُونُسُ ، يعنى ابنَ أبى إسحاقَ ، عن هِلالِ بنِ خَبّابٍ أبى العَلَاءِ ، حدَّثنا عِكْرِمةُ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ ، قال : بينَما نحنُ حولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ ذكَر الفتنةَ ، أو ذُكِرتْ عندَه ، فقال : « إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ ، وَكَانُوا هَكَذَا » . وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه ، قال : فقمتُ إليه ، فقلتُ : كيف أفعَلُ عندَ ذلك جعَلنى اللَّهُ فِداك ؟ قال : « الْزَمْ بَيْتَكَ ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ ،

---

(١) فى سنن أبى داود : « تذرون » .
(٢) ابن ماجه (٣٩٥٧) .
(٣) المسند ٢/٢٢١ (٧٠٦٣) .
(٤) المسند ٢/٢٢٠ (٧٠٤٩) .
(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ٥٠ .
(٦) أبو داود (٤٣٤٣) . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٤٩) .

وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ » . وهكذا روَاه أحمدُ ، عن أبى نُعَيمٍ الفضلِ بنِ دُكَيْنٍ ، به[1] ، وأخرَجه النَّسائىُّ[2] فى اليومِ والليلةِ ، عن أحمدَ[3] بنِ بكّارٍ ، عن مَخْلَدِ بنِ يزيدَ ، عن يونُسَ بنِ أبى إسحاقَ ، فذكَر بإسنادِه نحوَه .

[4]قال أحمدُ[5] : ثنا عبدُ القدوسِ بنُ الحجَّاجِ ، ثنا حَريزٌ ، يَعْنِى ابنَ عثمانَ الرَّحَبىَّ ، ثنا راشدُ بنُ سعدٍ المَـقْرائىُّ ، عن أبى حَىٍّ ، عن ذى مِخْمَرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِى حِمْيَرَ ، فَنَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ، فَجَعَلَهُ فِى قُرَيْشٍ وَ سَ يَ عُ و دُ إِلَ يْ هِ مْ » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ : هكذا فى كتابِ أبى مُقَطَّعٌ ، وحيث حدَّثنا به تكلَّم به على الاستواءِ[6][4] .

وقال أبو داودَ[7] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ ، حدّثَنا حَمّادُ بنُ زيدٍ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن طاوسٍ ، عن رجلٍ يقالُ له : زيادٌ . عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ العَرَبَ[8] ، قَتْلَاهَا فى النَّارِ ، اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ » . وقد روَاه أحمدُ ، عن أسودَ بنِ عامرٍ ، عن حمّادِ بنِ سَلمَةَ ، والترمذىُّ ، وابنُ ماجه[9] ، مِن حديثِه عن اللَّيثِ ، عن طاوسٍ ، عن زيادٍ ،

---

(١) المسند ٢/٢١٢ (٦٩٨٧) .

(٢) النسائى فى الكبرى (١٠٠٣٣) .

(٣) فى السنن الكبرى : « إبراهيم » . وانظر تحفة الأشراف ٦/ ٣٦٧.

(٤ - ٤) سقط من : ح ، ص .

(٥) المسند ٤/٩١ (١٦٨٧٣) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى باختصار الحروف ، ورجالهما ثقات . المجمع ٥/ ١٩٣.

(٦) يعنى أن أباه حدثهم بهذا الحديث ، وبيَّن لهم معنى هذه الحروف المقطعة بقوله : وسيعود إليهم . انظر بلوغ الأمانى ٢٠/ ١٥٧.

(٧) أبو داود (٤٢٦٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩١٨) .

(٨) تستنظف العرب : أى تستوعبهم هلاكا ، يقال : استنظفت الشىء ، إذا أخذتَه كله . النهاية ٥/ ٧٩.

(٩) المسند ٢/٢١١ (٦٩٨٠) ، والترمذى (٢١٧٨) ، وابن ماجه (٣٩٦٧) .

وهو الأعجَمُ، ويقالُ له: زيادُ سيمِينْ[1] كُوشَ. وقد حكَى الترمذيُّ عن البخاريِّ أنه ليس لزيادٍ هذا حديثٌ سواه، وأنّ حمّادَ بنَ زيدٍ روَاه عن الليثِ فوقَفه، وقد استدرَكَ ابنُ عساكرَ[2] على البخاريِّ هذا الحديثَ؛ فإنّ أبا داودَ روَاه مِن طريقِ حمّادِ بنِ زيدٍ مرفوعًا، فاللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو داودَ[3]: حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ شعَيْبٍ، حدَّثَنى ابنُ وهبٍ، حدَّثَنى الليثُ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، قال: قال خالدُ بنُ أبى عِمرانَ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ البَيْلَمانىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ، عن أبى هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ بَكْمَاءُ عَمْيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ[4] السَّيْفِ».

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثَنا وكيعٌ - وقال: حدَّثَنا أبو معاويةَ - حدَّثَنا الأعمشُ، عن زيدِ بنِ وَهْبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرٍو - وكنتُ جالسًا معه فى ظلِّ الكعبةِ وهو يُحدِّثُ الناسَ - قال: كنّا مع

---

(١) فى المسند: «بن سيما»، وفى سنن الترمذى: «بن سيمين». قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧١: قلت: سيمينكوش بكسر المهملة والميم بينهما مثناة من تحت وبعد الميم أخرى، ثم نون ساكنة وكاف مضمومة وواو ساكنة ثم معجمة، ثم قيل: هو اسم والده. وقيل: بل لقبه. وقيل: هو بالألف بدل التحتانية التى بعد الميم. وقيل: بالواو بدل الألف ....

ويقال للفضة بالفارسية: سيم. ويقال فى النسبة إليها: سيمين. ويقال للأذن: كوش، بكاف فارسية، فقوله: «سيمين كوش». معناه أذن فضية.

(٢) تحفة الأشراف ٦/ ٢٩٢.

(٣) أبو داود (٤٢٦٤). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩١٧).

(٤) فى الأصل، ح: «كوقع».

(٥) المسند ٢/ ١٦١ (٦٥٠٣) عن أبى معاوية، و ٢/ ١٩١ (٦٧٩٣) عن وكيع. قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، فمن رجال مسلم. المسند ١١/ ٤٨، ٤٠٠.

رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سَفَرٍ ، فنزَلنا منزِلًا ، فمِنَّا مَن يضرِبُ خِباءَه ، ومنّا مَن هو فى جَشَرِه[1] ، ومنّا مَن ينتَضِلُ ، إذْ نادَى مُنادِى رسولِ اللَّهِ ﷺ : الصلاةَ جامعةً . قال : فانتهيتُ إليه وهو يخطُبُ الناسَ ، ويقولُ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِى إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ ، أَلَا وَإِنَّ عَافِيَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِى أَوَّلِهَا ، وسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وفِتَنٌ يُرَقِّقُ[2] بَعْضُهَا بَعْضًا ، تَجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِى . ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ : هَذِهِ هَذِهِ . ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ : هَذِهِ ، هَذِهِ . ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْتِى إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ[3] ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ » . وقال مَرَّةً : « مَا اسْتَطَاعَ » . قال عبدُ الرحمنِ : فلمّا سمِعتُها أدخَلتُ رَأسِى بَيْنَ رَجُلَيْن ، قلتُ : فإنّ ابنَ عمِّك [١٦و] معاويةَ يأمُرُنا أن نأْكُلَ أموالَنا بينَنا بالباطِلِ ، وأن نقتُلَ أنْفسَنا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] . ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء : ٢٩] . قال : فجمَع يَديْه ، فوضَعهما على جبهتِه ، ثمَّ نَكَس هُنَيْهَةً ، ثم رفَع رأسَه ، فقال : أَطِعْهُ فى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاعْصِهِ فى مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

---

(١) الجشر : قال النووى : هو بفتح الجيم والشين وهى الدواب التى ترعى وتبيت مكانها . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/٢٣٣

(٢) فى ص : « يرفق » . ويرقق : قال النووى فى شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٣٣: هذه اللفظة رُويت على أوجه أحدها وهو الذى نقله القاضى عن جمهور الرواة : « يرقق » بضم الياء وفتح الراء وبقافين أى : يصير بعضها رقيقا أى خفيفا ؛ لعظم ما بعده ، فالثانى يجعل الأول رقيقا ، وقيل : معناه يشبه بعضها بعضا . وقيل : يدور بعضها فى بعض ، ويذهب ويجىء ، وقيل : معناه يُشَوِّق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها ، والوجه الثانى : « فيَرْفُق » بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة ، والثالث : « فيَدْفِق » بالدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة أى يدفع ويصب ، والدفق : الصبُّ .

(٣) ثمرة قلبه أى : خالص عهده . النهاية ١/ ٢٢١.

قلتُ له : أنتَ سمِعتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم ، سمِعتْه أُذُناىَ ، ووعاه قلبى . ورواه مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائىُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ الأعمشِ ، به[1] ، وأخرَجه مسلمٌ أيضًا ، من حديثِ الشَّعْبىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، بنحوِه[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثَنا ابنُ نُمَيرٍ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ عمرٍو ، عن أبى الزُّبَيْرِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ : « إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِى تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ ظَالِمٌ . فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ » .

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ فى أُمَّتِى قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْخٌ »[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثَنا يَحْيَى بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا يَحْيَى بنُ أيوبَ ، حدَّثَنى أبو قَبِيلٍ ، قال : كنّا عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، وسُئِل : أىُّ المَدينَتَيْن تُفتَحُ أوَّلًا ؛ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أو رُوميَةُ ؟ قال : فدعا عبدُ اللَّهِ بصندوقٍ له حِلَقٌ ، قال : فأخْرَج منه كتابًا . قال : فقال عبدُ اللَّهِ : بيْنَما نحنُ حولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ نكتُبُ إذ سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ : أىُّ المدِينَتَيْن تُفْتَحُ أوّلًا ؛ قُسْطَنْطِينِيَّةُ أو رُوميَةُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا » . يعنى القسطنطينيةَ .

وقال القرطبىُّ فى « التذكرةِ »[6] : ورُوِى مِن حديثِ حُذَيفةَ بنِ اليمانِ ، عن

---

(١) مسلم (٤٦/ ١٨٤٤) ، وأبو داود (٤٢٤٨) ، والنسائى (٤٢٠٢) ، وابن ماجه (٣٩٥٦) .
(٢) مسلم (٤٧/ ١٨٤٤) .
(٣) المسند ١٦٣/٢ (٦٥٢١) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أن أبا الزبير ، وهو محمد بن مسلم بن تَدْرُس ، لم يسمع من عبد الله بن عمرو . المسند ١١/ ٧٣.
(٤) المسند . عقب الحديث السابق ، بنفس الإسناد .
(٥) المسند ١٧٦/٢ (٦٦٤٥) قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١١/ ٢٢٥.
(٦) التذكرة ٢/ ٦٨٣.

النبيِّ ﷺ ، أنه قال : « وَيَبْدَأُ الْخَرَابُ فى أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى تَخْرَبَ مِصْرُ ، وَمِصْرُ آمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرَبَ الْبَصْرَةُ ، وَخَرَابُ الْبَصْرَةِ مِنَ الْغَرَقِ[1] ، وَخَرَابُ مِصْرَ مِنْ جَفَافِ النِّيلِ ، وَخَرَابُ مَكَّةَ مِنَ الْحَبَشَةِ ، وَخَرَابُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْجُوعِ ، وَخَرَابُ الْيَمَنِ مِنَ الْجَرَادِ ، وخَرَابُ الْأُبُلَّةِ[2] مِنَ الْحِصَارِ ، وَخَرَابُ فَارِسَ مِنَ الصَّعَالِيكِ ، وَخَرَابُ التُّرْكِ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَخَرَابُ الدَّيْلَمِ مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَخَرَابُ الْأَرْمَنِ مِنَ الْخَزَرِ ، وَخَرَابُ الْخَزَرِ مِنَ التُّرْكِ ، وَخَرَابُ التُّرْكِ مِنَ الصَّوَاعِقِ ، وَخَرَابُ السِّنْدِ مِنَ الْهِنْدِ ، وَخَرَابُ الْهِنْدِ مِنَ الصِّينِ ، وَخَرَابُ الصِّينِ مِنَ الرَّمْلِ ، وَخَرَابُ الْحَبَشَةِ مِنَ الرَّجْفَةِ ، وَخَرَابُ الزَّوْرَاءِ مِنَ السُّفْيَانِيِّ ، وَخَرَابُ الرَّوْحَاءِ مِنَ الخَسْفِ ، وَخَرَابُ العِرَاقِ مِنَ القَحْطِ » . ثمّ قال : ذكره أبو الفرجِ بنُ الجَوْزِيِّ ، قال : وَسَمِعْتُ أَنَّ خَرَابَ الأَنْدَلُسِ بالرِّيحِ العَقِيمِ . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا الحديثُ لا يُعرَفُ فى شيءٍ مِن الكتبِ المعتمَدَةِ ، وأَخْلَقُ به أنْ لا يكونَ صحيحًا ، بل أخلقُ به أن يكونَ موضوعًا ، أو أن يكونَ موقوفًا على حذيفةَ ، ولا يصحُّ عنه أيضًا ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

فصلٌ فى تَعْدادِ الآياتِ والأشْراطِ الواقعةِ

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا خَلَفٌ ، يَعْنى ابنَ خليفةَ ، عن أبى جَنَابٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : دخَلتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو

---

(١) فى ص ، والتذكرة : « العراق » .
(٢) فى التذكرة : « الأيلة » .
(٣) المسند ٢/١٧٤ (٦٦٢٣) .

يتوَضَّأُ وضُوءًا مَكِيثًا ، فرَفَع رأسَه ، فنَظَر إلىَّ ، فقال : « سِتٌّ فِيكُمْ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ : مَوْتُ نَبِيِّكُمْ ﷺ » . فكَأَنَّما انْتَزَع قَلْبِى مِنْ مَكَانِهِ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَاحِدَةٌ » . قال : « وَيَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى عَشَرَةَ آلَافٍ ، فَيَظَلُّ يَسْخَطُهَا[1] » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثِنْتَيْنِ » . قال : « وَفِتْنَةٌ تَدْخُلُ بَيْتَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ » . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثٌ » . قال : « وَمَوْتٌ كَقُعَاصِ[2] الْغَنَمِ » . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَرْبَعٌ . وَهُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الْأَصْفَرِ ، يَجْمَعُونَ لَكُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَقَدْرِ حَمْلِ الْمَرْأَةِ ، ثُمَّ يَكُونُونَ أَوْلَى بِالْغَدْرِ مِنْكُمْ » . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَمْسٌ » . قال : « وَفَتْحُ مَدِينَةٍ » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سِتٌّ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَىُّ مَدِينَةٍ ؟ قال : « قُسْطَنْطِينِيَّةُ » .

وهذا الإسْنادُ فيه نَظَرٌ مِن جهةِ رِجالِه ، ولكنْ له شاهدٌ مِن وجهٍ آخرَ [١٦ظ] صحيحٌ ؛ فقال البخارىُّ[3] : حدَّثنا الحُميدىُّ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ العَلَاءِ بنِ زَبْرٍ ، قال : سمِعتُ بُسْرَ بنَ عُبيدِ اللَّهِ ، أنَّه سمِع أبا إدريسَ قال : سمِعتُ عَوفَ بنَ مالكٍ ، قال : أَتَيتُ النبىَّ ﷺ فى غَزوةِ تَبُوكَ وهو فى قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ ، فقال : « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ : مَوْتِى ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إلَّا دَخَلَتْهُ ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ رَايَةً[4] ، تَحْتَ كُلِّ

---

(١) فى المسند : « يتسخطها » .

(٢) القعاص بالضم : داء يأخذ الغنم لا يُلْبِثُها أن تموت . النهاية ٤/ ٨٨.

(٣) البخارى (٣١٧٦) .

(٤) فى صحيح البخارى : « غاية » . وهما بمعنًى .

رَايَةٍ[1] اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » . ورَواه أبو داودَ وابنُ ماجه والطبرانيُّ[2] ، مِن حديثِ الوليدِ ابنِ مسلمٍ ، ووَقَع فى روايةِ الطبرانيِّ : عن الوليدِ ، عن ابنِ زَبْرٍ ، عن زيدِ بنِ واقدٍ ، عن بُسْرِ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، وقد صرَّح البخاريُّ فى رِوايتِه بسَماعِ ابنِ زَبْرٍ مِن بُسْرِ بنِ عبيدِ اللَّهِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وعندَ أبى داودَ[3] : فقلتُ : أدخُلُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نَعَمْ » . قلتُ : كُلِّى ؟ قال : « نَعَمْ » . وإنَّما قلتُ ذلك ؛ مِن صِغَرِ القُبَّةِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو المُغِيرةِ ، حدَّثنا صَفْوانُ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن أبيه ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجَعيِّ ، قال : أَتَيْتُ النبىَّ ﷺ ، فسلَّمْتُ عليه ، فقال : « عَوْفٌ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : « ادْخُلْ » . قال : قلت : كُلِّى أَوْ بَعْضِى ؟ قال : « بَلْ كُلُّكَ » . قَالَ : « اعْدُدْ يَا عَوْفُ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ : أَوَّلُهُنَّ مَوْتِى » . قال : فَاسْتَبْكَيتُ حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسْكِتُنِى . قال : « قل : إحدى » . قلت : إِحْدَى . « وَالثَّانِيَةُ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قل : اثنتين » . فقلت . « وَالثَّالِثَةُ مُوتَانٌ يَكُونُ فِى أُمَّتِى يَأْخُذُهُمْ مِثْلَ قُعَاصِ الْغَنَمِ ، قل : ثلاثًا » . فقلت . « وَالرَّابِعَةُ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِى أُمَّتِى - وَعَظَّمَهَا - قُلْ : أَرْبَعًا . وَالْخَامِسَةُ يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى الْمِائَةَ دِينَارٍ ، فَيَسْخَطُهَا[5] ، قُلْ : خَمْسًا . وَالسَّادِسَةُ : هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الْأَصْفَرِ ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً » . قلت : وَمَا الغَايَةُ ؟ قال : « الرَّايَةُ ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ

---

(١) فى صحيح البخارى : « غاية » . وهما بمعنًى .

(٢) أبو داود (٥٠٠٠) ، وابن ماجه (٤٠٤٢) ، والمعجم الكبير ١٨/ ٤٠ ، ٤١ (٧٠) .

(٣) أبو داود (٥٠٠١) . وعنده أن عثمان بن أبى العاتكة هو الذى فسّر قوله : « كلّى ؟ » لا عوفًا نفسه .

(٤) المسند ٦/ ٢٥ (٢٤٠٣١) .

(٥) فى المسند : « فيتسخطها » .

أَلْفًا ، فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِى أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : الْغُوطَةُ ، فِى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : دِمَشْقُ » . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، حدَّثنا يَحْيى بنُ حَمْزةَ ، حدَّثنا ابنُ[2] جابرٍ ، حدَّثنى زيدُ بنُ أَرْطَاةَ ، سمِعتُ جُبَيْرَ بنَ نُفَيْرٍ ، يُحَدِّثُ عن أبى الدرداءِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : دِمَشْقُ ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن النَّهَّاسِ بنِ قَهْمٍ ، حدَّثنى شدَّادٌ أبو عمَّارٍ ، عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سِتٌّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : مَوْتِى ، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَمَوْتٌ يَأْخُذُ فِى النَّاسِ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ، وَفِتْنَةٌ يَدْخُلُ حَرْبُهَا[4] بَيْتَ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَأَنْ يُعْطَى الرَّجُلُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَيَسْخَطُهَا[5] ، وَأَنْ تَغْدِرَ الرُّومُ فَيَسِيرُونَ بِثَمَانِينَ بَنْدًا تَحْتَ كُلِّ بَنْدٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عبدُ الصَّمدِ وعَفَّانُ ، قالَا : حدَّثنا همامٌ ، حدَّثنا قتادةُ ، عن الحسنِ ، عن زيادِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدُّخَانَ ، وَدَابَّةَ

---

(١) أبو داود (٤٢٩٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦١١) .

(٢) فى النسخ : « أبو » . والمثبت من سنن أبى داود . وابن جابر هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدى . انظر تحفة الأشراف ٨/ ٢١٩، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥.

(٣) المسند ٥/٢٢٨ (٢٢٠٤٥) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ، وفيه النهاس بن قهم ، وهو ضعيف . المجمع ٧/ ٣٢٢.

(٤) فى النسخ : « حريمها » . والمثبت من المسند . وانظر جامع المسانيد والسنن ١١/ ٣٩٠، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٢٢.

(٥) فى المسند : « فيتسخطها » .

(٦) المسند ٢/٣٢٤ (٨٢٨٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٤/ ٥٦.

الْأَرْضِ ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ ، وَأُمَرَاءَ الْعَامَّةِ » . وَكَانَ قَتَادَةُ يقولُ : إذا قال : « وَأَمْرَ الْعَامَّةِ » . قال : أىْ أمْرَ الساعةِ . وهكذا رَواه مسلمٌ ، مِن حديثِ شُعْبَةَ وعبدِ الصمدِ ، كلاهما عن هَمَّامٍ ، به[1] . ثم رَواه أحمدُ مُنفردًا به ، عن أبى داودَ ، عن عِمرانَ القَطَّانِ ، عن قتادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَبَاحٍ ، عن أبى هريرةَ ، مرفوعًا مثلَه[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا سليمانُ ، حدَّثنا إسماعيلُ ، أخبرَنى العلاءُ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدُّخَانَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ » . ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ المَدَنىِّ ، به[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن فُراتٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ ، قال : اطَّلَع النبىُّ ﷺ عَلَينَا ونَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ ، فقال : « مَا تَذْكُرُونَ ؟ » قالوا : نَذْكُرُ السَّاعةَ . فقال : « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا [١٧و] عَشْرَ آيَاتٍ : الدُّخَانُ ، وَالدَّجَّالُ ، وَالدَّابَّةُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَثَلاثَةُ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ

---

(١) مسلم (١٢٩/ ٢٩٤٧) .

(٢) المسند ٥١١/٢ (١٠٦٤٨) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن من أجل عمران ، وهو ابن داور القطان . المسند ١٦/ ٣٧٥.

(٣) المسند ٣٧٢/٢ (٨٨٣٦) .

(٤) مسلم (١٢٨/ ٢٩٤٧) .

(٥) المسند ٦/٤ (١٦١٨٦) .

قِبَلِ[1] عَدَنَ ، تَطْرُدُ[1] النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ » . قال أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ : سَقَط كلمةٌ .

ثمَّ روَاه أحمدُ[2] مِن حديثِ سُفْيانَ الثَّوريِّ وشُعْبَةَ ، كلاهما عن فُراتٍ القَزَّازِ ، عن أبى الطُّفَيلِ عامرِ بنِ وَاثِلَةَ ، عن حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ ، أبى سَرِيحةَ الغِفَاريِّ ، فذَكَره ، وقال فيه : « وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ ، تَسُوقُ - أَوْ : تَحْشُرُ - النَّاسَ ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا » . قال شُعْبةُ[3] : وحدَّثنى بهذا الحديثِ رجلٌ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن أبى سَرِيحةَ ، ولم يرفَعْه إلى النبىِّ ﷺ ، فقال أحدُ هذَين الرَّجُلَين : نزولُ عيسى ابنِ مَرْيَمَ . وقال الآخرُ : رِيحٌ تُلْقِيهم فى البَحْرِ .

وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ وشُعْبَةَ ، عن فُراتٍ القَزَّازِ ، عن أبى الطُّفَيلِ ، عن حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ موقوفًا[4] . ورَوَاه أهلُ السُّننِ الأربعةِ مِن طُرقٍ ، عن فُراتٍ القزَّازِ ، به[5] ، وقال التِّرمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

[6]وروَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[7] فى ترجمةِ عبدِ اللَّهِ بنِ زيادِ بنِ سليمانَ بنِ[6]

(١ - ١) فى ص : « المشرق تطرد » . وفى المسند : « تطرد » . وقد سقطت كلمة فى المسند ، وهو ما يشير إليه السياق قريبا .

(٢) المسند ٤/٧ (١٦١٨٩) من طريق سفيان الثورى ، و ٤/٧ (١٦١٨٨) من طريق شعبة .

(٣) مسلم (٣٩/ ٢٩٠١) من طريق سفيان به ، و (٤٠/ ٢٩٠١) من طريق شعبة به .

(٤) كذا فى النسخ ، وإنما رواه مسلم من هذين الطريقين مرفوعا ، وقد رواه موقوفا (٤٠/ ٢٩٠١) من طريق شعبة ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبى الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد .

(٥) أبو داود (٤٣١١) ، والترمذى (٢١٨٣) ، والنسائى (١١٤٨٢) ، وابن ماجه (٤٠٤١) .

(٦ - ٦) سقط من : ح ، ص .

(٧) تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(١) سِمْعانَ ، أبى عبدِ الرحمنِ القرشىِّ المدنىِّ من طريقِه ، حدَّثنى الزهرىُّ[٢] ، حدَّثنى عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن أبى سريحةَ حذيفةَ بنِ أسيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ عَشْرُ آيَاتٍ كَالنَّظْمِ فِى الْخَيْطِ ، إِذَا سَقَطَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ تَوَالَتْ : الدَّجَّالُ ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَفَتْحُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَالدَّابَّةُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ...» . وذكَر الحديثَ . هذا لفظُه .

وقال أبو يعلى[٣] : ثنا عقبةُ بنُ مُكْرَمٍ ، ثنا يونسُ ، ثنا عبدُ الغفارِ بنُ القاسمِ ، ثنا إيادُ بنُ لَقِيطٍ ، عن قَرَظَةَ بنِ حسَّانَ ، سمِعت أبا موسى فى يومِ جُمُعةٍ على مِنْبرِ البصرةِ يقول : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الساعةِ وأنا شاهدٌ ، فقال : « لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا ، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا رَدْمًا مِنَ الْفِتَنِ ، وَهَرْجًا » . فقيل له : وما الهرجُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُوَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ : الْقَتْلُ . وَأَنْ تَجِفَّ[٤] قُلُوبُ النَّاسِ ، وَيُلْقَى بَيْنَهُمُ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَدًا ، (٥وَيُرْفَعُ ذَوُو الْحِجَا ، وَتَبْقَى رِجْرِجَةٌ[٦] مِنَ النَّاسِ لَا تَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا تُنْكِرُ مُنْكَرًا٥)[١] » .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) فى الأصل : « الزبيرى » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥٢٦.

(٣) مسند أبى يعلى (٧٢٢٨) .

(٤) فى مصدر التخريج : « تخف » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « لا يعرف أحد معروفا ولا ينكر منكرا » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦) الرجرجة ، بكسر الراءين : بقية الماء الكَدِرةُ فى الحوض المختلطة بالطين ، فلا ينتفع بها . النهاية ٢/ ١٩٨.

ذِكرُ قتالِ الملحمةِ معَ الرومِ
الذى يكونُ آخرُه فتحَ القُسْطَنْطِينيَّةِ

وعندَ ذلك يخرجُ الدَّجّالُ ، وينزِلُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ مِن السماءِ إلى الأرضِ ، على المَنارةِ البَيْضَاءِ الشرقيةِ بدِمَشْقَ ، وقتَ صلاةِ الفَجْرِ ، كما سيأتى بيانُ ذلك كلِّه ، بالأحاديثِ الصحيحةِ .

قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ ، هو القَرْقَسانىُّ ، حدَّثنا الأَوْزاعِىُّ ، عن حسانَ بنِ عطيّةَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ ، عن ذى مِخْمرٍ[(٢)] ، عن النَّبِىِّ ﷺ قال : « تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا ، وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَسْلَمُونَ وَتَغْنَمُونَ ، ثُمَّ تَنْزِلُونَ بِمَرْجٍ[(٣)] ذِى تُلُولٍ ، فيَقُومُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ ، فَيَرْفَعُ الصَّلِيبَ ، وَيَقُولُ : أَلَا غَلَبَ الصَّلِيبُ . فَيَقُومُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ [١٧ظ] الْمُسْلِمِينَ ، فَيَقْتُلُهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ ، وَتَكُونُ الْمَلَاحِمُ ، [(٤)]فَيَجْمَعُونَ لَكُمْ[(٤)] ، فَيَأْتُونَكُمْ فِى ثَمَانِينَ غَايَةً ، مَعَ كُلِّ غَايَةٍ عَشَرَةُ آلَافٍ » . ثم روَاه أحمدُ ، عن رَوْحٍ ، عن الأَوْزاعِىِّ ، به[(٥)] ، وقال فيه : « فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ ، ويَجْمَعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ » . وهكذا روَاه أبو داودَ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ

---

(١) المسند ٤/٩١ (١٦٨٧٢) .

(٢) فى حاشية الأصل كتبت العبارة التالية : « ذو مِخْمر هو ابن أخى النجاشى ، ويقال : مخبر » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٥٣١.

(٣) المرج : الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب ، أى تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت . النهاية ٤/ ٣١٥.

(٤ - ٤) فى المسند : « فيجتمعون إليكم » .

(٥) المسند ٤/٩١ (١٦٨٧١)، ٥/ ٣٧١، ٣٧٢، ٤٠٩ (٢٣٢٠٥، ٢٣٥٢٤) . وليس فى المسند جبير بن نفير .

الأوزاعيِّ ، به[1] .

وقد تقدَّم[2] فى حديثِ عوفِ بنِ مالكٍ ، فى « صحيحِ البخاريِّ » : « فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » . وهكذا فى حديثِ شدّادٍ أبى عمّارٍ ، عن مُعاذٍ[3] : « فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ بِثَمَانِينَ بَنْدًا ، تَحْتَ كُلِّ بَنْدٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنا أيوبُ ، عَن حُميدِ بنِ هلالٍ ، عن أبى قتادةَ ، عن أُسَيْرِ بنِ جابرٍ ، قال : هاجَتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفةِ ، فجاء رجلٌ لَيْسَ له هِجِّيرَى[5] إلَّا : يَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ ، جاءتِ الساعةُ . قال : وكان مُتَّكِئًا فجَلَس ، فقال : إنَّ الساعةَ لا تقومُ حتَّى لا يُقْسَمَ مِيراثٌ ، ولا يُفْرَحَ بِغَنِيمةٍ[6] . قال : عدوٌّ يَجْمَعُونَ لأهلِ الإسلامِ ، ويَجْمَعُ لهم أهلُ الإسلامِ . ونَحَا بيدِه نحوَ الشامِ ، قُلْتُ : الرومَ تَعْنِى ؟ قال : نَعَمْ ، وتكونُ عندَ ذَاكمُ القتالِ رَدَّةٌ[7] شدِيدةٌ . قال : فيَشْترِطُ المسلمونَ شُرْطَةً[8] للموتِ لا تَرْجِعُ إلَّا غالبةً ، فيَقْتَتِلُونَ ، حتى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ الليلُ ، فيفِىءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ ، كلٌّ غيرُ غالبٍ ، وتَفْنَى

---

(١) أبو داود (٤٢٩٢، ٤٢٩٣) ، وابن ماجه (٤٠٨٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٧) .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٦.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٧.

(٤) المسند ١/٣٨٤ (٣٦٤٣) مختصرا، و ١/٤٣٥ (٤١٤٦) بطوله . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ٦/ ١٥٤.

(٥) الهِجِّير والهِجِّيرَى : الدأب والعادة والديدن . النهاية ٥/ ٢٤٦.

(٦) بعده فى الأصل، ح : « قال ومم ذاك » .

(٧) ردة : هو بالفتح أى عطفة قوية . النهاية ٢/ ٢١٤.

(٨) الشرطة : أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة . النهاية ٢/ ٤٦٠.

الشُّرْطَةُ ، ثم يَشْترِطُ المسلمونَ شُرْطةً للموتِ لا تَرْجِعُ إلَّا غالبةً ، فَيَقْتتِلُونَ حتى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ الليلُ ، فيَفِيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ ، كلٌّ غيرُ غالبٍ ، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثم يَشْترِطُ المسلمونَ شُرْطَةً للموتِ لا تَرْجِعُ إلَّا غالبةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حتَّى يُمْسُوا ، فَيفِيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ ، كلٌّ غيرُ غالبٍ ، وتفنَى الشُّرْطَةُ ، فإذا كان اليومُ الرابعُ نَهَدَ[1] إليهم بَقِيَّةُ[2] أهلِ الإسلامِ ، فيجعلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ[3] عليهم ، فيَقْتتِلُونَ مَقْتَلَةً - إمّا قال : لا يُرى مِثْلُها ، وإمّا قال : لم يُرَ مِثْلُهَا - حتّى إنّ الطائرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ[4] حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتًا . قال : فيتعادُّ بنو الأبِ ، كانوا مائةً ، فلَا يجِدُونَهُ بَقِيَ مِنهم إلَّا الرجلُ الواحدُ ، فبأيِّ غنيمةٍ يُفْرَحُ ؟ أو أيُّ ميراثٍ يُقَاسَمُ ؟ قال : فبَيْنما هُمْ كذلِك إذ سمِعوا [5]بِبَأسٍ هو أَكْبَرُ[5] من ذلك . قال : فَجَاءهُمُ الصَّرِيخُ : إنَّ الدَّجَّالَ قد خَلَفهم[6] فى ذَرَارِيِّهِمْ ، فيَرْفُضُونَ[7] ما فى أيدِيهمْ ، ويُقْبِلُونَ فيَبْعَثُون عَشَرةَ فَوارِسَ طَلِيعَةً . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى لأَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ ، هُمْ خَيْرُ فَوارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ » .

---

(١) نهد : نهض وتقدَّم .

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) فى ح : « الدائرة » . وكلتاهما تعنى الهزيمة ، ورواه بعض رواة مسلم كما فى ح . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٢٤، ٢٥.

(٤) فما يخلفهم : فما يجاوزهم .

(٥ - ٥) فى ص ، والمسند : « بناس هم أكثر » . والمثبت موافق لإحدى نسخ المسند .

قال النووى : وقوله : « إذ سمعوا بيأس هو أكبر من ذلك » . هكذا هو فى نسخ بلادنا « بيأس هو أكبر » بباء موحدة فى « بأس » وفى « أكبر » ، وكذا حكاه القاضى عن محققى رواتهم ، وعن بعضهم « بناس » بالنون « أكثر » بالمثلثة ، قالوا : والصواب الأول ، ويؤيده رواية أبى داود : « سمعوا بأمر أكبر من ذلك » . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٢٦.

(٦) فى ص ، والمسند : « خلف » . والمثبت موافق لرواية مسلم الآتى تخريجها .

(٧) فيرفضون : فيتركون .

تفرَّد بإخراجِه مسلمٌ[1] ، فروَاه عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ وعلىِّ بنِ حُجْرٍ ، كِلاهما عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ ، ومِن حديثِ حمّادِ بنِ زيدٍ ، كِلاهما عن أيُّوبَ ، ومِن حديثِ سُلَيْمانَ بنِ المُغِيرةِ ، كلاهما عَن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ العَدَوىِّ ، عَن أبى قتادةَ العدوىِّ . وقد اختُلِف فى اسمِه ، والأشهرُ ما ذكَره ابنُ مَعينٍ ؛ أنه تَميمُ بنُ نُذَيْرٍ ، ووثَّقه[2] . وقال ابنُ مَنْدَه وغيرُه : كانت له صُحْبَةٌ[3] . فاللَّهُ أعلَمُ .

وتقدَّم[4] مِن روايةِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن عَوْفِ بنِ مالكٍ فى تَعْدَادِ الأشْراط : « وَهُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ ، وَبيْنَ بَنِى الأصْفَرِ ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ فِى ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَفُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِى أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : الْغُوطَةُ . فِى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : دِمَشْقُ » . روَاه أحمدُ .

وروَى أبو داودَ[5] مِن حديثِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ أيضًا ، عن أبى الدرداءِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : دِمَشْقُ ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ » .

وتقدَّم حديثُ أبى حَيَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، فى فتحِ القسطنطينيَّةِ ، وكذا حديثُ أبى قَبِيلٍ[6] فى فتحِ رُومِيَةَ بعدَها أيضًا .

وقال مسلمُ بنُ الحجّاجِ[7] : حدَّثنى زُهَيْرُ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثنا مُعَلَّى بنُ

---

(١) مسلم (٢٨٩٩) .
(٢) تاريخ ابن معين ٢/ ٧٢٠.
(٣) تهذيب الكمال ٣٤/ ١٩٧.
(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٦.
(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٧.
(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٣.
(٧) مسلم (٢٨٩٧) .

منصورٍ ، حدَّثنا سُليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنى سُهَيْلٌ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ[1] أَوْ بِدَابِقَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، [١٨و] فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سُبُوا[2] مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ . فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا واللَّهِ ، لَا نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا . فَيُقَاتِلُونَهُمْ ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ ، إِذْ صَاحَ فِيهِم الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِى أَهْلِيكُمْ . فَيَخْرُجُونَ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِى حَرْبَتِهِ » .

وقال مسلمٌ[3] : حدَّثنا قُتَيبَةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، يَعْنى ابنَ محمدٍ ، عن ثَوْرٍ ، وهو ابنُ زيدٍ الدِّيلىُّ ، عَن أبى الغيثِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَرِّ ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِى الْبَحْرِ ؟ » قالوا : نَعَمْ ، يا رَسُولَ اللَّهِ . قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِى

---

(١) الأعماق : كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية . معجم البلدان ١/ ٣١٦.

(٢) سبوا : قال النووى : روى « سبوا » على وجهين فتح السين والباء وضمهما ، قال القاضى فى مشارق الأنوار : الضم رواية الأكثرين ، قال : وهو الصواب . قلت : كلاهما صواب ؛ لأنهم سُبُوا أولًا ، ثم سَبَوا الكفار . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٢١.

(٣) مسلم (٢٩٢٠) .

إِسْحَاقَ[1] ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا ، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ ؛ قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا » . قال ثورٌ : لا أَعْلَمُه إِلَّا قال : « الَّذِى فِى الْبَحْرِ ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . فيُفَرَّجُ لَهُمْ ، فيَدْخُلُوها فيَغْنَمُوا ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمْ الصَّرِيخُ ، فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ ، فيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ ويَرْجِعُونَ » .

وقال ابنُ ماجَه[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ ميمونٍ الرَّقيُّ ، حدَّثنا أبو يعقوبَ الحُنَيْنيُّ ، عن كَثِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ أَدْنَى مَسَالِحِ[3] الْمُسْلِمِينَ بِبَوْلَاءَ[4] » . ثم قال ﷺ : « يَا عَلِيُّ ، يَا عَلِيُّ ، يا عَلِيُّ[5] » . قال : بأبى وأُمِّى . قال : « إِنَّكُمْ

---

(١) قوله ﷺ : « حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق » . قال النووى : قال القاضى : كذا هو فى جميع أصول صحيح مسلم « من بنى إسحاق » ، قال : قال بعضهم : المعروف المحفوظ : « من بنى إسماعيل » ، وهو الذى يدل عليه الحديث وسياقه ؛ لأنه إنما أراد العرب . وهذه المدينة هى القسطنطينية . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٤٤، ٤٥. وانظر ما سيأتى من كلام المصنف ، رحمه اللَّه ، فى صفحة ١٠٨.

(٢) ابن ماجه (٤٠٩٤) . موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٩٢) .

(٣) مسالح : جمع مَسْلَحة ، والمسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو . النهاية ٢/ ٣٨٨.

(٤) كذا فى النسخ ، وسنن ابن ماجه ، قال فى تاج العروس (ب و ل) : وبَوْلاة أو بَوْلان : موضع جاء ذكره فى سنن ابن ماجه فى الفتن والملاحم . كذا قال ولم يذكر بولاء التى عندنا .

قال ياقوت : بولان ، بفتح أوله : قاع بولان ... وهذا الموضع قريب من النِّباج فى طريق الحاجّ من البصرة . معجم البلدان ١/ ٧٦٢.

(٥) يعنى على بن أبى طالب ، رضى اللَّه عنه .

سَتُقَاتِلُونَ بَنِى الأَصْفَرِ ، ويُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ ، حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ[1] الإِسْلَامِ ، أَهْلُ الْحِجَازِ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِى اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ ، فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا ، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بالأَتْرِسَةِ ، وَيَأْتِىَ آتٍ ، فَيَقُولُ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَرَجَ فِى بِلادِكُمْ ، أَلَا وَهِىَ كِذْبَةٌ ، فَالآخِذُ نَادِمٌ ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ » .

وقال مسلمٌ[2] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ ، عن نافعِ بنِ عُتْبَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ » .

وقد روَى مسلمٌ[3] مِن حديثِ الليثِ بنِ سعدٍ ، حدَّثنِى موسى بنُ عُليٍّ ، عن أبيه ، قال : قال الْمُسْتَوْرِدُ القُرشِىُّ عندَ عمرِو بنِ العاصِ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ » . فقال له عمرٌو : أبْصِرْ ما تَقُولُ . قال : أقولُ ما سمِعتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : لئن قلتَ ذلك إنَّ فيهم لَخِصالًا أَرْبَعًا : إنَّهم لأَحْلَمُ الناسِ عندَ فِتْنَةٍ ، وأَسْرَعُهم إفاقةً بعدَ مُصِيبةٍ ، وأَوْشَكُهم كَرَّةً بعدَ فَرَّةٍ ، وخيرُهم لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ ، وخامسةٌ حسنةٌ جميلةٌ : وأَمْنَعُهم مِن ظُلْمِ الملوكِ .

---

(١) روقة المؤمنين : خيارهم وسراتهم ، وهى جمع رائق ، من راق الشىء إذا صفا وخلص . النهاية ٢/ ٢٧٩.

(٢) مسلم (٢٩٠٠) ، وفيه قصة .

(٣) مسلم (٣٥/ ٢٨٩٨) .

ثم قال مسلمٌ[1] : حدَّثنى حَرْمَلةُ بنُ يَحْيَى التُّجِيبىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ وَهْبٍ ، حدَّثنى أبو شُرَيحٍ أنَّ عبدَ الكريمِ بنَ الحارثِ حدَّثه أنَّ المُسْتَوْرِدَ القُرَشِىَّ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ » . قال : فبلَغ ذلك عمرَو بنَ العاصِ ، فقال : ما هذه الأحاديثُ التى تُذْكَرُ عنك أنَّكَ تَقُولُها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال له المُسْتَوْرِدُ : قلتُ الذى سمِعتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقال عمرٌو : لَئن قلتَ ذلك ، إنَّهم لأَحْلَمُ الناسِ عندَ فِتنةٍ ، وأصبرُ[2] النَّاسِ عندَ مصيبةٍ ، وخيرُ النَّاسِ لمسَاكِينِهم وضُعَفَائِهِمْ . وهذا يدُلُّ على أنَّ [١٨ظ] الرُّومَ يُسْلِمُونَ فى آخرِ الزمانِ ، ولعلّ فتحَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ يكونُ على يَدَىْ طائفةٍ مِنهم ، كما نطَق به الحديثُ المتقدِّمُ أنَّه يَغْزُوها سبعون ألفًا مِن بنى إسحاقَ ، والرومُ مِن سُلالةِ العِيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فهُم أولادُ عمِّ بنى إسرائيلَ ، وهو يعقوبُ بنُ إسحاقَ ، فالرومُ يكونون فى آخرِ الزمانِ خيرًا مِن بَنِى إسرائيلَ ، فإنَّ الدَّجّال يَتْبَعُه سَبْعون ألفًا مِن يهودِ أَصْبهانَ ، فهُم أنصارُ الدَّجّالِ ، وهؤلاءِ ، أَعْنِى الرومَ ، قد مُدِحُوا فى هذا الحديثِ ، فلعلَّهُم يُسْلِمُونَ على يَدَىِ المسيحِ ابنِ مريمَ ، واللَّهُ أعلَمُ . على أنَّه قد وقَع فى بعضِ الرواياتِ : « مِنْ بَنِى إسْمَاعِيلَ » . وقوَّى ذلك عياضٌ وغيرُه ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) مسلم (٣٦/ ٢٨٩٨) .

(٢) فى ص : « أخير » ، وفى صحيح مسلم : « أجبر » . وقوله : « وأجبر الناس عند مصيبة » . قال النووى : هكذا فى معظم الأصول ، و « أجبر » بالجيم ، وكذا نقله القاضى عن رواية الجمهور ، وفى رواية بعضهم : « وأصبر » بالصاد . قال القاضى : والأول أولى لمطابقة الرواية الأخرى : « وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة » ، وهذا بمعنى أجبر . وفى بعض النسخ : « أخبر » بالخاء المعجمة : ولعل معناه . أخبرهم بعلاجها والخروج منها . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٢٣، ٢٤.

وقال إسماعيلُ بنُ أبى أُويْسٍ[1] : حدَّثنا كَثِيرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « سَتُقَاتِلُونَ بَنِى الأَصْفَرِ ، وَيُقَاتِلُهُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الْحِجَازِ ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عليْهِمُ القُسْطَنْطِينِيَّةَ وَرُومِيَةَ بالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ ، فَيَنْهَدِمُ حِصْنُهَا فَيُصِيبُونَ مَالًا لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهُ قَطُّ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقْتَسِمُونَ بالأَتْرِسَةِ ، ثُمَّ يَصْرُخُ صَارِخٌ : يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ ، الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فِى بِلَادِكُمْ وذَرَارِيِّكُمْ . فَيَنْفَضُّ النَّاسُ عَنِ الْمَالِ ؛ مِنْهُمُ الآخِذُ ، وَمِنْهُمُ التَّارِكُ ، الآخِذُ نَادِمٌ ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ ، فَيَقُولُونَ : مَنْ هَـٰذَا الصَّارِخُ ؟ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فَيَقُولُونَ : ابْعَثُوا طَلِيعَةً إِلَى إِيلْيَاءَ ، فَإِنْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ خَرَجَ فَسَيَأْتُونَكُمْ بِعِلْمِهِ . فَيَأْتُونَ ، فَيَنْظُرُونَ ، فَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا ، وَيَرَوْنَ النَّاسَ سَاكِتِينَ فَيَقُولُونَ : مَا صَرَخَ الصَّارِخُ إِلَّا لِنَبَأٍ عَظِيمٍ ، فَاعْتَزِمُوا ، ثُمَّ ارْتَضُوا ، فَيَعْتَزِمُونَ أَنْ نَخْرُجَ بأَجْمَعِنَا إِلَى إِيلْيَاءَ ، فإِنْ يكُنِ الدَّجَّالُ خَرَجَ نُقَاتِلْهُ بأَجْمَعِنَا ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَإِنَّهَا بِلَادُكُمْ وعشائِرُكُمْ إِنْ رجعتُمْ إِلَيْهَا .

[2]وَقَد روَى الحافِظُ بَهَاءُ الدِّينِ بنُ عساكرَ فِى كِتَابِهِ « الْمُسْتَقْصَى فِى فَضَائِلِ الْأَقْصَى » بسَنَدٍ لَهُ عن الْأَوْزَاعِىِّ ، عن خَالِدِ بنِ مَعْدَانَ ، عن كَعْبِ الأَحْبَارِ ، أَنَّهُ قَالَ[3] : إِنَّ مَدِينَةَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ شَمَتَتْ بِخَرَابِ بَيْتِ المقدِسِ ، يَعْنِى زَمَنَ بُخْتُ نصَّرَ ، فتعزَّزَتْ وَتجبَّرَتْ وشَمَخَتْ ، فَسَمَّاهَا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، العاتِيَةَ المُسْتَكْبِرَةَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا قالَتْ مع شَماتَتِها بِبيتِ المقدِسِ : إِنْ يَكُنْ عرشُ رَبِّى علَى المَاءِ ، فقد بُنِيتُ أَنا علَى الماءِ ، فَغَضِبَ اللَّهُ تعالى عَلَيْهَا ، ووعَدها العذابَ والخرابَ وقال[2]

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٧/ ١٥، ١٦ (٩) وابن عدى فى الكامل ٦/ ٢٠٧٩، والحاكم فى المستدرك ٤/ ٤٨٣، من طريق إسماعيل بن أبى أويس به ، بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٣١٣)، بسنده إلى كعب الأحبار بنحوه .

(١) لها : حَلَفْتُ يَا مُسْتَكْبِرَةُ لِمَا قَدْ عَتَيْتِ عَنْ أَمْرِى وَتَجَبَّرْتِ ، لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكِ عِبَادًا لِى مُؤْمِنِينَ مِنْ مَسَاكِنِ سَبَأٍ[٢] ، ثُمَّ لَأُشَجِّعَنَّ قُلُوبَهُمْ حتَّى أَدَعَها كَقُلُوبِ الأُسْدِ الضَّارِيةِ ، وَلَأَجْعَلَنَّ صَوتَ أَحَدِهِمْ عِنْدَ الْبَأْسِ كَصَوْتِ الأَسَدِ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ الْغَابَةِ ، ثُمَّ لَأُرْعِبَنَّ قُلُوبَ أَهْلِكِ كَرُعْبِ العُصْفُورِ ، ثُمَّ لَأَنْزِعَنَّ عَنْكِ حَلْيَكِ وَدِيبَاجَكِ وَرِيَاشَكِ ، ثُمَّ لَأَتْرُكَنَّكِ جَلْحَاءَ قَرْعَاءَ صَلْعَاءَ ؛ فإِنَّه طَالَ مَا أُشْرِكَ بِى فِيكِ ، وعُبِدَ غَيْرِى ، وَافْتُرِىَ عَلَىَّ ، وَأَمْهَلْتُكِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِى فِيهِ خِزْيُكِ ، فَلَا تَسْتَعْجِلِى يَا عَاتِيةُ ؛ فإِنَّه لَنْ يَفُوتَنِى شَىْءٌ أُرِيْدُه[١] .

(٣) وقال الإمامُ أحمدُ[٤] : ثنا عبدُ [١٩و] الجبارِ بنُ العباسِ الشاميُّ ، عن أبى قيسٍ قال عبدُ الجبارِ : أُراه عن هُزَيلٍ ، قال : قام حذيفةُ فى دارِ عامرِ بنِ حنظلةَ فيها اليَمَنىُّ[٥] والمُضَرىُّ ، فقال : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى مُضَرَ يَوْمٌ لَا يَدَعُونَ لِلَّهِ عَبْدًا يَعْبُدُهُ إِلَّا قَتَلُوهُ ، أَوْ لَيَضْرِبُنَّ ضَرْبًا لَا يَمْنَعُونَ ذَنَبَ تَلْعَةٍ[٦] » . فقيل : يا أبا عبدِ اللَّهِ تقولُ هذا لقومِك - أو : لقومٍ أنت منهم - فقال : لا أقولُ إلا ما سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[٣] .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ ثابتِ بنِ ثَوْبانَ ، عن أبيه ، عن مَكْحولٍ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن مالِكِ بنِ يُخَامِرَ ، عن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل : « شتى » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المسند ٥/٤٠٤ (٢٣٤٨٢) .

(٥) فى المسند : « التميمى » .

(٦) بعده فى المسند : « أو أسفل تلعة » . وذنب التلعة : أسفل الوادى . والمعنى أن أهل مضر سيُضربون ضربا لا يمتنعون منه بعد أن صدّوا عن سبيل اللّه . انظر النهاية ٢/ ١٧٠.

(٧) المسند ٥/٢٤٥ (٢٢١٧٤) .

معاذِ بنِ جَبَلٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ » . قال : ثمَّ ضرَب بيدِه على فَخِذِ الذى حدَّثه أو مَنْكِبِه ، ثم قال « إِنَّ هَـٰذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَـٰهُنَا » . أو : « كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ » . يَعْنِى مُعاذًا .

وهكذا روَاه أبو داودَ ، عن عباسٍ العنبرىِّ ، عن أبى النَّضرِ هاشمِ بنِ القاسمِ ، به[1] .

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ وحديثٌ حَسَنٌ ، وعليه نُورُ الصِّدْقِ وجَلالَةُ النُّبُوَّةِ ، وليس المرادُ أنَّ المدينةَ تَخْرَبُ بالكليةِ قبلَ خروجِ الدَّجَّالِ ، وإنما ذلك فى آخرِ الزمانِ ، كما سيأتى بيانُه فى الأحاديثِ الصحيحةِ ، بل قد يكونُ عِمَارةُ بَيْتِ المقدسِ سببًا فى خَرابِ المدينةِ النَّبَوِيَّةِ [2]لأن الناسَ يرحلون منها إلى الشامِ لأجلِ الريفِ والرخصِ[2] ، فإِنَّهُ قد ثبَت فى الأحاديثِ الصحيحةِ أنَّ الدّجّالَ لَا يَدْخُلُها ؛ يَمْنَعُه مِن ذلك ما على أنقابِها مِن الملائكةِ ، بأيدِيهم السيوفُ المُصْلَتَةُ .

وفى « صحيحِ البخارىِّ »[3] مِن حديثِ مالكٍ ، عن نُعَيْمِ المُجْمِرِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الْمَدِينَةُ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ » .

وفى « جامعِ التِّرمذىِّ »[4] أنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ إذا مات يُدفَنُ فى الحُجْرةِ النَّبَوِيَّةِ .

---

(١) أبو داود (٤٢٩٤) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦٠٩) .

(٢ - ٢) زيادة من : ح .

(٣) البخارى (٧١٣٣) ، بنحوه .

(٤) الترمذى (٣٦١٧) ، بنحوه . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٣) .

وقد قال مسلمٌ[1] : حدَّثنى عمرٌو النّاقِدُ ، حدَّثنا الأسودُ بنُ عامرٍ ، حدَّثنا زُهَيْرٌ ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال :

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَبْلُغُ الْمَسَاكِنُ إِهَابَ » . أَوْ : « يِهَابَ » . قال زهيرٌ : قُلتُ لسُهَيْلٍ : فكم ذلك مِن المدينةِ ؟ قال : كذا وكذا ميلًا .

فهذه العِمارةُ إمّا أن تكونَ قبلَ عِمارةِ بيتِ المَقْدسِ ، وقد تكونُ بعدَ ذلك بدَهْرٍ ، ثم تَخْرَبُ بالكُلِّيَّةِ ، كما دلّت على ذلك الأحاديثُ التى سَنُورِدُها .

وقد روَى القُرْطُبِىُّ[2] ، مِن طريقِ الوليدِ بنِ مُسلمٍ ، عن ابنِ لَهِيعَةَ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أنَّه سمِع عمرَ بنَ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، على المنبرِ ، يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَخْرُجُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْهَا ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا فَيَعْمُرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ ، ثُمَّ يَخْرُجُون مِنْهَا ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهَا أَبَدًا » .

وفى حديثٍ عن أبى سعيدٍ ، مرفوعًا مثلُه[3] ، وزاد : « وَلَيَدَعُنَّهَا وَهِىَ خَيْرُ مَا تَكُونُ ، مُونِعَةً » . قيل : فَمَنْ يأكُلُها ؟ قال : « الطَّيْرُ وَالسِّبَاعُ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] ، عن أبى هريرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِى - يريدُ عَوافِىَ السِّباعِ والطيرِ -

---

(١) مسلم (٤١/ ٢٩٠٣) .

(٢) التذكرة ٢/ ٥١٣، وقد نقله القرطبى عن أبى زيد عمر بن شبة ، من كتاب تاريخ المدينة المنورة ١/ ٢٨٣.

(٣) التذكرة ٢/ ٥١٣، وأخرجه عمر بن شبة فى تاريخ المدينة المنورة ١/ ٢٨٠، ٢٨١، بسنده إلى أبى سعيد الخدرى . وانظر التذكرة ٢/ ٥١٣.

(٤) مسلم (٤٩٩/ ١٣٨٩) .

ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا ، فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا[1] ، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا[2] » .

وفى حديثِ حُذَيفةَ[3] : سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَن أشياءَ ، إلَّا أنِّى لَمْ أسأَلْهُ : ما يُخْرِجُ أهلَ المدينةِ مِنْهَا ؟

وفى حديثٍ آخَرَ ، عن أبى هريرةَ[4] : « يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَنِصْفُ ثَمَرِهَا زَهْوٌ ، وَنِصْفُهُ رُطَبٌ » . قيل : ما يُخْرِجُهم مِنها يا أبا هريرةَ ؟ قال : أُمَراءُ السُّوءِ .

وقال أبو داودَ[5] : حدَّثنا ابنُ نُفَيْلٍ ، حدَّثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مريمَ ، عن الوليدِ بنِ سفيانَ الغَسّانِىِّ ، عن يزيدَ بنِ قُطيبٍ السَّكُونِىِّ ، عن أبى بَحْرِيَّةَ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِى سَبْعَةِ أَشْهُرٍ » . ورواه الترمذىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ الدارمِىِّ ، عن الحكمِ بنِ المُبارَكِ[6] ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ به[7] ، وقال : حسنٌ[8] لا نعرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ ، وفى البابِ عن الصَّعْبِ بنِ جَثَّامةَ ،

---

(١) قال النووى : قوله ﷺ : « فيجدانها وحشا » . وفى رواية البخارى : « وحوشا » . قيل معناه : يجدانها خلاء أى : خالية ليس بها أحد . قال إبراهيم الحربى : الوحش من الأرض هو الخلاء . والصحيح أن معناه يجدانها ذات وحوش ، كما فى رواية البخارى ، وكما قال ﷺ : « لا يغشاها إلا العوافى » . ويكون « وحشا » بمعنى (وحوشا) . صحيح مسلم بشرح النووى ٩/ ١٦٠، ١٦١.

(٢) خرّا على وجوههما أى : سقطا ميتين .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٨٦/٥ (٢٣٣٢٩) ، ومسلم (٢٤/ ٢٨٩١) ، كلاهما بنحوه .

(٤) أخرجه ابن شبة فى تاريخ المدينة المنورة ١/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(٥) أبو داود (٤٢٩٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٥) .

(٦) فى النسخ : « أبان » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٤٠٤، وتهذيب الكمال ٧/ ١٣١.

(٧) الترمذى (٢٢٣٨) .

(٨) بعده فى مصدر التخريج : « غريب » .

وعبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، وأبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ.

ورواه ابنُ ماجه، عن هشامِ بنِ عمّارٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ وإسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مريمَ، به[1].

وقد قال الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ[2]، واللفظُ له: حدَّثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ الحِمْصىُّ، حدَّثنا بقيّةُ، عن بَحِيرِ [١٩ظ] بنِ سعدٍ، عن خالدٍ، هو ابنُ مَعْدَانَ، عن ابنِ أبى بلالٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بَيْنَ الملحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِى السَّابِعَةِ». وهكذا روَاه ابنُ ماجه[3]، عن سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ، عن بَقِيّةَ، به[4].

وهذا مُشكِلٌ مع الذى قبلَه، اللهمَّ إلَّا أن يكونَ بينَ أوَّلِ الملْحمةِ وآخرِها ستُّ سِنينَ، ويكونَ بينَ آخرِها وفتحِ المدينةِ، وهى القسطنطينيَّةُ، مدَّةٌ قريبةٌ، بحيثُ يكونُ ذلك معَ خروجِ الدَّجّالِ فى سبعةِ أشهرٍ، واللَّهُ أعلَمُ.

وقال الترمذىُّ[5]: حدَّثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ، حدَّثنا أبو داودَ، عن شُعْبةَ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ مع قيامِ الساعةِ. قال محمودٌ: هذا حديثٌ غريبٌ، والقُسْطَنْطِينِيَّةُ هى مدينةُ الرُّومِ تُفتَحُ عندَ خروجِ الدَّجّالِ، والقُسْطَنْطِينِيَّةُ قد فُتِحَتْ فى زمانِ بعضِ أصحابِ النبىِّ

---

(١) ابن ماجه (٤٠٩٢).

(٢) المسند ١٨٩/٤ (١٧٧٢٧)، وأبو داود (٤٢٩٦). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٦).

(٣) ابن ماجه (٤٠٩٣).

(٤) والحديث عند ابن ماجه عن سويد بن سعيد، عن بقية، عن بحير بن سعد، عن خالد بن أبى بلال، عن عبد اللَّه بن بسر، به. قال المزى فى تحفة الأشراف ٤/ ٢٩٤: كذا عنده، وهو وهم، والصواب الأول. يعنى عن خالد بن معدان، عن ابن أبى بلال، عن عبد اللَّه بن بسر.

(٥) الترمذى (٢٢٣٩). صحيح الإسناد موقوف (صحيح سنن الترمذى ١٨٢٤).

ﷺ . هكذا قال إنَّها فُتِحت فى زمنِ الصحابةِ ، وفى هذا نظرٌ ؛ فإنّ مُعاويةَ بعَث إليها ابنَه يزيدَ فى جيشٍ فيهم أبو أيُّوبَ الأنصاريُّ ، ولكنْ لَمْ يتَّفِقْ له فتحُها ، وحاصَرها مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مَروانَ ، فى زمانِ دولتِهم ، ولم يَفْتَحْها أيضًا ، ولكنْ صالحهم على بناءِ مسجدٍ بها ، كما قدمنا ذلك مبسوطًا[1] . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

ذِكْرُ خروجِ الدَّجَّالِ بعدَ وقوعِ المَلْحمةِ الرُّوميةِ وفَتْحِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ

ولنذكُرْ قبلَ ذلك مُقدِّمةً فيما ورَد فى ذكرِ الكذَّابين الدَّجّالِين الذين هم كالمقدِّمةِ بينَ يَدَيِ الدَّجّالِ الكبيرِ خاتَمِهم ، قبَّحه اللَّهُ وإيَّاهُمْ ، وجعَل نارَ الجحيمِ مُنْقَلَبَهُمْ ومَثْواهُمْ .

روَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[2] من حديثِ شُعْبةَ وغيرِه[3] ، عن سِمَاكٍ ، عن جابرِ بنِ سمُرةَ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ »[4] . قال جابرٌ : فاحذَروهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا موسَى ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ أنَّه قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، يقولُ : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابُونَ ،

---

(١) تقدم فى ١١/ ١٨٠، ١٢/ ٦٣١ - ٦٣٣.

(٢) مسلم (٢٩٢٣) .

(٣) روى مسلم الحديث أيضا عن أبى الأحوص وأبى عوانة .

(٤) بعده فى مسلم : « قال سماك : وسمعت أخى يقول » .

(٥) المسند ٣/ ٣٤٥ (١٤٧٦٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٣٢: رواه أحمد والبزار ... وفى إسناد أحمدَ ابنُ لهيعة وهو لين .

مِنْهُمْ صَاحِبُ اليَمَامَةِ ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ العَنْسِيُّ ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ حِمْيَرَ ، وَمِنْهُمُ الدَّجَّالُ ، وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً » . قال جابرٌ : وبعضُ أصحابى يقولُ : قريبٌ مِن ثلاثين كذّابًا . تفرَّد به أحمدُ .

وثبَت فى « صحيحِ البخاريِّ »[1] ، عن أبى اليَمَانِ ، عن شُعَيْبٍ ، عن أبى الزِّنَادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ ، كُلٌّ[2] يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ » . وذكَر تمامَ الحديثِ بطولِه .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[3] من حديثِ مالكٍ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ ، كُلٌّ[4] يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ » .

حدَّثنا محمدُ بنُ رافعٍ ، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بمثلِه ، غيرَ أنَّه قال : « يَنْبَعِثَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شُعبةُ ، سمِعتُ العَلَاءَ ابنَ عبدِ الرحمنِ يُحدِّثُ عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ أنَّه قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ ثَلاثُونَ دَجَّالُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّه رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَفِيضَ

---

(١) البخارى (٧١٢١) بنحوه .

(٢) فى البخارى : « كلهم » .

(٣) مسلم ٤/٢٢٣٩ ، ٢٢٤٠ (١٥٧) .

(٤) فى مسلم : « كلهم » .

(٥) المسند ٢/٤٥٧ (٩٨٩٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٥/ ٥٥٣.

المالُ فَيَكْثُرَ ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ » . قالَ : قيل : أَيُّمَا الهَرْجُ ؟ قال : « القَتْلُ القَتْلُ » ثلاثًا . تفرَّد به أحمدُ من هذا الوجهِ ، وهو على شرطِ مسلمٍ . وقد روَاه أبو داودَ عن القَعْنَبِيِّ ، عن الدَّرَاوَرْدِيِّ ، عن العَلَاءِ به[1] .

ومِن حديثِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ عَلْقَمَةَ ، عن أبى سلَمةَ ، عن أبى هريرةَ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ دَجَّالًا كَذَّابًا ، كُلُّهُمْ يَكْذِبُ علَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ »[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثَنا يحيى ، عن عوفٍ ، حدَّثنا خِلَاسٌ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ ، كُلُّهُمْ يَقُولُ : أَنَا نَبِيٌّ ، أَنَا نَبِيٌّ » . وهذا إسنادٌ جيدٌ حسنٌ ، تفرَّد به أحمدُ أيضًا .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا حسنُ بنُ موسَى ، [٢٠و] حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثنا سَلَامَانُ بنُ عامرٍ ، عن أبى عُثْمانَ الأَصْبَحِيِّ ، سمِعتُ أَبا هريرةَ يقولُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « سَيَكُونُ فى أُمَّتِى دَجّالُونَ كَذَّابُونَ ، يَأْتُونَكُمْ[5] بِبِدْعٍ مِنَ الحَدِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، فإيَّاكُمْ وإيَّاهُمْ ، لَا يَفْتِنُوكُمْ[6] » .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصلىُّ[7] : حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ

---

(١) أبو داود (٤٣٣٣) مختصرا . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٤٢) .

(٢) أبو داود (٤٣٣٤) . حسن الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٣٦٤٣) .

(٣) المسند ٤٢٩/٢ (٩٥٤٣) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد منقطع . المسند ٣٣٨/١٥ .

(٤) المسند ٣٤٩/٢ (٨٥٨٠) . قال الشيخ شعيب : حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف . المسند ٢٥٣/١٤.

(٥) فى المسند : « يحدثونكم » .

(٦) فى ص والمسند : « يفتنونكم » .

(٧) مسند أبى يعلى (٤٤٩) . قال الهيثمى : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات . المجمع ٣٣٣/٧.

الحَسَنِ الأسَدِيُّ ، حدَّثنا هارونُ بنُ صالحٍ الهَمْدَانيُّ ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى الجُلَاسِ ، قال : سمِعتُ عليًّا يقولُ لعبدِ اللَّهِ السَّبَائيِّ : ويلَكَ ، واللَّهِ ما أفْضَى إلىَّ بشَىْءٍ كتَمتُه[1] أحدًا مِنَ الناسِ ، ولقد سمِعتُه يقولُ : « إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كذَّابًا » . وَإِنَّكَ لأحدُهُمْ . وروَاه أيضًا عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبَةَ عن محمدِ بنِ الحسنِ ، به[2] .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[3] من حديثِ أبى قِلَابَةَ ، عن أبى أسماءَ ، عن ثَوْبانَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَإِنَّه سَيَكُونُ فِى أُمَّتِى ثَلَاثون كَذَّابُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أنَّه نَبِىٌّ ، وَأنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِىَّ بَعْدِى » . الحديث بتمامِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو الوليدِ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ إيادِ بنِ لَقيطٍ ، حدَّثنا إيادٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ نُعْمٍ[5] ، أو نُعَيْمٍ الأعْرجيِّ ، شَكَّ أبو الوليدِ ، قال : سأَل رجلٌ ابنَ عُمرَ عن المُتْعَةِ - وأنا عندَه - مُتْعَةِ النِّساءِ ، فقال : واللَّهِ ما كُنّا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ زانِين[6] ولا مُسَافِحِين ، ثُم قال : واللَّهِ لقد سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيَكُونَنَّ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ المَسِيحُ الدَّجَّالُ ،

---

(١) فى مصدر التخريج : « كتمه » .

(٢) مسند أبى يعلى (٤٥٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) مطولًا ، من طريق أبى قلابة به ، دون اللفظ المذكور . وقد أخرجه أيضا الإمام أحمد فى المسند ٥/٢٧٨ (٢٢٤٤٨) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذى (٢٢١٩) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) ، كلهم من طريق أبى قلابة به ، وفيه اللفظ المذكور .

(٤) المسند ٢/٩٥ (٥٦٩٤) . قال الشيخ شاكر : إسناده حسن . المسند ٨/ ٥٨ .

(٥) فى النسخ : « أنعم » . والمثبت من المسند . وورد فى التاريخ الكبير ٥/ ٣٥٦ ، والجرح والتعديل ٥/ ٢٩٣ ، والثقات ٥/ ١١١ : « أنه عبد الرحمن بن نعيم » . وورد فى تعجيل المنفعة ص ٢٥٨ : عبد الرحمن بن نعم أو نعيم .

(٦) فى الأصل : « زنائين » .

وَكذَّابُونَ ثَلاثونَ ، أوْ أَكْثَرُ » . ورواه الطبرانيُّ[1] مِن حديثِ مُوَرِّقٍ العِجْلِيِّ ، عن ابنِ عُمرَ ، بنحوِه ، تفرَّد به أحمدُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الصَّمدِ ، حدَّثنا حَمَّادٌ ، وهو ابنُ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن يُوسُفَ بنِ مِهرانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمرَ ، أنَّه كان عندَه رجلٌ مِن أهلِ الكُوفةِ ، فجعَل يحدِّثُه عن المختارِ ، فقال ابنُ عُمرَ : إنْ كان كما تقولُ ، فإنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلاثِينَ دَجَّالًا كَذَّابًا » . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

وقد روَاه سعيدُ بنُ عامرٍ ، عن ابنِ عُمر ، ولكنْ قال : « سَبْعُونَ » . قال الحافظُ أبو يَعلَى المَوصليُّ[3] : حدَّثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعلَى ، حدَّثنا ابنُ فُضيلٍ ، عن لَيْثٍ ، عن سعيدِ بن عامرٍ ، عن ابنِ عُمرَ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ فِى أُمَّتِى لَنَيِّفًا وَسَبْعِينَ دَاعِيًا ، كُلُّهُمْ دَاعٍ إلَى النَّارِ ، لَوْ أَشَاءُ لأَنْبَأْتُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ[4] وَقَبَائِلِهِمْ » . وهذا إسنادٌ لا بأسَ به . وقد روَى ابنُ ماجه به[5] حديثًا فى الكَرْعِ[6] والشُّرْبِ باليدِ .

---

(١) لم نجده عند الطبرانى ، وقال الهيثمى : رواه أحمد وأبو يعلى بقصة المتعة وما بعدها ، والطبرانى إلا أنه قال : « بين يدى الساعة الدجال وبين يدى الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر ...» . المجمع ٧/ ٣٣٣.

(٢) المسند ٢/١١٧ (٥٩٨٥) . قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح المسند ٨/ ١٨٦.

(٣) مسند أبى يعلى (٥٧٠١) .

(٤) فى مصدر التخريج : « بآبائهم » .

(٥) ابن ماجه (٣٤٣٣) . وفيه النهى عن الكرع .

(٦) كرع الماء يكرع كرعا إذا تناوله بفيه ، من غير أن يشرب بكفه ولا بإناء ، كما تشرب البهائم ؛ لأنها تدخل فيه أكارعها . النهاية ٤/ ١٦٤.

وقال أبو يَعْلَى[1] : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، حَدَّثنا جَرِيرٌ ، عن لَيْثٍ ، عن بِشْرٍ ، عن أنَسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ قَبْلَ خُرُوجِ[2] الدَّجَّالِ نَيِّفٌ عَلَى سَبْعِينَ دَجَّالًا » . فيه غرابةٌ ، والذى فى الصِّحَاحِ أثبَتُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهرىِّ ، عن طلحةَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عوفٍ ، عن أبى بَكْرَةَ ، قال : [4]أكثَرَ الناسُ[4] فى مُسَيْلمةَ قبلَ أن يقولَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه شيئًا ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ خطيبًا ، فقال : « أَمَّا بَعْدُ ، فَفِى شَأْنِ هَـٰذَا الرَّجُلِ الَّذِى قَدْ أَكْثَرتُمْ فِيهِ ، وَإِنَّه كَذَّابٌ مِنْ ثَلاثِينَ كَذَّابًا ، يَخْرُجُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بَلَدٌ[5] إِلَّا يَبْلُغُهَا رُعْبُ المَسِيحِ إِلَّا المَدِينَةَ ؛ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا[6] مَلَكَانِ يَذُبَّانِ عَنْهَا رُعْبَ المَسِيحِ » .

وقد روَاه أحمدُ أيضًا[7] عن حجّاجٍ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ، عن عَقِيلٍ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن طلحةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عوفٍ ، أنَّ عِياضَ بنَ مُسافعٍ[8] أخبَره عن أبى بَكْرةَ ، فذكَره ، وقال فيه : « فَإِنَّهُ كَذَّابٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا ، يَخْرُجُونَ قَبْلَ

---

(١) مسند أبى يعلى (٤٠٥٥) . قال الهيثمى : رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس وبشر صاحب أنس لم أعرفه . المجمع ٧/ ٣٣٣.

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) المسند ٥/٤١ (٢٠٤٤٤) . وأخرجه الحاكم ٤/ ٥٤١، وقال : أعضل معمر وشعيب بن أبى حمزة هذا الإسناد عن الزهرى : فإن طلحة بن عبد اللَّه لم يسمعه من أبى بكرة إنما سمعه من عياض بن مسافع عن أبى بكرة .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أكثروا » . والمثبت من المسند .

(٥) فى المسند « من بلدة » .

(٦) النقاب : جمع نقب وهو الطريق بين الجبلين . النهاية ٥/ ١٠٢.

(٧) المسند ٥/٤٦ (٢٠٤٨٢) .

(٨) فى ح : « شافع » ، وفى ص : « نافع » . وانظر أطراف المسند ٦/ ١٠٥.

الدَّجَّالِ ، وَإِنَّه لَيْسَ بَلَدٌ إِلَّا يَدْخُلُهُ[1] رُعْبُ المسِيحِ الدَّجَّالِ إِلَّا المَدِينَةَ ؛ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا يَوْمَئِذٍ[2] مَلَكَانِ يَذُبَّانِ عَنْهَا رُعْبَ المَسِيحِ » . تفرَّد به أحمدُ مِن الوجهين .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا أبو جعفرٍ المدائنىُّ ، وهو محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا عبّادُ بنُ العوّامِ ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، ويُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، ويُخَوَّنُ فيها الْأَمِينُ ، ويُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، ويَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » . قيل : وما الرُّوَيبِضَةُ[4] ؟ قال : « الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِى أَمْرِ الْعَامَّةِ » . وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قوىٌّ ، تفرَّد بهِ أحمدُ من هذا الوجهِ [٢٠ظ] .

[5]وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ قال : ثنا معاذٌ . يعنى ابنَ هشامٍ قال : وجَدْتُ فى كتابِ أبى بخطِّ يدِه ، ولم أسمَعْه مِنه ، عن قتادةَ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن إبراهيمَ النَّخعىِّ ، عن همَّامٍ ، عن حُذَيفةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فِى أُمَّتِى كَذَّابُونَ[7] دَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وإِنِّى خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِىَّ بَعْدِى »[5] .

---

(١) فى الأصل : « سيدخلها » ، وفى ح ، ص : « سيدخله » . والمثبت من المسند .

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) المسند ٣/٢٢٠ (١٣٣٢٢) .

(٤) الرويبضة : تصغير الرابضة وهو العاجز الذى ربض عن معالى الأمور وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة . النهاية ٢/ ١٨٥ .

(٥ - ٥) سقط من : ح ، ص .

(٦) المسند ٥/٣٩٦ (٢٣٤٠٧) .

(٧) بعده فى المسند : « و » .

الكلامُ على أحاديثِ الدَّجَّالِ

قال مسلمٌ[1] : حدَّثنى حَرْمَلةُ بنُ يَحْيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَرْمَلةَ بنِ عِمْرانَ التُّجِيبِيُّ ، أخْبَرَنِى ابنُ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أنَّ سالمَ بنَ عبدِ اللَّهِ أخْبَره أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ أخْبَره أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ انْطَلَق مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى رَهْطٍ قِبَلَ ابنِ صَيَّادٍ حتَّى وجَده يَلْعَبُ مع الصِّبيانِ عندَ أُطُمِ[2] بَنى مَغَالةَ ، وقد قارَب ابنُ صَـيَّادٍ يومَئذٍ الحُلُمَ ، فلم يَشْعُرْ حتَّى ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ظهْرَه بيدِه ، ثمَّ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لابنِ صَيَّادٍ : « أَتَشْهَدُ أنِّى رَسُولُ اللَّهِ ؟ »فنظَر إليه ابنُ صَيَّادٍ فقال : أشْهَدُ أنَّك رسولُ الأُمِّيِّينَ ، فقال ابنُ صَيَّادٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : أتَشْهَدُ أنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ فرفَضه[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ » . ثمَّ قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَاذَا تَرَى ؟ » قال ابنُ صَيَّادٍ : يَأْتِينى صادِقٌ وكاذِبٌ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خُلِّطَ عَلَيكَ الأَمْرُ » . ثمَّ قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا » . فقال ابنُ صَيَّادٍ : هو

---

(١) مسلم (٩٥/ ٢٩٣٠) .

(٢) فى ح : « أغيلمة » . وأطم بنى مغالة . ذكر مسلم فى رواية الحسن الحلوانى التى بعد هذه أنه أطم بنى معاوية بضم الميم وبالعين المهملة ، قال العلماء : المشهور المعروف هو الأول . قال القاضى : وبنو مغالة كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد رسول الله ﷺ ، والأطم بضم الهمزة والطاء : هو الحصن جمعه آطام . مسلم بشرح النووى ١٨/ ٥٣.

(٣) فرفضه : قال النووى : هكذا هو فى أكثر نسخ بلادنا فرفضه بالضاد المعجمة ، وقال القاضى : روايتنا فيه عن الجماعة بالصاد المهملة . قال بعضهم : الرفص بالصاد المهملة : الضرب بالرجل مثل الرفس بالسين . قال : فإن صح هذا فهو معناه . قال : لكن لم أجد هذه اللفظة فى أصول اللغة . قال : ووقع فى رواية القاضى التميمى فرفضه بضاد معجمة ، وهو وهم .... قلت : ويجوز أن يكون معنى رفضه بالمعجمة ؛ أى ترك سؤاله الإسلام ليأسه منه حينئذ ، ثم شرع فى سؤاله عما يرى ، والله أعلم . مسلم بشرح النووى ١٨/ ٥٣، ٥٤.

الدُّخُّ[1] . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْسَأْ ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه : ذَرْنى يا رسولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَه . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِى قَتْلِهِ » .

وقال سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ[2] : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ يقولُ : انْطَلَق بعدَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ وأُبَىُّ بنُ كعبٍ الأنْصارىُّ إلى النَّخْلِ التى فيها ابنُ صَيَّادٍ حتى إذا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ طفِق يَتَّقِى بجُذوعِ النَّخْلِ ، وهو يَخْتِلُ[3] أن يَسْمَعَ مِن ابنِ صَيَّادٍ شيئًا قبلَ أنْ يَرَاه ابنُ صَيَّادٍ ، فرَآه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو مُضْطَجِعٌ على فِراشٍ فى قَطيفةٍ ، له فيها زَمْزَمةٌ[4] ، فَرَأَتْ أمُّ ابنِ صَيَّادٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يَتَّقِى بجُذوعِ النَّخْلِ ، فقالت لابنِ صَيَّادٍ : يا صَافِ - وهو اسمُ ابنِ صَيَّادٍ - هذا محمدٌ . فَثارَ ابنُ صَيَّادٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ[5] » .

قال سالمٌ[6] : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ : فَقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الناسِ ، فأثْنَى على اللَّهِ بما هو أهلُه ، ثم ذكَر الدَّجَّالَ ، فقال : « إِنِّى لأُنْذِرُكُمُوهُ ، مَا مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا

---

(١) الدخ : قال ابن الأثير : الدخ بضم الدال وفتحها : الدخان . قال : عند رواق البيت يغشى الدُّخّا .
وفسر فى الحديث أنه أراد بذلك « يوم تأتى السماء بدخان مبين » ، وقيل : إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . فيحتمل أن يكون أراده تعريضا بقتله ؛ لأن ابن صياد كان يظن أنه الدجال . النهاية ٢/ ١٠٧.

(٢) مسلم (٢٩٣١) .

(٣) ختل ؛ أى خدع ابن صياد واستغفله ليسمع شيئا من كلامه ، ويعلم هو والصحابة حاله فى أنه كاهن أم ساحر ونحوهما . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٥٤.

(٤) زمزمة : بزاءين معجمتين وفى بعضها براءين مهملتين ، ووقع فى البخارى بالوجهين ونقل القاضى عن جمهور رواة مسلم أنه بالمعجمتين وأنه فى بعضها رمزة ... وهو صوت خفى لايكاد يفهم ، أو لا يفهم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٥٥.

(٥) بين : أى لبين لنا من حاله ما تعرف به حقيقة أمره .

(٦) مسلم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٤٥.

وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ ، ولكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَومِهِ ، تَعَلَّمُوا أَنَّه أَعْوَرُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ » .

قال ابنُ شِهابٍ : وأَخْبَرَنى عمرُ بنُ ثابتٍ الأنْصارىُّ ؛ أنَّه أَخْبَره بعضُ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ حذَّر الناسَ الدَّجَّالَ : « إِنَّه مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ ، أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ » . وقال : « تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ » . وأصلُ الحديثِ عندَ البخارىِّ مِن حديثِ الزهرىِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، بنحوِه[1] .

وروَى مسلمٌ[2] أيضًا ، مِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ فَقَال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلَا وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَينِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَه عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ » .

ولمسلمٍ[3] مِن حديثِ شُعْبَةَ ، عن قَتادَةَ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر » . رَواه البخارىُّ مِن حديثِ شُعْبَةَ ، بنحوِه[4] .

قال مسلمٌ[5] : وحدَّثنى زُهَيْرُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا عفَّانُ ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ ، عن شُعَيْبِ بنِ الحَبْحابِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) البخارى (١٣٥٤، ٢٦٣٨، ٣٠٥٥، ٣٣٣٧، ٦١٧٣، ٦٦١٨، ٧١٢٧).
(٢) مسلم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٤٧.
(٣) مسلم (١٠١/ ٢٩٣٣).
(٤) البخارى (٧١٣١، ٧٤٠٨).
(٥) مسلم (١٠٣/ ٢٩٣٣).

« الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ [٢١و] كَافِرٌ » . ثمَّ تَهَجَّاها ك ف ر ، « يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ » .

(١) وقال أحمَدُ(٢) : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ عامرِ بنِ سعدِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَصَفَ الدَّجَّالَ لِأُمَّتِهِ ، وَلَأَصِفَنَّهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي ؛ إنه أَعْوَرُ ، و(٣) اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » لم يُخْرِجوه ، وإسنادُه جيِّدٌ(١) .

ولمسلمٍ(٤) مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن شقيقٍ ، عن حُذيفةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، (٥ جُفَالُ الشَّعَرِ ٥) ، مَعَه جَنَّةٌ وَنَارٌ ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ » .

حدَّثنا(٦) أبو بكرِ بنُ أبى شَيبةَ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن أبى مالكٍ الأشْجَعيِّ ، عن رِبْعيِّ بنِ حِرَاشٍ ، عن حُذيفةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ ، مَعَهُ نَهَرَانِ يَجْرِيَانِ ؛ أَحَدُهُمَا رَأْىَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ ، وَالآخَرُ رَأْىَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ(٧) أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهَرَ الَّذِى يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ، ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ(٨) ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) المسند ١/١٧٦ (١٥٢٦) . قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره . المسند ٣/١١١ .

(٣) بعده فى المسند : « إن » .

(٤) مسلم (١٠٤/ ٢٩٣٤) .

(٥ - ٥) جُفال الشعر : أى كثيره . النهاية ١/ ٢٨٠.

(٦) مسلم (١٠٥/٢٩٣٤) .

(٧) فى ح : « أدركته » . وقال النووى : هكذا هو فى أكثر النسخ « أدركن » وفى بعضها « أدركه » وهذا الثانى ظاهر ، وأما الأول فغريب من حيث العربية لأن هذه النون لا تدخل على الفعل ، قال القاضى : ولعله « يدركن » يعنى فعبره بعض الرواة . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦١.

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم .

الْعَيْنِ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ[1] غَلِيظَةٌ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ » .

ثُمَّ رَواه مِن حديثِ شُعْبةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن رِبْعِيٍّ ، عن حُذَيفةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، بنحوِه[2] .

قال أبو[3] مسعودٍ[4] : وَأنا سمِعْتُه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ورَواه البخاريُّ مِن حديثِ شُعْبةَ ، بنحوِه[5] .

[6]وقال الإمامُ أحمدُ[7] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن أبى التَّياحِ ، سمِعتُ صخرًا يُحدِّثُ عن سُبَيْعٍ[8] قال : أرسَلونى من ماءٍ إلى الكوفةِ أشترى الدوابَّ فأتَينا الكُنَاسةَ ، فإذا رجلٌ عليه جَمْعٌ ، فأمَّا صاحبى فانطلقَ إلى الدوابِّ ، وأمَّا أنا فأتَيتُه ، فإذا حذيفةُ ، فسمِعتُه يقولُ : كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يسأَلونه عن الخير ، وأسأَلُه عن الشرِّ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل بعد هذا الخيرِ [9]من شرٍّ[9] ؟ قال : « نَعَمْ » . قلت : فما العصمةُ مِنه ؟ قال : « السَّيْفُ »[10]6 .

---

(١) ظفرة : جلدة تغشى البصر ، وقال الأصمعى : لحمة تنبت عند المآقى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦١، ٦٣.

(٢) مسلم (١٠٦/ ٢٩٣٤) .

(٣) فى ص ، والبخارى (٧١٣٠) : « ابن » .

(٤) مسلم (٢٩٣٥) .

(٥) البخارى (٧١٣٠) .

(٦ - ٦) سقط من : ح ، ص .

(٧) المسند ٥/٤٠٣ (٢٣٤٧٣) .

(٨) فى الأصل : « سبيعة » . وفى حاشية الأصل : « لعله ربيعة » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ٢٣٣، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢٠٤.

(٩ - ٩) فى المسند : « شر كما كان قبله شر » .

(١٠) بعده فى المسند : « أحسب أبو التياح يقول السيف أحسب قال » .

[1] قلت : ثم ماذا ؟ قال : « ثُمَّ تكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ » . قال : قلتُ : ثم ماذا ؟ قال : « ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَالْزَمْهُ ، وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ ، وَأَخَذَ مَالَكَ ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرُبْ فِى الْأَرْضِ ، وَلَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ » . قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : « ثمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ » . قال : قلتُ : فَبِمَ يجىءُ به معَه ؟ قال : « بِنَهَرٍ - أو قال : ماءٍ ونارٍ - فَمَنْ دَخَلَ نَهَرَهُ حَبِطَ[2] أَجْرُهُ ، وَوَجَبَ وِزْرُهُ ، وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجَبَ أَجْرُهُ ، وَهَبَطَ وِزْرُهُ » . قال : قلتُ : ثم ماذا ؟ قال : « لَوْ أَنْتَجْتَ فَرَسًا لَمْ تُرْكَبْ فُلُوُّهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »[1] .

ورَوى البخاريُّ ، ومسلمٌ[3] مِن حديثِ شَيْبانَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن يحيى ابنِ أبى كَثِيرٍ ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ ، وإِنَّهُ يَجِىءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَالَّتِى يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ ، هِىَ النَّارُ ، وَإِنِّى أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ ، كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ » .

ورَوَى مسلمٌ[4] مِن حديثِ محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ قال : رَأَيْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يَحْلِفُ باللَّهِ أنَّ ابنَ صيَّادٍ[5] الدَّجَّالُ ، فقلتُ : أتَحْلِفُ باللَّهِ ؟ قال : إِنِّى سمِعْتُ عمرَ يَحْلِفُ على ذلك عندَ النبىِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النبىُّ ﷺ .

ورَوَى[6] مِن حديثِ نافعٍ ، أنَّ ابنَ عمرَ لقِى ابنَ صَيَّادٍ فى بعضِ طرُقِ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) فى المسند : « حط » .

(٣) البخارى (٣٣٣٨) ، ومسلم (٢٩٣٦) . واللفظ لمسلم .

(٤) مسلم (٢٩٢٩) .

(٥) فى مسلم : « صائد » .

(٦) مسلم (٩٨/ ٢٩٣٢) بنحوه .

المدينةِ ، فقال له ابنُ عمرَ قولًا أغْضَبَه ، فانْتَفَخ حتى ملأَ السِّكَّةَ - وفى روايةٍ[1] أن ابنَ صَيَّادٍ نخَر كأشَدِّ نَخيرِ حِمارٍ يَكونُ ، وأن ابنَ عمرَ ضرَبه حتى تكَسَّرت عَصاه - ثم دخَل على أختِه حَفْصةَ ، فقالت له : ما أرَدْتَ مِن ابنِ صَيَّادٍ ؟ أمَا عَلِمْتَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا » .

قال بعضُ العلماءِ[2] : ابنُ صَيَّادٍ كان بعضُ الصحابةِ يَظُنُّه الدَّجالَ الأكبرَ ، وليس به ، إنما كان دَجَّالًا مِن الدَّجاجلةِ صغيرًا . وقد ثبَت فى « الصحيحِ »[3] أنَّه صحِب أبا سعيدٍ فيما بينَ مكةَ والمدينةِ ، وأنَّ ابنَ صيَّادٍ تبَرَّم إليه مما تَقولُ الناسُ فيه إنه الدَّجَّالُ ، ثم قال لأبى سعيدٍ : ألم يَقُلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ » . وقد وُلِدْتُ بها ، « وَإِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ » . وقد وُلِد لى ، « وَإِنَّهُ كَافِرٌ » . وأنا قد أسْلَمْتُ ؟ ثم قال ابنُ صيَّادٍ : ومع هذا إنِّى لَأَعْلَمُ الناسِ به ، وأينَ مكانُه ، ولو عُرِض علىَّ أن أَكُونَ إيَّاه لمَا كرِهْتُ ذلك .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ المُتَعالِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ ، حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأُمَوىُّ ، حدَّثنا مُجالِدٌ ، عن أبى الوَدَّاكِ ، عن أبى سعيدٍ قال : ذُكِر ابنُ صَيَّادٍ عندَ النبىِّ ﷺ فقال عمرُ : إنَّه يَزْعُمُ أنَّه لا يَمُرُّ بشىءٍ إلا كلَّمه .

(٥ وقال أحمدُ[6] : ثنا سعيدٌ مولى بنى [٢١ظ] هاشمٍ ، حدَّثنى مَهْدِىُّ بنُ ٥)

---

(١) مسلم (٩٩/ ٢٩٣٢) بنحوه .

(٢) انظر هذه المسألة بالتفصيل فى فتح البارى ٣٢٥/١٣ - ٣٢٩، وصحيح مسلم بشرح النووى ٤٦/١٨ - ٤٨.

(٣) مسلم (٨٩/ ٢٩٢٧) بنحوه .

(٤) المسند ٧٩/٣ (١١٧٧٠) . وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١٨/ ٢٧٧.

(٥ - ٥) سقط من : ح ، ص .

(٦) المسند ٤٥٤/٥ (٢٣٨٤٧) .

(١ عِمْرَانَ المازنيُّ ، سمِعتُ أبا الطُّفَيْلِ ، وسُئِل هلْ رأَيتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : نعم . قيل : هل كَلَّمتَه ؟ قال : لا[٢] ، ولكنِّى رأيتُه انطلَق مكانَ كذَا وكذَا ، ومعَه عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ وأُنَاسٌ مِن أصحابِه حتَّى أتَى دارًا قَوْرَاءَ[٣] ، فقال[٤] : « افْتَحُوا هَـٰذَا الْبَابَ » . ففتَحُوا[٥] ، ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ودخَلتُ معَه ، فإذا قطيفةٌ فى وسطِ البيتِ ، فقال : « ارْفَعُوا هَـٰذِهِ الْقَطِيفَةَ » . فرفَعوها[٦] ، فإذا غلامٌ أعوَرُ تحتَ القطيفَةِ ، فقال : « قُمْ يَا غُلَامُ » . فقام الغلامُ . فقال : « يَا غُلَامُ ، أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ » . فقال الغلامُ : أشهَدُ[٧] أنِّى رسولُ اللَّهِ . قال : « أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ » . فقال الغلامُ : أَشهَدُ[٧] أنِّى رسولُ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَـٰذَا » مَرَّتَيْنِ[١) .

والمَقْصودُ أنَّ ابنَ صَيَّادٍ ليس بالدَّجَّالِ الذى يَخْرُجُ فى آخِرِ الزمانِ قَطْعًا ؛ لحديثِ فاطمةَ بنتِ قَيْسٍ الفِهْرِيَّةِ ، فإنَّه فَيْصلٌ فى هذا المَقامِ . واللَّهُ أعلمُ .

حديثُ فاطمةَ بنتِ قيسٍ فى الدَّجّالِ

قال مسلمٌ[٨] : حدَّثَنا عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، وحجَّاجُ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .
(٢) فى الأصل : « نعم » . والمثبت من المسند .
(٣) قوراء : واسعة . التاج (ق و ر) .
(٤) فى الأصل : « فقالت » .
(٥) فى المسند : « ففتح » .
(٦) فى المسند : « فرفعوا القطيفة » .
(٧) فى المسند : « اتشهد » .
(٨) مسلم (٢٩٤٢) .

ابنُ الشاعرِ ، كلاهما عن عبدِ الصَّمَدِ ، واللفظُ لعبدِ الوارثِ بنِ عبدِ الصمدِ ، حدَّثَنى أبى ، عن جَدِّى ، عن الحسينِ بنِ ذَكْوانَ ، حدَّثَنا ابنُ بُرَيْدةَ ، حدَّثنى عامرُ ابنُ شَراحِيلَ الشَّعْبىُّ ، شَعْبُ هَمْدانَ ، أنه سأَل فاطمةَ بنتَ قيسٍ أختَ الضَّحَّاكِ ابنِ قيسٍ ، وكانت مِن المُهاجِراتِ الأُوَلِ ، فقال : حدِّثِينى حديثًا سمِعْتِيه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ لا تُسْنِدِيه إلى أحدٍ غيرِه . فقالت : لَئِنْ شِئْتَ لأَفْعَلَنَّ . فقال لها : أَجَلْ ، حدِّثِينى . فقالت : نَكَحْتُ ابنَ المُغِيرةِ ، وهو مِن خِيارِ شبابِ قريشٍ يومَئِذٍ ، فأُصِيب[1] فى أولِ الجِهادِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فلمَّا تأَيَّمْتُ خطَبنى عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ فى نفرٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وخطَبنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على مَوْلَاه أُسامةَ بنِ زيدٍ ، وكنتُ قد حُدِّثْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّنِى فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ » . فلمَّا كلَّمنى رسولُ اللَّهِ ﷺ قلتُ : أَمْرى بيدِك ، فأنْكِحْنى مَنْ شِئْتَ . فقال : « انْتَقِلِى إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ » . وأمُّ شَرِيكٍ امرأةٌ غَنِيَّةٌ مِن الأنصارِ ، عظيمةُ النَّفَقةِ فى سبيلِ اللَّهِ ، يَنْزِلُ عليها الضِّيفانُ . فقلتُ : سأفْعَلُ . فقال : « لا تَفْعَلِى ؛ إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ ، وَإِنِّى أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ ، وَلَكِنِ انْتَقِلِى إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ » . وهو رجلٌ مِن بنى فِهْرٍ ، فِهْرِ قريشٍ ، وهو مِن البَطْنِ الذى هى منه . فانْتَقَلْتُ إليه ، فلمَّا

---

(١) قال العلماء : قولها : « فأصيب » . ليس معناه أنه قتل فى الجهاد مع النبى ﷺ وتأيمت بذلك ، إنما تأيمت بطلاقه البائن كما ذكره مسلم فى الطريق الذى بعد هذا ، وكذا ذكره فى كتاب الطلاق ، وكذا ذكره المصنفون فى جميع كتبهم ، وقد اختلفوا فى وقت وفاته ، فقيل : توفى مع على بن أبى طالب ، رضى اللَّه عنه ، عقب طلاقها باليمن . حكاه ابن عبد البر ، وقيل : بل عاش إلى خلافة عمر ، رضى اللَّه عنه . حكاه البخارى فى التاريخ ، وإنما معنى قولها : « فأصيب » . أى بجراحة أو أصيب فى ماله أو نحو ذلك هكذا تأوله العلماء . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٨، ٧٩.

انْقَضَت عِدَّتى سمِعْتُ نِداءَ المُنادِى ، مُنادِى رسولِ اللَّهِ ﷺ يُنادِى : الصلاةَ جامعةً . فخرَجْتُ إلى المسجدِ ، فصلَّيْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فكنتُ فى [1] النساءِ اللاتِى يَلِينَ [1] ظهورَ القومِ ، فلما قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاتَه جلَس على المِنْبرِ وهو يَضْحَكُ ، فقال : « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ » . ثم قال : « أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ » قالوا : اللَّهُ ورسولُه أعْلَمُ . قال : « إِنِّى ، وَاللَّهِ ، مَا جمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، وَلَـٰكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِىَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِى حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ؛ حَدَّثَنِى أَنَّهُ رَكِبَ فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِى الْبَحْرِ ، ثم أَرْفَئُوا [2] إِلَى جَزِيرَةٍ فِى الْبَحْرِ حِينَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِى أَقْرُبِ [3] السَّفِينَةِ ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ [4] كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ ، مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قَالُوا : وَمَا الجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ، انْطَلِقُوا إِلَى هَـٰذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ ؛ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ . قَالَ : لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً . قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا ، وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ ، بِالْحَدِيدِ . قُلْنَا : وَيْلَكَ ، مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : [٢٢و] قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِى ، فَأَخْبِرُونِى مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا :

(١ - ١) فى مسلم : « صف النساء التى تلى » .

(٢) أرفئوا : أرفأت السفينة : إذا قرّبتها من الشط . انظر النهاية ٢/ ٢٤١.

(٣) الأقرب : سفن صغار تكون مع السفن الكبار البحرية كالجنائب لها ، واحدها قارب ، وجمعها قوارب ، فأما أَقْرُب فغير معروف فى جمع قارب ، إلا أن يكون على غير قياس ، وقيل : أقرب السفينة : أدانيها ، أى ما قارب إلى الأرض منها . النهاية ٤/ ٣٥.

(٤) الأهلب : غليظ الشعر ، كثيره . وقد ذكَّر الصفة ؛ لأن الدابة تقع على الذكر والأنثى . انظر النهاية ٥/ ٢٦٩.

نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، رَكِبْنَا فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ[1] ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَـٰذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِى أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لَا نَدْرِى[2] مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا : وَيْلَكِ ، مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قُلْنَا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتِ : اعْمِدُوا إِلَى هَـٰذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ ؛ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ . فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا ، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً . فَقَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ . قُلْنَا : عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا ، هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا إِنَّه يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ . قَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ . قُلْنَا : عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا[3] : هِىَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ . قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ . قَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[4] . قَالُوا : عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِى الْعَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، هِىَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِى عَنْ نَبِىِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ . قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَطَاعُوهُ . قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّى مُخْبِرُكُمْ عَنِّى ؛ إِنِّى أَنَا الْمَسِيحُ ، وَإِنِّى يُوشِكُ[5] أَنْ يُؤْذَنَ لِى فِى الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ

---

(١) اغتلم : هاج واضطربت أمواجه . والاغتلام : مجاوزة الحدّ . النهاية ٣/ ٣٨٢.

(٢) فى مسلم : « يدرى » .

(٣) فى الأصل ، ح : « قلنا » .

(٤) عين زغر : عين بالشام من أرض البلقاء . قيل : هو اسم لها ، وقيل : اسمُ امرأة نُسبت إليها . النهاية ٢/ ٣٠٤.

(٥) فى مسلم : « أوشك » .

فَأَسِيرَ فى الأرضِ ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَىَّ كِلْتَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً ، أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِى مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا ، يَصُدُّنِى عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا » . قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وطعَن بِمِخْصَرَتِه فى المِنْبرِ : « هَـٰذِهِ طَيْبَةُ ، هَـٰذِهِ طَيْبَةُ ، هَـٰذِهِ طَيْبَةُ » . يعنى المدينةَ . « أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ [1] عَنْ ذَلِكَ [1] ؟ » فقال الناسُ : نعم . « فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِى حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلَا إِنَّهُ فِى بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ [2] ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ » . وأَوْمَأَ بيدِه إلى المشرقِ ، قالت : فحفِظْتُ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ثم روَاه مسلمٌ [3] مِن حديثِ سَيَّارٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، عن فاطمةَ ، قالت : فسمِعْتُ النَّبىَّ ﷺ ، وهو على المِنْبرِ يَخْطُبُ ، فقال : « إِنَّ بَنِى عَمٍّ لِتَمِيمٍ الدَّارِىِّ رَكِبُوا فِى الْبَحْرِ » . وساق الحديثَ .

ومِن حديثِ غَيْلانَ بنِ جَريرٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، عنها ، فذكَرَتْه : أَنَّ تَميمًا الدَّارِىَّ ركِب فى البحرِ ، فتاهَت به السفينةُ ، فسقَط إلى جزيرةٍ ، فخرَج إليها يَلْتَمِسُ الماءَ ، فلقِىَ إنسانًا يَجُرُّ شعَرَه ، واقْتَصَّ الحديثَ [4] ، وفيه : فأخْرَجه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الناسِ ، فحدَّثهم ، قال : « هَـٰذِهِ طَيْبَةُ ، وذَاكَ الدَّجَّالُ » .

(١ - ١) فى مسلم : « ذلك » .

(٢) قال القاضى عياض : « ما » هنا صلة وليست بنافية ، أى من قبل المشرق هو . مشارق الأنوار ١/ ٣٧١.

(٣) مسلم (١٢٠/ ٢٩٤٢) .

(٤) مسلم (١٢١/ ٢٩٤٢) .

حدَّثَنى أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثنا المُغيرةُ ، يَعْنى الحِزامىَّ ، عن أبى الزِّنَادِ ، عن الشَّعْبىِّ ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قعَد على المنبرِ ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، حدَّثَنى تَمِيمٌ الدَّارِىُّ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ قَوْمِهِ كَانُوا فِى الْبَحْرِ فِى سَفِينَةٍ لَهُمْ ، فَانْكَسَرَتْ بِهِمْ ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ عَلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ ، فَخَرَجُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِى الْبَحْرِ » . وساق الحديثَ[1] ، وقد روَاه أبو داودَ وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن مُجالِدٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، عنها ، بنحوِه[2] .

ورواه التِّرمِذِىُّ[3] مِن حديثِ قَتادةَ ، عن الشَّعْبىِّ ، عنها ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، مِن حديثِ قَتادةَ ، عن الشَّعْبىِّ .

وروَاه النَّسائىُّ مِن حديثِ حمّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن داودَ بنِ أبى هِنْدٍ ، عن الشَّعْبىِّ ، عنها بنحوِه[4] ، وكذلك روَاه الإمامُ أحمدُ ، عن عَفَّانَ ، وعن يونُسَ بنِ محمدٍ المُؤَدِّبِ ، كلٌّ منهما عن حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، ثنا مُجالِدٌ ، عن عامرٍ ، قال : قدِمْتُ المدينةَ ، فأتَيْتُ فاطمةَ بنتَ قيسٍ ، فحدَّثَتْنى أَنَّ زوجَها طلَّقها على عهدِ

---

(١) مسلم (١٢٢/ ٢٩٤٢) .

(٢) أبو داود (٤٣٢٧) ، وابن ماجه (٤٠٧٤) .

(٣) الترمذى (٢٢٥٣) . وفيه أنه قال : وهذا حديث صحيح غريب . وانظر تحفة الأحوذى ٣/ ٢٤٣ .

(٤) النسائى فى الكبرى (٤٢٥٨) .

(٥) المسند ٦/ ٤١٢ ، ٤١٣ (٢٧٣٧٢) عن عفان ، ٤١٨/٦ (٢٧٣٩٠) عن يونس بن محمد .

(٦) المسند ٤١٦/٦ - ٤١٨ (٢٧٣٨٩) .

رسولِ اللَّهِ ﷺ فبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سَرِيَّةٍ ، فقال لى أخوه : اخْرُجى مِن الدارِ . فقلت : إنَّ لى نفقةً وسُكْنَى حتى يَحِلَّ الأجَلُ . قال : لا . قالت : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : إنَّ فلانًا طلَّقنِى ، وإنَّ أخاه أخْرَجنى ، ومنَعَنى السُّكْنَى والنَّفَقةَ . فأرْسَل إليه ، فقال : « مَا لَكَ ، [٢٢ظ] وَلِابْنَةِ آلِ قَيْسٍ ؟ » قَال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ أخى طلَّقها ثلاثًا جميعًا . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « انْظُرِى يَا ابْنَةَ آلِ قَيْسٍ ، إِنَّمَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَى لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا ، مَا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ فَلَا نَفَقَةَ ولا سُكْنَى ، اخْرُجِى فَانْزِلِى عَلَى فُلَانَةَ » . ثمَّ قال : « إِنَّهُ يُتَحَدَّثُ إِلَيْهَا ، انْزِلِى على[1] ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ؛ فَإِنَّهُ أَعْمَى لَا يَرَاكِ » . ثم قال : « لَا تَنْكِحِى حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُنْكِحُكِ » .

قالت : فخطَبنى رجلٌ مِن قريشٍ ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَسْتَأْمِرُه ، فقال : « أَلَا تَنْكِحِينَ مَنْ هُوَ أَحبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ؟ » فقلتُ : بلى ، يا رسولَ اللَّهِ ، فأَنْكِحْنِى مَن أحْبَبْتَ . قالت : فأنْكَحَنى مِن أسامةَ بنِ زيدٍ . قال : فلمَّا أرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ ، قالت : اجْلِسْ حتى أُحَدِّثَك حديثًا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قالت : خرَج رسولُ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ، يومًا مِن الأيَّامِ ، فصلَّى صلاةَ الهاجِرةِ ، ثم قعَد ففزِع الناسُ ، فقال : « اجْلِسُوا أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّى لَمْ أَقُمْ مَقَامِى هَـٰذَا لِفَزَعٍ ، ولَـٰكِنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ أَتَانِى فَأَخْبَرَنِى خَبَرًا منَعَنِى[2] مِنَ الْقَيْلُولَةِ ؛ مِنَ الْفَرَحِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَنْشُرَ عَلَيْكُمْ فَرَحَ نَبِيِّكُمْ . أَخْبَرَنِى أَنَّ رَهْطًا مِنْ بَنِى عَمِّهِ رَكِبُوا الْبَحْرَ ، فَأَصَابَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ ، فَأَلْجَأَتْهُمُ الرِّيحُ إِلَى

---

(١) فى المسند : « عند » .

(٢) فى النسخ : « فمنعنى » . والمثبت من المسند ، وهو موافق لرواية ابن ماجه الآتية .

جَزِيرَةٍ لَا يَعْرِفُونَهَا فَقَعَدُوا فِى قُوَيْرِبِ سَفِينَةٍ ، حَتَّى خَرَجُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَإِذَا هُمْ بِشَىْءٍ أَهْلَبَ كَثِيرِ الشَّعَرِ ، لَا يَدْرُونَ أَرَجُلٌ هُوَ أَو امْرَأَةٌ ؟ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ ، فقَالُوا : أَلَا تُخْبِرُنَا ؟ فَقَالَ : مَا أَنَا بِمُخْبِرِكُمْ ، وَلَا بِمُسْتَخْبِرِكُمْ ، وَلَـٰكِنَّ هَـٰذَا الدَّيْرَ الَّذِى قَدْ رَهِقْتُمُوهُ[1] فِيهِ مَنْ هُوَ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ أَنْ يُخْبِرَكُمْ وَيَسْتَخْبِرَكُمْ . قَالُوا : قُلْنَا : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ[2] : أَنا الْجَسَّاسَةُ . فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوُا الدَّيْرَ ، فَإِذَا هُمْ بِرَجُلٍ مُوثَقٍ شَدِيدِ الْوَثَاقِ ، مُظْهِرِ الْحُزْنِ كَثِيرِ التَّشَكِّى ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : مِنَ الْعَرَبِ . قالَ : مَا فَعَلَتِ الْعَرَبُ ؟ أَخَرَجَ نَبِيُّهُمْ بَعْدُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا فَعَلُوا ؟ قَالُوا : خَيْرًا ، آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ . قَالَ : ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ . قَالَ : فَكَانَ لَهُ عَدُوٌّ فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ؟ قَالَ : فَالْعَرَبُ الْيَوْمَ إِلَـٰهُهُمْ وَاحِدٌ ، وَدِينُهُمْ[3] وَاحِدٌ ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا فَعَلَتْ عَيْنُ زُغَرَ ؟ قَالُوا : صَالِحَةٌ ، يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُهَا ، تَسْقِيهِمْ[4] ، ويَسْقُونَ مِنْهَا زَرْعَهُمْ . قَالَ : فَمَا فَعَلَ نَخْلٌ بَيْنَ عَمَّانَ[5] وبَيْسَانَ ؟ قَالُوا : صَالِحٌ ، يُطْعِمُ جَنَاهُ كُلَّ عَامٍ . قَالَ : فَمَا فَعَلَتْ بُحَيْرَةُ الطَّبَرِيَّةِ ؟ قَالُوا : ملأى . قَالَ : فَزَفَرَ ثُمَّ زَفَرَ ثُمَّ زَفَرَ ، ثُمَّ حَلَفَ : لَوْ خَرَجْتُ مِنْ مَكَانِى هَـٰذَا مَا تَرَكْتُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَّا وَطِئْتُهَا غَيْرَ طَيْبَةَ ، لَيْسَ لِى عَلَيْهَا سُلْطَانٌ » . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلَى هَـٰذَا انْتَهَى فَرَحِى » . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . « إِنَّ طَيْبَةَ الْمَدِينَةُ ، إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَرَّمَ

---

(١) رهقتموه : دنوتم منه .

(٢) فى المسند : « قالت » : والمثبت موافق لرواية ابن ماجه الآتى تخريجها وفى حاشية الأصل : حكى القاضى عياض وغيره أن الجساسة المذكورة هى الدابة التى تخرج فى آخر الزمان تَسِم الناس ، فاللَّه أعلم .

(٣) فى النسخ : « نبيهم » . والمثبت من المسند ، وهو موافق لرواية ابن ماجه الآتى تخريجها .

(٤) فى المسند : « لشفتهم » .

(٥) ضبطت فى الأصل (عُمَان) بضم العين وفتح الميم وفوق الميم كلمة (خف) .

حَرَمَهَا عَلَى الدَّجَّالِ أَنْ يَدْخُلَهَا » . ثم حلف رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَاللَّهِ الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ مَا لَهَا طَرِيقٌ ضَيِّقٌ وَلَا وَاسِعٌ فِى سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيْفِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَا يَسْتَطِيعُ الدَّجَّالُ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَى أَهْلِهَا » .

قال عامرٌ : فلقِيتُ المُحَرَّرَ بنَ أبى هريرةَ ، فحدَّثْتُه بحديثِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، فقال : أَشْهَدُ على أبى أَنَّه حدَّثَنى كما حدَّثَتْكَ فاطمةُ ، غيرَ أَنَّه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ فِى نَحْوِ المَشْرِقِ » . قال : ثم لقِيتُ القاسمَ بنَ محمدٍ ، فذكَرْتُ له حديثَ فاطمةَ ، فقال : أَشْهَدُ على عائشةَ أنها حدَّثَتْنى كما حدَّثَتْكَ فاطمةُ غيرَ أَنَّها قالت : « الحَرَمانِ عليه حرامٌ ؛ مكةُ والمدينةُ » .

وقد روَاه أبو داودَ وابنُ ماجه[1] ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ الشَّعْبىِّ ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، بسَطه ابنُ ماجه ، وأحاله أبو داودَ على الحديثِ الذى روَاه قبلَه ، ولم يَذْكُرْ مُتابَعةَ أبى هريرةَ ، وعائشةَ ، كما ذكَر ذلك الإمامُ أحمدُ .

وقال أبو داودَ[2] : حدَّثَنا النُّفَيْلىُّ ، ثَنا عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، ثنا ابنُ أبى ذِئْبٍ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَّر العِشاءَ الآخِرةَ ذاتَ ليلةٍ ، ثم خرَج فقال : « إِنَّهُ حَبَسَنِى حَدِيثٌ كَانَ يُحَدِّثُنِيهِ تَمِيمٌ الدَّارِىُّ عَنْ رَجُلٍ فِى جَزِيرَةٍ مِنْ [٢٣و] جَزَائِرِ الْبَحْرِ ، فإِذَا أنا[3] بِامْرَأَةٍ تَجُرُّ شَعَرَهَا ، قَالَ : مَا أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ ، اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ . فَأَتَيْتُهُ ،

---

(١) أبو داود (٤٣٢٧) ، وابن ماجه (٤٠٧٤) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٩) .
(٢) أبو داود (٤٣٢٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٦) .
(٣) سقط من : الأصل ، ح .

فَإِذَا رَجُلٌ يَجُرُّ شَعَرَهُ ، مُسَلْسَلٌ فِى الأَغْلَالِ ، يَنْزُو[1] فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فقُلْتُ : مَن أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الدَّجَّالُ ، خَرَجَ نَبِيُّ الأُمِّيِّينَ بَعْدُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : أَطَاعُوهُ أَمْ عَصَوْهُ ؟ قُلْتُ : بَلْ أَطَاعُوهُ . قال : ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ . فهذه مُتابَعةٌ للشَّعْبيِّ ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ببعضِه ، ثم أَوْرَد أبو داودَ حديثَ عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدةَ ، عن عامرٍ الشعبيِّ ، عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، بطولِه[2] كنحوِ مما تقَدَّم .

ثم قال أبو داودَ[3] : حدَّثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، حدَّثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن الوليدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُميعٍ ، عن أبى سلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ على المِنْبرِ : « إِنَّهُ بَيْنَمَا أُنَاسٌ يَسِيرُونَ فِى الْبَحْرِ ، فَنَفِدَ طَعَامُهُمْ ، فَرُفِعَتْ[4] لَهُمْ جَزِيرَةٌ ، فَخَرجُوا يُرِيدُونَ الخُبْزَ ، فَلَقِيَتْهُمُ الْجَسَّاسَةُ » . قلتُ لأبى سلَمةَ : وما الجَسَّاسةُ ؟ قال : امرأةٌ تَجُرُّ شعَرَ جلدِها ورأْسِها . فقالت : فى هذا القصرِ . وذكَر الحديثَ ، وسأَل عن نخلِ بَيْسانَ ، وعينِ زُغَرَ . قال : هو المسيحُ . فقال لى ابنُ أبى سَلَمةَ[5] : إن فى هذا الحديثِ شيئًا ما حفِظْتُه . قال[6] : شهِد جابرٌ أنه ابنُ صَيَّادٍ . قلتُ : فإنه قد مات . قال : وإن مات . قلتُ : فإنه أسْلَم . قال : وإن أسْلَم . قلتُ : فإنه قد دخَل المدينةَ . قال : وإن دخَل المدينةَ . تفرَّد به أبو داودَ ، وهو غريبٌ جدًّا .

---

(١) ينزو : يثب وثوبا .

(٢) أبو داود (٤٣٢٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٧) .

(٣) أبو داود (٤٣٢٨) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٩٣٠) .

(٤) فرفعت : فظهرت .

(٥) هو عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، وهو يروى عن أبيه أبى سلمة ، والقائل لهذه المقولة هو الوليد . عون المعبود ٤/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٦) أى : أبو سلمة بن عبد الرحمن .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، حدَّثنا أبو عاصمٍ سعدُ ابنُ زيادٍ ، حدَّثنى نافعٌ مولاىَ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَوى على المنْبرِ ، فقال : « حَدِّثْنِى تَمِيمٌ » . فرأَى تَميمًا فى ناحيةِ المسجدِ ، فقال : « يَا تَمِيمُ ، حدِّثِ النَّاسَ مَا حَدَّثْتَنِى » . فقال : كنَّا فى جَزيرةٍ ، فإذا نحن بدابَّةٍ لا يُدْرَى قُبُلُها من دُبُرِها . فقالت : تَعْجَبون مِن خَلْقى ، وفى الدَّيْرِ مَن يَشْتَهِى كلامَكم ! فدخَلْنا الدَّيْرَ ، فإذا نحن برجُلٍ مُوثَقٍ فى الحديدِ ، مِن كعبِه إلى أُذنِه ، وإذا أحدُ مَنْخِرَيه مَسْدودٌ ، وإحدى عَيْنَيه مَطْموسةٌ ، [2]والأخرى كأنَّها كوكبٌ دُرِىٌّ[2] . قال : مَن أنتم ؟ فأخْبَرْناه ، فقال : ما فعَلَتْ بُحَيْرةُ طَبَرِيَّةَ ؟ قلنا : كعهدِها[3] . قال : فما فعَل نَخلُ بَيْسانَ ؟ قلنا : بعهدِه . قال : لأَطَأَنَّ الأرضَ بقدمَىَّ هاتين ، إلَّا بلدةَ إبراهيمَ وطابا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « طَابَا هِىَ الْمَدِينَةُ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

وقد قال أبو حاتمٍ[4] : أبو عاصمٍ هذا ليس بالمتينِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ سابقٍ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ أنه قال : إن امرأةً مِن اليهودِ بالمدينةِ ولَدَت غلامًا مَمْسوحةً عينُه ، طالعةً ناتئةً ، فأشْفَق رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَكونَ الدَّجَّالَ ، فوجَده تحتَ قَطيفةٍ يُهَمْهِمُ ، فآذَنَتْه أُمُّه فقالت : يا عبدَ اللَّهِ ، هذا أبو القاسمِ قد

---

(١) رواه أبو يعلى كما ذكره البوصيرى فى الإتحاف وهو بذيل المطالب العالية ١٠/١٤١ (٥٠٨٧) .
(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المستزاد من الإتحاف .
(٣) فى الأصل ، ح : « بعهدها » .
(٤) الجرح والتعديل ٤/ ٨٣.
(٥) المسند ٣/٣٦٨ (١٤٩٩٨) . وقال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . المجمع ٨/ ٣.

جاء فاخْرُجْ إليه . فخرَج مِن القَطيفةِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللَّهُ ؟ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ » .

ثم قال : « يَا بنَ صَيَّادٍ مَا تَرَى ؟ » قال : أَرَى حقًّا ، وأَرَى باطلًا ، وأَرَى عرْشًا على الماءِ . قال : فَلُبِس عليه[1] . فَقال : « أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ ؟ » . فقال هو : أَتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ » . ثم خرَج وترَكه ، ثم أتاه مرةً أخرى ، [2]فوجَده فى نخلٍ له[2] يُهَمْهِمُ ، فآذَنَتْه أمُّه ، فقالت : يا عبدَ اللَّهِ ، هذا أبو القاسمِ قد جاء . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللَّهُ ؟ لو تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ » . قال : فَكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَطْمَعُ أن يَسْمَعَ مِن كلامِه شيئًا ؛ [3]لِيَعْلَمَ أهو هو[3] أمْ لا ؟ قال : « يَا ابنَ صيَّادٍ مَا تَرَى ؟ » . قال : أَرَى حقًّا ، وأَرَى باطلًا ، وأَرَى عَرْشًا على الماءِ . قال : « أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ ؟ » . قال هو : أَتَشْهَدُ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آمَنْتُ باللَّهِ وَرُسُلِهِ » . فلُبِس عليه ، ثم خرَج وتَرَكه . ثم جاء فى الثالثةِ أو الرابعةِ ومعه أبو بكرٍ وعمرُ بنُ الخطابِ فى نفَرٍ مِن المُهاجِرين والأنصارِ وأنا معه . قال : فبادَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أيدِينا ، ورجا أن يَسْمَعَ مِن كلامِه شيئًا ، فسبَقَتْه أُمُّه إليه ، فقالت : يا عبدَ اللَّهِ ، هذا أبو القاسمِ قد جاء . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢٣ظ] : « مَالَهَا قَاتَلَهَا اللَّهُ ؟ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ » . فقال : « يَا ابْنَ صيَّادٍ مَا تَرَى ؟ » . قال : أَرَى حقًّا ، وأَرَى باطلًا ، وأَرَى عَرْشًا على الماءِ . قال : « أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ ؟ » . قال : أَتَشْهَدُ

---

(١) سقط من : ص ، وفى الأصل : « ويحك عليك » ، وفى ح : « عليك » . والمثبت من المسند .
(٢ - ٢) فى الأصل : « فى نخل لهم فوجده » . وفى ح ، ص : « فى نخل لهم » . والمثبت من المسند .
(٣ - ٣) فى ص : « ليعلم هو هو » ، وفى المسند : « فيعلم هوهو » .

أنتَ أنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آمَنْتُ باللَّهِ وَرُسُلِهِ » . فلُبِس عليه . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا بنَ صيَّادٍ ، إِنَّا قَدْ خَبَأْنَا لَكَ خَبِيئًا ، فَمَا هُو ؟ » . قال : الدُّخُّ ، الدُّخُّ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْسَأْ اخْسَأْ »[1] . فقال عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه : ائذَنْ لِى فَأَقْتُلَه يا رسولَ اللَّهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَسْتَ صَاحِبَهُ ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، وَإِنْ لَا يَكُنْ هُو فَلَيسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ » . قال - يعنى جابرًا - : فلم يَزَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُشْفِقًا أنَّه الدَّجَّالُ . وهذا سِياقٌ غَريبٌ جدًّا .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يونُسُ ، حدَّثنا المُعْتَمِرُ ، عن أبيه ، عن سليمانَ الأعْمَشِ ، عن شَقيقِ بنِ سَلَمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : بينَما نحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ نَمْشِى إذ مرَّ بصِبْيانٍ يَلْعَبون ، فيهمُ ابنُ صَيَّادٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرِبَتْ يَدَاكَ ، أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ ؟ » فقال هو : أَتَشْهَدُ أنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ قال : فقال عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه : دَعْنى فلأَضرِبْ عنُقَه . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ يَكُنِ الَّذِى تَخَافُ فَلَنْ تَسْتَطِيعَهُ » .

والأحاديثُ الواردةُ فى ابنِ صَيَّادٍ كثيرةٌ ، وفى بعضِها التَّوَقُّفُ فى أمرِه ، هل هو الدجالُ أم لا ؟ فاللَّهُ أعلمُ . ويَحْتَمِلُ أن يَكونَ هذا قبلَ أن يُوحَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى شأْنِ الدَّجالِ وتَعْيينِه ، وقد تقدَّم حديثُ تَميمِ الدارِىِّ فى ذلك ، وهو فاصلٌ فى هذا المَقامِ ، وسنُورِدُ مِن الأحاديثِ ما يَدُلُّ على أَنَّ الدجَّالَ ليس بابنِ صَيَّادٍ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ ؛ فقال البُخارىُّ[3] : حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثنا

---

(١) بعده فى ح : « فلن تعدو قدرك » .

(٢) المسند ٤٥٧/١ (٤٣٧١) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) البخارى (٧١٢٨) .

الليثُ ، عن عُقيلٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سالمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ[1] أَطُوفُ بالْكَعْبَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ ، سَبْطُ الشَّعَرِ ، يَنْطُفُ - أَوْ : يُهَرَاقُ - رَأْسُهُ مَاءً ، قُلْتُ : مَنْ هَـٰذَا ؟ قَالُوا : ابْنُ مَرْيَمَ . ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ ، أَحْمَرُ ، جَعْدُ الرَّأْسِ ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ[2] ، قَالُوا : هَذَا الدَّجَّالُ ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ ، رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ سابقٍ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خِفَّةٍ[4] مِنَ الدِّينِ ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ ، فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الْأَرْضِ ، الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِه ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْه أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَهُو أَعْوَرُ - وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، ك ف ر مُهَجَّاةٌ ، يَقْرَؤُه كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ ، يَرِدُ كُلَّ مَاءٍ ومَنْهَلٍ إِلَّا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ ؛ حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَبْوابِهَا ، وَمَعَهُ جِبَالٌ مِن خُبْزٍ ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَهُ ، وَمَعَهُ نَهَرَانِ - أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ ،

---

(١) بعده فى الأصل : « رأيتنى » ، وبعده فى ح : « رأيت أنى » . وهو موافق لرواية شعيب عن ابن شهاب . البخارى (٧٠٢٦) .

(٢) قال ابن حجر : قوله : « كأن عينه عنبة طافية » بياء غير مهموزة ، أى بارزة ، ولبعضهم بالهمز ، أى ذهب ضوؤها . قال القاضى عياض : روِّيناه عن الأكثر بغير همز ، وهو الذى صححه الجمهور وجزم به الأخفش . فتح البارى ١٣/ ٩٧.

(٣) المسند ٣/ ٣٦٧، ٣٦٨ (١٤٩٩٧) .

(٤) فى المسند : « خفقة » . وخفقة من الدين أى : فى حال ضعف من الدين وقلة أهله . النهاية ٢/ ٥٥.

نَهَرٌ يَقُولُ : الْجَنَّةُ . وَنَهَرٌ يَقُولُ : النَّارُ . فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِى يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِى يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ » . قال : « وَتُبْعَثُ مَعَهُ شَيَاطِينُ تُكَلِّمُ النَّاسَ ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، لَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ : هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَـٰذَا إِلَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » قال : « فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ ، فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ ، فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ ، وَيُجْهِدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا ، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَيُنَادِى مِنَ السَّحَرِ ، فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ ؟ فَيَقُولُونَ : هَذَا رَجُلٌ جِنِّىٌّ . فَيَنْطَلِقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ فَتُقَامُ الصَّلَاةُ ، فَيُقَالُ لَهُ : تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ . فَيَقُولُ : لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ . فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ » . [٢٤و] قال : « فَحِينَ يَرَاهُ[1] الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ ، فَيَمْشِى إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِى : يَا رُوحَ اللَّهِ ، هَذَا يَهُودِىٌّ ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ » . تفرَّد به أحمدُ أيضًا ، وقد رَواه غيرُ واحدٍ[2] ، عن إبراهيمَ بنِ طَهْمانَ ، وهو ثِقةٌ .

حديثُ النَّوَّاسِ بنِ سمْعانَ الكِلابىّ فى معناه ، وأبْسَطُ منه

قال مسلمٌ[3] : حدَّثنى أبو خَيْثَمةَ زُهَيْرُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ،

---

(١) فى المسند : « يرى » .

(٢) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ص ٣١، ٣٢، والحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٣٠، كلاهما مختصرا .

(٣) مسلم (١١٠/ ٢٩٣٧) .

حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ يَزيدَ بنِ جابرٍ، حدَّثنى يحيى بنُ جابرٍ الطائىُّ؛ قاضى حِمْصَ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ جُبَيْرٍ، عن أبيه جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ الحَضْرَمِىِّ، أنَّه سمِع النَّوَّاسَ بنَ سِمْعانَ الكِلابىَّ (ح)، وحدَّثنى محمدُ بنُ مِهْرانَ الرازىُّ، واللفظُ له، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ، عن يحيى بنِ جابرٍ الطائىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن أبيه جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن النَّوَّاسِ بنِ سِمْعَانَ، قال: ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غَداةٍ، فخفَّض فيه ورفَّع، حتى ظنَنَّاه فى طائفةِ النَّخْلِ، فلمَّا رُحْنا إليه عرَف ذلك فينا، فقال: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قلنا: يا رسولَ اللَّهِ، ذكَرْتَ الدَّجَّالَ غَداةً، فخفَّضْتَ فيه ورفَّعْتَ، حتى ظنَنَّاه فى طائفةِ النخلِ. فقال: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِى عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّى أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً[1] بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنا: يا رسولَ اللَّهِ، وما لُبْثُه فى الأرضِ؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنا: يا رسولَ اللَّهِ، فذلك اليومُ الذى كسنةٍ أتَكْفِينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قلنا: يا رسولَ اللَّه، وما إسْراعُه فى الأرضِ؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِى عَلَى الْقَومِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ

---

(١) جاء فى حاشية الأصل تعليقا على هذه الكلمة العبارة التالية: رجّح القاضى عياض: «حلُّه» بالحاء المهملة، ونقل عن بعضهم: «جُلُّه» بالجيم أى: منزله، وحلّه أى: حلوله بين الشام والعراق. قلت والذى قرأته على شيخنا المزى بالخاء المعجمة، واللَّه سبحانه أعلم.

فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِى الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَىْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِى كُنُوزَكِ . فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[1] ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ[2] ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ ، شَرْقِىَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[3] ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَأْتِى عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِى الْجَنَّةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّى قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِى لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِى إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهَـٰذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ،

---

(١) يعاسيب النحل : قال النووى : هى ذكور النحل ، هكذا فسّره ابن قتيبة وآخرون ، وقال القاضى : جماعة النحل لا ذكورها خاصة ، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها ؛ لأنه متى طار تبعته جماعته ، والله أعلم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦٦، ٦٧.

(٢) قال النووى : قوله ﷺ : « فيقطعه جزلتين رمية الغرض » . بفتح الجيم على المشهور ، وحكى ابن دريد كسرها ، أى : قطعتين ، ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته ، هذا هو الظاهر المشهور ، وحكى القاضى هذا ، ثم قال : وعندى أن فيه تقديما وتأخيرا ، وتقديره فيصيبه إصابة رمية الغرض ، فيقطعه جزلتين . والصحيح الأول . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦٧.

(٣) قال النووى : وأما المهرودتان فروى بالدال المهملة والذال المعجمة ، والمهملة أكثر ... ومعناه لابس مهرودتين أى : ثوبين مصبوغين بَوَرْسٍ ثم بزعفران ، وقيل : هما شقتان ، والشقة نصف الملاءة . المصدر السابق ١٨/ ٦٧.

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ وَأَصْحابُهُ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[1] فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[2] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ [٢٤ظ] ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ[3] وَنَتَنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ[4] مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[5] وَلَا وَبَرٍ ، فَيَغْسِلُ اللَّهُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[6] ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[7] ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[8] حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[9] مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخْذَ[10] مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ،

---

(١) النغف : جمع نَغَفَة ، وهو دود يكون فى أنوف الإبل والغنم . النهاية ٥/ ٨٧.

(٢) فرسى : جمع فريس ، وهم القتلى ، مثل قتلى وقتيل . المصدر السابق ٣/ ٤٢٨.

(٣) زهمهم : دسمهم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٦٩.

(٤) يَكُنّ : يمنع .

(٥) المدر : الطين الصلب .

(٦) الزلفة بالتحريك ، وجمعها زلَف : مصانع الماء ، وتجمع على المزالف أيضا . أراد : أن المطر يُغَدِّر فى الأرض - يجعل فيها غُدْرانا من ماء - فتصير كأنها مَصْنَعة من مصانع الماء . وقيل : الزلفة : المرآة ، شبّهها بها لاستوائها ونظافتها . وقيل : الزلفة : الروضة . ويقال بالقاف أيضا . انظر النهاية ٢/ ٣٠٩.

(٧) قحفها أى : قشرها ، تشبيها بقحف الرأس ، وهو الذى فوق الدماغ . المصدر السابق ٤/ ١٧.

(٨) الرسل : اللبن .

(٩) الفئام : الجماعة الكثيرة .

(١٠) الفخذ : الجماعة من الأقارب وهم دون البطن ، والبطن دون القبيلة . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٠.

فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهارَجُونَ فِيْهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ[1] ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » .

حدَّثنى[2] علىُّ بنُ حُجْرٍ السَّعْدىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ ابنِ جابرٍ ، والوليدُ بنُ مسلمٍ - قال ابنُ حُجْرٍ : دخَل حديثُ أحدِهما فى حديثِ الآخرِ - عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، بهذا الإسنادِ نحوَ ما ذكَرْنا ، وزادَ بعدَ قولِه : « لَقَدْ كَانَ بِهَـٰذِه مَرَّةً مَاءٌ » : « ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلى جَبَلِ الْخَمَرِ[3] ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيَقُولُونَ : لقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِى الأَرْضِ ، هَلُمَّ فَلْنقْتُلْ مَنْ فِى السَّمَاءِ . فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا » . وفى روايةِ ابنِ حُجْرٍ : « فَإِنِّى قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لى لَا يَدَىْ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ » . انتَهَى ما روَاه مسلمٌ إسنادًا ومَتْنًا . وقد تفرَّد به عن البُخارىِّ .

ورَواه الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ فى « مسندِه »[4] ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، بإسنادِه نحوَه ، وزاد فى سِياقِه بعدَ قولِه : « فَتَطْرحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ » : قال ابنُ جابرٍ : فحدَّثنى [5]يزيدُ بنُ عطاءٍ[5] السَّكْسَكىُّ ، عن كعبٍ أو غيرِه ، قال : « فَتَطْرَحُهُمْ بِالمَهْبِلِ »[6] . قال ابنُ جابرٍ[7] : وأينَ المَهْبِلُ ؟ قال : مَطْلِعُ الشمسِ .

---

(١) يتهارجون فيها تهارج الحمر أى : يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٠.

(٢) مسلم (١١١/ ٢٩٣٧) .

(٣) الخمر : قال ابن الأثير : هكذا يروى بالفتح ، يعنى الشجر الملتف ، وفُسّر فى الحديث أنه جبل بيت المقدس ؛ لكثرة شجره . النهاية ٢/ ٧٧.

(٤) المسند ٤/ ١٨١، ١٨٢ (١٧٦٦٦) .

(٥ - ٥) فى النسخ ، والمسند : « عطاء بن يزيد » . والمثبت من الجرح والتعديل ٩/ ٢٨٢، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢١٣.

(٦) المهبل : هو الهوة الذاهبة فى الأرض . النهاية ٥/ ٢٤١.

(٧) بعده فى المسند : « فقلت يا أبا يزيد » .

ورَواه أبو داودَ[1] ، عن صَفْوانَ بنِ صالحٍ[2] المُؤَذِّنِ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، ببعضِه .

ورَواه الترمذيُّ[3] ، عن عَلِيِّ بنِ حُجْرٍ ، وساقه بطُولِه ، وقال : غريبٌ حسنٌ صحيحٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِ ابنِ جابرٍ .

ورَواه النَّسائيُّ[4] فى فَضائلِ القرآنِ ، عن عليِّ بنِ حُجْرٍ ، مُخْتَصَرًا .

ورَواه ابنُ ماجه[5] ، عن هشامِ بنِ عَمَّارٍ ، عن يحيى بنِ حَمْزةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزيدَ بنِ جابرٍ بإسنادِه ، قال : « [6]يسْتَوْقِدُ النَّاسُ[6] مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ » . وذكَره قبلَ ذلك بتَمامِه[7] ، عن هشامِ بنِ عَمّارٍ ، ولم يَذْكُرْ فيه هذه القصةَ ، ولا ذكَر فى إسنادِه يحيى بنَ جابرٍ الطائيَّ .

---

(١) أبو داود (٤٣٢١) .

(٢) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من سنن أبى داود . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٥٩، ٦٠، وتهذيب الكمال ١٣/ ١٩١.

(٣) الترمذى (٢٢٤٠) .

(٤) النسائى فى الكبرى (٨٠٢٤) .

(٥) ابن ماجه (٤٠٧٦) .

(٦ - ٦) فى سنن ابن ماجه : « سيوقد المسلمون » .

(٧) ابن ماجه (٤٠٧٥) .

حَدِيثٌ عن أبى أُمامةَ الباهِلىِّ صُـدىِّ بنِ عَجْلانَ فى معنى حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ

قال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا علىُّ بنُ محمدٍ[2] ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ المُحاربىُّ ، عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ أبى رافعٍ ، عن أبى زُرْعةَ السَّيْبانىِّ[3] يحيى بنِ أبى عمرٍو ، عن أبى أُمامَةَ الباهِلىِّ ، قال : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فكان أكثرُ خُطْبَتِه حديثًا حَدَّثَناه عن الدَّجَّالِ ، وحذَّرَناه ، فكان مِن قولِه أن قال : « إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ مِنَ[4] الدَّجَّالِ ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِى فَكُلٌّ[5] حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ ، فَيَعِيثُ يَمِينًا ، ويَعِيثُ شِمَالًا . يَا عِبَادَ اللَّهِ ، [6]أَيُّهَا النَّاسُ[6] ، فَاثْبُتُوا ، وَإِنِّى سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِى ؛ [٢٥و] إِنَّهُ يَبْدَأُ ، فَيَقُولُ : أَنَا نَبِيٌّ . وَلَا نَبِيَّ بَعْدِى ، ثُمَّ يُثَنِّى فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْه :

---

(١) ابن ماجه (٤٠٧٧) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٤) .

(٢) فى الأصل ، ح : « حجر » . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ١٧٥ .

(٣) فى النسخ ، وسنن ابن ماجه : « الشيبانى » . وانظر الأنساب ٣/ ٣٥٤ ، وتهذيب الكمال ٣١/ ٤٨٠ .

(٤) فى سنن ابن ماجه : « أمته » .

(٥) بعده فى سنن ابن ماجه : « امرئ » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى سنن ابن ماجه .

كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ وغَيْرِ كَاتِبٍ ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ ، فَمَنِ ابْتُلِى بِنَارِهِ ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللَّهِ ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ؛ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ، أَتَشْهَدُ أَنِّى رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِى صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، فَيَقُولَانِ : يَا بُنَىَّ ، اتَّبِعْهُ ؛ فَإِنَّهُ رَبُّكَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ[1] ، حَتَّى تُلْقَى[2] شِقَّتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِى هَـٰذَا ، فَإِنِّى أَبْعَثُهُ الآنَ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِى ! فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ ، فَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّىَ اللَّهُ ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ ، أَنْتَ الدَّجَّالُ ، وَاللَّهِ ، مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّى الْيَوْمَ » .

قال أبو الحسنِ - يَعْنِى علىَّ بنَ محمدٍ : فحدَّثنا المُحاربىُّ ، حدَّثَنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ الوليدِ الوَصَّافِىُّ[3] ، عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِى دَرَجَةً فِى الْجَنَّةِ » . قال : قال أبو سعيدٍ : واللَّهِ ، ما كُنَّا نرى ذلك الرجلَ إلَّا عمرَ بنَ الخطَّابِ ، حتى مضَى لسبيلِه .

قال المُحاربىُّ : ثم رجَعْنا إلى حديثِ أبى رافعٍ ، قال : « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَىِّ ، فيُكَذِّبُونَه ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَىِّ ،

---

(١) فى الأصل : « بالمنشار ». وهما بمعنى .

(٢) فى ص ، وسنن ابن ماجه : « يلقى » .

(٣) فى الأصل ، ح : « الرصافى » ، وفى ص : « الوصالى » . والمثبت من سنن ابن ماجه . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٣.

فَيُصَدِّقُونَهُ ، فَيَأمُرَ السَّمَاءَ أَنْ (١تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ١) ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ ، وَأَعْظَمَهُ ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، وأَدَرَّهُ ضُرُوعًا . وَإِنَّه لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ ، إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ(٢) الْأَحْمَرِ ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ » . فقالت أُمُّ شَرِيكٍ بنتُ أبى العَكَرِ : يا رسولَ اللَّهِ ، فأينَ العربُ يومَئِذٍ ؟ قال : « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَإِمامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ(٣) ، فَيَرْجِعُ(٤) ذَلِكَ الْإِمَامُ(٥) يَمْشِي الْقَهْقَرَى ؛ لِيَتَقَدَّمَ بِهِمْ عِيسَى يُصَلِّي ، فَيَضَعُ عِيسَى ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : تَقَدَّمْ فَصَلِّ ؛ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ . فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى : أَقِيمُوا(٦) الْبَابَ . فَيُفْتَحُ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « أن تمطر » ، وفى ص : « فتمطر » . والمثبت من سنن ابن ماجه .

(٢) الظريب : تصغير ظَرِب بوزن كَتِف ، وهو الجبل الصغير . انظر النهاية ٣/ ١٥٦ .

(٣) بعده فى ص ، وسنن ابن ماجه : « الصبح » . وقد جاء فى حاشية الأصل هذا التعليق على نزول عيسى عليه السلام : « قد يكون المراد بهذا النزولِ قدومَه من دمشق عليهم لا النزولَ من السماء ، وتكون هذه طائفةً أخرى قد اجتمعت ببيت المقدس ولهم إمام ، قد حصرهم الدجال بها ، فيكون ذلك جمعا بين هذا الحديث وحديث النواس بن سمعان وغيره ، أو يكون المراد أرضَ بيت المقدس فتدخل دمشق فى ذلك ، فعلى هذا الاحتمال انتفى أن يكون ذلك بدمشق » .

(٤) فى ص ، وسنن ابن ماجه : « فرجع » .

(٥) بعده فى سنن ابن ماجه : « ينكص » .

(٦) فى سنن ابن ماجه : « افتحوا » . وهما بمعنى .

وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وسَاجٍ[1] ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِى الْمَاءِ ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا ، وَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ لِى فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِى بِهَا . فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ ، فَيَقْتُلُهُ ، فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ ، فَلَا يَبْقَى شَىْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّىْءَ ؛ لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةَ - إِلَّا الْغَرْقَدَة ؛ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ - إِلَّا قَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ ، هَـٰذَا يَهُودِيٌّ ، فَتَعَالَ فاقْتُلْهُ[2] » .

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ ، وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ ، يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا [٢٥ظ] الآخَرَ حَتَّى يُمْسِىَ » . قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كيف نُصَلِّى فى تلك الأَيَّامِ القِصَارِ ؟ قال : « تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ ، كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِى هَـٰذِهِ الأَيَّامِ الطِّوَالِ ، ثُمَّ صَلُّوا » .

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَكُونُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ فِى أُمَّتِى حَكَمًا عَدْلًا ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا ، يَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ[3] كُلِّ ذِى حُمَةٍ ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِى فِى الْحَيَّةِ ، فَلَا تَضُرُّهُ ، [4]وَيُنْفِرَ الْوَلِيدُ[4] الأَسَدَ ، فَلَا

---

(١) الساج : الطيلسان الأخضر ، وقيل : المُدَوَّر . انظر التاج (س و ج) .

(٢) فى ص ، وسنن ابن ماجه : « اقتله » .

(٣) الحمة : االسَّمُّ ، وقيل : هى الإبرة التى تضرب بها الحية والعَقْرب والزُّنبور ونحو ذلك ، أو تلدغ بها . وأصله حُمَوٌ أو حُمَىٌ ، والهاء عوض . اللسان (ح م ا) .

(٤ - ٤) فى سنن ابن ماجه : « وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها » .

يَضُرُّهُ ، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِى الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا ، وَتُمْلَأَ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ ، كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ ، وَتَكُونَ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، وَتُسْلَبَ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا[1] ، وَتَكُونَ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ[2] الْفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا كَعَهْدِ[3] آدَمَ ؛ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ ، فَيُشْبِعَهُمْ ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ ، وَيَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ومَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ ؟ قَالَ : « لَا يُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا » . قِيلَ لَهُ : فَمَا يُغْلِى الثَّوْرَ ؟ قَال : « تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا . وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِى السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ [4]أَنْ تَحْبِسَ[4] ثُلُثَ نَبَاتِهَا ، ثُمَّ يأْمُرُ السَّمَاءَ فِى السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَىْ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَىْ نَبَاتِها ، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِى السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَها كُلَّهُ فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ » . قِيل : مَا يُعِيشُ النَّاسَ فِى ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟ قَالَ : « التَّهْلِيلُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ » .

قَالَ ابْنُ ماجه : سمِعْتُ أبا الحسنِ الطَّنافِسىَّ يقولُ : سمِعْتُ عبدَ الرحمنِ

---

(١) جاء فى حاشية الأصل تعليقا على هذا القول العبارة التالية : « قوله : وتسلب قريش ملكها . غِبٌّ - أى بعيد - فقد ثبت فى الصحيحين من حديث عاصم بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر ، عن أبيه ، عن جده عبد اللَّه بن عمر ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : لا يزال الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » . والحديث فى البخارى (٣٥٠١، ٧١٤٠) ، ومسلم (٤/ ١٨٢٠) .

(٢) الفاثور : الخِوان ، وقيل : طَشت أو جَامٌ من فضة أو ذهب . النهاية ٣/ ٤١٢.

(٣) فى سنن ابن ماجه : « لعهد » .

(٤ - ٤) فى سنن ابن ماجه : « فتحبس » .

المحاربيّ يقولُ : يَنْبَغِى أن يُدْفَعَ هذا الحديثُ إلى المُؤَدِّبِ حتى يُعَلِّمَه الصِّبْيانَ فى الكُتَّابِ . انتهَى سياقُ ابنِ ماجه .

وقد وقَع تخْبِيطٌ فى إسنادِه لهذا الحديثِ ، فكما وجَدْتُه فى نسخةٍ كَتَبْتُ إسنادَه ، وقد سقَط التابِعىُّ منه ، وهو عمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ الحضْرَمِىُّ ، أبو عبدِ الجبَّارِ الشامىُّ الرَّاوِى له عن أبى أُمَامةَ .

قال شَيخُنا الحافِظُ المِزِّىُّ فى « الأَطْرافِ »[1] : ورواه ابنُ ماجه فى الفتنِ ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ المُحاربىِّ ، عن أبى رافعٍ إسماعيلَ بنِ رافعٍ ، عن [2]أبى زرعةَ السيبانىِّ يحيى بنِ أبى عمرٍو[2] ، عن أبى أُمامةَ به بتمامِه ، كذا قال ، وكذا روَاه سَهْلُ بنُ عثمانَ عن المُحاربىِّ ، وهو وَهْمٌ فاحشٌ .

قلت : وقد جَوَّد إسنادَه أبو داودَ ، فرواه[3] عن عيسى بن محمدٍ ، عن ضَمْرةَ ، عن يحيى بنِ أبى عمرٍو السَّيْبانىِّ[4] ، عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أَبى أُمامةَ ، نحوَ حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ بهذا الإسنادِ حديثًا واحدًا فى « مُسندِه »[5] ، فقال أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ : وجدتُ فى كتابِ أبى بخطِّ يدِه : حدَّثَنى مَهْدِىُّ بنُ جعفرٍ الرَّمْلىُّ ، حدَّثَنا ضَمْرةُ ، عن السَّيْبانىِّ[6] ، واسْمُه يحيى

---

(١) تحفة الأشراف ٤/ ١٧٥.

(٢ - ٢) فى النسخ ، وتحفة الأشراف : « أبى عمرو السيبانى زرعة » . وهو خطأ ، قال ابن حجر : قلت : هكذا وقع فى بعض النسخ ، وقد وقع فى نسخة صحيحة قابلها المسورى : عن إسماعيل بن رافع أبى رافع ، عن أبى زرعة السيبانى يحيى بن أبى عمرو . النكت الظراف ٤/ ١٧٥. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٨٠.

(٣) أبو داود (٤٣٢٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٢) .

(٤) فى ح ، ص : « الشيبانى » .

(٥) المسند ٥/٢٦٩ (٢٢٣٧٥) .

(٦) فى ح ، ص ، والمسند : « الشيبانى » . وانظر أطراف المسند ٦/ ٢٥.

ابنُ أبى عمرٍو، عن عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ الحَضْرَمىِّ، عن أبى أُمامةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى (١عَلَى الْحَقِّ١) ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنَ لَأْوَاءَ[٢] حَتَّى يَأْتِيَهُمْ[٣] أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ». [٢٦و] قَالُوا: يا رسولَ اللَّهِ: وأينَ هُمْ؟ قال: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِسِ».

وقال مسلمٌ[٤]: حدَّثَنا عمرٌو النَّاقِدُ، والحسنُ الحُلْوانِىُّ، وعَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ - وألفاظُهم مُتقاربةٌ والسِّياقُ لعَبْدٍ - قال: حدَّثَنى - وقال الآخَرانِ: حدَّثَنا - يعقوبُ، هو ابنُ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، حدَّثَنا أَبِى، عن صالحٍ، عن ابنِ شِهابٍ، أَخْبَرَنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ، أنَّ أبا سعيدٍ الخُدْرِىَّ، قال: حدَّثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا حَدِيثًا طويلًا عن الدَّجَّالِ، فكان فيما حدَّثَنا قال: «يَأْتِى وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِى إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِى تَلِى الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِى حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِى الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. قَالَ: فَيَقْتُلُه، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّى الآنَ. قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ». قال أبو إسحاقَ[٥]: يقالُ: إنَّ هذا الرجلَ

(١ - ١) سقط من: ص. وفى المسند: «على الدين».

(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. اللسان (ل أ ى).

(٣) فى ح، ص: «يأتى».

(٤) مسلم (١١٢/ ٢٩٣٨).

(٥) قال النووى: أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوى الكتاب عن مسلم. صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٢.

هو الخَضِرُ .

قال مُسلمٌ[1] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدَّارِمىُّ ، أنا أبو اليَمانِ ، أنا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرىِّ فى هذا الإسنادِ ، بمثلِه .

وقال مسلمٌ[2] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قُهْزادَ ، مِن أَهْلِ مَرْوَ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، عن أبى حمزةَ ، عن قَيْسِ بنِ وَهْبٍ ، عن أبى الوَدَّاكِ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَلْقَاهُ[3] مَسَالِحُ الدَّجَّالِ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَى هَـٰذَا الَّذِى خَرَجَ » . قال : « فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ . فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ . فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ » قال : « فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَـٰذَا الدَّجَّالُ الَّذِى ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » . قال : « فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ ، فَيُشَبَّحُ ، فَيَقُولُ : خُذُوهُ وَشُجُّوهُ[4] . فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا » . قال : « فَيَقُولُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِى ؟ » قال : « فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ » . قال : « فَيُؤْمَرُ بِهِ ، [5]فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ[5] مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ » . قال : « ثُمَّ يَمْشِى الدَّجَّالُ

---

(١) مسلم (١١٢/ ٢٩٣٨) .

(٢) مسلم (١١٣/ ٢٩٣٨) .

(٣) بعده فى صحيح مسلم : « المسالح » .

(٤) قال النووى : قوله ﷺ : « فيأمر الدجال ، فيشبح فيقول : خذوه وشجوه » . فالأول بشين معجمة ، ثم باء موحدة ، ثم حاء مهملة ، أى : مُدُّوه على بطنه ، والثانى : شجوه بالجيم المشددة من الشجِّ وهو الجرح فى الرأس، والوجه الثانى : « فيشج - كالأول - فيقول : خذوه وشبحوه » بالباء والحاء ، والثالث : « فيشج وشجوه » كلاهما بالجيم ، وصحح القاضى الوجه الثانى ، وهو الذى ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين ، والأصح عندنا الأول . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٣.

(٥ - ٥) فى ح : « فيؤشر بالمنشار » ، وفى ص : « فينشر بالمنشار » . قال النووى : قوله ﷺ : « فيؤشر =

بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ . فَيَسْتَوِى قَائِمًا » . قال : « ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِى ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً » . قال : « ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِى بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ » . قال : « فَيَأْخُذُه الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا » . قال : « فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَيَقْذِفُ بِهِ ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّمَا أُلْقِىَ فِى الْجَنَّةِ » . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَـٰذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

ذِكْرُ أَحادِيثَ مَنْثُورَةٍ فى الدَّجَّالِ

حديثٌ عن أبى بكرٍ الصدِّيقِ ، رَضِى اللَّهُ عنه :

قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا [(٢)] سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ[(٢)] ، عن أبى التَّيَّاحِ ، عن المغيرةِ بنِ سُبَيْعٍ ، عن عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، أنّ أبا بكرٍ الصدِّيقَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أفاقَ مِن مَرْضَةٍ له ، فخرَج إلى الناسِ ، فاعتَذَر بشىءٍ وقال : ما أرَدْنا إلَّا الخيرَ . ثم قال : [٢٦ظ] حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِى[(٣)] أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا : خُرَاسَانُ . يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ . ورواه الترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ رَوْحِ بنِ عُبادةَ به[(٤)] . وقال الترمذىُّ : حسَنٌ غريبٌ .

= بالمنشار من مفرقه » . هكذا الرواية ، يؤشر بالهمز ، والمنشار بهمزة بعد الميم ، وهو الأفصح . ويجوز المنشار بالنون . المصدر السابق ١٨/ ٧٣، ٧٤.

(١) المسند ١/ ٤، ٧ (١٢، ٣٣) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢ - ٢) فى ح : « سعد بن أبى عمرو به » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٥، وأطراف المسند ٦/ ٨٩.

(٣) فى المسند : « منَ » .

(٤) الترمذى (٢٢٣٧) ، وابن ماجه (٤٠٧٢) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٢٤) .

قلتُ : وقد روَاه عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى العَبْسِيُّ ، عن الحسنِ بنِ دينارٍ ، عن أبى التيّاحِ ، فلم يتفرَّدْ به روحٌ ، كما زعَمه بعضُهم[1] ، ولا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبةَ ؛ فإنَّ يعقوبَ بنَ شَيْبةَ قال : لم يسمَعْه ابنُ أبى عَرُوبةَ مِن أبى التيّاحِ ، وإنَّما سمِعه مِن ابنِ شَوْذَبٍ عنه[2] .

حديثٌ عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال أحمدُ[3] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا الأشْجَعيُّ ، عن سفيانَ ، عن جابرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُجَيٍّ ، عن عليٍّ ، عن النبيِّ ﷺ . قال : ذكَرْنا الدَّجَّالَ عندَ النبيِّ ﷺ وهو نائمٌ ، فاستَيْقَظ مُحْمَرًّا لَوْنُه ، فقال : « غَيْرُ ذَلِكَ أَخْوَفُ لِى عَلَيْكُمْ » . ذكَر كلِمةً[4] . تفرَّدَ به أحمدُ .

حديثٌ عن سعدِ بنِ أبى وَقّاصٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ عامرِ بنِ سعدِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَصَفَ الدَّجَّالَ لِأُمَّتِهِ ، وَلَأَصِفَنَّهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِى ؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . تفرَّد به أحمدُ .

---

(١) انظر علل الدارقطنى ١/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) انظر البحر الزخار ١/ ١١٤، وعلل الدارقطنى ١/ ٢٧٦.

(٣) المسند ١/٩٨ (٧٦٥) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف جدًّا .

(٤) فى رواية ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٩٣٣٢) لهذا الحديث عن وكيع عن سفيان به ، وكذا رواية أبى يعلى فى مسنده ١/٣٥٩ (٤٦٦) عن ابن أبى شيبة به ، جاء مكان : ذكر كلمة . قولُ النبى ﷺ : « أئمة مضلون » .

(٥) المسند ١/١٧٦ (١٥٢٦) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(١) **حديثٌ عن الصَّعْبِ بنِ جَثَّامَةَ** : قال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ(٢) : حدَّثنى أبو حُمَيدٍ الحِمْصىُّ ، ثنا حَيْوَةُ ، ثنا بَقِيَّةُ ، عن صَفْوانَ بنِ عَمرٍو ، عن راشدِ بنِ سعدٍ قال : لَمَّا فُتِحَتْ إصْطَخْرُ (٣)إذا مُنادٍ يُنادى(٣) : ألَا إنَّ الدَّجَّالَ قد خرَج . قال : فلَقِيَهم الصَّعْبُ بنُ جَثّامَةَ فقال : لولا ما تقولون لأَخْبَرْتُكم أنِّى سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يذْهلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وحَتَّى يَتْرُكَ الْأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ(٤) » . إسنادُه حسنٌ ، ولم يُخْرِجْه(١) .

حديثٌ عن أبى عُبيدةَ بنِ الجرّاحِ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال الترمذىُّ(٥) : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُعاويةَ الجُمَحِىُّ ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن خالدٍ الحَذّاءِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سُرَاقةَ ، عن أبى عُبَيْدةَ بنِ الجَرّاحِ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « إنَّهُ لَم يَكُنْ نَبِىٌّ (٦)بَعْدَ نُوحٍ(٦) ، إلَّا قَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الدَّجَّالَ ، وَأَنَا أُنْذِرُكُمُوهُ » . فوصَفَه لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ بَعْضُ مَنْ رَآنِى أَوْ سَمِعَ كَلَامِى » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، كَيف قلوبُنا يومَئذٍ ؟ قال : « مِثْلُهَا - يعنى اليومَ - أَوْ خَيْرٌ » .

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) المسند ٤/ ٧١، ٧٢ (١٦٧١٨). قال الهيثمى : رواه عبد اللَّه بن أحمد من رواية بقية عن صفوان ابن عمرو ، وهى صحيحة كما قال ابن معين ، وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٥. وانظر الإصابة ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧.

(٣ - ٣) فى المسند : « نادى مناد » . والمثبت موافق لما فى المجمع .

(٤) فى الأصل : « الناس » . والمثبت من المسند والمجمع .

(٥) الترمذى (٢٢٣٤) ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٨٩) .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى .

ثم قال الترمذىُّ : وفى البابِ عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ [1] وعبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ جُزَىٍّ [1] وعبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ وأبى هريرةَ ، وهذا حديثٌ حسَنٌ غريبٌ ، لا نعرِفُه إلَّا مِن حديثِ [2] خالدِ الحذاءِ [2] .

وقد روَاه أحمدُ عن عَفّانَ وعبدِ الصَّمدِ ، وأخرَجه أبو داودَ عن موسى بنِ إسماعيلَ ، كلُّهم عن حمّادِ بنِ سَلَمةَ به [3] . وروَى أحمدُ ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبةَ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ببعضِه [4] .

حديثٌ عن أُبَىِّ بنِ كَعْبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : روَى أحمدُ [5] عن غُنْدَرٍ ، ورَوْحٍ ، وسُلْيمانَ بنِ داودَ ، ووهْبِ بنِ جريرٍ ، كلُّهم عن شُعْبةَ ، عن حبيبِ بنِ الزُّبَيْرِ ، سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ أبى الهُذَيْلِ ، سمِع عبدَ الرحمنِ بنَ أَبْزَى ، سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ خَبّابٍ ، [6] سمِع أُبَىَّ بنَ كعبٍ يُحَدِّثُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِر عندَه الدجّالُ [6] ، فقال : « إِحْدَى عَيْنَيْهِ كَأَنَّهَا زُجَاجَةٌ خَضْرَاءُ ، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذابِ الْقَبْرِ » . [6] تَفَرَّد به أحمدُ [6] .

حديثٌ عن أَبى سعيدٍ الخدْرِىِّ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ [7] : وجَدتُ هذا الحديثَ فى كتابِ أَبى بخطِّ يدِه ؛ حدَّثنى عبدُ المتعالِ بنُ

(١ - ١) زيادة من : سنن الترمذى . وانظر تحفة الأحوذى ٣/ ٢٣٣.

(٢ - ٢) فى سنن الترمذى : « أبى عبيدة بن الجراح » . والمثبت موافق لما فى تحفة الأحوذى .

(٣) المسند ١/١٩٥ (١٦٩٣) ، أبو داود (٤٧٥٦) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠١٩) .

(٤) المسند ١/١٩٥ (١٦٩٢) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ٣/ ٢٢٢.

(٥) المسند ٥/ ١٢٣، ١٢٤ (٢١١٨٣ - ٢١١٨٥) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٧.

(٦ - ٦) سقط من : ح .

(٧) المسند ٣/٧٩ (١١٧٦٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف مجالد . المسند ١٨/ ٢٧٦.

عبدِ الوهّابِ ، حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأُمَوىُّ ، حدَّثنا مجالدٌ ، عن أَبى الوَدّاكِ ، قال : قال لى[1] أَبو سعيدٍ : هل تُقِرُّ الخوارجُ بالدجّالِ ؟ قلتُ : لا . فقال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّى خَاتَمُ أَلْفِ نَبِىٍّ أَوْ[2] أَكْثَرَ ، وَمَا بُعِثَ نَبِىٌّ يُتَّبَعُ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ ، وَإِنِّى قَدْ بُيِّنَ لِى مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ يُبَيَّنْ لِأَحَدٍ ، وإِنَّهُ أَعْورُ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَعَيْنُهُ الْيُمْنَى عَوْرَاءُ جَاحِظَةٌ لَا تَخْفَى ، كَأَنَّهَا نُخَامَةٌ فِى حَائِطٍ مُجَصَّصٍ ، وَعَيْنُهُ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ، مَعَهُ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ ، وَمَعَهُ صُورَةُ الْجَنَّةِ خَضْرَاءُ ، يَجْرِى فِيهَا الْمَاءُ ، وَصُورَةُ النَّارِ سَوْدَاءُ ، تَدْخُنُ » . تفرَّد به أحمدُ .

وقد روَى عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ فى « مُسندِه » ، عن حمادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن الحجّاجِ ، عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا ، نحوَه[3] .

حديثٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال أحمدُ[4] : حدَّثنا بَهْزٌ وعفانُ ، قالا : حدَّثنا حمادُ بنُ سَلمَةَ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أَبى طَلْحةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجِىءُ الدَّجَّالُ فَيَطَأُ الْأَرْضَ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينةَ ، فَيَأْتِى الْمَدِينَةَ ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا صُفُوفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَيَأْتِى سَبَخَةَ الْجُرْفِ[5] فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ[6] ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ » .

---

(١) زيادة من : المسند .

(٢) فى المسند : « و » .

(٣) المنتخب (٨٩٥) مطولًا .

(٤) المسند ٣/١٩١ (١٣٠٠٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ٢٠/ ٢٩٩.

(٥) الجرف : حدده ياقوت بقوله : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . معجم البلدان ٢/ ٦٢.

(٦) يضرب رواقه : أى فسطاطه وقبته وموضع جلوسه . النهاية ٢/ ٢٧٨.

ورواه [٢٧و] مسلمٌ عن أَبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن يُونُسَ بنِ محمدٍ المؤدِّبِ ، عن حمَّادِ بنِ سَلمَةَ ، به نحوَه[(١)] .

طريقٌ أخْرَى عن أنسٍ : قال أحمدُ[(٢)] : حدَّثنا يحيى ، عن حُمَيدٍ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الشِّمَالِ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ[(٣)] غَلِيظَةٌ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : [(٤)]كُفْرٌ أَوْ كَافِرٌ[(٤)] » . هذا حديثٌ ثُلاثىُّ الإسنادِ ، وهو على شرطِ « الصحيحينِ » .

[(٥)]**طريقٌ أُخرى عن أنسٍ** : قال أحمدُ[(٦)] : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ ، حدَّثنا الأوزاعىُّ ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ ، عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ[(٧)] » . تفرَّد به أَحمدُ[(٥)] .

---

(١) مسلم (٢٩٤٣) .

(٢) المسند ١١٥/٣ (١٢١٦٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٩/ ١٩٢ .

(٣) فى ح ، ص : « طفرة » . والظفرة : لحمة تنبت عند المآقى ، وقد تمتد إلى السواد فتُغَشِّيه . النهاية ٣/ ١٥٨ .

(٤ - ٤) فى المسند : « كافر . قال : وكفر » .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

(٦) المسند ٢٢٤/٣ (١٣٣٦٨) . قال الهيثمى : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من رواية محمد بن مصعب عن الأوزاعى ، وروايته عنه جيدة ، وقد وثقه أحمد وغيره وضعفه جماعة ، وبقية رجالهما رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٨ . وانظر رواية أبى يعلى فى مسنده ٣١٧/٦ (٣٦٣٩) ، ورواية الطبرانى فى الأوسط (٤٩٢٧) ، وهى عندهما من طريق محمد بن مصعب به .

(٧) فى ص : « الشنحان » . وفى المسند والمعجم الأوسط : « التيجان » . والمثبت من الأصل موافق لما فى مسند أبى يعلى ومجمع الزوائد وأطراف المسند ١/ ٣٩٣ ، والأظهر - واللَّه أعلم - أن « التيجان » تصحيف ؛ لأنه قد ورد اللفظ بالسين أيضًا فى حديث عن الدجال ، أخرجه أحمد فى المسند ٢١٦/٤ (١٧٩٣١) عن عثمان بن أبى العاص ، رضى اللَّه عنه ، وسيورده ابن كثير فيما يأتى ص ١٨٠ ، ١٨١ .

طريقٌ أُخرى عن أنسٍ: قال أَحمدُ[1]: حدَّثنا عبدُ الصمدِ، حدَّثنى أَبى، حدَّثنا شُعَيْبٌ؛ هو ابنُ الحَبْحابِ، عن أنسٍ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ[2] - [3]ثُمَّ تَهَجَّاهَا[3] - يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ: ك ف ر».

حدَّثنا يونسُ[4]، حدَّثنا حمّادٌ - يعنى ابنَ سلَمةَ - عن حُمَيْدٍ وشُعَيْبِ بنِ الحَبْحابِ، عن أَنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ؛ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

ورواه مسلمٌ[5] عن زُهَيْرٍ، عن عَفّانَ، [6]عن عبدِ الوارثِ[6]، عن شُعَيْبٍ به، بنحوِه.

طريقٌ أُخرى عن أنسٍ: قال أحمدُ[7]: حدَّثنا عمرُو بنُ الهَيْثَمِ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن قَتَادةَ، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ

---

(١) المسند ٣/٢١١ (١٣٢٢٩). قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين. المسند ٢٠/ ٤٢٩.

(٢) فى المسند: «ك ف ر».

(٣ - ٣) فى المسند: «يهجاها».

(٤) المسند ٣/٢٢٨ (١٣٤٠٩).

(٥) مسلم (١٠٣/ ٢٩٣٣).

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح مسلم، وهو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمى أبو عبيدة البصرى، وهو والد عبد الصمد المذكور فى حديث المسند. والظاهر أن المصنف - رحمه الله - نقل ذلك عن شيخه المزى فى تحفة الأشراف - كما هناك - وقد تعقب ابن حجر فى النكت الظراف المزىَّ فقال: إنما رواه عفان عن عبد الوارث عن شعيب، وعفان لم يدرك شعيبا، فسقط عليه ذكر عبد الوارث بن سعيد. انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٧٨، وتحفة الأشراف ١/ ٢٤١.

(٧) المسند ٣/١٠٣ (١٢٠٢٣). قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم. المسند ١٩/ ٦٣.

أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ ، وإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ » .

ورَواه البخاريُّ ومسلمٌ ، مِن حديثِ شُعْبَةَ به[1] .

حديثٌ عن سَفِينَةَ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أَبو النَّضْرِ ، حدَّثنا حَشْرَجٌ ، حدَّثنى سَعيدُ بنُ جُمْهانَ[3] ، عن سَفِينَةَ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : خَطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِى إِلَّا قَدْ حَذَّرَ الدَّجَّالَ أُمَّتَهُ ، هُوَ أَعْوَرُ عَيْنِهُ الْيُسرى[4] ، بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، يَخْرُجُ مَعَهُ وَادِيَانِ ؛ أَحَدُهُما جَنَّةٌ وَالْآخَرُ نَارٌ ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ ، مَعَهُ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشْبِهَانِ نَبِيَّيْنِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمَا ، أَحَدُهما[5] عَنْ يَمِينِهِ ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ أَلَسْتُ أُحْيِى وَأُمِيتُ ؟ فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ الْمَلَكَيْنِ : كَذَبْتَ . مَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَاحِبُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ . فَيَسْمَعُهُ النَّاسُ فَيَظُنُّونَ أَنَّمَا يُصَدِّقُ الدَّجَّالَ[6] ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ[7] ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِىَ الْمَدِينَةَ ، فَلَا يُؤْذَنُ له فيها ؟ فَيَقُولُ : هَذِهِ قَرْيَةُ ذاكَ الرَّجُلِ . ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِىَ الشَّامَ ، فَيُهْلِكَهُ اللَّهُ عِنْدَ عَقَبَةِ

---

(١) البخارى (٧١٣١، ٧٤٠٨) ، ومسلم (١٠١/ ٢٩٣٣) .

(٢) المسند ٥/٢٢١ (٢١٩٧٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ... ورجاله ثقات ، وفى بعضهم كلام لا يضر . مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٠.

(٣) فى النسخ : « جهمان » . والمثبت من المسند ، وهو سعيد بن جمهان الأسلمى أبو حفص البصرى . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦، وأطراف المسند ٢/ ٤٧٩.

(٤) فى النسخ : « اليمنى » . والمثبت من المسند .

(٥) فى المسند : « واحد منهما » .

(٦) بعده فى ح : « فى قوله : ألست بربكم . وإنما يصدق صاحبه فى قوله للدجال : كذبت » .

(٧) بعده فى الأصل : « إنما يصدق صاحبه فى قوله للدجال : كذبت » .

أَفِيقَ »[1] . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه لا بأْسَ به ، ولكن فى مَتْنِه غَرابةٌ ونَكَارَةٌ ، فاللَّهُ أَعلمُ .

حديثٌ عن معاذِ بنِ جَبَلٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال يعقوبُ بنُ سفيانَ الفَسَوىُّ فى « مُسندِه »[2] : حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ[3] ، حدَّثنا خُنَيْسُ بنُ عامرِ بنِ يحيى المَعَافِرِىُّ ، عن أبى قَبِيلٍ ، عن جُنادَةَ بنِ أبى أُمَيَّةَ ، أنَّ قومًا دخَلوا على مُعاذِ بنِ جَبَلٍ وهو مريضٌ ، فقالوا له : حدِّثْنا حديثًا سمِعتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ لم تَنْسَه . فقال : أَجْلِسُونى . فَأَخَذَ بَعْضُ القَومِ بيَدِه ، وجلَس بعضُهم خلفَه ، فقال : سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَا مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ ، وَإِنِّى أُحَذِّرُكُمْ أَمْرَهُ ، إِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ الْكَاتِبُ وَغَيْرُ الْكَاتِبِ ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ » . قال شيخُنا الحافظُ الذهبىُّ : تفرَّد به خُنَيْسٌ ، وما علِمتُ فيه جَرْحًا ، وإسنادُه صالحٌ[4] .

---

(١) أفيق : قرية من حوران فى طريق الغور فى أول العقبة المذكورة ، وهى عقبة طويلة نحو ميلين . والعامة تقول : فيق . انظر معجم البلدان ١/ ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) أخرجه البزار فى البحر الزخار ٧/٩٥ (٢٦٥٣) ، والطبرانى فى الكبير ٢٠/ ٦١، ٦٢ (١١٣) ، والأوسط (١٩٧) كلاهما من طريق يحيى بن بكير به ، بنحوه عند البزار والطبرانى فى الكبير ، ومختصرًا فى الأوسط . قال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، وفيه خنيس بن عامر ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا . المجمع ٧/ ٣٣٩.

(٣) هو يحيى بن عبد الله بن بكير ، انظر مصدر التخريج ، وتهذيب الكمال ٣١/ ٤٠١.

(٤) فى ص : «صحيح» . وقد ذكر خنيسًا هذا ؛ البخارى فى تاريخه الكبير ٣/ ٢١٦، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٣/ ٣٩٤، وسكت عليه كلاهما . وذكره ابن حبان فى الثقات ٦/ ٢٧٥.

حديثٌ عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا أبو كاملٍ ، حدَّثنا زُهَيْرٌ ، عن الأسودِ بنِ قَيْسٍ ، حدَّثنى ثعْلبةُ بنُ عِبَادٍ العَبْدىُّ ، مِن أهلِ البصرةِ ، قال : شَهِدْتُ يومًا خُطْبَةً لِسَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ ، فذكَر فى خُطْبتِه حَدِيثًا فى صلاةِ الكسوفِ ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ بعدَ صَلاةِ الكُسوفِ ، فقال : « وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا ، آخِرُهُمُ[(٢)] الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، كَأَنَّهَا عَيْنُ أَبِى تَحْيَى[(٣)] ، وَإِنَّهُ مَتَى يَخْرُجْ - أو قال : مَتَى مَا يَخْرُجْ - فَإِنَّهُ سَوْفَ يَزْعُمُ أَنَّهُ اللَّهُ ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ ؛ لَمْ يَنْفَعْهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِهِ سَلَفَ ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَهُ ؛ لَمْ يُعَاقَبْ بِشَىْءٍ مِنْ عَمَلِهِ - وَقَالَ الْحَسَنُ[(٤)] : بِسَيِّئٍ[(٥)] مِنْ عَمَلِهِ - سَلَفَ ، وَإِنَّهُ سَوْفَ يَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَّا الحَرَمَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَإِنَّه يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللَّهُ تَعَالَى ، حَتَّى إِنَّ جِذْمَ[(٦)] الْحَائِطِ ، وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ لَيُنَادِى : يَامُؤْمِنُ ، هَذَا يَهُودِىٌّ - أَوْ قَالَ : هَـٰذَا كَافِرٌ - تَعَالَ فَاقْتُلْهُ . [(٧)]وَلَنْ[(٧)] يَكُونَ ذَلِكَ كَـٰذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا [(٨)]يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِى أَنْفُسِكُمْ[(٨)] ،

---

(١) المسند ٥/١٦ (٢٠١٩٠) بنحوه مطولًا . قال الهيثمى : رواه أحمد والبزار ببعضه ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد ، وثقه ابن حبان . المجمع ٧/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) فى الأصل ، ح : « أحدهم » .

(٣) بعده فى المسند : « لشيخ حينئذ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة » .

(٤) قال الحافظ ابن حجر بعد كلامه على حديث أبى كامل : وعن الحسن بن موسى عن زهير ببعضه فى أثناء سياقه عن أبى كامل . أطراف المسند ٢/ ١١.

(٥) فى النسخ : « بشىءٍ » .

(٦) فى ص : « هدم » . والجذم : الأصل . يقال : جِذْم الشجرة ، وجذم القوم . انظر الوسيط (ج ذ م) .

(٧ - ٧) فى الأصل : « وليس » ، وفى ح : « فلن » ، وفى ص : « ولكن » . والمثبت من المسند .

(٨ - ٨) فى الأصل ، ح : « تفاقم شأنها فى العلم » ، وفى ص : « تتفاقم شأنها فى العلم » . والمثبت من المسند .

وَتَسْأَلُونَ[1] بَيْنَكُمْ : هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا ، وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَنْ[2] مَرَاتِبِهَا » ثم شهِد خطبةَ سَمُرةَ مرَّةً أُخرَى ، فما قدَّم كلمةً ولا أخَّرَها عن موضعِها .

وأصلُ هذا الحديثِ فى صلاةِ الكسوفِ [٢٧ظ] عندَ أصحابِ السُّنَنِ الأربعةِ ، وصحَّحَه الترمذىُّ ، وابنِ حِبّانَ ، والحاكمِ فى « مُستَدرَكِه » أيضًا[3] .

وقال شيخُنا الذهبىُّ فى كتابِه « فى نَبَأِ الدجّالِ »[4] : سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرةَ مرفوعًا : « الدَّجَّالُ أَعْوَرُ عَيْنِ الشِّمَالِ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ » .

قلتُ : وليس هذا الحديثُ مِن هذا الوجهِ فى « المسندِ » ، ولا فى شىءٍ مِن الكُتُبِ الستَّةِ ، وكان الأَوْلى بشيخِنا أن يُسنِدَه ، أو يَعزُوَه إلى كتابٍ مشهورٍ ، واللَّهُ الموَفِّقُ .

حديثٌ آخرُ عن سَمُرَةَ : قال أحمدُ[5] : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثَنا سعيدٌ وعبدُ الوهابِ ، أنا سعيدٌ ، عن قَتَادَةَ ، عن الحَسَنِ ، عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ

---

(١) فى المسند : « تساءلون » .

(٢) فى المسند : « على » .

(٣) أبو داود (١١٨٤) ، والنسائى (١٤٨٣، ١٤٩٤، ١٥٠٠) ، والترمذى (٥٦٢) ، وابن ماجه (١٢٦٤) ، والإحسان (٢٨٥١) ، والمستدرك ١/٣٢٩ - ٣٣١. ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٥٣) .

(٤) هو كتابه المسمى « الرَّوْع والأوْجال فى نبأ المسيح الدجال » ذكره محققا سير أعلام النبلاء (الجزء الأول صفحة ٧٥، ٧٦ من مقدمة التحقيق) وذكرا أنهما لم يعثرا له على نسخة مخطوطا أو مطبوعا . وسينقل عنه المصنف فيما يأتى من الكتاب .

(٥) المسند ٥/١٣ (٢٠١٦٣) ، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى وأحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار بإسناد ضعيف . المجمع ٧/ ٣٣٦.

ﷺ كانَ يقولُ : « إِنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ ، وَهُوَ أَعْوَرُ عَيْنِ الشِّمَالِ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنَّه يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيقُولُ لِلنَّاسِ[1] : أَنَا رَبُّكُمْ . فَمَنْ قَالَ : أَنْتَ رَبِّي . فَقَدْ فُتِنَ ، وَمَنْ قَالَ : رَبِّيَ اللَّهُ . حَتَّى يَمُوتَ ، فَقَدْ عُصِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ ، وَلَا فِتْنَةَ بَعْدَهُ[2] عَلَيْهِ وَلَا عَذَابَ ، فَيَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ ، مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى مِلَّتِهِ ، فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ ، ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ » .

وقال الطَّبَرَانِيُّ[3] : حدَّثَنا موسى بنُ هارونَ ، حدّثنا مَرْوَانُ بنُ جَعْفَرٍ السَّمُرِيُّ[4] ، حدّثَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ خُبَيْبٍ[5] بنِ سُليمانَ ، ثنا جَعْفَرُ بنُ سعدِ بنِ سَمُرةَ ، عن خُبَيْبٍ[5] ، عن أَبيهِ ، عن جدِّه سَمُرَةَ ؛ أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقول : « إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الشِّمَالِ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَمَنِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ ، فَقَالَ : رَبِّيَ اللَّهُ . ثُمَّ أَبَى إِلَّا ذَلِكَ حتى يَمُوتَ ، فَلَا عَذَابَ عَلَيْهِ وَلَا فِتْنَةَ ، وَمَنْ قَالَ : أَنْتَ رَبِّي . فَقَدْ فُتِنَ ، [6]وَإِنَّهُ[6] يَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ مِنَ الْمَشْرِقِ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى مِلَّتِهِ ، ثُمَّ يَقْتُلُ الدَّجَّالَ » .

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٢) زيادة من : المسند . وانظر المجمع .

(٣) المعجم الكبير ٣١٩/٧ (٧٠٨٢) .

(٤) السَّمُرى : نسبة إلى سمرة بن جندب الصحابى راوى الحديث ، فهو من ولده . الإكمال ٢/ ٣٠٢ .

(٥) فى النسخ : « حبيب » . والمثبت من المعجم الكبير ، وانظر المصدر السابق .

(٦ - ٦) فى المعجم الكبير : « وقال النبى ﷺ : إن المسيح الدجال » .

حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

حديثٌ عن جابرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا عبدُ الملكِ ابنُ عَمْرٍو ، حدَّثَنا زُهَيْرٌ ، عن زيدٍ - يَعْنِى ابنَ أَسْلَمَ - عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : أَشْرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على فَلَقٍ[2] من أَفْلَاقِ الحَرَّةِ ، ونحنُ معه ، فقال : « نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجّالُ ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ ، لَا يَدْخُلُهَا ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ رَجَفَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ - يَعْنِى مَنْ يَخْرُجُ إليهِ - النِّسَاءُ ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ[3] ؛ يَوْمَ تَنْفِى الْمَدِينَةُ الْخَبَثَ ، كَمَا يَنْفِى الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ، يَكُونُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ ، عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجٌ وَسَيْفٌ مُحَلًّى ، [4]فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ[4] بِهَـٰذَا الضَّرْبِ[5] الَّذِى عِنْدَ مُجْتَمَعِ السُّيُولِ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، أَكْبَرَ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ ، وَ[6]لَأُخْبِرَنَّكُمْ بِشَىءٍ مَا أَخْبَرَهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ قَبْلِى » . ثم وَضَعَ يدَه علَى عَيْنَيْهِ[7] ، ثم قال : « أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . تفرَّدَ به أحمدُ ، وإسنادُه جَيِّدٌ ، وصحَّحه الحاكِمُ .

---

(١) المسند ٣/٢٩٢ (١٤١٤٤) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ... ورجاله رجال الصحيح . المجمع ٣/ ٣٠٨.

(٢) الفَلَق ، بالتحريك : المُطْمَئِنّ من الأرض بين رَبْوَتَيْن . ويجمع على فُلْقَان أيضًا . النهاية ٣/ ٤٧٢.

(٣) بعده فى المسند : « وذلك » .

(٤ - ٤) فى المسند : « فتضرب رقبته » . وفى المجمع : « فيضرب قبته » .

(٥) فى ح ، ص : « الطرب » . قال البنا : « الضرب » هكذا جاءت بالأصل ، ولعلها الضارب ، وهو المكان المطمئن به شجر ، أو « الدرب » بالدال المهملة ، والله أعلم . الفتح الربانى ٢٤/ ٧٤.

(٦) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٧) فى المسند : « عينه » .

طَرِيقٌ أُخرى عن جابرٍ: قال الحافِظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[1]: حدَّثَنا عمرُو بنُ عليٍّ، حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ، حدَّثَنا مُجالِدٌ، عن الشَّعْبيِّ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنِّى لَخَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ أَوْ أَكْثَرَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ إلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الدَّجَّالَ، وَإِنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ لِى مَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». تفرَّدَ به البزَّارُ، وإسنادُه حسنٌ، ولفْظُه غريبٌ جدًّا.

وروَى عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ فى «السُّنَّةِ»[2]، من طريقِ مُجالِدٍ، عن الشَّعْبيِّ، عن جابرٍ؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجّالَ فقال: «إِنَّه أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». وروَاه ابنُ أبِى شَيْبَةَ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ، عن مُجَالِدٍ به[3]، أطولَ مِن هَذَا.

طريقٌ أُخرى عن جابرٍ: قالَ أحمدُ[4]: حدَّثَنا رَوْحٌ، حدَّثَنا ابنُ جُرَيْجٍ، أخْبرَنِى أبو الزُّبَيْرِ، أنَّه سَمِعَ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ: قال النبىُّ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ، وَهُوَ أَشَدُّ الكَذَّابِينَ».

ورَوَى مُسْلِمٌ[5] مِنْ حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ، عن أبى الزُّبَيْرِ، عن جابرٍ، عن النبىِّ ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ[6] عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ حَتَّى يَنْزِلَ

---

(١) كشف الأستار (٣٣٨٠). قال الهيثمى: رواه البزار، وفيه مجالد بن سعيد، وقد ضعّفه الجمهور، وفيه توثيق. المجمع ٧/ ٣٤٧.

(٢) السنة (١٠٠٦).

(٣) المصنف (١٩٣٠١).

(٤) المسند ٣/٣٣٣ (١٤٦٠٩).

(٥) مسلم (٢٤٧/ ١٥٦) بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، و(١٧٣/ ١٩٢٣) بنحوه مطولًا.

(٦) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح مسلم.

عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ...» . وتَقَدَّمَتِ الطَّرِيقُ الأُخْرَى عن أَبِى الزُّبَيْرِ عنه ، وعن أَبِى سَلَمةَ عنه ، فى الدَّجّالِ .

حديثٌ عن ابنِ عباسٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ جَعْفرٍ ، حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، عن النبىِّ ﷺ أنَّه قال فى الدَّجَّالِ : « أَعْوَرُ هِجَانٌ أَزْهَرُ[2] ، كَأَنَّ رَأْسَهُ أَصَلَةٌ[3] ، أَشْبَهُ النَّاسِ بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ[4] ، فإمَّا هَلَكَ الهُلَّكُ ، فإنّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . قال شُعْبةُ : فحدَّثْتُ به قَتَادَةَ ، فحدَّثَنى بنحْوِ مِنْ هَذَا . تفرَّدَ بِهِ أحمدُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

وروَى أحمدُ[5] ، والحارِثُ بنُ أَبِى أُسامةَ ، وأبو يَعْلَى[6] ، من طريقِ هلالٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ [٢٨و] عبَّاسٍ فى حديثِ الإسْراءِ ، قال : ورَأَى الدَّجَّالَ فى صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ ، لَيْسَ رُؤْيَا مَنَامٍ ، وعيسى[7] وإبراهيمَ ، فَسُئِلَ [8]النبىُّ ﷺ[8] عن الدَّجَّالِ ، فقال : « رَأَيْتُه فَيْلَمَانِيًّا[9] أَقْمَرَ هِجَانًا[10] ، إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ ، كأَنَّهَا

---

(١) المسند ١/٢٤٠ (٢١٤٨) . قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره . المسند ٤/ ٤٩ .

(٢) الهجان : الأبيض ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . والأزهر : الأبيض المستنير . انظر النهاية ٢/ ٣٢١، ٥/ ٢٤٨ .

(٣) الأصلة : الأفعى ، وقيل : هى الحية العظيمة الضخمة القصيرة ، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية . انظر النهاية ١/ ٥٢ .

(٤) عبد العزى بن قطن : رجل من بنى المصطلق من خزاعة ... قال الزهرى : هلك فى الجاهلية . انظر فتح البارى ١٣/ ٩٨ .

(٥) المسند ١/٣٧٤ (٣٥٤٦) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٦) مسند أبى يعلى (٢٧٢٠) .

(٧) بعده فى رواية أحمد : « وموسى » .

(٨ - ٨) زيادة من مسندى أحمد وأبى يعلى .

(٩) الفَيْلَم : العظيم الجثة ، والفيلمانى منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة . انظر النهاية ٣/ ٤٧٤ .

(١٠) الأقمر الهجان : الشديد البياض . وانظر النهاية ٤/ ١٠٧ .

كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، كأنَّ شَعْرَهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ » . وذكَر تمَامَ الحديثِ .

حَدِيثٌ عن هِشَامِ بنِ عَامِرٍ : قال أحمدُ[1] : حدَّثَنا حُسَيْنُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ المُغِيرةِ ، حدَّثَنا حُمَيْدٌ - يعنى ابنَ هِلَالٍ - عن هِشَامِ بنِ عامرٍ الأَنْصَارِيِّ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ » .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثَنا إسماعيلُ ، حدَّثنا أيّوبُ ، عن حُمَيْدِ بنِ هِلالٍ ، عنْ بَعْضِ أَشْياخِهِم ، قال : قال هشامُ بنُ عامرٍ لجيرانِه : إنَّكم لَتَخْطُونَ[3] إِلَى رِجَالٍ مَا كَانُوا بأَحْضَرَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولا أَوْعَى لحديثِه منِّى ، وإنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ » .

ورَواه الإمامُ أحمدُ أيضًا[4] ، عن أحمدَ بنِ عبدِ المَلِكِ ، عن حمّادِ بنِ زيدٍ ، عن أيُّوبَ ، عن حُمَيْدِ بنِ هِلالٍ ، عن أبى الدَّهْماءِ ، عن هِشامِ بنِ عامرٍ ، أنَّه قال : إنَّكُم لَتُجَاوِزُنَّنِى[5] إلى رَهْطٍ مِن أَصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما كانوا أَحْصَى ولا أَحْفَظَ لحديثِه منِّى ، وإنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقـولُ : « مَا بَيْنَ خَلْقِ[6] آدَمَ إلى [7]قِيَامِ السَّاعَةِ[7] أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ » .

---

(١) المسند ٤/٢٠ (١٦٣٠٩) .

(٢) المسند ٤/١٩ (١٦٢٩٨) .

(٣) فى الأصل : « لَتَحُطُّونى » . بالشكل هكذا ، وعلَّم فوقها بالصحة . وفى ح : « لتخطؤنى » . وفى ص : « لخطونى » . والمثبت من المسند .

(٤) المسند ٤/٢١ (١٦٣١١) بنحوه .

(٥) فى ص : « لتجاوزونى » . وفى المسند : « لتجاوزوننى » .

(٦) ليست فى المسند .

(٧ - ٧) فى المسند : « يوم القيامة » .

وقد رَوَاه مسلمٌ[1] مِن حديثِ أيُّوبَ ، عن حُمَيدِ بنِ هِلالٍ ، عن رَهْطٍ ؛ منهم أبو الدَّهْماءِ وأبو قَتادَةَ ، عن هِشامِ بنِ عامرٍ ، فذكَر نحوَه .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثَنا عبدُ الرزَّاقِ ، حدَّثَنا مَعْمَرٌ ، عن أَيُّوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن هِشامِ بنِ عامرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ رَأْسَ الدَّجَّالِ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ[3] ، فَمَنْ قَالَ : أَنْتَ رَبِّى . افْتَتَنَ ، وَمَنْ قَالَ : كَذَبْتَ ، رَبِّىَ اللَّهُ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ . فَلَا يَضُرُّهُ » . أو قال : « فَلَا فِتْنَةَ عَلَيْهِ » .

حديثٌ عن ابنِ عمرَ ، رضِى اللَّهُ عنهما : قال أحمدُ[4] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبدِ المَلِكِ ، حدَّثنا [5]محمدُ بنُ سلمةَ عن[5] محمدِ بنِ إسْحَاقَ ، عن محمدِ بنِ طَلْحةَ ، عَنْ سَالِمٍ ؛ عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِى هَذِه السَّبَخَةِ ، بِمَرِّ قَنَاةَ[6] ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حتى إنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ[7] ، وَإِلَى أُمِّه ، وَابنَتِهِ ، وَأُخْتِهِ ، وَعَمَّتِهِ ، فيُوثِقُهَا رِبَاطًا ، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ[8] إِلَيهِ ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيهِ ، فَيَقْتُلُونَهُ ، وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ ، حتَّى إِنَّ اليَهُودِىَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرةِ أَوِ الحَجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ

---

(١) مسلم (١٢٦، ١٢٧/ ٢٩٤٦) .

(٢) المسند ٤/ ٢٠ (١٦٣٠٤) . قال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . المجمع ٧/ ٣٤٣.

(٣) الحبك : الطرق ، مفردها حبيكة ، والمعنى : أن شعر رأسه متكسر من الجعودة ، مثل الماء الساكن أو الرمل إذا هبت عليهما الريح ، فيتجعدان ويصيران طرائق . النهاية ١/ ٣٣٢، واللسان (ح ب ك) .

(٤) المسند ٢/٦٧ (٥٣٥٣) ، وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ فيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس ، وقد عنعن . المسند ٩/ ٢٥٥.

(٥ - ٥) سقط من : ح .

(٦) موضع فى المدينة ، ويقال فيه : وادى قناة ، وسمى قناة لأن تُبَّعًا مرَّ به فقال : هذه قناة الأرض . معجم البلدان ٤/ ١٨٢.

(٧) فى ح : « حميمته » ، وفى ص : « خمه » .

(٨) فى ح : « يخرجن » .

لِلْمُسْلِمِ : هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ » . تفرَّد بهِ أحمدُ مِنْ هذَا الوَجْهِ .

طريقٌ أُخرَى عن سالمٍ : قال أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عُمرَ ، قال : قام رسولُ اللَّهِ ﷺ في الناسِ ، فأثنَى على اللَّهِ ، تعالَى ، بما هو أهلُه ، فذكَر الدَّجَّالَ فقال : « إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ؛ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ ﷺ قَوْمَهُ ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ ؛ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . وَقد تقدَّم[2] هذا في الصحيحِ مع حديثِ ابنِ صيّادٍ . وبه[3] عن ابنِ عُمرَ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي ، فَاقْتُلْهُ » . وأصلُه في « الصحيحين » من حديثِ الزُّهْرِيِّ ، بنحوِه[4] .

طريقٌ أُخرَى : قال أحمدُ[5] : حدَّثنا يعقوبُ ، حدَّثنا عاصمُ بنُ محمدٍ ، عن أخيه عُمرَ بنِ محمدٍ ، عن محمدِ بنِ زيدٍ ، يعني أبا عُمرَ بنَ محمدٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عُمرَ : كُنَّا نُحدَّثُ بحِجَّةِ الوداعِ ، ولا ندرِي أنَّه الوداعُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ فلمّا كان في حِجَّةِ الوَدَاعِ ، خطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ فذكَر المسيحَ الدَّجّالَ ، فأَطنَبَ في ذكرِه ، ثم قال : « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ ؛ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ ﷺ أُمَّتَهُ ، وَالنَّبِيُّونَ ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، مِنْ بَعْدِهِ ، أَلَا مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ

---

(١) المسند ١٤٩/٢ (٦٣٦٥) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .
(٢) تقدم في ص ١٢٣، ١٢٤.
(٣) المسند ١٤٩/٢ (٦٣٦٦) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .
(٤) البخاري (٣٥٩٣) ، ومسلم (٨١/ ٢٩٢١) .
(٥) المسند ١٣٥/٢ (٦١٨٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٠/ ٣٢٧.

مِنْ شَأْنِهِ فَلَا يَخْفَيَنَّ عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَا يَخْفَيَنَّ عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». تفرَّد به أحمدُ من هذا الوجهِ.

طريقٌ أُخرَى: قال أحمدُ[1]: حدَّثنا يزيدُ، أخبرَنا محمدُ بنُ إسحاقَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمرَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا وَصَفَهُ لِأُمَّتِهِ، وَلَأَصِفَنَّهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا مَنْ كَانَ قَبْلِي؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ و إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ حَسَنٌ.

وقال الترمذيُّ[2]: حدَّثنا محمَّدُ بنُ عبدِ الأَعلَى الصَّنْعَانيُّ، حدَّثنا المُعْتمِرُ بنُ سُلَيمانَ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عُمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمرَ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه سُئِل عن الدَّجَّالِ فقال: «أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا[3] وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[4]، وفي البابِ عن سعدٍ، وحذيفةَ، وأبي هريرةَ، وأسماءَ، وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، وأبي بكْرَةَ، وعائشةَ، وأنَسٍ، وابنِ عباسٍ، والفَلَتَانِ بنِ عاصمٍ.

حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو: قال أحمدُ[5]: حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ [٢٨ظ]، أخبَرنا مَعْمَرٌ، عن قَتَادَةَ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ، قال: لمَّا جاءَتْنا بَيْعَةُ يزيدَ بنِ

---

(١) المسند ٢/٢٧ (٤٨٠٤). قال الشيخ شعيب: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. المسند ٨/ ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) الترمذي (٢٢٤١). صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٨٢٦).

(٣) سقط من: النسخ.

(٤) بعده في مصدر التخريج: «غريب». وانظر تحفة الأحوذي ٣/ ٢٣٨، وتحفة الأشراف ٦/ ١٦٩.

(٥) المسند ٢/١٩٨ (٦٨٧١). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف؛ لضعف شهر بن حوشب. المسند ١١/ ٤٥٦.

معاويةَ قَدِمْتُ الشامَ ، فأُخْبِرتُ بمقامٍ يَقُومُه نَوْفٌ ، فجِئْتُه ، إذ جاء رجلٌ - فاشتدَّ الناسُ - عليه خَمِيصَةٌ[1] ، وإذا هو عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ ، فلمَّا رآه نَوْفٌ أمْسَكَ عن الكلامِ ، فقال عبدُ اللَّهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ يقولُ : « إنَّهَا سَتكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ ، يَنْحَازُ النَّاسُ إلَى مُهَاجَرِ إبْرَاهِيمَ[2] ، لَا يَبْقَى فِى الْأَرْضِ إلَّا شِرَارُ أَهْلِهَا ، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ ، تَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إذَا بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قَالُوا ، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ » . قال : وسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سَيَخْرُجُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِى مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، [3]كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ[3] - حتَّى عدَّها زيادةً علَى عشْرِ مراتٍ - كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَّالُ فِى بَقِيَّتِهِمْ » . ورواه أبو داودَ[4] ، من حديثِ قتادةَ ، عن شَهْرٍ ، عنه .

طريقٌ أُخرَى عنه : قال أبو القاسمِ الطبرانىُّ[5] : حدَّثنا جعفرُ بنُ أحمدَ السّامانىُّ ، حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، حدَّثنا فِرْدَوْسٌ الأَشْعَرِىُّ ، عن مسعودِ بنِ سُلَيْمانَ ، عن حَبِيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن مُجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّه بنِ عمرٍو ، عن النبىِّ ﷺ أنَّه قال فِى الدَّجّالِ : « مَا شُبِّهَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ، فإنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَه ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، يَخْرُجُ

---

(١) الخميصة : ثوب خز أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة ، وجمعها خمائص . النهاية ٢/ ٨١.

(٢) أى الشام .

(٣ - ٣) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) أبو داود (٢٤٨٢) مختصرًا . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٣٤) .

(٥) لم نجده عند الطبرانى ، قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفهم . المجمع ٧/ ٣٥٠. وعزاه صاحب كنز العمال (٣٨٨١٠) إلى الطبرانى أيضا .

فيَكُونُ فِى الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، يَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا الكَعْبَةَ ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ والمَدِينَةَ ، الشَّهْرُ كَالجُمْعَةِ ، والجُمْعةُ كَاليَوْمِ ، وَمَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ ، مَعَهُ جَبَلٌ مِنْ خُبْزٍ ، ونَهَرٌ مِنْ مَاءٍ ، يَدْعُو بِرَجُلٍ ، لا يُسَلِّطُهُ اللَّهُ إِلَّا[1] عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَا تَقُولُ فِىَّ ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَأَنْتَ الدَّجَّالُ الكَذَّابُ . فيَدْعُو بِمِنْشَارٍ ، فَيَضَعُهُ [2]حذو رأسِه[2] فيَشُقُّهُ[3] ، ثُمَّ يُحْيِيهِ ، فيَقُولُ له : مَا تَقُولُ فِىَّ ؟ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّى فِيكَ الآنَ ، أَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ ؛ الدَّجَّالُ الَّذِى أَخْبَرَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَيَهْوِى إِلَيْهِ بسَيْفِهِ فَلَا يسْتَطِيعُهُ ، فيَقُولُ : أَخِّرُوهُ عَنِّى » . قال شَيْخُنا الذَّهَبِىُّ[4] : هذا حديثٌ غريبٌ ، ومسعودٌ لا يُعرَفُ . وسيأتِى حديثُ يعقوبَ بنِ عاصمٍ عنه ، فى مُكْثِ الدَّجّالِ فى الأرضِ ، ونزولِ عيسى ابنِ مريمَ .

حديثٌ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ بنِ السَّكَنِ الأنْصارِيَّةِ : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أسماءَ بنتِ يَزيدَ الأنصارِيَّةِ ، قالت : كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فى بَيتِى ، فذكَر الدَّجّالَ ، فقال : « إنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ ؛ سَنَةً تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا ، والْأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا ، والثَّانِيَةَ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَىْ قَطْرِهَا ، والْأَرْضُ ثُلُثَىْ نَبَاتِهَا ، والثَّالِثَةَ تُمْسِكُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا كُلَّهُ ، والْأَرْضُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ ، وَلَا يَبْقَى ذَاتُ ضِرْسٍ وَلَا ذَاتُ

---

(١) ليست فى كنز العمال .

(٢ - ٢) زيادة من مصدرى التخريج .

(٣) بعده فى مصدرى التخريج : « حتى يقع على الأرض » .

(٤) ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٠ .

(٥) المسند ٦/٤٥٥ (٢٧٦٢٠) . قال الهيثمى : رواه كله أحمد والطبرانى من طرق ... وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف ، وقد وثق . مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٥ .

ظِلْفٍ[1] مِنَ الْبَهَائِمِ إلَّا هَلَكَتْ ، وإنَّ مِنْ أَشَدِّ فِتْنَتِهِ أنْ يَأْتِيَ الْأَعْرَابِيَّ فَيَقُولَ : أَرَأَيْتَ إنْ أَحْيَيْتُ لَكَ إِبِلَكَ ؟ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ » قال : « فيَقُولُ : بَلَى . فَتَمَثَّلُ لَهُ الشَّيَاطِينُ نَحْوَ إِبِلِهِ كَأَحْسَنِ مَا تَكُونُ ضُرُوعُهَا وأَعْظَمِهِ أَسْنِمَةً » . قال : « وَيَأْتِي الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ أَخُوهُ ، وَمَاتَ أَبُوهُ ، فيَقُولُ : أَرَأَيْتَ إنْ أَحْيَيْتُ لَكَ أَبَاكَ ، وَأَحْيَيْتُ لَكَ أَخَاكَ ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فيَقُولُ : بَلَى . فَتَمَثَّلُ له الشَّيَاطِينُ نَحْوَ أَبِيهِ وَنَحْوَ أَخِيهِ » . قالت : ثمَّ خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لحاجَةٍ ، ثم رجَع والقومُ فى اهتِمامٍ وَغَمٍّ ، ممّا حَدَّثَهم به ، قالت : فأخَذ بلُجْفَتَيِ[2] البابِ وقال : « مَهْيَمْ أسماءُ » . قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد خَلَعْتَ أفئِدتَنا بذِكْرِ الدَّجّالِ . قال : « فَإنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ فَأَنَا حَجِيجُهُ ، وَإلَّا فَإنَّ رَبِّي خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ » . قالت أسماءُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا واللَّهِ لنَعْجِنُ عجِينَتَنا فمَا نخْتبِزُها حَتَّى نَجُوعَ ، فكيف بالمُؤْمِنِينَ يَوْمَئذٍ ؟ قال : « يُجْزِئُهِمْ مَا يُجْزِئُ أَهْلَ السَّماءِ مِنَ التَّسْبِيحِ ، والتَّقْدِيسِ » .

وكذلك روَاه أحمدُ أيضًا ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، عن قتادةَ ، عن شَهْرٍ ، عنها ، بنحوِه[3] ، وهذا إسنادٌ لا بأْسَ به ، وقد تفرَّد به أحمدُ ، وتقدَّم له شاهدٌ فى حديثِ أبى أُمامةَ الطَّوِيلِ[4] ، وفى حديثِ عائشةَ بعدَه شاهدٌ له مِن وجهٍ آخرَ أيضًا ، واللَّهُ أعْلَمُ .

---

(١) فى ص : « خلف » ، والظلف : الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبى ونحوها .

(٢) فى الأصل ، ومجمع الزوائد : « لحمتى » ، وفى ح ، ص ومصدر التخريج ، وجامع المسانيد ١٥/ ٢٨٢ : « لجمتى » . هكذا مصحفة ، والصواب ما أثبتناه . ولجفتا الباب : عِضَادتاه وجانباه . النهاية ٤/ ٢٣٤ .

(٣) المسند ٦/٤٥٣ (٢٧٦٠٩) .

(٤) تقدم فى صفحة ١٤٨ ، ١٥١ .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا هاشِمٌ ، حدَّثنا عبدُ الحميدِ ، حدَّثنا شَهْرٌ ، حدَّثتنى أسماءُ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٢٩ر] قال فى حديثٍ : « فَمَنْ حَضَرَ مَجْلِسِى ، وَسَمِعَ قَوْلِى ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، صَحِيحٌ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَأَنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ ، مَمْسُوحُ[2] الْعَيْنِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ؛ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ » . وسَيَأْتِى عن أَسْمَاءَ بنتِ عُمَيْسٍ نَحْوُه ، والمحفوظُ هذا ، واللَّهُ أعْلَمُ .

حديثُ عَائشةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا حمّادٌ ، حدَّثنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن الحسنِ ، عن عائشةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر جَهْدًا يكُونُ بينَ يدَيِ الدجَّالِ ، فقالوا : أىُّ المالِ خَيْرٌ يَوْمَئِذٍ . قال : « غُلَامٌ شَدِيدٌ يَسْقِى أَهْلَهُ المَاءَ ، وأَمَّا الطَّعَامُ فَلَيْسَ » . قالوا : فَمَا طَعامُ المؤمنينَ يَوْمَئذٍ ؟ قال : « التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ[4] ، والتَّحْمِيدُ ، والتَّهْلِيلُ » . قالت عَائِشةُ : فأينَ العرَبُ يَوْمَئذٍ ؟ قال : « العَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه صحيحٌ فيه غَرابةٌ ، وتقدَّم فى حديثِ أسماءَ[5] ، وأبى أُمَامةَ[6] شاهِدٌ له ، واللَّهُ أعلَمُ .

طريقٌ أُخرى عنها : قال أحمدُ[7] : حدَّثنا سُلْيمانُ بنُ داودَ ، حدَّثنا حَرْبُ ابنُ شدّادٍ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، حدَّثنى الحضْرَمىُّ بنُ لاحقٍ ، أن ذَكْوانَ أبا

---

(١) المسند ٦/٤٥٦ (٢٧٦٢١) .

(٢) فى ح ، ص : « ممسوخ » وسمى الدجال مسيحا ؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة . النهاية ٤/ ٣٢٧.

(٣) المسند ٦/٧٥ (٢٤٥١٤) . قال الهيثمى : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٥.

(٤) فى المسند : « التقديس » .

(٥) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٦) تقدم فى صفحة ١٥١ .

(٧) المسند ٦/٧٥ (٢٤٥١١) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق ، وهو ثقة . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٨.

صالحٍ أخبَره ، أنَّ عائشةَ أخبرَتْه ، قالت : دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا أَبْكِى ، فقال : « مَا يُبْكِيكِ ؟ » قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ذكَرْتُ الدَّجّالَ ، فبَكَيْتُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنْ يَخْرُجِ الدَّجّالُ وأَنَا حَىٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ ، وإنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ بَعْدِى فإِنَّ رَبَّكُم ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، إِنَّهُ يَخْرُجُ فِى يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ ، حَتَّى يَأْتِىَ المَدِينَةَ ، فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوابٍ ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ ، فيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرارُ أَهْلِهَا ، حَتَّى يَأْتِىَ الشّامَ ، مَدِينَةً بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، عَلَيهِ السَّلَامُ ، فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى ، عَلَيْه السَّلَامُ ، فِى الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا ، وَحَكَمًا مُقْسِطًا » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال أحمدُ أيضًا[1] : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن داودَ ، عن عامرٍ ، عن عائشةَ أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُ الدَّجَّالُ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ » . ورواه النَّسائىُّ عن قُتيْبةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَدِىٍّ ، به[2] . والمحفوظُ روايةُ عامرٍ الشعبىِّ عن فاطمةَ بنتِ قَيْسٍ ، كما تقدَّم[3] .

وثبَت فى « الصحيحِ »[4] مِن حديثِ هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن زَوْجتِه فاطمةَ بنتِ المُنْذِرِ ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، أنَّها قالت فى حديثِ صلاةِ الكُسوفِ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى خُطْبتِه يَوْمَئِذٍ : « وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِى القُبُورِ قَرِيبًا ، أَوْ مِثْلَ ، فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ » . لَا أَدْرِى أىَّ ذلك قالت أسماءُ ؟ الحديثُ بطولِه .

---

(١) المسند ٦/٢٤٥ (٢٦٠٨٩) .

(٢) النسائى فى الكبرى (٤٢٥٧) .

(٣) تقدم فى صفحة ١٣١ .

(٤) البخارى (٨٦، ١٨٤، ٩٢٢، ١٠٥٣، ٧٢٨٧) .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[1] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ ، عن أمِّ شَريكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : «لَيَفِرَّنَّ النّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ [2] حَتَّى يَلْحَقُوا برُءُوسِ الْجِبَالِ »[2] . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أين العرَبُ يومَئِذٍ ؟ قال : « هُمْ قَلِيلٌ » .

حديثٌ عن أمِّ سَلَمةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها : قال ابنُ وَهْبٍ[3] : أخبَرنى مَخْرَمةُ ابنُ بُكَيْرٍ ، عن أبيه ، عن عُروةَ ، قال : قالت أمُّ سَلَمةَ : ذكَرتُ المسيحَ الدَّجّالَ لَيْلةً ، فَلَمْ يأْتِنى النَّوْمُ ، فلَمَّا أصْبَحْتُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخبرَتُه ، فقال : « لَا تَفْعَلِى ، فَإِنَّهُ إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ يَكْفِكُمُ اللَّهُ بِى ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدَ أنْ أَمُوتَ يَكْفِكُمُ اللَّهُ بِالصَّالِحِينَ » . ثم قام ، فقال : « ما مِنْ نَبِىٍّ إلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ مِنْهُ ، وَإِنِّى أُحَذِّرُكُمُوهُ ، إنَّهُ أَعْوَرُ ، وإنَّ اللَّهَ لَيْسَ بأَعْوَرَ » . قال الذهبىُّ : إسنادُه قوىٌّ .

[4]**حديثُ رافعِ بنِ خَدِيجٍ** : رَواه الطبرانىُّ[5] مِن روايةِ عطيةَ بنِ عطيةَ ، عن عطاءِ بنِ أبى رباحٍ ، عن عمرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن رافعِ بنِ خَدِيجٍ ، عن النبىِّ ﷺ فى ذَمِّ القَدَرِيَّةِ ، وأَنَّهُمْ زَنادِقَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَفِى زَمانِهم يكونُ ظُلْمُ السُّلْطَانِ ، وَحَيْفٌ وَأَثَرَةٌ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ طاعُونًا ، فيُفْنِى عَامَّتَهُم ، ثُمَّ يَكُونُ الخَسْفُ ، فَمَا أَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُمْ ، الْمُؤْمِنُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ فَرَحُه ، شديدٌ غَمُّهُ ، ثُمَّ يَكُونُ الـمَسْخُ ، فيَمْسَخُ اللَّهُ عامَّتَهم قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ عَلَى[4]

---

(١) مسلم (١٢٥/ ٢٩٤٥) .

(٢ - ٢) فى صحيح مسلم : « فى الجبال » .

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٣/٢٦٨ (٥٦٩) ، من طريق ابن وهب بأطول منه .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) المعجم الكبير ٤/٢٩٠ (٤٢٧٠) .

[1] إثْرِ ذَلِكَ قريبًا . ثم بكَى رسولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَكَيْنا لبُكائِه ، وقلنا : ما يُبكِيكَ ؟ قال : « رَحْمَةً لأُولَئِكَ الأَشْقِياءِ ؛ لأنَّ فِيهِمُ المُقْتَصِدَ[2] ، وَفِيهِمُ المُجْتَهِدَ ...» . الحديثَ[1] .

حديثٌ عن عثمانَ بنِ أبى العاصِ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدَّثنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، قال : أَتَيْنا عُثْمانَ بنَ أبى العاصِ فى يومِ جُمُعةٍ ؛ لنَعْرِضَ [4]عليه مُصْحَفًا[4] لنا على مُصْحَفِه ، فلمّا حضَرتِ الجُمُعةُ أَمَرَنا فاغتَسَلْنا ، ثم أُتِينا بطِيبٍ فَتَطيَّبنا ، ثم جئْنا المسْجِدَ ، فجلَسنا إلى رجلٍ ، فحدَّثنا عنِ الدَّجّالِ ، ثم جاء عثمانُ بنُ أبى العاصِ ، فقُمْنا إليه فجلَسنا ، فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةُ أَمْصَارٍ ؛ مِصْرٌ بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ ، وَمِصْرٌ بالْحِيرَةِ[5] ، وَمِصْرٌ بالشَّامِ ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ ، فَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِى أَعْرَاضِ[6] النَّاسِ ، فَيَهْزِمُ مَنْ قِبَلَ المَشْرِقِ ، فأَوَّلُ مِصْرٍ يَرِدُهُ الْمِصْرُ الَّذِى بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ ، فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فِرْقَةٌ [7]تُقيمُ تَقُولُ[7] : نُشَامُّهُ[8] ؛ نَنْظُرُ مَا هُوَ ؟ وفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى المعجم الكبير : « المتعبد » .

(٣) المسند ٤/ ٢١٦، ٢١٧ (١٧٩٣١) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ، وفيه على بن زيد ، وفيه ضعف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٢.

(٤ - ٤) فى الأصل : « مصحفا » .

(٥) فى ح ، ص : « الجزيرة » .

(٦) الأعراض : جمع عَرْض ، والعرض : الجيش ، شُبِّه بالجبل فى عِظَمِه ، أو بالسحاب الذى سدَّ الأفق . وقد جاء فى رواية الطبرانى فى المعجم الكبير ٩/ ٥١، ٥٢ (٨٣٩٢) : « فيخرج الدجال فى أعراض جيش » . انظر التاج (ع ر ض) .

(٧ - ٧) فى المسند : « تقول » . وفى المجمع : « تبقى تقول » . والمثبت موافق لما فى المعجم الكبير .

(٨) نشامه : أى نختبره وننظر ما عنده . يقال : شامت فلانا . إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف . النهاية ٢/ ٥٠٢.

وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِى يَلِيهِمْ ، وَمَعَ الدَّجَّالِ سَبْعُونَ [٢٩و] أَلْفًا عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ ، وَأَكْثَرُ تَبَعِهِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ ، ثُمَّ يَأْتِى الْمِصْرَ الَّذِى يَلِيهِ ، فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فِرْقَةٌ تَقُولُ : نُشَامُّهُ ؛ نَنْظُرُ مَا هُوَ ؟ وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِى يَلِيهِمْ بِغَرْبِىِّ[1] الشَّامِ ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَقَبَةِ أَفِيقَ ، فَيَبْعَثُونَ سَرْحًا[2] لَهُمْ ، فَيُصَابُ سَرْحُهُمْ ، فَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَتُصِيبُهُمْ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَحْرِقُ وَتَرَ قَوْسِهِ فَيَأْكُلُهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّحَرِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَتَاكُمُ الْغَوْثُ . ثَلَاثًا ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ هَذَا [3]الصَّوْتَ لَصَوْتُ[3] رَجُلٍ شَبْعَانَ ، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ ، عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ ، فَيَقُولُ لَهُ أَمِيرُهُمْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، تَقَدَّمْ صَلِّ . فَيَقُولُ : هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَرَاءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيَتَقَدَّمُ أَمِيرُهُمْ فَيُصَلِّى ، فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ أَخَذَ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَرْبَتَهُ ، فَيَذْهَبُ نَحْوَ الدَّجَّالِ ، فإِذَا رَآهُ الدَّجَّالُ ذَابَ كَما يَذُوبُ الرَّصَاصُ ، فَيَضَعُ حَرْبَتَهُ بَيْنَ ثَنْدُوَتَيْهِ[4] فَيَقْتُلُهُ ، وَيَنْهَزِمُ أَصْحَابُهُ ، فَلَيْسَ يَوْمَئِذٍ شَىْءٌ يُوَارِى مِنْهُمْ أَحَدًا ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ لَتَقُولُ : يَا مُؤْمِنُ ، هَـٰذَا كَافِرٌ . وَيَقُولُ الْحَجَرُ : يَا مُؤْمِنُ ، هَذَا كَافِرٌ » . تفرَّدَ به أحمدُ .

ولعَلَّ هذَيْن المِصْرَيْنِ هُما البصرةُ والكوفةُ ؛ بدَليلِ ما رَواه الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو النضرِ هاشمُ بنُ القاسمِ ، حدَّثنا الحشْرَجُ بنُ نُبَاتَةَ القَيْسِىُّ الكوفىُّ ،

---

(١) فى الأصل : « بقرى » .

(٢) السرح : الماشية . النهاية ٢/ ٣٥٨.

(٣ - ٣) فى المسند : « لصوت » .

(٤) فى النسخ ، والمسند ، والمعجم الكبير : « ثندوته » . والمثبت من مجمع الزوائد . والثندوتان للرجل كالثديين للمرأة . انظر النهاية ١/ ٢٢٣.

(٥) المسند ٥/ ٤٤، ٤٥ (٢٠٤٦٩) .

حدَّثنى سعيدُ بنُ جُمْهَانَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرَةَ ، قال : حدَّثنا أبى فى هذا المسجِدِ ، يعنى مسجدَ البصرةِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتَنْزِلَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى أَرْضًا يُقَالُ لَهَا : الْبَصْرَةُ . يَكْثُرُ بِهَا عَدَدُهُمْ ، وَيَكْثُرُ بِهَا نَخْلُهُمْ ، ثُمَّ يَجِىءُ بَنُو قَنْطُورَاءَ صِغَارُ الْعُيُونِ ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى جِسْرٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ : دِجْلَةُ . فَيَتَفَرَّقُ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَأْخُذُونَ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ ، وَتَلْحَقُ بِالْبَادِيَةِ ، وَهَلَكَتْ ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا ، وَكَفَرَتْ ، فَهَذِهِ وتِلْكَ سَوَاءٌ ، وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَيَجْعَلُونَ عِيَالَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيُقَاتِلُونَ ، فَقَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّتِهَا[1] » .

ثُم روَاه أحمدُ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ وغيرِه ، عن العوّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن سعيدِ بنِ جُمْهَانَ ، عن ابنِ أبى بَكْرَةَ ، عن أبيه ، فذكَره[2] . قال العوَّامُ : بَنُو قَنْطُوراءَ هم التُّركُ . [3]وروَاه أبو داودَ ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ فارسٍ ، عن عبدِ الصَّمدِ بنِ عبدِ الوارثِ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ جُمْهَانَ ، عن مسلمِ بنِ أبى بَكْرَةَ ، عن أبيه ، فذكَر نحوَه[4][3] .

وروَى أبو داودَ[5] مِن حديثِ بَشيرِ بنِ المهاجرِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، عن النبىِّ ﷺ فى حديثِ « يُقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغَارُ الْأَعْيُنِ » . يَعْنِى التُّرْكَ ، قال : « تَسُوقُونَهُمْ ثَلَاثَ مِرَارٍ ، حَتَّى تُلْحِقُوهُمْ بجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَأَمَّا فِى السِّيَاقَةِ

---

(١) فى الأصل : « بقيتهم » .
(٢) المسند ٥/٤٠ (٢٠٤٢٩، ٢٠٤٣٠) .
(٣ - ٣) سقط : من الأصل .
(٤) أبو داود (٤٣٠٦) حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٨) .
(٥) أبو داود (٤٣٠٥) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٢٧) .

الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ ، وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ فَيَنْجُو بَعْضٌ وَيَهْلِكُ بَعْضٌ ، وَأَمَّا فِي الثَّالِثَةِ فَيُصْطَلَمُونَ » . أو كما قال . لَفْظُ أبي داودَ[1] .

وروَى الثوريُّ[2] ، عن سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن أبي الزَّعْراءِ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : يفترِقُ النّاسُ عندَ خُرُوجِ الدجَّالِ ثلاثَ فِرَقٍ ؛ فِرْقَةٌ تَتْبَعُه ، وفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بأرضِ آبائِهَا بِمَنابِتِ الشِّيحِ ، وفِرْقَةٌ تأخُذُ بِشَطِّ الفُراتِ ، يُقاتِلُهم ويُقاتِلُونَه ، حَتَّى يجتَمِعَ المؤمنونَ بِقُرَى الشّامِ ، ويَبْعَثُونَ طَلِيعةً ، فيهِم فارسٌ فَرَسُه أَشْقَرُ أو أَبْلَقُ ، فيُقْتَلُونَ فلا يرجِعُ منهم بَشَرٌ .

حديثٌ عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ : قال حنبَلُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنا دُحَيْمٌ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يحيى المَعَافِرِيُّ ، هو البُرُلُّسِيُّ - أحدُ الثِّقاتِ - عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، حدَّثني أبو الوازِعِ أنَّه سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ بُسْرٍ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيُدْرِكَنَّ الدَّجَّالَ مَنْ رَآنِي » . أو قال : « لَيَكُونَنَّ قَرِيبًا مِنْ مَوْتِي » . قال شيخُنا الذَّهبيُّ : أبو الوازِعِ لا يُعرَفُ ، والحديثُ مُنْكَرٌ . قلتُ : وقد تقدَّم في حديثِ أبي عُبَيْدةَ شاهدٌ له[4] .

---

(١) قال في عون المعبود ٤/ ١٨٢: واعلم أن هذا الحديث يدل صراحة على أن المسلمين من أمة النبي ﷺ هم الذين يسوقون الترك ثلاث مرار حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ... وأخرج هذا الحديث الإمام أحمد في مسنده وسياقه مخالف لسياق أبي داود مخالفة ظاهرة ؛ فإن سياق أحمد يدل صراحة على أن الترك هم الذين يسوقون المسلمين ثلاث مرار حتى يلحقوهم بجزيرة العرب . وقد تقدمت رواية أحمد في صفحة ١٥.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٥١٥) ، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٩٦، كلاهما من طريق سفيان الثوري به بنحوه .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا عن حنبل بن إسحاق ، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٠) ، من طريق معاوية بن صالح به بنحوه .

(٤) تقدم في صفحة ١٥٧ .

حديثٌ عن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال الطبرانىُّ[1] : حدَّثنا العبّاسُ بنُ الفَضْلِ الأَسْفاطِىُّ ، حدَّثنا زيدُ بنُ الحَرِيشِ ، حدَّثنا أبو همَّامٍ محمدُ بنُ الزِّبْرِقانِ ، حدَّثنا مُوسَى بنُ عُبيدةَ ، حدَّثنى زيدُ[2] بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن سَلَمةَ بنِ الأَكْوَعِ ، قال : أقبَلْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن قِبلِ العَقِيقِ ، حَتَّى إذا كُنّا مع[3] الثَّنِيَّةِ[4] ، قال : « إنِّى لأَنْظُرُ إلَى مَوَاقِعِ عَدُوِّ اللَّهِ الْمَسِيحِ ، إنَّهُ يُقْبِلُ حَتَّى يَنْزِلَ مِنْ كَذَا ، حَتَّى يَخْرُجَ إلَيْهِ الْغَوْغَاءُ ، مَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ إلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ أَوْ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهِ ، مَعَهُ صُورَتَانِ ؛ صُورَةُ الْجَنَّةِ ، وَصُورَةُ النَّارِ خَضْرَاءُ ، وَمَعَهُ شَيَاطِينُ يَتَشَبَّهُونَ بالْأَمْوَاتِ ، يَقُولُ[5] لِلْحَىِّ : تَعْرِفُنِى ؟ أَنَا أَخُوكَ ، أَنَا أَبُوكَ ، أَنَا ذُو قَرَابَةٍ مِنْكَ ، أَلَسْتُ قَدْ مِتُّ ؟ هَذَا رَبُّنَا [٣٠و] فَاتَّبِعْهُ . فَيَقْضِى اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْهُ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ لَهُ رَجُلًا مِنَ الْمُسلِمِينَ ، فَيُسْكِتُهُ وَيُبَكِّتُهُ ، وَيَقُولُ : هَذَا الْكَذَّابُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ وَيَقُولُ بَاطِلًا ، وَلَيْسَ رَبُّكُمْ بِأَعْوَرَ . فَيَقُولُ : هَلْ أَنْتَ مُتَّبِعِى ؟ فَيَأْبَى ، فَيَشُقُّهُ شِقَّتَيْنِ ، وَيَفْصِلُ[6] ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : أُعِيدُهُ لَكُمْ ؟ فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ تَكْذِيبًا لَهُ ، وَأَشَدَّ شَتْمًا ، فَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّمَا رَأَيْتُمْ بَلَاءً ابْتُلِيتُمْ بِهِ ، وَفِتْنَةً افْتُتِنْتُمْ بِهَا ، إنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُعِدْنِى مَرَّةً أُخْرَى ، أَلَا هُوَ كَذَّابٌ . فَيَأْمُرُ بِهِ إلَى هَـٰذِهِ، النَّارِ ؛ وَهِىَ صُورَةُ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ قِبَلَ الشَّامِ » .

---

(١) المعجم الكبير ٧/ ٤٠ (٦٣٠٥) .

(٢) فى النسخ ، والمعجم الكبير : « يزيد » . والمثبت من جامع المسانيد والسنن ٥/ ٤٤٦ . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) فى المعجم الكبير : « على » . وكلمة « مع » قد تكون بمعنى « عند » تقول : جئت مِن مع القوم ، أى : من عندهم . التاج (م ع ع) .

(٤) بعده فى المعجم الكبير : « التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أومأ بيده قبل المشرق » .

(٥) فى المعجم الكبير : « يقولون » . ويقول : أى أحد الشياطين .

(٦) فى المعجم الكبير : « يعطى » .

مُوسى بنُ عُبيدَةَ الرَّبَذِىُّ ضَعيفٌ ، وهذا السياقُ فيه غَرابةٌ ، واللَّهُ أعلَمُ .

حديثُ مِحْجَنِ بنِ الأدْرَعِ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال أحمدُ[1] : حدَّثنا يونسُ ، حدَّثنا حمادٌ ، يَعنِى ابنَ سَلَمَةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن مِحْجَنِ بنِ الأَدْرَعِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ خطَب الناسَ ، فقال : « يَوْمُ الْخَلَاصِ ، وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ ؟! » ثلاثًا . فقيلَ له : وما يومُ الخلاصِ . قال : « يَجِىءُ الدَّجَّالُ ، فَيَصْعَدُ أُحُدًا ، فيَنْظُرُ إلَى الْمَدِينَةِ ، فَيقُولُ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ تَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ ، هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ . ثُمَّ يَأْتِى الْمَدِينَةَ ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكًا مُصْلِتًا ، فَيَأْتِى سَبَخَةَ الجُرْفِ ، فيَضْرِبُ رُوَاقَهُ ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ إلَّا خَرَجَ إلَيْهِ ، فذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ » . تفرَّد به أحمدُ .

ثم روَاه أحمدُ[2] عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن أبى بِشْرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ ، عن رَجاءِ بنِ أبى رجاءٍ ، عن مِحْجَنِ بنِ الأدْرَعِ ، قال : أخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيَدِى ، فصَعِد على أُحُدٍ ، فأشْرَف على المدينةِ ، فقال : « وَيْلَ أُمِّهَا قَرْيَةً ! يَدَعُهَا أَهْلُهَا خَيْرَ مَا تَكُونُ - أَوْ كَأَخْيَرِ مَا تَكُونُ - فَيَأْتِيهَا الدَّجَّالُ ، فَيَجِدُ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا مَلَكًا مُصْلِتًا بِجَنَاحِهِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا » . قال : ثم نزَل وهو آخِذٌ بيَدِى ، فدَخَلَ المسْجِدَ ، فإذَا رَجُلٌ يُصَلِّى ، فقال لى : « مَنْ هَذَا ؟ » فأثْنَيْتُ عَلَيه خَيْرًا ، فقال : « اسْكُتْ ، لَا تُسْمِعْهُ فَتُهْلِكَهُ » . قال : ثم أَتَى حُجْرةَ امرأةٍ مِن نِسائِه ، فنفَضَ يدَهُ مِنْ يَدِى ، وقال : « إنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ ، إنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ

---

(١) المسند ٤/٣٣٨ (١٨٩٩٦) . قال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . المجمع ٣/ ٣٠٨.
(٢) المسند ٤/٣٣٨ (١٨٩٩٧) . قال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح خلا رجاء ، وقد وثقه ابن حبان . المجمع ٣/ ٣٠٨.

أَيْسَرُهُ » .

(١) **حديثٌ آخرُ** : قال مَعْمَرٌ فى « جامعِه »(٢) ، عن الزُّهْرِىِّ ، أخْبَرَنى عمرُو ابنُ أبى(٣) سفيانَ الثَّقَفىُّ ، أخْبَرنى رجلٌ مِن الأنصارِ ، عن بعضِ أصحابِ محمدٍ ﷺ ، قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الدجَّالَ ، فقال : « يَأْتِى سِبَاخَ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَهَا ، فَتَنْتَفِضُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ ، وَهِىَ الزَّلْزَلَةُ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ ، ثُمَّ يُوَلِّى الدَّجَّالُ قِبَلَ الشَّامِ ، حَتَّى يَأْتِىَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَصِمُونَ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ ، فَيُحَاصِرُهُمْ نَازِلًا بِأَصْلِهِ ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، قَالَ رَجُلٌ : حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا ، وَعَدُوُّ اللَّهِ نَازِلٌ بِأَصْلِ جَبَلِكُمْ ؟ هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ؛ بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهِدَكُمْ أَوْ يُظْهِرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ . فَيَتَبَايَعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ تَأْخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امْرُؤٌ كَفَّهُ ، فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ ، فَيَحْسِرُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ لَأْمَةٌ ، فَيَقُولُونَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَرُوحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ ، عِيسَى ، اخْتَارُوا إِحْدَى ثَلَاثٍ ؛ بَيْنَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَى الدَّجَّالِ وَجُنُودِهِ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ يَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ سِلَاحَكُمْ ، وَيَكُفَّ سِلَاحَهُمْ عَنْكُمْ . فَيَقُولُونَ : هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشْفَى لِصُدُورِنَا . فَيَوْمَئِذٍ يُرَى الْيَهُودِىُّ الْعَظِيمُ الطَّوِيلُ ، الْأَكُولُ الشَّرُوبُ ، لَا تُقِلُّ(٤) يَدُهُ سَيْفَهُ ؛ مِنَ الرِّعْدَةِ ، فَيَنْزِلُونَ إِلَيْهِمْ ، فَيُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَذُوبُ الدَّجَّالُ(١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٣٤) ، بنحوه .

(٣) سقط من : الأصل ، ح . والمثبت من المصنف . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤ .

(٤) تقل : تحمل .

(١) حَتَّى يُدْرِكَهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَيَقْتُلَهُ » . قال شيخُنا الحافظُ الذَّهبيُّ : هذا حديثٌ قويُّ الإسنادِ .

حديثُ نَهِيكِ بنِ صُرَيْمٍ : قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ(٢) : حدَّثنا أبو موسَى الزَّمِنُ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سليمانَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبانٍ ، عن يزيدَ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن بُسْرٍ [٣٠ظ] بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن أبى إدريسَ ، عن نَهِيكِ بنِ صُرَيْمٍ السَّكُونيِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتُقَاتِلُنَّ الْمُشْرِكِينَ ، حَتَّى تُقَاتِلَ بَقِيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ عَلَى نَهَرِ الْأُرْدُنِّ ، أَنْتُمْ شَرْقِيَّهُ ، وَهُوَ غَرْبِيَّهُ » . قَالَ : وَمَا أَدْرِى أَيْنَ الْأُرْدُنُّ يَومَئِذٍ مِن الأَرْضِ ؟ وكذا روَاه سعيدُ بنُ سالمٍ ، وعبدُ الحميدِ بنُ صالحٍ(٣)(١) .

حديثُ أبى هريرةَ رضِى اللَّهُ عنه : قال أحمدُ(٤) : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا يعقوبُ ، عن سُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ(٥) ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ(٥) : يَا مُسْلِمُ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَـٰذَا (٦)الْيَهُودِيُّ مِنْ(٦) خَلْفِى ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ » .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) كشف الأستار (٣٣٨٧) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى والبزار ، ورجال البزار ثقات . المجمع ٧/ ٣٤٩.

(٣) رواية سعيد بن سالم لم نجدها فيما بين أيدينا ، ورواية عبد الحميد بن صالح أخرجها ابن قانع فى معجم الصحابة ٣/ ١٦٧.

(٤) المسند ٢/٤١٧ (٩٣٨٧) .

(٥) فى المسند : « الشجرة » .

(٦ - ٦) فى المسند : « يهودى » .

وقد روَى مسلمٌ[1] عن قُتَيْبةَ ، بهذا الإسنادِ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ » . الحديثَ ، وقد تقدَّم[2] الحديثُ بطُرُقِه وألفاظِه ، والظاهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنَّ المرادَ بهؤلاءِ التُّرْكِ أنصارُ الدَّجالِ ، كما تقدَّم[3] فى حديثِ أبى بكرٍ الصديقِ الذى روَاه أحمدُ والتِّرْمذىُّ وابنُ ماجه .

طريقٌ أخرَى عن أبى هريرةَ : قال أحمدُ[4] : حدَّثنا حُسينُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا جَريرٌ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَّالُ بِخُوزَ[5] وَكَرْمَانَ فِى سَبْعِينَ أَلْفًا [6]كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ[6] الْمُطْرَقَةُ » . إسنادُه جيدٌ قوىٌّ حسنٌ .

طريقٌ أخرى عن أبى هريرةَ : قال حنبلُ بنُ إسحاقَ : حدَّثنا سُريجُ بنُ النعمانِ ، حدَّثنا فُليحٌ ، عن الحارثِ بنِ فُضيلٍ ، عن زيادِ بنِ سعدٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب الناسَ ، وذكَر الدَّجَّالَ ، فقال : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ ، وَسَأَصِفُهُ لَكُمْ مَا لَمْ يَصِفْهُ نَبِيٌّ قَبْلِى ؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ يَكْتُبُ أَوْ لَا يَكْتُبُ » . هذا إسنادٌ جيدٌ لَمْ يُخْرِجُوه .

---

(١) مسلم (٦٥/ ٢٩١٢) .
(٢) تقدم فى ٩/ ٢١٩.
(٣) تقدم فى صفحة ١٥٥ .
(٤) المسند ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨ (٨٤٣٤) .
(٥) فى المسند : « خوز » .
(٦ - ٦) فى المسند : « وجوههم كالمجان » .

طريقٌ أخرَى عن أبى هريرةَ : قال أحمدُ[1] : حدَّثنا سُريجٌ ، حدَّثنا فُلَيْحٌ ، عن عمرَ[2] بنِ العَلاءِ الثَّقفىِّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهُمَا[3] مَلَكٌ[4] لَا يَدْخُلُهُمَا[5] الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ » . هذا غريبٌ جدًّا ، وذكْرُ مكةَ فى هذا ليس بمحفوظٍ ، أو ذِكْرُ الطاعونِ ، واللَّهُ أعلمُ ، والعَلاءُ الثَّقفىُّ هذا إن كان ابنَ زَيْدَلٍ ، فهو كذَّابٌ .

طريقٌ أخرَى عنه : قال البُخارِىُّ ومسلمٌ[6] : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، حدَّثَنا جَريرٌ ، عن عُمارةَ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : مازِلْتُ أُحِبُّ بنى تَميمٍ منذُ ثلاثٍ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِى عَلَى الدَّجّالِ » . قال : وجاءتْ صَدَقاتُهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَـٰذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِى » . قال : وكانت سَبِيَّةٌ مِنهم عندَ عائشةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَعْتِقِيهَا ؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » .

حديثُ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال أبو داودَ[7] : حدَّثنا موسى ابنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا جَريرٌ ، حدَّثنا حُمَيْدُ بنُ هلالٍ ، عن أبى الدَّهْماءِ ، قال : سمِعْتُ عِمْرانَ بنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ ، قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « مَنْ سَمِعَ

---

(١) المسند ٢/٤٨٣ (١٠٢٧١) .
(٢) فى ح ، ص ، والمسند : « عمرو » . وانظر أطراف المسند ٧/ ٤٣٢.
(٣) فى ح ، ص ، والمسند : « منها » . وانظر فتح البارى ١٠/ ١٩١.
(٤) فى النسخ : « ملائكة » . والمثبت من المسند .
(٥) فى ح ، ص ، والمسند : « يدخلها » .
(٦) البخارى (٢٥٤٣، ٤٣٦٦) ، ومسلم (١٩٨/ ٢٥٢٥) .
(٧) أبو داود (٤٣١٩) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٢٩) .

بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ ؛ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » . هكذا قال . تفرَّد به أبو داودَ .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثَنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، حدَّثَنا هشامُ بنُ حَسَّانَ ، حدَّثنا حُمَيْدُ بنُ هلالٍ ، عن أبى الدَّهْماءِ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ[2] ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ يَحْسَبُ[3] أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، [4]فَمَا يَزَالُ[4] بِهِ - لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبَهِ - حَتَّى يَتَّبِعَهُ » . وكذلك روَاه[5] عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، وأبو الدَّهْماءِ - واسمُه قِرْفةُ بنُ بُهَيْسٍ العَدَوِىُّ - ثقةٌ .

وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ[6] ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن الحسنِ ، عن عِمْرانَ بنِ الحُصَيْنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ ، وَمَشَى فِى الْأَسْوَاقِ » . يعنى الدَّجّالَ .

[7]**حديثُ عُبادةَ بنِ الصامِتِ رضِى اللَّهُ عنه** : قال أبو داودَ[8] : حدَّثنا حَيْوَةُ ابنُ شُرَيْحٍ ، حدَّثنا بَقِيَّةُ ، حدَّثنا بَحِيرٌ ، عن خالدٍ ، عن عمرِو بنِ الأسودِ ، عن[7]

---

(١) المسند ٤/٤٣١ (١٩٨٨٨) .
(٢) فى ص ، والمسند : « منه » .
(٣) فى المسند : « وهو يحسب » .
(٤ - ٤) فى المسند : « فلا يزل » .
(٥) المسند ٤/٤٤١ (١٩٩٨٢) .
(٦) أخرجه أحمد فى المسند ٤/٤٤٤ (٢٠٠٠٧) من طريق سفيان بن عيينة به . ضعيف (ضعيف الجامع الصغير ٤٦٩٩) .
(٧ - ٧) سقط من : ص .
(٨) أبو داود (٤٣٢٠) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٠) .

(١) جُنادَةَ بنِ أبى أُميَّةَ ، عن عُبادةَ بنِ الصّامِتِ ، أنه حدَّثَهم أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنِّى قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجّالِ ، حَتَّى خَشِيتُ أَلَّا تَعْقِلُوا ، إنَّ (٢) الْمَسِيحَ الدَّجّالَ (٢) رَجُلٌ قَصِيرٌ (٣) ، أَفْحَجُ ، جَعْدٌ ، أَعْوَرُ ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ ، وَلَا حَجْرَاءَ (٤) ، فَإِنْ لُبِّسَ (٥) عَلَيْكُمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . ورواه أحمدُ عن حَيْوةَ بنِ شُرَيْحٍ ويزيدَ بنِ عبدِ ربِّه ، والنَّسائىُّ عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، كلُّهم عن بَقِيَّةَ بنِ الوليدِ ، به (٦)(١) .

(٧) **حديثٌ** [٣١و] **عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ** : رواه الطبرانىُّ (٨) مِن طريقِ أنسِ ابنِ عِياضٍ ، عن (٩) عُبيدِ اللَّهِ (٩) بنِ عمرَ ، حدَّثنى بعضُ أصحابِنا عن أسماءَ بنتِ عُميسٍ ، أنها شكَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الحاجةَ ، فقال : « كَيْفَ بِكُمْ إذَا ابْتُلِيتُمْ بِعَبْدٍ قَدْ سُخِّرَتْ لَهُ أَنْهَارُ الْأَرْضِ وَثِمَارُهَا ، فَمَنِ اتَّبَعَهُ أَطْعَمَهُ وَأَكْفَرَهُ ، وَمَنْ عَصَاهُ حَرَمَهُ وَمَنَعَهُ ؟ » فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ الجاريةَ لَتُخْلَفَنَّ على التَّنُّورِ ساعةً تَخْبِزُهَا ، فَأَكَادُ أَفْتَتِنُ بها فى صلاتى ، فكيف بِنا إذا كان ذلك ؟ فقال : « إنَّ اللَّهَ (٧)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى ح ، وسنن أبى داود : « مسيح الدجال » .

(٣) قوله ﷺ : « رجل قصير » . يدل على قصر قامة الدجال ، وقد ورد فى حديث تميم الدارى فى شأن الدجال أنه أعظم إنسان ، ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة . عون المعبود ٤/ ١٩٨.

(٤) فى سنن أبى داود : « جحراء » . قال ابن الأثير : قال الهروى : إن كانت هذه اللفظة - يعنى حجراء - محفوظة ، فمعناها أنها ليست بصلبة مُتَحَجِّرة . وقد رويت جحراء - أى غائرة - بتقديم الجيم . النهاية ١/ ٣٤٣.

(٥) فى سنن أبى داود : « ألبس » .

(٦) أحمد ٥/ ٣٢٤ (٢٢٨١٦) ، والنسائى فى الكبرى (٧٧٦٤) .

(٧ - ٧) سقط من : ح ، ص .

(٨) المعجم الكبير ٢٤/ ١٥٧ (٤٠٢) .

(٩ - ٩) فى الأصل : « عبد الله » . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٤٩ ، ٣٥٠.

[1]لَيَعْصِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَعْصِمُ بِهِ الْمَلَائِكَةَ مِنَ التَّسْبِيحِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ[1] » .

حديثُ المُغيرةِ بنِ شُعْبَةَ : قال مسلمٌ[2] : حدَّثَنا شِهابُ بنُ عَبَّادٍ العَبْدىُّ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ حُمَيْدٍ الرُّؤَاسِىُّ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن المُغيرةِ بنِ شُعْبَةَ ، قال : ما سأَل أحدٌ النبىَّ ﷺ عن الدَّجّالِ أكثرَ ممَّا سأَلْتُ . قال : « وَمَا يُنْصِبُكَ[3] مِنْهُ ؟ إنَّهُ لَا يَضُرُّكَ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّهم يَقُولُونَ : إنَّ معَه الطعامَ والأنْهارَ . قال : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ »[4] .

حدَّثنا سُرَيْجُ بنُ يونُسَ ، حدَّثَنا هُشَيْمٌ ، عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ ، عن المُغيرةِ ابنِ شُعْبَةَ قال : ما سأَل أحدٌ النبىَّ ﷺ عن الدَّجّالِ أكثرَ ممَّا سأَلْتُه . قال : « وَمَا سُؤَالُكَ ؟ » . قال : قلتُ : إنهم يقولون : معه جبالٌ مِن خبزٍ ولحمٍ ، ونَهَرٌ مِن ماءٍ . قال : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ »[5] .

ورواه مسلمٌ أيضًا[6] فى الاستِئذانِ ، مِن طرقٍ كثيرةٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ . وأخْرَجه البخارىُّ[7] ، عن مُسَدَّدٍ ، عن يحيى القَطَّانِ ، عن إسماعيلَ ، به .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) مسلم (١١٤/ ٢٩٣٩) .

(٣) فى ح : « يعنيك » . والنصب : التعب . وروى : « ما يضنيك منه » . من الضنا : الهزال والضعف وأثر المرض . النهاية ٥/ ٦٢.

(٤) انظر ما سيأتى فى صفحة ١٩٤ .

(٥) مسلم (١١٥/ ٢٩٣٩) .

(٦) مسلم (٢١٥٢) .

(٧) البخارى (٧١٢٢) .

وقد تقَدَّم[1] فى حديثِ حُذَيفةَ وغيرِه أن ماءَه نارٌ ، ونارَه ماءٌ باردٌ ، وإنما ذلك فى رَأْيِ العينِ .

وقد تَمَسَّك بهذا الحديثِ طائفةٌ مِن العلماءِ ، كابنِ حَزْمٍ والطَّحاوىِّ وغيرِهما فى أنّ الدَّجّالَ مُمَخْرِقٌ مُمَوِّهٌ ، لا حقيقةَ لِمَا يُبْدِى للناسِ مِن الأمورِ التى تُشاهَدُ [2]فى زمانِه[2] ، بل كلُّها خَيالاتٌ عندَ هؤلاءِ . وقال الشيخُ أبو علىٍّ الجُبّائىُّ شيخُ المُعْتَزِلةِ[3] : لا يَجوزُ أن يَكونَ لذلك حقيقةٌ ؛ لِئَلا يَشْتبِهَ خارِقُ الساحرِ بخارقِ النبىِّ . وقد أجابه القاضى عِياضٌ وغيرُه بأنَّ الدَّجّالَ إنَّما يَدَّعِى الإلَهيَّةَ ، وذلك مُنافٍ لبَشَرِيَّتِه ، فلا يَمْتَنِعُ إجْراءُ الخارقِ على يدَيه ، والحالةُ هذه .

وقد أنْكَرت طوائفُ كثيرةٌ مِن الخَوارجِ والجَهْميَّةِ وبعضُ المُعْتَزِلةِ خروجَ الدَّجّالِ بالكُلِّيَّةِ ، وردُّوا الأحاديثَ الواردةَ فيه ، فلم [4]يَصْنَعوا شيئًا[4] ، وخرَجوا بذلك عن حَيِّزِ العلماءِ ؛ لردِّهم ما تواتَرت به الأخبارُ الصَّحيحةُ مِن غيرِ وجهٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ كما تقَدَّم ذلك . وإنَّما أوْرَدْنا بعضَ ما ورَد فى هذا البابِ ، و[5]فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ ، وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

والذى يَظْهَرُ مِن الأحاديثِ المُتَقَدِّمةِ أنَّ الدَّجالَ يَمْتَحِنُ اللَّهُ به عِبادَه بما يَخْلُقُه معه مِن الخَوارِقِ المُشاهَدةِ فى زمانِه ، كما تقَدَّم أن مَن اسْتَجاب له يَأْمُرُ السماءَ

---

(١) تقدم فى ص ٢١٧، ٢١٨.

(٢ - ٢) فى ح : « على يديه » .

(٣) انظر قول الجبائى فى فتح البارى ١٣/ ١٠٥، وانظر الخلاف فى كون ما يأتى به الدجال حقيقة أو خيالًا فى فتح البارى ١٣/ ١٠٥، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٥٨.

(٤ - ٤) فى ح : « فلم يصدقوا شيئا منها » .

(٥) بعده فى الأصل، ص : « إن كان » .

فتُمْطِرُهم ، والأرضَ فتُنْبِتُ لهم زَرْعًا تَأْكُلُ منه أنْعامُهم ، وأنْفُسُهم وتَرْجِعُ إليهم مَواشِيهم سِمانًا لُبْنا ، ومَن لا يَسْتَجِيبُ له ويَرُدُّ عليه أمرَه تُصِيبُهم السَّنَةُ والجَدْبُ[1] والقَحْطُ والغُلَّةُ وموتُ الأَنْعامِ ونقْصُ الأموالِ والأنْفُسِ والثَّمَراتِ ، وأنه يَتْبَعُه كُنوزُ الأرضِ كيَعاسِيبِ[2] النحلِ ، وأنَّه يَقْتُلُ ذلك الشابَّ ثم يُحْيِيه ، وهذا كلُّه ليس بمَخْرقةٍ ، بل له حَقيقةٌ امْتَحَن اللَّهُ بها عبادَه فى ذلك الزمانِ ، فيُضِلُّ به كثيرًا ، ويَهْدِى به كثيرًا ، يَكْفُرُ المُرْتابون ، ويَزْدَادُ الذينِ آمنوا إيمانًا .

وقد حمَل القاضى عِياضٌ[3] وغيرُه على هذا المعنَى معنَى الحديثِ : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » . أى هو أقلُّ مِن أن يَكونَ معه ما يُضِلُّ به عبادَه المؤمنين ، وماذاك إلّا لأنَّه ناقِصٌ ، ظاهِرُ النقْصِ والفُجورِ والظُّلمِ ، وإن كان معه ما معه مِن الخَوارِقِ ؛ فبيْنَ عينَيه مكتوبٌ : كافرٌ . كتابةً ظاهرةً ، وقد حقَّق ذلك الشارعُ فى خبَرِه بقوله : « ك ف ر » . فدَلَّ ذلك على أنَّه كتابةٌ حِسِّيَّةٌ ، لا مَعْنويةٌ ، كما يَقولُه بعضُ الناسِ ، وعينُه الواحدةُ عَوْراءُ شَنيعَةُ المنظرِ ناتِئةٌ ، وهو معنَى قولِه : « كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ » . أى عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، ومَن روَى ذلك : « طَافِئَةٌ » . فمعناه : لَا ضَوْءَ فِيهَا . وفى الحديثِ الآخَرِ : « كَأَنَّهَا نُخَامَةٌ عَلَى حَائِطٍ مُجَصَّصٍ » . أى بَشِعةُ الشَّكْلِ .

وقد ورَد فى بعضِ [٣١ظ] الأحاديثِ أن عينَه اليُمْنى عَوْراءُ ، وجاء فى بعضِها : اليُسْرَى . فإمّا أن تَكونَ إحدى الرِّوايتَيْن غيرَ مَحْفوظةٍ ، أو أنَّ العَوَرَ

---

(١) بعده فى ح : « والجوع » .

(٢) اليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل وذكرها .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧٤/١٨ .

حاصِلٌ فى كُلٍّ مِن العَينَيْن ، ويَكونُ مَعنى العَوَرِ النقصَ والعيبَ ، ويُقَوِّى هذا الجوابَ ما رواه الطَّبَرانىُّ[1] ، حدَّثنا محمدُ بنُ محمدٍ التَّمّارُ وأبو خَليفةَ ، قالا : حدَّثنا أبو الوَليدِ ، حدَّثنا زائدةُ ، حدَّثنا سِماكٌ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الدَّجّالُ جَعْدٌ هِجَانٌ أَقْمَرُ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ ، مَطْمُوسُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى[2] ، وَالْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ » . الحديثَ . وكذلك روَاه سُفيانُ الثَّوْرِىُّ ، عن سِماكٍ بنحوِه[3] . لكِنْ قد جاء فى الحديثِ المتقدِّمِ[4] : « وَعَيْنُهُ الْأُخْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ » .

وعلى هذا فتَكونُ الروايةُ الواحدةُ غَلَطًا ، ويَحْتَمِلُ أن يَكونَ المرادُ أن العينَ الواحدةَ عَوْراءُ فى نفسِها ، والأخرَى عَوْراءُ باعْتبارِ انفرادِها[5] . واللَّهُ ، سبحانه وتعالى ، أعلمُ بالصوابِ .

وقد سأَل سائلٌ سؤالًا ، فقال : ما الحِكْمةُ فى أن الدَّجّالَ مع كثرةِ شَرِّه وفُجورِه ، وانْتشارِ أمرِه ، ودَعْواه الرُّبوبِيَّةَ ، وهو فى ذلك ظاهرُ الكَذِبِ والافْتِراءِ ، وقد حذَّر منه جميعُ الأنبياءِ ، كيف لم يُذْكَرْ فى القرآنِ ، ويُحَذَّرْ منه ، ويُصَرَّحْ باسِمه ، ويُنَوَّهْ بكَذِبِه وعِنادِه ؟

والجوابُ مِن وجوهٍ ؛ أحدُها أنَّه قد أُشِير إلى ذِكْرِه فى قولِه تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا

---

(١) الطبرانى ٢٧٣/١١ (١١٧١٢) .
(٢) فى ص : « اليمنى » .
(٣) الطبرانى ٢٧٣/١١ (١١٧١٣) .
(٤) تقدم صفحة ١٧١ .
(٥) فى ص : « انبراؤها » .

خَيْرًا ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨].

قال أبو عيسى التِّرْمذِيُّ عندَ تفسيرِها[1]: حدَّثنا عبدُ بنُ حُمَيدٍ، حدَّثنا يَعْلَى ابنُ عُبَيْدٍ، عن فُضَيْلِ بنِ غَزْوانَ، عن أبى حازمٍ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «ثَلَاثٌ إذَا خَرَجْنَ ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ الدَّجّالُ، وَالدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ - أَوْ مِنْ مَغْرِبِهَا». ثم قال: هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ.

الثانى: أنَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ يَنْزِلُ مِن السَّماءِ الدُّنيا، فيَقْتُلُ الدَّجّالَ، كما تقدَّم، وكما سيأتى، وقد ذُكِرَ فى القرآنِ نُزولُه فى قولِه تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٨، ١٥٩].

وقد قرَّرْنا فى «التفسيرِ»[2] أن الضميرَ فى قولِه تعالى: ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾. عائدٌ على عيسى، أى سيَنْزِلُ إلى الأرضِ، ويُؤْمِنُ به أهلُ الكتابِ الذين اخْتَلَفوا فيه[3] اخْتِلافًا مُتَبايِنًا، فمِن مُدَّعِى الإلَهيَّةِ كالنصارَى، ومِن قائلٍ فيه قولًا عظيمًا، وهو أنه وَلَدُ زَنْيَةٍ[4]، وهم اليهودُ، ومِن قائلٍ أنَّه قُتِل وصُلِب ومات. إلى غيرِ ذلك، فإذا نزَل قبلَ يومِ القيامةِ تحقَّق كُلٌّ مِن الفريقَيْن كَذِبَ نفسِه فيما يَدَّعِيه فيه مِن الافْتِراءِ، وسنُقَرِّرُ هذا قريبًا. وعلى هذا فيَكُونُ ذِكْرُ نزولِ المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ إشارةً إلى ذِكْرِ المسيحِ الدَّجّالِ مَسيحِ الضَّلالَةِ، وهو ضِدُّ مَسيحِ الهُدَى، ومِن

---

(١) الترمذى (٣٠٧٢).

(٢) التفسير ٢/٤٠٣ - ٤٠٦.

(٣) بعده فى ح: «وفى قتله وفى حياته».

(٤) فى ص: «ريبة». وولد زنية: أى ابن زنًا. اللسان (ز ن ى).

عادةِ العرَبِ أنَّها تَكْتَفِى بذكرِ أحدِ الضِّدَّين عن ذكرِ الآخَرِ، كما هو مُقَرَّرٌ فى موضعِه.

الثالثُ: أنَّه لم يُذْكَرْ بصريحِ اسمِه فى القرآنِ احْتِقارًا له؛ حيث إنَّه يَدَّعِى الإلَهيَّةَ وهو بَشَرٌ، وهو مع بشريَّتِه ناقصُ الخلقِ يُنافى حالُه جَلالَ الربِّ وعَظَمتَه وكِبْرياءَه وتنْزِيهَهُ عن النَّقصِ، فكان أمرُه عندَ الربِّ أحْقَرَ مِن أنْ يُذْكَرَ، وأصْغَرَ، وأَدحَرَ مِن أن يُجْلَى عن أمرِ دَعْواه ويُحذَّرَ [٣٢و] ولكنِ انْتَصَر الرسلُ لجَنابِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، فجلَوْا لأُمَمِهم عن أمرِه، وحذَّرُوهم ما معه مِن الفتنِ المُضِلَّةِ، والخوارِقِ المُنْقَضِيةِ المُضْمحِلَّةِ، فاكْتَفَى بإخْبارِ الأنبياءِ، وتَواتُرِ ذلك عن سيِّدِ ولدِ آدمَ إمامِ الأتقياءِ عن أَنْ يذكُرَ أمرَه الحقيرَ بالنسبةِ إلى جَلالِ اللَّهِ، فى القرآنِ العظيمِ، ووَكَل بيانَ أمرِه إلى كلِّ نبيٍّ كريمٍ.

فإن قلتَ: فقد ذُكِر فِرْعونُ فى القرآنِ، وقد ادَّعَى ما ادَّعاه مِن الإلهيةِ والكذِبِ والبُهْتانِ؛ حيث قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. فالجوابُ أنَّ أمرَ فِرْعونَ قد انْقَضَى، وتبَيَّنَ كذِبُه لكلِّ مؤمنٍ وعاقلٍ، وأمرُ الدَّجّالِ سيأْتى، وهو كائنٌ فيما يُسْتَقْبَلُ فِتْنةً واخْتِبارًا للعِبادِ، فتُرِك ذِكْرُه فى القرآنِ احْتِقارًا له، وامْتِحانًا به، إذْ أمْرُه وكذِبُه أظهَرُ مِن أن يُنَبَّهَ عليه، ويُحَذَّرَ منه، وقد يُتْرَكُ ذِكْرُ الشىءِ لوُضوحِه، كما كان النبىُّ ﷺ فى مرَضِ موتِه قد عزَم على أن يكتُبَ كتابًا بخلافةِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ، رضِى اللَّهُ عنه، مِن بعدِه، ثم ترَك ذلك، وقال: «يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»[1]. فترَك نصَّه عليه لوضوحِ جَلالتِه، وعظيمِ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/ ٣٦.

قَدْرِه عندَ الصحابةِ ، وعَلِم ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أنَّهم لا يَعْدِلون به أحدًا بعدَه ، وكذلك وقَع الأمرُ ، ولهذا يُذْكَرُ هذا الحديثُ فى دَلائلِ النُّبوةِ ، كما تقدَّمِ ذِكْرُنا له غيرَ مرةٍ فى مَواضعَ مِن هذا الكتابِ[1] .

وهذا المَقامُ الذى نحن فيه مِن هذا القَبيلِ ، وهو أن الشىءَ قد يَكونُ ظُهورُه كافيًا عن التَّنْصِيصِ عليه ، وأنَّ الأمرَ أظْهَرُ وأوْضَحُ وأجْلَى مِن أن يُحْتاجَ معه إلى زيادةِ إيضاحٍ على ما فى القلوبِ مُسْتَقِرٌّ ، فالدَّجّالُ واضحُ الذَّمِّ ظاهرُ النَّقصِ بالنسبةِ إلى المَقامِ الذى يَدَّعِيه مِنَ الرُّبوبيةِ ، فترَك اللَّهُ ذِكْرَه والنصَّ عليه ؛ لِمَا يعلَمُ تعالى مِن عبادِه المؤمنين أنَّ مثلَ الدَّجّالِ لا يخفَى ضلالُه عليهم ولا يَهيضُهم[2] ، ولا يَزِيدُهم إلَّا إيمانًا وتَسْليمًا للَّهِ ولرسولِه ، وتَصْديقًا للحقِّ ، وردًّا للباطلِ .

ولهذا يقولُ ذلك المؤمِنُ الذى يُسَلَّطُ عليه الدَّجّالُ فيَقْتُلُه ، ثم يُحْيِيه : وَاللَّهِ مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً ، أَنْتَ الْأَعْوَرُ الْكَذَّابُ الَّذِى حَدَّثَنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . و[3]لا يَلزَمُ مِن هذا أنَّه سمِع خبرَ الدَّجّالِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] شِفَاهًا .

وقد أخَذ بظاهرِه إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سُفيانَ الفقيهُ الرَّاوى للصَّحيحِ عن مسلمٍ ، فحكَى[4] عن بعضِهم أنه الخَضِرُ ، عليه السلامُ ، وحكَاه القاضى عِياضٌ عن مَعْمَرٍ فى « جامعِه »[5] .

---

(١) تقدم فى ٨/ ٣٦، ٩٤، ٩٧.

(٢) يهيضهم : يكسرهم ، والهَيْضُ : الكسر بعد الجبر . وهو أشد ما يكون من الكسر . النهاية ٥/ ٢٨٨.

(٣ - ٣) فى ح : « يقول له ذلك » .

(٤) قاله عقب حديث (١١٢/ ٢٩٣٨) من صحيح مسلم . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٢.

(٥) المصنف (٢٠٨٢٤) .

وقد قال أحمدُ فى « مسندِه »[1] ، وأبو داودَ فى « سننِه »[2] ، والتِّرْمذىُّ فى « جامعِه »[3] ، بإسنادِهم إلى أبى عُبَيدةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ مَنْ رآنِى ، وَسَمِعَ كَلَامِى » . وهذا مِمَّا قد يَتَقَوَّى به بعضُ مَن يَقولُ بهذا[4] ، ولكنَّ فى إسنادِه غَرابةً ، ولعلَّ هذا كان قبلَ أنْ يُبَيَّنَ له ﷺ مِن أمْرِ الدَّجَّالِ ما بُيِّنَ فى ثانى الحالِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ .

وقد ذكَرْنا فى قصَّةِ الخَضِرِ كلامَ الناسِ فى حَياتِه ، ودلَّلْنا على وفاتِه بأدلةٍ أسْلَفْناها هُنالِك ، فمَن أراد الوُقوفَ عليها فلْيَتَأَمَّلْها فى قَصَصِ الأنْبياءِ مِن كتابِنا هذا[5] . واللَّهُ أعلَمُ بالصوابِ[6] .

ذِكْرُ ما يَعْصِمُ مِنَ الدَّجَّالِ

فمِن ذلك الاسْتِعاذةُ مِن فِتْنَتِه ، فقد ثبَت فى الأحاديثِ الصِّحاحِ ، مِن غيرِ

---

(١) المسند ١/١٩٥ (١٦٩٣) .

(٢) أبو داود (٤٧٥٦) ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠١٩) .

(٣) الترمذى (٢٢٣٤) .

(٤) فى ح : « بحياة الخضر » .

(٥) تقدم فى ٢/٢٥٠ - ٢٧١.

(٦) بعده فى الأصل ، ح : « قال كاتبه : وقد يكون المراد بقوله ، عليه السلام ، فى هذا الحديث : « وليدركنه بعض من رآنى وسمع كلامى » . أنه عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، فإنه رآه ليلة الإسراء ، وسلم عليه ورد عليه السلام ، وقال : « مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح » . فرآه وسمع كلامه ، وروى فى الأحاديث أنه يدرك الدجال فيقتله فيكون المراد بقوله : « ليدركنه من رآنى وسمع كلامى » . أنه عيسى ابن مريم . واللَّه سبحانه أعلم ، أو من رآه رؤيا معنوية لا حسية كمن رآه فى المنام وكلمه فيه ، أو من رآه من مؤمنى الجن وسمع كلامه ، أو من الملائكة ، أو من شاء اللَّه سبحانه ، وأما أصحابه الذين رأوه وكلموه وكلمهم فبالإجماع أن الجميع ماتوا ، وعلى قول بعض أصحابه أن الدجال ابن صياد فيكون هو ويكون قوله ﷺ ذلك على التهديد والوعيد له واللَّه سبحانه أعلم . آخر الزيادة » .

وجهِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَتَعَوَّذُ مِن فِتْنةِ الدَّجَّالِ فى الصلاةِ، وأنه أَمَر أُمَّتَه بذلك أيضًا: «اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ [٣٢ظ] جَهَنَّمَ، ومِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)]. وذلك مِن حديثِ أنسٍ، وأبى هريرةَ، وعائشةَ، وابنِ عباسٍ، وسعدٍ، وعمرِو بنِ شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّه، وغيرِهم.

قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذَّهَبىُّ: والاسْتِعاذةُ مِن الدَّجّالِ مُتَواتِرةٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ.

ومِن ذلك حِفْظُ آياتٍ مِن سورةِ الكهفِ، كما قال أبو داودَ[(٢)]: حدَّثنا حَفْصُ بنُ عمرَ، حدَّثنا هَمَّامٌ، عن قَتادةَ، حدَّثنا سالمُ بنُ أبى الجَعْدِ، عن مَعْدانَ، عن أبى الدرداءِ، يروِيه عن النَّبىِّ ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». قال أبو داودَ: وكذا قال هشامٌ الدَّسْتُوَائىُّ، عن قَتادةَ، إلا أنَّه قال: «مَن حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ». وقال شعبةُ، عن قتادةَ: «[(٣)]مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ[(٣)]».

---

(١) أخرجه البخارى (٨٣٢، ٨٣٣، ٢٣٩٧، ٦٣٦٨، ٦٣٧٥ - ٦٣٧٧، ٧١٢٩)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩)، كلاهما من حديث عائشة. وأخرجه أيضا البخارى (١٣٧٧)، ومسلم (١٢٨، ١٣٠ - ١٣٣/ ٥٨٨)، كلاهما من حديث أبى هريرة.

وأخرجه البخارى أيضا (٤٧٠٧) من حديث أنس، وأيضا (٢٨٢٢، ٦٣٦٥، ٦٣٧٠، ٦٣٧٤، ٦٣٩٠) من حديث سعد بن أبى وقاص. وأخرجه مسلم (٥٩٠) من حديث ابن عباس.

وأخرجه النسائى (٥٥٠٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أما الأحاديث الخاصة بأمره ﷺ أمته بذلك فهى فى مسلم (١٢٨، ١٣٠، ١٣٢/ ٥٨٨).

(٢) أبو داود (٤٣٢٣).

(٣ - ٣) سقط من: ح.

وقد روَاه مسلمٌ[1] مِن حديثِ همّامٍ، وهشامٍ، وشعبةَ، عن قتادةَ، به، بألفاظٍ مختلفةٍ، وقال التِّرمذىُّ: حسنٌ صحيحٌ[2]. وفى بعضِ رِواياتِه[3]: «الثَّلَاثَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ». وروَاه أحمدُ[4]، عن يَزيدَ بنِ هارونَ وعفانَ وعبدِ الصمدِ، عن همّامٍ، عن قَتادةَ به: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ[5] سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

وكذلك روَاه عن رَوْحٍ، عن سعيدٍ، عن قتادةَ بمثلِه[6]، وروَاه عن حسينٍ، عن شيبانَ، عن قتادةَ كذلك[7]، وقد روَاه عن غُندَرٍ وحَجَّاجٍ، عن شُعْبةَ، عن قَتادةَ وقال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»[7].

ومِن ذلك الابْتِعادُ عنه [8]فلا يراه؛ فإنَّ مَنْ رَآه افْتُتِن[8]، كما تقَدَّم[9] فى حديثِ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إنَّ المُؤْمِنَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ؛ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ».

---

(١) مسلم (٨٠٩).

(٢) يعنى حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة. وانظر سنن الترمذى ٥/ ١٤٩، عقب حديث (٢٨٨٦)، وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٢٣٣.

(٣) سنن الترمذى (٢٨٨٦).

(٤) المسند ٥/١٩٦ (٢١٧٦٠) من طريق يزيد، ٦/٤٤٩ (٢٧٥٨٢) من طريق عفان، وعبد الصمد.

(٥) هذه الكلمة ليست فى رواية الحديث التى من طريق عبد الصمد.

(٦) المسند ٦/٤٤٩ (٢٧٥٨٠).

(٧) المسند ٦/٤٤٩ (٢٧٥٨١).

(٧) المسند ٦/٤٤٦ (٢٧٥٥٦).

(٨ - ٨) سقط من: ص. وفى ح: «وترك رؤيته».

(٩) تقدم فى صفحة ١٨٩.

ومما يَعْصِمُ مِن فتنةِ الدجَّالِ سُكْنَى المدينةِ النبويةِ ومكةَ ، شرَّفَهُما اللَّهُ تعالى ، فقدْ روَى البخاريُّ ومسلمٌ[1] ، مِن حديثِ الإمامِ مالكٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، عن نُعَيْمِ المُجْمِرِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ » .

وقال البُخاريُّ[2] : حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنى إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن أبيه ، [3]عن جدِّه[3] ، عن أبى بكرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ؛ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ » . وقد روَى هذا جَماعةٌ مِن الصحابةِ منهم ؛ أبو هريرةَ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، وسَلَمةُ بنُ الأكْوَعِ ، ومِحْجَنُ بنُ الأدْرعِ ، كما تقدَّم[4] .

وقال الترمذىُّ[5] : حدَّثنا عَبْدةُ بنُ عبدِ اللَّهِ الخُزاعِىُّ ، حدَّثَنا يَزيدُ بنُ هارونَ ، أخبَرَنا شعبةُ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَأْتِى الدَّجَّالُ الْمَدِينَةَ ، فَيَجِدُ المَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا ، فَلَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ ، إنْ شَاءَ اللَّهُ » . وأخْرَجه البخاريُّ[6] عن يحيى بنِ موسى ، وإسحاقَ بنِ أبى عيسى ، عن يزيدَ بنِ هارونَ به ، ثم قال الترمذىُّ : هذا حديثٌ صحيحٌ ، وفى البابِ عن أبى هريرةَ ، وفاطمةَ بنتِ قيسٍ ، ومِحْجَنٍ ، وأسامةَ ، وسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ . وقد ثبَت فى الصَّحيحِ أنَّه لا يَدْخُلُ مكةَ ولا المدينةَ ؛ تَمْنَعُه الملائكةُ ؛ لشرفِ هاتين

---

(١) البخارى (١٨٨٠، ٥٧٣١، ٧١٣٣)، ومسلم (٤٨٥/ ١٣٧٩) .

(٢) البخارى (١٨٧٩، ٧١٢٥، ٧١٢٦) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٣٦.

(٤) تقدم فى ص ١٥٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، بترتيب الصحابة كالمذكور ههنا .

(٥) الترمذى (٢٢٤٢) صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٢٧) .

(٦) البخارى (٧١٣٤، ٧٤٧٣) .

البُقْعَتَيْن ، فهما حَرَمان آمِنان ، وإنَّما إذا نزَل عندَ سَبَخةِ المدينةِ تَرْجُفُ بأهلِها ثلاثَ رَجَفاتٍ ، إمّا حِسًّا ، وإمّا مَعْنًى ، على القولين ، فيَخْرُجُ إليه كلُّ مُنافقٍ ومنافقةٍ ، فيومَئذٍ تَنْفى المدينةُ خَبَثَها ، ويَنْصَعُ طِيبُها[1] ، كما تقَدَّم[2] .

مُلَخَّصُ سِيرةِ الدَّجَّالِ ، لعَنه اللَّهُ تعالى

هو رجلٌ مِن بَنى آدَمَ ، خلَقه اللَّهُ ، تعالى ، ليَكُونَ مِحْنةً واختبارًا للنَّاسِ فى آخِرِ الزمانِ ، فيُضِلُّ به كثيرًا ، ويَهْدِى به كثيرًا ، وما يُضِلُّ به إلا الفاسِقِين .

وقد روَى الحافظُ أحمدُ بنُ علىٍّ الأبَّارُ ، فى « تاريخِه » ، مِن طريقِ مُجالِدٍ ، عن الشَّعبىِّ ، أنه قال : كُنْيةُ الدَّجَّالِ أبو يوسُفَ . وقد رُوِى عن عمرَ بنِ الخطابِ وأبى ذَرٍّ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وغيرِهم مِن الصحابةِ ، كما تقَدَّم[3] ، أنه ابنُ صَيّادٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يزيدُ[5] ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ [٣٣و] بنِ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَمْكُثُ أَبَوَا الدَّجَّالِ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا ، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ أَضَرُّ شَىءٍ ، وَأَقَلُّهُ نَفْعًا ، تَنَامُ عَيْنَاهُ ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ » . ثم نعَت أَبَوَيهِ ، فقال : « أَبُوهُ رَجُلٌ طَوِيلٌ[6] ، مُضْطَرِبُ اللَّحْمِ ، طَوِيلُ الأَنْفِ ، كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ ، وأُمُّهُ امْرَأَةٌ

---

(١) أى يظهر طِيبُها . النهاية ٥/٦٥ .

(٢) تقدم فى صفحة ١٥٩ ، ١٦٧ .

(٣) تقدم فى صفحة ١٢٥ .

(٤) المسند ٥/٤٠ (٢٠٤٣٤) .

(٥) فى المسند : « زيد » . وانظر أطراف المسند ٦/١٠٧ .

(٦) فى المسند : « طوال » . وهما بمعنى .

فِرْضاخِيَّةٌ[1] ، عَظِيمَةُ الثَّدْيَيْنِ » . قال : فبلَغَنا أن مولودًا مِن اليهودِ وُلِد بالمدينةِ ، فانْطَلَقْتُ أنا والزبيرُ بنُ العَوَّامِ ، حتى دخَلْنا على أبَوَيهِ ، فَرَأَينا فيهما نَعْتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإذا هو مُنْجَدِلٌ فى الشمسِ فى قَطيفةٍ ، له هَمْهَمَةٌ ، فسأَلْنا أبَوَيْه ، فقالا : مكَثْنا ثلاثين عامًا لا يُولَدُ لنا ، ثم وُلِد لنا غلامٌ أعْوَرُ ، أضَرُّ شىءٍ ، وأقلُّه نَفْعًا . فلمَّا خرَجْنا مرَرْنا به ، فقال : ما كنتُما فيه ؟ قلْنا : وسمِعْتَ ؟ قال : نعم ، إنه تَنامُ عَيْناىَ ، ولا يَنامُ قلبى . فإذا هو ابنُ صَيَّادٍ . وأخْرَجه الترمذىُّ[2] مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، وقال : حسنٌ غريبٌ[3] . قلتُ : بل هو مُنْكَرٌ جدًّا . واللَّهُ أعلمُ .

وقد كان ابنُ صَيَّادٍ مِن يهودِ المدينةِ ، وقيل : كان مِن الأنصارِ . واسمُه عبدُ اللَّهِ ، ويقالُ : صافُ . وقد جاء هذا وهذا[4] ، وقد يَكونُ أصلَ اسمِه صافُ ، ثم تسَمَّى ، لمَّا أسْلَم ، بعبدِ اللَّهِ ، وكان ابنُه عُمارةُ بنُ عبدِ اللَّهِ مِن ساداتِ التابعِين ، روَى عنه مالكٌ وغيرُه ، وقد قدَّمْنا أن الصحيحَ أن الدجالَ غيرُ ابنِ صَيَّادٍ ، وأن ابنَ صَيَّادٍ كان دجَّالًا مِن الدَّجاجِلةِ ، ثم تِيب عليه بعدَ ذلك ، فأظْهَر الإسْلامَ .

---

(١) فرضاخية : ضخمة ، عظيمة الثديين . يقال : رجل فرضاخ ، وامرأة فرضاخة ، والياء للمبالغة . النهاية ٣/ ٤٣٣.

(٢) الترمذى (٢٢٤٨) ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٣٩٢) .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من سنن الترمذى . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٥٢.

(٤) ترجمه فى أسد الغابة ٣/ ٢٨٢، تحت اسم عبد اللَّه بن صياد ، وورد عند مسلم (٢٩٣١) قول أمه له : (يا صافِ) . وعند مسلم : وهو اسم ابن صياد . أما فيما يخص ضبط هذا الاسم فقد جاء فى التاج (ص و ف) : وصافُ : اسم ابن الصياد المذكور فى الحديث ، وفى نسخة ابن عباد (أو هو صافى ، كقاضى) فمحلُّه المعتلُّ (أو اسمه عبد اللَّه) وصافُ لقبٌ له ، وهذا هو المشهور عند المحدثين .

واللَّهُ أعلمُ بضَميرِه وسَريرتِه .

وأما الدجالُ الأكبرُ فهو المذكورُ فى حديثِ فاطمةَ بنتِ قيسٍ ، الذى روَته عن رسولِ اللَّهِ ﷺ عن تَميمٍ الدارِىِّ ، وفيه قصةُ الجَسَّاسةِ ، ثم يُؤْذَنُ له فى الخروجِ فى آخِرِ الزمانِ ، بعدَ فتحِ المسلمين مدينةَ الرومِ المُسَمَّاةَ بقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فيَكُونُ بُدُوُّ ظُهورِه مِن أصْبَهانَ مِن حارةٍ بها يقالُ لها : اليَهُودِيَّةُ . ويَنْصُرُه مِن أهلِها سبعون ألفَ يهودىٍّ ، عليهمُ الأسْلِحةُ والسِّيجَانُ ، وهى الطَّيالِسةُ الخُضرُ ، وكذلك يَنْصُرُه سبعون ألفًا مِن التَّتارِ ، وخَلْقٌ مِن أهلِ خُراسانَ[1] ، فيَظْهَرُ أوَّلًا فى صُورةِ مَلِكٍ مِن المُلوكِ الجَبابِرةِ ، ثم يَدَّعِى النُّبوةَ ، ثم يَدَّعِى الرُّبوبيةَ ، فيَتْبَعُه على ذلك الجَهَلةُ مِن بنى آدَمَ ، والطَّغامُ مِن الرَّعاعِ والعَوامِّ[2] ، ويُخالِفُه ويَرُدُّ عليه مَن هدَاه اللَّهُ مِن عبادِه الصَّالِحِين ، وحِزْبِ اللَّهِ المُتَّقِين[3] ، ويَتَدَنَّى فيَأْخُذُ البلادَ بلدًا بلدًا ، وحصنًا حصنًا ، وإقليمًا إقليمًا ، وكُورةً كُورةً ، ولا يَبْقَى بلدٌ مِن البلادِ إلَّا وَطِئه بخيلِه ورَجِلِه ، غيرَ مكةَ والمدينةِ[4] ، ومدةُ مُقامِه فى الأرضِ أرْبعون يومًا ، يومٌ كسنةٍ ، ويومٌ كشهْرٍ ، ويومٌ كجُمُعةٍ ، وسائرُ أيامِه كأيَّامِ الناسِ هذه ، ومعدَّلُ ذلك سنةٌ وشهران ونصفٌ ، وقد خلَق اللَّهُ على يدَيه خَوارِقَ كثيرةً ، يُضِلُّ بها مَن

---

(١) بعده فى الأصل : « ومن أهل البوادى » .

(٢) بعده فى ح : « الذين هم أتباع كل ناعق من حمال ومشبد وبهلوان وغيره ، وغالب من يتبعه العوام والنساء » .

(٣) بعده فى ح : « لا العلماء المفتونين بحب الدنيا والرياسة والمناصب وجمع المال ؛ فإن هؤلاء قد فتنوا قبل خروج الدجال ، فإذا خرج فتنوا به وشملتهم فتنته ، وإنما يسلم من الفتن الكبار من لم تفتنه الصغار بنات الكبار ومقدمه بين يديها ، فإذا افتتن العبد بالصغار جاءت أمهاتها فأخذته وأدخلته فيها إلا من تاب وعمل صالحا فإن اللَّه يتوب عليه ، فيبتدئ الدجال ويدنو » .

(٤) بعده فى ح : « قيل : وبيت المقدس » .

يَشاءُ مِن خَلْقِه ، ويَثْبُتُ معها المؤمنون ، فيَزْدادون بها إيمانًا مع إيمانِهم ، وهُدًى إلى هُداهم ، ويَكونُ نُزولُ عيسى ابنِ مريمَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مسيحِ الهدى فى أيامِ المسيحِ الدجّالِ مسيحِ الضلالةِ على المَنارةِ الشَّرقيةِ بدمشقَ ، فيَجْتَمِعُ عليه المؤمنون ، ويَلْتَفُّ معه عبادُ اللَّهِ المُتَّقُون ، فيَسِيرُ بهم قاصدًا نحوَ الدَّجَّالِ ، وقد توَجَّه نحوَ بيتِ المقدسِ ، فيُدْرِكُه عندَ عقَبةِ أَفِيقَ ، فيَنْهَزِمُ منه الدَّجالُ ، فيَلْحَقُه عندَ بابِ مدينةِ لُدٍّ فيَقْتُلُه بحَرْبتِه ، وهو داخلٌ إليها ، ويقولُ له : إنَّ لِى فيكَ ضَرْبةً لَن تَفوتَنى . وإذا وَاجَهه الدَّجّالُ انْمَاع كما ينماعُ[1] المِلْحُ فى الماءِ ، فَيُدرِكُه عندَ بابِ لُدٍّ ، فتَكونُ وفاتُه هنالك ، لعَنه اللَّهُ ، كما دلَّت على ذلك الأحاديثُ الصِّحاحُ مِن غيرِ وجهٍ ، كما تقَدَّم ، وكما سيَأْتِى .

وقد قال الترمذىُّ[2] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا الليثُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أنَّه سمِع عُبَيدَ[3] اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ ثَعْلبةَ الأنْصارىَّ يُحَدِّثُ عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزيدَ الأنْصارىِّ ، [٣٣ظ] مِن بَنى عمرِو بنِ عوفٍ يقولُ : سمِعْتُ عمِّى مُجَمِّعَ ابنَ جاريةَ الأنصارىَّ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ » .

---

(١) فى الأصل ، ص : « يذوب » .

(٢) الترمذى (٢٢٤٤) صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٢٩) .

(٣) فى النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٥٢، وأيضا تحفة الأحوذى ٣/ ٢٣٩. وجاء فى مسند أحمد كما سيأتى تخريجه : عن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه . وفى أطراف المسند ٥/ ٢٥٣: عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه . وقد ترجمه المزى باسم (عبيد اللَّه بن عبد اللَّه) ، وقال : وقيل : عبد اللَّه بن عبيد اللَّه . وقيل غير ذلك . تهذيب الكمال ١٩/ ٦٦. واللَّه أعلم بالصواب .

ووقع أيضا فى مسند أحمد : عن عبد اللَّه بن يزيد . بدلا من عبد الرحمن بن يزيد . وهو خطأ . وانظر أطراف المسند ٥/ ٢٥٣، وتهذيب الكمال ١٨/ ١٠.

وقد رَواه أحمدُ، عن أبى النَّضْرِ، عن الليثِ، عن الزهرىِّ، به[1]. وعن سُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ، عن الزهرىِّ، به[2]. وعن محمدِ بنِ مُصْعَبٍ، عن الأَوْزاعىِّ، عن الزُّهرىِّ، به[3]. وعن عبدِ الرزاقِ، عن معمرٍ، عن الزهرىِّ[4]، فهو محفوظٌ مِن حديثِه، وإسنادُه مِن بعدِه ثِقاتٌ، ولهذا قال الترمذىُّ بعدَ روايتِه له: هذا حديثٌ[5] صحيحٌ. قال: وفى البابِ عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ، ونافعِ بنِ عُتْبةَ، وأبى بَرْزَةَ، وحُذَيفةَ بنِ[6] أَسِيدٍ، وأبى هريرةَ، وكَيْسانَ، وعثمانَ بنِ أبى العاصِ، وجابرٍ، وأبى أُمامةَ، وابنِ مَسْعودٍ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، وسَمُرَةَ بنِ جُندَبٍ، والنَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ، وعمرِو بنِ عوفٍ، وحُذَيفةَ بنِ اليَمانِ.

ورَوَى أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[7]، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ، عن الزهرىِّ، عن سالمٍ، عن أبيه، أن عمرَ سأَل يَهودِيًّا عن الدَّجَّالِ، فقال: وإلهِ يَهُودَ ليَقْتُلَنَّه ابنُ مريمَ بفِناءِ لُدٍّ.

---

(١) المسند ٣/٤٢٠ (١٥٥٠٥).

(٢) المسند ٣/٤٢٠ (١٥٥٠٤).

(٣) المسند ٣/٤٢٠ (١٥٥٠٦).

(٤) المسند ٣/٤٢٠ (١٥٥٠٧).

(٥) بعده فى سنن الترمذى: «حسن»، وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٥٢، وتحفة الأحوذى ٣/ ٢٣٩، وفيهما كالذى عندنا هنا.

(٦) بعده فى سنن الترمذى: «أبى». وهو خطأ، وانظر تحفة الأحوذى ٣/ ٢٣٩، وتهذيب الكمال ٥/ ٤٩٣.

(٧) المصنف ١٥/ ١٤٣، ١٤٤ (١٩٣٣٩).

صفةُ الدجَّالِ، قبَّحه اللَّهُ ولعَنه وأخزاه وأخساه

قد تقَدَّم فى الأحاديثِ أنَّه أعْوَرُ، وأنَّه أزْهَرُ هِجانٌ فَيْلَمَانيٌّ، وهو كثيرُ الشَّعَرِ، وفى بعضِ الأحاديثِ أنه قَصيرٌ أفحَجُ[1]. وفى حديثٍ أنَّه طويلٌ، وجاء أنَّ ما بينَ أُذُنى حِمارِه أربعون ذراعًا، كما تقَدَّم[2] فى حديثِ جابرٍ، ويُرْوَى فى حديثٍ آخَرَ: سبعون باعًا. ولا يَصِحُّ، وفى الأوَّلِ نَظَرٌ.

وقال عَبْدانُ فى كتابِ «مَعْرفةِ الصَّحابةِ»: روَى سُفيانُ الثَّوْرىُّ، عن عبدِ الملكِ بنِ مَيْسَرةَ، عن حَوْطٍ[3] العَبْدىِّ، عن ابنِ مسعودٍ، قال[4]: أُذنُ حمارِ الدَّجالِ تُظِلُّ سبعين ألفًا.

قال شيخُنا الحافظُ الذهبىُّ: حَوْطٌ[3] مجهولٌ، والخبرُ مُنْكَرٌ.

وإنَّ بينَ عينَيهِ مَكْتوبٌ كافرٌ، يَقْرؤُه كُلُّ مؤمنٍ، وإن رأسَه مِن ورائِه كأنَّه أَصَلَةٌ - أى حَيَّةٌ - لعَله طويلُ الرأسِ.

وقال حَنْبلُ بنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنا حَجَّاجٌ، حدَّثنا حمادٌ، عن أيوبَ، عن أبى قِلابةَ قال: دخَلْتُ المسجدَ، فإذا الناسُ قد تكَابُّوا على رجلٍ، فسمِعْتُه يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ: «إِنَّ بَعْدِى الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ

---

(١) أفحج: متباعد بين رجليه. التاج (ف ح ج).

(٢) تقدم فى ص ١٤٢.

(٣) فى الأصل، ص: «خوط». وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٩١، والجرح والتعديل ٣/ ٢٨٨، والإكمال ٣/ ١٩٨.

(٤) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٥٤٠).

(٥) رواه أحمد من طرق مختلفة. المسند ٥/٣٧٢ (٢٣٢٠٧)، ٥/٤١٠ (٢٣٥٣٤). وقال الهيثمى: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٣.

وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ » . وقد تقدَّم له شاهدٌ مِن وجهٍ آخَرَ[1] ، ومعنى حُبُكٍ أى جَعْدٌ خَشِنٌ ، كقولِه : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [الذاريات : ٧] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا المَسْعودىُّ وأبو النَّضْرِ ، حدَّثنا المَسْعودىُّ ، المعنى ، عن عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ ، وَقَدْ بُيِّنَتْ لِى لَيْلَةُ القَدْرِ ، ومَسِيحُ الضَّلَالَةِ . فَكَانَ تَلَاحٍ[3] بَيْنَ رَجُلَيْنِ بِسُدَّةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَتَيْتُهُمَا ؛ لِأَحْجِزَ بَيْنَهُمَا ، فَأُنْسِيتُهُمَا ، وَسَأَشْدُو لَكُمْ مِنْهُمَا شَدْوًا ، أَمَّا لَيْلَةُ القَدْرِ فَالْتَمِسُوهَا فى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وِتْرًا ، وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ ، فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ ، أَجْلَى الْجَبْهَةِ ، عَرِيضُ النَّحْرِ ، فِيه دَفًا[4] ، كَأَنَّهُ قَطَنُ بنُ عَبْدِ العُزَّى » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل يَضُرُّنى شَبَهُه ؟ قال : « لَا . أَنْتَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ امْرُؤٌ كَافِرٌ »[5] . تفرَّد به أحمدُ ؛ وإسنادُه حَسَنٌ .

وقال الطَّبَرانىُّ[6] : حدَّثنا أبو شُعَيْبٍ الحَرَّانىُّ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ موسى (ح) ، وحدَّثنا محمدُ بنُ شُعَيْبٍ الأَصْبَهانىُّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ عَنْبَسةَ قالا : حدَّثنا

---

(١) تقدم فى صفحة ١٩٥ .

(٢) المسند ٢/٢٩١ (٧٨٩٢) .

(٣) فى المسند : « تلاحى » . وقال الشيخ أحمد شاكر : التلاحى : المخاصمة والنزاع وما إلى ذلك ، وأثبتت الياء فى المصدر هنا ، وهو جائز فصيح . المسند ١٥/ ٢٨.

(٤) دفا (مقصور) : الانحناء . النهاية ٢/ ١٢٦.

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر : قوله : « كأنه قطن بن عبد العزى ...» إلخ . هنا أخطأ المسعودى ، واختلط عليه حديث بحديث .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٣/ ١٠١: وزاد : فقال يا رسول اللَّه : هل يضرنى شبهه ؟ قال : « لا ، أنت مؤمن وهو كافر » . وهذه الزيادة ضعيفة ، فإن فى سنده المسعودى ، وقد اختلط والمحفوظ أنه عبد العزى بن قطن ، وأنه هلك فى الجاهلية ، كما قال الزهرى ، والذى قال : هل يضرنى شبهه ؟ هو أكثم بن أبى الجون ، وإنما قاله فى حق عمرو بن لحى ، كما أخرجه أحمد والحاكم » .

(٦) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه سعيد بن محمد الوراق ، وهو متروك . مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٠.

سعيدُ بنُ محمدٍ الثَّقفيُّ ، حدَّثنا حَلَّامُ بنُ صالحٍ ، أخْبَرَنى سليمانُ بنُ شِهابٍ العبسِيُّ قال : نزَل عَلَيَّ عبدُ اللَّهِ بنُ مَغْنَمٍ[1] ، وكان مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ فحدَّثنى عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال : « الدَّجَّالُ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ ؛ إنَّهُ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ ، فَيَدْعُو إِلَى حَقٍّ ، فيُتَّبَعُ ، وَيَنْتَصِبُ للنَّاسِ فَيُقَاتِلُهُمْ ، فَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَزَالُ على ذَلِكَ حَتَّى يَقْدَمَ الْكُوْفَةَ ، فَيُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ ، وَيَعْمَلُ بِهِ ، فَيُتَّبَعُ ويُحَبُّ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنِّى نَبِيٌّ . فيَفْزَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّ ذِى لُبٍّ وَيُفارِقُهُ ، فيَمْكُثُ بَعْدَ ذَلِكَ ، حَتَّى يَقُولَ : أَنَا اللَّهُ . فَتَعْمَشُ[2] عَيْنُهُ[3] ، وَتُقْطَعُ أُذُنُهُ ، وَيُكْتَبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، فَلَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَيُفَارِقُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمانٍ ، وَيَكُونُ أَصْحَابُهُ وَجُنُودُهُ المَجوسَ والْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، وَهَـذِه الأَعاجِمَ مِنَ المُشْرِكِينَ ، ثُمَّ يَدْعُو بِرَجُلٍ فِيمَا يَرَوْنَ ، فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يُقَطِّعُ أَعْضَاءَهُ ، كُلَّ عُضْوٍ عَلَى حِدَةٍ ، فيُفَرِّقُ بَيْنَهَا حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهَا ، ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَيَقُولُ : أَنَا اللَّهُ ، أُحْيِى وَأُمِيتُ ، [٣٤و] وَذَلِكَ كُلُّهُ سِحْرٌ يَسْحَرُ بِهِ أَعْيُنَ النَّاسِ ، لَيْسَ يَصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا » .

قال شيخُنا الذهبيُّ : ورواه يحيى بنُ موسى خَتٌّ ، عن سعيدِ بنِ محمدٍ الثَّقفيِّ ، وهو واهٍ ، وعن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه قال فى الدَّجالِ : هو صافِى بنُ صائدٍ ، يَخْرُجُ مِن يَهُوديَّةٍ أصْبَهانَ على حمارٍ أبْتَرَ ، ما بينَ

---

(١) فى الأصل : « معنم » ، وفى ص ، والتاريخ الكبير ٥/ ٢٧، ومجمع الزوائد : « معتم » ، وانظر الاستيعاب ٣/ ٩٩٧، والإكمال ٧/ ٢٧٣، وأسد الغابة ٣/ ٤٠٠، والإصابة ٤/ ٢٤٣.

(٢) فى مجمع الزوائد : « فتغشى » .

(٣) بعده فى الأصل ، ح : « اليمنى » .

أُذنَيهِ أربعون ذراعًا ، وما بينَ حافرِه إلى الحافرِ الآخَرِ أربعُ ليالٍ ، يَتناوَلُ السماءَ بيدِه ، أمامَه جبلٌ مِن دُخانٍ ، وخَلْفَه جبلٌ آخَرُ ، مكتوبٌ بينَ عينَيهِ كافرٌ ، يَقولُ : أنا رَبُّكمُ الأعْلَى ، أتْباعُه أصحابُ الرِّبَا وأَولادُ الزِّنَا . رَواه أبو عمرٍو الدانى فى كتابِ « أخبارِ الدجالِ » ، ولا يَصِحُّ إسنادُه .

خبرٌ عجيبٌ ، ونبأٌ غريبٌ

قال نُعَيْمُ بنُ حمادٍ فى « كتابِ الفِتَنِ »[1] : حدَّثنا أبو عمرَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ لَهِيعةَ ، عن عبدِ الوَهَّابِ بنِ حُسينٍ ، عن محمدِ بنِ ثابتٍ ، عن أبيه ، عن الحارثِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « بَيْنَ أُذُنَىْ حِمَارِ الدَّجَّالِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَخُطْوَةُ حِمَارِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، يَخُوضُ الْبَحْرَ كَمَا يَخُوضُ أَحَدُكُمُ السَّاقِيَةَ ، ويَقُولُ : أَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَهَذِهِ الشَّمْسُ تَجْرِى بِإِذْنِى ، أَفَتُرِيدُونَ أَنْ أَحْبِسَهَا ؟ فَتُحْبَسُ الشَّمْسُ ، حَتَّى يُجْعَلَ الْيَوْمُ كَالشَّهْرِ وَالْجُمُعَةِ ، وَيَقُولُ : أَتُرِيدُونَ أَنْ أُسَيِّرَهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُجْعَلُ الْيَوْمُ كالسَّاعَةِ ، وَتَأْتِيهِ الْمَرْأَةُ فَتَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ أَحْيِ لى ابْنِى ، وَأَحْيِ لى زَوْجِى . حَتَّى إِنَّهَا [2]تُعَايِنُ شَيَاطِينَ عَلَى صُوَرِهِمْ[2] ، وَبُيُوتُهُمْ مَمْلُوءَةٌ شَيَاطِينَ ، ويَأْتِيهِ الْأَعْرَابُ فَتَقُولُ : يَا رَبَّنَا ، أَحْيِ لَنَا إِبِلَنَا وَغَنَمَنَا . فَيُعْطِيهِمْ شَيَاطِينَ أَمْثَالَ إِبِلِهِمْ وَغَنَمِهِمْ ، سَوَاءً بِالسِّنِّ وَالسِّمَةِ ، فَيَقُولُونَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا رَبَّنَا لَمْ يُحْيِ لَنَا مَوْتَانَا . وَمَعَهُ جَبَلٌ مِن مَرَقٍ وَعُرَاقٍ[3]

---

(١) الفتن (١٥٢٧) ، بنحوه .

(٢ - ٢) فى ص : « تعانق شيطانا » .

(٣) عراق : جمع عَرْق ، وهو العظم إذا أُخِذ عنه معظم اللحم ، وهو جمعٌ نادر . انظر النهاية ٣/ ٢٢٠ .

اللَّحْمِ ، حَارٌّ لَا يَبْرُدُ ، وَنَهَرٌ جَارٍ ، وَجَبَلٌ مِنْ جِنَانٍ وَخُضْرَةٍ ، وَجَبَلٌ مِنْ نَارٍ وَدُخَانٍ ، يَقُولُ : هَذِهِ جَنَّتِى وَهَذِهِ نَارِى ، وَهَذَا طَعَامِى وَهَذَا شَرَابِى . والْيَسَعُ ، عَلَيْهِ السَّلامُ ، مَعَهُ يُنْذِرُ النَّاسَ مِنْهُ ؛ يَقُولُ : هَذَا الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ فَاحْذَرُوهُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ . وَيُعْطِيه اللَّهُ مِنَ السُّرْعَةِ والْخِفَّةِ[1] مَالَا يَلْحَقُهُ الدَّجَّالُ ، فَإِذَا قَالَ : أَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ لَهُ النَّاسُ[2] : كَذَبْتَ . وَيَقُولُ الْيَسَعُ : صَدَقَ النَّاسُ[3] . فَيَمُرُّ بمكَّةَ ، فَإِذَا هُوَ بخَلْقٍ عَظِيمٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا مِيكَائِيلُ ، بعَثَنِى اللَّهُ أَنْ أَمْنَعَهُ مِنْ حَرَمِهِ . وَيَمُرُّ بِالْمَدِينَةِ ، فَإِذَا هُو بِخَلْقٍ عَظِيمٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا جِبْرِيلُ ، بَعَثَنِى اللَّهُ لِأَمْنَعَهُ مِنْ حَرَمِ رَسُولِهِ . فَيَمُرُّ الدَّجَّالُ بِمَكَّةَ ، فَإِذَا رَأَى مِيكَائِيلَ وَلَّى هَارِبًا ، فَيَصِيحُ ، فيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ مُنَافِقُوها ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ كَذَلِكَ . وَيَأْتِى النَّذِيرُ إِلَى الَّذِينَ فَتَحُوا القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَمَنْ تَأَلَّفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ وخَلَفَكُمْ فِى ذَرَارِيِّكُمْ » . قال : « فَيَتَنَاوَلُ الدَّجَّالُ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : هَذَا الَّذِى يَزْعُمُ أَنِّى لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَاقْتُلُوهُ . فيُنْشَرُ فَيَقُولُ : أَنَا أُحْيِيهِ ، قُمْ . فَيَأْذَنُ اللَّهُ بِإِحْيَائِهِ ، وَلَا يَأْذَنُ بِإِحْيَاءِ نَفْسٍ غَيْرِهَا ، فَيَقُولُ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَتُّكَ ثُمَّ أَحْيَيْتُكَ ؟ فَيَقُولُ : الآنَ قَدِ ازْدَدْتُ فِيكَ يَقِينًا ؛ بَشَّرَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّكَ تَقْتُلُنِى ، ثُمَّ أَحْيَا بِإِذْنِ اللَّهِ لَا بِإِذْنِكَ . فَيُوضَعُ على جِلْدِهِ صَفَائِحُ مِنْ نُحَاسٍ ، فَلَا يَحِيكُ فِيهِ سِلَاحُهُمْ ، فَيَقُولُ : اطْرَحُوهُ فِى نَارِى . فَيُحَوِّلُ اللَّهُ ذَلِكَ الْجَبَلَ[4] عَلَى النَّذِيرِ جِنَانًا ، فيَشُكُّ النَّاسُ فِيهِ ، وَيُبَادِرُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فإِذَا صَعِدَ على عَقَبَةِ أَفِيقَ

---

(١) بعده فى الأصل : « يعنى إلياس » .

(٢) فى ح : « الناس » ، وفى ص : « الياس » .

(٣) فى ح ، ص : « إلياس » .

(٤) فى الأصل : « ذلك » .

وَقَعَ ظِلُّهُ[1] عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَيُوَتِّرُونَ قِسِيَّهُمْ لِقِتَالِهِ ، [2]فَأَقْوَاهُمْ مَنْ يُوَتِّرُ وَهُوَ بَارِكٌ ، أَوْ جَالِسٌ[2] مِنَ الْجُوعِ وَالضَّعْفِ ، وَيَسْمَعُونَ النِّدَاءَ : جَاءَكُمُ الْغَوْثُ . فَيَقُولُونَ : هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ شَبْعَانَ . وَتُشْرِقُ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَيَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، احْمَدُوا رَبَّكُمْ وَسَبِّحُوهُ . فَيَفْعَلُونَ ، وَيُرِيدُونَ الْفِرَارَ ، فَيُضَيِّقُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ ، فَإِذَا أَتَوْا بَابَ لُدٍّ فِي نِصْفِ سَاعَةٍ ، فَيُوَافُونَ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا نَظَرَ الدَّجَّالُ إِلى عِيسَى قَالَ : أَقِمِ الصَّلَاةَ . فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ . فَيَقُولُ عِيسَى : يا عَدُوَّ اللَّهِ ، زَعَمْتَ أَنَّكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فَلِمَنْ تُصَلِّي ؟ فَيضْرِبُهُ بِمِقْرَعَةٍ فِي يَدِهِ فَيَقْتُلُهُ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَنْصَارِهِ خَلْفَ شَيْءٍ إِلَّا نَادَى : يَا مُؤْمِنُ ، هَذَا دَجَّالِيٌّ فاقْتُلْهُ . إِلَى أَنْ قَالَ : فَتَمَتَّعُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، لَا يَمُوتُ أَحَدٌ ، وَلَا يَمْرَضُ [٣٤ظ] أَحَدٌ ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِغَنَمِهِ وَدَوَابِّهِ : اذْهَبُوا فَارْعَوْا . وَتَمُرُّ الْمَاشِيَةُ بَيْنَ الزَّرْعَيْنِ لَا تَأْكُلُ مِنْهُ سُنْبُلَةً ، وَالْحَيَّاتُ وَالْعَقَارِبُ لَا تُؤْذِي أَحَدًا ، وَالسَّبُعُ عَلَى أَبْوَابِ الدُّورِ لَا يُؤْذِي أَحَدًا ، وَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْمُدَّ مِنَ الْقَمْحِ ، فَيَبْذُرُهُ بِلَا حِرَاثٍ ، فَيَجِيءُ مِنْهُ سَبْعُمِائَةِ مُدٍّ ، فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى يُكْسَرَ سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فَيَخْرُجُونَ وَيُفْسِدُونَ مَا عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَسْتَغِيثُ الناسُ ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ ، وَأَهْلُ طُورِ سَيْنَاءَ هُمُ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَيَدْعُونَ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ذَاتَ قَوَائِمَ ، فَتَدْخُلُ فِي آذَانِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى أَجْمَعُونَ ، وَتُنْتِنُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ، فَيُؤْذُونَ النَّاسَ بِنَتَنِهِمْ أَشَدَّ مِنْ حَيَاتِهِمْ ، فَيَسْتَغِيثُونَ باللَّهِ تَعَالَى ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا يَمَانِيَةً غَبْرَاءَ ، فَتَصِيرُ عَلَى النَّاسِ غَمًّا وَدُخَانًا ، وتَقَعُ عَلَيْهِمُ

---

(١) فى النسخ : « ظلمه » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢ - ٢) فى ص : « فأقواهم من برك أو جلس » .

الزُّكْمَةُ ، وَيُكْشَفُ مَا بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، وَقَدْ قُذِفَتْ جِيَفُهُمْ فِى الْبَحْرِ ، وَلَا يَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ تَوْبَةٌ ، وَيَخِرُّ إِبْلِيسُ سَاجِدًا يُنَادِى : إِلَهِى ، مُرْنِى أَنْ أَسْجُدَ لِمَنْ شِئْتَ . وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ ، تَقُولُ : يَا سَيِّدَنَا ، إِلَى مَنْ تَفْزَعُ ؟ فَيَقُولُ : سَأَلْتُ رَبِّى أَنْ يُنْظِرَنِى إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ، وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَهَذَا الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ . وَتَصِيرُ الشَّيَاطِينُ ظَاهِرَةً فِى الْأَرْضِ ، حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ : هَـذَا قَرِينِى الَّذِى كَانَ يُغْوِينِى ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَخْزَاهُ . وَلَا يَزَالُ إِبْلِيسُ سَاجِدًا بَاكِيًا ، حَتَّى تَخْرُجَ الدَّابَّةُ فَتَقْتُلَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، وَيَتَمَتَّعُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، لَا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئًا إِلَّا أُعْطُوهُ ، وَبَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ ؛ لَا يَمُوتُ مُؤْمِنٌ حَتَّى تَتِمَّ أَرْبَعُونَ سَنَةً بَعْدَ الدَّابَّةِ ، ثُمَّ يَعُودُ فِيهِمُ الْمَوْتُ وَيُسْرِعُ ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ ، وَيَقُولُ الْكَافِرُ : قَدْ كُنَّا مَرْعُوبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِين ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ يُقْبَلُ مِنَّا تَوْبَةٌ . فَيَتَهَارَجُونَ فِى الطُّرُقِ كَالْبَهَائِمِ ، حَتَّى يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ فِى وَسَطِ الطَّرِيقِ ، يَقُومُ وَاحِدٌ عَنْهَا ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهَا آخَرُ ، وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ يَقُولُ : لَوْ تَنَحَّيْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ كَانَ أَحْسَنَ . فَيَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى لَا يُولَدَ أَحَدٌ مِنْ نِكَاحٍ ، ثُمَّ يُعْقِمُ اللَّهُ النِّسَاءَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، إِلَّا الزَّوَانِىَ وَالزَّانِيَاتِ فَإِنَّهُنَّ يَحْبَلْنَ ، ويَلِدْنَ مِنَ الزِّنَى ، وَيَكُونُونَ كُلُّهُمْ أَوْلَادَ زِنًى ، شِرَارَ النَّاسِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » . كذا رواه الطَّبَرانىُّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حاتمٍ المُرادىِّ ، عن نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ ، فذَكَره .

قال شيخُنا الحافظُ الذَّهبىُّ : وهذا الحديثُ شِبْهُ مَوْضوعٍ ، وأبو عُمرَ مجهولٌ ، وعبدُ الوَهَّابِ كذلِكَ ، وشيخُه يقالُ له : البُنانِىُّ . وقد أنبأَنى شيخُنا الذهبىُّ إجازةً - إنْ لم يَكُنْ سَماعًا - أنبأَنا أبو الحُسَيْنِ[1] اليُونِينِىُّ ، أنبأنا البَهاءُ

---

(١) فى ح ، ص : « الحسن » . وانظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ١٠/ ١٠٤.

عبدُ الرحمنِ ، حُضورًا ، أنبأنا عتيقُ بنُ صِيلَا ، أنْبَأَنا عبدُ الواحدِ بنُ عُلْوانَ ، أنبأنا أبو عَمرِو بنُ دُوسْتَ[1] ، حدَّثنا أحمدُ بنُ سَلمانَ النَّجَّادُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ غالبٍ ، حدَّثنا أبو سَلَمةَ التَّبُوذَكيُّ ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا عليُّ بنُ زيدٍ ، عن الحسنِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الدَّجَّالُ يَتَنَاوَلُ السَّحَابَ ، ويَخُوضُ الْبَحْرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَيَسْبِقُ الشَّمْسَ إِلَى مَغْرِبِهَا ، وَتَسِيرُ مَعَهُ الآكَامُ طَعَامًا ، وَفِى جَبْهَتِهِ قَرْنٌ مَكْسُورُ الطَّرَفِ ، يَخْرُجُ مِنْهُ الْحَيَّاتُ ، وَقَدْ صُوِّرَ فِى جَسَدِهِ السِّلاحُ كُلُّهُ ، حَتَّى الرُّمْحُ وَالسَّيْفُ والدَّرَقُ » . قُلتُ للحسنِ : يا أبا سعيدٍ ، ما الدَّرَقُ ؟ قال : التُّرْسُ . ثم قال شيخُنا : هذا مِن مَراسِيلِ الحسنِ ، وهى ضَعيفةٌ .

وقال ابنُ مَنْدَه[2] فى « كتابِ الإيمانِ » : حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ المَدِينىُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ مَهْدِىٍّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ سَعْدُويَه ، حدَّثنا خلَفُ بنُ خَليفةَ ، عن أبى مالكٍ الأَشْجَعىِّ ، عن رِبْعِىٍّ ، عن حذيفةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ ، مَعَهُ نَهَرَانِ ؛ أَحَدُهُمَا نَارٌ تَأَجَّجُ فِى عَيْنِ مَنْ يَرَاهُ ، وَالآخَرُ مَاءٌ أَبْيَضُ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فلْيُغْمِضْ عَيْنَيْهِ ، وَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِى يَرَاهُ نَارًا ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَالآخَرَ ، فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَتَبَ ، وَمَنْ لَمْ يَكْتُبْ ، وَأَنَّ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَمْسُوحَةٌ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ ، وَأَنَّهُ يَطْلُعُ مِنْ آخِرِ عُمُرِهِ عَلَى بَطْنِ الأُرْدُنِّ عَلَى ثَنِيَّةِ فِيقَ ، وكُلُّ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ بِبَطْنِ الأُرْدُنِّ ، وَأَنَّهُ يَقْتُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُلُثًا ، وَيَهْزِمُ ثُلُثًا ، وَيَبْقَى ثُلُثٌ ، فيَحْجِزُ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لِبَعْضٍ : مَا تَنْتَظِرُونَ أَنْ

---

(١) فى ح : « ذويب » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٨.

(٢) كتاب الإيمان ٣/ ٩١٨، ٩١٩.

تَلْحَقُوا بِإِخْوَانِكُمْ فِى مَرْضَاةِ رَبِّكُمْ ؟ مَنْ كَانَ عِنْدَه فَضْلُ طَعَامٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى أَخِيهِ ، وَصَلُّوا حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ ، وَعَجِّلُوا الصَّلَاةَ [٣٥و] ، ثُمَّ أَقْبِلُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ ، فَلَمَّا قَامُوا يُصَلُّونَ ، نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، عليه السلام ، (١) وَإِمَامُهُمْ يُصَلِّى (١) بِهِمْ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَال : هَكَذَا فَرِّجُوا بَيْنِى وَبَيْنَ عَدُوِّ اللَّهِ . فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ ، فَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُونَهُمْ ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيُنَادِى : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، يَا مُسْلِمُ ، هَذَا يَهُودِىٌّ فَاقْتُلْهُ . (٢) فَيُعِينُهُمُ اللَّهُ (٢) ، وَيَظْهَرُ الْمُسْلِمُونَ ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَخْرَجَ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فَيَشْرَبُ أَوَّلُهُمُ الْبُحَيْرَةَ ، وَيَجِىءُ آخِرُهُمْ ، وَقَدِ انْتَشَفُوا ، فَمَا يَدَعُونَ فِيهَا قَطْرَةً ، فَيَقُولُونَ : كَانَ هَـٰهُنَا أَثَرُ مَاءٍ مَرَّةً . وَنَبِىُّ اللَّهِ وأَصْحَابُهُ وَرَاءَهُم حَتَّى يَدْخُلُوا مَدِينَةً مِنْ مَدَائِنِ فِلَسْطِينَ ، يُقَالُ لَهَا : بَابُ لُدٍّ . فَيَقُولُونَ : ظَهَرْنَا عَلَى مَنْ فِى الْأَرْضِ ، فَتَعَالَوْا نُقَاتِلْ مَنْ فِى السَّمَاءِ . فَيَدْعُو اللَّهَ نَبِيُّهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُرْحَةً فِى حُلُوقِهِمْ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ بَشَرٌ ، وَتُؤْذِى رِيحُهُمُ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَدْعُو عِيسَى عَلَيْهِمْ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا تَقْذِفُهُمْ فِى الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ » . قال شيخُنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ الذهبىُّ : هذا إسنادٌ صالحٌ . قُلتُ : وفيه سِياقٌ غريبٌ ، وأشياءُ مُنْكَرةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ شيخٍ مِن أهلِ دمشقَ (٣) ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَـٰذَا الْأَثَرُ فِى قُرَيْشٍ يَلِيهِ بَرُّهُمْ بِبَرِّهِمْ ، وَفَاجِرُهُمْ بِفَاجِرِهِمْ ، حَتَّى يَدْفَعُوهُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » . وفى لفظٍ : « بَرُّهُمْ بِبِرِّهِ ، وَفَاجِرُهُمْ بِفُجُورِهِ » . قال ابنُ عساكرَ : وهو الأصحُّ .

(١ - ١) فى الأصل : « وإمامكم يصلى » ، وفى مصدر التخريج : « أمامهم فصلى » .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) تاريخ دمشق ٣٥٩/١٩ (مخطوط) .

ذِكْرُ نُزولِ عيسى ابنِ مريمَ
مِن السماءِ الدُّنيا إلى الأرضِ فى آخِرِ الزمانِ

قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧- ١٥٩] .

قال ابنُ جَريرٍ فى تفسيرِه[1] : حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ . قال : قبلَ موتِ عيسى ابنِ مريمَ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، وكذا روَى العَوْفىُّ ، عن ابنِ عباسٍ .

وقال أبو مالكٍ[1] : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ . ذلك عندَ نُزولِ عيسَى ابنِ مريمَ ، لا يَبْقَى أحدٌ مِن أهلِ الكتابِ إلا آمَن بِهِ .

وقال الحسنُ البصرىُّ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ . قال : قبلَ موتِ عيسَى ، واللَّهِ إنَّه الآنَ حىٌّ عندَ اللَّهِ ، ولكنْ إذا نزَل آمَنوا به أجْمَعون . روَاه ابنُ جَريرٍ[1] .

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٨.

وروَى ابنُ أبى حاتمٍ عنه : أن رجلًا سأَل الحسنَ عن قولِهِ تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ . فقال : قبلَ موتِ عيسَى ، إنَّ اللَّهَ رفَع عيسى إليه ، وهو باعثُه قبلَ يومِ القيامةِ مقامًا يُؤْمِنُ به البَرُّ والفاجرُ . وهكذا قال قتادةُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسْلَم ، وغيرُ واحدٍ[1] ، وهو ثابتٌ فى الصحيحَيْن ، عن أبى هريرةَ ، كما سيأتى موقوفًا ، وفى روايةٍ مرفوعًا . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا هو المقصودُ مِن السِّياقِ الإخْبارُ بحياتِه الآنَ فى السماءِ ، وليسَ الأمرُ كما يَزْعُمُه أهلُ الكتابِ الجَهَلةُ أنَّهم صَلَبوه بل رفَعه اللَّهُ إليه ، ثم يَنْزِلُ مِن السماءِ قبلَ يومِ القيامةِ ، كما دلَّتْ عليه الأحاديثُ المُتَواتِرةُ كما سبَق فى أحاديثِ الدجالِ ، وكما سيأْتى أيضًا ، وباللَّهِ المستعانُ .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ وغيرِه[2] أنَّ الضميرَ فى قولِه : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ عائدٌ على أهلِ الكتابِ ، أى يؤمِنُ بِعيسى قبلَ الموتِ ، وذلك لو صحَّ لمَا كانَ مُخالفًا للأوَّلِ ، ولكنَّ الصحيحَ فى المعنَى والإسنادِ ما ذكَرْناه ، وقد قرَّرْنَاه فى كتابِنا « التفسيرِ »[3] بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) تفسير الطبرى ٦/١٨ - ٢١ بنحوه .

(٢) تفسير الطبرى ٦/ ١٩.

(٣) التفسير ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥.

ذكرُ الأحاديثِ الواردةِ فى ذلك

قد تقدَّم فى حديثِ النوَّاسِ بنِ سِمعانَ[1] عندَ مسلمٍ أنَّ عيسى ينزِلُ على المنارةِ البيضاءِ شرقىَّ دمشقَ. وفى غيرِ روايةِ مسلمٍ: أنَّه ينزِلُ على المنارةِ البيضاءِ الشرقيَّةِ بدمشقَ. وهذا أشبهُ، فإنَّ فى سياقِ الحديثِ «فَيَنْزِلُ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ لِلصُّبْحِ فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ المُسْلِمِينَ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ. فَيَقُولُ: لَا، إِنَّهَا أُقِيمتْ لَكَ» فَفِيهِ [٣٥ظ] مِنَ الدلالةِ الظاهرةِ أنَّه ينزِلُ على منارةِ المعبدِ الأعظمِ الذى يكونُ فيه إمامُ المسلمين إذ ذاك، وإمامُ المسلمين يومئذٍ هو المهدىُّ فيما قيل، وهو جامعُ دمشقَ الأكبرُ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد تقدَّم فى حديثِ أبى أُمامةَ[2] أنَّه ينزِلُ فى غيرِ دمشقَ، وليس ذلك بمحفوظٍ.

وكذا الحديثُ الذى ساقَه ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[3] من طريقِ محمدِ بنِ عائذٍ، ثنا الوليدُ، ثنا مَن سمِع عبدَ الرحمنِ بنَ ربيعةَ، يُحدِّثُ عن عبدِ الرحمنِ ابنِ أيُّوبَ بنِ نافعِ بنِ كَيْسانَ، عن جدِّه نافعِ بنِ كَيْسانَ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ بَابِ دِمَشْقَ - قال نافعٌ: ولا أدرى أىَّ بابِهَا يريدُ - عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ لِستِّ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ فِى ثَوْبَيْنِ مُمَشَّقَيْنِ[4]، كَأَنَّمَا يَتَحَدَّرُ مِنْ رَأْسِهِ اللُّؤْلُؤُ». ففيه مُبهَمٌ لم يُسَمَّ، وهو منكرٌ؛ إذ هو مخالفٌ لمَا ثبَت فى الصحاحِ مِن أن نزولَه وقتَ السَّحَرِ عندَ إضاءةِ الفجرِ وقد

---

(١) تقدم فى صفحة ١٤٣.

(٢) تقدم فى صفحة ١٤٩.

(٣) تاريخ دمشق ٥٠٦/١٧ (مخطوط).

(٤) ثوب ممشق: مصبوغ بالمَشْق، وهو صبغ أحمر. انظر النهاية ٤/ ٣٣٤.

أُقيمتِ الصلاةُ ، واللَّهُ أعلمُ .

قال مسلمٌ[1] : حدَّثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ مُعاذٍ العَنْبَرِىُّ ، حدَّثَنا أبى ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن النُّعمانِ بنِ سالمٍ ، سمِعْتُ يعقوبَ بنَ عاصمِ بنِ عُرْوةَ بنِ مسعودٍ الثقفىَّ يَقولُ : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو وجاءه رجلٌ فقال : ما هذا الحديثُ الَّذى تُحدِّثُ به ؟ تقولُ : إن الساعةَ تَقومُ إلى كذَا وكذا . فقال : سبحانَ اللَّهِ - أَوْ لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، أو كلمةً نحوَهما - لقد هممْتُ أنْ لَا أُحدِّثَ أحدًا شيئًا أبدًا ، إنَّما قلتُ : إنَّكم ستَرَوْنَ بعدَ قليلٍ أمرًا عظيمًا ؛ يُحَرَّقُ البيتُ ، ويَكونُ ويَكونُ . ثم قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِى أُمَّتِى ، فيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لا أدْرِى أربعين يومًا ، أو أربعينَ شهرًا ، أو أربعينَ عامًا - فيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّه عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فيَطْلُبُهُ فيُهْلِكُهُ ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِى كَبِدِ جَبَلٍ لدخَلَتْهُ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَقْبِضَهُ » . قال : سمِعْتُها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : « فيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِى خِفَّةِ الطَّيْرِ ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ[2] ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ، فيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَهُمْ فِى ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ[3] أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا » . قال : « وَأَوَّلُ مَنْ

---

(١) مسلم (١١٦/ ٢٩٤٠) .

(٢) قال العلماء : معناه : يكونون فى سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير ، وفى العدوان وظلم بعضهم بعضًا فى أخلاق السباع العادية . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٦ .

(٣) فى النسخ : « يبقى » . والمثبت من مصدر التخريج .

يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إبِلِهِ » . قال : « فيَصْعَقُ ، ويَصْعَقُ الناسُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أو قال : « يُنْزِلُ اللَّهُ » - مَطَرًا ، كأنَّه الطَّلُّ - أو الظِّلُّ[1] ، نُعْمانُ الشَّاكُّ - فتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إلَى رَبِّكُمْ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] . ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ . فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ » . قال : « وَذَلِكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ، وَيَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا سُرَيْجٌ ، حدَّثنا فُلَيْحٌ ، عن الحارثِ بنِ فُضَيْلٍ ، عن زيادِ بنِ سعدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ إمَامًا عَادِلًا ، وَحَكَمًا مُقْسِطًا ، فيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ ، وَيَرْجِعُ السِّلْمَ ، وَتُتَّخَذُ[3] السُّيوفُ مَنَاجِلَ ، وَتَذْهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ ، وَتُنْزِلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَها ، حتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ وَلَا يَضُرُّهُ ، ويُرَاعِيَ الغَنَمَ الذِّئْبُ فَلَا يَضُرُّهَا ، ويُرَاعِيَ الأَسَدُ الْبَقَرَ فَلَا يَضُرُّهَا » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه جيدٌ قويٌّ صالحٌ .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ،

---

(١) قال العلماء : الأصح الطل ، بالطاء المهملة ، وهو الموافق للحديث الآخر : إنه كمنى الرجال . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٧٧.

(٢) المسند ٢/ ٤٨٢، ٤٨٣ (١٠٢٦٦).

(٣) فى ص، والمسند : « يتخذ »، وقوله : « تتخذ السيوف مناجل » : أراد أن الناس يتركون الجهاد ويشتغلون بالحرث والزراعة . النهاية ٥/ ٢٣.

(٤) البخارى (٣٤٤٨).

حدَّثنا أبى ، عن صالحٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ[1] ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ[2] خَيْرًا مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا » . ثم يقولُ أبو هُريرةَ : واقْرَءُوا [٣٦و] إنْ شِئْتُم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] .

وكذا روَاه مسلمٌ[3] ، عن حسنٍ الحُلْوَانىِّ ، وعبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، كلاهُما عن يَعقوبَ بنِ إبراهيمَ به ، وأخْرَجاه أيضًا مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ ، والليثِ بنِ سعدٍ ، عن الزهرىِّ به[4] .

وروَى أبو بكرِ بنُ مَرْدُويَه[5] ، من طريقِ محمدِ بنِ أبى حَفْصةَ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، يَقْتُلُ الدَّجَّالَ ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ الْمَالُ ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ » . قال أبو هريرةَ : واقْرَءوا إنْ شِئْتُم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ . موتِ عيسَى ابنِ مريمَ ، ثمَّ يُعِيدُها أبو هريرةَ ثلاثَ مراتٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يَزيدُ ، حدَّثنا سفيانُ ، وهو ابنُ حُسَينٍ ، عن

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى صحيح البخارى : « الحرب » .

(٢) بعده فى صحيح البخارى : « الواحدة » .

(٣) مسلم ٢٤٢/ ١٥٥.

(٤) البخارى (٢٢٢٢) من حديث الليث ، و(٢٤٧٦) من حديث سفيان ، ومسلم الموضع السابق .

(٥) عزاه إليه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٢.

(٦) المسند ٢/ ٢٩٠ (٧٨٩٠) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . المسند ١٥/ ٢٧.

الزهريِّ ، عن حَنْظَلَةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ ، وَيَمْحُو الصَّلِيبَ ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ ، وَيُعْطِى الْمَالَ حَتَّى لَا يُقْبَلَ ، وَيَضَعُ الخَرَاجَ ، ويَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ[1] ، فيَحُجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ ، أَوْ يَجْمَعُهُمَا » . قال : وتلا أبو هريرة : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . فزعَم حَنْظَلَةُ أنَّ أبا هُريرة قال : يُؤْمِنُ به قَبْلَ مَوْتِ[2] عِيسَى . فلا أدْرِى ، هذا كلُّه حديثُ النبىِّ ﷺ ، أو شىءٌ قاله أبو هريرةَ ؟ .

وروَى الإمامُ أحمدُ[3] ومسلمٌ[4] ، مِن حَدِيثِ الزُّهرىِّ ، عن حَنْظَلَةَ ، عَنْ أبِى هُريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَيُهِلَّنَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، مِنْ فَجِّ الرَّوْحَاءِ بالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا[5] جَمِيعًا » .

وقال البخارىُّ[6] : حدَّثنا ابنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثنا الليثُ ، عن يونُسَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن نافعٍ مَوْلَى أبى قَتادةَ الأنصارىِّ ، أن أبا هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ؟ » ثم قال البُخارىُّ : تابَعه عُقَيْلٌ والأَوْزَاعِىُّ .

وقد روَاه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، وعن عثمانَ بنِ عمرَ ،

---

(١) قال الحافظ أبو بكر الحارثى : فج الروحاء : هو موضع بين مكة والمدينة ، وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح ، وعام حجة الوداع . صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ٢٣٤.

(٢) فى المسند : « موته » .

(٣) المسند ٢/ ٢٤٠، ٢٧٢ (٧٢٧١، ٧٦٦٧) .

(٤) مسلم (٢١٦/ ١٢٥٢) .

(٥) فى ح ، ص ، والمسند : « ليثنيهما » . والمثبت موافق لما فى صحيح مسلم .

(٦) البخارى (٣٤٤٩) .

عن ابنِ أبى ذئبٍ ، كِلاهُما عن الزُّهْرِىِّ به[1] .

وأخرَجه مسلمٌ من حديثِ يونُسَ والأوزاعىِّ وابنِ أبى ذئبٍ ، عن الزُّهرِىِّ ، به[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عفّانُ ، حدَّثنا هَمَّامٌ ، أخبرنا قَتادةُ ، عن عبدِ الرحمنِ ، وهو ابنُ آدمَ مولى أمِّ بُرْثُنٍ صاحبِ السِّقايةِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنِّى أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِى وَبَيْنَهُ نَبِىٌّ ، وَإِنَّه نَازِلٌ ، فَإِذَا رأَيْتُمُوهُ فاعْرِفُوهُ ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ[4] ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، ويَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِى زَمَانِهِ الْأُمَمَ كُلَّها إِلَّا الْإِسْلَامَ ، ويُهْلِكُ اللَّهُ فِى زَمَانِه الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ ، حتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ ، لَا تَضُرُّهُمْ ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلِّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمونَ » . وهكذا رواه أبو داودَ ، عن هُدْبَةَ بنِ خالدٍ ، عن هَمَّامِ بنِ يحيى ، عن قَتادةَ به[5] .

ورَواه ابنُ جَريرٍ ، ولم يُورِدْ عندَ تفسيرِها غيرَه ، عن بشرِ بنِ مُعاذٍ ، عن يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قَتادةَ بنحوِه[6] ، وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ .

---

(١) المسند ٢/٢٧٢ (٧٦٦٦) عن عبد الرزاق عن معمر، ٢/٣٣٦ (٨٤١٢) عن عثمان بن عمر، عن ابن أبى ذئب.

(٢) مسلم (٢٤٤، ٢٤٦/ ١٥٥).

(٣) المسند ٢/٤٠٦ (٩٢٥٩)، وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح. المسند ١٥/ ١٥٤.

(٤) ثوب مُمَصَّر : مصبوغ بحُمرة خفيفة. انظر اللسان (م ص ر).

(٥) أبو داود (٤٣٢٤) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٥).

(٦) تفسير الطبرى ٦/ ٢٢.

وروَى البخاريُّ[1] ، عن أبى اليَمانِ ، عن شُعَيْبٍ ، عن الزُّهرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هُريرةَ ، رضى اللَّه عنه قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ ، لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ نَبِىٌّ » . ثم روَى[2] عن محمدِ بنِ سِنانٍ ، عن فُلَيْحِ بنِ سليمانَ ، عن هلالِ بنِ علىٍّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَمْرةَ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ » . ثم قال : وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن مُوسَى بنِ عُقْبةَ ، عن صَفْوانَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ . فهذه طرقٌ مُتَعَدِّدةٌ كالمُتَواتِرةِ عن أبى هريرةَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

[٣٦ظ] حديثٌ عن ابنِ مَسْعُودٍ

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن جَبَلةَ بنِ سُحَيْمٍ ، عن مُؤْثِرِ بنِ عَفَازَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » . قال : « فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِى بِهَا . فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِى بِهَا . فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى عِيسَى ، فَقَالَ : أَمَّا وَجْبَتُهَا[4] فَلَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَكِنْ[5] فِيمَا عَهِدَ إِلَىَّ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ،

---

(١) البخارى (٣٤٤٢) .

(٢) البخارى (٣٤٤٣) .

(٣) المسند ١/٣٧٥ (٣٥٥٦) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . المسند ٥/ ١٨٩ .

(٤) أى : وقوعها .

(٥) سقط من ح ، ص ، وفى المسند : « ذلك » .

أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ ، وَمَعِيَ قَضِيبَانِ ، فَإِذَا رَآنِي ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ » . قال : « فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ [(١)] إِذَا رَآنِي [(١)] ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ : يَا مُسْلِمُ ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ » . قال : « فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ ، فَعِنْدَ ذلكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَطَئُونَ بِلَادَهُمْ ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَكَلُوه [(٢)] ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ » . قال : « ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ حَتَّى تَجْوَى [(٣)] الْأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ ، وَيُنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ ، فَتَجْرُفُ [(٤)] أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ [(٥)] ، فَفِيمِا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي ، عَزَّ وَجَلَّ ؛ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِي لا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا [(٦)] لَيْلًا أَوْ نَهَارًا » .

ورواه ابنُ ماجه ، عن محمدِ بنِ بَشَّارٍ ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ ، عن العوّامِ بنِ حَوْشَبٍ به ، نحوَه [(٧)] .

(١ - ١) ليست فى المسند .

(٢) فى المسند : « أهلكوه » .

(٣) يقال : جَوِى يَجْوَى : إذا أَنْتَن . النهاية ١/ ٣١٩.

(٤) فى الأصل : « فيجترف » ، وفى ح : « فيأخذ » .

(٥) بعده فى المسند : « قال أبى : ذهب على شىء ههنا لم أفهمه ، كأديم ، وقال يزيد - يعنى ابن هارون : « ثم تُنْسَف الجبال ، وتُمَدُّ الأرض مدّ الأديم . ثم رجع إلى حديث هشيم ، قال » .

(٦) سقط من : ص ، وفى ح ، والمسند : « بولادها » . والمثبت موافق لما فى رواية ابن ماجه الآتى تخريجها .

(٧) ابن ماجه (٤٠٨١) ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٥) .

صِفَةُ المسيحِ عيسَى ابنِ مَرْيَمَ رسولِ اللَّـهِ، عليه السلامُ

ثبَتَ فى « الصحيحَيْنِ »[1] مِن حَديثِ الزهرىِّ، عن سعيدٍ، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى لَقِيتُ مُوسَى - قال: فنعَته - فَإِذَا رَجُلٌ - حسِبْتُه[2] قال -: مُضْطَرِبٌ[3] - أى طويلٌ - رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ». قال: « وَلَقِيتُ عِيسَى ». فنَعَتَه النبىُّ ﷺ فقال: « رَبْعَةٌ[4] أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ». يعنى الحَمَّامَ.

وللبُخارىِّ[5] مِن حديثِ مُجاهِدٍ، عن [6]ابنِ عمرَ[6] قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « رَأَيْتُ عِيسَى، وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ

---

(١) البخارى (٣٣٩٤، ٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨).

(٢) القائل: « حسبته » هو عبد الرزاق. فتح البارى ٦/ ٤٨٤.

(٣) المضطرب: الطويل غير الشديد، وقيل: الخفيف اللحم. المصدر السابق.

(٤) ربعة: المراد أنه ليس بطويل جدًّا، ولا قصير جدًّا، بل وسط. المصدر السابق.

(٥) البخارى (٣٤٣٨).

(٦ - ٦) كذا فى النسخ، وفى صحيح البخارى. وقال ابن حجر: كذا وقع فى جميع الروايات التى وقعت لنا من نسخ البخارى، وقد تعقبه أبو ذر فى روايته فقال: كذا وقع فى جميع الروايات المسموعة عن الفربرى « مجاهد عن ابن عمر ». قال: ولا أدرى أهكذا حدث به البخارى، أو غلط فيه الفربرى؛ لأنى رأيته فى جميع الطرق عن محمد بن كثير وغيره عن مجاهد عن ابن عباس... وقال أبو مسعود فى « الأطراف » إنما رواه الناس عن محمد بن كثير فقال: مجاهد عن ابن عباس. ووقع فى البخارى فى سائر النسخ مجاهد عن ابن عمر، وهو غلط، قال: وقد رواه أصحاب إسرائيل، منهم يحيى بن أبى زائدة وإسحاق بن منصور، والنضر بن شميل، وآدم بن أبى إياس، وغيرهم، عن إسرائيل فقالوا: ابن عباس. قال: وكذلك رواه ابن عون، عن مجاهد، عن ابن عباس. فتح البارى ٦/ ٤٨٤، ٤٨٥. وانظر تحفة الأشراف ٥/ ٢٠٩٤، ٢٠٩٥.

الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى فآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ[1] » . ولهما[2] مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بنِ عُقْبَةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا بينَ ظَهْرَانَيِ الناسِ المسيحَ الدّجَّالَ ، فقال : « إنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلَا إنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ، وَأَرَانِيَ اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ ، وَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعَرِ ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ . فقلتُ : مَنْ هَذَا ؟ فقَالُوا : هَـٰذَا الْمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ . ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ ، جَعْدًا قَطَطًا[3] أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ ، وَاضِعًا يَدَيْهِ على مَنْكِبَيْ رَجُلٍ ، يَطُوفُ بالْبَيْتِ ، فقُلْتُ : مَنْ هَـٰذَا ؟ قَالُوا : « الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ » . تابَعه عُبَيْدُ اللَّهِ ، عن نافعٍ .

ثم روَى البُخاريُّ[4] ، عن أحمدَ بنِ محمدٍ المكِّيِّ ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، عن الزُّهريِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه قال : لا واللَّهِ ، ما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعِيسَى[5] : « أَحْمَرُ » . ولَكِنْ قال : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بالْكَعْبَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ ، يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، يَنْطِفُ رَأْسُه مَاءً - أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً -

---

(١) رجال الزط : هم جنس من السودان ، وقيل : هم نوع من الهنود ، وهم طوال الأجسام مع نحافة فيها . فتح البارى ٦/ ٤٨٥.

(٢) البخارى (٣٤٣٩، ٣٤٤٠) ، ومسلم (٢٧٤/ ١٦٩) .

(٣) المراد به شدة جعودة الشعر ، ويطلق فى وصف الرجل ويراد به الذم ، يقال : جعد اليدين وجعد الأصابع ، أى بخيل ، ويطلق على القصير أيضًا ، أما إذا أطلق فى الشعر فيحتمل الذم والمدح . فتح البارى ٤/ ٤٨٦.

(٤) البخارى (٣٤٤١) .

(٥) اللام فى قوله : « لعيسى » بمعنى عن ، وهى كقوله تعالى : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه » . فتح البارى ٦/ ٤٨٦.

فَقُلْتُ : مَنْ هَذا ؟ قَالُوا : ابنُ مَرْيَمَ . فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ ، جَعْدُ الرَّأْسِ ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ . قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا الدَّجَّالُ ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ » . قال الزهرىُّ : رَجُلٌ مِن خُزَاعَةَ هَلَكَ فى الجاهليةِ .

وتقَدَّم فى حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ[1] : « فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ على أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَه قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ [٣٧و] مِثْلُ جُمَانِ اللُّؤْلُؤِ ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ ، ونَفَسُه يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ » .

هذا هو الأشْهرُ فى مَوْضعِ نُزولِه أنه على المَنارَةِ البيضاءِ الشرقيةِ بدِمَشْقَ ، وقد رأَيْتُ فى بعضِ الكُتبِ : أنه يَنْزِلُ على المنارةِ البيضاءِ شرقىَّ جامعِ دِمَشْقَ . فلعلَّ هذا هو المحفوظُ ، وتكونُ الرِّوايةُ : « فَيَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ » فتَصَرَّف الرَّاوى فى التعبيرِ بِحسَبِ ما فَهِم ، وليس فى دمشقَ مَنارةٌ تُعْرَفُ بالشرقيَّةِ سِوَى التى إلى جانبِ الجامعِ الأُمَوىِّ بدمشقَ مِن شَرْقِيِّه ، وهذا هو الأنسبُ والأَلْيقُ ؛ لأنه يَنْزِلُ ، وقد أُقِيمتِ الصلاةُ ، فيَقولُ له إمامُ المسلمين : « يا رُوحَ اللَّهِ تقَدَّمْ » . فيَقُولُ : « تقَدَّمْ أَنْتَ ، فَإِنَّها إِنَّما أُقِيمَتْ لَكَ » . وفى روايةٍ : « بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ » .

وقد جُدِّد بناءُ مَنارةٍ فى زمانِنا فى سنةِ إحدَى وأَرْبَعينَ وسَبْعِمائةٍ ، مِن حِجَارةٍ بِيضٍ ، مِن أموالِ النَّصارى الذينِ حرَّقوا المَنارةَ التى كانت مكانَها ، ولعل هذا يَكُونُ مِن دَلائلِ النبوةِ الظاهرةِ ، حيث قيَّض اللَّهُ بناءَ هذه المَنارةِ البيضَاءِ مِن أموالِ

---

(١) تقدم فى صفحة ١٤٣.

النصارَى ، لِيَنْزِلَ عيسَى ابنُ مريمَ عليها ، فيَقْتُلُ الخنزيرَ ، ويَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، ولا يَقْبَلُ مِنهم جِزْيةً ، ومَن لم يُسلِمْ قتَله ، وكذلك يكونُ حُكْمُه فى سائرِ كفَّارِ أهلِ الأرضِ يومَئذٍ ، فإنّه لا يبقَى حكمٌ فى أهلِ الأرضِ إلَّا له ، وهذا مِن بابِ الإخْبارِ عن المَسيحِ بذلك ، فإن اللَّهَ قد سوَّغ له ذلك ، وشرَعه له ، فإنه إنما يَحْكُمُ بمُقْتَضَى هذه الشَّرِيعَةِ المُطَهَّرةِ .

وقد ورَد فى بعضِ الأحاديثِ ، كما تقَدَّم[1] ، أنه يَنْزِلُ بِبَيْتِ المقْدِسِ ، والأحاديثُ تقتضِى أنّ الدجّالَ يُقتَلُ بلُدٍّ قبلَ أن يدخُلَ بيتَ المقدسِ ، فتدُلُّ على أنَّه لا يدخُلُه الدَّجّالُ كمكَّةَ والمدينةِ حمايةً له مِنه ، وفى روايةٍ : أن عيسَى ينزِلُ بالأُرْدُنِّ ، وفى روايةٍ بمُعَسْكَرِ المسلمينَ ، وهذا فى بعضِ رِوَاياتِ مسلمٍ ، كما تقَدَّمَ . واللَّهُ أعلمُ .

وتقَدَّم[2] فى حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ آدَمَ ، عن أبى هريرةَ : « وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ؛ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ والْبَيَاضِ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلَامِ ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ تَعَالَى فِى زَمَانِهِ المِلَلَ كلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِى زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، ثُمَّ تَقَعُ الأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ ، حَتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيانُ بالحيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ ، فيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلِّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ » . رَوَاه أحمدُ ، وأبو داودَ .

---

(١) تقدم فى صفحة ١٤٩.

(٢) تقدم فى ٢/٥٢٥، ٥٢٦.

وَهَكَذَا وقَعَ فى هَذَا الحديثِ أَنَّه يَمْكُثُ فى الأرضِ أربعينَ سنةً .

وثبَتَ فى صحيحِ مُسْلمٍ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن النبىِّ ﷺ : أنه يَمْكُثُ فى الأرضِ سبعَ سنينَ . فهذا مع هذا مُشْكِلٌ ، اللَّهم إلَّا أنْ تُحْمَلَ هذه السَّبْعُ على مدَّةِ إقامتِه بعدَ نُزُولِه ، ويَكُونُ ذلك محمولًا على مُكثِه فيها قبلَ رفعِه مُضافًا إليه ، وكانَ عُمرُه قبلَ رفعِه ثلاثًا وثلاثينَ سنةً على المشهورِ . وهذه السَّبعُ تكملةُ الأربعين ، فيكونُ هذا مدةَ مقامِه فى الأرضِ قبلَ رفعِه وبعدَ نزولِه ، وأمّا مقامُه فى السماءِ قبلَ نزولِه فهو مدَّةٌ طويلةٌ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وقد ثبَت فى الصحيحِ أن يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ يَخْرُجون فى زمانِه ويُهْلِكُهُمُ اللَّهُ ببَرَكةِ دُعائِه فى لَيْلَةٍ واحدةٍ كما تقدَّم[2] وكما سيَأْتى ، وثبَت أنه يَحُجُّ فى مدةِ إقامتِه فى الأرضِ بعدَ نُزُولِه .

وقال محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظىُّ : فى الكُتبِ المُنَزَّلةِ ، أن أصْحَابَ الكَهْفِ يَكُونُونَ فى حَوارِيِّهِ ، وأنهم يَحُجُّون معه ، ذكَره القُرْطبىُّ فى المَلاحِمِ ، فى آخِرِ كِتَابِ « التَذْكِرَةِ »[3] ، وتَكونُ وفاتُه بالمدينةِ النَّبويَّةِ ، فيُصَلَّى عليه هنالِك ، ويُدْفَنُ بالحُجْرةِ النبويةِ[4] . وقد ذكَرَ ذلكَ ابنُ عَساكرَ ، ورواه أبو عيسَى التِّرمذىُّ فى « جَامِعِه »[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ ، فقال فى كتابِ المَناقِبِ : حدَّثنا زيدُ بنُ أخْزَمَ الطائىُّ البصْرىُّ ، حدَّثنا أبو قُتَيْبةَ سَلْمُ[6] بنُ قُتَيْبةَ ، حدَّثنا أبو مَوْدودٍ المَدَنىُّ ،

---

(١) مسلم (١١٦/ ٢٩٤٠) .

(٢) تقدم فى ص ١٤١ - ١٤٥.

(٣) التذكرة ٢/ ٦٤٧، ٦٤٨.

(٤) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط [٣٧ظ] .

(٥) تقدم فى ٢/ ٥٢٧.

(٦) فى ح : « سالم » ، وفى ص : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٣٢.

حدَّثنا عثمانُ بنُ الضَّحَّاكِ ، عن محمدِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : مكتوبٌ فى التَّوْراةِ صفةُ محمدٍ ، وعيسَى ابنُ مريمَ يُدْفَنُ مَعَهُ . قال : فقال أبو مَودودٍ : وقد بقِى فِى البيتِ موضعُ قبرٍ . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ . هكذا قال عثمانُ بنُ الضحاكِ ، والمعروفُ الضحاكُ بنُ عثمانَ المَدَنىُّ . انْتَهَى ما ذكَره الترمذىُّ ، رحِمه اللَّهُ تعالى .

وروَى الطَّبَرانىُّ[1] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ نافعٍ ، عن عثمانَ بنِ الضَّحَّاكِ ، عن محمدِ بنِ يوسُفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بن سلَامٍ ، عن أبيهِ ، عن جدِّه قال : يُدْفَنُ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ وعمرَ ، فيَكونُ قبرُه رابعًا .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسىُّ ، عن علىِّ بنِ مَسْعَدةَ ، عن رياحِ بنِ عَبِيدةَ ، حدَّثنى يوسُفُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ ، عن أبيه قال : يَمْكُثُ الناسُ بعدَ الدَّجَّالِ يَعْمُرون الأسْواقَ ، ويَغْرِسون النخلَ .

---

(١) رواه الطبرانى فى قطعة من الجزء ١٣ ص ١٥٨ (٣٨٤) بنحوه ، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه عثمان بن الضحاك ، وثقه ابن حبان ، وضعفه أبو داود . المجمع ٨/ ٢٠٦.

ذِكْرُ خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، وذلك فى أيامِ عيسَى ابنِ مريمَ بعدَ قتلِه الدَّجَّالَ، فيُهلِكُهمُ اللَّهُ أجمعين فى ليلةٍ واحدةٍ ببركةِ دعائِه عليهم

قال اللَّهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] وقال تعالى فى قصةِ ذى القرنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف ٩٣، ٩٤] الآيات إلى آخر القصة.

وقد ذكَرْنا فى «التَّفْسيرِ»[(١)]، وفى قصةِ ذى القَرْنين[(٢)] خبرَ بنائِه للسدِّ مِن حَديدٍ ونُحاسٍ بينَ جبلَين، فصار رَدْمًا واحدًا، وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾. أى يحجزُ به بينَ هؤلاءِ القومِ المُفْسدين فى الأرضِ وبينَ الناسِ. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. أى الوقتُ الذى قدَّر انْهِدامَه فيه. ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أى مساويًا لِلأَرضِ. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾. أى هذا شىءٌ لابدَّ مِن كونِه ووقوعِه ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] أى إذا انهدَم يَخْرُجون على الناسِ فيَمُوجون فيهم، ويَنْسِلون أى

---

(١) التفسير ٥/١٩٢ - ١٩٦.

(٢) تقدم فى ٢/ ٥٤٩.

يُسْرِعون المَشْىَ مِن كل حَدَبٍ ، ثم يَكونُ النَّفْخُ فى الصُّورِ للفَزَعِ قريبًا مِن ذلك الوقتِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] . الآية .

وقد ذكَرْنا فى الأحاديثِ الواردةِ فى خروجِ الدَّجالِ ونزولِ المسيحِ طَرَفًا صالحًا مِن ذكْرِهم ، مِن روايةِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ وغيرِه .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ زينبَ بنتِ جَحْشٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نامَ عندَها ، ثُم اسْتَيْقَظ مُحْمَرًّا وجهُه ، وهو يقولُ : « لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَـٰذِهِ » . وحلَّق بينَ إصْبَعَيْه ، وفى روايةٍ : وعقَد سبعين أو تسعين . قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنَهْلِكُ وفينا الصَّالحون ؟ قال : « نَعَمْ ، إذَا كَثُرَ الخَبَثُ » .

وفى « الصحيحَيْن »[2] أيضًا مِن حديثِ وُهَيْبٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَـٰذَا »[3] . وعقَد تِسعين .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، حدَّثنا أبو رافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم قال : « إنَّ يَأْجُوجَ ومأجوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ

---

(١) البخارى (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥) ، ومسلم (٢٨٨٠) .
(٢) البخارى (٣٣٤٧، ٧١٣٦) ، ومسلم (٢٨٨١) .
(٣) فى مصدرى التخريج : « هذه » .
(٤) المسند ٢/ ٥١٠، ٥١١ (١٠٦٤٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين المسند ١٦/ ٣٦٩، ٣٧٠.

الشَّمْسِ ، قَالَ الَّذِى عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا ، فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا . فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِى عَلَيْهِمْ : اغْدُوا[1] فَسَتَحْفِرُونَه غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَيَسْتَثْنِى ، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ ، [2]وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ[2] حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ، [٣٨و] فَيَنْشُفُونَ[3] الـمِيَاهَ ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِى حُصُونِهِمْ ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ . فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا[4] فِى أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ[5] شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ » . ثم رواه أحمدُ والترمذىُّ وابنُ ماجه : مِن غيرِ وجهٍ ، عن قتادةَ به[6] . وقد روَى ابنُ جَريرٍ[7] ، وابنُ أبى حاتمٍ ، عن كعبِ الأحْبارِ قريبًا مِن هذا . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا يعقوبُ ، حدَّثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ[9] قَتادةَ ، عن محمودِ بنِ لبيدٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدرىِّ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ،

---

(١) فى المسند : « ارجعوا » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « هو على هيئته » ، وفى ح : « فيجدونه على هيئته » .

(٣) فى الأصل : « فنتشفون » ، وفى ح : « فيستقون » .

(٤) النغف : دود يكون فى أنوف الإبل والغنم ، واحدتها : نغفة . النهاية ٥/ ٨٧.

(٥) ليست فى المسند . وتشكر : أى تسمن وتمتلئ شحمًا . يقال : شكِرت الشاة بالكسر تشكَر شكَرًا بالتحريك إذا سمنت وامتلأ ضرعها لبنًا . النهاية ٢/ ٤٩٤.

(٦) المسند ٢/٥١١ (١٠٦٤١) ، الترمذى (٣١٥٣) ، ابن ماجه (٤٠٨٠) .

(٧) تفسير الطبرى ١٧/ ٨٩.

(٨) المسند ٣/٧٧ (١١٧٤٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٨/ ٢٥٨.

(٩) فى الأصل ، ح : « عن » . وانظر أطراف المسند ٦/ ٣١٤، وتهذيب الكمال ١٣/ ٥٢٨.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] . [١]فَيَغْشَوْنَ النَّاسَ ، وَيَنْحَازُ النَّاسُ[١] عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، فَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا ، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ ، فَيَقُولُ : قَدْ كَانَ هَـٰهُنَا مَاءٌ مَرَّةً . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ[٢] إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ : هَـٰؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ » . قَالَ : « ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ[٣] مُخْتَضَبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ ، فَبَيْنَمَا[٤] هُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعَثَ[٥] اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِ[٦] ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى ، لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ ، فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ ؟ قَالَ : « فَيَتَجَرَّدَ رَجُلٌ مِنْهُمْ [٧]مُحْتَسِبًا نَفْسَهُ[٧] ، قَدْ وَطَّنَهَا[٨] عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَلَا أَبْشِرُوا ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَفَاكُمْ

(١ - ١) فى المسند : « فيغشون الأرض وينحاز المسلمون » .

(٢) زيادة من النسخ ليست فى المسند .

(٣) ليست فى المسند .

(٤) فى المسند : « فبينا » .

(٥) فى المسند : « إذ بعث » .

(٦) فى المسند : « أعناقهم » .

(٧ - ٧) فى المسند « لذلك محتسبا لنفسه » .

(٨) فى ح : « أوطن نفسه » ، وفى ص : « أوطنها » ، وفى المسند : « أظنها » . وهو تصحيف وفى بقية النسخ أطنها .

قال السندى : أطنَّها : ضبط بتشديد النون على أنه من طن إذا صوت ، والهمزة للتعدية ، أى جعلها تصيح ، والأقرب عندى أنه بتشديد الطاء المهملة ، أصله : وطنها ، والهمزة بدل من الواو . والمثبت موافق لرواية ابن ماجه الآتى تخريجها .

عَدُوَّكُمْ . فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْىٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا شَكَرَتْ[1] عَنْ شَىْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ » . وهكذا أخرجه ابنُ ماجه[2] ، مِن حديثِ يونسَ بنِ بُكيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ به ، وهو إسنادٌ جيدٌ .

وفى حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ ، بعدَ ذكرِ قتلِ عيسَى الدَّجالَ عندَ بابِ لُدٍّ الشرقىِّ ، قال : « فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّى قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِى ، لَا يَدَانِ لأحدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِى إِلَى الطُّورِ . فَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، [3]وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[3] ، فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِى رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[4] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَيَهْبِطُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُونَ فِى الْأَرْضِ بَيْتًا إِلَّا مَلَأَه زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ » .

قال كعبُ الأحْبارِ : « بمكانٍ يقالُ له المَهْبِلُ عندَ مَطْلِعِ الشَّمسِ » . الحديث إلى آخرِه ، وقد تقدم[5] .

كذلك حديثُ مُؤثِرِ بنِ عَفازَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، فى اجْتماعِ الأنبياءِ ليلةَ الإسْراءِ ، وتَذَاكُرِهم أمرَ الساعةِ ، فردُّوا أمرَهم إلى عيسَى ، وذكَر الحديثَ ، كما

---

(١) فى المسند : « تشكر » .
(٢) ابن ماجه (٤٠٧٩) . حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٩٧) .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) فى ح : « موتى » .
(٥) تقدم فى صفحة ١٤٣ .

تقدَّم[1] ، وفى آخره : « فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَطَئُونَ بِلَادَهُمْ ، لَا يَمُرُّونَ عَلَى شَيْءٍ ، إِلَّا أَهْلَكُوهُ ، وَلَا عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ » ، قال : « ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ يَشْكُونَهُمْ ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِم ، فَيُهْلِكُهُمْ وَيُمِيتُهُمْ حَتَّى تَجْوَى الْأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ ، وَيُنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ ، فَتَجْرُفُ[2] أَجْسَادَهُمْ ، حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِى الْبَحْرِ ، فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّى أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ ، لَا يَدْرِى أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا[3] لَيْلًا أَوْ نَهَارًا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا محمدُ بنُ بِشْرٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو[5] ، عن ابنِ حَرْمَلَةَ[6] ، عن خَالَتِه قالت : خطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو عاصِبٌ إصْبَعَه مِن لَدْغَةِ عَقْرَبٍ ، فقال : « إِنَّكُمْ تَقُولُونَ : لا عَدُوَّ لَكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ ، صِغَارُ الْعُيُونِ ، [7]صُهْبُ الشِّعَافِ[7] ، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ » .

قلتُ : يأجوجُ ومأجوجُ طائفتانِ مِن التُّرْكِ كبيرتان لا يعلَمُ عددَهم إلَّا اللَّهُ

---

(١) تقدم فى ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) فى الأصل : « فيجترف » .

(٣) فى ص : « بولادها » .

(٤) المسند ٥/٢٧١ (٢٢٣٨٥) . وقال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح . المجمع ٨/ ٦.

(٥) بعده فى المسند : « ثنا خالد بن عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢١٢، وأورده ابن كثير فى التفسير ٥/ ٣٧٠.

(٦) هو خالد بن عبد اللَّه بن حرملة . انظر تهذيب الكمال ٨/ ٩٦.

(٧ - ٧) فى المسند : « شهب الشعاف » . وصهب الشعاف : أى صُهب الشعور . والمعروف أن الصُّهبة مختصة بالشعر ، وهى حمرة يعلوها سواد . انظر النهاية ٢/ ٤٨٢، ٣/ ٦٢.

سبحانه ، وهم مِن ذريَّةِ آدَمَ ، كما ثبتَ فى الصحيحِ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فيُنَادِى بِصَوْتٍ : ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ (١) مِنْ ذُرِّيَّتِكَ (١) . فَيَقُولُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ ، وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ . فَيَومَئِذٍ يَشِيبُ [٣٨ظ] الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا فيُقَالُ : أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ فِى يَأْجُوجَ وَمَأْجوجَ لَكُمْ فِدَاءً » . وفى روايةٍ : « فَيُقَالُ : إِنَّ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ مَا كَانَتَا فِى شَىْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاه ؛ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ » . وسيأْتى هذا الحديثُ بِطُرُقِه وألفاظِهِ .

ثم هُمْ مِن حَوَّاءَ ، وقد قال بعضُهم : إنَّهم مِن آدَمَ لا مِن حَوَّاءَ (٢) ، وذلك أنَّ آدمَ احْتَلَم ، فاخْتَلَطَ مَنِيُّه بالتُّرابِ ، فخلَقَ اللَّهُ مِن ذلك يأجوجَ ومأجوجَ . وهذا مما لا دليلَ عليه ، ولم يَرِدْ عَمَّن يَجِبُ قَبولُ قولِه فى هذا ، واللَّهُ أعلمُ .

وهم مِن ذريةِ نوحٍ عليه السلامُ ، مِن سُلالةِ يافِثَ بنِ نوحٍ ، وهو أبو التُّركِ ، وقد كانوا يُفسِدون فى الأرضِ ، ويُؤْذونَ أهلَها ، فأمَر اللَّهُ سبحانَه ذا القرنينِ فحصَرَهم فى مكانِهم داخِلَ السدِّ إلى أن يَأْذَنَ اللَّهُ تعالى فى خُروجِهم على النَّاسِ ، فيَكونَ مِن أمرِهم ما ذكَرْنا فى الأحاديثِ .

وهم كالنَّاسِ يُشْبِهُونَهم كأبناءِ جِنْسِهم مِن التُّركِ الغُتْمِ (٣) ، الـمَغُولِ المُخَرْزَمَةِ (٤) عيونُهـم ، الذُّلْفِ أُنوفُهم ، الصُّهْبِ شعورُهم على أشكالِهم وألوانِهم ، ومَن زعَم

(١ - ١) سقط من ح ، ص .

(٢) بعده فى الأصل : « قال » .

(٣) الغتم : أعاجم فى النطق لا يفصحون شيئًا . لسان العرب (غ ت م) .

(٤) كذا فى الأصل ، ح . وفى ص : « المخرومة » ، ولعها « المخزورة » من الخزر ، وهو ضيق العين وصغرها ، ثم صُحِّفت ، فقد جاء من حديث حذيفة : « كأنى بهم خنس الأنوف ، خُزر العيون » . انظر النهاية ٢/ ٢٨ .

أنَّ مِنهم الطويلَ كالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ[1] وأطولَ ، ومنهم القصيرَ كالشيءِ الحقيرِ ، ومِنهم مَن له أُذُنان يَتَغَطَّى بإحْدَاهُما ويَتَوَطَّأُ بالأخرى[2] ، فقد تكَلَّف ما لَا علمَ له به ، وقال ما لَا دليلَ عليه ، وقد ورَد فى حديثٍ أنَّ أحدَهم لا يَموتُ حتَّى يَرَى مِن نَسْلِه ألفَ إنسانٍ . فاللَّهُ أعلمُ بصحتِه .

قال الطَّبَرانىُّ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ العباسِ الأَصْبَهانىُّ ، حدَّثنا أبو مسعودٍ أحمدُ بنُ الفُراتِ ، حدَّثَنا أبو داودَ الطَّيالِسىُّ ، حدَّثنا المُغيرةُ بنُ مسلمٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن وهبِ بنِ جابرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، وَلَوْ أُرْسِلُوا لَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَايِشَهُمْ ، وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا ، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ ثَلَاثَ أُمَمٍ ؛ تَاوِيلَ ، وتَارِيسَ ، وَمَنْسَكَ » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وقد يَكونُ مِن كلامِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو مِن الزَّامِلَتَيْنِ[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ جَريرٍ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثَنا شعبةُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى يزيدَ ، قال : رأَى ابنُ عباسٍ صِبْيانًا يَنْزُو بعضُهم على بعضٍ يَلْعَبون ، فقال ابنُ عباسٍ : هكذا تَخْرُجُ يَأْجوجُ ومأجوجُ .

---

(١) النخلة السحوق : أى الطويلة التى بعد ثمرها على المجتنى . النهاية ٢/ ٣٤٧.

(٢) يتوطأ بالأخرى أى : يتخذها وطاء ، والوطاء : خلاف الغطاء . انظر التاج (و ط أ) .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨٥٩٣) من طريق أبى إسحاق به بنحوه . والحديث فى مسند الطيالسى (٢٢٨٢) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات . المجمع ٨/ ٦.

(٤) الزاملتان : مثنى الزاملة ، وهى البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع ، وقد أصاب عبد اللَّه بن عمرو فى موقعة اليرموك زاملتين محملتين بكتب من كتب أهل الكتاب ، وكان يحدث بما فيهما . انظر فتح البارى ١/ ٢٠٧.

(٥) تفسير الطبرى ١٧/ ٨٨.

ذِكْرُ تَخْرِيبِ الكعبةِ، شرَّفها اللَّهُ، على يَدَى ذى السُّوَيْقَتَيْنِ[1] الأَفْحَجِ الحَبَشى، قبَّحه اللهُ

ورُوِّينا عن كعبِ الأحبارِ فى «التفسيرِ»[2] عندَ قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أنَّ أوَّلَ ظهورِ ذى السُّوَيقَتَيْن فى أيَّام عيسَى ابنِ مريمَ، عليه السلامُ، وذلك بعدَ هلاكِ يأجوجَ ومأْجوجَ، فيَبْعَثُ إليه[3] عيسَى ابنُ مريمَ طليعةً ما بينَ السَّبْعِمائةِ إلى الثمانِمائةِ، فبينَما هم يسيرون إليه إذْ بعَث اللَّهُ ريحًا يَمانيَّةً طَيِّبةً، فتُقْبَضُ فيها رُوحُ كلِّ مؤمنٍ، ثم يَبْقَى عَجاجٌ[4] مِن الناسِ، يَتَسافَدون كما تَتَسافَدُ البَهائمُ. ثم قال كعبٌ: وتَكونُ الساعةُ قريبةً حينَئذٍ. **قلتُ**: وقد تقدَّم فى الحديثِ الصحيحِ[5] أنَّ عيسَى عليه السلامُ يَحُجُّ بعدَ نزولِه إلى الأرضِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ الطَّيالسىُّ، حدَّثنا عِمْرانُ، عن قَتادةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عُتْبةَ، عن أبى سعيدٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيُحَجَّنَّ هَذَا البَيْتُ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ». انْفَرَد بإخراجِه البخارىُّ[7]، فرَواه عن أحمدَ بنِ حفصِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن أبيه، عن إبراهيمَ بنِ

---

(١) فى ص: «السويقين». والسويقة: تصغير الساق، وهى مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء فى تصغيرها. وإنما صغر الساق، لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة. النهاية ٢/ ٤٢٣.

(٢) التفسير ٥/ ٣٧١.

(٣) فى ح: «اللَّه».

(٤) العجاج: الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه. النهاية ٣/ ١٨٤.

(٥) تقدم فى صفحتى ٢٢٢، ٢٢٣.

(٦) المسند ٣/ ٢٧، ٢٨ (١١٢٣٥).

(٧) البخارى (١٥٩٣).

طَهْمانَ ، عن حَجَّاجٍ - هو ابنُ حجَّاجٍ[1] - عن قتادةَ بنِ دِعامةَ به . قال : تابَعه أبانٌ وعِمْرانُ ، عن قتادةَ . وقال عبدُ الرحمنِ ، عن شعبةَ ، عن قَتادةَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ البَيْتُ » . قال أبو عبدِ اللَّهِ[2] : والأولُ أكثرُ . انْتَهَى ما ذكَره البخاريُّ .

وقد رَواه البَزَّارُ[3] ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِيٍّ ، عن أبانِ بنِ يزيدَ العَطَّارِ ، عن قتادةَ ، كما ذكَره البخاريُّ . وروايةُ عِمْرانَ بنِ داودَ القَطَّانِ قد أورَدها الإمامُ أحمدُ ، كما رَأَيتَ .

وقال أبو بكرٍ البزَّارُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ؛ سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ أبى عُتْبةَ يُحَدِّثُ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ البَيْتُ » . ثم قال : وهذا الحديثُ لا نعلَمُه يُرْوَى عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ إلّا بهذا الإسنادِ .

قلتُ : ولا منافاةَ فى المعنَى بينَ الرِّوايتَين ؛ لأن الكعبةَ يَحُجُّها الناسُ ويَعتَمِرون بها ، بعدَ خروجِ يأْجوجَ ومأْجوجَ وهلاكِهم ، وطُمأنينةِ الناسِ وكثرةِ أرزاقِهم فى زمانِ المسيحِ ، عليه السلامُ [٣٩و] ثم يبعَثُ اللَّهُ ريحًا طيِّبةً ، فيَقبِضُ بها روحَ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ، ويُتَوَفَّى نَبىُّ اللَّهِ عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السلامُ ، ويصلِّى عليه المسلمون ، ويدفَنُ بالحُجرةِ النبويَّةِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم يكونُ خَرَابُ الكعبةِ على يَدَى ذى السُّوَيقَتَين بعدَ هذا ، وإنْ كان ظهورُه فى زمنِ

---

(١) فى النسخ : « منهال » . والمثبت موافق لرواية البخارى . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٣١، ٤٣٢.
(٢) أى : البخارى .
(٣) لم نجده عند البزار ، والحديث أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (٢٥٠٧) من طريق محمد بن المثنى ، به .
(٤) لم نجده عند البزار ، والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٤٥٣، من طريق شعبة ، به بنحوه .

المسيحِ، كما قال كعبُ الأحبارِ، واللَّه سبحانه أعلم.

ذِكْرُ تخريبِه إيَّاها، قَبَّحه اللَّهُ، وشَرَّفها

قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ، وهو الحَرَّانيُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ سَلَمةَ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كُسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْه أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ[2]، يَضْرِبُ عَلَيها بِمِسْحَاتِه[3] وَمِعْوَلِهِ». انفرَد به أحمدُ، وهذا إسنادٌ جيدٌ قَوِىٌّ.

وقال أبو داودَ[4]: بابُ النَّهْيِ عن تَهْييجِ الحَبَشةِ، حدَّثنا القاسمُ بنُ أحمدَ، حدَّثنا أبو عامرٍ، حدَّثنا زهيرُ بنُ محمدٍ، عن موسى بنِ جُبَيرٍ، عن أبى أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنَيفٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، عن النبىِّ ﷺ قال: «اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ».

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا يَحيى، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ الأخنسِ، قال:

---

(١) المسند ٢/٢٢٠ (٧٠٥٣). قال الشيخ شعيب: بعضه مرفوع صحيح، وبعضه يروى مرفوعا وموقوفا، والموقوف أصح، وهذا إسناد ضعيف. المسند ١١/ ٦٢٩.

(٢) أفيدع: تصغير أفدع، والفدع (بالتحريك) زيغ بين القدم وبين عظم الساق، وكذلك فى اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها. النهاية ٣/ ٤٢٠.

(٣) المسحاة: المجرفة من الحديد: انظر النهاية ٤/ ٣٢٨.

(٤) أبو داود (٤٣٠٩). حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦٢٠).

(٥) المسند ١/ ٢٢٨.

أخبَرنى ابنُ أبى مُلَيكةَ - وهو عبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيكةَ - أنَّ ابنَ عباسٍ أخبَره : أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، أَسْوَدَ أَفْحَجَ[1] يَنْقُضُهَا حَجَرًا حَجَرًا » . يعنى الكعبةَ .

انفرَد به البخارىُّ ، فرَواه عن عمرِو بنِ علىٍّ الفلاسِ ، عن يَحيى ، وهو ابنُ سعيدٍ القَطَّانِ ، به[2] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا أبو عامرٍ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، عن ثورٍ ، عن أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ ، يُخَرِّبُ بَيْتَ اللَّهِ » .

ورَواه مسلمٌ ، عن قتيبةَ بنِ سعيدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ الدَّرَاوَرْدِىِّ ، به[3] .

وبهذا الإسنادِ[4] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ » .

ورَوَاه البخارىُّ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، ومسلمٌ عن قُتيبةَ ، عن عبدِ العزيزِ الدَّرَاوَرْدِىِّ ، كلاهما[5] عن ثَوْرِ بنِ زَيْدٍ الدِّيلِىِّ ، عن أبى الغيثِ ، سالمٍ مولَى ابنِ مُطِيعٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذكَر مثلَه سواءً بسَواءٍ . وقد يكونُ هذا الرجلُ هو ذا السُّوَيقتَين ، ويحتمِلُ أن يكونَ غَيْرَه ؛ فإنَّ هذا مِن قَحْطانَ ، وذاك مِن الحبشةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) الفحج : تباعد ما بين الفخذين . النهاية ٣/٤١٥ .

(٢) البخارى (١٥٩٥) .

(٣) مسلم (٥٩/ ٢٩٠٩) .

(٤) أى : رواه البزار بإسناده السابق . ولم نهتد إليه .

(٥) البخارى (٣٥١٧، ٧١١٧) ، ومسلم (٢٩١٠) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو بكرٍ الحَنَفيُّ ، حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ ، عن عمرَ بنِ الحكَمِ الأنصاريِّ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَذْهَبُ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالى يُقَالُ لَهُ : جَهْجَاهُ » .

ورَوَاه مسلمٌ[2] عن محمدِ بنِ بَشَّارٍ ، عن أبى بكرٍ الحَنَفيِّ به ، فيحتَمِلُ أنْ يكونَ هذا اسمَ ذى السُّوَيقتَين الحَبَشيِّ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، حدَّثنا أبو الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ أخبَره ، أنَّه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « سَيَخْرُجُ أَهْلُ مَكَّةَ ثُمَّ لَا يُعْبَرُ بِهَا - أَوْ لَا يَعْبُرُ بِهَا إِلَّا قَلِيلٌ - ثُمَّ تَمْتَلِئُ وَتُبْنَى ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا ، فَلَا يَعُودُونَ فِيها أَبَدًا » . ورواه البَزَّارُ[4] .

فصـل

وأمَّا المدينةُ النبويَّةُ فقد ثبَت فى الصحيحِ كما تقدَّم[5] أَنَّ الدَّجَّالَ لَا يدخلُها ولا مكةَ ، وَأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى أَنْقَابِ المدينةِ مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا مِنْهُ .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[5] ، مِن حديثِ مالكٍ ، عن نُعَيمٍ المُجْمِرِ ، عن أبى

---

(١) المسند ٢/٣٢٩ (٨٣٤٦) .

(٢) مسلم (٢٩١١) .

(٣) المسند ١/٢٣ (١٥١) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، لضعف ابن لهيعة ، وتدليس أبى الزبير . المسند ١/ ٣٩٤.

(٤) رواه البزار من طريق محمد بن يحيى القطعى ، بلفظ : « سيخرج أهل المدينة ...» . البحر الزخار ١/٣٥٠ (٢٣٣) .

(٥) تقدم فى صفحة ٢٠٢.

هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُهَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ ، وَلَا الطَّاعُونُ » . وقد تقدَّم[1] أنَّه يُخَيِّمُ بظاهرِها ، وأنَّها ترجُفُ بأهلِها ثلاثَ رَجَفاتٍ ، فيَخرُجُ إليه كلُّ منافقٍ ومنافقةٍ ، وفاسقٍ وفاسقةٍ[2] ، ويَثْبُتُ فيها كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ، ومسلمٍ ومسلمةٍ ، ويُسَمَّى يومئذٍ يومَ الخَلاصِ ، وأكثرُ مَنْ يخرُجُ [3]إليه النساءُ[3] وهى كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] : « إنَّهَا طَيْبَةٌ ، تَنْفِى خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُها » .

وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ ﴾ الآية [النور : ٢٦] .

والمقصودُ أنَّ المدينةَ تكونُ عامرةً أيامَ الدَّجَّالِ ، ثم تكونُ كذلك فى زمنِ المسيحِ عيسَى ابنِ مَرْيَمَ رسولِ اللَّهِ عليه الصلاةُ والسلامُ ، حتى تكونَ وفاتُه بِها ، ودَفْنُه بها ، ثم تخرَبُ بعدَ ذلك .

كما قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يَحيى بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الزبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : أخبَرنى عمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قال : سمِعتُ النبىَّ ﷺ يقولُ : « لَيَسِيرَنَّ الرَّاكِبُ فِى جَنَبَاتِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ لَيَقُولُ : لَقَدْ كَانَ فى هَذَا حَاضِرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ » . قال الإمامُ أحمدُ : ولم يَجُزْ به حسنٌ الأشيبُ جابرًا[6] . انفرَد بهما أحمدُ .

---

(١) تقدم فى ص ٢٠٣ .

(٢) بعده فى ح : « وكذلك يتبعه من أهل كل بلد شرارها ومنافقوها وفساقها وينصع الطيب فلا يخرج بل » .

(٣ - ٣) فى ص : « الرجال » .

(٤) مسلم (١٣٨٤/٤٩٠) بنحوه .

(٥) المسند ١/٢٠ (١٢٤) . قال الشيخ شعيب : حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف . المسند ١/ ٢٧٦.

(٦) يشير الإمام أحمد إلى رواية حسن الأشيب بالإسناد السابق إلى جابر دون ذكر عمر بن الخطاب . انظر المسند ٣/٣٤١ (١٤٧١٩) .

خروجُ الدَّابَّـــةِ[1]

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. وقد تكلَّمنا على ما يتعلَّقُ بهذه الآيةِ الكريمةِ، فى كتابِنا «التفسيرِ»[2]، وأَوْرَدنا هنالك مِن الأحاديثِ المتعلقةِ بذلك ما فيه كفايةٌ، ولو كَتَبْتُ مجموعَها هـٰهنا كان حسنًا كافيًا.

قال ابنُ عباسٍ، والحسنُ، وقتادةُ[3]: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، أى تخاطِبُهم مخاطبةً. ورجَّح ابنُ جَريرٍ[4]: تخاطِبُهم فتقولُ لهم: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ وحكَاه عن علىٍّ، وعطاءٍ، وفى هذا نظرٌ. وعن ابنِ عباسٍ[5]: تَكْلِمُهم: تَجْرَحُهم. يعنى تَكْتُبُ على جبينِ الكافرِ: «كافرٌ» وعلى جبينِ المؤمنِ: «مؤمنٌ». وعنه[6]: تُخاطِبُهم وتَجْرَحُهم. وهذا القولُ يَنْتَظِمُ المذهبين، وهو قوىٌّ حسَنٌ جامعٌ لهما، واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد تقدَّم[6] الحديثُ الذى روَاه أحمدُ، ومسلمٌ، وأهلُ السُّننِ، عن أبى سَرِيحةَ حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ

---

(١) بعده فى ح، ص: «من الأرض تكلم الناس».

(٢) التفسير ٦/٢٢٠ - ٢٢٤.

(٣) أخرج ابن جرير قول ابن عباس وقتادة، فى تفسيره ٢٠/ ١٦، وأما قول الحسن فقد أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩/ ٢٩٢٦.

(٤) تفسير الطبرى ٢٠/ ١٦.

(٥) تفسير القرطبى ١٣/ ٢٣٨، وتفسير ابن كثير ٦/ ٢٢٠ وانظر الدر المنثور ٥/ ١١٥.

(٦) تقدم تخريجه فى ص ٩٦، ٩٧.

وَمَأْجُوجَ ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَالدَّجَّالُ ، وثلاثةُ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ ، تَسُوقُ النَّاسَ - أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ - تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا » .

ولمسلمٍ[1] مِـنْ حديثِ العلاءِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أَنَّ النبىَّ ﷺ قال : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، أَوِ الدُّخَانَ ، أَوِ الدَّجَّالَ ، أَوِ الدَّابَّةَ ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ » .

[2]وله أيضًا عن أبى هريرة[3] : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : الدَّجَّالَ ، وَالدُّخَانَ ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ[2] ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ » .

وروَى ابنُ ماجه[4] ، عن حَرْمَلَةَ ، عن ابنِ وهبٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، وابنِ لَهِيعَةَ ، عن يزيدَ بنِ أَبى حبيبٍ ، عن سِنانِ بنِ سعدٍ ، عن أَنسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدُّخَانَ ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ ، وَالدَّجَّالَ ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ » . تفرَّد به ابنُ ماجه مِن هذا الوجهِ .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[5] : عن طلحةَ بنِ عمرٍو ، وجَرِيرِ بنِ حازمٍ ؛ فأَمَّا

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٦ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) ابن ماجه (٤٠٥٦) . حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٧٩) .

(٥) مسند أبى داود الطيالسى (١٠٦٩) . وهو ضعيف جدًا ، انظر الصحيح من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ص ٥٤٦.

طلحةُ فقال : أَخْبرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيْدِ بنِ عُمَيرٍ ، أَنَّ أبا الطُّفيلِ حدَّثه عن حُذيفةَ ابنِ أَسيدٍ الغِفَارِىِّ أبى سَرِيحةَ ، وَأَمَّا جريرٌ فقال : عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدٍ[1] ، عن رجلٍ مِنْ آلِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ . وحديثُ طَلْحةَ أَتمُّ وأحسنُ ، قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الدَّابَّةَ ، فقال : « لَهَا ثَلَاثُ خَرَجَاتٍ فِى الدَّهْرِ ، فَتَخْرُجُ [2]خَرْجَةً مِنْ[2] أَقْصَى الْبَادِيَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِى مَكَّةَ - ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا ، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ تِلْكَ[3] ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا فِى أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ » . يَعْنى مكَّةَ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِى أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللَّهِ حُرْمَةً[4] وَأَكْرَمِهَا ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لَمْ [٤٠و] يَرُعْهُمْ إِلَّا وَهِىَ تَرْغُو[5] بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ ، فَارْفَضَّ[6] النَّاسُ عَنْهَا[7] شَتَّى وَمَعًا ، وثَبَتَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ ، فَجَلَتْ وُجُوهَهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّىِّ ، وَوَلَّتْ فِى الْأَرْضِ ، لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ ، فَتَقُولُ : يَا فُلَانُ ، آلآنَ تُصَلِّى ؟ ! فَيُقْبِلُ عَلَيْهَا ، فَتَسِمُهُ فِى وَجْهِهِ ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِى الْأَمْوَالِ ، وَيَصْطَحِبُونَ فِى الْأَمْصَارِ ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَقُولُ : يَا كَافِرُ ، اقْضِنِى حَقِّى . وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ لَيَقُولُ : يَا مُؤْمِنُ ، اقْضِنِى حَقِّى » . هكَذا روَاه مرفوعًا مِن هذا الوجهِ بهذا السياقِ ، وفيه

---

(١) فى المصدر : « عمير » .

(٢ - ٢) فى المصدر : « فى » .

(٣) فى المصدر : « ذلك » .

(٤) بعده فى مصدر التخريج : « خيرها » .

(٥) فى ص : « تربو » . وترغو : تصوّت .

(٦) ارفض : تفرّق .

(٧) فى المصدر : « معها » .

غَرابةٌ . ورواه ابنُ جريرٍ[1] مِن طريقين ، عن حذيفةَ بنِ أسيدٍ موقوفًا ، ورواه أيضًا عن حذيفةَ بنِ اليمانِ مرفوعًا[2] ، وفيه أَن ذلكَ فى زمانِ عيسَى ابنِ مريمَ وهو يطوفُ بالبيتِ ، ولكنْ فى إسنادِه نَظَرٌ ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد قال ابنُ ماجه[3] : حدَّثنا أبو غَسَّانَ محمدُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا أبو تُميلةَ حدَّثنا خالدُ بنُ عُبيدٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيدةَ ، عن أبيه ، قال : ذهَب بى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى موضعٍ بالباديةِ قريبٍ مِن مكةَ ، فإذا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَـٰذَا الْمَوْضِعِ » . فَإِذَا فِتْرٌ[4] فِى شِبْرٍ . قال ابنُ بُريدةَ : فحَجَجْتُ بعدَ ذلك بسنينَ ، فأَرانا عصًا له ، فإذا هو بِعَصاىَ [5]هذه ، هكذا وهكذا[5] . يَعْنى أنه كُلَّما له يَتَّسِعُ حتَّى يكونَ وقتُ خروجِها ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال عبدُ الرزاقِ[6] عن مَعْمرٍ ، عن قتادةَ ، أَنَّ ابنَ عباسٍ ، قال : هِىَ دَابَّةٌ ذَاتُ زَغَبٍ ، لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمَ ، تَخْرُجُ مِنْ بَعْضِ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ . ورواه سعيدُ بنُ منصورٍ ، عن عثمانَ بنِ مَطَرٍ ، عن قتادةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، بنحوِه[7] .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[8] : حدَّثنا أبى ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَجاءٍ ، حدَّثنا فُضيلُ ابنُ مرزوقٍ ، عن عطيةَ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ صَدْعٍ مِنَ الصَّفَا ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢٠/ ١٤، ١٥.

(٢) المصدر السابق ٢٠/ ١٥.

(٣) ابن ماجه (٤٠٦٧). ضعيف جدًّا (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٢).

(٤) الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة. وقيل غير ذلك، وانظر اللسان (ف ت ر).

(٥ - ٥) فى النسخ: «هذا كذا وكذا». والمثبت من مصدر التخريج.

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٨٤.

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٦/٥ إلى سعيد بن منصور.

(٨) تفسير ابن أبى حاتم ٩/ ٢٩٢٥.

كَجَرْيِ الْفَرَسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَا يَخْرُجُ ثُلُثُهَا .

وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، أنه قال[1] : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ تَحْتِ صَخْرَةٍ بِشِعْبِ أَجْيَادٍ[2] ، فَتَسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ ، فَتَصْرُخُ صَرْخَةً تُنْفِذُهُ ، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الشَّامَ ، فَتَصْرُخُ صَرْخَةً تُنْفِذُهُ ، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْمَغْرِبَ ، فَتَصْرُخُ صَرْخَةً تُنْفِذُهُ ، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْيَمَنَ ، فَتَصْرُخُ صَرْخَةً تُنْفِذُهُ ، ثُمَّ تَرُوحُ مِنْ مَكَّةَ ، فَتُصْبِحُ بِعُسْفَانَ . قِيلَ لَهُ : ثُمَّ ماذا ؟ قال : ثُمَّ لَا أَعْلَمُ . وعنه أنه قال[3] : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ لَيْلَةَ جَمْعٍ[4] . وعن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ[5] ، أنَّه حكَى عن عُزَيرٍ النبيِّ ، أنَّه قال : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ تَحْتِ سَدُومَ . يَعْنِى مدينةَ قومِ لوطٍ ، فهذه أقوالٌ متعارضةٌ ، فاللَّهُ أعلمُ .

وعن أبى الطُّفيلِ ، أنَّه قال : تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفَا أَوِ الْمَرْوَةِ . روَاه البيهقىُّ ، ثم ساق[6] مِن حديثِ يحيى بنِ معينٍ : حدَّثنا هشامُ بنُ يوسفَ ، حدَّثنا رَباحُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عُمرَ[7] ، عن سُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩/ ٢٩٢٥.

(٢) فى الأصل ، ص : « جياد » . وهى لغة فى أجياد : أرض بمكة أو جبل بها . انظر معجم البلدان ١/ ١٣٨، ٢/ ١٦٩، والتاج (ج ى د) .

(٣) ظاهر كلام المصنف هنا أن الأثر عن عبد اللَّه بن عمرو ، وقد أورده فى التفسير ٦/٢٢٣ عن عبد اللَّه ابن عمر . وقد أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩/٢٩٢٣ ، ٢٩٢٤، قال ابن كثير فى التفسير : وفى إسناده ابن البيلمانى .

(٤) الجمع : عَلَم للمزدلفة ، سميت به ؛ لأن آدم ، عليه السلام ، وحواء لما أُهبطا اجتمعا بها . النهاية ١/ ٢٩٦.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩/ ٢٩٢٥.

(٦) أى البيهقى وقد عزاه السيوطى . فى الدر المنثور ٥/١١٧ إليه فى كتابه البعث ، ولم نجده فيه ، لأن فيه سقطا من أوله إلى كتاب الشفاعة ، وانظر مقدمة كتاب استدراكات البعث والنشور ص ٥.

(٧) فى الأصل : « عمرو » . وانظر الجرح والتعديل ٣/ ٤٩٠، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٦٦.

اللَّهِ ﷺ : « بِئْسَ الشِّعْبُ شِعْبُ جِيَادٍ » . مرَّتين ، أو ثلاثًا ، قالوا : ولم ذاك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « تَخْرُجُ مِنْهُ الدَّابَّةُ ، فَتَصْرُخُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ ، فَيَسْمَعُهَا مَنْ بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ » .

ثم روَى مِنْ حديثِ فَرْقَدِ بنِ الحَجَّاجِ : سمِعْتُ عقبةَ بنَ أبى الحَسْناءِ : سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَخْرُجُ دَابَّةُ الْأَرْضِ مِنْ جِيَادٍ ، فَيَبْلُغُ صَدْرُهَا الرُّكْنَ ، وَلَمْ يَخْرُجْ ذَنَبُهَا بَعْدُ » . قال : « وَهِىَ دَابَّةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَقَوَائِمَ » .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، وبَهْزِ بنِ أَسدٍ ، وعفَّانَ بنِ مسلمٍ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن عَلىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن أَوْسِ بنِ خالدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَخْرُجُ [2] دَابَّةُ الْأَرْضِ [2] وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى ، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ ، فَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ[3] ، وَتَجْلُو وَجْهَ [٤٠ظ] الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ الْوَاحِدِ لَيَجْتَمِعُونَ[4] ، فَيَقُولُ هَـٰذَا : يَا مُؤْمِنُ . وَيَقُولُ هَـٰذَا : يَا كَافِرُ » . ورواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن يونُسَ ابنِ محمدٍ الْمُؤَدِّبِ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، به[5] ، ورواه أبو داودَ الطَّيالِسىُّ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، فذكَره مثلَه[6] ، إلَّا أنه قال : « فَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْعَصَا ،

---

(١) المسند ٢/٢٩٥ (٧٩٢٤) ، عن يزيد بن هارون ، وعفان بن مسلم ، و ٢/٤٩١ (١٠٣٦٦) ، عن بهز بن أسد . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف لضعف على بن زيد بن جدعان . المسند ١٣/ ٣٢١.

(٢ - ٢) فى المسند : « الدابة » .

(٣) تخطم أنف الكافر بالخاتم أى : تَسِمه به ، من خطمت البعير إذا كويته خطًّا من الأنف إلى أحد خدَّيه ، وتسمى تلك السِّمَةُ الخطام . النهاية ٢/ ٥٠.

(٤) بعده فى المسند : « على خوانهم » .

(٥) ابن ماجه (٤٠٦٦) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨١) .

(٦) مسند أبى داود الطيالسى (٢٥٦٤) .

وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْخَاتَمِ » . وهذا أنسبُ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حدثَّنا أبى ، حدَّثنا أبو صالحٍ كاتبُ اللَّيْثِ ، حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن أبى مريمَ ، أنَّه سمِع أبا هريرةَ يقولُ : إِنَّ الدَّابَّةَ فِيهَا مِن كُلِّ لَوْنٍ ، مَا بَيْنَ قَرْنَيْهَا فَرْسَخٌ للرَّاكِبِ . وعن أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه قال : إِنَّهَا دَابَّةٌ لَهَا رِيشٌ وَزَغَبٌ وَحَافِرٌ ، وَمَا لَهَا ذَنَبٌ ، وَلَهَا لِحْيَةٌ ، وَإِنَّها لَتَخْرُجُ حُضْرَ[2] الْفَرَسِ الجَوَادِ ثَلَاثًا ، وَمَا خَرَجَ ثُلُثَاهَا . رواه ابنُ أبى حاتمٍ[3] .

وقال ابنُ جُريجٍ عن أبى الزُّبيرِ ، أنه وَصَف الدابَّةَ ، فقال[4] : رَأْسُهَا رَأْسُ ثَوْرٍ ، وَعَيْنُهَا عَيْنُ خِنْزِيرٍ ، وَأُذُنُهَا أُذُنُ فِيلٍ ، وَقَرْنُهَا قَرْنُ إِيَّلٍ[5] ، وَعُنُقُهَا عُنُقُ نَعَامَةٍ ، وَصَدْرُهَا صَدْرُ أَسَدٍ ، وَلَوْنُهَا لَوْنُ نَمِرٍ ، وَخَاصِرَتُهَا خَاصِرَةُ هِرٍّ ، وَذَنَبُها ذَنَبُ كَبْشٍ ، وَقَوَائِمُهَا قَوَائِمُ بَعِيرٍ ، بَيْنَ كُلِّ مَفْصِلَيْنِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا ، يَخْرُجُ مَعَهَا عَصَا مُوسَى ، وَخَاتَمُ سُلَيْمانَ ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا نَكَتَتْ فِى وَجْهِهِ بِعَصَا مُوسَى نُكْتَةً بَيْضَاءَ ، فَتَفْشُو تِلْكَ النُّكْتَةُ حَتَّى يَبْيَضَّ لَهَا وَجْهُهُ ، وَلَا يَبْقَى كَافِرٌ إِلَّا نَكَتَتْ فِى وَجْهِه نُكْتَةً سَوْدَاءَ بِخَاتَمِ سُلَيْمَانَ ، فَتَفْشُو تِلْكَ النُّكْتَةُ حَتَّى يَسْوَدَّ لَهَا وَجْهُهُ ، حَتَّى إِنَّ النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فِى الْأَسْوَاقِ : بِكَمْ ذَا يَا مُؤْمِنُ ؟ بِكَمْ ذَا يَا كَافِرُ ؟ وحَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْلِسُونَ عَلَى مَائِدَتِهِمْ ، فَيَعْرِفُونَ مُؤْمِنَهُمْ مِنْ كَافِرِهِمْ ، ثُمَّ تَقُولُ

---

(١) تفسير ابن أبى حاتم ٩/ ٢٩٢٥.

(٢) الحضر : العَدْو .

(٣) تفسير ابن أبى حاتم ٩/ ٢٩٢٤.

(٤) المصدر السابق .

(٥) الإيل : الوَعِل الذكَر . التاج (أ و ل) .

لَهُمُ الدَّابَّةُ : يَا فُلَانُ ، أَبْشِرْ ، أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . و : يَا فُلَانُ ، أَنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فذلك قولُه تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] . وقد ذكرْنا فيما تقدَّمَ[1] عن ابنِ مسعودٍ أَنَّ الدابَّةَ تَقْتُلُ إبليسَ الرَّجِيمَ ، وذلك فيما رواه نُعيمُ بنُ حمَّادٍ فى كتابِ « الفتنِ والملاحمِ » ، تصنيفِه ، واللَّهُ أعلمُ بصحَّتِه .

وقال مسلمٌ[2] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ بِشْرٍ ، عن أبى حَيَّانَ ، عن أبى زُرْعَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قال : حفِظْتُ مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا لم أَنْسَهُ بعدُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى ، فَأَيَّتُهُمَا[3] مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا ، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا » . أَىْ أَوَّلَ الآياتِ التى ليست مألوفةً ، وإنْ كان الدَّجَّالُ ، ونزولُ عيسى ، عليه السلامُ ، من السماءِ قَبْلَ ذلك ، وكذلك خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ ، فكلُّ ذلك أمورٌ مألوفةٌ ؛ لِأَنَّهم بشرٌ ، مشاهدتُهم وأمثالِهم معروفةٌ مألوفةٌ ، فأمَّا خروجُ الدابَّةِ على شكلٍ غيرِ مألوفٍ ، ومخاطبتُها الناسَ ، ووَسْمُها إيَّاهم بالإيمانِ والكفرِ ، فأمرٌ خارجٌ عن مجارِى العاداتِ ، وذلك أولُ الآياتِ الأرضيَّةِ ، كما أنَّ طلوعَ الشمسِ مِن مغربِها أوَّلُ الآياتِ السماويةِ فإنَّها تطلُعُ على خلافِ عادتِها المألوفةِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٢١١ - ٢١٤ .
(٢) مسلم (٢٩٤١) .
(٣) فى مسلم : « وأيهما » .

[1] حديثٌ عن أبى أُمَامةَ

قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا حُجَيْنُ بنُ المثنَّى ، ثنا عبدُ العزيزِ - يعنى ابنَ أبى سلمةَ - الماجشونُ ، عن عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عطية بنِ دلافٍ[3] المزنىِّ ، لا أعلمُ إلَّا أنَّه حدَّثه عن أبى أمامةَ يرفعُه إلى النبىِّ ﷺ قال : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ على خَرَاطِيمِهم ثم يَعْمُرُون فيكم[4] حتَّى يَشْتَرِىَ الرَّجُلُ البَعيرَ فيقالُ : مِمَّنِ اشْتَرَيْتَه ؟ فيقولُ : مِن أحدِ المُخْطَمِينَ » وقال يونسُ - يعنى ابنَ محمدٍ -: « ثم يَعْمُرونَ فيكم » ولم يَشُكَّ . قال : فى رفعِه . تفرَّد به أحمدُ[1]

[٤١و] ذِكْرُ طُلُوعِ الشَّمسِ مِن مَغْرِبِها

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ ﴾ . الآية [الأنعام : ١٥٨] . قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا وَكيعٌ ، حدَّثنا ابنُ أبى لَيْلَى ، عن عطيةَ العَوْفِىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) المسند ٥/٢٦٨ (٢٢٣٦٢) باختلاف يسير . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة . مجمع الزوائد ٨/ ٦.

(٣) فى الأصل : « كلاب » . والمثبت من المصدر ، وانظر التاريخ الكبير للبخارى ٦/ ١٧٢، والجرح والتعديل ٦/ ١٢١.

(٤) فى الأصل : « فيه » . والمثبت من المسند .

(٥) المسند ٣/ ٣١، ٩٨ (١١٢٨٤، ١١٩٥٧) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح لغيره . المسند ١٧/ ٣٦٨.

قال : « طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا » . ورواه التِّرمذِيُّ ، عن سفيانَ بنِ وكيعٍ ، عن أبيه ، به[1] . وقال : غَريبٌ[2] ، وقد رَواه بعضُهم ولم يَرْفَعْه .

وقال البخاريُّ - عِندَ تفسيرِ هذه الآيةِ[3] : حدَّثنا مُوسى بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ ، حدَّثنا عُمارةُ ، حدَّثنا أبو زُرْعَةَ ، حدَّثنا أبو هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها ، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » . وقد أخرَجه بقيَّةُ الجماعةِ - إلَّا الترمذِيَّ - مِن طُرقٍ ، عن عُمَارَةَ بنِ القَعْقاعِ بنِ شُبْرُمةَ ، عن أَبى زُرْعةَ بنِ عمرِو بنِ جريرٍ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا مثلَه[4] .

ثم قال البخاريُّ[5] : حدَّثنا إسحاقُ ، حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن هَمّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمانُهَا » . ثم قرَأ هذه الآيةَ . وكذا روَاه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرزّاقِ بنِ هَمّامٍ الصَّنْعانِيِّ به[6] ، وانفرَد مُسلمٌ بإخراجِه مِن طريقِ العلاءِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يعقوبَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ[7] .

وقال أحمدُ[7] : حدَّثنا وكِيعٌ ، عن فُضَيْلِ بنِ غَزْوانَ ، عن أبى حازمٍ سَلْمانَ ،

---

(١) الترمذى (٣٠٧١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٤٥٦) .
(٢) كذا فى النسخ . وفى سنن الترمذى ٥/ ٢٤٧: حسن غريب .
(٣) البخارى (٤٦٣٥) .
(٤) مسلم (٢٤٨/ ١٥٧) ، وأبو داود (٤٣١٢) ، والنسائى فى الكبرى (١١١٧٧) ، وابن ماجه (٤٠٦٨) .
(٥) البخارى (٤٦٣٦) .
(٦) مسلم (٢٤٨/ ١٥٧) .
(٧) المسند ٢/ ٤٤٥ ، ٤٤٦ (٩٧٥١) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٥/ ٤٦٨ .

عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثٌ إذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فى إِيمَانِهَا خَيْرًا ؛ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، والدُّخَانُ ، ودَابَّةُ الْأَرْضِ » . ورَواه مسلمٌ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، وزُهَيرِ بنِ حَرْبٍ ، عن وَكيعٍ به[1] ، ورَواه مسلمٌ أيضًا ، والترمذىُّ ، وابنُ جريرٍ مِن غيرِ وجهٍ ، عن فُضيلِ بنِ غَزْوانَ ، به ، نحوَه[2] .

وقد ورَد هذا الحديثُ مِن طُرقٍ عن أبى هريرةَ ، وعن جماعةٍ مِنَ الصحابةِ أيضًا ، فعن أبى سَرِيحةَ حُذَيْفَةَ بنِ أَسِيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ ؛ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ....» . وذكَر الحديثَ رَواه أحمدُ ، ومُسلمٌ ، وأهلُ السُّنَنِ ، كما تقدَّم غيرَ مرَّةٍ[3] .

ولمسلمٍ مِن حديثِ العَلاءِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، ومِن حديثِ قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن زِيادِ بنِ رباحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : « بَادِرُوا بالأعمالِ سِتًّا » . فذكَر مِنهن طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها ، كما تقدَّم[4] .

وثبَت فى « الصَّحيحَيْن »[5] مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ يزيدَ بنِ شَرِيكٍ ، عن أبيه ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَدرِى أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ » ؟ قُلْتُ : لا أَدْرِى . قال : « إِنَّها تَنْتَهِى فَتَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ ، ثُم تَسْتَأْذِنُ ، فَيُوشِكُ أَنْ يُقَالَ لَهَا : ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ . وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ

---

(١) مسلم (٢٤٩/ ١٥٨) ، وفيه : « الدجال » مكان : « الدخان » .

(٢) مسلم (٢٤٩/ ١٥٨) ، والترمذى (٣٠٧٢) ، وابن جرير ٨/ ١٠٣ ، وعندهم : « الدجال » مكان : « الدخان » .

(٣) تقدم فى صفحة ٩٦ ، ٢٤٧ .

(٤) تقدم فى صفحة ٩٥ ، ٩٦.

(٥) البخارى (٤٨٠٢)، ومسلم (٢٥٠/ ١٥٩) كلاهما بنحوه .

نَفْسًا إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا أبو حَيّانَ ، عن أبى زُرْعَةَ بنِ عَمْرِو بنِ جريرٍ ، قال : جلَس ثلاثةُ نَفَرٍ مِن المسلمينَ إلى مَرْوانَ بالمدينةِ ، فسمِعوه يقولُ وهو يُحدِّثُ فى الآياتِ : إنَّ أوَّلَها خُروجُ الدَّجَّالِ . قال : فانصرَف النَّفَرُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، فحدَّثُوه بالذى سمِعوه مِن مَرْوانَ فى الآياتِ ، فقال عبدُ اللَّهِ : لم يَقُلْ مَرْوانُ شَيْئًا ، قد حَفِظْتُ مِنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فى مثلِ ذلكَ حَدِيثًا لم أَنْسَهُ بعدُ ، سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ[2] طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ ضُحًى ، فأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا ، قَرِيبًا[3] » . ثم قال عبدُ اللَّهِ ، وكان يقرَأُ الكُتُبَ : وأَظُنُّ أُولَاهُما خُروجًا طُلوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها ، وذلك أنَّها كُلَّما غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ العَرْشِ فسَجَدَتْ واسْتَأْذَنَتْ فى الرُّجُوعِ ، فَأُذِن لهَا فى الرُّجُوعِ ، حَتَّى إذا بَدا للَّهِ أنْ تَطْلُعَ مِن مَغْرِبِهَا فَعَلَتْ كما كانت تفْعَلُ ؛ أَتَت تَحْتَ العَرْشِ فسَجَدَت واسْتَأْذَنَتْ فى الرُّجُوعِ ، فلم يُرَدَّ عليها شىءٌ ، ثم تَسْتَأْذِنُ فى الرُّجُوعِ ، فلا يُرَدُّ عليها شىءٌ ، ثم تَسْتَأْذِنُ [4]فى الرُّجُوعِ[4] ، فلا يُرَدُّ عَلَيها شىءٌ ، حَتَّى إذا ذهَب مِن الليلِ مَا شاءَ اللَّهُ أن يذهَبَ ، وعَرَفَتْ أنَّه إن[5] أُذِنَ لها فى الرُّجُوعِ لم تُدْرِكِ المَشْرِقَ ، قالت : رَبِّ ، ما أبْعَدَ المَشْرِقَ ، مَنْ لى بالنَّاسِ ؟ حَتَّى إذَا صَارَ الأُفقُ كأنَّه

---

(١) المسند ٢/٢٠١ (٦٨٨١) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١١/ ٤٧٠ .

(٢) بعده فى المسند : « خروجا » .

(٣) ليس فى المسند .

(٤ - ٤) ليس فى المسند .

(٥) فى النسخ : « وإن » . والمثبت من المسند .

طَوْقٌ ، اسْتَأْذَنَتْ فى الرُّجُوعِ ، فيُقالُ لها : ارجِعى مِن مَكانِك فاطْلُعِى . فطَلَعَتْ عَلَى النّاسِ مِن مَغْرِبِها ، ثم تَلَا عبدُ اللَّهِ هذه الآيَةَ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ [٤١ظ] نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

وقد رَواه مُسلمٌ فى « صحيحِه » ، وأبو داودَ ، وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ أبى حَيّانَ يحيى بنِ سعيدِ بنِ حَيّانَ ، عن أبى زُرعَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : حَفِظتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا لم أَنْسَهُ بَعْدُ ... وذكَره كما تقدَّم[(١)] .

وقد ذكَرْنا أنَّ المرادَ بالآياتِ هـٰهنا التى ليسَت مألوفةً ، بل هى مُخالِفَةٌ للعاداتِ ، وقد ظَنَّ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو أنَّ طُلوعَ الشمسِ مِن مَغْرِبِهَا مُتَقدِّمٌ على خروجِ الدَّابَّةِ ، وذلك مُحتَمِلٌ ومُناسِبٌ ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد ورَد فى ذلك حديثٌ غريبٌ روَاه الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبرانىُّ فى « مُعْجَمِه »[(٢)] ، فقال : حدَّثنا أحمدُ بنُ يحيى بنِ خالدِ بنِ حَيّانَ الرَّقِّىُّ ، حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ[(٣)] زِبْرِيقٍ الحِمْصِىُّ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدِ بنِ كثيرِ بنِ دينارٍ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن حُيَىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا خَرَّ إِبْلِيسُ سَاجِدًا يُنَادِى وَيَجْهَرُ : إِلَهِى ، مُرْنِى أَنْ أَسْجُدَ لِمَنْ شِئْتَ » . قال : « فتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ زَبَانِيَتُهُ ، فَيَقُولونَ : يَا سَيِّدَهُمْ ، مَا هَذا التَّضَرُّعُ ؟

---

(١) تقدم حديث مسلم فى صفحة ٢٥٤، وقد أخرجه أبو داود (٤٣١٠) ، وابن ماجه (٤٠٦٩) .
(٢) المعجم الأوسط ٩٨/١ (٩٤) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق ، وهو ضعيف » . مجمع الزوائد ٨/ ٨.
(٣) سقط من : الأصل ، ح . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٣٦٩.

فيَقُولُ : إنَّما سَأَلْتُ رَبِّى أَنْ يُنْظِرَنِى إلَى الوَقْتِ[1] المعْلُومِ ، [2]وهذا الوَقْتُ المعْلُومُ[2] » . قال : « ثُمَّ تَخْرُجُ دَابَّةُ الأرْضِ مِنْ صَدْعٍ فى الصَّفَا » . قال : « فأوَّلُ خُطْوَةٍ تَضَعُهَا بأنْطَاكِيَةَ ، فتَأْتِى إبْلِيسَ فَتَلْطُمُهُ[3] » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، ورَفْعُه فيه نَكارَةٌ ، ولعلَّه مِن الزامِلتَيْن اللَّتين أصابَهما عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو يومَ اليَرْمُوكِ مِن كُتُبِ أهلِ الكتابِ ، فكان يُحَدِّثُ منهما أشياءَ غَرائِبَ .

وقد تقدَّم فى خبرِ ابنِ مسعودٍ الذى روَاهُ نُعَيْمُ بنُ حمّادٍ فى « الفتنِ »[4] ، أنَّ الدَّابَّةَ تَقْتُلُ إبليسَ . وهذا مِن أغرَبِ الأخبارِ ، واللَّهُ أعلَمُ .

وفى حديثِ طالوتَ بنِ عَبّادٍ ، عن فَضَّالِ[5] بنِ جُبَيرٍ ، عن أبى أمامَةَ صُدَىٍّ ابنِ عَجْلَانَ ، قال[6] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا » .

وقال الحافظُ أبو بكرِ بنُ مَرْدَوَيْهِ فى « تفسيرِه »[7] : حَدَّثنا محمدُ بنُ علىِّ بنِ دُحَيْمٍ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمِ بنِ أبى غَرَزَةَ ، حدَّثنا ضِرارُ بنُ صُرَدٍ ، حدَّثنا ابنُ[8] فُضَيْلٍ ، عن سليمانَ بنِ يزيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى ، قال : سمِعتُ رسولَ

---

(١) فى الأصل ، ح : « يوم الوقت » .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المصدر .

(٣) بعده فى ح ، وحاشيه الأصل : « لطمة فتهلكه » وقال فى حاشية الأصل : « كذا رأيته فى نسخة » .

(٤) تقدم فى صفحة ٢١١ - ٢١٤ .

(٥) فى ح : « فضالة » . وانظر الكامل ٦/ ٢٠٤٧، ولسان الميزان ٤/ ٤٣٤.

(٦) الطبرانى فى الكبير ٨/٣١٥ (٨٠٢٢) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه فضالة بن جبير وهو ضعيف ، وأنكر هذا الحديث . مجمع الزوائد ٨/ ٩.

(٧) ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/ ٥٩، وقال المصنف فى التفسير ٣/ ٣٦٩: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس فى شىء من الكتب الستة .

(٨) سقط من : ح .

اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيأْتِيَنَّ عَلَى النّاسِ لَيْلَةٌ تَعْدِلُ ثَلاثَ لَيالٍ مِن لَيالِيكُمْ هذه ، فإذا كان ذَلِكَ يَعْرِفُهَا المُتَنَفِّلُونَ[1] ، يَقُومُ أَحَدُهم ، فيَقْرَأُ حِزْبَهُ ، ثُمَّ يَنامُ ، ثُمَّ يَقُومُ ، فيَقْرَأُ حِزْبَه ، ثُمَّ يَنَامُ ، فبَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ صَاحَ[2] النّاسُ بَعْضُهُمْ فِى بَعْضٍ ، فَقَالوا : مَا هَذا ؟ فيَفْزَعُونَ إلَى المَسَاجِدِ ، فَإِذَا هُمْ بالشَّمْسِ قَدْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا ، حَتَّى إذَا صَارَتْ فِى وَسَطِ السَّمَاءِ رَجَعَتْ فطَلَعَتْ مِنْ مَطْلِعِهَا ». قال : « فَحِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمَانُهَا » .

ثم ساقَ ابنُ مَرْدُويَه مِن طَريقِ سُفْيَانَ الثوريِّ ، عن منصورٍ ، عن رِبْعِيٍّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال[3] : سألتُ النَّبيَّ ﷺ : مَا آيةُ طُلوعِ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا ؟ فقال : « تَطُولُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ لَيْلَتَيْن ، فَيَنْتَبِهُ الذينَ كانُوا يُصلُّونَ فيها ، فَيَعْمَلُونَ كَما كانُوا يَعْمَلُونَ قَبْلَها ، والنُّجُومُ لا تُرَى[4] ؛ قد باتَتْ[5] مَكَانَها ، ثُمَّ يَرْقُدُونَ ، ثُمَّ يَقُومُونَ ، فيُصَلُّونَ ، ثُمَّ يَرْقُدُونَ ، ثُمَّ يَقُومُونَ ، فتَكِلُّ[6] عَلَيْهِم جُنُوبُهم حِينَ يَتَطَاوَلُ اللَّيْلُ ، فَيَفْزَعُ النّاسُ ولا يُصْبِحُونَ ، فبَيْنَمَا هُمْ يَنْتَظِرونَ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَشْرِقِهَا إذْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فإذَا رَآها النّاسُ آمَنُوا ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ إيمَانُهُمْ » .

---

(١) كذا فى النسخ ، والتفسير . وفى مصدر التخريج : « المتقون » .

(٢) كذا فى النسخ . وفى مصدر التخريج : « ماج » .

(٣) اللآلئ المصنوعة ٥٩/١ بنحوه . وانظر الدر المنثور ٣/ ٥٧، وتفسير المصنف ٣/ ٣٦٨.

(٤) كذا فى النسخ والدر المنثور . وفى مصدر التخريج والتفسير : « تسرى » .

(٥) كذا فى النسخ . وفى مصادر التخريج : « قامت » .

(٦) فى ص ، والدر المنثور ، والتفسير : « فيطل » .

وقال الحافِظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ فى «البعْثِ والنُّشُورِ»[1] : أخبرَنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ داودَ [2]العَلَوِيُّ ، أخبَرنا أبو نصرٍ محمدُ بنُ حَمْدَوَيْهِ بنِ سَهْلٍ المَرْوَزِيُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ حمّادٍ الآمُلِيُّ[2] ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرانَ ، حدَّثنى أبى ، حدَّثنى ابنُ أَبى لَيْلَى ، عن إسماعيلَ بنِ رجاءٍ ، عن سَعْدِ بنِ إياسٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، أنَّه قال ذاتَ يومٍ لجُلَسَائِه : أرأيْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ : ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ؟ [الكهف : ٨٦] مَاذَا يَعْنِى بِهَا ؟ قالوا : اللَّهُ ورَسُولُه أعلَمُ . قال : إنَّها إذَا غَرَبَتْ سَجَدَتْ [٤٢و] له وَسبَّحَتْه وعَظَّمَتْه ، ثُمَّ كانت تحتَ العَرْشِ ، فإذَا حضَر طُلوعُها ، سَجَدَتْ له وسَبَّحَتْه وعَظَّمَتْه ثُمَّ اسْتَأْذَنَتْه ، [3]فَيُؤْذَنُ لها[3] ، فإذا كان اليومُ الذى تُحبَسُ فيه ، سجَدَت له وسَبَّحَتْه وعَظَّمَتْه ثم اسْتَأْذَنَتْه ، فيُقالُ لها : اثْبُتِى . [4]فإذا حَضَرَ طُلُوعُهَا سَجَدَتْ له وسَبَّحَتْه وعَظَّمَتْه ثمَّ اسْتَأْذَنَتْه فيقالُ : اثْبُتِى[4] . فَتُحْبَسُ مقدارَ لَيْلَتَيْنِ . قال : ويَفْزَعُ المتهجِّدُونَ ، ويُنادِى الرَّجُلُ تلك الليلةَ جارَه : يا فُلانُ ، مَا شَأْنُنَا الليلةَ ؟ لقد نمْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وصَلَّيْتُ حَتَّى أَعيَيْتُ . ثم يُقالُ لها : اطلُعِى مِن حيثُ غَرَبْتِ . فذلك يومُ ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ الآية [الأنعام : ١٥٨] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا الحَكَمُ بنُ نافعٍ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن ضَمْضَمِ بنِ زُرْعَةَ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، يَرُدُّه إلى مالكِ بنِ يُخَامِرَ ، عن ابنِ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٦٠، واللآلئ المصنوعة ١/ ٦٠ إلى البيهقى ، كما أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٦٣٧) من طريق محمد بن عمران به .

(٢ - ٢) سقط من : ح . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٩٨، ١٥/ ٨٠، ١٢/ ٦١١.

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص . والمثبت موافق لما فى مصادر التخريج .

(٤ - ٤) سقط من : ح ، ص .

(٥) المسند ١/ ١٩٢ (١٦٧١) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ٣/ ٢٠٦.

السَّعْدىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتَلُ » . فقال معاويةُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ ؛ إحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ ، وَالأُخْرَى أَنْ تُهاجِرَ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِه ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ[1] ما تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ ، ولا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ المَغْرِبِ ، فَإذَا طَلَعَتْ ، طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ ، وَكُفِيَ النّاسُ العَمَلَ » . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ ، ولم يُخْرِجْه أحَدٌ مِن أصحابِ الكُتُبِ .

وفى الحديثِ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ ، والتِّرمِذىُّ - وصحَّحه - والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجه ، مِن طريقِ عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن صَفوانَ بنِ عَسّالٍ[2] : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ فَتَحَ بَابًا قِبَلَ المَغْرِبِ عَرْضُهُ سَبْعُونَ - أو قال : أَرْبَعُونَ - عَامًا للتَّوْبَةِ ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ » .

فهذه الأحاديثُ المتواتِرَةُ ، مع الآيةِ الكريمةِ ، دَليلٌ على أنَّ مَنْ أحدَث إيمانًا ، أو تَوْبةً بعدَ طُلوعِ الشمسِ مِن مَغْرِبِهَا لا تُقْبَلُ مِنه ، وإنَّما كان كذلك ، واللَّهُ أعلَمُ ؛ لأنَّ ذلك مِن أكبَرِ أشراطِ الساعةِ وعلامَاتِها الدّالَّةِ على اقترابِها ودُنُوِّها ، فعُومِلَ ذلك الوقتُ مُعاملَةَ يومِ القيامةِ[3] ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) المسند ٤/ ٢٤٠، ٢٤١ (١٨١٢٠) ، (١٨١٢٥) ، والترمذى (٣٥٣٥، ٣٥٣٦) ، والنسائى فى الكبرى (١١١٧٨) ، وابن ماجه (٤٠٧٠) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٨٠١) .

(٣) بعده فى ح : « لأنه حريمه ومتصل به » .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨] .

وقد حكَى البيهقىُّ ، عن الحاكمِ أنَّه قال : أولُ الآياتِ ظُهورًا خُروجُ الدجّالِ ، ثم نُزولُ عيسى ابنِ مَريمَ ، ثم فتحُ يأجوجَ ومأجوجَ ، ثم خُروجُ الدابَّةِ ، ثم طُلوعُ الشمسِ مِن مَغْرِبِهَا ، قال : لأنَّها إذا طلَعت مِن مغربِها آمَن مَن عليها ، فلو كان نزولُ عيسى بعدَها ، لم يَلْقَ كافرًا .

وهذا الذى قاله فيه نظَرٌ ؛ لأنَّ إيمانَ أهلِ الأرضِ يومَئذٍ لا يَنْفَعُهم ، (١) فإنَّه لا ينفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكنْ آمَنَتْ مِن قبلُ (١) ، فمَن أحدَث إيمانًا أو توبةً يوْمَئذٍ لم تُقبَلْ مِنه ، إلَّا أن يكونَ مُؤْمِنًا أو تائبًا قبلَ ذلك ، وكذلك قولُه تعالى فى قصَّةِ نزولِ عيسَى فى آخرِ الزمانِ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ [النساء: ١٥٩] . أى قبلَ موتِ عيسى ، وبعدَ نزولِه يؤمِنُ جميعُ أهلِ الكتابِ به إيمانًا [٤٢ظ] ضروريًّا (٢) ، بمعنى أنَّهم يتَحقَّقونَ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، فالنصرانىُّ يعلَمُ كَذِبَ نفسِه فى دعواه فيه الرُّبُوبيَّةَ والبنوةَ ، واليهودىُّ (٣) يعلَمُ أنَّه نبىٌّ رسولٌ مِن اللَّهِ ، لا ولدُ زانيةٍ ، كما كان المجرمونَ مِنهم يَزْعُمونَ ذلك ، عليهم

(١ - ١) فى ح : « وإنما ينفع إيمان من كان مؤمنا قبل طلوعها » .

(٢) فى الأصل ، ح : « صوريا » .

(٣) فى ح : « اليهود يعلم كذب نفسه فيما ادعاه من قتله وصلبه و » .

لعائنُ اللَّهِ وغضبُه المتدارِكُ .

ذِكْرُ الدُّخَانِ الذى يكونُ قبلَ يومِ القيامةِ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٠- ١٦] .

وقد تكلَّمنا على تفسيرِ هذه الآياتِ فى سورةِ الدُّخانِ[(١)] بما فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ ، وقد نقَل البخاريُّ[(٢)] عن ابنِ مسعودٍ ، أنَّه فسَّر ذلك بما كان يحصُلُ لقريشٍ مِن شدةِ الجوعِ ، [(٣)]بسببِ القحطِ الذى دَعَا عليهم به رسولُ اللَّهِ ﷺ[(٣)] ، فكان أحدُهم يرَى فيما بينَه وبينَ السماءِ دُخَانًا مِن شدةِ الجوعِ .

وهذا التفسيرُ غريبٌ جدًّا ، ولم يُنْقَلْ مِثلُه عن أحدٍ مِن الصحابةِ غيرِه ، وقد حاولَ بعضُ العلماءِ المُتأخِّرين ردَّ ذلك ، ومعارَضَتَه بما ثبَت فى حديثِ أبى سَرِيحةَ حذيفةَ بنِ أَسِيدٍ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ »[(٤)] . فذكَر فيهنَّ الدُّخانَ ، وكذلك فى حديثِ أبى هريرةَ : « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا »[(٥)] . فذكَر فيهنَّ الدُّخَانَ ، والحديثان فى « صحيحِ مسلمٍ » مرفوعان ، والمرفوعُ مقدَّمٌ على كلِّ موقوفٍ ، وفى ظاهرِ القرآنِ ما يدُلُّ على وجودِ دُخانٍ مِن السماءِ يَغْشَى

---

(١) التفسير ٢٣٢/٧ - ٢٣٧.

(٢) البخارى (٤٨٢١) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « والقحط بسبب دعاء رسول الله ﷺ عليهم » .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٦ ، ٩٧ .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٥ ، ٩٦ .

الناسَ ، وهذا أمرٌ محقَّقٌ عامٌّ ، وليس كما رُوِى عن ابنِ مسعودٍ أنَّه خيالٌ فى أعينِ قريشٍ مِن شدَّةِ الجوعِ .

قال تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . أى ظاهرٌ بيِّنٌ واضِحٌ جَلِيٌّ ، ليس خيالًا مِن شِدَّةِ الجوعِ ، ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ . أى يُنادِى أهلُ ذلك الزمانِ ربَّهم بهذا الدعاءِ ؛ يسألون كَشْفَ هذه الشدّةِ عنهم ، فإنَّهم قد آمَنُوا ، وأيقَنُوا بما وُعِدوا به مِن الأمورِ الغيبيةِ الكائنةِ ، بعدَ ذلك يومَ القيامةِ ، وهذا دليلٌ على أن هذا أمرٌ يكونُ قبلَ يومِ القيامةِ ، حيثُ يمكِنُ رفعُه ، ويمكِنُ استدراكُ التوبةِ والإنابةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى البخاريُّ[1] ، عن محمدِ بنِ كثيرٍ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، عن الأعمشِ ومنصورٍ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ ، قال : بينما رجلٌ يُحَدِّثُ فى كِنْدَةَ قال : يجىءُ دُخَانٌ يومَ القيامةِ ، فيأخُذُ بأسْماعِ المنافقين وأبصارِهم ، ويأخُذُ المؤمنَ كهيئةِ الزُّكامِ . ففزِعنا ، فأتينا[2] ابنَ مسعودٍ . قال : وكان متَّكِئًا . فغضِب فجلَس ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، مَن علِم شيئًا[3] فليقُلْ ، ومَن لم يعلَمْ فليقُلِ : اللَّه أعلمُ . فإنَّ مِن العلمِ أن يقولَ لِما لا يعلَمُ : [4]اللَّهُ أعلَمُ[4] . فإنَّ اللَّهَ تعالى قال لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ . [ص : ٨٦]

---

(١) البخارى (٤٧٧٤) .

(٢) فى البخارى : « فأتيت » .

(٣) ليس فى البخارى .

(٤ - ٤) فى البخارى : « لا أعلم » .

وإنَّ قريشًا أبطئوا عن الإسلامِ، فدعا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال[1]: «اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ». فأخَذتهم سَنةٌ حتَّى هلَكوا فيها، وأكَلوا الميتةَ والعظامَ، ويرَى الرجلُ ما بينَ السماءِ والأرضِ كهيئةِ الدُّخانِ، فجاءه أبو سفيانَ، فقال: يا محمدُ، جئتَ تأمُرُ بصلةِ الرحمِ، وقومُك قد هلَكوا، فادعُ اللَّهَ. فقرأ هذه الآيةَ: «﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾. إلى قولِه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾» أفيُكشَفُ عنهم عذابُ الآخرةِ إذا جاء ثم عادوا إلى كفرِهم، فذلك قولُه: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ[2] إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]. فذاك[2] يومُ بدرٍ، [3]﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، فذاك[3] يومُ بدرٍ، ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١- ٣] والرومُ قد مضَى، [2]فقد مضَتِ الأربعُ[2].

وقد أخرَجه البخاريُّ أيضًا، ومسلمٌ[4] مِن حديثِ الأعمشِ، ومنصورٍ به نحوَه، وفي روايةٍ[5]: فقد مضَى القمرُ، والدُّخانُ، والرومُ، واللِّزامُ. وقد ساقَه البخاريُّ[6] مِن طرقٍ كثيرةٍ بألفاظٍ [٤٣و] متعددةٍ. وقولُ هذا القاصِّ: إنَّ هذا

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من البخارى.

(٢ - ٢) ليس فى البخارى.

(٣ - ٣) فى صحيح البخارى: «و ﴿لِزَامًا﴾».

(٤) البخارى (٤٨٢٢)، ومسلم (٣٩، ٤٠/ ٢٧٩٨).

(٥) البخارى (٤٨٢٤)، ومسلم (٣٩/ ٢٧٩٨) بذكر «البطشة» بدل «القمر».

(٦) البخارى (٤٨٢١ - ٤٨٢٤).

الدُّخَانَ يكونُ يومَ القيامةِ . ليس بجيدٍ ، ومِن هنا تسلَّط عليه ابنُ مسعودٍ بالردِّ ، بل قبلَ يومِ القيامةِ يكونُ وجودُ هذا الدخانِ ، كما يكونُ وجودُ الآياتِ ؛ مِن الدَّابةِ والدَّجالِ ، ويأجوجَ ومأجوجَ ، كما دلَّت عليه الأحاديثُ عن أبى سَرِيحةَ وأبى هريرةَ ، وغيرِهما مِن الصحابةِ ، وكما جاء مصرَّحًا به فيها ، وأما النارُ التى تكونُ قَبلَ يومِ القيامةِ فقد تقدَّم فى الصحيحِ[1] أنَّها تخرُجُ مِن قَعرِ عَدَنَ ، تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ ، تبِيتُ معهم حيثُ باتوا ، وتَقيلُ معهم حيثُ قالوا ، وتأكُلُ مَن تخلَّفَ منهم .

ذكرُ الصواعقِ التى تكونُ عندَ اقترابِ الساعةِ

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا محمدُ بنُ مصعبٍ ، حدَّثنا عُمارةُ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ حَتَّى يَأْتِيَ الرَّجُلُ القَوْمَ فَيَقُولُ : مَنْ صُعِقَ قِبَلَكُمُ الغَدَاةَ ؟ فَيَقُولُونَ : صُعِق فُلَانٌ ، وَفُلَانٌ » .

[3]وقال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا أبو المغيرةِ ثنا أرطاةُ - يعنى ابنَ المنذرِ - سمعتُ ضَمْرةَ بنَ حَبِيبٍ سمعتُ سلمةَ بنَ نُفَيْلٍ السَّكُونىَّ قال : كُنَّا جُلُوسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذْ قال قائلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، هلْ أُتِيتَ بطعامٍ مِن السماءِ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : وبماذا ؟ قال : « بِمِسْخَنَةٍ »[5] قال : فهل كان فيها فضلٌ عنك ؟[3]

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) المسند ٣/٦٤ (١١٦٣٨)، قال الشيخ شعيب : حديث صحيح . المسند ١٨/ ١٦٣.

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المسند ٤/١٠٤ (١٧٠٠٥) .

(٥) فى الأصل : « بسخينة » . وفى المسند : « بسخنة » . والمثبت من الفتح الربانى ٢٤/ ٢٩. والمسخنة : هى قِدر كالتور (إناء يشرب فيه) يسخن فيه الطعام. النهاية ٢/ ٣٥٢.

[1] قال : « نَعَمْ » . قال : فما فُعِلَ به ؟ قال : « رُفِعَ ، وهو يُوحى إلىَّ أنِّى مَكْفُوتٌ[2] غيرُ لابثٍ فيكم ولَسْتُم لابِثِينَ بَعْدى إلَّا قَلِيلًا بلْ تَلْبَثُونَ حتَّى تَقُولُوا : متى ؟ وسَتَأْتُونَ[3] أَفْنَادًا[4] يُفْنِى[5] بَعْضُكم بَعْضًا ، وبين يَدَيِ الساعةِ مُوتَانٌ شَدِيدٌ وبَعْدَه سَنَواتُ الزَّلَازِلِ[1] » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا مُؤَمَّلٌ ، حدَّثنا حمادٌ ، حدَّثنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن خالدِ بنِ الحويرثِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِى سِلْكٍ فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا » . انْفَرَدَ به أحمدُ[1] .

ذكرُ وقوعِ المطرِ الشديدِ قبلَ يومِ القيامةِ

قال الحافظُ أبو بكرٍ البزّارُ فى مسندِه : حدَّثنا إسحاقُ ، حدَّثنا خالدٌ ، عن سُهيلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْطِرَ السَّمَاءُ مَطَرًا لَا تُكِنُّ مِنْهُ بُيُوتُ المَدَرِ ، وَلَا تُكِنُّ مِنْهُ إلَّا[7] بُيُوتُ الشَّعَرِ »[8] .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) مكفوت : أى مضموم إلى القبر . بلوغ الأمانى ٢٤/ ٢٩.

(٣) فى الأصل : « تساقون » .

(٤) أفنادا : أى جماعات متفرقين قوما بعد قوم ، واحدهم فِنْد . النهاية ٣/ ٤٧٥.

(٥) فى الأصل : « يتبع » .

(٦) المسند ٢/٢١٩ (٧٠٤٠) قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١/ ٦١٧، ٦١٨.

(٧) سقط من : ح .

(٨) وأخرجه أحمد فى المسند ٢/٢٦٢ (٧٥٥٤) من طريق سهيل به ، وقال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٣/ ١٢.

بابُ ذكرِ أمورٍ لا تقومُ الساعةُ حتى تكونَ، منها ما قد وقَع ومنها ما لم يقَعْ بعدُ

قد تقدَّم مِن ذلك شيءٌ كثيرٌ، ولْنذكُرْ أشياءَ أُخَرَ مِن ذلك، وإيراد شيءٍ مِن أشراطِ الساعةِ، وما يَدُلُّ على اقترابِها، وباللَّهِ المستعانُ.

تقدَّم ما رواه البخاريُّ[1] عن أبي اليمانِ، عن شعيبٍ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعرجِ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَكْثُرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: لَيْتَنِي مَكَانَكَ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ»، ورواه مسلمٌ مِن وجهٍ آخرَ عن أبي هريرةَ[2].

وتقدَّم الحديثُ[3] عن أبي هريرةَ، وبُريدةَ، وأبي بَكْرَةَ، رضِي اللَّهُ عنهم،

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٧٣، ٧٤.

(٢) مسلم (٢٤٨/١٥٧).

(٣) تقدم تخريجه في صفحة ١١ وما بعدها.

وغيرِهم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ عِرَاضَ الْوُجُوهِ ، ذُلْفَ الْأُنُوفِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ [٤٣ظ] الْمُطْرَقَةُ ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ » الحديث . وهم بنو قَنْطُوراءَ ، وهى جاريةُ الخليلِ ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

وفى « الصحيحَيْن »[(١)] مِن حديثِ شعبةَ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ والزِّنَى ، وتُشْرَبَ الْخَمْرُ ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الوَاحِدُ » .

وروى سفيانُ الثوريُّ[(٢)] ، عن سُهيلٍ ، عن أبيهِ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال : « لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِى حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا ، أَوْ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، وَيَنْجُو وَاحِدٌ » . وأخرَجه مسلمٌ[(٣)] مِن وجهٍ آخَرَ عن سُهيلٍ . وروَى البخاريُّ ، عن أبى اليمانِ ، عن شعيبٍ ، وأخرَج مسلمٌ مِن حديثِ معمرٍ ، كلاهما[(٤)] عن الزهريِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِى الْخَلَصَةِ » . طاغيةِ دوسٍ التى كانوا يعبدُون فى الجاهليَّةِ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[(٥)] ، مِن حديثِ الأَسودِ بنِ العلاءِ ، عن أبى سلَمةَ ، عن

---

(١) البخارى (٨١) ، ومسلم (٩/ ٢٦٧١) .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/٤٧٧ من طريق سفيان به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٧٣.

(٤) البخارى (٧١١٦) ، مسلم (٥١/ ٢٩٠٦) .

(٥) مسلم (٥٢/ ٢٩٠٧) .

عائشةَ ، قالت : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى » فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنْ كنتُ لَأَظُنُّ حينَ أنزلَ اللَّهُ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] أنَّ ذلك تامًّا[1] . فقال : « إنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمانٍ ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ » .

وفى جزءِ الأنصاريِّ ، عن حُميدٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ سلامٍ سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ : ما أولُ أشراطِ الساعةِ ؟ قال : « نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ » الحديث بتمامِه . ورواه البخاريُّ[2] مِن حديثِ حميدٍ ، عن أنسٍ .

وفى حديثِ أبى زُرعةَ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يومًا بارزًا للناسِ ، إذ أتاه أعرابيٌّ ، فسأله عن الإيمانِ ، فذكَر الحديثَ إلى أن قال : يا رسولَ اللَّهِ ، فمتى الساعةُ ؟ فقال : « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا ؛ إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، [3]فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا[3] ، فِى خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ » . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان : ٣٤] . ثم انصرَف الرجلُ ، فقال : « رُدُّوه عَلَىَّ » . فلم يرَوا شيئًا ، [4]فقال : « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ »[4] . أخرَجاه فى « الصحيحَيْن »[5] .

---

(١) كذا فى النسخ وصحيح مسلم ، وهو لغة قليلة .

(٢) البخارى (٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠) .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) البخارى (٤٧٧٧) ، ومسلم (٩ ، ١٠) .

وعندَ مسلمٍ عن عمرَ بنِ الخطابِ نحوُ هذا بأبسطَ منه[1] .

فقولُه عليه السلامُ : « أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا » . يعنى به أنَّ الإماءَ يَكُنَّ فى آخرِ الزمانِ هُنَّ المشارُ إليهنَّ بالحشمةِ ، تكونُ الأمةُ تحتَ الرجلِ الكبيرِ دونَ غيرِها مِن الحرائرِ ، ولذلك قرَن ذلك بقولِه : « وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ » . يعنى بذلك أنَّهم يكونون رءُوسَ الناسِ ، قد كثُرتْ أموالُهم ، وامتدَّتْ وَجاهتُهم ، فليس لهم دأَبٌ ولا هِمةٌ إلا التطاولُ فى البناءِ ، وهذا كما فى الحديثِ المتقدِّمِ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَحْظَى النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابنُ لُكَعَ »[2] . وفى الحديثِ الآخرِ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ رُذَالُهَا »[3] [4] وفى الحديثِ الآخرِ[5] : « إِذَا وُسِّدَ الأمرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ »[4] . ومَن فسَّر هذا بكثرةِ السَّرارىِّ لكثرةِ الفتوحاتِ ، فقد كان هذا فى صدرِ هذه الأمةِ كثيرًا جِدًّا ، وليس [٤٤و] هذا بهذه الصفةِ مِن أشراطِ الساعةِ المتاخمةِ لوقتِها ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقىُّ فى كتابِ « البعثِ والنشورِ »[6] : أَخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، [7]وأبو زكريا بنُ أبى إسحاقَ[7] ، قالا : حدَّثنا عبدُ الباقى بنُ قانِعٍ[8] الحافظُ ، حدَّثنا

---

(١) مسلم (٨) .

(٢) تقدم فى صفحة ٥٣ .

(٣) الطبرانى فى الكبير ٨/١٠ (٩٧٧١) ، والأوسط (٧٧١١) ، والبزار فى مسنده (١٤٣٤) ، قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم رواه عن النبى ﷺ إلا عبد الله بن مسعود . وقال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى ، وفيه حسين بن قيس وهو متروك . وقال : رواه فى الأوسط ، وفيه مبارك بن فضالةوهو مدلس ، وحبيب بن فروخ لم أعرفه . المجمع ٧/ ٣٢٧.

وقال فى الفتح ١٣/ ٨٤: أخرجه الطبرانى بلفظ « منافقوها » ، وقال : وفى لفظ « رذالها » .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) البخارى (٥٩) .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٦ إلى البيهقى فى البعث والنشور .

(٧ - ٧) فى ح : « أبو بكر زكريا بن إسحاق » . وانظر المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٤٨١، والأنساب ٥/ ٢٧٥.

(٨) فى ح : « نافع » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٢٦.

عبدُ الوارثِ بنُ إبراهيمَ العَسْكَرىُّ ، حدَّثنا سيفُ بنُ مِسْكِينٍ ، حدَّثنا المباركُ بنُ فَضالةَ ، عن الحسنِ ، قال : قال عُتَىٌّ : خرَجْتُ فى طلبِ العلمِ ، فقدِمْتُ الكوفةَ فإذا أنا بعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، فقلت : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، هل للساعةِ مِن عَلَمٍ تُعْرَفُ به ؟ فقال : سأَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك ، فقال : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظًا ، وَالْمَطَرُ قَيْظًا[1] ، وَتَفِيضُ الْأَشْرَارُ فَيْضًا ، [2]وتغيضُ الأخيارُ غيضًا[2] وَيُصَدَّقُ الْكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ الْأَمِينُ ، وَيَسُودُ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا ، وَكُلَّ سُوقٍ فُجَّارُهَا ، وَتُزَخْرَفُ الْمَحَارِيبُ ، وتَخْرَبُ الْقُلُوبُ ، وَيَكْتَفِى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ، وَيَخْرَبُ عُمْرَانُ الدُّنْيَا ، وَيَعْمُرُ خَرَابُهَا ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنَةُ وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَتَظْهرُ الْمَعَازِفُ وَالْكُبُورُ[3] وَشُرْبُ الْخَمْرِ ، وَتَكْثُرُ الشُّرَطُ وَالغَمَّازُونَ وَالْهَمَّازُونَ » . ثم قال البيهقىُّ : هذا إسنادٌ فيه ضَعْفٌ ، إِلَّا أَنَّ أكثرَ ألفاظِهِ قَدْ رُويتْ بأسانيدَ أُخرَ متفرّقةٍ .

قلتُ : قد تقدَّم فى أوَّلِ هذا الكتابِ[4] فصلٌ فيه ما يقعُ من الشرورِ فى آخرِ الزمانِ ، وفيه شواهدُ كثيرةٌ لهذا الحديثِ . وفى « صحيحِ البخارىِّ »[5] مِن حديثِ عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَنَّ أعرابيًّا سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : متى الساعةُ ؟ فقال : « إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ،

---

(١) فى ح : « قيضا » . ومن علامات الساعة أن يكون المطر قيظًا ، لأن المطر إنما يراد للنبات وبرد الهواء ، والقيظ ضد ذلك . انظر النهاية ٤/ ١٣٢.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص ، والدر المنثور : « كنوز » . وكبور : جمع كَبَر ، وهو الطبل ذو الرأسين ، وقيل : الطبل الذى له وجه واحدٌ . انظر النهاية ٤/ ١٤٣، واللسان (ك ب ر) .

(٤) تقدم فى صفحة ٤٨ .

(٥) البخارى (٥٩) .

وكيف إضاعتُها ؟ فقال : « إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن واصلٍ ، عن أبى وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ . قال : وَأَحْسَبُه رَفَعه إلى النبىِّ ﷺ قال : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرْجِ ، أَيَّامٌ يَزُولُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرُ فِيهَا الْجَهْلُ » . فقال أبو موسى : الْهَرْجُ بلسانِ الحَبَشِ : القتلُ .

وروَى الإمامُ أحمدُ[2] ، عن أبى اليَمانِ ، عن شعيبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حُسينٍ ، عن شَهْرٍ ، عن أبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ ، فَيُخْبِرَهُ نَعْلُهُ ، أَوْ سَوْطُهُ ، أَوْ عَصَاهُ ، بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » .

وروَى أيضا[3] عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن القاسمِ بنِ الفضلِ الحُدَّانِىِّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » .

وقال الإمام أحمد[4] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، هو ابنُ سَلَمةَ ، عن

---

(١) المسند ١/٤٣٩ (٤١٨٣) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) المسند ٣/ ٨٨، ٨٩ (١١٨٥٩) مطولا . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، لضعف شهر ، وهو ابن حوشب ، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين . المسند ١٨/ ٣٥٥.

(٣) المسند ٣/ ٨٣، ٨٤ (١١٨٠٩) مطولا . قال الشيخ شعيب : رجاله ثقات ، رجال الصحيح . المسند ١٨/ ٣١٦.

(٤) المسند ٣/٢٨٦ (١٤٠٧٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ... ورجال الجميع ثقات . مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٠.

ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّه لا تقومُ السَّاعةُ حتى تُمْطِرَ[1] السماءُ ، ولا تُنْبِتَ الأرضُ ، وحَتَّى يكونَ لخمسينَ امرأةً القَيِّمُ الواحدُ ، وحتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَمُرُّ بالْبَعْلِ ، فيَنْظُرُ إليها فيقولُ : لقد كان لهذه مَرَّةً رجلٌ . قال أحمدُ : ذكرَه حمَّادٌ مرةً هكذا ، وقد ذكَره عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ لا يَشُكُّ فيه ، وقد قال أيضًا : عن أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ فيما يَحْسَبُ . إسنادُه جيِّدٌ ، ولم يُخْرِجُوه مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا هُشيمٌ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ يَرْفَعُ الحديثَ ، قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ قَيِّمَ خَمْسِينَ امْرَأَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ » تقدَّم له شاهدٌ فى « الصحيحِ »[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، حدَّثنا مَعْمرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، أَخْبَرنى أنسُ بنُ مالكٍ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج حينَ زاغتِ الشمسُ ، فَصَلَّى الظهرَ ، فلما سلَّم قام على المِنبرِ ، فذكَر الساعةَ ، وذكَر أَنَّ بينَ يَدَيْها أمورًا عِظامًا . وذكَر تمامَ الحديثِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا [6]هاشمٌ وأبو كاملٍ ، قالا[6] : حدَّثنا زُهيرٌ ،

---

(١) فى ح ، ومطبوعة المسند : « لا تمطر » . والمثبت موافق لرواية الهيثمى فى مجمع الزوائد .
(٢) المسند ٣/٢٧٣ (١٣٩١٠) .
(٣) تقدم فى صفحة ٤٣ .
(٤) المسند ٣/١٦٢ (١٢٦٨١) .
(٥) المسند ٢/ ٥٣٧، ٥٣٨ (١٠٩٥٦) .
(٦ - ٦) فى المسند : « هاشم قال » . وانظر أطراف المسند ٧/ ٢١٢ .

حدَّثنا سُهَيلُ بنُ[1] أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَيَكُونَ [٤٤ظ] الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ[2] السَّعَفَةِ » والسَّعَفةُ : الخُوصةُ ، زعَم سُهيلٌ . وهذا الإسنادُ على شرطِ مسلمٍ .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا كاملٌ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ[4] تَذْهَبَ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعَ ابْنِ لُكَعَ » . إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا يُونسُ وسُريجٌ[6] ، قالا : حدَّثنا فُليحٌ ، عن سعيدِ بنِ عُبيدِ بنِ السَّبَّاقِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » . قال سُريجٌ[6] : [7] « ويُنْظَرُ فِيهَا لِلرُّوَيْبِضَةِ »[7] . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، ولم يُخْرِجُوه مِن هذا الوجهِ .

---

(١) فى ح : « عن » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٢٣.

(٢) فى الأصل : « كإحراق » .

(٣) المسند ٢/٣٥٨ (٨٦٨٢) .

(٤) فى مطبوعة المسند : « لا » . والمثبت موافق لبعض نسخ المسند . وانظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ١٤/ ٣٢١، الحاشية (٣) .

(٥) المسند ٢/٣٣٨ (٨٤٤٠) .

(٦) فى الأصل ، ص : « شريح » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٩، والجرح والتعديل ٤/ ٤٦.

(٧ - ٧) فى الأصل ، ح ، والمسند المطبوع : « وينطق فيها الرويبضة » . والمثبت موافق لما فى المسند بتحقيق الشيخ شعيب ١٤/ ١٧١.

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا هَوْذَةُ ، حدَّثنا عوفٌ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى رُعَاةُ الشَّاءِ رُءُوسَ النَّاسِ ، وَأَنْ يُرَى الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ الْجُوَّعُ يَتَبَارَوْنَ فِى الْبِنَاءِ ، وَأَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا أَوْ رَبَّتَهَا » . وهذا إسنادٌ حسنٌ ، ولم يُخْرِجُوه مِن هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثَنا عمَّارُ بنُ محمدٍ ، عن الصَّلْتِ بنِ قُوَيْدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا تَنْطَحَ ذَاتُ قَرْنٍ جَمَّاءَ » تفرَّد به أحمدُ ، ولا بأسَ بإسنادِه .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثَنا يَحْيَى ، عنِ[4] ابنِ عَجْلانَ ، قال : سمِعتُ أبى يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ » قيلَ : وما الهَرْجُ ؟ قال : « الْقَتْلُ » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو على شرطِ مسلمٍ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثَنا عبدُ الرزَّاقِ ، أنا مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ ، حتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ صَدَقَةَ مَالِهِ ، ويُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَيَقْتَرِبَ الزَّمَانُ ، وتَظْهَرَ

---

(١) المسند ٢/٣٩٤ (٩١١٧) .

(٢) المسند ٢/٤٤٢ (٩٧٠٢) .

(٣) المسند ٢/٤٢٨ (٩٥٢٣) .

(٤) سقط من : الأصل ، ص . وانظر أطراف المسند ٧/ ٤٠٤ .

(٥) المسند ٢/٣١٣ (٨١٢٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٣/ ٤٨٤ .

الْفِتَنُ، ويَكْثُرَ الْهَرْجُ». قالوا[1]: الْهَرْجُ! أَيُّمَا هو يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «الْقَتْلُ، الْقَتْلُ».

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ»[2].

وقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ[3] دَجَّالُونَ كَذَّابونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»[4].

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[5]. وهذا ثابتٌ فى «الصحيحِ»[6].

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[7]: حدثَّنا أحمدُ بنُ محمدٍ، حدَّثنا القاسمُ بنُ الحكمِ، عن سليمانَ بنِ داودَ اليَمامِيِّ[8]، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «وَالَّذِى بَعَثَنِى بِالْحَقِّ لَا تَنْقَضِى

---

(١) فى الأصل: «قال و».

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٣١٣/٢ (١٨٢١) بنفس الإسناد السابق.

(٣) فى المسند: «ينبعث».

(٤) المسند ٣١٣/٢ (٨١٢٢).

(٥) المسند ٣١٣/٢ (٨١٢٣).

(٦) البخارى (٤٦٣٦)، ومسلم (٢٤٨/١٥٧).

(٧) انظر كشف الأستار (٣٤٠٥). قال الهيثمى: رواه البزار ...، وفيه سليمان بن داود اليمامى، وهو متروك. مجمع الزوائد ٨/ ١٠.

(٨) فى الأصل، ح: «اليمانى». وانظر الجرح والتعديل ٤/ ١١٠.

هـٰذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى يَقَعَ بِهِمُ الْخَسْفُ ، وَالْقَذْفُ ، وَالْمَسْخُ » . قالوا : ومتى ذلك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « إِذَا رَأَيْتَ النِّسَاءَ رَكِبْنَ السُّرُوجَ ، وَكَثُرَتِ الْقَيْنَاتُ ، وَفَشَتْ شَهَادَةُ[1] الزُّورِ ، وَاسْتَغْنَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ » .

وروَى الطبرانىُّ مِن حديثِ كَثيرِ بنِ مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَعْزُبَ الْعُقُولُ[2] ، وَتَنْقُصَ الْأَحْلَامُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، حدَّثنا بَشيرُ بنُ سَلْمانَ ، وهو أبو إسماعيلَ ، عن سَيَّارٍ [4]أبى الحَكَمِ[4] ، عن طارقِ بنِ شِهابٍ ، قال : كُنَّا عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ جُلوسًا ، فجاء رجلٌ ، فقال : قد أُقِيمَتِ الصلاةُ . فقامَ ، وقُمْنا معه ، فلمَّا دخَلْنا المسجدَ رأَيْنا الناسَ رُكوعًا فى مُقَدَّمِ المسجدِ ، فكبَّر وركَع وركَعْنا ، ثم مشَيْنا ، وصنَعْنا مثلَ الذى صنَع ، فمرَّ رجلٌ يُسْرِعُ ، فقال : عليك السلامُ يا أبا عبدِ الرحمنِ . فقال : صدَق اللَّهُ ورسولُه . فلما صلَّيْنا ورجَعْنا دخلَ إلى أهلِه ، وجلَسْنا ، فقال بعضُنا لبعضٍ : أما سمِعْتُمْ ردَّه على الرجلِ ؛ صدَق اللَّهُ [5]ورسولُه أو قال[5] وبلَّغَت

---

(١) فى الأصل ، ح : « شهادات » .

(٢) تعزب العقول : أى تغيب . اللسان (ع ز ب) .

(٣) المسند ١/٤٠٧ - ٤٠٨ (٣٨٧٠) ، ٤١٩ - ٤٢٠ (٣٩٨٢) . قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى مصدر التخريج . وسيأتى أن سيارًا هو أبو حمزة الكوفى لا أبو الحكم . وقد ذكر المزى فى تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٦، عن أبى داود وأحمد والدارقطنى أنهم قالوا : قد وهم من قال : هو سيار أبو الحكم .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

رسلُه؟ أيُّكم يَسْأَلُه؟ فقال طارقٌ: أنا أَسْأَلُه. فسأَله حينَ خرَج، فذكَر عن النبيِّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وشَهَادَةَ الزُّورِ [٤٥و]، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ[(١)]».

ثم روَى أحمدُ[(٢)]، عن عبدِ الرزاقِ، [(٣)]عن سفيانَ[(٣)]، عن بَشيرٍ، عن سَيَّارٍ أبى حمزةَ. قال أحمدُ: وهذا هو الصوابُ، وسَيَّارٌ أبو الحكَمِ لم يَرْوِ عن طارقٍ شيئًا.

صفةُ أهلِ آخِرِ الزمانِ

قال الإمامُ أحمدُ[(٤)]: حدَّثنا عبدُ الصمدِ، حدثنا همامٌ، حدَّثنا قتادةُ، عن الحسنِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ[(٥)] مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا».

---

(١) فى ص: «العلم».

(٢) المسند ١/٤٤٢ (٤٢٢٠).

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من المسند. وانظر أطراف المسند ٤/ ١٦٠.

(٤) المسند ٢/٢١٠ (٦٩٦٤). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) شريطته: قال ابن الأثير: يعنى أهل الخير والدين. النهاية ٢/ ٤٦٠.

وحدَّثناه عَفَّانُ، حدَّثنا همامٌ، عن قتادةَ، عن الحسنِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، ولم يَرْفَعْه، وقال: «حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ مِنَ النَّاسِ».

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)]: حدَّثنا عفانُ، حدَّثنا قَيْسٌ، حدَّثنا الأعمشُ، عن إبراهيمَ، عن عَبيدةَ السَّلْمانيِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَشِرَارُ النَّاسِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ [(٢)]وَهُمْ أَحْيَاءٌ[(٢)]، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ». وهذا إسنادٌ صحيحٌ، ولم يُخرِجوه مِن هذا الوجهِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[(٣)]: حدَّثنا بَهْزٌ، حدَّثنا شعبةُ، حدَّثنا عليُّ بنُ الأَقْمَرِ، سمِعْتُ أبا الأحْوَصِ يُحدِّثُ عن عبدِ اللَّهِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ». ورواه مسلمٌ[(٤)]، عن زُهَيْرِ بنِ حربٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِيٍّ، عن شعبةَ[(٥)]، عن عليِّ بنِ الأقْمَرِ به.

[(٦)]وقد تقدَّم فى الأحاديثِ السابقةِ أنَّه يَقِلُّ الرِّجالُ، وتَكْثُرُ النِّساءُ، حتى[(٦)]

---

(١) المسند ١/٤٥٤ (٤٣٤٢).

(٢ - ٢) فى المسند: «أحياء».

(٣) المسند ١/٣٩٤ (٣٧٣٥).

(٤) مسلم (١٣١/ ٢٩٤٩).

(٥) فى النسخ: «سفيان الثورى»، وفى تحفة الأشراف ٧/ ١٢٤: «سفيان»، وقد أشار محقق التحفة إلى أنه وقع فى المطبوعة: «شعبة». والمثبت من صحيح مسلم. وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٢٣، ٣٢٤.

وقد أخرج الحديث البزار فى مسنده (٢٠٥٤) عن محمد بن المثنى، عن محمد بن جعفر، عن شعبة به، قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد اللَّه إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ح.

[1] يَكونَ لخمسينَ امرأةً القيِّمُ الواحدُ ، يَلُذْنَ به ، وأنهم يَتَسافَدون فى الطُّرقاتِ ، كما يَتَسافَدُ البَهائمُ . وقد أورَدْناها بأسانيدِها وألفاظِها بما أغْنَى عن إعادتِها ، وللَّهِ الحمدُ[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا عَفَّانُ ، حدَّثنا حمادٌ ، أخْبَرَنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الْأَرْضِ : لَا إلـهَ إلَّا اللَّهُ » . ورواه مسلمٌ ، عن زُهَيْرِ بنِ حربٍ ، عن عفانَ به[3] . ولفظُه : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ » . ورواه مسلمٌ ، عن عَبْدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن عبدِ الرزاقِ به[3] .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا ابنُ أبى عديٍّ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ » .

وهذا الإسنادُ ثُلَاثِيٌّ على شرطِ « الصحيحَيْن » ، وإنما روَاه التِّرْمذىُّ[6] ، عن بُنْدارٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَدِيٍّ ، عن حُميدٍ ، عن أنسٍ ، مرفوعًا ،

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .
(٢) المسند ٣/٢٦٨ (٣٨٦٠) .
(٣) مسلم (١٤٨) .
(٤) المسند ٣/١٦٢ (١٢٦٨٢) .
(٥) المسند ٣/١٠٧ (١٢٠٦٢) .
(٦) الترمذى (٢٢٠٧) .

وقال : حسنٌ . ثم روَاه ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن خالدِ بنِ الحارثِ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، موقوفًا . ثم قال : وهذا أصحُّ مِن الأولِ .

وفى معنى قولِه ﷺ : « حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ » . قولان : أحدُهما أنَّ معناه أنَّ أحدًا لا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ولا يَزْجُرُ أحدٌ أحدًا إذا رآه قد تَعاطَى مُنْكرًا ، وعبَّر عن ذلك بقولِه : « حَتَّى لَا يُقَالَ : اللَّهُ اللَّهُ » . كما تقدَّم فى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو : « فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ لَا يَعْرِفُون مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا » . والقولُ الثانى : حتى لا يُذْكَرَ اللَّهُ فى الأرضِ ، ولا يُعْرَفَ اسمُه فيها ، وذلك عندَ فَسادِ الزمانِ ، ودَمارِ نوعِ الإنسانِ ، وكثرةِ الكفرِ والفُسوقِ والعِصْيانِ يتواكلون الخيرَ بينَهم ، حتى لا يقولَ أحدٌ لأحدٍ : اتَّقِ اللَّهَ خَفِ اللَّهَ ، وهذا كما فى الحديثِ الآخَرِ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الْأَرْضِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . وكما تقَدَّم[1] فى الحديثِ الآخَرِ أن الشيخَ الكبيرَ والعجوزَ الكبيرةَ يقولان : « أَدْرَكْنا النَّاسَ وَهُمْ يَقُولُون : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . ثم يَتفاقَمُ الأمرُ ، ويَتزايَدُ الحالُ ، حتى يُتْرَكَ ذِكْرُ اللَّهِ جملةً فى الأرضِ ، ويُنْسَى بالكُلِّيةِ ، فلا يُعْرَفَ فِيها ، وأولئك هم شِرارُ الناسِ ، وعليهم تَقُومُ الساعةُ ، كما تقَدَّم فى الحديثِ : « وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرارِ النَّاسِ » . وفى لفظٍ : « شِرَارُ النَّاسِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ » .

وفى حديثِ عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ : « لَا يَزْدَادُ النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا يَزْدَادُ الزَّمَانُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ »[2] .

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) المستدرك ٤/ ٤٤١.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا هاشمٌ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ سَعيدِ بنِ عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : دخَل عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ : « يَا [٤٥ظ] عَائِشَةُ ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي لَحَاقًا بِي » . قالَتْ : فلما جلَس قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جعَلنى اللَّهُ فِداكَ ، لقد دخَلْتَ وأنتَ تَقُولُ كلامًا أذْعَرَنِى[2] ، قال : « وَمَا هُوَ ؟ » قالَتْ : تَزْعُمُ أنَّ قَوْمى أسرعُ أُمَّتِك بكَ لَحَاقًا ، قال : « نَعَمْ » . قالت : وعمَّ ذاك ؟ قال : « تَسْتَحِلُّهُمُ[3] الْمَنَايَا ، فَتَنْفَسُ[4] عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ » . قالت : فقلتُ : فكَيْفَ الناسُ بعدَ ذلكَ[5] ؟ قال : « دَبًا يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ » . والدَّبَا : الجنادبُ[6] التى لم تَنْبُتْ أَجْنِحَتُها . تَفرَّد به أحمدُ .

[7]وقال أحمدُ[8] : حدَّثنا عَلِيُّ بنُ ثابتٍ ، حدَّثنى عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ ، عن أبيه ، عن عِلْباءَ السُّلَمِيِّ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا عَلَى [9]حُثَالَةٍ مِنَ[9] النَّاسِ » . تفرَّد به ، وقد روَاه أبو خَيْثمةَ ، عن عليِّ بنِ ثابتٍ به[10][7] .

---

(١) المسند ٦/ ٨١، ٩٠ (٢٤٥٦٣، ٢٤٦٤٠) .

(٢) فى المسند : « ذعرنى » ، وكلاهما بمعنى .

(٣) فى ص : « تستجلبهم » ، وفى المسند : « تستحليهم » ، وفى مجمع الزوائد ١٠/ ٢٧: « تستخلبهم » . وتستخلبهم : تحصدهم وتقطعهم بالمِخْلَب وهو المنجل . انظر النهاية ٢/ ٥٩.

(٤) تنفس عليهم : تبخل . انظر النهاية ٥/ ٩٦.

(٥) بعده فى المسند : « أو عند ذلك » .

(٦) الجنادب : جمع جندب - بضم الدال وفتحها - وهو ضرب من الجراد . النهاية ١/ ٣٠٦.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) المسند ٣/ ٤٩٩ (١٦١١٥) .

(٩ - ٩) فى المسند : « حثالة » .

(١٠) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٨/ ٨٤، ٨٥ (٥٦) ، من طريق أبى خيثمة به .

[1] ولأبى نُعَيْمٍ مِن طريقِه ، بإسنادِه : « لَا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِى يُقالُ لَهُ : جَهْجَاهُ »[1] .

ذكرُ طرقِ الحديثِ الذى رُوِىَ

عن النبىِّ ﷺ كلَّ طَرْفَةِ عَينٍ ، أنَّه قال : « بُعِثْتُ أنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ »

روايةُ أنسِ بنِ مالكٍ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو المغيرةِ ، حدَّثَنا الأوزاعىُّ ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ - يعنى ابنَ أبى المُهَاجِرِ الدِّمَشقىَّ - قال : قدِم أنسُ بنُ مالكٍ على الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ ، فسأَله : ماذا سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ به الساعةَ ؟ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَتَيْنِ »[3] . تفرَّدَ به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا هاشمٌ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن أبى التَّيَّاحِ ، وقتادَةَ ، وحمزةَ ، وهو ابنُ عمرٍو الضَّبِّىُّ ، أنَّهم سمِعوا أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ عنِ النبىِّ ﷺ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَـٰكَذَا » . وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ والوسطى . وكان قَتادَةُ يقولُ : كفَضْلِ إحداهما على الأخرى . وأخرَجه مسلمٌ مِن حديثِ شُعْبَةَ ، عن حَمْزَةَ الضَّبِّىِّ هذا ، وأبى التَّيَّاحِ ، كلاهما عن أنسٍ ، به[5] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ٣/٢٢٣ (١٣٣٦٠) .

(٣) فى المسند : « كهاتين » .

(٤) المسند ٣/ ٢٢٢، ٢٧٨ (١٣٣٤٣، ١٣٩٨٢) .

(٥) مسلم (١٣٤/ ٢٩٥١) .

طريقٌ أخرى عنه: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا يَزيدُ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن قتادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». وَأَشَار بالسَّبّابَةِ والوسطَى. وأخرَجه البخاريُّ، ومُسلمٌ، والتِّرمذيُّ مِن حديثِ شُعْبةَ به[2] - وفى روايةٍ لمسلمٍ: عن شُعْبَةَ، عن قَتادةَ، وأبى التَّيّاحِ، كلاهما عن أنسٍ، به[3] - وقال الترمذيُّ: حَسَنٌ صحيحٌ.

طريقٌ أخرى عنه: روَى الإمامُ أحمدُ[4]، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن أبيه، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن زيادِ بنِ أبى زيادٍ المدَنىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». وَمَدَّ إصْبَعَيْهِ؛ السَّبّابةَ والوسطَى. تفرَّد به أحمدُ، وإسنادُه لا بأسَ به.

طريقٌ أخرى عنه: قال مسلمٌ فى «صحيحِه»[5]: حدَّثنا أبو غَسّانَ مالكُ بنُ عبدِ الواحدِ، حدَّثنا مُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ، عن أبيه، عن مَعْبَدِ بنِ هلالٍ العَنَزِىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». تفرَّد به مسلمٌ.

طريقٌ أخرى عنه: قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثَنا محمدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثَنا

---

(١) المسند ٣/١٢٤ (١٢٢٦٧).

(٢) البخارى (٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٣/ ٢٩٥١)، والترمذى (٢٢١٤). والحديث فى البخارى عن عبد اللَّه بن محمد الجعفى، عن وهب بن جرير، عن شعبة، عن قتادة وأبى التياح، عن أنس به. قال المزى فى تحفة الأشراف ١/ ٣٢٦، ٣٢٧: وفى حديث وهب بن جرير وخالد بن الحارث: عن شعبة، عن قتادة وأبى التياح، كلاهما عن أنس به.

(٣) مسلم (١٣٤/ ٢٩٥١).

(٤) المسند ٣/٢٣٧ (١٣٥٠٨)، وفيه قصة.

(٥) مسلم (١٣٥/ ٢٩٥١).

(٦) المسند ٣/١٣١ (١٢٣٥٦).

شُعْبَةُ ، عن أبى التَّيَّاحِ ، سمِعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ » . وبسَط إصْبَعَيْهِ ؛ السَّبَّابَةَ والوسطَى . وأخرَجاه فى « الصحيحَيْنِ » مِن حديثِ شُعْبَةَ ، عن أبى التَّيَّاحِ يَزيدَ بنِ حُمَيْدٍ - وزاد مسلمٌ : وحمزةَ الضُّبَعِيِّ - عن أنسٍ ، به[1] .

روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رضِى اللَّهُ عنهما : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا مُصْعَبُ بنُ سَلَّامٍ ، حدَّثَنا جعفرٌ ، هو ابنُ محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فحمِد اللَّهَ وأثنَى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . ثُمَّ يرفَعُ صوتَه وتحمَرُّ وَجْنَتاه ، ويشتَدُّ غضَبُه إذا ذكَر الساعةَ كأنَّه مُنذِرُ جَيْشٍ ، ثم يقولُ : « أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ، بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَـٰكَذَا - وأشار بإصبَعَيْهِ ؛ السَّبَّابةِ والوسطَى - صَبَّحَتْكُمُ السَّاعَةُ [٤٦و] وَمَسَّتْكُمْ ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَىَّ وَعَلَىَّ » . الضَّيَاعُ : وَلَدُه المَساكينُ[3] . وقد رواه مُسلمٌ والنَّسائىُّ وابنُ ماجه ، مِن طرقٍ عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، به[4] ، وعند مسلمٍ قال : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ » .

روايةُ سَهْلِ بنِ سعدٍ : قال مسلمٌ[5] : حدَّثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، قال : وحدَّثَنا

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) المسند ٣/ ٣١٠، ٣١١ (١٤٣٧٣) .

(٣) فى الأصل ، ص : « والمساكين » .

(٤) مسلم (٤٣ - ٤٥/ ٨٦٧) ، والنسائى فى الكبرى (١٧٨٦، ٥٨٩٢) ، وابن ماجه (٤٥) .

(٥) مسلم (٢٩٥٠) .

قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ، واللفظُ له، حدَّثَنا يعقوبُ، هو ابنُ عبدِ الرحمنِ، عن أبى حازمٍ، أنَّه سمِع سَهْلًا يقولُ: سمِعْتُ النبىَّ ﷺ يُشيرُ بإِصْبَعَيْهِ[1] التى تَلِى الإبهامَ والوسطَى، وهو يقولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَـٰكَذَا». تفرَّد به مسلمٌ.

روايةُ أبى هريرةَ: قال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ: حدَّثَنا أبو هشامٍ، حدَّثَنا أبو بكرٍ، حدَّثَنا أبو حَصِينٍ، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». وضَمَّ إصبَعَيْهِ.

وقد روَاه البخارىُّ[2]، عن يحيى بنِ يوسفَ، عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ، عن أبى حَصِينٍ عثمانَ بنِ عَاصِمٍ، عن أبى صالحٍ ذَكْوَانَ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ[3]». ثم قال البخارىُّ: وتابَعه إسرائيلُ[4]. ورواه ابنُ ماجه[5]، عن هَنَّادِ بنِ السَّرِىِّ، وأبى هشامٍ الرِّفاعىِّ، عن أبى بكرِ بنِ عَيّاشٍ به، وقال: وجَمَع بينَ إِصْبَعَيْهِ.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[6]: حَدَّثَنا أبو مسلمٍ عبدُ الرحمنِ بنُ يونُسَ، حدَّثَنا سُفْيانُ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن قَيْسِ بنِ أبى حازمٍ، عن أبى جَبِيرَةَ بنِ الضَّحّاكِ، رضِى اللَّهُ عنه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ فِى

---

(١) فى صحيح مسلم: «بإصبعه».
(٢) البخارى (٦٥٠٥).
(٣) بعده فى البخارى: «يعنى إصبعين».
(٤) بعده فى البخارى: «عن أبى حصين».
(٥) سنن ابن ماجه (٤٠٤٠).
(٦) الأهوال (٥).

نَسَمِ[1] السَّاعَةِ » . يَقُولُ : حِينَ بَدَتْ[2] فى أوَّلِ وَقْتِها . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ ، وليس هو فى شىءٍ مِن الكُتبِ ، ولا رواه أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ ، وإنّما روَى لأبى جَبِيرةَ حديثًا آخرَ فى النهيِ عن التَّنابزِ بالألقابِ[3] .

حديثٌ فى تقريبِ يومِ القيامةِ
[4]بالنسبةِ إلى ما سلَف مِن الأزمنةِ[4]

قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثَنا أبو اليَمَانِ ، حدَّثَنا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، أخبَرنى سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال : سمِعتُ النبىَّ ﷺ وهو قائمٌ على المنبرِ ، يقولُ : « إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أُعْطِىَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا ، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُعْطِىَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلَاةِ العَصْرِ ، [6]ثم عَجَزُوا ،[6] فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، فَقَالَ أَهْلُ

---

(١) النسم : هو من النسيم أول هبوب الريح الضعيفة ، أى بعثت فى أول أشراط الساعة وضَعْف مجيئها . وقيل : هو جمع نسمة ، أى بعثت فى ذوى أرواح خلقهم اللَّه تعالى قبل اقتراب الساعة ، كأنه قال : فى آخر النشءِ من بنى آدم . النهاية ٥/ ٤٩، ٥٠.

(٢) فى ح ، ص : « بدرت » .

(٣) المسند ٤/ ٢٦٠ (١٨٣١٤) ، ورواه أحمد لأبى جبيرة أيضا ولكن عن عمومة له ، فى ٤/ ٦٩ (١٦٦٩٣) ، ٥/ ٣٨٠ (٢٣٢٧٥) .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) المسند ٢/ ١٢١ (٦٠٢٩) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من المسند ، وهو أيضا فى صحيح البخارى كما سيأتى تخريجه .

التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ : رَبَّنَا ، هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا ، وَأَكْثَرُ أَجْرًا ! فَقَالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا : لَا . فَقَالَ : فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ » . وهكذا رواه البخاريُّ[1] ، عن أبي اليَمَانِ .

وللبخاريِّ[2] مِن حديثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى[3] ....» . فذكَر الحديثَ بتمامِه وطولِه .

طريقٌ أُخْرَى عن ابنِ عمرَ ، رضِي اللَّهُ عنهما : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ ، حدَّثَنا شَرِيكٌ ، سمِعتُ سَلَمَةَ بنَ كُهَيْلٍ ، يُحَدِّثُ عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : كُنَّا جُلُوسًا عندَ النبيِّ ﷺ ، والشمسُ على قُعَيْقِعَانَ[5] ، بعدَ العصرِ ، فقال : « مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَارِ مَنْ مَضَى ، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا مَضَى مِنْهُ » . تفرَّد به أحمدُ . [6]وهذا إسنادٌ حسَنٌ[6] ، لا بأسَ به .

طريقٌ أخرَى عنه : قال أحمدُ[7] : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عمرَ ، حدَّثَنى كَثِيرُ بنُ

---

(١) البخارى (٧٤٦٧) .

(٢) البخارى (٥٠٢١) .

(٣) بعده فى ح : « كمثل رجل استأجر أجراء فقال : من يعمل من أول النهار إلى الظهر على قيراط قيراط . فعملت اليهود فأعطوا قيراطا قيراطا » . وقد ورد الحديث كاملا عند البخارى وفيه نحو ذلك .

(٤) المسند ٢/ ١١٥، ١١٦ (٥٩٦٦) .

(٥) قعيقعان : جبل بمكة . قيل : إنه سمى بذلك لأن قنطوراء وجرهم لمّا تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه أو لأن جرهم كانت تجعل فيه أسلحتها فكانت تقعقع فيه . معجم البلدان ٤/ ١٤٦ .

(٦ - ٦) فى ح : « وإسناده جيد حسن » .

(٧) المسند ٢/١٣٣ (٦١٧٣) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف . المسند ١٠/ ٣١٤ .

زيدٍ ، عن المُطَّلبِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أنَّه كان واقفًا بعَرَفاتٍ ، فنظَر إلى الشَّمسِ حينَ تَدَلَّتْ مِثلَ التُّرْسِ للغُروبِ ، فبكَى واشتَدَّ بكاؤُه ، فقال له رجلٌ عندَه : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، قد وقَفتَ معى مِرارًا فلَمْ تَصنَعْ هذا ؟ ! فقال : ذكَرْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو واقفٌ بمكانِى هذا ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ [٤٦ظ] فِيمَا مَضَى مِنْهَا ، إلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ » . تفرَّد به أحمدُ .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثَنا يونُسُ ، حدَّثنا حمادٌ ، يعنى ابنَ زيدٍ[(٢)] ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا إنَّ مَثَلَ آجَالِكُمْ فِي آجَالِ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مُغَيْرِبَانِ الشَّمْسِ[(٣)] » . ورواه البخارِىُّ[(٤)] ، عن سُلَيمانَ بنِ حربٍ ، عن حمَّادِ بنِ زيدٍ ، به ، نحوَه ، بأبسطَ منه .

وروَى الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرانِىُّ[(٥)] ، مِن حديثِ عَطِيَّةَ العَوْفِىِّ ، ووَهْبِ بنِ كَيْسَانَ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِ ذلك .

وهذا كلُّه يَدُلُّ على أنَّ ما بقِى من الدنيا بالنسبةِ إلى ما مضَى منها شىءٌ

---

(١) المسند ٢/١٢٤ (٦٠٦٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٠/ ٢٤٥.

(٢) فى النسخ : « عمر » . والمثبت من المسند ، ومن صحيح البخارى ، كما سيأتى تخريجه . وانظر أطراف المسند ٣/ ٤٨٩.

(٣) أى إلى وقت مغيبها . ويقال : غربت الشمس غروبا ومغيربانا ، وهو مصغر على غير مكبره ؛ كأنهم صغروا مغربانا . النهاية ٣/ ٣٥١.

(٤) البخارى (٢٢٦٨) .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٤٩٨) وفى الصغير ١/ ٢٧، من طريق مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان به . أما طريق العوفى فلم نجده .

يسيرٌ ، لكن لا يَعْلَمُ مِقدارَ ما مضَى منها إلا اللَّهُ تعالى ، ولا ما بقِى إلَّا اللَّهُ تعالى ، ولكنْ لها أشراطٌ إذا وُجِدت كانت قريبةً ، واللَّهُ أعلمُ ، ولم يجِئْ فى حديثٍ تَحديدٌ يَصِحُّ سندُه عن المعصومِ ، حتَّى يُصارَ إليه ، ويُعلَمَ نِسبةُ ما بقِى بالنسبةِ إليه ، ولكنَّه قلِيلٌ جِدًّا بالنسبةِ إلى الماضى ، وتعيينُ وقتِ الساعةِ لم يأتِ به حديثٌ صحيحٌ[1] ، بلِ الآياتُ والأحاديثُ دالَّةٌ على أنَّ عِلْمَ ذلك ممّا استأثَر اللَّهُ سبحانَه وتعالى به ، دونَ خلقِه ، كما سيأتِى تقريرُه فى أوَّلِ الجزءِ الآتى بعدَ هذا ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ ، وعليه التُّكلانُ .

فأَمَّا الحديثُ الذى روَاه الإمامُ أحمدُ ، رحِمه اللَّهُ ، فى « مسندِه »[2] قائلًا : حدَّثَنا أبو اليَمَانِ ، أخبَرنا شعيبٌ ، عن الزُّهرِىِّ ، حدَّثنى سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وأبو بكرِ بنُ أبى حَثْمَةَ[3] ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال : صلَّى النبىُّ ﷺ صلاةَ العشاءِ فى آخرِ حياتِه ، فلما سلَّم قام ، فقال : « أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَـٰذِهِ ؟ فإنَّ عَلَى[4] رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنها[5] لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ » . قال عبدُ اللَّهِ : فوَهَل[6] الناسُ فى مقالةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تلكَ ، إلى ما يُحدِّثون مِن هذه الأحاديثِ عن مائةِ سنةٍ ، وإنَّما قال النبىُّ ﷺ : « لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ » . يريدُ بذلِكَ أنَّه يَنْخَرِمُ[7] ذلِكَ القَرْنُ . وهكذا روَاه

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) المسند ١٢١/٢ (٦٠٢٨) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٠/ ٢٢٣.

(٣) فى الأصل ، ح : « خيثمة » . وانظر أطراف المسند ٣/ ٣٨٣، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٩٣.

(٤) كذا بالنسخ ، وليست موجودة إلا عند مسلم كما سيأتى تخريجه .

(٥) ليست فى النسخ ، والمثبت كما فى مصدر التخريج ، وكما عند البخارى ومسلم . وسيأتى تخريجه .

(٦) وهَل الناس : أى غلطوا وذهب وهمهم إلى غير الصواب . وبكسر الهاء (وهِل) فمعناه : فزع . والأول أقرب هنا . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٩٠، وفتح البارى ٢/ ٧٥.

(٧) أى ينقطع وينقضى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٩٠.

البخارِيُّ[1] ، عن أبى اليمَانِ بسندِه ولفظِه سواءً ، ورواه مسلمٌ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ الرحمنِ الدارمِيِّ ، عن أبى اليَمَانِ ، الحكمِ بنِ نافعٍ ، عن شُعَيْبٍ ، به . فقد فسَّر الصحابيُّ المرادَ مِن هذا الحديثِ بما فهِمه ، وهو أولَى بالفَهْمِ مِن كُلِّ أحدٍ مِن أنَّه يريدُ بذلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ قَرْنُه ذلِكَ ، فلا يبقَى أحدٌ مِمَّن هو كائنٌ على وجهِ الأرضِ مِن أهْلِ ذلِكَ الزمانِ من حينَ قال هذه المقالةَ إلَى مائةِ سنةٍ ، وقد اختلَف العلماءُ ؛ هل ذلك خاصٌّ بذلك القرنِ ؟ أو عامٌّ فى كلِّ قرنٍ أنه لا يبقَى أحدٌ أكثرَ مِن مائةِ سنةٍ ؟

على قولين ، والتخصيصُ بذلك القرنِ المعَيَّنِ الأوَّلِ أولَى ؛ فإنه قد شوهِدَ أنَّ بعضَ النّاسِ قد جاوَز المائةَ سنةٍ ، وذلك [3]طائفةٌ كثيرةٌ من الناسِ ، كما قد ذَكَرنا هذا فى كتابِنا هذا فى وفياتِ الأعيانِ[3] ، فاللَّهُ أعلمُ .

ولهذا الحديثِ طرقٌ أخرى ، عن النبىِّ ﷺ .

روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا المُبارَكُ ، حدَّثنا الحسنُ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن الساعةِ قبلَ أن يموتَ بشَهْرٍ ، فقال : « تَسْأَلُونِى عَنِ السَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ نَفْسًا[5] يَأْتِى عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو إسنادٌ جيدٌ حسنٌ رِجالُه ثقاتٌ ؛ أبو النَّضْرِ هاشمُ بنُ القاسمِ مِن رجالِ

---

(١) البخارى (٦٠١) .

(٢) مسلم (٢٥٣٧) .

(٣ - ٣) فى ص : « فى طائفة من المعمرين كما أوردنا ذلك فى التاريخ ولكنه قليل فى الناس » .

(٤) المسند ٣/٣٢٦ (١٤٥٣٣) .

(٥) بعده فى المصدر : « منفوسة » .

الصحيحين ، ومُبارَكُ بنُ فَضَالَةَ حديثُه عندَ أهلِ السُّنَنِ ، والحسنُ بنُ أبى الحسنِ البَصرِىُّ مِن الأئمَّةِ الثقاتِ الكِبارِ ، وروايتُه مُخَرَّجَةٌ فى الصِّحاحِ كُلِّها وغيرِها .

طريقٌ أُخْرَى عن جَابرٍ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، قال ابنُ جُرَيْجٍ : أخبَرنى أبو الزُّبيرِ ، أنَّه سَمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : سَمِعتُ النبىَّ ﷺ يقولُ قبلَ أنْ يموتَ بشَهرٍ : « تَسْأَلُونِى عَنِ السَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عندَ اللَّهِ ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ يَأْتِى عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ » .

وكذا رواه مسلمٌ ، عن هارونَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وحجَّاجِ بنِ الشاعرِ ، عن حجَّاجِ ابنِ محمدٍ الأعورِ ، وعن محمدِ بنِ حاتمٍ ، عن محمدِ بنِ بَكْرٍ ، كلاهما عن ابنِ جُرَيْجٍ ، به[2] .

وقال مسلمٌ فى « الصحيحِ »[3] ، بابُ تقريبِ قيامِ الساعةِ : حدَّثنا أبو بَكْرِ بنُ أبى شَيْبَةَ وأبو كُرَيْبٍ ، قالا : حدَّثنا أبو أسامَةَ ، عن هِشَامٍ ، عن أبيه ، عن عائشَةَ ، قالت : كان الأعرابُ إذا قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ سألوه عن السَّاعةِ : [4]متى الساعةُ[4] ؟ فنَظَر إلى أحدثِ إنسانٍ منهم ، فقال : « إنْ يَعِشْ هَـٰذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ » [٤٧و] . تفرَّد به الإمامُ مسلمٌ ، رحِمه اللَّهُ .

ثم قال مسلمٌ[5] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا يونسُ بنُ محمدٍ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ رَجُلًا سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ : متى تقومُ

---

(١) المسند ٣/٣٨٤ ، ٣٨٥ (١٥١٦٨) ، بنحوه .
(٢) مسلم (٢١٨/ ٢٥٣٨) .
(٣) مسلم (٢٩٥٢) .
(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥) مسلم (١٣٧/ ٢٩٥٣) .

الساعةُ ؟ وعندَه غلامٌ مِن الأنصارِ يقالُ له : محمدٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنْ يَعِشْ هَـٰذَا الغُلَامُ ، فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » . تفرَّد به مسلمٌ من هذا الوَجْهِ .

ثم قال مسلمٌ[1] : وحدَّثنى حجَّاجُ بنُ الشَّاعرِ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ ، حدثنا حمَّادٌ ، يعنى ابنَ زَيْدٍ ، حدَّثنا مَعْبَدُ بنُ هِلالٍ العَنَزِىُّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رجلًا سأل النبىَّ ﷺ قال : متَى تقومُ الساعةُ ؟ قال : فسَكَت النبىُّ ﷺ هُنَيْهَةً ثم نظَر إلى غُلَامٍ بينَ يَدَيْه مِن أزْدِ شَنُوءَةَ ، فقال : « إنْ عُمِّرَ هـٰذَا ، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعةُ » . قال أنسٌ : ذاك الغلامُ مِن أتْرابى يومَئذٍ . تفرَّد به مسلمٌ أيضًا مِن هذا الوَجْهِ .

ثم قال مسلمٌ[2] : حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدثنا عفَّانُ بنُ مسلِمٍ ، حدَّثنا همَّامٌ ، حدَّثنا قتادَةُ ، عن أنَسٍ قال : مرَّ غُلَامٌ للمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ ، وكان مِن أقْرَانِى ، فقال النبىُّ ﷺ : « إنْ يُؤَخَّرْ هـٰذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » . ورواه البخارىُّ ، عن عمرِو بنِ عاصمٍ ، عن هَمَّامٍ ، به[3] .

وهذه الرواياتُ تدلُّ على تَعْدادِ هذا السؤالِ وهذا الجوابِ ، وليس المرادُ بذلك تحديدَ وَقْتِ الساعةِ العُظْمَى إلى وَقْتِ هَرَمِ هذا الغلامِ المُشارِ إليه ، وإنَّما المرادُ ساعَتُهم ، وهو انْقِراضُ قَرْنِهم وعصْرِهم ، وأنَّ قُصاراه تتناهَى فى مُدَّةِ عُمُرِ ذلك الغُلامِ ، كما تقدَّم فى الحديثِ : « تَسْأَلُونِى عَنِ السَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ

---

(١) مسلم (١٣٨/٢٩٥٣) .
(٢) مسلم (١٣٩/٢٩٥٣) .
(٣) البخارى (٦١٦٧) .

اللَّهِ ، وَأُقْسِمُ باللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ يَأْتِى عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ » . وَيُؤَيِّدُ ذلك روايةُ عائِشةَ ، رضى اللَّهُ عنها : « قَامَتْ عليكم ساعَتُكم » . وذلك أنَّه مَن ماتَ فقد دخَل فى حُكْمِ القيامَةِ ، فإنَّ عالَمَ البَرْزَخِ قريبٌ مِن عالَمِ يَومِ القيامةِ ، وفيه شَبَهٌ مِنَ الدُّنيا أيضًا ، ولكنْ هو أشْبَهُ بالآخرةِ ، ثم إذا تناهَتِ المُدَّةُ المَضْروبَةُ للدُّنيا أَمَر اللَّهُ بقيامِ الساعةِ ، فجُمِعَ الأَوَّلُونَ والآخِرون لميقاتِ يومٍ معلومٍ ، كما سيأتى بيانُ ذلك مِن الكتابِ والسُّنَّةِ ، وباللَّهِ المستعانُ .

ذكرُ دُنُوّ السَّاعَةِ واقْتِرابِها وأنها آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنها لا تَأْتى إلا بَغْتةً ، ولا يَعْلَمُ وقتَها على التَّعْيِينِ إلَّا اللَّهُ سبحانَه

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ١] . وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] . وقال : ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣] . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ [المعارج : ١-١١] . وقال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] . وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى: ١٧، ١٨]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢] الآيات. وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢- ١١٤]. وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٥، ١٦]. وقال تعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل: ٦٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

ولهذا لما سأل جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الساعةِ، قال له: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[1]. يعنى قد اسْتَوى فيها علمُ [٤٧ظ] كلِّ مسئولٍ وسائلٍ بطريقِ الأَولى والأَحْرى؛ لأنه إن كانت الألفُ واللامُ فى المَسْئولِ والسائلِ للعهدِ

---

(١) البخارى (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠).

عائدةً عليه وعلى جبريلَ، فكلُّ أحدٍ ممَّن سِواهما لا يَعْلَمُ ذلك بطريقِ الأَولى والأحْرى، وإن كانت للجنسِ عمَّت بطريقِ اللفظِ. واللَّهُ أعلمُ[1].

ثم ذكَر [2]النبيُّ ﷺ له[2] شيئًا مِن أشْراطِ الساعةِ، ثم قال: «فى خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ». ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٣- ٥]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فهذه ثلاثُ آياتٍ أمر اللَّهُ سبحانَه رسولَه أن يُقْسِمَ به فيهنَّ على [3]إتيانِ المَعَادِ[3]، [4]وإعادةِ الخَلْقِ، وجمعِهم ليومٍ لا ريبَ فيه[4]، وليس لهنَّ رابعةٌ مثلُهنَّ، ولكن فى معناهنَّ كثيرٌ؛ قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

---

(١) بعده فى ح: «فإذا كان جبريل ومحمد لا يعلمان متى الساعة فغيرهما لا يعلمها».

(٢ - ٢) زيادة من: ح.

(٣ - ٣) فى الأصل: «المعاد». وفى ص: «العباد».

(٤ - ٤) سقط من: ص، وفى ح: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها».

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٣٨- ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [غافر: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٢٧]. إلى آخرِ السورةِ. وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٠- ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٩٧- ٩٩]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧]. إلى آخرِ السورةِ.

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْىِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾. الآيات الثلاث إلى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٥- ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦- ٧]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾. إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٧].

فيَسْتَدِلُّ تعالى بإحْياءِ الأرضِ المَيْتةِ على إحياءِ الأجْسادِ بعدَ مَوْتِها وفَنائِها وتمزُّقِها، وصَيْرورتِها تُرابًا وعِظامًا ورُفاتًا، وكذلك يَسْتَدِلُّ ببَدْأَةِ الخلقِ على إعادةِ النَّشأةِ الآخِرةِ، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]. وفى «الأعرافِ»: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ

ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٥- ٩].

وكذلك سورةُ «ق» مِن أوَّلِها إلى آخِرِها فيها ذِكرُ بعثٍ ونشورٍ، وكذلك سورةُ «الواقعةِ»، والقرآنُ كلُّه طافحٌ بهذا، ولا تبديلَ لكلماتِ اللَّهِ.

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٣٩- ٤١]. وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠- ١٤].(١) وسورةُ «الصَّافَّاتِ» [٤٨و] فيها آياتٌ كثيرةٌ تدلُّ على المَعادِ، وكذلك سورةُ «الكهفِ» وغيرِها(١).

وقد ذكَر اللَّهُ سبحانَه إحياءَ الموتَى، (٢-٣)وأنه أحْيَا قومًا بعدَ موتِهم(٣) فى هذه الحياةِ الدنيا(٢) فى سورةِ «البقرةِ»؛ فى خمسةِ مواضعَ منها؛ فى قصةِ بنى إسرائيلَ حينَ قتَل بعضُهم بعضًا لمّا عبَدوا العِجْلَ، فى أوَّلِ السورةِ، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦]. وفى قصةِ البقرةِ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]. (٣)فإنه أحْيَا ذلك الميِّتَ لمّا ضرَبُوه ببعضِها(٣). وفى قصةِ ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ

(١ - ١) سقط من: ص. وفى ح: «والمرسلات وغير ذلك كثير».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) زيادة من: ح.

أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وفى قصةِ الذى: ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ ﴾، ثم أحْيَا حِمارَه، والقصةُ معروفةٌ، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. والخامسةُ قصةُ إبراهيمَ، عليه السلامُ، والطيرِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وذكَر تعالى قصةَ أصحابِ الكهفِ، وكيف (١أبْقاهم فى نومِهم١) ثلاثَمائةِ سنةٍ شمسيَّةٍ، وهى ثلاثُمائةٍ وتسعُ سنين قمَريَّةٍ، وقال فيها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ الآية [الكهف: ٢١]. (٢فجعَل سبحانَه ذلك دَلالةً على إحياءِ الموتَى، وإتيانِ الساعةِ لا ريبَ فيها. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ٢).

ذِكْرُ زَوالِ الدنيا وإقْبالِ الآخِرةِ

أوّلُ شىءٍ يَطْرُقُ أهلَ الدنيا بعدَ وُقوعِ أشراطِ الساعةِ نَفْخَةُ الفَزَعِ؛ وذلك أنَّ اللَّهَ سبحانَه يَأْمُرُ إسرافيلَ فيَنْفُخُ فى الصُّورِ نفخةَ الفَزَعِ، فيُطَوِّلُها، فلا يَبْقَى أحدٌ مِن أهلِ الأرضِ ولا السماواتِ إلَّا فزِع، إلَّا مَن شاء اللَّهُ، ولا يَسمعُها أحدٌ مِن أهلِ الأرضِ إلا أصْغَى لِيتًا ورفَع لِيتًا - أى رفَع صفحةَ عُنقِه وأمال الأخرَى -

---

(١ - ١) فى ح: «أبقاهم فى قومهم»، وفى ص: «إيقاظهم من نومهم».
(٢ - ٢) زيادة من: ح.

يَسْتَمِعُ هذا الأمرَ العظيمَ الذى قد هال الناسَ وأزْعَجهم عمّا كانوا فيه مِن أمرِ الدنيا، وشُغْلِهم بها، (١) ووُقوعُ هذا الأمرِ العظيمِ (١).

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ (٢) وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣) (٢) ﴾ [النمل: ٨٧، ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر: ٨- ١٠]. وقال تعالى: ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ثم بعدَ ذلك بمُدَّةٍ يَأْمُرُ اللَّهُ تعالى إسرافيلَ أن يَنفُخَ نفخةَ الصَّعْقِ، فيَصْعَقُ مَن فى السماواتِ ومَن فى الأرضِ إلا مَن شاء اللَّهُ، ثم يَأمُرُه فيَنْفُخُ فيه أخرى فيَقومُ الناسُ لربِّ العالمين؛ كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [الزمر: ٦٨، ٦٩]. الآيات إلى آخرِ السورةِ. وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ

(١ - ١) فى ح: «عما خلقوا له وهو أمر لم يطرق العالم مثله فيما مضى من الدنيا». والجملة المثبتة معطوفة على خبر الجملة أول الفقرة.

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) كذا فى الأصل، ص. بالياء، وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر، وقد ردوه على الخبر عن الغيب فى قوله: ﴿ وكلٌّ أتوْه داخرين ﴾.

وقرأ الباقون: «تفعلون» بالتاء. أى: أنتم وهم. انظر حجة القراءات ص ٥٣٩.

يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٨، ٤٩]. الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾. إلى قوله: ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة: ١٣ - ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النبأ: ١٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢]. الآيات[1].

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا إسماعيلُ، حدَّثنا سليمانُ التَّيْمِيُّ، عن أَسْلَمَ العِجْلِيِّ، عن بِشْرِ بنِ شَغَافٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، قال: قال أعرابيٌّ: يا رسولَ اللَّهِ، [٤٨ظ] ما الصُّورُ؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». ثم روَاه عن يحيى بنِ سعيدٍ القطانِ، عن سليمانَ بنِ طَرْخانَ التَّيْمِيِّ، به[3].

وأخرَجه أبو داودَ، والترمذيُّ، والنسائيُّ مِن طُرُقٍ، عن سليمانَ التَّيْمِيِّ، عن

---

(١) بعده فى ح: «إذا ذكر سبحانه النفخ فى الصور يذكر ما يأتى بعده من أمور القيامة وأهوالها وما يكون فيها».

(٢) المسند ١٦٢/٢ (٦٥٠٧). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) المسند ١٩٢/٢ (٦٨٠٥). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

أَسْلَمَ العِجْلِيِّ ، به[1] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ ، ولا نعرِفُه إلَّا مِن حديثِ [2]أسلمَ العِجْلِيِّ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا أسْباطٌ ، حدَّثنا مُطَرِّفٌ ، عن عَطِيَّةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] . قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ[4] مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ ؟ » . فقال أصحابُ محمدٍ ﷺ : [5]يا رسولَ اللَّهِ[5] ، كيفَ نقولُ ؟ قال : « قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » . انْفَرَد به أحمدُ . وقد روَاه أبو كُدَيْنَةَ[6] يحيى بنُ المُهَلَّبِ ، عن مُطَرِّفٍ ، به[7] .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا سفيانُ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سَعِيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ ؟ » قال المسلمون : يا رسولَ اللَّهِ ، فما نقولُ ؟ قال : « قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » . وأخرَجه

---

(١) أبو داود (٤٧٤٢) ، والترمذى (٢٤٣٠ ، ٣٢٤٤) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٥٦) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٦٨) .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . والذى عند الترمذى فى الموضعين : « سليمان التيمى » .

(٣) المسند ٣٢٦/١ (٣٠١٠) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف .

(٤) فى المسند : « يسمع » .

(٥ - ٥) زيادة من النسخ .

(٦) بعده فى ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥.

(٧) لعله ما أخرج الحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٥٩؛ وفى إسناده سقط من بعد شيخ الحاكم إلى ما قبل مطرف . وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٧٩) ، والمسند بتحقيق الشيخ شعيب ٥/ ١٤٥.

(٨) المسند ٧/٣ (١١٠٥٣) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف ؛ لضعف عطية العوفى ، وهو ابن سعد العوفى ، وباقى رجاله ثقات رجال الشيخين . المسند ١٧/ ٨٩.

الترمذيُّ ، عن ابنِ[1] أبى عمرَ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ[2] ، وقال : حسنٌ . ثم روَاه مِن حديثِ خالدِ بنِ طَهْمانَ ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ ، به[3] ، وحَسَّنَه أيضًا .

وقال شيخُنا أبو الحَجَّاجِ المِزِّيُّ فى « الأطرافِ »[4] : ورواه إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ أبو يحيى التَّيْمِيُّ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ . كذا قال رحِمه اللَّهُ ، وهكذا روَاه أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا ، فى كتابِ « الأهوالِ »[5] ، فقال : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ » . قلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما نقولُ ؟ قال : « قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ » .

وقد قال أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ فى مُسْندِ أبى هُرَيرةَ (أبو صالحٍ ، عن أبى هريرةَ) : حدَّثنا أبو طالبٍ عبدُ الجبارِ بنُ عاصمٍ[6] ، حدَّثنى موسى بنُ أَعْيَنَ الحَرَّانِيُّ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ[7] - وعن عِمْرانَ ، عن[8] عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ[9] - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْعَمُ - أو :

---

(١) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٦٣٩.

(٢) الترمذى (٣٢٤٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٨٥) .

(٣) الترمذى (٢٤٣١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٠) .

(٤) تحفة الأشراف ٣/ ٤٢٥.

(٥) الأهوال (٥٠) .

(٦) فى النسخ : « صالح » . والمثبت من الجرح والتعديل ٦/ ٣٣، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧.

(٧) لم نجده من هذا الطريق فى مسند أبى يعلى ، ولعله فى مسنده الكبير . وهو من طريق موسى بن أعين ، عن الأعمش ، به ، فى السنن الكبرى للنسائى (١١٠٨٢) .

(٨) فى ح : « بن » . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٤٦، ٢٢/ ٣٦٧.

(٩) لم نجده أيضًا من هذا الطريق فى مسند أبى يعلى ، ولعله فى مسنده الكبير . وهو فى مسنده (١٠٨٤) من طريق أبى صالح ، عن أبى سعيد ، وأما طريق العوفى ، عن أبى سعيد فسيأتى فى غير مسند أبى يعلى .

« كَيْفَ أَنْتُمْ » . شكَّ أبو طالبٍ - « وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ بِفِيهِ ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ ، وَحَنَى جَبِينَهُ[1] ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما[2] نقولُ ؟ قال : « قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا أبو معاويةَ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن سعدٍ الطائيِّ ، عن عَطِيَّةَ العَوْفِيِّ ، عن أبى سعيدٍ الخدريِّ قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ صاحبَ الصورِ ، فقال : « عَنْ يَمِينِهِ جِبْرِيلُ ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِيكَائِيلُ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » .

وقال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا عَبَّادُ[5] بنُ العوامِ ، عن حَجَّاجٍ ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ صَاحِبَي الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا - أو : فِى أَيْدِيهِمَا - قَرْنَانِ ، يُلَاحِظَانِ النَّظَرَ مَتَى يُؤْمَرَانِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن التَّيْمِيِّ ، عن أسلمَ ، عن أبى مُرَيَّةَ ، عن النبيِّ ﷺ - [7]أو عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن النبيِّ ﷺ[7] - قال : « النَّفَّاخَانِ فِى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَشْرِقِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَغْرِبِ - أو قال : رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَغْرِبِ ، وَرِجْلَاهُ بِالمَشْرِقِ - يَنْتَظِرَانِ مَتَى يُؤْمَرَانِ يَنْفُخَانِ فِى الصُّورِ ، فَيَنْفُخَانِ » . تفرَّدَ به أحمدُ . وأبو مُرَيَّةَ هذا اسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو

---

(١) كذا فى : حاشية الأصل ومشار إليها بعلامة الصحة ، ح . وفى الأصل ومشار إليها بأنها نسخة أخرى ، ص : « جبهته » .

(٢) فى ح ، ص : « كيف » .

(٣) المسند ٩/٣ (١١٠٨٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف لضعف عطية العوفى . المسند ١٢٣/١٧ .

(٤) ابن ماجه (٤٢٧٣) . منكر ، والمحفوظ بلفظ : « صاحب القرن » . (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣١) .

(٥) فى ح : « عفان » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٤٠ .

(٦) المسند ١٩٢/٢ (٦٨٠٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ٤٠٧/١١ .

(٧ - ٧) سقط من : ح .

العِجْلِيُّ ، وليس بالمشهورِ ، ولعل هـٰذين الملَكَين أحدُهما إسرافيلُ ، وهو الذى يَنْفُخُ فى الصُّورِ ، كما سيأتى بيانُه فى حديثِ الصورِ بطولِه ، والآخرُ هو الذى يَنْقُرُ فى النَّاقُورِ ، وقد يكونُ الصورُ والناقورُ اسمَ جنسٍ يَعُمُّ أفرادًا كثيرةً ، أو الألفُ واللَّامُ فيهما للعهدِ ، ويكونُ لكلِّ واحدٍ منهما أتباعٌ يفعلون كفِعْلِه . واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : أخبَرنا عبيدُ اللَّهِ بنُ جريرٍ ، حدَّثنا موسَى [٤٩و] بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، حدَّثنا [2]عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الأصمِّ[2] ، عن يزيدَ بنِ الأصَمِّ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : إنَّ صاحبَ الصُّورِ لم يَطْرِفْ منذُ وُكِّلَ به ، كأنَّ عَيْنَيْه كَوْكَبان دُرِّيَّان ، يَنْظُرُ تُجاهَ العرشِ ؛ مخافَةَ أن يُؤْمَرَ أن يَنْفُخَ فيه قبلَ أن يَرْتَدَّ إليه طرْفُه .

وحدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ مُشْكُدانَةُ[3] ، حدَّثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن [2]عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأصمِّ[2] ، عن يزيدَ بنِ الأصمِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَطْرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ ، مُسْتَعِدٌّ ، يَنْظُرُ نَحْوَ العَرْشِ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ » .

---

(١) الأهوال (٥١) .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن الأصم » ، وفى ح : « عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن خريز الأصم » . والمثبت من مصدر التخريج . وعبيد اللَّه هذا أخو عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن الأصم . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٦٥.

(٣) فى ح : « مشكوانه » ، وفى ص : « شكونة » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٤٥.

والأثر أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأهوال (٤٦، ٥٢) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٩٣) من طريق أبى كريب ، عن مروان بن معاوية ، به . قال محققه : صحيح ، أخرجه الحاكم فى المستدرك .

حديثُ الصُّورِ بِطُولِه

قال الحافِظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ فى « مسندِه »[1] : حدَّثَنا عمرُو بنُ الضَّحّاكِ بنِ مَخْلَدٍ[2] ، حدَّثَنا أبو عاصمٍ الضَّحَّاكُ بنُ مَخْلَدٍ ، حدَّثَنا أبو رَافِعٍ إسماعيلُ بنُ رَافِعٍ ، عن محمدِ بنِ [3]يزيدَ بنِ أبى زيادٍ[3] ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِيِّ ، عن رَجُلٍ مِن الأَنْصارِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُو فِى طائِفَةٍ مِنْ أصحابِه ، قال : « إنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ ، فَأَعْطَاه إِسْرَافِيلَ ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ ، شَاخِصٌ إِلَى الْعَرْشِ بِبَصَرِهِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ[4] » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما الصُّورُ ؟ قال : « قَرْنٌ » . قلتُ : كيف هو ؟ قال : « عَظِيمٌ ، والذى بَعَثَنِى بالحقِّ إِنَّ عِظَمَ دَائِرَةِ[5] فِيهِ كعَرْضِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، يُنْفَخُ فيه ثَلاثُ نَفَخَاتٍ ؛ الأُولَى نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولَى ، فيقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ . [6]فيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ[6] ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ، ويأْمُرُه تَعَالَى فَيَمُدُّهَا ويُطِيلُهَا وَلَا يَفْتُرُ ، وهى التى يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص : ١٥] . فتَسِيرُ

---

(١) عزاه ابن حجر فى فتح البارى ١١/٣٦٨ إلى أبى يعلى فى الكبير ، كما عزاه إليه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٣٣٩. وانظر حاشية (٥) ص ٣٢٢.

(٢) فى ص : « مجالد » وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٧٧.

(٣ - ٣) فى النسخ : « زياد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١٧.

(٤) سقط من : ح .

(٥) فى ح : « دارة » .

(٦ - ٦) سقط من : ح ، ص .

الجِبَالُ سَيْرَ السَّحَابِ فَتَكُونُ سَرَابًا ، وتَرْتَجُّ الأرْضُ بأَهْلِهَا رَجًّا فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ المُوبَقَةِ[1] فِى الْبَحْرِ ، تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ تُكْفَأُ بِأَهْلِهَا ، كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تُرَجِّحُه الأَرْوَاحُ ، أَلَا وَهُوَ الذِى يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾ [النازعات : ٦- ٩] .

فَتَمِيدُ بالنَّاسِ عَلَى وَجْهِهَا ، وتَذْهَلُ المَرَاضِعُ ، وتَضَعُ الحَوَامِلُ ، ويَشِيبُ الوِلدَانُ ، وتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً مِنَ الفَزَعِ حتَّى تَأْتِىَ الأَقْطَارَ[2] ، فَتَلْقَاهَا المَلَائِكَةُ ، فَتَضْرِبُ وجُوهَهَا ، فَتَرْجِعُ ، ثم يُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَهمْ[3] مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، يُنَادِى بَعْضُهُم بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِى يقولُ اللَّهُ تعالى : ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر : ٣٢] . فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ تَصَدُّعَيْنِ ، مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَه ، وأَخَذَهُم لِذَلِكَ مِنَ الكَرْبِ والهَوْلِ ما اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ، ثم تُطْوَى السَّمَاءُ فَإِذَا هى كالْمُهْلِ ، ثم انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا ، وخَسَفَتْ شَمْسُها وقَمَرُهَا » .

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الأَمْوَاتُ لَا يَعْلَمُونَ بِشَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ » . قالَ أبو هُريرةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، مَنِ استَثْنَى اللَّهُ حِينَ يقولُ : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٧] قال : « أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ ، إِنَّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إِلَى الأَحْيَاءِ ، وَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ فَزَعَ ذلكَ الْيَوْمِ وأَمَّنَهُمْ مِنْهُ ، وَهُوَ عَذَابُ اللَّهِ يَبْعَثُهُ عَلَى شِرارِ خَلْقِهِ ، وَهُوَ الَّذِى يَقُولُ اللَّهُ تعالى :

---

(١) فى ص : « المزينة » . والموبقة : أى المحبوسة ، وقد أوبقه أى حبسه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أى يحبسهن ، يعنى الفلك وركبانها . لسان العرب (و ب ق) .

(٢) الأقطار : جمع قُطر ، بالضم ، وهو الناحية والجانب . تاج العروس (ق ط ر) .

(٣) فى النسخ : « لكم » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا [٤٩ ظ] وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ [الحج: ١، ٢].

فَيَمْكُثُونَ فِى ذَلِكَ العذابِ مَا شاءَ اللَّهُ سبحانَه، إلَّا أَنَّه يَطُولُ، ثم يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيُصْعَقُ أَهْلُ السَّمواتِ والأَرْضِ، إلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فإِذَا هُمْ خَمَدُوا، جَاءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى الجَبَّارِ تَعَالَى، فيقولُ: يا ربِّ، مَاتَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ. فيقولُ اللَّهُ سبحانَه له، وَهُوَ أَعْلَمُ[1]: مَنْ بَقِىَ؟ فيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَقِيتَ أَنْتَ الحَىُّ الَّذِى لَا يَمُوتُ، وبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وبَقِىَ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ وبَقِيتُ أَنَا. فَيَقُولُ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: لِيَمُتْ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ. فَيُنْطِقُ سبحانَه العَرْشَ، فيقُولُ: يا ربِّ، يموتُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَه للعَرْشِ: اسْكُتْ، إِنِّى كَتَبْتُ المَوْتَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِى. فَيَمُوتَانِ، ثم يَأْتِى مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الجَبَّارِ، عزَّ وجَلَّ، فَيَقُولُ: يا ربِّ، قَدْ ماتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ. فَيَقُولُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِىَ: فَمَنْ بَقِىَ؟ فَيَقُولُ: يا ربِّ، بَقِيتَ أنتَ الحىُّ الذِى لَا يَمُوتُ، وبَقِىَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيتُ أَنَا. فيقولُ اللَّهُ تعالَى: فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ عَرْشِى. فَيَمُوتُونَ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ سبحانَه العَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ مِنْ إِسْرَافِيلَ، وإسرافيلُ مِن جملةِ حَمَلَةِ العرشِ، ثم يَأْتِى مَلَكُ المَوْتِ إِلَى الجَبَّارِ، عزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: يا ربِّ، قدْ ماتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ. فَيَقُولُ تبارَكَ وتعالى، وَهُوَ أعلَمُ بِمَنْ بَقِىَ: فَمَنْ بَقِىَ؟ فيقولُ: يَا ربِّ، بَقِيتَ أَنْتَ الحَىُّ الذِى

---

(١) بعده فى ح، ص: «بمن بقى».

لا يَمُوتُ ، وبقِيتُ أَنَا . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنْتَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِى ، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ ، فَمُتْ . فيَمُوتُ ، فإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ - (١) قال ابنُ أبى الدنيا(٢) : ثنا محمدُ ابنُ الحسينِ ، ثنا يونسُ بنُ يحيى الأمويُّ أبو نُباتةَ ، ثنا إسماعيلُ بنُ رافعٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ قال : بلَغنى أنَّ آخِرَ مَن يموتُ (٣) مِنَ الخَلْقِ (٣) ملكُ الموتِ(٤) ، يقالُ له : يا ملكَ الموتِ ، مُتْ مَوْتًا لا تَحْيا بعدَه أبدًا . قال : فيَصْرُخُ عندَ ذلك صرخةً لو سمِعها أهلُ السمواتِ والأرضِ ، لماتُوا فَزَعًا ، ثم (٥) يموتُ ، ثم (٥) يقولُ تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] .

وقد رَواه ابنُ أبى الدنيا(٦) أيضًا عن إسحاقَ بنِ إسماعيلَ ، عن إبراهيمَ بنِ عُيَينةَ ، عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ ، (٥) عن محمدِ بنِ يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِيِّ (٥) ، عن رجلٍ ، عن أبى هريرةَ ، مرفوعًا بهذا .

ورواه الحافظُ أبو موسى المدينىُّ مِن طريقِ محمدِ بنِ شعيبِ بنِ شَابُورَ(٧) ، عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ نحوَ هذا الحديثِ ، وفيه : « يَا مَلَكُ ، أَنْتَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِى ، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيْتَ ، فَمُتْ ، ثُمَّ لَا تَحْيَا أَبَدًا » . قال أبو موسى : لم يُتَابَعْ إسماعيلُ على هذه اللفظةِ(١) ،

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) الأهوال (٥٨) . وأورده ابن حجر ، ثم قال : فهذا لو كان ثابتًا لكان حجة فى الرد على من زعم أنه الذى يذبح ؛ لكونه مات قبل ذلك موتًا لا حياة بعده . ولكنه لم يثبت . الفتح ١١/ ٤٢١.

(٣ - ٣) فى الأصل : « الخلق » وطمس فى المصدر .

(٤) سقط من : الأصل . والمثبت من المصدر .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . والمثبت من المصدر .

(٦) الأهوال (٥٥) .

(٧) فى الأصل : « سابور » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٧٠.

(١ ولم يقلْها أكثرُ الرواةِ - قال(٢) : «فَإِذَا مَاتَ مَلَكُ الْمَوْتِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ ١) الوَاحِدُ ، الْأَحَدُ ، الفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ولم يَكُنْ له كفُوًا أحدٌ ، كَانَ آخرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا ، طَوَى السَّمَواتِ والأَرْضَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ، ثم دَحَاهُمَا ، ثم تَلَقَّفَهُمَا ثلاثَ مَرّاتٍ ، وقَالَ : أَنَا الْجَبَّارُ . ثَلاثًا ، ثم يَهْتِفُ بِصَوْتِه : لِمَنِ الْمُلْكُ اليَوْمَ ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ ، ثم يَقُولُ لِنَفْسِهِ تعالى : للَّهِ الوَاحِدِ القهَّارِ . ويُبَدِّلُ اللَّهُ الأَرْضَ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمواتِ ، فَيَبْسُطُهَا ويَسْطَحُهَا ويَمُدُّهَا مَدَّ الأَدِيمِ العُكَاظِىِّ(٣) ، لا تَرَى فِيها عِوَجًا ولَا أَمْتًا ، ثم يَزْجُرُ اللَّهُ الخَلْقَ زَجْرَةً وَاحِدَةً ، فإِذَا هُمْ فِى هذِه المُبَدَّلَةِ فى مِثْلِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الأُولَى ، مَنْ كَانَ فِى بَطْنِها كَانَ فِى بَطْنِهَا ، ومَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ سبحانه عليهم(٤) مَاءً مِنْ تَحْتِ العَرْشِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّماءَ أَنْ تُمْطِرَ ، فَتُمْطِرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، حتَّى يَكُونَ الماءُ فَوْقَهُمْ اثْنَىْ عَشَرَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ سُبْحَانَه الأَجْسَادَ أَنْ تَنْبُتَ (٥كَنَبَاتِ الطَّرَاثِيثِ٥) ، أو كَنَبَاتِ البَقْلِ ، حتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ أَجْسَادُهُم ، فَكَانَتْ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ المَوْتِ ، قال اللَّهُ تَعَالَى : لِتَحْيَا حَمَلَةُ عَرْشِى . فَيَحْيَوْنَ ، ويَأْمُرُ اللَّهُ [٥٠و] إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ ، فَيَضَعُهُ عَلَى فِيهِ ، ثم يقولُ : لِيَحْيَا جِبريلُ وَمِيكَائِيلُ . فَيَحْيَيَانِ ، ثم يَدْعُو اللَّهُ بالأَرْوَاحِ فَيُؤْتَى بِهَا ، تَتَوَهَّجُ أَرْوَاحُ المُسْلِمِينَ نُورًا ، والأُخْرَى ظُلْمَةً ، فَيَقْبِضُهَا جَمِيعًا ، ثم يُلْقِيهَا فِى الصُّورِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافيلَ أَنْ يَنْفُخَ فيه نَفْخَةَ

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) رجع المصنف إلى حديث الصور بطوله .

(٣) الأديم : الجلد ، والعكاظى منسوب إليها ، وهو مما حمل إلى عكاظ فبيع بها . التاج (ع ك ظ) .

(٤) فى ح ، ص : «عليكم» .

(٥ - ٥) سقط من : ص . والطراثيث : جمع طرثوث ، وهو نبت ضعيف ينبسط على سطح الأرض كالفُطْر . النهاية ٣/ ١١٧.

البَعْثِ ، (١) فَيَنْفُخَ نَفْخَةَ الْبَعْثِ (١) فَتَخْرُجَ الأَرْوَاحُ (٢) مِنَ الصُّورِ (٢) كَأَنَّهَا النَّحْلُ ، قَدْ مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : وعِزَّتِى وَجَلاَلِى لَتَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا . فَتَدْخُلُ الأَرْوَاحُ فِى الأَرْضِ إِلَى الأَجْسَادِ ، فَتَدْخُلُ فِى الخَيَاشِيمِ ، ثُمَّ تَمْشِى فِى الأَجْسَادِ مَشْىَ السَّمِّ فى اللَّدِيغِ ، ثُمَّ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْكُمْ ، وأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَتَخْرُجونَ منها سِرَاعًا إلى رَبِّكُمْ تَنْسِلُون ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٨] . حُفَاةً عُرَاةً غُلْفًا غُرْلًا ، ثم تَقِفُونَ مَوْقِفًا وَاحِدًا مِقْدَارَ سَبْعِينَ عَامًا ، لَا يُنْظَرُ إِلَيْكُمْ ، وَلَا يُقْضَى بَيْنَكُمْ ، فَتَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، ثم تَدْمَعُونَ دَمًا ، وَتَعْرَقُونَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ يُلْجِمَكُمْ ، أو يَبْلُغَ الأَذْقَانَ ، فَتَضِجُّونَ وَتَقُولُونَ : مَنْ يَشْفَعُ لنَا إِلَى رَبِّنَا لِيَقْضِىَ بَيْنَنَا (٣) . فَيَقُولُونَ : مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ ؟ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فيهِ مِنْ رُوحِه ، وَكَلَّمَهُ قِبَلًا (٤) ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فيَطْلُبُونَ ذَلِكَ إليهِ ، فَيَأْبَى ، فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، ثم يَسْتَقْرُونَ الأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا ، كُلَّمَا جَاءُوا نَبِيًّا أَبَى عَلَيْهِمْ » . قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَتَّى يَأْتُونِى ، فأَنْطَلِقُ ، حَتَّى آتِىَ الْفَحْصَ ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا » . قال أبو هريرةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما الفَحْصُ ؟ قال : « قُدَّامُ العَرْشِ ، حتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ إِلَىَّ مَلَكًا ، فَيَأْخُذُ بِعَضُدِى فَيَرْفَعُنِى ، فَيَقُولُ لِى : يَا مُحَمَّدُ . فأقولُ : نَعَمْ ، لَبَّيْكَ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : ما شَأْنُكَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ ، فأَقُولُ : يَا ربِّ ، وَعَدْتَنى الشَّفَاعَةَ ، فَشَفِّعْنِى فِى خَلْقِكَ ، فاقْضِ بَيْنَهُمْ . فَيَقُولُ : شَفَّعْتُكَ ، أَنَا

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) بعده فى ح : « ويريحنا مما نحن فيه » .

(٤) قبلا : أى عيانًا ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يولِّى أمره أو كلامه أحدًا من ملائكته . النهاية ٤ / ٨.

آتِيكُمْ فَأَقْضِى بَيْنَكُمْ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأَرْجِعُ ، فَأَقِفُ مَعَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ وقُوفٌ إِذْ سَمِعْنَا حِسًّا مِنَ السَّمَاءِ شَدِيدًا ، فنَزَلَ أَهْلُ السَّماءِ الدُّنْيَا مِثْلَ مَنْ فِى الأَرْضِ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِمْ[1] ، وأَخَذُوا مَصَافَّهُمْ قُلْنَا لَهُمْ : أَفِيكُمْ رَبُّنَا ؟ قَالُوا : لا ، وَهُوَ آتٍ . [2]ثُمَّ يَنْزِلُ أَهْلُ السَّماءِ الثَّانِيَةِ[3] ، بِمِثْلِ مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ [4]مِن أهلِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا[4] ، ومِثْلِ مَنْ فِيهَا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِهِـمْ ، وَأَخَذُوا مَصَافَّهُمْ ، وقُلْنا لَهُمْ : أَفِيكُمْ رَبُّنَا ؟ قالوا : لا ، وهو آتٍ[2] ، ثم [5]يَنْزِلُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ[5] عَلَىَ قَدْرِ ذَلِكَ مِنْ التَّضْعِيفِ حَتَّى يَنْزِلَ الجَبَّارُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ، وَالْمَلَائِكَةُ ، وَيَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذْ ثمانيةٌ ، وَهُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، أَقْدَامُهُمْ عَلَى تُخُومِ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، والسَّمَواتُ إِلَى حُجَزِهِمْ ، والْعَرْشُ عَلَى مَنَاكِبِهِمْ ، لَهُمْ زَجَلٌ[6] مِنْ تَسْبِيحِهِمْ ، يَقُولُونَ : سُبْحَانَ ذِى الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ ، سُبْحَانَ ذِى الْمُلْكِ والمَلَكُوتِ ، سُبْحَانَ الْحَىِّ الَّذِى لا يَمُوتُ ، سُبْحَانَ الَّذِى يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ ، [7]سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، سُبْحَانَ رَبِّنَا الْأَعْلَى رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، الَّذِى يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ[7] فَيَضَعُ اللَّهُ تَعَالَى كُرْسِيَّهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ ، ثُمَّ يَهْتِفُ بِصَوْتِهِ ، فَيَقولُ تَعَالَى : يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنِّى قَدْ أَنْصَتُّ

---

(١) كذا فى النسخ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى ح : « الثالثة » .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥ - ٥) فى الأصل : « ينزل السماوات » ، وفى ص : « ينزلون » .

(٦) أى صوت رفيع عالٍ . النهاية ٢/ ٢٩٧.

(٧ - ٧) سقط من : ح .

لَكُمْ مِنْ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَسْمَعُ قَوْلَكُمْ ، وَأَرَى أَعْمَالَكُمْ ، فَأَنْصِتُوا لِيَ اليومَ ، إِنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ وَصُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ . ثُمَّ يأْمُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَهَنَّمَ ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا عُنُقٌ سَاطِعٌ[1] مُظْلِمٌ ، ثم يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ [٥٠ ظ] ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [يس : ٦٠- ٦٣] . أو : بِهَا تُكَذِّبُونَ . شَكَّ أبو عَاصِمٍ .

﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] . فَيَمِيزُ اللَّهُ النَّاسَ ، وَتَجْثُو الْأُمَمُ ، يَقُولُ اللَّهُ تعالَى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] . فَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ؛ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ، فَيَقْضِي بَيْنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُقِيدُ الْجَمَّاءَ مِنْ ذَاتِ الْقَرْنِ ، فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ تَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى ، قالَ اللَّهُ لَهَا : كُونِي تُرَابًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ : ٤٠] . ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْعِبَادِ ، فيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَقْضِي فِيهِ الدِّمَاءُ ، وَيَأْتِي كُلُّ قَتِيلٍ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ كُلَّ[2] مَنْ قُتِلَ فَيَحْمِلُ رَأْسَه ، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا[3] . فَيَقُولُ : يا رَبِّ ، سَلْ هَـذَا فِيمَ قَتَلَنِي ؟ فَيَقُولُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ : فِيمَ قَتَلْتَهُ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : صَدَقْتَ . فَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُ مِثْلَ نُورِ السَّمواتِ ، ثُمَّ تَسُوقُهُ[4] الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يَأْتِي كُلُّ مَنْ كانَ قُتِلَ عَلَى غَيْرِ

---

(١) ساطع : أى مرتفع .

(٢) فى الأصل ، ص : « فيأخذ » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى ص : « تسبقه » .

ذَلِكَ ، فَيَأْمُرُ مَنْ قُتِلَ ، فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دمًا ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، سَلْ هَـٰذَا فِيمَ قَتَلَنِى ؟ فَيَقُولُ وَهُوَ أعلَمُ : فِيمَ قَتَلْتَهُ ؟ فَيَقُولُ : يا رَبِّ ، قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِى . فيقُولُ لَهُ : تَعِسْتَ[1] . ثُمَّ مَا تَبْقَى نَفْسٌ قَتَلَهَا إِلَّا قُتِلَ بِهَا ، وَلَا مَظْلِمَةٌ إِلَّا أُخِذَ بِهَا ، وكانَ فى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ .

ثُمَّ يَقْضِى اللَّهُ بَيْنَ مَنْ بَقِىَ مِنْ خَلْقِهِ ، حَتَّى لا تَبْقَى مَظْلِمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، حَتَّى إِنَّه لَيُكَلِّفُ شَائِبَ اللَّبَنِ بالماءِ [2]ثُمَّ يَبِيعُهُ[2] أَنْ يُخَلِّصَ اللَّبَنَ مِنَ المَاءِ . فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ نَادَى مُنَادٍ يُسْمِعُ الخَلَائِقَ كُلَّهُمْ[3] : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِآلِهَتِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَبَدَ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا مُثِّلَتْ لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ويُجْعَلُ يومَئِذٍ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عُزَيرٍ ، ومَلَكٌ عَلَى صُورَةِ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، فَيَتْبَعُ هَذَا اليَهُودُ ، وَيَتْبَعُ هَذَا النَّصَارَى ، ثُمَّ تَقُودُهُمْ آلِهَتُهُمْ إِلَى النَّارِ ، فَهذَا الذِى يقولُ اللَّهُ تعالَى : ﴿ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٩] . فإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا المُؤْمِنُونَ فِيهِمُ المُنَافِقُونَ ؛ جَاءَهُمُ اللَّهُ فِيمَا شَاءَ مِنْ هَيْئَةٍ[4] ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، فَالْحَقُوا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ : واللَّهِ مَا لَنَا إِلَهٌ[5] إِلَّا اللَّهُ ، مَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَه . فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، وَهُوَ اللَّهُ الذِى يَأْتِيهِمْ ، فَيَمْكُثُ عنهم مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ : يا أيُّها النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، فَالْحَقُوا بِآلِهَتِكُمْ ومَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ : واللَّهِ مَا لَنَا إِلَهٌ[5] إِلَّا اللَّهُ ، وَما كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَه . فيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، وَهُوَ اللَّهُ الذى يأتِيهِمْ ، فَيَمْكُثُ عنهم ما شَاءَ اللَّهُ أَنْ

---

(١) بعده فى الأصل : « وخبت وخسرت » .

(٢ - ٢) سقط من : ح . وفى الأصل : « ليبيعه » .

(٣) فى ح : « فيقول » ، وفى ص : « فقال » .

(٤) فى الأصل : « هيئته » ، وفى ص : « هيبة » .

(٥) سقط من : ح ، ص .

يَمْكُثَ ، ثم يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ : يا أيُّها النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، فَالْحَقُوا بآلِهَتِكُمْ ومَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ : واللَّهِ مَالَنَا إلهٌ[1] إلَّا اللَّهُ ، وما كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَه . فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِه مَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَيَخِرُّ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَفَاهُ ، ويَجْعَلُ اللَّهُ سُبْحَانَه أَصْلَابَ المُنَافِقِينَ كَصَيَاصِي[2] البَقَرِ ، ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُمْ فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ .

وَيَضْرِبُ اللَّهُ بالصِّرَاطِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ كَقَدِّ الشَّعَرِ - أو كَعَقْدِ الشَّعَرِ - وكَحَدِّ السَّيْفِ ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ ، وحَسَكٌ [3]كَحَسَكِ السَّعْدَانِ[3] ، دُونَهُ جِسْرٌ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ[4] ، فَيَمُرُّونَ كَطَرْفِ البَصَرِ ، أَوْ كَلَمْحِ البَرْقِ ، أَوْ كَمَرِّ الرِّيحِ ، أَوْ كَجِيَادِ الخَيْلِ ، أَوْ كَجِيادِ الرِّكَابِ[5] ، أو كَجِيَادِ الرِّجَالِ ، فَنَاجٍ سَالِمٌ ، ونَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ[6] عَلَى وَجْهِه فِي جَهَنَّمَ .

فإِذَا أَفْضَى أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ [7]حُبِسُوا دُونَها[7] قَالُوا : مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَنَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ فَيَقُولونَ : مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ ؟ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَكَلَّمَه قِبَلًا . فَيَأْتُونَ [٥١و] آدمَ ، فَيُطْلَبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا وَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِنُوحٍ ؛ فإِنَّهُ أَوَّلُ رُسُلِ اللَّهِ . فَيُؤْتَى

---

(١) سقط من : ح ، ص .

(٢) صياصى البقر : قرونها ، واحدتها : صِيصيَة . النهاية ٣/ ٦٧.

(٣ - ٣) سقط من : ح . والحسك : نبات له ثمرة خشنة تعلَق بأصواف الغنم ، وهو يشبه نبات السَّعْدان ، واحدته : حَسَكة . لسان العرب (ح س ك) .

(٤) الدحض : الزَّلَق ، والمزلة : مَفْعَلة من زَلَّ يزل إذا زلق ، وتفتح الزاى وتكسر ، أراد أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . النهاية ٢/ ١٠٤، ٣١٠.

(٥) فى ح : « الركائب » .

(٦) مكدوسٌ : أى مدفوع ، وتكدَّس الإنسان إذا دفع مِن ورائه فسقط . النهاية ٤/ ١٥٥.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

نُوحٍ ، فَيُطْلَبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا ، وَيَقُولُ : مَا أَنا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، [1] وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ . فيأْتُونَ إبراهيمَ فَيطلُبونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَذْكُرُ ذَنْبًا ، ويقُولُ : ما أَنَا بِصَاحِبِكُمْ [1] ، ولكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى . فيأْتُونَ مُوسَى ، فَيَذْكُرُ ذَنبًا ، ويقول : ما أنا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، ولكِنْ عَلَيْكُمْ بِرُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . فيأْتُون عيسى فَيَطْلُبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ » .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيأْتُونِى ، وَلِى عِنْدَ رَبِّى ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ وَعَدَنِيهِنَّ [2] ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِى الْجَنَّةَ ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ ، ثُمَّ أَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لِى ، فأُحَيَّا ، وَيُرَحَّبُ بِى ، فإِذَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا ، فَيَأْذَنُ اللَّهُ لِى مِنْ حَمْدِهِ وَتَمْجِيدِهِ بِشَىْءٍ مَا أَذِنَ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، ثم يَقُولُ اللَّهُ لِى : ارْفَعْ رَأْسَكَ يا مُحَمَّدُ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ . فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِى قَالَ اللَّهُ ، وَهو أَعْلَمُ : ما شَأْنُكَ ؟ فأَقُولُ : يا رَبِّ ، وَعَدْتَنِى الشَّفَاعَةَ ، فَشَفِّعْنِى فِى أَهْلِ الْجَنَّةِ [3] يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ . فَيَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ شَفَّعْتُكَ ، وأَذِنْتُ لَهُمْ فِى دُخُولِ الجنةِ » [3] . فَكَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « وَالَّذِى بَعَثَنِى بِالْحَقِّ مَا أَنْتُمْ فِى الدُّنْيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ . فَيَدْخُلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً ؛ سَبْعِينَ مِمَّا يُنْشِئُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ ، وَثِنْتَيْنِ آدَمِيَّتَيْنِ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ ، لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ ، بِعِبَادَتِهِمَا اللَّهَ فِى الدُّنْيَا ، يَدْخُلُ عَلَى الأُولَى مِنْهُمَا فِى غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ ، عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ باللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ ، وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا ، مِنْ وَرَاءِ ثِيابِهَا وجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا ، وإِنَّه لَيَنْظُرُ إِلَى مُخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى السِّلْكِ فِى قَصَبَةِ الْيَاقُوتَةِ ، كَبِدُه لَهَا مِرْآةٌ ، وَكَبِدُهَا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ص : « وعدتهن » .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

لَهُ مِرْآةٌ ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ ، لَا يَأْتِيهَا مَرَّةً إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ ، مَا يَفْتُرُ ذَكَرُهُ ، وَلَا يَشْتَكِي قُبُلُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ : إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تُمَلُّ ، إِلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا . فَيَخْرُجُ فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْكَ ، ومَا فِي الجَنَّةِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ » .

قال : « وَإِذَا وَقَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ أَوْبَقَتْهُمْ أَعْمَالُهُمْ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ (١ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى ١) قَدَمَيْهِ لَا تُجَاوِزُ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حِقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ جَسَدَهُ كُلَّهُ إِلَّا وَجْهَهُ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ صُورَتَهُ على النَّارِ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأَقُولُ : يا رَبِّ ، شَفِّعْنِي فِيمَنْ وَقَعَ فِي النَّارِ مِنْ أُمَّتِي . فيقُولُ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ . فَيَخْرُجُ أُولئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ فِي الشَّفَاعَةِ ، فَلَا يَبْقَى نَبِيٌّ (٢ وَلَا شَهِيدٌ ٢) إِلَّا شُفِّعَ . فَيَقُولُ اللَّهُ ، عزَّ وَجَلَّ : أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ زِنَةَ الدِّينَارِ إِيمَانًا . فَيَخْرُجُ أُولئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ . ثُمَّ يَشْفَعُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ إِيمَانًا (٣) ثُلُثَيْ دِينَارٍ ، ونِصْفَ دينارٍ ، وثُلُثَ دِينَارٍ ، (٤ ورُبُعَ دِينَارٍ ٤) . ثُم يقُولُ : وَسُدُسَ دِينَارٍ . ثم يقُولُ : وقِيرَاطًا . ثم يقُولُ : حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ . فَيَخْرُجُ أُولئِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وحَتَّى لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ عَمِلَ للَّهِ خَيْرًا قَطُّ ؛ وحَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ لَهُ شَفَاعَةٌ إِلَّا شُفِّعَ ، حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلُ لِمَا يَرَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَه ؛ رَجَاءَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ . ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : بَقِيتُ أَنَا ، وأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَيُدْخِلُ اللَّهُ سُبْحَانَه ؛ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَا

(١ - ١) في ص : « يأخذ » .

(٢ - ٢) في ح : « ولا صديق ولا شهيد ولا صالح » .

(٣) سقط من : ح .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

لَا يُحْصِيهِ غَيْرُه ، كَأَنَّهُمْ [1] خَشَبٌ مُحْتَرِقٌ [1] ، فَيَبُثُّهُمُ اللَّهُ عَلَى نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الحَيَوَانِ . فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ [٥١ظ] الْحِبَّةُ[2] فِى حَمِيلِ السَّيْلِ[3] ، فما يَلِى الشَّمْسَ مِنْهَا أُخَيْضِرٌ ، ومَا يَلِى الظِّلَّ مِنْهَا أُصَيْفِرٌ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الطَّرَاثِيثِ ، حَتَّى يَكونُوا أَمْثَالَ الدُّرِّ[4] ، مَكْتُوبٌ فِى رِقَابِهِم : الْجَهَنَّمِيُّونَ ، عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ ، عَزَّ وَجَلَّ . يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ بِذَلِكَ الكِتَابِ ، مَا عَمِلُوا خَيْرًا قَطُّ ، فَيَبْقَوْنَ فِى الْجَنَّةِ » .

فَذِكْرُه إلى هنا كانَ فى أَصْلِ أَبِى بكرِ بنِ المُقْرِئِ ، عنْ أَبِى يَعْلَى رَحِمَه اللَّهُ تَعالَى[5] . هَذا حدِيثٌ مشهورٌ ، رواه جماعةٌ من الأئمةِ فى كُتُبِهِم ؛ كابنِ جريرٍ فى تفسيرِه[6] ، والطَّبَرانىِّ فى الطِّوَالَاتِ[7] وغيرِها ، والبَيْهَقِىِّ فى كتابِ « البَعْثِ والنُّشُورِ »[8] ، والحافِظِ أبى مُوسَى المدِينىِّ فى الطِّوَالَاتِ أيضًا - من طُرُقٍ متعدِّدَةٍ ، عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ قَاصِّ أهلِ المدينةِ ، وقد تُكُلِّمَ فيهِ بسببِه[9] . وفِى

(١ - ١) فى ص : « حب » .

(٢) الحِبة : بالكسر بذور البقول وحَبُّ الرياحين . وقيل : هو نبت صغير ينبت فى الحشيش . النهاية ١/ ٣٢٦.

(٣) حميل السيل : هو ما يجىء به السيل من طين أو غثاء وغيره ، فعيل بمعنى مفعول ، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت فى يوم وليلة . فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لهم . النهاية ١/ ٤٤٢.

(٤) فى الأصل ، ح : « الدرمك » .

(٥) لم نجده فى مسند أبى يعلى الموجود بين أيدينا ، وهو رواية أبى عمرو بن حمدان عنه ، ويعرف بالمسند الصغير ، أما مسنده الكبير من رواية ابن المقرئ عنه فمفقود . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٠.

(٦) تفسير الطبرى ٢/ ٣٣٠ ، ٣٣١، ١٦/ ٣٠، ١٧/ ١١٠، ٢٤/ ٣٠، ٦١، ٢٩/ ٤١ ، ٤٢، ٣٠/ ٢٦، ٣١ ، ٣٢، ١٨٦ - ١٨٨.

(٧) الأحاديث الطوال للطبرانى (٣٦) .

(٨) البعث والنشور (٦٦٩) .

(٩) انظر الجرح والتعديل ٢/ ١٦٨، والكامل ١/ ٢٧٧، وتهذيب الكمال ٣/ ٨٥ - ٨٩، وميزان الاعتدال ١/ ٢٧٧.

بعضِ سِيَاقَاتِهِ نَكَارَةٌ واختلافٌ ، وقَدْ بَيَّنْتُ طُرُقَه فى جزءٍ مفردٍ .

قلتُ : وإسماعيلُ بنُ رافِعٍ المدينىُّ ليس من الوضَّاعين ، وكأنَّه جمَع هذا الحديثَ مِن طرقٍ وأماكِنَ متفرِّقَةٍ ، وساقَه سياقةً واحِدَةً ، فكان يَقُصُّ بِهِ علَى أهلِ المدينةِ ، وقد حَضَرَه جماعةٌ من أعيانِ الناسِ فى عصرِهِ ، ورواه عنه جماعةٌ من الكبارِ ؛ كأبِى عاصمٍ النَّبيلِ ، والوليدِ بنِ مُسْلمٍ ، ومَكِّىِّ بنِ إبراهيمَ ، ومحمدِ بنِ شُعَيْبِ بنِ شَابُورَ ، وعَبْدَةَ بنِ سُلَيْمَانَ ، وغيرِهم ، واخْتَلَفَ عليه فيه قتادَةُ ، يقولُ : عن محمدِ بنِ يزيدَ[1] ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، عن رجلٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ . وتارةً يُسْقِطُ الرَّجُلَ .

وقد رَواه إسحاقُ بنُ رَاهُويَه[2] ، عن عَبْدَةَ بنِ سُلَيْمَانَ ، عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ ، عن محمدِ بنِ يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن رجلٍ من الأنصارِ[3] ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ .

ومنْهُم من أَسْقَطَ الرَّجُلَ الأوَّلَ ، قال شيخُنَا الحافِظُ المِزِّىُّ : وهذا أقربُ ، وقد رواه عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ الوليدُ بنُ مُسْلمٍ[4] ، وله عليه مُصَنَّفٌ بَيَّنَ شواهدَه من الأحاديثِ الصحيحةِ . وقال الحافِظُ أبو مُوسى المَدِينىُّ بعد إيرادِه له بتمامِه : وهذَا الحديثُ وإنْ كانَ فِى إسنادِهِ مَنْ تُكُلِّمَ فيهِ ؛ فعامَّةُ ما فيهِ يُرْوَى مفرَّقًا بأسانيدَ ثابتةٍ[5] . ثُم تَكلَّمَ علَى غريبِهِ[6] .

---

(١) فى النسخ : « زياد » .

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه كما فى « المطالب العالية » لابن حجر وضعفه ٥٥٥/٧ (٣٣٠٩) .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « عن محمد بن كعب عن رجل من الأنصار » .

(٤) فى ح : « سليمان » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٨٦.

(٥) انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٦/ ٢٦٧٠.

(٦) حديث الصور قال فيه البخارى : مرسل لا يصح . الكامل ١/ ٢٧٨، وقال ابن حجر فى إسماعيل ابن رافع : اضطرب فى سنده مع ضعفه . ونقل تضعيف عبد الحق والبيهقى . الفتح ٣٦٨/١١ - ٣٦٩.

قلتُ : ونحن نَتَكَلَّمُ عليهِ فَصْلًا فَصْلًا ، وباللَّهِ المُسْتَعَانُ .

فَصْلٌ

فأما النَّفَخَاتُ فى الصورِ فثلاثٌ ؛ نفخةُ الفَزَعِ ، ثم نفخةُ الصَّعْقِ ، ثم نفخةُ البعثِ ، كما تقدَّمَ بيانُ ذلك فى حديثِ الصُّورِ بطولِه . وقد قال مسلمٌ فى « صحيحِه »[1] : حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن الأعْمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ » . قالُوا : يا أبا هريرةَ ، أربعون يومًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ . قالُوا : أربعونَ شهرًا ؟ قال : أَبَيْتُ . قالوا : أربعونَ سنةً ؟ قال : أَبَيْتُ[2] . قال : « ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ » . قال : « ولَيْسَ مِنَ الإنْسَانِ شَىْءٌ إلَّا يَبْلَى إلَّا عَظْمًا واحِدًا ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ[3] ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ » . ورواه البُخَارِىُّ[4] من حدِيثِ الأَعْمَشِ .

وحديثُ عَجْبِ الذَّنَبِ ، وأنَّه لَا يَبْلَى ، وأَنَّ الخَلْقَ يَبْدَأُ مِنْهُ ومنه يُرَكَّبُ يومَ القيامةِ - ثابتٌ مِنْ رِوَايَةِ أحمدَ[5] ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن همَّامٍ ، عن

---

(١) مسلم ٢٩٥٥.

(٢) قوله : « أبيت » قال النووى : معناه أبَيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا أو سنة أو شهرًا ، بل الذى أجزم به أنها أربعون مجملة ، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى غير مسلم : أربعون سنة . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٩١.

(٣) عجب الذنب : أى العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص . المصدر السابق ١٨/ ٩٢.

(٤) البخارى (٤٨١٤، ٤٩٣٥).

(٥) المسند ٢/٣١٥ (٨١٦٥).

أبِى هُريرةَ . ورواه مسلمٌ[1] ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرَّزاقِ . ورواه أحمدُ أيضًا[2] ، عن يحيى القَطَّانِ ، عن محمدِ بنِ عَجْلَانَ ، [3]ثنا أبو الزِّنادِ[3] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ الأَعْرَجِ ، عن أبِى هُريرةَ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « كُلُّ ابنِ آدَمَ يَبْلَى ، وَيَأْكُلُه التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ ، منه خُلِقَ ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ » . انفرَد به أحمدُ ، وهو على شرطِ مُسْلمٍ . ورواه أحمدُ أيضًا[4] ، مِنْ حديثِ إبراهيمَ[5] الهَجَرِىِّ ، عنْ أَبِى عِياضٍ ، عن أَبِى هُريرةَ ، مرفوعًا بنحوِه .

وقال أحمدُ[6] : حدَّثنا حسنُ بنُ موسَى ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، حدَّثنا درَّاجٌ ، عن [٥٢و] أبِى الهَيْثَمِ ، عن أبِى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَىْءٍ مِنْ الإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ » . قِيلَ : ومِثْلُ ما هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ ، مِنْهُ تَنْبُتُونَ » .

والمقصودُ هنا إنما هو ذِكْرُ النَّفْخَتَيْن ، وأن بينَهما أربعينَ ؛ إمَّا أربعين يومًا ، أو شهرًا ، أو سنةً ، وهاتان النفختان هما ، واللَّهُ أعلمُ ، نفخةُ الصَّعْقِ ، ونفخةُ القيامِ للبعثِ والنُّشُورِ ، بدليلِ إنزالِ الماءِ بينَهُمَا ، وذِكْرِ عَجْبِ الذَّنَبِ الذِى منه يُخْلَقُ الإنسانُ ، وفيه يرَكَّبُ عند بعثِه يومَ القيامةِ . ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ المرادُ منهما ما بينَ نفخةِ الفَزَعِ ونفخةِ الصَّعْقِ ، وهو الذى نُريدُ ذِكْرَه فى هذا المقامِ . وعلى كلِّ تقديرٍ فلابدَّ من مدَّةٍ بينَ نَفْخَتَى الفَزَعِ والصَّعْقِ .

---

(١) مسلم ١٤٣/ ٢٩٥٥.

(٢) المسند ٤٢٨/٢ (٩٥٢٤) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٧/ ٣٦٢.

(٤) المسند ٤٩٩/٢ (١٠٤٨٢) .

(٥) فى الأصل : « ابن هشام » ح : « أبى هشيم » .

(٦) المسند ٢٨/٣ (١١٢٤٨) . وقال الشيخ شعيب : حسن لغيره . المسند ١٧/ ٣٣٢.

وقَدْ ذُكِرَ فِى حديثِ الصُّورِ أنه يكونُ فيها أمورٌ عِظَامٌ، من ذلكَ زلزلةُ الأرضِ وارْتِجاجُها، ومَيَدانُها بأَهْلِهَا، وتَكَفِّيها يمينًا وشِمَالًا، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١]. وقال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ الآيات كلها إلى قوله: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الواقعة: ١- ٥٦].

ولمَّا كانتْ هذه النَفْخَةُ - أَعْنِى نفخةَ الفَزَعِ - أَوَّلَ مبادِئِ القيامةِ، كان اسمُ يومِ القيامةِ صادقًا على ذلك كلِّه، كما ثبَت فى «صحيحِ البخارىِّ»[1]، عن أبِى هُريرةَ: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِى فيهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا». وهذا إنَّمَا يَتَّجِهُ علَى مَا قَبْلَ نَفْخَةِ الفَزَعِ، وعبَّرَ عن نفخةِ الفَزَعِ بأنَّها السَّاعَةُ لما كانتْ أوَّلَ مَبَادِئِها، وتقدَّمَ فِى الحديثِ[2] فى صِفَةِ أهلِ آخرِ الزَّمانِ أنهم شِرَارُ النَّاسِ، وعليْهم تقومُ السَّاعةُ.

وقد ذُكِرَ فى حديثِ ابنِ رافعٍ فى حديثِ الصُّورِ المتقدِّمِ، أن السَّماءَ تَنْشَقُّ فيما بينَ نَفْخَتَىِ الفَزَعِ والصَّعْقِ، وأن نُجُومَها تَتَنَاثَرُ، ويَخْسِفُ شَمْسُهَا وقَمَرُها. والظَّاهِرُ، واللَّهُ أعلمُ، أنَّ هذَا إنَّما يكونُ بعدَ نفخةِ الصَّعقِ حِينَ: ﴿ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ

---

(١) البخارى (٦٥٠٦، ٧١٢١).

(٢) تقدم فى صفحة ١٤٥.

غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨- ٥٠]. وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ الآيات [الانشقاق: ١، ٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ٧- ١٥].

وسيأْتِى تقريرُ هذا كلِّه، وأنه إنما يكونُ بعدَ نفخةِ الصَّعْقِ، وأما زِلزَالُ الأرضِ وانشِقاقُهَا بسببِ تلك الزلزلةِ، وفرارُ الناسِ إلى أقطارِها وأرجائِها - فمُنَاسِبٌ أنَّه بعدَ نفخةِ الفَزَعِ، وقبلَ الصَّعْقِ، قال اللَّهُ، تعالى، إخبارًا عن مُؤْمِنِ آلِ فرعونَ أنَّه قالَ: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣]. وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣- ٣٦].

وقد تقدَّم الحديثُ[1] فى مُسندِ أحمدَ، وصحيحِ مُسلمٍ، والسننِ الأربعةِ، عن أبى سَرِيحةَ[2] حُذَيْفَةَ بنِ أَسِيدٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ السَّاعَةَ لَنْ تقُومَ حَتَّى ترَوْا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَهُنَّ، إلى أن قال: «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قعْرِ عَدَنَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى المَحْشَرِ». [٥٢ظ] وهذِه النارُ تسُوقُ الموجودين فى آخِرِ الزَّمانِ فى سائرِ أقطارِ الأرضِ إلى أرضِ الشَّامِ منها، وهى بقعةُ المحشَرِ والمَنْشَرِ.

---

(١) تقدم فى صفحة ٩٨.

(٢) فى الأصل، ص: «شريحة».

ذِكْرُ أمْرِ هذه النّارِ، وحَشْرِها النّاسَ إلى أَرْضِ الشّامِ

ثبَت فى « الصَّحِيحَيْنِ »[(١)] مِن حديثِ وُهَيْبٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ طاوُسٍ، عن أبيهِ، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « يُحْشَرُ النّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرائِقَ: رَاغِبِينَ ورَاهِبِينَ[(٢)]. وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ. [(٣)]وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ[(٣)]، وعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ. وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وتُمْسِى مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا ».

وروَى أحمدُ[(٤)]، عن عفّانَ، [(٥)]عن حمّادٍ[(٥)]، عن ثابتٍ، عن أنسٍ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن أَوَّلِ أشراطِ السَّاعَةِ؟ فقال: « نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ». الحديثَ بطولِه، وهو فى « الصَّحيحِ »[(٦)].

وروَى الإمامُ أحمدُ[(٧)]، عن حسَنٍ وعفَّانَ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمةَ، عن عَلِىِّ ابنِ زيدٍ، عن أَوْسِ بنِ خالدٍ، عن أبى هريرةَ: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ؛ صِنْفٌ مُشَاةٌ، وصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ ». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُون على وجُوهِهم؟ قال: « إنَّ

---

(١) البخارى (٦٥٢٢)، ومسلم (٥٩/ ٢٨٦١).

(٢) وهذه هى الطريقة الأولى، والطريقة الثانية قوله: « وعشرة على بعير »، والثالثة من قوله: « وتحشر بقيتهم النار ...» إلى آخر الحديث. انظر فتح البارى ٣٧٩/١١ وسيأتى ص ٢٣، ٢١٣.

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والمثبت من مصدرى التخريج.

(٤) المسند ٢٧١/٣ (١٣٨٩٥)، بنحوه.

(٥ - ٥) سقط من: ح، ص.

(٦) البخارى (٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠).

(٧) المسند ٣٥٤/٢ (٨٦٣٢). قال الشيخ شعيب: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف. المسند ٢٨٩/١٤.

الَّذِى أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وشَوْكٍ » .

وقد رَواه أبو داودَ الطَّيالِسيُّ فى « مُسنَدِه »[1] ، عن حمّادِ بنِ سَلَمةَ ، بنحوٍ مِن هذا السياقِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدّثنا عبدُ الرَّزاقِ ، أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادَةَ ، عن شَهْرِ ابنِ حَوْشَبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّهَا سَتكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ ، يَنْحَازُ النَّاسُ إلى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ ، لَا يَبْقَى فِى الْأَرْضِ إِلَّا شِرَارُ أَهْلِهَا ، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ ، وتَقْذَرُهُم نَفْسُ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ ، تَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ القِرَدَةِ والخَنَازِيرِ ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا ، وتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ » . ورَواه الطبرانيُّ مِن حديثِ المُهَلَّبِ بنِ أبى صُفْرَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، بنحوِه[3] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ فى كتابِه « البعثِ والنُّشورِ »[4] : [5]أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ عبيدِ اللَّهِ الحُرْفِيُّ[6] بِبَغْدَادَ ، حدَّثنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ الزُّبيرِ القُرَشِيُّ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ علىِّ بنِ عفانَ ، حدَّثنا[5] زيدُ بنُ

---

(١) مسند أبى داود الطيالسى (٢٥٦٦) .

(٢) المسند ١٩٨/٢ (٦٨٧١) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) الطبرانى فى الأوسط (٦٧٨٧) من طريق نوف البكالى ، عن عبد اللَّه بن عمرو به .

(٤) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠٣/٤ إلى البيهقى فى البعث أيضًا .

(٥ - ٥) فى ح : « من حديث » .

(٦) فى الأصل : « الحرقى » ، وفى ص : « الخرقى » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١١، الإكمال ٣/ ٢٨٢. قال السمعانى : الحرفى : بضم الحاء وسكون الراء وكسر الفاء ، هذه النسبة للبقال ببغداد ، ومن يبيع الأشياء التى تتعلق بالبزور والبقالين ، والمشهور بهذه النسبة أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد اللَّه . الأنساب ٤/ ١١٢.

الحُبابِ ، أخبَرنى الوليدُ بنُ جُمَيْعٍ القُرَشِيُّ (ح) .

وأخبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنا أبو العبّاسِ محمدُ بنُ أحمدَ المحبوبيُّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ مسعودٍ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبأ الوليدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جُمَيْعٍ ، عن أبى الطُّفَيْلِ عامرِ بنِ وَاثِلَةَ ، عن أبى سَرِيحَةَ[1] حُذَيْفَةَ بنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ : سمِعتُ أبا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ رضى اللَّه عنه ، وتلا هذه الآيةَ : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧] . فقال أبو ذَرٍّ : حدَّثنى الصَّادِقُ المصْدُوقُ ﷺ أنَّ النّاسَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثةِ أفْواجٍ ؛ فَوْجٍ طَاعِمِينَ كَاسِينَ رَاكِبِينَ ، وَفَوْجٍ يَمْشُونَ وَيسْعَوْنَ ، وَفَوْجٍ تَسْحَبُهُمُ الملَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ . قُلْنا : قد عرَفْنا هذَيْن ، فما بالُ الذينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ ؟ قال : « يُلْقِى اللَّهُ الآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ[2] حَتَّى لَا يَبْقَى ذَاتُ ظَهْرٍ ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطِى الحَدِيقَةَ المُعْجِبَةَ بالشَّارِفِ[3] ذاتِ القَتَبِ[4] » . لفظُ الحاكمِ[5] .

وهكذا روَاه الإمامُ أحمدُ عن يزيدَ بنِ هارونَ ، ولم يذكُرْ تلاوةَ [٥٣و] أبى ذرٍّ للآيةِ ، وزَادَ فى آخرِه : « فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْها »[6] .

وفى مسندِ الإمامِ أحمدَ مِن حديثِ بَهْزٍ وغيرِه[7] ، عن أبيهِ حكيمِ بنِ معاويةَ ، عن جدِّه مُعاويةَ بنِ حَيْدَةَ[8] القُشَيْرِيِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال :

---

(١) فى ح ، ص : « شريحة » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٩٣.

(٢) الظهر : الإبل التى يحمل عليها وتركب . النهاية ٣/ ١٦٦.

(٣) فى ص : « بالسارق » ، وفى المستدرك : « بالشاردة » . والشارف : الناقة المُسِنَّة . النهاية ٢/ ٤٦٢.

(٤) القَتَبُ : للجمل كالإكاف - البرذعة - لغيره . النهاية ٤/ ١١.

(٥) المستدرك ٢/ ٣٦٧. وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(٦) المسند ٥/١٦٤ (٢١٤٩٤) .

(٧) المسند ٥/ ٣، ٤، ٥ (٢٠٠٣٦، ٢٠٠٤٣، ٢٠٠٤٩، ٢٠٠٥٦) ، بنحوه .

(٨) فى ح : « حيدرة » ، وفى ص : « حميدة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ١٧٢.

« تُحْشَرُونَ هَهُنَا - وأَوْمَأَ بِيَدِهِ إلى نَحْوِ الشَّامِ - مُشَاةً ، ورُكْبَانًا ، وتُجَرُّونَ عَلَى وجُوهِكُمْ ، وتُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الفِدَامُ[1] ، فأَوَّلُ ما يُعْرِبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وكَفُّهُ » . وقد روَاه التِّرمذىُّ ، عن أحمدَ بنِ مَنيعٍ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن بَهْزِ بنِ حَكِيمٍ ، عن أبيهِ ، عن جدِّه ، بنحوِه[2] ، وقال : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

[3]وقال أحمدُ[4] : ثنا عثمانُ بنُ عمرَ ، ثنا عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ علىٍّ ، عن رافعِ بنِ بِشْرٍ السَّلَمىِّ ، عن أبيهِ ؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : « يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ حُبْسِ سَيَلٍ[5] تَسِيرُ سَيْرَ بطيئةِ[6] الإبِلِ ، تَسِيرُ النَّهَارَ وتُقِيمُ اللَّيْلَ ، تَغْدُو وَتَرُوحُ ، يُقَالُ : غَدَتِ النَّارُ يَاأَيُّهَا النَّاسُ فَاغْدُوا ، قَالَتِ النَّارُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَقِيلُوا ، رَاحَتِ النَّارُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا . مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ » . تفرد به . ورواه أبو نُعَيْمٍ فى ترجمةِ بِشْرٍ أبى رافعٍ السَّلَمِىِّ[7] ، وفيهِ : « تُضِىءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإبِلِ بِبُصْرَى »[3] .

---

(١) الفدام : ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذى فيه ، أى أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ، فشبه ذلك بالفدام . النهاية ٣/ ٤٢١ .

(٢) الترمذى (٢٤٢٤، ٣١٤٣) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٥١٢) .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المسند ٣/٤٤٣ (١٥٦٩٦) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع ، وهو ثقة . المجمع ٨/ ١٢ .

(٥) فى الأصل « حبشى سيل » ، والمثبت من مصدرى التخريج . قال ابن الأثير : وحِبْسُ سَيَلٍ اسم موضع بحرة بنى سليم بينها وبين السّوارِقيّة مسيرة يوم . النهاية ١/ ٣٣٠. وانظر الإصابة ١/ ٣٠٨، وأسد الغابة ١/ ٢٢١.

(٦) تحرفت فى الأصل إلى : « مطية » ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٧) أشار إلى ذلك ابن الأثير فى ترجمة بشر فى الموضع السابق بعد أن أورد الحديث بتمامه . وأخرجه مسلم (٤٢/ ٢٩٠٢) من حديث أبى هريرة مرفوعًا .

فهذه السِّياقاتُ تَدُلُّ علَى أنَّ هذا الحشْرَ هو حشرُ الموْجُودِين فى [1] آخِرِ الدُّنيا مِن أقطارِ الأرْضِ إلى مَحَلَّةِ المَحْشَرِ، وهى أرضُ الشَّامِ، وأنَّهم يَكونون على أصنافٍ ثَلَاثةٍ؛ فقِسْمٍ طاعِمِينَ كاسِينَ رَاكِبِينَ، وقِسْمٍ يَمْشُونَ تارةً ويَرْكَبُونَ أُخرَى، وهم يَعْتَقِبُونَ علَى البعيرِ الواحدِ، كما تقدَّم فى «الصحيحين» [2]: «اثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ». إلى أنْ قال: «وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ». يَعْتَقِبُونَه مِنْ قِلَّةِ الظَّهْرِ، كما تقدّم، وكما جاء مُفَسَّرًا فى الحديثِ الآخَرِ، «وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ». وَهِيَ الَّتِى تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، فَتُحِيطُ بالنَّاسِ مِنْ وَرَائِهِمْ، تَسُوقُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَكَلَتْهُ [3].

وهذا كُلُّه ممّا يَدُلُّ عَلَى أنَّ هذا إنما يكونُ فى آخرِ الزمانِ آخِرِ الدنيا، حيثُ يكونُ الأكْلُ والشُّرْبُ [4] والرُّكُوبُ موجودًا، والمُشْتَرَى وغيرُه [4]، وحيثُ تُهْلِكُ المُتَخَلِّفِينَ منهم النارُ، ولو كانَ هذا بعدَ نفخةِ البَعْثِ [5] لم يَبْقَ مَوْتٌ، ولا ظَهْرٌ يُشْتَرى، ولا أَكْلٌ ولا شُرْبٌ ولا لُبْسٌ فى العَرَصَاتِ.

والعَجَبُ كُلُّ العجَبِ أنَّ الحافظَ أبا بكرٍ البَيْهَقِىَّ بعدَ روايتِه لأكثرِ هذه الأحاديثِ حمَل هذا الرُّكُوبَ عَلَى أنَّه يومَ القيامةِ، وصَحَّحَ ذلك، وضعَّف ما قُلْناه، واستَدَلَّ على ما ذهبَ إليهِ بقولِه تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

---

(١) بعده فى الأصل: «آخر الزمان».

(٢) تقدم فى صفحة ٣٢٨.

(٣) بعده فى ح، ص: «النار».

(٤ - ٤) فى ح: «والكسوة والظهر موجودًا يشترى ذلك ويركب»، وفى ص: «والركوب على الظهر المستوى».

(٥) بعده فى الأصل: «من القبور».

وكيف يصحُّ ما ادّعاه فى تفسيرِ الآيةِ بالحديثِ ، وفيه أنَّ منهم : « اثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ » ، وقد جاءَ التَّصْرِيحُ بأنَّ ذلك مِن قِلَّةِ الظَّهْرِ ؟! هذا لا يَلْتَئِمُ مع هذا ، واللَّهُ أعلَمُ ، فإنَّ نَجائِبَ المُتَّقِينَ مِن الجنَّةِ ، يرْكَبُونَها[1] مِن العَرَصَاتِ إلى الجنَّاتِ عَلَى غيرِ هذه الصِّفةِ ، كما سَيأْتِى بيانُ ذلك فى مَوْضِعِه .

فأمَّا الحديثُ الآخرُ الوارِدُ مِن طُرقٍ ، عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ ، مِنهم ابنُ عبّاسٍ ، وابنُ مسعودٍ ، وعائشةُ ، وغيرُهم[2] : « إنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] » . فذلك حَشْرٌ غيرُ هذا ، ذاك فى يومِ القيامةِ بَعْدَ نَفْخَةِ البَعْثِ ، يومَ[3] يَقُومُ الناسُ مِن قبورِهم حُفَاةً عُراةً غُرْلًا ، أى غيرَ مُخْتَتِنِينَ ، وكذلك حَشْرُ الكافِرِينَ إلَى جَهنَّمَ وِرْدًا ؛ أى عِطَاشًا .

وقولُه تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧] . فذلك [4]إنما يحصُلُ لهم[4] حينَ يُؤْمرُ بهِم إلى النارِ مِن مُقامِ المَحْشَرِ ، كما سَيأْتِى بيانُ ذلك كلِّه فى مواضِعِه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالَى .

وقد ذُكِرَ فى حديثِ الصُّورِ : أنّ الأَمْواتَ لا يَشْعُرونُ بشىْءٍ [٥٣ظ] ممّا يقعُ مِنْ ذَلِك بسبَبِ نَفْخةِ الفَزَعِ ، وأنَّ الذين استثْنَى اللَّهُ تعالى إنّما همُ الشُّهداءُ ،

---

(١) فى ح : « يركبها المتقون إذا خرجوا من قبورهم إلى العرصات و » .
(٢) أخرجه البخارى (٦٥٢٦) ، ومسلم (٥٦/ ٢٨٥٩ ، ٥٧ ، ٥٨/ ٢٨٦٠) .
(٣) سقط من : ح ، ص .
(٤ - ٤) سقط من : ح ، ص .

لأنَّهم أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ، فهم (١يَشْعرُونَ بها١) ولا يَفْزَعُونَ منها(٢)، وكذلك لا يُصْعَقُونَ بسببِ نَفْخَةِ الصَّعْقِ.

وقد اختَلَف المفسِّرونَ فى المستثْنَيْنَ منها على أقوالٍ: أحدُها هذَا، كما جاءَ مُصَرَّحًا به فيه، وقيل: بَلْ هُمْ جبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ، وَمَلَكُ الموتِ. وقيل: وحَمَلَةُ العرْشِ. وقيل غيرُ ذلك، فاللَّهُ أعلَمُ.

وقد ذُكِرَ فى حديثِ الصُّورِ أنَّه يَطُولُ عَلَى أهلِ الدُّنيا(٣) مُدَّةَ ما بينَ نَفْخةِ الفَزَعِ، ونفخةِ الصَّعْقِ، وهم يُشاهِدونَ تلك الأهوالَ، والأمورَ العِظَامَ.

نَفْخَةُ الصَّعْقِ

يموتُ بسببِها جميعُ الموجُودِينَ مِن أهلِ السمواتِ والأرضِ، مِنَ الإنْسِ والجِنِّ والملائكةِ؛ إلّا مَنْ شاءَ اللَّهُ، فقيل: هم حَمَلةُ العَرْشِ، وجبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ (٤وملَكُ الموتِ٤). وقيل: هم الشهداءُ. وقيل غيرُ ذلك.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣- ١٨].

(١ - ١) فى الأصل: «يشعرون بذلك»، وفى ح: «لا يشعرون بهذه الأهوال».
(٢) فى الأصل: «من نفخة الفزع».
(٣) فى ح: «النار».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

وتقدَّم فى حديثِ الصُّورِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يأمُرُ إسْرَافِيلَ فيقولُ له : « انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ . فَيَنْفُخُ ، فَيُصْعَقُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، [1]فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَكِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ بَقِىَ : فَمَنْ بَقِىَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيتَ أَنْتَ ، الْحَىُّ الَّذِى لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَتْ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِىَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ » . فَيَأْمُرُهُ اللَّهُ بِقَبْضِ رُوحِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ[2] ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بقَبْضِ أرواحِ[3] حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَمُوتَ[1] ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مِن الْخَلَائِقِ .

وقد تقدم[4] ما رواه ابنُ أبى الدُّنيا مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ رافعٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، مِن قولِه فيما بلَغه ، وعنه عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنّ اللَّهَ تعالَى يقولُ لملَكِ الموتِ : « أَنْتَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِى ، خَلَقْتُكَ لِمَا رَأَيتَ ، فَمُتْ ، ثُمَّ لَا تَحْيَا » . وقال محمدُ بنُ كعبٍ فيما بلَغه ، فيقولُ له : « مُتْ مَوْتًا لَا تَحْيَا بَعْدَهُ أَبَدًا ، فيَصْرُخُ عِنْدَ ذَلِكَ صَرْخَةً لَوْ سَمِعَهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَمَاتُوا فَزَعًا » . قال الحافظُ أبو موسَى المدِينىُّ : لم يُتابَعْ إسماعيلُ بنُ رافعٍ عَلَى هذه اللفظةِ ، ولم يَقُلْها أكثرُ الرُّواةِ .

قلتُ : وقد قال بعضُهم فى معنَى هذا : « مُتْ مَوْتًا لا تَحْيَا بعدَه أبدًا » . يعنِى : لا تكُونُ[5] بعدَ هذا مَلَكَ مَوْتٍ أبدًا ؛ [6]لأنَّه لا مَوْتَ بعْدَ هذا اليومِ[6] ، كما ثبَت فى « الصحيح »[7] : « يُؤْتَى بالْمَوْتِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ،

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) بعده فى الأصل : « وإسرافيل » وتقدم فى حديث الصور أنه من جملة حملة العرش .

(٣) سقط من: ح ، ص .

(٤) تقدم فى صفحة ٣١٣ .

(٥) فى الأصل : « تكن » وفى ح : « يكون » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) البخارى (٦٥٤٨) ، ومسلم (٤٠/ ٢٨٤٩ ، ٤٢ ، ٤٣/ ٢٨٥٠) . وسيأتى .

فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ » .

فملَكُ الموتِ وإن حَيِيَ بعدَ ذلك لا يكُونُ مَلَكَ موتٍ بعدَها أبدًا ، واللَّهُ أعلَمُ ، بل يُنْشِئُهُ اللَّهُ خلْقًا آخرَ غيرَ ذلكَ كالملائِكَةِ . وبتقديرِ صحَّةِ هذا اللفظِ عن النبيِّ ﷺ فظاهرُ ذلك أنَّه لا يَحْيَا بعدَ موته أبدًا ، فيكونُ التأويلُ المتقدِّمُ بعيدَ الصحَّةِ ، واللَّهُ أعلَمُ بالصوابِ .

فصــلٌ

قال فى حديثِ الصُّورِ : « فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، الَّذِى لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، كَانَ آخِرًا كَمَا كَانَ [٥٤و] أَوَّلًا ، طَوَى السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ، ثُمَّ دَحَاهُمَا ، ثُمَّ تَلَقَّفَهُما ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَقَالَ : أَنَا الْجَبَّارُ . ثَلَاثًا ، ثُمَّ يُنَادِى : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى مُجِيبًا لِنَفْسِهِ : لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] . وقال تعالى : (يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ[1] كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ) . وقال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ

---

(١) قرأ حمزة والكسائى وحفص : ﴿ كطىّ السجلّ للكُتُب ﴾ . بضم الكاف والتاء ، وقرأ الباقون : « لِلْكِتابِ » . حجة القراءات ص ٤٧٠ ، ٤٧١ . وهى الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء .

﴿ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٥، ١٦].

وثبت فى «الصَّحِيحَين» مِن حديثِ[(١)] أبى هريرةَ[(٢)]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَعَالَى الأَرْضَ، وَيَطْوِى السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الجَبَّارُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ».

وفيهما[(٣)] عن ابنِ عُمرَ: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [(٤)]قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَرَضِينَ، وَتَكُونُ السَّماواتُ بِيَمِينِه، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ».

وفى «مُسندِ أحمدَ»، و«صحيحِ مسلمٍ»، [(٥)]مِن حديثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مِقْسَمٍ[(٥)]، عن ابنِ عُمرَ: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ[(٤)] قرأ هذه الآيةَ ذاتَ يَوْمٍ على المِنْبرِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ هَكَذا بِيَدِه، و[(٦)] يُحَرِّكُها، يُقْبِلُ بِها وَيُدْبِرُ «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الجَبَّارُ، أنا المُتَكَبِّرُ، أنا المَلِكُ، أنا العزِيزُ، أنا الكَرِيمُ» فَرَجَفَ[(٧)] برسولِ اللَّهِ ﷺ المِنْبرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ به. وهذا لفظُ أحمدَ، وقد ذكَرْنا الأحاديثَ المتعلِّقةَ

---

(١) بعده فى ح، ص: «الزهرى عن أبى سلمة عن». والحديث من هذا الطريق عند البخارى وحده برقم (٤٨١٢).

(٢) البخارى (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧)، كلاهما من طريق الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة.

(٣) بعده فى ح، ص: «من حديث عبيد الله عن نافع». والحديث من هذا الطريق المذكور فى: ح، ص عند البخارى وحده برقم (٧٤١٢)، وأما الذى عند مسلم عن ابن عمر فهو الحديث الآتى بعده.

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل. والحديث فى المسند ٢/٧٢ (٥٤١٤)، ٢/٨٧ (٥٦٠٨)، ومسلم (٢٥، ٢٦/ ٢٧٨٨) بنحوه.

(٦) سقط من النسخ، والمثبت من المسند ٢/ ٧٢.

(٧) فى الأصل: «يرجف».

بهذا المَقامِ عندَ تفسيرِ هذه الآيةِ مِن كتابِنا « التفسيرِ »[1] ، بأسانيدِها وألفاظِها ، بما فيه كِفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ .

فصـل

قال فى حديثِ الصُّورِ : « وَيُبَدِّلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ فَيَبْسُطُهَا ، وَيَسْطَحُهَا ، وَيَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ » إلى آخر الكلامِ ، كما تقدَّم ، قال تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] » الآية .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] عن عائشةَ قالت : سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : أيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ والسَّمَاوَاتُ ؟ فقال : « هم فِى الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ » .

وقَدْ يَكُونُ المرادُ بذلك تبدِيلٌ آخرُ غيرُ هذا المذكورِ فى هذا الحديثِ ، وهو أنْ تُبَدَّلَ مَعَالِمُ الأرْضِ فيما بينَ النَفْخَتينِ ؛ نَفْخَةِ الصَّعْقِ ، وَنَفْخَةِ البَعْثِ ، فتَسيرُ الجِبالُ وتُمَدُّ الأرْضُ ، وَيَبْقَى الجميعُ صَعِيدًا واحِدًا ، لا اعْوِجَاجَ فِيهِ ولا روَابِىَ ولا أوْدِيَةَ ، كما قال تعالَى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٥- ١٠٧] . أى لا انخفاضَ فيها ولا ارتِفاعَ . وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] وقال تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[النبأ : ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة : ٥] . وقال تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ

---

(١) التفسير ٧/ ١٠٣.

(٢) مسلم (٢٧٩١) وهو بلفظ : « على الصراط » . أما هذا اللفظ فهو فى مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ عنه به .

وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الحاقة: ١٤] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] الآيات .

فصـلٌ

قال فى حديثِ الصُّورِ : « ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مَاءً ، فتُمْطِرُ السَّمَاءُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ فَوْقَكُمْ اثْنَى عَشَرَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الأَجْسَادَ أَنْ [٥٤ظ] تَنْبُتَ كنبَاتِ الطَّرَاثِيثِ ، وَهِىَ صِغَارُ الْقِثَّاءِ ، أَوْ كَنبَاتِ الْبَقْلِ » . وتقدَّم فى الحديثِ الذى رواه أحمدُ ومسلمٌ ، « ثُمَّ يُرسِلُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ ، أَوِ الظِّلُّ ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ » . إلى آخر الحديثِ ، قد تقدَّم بطولِه مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ[(١)] .

وروَى مسلمٌ عن أبى كُرَيبٍ ، عن أبى معاويةَ ، عن الأَعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، وذكر الحديثَ ، ثم قال فى الثالثةِ بعد قولِه : « أَبَيْتُ » . قال : « ثم يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَنْبُتُون ، كما يَنْبُتُ البَقْلُ » قال : « وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَىْءٌ إِلَّا يَبْلَى ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا ، وَهوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقد تَقَدَّم هذا الحديثُ مِنْ روايةِ البخارىِّ ومسلمٍ[(٢)] ، وليس عند البخارىِّ ما ذكَرنا مِن هذه الزيادةِ ، وهى ذكرُ نزولِ الماءِ إلى آخرِه .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا فى كتابِ « أهوالِ يومِ القيامةِ »[(٣)] : حدَّثنا أبو عمَّارٍ

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) تقدم فى صفحة ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٣) الأهوال (٢٣) .

الحسينُ بنُ حُرَيْثٍ المَرْوَزِيُّ ، أخبرَنا الفضلُ بنُ موسَى ، عن الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ ، حدَّثَنى أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ قال : سِتُّ آياتٍ قبْلَ يَوْمِ القيامَةِ ، بَيْنَما الناسُ فى أَسْوَاقِهِمْ إذْ ذهَب ضَوْءُ الشمسِ ، فبينَما هُمْ كذَلك إذْ وقَعَتِ الجِبالُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فتحرَّكَتْ واضْطَرَبَتْ واختَلَطَتْ ، وفَزِعَتِ الجِنُّ إلى الإنْسِ ، والإنْسُ إلى الجِنِّ ، واخْتَلَطَتِ الدَّوابُّ والطيرُ والوحشُ[1] ، فماجُوا بعضُهم فى بعضٍ ، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] . قال : انْطَلَقَتْ ، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] قال : أهْمَلَها أهْلُها ، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] قال الجنُّ للإنس : نحنُ نأتِيكم بالخَبَرِ ، فانطَلَقُوا إلى البَحْرِ ، فإذَا هو نَارٌ تَأَجَّجُ ، فبينَما هُمْ كذلك إذ تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ صَدْعَةً وَاحِدةً ، إلى الأَرْضِ السابعَةِ السُّفْلَى ، وإلى السَّماءِ السابعةِ العُلْيَا ، فبينَما هُمْ كذلك إذْ جاءَتْهم رِيحٌ فأَمَاتَتْهُمْ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[2] : حدّثنا هارونُ بنُ عُمَرَ[3] القرشيُّ ، حدّثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن [4]يزيدَ بنِ عَطَاءٍ[4] السَّكْسَكِيِّ ، قال : يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طيِّبَةً بَعْدَ قَبْضِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ ، وعندَ دُنوٍّ مِنَ السّاعةِ ، [5]فتَقْبِضُ روحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ[5] ، ويَبْقَى شِرارُ النَّاسِ يَتَهارَجُونَ تَهارُجَ الحُمُرِ ، عليهم تقومُ الساعةُ ، فبينَما هُمْ عَلَى ذلك إذْ

---

(١) فى مصدر التخريج : « الوحوش » .

(٢) الأهوال (٢٦) .

(٣) فى ص : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٧٤.

(٤ - ٤) فى النسخ والأهوال : « عطاء بن يزيد » . والمثبت من تهذيب الكمال ٣٢/ ٢١٣.

(٥ - ٥) فى ص : « فتقبض روح كل مؤمن » ، وفى مصدر التخريج : « فيقبض مؤمن » .

بَعَث اللَّهُ عَلَى أهلِ الأرضِ الخوفَ[1] ، فتَرْجُفُ [2]بهم أقدامُهم[2] ومساكِنُهم ، فتخرُجُ الجِنُّ والإنْسُ والشياطينُ إلى سِيفِ[3] البَحْرِ ، فيَمْكُثونَ كذلك ما شاءَ اللَّهُ ، ثم تقولُ الجِنُّ والشياطينُ : هَلُمَّ نلْتَمِسُ المَخْرَجَ ، فيأتُونَ خَافِقَ المَغْرِبِ[4] ، فيَجِدُونَه قَدْ سُدَّ وعليه الحَفَظَةُ ، ثُمَّ يرجِعونَ إلى الناسِ[5] ، فبينما هُمْ على ذلك إذ أَشْرَفَتْ عليهمُ الساعةُ ، ويسمَعونَ مُنادِيًا يُنادِى : يا أيُّها الناسُ ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] قال : فما المرأةُ بأشَدَّ استماعًا مِن الوليدِ فى حِجْرِها ، ثُمَّ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فيُصْعَقُ مَنْ فِى السَّماواتِ ، [6]ومَنْ فى الأرضِ[6] ، إلّا مَنْ شاءَ اللَّهُ .

وقال أيضًا[7] : حدَّثنا هارونُ بنُ سُفْيانَ ، أخبرَنا محمدُ بنُ عمرَ ، حدّثنا معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن أبيهِ ، عن فَضالةَ بنِ عُبيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ ح ، وحدَّثنا هِشامُ بنُ سَعدٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن ابنِ[8] حُجَيْرَةَ ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « تَطْلُعُ السَّاعَةُ عَلَيْكُمْ سَحَابَةً سَوْداءَ[9] مِثْلَ التُّرْسِ مِنْ قِبَلِ المغرِبِ ، فَمَا تَزَالُ تَرْتَفِعُ [10]وَتَرْتَفِعُ[10] حَتَّى

---

(١) فى ص : « الرجف » .

(٢ - ٢) فى مصدر التخريج : « أفئدتهم » .

(٣) سيف البحر : أى ساحله . النهاية ٢/ ٤٣٤ .

(٤) خافق المغرب : منتهى جهته .

(٥) بعده فى ح : « فيمكثون كذلك » .

(٦ - ٦) فى مصدر التخريج : « والأرض » .

(٧) الأهوال (٢٥) .

(٨) فى النسخ : « أبى » . والمثبت من تهذيب الكمال ١٧/ ٥٤ . وابن حجيرة : هو عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى .

(٩) بعده فى مصدر التخريج : « عن » .

(١٠ - ١٠) زيادة من النسخ ليست فى المصدر .

تَمْلَأَ السَّمَاءَ ، وَيُنَادِى مُنَادٍ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ أَمْرَ اللَّهِ قَدْ أَتَى ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنَّ الرَّجُلَيْن لَيَنْشُرَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَطْوِيَانِهِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلُوطُ حَوْضَهُ فَمَا[1] يَشْرَبُ مِنه ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْلِبُ لِقْحَتَهُ ، فَمَا يَشْرَبُ مِنْهَا شَيْئًا » .

وقال مُحارِبُ بنُ دِثَارٍ : وإنَّ الطَّيْرَ يَوْمَ القيامةِ لَتَضْرِبُ بأَذْنَابِها ، وتَرْمِى بما فى [٥٥و] حَواصِلِها مِن هَوْلِ مَا تَرَى ، ليس عندَها طَلِبَةٌ[2] . رواه ابنُ أبى الدُّنْيَا فى « الأَهْوالِ »[3] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[4] : حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى العَبْدِىُّ ، أخبرنا عبدُ الرزّاقِ ، أخبرنا عبدُ اللَّهِ بنُ بَحِيرٍ[5] ، سمِعتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يزيدَ الصَّنْعانِىَّ ، سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى يَوْمِ القيامةِ رَأْىَ عَيْنٍ ، فَلْيَقرأْ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ ، و﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ » .ورَواه أحمدُ والترمذىُّ ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ بَحِيرٍ[6] .

نفخةُ البعثِ

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨] . الآيات إلى آخرِ السورةِ ، وقال : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ : ١٨] .

---

(١) بعده فى الأصل : « يسقى فيه ولا » .

(٢) فى الأصل : « طلابه لأحد ، ولا مظلمة كابن آدم » والطلبة : الحاجة .

(٣) الأهوال : (٣٩) .

(٤) الأهوال : (١٩) .

(٥) فى ح : « بجير » ، وفى ص : « بحر » . وهو عبد اللَّه بن بحير بن رَيْسان المرادى . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٣.

(٦) فى المسند ٢/ ٢٧، ٣٦، ٣٧، ١٠٠ (٤٨٠٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١، ٥٧٥٥) ، والترمذى (٣٣٣٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٥٣) .

الآيات ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٥٢] الآية . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات : ١٣، ١٤] . وقال تعالى :﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٥١- ٦٥] .

وذُكِر فى حديثِ الصُّورِ بعدَ نفخةِ الصَّعْقِ وفناءِ الخلقِ ، وبقاءِ الحَىِّ القَيومِ الذى لا يموتُ ، الذى كان قبلَ كلِّ شىءٍ ، وهو الآخِرُ بعدَ كلِّ شىءٍ ، وأنَّه يُبَدِّلُ السَّمواتِ والأرضَ بين النفخَتَيْن ، ثم يأمُرُ بإنزالِ الماءِ على الأرضِ ، الذى تُخلَقُ مِنه الأجسادُ فى قبورِها ، وتتركَّبُ فى أجداثِها ، كما كانَتْ فى حياتِها فى هذه الدنيا ، ثم يدعُو اللَّهُ بالأرواحِ ، فيُؤتَى بها تَتوَهَّجُ أرواحُ المؤمِنين نورًا ، والأخرى ظُلْمةً ، فتُوضَعُ فى الصُّورِ ، ويأمُرُ اللَّهُ تعالى إسرافيلَ أَنْ ينفُخَ نفخَةَ البعثِ ، فتخرُجُ الأرواحُ كأنَّها النَّحْلُ قد مَلأتْ ما بينَ السماءِ والأرضِ ، فتدخُلُ كلُّ روحٍ على جسدِها التى كانت فيه فى هذه الدارِ ، فتمشِى الأرواحُ فِى الْأَجْسَادِ مَشْىَ السُّمِّ فى اللَّدِيغِ ، ثم تنْشَقُّ الْأَرْضُ عنهم ، كما تنشقُّ عن نباتِها فيَخْرُجُونَ مِنْهَا سِرَاعًا إِلَى رَبِّهم يَنْسِلُونَ ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٨] . حُفاةً عُرَاةً غُرْلًا .

وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج : ٤٣] . إلى آخرِ السورةِ ، وقال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق : ٤١] . إلى آخرِ السورةِ ، وقال تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٧- ٨] . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ

عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨- ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]. إلى غيرِ ذلك مِن الآياتِ التى تدُلُّ على البعثِ والنشورِ.

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[(١)]: [(٢)]حدَّثنا حمزةُ بنُ العباسِ[(٢)]، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ، حدَّثَنا ابنُ المباركِ، حدَّثَنا سفيانُ، عن سَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ، عن أبى الزَّعْرَاءِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال: [(٣)]يُرسِلُ اللَّهُ قبلَ يومِ القيامةِ ريحًا فيها صِرٌّ[(٤)]، باردةٌ، وزمهريرًا[(٥)] باردًا[(٣)]، فلا تذَرُ على الأرضِ مُؤْمِنًا إلَّا كُفِتَ[(٦)] بتلك الريحِ، ثم تقومُ السّاعةُ على الناسِ، فيقومُ مَلَكٌ بَيْنَ السَّماءِ والأَرضِ بالصُّورِ، فينفُخُ فيه، فلا يبقَى خلقٌ فى السَّماءِ والأرضِ إلّا مات، ثم يكونُ بينَ النَّفْخَتَيْنِ ما شاءَ اللَّهُ أن يكونَ، فيُرسِلُ اللَّهُ ماءً مِن تحتِ العَرْشِ، فتنبُتُ جُسْمانُهم ولُحْمانُهم مِن ذلك الماءِ، كما تنبُتُ الأرضُ مِن الثَّرَى، ثم قرَأ ابنُ مسعودٍ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]. ثم يقومُ مَلَكٌ بينَ السَّماءِ والأرضِ بالصُّورِ، فينفُخُ فيه، فَتَنْطلِقُ كُلُّ نفسٍ إلى جَسَدِها، فتدخُلُ فيه، ويقومون، فيَجيئون[(٧)] قِيامًا لربِّ العالمين.

---

(١) الأهوال (٨٢).

(٢ - ٢) سقط من: النسخ. والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تاريخ بغداد ١٧٩/٨.

(٣ - ٣) فى ص: «يرسل ريح فيها صر باردة زمهرير باردة»، وفى مصدر التخريج: «يرسل ريح فيها صر بارد زمهرير».

(٤) الصر: البرد. النهاية ٣/ ٢٣.

(٥) الزمهرير: شدة البرد. النهاية ٢/ ٣١٤.

(٦) فى ح: «لقحت»، وفى ص: «لفت». وكفت أى ضُمَّ. انظر النهاية ٤/ ١٨٤.

(٧) فى ح: «فيحيون»، وفى مصدر التخريج: «فيجيبون».

وعن وَهْبِ [٥٥ظ] بنِ مُنَبِّهٍ، قال[١]: يَتَلَوْن فى القبورِ، فإذا سمِعوا الصَّرخَةَ عادتِ الأرواحُ فى الأبدانِ، والمفاصلُ بعضُها إلى بعضٍ، فإذا سمِعوا النفخةَ[٢] الثانيةَ وثَبَ القومُ قِيامًا على أرجُلِهم، ينفُضون الترابَ عن رُءوسِهم، [٣]يقولُ المؤمِنون: سُبحانَك ما عَبدْناك حَقَّ عبادتِك[٣].

ذكرُ أحاديثَ فى البعثِ

قال سفيانُ الثوريُّ[٤]: عن سلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ، عن أبى الزَّعْرَاءِ، عن عبدِ اللَّهِ، قال: يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا فِيهَا صِرٌّ باردةٌ، وزَمْهَرِيرًا بَارِدَةً، فلا يَبقَى على الأرضِ مؤمِنٌ إلا كُفِتَ بتلكَ الرِّيحِ، ثم تقومُ السّاعةُ. وذكَر الحديثَ كما تقدَّم فى المقالِ قبلَه.

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[٥]: أخبرنا أبو خَيْثَمَةَ، حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ، أخبرَنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن يَعْلَى بنِ عطاءٍ، عن وكيعِ بنِ عُدُسٍ[٦]، عن عمِّه أبى رَزِينٍ، قال: قلتُ: يارسولَ اللَّهِ، كيف يُحْيِى اللَّهُ المَوْتَى؟ وما آيةُ ذلك فى خَلْقِه؟ قال: «يَا أَبَا رَزِينٍ، أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِى أَهْلِكَ مَحْلًا[٧]، ثم مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟». قلتُ: بَلَى. قال: «فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِى

---

(١) الأهوال (٨٥).
(٢) فى ح: «الصرخة».
(٣ - ٣) ليست فى مصدر التخريج.
(٤) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة.
(٥) الأهوال (٨٣).
(٦) فى المصدر: «حدس»، وعدس وحدس رجلٌ واحد. انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٨٤.
(٧) محلا: أى جدبا. والمحل فى الأصل: انقطاع المطر. النهاية ٤/ ٣٠٤.

خَلْقِهِ » . وقد رواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِيٍّ ، وغُنْدَرٍ ، كلاهما عن شُعْبَةَ ، عن يَعْلَى بنِ عَطَاءٍ ، به ، نحوَه أو مثلَه[1] .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ مِن وجهٍ آخَرَ ، فقال[2] : حدَّثَنا عليُّ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، أخبرَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن سليمانَ بنِ مُوسَى ، عن أبى رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ ، قال : أتَيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيفَ يُحْيِى اللَّهُ الموتَى ؟ قال : « أَمَرَرْتَ بِأَرْضٍ مِنْ أرْضِكَ مُجْدِبَةً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهَا مُخْصِبَةً ؟ » قال : قلتُ : نعَم . قال : « كَذَلِكَ النُّشُورُ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما الإيمانُ ؟ قال : « أنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ تُحْرَقَ بِالنَّارِ أحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ ، وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِى نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الإيمَانِ فِى قَلْبِكَ ، كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ [3]قَلْبَ الظَّمْآنِ[3] فِى الْيَوْمِ القَائِظِ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيفَ لِى بأنْ أعلَمَ أنِّى مُؤمِنٌ ؟ قال : « مَا مِنْ أُمَّتِى ، أَوْ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ ، عَبْدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً ، فيَعْلَمُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ عز وَجَلَّ جَازِيهِ بِهَا خَيْرًا ، وَلَا يَعْمَلُ سَيِّئَةً ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ ، وَيَسْتَغْفِرُ[4] اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا هُوَ - إِلَّا وَهُوَ مِؤْمِنٌ » . تفرَّد به أحمدُ .

---

(١) المسند ١٢/٤ (١٦٢٤١) .

(٢) المسند ١١/٤ (١٦٢٣٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد ، وفى إسناده سليمان بن موسى ، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم ، وضعفه آخرون . مجمع الزوائد ٣/ ٥٤.

(٣ - ٣) فى ص ، والمصدر : « للظمآن » .

(٤) فى مصدر التخريج : « استغفر » .

حديثُ أبى رَزِينٍ فى البعثِ والنشورِ

أخبَرنا شيخُنا الحافظُ أبو الحجّاجِ يوسفُ بنُ عبدِ الرحمنِ المِزِّىُّ - تغمَّده اللَّهُ برحمتِه - وغيرُ واحدٍ مِن المشايخِ، قراءةً عليهم، وأنا أسمَعُ، قالوا: أخبَرنا فخرُ الدينِ علىُّ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ البخارىِّ، وغيرُ واحدٍ، قالوا: أخبَرنا حنبلُ ابنُ عبدِ اللَّهِ المكبِّرُ، أخبَرنا أبو القاسمِ هبةُ اللَّهِ بنُ الحُصَيْنِ الشَّيْبَانىُّ، أخبَرنا أبو علىٍّ الحسنُ بنُ علىٍّ؛ ابنُ المُذْهِبِ التميمىُّ، أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ حَمدانَ بنِ مالكٍ القَطِيعىُّ، أخبَرنا عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، رحِمه اللَّهُ، فى «مُسندِ أبيه»، قال[1]: كتَب إلىَّ إبراهيمُ بنُ حمزةَ بنِ محمدِ بنِ حمزةَ بنِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبيرِ الزُّبَيْرِىُّ: كتَبتُ إليك بهذا الحديثِ، وقد عرَضتُه، وسمِعتُه[2] على ما كتَبتُ به إليك، فحدِّثْ بذلك عنى. قال: حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ المُغيرةِ الحِزَامىُّ، قال: حدثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ عَيَّاشٍ السَّمَعِىُّ[3] الأنْصارِىُّ القُبَائىُّ - مِن بنى عمرِو بنِ عَوفٍ - عن دَلْهَمِ بنِ الأسودِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ حاجبِ بنِ عامرِ بنِ المُنْتَفِقِ العُقَيْلِىِّ، عن أبيه[4]، عن عمِّه لَقِيطِ بنِ عامرٍ - قال دَلْهَمٌ: وحدَّثَنيه أبى الأسودُ، عن عاصمِ بنِ لَقيطٍ - أنَّ لَقِيطًا خرَج وافدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ومعَه صاحبٌ له، يقالُ له: نَهِيكُ بنُ عاصمِ بنِ مالكِ بنِ المُنْتَفِقِ، قال لقيطٌ: فخرَجتُ أنا وصاحِبى حتَّى قَدِمْنا [٥٦و] على رسولِ

---

(١) المسند ٤/ ١٣، ١٤ (١٦٢٥١)، وقد تقدم فى ٧/ ٣٣٢.

(٢) فى مصدر التخريج: «جمعته».

(٣) فى ح: «النخعى». وفى ص: «السبيعى». وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٣٢.

(٤) بعده فى الأصل: «عن جده».

اللَّهِ ﷺ (١ لانسلاخِ رجبٍ ، فأتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ فوافَيْنَاه ١) حينَ انصرَف مِن صلاةِ الغَدَاةِ ، فقام فى الناسِ خطيبًا فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنِّى قَدْ خَبَّأْتُ لَكُمْ صَوْتِى مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، أَلَا لأُسْمِعَنَّكُمْ ، أَلَا فَهَل مِنِ امْرِئٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ ، فقالوا : اعْلَمْ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَلَا ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يُلْهِيَهُ حَدِيثُ نَفْسِهِ ، أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ ، أَوْ يُلْهِيَهُ الضَّلَالُ ، أَلَا إِنِّى مَسْئُولٌ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا ، أَلَا اجْلِسُوا ، أَلَا اجْلِسُوا » . قَالَ : فَجَلَسَ النَّاسُ ، وَقُمْتُ أَنَا وَصَاحِبى ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ لَنَا فُؤَادُهُ وَبَصَرُه ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما عندَكَ مِن علْمِ الغيبِ ؟ فضحِك لَعَمْرُ اللَّهِ ، وهَزَّ رَأْسَهُ ، وعلِم أنِّى أبْتَغِى لِسَقْطِهِ ، فقال : « ضَنَّ رَبُّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِمَفَاتِيحَ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ » . وأشار بِيَدِهِ ، قلتُ : وما هنَّ ؟ قال : « عِلْمُ الْمَنِيَّةِ ، قد عَلِمَ مَتَى مَنِيَّةُ أَحَدِكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَهُ ، (١ وَعِلْمُ المَنِيِّ حِينَ يَكُونُ فِى الرَّحِمِ ، قَدْ عَلِمَهُ وَلَا تَعْلَمُونَ ١) ، وَعِلْمُ مَا فِى غَدٍ ومَا أَنْتَ طَاعِمٌ غَدًا وَلَا تَعْلَمُهُ ، وعِلْمُ يَوْمِ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ (٢ آزِلِينَ مُسْنِتِينَ ٢) ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ غَيْرَكُمْ (٣ إِلَى قَرِيبٍ » . قال لقيطٌ : قلتُ : لَنْ نَعدَمَ مِن ربٍّ يَضْحَكُ خيرًا . « وعِلْمُ يَوْمِ السَّاعةِ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنَا مِمَّا تُعَلِّمُ النَّاسَ ، وَمَا تَعْلَمُ ، فإِنَّا مِنْ قَبِيلٍ لَا يُصَدِّقُونَ (٤ تَصْدِيقَنَا أَحَدٌ مِنْ مَذْحِجٍ التى تربُو علَيْنا (٥ ،

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند ، وانظر الفتح الربانى ٢٤/١٠٣، المسند الجامع ١٥/١٦.

(٢ - ٢) فى مصدر التخريج : « أرلين أدلين مشفقين » . وآزلين : أى فى شدة وضيق . ومسنتين : أى مجدبين ، أصابتهم السنة ، وهى القحط والجدب . انظر اللسان (أ ز ل) ، والنهاية ٢/٤٠٧.

(٣) غيركم : غيثكم وسقياكم بالمطر ، وهو مصدر غار ، ويقال : غارهم اللَّه بمطر : أى سقاهم بمطر . بلوغ الأمانى ٢٤/١٠٣.

(٤) قال فى بلوغ الأمانى ٢٤/١٠٣: هكذا بالأصل ، والأولى : « لا يصدق تصديقنا أحد من مذحج » ، ولعله جاء على لغة إثبات الضمير مع الفاعل الظاهر ، وقد وردت فى بعض الأحاديث .

(٥) تربو علينا : أى ترتفع فى مساكنها عن مساكننا . المصدر السابق .

وَخَثْعَمٍ التى تُوالِينا ، وَعَشِيرَتِنَا التى نحنُ مِنْها . قال : « تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ، ثُمَّ يُتَوَفَّى نَبِيُّكُمْ ، ثُمَّ تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ، ثم تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ ، لَعَمْرُ إِلـٰهِكَ مَا تَدَعُ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَطُوفُ[1] فِى الْأَرْضِ[2] وَخَلَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، السَّمَاءَ تَهْضِبُ[3] مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ ، فَلَعَمْرُ إِلـٰهِكَ ما تَدَعُ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ مَصْرَعِ قَتِيلٍ ، وَلَا مَدْفَنِ مَيِّتٍ إِلَّا شَقَّتِ الْقَبْرَ عَنْهُ ، حَتَّى تُخْلِفَهُ[4] مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ ، فَيَسْتَوِى جَالِسًا ، فَيَقُولُ رَبُّكَ : مَهْيَمْ ؟ لِمَا كَانَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَمْسِ ، الْيَوْمَ ، فَلِعَهْدِهِ بِالْحَيَاةِ يَحْسَبُهُ حَدِيثًا بِأَهْلِهِ » . فَقُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف يجمَعُنا بعدَمَا تُمَزِّقُنَا الرِّيَاحُ وَالبِلَى والسِّباعُ ؟ قال : « أُنْبِئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِى آلَاءِ[5] اللَّهِ ، الأَرْضُ أَشْرَفْتَ عَلَيْهَا وهى مَدَرَةٌ بَالِيَةٌ »[6] ، فقلتُ : لَا تَحْيَا أَبَدًا . « ثُمَّ أَرْسَلَ رَبُّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهَا السَّمَاءَ ، فَلَمْ تَلْبَثْ عَلَيْكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أَشْرَفْتَ عَلَيْهَا ، وَهِىَ شَرْبَةٌ[7] وَاحِدَةٌ ، وَلَعَمْرُ إِلَـٰهِكَ لَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَجْمَعَكُمْ[8] مِنَ الْمَاءِ ، عَلَى

---

(١) فى مصدر التخريج : « يطيف » .

(٢) فى النسخ : « البلاد » ، والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الفتح الربانى ٢٤/ ١٠٤.

(٣) تهضب : تمطر . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٤.

(٤) فى مصدر التخريج : « تجعله » . وتخلفه : تحييه . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٤.

(٥) رواه ابن الأثير فى النهاية ١/ ٦١ فى « إلّ اللّه » وفسّره : أى فى ربوبيته وإلهيته وقدرته . ويجوز أن يكون فى عهد اللّه من الإلّ : العهد .

(٦) المدرة : قطعة الحجر ؛ أى وهى صخر أصم لا ينبت . وبالية : أى لا تنبت . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٤.

(٧) فى مصدر التخريج : « شرية » . قال ابن قتيبة : هكذا رواه - يعنى بالراء الساكنة - وأنا من ذلك على ارتياب ، فإن كان ذلك هو المحفوظ ، فإنه أراد أن الماء قد كثر ، فمن حيث أردتَ أن تشرب شربتَ ، وإن كان المحفوظ « شرَبة » بفتح الراء ، فإن الشربة حَوْض يكون فى أصل النخلة يملأ ماء لشربها ، وبعض المحدثين يرويه « شرية » والشرية : الحنظلة فإن كان هذا هو المحفوظ فإنه أراد أن الأرض قد اخضرت بالنبات فكأنها شرية واحدة . انظر غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٥٣٣، ٥٣٤.

(٨) فى مصدر التخريج : « يجمعهم » .

أَنْ يَجْمَعَ نَبَاتَ الْأَرْضِ، [1]فَتَخْرُجُونَ مِنَ الْأَصْوَاءِ[2]، وَمِنْ مَصَارِعِكُمْ[1]، فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ».

قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، وكيف ونحنُ مِلْءُ الأرضِ، وهو شخصٌ[3] واحدٌ ينظُرُ إلينا، وننظُرُ إليه؟ قال: «أُنْبِئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَةٌ مِنْهُ صَغِيرَةٌ، تَرَوْنَهُمَا وَيَرَيَانِكُمْ سَاعَةً واحدةً[4]، لا تَضَامُّونَ[5] فِي رُؤْيَتِهِمَا، وَلَعَمْرُ إِلَـٰهِكَ لَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرَوْنَهُ مِنْهُمَا[6]». قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، فما يفعَلُ بنا ربُّنا، عز وجلَّ، إذا لقِيناه؟ قال: «تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صَفَحَاتُكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَيَأْخُذُ رَبُّكَ، عَزَّ وَجَلَّ، بِيَدِهِ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ، فَيَنْضَحُ قَبِيلَكُمْ[7] بِهَا، فلعَمْرُ إِلَـٰهِكَ مَا تُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ مِنْهَا قَطْرَةٌ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرَّيْطَةِ[8] الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطِمُهُ[9] بِمِثْلِ الْحُمَمِ[10] الْأَسْوَدِ، أَلَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ، [11]وَيَنْصَرِفُ الصَّالِحُونَ عَلَى أَثَرِهِ[11]،

(١ - ١) فى مصدر التخريج: «فيخرجون من الأصواء ومن مصارعهم».

(٢) الأصواء: القبور، وأصلها من الصوى: الأعلام، فشبه القبور بها. النهاية ٣/ ٦٢.

(٣) قال ابن الأثير: الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به فى حق الله تعالى إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص. النهاية ٢/ ٤٥١.

(٤) بعده فى الأصل، ص: «وترياتهما».

(٥) فى المصدر: «تضارون» وكلاهما بمعنى، وذكر ابن حجر الروايتين وقال: «تضامُّون» بالتشديد مع فتح أوله، وهو بحذف إحدى التاءين، وهو من الضم، وبالتخفيف مع ضم أوله من الضيم، وهو المشقة والتعب. فتح البارى ١١/ ٤٤٦، وانظر ما سبق ص ٣١٣/١٤.

(٦) فى المسند: «من أن ترونهما ويريانكم لا تضارون فى رؤيتهما».

(٧) فى النسخ: «قبل» والمثبت من المسند، والقبيل: الجماعة من الناس. اللسان (ق ب ل).

(٨) الريطة: كل ملاءة ليست بلِفْقَين، وقيل: كل ثوب رقيق لين. النهاية ٢/ ٢٨٩.

(٩) أى تصيب خطمه وهو أنفه، يعنى تصيبه فتجعل له أثرا مثل أثر الخطام فترده بصُغْر، وهو الذل والضيم. انظر النهاية ٢/ ٥٠.

(١٠) فى المسند: «الحميم». والحمم: مفردها الحممة: الفحمة. النهاية ١/ ٤٤٤.

(١١ - ١١) فى المسند: «ويفترق على أثره الصالحون».

فَتَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ ، فَيَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَ فيقُولُ : حَسٍّ[1] . فيقُولُ رَبُّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ : أَوَ أَنَّهْ[2] . فَتَطْلُعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى أَظْمَأَ - وَاللَّهِ - نَاهِلَةٍ[3] [4]قَطُّ رَأَيْتُهَا[4] ، فَلَعَمْرُ إِلَـٰهِكَ ما يَبْسُطُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ[5] عَلَيْهَا قَدَحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ الطَّوْفِ[6] وَالْبَوْلِ وَالْأَذَى ، وَتُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، [٥٦ظ] فَبِمَ نُبْصِرُ ؟ قال : « بِمِثْلِ بَصَرِكَ سَاعَتَكَ هَـٰذِهِ ، وَذَلِكَ مَعَ[7] طُلُوعِ الشَّمْسِ فِى يَوْمٍ أَشْرَقَتْ فِيهِ الْأَرْضُ وَوَاجَهَتْهُ[8] الجِبَالُ » .

قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فَبِمَ[9] نُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا وَحَسَنَاتِنَا ؟ قال : « الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، [10]مَا الجَنَّةُ وَمَا النارُ[10] ؟ قال : « لَعَمْرُ إِلَـٰهِكَ إِنَّ لِلنَّارِ لَسَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، مَا مِنْهُنَّ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا ، وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ لَثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ ، مَا مِنْهُنَّ بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا » . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ،

---

(١) حسٍّ : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّه وأحرقه غفلة ، كالجمرة والضربة ونحوهما . النهاية ١/ ٣٨٥.

(٢) بعده فى المسند : « ألا » . قال ابن قتيبة : وأنَّه : فيه قولان ؛ أحدهما : أن نجعل أنه بمعنى « نعم » . والآخر : أن نجعل الكلام مختصرا مقتصرا مما بعده عليه ، كأنه قال : وأنه كذلك ، أو أنه على ما تقول . غريب الحديث ١/ ٥٣٧.

(٣) الناهلة : الذاهبة للمنهل للشرب . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

(٤ - ٤) فى المسند : « عليها قط ما رأيتها » .

(٥) فى المسند : « وضع » .

(٦) الطوف : الغائط . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

(٧) فى المسند : « قبل » .

(٨) فى المسند : « واجهت به » .

(٩) فى ص : « فيمن » ، وفى المسند : « فيما » .

(١٠ - ١٠) فى ص ، والمسند : « إما الجنة إما النار » . وانظر زاد المعاد ٣/ ٦٧٥، وبلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٥.

فَعَلَامَ نَطَّلِعُ مِنَ الجَنَّةِ ؟ قال : « عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَأَنْهارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بِهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلَا نَدَامَةٍ ، وَأَنْهارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَفَاكِهَةٍ لَعَمْرُ إِلَـٰهِكَ مَا تَعْلَمُونَ ، وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » . قلت : يا رسولَ اللَّهِ ، ولنا فيها أزواجٌ ؟ أوَ منهنَّ مُصْلِحَاتٌ ؟ قال : « الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ ، تَلَذُّونَهُنَّ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلْذَذْنَ بِكُمْ ، غَيْرَ أَنَّ لَا تَوَالُدَ » .

قال لقيطٌ : فقلتُ[1] : أَقْصَى[2] مَا نَحْنُ بَالِغُونَ وَمُنْتَهون إليه ؟ فلم يُجِبْه النبيُّ ﷺ ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، عَلَامَ أُبايعُك ؟ قال[3] : فبسَط رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه ، وقال : « عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ ، وزِيالِ[4] المُشْرِكِ ، وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ[5] غَيْرَهُ » .

قال : قلتُ : وإنَّ لنا ما بينَ المشرِقِ والمَغرِبِ ؟ فقبَض النبيُّ ﷺ يدَه[6] ، وظَنَّ أنِّي مُشْتَرِطٌ شيئًا لا يُعْطِينِيهِ . قال : قلتُ : نَحِلُّ مِنها حيثُ شِئْنا ، ولا يَجْنِي على امْرِئٍ إلا نَفْسُهُ ، فبسَط يدَه وقال : « ذَلِكَ لَكَ ، تَحِلُّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا يَجْنِي عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسُكَ » . قال : [7]فانصرَفْنا ، فقال[7] :

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « يا رسول اللَّه » .

(٢) فى ح ، والمسند : « أقضى » . قال فى بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٦: هكذا فى المسند ، وفى رواية النهاية : « أقصى » بالصاد ، وفى رواية الحاكم : « قلت : يا رسول الله هذا أقصى » . بالصاد ، كما جاءت بالصاد فى رواية مجمع الزوائد .

(٣) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) زيال : مصدر زايل أى مفارقة . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٦.

(٥) بعده فى ح : « شيئا » ، وبعده فى المسند : « إلها » .

(٦) بعده فى النسخ : « وبسط أصابعه » . والمثبت من المصدر ، وانظر الفتح الربانى ٢٤/ ١٠٦، وزاد المعاد ٣/ ٦٧٦.

(٧ - ٧) فى المسند : « فانصرفنا عنه ثم » .

(١ « إنَّ هَـذَيْنِ - لَعَمْرُ إِلَـهِكَ - مِنْ ١) أَتْقَى النَّاسِ فِى الْأُولَى وَالْآخِرَةِ » . فقال له كَعْبُ بنُ الخُدَارِيَّةِ(٢) ، أحدُ بنى بكرِ بنِ كِلابٍ : مَنْ هم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « بَنُو الْمُنْتَفِقِ أهلُ ذَلِكَ » . قال : فانصَرَفْنا ، وأقبَلتُ عليه ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هَل لِأَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى خَيْرٌ فى جاهليَّتِهم ؟ قال : فقال رجلٌ من عُرْضِ قرَيْشٍ(٣) : واللَّهِ إِنَّ أَبَاكَ الْمُنْتَفِقَ لَفِى النَّارِ . قال : فلَكأنَّه وقَع حَرٌّ بيْنَ جِلْدِى ووَجْهِى ولحمِى ؛ مما قال لأبِى ، علَى رُءوسِ الناسِ ، فَهَمَمْتُ أنْ أقولَ : وأبوكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ ثُمَّ إذا الأخرى أجْمَلُ(٤) ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، وأهلُك ؟ قال : « وَأَهْلِى ، لَعَمْرُ اللَّهِ مَا أَتَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْرِ عَامِرِىٍّ أَوْ قُرَشِىٍّ مِنْ مُشْرِكٍ ، فقل : أَرْسَلَنِى إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ ، فَأُبَشِّرُكَ بِمَا يَسُوءُكَ ؛ تُجَرُّ عَلَى وَجْهِكَ وَبَطْنِكَ فِى النَّارِ » .

قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما فعَل بهم ذلك ، وقد كانوا على عملٍ لا يُحْسِنون إلَّا إياه ، وقد كانوا يَحْسَبونَ أنَّهم(٥) مُصلِحونَ ؟ قال : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِى آخِرِ كُلِّ سَبْعِ أُمَمٍ - يَعْنِى نَبِيًّا - فَمَنْ عَصَى نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ، وَمَنْ أَطَاعَ نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ » .

وقد روَاه أبو داودَ فى روايةِ أبى سعيدِ بنِ الأَعْرَابِىِّ ، عن أبى داودَ ، عنِ

(١ - ١) فى الأصل : « ها إن ذين ها إن ذين لعمر إلهك حديث إنهم لمن » ، وفى ح : « هاتان ذين ها إن ذين لعمرو إلهك إن حدثن لمن » . وفى ص : « ها أين دين ها أين لعمر والدك إنى حديث انهم من » . والمثبت من المسند ، وانظر الفتح الربانى ٢٤/ ١٠٦.

(٢) فى ح ، ص : « الحدارية » ، وفى المسند : « الخدرية » . والمثبت من مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٠. وانظر الاستيعاب ٣/ ١٣١٣، وأسد الغابة ٤/ ٤٧٤، والإصابة ٥/ ٥٩١، ٥٩٢.

(٣) عرض قريش : أى من عامة قريش وليس من خاصتهم . بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٠٦.

(٤) فى المسند : « أجهل » .

(٥) بعده فى ح : « يحسنون صنعًا وأنهم » .

الحسنِ بنِ عليٍّ ، عن إبراهيمَ بنِ حمزةَ ، به[1] ، قال شيخُنا[2] : لعله من زياداتِ ابنِ الأعرابيِّ .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[3] ، وقد جمَع أحاديثَ وآثارًا فى مُجَلَّدٍ تشهَدُ لحديثِ الصُّورِ فى مُتَفرِّقاتِه : أخبَرنا سعيدُ بنُ بَشيرٍ ، عن قتادةَ ، فى قولِه : ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق : ٤١] قال : ملَكٌ قائمٌ على صخرةِ بيتِ المقدِسِ ، يُنادِى : أيَّتُها العِظامُ البالِيةُ ، والأوصالُ المتقطِّعةُ[4] ، إنَّ اللَّهَ يأمُرُكُنَّ أن تجتمِعْنَ لفصلِ القضاءِ . وبه عن قتادةَ قال[5] : لا يُفَتَّرُ عن أهلِ القبورِ عذابُ القبرِ إلَّا فيما بينَ نفخةِ الصَّعْقِ ونفخةِ البعثِ ، فلذلك يقولُ الكافرُ حينَ يُبْعَثُ : ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس : ٥٢] . يعنى تلك الفَتْرَةَ ، فيقولُ له المؤمِنُ : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ [٥٧ و] وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس : ٥٢] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[6] : حدَّثَنى علىُّ بنُ الحسينِ[7] بنِ أبى مَرْيَمَ ، عن محمدِ [8]بنِ الحسينِ[8] ، حدَّثنى صَدَقَةُ بنُ بكرٍ السَّعْدِىُّ ، حدثنى مَعْدِىُّ[9] بنُ سُلَيمانَ ، قال : كان أبو مُحَلِّمٍ الجَشْرِىُّ[10] يجتمِعُ إليه إخوانُه ، وكان

---

(١) أبو داود (٣٢٦٦) من طريق الحسن بن على عنه به .

(٢) تحفة الأشراف ٨/ ٣٣٤.

(٣) تفسير الطبرى ٢٦/ ١٨٣، من طريق الوليد بن مسلم .

(٤) بعده فى الأصل : « والعروق المتمزقة والشعور المتفرقة » ، وبعده فى ح : « واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة » .

(٥) الأهوال (٨٩) .

(٦) الأهوال (٨٨) .

(٧) فى الأصل ، ح : « الحسن » . وانظر مصدر التخريج .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، وفى ح : « بن الحسن » ، وانظر مصدر التخريج .

(٩) فى النسخ : « محكم » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٥٨.

(١٠) فى مصدر التخريج : « الحرى » . وانظر تهذيب الكمال ، الموضع السابق .

حكيمًا ، وكان إذا تَلا هذه الآيةَ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥١، ٥٢] بكَى ، ثم قال : إنَّ القيامةَ[(١)] لَمَعَارِيضُ[(٢)] ، صِفَةٌ ذهَبت فَظَاعَتُها بأوهامِ العقولِ ، أمَا واللَّهِ ، لَئِنْ كانَ القومُ فى رَقْدَةٍ مثلِ ظاهرِ قولِهم ، لَمَا دَعَوْا بِالْوَيْلِ عندَ أوَّلِ وَهْلَةٍ مِنْ بَعْثِهم ، ولم يُوقَفُوا بعدُ موقِفَ عَرْضٍ ولا مُساءَلةٍ ، إلَّا وقدْ عايَنُوا خطَرًا عظيمًا ، وحُقِّقتْ[(٣)] عليهم القيامةُ بالجلائلِ مِنْ أمرِها[(٤)] ، ولَئِنْ كانوا فى طولِ الإقامةِ فى البرزخِ ؛ كانوا[(٥)] يَأْلَمونَ ويُعذَّبونَ فى قبورِهم ، فمَا دَعَوْا بالويلِ عندَ انقطاعِ ذلك عنهم إلَّا وقد نُقِلوا إلى طامَّةٍ[(٦)] هى أعظمُ منه ، ولولا أنَّ الأمرَ على ذلك لَمَا استصغَر القومُ ما كانوا فيه فسَمَّوه رُقادًا [(٧)] بالنسبةِ إلى ما يَسْتَقْبِلون من أهوالِ يومِ القيامةِ ، كما يقالُ هذا الشىءُ عندَ هذا الشىءِ رُقادًا ، وإن كان فى الأولِ شدائدُ وأهوالٌ ، ولكنه بالنسبةِ إلى ما هو أشدُّ منه وأدهى وأمرُّ كأنه رُقادٌ[(٧)] ، وإنَّ فى القرآنِ لَدليلًا على ذلك ، حين يقولُ : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٤] . قال : ثم يبكِى حتى يَبُلَّ لحيتَه .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[(٨)] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ العَلَاءِ ، حدَّثَنى بُسْرُ[(٩)] بنُ عبيدِ اللَّهِ الحَضْرَمِىُّ ، سمِعتُ أبا إدريسَ الخَوْلَانِىَّ يقولُ : اجتَمَع الناسُ إلى سائحٍ بينَ

---

(١) فى الأصل ، ح : « فى القيامة » ، وبعده فى مصدر التخريج : « فى كتاب اللَّه » .

(٢) المعاريض : جمع معراض ، من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول . النهاية ٣/ ٢١٢.

(٣) فى الأصل : « جففت » ، وغير منقوطة فى : ح .

(٤) بعده فى الأصل : « وعظائم أخطارها وشدائدها ما كانوا فيه فى القبور من الإهانة والعذاب » . وبعده فى ح : « ما كانوا فيه فى القبور » .

(٥) ليست في مصدر التخريج .

(٦) فى مصدر التخريج : « ظلمة » .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) الأهوال (٩٢) .

(٩) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥.

العراقِ والشامِ فى الجاهليَّةِ ، فقام فيهم فقال : أيُّها النّاسُ ، إنَّكم مَيِّتون ، ثم مَبْعوثون إلى الإدانةِ والحسابِ . فقام رجلٌ فقال : واللَّهِ لقدْ رأيتُ رجلًا لا يَبْعَثُه اللَّهُ أبدًا ، رأيتُه وقَع عن راحلتِه فى مَوْسِمٍ مِن مواسمِ العَرَبِ ، فوطِئَتْه الإبلُ بأخفافِها ، والدوابُّ بحوافرِها ، والرجَّالةُ بأرجلِها ، حتى رَمَّ فلم يبقَ منه أُنْمُلةٌ[1] . فقال السائحُ : بَيْدَ أنَّك مِن قومٍ سَخيفةٍ[2] أحلامُهم ، ضعيفٍ يقينُهم[3] ، قليلٍ علمُهم ، لو أنَّ الضَّبُعَ بَيَّتَتْ[4] تِلكَ الرِّمَّةَ فأكَلتْها ، ثم ثَلَطَتْها[5] ، ثُمَّ غدَتْ عليه النَّابُ[6] فأكَلَتْه وبعَرتْه ، ثم غدَتْ عليه الجلَّالَةُ[7] فالتقَطَتْه ، ثم أوقَدَتْه تحتَ قِدْرِ أهلِها ، ثم نسَفتِ الرِّياحُ رَمادَهُ - لأَمَر اللَّهُ يومَ القيامةِ كلَّ شيءٍ أَخَذ منه شيئًا أن يَرُدَّه ، فردَّه ، ثُمَّ بعَثه اللَّهُ للإدانةِ والثوابِ[8] .

وقال الوليدُ بنُ مسلمٍ[9] : حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ ؛ أَنَّ شيخًا مِن شيوخِ الجاهليَّةِ القُسَاةِ قال : يا مُحمدُ ، ثلاثٌ بلَغنى أنَّك تقولُهُنَّ ، لا ينبغِى لذى عقلٍ أن يُصَدِّقَك فيهنَّ ؛ بلَغَنِى أنَّك تقولُ : إنَّ العرَبَ تاركةٌ ما كانَتْ تعبُدُ هى وآباؤُها ، وإنّا سنَظْهَرُ على كنوزِ كِسْرَى وقَيْصَرَ ، [10] وإنَّا سَنُبعَثُ بعدَ أَنْ نَرِمَّ[10] .

---

(١) بعده فى الأصل : « فواللَّه لا يبعث اللَّه هذا أبدًا » ، وبعده فى ح : « ولا شىء » .

(٢) بعده فى الأصل : « عقولهم فاسدة » .

(٣) بعده فى ح : « مظلمة عقولهم » .

(٤) بيتت : أى أتت عليها ليلًا . يقال : بيَّت فلان بنى فلان : إذا أتاهم بياتًا ، فكبسهم وهم غارُّون . التاج (ب ى ت) .

(٥) الثلط : الرجيع الرقيق ، وأكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة . النهاية ١/ ٢٢٠ .

(٦) بعده فى الأصل : « يعنى الناقة » . والناب : الناقة الهرمة التى طال نابها أى سنها . النهاية ٥/ ١٤٠ .

(٧) أى المرأة الملتقِطة ؛ يقال : جلّت الدابة الجلة ، واجتلتها ، فهى جالَّة ، وجلَّالة : إذا التقطتها .

(٨) بعده فى الأصل : « أو العقاب » .

(٩) الأهوال (٩١) .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

(١) فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَجَلْ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَتَتْرُكَنَّ العَرَبُ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ هِىَ وَآبَاؤُهَا ، وَلَتَظْهَرَنَّ عَلَى كُنُوزِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ (١) ، وَلَتَمُوتَنَّ ثُمَّ لَتُبْعَثَنَّ ، ثُمَّ لَآخُذَنَّ بِيَدِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَأُذَكِّرَنَّكَ مَقَالَتَكَ هَـٰذِهِ » . قال : ولا تَضِلَّنى فى الموتَى ولا تَنْسانى ؟ قال : « وَلَا أَضِلُّكَ فِى الْمَوْتَى وَلَا أَنْسَاكَ » . قال : فَبَقِى ذلك الشيخُ حتى قُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ورأَى ظهورَ المُسلمين على كنوزِ كِسْرَى وقَيْصَرَ ، فأسْلَم ، وحسُن إسلامُه ، وكان كثيرًا ما يسمَعُ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضِى اللَّهُ عنه نحِيبَه وبُكَاءَهُ [٥٧ظ] فى مسجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لإعظامِه ما كان واجَه بهِ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وكان عُمَرُ يأتِيه ويُسَكِّنُ منه ، ويقولُ : قد أسلَمْتَ ووعَدَك رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يأخُذَ بيدِك ، ولا يأخُذُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِ أحدٍ إلَّا أفْلَحَ وسعِد ، إنْ شاءَ اللَّهُ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا(٢) : حدَّثنا فُضَيْلُ بنُ عبدِ الوهَّابِ ، أخْبَرنا هشيمٌ ، عن أبى بِشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : جاء العاصُ بنُ وائلٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بعَظْمٍ حائلٍ(٣) فَفَتَّه ، وقال : يا محمدُ ، أيبعَثُ اللَّهُ هذا ؟ قال : « نَعَمْ ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُحْيِيكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ » . فَنَزَلَتْ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨، ٧٩] .

وقال الضَّحّاك(٤) فى قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الأهوال (٩٠) .

(٣) حائل : أى متغير قد غيره البلى . النهاية ١/ ٤٦٣ .

(٤) الأهوال (٩٥) .

[الواقعة: ٦٢]. قال: خَلْقُ آدَمَ وخلْقُكم، (١﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾١) [الواقعة: ٥٧] قال: فَهَلَّا تُصَدِّقون.

وعن أبى جعفرٍ الباقرِ قال: كان يقالُ: عجبًا (٢لِمَنْ يُكذِّبُ بالنشأَةِ الآخِرةِ، وهو يرَى النشأةَ الأُولى، يا عجبًا كلَّ العَجَبِ٢) لِمَنْ يُكَذِّبُ بالنَّشْرِ بعدَ الموتِ، وهو يُنْشَرُ فى كلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. رواه ابنُ أبى الدنيا(٣).

وقال أبو العَالِيةِ فى قولِه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] قال: إعادتُه أهَونُ عليه مِن ابتدائِه، وكُلٌّ عليه يسيرٌ(٤). رواه ابنُ أبى الدُّنْيا(٥).

وقال الإمامُ أحمدُ(٦): حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حدَّثنا مَعْمَرٌ، عن هَمّامِ بنِ مُنَبِّهٍ، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قال اللَّهُ تعالى: كَذَّبَنِى عَبْدِى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ: (٧لَنْ يُعِيدَنِى كَمَا بَدَأَنِى٧). وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. وأنا (٨الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ٨) كُفُوًا أَحَدٌ». وهو ثابتٌ فى «الصحيحين»(٩).

(١ - ١) سقط من: ص، وفى ح، ومصدر التخريج: «فلا تصدقون».

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) الأهوال (٩٦).

(٤) بعده فى الأصل، ح: «ولكن الخلق يقولون هذا أهون من هذا بالنسبة إليهم».

(٥) الأهوال (٩٧).

(٦) المسند: ٢/٣١٧ (٨٢٠٤). قال الشيخ أحمد شاكر: حديث صحيح. المسند ١٦/ ٩٥.

(٧ - ٧) فى ص: «فليعدنا كما بدأنا» وفى المسند: «فلن يعيدنا كما بدأنا».

(٨ - ٨) فى المسند: «الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى».

(٩) البخارى (٤٩٧٥)، وهو ليس فى مسلم. انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٤٠٥.

وفيهما[1] قِصَّةُ الذى عَهِد إلى بَنِيه إذا[2] ماتَ أنْ يَحْرِقُوهُ، ثُمَّ يَذْرُوا - [3]يومَ ريحٍ[3] - نِصْفَ رَمَادِهِ فى البَرِّ وَنِصْفَهُ فى البَحْرِ، وقال: وَاللَّهِ لَئِن قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّى عَذَابًا لَا يُعَذِّبُه أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. وذلك أَنَّه لَمْ يَدَّخِرْ له عندَ اللَّهِ حَسَنةً واحدةً. فلَمّا ماتَ فَعَل به بَنُوهُ ما أمَرَهم به. [4]فأمَر اللَّهُ البَرَّ فجمَع ما فيه، وأمَر البحرَ فجمَع ما فيه[4]، فإذا هو رجلٌ قائمٌ بينَ يَدَى رَبِّه، فقال له: مَا حمَلكَ على هذا؟ قال: خَشْيَتُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «فما تَلَافَاهُ أَنْ غَفَرَ لَه».

وعن صَالِحٍ المُرِّىِّ قال[5]: دَخَلْتُ المقابرَ نِصْفَ النهارِ، فنظَرْتُ إلى القبورِ كأنَّهُمْ قومٌ صُمُوتٌ، فقلتُ: سُبْحانَ مَنْ يُحْيِيكُم وَيَنْشُرُكُمْ مِنْ بَعْدِ طُولِ البِلَى. فهَتفَ بى هاتفٌ مِن بعضِ تِلكَ الحُفَرِ: يا صالحُ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]. قال: فخرَرْتُ وَاللَّهِ مَغْشِيًّا عَلَيَّ.

ذِكْرُ أسماءِ يومِ القيامةِ

قال الحافظُ عبدُ الحقِّ الإشْبِيلىُّ فى كتابِ «العاقبةِ»: يومُ القيامةِ، وما أدرَاك

---

(١) البخارى (٣٤٥٢، ٣٤٧٩، ٦٤٨٠، ٦٤٨١)، ومسلم (٢٤، ٢٧٥٦/٢٥، ٢٧/٢٧٥٧)، كلاهما بنحوه.

(٢) فى الأصل: «وأومأ إليهم إذا هو».

(٣ - ٣) سقط من: ح، ص.

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥) حلية الأولياء ١٧٠/٦ من طريق حكيم بن جعفر السعدى عن صالح المرى بنحوه.

ما يومُ القيامةِ؟ يَومُ الحَسْرةِ والنَّدامةِ، يومُ يَجِدُ كلُّ عَاملٍ عَمَلَه أمامَه، يومُ الدَّمْدَمةِ، يومُ الزَّلزلةِ، يومُ الصَّاعقةِ، يومُ الواقعةِ، يومُ الرَّاجفةِ، يومُ الوَاجفةِ، يومُ الرَّادفةِ، يومُ الغاشيةِ، يومُ الدَّاهيةِ، يومُ الآزفةِ، يومُ الحاقَّةِ، يومُ الطَّامَّةِ، يومُ الصَّاخَّةِ، يومُ التَّلاقِ، يومُ الفِراقِ، يومُ المَشاقِّ، يومُ الإشفاقِ، يومُ الإشْتاقِ[1]، يومُ القِصاصِ، يومُ لاتَ حينَ مَناصٍ، يومُ التَّنادِ، يومُ الأَشْهادِ، يومُ المَعادِ، يومُ المِرْصادِ، يومُ المُساءلةِ، يومُ المُناقَشةِ، يومُ الحسابِ، يومُ المآبِ، يومُ العذابِ، يومُ الثوابِ، يومُ الفِرارِ لو وُجِدَ الفِرارُ، يومُ [٥٨و] القَرارِ؛ إمَّا فى الجنةِ وإمَّا فى النارِ، يومُ القضاءِ، يومُ الجَزاءِ، يومُ البُكَاءِ، يومُ البَلَاءِ، يومُ تَمُورُ السماءُ مَورًا وتَسِيرُ الجِبَالُ سَيرًا، يومُ الحَشْرِ، يومُ النَّشرِ، يومُ الجَمْعِ، يومُ البَعْثِ، يومُ العَرْضِ، يومُ الوَزنِ، يومُ الحَقِّ، يومُ الحُكْمِ، يومُ الفَصْلِ، يومٌ عقيمٌ، يومٌ عسيرٌ، يومٌ قَمْطَريرٌ[2]، يومٌ عصيبٌ، يومُ النُّشورِ، يومُ المصيرِ، يومُ الدينِ، يومُ اليقينِ، يومُ النَّفخةِ، يومُ الصَّيحةِ، يومُ الرَّجفةِ، يومُ السَّكْرَةِ، يومُ الرَّجَّةِ، يومُ الفَزَعِ، يومُ الجَزَعِ، يومُ القَلَقِ، يومُ الفَرَقِ، يومُ العَرَقِ، يومُ الميقاتِ، يومُ تخرُجُ الأمواتُ، يومُ تَظهَرُ الخبيئاتُ[3]، يومُ الانْشِقاقِ، يومُ الانْكِدارِ، يومُ الانفِطارِ، يومُ الانتشارِ، يومُ الافتِقارِ، يومُ الوقوفِ، يومُ الخروجِ، يومُ الانصِداعِ، يومُ الانقطاعِ، يومٌ معلومٌ، يومٌ موعودٌ، يومٌ مشهودٌ، يومُ تُبْلَى السَّرائرُ، يومُ يظهَرُ ما فى الضمائرِ، يومُ لا تَجْزِى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا، يومُ لا تَمْلِكُ نفسٌ لنفسٍ شيئًا، يومُ يُدْعَى فيه إلى النارِ، يومُ لا سِجْنَ إلَّا النارُ، يومُ تتَقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصارُ، يومُ لا ينفَعُ الظالِمين مَعْذِرَتُهم - ولهم اللَّعْنَةُ ولهم سوءُ الدَّارِ - يومُ تُقَلَّبُ

---

(١) الإشتقاق: رفع اليد بالغُلِّ إلى العنق. اللسان (ش ن ق).

(٢) قمطرير: شديد. التاج (ق م ط ر).

(٣) فى ح: «العورات».

وجوهُهُم[1] فى النارِ ، يومُ البُرُوزِ ، يومُ الوُرُودِ ، يومُ الصدورِ مِن القبورِ إلى اللَّهِ ، يومُ لا ينفَعُ مالٌ ولا بنونُ ، يومُ لا تَنفَعُ المعْذِرةُ ، يومُ لا يُرْتَجَى فيه إلَّا المَغْفرةُ .

قال : وأهولُ أسمائِه وأبشَعُ ألقابِه يومُ الخُلودِ ، وما أدرَاك ما يومُ الخلودِ ، يومٌ لا انقطاعَ لعِقابِه ، ولا يُكْشَفُ فيه عن كافرٍ ما به ، فنَعوذُ باللَّهِ ، ثم نعوذُ باللَّهِ مِن غضبِه وعقابِه وبلائِه ، وسوءِ قضائِه ، برحمتِه وكرمِه وجودِه وإحسانِه ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العليِّ العظيمِ .

ذِكْرُ أنَّ يومَ القيامةِ ، هو يومُ النَّفخِ فى الصورِ لبعْثِ الأجسادِ مِن قبورِها ، وأنَّ ذلك يكونُ فى يومِ الجمُعةِ

وقد ورَد فى ذلك أحاديثُ :

قال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ[2] ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الهادِ[3] ، عن محمدِ ابنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فيه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ[4] ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ مَاتَ ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ[5] يَوْمَ الْجُمُعَةِ

---

(١) فى الأصل : « فيه الوجوه » .

(٢) الموطأ ١/ ١٠٨.

(٣) بعده فى ص : « عن محمد بن الهاد » .

(٤) بعده فى الموطأ : « من الجنة » .

(٥) مصيخة ، ومسيخة : مصغية مستمعة . النهاية ٢/ ٤٣٣، ٣/ ٦٤.

مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ ، إِلَّا الْجِنَّ والْأنْسَ ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ يُصَلِّى يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاه إِيَّاهُ » .

ورَواه أبو داودَ - واللفظُ له - والترمذىُّ مِن حديثِ مالكٍ[1] . وأخرَجه النسائىُّ عن قُتَيْبَةَ ، عن بكرِ بنِ مُضرٍ ، عن ابنِ الهَادِ ، به نحوَه[2] ، وهو أتمُّ .

وقد رَوى الطبرانىُّ فى « مُعْجَمِه الكبيرِ »[3] ، مِن طريقِ آدمَ بنِ علىٍّ ، عن ابنِ عمرَ مرفوعًا : « وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فى الأَذَانِ » . قال الطبرانىُّ : يعنى أذانَ الفَجْرِ يومَ الجمُعةِ .

وقال الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ فى « مسندِه »[4] : أخبرَنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنى موسى[5] بنُ عُبَيدةَ ، حدَّثنى أبو الأَزْهرِ معاويةُ بنُ إسحاقَ بنِ طَلحةَ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عُمَيرٍ ، أنَّه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : أتَى جبريلُ بمرآةٍ بَيْضَاءَ فيها وَكْتَةٌ[6] إلى النبىِّ ﷺ ، قال النبىُّ ﷺ : « مَا هَذِهِ ؟ » . قال : هذه الجُمُعَةُ فُضِّلْتَ بها أنتَ وأمَّتُكَ ، فالنَّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعٌ ؛ اليَهُودُ والنَّصَارى ، ولَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، وفيها ساعةٌ لا يُوافِقُها مُؤْمِنٌ[7] يدعو اللَّهَ بخَيْرٍ إلَّا استُجيبَ له ، وهو عندَنا يومُ المَزِيدِ . قال النبىُّ ﷺ : « يَا جِبْرِيلُ ، وَمَا يَومُ المَزِيدِ ؟ » قال : إنَّ رَبَّكَ

---

(١) أبو داود (١٠٤٦) ، والترمذى (٤٩١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٢٤) .

(٢) النسائى فى المجتبى (١٤٢٩) .

(٣) عزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/٣٣٢ إلى الطبرانى وقال : رجاله رجال الصحيح غير آدم بن على ، وهو ثقة .

(٤) مسند الشافعى (٣٧٤) . قال العراقى : رواه الشافعى فى المسند ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف . تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١/ ٤١٣ .

(٥) فى ح : « محمد » .

(٦) فى الأصل ، ح : « نكتة سوداء » ، وفى ص : « ثلاثة » . والمثبت من مصدر التخريج . والوَكْتَة : الأثر فى الشىء كالنقطة من غير لونه . النهاية ٥/ ٢١٨ .

(٧) فى الأصل ، ح : « عبد مؤمن » .

اتَّخذَ فى الفِرْدَوْسِ وَادِيًا أَفْيَحَ[1] ، فيه كُثُبُ مِسْكٍ ، فإذا كان يومُ الجُمُعةِ [٥٨ظ] أنْزَل اللَّهُ مَا شَاءَ مِن [2]الملائكةِ ، ونزَل على كُرسيِّهِ ، وحَفَّ[2] حَوْلَه مَنابِرَ مِن نورٍ ، عليها مَقاعِدُ النَّبيِّينَ ، وحَفَّ تلك المَنابرَ بمَنابِرَ مِنَ ذهبٍ مُكَلَّلةٍ باليَاقُوتِ والزَّبرجَدِ ، عَلَيْهَا الشُّهَدَاءُ والصِّدِّيقون ، فجَلَسُوا مِن ورائِهم ، على تلك الكُثُبِ ، فيقولُ اللَّهُ : أنا رَبُّكُمْ ، قد صَدَقْتُم وَعْدِى ، فَسَلُونِى أُعْطِكُم . فَيَقُولُون : رَبَّنَا ، نسأَلُك رِضْوَانَك . فيقولُ : قد رَضِيتُ عنكم ، وَلَكُمْ علىَّ ما تَمَنَّيْتُمْ ، ولَدَىَّ مَزِيدٌ . فهم يُحِبُّون يَوْمَ الجُمُعةِ لما يُعْطِيهِمْ فيه رَبُّهم مِن الخيرِ ، وهو الْيَوْمُ الذى استَوى فيه رَبُّكُم عَلَى الْعَرْشِ ، وفيه خَلَقَ آدمَ ، وفيه تَقُومُ السَّاعةُ .

ثم رَواه الشافعىُّ[3] ، عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ أيضًا ، حدَّثنى أبو عِمْرانَ إبراهيمُ ابنُ الجَعْدِ ، عن أنسٍ ، شَبِيهًا به ، قال : وزادَ فيه أشياءَ . قلتُ : وسيأتى ذكْرُ هذا الحديثِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، فى كتابِ صِفَةِ الجنَّةِ بشَواهِدِه وأسانِيدِه ، وباللَّهِ المُسْتعانُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا حُسينُ بنُ علىٍّ الجُعْفِىُّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، عن أبى الأشعثِ الصَّنْعانىِّ[5] ، عن أوسِ بنِ أوسٍ[6] الثَّقَفىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَىَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ

---

(١) كل موضع واسع يقالُ له : أفيح . النهاية ٣/٤٨٤ .

(٢ - ٢) فى مصدر التخريج : « ملائكته و » .

(٣) مسند الشافعى (٣٧٥) .

(٤) المسند ٤/٨ (١٦٢٠٧) .

(٥) فى ص : « الأنصارى » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٨٨.

(٦) فى المسند : « أبى أوس » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٨٧.

مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وكيف تُعْرَضُ عليكَ صَلَاتُنَا وقد أَرِمْتَ ؟ يعنى وقد بَلِيتَ . قال : « إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِياءِ ، صلواتُ اللَّهِ عليهم » . ورَواه أبو داودَ ، والنَّسائيُّ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ الحسينِ بنِ عليٍّ الجُعْفِيِّ مثلَه[1] . وفى روايةٍ لابنِ ماجه عن شدَّادِ بنِ أوسٍ ، [2]بدَلَ أوسِ بنِ أوسٍ[2] ، قال شيخُنا[3] : وذلك وَهْمٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] أيضًا : حدَّثنا أبو عامرٍ ، عبدُ الملكِ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا زُهَيْرٌ ، يعنى ابنَ محمدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ الأنصاريِّ ، عن أبى لُبَابةَ[5] بنِ عبدِ المُنْذِرِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُ ، وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ يَوْمِ الفِطْرِ وَيَوْمِ الأَضْحَى ، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ : خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاه ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ ؛ إِلَّا وهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ » . ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن يحيى بنِ أبى بُكَيْرٍ ، عن زهيرٍ ، به[6] .

وقد روَى الطبرانيُّ[7] عن ابنِ عمرَ مرفوعًا : « إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ وَقْتَ الأَذَانِ

---

(١) أبو داود (١٠٤٧) ، والنسائى (١٣٧٣) ، وابن ماجه (١٠٨٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٩٢٥) .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) تحفة الأشراف ٢/ ٤ .

(٤) المسند ٣/ ٤٣٠ (١٥٥٨٧) .

(٥) فى النسخ : « أمامة » . والمثبت من المسند ، وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٣٢ .

(٦) ابن ماجه (١٠٨٤) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٨٨٨) .

(٧) تقدم فى صفحة ٣٦٢ .

لِلْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ » .

وقد حكَى أبو عبدِ اللَّهِ القُرْطبيُّ فى « التَّذكرةِ »[1] أنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ يَومُ جُمُعَةٍ للنِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَهَذَا غريبٌ يحتاجُ إلى دليلٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[2] : حدَّثنا أحمدُ بنُ كثيرٍ ، حدَّثنا قرطُ بنُ حُرَيْثٍ ؛ أبو سَهْلٍ ، عن رجلٍ مِن أصحابِ الحسنِ ، قال : قال الحسنُ : يومان وَلَيلَتانِ لم يَسْمَعِ الخَلائِقُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ ؛ لَيلَةُ تبيتُ مع أهلِ القبورِ ، ولم تَبِتْ لَيلةً قَبْلَها مثلَها ، وَلَيْلةٌ صَبِيحَتُها تُسْفِرُ عن يَومِ القِيامةِ ، ويَومُ يَأْتِيك البَشِيرُ مِن اللَّهِ إمَّا بالجنَّةِ وإمَّا بالنارِ ، ويومُ تُعْطَى كِتَابَك إمَّا بِيَمينِك وإما بِشِمالِك . وكذا رُوِى عن عامرِ بنِ قَيسٍ ، وهَرِمِ بنِ حَيَّانَ وغيرِهما ؛ أنَّهم كانوا يستَعظِمون الليلةَ التى يُسْفِرُ صَبِيحَتُها عن يَومِ القِيَامةِ[3] .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ (٥ بنِ كثيرٍ العَبْدِىُّ ٥) ، حدَّثنى محمدُ بنُ سابقٍ ، حدَّثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، [٥٩و] عن جُنَيْدٍ[6] ، قال : بينَما الحسنُ فى يومٍ مِن رجبٍ فى المسجدِ ، وفى يدِه قُلَيْلَةٌ[7] ، وهُوَ يَمُصُّ ماءَها ، ثمَّ يَمُجُّه فى الحَصى ، إذ تَنَفَّس تَنَفُّسًا شديدًا ، ثم بكَى حتَّى أُرْعِدَ مَنْكِباهُ ، ثمّ قال : لو أنَّ بالقلوبِ حياةً[8] ، لو أنَّ بالقلوبِ صلاحًا ، لأبكَيتُكم مِن ليلةٍ صَبِيحتُها يومُ

---

(١) التذكرة ١/ ٣٧٤.

(٢) الأهوال (١٤) .

(٣) الأهوال (١١) .

(٤) الرقة والبكاء (٣٠٣) .

(٥ - ٥) فى ح : « وابن كثير العنبرى » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٢٤٩.

(٦) فى النسخ : « حميد » ، والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ١٥٤.

(٧) فى مصدر التخريج : « بلبلة » .

(٨) بعده فى الأصل ، ح : « لو أن بالقلوب حياة » .

القيامـةِ . أى : ليلةٌ تمخَّضُ عن صَبيحَةِ يومِ القيامةِ ، ما سمِع الخلائقُ بيَومٍ قَطُّ أكثرَ [1] فيه عورةً باديةً ، ولا عَينًا باكِيةً مِن يومِ القيامةِ [1] .

ذِكْرُ أنَّ أولَ مَن تَنْشَقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامةِ رسولُ اللَّهِ ﷺ

قال مسلمُ بنُ الحجاجِ [2] : حدثنى الحَكَمُ بنُ موسى أبو صالحٍ ، حدَّثنا هِقْلٌ ، يعنى ابنَ زِيادٍ ، عن الأوزاعىِّ ، حدَّثنى أبو عمَّارٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ فَرُّوخَ ، حدَّثنى أبو هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ [3] ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » .

وقال هُشَيْمٌ [4] ، عن علىِّ بنِ زَيْدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَومَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ » .

وقال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنا أبو خيثمةَ ، أخبرَنا حُجَينُ [5] بنُ المُثَنَّى ، أخبرَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سَلَمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الفَضْلِ الهاشمىِّ ، عن

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « حزنًا ولا أكثر نادمًا ولا أكثر باكيًا ولا أكثر متحسرًا من يوم القيامة » .
(٢) مسلم (٢٢٧٨) .
(٣) فى ص : « الأرض » .
(٤) ابن ماجه (٤٣٠٨) ، به مطولًا . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٧٧) .
(٥) فى ح : « ابن حجين » . وفى ص : « حجير » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٣ .

عبدِ الرحمنِ الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فى السَّماواتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بالعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِى أَحُوسِبَ بصَعْقَتِه يَوْمَ الطُّورِ ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِى ؟ » . وهو فى الصحيحِ[1] بقريبٍ مِن هذا السياقِ .

والحديثُ فى « صحيحِ مسلمٍ »[2] : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا[3] بِقَائمةِ العَرْشِ ، فَلَا أَدْرِى أَفَاقَ قَبْلى ، أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ » .

فذِكْرُ مُوسى فى هذا السياقِ فيه نظرٌ ، ولعلَّه[4] مِن بعضِ الرّواةِ ؛ دَخَل عليه حديثٌ فى حديثٍ ؛ فإنَّ التَّرديدَ هـهنا فيه لا يظهَرُ ، لا سيما قولُه : « أم جُوزِى بَصعْقَةِ الطُّورِ » .

وقال ابنُ أبى الدنيا أيضًا : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، أخبرنا سُفْيانُ ، هو ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرٍو ، هو ابنُ دينارٍ ، عن عطاءٍ وابنِ جُدْعَانَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّب ، قال : كان بينَ أبى بكرٍ وبينَ يَهُودِىٍّ مُنَازَعةٌ ، فقال اليهودىُّ : والذى اصطفَى موسى على البَشَرِ . فلَطَمَه أبو بكرٍ ، فأتَى اليهودىُّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يَا يَهُودِىُّ ، أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَأَجِدُ مُوسَى مُتَعلِّقًا بِالْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِى هَلْ كَانَ قَبْلِى ، أَوْ جُوزِى بِالصَّعْقَةِ » .

وهذا مُرسَلٌ مِن هذا الوجهِ ، والحديثُ فى « الصحيحَين »[5] مِن غيرِ وجهٍ

---

(١) البخارى (٣٣٩٨) .

(٢) مسلم (٢٣٧٣) .

(٣) أى متعلقا بقوة . والبطش : الأخذ القوى الشديد . النهاية ١/ ١٣٥ .

(٤) بعده فى ح : « وهم » .

(٥) البخارى (٦٥١٧) ، ومسلم (٢٣٧٣ ، ٢٣٧٤) .

بألفاظٍ مختلفةٍ، وفى بعضِها[1] أنَّ اللاطمَ لهذا اليَهُودىِّ إنما هو رجلٌ مِن الأنصارِ، لا الصِّدِّيقُ. فاللَّهُ أعلمُ.

ومِن أحسنِها سِياقًا: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، فَإِنَّ الناسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِى أَصَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلى، أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقةِ الطُّورِ». وهذا كما سيأتى بيانُه يقتَضى أن هذا الصَّعْقَ يكونُ فى عَرَصَاتِ القِيامةِ[2]، وهو صَعْقٌ آخرُ غيرُ المذكورِ فى القرآنِ، وكأنَّ سَبَبَ هذا الصَّعْقِ فى هذا الحديثِ التَّجَلِّى [٥٩ظ] يعنى تَجَلِّىَ الربِّ سبحانَه إذا جاء لفَصْلِ القَضَاءِ، فيَصْعَقُ النَّاسُ كما خرَّ موسى صَعِقًا يومَ الطُّورِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[3]: أخبرنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ، أخبرنا جَريرٌ، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن الحسنِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كَأَنِّى أَرَانى أَنْفُضُ رَأْسِى مِنَ التُّرَابِ، فَأَلْتَفِتُ، فَلَا أَرَى أَحَدًا إِلَّا مُوسَى مُتَعَلِّقًا بالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِى أَمِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ أَنْ لَا تُصِيبَهُ النَّفْخَةُ، أَمْ بُعِثَ قَبْلى».

وهذا مُرسَلٌ أيضًا، وهو أضعَفُ[4].

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[5]: حدثَّنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو، قالا: حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ

---

(١) مسلم (١٥٩/ ٢٣٧٣).

(٢) بعده فى ح: «بعد نفخة البعث».

(٣) الحديث أورده الحافظ ابن حجر فى الفتح ٦/٤٤٥ مختصرًا وأشار إلى أن هذا الحديث وقع فى مرسل الحسن فى كتاب البعث لابن أبى الدنيا. والحديث فى استدراكات الأهوال (٩) بغير سند.

(٤) بعده فى ح: «مما قبله». يعنى حديث ابن أبى الدنيا السابق.

(٥) انظر شعب الإيمان ١/ ٢٨٤، بعد حديث (٣٠٧).

الصَّغَانِيُّ ، حدَّثنا عمرُو بنُ محمدٍ الناقدُ ، حدَّثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدَّثنا موسى ابنُ أَعْيَنَ ، عن مَعْمَرِ بنِ راشدٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى يعقوبَ ، عن بشرِ ابنِ شَغَافٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ ، بِيَدِى لِوَاءُ الْحَمْدِ تَحْتِى آدَمُ فَمَنْ دُونَه » . لم يخرِجوه ، وإسنادهُ لا بأسَ به .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنا أبو سَلَمةَ المَخْزُومىُّ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ ، عن أبى بكرِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، [2]وقال غيرُ أبى سَلَمةَ[2] : عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ أَذْهَبُ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ ، فَيُحْشَرُون مَعِى ، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ فَيُحْشَرُونَ مَعِى ، فَأُحْشَرُ بَيْنَ الحَرَمَيْنِ » .

وقال أيضًا[3] : أخبرَنا الحكمُ بنُ موسى ، أخبرَنا سعيدُ بنُ مَسْلَمةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ ، وأبو بكرٍ عن يمينِهِ ، وعمرُ عن يسارِه ، وهو مُتَّكِئٌ عليهما ، قال : « هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنى محمدُ بنُ الحُسينِ ، حدَّثنا قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ ،

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١٥٢٧) ، من طريق عبد اللَّه بن نافع ، به ، بنحوه .

(٢ - ٢) فى ح : « وقال غير أبى سلمة : عن أبى سلمة » ، وفى ص : « وقال : عن أبى سلمة » . وانظر العلل المتناهية .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٦٦٩) ، وابن ماجه (٩٩) كل بسنده عن سعيد بن مسلمة ، به . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٧٥٥) .

أخبَرنا الليثُ بنُ[1] سَعدٍ ، عن خالدِ بنِ يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، عن نُبَيهِ[2] ابنِ وَهْبٍ ، أنَّ كَعْبَ الأحبارِ قال : ما مِن فَجْرٍ يطلُعُ إلَّا نَزَل سبعون ألفًا مِن الملائكةِ ، حتى يَحُفُّوا بالقَبْرِ ، يَضْرِبون بأجْنِحَتِهم ، ويُصَلُّون على النبىِّ ﷺ ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوا عَرَجُوا ، وَهَبَطَ مِثْلُهُمْ فَصَنَعُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتِ الْأَرْضُ خَرَجَ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم فى سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُوَقِّرُونَه ﷺ .

وأخبَرنا هارونُ بنُ عمرَ القُرَشِيُّ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنا مروانُ بنُ سالمٍ ، عن يونسَ[3] بنِ سيفٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ رِجَالًا ، وَأُحْشَرُ رَاكِبًا عَلَى البُرَاقِ ، وَبِلَالٌ بَيْنَ يَدَىَّ ، عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ ، فَإِذَا بَلَغْنَا مَجْمَعَ النَّاسِ نَادَى بِلَالٌ بِالْأَذَانِ ، فَإِذَا قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَدَّقَهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ » . وهذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ .

ذِكْرُ بَعْثِ الناسِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، وذِكْرُ أولِ مَن يُكْسَى يومَئذٍ مِن الناسِ

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يزيدُ بنُ عبدِ ربِّه ، حدثنا بَقِيَّةُ ، حدَّثنا الزُّبَيدىُّ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عُروةَ ، عن عائشةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا » . قال : فقالت عائشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، فكيف

---

(١) فى ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥.

(٢) فى ح : « بقية » ، وفى ص : « منبه » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٥.

(٣) فى الأصل ، ح : « يوسف » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥١٠.

(٤) المسند ٦/٨٩ ، ٩٠ (٢٤٦٣٢) .

بالعَوْرَاتِ ؟ فقال : « ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ » [عبس : ٣٧] . وأَخْرَجاه فى « الصحيحَين »[(١)] مِن حديثِ حاتمِ بنِ أبى صَغِيرَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن القاسمِ ، عن عائشةَ ، بنحوِه .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : حدَّثنا عفّانُ ، حدَّثنا شُعْبَةَ ، حدَّثنا المُغيرةُ بنُ النُّعْمانِ ، شيْخٌ مِن النَّخَعِ ، قال : سمِعْتُ سعيدَ بنَ جُبَيرٍ يُحَدِّثُ ، قال : سمِعْتُ ابنَ عباسٍ ، قال : قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ بموعظةٍ ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] . أَلا وإِنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ، [٦٠و] وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِأُنَاسٍ مِنْ أُمَّتِى فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، فَلَأَقُولَنَّ : أَصْحَابِى . فَلَيُقَالَنَّ لِى : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَلَأَقُولَنَّ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٧ ، ١١٨] . فَيُقَالُ : إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ » . أَخْرَجاه فى « الصحيحين »[(٣)] مِن حديثِ شُعْبَةَ . ورواه أحمدُ[(٤)] عن سفيانَ بنِ عُيينةَ . وفى « الصحيحَين »[(٥)] مِن حديثِه ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، مرفوعًا : « إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ

---

(١) البخارى (٦٥٢٧) ، ومسلم (٥٦/ ٢٨٥٩) .
(٢) المسند ١/ ٢٥٣ (٢٢٨١) .
(٣) البخارى (٤٦٢٥ ، ٤٧٤٠ ، ٦٥٢٦) ، ومسلم (٥٨/ ٢٨٦٠) .
(٤) المسند ١/ ٢٢٣ ، ٢٢٩ (١٩٥٠ ، ٢٠٢٧) .
(٥) البخارى (٦٥٢٤ ، ٦٥٢٥) ، ومسلم (٥٧/ ٢٨٦٠) .

إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا » . ورواه البيهقيُّ[1] مِن حديثِ هلالِ بنِ خَبَّابٍ[2] ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا » . فقالت زوجتُه : أَينظُرُ بَعْضُنَا إلى عَوْرَةِ بعضٍ ؟ فقال : « يَا فُلَانَةُ ، ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ » [عبس : ٣٧] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[3] : أَخْبَرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضِى ، وأبو سعيدٍ محمدُ بنُ موسى ، قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا العباسُ بنُ محمدٍ الدُّورِيُّ ، حدَّثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا عبدُ السلامِ بنُ حَرْبٍ ، عن أبى خالدٍ الدَّالَانِيِّ[4] ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ، قال : فَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ ، ثُمَّ يُقَالُ : اكْسُوا إِبْراهِيمَ . فَيُكْسَى قُبْطِيَّتَيْنِ مِنْ قَبَاطِيِّ الْجَنَّةِ . قال : ثُمَّ يُنَادَى لِمحمدٍ ﷺ ، فَيُفَجَّرُ لَهُ الْحَوْضُ ، وَهُوَ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ . قال : فَيَشْرَبُ وَيَغْتَسِلُ ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُ الْخَلَائِقِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَطَشِ . قال : ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ، فَأَقُومُ عَنْ - أَوْ عَلَى - يَمِينِ الْكُرْسِيِّ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ يَوْمَئِذٍ غَيْرِى ، فيُقَالُ : سَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٧/٦ إلى البيهقى فى البعث ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢، من طريق هلال بن خباب ، به .

(٢) فى الأصل ، ص : « حيان » . وفى ح : « حبان » . والمثبت من المستدرك . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣٠.

(٣) عزاه ابن حجر فى الفتح ٣٩٤/١١ إلى البيهقى فى البعث . وانظر استدراكات البعث والنشور ص ٨٤، ٨٥.

(٤) فى ح : « الدولابى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٧٣.

فقام رجلٌ، فقال: أتَرْجُو لوالدَيْك شيئًا؟ فقال: «إنِّى شَافِعٌ لَهُمَا، أُعْطِيتُ أَوْمُنِعْتُ، وَلَا أَرْجُو لَهُمَا شَيْئًا».

قال البيهقىُّ: قد يكونُ هذا قبلَ نزولِ النهيِ عن الاستغفارِ للمشركين، والصلاةِ على المنافقين.

وقال القُرْطُبىُّ[1]: وروَى ابنُ المباركِ، عن سفيانَ، عن عمرِو[2] بنِ قيسٍ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ، عن علىٍّ، قال: أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى الخَلِيلُ قُبْطِيَّتَيْنِ، ثم محمدٌ ﷺ حُلَّةَ حِبَرةٍ[3] عن يمينِ العرشِ.

وقال أبو عبدِ اللَّهِ القُرْطُبىُّ فى كتابِ «التَّذْكِرةِ»[4]: وروَى أبو نُعَيْمٍ الأصبهانىُّ، من حديثِ الأسودِ، وعَلْقَمةَ، وأبى وائلٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ اللَّهُ تعالَى: اكْسُوا خَلِيلِى. فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ، فَيَلْبَسُهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِى، فَأَلْبَسُهَا، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ قِيَامًا[5] لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِى يَغْبِطُنِى فِيهِ الْأَوَّلُونَ والْآخِرُونَ».

قال القُرْطُبىُّ[6]: وقال الحَلِيمىُّ فى «منهاجِ الدينِ» له: وروَى عبَّادُ بنُ كَثِيرٍ، عن أبى الزُّبَيْرِ، عن جابرٍ، قال: إِنَّ المؤذِّنِينَ والمُلَبِّينَ يَخْرُجون يومَ القيامةِ

---

(١) التذكرة ١/ ٤٠٤. والخبر أخرجه ابن المبارك كما فى زوائد الزهد (٣٦٤).
(٢) فى التذكرة: «عمر». وهو خطأ. وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٠٠.
(٣) بعده فى الأصل، ح: «ثم يقوم».
(٤) التذكرة ١/ ٤٠٥. والحديث أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٤/٢٣٨، ٢٣٩.
(٥) فى مصدر التخريج: «مقاما».
(٦) التذكرة ١/ ٤٠٤، ٤٠٥. والخبر أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٥٨٢) مختصرا. ضعيف جدًّا (السلسلة الضعيفة ٢٢٧٦).

مِن قبورِهم ، يُؤَذِّنُ المُؤَذِّنُ ، ويلبِّى المُلَبِّى ، وأوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الجنَّةِ إبراهيمُ ، ثم محمدٌ ﷺ ، ثم النبيُّونَ ، ثم المُؤَذِّنُونَ . وذكَر تمامَه .

ثم شرَع القُرْطُبىُّ[1] يَذْكُرُ المناسبةَ فى تقديمِ إبراهيمَ الخليلِ ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فى الكِسوةِ يومَئذٍ ؛ مِن ذلك أنه أوّلُ مَن لَبِس السَّرَاوِيلَ ؛ مُبَالَغَةً فِى التَّسَتُّرِ ، [2]وأنَّه جُرِّد يَوْمَ أُلْقِىَ فى النَّارِ ، واللَّهُ أعلمُ[2] .

وروَى البيهقىُّ[3] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى أُوَيسٍ ، حدَّثنى أبى ، عن محمدِ بنِ أبى عَيَّاشٍ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن سَوْدَةَ زَوْجِ النبىِّ ﷺ قالت : قال النبىُّ ﷺ : « يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ ، فَبَلَغَ شُحُومَ الْآذَانِ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، وَاسَوْأَتَاه ، يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ؟! قال : « يُشْغَلُ الناسُ عَنْ ذَلِكَ ، ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ » [عبس : ٣٧] . إسنادُه جيدٌ ، وليس هو فى المسندِ ولا فى الكتبِ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[4] : حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ سليمانَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ أبى موسى ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أُمِّ سَلَمةَ ، قالت : سَمِعْتُ النبىَّ ﷺ يقولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُراةً كَمَا بَدَءُوا » . قالت

---

(١) التذكرة ١/ ٤٠٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ح كلام نَصَّ ناسخ الأصل على أنه زيادة ، ويتخلله فى الأصل رقم المخطوطة (٦٠ظ) .

(٣) عزاه كل من ابن حجر فى الفتح ١١/ ٣٨٧، والسيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣١٧، إلى البيهقى ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٤/ ٣٤ (٩١) ، والحاكم فى المستدرك ٢/ ٥١٤، كلاهما من طريق إسماعيل بن أبى أويس ، به .

(٤) الأهوال (١١٩) .

أُمُّ سَلَمةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلْ يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ؟! قال : « شُغِلَ النَّاسُ » . قلتُ : وما شَغَلَهُمْ ؟ قال : « نَشْرُ[1] الصُّحُفِ فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ ، وَمَثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ » .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[2] : حدَّثنا [3]عمرُ بنُ شَبَّةَ[3] ، حدَّثنا الحسينُ بنُ حفصٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، يَعْنِى الثوريَّ ، عن زُبَيدٍ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا » . قال البزَّارُ : أَحْسَبُ أَنَّ عمرَ بنَ شَبَّةَ غَلِط فيه ، فدخَل عليه متنُ حديثٍ فى إسنادِ حديثٍ ، وإنما هذا الحديثُ عن سفيانَ الثوريِّ ، عن مُغِيرةَ بنِ النُّعمانِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ . قال : وليس لسفيانَ الثوريِّ عن زُبَيدٍ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ حديثٌ مُسْنَدٌ . وهكذا رواه ابنُ أبى الدُّنيا[4] ، عن عمرَ بنِ شَبَّةَ ، به مثلَه ، وزاد : « وأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ، عليه الصلاةُ والسلامُ » .

وقال ابنُ أبى الدنيا[5] : حدثنا أبو عمَّارٍ الحسينُ بنُ حُرَيْثٍ ، أخبرَنا الفضلُ ابنُ موسى ، عن عائذِ[6] بنِ شُرَيْحٍ ، عن أنسٍ ، قال : سألَتْ عائشةُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف يُحْشَرُ الرجالُ ؟ فقال : « حُفَاةً عُرَاةً » . ثم انْتَظَرَتْ سَاعَةً ، ثم قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف يُحْشَرُ النِّسَاءُ ؟ قال :

---

(١) فى الأهوال : « تنشر » .

(٢) كشف الأستار (٣٤٢٨) . قال الهيثمى : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن شبة ، وهو ثقة . المجمع ١٠/ ٣٣٢.

(٣ - ٣) فى الأصل : « عمر بن شيبة » . وفى ح ، ص : « عمرو بن شيبة » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٨٦.

(٤) الأهوال (١١٨) .

(٥) الأهوال (١١٦) .

(٦) فى ص : « عابد » . وانظر الإكمال ٦/ ٥.

« كَذَلِكَ ، حُفَاةً عُرَاةً » . قالتْ : وَاسَوْأَتَاهُ مِن يومِ القيامةِ . قال : « وَعَنْ أَيِّ ذَلِكَ تَسْأَلِينَ ؟ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ لَا يَضُرُّكِ كَانَ عَلَيْكِ ثِيَابٌ أَمْ لَا » . قالت : أَيُّ آيةٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ » [عبس : ٣٧] .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[1] : حدَّثنا رَوْحُ بنُ حاتمٍ ، حدَّثنا هُشَيْمٌ ، عن الكَوْثَرِ ، وهو ابنُ حَكيمٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ ؛ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا » . فقالت عائشةُ : والنساءُ بأبى أنْتَ وأُمِّى ؟! فقال : « نَعَمْ » . فقالت : وَاسَوْأَتَاه ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ عَجِبْتِ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ؟ » فقالت : عَجِبْتُ مِنْ حديثِك ، يُحْشَرُ الرجالُ والنساءُ حُفاةً عُراةً غُرْلًا ، يَنْظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ . قال : فضرَب على مَنْكِبِها ، فقال : « يَا بِنْتَ أَبِي قُحَافَةَ ، شُغِلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّظَرِ ، وَسَمَوْا بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ ، مَوْقُوفُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ ، شَاخِصِينَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَرَقُ قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ سَاقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ بَطْنَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ ، مِنْ طُولِ الْوُقُوفِ ، ثُمَّ يَتَرَحَّمُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى الْعِبَادِ ، فَيَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ ، فَيَحْمِلُونَ عَرْشَهُ مِنَ السَّماوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يُوضَعَ عَرْشُهُ فِي أَرْضٍ بَيْضَاءَ لم يُسْفَكْ عَلَيْهَا [٦١و] دَمٌ ، وَلَمْ يُعْمَلْ فِيهَا خَطِيئَةٌ ، كَأَنَّهَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ ، ثُمَّ تَقُومُ الْمَلَائِكَةُ حَافِّينَ مَنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ، وَذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ نَظَرَتْ فِيهِ عَيْنٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَأْمُرُ مُنَادِيًا فَيُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ الثَّقَلَانِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ : أَيْنَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ ؟ أَيْنَ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ ؟ فَيَشْرَئِبُّ النَّاسُ لِذَلِكَ الصَّوْتِ ، وَيَخْرُجُ ذَلِكَ الْمُنَادَى مِنَ الْمَوْقِفِ ، فَيُعَرِّفُهُ اللَّهُ

---

(١) الحديث ليس فى مسنده الصغير ، ولعله فى الكبير ، وهو فى المطالب العالية (٥١١٨) من طريق هشيم ، به بنحوه . وفيه ابن مطيع بدل روح بن حاتم .

النَّاسَ ، ثُمَّ يُقَالُ : تُخْرَجُ مَعَهُ حَسَناتُه . فَيُعَرِّفُ اللَّهُ أَهْلَ الْمَوْقِفِ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ ، فَإِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَىْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قِيلَ : أَيْنَ أَصْحَابُ الْمَظَالِمِ ؟ فَيَجِيئُونَ ، رَجُلًا رَجُلًا ، فَيُقَالُ لَهُ : أَظَلَمْتَ فُلَانًا كَذَا وَكَذا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَتُؤْخَذُ حَسَنَاتُهُ ، فَتُدْفَعُ إِلَى مَنْ ظَلَمَهُ يَوْمَ لَا دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِلَّا أَخْذٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، ورَدٌّ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، فَلَا يَزَالُ أَصْحَابُ الْمَظَالِمِ يَسْتَوْفُونَ مِنْ حَسَنَاتِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، ثُمَّ يَقُومُ مَنْ بَقِىَ ، مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا ، فَيَقُولُونَ : مَا بَالُ غَيْرِنَا اسْتَوْفَى وبَقِينَا[1] ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ : لَا تَعْجَلُوا . فَيُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَيْهِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ ظَلَمَهُ بِمَظْلِمَةٍ ، فَيُعَرِّفُ اللَّهُ أَهْلَ الْمَوْقِفِ أَجْمَعِينَ ذَلِكَ ، فَإِذَا فُرِغَ مِنْ حِسَابِهِ[2] قِيلَ : ارْجِعْ إِلَى أُمِّكَ الْهَاوِيَةِ ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، وَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ ولَا بَشَرٌ ، إِلَّا ظَنَّ ، لِمَا رَأَى من شِدَّةِ الْحِسَابِ ، أَنَّهُ لَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، ولبعضِه شاهدٌ فى « الصحيحِ » ، كما سَيَأْتى بيانُه قريبًا ، إِنْ شاءَ اللَّهُ تعالى .

[3]وقال الطبرانىُّ[4] : ثنا الحسينُ بنُ إسحاقَ التُّسترىُّ ، ثنا محمدُ بنُ أبانٍ الواسطىُّ ، ثنا محمدُ بنُ الحسنِ المُزَنىُّ ، عن سعيدِ بنِ المَرْزُبانِ أبى سعدٍ ، عن[3]

---

(١) فى ص : « منعنا » .

(٢) فى المطالب : « حسناته » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المعجم الكبير ٣/ ٩٣، وفيه سقط واضطراب فى السند . وانظر جامع المسانيد ٣/ ٤٨٧. وقال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه سعيد بن المرزبان ، وهو ضعيف وقد وثق . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٣.

(١) عطاءِ بنِ أبى رباحٍ ، عن الحسنِ بنِ علىٍّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً » . فقالتِ امرأةٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، فكيفَ يرَى بعضُنا بعضًا ؟ قال : « إِنَّ الأَبْصَارَ يَوْمَئِذٍ شَاخِصَةٌ » . ورفَع رأسَه إلى السماءِ ، فقالتْ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يستُرَ عَوْرَتِى . قال : « اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتَهَا » (١) .

قال البيهقىُّ (٢) : فأما الحديثُ الذى أَخْبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ إسحاقَ ، ابنُ الخُرَاسانىِّ المُعَدِّلُ (٣) ، حدَّثنا محمدُ بنُ الهيثمِ (٤) القاضى ، أَخْبَرنا ابنُ أبى مَرْيَمَ ، أَخْبَرنا يحيى بنُ أيوبَ ، عن ابنِ الهادِ ، عن محمدِ ابنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، أنَّه لما حضَره الموتُ دعا بثِيابٍ جُدُدٍ ، فلَبِسَها ، ثم قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ الْمُسْلِمَ يُبْعَثُ فِى ثِيَابِهِ الَّتِى يَمُوتُ فِيهَا » . فهذا حديثٌ رواه أبو داودَ فى كتابِ « السننِ » (٥) ، عن الحسنِ بنِ علىٍّ ، عن ابنِ أبى مريمَ .

ثم شرَع البيهقىُّ (٦) يُجيبُ عن هذا ؛ لمعارضتِه الأحاديثَ المتقدِّمةَ فى بعثِ الناسِ حُفَاةً عُراةً غُرْلًا ، بثلاثةِ أجْوِبةٍ :

أحدُها : أنَّها تَبْلَى بعدَ قيامِهم مِن قبورِهم ، فإذا وافَوُا الموقفَ يكونون عُرَاةً ، ثم يُكْسَوْنَ مِن ثِيَابِ الْجَنَّةِ .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) وعزاه ابن حجر فى الفتح ١١/٣٨٣ إليه .

(٣) فى الأصل ، ح : « العدل » . وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٤١٤، وميزان الاعتدال ٢/ ٣٩٢.

(٤) فى ص : « القاسم » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٧١.

(٥) أبو داود (٣١١٤) ، بلفظ : « إن الميِّتَ ....» . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٧١) .

(٦) انظر فتح البارى ١١/ ٣٨٣، ٣٨٤. وانظر كذلك شعب الإيمان ١/ ٣٢٠.

الثانى : أنَّه إذا كُسِىَ الأنبياءُ ثم الصدِّيقُونَ ، ثم مَنْ بعدَهم على مراتبِهم ، فتكونُ كِسْوَةُ كُلِّ إنسانٍ مِن جِنْسِ ما يَمُوتَ فيه ، ثم إذا دَخَلُوا الْجَنَّةَ أُلْبِسُوا مِن ثِيَابِ الْجَنَّةِ .

الثالثُ : أن المرادَ بالثيابِ هـهنا الأعمالُ ، أَىْ يُبْعَثُ فى أعمالِه التى مات فيها مِن خيرٍ أو شَرٍّ ؛ قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ [الأعراف : ٢٦] . وقال : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤] . قال قَتادةُ : عَمَلَكَ فَأَخْلِصْهُ .

ثم اسْتَشْهَدَ البيهقىُّ على هذا الجوابِ الأخيرِ بما رواه مسلمٌ[(١)] مِن حديثِ الأعمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ » . قال : ورُوِّينا عن فَضَالةَ بنِ عُبَيْدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[(٢)] .

وقد قال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[(٣)] [٦١و] : أَخْبَرنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ كَثيرٍ ، حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، أَخْبَرنى سعيدُ بنُ هانئٍ ، عن عمرِو ابنِ الأسودِ ، قال : أَوْصانى مُعاذٌ بامرأتِه ، وخرَج ، فماتَتْ ، فدفَنَّاها فجاءنا وقد رفَعْنَا أَيْدِيَنَا مِن دَفْنِها ، فقال : فى أَىِّ شَىْءٍ كَفَّنْتُموها ؟ قلنا : فى ثِيَابِها . فأمَر بها فَنُبِشَتْ ، وكَفَّنَهَا فى ثِيابٍ جُدُدٍ ، وقال : أَحْسِنُوا أَكْفَانَ مَوْتاكُمْ ؛ فإنَّهم يُحْشَرُون فِيهَا .

---

(١) مسلم (٨٣/ ٢٨٧٨) .
(٢) أخرجه أحمد فى المسند ١٩/٦ (٢٣٩٨٦) ، من طريق حيوة بن شريح ، عن أبى هانئ الخولانى ، عن عمرو بن مالك الجَنْبى ، عن فضالة بن عبيد .
(٣) الأهوال (١٠٩) .

وقال أيضًا[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ، حدَّثنا يحيى بنُ إسحاقَ، [2]أَخْبَرنا إسحاقُ[2] بنُ سيّارِ[3] بنِ نصرٍ، عن الوليدِ بنِ [4]أبى مَرْوانَ[4]، عن ابنِ عباسٍ، قال: يُحْشَرُ الموتَى فى أكفانِهم. وكذا رُوىَ[5] عن أبى العَاليةِ.

وعن صالحٍ المُرِّىِّ، قال[6] : بلَغنى أنَّهم يَخْرُجون مِن قبورِهم فى أَكْفانٍ دَسِمَةٍ[7]، وَأَبْدَانٍ بَالِيَةٍ، مُتَغَيِّرَةٌ وجوهُهم، شَعِثَةٌ رُءوسُهم، نَهِكَةٌ أجْسامُهُمْ، طائرةٌ قلوبُهم مِن صدورِهم وحناجرِهم، لا يَدْرِى القومُ ما مَوْئِلُهُمْ إلا عِنْدَ انصرافِهم مِن الموقفِ، فمُنْصَرَفٌ بِه إلى الجنَّةِ، ومنصرَفٌ به إلى النَّارِ. ثم صاح بأَعْلَى صوتِه: ياسَوْءَ مُنْصَرَفَاهُ، [8]إنْ أنْتَ[8] لَمْ تَغَمَّدْنَا مِنْك بِرَحْمَةٍ واسعةٍ، لِما قَدْ ضاقَتْ صدورُنا مِن الذُّنُوبِ العظامِ، والجرائمِ التى لا غافرَ لها غَيْرُك.

ذِكْرُ شَىْءٍ مِن أهوالِ يومِ القيامةِ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ الآياتِ [الحاقة: ١٥، ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن

---

(١) الأهوال (١١٠).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ح. وانظر الإكمال ٤/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٣) فى الأهوال: «سنان».

(٤ - ٤) فى الأصل، ح، والأهوال: «أبى ثروان». وفى ص: «مروان». والمثبت من الإكمال ٤/ ٤٢٩.

(٥) الأهوال (١١١).

(٦) الأهوال، إثر الحديث السابق.

(٧) فى ص: «ذميمة». ودسمة: سوداء. انظر النهاية ٢/ ١١٧.

(٨ - ٨) فى الأهوال: «أرأيت إن».

مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ الآياتِ [ق: ٤١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾. إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾. [المزمل: ١٢ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾ الآيةَ [يونس: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الآياتِ إلى قولِهِ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧- ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلى آخرِ السورةِ [الزمر: ٦٧- ٧٥]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ الآياتِ إلى قولِه آخرَ السورةِ: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١- ١١١]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ الآياتِ إلى قولِه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ٨- ١٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ إلى آخرِ السورةِ [عبس: ٣٣- ٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ إلى آخرِ السورةِ [النازعات: ٣٤- ٤٦].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الآياتِ إلى آخرِ السورةِ. [الفجر: ٢١- ٣٠]. وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ الآياتِ إلى قولِه: ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١- ١٦]. وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ إلى قولِه: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ١- ٥٦]. ذكَر فيها سبحانه جزاءَ كلٍّ مِن هذه الأصنافِ الثلاثةِ، كما ذكَر ما

يُبَشَّرُون به عندَ موتِهم واحتِضَارِهم فِى آخرِها، كأنَّ الإنسانَ يُشاهدُ ذلك مُشاهَدةً.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ الآياتِ. وقال فى آخرِها: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ إلى آخرِ السورةِ [القمر: ٦- ٥٥].

وقال تعالى: (١) ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ إلى قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (١). [إبراهيم: ٤٨- ٥١].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ إلى قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وقال بعدَها: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى [٦٢و] بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ١٥- ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ الآياتِ إلى قولِه: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ٩٩- ١١١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

(١ - ١) فى ح: «﴿ولا تحسبن اللَّه غافلًا عما يعمل الظالمون. إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ إلى آخر السورة، وهذه الآيات ذكر تعالى فيها أحوال الظالمين والمجرمين والمنافقين يوم القيامة».

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية . [آل عمران: ١٠٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦١] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص: ٦٥، ٦٦] .

(١) وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١) [المرسلات: ٣٥- ٣٧] .

(٢) قال ابنُ عباسٍ (٢) : أى لا ينطقون بحجةٍ تنفعُهم . والآياتُ فى أهوالِ يومِ القيامةِ كثيرةٌ جدًّا فى أكثرِ سورِ القرآنِ ، وقد ذَكَرْنا فى كتابِنا « التفسيرِ » ما يتعلَّقُ بكلِّ آيةٍ مِن الآياتِ الدالةِ على صفةِ يومِ القيامة ، ومِن الأحاديثِ والآثارِ المُفسِّرةِ ذلك .

فأما قولُه : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] . وقولُه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨] . فهذا يكونُ فى حالٍ آخرَ ، كما قال ابنُ عباسٍ فى (٣) جوابِ مَن سألَه عن ذلك ، كما ذكَره البخاريُّ عنه (٣) .

(١ - ١) زيادة من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: ح ، ص . ولم نجد هذا القول بلفظه فى المصادر التى بين أيدينا ، ولكن قال - فى عبارة قريبة مطولة -: إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة فيأتى عليهم ما شاء الله وهم لا ينطقون ... ثم يأتى عليهم حال فيجحدون شركهم ويظنون أن ذلك ينفعهم . انظر تفسير الإمام مجاهد بن جبر ١/ ٦٩٢.

(٣ - ٣) فى ص: « جواب ذلك فى رواية البخارى عنه لمن سأله عن مثل ذلك » .

وكذلك قولُه : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ الآياتِ إلى قولِه : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات : ٢٧- ٧٥] .

والآياتُ فى ذكرِ يومِ القيامةِ وأهوالِه كثيرةٌ جدًّا ؛ مثلُ الآياتِ التى فى آخرِ سورةِ « هودٍ » : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ إلى ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أى غيرَ مقطوعٍ [هود : ١٠٣- ١٠٨] ، وكذلك سورةُ ﴿ عم يتساءلون ﴾ ، وسورةُ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، وسورةُ ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ ، وسورةُ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ، وسورةُ « المطففين » بكمالِها ، وسورةُ « المرسلاتِ » ، و « النازعاتِ » ، وسورةُ ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ ، وسورةُ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ ، و ﴿ إذا زلزلت ﴾ ، وآخرُ « العاديات » ، و « القارعة » ، وآخرُ ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ ، و « الهمزةِ » .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، أخبَرنا عبدُ اللَّهِ بنُ بَحيرٍ[2] الصَّنْعانيُّ القاصُّ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ يزيدَ الصَّنْعانيَّ أخبرَهُ أنَّه سَمِع ابنَ عُمَرَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كأنَّهُ[3] رَأْىُ عَيْنٍ ، فَلْيَقْرأْ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ . وَ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ . وَ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ » . وأحْسَبُه أنَّه قال : « وَسُورَةَ هُودٍ » . وكذا رواه الترمذىُّ ، عن عباسٍ العنبرىِّ ، عن عبدِ الرزّاقِ ، به[4] . ورواه أحمدُ ، عن إبراهيمَ بنِ خالدٍ ،

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٤٢ .

(٢) فى النسخ : « يحيى » . والمثبت مما تقدم ومن المسند ، وانظر أطراف المسند ٣/ ٤٤٤.

(٣) زيادة من المسند .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٤٢.

عن عبدِ اللَّهِ بنِ بَحيرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ ، مِن أهلِ صنعاءَ ، وكان أعلمَ بالحلالِ والحرامِ مِن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن ابنِ عمرَ[1] ، فذكَر نحوَه . وفى الحديثِ الآخَرِ[2] : « شَيَّبَتْنِى هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا » .

ذِكْرُ الأحاديثِ والآثارِ الدَّالةِ عَلَى أهوالِ يومِ القيامةِ ، وما يكونُ فى ذلك اليومِ مِن الأمورِ الكبارِ والشدائدِ ، وما فيه مِن المغفرةِ والرحمةِ والرضوانِ ، والجنانِ والنيرانِ

قال الإمام أحمدُ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الصَّهْباءِ ، حدَّثنا نافعٌ أبو غالبٍ الباهليُّ ، حدَّثَنى أنسُ بنُ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ القيامةِ وَالسَّمَاءُ تَطِشُّ عَلَيْهِمْ » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسناده لا بأْسَ به . وفى معنَى قولِه ﷺ : « تَطِشُّ عَلَيْهِمْ » . احتمالان ؛ أحَدُهما : أن يكونَ ذلك مِن المطَرِ ؛ أى تُمْطِرُ عليهم ، كما يقالُ : أَصابَهم طَشٌّ مِن مَطَرٍ . وهو الخفِيفُ مِنه . والثانى : أن يكونَ ذلك مِن شدَّةِ الحرِّ ، وهو الأقربُ ، واللَّهُ أعلَمُ . وقد قال اللَّهُ تعالَى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤- ٦] . وقد ثبَت فى

---

(١) المسند ٢/٣٧ (٤٩٤١) .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه (٣٢٩٧) من حديث ابن عباس ، والطبرانى فى المعجم الكبير ١٧/ ٢٨٦، ٢٨٧ (٧٩٠) من حديث عقبة بن عامر ، والبيهقى فى دلائل النبوة ١/٣٥٨ من حديث أبى سعيد . صحيح (السلسلة الصحيحة ٩٥٥) .

(٣) المسند ٣/٢٦٦ (١٣٨٤١) ، قال الهيثمى : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه عبد الرحمن بن أبى الصهباء ، ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ، وبقية رجاله ثقات . المجمع ١٠/ ٣٣٥.

« الصحيحِ »[1] : أنَّهم « يَقُومُونَ فِى الرَّشْحِ - أى فى العَرَقِ - إلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ » . وفى الحديثِ الآخرِ : أنَّهم [٦٢ظ] يتفاوَتُونَ فى ذلك بحسَبِ أعمالِهم كما تقدم[2] ، وفى حديثِ الشفاعَةِ ، كما سيأْتى ، أن الشمسَ تُدْنَى مِن العبادِ يوْمَ القيامةِ ، فتكونُ منهم علَى مسافةِ مِيلٍ ، فعندَ ذلك يَعْرَقُون بحَسَبِ أعمالِهم[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن ثورٍ ، عن أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ العَرَقَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فى الأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا[5] ، وَإنَّه لَيَبْلُغُ إلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ ، أَوْ إلَى آذَانِهِمْ[6] » . شَكَّ ثَوْرٌ أَيَّهُما قال . وكذا رَواه مسلمٌ[7] عن قُتَيْبَةَ . وأخرَجه البخاريُّ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن ثورِ بنِ زيدٍ ، عن سالمٍ أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلَه[8] .

---

(١) البخارى (٦٥٣١) من حديث ابن عمر ، ولفظه : « يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » . وكذا عند مسلم (٦٠/ ٢٨٦٢) . واللفظ الذى أورده المصنف جاء فى سنن الترمذى (٣٣٣٥) من حديث ابن عمر أيضًا .

(٢) تقدم فى صفحة ٣٧٦ .

(٣) فى الأصل حاشية : « قوله : بحسب أعمالهم . يقتضى أن ذلك خاص بالمكلفين ؛ إذ الجزاء منوط بالتكليف ، أما غيرهم فلا يحصل لهم ذلك الكرب ولا ذلك العرق ، إذ فى قدرة اللَّه صرف حرها عن غير المكلفين . فليحرر ذلك » .

(٤) المسند ٢/٤١٨ (٩٤١٦) .

(٥) فى ح ، ص : « عامًا » .

(٦) فى المسند : « آنافهم » . والمثبت موافق لما فى المسند ١٥/٢٥٠ بتحقيق الشيخ شعيب ، وذكر فى الحاشية أن « آنافهم » هو لفظ المطبوعة والنسخ المتأخرة ، وأن اللفظ الآخر - المثبت عندنا - من النسخ العتيقة .

(٧) مسلم (٦١/ ٢٨٦٣) .

(٨) البخارى (٦٥٣٢) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا الضحّاكُ بنُ مَخْلَدٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثنى أَبى ، عن سعيدِ بنِ عُمَيرٍ[2] الأنصاريِّ ، قال : جلَستُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وأبى سعيدٍ ، فقال أحدُهما لصاحبِه : [3]أَىَّ شَىْءٍ[3] سَمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذكرُ أنَّه يَبْلُغُ العَرَقُ مِنَ النّاسِ يَوْمَ القيامَةِ؟ فقال أحَدُهما : إلى شَحْمَتِه . وقال الآخَرُ : يُلْجِمُه . فخَطَّ ابنُ عمرَ ، وأَشار أبو عاصِمٍ بأُصْبُعِه ، مِن [4]شَحْمَةِ أُذُنِه[4] إلى فِيهِ ، فقال : ما أَرَى ذلك إلَّا سَواءً . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه جيِّدٌ قوىٌّ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[5] : حدَّثنا الحسَنُ بنُ عِيسَى ، أخبرَنا ابنُ المبارَكِ ، أخبرَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ ، حدَّثنى سُلَيْمُ[6] بنُ عامرٍ ، حدَّثنى المِقْدَادُ ابنُ الأَسْوَدِ ، سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذَا كان يَوْمُ القِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ ، حَتَّى تكونَ قِيدَ مِيلٍ ، أو مِيلَيْنِ » . قال سُلَيْمٌ : لا أَدْرِى أىَّ الميلَيْنِ أراد ؛ أمسافةُ الأرضِ أَم الميلُ الذى تُكْحَلُ به العينُ ؟ قال : « فتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ ، فيَكُونُونَ فى العَرَقِ بقَدْرِ أَعْمَالِهم ، فمِنْهم مَنْ يَأْخُذُهُ العَرَقُ إلى عَقِبَيْهِ ، ومِنْهم مَنْ يأْخُذُه إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومِنْهم مَنْ يَأْخُذُه إلى حِقْوَيْهِ[7] ومِنهم مَنْ يُلجِمُه إلْجَامًا » . قال : فرأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إلى فِيهِ ، قال : « يُلْجِمُه إلجامًا » . وكذا رَواه

---

(١) المسند ٣/٩٠ (١١٨٧٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٨/ ٣٦٥.

(٢) فى الأصل ، ح : « عمر » ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٥، وأطراف المسند ٦/ ٢٥١.

(٣ - ٣) فى المسند : « إنى » .

(٤ - ٤) فى المسند : « أسفل شحمة أذنيه » .

(٥) الأهوال (١٩١) .

(٦) فى ص : « سليمان » ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٤٤.

(٧) الحِقوان : الخاصرتان . اللسان (ح ق و) .

الترمذىُّ[1] ، عن سُوَيْدِ بنِ نصرٍ[2] ، عن ابنِ المباركِ ، وقال : حسَنٌ صحيحٌ . وأخرَجه مسلمٌ[3] ، عن الْحَكَمِ بنِ مُوسَى ، عن يحيى بنِ حمزةَ ، عن ابنِ جابرٍ ، به نحوَه .

وقال ابنُ المباركِ[4] ، عن مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ العَيْزَارِ ، قال : إنَّ الأَقْدَامَ يَوْمَ القيامةِ مثلُ النَّبْلِ فى القَرْنِ ، والسعيدُ الذى يجِدُ لقدَمَيْهِ مَوْضِعًا يَضَعُهُمَا فيه ، وإنَّ الشَّمْسَ لَتُدْنَى مِن رءُوسِهم ، حتى يكونَ[5] بينَها وبينَ رءُوسِهم - إمَّا قال : مِيلًا . أو : مِيلَيْن - ويُزَادُ فى حَرِّها تسعةً وستين[6] ضِعْفًا .

وقال الوليدُ بنُ مُسلمٍ[7] ، عن أبى بكرِ بنِ سعيدٍ ، [8]عن مُغِيثِ[8] بنِ سُمَىٍّ ، قال : تَرْكُدُ الشَّمْسُ فوقَ رءُوسِهم على أذْرُعٍ ، وتُفْتَحُ أبوابُ جَهنَّمَ ، فتَهُبُّ عَلَيهم رِياحُها وسَمُومُها ويخرُج عليهم نَفَحَاتُها ، حَتَّى تَجْرِىَ الأَنْهَارُ مِنْ عَرَقِهم أَنْتَنَ مِن الْجِيَفِ ، والصائمونَ فى جَنَّاتِهم[9] فى ظِلِّ العَرْشِ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزّارُ[10] : حدَّثنا محمدُ بنُ منصورٍ الطُّوسِىُّ[11] ،

---

(١) الترمذى (٢٤٢١) .
(٢) فى الأصل : « مضر » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٧٢.
(٣) مسلم (٢٨٦٤) .
(٤) رواه نعيم فى زوائد الزهد (٣٧٢) .
(٥) فى مصدر التخريج : « لا يكون » .
(٦) فى ص : « تسعين » .
(٧) الأهوال (١٩٠) .
(٨ - ٨) فى الأصل : « بن معتب » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٤٨.
(٩) فى ص : « خيامهم » وفى مصدر التخريج : « حياتهم » .
(١٠) كشف الأستار (٣٤٢٣) . قال الهيثمى : رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشى ، وهو ضعيف جدًّا . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٦.
(١١) فى ح : « الطبرى » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢١٢.

حدَّثنا عبدُ الوهابِ بنُ عطاءٍ، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ عيسى الرَّقَاشِيُّ، حدَّثنا محمدُ ابنُ المُنْكَدِرِ، عن جابرٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ العَرَقَ لَيَلْزَمُ المَرْءَ فى المَوْقِفِ حَتَّى يَقُولَ: يا رَبِّ، إرْسَالُكَ بِى إلى النّارِ أَهْوَنُ عَلَىَّ مِمَّا أَجِدُ. وهو يَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنْ شِدَّةِ العَذابِ». إسنادُه ضعيفٌ.

وقد ثبَت فى «الصحيح»[1] عن أبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فى ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه - وفى روايةٍ: إلا ظِلُّ عَرْشِه - إمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فى عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسْجِدِ إذَا خَرَجَ مِنهُ حَتَّى يَعُودَ إلَيْه، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجمَالٍ فَقَالَ: إنِّى أخافُ اللَّهَ، [٦٣و] ورَجُلانِ تَحَابَّا فى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُه مَا أنْفَقَتْ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا حسَنٌ ويَحيى بنُ إسحاقَ، قالا: حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ، قال[3]: حدَّثنا خالدُ بنُ أبى عِمْرانَ، عن القاسمِ، عن عائشةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال: «أَتَدْرُونَ مَنِ السَّابِقُونَ إلى ظِلِّ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، يَوْمَ القيامَةِ؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أَعلَمُ. قال: «الذِينَ إذا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوه، وإذا سُئِلُوهُ بَذَلُوه، وحَكَمُوا للنّاسِ كَحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ». تفرَّد به أحمدُ، وإسنادُه مقاربٌ، فيه ابنُ لَهِيعَةَ وقد تكَلَّموا فيه، وشيخُه ليس بالمشهورِ.

هذا كلُّه والناسُ مَوْقُوفُونَ[4] فى مقامٍ ضَنْكٍ ضَيِّقٍ حَرِجٍ شديدٍ صَعْبٍ، إلَّا

---

(١) البخارى (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦). ومسلم (١٣١)، والترمذى (٢٣٩١).

(٢) المسند ٦/٦٧ (٢٤٤٢٤).

(٣) بعده فى الأصل، ح: «حسن». وهو خطأ. وانظر أطراف المسند ٩/ ٢٠٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ٤٨٨.

(٤) فى الأصل: «واقفون».

عَلَى مَن يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْه ، فنَسألُ اللَّهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ الحيَّ القيومَ أنْ يُهَوِّنَ علينا ذلك المقامَ ، وأن يجعلَه علينا يسيرًا بردًا وسلامًا ، ونعَوذُ باللَّهِ من ضيقِ يومِ القيامةِ ، اللهم اجعلْ لنا مخرجًا من ذلك ، ونسألُك أنْ تُوَسِّعَ علينا فى الدنيا والآخرةِ ، اللهم اجعلْنا مع الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين ، آمين .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا يزيدُ ، أخبرَنا الأصْبَغُ ، هو ابنُ زيدٍ[(٢)] ، عن ثَوْرِ ابنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ، حدَّثنى ربيعةُ ، هو ابنُ عمرٍو الجُرَشِيُّ الشامِيُّ ، قال : سألتُ عائشةَ فقلتُ : ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ إذا قامَ مِن الليلِ ؟ وَبِمَ كان [(٣)]يفتتحُ الصلاةَ[(٣)] ؟ قالت : كان يُكَبِّرُ عَشْرًا ، ويَحمدُ[(٤)] عَشْرًا ، ويُهَلِّلُ عَشْرًا ، ويَسْتَغْفِرُ عَشْرًا ، ويقولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ، واهْدِنِى ، وارْزُقْنِى » . عَشْرًا ، ويقولُ : « اللهُمَّ إنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضِّيقِ يَوْمَ [(٥)]الحسابِ » . عَشْرًا[(٥)] .

وكذا رَوَاه النَّسائىُّ فى « اليومِ والليلةِ » عن أبى داودَ الحَرَّانىِّ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، بإسنادِه مثلَه[(٦)] ، وعندَه : « مِن ضِيقِ المَقَامِ يَوْمَ القيامَةِ »[(٧)] .

---

(١) المسند ٦/١٤٣ (٢٥١٤٥) . قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ٢/ ٢٦٣.

(٢) فى الأصل : « أبزى » . وفى ح ، ص : « يزيد » . انظر تحفة الأشراف ١١/ ٣٩٧، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٠١.

(٣ - ٣) فى المسند : « يستفتح » .

(٤) فى المسند : « يسبح » .

(٥ - ٥) فى النسخ : « القيامة » . والمثبت من المسند . وانظر جامع المسانيد ٣٤/ ١٧٩.

(٦) النسائى فى الكبرى (١٠٧٠٦/ ٢) .

(٧) الذى عند النسائى من طريق ربيعة عن عائشة : « من الضيق يوم الحساب عشرًا » . واللفظ الذى أشار إليه المصنف رواية شريق الهوزنى عن عائشة ، الكبرى (١٠٧٠٧) ، ولعله انتقال نظر .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ قُدَامةَ ، حدَّثنى يَعقوبُ بنُ سَلَمَةَ الأحمَرُ ، سمِعتُ ابنَ السّمّاكِ يقولُ : سَمِعْتُ أبا واعِظٍ الزّاهدَ يقولُ : يخرُجونَ مِن قُبورِهم يتسكعون[2] فى الظُّلُماتِ ألفَ عامٍ ، والأَرْضُ يَوْمَئذٍ نارٌ[3] كُلُّها ، وإنَّ أَسْعَدَ الناسِ يَومَئذٍ مَنْ وَجَد لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا .

وقال أيضًا[4] : حدَّثنى هارونُ بنُ سُفْيانَ ، أخبرَنا ابنُ نُفَيْلٍ ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبيٍّ قال : بَلَغَنى أنَّ النّاسَ إذا خَرَجوا مِن قبورِهم كان شعارُهم لا إلـهَ إلَّا اللَّهُ ، وكانت أوّلَ كلمةٍ يقولُها بَرُّهم وفاجِرُهم : ربَّنا ارْحَمْنا .

وحدَّثنى[5] حمزةُ بنُ العباسِ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، أخبرَنا ابنُ المبارَكِ ، أخبرَنا سفيانُ ، [6]عن سليمانَ[6] ، عن أبى صالحٍ ، قال : بلَغَنى أنَّ الناسَ يُحْشَرُونَ هكذا . ونَكَّسَ رأْسَه ، ووضَعَ يدَه اليُمنَى على كُوعِه اليُسرَى .

وحدَّثنى[7] عِصْمةُ بنُ الفضْلِ ، حدَّثنى يَحْيى بنُ يَحْيى ، عن المعتَمِرِ بنِ سليمانَ ، عن أبيه قال : سمِعتُ سَيَّارًا[8] الشاميَّ قال : يخرُجونَ مِن قبورِهم وكلُّهم مذعورونَ ، فينادِيهم مُنادٍ : ﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٨] . فيطمَعُ فيها الخلْقُ فيُتْبِعُها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا

---

(١) الأهوال (١١٤) .
(٢) فى ح : « ينمعكون » . وفى ص : « فيتلقون » . ويتسكعون : يتحيرون . النهاية ٢/ ٣٨٤.
(٣) فى ح : « ماء » .
(٤) الأهوال (١٠٣) .
(٥) الأهوال (١٠٤) .
(٦ - ٦) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٥١٤.
(٧) الأهوال (١٠٥) .
(٨) سقط من : ص . وفى ح : « يسار » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٧.

وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٩]. فييْأَسُ منها الخلْقُ غيرَ أهلِ الإسلامِ.

ورَوَى[1] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلَمَ، عن أبيهِ، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إلـهَ إلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فى قُبُورِهم، ولا يَوْمَ نُشُورِهِمْ، وكأنِّى بأهْلِ لَا إلـه إلَّا اللَّهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عن رءُوسِهم، ويقولونَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ [فاطر: ٣٤].

قلتُ: وله شاهدٌ مِن القرآنِ العظيمِ؛ قال اللَّهُ تعالَى: [٦٣ظ] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾. الآياتِ إلى قولِه: ﴿ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٤].

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[2]: أخبرَنا أبو حفصٍ الصفّارُ؛ حدَّثنا جعفرُ بنُ سُليمانَ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عِيسَى اليَشْكُرِىُّ، قال: بلَغَنَا أنَّ المُؤْمِنَ إذا بُعِثَ مِنْ قَبْرِه تَلَقّاه مَلَكَانِ، مع أَحَدِهما دِيبَاجَةٌ فيها بَرْدٌ ومِسْكٌ، ومع الآخَرِ كوبٌ مِن أكوابِ الْجَنَّةِ فيه شَرابٌ[3]، فإذا خرَج مِن قبْرِه خَلَطَ المَلَكُ ذلك البَرْدَ بالمِسْكِ فَرَشَّه عَلَيْه، وصَبَّ لهُ الآخَرُ شَرْبةً فيُناوِلُه إيَّاهَا، فيَشْرَبُها فلا يَظْمَأُ بَعْدَها أبدًا حَتَّى يدخُلَ الْجَنَّةَ.

فأمّا الأشْقِياءُ- والعِياذُ باللَّهِ- فقال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ

---

(١) الأهوال (١٠٧). والطبرانى فى الأواسط (٩٤٧٤) بنحوه. قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه يحيى الحمانى وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١٠/ ٨٣.

(٢) الأهوال (١٠٨).

(٣) بعده فى الأصل: «فيناوله إيا فيشرب ريا باردا وقال».

مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦- ٣٩].

وذكرنا فى «التفسيرِ»[1] أنَّ الكافرَ إذا قامَ مِن قبرِه أخَذ بيدِه شيطانُه، ويلزَمُه فلا يُفارِقُه، حتى يُرْمَى بهما فى النَّارِ، [2]وهكذا كلُّ فاجرٍ وفاسقٍ غافلٍ عن ذكرِ اللَّهِ، مُضَيِّعٍ لأمرِه[2]. وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١]. أى: مَلَكٌ يَسُوقُه إلى المحْشَرِ، وآخَرُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بأعمالِه؛ وهذا عامٌّ فى الأبرارِ والفُجَّارِ، وكلٌّ بِحَسَبِه ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾. أى: أيُّها الإنسانُ الغافلُ عما خُلِق له ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]. أى: نافِذٌ قوىٌّ حادٌّ ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ٢٣]. أى: هذا الذى جِئْتُ به هو الذى وُكِّلْتُ به، فيقولُ اللَّهُ تعالَى عندَ ذلك للسائقِ والشهيدِ: ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ [ق: ٢٤، ٢٥]. [3]أى: ليس فيه خيرٌ، ويمنَعُ غيرَه مِن الخيرِ، ومع ذلك هو ﴿ مريبٌ ﴾؛ [4]أى: هو فى شكٍّ وريبٍ. ثم انتقَلَ إلى مَن هو مُتَلَبِّسٌ بأعظمَ مِن ذلك، وقد تجتمِعُ فى العبدِ هذه الأربعةُ المذمومةُ المقبوحةُ، التى هى أقبحُ الخصالِ، وأعظَمُها وأقبَحُها الشِّرْكُ باللَّهِ؛ فقال تعالى[4]: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٢٦- ٣٠].

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا يَحْيَى، هو ابنُ سعيدٍ القَطَّانُ، عن ابنِ

---

(١) التفسير ٧/ ٢١٥.

(٢ - ٢) زيادة من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥) المسند ٢/ ١٧٩ (٦٦٧٧). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

عَجْلانَ ، عن عمرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيهِ ، عن جَدِّه ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فى صُوَرِ النَّاسِ ، يَعْلُوهُم كُلُّ شَىْءٍ ؛ مِنَ الصَّغَارِ ، حَتَّى يَدْخُلوا سِجْنًا فى جَهَنَّمَ ، يُقال له : بُولَسُ . فتَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ[1] ، فيُسْقَوْنَ مِنْ طِينةِ الْخَبَالِ[2] عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ » . ورَواه الترمذىُّ والنسائىُّ جميعًا عن سُوَيْدِ بنِ نصرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، به[3] ، وقال الترمذىُّ : حسَنٌ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُثْمانَ العُقَيْلىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ راشدٍ ، عن محمدِ بنِ عمرَ[5] ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ فى صُوَرِ الذَّرِّ يَومَ القِيامَةِ » . ثم قال : تفرَّد به محمدُ بنُ عثمانَ ، عن شيخِه .

[6]وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا فى « أهوالِ القيامةِ »[7] [٦٤و] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ عمرَ[6] الجُشَمِىُّ ، حدَّثنا يَحْيى بنُ سعيدٍ ، عن هشامٍ ، أنبا قَتَادَةُ ، عن الحسَنِ ، عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان فى بعضِ أسفَارِه ، وقد

---

(١) قال فى تحفة الأحوذى ٣/ ٣١٥: إنما جمع (نار) على (أنيار) وهو واوى ، لئلا يشتبه بجمع النور . قال القاضى : وإضافة النار إليها للمبالغة ؛ كأن هذه النار لفرط شدة إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ماتفعل النار بغيرها .

(٢) الخبال فى الأصل : الفساد ، ويكون فى الأفعال والأبدان والعقول . النهاية ٢/ ٨.

(٣) الترمذى (٢٤٩٢) ، والنسائى فى كتاب الرقائق ، وهو مفقود من الكبرى . وقد عزاه المزى إليه فى تحفة الأشراف ٦/ ٣٣٧. حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٠٢٥) .

(٤) كشف الأستار (٣٤٣٠) . قال الهيثمى : رواه البزار وفيه من لم أعرفه . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٤.

(٥) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٨٦.

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) الأهوال (٢٢) .

تفاوَتَ[1] بينَ أصحابِه السيرُ، فرَفع بهاتين الآيتين صوتَه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١، ٢]. فلمّا سمِع ذَلك أصحابُه حَثُّوا المَطِيَّ، وعلِموا أنَّه عندَ قولٍ يقولُه، فلمّا تَأَشَّبُوا[2] حَوْلَهُ، قال: «أَتَدْرُونَ أيَّ يوْمٍ ذاك؟ ذاك[3] يَوْمَ يُنَادَى آدَمُ، يُنَادِيهِ رَبُّه؛ يَقُولُ: يا آدمُ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ. قال: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قال: مِنْ كلِّ ألفٍ تِسْعُمائةٍ وتِسْعَةٌ وتِسْعُونَ إلى النارِ، وواحدٌ إلى الجَنَّةِ». قال: فأُبْلِسَ أصحابُه حَتَّى ما أَوْضَحُوا بِضَاحِكَةٍ، فلمّا رأَى ذلك قال: «اعْمَلُوا[4]، وأَبْشِرُوا، فوَالَّذِى نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ إنَّكُم لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إلَّا كَثَّرَتاهُ؛ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، ومَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِى آدَمَ ومِنْ بَنِى إبْلِيسَ». قال: فَسُرِّىَ عنهم، ثم قال: «اعْمَلُوا[4]، وأَبْشِرُوا، فوالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما أَنْتُمْ فِى النّاسِ إلَّا كالشّامَةِ فى جَنْبِ البَعِيرِ، أو كالرَّقْمَةِ فى ذِرَاعِ الدَّابَّةِ». وقد رَواه الترمذىُّ والنَّسائىُّ جميعًا عن محمدِ بنِ بَشَّارٍ، بُنْدارٍ، عن يَحْيى بنِ سعيدٍ القَطّانِ، به[5]، وقال الترمذىُّ: حسَنٌ صحيحٌ.

---

(١) فى النسخ: «تقارب». والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) تأشبوا: تجمعوا واختلطوا.

(٣) زيادة من مصدر التخريج.

(٤) فى ح، ص: «اعلموا».

(٥) الترمذى (٣١٦٩)، والنسائى فى الكبرى (١١٣٤٠/٢). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٣٤).

فصـــلٌ

فإذا قامَ الناسُ مِن قُبورِهم وجَدُوا الأرْضَ غيرَ صِفَةِ الأرضِ التى كانوا فيها وفارَقُوها ؛ قد دُكَّتْ جِبالُها ، وزالَتْ تِلَالُها ، وتغَيَّرتْ أحْوالُها ، وانقَطَعت أنْهارُها ، وبادَتْ أشجَارُها ومساكنُها ومدنُها وبلادُها ، وسُجِّرَتْ بحارُها ، وتَساوَتْ وِهادُهَا ورُبَاها ، وخَرِبَتْ مدائنُها وقُرَاها ، وزالت قصورُها وبيوتُها وأسواقُها ، وزُلْزِلَتْ زِلْزالَها ، وَأَخْرَجَتْ أثْقَالَها ، وقال الإنسانُ : مَالَها ؟! يومَئذٍ تُحَدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربَّك أَوْحَى لها ، وكذلك يَجِدُون السَّماواتِ قد بُدِّلَتْ ، ونجُومُها قد انْكَدَرَتْ وانْتَثَرَتْ ، ونواحِيها قد تشَقَّقَتْ ، وأرجاؤُهَا قد تَفَطَّرَتْ ، والملائِكةُ عَلَى أرجائِها قد أَحْدَقَتْ ، وشَمْسُها وقَمَرُها مَكْسُوفانِ ، بل مَخْسُوفانِ ، وفى مكانٍ واحدٍ مَجْموعانِ ، ثم يُكوَّرَانِ بعدَ ذلك ، ثُم يُلْقَيانِ فى النارِ ، كما فى الحديثِ الذى سَنُورِدُه فى « النَّيِّرَان » كأَنَّهما ثَوْرانِ عَقِيرَانِ .

قال أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ : قال ابنُ عبّاسٍ : يخرُجُونَ مِن قبورِهم ، فينظُرونَ إلى الأرضِ غيرَ الأرضِ التى عَهِدُوها ، وإلى الناسِ غيرَ الناسِ الذين كانوا يَعرِفون ويَعْهَدُون . قال : ثم تَمَثَّل ابنُ عباسٍ[1] :

فما الناسُ بالناسِ الّذِينَ عَهِدْتَهُمْ ... وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ التى كُنْتَ تَعْرِفُ

وقد قال تعالَى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] . وقال : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور : ٩، ١٠] . وقال : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾

---

(١) البيت لهدبة . انظر سمط اللآلى ٢/ ٨١٠.

[الرحمن: ٣٧] . وقال : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقة: ١٤، ١٥] . وقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ الآيات [التكوير: ١- ٣] .

وثبَت فى « الصَّحيحين »[(١)] مِن حديثِ أبى حازمٍ ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ ، عن النبىِّ ﷺ أنَّه قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ[(٢)] كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ[(٣)] ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ » .

وقال محمدُ بنُ قيسٍ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[(٤)] : تُبَدَّلُ الأرْضُ خُبْزَةً بَيْضاءَ ، يَأْكُلُ مِنْها المُؤْمِنُ مِن تَحْتِ قدَمَيْه .

وقال الأعمَشُ ، عن خيثَمةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال[(٥)] : الأرْضُ كُلُّها يَوْمَ القيامةِ نارٌ ، والجَنَّةُ مِنْ ورائِها تُرَى كواعبُها وأكوابُها ، ويُلْجِمُهُم العَرَقُ [٦٤ظ] ويَبْلُغُ منهم كلَّ مَبْلَغٍ ، ولم يَبْلُغُوا الحِسَابَ . وكذا رواه الأعمشُ عن المِنهالِ ، عن قَيْسِ بنِ السَّكَنِ ، عن ابنِ مسعودٍ ، فذكَره[(٥)] .

وقال إسرائيلُ وشعبةُ[(٦)] ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن ابن مسعودٍ ، قال : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] . قال : أرضٌ بَيْضاءُ كالفِضَّةِ البَيْضاءِ ، نَقِيَّةٌ لم يُسْفَكْ فيها دَمٌ ، ولم يُعْمَلْ فيها خَطِيئَةٌ ، يَنْفُذُهُم

---

(١) البخارى (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠) .
(٢) عفراء : بيضاء إلى حمرة . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٣٤.
(٣) النقى : الخبز الحُوَّارَى . والحوارى : الدقيق الأبيض . وانظر النهاية ٥/ ١١٢، والتاج (ح و ر) .
(٤) تفسير الطبرى ١٣/ ٢٥١، ٢٥٢.
(٥) المصدر السابق ١٣/ ٢٥١.
(٦) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٩، ٢٥٠.

البَصَرُ ، ويُسْمِعُهم الدَّاعِى ، حُفَاةً عُراةً كما خُلِقُوا . أُراه قال : قِيَامًا حَتّى يُلْجِمَهُمُ العَرَقُ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ ، قال : قال الحسَنُ : قالت عائشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أرأيتَ قولَه تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ . أيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ؟ قال : « إنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ مَا سَأَلَنِى عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِى قَبْلَكِ ؛ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ » . تفرَّد به أحمدُ .

ورواه ابنُ أبى الدُّنيا[2] : أخبرنا علىُّ بنُ الجَعدِ ، أخبرَنا القاسمُ بنُ الفضلِ ، سمِعتُ الحسَنَ ، قال : قالت عائشةُ ، فذكَرَه . ورواه قتادةُ عن حَسّانَ بنِ بلالٍ المُزَنىِّ ، عن عائشةَ ، بمثلِ هذا سواءً[3] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[4] : أنبأ عبيدُ اللَّهِ بنُ جريرٍ العَتَكىُّ ، حدثنا محمدُ بنُ بكَّارٍ الصَّيْرَفِىُّ ، أنبأ الفَضْلُ بنُ مَعْروفٍ[5] القُطَعِىُّ ، أخبرنا بشْرُ بنُ حَرْبٍ ، عن أبى سعيدٍ ، عن عائشةَ ، قالت : بينَما النبىُّ ﷺ واضعٌ رأْسَه فى حِجْرِى بَكَيْتُ ، فرَفع رأْسَه ، فقال : « ما أَبْكَاكِ ؟ » قلتُ : بأبى أنتَ وأُمِّى ، ذكرْتُ قولَ اللَّهِ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ . أينَ الناسُ يومَئذٍ ؟ قال : « النّاسُ يَوْمَئِذٍ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، والمَلائِكَةُ وُقُوفٌ تَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ . فَمِنْ يَئِنِ زَالٍّ وَزَالَّةٍ » . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، لم يُخرِجْه أحمدُ ، ولا أحَدٌ مِن

---

(١) المسند ٦/١٠١ (٢٤٧٤١) .
(٢) الأهوال (٦٩) .
(٣) تفسير الطبرى ١٣/ ٢٥٣.
(٤) الأهوال (٧٢) .
(٥) فى الأهوال ، والإكمال ٧/ ١٤٩ : « معرف » . وانظر الضعفاء الكبير للعقيلى ٣/ ٤٤٥، والأنساب ٤/ ٥٢٣، وتهذيب الكمال ٤/ ١١٠.

أصحابِ الكتبِ السِّتَّةِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ أبي عَدِيٍّ ، عن داودَ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن مَسْروقٍ ، عن عائشةَ ، أنَّها قالت : أنَا أوَّلُ النَّاسِ سأَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآيةِ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ . قالت : قلتُ : أينَ الناسُ يومَئذٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « عَلَى الصِّرَاطِ » .

وأخرَجه مسلمٌ ، والترمذيُّ ، وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ داودَ بنِ أبي هِنْدٍ[2] . وقال الترمذيُّ : حسَنٌ صحيحٌ . ورَواه أحمدُ[3] ، عن عفّانَ ، عن وُهَيْبٍ ، عن داودَ ، عن الشَّعبيِّ ، عنها ، ولم يذكُرْ مَسْروقًا .

ورواه أحمدُ أيضًا[4] مِن حديثِ حبيبِ بنِ أبي عَمْرةَ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن عائشةَ ، أنَّها سأَلَت رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآيةِ ، ثمَّ قالت : أينَ الناسُ يومَئذٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُمْ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ » .

وروَى مسلمٌ[5] مِن حديثِ أبي سَلَّامٍ ، عن أبي أسماءَ الرَّحَبيِّ ، عن ثَوْبَانَ ، أنَّ حَبْرًا مِن اليهودِ سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآيةِ ؛ أيْنَ يكونُ الناسُ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دونَ الجِسْرِ » .

---

(١) المسند ٦/٣٥ (٢٤١١٥) .

(٢) مسلم (٢٩/ ٢٧٩١) ، والترمذى (٣١٢١) ، وابن ماجه (٤٢٧٩) .

(٣) المسند ٦/١٣٤ (٢٥٠٦٧) .

(٤) المسند ٦/١١٦ (٢٤٩٠٠) مطولا ، وفيه أن الآية التى سألت عنها قولُه تعالى : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ .

(٥) مسلم (٣٤/ ٣١٥) مطولا .

وقال ابنُ جريرٍ[1] : حدَّثنى ابنُ عوفٍ[2] ، حدَّثنا أبو المُغِيرَةِ ، حدَّثنا ابنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ ثَوْبانَ الكَلَاعِىُّ ، عن أبى أيُّوبَ الأنصارىِّ ، قال : أَتَى النبىَّ ﷺ حَبْرٌ مِنَ اليهودِ ، فقال : أرأيتَ إذْ يقولُ اللَّهُ فى كتابِه : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ . فأينَ الخَلْقُ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ فقال : « أَضْيَافُ اللَّهِ ، فَلَنْ يُعْجِزَهُم مَا لَدَيْه » . وكذا روَاه ابنُ أبى حاتمٍ[3] ، مِن حديثِ أبى بكرِ بنِ أبى مَرْيَمَ .

وقد يكونُ هذا التبديلُ بعدَ المحْشَرِ ، ويكونُ تبدِيلًا ثانيًا إلى صِفَةٍ أُخْرَى غيرِ الأُولَى ، وبعدَها ، واللَّهُ سبحانَه أعلَمُ ، كما قال ابنُ أبى الدُّنيا[4] : أخبرَنا يوسفُ ابنُ مُوسَى ، حدَّثنا وَكِيعٌ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن المُغيرَةِ بنِ مالكٍ ، عن رَجُلٍ مِنْ بَنِى مُجَاشِعٍ ، يقال له : عبدُ الكريمِ . أو يُكَنَّى بأَبى عبدِ الكريمِ ، قال[5] : أقامَنِى عَلَى رَجُلٍ بخُراسانَ ، فقال : حدَّثَنى هذا أنَّه سمِع علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، يقولُ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قال : ذُكِر لنا أنَّ الأرضَ تُبدَّلُ فِضّةً ، والسَّماواتِ[6] [٦٥و] ذهبًا . وكذا رُوِى عن ابنِ عباسٍ ، وأنسِ بنِ مالكٍ ، ومجاهدِ بنِ جَبرٍ وغيرِهم[7] ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) تفسير الطبرى ١٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) فى مصدر التخريج : « عون » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٣٦.

(٣) تفسير ابن أبى حاتم ٧/ ٢٢٥٣.

(٤) الأهوال (٦٨) .

(٥) أى : المغيرة بن مالك .

(٦) فى الأهوال : « الجنة » . وانظر الدر المنثور ٤/ ٩١.

(٧) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ١٣/ ٢٥١ بسنده عن ابن عباس ، و ١٣/ ٢٥٠، ٢٥١ عن أنس ، و ١٣/ ٢٥٠، ٢٥٤ عن مجاهد .

ذِكْرُ طُولِ يومِ القيامَةِ، وما وردَ فى مِقْدَارِه

قال اللَّهُ سبحانَه: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]. قال بعضُ المفسِّرينَ[(١)]: هو يومُ القيامةِ.

وقال تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾. إلى قولِه: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ١- ٥].

وقد ذكَرْنَا فى «التفسيرِ»[(٢)] اخْتلافَ السَّلَفِ والخلَفِ فى معنَى هذِه الآيةِ؛ فروَى لَيْثُ بنُ أبِى سُلَيْمٍ وغيرُه، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال: ذلك مِقْدارُ ما بينَ العرشِ إلى الأرضِ السَّابعةِ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ فى قولِه: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [السجدة: ٥]. يعنى بذلك نُزولَ الأمْرِ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ، ومن الأرضِ إلى السماءِ؛ لأنَّ ما بينَ السماءِ والأرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمائةِ عامٍ. رواه ابنُ أبى حاتمٍ[(٣)].

ورواه ابنُ جريرٍ[(٤)] عن مجاهدٍ أيضًا، وذهَب إليهِ الفَرَّاءُ[(٥)]، وقاله أبو عبدِ اللَّهِ الحَلِيمِىُّ، فيما حكَاهُ عنه الحافِظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ فى كتابِ «البعثِ

---

(١) الدر المنثور ٤/ ٣٦٥.

(٢) التفسير ٢٤٨/٨ وما بعدها.

(٣) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٦٤/٦ إلى ابن أبى حاتم.

(٤) تفسير الطبرى ٢١/ ٩١.

(٥) معانى القرآن ٣/ ١٨٤. وانظر شعب الإيمان ١/ ٣٢٥.

والنُّشورِ »[1] ، قال الحَلِيمىُّ : فَالمَلَكُ يَقطَعُ هذه المسافةَ فى بعضِ يومٍ ، ولو أنَّها مسافةٌ يُمْكِنُ البشرَ قطعُها لم يتمكَّنْ أحدٌ من قطعِها إلَّا فى مقدارِ خمسينَ ألفَ سنةٍ . قال : وليسَ هذَا من تقديرِ يومِ القيامةِ بِسَبِيلٍ ، [2]بل هذا مقدارُ ما بينَ العرشِ إلى الأرضِ السابعةِ[2] . ورجّح الحَلِيمىُّ هذا بقولِه تعالى : ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٣، ٤] وذى المعارجِ : أىْ العُلُوِّ والعَظَمةِ ، كما قالَ تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر : ١٥] . ثم فَسَّرَ ذلكَ بقوله : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ ﴾ . أى فى مَسافةٍ كانَ مقدارُها خَمسينَ ألفَ سنةٍ ، أى بُعْدُها واتِّسَاعُهَا هذه المدَّةُ .

فعلَى هذَا القولِ المرادُ بذلكَ : مسافةُ المكانِ . هذا قولٌ . [3]وقد حاولَ البيهقىُّ الجمعَ بينَ هذه الآيةِ وبينَ قولِه : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ بأنَّ الملائكةَ تَقْطعُ هذه المسافةَ فى الدنيا فى ألفِ سنةٍ ، فإذا كان يومُ القيامةِ لا تقطَعُها إلا فى خمسينَ ألفَ سنةٍ ؛ لما يشاهدون من هولِ ذلك اليومِ ، وعظمتِه ، وغضبِ الربِّ ، عزَّ وجلَ ، واللَّهُ أعلمُ[3] .

والقولُ الثانى : أنَّ المرادَ بذلكَ مُدةُ عُمرِ الدُّنيَا .

قال أبو محمدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حاتمٍ فى « تفسيرِه »[4] : حدَّثَنا أبو زُرْعَةَ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، حدَّثَنا ابنُ أبى زائدةَ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ ، فى قولِه تعالى : ﴿ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : الدُّنيا عُمرُهَا خَمسونَ

---

(١) انظر شعب الإيمان ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) وذكره المصنف فى التفسير ٢٤٩/٨ وعزاه لابن أبى حاتم .

ألفَ سنةٍ ، ذلكَ عمرُهَا يومَ سَمَّاهَا اللَّهُ تعالَى يومًا : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ ﴾ . قال : اليومُ الدُّنيا .

وقالَ عبدُ الرزّاقِ[1] : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ أبِى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، وعن الحكَمِ بنِ أَبَانٍ ، عن عِكْرِمةَ : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قالا[2] : الدُّنيا من أوَّلِها إلَى آخرِهَا خمسونَ ألفَ سنةٍ ، لا يَدْرِى أَحَدٌ كم مضَى ، ولا كَم بَقِىَ ، إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ . وذكَرَه البَيْهَقِىُّ من طريقِ محمدِ بنِ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، به . وهذا قولٌ غريبٌ جدًّا ، لا يوجَدُ فى كثيرٍ من الكُتُبِ المشهورةِ ، واللَّهُ أعلمُ .

القولُ الثالثُ : أنَّ المُرَادَ بذلكَ فَصْلُ مَا بينَ الدُّنْيا ويومِ القيامةِ . [3]وهو مدَّةُ المقامِ فى البرزخِ[3] . رواه ابنُ أبِى حاتمٍ[4] ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِىِّ ، وهو غريبٌ أيضًا .

القولُ الرابعُ : أَنَّ المرادَ بذلكَ مقدارُ الفصلِ بينَ العبادِ يومَ القيامةِ . [٦٥ظ] قال ابنُ أبِى حاتمٍ[4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ سِنَانٍ الواسِطىُّ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدِىٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن سِمَاكٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : يومُ القيامةِ . إسنادُه صحيحٌ . ورواه الثورىُّ[5] عن سِمَاكٍ ، عن عِكْرِمةَ من قولِه ، وبه قال الحسنُ ، والضَّحَّاكُ ، وابنُ زيدٍ[6] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣١٦.

(٢) فى النسخ : « قال » . والمثبت من مصدر التخريج . وقالا أى : مجاهد وعكرمة .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٦٤ إلى ابن أبى حاتم .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ٢٩/ ٧١، من طريق الثورى ، به .

(٦) المصدر السابق ٢٩/ ٧١.

وقال ابنُ أبِى الدُّنيا[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ إدريسَ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ وَاقِعٍ[2] ، حدَّثنا ضَمْرَةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن يزيدَ الرِّشْكِ ، قال : يقومُ الناسُ يومَ القيامةِ أربعينَ ألفَ سنةٍ ، ويُقْضَى بينَهُم فى مقدارِ عَشَرةِ آلافِ سنةٍ .

وقال عليُّ بنُ أبى طَلْحَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال[3] : يومُ القِيامةِ جَعَلَه اللَّهُ على الكافِرينَ مِقْدَارَ خَمسينَ ألفَ سنةٍ . وقال الكَلْبِىُّ فى « تفسيرِهِ »[4] ، وهو يرويهِ عن أبِى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو وَلِىَ مُحاسَبةَ العبادِ غيرُ اللَّهِ تعالَى لم يَفرُغْ فِى خمسينَ ألفَ سنةٍ .

وقال البيهقىُّ : وفيما ذَكَرَ حَمّادُ بنُ زَيْدٍ ، عن أيُّوبَ ، قال : قال الحسنُ : ما ظَنُّكَ بيَوْمٍ قام العبادُ فيه على أقدامِهم مِقْدَارَ خمسينَ ألفَ سنةٍ ، لم يأكلُوا فيها أكْلَةً ، ولم يَشْربوا فيها شَرْبةً ، حتَّى تَقَطَّعَتْ أعْنَاقُهُمْ عَطَشًا ، واحْتَرَقَتْ أَجْوَافُهم جُوعًا ، ثم انْصُرِفَ بهم إلى النَّارِ ، فسُقُوا من عَيْنٍ آنيةٍ ، قد أَنَى حَرُّها[5] ، واشتَدَّ نُضْجُها . وقد ورَد هذا فى أحاديثَ متعدِّدَةٍ ، فاللَّهُ أعلمُ .

قالَ الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا الحسنُ بنُ موسَى ، حدَّثَنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثَنا دَرَّاجٌ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قيل لرسولِ اللَّهِ ﷺ : يومٌ كانَ مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ ؛ ما أطولَ هذا اليومَ ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنَّهُ لَيُخَفَّفُ على المؤْمِنِ ، حتَّى يكُونَ أخَفَّ عليهِ من صلاةٍ مَكْتوبَةٍ

---

(١) الأهوال (١٧٢) .

(٢) فى النسخ : « رافع » . والمثبت من الأهوال . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٢٩/ ٧١، من طريق ابن أبى طلحة ، به .

(٤) تنوير المقباس ص ٣٦٧. وانظر شعب الإيمان ١/ ٣٢٥.

(٥) أنى حرها : أى بلغ النهاية . انظر اللسان (أ ن ى) .

(٦) المسند ٣/٧٥ (١١٧٣٥) .

يُصَلِّيهَا فى الدُّنيَا » . ورواه ابنُ جريرٍ فى « تفسيرِه »[1] ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأَعْلَى ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن دَرَّاجٍ ، به . ودَرَّاجٌ أبو السَّمْحِ وشيخُه أبو الهَيْثمِ سليمانُ بنُ عمرٍو العُتْوَارِىُّ ، ضعيفانِ ، على أنَّه قد رواه البيهقىُّ[2] بلفظٍ آخرَ ، وقال : أخبرَنَا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضِى ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، قالا : حدَّثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا محمدُ ابنُ إسْحَاقَ الصَّغَانىُّ ، حدَّثَنا أبو سلمةَ الخُزاعِىُّ ، حدَّثَنا خلَّادُ بنُ سُلَيْمانَ الحَضْرَمىُّ - وكانَ رجلًا من الخائفينَ - قال : سمعتُ دَرَّاجًا أبا السَّمْحِ يُخْبِرُ عمَّنْ حَدَّثه عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، أنَّه أَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : أَخْبِرْنِى مَنْ يَقْوَى على القِيامِ يومَ القِيَامةِ الذى قال اللَّهُ تعالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] . فقال : « يُخَفَّفُ علَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ كالصَّلاةِ الْمَكْتُوبةِ » .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ : إنَّ للمُؤْمِنينَ يومَ القيامةِ كراسِىَّ مِنْ نورٍ ، يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا ، ويُظَلَّلُ عَلَيْهِم الغَمَامُ ، ويكونُ يومُ القيامةِ عليهم كساعةٍ مِنْ نهارٍ ، أو كأحدِ طَرَفَيهِ . رواه ابنُ أبِى الدُّنْيَا فى « الأَهْوَالِ »[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو كاملٍ ، حدَّثَنا حمّادٌ ، عن سُهيلِ بنِ أبِى صالحٍ ، عن أبيهِ ، عن أبِى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّى حَقَّهُ إلَّا جُعِلَ كَنْزُهُ صَفَائِحَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، فَتُكْوَى بِهَا

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/ ٧٢.

(٢) عزاه الخطيب التبريزى فى مشكاة المصابيح (٥٥٦٣) إلى البيهقى فى البعث والنشور.

(٣) الأهوال (١٧٤) .

(٤) المسند ٢/٢٦٢ (٧٥٥٣) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح . المسند ١٣/ ٩.

جَبْهَتُهُ ، وَجَنْبُهُ ، وَظَهْرُهُ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فى يَوْمٍ كانَ مقدَارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ، ثُمَّ يُرَى سَبِيلَهُ إمَّا إلَى الجَنَّةِ ، وَإمَّا إلَى النَّارِ ...» .

وذَكَرَ بَقِيَّةَ الحديثِ فِى مانعِ زَكاةِ الغَنمِ[1] ، والإبلِ ، أنَّه يُبْطَحُ لها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ ، تَطَؤُه بأخْفَافِها وأَظْلافِها ، وتَنْطَحُه بقُرُونِهَا ، كلَّمَا مرَّتْ عليهِ أُخْرَاها أُعِيدَتْ عليْهِ أُولَاها ، حتَّى يَقْضِىَ اللَّهُ بَيْنَ العِبَادِ ، فى يومٍ كانَ مِقْدَارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ مما تَعُدُّونَ ، ثم يُرَى سَبِيلَه إمَّا إلَى الجَنَّةِ وإمَّا إلَى النَّارِ .

وهَكَذَا رواهُ أبُو داودَ الطَّيالِسىُّ فى « مُسْنَدِهِ »[2] : أخبرَنا وُهَيْبُ بنُ خالدٍ ، وكانَ ثِقَةً ، حدَّثَنا سُهَيلُ بنُ أبِى صالحٍ ، [٦٦و] عن أبيه ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذَكَرَ نحوَه . وأخرجَه مسلمٌ[3] مَن حديثِ رَوْحِ بنِ القاسِمِ ، وعبدِ العزيزِ بنِ المُخْتارِ ، كلاهما عن سُهيلٍ ، به مثلَه . وأَخْرَجَهُ مسلمٌ[4] أيضًا من حديثِ زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبِى هريرةَ مرفوعًا فى الذَّهبِ ، والفِضَّةِ ، والإبلِ ، والبقَرِ ، والغَنمِ .

وقد روَاه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ ، من حديثِ شُعْبَةَ ، والنسائىُّ من حديثِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ[5] ، كلاهُما عن قَتادَةَ ، عن أبى عمرَ الغُدَانىِّ ، عن أبى هُريرةَ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ إبِلٌ لَا يُعْطِى حَقَّهَا فِى

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « والبقر » .

(٢) مسند الطيالسى (٢٤٤٠) .

(٣) مسلم (٢٦/ ٩٨٧) .

(٤) مسلم (٢٥/ ٩٨٧) .

(٥) المسند ٢/ ٤٩٠ (١٠٣٥٦) ، وأبو داود (١٦٦٠) ، والنسائى (٢٤٤١) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف ؛ لجهالة أبى عمر - ويقال : عمرو - الغدانى . المسند ١٦/ ٢٣٣ ، ٢٣١ .

نَجْدَتِها وَرِسْلِهَا - يعنى فِى عُسْرِهَا ويُسْرِهَا - فَإِنَّهَا تَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَذِّ مَا كَانَتْ وَأَكْبَرِهِ[1] وَأَسْمَنِهِ وَآشَرِهِ[2] ، حَتَّى يُبْطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ ، فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا ، فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حتَّى يُقْضَى بينَ النَّاسِ ، فيُرَى سَبِيلَه . وإِذَا كَانَتْ لَهُ بَقَرٌ لَا يُعْطِى حَقَّهَا فِى نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا ، فَإِنَّهَا تَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَذِّ مَا كَانَتْ وَأَكْبَرِهِ وَأَسْمَنِهِ وَآشَرِهِ ، ثُمَّ يُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ ، فَتَطَؤُهُ كُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفِهَا ، وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا ، [3]لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا عَضْبَاءُ[3] ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا ، فِى يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ، فَيُرَى سَبِيلَهُ . وإِذَا كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ لَا يُعْطِى حَقَّهَا فِى نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا ، فَإِنَّهَا تَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَذِّ مَا كَانَتْ وَأَكْبَرِه وَأَسْمَنِه وَآشَرِهِ ، حتَّى يُبْطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَطَؤُهُ كُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفِهَا ، وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا ، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا عَضْبَاءُ ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا ، فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ، فيُرَى سَبِيلَهُ » .

قالَ البيهقىُّ : وهَذَا لا يَحْتَمِلُ إِلَّا تقديرَ ذلكَ اليومِ بخمسينَ ألفَ سنةٍ مما تَعُدُّونَ ، واللَّهُ أعلمُ ، ثم لا يكونُ ذلكَ كذلكَ إِلَّا علَى الذِى لا يُغْفَرُ له ، فأمَّا مَنْ غُفِرَ له ذَنبُه مِنَ المؤمنينَ ، فقد أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافِظُ[4] ، حدَّثَنا الحسَنُ بنُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « أكثره » .

(٢) آشره : أى وأبطره وأنشطه . النهاية ١/ ٥١.

(٣ - ٣) سقط من : ص . والعقصاء : الملتوية القرن . والعضباء : المكسورة القرن . انظر اللسان (ع ق ص ، ع ض ب) .

(٤) المستدرك ١/ ٨٤.

محمدِ بنِ حَلِيمٍ[1] ، أخبرَنا أبو المُوَجِّهِ ، أخبرَنا عَبْدانُ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ ، هو ابنُ المبارَكِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ ، عن زُرَارَةَ بنِ أَوْفَى ، عن أبِى هُريرةَ ، قال : يومُ القِيَامَةِ عَلَى المؤْمِنِينَ كقَدْرِ مَا بينَ الظُّهْرِ والعَصْرِ . ثم قال : هذا هو المحفوظُ ، وقد رُوى مرفوعًا ، أخْبرَناه أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ[2] ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ علىٍّ الجوهرىُّ بِمَرْوَ ، حدَّثَنا يحيى بنُ سَاسُوَيْهِ بنِ عبدِ الكَرِيمِ ، حدَّثَنا سُوَيدُ بنُ نَصْرٍ ، حدَّثَنا ابنُ المباركِ ، فذَكَرَه بإسنادِه مرفوعًا .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[3] : حدَّثَنا حَرْمَلَةُ بنُ يحيى ، حدَّثَنا ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ مَيْسَرةَ ، عن أبى هانِئٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : تلا رسولُ اللَّهِ ﷺ هذه الآيةَ : « ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ » [المطففين : ٦] . قال : « كيفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمُ اللَّهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِى الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ لا يَنْظُرُ إِلَيْكُم ؟ » .

وقال ابنُ أبى الدنيا[4] : حدَّثنا حمزةُ بنُ العبَّاسِ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، حدثنا ابنُ المباركِ ، حدثنا سُفيانُ ، عن مَيْسَرةَ ، عن المِنْهالِ بنِ عَمْرٍو ، عن أبى عُبَيْدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : لا ينتصفُ النَّهارُ مِن يومِ القيامةِ حتَّى يَقِيلَ هؤلاء وهؤلاء ، ثم قرأ : (ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) . قال ابنُ المباركِ : هكذا هى فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ[5] .

---

(١) فى النسخ : « حكيم » . والمثبت من المستدرك . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٤٧.

(٢) المستدرك ١/ ٨٤. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين . ووافقه الذهبى .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٧٢، من طريق ابن وهب ، به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٢٤، إلى البيهقى فى البعث والنشور ، وإلى غيره .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٤٠٢ ، من طريق سفيان ، به .

(٥) انظر فتح القدير ٤/٣٩٨ ، وانظر الآية ٦٨ من سورة الصافات .

ثم قال[1] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثَنا وَكِيعٌ ، حدَّثنا سُفيانُ ، عن ميْسَرةَ النَّهْدِيِّ[2] ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن أبى عُبَيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فى قولِه : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ [٦٦ظ] مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٤] . قال : لا ينتصفُ النهارُ يومَ القيامةِ حتّى يَقِيلَ هؤلاءِ وهؤلاءِ .

ذِكْرُ المَقَامِ المحمودِ الذى خُصَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مِن بينِ سائرِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ

ومِن ذلك الشفاعةُ العُظْمَى فى أهلِ الموقفِ ؛ لِيَجِيءَ الرَّبُّ ، عزَّ وجلَّ ، فيَفْصِلَ بينَهم ، ويُرِيحَ المؤمنين مِن ذلك الحالِ إلى حُسنِ المآلِ .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا علىُّ بنُ عَيَّاشٍ ، حدَّثنا شُعَيْبُ بنُ أبى حَمْزةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَـٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ، آتِ مُحمَّدًا الْوَسِيلَةَ والْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِى وَعَدْتَهُ . حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . انفرَد به دونَ مسلمٍ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٦٧، إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم وغيرهما .

(٢) فى الأصل ، ص : « الهندى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٩٢.

(٣) البخارى (٦١٤، ٤٧١٩) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا وكيعٌ ، حدَّثنا داودُ ؛ وهو ابنُ يزيدَ بنِ عبدِ الرحمنِ الزَّعافِرِيُّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] . قالَ : « الشَّفَاعَةُ » . إسنادُه حسنٌ .

وثبَت فى « الصَّحيحين » وغيرِهما مِن حديثِ جابرٍ وغيرِه[2] ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِى ؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَأُحِلَّتْ لِى الْغَنَائِمُ[3] ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِى ، وَجُعِلَتْ لِى الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً » .

فقولُه : « وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ » . يعنى بذلك الشفاعةَ التى تُطلَبُ مِن آدمَ ، فيقولُ : لستُ بصاحبِ ذاكُمْ ، اذهبُوا إلى نوحٍ ، فيقولُ لهم كذلك ويُرشِدُهم إلى إبراهيمَ ، فيُرشِدُهم إلى موسى ، فيُرْشِدُهم موسى إلى عيسى ، فيُرشِدُهم عيسى إلى محمدٍ ﷺ ، فيقُولُ : « أَنَا لَهَا ، أَنَا لَهَا » . وسيأتِى ذلك مبسوطًا فى أحاديثِ الشفاعةِ ، فى إخراجِ العُصاةِ مِن النّارِ ، وقد ذكَرنا ذلك بطولِه مبسوطًا عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ عندَ تفسيرِ هذه الآيةِ[4] .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[5] عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَنَا سَيِّدُ

---

(١) المسند ٢/٤٤٤ (٩٧٣٣) . قال الشيخ : حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف . المسند ١٥/ ٤٥٨.
(٢) البخارى (٣٣٥، ٤٣٨) ، ومسلم (٣/ ٥٢١) ، والنسائى (٤٣٠) من حديث جابر ، والمسند ١/ ٢٥٠، ٣٠١ (٢٢٥٦، ٢٧٤٢) من حديث ابن عباس ، والمسند ٤/٤١٦ (١٩٧٥٠) من حديث أبى موسى الأشعرى ، والمسند ٥/ ١٤٥، ١٤٧ (٢١٣٣٧، ٢١٣٥٢) من حديث أبى ذر .
(٣) فى الأصل ، ص : « المغانم » .
(٤) التفسير ٥/١٠٢ - ١٠٨.
(٥) مسلم (٣/ ٢٢٧٨) .

وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » .

ولمسلمٍ أيضًا[1] ، عَن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ؛ فى حديثِ قراءةِ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى ، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فِيهِ الخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو عامرٍ الأَزْدِيُّ ، حدَّثنا زُهَيرُ بنُ محمدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن الطُّفَيْلِ بنِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، عن أَبِيه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ الأَنْبِيَاءِ وخَطِيبَهُمْ ، وصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ » .

ورواه الترمذيُّ وابنُ مَاجه ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ[3] ، وقال الترمذيُّ : حَسَنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يزيدُ بنُ عبدِ ربِّه ، حدَّثنى محمدُ بنُ حربٍ ، حدثنا الزُّبَيدىُّ ، عن الزُّهرىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن كعبِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ القيامةِ ، فأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى علَى تَلٍّ ، ويَكْسُونِى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ حُلَّةً خَضْرَاءَ ، ثم يُؤْذَنُ لِى ؛ فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ، فَذَلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ أبى

---

(١) مسلم (٢٧٣/ ٨٢٠) . كما أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١٢٧/٥ (٢١٢٠٩) ، واللفظ له .
(٢) المسند ١٣٧/٥ (٢١١٨٣) .
(٣) الترمذى (٣٦١٣) ، وابن ماجه (٤٣١٤) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٨٥٨) .
(٤) المسند ٤٥٦/٣ (١٥٨٢١) .
(٥) المسند ١٩٩/٥ (٢١٧٨٥) .

حبيبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبى الدرداءِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بالسُّجُودِ يومَ القِيَامَةِ ، وأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ برفْعِ رَأْسِهِ ، فَأَنْظُرُ إِلَى بَيْنِ يَدَىَّ ، فَأَعْرِفُ أُمَّتِى مِن بَيْنِ الأُمَمِ ، وَمِنْ خَلْفِى مِثْلُ ذَلِكَ ، وَعَنْ يَمِينِى مِثْلُ ذَلِكَ ، وَعَنْ شِمَالِى مِثْلُ ذَلِكَ » . فقال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيفَ تعرِفُ أُمَّتَك مِن بينِ الأممِ فيما بينَ نوحٍ إلى أمتِك ؟ قال : « هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الوُضُوءِ ، لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِم ، وَأَعْرِفُهُمْ تَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ » .

وقالَ الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يونسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا حربُ بنُ ميمونٍ ؛ أبو الخطَّابِ الأنصاريُّ ، عن النَّضْرِ بنِ أنسٍ ، عن أنسٍ ، قال : حدَّثنى نبيُّ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إِنِّى لَقَائِمٌ [٦٧و] أَنْتَظِرُ أُمَّتِى حَتَّى تَعْبُرَ الصِّرَاطَ إِذْ جَاءَنِى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : هَـٰذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَكَ[2] - أَوْ قَالَ : يجتمِعُونَ إِلَيْكَ - يَدْعُونَ[3] اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمِيعِ[4] الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ ؛ لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ ، فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ بِالْعَرَقِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزُّكْمَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَغْشَاهُ[5] الْمَوْتُ » . فَقَالَ[6] : « انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ » . فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، « فقامَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَيَلْقَى[7] مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ

---

(١) المسند ١٧٨/٣ (١٢٨٤٧) . قال الشيخ شعيب : رجاله رجال الصحيح ، وفى متن هذا الحديث غرابة . المسند ٢٠/ ٢٠٩.

(٢) فى المسند : « يسألون » .

(٣) فى المسند : « ويدعون » .

(٤) فى المسند : « جمع » .

(٥) فى المسند : « فيتغشاه » .

(٦) فى المسند : « قال : قال : عيسى » .

(٧) فى المسند : « فلقى » .

مُصْطَفَى ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . « فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جِبْرِيلَ أَنِ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَقُلْ لَهُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَشَفَعْتُ فِى أُمَّتِى ، فقال : أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا ، فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا أَقُومُ مِنْهُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ ، حَتَّى أَعْطَانِى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ » .

وروَى الإمامُ أحمدُ[1] مِن حديثِ علىِّ بنِ الحكَمِ البُنانىِّ ، عن عثمانَ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ والأسودِ ، عن ابنِ مسعودٍ ، فذكَر حديثًا طويلًا ، وفيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « وَإِنِّى لَأَقُومُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يا رسولَ اللَّهِ ، وما ذلك المقامُ المحمودُ ؟ قال : « ذَاكَ إِذَا جِىءَ بِكُمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْسُوا خَلِيلِى ، فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ ، فَيَلْبَسُهُمَا ، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِى ، فَأَلْبَسُهَا ، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُه أَحَدٌ ، فَيَغْبِطُنِى بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ » . قال : « وَيُفْتَحُ نَهَرٌ[2] مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ » . وذكَرَ تمامَ الحديثِ فى صفةِ الحوضِ ، كما سَيَأْتى قريبًا .

[3]وذكَرنا فى « المسندِ الكبيرِ » ، عن حيدةَ الصحابىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ[3]

---

(١) المسند ١/٣٩٨ ، ٣٩٩ (٣٧٨٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف عثمان ، وهو ابن عمير البَجَلى أبو اليقظان ، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير سعيد بن زيد ، وهو ابن درهم الأزدى أخو حماد بن زيد ، فمختلف فيه . المسند ٦/٣٣٠ .

(٢) فى النسخ : « لهم » . والمثبت من المسند .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

[1] قال : « تُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : اكْسُوا خَلِيلِى . لِيَعْلَمَ النَّاسُ فَضْلَهُ ، ثُمَّ يُكْسَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ الْأَعْمَالِ[1] » .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَطُولُ عَلَى النَّاسِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِى الْبَشَرِ ، فَلْيَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . [3]فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيدِه ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا[3] . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ[4] ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ . فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ » . قالَ : « فَيَأْتُونَهُ ، فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى الَّذِى اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ » . قالَ : « فَيَأْتُونَه ، فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسى رُوحَ اللَّهِ وكَلِمَتَهُ . فَيَأْتُونَ عِيسى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسى ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا ، فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ؛ فَإِنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ وقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . وَيَقُولُ عِيسَى : أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِى وِعَاءٍ قَدْ خُتِمَ عَلَيْهِ ، هَلْ كَانَ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص . والحديث فى جامع المسانيد والسنن ٦٣٧/٣ .

(٢) المسند ٢٤٧/٣ ، ٢٤٨ (١٣٦١٥) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص . وفى ح : « فيأتونه » . والمثبت من المسند .

(٤) لست هناكم : أى : لست أهلا لذلك . صحيح مسلم بشرح النووى ٥٤/٣ .

يُقْدَرُ عَلَى مَا فِى ذَلِكَ الْوِعَاءِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » . قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَأْتُونِى ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَأَقُولُ : نَعَم ، فَآتِى بَابَ الْجَنَّةِ ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ ، فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيُقَالُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيُفْتَحُ لِى ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا ، فَأَحْمَدُ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِى ، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِى ، فَيَقُولُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ مِنْكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى ، فَيُقَالُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ » . قال : « فَأُخْرِجُهُمْ ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا » . (١ فذكر مثلَ ذلك ١) . « فَيُقَالُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمانٍ ، قال : فَأُخْرِجُهُمْ ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا » . فذكر[٢] مِثْلَ ذَلِك . « فيُقَالُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، قال : فَأُخْرِجُهُمْ » . وقد رواه البخاريُّ ومسلمٌ [٦٧ظ] ، من حديثِ سعيدِ ابنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ ، نحوَه[٣] .

روايةُ أبى هريرةَ رَضِىَ اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[٤] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا أبو حيَّانَ ، حدَّثنا أبو زُرْعةَ بنُ عمرِو بنِ جريرٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بلحمٍ ، فرُفِع[٥] إليه الذِّراعُ ، وكانت تُعْجِبُه ،

(١ - ١) فى المسند : « فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلى ، ولا يحمده بها أحد كان بعدى ، فيقال لى : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : أى رب ، أمتى أمتى » .

(٢) فى المسند : « فأقول » .

(٣) البخارى (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣/٣٢٣) .

(٤) المسند ٢/٤٣٥ (٩٦٢١) .

(٥) فى ص ، والمسند : « فدفع » . والمثبت موافق لروايتى البخارى ومسلم الآتى تخريجهما .

(١ فنَهَسَ منها نَهْسَةً ١) ، ثم قال : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ (٢) ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَالَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ ، فَسَجَدُوا لَكَ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَه ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ ، فَعَصَيْتُ ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي (٣) ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ . فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ نُوحٌ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ (٤) عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، (٥ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ٥) ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ

(١ - ١) فى ص ، وإحدى نسخ المسند : « فنهش منها نهشة » . المسند ١٥/٣٨٤ الحاشية (٢) .
قال النووى : قال القاضى عياض : أكثر الرواة رووه بالمهملة ، ووقع لابن ماهان بالمعجمة ، وكلاهما صحيح بمعنى أخذ بأطراف أسنانه . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/٦٦ .
(٢) فى ص : « بم » . وهو موافق لرواية مسلم . وفى المسند : « لم » . والمثبت موافق لرواية البخارى .
(٣) بعده فى المسند : « نفسى » . وكذا فى المواضع التالية . والمثبت موافق لرواية البخارى .
(٤) بعده فى صحيح البخارى « دعوتها » ، وبعده فى صحيح مسلم : « دعوت بها » .
(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ - نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى (١غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى١) مُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى(٢) مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّى قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسى . فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ - قَالَ : هَـٰكَذَا هُوَ - وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى(٣) مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى : إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَيَأْتُونِى ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى(٣) مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَأَقُومُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ ، وَيُلْهِمُنِى مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا(٤) لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِى ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَقُولُ : رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى ، يَا رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى ، يَا رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى(٥) . فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ

(١ - ١) سقط من ح ، ص .

(٢) بعده فى المسند : « إلى » .

(٣) بعده فى ص ، المسند : « إلى » .

(٤) فى المسند : « شيئا » .

(٥) بعده فى المسند : « يارب » .

مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَبْوَابِ » . ثم قال : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ[1] ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » . أَخْرَجَاه فى « الصَّحِيحَيْنِ » ، مِن حديثِ أبى حَيَّانَ يحيى بنِ سعيدِ بنِ حَيَّانَ ، به[2] .

ورواه ابنُ أبى الدنيا فى « الأهوالِ »[3] ، عن أبى خَيْثَمةَ ، عن جَرِيرٍ ، عن عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذكَره بطولِه ، وزاد فى السياقِ : « وَإِنِّى أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِى فِى النَّارِ ، انْطَلِقُوا إِلَى غَيْرِى » . فى قصةِ آدمَ ، ونوحٍ ، وإبراهيمَ ، وموسى ، وعيسى ، وهى زيادةٌ غريبةٌ جدًّا ، ليست فى « الصَّحِيحَيْنِ » ، [٦٨و] ولا فى أحدِهما ، بل ولا فى شىءٍ مِن بقيةِ « السُّننِ » ، وهى منكرةٌ جدًّا ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدثنا عفَّانُ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أبى نَضْرةَ المنذرِ بنِ مالكِ بنِ قِطْعةَ ، قال : خَطَبَنا ابنُ عبَّاسٍ على مِنْبرِ البَصرةِ ، فقال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِىٌّ إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِى الدُّنْيَا ، وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى ، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا

---

(١) فى صحيح البخارى : « حمير » . وهجر : مدينة عظيمة هى قاعدة بلاد البحرين . قال النووى : وهجر هذه غير هجر المذكورة فى حديث : « إذا بلغ الماء قُلَّتين بقِلالِ هَجَرَ » . هجر تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع بها . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٦٩.

(٢) البخارى (٤٧١٢) ، ومسلم (٣٢٧/ ١٩٤) .

(٣) الأهوال (١٩٧) .

(٤) المسند ١/ ٢٨١، ٢٨٢ (٢٥٤٦) . قال الشيخ شعيب : حسن لغيره ، دون قول عيسى عليه السلام : « إنى اتخذت إلها من دون اللَّه » . فإنه مخالف لما فى الصحيح من أن عيسى لم يذكر ذنبا ، ثم إن هذا لا يعد ذنبا له ، وإسناد هذا الحديث ضعيف ؛ لضعف على بن زيد ، وهو ابن جدعان . المسند ٤/ ٣٣٢.

فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيدِى لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِى وَلَا فَخْرَ ، وَيَطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَبِينَا ، فَلْيَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنا ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيدِهِ ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إِنِّى قَدْ أُخْرِجْتُ مِنَ الْجَنَّةِ[1] ، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِى الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِى ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّين » . فذكَر الحديثَ ، كنحوِ ما تقدَّم إلى أن قال : « فَيَأْتُونِى ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ ، أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ ، نَادَى مُنَادٍ : أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ ؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ ؛ آخِرُ الْأُمَمِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ ، فَتُفْرِجُ لَنَا الْأُمَمُ طَرِيقًا ، فَنَمْضِى غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ[2] ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ : كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا ، فَآتِى[3] بَابَ الْجَنَّةِ » . وذكَر تمامَ الحديثِ فى الشفاعةِ ، فى عُصاةِ هذه الأُمَّةِ .

وقد ورَد هذا الحديثُ هكذا عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ، منهم أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، مِن روايةِ حذيفةَ بنِ اليمانِ عنه ، وسيأتى فى أحاديثِ الشفاعةِ . والعجبُ كلُّ العجبِ مِن إيرادِ الأئمةِ لهذا الحديثِ فى أكثرِ طُرُقِهِ ، لَا يَذْكُرونَ أمرَ الشفاعةِ الأُولَى ، فِى إتيانِ الرَّبِّ لفصلِ القضاءِ ، كما ورَد هذا فى حديثِ الصُّورِ ، كما تقدَّم[4] ، وهو المقصودُ فى هذا المَقامِ .

---

(١) بعده فى المسند : « بخطيئتى » .

(٢) فى المسند : « الطهور » .

(٣) فى الأصل : « فنأتى » . وهو موافق لبعض نسخ المسند . انظر المسند ٣٣٢/٤ الحاشية (١) .

(٤) تقدم فى ص ٣١٥.

ومُقْتَضى سياقِ أوَّلِ الحديثِ ؛ فإنَّ النَّاسَ إنَّما يَسْتَشْفِعونَ إلى آدمَ فمَن بعدَه مِن الأنبياءِ فى أنْ يَفْصِلَ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، بينَ الناسِ ؛ ليَسْتَرِيحوا مِن مَقامِهم ذلك ، كما دلَّت عليه سياقاتُه مِن سائرِ طُرُقِه ، فإذا وصَلُوا إلى المحَزِّ إنَّما يَذْكُرون الشفاعةَ فى عُصاةِ الأُمَّةِ ، وإخراجِهم مِن النارِ ، وكأنَّ مقصودَ السلفِ فى الاقتصارِ على هذا المقدارِ مِن الحديثِ هو الردُّ على الخوارجِ ومَنْ تابَعهم مِن المُعتزلةِ ، الذين يُنكِرون خروجَ أحدٍ مِن النارِ بعدَ دخولِها ، فَيَذْكُرونَ هذا القَدْرَ مِن الحديثِ الذى فيه النصُّ الصريحُ فى الردِّ عليهم فيما ذهَبوا إليه من البدعةِ المخالِفةِ للأحاديثِ ، وقد جاء التصريحُ بذلك فى حديثِ الصُّورِ ، كما تقدَّم ، أنَّ الناسَ يَذْهَبون إلى آدمَ ، ثم إلى نوحٍ ، ثم إلى إبراهيمَ ، ثم إلى موسى ، ثم إلى عيسى ، ثم يَأْتُون رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فيَذْهَبُ ، فيَسْجُدُ للَّهِ تحتَ العرشِ فى مكانٍ يُقالُ له : الفَحْصُ . إلى أنْ قال : « فَيَقُولُ : شَفَّعْتُكَ . أَنَا آتِيكُمْ فَأَقْضِى بَيْنَكُمْ » . قال : « فَأَرْجِعُ ، فَأَقِفُ مَعَ النَّاسِ » . إلى أن قال : « فَيَضَعُ اللَّهُ كُرْسِيَّهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِه » . وذكَر الحديثَ كما تقدَّم .

وقال عبدُ الرزَّاقِ[1] : أنبا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ زينِ العابدين ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللَّهِ مَا رَآهُ قَبْلَهَا ، فَأَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِى أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَىَّ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : صَدَقَ . ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، عِبادُكَ عَبَدوكَ فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ . فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٢ ص ٣٨٧.

هذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ ، وعندى أن معنى قولِه : « عِبَادُكَ عَبَدوكَ فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ » . أَىْ وُقُوفٌ فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، أَىِ النَّاسُ مُجْتَمِعون فى صعيدٍ واحدٍ ؛ مُؤمِنُهم وكافرُهم ، فَيَشْفَعُ عندَ اللَّهِ ؛ ليَأْتِىَ لفصلِ القضاءِ بينَ عبادِه ، ويُمَيِّزَ مؤمنَهم مِن كافرِهم فى الموقفِ والمصيرِ فى الحالِ والمآلِ ، ولهذا قال ابنُ جريرٍ[1] : قال أكثرُ أهلِ التأويلِ فى قولِه تَعَالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ . هو المَقامُ الذى يقومُه رسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ القيامةِ للشفاعةِ للناسِ ، لِيُريحَهم ربُّهم مِن عظيمِ ما هم فيه مِن شدَّةِ ذلك اليومِ .

[٦٨ظ] وقال البخارىُّ[2] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ ، حدَّثنا أبو الأحْوصِ ، عن آدمَ بنِ علىٍّ ، قال : سمِعتُ ابنَ عمرَ قال : إِنَّ النَّاسَ يَصِيرون يَوْمَ القيامةِ جُثًا[3] ، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا ، يَقُولون : يا فلانُ ، اشْفَعْ ، يا فلانُ ، اشْفَعْ ، حتى تَنْتَهِىَ الشفاعةُ إِلَى النبىِّ ﷺ ، فذلك يَوْمَ يَبْعَثُه اللَّهُ مَقامًا محمودًا .

قال[4] : ورواه حمزةُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه ، عن النبىِّ ﷺ .

وقد أَسْنَد ما علَّقه هـٰهنا فى موضعٍ آخرَ مِن « الصحيحِ » ، فقال فى كتابِ الزكاةِ[5] : حدَّثنا يحيى بنُ بُكيرٍ ، حدَّثنا الليثُ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ،

---

(١) تفسير الطبرى ١٥/ ١٤٣.

(٢) البخارى (٤٧١٨) .

(٣) فى ص : « جثيًا » . قال ابن حجر : وقوله : « جُثًا » . بضم أوله والتنوين ، جمع جُثْوة ، كخطوة وخُطًا ، وحكى ابن الأثير أنه رُوى : « جُثِىّ » بكسر المثلثة وتشديد التحتانية ، جمع جاثٍ ، وهو الذى يجلس على ركبتيه ، وقال ابن الجوزى عن ابن الخشاب : إنما هو « جُثًى » بفتح المثلثة وتشديدها : جمع جاثٍ مثل غازٍ وغزًى . فتح البارى ٨/ ٤٠٠.

(٤) أى البخارى : بعد الحديث (٤٧١٩) .

(٥) البخارى (١٤٧٥) .

سمِعْتُ حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ » . وقال : « إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذِ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ، ثُمَّ بِمُوسَى ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ » . زاد عبدُ اللَّهِ ابنُ صالحٍ[1] ، حدَّثني الليثُ ، عن ابنِ أبي جعفرٍ : « فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ » .

وكذا رواه ابنُ جريرٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكَمِ ، عن شُعَيْبِ بنِ الليثِ ، عن أبيه ، به ، بنحوِه[2] .

---

(١) في النسخ : « يوسف » . والمثبت من إحدى روايات البخاري . وانظر تحفة الأشراف ٥/ ٣٣٩. قال ابن حجر : قوله : « وزاد عبد اللَّه بن صالح » . كذا عند أبي ذر ، وسقط قوله : « ابن صالح » . من رواية الأكثر ، ولهذا جزم خلف وأبو نعيم بأنه ابن صالح . فتح الباري ٣/ ٣٣٩.

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٦.

ذِكْرُ ما ورَد فى الحوضِ النَّبَوِىِّ المحمَّدِىِّ ، سَقَانَا اللَّهُ منه يومَ القيامـــةِ ، مِنَ الأحاديثِ المتواترةِ المتعدِّدَةِ من الطُّرُقِ الكَثِيرَةِ ، المتضافِرَةِ ، وإن رَغِمَتْ أنوفُ كثيرٍ من المُبْتَدِعَةِ النافرَةِ المُكَابِرةِ ، القائلينَ بجُحودِهِ ، المنكرينَ لِوُجُودِهِ ، وأَخْلِقْ بِهِمْ أَنْ يُحَالَ بينهم وبينَ ورُودِهِ ، كما قال بعضُ السَّلَفِ : من كَذَّبَ بِكَرَامَةٍ لم يَنَلْها . ولو اطَّلعَ المُنكِرُ للحَوْضِ علَى ما سَنُورِدُه من الأحاديثِ قبلَ مَقَالَتِه لم يَقُلْها

رَوَى أحاديثَ الحوضِ جماعَةٌ منَ الصَّحَابةِ ، رضِى اللَّهُ عنهم ، منهم : أُبَىُّ ابنُ كعبٍ ، وأنسُ بنُ مالكٍ[1] ، وبُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيبِ ، وثَوْبانُ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجابرُ بنُ سَمُرةَ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وجُنْدَبُ[2] بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلىُّ ، وحارِثةُ بنُ وَهْبٍ ، وحُذَيْفَةُ بنُ أَسِيدٍ ، وحُذَيفةُ بنُ اليمانِ ، والحسنُ بنُ علىٍّ ، وحمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ ، وزيدُ بنُ أرْقَمَ ، وسلمانُ الفارسىُّ ، وسَمُرةَ بنُ جُندبٍ ، وسهلُ بنُ سعدٍ ، [3]وسويدُ بنُ جبَلَةَ ، وعبدُ اللهِ الصُّنابحىُّ[3] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ ابنِ عاصمٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عبَّاسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، وعُتْبةُ بنُ عَبْدٍ السُّلَمِىُّ ، وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، [4]والمستورِدُ[4] ، وعُقْبةُ بنُ عامرٍ الجُهَنِىُّ[5] ، والنَّوَّاسُ بنُ سِمْعَانَ ، وأَبو أُمامةَ

---

(١) بعده فى الأصل : « والبراء بن عازب » .

(٢) فى ح : « جرير » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤ - ٤) زيادة من : ح .

(٥) بعده فى الأصل : « والمسور بن مخرمة » .

الباهلِيُّ ، وأبو بَرْزَةَ الأسْلَمِيُّ[1] ، وأبو بَكْرَةَ ، وأبو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ ، وأبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ ، وأبو هُريرةَ الدَّوْسِيُّ ، وخولَةُ بنتُ قَيْسٍ ، وأسماءُ بنتُ أبِى بكرٍ ، وعائِشةُ ، وأُمُّ سَلَمَةَ[2] ، رضِىَ اللَّهُ عنهم أجْمَعِينَ .

روايةُ أُبىِّ بنِ كعبٍ الأَنصارِىِّ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال أبو القاسمِ الطَّبرانىُّ[3] : حدَّثَنا أبو زُرْعةَ الدِّمَشْقِىُّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ الصَّلْتِ ، حدَّثَنا عبدُ الغفَّارِ بنُ القاسمِ ، عن عَدِىِّ بنِ ثابتٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ ؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَر الحوْضَ ، فقالُوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وما الحوضُ ؟ فقالَ : « مَاؤهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ المِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَمَنْ صُرِفَ عَنْهُ لَمْ يَرْوَ أَبَدًا » .

ورواه أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ ، فى كتابِ « السُّنةِ »[4] : حدَّثَنا عُقْبَةُ بنُ مُكْرَمٍ ، حدثنا يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثَنا عبدُ الغفَّارِ بنُ القاسمِ ، فذكَرَه بإسنادِهِ ، ولفظُه : قيلَ : يا رسولَ اللَّهِ ، وما الحوضُ ؟ قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنَّ شَرَابَهُ أَبْيَضُ [٦٩و] مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ المِسْكِ ، وَآنِيَتُه أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ النُّجُومِ ، لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إنْسَانٌ فَيَظْمَأُ أَبَدًا ، وَلَا يُصْرَفُ عَنْهُ إنْسَانٌ فَيَرْوَى أَبَدًا » . لم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ ، وَلَا الإمامُ أحمدُ .

---

(١) بعده فى الأصل : « وأبو بكر الصديق » .

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « وامرأة حمزة عم رسول اللَّه وهى من بنى النجار » . انظر أحاديث أخرى فى الحوض فى فتح البارى ٤٦٨/١١ - ٤٦٩.

(٣) عزاه ابن كثير فى جامع المسانيد والسنن ٧١/١ إلى أبى يعلى من طريق عبد الغفار بن القاسم به بنحوه .

(٤) السنة (٧١٧) . وقال الألبانى : إسناده موضوع آفته عبد الغفار بن القاسم ، وهو أبو مريم الأنصارى .... إلا أن الحديث صحيح .... إلا الجملة الأخيرة منه : « ولا يصرف ... » .

روايةُ أنسِ بنِ مالكٍ الأنْصَارِيِّ خادمِ النَبِيِّ ﷺ : قال البُخَارِيُّ[1] : حدَّثَنا سعيدُ بنُ عُفَيرٍ ، حدَّثَنا ابنُ وهبٍ ، عن يونُسَ ، قال ابنُ شِهَابٍ : حدَّثَنى أنسُ بنُ مالكٍ ، رضى اللَّهُ عنه ؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ قَدْرَ حَوْضِى كَمَا بينَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ ، وإنَّ فيهِ مِنَ الأَبارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ » . وكذا رواه مسلمٌ ، عن حَرْملةَ ، عن ابنِ وهبٍ به[2] .

[3]طَرِيقٌ أُخْرى عن أنَسِ بنِ مالكٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه[3] : قالَ البخاريُّ[4] : حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا وُهَيْبٌ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ ، عن أنَسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ [5]أُصَيْحَابِى الحَوْضَ[5] ، حتَّى إذَا عَرَفتُهمُ اخْتُلِجُوا[6] دُونِى ، فأقولُ : أَصْحَابِى . فيقُولُ : لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ » . ورواه مسلمٌ عن محمدِ بنِ حاتمٍ ، عن عفَّانَ ، عَنْ وُهَيْبِ بنِ خالدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ به[7] .

طريقٌ أُخْرَى عن أنسٍ : قال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثَنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن المختارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قالَ : أَغْفَى رسولُ اللَّهِ ﷺ إغْفَاءَةً ، فرفَعَ رأسَه مُتَبَسِّمًا ، إمَّا قال لَهُمْ ، وإمَّا قالُوا له : لِمَ ضَحِكْتَ ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) البخارى (٦٥٨٠) .
(٢) مسلم (٣٩/ ٢٣٠٣) .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) البخارى (٦٥٨٢) .
(٥ - ٥) فى النسخ : « أصحابى » . والمثبت من المصدر .
(٦) اختلجوا : اجتُذِبُوا واقتُطِعُوا وأُبعدوا . النهاية ٢/ ٥٩ .
(٧) مسلم (٤٠/ ٢٣٠٤) .
(٨) المسند ٣/ ١٠٢ (١٢٠١٥) .

« إنَّه أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ » فَقَرَأَ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] حتَّى خَتَمها ، ثم قال : « هلَ تدْرُونَ ما الكَوْثَرُ ؟ » قالوا : اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ ، قال : « هُوَ نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ ربِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِى الْجَنَّةِ ، عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ ، تَرِدُ عليهِ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الكَواكِبِ ، يُخْتَلَجُ العَبْدُ مِنْهُمْ ، فأقولُ : يَا رَبِّ ، إنَّه مِنْ أُمَّتِى . فيُقَالُ : إنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ » . هذا ثُلاثِيُّ الإسنادِ .

ورَواه مسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنَّسَائيُّ ، من حديثِ ابنِ فُضَيْلٍ ، وعليِّ بنِ مُسْهِرٍ ، كلاهُمَا عنِ المختارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنسٍ ، به[1] .

ولفظُ مُسْلِمٍ : « فإنَّه[2] نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . والباقِى مثلُه . ومعنى ذلك : أنَّه يَشْخُبُ مِن الكَوْثَرِ وهو فى الجنةِ مِيزابانِ إلى الحوضِ ، والحوضُ فى مَوقِفِ القيامةِ قَبلَ الصِّراطِ ؛ لأنَّه يُخْتَلَجُ عنه ، ويُمْنَعُ منه أقوامٌ قدِ ارتدُّوا علَى أَعْقَابِهِم ، ومِثْلُ هؤلاءِ لا يُجَاوِزُونَ الصِّراطَ . كما سَيَرِدُ هذا من طُرُقٍ متعدِّدَةٍ ، وجاء مُصرَّحًا به أنه فى العَرَصاتِ ، كما سَتراهُ قَرِيبًا إنْ شاءَ اللَّهُ . [3]وأمَّا الكوثرُ فإنَّه نهرٌ فى الجنَّةِ[3] .

طريقٌ أخرَى عن أنسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا أبو عامرٍ ، وأَزْهرُ بنُ القاسِمِ ، حدَّثَنا هِشَامٌ[5] ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ : أنَّ رسولَ اللَّهِ

---

(١) مسلم (٤٠٠) ، وأبو داود (٤٧٤٧) ، والنسائى فى الكبرى (١١٧٠٢) .

(٢) فى النسخ : « هو » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المسند ١٣٣/٣ (١٢٣٨٥) .

(٥) فى ص : « هشيم » .

ﷺ قال : « مَثَلُ مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِى مَثَلُ مَا بَيْنَ المَدِينةِ وَصَنْعَاءَ ، أَو مَثَلُ مَا بَيْنَ المَدِينةِ وَعَمَّانَ » .

ورواه مسلمٌ[(١)] ، عن هارونَ الحَمَّالِ ، عن عبدِ الصَّمدِ[(٢)] . وأخرجه مسلمٌ أيضًا عن عاصمِ بنِ النَّضْرِ الأحْوَلِ ، عن المُعْتَمِرِ بنِ سُلَيْمانَ ، عن أبيهِ عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، بنحوِهِ[(٣)] .

طريقٌ أُخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[(٤)] : حدَّثَنا يونُسُ وحسَنُ بنُ موسَى ، قالَا : حَدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ . ورواه أحمدُ أيضًا[(٥)] عن عَفَّانَ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن الحسَنِ ، عن أنسٍ ؛ أنَّ قومًا ذَكَرُوا عندَ عُبَيْدِ اللَّهِ ابنِ زِيَادٍ الحَوْضَ فأنكَرَه [(٦)] وقالَ : ما الحَوْضُ ؟ فبلَغَ ذلكَ أنسَ بنَ مالكٍ ، فقالَ : لا جَرَمَ ، واللَّهِ لأَفْعَلَنَّ . فأتاه ، فقالَ : ذكَرْتُم الحوضَ[(٦)] ؟ فقالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : هل سَمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكرُه ؟ فقالَ : نَعمْ ، أكثرَ مِنْ كذَا وكذَا مرَّةً يقولُ : « إنَّ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إلَى مَكَّةَ أَوْ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ ، وَإنَّ آنِيَتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ » انفردَ به أحمدُ .

وقد رَواه يَحيى بنُ محمدِ بنِ صاعِدٍ ، عن سَوَّارِ بنِ عبدِ اللَّهِ القاضِى العَنْبرىِّ ، عن مُعاذِ بنِ مُعاذٍ العَنْبَرِىِّ ، عن أشعثَ بنِ عبدِ المِلِكِ الحُمْرانِىِّ ، عنِ الحسنِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَوْضِى مَا بَيْنَ كَذَا

---

(١) مسلم (٤٢/ ٢٣٠٣) .
(٢) فى النسخ : « أبى عامر عبد الملك بن عمرو » . والمثبت هو الصواب ، وانظر تحفة الأشراف ١/ ٣٥٣.
(٣) مسلم (٤١/ ٢٣٠٣) .
(٤) المسند : ٣/ ٢٣٠ (١٣٤٢٩) .
(٥) المسند : ٣/ ٢٣٠ (١٣٤٣٠) .
(٦ - ٦) سقط من : ح .

إِلَى كَذَا ، فِيهِ مِنَ الآنِيَةِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَرْوَ أَبَدًا » .

طريقٌ أُخْرَى [٦٩ظ] : قالَ أبو يَعْلَى[1] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، هو ابنُ سَلَّامٍ ، حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ؛ أنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ زيادٍ قالَ : يا أبا حمزةَ ، هل سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذكُرُ الحوضَ ؟ فقالَ : لقد تركتُ بالمدينةِ عَجَائِزَ يُكْثِرْنَ أنْ يَسْأَلْنَ اللَّهَ أن يُورِدَهُنَّ حَوْضَ محمدٍ ﷺ .

طريقٌ أخرَى : قال أبو يَعْلَى أيضًا[2] : حدَّثَنا أبو خَيْثَمةَ ، حدَّثَنا عمرُ بنُ يونسَ الحنفيُّ ، حدَّثَنا عِكْرِمةُ ، هو ابنُ عَمَّارٍ ، عن يزيدَ الرَّقاشِيِّ ، قالَ : قلتُ : يا أبا حمزةَ ، إنَّ قومًا يَشْهَدُونَ علَيْنَا بالكُفْرِ والشِّرْكِ . فقالَ أنسٌ : أولئِكَ شَرُّ الخَلْقِ والخَلِيقَةِ . قلتُ[3] : ويُكذِّبُونَ بالحَوْضِ . فقال : سمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ لِي حَوْضًا عَرْضُه كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ ، إلَى الكَعْبَةِ - أو قال : صَنْعَاءَ - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، فيه آنِيَةٌ عَدَدُ نجومِ السماءِ ، يَمُدُّه مِيزَابانِ مِنَ الْجَنَّةِ ، مَنْ كَذَّبَ بِهِ لم يُصِبْ منه[4] الشُّرْبَ » .

طريقٌ أُخْرَى : قال الحافِظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الخالقِ البزَّارُ فى مسندِهِ[5] : حدَّثَنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، حدَّثَنا أبو داودَ ، حدَّثَنا المسعوديُّ ، عن عديِّ بنِ ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَوْضِى مِنْ كذَا إلَى كَذَا ، فِيهِ مِنَ الآنِيَةِ

---

(١) مسند أبى يعلى (٣٣٥٥) ، وقال محققه : إسناده صحيح إلى أنس ، وهو موقوف عليه .
(٢) مسند أبى يعلى (٤٠٩٩) ، وقال محققه : إسناده ضعيف ، لضعف يزيد بن أبان الرقاشى .
(٣) كذا فى النسخ ، وفى المصدر : « قال » .
(٤) كذا فى النسخ ، وفى المصدر : « به » .
(٥) انظر كشف الأستار (٣٤٨٤) ، وقال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، وفيه المسعودى ، وهو ثقة ولكنه اختلط ، وبقية رجالهما رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦١.

عَدَدُ النُّجُومِ ، أَطْيَبُ رِيحًا مِن المِسْكِ ، وأحلَى مِن العَسَلِ ، وأبْرَدُ منَ الثَّلْجِ ، وأبْيَضُ مِن اللَّبَنِ ، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبةً لم يَظْمَأْ أبدًا ، ومَنْ لَم يَشْرَبْ منه لم يَرْوَ أبَدا » . ثم قال : لا نَعْلَمُه يُروَى بهذا اللفظِ إلَّا عن أنسٍ بهذا الإسنادِ ، ولم يَرْوِ عدىُّ بنُ ثابتٍ عن أنَسٍ سواه ، ولا رَواه عنه إلَّا المسعودىُّ . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ ، ولم يَرْوِهِ أحدٌ من أصحابِ الكُتُبِ ، ولا أحمدُ بنُ حَنْبلٍ .

طريقٌ أخْرَى : قال ابنُ أبِى الدُّنيا[1] : حدَّثنى الحسنُ بنُ الصبَّاحِ ، حدَّثنا مَكِّىُّ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا موسى بنُ عُبَيْدَةَ ، عن أبى بكرِ بنِ عُبَيْدِ[2] اللَّهِ بنِ أنسٍ ، عن جَدِّه أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أُرِيتُ حَوْضِى ، فَإِذَا عَلَى حَافَتَيْهِ آنِيةٌ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، فأَدْخَلْتُ يَدِى ، فإذَا عَنْبَرٌ أَذْفَرُ » .

رِوايةُ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ الأسلمىِّ : قالَ أبو يَعْلَى[3] : حدَّثَنا يحيَى بنُ مَعِينٍ ، حدَّثَنا يحيى بنُ يَمانٍ ، عن عائذِ بنِ نُسَيْرٍ[4] العِجْلِىِّ ، عن عَلْقَمَةَ بنِ مَرْثَدٍ ، عن ابنِ[5] بُرَيْدَةَ ، عن أبيهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَوْضِى كَمَا بَيْنَ عَمَّانَ إلَى الْيَمَنِ ، فيهِ آنِيَةٌ عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا » .

وهكذا رواه ابنُ صاعدٍ[6] ، وابنُ أَبِى الدُّنيا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الوَضَّاحِ الأزدىِّ اللؤلؤىِّ ، عن يحيى بنِ يَمانٍ بهِ . ولفظهُ : « حَوْضِى مَا بَيْنَ عَمّانَ وَالْيَمَنِ ، فِيهِ آنِيَةٌ

---

(١) عزاه فى كنز العمال (٣٩١٥٧) لابن النجار .

(٢) فى ح : « عبد » . انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١١٨.

(٣) عزاه إليه الزبيدى فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤١٣٥) وقال : عائذ ضعفوه .

(٤) فى ح ، ص : « بشير » ، وانظر الإكمال ١/ ٣٠٢.

(٥) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٧٠.

(٦) أخرجه اللالكائى فى شرح السنة من طريق ابن صاعد به ، كما فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين الموضع السابق .

عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا». لم يُخْرِجُوه.

روايةُ ثَوبانَ: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا عَفَّانُ، حدَّثنا همامٌ، حدَّثنا قَتادةُ، عن سالمٍ، عن مَعْدانَ، عن ثَوبانَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَنَا بِعُقْرِ[2] حَوْضِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَذُودُ عَنْهُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَضْرِبُهُمْ بِعَصَاىَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَنْهُمْ». قال: قيل: يا رسولَ اللَّهِ ﷺ: ما سَعتُه؟ قال: «مِنْ مَقَامِى إِلَى عَمَّانَ، يَغُتُّ[3] فيه مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ».

ورَواه أحمدُ[4] أيضًا عن عبدِ الصمدِ، عن هشامٍ، عن قَتادةَ. [5]وعن عبدِ الوهابِ[6]، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ، عن قتادةَ[5]. وعن عبدِ الرَّزَّاقِ[7]، عن مَعْمَرٍ، عن قَتادةَ به[8]، فسئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن عَرْضِه، فقال: «مِنْ مَقَامِى إِلَى عَمَّانَ». وقال عبدُ الرَّزَّاقِ: «ما بينَ بُصْرَى وَصَنْعاءَ، أو ما بَينَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ». أو قال: «مِنْ مَقَامِى [٧٠و] هَذَا إِلَى عَمَّانَ». وسُئِلَ عن شرابِه، فقال: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ[9] فِيهِ مِيزَابَانِ، يَمُدَّانِه مِنَ الْجَنَّةِ؛ أَحَدُهُما مِنْ ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ».

---

(١) المسند ٥/٢٨٠ (٢٢٤٦٢).

(٢) العقر: موضع الشاربة منه. النهاية ٣/ ٢٧١.

(٣) أى: يدفقان فيه الماء دفقًا دائمًا متتابعًا. وانظر النهاية ٣/ ٣٤٢.

(٤) المسند ٥/٢٨١ (٢٢٤٧٩).

(٥ - ٥) زيادة من: ح، ص.

(٦) المسند ٥/٢٨٣ (٢٢٥٠٠).

(٧) لم نجد هذا الطريق فى المسند المطبوع، وقد ذكره ابن حجر فى أطراف المسند ١/ ٦٥٩. وهو فى المصنف (٢٨٥٣) بنحوه.

(٨) سقط من: ص.

(٩) فى ح: «ينبعث».

وقال أبو يَعْلَى[1] : حدَّثنا أبو بكرٍ - هو ابنُ أبى شَيْبَةَ - حدَّثنا محمدُ بنُ بِشْرٍ العَبْدِيُّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادةَ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن مَعْدانَ بنِ أبى طَلْحَةَ ، عن ثَوبانَ ، أَنَّ النبىَّ ﷺ قال : « أَنَا عِنْدَ عُقْرِ حَوْضِى أَذُودُ عَنْهُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ ، إِنِّى لَأَضْرِبُهُمْ بِعَصَاىَ حَتَّى يَرْفَضَّ[2] » . قال : وسُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن سَعَةِ الحَوضِ ، قال : « مِثْلُ مَقَامِى هَذَا إِلَى عَمَّانَ ، مَا بَيْنَهُمَا شَهْرٌ ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ » . فسُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن شرابِه ، فقال : « أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ ، مِدَادُهُ - أَوْ مِدَادُهُمَا - مِنَ الْجَنَّةِ ، أَحَدُهُما وَرِقٌ ، وَالآخَرُ ذَهَبٌ » .

وهكذا رَواه مسلمٌ ، عن أبى غَسَّانَ[3] مالكِ بنِ إسماعيلَ ، ومحمدِ بنِ المُثَنَّى ، ومحمدِ بنِ بَشَّارٍ ، ثلاثتُهم عن مُعاذِ بنِ هشامٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، بنحوِه[4] .

طريقٌ أخرَى عن ثوبانَ : قال أحمدُ[5] : حدثنا حُسينُ بنُ محمدٍ ، حدثنا ابنُ عياشٍ ، عن محمدِ بن المُهاجِرِ ، عن العبَّاسِ بنِ سالمٍ اللَّخْمِيِّ ، قال : بعَث عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى أبى سَلَّامٍ الحَبَشِيِّ ، فَحُمِلَ إليه على البريدِ ، ليسألَه عن الحوضِ ، فقُدِمَ به عليه ، فسأله فقال : سمعتُ ثوبانَ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ حَوْضِى مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبَنِ ،

---

(١) لم نجده عند أبى يعلى وقد أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١١/٤٤٣ (١١٧١٨) ، عن محمد بن بشر ، به .

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « الناس » .

(٣) بعده فى الأصل : « قال » .

(٤) مسلم (٣٧/ ٢٣٠١) .

(٥) المسند ٥/٢٧٥ (٢٢٤٢١) . وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٨٢) وقد تقدم فى ١٢/ ٧٠٠، ٧٠١.

وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَكَاوِيبُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا ، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ تعالى عنه : مَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هُمُ الشُّعْثُ رُءُوسًا ، الدُّنْسُ ثِيَابًا ، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوابُ السُّدَدِ » . فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : لقد نَكَحْتُ المتنعِّماتِ ، وفُتِحَتْ لى[1] السُّدَدُ ، إلَّا أَنْ يَرْحَمَنِى اللَّهُ ، واللَّهِ لا أدْهُنُ رَأْسِى ، حتَّى يَشْعَثَ ، ولا أغْسِلُ ثوبى الذى يلِى جَسَدِى حتَّى يَتَّسِخَ .

ورَواه الترمذىُّ[2] فى الزُّهدِ ، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ ، عن يَحيى بنِ صالحٍ .

وابنُ ماجه فيه ، عن محمودِ بنِ خالدٍ الدِّمشقىِّ ، عن مروانَ بنِ محمدٍ الطَّاطَرِىِّ ، كلاهُما عن محمدِ بنِ المُهاجِرِ ، عن العبَّاسِ بنِ سالمٍ ، عن أبى سلَّامٍ به[3] .

قال شيخُنا المزِّىُّ فى أطرافِه[4] : ورَواه الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن يَحيى بنِ الحارثِ ، وشيبةَ بنِ الأحنفِ وغيرِهما ، عن أبى سَلَّامٍ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[5] : حدَّثنا هشامُ بنُ عمَّارٍ ، حدَّثنا صَدَقَةُ ، حدَّثنا زيدُ بنُ واقدٍ ، حدَّثنى بُسْرُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، حدَّثنا أبو سَلَّامٍ الأسودُ ، عن

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « أبواب » . والسدة : كالظلة على الباب لتقى الباب من المطر وقيل : هى الباب نفسه . وقيل : هى الساحة بين يديه . النهاية ٢/ ٣٥٣.

(٢) الترمذى (٢٤٤٤) . وقال الشيخ الألبانى : المرفوع منه صحيح . (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٩) .

(٣) ابن ماجه (٤٣٠٣) .

(٤) تحفة الأشراف ٢/ ١٤٢.

(٥) السنة (٧٠٦) . قال الشيخ الألبانى : إسناده على شرط البخارى ، على ضعف فى شيخه هشام بن عمار ، وأبو سلام الأسود لم يخرج له إلا فى « الأدب المفرد » ، وهو ثقة من رجال مسلم واسمه ممطور ، وقد توبع من غير ما واحد .

ثَوبانَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَوْضِى كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ ، أَكَاوِيبُهُ[1] كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا[2] ، وأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيَّ وَارِدَةً فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ » . قلنا : وَمَنْ هم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « الشُّعْثُ رُءُوسًا ، الدُّنْسُ ثِيَابًا ، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّمَاتِ ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوابُ السُّدَدِ ، الَّذِينَ يُعْطُونَ[3] الَّذى عَلَيهِمْ ، وَلَا يُعْطَونَ الَّذِى لَهُمْ » . وهذه طريقٌ جَيِّدةٌ أيضًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

روايةُ جابرِ بنِ سَمُرةَ : قال أبو يَعْلى الموصلىُّ[4] : حدَّثنا أبو همامٍ الوليدُ بنُ شجاعٍ ، [5] حدَّثنا أَبِى [5] ، حدَّثنا زيادُ بنُ خَيْثَمَةَ ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن جابرِ ابنِ سَمُرَةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وأَيْلَةَ ، كَأَنَّ الأَبَارِيقَ [6] فِيهِ النُّجُومُ[6] » . وهكذا رَواه مسلمٌ عن أبى هَمَّامٍ ، به[7] وقال : « أَنَا[8] فَرَطٌ لَكُمْ » . والباقى مِثْلُه .

طريقٌ أخرَى عن جابرِ بنِ سَمُرةَ : قال مسلمٌ[9] : حدَّثنا [٧٠ظ] قُتَيْبةُ بنُ سَعيدٍ ، وأبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، قالا : حدَّثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن المُهَاجِرِ بنِ

---

(١) فى المصدر : « أكوابه » .

(٢) إلى هنا انتهت رواية ابن أبى عاصم ، وقد روى بقية الحديث الآجرى فى الشريعة (٨٢٤) من طريق أبى سلام ، عن ثوبان بنحوه .

(٣) بعده فى ح ، ص : « الحق » .

(٤) مسند أبى يعلى ١٣/٤٦٥ (٧٤٧٨) . وقال محققه : إسناده حسن .

(٥ - ٥) سقط من الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٢.

(٦ - ٦) فى ح : « فيه كنجوم السماء » . وفى المصدر : « مثل النجوم » .

(٧) مسلم (٤٤/ ٢٣٠٥) .

(٨) فى مسلم : « ألا إنى » .

(٩) مسلم (٤٥/ ٢٣٠٥) .

مِسْمَارٍ، عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ، قال: كتَبتُ إلى جابرِ بنِ سَمُرةَ مع غُلامى نافعٍ: أخْبِرْنى بشىءٍ سَمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: فَكتَب إلىَّ: إنِّى سمِعتُه يقولُ: «أَنَا الْفَرَطُ عَلَى الْحَوْضِ».

روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا رَوْحٌ، حدَّثنا زكريا بنُ إسحاقَ، حدَّثنا أبو الزُّبَيْرِ؛ أنَّه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ». قال: «فَيُؤْخَذُ ناسٌ دُونِى، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مِنِّى وَمِنْ أُمَّتِى». قال: «فَيُقَالُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ». قال جابرٌ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَوْضُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ - يعنى عَرْضُه مِثْلُ طُولِه - وَكِيزَانُه مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا». هذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ، ولم يَرْوه، وقد رَوَى مِن طريقِ زكريا، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ، سِتَّةَ أحاديثَ، ليس هذا منها[2].

طريقٌ أخرَى عن جابرٍ: قال أبو بكرٍ البَزَّارُ[3]: حدَّثنا محمدُ بنُ عمرَ بنِ هَيَّاجٍ[4]، حدَّثنا يَحيى بنُ عبدِ الرحمنِ الأرْحَبىُّ، حدَّثنا عُبَيْدةُ بنُ الأسودِ، عن مُجالِدٍ، عن عامرٍ - هو الشعبىُّ - عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوضِ، وَإِنِّى مُكاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا». فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ، ما عَرْضُه؟ قال: «مَا

---

(١) المسند ٣/٣٨٤ (١٥١٦١).

(٢) انظر تحفة الأشراف ٢/٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) انظر كشف الأستار (٣٤٨٢).

(٤) فى الأصل: «هيناج». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/١٧٨.

بَيْنَ أَيْلَةَ - أَحْسِبُه قال - إِلَى مَكَّةَ ، فِيهِ مَكَاكِيُّ[1] أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ ، لَا يَتَنَاوَلُ مُؤْمِنٌ مِنْهَا وَاحِدًا[2] فَيَضَعُه مِنْ يَدِه حَتَّى يَتَنَاوَلَ[3] آخَرَ » . ثم قال : لا يُروى عن جابرٍ إلَّا مِن هذا الوجهِ .

ورَواه ابنُ أبى الدُّنيا ، عن أبى عبدِ الرحمنِ القُرَشِيِّ ، عن عُبَيْدةَ بنِ الأسودِ به .

روايةُ جُنْدَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ : قال البخاريُّ[4] : حدَّثنا عَبْدانُ ، أخبرَنى أبى ، عن شُعبةَ ، عن عبدِ الملكِ ، سمِعتُ جُنْدَبًا : سمِعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوضِ » .

ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ شُعْبَةَ وزائدةَ ومِسْعرٍ ، ثلاثتُهم عن عبدِ المَلِك بنِ عميرٍ ، به[5] . ورَواه الإمامُ أحمدُ ، مِن حديثِ هؤلاءِ عنه[6] ، وعن سُفيانَ بنِ عُيَينةَ عنه[7] ، ثم قال سفيانُ : الفَرَطُ الذى يَسْبِقُ .

روايةُ حارثةَ بنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ : قال البخاريُّ[8] : حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا حَرَمِيُّ بنُ عُمارةَ ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن مَعبدِ بنِ خالدٍ ، أنَّه سمِع حارثةَ بنَ وَهْبٍ ، يقولُ : سمِعتُ النبيَّ ﷺ ، وذَكَر الحوضَ ، فقال : « كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ

---

(١) فى الأصل : « كيزان مكاكى » . ومكاكى : جمع مكوك ، وهو المد . انظر النهاية ٤/ ٣٥٠.
(٢) ليست فى المصدر .
(٣) فى ص ، والمصدر : « يتناوله » .
(٤) البخارى (٦٥٨٩) .
(٥) مسلم (٢٢٨٩) .
(٦) المسند ٣١٣/٤ برقم (١٨٨٣٠، ١٨٨٣١) من حديث مسعر وزائدة ، وحديث شعبة عن عبد الملك بن عمير ساقط من مطبوعة المسند ، وانظر أطراف المسند ٢/ ٢٠٩، جامع المسانيد ٣/ ١٤٣.
(٧) المسند ٣١٣/٤ (١٨٨٣٣) .
(٨) البخارى (٦٥٩١) .

وَصَنْعَاءَ » . وزادَ ابنُ أبى عَدِيٍّ[1] ، عن شُعبةَ ، عن معبدِ بنِ خالدٍ ، عن حارثةَ بنِ وَهْبٍ ، سمِع النبىَّ ﷺ قال : « حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ والمَدِينَةِ » . فقال له المُسْتَوْرِدُ : ألَم تَسْمَعْه قال الأَوانى ؟ قال : لا . قال المُسْتَوْرِدُ : تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ .

وقد رَواه مسلمٌ[2] ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، عن حَرَمِىِّ بنِ عُمَارَةَ ، عن شُعْبةَ - كما ساقَه البُخارىُّ . ورَواه عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ بَزِيعٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ - وهو ابنُ أبى عدىٍّ - عن شُعْبةَ ، كما ذكَره البخارىُّ سواءً .

والمُسْتَورِدُ هذا هو ابنُ شَدَّادِ بنِ عمرٍو الفِهْرِىُّ[3] ، صَحَابِىٌّ جليلٌ ، عَلَّق له البخارىُّ ، وأسنَد ذلك مسلمٌ ، وروَى له أهلُ السننِ الأرْبعةِ ، وله أحاديثُ .

روايةُ حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ ، أبى سَرِيحةَ الغِفَارِىِّ : أُنْبِئْنا عن الحافظِ الضِّيَاءِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ المَقْدِسىِّ ، رحِمه اللَّهُ ؛ أنَّه قال فى الجزءِ الذى جمَعه فى أحاديثِ الحَوْضِ: أخبرَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ نَصْرٍ الأصبَهانىُّ[4] بها ، أنَّ الحسنَ ابنَ أحمدَ الحدَّادَ أخبرَهم قراءةً عليه ، وهو حاضرٌ ، أنبأنا أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ - يعنى أبا نُعَيْمٍ الأصبهانىَّ - أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ سمُّويَه[5] ، حدَّثنا سعيدُ بنُ سُليمانَ ، حدَّثنا زيدُ[6] بنُ الحسنِ ، حدَّثنا معروفُ بنُ

---

(١) البخارى (٦٥٩٢) .
(٢) مسلم (٣٣/ ٢٢٩٨) .
(٣) انظر ترجمته فى : الإصابة ٦/ ٩٠، أسد الغابة ٥/ ١٥٤.
(٤) فى الأصل : « الأصفهانى » ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٠.
(٥) فى الأصل : « ابن سمُّويَه » . وانظر المصدر السابق ١٣/ ١٠.
(٦) فى الأصل : « الليث » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٦٣، ٢٦٤.

خَرَّبُوذَ ، حدَّثنا أبو الطُّفَيلِ ، عن حُذَيْفةَ بنِ أَسيدٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : لَمَّا صدَر النبىُّ ﷺ عن حِجَّةِ الوَداعِ قال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَإِنَّكُمْ وَارِدُونَ عَلَى حَوْضٍ عَرْضُه مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ ، فِيهِ آنِيَةٌ[1] [٧١و] عَدَدُ النُّجُومِ » . لم يَرْوه مِن أصحابِ الكتبِ أحدٌ ، ولا أحمدُ .

روايةُ حذيفةَ بنِ اليمانِ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثنا ابنُ هُبَيْرَةَ ، أنَّه سمِعَ أبا تَمِيمٍ الْجَيشَانىَّ ، يقولُ : أخبَرَنى سعيدٌ ، أنَّه سمِع حُذَيفةَ يقولُ : غابَ عَنَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا فلم يَخْرُجْ ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّه لن يخرُجَ ، فلمَّا خرَج سَجَدَ [3]سَجْدَةً فَظَنَنَّا[3] أن نفسَه قد قُبِضَتْ منها[4] ، فلمَّا رفَع رأسَه قال : « إِنَّ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، اسْتَشَارَنِى فى أُمَّتِى : مَاذَا أَفْعَلُ بِهِمْ ؟ فَقُلْتُ : مَا شِئْتَ ، أَىْ رَبِّ ، هُمْ خَلْقُكَ وَعِبَادُكَ . فَاسْتَشَارَنِى الثَّانِيَةَ ، فَقُلْتُ له كذلك . فَقَالَ : لَا أُخْزِنُكَ[5] فِى أُمَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ . وَبَشَّرَنِى أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ، لَيسَ عَلَيهِمْ حِسَابٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىَّ ، فَقَالَ : ادْعُ تُجَبْ ، وَسَلْ تُعْطَ . فَقُلْتُ لِرَسُولِه : أَوَ مُعْطِىَّ رَبِّى سُؤْلِى ؟ فَقَالَ : مَا أَرْسَلَنِى إِلَيكَ إِلَّا لِيُعْطِيَكَ ، وَلَقَدْ أَعْطَانِى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ وَلَا فَخْرَ ، وَغَفَرَ لِى مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِى وَمَا تَأَخَّرَ ، [6]وَأَنَا أَمْشِى حَيًّا صَحِيحًا[6] ، وَأَعْطَانِى أَنْ لَا تَجُوعَ أُمَّتِى ، وَلَا تُغْلَبَ ، وَأَعْطَانِى الْكَوثَرَ ، فَهُوَ نَهَرٌ فى الجَنَّةِ ، يَسِيلُ فى حَوضِى ، وَأَعْطَانِى العِزَّ ، وَالنَّصْرَ ، وَالرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَىْ أُمَّتِى شَهْرًا ، وَأَعْطَانِى أَنِّى أَوَّلُ

---

(١) سقط من : ص .

(٢) المسند ٥/٣٩٣ (٢٣٣٨٤) . قال الهيثمى : رواه أحمد وإسناده حسن . المجمع ١٠/٦٨، ٦٩.

(٣ - ٣) فى النسخ : « حتى ظننا » والمثبت من المصدر ، وانظر جامع المسانيد (٣/ ٣٤٧) .

(٤) فى النسخ : « فيها » ، وانظر ما سبق .

(٥) فى الأصل : « نخزيك » ، وفى ح « أخزيك » ، وانظر ما سبق .

(٦ - ٦) سقط من : ح .

الأَنْبياءِ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وطَيَّبَ لِى وَلِأُمَّتِى الغَنِيمَةَ ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ » . هذا حديثٌ حسنُ الإسنادِ والمتنِ .

طريقٌ أخرَى عنه : رَواه الطبرانىُّ[1] مِن حديثِ مُباركِ بنِ فَضَالَةَ ، عن خالدِ بنِ[2] أبى الصَّلْتِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيرٍ ، عن رِبْعِىٍّ ، عن حُذَيْفَةَ ، مرفوعًا : « إِنَّهَا سَتَكُونُ عَلَيكُمْ أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ ويَظْلِمُونَ ، فَمَنْ صَدَّقَهُم بِكَذِبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ [3]وَلَنْ يَرِدَ عَلَىَّ الحَوْضَ[3] ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِم ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَهُوَ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ ، وَسَيَرِدُ عَلَىَّ الْحَوْضَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

طريق أخرى : قال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[4] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيبَةَ ، حدَّثنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن سعدِ بنِ طارقٍ ، عن رِبْعِىِّ بنِ حِرَاشٍ[5] ، عن حُذَيفةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ حَوْضِى لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ وَعَدَنَ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ ، وَلَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه ، إِنِّى لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَما يَذُودُ الرَّاعِى[6] الإِبِلَ الغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ » . قال : قيل يا رسولَ اللَّهِ ، تَعْرِفُنَا يَومَئِذٍ ؟ [7]قال : « نَعَمْ[7] ، تَرِدُونَ عَلَىَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثارِ الْوُضُوءِ ، [8]وَلَيْسَتْ[8] لأَحَدٍ غَيرِكُمْ » .

---

(١) المعجم الكبير ٣/١٨٥ (٣٠١٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٥/ ٢٤٨.

(٢) فى ح : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٩٢.

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى المصدر .

(٤) لم نجده عند البغوى ، وهو عند ابن ماجه (٤٣٠٢) من طريق عثمان به .

(٥) فى الأصل : « خراش » بالخاء المعجمة ، انظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٤.

(٦) فى ص : « الرجل » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨ - ٨) فى الأصل : « ليست هذه السيماء » .

[1] ورَواه مسلمٌ[2] عن عثمانَ بنِ أبى شَيبةَ بنحوِه ، وعلَّقه البخاريُّ[3] ، فقال : وقال حُصَينٌ عن أبى وائلٍ ، عن حُذَيفةَ ، عن النبىِّ ﷺ[1] .

حديثُ الحسنِ بنِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ : قال الطبرانىُّ[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ سَلْمٍ الرَّازِىُّ ، قالا حدَّثنا عَبَّادُ بنُ يعقوبَ الأَسَدىُّ ، حدَّثنا علىُّ بنُ عابسٍ[5] ، عن بدرِ بنِ الخليلِ أبى الخليلِ ، عن أبى كثيرٍ[6] ، قال : كنتُ جالسًا عندَ الحسنِ بنِ علىٍّ ، فجاءه رجلٌ ، فقال : لقد سَبَّ عندَ مُعاويةَ عَلَيًّا سَبًّا قَبيحًا رجلٌ يقالُ له : مُعاويةُ بنُ حُدَيجٍ[7] . فقال : تعرِفُه ؟ [1]قال : نعم[1] . قال : إذا رَأيتَه فَأْتِنى به . قال : فَرَآه عندَ[8] عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، فَأَرَاه إيَّاه ، قال : أنتَ معاويةُ بنُ حُدَيجٍ ؟ فسَكَت ، فلم يُجِبْه ، ثلاثًا ، ثم قال : أنتَ السَّبَّابُ عَلِيًّا عِنْدَ ابنِ آكِلَةِ الأَكْبادِ ؟ أَمَا [9]إنَّك إنْ[9] وَرَدْتَ عليه الْحَوضَ - وما أَرَاك تَرِدُه - لَتَجِدَنَّه مُشمِّرًا حَاسِرًا عن ذِرَاعَيه يَذُودُ الكفَّارَ والمُنافِقينَ عن حوضِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ كما تُذَادُ غَرِيبَةُ الإبلِ عن صاحبِها ، قولَ الصادقِ المصدوقِ أبى القاسمِ ﷺ .

(١ - ١) زيادة من : ح ، ص .

(٢) مسلم (٢٤٨) .

(٣) البخارى عقب حديث (٦٥٧٦) ، ووصله الحافظ فى تغليق التعليق ٥/ ١٨٥ .

(٤) المعجم الكبير ٣/٨٢ (٢٧٢٧) . وقال الهيثمى : رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما على بن أبى طلحة مولى بنى أمية ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات ، والآخر ضعيف . مجمع الزوائد ٩/ ١٣١ .

(٥) فى ح : « عباس » . والمثبت من المصدر ، وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٥٠٢ .

(٦) فى المصدر : « كبير » . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٢١٩ .

(٧) فى النسخ : « خديج » . والمثبت من المصدر ، وانظر سير أعلام النبلاء ٣/٣٧ - ٣٩ .

(٨) بعده فى المصدر : « دار » .

(٩ - ٩) فى ح : « إن » ، وفى المصدر : « لئن » .

ورَواه مِن طريقٍ أخرى[1] عن عليِّ بنِ أبى طلْحةَ، عن الحسنِ مرفوعًا.

حديثُ أبى عُمارةَ [٧١ظ] **بنِ عبدِ المطَّلِبِ رضى اللَّهُ عنه**: قال الطبرانىُّ[2]: حدَّثنا يَحيى بنُ أيوبَ العَلَّافُ المصرىُّ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبى كَثِيرٍ، أخبَرَنى حَرَامُ بنُ عثمانَ[3]، عن عبدِ الرحمنِ الأعرجِ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى حَمْزَةَ بنَ عبدِ المطَّلبِ يومًا ولم يَجِدْه، فسأَل امرأتَه عَنْهُ - وكانتْ مِن بنى النجَّارِ - فقالت: خرَج بأبى أنتَ وأمِّى آنِفًا عامِدًا نَحْوَكَ، فأَظُنُّه أخْطَأكَ فى بعضِ أَزِقَّةِ بَنِى النَّجارِ، أَفلَا تَدْخُلُ يا رسولَ اللَّهِ؟ فدخَل، فقدَّمَتْ إليه حَيْسًا[4] فأكَل منه، فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، هَنِيئًا لَكَ ومَرِيئًا، لقد جِئتَ وأنا أُريدُ أن آتِيَكَ أُهَنِّئُكَ وأُمَرِّئُكَ، أخبَرَنى أبو عُمارةَ أنَّك أُعْطِيتَ نَهَرًا فى الجَنَّةِ يُدْعَى الكوثَرَ. فقال: «أَجَلْ، وَعَرَصَتُهُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ وَزَبَرْجَدُ وَلُؤْلُؤٌ». قالت: أَحْبَبْتُ أن تَصِفَ لى حوضَكَ بِصِفَةٍ أَسْمَعُها منك. فقال: «هُوَ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ، فِيهِ أَبَارِيقُ مِثْلُ عَدَدِ النُّجُومِ، وَأَحَبُّ وَارِدِهَا عَلَىَّ قَومُكِ، يَا بِنْتَ قَهْدٍ[5] الأَنْصَارِىِّ[6]».

---

(١) المعجم الكبير ٣/٩٤ (٢٧٥٨). قال الهيثمى: ورواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما على بن أبى طلحة مولى بنى أمية ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. والآخر ضعيف. مجمع الزوائد ٩/ ١٣١.

(٢) المعجم الكبير ٣/١٦٦ (٢٩٥٩)، وقال الهيثمى: وفيه حرام بن عثمان، وهو متروك. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٣.

(٣) فى النسخ: «حزام». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٨٣، والتاريخ الكبير ٣/ ١٠١.

(٤) عند الطبرانى: «عنبة». والحيس: هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. النهاية ١/ ٤٦٧.

(٥) فى الأصل: «فهد»، وفى ح: «مهر»، والمثبت من معجم الطبرانى، ورواه الهيثمى: «يا بنت حمد» وقال: قلتُ: لعله يا بنت قهدٍ. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٩.

(٦) فى مصدرى التخريج: «يعنى الأنصار».

هذا حديثٌ عزيزٌ[1] جدًّا، مِن روايةِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ، عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثم مِن روايةِ زَوجَتِه هذه، وروايةُ عبدِ الرحمنِ، بنِ هُرْمُزَ الأعرجِ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ مُنْقَطِعَةٌ، وذكَر أبو بكرٍ الشافعيُّ فى «فوائدِه»: أنَّ بينَهما المِسْوَرَ ابنَ مَخْرَمةَ.

روايةُ زيدِ بنِ أَرْقَمَ، رضِى اللَّهُ عنه: قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا عفَّانُ، حدَّثنا شُعْبةُ، قال: عمرُو بنُ مُرَّةَ أخبَرَنى، قال: سمِعتُ أبا حمزةَ أنَّه سمِع زيدَ ابنَ أرْقَمَ، قال: كُنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفَرٍ، فنزَل مَنْزِلًا، فسمِعْتُه يقولُ: «مَا أَنْتُمْ بجُزْءٍ مِنْ مِائةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَىَّ الحَوضَ مِنْ أُمَّتِى». قلنا لزيدٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَومَئِذٍ؟ قال: سبعَمائةٍ أو ثمانِمائةٍ.

وكذا رَواه[3] عن[4] هاشمٍ، عن شُعْبَةَ. ورَواه أبو داودَ الطيالسىُّ[5]، عن شُعْبةَ. ورَواه أحمدُ[6]، عن أبى معاويةَ، عن الأعمشِ، كلاهما عن عمرِو بنِ مُرَّةَ به. ورَواه أبو داودَ[7]، عن حفصِ بنِ عمرَ، عن شُعْبةَ.

قلتُ: وأبو حمزةَ، هو طَلْحَةُ بنُ يزيدَ الأنصارىُّ الكُوفىُّ مَولَى قَرَظَةَ بنِ كعبٍ. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

---

(١) فى ح: «غريب».

(٢) المسند ٣٧١/٤ (١٩٣٢٨). قال الألبانى: وهذا سند صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبى حمزة، واسمه طلحة بن يزيد فمن رجال البخارى، ووثقه ابن حبان والنسائى. الصحيحة (١٢٣).

(٣) المسند ٣٦٩/٤ (١٩٣١٠).

(٤) بعده فى النسخ: «أبى». والمثبت من مصدر التخريج، وانظر أطراف المسند ٣٦٨/٢، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٣٠.

(٥) مسند الطيالسى (٦٧٧).

(٦) المسند ٣٦٧/٤ (١٩٢٨٧).

(٧) أبو داود (٤٧٤٦). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٧٢).

روايــةٌ أخرى عن زيدِ بنِ أرقمَ، رضِى اللَّهُ عنه : [1]قال الإمامُ أحمدُ[2] حدثنا [3]إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ[3]، قال : حدَّثنا أبو حيانَ التيميُّ[1] [ح] .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[4] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأنا الحسنُ بنُ يعقوبَ العَدْلُ[5]، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ، أنبأنا جعفرُ[6] بنُ عَونٍ، أنبأنا أبو حيَّانَ يَحيى بنُ سعيدٍ التيميُّ، تَيْمُ الرَّبابِ - حدَّثنا يزيدُ بنُ حَيَّانَ التيميُّ، قال : شهِدتُ زيدَ بنَ أرقمَ، وبَعَثَ إليه عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ، فقال : ما أحاديثُ بَلَغَنِى عنك تُحَدِّثُ بها عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ تَزْعُمُ أنَّ له حَوْضًا فى الجنةِ ؟ فقال : حدَّثنا ذاك رسولُ اللَّهِ ﷺ ووَعَدَناه . فقال : كذَبتَ، ولكِنَّكَ شيخٌ قد خَرِفْتَ . قال : أمَا إنَّه سَمِعَتْهُ أُذُناىَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وسَمِعْتُه يقولُ : « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النارِ » وَمَا كَذَبْتُ عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وستأتى روايتُه عن أخٍ له .

وأما روايةُ سلمانَ الفارسىِّ، رضِى اللَّهُ عنه : فرَوَى الإمامُ أبو بكرِ بنُ خُزَيمةَ[7]، رحِمه اللَّه، مِن حديثِ علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن سَلْمَانَ، رضِى اللَّهُ عنه، قال : خَطَبَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى آخرِ يومٍ مِن شعبانَ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ ...» وذَكَر تَمامَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ٣٦٧/٤ (١٩٢٨٥) .

(٣ - ٣) فى ح : « إبراهيم » .

(٤) البعث والنشور ص ١٧٠ .

(٥) فى الأصل : « المعدل » . وانظر السير ١٥/ ٤٣٣ .

(٦) فى ح : « حفص » .

(٧) صحيح ابن خزيمة (١٨٨٧) . قال محققه : إسناده ضعيف .

الحديثِ بطولِه فى فَضْلِ شهرِ رَمَضَانَ ، إلى أنْ قال : « ومَنْ أَشْبَعَ فِيهِ صَائِمًا ، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوضِى شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ » .

روايةُ سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ [٧٢و] **الفَزَارِىِّ ، رضِى اللَّهُ عنه** : قال أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[(١)] ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُسْتَمِرِّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ بَكَّارِ بنِ بلالٍ ، حدَّثنا سعيدٌ - هو ابنُ بَشِيرٍ - عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوْضًا يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً ، وَإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً » . وكذا رَواه الترمذىُّ[(٢)] عن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ نَيْزَكَ ، عن محمدِ بنِ بَكَّارِ بنِ بلالٍ ، عن سعيدِ بنِ بَشيرٍ ، وقال : هذا حديثٌ غريبٌ . قال : ورواه أشعثُ بنُ عبدِ الملكِ عن الحسنِ مرسلًا ، وهو أصحُّ .

روايةُ سهلِ بنِ سعدٍ[(٣)] الأنصارىِّ السَّاعِدىِّ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال البخارىُّ[(٤)] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ مُطَرِّفٍ ، حدثنا أبو حازمٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ ، قال : قال النبىُّ ﷺ : « إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، مَنْ مَرَّ عَلَىَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدا ، لَيَرِدَنَّ عَلَىَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِى ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِى وَبَيْنَهم » . قال أبو حازمٍ : فَسَمِعنى النُّعمانُ بنُ أبى عَيَّاشٍ ، فقال : هكذا سمِعتَ مِن سَهْلٍ ؟ فقلتُ : نعم . فقال : أَشْهَدُ على أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ لَسَمِعْتُه وهو يَزيدُ فيها : « فَأَقُولُ : إِنَّهُمْ مِنِّى . فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِى » . وقال ابنُ عباسٍ :

---

(١) السنة (٧٣٤) . قال الشيخ الألبانى : حديث صحيح .
(٢) الترمذى (٢٤٤٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٨) .
(٣) فى ص : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٨٨ .
(٤) البخارى (٦٥٨٣، ٦٥٨٤) .

سُحْقًا : بُعْدًا . يقالُ[1] : سَحِيقٌ : بعيدٌ ، سَحَقه ، وأسْحَقَه : أبْعَدُه . تفرَّد به مِن هذا الوجهِ . واللَّهُ أعلمُ .

[2]وأما روايةُ سويدِ بنِ جَبَلَةَ[3] فذكرها القاضى عياض ، وكذلك رواية عبدِ اللهِ الصُّنابحِيِّ[4] ذكرها عياضٌ أيضًا[2] .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدِ بنِ عاصمٍ المازِنيِّ ،[5] رَضِى اللَّهُ عنه : ثبَت فى « الصَّحيحَيْن »[6] عنه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمّا قَسَّم غنائمَ حُنَيْنٍ ، فأعْطَى مَنْ أعْطَى مِن صنادِيدِ قُريشٍ ، والعربِ ، فتَغَضَّبَ بعضُ الأنصارِ ، فخَطَبَهُمْ فقال لهم فيما قال : « إنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى[7] عَلَى الحَوْضِ » .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال أبو بكرٍ البَزّارُ[8] : حدَّثنا يوسفُ بنُ مُوسَى ، حدَّثنا جريرٌ ، حدَّثنا لَيْثٌ - هو ابنُ أبى سُلَيمٍ - عن عبدِ الملكِ بنِ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبيهِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنِّى آخِذٌ بحُجَزِكُمْ[9] أقولُ : إيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ ، إيَّاكُمْ والْحُدودَ ،

---

(١) أشار ابن حجر إلى أن هذا القول من كلام أبى عبيدة . انظر فتح البارى ١١/ ٤٧٣.

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) الشفا ١/ ٢٧٩، وانظر معجم الصحابة ١/ ٢٩٦.

(٤) الشفا الموضع السابق ، وانظر معجم الصحابة ٢/ ٧٤ .

(٥) فى ص : « المزنى » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٥٣٨.

(٦) البخارى (٤٣٣٠، ٧٢٤٥) ، ومسلم (١٣٩/ ١٠٦١) .

(٧) فى ص : « تأتونى » .

(٨) انظر كشف الأستار (٣٤٨٠) من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس بنحوه . قال البزار : لانعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن ابن عباس ، وقد اختلفوا عن ليث ، فرواه غير واحد ، عن ليث ، عن عبد الملك ابن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، وقد روى نحوه من غير وجه ، ولا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه . كشف الأستار ٤/ ١٧٦.

قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٦٤: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه ... والبزار ، وفى إسناده عندهم ليث بن أبى سليم وهو مدلس ، وبقية رجالهم ثقات .

(٩) الحجزة : مشد الإزار . النهاية ١/ ٣٤٤.

إيَّاكُمْ وجَهَنَّمَ ، إيَّاكُمْ والحُدودَ » - ثلاثَ مـرَّاتٍ - « وإذا أَنَا مِتُّ تَرَكْتُكُمْ [1]على البيضاءِ[1] ، وأَنَا فَرَطُكُمْ عَلى الحَوْضِ ، فمَنْ وَرَدَ أَفْلَحَ ، ويُؤْتَى بأقوامٍ فَيُؤْخَذُ بِهِم ذَاتَ الشِّمالِ ، فأقول : يارَبِّ - أحسَبُه قال : أصْحابِى - فيقالُ : مازَالُوا بَعْدَكَ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقابِهِمْ » . ثمَّ قال : تفرَّد به لَيْثٌ عن عبدِ الملكِ بنِ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ .

وقال البخاريُّ فى بابِ الحوضِ مِن « صحيحِه »[2] : حدَّثنا عمرُو بنُ محمدٍ ، حدَّثنا هُشَيْمٌ[3] ، حدَّثنا أبو بِشْرٍ ، وعطاءُ بنُ السَّائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : الكوثَرُ : الخَيْرُ الكَثيرُ ، الذى أعطاه اللَّهُ إيَّاه . قال أبو بِشْرٍ : قلتُ لسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ : إنَّ أُناسًا يَزْعُمونَ أنَّه نَهَرٌ فى الجَنَّةِ ، فقال [4]سعيدٌ : النهرُ الذى فى الجَنَّةِ مِن الخيرِ الذى أعطاه اللَّهُ إيَّاه .

قلتُ : وقد تقدَّم أنَّـه يَشْخُبُ[4] مِن الكوثرِ [5]الذى فى الجنةِ[5] إلى الحوضِ [5]الذى فى الموقفِ[5] مِيزَابَانِ[6] مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ .

طريقٌ أخرى عَنِ ابنِ عبّاسٍ ، رضى اللَّهُ تعالى عنهما : قال الطبرانىُّ[7] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ هاشمٍ البَغَوِىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ[8] الحارِثىُّ ،

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) البخارى (٦٥٧٨) .

(٣) فى ص : « هشام » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) زيادة من : ح .

(٦) بعده فى الأصل : « من الكوثر فيه ، وهما » .

(٧) الطبرانى ١١/١٢٥ (١١٢٤٩) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير محمد ابن عبد الوهاب الحارثى وهو ثقة . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٦.

(٨) فى ح ، ص ، ومصدر التخريج : « الواهب » . وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٦، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٩٠، والثقات لابن حبان ٩/ ٨٣.

حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، زَوَاياهُ سَوَاءٌ ، أَكوابُه[1] عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ ، مَاؤهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وأَطْيَبُ - يَعنِى رِيحًا - مِنَ المِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبةً لم يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا » .

طريقٌ أخرى عَنِ ابنِ عبّاسٍ ، رضى اللَّهُ عنهما : قال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنا العبَّاسُ بنُ محمدٍ ، حدثنا حسينُ[2] بنُ محمدٍ المَرْوزىُّ ، حدَّثنا مِحْصَنُ بنُ عُقْبةَ اليَمانِىُّ[3] ، عن الزُّبَيْرِ بنِ شَبِيبٍ ، عن عُثمانَ بنِ حاضرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَن الوقوفِ بينَ يَدَىْ رَبِّ العالمين ، هل فيه ماءٌ ؟ قال : « إىْ ، والَّذِى نَفْسِى بِيَدِه ، إنَّ فِيهِ لَمَاءً ، إنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لَيَرِدُونَ حِياضَ الأَنْبِياءِ ، ويَبْعَثُ اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فى أَيْدِيهِمْ عِصِىٌّ مِنْ نَارٍ يَذُودُونَ الْكُفَّارَ عَنْ حِياضِ الأَنْبِياءِ » .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، رضى اللَّهُ عنهما : قال البخارىُّ[4] : حدَّثنا مُسدَّدٌ ، حدَّثنا يحيى ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ، حدَّثنى نافعٌ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « أَمَامَكُمْ حَوْضٌ ، مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ[5] وأَذْرُحَ »[6] .

---

(١) فى ص : « كيزانه » وفى المصدر : « أكوازه » .

(٢) فى ح : « حسن » .

(٣) فى ص : « اليمامى » .

(٤) البخارى (٦٥٧٧) .

(٥) جرباء : موضع من أعمال عَمَّان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز . معجم البلدان ٢/ ٤٦.

(٦) أذرح : بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحى البلقاء وعمّان مجاورة لأرض الحجاز . معجم البلدان ١/ ١٧٤.

ورَواه أحمدُ[1] ، عن يحيى القَطَّانِ [٧٢ظ] ، ورواه مسلمٌ[2] ، مِن حديثِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وأيُّوبَ ، وموسى بنِ عُقْبةَ ، وغيرِهم ، عن نافعٍ .

وفى بعضِ الرواياتِ[3] : « أمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ - وهما قريتان بالشامِ - فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدُ نجومِ السماءِ ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا » .

طريقٌ أُخرَى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو المغيرةِ ، حدَّثنا عمرُ[5] بنُ عمرٍو [6]أبو عثمانَ[6] الأُحْمُوسِيُّ ، حدَّثنى المخارقُ بنُ أبى المخارقِ ، عَن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ أنَّه سمِعه يقولُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « حَوْضِى كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ المِسْكِ ، أَكْوَابُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّماءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا ، أَوَّلُ النّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعالِيكُ المُهَاجِرِينَ » . قال قائلٌ : وَمَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ ، الشَّحِبَةُ وُجُوهُهُمْ ، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ ، لا يُفْتَحُ لَهُمْ [7]أَبْوَابُ السُّدَدِ[7] ، ولا يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّماتِ ، الذين يُعْطُونَ كلَّ الذى عَلَيْهِمْ ، ولَا يَأْخُذُونَ الّذِى لَهُمْ » . تفرَّد به أحمدُ .

---

(١) المسند ٢/٢١ (٤٧٢٣) .

(٢) مسلم (٢٢٩٩) .

(٣) مسلم (٣٥/ ٢٢٩٩) ، بنحوه .

(٤) المسند ٢/١٣٢ (٦١٦٢) قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره ، وهذا إسناد ضعيف . المسند ١٠/ ٣٠٣ .

(٥) فى المسند : « عمرو » . وانظر أطراف المسند ٣/ ٤٧٧ .

(٦ - ٦) فى النسخ : « أو عثمان بن عمرو » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر أطراف المسند ٣/ ٤٧٧ .

(٧ - ٧) فى المسند : « السدد » .

طريقٌ أخرى عنه : قال أبو داودَ الطَّيالِسيُّ[1] : حدَّثنا أبو عَوانةَ ، حدَّثنا عطاءُ ابنُ السائبِ ، قال : قال لى محاربُ بنُ دِثَارٍ : ما كان سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ يقولُ فى الكَوْثرِ ؟ قلتُ : كان سعيدٌ يُحدِّثُ عن ابنِ عباسٍ ، قال : هو الخيرُ الكثيرُ . قال محاربٌ : أَينَ يَقَعُ رأىُ ابنِ عباسٍ ؟ قال محاربٌ : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، قال : لمَّا نزَلت : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] . قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هُوَ نَهَرٌ فى الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، يَجْرِى عَلَى الدُّرِّ والياقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ رِيحًا مِن الْمِسْكِ ، وطَعْمُهُ أحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ » .

ورواه البَيْهَقِىُّ مِن حديثِ حَمّادِ بنِ زيدٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ بنحوِه[2] ، وأخرَجه الترمذىُّ ، وابنُ ماجه من طريقِ محمدِ بنِ فضيلٍ ، عن عطاء بنِ السائبِ ، به[3] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، رضى اللَّهُ عنهما : قال البخارىُّ[4] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا نافعُ بنُ عمرَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : قال النبىُّ ﷺ : « حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، ماؤُه أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ[5] فلا يَظْمَأُ أَبَدًا » . ورواه مسلمٌ ، عن داودَ بنِ عمرٍو ، عن نافعِ بنِ عمرَ ، به[6] .

---

(١) مسند أبى داود الطيالسى (١٩٣٣) .
(٢) البعث والنشور (١٤٠) .
(٣) الترمذى (٣٣٦١) ، وابن ماجه (٤٣٣٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٧٧) .
(٤) البخارى (٦٥٧٩) .
(٥) كذا بالنسخ . وعند البخارى : « منها » . الضمير يعود على الكيزان .
(٦) مسلم (٢٧/ ٢٢٩٢) .

طريقٌ أخرى عنه: قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا يحيى، حدَّثنا حُسَيْنٌ المُعلِّمُ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُريدَةَ، عن أبى سَبْرةَ - واسمُه سالمُ بنُ سَبْرَةَ - قال: كان عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيادٍ يَسْأَلُ عن الحوضِ؛ حَوْضِ محمّدٍ ﷺ، وكان يُكَذِّبُ به بَعْدَ ما سأَل أبا بَرْزَةَ، والبَراءَ بنَ عازبٍ، وعائِذَ بنَ عمرٍو، ورجلًا آخرَ، وكان يُكَذِّبُ به، فقال أبو سبرةَ[2]: أَنا أحدِّثُك بحديثٍ فيه شِفاءُ هذا؛ إنّ أباك بَعَثَ معى بمَالٍ إلى معاويةَ، فلقِيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو، فحدَّثنى بما[3] سَمِع مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأَمْلَى علىَّ، فكتبتُ بِيَدِى، فلم أزِدْ حَرْفًا، ولم أَنْقُصْ حَرْفًا؛ حَدَّثَنِى أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ، أَوْ يُبْغِضُ الفَاحِشَ، والمُتَفَحِّشَ». قال: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَظْهَرَ الفُحْشُ، والتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ المُجَاوَرَةِ، وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الخَائِنُ، ويُخَوَّنَ الأَمِينُ». وقال: «أَلَا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ حَوْضِى، عَرْضُه وَطُولُه وَاحِدٌ، وَهُوَ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ، وَهُوَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فِيهِ مِثْلُ النُّجُومِ أَبَارِيقُ، شَرَابُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الفِضَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَبًا لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا». فقال عُبَيْدُ اللَّهِ: ما سَمِعتُ فى الحوضِ حديثًا أَثْبَتَ مِنْ هذا. فصدَّق به، وأخَذ الصحيفةَ، فحبَسها عندَه[4].

[٧٣و] **طريقٌ أُخْرَى عنه**: قال أبو بكرٍ البزَّارُ فى «مسندِه»[5]: حدَّثنا

---

(١) المسند ٢/١٦٢ (٦٥١٤). وقال الشيخ شعيب: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف من أجل أبى سبرة؛ فإنه مجهول. المسند ١١/ ٦٤.

(٢) بعده فى الأصل: «لعبيد اللَّه بن زياد».

(٣) فى المسند: «مما».

(٤) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم مخطوط [٧٣و].

(٥) البحر الزخار (٢٤٦٢)، عن عمرو بن على، عن يوسف بن كامل العطار، عن نافع بن عمر الجمحى، عن ابن أبى مليكة، عن عبد اللَّه بن عمرو بنحوه.

محمودُ بنُ بَكْرِ بنِ عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا أبى، حدّثنا عِيسَى بنُ المختارِ، عن محمدِ بنِ أبى لَيْلَى، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكَةَ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيرٍ الليثىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ لى حَوْضًا فى الجنَّةِ مَسِيرَتُهُ شَهْرٌ، وزَوَاياهُ سَوَاءٌ، رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، ماؤُه كالوَرِقِ، أَقْدَاحُهُ كنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْه شَرْبَةً لم يَظْمَأْ بَعْدَهَا أبدًا». ثم قال: لا نَعْلَمُ روَى عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو غيرَ هذا الحديثِ.

طريقٌ أُخْرَى أيضًا: رواها الطبرانىُّ مِن حديثِ مُسلمِ بنِ رئابٍ[1]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[2].

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ الهُذَلِىِّ، رَضِى اللَّهُ عنه: قال البخارىُّ[3]: حدَّثنا يحيى بنُ حَمَّادٍ، حدَّثنا أبو عَوانةَ، عن سُلَيْمانَ، عن شَقِيقٍ، عن عبدِ اللَّهِ، عن النبىِّ ﷺ قال: «أنا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ». [4]قال البخارىُّ[5]: وحدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثنا شُعْبةُ، عن المغِيرةِ: سمِعتُ أبا وائلٍ، عن عبدِ اللَّهِ، عن النبىِّ ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ[4]، ولَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثم لَيُخْتَلَجُنَّ[6] دُونِى، فأَقُولُ: يارَبِّ، أَصْحَابِى، فيُقالُ: إنَّك لا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». تابَعَه عاصمٌ، عن أبى وائلٍ، وقال حُصينٌ: عن أبى وائلٍ، عن حُذَيْفَةَ، عن النبىِّ ﷺ.

---

(١) فى ح، ص: «رباب».

(٢) بعده فى ص: «فقال حدثنا». وبياض بمقدار أربعة أسطر لم نجده عند الطبرانى من هذا الطريق، وأخرجه فى الأوسط (٥٠٢٠) من حديث عدى بن ثابت، عن أنس بن مالك، بنحوه.

(٣) البخارى (٦٥٧٥).

(٤ - ٤) فى ح: «ثم رواه من طريق أخرى وزاد فيه».

(٥) البخارى (٦٥٧٦).

(٦) أى يُجتذبون ويُقتطعون. النهاية ٢/ ٥٩.

طريقٌ أُخْرَى عنه فى الحوضِ وغيرِه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عارِمُ بنُ الفَضْلِ ، حدَّثنا [2]سعيدُ بنُ زيدٍ[2] ، حدَّثنا علىُّ بنُ الحكَمِ البُنَانِىُّ ، عن عثمانَ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقَمَةَ والأسْودِ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : جاء ابنا مُلَيْكَةَ إلى النبىِّ ﷺ ، فقالا : إنَّ أُمَّنا [3]ماتت وكانت[3] تُكْرِمُ الزوجَ ، وَتَعْطِفُ على الولدِ - قال : وَذَكَر الضَّيْفَ - غيرَ أنها كانت وَأَدَتْ فى الجاهِلِيَّةِ ، فقال : « أُمُّكُمَا فى النّارِ » . قال : فأدْبَرَا و[4]الشَّرُّ يُرَى[4] فى وجوهِهما ، فأَمَرَ بهما ، فَرُدَّا ، فرجَعَا والسرورُ يُرَى فى وجوهِهما ؛ رجاءَ[5] أن يكونَ قد حدَث شىءٌ ، فقال : « أُمِّى مَعَ أُمِّكُمَا » . فقال رجلٌ مِن المنَافقين : وما يُغْنى هذا عن أُمِّه شيئًا ، ونحن نطَأُ عَقِبَيْه ! فقال رجلٌ مِن الأنصارِ - ولم أرَ رَجُلًا قَطُّ أكثرَ سؤالًا مِنه -: يا رسولَ اللَّهِ ، هل وعَدك ربُّك فيهما[6] ؟ قال : فظنَّ أنّه من شَىءٍ قَدْ سَمِعَهُ ، فقال : « مَا [7]سَأَلْتُهُ رَبِّى[7] ، وَمَا أَطْمَعَنِى فِيهِ ، وإنِّى لَأَقُومُ المَقَامَ المَحْمُودَ يَوْمَ القِيامَةِ » . فقال الأنصارىُّ : وما ذاكَ المقامُ المحمودُ ؟ قال : « ذَاكَ إذَا جِىءَ بِكُمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ، يَقُولُ : اكْسُوا خَلِيلِى . فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ ، فيَلْبَسُهُمَا ، ثُمَّ [8]يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ العَرْشِ[8] ، ثُمَّ أُوتَى بكِسْوَتِى ،

---

(١) المسند ١/ ٣٩٨، ٣٩٩ (٣٧٨٧) . وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف عثمان ، وهو ابن عمير البجلى أبو اليقظان ، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير سعيد بن زيد ، فمختلف فيه . المسند ٦/ ٣٣٠.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ح : « سعيد بن الفضل ، حدثنا سعيد بن زيد » ، وفى مطبوعة المسند : « أبو سعيد ثنا ابن زيد » . وانظر أطراف المسند ٤/ ١٨٨، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٤١.

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص ، وفى المسند : « كانت » .

(٤ - ٤) فى ح : « السوء يرى » ، وفى ص : « السوء » . وما فى ح موافق لإحدى نسخ المسند ، وأشير إليه فى هامش النسخ الأخرى . انظر المسند ٦/٣٢٩ الحاشية (٢) .

(٥) فى المسند : « رَجَيا » .

(٦) فى المسند : « فيها أو فيهما » .

(٧ - ٧) فى النسخ : « ما شاء اللَّه ربى » . والمثبت من المسند .

(٨ - ٨) فى الأصل ، ص : « يقعده مستقبل » ، وفى المسند : « يقعد فيستقبل » .

فَأَلْبَسُها ، فأَقُومُ عَنْ يَمِينِه مَقَامًا لَا يَقُومُه أَحَدٌ[1] ، يَغْبِطُنِى بِهِ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ » . قال : « ويُفْتَحُ نَهَرٌ مِن الكَوْثَرِ إِلَى الحَوْضِ » . فقال المنافقُ[2] : إنَّه ما جرَى ماءٌ قَطُّ إلّا على حَالٍ[3] أَو رَضْراضٍ[4] . [5]فقال الأنصارىُّ[5] : يا رسولَ اللَّهِ ، [6]هل له[6] حَالٌ أو رَضْرَاضٌ ؟ قال : « حَالُهُ المِسْكُ ، وَرَضْرَاضُهُ التُّومُ[7] » . فقال المنافقُ : لم أسمَعْ كاليومِ ، قلَّما جرَىماءٌ قَطُّ على حالٍ أو رَضْراضٍ إلَّا كان له نَبْتٌ . فقال الأنصارىُّ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل له نَبْتٌ ؟ [8]قال : « نَعَمْ ، قُضْبَانُ الذَّهَبِ » . قال المُنَافقُ : لَمْ أَسْمَعْ كاليومِ ، فإنَّه قَلَّمَا نَبَتَ قَضِيبٌ إلَّا أَوْرَقَ ، وإلّا كان له ثمرٌ . قال الأنصارىُّ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل له[9] ثَمَرٌ ؟[8] قال : « نَعَمْ ، أَلْوَانُ الجَوْهَرِ ، وَمَاؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللّبنِ ، وَأَحْلَى مِنَ العسلِ ، مَنْ شَرِب مِنْهُ مَشْرَبًا لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ ، وَمَنْ[10] حُرِمَهُ لم يَرْوَ بَعْدَهُ » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو غريبٌ جدًّا .

روايةُ عتبةَ بنِ عَبدٍ السُّلَمِىِّ ، رضى اللَّهُ عنه : قال الطبرانىُّ[11] : حدَّثنا

---

(١) بعده فى المسند : « غيرى » .

(٢) فى المسند : « المنافقون » .

(٣) الحال : الطين الأسود كالحمأة . النهاية ١/ ٤٦٤.

(٤) الرضراض : الحصى الصغار . النهاية ٢/ ٢٢٩.

(٥ - ٥) فى المسند : « قال » .

(٦ - ٦) فى المسند : « على » .

(٧) التُّوم : الدُّرُّ . النهاية ١/ ٢٠٠.

(٨ - ٨) سقط من : ح .

(٩) فى المسند : « من » .

(١٠) فى المسند : « إن » .

(١١) المعجم الكبير ١٧/ ١٢٦، ١٢٧ (٣١٢) .

أحمدُ بنُ خُلَيْدٍ الحَلَبِيُّ ، حدَّثنا أَبو تَوْبَةَ الرَّبيعُ بنُ نافعٍ ، حدَّثنا معاويةُ بنُ سَلّامٍ ، عن زيدِ بنِ [٧٣ظ] سلّامٍ ، أنَّه سمِع أبا سلّامٍ يقولُ : حدَّثنى عامرُ بنُ زَيْدٍ البِكالِيُّ ، أنَّه سمِع عُتْبَةَ بنَ عَبْدٍ السُّلَمِيَّ يقولُ : جاءَ أعْرابيٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : ما حَوْضُكَ هذا الذى تُحَدِّثُ عَنْه ؟ فقال : « كَما بَيْنَ البَيْضاءِ[1] إلَى بُصْرَى ، يَمُدُّنِى اللَّهُ فيه بكُراعٍ[2] لا يَدْرِى إنْسانٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ أيْنَ[3] طَرَفاه » . قال أبو عبدِ اللَّهِ القُرْطُبِيُّ[4] : وخرَّج التِّرمذيُّ الحكيمُ فى « نوادِرِ الأُصُولِ » ، مِن حديثِ عُثمانَ بنِ مَظْعونٍ ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال : « يا عُثْمانُ ، لا تَرْغَبْ عَنْ سُنَّتِى ، فإنَّه مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى ، ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ ضَرَبَتِ الملائِكَةُ وَجْهَهُ عن حَوْضِى يَوْمَ القِيَامَةِ » .

روايةُ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال البخاريُّ[5] : حدَّثنا عمرُو بنُ خالدٍ ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن يزيدَ ، عن أبى الخيرِ ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج يومًا ، فصلَّى عَلَى أهلِ أُحُدٍ صَلَاتَه عَلَى المَيِّتِ ، ثُمَّ انصرَف[6] علَى المِنْبَرِ ، فقال : « إنِّى فَرَطٌ لَكُمْ [7]عَلَى الحَوْضِ[7] ، وأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ ، وإنِّى واللَّهِ لَأَنْظُرُ إلَى حَوْضِى الآنَ ، وإنِّى أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ خَزائِنِ الأَرْضِ[8] - أو مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وإنِّى واللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى ،

---

(١) البيضاء : ثنية التنعيم بمكة . معجم البلدان ١/ ٧٩٢.

(٢) فى حاشية الأصل ، ح : « بكيزان » .

(٣) ليست فى مصدر التخريج .

(٤) التذكرة ١/ ٥٩٢.

(٥) البخارى (٦٥٩٠) .

(٦) بعده فى الأصل ، ح : « فقعد » .

(٧ - ٧) ليس فى صحيح البخارى .

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

وَلكِنْ أَخافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنافَسُوا فِيهَا » .

ورَواه مسلمٌ ، عن قُتَيْبَةَ ، عن اللَّيْثِ ، به[1] . ومِن حديثِ يَحْيى بنِ أيُّوبَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، به[2] ، وعندَه : « إنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ، وإنَّ عَرْضَهُ كَما بَيْنَ أَيْلَةَ إلى الجُحْفَةِ ، وإنِّى لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى ، وَلكِنِّى أخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيا أَنْ تَنافَسُوا فيها ، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ » . قال عُقْبَةُ : فكانت آخِرَ ما رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [3]على المِنْبَرِ[3] .

ذِكْرُ مَا رُوِىَ عن عُمرَ بنِ الخطّابِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فى ذلك : أَسنَد البيهقىُّ[4] مِن طريقِ علىِّ بنِ المدِينىِّ ، حدَّثنا عفّانُ ، حدَّثنا حمّادُ بنُ سلَمةَ ، عن علىِّ ابنِ زيدٍ ، عن يُوسُفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : سمِعتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، يقولُ : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رجَمَ ، ورَجَمَ أبو بكرٍ ، ورَجَمْتُ ، وسيَكُونُ قَوْمٌ يُكَذِّبونَ بالرَّجْمِ ، والدَّجّالِ ، والحَوْضِ ، والشَّفاعَةِ ، وبعذابِ القَبْرِ ، وبقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ . [5]وأمَّا روايةُ المستورِدِ فذكرها القاضى عِياضٌ[5] .

روايةُ النوّاسِ بنِ سِمْعانَ الكِلابِىِّ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال عمرُ بنُ محمدِ ابنِ [6]بُجَيْرٍ البُجَيْرِىُّ[6] : حدَّثنا سليمانُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ

---

(١) مسلم (٣٠/ ٢٢٩٦) .

(٢) مسلم (٣١/ ٢٢٩٦) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) البعث والنشور (١٧٦) .

(٥ - ٥) سقط من : ح ، ص وانظر الشفا ١/ ٢٧٩. وحديث المستورد رواه البخارى معلقا فى سياق حديث حارثة (٦٩٥٢) ، وكذلك مسلم (٢٢٩٨/٣٣) .

(٦ - ٦) فى ح : « بحر البحترى » . وفى ص : « بحير البحيرى » . وانظر تاريخ دمشق ٣٤٩/١٣ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠٢.

إبراهيمَ ، حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ ، عن النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ حَوْضِى عَرْضُهُ وَطُولُهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إلى عَمّانَ ، فيه أَقْدَاحٌ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، أوَّلُ مَنْ يَرِدُهُ مِنْ أُمَّتِى مَنْ يَسْقِى كُلَّ عَطْشانَ » .

أورَده الضِّياءُ مِن هذا الوجهِ ، ثم قال : أرَى أنّ هذا الحديثَ مِن صحاحِ البُجَيْرِىِّ ، واللَّهُ أعلَمُ .

روايةُ أبى أُمَامَةَ الباهلِىِّ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[(١)] : حدَّثنا دُحَيْمٌ ، حدَّثنا الوَلِيدُ بنُ مُسلمٍ ، حدَّثنا صفوانُ ، عن سُلَيمِ بنِ عامرٍ ، عن أبى اليمانِ الهَوْزَنىِّ ، عن أبى أُمَامَةَ ، أنَّ [(٢)] يزيدَ بنَ الأخْنَسِ [(٢)] قال : يا رسولَ اللَّهِ ، فما سَعَةُ حَوْضِكَ ؟ قال : « كَما بَيْنَ عَدَنَ إلَى عَمَّانَ ، فَأَوْسَعُ وأَوْسَعُ - يُشِيرُ بِيَدِه - فِيهِ مَثْعَبانِ[(٣)] مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ » . قال : فَما [(٤)] ماءُ حَوْضِكَ [(٤)] ؟ فقال : « أَشَدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبنِ ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، وأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَه أَبَدًا ، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا » .

طريقٌ أُخْرَى عنه : قال ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنا محمدُ بنُ يوسفَ بنِ الصَّبّاحِ ، حدّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ وَهْبٍ ، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ ، عن أبى يَحْيَى ، عن أبى أُمَامَةَ البَاهِلِىِّ ، قال : قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ما سَعَةُ حَوْضِكَ ؟ قال : « مَا بَيْنَ عَدَنَ ، وعَمّانَ - وأَشَارَ بيَدِه - وأَوْسَعُ وأَوْسَعُ ، وفيه مَثْعَبَانِ مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ » . قيل : يا

---

(١) السنة (٧٢٩) . قال الألبانى : إسناده مضطرب ، رجاله ثقات غير أبى اليمان الهوزنى ، واسمه عامر ابن عبد اللَّه بن لحى الحمصى ، لم يوثقه غير ابن حبان .

(٢ - ٢) فى ح : « زيد بن أرقم » .

(٣) المثعب : مجرى الماء من الحوض وغيره . وانظر التاج (ث ع ب) .

(٤ - ٤) فى ح : « ماؤه » . وفى ص ، ومصدر التخريج : « حوضك » .

رسولَ اللَّهِ ، فما شَرَابُه ؟ قال : « أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وأَحْلَى مَذَاقًا مِنَ العَسَلِ ، وأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ المِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنه شَرْبَةً لم يَظْمَأْ بَعْدَهَا ، ولم يَسْوَدَّ وجهُه بَعْدَها أبدًا » .

روايةُ أبى بَرْزَةَ الأَسْلَمِىِّ ، رَضِى اللَّهُ عنه : قال أبو داودَ[1] : حدَّثنا مُسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا عبدُ السلامِ بنُ أبى حازمٍ أبو طالوتَ ، قال : شَهِدْتُ أبا بَرْزَةَ دخلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، فحدَّثَنى فُلانٌ - سَمَّاه مُسلمٌ - وكان فى السِّماطِ ، فلمّا رآه عُبَيْدُ اللَّهِ قال : إنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هذا لَدَحْدَاحٌ[2] . ففَهِمَها الشَّيْخُ ، فقال : ما كُنْتُ أَحسَبُ أنِّى أَبْقَى فى قَوْمٍ يُعَيِّرُونى بصُحْبَةِ محمَّدٍ ﷺ . [٧٤و] فقال له عُبَيدُ اللَّهِ : إنَّ صُحْبَةَ محمدٍ لكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ . ثم قال : إنَّما بَعَثْتُ إلَيْكَ لأسأَلَكَ عنِ الحَوْضِ ، سمِعْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يذكُرُ فيه شيئًا ؟ قال أبو بَرْزَةَ : نعم ، لا مَرَّةً ، ولا ثِنْتَيْنِ ، ولا ثَلَاثًا ، ولا أَرْبَعًا ، ولا خَمْسًا ، فمَنْ كَذَّب به فلا سَقاهُ اللَّهُ مِنه . ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنا أبو خَيْثَمَةَ ، أخبَرَنا يَزِيدُ بنُ هارونَ ، أخبَرَنا محمدُ بنُ مِهْزَمٍ[3] العَبْدىُّ ، عن أبى طالوتَ العَبْدِىِّ[4] ، سمِعتُ أبا بَرْزَةَ يقولُ : [5]سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ[5] فى الحَوْضِ ، فمَنْ كَذَّبَ به فَلَا سَقَاهُ

---

(١) أبو داود (٤٧٤٩) ، صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٧٥) .

(٢) فى ح ، ص ، ومصدر التخريج : « الدحداح » . ونص فى عون المعبود ٣٨٢/٤ على أنها خبر إن . وإنما وافقنا الأصل لما ورد فى النهاية ٢/ ١٠٣ ، وجامع المسانيد والسنن ١٣/ ٣٥٦ . والدحداح : القصير السمين .

(٣) فى ح : « بهرام » . وفى ص : « مهرم » . وانظر الجرح والتعديل ٨/ ١٠٢ ، وتهذيب الكمال ١٨/ ٦٥ .

(٤) فى النسخ : « العنزى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٦٤ ، والكاشف ٢/ ١٧١ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

اللَّهُ مِنْهُ . وقد رَواه البَيْهقىُّ مِن طريقٍ أُخْرَى عن محمدِ بنِ يَحْيَى[1] الذُّهْلِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِىٍّ ، عن قُرَّةَ بنِ خالدٍ ، عن أبى حمزةَ طلحةَ بنِ يزيدَ مَوْلى الأنصارِ ، عن أبى بَرْزَةَ ، فى دخولِه على عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زيادٍ ، بنحوِ ما تقدَّمَ[2] .

[3]**طريقٌ أُخْرَى عن أبى بَرْزَةَ**[3] : قال أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[4] : حدَّثنا عَبْدَةُ ابنُ عبدِ الرحيمِ ، حدَّثنا النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، حدَّثنا شدَّادُ بنُ سعيدٍ ، سمِعتُ أبا الوَازِعِ ، وهو جابرُ بنُ عمرٍو ، سمِع أبا بَرْزَةَ الأسْلَمِىَّ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَا بَيْنَ نَاحِيَتَىْ حَوْضِى كَما بَيْنَ أَيْلَةَ إلى صَنْعاءَ ، مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، عَرْضُه كَطُولِه ، فيه مِيزابانِ يَغُتّانِ[5] مِن الْجَنَّةِ مِن وَرِقٍ وذَهَبٍ ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، فيه أباريقُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ » .

طَرِيقٌ أُخْرَى : قال ابنُ أبى عاصمٍ[6] : حدَّثنا عقبةُ بنُ مُكْرَمٍ ، حدَّثنا محمدُ ابنُ موسَى الشَّيْبانِىُّ ، عن صالحٍ ، عن سَيَّارِ بنِ سَلامةَ الرِّياحىِّ ، عن أبيهِ ، عن أبى بَرْزَةَ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ لى حَوْضًا يَوْمَ القِيامَةِ ، عَرْضُه مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إلى صَنْعَاءَ ، مَاؤُه أَشَدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، فيه مِنَ الأَبَارِيقِ عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ ، مَن شَرِبَ منه شَرْبَةً لم يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا » . ومَنْ كَذَّبَ به فَلا سَقاهُ اللَّهُ . يعنى مِنه .

---

(١) فى ح : « بجير » وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٦١٧.

(٢) البعث والنشور (١٧١) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح .

(٤) كتاب السنة (٧٢٢) . قال الشيخ الألبانى : إسناده جيد ورجاله ثقات رجال مسلم ، على ضعف فى حفظ جابر بن عمرو أبى الوازع .

(٥) فى ح : « يصبان » وفى المصدر : « مثعبان » ويغتّان : أى يدفقان فيه الماء دفقًا دائمًا متتابعًا . النهاية ٣/ ٣٤٢.

(٦) كتاب السنة (٧٢٠) .

[1] **روايةُ أبى بَكْرَةَ الثَّقَفِيِّ، رَضِى اللَّهُ عنه**: قال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا فى «الأهوالِ»: حدَّثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا رَوْحٌ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ، عن علىِّ بنِ زيدٍ، عن الحَسَنِ، عن أبى بَكْرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أنا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»[1].

روايةُ أبى ذَرٍّ الغِفَارِىِّ، رَضِى اللَّهُ عنه: قال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ فى «صحيحِه»[2]: حدَّثنا أبو بَكْرِ بنُ أَبى شَيْبَةَ، وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ، وابنُ أبى عمرَ المكِّىُّ - واللَّفْظُ لأبى بَكْرِ بنِ أبى شَيْبَةَ - قال إسحاقُ: أخبرنا. وقال الآخران: حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الصَّمَدِ، عن أبى عِمْرَانَ الجَوْنىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصّامِتِ، عن أَبى ذَرٍّ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ما آنِيَةُ الحَوْضِ؟ قال: «وَالَّذِى نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِه، لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وكَواكِبِهَا، أَلَا فى اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ المُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنها لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْه، يَشْخُبُ فيه مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنه لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِه مَا بَيْنَ عَمَّانَ إلى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ». هذا لفظُه إسنادًا ومَتْنًا.

روايةُ أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ، رضِى اللَّهُ عنه: قال ابنُ أبى عاصمٍ[3]: حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيبةَ، حدَّثنا محمدُ بنُ بِشْرٍ، حدَّثنا زكريَّا، عن عَطِيَّةَ العَوفىِّ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «إِنَّ لِى حَوْضًا طُولُه مَا بَيْنَ الكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، أَبْيَضَ مِثْلَ اللَّبَنِ، آنِيَتُه عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّى لَأَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا

(١ - ١) فى الأصل: «رواية أبى بكرة من طريق حذيفة عنه تأتى فى أحاديث الشفاعة».

(٢) مسلم (٢٣٠٠).

(٣) السنة (٧٢٣). قال الشيخ الألبانى: حديث صحيح، وإسناده ضعيف من أجل عطية العوفى، فإنه ضعيف مدلس.

يَومَ القِيَامَةِ » . ورَواه ابنُ ماجه[1] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيبَةَ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ سُليمانَ الأَسَدىُّ ، حدَّثنا عيسى بنُ يونسَ ، عن زكريا ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ لِى حَوْضًا طُولُه مِنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ ، أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، آنِيَتُه عَدَدُ النُّجُومِ ، وَكُلُّ نَبِىٍّ يَدْعُو أُمَّتَه ، وَلِكُلِّ نَبِىٍّ حَوضٌ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الفِئَامُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الْعُصْبَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه النَّفَرُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الرَّجُلَانِ والرَّجُلُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ ، فَيُقَالُ : لقَدْ بلَّغتَ . وَإِنِّى لَأَكْثَرُ الأَنْبِياءِ تَبَعًا [٧٤ظ] يَومَ الْقِيَامَةِ » .

وروَى البَيهقىُّ[3] مِن طريقِ رَوْحِ بنِ عُبادةَ ، عن مالكٍ ، عن خُبَيبِ[4] بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن حَفْصِ بنِ عاصمٍ ، عن أبى هريرةَ وأبى سعيدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: « مَا بَيْنَ بَيْتِى وَمِنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ »[5] . ثم قال : ورَواه البخارىُّ مِن وجهٍ آخَرَ ، عن مالكٍ ، وأخرَجاه مِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن خُبيبٍ ، بدونِ ذكرِ أبى سعيدٍ . واللَّهُ أعلمُ .

روايةُ أبى هريرةَ الدَّوسِىِّ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال البخارىُّ[6] : حدَّثنا إبراهيمُ ابنُ المُنْذِرِ ، حدَّثنا أنسُ بنُ عِياضٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن[7] خُبَيبٍ ، عن حَفْصِ بنِ

---

(١) ابن ماجه (٤٣٠١) .

(٢) عزاه ابن حجر فى الفتح ١١/٤٦٧ إليه .

(٣) البعث والنشور (١٧٧) .

(٤) فى ح ، ص ، ومصدر التخريج : « حبيب » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٢٧.

(٥) بعده فى مصدر التخريج : « ومنبرى على حوضى » . وستأتى فى رواية أبى هريرة .

(٦) البخارى (٦٥٨٨) .

(٧) فى ص : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٢٨.

عاصمٍ، عن أبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِى وَمِنْبَرِى رَوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، ومِنْبَرِى عَلَى حَوْضِى». ورَواه البخارىُّ أيضًا، ومسلمٌ مِن طرقٍ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، وأخرَجه البخارىُّ أيضًا مِن حديثِ مالكٍ، كلاهما عن خُبَيبِ بنِ عبدِ الرحمنِ، به[1].

طريقٌ أخرَى عنه: قال البخارىُّ[2]: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُنذرِ، حدَّثنا محمدُ ابنُ فُلَيْحٍ، حدَّثنا أبى، حدَّثنى هلالٌ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ [3]عَلَى الحَوْضِ[3] إِذَا زُمْرَةٌ، حتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِى وَبَيْنِهِمْ، فقال: هَلُمَّ. فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِى وَبَيْنِهِمْ، فقالَ: هَلُمَّ. قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: ومَا شَأْنُهُمْ. قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. فَلَا أُرَاه يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ [4]هَمَلِ النَّعَمِ[4]». انفرَد به البخارىُّ.

طريقٌ أخرَى: قال مسلمٌ[5]: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ سَلّامٍ الْجُمَحِىُّ، حدَّثنا الرَّبيعُ - يعنى ابنَ مسلمٍ - عن محمدِ بنِ زيادٍ، عن أبى هريرةَ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوضِى رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ».

---

(١) البخارى (١١٩٦، ١٨٨٨)، ومسلم (١٣٩١) من طريق عبيد اللَّه بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن به، والبخارى (٧٣٣٥) من طريق مالك عن خبيب بن عبد الرحمن به.

(٢) البخارى (٦٥٨٧).

(٣ - ٣) ليست فى مصدر التخريج.

(٤ - ٤) همل النعم: الهمل: ضوالّ الإبل، وواحدها هامل. أى إن الناجى منهم قليل فى قلة النعم الضالة. النهاية ٥/ ٢٧٤.

(٥) مسلم (٢٣٠٢).

وحَدَّثَنِيه عبيدُ اللَّهِ بنُ مُعاذٍ ، حدَّثنا أبى ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، سمِع أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ بمثلِه .

طريقٌ أخرَى عنه : قال مسلمٌ[1] : حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ وابنُ أبى عمرَ ، جميعًا عن مَرْوانَ الفَزَارِىِّ ، قال ابنُ أبى عمرَ : حدَّثنا مَرْوانُ الفَزَارِىُّ ، عن أبى مالكٍ الأَشْجَعِىِّ سعدِ بنِ طارقٍ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ حَوْضِى أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنَ ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ ، وَإِنِّى لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أَتَعْرِفُنَا يَومَئِذٍ ؟ قال : « نَعَمْ ، لَكُمْ سِيمَا[2] لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ ، تَرِدُونَ عَلَىَّ [3]غُرًّا مُحَجَّلِينَ[3] مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ » . هذا لفظُه .

طريقٌ أخرَى عنه : أخرَجه مسلمٌ ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ ، عن العلاءِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، به[4] .

طريقٌ أُخرَى عنه : روَى الحافظُ الضِّياءُ مِن حديثِ يَحيى بنِ صالحٍ ، حدَّثنا سُليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ أبى أَسِيدٍ ، عن جَدِّه ، عن أبى هريرةَ ،

---

(١) مسلم (٣٦/ ٢٤٧) .

(٢) السيما : العلامة . وهى مقصورة وممدودة ، لغتان ، ويقال : السيمياء . بياء بعد الميم مع المد . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ١٣٥.

(٣ - ٣) قال أهل اللغة : الغرة ؛ بياض فى جبهة الفرس ، والتحجيل : بياض فى يديها ورجليها . قال العلماء : سمى النور الذى يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلًا تشبيهًا بغرة الفرس ، والله أعلم . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ١٣٥.

(٤) مسلم (٣٩/٢٤٩) .

أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا أَنَا هَلَكْتُ فَإِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوضِ » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، وما الحوضُ ؟ قال : « عَرْضُه مِثْلُ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ ، بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبَنِ ، وَهُوَ أَحْلَى مِن الْعَسَلِ وَالسُّكَّرِ ، آنِيَتُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ وَرَدَ عَلَيَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَرِدَ عَلَيَّ أَقْوامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِى ، فَيُحَالُ بَيْنِى وَبَيْنَهم ، فَأَقُولُ : إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِى . فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ : بُعْدًا وَسُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِى » .

ثم قال الحافظُ الضِّياءُ : لا أعلَمُ أنِّى سمِعتُ بلفظِ السُّكَّرِ عن النبىِّ ﷺ إلَّا فى هذا الحديثِ . قلتُ : بلَى ، قد ورَد لفظُ السُّكَّرِ فى حديثٍ رَواه البَيهقىُّ فى بابِ الوليمةِ والنِّثارِ ؛ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حضَر عَقْدًا ، فأُتِىَ بأَطْباقِ الجَوْزِ[1] والسُّكَّرِ [٧٥و] فَنُثِرَ ، فجَعَلَ يُخَاطِفُهم ويُخَاطِفونه . الحديثَ بتمامِه[2] ، وهو غريبٌ جدًّا .

طريقٌ أخرى عنه : قال البخارىُّ[3] : وقال أحمدُ بنُ شَبيبِ بنِ سعيدٍ الحَبَطِىُّ[4] ، حدَّثنا أبى ، عن يونسَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّه كان يُحَدِّثُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَرِدُ عَلَيَّ يومَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابى ، فَيُحَلَّئُونَ[5] عَنِ الحَوْضِ ، فأقولُ : يَارَبِّ ، أَصْحَابِى ، فيقولُ : إِنَّكَ

---

(١) فى الأصل : « اللوز » .

(٢) السنن الكبرى ٧/ ٢٨٨. وقال البيهقى عقبه : فى إسناده مجاهيل وانقطاع . ثم قال : ولايثبت فى هذا الباب شىء ، واللَّه أعلم .

(٣) البخارى (٦٥٨٥) معلقا ، وقد وصله ابن حجر فى تغليق التعليق ٥/ ١٨٧.

(٤) فى ح : « الحنظلى » .

(٥) فى ح : « فيختلسون » ، وفى ص : « فيجعثون » . ويحلئون : أى يُصَدُّون عنه ويمنعون من وروده . النهاية ١/ ٤٢١.

لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؛ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى » .

قال : وقال شعيبٌ عن الزهريِّ[1] : كان أبو هريرةَ يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ : « فَيُجْلَونَ » . وقال عُقَيلٌ : « فَيُحَلَّئُونَ » . وقال الزُّبيديُّ : عن الزهريِّ ، عن محمدِ بنِ عليٍّ ، عن عبيدِ[2] اللَّهِ بنِ أبى رافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ .

وهذا كلُّه تعْليقٌ ، ولم أرَ أحدًا أسنَده فى شىءٍ مِن هذه الوجوهِ عن أبى هريرةَ ، إلَّا أنَّ البخاريَّ قال بعدَ هذا[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرَنى يونسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن ابنِ المُسَيَّبِ ، أنَّه كان يُحَدِّثُ عن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، [4]أن النبيَّ ﷺ قال : « يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِى ، فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أَصْحَابِى[4] . فيقولُ : إِنَّكَ لَا [5]تَدْرِى مَا[5] أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؛ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى » .

وقال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنى يعقوبُ بنُ عُبيدٍ وغيرُه ، عن سُليمانَ بنِ حربٍ[6] ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن كُلْثومٍ - إمامِ مَسْجدِ بنى بَشِيرٍ - عن الفَضْلِ بنِ عيسى ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : كَأَنِّى بِكُمْ صَادِرِينَ عَلَى الحَوضِ ، يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : أَشَرِبْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ .

---

(١) فتح البارى ١١/ ٤٦٥. عقب حديث (٦٥٨٦) ، وقد وصلها الحافظ ابن حجر فى تغليق التعليق ٥/ ١٨٧، ١٨٨.

(٢) فى النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٤.

(٣) البخارى (٦٥٨٦) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥ - ٥) فى مصدر التخريج : « علم لك بما » .

(٦) فى ح : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٨٤.

وَيَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : أَشَرِبْتَ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَاعَطَشَاهُ !

روايةُ أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنهما : قال البخارىُّ[1] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ ، عن نافعِ بنِ عمرَ ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى مُلَيْكَةَ ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، قالت : قال النبىُّ ﷺ : « إِنِّى عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَىَّ مِنْكُمْ ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِى ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، مِنِّى وَمِنْ أُمَّتِى . فَيُقَالُ : هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ » . فكانَ ابنُ أبى مُلَيْكَةَ يقولُ : اللّهمَّ إِنَّا نعوذُ بكَ أنْ نَرْجِعَ على أعقابِنا ، أو نُفْتَنَ عن دِينِنا .

ورَواه مسلمٌ[2] عن داودَ بنِ عمرٍو[3] ، عن نافعِ بنِ عمرَ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن أسماءَ ، مثلَه .

روايةُ أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها : قال البيهقىُّ[4] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا عبدُ الرحمنِ بنُ الحسنِ القاضى ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ الحسينِ ، حدَّثنا آدمُ ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبيدةَ ، قال : سأَلتُ عائشةَ أمَّ المؤمنين عن الكوثرِ ، فقالت : هو نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكم ﷺ فى الجنَّةِ ، حَافَتاه دُرٌّ مُجَوَّفٌ ، عليه مِن الآنيةِ عددُ النجومِ . ورَواه البخارىُّ[5] عن خالدِ بنِ يزيدَ[6] الكاهِلِىِّ ، عن إسرائيلَ ، واستَشهد بروايةِ مُطَرِّفٍ .

---

(١) البخارى (٦٥٩٣) .
(٢) مسلم (٢٢٩٣) .
(٣) فى ص : « عمر » ، وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٢٥.
(٤) البعث والنشور (١٣٦) .
(٥) البخارى (٤٩٦٥) .
(٦) فى ح : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ١٩١.

وقال مسلمٌ[1] : حدَّثنا ابنُ أبى عمرَ ، حدَّثنا يَحيى بنُ سُليم ، عن ابنِ خُثَيمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكَةَ ، أنَّه سمِع عائشةَ تقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ ، وهو بينَ ظَهْرَانَىْ أصحابِه : « إنِّى عَلَى الْحَوضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَىَّ مِنْكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِى رِجَالٌ ، فلأَقُولَنَّ : أَىْ رَبِّ ، مِنِّى وَمِنْ أُمَّتِى . فيقولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ؛ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ » . انفرَد به مسلمٌ .

روايةُ أمِّ المؤمنين أمِّ سلمةَ ، رضِى اللَّهُ عنها : قال مسلمٌ[2] : حدَّثنى يونسُ ابنُ عبدِ الأَعلى الصَّدَفىُّ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ وَهْبٍ ، أخبَرَنى عمرٌو ، وهو ابنُ الحارثِ ، أنَّ بُكَيْرًا حدَّثه عن القاسمِ بنِ عباسٍ[3] الهاشمىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ ؛ مَولى أمِّ سَلَمةَ ، عن أمِّ سَلَمةَ زَوجِ النبىِّ ﷺ أنَّها قالت : كنتُ أسمَعُ الناسَ يذكُرون الحوضَ ، ولم أسمَعْ ذلك مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلَمَّا كان يومًا مِن ذلك ، والجاريَةُ تَمْشُطُنِى ، فسمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٧٥ظ] يقولُ : « أَيُّهَا النَّاسُ » . فقلتُ للجاريةِ : اسْتأْخِرِى عنِّى . قالت : إنَّما دَعَا الرِّجالَ ، ولم يَدْعُ النِّساءَ . فقلتُ[4] : إنِّى مِن النّاسِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ ، فَإِيَّاىَ ! لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ ، فَيُذَبُّ عَنِّى كَما يُذَبُّ البَعِيرُ الضَّالُّ ، فَأَقُولُ : فِيمَ هَذَا ؟ فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ : سُحْقًا » .

ثم رَواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن حديثِ أفلحَ بنِ سعيدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ

---

(١) مسلم (٢٨/ ٢٢٩٤) .

(٢) مسلم (٢٩/ ٢٢٩٥) .

(٣) فى الأصل ، ص : « عياش » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٧٢.

(٤) بعده فى الأصل : « ألم تسمعيه قال : « أيها الناس » .

عنها[1] .

[2]**روايةُ أَخٍ لزيدِ بنِ أَرْقَمَ** : قال الإمامُ أحمدُ[3] : ثنا عبدُ الرزّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن مَطَرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بن بُرَيْدَة ، قال : شَكَّ عبيدُ اللَّهِ بنُ زيادٍ فى الحوضِ فأرسَل إلى زيدِ بنِ أرقمَ فسأَله عن الحوضِ ، فحدَّثَه به حديثًا مُؤْنقًا فأعجبَه ، فقال له : سمِعتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : لا ، ولكنْ حدَّثَنِيه أَخِى[2] .

فقد تلخَّص مِن مجموعِ هذه الأحاديثِ المُتواتِرَةِ صِفَةُ هذا الحوضِ العظيمِ ، والمَورِدِ الكريمِ المُمَدِّ مِن شرابِ الجنةِ مِن نهرِ الكوثرِ ، الذى هو أشَدُّ بَياضًا مِن اللَّبنِ وأبردُ مِن الثلجِ ، وأحلَى مِن العسلِ ، وأطْيَبُ رِيحًا مِن المِسْكِ ، وهو فى غايةِ الاتساعِ ، عَرْضُه وطولُه سَواءٌ ، كلُّ زاويةٍ مِن زَواياه مَسِيرَةُ شَهْرٍ .

وفى بعضِ الأحاديثِ المتقدِّمةِ أنَّ كلّمَا له فى زيادةٍ واتِّساعٍ ، وأنَّه ينبُتُ فى حالِه - أى فى طِينِه - مِن المِسْكِ ، وأنَّ رَضْراضَه مِن اللؤلؤِ ، وأنّه يَنْبُتُ على جَوانبِه [4]قضْبَانُ الذَّهبِ[4] ، ويُثْمِرُ ألوانَ الجواهرِ ، فسبحانَ اللَّهِ الخالقِ الذى لا يُعْجِزُه شىءٌ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه .

---

(١) مسلم (٢٢٩٥) . والنسائى فى الكبرى (١١٤٦٠) .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) المسند ٣٧٤/٤ (١٩٣٥٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦١.

(٤ - ٤) فى ص : « قضيبان اللؤلؤ » .

ذكْرُ أنَّ لكلِّ نبيٍّ حوضًا ، وأنَّ حوضَ نبيِّنا محمدٍ ، صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم وعليهم أجمعين ، أعظمُها ، وأجلُّها ، وأكثرُها واردًا جعَلنا اللَّهُ تعالى مِن وُرَّادِه ، وسقانا منه شربةً لا نظمأُ بعدَها ، ونعوذُ باللَّهِ سبحانَه أن نُذَادَ عنه

قال الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا ، رحمه اللَّه ، فى كتابِ « الأهوالِ »[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ سليمانَ الأَسَدِىُّ ، حدَّثنا عيسى بنُ يونسَ ، عن زكريَّا ، عن عَطيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ لِى حَوضًا طُولُهُ مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، آنِيَتُه عَدَدُ النُّجُومِ ، وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَه ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوضٌ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفِئَامُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ العُصْبَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ النَّفَرُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الرَّجُلَانِ وَالرَّجُلُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ ، فَيُقَالُ : لَقَدْ بَلَّغْتَ . وَإِنِّى لأَكْثَرُ الأَنْبِياءِ تَبَعًا يَومَ القِيَامَةِ » .

ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيبةَ ، عن محمدِ بنِ بِشْرٍ ، عن زكريّا ابنِ أبى زائدةَ ، عن عَطِيَّةَ بنِ سعدٍ العَوفىِّ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه[2] .

حديثٌ آخرُ : قال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنا العبَّاسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا الحُسينُ ابنُ محمدٍ المَرْوزِىُّ ، حدَّثنا مِحْصَنُ بنُ عُقْبةَ اليَمَامىُّ[3] ، عن الزُّبَيرِ بنِ شَبِيبٍ ،

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٥٩ .

(٢) ابن ماجه (٤٣٠١) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٧٠) .

(٣) فى ص : « البيانى » .

عن عثمانَ بنِ حاضرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الوقوفِ بينَ يدَى رَبِّ العالمين هل فيه ماءٌ؟ فقال: «إِى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه، إِنَّ فيه لَمَاءً، إِنَّ أَولِيَاءَ اللَّهِ لَيَرِدُونَ حِيَاضَ الأَنْبِياءِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فِى أَيْدِيهِمْ عِصِيٌّ مِنْ نَارٍ، يَذُودُونَ الكُفَّارَ عَنْ حِيَاضِ الأَنْبِيَاءِ». هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ، وليس هو فى شىءٍ مِن الكتبِ الستةِ.

وتقدَّم ما رَواه الترمذىُّ والطبرانىُّ وغيرُهما[1]، مِن حديثِ سعيدِ بنِ بَشِيرٍ، عن قتادةَ، عن الحسنِ، عن سَمُرَةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَونَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً». ثم قال الترمذىُّ: [٧٦و] هذا حديثٌ غريبٌ، وقد رَواه أشْعَثُ بنُ عبدِ الملكِ، عن الحسنِ مُرْسلًا، وهو أصحُّ.

[2]ورَواه الطبرانىُّ[3] أيضًا مِن حديثِ خُبَيبِ[4] بنِ سُليمانَ عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ الأَنْبِيَاءَ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَصْحَابًا[5]، وَإِنِّى أَرْجُو أَنْ أَكُونَ يَومَئِذٍ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً، وَإِنَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ قَائِمٌ عَلَى حَوْضٍ مَلآنَ، مَعَه عَصًا يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِه، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ سِيما يَعْرِفُهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ»[2].

---

(١) تقدم من رواية الترمذى وابن أبى عاصم فى صفحة ٤٤٣، وقد أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٧/ ٢٥٦، ٢٥٧ (٦٨٨١).

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) المعجم الكبير ٧/ ٣١٢ (٧٠٥٣).

(٤) فى النسخ: «حبيب». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٢٢.

(٥) بعده فى مصدر التخريج: «من أمته».

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنا خالدُ بنُ خِدَاشٍ ، حدَّثنا حَزْمُ بنُ أبى حَزْمٍ ، سمعتُ الحسنَ البَصْرِىَّ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا فَقَدْتُمُونِى فَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوضِ ، إِنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حوضًا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حَوضِهِ ، بِيَدِهِ عَصًا يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِه ، أَلَا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَونَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ تَبَعًا ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا » . وذكَر تمامَ الحديثِ ، وهذا مرسلٌ عن الحسنِ ، وهو حسنٌ ، صحَّحه يَحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ وغيرُه ، وقد أفتَى شيخُنا الحافظُ المِزِّىُّ بصِحَّتِه بهذه الطُّرقِ .

فصلٌ

إنْ قال قائلٌ : فهل يكونُ الحوضُ قبلَ الجَوازِ على الصِّراطِ أو بعدَه ؟ فالجوابُ أنَّ ظَاهرَ ما تقدَّم مِن الأحاديثِ يقتَضى كونَه قبلَ الصِّراطِ ؛ لأنَّه يُذَادُ عنه أقوامٌ يقالُ عنهم : إنَّهم لم يَزَالوا يَرْتَدُّونَ على أدبارِهم وأعقابِهم مُنْذُ فارَقْتَهم . فإنْ كان هؤلاء كفَّارًا فالكافرُ لا يُجَاوِزُ الصِّراطَ ، بل يُكَبُّ على وجهِه فى النارِ قبلَ أن يُجَاوِزَه ، وقيل : إن الصراطَ طريقٌ ومَعْبرٌ إلى الجنةِ ، فهو إنما يُنصبُ للمؤمنين والعصاةِ والفساقِ والظلمةِ ، تَحْفَظُهم عليه الكلاليبُ ، فمنهم المخدوشُ المُسَلَّمُ ، ومنهم مَن يَأْخُذُ الكَلُّوبُ فيَهْوِى فى النارِ على وجهِه ، وإن كان المشارُ إليهم بالرِّدةِ عُصاةً مِن المسلمين فَيَبْعُدُ حَجْبُهم عن الحوضِ ، لاسِيَّما وعليهم سِيما الوضوءِ ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَعْرِفُكُمْ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ » .

---

(١) عزاه الحافظ فى الفتح ١١/٤٦٧ إلى ابن أبى الدنيا ، وصحح إسناده . وانظر السلسلة الصحيحة ٤/١١٩، ١٢٠.

ثُمَّ مَنْ جَاوَز الصراطَ لا يكونُ إلَّا ناجِيًا مُسْلِمًا، فمِثلُ هذا لا يُحْجَبُ عن الحوضِ، فالأشبَهُ، واللَّهُ أعلمُ، أنَّ الحوضَ قبلَ الصِّراطِ.

فأمَّا الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا يونسُ، حدَّثنا حَرْبُ بنُ مَيْمونٍ، عن النَّضْرِ بنِ أنسٍ، عن أنَسٍ، قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يَشْفَعَ لِى يومَ القيامةِ. قال: «أَنَا فَاعِلٌ». قال: فأين أطلُبُك يومَ القيامةِ يا نبيَّ اللَّهِ؟ قال: «اطْلُبْنِى أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِى عَلَى الصِّرَاطِ». قال: قلتُ: فإن لم أَلْقَكَ على الصراطِ؟ قال: «فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ». قلتُ: فإنْ لم أَلْقَكَ عندَ الميزانِ؟ قال: «فَأَنَا عِنْدَ الْحَوضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَومَ القِيَامَةِ».

ورَواه الترمذىُّ[2] مِن حديثِ بَدَلِ بنِ المُحَبَّرِ، وابنُ ماجه فى «تفسيرِه»[3] مِن حديثِ عبدِ الصمدِ، كلاهما عن حَرْبِ بنِ مَيْمونٍ أبى الخطابِ الأنصارىِّ البَصرىِّ، مِن رجالِ مسلمٍ، وقد وَثَّقه علىُّ بنُ المَدِينىِّ وعمرُو بنُ علىٍّ الفَلَّاسُ[4]، وفرَّقا بينَه وبينَ حَرْبِ بنِ ميمونٍ أبى عبدِ الرحمنِ العَبْدِىِّ البصرىِّ أيضًا، صاحبِ الأغمِيَةِ[5]، وضعَّفا هذا.

وأمَّا البُخارِىُّ[6] فَجَعَلهما واحدًا، وحَكَى عن سُليمانَ بنِ حربٍ أنَّه قال: كان هذا أَكْذَبَ الخلقِ. وأنكَر الدارقطنىُّ[7] على البخارىِّ ومسلمٍ فى جعلِهما هذين وَاحدًا.

---

(١) المسند ٣/١٧٨ (١٢٨٤٨). قال الشيخ شعيب: رجاله رجال الصحيح، ومتنه غريب. المسند ٢٠/٢١٠.
(٢) الترمذى (٢٤٣٣). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨١).
(٣) ذكره المزى فى تهذيب الكمال ٥/٥٣٧، ٥٣٨، وعزاه إلى ابن ماجه فى التفسير.
(٤) تهذيب الكمال ٥/٥٣٢، ٥٣٣.
(٥) الأغمية: كأنه جمع غِماء بوزن كِساء، وهى السُّقُوف. ويقال: الأعمية، بالعين المهملة. انظر التاج (حرب).
(٦) التاريخ الكبير ٣/٦٥. وانظر تهذيب الكمال ٥/٥٣٤.
(٧) تهذيب الكمال ٥/٥٣٦.

وقال شيخُنا الحافظُ المِزِّيُّ[1] : جَمَعَهُما غيرُ واحدٍ ، وفرَّق بينَهما غيرُ واحدٍ ، وهو الصحيحُ ، إن شاء اللَّهُ . قلتُ : وقد حرَّرْتُ هذا فى « التَّكميلِ » بما فيه كفايةٌ .

وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ ، لا نعرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ .

والمقصودُ : أنَّ ظاهرَ هذا الحديثِ يقتَضِى أنَّ الحوضَ بعدَ الصِّراطِ ، وكذلك الميزانُ أيضًا ، وهذا لا أعلَمُ به قائِلًا ، اللهمَّ إلَّا أن يكونَ المرادُ به حوضًا آخرَ ، يكونُ بعدَ قطعِ الصِّراطِ ، كما جاء فى بعضِ الأحاديثِ ، ويكونُ ذلك حوضًا ثانيًا لا يُذَادُ عنه أحدٌ ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ[2] .

فصــلٌ

وإذا كان الظاهرُ كونَه قبلَ الصِّراطِ ، فهل يكونُ ذلك قبلَ وضعِ الكرسىِّ لفصلِ القضاءِ أو بعدَ ذلك ؟ هذا مما يَحْتَمِلُ كلًّا مِن الأمرَين ، ولم أرَ فى ذلك شيئًا فاصِلًا ، فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك يكونُ .

وقال القُرْطبىُّ فى « التَّذكرةِ »[3] : واختُلِف فى الميزانِ والحوضِ ؛ أيُّهما يكونُ قبلَ الآخرِ ؟ فقيل : الميزانُ قبلُ . وقيل : الحوضُ . قال أبو الحسنِ القابِسىُّ : والصحيحُ أنَّ الحوضَ قبلُ . قال القرطبىُّ : والمعنى يقتَضِيه ؛ فإنَّ الناسَ يَخْرُجون عِطاشًا مِن قبورِهم - [٧٧و] كما تقدَّم - فيُقَدَّمُ قبلَ الميزانِ والصِّراطِ .

---

(١) تهذيب الكمال ٥/ ٥٣٦.

(٢) بعده زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط : [٧٦ظ] .

(٣) التذكرة ١/ ٥٨٢.

قال أبو حامدٍ الغزّاليُّ فى كتابِ «كشْفِ علمِ الآخرةِ»[1] : حكَى بعضُ السَّلفِ مِن أهلِ التصنيفِ أنَّ الحوضَ يُورَدُ بعدَ الصِّراطِ ، وهو غَلَطٌ مِن قائلِه . قال القرطبيُّ : هو كما قال . ثم أورَد حديثَ مَنْعِ المُرْتدِّين على أعقابِهم عن الحوضِ ، ثم قال : وهذا الحديثُ مع صحَّتِه أدَلُّ دليلٍ على أنَّ الحوضَ يكونُ فى الموقفِ قبلَ الصِّراطِ ؛ لأنَّ الصِّراطَ مَن جازَ عليه سَلِم ، كما سيأتى . قلتُ : وهذا التوجيهُ قد أسلَفناه . وللَّهِ الحمدُ .

قال القُرطبيُّ[2] : وقد ظَنَّ بعضُ الناسِ أنَّ فى تحديدِ الحوضِ تارةً بجَرْباءَ وأَذْرُحَ ، وتارةً كما بينَ الكعبةِ إلى كذا ، وتارةً بغيرِ ذلك ، اضطرابًا . قال : وليس الأمرُ كذلك ؛ فإنَّه ﷺ حدَّث أصحابَه به مَرَّاتٍ مُتعدِّدَةً ، فخاطب فى كلِّ مَرَّةٍ لكلِّ قومٍ بما يعرِفون مِن الأماكنِ ، وقد جاء فى الصحيحِ تحديدُه بشهرٍ فى شهرٍ . قال : ولا يخطِرُ ببالِك أنَّه فى هذه الأرضِ ، بل فى الأرضِ المُبَدَّلَةِ ، وهى أَرضٌ بيضاءُ كالفِضةِ ، لم يُسْفَكْ فيها دمٌ ، ولم يُظْلَمْ على ظهرِها أحدٌ قطُّ ، تُطَهَّرُ لنزولِ الجَبَّارِ ، جلَّ جلالُه ، لفَصْلِ القضاءِ .

قال[3] : وقد رُوى أن على كلِّ زاويةٍ مِن زوايا الحوضِ واحدًا مِن الخلفاءِ الأربعةِ ، فعلى الركنِ الأوَّلِ أبو بكرٍ ، وعلى الثانى عمرُ ، وعلى الثالثِ عثمانُ ، وعلى الرابعِ علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنهم . قلتُ : وقد رُوِّيناه فى «الغَيلَانِيَّاتِ» ، ولا يصِحُّ إسنادُه ؛ لضَعْفِ بعضِ رجالِه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) التذكرة ١/ ٥٨٢.
(٢) التذكرة ١/ ٥٨٦.
(٣) التذكرة ١/ ٥٨٦، ٥٨٧.

فصلٌ فى مَجِىءِ الربِّ، سبحانَه وتعالَى، كما يشاءُ يومَ القِيامةِ لفصلِ القضاءِ بيـنَ خَلْقِه

ذُكِر فى حديثِ الصُّورِ المتقدِّمِ[1] أنَّه إذا ذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ فشفَعَ عندَ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ليَفْصِلَ بيـنَ العبادِ، فيقولُ الرَّبُّ تعالى: أنا آتِيكُمْ فأقضى بينَكم. ثم يرجِعُ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيقِفُ مع الناسِ فى مَقامِه الأوَّلِ، فحينَئذٍ تنشَقُّ السَّماواتُ بغَمامِ النُّورِ، وتُنَزَّلُ الملائكةُ تَنْزيلًا، فينزِلُ أهلُ السماءِ الدُّنيا، وهم قدرُ أهلِ الأرضِ مِن الجِنِّ والإنسِ، فيُحيطونَ بهم دَائرةً، ثمَّ تنْشَقُّ السماءُ الثانيةُ فتنزِلُ ملائكتُها وهم قدرُ الجنِّ والإنْسِ وقدرُ ملائِكةِ سماءِ الدنيا، فيُحيطونَ بمَنْ هناك مِن الملائكةِ والجنِّ والإنسِ دائرةً، ثم كذلك أهلُ السماءِ الثالثةِ، والرابعةِ، ثم الخامسةِ، ثم السادسةِ، ثم السابعةِ، فكلُّ أهلِ سماءٍ تُحيطُ بمَن قبلَهم دائرةً، ثم تنزِلُ الملائكةُ الكَروبِيُّونَ وحملَةُ العرشِ، ومَن حولَه مِن المقرَّبيـنَ، ولهم زَجَلٌ بالتسبيحِ والتقديسِ والتعظيمِ؛ يقولون: سُبحانَ ذى العِزَّةِ والجبروت، سبحانَ ذى المُلكِ والملكوت، سبحان الحىِّ الذى لا يموت، سُبْحانَ الذى يُميتُ الخَلائِقَ ولا يَمُوت. ثم يأتِيهم اللَّهُ لفَصْلِ القضاءِ.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا فى «الأَهوالِ»[2]: حدَّثَنا حمزةُ بنُ العبَّاسِ، أخبَرنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثمانَ، أخبَرنا ابنُ المباركِ، أخبَرنا عَوْفٌ، عن أبى المِنْهَالِ سَيَّارِ بنِ سَلَامةَ الرِّيَاحِىِّ، حدَّثَنا شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ، حدَّثَنى ابنُ عبَّاسٍ، قال: إذا

---

(١) تقدم فى صفحة ٣١٥، ٣١٦.

(٢) الأهوال (٢١٥).

كان يومُ القيامةِ مُدَّتِ الأرضُ مَدَّ الأديمِ ، وزِيدَ فى سعَتِها كذا وكذا ، وجُمِع الخلائقُ بصَعيدٍ واحدٍ ؛ جِنُّهم وإنسُهم[(١)] ، فإذا كان كذلك قِيضَتْ[(٢)] هذه السماءُ الدُّنيا عن أهلِها ، فنُثِروا على وجهِ الأرضِ ، وَلَأهلُ هذه السماءِ الدُّنيا وحدَهم أكثرُ مِن جميعِ أهلِ الأرضِ ؛ جِنِّهم وإنسِهم ، بالضِّعْفِ ، [(٣)]فإذا رآهم أهلُ الأرضِ فزِعوا إليهم[(٣)] ، ويقولون : أفيكم رَبُّنا ؟ فيفزَعون مِن قولِهم ، ويقولون : سبحانَ رَبِّنا ! [(٤)]ليسَ فِينا[(٤)] ، وهو آتٍ . [(٤)]ثم تُقاضُ السماءُ الثانيةُ ، وَلَأهلُ السماءِ الثانيةِ أكثرُ مِن أهلِ هذه السماءِ الدُّنْيا ، ومِن جميعِ أهلِ الأرضِ بالضِّعْفِ ، فإذا نُثِروا على وجهِ الأرضِ فَزِع إليهم أهلُ الأرضِ ، ويقولون : أفيكمُ رَبُّنا ؟ فيفزَعون مِن قولِهم ، ويقولون : سُبْحانَ رَبِّنا ! ليس فينا ، وهو آتٍ[(٤)] . ثم تُقاضُ السماواتُ سماءً سماءً ، كلَّما قِيضَتْ سماءٌ كانت أكثرَ مِن أهلِ السماواتِ التى تحتَها ، ومِن جميعِ أهلِ الأرضِ بالضِّعْفِ ؛ [(٤)]جنِّهم وإنسِهم[(٤)] ، كلَّما نُثِروا على وجهِ الأرضِ فَزِع إليهم أهلُ الأرضِ ، ويقولون لهم مثلَ ذلك ، ويرجِعون إليهم مثلَ ذلك حتى تُقاضَ السماءُ السَّابعَةُ ، وَلَأَهْلُها وحدَهم أَكثَرُ مِنْ أَهْلِ سِتِّ سَمَاواتٍ ، ومِن أهلِ الأرضِ[(٥)] بالضِّعْفِ ، ويجىءُ اللَّهُ فيهم ، والأممُ جُثًا[(٦)] صُفوفٌ ، [٧٧ظ] فيُنادِى منادٍ : ستعلَمون اليومَ مَن أصحابُ الكَرَمِ ، لِيَقُمِ

---

(١) بعده فى مصدر التخريج : « بالضعف » .

(٢) قيضت : أى شقت ، من قاض الفرخ البيضة فانقاضت وقِضتُ القارورةَ فانقاضت ، أى انصدعت ولم تنفلق . النهاية ٤/ ١٣٢.

(٣ - ٣) فى الأصل : « فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض » .

(٤ - ٤) سقط من الأصل .

(٥) بعده فى الأصل : « من الجن والإنس » .

(٦) فى ح : « جاثون » .

الحمَّادون للَّهِ على كلِّ حالٍ. فيقومون فيُسَرَّحون إلى الجنةِ، ثم يُنادِى ثانيةً: ستَعلَمون مَن أصحابُ الكرَمِ اليومَ، لِيَقُم الذين كانَتْ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، فيقومون[(١)] فيُسَرَّحون إلى الجنَّةِ، ثم ينادِى ثالثةً: ستعلَمون مَن أصحابُ الكرَمِ اليومَ، لِيَقُم الذين كانوا ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]. فيقومون فيُسَرَّحون إلى الجنَّةِ، فإذا [(٢)]لم يبقَ أحدٌ[(٢)] مِن هؤلاءِ الثلاثةِ خرَج عُنُقٌ مِن النارِ، فأشرَف على الخلائقِ، له عَيْنانِ بصيرتان، ولسانٌ فصيحٌ، فيقولُ: إنِّى وُكِّلْتُ بثلاثةٍ؛ وُكِّلتُ بكُلِّ جبّارٍ عنيدٍ. فيلقُطُهم مِن الصُّفوفِ لَقْطَ الطيرِ حَبَّ السِّمْسِمِ، فَيَخْنِسُ[(٣)] بهم فى جَهَنَّمَ، ثم يَخْرُجُ الثانِيةَ، فيقولُ: إنِّى وُكِّلتُ بمَن آذَى اللَّهَ ورسولَه. فيَلقُطُهم مِن الصفوفِ لَقْطَ الطيرِ حَبَّ السِّمْسِمِ، فَيَخْنِسُ بهم فى جَهَنَّمَ، ثم يخرُجُ الثالثةَ، فيقولُ[(٤)]: إنِّى وُكِّلْتُ بأصحابِ التَّصاويرِ. فيلقُطُهم مِن الصُّفوفِ لقطَ الطيرِ حَبَّ السِّمْسِمِ، فَيَخْنِسُ بهم فى جَهَنَّمَ، فإذا أخَذ مِن هؤلاءِ ثلاثةً، ومِن هؤلاءِ ثلاثةً، نُشِرت الصحُفُ، ووضِعت الموازينُ، ودُعِيت الخلائقُ للحسابِ.

وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ

---

(١) ليست فى مصدر التخريج.

(٢ - ٢) فى مصدر التخريج: «أخذ».

(٣) أى يدخلهم ويُغَيِّبُهم فى جهنم. النهاية (خنس) ٨٣/٢.

(٤) فى مصدر التخريج: «قال أبو المنهال: فأحسبه قال: قالت».

صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۙ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٣] الآيات . وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] .[1] وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[1] [الزمر: ٦٩، ٧٠] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦] .

وقال فى حديثِ الصُّورِ : « فيضَعُ اللَّهُ كُرْسِيَّه حيثُ شاءَ مِن أرضِه » . يعنى بذلك كرسِيَّ فصلِ القَضاءِ ، وليس هذا بالكرسيِّ المذكورِ فى آيةِ الكرسيِّ ، ولا المذكورِ فى « صحيحِ ابنِ حِبَّانَ »[2] : « ما السماوات السبعُ والأرَضُونَ السَّبْعُ وما فيهنَّ وما بينَهنَّ فى الكُرْسِيِّ إلَّا كحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ بأَرْضِ فَلاةٍ ، وما الكرسيُّ فى العَرْشِ إلَّا كتلك الحَلْقَةِ بتلكَ الفَلاةِ ، والعَرْشُ لا يَقْدُرُ قَدْرَه إلّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ » .

وقد يُطلَقُ على هذا الكرسِيِّ اسمُ العرشِ ، فقد ورَد ذلك فى بعضِ الأحاديثِ ، كما فى « الصحيحَيْنِ »[3] مِن حديثِ أبى هريرةَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ » - وفى روايةٍ[4] : « فِى ظِلِّ عرشِه » - « يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه » الحديثَ بتمامِه .

(١ - ١) فى ح : « وقال : ﴿ وما قدروا اللَّه حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾ . الآيات إلى آخرها » .

(٢) لم نجده فى صحيح ابن حبان . وأخرجه محمد بن أبى شيبة فى كتاب العرش (٥٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص ٤٠٤، ٤٠٥، بنحوه . وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٩) .

(٣) البخارى (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) .

(٤) ذكرها الحافظ فى الفتح ٢/ ١٤٤، وحسن إسنادها ، وعزاها إلى سعيد بن منصور .

وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[1] مِن حديثِ الزُّهرىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، وعبدِ الرحمنِ الأعرجِ ، عن أبى هُرَيرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا[2] بقائمةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِى أَصُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِى ، أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ ؟ » .

فقولُه : « أَمْ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ » . يدُلُّ على أنَّ هذا الصَّعْقَ الذى يَحْصُلُ للنَّاسِ يومَ القيامةِ سَبَبُه تجلِّى الربِّ سبحانَه لعبادِه لفَصْلِ القضاءِ ، فيُصعَقُ الناسُ مِن تجلِّى العَظَمةِ والجلالِ ، كما صُعِق موسى يَومَ الطُّورِ حينَ تجلَّى ربُّهُ للجبلِ فجعَلَهُ دكًّا ، وخرَّ موسى صَعِقًا .

فموسى ، عليه السلامُ ، إذا صُعِق الناسُ يومَ القيامةِ ؛ إمَّا أن يكونَ جُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ فلا يُصْعَقُ يومَئذٍ ، وإمَّا أن يكُونَ صُعِقَ فأفاقَ ، أى صُعِقَ صَعْقةً خفيفةً ، فأفاقَ قبلَ الناسِ كُلِّهم . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ورَد فى بعضِ الأحاديثِ ، أنَّ المؤمنينَ يَرَونَ اللَّهَ فى عَرَصاتِ القيامةِ ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[3] ، واللفظُ للبُخارِىِّ من طريقِ قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : خَرَج عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ البدرِ ، فقال : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا [٧٨و] لَا تُضَامُونَ فى رُؤْيتِهِ » . وفى روايةٍ للبخارىِّ[4] : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا » .

---

(١) البخارى (٦٥١٧) بنحوه .

(٢) أى متعلقًا بها بقوة . انظر النهاية ١/ ١٣٥.

(٣) البخارى (٧٤٣٦) ، ومسلم (٦٣٣) .

(٤) البخارى (٧٤٣٥) .

وجاء أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ لَهُ سبحانَه يومَئذٍ ، كما قال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا جُبَارَةُ ابنُ المُغَلِّسِ الحِمَّانِيُّ ، حَدَّثَنا عبدُ الأعلى بنُ أبى المُسَاوِرِ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ القِيَامَةِ أُذِنَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ فِى السُّجُودِ ، فَيَسْجُدُونَ لَهُ طَوِيلًا ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ ، فَقَدْ جَعَلْنَا عِدَّتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّارِ » . وله شواهدُ مِن وجوهٍ أُخَرَ ، كما سيأتِى .

وقال البزَّارُ[2] : حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثَنا يحيى بنُ حمَّادٍ ، حدَّثنا أبو عَوَانَةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَلْتَفِتُ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فيَقَعُونَ سُجُودًا ، وَتَرْجِعُ أَصْلَابُ الْمُنَافِقِينَ حَتَّى تَكُونَ عَظْمًا ، كَأَنَّهَا صَيَاصِى الْبَقَرِ » . ثم قال : لا نعلَمُ حدَّث به عن الأعمشِ إلَّا أَبا عَوانَةَ ، قلت : وسيأتِى له [3]شاهدٌ مِن وجهٍ آخرَ[3] .

وذكر فى حديثِ الصُّورِ[4] : « إِنَّ اللَّهَ يُنَادِى العِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : إِنِّى قَدْ أَنْصَتُّ لَكُمْ مُنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ، أَرَى أَعْمَالَكُمْ وأَسْمَعُ أَقْوَالَكُمْ ، فَأَنْصِتُوا لِى ، فَإِنَّما هِىَ أَعْمَالُكُمْ ، وَصُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .

وروَى الإمامُ أحمدُ[5] ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرِ

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٢٩١) . ضعيف جدا (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٣) .

(٢) أخرجه الدارمى (٢/ ٣٢٦) ، عن محمد بن يزيد البزار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة ، بنحوه .

(٣ - ٣) فى ح : « شواهد من وجوه أخرى » .

(٤) تقدم فى صفحة ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٥) المسند (٣/ ٤٩٥) (١٦٠٨٥) بنحوه . قال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله وُثِّقوا . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٥ .

ابنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّه اشترى راحلةً ، وسار إلى عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ شهرًا ؛ ليسمَعَ مِنه حديثًا بلَغَهُ عَنْهُ ، فلمَّا سأَله عنه ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ - أو قال : الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا » . قلنا : وما بُهْمًا ؟ قال : « لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ (١) بَعُدَ كَما يَسْمَعُهُ مَنْ (١) قَرُبَ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدَّيَّانُ ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أُقِصَّهُ مِنْهُ ، (٢) وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حقٌّ ، حَتَّى أُقِصَّهُ مِنْهُ (٢) ، حَتَّى اللَّطْمَةُ » . قال : قُلْنا : وكيف وإنا إنما نأتِي اللَّهَ بُهْمًا ؟ قال : « بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ » (٣) ، عن أبى ذرٍّ ، عن النبىِّ ﷺ فى الحديثِ الإلهىِّ الطويلِ : « يَاعِبَادِى ، إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٣- ١٠٥] . ثم ذكر سبحانَه ما أَعَدَّه للأشقياءِ ، وما أعدَّه للسُّعداءِ ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] .

وثبَت فى « الصحيحينِ » (٤) : « وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ » . وقد عقَد

(١ - ١) سقط من مطبوعة المسند ، وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٥، وجامع المسانيد ٧/ ٢٥٣.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) مسلم (٥٥/ ٢٥٧٧) .

(٤) البخارى (٧٤٣٧) ، مسلم (٢٩٩/ ١٨٢) .

البخاريُّ ، رحِمه اللَّهُ ، بابًا فى ذلك ، فقال فى كتابِ التوحيدِ مِن « صحيحِه » : بابُ كلامِ الربِّ ، سبحانَه وتعالى ، يومَ القيامةِ مع الأنبياءِ وغيرِهم . ثم أورَد فيه حديثَ أَنَسٍ فى الشفاعةِ[1] بتمامِه ، وحديثَ عَدِيٍّ[2] : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُه رَبُّهُ » الحديث ، وحديثَ ابنِ عمرَ فى النَّجْوَى[3] .

ونحنُ نورِدُ فى هذه الترجمةِ أحاديثَ أُخَرَ ، مناسبةً لهذا البابِ . وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١٠٩] . وقال تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف : ٦، ٧] . وقال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢، ٩٣] .

وقال ابنُ أبى الدنيا[4] : حدَّثنا حمزةُ بنُ العبَّاسِ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثمانَ ، أنبأنا ابنُ المباركِ ، أنبأنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، أخبرنى ابنُ أَنْعُمِ المَعَافِرِيُّ ، عن حِبَّانَ[5] ابنِ أبى جَبَلَةَ ، يُسنِدُه إلى النبىِّ ﷺ قال : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِسْرَافِيلَ ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : مَا فَعَلْتَ فِى عَهْدِى ؟ هَلْ بَلَّغْتَ عَهْدِى ؟ فَيَقُولُ : نَعَم ، يَارَبِّ [٧٨ظ] ، قَدْ بَلَّغْتُهُ جِبْرِيلَ ، فَيُدْعَى جِبْرِيلُ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغَكَ إِسْرَافِيلُ عَهْدِى ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، قد بَلَّغَنِى . فَيُخَلَّى عَنْ إِسْرَافِيلَ ، وَيُقَالُ لِجِبْرِيلَ : هَلْ بَلَّغْتَ عَهْدِى ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، قَدْ بَلَّغْتُ الرُّسُلَ . فَتُدْعَى الرُّسُلُ

---

(١) البخارى (٧٥١٠) .
(٢) البخارى (٧٥١٢) .
(٣) البخارى (٧٥١٤) .
(٤) الأهوال (٢٣٧) ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٥٩٨) .
(٥) فى ص ، والزهد : « حيان » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٢ .

فَيُقُولُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ جِبْرِيلُ عَهْدِى ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فيُخَلَّى عَنْ جِبْرِيلَ ، وَيُقَالُ لِلرُّسُلِ : مَا فَعَلْتُمْ بِعَهْدِى ؟ فَيَقُولُونَ : بَلَّغْنَا أُمَمَنَا . فَتُدْعَى الْأُمَمُ ، فيُقالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمُ الرُّسُلُ عَهْدِى ؟ فَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ ، ومِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ ، فَيَقُولُ الرُّسُلُ : إِنَّ لَنَا عَلَيْهِمْ شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ أَنْ قَدْ بَلَّغْنَا (١مَعَ شَهَادَتِكَ١) . فيقولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أُمَّةُ أحْمَدَ(٢) . فَتُدْعَى أُمَّةُ أحْمَدَ(٢) ، فَيَقُولُ : أَتَشْهَدُونَ أَنَّ رُسُلِى هَـٰؤُلَاءِ قَدْ بَلَّغُوا عَهْدِى إِلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبِّ ، شَهِدْنَا أَنْ قَدْ بَلَّغُوا . فَتَقُولُ تِلْكَ الْأُمَمُ : كَيْفَ يَشْهَدُ عَلَيْنَا مَنْ لَمْ يُدْرِكْنا ؟ فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَى : كَيْفَ تَشْهَدُونَ عَلَى مَنْ لَمْ تُدْرِكُوا ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، وَأَنْزَلْتَ إِلَيْنَا عَهْدَكَ وكِتَابَكَ ، وَقَصَصْتَ عَلَيْنَا أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا ، فَشَهِدْنَا بِمَا عَهِدْتَ إِلَيْنَا . فَيَقُولُ الرَّبُّ : صَدَقُوا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] » .

قَال ابنُ أَنْعُمٍ : فَبَلَغَنِى (٣أَنَّ أمةَ محمدٍ ﷺ تشهدُ٣) ، إِلَّا مَنْ كانَ فى قلبِه حِنَةٌ(٤) على أخيه .

(١ - ١) فى الأصل : « عهدك » .

(٢) فى ح ، ص : « محمد » .

(٣ - ٣) فى الأهوال : « أنه يشهد يومئذٍ أمةُ محمد » .

(٤) فى ح : « إحنة » . والحنة : العداوة ، وهى لغة قليلة فى الإحنة . النهاية ١/ ٤٥٣.

ذِكْرُ كلامِ الرَّبّ تعالى مع آدمَ، عليه السَّلامُ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن ثَورٍ ، عن أبى الغَيثِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَومَ القِيَامَةِ آدمُ ، فَيُقَالُ : هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَقُولُ : يا رَبِّ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ له رَبُّنَا : أَخْرِجْ نَصِيبَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَكَمْ ؟ فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ مائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ » . فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، أرأيتَ إِذَا أَخَذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مائةٍ تسعةً وتِسْعينَ ، فماذا يَبْقى مِنَّا ؟ قال : « إِنَّ أُمَّتِى فِى الْأُمَمِ ، كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فى الثَّوْرِ الأَسْوَدِ » .

ورَواه البخاريُّ[2] عن إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أَخيه ، عن سُلَيْمانَ بنِ بلالٍ ، عن ثورِ بنِ زيدٍ الدِّيلىِّ ، عن سالمٍ أبى الغَيْثِ ، مولى ابنِ مُطِيعٍ ، عن أبى هريرةَ : أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يومَ القِيَامَةِ آدَمُ ، فَتَراءَى ذُرِّيَّتُهُ ، فَيُقَالُ : هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ » . وذكَر تمامَه كما تقدَّم .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَومَ القِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِى يَدَيْكَ ، يَا رَبِّ ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ . قال : فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ المَوْلُودُ ، ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ

---

(١) المسند ٢/٣٧٨ (٨٩٠٠) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح . المسند ١٤/٤٨٨ .

(٢) البخارى (٦٥٢٩) .

(٣) المسند ٣/٣٢ (١١٣٠٢) .

ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢] . قَالَ : فَيَقُولُونَ : فَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ ؟ قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تِسْعُمائةٍ وَتِسْعَةٌ وتِسْعون مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ » . قال : فقال الناسُ : اللَّهُ أكبرُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَاللَّهِ إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قال : فكَبَّرَ الناسُ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَنْتُمْ يَومَئِذٍ فى النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِى الثَّوْرِ الأَسْوَدِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فى الثَّوْرِ الأَبْيَضِ » .

ورَواه البخاريُّ[(١)] ، عن عمرَ بنِ حَفْصِ بنِ غِيَاثٍ ، عن أبيه ، عن الأعمشِ ، به .

ورَواه مسلمٌ[(٢)] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن وَكيعٍ به ، وأخرَجاه[(٣)] مِن طرقٍ أُخَرَ ، عن الأعمشِ ، به .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[(٤)] عن بُنْدارٍ ، عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ مَيْمُونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : كُنَّا مع النبىِّ ﷺ فى قُبَّةٍ ، فقال : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ » قلنا : نعم . [(٥)]قال : « أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ » . قلنا : نعمْ . قال : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ » . قلنا : نعم[(٥)] . قال : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ [٧٩و]

---

(١) البخارى (٤٧٤١) .

(٢) مسلم (٣٨٠/ ٢٢٢) .

(٣) البخارى (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣) ، مسلم (٣٧٩، ٣٨٠/ ٢٢٢) .

(٤) البخارى (٦٥٢٨) .

(٥ - ٥) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

بِيَدِه ، إِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ[1] أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِى أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِى جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فى جِلْدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ » .

كلامُ الربِّ تعالى مع نوحٍ ، عليه السلامُ ، وسؤالُه إيَّاه عن البَلاغِ

كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٦] .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا وكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُدْعَى نُوحٌ ، عليه السلامُ ، يَومَ القِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَه : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُدْعَى قَومُهُ ، فَيُقَالُ[3] : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ » أَوْ : « مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ » . قَالَ : « فَيُقَالُ لِنُوحٍ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ » . قال : « فذلك قولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . قال : « وَالوَسَطُ العَدْلُ » ، قال : « فَيُدْعَونَ ، فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالبَلَاغِ » . قَالَ : « ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيكُمْ » .

وهكذا رَواه البخاريُّ ، والترمذيُّ ، والنَّسائيُّ[4] ، مِن طرقٍ عن الأعمشِ ، به ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

---

(١) فى النسخ : « نصف » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) المسند ٣/٣٢ (١١٣٠١) .

(٣) بعده فى المسند : « لهم » .

(٤) البخارى (٤٤٨٧) ، والترمذى (٢٩٦١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٧) .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[1] ، بلفظٍ أعَمَّ مِن هذا ، فقال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجِيءُ النَّبِيُّ يومَ القِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيُدْعَى قَومُهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا . فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَالُ له : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . فَيُدْعَى وَأُمَّتُهُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَه ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُقَالُ : وَمَا عِلْمُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جَاءَنَا نَبِيُّنَا ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا . فَذَلِكَ قَولُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ قال : يقولُ : « عدلا ، ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] » . وهكذا رَواه ابنُ ماجه[2] عن أبى كُرَيْبٍ ، وأحمدَ بنِ سِنَانٍ ، كلاهما عن أبى معاويةَ .

قلتُ : ومضمونُ هذا أنَّ هذه الأمَّةَ يومَ القيامةِ يكونون عُدولًا عندَ سائرِ الأممِ والأنبياءِ ، ولهذا يَسْتَشهدُ بهم سائرُ الأنبياءِ على أُمَمِهم ، ولولا اعترافُ أُمَمِهم بشرَفِ هذه الأمةِ لَمَا حصَل إلزامُهم بشهادتِهم .

وفى حديثِ[3] بَهْزِ بنِ حَكِيمٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه معاويةَ بنِ حَيْدَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَنْتُم تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ » .

---

(١) المسند ٣/٥٨ (١١٥٧٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٨/ ١١٢.
(٢) ابن ماجه (٤٢٨٤) .
(٣) المسند ٥/ ٣، ٥ (٢٠٠٤١، ٢٠٠٦١) من طريق بهز به . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧.

ذِكْرُ تَشْرِيفِ إبراهيمَ الخليلِ، عليه السلامُ، يومَ القيامةِ على رءوسِ الأشهادِ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]. وقال البخاريُّ[(١)]: حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حدَّثنا غُنْدَرٌ، حدَّثنا شُعبةُ، عن المغيرةِ بنِ النُّعمانِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قام فينا النبيُّ ﷺ يخطُبُ، فقال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا[(٢)] ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠٤]. وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى يَومَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِى فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِى[(٣)]. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَما قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ إلى قولِه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]. قَالَ: «فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

---

(١) البخارى (٦٥٢٦).

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٣) فى صحيح البخارى: «أصيحابى».

ذِكْرُ موسى ﷺ وظهورِ شرفِه وجلالتِه وكرامتِه يومَ القِيامَةِ ووجاهتِه عندَ اللَّهِ، وكثرةِ أتباعِه، وانتشارِ أمَّتِه

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾[1] [مريم: ٥١- ٥٣]. وقال تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وقال: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾. إلى قوله: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٣٩، ٤١]. والقرآنُ مملوءٌ بذكْرِ موسى والثَّناءِ عليه مِن اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، وقال النبيُّ ﷺ: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَومَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى [٧٩ظ] بَاطِشٌ بِالْعَرْشِ». الحديثَ[2].

وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. وثبت في الصحيحِ[3] في حديثِ الإسراءِ أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بموسى ليلةَ الإسراءِ وهو قائمٌ يصلِّي في قبرِه، ورآه في السماءِ السابعةِ- وفي روايةٍ: في السادسةِ- ليلةَ الإسراءِ، وكانت شريعةُ موسى عظيمةً جدًّا، وأمَّتُه كثيرةً جدًّا، وكان فيهم

---

(١) بعده في الأصل: «أي منزلة أعظم من هذه فإنه سأل ربه أن يجعل أخاه رسولا نبيا فأعطاه ذلك».

(٢) تقدم في صفحة ٤٧٧.

(٣) تقدم في ٢/ ٢١٢، ٤/ ٢٨٦.

الأنبياءُ والعلماءُ والرَّبَّانِيُّون والأحبارُ والعُبَّادُ والزُّهَّادُ والصالحونَ والمؤمنون والمسلمون والملوكُ والساداتُ والكبراءُ، وطالَت أيَّامُهم فى أَرْغَدِ عيشٍ وأطيبِه، مع القهرِ والغلبةِ لأهلِ الأرضِ قاطبةً، ولا سيما فى زمنِ داودَ وسليمانَ، عليهما السلامُ، وقد مدَح اللَّهُ بعضَهم وأثنَى عليه فى القرآنِ، فقال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] وقال: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ﴾ [مريم: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [الجاثية: ١٦، ١٧] وقد ذكرهم اللَّهُ كثيرًا فى القرآنِ. وقد رأَى النبىُّ ﷺ سَوادًا عظيمًا قد سَدَّ الأُفُقَ، فظَنَّها أُمَّتَه، فقيل: هذا موسى وقومُه[1]. والآياتُ والأحاديثُ فى فضلِ موسى ﷺ فى الدنيا والآخرةِ كثيرةٌ جدًّا.

ذِكْرُ عيسى، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وكلامِ الربِّ معه يومَ القيامةِ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى آخرِ السورةِ. وهذا السؤالُ مِن اللَّهِ

---

(١) تقدم فى ٢/٢١٣ - ٢١٤.

تعالى يَوْمَ القيامَةِ لعيسَى ابنِ مَرْيَمَ - مع علْمِه تعالى أنَّه لم يَقُلْ شيئًا مِن ذلك ، ولا خَطَر ذلك بقَلْبِه قَطُّ ، ولا حَدَّثَتْه به نَفْسُه - إنَّما هو على سبيلِ التَّقريعِ وَالتَّوْبيخِ لمن اعتقَد فيه ذلك ، من ضُلَّالِ النَّصارَى ، وجَهَلَةِ أَهلِ الكِتابِ ، فيتبرَّأُ إلى اللَّهِ تعالى مِن هذه المقالَةِ ، ومِمَّن قالها [1] فيه وفى أُمِّه [1] ، كما تَتَبَرَّأُ الملائكةُ مِمَّنِ اعتقَدَ فيهم شيئًا مِن ذلك ، كما قال تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ [2] جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ [2] لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) [سبأ : ٤٠، ٤١] . وقال تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ [3] وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ) . إلى قوله : ﴿ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٧- ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٢٨- ٣٠] .

وأما المقامُ المحمودُ المُحَمَّدِيُّ يومَ القيامةِ فلا يُساوِيه ، بل ولا يُدانِيه أحدٌ فيه ، ويحصُلُ له مِن التشريفاتِ ما يَغْبِطُه بها الخلائقُ كلُّهم .

وقد تقدَّم ما ورَد فى المَقامِ المحمودِ من الأحاديثِ [4] ، وأنَّه ﷺ أَوَّلُ مَن يَسْجُدُ بينَ يدَيِ اللَّهِ تعالى يومَ القيامةِ ، وأوَّلُ مَن يَشْفَعُ فيُشَفَّعُ ، وأوَّلُ مَن يُكْسَى

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) قرأ حفص ﴿ يحشرهم جميعا ثم يقول ﴾ بالياء فيهما ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : ﴿ نحشرهم .... ثم نقول ﴾ بالنون فيهما . كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٥٣٠.

(٣) كذا قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر : (ويوم نحشرهم) بالنون (فيقول) بالياء . وانظر قراءات أخرى فى كتاب السبعة فى القراءات ص ٤٦٣.

(٤) تقدم فى صفحة ٤١١ - ٤٢٤ .

بعدَ الخليلِ حُلَّتَيْنِ خَضْرَاوَيْنِ[1] ، وَيَجْلِسُ الْخَلِيلُ بينَ يدي العرشِ ، ومحمَّدٌ ﷺ عن يَمِينِ العرشِ ، فيقولُ : « يَا رَبِّ ، إِنَّ هَـٰذا - وَيُشِيرُ إِلَى جِبْرِيلَ - أَخْبَرَنِى عَنْكَ أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ » . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى : صَدَقَ جِبْرِيلُ » .

وقد روَى لَيْثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ[2] ، وأبو يحيى القَتَّاتُ ، وعَطاءُ بنُ السائبِ ، وجابرٌ الْجُعْفِيُّ ، عن مجاهدٍ ، أنَّه قال فى تفسيرِ المقامِ المحمودِ : إنَّه يُجْلِسُه معه على العَرْشِ . ورُوِى نحوُ هذا عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ[3] ، وجمَع فيه أبو بكرٍ المرُّوذِيُّ جُزءًا كبيرًا ، وحكاه هو وغيرُه عن غيرِ واحدٍ مِن السلفِ وأهلِ الحديثِ ؛ كأحمدَ وإسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ وخَلْقٍ . وقال ابنُ جريرٍ[4] : وهذا شىءٌ لا يُنْكِرُهُ مُثْبِتٌ ولا نافٍ . وقد نظَمه الْحَافِظُ أبو الحسنِ الدارقُطْنِيُّ فى قصيدةٍ له .

قلت : ومثلُ هذا لا يَنْبَغى قَبُولُه إلَّا عن معصومٍ ، ولم يَثْبُتْ فى هذا حديثٌ يُعَوَّلُ عليه ، ولا يُصارُ بِسببِه إليه ، وقولُ مجاهدٍ [٨٠و] وغيرِه فى هذا : إنه المقامُ المحمودُ . ليس بحُجَّةٍ بمُجرَّدِه ، وكذلك مارُوى عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ لا يصحُّ ، ولكن قد تلقَّاه جماعةٌ مِن أهلِ الحديثِ بالقَبولِ ، ولم يصحَّ إسنادُه إلى ابنِ سلَامٍ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ بالصوابِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[5] : حدَّثنا سُرَيْجُ بنُ يونُسَ ، حدَّثنا أبو سُفْيانَ المَعْمَرِيُّ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهرِيِّ ، عن علىِّ بنِ الحسينِ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال :

---

(١) الذى تقدم فى صفحة ٤١٣ من حديث كعب بن مالك فى مسند أحمد ، أنه ﷺ يُكسى حلة خضراء .

(٢) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ١٥/ ١٤٥، بسنده عن ليث بن أبى سليم .

(٣) انظر تفسير الطبرى ١٥/ ١٤٨.

(٤) المصدر السابق ١٥/١٤٧ بنحوه .

(٥) الأهوال (١٩٣) .

« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ[1] » . قال النبيُّ ﷺ : « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى ، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَـٰنِ ، واللَّهِ مَا رَآهُ قَبْلَهَا ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنَّ هَـٰذَا أَخْبَرَنِى أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : صَدَقَ . ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، عِبَادُكَ[2] فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ . فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

[3]قلتُ : قد ورَد فى المقامِ المحمودِ أنه الشفاعةُ العُظمَى فى الخَلْقِ ليُقْضَى بينَهم حين يَأْتون آدمَ ونوحًا وإبراهيمَ وموسى وعيسى ، فإذا جاءوا لدى النبيِّ ، صلَّى اللهُ عليه وعليهم ، قال : « أَنَا لَهَا ، أَنَا لَهَا » . فهذا هو المقامُ المحمودُ الذى يَحْمَدُه به الأَوَّلون والآخِرون ، كما رُوِى فى الأحاديثِ الصحيحةِ[3] .

ذِكْرُ مَا[4] ورَد فى كلامِ الربِّ سبحانَه مع العلماءِ يومَ فصلِ القضاءِ

قال الطبرانيُّ[5] : حدَّثنا أحمدُ بنُ زُهيرٍ ، حدَّثنا العلاءُ بنُ مَسْلَمةَ[6] ، حدَّثنا

---

(١) فى الأهوال : « قدمه » .

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « عبدوك » . وجاء فى حاشية الأصل : « وفى نسخة : عبادك فى أطراف الأرض . لم يذكر فيها : عبدوك . وعليها خط المؤلف » . وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) زيادة ليستقيم السياق .

(٥) المعجم الكبير ٢/٧٨ (١٣٨١) .

(٦) فى النسخ : « سالم » . والمثبت من المعجم الكبير . وهو العلاء بن مسلمة بن عثمان الرَّوّاس أبو سالم البغدادى ، متهم بوضع الحديث . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٣٩، والمغنى فى الضعفاء ٢/ ٥.

إبراهيمُ الطَّالَقانيُّ ، حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن ثعلبةَ بنِ الحكَمِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعُلَمَاءِ إِذَا جَلَسَ[1] عَلَى كُرْسِيِّهِ [2]لِفَصْلِ الْقَضَاءِ[2] : إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي وحِكْمَتِي[3] فِيكُمْ ، إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ[4] ، وَلَا أُبَالِي » .

قلتُ : ولا يَصِحُّ ، ولو صحَّ كان المرادَ به العلماءُ العاملون . واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ أوَّلِ كلامِه ، عزَّ وجلَّ ، للمؤْمِنينَ

قال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[5] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارِكِ ، حدَّثنى يَحْيى بنُ أيُّوبَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ ، عن خالدِ بنِ أبى عِمْرانَ ، عن [6]أبى عَيَّاشٍ[6] ، عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ بِأَوَّلِ مَا يَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَبِأَوَّلِ مَا يَقُولُونَ لَهُ » . قالوا : نَعَم يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فإنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ[7] : هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِى ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ يَا رَبَّنَا . فَيَقُولُ : [8]وَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ[8] ؟ فَيَقُولُونَ[9] : عَفْوُكَ وَرَحْمَتُكَ

---

(١) فى المعجم الكبير : « قعد » .

(٢ - ٢) فى المعجم الكبير : « لقضاء عباده » .

(٣) فى المعجم الكبير : « حكمى » .

(٤) فى المعجم الكبير : « فيكم » .

(٥) مسند أبى داود الطيالسى (٥٦٤) .

(٦ - ٦) فى الأصل ، والمسند : « ابن عياش » ، وفى ح : « ابن عباس » ، وفى ص : « أبى عباس » . والمثبت من تهذيب الكمال ٣٤/ ١٦٣ ، وهو أبو عياش المعافرى المصرى .

(٧) بعده فى الأصل : « يوم القيامة » .

(٨ - ٨) فى المسند : « لم » .

(٩) بعده فى المسند : « رجونا » .

(١وَرِضْوَانُكَ١) . فَيَقُولُ : فَإِنِّى قَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ رَحْمَتِى » .

فصلٌ

وأمَّا الكُفّارُ فقد قال اللَّهُ تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

وقال تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ١٧٤، ١٧٥] والمرادُ مِن هذا أنَّه لا يُكَلِّمُهم ولا يَنظُرُ إليهم ، (٢كلامًا يَنْتَفِعون به ونَظَرًا يَرْحَمُهم به٢) . كما أنَّهم عن رَبِّهم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ؛ لِقولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ (٣) جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] . وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٣٨- ٤٠] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة :

(١ - ١) زيادة من النسخ . ليست فى المسند .

(٢ - ٢) فى ح : « نظر رحمة » .

(٣) روى حفص عن عاصم : ﴿ يحشرهم ﴾ بالياء ، وقرأ الباقون بالنون . كتاب السبعة فى القراءات ص ٢٦٩.

١٨] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص: ٦٢- ٦٦] . وقال بعده : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص: ٧٤، ٧٥] . والآياتُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا .

وثبت فى « الصَّحيحَين »[(١)] - كما سيأتى - مِن طريقِ خَيْثَمَةَ ، عن عَدِيِّ بنِ حاتمٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّه لَيْسَ بَيْنَهُ وَبيْنَهُ تَرْجُمانٌ » . « فَيَلْقَى الرَّجُلَ فيقولُ : أَلَمْ أُكْرِمْكَ ؟ أَلَمْ أُزَوِّجْكَ ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لكَ الْخَيْلَ والإبِلَ ، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى . فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ : فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى » . فهذا فيه تصريحٌ بمُخاطَبةِ اللَّهِ لعَبْدِه الكافرِ .

وأمّا العُصاةُ ففى حديثِ ابنِ عمرَ الذى فى « الصحيحين »[(٢)] حديثِ النَّجْوَى - كما سيأتى - عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « يُدْنِى اللَّهُ العَبْدَ يَوْمَ القِيَامَةِ

---

(١) البخارى (٦٥٣٩، ٧٥١٢، ٧٤٤٣) ، ومسلم (١٠١٦/٦٧) ، والسياق الذى أورده المصنف هنا سياق حديث عدى وحديث أبى هريرة ، جعلهما المصنف معًا ، وسيأتى حديث أبى هريرة - وهو عند مسلم (٢٩٦٨/١٦) - فى « ذكر أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة ومن يناقش فى الحساب ...» .
(٢) البخارى (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤) ، ومسلم (٢٧٦٨/٥٢) .

حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : عَمِلْتَ فِي يَوْمِ كَذَا ، كَذَا وَكَذَا ، وفِي يَوْمِ كَذَا ، كَذَا وكذا . فَيَقُولُ : نَعَمْ ، يَا رَبِّ . حَتَّى إذا ظَنَّ أَنَّه قَدْ هَلَكَ ، قال اللَّهُ تَعَالَى : إنِّي [٨٠ظ] سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فى الدُّنْيَا ، وأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ » .

فصلٌ فِي إبرازِ النيرانِ والجِنَانِ، ونَصْبِ الميزانِ، ومحاسبةِ الديَّانِ

قال اللَّهُ سبحانَه وتعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٠، ٩١] . وقال : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢- ١٤] . وقالَ تعالَى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠- ٣١] الآيات . وقالَ تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] الآية . وقالَ تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] . وقال لقمانُ لابنِه فيما أخبر اللَّهُ عنه : ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] . والآياتُ فى هَذَا كَثِيرَةٌ جدًّا .

ذِكْرُ إبداءِ عُنُقٍ مِنَ النَّارِ إلى المحشرِ فيَطَّلِعُ عَلَى الناسِ

قالَ اللَّهُ تعالَى : ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ

ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر: ٢٣]. وقالَ مسلمٌ فى «صحيحِهِ»[(١)]: حدَّثَنا عمرُ بنُ حفصِ ابنِ غِياثٍ، حدَّثَنا أبِى، عنِ العلاءِ بنِ خالدٍ الكاهِلِىِّ، عن شَقِيقٍ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ مسعودٍ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَجُرُّونَها». وكَذَا رواه التِّرمذىُّ مرفوعًا[(٢)]، ومِنْ وجهٍ آخَرَ هو وابنُ جريرٍ مَوْقوفًا[(٣)].

وقالَ الإمامُ أحمدُ[(٤)]: حدَّثنا معاويةُ، حدَّثنا شَيْبَانُ[(٥)]، عن فِرَاسٍ، عن عَطِيَّةَ، عن أبِى سعيدٍ الخُدْرِىِّ، عن نبىِّ اللَّهِ ﷺ، أنه قالَ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ فَيَقُولُ: وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إلهًا آخَرَ، ومَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ. فيَنْطَوِى عَلَيْهِمْ، فَيَقْذِفُهُمْ فِى غَمَراتِ جَهَنَّمَ». تفردَ بهِ من هذا الوجهِ، وَسَيأتِى فى بابِ الميزانِ عن خالدٍ، عن القاسمِ، عن عائشةَ، نحوُه.

وقد قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢- ١٤]. قال السُّدِّىُّ[(٦)]: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم

---

(١) مسلم (٢٩/ ٢٨٤٢). وقال النووى: هذا الحديث مما استدركه الدارقطنى على مسلم، وقال: رفْعُه وَهْمٌ، رواه الثورى ومروان وغيرهما، عن العلاء بن خالد موقوفًا. قلتُ: وحفص ثقة حافظ إمام، فزيادته الرفع مقبولة، كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين. صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٧٨، ١٧٩.

(٢) الترمذى (٢٥٧٣).

(٣) الترمذى عقب الحديث السابق، وتفسير الطبرى ٣٠/ ١٨٨.

(٤) المسند ٣/ ٤٠ (١١٣٧٢). قال الشيخ شعيب: بعضه صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية. المسند ١٧/ ٤٥١.

(٥) فى ص: «شيبة». وانظر أطراف المسند ٦/ ٢٩٨.

(٦) الدر المنثور ٥/ ٦٤، وانظر تفسير ابن كثير ٦/ ١٠٤.

مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ . [1] قالَ : من مسيرَةِ مائةِ عامٍ [1] . ﴿ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ . من شِدَّةِ حَنَقِهَا وبُغْضِهَا لِمَنْ أَشْرَكَ باللَّهِ ، واتَّخَذَ معَه إلـهًا آخرَ . وفى الحديثِ « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ ، وادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وانْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنَىْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا » ، قالُوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ ؟ قال : « أَوَمَا سَمِعْتُمُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ . رواه ابنُ أبِى حاتمٍ [2] .

وقالَ ابنُ جَرِيرٍ [3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ الدّوْرَقِىُّ ، حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ مُوسَى ، حدَّثَنا إسرائيلُ ، عن أبِى يحيى ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قالَ : إنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ ، فَتَنْزَوِى ويَنْقَبِضُ بَعْضُها إلى بَعْضٍ ، فيقُولُ الرحمنُ : مَا لَكِ ؟ فتقُولُ : إنَّه يَسْتَجِيرُ مِنِّى . فيقُولُ : أَرْسِلُوا عَبْدِى . وإنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرُّ إلَى النَّارِ فيقُولُ : يا رَبِّ ، ما كانَ هذَا الظنَّ بِكَ . فيقولُ : فما كانَ ظنُّكَ ؟ فيقُولُ : أنْ تَسَعَنِى رَحْمَتُك . فيقُولُ : أَرْسِلُوا عَبدِى . وإنَّ الرَّجُلَ لَيُجَرُّ إلى النَّارِ فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ النَّارُ شُهُوقَ البَغْلَةِ إلى الشَّعِيرِ ، وَتَزْفِرُ زَفْرَةً لا يَبْقَى أحَدٌ إلَّا خَافَ . إسنادُه صحيحٌ .

وقالَ عبدُ الرَّزاقِ [4] : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن المنصورِ ، عن مجاهدٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ ، قالَ : إنَّ جَهَنَّمَ تَزْفِرُ زَفْرَةً ، لا يَبْقَى مَلَكٌ وَلَا نَبِىٌّ إلَّا خَرَّ تُرْعَدُ فَرَائِصُه ، حتَّى إنَّ إبراهيمَ لَيَجْثُو على رُكْبَتَيْهِ ، ويقولُ : رَبِّ ، لا أَسْأَلُكَ اليومَ إلَّا نَفْسِى .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) تفسير ابن أبى حاتم ٨/ ٢٦٦٧.

(٣) تفسير الطبرى ١٨/ ١٨٧.

(٤) تفسير عبد الرزاق الجزء الأول (القسم الثانى) ص ٦٧.

وقالَ فى حديثِ الصُّورِ[1] : «ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَيَخْرُجُ مِنْها عُنُقٌ سَاطِعٌ مُظْلِمٌ ، ثُمَّ يَقُولُ تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [يس : ٦٠- ٦٤] . وقال : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] . فَيَمِيزُ اللَّهُ بَيْنَ الخَلَائِقِ ، وَتَجْثُو الأُمَمُ [٨١و] ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨، ٢٩] .

ذِكرُ المِيزانِ

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية [الأنبياء : ٤٧] . وقال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢، ١٠٣] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٨، ٩] . وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة : ٦، ٧] الآيات . وقال تعالى : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] .

---

(١) تقدم فى ص ٣١٧.

قال أبو عبدِ اللَّهِ القُرطبيُّ[1] : قال العلماءُ : إذا انقضَى الحسابُ ، كان بعدَه وَزْنُ الأعمالِ ؛ لأنَّ الوزنَ للجزاءِ ، فينبغِى أنْ يكونَ بعدَ المحاسبةِ ، فإنَّ المحاسبةَ لتقديرِ الأعمالِ ، والوزنَ لإظهارِ مقاديرِها ؛ ليكونَ الجزاءُ بحَسَبِها .

وقال[2] : وقولُه تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ . يَحتمِلُ أنْ يكونَ ثَمَّ مَوَازِينُ مُتَعَدِّدةٌ تُوزَنُ فيها الأعمالُ ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ المرادُ الموزوناتِ ، فجُمِع باعتبارِ تنَوُّعِ الأعمالِ الموزونةِ . واللَّهُ أعلمُ .

بيانُ كونِ الميزانِ له كِفَّتان حسِّيَّتان مُشَاهَدَتان

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الطَّالَقانيُّ ، حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن لَيْثِ بنِ سعدٍ ، حدَّثنى عامرُ بنُ يحيى ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِيِّ ، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ : سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تعالى يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ له : أَتُنْكِرُ مِنْ هَـٰذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ[4] كَتَبَتِى الْحَافِظُونَ ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : أَلَكَ عُذْرٌ ، أَوْ حَسَنَةٌ ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ : لا يا رَبِّ . فَيَقُولُ : بَلَى ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً واحِدَةً ، [5]لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ[5] . فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ ، فِيهَا : أَشْهَدُ أَن لَا إِلَـٰهَ

---

(١) التذكرة ٢/ ٣.

(٢) التذكرة ٢/ ٢١، ٢٢، بنحوه .

(٣) المسند ٢/٢١٣ (٦٩٩٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده قوى ، رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقانى . المسند ١١/ ٥٧١.

(٤) فى المسند : « أظلمتك » .

(٥ - ٥) فى الأصل : « وإنك لا تظلم ، أو قال : لا ظلم عليك اليوم » . وفى ح : « وإنك لا تظلم اليوم » .

إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولُ : أَحْضِرُوهُ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا هَـٰذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَـٰذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟! فَيَقُولُ[1] : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ . قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ ، [2]وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ[2] . قَالَ : فَطَاشَتِ[3] السِّجِلَّاتُ ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ [4]مَعَ اسْمِ[4] اللَّهِ الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيمِ » . وهكذا رواه الترمذيُّ وابنُ ماجه ، وابنُ أبي الدنيا ، مِن حديثِ الليثِ - زاد الترمذيُّ[5] : وابنِ لَهِيعَةَ - كِلَاهما عن عامرِ بنِ يحيى ، به[6] . قال الترمذيُّ : حسَنٌ غريبٌ .

سِياقٌ آخرُ لهذا الحديثِ : قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثَنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثَنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن عمرِو بنِ يحيى[8] ، عن أبي عبدِ الرحمنِ الحُبُلِيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُؤْتَى بالرَّجُلِ ، فَيُوضَعُ فى كِفَّةٍ ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ ، فَيَتَمَايَلُ[9] بِهِ الْمِيزَانُ ،

---

(١) فى المسند : « فيقال » .

(٢ - ٢) زيادة من النسخ ليست فى المسند . وهى موافقة لروايتى الترمذى وابن ماجه الآتى تخريجهما .

(٣) طاشت : خفَّت . انظر النهاية ٣/ ١٥٣.

(٤ - ٤) فى ح : « اسم » ، وفى ص ، والمسند : « بسم » . قال الشيخ شعيب : وقوله فى آخر الحديث : « ولا يثقل شىء بسم الله الرحمن الرحيم » هكذا ورد فى الأصول التى بأيدينا ، وجاء عند ابن المبارك وابن حبان : « لا يثقل اسمَ الله شىءٌ » ، وجاء عند غيرهما : « لا يثقل مع اسم الله شىء » ، فيظهر أن ما جاء فى أصول « المسند » زيادة من النساخ . المسند ١١/ ٥٧٢.

(٥) فى ح : « الزهرى » . وهو خطأ .

(٦) الترمذى (٢٦٣٩) ، وابن ماجه (٤٣٠٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢١٢٧) .

وأما حديث ابن أبى الدنيا فلم نجده ، ولعله فيما سقط من كتابه « الأهوال » ، كما أشار إلى ذلك محققه فى ملاحظاته على الكتاب . انظر الأهوال ص ٥٣.

(٧) المسند ٢/ ٢٢١، ٢٢٢ (٧٠٦٦) . قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، على خطأ فى اسم أحد رواته .

(٨) كذا فى النسخ ، والمسند . وصوابه : عامر بن يحيى . وانظر أطراف المسند ٤/ ٦١، وتهذيب الكمال ١٤/ ٨٢.

(٩) فى ص : « فيمايل » ، وفى المسند : « فتمايل » .

قَالَ : فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ ، قَالَ : فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ ، إِذَا صَائِحٌ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى ، يَقُولُ : لَا تَعْجَلُوا ، لَا تَعْجَلُوا ، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ . فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا : لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ . فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ ، حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ » . وهذا السِّياقُ فيه غرابةٌ ، فيه فائدةٌ جليلةٌ ؛ وهى أنَّ العاملَ يُوزَنُ مع عَمَلِه .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ البَرَاءِ المُقْرِئُ، حدَّثنا يَعْلَى ابنُ عُبَيْدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو - رفعه - قال : « يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْمِيزَانِ ، فَيُخْرَجُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ ، فِيهَا ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ ، فَتُوضَعُ فِي كِفَّةٍ ، ثُمَّ يُخْرَجُ لَهُ قِرْطَاسٌ مِثْلُ الأُنْمُلَةِ ، فِيهِ[2] شَهَادَةُ أَن لا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَتُوضَعُ فِي الكِفَّةِ الأُخْرَى ، فَتَرْجَحُ بِخَطَايَاهُ » .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : حدَّثَنا أبو عُبَيْدٍ القاسِمُ بنُ سَلَّامٍ ، حدَّثَنا حَجَّاجٌ ، عن فِطْرِ[4] بنِ خَلِيفَةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سابِطٍ قال : لمَّا حضَر أبا بكرٍ الموتُ أرسَل إلى عمرَ [٨١ظ] ، فقال : إنَّما ثَقُلَتْ موازينُ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُه يَوْمَ القيامةِ باتِّباعِهِمُ الحقَّ فى الدُّنْيا ، وثِقَلِه عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ إذا وُضِع فيه الحَقُّ غدًا أَنْ يكونَ ثَقِيلًا ، وإنَّما خَفَّتْ موازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُه يومَ القِيامةِ باتِّباعِهِمُ البَاطِلَ فى الدنيا ، وخِفَّتِه عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ إذا وُضِعُ فِيه البَاطِلُ غَدًا أنْ يَكُونَ خَفِيفًا .

---

(١) انظر تعليقنا فى حاشية (٦) الصفحة السابقة .

(٢) فى ح ، ص : « فيها » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٤١٤، ٤١٥، من طريق فطر بن خليفة ، به مطولا .

(٤) فى ص ، ومصدر التخريج : « قطر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٢.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ[2] أبى مُلَيْكَةَ ، عن يَعْلَى بنِ مَمْلَكٍ[3] ، عن أمِّ الدَّرداءِ ، عن أبى الدَّرداءِ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أَثْقَلُ شَيْءٍ يُوضَعُ فِى الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ » .

وقد ورَدتِ الأحاديثُ بوزنِ الأعمالِ أنفُسِها ، كما فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] ، مِن طريقِ أبى سَلَّامٍ ، عن أبى مالكٍ الأشْعَرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، [5]فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، أَوْ مُوبِقُهَا » . فقولُه : « وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ »[5] . فيه دِلالةٌ على أنَّ العمَلَ نفسَه [6]يُوزَنُ ، وذلك بأحدِ شيئين ؛ إمَّا أنَّ العملَ نفسَه[6] وإن كان عرَضًا قد قام بالفاعلِ ، يُحيلُه اللَّهُ تعالى يومَ القيامةِ ، فيجعَلُه ذاتًا تُوضَعُ فى الميزانِ ، كما ورَد فى الحديثِ الذى روَاه ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنا أبو خَيْثَمةَ ، ومحمَّدُ بنُ سُلَيمانَ ، وغيرُهما ، قالوا : حدَّثَنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن يَعْلَى بنِ مَمْلَكٍ ، عن أمِّ الدَّرْداءِ ، عن أبى الدَّرْداءِ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أَثْقَلُ شَيْءٍ يُوضَعُ فِى الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ » .

---

(١) المسند ٦/ ٤٥١، ٤٥٢ (٢٧٥٩٥) بنحوه . والحديث فى السلسلة الصحيحة (٨٧٦) .
(٢) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٥٦.
(٣) فى ح : « مالك » . وكذا فى الموضع التالى وانظر المصدر السابق ٣٢/ ٤٠١.
(٤) مسلم (٢٢٣) .
(٥ - ٥) سقط من : ح .
(٦ - ٦) سقط من : ص .

وكذا روَاه الإمامُ أحمدُ ، عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، بهِ[1] . وروَاه أحمدُ[2] ، عن غُنْدَرٍ ، و[3] يحيى بنِ سعيدٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن القاسمِ [4]بنِ أبى بَزَّةَ[4] ، عن عَطاءٍ الكَيْخارانىِّ[5] ، عن أمِّ الدَّرْداءِ ، عن أبى الدرداءِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَا مِنْ شَىْءٍ أَثْقَلَ فِى الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ » . وقد روَاه الإمامُ أحمدُ[6] أيضًا مِن حديثِ الحسنِ بنِ مسلمٍ ، عن عطاءٍ ، وأخرَجه أبو داودَ مِن حديثِ شُعْبَةَ ، به[7] ، والترمذىُّ مِن حديثِ مُطَرِّفٍ ، عن عطاءٍ الكَيْخَارانىِّ ، به[8] .

وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدَّثنا عفّانُ[10] ، حدَّثنا أَبانٌ ، عن يحيى بنُ أبى كَثِيرٍ ، عن زيدٍ ، عن أبى سَلَّامٍ ، عن مولًى لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِى الْمِيزَانِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ للَّهِ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ . وقال : بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ ، مَنْ لَقِىَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ : يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْحِسَابِ » . انفرَدَ به أحمدُ .

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) المسند ٦/ ٤٤٦، ٤٤٨ (٢٧٥٥٧، ٢٧٥٧٢)، واللفظ لغندر . قال الشيخ الألبانى : وهذا إسناد صحيح . السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٥٨.

(٣) فى الأصل : « عن » . وهو خطأ .

(٤ - ٤) فى ص : « عن أبى مرة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٣٨.

(٥) هنا وفيما يأتى فى ح : « الكنجارانى » ، وفى ص : « اللنحارى » . وانظر المصدر السابق ٢٠/ ١٢١.

(٦) المسند ٦/٤٤٢ (٢٧٥٣٦) . وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى الصحيحة ٢/ ٤٥٩.

(٧) أبو داود (٤٧٩٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٠١٤) .

(٨) الترمذى (٢٠٠٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٦٢٩) .

(٩) المسند ٣/٤٤٣ (١٥٧٠٠) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، قلت : والصحابى الذى لم يسم هو ثوبان إن شاء اللَّه . المجمع ١٠/ ٨٨.

(١٠) فى ح : « غندر » . وهو خطأ .

وكما ثبت فى الحديثِ الآخَرِ[1] : «تأْتِى الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ غَيَايَتَانِ ، [2]أَوْ فِرْقَانِ[2] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» . والمـرادُ مِن ذلك ثوابُ تِلاوَتِهما يصيرُ يومَ القيامةِ كذلك ، [3]وقِيل : إنَّهما بِذاتِهما يُحاجَّانِ عنه ، لا ثَوابَهما[3] .

الأمرُ الثانى : إنَّ العملَ نفسَه يُوزَنُ بوضعِ الصحيفةِ التى كُتِب فيها [4]العملُ ، فيُوزَنُ العملُ بالصحيفةِ[4] ، كما فى حديثِ البِطاقةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد جاء أنَّ العاملَ نفسَه يُوزَنُ ، كما قال البخاريُّ[5] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، أخْبَرَنا المُغِيرةُ ، حدَّثَنى أبو الزِّنَادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : «إِنَّهُ لَيَأْتِى الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» . وقال : اقْرَءُوا [6]إِنْ شِئْتُمْ[6] : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف : ١٠٥] . قال البخاريُّ[7] : وعن يحيى بنِ بُكَيْرٍ ، عن المُغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى الزِّنَادِ ، مثلَه . و[8]قد أسنَد مسلمٌ ما[8] علَّقه البخاريُّ ، عن أبى بكرٍ محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يَحْيَى بنِ بُكَيْرٍ ، فذكَره[9] . وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ عن أبى هريرةَ ؛ فقال ابنُ أبى حاتمٍ[10] : حدَّثنا أبى ، حدَّثنا أبو

---

(١) مسلم (٨٠٤، ٨٠٥) بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) البخارى (٤٧٢٩) .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى البخارى .

(٧) البخارى ، عقب الحديث السابق . وقد اختُلِف فى تعليقه . انظر الفتح ٨/ ٤٢٦، وتغليق التعليق ٤/ ٢٤٧.

(٨ - ٨) فى الأصل ، ح : «استدل مسلم بما» .

(٩) مسلم (٢٧٨٥) .

(١٠) تفسير ابن أبى حاتم ٧/ ٢٣٩٣.

الوليدِ ، حدَّثنا[1] عبدُ الرحمنِ بنُ أَبى الزِّنَادِ ، عن صالحٍ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْأَكُولِ الشَّرُوبِ الْعَظِيمِ ، فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فَلَا يَزِنُهَا » . قال : وقرأ : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ .

ورواه ابنُ جريرٍ[2] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن ابنِ[3] الصَّلْتِ ، عن ابنِ أبى الزِّنادِ ، عن صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، مرفوعًا بلفظِ البُخارِىِّ سواءً . [٨٢و] وقد قال البَزَّارُ[4] : حدَّثنا العباسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا عَوْنُ بنُ عُمَارةَ ، حدَّثَنا هشامُ بنُ حَسَّانَ ، عن واصلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : كنَّا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأقبَلَ رجلٌ مِن قُرَيْشٍ يَخْطِرُ[5] فى حُلَّةٍ له ، فلمَّا قام على النبىِّ ﷺ قال : « يا بُرَيْدَةُ ، هَـٰذَا مِمَّنْ لَا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا » . ثم قال : تفرَّد به عونُ بنُ عُمارةَ ، وليس بالحافظِ ، ولم يُتابَعْ عليه .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا عبدُ الصمدِ ، وحسنُ بنُ موسَى ، قالا : حدَّثَنا حمَّادٌ ، عن عاصمٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، أنَّه كان يَجتنِى سِوَاكًا مِن الأَراكِ ، وكان دَقِيقَ الساقيْنِ ، فجعلت الريحُ تُكْفِئُه[7] ، فضحِك القومُ مِنه ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ح . وانظر المصدر السابق ، والتفسير ٥/ ١٩٨.

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٣٥.

(٣) فى الأصل ، ح : « ابن أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٩٦.

(٤) كشف الأستار (٢٩٥٦) . وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٥/ ١٢٥.

(٥) يخطر : أى يتمايل ويمشى مشية المعجب . النهاية ٢/ ٤٦.

(٦) المسند ١/ ٤٢٠، ٤٢١ (٣٩٩١) . قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم .

(٧) فى ح : « تكشفه » ، وفى المسند : « تكفؤه » . وتكفئه : أى تميله .

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ » قالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، مِن دِقَّةِ سَاقَيْهِ . فقال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِى الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه جَيِّدٌ قوِىٌّ ، فقد جاءت الرواياتُ بهذه الصِّفاتِ .

وفى « مسندِ أحمدَ » فى بعضِ طرقِ حديثِ البطاقة ، مِن طريقِ ابنِ لَهِيعةَ[1] ؛ أنَّ العاملَ يُوزَنُ معَ عملِه وصحيفتِه . واللَّهُ أعلمُ بالصوابِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا عفَّانُ ، حدَّثنا القاسمُ بنُ الفَضْلِ ، قال : قال الحسنُ : قالت عائشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلْ تذكُرون أهلِيكُم يومَ القيامةِ ؟ قال : « أمَّا فِى مَوَاطِنَ ثَلَاثَةٍ فَلَا : الْكِتَابُ ، وَالْمِيزَانُ ، وَالصِّرَاطُ » .

فقولُه : « الْكِتَابُ » يحتَمِلُ أن يكونَ كتابَ الأعمالِ ليشهدَ على الأنفسِ بأعمالِها ، ويحتملُ أن يكونَ ذلك عندَ تطايُرِ الصحُفِ فى أيدى الناسِ ؛ فآخِذٌ بيمينِه ، وآخِذٌ بشمالِه ، كما قال البيهقىُّ[3] : أخبرَنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ محمدِ بنِ علىٍّ الـمُقْرِئُ ، أخبَرنا الحسنُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنا يوسفُ بنُ يعقوبَ القاضِى ، حدَّثنا محمدُ بنُ مِنْهالٍ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، حدَّثنا يونُسُ بنُ عُبَيْدٍ ، عن الحسنِ ، أنَّ عائشةَ ذكَرتِ النارَ فبَكَتْ ، فقال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما

---

(١) تقدم فى ص ٥٠٠.

(٢) المسند ٦/١٠١ (٢٤٧٤٠) . وقال ابن حجر : هذا صورته مرسل . أطراف المسند ٩/ ٣٤.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٧٠ إلى البيهقى فى البعث . وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٥٧٨) من طريق آخر عن يونس بن عبيد به بنحوه ، وقال : صحيح ؛ إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبى منزل عائشة رضى اللَّه عنها وأم سلمة ، ووافقه الذهبى على ذلك ، وأخرجه الآجرى فى الشريعة (٩٠٦) من طريق آخر عن الحسن ، به بنحوه .

يُبْكِيكِ يَا عَائِشَةُ ؟ » قالت : ذَكَرْتُ النارَ فبَكَيْتُ ؛ هَلْ تَذكُرونَ أهلِيكمْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟ قال : « أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : حَيْثُ يُوضَعُ الْمِيزَانُ ؛ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَثْقُلُ مِيزَانُه أَمْ يَخِفُّ ، وحَيْثُ يقول : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة : ١٩] . حَيْثُ تَطَايَرُ الصُّحُفُ ، حَتَّى يَعْلَمَ كِتَابَهُ فِي يَمِينِهِ ، أَوْ فِي شِمَالِهِ ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ، وَحَيْثُ يُوَضَعُ الصِّرَاطُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ » . قال يُونُسُ : أشكُّ هل قال الحسنُ : حافَتاه كَلَالِيبُ وحَسَكٌ ، يَحْبِسُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يشاءُ مِن خَلْقِه ، حَتَّى يَعلَمَ أَيَنْجُو أَمْ لَا يَنْجُو ؟ .

ثم قال البيهقيُّ[1] : أخبَرنا الرُّوذَبَارِيُّ ، أخبرَنا ابنُ دَاسَةَ[2] ، حدَّثنا أبو داودَ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، وحُمَيْدُ بنُ مَسْعَدَةَ ، أنَّ إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ حدَّثَهم ، قال : أخبَرنا يونُسُ ، عن الحسنِ ، عن عائشةَ ، أنَّها ذكَرتِ النارَ فبَكَتْ ، وذكَر الحديثَ بنحوِه ، إلَّا أنَّه قال : « وَعِنْدَ الْكِتَابِ ، حِينَ يُقَالُ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ . حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كتابُه ، أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ ، إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ » . قال يعقوبُ عن يونُسَ : [٨٢ظ] وهذا لفظُ حديثِه .

طريقٌ أُخْرَى عن عائشةَ ، رضِي اللَّهُ عنها : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا يَحْيَى بنُ إسحاقَ ، أخبَرنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن خالدِ بنِ أبي عِمْرانَ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن عائشةَ ، قالَتْ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل يذكُرُ الحبيبُ حبيبَه يومَ

---

(١) الاعتقاد ص ١٢٥، وأخرجه أبو داود فى سننه (٤٧٥٥) عن يعقوب بن إبراهيم وحميد ابن مسعدة به . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود (١٠١٨) .

(٢) فى ص : « دراسة » ، وفى مصدر التخريج : « داسته » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٣٨.

(٣) المسند ٦/١١٠ (٢٤٨٣٧) . قال الهيثمى : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٩.

القيامةِ ؟ قال : « يَا عَائِشَةُ ، [1]أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثٍ فَلَا ؛ أَمَّا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَثْقُلَ أَوْ يَخِفَّ فَلَا[1] ، وَأَمَّا عِنْدَ تَطَايُرِ الْكُتُبِ ، فَإِمَّا أَنْ يُعْطَى[2] بِيَمِينِهِ أَوْ يُعْطَى بِشِمَالِهِ فَلَا ، ثُمَّ[3] حِينَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَنْطَوِى عَلَيْهِمْ ، وَيَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمْ ، وَيَقُولُ ذَلِكَ الْعُنُقُ ، وُكِّلْتُ بثلاثةٍ[4] ، وُكِّلْتُ بِمَنِ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَـهًا آخَرَ ، وَوُكِّلْتُ بِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » . قال : « فَيَنْطَوِى عَلَيْهِمْ ، وَيَرْمِى بِهِمْ فِى غَمَرَاتٍ[5] ، وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرِ ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وحَسَكٌ ، تَأْخُذُ[6] مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ : رَبِّ سَلِّمْ ، رَبِّ سَلِّمْ . فناجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ ، وَمُكَوَّرٌ فِى النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ » .

وتقدَّمَ[7] مِن روايةِ حربِ بنِ ميمونٍ ، عن النَّضْرِ بنِ أَنَسٍ ، عن أَنَسٍ ، أنَّه قال : اشفَعْ لى يا رسولَ اللَّهِ ، قال : « أَنَا فَاعِلٌ » . قال : فأينَ أطلُبُك ؟ قال : « اطْلُبْنِى أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِى عِنْدَ الصِّرَاطِ » . قال : فإنْ لم ألقَكَ ؟ قال : « فَعِنْدَ الْحَوْضِ » . قال : فإنْ لم ألقَكَ ؟ قال : « فَعِنْدَ الْمِيزَانِ ؛ فَإِنِّى لَا أُخْطِئُ هَـٰذِهِ الثَّلَاثَةَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رواه أحمدُ والترمذىُّ .

(١ - ١) فى الأصل : « عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف فلا » ، وفى ح : « عند الميزان حتى ينظر أيثقل أو يخف فلا » .

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « كتابه » .

(٣) فى المسند : « و » .

(٤) بعده فى المسند : « وكلت بثلاثة » .

(٥) فى الأصل : « جهنم » ، وفى ح : « غمرات جهنم » .

(٦) فى ص : « يأخذن » ، وفى المسند : « يأخذون » .

(٧) تقدم فى ص ٤٧٠ .

وقال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[1] : أخبَرنا أبو سَهْلٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ المِهْرَانِيُّ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ سَلْمَانَ[2] الفقيهُ بِبغدادَ ، حدَّثَنا الحارثُ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثنا داودُ بنُ المُحَبَّرِ ، حدَّثنا صالحٌ المُرِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ زيدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ كِفَّتَيِ الْمِيزَانِ ، وَيُوَكَّلُ بِهِ مَلَكٌ ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى المَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ : سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا . وإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ : شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا » . ثُمَّ قال : إسنادُه ضعيفٌ بِمَرَّةٍ .

وقد رواه الحافظانِ البزَّارُ ، وابنُ أبى الدُّنيا ، عن إسماعيلَ بنِ أبى الحارثِ ، عن داودَ بنِ المُحَبَّرِ ، حدَّثَنا صالحٌ المُرِّيُّ ، عن ثابتٍ البُنانيِّ ، وجعفرِ بنِ زيدٍ ، زاد البزارُ : ومنصورِ بنِ زاذَانَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، يرفَعُه ، بنَحْوِه[3] . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[4] : حدَّثَنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ العَيْزَارِ[5] ، قال : عندَ الميزانِ مَلَكٌ إذا وُزِنَ العَبدُ نادى : أَلَا إنَّ فُلانَ ابنَ فُلَانٍ ثَقُلَتْ موازينُه ، وسَعِدَ سَعادةً لا يَشقَى بعدَها أبدًا ، ألَا إنَّ فُلانَ ابنَ فَلانٍ خَفَّتْ موازِينُه ، وشقِى شَقاوةً لا يسعَدُ بعدَها أبدًا .

---

(١) أخرجه الحارث بن محمد بن أبى أسامة . انظر بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١١٣٢) . وقال محققه : إسناده ضعيف جدا ؛ فيه داود . وذكره شارح الطحاوية ٦١٢/٢ وعزاه للبيهقى ، كما عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/٣ إلى البيهقى . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ١٧٤/٦ من طريق الحارث، به .

(٢) فى الأصل ، ص : « سليمان » . وانظر تاريخ بغداد ٤/ ١٨٩ .

(٣) كشف الأستار (٣٤٤٥) . قال الهيثمى : رواه البزار وفيه صالح المرى وهو مجمع على ضعفه . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٠ .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد فى زوائد الزهد (٣٧٢) عن مالك بن مغول ، به .

(٥) فى النسخ : « أبى العيزار » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر التاريخ الكبير ٥/ ٣٩٤ ، والجرح والتعديل ٥/ ٣٣٠ ، وثقات ابن حبان ٧/ ١٤٨ .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثَنا يوسُفُ بنُ موسَى ، حدَّثَنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ ، حدَّثَنا يوسُفُ بنُ صُهَيْبٍ ، حدَّثَنا مُوسَى بنُ أبى المختارِ ، عن بلالٍ العَبْسِيِّ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : صاحبُ الميزانِ يومَ القيامةِ جبريلُ ، يَرُدُّ بعضُهم على بعضٍ ، ولا ذَهَبٌ يومَئذٍ ولا فِضَّةٌ . قال : فيُؤخذُ من حَسَناتِ الظالمِ ، فإنْ لم يكُنْ له حسَناتٌ أُخِذَ من سيِّئاتِ المظلومِ ، فرُدَّت على الظالمِ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا : حدَّثَنا محمدُ بنُ العبَّاسِ بنِ محمدٍ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ العِجْليُّ ، حدَّثَنا أبو الأحوصِ ، قال : افتخَرَتْ قريشٌ عندَ سَلْمَانَ[2] ، فقال سلمانُ : لكنِّى خُلِقْتُ مِنْ نُطْفَةٍ قَذِرَةٍ ، ثمَّ أعودُ جِيفَةً مُنْتِنَةً ، ثم يُؤْتَى بِى إلى المِيزانِ ، فإنْ ثَقُلَتْ فأنا كريمٌ ، وإنْ خَفَّتْ فأنا لئيمٌ . قال أبو الأحوصِ : تَدْرِى مِن أىِّ شىءٍ يُخَافُ ؟ إذا ثَقُلَتْ[3] مِيزانُ عبدٍ نُودِىَ فى مَجْمَعٍ فيه الأولون والآخِرُون : ألَا إنَّ فلانَ ابنَ فلانٍ قد سَعِد سعادةً لا يَشْقَى بعدَها أبدًا ، وإذا خَفَّتْ ميزانُه نُودِى على رءوسِ الخلائقِ : ألَا إنَّ فلانَ ابنَ فلانٍ قد شَقِىَ شَقاوةً لا يَسْعَدُ بَعْدَها أبدًا .

[4]وقال البيهقىُّ[5] : حدَّثَنا أبو الحسنِ علىُّ بنُ أبى علىٍّ السَّقَّاءُ ، حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبيدِ اللَّهِ المُنَادِى ، حدَّثَنا[4] يونُسُ بنُ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٦٩ إلى ابن أبى الدنيا ، والحديث أخرجه الطبرى فى تفسيره ٨/ ١٢٣، من طريق يوسف بن صهيب به ، بنحوه .

(٢) فى الأصل : « سلمان الفارسى » . وفى ص : « سليمان » .

(٣) كذا بالنسخ .

(٤ - ٤) فى ح : « وروى البيهقى من طريق » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٦٩ إلى البيهقى فى البعث ، والحديث أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ١/ ٢٥٧، عن أبى عبد اللَّه الحافظ ، عن أبى العباس بن يعقوب ، به .

محمدٍ ، حدَّثَنا المُعْتَمِرُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن أبيه ، عن يَحْيَى بنِ يَعْمَرَ ، عن ابنِ عمرَ ، عن عمرَ بنِ الخطّابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فى حديثِ الإيمانِ ، قال : يا محمَّدُ ، ما الإيمانُ ؟ قال : « الإيمانُ أن تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . قال : فإذا فعَلتُ هذا فأنا مؤمنٌ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : صَدَقْتَ . وقال شُعبةُ : عن الأعمشِ ، عن شَمِرِ بنِ عَطِيَّةَ ، عن أبى الأحوَصِ ، عن عبدِ اللَّهِ ، هو ابنُ مسعودٍ ، قال[1] : للناسِ عندَ الميزانِ تَجَادُلٌ وزِحامٌ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[2] : حدثنا أبو نصرٍ التَّمّارُ ، حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ البُنَانىِّ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِىِّ ، عن سَلْمَانَ الفارسىِّ ، قال : يُوضَعُ الميزانُ وله كِفَّتانِ ، لو وُضِع [٨٣و] فى إحداهما السمـواتُ والأرضُ وما فِيهنَّ ، لَوَسِعَتْها ، فتقولُ الملائكةُ : يا رَبَّنا ، مَن يزِنُ بهذا ؟ فيقولُ تعالى : مَن شِئتُ مِن خَلقى . فيقولون : ربَّنا ، ما عبَدْناك حقَّ عِبادَتِك .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : حدَّثَنا يوسفُ بنُ موسَى : حدَّثَنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا حمادُ بنُ زيدٍ ، حدَّثَنا أبو حنيفةَ ، عن حمَّادٍ ، عن إبراهيمَ ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] . قال : يُجاءُ بعَملِ الرَجُلِ فيُوضَعُ فى كِفَّةِ مِيزَانِه ، ويُجَاءُ بشَىْءٍ مِثلِ الغَمَامَةِ ، أو مِثْلِ السَّحَابِ كَثْرَةً فيُوضَعُ فى كِفَّةٍ أُخرى فى ميزانِه ، فيَرْجَحُ ، فيقالُ : أَتدرِى ما هذا ؟ هذا العلمُ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٠/٤ إلى البيهقى فى البعث .

(٢) أخرجه الحسين المروزى فى الزهد لابن المبارك (١٣٥٧) ، وهى من زوائده ، والآجرى فى الشريعة (٨٩٥) كلاهما من طريق حماد بن سلمة به ، بنحوه .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (٢٢٥) من طريق مسلم بن إبراهيم به ، بنحوه .

الذى تَعَلَّمْتَه ، وعَلَّمْتَه الناسَ ، فعلِموه وَعَمِلوا به بَعْدَك .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[1] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنا ابنُ المُبارِكِ ، عن أبى بَكْرٍ الهُذَلىِّ ، قال : قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ وهو يُحَدِّثُ ذاك عن ابنِ مسعودٍ ، قال : يُحَاسَبُ الناسُ يومَ القيامةِ ، فمَن كانَتْ حسَناتُه أكثرَ مِن سَيِّئاتِه بواحدةٍ دخَل الجنَّةَ ، ومَن كانَتْ سيِّئاتُه أكثرَ مِن حسَناتِه بواحدةٍ دخَل النَّارَ . ثم قرَأ : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢، ١٠٣] . ثم قال : إنَّ الميزانَ يَخِفُّ بمِثْقالِ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ أو يَرْجَحُ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثَنا هارونُ بنُ سُفْيانَ ، حدَّثَنا السَّهْمِىُّ ، حدَّثَنا عَبَّادُ[2] بنُ شَيْبَةَ ، عن سعيدِ بنِ أنسٍ ، عن الحسنِ ، قال : يعتذِرُ اللَّهُ يومَ القيامةِ إلى آدمَ ثلاثَ مَعاذِيرَ ، يقولُ : يا آدَمُ ، لَوْلَا أَنِّى لَعَنْتُ الكاذِبينَ ، وأُبغِضُ الكذِبَ والخُلْفَ ، لرحِمتُ ذُرِّيَّتَكَ اليومَ مِن شِدَّةِ ما أعدَدْتُ لهم مِن العذابِ ، ولكنْ حَقَّ القولُ مِنِّى ، لِمَن كَذَّب رُسُلى وعَصَى أمرى ، لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنهم أجمعين . ويا آدمُ ، اعلَمْ أنِّى لا أُعذِّبُ بالنارِ أحدًا مِن ذُرِّيَّتِك ، وأُدْخِلُ النَّارَ أحدًا مِنهم ، إلَّا مَن قد عَلِمْتُ فى علمى أنَّه لو ردَدتُه إلى الدُّنيا لعادَ إلى شَرٍّ ممَّا كان عليه ، ولن يرجِعَ . ويا آدمُ ، أنتَ اليومَ عَدْلٌ بَيْنى وبينَ ذُرِّيَّتِك ، قُمْ عِندَ الميزانِ ، فانظُرْ ما يَرْجِعُ إليكَ مِن أعمالِهم ، فمَن رجَح خيرُه على شَرِّه مِثْقالَ ذَرَّةٍ فلَه الجنَّةُ ، حتَّى تَعْلَمَ أنِّى لا أُعذِّبُ إلَّا كلَّ ظالمٍ .

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى زوائد الزهد (٤١١) عن ابن المبارك به مطولا .

(٢) فى النسخ : «عمار» . والمثبت من ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٦، ولسان الميزان ٣/ ٢٣٠.

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ الصَّبّاحِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ وَهْبٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ ، عن أبى أُمامَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَتْ ثُلَّةٌ مِنَ النَّاسِ ، يَسُدُّونَ الأُفُقَ ، نُورُهُمْ كَنُورِ الشَّمْسِ ، فَيُقَالُ : لِلنَّبِى الأُمِّىِّ . فيتَحسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِىٍّ ، فيقالُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى تَسُدُّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ ، نُورُهُمْ كَنُورِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَيُقَالُ : لِلنَّبِىِّ الأُمِّىِّ . فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِىٍّ ، فَيُقَالُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى ، نُورُهُمْ مِثْلُ كُلِّ كَوْكَبٍ فِى السَّمَاءِ ، فَيُقَالُ : لِلنَّبِىِّ الأُمِّىِّ . فَيَتَحَسَّسُ لها كلُّ نَبِىٍّ ، فَيُقَالُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . ثُمَّ يجىءُ الرَّبُّ تَعَالَى[2] ، فَيَقُولُ : هَـٰذَا لَكَ مِنِّى يَا مُحَمَّدُ ، وَهَـٰذَا لَكَ مِنِّى يَا مُحَمَّدُ . ثُمَّ يُوضَعُ الْمِيزَانُ ، وَيُؤْخَذُ فِى الْحِسَابِ » .

فصلٌ

وقد نقَل القرطبىُّ عن بعضِهم[3] أنَّ الميزانَ له كِفَّتانِ عظيمتانِ ، لو وُضِعتِ السماواتُ والأرضُ فى كلِّ واحدةٍ منهما لَوَسِعتْها ، فأمَّا كِفَّةُ الحَسَناتِ فنورٌ ، وأمَّا الأُخْرَى فظُلْمةٌ ، وهو منصوبٌ بينَ يدَيِ العَرْشِ ، وعن يمينِه الجنَّةُ ، وكِفَّةُ النورِ مِن ناحيتِها ، وعن يسارِه جَهَنَّمُ ، وكِفَّةُ الظُّلمةِ مِن ناحيتِها .

قال[4] : وقد أنكَرَتِ المُعْتَزِلةُ الميزانَ ، وقالوا : الأعمالُ أعراضٌ لا جِرْمَ لَهَا ،

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٨/ ٢٢٢، ٢٢٣ (٧٧٨٠) . من طريق ابن وهب ، به .
(٢) بعده فى المعجم الكبير : « ثم يحثى حثيتين » .
(٣) التذكرة ٢/ ١١.
(٤) التذكرة ٢/ ١٠.

فكيفَ تُوزَنُ؟ قال[1] : وقد رُوِى عن ابنِ عبَّاسٍ : أنَّ اللَّهَ يخلُقُ الأعراضَ أجسامًا ، فتُوزَنُ . قال : والصحيحُ أنَّه تُوزَنُ كتُبُ الأعمالِ . قلتُ : قد تقدَّمَ ما يَدُلُّ على الأوَّلِ ، وعلى الثانى ، وعلى أنَّ العاملَ نفسَه يُوزَنُ مع عملِه[2] .

قال القرطبىُّ[3] : وقد رُوِى عن مجاهدٍ ، والضَّحّاكِ ، والأعمشِ ، أنَّ الميزانَ هُنا بمعنَى العَدْلِ والقضاءِ ، وذِكْرُ الوزنِ والميزانِ ضربُ مثلٍ ، كما يُقالُ : هذا الكلامُ فى وزنِ هذا .

قلت : لعلَّ هؤلاء إنَّما فسَّروا هذا عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧- ٩] . فهـهنا المرادُ بالميزانِ أنه تعالى وضَع العدلَ بينَ عبادِه ، وأمَر عبادَه أنْ يتعامَلوا به فيما بينَهم ، فأمَّا الميزانُ الموضوعُ يومَ القيامةِ فقد تواتَرت بذكرِه الأحاديثُ كما رأَيتَ ، وهو [٨٣ظ] ظاهرُ القرآنِ العظيمِ : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨] . ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٩] . وهذا إنَّما يكونُ لشىءٍ محسوسٍ .

قال القرطبىُّ[4] : فالميزانُ حَقٌّ ، ولَيْس هو فى حقِّ كلِّ أحدٍ ، بدليلِ قولِه تعالى : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١] . وقولِه ﷺ : « فَيَقُولُ اللَّهُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَبْوابِ »[5] .

---

(١) التذكرة ٢/ ١٠.

(٢) تقدم فى صفحة ٥٠٠ ، ٥٠١ .

(٣) التذكرة ٢/ ١١.

(٤) التذكرة ٢/ ٦.

(٥) البخارى (٤٧١٢) ، ومسلم (٣٢٧/ ١٩٤) .

قلت : وقد تواتَرتِ الأخبارُ فى السبعين ألفًا الذين يدخُلون الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ، لكِن يلزَمُ مِن هذا أنْ لا تُوزَنَ أعمالُهم ، وفى هذا نظرٌ ، واللَّهُ أعلمُ . وقد تُوزَنُ أعمالُ السُّعَداءِ ، وإن كانَتْ رَاجِحَةً ؛ لإظهارِ شَرَفِهم وفضلِهم على رُءُوسِ الأشهادِ ، والتنويهِ بسعادتِهم ونجاتِهم ، وإن كانوا لا حسابَ عليهم . وأمَّا الكفّارُ فتُوزَنُ أعمالُهم ، وإن لم يكُنْ لهم حَسَناتٌ تنفَعُهم يُقابَلُ بها كفرُهُم ، فإن حسناتِهم - ولو بلَغت ما بلَغت - لا تقابلُ كفرَهم ولا توازنُه ، وهى غيرُ نافعةٍ لهم ، فتوزنُ لإظهارِ شَقائِهم وتوبيخِهم وفَضيحتِهم على رُءوسِ الأشهادِ . وقد جاء فى الحديثِ : « إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ أَحَدًا حَسَنَةً ، أَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعِمُهُ بِحَسَنَاتِهِ فى الدُّنْيَا ، حَتَّى يُوافِيَ اللَّهَ وليس له حَسَنَةٌ يَجْزيه بِهَا »[1] .

وقد ذكَر القُرطبيُّ فى « التذكرةِ »[2] أنَّ الكافرَ قد يُوَافَى يومَ القيامةِ بِصدقةٍ وصلةِ رَحِمٍ وعِتْقٍ ، فيُخَفِّفُ اللَّهُ عنه بذلك مِن عذابِه ، واستشهَد بقَضِيَّةِ أبى طالبٍ حين جعَله اللَّهُ فى ضَحْضَاحٍ[3] مِن نارٍ يَغْلِى مِنه دِماغُه ، وفى هذا نظرٌ ؛ إذ قد يكونُ هذا خاصًّا به ؛ لأجلِ حِياطةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ونُصْرتِه له ، كما سُقِيَ[4] أبو لَهَبٍ فى النُّقرةِ التى هى فى ظَهْرِ الإبهامِ ، بسبَبِ عَتاقتِه ثُوَيْبَةَ التى أرضعَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ . واستدلَّ القُرطبيُّ على ذلك بعمومِ قولِه تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ الآية [الأنبياء : ٤٧] .

قلتُ : وقُصارَى هذه الآيةِ العمومُ ، فيُخَصُّ من ذلك الكافرون ، وقد سُئِل

---

(١) مسلم (٢٨٠٨) .

(٢) التذكرة ٢/ ١٠ .

(٣) الضحضاح : ما رقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار . النهاية ٣/ ٧٥ .

(٤) تقدم فى ٣/ ٤٠٧ .

رسولُ اللَّهِ ﷺ عن عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ ، وذُكِر له أنَّه كان يَقْرِى الضَّيْفَ ، ويُطعِمُ الجائعَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، ويُعْتِقُ ، فهل ينفعُه ذلك ؟ قال : « لَا ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ » . وفى روايةٍ : « لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ »[1] . وقال تعالَى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] . وقال عن أعمالِ الكفارِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[2] [النور : ٣٩] .

فصلٌ

قال القرْطُبِىُّ[3] وغيرُه : مَن ثَقُلَتْ حسَناتُه على سَيِّئاتِه ، ولو بصُؤَابَةٍ[4] دخَل الجنَّةَ ، ومَن كانَتْ سيِّئاتُه أَثْقلَ ولو بصُؤَابَةٍ دخَل النَّارَ ، إلَّا أنْ يَعْفُوَ اللَّهُ سبحانَه عنه ، ومَنِ استوَت حسَناتُه وسيِّئاتُه فهو مِن أهلِ الأَعْرَافِ . ورُوِىَ مثلُ هذا عن ابنِ مسعودٍ ، رضِى اللَّهُ عنه[5] .

قلت : يشهَدُ له قولُه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] . لكن ما الحكمُ فيمَن ثَقُلَتْ حسَناتُه على سيِّئاتِه بحَسَنةٍ أو بحَسناتٍ ؟ هل يدخُلُ الجنَّةَ فيرتفِعَ فى

---

(١) تقدم فى ٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوطة [٨٤و] .

(٣) التذكرة ٢/ ١٩، ٢٠.

(٤) الصؤابة : بيضة القمل والبرغوث . التاج (ص أ ب) .

(٥) زوائد الزهد لنعيم بن حماد (٤١١) . وانظر التذكرة ٢/ ٢٠.

درجاتِها بجميعِ حَسَناتِه ، وتكونَ قد أَحبطَتِ السّيئاتِ التى وازَنَتْها وقابَلَتها ؟ أو يرتفعَ بما بقِى له مِن الحسَناتِ الراجِحَةِ على السّيئاتِ ، وتكونَ السيئاتُ قد أسقطت ما وازَنَها مِن الحسناتِ ، فأبطلتها ؟ وكذلك إذا رجَحتْ سيّئاتُه على حسَناتِه بسيّئةٍ أو بسيّئاتٍ ، هل يُعذَّبُ فى النارِ بجميعِ سيئاتِه ، أو بما رجَح على حسَناتِه مِن سيّئاتِه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ذِكْرُ العرضِ على اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، يومَ القيامةِ، وتطايرِ الصحفِ، ومحاسبةِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، عبادَه

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٨- ٤٩]. وقال تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الزمر: ٦٩] إلى آخرِ السورةِ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ الآية. [الأنعام: ٩٤] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٢٨- ٣٠]، وقال تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ) . إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ ﴾ الآية [الأنعام ١٢٨ - ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ

---

(١) روى حفص عن عاصم: ﴿ ويوم يحشرهم ﴾ . بالياء. وقرأ الباقون بالنون. كتاب السبعة فى القراءات ص ٢٦٩.

خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]. والآياتُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا، وسيأتى فى كلِّ موطنٍ ما يتعلَّقُ به مِن آياتِ القرآنِ.

وتقدَّم[(١)] فى «صحيحِ البخاريِّ» عن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إِنَّكُمْ [٨٤ظ] مُلَاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾» [الأنبياء: ١٠٤]. وعن عائشةَ وأُمِّ سَلَمةَ وغيرِهما[(٢)] نحوُ ما تقدَّم.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا: حدَّثنا أبو نصرٍ التَّمَّارُ، حدَّثنا عُقبةُ[(٣)] الأَصَمُّ، عن الحسنِ، قال: سمِعتُ أبا موسى الأشعريَّ، يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ؛ فعَرْضَتَانِ جِدَالٌ ومَعَاذِيرُ، وعَرْضَةٌ تَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وحُوسِبَ حِسَابًا يَسِيرًا، دَخَل الْجَنَّةَ، وَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ دَخَل النَّارَ».

وقال الإمامُ أحمدُ[(٤)]: حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا علىُّ بنُ علىِّ بنِ رِفَاعةَ، عن الحسنِ، عن أبى موسى الأشعريِّ، قال: قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِندَهَا تَطِيرُ الصُّحُفُ فى الأَيْدِى، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وآخِذٌ بشِمَالِه». وكذا روَاه ابنُ ماجه، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ، عن وَكِيعٍ، به[(٥)].

---

(١) تقدم فى ١٩/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) انظر ما تقدم فى ١٩/ ٣٧١- ٣٧٦.

(٣) بعده فى الأصل: «بن». وهو عقبة بن عبد الله الأصم الرفاعى العبدى البصرى. تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٠٥.

(٤) المسند ٤/ ٤١٤ (١٩٧٣٠).

(٥) سنن ابن ماجه (٤٢٧٧). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٢).

والعجبُ أنَّ الترمذيَّ روَى هذا الحديثَ عن أبى كُريبٍ ، عن وكيعٍ ، عن عليِّ بنِ عليٍّ ، عن الحسنِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، فذكَر مثلَه[1] ، ثمَّ قال الترمذيُّ : ولا يصِحُّ هذا ؛ مِن قِبَلِ أَنَّ الحسنَ لم يَسْمَعْ من أبى هريرةَ . قال : وقد روَاه بعضُهم عن عليِّ بنِ عليٍّ ، عنِ الحسنِ ، عن أبى موسى ، عن النبيِّ ﷺ .

[2]**قلتُ** : الحسنُ قد رَوَى له البخاريُّ عن أبى هريرةَ مقرونًا بغيرِه[2] .

وقد وقَع فى « مسندِ الإمامِ أحمدَ » التصريحُ بسماعِ الحسنِ مِن أبى هريرةَ[3] ، فاللَّهُ أعلمُ . وقد يكونُ الحديثُ عندَه[4] عن أبى موسى ، وأبى هريرةَ ، واللَّهُ أعلمُ .

وأما الحافظُ البَيْهَقِيُّ فروَاه مِن طريقِ مَرْوانَ الأصفرِ[5] ، عن أبى وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، مِن قولِه مثلَه سواءً . وقد روَى ابنُ أبى الدُّنيا عن ابنِ المباركِ

---

(١) الترمذى (٢٤٢٥) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٢٦) .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

وقد روى البخارى للحسن مقرونا بمحمد بن سيرين عن أبى هريرة فى صحيحه (٣٣٢١، ٤٧٩٩) .

(٣) المسند ٢/٣٦٢ (٨٧٢٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف .... والحسن لم يسمع من أبى هريرة . المسند ١٤/ ٣٥٥.

وانظر فى سماع الحسن البصرى من أبى هريرة . المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ١٢/١٠٧ - ١١٨، والمسند بتحقيق الشيخ شعيب ١٥/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) أى : الترمذى .

(٥) فى ص : « الأصغر » . وكذا جاء فى بعض مصادر ترجمته ، وصوابه ما أثبتنا ؛ انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٤١٠، ونزهة الألباب ١/ ٧٩.

وقال الحافظ فى الفتح ١١/ ٤٠٣: أخرجه البيهقى فى « البعث » بسند حسن عن عبد اللَّه بن مسعود موقوفًا . وقد أخرجه موقوفًا عن ابن مسعود ابن المبارك فى الزهد (٣٩٥) ، وأخرجه ابن جرير فى التفسير ٢٩/٥٩ من طريق مروان به ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٦١، وعزاه إلى البيهقى فى البعث والنشور .

أنَّهُ أنشَد فى ذلك شعرًا :

وَطارَتِ الصُّحْفُ فى الْأَيْدِى مُنَشَّرَةً ... فِيهَا السَّرَائِرُ (١ والجبارُ مُطَّلِعُ ١)
فَكَيْفَ سَهْوُكَ والأَنْباءُ واقِعَةٌ ... عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِى بِمَا تَقَعُ
إمّا الْجِنَانُ وفَوْزٌ لَا انْقِطاعَ لَهُ ... أو الْجَحِيمُ فَلَا تُبْقِى ولَا تَدَعُ
تَهْوِى بِسَاكِنِها طَوْرًا وتَرْفَعُهُمْ ... إذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّها قُمِعُوا
طَالَ البُكَاءُ فَلَمْ يَرْحَمْ تَضَرُّعَهُمْ ... فِيهَا وَلَا رِقَّةٌ تُغْنِى وَلَا جَزَعُ
لَينفَعُ العِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمَهُ ... قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

وقد قال اللَّهُ تعالى فى كتابِه العزيزِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٦- ١٥] .

قال البخارىُّ فى « صحيحِه »(٢) : حدَّثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، حدَّثنا حاتمُ بنُ أبى صَغِيرَةَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى مُلَيْكةَ ، حدَّثنى القاسمُ ابنُ محمدٍ ، حدَّثَتنى عائشةُ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلَّا هَلَكَ » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أليس قَدْ قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٧، ٨] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلَّا

(١ - ١) فى ص : « والأبصار تطلع » .
(٢) البخارى (٦٥٣٧) .

عُذِّبَ » . أشار إلى أنّ اللهَ تعالى لو ناقَشَ العبادَ فى حسابِهِ لهم ، لَعَذَّبَهم كلَّهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم ، ولكنَّه تعالى يعفو ويصفَحُ ويغفِرُ ، ويستُرُ فى الدُّنيا والآخرةِ ، كما فى حديثِ ابنِ عمرَ فى النَّجوَى[1] : « يُدْنِى اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، ثُمَّ يُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ ، حَتَّى إذا ظَنَّ أنَّه قَدْ هَلَكَ ، قال اللَّهُ تعالى : إنِّى قد سَتَرْتُها عَلَيكَ فِى الدُّنْيَا ، وأَنَا أَغْفِرُها لَكَ اليَوْمَ »[2] .

فصلٌ : قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ [٨٥ظ] ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الآيات [الواقعة : ٦- ١٢] . فإذا نُصِب كُرسىُّ فَصْلِ القضاءِ انماز الكافرون عن المؤمنين فى المَوْقفِ إلى ناحِيَةِ الشِّمالِ ، وبقِىَ المؤمنون عن يمينِ العَرْشِ ، ومِنهم مَن يكونُ بينَ يديه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ الآية [يونس : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] . فالخلقُ كلُّهم قيامٌ لربِّ العالمين بينَ يَدَيْهِ ، والعَرقُ قد غَمَر أكثرَهم ، وبلَغ الجَهدُ منهم كلَّ مَبْلَغٍ ، والناسُ فيه بِحَسبِ الأعمالِ ، كما تقدَّم فى الأحاديثِ ، خاضعينَ ، صامتين ، لا يتكلَّمُ أحدٌ إلا بإذنِه تعالى ، ولا يتكلَّمُ يومَئذٍ إلَّا الأنبياءُ والرُّسلُ ، حولَهم أُمَمُهم ، وكِتَابُ الأعمالِ قد اشتمَل على عملِ الأوَّلين والآخِرين ، موضوعٌ لا يُغادِرُ

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٩/ ٤٩٤.

(٢) بعده فى الأصل زيادة كبيرة يتخللها رقم المخطوط [٨٥و] .

صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا أحصاها، ممّا كان يعملُ الخلقُ وأحصاه اللَّهُ ونسُوه، وكَتبتْه عليهم الحَفَظَةُ، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٣- ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]. قال الحسنُ البصريُّ: لقد أنصَفَك يا بنَ آدمَ، مَن جَعَلك حسيبَ نفسِك. والميزانُ منصوبٌ لوزْنِ أعمالِ الخيرِ والشرِّ، والصراطُ قد مُدَّ على متنِ جَهنَّمَ، والملائِكةُ مُحْدِقُونَ ببنى آدمَ وبالجنِّ، وقد بُرِّزتِ الجحيمُ، وأُزلِفت دارُ النعيمِ، وتجلَّى الربُّ سُبحانَه لفصلِ القضاءِ بينَ عبادِه، وأشرَقتِ الأرضُ بنُورِ رَبِّها، وقُرِئتِ الصحفُ، وشَهِدَت على بنى آدمَ الملائِكةُ بما فعَلوا، والأرضُ بما عمِلوا على ظهرِها، فمَن اعترَف مِنهم، وإلا خُتِمَ على فِيه، ونَطَقَتْ جَوارِحُه بما عمِل بها فى أوقاتِ عملِه، مِن لَيْلٍ أو نَهارٍ.

وقال تعالى عن الأرضِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الآيات إلى قولِه: ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩- ٢٣]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤، ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٥- ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١١، ١١٢] . أى لا يُنْقَصُ مِن حسناتِه شىءٌ ، وهو الهَضْمُ ، ولا يُحمَلُ عليه من سيِّئاتِ غيرِه ، وهو الظُّلْمُ .

فصــلٌ

فَأَوَّلُ مَا يَقْضِى اللَّهُ تَعالَى بَيْنَهم مِن المخلوقاتِ الحيواناتُ ، قبلَ الإنسِ والجنِّ ، وهما الثَّقَلَانِ ؛ فالإنسُ ثَقَلٌ والجِنُّ ثَقَلٌ ، والدليلُ على حَشْرِ الحيواناتِ يومَ القيامةِ قولُه تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[(١)] : حدَّثنا عباسُ بنُ محمدٍ ، وأبو يحيى البزَّازُ[(٢)] ، قالا : حدَّثنا حجَّاجُ بنُ نُصيرٍ ، حدَّثنا شُعبَةُ ، عن العوّامِ بنِ مُرَاجِمٍ[(٣)] ، مِن بنى قيسِ بنِ ثَعْلبةَ ، عن أبى عُثْمانَ النَّهْدِىِّ ، عن عثمانَ بنِ عفّانَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ الْجَمَّاءَ لَتُقَصُّ[(٤)] مِنَ الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٥)] : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، عن شُعْبَةَ : سمِعتُ العَلاءَ يُحَدِّثُ عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) المسند ١/٧٢ (٥٢٠) . والحديث من زيادات عبد اللَّه بن أحمد على المسند ، قال الشيخ شعيب : حسن لغيره ، وهذا إسناده ضعيف ، حجاج بن نصير الفساطيطى ضعفه ابن سعد ، وابن معين ، وابن المدينى ، وأبو حاتم والبخارى والنسائى وأبو داود والدارقطنى وأبو أحمد الحاكم . المسند ١/ ٥٤٢.

(٢) فى النسخ : « البزار » . والمثبت من المسند ، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥.

(٣) فى النسخ : « مزاحم » . والمثبت من المسند ، وانظر الإكمال ٧/ ٢٤١.

(٤) فى ح : « لتقتص » . وهو موافق لإحدى نسخ المسند . انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ١/٥٤٢ الحاشية (٢) . والجماء : التى لا قرن لها ، وتقص : تُمكَّن من أخذ القِصاص .

(٥) المسند ٢/٢٣٥ (٧٢٠٣) قال الشيخ أحمد شاكر : إسناداه صحيحان . المسند ١٢/ ١٩٣.

« لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ تَنْطَحُهَا » . وهذا إسنادٌ على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجوه .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، عن واصلٍ ، عن يحيى بنِ عُقيلٍ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « [(٢)] يُقْتَصُّ لِلْخَلْقِ [(٢)] بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، حَتَّى لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ ، وَحتَّى لِلذَّرَّةِ[(٣)] مِنَ الذَّرَّةِ » . تفرَّد به أحمدُ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[(٤)] : وجَدْتُ هذَا الحديثَ فى كتابِ أبى بخَطِّ يدِه : حدَّثنا [(٥)] عُبيدُ اللَّهِ [(٥)] بنُ محمدٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا لَيْثٌ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ثَرْوانَ[(٦)] ، عن الهُزَيْلِ بنِ شُرَحْبيلَ ، عن أبى ذَرٍّ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان جالسًا [٨٦و] وشاتانِ تَعْتَلِفانِ[(٧)] ، فنطَحتْ إحداهما الأخرى ، فأَجْهَضَتْها ، قال : فضَحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقيل له : ما يُضحِكُك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « عَجِبْتُ لَهَا ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيدِه لَيُقَادَنَّ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٨)] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن سليمانَ ،

---

(١) المسند ٢/٣٦٣ (٨٧٤١) . قال الشيخ شعيب : صحيح دون قوله : « وحتى للذرة من الذرة » ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٤/ ٣٦٥.

(٢ - ٢) فى الأصل : « يقص الخلق » ، وفى ح ، والمسند : « يقتص الخلق » .

(٣) فى المسند : « الذرة » . والذرة : واحدة الذرّ ، وهو النمل الأحمر الصغير . النهاية ٢/ ١٥٧.

(٤) المسند ٥/ ١٧٢، ١٧٣ (٢١٥٥٠) . وهو فى كشف الأستار (٣٤٥٠) من طريق حماد بن سلمة ، به .

قال الهيثمى : وفيها - أى فى الرواية - ليث بن أبى سُليم ، وهو مدلس ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ، غير شيخه ابن عائشة ، وهو ثقة . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢.

(٥ - ٥) فى النسخ : « عبد الله » . والمثبت من المسند ، وانظر أطراف المسند ٦/ ١٩٤، وتهذيب الكمال ١٩/ ١٤٧.

(٦) فى ص ، والمسند ، وأطراف المسند ٦/ ١٩٤: « مروان » . وانظر تكملة الإكمال ١/ ٥٣٣، وتهذيب الكمال ١٧/ ٢٠.

(٧) فى ح : « يعتلفا » ، وفى المسند : « تقترنان » .

(٨) المسند ٥/١٦٢ (٢١٤٧٦) . قال الهيثمى : فيها - أى فى هذه الرواية - راوٍ لم يسم ، ورجالها رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢.

هو الأعمشُ، عن مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، عن [1]أشياخٍ لهم[1]، عن أبى ذَرٍّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ (ح) وأبو معاويةَ، حدَّثنا الأعمشُ، عن منذِرِ بنِ يَعْلَى، عن أشياخِه[2]، عن أبى ذَرٍّ، فذكَر معناه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِى فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟» قال: لا. قال: «لَكِنَّ اللَّهَ تعالى يَدْرِى، وَسَيَقْضِى بَيْنَهُمَا». وهذا إسنادٌ جيدٌ حسنٌ. قال القرطبيُّ[3]: ورواه شعبةُ، عن الأعمشِ، عن إبراهيمَ التيميِّ، عن أبيه، عن أبى ذَرٍّ، عن النبيِّ ﷺ، بمثلِه.

قال القرطبيُّ[4]: وروَى لَيْثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ثَرْوانَ[5]، عن الهُزَيْلِ، عن أبى ذَرٍّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بشاتَيْنِ تنْتطِحان، فقال: «[6]لَيَقْضِيَنَّ اللَّهُ[6] يَوْمَ الْقِيَامةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ[7] مِنْ هَذِهِ الْقَرْنَاءِ». قال: وذكَر ابنُ وَهْبٍ، عن ابنِ لَهِيعةَ، وعمرِو بنِ الحارثِ، عن بكرِ بنِ سَوادةَ، أن أبا سالمٍ الْجَيْشانيَّ حدَّثه أنَّ ثابتَ بنَ طَرِيفٍ اسْتَأْذن على أبى ذَرٍّ، فسمِعه رافعًا صوتَه، يقولُ: أمَا واللَّهِ لولا يومُ الخصومةِ لَسَوَّأْتُكِ[8]. فَدَخَلْتُ، فقلتُ: ما شأْنُكَ يا أبا ذَرٍّ؟ فقال: هذه. قلتُ: وما عليكَ أنْ تَضْرِبَها؟ فقال: أَمَا والذى نَفْسِى بيدِه - أو قال: والذى نفسُ محمَّدٍ بيدِه - لَتُسْأَلَنَّ الشاةُ فَيمَ نطَحَتْ صاحِبتَها، ولَيُسْأَلَنَّ الْجَمادُ فِيمَ نكَب[9] أُصْبُعَ الرجلِ.

(١ - ١) كذا فى النسخ والمسند، ولعل الصواب: «أشياخه»، وهو ما سيوضحه السياق، أو لعله: «أشياخ التيم». وانظر الأهوال (٢٢٣)، وأطراف المسند ٦/ ٢١٠.

(٢) فى المسند: «أشياخ له».

(٣) التذكرة ١/ ٥٣٥.

(٤) المصدر السابق ١/ ٥٣٤.

(٥) فى النسخ، والتذكرة: «مروان». وانظر الحاشية (٦) فى الصفحة السابقة.

(٦ - ٦) فى الأصل: «ليقتصن»، وفى ح: «ليقتص».

(٧) الجلحاء: التى لا قرن لها. النهاية ١/ ٢٨٤.

(٨) فى ح: «لضربتك».

(٩) نكب: أصاب.

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثنا دَرَّاجٌ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أَبى سعيدٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنَّهُ لَيَخْتَصِمُ [2]الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى الشَّاتَانِ[2] فِيمَا انْتَطَحَتَا » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، حدَّثنا أبو حيَّانَ ، عن أبى زُرْعةَ بنِ عمرِو بنِ جريرٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا ، فذكَر الغُلُولَ فعَظَّمَه وعَظَّمَ أمرَه ، ثمَّ قال : « لَا أُلْفِيَنَّ[4] [5]أَحَدَكُمْ يَجِىءُ[5] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ[6] ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغِثْنِى . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ . لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ[7] ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغِثْنِى . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ . لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ[8] فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغِثْنِى . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ . لَا أُلْفِيَنَّ

---

(١) المسند ٣/٢٩ (١١٢٥٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١٧/ ٣٣٨.

(٢ - ٢) فى ص ، والمسند : « حتى الشاتان » .

(٣) المسند ٢/٤٢٦ (٩٤٩٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٥/ ٣٠٧.

(٤) فى ح : « لا ألقين » ، وفى ص : « لألقين » . وفى المسند المطبوع : « لأ لفين » وكذا فى المواضع التالية . قال ابن حجر : قوله : « لا ألفين » . بضم أوله وبالفاء . أى لا أجد ، هكذا الرواية للأكثر بلفظ النفى المؤكد والمراد به النهى ، وبالفاء ، وكذا عند الحموى والمستملى ، لكن رُوى بفتح الهمزة وبالقاف من اللقاء ، وكذا لبعض رواة مسلم ، والمعنى قريب . ومنهم من حذف الألف على أن اللام للقسم وفى توجيهه تكلف ، والمعروف أنه بلفظ النفى المراد به النهى ، وهو وإن كان من نهى المرء نفسه ، فليس المراد ظاهره ، وإنما نهى من يخاطبه عن ذلك وهو أبلغ . الفتح ٦/ ١٨٦.

(٥ - ٥) فى المسند : « يجىء أحدكم » . وكذا فى المواضع التالية .

(٦) الرغاء : صوت الإبل . النهاية ٢/ ٢٤٠.

(٧) الثغاء : صياح الغنم . النهاية ١/ ٢١٤.

(٨) الحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل . النهاية ١/ ٤٣٦.

أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغِثْنِى . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ . [1]لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ [2]رِقَاعٌ تَخْفِقُ[2] ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغِثْنِى . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شيئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ[1] . [3]لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ[4] ، فيقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَغِثْنِى . فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ »[3] . وأَخْرَجَاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ أبى حَيّانَ ، واسمُه يحيَى ابنُ سعيدِ بنِ حيَّانَ التَّيْمِىُّ ، به[5] .

وتقدَّم[6] فى حديثِ أبى هريرةَ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّى زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرْقَرٍ ، فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا » . وذكرَ تمامَ الحديثِ فى البقرِ والغنمِ . فهذه الأحاديثُ مع الآياتِ فيها دَلالةٌ على حشرِ الحيواناتِ كُلِّها .

وتقدَّم[7] فى حديثِ الصُّورِ : « فَيَقْضِى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ؛ الْإِنْسَ والْجِنَّ ، فَيَقْضِى بَيْنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ ، حَتَّى إِنَّه لَيُقِيدُ الْجَمَّاءَ مِنْ ذاتِ الْقَرْنِ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَبْقَ لِوَاحِدَةٍ تَبِعَةٌ عَنْدَ أُخْرَى ، قَالَ اللَّهُ تعالى لَهَا : كُونِى تُرَابًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢ - ٢) فى الأصل : « صامت » . والمثبت من المسند . أراد بالرقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة فى الرقاع . وخفوقها حركتها النهاية ٢/ ٢٥١.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح .

(٤) صامت : يعنى الذهب والفضة . النهاية ٣/ ٥٢.

(٥) البخارى (٣٠٧٣) ، ومسلم (٢٤، ١٨٣١/٢٥) .

(٦) تقدم فى ١٩/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٧) تقدم فى ١٩/ ٣١٧.

تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وقد قال ابنُ أبى الدنيا[1]: حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثنا سيَّارٌ، أنبأنا جعفرُ بنُ سليمانَ: سَمِعْتُ أبا عِمْرانَ الجَونىَّ يَقُولُ: حُدِّثْتُ أَنَّ البهائِمَ إذا رأَتْ بنى آدمَ يَوْمَ القيامةِ وقد تَصَدَّعُوا مِن بينِ يَدَيِ اللَّهِ عز وجل؛ صِنْفًا إلى الْجَنَّةِ، وصِنْفًا إلى [٨٦ظ] النارِ، أنَّ البَهائِمَ تُنَادِيهم: الْحَمْدُ للَّهِ يا بنى آدمَ، الذى لم يَجْعَلْنا اليومَ مِثْلَكُمْ، فلا جَنَّةَ نرجُو، ولا عِقابَ نخافُ.

وذكَر القرطبىُّ[2]، عن أبى القاسمِ القُشَيْرِىِّ فى «شرحِ الأسماءِ الْحُسْنَى» عندَ قولِه: المُقْسِطُ الْجَامِعُ. قال: وفى خبرِ الوحوشِ والبهائمِ، تُحْشَرُ يومَ القيامةِ فتَسْجُدُ للَّهِ سَجْدةً، فتقولُ الملائكةُ: ليس هذا يومَ سجودٍ، هذا يومُ الثوابِ والعقابِ. فتقولُ البهائمُ: هذا سجودُ شكرٍ؛ حيثُ لم يَجْعَلْنا اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، مِن بنى آدمَ. قال: ويقالُ: إنَّ الملائكةَ تقولُ للبهائمِ: إنَّ اللَّهَ لم يَحْشُرْكم لثوابٍ ولا لعقابٍ، وإنَّما حشَركم تَشْهَدُون[3] فضَائِحَ بنى آدمَ.

وحكَى القرطبىُّ[4] أنَّها إذا حُشِرَتْ وحُوسِبَتْ تعودُ تُرابًا، ثم يُحْثَى بها فى وجوهِ فَجرَةِ بنى آدمَ، قال: وذلك قولُه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠]. واللَّهُ سبحانَه أعلمُ، وفيما ذكَره نظرٌ.

---

(١) الأهوال (٢٢٧).
(٢) التذكرة ١/ ٥٣٥، ٥٣٦.
(٣) فى الأصل: «لتشهدوا».
(٤) التذكرة ١/ ٥٢٩.

فَصْلٌ

قال فى حديثِ الصورِ[1] : « ثُمَّ يَقْضِى اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَقْضِى فِيهِ الدِّمَاءُ » . وهذا هو الواقعُ يومَ القيامةِ ، وهو أنَّه بعدَ أن يَفْرُغَ اللَّهُ سبحانَه مِن الفصلِ بينَ البهائمِ ، يَشْرَعُ فى القضاءِ بينَ العبادِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٤٧] .

ويكونُ أولَ الأممِ يَقْضِى بينَهم هذه الأمَّةُ ؛ لشرفِ نَبِيِّها ﷺ وفضلِها ، كما أنَّهم أولُ مَن يَجُوزُ على الصِّراطِ ، وأوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، كما ثبَت فى « الصَّحِيحَيْنِ »[2] مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفى روايةٍ[3] : « الْمَقْضِىُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ » .

وقال ابنُ ماجه[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ يحيَى ، حدَّثنا أبو سَلَمةَ ، حدَّثنا[5] حمَّادُ[6] بنُ سَلَمَةَ ، عن سعيدِ بنِ إياسٍ الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ ، يُقَالُ : أَيْنَ

---

(١) تقدم فى ١٩/ ٣١٧.

(٢) البخارى (٦٦٢٤، ٧٠٣٦) ، ومسلم (٢١/ ٨٥٥) .

(٣) مسلم (٢٢/ ٨٥٦) .

(٤) ابن ماجه (٤٢٩٠) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٦٣) .

(٥) ليس فى سنن ابن ماجه . وأبو سلمة هو موسى بن إسماعيل البصرى التبوذكى . وانظر تحفة الأشراف ٥/ ٢٥٠، ومصباح الزجاجة ٣/ ٣١٧.

(٦) فى النسخ : « عمار » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر المصدرين السابقين .

الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا ؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ » .

ذِكْرُ أَوَّلِ ما يُقْضَى بينَ الناسِ فيه يومَ القيامةِ وَمَن يُناقَشُ فى الحسابِ، ومَن يُسامَحُ فيه

قد تقدَّم[1] فى الحديثِ : « لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ » . وفى حديثِ أبى هريرةَ[1] : « وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ » . والمرادُ بالذَّرةِ هٰهنا النملةُ ، واللَّهُ أَعْلَمُ .

وإذا كان هذا حكمَ الحيواناتِ التى ليست مُكلَّفةً ، فَلَتَخْلِيصُ الْحُقوقِ مِن الآدميِّين والجانِّ بعضِهم مِن بعضٍ يومَ القيامةِ أولَى وأَحْرَى ، وقد ثبَت فى « الصَّحِيحَيْنِ » ، و « مُسندِ أحمدَ » ، و « سننِ التِّرْمذىِّ » ، و « النَّسائِىِّ » ، و« ابنِ ماجه »[2] ، مِن حديثِ سليمانَ بنِ مِهْرانَ الأَعمشِ ، عن أبى وائلٍ شَقيقِ بنِ سَلَمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى الدِّمَاءِ » .

وقد تقدَّم[3] فى حديثِ الصُّورِ أنَّ المقتولَ يَأْتِى يومَ القيامةِ تَشْخُبُ أَوْدَاجُه

---

(١) تقدم فى صفحة ١٢.

(٢) البخارى (٦٥٣٣، ٦٨٦٤) ، ومسلم (١٦٧٨/٢٨) ، والمسند ٣٨٨/١ (٣٦٧٤) ، و١/ ٤٤٠، ٤٤١ (٤٢٠٠) ، و ٤٤٢/١ (٤٢١٣ ، ٤٢١٤) ، والترمذى (١٣٩٦، ١٣٩٧) ، والنسائى فى الكبرى (٣٤٥٤، ٣٤٥٥) ، والمجتبى (٤٠٠٣) ، وابن ماجه (٢٦١٥) .

(٣) تقدم فى ٣١٧/١٩، ٣١٨.

دَمًا - وفى بعضِ الأحاديثِ[1] : « وَرَأْسُهُ فِى يَدِهِ » - فَيَتَعَلَّقُ بِالْقَاتِلِ ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ قَتَلَهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِى ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : لِمَ [2]قَتَلْتَه[2] ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ : قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ . فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى : صَدَقْتَ . وَيَقُولُ الْمَقْتُولُ ظُلْمًا : ياربِّ ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِى ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى : لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ فَيَقُولُ : قَتَلْتُه لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِى - وفى روايةٍ[3] : « لِتَكُونَ العِزَّةُ لفُلَانٍ » - فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : تَعِسْتَ . ثُمَّ يَقْتَصُّ مِنْهُ لِكُلِّ مَنْ قَتَلَهُ ظُلْمًا ، ثُمَّ يَبْقَى فِى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ . وهذا دليلٌ على أنَّ القاتلَ لا يَتَعَيَّنُ[4] عذابُه فى نارِ جَهَنَّمَ[5] ، كما يُنْقَلُ عن ابنِ عباسٍ ، وغيرِه مِن السَّلفِ ، حتَّى نَقَل بعضُهم عنه[6] : أنَّ القاتلَ لا تَوْبَةَ له . وهذا إذا حُمِل على أنَّ القتلَ مِن حقوقِ الآدَمِيِّين - وهى لا تَسْقُطُ بالتوبةِ - صحيحٌ ، وإنْ حُمِلَ على أنَّه لابدَّ مِن عِقابِه فليس بلازمٍ ، بدليلِ حديثِ الذى قتَل تِسْعَةً وتسعِينَ ، ثُمَّ أكمَل المائةَ ، ثم سأَل عالِمًا مِنْ بنى إسرائيلَ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ ائْتِ بَلَدَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّهُ يُعْبَدُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا [7]فَاعْبُدِ اللَّه مَعَهُمْ[7] . فَلَمَّا تَوَجَّهَ نَحْوَهَا ، وتَوَسَّطَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّتِى خَرَجَ مِنْهَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ ، فَنَأَى[8] بِصَدْرِهِ نَحْوَ الَّتِى هَاجَرَ إِلَيْهَا ، فَتَوَفَّتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ . الحديثَ بطولِه[9] ، وفى سورةِ « الفرقانِ » نصٌّ

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذى فى سننه (٣٠٢٩) .

(٢ - ٢) فى ص : « قتلت هذا » .

(٣) أخرجها النسائى فى المجتبى (٤٠٠٨) .

(٤) فى ح : « يتيقن » .

(٥) بعده فى ح : « فضلا عن خلوده فيها أبدًا » .

(٦) مسلم ١٩/ ٣٠٢٣، وتفسير الطبرى ٥/ ٢١٨، وانظر تفسير المصنف ٢/ ٣٣٢، ٣٣٣.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) فى ص : « فتاب » . قال النووى : نأى بصدره أى نهض ويجوز تقديم الألف على الهمزة - أى أناء - وعكسه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ٨٤.

(٩) البخارى (٣٤٧٠) ، ومسلم (٢٧٦٦) .

على قَبولِ تَوْبةِ القاتلِ ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ [٨٧و] وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ الآية [الفرقان: ٦٨- ٧٠] والتى بعدَها ، وموضعُ تقريرِ هذا فى كتابِ « الأحكامِ » ، وباللَّهِ المستعانُ .

وقال الأعمشُ[(١)] ، عن شَمِرِ بنِ عَطِيَّةَ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، [(٢)]عن أمِّ الدرداءِ[(٢)] ، عن أبى الدرداءِ ، قال : يَجىءُ الْمَقتولُ يومَ القيامةِ ، فيجلِسُ على الْجَادَّةِ[(٣)] ، فإذا مَرَّ به القاتلُ قام إليه ، فأخَذ بتَلَابيبِه[(٤)] فقال : ياربِّ ، سَلْ هذا فيمَ قتَلنى ؟ فيقولُ : أمرَنى فلانٌ . فيؤخَذُ الآمِرُ والقاتِلُ ، فيُلقيَانِ فى النارِ . [(٥)]وعن ابنِ مسعودٍ قال[(٦)] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَخَرابُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ - وفى روايةٍ : لَزَوالُ الدُّنْيَا - أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ »[(٥)] .

وقال فى حديثِ الصورِ[(٧)] : « ثُمَّ يَقْضِى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ ، حَتَّى لَا تَبقَى مَظْلِمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إلا أخَذها منه ، حَتَّى إنَّهُ لَيُكَلِّفُ شَائِبَ اللَّبَنِ بالْمَاءِ ثُمَّ يَبِيعُهُ ، أَنْ يُخَلِّصَ اللَّبَنَ مِنَ الْمَاءِ » . وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٥٣٢٩) من طريق الأعمش به بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣٥٢/٣٥ .

(٣) الجادة : هى سواء الطريق ووسطه . وقيل : هى الطريق الأعظم التى تجمع الطريق ولابد من المرور عليها . النهاية ١/ ٢٤٥.

(٤) يقال : لبَّبه وأخذ بتَلْبيبه وتلابيبه إذا جمعتَ ثيابه عند صدره ونحره ثم جررته ، وكذلك إذا جعلتَ فى عنقه حبلا أو ثوبا ثم أمسكته به . والمتلَبّب : موضع القلادة . النهاية ١/ ١٩٣.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) شعب الإيمان (٥٣٤١) بنحوه .

(٧) تقدم فى ١٩/ ٣١٨.

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، وفى «الصحيحين»[(١)] عن سعيدِ بنِ زيدٍ، وغيرِه، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ أَرْضٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

وفى «الصحيحين»[(٢)]: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً [(٣)]فِى الدُّنْيَا[(٣)] كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنافِخٍ»، وفى روايةٍ[(٤)]: [(٥)]«إِنَّ أَصْحابَ هَذِه الصُّوَرِ[(٥)] يُعَذَّبُونَ، ويُقالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خلَقْتُم».

وفى «الصحيحِ»[(٦)]: «مَنْ تَحَلَّمَ بحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ يَوْمَ القِيامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وليس بفاعلٍ». وتقدَّم حديثُ أبى هريرةَ[(٧)] فى أمرِ الغُلولِ، وأنَّ مَن غَلَّ شيئًا جاء بهِ يومَ القيامةِ يَحْمِلُه عَلَى عُنُقِه، وهو فى «الصحيحين» بطولِه[(٨)].

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[(٩)]: حدَّثنا محمدُ بنُ بَكَّارٍ البَصْرِىُّ، ثنا أبو مِحْصَنٍ حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ، عن حُسَيْنِ بنِ قَيْسٍ، عن عطاءٍ، عن ابنِ عمرَ، عن ابنِ مسعودٍ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ حتَّى يُسْأَلَ عَنْ

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤٥٢، ٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد. وأخرجه البخارى (٢٤٥٣، ٣١٩٥)، ومسلم (١٦١٢) من حديث عائشة، وأخرجه مسلم (١٦١١) من حديث أبى هريرة.

(٢) البخارى (٥٩٦٣)، ومسلم (١٠٠/٢١١٠).

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من مصدرى التخريج.

(٤) البخارى (٥٩٦١)، ومسلم (٩٦/٢١٠٧، ٢١٠٨).

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) البخارى (٧٠٤٢).

(٧) تقدم فى صفحة ١٤.

(٨) البخارى (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٩) مسند أبى يعلى (٥٢٧١).

خَمْسٍ : [1] عَنْ عُمُرِكَ فِيما أَفْنَيْتَ ؟ وَعَنْ شَبَابِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَ ؟ وَعَنْ مَالِكَ ؛ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ ؟ وَفِيما أَنْفَقْتَهُ [1] ؟ وَما عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ » ؟ . وروَى البيهقيُّ مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارِكِ ، عن شريكِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن هلالٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُكَيْمٍ ، قال : كان عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ إذا حدّث بهذا الحديثِ قال [2] : ما مِنكُمْ مِن أحدٍ إلَّا سيخلو اللَّهُ به ، كما يَخْلُو أحَدُكم بالقمرِ ليلةَ البَدْرِ ، فيقولُ : يَا عَبْدِى ، مَا غَرَّك بِى ؟ مَاذَا عَمِلْتَ فِيما عَلِمْتَ ؟ مَاذَا أَجَبْتَ المُرْسَلِينَ ؟

هكذا أورَده البيهقيُّ بعدَ الحديثِ الذى روَاه [3] مِن طريقِ مُحِلِّ بنِ خَلِيفَةَ ، عن عدىِّ بنِ حاتمٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال : « وَلَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ ، وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا ؟ فَيَقُولُ : بَلَى . فَيَقُولُ : أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا ؟ فَيَقُولُ : بَلَى . فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِه فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ، فَلْيَتَّقِ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » وقد رواه البخاريُّ فى « صحيحِه » [4] .

وقال الإمامُ أحمدُ [5] : حدَّثَنا بَهْزٌ ، وعفّانُ ، قالا : حدَّثنا همّامٌ ، عن قَتادةَ ، عن صفوانَ بنِ مُحْرِزٍ ، قال : كنتُ آخِذًا بيدِ ابنِ عمرَ ، [6] فجاءَه رجلٌ [6] فقال : كيف سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى النَّجوى [٨٧ظ] يومَ القيامةِ ؟ فقال : سمِعتُ

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه » .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠٤/٩ (٨٩٠٠) ، والأوسط (٤٥٢) من طريق شريك به بنحوه . وفى الأوسط مرفوعا .

وقال الهيثمى : رجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة ، وفيه ضعف . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٧.

(٣) الأسماء والصفات ص ٢١٨.

(٤) البخارى (١٤١٣، ٣٥٩٥) .

(٥) المسند ٧٤/٢ (٥٤٣٦) .

(٦ - ٦) فى المسند : « إذ عرض له رجل » .

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ اللَّهَ سبحانَه يُدْنِى المُؤْمِنَ ، فيَضَعُ عَلَيْهِ كنَفَهُ ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَيُقَرِّرُه بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ حتَّى إِذَا قَرَّرهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّه قَدْ هَلَكَ ، قَال : فإِنِّى قَدْ سَتَرْتُها عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا ، وإِنِّى أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ . ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِه بِيَمِينِهِ ، وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ فـ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] وأخرجاه فى « الصحيحين »[(١)] مِن حديثِ قتادةَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : حدَّثنا بَهْزٌ وعَفّانُ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، حدَّثنا[(٣)] إسحاقُ ابنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ[(٤)] ، يَوْمَ القِيَامَةِ : يَا بْنَ آدَمَ[(٥)] ، حَمَلْتُكَ عَلَى الخَيْلِ ، والإِبِلِ ، وَزَوَّجْتُكَ النِّساءَ ، وجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَرْأَسُ ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ » ؟ .

وروَى مُسلمٌ[(٦)] مِن حديثِ سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ فى حديثٍ طويلٍ قال فيه : « فَيَلْقَى اللَّهُ تعالى العَبْدَ فَيَقُولُ : أَىْ فُلْ[(٧)] ، ألمْ أُكْرِمْكَ ، وأُسَوِّدْكَ ، وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ والإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، [(٨)]أىْ رَبِّ[(٨)] . فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِىَّ ؟

---

(١) البخارى (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤) ، ومسلم (٢٧٦٨) .

(٢) المسند ٤٩٢/٢ (١٠٣٨٣) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٦/ ٢٤٥.

(٣) فى المسند : « قال عفان فى حديثه قال أنا » .

(٤) بعده فى المسند : « قال عفان » .

(٥) بعده فى ح : « خلقتك و » .

(٦) مسلم (٢٩٦٨) .

(٧) فُلْ : معناه يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس ، وقيل : هى لغة بمعنى فلان حكاها القاضى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٠٣. وقال سيبويه : ليست ترخيمًا ، وإنما هى صيغة ارتجلت فى باب النداء . النهاية ٣/ ٤٧٣.

(٨ - ٨) فى مسلم : « قال » .

فَيَقُولُ : [1]لَا . فَيَقُولُ : فَإِنِّى أَنْسَاكَ كَما نَسِيتَنِى . ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِىَ ، فَيَقُولُ : أَىْ فُلْ ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وأُسَوِّدْكَ ، وأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ والإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، أَىْ رَبِّ . فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِىَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ : فَإِنِّى أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِى . ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ له مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ . وَيُثْنِى بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ : هَـٰهُنَا إِذًا » . قال : « ثُمَّ يُقَالُ : الآنَ نَبْعَثُ شاهِدَنَا عَلَيْكَ . فَيُفَكِّرُ[2] فِى نَفْسِهِ : مَنِ الَّذِى[3] يَشْهَدُ عَلَىَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وعِظامِهِ : انْطِقِى . فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ولَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ [4]كائنًا مَا كان[4] ، وذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وذَلِكَ المُنَافِقُ ، وَذَلِكَ الَّذِى يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، [5]ثم يُنادِى مُنادٍ : تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كانَتْ تَعْبُدُ[5] » . وسَيَأْتِى الحديثُ بطُولِه[1] .

وقد رَوَى البزَّارُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ الزُّهْرِىِّ ، عن مالكِ [6]بنِ سُعَيْرِ بنِ الخِمْسِ[6] ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أَبى هريرةَ ، وأبى سعيدٍ ، رفَعَاه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَر مثلَه إلى قولِه : « فَاليَوْمَ أَنْسَاكَ كَما نَسِيتَنِى » .

ورَوَى مسلمٌ[7] ، والبَيْهَقِىُّ[8] واللفظُ لَهُ ، من حديثِ سُفْيانَ الثورىِّ ، عن عُبَيْدٍ المُكْتِبِ ، عن فُضَيْلِ بنِ عمرٍو ، عن عامرٍ الشَّعْبِىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ،

(١- ١) سقط من : ص .

(٢) فى ح : « فيذكر » ، وفى مسلم : « ويتفكر »

(٣) فى مسلم : « ذا » .

(٤ - ٤) ليست فى مصدر التخريج ، وفى ح : « ما كان » .

(٥ - ٥) ليست فى مصدر التخريج .

(٦ - ٦) فى ح : « بن سيفان بن الحسن » ، وفى ص : « عن سعيد بن الحسن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١٤٥.

(٧) مسلم (٢٩٦٩/١٧) .

(٨) الأسماء والصفات ص ٢١٧، ٢١٨.

قالَ : كُنَّا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فضَحِكَ ، وقالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ » ؟ قالَ : قُلْنَا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ - (١) يَعْنِى يومَ القيامةِ (١) - يَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ ؟ قال : يَقُولُ : بَلَى . قال : فَيَقُولُ : فَإِنِّى لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلَّا شَاهِدًا مِنِّى . قال : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا . قال : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ : انْطِقِى . قالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ . قالَ : فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ! فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ » .

وقالَ أبو يَعْلى (٢) : حدَّثَنا زُهيرٌ ، حدَّثَنا الحسنُ ، حدَّثَنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن دَرَّاجٍ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُرِّفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ ، فَجَحَدَ ، وَخَاصَمَ ، فَيُقَالُ : هَؤلاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُون عَلَيْكَ . فيقُولُ : كَذَبُوا . فَيَقُولُ (٣) : أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ . فَيَقُولُ : كَذَبُوا . فَيَقُولُ : احْلِفُوا . فَيَحْلِفُونَ ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللَّهُ وَتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ ، ويُدْخِلُهُمُ النَّارَ » .

ورَوى أحمدُ (٤) ، والبَيْهَقِىُّ ، من حديثِ يَزيدَ بنِ هارونَ ، عنِ الجُرَيْرِىِّ ، عن حَكِيمِ بنِ معاويةَ ، (٥) عن أبيهِ (٥) ، عن النبىِّ ﷺ قالَ : « تَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ (٦) ، فَأَوَّلُ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَ (٧) ابْنِ آدَمَ (٧) فَخِذُهُ وَكَفُّهُ » .

(١ - ١) ليست فى مصدر التخريج .

(٢) مسند أبى يعلى (١٣٩٢) .

(٣) فى ح : « فيقال » .

(٤) المسند ٥/٣ (٢٠٠٣٨) .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

(٦) الفدام : ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذى فيه ، أى أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ، فشبه ذلك بالفدام . النهاية ٣/ ٤٢١ .

(٧ - ٧) فى الأصل : « آدم » ، وفى المسند : « الآدمى » .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[1] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ الوليدِ بنِ أَبَانٍ ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ الحسنِ المخزوميُّ ، حدَّثَنِى عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ العزيزِ اللَّيْثِيُّ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عطاءِ بنِ يزيدَ[2] الليثيِّ ، عن أبِى أيُّوبَ ، رضِى اللَّه عنه ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَوَّلُ مَنْ يَخْتَصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ وَامْرَأَتُهُ ، وَاللَّهِ مَا يَتَكَلَّمُ لِسَانُهَا ،وَلَكِنْ يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا ، يَشْهَدَانِ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ تُغَيِّبُ لِزَوْجِهَا ،.وَتَشْهَدُ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ بِمَا كَانَ يُوليهَا ، ثُمَّ يُدْعَى بِالرَّجُلِ وَخَدَمِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُدْعَى بِأَهْلِ الْأَسْوَاقِ ، فَمَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ دَوانيقُ وَلَا قَرَارِيطُ ، وَلَكِنْ حَسَنَاتُ هَذَا تُدْفَعُ إِلَى هَذا الَّذِى ظُلِمَ ، وَتُدْفَعُ سَيِّئاتُ هَذَا إِلَى الَّذِى ظَلَمَهُ ، ثُمَّ يُؤْتَى بالْجَبَّارِينَ فى مَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ ، فَيُقَالُ : سُوقُوهُمْ إلى النَّارِ . فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى أَيَدْخُلُونَها ، أَمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ [٨٨و] فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١، ٧٢] » .

ثم قال البَيْهَقِىُّ[3] : [4]أخبرَنَا أبو عبدِ اللَّهِ الحافِظُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ صالحٍ والحسنُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثَنا السَّرِىُّ بنُ خُزَيْمَةَ ، حدَّثنا[4] عبدُ اللَّهِ بنُ يَزِيدَ الـمُقْرِئُ ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ أبى أيُّوبَ ، حدَّثَنا يحيَى بنُ أبى سُلَيْمانَ ، عن سعيدٍ الـمَقْبُرِىِّ ، عن أبِى هريرةَ ، قالَ : قَرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ هذهِ الآيةَ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ ﴾ [الزلزلة : ٤] . قال : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ » قالُوا : اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : « فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا ؛ أَنْ تَقُولَ :

---

(١) الأهوال (٢٣٩) .

(٢) فى ص : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/١٢٣، ١٢٤.

(٣) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٥٣٢ . وانظر شعب الإيمان (٧٢٩٨) .

(٤ - ٤) فى ح : « من طريق » .

عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا . فَذَلِكَ أَخْبَارُهَا » .

وقد رَواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[1] ، من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارِكِ ، عن سعيدِ ابنِ أبي أيُّوبَ ، به ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ غريبٌ صَحِيحٌ .

[2]وروَى البَيْهَقيُّ[3] مِنْ حديثِ الحسنِ البصريِّ ، حدَّثَنا [4]صَعْصَعَةُ عمُّ الفَرَزْدَقِ[4] ، أنَّه قالَ : قَدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فسَمِعْتُه يَقْرَأُ هذه الآيةَ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] فقالَ : واللَّهِ لا أُبالِي أَنْ لَا أَسمعَ غيرَها ، حَسْبِي حَسْبِي .

وقالَ أبو بكرِ بنُ أبِي الدُّنيا[5] : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عِيسى ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارِكِ ، حدَّثنا حَيْوةُ بنُ شُرَيْحٍ ، حدَّثَنا الوليدُ بنُ أبِي الوليدِ أبو عُثمانَ المَدينيُّ ، أنَّ عقبةَ بنَ مُسلمٍ حدَّثَه أنَّ شُفَيًّا[6] حدَّثه أنَّه دخلَ المدينةَ ، فإذَا هو بِرَجُلٍ قد اجتمَع عليهِ الناسُ ، فقالَ : من هذَا ؟ فقالُوا : أبو هُريرةَ . فقال : فدَنَوْتُ منه ، حتى[2]

---

(١) الترمذى (٢٤٢٩، ٣٣٥٣) ، وقال فى الموضع الأول : حديث حسن غريب . وفى الموضع الثانى قال : حديث حسن صحيح . والنسائى فى الكبرى (١١٦٩٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٦٤) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) أخرجه أحمد ٥/٥٩ (٢٠٦١٢ - ٢٠٦١٤) ، والنسائى فى الكبرى (١١٦٩٤) كلاهما من طريق الحسن به ، وأورده الهيثمى فى المجمع ٧/١٤١ وقال : رواه أحمد والطبرانى مرسلًا ومتصلًا ، ورجال الجميع رجال الصحيح .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ومسند أحمد ، وسنن النسائى ، ومجمع الزوائد . والصواب أنه صعصعة عم الأحنف بن قيس .قال المزى فى تهذيب الكمال ١٣/ ١٧٤، ١٧٥: والصحيح أنه عم الأحنف بن قيس ... وليس للفرزدق عم اسمه صعصعة ، لكن جده اسمه صعصعة بن ناجية . وانظر الإصابة ٣/ ٤٢٩، وأورده على الصواب الطبرانى فى الكبير (٧٤١١) ٨/٩٠ - ٩١، وكذلك ابن ماجه فى سننه (٣٦٦٨) لكن فى حديث آخر .

(٥) الأهوال (٢٣٥) .

(٦) فى النسخ : « سيفًا » . والمثبت من المصدر ، وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٤٣.

(١) قَعَدْتُ بينَ يَديهِ وهو يُحَدِّثُ الناسَ ، فلمَّا سَكَتَ وَخَلا ، قلتُ له : أَنْشُدُكَ بحَقٍّ وحَقٍّ (٢) لمَا حَدَّثْتَنى حديثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وعَلِمْتَهُ (٣) . ثم نَشَغَ (٤) أبو هُريرةَ نَشْغَةً ، فمكَثَ طَوِيلًا ، ثم أفاقَ ، ثم قالَ : لأحَدِّثَنَّكَ حديثًا حَدَّثَنيهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى هذَا البَيْتِ ، ما مَعَنا أحدٌ غَيْرِى وغيرُه . ثم نَشَغَ أبو هُريرةَ نَشْغَةً أُخْرَى ، فمكَثَ طويلًا كذَلِكَ ، ثم أفاق ثم مسَحَ وجهَهُ ، فقالَ : أفعلُ ، لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (٥) فى هذا (٥) البيتِ ، ما معنا أحدٌ غيرِى وغيرُه . ثم نَشَغَ أبو هريرةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ، ثم مالَ خَارًّا علَى وَجْهِهِ ، وأَسْنَدْتُه طويلًا ، ثم أفاقَ ، فقالَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

« إنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَزَلَ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِىَ بَيْنَهُمْ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى (٦) رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقَارِئِ : أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِى ؟ قالَ : بَلَى (٧) يَا رَبِّ (٧) . قال : فماذا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وآناءَ (٨) النَّهَارِ . فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى لَهُ : كَذَبْتَ . وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ قارِئٌ . فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ .

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ . قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ (١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المراد أنه يستحلفه بأشياء عدّدها لكى يبرّ قسمه .

(٣) بعده فى المصدر : « فقال أبو هريرة : أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته » .

(٤) نشغ : أى شهق وغشى عليه . النهاية ٥/ ٥٨.

(٥ - ٥) فى المصدر : « وهو فى » .

(٦) بعده فى المصدر : « به » .

(٧ - ٧) ليس فى المصدر .

(٨) ليس فى المصدر .

(١ أَصِلُ الرَّحِمَ ، وأَتَصَدَّقُ . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ . وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَوَادٌ . فقَدْ قِيلَ ذَلِكَ .

وَيُؤْتَى بِالَّذِى قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : فِيمَا قُتِلْتَ ؟ فَيَقُولُ : أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِى سَبِيلِكَ ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ . فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ . وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَرِىءٌ . فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ » . قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : ثم ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ علَى رُكْبَتِى[٢] فقالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قالَ الوليدُ أبو عثمانَ[٣] : فَأَخْبَرَنِى عُقْبَةُ أَنَّ شُفَيًّا - وكانَ سَيَّافًا لمعَاوِيَةَ - دَخَلَ علَى معاويةَ ، فأخبرَه بحديثِ أبِى هُرَيرةَ هذَا ، فقالَ معاويةُ : قدْ فُعِلَ بِهَؤُلاءِ هَذَا ، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِىَ من النَّاسِ ؟ ثم بَكَى معاويةُ بكاءً شَدِيدًا ، حتى ظَنَنَّا أَنَّه هالِكٌ[٤] ، ثم أفاقَ ، ومَسَحَ عن وَجهِهِ ، وقالَ : صدقَ اللَّهُ ورسولُه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥، ١٦] .

(٥ وهذا الحديثُ له شاهدٌ صحيحٌ فى « صحيح مسلمٍ » مِن طريقٍ أخرى عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : « أولُ ما تُسَعَّرُ النارُ يومَ القيامةِ بثلاثةٍ ؛ بالعالمِ والمتصدقِ والمجاهدِ ، الذين أرادوا بأعمالِهم الدنيا[٥] »)[١] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل : « منكبى » .

(٣) الأهوال (٢٣٦) .

(٤) بعده فى المصدر : « فقلنا : قد جاءنا هذا الرجل بشر » .

(٥ - ٥) سقط من : ح ، وبعده كلام فى الأصل غير واضح والحديث فى صحيح مسلم (١٩٠٥) .

وقالَ ابنُ أبِى الدُّنيا[1] : أخبرنا [2]محمدُ بنُ[2] عثمانَ بنِ معبدٍ ، أنبأنا محمدُ بنُ بَكَّارِ بنِ بِلَالٍ ، قاضِى دِمَشْقَ ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ بَشيرٍ[3] ، عن قَتَادةَ ، عن الحسنِ ، عن حُرَيْثِ بنِ قَبِيصَةَ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الرَّجُلُ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ ، وإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِى نَافِلَةٌ ، فَإِنْ كَانَتْ [٨٨ظ] لَهُ نافِلَةٌ أُتِمَّتْ بِهَا [4]الْفَرِيضَةُ . ثُمَّ سائرُ[4] الْفَرَائِضِ كَذَلِكَ » . ورَوَاهُ التِّرمِذِىُّ والنَّسَائىُّ[5] ، من حديثِ هَمَّامٍ ، عن قتادةَ . وقال الترمذِىُّ : حسَنٌ غريبٌ .

ورَواه النَّسَائىُّ أيضًا[6] ، من حديثِ عِمْرانَ بنِ داودَ أبِى العوَّامِ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، [7]عن أبى رافعٍ[7] ، عن أبِى هُريرةَ .

[8]وقال الإمامُ أحمدُ[9] : حدَّثنا أبو النضرِ ، حدَّثنا المباركُ - هو ابنُ فَضَالةَ - عن الحسنِ ، عن أبى هريرةَ[8] ، أُرَاه ذَكَرَه عن النبىِّ ﷺ : « إنَّ الْعَبْدَ المَمْلُوكَ لَيُحَاسَبُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِذَا نَقَصَ مِنْهَا[10] قِيلَ : لِمَ نَقَصْتَ مِنْهَا ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، سَلَّطْتَ عَلَىَّ مَلِيكًا شَغَلَنِى عَنْ صَلَاتِى . فَيَقُولُ : قَدْ رَأَيْتُكَ تَسْرِقُ مِنْ مَالِهِ لِنَفْسِكَ ، فَهَلَّا سَرَقْتَ

---

(١) الأهوال (٢٣٨) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المصدر .

(٣) فى ح ، ص : « بشر » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٤٨.

(٤ - ٤) فى المصدر : « الفرائض ثم » .

(٥) الترمذى (٤١٣) والنسائى (٤٦٤) صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٣٧) .

(٦) النسائى (٤٦٥) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٤٥٢) .

(٧ - ٧) سقط من : ح . وفى الأصل : « عن رافع » .

(٨ - ٨) سقط من : ح .

(٩) المسند ٢/ ٣٢٨ (٨٣٣٥) . وقد أعلَّه المصنف بالانقطاع فى التفسير ٢/ ٥٨. وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١٤/ ٩٤.

(١٠) بعده فى المسند : « شيئا » .

لِنَفْسِكَ مِنْ عَمَلِكَ ؟ - أَوْ عَمَلِهِ ؟ - قال : فيتَّخِذُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ » .

وقالَ ابنُ أَبِى الدُّنيا : حدَّثَنا [1]علىُّ بنُ الجَعْدِ ، أنبأَنا[1] مُبارَكُ بنُ فَضَالَةَ ، حدَّثَنا الحَسَنُ ، قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ مَا تُسْأَلُ عَنْهُ الْمَرْأَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَنْ صَلَاتِهَا ، ثُمَّ عَنْ بَعْلِهَا ، كَيْفَ فَعَلَتْ إِلَيْهِ ؟ »[2] وهَذَا مُرْسَلٌ جَيِّدٌ .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثَنَا أبو سعيدٍ مَوْلَى بنى هاشمٍ ، حدَّثَنا عبَّادُ بنُ راشِدٍ ، قال : حدَّثَنا الحَسَنُ ، حدَّثَنا أَبو هريرةَ إذ ذاكَ ونحنُ بالمدينةِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنَا الصَّلَاةُ . فَيَقُولُ : إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ . ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ ، فَتَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنَا الصَّدَقَةُ . فَيَقُولُ : إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ . ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنَا الصِّيَامُ . فَيَقُولُ : إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ . ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ : إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ . ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الإِسْلَامُ . فَيَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّكَ [4]عَلَى خَيْرٍ ، بِكَ[4] الْيَوْمَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطِى . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فى كِتَابِهِ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ » [آل عمران : ٨٥] .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[5] : حدَّثَنا عَبْدَةُ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ المَرْوَزِىُّ ، حدثنا بَقِيَّةُ بنُ الوَلِيدِ الكَلَاعِىُّ ، حدَّثَنا سَلَمةُ بنُ كُلْثُومٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْحُكَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ بِمَنْ قَصَّرَ ، وَبِمَنْ تَعَدَّى ، فَيَقُولُ اللَّهُ :

(١ - ١) سقط من : ح . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٤١.

(٢) ذكره صاحب الكنز (٤٥٠٩٤) عن أنس ، وعزاه إلى أبى الشيخ فى الثواب ، بنحوه .

(٣) المسند ٢/٣٦٢ (٨٧٢٧) . وقد أعلَّه المصنف بالانقطاع فى التفسير ٢/٥٨. وقال الشيخ شعيب إسناده ضعيف . المسند ١٤/ ٣٥٥.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) الأهوال (٢٤١) بنحوه .

أَنْتُم خُزَّانُ أَرْضِى ، وَرُعَاةُ غَنَمِى ، وَعِنْدَكُمْ بُغْيَتِى . فَيَقُولُ لِلَّذِى قَصَّرَ[1] : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ[2] ؟ فَيَقُولُ : الرَّحْمَةُ . فَيَقُولُ اللَّهُ جلَّ جَلَالُهُ : أَنْتَ أَرْحَمُ بِعِبَادِى مِنِّى ؟! وَيَقُولُ لِلَّذِى تَعَدَّى : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟! فَيَقُولُ : غَضِبْتُ لَكَ . فَيَقُولُ اللَّهُ : أَنْتَ أَشَدُّ غَضَبًا مِنِّى ؟! فَيَقُولُ اللَّهُ : انْطَلِقُوا بِهِمْ ، فَسُدُّوا بِهِمْ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ » .

[3]وقال ابنُ أبى الدُّنْيَا[4] : حدَّثَنا إسحقُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا يحيى بنُ سُلَيْمٍ ، عن ابنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : لمَّا رَجَعَتْ مُهاجِرَةُ الْحَبَشَةِ [5]إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « أَلَا تُخْبِرُونِى بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتُم فِى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ؟ »[5] ، فقالَ فِتْيَةٌ مِنْهُم : بلى يا رسولَ اللَّهِ ، بينما نحنُ جُلوسٌ[6] إذ مرَّتْ علينا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ ، فمَرَّتْ بفَتىً مِنْهُمْ ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثم دَفَعَها ، فخَرَّتْ على رُكْبَتَيْهَا ، وانْكَسَرَتْ قُلَّتُها ، فلمَّا ارتَفَعَتْ الْتفَتَتْ إليهِ ، وقالَتْ : سوفَ تَعْلمُ يا غُدَرُ[7] ، إذا وَضَعَ اللَّهُ الكُرْسِىَّ لِفَصْلِ القَضَاءِ ، وجَمَعَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ، وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِى والأرجلُ بما كانوا يَكْسِبُونَ ، سوفَ تعلمُ كيفَ أَمرِى وأمرُكَ عندَه غدًا . قالَ : يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَتْ ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ مِنْ شَدِيدِهِمْ لِضَعِيفِهِمْ ؟ »[3] .

---

(١) فى الأصل ، ص : « قضى » .

(٢) فى ح : « ضيعت » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) الأهوال (٢٤٣) بنحوه .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

(٦) بعده فى ح : « بأرض الحبشة » .

(٧) غدر : معدول عن غادر للمبالغة ، يقال للذكر : غدر ، وللأنثى : غدار ، كقطام ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب . النهاية ٥/ ٣٤٥.

(١ وقَدْ تقدَّمَ(٢) فى حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيسٍ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِى الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أنَا الدَّيّانُ ، لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ مَظْلِمَة . وذكَر الحديثَ كما تقدَّم ، رَواه١) أحمدُ ، وعلَّقه البخاريُّ فى « صحيحِه »(٣) .

وقال الإمامُ مالكٌ(٤) ، عن سعيدِ بنِ أبِى سَعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبيهِ ، عن أبى هُريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قالَ : « مَنْ كَانَتْ (٥لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ٥) فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . ورَوَاه البخاريُّ ، ومسلمٌ(٦) .

ورَوَى ابنُ أبِى الدُّنْيا(٧) من حديثِ العلاءِ ، عن أبيهِ ، عن أبى هُريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ » قالُوا : مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينارَ . فقالَ : « بَلِ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِى مَنْ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، [٨٩و] وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ »١) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) تقدم فى ١٩/ ٤٧٨.

(٣) البخارى قبل حديث (٧٤٨١) .

(٤) أخرجه ابن حبان فى الإحسان (٧٣٦٢) ، وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ٣٤٤، كلاهما من طريق مالك به نحوه .

(٥ - ٥) فى ح : « له مظلمة عند أخيه » .

(٦) البخارى (٦٥٣٤) من طريق مالك عن سعيد عن أبى هريرة لا عن سعيد عن أبيه عن أبى هريرة ، ولم نجده فى صحيح مسلم ؛ انظر تحفة الأشراف ٩/ ٤٨٥.

(٧) الأهوال (٢٥١) بنحوه .

(١ وقال ابنُ أَبى الدُّنيا[٢] : حدَّثَنا الوليدُ بنُ شجاعٍ السَّكُونىُّ[٣] أنبأنا القَاسِمُ ابنُ مالكٍ المُزَنِىُّ ، عن لَيْثٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ١) : « لَا تَمُوتَنَّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنَّمَا هِىَ الْحَسَنَاتُ ، جَزَاءً بِجَزَاءٍ ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » . ورُوِىَ من وَجْهَيْنِ آخرَينِ ، عن ابنِ عمرَ مرفوعًا مثلُه[٤] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[٥] : حدَّثَنا ابنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا بكرُ[٦] بنُ يونُسَ بنِ بُكيْرٍ ، عن موسى بنِ عُلَىِّ بنِ رَباحٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَيَأْتِى الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وقد سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ ، فَيَجِىءُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، ظَلَمَنِى هَذَا ، فيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَيُجْعَلُ فِى حَسَنَاتِ الَّذِى سَأَلَهُ[٧] ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، فإِذَا جَاءَ مَنْ يَسْأَلُهُ ، نُظِرَ إِلَى سَيِّئَاتِهِ فجُعِلَتْ معَ سيِّئَاتِ الرَّجُلِ ، فَلَا يَزَالُ يُسْتَوفَى مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وتُرَدُّ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُ مَنْ ظَلَمَهُ ، فَمَا يَزَالُ يُسْتَوْفَى مِنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ النَّارَ » .

وقالَ الإمامُ أحمدُ[٨] : حدَّثَنا يَزِيدُ ، حدَّثَنا صَدَقَةُ بنُ مُوسَى ، حدَّثَنا أبو عِمْرَانَ الْجَوْنِىُّ ، عن يزيدَ بنِ بَابَنُوسَ[٩] عن عائشةَ ، قالتْ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الأهوال (٢٥٦) .

(٣) فى الأصل ، ح : « اليشكرى » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٢.

(٤) ذكر أبو نعيم فى الحلية ٣/ ٣٠٢، هذين الوجهين وغيرهما .

(٥) الأهوال (٢٥٠) .

(٦) فى الأهوال : « الحسن » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٣٢.

(٧) فى الأصل ، ح : « ظلمه » .

(٨) المسند ٦/ ٢٤٠ (٢٦٠٧٣) ، وقال الهيثمى : رواه أحمد ، وفيه صدقة بن موسى ، وقد ضعفه الجمهور ... وبقية رجاله ثقات .

(٩) فى ح : « يانبوس » ، وفى ص : « يامنوس » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٩٢.

« الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللَّهِ ، عز وجل ، ثَلَاثَةٌ : دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا ، ودِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ ؛ فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِى لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فالشِّرْكُ[1] ، قَالَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة : ٧٢] وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِى لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا ، فظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّه ، مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا ، فإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ ذَلِكَ ، وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ ، وأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِى لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، القِصَاصُ لَا مَحَالَةَ » .

[2]ورَوَى البَيْهَقِيُّ[3] مِنْ حديثِ زَائِدَةَ بنِ[4] أبى الرُّقادِ ، عن زيادِ النُّمَيْرِيِّ ، عن أنسٍ مرفوعًا : « الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ ، وَهُوَ الشِّرْكُ ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ ، وَهُوَ ظُلْمُ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فيمَا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ رَبِّهِمْ ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَهُوَ ظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، حَتَّى يَدِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ » . ثم ساقَه من طريقِ يزيدَ الرَّقَاشِيِّ ، عن أنسٍ ، مرفوعًا بنحوِهِ ، وكِلا الطريقينِ ضعيفٌ[2] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[5] : حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ تَمِيمُ بنُ المنْتَصِرِ ، أخبرنا إسحاقُ بنُ يوسفَ ، عن شَرِيكٍ ، عن الأعْمَشِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ ، عن زَاذَانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « الْقَتْلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَىْءٍ - [2]أو قال : يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا[2] - إِلَّا الأَمَانَةَ » . قال : « يُؤْتَى

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « فإن الله لا يغفر أن يشرك به و » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) لم نجده فى المطبوع من البعث والنشور ، ولا فى السنن ، وأورده الهيثمى فى المجمع ١٠/٣٤٨ وعزاه للبزار ، وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٩٢٧) .

(٤) فى الأصل ، ح : « عن » ، وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٩٢ .

(٥) الأهوال (٢٦١) . ضعيف (ضعيف الجامع الصغير ٤١٣٠) .

بِصَاحِبِ الأَمَانَةِ ، فيُقَالُ لَهُ : أَدِّ أَمَانَتَكَ . فَيَقُولُ : أَنَّى يَا رَبِّ ، وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا ؟ فيُقَالُ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الهَاوِيَةِ . فيُذْهَبُ بِهِ إِلَيْهَا ، فَيَهْوِى حَتَّى يَنْتَهِىَ إِلَى قَعْرِهَا ، فَيَجِدُهَا هُنَاكَ كَهَيْئَتِهَا ، فيَحْمِلُهَا فَيَضَعُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، فيَصْعَدُ بِهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، حتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ زَلَّتْ فَهَوَتْ ، وَهَوى فى إِثْرِهَا ، [1] فهو كذلك [1] أَبَدَ الآبِدِينَ » . قال : « والأَمَانَةُ فِى الصَّلَاةِ ، والأَمَانَةُ فى الصَّوْمِ ، والأَمَانَةُ فِى الْوُضُوءِ ، والأَمَانَةُ فى الْحَدِيثِ ، وأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ » . قال : فلَقِيتُ الْبَراءَ ، فَقُلْتُ : ألا تَسْمَعُ إلى ما يَقُولُ أَخُوكَ عَبْدُ اللَّهِ ؟ قال : صَدَقَ .

قالَ شَرِيكٌ : وحَدَّثَنا عبَّاسٌ العَامِرِىُّ ، عن زَاذَانَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن النبىِّ ﷺ بمِثْلِهِ ، ولم يَذْكُرِ الأمانةَ فى الصلاةِ ، والأَمَانةَ فى كُلِّ شىءٍ . إسنادُهُ جيِّدٌ ، ولم يروِهِ أحمدُ ، وَلَا أحدٌ مِن أصحاب الكتبِ السِّتَّةِ ، وله شاهدٌ من الحديثِ الذِى رواه مسلمٌ [2] عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رَجُلًا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ ، أرأيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنِّى خَطَايَاىَ ؟ قال : « نَعَمْ ، إلَّا الدَّيْنَ » .

وقالَ ابنُ أَبِى الدُّنيا [3] : حدَّثنَا يوسُفُ بنُ موسَى ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ ، أخبَرنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن يحيى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، قالَ : لمَّا نزلَتْ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠، ٣١] قَالَ الزُّبَيْرُ : يا رسولَ اللَّهِ : أَيُكَرَّرُ علينَا ما

(١ - ١) سقط من : ص . وليست فى المصدر .

(٢) مسلم (١٨٨٥/١١٧) ولكن من حديث سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن عبد اللَّه بن أبى قتادة ، عن أبى قتادة . والظاهر أن فى النسخ سقطًا . واللَّه أعلم .

(٣) الأهوال (٢٧٣) .

يكونُ بَيْنَنَا فى الدُّنيا [٨٩ظ] معَ خواصِّ الذُّنوبِ ؟ قال : « نَعَمْ ، لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى تُؤَدُّوا إِلَى كُلِّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ » . فقال الزُّبَيْرُ : واللَّهِ إنَّ الأمرَ لشَديدٌ .

وقال ابنُ أبِى الدُّنيا[1] : حدَّثنا يوسفُ بنُ موسى ، حدَثَنا إسحاقُ بنُ سُلَيْمانَ ، أخبرنا أبو سِنَانٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السَّائِبِ ، عن زَاذَانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : الأُمَمُ جاثُونَ للحِسَابِ ، فلَهُمْ يَومَئذٍ أشَدُّ تَعَلُّقًا بعضُهم ببَعْضٍ مِنهم فى الدُّنيا ، الأَبُ بابنِه ، والابنُ بأبيهِ ، والأخْتُ بأَخِيهَا ، والأخُ بأختِه ، والزوجُ بامرأتِه ، والمرأةُ بزَوْجِها . ثم تلَا عبدُ اللَّهِ : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

وقال أبو بكرٍ البزَّارُ[2] : حدَّثنا الفضلُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ مسْلَمةَ[3] ، عن لَيْثٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يُؤْتَى بِالْمَلِيكِ والْمَمْلُوكِ ، والزَّوْجِ والزَّوْجَةِ ، فيُحَاسَبُ الْمَلِيكُ والْمَمْلُوكُ ، والزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ ، حتَّى يُقالَ للرَّجُلِ : شَرِبْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا عَلَى لَذَّةٍ . ويقالَ للزَّوْجِ : خَطَبْتَ فُلَانَةَ مَعَ خُطَّابٍ فَزَوَّجْتُكَهَا وَتَرَكْتُهُمْ » . وقال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنى عمرُو بنُ حِبَّانَ[4] مولى بنى تَمِيمٍ ، حدَّثنا عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ ، عن إبراهيمَ بنِ مسلمٍ ، عن أبى الأَحْوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ يَدْعُو[5] الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، فَيُذَكِّرُهُ وَيَعُدُّ عَلَيْه : دَعَوْتَنِى يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَأَجَبْتُكَ .

---

(١) الأهوال (٢٩٥) ، بنحوه .

(٢) كشف الأستار (٣٤٤٣) . وقال الهيثمى : رواه البزار من رواية سعيد بن مسلمة الأموى عن ليث بن أبى سليم ، وكلاهما ضعيف ، وقد وثقا ، وبقية رجاله رجال الصحيح . المجمع ١٠/ ٣٤٩.

(٣) فى الأصل ، ح : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٦٣.

(٤) فى الأصل ، ص : « حيان » . وانظر الإكمال ٢/ ٣١٥.

(٥) فى ح : « يدنى » .

حتّى يَعُدَّ عليه فيما يَعُدُّ ؛ وقلتَ : يَا رَبِّ ، زَوِّجْنِى فُلَانَةَ - وَيُسَمِّيهَا بِاسْمِهَا - فَزَوَّجْنَاكَهَا » . [1] ورُوِى مِن حديثِ لَيْثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، موقوفًا[2] ، بنحوهِ[1] .

وقال ابنُ أبى الدنيا[3] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عبدُ الوهّابِ بنُ عطاءٍ ، حدَّثنى الفَضْلُ بنُ عيسى ، حدَّثنا محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْعَارَ لَيَلْزَمُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، حتَّى يَقُولَ : يا رَبِّ لَإِرْسَالُكَ بِى إلى النَّارِ أَيْسَرُ عَلَىَّ مِمَّا أَلْقَى مِنَ العَارِ . وإِنَّه لَيَعْلَمُ مَا فِيها مِن شِدَّةِ العَذَابِ » . وقد قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] .

وفى « الصحيحِ »[4] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أكَلَ هو وأصحابُه فى حديقةِ أبى الهَيْثَمِ بنِ التَّيِّهانِ مِن تلك الشَّاةِ التى ذُبِحَتْ لَه ، وأكَلُوا مِن الرُّطَبِ ، وشَرِبُوا مِن ذلكَ الماءِ ، قال : « هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِى تُسْأَلُونَ عَنْهُ » . أى عنِ القيامِ بشُكْرِه ، وماذا عمِلْتُم فى مقابلةِ ذلك ، كما ورَد فى الحديثِ : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَبالصَّلَاةِ ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْه ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ »[5] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[6] : حدَّثنا يوسفُ بنُ موسى ، حدَّثنا وَكِيعٌ ، أنبأنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن ثابتٍ - [7]أو أبى ثابتٍ[7] - أن رجلًا دخَل مسجدَ

(١ - ١) سقط من : ص ، ولم أجده .

(٢) فى ح : « مرفوعًا » .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/٥٧٧ من حديث عبد الوهاب بن عطاء ، به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبى ، قال : الفضل واهٍ .

(٤) مسلم (٢٠٣٨/١٤٠) من حديث يزيد بن كيسان .

(٥) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٦٠٤٤) . موضوع (الضعيفة رقم ١١٥) .

(٦) أهوال القيامة (٢٧٦) .

(٧ - ٧) سقط من : ص ، وفى ح : « وأبى ثابت » .

دمشقَ ، فقال : اللهمَّ آنِسْ وَحْشَتِى ، وارْحَمْ غُرْبَتِى ، وارْزُقْنى جَلِيسًا صَالِحًا . فسَمِعه أبو الدَّرْداءِ ، فقال : لئنْ كنتَ صادِقًا لأنا أسعدُ بما قلتَ مِنك ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر : ٣٢] . قال : الظَّالِمُ الَّذِى يُؤْخَذُ مِنْهُ فى مَقَامِهِ ذلك ، وَذَلِكَ الْحَزَنُ والغَمُّ[1] . ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ . قال : يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ . قال : يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . وستأتى الأحاديثُ فيمَن يدخُلُ الْجَنَّةَ بغيرِ حسابٍ ، وكم عِدَّتُهم .

حديثٌ فيه أَنَّ اللَّهَ تعالى يُصالِحُ عن عبدِه الذى له به عنايةٌ ، مَنْ ظَلَمَه بما يُريه من قصورِ الجنةِ ونعيمِها

قال أبو يعلى[2] : حدَّثنا مُجاهدُ بنُ موسَى ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بكرٍ[3] ، حدَّثنا عَبَّادُ بنُ شَيْبَةَ الحَبَطِىُّ ، عن سعيدِ بنِ أنسٍ ، عن أنسٍ ، قال : بينا رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ إذ رأيناهُ ضَحِكَ حتَّى بدَتْ ثَناياهُ ، فقال عمرُ : ما أضحَكك يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنتَ وأُمِّى ؟ فقال : « رَجُلَانِ جَثَيَا مِنْ أُمَّتِى بينَ يَدَىْ رَبِّ العِزَّةِ ، تَبَارك وَتَعَالَى ، فَقَالَ أَحَدُهُما : يَا رَبِّ ، خُذْ لِى مَظْلِمَتِى مِنْ أَخِى . قال اللَّهُ تعالى : أَعْطِ أخَاكَ مَظْلِمَتَه . قَالَ : يَا رَبِّ ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِى شَىْءٌ . قال

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « الذى يصيبه فى مقامه يوم القيامة » .

(٢) عزاه ابن حجر فى المطالب العالية (٥١٥٩) إلى أبى يعلى .

(٣) فى ح ، ص : « بكير » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٠.

اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ[1] : كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِه شَيْءٌ . قَالَ : يَا رَبِّ ، فَلْيَحْمِلْ عَنِّى مِنْ أَوْزَارِى » . قَالَ : وفاضَتْ عينَا رسولِ اللَّهِ ﷺ بالبُكاءِ ، ثم قال : « إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ ، يَوْمٌ يَحْتَاجُ فيه النَّاسُ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُم مِنْ أَوْزَارِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ : ارْفَعْ بَصَرَكَ ، فَانظُرْ فِى الْجِنَانِ . فَرَفَع رَأْسَه ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ ، لأَىِّ نَبِىٍّ هَذَا ؟ لِأَىِّ صِدِّيقٍ هَذَا ؟ لِأَىِّ شَهِيدٍ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ . قال : يَا رَبِّ ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ؟ قال : أَنْتَ تَمْلِكُهُ . قَالَ : بِمَاذَا يَا رَبِّ ؟ قَالَ : بِعَفْوِكَ[2] عَنْ أَخِيكَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، فَإِنِّى قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ » . فقال رسولُ اللَّهِ [٩٠و] ﷺ عندَ ذلك : « فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . إسنادٌ غريبٌ ، وسياقٌ غريبٌ ، ومعنًى حسنٌ عجيبٌ .

وقد رَواه البَيْهَقِىُّ ، مِنْ حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ بَكْرٍ[3] ، به ، وحَكَى عن البخارىِّ أنَّه قال : سعيدُ بنُ أنسٍ عن أبيه فى المظالمِ لا يُتابَعُ عليه[4] . ثم أورَده البيهقِىُّ مِن طريقِ زيادِ بنِ مَيْمُونٍ البَصْرِىِّ ، عن أنسٍ مرفوعًا ، بنحوِه ، وفيه نظرٌ أيضًا ، وقد يُسْتَشْهَدُ له بما رَواه البخارىُّ فى « صحيحِه »[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا[6] اللَّهُ عَنهُ ، وَمَنْ أَخَذَها يُرِيدُ إِتْلَافَها أَتْلَفَهُ اللَّهُ » .

---

(١) فى المصدر : « للمظلوم » .

(٢) فى المصدر : « تعفو » .

(٣) فى الأصل ، ح : « بكير » . والأثر عزاه الزبيدى فى تخريج الإحياء (٤١٠٥) إلى البيهقى فى البعث .

(٤) التاريخ الكبير ٣/ ٤٥٩ .

(٥) بعده فى الأصل بياض ، وبعده فى ح ، ص : « عن » ، ثم بياض ، والحديث فى البخارى (٢٣٨٧) .

(٦) فى المصدر : « أدى » .

وقد روَى أبو الوليدِ[1] الطَّيالِسيُّ ، عن عبدِ القاهرِ بنِ السَّرِيِّ ، ورواه أبو داودَ وابنُ ماجَه والبيهقيُّ[2] ، مِن حديثِهِ ، عن ابنِ لكِنانةَ بنِ[3] عباسِ بنِ مِرداسٍ [4]السُّلَمِيِّ ، وفى روايةِ ابنِ ماجه ، عن عبد اللَّهِ بنِ كِنانةَ بنِ عبَّاسِ بنِ مرداسٍ[4] ، عن أبيه ، عن جَدِّه عباسِ بنِ مِرْداسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لأُمَّتِه بالمغفرةِ والرَّحمةِ ، فأكثرَ الدّعاءَ ، [5]فأجابه اللَّهُ تعالى[5] : « إنِّى قَدْ فَعَلْتُ إلَّا ظُلْمَ بَعْضِهِم بَعْضًا[6] » . فقال : « يَا ربِّ ، إنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُثِيبَ هَذَا المَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلِمَتِهِ ، وَتَغْفِرَ لَهَذا الظَّالِمِ » . فلم يُجِبْه تلكَ العَشِيَّةَ ، فلمَّا كان غداةُ المُزْدَلِفةِ أعاد الدُّعاءَ ، فأجابه اللَّهُ : « إنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » . فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال بعضُ أصحابِه : يا رسولَ اللَّهِ ، تَبَسَّمْتَ فى ساعةٍ لم تكُنْ تَبَسَّمُ فيها ؟ فقال : « تَبَسَّمْتُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إبْلِيسَ ، إنَّه لَمَّا عَلِم أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ، قدِ اسْتَجَابَ لِى فِى أُمَّتِى أَهْوَى يَدْعُو بالوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، وَيَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ » .

قال البيهقيُّ : وهذا العفوُ يَحتمِلُ أن يكونَ بعدَ عذابٍ يَمَسُّهم ، ويحتمِلُ أن يكونَ خاصًّا ببعضِ الناسِ ، ويحتمِلُ أن يكونَ عامًّا فى كلِّ أحَدٍ .

وقال أبو داودَ الطيالسيُّ[7] : حدَّثنا صدقةُ بنُ موسى ، حدَّثنا أبو عمْرانَ

---

(١) فى النسخ : « داود » . والمثبت هو الصواب ، وانظر تاريخ دمشق ٢٦/ ٤٠٤، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٥١، ١٨/ ٢٣٣، ٢٣٤. وقد وقع هذا الخطأ عند البيهقى فى سننه ٥/ ١١٨، قال : « أخبرنا أبو محمد عبد اللَّه بن يوسف الأصبهانى ... ثنا أبو داود الطيالسى ، ثنا عبد القاهر بن السرى ... » .

(٢) أبو داود (٥٢٣٤) مختصرا ، وابن ماجه (٣٠١٣) بنحوه ، والبيهقى فى السنن ٥/١١٨ واللفظ له . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١١٢١) .

(٣) فى ح : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٢٦.

(٤ - ٤) سقط من : ح ، ص .

(٥ - ٥) فى سنن البيهقى : « فأوحى اللَّه تعالى إليه » .

(٦) بعده فى سنن البيهقى : « وأما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتها » .

(٧) مسند الطيالسى (١٣٢٦) . وقال أبو نعيم فى الحلية ٤/ ١٤١: غريب من حديث شريح ، تفرد به صدقة عن أبى عمران .

الْجَوْنِيُّ ، عن قيسِ بنِ زيدٍ - أو زيدِ بنِ قَيْسٍ[1] - عن قاضى المِصْرَيْنِ[2] شُرَيْحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بكرٍ الصديقِ ، رضى اللَّهُ عنه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَدْعُو[3] صَاحِبَ الدَّيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : يَا بْنَ آدَمَ ، فِيمَ أَضَعْتَ حُقُوقَ الناسِ ؟ فيمَ أَذْهَبْتَ أَمْوَالَهُمْ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، لَمْ أُفْسِدْ ، وَلَكِنِّى أُصِبْتُ ، إِمَّا غَرَقًا ، وَإِمَّا سَرَقًا[4] . فَيَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ مَنْ قَضَى عَنْكَ الْيَوْمَ ، فَتَرْجَحُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ ، فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ » .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[5] ، عن أبى ذَرٍّ ، [6]عن النَّبىِّ ﷺ[6] فى الرجلِ الذى يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : « اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، واتْرُكُوا كِبَارَها . فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ : لَا . وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّا قَدْ أَبْدَلْنَاكَ مَكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنةً . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنِّى قَدْ عَمِلْتُ ذُنُوبًا لَا أَرَاهَا هَـٰهُنَا ؟ » قَالَ : وَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَت نَواجِذُهُ .

وتقدَّم[7] حديثُ ابنِ عمرَ فى حديثِ النَّجْوَى : « يُدْنِى اللَّهُ العَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّه قَدْ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ . وَيُعْطَى كِتَابَ حَسَناتِهِ بِيَمِينِه » .

---

(١) بعده فى مصدر التخريج : « عن زيد » والمثبت هو الصواب ، كما فى رواية أبى نعيم - من طريق الطيالسى - فى الحلية ٤/ ١٤١.

(٢) أى : الكوفة والبصرة .

(٣) فى ح : « يوقف » .

(٤) فى المصدر : « حرقًا » .

(٥) مسلم (٣١٤/ ١٩٠) بنحوه .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) انظر ما تقدم فى ١٩/٤٩٦ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنا هارونُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سيَّارُ[1] بنُ حاتمٍ ، أنبأنا جعفرُ بنُ سُلَيْمانَ ، أنبأنا أبو عِمْرانَ الْجَوْنِيُّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : يُدْنِى اللَّهُ تَعالىَ العبدَ يومَ القيامةِ ، فيَضَعُ عليه كَنَفَه لِيَسْتُرَهُ مِن الخَلائقِ كُلِّها ، ويدفَعُ إليه كتابَه ، فى ذلك السِّترِ ، فيقولُ تعالى : « اقْرَأْ يَا بْنَ آدَمَ كِتَابَكَ » . فيَمُرُّ بالحسَنةِ فيَبْيَضُّ لها وجهُه ، ويُسَرُّ بها قلبُه ، فيقولُ اللَّهُ تعالى : « أَتَعْرِفُ يَا عَبْدِى ؟ » فيقولُ : نعم ، يَا رَبِّ ، أَعرِفُ . فيقولُ : « إِنِّى قَدْ تَقَبَّلْتُهَا مِنْكَ » . قال : فيَخِرُّ ساجِدًا ، قال : فيقول اللَّهُ تعالى : « ارْفَعْ رَأْسَكَ ، [2]وَعُدْ فِى قِرَاءَةِ كِتَابِكَ »[2] . فيَمُرُّ بالسَّيِّئةِ ، فتَسُوءُه ويَسْوَدُّ لها وَجْهُه ، وَيَوجَلُ مِنها قَلْبُه ، وَتُرْعَدُ مِنها فَرَائِصُهُ ، ويأخُذُه [٩٠ظ] مِن الحياءِ مِن رَبِّه ما لا يعلمُه غيرُه ، فيقولُ اللَّهُ تعالى له : « أَتَعْرِفُ يَا عَبْدِى ؟ » فيقولُ : نَعَمْ ، يا رَبِّ ، أَعْرِفُ . فيقولُ اللَّهُ سبحانهَ : « فإِنِّى قَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ » . [3]فَيَخِرُّ سَاجِدًا فَيَقُولُ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ : « ارْفَعْ رَأْسَكَ »[3] . فلا يزالُ فى حَسَنَةٍ تُقبَلُ ، وسيئةٍ تُغْفَرُ ، وسجودٍ عندَ كُلِّ حَسنَةٍ وسَيِّئَةٍ ، لا يرَى الخلائقُ مِنه إلَّا ذاك السجودَ ، حتَّى يُنادِىَ الخلائقُ بعضُها بعضًا : طوبَى لِهَذا العبدِ الذى لم يعصِ اللَّهَ قَطُّ[4] . ولا يدرون ما قَدْ لقِى فيما بينَه وبينَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، مِمَّا قَدْ [5]وَقَفه عليه[5] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا : وقال [6]أبو ياسرٍ[6] عمّارُ بنُ نصرٍ : حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنا عُثمانُ بنُ أبى العاتِكةِ ، أو غيرُه ، قال : مَن أُوتِىَ كتابَه بيمينِه أُتِىَ

---

(١) فى ص : « يسار » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٠٧.

(٢ - ٢) فى ح : « وخذ فى قراءة كتابك » ، وفى ص : « وعد فى كتابك » .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) فى ح : « طرفة عين » .

(٥ - ٥) فى ح : « أوقفه عليه من الذنوب » .

(٦ - ٦) فى ح : « ياسر » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢١٠.

بكتابٍ فى باطنِه سَيِّئَاتُه ، وفى ظاهرِه حَسَنَاتُه ، فيقالُ له : اقْرَأْ كِتَابَكَ . فيقرَأُ باطِنَهُ ، فَيُسَاءُ بما فيه مِن سَيِّئاتِه ، حتَّى إذَا أَتَى على آخرِها قرَأ فيه : « هَذِه سَيِّئَاتُكَ ، وَقَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا ، وَغَفَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ » . ويَغْبِطُه بها الأَشْهَادُ - أو قال : أَهلُ الجَمْعِ - مِمَّا يقرَءون فِى ظاهرِ كتابِه مِن حَسَناتِه ، ويقولون : سَعِد هذا . ثم يُؤمَرُ بتحويلِه ، وقراءةِ ما فى ظاهرِه ، فيُحَوِّلُهُ ، ويبدِّلُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ما كان فى باطنِه مِن سَيِّئاتِه ، فيجعلُها اللَّهُ حَسَناتٍ ، (١)ويقرأُ حسناتِه(١) حتى يأتِىَ على آخرِها ، ثم يقولُ : « هَذِهِ حَسَنَاتُك ، قَدْ قَبِلْتُها مِنْكَ » . فعندَ ذلك يقولُ لأهلِ الجمعِ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة : ١٩، ٢٠] . قال : ومَن أوتىَ كتابَه وراءَ ظهرِه يأخذُه بشمالِه ، ثم يقالُ له : اقْرَأْ كِتَابَكَ . فيقرأُ كتابَه فى باطنِه حسناتُه ، وفى ظاهرِه سَيِّئَاتُه ، فيقرؤُها (٢)أهلُ الموقفِ - أو قال(٢) : أهلُ الجمعِ - ويقولون : هلَك هذا . فإذا أتَى على آخرِ حسناتِه ، قيل : « هَذِه حَسَنَاتُكَ ، وَقَدْ رَدَدْتُهَا عَلَيْكَ » . ويُؤمَرُ بتحويلِه ، فيقرَأُ سَيِّئَاتِه ، حتّى يأْتِىَ على آخرِها ، فعندَ ذلك يقولُ لأهلِ الجمعِ : ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٥- ٢٩] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنا علىُّ بنُ الْجَعدِ ، أنبأنا المُبارَكُ بنُ فَضَالةَ ، عن الحسنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ - والبَذَجُ وَلَدُ الشاةِ - فَيَقُولُ لَهُ رَبُّه عزَّ وجلَّ : أَيْنَ مَا خَوَّلْتُك ؟ أَيْنَ ما مَلَّكْتُكَ ؟ أَيْنَ مَا أَعْطَيْتُكَ ؟ فَيَقُولُ : يا رَبِّ ، جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُه ، وتَرَكْتُه أَكْثَرَ مَا كان .

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

فَيَقُولُ : مَا قَدَّمْتَ مِنْهُ ؟ فَلَا يَرَى قَدَّمَ شَيْئًا ، فَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ الرَّجْعةَ إِلَى الدُّنْيا وَلَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا » .

وحدَّثنى حمزةُ بنُ العبَّاسِ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثمانَ ، أنبأنا ابنُ المباركِ ، أخبَرنا إسماعيلُ بنُ مسلمٍ ، عن الحسنِ ، وقتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، نحوَه ، وزاد فيه : « فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ارْجِعْنِى آتِكَ بِه كُلِّه . فإذا أُعِيدَ[1] لَم يُقَدِّمْ شَيْئًا ، فيُمْضَى بِه إِلَى النَّارِ » . ثم ساقَه مِن طريقِ يزيدَ الرَّقَاشِىِّ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه . وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَقُولُ ابنُ آدَمَ : مَالِى ، مَالِى . وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ[3] ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ » . وقال تعالى : ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [البلد : ٦ ، ٧] .

وقال ابنُ أبى الدّنيا[4] : حدَّثنا سُرَيْجُ بنُ يونسَ ، حدَّثنا سيفُ بنُ محمدٍ ، ابنُ أُختِ سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ ، عن لَيْثِ بنِ أبى سُلَيمٍ ، عن عَدىِّ بنِ عدىٍّ ، عن الصُّنَابِحىِّ ، عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ ؛ عَنْ عُمُرِهِ : فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ جَسَدِهِ : فِيمَ أَبْلاهُ ؟

---

(١) فى الأصل ، ح : « عيد » .

(٢) مسلم (٢٩٥٩) ، بنحوه .

(٣) فى ح : « فأبقيت » .

(٤) أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٣٤٣٧) من طريق ليث بن أبى سليم ، به بنحوه ، كما أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠/٦٠، ٦١ (١١١) من طريق عدى بن عدى به بنحوه . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٤٦) .

وَعَنْ عِلْمِهِ : مَا عَمِلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ » وقد تقدَّم[1] عن ابنِ مسعودٍ نحوُه . ورُوِى عَن أبى ذَرٍّ[2] قريبٌ مِنْه ، واللَّهُ أعلَمُ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : حدَّثنا سُرَيْجُ بنُ يُونسَ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن الغَضَوَّرِ[4] بنِ عُتَيقٍ ، عن مكحولٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَاعُوَيْمِرُ ، يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ، كَيْفَ بِكَ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَلِمْتَ أَوْ جَهِلْتَ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : عَلِمْتُ . قِيلَ لَكَ : فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ وَإِنْ قُلتَ : جَهِلْتُ . قِيلَ : فَمَاذَا كَانَ عُذْرُكَ فِيمَا جَهِلْتَ ؟ أَلَا تَعَلَّمْتَ » وَقَدْ رُوِىَ من وجهٍ آخرَ موقوفًا[5] عَلَى أبى الدرداءِ ، رَضِى اللهُ عنه ، فاللَّهُ أعلَمُ[6] .

فصـــلٌ

قال البخاريُّ[7] ، رحِمه اللَّهُ : بابُ ما يُدْعَى الناسُ [8]يومَ القيامةِ[8] بآبائِهم . ثمَّ أورَد حديثَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[9] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بن فُلَانٍ » .

---

(١) تقدم فى ص ٢١.

(٢) كذا بالنسخ ، ولعل الصواب : « أبو برزة » وقد أخرج حديثه الترمذى (٢٤١٧) ، ولم نجده عن أبى ذر .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣١/١٤ (مخطوط) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٤) فى ح : « العصور » . وانظر الإكمال ١١٣/٦.

(٥) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٧٨٣) بسنده عن أبى الدرداء موقوفا .

(٦) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط [٩١ و] .

(٧) فتح البارى ١٠/ ٥٦٣.

(٨ - ٨) ليست فى البخارى .

(٩) البخارى (٦١٧٧) بدون قوله : « عند استه » وهى فى إحدى الروايات عند مسلم (١٥/ ١٧٣٨) .

وقال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنا علىُّ بنُ الْجَعْدِ ، ومحمدُ بنُ بَكَّارٍ ، قالا : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، عن داودَ بنِ عمرٍو ، وعن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى زكريا ، عن أبى الدرداءِ ،قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ ، وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ، فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ » .

وقال البَزَّارُ[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ المُنْذِرِ ، حدَّثنا [3]محمدُ بنُ[3] فُضَيلٍ ، حدَّثنى أبى ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَقِىءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا ، فَيَمُرُّ السَّارِقُ ، فَيَقُولُ : فِى هَذَا[4] قُطِعَتْ يَدِى . وَيَجِىءُ الْقَاتِلُ ، فَيَقُولُ : فِى هَذَا قَتَلْتُ . وَيَجِىءُ قَاطِعُ الرَّحِمِ ، فَيَقُولُ : فِى هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِى . ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا » .

فصـــلٌ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية [آل عمران : ١٠٦] . وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢- ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ

---

(١) أخرجه البغوى فى الجعديات (٢٥٠٣) عن على بن الجعد به ، وهو عند أبى داود (٤٩٤٨) من طريق هشيم به . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٣) ، من طريق محمد بن فضيل ، به ، بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٢٦ / ٢٩٣.

(٤) فى هذا أى : من أجله وبسببه .

ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٣٨- ٤٢]. وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس ٢٦، ٢٧].

وقال البزَّارُ[(١)]: حدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ، ومحمدُ بنُ عُثمانَ بنِ كَرَامةَ، قالا: حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسى، عن إسرائيلَ، عن السُّدِّيِّ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ فى قولِهِ تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال: «يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابَه بِيَمِينِه، وَيُمَدُّ لَهُ فِى جِسْمِهِ[(٢)]، وَيُبَيَّضُ وَجْهُهُ، وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِه تَاجٌ مِنْ لُؤْلُؤةٍ تَتَلَأْلَأُ، فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِه، فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهَذَا، وَبَارِكْ لَنَا فِى هَذَا. فَيَأْتِيهِمْ، فَيَقُولُ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُسَوَّدُ وَجْهُهُ، وَيُمَدُّ لَهُ فِى جِسْمِهِ[(٣)]، فَيَرَاهُ أَصْحَابُهُ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا، وَمِنْ شَرِّ هَذَا، اللَّهُمَّ لَا تَأْتِنَا به. فَيَأْتِيهِمْ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَخْزِه. فَيَقُولُ: أَبْعَدَكُمُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا». ثم قال: لا نعرِفُه إلَّا بهذا الإسنادِ.

ورَواه ابنُ أبى الدنيا، عن العبَّاسِ بنِ محمدٍ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ موسى العَبْسِيِّ، به.

---

(١) عزاه السيوطى إليه فى الدر المنثور ١٩٤/٤، وقد أخرجه الترمذى (٣١٣٦) من طريق عبيد اللَّه بن موسى به، ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٦١٠).

(٢) بعده فى الترمذى: «ستون ذراعا».

(٣) بعده فى الترمذى: «ستون ذراعا على صورة آدم، فيلبس تاجا».

(١) وروَى أبو داودَ(٢) مِن طريقِ أبى زُرْعَةَ بنِ عمرِو بنِ جريرٍ ، عن عمرَ بنِ الخطّابِ ، رضِى اللهُ عنه ، عن النَّبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ عِبادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ(٣) مِنَ اللَّهِ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، فخبِّرْنا مَنْ هم ؟ قال : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَ اللَّهِ إِنَّ (٤)لِوُجُوهِهِمْ لَنُورًا ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى كَرَاسِيَّ مِنْ(٤) نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنَ النَّاسُ » . وقرأ هذه الآيةَ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) [يونس : ٦٢ - ٦٤] .

[٩١ظ] وروَى ابنُ أبى الدنيا ، عن بعضِ السلفِ ، وهو الحسنُ البصرىُّ ، أنَّهُ قال : إذا قال اللَّهُ تعالى للملائِكَةِ : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠] . ابْتدَره سبعونَ ألفَ ملَكٍ ، فَتُسْلَكُ السِّلْسِلَةُ مِن فِيهِ ، فَتَخْرُجُ مِن دُبُرِه ، فَيُنْظَمُ فى السِّلْسِلَة كما يُنْظَمُ الْخَرَزُ فى الْخَيْطِ ، ويُغْمَسُ فى النارِ غَمْسةً ، فيَخْرُجُ عِظامًا ، فتَقَعْقَعُ(٥) ، ثم تُسْجَرُ تلك العِظامُ فى النَّارِ ، ثم يُعادُ غَضًّا طَرِيًّا .

وقال بعضُهم : إذا قال اللَّهُ : ﴿ خُذُوهُ ﴾ . ابتَدَره أكثرُ مِن رَبِيعةَ ومُضَرَ . وعن مُعْتَمِرِ بنِ سُليمانَ ، عن أبيه ، أنَّه قال : لا يَبْقى شىءٌ إلا ذَمَّه ، فيقولُ : أما

(١ - ١) سقط من ح ، ص .

(٢) أبو داود (٣٥٢٧) .

(٣) فى أبى داود : « بمكانهم » .

(٤ - ٤) فى أبى داود : « وجوهم لنور وإنهم على » .

(٥) أى تضطرب وتتحرك . النهاية ٤/ ٨٨.

ترحَمُنى ؟ فيقولُ : كيف أرحَمُكَ ، ولم يَرْحَمْكَ أرْحَمُ الراحمين ؟! .

فصـــلٌ

قال ابنُ ماجه[1] فى الرقائقِ ؛ بابِ ما يُرْجَى مِن رحمةِ اللَّهِ يومَ القيامةِ :

حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شيْبةَ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدَّثنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ ، قَسَمَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ جَمِيعِ الخَلَائِقِ ، فَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ورَواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيرٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبى سُلَيمانَ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَبَاحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوهِ[2] .

وقال البخارىُّ[3] : حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ ، ثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن عمرِو بنِ أبى عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِى خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ[4] الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِى عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُسْلِمُ بِكُلِّ

---

(١) ابن ماجه (٤٣٩٣) .

(٢) مسلم (٢٧٥٢/١٩) .

(٣) البخارى (٦٤٦٩) .

(٤) قال ابن حجر : والحكمة فى التعبير بالمضارع دون الماضى الإشارة إلى أنه لم يقع له علم بذلك ولا يقع ؛ لأنه إذا امتنع فى المستقبل كان ممتنعا فيما مضى . فتح البارى ١١/ ٣٠٢.

الَّذِى عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ » . انفرَد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ .

ثم قال ابنُ ماجه[1] : حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، وأحمدُ بنُ سِنَانٍ ، قالا : حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَلَقَ اللَّهُ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَجَعَلَ فِى الْأَرْضِ مِنْهَا رَحْمَةً ، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَالْبَهَائِمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَالطَّيْرُ ، وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ » . انفرَد به ، وهو على شرطِ « الصحيحَين » .

ثم أورد ابنُ ماجه[2] ما أخرجاه فى « الصحيحين »[3] مِن طرقٍ عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ : إِنَّ رَحْمَتِى تَغْلِبُ غَضَبِى » . وفى روايةٍ[4] : « سَبَقَتْ غَضَبِى » . وفى روايةٍ[5] : « فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَه عَلَى الْعَرْشِ » . وفى روايةٍ[6] : « فَوْقَ الْعَرْشِ » . وكلُّها رواياتٌ صحيحةٌ .

وقد قال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] . وقال : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٦] . ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] . هذا إخبارٌ من الملائكةِ عن اللَّهِ سبحانَه أنَّه وَسِع كلَّ شىءٍ رحمةً وعلمًا . وقال : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو

---

(١) ابن ماجه (٤٢٩٤) .

(٢) ابن ماجه (٤٢٩٥) .

(٣) البخارى (٧٤٠٤، ٧٤٥٣) مسلم (١٤ - ٢٧٥١/١٦) .

(٤) البخارى (٧٤٥٣) ، ومسلم (٢٧٥١/١٥) ، وابن ماجه (١٨٩) .

(٥) البخارى (٧٤٠٤) ، ومسلم (٢٧٥١/١٦) .

(٦) مسلم (٢٧٥١/١٤) .

رَحْمَةٍ وَسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

ثم أورَد ابنُ ماجَه[(١)] حديثَ ابنِ أبى ليلى، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ، عن النبىِّ ﷺ، أنَّه قال له: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قلت: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا». ثم قال: «أَتَدْرِى مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». وهو ثابتٌ فى «صحيحِ البخارىِّ»[(٢)]، مِن طريقِ الأسودِ بنِ هلالٍ، وأنسِ بنِ مالكٍ، عن معاذٍ.

وقال ابنُ ماجه[(٣)]: حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ، حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبَابِ، حدَّثنا سُهَيْلُ[(٤)] بنُ عبدِ اللَّهِ، أخو حَزْمٍ القُطَعِىِّ، حدَّثنا ثابتٌ البُنَانِىُّ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قرأ - أو: تلا - هذه الآيةَ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]. قال: «قال اللَّهُ، تَعَالَى، أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَلَا يُجْعَلَ مَعِى إِلَهٌ آخَرُ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِى إِلَهًا آخَرَ فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ [٩٢و] أَغْفِرَ لَهُ».

وقال ابنُ ماجَه[(٥)]: حدَّثنا هشامُ بنُ عَمَّارٍ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ أَعْيَنَ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ يَحيى الشَّيْبَانِىُّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ حفصٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: كُنَّا مع النبىِّ ﷺ فى بعضِ غَزَواتِه، فمَرَّ بقومٍ فقال: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قالوا: نحنُ المسلمون. وامرأةٌ تَحْصِبُ[(٦)] تَنُّورَها، ومعها ابنٌ لها، فإذا ارتَفَع وَهَجُ

---

(١) ابن ماجه (٤٢٩٦) بنحوه.

(٢) البخارى (٧٣٧٣) من طريق الأسود بن هلال، و(٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠) من طريق أنس.

(٣) ابن ماجه (٤٢٩٩). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٦).

(٤) فى النسخ: «سهل». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢١٧.

(٥) ابن ماجه (٤٢٩٧). موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٤).

(٦) فى ص: «تحضب». وتحصب أو تحضب تنورها: تلقى فيه الحطب؛ لترفع ناره. انظر التاج (ح ص ب، ح ض ب).

التَّنُّورِ تَنَحَّتْ به ، فأتَتِ النبيَّ ﷺ ، فقالت : أنتَ رسولُ اللَّهِ ؟ قال : « نَعَمْ » . قالت : بأبى أنْتَ وأمِّى ، أَلَيس اللَّهُ بأرْحَمِ الراحمين ؟ قال : « بَلَى » . قالت : أوَ لَيْس اللَّهُ أرْحَمَ بعبادِهِ مِن الأمِّ بوَلَدِها ؟ قال : « بَلَى » . قالت : إنَّ الأُمَّ لا تُلْقِى وَلَدَها فى النارِ . فأكبَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْكِى ، ثمَّ رفَع رأسَه إليها ، فقال : « إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الْمَارِدَ الْمُتَمَرِّدَ ، الَّذِى يَتَمَرَّدُ عَلَى اللَّهِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . إسنادُه فيه ضعفٌ ، وسياقُه فيه غرابةٌ .

وقد قال تعالى : ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل : ١٥، ١٦] . وقال تعالى : ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة : ٣١، ٣٢] .

وقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا أبو غَسَّانَ ، حدَّثنى زيدُ ابنُ أسْلَمَ ، عن أبيه ، عن عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قدِم على النبيِّ ﷺ سَبْىٌ ، فَإِذَا امرأةٌ مِن السَّبْيِ [(٢)] قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا تَسْعَى [(٢)] ، فَإِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِى السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ، فَأَرْضَعَتْهُ ، فقال لنا النبيُّ ﷺ : « أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِى النَّارِ ؟ » قلنا : لا ، وهى تقدِرُ على أن لا تَطْرَحَه . فقال : « لَلَّهُ

---

(١) البخارى (٥٩٩٩) .

(٢ - ٢) فى ح : « تحلب ثديها تسقى » . قال ابن حجر : قوله : « فإذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسقى » . كذا للمستملى والسرخسى ، وللباقين : « قدتحلب » ، وللكشميهنى : « يسقى » ، وللباقين : « تسعى » من السعى وهو المشى بسرعة ،وفى رواية مسلم عن الحلوانى وابن عسكر كلاهما عن ابن أبى مريم : « تبتغى » من الابتغاء وهو الطلب ، قال عياض : وهو وهم ، والصواب ما فى رواية البخارى . وتعقبة النووى بأن كلا من الروايتين صواب ، فهى ساعية وطالبة لولدها . وقال القرطبى : لاخفاء بحسن رواية : « تسعى » ووضوحها ، ولكن لرواية : « تبتغى » وجها ، وهو تحلب ولدها وحذف المفعول للعلم به ، فلا يُغَلَّط الراوى مع هذا التوجيه . فتح البارى ١٠/ ٤٣٠.

أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا » .

(١) ورَواه مسلمٌ عن حسنٍ الحُلْوانيِّ ، ومحمدِ بنِ سهلِ بنِ عَسْكَرٍ ، كلاهما عن سعيدِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، عن أبى غَسَّانَ محمدِ بنِ مُطَرِّفٍ ، به[٢] . وفى روايةٍ[٣] : « وَاللَّهِ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا » (١) .

ثم قال ابنُ ماجه[٤] : حدَّثنا العبَّاسُ بنُ الوليدِ الدِّمَشْقِيُّ ، حدَّثنا عمرُو بنُ هاشمٍ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن (٥ عبدِ ربِّه ٥) بنِ سعيدٍ ، عن سعيدٍ الْمَقْبُرِيِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ » . قيل : يارسولَ اللَّهِ ، ومَن الشَّقِيُّ ؟ قال : « مَنْ لَمْ يَعْمَلْ لِلَّهِ بِطَاعَةٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَعْصِيَةً » . وفى إسنادِه ضعفٌ أيضًا .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[٦] مِن حديثِ أبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسى ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا ، أَوْ نَصْرَانِيًّا ، فَيَقُولُ : هَذَا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ » . وفى روايةٍ[٧] : « لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ (٨ مَكَانَهُ إِلَى ٨) النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » . قال :

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) مسلم (٢٧٥٤) .

(٣) أخرج هذه الرواية ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (١٨) ، وقال ابن حجر : قوله : « لَلَّهُ » . بفتح أوله ، لام تأكيد ، وصُرح بالقسم فى رواية الإسماعيلى ، فقال : « والله لله أرحم ... إلخ » . فتح البارى ١٠/ ٤٣١ .

(٤) ابن ماجه (٤٢٩٨) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٥) .

(٥ - ٥) فى ح ، ص ، وحاشية الأصل : « عبدالله » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٧٦ .

(٦) مسلم (٢٧٦٧/٤٩) .

(٧) مسلم (٢٧٦٧/٥٠) .

(٨ - ٨) فى مسلم : « مكانه » .

فاستَحْلَف عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أبا بُرْدَةَ باللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو ثلاثَ مرَّاتٍ ، أنَّ أباه حَدَّثه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : فحَلَف له .

وفى روايةٍ لمسلمٍ[1] أيضًا ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجِىءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » .

وقال ابنُ ماجه[2] : حدَّثنا جُبَارَةُ بنُ المُغَلِّسِ ، حدَّثنا عبدُ الأعلى بنُ أبى المُسَاوِرِ ، عن أبى بُرْدةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُذِنَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِى السُّجُودِ ، فَيَسْجُدُونَ لَهُ طَوِيلًا ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ ، قَدْ جَعَلْنَا عِدَّتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّارِ » .

[3]وقال الطبرانىُّ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ يونسَ ، حدَّثنا سعدٌ أبو غَيْلَانَ[5] الشَّيْبانىُّ ، عن حمَّادِ بنِ أبى سليمانَ ، عن إبراهيمَ ، عن صِلَةَ بنِ زُفَرَ ، عن حُذَيفةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الفَاجِرُ فِى دِينِه ، الأَحْمَقُ فى مَعِيشَتِه ، [6]وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الَّذِى قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنْبِهِ[6] ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ »[3] .

---

(١) مسلم (٢٧٦٧/٥١) .

(٢) ابن ماجه (٤٢٩١) . ضعيف جدًا (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٣) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المعجم الكبير ١٨٦/٣ (٣٠٢١) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفى إسناد الكبير سعد بن طالب أبو غيلان وثقه أبو زرعة وابن حبان ، وفيه ضعف ، وبقية رجال الكبير ثقات . المجمع ١٠/ ٢١٦.

(٥) فى ح : « عبيدان » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٧١.

(٦ - ٦) سقط من : ح . ومحشته النار : أحرقته . التاج (م ح ش) .

ذِكْرُ مَنْ يدخُلُ الجنَّةَ مِن هذه الأمةِ بغيرِ حسابٍ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عِمْرانُ بنُ مَيْسَرةَ ، حدَّثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، حدَّثنا حُصَينٌ (ح) وحدَّثنا أَسِيدُ[2] بنُ زيدٍ ، حدَّثنا هُشَيمٌ ، عن حُصَيْنٍ ، قال : كنتُ عندَ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، فقال : حدَّثنى ابنُ عباسٍ ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَأَجِدُ[3] النَّبِيَّ [٩٢ظ] يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ ، وَالنَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ ، وَالنَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ ، وَالنَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ ، وَالنَّبِيَّ يَمُرُّ وَحْدَه ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، هَؤُلَاءِ أُمَّتِى ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ . فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ ، قَالَ : هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا عَذَابَ . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ[4] ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فقام إليه عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ ، فقال : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعَلَنى منهم . قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْه مِنْهُمْ » . ثم قام إليه رجلٌ آخَرُ ، فقال : ادعُ اللَّهَ أنْ يجعَلَنى منهم . قال : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » .

---

(١) البخارى (٦٥٤١) .

(٢) فى ح : « أسد » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٣٨.

(٣) فى مصدر التخريج : « أخذ » . وهى رواية الكشميهنى ، والمثبت موافق لباقى الروايات ، وانظر فتح البارى ١١/ ٤٠٧.

(٤) الكى : إحراق الجلد بحديدة ونحوها . وقد فصل النووى القول فى معنى « لا يكتوون » . وقال : والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابى ومن وافقه ... وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى اللَّه ، عز وجل ، فلم يتسببوا فى دفع ما أوقعه بهم ، ولا شك فى فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها ، وأما تطبب النبى ﷺ ففعله ليبين لنا الجواز ، واللَّه أعلم . مسلم بشرح النووى ٣/ ٩٠ - ٩٢.

وفى معنى « يسترقون » انظر فتح البارى ١١/ ٤٠٨، ٤٠٩ .

قال ابن تيمية : وإنما المراد وصف السبعين بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا أن يكويهم ولا يتطيرون من شىء . المصدر السابق .

ورَواه مسلمٌ ، عن سعيدِ بنِ منصورٍ ، عن هُشَيمٍ به[1] ، بنحوِه ، وهو أطولُ مِن هذا .

ثم أورَد البخاريُّ ومسلمٌ[2] أيضًا مِن طريقِ يونسَ ، عن الزهريِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه ، وقال فيه : ثمّ قام رجلٌ مِن الأنصارِ ، فقال : ادْعُ اللَّهَ أنْ يجعَلَنى منهم . فقال : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحيى بنُ أبى بُكَيْرٍ[4] ، حدَّثنا زُهَيْرُ بنُ محمدٍ ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « سَأَلْتُ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَعَدَنِى أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ[5] مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ ، فَاسْتَزَدْتُ فَزَادَنِى مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَقُلْتُ : أَىْ رَبِّ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ[6] هَؤُلَاءِ مُهَاجِرِى أُمَّتِى ؟ قال : إِذَنْ أُكْمِلَهُمْ لَكَ مِنَ الأَعْرَابِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا يزيدُ ، أخبَرنا إسماعيلُ ، عن زيادٍ المَخْزومِيِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَومَ القِيَامَةِ ، أَوَّلُ زُمْرَةٍ مِنْ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيهِمْ ، صُورَةُ كُلِّ رَجُلٍ

---

(١) مسلم (٢٢٠) .

(٢) البخارى (٦٥٤٢) ، ومسلم (٢١٦/٣٦٩) .

(٣) المسند ٣٥٩/٢ (٨٦٩٢) . وقال الشيخ شعيب : صحيح ، دون قوله : « فاستزدت فزادنى ... إلخ » . المسند ٣٢٦/١٤.

(٤) فى النسخ : « بكر » . والمثبت من المسند ، وانظر أطراف المسند ٧/ ٢٠٢.

(٥) سقط من : « ص » . وليست فى المسند . وانظر أطراف المسند ٧/ ٢٠٢.

(٦) فى ح : « يف » .

(٧) المسند ٥٠٤/٢ (١٠٥٥٥) . وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف لجهالة زياد المخزومى . المسند ٣٢٢/١٦.

مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ ضَوْءِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ».

ثم رَواه أحمدُ، عن حسنٍ، عن ابنِ لَهِيعَةَ، عن أبى يونسَ سُلَيمِ بنِ جُبَيرٍ[(١)]، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ[(٢)] بنحوِ ما تقدَّم.

وكذا رَواه أحمدُ، عن ابنِ مَهْدىٍّ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمةَ، عن محمدِ بنِ زيادٍ، [(٣)]عن أبى هريرةَ[(٤)]، وفيه ذكْرُ عُكَّاشَةَ.

ورَواه الطبرانىُّ مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ، عن محمدِ بنِ زيادٍ[(٣)]، عن أبى أُمَامَةَ[(٥)]، كما سيأتى.

[(٣)]**حديثٌ آخَرُ**: قال البخارىُّ[(٦)]: حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ، حدَّثنا أبو غَسَّانَ، قال: حدَّثنى أبو حازمٍ، عن سهلِ بنِ سَعْدٍ، قال: قال النبىُّ ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - شكَّ فى أحدِهما - مُتَمَاسِكِينَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ، وُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

وقد رَواه البخارىُّ ومسلمٌ، عن قُتَيْبَةَ، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى حازمٍ، عن أبيه، به[(٣)(٧)].

---

(١) فى ح: «حسين». وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٤٣.
(٢) المسند ٢/ ٣٥١ (٨٥٩٩).
(٣ - ٣) سقط من: ص.
(٤) المسند ٢/ ٣٠٢ (٨٠٠٣).
(٥) المعجم الكبير ٨/ ١٢٩ (٧٥٢٠).
(٦) البخارى (٦٥٤٣)، ومسلم (٢١٩).
(٧) البخارى (٦٥٥٤).

حديثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، حدَّثنا المسعوديُّ ، حدَّثنى [2]بُكَيرُ بنُ[2] الأخْنَسِ ، عن رجلٍ ، عن أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطِيتُ سَبعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وُجُوهُهُمْ كالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَزَادَنِى مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا » . قال أبو بكرٍ ، رضِى اللَّهُ عنه : فرأيتُ أنَّ ذلك آتٍ على أهلِ القُرَى ، ومُصِيبٌ مِن حَافَاتِ البَوادِى .

حديثٌ آخَرُ : وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أُرِىَ الأُمَمَ بالموسمِ ، فرَاثَتْ[4] عليه أمَّتُه ، قال : « فَأُرِيتُ أُمَّتِى ، فَأَعْجَبَنِى كَثْرَتُهُمْ ، قَدْ مَلَئُوا السَّهْلَ وَالجَبَلَ ، فَقِيلَ لى : إِنَّ مع هَؤلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فقال عكَّاشةُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعَلَنى منهم . فدَعا له ، ثم قامَ - يَعْنى آخَرَ - فقال : يارسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يجعَلَنى منهم . فقال : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » . قال الحافظُ الضياءُ : هذا عندى على شرطِ مُسلمٍ .

طريقٌ أُخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثَنا عبدُ الرزَّاقِ ، حدَّثَنا مَعْمَرٌ ،

---

(١) المسند ١/٦ (٢٢) . وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لجهالة الرجل الراوى عن أبى بكر . المسند ١/٢٠٣.

(٢ - ٢) فى ص : « بكر عن » . وانظر أطراف المسند ٦/ ٩٥.

(٣) المسند ١/٤٠٣ (٣٨١٩) . وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن ، من أجل عاصم ، وهو ابن أبى النجود ، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح . المسند ٦/ ٣٧٠.

(٤) فى ح : « فمرت » . وراثت عليه : أبطأت عليه . انظر النهاية ٢/ ٢٨٧.

(٥) المسند ١/٤٠١ (٣٨٠٦) . وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح . المسند ٦/ ٣٥٤.

عن قَتَادَةَ ، عن الحسنِ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، [٩٣و] عن ابنِ مسعودٍ ، قال : أكْثَرْنَا[1] الحديثَ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ ، ثم غَدَوْنَا عليهِ ، فقال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بأُمَمِهَا ، فجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ ، [2]والنَّبِيُّ وَمَعَهُ العِصَابَةُ[2] ، والنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفَرُ ، والنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ مُوسَى مَعَهُ كُبْكُبَةٌ[3] مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ ، فَأَعْجَبُونِي ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقِيلَ لِي : هَذَا أَخُوكَ مُوسَى ، مَعَهُ بَنُو إسْرَائِيلَ . قالَ : فَقُلْتُ : فأيْنَ أُمَّتِي ؟ فَقِيلَ لِي : انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ . فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا الظِّرَابُ[4] قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ ، [5]ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا الأُفُقُ قَدْ سُدَّ بوُجُوهِ الرِّجَالِ[5] ، فَقِيلَ لِي : أَرَضِيتَ ؟ فَقُلْتُ : رَضِيتُ يا رَبِّ ، [2]رَضِيتُ يَا رَبِّ[2] . فَقِيلَ لِي : إنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . فقالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فِدًى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي ، إنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ ألفًا فَافْعَلُوا ، فَإِنْ قصَّرْتُمْ[6] فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظِّرَابِ ، فَإِنْ قَصَّرْتُم فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الأُفُقِ ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ ثَمَّ نَاسًا يَتَهَاوَشُونَ[7] » . فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ لِيَا رسولَ اللَّهِ ، أَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ السَّبْعِينَ ألفًا . فَدَعَا لهُ ، فقامَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ : ادعُ اللَّهَ [8]لي يا رسولَ اللَّهِ[8] أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم . فقالَ : « قَدْ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » . قال : ثم تحدَّثْنا فَقُلْنَا : مَنْ ترَوْنَ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ الألفَ[9] ؟

---

(١) فى حاشية الأصل : « أكرينا الحديث يعنى سمرنا » ،

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الكبكبة بالضم والفتح : الجماعة المتضامة من الناس . النهاية ٤/ ١٤٤.

(٤) فى الأصل : « الضراب والأفق » . وفى ح : « الضراب » . والظراب : الجبال الصغار ، واحدها : ظَرِبٌ ، بوزن كتف ، وقد يجمع فى القلة على أظرب . النهاية ٣/ ١٥٦.

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٦) فى ح : « عجزتم » .

(٧) الهَوْشُ : الاختلاط ، أى يدخل بعضهم فى بعض . النهاية ٥/ ٢٨٢.

(٨ - ٨) سقط من : ح ، ص .

(٩) بعده فى الأصل : « فقالوا هم » . وفى ح : « قالوا » .

قَوْمٌ وُلِدُوا فى الإسْلَامِ ، لم يُشْرِكُوا [1] باللَّهِ شيئًا ، حتَّى ماتُوا ؟ فَبَلَغَ ذلك رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالَ : « همُ الَّذِينَ [1] لَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى ربِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

حديثٌ آخرُ : قالَ الطبرانىُّ [2] : حدَّثَنا محمدُ بنُ محمَّدٍ الجُذُوعىُّ [3] ، حدَّثَنا عُقبةُ بنُ مُكْرَمٍ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ أَبى عَدِىٍّ ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ ، عن محمدِ ابنِ سِيرينَ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلفًا بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ » . قيلَ : مَنْ هم يا رسولَ اللَّهِ ؟ قالَ : « همُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

ورَوَاه مسلمٌ عن يحيى بنِ خَلَفٍ ، عن المُعْتَمِرِ بنِ سُلَيْمَانَ ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ ، بِهِ [4] ، وعندَه ذِكْرُ عُكَّاشَةَ ، وَلَيسَ عندَه فى هذِه الروايةِ : « يَتَطَيَّرونَ » .

وقالَ الحافظُ الضِّياءُ : وقد رُوىَ عن عِمْرانَ مِنْ غيرِ طريقٍ .

حديثٌ آخرُ : قالَ الإمامُ أحمدُ [5] : حدَّثَنا رَوْحُ بنُ عُبَادَةَ ، حدَّثَنا ابنُ [6] جُرَيْجٍ ، أخبرنى أبو الزُّبَيْرِ ، أنَّه سَمِعَ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قالَ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المعجم الكبير ١٨/١٨٣ (٤٢٧) .

(٣) فى الأصل : « الجزوعى » . بالزاى ، وهذه نسبة إلى الجذوع ، وهى جمع جذع ، ولعل والد المنتسب إليها أو بعض أجداده كان يبيع الجذوع . اللباب ١/ ٢١٧.

(٤) مسلم (٢١٨/٣٧١) .

(٥) المسند ٣/٣٨٣ (١٥١٥٥) .

(٦) سقط من : ح . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨.

ﷺ . فذكر حديثًا ، وفيه : « فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فِى السَّمَاءِ ، ثُمَّ[1] كَذَلِكَ » . وذَكَرَ بَقِيَّتَهُ .

ورواه مسلمٌ ، من حديثِ رَوْحٍ[2] ، فلم يَرْفَعْهُ . وقَدْ روَى البزَّارُ عن عمرَ بنِ إسماعيلَ بنِ مُجَالِدٍ ، عن أبيهِ ، عن جَدِّه ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن النبىِّ ﷺ[3] ، نحوَ الذِى قبلَه سواءً .

حديثٌ آخرُ : [4]قالَ البزَّارُ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ مِرْداسٍ ، حدَّثَنا مباركٌ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، أنَّه قال : « سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، هُمُ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ ، ولَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

حديثٌ آخرُ[4] : قال البزّارُ[6] : حدَّثَنا محمدُ بنُ[7] عبدِ المَلِكِ ، حدَّثَنا أبو عَاصمٍ العَبَّادَانِىُّ ، حدَّثَنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعونَ أَلْفًا » . وهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ معَ كلِّ واحدٍ من الألوفِ ، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ معَ كُلِّ واحدٍ من

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المصدر .

(٢) مسلم (١٩١/٣١٦) .

(٣) كشف الأستار (٣٥٤١) ، وقال الهيثمى : رواه البزار عن شيخه عمر بن إسماعيل بن مجالد ، وهو مجمع على ضعفه . المجمع ١٠/٤٠٦.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) كشف الأستار (٣٥٤٥) ، وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه مبارك أبو سحيم ، وهو متروك . المجمع ١٠/٤٠٨.

(٦) كشف الأستار (٣٥٤٧) .

(٧) بعده فى ص : « مرداس حدثنا ابن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٤/٧.

الآحادِ، وهو أَشْمَلُ وأَكْثَرُ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ، أنبأَنا مَعْمَرٌ، عن قَتادَةَ، عن أنسٍ - أوْ عَنِ النضْرِ بنِ أَنَسٍ، عن أنسٍ - قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي أنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أمَّتِي أَرْبَعَمِائةِ أَلْفٍ». فقالَ أبو بكرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهُ: زِدْنَا يا رسولَ اللَّهِ. قال: «وَهَكَذا». وَجمعَ كفَّيْهِ. فقالَ: زِدْنَا يا رسولَ اللَّهِ. قالَ: «وَهَكَذَا». فقالَ عمرُ: حَسْبُكَ يَا أبا بَكْرٍ. فقالَ أبو بكرٍ: دَعْنِي يا عُمَرُ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنا اللَّهُ الْجَنَّةَ كُلَّنَا؟! فقالَ عمرُ: إنَّ اللَّهَ إنْ شَاءَ[2] أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدٍ. فقالَ النبيُّ ﷺ: «صَدَقَ عُمَرُ[3]».

طريقٌ أُخْرَى عنه: قالَ الحافِظُ أبو يَعْلَى[4]: حدَّثَنا محمدُ بنُ أبي بكرٍ، حدَّثَنا عبدُ القَاهِرِ بنُ السَّرِيِّ السُّلَمِيُّ، حدَّثنا حُمَيْدٌ، عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا». قالوا: زِدْنَا يا رسولَ اللَّهِ. قال: «لِكُلِّ رَجُلٍ سَبْعُونَ أَلْفًا». قالوا: زِدْنَا [5]يا رسولَ اللَّهِ[5]. وكانَ على كَثِيبٍ، فحَثَا بِيَدِهِ[6]، [٩٣ظ] قالُوا: زِدْنَا يا رسولَ اللَّهِ. فقالَ: «وهَكَذَا». وحَثَا بِيَدِهِ. قالُوا: يا نبيَّ اللَّهِ، أَبْعَدَ اللَّهُ مَن دَخَلَ النَّارَ بعدَ هذا.

قالَ الحافِظُ الضِّياءُ: لا أعْلَمُه روِى عن أنسٍ إلَّا بهذا الإسنادِ. وقد سُئِلَ ابنُ مَعِينٍ[7] عن عبدِ القاهرِ، فقالَ: صالحٌ.

---

(١) المسند ٣/١٦٥ (١٢٧١٨). وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح. المسند ٢٠/١٢٢.
(٢) سقط من: الأصل.
(٣) سقط من: ص.
(٤) مسند أبي يعلى (٣٧٨٣).
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.
(٦) في الأصل، ح: «بيديه».
(٧) انظر الجرح والتعديل ٦/٥٧.

حديثٌ آخرُ غريبٌ : قال الطبرانيُّ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ صالحِ بنِ الوليدِ النَّرْسِيُّ ، ومحمدُ بنُ يَحيى بنِ مَنْدَه الأَصْبهانِيُّ ، قالَا : حدَّثنا أبو حفصٍ عمرُو ابنُ عليٍّ ، حدَّثنا مُعاذُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنى أبِى ، عن قتادةَ ، [2]عن أبى بكرِ بنِ أنسٍ[2] ، عن أبى بكرِ بنِ عُمَيرٍ ، عن أبيهِ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ اللَّهَ وَعَدنى أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِى ثلاثَمِائَةِ ألفِ الْجَنَّةَ » . فقال عُمَيرٌ : يَا رسولَ اللَّهِ ، زِدْنَا . [3]فقالَ : « وهَكَذَا » . بِيَدِهِ . فقال عُمَيرٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، زِدْنَا[3] . فقالَ عُمَرُ : حَسْبُك يا عُمَيْرُ . فقالَ : ما لَنَا ولَكَ يا بنَ الخَطَّابِ ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللَّهُ تعالى الجَنَّةَ ؟ فقالَ عمرُ : إنَّ اللَّهَ تعالى إنْ شاءَ أَدْخَلَ النَّاسَ الْجَنَّةَ بِحَفْنَةٍ أو بحَثْيةٍ واحدةٍ . فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ عُمَرُ » .

قالَ الحافظُ الضِّياءُ : لا أَعْرِفُ لعُمَيْرٍ حديثًا غيرَه .

حديثٌ آخرُ : قال أبو بكرِ بنُ أبِى شَيْبَةَ[4] : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، سَمِعْتُ محمدَ بنَ زِيادٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِى أُمَامةَ البَاهلِيِّ ، عن النبىِّ ﷺ (ح) وقال الطَّبَرَانيُّ[5] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ المُعَلَّى الدِّمَشْقِيُّ ، والحسينُ بنُ إِسحاقَ التُّسْتَرِيُّ قالَا : حدَّثنا هِشَامُ بنُ عَمَّارٍ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، أخبرنى محمدُ بنُ زيادٍ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « وَعَدَنى رَبِّى أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلفًا ، مَعَ كلِّ ألفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، لَا حِسَابَ

---

(١) المعجم الكبير ١٧/٦٤ (١٢٣) .

(٢ - ٢) سقط من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/٨٥، والإصابة ٦/ ٤١ .

(٣ - ٣) زيادة من النسخ ليست فى مصدر التخريج .

(٤) المصنف (١١٧٦٠) .

(٥) المعجم الكبير ٨/ ١٢٩، ١٣٠ (٧٥٢٠) .

عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ ، وثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّى عَزَّ وجَلَّ » . واللفظُ لابنِ أبِى شَيْبَةَ ، وليس عندَ الطَبَرانىِّ : « مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا » .

طريقٌ أُخْرَى عنه : قال أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[1] : حدَّثنا دُحَيْمٌ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، حدّثنا صَفْوانُ بنُ عمرٍو ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ ، و[2]أبى اليَمَانِ الهَوْزَنِىِّ ، عن أبى أُمامةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قالَ : « إنَّ اللَّهَ وَعَدَنِى أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ » . قال يزيدُ بنُ الأَخْنَسِ : واللَّهِ مَا أُولئِكَ فى أُمَّتِكَ يا رسولَ اللَّهِ إلَّا مثلَ الذُّبَابِ الأَصْهَبِ فِى الذِّبَّانِ[3] . فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِى سَبْعِينَ أَلْفًا ، مع كلِّ ألفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وزَادَنِى ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ » .

قال الضِّياءُ : رجالُه رجالُ الصَّحيحِ إلَّا الهَوْزَنِىَّ ، واسمُه عامرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ لُحَىٍّ ، وَمَا عَلِمتُ فيه جَرْحًا .

حديثٌ آخرُ : قال الطبرانىُّ[4] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ خُلَيْدٍ ، حدَّثنا أبو تَوْبَةَ ، حدَّثنَا معاويةُ بنُ سَلَّامٍ ، عن زيدِ بنِ سَلَّامٍ ، أنّه سَمِعَ أبا سلَّامٍ يقُولُ : حدَّثَنى عامرُ بنُ زَيدٍ البِكَالِىُّ ، أنّه سَمِعَ عُتْبَةَ بنَ عَبْدٍ السُّلَمِىَّ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ رَبِّى وَعَدَنِى أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ،

---

(١) الآحاد والمثانى (١٢٤٧) .

(٢) فى النسخ : « عن » . والمثبت من المصدر ، وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٠١، ٢٠٢، ١٤/ ٦٠.

(٣) فى النسخ : « الذباب » . والمثبت من المصدر ، وأشار إليه فى هامش نسخة الأصل . والذِّبان جمع الذباب ، وبهذا يستقيم السياق . انظر لسان العرب (ذ ب ب) .

(٤) المعجم الكبير ١٧/ ١٢٦، ١٢٧ (٣١٢) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير من طريق عامر بن زيد البكالى ، وقد ذكره ابن أبى حاتم ، ولم يجرحه ولم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات . المجمع ١٠/ ٤٠٩.

(١ثُمَّ يَشْفَعَ(٢) كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ يَحْثِى رَبِّى تَعَالَى بِكَفَّيْهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ »١) . فَكَبَّرَ عُمَرُ، وقالَ : إنَّ السَّبْعِينَ الأُولَى يُشَفِّعُهم اللَّهُ فى آبائِهِمْ، وأبْنائِهِمْ . وعَشائِرِهم، وأَرْجُو أَنْ يَجْعلَنى اللَّهُ فِى أَحَدِ الْحَثَيَاتِ الأَوَاخِرِ .

قال الحافظُ الضِّياءُ : لا أعلمُ لِهذَا الإسنادِ عِلَّةً، واللَّهُ أَعْلمُ .

حَدِيثٌ آخَرُ : قال الإمامُ أحمدُ(٣) : حدَّثنا يحيى بنُ سَعِيدٍ، حدَّثنا هِشَامٌ - يَعْنِى الدَّسْتُوائىَّ - حدَّثنا يحيى بنُ أبى كَثِيرٍ، عن هِلَالِ بنِ أَبِى مَيْمُونَةَ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ، أنَّ رِفاعةَ الْجُهَنِىَّ حَدَّثَهُ، قال : أَقْبَلْنَا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتّى إذا كُنَّا بالكَدِيدِ، أو قال : بقُدَيْدٍ . فَذَكَر حديثًا فيهِ : ثم قالَ : « وَعَدنِى رَبِّى، عزَّ وَجَلَّ، أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وإنِّى لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا أَنْتُمْ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذَرَارِيِّكُمْ مَسَاكِنَ فِى الْجَنَّةِ » .

ورَواه يعقوبُ بنُ سفيانَ، عن آدمَ بنِ أبِى إياسٍ، عن شَيْبانَ، عن يحيى بنِ أبى كَثِيرٍ، به . قالَ الحافِظُ الضِّياءُ : هذَا عِنْدِى عَلَى شَرْطِ الصَّحيحِ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

حديثٌ آخرُ : قالَ الطَّبرانىُّ(٤) : حدَّثنا عمرُو بنُ إسحاقَ بنِ زِبْرِيقٍ(٥)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) المسند ١٦/٤ (١٦٢٦٣) .

(٤) المعجم الكبير ٨٧/٢ (١٤١٣) .

(٥) فى الأصل : « زبزيق »، وفى ح، ص: « زريق » . والمثبت من المصدر، وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٣٦٩ فى ترجمة أبيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى . وإبراهيم هو المعروف بزبريق .

الحِمْصِيُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنى أَبِى ، عن ضَمْضَمِ بنِ زُرْعَةَ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن أبى أسماءَ الرَّحَبِيِّ ، عن ثَوْبانَ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنَّ رَبِّى وَعَدَنِى مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ، مع كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلفًا » .

حديثٌ آخرُ : قالَ الطَّبَرانِيُّ[1] : حدّثنا أحمدُ بنُ خُلَيْدٍ ، حدَّثَنا أبو تَوْبةَ ، حدَّثَنا معاويةُ [٩٤و] بنُ سَلَّامٍ ، عن زيدِ بنِ سَلَّامٍ ، أنَّه سَمِعَ أبَا سَلَّامٍ يقُولُ : حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ ، أَنَّ قَيْسًا الكِنْدِيَّ حدَّثَه أنَّ [2]أبا سعيدٍ الأَنْمارِيَّ[2] حَدَّثَهُ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : « إنَّ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَدَنِى أن يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَيشْفَعَ [3]كلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ[3] أَلْفًا ، ثُمَّ يَحْثِى رَبِّى ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ بِكَفَّيْهِ » .

قالَ قيسٌ : فقلتُ لأَبِى سعيدٍ : أَنْتَ سمِعتَ هذَا مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قالَ : نَعَمْ ، بأُذُنَىَّ ، وَوَعَاهُ قَلْبِى . قالَ أبو سعيدٍ : [4]فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] : « وَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَسْتَوْعِبُ مُهاجِرِى أُمَّتِى ، ويُوَفِّى اللَّهُ بَقِيَّتَهُ مِنْ أَعْرَابِنَا » .

قال الطبرانِيُّ[5] : لم يُرْوَ عن أَبِى سعيدٍ الأَنْمَارِيِّ إلَّا بهذَا الإسنادِ ، تفرَّدَ بهِ

---

(١) المعجم الكبير ٢٢/٣٠٤ (٧٧١) ، والأوسط (٤٠٦) . قال الهيثمى : رجاله ثقات . المجمع ١٠/ ٤٠٩.

(٢ - ٢) فى المعجم الكبير : « أبا سعد الأنصارى » . وأورده عنه الهيثمى وقال : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، إلا أنه قال فى الأوسط : أبو سعيد الأنمارى .

وأورده ابن حجر بالوجهين وقال : فمن هذا الاختلاف يُتوقف فى الجزم بصحة هذا السند ، وجزم الخطيب فى المؤتلف ، وتبعه ابن ماكولا بأنه أبو سعد الخير ، واسمه بَجِير بوزن عظيم . الإصابة ٧/ ١٧٧.

(٣ - ٣) فى ص : « لكل ألف سبعين » .

(٤ - ٤) سقط من المعجم الأوسط .

(٥) المعجم الأوسط ١/ ٢٥٨.

معاويةُ بنُ سَلَّامٍ .

وقال الحافِظُ الضِّياءُ : وَقَدْ رَوَاه محمدُ بنُ سَهْلِ بنِ عَسْكَرٍ ، عن أبى تَوْبَةَ الرَّبيعِ بنِ نافعٍ ، بإسنادِهِ ، قالَ أبو سعيدٍ : فَحُسِبَ ذلك عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فبلَغَ أرْبَعَةَ آلافِ أَلْفِ[1] ألْفٍ وتسعَمائةِ[2] ألفٍ ، قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن ذَلِكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ يَسْتوعِبُ مُهاجِرِى أمَّتِى » .

حديثٌ آخرُ : قالَ البزَّارُ[3] : حدَّثَنا محمودُ بنُ بَكْرٍ ، حدَّثنا أبِى ، عن عيسى ، عن ابنِ[4] أبِى لَيْلَى ، عن عَطِيَّةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ » . فقامَ عُكَّاشَةُ فقالَ : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنهم . فقال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » . فقَال رجُلٌ آخرُ : ادْعُ اللَّهَ أن يجعَلَنى مِنهم . قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » . فَسَكَتَ القَوْمُ ، ثم قالَ بعضُهم لِبَعضٍ : لو[5] قُلْنا : يَا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعلَنا منهم . قال : « سَبَقَكُمْ بِهَا عُكَّاشَةُ وصَاحِبُهُ ، أمَا إنَّكُمْ لَوْ قُلْتُم لَقُلْتُ ، وَلَوْ قُلْتُ لَوَجَبَتْ » .

حديثٌ آخرُ : رَوَاه البيهقىُّ فى كتابِ « البعثِ والنشورِ »[6] ، مِن حديثِ

---

(١) سقط من : ح .

(٢) فى الأصل ، ص : « سبعمائة » .

(٣) كشف الأستار ٤/٢١٠ (٣٥٥٠) . وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه عطية ، وهو ضعيف وقد وثق ، ومحمود بن بكر لم أعرفه . المجمع ١٠/٤٠٧.

(٤) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٦٢٢.

(٥) فى النسخ : « أو » . والمثبت من المصدر .

(٦) لم نجده فى نسخة البعث التى بين أيدينا ، وقد أورده البيهقى فى شعب الإيمان ١/٢٥٢ (٢٦٨) بدون الإسناد ، وذكر أنه أورده فى البعث . وقال الهيثمى : واختلف فى اسم صحابيه ؛ فقيل : عمرو بن عمير . وقيل : عمير بن عمرو . وقيل : عمارة بن عمير . وقيل : عمرو بن حزم . وقيل : عمرو بن بلال . المجمع ١٠/ ٤١٠.

الضَّحاكِ بنِ نِبْرَاسٍ ، حدَّثنى ثابتُ بنُ أسلمَ البُنَانىُّ ، عن أبى يَزِيدَ المَدِينىِّ ، عن عمرو[1] بنِ حزمٍ الأنْصَارِىِّ ، قالَ : تَغَيَّبَ عَنَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثًا ، لا يخرُجُ إلَّا لِصَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ، ثم يَرْجِعُ ، فلمَّا كانَ يومُ الرابعِ خَرَجَ إليْنا ، فقلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، احْتَبَسْتَ عَنَّا ، حتّى ظَنَنَّا أنَّه قَدْ حَدَثَ حَدَثٌ ؟ فقال : « إنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ إلَّا خَيْرٌ ، إنَّ رَبِّى عَـزَّ وَجَلَّ ، وَعَدَنِى أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ ، وإنِّى سَأَلْتُ رَبِّى فِى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الأَيَّامِ الْمَزِيدَ ، فَوَجَدْتُ رَبِّى وَاجِدًا مَاجِدًا كَرِيمًا ، فأَعْطَانِى مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعِينَ أَلْفًا » . قالَ : « قلتُ : يا رَبِّ ، وَتَبْلُغُ أُمَّتِى هَذَا ؟ قالَ : أُكْمِلُ لَكَ الْعَدَدَ مِنَ الأَعْرَابِ » . الضَّحَّاكُ هذا قد تَكَلَّموا فيهِ ، وقال النَّسَائىُّ[2] : متروكٌ . [3]وتَقَدَّمَ[4] فى أحاديثِ الحوضِ من حديثِ سعيدٍ ، عن حُذَيْفَةَ ، عن النبىِّ ﷺ فى حديثٍ طويلٍ ، وفيهِ : « وَبَشَّرَنِى أَنَّ مَعِىَ سَبْعِينَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ » . رواه أحمدُ .

وذكرَ ابنُ الأثيرِ[5] فى ترجمةِ عامرِ بنِ عُمَيْرٍ ، وَكانَ قَدْ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى وَجَدْتُ رَبِّى مَاجِدًا ، أعْطَانِى سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا . فَقُلْتُ : إن أُمَّتِى لَا تَبْلُغُ هَذَا ؟ فَقَالَ : أُكْمِلُهُمْ لَكَ مِنَ الأَعْرَابِ » . قال : رواه ثَابِتٌ البُنَانِىُّ ، عن أبِى يزيدَ المَدنِىِّ عَنْهُ[3] .

---

(١) فى ح : « عمر » . وانظر أسد الغابة ٤/٢١٤ .

(٢) انظر المجموع فى الضعفاء والمتروكين (٣١١) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تقدم فى ١٩/٤٣٧ .

(٥) أسد الغابة ٣/ ١٣٥ .

حَدِيثٌ آخرُ : قالَ الطَّبَرانيُّ[1] : حدَّثنا هاشمُ بنُ مَرْثَدٍ الطبرانيُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ[2] ، حدَّثنا أبِى ، حدَّثنى ضَمْضَمُ بنُ زُرْعةَ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن أبِى مالكٍ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ مِثْلَ اللَّيْلِ الأَسْوَدِ زُمْرةً ، جَمِيعُهَا[3] يَخْبِطُونَ[4] الأَرْضَ ، تَقُولُ المَلَائِكَةُ : لِمَا جاءَ مَعَ مُحَمَّدٍ أَكْثَرُ مِمَّا جاءَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ » .

ذِكْرُ كَيْفِيَّةِ تَفَرُّقِ العِبادِ عن مَوْقفِ الحسابِ ، وما إليه أمْرُهم يصيرُ ؛ ففريقٌ فى الجنَّةِ ، وفريقٌ فى السَّعيرِ

قال اللَّهُ تعالَى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۘ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] . وقال تعالَى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم : ١٤- ١٦] . وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم : ٤٣] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ . الآيات إلى قوله : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى

---

(١) المعجم الكبير ٣/٣٣٧ (٣٤٥٥) ،. قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش ، وهو ضعيف .

(٢) فى ص : « عباس » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/٤٨٣، ٤٨٤.

(٣) فى ص : « جميعًا » .

(٤) ص ، ومصدر التخريج : « يحيطون » . وانظر المجمع .

تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ [٩٤ظ] قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية: ٢٧ - ٣١] إلى آخرِ السورةِ. وقال تعالى: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٠، ٧١] الآيات إلى آخرِ السورةِ، وذكر أن هؤلاءِ سِيقُوا إلى الجنةِ، وهؤلاءِ سِيقُوا إلى جهنمَ، بعدَ موقفِ الحسابِ وانصرافِهم عنه. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٥- ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: ٩، ١٠]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

والآياتُ في هذا كثيرةٌ جدًّا، ولْنَذْكُرْ مِن الأحاديثِ ما يُناسبُ هذا المقامَ، وهي مُشْتَمِلَةٌ على مقاصِدَ كثيرةٍ غيرِ هذا الفصلِ، وسَنُشِيرُ إليها.

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُثمانَ العِجْلِيُّ ، حدَّثنا أبو أُسامَةَ ، عن مـالِكِ بـنِ مِغْوَلٍ ، عن القاسمِ بنِ الوليدِ ، فى قولِه تعالَى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٤] . قال : حيـنَ سِيقَ أهْلُ الجنَّةِ إلى الْجَنَّةِ ، وأهلُ النَّارِ إلى النارِ .

إيرادُ الأحاديثِ فى ذلك : قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا أبو اليمانِ ، أخبرَنا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، أخبرَنى سَعِيدٌ وعطاءُ بنُ يَزِيدَ ، أنَّ أبا هريرةَ أخبرَهما عن النبيِّ ﷺ (ح) . وحدَّثنى محمودٌ ، حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرِيِّ ، عن عَطاءِ بنِ يزيدَ اللَّيْثِيِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال أُناسٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنا يَوْمَ القيامةِ ؟ فقال : « هَلْ تُضَارُّونَ[3] فى الشَّمْسِ[4] لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » قالوا : لا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « هَلْ تُضَارُّونَ فى الْقَمَرِ[5] لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ » ؟ قالوا : لا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ : مَـنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ . فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشمسَ[6] ، وَيَتْبَعُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ القمرَ[6] ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطواغيتَ[7] ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَـا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُـونَ : نَعُوذُ باللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا

---

(١) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٤٧/٣٠ من طريق مالك بن مغول به .

(٢) البخارى (٦٥٧٣) .

(٣) تضارون : يروى بالتشديد والتخفيف ، فالتشديد بمعنى تتخالفون وتتجادلون فى صحة النظر إليها ؛ لوضوحها وظهورها . يقال : ضارَّه يُضَارُّه ، مثل ضره يضره . قال الجوهرى : يقال : أضرنى فلان ، إذا دنا منى دنوًّا شديدًا . فأراد بالمُضارَّة الاجتماع والازدحام عند النظر إليها . وأما التخفيف فهو من الضير ، لغة فى الضر ، والمعنى فيه كالأول . انظر النهاية ٣/ ٨٢.

(٤) فى الأصل : « رؤية الشمس » .

(٥) فى الأصل : « رؤية القمر » .

(٦) ليس فى : ح ، مصدر التخريج .

(٧) ليس فى مصدر التخريج .

جَاءَ رَبُّنا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِى الصُّورَةِ الَّتِى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتْبَعُونَهُ ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ » . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأَكُونُ[1] أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ[2] . وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وَفِيهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ[3] بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ[4] ، ثُمَّ يَنْجُو ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ[5] بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُ ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ ، يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الْحَيَاةِ . فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَدْ قَشَبَنِى رِيحُهَا[6] ، وأَحْرَقَنِى ذَكَاؤُهَا[7] ، فَاصْرِفْ وَجْهِى عَنِ النَّارِ . فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ ، فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِى غَيْرَه ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : يَا

---

(١) بعده فى ح : « أنا وأمتى » . وهو موافق لإحدى روايات البخارى . انظر فتح البارى ١١/ ٤٥٢ .

(٢) بعده فى ح : « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » . وهو موافق لإحدى روايات البخارى . انظر المصدر السابق .

(٣) الموبق : المهلك .

(٤) فى ص : « المخزول » . والمخردل : المَرْميُّ المصروع ، وقيل : المُقَطَّع ، تُقَطِّعه كلاليب الصراط حتى يهوى فى النار . يقال : خردَلْتُ اللحم - بالدال والذال - أى فصلت أعضاءه وقطّعته . النهاية ٢/ ٢٠ .

(٥) فى النسخ : « القصاص » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٦) قشبنى ريحها : آذانى ، كَقشَّبنى تقشيبا ، كأنه قال : سمَّنى ريحُها . التاج (ق ش ب) .

(٧) ذكاؤها : التهابها .

رَبِّ ، قَرِّبْنِى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُ : أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِى غَيْرَهُ ؟ وَيْلَكَ ! يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ! فَلَا يَزَالُ يَدْعُو ، فَيَقُولُ : لَعَلِّى[1] إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِى غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . فَيُعْطِى اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ ما شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : رَبِّ ، أَدْخِلْنِى الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : أَوَ لَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِى غَيْرَهُ ؟ وَيْلَكَ ! يَا بْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ! . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، لَا تَجْعَلْنِى [٩٥و] أَشْقَى خَلْقِكَ . فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا ، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا . فَيَتَمَنَّى ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا . فَيَتَمَنَّى ، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِىُّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

قال أبو هريرةَ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجنةَ دخُولًا . قال[2] : وأبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ جالسٌ مَعَ أَبى هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْه شَيْئًا مِن حَديثِه ، حتَّى إذا انْتَهى إِلَى قولِه : « هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : سَمِعْتُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : ما حفِظْتُ إلَّا : « وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

وهكذا رواه البخارىُّ مِنْ حديثِ إبراهيمَ بنِ سَعْدٍ ، عن الزهرىِّ ، به[3] ، وزاد : فقال أبو سعيدٍ : أَشْهَدُ أَنِّى حَفِظْتُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ قولَه : « ذَلِكَ لَكَ وَ عَشَرَةُ أَمْثَالِهِ » ، وهذا الإثباتُ من أبى سعيدٍ مُقَدَّمٌ عَلَى ما لم يَحْفَظْه أبو هريرةَ ، حتى ولو نفاه أبو هريرةَ قدَّمنا إثباتَ أبى سعيدٍ ؛ لِمَا معَهُ من زيادةِ الثِّقَةِ المقبولةِ ، لا سِيَّما وقد تابَعه غيرُه من الصحابةِ ، كابنِ مسعودٍ ، كما سيأتى قريبًا إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى ح : « لعلك » .

(٢) أى عطاء بن يزيد .

(٣) البخارى (٧٤٣٧) .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، حدَّثنا اللَّيْثُ ، عن خالدِ بنِ يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى هِلَالٍ ، عن [2]زيدٍ ، عن[2] عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِيِّ ، قال : قلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، هل نَرَى رَبَّنا ؟ قال : « هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إذَا كَانَتْ صَحْوًا ؟ » قلنا : لا . قال : « فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَتِهِمَا » . قال : « ثُمَّ يُنَادِى مُنَادٍ : لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إلَى مَا كَانُوا يَعبُدُون . فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْقَى إلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، وَغُبَّرَاتٌ[3] مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللَّهِ . فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ؛ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ ولا وَلَدٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنا . قال : فَيُقَالُ : اشْرَبُوا . فَيَتَسَاقَطُونَ فِى جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى : مَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ . فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُم ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ . فَيُقَالُ : مَا تُرِيدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنا . فَيُقَالُ : اشْرَبُوا . فَيَتَسَاقَطُونَ فِيهَا حَتَّى لَا يَبْقَى إلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا يُجْلِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ ! [4]فَيَقُولُونَ : إِنَّ لَنَا إِلَـهًا كُنَّا نَعْبُدُه ، فَارَقْنَا النَّاسَ ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنّا إِلَيْه الْيَوْمَ[4] ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنادِيًا يُنَادِى : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بما كَانُوا

---

(١) البخارى (٧٤٣٩) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « زيد بن » ، وفى ح : « يزيد بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٣، ٢٠/ ١٢٥.

(٣) غبرات : جمع غُبَّر ، وغبر : جمع غابر ، وهو الباقى . انظر النهاية ٣/ ٣٣٨.

(٤ - ٤) فى ص : « فيقال : فارقنا ونحن أحوج منا إليه » ، وفى البخارى : « فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه » . قال ابن حجر : ووقع فى رواية مسلم هنا : « فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم » ورجح عياض رواية البخارى ، وقال غيره : الضمير لله ، والمعنى : فارقنا الناس فى معبوداتهم ولم نصاحبهم ونحن اليوم أحوج لربنا ، أى إنا محتاجون لربنا . فتح البارى ١١/ ٤٥٠.

يَعْبُدُون . وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنا ، عَزَّ وَجلَّ » . قال : « فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ ، سُبْحَانَهُ ، فِى صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِه الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . [1]فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا[1] ؟ وَلَا يُكَلِّمُهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ ، فَيُقَالُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَلَامَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ :السَّاقُ . فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ ، فيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ » . قُلنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قال : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ ، وَكَلَالِيبُ ، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَةٌ[4] تَكُونُ بِنَجْدٍ ، يُقَالُ لَهَا : السَّعْدانُ . الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ ، والرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ[3] فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا ، فَمَا أَنتُمْ بِأَشَدَّ لِى مُنَاشَدَةً فِى الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ ، مِنَ الْمُؤْمِنِين يَومَئِذٍ لِلْجَبَّارِ ، إذا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا ، فِى إِخْوَانِهِمْ ، يَقولُونَ : رَبَّنا ، إِخْوانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، ويَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : اذْهَبُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِه مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فأَخْرِجُوهُمْ . وَيُحرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِى النَّارِ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ، ثُمَّ يَعُودُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوه .

(١ - ١) فى النسخ : « فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مقامنا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله فى صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا » . والمثبت من البخارى ؛ ليستقيم السياق .

(٢) عقيفة : أى ملْويّة كالصِّنّارة . النهاية ٣/ ٢٧٦.

(٣) مكدوس : مدفوع . النهاية ٤/ ١٥٥.

فَيُخْرِجُون مَنْ عَرَفُوا » . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فإن لم تُصَدِّقُونِى فاقْرَءُوا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء : ٤٠] . « فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ ، وَالْمَلائِكَةُ ، والْمُؤْمِنُونَ ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ ، عَزَّ وَجَلَّ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِى . فَيَقْبِضُ قَبْضَةً ، فيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتَحَشُوا ، فيُلْقَوْن فِى نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ . فَيَنْبُتُون فِى حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ ، وَإِلى جَانِبِ الشَّجَرَةِ ، فَمَا كَانَ [٩٥ظ] إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ ، فَيُجْعَلُ فِى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : هَـٰؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ ، أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ . فيُقَالُ لَهُمْ : لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

وقال مسلمٌ[1] : حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، وإسحاقُ بنُ منصورٍ ، كلاهما عن رَوْحٍ ، قال عُبَيدُ اللَّهِ : حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ القَيْسيُّ ، حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أَخْبَرنى أبو الزُّبيرِ ، أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يُسْأَلُ عن الوُرودِ ، فقال : [2] نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا - انْظُرْ : أَىْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ [2] - قال : فَتُدْعَى الأُمَمُ

---

(١) مسلم (١٩١/٣١٦) .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ ، وصحيح مسلم . قال النووى : هكذا وقع هذا اللفظ فى جميع الأصول من صحيح مسلم ، واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاط فى اللفظ ، قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين : هذا الذى وقع فى كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين أو كيف كان ، وقال القاضى : هذه صورة الحديث فى جميع النسخ ، وفيه تغيير كثير وتصحيف . قال : وصوابه : « نجيء يوم القيامة على كوم » ، هكذا رواه بعض أهل الحديث . وفى كتاب ابن أبى خيثمة من طريق كعب بن مالك : يحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتى على تل . وذكر الطبرى فى التفسير من حديث ابن عمر : فيرقى هو - يعنى محمدًا ﷺ - وأمته على كوم فوق الناس . وذكر من حديث كعب ابن مالك : « يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل » . قال القاضى : فهذا كله يبين ما تغير من الحديث ، وأنه أُظلم هذا الحرف على الراوى أو امَّحى فعبر عنه بكذا وكذا . وفسره بقوله : أى فوق الناس . وكتب عليه « انظر » . تنبيها ، فجمع النقَلةُ الكلَّ ونسقوه على أنه من متن الحديث كما تراه . هذا كلام القاضى ، وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين ، والله أعلم . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٤٨ .

بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، الْأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ : مَنْ تَنْتَظِرُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَنْتَظِرُ رَبَّنَا . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ . فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ ، قال : فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ ، وَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ ؛ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فى السَّمَاءِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، فَيَشْفَعُونَ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَكَانَ فى قَلْبِهِ مِن الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِى السَّيْلِ[1] ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ[2] ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا .

وقال مسلمٌ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ طَرِيفِ بنِ خَليفةَ البَجَليُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، حدَّثنا أبو مالكٍ الأشْجَعيُّ ، عن أبى حازِمٍ ، عن أبى هُريرةَ ، وأبو مالكٍ ، عن رِبْعِيٍّ ، عن حُذَيْفةَ ، قالا : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ تُزْلَفُ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا ، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : وهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ؟! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ » . قال : « فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ

---

(١) قال النووى : قوله : « حتى ينبتوا نبات الشىء فى السيل » . هكذا هو فى جميع الأصول ببلادنا : « نبات الشىء » . وكذا نقله القاضى عياض عن رواية الأكثرين ، وعن بعض رواة مسلم : « نبات الدمن » . يعنى بكسر الدال وإسكان الميم ، وهذه الرواية هى الموجودة فى الجمع بين الصحيحين لعبد الحق ، وكلاهما صحيح لكن الأول هو المشهور الظاهر وهو بمعنى الروايات السابقة : « نبات الحبة فى حميل السيل » . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٤٩.

(٢) حراقه : الضمير فيه يعود على المخرَج من النار ، ومعناه : أثر النار . انظر المصدر السابق ٣/ ٤٩، ٥٠.

(٣) مسلم (١٩٥) .

بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى [1] الَّذِى كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا . فَيَأْتُونَ مُوسَى [1] . فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ . فَيَقُولُ عِيسَى : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، [2] اذْهَبُوا إلى مُحمَّدٍ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ [2] ، فَيَقُومُ وَيُؤْذَنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَيَقُومَانِ جَنَبَتَى الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ » . قال : قلتُ : بأبى أنت وأمِّى ، أىُّ شىءٍ كمَرِّ البَرْقِ ؟ قال : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ ، كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِى طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، وَشَدِّ [3] الرِّجَالِ ، تَجْرِى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ ، يَقُولُ : رَبِّ ، سَلِّمْ سَلِّمْ . حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِىءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا » . قال : « وَفِى حَافَتَىِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ ، تَأْخُذُ [4] مَنْ أُمِرَتْ بِهِ ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ ، وَمَكْدُوسٌ فِى النَّارِ » . والذى نفسُ أبى هريرةَ بيدِه ، إن قَعْرَ جَهنمَ لَسبعـون [5] خَريفًا .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنا أبو خَيْثَمةَ ، حدَّثنا عفانُ بنُ مسلمٍ ، حدَّثنا حمادُ ابنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن عُمارةَ القُرشىِّ ، عن أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى الأشْعَرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَحْشُرُ اللَّهُ تعالى الْأُمَمَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ مَثَّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيَتَّبِعُونَهُمْ حَتَّى يُقْحِمُونَهُمُ النَّارَ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا وَنَحْنُ فِى مَكَانٍ رَفِيعٍ ، فَيَقُولُ : مَا أَنْتُمْ ؟ فَنَقُولُ : نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ . فَيَقُولُ : مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فَنَقُولُ : نَنْتَظِرُ رَبَّنَا . فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَه

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم .

(٢ - ٢) فى ح : « اذهبوا إلى محمد » ، وفى ص وصحيح مسلم : « فيأتون محمدا ﷺ » .

(٣) الشد : العَدْو . النهاية ٢/ ٤٥٢ .

(٤) فى ص ، وصحيح مسلم : « بأخذ » . والمثبت موافق لإحدى نسخ صحيح مسلم . انظر صحيح مسلم ١/ ١٣٠ (الطبعة السلطانية) .

(٥) فى ح ، ص : « لسبعين » . وهو موافق لإحدى نسخ صحيح مسلم .

إِنْ رَأَيْتُمُوهُ . فَنَقُولُ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : وَكَيْفَ تَعْرِفُونَه وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ فَنَقُولُ : إِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ . فَيَتَجَلَّى لَنَا ضَاحِكًا ، فَيَقُولُ : أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ جَعَلْتُ مَكَانَه فِى النَّارِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » .

وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبدِ الصَّمَدِ وعفانَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، به مثلَه[(١)] ، ولم يُخرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوجهِ ، ولكن روَى مسلمٌ[(٢)] مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى بُرْدةَ وعَوْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، عن أبى بُرْدةَ ، عن أبيه أبى موسى الأشْعَرِىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه قال : « لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » .

فصلٌ فى ذكْرِ الصِّراطِ غيرُ ما ذُكِر آنفًا مِن الأحاديثِ الصحيحةِ

ثم ينتَهِى الناسُ بعدَ مُفارقتِهم مكانَ الموقفِ إلى الظُّلْمةِ التى دُونَ الصِّراطِ - وهو جسرٌ على جهنَّمَ - كما تقدَّم[(٣)] عن عائشةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئل : أين يكونُ الناسُ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّماواتُ ؟ فقال : « هُمْ فِى الظُّلْمَةِ دُوْنَ [٩٦و] الْجِسْرِ » . وفى هذا الموضعِ يُمَيَّزُ[(٤)] المنافقون عن المؤمنين ، ويتَخَلَّفون عنهم ، ويَسْبِقُهم المؤمنون ، ويُحَالُ بينَهم ، وبينَهم بسُورٍ يَمْنَعُهم مِن الوصولِ

---

(١) المسند ٤/ ٤٠٧، ٤٠٨ (١٩٦٧١) . والحديث رواه أحمد عن حسن بن موسى وعفان لا عن عبد الصمد وعفان كما ذكر المصنف ، رحمه الله . وانظر أطراف المسند ٧/ ١٠٦، وجامع المسانيد ١٤/ ٦٢٤.

(٢) مسلم (٥٠/ ٢٧٦٧) .

(٣) تقدم فى ١٩/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٤) فى ح : « يفارق » ، وفى ص : « يفترق » .

إليهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢- ١٥]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

(١) وقال الحافظُ أبو الحسنِ الدارقطنيُّ فى كتابِ «الأفرادِ»(٢): حدَّثنا محمدُ ابنُ مَخْلدِ بنِ حفصٍ، ومحمدُ بنُ أحمدَ المَطِيرِيُّ(٣)، قالا: حدَّثنا محمدُ بنُ حمزةَ بنِ زيادٍ الطُّوسيُّ، حدَّثنا أبى، حدَّثنا قَيْسُ بنُ الرَّبيعِ، عن عُبَيْدٍ المُكْتِبِ، عن مُجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «جَهَنَّمُ مُحِيطَةٌ بالدُّنْيا، (٤)وَالْجَنَّةُ مِنْ وَرَائِها(٤)؛ وَلِذَلِكَ صَارَ الصِّرَاطُ (٤)عَلَى جَهَنَّمَ(٤) طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». ثم قال: غريبٌ مِن حديثِ مُجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ، لم يَرْوه عن عُبَيْدٍ المُكْتِبِ، غيرُ قَيْسٍ، وتفرَّد به حمزةُ بنُ زيادٍ، عنه(١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان ٢/٩٣ من طريق محمد بن أحمد المطيرى، به، كما أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٢/٢٩١ من طريق محمد بن مخلد به، والحديث منكر جدًّا. السلسلة الضعيفة (٣٦٦).

(٣) فى الأصل، ح: «المطرى». وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠١.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ح. والمثبت من مصادر التخريج.

وقال البيهقيُّ[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ صالحِ بنِ هانىءٍ ، والحسنُ بنُ يعقوبَ ، وإبراهيمُ بن عِصْمَةَ ، قالوا : حدَّثنا السَّرِيُّ بنُ خُزَيْمَةَ ، حدَّثنا أبو غَسَّانَ مالكُ بنُ إسماعيلَ النَّهْدِيُّ ، حدَّثنا عبدُ السلامِ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ أبو خالدٍ الدَّالَانِيُّ[2] ، حدَّثنا المِنْهالُ بنُ عَمْرٍو ، عن أبى عُبَيدةَ ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يومَ الْقِيَامَةِ فَيُنَادِى مُنَادٍ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُم الَّذِى خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ أَنْ يُوَلِّىَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَنْ كانَ يَتَولَّى فِى الدُّنْيا ؟ قال : فَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ ، حَتَّى يُمَثَّلَ لَهُمُ الشَّجَرَةُ وَالعُودُ وَالْحَجَرُ[3] ، وَيَبْقَى أَهْلُ الإِسْلَامِ جُثُومًا ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا لَكُمْ لم تَنْطَلِقُوا ، كما انْطَلَقَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ : إِنَّ لَنَا رَبًّا مَا رَأَيْنَاه بَعْدُ . قَالَ : فَيُقَالُ : فَبِمَ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُوه ؟ قَالُوا : بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةٌ إن رَأَيْنَاه عَرَفْنَاهُ . قِيلَ : وَمَا هِى ؟ قَالُوا : فَيَكْشِفُ عن سَاقٍ . قال : فَيَكْشِفَ عِنْدَ ذَلِكَ عَنْ سَاقٍ . قال : فَيَخِرُّ[4] مَنْ كَانَ يَعْبُدُهُ سَاجِدًا ، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِى الْبَقَرِ ، يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . قال : ثم يُؤْمَرُونَ فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ ، فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ . قال : فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَه مِثْلَ[5] الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْه ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَه فَوْقَ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَه مِثْلَ[5] النَّخْلَةِ بِيَمِينِه ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَه دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِه ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يُعْطَى نُورَه عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِه ، يُضِىءُ مَرَّةً وَيَطْفَأُ مَرَّةً ،

---

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ، وعزاه إلى البيهقى فى البعث وإلى غيره . الدر المنثور ٦/ ٢٥٦. وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك ٥٨٩/٤ مرفوعا من طريق مالك بن إسماعيل به ، بنحوه .

(٢) فى الأصل : « الدولابى » .

(٣) بعده فى الأصل ، ح : « وغير ذلك » .

(٤) بعده فى الأصل ، ح : « أظنه قال » .

(٥) فى ح : « على قدر » .

إِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَه ، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ . قَالَ : فَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ ، دَحْضٌ مَزَلَّةٌ . قال : فيُقالُ لَهُم : امْضُوا عَلَى قَدْرِ نورِكم ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ [(١) ومِنْهُمْ مَنْ (١)] يَرْمُلُ رَمَلًا ، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِى نُورُه عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِه ، [(٢) تَخِرُّ يَدٌ وتَعْلَقُ يَدٌ ، وتَخِرُّ رِجْلٌ وتَعْلَقُ رِجلٌ (٢)] وَتُصِيبُ جَوانِبَهُ النَّارُ . قال : فَيَخْلُصُونَ ، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا : الحمدُ للَّهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنْكِ بَعْدَ الَّذِى أَرَانَاكِ ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا » .

قال مسروقٌ : فما بلَغ عبدُ اللَّهِ هذا المكانَ مِن الحديثِ إلَّا ضحِك ، فقال له رجلٌ : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، لقد حَدَّثْتَ بهذا الحديثِ مِرارًا ، كُلَّما بَلَغْتَ هذا المكانَ مِنْ هذا الحديثِ ضَحِكْتَ ؟! فقال عبدُ اللَّهِ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُه مِرَارًا ، فما بَلَغ هذَا المكانَ مِن الحديثِ إلَّا ضَحِك ، حتَّى تَبْدُوَ لَهَوَاتُه ، وَيَبْدُوَ آخِرُ ضِرْسٍ مِن أَضْرَاسِهِ ، [٩٦ظ] لقولِ الإنسانِ : أَتَهْزَأُ بى وأنْتَ رَبُّ العالمين ؟ فيقولُ : لا ، ولكِنِّى على ذَلِك [(٣) قادِرٌ (٣)] .

قال البَيْهقِىُّ : هكذا وجدتُه فى كتابى . وقد رَواه غيرُه [(٤)] ، فذكَر آخِرَ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ ، وقولَه تعالى له : « يَا بْنَ آدَمَ ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعهَا ؟ » فَيَقُولُ : أَتَهْزَأُ بِى وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ قال ابنُ مسعودٍ : فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « لَا ، وَلَكِنِّى عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ » [(٣)] .

(١ - ١) فى ص ، ومصدرى التخريج : « و » . والشد غير العدو .

(٢ - ٢) فى ح : « يجر بيد ويعلق بيد وتخر رجل وتعلق رجل » . وفى مصدرى التخريج : « يجريدًا ويعلق يدًا ويجر رجلا ويعلق رجلا » .

(٣ - ٣) فى ص : « فضحك ابن مسعود » .

(٤) مسلم (١٨٧) .

وقد أورَده البَيْهقيُّ بعد هذا من حديثِ حَمّادِ بنِ سَلَمةَ، عن[1] عاصمٍ، عن أبى وائلٍ، عن ابنِ مسعودٍ، فذكَره موقوفًا.

وقال البيهقيُّ[2]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا منصورُ بنُ أبى مُزاحِمٍ، حدَّثنا أبو سعيدٍ المُؤَدِّبُ[3]، عن زيادٍ النُّمَيْرِىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، سمِعتُ النبىَّ ﷺ يقولُ: «الصِّرَاطُ كَحَدِّ الشَّفْرَةِ[4]، أو كَحَدِّ السَّيْفِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُنَجُّونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ، عَلَيْه السَّلَامُ، لآخِذٌ بحُجْزَتِى، وَإِنِّى لأَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَالزَّالُّونَ، والزَّالَّاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ».

وروَى البَيْهَقِىُّ[5] مِن حديثِ سعيدِ بنِ زَرْبِىٍّ[6]، عن يزيدَ الرَّقاشِىِّ، عن أنسٍ، مرفوعًا نحوَ ما تقدَّم بأبْسَطَ منه، وإسنادُه ضعيفٌ، ولكنْ يَتَقَوَّى بما قبلَه. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الثورىُّ[7]: عن حُصَينٍ، عن مجاهدٍ، عن جُنادَةَ بنِ أبى أُمَيَّةَ، قال: إنَّكم مكتوبون عندَ اللَّهِ بأسمائِكم، وسِيمَاكم، وحُلَاكُمْ، ونَجْوَاكُم، ومجالِسِكم، فإذَا كان يومُ القيامةِ قيل: يا فلانُ، هذا نُورُك، يا فلانُ، لا نورَ لك. وقرَأ: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢] وقال الضحَّاكُ:

---

(١) بعده فى ح: «أبى». وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٧٣، ٤٧٤.

(٢) انظر شعب الإيمان ١/ ٣٣٢، وقال البيهقى: وهى رواية ضعيفة.

(٣) فى ص: «المؤذن». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٥٢.

(٤) فى النسخ: «الشعرة». والمثبت من المصدر، والشفرة: السكين العظيم. التاج (ش ف ر).

(٥) شعب الإيمان (٣٦٧).

(٦) فى ح: «زر»، وفى ص: «زبرى». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٣٠.

(٧) ذكره المصنف فى التفسير ٨/ ٤١.

ليس أحدٌ إلَّا يُعْطَى نورًا يومَ القِيَامةِ ، فإذا انْتَهَوا إلى الصِّراطِ طَفِئَ نُورُ المُنافقين ، فلمَّا رأَى ذلك المؤمنون أشْفَقُوا أنْ يَطْفَأَ نُورُهم ، كما طَفِئَ نورُ المُنافقين ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨] . وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[(١)] أبو حُذَيفةَ : حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتْرًا مِنْه عَلَى عِبَادِهِ ، وأمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِى كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا ، وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا ، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نورَ الْمُنَافِقِيْنَ ، وَالْمُنَافِقَاتِ ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] . وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم : ٨] . فَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ أَحَدًا » .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[(٢)] : حدَّثنا [(٣)]أبو عُبَيْدِ اللَّهِ[(٣)] ابنُ أخى ابنِ وهبٍ ، أخبَرنا عمِّى[(٤)] ، أنبأَنا يزيدُ بنُ أبى حبيبٍ ، عن سعدِ بنِ مسعودٍ ، أنَّه سمِع عبدَ الرحمنِ ابنَ جُبَيْرٍ ، يُحَدِّثُ أنَّه سمِع أبا الدَّرْداءِ ، وأبا ذَرٍّ يُخْبِران عن النبىِّ ﷺ قال : « أَنَا

---

(١) فى ص : « بشير » . وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٧٧. والحديث أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١١/ ١٢٢. وقال الهيثمى : وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة ، وهو متروك . المجمع ١٠/ ٣٥٩.

(٢) تفسير ابن أبى حاتم ١٠/ ٣٣٣٦. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٤٧٨ من طريق يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن بن جبير ، به ، ولم يذكر سعد بن مسعود .

(٣ - ٣) فى ح : « عبد اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٨٧.

(٤) وقع فى هذا السند انقطاع حيث لم يرو عبد الله بن وهب عن يزيد ابن أبى حبيب ، بل لم يدركه قطعًا فقد ولد ابن وهب سنة ١٢٥هـ وتوفى يزيد سنة ١٢٨هـ . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٢٧٧، ٢٨٦، ٣٢/ ١٠٢، ١٠٦. والظاهر أن بينهما راو هو عبد الله بن لهيعة ، وقد أورد ابن كثير هذا الحديث فى جامع المسانيد ١٣/ ٦٠١، ٦٠٢ من طريق ابن لهيعة ، عن يزيد ، عن عبد الرحمن بن جبير ، به ، ولم يذكر سعد بن مسعود ، وفى التاريخ الكبير ٤/٦٤ أن يزيد يروى عن سعد . فالله أعلم . راجع تهذيب الكمال ١٧/ ٢٨، ٢٩.

أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِى السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِرَفْعِ رَأْسِهِ ، فَأَنْظُرُ بَيْنَ يَدَىَّ ، وَمِنْ خَلْفِى ، وَعَنْ يَمِيْنِى ، وَعَنْ شِمَالِى ، فَأَعْرِفُ أُمَّتِى مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ » . فقال له رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِن بينِ الأُمَمِ ما بَيْنَ نُوحٍ إلى أُمَّتِكَ ؟ قال : « أَعْرِفُهُمْ ، مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ غَيْرِهِمْ ، وَأَعْرِفُهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَوُجُوهِهِمْ ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ » .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حدَّثنا أبى ، حدَّثنا عَبْدَةُ بنُ سُلَيمانَ ، حدَّثنا ابنُ المباركِ ، حدَّثنا صفوانُ بنُ عمرٍو ، وحدَّثنى سُلَيمُ بنُ عامرٍ ، قال : خرَجنا على جنازةٍ فى بابِ دِمَشْقَ ، ومعنا أبو أمامةَ البَاهِلِىُّ ، فلَمَّا صُلِّىَ على الجنازةِ ، وأَخَذُوا فى دَفْنِها ، قال أبو أُمَامةَ : أيُّها الناسُ ، إنَّكم قد أصبَحْتُم وأمْسَيتُم فى منزلٍ ، تَقتَسِمُون فيه الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ، وتُوشِكُون أنْ تَظعَنُوا منه إلى مَنْزِلٍ آخَرَ[2] ، وهو هذا - يُشِيرُ إلى القبرِ - بَيتُ الوحدةِ ، وبَيتُ الظُّلْمةِ ، وبيتُ الدُّودِ ، وبَيتُ الضِّيقِ ، إلَّا ما وَسَّع اللَّهُ سبحانه ، ثم تَنْتَقِلُون منه إلى مَواطِنِ يَوْمِ القيامةِ ، فإنَّكم لفى بعضِ تلك المواطنِ حتى يَغْشَى الناسَ أمرٌ مِن أمْرِ اللَّهِ ، فَتَبْيَضَّ وُجوهٌ ، وتَسْوَدَّ وُجوهٌ ، ثم تَنْتَقِلُون منه إلى منزلٍ آخَرَ ، فيَغْشَى الناسَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، ثم يُقْسَمُ النورُ ، فيُعْطَى المؤمنُ نُورًا ، ويُتْرَكُ الكافرُ والمنافقُ ، فلا يُعْطَيانِ شيئًا ، وهو المَثَلُ الذى ضَرَبَه اللَّهُ تعالى فى كتابِه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[3] [النور : ٤٠] ولا يَسْتَضِىءُ الكافرُ والمنافقُ بنورِ المؤمنِ ، كما لا يَسْتَضِىءُ الأَعْمَى

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٤٠٠ ، من طريق عبد اللَّه بن المبارك به ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) سقط من : ح .

(٣) فى مصدر التخريج وردت الآية من أولها : ﴿أو كظلمات ...﴾ . وانظر تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢ .

بِبَصَرِ البَصِيرِ، ويقولُ المنافقون للذين آمنوا ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ [٩٧و] قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [الحديد: ١٣] وهى خُدعَةُ اللَّهِ، سبحانه، التى خَدعَ بها المنافقين، حيث قال تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيرجِعون إلى المكانِ الذى قُسِم فيه النُّورُ، فلا يجِدون شيئًا، فيَنْصَرِفون إليهم، وقد ضُرِب بينَهم بسورٍ له بابٌ ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾. [الحديد: ١٣] الآيةَ. يقولُ سُلَيمُ بنُ عامرٍ: فما يزالُ المنافقُ مُغْتَرًّا حتى يُقْسَمَ النورُ، ويُمَيِّزَ اللَّهُ بينَ المؤمنِ والمنافقِ.

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[(١)]: حدَّثنا أبى، حدَّثنا يَحيى بنُ عُثْمانَ، حدَّثنا أبو حَيْوةَ، حدَّثنا أرْطَاةُ بنُ المُنْذرِ، حدَّثنا يوسفُ بنُ الحجَّاجِ، عن أبى أُمَامَةَ، قال: تُبْعَثُ ظُلْمةٌ يومَ القيامةِ، فما مِن مؤمنٍ، ولا كافرٍ، يرَى كفَّه حتى يَبْعَثَ اللَّهُ بالنُّورِ إلى المؤمنين على قدْرِ أعمالِهم، فيَتْبَعُهُم المنافقون، فيقولون: انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكم.

وقال الحسنُ وقتادةُ[(٢)]، فى قولِه تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣]. قالا: هو حائطٌ بينَ الجَنَّةِ والنارِ. [(٣)]وقال ابنُ أسْلَمَ[(٣)]: هو الذى قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ [الأعراف: ٤٦]. وهذا هو الصحيحُ، وما رُوِى عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، وكَعْبِ

---

(١) تفسير ابن أبى حاتم ١٠/ ٣٣٣٧.

(٢) أخرج قول الحسن، بمعناه، ابن أبى شيبة فى المصنف (١٧١٥٧)، وأخرج قول قتادة الطبرى فى تفسيره ٢٧/ ٢٢٥.

(٣ - ٣) سقط من: ص. وابن أسلم هذا هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وفى تفسير الطبرى ٢٧/ ٢٢٥: «ابن زيد بن أسلم». وانظر تفسير ابن كثير ٨/ ٤٣، وانظر أيضا تهذيب الكمال ١٧/ ١١٤.

الأحبارِ[1] ، عن كُتبِ الإسرائيليِّن ، أنَّه سورُ بَيْتِ المقدسِ . فضعيفٌ جِدًّا ، فإنْ كان أرادَ المُتكلِّمُ بهذا ضَرْبَ مِثَالٍ ، وتقرِيبَ المُغَيَّبِ بالمُشَاهَدِ ، فقرِيبٌ ، ولعلَّه مرادُهما . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[2] : حدَّثنى الرَّبيعُ بنُ ثَعْلبٍ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن مُطْعِمِ بنِ المِقْدامِ الصَّنْعانىِّ وغيرِه ، عن محمَّدِ بنِ واسعٍ قال : كتَب أبو الدرداءِ إلى سَلْمانَ : يا أخى ، إيَّاكَ أنْ تَجْمَعَ مِن الدُّنيا ما لا تُؤدِّى شُكْرَه ، فإنِّى سمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ : « يُجَاءُ بِصَاحِبِ الدُّنْيَا الَّذِى أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فِيهَا ، وَمَالُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُلَّمَا تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ قَالَ لَهُ مَالُهُ : امْضِ ، فَقَدْ أَدَّيْتَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيَّ » . قال : « ثُمَّ يُجَاءُ بِصَاحِبِ الدُّنْيَا الَّذِى لَمْ يُطِعِ اللَّهَ فِيهَا ، وَمَالُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ[3] كُلَّمَا تَكَفَّأَ بِهِ الصِّرَاطُ ، قَالَ لَهُ مَالُهُ : أَلَا أَدَّيْتَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيَّ ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَدْعُوَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ » .

وعن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ[4] أنَّه كان يقولُ : أيُّها الناسُ ، إنَّه جسرٌ مجسورٌ ، أعلَاه دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، مَرَّ الأولُ فَنَجا ، ومرَّ الآخِرُ ، فَناجٍ ومخدوشٌ ، والملائكةُ على جَنَباتِ الجِسْرِ يقولون : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ . قال : وإنَّ الصِّراطَ مثلُ السَّيْفِ ، على

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٧/ ٢٢٥.

(٢) أخرجه فى ذم الدينا (٣٥٩) . من طريق إسماعيل بن عياش ، به ، وفيه أن سلمان هو الذى كتب إلى أبى الدرداء ، وقال العراقى فى تخريج الإحياء ٤/ ١٨٩٠ (٢٩٩١): ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبى الدرداء أنه كتب إلى سلمان . كذا رواه البيهقى فى الشعب ، وقال بدل « الدنيا » : « المال » . وهو منقطع . ا هـ . وانظر الشعب (١٠٦٥٧) وفيه : حدثنى محمد بن مقدام الصغانى . بدلا من مطعم بن المقدام الصغانى . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٧٤.

(٣) فى ح ، وذم الدنيا : « كفيه » .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٦٠٤٥) بسنده إلى عبيد بن عمير ، بنحوه مختصرًا ، كما أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٧٣، بنحوه .

جِسْرِ جَهَنَّمَ ، وإنَّ عليه كَلَالِيبَ وحَسَكًا ، والذى نفسى بيدِه ، إنَّ تلك الكلاليبَ والحَسَكَ لأعرَفُ بالمارِّين عليها ومَن تأخُذُه منهم ومَن تخدِشُه ، مِن الرجلِ بصاحبِه وصديقِه ، والذى نفسى بيدِه ، إنَّه ليُؤْخَذُ بالكَلُّوبِ الواحدِ أكثَرُ مِن رِبِيعةَ ومُضَرَ . رَواه ابنُ أبى الدُّنيا .

وعن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، قال : بلَغَنَا أنَّ الصِّراطَ يومَ القيامةِ ، وهو الجِسْرُ ، يكونُ على بَعْضِ الناسِ أدَقَّ مِن الشَّعْرِ ، وبَعْضِ الناسِ مِثْلَ الوادى الواسعِ . رَواه ابنُ أبى الدُّنيا ، [1] وهذا الكلامُ صحيحٌ إن شاء اللهُ .

وقال غيرُه : بلَغنى أنَّ الصِّراطَ إنَّما يراه أدقَّ مِن الشَّعْرةِ ، وأَحَدَّ مِن السَّيْفِ الهالِكُ الذى ليس بناجٍ ، ويكونُ على بعضِ الناسِ أوسعَ مِن القاعِ والميدانِ المتَّسِعِ ؛ يمضِى عليه كيفَ شاء[1] .

وقال ابنُ أبى الدنيا أيضًا : حدَّثنا الخليلُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا ابنُ السَّمَّاكِ ، الواعظُ الزاهدُ، قال : بلَغنى أنَّ الصِّراطَ ثلاثةُ آلافِ سنةٍ ؛ ألفُ سنةٍ يصعَدُ الناسُ عليه ، وألفٌ يَسْتَوِى الناسُ على ظهرِه ، وألفُ سنةٍ يَهْبِطُ الناسُ .

[1] وقال آخرُ : مَن وسَّع على نفسِه الصِّراطَ فى الدنيا ، ضاقَ عليه صِراطُ الآخرةِ ، ومَن ضيَّق على نفسِه الصِّراطَ فى الدنيا ، اتَّسَع له الصِّراطُ فى الآخرةِ[1] .

وقال أيضًا[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ الجَعْدِ ، حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن أبى قَتادةَ ، عن

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٦ عن سالم بن أبى الجعد ، وعزاه إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ص ٤٣٢ بسنده إلى سالم بن أبى الجعد عن عبد الله ، وقال البيهقى : هذا موقوف على عبد الله ، قيل : هو ابن مسعود . رضى الله عنه ، ومرسل بينه وبين سالم ، ورواه أبو فزارة عن سالم من قوله غير مرفوع إلى عبد الله . ا هـ .

سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، قال : إن لِجَهَنَّمَ ثلاثَ قَناطِرَ ؛ قَنْطرةٌ عليها الأمانةُ ، وقنطرةٌ عليها الرَّحِمُ ، وقنطرةٌ اللَّهُ عليها ، وهى المِرْصادُ ، فمَن نَجا مِن هاتين لم ينْجُ مِن هذه . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] .

وقال عبيدُ اللَّهِ بنُ العَيْزَارِ : يُمَدُّ الصِّراطُ يومَ القيامةِ بينَ الأمانةِ والرَّحِمِ ، ويُنادى مُنادٍ : ألَا مَن أدَّى الأمانةَ ، وَوَصَل الرَّحِمَ فَلْيَمْضِ آمِنًا غيرَ خائفٍ . رَواه ابنُ أبى الدنيا .

(١) وذكَر الحافظُ ابنُ عساكرَ (٢) فى ترجمةِ الفُضيلِ بنِ عياضٍ قال : بلغَنى أنَّ الصِّراطَ مَسيرةُ خمسةَ عشَرَ ألفَ سنةٍ ؛ خمسةُ آلافٍ [٩٧ظ] صُعودٌ ، وخمسةُ آلافٍ استواءٌ على ظهرِه ، وخمسةٌ نزولٌ ، وهو أدقُّ مِن الشَّعَرِ ، وأحدُّ مِن السيفِ ، على مَتْنِ جهنَّمَ ، لا يجوزُه إلَّا كلُّ ضامرٍ مهزولٍ من خشيةِ اللَّهِ ، سبحانه . ثم يبكِى الفُضيلُ ، رحِمه اللَّهُ (١) .

وقال ابنُ أبى الدنيا (٣) : حدَّثنا محمدُ بنُ إدريسَ ، حدَّثنا أبو تَوْبَةَ الرَّبيعُ بنُ نافعٍ الْحَلَبِىُّ ، حدَّثنا مُعاوِيةُ بنُ سَلَّامٍ ، عن أخيه زيدِ بنِ سَلَّامٍ ، أنَّه سمِع أبا سَلَّامٍ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ ، حدَّثنى رجلٌ مِن كِنْدَةَ ، قال : دخَلتُ على عائشةَ ، وبينى وبينَها حِجَابٌ ، فقلتُ : إنَّ فى نفسى حاجةً لم أجِدْ أحدًا يَشْفِينى منها . فقالت : ممَّن أنتَ ؟ قلتُ : مِن كِنْدةَ . قالت : مِن أىِّ الأجنادِ أنت ؟ قلتُ : مِن أهلِ حِمْصَ . قالت : ماذا حَاجَتُك ؟ قلتُ : أَحَدَّثَكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّه تأتى عليه

(١ - ١) ليست فى : ح ، ص .

(٢) تاريخ دمشق ١٤/٢٦٥ (مخطوط) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ١/٢٩٣ بسنده إلى رجل من كندة، بنحوه ، مطولًا . وفيه كلام يتعلق بدخول النساء الحمامات .

ساعةٌ يومَ القيامةِ لا يَمْلِكُ لأحدٍ فيها شَفَاعةً ؟ قالت : نعم ، لقد سألتُه عن هذا ، وأنا وهو فى شِعَارٍ[1] واحدٍ ، فقال : « نَعَمْ ، حِينَ يُوضَعُ الصِّرَاطُ لَا أَمْلِكُ لأَحَدٍ شَيْئًا حَتَّى أَعْلَمَ أَيْنَ يُسْلَكُ بِى ، وحِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُفْعَلُ بِى ، وَعِنْدَ الْجِسْرِ حَتَّى يَسْتَحِدَّ وَيَسْتَحِرَّ » . قلتُ : وما يَسْتَحِدُّ ويَسْتَحِرُّ ؟ قال : « يَسْتَحِدُّ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ شَفْرَةِ السَّيْفِ ، وَيَسْتَحِرُّ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْجَمْرَةِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُجِيزُ لا يَضُرُّهُ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَتَعَلَّقُ[2] حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَوْسَطَهُ حَزَّ فِى قَدَمَيْهِ ، فَيَهْوِى بِيَدَيْهِ إِلَى قَدَمَيْهِ » ، قال : « هَلْ رَأَيْتِ مَنْ يَسْعَى حَافِيًا فَتَأْخُذُهُ شَوْكَةٌ حَتَّى تَكَادَ تُنْفِذُ[3] قَدَمَيْهِ ؟ فَإِنَّه كَذَلِكَ يَهْوِى بِيَدَيْهِ وَرَأْسِهِ إِلَى[4] قَدَمَيْهِ ، فَتَضْرِبُهُ الزَّبَانِيَةُ بِخُطَّافٍ[5] فِى نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ ، فَيُقْذَفُ بِهِ فِى جَهَنَّمَ يَهْوِى فِيهَا مِقْدَارَ خَمْسِينَ عَامًا » . فقلتُ : ما يَثْقُلُ الرَّجلُ ! قالت : بل يثقُلُ ثِقَلَ عَشْرِ خَلِفَاتٍ[6] سِمَانٍ ، فيَوْمَئِذٍ ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن : ٤١] . غريبٌ[7] .

فصـــلٌ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ الآيات إلى قولِه : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

---

(١) الشعار : مفرد شُعُر ، وهو الثوب الذى يلى الجسد ؛ لأنه يلى شعره . النهاية ٢/ ٤٨٠ .

(٢) فى المصدر : « فينطلق » .

(٣) أنفذ القوم : أى خرقهم ومشى فى وسطهم . التاج (ن ف ذ) .

(٤) فى ص : « و » .

(٥) فى ح : « بخطاطيف » .

(٦) خلفات : جمع خَلِفة ، وهى الحوامل من النوق . التاج (خ ل ف) .

(٧) سقط من : ص .

[مريم: ٦٨- ٧٢] . أقسَم سبحانه بنفسِه الكريمةِ أنَّه سيَجمَعُ بنى آدمَ مِمَّن كان يطيعُ الشياطينَ ويعبُدُها (١) مع اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ويطيعُها فيما تأمُرُه به مِن معاصى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فإنَّ طاعةَ الشياطينِ هى عبادتُها ، فإذا كان يومُ القيامةِ جَمَع الشياطينَ ومَن أطاعَهم وأحضَرهم (١) حولَ جَهنَّمَ جِثِيًّا ، أى جُلُوسًا على الرُّكَبِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨] .

وعن ابنِ مسعودٍ (٢) : قيامًا . وهمْ يُعَاينُونَ هَولَها ، وبشاعةَ منظرِها ، وقد جَزَمُوا أنَّهم دَاخِلوها لا مَحالةَ ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف: ٥٣] وقال تعالى : ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ [الشورى: ٢٢] . وقال : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان: ١٢- ١٦] . وقال تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] .

ثم أقسَم تعالى أنَّ الخلقَ كُلَّهم سَيرِدُون جَهَنَّمَ ، فقال : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] . قال ابنُ مسعودٍ (٣) : قَسَمًا وَاجِبًا .

وفى « الصحيحَين » (٤) مِن حديثِ الزُّهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، عن أبى

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) ذكره المصنف فى تفسيره ٥/ ٢٤٦.

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٦/ ١١٤ بسنده عن ابن مسعود.

(٤) البخارى (١٢٥١، ٦٦٥٦)، مسلم (١٥٠/ ٢٦٣٢) بنحوه.

هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « (١) مَنْ مَاتَ لَه ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ » .

وروَى الإمامُ أحمدُ[٢] ، عن حسنٍ ، عن ابنِ لَهِيعَةَ ، عن زَبَّانِ بنِ فائدٍ ، عن سهلِ بنِ معاذِ بنِ أنسٍ ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال (١) : « مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ المُسْلِمِينَ مُتَطَوِّعًا لَا بِأَجْرِ سُلْطَانٍ لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنَيْهِ إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ ، قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ . وذكَر تمامَ الحديثِ[٣] .

وقد اختلَف المفسِّرون فى المرادِ بالورودِ ما هو ، والأظْهَرُ ، كما قرَّرناه فى « التفسيرِ »[٤] ، أنَّه المرورُ على الصِّراطِ . واللَّهُ أعلمُ . كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] .

وقال مجاهدٌ[٥] : الحُمَّى حظُّ كلِّ مؤمنٍ مِنَ النارِ ، ثم قرأ : ﴿ وَإِن [٩٨و] مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ .

وقد روَى ابنُ جريرٍ فى « تفسيرِه »[٥] حديثًا يُشبِه هذا ، فقال : حدَّثنى عِمْرانُ بنُ بَكَّارٍ الكَلاعِيُّ ، حدَّثنا أبو المُغِيرَةِ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ تميمٍ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبيدِ اللَّهِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ يعودُ رَجُلًا مِن أصْحابِه وَعِكًا[٦] ، وأنا معه ، ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ٣/٤٣٧ (١٥٦٥٠). بنحوه .

(٣) فى الأصل : « الذين » . وقد انتهى الحديث عند أحمد إلى حيث وقف المصنف هلهنا ولكن جمع المصنف هذا الحديث فى تفسيره إلى الذى قبله وإلى الذى بعده وجعلهما حديثا واحدًا وذلك لاتفاق السند ، وانظر التفسير ٥/ ٢٥١.

(٤) التفسير ٥/ ٢٥١.

(٥) تفسير الطبرى ١٦/ ١١١.

(٦) الوَعْكُ : الحمى . وقيل : ألمها . وقيل : أذى الحمى ووجعها فى البدن . اللسان (و ع ك) .

يقولُ : هِيَ نَارِى أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِى المُؤْمِنِ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِى الآخِرَةِ » .
وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن إسرائيلَ ، عن السُّدِّىِّ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ . قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ[2] كُلُّهُمْ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ » .

وهكذا رَواه الترمذىُّ[3] مِن حديثِ إسرائيلَ ، عن السُّدِّىِّ ، به ، مرفوعًا ، ثم رَواه[4] مِن حديثِ شُعْبَةَ ، عن السُّدِّىِّ به ، فوقَفَه ، وهكذا رَواه أسْباطٌ عن السُّدِّىِّ ، عن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال[5] : يَرِدُ الناسُ جميعًا الصِّراطَ ، ورُرُودُهم قيامُهم حولَ النارِ ، ثم يَصْدُرُون عن الصِّراطِ بأعْمالِهم ، فمنهم مَن يَمُرُّ كَمَرِّ البرْقِ ، ومنهم مَن يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ ، ومنهم مَن يَمُرُّ مثلَ الطَّيرِ ، ومنهم مَن يَمُرُّ كأَجْوَدِ[6] الخَيْلِ ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كأَجْوَدِ الإبلِ ، ومنهم مَن يَمُرُّ كعَدْوِ الرَّجُلِ ، حتَّى إنَّ آخِرَهُم مَرًّا رجلٌ نورُه على موضعَىْ إبهامَىْ قدَمَيه ، يَمُرُّ يَتَكَفَّأُ به الصِّراطُ ، والصِّراطُ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، عليه حَسَكٌ كحَسَكِ القَتَادِ ، حافَتاه ملائكةٌ معهم كَلَالِيبُ مِن نارٍ يَخْتَطِفُون بها الناسَ . وذكَر تمامَ الحديثِ . وله شواهدُ ممَّا مضَى ، ومـمَّا سيأتى إنْ شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) المسند ١/٤٣٤ (٤١٤١) . وقال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ٧/٢٠٧.
(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .
(٣) الترمذى (٣١٥٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٢٦) .
(٤) الترمذى (٣١٦٠) . صحيح موقوف ، وهو فى حكم المرفوع . (صحيح سنن الترمذى ٢٥٢٧) .
(٥) ذكره المصنف فى التفسير ٥/٢٤٩ من حديث أسباط ، به ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم .
(٦) فى ص : « كأجاويد » . وانظر التفسير .

وقال سفيانُ الثوريُّ[1] ، عن سلمةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن أبى الزَّعْراءِ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : يأمُرُ اللَّهُ بالصِّراطِ فَيُضْرَبُ على جَهَنَّمَ ، فيَمُرُّ الناسُ عليه على قَدْرِ أعمالِهم ؛ أوَّلُهُمْ كلَمْحِ البَرْقِ ، ثم كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثم كأسرعِ البهَائِمِ ، ثم كذلك ، حتَّى يَمُرَّ الرجلُ سَعْيًا ، حتى يَمُرَّ الرَّجلُ مَاشِيًا ، ثم يكونُ آخِرُهُم يَتَلَبَّطُ[2] على بَطنِه ، ثم يقولُ : يا ربِّ ، لِمَ أبْطَأتَ بى ؟ فيقولُ : لم أُبْطِئْ بكَ ، إنما أبْطَأ بِكَ عملُك .

ورُوِى نحوُه مِن وجهٍ آخَرَ عن ابنِ مسعودٍ مرفوعًا[3] ، والموقوفُ أصَحُّ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظ أبو نصرٍ الوائليُّ فى كتابِ « الإبانةِ »[4] : أخبرَنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ الْحَجَّاجِ ، أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الرَّبَعِيُّ ، حدَّثنا علىُّ بنُ الحُسينِ ، أبو عُبَيدٍ[5] ، حدَّثنا زكريا بنُ يَحيى أبو السُّكَينِ ، حدَّثنا[6] عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنا[6] أبو همامٍ القُرَشِيُّ ، عن سُلَيمانَ بنِ المُغِيرةِ ، عن قَيسِ بنِ مسلمٍ ، عن طاوسٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلِّمِ النَّاسَ سُنَّتِى وَإِنْ كَرِهُوا ذَلِكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تُوْقَفَ عَلَى الصِّرَاطِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى تَدْخُلَ

---

(١) ذكره القرطبى فى التذكرة ٢/ ٤١ وعزاه إلى هناد بن السرى ، عن عبد الله بن نمير ، عن سفيان ، به .

(٢) يتلبط : يتمرغ ، وهو يفيد هنا الزحف من شدة الإعياء . وانظر النهاية ٤/ ٢٢٦.

(٣) المعجم الكبير ٩/ ٤١٦ - ٤٢١ (٩٧٦٣، ٩٧٦٤) . قال الهيثمى : رواه كله الطبرانى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبى خالد الدالانى وهو ثقة . المجمع ١٠/ ٣٤٣.

(٤) ذكره القرطبى فى التذكرة ٢/ ٥٢، وعزاه إلى أبى نصر الوائلى فى كتابه الإبانة ، به . وهو حديث موضوع ، وفيه أبو همام القرشى وهو كذاب . السلسلة الضعيفة (٢٦٥) .

(٥) بعده فى النسخ : « الله » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٦.

(٦) فى مصدر التخريج : « حدثنى » .

الْجَنَّةَ فَلَا تُحْدِثَنَّ فى دِينِ[1] اللَّهِ حَدَثًا بِرَأْيِكَ[2] » . ثم قال : وهذا غريبُ الإسنادِ ، والمَتْنُ حسنٌ . أورَده القرطبيُّ .

وقال الحسنُ بنُ عرفةَ[3] : حدَّثنا مروانُ بنُ معاويةَ ، عن بَكَّارِ بنِ أبى مروانَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ، قال : قال أهلُ الْجَنَّةِ بعدَما دخَلوا الجنَّةَ : ألم يَعِدْنا رَبُّنا الورُودَ على النارِ ؟! فيقال : قد مَرَرْتُم عليها وهى خامِدَةٌ .

وقد ذهب آخرون[4] إلى أن المرادَ بالوُرُودِ الدُّخولُ ، قاله ابنُ عباسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحةَ ، وأبو مَيْسَرةَ ، وغيرُ واحدٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا سُليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا غالبُ بنُ سُليمانَ ، عن كثيرِ بنِ زِيادٍ البُرْسَانِىِّ ، عن أبى سُميَّةَ ، قال : اختَلَفنا فى الوُرودِ ، فقال بعضُنا : لا يدخُلُها مؤمنٌ . وقال بَعْضُنا : يدخُلُونَها جَمِيعًا ، ثم يُنَجِّى اللَّهُ الذين اتَّقَوا ، فلَقِيتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، فقلتُ له : إنَّا اختَلَفنا فى الورودِ ، فقال : يَرِدُونَها جميعًا - وقال سليمانُ مَرَّةً : يدخُلُونها جميعًا . وأَهْوَى بأُصبُعيه إلى أذنَيه ، وقال : صَمَّتا إنْ لم أَكُنْ سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ ؛ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] . [٩٨ظ] لم يُخْرِجوه فى كتبِهم ، وهو حسنٌ .

---

(١) فى ح : « ذات » .
(٢) بعده فى الأصل : « ولا فى ذات اللَّه وصفاته حدثا بهواك وجهلك » .
(٣) تفسير الطبرى ١٦/ ١٠٩.
(٤) المصدر السابق ١٦/١٠٨ - ١١٠.
(٥) المسند ٣/٣٢٨ (١٤٥٦٠) به ، بنحوه .

وقال أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سَلْمانَ[1] النَّجَّادُ، حدَّثنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ بنِ عَبْدَةَ السَّلِيطيُّ، حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدٍ البُوشَنْجِيُّ، حدَّثنا سُلَيمُ[2] بنُ منصورِ بنِ عمَّارٍ، حدَّثنى أبى منصورُ بنُ عَمَّارٍ، حدَّثنى بشيرُ[3] بنُ طَلْحَةَ الجُذَامِيُّ[4]، عن خالدِ بنِ دُرَيْكٍ، عن يَعْلَى بنِ مُنْيَةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِى». وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا.

وقال ابنُ المباركِ[5]، عن سفيانَ، عن رجلٍ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ، قال: قالوا[6]: أَلَمْ يَعِدْنا رَبُّنا أَنَّا نَرِدُ النَّارَ؟ فيقالُ: إنَّكم مَرَرْتُم عليهَا وهى خَامِدةٌ.

وفى روايةٍ عن خالدِ بنِ مَعْدانَ، قال[7]: إذا دخَل أهلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قالوا: ألم يَقُلْ رَبُّنا أَنَّا نَرِدُ النَّارَ؟ فيقالُ: إنَّكم وَرَدْتُموها فأَلفَيْتُموها رَمادًا.

وقال ابنُ جريرٍ[8]: حدَّثنى يعقوبُ، حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ، عن الجُرَيْرِيِّ، عن أبى

---

(١) فى النسخ: «سليمان». وانظر الإكمال ٧/ ٣٧٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٢. والحديث فى التذكرة ٢/ ٤٥ وقد أخرجه أيضا الطبرانى فى الكبير ٢٢/ ٢٥٨ (٦٦٨) من طريقين، عن سليم بن منصور، به. وأبو نعيم فى الحلية ٩/ ٣٢٩، عن سليم، به. والبيهقى فى الشعب (٣٧٥) من حديث سليم ابن منصور، عن أبيه، عن الهقل بن زياد، عن خالد، عن بشير، عن يعلى، وقال البيهقى: تفرد به سليم بن منصور، وهو منكر. وقد ضعفه الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٦٠. وانظر شرح الطحاوية ٢/ ٦٠٨.

(٢) فى ح، والحلية: «سليمان». وانظر الجرح والتعديل ٤/ ٢١٦.

(٣) فى ح، والتذكرة: «بشر». وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٧٥.

(٤) فى الأصل، ح: «الحرامى». وفى ص، والتذكرة: «الخزامى». والمثبت من المعجم الكبير للطبرانى. وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٧٥، وتهذيب الكمال ٨/ ٥٣، ٥٤.

(٥) زوائد الزهد (٤٠٧).

(٦) فى الأصل، ح: «قال المؤمنون».

(٧) تقدم فى الصفحة السابقة بنحوه.

(٨) تفسير الطبرى ١٦/ ١٠٩.

السَّلِيلِ ، عن غُنَيْمِ بنِ قَيْسٍ ، قال : ذكَروا وُرودَ النارِ ، فقال كعبٌ[1] : تُمْسَكُ[2] النارُ للناسِ كأنَّها مَتْنُ إهَالَةٍ[3] ، حتى يستوىَ عليها أقدامُ الخلائقِ ، بَرِّهِم وفَاجِرِهم ، ثم ينادِيها مُنادٍ أنْ أَمْسِكى أصحابَكِ ، ودَعِى أصْحابى . قال : فتَخْسِفُ بكُلِّ وَلِيٍّ لها ، فَلَهِىَ أعلمُ بهم مِن الرجلِ بولَدِه ، ويَخْرُجُ المؤمنون نَدِيَّةً ثِيابُهُمْ[4] ورُوِى مثلُهُ[5] أيضًا عنه .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدثنا ابنُ إدريسَ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى سُفْيَانَ ، عن جابرٍ ، عن أمِّ مُبَشِّرٍ امرأةِ زيدِ بنِ حَارِثَةَ ، قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتِ حَفْصَةَ ، فقال : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ » . قالت حفصةُ : أَلَيْس اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، يقولُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ؟ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَمَهْ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ » . ورَواه الإمامُ أحمدُ[7] أيضا ، عن أبى مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى سُفْيانَ ، عن جابرٍ ، عن أمِّ مُبَشِّرٍ ، عن حَفْصةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذكَر مثلَه .

ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، سمِع جابرًا ، عن أمِّ مُبَشِّرٍ ، فذكَر نحوَه ، وقد تقدَّم[8] ، وسيأتى فى أحاديثِ الشفاعةِ كيفِيَّةُ جَوازِ

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من المصدر .

(٢) فى الأصل ، ح : « تمثل » .

(٣) متن إهالة : أى ظهرها . والإهالة : كل شىء من الأدهان مما يؤتدم به . وقيل : هو ما أذيب من الألية والشحم . وقيل : الدسم الجامد . النهاية ١/ ٨٤.

(٤) فى المصدر : « أبدانهم » .

(٥) انظر التخويف من النار ص ٢٥٥.

(٦) المسند ٦/٣٦٢ (٢٧٠٨٧).

(٧) المسند ٦/٢٨٥ (٢٦٤٨٣).

(٨) المسند ٣/٣٩٦ (١٥٢٩٧) . وتقدم فى ٥/٢٥٩ بإسقاط أم مبشر .

المؤمنين على الصِّراطِ ، وتفاوُتُ سَيْرِهم عليه ، بحسبِ أعمالِهم ، وقد تقدَّم مِن ذلك جانبٌ ، وتقدَّم عنه ، عليه السلامُ ، أنه أوَّلُ الأنبياءِ إجازَةً بأمَّتِه على الصِّراطِ .

وعن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ قال[1] : محمدٌ ﷺ أوَّلُ الرُّسُلِ إجازَةً على الصِّراطِ ، ثم عيسى ، ثم موسى ، ثم إبراهيمُ ، حتى يكونَ آخِرَهم إجازَةً نوحٌ ، عليه السلامُ . قال : فإذا خَلَصَ المؤمنون مِن الصِّراطِ تَلَقَّتْهُمُ الخزَنَةُ يَهْدونَهُم إلى الجنَّةِ ، فإنَّهم إذا خَلَصوا مِن الصِّراطِ وأتَوا على آخِرِه ، فليس بعدَ ذلك إلَّا دخولُ الجنةِ . كما سيأتى .

وثبَت فى « الصحيحِ » : « مَن أنفَق زَوجَين فى سبيلِ اللَّهِ دَعَتْهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ : يا عبدَ اللَّهِ ، هذا خيرٌ . فمَن كان مِن أهلِ الصلاةِ دُعِى مِن بَابِ الصلاةِ ، ومَن كان مِن أهلِ الزكاةِ دُعِى مِن بابِ الزكاةِ ، ومَن كان مِن أهلِ الصِّيامِ دُعِى مِن بابِ الرَّيَّانِ » . فقال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما على أحَدٍ يُدْعَى مِن أيِّها شاءَ مِن ضرورةٍ ، فهل يُدْعَى أحَدٌ منها كُلِّها ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكرٍ ، فإذا دخَلوا الجَنَّةَ هُدُوا إلى مَنازِلِهم ، فلَهُمْ أعْرَفُ بها من منازِلِهم التى كانت فى الدُّنيا » . كما سيأتى بيانُه فى « الصحيحِ » عندَ البخاريِّ .

وقد قال الطبرانيُّ[2] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الدَّبَرِيُّ ، عن عبدِ الرزَّاقِ ، عن سُفْيانَ الثَّورِيِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادِ بنِ أَنْعُمٍ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٦٦) ونعيم فى زوائد الزهد (٣٩٨) كل بسنده إلى عبد الله ، بنحوه ، مطولا .

(٢) المعجم الكبير ٦/٣٣٣ (٦١٩١) .

سَلْمَانَ الفَارِسيِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ[1] إِلَّا بِجَوَازٍ ؛ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِفُلَانِ بنِ فُلَانٍ ، أَدْخِلُوه جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ » .

وقد رَواه الحافظُ الضِّياءُ ، مِن طريقِ سُلَيمانَ التَّيْمِيِّ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِيِّ ، عن سَلْمَانَ الفَارِسيِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يُعْطَى المُؤْمِنُ جَوَازًا على الصِّرَاطِ ؛ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ لِفُلَانِ ابنِ فُلَانٍ ، أَدْخِلُوه جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ » .

وقد روَى الترمذىُّ فى « جامعِه »[2] ، عن المُغِيرةِ بنِ شُعْبَةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شِعَارُ المُؤْمِنِ عَلَى الصِّرَاطِ ، رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » . ثم قال : غريبٌ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[3] : « وَنَبِيُّكُمْ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » . وتقدَّم أنَّ الأنبياءَ كلَّهُم يقولون ذلك ، وكذلك الملائكةُ كُلُّهم يقولون ذلك .

وثبَت [٩٩و] فى « صحيحِ البخارىِّ »[4] مِن حديثِ قتادةَ ، عن أبى المُتَوَكِّلِ الناجىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَاقْتُصَّ لَهُمْ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِى الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ ، فَلَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِى الجَنَّةِ منه بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِى الدُّنْيَا » .

---

(١) سقط من : ص .

(٢) الترمذى (٢٤٣٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٢٩) .

(٣) مسلم (١٩٥) .

(٤) البخارى (٢٤٤٠، ٦٥٣٥) باختلاف يسير .

وقد تكَلَّم القُرْطبيُّ على هذا الحديثِ فى « التذكرةِ »[1] ، وجعَل هذه القَنْطَرةَ صِراطًا ثانيًا للمُؤْمنين خاصةً ، وليس يَسْقُطُ منه أحدٌ فى النارِ . قلتُ : هذه القَنْطرةُ تكونُ بعدَ مُجاوَزةِ النارِ ، فقد تَكُونُ هذه القَنْطَرةُ مَنْصوبةً على هَوْلٍ آخَرَ مما يَعْلَمُه اللَّهُ ، ولا نَعْلَمُه نحن . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنا سويدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا صالحُ بنُ موسى ، عن ليثٍ ، عن عثمانَ ، عن محمدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ : جُوزُوا النَّارَ بِعَفْوِى ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِى ، فَاقْتَسِمُوهَا بِفَضَائِلِ أَعْمَالِكُمْ » . وهذا حديثٌ غريبٌ .

وقد رَواه أبو مُعاويةَ[2] ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ ، عن قتادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، مِن قولِه ، مثلَه ، وهو مُنْقَطِعٌ ، بل مُعْضَلٌ ، وقد قال بعضُ الوُعَّاظِ ، فيما حكاه القُرْطبيُّ فى « التَّذْكِرةِ »[3] : فتَوَهَّمْ نَفْسَكَ يا أخى إذا صِرْتَ على الصِّراطِ ، ونظَرْتَ إلى جَهَنَّمَ تحتَك سَوْداءَ مظلِمةً مُدْلَهِمَّةً ، وقد تَلَظَّى سَعِيرُها ، وعلا لَهيبُها ، وأنت تَمْشِى[4] أحيانًا ، وتَزْحَفُ أخرى . ثم أنشَد :

أبَت نفْسِى تَتُوبُ فما احْتِيالى ... إذا بـرَز الـعبـادُ لـذى الجَلالِ
وقـامُـوا مِـن قُـبـورِهـمُ حَـيَـارَى[5] ... بـأوْزارٍ كـأمْـثـالِ الجِبـالِ
وقد نُصِب الصِّراطُ لكى يَجُوزُوا ... فمِنهم مَن يُكَبُّ على الشِّمالِ

---

(١) التذكرة ٢/ ٥٦.
(٢) التذكرة ٢/ ٤١. وإسناده ضعيف ، لضعف إسماعيل بن مسلم ، وفيه انقطاع بين قتادة وابن مسعود .
(٣) التذكرة ٢/ ٣٨.
(٤) فى الأصل : « على صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة فتمشى » .
(٥) فى مصدر التخريج : « سكارى » .

ومنهم مَن يَسِيرُ لدارِ عَدْنٍ تلَقَّاه العَرائِسُ بالغَوالِى[1]
يقُولُ له المُهَيْمِنُ يا وَلِيِّى غفَرْتُ لك الذنوبَ فلا تُبالِى

فصلٌ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]. ورَد فى حديثٍ سيأْتى أنَّهم يُؤْتَوْن بنَجائِبَ مِن الجنةِ يَرْكَبونها، وأنَّهم يُؤْتَوْن بها عندَ قيامِهم مِن قبورِهم. وفى صِحَّتِه نظرٌ؛ إذ قد تقَدَّم[2] فى الحديثِ أن الناسَ كلَّهم يُحْشَرون مُشاةً حُفاةً عُـراةً، ورسولَ اللَّهِ ﷺ يُحشَرُ راكبًا وحدَه ناقةً حمراءَ، وبلالٌ يُنادِى بالأذانِ بينَ يدَيه، فإذا قال: أَشْهَدُ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ. صدَّقه الأوَّلون والآخِرون.

فإذا كان هذا مِن خَصائصِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فإنما يَكونُ إتْيانُهم بالنَّجائبِ بعدَ جَوازِ الصِّراطِ، وهو الأشْبَهُ، واللَّهُ أعلمُ.

وقد رُوِى فى حديثِ الصُّورِ[3] أن المتَّقين يُضْرَبُ لهم حِياضٌ يَرِدونها بعدَ مُجاوَزَةِ الصِّراطِ، وأنَّهم إذا وصَلوا إلى بابِ الجَنَّةِ، يَستشفِعون بآدمَ، ثم بنوحٍ، ثم بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمدٍ، صلَّى اللَّهُ عليهم جميعًا

---

(١) الغوالى: جمع غالية، نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن. النهاية ٣/ ٣٨٣.
(٢) تقدم فى ١٩/ ٣٧٠.
(٣) لم يُذكر فيما تقدم من حديث الصور أن المتقين يُضرب لهم حياض بعد مجاوزة الصراط، وقد تقدم فى ١٩/ ٣١٩، ٣٢٠: أنهم إذا وصلوا إلى باب الجنة يستشفعون بآدم... إلى أن يستشفعوا بمحمد.

وسلم ، فيكونُ رسولُ اللَّهِ ﷺ هو الذى يشفَعُ لهم فى دخولِ الجنةِ ، واللَّهُ أعلمُ ، كما ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[1] مِن حديثِ أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ ، ورَواه أحمدُ[2] عنه[3] ، عن سليمانَ بنِ المُغِيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنه قال : « آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » .

وقال مسلمٌ[4] : حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ محمدُ بنُ العَلاءِ ، حدَّثنا معاويةُ بنُ هشامٍ ، عن سفيانَ ، عن المُخْتارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَكْثَرُ الأَنبياءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ » : « يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ ، حِينَ تُزْلَفُ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا ، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ » . وذكَر تمامَ الحديثِ كما تقدَّم[5] ، وهو شاهدٌ قوىٌّ لما ذُكِر فى حديثِ الصُّورِ مِن ذَهَابِ الناسِ إلى الأنبياءِ مَرَّةً ثانيةً يستشفِعون إلى اللَّهِ بهم فى دُخولِهم الجنةَ ، فتَنْحَصِرُ القِسْمةُ أيضًا ويَتَعَيَّنُ لها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما تَعَيَّنَ للشفاعةِ الأولى العُظْمَى فى الفصْلِ بينَ الخلائقِ ، كما تقدَّم[6] .

---

(١) مسلم (١٩٧/٣٣٣) .
(٢) المسند ١٣٦/٣ (١٢٤٢٠) .
(٣) أى عن هاشم بن القاسم .
(٤) مسلم (١٩٦/٣٣١) .
(٥) تقدم فى ص ٧٨.
(٦) تقدم فى ٤١٤/١٩ وما بعدها .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[1] : حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سَعيدٍ ، أنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنا النُّعمانُ بنُ سعدٍ ، قال : كنَّا جلوسًا عندَ عليٍّ ، فقرأ هذه الآيةَ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] . قال : لا واللَّهِ ، ما على أَرْجُلِهم يُحْشَرون ، ولا يُحْشَرُ الوفدُ على أرْجُلِهم ، ولكن بنُوقٍ لم يَرَ الخَلائقُ مثلَها ، عليها رَحائلُ مِن ذهبٍ ، فيَرْكَبون عليها ، حتى يَضْرِبوا أبوابَ الجنةِ .

ورَواه ابنُ جريرٍ [٩٩ظ] وابنُ أبى حاتمٍ[2] ، مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ، وزاد : عليها رَحائِلُ مِن ذهبٍ ، وأَزِمَّتُها الزَّبَرْجَدُ . والباقى مثلُه .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3] : حدَّثنا أبى ، حدَّثنا أبو غَسَّانَ مالكُ بنُ إسماعيلَ النَّهْدِيُّ ، حدَّثنا مَسْلَمةُ بنُ جعفرٍ البَجَلِيُّ ، سمِعتُ أبا مُعاذٍ البَصْرِيَّ ، قال : كان عليُّ بنُ أبى طالبٍ يومًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقرأ عليٌّ هذه الآيةَ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ . فقال : ما أَظُنُّ الوفدَ إلا الرَّكْبَ يا رسولَ اللَّهِ . فقال النبيُّ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ يُسْتَقْبَلُونَ - أو يُؤْتَوْنَ - بِنُوقٍ بِيضٍ لَهَا أَجْنِحَةٌ وَعَلَيْهَا رِحَالُ الذَّهَبِ ، شِرَاكُ نِعَالِهِمْ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ ، كُلُّ خُطْوَةٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ ، فَيَنْتَهُونَ إِلَى شَجَرَةٍ يَنْبُعُ مِنْ أَصْلِهَا عَيْنَانِ ، فَيَشْرَبُونَ مِنْ إِحْدَاهُمَا ، فَتَغْسِلُ مَا فِى بُطُونِهِمْ مِنْ دَنَسٍ ، وَيَغْتَسِلُونَ مِنَ الأُخْرَى ، فَلَا تَشْعَثُ أَبْشَارُهُمْ وَلَا أَشْعَارُهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَتَجْرِى عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ ، فَيَنْتَهُونَ - أو قال : يَأْتُونَ - بَابَ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا حَلْقَةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، عَلَى

---

(١) المسند ١/١٥٥ (١٣٣٢) . والحديث من زوائد عبد الله على المسند . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف عبد الرحمن بن إسحاق ، وهو أبو شيبة الواسطى ، وجهالة النعمان بن سعد . المسند ٢/٤٤٧ .

(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ١٢٦ ، وعزاه السيوطى فى الدر ٤/٢٨٥ إلى ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر ٤/٢٨٥ إلى ابن أبى حاتم .

صَفَائِحِ الذَّهَبِ ، فَيَضْرِبُونَ بِالْحَلْقَةِ عَلَى الصَّفِيحَةِ ، فَيُسْمَعُ لَهَا طَنِينٌ يَا عَلِيُّ ، لم يَسْمَعِ الْخَلَائِقُ مِثْلَهُ ، فَيَبْلُغُ كُلَّ حَوْرَاءَ أَنَّ زَوْجَهَا قَدْ أَقْبَلَ ، فَتَبْعَثُ قَيِّمَهَا فَيَفْتَحُ لَهُ ، فَإِذَا رَآهُ خَرَّ لَهُ - قال مَسْلَمةُ : أُراه قال : سَاجِدًا - فَيَقُولُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، إِنَّمَا أَنَا قَيِّمُكَ ، وُكِّلْتُ بِأَمْرِكَ . فَيَتْبَعُهُ وَيَقْفُو أَثَرَهُ ، فتَسْتَخِفُّ الحَوْرَاءَ العَجَلةُ ، فَتَخْرُجُ مِنْ خِيَامِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، حَتَّى تَعْتَنِقَهُ ، ثُمَّ تَقُولُ : أَنْتَ حِبِّي وَأَنَا حِبُّكَ ، وَأَنَا الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا أَمُوتُ ، وَأَنَا النَّاعِمَةُ الَّتِي لا أَبْأَسُ ، وَأَنَا الرَّاضِيَةُ الَّتِي لَا أَسْخَطُ ، وَأَنَا الْمُقِيمَةُ الَّتِي لَا أَظْعَنُ . فَيَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ أُسِّهِ إِلَى سَقْفِهِ مِائَةُ أَلْفِ ذِرَاعٍ ، بُنِيَ عَلَى جَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ ، طَرَائِقُ حُمْرٌ وَخُضْرٌ وَصُفْرٌ ، لَيْسَ مِنْهَا طَرِيقَةٌ تُشَاكِلُ صَاحِبَتَهَا ، وَفِي الْبَيْتِ سَبْعُونَ سَرِيرًا ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ حَشِيَّةً[1] ، عَلَى كُلِّ حَشِيَّةٍ سَبْعُونَ زَوْجَةً ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً ، يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الْحُلَلِ ، يَقْضِي جِمَاعَهُن فِي مِقْدَارِ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِيكُمْ هَذِهِ ، الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِهِمْ تَطَّرِدُ ، أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ - قال : صَافٍ لَا كَدَرَ فِيهِ - وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ضُرُوعِ الْمَاشِيَةِ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، لَمْ تَعْصِرْهَا الرِّجَالُ بِأَقْدَامِهَا ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ ، فَيَسْتَحْلِي الثِّمَارَ ، فَإِنْ شَاءَ أَكَلَ قَائِمًا ، وَإِنْ شَاءَ قَاعِدًا ، وَإِنْ شَاءَ مُتَّكِئًا » . ثم تلا : « ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] . فَيَشْتَهِي الطَّعَامَ ، فَيَأْتِيهِ طَيْرٌ أَبْيَضُ - قال : وربَّما قال : أَخْضَرُ - فَتَرْفَعُ أَجْنِحَتَهَا ، فَيَأْكُلُ مِنْ جُنُوبِهَا أَيَّ الْأَلْوَانِ شَاءَ ، ثُمَّ تَطِيرُ فَتَذْهَبُ ، فَيَدْخُلُ الْمَلَكُ ، فَيَقُولُ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، تِلْكُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَلَوْ أَنَّ شَعَرَةً مِنْ شَعَرِ الْحَوْرَاءِ وَقَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتِ الْأَرْضُ مِنْهَا ، وَلَكَانَتِ الشَّمْسُ مَعَهَا سَوَادًا

---

(١) الحشية : الفراش المحشوّ . اللسان (ح ش و) .

فِى نُورٍ » .

وقد رُوِّيناه فى « الجَعْدِيَّاتِ »[1] مِن كلامِ علىِّ بنِ أبى طالبٍ موقوفًا عليه ، وهو أشْبَهُ بالصِّحةِ ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ ، فقال أبو القاسمِ البَغَوىُّ : حدَّثنا علىُّ بنُ الجَعْدِ ، أَخْبَرنا زُهَيْرٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عاصمٍ ، عن علىٍّ ، قال : ذَكَر النارَ فعظَّم أمْرَها ، ذِكْرًا لا أَحْفَظُه . قال : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] . حتى إذا انْتَهَوْا إلى بابٍ مِن أبْوابِها وجَدوا عندَه شجرةً يَخْرُجُ مِن تحتِ ساقِها عَيْنان تَجْرِيان ، فعمَدوا إلى إحْداهما ، كأنما أُمِروا بها ، فشرِبوا منها ، فأذْهَبَت ما فى بطونِهم مِن قَذًى أو أذًى أو بأسٍ ، ثم عمَدوا إلى الأخرى ، فتطَهَّروا منها ، فجرَت عليهم نَضْرةُ النَّعيمِ ، ولم تَغْبَرَّ أشعارُهم بعدَها أبدًا ، ولا تَشْعَثُ رُءوسُهم ، كأنما دُهِنوا بالدِّهانِ ، ثم انْتَهَوْا إلى الجنةِ ، فقالوا : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ ثم تلَقَّاهم الوِلْدانُ فيُطِيفون بهم ، كما يُطِيفُ وِلْدانُ أهلِ الدنيا بالحَميمِ[2] يَقْدَمُ عليهم ، يَقولُون : أَبْشِروا بما أعَدَّ اللَّهُ لكم مِن الكرامةِ . ثم يَنْطَلِقُ غلامٌ مِن أولئك الوِلدانِ إلى بعضِ أزْواجِه مِن الحُورِ العينِ ، فيَقُولُ : جاء فلانٌ . باسمِه الذى كان يُدْعَى به فى الدنيا . قالت : أنت رأيْتَه ؟ قال : نَعَمْ أنا رأيْتُه ، [١٠٠و] وهو بإثْرِى . فيَسْتَخِفُّ إحْداهن الفَرَحُ ، حتى تَقُومَ على أُسْكُفَّةِ[3] بابِها ، فإذا انْتَهَى إلى منزلِه نظَر إلى أساسِ بُنْيانِه ، فإذا جَنْدَلُ اللُّؤْلؤِ فوقَه صَرْحٌ أحْمرُ وأخضرُ وأصفرُ مِن كلِّ لونٍ ، ثم

---

(١) الجعديات (٢٥٨٠) .

(٢) الحميم : القريب .

(٣) أُسْكفة : خشبة الباب التى يوطأ عليها ، وهى العتبة . التاج (س ك ف) .

رفَع رأسَه ، فنظَر إلى سقفِه ، فإذا مثلُ البَرْقِ ، ولولا أن اللَّهَ [1] قدَّر أن لا يَذْهَبَ بصرُه لأَلَمَّ أن يَذْهَبَ ببصرِه [1] ، ثم طأْطَأَ رأسَه ، فإذا أزْواجُه ، وأكوابٌ موضوعةٌ ، ونمارقُ مصفوفةٌ ، وزرابيُّ مبثوثةٌ ، ثم اتَّكَئُوا ، فقالوا : الحمدُ للَّهِ الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدِىَ لولا أن هدانا اللَّهُ . ثم يُنادِى مُنادٍ : تَحْيَوْن فلا تَمُوتون أبدًا ، وتُقِيمَون فلا تَظْعَنون أبدًا ، وتَصِحُّون فلا تَمْرَضون أبدًا .

وهذا الأثرُ يَقْتَضِى أن تَغْييرَ الشَّكْلِ مِن الحالِ الذى كان الناسُ عليه فى الدنيا إلى طولِ ستين ذِراعًا ، وعَرْضِ سَبْعةِ أذْرُعٍ ، كما هى صفةُ كلِّ مَن دخَل الجنةَ مِن صغيرٍ وكبيرٍ ، كما ورَد به الحديثُ ، يَكُونُ عندَ هاتين العينَين اللتَين يَغْتَسِلون مِن إحداهما ، فتَجرى عليهم نضرةُ النعيمِ ويشرَبون مِن الأخرى فتَغْسِلُ ما فى بطُونِهم مِن الأذَى ، فيتَجدَّدُ لهم الطولُ والعرضُ ، وذَهابُ الأذَى ، وجريانُ نضرةِ النَّعيمِ بعدَ الغسلِ والشربِ . وهذا أنسَبُ وأقْرَبُ مما جاء فى الحديثِ المتقدمِ ، أن ذلك يَكُونُ فى عَرَصاتِ القيامةِ ، وهو ضعيفُ الإسنادِ ، وأبعدُ مِن هذا مَن زعَم أنَّ ذلك يكونُ عندَ الخروجِ مِن القبورِ ؛ لِما يُعارِضُه مِن الأدلةِ الدالَّةِ على خلافِ ذلك ، واللَّهُ أعلمُ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ [2] : أخبرَنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ قال : ذُكِر لنا أن الرجلَ إذا دخَل الجنةَ صُوِّر صُورةَ أهلِ الجنةِ ، وأُلْبِس لِباسَهم ، وحُلِّى حِلْيتَهم ، وأُرِى أزْواجَه وخَدَمَه ، يَأْخُذُه سُوَارُ [3] فَرَحٍ ، لو كان يَنْبَغى له أن يَمُوتَ لمَات مِن شدةِ سُوارِ فرحِه ، فيُقالُ له : أرأَيْتَ سُوارَ فرحِك هذا ؛ فإنَّه قائمٌ

(١ - ١) فى ص ، ومصادر التخريج : « قدره لألم أن يذهب بصره » . وألم : كاد .

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٤) .

(٣) السُّوار بالضم : دبيب الشراب فى الرأس : أى دبَّ فيه الفرحُ دبيبَ الشراب . النهاية ٢/ ٤٢٠ .

لك ، وباقٍ أبَدًا .

وقال ابنُ المباركِ[1] : أخبرَنا [2]رِشْدينُ بنُ سعدٍ[2] ، عن زُهْرَةَ [3]بنِ مَعْبَدٍ[3] القُرَشيِّ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِيِّ ، قال : إن العبدَ أولَ ما يَدْخُلُ الجنةَ يَتَلَقَّاه سَبْعون ألفَ خادمٍ ، كأنَّهم اللؤلؤُ .

قال ابنُ المباركِ[4] : أَخْبَرنا يحيى بنُ أيوبَ ، حدَّثنى عُبَيدُ[5] اللَّهِ بنُ زَحْرٍ ، عن محمدِ بنِ[6] أيوبَ ، عن أبى عبد الرحمن المَعَافرىِّ ، قال : إنه لَيُصَفُّ للرجلِ مِن أهلِ الجنةِ سِماطان[7] ، لا يُرَى طَرَفاهما مِن غِلْمانِه ، حتى إذا مرَّ مشَوْا وراءَه .

وروَى أبو نعيمٍ[8] ، عن سلمـةَ ، عن الضَّحاكِ بنِ مُزاحِمٍ ، قال : إذا دخَل المؤمنُ الجنةَ دخَل أمامَه مَلَكٌ ، فيَأْخُذُ به فى سِكَكِها ، فيقولُ له : انْظُرْ ، ما تَرَى ؟ قال : أَرَى أكثرَ قصورٍ رأيْتُها مِن ذهبٍ وفضةٍ ، وأكثرَ أَنيسٍ . فيَقولُ المَلَكُ : إنَّ هذا أَجْمَعَ لك . حتى إذا دُفِع لهم اسْتَقْبَلوه مِن كلِّ بابٍ ومِن كلِّ مكانٍ : نحن لك . [9]ثم يقولُ : امشِ . فيقولُ : ماذا ترَى ؟ فيقولُ : أكثرَ عساكرَ رأيتُها مِن خيامٍ ، وأكثرَ أنيسٍ . فيقول : إنَّ هذا أَجْمَعَ لكَ . فإذا دُفِع لهم استَقْبَلوه : نحنُ لكَ[9] .

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٥) .

(٢ - ٢) فى ح : « رشد بن سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٩١.

(٣ - ٣) فى ح : « بن سعيد » ، وفى ص : « عن معد » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٩٩.

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٦) .

(٥) فى ح ، ص : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٦.

(٦) بعده فى الأصل ، ح ، ومصدر التخريج : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٧.

(٧) سماطان : مثنى سماط ، وهو ما يمد عليه الطعام . انظر التاج (س م ط) .

(٨) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٧) ، من طريق أبى نعيم به .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، ح .

وقال أحمدُ بنُ أبى الحَوارِىِّ ، عن أبى سليمانَ الدَّارَانىِّ ، أنه قال فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] . قال : المُلْكُ الكبيرُ أنَّ المَلَكَ يَأْتى إلى ولىِّ اللَّهِ بالتُّحْفةِ مِن عندِ اللَّهِ سبحانَه ، فلا يَصِلُ إليه إلا بإذنٍ بعدَ إذنٍ ، يقولُ المَـلَكُ لحاجبِه : اسْتَأْذِنْ لى على ولىِّ اللَّهِ . فيُعْلِمُ ذلك الحاجبُ حاجبًا آخرَ ، وحاجبًا بعدَ حاجبٍ ، ومِن دارٍ إلى (١) دارٍ حتَّى ينتهىَ إلى ولىِّ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، بما أُمِر به ، ومِن دارِه إلى (١) دارِ السلامِ بابٌ يَدْخُلُ منه الولىُّ على ربِّه ، متى شاء بلا إذنٍ ، ورسولُ ربِّ العِزَّةِ لا يَدْخُلُ عليه إلا بإذنٍ .

وقال ابنُ أبى الدنيا : حدَّثنا خالدُ بنُ خِداشٍ ، حدَّثنا مَهْدىُّ بنُ مَيْمونٍ ، عن محمدِ بنِ (٢) عبدِ اللَّهِ (٢) بنِ أبى يعقوبَ ، عن بشرِ بنِ شَغافٍ قال : كنَّا جُلوسًا إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، فقال : إنَّ أكْرمَ خَليقةٍ على اللَّهِ أبو القاسمِ ﷺ ، وإنَّ الجنةَ فى السماءِ ، وإن النارَ فى الأرضِ ، فإذا كان يومُ القيامةِ بعَث اللَّهُ الخليقةَ أُمَّةً أُمَّةً ، ونبيًّا نبيًّا ، ثم يُوضَعُ جِسْرٌ على جهنمَ ، ثم يُنادِى مُنادٍ : أين أحمدُ وأُمَّتُه ؟ فيقومُ وتَتْبَعُه أُمَّتُه ، بَرُّها وفاجرُها ، فيَأْخُذون على الجِسرِ ، ويَطْمِسُ اللَّهُ تعالى أبصارَ أعدائِه ، فيَتَهافَتون فيها مِن شِمالٍ ويمينٍ ، ويَنْجُو النبىُّ ﷺ والصالحون معه ، وتَتَلَقَّاهم الملائكةُ ، ويُبَوِّئونَهم (٣) منازِلَهم مِن الجنةِ [١٠٠ظ] على يَمينِك ، على يَسارِك ، حتى يَنْتَهِىَ إلى ربِّه ، فيُلْقَى له كرسىٌّ (٤) على يمينِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، ثم يُنادِى المُنادى : أين عيسى وأمتُه ؟ فذكَر نحوَ ما تقدَّم إلى أن قال : فيُلْقَى له كُرْسىٌّ (٤) مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢ - ٢) فى ص : « عبد الملك » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٧٣.

(٣) فى ح ، ص : « بيوتهم » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

الجانبِ الآخَرِ ، ثم يَتْبَعُهم الأنْبياءُ والأمُمُ ، حتى يَكونَ آخرَهم نوحٌ ، عليه السلامُ . وهذا مَوْقوفٌ على ابنِ سَلَامٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وتقدم[1] فى حديثِ سَلْمانَ الفارسىِّ الذى روَاه ابنُ أبى الدُّنيا عن أبى نصرٍ التَّمَّارِ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابتٍ البُنانىِّ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِىِّ ، عن سلمانَ ، قال : يُوضَعُ الصِّراطُ يومَ القيامةِ ، وله حَدٌّ كحَدِّ المُوسَى ، فتقولُ الملائكةُ : ربَّنا ، مَن يطيقُ أن يجوزَ على هذا ؟ فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : « مَن شئتُ مِن خَلْقى » . فيقولون : ربَّنا ما عبَدْناك حقَّ عِبادتِك .

فصلٌ : قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ الرَّزَّاق ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن هَمّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُوَرُهُم عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ فيها ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا ، آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَمَجَامِرُهُم مِن الأَلُوَّةِ[3] ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَلِكُلِّ واحدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ؛ مِنَ الْحُسْنِ ،لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ[4] وَاحِدٍ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » .

وهكذا رواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرزاقِ ، وأخرجه البخارىُّ عن محمدِ بنِ مُقاتِلٍ ، عن ابنِ المباركِ ، كلاهما عن مَعْمَرٍ ، به[5] .

---

(١) تقدم فى ١٩/٥١١ بنحوه .

(٢) المسند ٢/٣١٦ (٨١٨٣) . باختلاف يسير .

(٣) الألوة : هو العود الذى يتبخر به . النهاية ١/ ٦٣.

(٤) بعده فى ص : « رجل » .

(٥) مسلم ١٧/ ٢٨٣٤. والبخارى (٣٢٤٥) .

وقال أبو يَعْلَى[1] : حدَّثنا أبو خيثمةَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، والَّذينَ يَلُونَهُمْ عَلَى صُورةِ ، أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِى السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، [2]ولا يَتْفُلُونَ[2] ولا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ[3] وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِى السَّمَاءِ » .

ورَواه مسلمٌ[4] عن أبى خَيثمةَ ، واتَّفَقا عليه[5] ، مِن حديثِ جريرٍ .

وروَى الإمامُ أحمدُ[6] ، والطبرانىُّ[7] ، واللفظُ له ، مِن حديثِ حمادِ بنِ سلمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ ، عن سعيدِ بنِ المسَّيبِ ، عن أبى هريرةَ ،

---

(١) مسند أبى يعلى (٦٠٨٤) .

(٢ - ٢) ليس فى مصدر التخريج .

(٣) ليس فى مصدر التخريج . قال النووى : قد ذكر مسلم فى الكتاب اختلاف ابن أبى شيبة وأبى كريب فى ضبطه ، فإن ابن أبى شيبة يرويه بضم الخاء واللام ، وأبو كريب بفتح الخاء وإسكان اللام ، وكلاهما صحيح وقد اختلف فيه رواة صحيح البخارى ، ويرجح الضم بقوله فى الحديث الآخر : « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد » . وقد يرجح الفتح بقوله ﷺ فى تمام الحديث : « على صورة أبيهم آدم أو على طوله » . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٧٢.

(٤) مسلم (١٥/٢٨٣٤) . من حديث قتيبة بن سعيد ، وأبى خيثمة زهير بن حرب .

(٥) يعنى الشيخين ، وقد أخرجه البخارى (٣٣٢٧) ، ومسلم (١٥/٢٨٣٤) ، كلاهما حدثه قتيبةُ بنُ سعيد ، عن جرير ، به .

(٦) المسند ٢/ ٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥ (٧٩٢٠، ٨٥٠٥، ٩٣٦٤) . وقال الشيخ شعيب : حسن بطرقه وشواهده دون قوله : « فى عرض سبعة أذرع » . فقد تفرد به على بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . المسند ١٣/ ٣١٥.

(٧) المعجم الأوسط (٥٤١٨) . باختلاف يسير ، وقال الطبرانى : لم يرو هذا الحديث عن على بن زيد إلا حماد بن سلمة ، ولا يروى عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد .

قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا ، بِيضًا جِعَادًا[1] مُكَحَّلِينَ ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، وَهُمْ عَلَى خَلْقِ آدَمَ ؛ ستُّونَ[2] ذِرَاعًا فى عَرْضِ سبعةِ[3] أَذْرُعٍ » .

وقال الطبرانىُّ[4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ إسماعيلَ العدوىُّ ، حدَّثنا عمرُو بنُ مرزوقٍ ، أنا عِمرانُ القَطَّانُ ، عن قتادةَ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ غَنمٍ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا ، مُرْدًا ، مُكَحَّلِينَ بَنِى ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ » . ورَواه الترمذىُّ[5] مِن حديثِ عِمرانَ بنِ داودَ القَطَّانِ ، ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[6] : حدَّثنا القاسمُ بنُ هاشمٍ ، حدَّثنا صفوانُ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى رَوَّادُ بنُ جرَّاحٍ العَسْقَلانىُّ ، حدَّثنا الأوزاعىُّ ، عن هارونَ بنِ رئابٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُوْلِ آدَمَ ؛ سِتِّيْنَ ذِرَاعًا بذِرَاعِ المَلَكِ ، عَلَى حُسْنِ يُوسُفَ ، وَعَلَى مِيلَادِ عِيسَى ، ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ » .

وقد رَواه أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[7] ، حدَّثنا محمودُ بنُ خالدٍ وعباسُ بنُ الوليدِ ،

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر : جعادًا ، هو بكسر الجيم وفتح العين المهملة مخففة : جمع (جعد) وهو الذى شعره غير سبط ، وهى صفة مدح ؛ لأن جعودة الشعر هى الصفة الغالبة على شعور العرب ، وسبوطته هى الغالبة على شعور العجم ؛ من الروم والفرس وأمثالهم من الأعاجم . المسند ١٥/ ٧٤.

(٢) فى المسند ، الموضعين الثانى والثالث : « سبعون » .

(٣) فى ص : « ستة » .

(٤) المعجم الكبير ٢٠/٦٤ (١١٨) .

(٥) الترمذى (٢٥٤٥) . حسن . (صحيح سنن الترمذى ٢٦٠٤) .

(٦) صفة الجنة (٢٢٠) .

(٧) البعث والنشور (٦٤) .

قالا : حدَّثنا عمرُ ، عن الأوزاعيِّ ، عن هارونَ بنِ رئابٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، فى مِيلَادِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ ، ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى شَجَرَةٍ فِى الْجَنَّةِ ، فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[1] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ ، حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، أخبرَنا عمرُو بنُ الحارثِ ، أنَّ دَرَّاجًا أبا السمحِ حدَّثه ، عن أبى الهيثمِ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِى [2]ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ[2] سَنَةً فِى الْجَنَّةِ ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ » .

ورواه الترمذىُّ[3] عن سويدِ بنِ نصرٍ ، عن ابنِ المباركِ ، عن رِشْدينَ بنِ سعدٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، فذكَره . واللَّهُ أعلمُ . [١٠١و] .

[4]وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الوهابِ بنُ عطاءٍ الخفَّافُ[6][4] [7]العِجْلىُّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن شَهْرِ بنِ حوشبٍ ، عن معاذٍ ، قال :[7]

---

(١) المصدر السابق (٧٨) .

(٢ - ٢) فى المصدر : « ثلاثين » .

(٣) الترمذى (٢٥٦٢) . وفيه أنهم يردون بنى ثلاثين سنة كالذى قبله . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٦٧) .

(٤ - ٤) سقط من : ح ، ص .

(٥) المسند ٥/٢٣٩ (٢٢١٣٤) . قال الهيثمى : رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن شهرا لم يدرك معاذ بن جبل . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٦.

(٦) فى الأصل : « الجافر » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر أطراف المسند ٥/ ٢٩٥، وتهذيب الكمال ١٨/ ٥٠٩.

(٧ - ٧) سقط من : ح ، ص .

[1] قال نبيُّ اللَّهِ ﷺ : « يُبْعَثُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ بَنِى [2] ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ » [2] . وهذا منقطعٌ بينَ شَهْرٍ ومعاذٍ انقطاعًا لو كان ساقَه لكانت أبعدَ مِن شَهْرٍ ، وهو يُفهِمُ بعْثَهم مِن قبورِهم كذلك ، وقد تقدَّم [3] أنَّ كلَّ أحدٍ يُبْعَثُ على ما مات عليه ، ثم تُغيَّرُ حُلَاهم إلى الطولِ والعرضِ ، كلُّ أحدٍ بحَسَبِه بعدَ ذلك عندَ دخولِ الجنةِ والنارِ ، على ما سيأتى إن شاء اللَّهُ تعالى [1] .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢ - ٢) فى المصدر : « ثلاثين » .

(٣) تقدم فى صفحة ١٠٧ .

كتابُ صفةِ النَّارِ - أجارَنا اللَّهُ مِنها - ومَا فِيها مِنَ العذَابِ الأليمِ[1]

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقال تعالَى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. وقالَ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧]. وقالَ تعالَى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ الآيات. [الأعراف: ٣٨]. وقال تعالى:

---

(١) بعده فى الأصل زيادة تتخللها أرقام المخطوطة الآتية (١٠١ظ، ١٠٢و، ١٠٢ظ، ١٠٣و، ١٠٣ظ، ١٠٤و، ١٠٤ظ).

﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ الآية [التوبة: ٨١]. وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ الآيات [الحج: ١٩- ٢١]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ الآيات [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ الآيات [الفرقان: ١١]. وقال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ الآيات [الشعراء: ٩١]. وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ الآية [السجدة: ٢٠]. ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ الآية [الأحزاب: ٦٦]. وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ الآيات [فاطر: ٣٦]. قال تعالى: ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ الآيات [يس: ٦٣، ٦٤]. وقال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ الآيات [الصافات: ٢٢، ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا [١٠٥و] فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص: ٥٥- ٦٤]. وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢]. وقال: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى:

﴿ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر: ٤٥ - ٥٢]. وقال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ الآيات [غافر: ٧١، ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٤ - ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ الآية [التحريم: ٦]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الآيات [الملك: ٦]. وقال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٦- ٣١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٢١- ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ الآيات [الليل: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [البلد: ١٩، ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ

ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ إلى آخرِ السورةِ [الهمزة: ١- ٧].

وقالَ ابنُ المباركِ[(١)]، عن خالدِ بنِ أبى عِمْرَانَ [(٢)]بسَنَدِه، أنَّ[(٢)] رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ النَّارَ تَأكُلُ أهْلَهَا، حَتَّى إذَا اطَّلَعَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمُ انْتَهَتْ، ثم يَعُودُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُهُ أَيْضًا، [(٣)]فَتَأْكُلُهُ حَتَّى تَطَّلِعَ[(٣)] علَى فُؤَادِهِ[(٤)]، فَهُوَ كَذَلِكَ أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [الهمزة: ٦، ٧]».

وقد تركْنا إيرادَ آياتٍ كثيرةٍ خوفَ الإطالةِ، وفيما ذكَرْنا إرشادٌ لما تركْنَا، وباللَّهِ المستعانُ، وستأْتِى الأَحَادِيثُ الوارِدَةُ فى صِفَةِ جَهَنَّمَ - أجارَنَا اللَّهُ منها آمين - مرتبةً على ترتيبِ حَسَنٍ، وباللَّهِ التوفيقُ.

وقال ابنُ المباركِ[(٥)]: أنبأنا مَعْمَرٌ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، قال: لَمَّا خُلِقتِ النَّارُ فَزِعَتِ المَلائِكَةُ، وَطارَتْ أَفْئِدَتُها، فلما خُلِقَ آدمُ سكَن ذلك عنهم، وذهَب ما كانوا يَجِدونَ[(٦)].

وقال ابنُ المُبارِكِ[(٧)]: أنبأنا محمَّدُ بنُ مُطَرِّفٍ، عن الثِّقةِ، أنَّ فَتًى من الأنْصارِ دخَلَتْهُ خَشْيَةٌ من النَّارِ، فَكَانَ يَبْكِى عندَ ذِكْرِ النَّارِ، حتَّى حَبَسَهُ ذلك فِى البيتِ[(٨)]، فذُكِرَ ذلك للنبىِّ ﷺ، فَجاءَه فى البيتِ، فلمَّا دخَل نبىُّ اللَّهِ ﷺ

---

(١) الزهد (٣٠٦) (زوائد نعيم بن حماد).

(٢ - ٢) فى المصدر: «يسنده إلى».

(٣ - ٣) فى ص: «فيعود».

(٤) فى المصدر: «فؤادهم».

(٥) الزهد (٣٢١) (زوائد نعيم بن حماد).

(٦) فى المصدر: «يحذرون».

(٧) المصدر السابق (٣٢٠)، وأخرجه أحمد فى الزهد ص ٣٩٧ من طريق فضيل بن سليمان، عن محمد بن مطرف به.

(٨) بعده فى الأصل، ح: «عن شهود المسجد».

اعْتَنَقَهُ الفَتَى ، وخَرَّ مَيِّتًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ ، فإنَّ الفَرَقَ مِنَ النَّارِ فَلَذَ[1] كَبِدَهُ » .

قالَ القرطبيُّ[2] : ورُوِىَ أنَّ عيسى عليه السلامُ مَرَّ بأربعةِ آلَافِ امْرَأَةٍ مُتَغَيِّراتِ الأَلْوانِ ، وعليهنَّ مَدَارِعُ[3] الشَّعَرِ والصُّوفِ ، فقال عيسى : ما الذى غَيَّرَ أَلْوَانَكُنَّ مَعَاشِرَ النِّسْوَةِ ؟ قُلْنَ : ذِكْرُ النَّارِ غَيَّرَ أَلْوَانَنَا يا ابنَ مريمَ ، إنّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ لا يذوقُ فيها بَرْدًا ولا شرابًا . ذكرَهُ الخَرائطىُّ فى كتابِ « القُبورِ »[4] .

ورُوِىَ[5] أن سَلْمانَ الفارِسىَّ لما سمِع قولَه تعالَى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٤٣] . فَرَّ ثَلَاثَةَ أيامٍ هاربًا من الخوفِ ، لا يَعْقِلُ ، فجِىءَ بهِ إلى النبىِّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أنزِلت هذه الآيةُ ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، فوالذِى بعثَكَ بالحقِّ لقدْ قَطَّعَتْ قَلبِى . فأنزلَ اللَّهُ تعالَى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ الآية [الحجر : ٤٥] . ذَكَرَه الثَّعْلبِىُّ .

ذِكرُ جهنَّمَ وشدَّةِ سوادِهَا ، أجارَنا اللَّهُ منها

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ

---

(١) فى الأصل ، ح : « فلق » . والمعنى : أن خوف النار قطع كبده . النهاية ٣/ ٤٧٠ .

(٢) التذكرة ٢/ ١٣١ .

(٣) المدارع : جمع مِدْرَعَة ، كمِكْنَسة ، وهو ثوب كالجبة ، ولا يكون إلا من صوف . انظر تاج العروس (د ر ع) .

(٤) فى الأصل : « الثبور » ، وفى ح : « النشور » ، وفى ص : « النور » . والمثبت من المصدر وهو الصواب . انظر هدية العارفين ٦/ ٣٤ .

(٥) ذكره القرطبى فى التذكرة ، الموضع السابق .

يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١] . وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ٨- ١١] . وقال تعالى : [١٠٥ظ] ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية: ٥] . وقال تعالى : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤] . (١)أى حَارٍّ قد تَناهَى حرُّه ، وبَلَغَ الغَايَةَ فى الحرارةِ(١) .

وقال مالكُ فى مُوطَّئِهِ(٢) ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « نَارُ بَنِى آدَمَ الَّتِى يُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنْ كانت لكافِيةً . فقال : « إنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا » .

ورواه البخارىُّ عن إسماعيلَ بنِ أبى أُوَيْسٍ ، عن مالكٍ ، به(٣) . وأخرَجه مسلمٌ ، عن قُتَيْبَةَ ، عن المُغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ الحِزامىِّ ، عن أبى الزِّنادِ ، به(٤) ، نحوَه .

وقال أحمدُ(٥) : حدَّثنا سُفْيانُ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : « إنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جَزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لأَحَدٍ » . على شرطِ « الصحيحينِ » .

(١ - ١) سقط من : ح .
(٢) الموطأ ٢/ ٩٩٤.
(٣) البخارى (٣٢٦٥) .
(٤) مسلم (٢٨٤٣/٣٠) .
(٥) المسند ٢/٢٤٤ (٧٣٢٣) . قال الشيخ شعيب : صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٢/ ٢٨٠.

طريقٌ أُخرَى : قال أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثنا حمادٌ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، سمِعتُ أبا هريرةَ يقولُ : سمِعتُ أبا القاسمِ ﷺ يقولُ : « نَارُ بَنِى آدَمَ الَّتِى يُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » . فقال رجلٌ : إنْ كانَتْ لكَافِيةً . فقال : « لَقَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا [2] حَرًّا فَحَرًّا [2] » .

طريقٌ أُخرَى : قال أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن همَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نَارُكُمْ هَذِهِ ، مَا يُوقِدُ بَنُو آدَمَ ، جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » . قالوا : واللَّهِ إنْ كانتْ لكافِيَةً يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » .

طريقٌ أُخرَى : قال البزّارُ[4] : حدَّثنا بِشْرُ بنُ خالدٍ العَسْكرِىُّ ، حدَّثنا سعيدُ ابنُ مَسْلَمةَ ، عن عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ ، وَكُلُّ نَارٍ أُوقِدَتْ - أَوْ هُمْ يُوقِدُونَهَا[5] - جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » .

طريقٌ أُخرَى بلفظٍ آخرَ : قال أحمدُ[6] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ، عن سُهَيلٍ[7] ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « هَذِهِ النَّارُ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِن جَهَنَّمَ » . وهذا الإسنادُ على شرطِ مسلمٍ . وفى لفظِه غَرابةٌ ،

---

(١) المسند ٢/٤٦٧ (١٠٠٣٣) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٦/ ٧٨.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من المصدر .

(٣) المسند ٢/٣١٣ (٨١١١) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الصحيحين . المسند ١٣/ ٤٧٩.

(٤) لم نجده من هذا الطريق عند البزار ، وإنما ذكره بنحوه من طريق آخر عن ابن مسعود ، وسيأتى .

(٥) فى الأصل : « موقدوها » .

(٦) المسند ٢/٣٧٩ (٨٩١٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده قوى . المسند ١٤/٤٩٣ .

(٧) فى الأصل : « إسماعيل » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٢٣.

وأكثرُ الرِّواياتِ عن أبى هريرةَ : « جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا » .

وقد ورَد الحديثُ عن غيرِه كذلك ، من طريقِ ابنِ مسعودٍ ، كما قال البزّارُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ ، حدَّثنا عُبيْدُ بنُ إسحاقَ العطَّارُ ، حدَّثنا زُهَيْرٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ، وَإِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ سَمُومِ جَهَنَّمَ ، وَمَا دَامَ الْعَبْدُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِى صَلَاةٍ مَا لَمْ يُحْدِثْ » . قال البزارُ : وقد رُوِى موقوفًا .

ومن طريقِ أبى سعيدٍ ، كما قال البزّارُ : حدَّثنا محمدُ بنُ الليثِ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسَى ، حَدَّثنا شَيْبانُ ، عن فِرَاسٍ[2] ، عن عَطيّةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا حَرُّهَا » .

وقال الطبرانىُّ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عمرٍو الخَلَّالُ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُنذرِ الحِزامِىُّ ، حدَّثنا مَعْنُ بنُ عيسَى القَزَّازُ ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، عن عَمِّه أبى سُهيلٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ نَارِكُمْ هَذِهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ؟ لَهِيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ دُخَانِ نَارِكُمْ هَذِهِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا » .

قال الحافظُ الضِّياءُ : وقد رواه أبو مُصْعَبٍ ، عن مالكٍ ، فرفَعه ، وهو عندِى

---

(١) البحر الزخار (١٨٦٤)، وكشف الأستار (٣٤٩٠) . قال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه عبيد بن إسحاق وهو متروك ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٨.

(٢) فى ح : « فراش » . وانظر المؤتلف والمختلف ٤/ ١٨٣٠.

(٣) المعجم الأوسط (٤٨٩) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧.

على شرطِ الصحيحِ .

وروى الترمـذيُّ[1] وابنُ ماجَه[2] ، كلاهُما عن عبّاسٍ الدُّورِيِّ ، عن يحيَى ابنِ [3]أبى بُكيْرٍ[3] ، عن شَرِيكٍ ، عن عاصمٍ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُوقِدَ عَلَى النّارِ أَلْفَ سنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سَـوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ » . قال الترمذيُّ : ولا أعلمُ أحدًا رفَعه غيْرَ يحيَى بنِ أبى بُكَيْرٍ ، عن شَرِيكٍ . كذا قال الترمذيُّ ، وقد رواه أبو بكرِ بنُ مَرْدُويَه الحافظُ ، عن إبراهيمَ ابنِ محمدٍ ، عن محمدِ بنِ الْحُسَينِ[4] بنِ مُكْرمٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدٍ ، عن عَمِّه ، عن شَرِيكٍ ، به ، مثلَهُ[5] . [١٠٦و] .

وقال الحافظ البَيْهَقيُّ[6] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، قالا : حدَّثنا أبو العبّاسِ الأصَمُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبّارِ ، حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن [7]أبى ظَبْيَانَ[7] ، عن سَلْمانَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « النَّارُ لَا يُطْفَأُ جَمْرُهَا ، وَلَا يُضِيءُ لَهَبُهَا » . قال : ثم قرأ : ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠] . قال البيهقيُّ : ورفْعُه ضعيفٌ . ثم رواه من وجهٍ آخرَ موقوفًا[8] . وقال ابنُ مَرْدُويَه[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ ، حدَّثنا

---

(١) الترمذى (٢٥٩١) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨٥) .

(٢) ابن ماجه (٤٣٢٠) ، نحوه .

(٣ - ٣) فى الأصل : « بكير » ، وفى ص ، وهامش الأصل : « أبى كثير » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٤٥.

(٤) فى ص : « الحسن » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر ١/ ٣٦ إلى ابن مردويه .

(٦) البعث والنشور (٦٣٢) .

(٧ - ٧) فى الأصل : « ظبيان » ، وفى ح : « طيبان » . وانظر المؤتلف والمختلف ٣/ ١٤٨٥.

(٨) البعث والنشور (٦٣١) .

محمدُ بنُ يونسَ ، حدَّثنا أبو عَتّابٍ الدلّالُ ، حدَّثنا مباركُ بنُ فَضالةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : تلا رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] . قال : « أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، وَأَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، وَأَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سَوْدَاءُ لَا يُضِيءُ لَهَبُهَا » .

وقال ابنُ مَرْدُويَه[1] : حدَّثنا دعْلَجُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، حدَّثنا الحكمُ بنُ مَرْوانَ ، حدَّثنا سَلَّامٌ الطويلُ ، عن الأجلحِ بنِ عبدِ اللَّهِ الكِنْدِيِّ ، عن عديِّ بنِ عَدِيٍّ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطّابِ : أتَى جبريلُ النبيَّ ﷺ فى حينٍ لم يكُنْ يأتيه فيه ، فقال : « يَا جِبْرِيلُ ، مَا لِى أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ » فقال : إنِّى لَمْ آتِكَ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، بِفَتْحِ أبوابِ النَّارِ . فقال النبيُّ ﷺ : « يَا جِبْرِيلُ ، صِفْ لِيَ النَّارَ ، وانْعَتْ لى جهنَّمَ » فقال : إنَّ اللَّهَ أمَرَ بِهَا ، فأُوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتى ابيضَّتْ ، ثم أُوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى احمرَّتْ ، ثم أُوقِدَ عليْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، لَا يُضِيءُ شَرَرُهَا ، وَلَا يُطْفَأُ لَهَبُهَا . وقال : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْ حَلَقِ السِّلْسِلَةِ الَّتِى نَعَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فِى كِتَابِهِ وُضِعَتْ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا لَأَذابَتْهَا . فقال النبيُّ ﷺ : « حَسْبِى يَا جِبْرِيلُ ؛ لَا يَنْصَدِعُ قَلْبِى » . فنظرَ النبيُّ ﷺ إلَى جِبْرِيلَ فَإذا هو يَبْكى . فقال : « يَاجِبْرِيلُ ، أَتَبْكِى وَأَنْتَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَكَانِ الَّذِى أَنْتَ بِهِ مِنْهُ ؟ » قال : وَمَا يَمْنَعُنِى أَنْ أَبْكِيَ ، وَأَنَا لَا أَدْرِى لَعَلِّى أَنْ أَكُونَ فِى عِلْمِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْحَالِ ؛ فَقَدْ كَانَ إبْلِيسُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ، وَقَدْ كَانَ هَارُوتُ وَمَارُوتُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٦٠٤) . عن أبى مسلم إبراهيم بن عبد اللَّه بن مسلم ، به ، بنحوه . قال الهيثمى : فيه سلام الطويل ، وهو مجمع على ضعفه . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧.

فلم يزَلِ النبيُّ ﷺ يبكِي وجبريلُ ، حتى نُودِيا :يَا مُحَمَّدُ ، وَيَا جِبْرِيلُ ، إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ أَمَّنَكُمَا أَنْ تَعْصِيَاهُ » . قال : فارتفَع جبريلُ ، وَخرَج النبيُّ ﷺ فمرَّ بقومٍ من أصحابِه يتحدَّثون ويَضْحَكُونَ . فقال : « أَتَضْحَكُونَ وَجَهَنَّمُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وجَلَّ » . فأوحَى اللَّهُ تَعَالَى إليْهِ : يَا مُحَمَّدُ ، إنِّى بَعَثْتُكَ مُبَشِّرًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْشِرُوا ، وَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا » . قال الضِّياءُ : قال الحافظُ أبو القاسمِ - يعنى إسماعيلَ بنَ محمدِ بنِ الفَضْلِ : هذا حديثٌ حسنٌ ، وإسنادُه جيدٌ .

وقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ حمزةَ ، حدَّثنا ابنُ أبى حازمٍ والدَّراوَردِيُّ ، عن يَزِيدَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ خبّابٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِيِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَ عندَه عَمُّه أبو طالبٍ ، فقال : « لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِى مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ » . ورواه مسلمٌ[(٢)] من حديثِ يزيدَ بنِ الهادِ[(٣)] به .

[(٤)]وقال مسلمٌ[(٥)] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا [(٦)]يحيى بنُ أبى بُكَيْرٍ[(٦)] ، حدَّثنا زُهَيْرُ بنُ محمدٍ[(٤)] ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن النُّعْمانِ بنِ أبى عَيّاشٍ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا

---

(١) البخارى (٦٥٦٤) .

(٢) مسلم (٢١٠/٣٦٠) .

(٣) فى النسخ : « أبى حبيب » وهو خطأ . والمثبت من مصدر التخريج ، والحديث رواه مسلم عن قتيبة ابن سعيد ، حدثنا ليث ، عن ابن الهاد - وهو يزيد - عن عبد الله بن خباب ، عن أبى سعيد الخدرى ، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٣٧٢.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) مسلم (٢١١/٣٦١) .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ح : « محمد بن أبى بكر » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٤٥.

يَنْتَعِلُ (١ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ ١) يَغْلِى دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ » .

وقال أحمدُ[٢] : حدَّثنا حسنٌ وعفَّانُ ، قالا : حدَّثنا حَمّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيرِىِّ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا رَجُلٌ فى رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » . وساق أحمدُ تمامَ الحديثِ .

وقال البخارىُّ[٣] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، حدَّثنا غُنْدَرٌ ، حدَّثنا شُعْبةُ ، سمِعتُ أبا إسحاقَ ، سمِعتُ النُّعْمانَ ، سمِعتُ النّبىَّ ﷺ يقولُ : « إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِى مِنْهَا دِمَاغُهُ » . ورواه مسلمٌ[٤] من حديثِ شُعْبَةَ .

وقال البخارىُّ[٥] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَجاءٍ ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ ، سمِعت النبىَّ ﷺ يقولُ : « إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ [١٠٦ظ] النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يَغْلِى الْمِرْجَلُ ، (٦أَوْيَغْلِى الْقُمْقُمُ٦) » .

وقال مسلمٌ[٧] : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا عَفانُ ، حدَّثنا حمادُ بنُ

(١ - ١) فى الأصل : « بنعل » ، وفى ح ، ص : « بنعل من نار » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٢) المسند ١٣/٣ (١١١١٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٧/ ١٦٥ .
(٣) البخارى (٦٥٦١) .
(٤) مسلم (٢١٣/٣٦٣) نحوه .
(٥) البخارى (٦٥٦٢) .
(٦ - ٦) فى المصدر : « والقمقم » .
(٧) مسلم (٢١٢/٣٦٢) .

سَلَمةَ ، حدَّثنا ثابتٌ ، عن أبى عثْمانَ النَّهْدىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ [1] يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ [1] يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا يحيَى ، عن ابنِ عَجْلَانَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا عَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُه » . وبهذا الإسنادِ[3] ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، حدثنا زائدةُ ، عن المُخْتارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وما رأيتَ ؟ قال : « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ » .

ورواه أحمدُ أيضًا[5] من حديثِ شُعْبَةَ ، عن موسَى بنِ أنسٍ ، عن أبيه ، عن النبىِّ ﷺ أنَّه قال : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » .

وقال أحمدُ[6] : حدَّثنا أبو اليَمانِ ، حدَّثنا ابنُ عَيّاشٍ ، عن عُمَارَةَ بنِ غَزِيَّةَ[7] الأنصارىِّ : أنَّه سمِع حُمَيْدَ بنَ عُبَيْدٍ مولَى بنى المُعَلَّى ، يقولُ : سَمِعْتُ ثابتًا

(١ - ١) فى الأصل : « ينتعل نعلين » ، وفى المصدر : « منتعل بنعلين » .

(٢) المسند ٤٣٢/٢ (٩٥٧٣) . قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره ، وهذا إسناد جيد . المسند ١٥/ ٣٥٤.

(٣) المسند ٤٣٢/٢ (٩٥٧٤) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد جيد . المصدر السابق الموضع نفسه .

(٤) المسند ٢١٧/٣ (١٣٣٠٢) .

(٥) المسند ٢١٠/٣ (١٣٢١٣) . قال شعيب : إسناده صحيح . المسند ٢٠/ ٤١٧.

(٦) المسند ٢٢٤/٣ (١٣٣٦٧) .

(٧) فى ح : « غربة » ، وفى ص : « عربة » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٥٨.

البُنانيُّ يُحدِّثُ عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال لجبريلَ : « مَا لِى لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ ؟ قال : مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ » .

وقد قال تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٢٩- ٣٤] .

قال الطبرانيُّ[(١)] : حدَّثنا أحمدُ بنُ يحيى الحُلْوانيُّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن حُديْجِ[(٢)] بنِ معاويةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عَلْقمةَ بنِ قَيْسٍ ، سمِعتُ ابنَ مسعودٍ يقولُ فى قولِه تعالَى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾ [المرسلات : ٣٢] . قال : أمَا إنَّها ليست[(٣)] مثلَ الشجرِ والجَبَلِ ، ولكِنَّها مثلُ المدائنِ والحُصُونِ .

وقال الطبرانيُّ[(٤)] : حدَّثنا طالبُ بنُ قرَّةَ[(٥)] ، حدَّثنا محمدُ بنُ عيسى بنِ الطبَّاعِ ، حدثنا مُبشِّرُ[(٦)] بنُ إسماعيلَ ، عن تَمَّامِ بنِ نَجِيحٍ ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « لَوْ أَنَّ شَرَرَةً مِنْ شَرَرِ جَهَنَّمَ بِالْمَشْرِقِ لَوَجَدَ حَرَّهَا مَنْ بِالْمَغْرِبِ » .

وقال أحمدُ[(٧)] : حدَّثنا سُفيانُ ، عن الزهريِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ ،

---

(١) المعجم الأوسط (٩١٦) . قال الهيثمى : فيه خديج (صوابه حديج) بن معاوية ، وهو ضعيف ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، يكتب حديثه ، وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٧/ ١٣٢.

(٢) فى ح ، ص : « خديج » . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٨.

(٣) فى النسخ : « ليس » . والمثبت من المصدر .

(٤) المعجم الأوسط (٣٦٩٣) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه تمام بن نجيح ، وهو ضعيف . وقد وثق وبقية رجاله أحسن حالا من تمام . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧.

(٥) فى ص : « عمرة » .

(٦) فى النسخ : « حسن » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ١٩٠.

(٧) المسند ٢/٢٣٨ (٧٢٤٦) . قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

عن النبيِّ ﷺ قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : أَكَلَ بَعْضِى بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ ؛ نَفَسٍ فِى الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِى الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ ما يَكُونُ مِنَ الْحَرِّ[1] مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ » . وبهذا الإسنادِ[2] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بالصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ » .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزهريِّ ، أخبرَنى أبو سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِى بَعْضًا فَنَفِّسْنِى . فَأَذِنَ لَهَا فِى كُلِّ عَامٍ بِنَفَسَيْنِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ » ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » . وأخرَجه البخاريُّ ، ومسلمٌ[4] من حديثِ الزُّهريِّ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا يَزِيدُ ، أخبرَنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ البُنَانِيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِى النَّارِ صِبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يَا بْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ [6]هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ[6] . وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا[7] فِى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِى الْجَنَّةِ صِبْغَةً ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا بْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَر بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِى

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « وأشد ما يكون من البرد » .

(٢) المسند ٢/٢٣٨ (٧٢٤٥) . قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

(٣) المسند ٢/٢٧٦ (٧٧٠٨) .

(٤) البخارى (٣٢٦٠) ، ومسلم (٦١٧/١٨٥) كلاهما بنحوه .

(٥) المسند ٣/٢٠٣ (١٣١٣٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ٢٠/٣٧٨ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) ليست فى المصدر .

بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » .

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادةَ ، حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قال : « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ [2] يَا رَبِّ [2] . قال : فَيُقَالُ : لَقَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ [١٠٧و] بِهِۦٓ ﴾ » [آل عمران : ٩١] .

طريقٌ أخرَى : قال أحمدُ[3] : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن أبى عِمْرانَ الجَوْنِيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يُقالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ[4] مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِى بِهِ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : نَعَمْ . قَال : فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ[5] مِنْ ذَلِكَ ؛ قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ الْمِيثَاقَ[6] فِى ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِى شَيْئًا ، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِى[7] » .

طريقٌ أخرَى : قال أحمدُ[8] : حدَّثنا رَوْحٌ وعفّانُ ، قالا : حدَّثنا حمّادٌ ،

---

(١) المسند ٣/٢١٨ (١٣٣١٢) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) المسند ٣/١٢٧ (١٢٣١١) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٩/٣٠٢.

(٤) ليست فى المسند .

(٥) فى الأصل ، ح : « أيسر » .

(٦) سقط من : ص ، وليست فى المسند .

(٧) سقط من : الأصل ، ح .

(٨) المسند ٣/٢٠٧ (١٣١٨٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ٢٠/٤٠٢.

[1]أخبرنا ثابتٌ[1] ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ[2] لَهُ : يَا بْنَ آدَمَ ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ ؟ [3]فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، خَيْرَ مَنْزِلٍ[3] ، فَيَقُولُ : سَلْ وَتَمَنَّ . فَيَقُولُ : مَا أَسْأَلُ وَأَتَمَنَّى إِلَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا ، فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ . لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ . وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَقُولُ لَهُ : يَا بْنَ آدَمَ ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، شَرَّ مَنْزِلٍ . فَيَقُولُ لَهُ : أَتَفْتَدِي مِنْهُ بِطِلَاعِ[4] الْأَرْضِ ذَهَبًا ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، نَعَمْ . فَيَقُولُ : كَذَبْتَ ؛ قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْسَرَ فَلَمْ تَفْعَلْ . فَيُرَدُّ إِلَى النَّارِ » .

وقال البزّارُ[5] : حدَّثنا أبو شَيْبةَ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ومحمدُ بنُ اللَّيْثِ ، قالا : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شَرِيكٍ ، عن أبيه ، عن السُّدِّيِّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمْ يُرَ مِثْلُ النَّارِ ، نَامَ هَارِبُهَا ، وَلَمْ يُرَ مِثْلُ الْجَنَّةِ ، نَامَ طَالِبُهَا » .

وروَى الحافظُ أبو يَعْلَى[6] ، وغيرُه[7] ، من طريقِ محمدِ بنِ شَبِيبٍ ، عن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) في المسند : « فيقول » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل . النهاية ٣/ ١٣٣ .

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٨٩) من طريق عبد الرحمن بن شريك به بنحوه ، كما أخرجه الترمذي (٢٦٠١) بنحوه من طريق آخر عن أبي هريرة . حسن (صحيح سنن الترمذي ٢٠٩٧) .

(٦) مسند أبي يعلى (٦٦٧٠) ، نحوه . قال الهيثمي : رواه أبو يعلى عن شيخه إسحاق ، ولم ينسبه ، فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح ، وإن كان غيره فلم أعرفه . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩١ .

(٧) كشف الأستار (٣٤٩٩) ، بنحوه . قال الهيثمي : رواه البزار ، وفيه عبد الرحيم بن هارون ، وهو ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يعتبر حديثه إذا حدث من كتابه ، فإن في حديثه من حفظه بعض مناكير . وبقية رجاله رجال الصحيح . المصدر السابق .

جعفرِ بنِ أبى وَحْشِيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبى هريرةَ : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَوْ كَانَ فِى هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ[1] مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَهُمْ نَفَسُهُ لَأَحْرَقَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ فِيهِ » . وَهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

ذِكرُ بُعدِ قعرِ جهنَّمَ واتّساعِها وضخامةِ أهلِها ، أجارَنا اللَّهُ منها

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة : ٨- ١١] . وقال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤١] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [الطور : ١٣، ١٤] . وقال تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٢٤- ٣٠] .

وقد ثبت فى « الصحيحين »[2] من غيرِ وجهٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَا تَزَالُ جَهنَّمُ يُلْقَى فِيهَا ، وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا رَبُّ الْعِزَّةِ قَدَمَهُ[3] ،

---

(١) بعده فى الأصل : « واحد » .

(٢) البخارى (٤٨٤٨ - ٤٨٥٠ ، ٦٦٦١ ، ٧٣٨٤ ، ٧٤٤٩) ، ومسلم (٣٥ ، ٢٨٤٦/٣٦) ، (٣٧، ٣٨ /٢٨٤٨) ، كلاهما بنحوه .

(٣) فى ص : « قدميه » .

فيَنْزَوِى[1] بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ[2] وَعِزَّتِكَ » .

وقال مسلمٌ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى عُمرَ المَكىُّ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ الدَّرَاوَرْدِىُّ ، عن يزيدَ بنِ الهادِ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن عيسى بنِ طَلْحَةَ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ[4] مَا فِيهَا[4] ، يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا[5] بَيْنَ الْمَشرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

[6]ورواه البخارىُّ[7] عن إبراهيمَ بنِ حمزةَ ، عن عبدِ العزيزِ[8] ، بنحوِه ، ولفظُه : « يَزِلُّ بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ » . و[9]لم يذكُرِ[9] المغربَ[6] .

---

(١) ينزوى : ينضم وينقبض . النهاية ٢/ ٣٢٠.

(٢) قط : حسبى ، أى يكفينى هذا . وفيه ثلاث لغات : قطْ قطْ بإسكان الطاء فيهما ، وبكسرها منونة وغير منونة . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٨٢.

(٣) مسلم (٢٩٨٨/٥٠) .

(٤ - ٤) سقط من : ح . وفى الأصل ، ص : « فيها » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) فى ص : « مما » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) البخارى (٦٤٧٧) .

(٨) هو عبد العزيز بن أبى حازم يروى عن يزيد بن الهاد . انظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٢٠ ، وتحفة الأشراف ١٠/ ٢٩٤.

وقال ابن حجر : وقوله : (ابن أبى حازم) هو عبد العزيز بن دينار ، ووقع عند أبى نعيم فى « المستخرج » من طريق إسماعيل القاضى ، عن إبراهيم بن حمزة شيخ البخارى فيه : أن عبد العزيز بن أبى حازم وعبد العزيز بن محمد الدراوردى حدثاه عن يزيد . فيحتمل أن يكون إبراهيم لما حدث به البخارى اقتصر على ابن أبى حازم ، ويحتمل أن يكون حدث عنهما فحذف البخارى ذكر عبد العزيز الدراوردى . وعلى الأول لا إشكال ، وعلى الثانى يتوقف الجواز أن اللفظ للاثنين سواء ، وأن المذكور ليس هو لفظ المحذوف ، أو أن المعنى عليهما متحد تفريعًا على جواز الرواية بالمعنى . ويؤيد الاحتمال الأول أن البخارى أخرج بهذا الإسناد بعينه إلى محمد بن إبراهيم حديثا جمع فيه بين ابن أبى حازم والدراوردى وهو فى « باب فضل الصلاة » أول كتاب الصلاة (٥٢٨) . فتح البارى ١١/ ٣١٠.

(٩ - ٩) سقط من : الأصل .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[1] : حدَّثنا الزُّبَيْرُ بنُ سعيدٍ ، عن صَفوانَ بنِ سُلَيم ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن ابى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ؛ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ ، يَهْوِى بِهَا مِنْ[2] أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا » . غريبٌ ، والزُّبَيْرُ فيه لِينٌ .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا خَلَفُ بنُ خَلِيفَةَ ، عن يَزِيدَ ابنِ كَيْسانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : كُنّا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومًا فسَمِعْنَا وَجْبَةً[4] ، فقال النبىُّ ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ[5] فى جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَالْآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا » . وَرواه مسلمٌ[6] عن محمدِ بنِ عبَّادٍ و[7] ابنِ أبى عمرَ ، عن مَرْوَانَ ، عن يَزِيدَ بنِ كَيْسانَ ، به ، نحوَه .

حديثٌ آخرُ : وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ الأصْبَهانىُّ[8] : حدَّثنا [9]عبدُ الملكِ[9] بنُ الحسنِ بنِ يوسُفَ السَّقَطِىُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ يحيى ، حدَّثنا أبو أيُّوبَ الأنصارىُّ

---

(١) الزهد لابن المبارك (٩٤٨) ، بنحوه ، ومسند أحمد ٢/٤٠٢ (٩٢٠٩) ، بلفظه . قال الشيخ شعيب : حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف ؛ لضعف الزبير بن سعيد . المسند ١٥/ ١٢١.

(٢) سقط من : الأصل ، ص ، وفى ح : « فى النار » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣) المسند ٢/٣٧١ (٨٨٢٦) .

(٤) الوجبة : صوت السقوط . النهاية ٥/ ١٥٤.

(٥) فى الأصل : « ألقى » .

(٦) مسلم (٢٨٤٤) .

(٧) سقط من : الأصل ، ح .

(٨) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨١٩) من طريق أحمد بن يحيى ، به . قال الهيثمى : فيه إسماعيل بن قيس الأنصارى ، وهو ضعيف . المجمع ١٠/ ٣٨٩.

(٩ - ٩) فى الأصل : « عبد الله » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٧.

أحمدُ بنُ عَبْدِ الصمدِ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ قَيْسٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن أبى الحُبابِ سعيدِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، أنَّه قال : سَمِعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ صوتًا (١ هالَه ذلك ١) ، فأتاه جبريلُ فقال : « مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا جِبْرِيلُ ؟ قال : هَذِهِ صَخْرَةٌ هَوَتْ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مُنذُ سَبْعِينَ عَامًا ، فَهَذَا حِينَ بَلَغَتْ قَعْرَهَا ، أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكَ صَوْتَهَا » . قال : فما رُئِىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذلك اليومِ ضاحِكًا مِلْءَ فِيهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ . وقد روَى البيهقىُّ (٢) [١٠٧ظ] من طريقِ أبى مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِىِّ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ نحوًا من هذا السِّياقِ .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ » (٣) ، عن عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ ، أنَّه قال فى خُطْبَتِهِ : وقد ذُكِر لنا أنَّ الحجرَ يُلقَى من شفيرِ (٤) جَهنمَ فيهوِى فيها سبعين عامًا ، لا يُدرِك لها قعرًا ، واللَّهِ لَتُملأَنَّ ، أفعَجِبتم ؟ وقد ذُكِر لنا أنَّ ما بينَ مصراعين مِن مصاريعِ الجنةِ مسيرةُ أربعين سنةً ، ولَيأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظٌ مِن الزِّحامِ .

حديثٌ آخرُ : قال أبو يَعْلَى (٥) : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبِى شَيْبَةَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن أبى بَكْرٍ (٦) ، عن أبيه (٧) أبِى موسى الأَشعرِىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّ حَجَرًا قُذِفَ بِهِ فِى جَهَنَّمَ لَهَوَى سَبْعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ

(١ - ١) فى المعجم الأوسط والمجمع : « هاله » .

(٢) البعث والنشور (٥٣٣) .

(٣) مسلم (١٤/٢٩٦٧) .

(٤) فى مسلم : « شفة » .

(٥) مسند أبى يعلى (٧٢٤٣) . قال محققه : إسناده ضعيف ، جرير بن عبد الحميد سمع من عطاء بعد الاختلاط . ورواه البزار - انظر كشف الأستار (٣٤٩٤) - من طريق جرير به ، وقال : لا نعلمه يروى عن أبى موسى إلا من هذا الوجه ، ولا روى عطاء عن أبى بكر عن أبيه إلا هذا .

(٦) فى الأصل ، ح : « بردة » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٤٤ .

(٧) بعده فى الأصل ، ح : « عن » . وانظر المصدر السابق .

أنْ يَبْلُغَ قَعْرَهَا » .

حديثٌ آخرُ : روَى الترمذيُّ ، والنَّسائيُّ ، والبيهقيُّ ، والحافِظُ أبو نُعَيمٍ الأصْبَهانيُّ[1] ، واللفظُ لَهُ ، من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارِكِ : حدَّثنا عَنْبَسَةُ ، عن حبيبِ بنِ أبِي عَمْرَةَ ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قالَ : أتَدْرُونَ مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ ؟ فقُلْنا : لا . فقال : أجلْ ، واللَّهِ ما تَدْرُون ، إن ما بينَ شَحْمَةِ أُذُنِ أحَدِهِمْ وبينَ عاتِقِهِ مَسِيرةُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، [2]تَجْرِى فيهِ أودِيةُ القَيْحِ والدَّمِ . قال : قلنا : أنهارٌ ؟ قال : لَا[3] ، بل أوديةٌ . ثم قال : أتَدْرُون ما سَعَةُ جَهَنَّمَ[2] ؟ قال : قلْنَا : لا . قال : أجلْ ، واللَّهِ ما تَدْرُون ، حدَّثَتْنى عائشةُ أنَّها سألتِ النبيَّ ﷺ عن قولِه : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] . أين الناسُ يومَئذٍ ؟ قال : « عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ » .

وإنما روَى التِّرمذيُّ ، والنَّسائيُّ المرفوعَ فقط ، وقال الترمذيُّ : صحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوَجْهِ .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ العَلاءِ بنِ خالدٍ ، عن أبى وائلٍ شَقِيقِ بنِ سَلَمةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، مرفوعًا : « يُجَاءُ[5] بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ[6]

---

(١) الترمذى (٣٢٤١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٥٣) ، والبيهقى فى البعث والنشور (٦٢٩) غير أن فيه : عبدان . بدلا من : عبد الله بن مبارك . وأبو نعيم فى الحلية ١٨٣/٨ غير أن فيه : « حبيب عن حمزة ابن أبى حمزة عن مجاهد » . والحديث صحيح الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٥٨٩) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل ، ح . والمثبت من المصدرين الأخيرين .

(٤) مسلم (٢٨٤٢) .

(٥) فى مسلم : « يؤتى » .

(٦) سقط من : الأصل ، ح .

(١تُقَادُ بِسَبْعِينَ١) أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». ورُوِى موقوفًا على(٢) ابنِ مسعودٍ(٣). فاللَّهُ أعلمُ.

ورُوِى فى حديثٍ، عن علىِّ بنِ موسى الرِّضَا، عن آبائِهِ، (٤عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ، رضِى اللَّهُ عنه٤)، مرفوعًا(٥): «هَلْ تَدْرُونَ مَا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢١- ٢٣]. قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تُقَادُ جَهَنَّمُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، (٦كُلُّ زِمَامٍ بِيَدِ سَبْعِينَ٦) أَلْفَ مَلَكٍ». قال: «(٧فَتَشْرُدُ شَرْدَةً٧) لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ حَبَسَهَا لَأَحْرَقَتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ».

وقال الإمامُ أحمدُ(٨): حدَّثنا علىُّ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ، حدَّثنا سعيدُ ابنُ يزيدَ، حدَّثنا أبو السَّمْحِ، عن عيسى بنِ هلالٍ الصَّدَفىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً(٩) مِثْلَ هَذِهِ - وأشار إلى جُمْجُمَةٍ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِىَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَغَتِ

(١ - ١) فى مسلم: «لها سبعون».

(٢) فى ص: «عن».

(٣) سنن الترمذى عقب حديث (٢٥٧٣).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ح.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٩/٦ إلى ابن مردويه. والحديث فى كنز العمال (٤٧٠٤).

(٦ - ٦) فى الدر المنثور: «بسبعين»، وفى كنز العمال: «بيد سبعين».

(٧ - ٧) فى ص: «فتشر شريرة».

(٨) المسند ١٩٧/٢ (٦٨٥٦). قال الشيخ شعيب: إسناده حسن. المسند ١١/ ٤٤٤.

(٩) ورد فى الترمذى (٢٥٨٨)، وتلخيص الذهبى لمستدرك الحاكم ٤٣٨/٢: «رضاضة». ورصاصة بفتح الراء والصاد، أى قطعة من الرصاص قدر الجمجمة، وضبطت أيضا رَصَّاصة بفتح الراء وتشديد الصاد؛ الحجارة اللازمة بحوالى العين الجارية، والرُّضَاضة بضم الراء وفتح الضاد؛ أى فتات الشىء. والله أعلم. انظر بلوغ الأمانى ٢٤/ ١٦٥.

الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ[1] لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً[2] ، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا »[3] . ورواه التِّرمذيُّ[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ[6] أُميَّةَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ حُيَيٍّ[7] ، حدَّثنى صَفْوانُ بنُ يَعْلَى ، عن أبيه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » .

ذِكْرُ تَعْظِيمِ خَلْقِهِمْ فِي النَّارِ ، أعاذَنا اللَّهُ مِنَ النارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] .

وقال أحمدُ[8] : حدَّثنا وَكِيعٌ ، حدَّثنى أبو يَحْيَى الطَّويلُ ، عن أبى يحيَى

---

(١) أى المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه ﴾ [الحاقة : ٣٢] . تحفة الأحوذى ٣/ ٣٤٥.

(٢) فى المسند : « خريفًا » .

(٣) قال التوربشتى : بيَّن مدى قعر جهنم بأبلغ ما يكون من البيان ؛ فإن الرصاص من الجواهر الرزينة ، والجوهر كلما كان أتم رزانة كان أسرع هبوطًا إلى مستقره لاسيما إذا انضم إلى رزانته كبر حجمه ، ثم قدره على الشكل الدورى ، فإنه أقوى انحدارا وأبلغ مرورا فى الجو . تحفة الأحوذى ٣/ ٣٤٥.

(٤) سنن الترمذى (٢٥٨٨) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨٤) .

(٥) المسند ٢٢٣/٤ (١٧٩٨٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ٣٨٦/١٠ .

(٦) بعده فى الأصل ، ح : « أبى » . وانظر أطراف المسند ٥/ ٤٦٣، والتاريخ الكبير ٥/ ٤٤.

(٧) فى ح : « جنى » . وانظر أطراف المسند ، الموضع نفسه .

(٨) المسند ٢٦/٢ (٤٨٠٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف أبى يحيى الطويل ، وهو عمران بن زيد التغلبى ، وأبو يحيى القتات مختلف فى الاحتجاج به على ضعف فيه ، وبقية رجاله ثقات ، رجال الشيخين . المسند ٨/ ٤١٩.

القَتَّاتِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عُمرَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِى النَّارِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُون ذِرَاعًا ، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ » . كذا روَاه أحمدُ فى « مسندِه » عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، وهو الصحيحُ . وكذا روَاه البَيْهقىُّ[1] ، ثم روَاه مِن طريقِ عِمْرانَ بنِ زيدٍ ، عن أبى يحيَى القَتَّاتِ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[2] مرفوعًا ، فذكَر مثلَه[3] ، ثم صحَّح البيهقىُّ الأوَّلَ كما ذكَرْنا . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا الحديثُ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، ولبعضِه شاهدٌ مِن وُجوهٍ أُخرَى عن أبى هريرةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

[١٠٨و] فقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا رِبْعِىُّ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانَ[5] ، وَمَقْعَدُهُ فِى النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ الرَّبَذَةِ[6] » .

وروَاه البيهقىُّ[7] ، مِن طريقِ بشرِ بنِ المفضَّلِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ،

---

(١) البعث والنشور (٦٢٧) من طريق أبى يحيى الطويل ، به .

(٢) فى ص : « عمر » . وانظر مصدر التخريج التالى .

(٣) المصدر السابق (٦٢٦) .

(٤) المسند ٢/٣٢٨ (٨٣٢٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٤/ ٨٧.

(٥) ورقان : جبل أسود بين العرج والرُّويثة ، على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، ينصب ماؤه إلى رئم . معجم البلدان ٤/ ٩٢١.

(٦) الربذة : من قرى المدينة ، على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق . المصدر السابق ٢/ ٧٤٩.

(٧) البعث والنشور (٦٢٤) .

وزاد فيه : « وَعَضُدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ[1] » .

طريقٌ أُخرَى : قال أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ - يَعْنى ابنَ عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ - عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ كَما بَيْنَ قُدَيْدٍ[3] وَمَكَّةَ ، وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ[4] » .

طريقٌ أُخرَى : قال البَزَّارُ : حدَّثنا محمدُ بنُ الليثِ الهَدَادىُّ ، وأحمدُ بنُ عثمانَ[5] بنِ حَكيمٍ ، قالا : حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ موسَى ، حدَّثنا شَيْبانُ - يعنى ابنَ عبدِ الرحمنِ - عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال[6] : « ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ [7]أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا[7] » .

طريقٌ أُخرَى : قال البَزَّارُ[8] : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا أبو عامرٍ ،

---

(١) البيضاء : ثنية التنعيم بمكة . معجم البلدان ١/ ٧٩٢.

(٢) المسند ٢/٣٣٤ (٨٣٩١) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، محتمل للتحسين . المسند ١٤/ ١٣٤.

(٣) فى المسند المطبوع : « قديسة » . وقديد : اسم موضع قرب مكة . معجم البلدان ٤/ ٤٢.

(٤) قال المناوى : أراد به هنا فريد الطول ، أو أن الجبار اسم مَلِك من اليمن ، أو العجم ، كان طويل الذراع ، وقال الذهبى : ليس ذا من الصفات فى شىء ، وهو مثل قولك ذراع النجار ... والجبار فى «اللسان» : الملِك العظيم . فيض القدير ٤/ ٢٥٥.

(٥) فى ح : « عفان » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٠٤.

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/٥٩٥ من طريق عبيد اللَّه بن موسى ، بنحوه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وأخرجه البزار - انظر كشف الأستار (٣٤٩٦) - من حديث ثوبان ، به . وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات . المجمع ١٠/ ٣٩٢.

(٧ - ٧) فى مصدرى التخريج : « اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار » .

(٨) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٦/ ٢٢٣٤، من طريق محمد بن عمار ، بنحوه .

حدَّثنا محمدُ بنُ عَمَّارٍ، [1]عن صالحٍ مولَى التَّوْأمةِ، عن أبى هريرةَ قال[1]: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ».

طريقٌ أُخرَى: قال الحسنُ بنُ سفيانَ[2]: حدَّثنا يوسفُ بنُ عيسَى، حدَّثنا الفضلُ بنُ موسَى، عن الفُضيلِ[3] بنِ غَزْوانَ، عن أبى حازمٍ، عن أبى هريرةَ قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ [4]خَمْسَةِ أَيَّامٍ[4] لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

قال الحسنُ[5]: وحدَّثنا محمدُ بنُ طَرِيفٍ البَجَلىُّ، حدَّثنا ابنُ فُضَيْلٍ، عن أبيه، عن أبى حازمٍ، عن أبى هريرةَ رفَعه، قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِى النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

قال البيهقىُّ[6]: رواه البخارىُّ[7]، عن مُعاذِ بنِ أسدٍ، عن الفضلِ بنِ موسَى. ورواه مسلمٌ[8]، عن أبى كُرَيْبٍ وغيرِه، عن ابنِ فُضَيْلٍ، ولم يَقُلْ: رفَعَه.

(١ - ١) فى الكامل: «وصالح مولى التوأمة أنهما سمعا أبا هريرة يقول».

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٦١٨) من طريق الحسن بن سفيان.

(٣) فى النسخ: «الفضل». والمثبت من المصدر. وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٠١.

(٤ - ٤) فى البعث والنشور: «خمسمائة عام».

(٥) البعث والنشور (٦١٩).

(٦) البعث والنشور ص ٣٠٠.

(٧) البخارى (٦٥٥١).

(٨) مسلم (٢٨٥٢)، عن أبى كريب وأحمد بن عمر الوكيعى، عن ابن فضيل، وفيه: عن أبى هريرة، يرفعه. وقال المزى: رفعه الفضل ووقفه ابن فضيل. تحفة الأشراف ١٠/ ٨٨. وقال ابن حجر: وقد أخرج مسلم هذا الحديث من رواية محمد بن فضيل بن غزوان، عن أبيه بسنده، ولكن لم يرفعه. فتح البارى ١/ ٤٢٣.

(٩) بعده فى ح: «يحيى حدثنا».

(١٠) فى ح: «الحسن». وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٩١.

طريقٌ أُخرَى : قال البَزَّارُ : حدَّثنا[٩] الحسينُ[١٠] بنُ الأسودِ ، حدَّثنا محمدُ ابنُ فُضَيْلٍ ، حدَّثنا عاصمُ بنُ كُلَيْبٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخِذُهُ[١] مِثْلُ الْوَرِقَانِ ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا » .

ثم قال البَزَّارُ : لا يُرْوَى عن أبى هريرةَ بأحْسَنَ مِن هذا الإسنادِ ، ولم نَسْمَعْه إلَّا مِن الحسينِ بنِ الأسودِ .

[٢]وقال الإمامُ أحمَدُ[٣] : حدَّثنا حسنُ بنُ موسَى ، ثنَا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ ، قال : سمِعتُ الحارثَ بنَ أُقَيْشٍ ، يحدِّثُ أنَّ[٤] أبا برزةَ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِى لَمَنْ يَشْفَعُ لِأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِى لَمَنْ يُعَظَّمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ [٥]أَحَدَ زَوَايَاهَا[٥] » . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن محمدِ بنِ أبى عدِىٍّ ، عن داودَ بنِ أبِى هندٍ ، به[٦] .

وقال أحمدُ[٧] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا أبو حيانَ ، [٨]حدَّثنى يزيدُ بنُ حيَّانَ التيمىُّ[٨] ، قال : وحدَّثنا زيدُ بنُ أرقمَ قال : « إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ[٢]

---

(١) فى ح : « ضرسه » .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) المسند ٤/٢١٢ (١٧٨٩١) . ضعيف (السلسلة الضعيفة ٢١٢١) .

(٤) سقط من : الأصل . والمثبت من المسند .

(٥ - ٥) فى المسند : « ركنا من أركانها » .

(٦) المسند ٤/٢١٢ (١٧٨٩٢) مطولا . قال الهيثمى : رواه أحمد من حديث أبى برزة ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ٣/ ٨.

(٧) المسند ٤/٣٦٦ (١٩٢٨٥) مطولا .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١١٣.

النَّارِ [1]لَيُعَظَّمُ[2] لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ الضِّرْسُ مِنْ أَضْرَاسِهِ كَأُحُدٍ[1] » .

فأمَّا الحديثُ الذى روَاه الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحْيَى ، عن[4] ابنِ عَجْلانَ ، عن عمرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِى صُوَرِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَىْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِى جَهَنَّمَ ، يُقَالُ لَهُ : بُولَسُ . فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ؛ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ » .

وكذا روَاه الترمذىُّ والنَّسائىُّ[5] ، عن سُوَيْدِ بنِ نَصْرٍ ، عن ابنِ المُبارَكِ ، عن ابنِ عَجْلانَ ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ . فالمرادُ أنهم يُحْشَرُونَ [6]يومَ القِيامةِ فى العَرَصَاتِ[6] كذلك ، فإذا سِيقوا إلى النارِ ودخَلوها [7]عظُم خلقُهم[7] ، كما دلَّت على ذلك الأحاديثُ التى أوْرَدْناها ؛ ليَكُونَ ذلك أنْكَى وأشدَّ فى عذابِهم ، وأعْظَمَ فى خِزيِهم ، كما قال : ﴿ لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) فى الأصل : « يعظم » . والمثبت من المسند .

(٣) المسند ٢/١٧٩ (٦٦٧٧) . قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

(٤) سقط من : ح .

(٥) الترمذى (٢٤٩٢) ، والنسائى فى الكبرى ، فى كتاب الرقائق ، كما فى تحفة الأشراف ٦/ ٣٣٧. حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٠٢٥) .

(٦ - ٦) فى الأصل : « إلى الموقف هكذا ويكونون فيه بين الخلق » .

(٧ - ٧) فى ح : « قد عظم خلقهم » ، وفى ص : « وقد عظمت ذلتهم » .

ذِكْرُ أنَّ البحرَ يُسْجَرُ [1]يومَ القيامةِ[1] ويكونُ مِن جُملةِ جَهَنَّمَ

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أُمَيَّةَ ، [١٠٨ظ] حدَّثنا محمدُ بنُ حُيَيٍّ[3] ، حدَّثنا صَفْوانُ بنُ يَعْلَى بنِ أُمية ، عن أبيه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » . قالوا ليَعْلَى . فقال : ألا تَرَونَ أنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ[4] : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩] ؟ قال : لا[5] ، والذى نفسُ يَعْلى بيدِه ، لا أَدْخُلُها أبدًا حتى أُعْرَضَ [6]على اللَّهِ[6] ، ولا يُصِيبُنى منها قَطْرَةٌ حتى أَلْقَى اللَّهَ عزَّ وجلَّ .

وقد رَواه البَيْهَقِيُّ[7] ، مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سُفْيانَ ، حدَّثنا أبو عاصمٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ حُيَيٍّ ، [8]عن صَفْوانَ بنِ يَعْلى ، عن يعلى قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » . ثُم تلا : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ . وهكذا رأيتُه بخَطِّ الحافظِ ابنِ عساكرَ ؛ حدَّثنا أبو عاصمٍ ، حدَّثنى محمدُ بنُ حُيَيٍّ[8] .

(١ - ١) فى ص : « فى جهنم » .

(٢) المسند ٤/٢٢٣ (١٧٩٨٩) . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ١/ ٣٨٦.

(٣) فى الأصل : « يحيى » ، وفى ص : « حين » . وانظر أطراف المسند ٥/٤٦٣ .

(٤) سقط من : الأصل . وفى ح : « قال » .

(٥) سقط من : ص .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) السنن الكبرى ٤/ ٣٣٤.

(٨ - ٨) سقط من : ص .

وفى « المسندِ » - كما تقدَّم - بينَهما عبدُ اللَّهِ بنُ[1] أُميةَ . وكذلك روَاه أبو مسلمٍ الكَجِّيُّ[2] ، عن أبى عاصمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ[3] أميةَ ، حدَّثنى رجلٌ ، عن صَفْوانَ ابنِ يَعْلى ، عن يَعْلى قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » .

وقال أبو داودَ[4] : حدَّثنا سعيدُ بنُ منصورٍ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ زكريا ، عن مُطَرِّفٍ ، [5]عن بشرٍ أبى عبدِ اللَّهِ[5] ، عن بَشيرِ[6] بنِ مسلمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ ، أَوْ غَازٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ تَحْتَ البَحْرِ نَارًا ، وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا » .

---

(١) بعده فى الأصل : « أبى » . وانظر الصفحة السابقة ، فقد ورد فيها على الصواب ، وأطراف المسند ٥/٤٦٣.

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٤٩٦) من طريق أبى مسلم ، به . وعزاه الهندى فى كنز العمال (٣٥٣٤١) إلى أبى مسلم الكجى فى سننه .

(٣) بعده فى النسخ ، والبعث النشور : « أبى » . وانظر الحاشية رقم (١) السابقة .

(٤) سنن أبى داود (٢٤٨٩) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٣٦) .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٦٢.

قال المزى : رواه أبو داود فى الجهاد ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن زكريا ، عن مطرف ، عن بشر أبى عبد الله ، عنه ، به . ورواه محمد بن الصباح ، عن صالح بن عمر ، عن مطرف بن طريف ، عن بشير بن مسلم ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو . ورواه أبو حمزة السكرى ، عن مطرف ، عن بشير أبى عبد الله ، عن عبد الله بن عمرو . ورواه أحمد بن إبراهيم الموصلى ، عن صالح بن عمر ، عن مطرف ، عن بشير بن مسلم ، عن عبد الله بن عمرو ، ولم يذكر بينهما أحدا . انظر تحفة الأشراف ٦/ ٢٨٢.

وقال أيضا : وقيل : عن مطرف ، عن بشر أبى عبد الله الكندى ، عن عبد الله بن عمرو . وقيل : عن مطرف ، عن بشير أبى عبد الله الكندى ، عن عبد الله بن عمرو . وقيل : عن مطرف ، عن بشير بن مسلم الكندى أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو . تهذيب الكمال ٤/ ١٧٤.

(٦) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من سنن أبى داود . وانظر المصدر السابق ٤/ ١٧٣.

ذكرُ أبوابِ جهنمَ، وصِفَةِ خَزَنَتِها وزَبانِيَتِها، أعاذَنا اللَّهُ مِن ذلك بما شاء

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

وقال البَيْهَقِيُّ[(١)]: أخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأنا أبو العباسِ الأصَمُّ، حدَّثنا سعيدُ[(٢)] بنُ عثمانَ، حدَّثنا بِشْر بنُ بكرٍ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ، حدَّثنى [(٣)]أبو سعيدٍ[(٣)]: سَمِعتُ أبا هُريرةَ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ، دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فَالأَنْبِيَاءُ يَقُولُونَ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَالنَّاسُ[(٤)] كَلَمْحِ[(٥)] الْبَرْقِ، وَكَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكأجَاوِيدِ الْخَيْلِ والْبِغَالِ، والرِّكَابِ، وَشَدًّا عَلَى الأَقْدَامِ، [(٦)]فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ[(٦)]، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَطْرُوحٌ فِيهَا، وَلَهَا سَبْعَةُ

---

(١) البعث والنشور (٥٠٥).

(٢) فى البعث والنشور: «سعد». وهو سعيد بن عثمان التنوخى. انظر تهذيب الكمال ٤/ ٩٥، ٩٦.

(٣ - ٣) فى البعث والنشور: «ابن سعيد». وهو أبو سعيد بن أبى المعلى - ويقال: المعلى المدنى. روى عنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدى. انظر تهذيب الكمال ١٨/٥، ٦، ٣٣/ ٣٥٠، ٣٤/ ٣٧٥.

(٤) بعده فى الأصل، ح: «عليه».

(٥) فى ص: «كلهم كأنهم»، وفى البعث والنشور: «كلمع».

(٦ - ٦) سقط من: ح.

أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ » .

وقال البَيْهَقِيُّ[1] : أخبَرنا أبو الحُسينِ[2] بنُ بِشْرانَ ، أنبا إسماعيلُ بنُ محمدٍ الصَّفَّارُ ، حدَّثنا سَعْدانُ بنُ نصرٍ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الخليلِ بنِ مُرَّةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ لا يَنامُ حتى يَقْرَأَ « تَبارَكَ » ، و « حمٓ السَّجْدَةِ » ، وقال : « الْحَوَامِيمُ سَبْعٌ ، وَأَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعٌ ؛ جَهَنَّمُ ، وَالْحُطَمَةُ ، وَلَظَى ، وَسَعِيرٌ ، وَسَقَرُ ، وَالْهَاوِيَةُ ، وَالْجَحِيمُ » . قال : « تَجِيءُ كُلُّ حمٓ مِنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أَحْسَبُهُ قال : « تَقِفُ عَلَى بَابٍ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ ، فَتَقُولُ : اللَّهُمَّ لا [3]تُدْخِلْ هذه الأَبْوَابَ[3] ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِي وَيَقْرَأُنِي » . ثُم قال البَيْهَقِيُّ : وهذا مُنقطِعٌ ، والخليلُ بنُ مُرَّةَ فيه نظرٌ .

وروَى التِّرْمِذِيُّ[4] مِن حديثِ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، [5]عن جُنَيْدٍ[5] عن ابنِ عُمرَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي » . [6]أو قال : « عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ[6] » . ثُم قال : غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ .

وقال كعبٌ[7] : لِجَهَنَّمَ سبعةُ أبوابٍ ، بابٌ منها للحَرُورِيَّةِ . وقال وهبُ بنُ

---

(١) البعث والنشور (٥٠٨) .

(٢) فى ص : « الحسن » . وانظر سير أعلام النبلاء ٣١١/١٧ .

(٣ - ٣) فى ص : « يدخل هذه الأبواب » . وفى البعث والنشور : « يدخل هذا الباب » .

(٤) الترمذى (٣١٢٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٠٦) .

(٥ - ٥) بياض بقدر كلمتين فى : الأصل ، ص . وجنيد هذا غير منسوب . انظر تهذيب الكمال ٥/ ١٥٤ ، والثقات ٤/ ١١٥.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

(٧) فى النسخ : « أبى بن كعب » . والمثبت من : التخويف من النار ص ٨٤؛ حيث ذكر هذا الأثر عن كعب رضى الله عنه . وانظر الدر المنثور ٤/ ١٠٠.

مُنَبِّهٍ[1] : بينَ كلِّ بابَيْن[2] مَسِيرَةُ سبعينَ سنةً ، كلُّ بابٍ أشدُّ حَرًّا[3] مِن الذى فوقَه [4]بسبعين ضِعفًا[4] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[5] : حدَّثنا خلفُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنا أبو شِهابٍ الحنَّاطُ[6] ، عن عمرِو بنِ قيسٍ المُلائِىِّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ ضَمْرَةَ ، عن علىٍّ ، قال : إنَّ أبوابَ جهنَّمَ بعضُها فوقَ بعضٍ - وأشار أبو شهابٍ بأصابِعِه - [7]فيُمْلأُ هذا ، ثُم هذا ، ثُم هذا[7] .

حدَّثنى[8] إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهَرِىُّ ، حدَّثنا حَجّاجٌ ، [9]أنبأنا ابنُ جُرَيْجٍ[9] ، فى قولِه تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ . قال : أوَّلُها جَهنَّمُ ، ثم لَظَى ، ثم الحُطَمَةُ ، ثم السَّعيرُ ، ثم سَقَرُ ، ثم الجَحِيمُ ، [10]وفيها أبو جَهْلٍ ، ثم الهاوِيَةُ[10] .

وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ [التحريم : ٦] . أى : غلاظُ

---

(١) التخويف من النار ص ٨٤ .

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « من أبواب جهنم » .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤ - ٤) ليس فى مصدر التخريج .

(٥) صفة النار (٧) بنحوه .

(٦) فى ح ، ص : « الخياط » . وهو عبد ربه بن نافع الكنانى أبو شهاب الحناط الكوفى . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٨٥.

(٧ - ٧) فى الأصل : « فيملأ هذا ثم هذا ثم هذا ثم هذا » ، وفى ص : « فيملأ هذا ثم يملأ هذا ثم هذا ثم هذا » . وفى مصدر التخريج : « هذا عن هذا » . وأشار إلى أن قبله كلمتين أو ثلاثا مطموسة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٩٩ إلى ابن أبى الدنيا فى صفة النار ، ووردت العبارة فيه هكذا : « فتملأ الأول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها » .

(٨) صفة النار (٨) . وانظر أيضا التخويف من النار ص ٧٥ ، وفيه : عن ابن جريج . بنحوه .

(٩ - ٩) فى صفة النار : « قال » .

(١٠ - ١٠) فى التخويف من النار : « ثم الهاوية وفيها أبو جهل » .

الأخلاقِ ، شِدَادُ الأبدانِ . ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم: ٦] . أى بعَزْمِهِم ، ونِيَّتِهِم ، [١٠٩و] فهم لا يُريدون أن يُخالِفوه فى شيءٍ أبدًا ، لا بالعزمِ ولا بالنِّيَّةِ ، لا ظاهرًا ولا باطنًا . ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] . أى أنَّ فِعْلَهم ليس بإرادَتِهِم ولا باخْتيارِهم ، بل إنما هو صادِرٌ عن أمرِ اللَّهِ لهم بما أُمِروا به ، بل لهم قوةٌ على إبرازِ ما أُمِروا به مِن العزمِ إلى الفعلِ ، فلهم عزمٌ صادقٌ ، وأفعالٌ عظيمةٌ ، وقوةٌ بليغةٌ ، وشِدَّةٌ باهرةٌ .

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ [المدثر: ٣٠، ٣١] . أى لكمالِ طاعتِهم وقوتِهم . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [المدثر: ٣١] . أى اخْتبارًا وامْتِحانًا ، وكأَنَّ هؤلاءِ التسعةَ عشَرَ كالمُقدَّمِين الذين لهم أعوانٌ وأتباعٌ ، وقد رُوِّينا عندَ قولِه تعالى[1] : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠] . أنَّ الرَّبَّ تعالى إذا قال ذلك وأمَر به ، ابْتَدَره سبعون ألفًا مِن الزَّبانِيَةِ . وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] .

وروَى الحافظُ الضِّياءُ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ أبى داودَ ، عن أبيه ، عن يزيدَ البَصْرِىِّ ، عن الحسنِ البصرىِّ ، عن أنسٍ مرفوعًا : « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَقَدْ خُلِقَتْ مَلَائِكَةُ جَهَنَّمَ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ[3] جَهَنَّمُ بِأَلْفِ عَامٍ ، فَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ يَزْدادُونَ

---

(١) التفسير ٨/ ٢٤٣. وهو من قول المنهال بن عمرو ، وقد عزا المصنف هذه الرواية هناك إلى ابن أبى حاتم .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/١٤٥ إلى الضياء المقدسى وابن مردويه .

(٣) فى الأصل : « يخلق الله سبحانه » .

قُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِمْ ، حَتَّى يَقْبِضُوا عَلَى[1] مَنْ قَبَضُوا[2] عَلَيْهِ بِالنَّوَاصِى وَالأَقْدَامِ » .

ذِكْرُ سُرادِقِ النارِ ، وهو سُورُها المُحيطُ بها ، وما فيها مِن المَقامِعِ والأغْلالِ والسلاسلِ والأنْكالِ ، أجارَنا اللَّهُ تعالى مِن ذلك جَميعِه

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ الآية [الكهف : ٢٩] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٨، ٩] .

مُؤصَدةٌ أى مُطبَقَةٌ . وقد روَاه ابنُ مَرْدُويَه فى « تفسيرِه »[3] مِن طريقِ شَريكٍ ، عن عاصم ، عن[4] أبى صالح[5] ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا ، وروَاه أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[6] ، عن [7]عبدِ اللَّهِ بنِ أَسيدٍ[7] الأَخْنَسِىِّ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى صالحٍ ، قولَه .

---

(١) ليست فى مصدر التخريج .

(٢) فى الأصل : « يقبضوا » .

(٣) ذكره ابن رجب فى التخويف من النار ص ٨٧ ، وعزاه إلى ابن مردويه فى تفسيره ، ولكن عقَّب ابن رجب بأنه لا يصح رفعه ، وإنما هو موقوف على أبى هريرة . وأورده أيضا السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٥٥، وعزاه إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، عن أبى هريرة .

(٤) فى ح ، ص : « بن » . وعاصم هو عاصم بن بهدلة ، وأبو صالح هو أبو صالح السَّمّان الزَّيّات المدنى واسمه ذكوان . انظر تهذيب الكمال ٨/ ٥١٣، ١٣/ ٤٧٣، ٣٤/ ٣٧٦.

(٥) بعده فى ح : « عن أبيه » . وانظر الحاشية السابقة .

(٦) ذكره ابن رجب فى التخويف من النار ص ٨٧ من رواية إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، من قوله . وقد عزاه المصنف فى تفسيره ٨/ ٥٠٢ إلى ابن أبى شيبة بنفس الإسناد هنا .

(٧ - ٧) فى ح : « عبيد الله بن أسيد » ، وفى ص : « أسد » .وانظر التفسير ٨/ ٥٠٢، والإكمال ١/ ٦٢، والأنساب ١/ ٩٨.

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]. وقال تعالى : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٤٨- ٥٠]. وقال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦]. وقال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤١]. وقال تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج: ١٩- ٢١].

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[(١)] : حدَّثنا زُهَيْرٌ، حدَّثنا حسنٌ، عن ابنِ لَهِيعَةَ، حدَّثنا دَرَّاجٌ، عن أبى الهَيْثَمِ، عن أبى سعيدٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ [(٢)]أنَّه قال: «لِسُرَادِقِ[(٣)] النَّارِ أَرْبَعُ جُدُرٍ كُثُفٍ[(٤)]، كُلُّ جِدَارٍ مِثْلُ[(٥)] مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً». ورَواه التِّرْمِذِىُّ[(٦)] عن سُوَيْدٍ، عن ابنِ المُبارَكِ، عن رِشْدِينَ بنِ سعدٍ، عن عَمرِو بنِ الحارثِ، عن دَرَّاجٍ، به، نحوَه[(٢)].

---

(١) مسند أبى يعلى (١٣٨٩) ولفظه: «لسرادق النار أربعة جدر، بين كل جدار مثل أربعين سنة». والذى ساقه المصنف هنا لفظ رواية الترمذى الآتى تخريجها.

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) بعده فى الأصل، ص: «أهل».

(٤) كثف: جمع كَثِيف وهو الثَّخِين الغليظ. النهاية ٤/ ١٥٣.

(٥) سقط من: ص.

(٦) سنن الترمذى (٢٥٨٤). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٧٩).

[1] وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حدَّثنا دَرَّاجٌ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ[1] قال : « لَوْ أَنَّ مِقْمَعًا مِنْ حَدِيدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ ، فَاجْتَمَعَ [3]لَهُ الثَّقَلَانِ[3] مَا أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ » . وقال ابنُ وَهْبٍ[4] ، عن عَمرِو بنِ الحارثِ ، عن دَرَّاجٍ[5] أبى السَّمْحِ ، عن أبى الهَيْثم ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَوْ ضُرِبَ بِمِقْمَعٍ مِنْ حَدِيدِ جَهَنَّمَ[6] الْجَبَلُ لَفَتَّتَهُ فَعَادَ غُبَارًا » .

وروَى الحافظُ أبو بكرٍ بنُ مَرْدُويَه فى « تفسيرِه »[7] ، مِن طريقِ بَشيرِ[8] بنِ طلحةَ ، عن خالدِ بنِ دُرَيْكٍ ، عن يَعْلى ابنِ مُنْيَةَ[9] ، عن النبـىِّ ﷺ قال : « يُنْشِئُ اللَّهُ لِأَهْلِ النَّارِ سَحَابَةً مُظْلِمَةً ، فَإِذَا أَشْرَفَتْ عليهم نَادَتْهُمْ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، أَىَّ شَىْءٍ تَطْلُبُونَ ؟ وَمَا الَّذِى تَسْأَلُونَ ؟ فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَائِبَ الدُّنْيَا ، وَالْمَاءَ الَّذِى كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ ، فَيَقُولُونَ : نَسْأَلُ يَا رَبَّنَا الشَّرَابَ . فَتُمْطِرُهُمْ أَغْلَالًا

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) المسند ٣/٢٩ (١١٢٥١) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١٧/ ٣٣٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « الثقلان عليه » . وفى ح : « الثقلان » .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/٦٠١ من طريق ابن وهب ، به ، نحوه . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٥) بعده فى الأصل ، ح : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٧٧.

(٦) سقط من : ح ، ص .

(٧) ذكر السيوطى نحوه فى الدر ٥/٣٥٧ وعزاه إلى ابن مردويه وغيره ، وقد أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٤١١٥) ، وابن عدى فى الكامل ٦/٢٣٩٠ ، كلاهما من طريق بشير به ، نحوه .

(٨) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من الطبرانى والكامل ، وهو بشير بن طلحة الخشنى ، انظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٧٥.

(٩) فى ح ، ص ، والكامل ، والدر المنثور : « منبه » . وهو يعلى بن أمية بن أبى عبيدة ، ومنية أمه ، ويقال : جدته . انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٧٨.

تُزَادُ[1] فِى أَغْلَالِهِمْ[2] ، وَسَلَاسِلَ تُزَادُ[1] فِى سَلَاسِلِهِمْ ، وَجَمْرًا يُلْهِبُ النَّارَ عَلَيْهِمْ » .

وقال الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[3] : حدَّثنا بِشْرُ بنُ الوليدِ الكِنْدِىُّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ زَرْبِىٍّ ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ ، عن أبى الأَحْوَصِ ، قال : قال ابنُ مسعودٍ[4] : أَىُّ أهلِ النارِ أَشَدُّ عذابًا ؟ فقال رجلٌ : المنافقون . قال : صَدَقْتَ ، فهل تدرى كيف يُعَذَّبُون ؟ قال : لا . قال : يُجْعَلون فى تَوابِيتَ مِن حديدٍ ، فتُصْمَدُ[5] عليهم ، ثُم يُجْعَلون فى الدَّرْكِ الأسفلِ منَ النارِ فى تَنانِيرَ[6] أَضْيقَ مِنَ الزُّجِّ[7] ، يقالُ له : جُبُّ الحزَنِ . فيُطْبَقُ[8] على أقوامٍ بأعمالِهم آخِرَ الأَبَدِ .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[9] : حدَّثنى علىُّ بنُ حسنٍ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ المَدَائِنِىِّ ، حدَّثنا بكرُ بنُ خُنَيْسٍ ، عن أبى سَلَمَةَ الثَّقَفِىِّ ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، قال : إنَّ أهلَ النارِ الذين هم أهْلُها ، فهم فى النارِ لا يَهْدَءُون ولا ينامون ولا يموتون ، يَمْشُون على النارِ ويَجْلِسون ، ويَشْرَبون مِن صَدِيدِ أهلِ النارِ ، ويَأْكُلون مِن زَقُّومِ النارِ ، لُحُفُهم نارٌ ، وفُرُشُهم نارٌ ، وقُمُصُهم نارٌ وقَطِرَانٌ ، وتَغْشَى

---

(١) فى ص : « تزداد » . وفى مصادر التخريج : « تزيد » .
(٢) فى ص، والدر : « أعناقهم » .
(٣) صفة النار (١٠٠) .
(٤) بعده فى الأصل، ح : « لأصحابه » .
(٥) تصمد : تُسَدّ . وقد صمَد القارورةَ يصمُدها . التاج (ص م د) .
(٦) التنانير : جمع تنور وهو الفرن أو الكانون الذى يخبز فيه . التاج (ت ن ر) .
(٧) فى مصدر التخريج : « زج » . والزج : الحديدة التى تركب فى أسفل الرمح ويُرْكَزُ بها الرمح فى الأرض ، أما السنان فيُرَكَّبُ فى عالية الرمح وبه يُطعَن . التاج (ز ج ج) .
(٨) فى المصدر : « تطبق » .
(٩) صفة النار (١٢٣) .

وُجُوهَهم النارُ، وجَمْعُ[1] أهلِ النارِ فى سَلاسِلَ، بأيدى الخَزَنَةِ أَطْرافُها[2]، يَجْذِبونهم مُقْبِلين ومُدْبِرِينَ، فيَسيلُ صَدِيدُهم إلى حُفَرٍ فى النارِ، فذلك شَرابُهم. [١٠٩ظ] قال: ثم بَكَى وَهْبٌ حتى سَقَط مَغْشِيًّا عليه. قال: وغَلَب بكرَ بنَ خُنيسٍ البكاءُ حتى قام، فلم يَقْدِرْ أن يَتَكَلَّمَ، وبكَى محمدُ بنُ جعفرٍ بكاءً شديدًا.

وهذا الكلامُ عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ اليَمانىِّ، وقد كان يَنْظُرُ فى كتبِ الأوائلِ، ويَنْقُلُ مِن صُحُفِ أهلِ [3]الكتابِ الغَثَّ والسَّمِينَ[3]، ولكنْ لهذا الكلامِ شَواهِدُ مِن القرآنِ العظيمِ، وغيرِه مِن الأحاديثِ؛ قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤- ٧٧]. وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]. وقال

---

(١) فى الأصل، ص: «جميع».
(٢) فى الأصل، ح: «وأطواقها فى أعناقهم».
(٣ - ٣) فى الأصل: «المأثورة عن الأنبياء».

تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١١- ١٣]. وتقدَّم فى الصحيح: «أمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فإنَّهُم لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ». وفى الحديثِ المتقدِّمِ فى ذَبْحِ الموتِ بينَ الجنةِ والنارِ: «ثُمَّ يُقال: يا أهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موتَ». وكيف ينامُ مَن هو فى عذابٍ مُتَوَاصِلٍ، لا يُفَتَّرُ عنه ساعةً واحدةً ولا لَحْظَةً، بل كلَّما خَبَتْ نارُهم، زادَهم اللَّهُ سَعِيرًا؛ قال اللَّهُ تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)]: حدَّثنا إبراهيمُ، حدَّثنا ابنُ المبارَكِ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ، عن أبى السَّمْحِ، عن ابنِ حُجَيْرَةَ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «إنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ[(٢)] الْجُمْجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتَ[(٣)] مَا فِى جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ».

وروَى التِّرْمِذِىُّ[(٤)]، والطَّبَرانِىُّ[(٥)]، واللفظُ له، مِن حديثِ قُطْبَةَ بنِ

---

(١) المسند ٢/٣٧٤ (٨٨٥١). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف لضعف أبى السمح. المسند ١٤/٤٥٣.
(٢) بعده فى الأصل: «من». وينفذ: يبلغ. انظر النهاية ٥/ ٩١.
(٣) يسلت ما فى جوفه: يقطعه ويستأصله. النهاية ٢/ ٣٨٨.
(٤) سنن الترمذى (٢٥٨٦) به، نحوه. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨٢).
(٥) لم نجده من طريق الطبرانى، وانظر جامع المسانيد ١٣/ ٦٧٤.

عبدِ العزيزِ ، عن الأعمشِ ، عن شِمْرِ بنِ عَطِيةَ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أُمِّ الدَّرْداءِ ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُلْقَىٰ عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ ، فَيَعْدِلُ[1] مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ ، فَيُؤْتَوْنَ بِطَعَامٍ ذِى غُصَّةٍ ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا [2]فِى الدُّنْيَا إِذَا غَصُّوا يُسِيغُونَهُ[2] بِالشَّرَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ ، فَيُؤْتَوْنَ بِالْحَمِيمِ فِى قِلَالٍ[3] مِنْ نَارٍ ، فَإِذَا أُدْنِيَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ قَشَرَتْ وُجُوهَهُمْ ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ [4]أَمْعَاءَهُمْ وَمَا فِى[4] بُطُونِهِمْ ، فَيَسْتَغِيثُونَ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر : ٥٠] . فَيَقُولُونَ : ادْعُوا لَنَا مَالِكًا . فَيَقُولُونَ : ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] . فَيَقُولُونَ : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] . فَيُقَالُ لَهُمْ : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] . ورَواه التِّرْمِذِىُّ[5] عن الدَّارِمِىِّ ، وحكَى عنه أنَّه قال : الناسُ لا يَرْفَعون هذا الحديثَ . قال التِّرْمِذِىُّ : إنَّما يُرْوَى عن أبى الدَّرْداءِ ؛ قَوْلَه .

ذِكْرُ طعامِ أهلِ النّارِ وشَرابِهم

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن

---

(١) فى ح : « بقدر » .

(٢ - ٢) فى ح : « يسيغون الطعام فى الدنيا إذا غصوا به » ، وفى ص : « يستغيثون فى الدنيا » .

(٣) فى ص : « كلاليب » . والقلال : جمع قُلَّه وهى الجرَّة العظيمة . وانظر اللسان (ق ل ل) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) سنن الترمذى (٢٥٨٦) .

جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧] . والضَّرِيعُ شوكٌ بأرضِ الحجازِ ، يقالُ له : الشِّبْرِقُ[(١)] . وفى حديثِ الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ مرفوعًا[(٢)] : « الضَّرِيعُ شَيْءٌ يَكُونُ فِى النَّارِ ، يُقَالُ : يُشْبِهُ الشَّوْكَ ، أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ ، وَأَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ ، وَأَشَدُّ حَرًّا مِنَ النَّارِ ، إِذَا طَعِمَهُ صَاحِبُهُ لَا يَدْخُلُ البَطْنَ ، وَلَا يَرْتَفِعُ إِلَى الْفَمِ ، فَيَبْقَى بَيْنَ ذَلِكَ ، لا يُسْمِنُ[(٣)] وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] . وقال تعالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٥١- ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٢- ٦٨] .

---

(١) الشبرق : نبات غض ، وقيل : شجر مَنبتُه نجد وتهامة ، وثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم ، واحدته شِبْرِقة ، وقالوا : إذا يبس الضريع فهو الشبرق ، وهو نبت كأظافر الهرِّ . قال الفراء : الشبرق نبت وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس ، وغيرهم يسميه الشبرق . اللسان (شبرق) .

(٢) عزاه السيوطى إلى ابن مردويه مع اختلاف يسير ، وقال : بسند واه عن ابن عباس . الدر المنثور ٦/ ٣٤٢.

(٣) سقط من : ص .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[1] : حدَّثنا صَفْوانُ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُسْرٍ[2] اليَحْصُبِيِّ ، عن أبى أُمَامةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ [١١٠و] يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ . قال : « يُقَرَّبُ إِلَيْهِ ، فيَتَكَرَّهُهُ ، فَإِذَا أُدْنِىَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فِيهِ[3] ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ ، حتَّى يَخْرُجَ مِن دُبُرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعالَى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥] . وَيَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ [الكهف : ٢٩] » . ورواه الترمذىُّ ، عن سُوَيْدِ بنِ نَصْرٍ ، عن ابنِ المباركِ ، به نحوَه[4] ، وقال الترمذىُّ : غريبٌ[5] .

وفى حديثِ أبى داودَ الطَّيالِسىِّ ، عن شُعْبَةَ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ،

---

(١) رواه نعيم بن حماد فى زوائد الزهد (٣١٤) ، ومن طريقه أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٠٦/٨ (٧٤٦٠) ، كما أخرجه النسائى فى الكبرى (١١٢٦٣) ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، به .

(٢) فى الأصل ، ص ، وزوائد الزهد : « بشر » . وهو تصحيف .

وقد وقع خلاف فى اسم (عبد اللَّه بن بُسْر) هذا ؛ فقال الحافظ المزِّى فى ترجمة (عبيد اللَّه بن بُسْر) : وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم ، عن أبيه : عبيد اللَّه بن بسر ، ويقال : عبد اللَّه بن بسر ، روى عن أبى أمامة ، روى عنه صفوان بن عمرو . وقال أبو القاسم الطبرانى فى ترجمة أبى أمامة من «المعجم الكبير» : عبد اللَّه بن بسر اليحصبى ، عن أبى أمامة ، ثم روى له هذا الحديث من رواية نعيم بن حماد عن ابن المبارك ، وحديثًا آخر من رواية بقيَّة بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو : « حببوا اللَّه إلى عباده يحببكم اللَّه » ، وقد قيل : إنه عبد اللَّه بن بسر الحُبْرانى ، وقد تقدم فى ترجمة الحبرانى أنه يروى عن أبى أمامة ، ويروى عنه صفوان بن عمرو . وقد اختلف الرواة عن ابن المبارك فيه فقال بعضهم : عبد اللَّه بن بسر . وقال بعضهم : عبيد اللَّه بن بسر . وأما بقيَّة فلم يختلفوا عليه أنه عبد اللَّه بن بسر فكأنَّ هذا القول أولى بالصواب ، واللَّه أعلم . تهذيب الكمال ١٩/ ١٤.

(٣) زيادة من النسخ ليست فى مصادر التخريج .

(٤) الترمذى (٢٥٨٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٧٧) .

(٥) فى ح ، ص : « حسن غريب » . وانظر مصدر التخريج .

عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تلا هذه الآيةَ : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . قال : « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِى بِحَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَيْهِمْ مَعَايِشَهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ[1] طَعَامَهُ ؟ » .

روَاه الترمذىُّ ، عن محمودِ بنِ غَيْلَانَ ، عن أبى داودَ[2] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ ، ورواه النسائىُّ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ شُعْبَةَ ، به[3] .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصلىُّ[4] : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ موسى الأَشْيَبُ ، حدَّثنا ابنُ لَهيعَةَ ، حدَّثنا دَرَّاجٌ أبو السَّمْحِ ، أنَّ أبا الهَيْثَمِ حَدَّثه ، عن أبى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ[5] يُهَرَاقُ فِى الدُّنْيَا ، لأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا » . وروَاه الترمذىُّ ، مِن حديثِ دَرَّاجٍ[6] .

وعن كعبِ الأحبارِ أنَّه قال[7] : إنَّ اللَّهَ لَيَنْظُرُ إلى عبدِه يومَ القيامةِ وهو غضبانُ ، فيقولُ : خُذُوهُ . فيأخُذُه مائةُ[8] ألفِ مَلَكٍ ، أو يَزيدون ، فيَجْمَعون بينَ

---

(١) فى الأصل : « هو » .

(٢) الترمذى (٢٥٨٥) ، ومسند الطيالسى (٢٦٤٣) ، مع اختلاف يسير . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨١) .

(٣) النسائى فى الكبرى (١١٠٧٠) ، وابن ماجه (٤٣٢٥) .

(٤) مسند أبى يعلى (١٣٨١) . قال محققه : إسناده ضعيف .

(٥) فى الأصل : « عشاق » . والغسَّاق بالتخفيف والتشديد : ما يسيل من صديد أهل النار وغُسالتهم . وقيل : ما يسيل من دموعهم . وقيل : هو الزمهرير . النهاية ٣/ ٣٦٦.

(٦) الترمذى بعد (٢٥٨٤) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨٠) .

(٧) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة النار (٢٣٩) ، بسنده عن كعب ، به .

(٨) فى الأصل ، ح : « خمسمائة » .

ناصِيَتِه وَقَدَمَيْهِ غَضَبًا[1] لغضَبِ اللَّهِ، فيَسْحَبُونه علَى وجهِهِ إلى النَّارِ، فالنَّارُ عليه[2] أَشَدُّ غَضَبًا مِنهم بسبعين ضِعْفًا، فيَستغِيثُ بشَرْبَةٍ[3]، فيُسْقَى شَرْبةً يَسقُطُ منها لَحْمُه، وعَصَبُه، [4]وَيُكَدَّسُ[4] فى النارِ، فويلٌ له مِن النارِ.

وعنه أيضا أنَّه قال[5]: هل تدرون ما غَسَّاقٌ؟ قالوا: لا. قال: إنَّها عَيْنٌ فى جَهَنَّمَ يَسِيلُ إلَيْها حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ[6]، مِن حَيَّةٍ أوْ عَقْربٍ أو غيرِ ذلك، فَيَسْتَنْقِعُ[7]، وَيُؤْتَى بالآدمىِّ، فَيُغْمَسُ فيه غَمْسةً وَاحِدةً، فيَخْرُجُ وقد سَقَط جِلْدُهُ عن العظامِ[8]، وتعَلَّق جِلْدُه ولحمُه فى كعبَيْه، فَيَجُرُّ لحمَهُ[9]، كما يَجُرُّ الرجُلُ ثَوْبَه.

---

(١) بعده فى الأصل: «منهم».

(٢) سقط من: ح، ص.

(٣) بعده فى الأصل، ح: «ماء».

(٤ - ٤) فى الأصل: «ثم يكردس»، وفى ح: «ويكردس». وتَكَدَّس الإنسان: إذا دُفِع من ورائه فسقط. ويُروى بالشين المعجمة، من الكَدْش. وهو السَّوق الشديد. والكَدْش: الطرد والجرح أيضًا. النهاية ٤/ ١٥٥.

(٥) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة النار (٩١)، بسنده عن كعب، به.

(٦) الحُمَة بالتخفيف: السَّمُّ، وقد يُشَدَّد، وأنكره الأزهرى، ويطلق على إبرة العقرب للمُجاورة؛ لأن السَّم منها يخرج. النهاية ١/ ٤٤٦.

(٧) يستنقع: يجتمع. انظر النهاية ٥/ ١٠٨.

(٨) فى الأصل، ح: «عظامه».

(٩) بعده فى الأصل: «وجلده». وفى ح: «وجلده خلفه».

[1] ذِكْرُ أماكنَ [2] فى النارِ [2] ورَدت بأسمائِها الأحاديثُ [1] وبيانُ صحيحِ ذلك وسقيمِه

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩]. قيل: فَأُمُّ رأسِه هاويةٌ: أى ساقِطَةٌ، مِنَ الهُوِىِّ فى النارِ. [2] قال ابنُ جُرَيجٍ: الهَاوِيَةُ: هى أسفلُ دَرْكٍ فى النارِ [2]. كما ورَد فى الحديثِ [3]: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». وفى روايةٍ [4]: «سَبْعِينَ خَرِيفًا». وقيل: المرادُ بقولِه: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾. أى الدَّرْكُ الأسْفَلُ مِن النارِ، أو هى صِفَةُ النارِ مِن حيثُ هى.

وقد ورَد فى الحديثِ ما يُقَوِّى هذا المعنى، واللَّهُ أعلمُ.

قال أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى بنُ مَرْدُويَه [5]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ خالدِ بنِ

(١ - ١) فى ص: «ذكر أحاديث وردت بأسمائها».

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) تقدم فى ص ١٣٣.

(٤) ابن ماجه (٣٩٧٠). قال البوصيرى: هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن إسحاق. مصباح الزجاجة ٣/ ٢٣٦.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٨٥ إلى ابن مردويه، به، وذكره الزبيدى فى الإتحاف، وقال: قال السيوطى: هذا حديث صحيح رجاله ثقات. انظر تخريج أحاديث الإحياء ٦/ ٢٦٢٧، ٢٦٢٨.

محمدِ بنِ رُسْتُمَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ طاهرِ بنِ أبى الدُّمَيْكِ[1] ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ زيادٍ ، سَبَلانُ ، حدَّثنا عبَّادُ بنُ عبَّادٍ ، حدَّثنا رَوْحُ بنُ المسيَّبِ ، أنَّه سمِع ثابتًا البُنَانِىَّ يُحدِّث عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا مَاتَ المُؤْمِنُ [2]تَلَقَّتْهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ[2] يَسْأَلُونَه : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ ؟ فَإِنْ كَانَ مَاتَ وَلَمْ يَأْتِهِمْ ، قَالُوا : خُولِفَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الهَاوِيَةِ ، فبِئْسَتِ الأُمُّ ، وبِئْسَتِ المُرَبِّيَةُ . حَتَّى يَقُولُوا : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ هَلْ تَزَوَّجَ ؟ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ ؟ فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ يَسْتَرِيحُ ، فقَدْ خَرَج مِنْ [3]كَرْبِ الدُّنْيَا[3] » .

وقال ابنُ جريرٍ[4] : حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلَى ، حدَّثنا ابنُ[5] ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الأشعثِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأَعمَى ، قال : إذا مات المؤمنُ ذُهِبَ بِرُوحِهِ إلى أرواحِ المؤمنين ، فيقُولون : رَوِّحُوا أَخَاكم ، فإنَّه كان فى غمِّ الدُّنيا . قال : ويسألونه : ما فعَل فلانٌ ؟ فيقولُ : مات ، أَوَ مَا جاءَكم ؟ فيقولون : ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاويةِ .

وروَى الحافظُ الضِّياءُ[6] مِن طريقِ شَرِيكٍ القاضِى ، عن الأعمشِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ ، عن زَاذَانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القَتْلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّها - أو قال : يُكَفِّرُ كُلَّ ذَنْبٍ - إِلَّا

---

(١) فى ح : « الرشك » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٢٧.

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدرى التخريج .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ح : « كرب عظيم » . وفى ص : « مركب » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٤) تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٨٢.

(٥) فى الأصل ، ح : « أبو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٦١.

(٦) لم نجده من رواية الضياء فيما بين أيدينا من مصادر . والحديث أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٢/٥٦ باختلاف يسير ، وأبو نعيم فى الحلية ٤/ ٢٠١ بنحوه ، كلاهما من طريق شريك ، وذكره المصنف فى التفسير ٦/ ٤٧٩، وعزاه لابن جرير ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٧٥، وعزاه لآخرين .

الأَمَانَةَ ، يُؤْتَى بِصَاحِبِ الأَمَانَةِ ، فَيُقالُ لَهُ : أَدِّ أَمَانَتَكَ . فَيَقُولُ : أَنَّى يَا رَبِّ وَقَدْ ذهَبَتِ الدُّنْيَا . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَيُقَالُ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الهَاوِيَةِ ، فيُذْهَبُ بِهِ إِلَيْهَا ، فَيَهْوِى فِيهَا حَتَّى يَنْتَهِىَ إِلَى قَعْرِهَا ، فَيَجِدُهَا هُنَاكَ كَهَيْئَتِهَا ، فَيَحْمِلُهَا ، فَيَضَعُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّه قَدْ خَرَجَ مِنْهَا ، زَلَّتْ ، فَهَوَى[1] فِى أَثَرِهَا[2] أَبَدَ الآبِدِينَ » .

قال : والأمانةُ فى الصلاةِ ، والأمانةُ فى الصومِ ، والأَمانةُ فى الوضوءِ ، والأمانةُ فى الحديثِ ، وأشَدُّ ذلك الودَائعُ . قال - يعنى زَاذَانَ : فلقِيتُ البَرَاءَ ، فقلتُ : أَلَا تسمَعُ ما يقولُ أخوك عبدُ اللَّهِ ؟ فقال : [١١٠ظ] صدَق .

وهذا الحديثُ ليسَ هو فى المسندِ ، ولا فى شىءٍ مِن الكتبِ الستَّةِ .

سِجْنٌ فى جَهنَّمَ يُقالُ له : بُولَسُ

تقدَّم[3] ذِكْرُه فى حديثٍ روَاه الإمامُ أحمدُ ، مِن حديثِ عمرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن النبىِّ ﷺ .

حُبُّ الحَزَنِ

قال علىُّ بنُ حَرْبٍ[4] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا عَمّارُ بنُ

---

(١) فى ح : « فهوت وهو » ، وفى ص : « وهوت وهو » .

(٢) بعده فى الأصل : « كذلك » ، وفى ح : « فهو كذلك » .

(٣) تقدم فى ص ١٤٣ .

(٤) أخرجه المزى فى تهذيب الكمال ٣٠٢/٣٤ ، ٣٠٣ من طريق على بن حرب ، بنحوه . قالَ الشيخ الألبانى : فيه عمار بن سيف الضبى ، وهو ضعيف ، عن أبى معاذ البصرى ، واسمه سليمان بن أرقم ، وهو متروك ، فالحديث ضعيف جدًّا . مشكاة المصابيح ١/ ٩٠.

سيفٍ ، عن أبى مُعاذٍ[1] ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ » . قَالُوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ ؟ قال : « وَادٍ فِى جَهَنَّمَ تَسْتَعِيذُ جَهَنَّمُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ ، أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُؤَازِرُونَ الأُمَراءَ الْجَوَرَةَ » .

ورواه الترمذىُّ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ عمّارِ بنِ سيفٍ ، عن أبى مُعانٍ[2] - وهو الصَّوابُ[3] - به[4] . اختصَره الترمذىُّ ، وقال : غريبٌ[5] . وعندَه : « مِائَةَ مَرَّةٍ » . وبسَطه ابنُ ماجه ، وعندَه : « يَزُورُونَ الأُمَرَاءَ الْجَوَرَةَ »[6] .

[7]جُبُّ الفَلَقِ

قال هشيمٌ[8] : عن العَوّامِ بنِ حَوَشَبٍ[9] ، عن عبدِ الجبارِ الخَوْلانىِّ ، قال[10] : قدِم علينا رجلٌ مِن أصحابِ النَّبىِّ ﷺ دِمَشْقَ[10] ، فرأى ما فيه الناسُ[11] مِن الحِرصِ على الدُّنيا ، والشهواتِ ، وما هم فيه مِن زينتِها[11] ، فقال : وما يُغْنِى[7]

---

(١) انظر حاشية (٣) من هذه الصفحة .

(٢) فى ابن ماجه : « معاذ » .

(٣) قال الحافظ المزى : أبو مُعاذ ، ويقال : أبو مُعان ؛ وهو الصحيح . تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٠٢.

(٤) الترمذى (٢٣٨٣) ، وابن ماجه (٢٥٦) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤١٥) .

(٥) فى الترمذى: هذا حديث حسن غريب. وانظر تحفة الأشراف ١٠/ ٣٦٢، وتحفة الأحوذى ٣/ ٢٨١.

(٦) الذى عند ابن ماجه : « يزورون الأمراء » . قال المحاربى : الجَوَرَة .

(٧ - ٧) سقط من: ح ، ص .

(٨) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٢٩٦ (مخطوط) ، بسنده من طريق هشيم ، به .

(٩) فى الأصل : « حرب » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٢٧.

(١٠) سقط من : الأصل . والمثبت من مصدر التخريج .

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق : « يعنى من الدنيا » .

(١) عنهم ذلك ؟ أليس مِن ورائِهم الفَلَقُ ؟! قيل له : وما الفَلَقُ ؟ قال : جُبٌّ فى النارِ ، إذا فُتِح هَرَّ[٢] منه أهلُ النّارِ . كذا ، ولم يقُل : فرَّ منه أهلُ النارِ ، بل هَرَّ[٢] منه . كذا ذكَر ابنُ عساكرَ فى ترجمةِ رجلٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ[١] .

ذِكرُ وادِى لَمْلَمَ

قال الحسنُ بنُ سُفْيانَ[٣] : حدَّثنا حِبَّانُ بنُ موسى ، حدَّثنا ابنُ المباركِ ، حدَّثنا يحيى بنُ عُبَيْدِ[٤] اللَّهِ : سمِعتُ أبى يقولُ : سمِعتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّ فِى جَهَنَّمَ لَوَادِيًا يُقَالُ لَهُ : لَمْلَمُ . إنَّ أَوْدِيَةَ جَهَنَّمَ لَتَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ حَرِّهِ » . هذا حديثٌ غريبٌ .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) فى الأصل : « مُر » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تفسير الطبرى ٣٠/٣٤٩ . وهَرَّ سلحُه - وهو كل ما يخرج من البطن من الفضلات - وأَرَّ : استطلق حتى مات . انظر تاج العروس (هـ ر ر) ، والوسيط (س ل ح) .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٨/ ١٧٨ ، من طريق الحسن بن سفيان ، به . وقال : غريب لم نكتبه إلا من حديث يحيى . ورواه نعيم فى زوائد الزهد (٣٣١) ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣٤) ، كلاهما من طريق ابن المبارك ، به . وعزاه الحافظ ابن رجب فى التخويف من النار ص ١٢٤ إلى ابن المبارك ، وقال : يحيى ضعَّفوه .

(٤) فى ح ، والحلية : « عبد » . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٤٤٩ .

ذِكرُ نَهرٍ فيها هو مِنها بمَنزلةِ نَهرِ القَلُوطِ[1] مِن أنهارِ الدُّنيا

وهو مُجتمَعُ الأوْساخِ، والأقذارِ، والنَّتَنِ، أعاذَنا اللَّهُ تعالى مِنه بمَنِّه وكرمِه.

قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثنا المُعْتَمِرُ بنُ سُلَيْمَانَ، قال: قرَأتُ على الفُضَيْلِ[3] بنِ مَيْسَرَةَ، عن حديثِ أبى حَرِيزٍ[4]، أنَّ أبا بُرْدَةَ حدَّثه، عن حديثِ أبى موسى، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَمَنْ مَات [5]مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ[5] سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَهَرِ الغُوطَةِ». قِيلَ: وَمَا نهرُ الغُوطَةِ؟ قال: «نَهَرٌ يَجْرِى مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ، يُؤْذِى أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ[6]».

---

(١) القلوط، كصبورٍ: نهر جارٍ تنصب إليه الأقذار والأوساخ، لغة شامية، وغيرهم يقول له: القلوص. انظر تاج العروس (ق ل ص، ق ل ط).

(٢) المسند ٤/٣٩٩ (١٩٥٨٧). ضعيف (السلسلة الضعيفة ١٤٦٣)

(٣) فى ح، ص: «الفضل». وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٠.

(٤) فى الأصل: «جُوير». وفى ح، ص: «جرير». والمثبت من المسند. وانظر المصدر السابق ١٤/ ٤٢٠.

(٥ - ٥) فى الأصل، ص: «مدمن الخمر»، وفى ح: «مدمن خمر». والمثبت من المسند.

(٦) فى المسند: «فروجهم».

ذِكرُ وادٍ أو بِئْرٍ فيها يقالُ له : هَبْهَبٌ

قال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[1] : حدَّثنا أبو خَيْثَمةَ ، حدَّثنا يَزِيدُ بنُ هارونَ ، حدَّثنا الأزْهَرُ بنُ سِنانٍ[2] ، حدَّثنا محمدُ بنُ واسعٍ ، قال : دخَلتُ على بلالِ بنِ أبى بُرْدةَ ، فقلتُ له : يا بلالُ ، إنَّ أَباكَ حدَّثنى ، عن أبيه ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّ فِى جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ : هَبْهَبٌ . حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ[3] ، فَإِيَّاكَ يَا بِلالُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَسْكُنُهُ » .

وقد روَاه الطبرانىُّ[4] مِن حديثِ سعيدِ بنِ سُلَيْمانَ ، عن أزهرَ بنِ سِنانٍ ، عن محمدِ بنِ واسعٍ ، أنه دخَل على بلالِ بنِ أبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسى ، فقال له : إنَّ أباكَ حدَّثنى ، عن جَدِّكَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « إِنَّ فِى جَهَنَّمَ وَادِيًا ، فِى[5] الوَادِى بِئْرٌ يُقالُ له : هَبْهَبٌ . حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » . تفرَّد به أزهرُ بنُ سِنانٍ ، وقد تكلَّم فيه بعضُ الحفَّاظِ[6] ، وليَّنه .

ذِكرُ وَيْلٍ وصَعُودٍ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ١٥] . وقال تعالى :

---

(١) صفة النار (٣٥) .

(٢) فى ص : « سفيان » . وانظر تهذيب الكمال ٢/٣٢٦ .

(٣) بعده فى الأصل : « عنيد » .

(٤) المعجم الأوسط (٣٥٧٢) .

(٥) فى الأصل ، ح : « وفى » .

(٦) تهذيب الكمال ٢/٣٢٧، وميزان الاعتدال ١/ ١٧٢، ١٧٣، والمجروحين ١/ ١٧٨.

﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧].

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)]: حدَّثنا حسنٌ، حدَّثنا[(٢)] ابنُ لَهِيعَةَ، عن دَرَّاجٍ، عن أبى الهَيْثَمِ، عن أبى سعيدٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: «وَيْلٌ: وَادٍ فِى جَهَنَّمَ، يَهْوِى فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصَّعُودُ: جَبَلٌ مِنْ نَارٍ، يَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِى بِهِ كَذَلِكَ فِيهِ أَبَدًا». وكذا روَاه التِّرمذىُّ[(٣)]، عن عبدِ بنِ حُمَيْدٍ، عن الحسنِ بنِ موسى الأَشْيَبِ، [١١١و] عن ابنِ لَهِيعةَ، عن دَرَّاجٍ، ثم قال: غريبٌ لا نعرِفُه مرفوعًا[(٤)] إلَّا مِن طريقِ ابنِ لَهيعةَ. [(٥)]كذا قال[(٥)]. وقد روَاه ابنُ جريرٍ، عن يونسَ، عن ابنِ وَهْبٍ، عن عمرِو ابنِ الحارثِ، عن دَرَّاجٍ، به[(٦)].

وبكلِّ حالٍ فهو حديثٌ غريبٌ، بل مُنْكَرٌ، والأَظْهَرُ فى تفسيرِ ويلٍ أنَّه ضِدُّ السلامةِ والنجاةِ، كما تقولُ العربُ: ويلٌ لهُ، ويا وَيْلَهُ، ووَيْلُهُ[(٧)].

وقد روَى البزّارُ، وابنُ جَريرٍ[(٨)]، وابنُ أبى حاتمٍ، وابنُ مَرْدُويَه[(٩)]، مِن حديثِ شَرِيكٍ القاضى، عن عَمَّارٍ الدُّهْنِىِّ، عن عَطِيَّةَ، عن أبى سعيدٍ، قال:

---

(١) المسند ٣/٧٥ (١١٧٣٠). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف. المسند ١٨/٢٤٠.

(٢) سقط من: ص.

(٣) الترمذى (٢٥٧٦، ٣٣٢٦) وفيهما ذكر الصعود، و(٣١٦٤) وفيه ذكر الويل. ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٧٣، ٦٥٧، ٦١٧).

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من سنن الترمذى. وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٣٦١، وتحفة الأحوذى ٤/ ١٤٨.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) تفسير الطبرى ١/ ٣٧٨. وفيه ذكر الويل، و٢٩/١٥٥ وفيه ذكر الصعود.

(٧) فى الأصل: «ويسه». وفى ح: «ويه».

(٨) المصدر السابق ٢٩/١٥٥.

(٩) عزاه فى الدر المنثور ٦/٢٨٣ لابن مردويه، بنحوه.

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قولِه تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ . قال : « هُوَ جَبَلٌ فِى النّارِ [1] مِن نارٍ [1] ، يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ ، فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ ، فَإِذَا رَفَعَها عَادَتْ ، وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ » .

وقال قتادةُ : قال ابنُ عبَّاسٍ : صَعُودٌ : صخرةٌ فِى جهنَّمَ ، يُسحَبُ عليها الكافرُ على وجهِه [2] .

وقال السُّدِّىُّ [3] : صَعُودٌ : صخرةٌ مَلْسَاءُ فى جهنَّمَ ، يُكَلَّفُ أَن يَصعَدَها .

وقال مجاهدٌ [4] : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ . أى مَشَقَّةً مِن العذابِ . وقال قتادةُ [5] : عذابًا لا رَاحةَ فيه [6] . واختاره ابنُ جَرِيرٍ [7] .

ذِكرُ حيَّاتِها وعَقارِبِها ، أعاذَنا اللَّهُ مِنها برَحمتِه

قال تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] . وثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ » [8] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن أبى صالحٍ [8] ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٨٣/٦ لابن أبى حاتم ، عن ابن عباس .

(٣) ذكره ابن كثير فى التفسير ٨/ ٢٩٢.

(٤) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٥٥/٢٩ من طريقين عن مجاهد .

(٥) أخرجه الطبرى فى الموضع السابق ، بسنده عن قتادة ، به .

(٦) فى مصدر التخريج : « منه » . وانظر التفسير ٨/ ٢٩٢.

(٧) المصدر السابق .

(٨ - ٨) سقط من : ح . والحديث أخرجه البخارى (١٤٠٣، ٤٥٦٥) ، بنحوه .

عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّى زَكَاتَهُ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ[1] يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ[2] ، لَهُ زَبِيبَتَانِ[3] ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ[4] فَيَقُولُ : أَنَا مَالُكَ ، أَنَا كَنْزُكَ » . وفى روايةٍ[5] : « يَفِرُّ مِنْهُ ، وَهُوَ يَتْبَعُهُ ، ويَتَّقِى مِنْهُ ، فَيُلْقِمُه يَدَهُ ، ثُمَّ يُطَوِّقُهُ » . وقرأ هذه الآيةَ . وقد رُوِى مِثلُه عن ابنِ مسعودٍ مرفوعًا[6] .

وقال الأعمشُ[7] : عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، فى قولِه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل : ٨٨] . قال : زِيدُوا[8] عَقَارِبَ ، لها أَنْيَابٌ[9] كالنَّخْلِ الطِّوالِ .

---

(١) بعده فى الأصل : « كنزه » .

(٢) الشجاع ، بالضم والكسر : الحية الذكر . وقيل : الحية مطلقًا . والأقرع : الذى لا شعر على رأسه ، يريد حية قد تمعط جلد رأسه ؛ لكثرة سَمِّه وطول عمره . النهاية ٢/ ٤٤٧، ٤/ ٤٤، ٤٥.

(٣) الزبيبة : نكتة سوداء فوق عين الحية . وقيل : هما نقطتان تكتنفان فاها . وقيل : هما زَبَدَتَان فى شدقيها . المصدر السابق ٢/ ٢٩٢.

(٤) فى ح : « بلهزمته » . وبلهزمتيه يعنى شدقيه . وقيل : هما عظمان ناتئان تحت الأذنين . وقيل : هما مضغتان عَلِيَّتان تحتهما . المصدر السابق ٤/ ٢٨١.

(٥) البخارى (٦٩٥٧) ، والنسائى فى الصغرى (٢٤٤٧) ، وفى الكبرى (١١٢١٦، ١١٢١٧) ، وابن ماجه (١٧٨٦) ، وأحمد ٢/ ٣١٦، ٥٣٠ (٨١٧٠، ١٠٨٦٧) ، باختلاف يسير .

(٦) الترمذى (٣٠١٢)، والنسائى (٢٤٤٠) ، وابن ماجه (١٧٨٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٤١٠) .

(٧) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة النار (٩٣) ، وأبو يعلى فى مسنده (٢٦٥٩) ، والطبرانى فى الكبير ٩/ ٢٥٨ (٩١٠٤) ، والحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٤/ ٥٩٣، ٥٩٤، والبيهقى فى البعث والنشور (٦١٥) ، كلهم من طريق الأعمش ، به . قال الهيثمى : رواه الطبرانى بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح . المجمع ٧/ ٤٨. وانظر الدر المنثور ٤/ ١٢٧.

(٨) سقط من : ص .

(٩) فى مصادر التخريج : « أنياب » . والمثبت يوافق رواية أخرى أخرجها ابن أبى الدنيا فى صفة النار (٩٥) ، وستأتى فى صفحة ١٧٧.

وروَى البَيْهَقِيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن أَصْبَغَ بنِ الفَرَجِ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، أنّ دَرَّاجًا أبا السَّمْحِ حدَّثه أنَّه سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيَّ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ فِى النَّارِ لَحَيَّاتٍ أَمْثَالَ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ ، يَلْسَعْنَ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوَّتَهَا[2] أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، وَإِنَّ فِيهَا لَعَقَارِبَ كَالْبِغَالِ الْمُؤَكَّفَةِ[3] ، يَلْسَعْنَ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حُمُوَّتَهَا[2] أَرْبَعِينَ خَرِيفًا .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[4] : حدَّثنى محمدُ بنُ إدريسَ الحَنْظَلِيُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عُثْمانَ ، أبو الجُماهِرِ ، عن إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ ، عن سعيدِ بنِ يوسفَ ، عن[5] يحيى ابنِ أبى كثيرٍ ، عن أبى سَلَّام ، حدَّثنى الحجَّاجُ بنُ عبدِ اللَّهِ الثُّمالِيُّ - وكان قد رأى النبيَّ ﷺ ، وحجَّ معه حَجَّةَ الوَداعِ - أنَّ نُفَيْرَ[6] بنَ مُجِيبٍ - وكان مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ وقُدَمائِهم - قال : إنَّ فى جَهَنَّمَ سَبْعِين ألفَ وادٍ ، فى كُلِّ وادٍ سبعون ألفَ شِعْبٍ ، فى كلِّ شِعْبٍ سبعون ألفَ دارٍ ، فى كلِّ دارٍ سبعون ألفَ بَيْتٍ ، فى كُلِّ بَيْتٍ سبعون ألفَ [7]شَقٍّ ، فى كلِّ شَقٍّ[7] سبعون ألْفَ ثُعْبانٍ ، فى شِدْقِ[8] كُلِّ

---

(١) البعث والنشور (٦١٦) .

(٢) فى حاشية الأصل : « حُمَتَها » ، وفى ص : « حموها » .

(٣) فى ح ، ص : « المولفة » . والمؤكفة : الموضوع عليها الإكاف ، وهو البرذعة . انظر تاج العروس (أ ك ف) .

(٤) صفة النار (٩٧) .

(٥) فى ح ، ص : « وعن » . وهو خطأ .

(٦) فى مصدر التخريج : « سفيان » . وقد اختلف فى اسمه ؛ فقال الحافظ ابن حجر : ومدار حديثه على إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى . واختلف على إسماعيل ؛ فقال أبو اليمان وغيره : نفير بن مجيب . وقال الهيثم بن خارجة : سفيان . الإصابة ٣/ ١٢٩، وانظر : الجرح والتعديل ٨/ ٥٠٤، والاستيعاب ٤/ ١٥١٠، وتاريخ دمشق ٢١/ ٣٥٢، وأسد الغابة ٢/ ٤٠٧، ٥/ ٣٥٣.

(٧ - ٧) فى الأصل : « بئر فى كل بئر ». وهى الرواية الآتى تخريجها فى التاريخ الكبير .

(٨) فى ص : « شق » .

ثُعْبانٍ سبعون ألفَ عَقْربٍ ، لا يَنتهِى الكافرُ والمنافقُ حتَّى يُواقِعَ[1] ذلك كُلَّه . وهذا موقوفٌ ، وغريبٌ جدًّا ، بل مُنكرٌ نَكارةً شَديدةً ، وسعيدُ بنُ يوسفَ هذا - الذى حدَّث عنه به إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ - مجهولٌ ، واللَّهُ أعلمُ ، وبتقديرِ روايةِ[2] إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ له ، عن[3] يحيى بنِ أبى كثيرٍ ؛ وهو حِجازىٌّ ، وإسماعيلُ فى غير الشَّامِيِّين غيرُ مَقبولٍ ، وقد ذكَر هذا الأثَرَ البُخارِىُّ فى « تاريخِه الكبيرِ »[4] ، بنحوٍ مِن هذا السِّياقِ ، فاللَّهُ أعلمُ .

وقد ذكَر بعضُ المفسِّرين فى تفسيرِ : « غَىٍّ » و « أثامٍ » ، أنَّهما واديانِ مِن أودِيةِ جَهَنَّمَ[5] ، أجارَنا اللَّهُ تعالى منها . وقال بعضُهم فى قولِه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف : ٥٢] . قال : هو نهرٌ مِن قَيْحٍ ودمٍ[6] . وقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو[7] ، ومجاهدٌ[8] : هو وادٍ مِن أودِيةِ جهنَّمَ . زاد عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : عميقٌ ، فُرِق به[9] يومَ القيامةِ بينَ أهلِ الهُدَى ، وأهلِ الضَّلالةِ .

وروَى البيهقىُّ[10] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن عبَّاسٍ الدُّورِىِّ ، عن ابنِ مَعِينٍ ، عن هُشَيْمٍ ، عن[11] العوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، [١١١ظ] عن عبدِ الجبَّارِ

---

(١) فى ص : « يوافق » .
(٢) سقط من : ص .
(٣) سقط من : ح .
(٤) التاريخ الكبير ٨/ ١٢٤ .
(٥) تفسير الطبرى ١٦/١٠٠ ، ١٩/٤٤ ، والدر المنثور ٤/٢٧٨ ، ٥/ ٧٨.
(٦) تفسير الطبرى ١٥/ ٢٦٥، والدر المنثور ٤/ ٢٢٨، مرويًا عن أنس، وفيهما : «واد» بدل «نهر» .
(٧) تفسير الطبرى ١٥ / ٢٦٤.
(٨) تفسير الطبرى ١٥ / ٢٦٥، والدر المنثور ٤/ ٢٢٨، بنحوه .
(٩) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير الطبرى ١٥/ ٢٦٤.
(١٠) البعث والنشور (٥٢٩) .
(١١) فى ص : « بن » . وهو خطأ .

الخَوْلانِيِّ ، قال : قدِم علينا رجلٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ دِمَشقَ ، فرأى ما فيه الناسُ - يعنى مِن الدُّنيا - فقال : وما يُغنى عنهم[1] ، أليس من ورائِهم الفَلَقُ ؟ [2]وقد تقدَّم هذا الأثَرُ[2] .

وروى البَيْهَقِيُّ[3] ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، عن إبراهيمَ بنِ مرزوقٍ بمِصْرَ ، عن سعيدِ بنِ عامرٍ ، عن شُعْبَةَ ، قال : كتَب إلىَّ منصورٌ وقرأتُه عليه ، عن مجاهدٍ ، عن يزيدَ بنِ شَجَرَةَ ، وكان يزيدُ بنُ شجرةَ رجلًا من الزُّهادِ[4] ، وكان معاويةُ يستعمِلُهُ على الجيوشِ ، فخطَبنا يومًا ، فحمِد اللَّهَ ، وأثْنى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، اذكُروا نعمةَ اللَّهِ عليكم ، [5]ما أحسنَ أثرَ[6] نعْمةِ اللَّهِ عليكم[5] لو تروْن ما أرَى من بينِ أحمرَ وأصفرَ ومن كلِّ لونٍ ، وفى الرِّحالِ ما فيها ، إنّه إذا أقيمتِ الصلاةُ فُتِحت أبوابُ السماءِ وأبوابُ الْجَنَّةِ وأبوابُ النارِ ، [7]وإذا التقَى الصَّفَّان فتِحت أبوابُ الجنةِ وأبوابُ النارِ[7] وزُيِّن الْحُورُ العِينُ فيَطَّلِعْنَ ، فإذا أقبَل أحدُكم بوجهِه إلى القتالِ ، قلن : اللهمَّ ثَبِّتْهُ ، اللهمَّ انْصُرْه . وإذا أدْبَر احْتَجَبْنَ عنه ، وقلن : اللهمَّ اغفرْ له ، فانْهَكوا[8] وُجوهَ القومِ ، فِداكُم أبى وأمى ، فإن أولَ

---

(١) بعده فى الأصل : « ما هم فيه من الدنيا » ، وفى ح : « ماهم فيه » .

(٢ - ٢) فى ح ، ص : « قيل : ماالفلق . قال : جب فى النار إذا فتح هر منه ولم يقل فر منه ولا هرب منه » . وقد تقدم فى صفحة ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٣) البعث والنشور (٦١٧) . وانظر المستدرك ٤٩٤/٣ ، وتاريخ دمشق ٣٠١/١٨ مخطوط .

(٤) فى المصدر : « رهاء » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) ليست فى مصدر التخريج .

(٧ - ٧) سقط من : ح ، ص .

(٨) فى الأصل : « فانكوا » . وفى مصدر التخريج : « انتهكوا » . وانظر المستدرك ٣/ ٤٩٤. وانهكوا وجوه القوم : أى ابلغوا جهدكم فى قتالهم . النهاية ٥/ ١٣٧.

قطرةٍ تَقْطُرُ مِن دمِ أحدِكم يَحُطُّ اللَّهُ بها عنه خَطَاياه ، كما يَحُطُّ الغُصْنُ من ورَقِ الشجرِ ، وتَبْتَدِرُه اثنتانِ من الحورِ العِينِ ويمْسَحان التُّرابَ عن وجهِه ، وتَقولان : فِدانَا لك . ويقولُ : فدانا لكما[1] . فَيُكْسَى مائةَ حُلَّةٍ لو وُضِعت بينَ إصبعَيَّ هاتينِ لَوَسِعَتَاهُنَّ[2] ، لَيْسَتْ من نَسْجِ بَنِى آدمَ ، ولكنها[3] من ثيابِ الْجَنةِ ، إنكم مكتوبون عندَ اللَّهِ بأسمائِكم وسيمَاكُم ونَجْواكم وحُلَاكمْ ومَجَالِسِكُمْ[4] ، فإذا كان يومُ القيامةِ قيل : يا فلانُ ، هذا نُورُكَ ، يافلانُ ، [5]لا نورَ لك[5] ، وإن لِجَهَنّمَ جِبابًا[6] من سَاحِلٍ كساحلِ البحرِ ، فيه هوامٌّ وحَيَّاتٌ كالبَخَاتِيِّ ، وعقارِبُ كالبِغالِ الدُّلْمِ[7] ، أو كالدَّلَمِ[8] البِغالِ ، فإذا سأَل أهلُ النارِ التخفيفَ قيل : اخْرُجوا إلى الساحلِ . فتأخُذُهم تلك الهَوَامُّ بشِفاهِهمْ وجُنُوبِهم ، وبمَا شاء اللَّهُ من ذلك ، فَتَكْشِطُها[9] فيرجِعون[10] ، فيُبَادِرون[11] إلى معظمِ النارِ ، ويُسلَّطُ عليهمُ الْجَرَبُ ، حتى إن أحدَهم لَيَحُكُّ جلدَه حتَّى يَبْدُوَ العظمُ ، فيقال له : يا

---

(١) فى هامش الأصل : « كذا وجدته بخط ابن عساكر » .

(٢) فى مصدر التخريج : « لوسعتاهما » .

(٣) فى مصدر التخريج : « لكنهما » .

(٤) فى مصدر التخريج « محاسنكم » . وانظر المستدرك ٣/ ٤٩٤.

(٥ - ٥) فى ح : « وهذا نورك » ، وفى ص : « هذا نورك يا فلان لا نور لك » .

(٦) فى النسخ : « حيات » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) فى النسخ ، ومصدر التخريج : « الدل » . وفى حلية الأولياء ٣/ ٢٩٠: « الدهم » ، وفى التخويف من النار لابن رجب (١٤٢) : « الذل » . والمثبت من زيادات الزهد لابن المبارك (٣٣٠) . وانظر المصنف لابن أبى شيبة (١٥٩٨٩) ، وصفة النار لابن أبى الدنيا (٩٩) . والدُّلم : أى السود ، جمع أدلم . النهاية ٢/ ١٣١.

(٨) فى النسخ ، ومصدر التخريج : « كالدل » . والمثبت من التخويف من النار (١٤٢) . والدَّلَم : يشبه الحية يكون بناحية الحجاز ، وقيل: يشبه الطُّبُوع وليس بالحية . اللسان (د ل م) .

(٩) فى ح : « فتسترطها » ، وفى ص : « فيسلطها » . وانظر مصدر التخريج .

(١٠) بعده فى الأصل ، ح : « هربا » .

(١١) فى مصدر التخريج : « فينادون » .

فلانُ ، هل يُؤْذِيك هذا ؟ فيقولُ : نعم ، فيقال له : ذلك بما كنتَ تُؤْذِى المؤمنين .

وروَى الترمذىُّ[1] ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ . وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ » .

وروى البيهقىُّ[2] ، عن أبى سعيدٍ ، أو عن ابنِ[3] حُجَيْرَةَ الأكبرِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ أحدَهما حدَّثه ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إِذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ أَلْقَى اللَّهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِى مِنْ حَرِّ نارِ جَهَنَّمَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لجَهَنَّمَ : إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِى قَدِ اسْتَجَارَ بِى مِنْكِ ، وَإِنِّى أُشْهِدُكِ أَنِّى قَدْ أَجَرْتُهُ[4] . وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ أَلْقَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مَا أَشَدَّ بَرْدَ هَذَا الْيَوْمِ ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِى مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لجَهَنَّمَ : إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِى قَدِ اسْتَجَارَ بِى مِنْ زَمْهَرِيرِكِ ، وَإِنِّى أُشْهِدُكِ أَنِّى قَدْ أَجَرْتُهُ » . قالوا : ومَا زَمْهَرِيرُ جَهَنَّمَ ؟ قال : « جُبٌّ يُلْقَى فِيهِ الْكَافِرُ فَيَتَمَيَّزُ[5] مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ » .

---

(١) الترمذى (٢٥٧٢) من حديث أنس . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٧٩) .

(٢) الأسماء والصفات ص ١٧٧، ١٧٨. وفيه : عن دراج أنه قال : حدثنى أبو الهيثم عن أبى سعيد ، أو عن أبى حجيرة عن أبى هريرة .

(٣) فى النسخ ، ومصدر التخريج : « أبى » . والمثبت من تهذيب الكمال ١٧ / ٥٤.

(٤) بعده فى النسخ : « منك » .

(٥) فى مصدر التخريج « فينهز » . ويتميز : يقال : مِزْت الشىء من الشىء ، إذا فرّقت بينهما . النهاية ٤/ ٣٨٠.

فصـلٌ

قال القرطُبيُّ[1] : قال العلماءُ : أعلَى الدرَكاتِ [2]جَهنمُ ، وهى[2] مُخْتَصَّةٌ بالعُصاةِ مِن أمةِ محمدٍ ﷺ ، وهى التى تخلو مِنْ أهلِها ، فتَصْفِقُ[3] الرياحُ أبوابَها[4] ، ثم لَظَى ، ثم الحُطَمَةُ ، ثم السعيرُ ، ثم سَقَرُ ، ثم الجَحِيمُ ، ثم الهاويةُ .

وقال الضَّحّاكُ[5] : فى الدَّرْكِ الأعلَى المُحَمَّديُّون ، وفى الثانى النصارى ، وفى الثالثِ اليهودُ ، وفى الرابعِ الصابئون ، وفى الخامسِ المَجُوسُ ، وفى [١١٢و] السادسِ مشركو العربِ ، وفى السابعِ المنافقون . قلتُ : هذه المراتبُ والمنازلُ[6] ، وتخصيصُها بهؤلاء ، مما يحتاجُ إثباتُه إلى سندٍ صحيحٍ إلى المعصومِ الذى لا ينطِقُ عن الهوَى ، [7]أو قرآنٍ ناطقٍ بذلك[7] ، ولكن معلومٌ أنَّ هؤلاءِ كلَّهم يدخُلون النارَ ، وكونُهم يَكُونون على هذه الصفةِ [8]فى الأخبارِ ، وعلى هذا[8] الترتيبِ ، فاللَّهُ أعلمُ بذلك ، فأما المنافقون ففى الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النارِ بنصِّ القرآنِ لا محالةَ .

---

(١) التذكرة ٢/ ١٣٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ح : « فى النار » .

(٣) فى ح : « فلا يبقى فيها أحد حتى تصفق » .

(٤) بعده فى الأصل : « فلا تبقى فيها أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويشاركهم بعض عصاة الأمم قبلهم ممن كان على التوحيد قال » . وفى ح : « فلا يبقى فيها أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم » .

(٥) التذكرة ٢/ ١٣٦.

(٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) فى ح ، ص : « إن هو إلا وحى يوحى » .

(٨ - ٨) فى ح ، ص : « و » .

قال القرطبيُّ[1] : فمِن هذه الأسماءِ ما هو عَلَمٌ للنارِ كلِّها بجُملَتِها ، نحوُ جَهنَّمُ ، وسعيرٌ[2] ، ولَظَى ، فهذه أعلامٌ ليست لِبابٍ دونَ بابٍ . وصدَق فيما قال .

وقال حَرْملةُ[3] ، عن ابنِ[4] وَهْبٍ ، أخبَرنى عمرٌو أنَّ دَرَّاجًا أبا السَّمْحِ حدَّثه ، أنَّه سمِع عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيَّ ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال : « إنَّ فِى النَّارِ لَحَيَّاتٍ أَمْثَالَ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ » . وقد تقدَّم هذا الحديثُ[5] .

وقال الطَّبرانيُّ[6] : حدَّثنا أبو يَزيدَ القَرَاطِيسيُّ ، حدَّثنا أسدُ بنُ موسى ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النحل : ٨٨] . قال : « عَقَارِبُ أَمْثَالُ النَّخْلِ الطِّوَالِ ، تَنْهَشُهُمْ فِى جَهَنَّمَ » . وقد روَاه الثوريُّ[7] ، عن الأعمشِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ ، عن مسروقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قولَه ، وتقدَّم[8] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[9] : حدَّثنا شُجاعُ بنُ الأشْرَسِ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن

---

(١) التذكرة ٢ / ١٣٧.
(٢) فى مصدر التخريج : « سقر » .
(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٧٤٧١) ، من طريق حرملة ، به .
(٤) سقط من : ح .
(٥) تقدم فى ص ١٧٠ .
(٦) لم نجده فى معاجم الطبرانى الثلاثة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢٧/٤ إلى ابن مردويه ، والخطيب فى تالى التلخيص ، عن البراء ، به .
(٧) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٩/ ٢٥٨، ٢٥٩ (٩١٠٥) ، من طريق سفيان الثورى ، به .
(٨) تقدم فى ص ١٧٠ .
(٩) صفة النار (٩٥) ، بنحوه .

كعبِ الأحْبارِ، قال: حيَّاتُ جَهنمَ أمْثالُ الأوْديةِ، وعَقاربُها أمْثالُ القِلالِ[1]، وإنَّ لها لأَذْنابًا كأمْثالِ الرِّماحِ، تَلْقَى إحداهنَّ الكافرَ فَتَلْسَعُه، فيَتَناثَرُ لحمُه على قَدَمَيهِ.

ذِكرُ بُكاءِ أهلِ النارِ فيها

قال أبو يَعْلَى الموصليُّ[2]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الصمدِ بنِ أبى خِداشٍ، حدَّثنا محمدُ بنُ حُميْدٍ[3]، عن ابنِ المباركِ، عن عِمْرانَ بنِ زيدٍ، حدَّثنا يزيدُ الرَّقَاشيُّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِى النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلَ[4] فَتُقَرِّحَ الْعُيُونَ، فَلَوْ أَنَّ سُفُنًا أُرْسِلَتْ[5] فِيهَا لَجَرَتْ». ورواه ابنُ ماجه مِن حديثِ الأعمشِ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ، عن أنسٍ بنحوِه[6].

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[7]: حدَّثنا محمدُ بنُ العباسِ، حدَّثنا حمادٌ الجزَرىُّ، عن

---

(١) فى ص: «القلاع».

(٢) مسند أبى يعلى ٧ / ١٦١ (٤١٣٤).

(٣) فى النسخ: «حمير». والمثبت من المصدر السابق، وانظر تهذيب الكمال ٢٥ / ٩٧.

(٤) بعده فى المصدر: «يعنى: الدماء».

(٥) فى المصدر: «أرخيت».

(٦) ابن ماجه (٤٣٢٤). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٤٣)، وصح مختصرا بلفظ: «إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم - يعنى - مكان الدمع». السلسلة الصحيحة (١٦٧٩).

(٧) صفة النار (٢١١).

زيدِ[1] بنِ رُفَيْعٍ ، رفعه ، قال : « إِنَّ أَهْلَ النَّارِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ بَكَوُا الدُّمُوعَ زَمَانًا ، ثُمَّ بَكَوُا الْقَيْحَ زَمَانًا ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ : يَامَعْشَرَ الْأَشْقِيَاءِ ، تَرَكْتُمُ الْبُكَاءَ فِى الدَّارِ الْمَرْحُومِ فِيهَا أَهْلُهَا [2]وَتَبْكُونَ فى الدَّارِ الَّتى لا يُرْحَمُ أَهْلُهَا[2] ، هَلْ تَجِدُونَ الْيَوْمَ مَنْ تَسْتَغِيثُونَ بِهِ ؟ » قال : « فَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَا مَعْشَرَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ وَالأَوْلَادِ[3] ، خَرَجْنَا مِنَ الْقُبُورِ عِطَاشًا ، وَكُنَّا طُولَ الْمَوْقِفِ عِطَاشًا ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ [4]فِى النَّارِ عِطَاشٌ[4] ، فَأَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ » . قال : « فَيَدْعُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يُجِيبُهُمْ أَحَدٌ[5] ، ثُمَّ يُجِيبُهُمْ مالكٌ[5] : ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ . قال : « فَيَيْأَسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ » .

قولُه تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عليُّ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ - هو ابنُ المباركِ - أخبرنا سعيدُ بنُ يَزيدَ أبو[7] شُجاعٍ ، عن أبى السَّمْحِ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، [8]عن النبىِّ ﷺ[8] ، قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ . قال : « تَشْوِيهِ النَّارُ ، فَتَقْلِصُ[9] شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَتَسْتَرْخِى شَفَتُهُ

---

(١) فى : ح : « يزيد » .

(٢ - ٢) فى ص ، والمصدر : « فى الدنيا » .

(٣) بعده فى المصدر : « خرجنا من الدنيا عطاشا و » .

(٤ - ٤) فى ص ، والمصدر : « عطاش » .

(٥) سقط من : ص ، وليس فى المصدر .

(٦) المسند ٣ / ٨٨ (١١٨٥٤) . وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، لضعف أبى السمح . المسند ١٨/ ٣٥٠.

(٧) فى ح : « ابن » . وفى مطبوعة المسند : « أخبرنا » . وهو خطأ فأبو شجاع هو سعيد بن زيد ، وانظر أطراف المسند ٦ / ٣٨١، وتهذيب الكمال ١١/ ١١٨.

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) تقلص : أى ترتفع وتنزوى علوا . التاج (ق ل ص) .

السُّفْلَى حَتَّى تَبْلُغَ سُرَّتَهُ » .

ورواه التِّرمذىُّ[1] ، عن سُوَيْدٍ ، عن ابنِ المباركِ ، به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وقال ابنُ مَرْدُويَه[2] : حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ يحيى القَزَّازُ ، حدَّثنا الخَضِرُ[3] بنُ علىِّ بنِ يوسُفَ القَطَّانُ ، حدَّثنا عمُّ [4]الحارثِ بنِ الخَضِرِ[4] القَطَّانُ ، حدثَّنا سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ المَقْبُرىُّ ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أبى الدَّرْداءِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ فى قولِه تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ قال : « تَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً ، فَتَسِيلُ لُحُومُهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ[5] » . أجارَنا اللَّهُ منها ، آمين .

أحاديثُ شَتَّى فى صفةِ النارِ وأهلِها

قال أبو القاسمِ الطبرانىُّ[6] : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، حدَّثنا أبو الشَّعْثاءِ علىُّ بنُ الحسنِ الواسطىُّ ، حدَّثنا خالدُ بنُ نافعٍ الأَشعرىُّ ، عن سعيدِ بنِ أبى بُرْدةَ ، عن أبى موسى قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِى النَّارِ ، وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، قَالَ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ : أَلَمْ تَكُونُوا

---

(١) سنن الترمذى (٢٥٨٧) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ١٨٣) .

(٢) عزاه فى الدر المنثور ٥ / ١٦ إلى ابن مردويه وغيره .

(٣) فى ح : « الحسن » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح : « أبى الحارث الخضر » . وانظر المؤتلف والمختلف ٢ / ٨٣٢.

(٥) فى مصدر التخريج : « أعصابهم » .

(٦) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ / ٤٥ ، وقال : رواه الطبرانى وفيه خالد بن نافع الأشعرى ، قال أبو داود : متروك .

مُسْلِمِينَ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالُوا : فَمَا أَغْنَى عَنْكُمُ الْإِسْلَامُ ، وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ؟ قَالُوا : كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ ، فَأُخِذْنَا بِهَا . فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا ، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ [١١٢ظ] مَنْ بَقِيَ فِي النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ قَالُوا : يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ ، فَنَخْرُجَ كَمَا خَرَجُوا » . قال : ثم قرأ رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « أَعُوذُ باللَّهِ مِن الشيطانِ الرجيم ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ١، ٢] .

وقال الطَّبَرانيُّ[1] : حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ راهُويَه قال : قلتُ لأبى أسامةَ : أَحَدَّثكم أبو رَوْقٍ عَطيةُ بنُ الحارثِ ، حدَّثنى صالحُ بنُ أبى طَرِيفٍ ، سأَلْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرىَّ ، فقلتُ له : هل سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقولُ فى هذه الآيةِ : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ ؟ قال : نعم ، سمِعْتُه يقولُ : « يُخْرِجُ اللَّهُ نَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا يَأْخُذُ نِقْمَتَهُ مِنْهُمْ » . وقال : « لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ : تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَمَا بَالُكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ؟ فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُم أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ، فَيَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ ، وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ ، حَتَّى يَخْرُجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ قَالُوا : يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ ، فَتُدْرِكَنَا الشَّفَاعَةُ ، فَنَخْرُجَ مَعَهُمْ . قالَ : فَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ . فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ : الْجَهَنَّمِيُّونَ . مِنْ أَجْلِ سَوَادٍ فِي وُجُوهِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : يَارَبَّنَا ، أَذْهِبْ عَنَّا هَذَا الاسْمَ . فَيَأْمُرُهُمْ ، فَيَغْتَسِلُونَ فِي نَهَرِ الْجَنَّةِ ، فَيَذْهَبُ ذَلِكَ الاسْمُ عَنْهُمْ » . فأقَرَّ به أبو أسامةَ ، وقال : نعم .

---

(١) المعجم الأوسط (٨١٠٦) .

وقال الطَّبَرانيُّ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ العباسِ - هو الأخْرَمُ - حدَّثنا محمدُ بنُ منصورٍ الطُّوسيُّ ، حدَّثنا صالحُ بنُ إسحاقَ الجِهْبِذُ ، وأثْنَى عليه يحيى بنُ مَعِينٍ ، حدَّثنا مُعَرِّفُ بنُ واصلٍ ، عن يعقوبَ بنِ أبى نُباتَةَ ، عن عبدِ الرحمنِ الأغَرِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ اللَّاتِ والْعُزَّى : مَا أَغْنَى عَنْكُمْ قَوْلُكُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِى النَّارِ ؟ فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ ، فَيُلْقِيهِمْ[2] فِى نَهَرِ الْحَيَاةِ ، فَيَبْرَءُونَ مِنْ حَرَقِهِمْ[3] ، كَمَا يَبْرَأُ الْقَمَرُ مِنْ كُسُوفِهِ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، [4]وَيُسَمَّونَ فِيهَا[4] الْجَهَنَّمِيِّينَ » . فَقَالَ رجلٌ : يا أنسُ ، أنتَ سمِعْتَ [5]هذا مِن[5] رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ [5]فقال أنسٌ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[5] يقولُ : « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . [5]نعم ، أنا[5] سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ هذا .

قال الطبرانيُّ : لم يَرْوِه عن مُعَرِّفِ بنِ واصلٍ إلا صالحُ بنُ إسحاقَ الجِهْبِذُ .

أثرٌ غريبٌ وسياقٌ عجيبٌ

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[6] : حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ القرشيُّ ، حدَّثنا طلحةُ

---

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع عن أنس ١٠ / ٣٧٩ وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفهم . ولم نجده فى الطبرانى .

(٢) فى المجمع : « فيقذف بهم » .

(٣) فى ص : « حرهم » .

(٤ - ٤) فى : المجمع : « فيسميهم أهل الجنة »

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) صفة النار (١٨٢) .

ابنُ سِنانٍ ، حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ أَبْجَرَ[1] ، عن الشعبيِّ ، عن أبى هريرةَ قال : يُؤتَى بجَهنَّمَ يومَ القيامةِ تُقادُ بسبعين ألفَ زمامٍ ، آخذٌ بكلِّ زمامٍ سبعون ألفَ ملَكٍ ، وهى تَمايلُ عليهم حتَّى تُوقَفَ عن يمينِ العرشِ ، ويُلقِى اللَّهُ عليها الذُّلَّ يومَئذٍ ، فيُوحِى اللَّهُ إليها : ما هذا الذُّلُّ ؟ فتقولُ : ياربِّ ، أخافُ أنْ يكونَ لك فىَّ نقمةٌ . فيُوحِى اللَّهُ إليها : إنَّما خلقتُكِ نقمةً ، وليس لى فيكِ نقمةٌ . [2]فيُوحِى اللَّهُ إليها[2] ، فتزفَرُ زفرةً لا تبقَى دمعةٌ فى عينٍ إلَّا جرتْ . قال : ثم تزفَرُ أُخرَى ، فلا يبقَى ملَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبىٌّ مُرسَلٌ إلا صَعِق ، إلَّا نبيُّكم نبىُّ الرحمةِ ﷺ ، يقولُ : ياربِّ ، أُمَّتى أُمتى .

أثرٌ آخرُ من أغربِ الآثارِ عن كعبِ الأحبارِ

قال الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصبهانىُّ[3] : حدَّثَنا أبِى ، حَدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ[4] البغدادىُّ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الجُنيدِ ، حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ابنُ عائشةَ ، حدَّثنا سَلْمٌ[5] الخوَّاصُ ، عن فراتِ بنِ السائبِ ، عن زاذانَ ، قال : سمِعت كعبَ الأحبارِ يقولُ : إذا كان يومُ القيامةِ جمَع اللَّهُ الأوَّلين والآخِرين فى صعيدٍ واحدٍ ، فنزَلتِ الملائكةُ ، فصاروا صفوفًا ، فيقولُ اللَّهُ تعالى : يا جبريلُ

---

(١) فى ح : « الجز » . وفى ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣١٣.

(٢ - ٢) ليس فى المصدر.

(٣) حلية الأولياء ٥ / ٣٧٢.

(٤) فى المصدر : « الحسن » .

(٥) فى النسخ : « مسلم » . وفى المصدر : « سلام » . وهو سلم بن ميمون الخواص . انظر السير ٨/ ١٦٠، والجرح والتعديل ٤/ ٢٦٧.

ائْتِنى بجَهنَّمَ . فيَأْتِى بها جبريلُ تُقادُ بسبعين ألفَ زِمامٍ ، حتَّى إذا كانت مِن الخلائقِ على قَدرِ مائةِ عامٍ زفَرَت زَفْرَةً طارَت لها أَفْئدةُ الخَلائقِ ، ثم زفَرَت ثانيةً ، فلا يَبْقَى مَلكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبىٌّ مُرْسَلٌ إلا جثَا لِرُكبتَيْه ، ثم زفَرَت الثالثةَ ، فتَبْلُغُ القلوبُ الحناجرَ ، وتَذْهَلُ العقولُ ، فيَفْزَعُ كلُّ امرئٍ إلَى عملِه ، حتَّى إنَّ إبراهيمَ الخليلَ ، عليه السلامُ ، يقولُ : بِخُلَّتِى لا أَسْأَلُكَ إلَّا نفْسِى . و[1] يقولُ موسَى عليه السلامُ : بمُناجاتِى لا أَسْأَلُك إلَّا نفسِى[1] . وإنَّ عيسَى ، عليه السلامُ ، لَيقولُ : بما أَكْرَمْتَنى لا أَسْأَلُك إلَّا نفسِى ، لا أَسْأَلُك مريمَ الَّتى ولَدَتنِى . ومحمدٌ ﷺ يقولُ : أُمَّتِى أُمَّتِى ، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِى ، إنَّمَا أَسْأَلُكَ أُمَّتِى . قال : فيُجِيبُه الجَليلُ جلَّ جلالُه : أولِيائِى مِن أُمَّتِك لا خوفٌ عليهم ولا [١١٣و] هم يَحْزَنون ، فوعِزَّتِى وجَلالِى لَأُقِرَّنَّ عينَكَ فى أُمَّتِك . ثم تقِفُ المَلائِكَةُ بينَ يَدَيِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، يَنْتَظِرون ما يُؤْمَرون به ، فيَقولُ لهمُ الربُّ تعالَى وتقَدَّس : مَعاشِرَ الرَّبانيةِ ، انْطَلِقوا بالمُصِرِّين مِن أهلِ الكبائرِ مِن أُمةِ محمدٍ إلى النارِ ، فقد اشْتَدَّ غضَبى عليهم بتَهاوُنِهم بأمْرِى فى دارِ الدنيا ، واسْتِخْفافِهم بحقِّى ، وانْتِهاكِهم حُرْمَتِى ، يَسْتَخْفُون مِن الناسِ ، ويُبارِزُونى بالمَعاصِى معَ كَرامتِى لهم ، وتَفْضِيلِى إيّاهم على الأُمَمِ ، ولم يَعْرِفوا فَضْلِى ، وعِظَمَ نِعْمتِى . فعندَها تَأْخُذُ الزَّبانِيَةُ بلِحَى الرجالِ ، وذَوائِبِ النساءِ ، فينطَلقونَ[2] بهم إلى النَّارِ ، وما مِن عبدٍ يُساقُ إلى النارِ مِن غيرِ هذه الأُمةِ إلا مُسْوَدًّا وجهُه ، وقد وُضِعَت الأَنْكالُ فى قدمَيْه ، والأَغْلالُ فى عُنقِه إلا ما كان[3] مِن هذه الأُمةِ ، فإنَّهم يُساقُون بألْوانِهم ، فإذا ورَدُوا على مالكٍ قال

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى المصدر « فينطلقن » ، وفى ص : « فينطلق » .

(٣) بعده فى الأصل : « من أهل النار » .

لهم : مَعاشرَ الأشْقِياءِ ، مِن أيِّ أُمةٍ أنتم ؟ فما ورَد عليَّ أحسنُ وُجوهًا منكم . فيقولون : يا مالكُ ، نحن مِن أُمةِ القُرآنِ . فيَقولُ لهم : مَعاشرَ الأشْقياءِ ، أوَ ليس القرآنُ أُنْزِل على محمدٍ ﷺ ؟ قال : فيَرْفَعون أصواتَهم بالنَّحيبِ والبكاءِ : وامحمَّداه ، يا محمدُ ، اشْفَعْ لمَن (١آمَنَ بِكَ مِمَّن١) أُمِر به إلى النارِ مِن أُمَّتِك . قال : فيُنادَى مالكٌ ، بتَهَدُّدٍ وانْتِهارٍ : يا مالكُ ، مَن أمَرك بمُعاتبةِ الأشْقِياءِ ومحادثتِهم ، والتَّوَقُّفِ عن إدْخالِهمُ العذابَ ؟ يا مالكُ ، لا تُسَوِّدْ وُجوهَهم ؛ فقد كانوا يَسْجُدون لى بها فى دارِ الدنيا ، يا مالكُ لا تَغُلَّهم بالأغْلالِ ؛ فقد كانوا يَغْتَسِلون مِن الجنابةِ ، يا مالكُ ، لا تُقَيِّدْهم بالأنْكالِ ؛ فقد طافوا حولَ بيتِىَ الحرامِ ، يا مالكُ لا تُلْبِسْهمُ(٢) القَطِرانَ ؛ فقد خلَعوا ثيابَهم للإحْرامِ ، (٣يا مالكُ ، مُرِ النارَ لا تحرقْ ألسنتَهم ؛ فقد كانوا يقرَءون القرآنَ٣) ، يا مالكُ ، قُلْ للنارِ تَأْخُذْهم على قدرِ أعمالِهم ؛ فالنارُ أعرفُ بهم وبمَقاديرِ اسْتحقاقِهم (١مِنَ العذابِ١) مِن الوالدةِ بولدِها . فمِنهم مَن تَأْخذُه النارُ إلى كعبَيْه ، ومنهم مَن تَأْخُذُه النارُ إلى ركبتَيْه ، ومنهم مَن تَأْخُذُهُ النارُ إلى سُرَّتِه ، ومنهم مَن تَأْخُذُه النارُ إلى صدرِه . قال : فإذا انْتَقَم اللَّهُ منهم على قَدْرِ كبائرِهم وعُتُوِّهم وإصْرارِهم فتَح بينَهم وبينَ المشركين بابًا ، (٤وهم٤) فى الطَّبَقِ الأعْلى مِن النارِ ، لا يَذُوقون فيها بَرْدًا ولا شَرابًا ، يَبْكون ويقولون : يا محمَّداه ، ارْحَمْ مِن أُمتِك الأشْقِياءَ ، واشْفَعْ لهم ؛ فقد أكَلَتِ النارُ لحُومَهم وعِظامَهم ودماءَهم . ثم يُنادُون : يا ربَّاه ، يا

(١ - ١) سقط من : ص . وليست فى المصدر .

(٢) فى المصدر : « تسربلهم » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤ - ٤) : فى المصدر : « فرأوهم » .

سيِّداه ، ارْحَمْ مَن لم يُشْرِكْ بك فى دارِ الدُّنيا ، وإن كان قد أساء وأخْطَأ وتعَدَّى . فعندَها يقولُ المُشْرِكون لهم : ما أغْنَى عنكم إيمانُكم باللَّهِ وبمحمدٍ ؟! فيَغْضَبُ اللَّهُ لذلكَ ، فيقولُ : يا جِبريلُ ، انْطَلِقْ ، فأَخْرِجْ مَن فى النارِ مِن أمةِ محمدٍ ﷺ . فيُخْرِجُهم ضَبائرَ ، قد امْتَحَشوا ، فيُلْقِيهم فى نهرٍ على بابِ الجنةِ ، يقالُ له : نهَرُ الحياةِ[1] . فيَمْكثون حتى يَعُودوا أنْضَرَ ما كانوا ، ثم يَأْمُرُ اللَّهُ ، عز وجل ، بإدْخالِهمُ الجنةَ ، مَكْتوبٌ على جِباهِهم : هؤلاءِ الجَهَنَّمِيُّون ، عُتَقاءُ الرحمنِ مِن أمَّةِ محمدٍ ﷺ . فيُعْرَفون مِن بينِ أهلِ الجنةِ بذلك ، فيَتَضَرَّعون إلى اللَّهِ تعالَى أن يَمْحُوَ عنهم تلك السِّمةَ ، فيَمْحُوَها اللَّهُ عنهم ، فلا يُعْرَفون بها بعدَ ذلك مِن بينِ أهلِ الجنةِ .

لبعضِ هذا الأثرِ شَواهدُ مِن الأحاديثِ ، واللَّهُ أعلمُ . وسيَأْتى بعدَ ذكرِ أحاديثِ الشفاعةِ ذِكرُ آخِرِ مَن يَخْرُجُ مِن النَّارِ ، ويَدْخُلُ الجنَّةَ ، إن شاء اللَّهُ تعالَى .

ذكرُ الأحاديثِ الواردةِ فى شَفاعةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ القِيامةِ وبيانُ أنواعِها وتَعْدادِها :

فالنوعُ الأوَّلُ منها : شفاعتُه الأولى ، وهى العُظْمَى الخاصَّةُ به مِن بينِ سائرِ إخْوانِه مِن النَّبِيِّين والمُرْسَلِين ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أجْمَعِين .

وهى التى يَرْغَبُ إليه فيها الخَلْقُ كلُّهم ، حتى إبراهيمُ الخليلُ ، وموسى

---

(١) فى المصدر ، ح : « الحيوان » .

الكَليمُ ، ويَتَوَسَّلُ الناسُ إلى آدَمَ فمَن بعدَه مِن المُرْسَلِين ، فكلٌّ يَحِيدُ عنها ، ويَقُولُ : لسْتُ بصاحِبِها . حتى يَنْتَهِيَ الأمرُ إلى سيدِ ولدِ آدمَ فى الدُّنيا والآخِرةِ محمدٍ ﷺ ، فيَقُولَ : « أَنَا لَهَا ، أَنَا لَهَا » . فيَذْهَبُ فيَشْفَعُ عندَ اللَّهِ سبحانَه وتعالى فى أن يَأْتِيَ ؛ لفصلِ القضاءِ بينَ الخلقِ ، ويُرِيحَهم مما هم فيه ، ويُمَيِّزَ بينَ مؤمنِهم وكافرِهم ، بمُجازاةِ المؤمنين بالجنةِ ، والكافرين بالنارِ .

وقد ذَكَرْنَا ذلك فى تفسيرِ سورةِ « سُبْحَانَ » عندَ قولِه تعالى[1] : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] . وقد قدَّمْنا[2] فى هذا الكتابِ مِن الأحاديثِ الدالَّةِ [١١٣ظ] على هذا المَقامِ المحمودِ ما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] مِن طريقِ هُشَيْمٍ[4] ، عن سَيَّارٍ ، عن يَزيدَ الفقيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِى ؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » .

وقد رواه أبو داودَ الطَّيالسيُّ[5] ، عن شعبةَ ، عن واصلٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أبى ذَرٍّ ، عن النبيِّ ﷺ ، بنحوِه ، ورواه الأعمشُ[6] ، عن مجاهدٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ

---

(١) التفسير ٥/١٠١ - ١٠٨.

(٢) تقدم فى ١٩/ ٤٠٩.

(٣) البخارى (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، بنحوه.

(٤) فى ص: « هشام ». وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

(٥) مسند أبى داود الطيالسى (٤٧٢).

(٦) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٠٦٩)، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٧٧، كلاهما من طريق الأعمش به.

عُمَيْرٍ ، عن أبى ذَرٍّ .

فقولُه : « وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ » . يعنى بذلِك الشَّفاعةَ العُظْمَى ، وهى الأولى التى يَشْفَعُ فيها عندَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، أن يَأْتىَ لفَصْلِ القَضاءِ بينَ العبادِ ، ويَغْبِطُه بها الأوَّلون والآخِرون ، فهو مُخْتَصٌّ بهذه الشفاعةِ دونَ غيرِه .

وأما الشفاعةُ فى العُصاةِ فيَشْرَكُه فيها غيرُه مِن الأنبياءِ والملائكةِ والمؤمنين ، حتى القرآنُ والأعمالُ الصالحةُ ، كما سيأتى بيانُه فيما نُورِدُه مِن الأحاديثِ الصحيحةِ ، وغيرِها .

وقال الأوْزاعىُّ[1] ، عن أبى عَمّارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ فَرُّوخَ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » .

ورواه البَيْهَقىُّ[2] ، عن مَعْمَرِ بنِ راشدٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى يعقوبَ ، عن بشرِ بنِ شَغافٍ[3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ ، بِيَدِى لِوَاءُ الْحَمْدِ ، تَحْتِى آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ رَبِّى أَرْسَلَ إِلَىَّ أَنِ اقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ،

---

(١) مسلم (٣/٢٢٧٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٤٨٦) . كلاهما من طريق الأوزاعى به بنحوه .
(٢) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٧٩٣) ، وأبو يعلى فى مسنده (٧٤٩٣) ، كلاهما من طريق معمر ابن راشد به .
(٣) فى ص : « سعاف » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٢٩.
(٤) مسلم (٢٧٣/٨٢٠) . بنحوه .

فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ : يَارَبِّ ، هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِى . فَرَدَّ عَلَىَّ الثَّانِيَةَ أَنِ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ[1] » قال : « قُلْتُ : يَارَبِّ ، هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِى . فرَدَّ عَلَىَّ الثَّالِثَةَ أَنِ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رُدِدْتَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى ، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ إِلَى يَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَىَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ » .

النوعُ الثانِى والثالثُ من الشَّفَاعَةِ : شَفَاعَتُهُ فِى أقوامٍ قَدْ تَسَاوتْ حَسنَاتُهُم وسيِّئاتُهمْ ، فَيَشْفَعُ فِيهم ؛ لِيَدْخُلُوا الجنةَ ، وفى أقوامٍ آخرينَ قد أُمِرَ بِهِم إلى النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا .

قالَ الحافِظُ أبو بكرِ بنُ أبِى الدُّنيا فى كتابِ « الأَهْوالِ »[2] : حدَّثنا سعيدُ بنُ محمدٍ الْجَرْمِىُّ ، حدَّثنا أبو عُبَيْدَةَ[3] الْحَدَّادُ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ ثابتٍ البُنَانِىُّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفلٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ ، قالَ : قالَ رسولُ اللَّه ﷺ : « يُنْصَبُ لِلْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنابِرُ مِنْ ذَهَبٍ ، فَيَجْلِسونَ عَلَيْهَا » . قال : « وَيَبْقَى مِنْبَرِى لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مُنْتَصِبًا بِأُمَّتِى ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُبْعَثَ بِى إِلَى الْجَنَّةِ وَتَبْقَى أُمَّتِى بَعْدِى ، فأَقُولُ : يَارَبِّ أُمَّتِى ، فَيَقُولُ اللَّهُ : يا مُحَمَّدُ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ ؟ فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، عَجِّلْ حِسَابَهُمْ ، فَيُدْعَى[4] بِهِمْ ، فَيُحَاسَبُونَ ، فمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَمِنْهُمْ مَنَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِى ، وَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى

---

(١) فى النسخ : « حرف » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (٦١) . وانظر الاستدراكات على الأهوال ص ٣١٤، ٣١٥.

(٣) فى الأصل : « عبيد » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٥.

(٤) فى ص : « فدعا » .

صِكَاكًا[1] برِجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، حَتَّى إِنَّ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ لِأُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ».

وحدَّثنا إسماعيلُ بنُ عُبَيدِ بنِ عمرَ[2] بنِ أبِي كَرِيمَةَ، حدَّثنى محمدُ بنُ سَلَمَةَ[3]، عن أبى عبدِ الرحيمِ، حدَّثنى زيدُ بنُ أبى أُنَيْسَةَ، عن المِنْهَالِ بنِ عَمْرٍو، عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْحَارِثِ، عن أبِي هريرةَ، قالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عُراةً، فَيَجْتَمِعُونَ شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ القَضَاءِ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَيَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الكُرْسِيِّ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى إبراهيمُ الْخَلِيلُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ، فَيُكْسَى قُبْطِيَّتَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، ثم يقولُ: ادعوا لِيَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ محمَّدًا». قالَ: «فَأَقُومُ، فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ». قال: «وَيُفَجَّرُ لِيَ الْحَوْضُ، وَعَرْضُهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إلى الْكَعْبَةِ». قال: «فَأَشْرَبُ وَأَغْتَسِلُ وَقَدْ تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُ الخَلَائِقِ مِنَ العَطَشِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْكُرْسِيِّ، لَيْسَ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ قَائِمًا ذَلِكَ المَقَامَ غَيْرِى، ثمَّ يُقالُ: سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ». قال: فقالَ رَجُلٌ: أَتَرْجُو لِوَالِدَيْكَ شَيْئًا يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «إِنِّى لَشَافِعٌ لَهُمَا، أُعْطِيتُ أَوْ مُنِعْتُ، ومَا أَرْجُو لَهُمَا شَيْئًا».

ثمَّ قالَ المِنْهَالُ: حدَّثَنِى عبدُ اللَّهِ بنُ الحَارِثِ أَيْضًا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قال: «أَمُرُّ بِقَوْمٍ [١١٤و] مِنْ أُمَّتِى قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، نَنْشُدُكَ[4]

---

(١) صكاك: جمع صَكّ، وهو الكتاب. النهاية ٣/ ٤٣.

(٢) فى النسخ: «عمير». والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ٢٧٢، وتهذيب الكمال ٣/ ١٥٢.

(٣) فى الأصل، ح: «مسلمة». وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٥٣.

(٤) فى الأصل: «نسألك».

الشَّفَاعَةَ » . قال : « فآمُرُ المَلَائِكَةَ أَنْ يَقِفُوا بِهِمْ » . قال : « فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى الرَّبِّ عَـزَّ وَجَلَّ ، فَيُؤْذَنُ لِى فَأَسْجُدُ ، وَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِى قَدْ أَمَرْتَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ » . قال : « فَيَقُولُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهُمْ » . قال : « فَأَنْطَلِقُ ، فَأُخْرِجُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُخْرِجَ ، ثُمَّ يُنَادِى البَاقُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، نَنْشُدُكَ الشَّفَاعَةَ . فأَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ ، فأَسْتَأْذِنُ ، فَيُؤْذَنُ لِى فأَسْجُدُ ، فَيُقَالُ لِى : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » . قالَ : « فَأَقُومُ فَأُثْنِى عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثَنَاءً لَمْ يُثْنِ عَلَيْهِ أَحَدٌ ثَنَاءً مثلَهُ ، فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِى قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ . فَيَقُولُ : انْطَلِقْ ، فَأَخْرِجْ مِنْهُمْ » . قال : « فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، أُخْرِجُ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا إِلـهَ إِلَّا اللَّهَ ، وَمَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ؟ » قالَ : « فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، لَيْسَتْ تِلْكَ لَكَ ، تِلْكَ لِى » . قال : « فَأَنْطَلِقُ فَأُخْرِجُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُخْرِجَ » . قال : « وَيَبْقَى قَوْمٌ فيَدْخُلُونَ النَّارَ ، فَيُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُونَ بِهِ [1] شيئًا ، فَمَا الَّذِى أَدْخَلَكُمُ النَّارَ [1] ؟! » قال : « فَيَخْرَجُونَ وَيَحْزَنُونَ مِنْ ذَلِكَ » . قال : « فَيَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا بِكَفٍّ مِنْ مَاءٍ فَيَنْضَحُ بِهَا فِى النَّارِ الَّتِى [2] فِيهَا المُوَحِّدُونَ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهَ إِلَّا وَقَعَتْ فِى وَجْهِهِ مِنْهَا قَطْرَةٌ » . قال : « فَيُعْرَفُونَ بِهَا [2] . وَيَغْبِطُهُمْ أَهْلُ النَّارِ ، ثمَّ يَخْرُجُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، فيُقَالُ لَهُمْ : انْطَلِقُوا ، فَتَضَيَّفُوا النَّاسَ . فلَوْ أَنَّ جَمِيعَهُمْ نَزَلُوا بِرَجُلٍ وَاحِدٍ كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُ سَعَةٌ ، وَيُسَمَّوْنَ المُحَرَّرِينَ » .

وَهَذَا السِّيَاقُ يَقْتَضِى تَعْدَادَ هَذِهِ الشَّفَاعةِ فِيمَنْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

(١ - ١) فى ح : « شيئا أدخلكم النار » ، وفى ص : « أدخلكم النار » .

(٢ - ٢) فى ح : « هم فيها » .

أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا ، وَيَكُونُ مَعْنى قَوْلِه : « فأخْرِجْ » . أَىْ أَنْقِذْ[1] ، بدَلِيلِ قَوْلِه بَعْدَ ذَلِكَ : « وَيَبْقَى قَوْمٌ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ .

النوعُ الرابعُ من الشفاعةِ : شفاعتُهُ فى رفعِ درَجاتِ مَنْ يدخُلُ الجنةَ فوقَ مَا يقتضيهِ ثوابُ أعمَالِهِمْ .

وَقَدْ وَافَقَتِ الْمُعْتَزِلَةُ عَلَى هذهِ الشفَاعةِ خَاصَّةً ، وَخَالَفُوا فِيمَا عَدَاهَا مِنَ الشَّفَاعَاتِ[2] ، مع تَواتُرِ الأحَادِيثِ فيهَا ، على مَا سَتَراهُ قَرِيبًا إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى .

فأمَّا دَلِيلُ هذه الشفاعةِ فهو ما ثبتَ فى « الصحيحين » وغيرِهما[3] من روايةِ أبِى موسى الأشعرىِّ لمَّا أُصِيبَ عمُّه أبو عَامرٍ فِى غَزْوَةِ أَوطاسٍ ، فلَمَّا أَخْبَرَ أبو موسى رسولَ اللَّهِ ﷺ بذلِك ، فتوضَّأ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ورفَع يَدَيْهِ ، وقال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لعُبَيْدٍ[4] أَبِى عَامِرٍ ، وَاجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ » .

وهكذا حديثُ أمِّ سَلَمةَ[5] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دعا لأبى سَلَمةَ بَعْدَمَا تُوُفِّىَ ، فقال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِى سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فى الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِى عَقِبِهِ فِى الْغَابِرِينَ[6] ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يا رَبَّ العَالَمِينَ ، وَأَفْسِحْ لَهُ فِى قَبْرِه ، وَنَوِّر لَهُ فِيهِ » .

وهو فى « صحيحِ مسلمٍ » .

---

(١) فى ح ، ص : « أنفذ » .

(٢) فى ح ، ص : « المقامات » .

(٣) البخارى (٢٨٨٤ ، ٤٣٢٣ ، ٦٣٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٨/١٦٥) ، ومسند أحمد ٤/ ٣٩٩ ، ٤١٢ (١٩٥٨٥ ، ١٩٧٠٨) ، والنسائى فى الكبرى (٨٧٨١ ، ١١١٠٢) .

(٤) فى ح : « لعبيدك » .

(٥) مسند أحمد ٦/٢٩٧ (٢٦٥٨٥) ، ومسلم (٩٢٠/٧) ، وأبو داود (٣١١٨) ، والنسائى فى الكبرى (٦٢٨٥) .

(٦) الغابرين : أى الباقين فى الأحياء من الناس . عون المعبود ٣/ ١٥٩ .

وقد ذكَر القاضِى عياضٌ وغيرُه[1] **نوعًا آخرَ من الشفاعةِ، وهو خامِسٌ**، وهو فى أقوامٍ يَدْخُلُون الجَنَّةَ بغيرِ حسابٍ، ولم أَرَ[2] لهذا شاهِدًا فيما علِمْتُ، ولم يَذْكُرِ القاضِى عياضٌ له مستندًا فِيمَا رَأَيْتُ، ثم تَذَكَّرْتُ حديثَ عُكَّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ، حِينَ دَعَا له رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَجْعَلَهُ من السبعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حسابٍ، والحديثُ مُخَرَّجٌ فى «الصحيحين»، كما تَقَدَّمَ[3]، وهو يُناسِبُ هذا المقامَ.

وذكَر أبو عبدِ اللَّهِ القرطبىُّ فى «التذكرةِ»[4] **نوعًا سادِسًا من الشَّفَاعَةِ**، وهو شفاعتُه فِى عمِّهِ أبى طالبٍ أنْ يُخَفَّفَ عَذَابُهُ، واستشهدَ بحديثِ أبى سَعِيدٍ فى «صحيحِ مسلمٍ»[5] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِر عندَه عمُّه أبو طالِبٍ، فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتى يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِى مِنْهُ دِمَاغُهُ».

ثم قال: فإن قيل: فقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. قيل: لا تنفَعُه فى الخُروجِ من النارِ، كما تنفَعُ عُصاةَ المُوحِّدين الذين يخرُجُونَ منها، ويدخُلون الجنَّةَ.

النوعُ السابعُ من الشفاعةِ: شفاعتُه لجميعِ المُؤمنين قاطِبَةً فى أَنْ يُؤْذَنَ لهم فى دُخُولِ الجنَّةِ، كما ثبتَ فى «صحيحِ مسلمٍ»[6]، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ

---

(١) انظر التذكرة ١/ ٤٨٣.
(٢) فى الأصل: «ير».
(٣) تقدم فى ص ٥٦.
(٤) التذكرة ١/ ٤٨٤.
(٥) مسلم (٢١٠/٣٦٠).
(٦) مسلم (١٩٦/٣٣٢).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ[1] فى الْجَنَّةِ » .

وقال فى حديثِ الصُّورِ[2] بعد ذِكْرِ مُرورِ الناسِ على الصراطِ : « فإذَا أَفْضَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ قَالُوا : مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنا فَنَدْخُلَ الْجَنَّةَ ؟ فَيَقُولُونَ : مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ » . فذكَر الحديثَ إلى أن قال : « وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَأْتُونِى ، وَلِى عِنْدَ رَبِّى ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ ، وَعَدَنِيهِنَّ ، فأَنْطلِقُ فآتِى الجنَّةَ ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ ، ثُمَّ أَسْتَفْتِحُ ، فَيُفْتَحُ [١١٤ظ] لِى ، فَأُحَيَّا ، وَيُرَحَّبُ بِى فَإِذَا دَخَلْتُ ، فَنَظَرْتُ إلى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا ، فيأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى لِى مِنْ حَمْدِهِ وَتَمْجِيدِهِ بشَىْءٍ مَا أَذِنَ بِهِ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لى : ارْفَعْ رَأْسَكَ يا مُحَمَّدُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ . فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِى قالَ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَعَدْتَنِى الشَّفَاعَةَ ، فَشَفِّعْنِى فى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ شَفَّعْتُكَ ، وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِى دُخُولِ الجَنَّةِ » . وذكَرَ الحديثَ كما تقدَّمَ فى حديث الصُّورِ .

ثم ذكَر بعد ذلك الشفاعةَ فى أهلِ الكبائرِ ، **وهو النوعُ الثامنُ مِنَ الشفاعةِ** ، وهو شَفاعتُه فى أهلِ الكبائِرِ من أُمَّتِهِ ممن دخَل النارَ بذنوبِه وكبائرِ إثمِه ، فَيَخْرُجُونَ منها . وقد تواترتْ بهذا النوعِ الأحاديثُ ، وقد خَفِىَ عِلْمُ ذلك على الخوارجِ والمُعتزلةِ ، فخالَفُوا فى ذلك جهلًا منهم بصحَّةِ الأحاديثِ ، وَعِنادًا مِمَّنْ عَلِمَ ذلكَ واستمرَّ على بِدْعَتِهِ . وهذه الشفاعةُ يشارِكُهُ فِيهَا الملائِكةُ والنَّبِيُّون والمؤمِنُون ، وهذه الشفاعةُ تَتَكَرَّرُ منه أَرْبَعَ مَرَّاتٍ .

---

(١) فى ح ، ص : « شافع » .
(٢) تقدم ١٩/ ٣١٠.

بيانُ طُرُقِ الأحاديثِ وألفاظِهَا

روايةُ أُبيِّ بنِ كعبٍ : قال ابنُ أبى الدُّنيا[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ وَضَّاحٍ ، حدَّثنا يحيى بنُ يَمانٍ ، عن شَرِيكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن الطُّفَيْلِ ابنِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، [2]عن أبَيِّ بنِ كعْبٍ[2] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا خَطِيبُ الأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِمَامُهُمْ ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ » .

روايةُ أنسِ بنِ مالكٍ : قال ابنُ أبى الدُّنيا[3] : حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، عن منصورِ بنِ[4] أبى الأَسْودِ ، عن لَيْثٍ ، عن الرَّبيعِ بنِ أَنسٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنَا أَوَّلُهُمْ خُرُوجًا ، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إذَا وَفَدُوا ، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا ، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا ، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إذا يَئِسُوا ، لِوَاءُ[5] الْكَرَامَةِ والْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى ، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى ، يَطُوفُ عَلَىَّ أَلْفُ خَادِمٍ ، كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ » .

ثم رواه عن خَلَفِ بنِ هِشَامٍ[6] ، عن حِبَّانَ[7] بنِ علىٍّ العَنَزِىِّ ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، فذكَرَه مرفوعًا كما تَقَدَّمَ .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٧١/١ ، من طريق عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، به بنحوه . وقال الذهبى : صحيح الإسناد .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤٨٣/٥ بنحوه من طريق سعيد بن سليمان ، به .

(٤) فى الأصل : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥١٨.

(٥) فى ح ، ص : « و » .

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤٨٤/٥ بنحوه من طريق خلف بن هشام ، به .

(٧) فى الأصل ، ح : « جبر » ، وفى ص : « جبير » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٩.

طَرِيقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا سليمانُ بنُ حرْبٍ ، حدَّثنا بِسْطامُ بنُ حُرَيْثٍ[2] ، عن أَشْعَثَ الحُدَّانيِّ[3] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » .

وهكذا رواه أبو داودَ[4] ، عن سليمانَ ، عن بِسْطامٍ ، عن أَشْعَثَ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ جابرٍ الحُدَّانيِّ ، عن أنسٍ .

طريقٌ أخرى : قال البَزَّارُ فى « مُسْنَدِه »[5] : حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، حدَّثنا أبو داودَ ، حدَّثنا الخَزْرَجُ[6] بنُ عثمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » . ثم قال : لم يَرْوِهِ عن ثابتٍ إلا الخَزْرَجُ ابنُ عثمانَ .

وهكذا روَاه أبو يَعْلَى[7] مِن طريقِ يَزيدَ الرَّقَاشيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال : « شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا عارمٌ ، حدَّثنا مُعْتَمِرٌ ،

---

(١) المسند ٣/٢١٣ (١٣٢٤٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح . المسند ٢٠/ ٤٣٩.

(٢) فى ص : « حرب » .

(٣) فى ص : « الجذاء » ، وتحرف فى المسند المطبوع إلى « الحرانى » . بالراء ، وأشعث الحدانى هو ابن عبد الله بن جابر . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٧٢، ٤/ ٧٨، وأطراف المسند ١/ ٢٨٠.

(٤) أبو داود (٤٧٣٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٦٥) .

(٥) كشف الأستار (٣٤٦٩) ، وأورده الهيثمى فى المجمع ١٠/٣٧٨ وقال : رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط ... وفيه الخزرج بن عثمان ، وقد وثقه ابن حبان ، وضعفه غير واحدٍ ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح .

(٦) تحرف فى كشف الأستار إلى : « الجراح » .

(٧) مسند أبى يعلى (٤١١٥) وقال محققه : إسناده ضعيف جدًّا .

(٨) المسند ٣/٢١٩ (١٣٣١٤) .

سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ عن أنسٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «كُلُّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ سُؤَالًا». أو قالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَاهَا[1]، فَاسْتَخْبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أو كما قال.

ورواه البخاريُّ تَعْليقًا[2]، فقالَ: [3]وقال مُعْتَمِرٌ[3]، عن أبيهِ. وأسْنَدَه مسلمٌ[4]، فرواه عن محمدِ بنِ عبدِ الأعْلَى، عن مُعْتَمِرٍ، عن أبيهِ سليمانَ بنِ طَرْخانَ التَّيْمِيِّ، عن أنسٍ، به نحوَه.

طريقٌ أخرى عنه: [5]قال ابنُ أبى الدنيا: حدثنا فُضَيْلُ بنُ عبدِ الوهابِ، حدثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن حَمَيْدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى»[5].

قال ابنُ أبى الدنيا[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ يَزيدَ العِجْليُّ، حدثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ، حدَّثنا حُمَيْدٌ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُنِلْتُ الشَّفَاعَةَ، فَأَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْلُ هَذَا». وحرَّك الإبْهامَ والمُسَبِّحةَ.

طريقٌ أُخْرَى عنه: قال الإمام أحمدُ[7]: حدَّثنا بَهْزٌ وعفَّانُ، قالا: حدثنا

---

(١) فى المسند: «دعا بها».

(٢) البخارى (٦٣٠٥).

(٣ - ٣) كذا فى النسخ. ووقع فى بعض نسخ البخارى: «وقال لى خليفة: قال معتمر». وانظر فتح البارى ١١/ ٩٧.

(٤) مسلم (٣٤٤/ ٢٠٠).

(٥) زيادة من: ص.

(٦ - ٦) أخرجه الآجرى فى الشريعة (٧٩٦) من طريق أبى بكر بن عياش، به نحوه. وقال محققه: إسناده حسن.

(٧) المسند ٣/ ١٣٤، ٢٥٨ (١٢٣٩٩، ١٣٧٣١)، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط =

هَمَّامٌ ، حدَّثنا قَتادةُ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ ، وَإِنِّى اسْتَخْبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وهذا الحديثُ على شرطِهما ، ولم يُخْرِجوه مِن حديثِ همامٍ ، وإنما أخْرَجه الشيخان مِن حديثِ أَبى عَوَانةَ الوَضَّاحِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَشْكُرىِّ ، عن قَتادةَ[1] .

ثم رواه مسلمٌ[2] مِن حديثِ سعيدٍ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُهَمُّونَ[3] بِذَلِكَ ، أو يُلْهَمُونَ ذَلِكَ » . بمثلِ حديثِ أبى عَوَانةَ . وقالَ فى الحديثِ : « ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ - أَوْ أَعُودُ الرَّابِعَةَ - فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِىَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ » .

طريقٌ أخرى عنه : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا هَمَّامٌ ، حدَّثنا [١١٥و] قَتادةُ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُهَمُّونَ[5] لِذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنِا هَذَا[6] . فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ أَبُونَا ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَىْءٍ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ[7] رَبِّكَ . قال : فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ ؛ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِىَ عَنْهَا . وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ . قال : فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ .

= الشيخين . المسند ١٩/ ٣٧٠.

(١) البخارى (٦٥٦٥) ، مسلم (١٩٣/٣٢٢) .

(٢) مسلم (١٩٣/٣٢٣) .

(٣) فى صحيح مسلم : « فيهتمون » .

(٤) المسند ٢٤٤/٣ (١٣٥٨٧) .

(٥) فى المسند : « فيهتمون » .

(٦) زيادة من النسخ ليست فى المصدر .

(٧) فى المسند : « إلى » .

(١ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَه(٢) ؛ سُؤَالَه رَبَّهُ (٣ مَا لَيس لَهُ بِهِ(٣) عِلْمٌ ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ(١) . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ ؛ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ كَذَبَهُنَّ(٤) ؛ قَوْلَهُ : إِنِّى سَقِيمٌ . وَقَوْلَهُ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا . وَأَتَى عَلَى جَبَّارٍ مُتْرَفٍ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَقَالَ : أَخْبِرِيهِ أَنِّى أَخُوكِ ؛ فَإِنِّى مُخْبِرُهُ أَنَّكِ أُخْتِى . وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى ؛ (١ عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ . قال :(١) فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِى أَصَابَ ؛ قَتْلَهُ الرَّجُلَ . وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ، وَ(٥ كَلِمَةَ اللَّهِ(٥) وَرُوحَهُ . قالَ : فيَأْتُونَ عِيسَى ، فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ؛ عبدًا(٦) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » . قالَ : « فيَأْتُونِى ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِى دَارِهِ ، فَيُؤْذَنُ لى عَلَيْهِ ، فإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ (٧ رَأْسَكَ يَا(٧) مُحَمَّدُ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَ . (٨ فَأَرْفَعُ رَأْسِى(٨) فَأَحْمَدُ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، فأُخْرِجُهُمْ ، فأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - (٩ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ(٩) - قال : « ثُمَّ أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ ، الثَّانِيَةَ ، فَيُؤْذَنُ لِى عَلَيْهِ ، فإِذَا

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) فى مطبوعة المسند : « خطيئة » .

(٣ - ٣) فى مطبوعة المسند : « بغير » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ح : « كلمته » .

(٦) فى المسند : « عبد الله ورسوله » .

(٧ - ٧) سقط من : ح ، ص .

(٨ - ٨) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٩ - ٩) سقط من : ص .

رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ[1] مُحَمَّدُ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ [2]وَسَلْ تُعْطَ[2] » . قال : « فأَرْفَعُ رَأْسِى ، وَأَحْمَدُ رَبِّى بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ[2] ، فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، فأُخْرِجُهُمْ ، فأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ » - قال همامٌ : وسمِعته يقولُ : « فأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، فأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ » - قال : « ثُمَّ أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، الثَّالِثَةَ ، فإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فيَدَعُنِى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِى ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَ . فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحُدُّ لِى حَدًّا ، فَأُخْرِجُهُمْ[3] مِنَ النَّارِ ، فَأُدْخِلُهُمُ الجنَّةَ » - قال همامٌ : وسمِعته يقولُ : « فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ » - « فَمَا يَبْقَى فِى النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ، أَىْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ » . ثُمَّ تَلَا قَتَادَةُ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] . قال : هو المقامُ المحمودُ الذِى وعَد اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ ، نَبِيَّهُ ﷺ .

وقد روَاه البخارىُّ فى كتابِ التوحيدِ معلَّقًا[4] ، فقال : وقال حجَّاجُ بنُ مِنْهالٍ ، عن همامٍ . فَذَكَرَه بنَحْوِهِ .

طرقٌ أُخَرُ مُتَعددةٌ عن أنسٍ : قال البخارىُّ فى كتابِ التَّوحيدِ[5] : حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، [6]حدَّثنا مَعْبَدُ[6] بنُ هِلالٍ العَنَزِىُّ[7]

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى ص : « فأخرج » .

(٤) البخارى (٧٤٤٠) .

(٥) البخارى (٧٥١٠) .

(٦ - ٦) فى ح : « حدثنا زيد حدثنا سعيد » .

(٧) فى ص : « البغوى » .

قال : اجتمَعْنَا ناسٌ من أهلِ البَصْرَةِ ، فذهَبْنا إلى أنسِ بنِ مالكٍ ، وذهَبنا معنا بثابتٍ البُنانيِّ يسألُه لنا عن حديثِ الشفاعةِ ، فإذا هو فى قصرِه ، فوافَقْناه يصلِّى الضُّحى ، فاسْتَأْذَنَّا ، فأذِن لنا ، وهو قاعدٌ على فراشِه ، فقلْنا لثابتٍ : لا تَسْأَلْه عن شيءٍ أوَّلَ مِنْ حديثِ الشَّفاعةِ . فقال : يا أبا حَمْزةَ ، هؤلاء إخْوانُك مِن أهلِ البصرةِ ، جاءوا يسألونك عن حديثِ الشَّفاعةِ .

فقال : حدَّثَنا محمدٌ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِى بَعْضٍ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ ؛ (١فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ١) . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ؛ (١فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ١) . فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ؛ (١فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ١) . فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِى ، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا . فَأَسْتَأْذِنُ على ربِّى ، فيُؤْذَنُ[٢] لِى ، وَيُلْهِمُنِى مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا ، لَا تَحْضُرُنِى الْآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ[٣] ، (٤وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَهْ٤) . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى[٣] . فَيُقَالُ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ . فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى . فَيُقَالُ :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ح ، ص : « فيأذن » .

(٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤ - ٤) فى المصدر : « وسل تُعْطَ واشفع تشفع » . وكذا فى المواضع التالية .

انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ [1] مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ مِن إيمَانٍ . فأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ، ثُمَّ أَعُودُ ، فَأَحمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى . فَيُقَالُ : انْطَلِقْ ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ [1] أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى [2] مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ . فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ » .

قال : فلمَّا خَرَجْنا مِن عندِ أنسٍ ، قلتُ لبعضِ أصحابى : لو مرَرْنا بالحسنِ وهو مُتَوارٍ فى منزلِ أبى خَليفةَ [3] ، فحدَّثْناه بما حدَّثَنا بهِ أنسُ [١١٥ظ] بنُ مالكٍ . فأتَيْناه فسلَّمْنا عليهِ ، فَأَذِن لَنَا ، فقلْنا له : يا أبا سعيدٍ ، جِئْناك مِن عندِ أخيكَ أنسِ ابنِ مالكٍ ، فلم نَرَ مثلَ ما حدَّثَنا فى الشَّفاعةِ ، فقال : هِيهِ . فحدَّثْناه بالحديثِ [4] ، فانْتَهَيْنا [5] إلى هذا الموضعِ فقال : هِيهِ . فقلْنا : لم يزِدْ لنا على هذا . فقال : لقد حدَّثنى وهو جَميعٌ [6] منذُ عشرينَ سنةً ، فما أدْرِى أَنسِىَ أم كَرِهَ أنْ تَتَّكِلُوا ؟ فقلْنا : يا أبا سعيدٍ ، فحَدِّثْنا . فضحِكَ وقالَ : وخُلِقَ الإنسانُ عَجُولًا ، ما ذكَرْتُه إلا وأنا أُرِيدُ أن أُحَدِّثَكم ، حدَّثنى كما حدَّثَكُم ، قال : « ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ ، فَأَحْمَدُه بِتِلْكَ المَحَامِدِ [2] ، ثُمَّ أَخِرُّ له سَاجِدًا ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) ليس فى صحيح البخارى .

(٣) هو حجاج بن عتاب العبدى البصرى ، والد عمر بن أبى خليفة ، سماه البخارى فى تاريخه ، وتبعه الحاكم أبو أحمد فى الكنى . فتح البارى ١٣/ ٤٧٦.

(٤) سقط من : الأصل ، ح .

(٥) فى صحيح البخارى : « فانتهى » .

(٦) جميع : أى مجتمع العقل ، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذٍ لم يدخل فى الكبر الذى هو مظنة تفرق الذهن ، وحدوث اختلاط الحفظ . فتح البارى ١٣/ ٤٧٦.

وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، ائْذَنْ لِى فِيمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَيَقُولُ : وَعِزَّتِى وَجَلَالِى وَكِبْرِيَائِى وَعَظَمَتِى ، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

وهكذا رواه مسلمٌ[(١)] ، عن أبى الرَّبيعِ الزَّهْرانىِّ وسعيدِ بنِ منصورٍ ، كِلاهُمَا عن حمَّادِ بنِ زيدٍ ، بهِ نحوَه .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ[(٢)] ، عن عفَّانَ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذكَر الحديثَ بطولِه ، وقال : « فَأَحْمَدُ رَبِّى بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِى ، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِى » . وفيه : « فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ » . ثم يَعُودُ ، فيقالُ : « مِثْقَالُ بُرَّةٍ » . ثم يَعُودُ ، فيُقَالُ : « مِثْقالُ ذَرَّةٍ » . ولم يَذْكُرِ الرابعةَ .

وكذَا رواهُ البَزَّارُ[(٣)] ، عن محمدِ بنِ بشارٍ ومحمدِ بنِ مَعْمَرٍ ، كلاهما عن حمادِ بنِ مَسْعَدَةَ[(٤)] ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن جُوثَةَ[(٥)] بنِ عُبَيْدٍ المَدَنىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، فذكَر الحديثَ بطولِه ، [(٦)]وفيه الشفاعةُ ثلاثًا ، ثم قالَ : لم يروِ عن جُوثةَ[(٧)] بنِ عبيدٍ إلا ابنُ عَجلانَ[(٦)] .

---

(١) مسلم (١٩٣/٣٢٦) .

(٢) المسند ٢٤٧/٣ (١٣٦١٥) .

(٣) لم نجده عند البزار ، وذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف ١/ ٤٥٩ . من طريق ابن عجلان ، به .

(٤) فى ح : « زيد » .

(٥) فى الأصل : « حوثبة » ، وفى ح : « حيوة » ، وفى ص : « جونة » ، والمثبت من المؤتلف والمختلف .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ح .

(٧) فى ص : « جونة » . والمثبت من المؤتلف والمختلف .

وكذا رواه أبو يعلَى[1] مِن حديثِ الأعمشِ ، عن يزيدَ الرَّقَاشِيِّ ، عن أنسٍ ، فذكَر الحديثَ بطولِه ، وفيه ثلاثُ شَفاعاتٍ ، وقال فى آخرِهن : « فَأَقُولُ : أُمَّتِى . فَيُقَالُ لِى : لَكَ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . مُخْلِصًا » .

طريقٌ أُخْرَى : قال البَزَّارُ : حدثَّنا عمرُو بنُ علىٍّ ، حدَّثنا حمَّادُ[2] بنُ مَسْعَدةَ ، عن عِمْرانَ العَمِّىِّ ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا أَزَالُ أَشْفَعُ ، وَأُشَفَّعُ - أو قال : وَيُشَفِّعُنِى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى أَقُولَ : أَىْ رَبِّ ، شَفِّعْنِى فِيمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . [3]فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ ، هَذِهِ لِى ، وَعِزَّتِى[4] وَرَحْمَتِى لَا أَدَعُ فِى النَّارِ أَحَدًا يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »[3] . ثم قال : لا نَعْلَمُه يُرْوَى إلا بهذا الإسنادِ . ورواه ابنُ أبى الدنيا ، عن أبى حفصٍ الصَّيْرَفِىِّ ، عن حمادِ بنِ مَسْعَدَةَ ، به .

طريقٌ أخرى : قال أحمدُ[5] : حدَّثنا يُونسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا حربُ بنُ ميمونٍ أبو الخطَّابِ الأنْصارىُّ ، عن النَّضْرِ بنِ أنسٍ ، عن أنسٍ قال : حدَّثنا نبىُّ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّى لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِى تَعْبُرُ الصِّرَاطَ ، إِذْ جَاءَنِى عِيسَى فَقَالَ : هَذِه الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ[6] - أو قالَ : يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ - وَيَدْعُونَ اللَّهَ

---

(١) مسند أبى يعلى (٤١٣٠، ٤١٣٧) ، والحديث ذكره الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٧٣، وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه يزيد الرقاشى ، وهو ضعيف .

(٢) فى النسخ : « عمرو » ، وصُوِّب فى هامش نسختى الأصل ، ح إلى « حماد » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٨٣.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) بعده فى ح : « وجلالى » .

(٥) المسند ٣/١٧٨ (١٢٨٤٧) ، قال الشيخ شعيب : رجاله رجال الصحيح ، وفى متن هذا الحديث غرابة . المسند ٢٠/ ٢٠٩.

(٦) فى الأصل : « يسألونك » ، وفى مطبوعة المسند : « يشتكون » . وانظر مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب ٢٠/٢٠٩ حاشية (٢) .

عَزَّ وجلَّ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ[1] جَمِيعِ[2] الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ [3]يَشَاءُ اللَّهُ ؛ لِغَمٍّ مَا هُمْ فِيهِ ، فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَـرَقِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزُّكْمَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَغْشَاهُ[4] الْمَوْتُ » . قال : « يَا عِيسَى ، انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ » . قال : فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، [5]فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ[5] مُصْطَفًى ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَى جِبْرِيلَ : اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . قال : « فَشَفَعْتُ فِي أُمَّتِي ؛ أَنْ أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا » . قال : « فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شَفَعْتُ حَتَّى أَعْطَانِي اللَّهُ تعالى مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ » . تفرَّد به أحمدُ[3] ، وقد حكَم الترمذيُّ بالحُسْنِ لِهذَا الإسنادِ[6] .

وقال ابنُ أبي الدنيا : حدَّثنا أبو يوسفَ القُلُوسيُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رجاءٍ ، أنبأَنا حربُ بنُ ميمونٍ ، حدَّثني النَّضْرُ بنُ أنسٍ ، عن أنسٍ قال : جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ وقد حضَر مِن أمرِ العبادِ ما حضَر ، فقال : ادْنُ إلى ربِّك ، فسَلْ لأُمتِك الشفاعةَ . قال : « فَدَنَوْتُ مِنَ الْعَرْشِ ، فَقُمْتُ عندَ الْعَرْشِ ، [7]فَلَقِيتُ مَا لَمْ يَلْقَ[7]

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) في المسند : « جمع » .

(٣ - ٣) في الأصل : « شاء . وذكر الحديث بطوله في القضاء بين الناس في ذكر المقام المحمود » .

(٤) في المسند : « فيتغشاه » .

(٥ - ٥) في ح : « فيلقن ما لم يلقن ملك مقرب » .

(٦) الترمذي عقب حديث (٢٤٣٣) .

(٧ - ٧) في ح ، وهامش الأصل : « فلقنت ما لم يلقن » .

نَبِيٌّ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، فَقَالَ : سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » . قال : « أُمَّتِى » . وذكر تمامَ الحديثِ ، كنحوِ ما ساقَهُ الإمامُ أحمدُ .

روايةُ بُرَيْدةَ بنِ الحُصَيْبِ : قال ابنُ أبى الدنيا[1] : حدَّثنا علىُّ بنُ مَعْبدٍ[2] ، حدَّثنا الأسودُ بنُ عامرٍ ، حدَّثنا أبو إسْرائيلَ ، عن الحارثِ بنِ حَصِيرةَ[3] ، عن ابنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : سمِعْتُ النبىَّ ﷺ يقولُ : « إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ أُشَفَّعَ عَدَدَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ لِأُمَّتِى » .

روايةُ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا يَعْمَرُ[5] ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ، حدَّثنا هشامٌ قال : سَمِعْتُ الحسنَ يَذْكُرُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً [6]قَدْ دَعَا[6] بِهَا ، وَإِنِّى اسْتَخْبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخرى : قال الحافظُ البَيْهقىُّ[7] : حدَّثنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسينِ ابنِ داودَ العَلَوىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ حَمْدُويَه بنِ سهلٍ المَرْوَزىُّ ، أبو نصرٍ الغازىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ حمادٍ الآمُلىُّ[8] ، حدَّثنا صَفْوانُ بنُ صالحٍ ، حدَّثنا الوليدُ ،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٣٤٧/٥ (٢٢٩٩٣) ، من طريق الأسود به بنحوه .

(٢) فى الأصل ، ح : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١٤٢.

(٣) فى ص : « خضرة » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٢٤.

(٤) المسند ٣٩٦/٣ (١٥٢٩٨) .

(٥) فى الأصل ، ح : « معمر » . وانظر أطراف المسند ٢/ ١٠، والإكمال ٧/ ٤٣٢.

(٦ - ٦) فى المسند : « فدعا » .

(٧) عزاه الهندى فى كنز العمال ٦٣١/١٤ (٣٩٧٥١) إلى البيهقى فى البعث . والحديث فى شعب الإيمان (٣١١) من طريق زهير بن محمد به .

(٨) فى النسخ : « الأيلى » . والمثبت من تهذيب الكمال ١٤/ ٤٢٩. وانظر الأنساب ١/ ٦٧.

حدثَّنا زُهَيْرُ بنُ محمدٍ ، [1] حدَّثنا جعفرُ بنُ محمدٍ [1] ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » . فقلتُ : ما هذا يا جابرُ ؟ قال : نعمْ يا محمدُ ، إنه مَن زادَت حسَناتُه على سيئاتِه فذلك الذى يَدْخُلُ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ، ومَنِ اسْتَوَت حَسَناتُه وسيئاتُه فذاك الذى يُحاسَبُ [١١٦و] حسابًا يَسيرًا ، ثم يَدْخُلُ الجنةَ ، وإنما شَفاعةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لمَن أوْبَقَ [2] نفسَه ، وأغْلَقَ [3] ظهرَه .

وقد رواه البَيْهقىُّ أيضًا [4] ، عن الحاكمِ ، عن أبى بكرٍ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ أحمدَ المُزَكِّى ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ العَبْدىِّ ، عن يعقوبَ بنِ كعبٍ الحَلَبىِّ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن زُهَيْرِ بنِ محمدٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تلَا : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » . قال الحاكمُ : هذا حديثٌ صحيحٌ . قال البَيْهقىُّ : وظاهرُه يُوجِبُ أن تَكُونَ الشَّفاعةُ فى أهلِ الكبائرِ مُخْتَصَّةً برسولِ اللَّهِ ﷺ ، والملائكةُ إنما يَشْفَعون فى أهلِ الصَّغائرِ ، وزيادةِ الدرَجاتِ ، وقد يَكُونُ المُرادُ مِن الآيةِ بيانَ كونِ المَشفوعِ فيه مُرْتَضًى بإيمانِه ، وإن كانت له كَبائرُ وذنوبٌ دونَ الشِّركِ ، فيَكُونُ المرادُ بالآيةِ نَفْىَ الشَّفاعةِ للكُفارِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى لم يَأْذَنْ فيها ، ولم يَرْضَ اعْتِقادَهم .

(١ - ١) سقط من : الأصل . وهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين الصادق ، وأبوه أبو جعفر الباقر . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٧٤، ٧٥، ٢٦/ ١٣٦، ١٣٧.

(٢) فى ح ، ص : « أوثق » .

(٣) فى الأصل ، ح : «أعلق» . وفى الكنز : « أثقل » . وأغلق ظهره : أثقله بالذنوب . انظر النهاية ٣/ ٣٨٠.

(٤) البعث والنشور (١) .

طريقٌ أخرى : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا ابنُ جُريجٍ[2] ، أخبَرنى أبو الزُّبيرِ أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ[3] قَدْ دَعَا بِهَا فِى أُمَّتِهِ ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . يعنى النبىَّ ﷺ . ورواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ أحمدَ بنِ أبى خَلَفٍ ، عن رَوْحِ بنِ عُبادةَ به[4] .

طريقٌ أخرى : قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثَّنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا زُهَيْرٌ[6] ، حدَّثنا أبو الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا مُيِّزَ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ، فَدَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، قَامَتِ الرُّسُلُ فَشَفَعُوا ، فَيَقُولُ : انْطَلِقُوا - أَوِ اذْهَبُوا - فَمَنْ عَرَفْتُمْ فَأَخْرِجُوه . فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُلْقُونَهُمْ فِى نَهَرٍ - أَوْ عَلَى نَهَرٍ - يُقَالُ لَهُ[7] : الْحَيَاةُ » . قال : « فَيَسْقُطُ مُحَاشُهُمْ[8] عَلَى حَافَتَيِ[9] النَّهَرِ ، وَيَخْرُجُونَ بِيضًا كالثَّعَارِيرِ[10] ، ثُمَّ يَشْفَعُونَ فَيَقُولُ : اذْهَبُوا - أَوِ انْطَلِقُوا - فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِه مِثْقَالَ قِيرَاطٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَأَخْرِجُوهُ » . قال : « فَيُخْرِجُونَ بَشَرًا ، ويَشْفَعُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا - أَوِ انْطَلِقُوا - فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِه مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ » .[11] قال : « فَيُخْرِجُون بَشَرًا[11] .

---

(١) المسند ٣/٣٨٤ (١٥١٥٦) .

(٢) فى ص : « جرير » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨.

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « مستجابة » .

(٤) مسلم (٢٠١/٣٤٥) .

(٥) المسند ٣/ ٣٢٥، ٣٢٦ (١٤٥٣١) .

(٦) فى المسند : « ابن زهير » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٢٠.

(٧) بعده فى الأصل ، ح : « نهر » .

(٨) المحاش : المحترِق . والمعنى يسقط ما احترق منهم . انظر التاج (م ح ش) .

(٩) فى المسند : « حافة » .

(١٠) الثعارير : هى القثاء الصغار ، شُبِّهوا بها ؛ لأن القثاء ينمِى سريعا . وقيل : هى رءوس الطرائيث تكون بيضا ، شبهوا ببياضها ، واحدتها طُرْثُوث ، وهو نبت يؤكل . النهاية ١/ ٢١٢.

(١١ - ١١) سقط من : ص ، وليست فى المسند .

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: أَنَا الآنَ أُخْرِجُ بِعِلْمِى وَرَحْمَتِى. فَيُخْرِجُ أَضْعَافَ مَا أَخْرَجُوا وَأَضْعَافَهُ، فَيُكْتَبُ فِى رِقَابِهِمْ: عُتَقَاءُ اللَّهِ تعالى، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُسَمَّونَ فِيهَا الجَهَنَّمِيِّينَ». تفرَّد به الإمامُ أحمدُ.

طريقٌ أخرى: قال ابنُ أبى الدنيا[1]: حدثَّنا علىُّ بنُ الجَعْدِ، حدَّثنا القاسمُ ابنُ الفضلِ الحُدَّانىُّ[2]، حدَّثنى سعيدُ بنُ المُهَلَّبِ قال: قال طَلْقُ بنُ حَبيبٍ: كنتُ مِن أشدِّ الناسِ تَكْذيبًا بالشَّفاعةِ حتى لقِيتُ جابرَ بن عبدِ اللَّهِ، فقرَأْتُ عليه كلَّ آيةٍ أَقْدِرُ عليها[3] فيها ذكرُ خُلودِ أهلِ النارِ، فقال لى: يا طَلْقُ، أتُراك أَقْرَأَ لكتابِ اللَّهِ وأعْلَمَ بسُنَّةِ نَبِيِّه منِّى؟! قلتُ: لا. قال: إن الذى قرَأْتَه هم المُشْرِكون، ولكن هؤلاء قومٌ أصابوا ذُنوبًا عُذِّبوا بها، ثم أُخْرِجوا مِن النارِ. ثم أوْمَأ بيديه إلى أُذُنَيْه، ثم قال: صَمَّتا، إن لَمْ أَكُنْ سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُه، ونحن نَقْرَأُ الذى تَقْرَأُ.

[4]**حديثُ عُبادةَ بنِ الصامتِ**: قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا الحكمُ[6] بنُ نافعٍ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ، عن راشدِ بنِ داودَ الصَّنْعانىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حَسَّانَ، عن رَوْحِ بنِ زِنْباعٍ، عن عُبادةَ بنِ الصامتِ قال: فقَد النبىَّ ﷺ ليلةً أصحابُه، وكانوا إذا نزَلوا أنْزَلوه وَسْطَهم، ففزِعوا وظنُّوا أن اللَّهَ[4]

---

(١) أخرجه أبو القاسم البغوى فى الجعديات (٣٤١٩) عن على بن الجعد به. كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٣/٣٣٠ (١٤٥٧٤) من طريق القاسم به.

(٢) فى ح: «الحرانى». وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٤١٠.

(٣) بعده فى الأصل: «فى الشفاعة وكل آية».

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) المسند ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦ (٢٢٨٢٣). قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد ثقات على ضعف فى بعضهم. المجمع ١٠/ ٣٦٨.

(٦) فى الأصل، ح: «إبراهيم». والمثبت من المسند. وانظر أطراف المسند ٢/ ٦٤٩.

(١) اخْتار له أصحابًا غيرَهم ، فإذا هم بخَيالِ النبيِّ ﷺ فكبَّروا حينَ رأَوه ، وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أشْفَقْنا أن يَكُونَ اللَّهُ تعالى اخْتار لك أصحابًا غيرَنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا ، بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِى فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْقَظَنِى ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّى لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا إِلَّا وَقَدْ سَأَلَنِى مَسْأَلَةً (٢) أَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ (٢) ، فَسَلْ يَا مُحَمَّدُ تُعْطَهْ . فَقُلْتُ : مَسْأَلَتِى شَفَاعَةٌ لِأُمَّتِى (٣) » . فقال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، وما الشَّفاعةُ ؟ قال : « أَقُولُ : يَارَبِّ شَفَاعَتِى الَّتِى اخْتَبَأْتُ عِنْدَكَ . فَيَقُولُ الرَّبُّ سبحانَه : نَعَمْ . فَيُخْرِجُ رَبِّى بَقِيَّةَ أُمَّتِى (٤) ، فَيَنْبِذُهُمْ فِى الْجَنَّةِ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ (١) .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : قال الإمامُ أحمدُ (٥) : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا حمادُ ابنُ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن أبى نَضْرةَ ، قال : خطَبَنا ابنُ عباسٍ على مِنْبرِ البصرةِ ، فقال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِى الدُّنْيَا ، وَإِنِّى قَدِ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى ، وَأَنَا سَيِّدُ [١١٦ظ] وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِى لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِى وَلَا فَخْرَ ، وَيَطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِى الْبَشَرِ ، فَيَشْفَعَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَنْتَ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى الأصل : « أعطيته إياها » .

(٣) بعده فى المسند : « يوم القيامة » .

(٤) بعده فى المسند : « من النار » .

(٥) المسند ١/ ٢٨١ ، ٢٨٢ (٢٥٤٦) . قال الشيخ شعيب : حسن لغيره دون قول عيسى عليه السلام : إنى اتُّخذت إلهًا من دون اللَّه . فإنه مخالف لما فى الصحيح من أن عيسى لم يذكر ذنبا ، ثم إن هذا لا يُعدُّ ذنبا له . وإسناد هذا الحديث ضعيف ؛ لضعف على بن زيد وهو ابن جدعان . المسند ٤/ ٣٣٢.

وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إِنِّى قَدْ أُخْرِجْتُ مِنَ الْجَنَّةِ بِخَطِيئَتِى ، وَإِنَّه لَا يُهِمُّنِى الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِى ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ . فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إِنِّى دَعَوْتُ بِدَعْوَةٍ أَغْرَقَتْ أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَإِنَّه لَا يُهِمُّنِى الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِى ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إِنِّى كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فِى الْإِسْلَامِ - وَاللَّهِ إِنْ حَاوَلَ بِهِنَّ إِلَّا عَنْ دِينِ اللَّهِ[1] ؛ قَوْلُهُ : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] . وَقَوْلُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٣] . وَقَوْلُهُ لِامْرَأَتِهِ حين أَتَى عَلَى الْمَلِكِ : أُخْتِى - وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِى الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِى ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى الَّذِى اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى ، أَنْتَ الَّذِى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسالَاتِه وبِكَلامِه ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إِنِّى قَتَلْتُ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ، وَإِنَّه لَا يُهِمُّنِى الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِى ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ . فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَيَقُولُ : إِنِّى لَسْتُ هُنَاكُمْ ، إِنِّى اتُّخِذْتُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِى الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِى ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِى وِعَاءٍ مَخْتُومٍ عَلَيْهِ أَكَانَ يُقْدَرُ عَلَى مَا فِى جَوْفِهِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ ؟ » قَالَ : « فَيَقُولُونَ : لَا . فَيَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَيَأْتُونِى ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا . فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا . حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ : أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ ؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ ،

---

(١) قوله : « إن حاول بهن إلا عن دين الله » . معناه ما قصد غير دين الله .

آخِرُ الْأُمَمِ ، أَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ ، فَتُفْرِجُ لَنَا الْأُمَمُ طَرِيقًا[1] ، فَنَمْضِى غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ[2] ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ : كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا ، فَآتِى[3] بَابَ الْجَنَّةِ ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَأَقْرَعُ الْبَابَ ، فَيُقَالُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ . فَيُفْتَحُ لِى فَآتِى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، وهو عَلَى كُرْسِيِّهِ - أو سَرِيرِهِ شكَّ حمَّادٌ - فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِى ، وَلَيْسَ يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِى ، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لك ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » . قال : « فَأَرْفَعُ رَأْسِى ، فَأَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى . فَيَقُولُ : أَخْرِجْ[4] مَن كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا - لم يَحْفَظْ حَمَّادٌ - ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْجُدُ ، فَأَقولُ مَا قُلْتُ ، فَيُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى . فَيَقُولُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا دُونَ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْجُدُ ، وَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لِى : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، [5]وَسَلْ تُعْطَهْ[5] ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أُمَّتِى أُمَّتِى . فَيَقُولُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا . دُونَ ذَلِكَ » .

وقد روَى ابنُ ماجه[6] بعضَه ، مِن روايةِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن سعيدِ بنِ إياسٍ الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى نَضْرةَ الْمُنذِرِ بنِ مالكِ بنِ قِطْعَةَ ، عن ابنِ عباسٍ به . وتقدَّم[7]

---

(١) فى المسند : « عن طريقنا » .

(٢) فى ص : « الوضوء » .

(٣) فى الأصل ، ح : « فنأتى » . وهو موافق لبعض نسخ المسند . انظر المسند ٣٣٢/٤ الحاشية (٤) .

(٤) بعده فى الأصل : « من النار » .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٦) ابن ماجه (٤٢٩٠) .

(٧) تقدم فى ص ١٨٩ وما بعدها .

فى الصِّنْفِ الثانى والثالثِ مِن أصناف الشَّفاعةِ فى أقْوامٍ قد أُمِر بهم إلى النارِ أن لا يَدْخُلُوها .

طريقٌ أخرى : وقد روَى الطَّبرانىُّ فى « مُعْجَمِه الكَبيرِ »[1] ، عن عَطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » .

رِوايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنهما : قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ : حدَّثنا[2] .

[١١٧و] **طريقٌ أخرى** : قال الطَّبرَانىُّ : حدَّثنا[2]

طريقٌ أخرى : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا مُعَمَّرُ[4] بنُ سليمانَ الرَّقِّىُّ أبو عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا زِيادُ بنُ خَيْثَمةَ ، عن علىِّ بنِ النُّعمانِ بنِ قُرَادٍ ، عن رجلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ ، أَوْ يَدْخُلَ[5] نِصْفُ أُمَّتِى الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، لأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى ، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُنَقِّيْنَ ؟ لَا ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُتَلَوِّثِيْنَ الخطاءون[6] » . قال زِيادٌ : أمَا إنَّها لحْنٌ[7] ، لكن

---

(١) المعجم الكبير ١١/١٨٩ (١١٤٥٤) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط باختصار عنه ، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعانى وهو وضاع . المجمع ١٠/ ٣٧٨.

(٢) بعده بياض فى النسخ ، وقد نبه ناسخ (ص) على ذلك فى هامشه .

(٣) المسند ٢/٧٥ (٥٤٥٢) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف لإبهام راويه عن ابن عمر ، ولجهالة على بن النعمان بن قراد ... ولاضطرابه . المسند ٩/ ٣٢٧.

(٤) فى ح : « معتمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٢٦.

(٥) سقط من : ص .

(٦) فى النسخ : « الخطائين » . وأثبتنا ما فى المسند ؛ ليتفق مع قول زياد الآتى .

(٧) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٧/ ٢٢٧: وهكذا قال زياد بن خيثمة ، وما هو بلحن ، بل هو صحيح فصيح ، هو بيان للمتلوثين ، يقول : هم الخطاءون فحذف المبتدأ .

هكذا حدَّثَنا الذى حدَّثَنا .

ورواه ابنُ أبى الدنيا ، عن الحسنِ بنِ عَرَفةَ ، عن عبدِ السلامِ بنِ حربٍ ، عن نعمانَ بنِ قُرَادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، فذكَره بنحوِه . هكذا رأيْتُه فى كتابِ « الأهوالِ » ، وكذا رواه البيهقىُّ فى « البعثِ والنُّشورِ »[1] ، مِن طريقِ الحسنِ بنِ عَرَفةَ .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ : قال مسلمٌ[2] : حدَّثنا يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى الصَّدَفىُّ ، أخْبَرَنا ابنُ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى عمرُو بنُ الحارثِ ، أن بكرَ بنَ سَوَادةَ حدَّثه عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، أن رسولَ اللَّهِ ، ﷺ ، تلا قولَ اللَّهِ تعالى فى إبراهيمَ ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] . وقولَ عيسى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] . فرفَع يَدَيه ، وقال : « اللَّهُمَّ أُمَّتِى أُمَّتِى » . وبكى ، فقال اللَّهُ تعالى : « يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ، فسَلْهُ : مَا يُبْكِيكَ » ؟ فأَتاه جِبْرِيلُ فسأَله ، فأخْبَره رسولُ اللَّهِ ﷺ بما قال ، وهو أعْلَمُ ، فقال اللَّهُ : « يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مَحَمَّدٍ ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِى أُمَّتِكَ ، وَلَا نَسُوءُكَ » .

روايةُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : قد تقدَّمَ[3] روايةُ عَلْقَمةَ عنه فى الحَوْضِ والمَقامِ المحمودِ ، وفيه ذِكرُ الشَّفاعةِ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الاعتقاد ص ١١٩ من طريق الحسن بن عرفة به .
(٢) مسلم (٢٠٢/٣٤٦) .
(٣) تقدم فى ١٩/ ٤٥١.

روايةُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَقِيلٍ : قال البيهقىُّ[1] : حدَّثنا أبو الحسينِ بنُ الفضلِ القَطَّانُ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ ، حدَّثنا زُهَيْرٌ ، حدَّثنا أبو خالدٍ يَزيدُ الأسَدىُّ[2] ، حدَّثنا عَوْنُ بنُ أبى جُحَيْفةَ السُّوَائِىُّ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عَلْقَمةَ الثَّقَفىُّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَقِيلٍ قال : انْطَلَقْتُ إلى النبىِّ ﷺ فى وفدٍ ، فأتَيْناه فأنَخْنا بالبابِ ، وما فى الناسِ أبْغَضُ إلينا مِن رجلٍ نَلِج عليه منه ، فلما خرَجْنا خرَجْنا وما فى الناسِ رجلٌ أحَبُّ إلينا مِن رجلٍ دخَلْنا عليه منه . قال : فقال قائلٌ منهم : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا سأَلْتَ ربَّك مُلْكًا كمُلْكِ سُليمانَ ؟ فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم قال : « فَلَعَلَّ لِصَاحِبِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا أَعْطَاهُ دَعْوَةً ، فَمِنْهُمْ مَنِ اتَّخَذَهَا دُنْيَا فَأُعْطِيَهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا بِهَا عَلَى قَوْمِهِ إِذْ عَصَوْهُ ، فَأُهْلِكُوا بِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِى دَعْوَةً فَاخْتَبَأْتُهَا عِنْدَ رَبِّى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قلتُ : إسنادُه غريبٌ قوىٌّ ، وحديثٌ غريبٌ .

رِوايةُ أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال الحافظُ أبو يَعْلَى[3] : حدَّثنا إسحاقُ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ يونُسَ ، حدَّثنا عَنْبَسةُ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنِ عَنْبَسةَ القُرشىُّ ، عن عِلَاقِ بنِ أبى مُسْلِمٍ ، عن أبانِ بنِ عثمانَ ، عن عثمانَ رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ ؛ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ » .

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم (٨٢٤) من طريق أحمد بن يونس به بنحوه . قال الشيخ الألبانى : حديث صحيح .
(٢) فى المصدر : « الدالانى » . وكلاهما صحيح . انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٧٣.
(٣) رواه ابن ماجه (٤٣١٣) من طريق أحمد بن يونس به . موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٩) .

وقال البَزَّارُ[1] : حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ غِياثٍ ، حدَّثنا عَنْبَسَةُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن عِلَاقِ بنِ أبى مسلمٍ قال : ورأيْتُه فى موضعٍ آخَرَ عندى ، عن عبدِ الملكِ بنِ عِلاقٍ ، عن أبانٍ ، عن عثمانَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ ، ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ[2] » . قال البزَّارُ : عَنْبَسةُ هذا لَيِّنُ الحديثِ ، وعبدُ الملكِ بنُ عِلَاقٍ لا نَعْلَمُ روَى عنه غيرُ عَنْبَسةَ .

روايةُ أميرِ المؤمنين علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال أبو بكرٍ البزَّارُ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ زَبْدَا[4] المذارىُّ ، حدثنا عمرُو بنُ عاصمٍ ، حدَّثنا حربُ بنُ سُريجٍ[5] البَـزَّارُ قال : قلتُ لأبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ : أرأيْتَ هذه الشَّفاعةَ التى يَتَحَدَّثُ بها أهلُ العراقِ ، [١١٧ظ] أحَقٌّ هى ؟ قال : شَفاعةُ ماذا ؟ قلتُ : شَفاعةُ محمدٍ ﷺ . قال : حَقٌّ إِى واللَّهِ ، واللَّهِ لَحَدَّثَنى عمى محمدُ بنُ علىٍّ ابنُ الحَنَفيةِ ، عن علىٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَشْفَعُ لِأُمَّتِى حَتَّى يُنَادِيَنِى رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقُولُ : أَرَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَأَقُولُ : رَبِّ رَضِيتُ » . ثم قال : لا نَعْلَمُه يُرْوَى إلا بهذا الإسنادِ .

روايةُ عوفِ بنِ مالكٍ : قال ابنُ أبى الدنيا[6] : حدَّثنا خالدُ بنُ خِدَاشٍ

---

(١) كشف الأستار (٣٤٧١) . قال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه عنبسة بن عبد الرحمن الأموى وهو مجمع على ضعفه . المجمع ١٠/ ٣٨١.

(٢) فى المصدر : « المؤذنون » .

(٣) البحر الزخار (٦٣٨) . قال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ،وفيه محمد بن أحمد بن زيد المدارى ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم . المجمع ١٠/٣٧٧ .

(٤) فى الأصل ، ح ، والمصدر : « يزيد » ، وفى ص : « زيد » . والمثبت من تهذيب الكمال ٢٢/٨٨ وانظر الإكمال ٤/ ١٧٧.

(٥) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من المصدر ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٢٢.

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦/ ٢٨، ٢٩ (٢٤٠٤٨) ، والترمذى (٢٤٤١) كلاهما من طريق أبى عوانة به بنحوه . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٦) .

وخَلَفُ بنُ هشامٍ ، قالا : حدَّثنا أبو عَوَانةَ ، عن قَتادةَ ، عن أبى المَلِيحِ ، عن عوفِ ابنِ مالكٍ الأشْجَعىِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَتَانِى اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ ، فَخَيَّرَنِى بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِى الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، نَنْشُدُك اللَّهَ والصُّحْبةَ لَمَا جعَلْتَنا مِن أهلِ شَفاعتِك . قال : « فَإِنِّى أُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنَّ شَفَاعَتِى لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِى » .

وقد رواه يعقوبُ بنُ سفيانَ[(١)] ، عن يحيى بنِ صالحٍ الوُحاظِىِّ ، عن جابرِ[(٢)] ابنِ غانم ، عن [(٣)]سُلَيمِ بنِ عامرٍ[(٣)] ، عن مَعْدِيكَرِبَ بنِ عبدِ كُلالٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ [(٤)]عن النبىِّ ﷺ[(٤)] قال : « أَتَانِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ رَبِّى خَيَّرَنِى بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ ؛ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِى الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ » .

وقد رَواه البَيْهقىُّ ، عن الحاكمِ[(٥)] ، عن الأصَمِّ ، عن بحرِ بنِ نصرٍ ، عن بِشْرِ ابنِ بكرٍ ، عن ابنِ[(٦)] جابرٍ ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ ، سِمعْتُ عوفَ بنَ مالكٍ ، فذكَر الحديثَ ، وفيه قصةٌ .

ورَواه حمادُ بنُ زيدٍ[(٧)] ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلَابةَ ، ردَّ الحديثَ إلى عوفِ بنِ مالكٍ .

---

(١) المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٣٧.
(٢) فى ح : « جعفر » . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٥٠١.
(٣ - ٣) فى ح : « سلم بن غانم » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٤٤.
(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المصدر .
(٥) المستدرك ١/ ٦٦.
(٦) سقط من : الأصل . وفى ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥.
(٧) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٨/ ٧٥ (١٣٨) من طريق حماد ، به .

روايةُ كعبِ بنِ عُجْرَةَ : قال البَيْهقيُّ[1] : أنبأنا محمدُ بنُ موسى بنِ الفضلِ ، أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ، حدَّثنا جعفرُ بنُ أبى عمارٍ الطيالسيُّ ، حدثنا محمدُ بنُ بَكَّارٍ ، حدَّثنا عَنْبَسَةُ بنُ عبدِ الواحدِ ، عن واصلٍ مولى أبى عُيَيْنَةَ ، عن أُمَيٍّ[2] أبى عبدِ الرحمنِ ، عن الشعبيِّ ، عن كعبِ بنِ عُجْرَةَ . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، الشَّفاعةُ الشَّفاعةُ . فقال : « شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى » .

روايةُ أبى بكرٍ الصِّديقِ ، رضِى اللَّهُ عنه : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الطَّالْقانيُّ ، حدَّثنى النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ المازِنيُّ ، حدَّثنا أبو نَعامةَ ، حدَّثنا أبو هُنَيْدةَ البَرَاءُ بنُ نوفلٍ ، عن والَانَ العَدَوِيِّ ، عن حذيفةَ ، عن أبى بكرٍ الصديقِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : أصْبَح رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يومٍ فصلَّى الغَداةَ ، ثم جلَس حتى إذا كان مِن الضُّحَى ضحِك [4]رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم جلَس مكانَه حتى صلَّى الأولى والعصرَ والمغربَ ، كلَّ ذلك لا يَتَكَلَّمُ ، حتى صلَّى العِشَاءَ الآخِرةَ[4] ، ثم قام إلى أهلِه ، فقال الناسُ لأبى بكرٍ : ألا تَسْأَلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ما شأنُه ؟ صنَع اليومَ شيئًا لم يَصْنَعْه قَطُّ . فسأَله ، فقال : « نَعَمْ ، عُرِضَ علىَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الْآخِرَةِ ، يُجْمَعُ[5] الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَفَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ وَالْعَرَقُ يَكَادُ يُلْجِمُهُمْ ، فَقَالُوا : يَا آدَمُ ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، أَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ . فقَالَ : لقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ

---

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخه ٣/ ٤٠، والآجرى فى الشريعة (٧٨٠) ، كلاهما من طريق محمد بن بكار به .

(٢) سقط من : ح ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٣٢٨.

(٣) المسند ١/ ٤ (١٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١/ ١٩٥.

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) فى المسند : « فجمع » .

الَّذِى لَقِيتُمْ ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ ، إِلَى نُوحٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا . قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ ، وَاسْتَجَابَ لَكَ فِى دُعَائِكَ ، وَلَمْ يَدَعْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِى ، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا . فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِى ، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى ؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا . فَيَقُولُ مُوسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِى ، [1] وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؛ فَإِنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى . فَيَقُولُ عِيسَى : لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِى ، وَلَكِن [1] انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحمَّدٍ ﷺ فَيَشْفَعَ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ . قال : فَيَنْطَلِقُونَ [2] ، فَيَأْتِى جِبْرِيلُ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ [1] تَعَالَى : ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ . قال : فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ ، فَيَخِرُّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى [1] : ارْفَعْ رَأْسَكَ [3] ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . قال : فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا [١١٨و] نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، خَرَّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . قال : فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ سَاجِدًا ، فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ بِضَبْعَيْهِ [4] ، وَيُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ بِشَىءٍ لَمْ يَفْتَحْه عَلَى بَشَرٍ قَطُّ ، فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، خَلَقْتَنِى سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَىَّ الْحَوْضَ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ . ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى المسند : « فينطلق » .

(٣) بعده فى المسند : « يا محمد » .

(٤) الضبع ، بسكون الباء : وسط العَضُد . وقيل : هو ما تحت الإبط . النهاية ٣/ ٧٣.

الْأَنْبِياءَ . قال : فَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الصِّدِّيقِينَ . فَيَشْفَعُونَ . ثُمَّ يُقَالُ : ادْعُوا الشُّهَدَاءَ ، فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا . قال : فَإِذَا فَعَلَتِ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تعالى : أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، أَدْخِلُوا جَنَّتِى مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِى شَيْئًا . قال : فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ . ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا فى النَّارِ هَلْ تَلْقَوْن مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قال : فَيَجِدُونَ فِى النَّارِ رَجُلًا ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، غَيْرَ أَنِّى كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِى الْبَيْعِ . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَسْمِحُوا[1] لِعَبْدِى كَإِسْماحِهِ إِلَى عَبِيدِى . ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا ، فَيقالُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، غَيْرَ أَنِّى قَدْ أَمَرْتُ وَلَدِى إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِى بِالنَّارِ ، ثُمَّ اطْحَنُونِى ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الكُحْلِ ، فَاذْهَبُوا بِى إِلَى الْبَحْرِ فَاذْرُونِى فِى الرِّيحِ ، فَوَاللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَىَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَبَدًا . فَقَالَ اللَّهُ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ مَخَافَتِكَ . قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرْ إِلَى مُلْكِ أَعْظَمِ مَلِكٍ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهُ وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ . قَالَ : فَيَقُولُ : لِمَ تَسْخَرُ بِى ، وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَذَاكَ الَّذِى ضَحِكْتُ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى » . وقد تكلَّمْنا على هذا الحديثِ فى آخِرِ مُسْنَدِ الصِّديقِ رَضِىَ اللَّهُ عنه[2] .

---

(١) الإسماح : لغة فى السماح يقال : سمَح وأسمح . إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء . النهاية ٢/ ٣٩٨.

(٢) قال الناسخ فى مخطوطة الأصل : « قلت : قال المؤلف فى آخر مسند الصديق فى آخر جامع المسانيد : وقد رواه أبو يعلى والهيثم بن كليب وأبو عوانة الإسفراييني فى صحيحه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما فى حديث النضر بن شميل به . وكان إسحاق بن راهويه يمدح هذا الحديث ، ورواه عن النضر بن شميل واختاره الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج على الصحيحين ، وقد بسطت القول فيه فى المسند الفرد عنه ، وقد رواه البزار عن خلاد بن أسلم عن النضر بن شميل به ، وقال : تفرد به البراء بن نوفل عن والان ولا يعرف لهما غيره على أنه قد رواه جماعة من العلماء واحتملوه . والله سبحانه أعلم » .

روايةُ أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا عُبَيدُ[2] اللَّهِ بنُ المغيرةِ بنِ مُعَيْقِيبٍ ، عن سليمانَ بنِ عمرِو بنِ عبدٍ العُتْوارِىِّ ، قال أحمدُ : وهو أبو الهَيْثَمِ - [3]أحدُ بنى[3] ليثٍ - وكان يَتيمًا فى حِجْرِ أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، قال : سمِعْتُ أبا سعيدٍ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَجْرُوحٌ بِهِ ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ فَمَنْكُوسٌ[4] فِيهَا ، فَإِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِى الدُّنْيَا ، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِمْ ، وَيُزَكُّونَ بِزَكَاتِهِمْ ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَىْ رَبَّنَا ، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِى الدُّنْيَا ، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا ، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا ، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا ، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا ، لَا نَرَاهُمْ ؟! فَيَقُولُ : اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ . قال : فَيَجِدُونَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ [5]أَخَذَتْهُ إِلَى آزِرَتِهِ[5] ، ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَلَمْ تَغْشَ الْوُجُوهَ ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ

---

(١) المسند ٣/ ١١ (١١٠٩٦) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٧/ ١٤٣.

(٢) فى النسخ : « عبد » . والمثبت من تهذيب الكمال ١٩/ ١٦١.

(٣ - ٣) فى النسخ : « قال حدثنى » . والمثبت هو الصواب ، قال ابن حجر فى أطراف المسند ٦/ ٣١١: المعروف أن الذى وصف بكونه كان فى حجر أبى سعيد هو أبو الهيثم نفسه ، فأخشى أن يكون فى قوله « حدثنى ليث » تصحيف وكأنها كانت « أحد بنى ليث » ؛ لأن أبا الهيثم ليثى .

كما قال فى تعجيل المنفعة ص ٣٥٦ بعد أن أورد هذا التصويب : وقد وقع الحديث فى « سنن ابن ماجه » . [٤٢٨٠] على الصواب . وانظر كلام الشيخ شعيب عليه ١٧/ ١٤١.

(٤) فى النسخ : « فمكدوس » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥ - ٥) فى المصدر : « أزرته » .

مِنْهَا ، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِى مَاءِ الْحَيَاةِ » . قيل : يا [١١٨ظ] رسولَ اللَّهِ ، وما الحَياةُ ؟ قال : « غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعَةِ » . وقال مرَّةً : « كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِى غُثَاءِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِى كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ، فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا » . قال : « ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا ، فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا » . تفرَّد به أحمدُ .

ورَواه ابنُ أبى الدنيا ، مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ به ، قال : « يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ » . قال محمدٌ : فلا أعلَمُه قال : إلَّا كحَرْفةِ السَّيْفِ . وذكَر تَمامَ الحديثِ .

طريقٌ أخْرى : قال أحمدُ[1] : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن سليمانَ ، يعنى التَّيْمىَّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَمُوتُونَ ، وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَأَمَّا أُنَاسٌ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمُ الرَّحْمَةَ ، فَيُمِيتُهُمْ فِى النَّارِ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعَاءُ ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الضِّبَارَةَ[2] فَيَبُثُّهُمْ - أو قال : فَيَبُثُّونَ - عَلَى نَهَرِ الحَيَا - أو قال : الحَيَاةِ . أو قال : الْحَيَوَانِ . أو قال : نَهَرِ الْجَنَّةِ - فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فَى حَمِيلِ السَّيْلِ » . قال : فقال النبىُّ ، ﷺ : « أَمَا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضْرَاءَ ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ - أو قال : تَكُونُ صَفْرَاءَ ثُمَّ تَكُونُ خَضْرَاءَ » قال : فقال بعضُهم : كأنَّ النبىَّ ﷺ كان[3] بالباديةِ .

طريق أخْرى : قال أحمدُ[4] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ يزيدَ ، عن

---

(١) المسند ٣/٥ (١١٠٢٩) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٧/ ٦٠.

(٢) الضبارة : مفرد ضبائر ، وهم الجماعات فى تفرقة . النهاية ٣/ ٧١.

(٣) فى الأصل ، ح : « خلق » .

(٤) المسند ٣/١١ (١١٠٩٢) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٧/١٣٥.

أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ أُنَاسٌ - أو كما قال - تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أو قال : بِخَطَايَاهُمْ - فَيُمِيتُهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِى الشَّفاعَةِ ، فَجِىءِ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ . فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ » . فقال رجلٌ مِن القومِ : كأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان بالباديةِ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِ الشَّيخَين[1] ، ولم يُخْرِجاه مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخْرى : قال أحمدُ[2] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ غِياثٍ ، حدَّثنى أبو نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ قال : يُعْرَضُ الناسُ على جِسْرِ جَهنمَ ، عليه حَسَكٌ ، وكَلاليبُ ، وخَطاطيفُ تَخْطَفُ الناسَ . قال : فيَمُرُّ الناسُ مثلَ البَرْقِ ، وآخَرون مثلَ الرِّيحِ ، وآخَرون مثلَ الفرسِ المُجْرَى ، وآخَرون يَسْعَونَ سَعْيًا ، وآخَرون يَمْشُون مَشْيًا ، وآخَرون يَحْبُون حَبْوًا ، وآخرون يَزْحَفُون زَحْفًا ، فأمَّا أهلُ النارِ فلا يَمُوتُون ، ولا يَحْيَوْن ، وأمَّا أُناسٌ فيُؤْخَذون بذُنوبِهم فيُحْرَقون ، فيَكُونون فَحْمًا ، ثم يَأْذَنُ اللَّهُ فى الشَّفاعةِ ، فيُؤْخَذون ضِباراتٍ ضِباراتٍ ، فيُقْذَفون على نهرٍ ، فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ فى حَمِيلِ السَّيْلِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ رَأَيْتُمُ الصَّبْغَاءَ[3] ؟ » قال : وعلى النارِ ثلاثُ شَجَراتٍ ، فيُخْرَجُ - أو يَخْرُجُ - رجلٌ مِن النارِ ، فيَكُونُ على شَفَتِها ، فيقولُ : ياربِّ ، اصْرِفْ وَجْهى

---

(١) أبو نضرة من رجال مسلم دون البخارى ، فالحديث على شرط مسلم فقط .

(٢) المسند ٣/ ٢٥ (١١٢١٦) . قال الشيخ : شعيب إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٧/ ٢٩٦.

(٣) الصبغاء : نبت معروف ، وقيل هو نبت ضعيف كالثُّمام . قال القتيبى : شبه نبات لحومهم بعد احتراقها بنبات الطاقة من النبت حين تطلع تكون صبغاء فما يلى الشمس من أعاليها أخضر ، وما يلى الظل أبيض . النهاية ٣/ ٩.

عنها . قال : فيقول : وعَهْدِك وذمتِك لا تَسْأَلْنى غيرَها ؟ قال : فيَرَى شجرةً ، فيقولُ : ياربِّ أَدْنِنى مِن هذه الشجرةِ أَسْتَظِلَّ بظلِّها ، وآكُلْ مِن ثمرتِها . قال : فيقولُ : وعهدِك وذمتِك لا تَسْأَلْنى غيرَها ؟ قال : فيَرَى شجرةً أخرى أحسنَ منها ، فيقولُ : ياربِّ ، حَوِّلْنى إلى هذه الشجرةِ أَسْتَظِلَّ بظلِّها ، وآكُلْ مِن ثمرتِها . قال : فيقولُ : وعهدِك وذمتِك لا تَسأَلْنى غيرَها ؟ قال : فيرى الثالثةَ ، فيقولُ : ياربِّ ، حَوِّلْنى إلى هذه الشجرةِ أَسْتَظِلَّ بظلِّها ، وآكُلْ مِن ثمرتِها . قال : فيقولُ : وعهدِك وذمتِك لا تَسْأَلْنى غيرَها ؟ قال : فيَرَى سَوادَ الناسِ ، ويَسْمَعُ أصْواتَهم ، فيقولُ : ياربِّ ، أَدْخِلْنى الجنةَ . قال أبو سعيدٍ ورجلٌ آخرُ مِن أصحابِ النبيِّ ، ﷺ ، اخْتَلَفا ، فقال أحدُهما : فيَدْخُلُ الجنةَ ، ويُعْطَى الدنيا ومثلَها[1] . وقال الآخرُ : فيَدْخُلُ الجنةَ ، ويُعْطَى الدنيا وعشَرةَ أمْثالِها .

وقد رَواه النسائىُّ[2] ، مِن حديثِ عثمانَ بنِ غِياثٍ به نحوَه .

روايةُ أبى هريرةَ : قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا سليمانُ ، يعنى ابنَ داودَ ، حدثنا إسماعيلُ ، حدَّثنا عمرٌو ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ . قال : قلتُ للنبيِّ ﷺ : مَن أَسْعَدُ الناسِ بشَفاعتِك يومَ القِيامةِ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَاأَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِى عن هذا الحديثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . خَالِصَةً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ » .

هذا إسنادٌ صحيحٌ ، على شرطِهما ، ولم يُخْرِجاه مِن هذا الوجهِ .

---

(١) بعده فى المسند : « معها » .

(٢) النسائى فى الكبرى (١١٣٢٧) .

(٣) المسند ٣٧٣/٢ (٨٨٤٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده جيد . المسند ٤٤٦/١٤ .

طريقٌ أخْرى : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو معاويةَ ، ويَعْلَى بنُ [١١٩و] عُبَيْدٍ[2] ، قالا : حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى - يعنى شَفَاعَةً - لِأُمَّتِى ، فَهِىَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » . قال يَعْلَى : شَفاعةً .

ورَواه مسلمٌ[3] ، مِن حديثِ أبى مُعاويةَ محمدِ بنِ خازمٍ الضَّرِيرِ ، عن الأعمشِ به .

طريقٌ أخْرى : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا هاشمٌ ، والخُزَاعىُّ ، يعنى أبا سَلَمةَ ، قالا : حدَّثنا ليثٌ ، حدَّثنى يَزيدُ بنُ أَبى حَبيبٍ ، عن سالمِ بنِ أبى سالمٍ ، عن معاويةَ بنِ مُعَتِّبٍ[5] الهُذَلىِّ ، عن أبى هريرةَ ، أنه سمِعه يقولُ : سأَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ : ماذا ردَّ إليك ربُّك فى الشفاعةِ ؟ فقال : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِى عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِى ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَا يُهِمُّنى مِنِ انْقِصَافِهِمْ[6] عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَهَمُّ

---

(١) المسند ٢/٤٢٦ (٩٥٠٠) .

(٢) فى ح : « عبد » . تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٨٩.

(٣) مسلم (١٩٩/٣٣٨) .

(٤) المسند ٢/٣٠٧ (٨٠٥٦) قال الشيخ شعيب : حديث دون قوله : « والذى نفس محمد بيده لما يهمنى ... تمام شفاعتى » وإسناد الحديث قابل للتحسين . المسند ١٣/ ٤٣٣.

(٥) فى ح : « مغيث » وغير واضحة بالأصل . قال ابن حجر فى تعجيل المنفعة ص ٣٠٧: معاوية بن معتب ، ويقال : ابن مغيث ، ويقال : ابن عتبة . ثم قال : ولم أر من ضبط أباه بالغين المعجمة ثم المثلثة .

(٦) فى النسخ : « انقصامهم » . والمثبت من المصدر .

قال ابن الأثير: « لما يهمنى من انقصافهم ...» . يعنى استسعادهم بدخول الجنة ، وأن يَتمَّ لهم ذلك أهمُّ عندى من أن أبلغ أنا منزلة الشافعين المشفعين ؛ لأن قبول شفاعته كرامة له ، فوصولهم إلى مبتغاهم آثرُ عنده من نيل هذه الكرامة ، لِفَرط شَفَقَته على أمته . النهاية ٤/ ٧٣.

عِنْدِى مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِى ، وَشَفَاعَتِى لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ » .

تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخرى : قال الإمامُ أحمدُ[1] : قرَأْتُ على عبدِ الرحمنِ عن[2] مالكٍ ، وحدَّثنا إسحاقُ ، حدَّثنا مالكٌ ، عن أبى الزِّنادِ ، عن الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى فِى الْآخِرَةِ » . قال إسحاقُ : « فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْتَبِئَ » .

وقد رَواه البخارىُّ[3] مِن حديثِ مالكٍ به .

طريقٌ أخْرى : قال مسلمٌ[4] : حدَّثنى حَرْمَلةُ بنُ يَحْيَى ، حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، حدَّثنى يُونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أن عمرَو بنَ أبى سفيانَ بنِ[5] أَسِيدِ بنِ جاريةَ[6] الثَّقَفىِّ ، أَخبرَه أن أبا هُريرةَ قال لكعبِ الأحبارِ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوها ، فَأَنَا أُرِيدُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . فقال كعبٌ لأبى هريرةَ : أنت سمِعْتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال أبو هريرةَ : نعم . تفرَّد به مسلمٌ .

(*)**طريقٌ أخرى** : قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ،

---

(١) المسند ٢/٤٨٦ (١٠٣١٦) .

(٢) ليس فى المسند . وفى ص : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤٣٠.

(٣) البخارى (٦٣٠٤) .

(٤) مسلم (١٩٨/٣٣٧) .

(٥) بعده فى ح ، ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤.

(٦) فى الأصل ، ص : « حارثة » . وانظر المصدر السابق .

(*) من هنا سقط فى « ص » ينتهى فى صفحة ٢٢٩.

(٧) المسند ٢/٢٧٥ (٧٧٠٠) قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٣/١٤١.

عن الزهرىِّ ، أخْبَرنى القاسمُ بنُ محمدٍ قال : اجْتَمَعَ أبو هريرةَ وكعبٌ ، فجعَل أبو هريرةَ يُحَدِّثُ كعبًا عن النبىِّ ﷺ ، وكعبٌ يُحَدِّثُ أبا هريرةَ عن الكتبِ . فقال أبو هريرةَ : قال النبىُّ ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

انْفَرَد به أحمدُ ، وإسنادُه صحيحٌ على شرطِهما ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ مِن هذا الوجهِ .

طريقٌ أخْرى : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيى ، عن شعبةَ ومحمدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن محمدِ بنِ زِيادٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال غُنْدَرٌ فى حديثِه : قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً دَعَا بِهَا ، وَإِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَدَّخِرَ دَعْوَتِى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، شَفَاعَةً لأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال ابنُ جعفرٍ : « فِى أُمَّتِى[2] » .

وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ شعبةَ به[3] .

طريقٌ أخْرى : قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن همامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، حدَّثنا أبو هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ تُسْتَجَابُ لَهُ ، فَأُرِيدُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، أَنْ أَدَّخِرَ[5] دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

---

(١) المسند ٢/٤٣٠ (٩٥٤٨) ، وفى ٢/٤٠٩ (٩٢٩٢) من طريق محمد بن جعفر به بنحوه .
(٢) فى المسند : « أمته » .
(٣) مسلم (١٩٩/٣٤٠) .
(٤) المسند ٢/٣١٣ (٨١١٧) .
(٥) فى المسند : « أؤخر » .

وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطِهما، ولم يُخْرِجاه.

طريقٌ أخرى: قال مسلمٌ[1]: حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنا جَريرٌ، عن عُمارَةَ، وهو ابنُ القَعْقَاعِ، عن أبى زُرْعةَ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ». انفرَد به مسلمٌ.

طريقٌ أخرى: قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ أبى[3] العباسِ، حدَّثنا أبو أُوَيْسٍ قال: قال الزهرىُّ: أخْبَرَنى أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ، أنَّ أبا هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِى لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةً لِأُمَّتِى».

تفرَّد به الإمامُ أحمدُ مِن هذا الوجهِ.

ورَواه عبدُ الرزاقِ[4]، عن مَعْمَرٍ، عن الزهرىِّ.

وقد رَواه البخارىُّ مِن حديثِ شعيبِ بنِ أبى حمزةَ، ومسلمٌ مِن طريقِ مالكٍ، كلاهما عن الزهرىِّ به[5].

طريقٌ أخرى: قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ عُبَيدٍ، حدَّثنا داودُ الأَوْدىُّ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قولِه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ

---

(١) مسلم (١٩٩/٣٣٩).

(٢) المسند ٣٩٦/٢ (٩١٣٢).

(٣) سقط من: ح. وانظر تهذيب الكمال ٤٣٧/١.

(٤) المصنف (٢٠٨٦٤). لكن عن معمر عن همام عن أبى هريرة، بنحوه.

(٥) البخارى (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨/٣٣٤).

(٦) المسند ٤٤١/٢ (٩٦٨٢)، ٥٢٨/٢ (١٠٨٥١).

رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] . قال : « هُوَ الْمَقَامُ الَّذِى أَشْفَعُ لِأُمَّتِى فِيهِ » .

ورَواه الترمذىُّ[(١)] ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن وَكيعٍ ، عن داودَ ، وقال : حسنٌ* .

طريقٌ أخرى : قال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، [١١٩ظ] حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، حدَّثنى العَلاءُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ يعقوبَ ، عن ابنِ دَارَةَ مولى عثمانَ قال : إنَّا لبِالبَقيعِ مع أبى هريرةَ إذ سمِعْناه يقولُ : أنا أعلمُ الناسِ بشفاعةِ محمدٍ ﷺ يومَ القيامةِ . قال : فتَدَاكَّ[(٣)] الناسُ عليه ، فقالوا : إيهِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ . قال : يقولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ عَبْدٍ لَقِيَكَ يُؤْمِنُ بِى لَا يُشْرِكُ بِكَ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

روايةُ أمِّ حبيبةَ : قال البيهقىُّ[(٤)] : حدَّثنا أبو زَكرِيَّا يَحْيى بنُ إبراهيمَ ، المُزكِّى ، أخبَرنا [(٥)]أبو الحسينِ[(٥)] أحمدُ بنُ عُثْمانَ بنِ يحيى الأَدَمِىُّ ، حدَّثنا عبدُ الكريمِ بنُ الهَيْثَمِ ، حدَّثنا شُعَيْبٌ ، عن الزهرىِّ ، عن أَنَسٍ ، عن أمِّ حَبِيبةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قال : « أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِى مِنْ بَعْدِى ، وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ فَأَحْزَنَنِى ذَلِكَ[(٦)] ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ كَمَا سَبَقَ فِى الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُوَلِّيَنِى فِيهِمْ شَفَاعَةً[(٧)] ، فَفَعَلَ » . قال البيهقىُّ : هذا إسنادٌ صحيحٌ .

---

(١) الترمذى (٣١٣٧) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٠٨) .

(*) إلى هنا ينتهى السقط من المخطوطة « ص » والمشار إليه فى ص ٢٢٦.

(٢) المسند ٢/٤٥٤ (٩٨٥١) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن ؛ رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابن دارة فهو حسن الحديث . المسند ١٥/ ٥٣٠.

(٣) تداك : ازدحم . انظر النهاية ٢/ ١٢٨.

(٤) أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/٤٣٢ (٩٠)، وقال : رواه البيهقى فى البعث ، وصحح إسناده . والحديث فى المسند ٦/ ٤٢٧- ٤٢٨ (٧٤٥٠) بنحوه .

(٥ - ٥) فى ح : « أبو الحسن » ، وفى ص : « أبو داود الحسين » . وانظر الأنساب٤/ ٢٠٩.

(٦) ليس فى المصدر .

(٧) بعده فى المصدر : « يوم القيامة » .

ذِكرُ شفاعةِ المؤمنينَ لأهالِيهم

قد تقدَّم حديثُ عُثْمَانَ بنِ عفانَ فى شفاعةِ الأنْبِيَاءِ، ثمَّ الشُّهَدَاءِ، ثمَّ المُؤْمنينَ. رواه البزّارُ[1] وابْنُ مَاجه[2].

وأمَّا مَا أَورَدهُ القُرْطبِىُّ فى «التَّذْكِرَةِ»[3]، مِنْ طَرِيقِ أبى عَمْرِو بنِ[4] السَّمَّاكِ: حَدَّثنا يحيى بنُ جَعْفَرِ بنِ الزِّبْرِقَانِ، أخبَرنا علىُّ بنُ عَاصِمٍ، حدَّثنا خالدٌ الحَذّاءُ[5]، عن سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ، عن أبيه، عن أبى الزَّعْراءِ، قال: قال ابنُ مسعودٍ: يشفعُ نبيُّكم ﷺ رابعَ أَربعةٍ: جِبْرِيلُ، ثمَّ إبراهيمُ، ثم[6] مُوسَى أو[6] عِيسَى، ثمَّ نَبِيُّكم، ثمَّ المَلَائِكةُ، ثمَّ الصِّدِّيقُونَ، ثمَّ الشُّهَداءُ.

وقد رواه أبو داودَ الطَّيالِسىُّ، عن يحيَى بنِ سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ، عن أبيه به[7]، وزاد أبو داودَ فى روايتِه: لا يشفعُ أحَدٌ بعدَه أكْثرَ مِنْه، وهو المَقامُ المحمودُ الَّذِى قال اللَّهُ تَعالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾. فإنّه حديثٌ غريبٌ جِدًّا، ويحيى بنُ سَلَمةَ بنِ كُهَيْلٍ ضَعِيفٌ[8].

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٢١٦.

(٢) بعده فى ح، ص: «ولفظه: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء». ابن ماجه (٤٣١٣). موضوع (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٩).

(٣) التذكرة (١٠٨٠).

(٤) سقط من: ح، ص. وانظر الإكمال ٤/ ٣٥١، وميزان الاعتدال ٣/ ٣١، ولسان الميزان ٤/ ١٣١.

(٥) فى ص: «الخزاعى».

(٦) فى الأصل، ح: «و»:

(٧) مسند الطيالسى (٣٨٩) بنحوه.

(٨) انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٣٦١.

وفى « الصحيح »[1] من طريقِ عَطاءِ بنِ يَسَارٍ ، عن أبى سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الصِّرَاطِ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً فِى الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ مِنْهُمْ لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ فِى إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِى النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنا ، إِخْوَانُنَا كانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، وَيَغْزُونَ مَعَنَا ، فَيُقَالُ لَهُمْ : اذْهَبُوا ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ مِنَ النَّارِ ، [2]ثُمَّ يَقُولُ : نِصْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ يَقُولُ : مِثْقَالَ ذَرَّةٍ . فَأَخْرِجُوهُ مِنَ النَّارِ[2] » . قَالَ أبو سَعِيدٍ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] . قال : « فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِى نَهَرٍ فِى أَفْوَاهِ[3] الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : نَهَرُ الْحَيَاةِ . فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ » .

« فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ ، أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ . ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ . فَيَقُولُونَ : رَبَّنا[4] ، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . فَيُقَالُ : لَكُمْ[5] عِنْدِى أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، أَىُّ شَىْءٍ

---

(١) البخارى (٧٤٣٩) ، مسلم (١٨٣/٣٠٢) كلاهما ، بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الأفواه : جمع فُوَّهة ، وهو جمع سُمِع من العرب على غير قياس ، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها ، قال صاحب المطالع : كأن المراد فى الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٣٢.

(٤) بعده فى ص : « أى شىء أفضل من هذا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « لهم » .

أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فيقُولُ : رِضاىَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .

وفى حديثِ إسماعيلَ بنِ رَافِعٍ ، عَنْ مُحمدِ بنِ كَعْبٍ ، عن رَجُلٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ - بعد ذكرِ دُخولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ -: « فَأَقُولُ : يَارَبِّ ، شَفِّعْنِى فِيمَنْ وَقَعَ فِى النَّارِ مِنْ أُمَّتى . فيقُولُ : نَعَمْ ، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كانَ فِى قَلْبِهِ (١ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إيمَانٍ ، مَنْ كانَ فى قَلْبِهِ ١) ثُلُثَا دِينَارٍ ، نِصْفُ دِينارٍ ، ثُلُثُ دِينارٍ ، رُبُعُ دِينَارٍ ، حَتَّى بَلَغَ قِيرَاطَيْنِ ، أَخْرِجُوا مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ » . قال : « ثُمَّ يُؤْذَنُ فِى الشَّفَاعَةِ ، فَلَا يَبْقَى أَحدٌ إلَّا شُفِّعَ ، (٢ إلَّا اللَّعَّانُ فَإِنَّهُ لَا يَشْفَعُ ، حَتَّى إنَّ إبليسَ لَيَتَطاوَلُ يَوْمَئِذٍ فى النَّارِ رَجَاءَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ ، مِمَّا يَرَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ أَحَـدٌ إلَّا شُفِّعَ ٢) . قال : « فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ : بَقِيتُ أَنَا وَأَنَا أَرْحَمُ [١٢٠و] الرَّاحِمِينَ ، فيُخْرِجُ مِنْهَا مَا لَا يُحْصِى عِدَّتَهُمْ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ ، كأَنَّهُمُ الْحُشُبُ المُحْتَرِقَةُ ، فَيُطْرَحُونَ عَلَى شَطِّ نَهَرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لهُ : الْحَيَوَانُ . فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ » . رواه ابنُ أبى الدنيا(٣) .

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلى(٤) : حدَّثنا العبَّاسُ بنُ الوَليدِ النَرْسِىُّ ، حدَّثنا يُوسُفُ بنُ خَالِدٍ - هُوَ السَّمْتىُّ(٥) - عَنِ الأعْمشِ(٦) ، عن أنَسٍ : أنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « يُعْرَضُ أَهْلُ النَّارِ صُفُوفًا ، فَيَمُرُّ بهمُ المُؤمِنُونَ ، فَيَرَى الرَّجُلُ مِنْ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) تقدم فى حديث الصور ١٩/ ٣٢١.

(٤) مسند أبى يعلى (٤٠٠٦) بنحوه .

(٥) فى ح ، ص : « السمين » . وانظر الأنساب ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) جاء فى هامش الأصل ، ح : « الأعمش لم يدرك أنسًا ، بينهما رجل ، إما يزيد وإما غيره . والله أعلم » .

أَهْلِ النَّارِ الرَّجُلَ [1] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَرَفَهُ [1] فِي الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ [2] : يَا فُلانُ ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَعَنْتَنِي [3] عَلَى حَاجَةِ كَذَا وَكَذَا فَأَعَنْتُكَ [4] ؟ وَيَقُولُ الْآخَرُ : يَا فُلَانُ ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ أَعْطَيْتُكَ - قالَ : أراهُ قال : - كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَذْكُرُ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ ، فَيَعْرِفُهُ ، فَيَشْفَعُ لَهُ إِلَى رَبِّهِ ، فَيُشَفِّعُهُ فِيهِ » . فى إسنادِه ضَعْفٌ .

طريقٌ أخرى عن أنسٍ : قال ابنُ ماجه [5] : حدَّثنا محمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ نُميرٍ ، وعليُّ بنُ محمَّدٍ ، قالا : حدَّثنا [6] وكيعٌ ، عن [6] الأعمشِ ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ ، عن أنسِ بنِ مَالِكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « [7] يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ صُفُوفًا - وَقال ابنُ نُمَيْرٍ : أَهْلُ الْجَنَّةِ [8] وأَهْلُ النَّارِ [8] - فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ [8] مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ [8] ، فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ : أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُك طَهُورًا ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ . وَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَنى فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً ؟ قال : فَيَشْفَعُ لَهُ وَيَمُرُّ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِى لِحَاجَةِ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتُ لَكَ ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ » .

ورواه الطحاويُّ بلفظٍ آخرَ قريبٍ مِنْ هذا المعنَى .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا : حدَّثنى عليُّ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ موسَى ، حدّثنا حَفْصُ بنُ [7]

(١ - ١) فى الأصل : « من المؤمنين من أهل الجنة كان يعرفه » ، وفى ح : « من أهل الجنة كان يعرفه » .

(٢) بعده فى الأصل : « يافلان (طمس) يوم استسقيتنى فسقتك ويقول الآخر » .

(٣) فى ح : « استغثتنى » . وهو كذلك عند الهيثمى ١٠/ ٣٨٢.

(٤) سقط من : ح ، ص .

(٥) ابن ماجه (٣٦٨٥) بنحوه ، مع تقديم وتأخير . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٠٥) .

(٦ - ٦) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٦٢.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨ - ٨) ليست فى المصدر .

(١) عمرَ، أنبأ حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ، عن ثابتٍ، عن الحَسنِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: (١) «يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَارَبِّ، إنَّ فُلَانًا سَقَانِى شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فِى الدُّنْيَا، فَشَفِّعْنِى فِيهِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَيَذْهَبُ فَيَتَحَسَّسُ عَلَيْهِ فِى النَّارِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْهَا».

وهذا مُرْسَلٌ مِنْ مراسيلِ الْحَسَنِ الْحِسَانِ.

وَمِنَ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ فى شَفَاعةِ المؤْمِنِينَ لِأَهَالِيهِمْ:

حَكَى بَعْضُهُمْ عَنْ زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصلاةُ والسَّلامُ أَنَّ فيه مَكْتُوبًا: يَقولُ اللَّهُ عزَّوجلَّ: إنّ عِبادِى الزَّاهِدِينَ أَقُولُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: إنِّى لَمْ أَزْوِ(٢) عَنْكُمُ الدُّنْيا لَهوَانِكُمْ عَلَىَّ، (١)ولا لِعِزَّةِ الدُّنْيَا عِنْدِى(١) وَلكنْ أَرَدْتُ ذلك بكم لتَسْتَوفُوا نَصِيبَكُمُ اليومَ كاملًا مَوْفُورًا عندى، لم تَكْلِمْهُ الدُّنْيَا، وَلَمْ تُشَعِّثْهُ الشهَوَاتُ(٣) فَتَخَلَّلُوا الصُّفُوفَ، فَمَنْ أحببْتُموهُ فى الدُّنْيَا أَوْ قَضَى لَكُمْ حَاجَةً، أَوْ رَدَّ عَنْكُمْ غِيبةً، أو كَسَاكُمْ خِرْقَةً، أو أَطْعَمكُم لُقْمَةً، أو سقاكم شَرْبَةً؛ ابْتَغَاءَ وجهِى وَطَلَبَ مَرْضَاتِى، فَخُذُوا بِيَدِه، وَأَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ.

وروَى الترمذِىُّ وَالبَيْهَقِىُّ مِنْ طَرِيقِ مَالكِ بنِ مِغْوَلٍ(٤)، عَنْ عَطِيةَ، عن أبى سَعِيدٍ، قال: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ مِنْ أُمَّتِى رِجَالًا يَشْفَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِى

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) لم أزو عنكم: لم أصرف عنكم وأقبض. وانظر النهاية ٢/ ٣٢٠.

(٣) تكلمه: تجرحه، وتشعثه: تُفرّقه. والمعنى أنه لم ينقصه سبب من الأسباب. الوسيط (ش ع ث)، (ك ل م).

(٤) الترمذى (٢٤٤٠)، بنحوه، من طريق زكريا بن أبى زائدة وليس من طريق مالك بن مغول عن عطية به، أما رواية البيهقى فلم نقف عليها فى البعث والنشور، ولعله من الجزء الساقط، وقد رواه أحمد فى المسند ٣/٦٣ (١٦٦٢٣) من طريق مالك بن مغول به بنحوه. وقال الشيخ شعيب: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفى. المسند ١٨/ ١٤٩.

الفِئامِ[1] مِنَ النَّاسِ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ ، وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ لِلْقبِيلَةِ ، فَيَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ ، وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ للرَّجُلِ وَأَهْلِهِ ، فيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بشَفَاعَتِهِ » .

وروَى البزَّارُ بسندِه[2] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، مرفوعًا : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ » .

وله من حديثِ سُفيانَ الثوريِّ[3] ، عن آدمَ بنِ عليٍّ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُقالُ للرَّجلِ يَوْمَ الْقِيَامةِ : قُمْ يَا فُلَانُ فَاشْفَعْ . فيقومُ الرَّجُلُ فَيَشْفَعُ لِلْقَبيلَةِ ، وَلأَهْلِ الْبَيْتِ ، وَللرَّجُلِ ، وَلِلرَّجُلَيْنِ ، عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ » .

ومن حديثِ الحسينِ بنِ واقدٍ[4] ، عن أبى غالِبٍ : أَنَّ أبَا أُمَامَةَ حَدَّثَهُ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ[5] مُضَرَ ، [6]وَيَشْفَعُ الرَّجُلُ فى[6] أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَيَشفَعُ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ » .

وروَى البيهقيُّ عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ؛ عن الحَسنِ بنِ مُكْرَم ، عن يَزِيدَ بنِ هَارُونَ[7] ، أَنبَأنا حَريزٌ[8] ، عن عبدِ الرحمنِ - أو عبدِ اللَّهِ - بنِ[9] مَيْسرةَ ، عن

---

(١) الفئام : الجماعة الكثيرة . اللسان (ف أ م) .

(٢) كشف الأستار (٣٤٧٣) . قال الهيثمى : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٢.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١٠٥/٧ من طريق سفيان ، به ، بنحوه .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣٣٠/٨ (٨٠٥٩) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير أبى غالب قد وثقه غير واحد ، وفيه ضعف . مجمع الزوائد ٣٨١/١٠ ، ٣٨٢ .

(٥) فى ح : « عدة » .

(٦ - ٦) بياض فى الأصل .

(٧) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٧/٥ (٢٢٢٦٩) بلفظه من طريق يزيدَ بن هارون به . قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الرحمن بن ميسرة ، وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨١.

(٨) فى النسخ : « جرير » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨.

(٩) بعده فى ح ، ص : « أبى » . وهو عبد الرحمن بن ميسرة . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤٥٠، وأطراف المسند ٦/ ٢٣.

أبى أُمَامَةَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ[1] لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ - أو مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ - رَبِيعَةَ ، وَمُضَرَ » . فقال رجُلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، [2]أوَما [١٢٠ظ] رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ[2] ؟ فقال : « إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا خالدٌ الحَذَّاءُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ قال : جلَسْتُ إلى رَهْطٍ أنا رابعُهم بإيلِياءَ ، فقال أحدُهم : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَكْثَرُ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ » . قلنا : سِواكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « سِوَاىَ » . قلتُ : أنت سمِعْتَه ؟ قال : نعم . [4]فلما قام[4] قلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : ابنُ أبى الجَدْعاءِ .

ثم رواه الإمامُ أحمدُ[5] ، عن غُنْدَرٍ عن شعبةَ ، وعن عفانَ عن وُهَيْبٍ ، كلاهما عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، به ، نحوَه .

ورواه أبو عمرٍو بنُ السَّمَّاكِ ، عن يحيىَ بنِ جعفرٍ[6] ، عن شبابةَ ، عن حَريزِ ابنِ عثمانَ ، عن [7]عبدِ الرحمنِ[7] بنِ ميسرةَ ، وحبيبِ بنِ عُبيدٍ[8] الرَّحَبىِّ ، عن أبى أُمَامةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى الْجَنَّةَ مِثْلُ

---

(١) بعده فى الأصل : « من أمتى » .
(٢ - ٢) فى الأصل ، ح : « وما ربيعة ومضر » .
(٣) المسند ٣/ ٤٦٩ . (١٥٨٩٦) .
(٤ - ٤) سقط من : ح .
(٥) المسند ٥/٣٦٦ (٢٣١٥٤) عن غندر ، ٣/٤٧٠ (١٥٨٩٧) عن عفان .
(٦) ذكره القرطبى فى التذكرة (١٠٨٣) عن ابن المبارك عن يحيى بن جعفر به .
(٧ - ٧) فى النسخ ، والتذكرة : « عبد الله » . والمثبت من تهذيب الكمال ، ١٧/ ٤٥٠ .
(٨) فى النسخ : « عدى » . والمثبت من المصدر ، وانظر الأنساب ٣/ ٤٩ ، ٥٠ ، وتهذيب الكمال ٥/ ٣٨٥ .

أَحَدِ الحيَّيْنِ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، [1]وما رَبِيعَةُ ومُضَرُ[1] . قال : « إنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوِّلُ » . قال : فكان المَشْيَخَةُ يُرَونَ أنَّ ذلك الرجلَ عثمانُ بنُ عفانَ ، رضِى اللَّهُ عنه .

وقال محمدُ بنُ يوسفَ الفِرْيابيُّ[2] : حدَّثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شقيقٍ العُقَيليِّ[3] ، قال : جلَستُ إلى نفرٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، [4]فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى الجَدْعاءِ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[4] يقولُ : « لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتى أَكْثَرُ مِنْ بَنى تَمِيمٍ » . قالوا : سواك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « سِوَاىَ » . قال الفِرْيَابيُّ : يقال : إنَّه عثمانُ بنُ عفَّانَ ، رضى اللَّهُ عنه .

رواه البيهقيُّ ، والترمذيُّ ، وابنُ ماجه ، وغيرُهم ، مِن طرقٍ متعددةٍ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، به[5] .

وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ[6] ، وليس لابنِ أبِى الجَدْعاءِ حديثٌ سواه . وله[7] مِنْ حديثِ أبى معاويةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ

(١ - ١) بياض فى الأصل وفى التذكرة : « وما ربيعة من مضر » .

(٢) أخرجه الآجرى فى الشريعة (١٤٨٣) عن الفريابى من طريق آخر عن أبى أمامة الباهلى مرفوعًا ، بنحوه .

(٣) فى ح : « العتكى » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٨٩.

(٤ - ٤) فى ح : « فقال رجل أو سمعت رجلا منهم » .

(٥) دلائل النبوة ٦/ ٣٧٨، والترمذى (٢٤٣٨) ، وابن ماجه (٤٣١٦) ، والإمام أحمد فى المسند ٣/ ٤٦٩، ٤٧٠ (١٥٨٩٦، ١٥٨٩٧) ، ٥/ ٣٦٦ (٢٣١٥٤) ، والحاكم فى المستدرك ١/ ٧٠، ٧١.

(٦) بعده فى سنن الترمذى : « غريب » . وانظر تحفة الأحوذى ٣/ ٢٩٩.

(٧) قوله : « له » لا يعنى به الترمذى ، ولا يعنى به بالطبع ابن أبى الجدعاء ، وإنما أراد أن للحديث طريقا أخرى من حديث أبى معاوية ، والله أعلم . وقد أخرجه الحاكم ١/ ٧١، بسنده إلى أبى معاوية ، عن داود ، به .

الأَسَدِيِّ ، عن الحارثِ بنِ أُقَيْشٍ[1] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ مِنْ أُمَّتِى [2]مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ[2] مِنْ مُضَرَ ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِى [3]مَنْ سَيَعْظُمُ[3] لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا » . وكذا رواه أحمدُ وابنُ ماجه ، من غيرِ وجهٍ عن داودَ ابنِ أبى هندٍ[4] ، وفى لفظٍ لأحمدَ[5] : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِى لَمَنْ يَشْفَعُ لِأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِى لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهَا » .

وروَى البيهقىُّ[6] مِن حديثِ أبى بكرِ بنِ عياشٍ [7]عن هشامٍ[7] ، عن الحسنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ » . قال هشامٌ : أَخبرَنى حوشبٌ ، عن الحسنِ أنه أُوَيْسٌ القَرَنىُّ . قال أبو بكرِ بنُ عياشٍ : قلتُ لرجلٍ مِن قومِه : أُويسٌ بأىِّ شىءٍ بلَغَ هذا ؟ قال : فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ زيدٍ ، [9]سَمِعتُ أبا سليمانَ[9] العَصَرىَّ ، حدثنى عقبةُ بنُ صُهْبانَ ، سمِعتُ أبا بَكْرةَ عن النبىِّ ﷺ ،

---

(١) فى الأصل : « أقيس » ، وفى ح : « قيس » ، وفى ص : « دقيس » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر الإكمال ١/ ١٠٥، وتهذيب الكمال ٥/ ٢١٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : « لمن يشفع لأكثر » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « لمن يعظم » .

(٤) المسند ٥/٣١٢ - ٣١٣ (٢٢٧١٧) ، وابن ماجه (٤٣٢٣) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٩٠) .

(٥) المسند ٤/٢١٢ (١٧٨٩١) .

(٦) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢٣٩٣) عن أبى أسامة ، والحاكم فى مستدركه ٣/٤٠٥ من طريق أبى بكر بن عياش ، كلاهما عن هشام ، عن الحسن . واللفظ للحاكم .

(٧ - ٧) سقط من : ح .

(٨) المسند ٥/٤٣ (٢٠٤٥٧) .

(٩ - ٩) فى النسخ ، أطراف المسند ٦/ ١١٠: « حدثنا سليمان » . والمثبت من المسند . وانظر الإكمال ٦/ ٣٧٦، والأنساب ٤/ ٢٠٢، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٤١، ٤٤٢ ، وجامع المسانيد ١٣/ ٤٢٤.

قال : « يُحْمَلُ[1] النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَومَ القِيَامَةِ فَتَتَقَادَعُ[2] بِهِمْ جَنَبَتَا[3] الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الفَرَاشِ فِى النَّارِ ، فَيُنَجِّى اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ والنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا ، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ ، [4]وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ[4] - زاد عفَّانُ مرَّةً ، فقال : وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ - مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيمانٍ » .

وقال البيهقىُّ[5] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا الخَضِرُ بنُ أبانٍ ، حدَّثنا سَيَّارٌ[6] ، حدَّثنا جعفرٌ - يعنى ابنَ سليمانَ - حدَّثنا أبو ظِلالٍ ، حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، حدَّثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « سَلَكَ رَجُلَانِ مَفَازَةً ، أَحَدُهُمَا عَابِدٌ ، وَالْآخَرُ بِهِ رَهَقٌ[7] ، ومَعَ الَّذِى بِهِ رَهَقٌ إِدَاوَةٌ ، فيها مَاءٌ ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَابِدِ مَاءٌ ، فَعَطِشَ الْعَابِدُ ، فَقَالَ : أَىْ فُلَانُ ، اسْقِنِى فَهُوَ ذَا أَمُوتُ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَعِى إِدَاوَةٌ ، وَنَحْنُ فِى مَفَازَةٍ ، فَإِنْ سَقَيْتُكَ هَلَكْتُ . فَسَلَكَا ، ثُمَّ إِنَّ الْعَابِدَ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ ، فَقَالَ : أَىْ فُلَانُ ، اسْقِنِى فَهُوَ ذَا أَمُوتُ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَعِى إِدَاوَةٌ ، وَنَحْنُ فِى مَفَازَةٍ ، فَإِنْ

---

(١) فى النسخ : « يحصل » ، وفى أطراف المسند : « يجعل » . والمثبت من المسند .

(٢) فتتقادع : أى تُسقِطهم فيها بعضهم فوق بعض . النهاية ٤/ ٢٤.

(٣) فى المسند : « جنبة » . وجنبتا الصراط : جانباه المصدر السابق ١/ ٣٠٣.

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) أخرجه أبو يعلى (٤٢١٢) ، والطبرانى فى الأوسط (٢٩٢٧) . كلاهما بنحوه ، من حديث الصلت ابن مسعود ، عن جعفر بن سليمان ، به - وقال : لم يرو هذا الحديث عن أبى ظلال إلّا جعفر ، تفرد به الصلت . وقال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وأبو ظلال وثقه البخارى وابن حبان ، وفيه كلام . وقال فى الموضع الآخر : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبى ظلال القسملى ، وقد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد . مجمع الزوائد ٣/ ١٣٢، ١٠/ ٣٨٢. قلت : وأبو ظلال : إنما ذكره ابن حبان فى المجروحين ٣/ ٨٥. فاللَّه أعلم .

(٦) فى ح : « سفيان » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٠٧، ٥/ ٤٣، ٤٥.

(٧) الرهق : السّفه وغِشْيان المحارم . النهاية ٢/ ٢٨٤.

سَقَيْتُكَ هَلَكْتُ . فَسَلَكَا ، ثُمَّ إِنَّ الْعَابِدَ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ ، فَقَالَ : أَىْ فُلَانُ ، اسْقِنِى ؛ فَهُوَ ذَا أَمُوتُ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَعِى إِدَاوَةٌ ، وَنَحْنُ فِى مَفَازَةٍ ، فَإِنْ سَقَيْتُكَ هَلَكْتُ . فَسَلَكَا ، ثُمَّ إِنَّ الْعَابِدَ سَقَطَ ، فَقَالَ : أَىْ فُلَانُ ، اسْقِنِى ؛ فَهُوَ ذَا أَمُوتُ . قَالَ الَّذِى بِهِ رَهَقٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَمُوتُ ضَيَاعًا ، (١)إِنْ تَرَكْتُهُ وَلَمْ أَسْقِهِ(١) لَا تَبِلُّنِى(٢) عِنْدَ اللَّهِ بَالَّةٌ أَبَدًا . فَرَشَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ وَسَقَاهُ ، ثُمَّ سَلَكَا الْمَفَازَةَ ، فَقَطَعَاهَا ، قَالَ : فَيُوقَفَانِ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُؤْمَرُ بِالْعَابِدِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيُؤْمَرُ بِالَّذِى بِهِ رَهَقٌ إِلَى النَّارِ . قال : فَيَعْرِفُ الَّذِى بِهِ رَهَقٌ الْعَابِدَ ، وَلَا يَعْرِفُ الْعَابِدُ الَّذِى بِهِ رَهَقٌ ، فَيُنَادِيهِ : أَىْ فُلَانُ ، أَنَا الَّذِى [١٢١و] آثَرْتُكَ عَلَى نَفْسِى يَوْمَ الْمَفَازَةِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِى إِلَى النَّارِ ، فَاشْفَعْ لِى إِلَى رَبِّكَ . فَيَقُولُ العابدُ : أَىْ رَبِّ ، إِنَّه قَدْ آثَرَنِى عَلَى نَفْسِهِ ، أَىْ رَبِّ هَبْهُ لِىَ الْيَوْمَ . فَيَهَبُهُ لَهُ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ » . زاد فيه : « فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ ، ما أَشَدَّ مَا غَيَّرَتْكَ نِعْمَةُ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ » .

ثم قال البيهقىُّ : وهذا الإسنادُ ، وإن كان غيرَ قوىٍّ فله شاهدٌ مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ؛ حدَّثنا أبو سعدٍ(٣) الزاهدُ إمْلاءً ، حدَّثنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ الحسينِ بنِ منصورٍ ، حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدٍ البُوشَنْجِىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمِىُّ ، حدَّثنا علىُّ بنُ أبى سارَةَ ، عن ثابتٍ البُنانىِّ ، عن أنسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُشْرِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّارِ ، فَيُنَادِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ ، هَلْ تَعْرِفُنِى ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُكَ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِى مَرَرْتَ بِى فِى الدُّنْيَا ،

(١ - ١) فى ح : « فإن لم أسقه » .

(٢) فى ح : « يبالنى » . والمعنى : لا يصيبنى من الله ندى ولا خير . وانظر النهاية ١/ ١٥٤، وانظر مصدر التخريج .

(٣) فى ح : « سعيد » . وانظر الأنساب ٣/ ١٢٤، ١٢٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٠٩ (مخطوط) .

فَاسْتَسْقَيْتَنِى شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ، فَسَقَيْتُكَ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُكَ. قَالَ: فَاشْفَعْ لِى بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ. قَالَ: فَيَسْأَلُ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ يَارَبِّ: إِنِّى أَشْرَفْتُ عَلَى النَّارِ، فَنَادَانِى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُنِى؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِى مَرَرْتَ بِى فِى الدُّنْيَا، فَاسْتَسْقَيْتَنِى شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ، فَسَقَيْتُكَ فَاشْفَعْ لِى بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ. فَشَفِّعْنِى فِيهِ، فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ فَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ»[1].

أَنْبَأَنا[2] أبو طالبٍ طاهرٌ الفَقيهُ، أَنْبَأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ الأَصْبَهانىُّ حَدَّثنا أبو قَبِيصةَ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ الضَّبِّىُّ الأَصْبَهانىُّ البَغْدادىُّ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عِمْرانَ الأَخْنَسِىُّ، سمِعْتُ أبا بكرِ بنَ عَيَّاشٍ [3]جارَ ابنِ هارونَ يُحدِّثُ[3]، عن سليمانَ التَّيْمىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ صُفُوفًا، وَأَهْلَ النَّارِ صُفُوفًا، فَيَنْظُرُ الرَّجُلُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ النَّارِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، مَا تَذْكُرُ يَوْمَ اصْطَنَعْتُ إِلَيْكَ فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ هَذَا اصْطَنَعَ إِلَىَّ فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا. فَيُقَالُ: خُذْ بِيَدِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ». قال أنسٌ: أَشْهَدُ أنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُه. قال: وكذا رواه السَّمْعانىُّ، عن أحمدَ بنِ عِمْرانَ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٤٩٠) عن روح، عن على بن أبى سارة، عن ثابت، عن أنس، بنحوه. قال الهيثمى: رواه أبو يعلى، وفيه على بن أبى سارة، وهو متروك. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٢.

(٢) رواه الخطيب فى تاريخه ٤/ ٣٣٢، من طريق أحمد بن عمران الأخنسى، به، بنحوه.

(٣ - ٣) غير واضح فى: ص. وفى الأصل، ح: «يحدث صالحاً خازن (بياض يسع كلمتين)». والمثبت من مصدر التخريج.

حديثٌ فيه شَفاعةُ الأعمالِ الصالحةِ لصاحبِها عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ

قال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[1] : أخبرنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، عن حُيَيٍّ[2] ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : إن الصيامَ ، والقرآنَ لَيَشْفَعان للعبدِ ؛ يقولُ الصيامُ : ربِّ منَعْتُه الطعامَ والشرابَ والشَّهواتِ بالنهارِ ، فشفِّعْنى فيه . ويقولُ القرآنُ : منَعْتُه النومَ بالليلِ فشفِّعْنى فيه[3] .

وروَى نُعَيْمُ بنُ حمادٍ[4] ، عن إبراهيمَ بنِ الحكمِ بنِ أَبانٍ ، عن أبيه ، عن أبى قِلابةَ ، قال : كان ابنُ أخى يَتَعاطَى الشَّرابَ ، فمرِض ، فبعَث إلىَّ ليلًا أنِ الْحَقْ بى فأتَيْتُه ، فرأَيْتُ أسْوَدَيْن قد دَنَوَا منه ، فقلتُ : إنا للَّهِ ، [5]وإنَّا إليه راجعون[5] ، هلَك ابنُ أخى . فاطَّلَع أبْيَضان مِن الكُوَّةِ[6] التى فى البيتِ ، فقال أَحدُهما لصاحبِه : انْزِلْ إليه . فلما نزَل تنَحَّى عنه الأَسْوَدان[7] ، فشمَّ فاه ، فقال : ما أَرَى فيه[8] ذِكْرًا . ثم شمَّ بطنَه ، فقال : ما أَرَى فيها صيامًا ، ثم شمَّ رجلَيه ، فقال : ما أَرَى فيهما صَلاةً . فقال له صاحبُه : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون ، رجلٌ مِن أمَّةِ محمدٍ ﷺ ليس له مِن الخيرِ شىءٌ ! وَيْحَك ، عُدْ فانْظُرْ . فعاد فنظَر فلم يَجِدْ شيئًا ، فنزَل

(١) أخرجه ابن المبارك مرفوعا فى مسنده (١٠٥) ، والزهد (٣٨٥) فى زيادات نعيم بن حماد .
(٢) فى مسند ابن المبارك : « يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٨ .
(٣) بعده فى مصدرى التخريج : « فيشفعان » .
(٤) رواه القرطبى فى التذكرة ٢/ ٧٤ عن نعيم بن حماد ، به مطولا .
(٥ - ٥) سقط من : ص ، ومصدر التخريج .
(٦) الكوة : الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ونحوه . اللسان (ك و ى) .
(٧) بعده فى مصدر التخريج : « فجاء » .
(٨) فى ص : « فيها » .

الآخرُ فشمَّ ، فلم يَجِدْ شيئًا ، ثم عاد ، فإذا فى طرفِ لسانِه تكبيرةٌ فى سبيلِ اللَّهِ ، قالها ابْتِغاءَ وجهِ اللَّهِ [١٢١ظ] بأنْطَاكِيَةَ ، (١) فقبَضوا رُوحَه ، فشمُّوا (١) فى البيتِ رائحةَ الْمِسْكِ ، وشهِد الناسُ جِنازتَه . حديثٌ غريبٌ جدًّا .

قال العلَّامةُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدٌ القُرْطبىُّ فى « التَّذْكِرةِ » (٢) : وخرَّج أبو القاسمِ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الخُتُّلىُّ فى كتابِ « الدِّيباجِ » له ، حدَّثنا أحمدُ بنُ أبى الحارثِ ، حدَّثنا عبدُ المجيدِ بنُ أبى رَوَّادٍ (٣) ، عن مَعْمَرِ بنِ راشدٍ ، عن الحكمِ ابنِ أَبانٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ؛ إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » . قال : « فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مِثْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . أو قال : « مِثْلَىْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . قال : وأكثرُ ظنِّى أنه قال : « مِثْلَ (٤) أَهْلِ الْجَنَّةِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ : عُتَقَاءُ اللَّهِ » .

وروَى الترمذىُّ (٥) ، عن أنسٍ ، مرفوعًا : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِى يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِى فِى مَقَامٍ » . وقال : حسنٌ غريبٌ .

وله (٦) عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا ، فَقَالَ الرَّبُّ تَعَالَى : أَخْرِجُوهُمَا . فَلَمَّا أُخْرِجَا قَالَ لَهُمَا : لِأَىِّ

(١ - ١) فى مصدر التخريج : « ثم فاضت نفسه وشممت » .
(٢) التذكرة (١٠٩١) .
(٣) فى مصدر التخريج : « داود » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٧١.
(٤) فى مصدر التخريج : « مثلى » .
(٥) الترمذى (٢٥٩٤) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨٦) .
(٦) الترمذى (٢٥٩٩) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٨٧) .

شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا ؟ فَقَالَا : فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا . قَالَ : إِنَّ رَحْمَتِى لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ . فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِى أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ ، فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَيَقُومُ الْآخَرُ ، فَلَا يُلْقِى نَفْسَهُ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ ، عزَّ وجلَّ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ ، كَما أَلْقَى صَاحِبُكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ لَا تُعِيدَنِى فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِى مِنْهَا . فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ : لَكَ رَجَاؤُكَ . فَيَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ جَمِيعًا بِرَحْمَةِ اللَّهِ » .

وفى إسنادِه ضعفٌ لحالِ رِشْدِينَ بنِ سعدٍ ، عن ابنِ أَنْعُمٍ[1] ، وهما ضَعيفان ، ولكن تُغْتَفَرُ رِوايةُ مثلِ هذا فى هذا البابِ ؛ لأنه مِن التَّرغيبِ والترهيبِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارِكِ[2] : أنبأنا رِشْدينُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنا أبو هانئٍ الخَوْلانىُّ ، عن عمرِو بنِ مالكٍ الجَنْبىِّ ، أن فَضَالةَ بنَ عُبيدٍ ، وعُبادةَ بنَ الصامتِ حدَّثاه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، [3]وفَرَغَ[3] اللَّهُ مِنْ قَضَاءِ الْخَلْقِ فَيَبْقَى رَجُلَانِ ، فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى النَّارِ ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمَا ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ : رُدُّوهُ . [4]فَيَرُدُّونَهُ ، فَيَقُولُ[4] لَهُ : لِمَ الْتَفَتَّ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُدْخِلَنِى الْجَنَّةَ . فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ أَعْطَانِى رَبِّى حَتَّى لَوْ أَنِّى أَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى شَيْئًا » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا ذكَره يُرَى السُّرورُ فى وجهِه .

---

(١) فى الترمذى : « نعم » . وهو تصحيف ، والمثبت هو الصواب ، وهو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بن منبه ، تهذيب الكمال ١٧/ ١٠٢.

(٢) أخرجه ابن المبارك فى مسنده (١١٩) ، والزهد (٤٠٩) (زوائد نعيم بن حماد) .

(٣ - ٣) فى مسند ابن المبارك « فرغ » ، وفى الزهد : « فيفرغ » .

(٤ - ٤) فى مسند ابن المبارك : « فيرد فيقال » .

فصـلٌ

فى أصحابِ الأعْرافِ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ﴾ الآياتِ [الأعراف: ٤٦] . قال ابنُ عبـاسٍ وغيرُه[(١)] : الأعْرافُ سُورٌ بيـنَ الجنةِ والنارِ ، [(٢)]وعليه رجالٌ يعرِفون أهلَ الجنةِ وأهلَ النارِ[(٢)] .

وقال الشعبىُّ ، عن صِلَةَ بنِ زُفَرَ ، عن حُذَيْفةَ قال : أصحابُ الأعرافِ قومٌ تَجاوَزَت بهم حَسَناتُهم[(٣)] النارَ ، وقصَّرَت بهم سيئاتُهم عن الجنةِ ، وإذا صُرِفَت أبصارُهم تِلْقاءَ أَصحابِ النارِ قالوا : ربَّنا لا تَجْعَلْنا مع القومِ الظالمين . فبينَماهم كذلك إذ طلَع عليهم ربُّك ، عزَّ وجلَّ ، فقال : قُومُوا ادْخُلوا الجنةَ ؛ فإنى قد غفَرْتُ لكم . رواه البيهقىُّ[(٤)] ، ومِن وجهٍ آخرَ ، عن الشعبىِّ ، عن حذيفةَ مرفوعًا[(٥)] ، وفيه نظرٌ .

وقال سفيانُ الثورىُّ[(٦)] ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، [(٧)]عن مجاهدٍ[(٧)] ، عن

---

(١) تفسير الطبرى ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥ بنحوه ، والبعث والنشور (١٠٨) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) بعده فى الأصل : « عن دخول » ، وبعده فى ح : « عن سيئاتهم دخول » .

(٤) البعث والنشور (١٠٩) ، وأخرجه الحاكم ٣٢٠/٢ من طريق الشعبى ، به وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٥) البعث والنشور (١١١) .

(٦) المصدر السابق (١٢٠) .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ح . وانظر تهذيب الكمال ٢٧ / ٢٢٨.

عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ قال : أَصحابُ الأَعْرافِ رِجالٌ تَسْتَوِى حَسَناتُهم [١٢٢و] وسيئاتُهم ، فيُذْهَبُ بهم إلى نهرٍ يقالُ له : الحياةُ . تُربتُه وَرْسٌ وزَعْفَرانٌ ، وحافَتَاه قصَبٌ[(١)] مِن ذهبٍ مُكَلَّلٍ باللُّؤلؤِ ، فيَغْتَسِلون فيه[(٢)] [(٣)]فيَبْدُو فى نحورِهم شامةٌ بيضاءُ ، ثم يَغْتَسِلون[(٣)] فيَزْدادون بَياضًا ، ثم يقالُ لهم : تمَنَّوْا ما شِئْتُم . فيَتَمَنَّوْن ما شاءوا ، فيُقالُ لهم : لكم ما تمَنَّيْتُم سبعين مرةً . فأولئك مَساكينُ الجنةِ . وقد ورَدَت أحاديثُ فيها غَرابةٌ فى شأنِ أَصحابِ الأعرافِ ، وصفاتِهم ، ترَكْناها لضعفِها ، واللَّهُ أعلمُ .

ذكرُ آخرِ مَن يَخْرُجُ مِن النارِ

ثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[(٤)] مِن حديثِ أبى هريرةَ أخْبَره أنَّ ناسًا قالوا لرسولِ اللَّهِ ﷺ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل نَرَى ربَّنا يومَ القيامةِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قالوا : لا . يا رسولَ اللَّهِ . قال : « هَلْ تُضَارُّونَ فِى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » قالوا : لا . قال : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فِى صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِى يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ :

---

(١) القصب من الذهب : ما استطال منه فى تجويف . وانظر النهاية ٤/ ٦٧.

(٢) فى ص ، ومصدر التخريج : « منه » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح .

(٤) مسلم (١٨٢/٢٩٩) .

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ ، سَلِّمْ . وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ » . قَالُوا : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ (١) لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ (١) تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ (٢) بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، وَيَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ آخِرُ (٣) أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا إِلَى الْجَنَّةِ (٣) ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي (٤) رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا . فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ

(١ - ١) فى صحيح مسلم : « لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله » .

(٢) فى صحيح مسلم : « المؤمن بقى » . وتروى على ثلاثة أوجه ؛ أحدها : المؤمن يقى بعمله ، والثانى : الموثق ، والثالث : الموبَق يعنى بعمله . قال القاضى عياض عن الثالث : هذا أصحها ، وكذا قال صاحب المطالع : هذا الثالث هو الصواب ، قال : وفى يقى على الوجه الأول ضبطان أحدهما بالباء الموحدة ، والثانى بالياء المثناة من تحت من الوقاية . قلت : والموجود فى معظم الأصول ببلادنا هو الوجه الأول . أهـ . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٢١.

(٣ - ٣) فى صحيح مسلم : « أهل الجنة دخولا الجنة » .

(٤) قشبنى : سمنى وآذانى وأهلكنى . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٢٣.

أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ[1] ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِى غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . وَيُعْطِى رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، قَدِّمْنِى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُ اللَّهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أن لَا تَسْأَلَنِى غَيْرَ الَّذِى أُعْطِيتَ ؟ وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ! فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ . وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِى غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ . فَيُعْطِى رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ[2] لَهُ الْجَنَّةُ ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ [١٢٢ظ] الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، أَدْخِلْنِى الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ اللَّهُ سبحانه : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِى غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ . وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ ، مَا أَغْدَرَكَ ! فَيَقُولُ : أَىْ رَبِّ ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ . فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ ، حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَه : تَمَنَّهْ . فَيَسْأَلُ اللَّهَ وَيَتَمَنَّى ، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِىُّ ، قَالَ اللَّهُ عز وجلَّ : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

قال عطاءُ بنُ يزيدَ : وأبو سعيدٍ الخدرىُّ مع أبى هريرةَ لا يَرُدُّ عليه شيئًا مِن حديثِه ، حتى إذا حدَّث أَبو هريرةَ أَن اللَّهَ قال لذلك الرجلِ : « وَمِثْلُهُ مَعَهُ » . قال أَبو سعيدٍ : « وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ » يا أَبَا هريرةَ . قال أبو هريرةَ : ما حفِظتُ إِلَّا قولَه : « ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » . فقال أبو سعيدٍ : أشهَدُ أَنِّى حفِظتُ مِن رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى ص : « أعطيت » ، وفى صحيح مسلم : « فعلت » .

(٢) انفهقت : انفتحت واتسعت . صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٢٤.

ﷺ قولَه : « ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ » . قال أبو هريرةَ : وذلك الرجلُ آخِرُ أهلِ الجنةِ دخولًا الجنةَ . هذا لفظُ مسلمٍ .

ثم ساقَه[1] مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، ثم أورَد الحديثَ مِن روايةِ عطاءِ بنِ يسارٍ[2] ، وغيرِه ، عن أَبى سعيدٍ وساقَه بطولِه ، نحوَه ، وفيه : أنَّه يُعْطَى ذلك وعشرةَ أَمثالِه . وفى بعضِ سياقاتِه : أنَّه يَنْتَقِلُ مِن النارِ إلى بابِ الجنةِ فى ثلاثِ مراحلَ ، كلُّ مرحلةٍ يجلِسُ تحتَ شجرةٍ ، كلُّ واحدةٍ هى أَحسَنُ مِن أُختِها التى قبلَها .

وكذلك رَواه مسلمٌ أيضًا ، مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ[3] ، وفيه : « عَشَرَةُ أَمْثَالِهِ » . كما حفِظه أبو سعيدٍ . واللَّهُ سبحانه وتعالى أعظمُ وأكرمُ وأرأفُ وأرحمُ .

وهكذا رَواه البخاريُّ[4] ، عن ابنِ مسعودٍ ، فقال : حدَّثنا عثمانُ[5] بنُ أبى شيْبةَ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عَبِيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : قال النبىُّ ﷺ : « إِنِّى لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى ، فَيَرْجِعُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى . فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ

---

(١) مسلم (١٨٢/٣٠١) .

(٢) مسلم ١٨٣، ١٨٨.

(٣) مسلم ١٨٦.

(٤) البخارى (٦٥٧١) .

(٥) فى الأصل ، ح : « عفان » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٧٦.

أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِى - أَوْ تَضْحَكُ مِنِّى - وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ » . فَلَقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ضحِك حتَّى بدَتْ نواجِذُه ، وكان يقالُ : ذلك أدنَى أهلِ الجنةِ منزلةً .

فصـــلٌ [1]

روَى الدَارقطنىُّ فى كتابِه « الرواةِ عن مالكٍ » ، والخطيبُ البغدادىُّ [2] ، مِن طريقِ غريبةٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ الحكمِ ، حدَّثنا مالكٌ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ ، يُقَالُ لَهُ : جُهَيْنَةُ . فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِيْنُ ، سَلُوهُ : هَلْ بَقِىَ فِى النَّارِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ ؟ » . وهذا الحديثُ لا تصِحُّ نسبتُه إلى الإمامِ مالكٍ ؛ لجهالةِ رواتِه عنه ، ولو كان محْفوظًا مِن حديثِه لكان فى كتبِه المشهورةِ عنه ، كـ « الموطأ » وغيرِه مِمَّا رَواه عنه الثِّقاتُ . والعجيبُ أنَّ القرْطبىَّ ذكَره فى « التذكرةِ » ، وجزَم به ، فقال : قال ابنُ عمرَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ ، يُقَالُ لَهُ : جُهَيْنَةُ . فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِيْنُ » .

وكذلك ذكَره السُّهَيلىُّ [3] ، ولم يُضَعِّفْه ، وحكَى السُّهَيلىُّ قولًا آخَرَ أنَّ اسمَه هَنَّادٌ . فاللَّهُ أعلمُ [1] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) ذكره القرطبى فى التذكرة ٢/٢٢٢ بنحوه وعزاه إلى الدارقطنى والخطيب البغدادى . وهو حديث موضوع . انظر السلسلة الضعيفة (٣٧٧) .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

وقال مسلمٌ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ [2]عبدِ اللَّهِ[2] بنِ نُمَيرٍ ، حدَّثنا أَبِى ، حدَّثنا [١٢٣و] الأعمشُ ، عن المَعْرورِ بنِ سُويدٍ ، عن أبى ذرٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّى لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ؛ رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ : اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ ، فَيُقَالُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وكَذَا كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً . فَيَقُولُ : رَبِّ ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَـٰهُنَا » . فلقد رأَيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ضحِك حتَّى بَدَتْ نواجِذُه .

وقال الطبرانىُّ[3] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ[4] بنِ يَحيى الرَّقِّىُّ ، حدَّثنا أبو فَرْوةَ يزيدُ بنُ محمدِ بنِ سِنانٍ الرُّهَاوِىُّ ، حدَّثنى أبى عن أبيه ، حدَّثنى أبو يَحيى الكَلاعىُّ ، عن أَبى أُمَامةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ آخِرَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ عَلَى الصِّرَاطِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، كَالْغُلَامِ يَضْرِبُهُ أَبُوهُ ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ يَعْجِزُ عَنْهُ عَمَلُهُ أَنْ يَسْعَى ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ بَلِّغْ بِى الْجَنَّةَ وَنَجِّنِى مِنَ النَّارِ ، فَيُوْحِى اللَّهُ إِلَيْهِ : عَبْدِى ، إِنْ أَنَا نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ ، وَأَدْخَلْتُكَ الْجَنَّةَ أَتَعْتَرِفُ لِى بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ ؟ فَيَقُولُ الْعَبْدُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ وجَلَالِكَ لَئِنْ نَجَّيْتَنِى مِنَ النَّارِ لَأَعْتَرِفَنَّ لَكَ بِذُنُوبِى وَخَطَايَاىَ . فَيَجُوزَ الْجِسْرَ ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ

---

(١) مسلم (١٩٠/٣١٤) .

(٢ - ٢) فى ص : « مسعود » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٦٦.

(٣) المعجم الكبير ١٨٥/٨ (٧٦٦٩) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه من لم أعرفهم ، وضعفاء فيهم توثيق لين . مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٢.

(٤) فى الأصل ، ح : « سعيد » . وانظر المعجم الصغير ١/ ١١٩.

نَفْسِهِ : لَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَهُ بِذُنُوبِى وَخَطَايَاىَ لَيَرُدَّنِى إِلَى النَّارِ . فَيُوحِى اللَّهُ إِلَيْهِ : عَبْدِى ، اعْتَرِفْ لِى بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ أَغْفِرْهَا لَكَ ، وَأُدْخِلْكَ الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ الْعَبْدُ : لَا وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، مَا أَذْنَبْتُ ذَنْبًا قَطُّ ، وَلَا أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً قَطُّ . فَيُوحِى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّ لِى عَلَيْكَ بَيِّنَةً . فَيَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى أَحَدًا فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَرِنِى بَيِّنَتَكَ ، فَيَسْتَنْطِقُ اللَّهُ جِلْدَه بِالْمُحَقَّرَاتِ ، فَإِذَا رَأَى الْعَبْدُ ذَلِكَ يَقُولُ : يَا رَبِّ ، عِنْدِى وَعِزَّتِكَ العَظَائِمُ . فَيُوحِى اللَّهُ إِلَيْهِ : عَبْدِى أَنَا أَعْرِفُ بِهَا مِنْكَ ، اعْتَرِفْ لِى بِهَا أَغْفِرْهَا لَكَ وَأُدْخِلْكَ الْجَنَّةَ . فَيَعْتَرِفُ الْعَبْدُ بِذُنُوبِهِ ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ » . ثُمَّ ضَحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُه ، يقولُ : « هَذَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، فَكَيْفَ بِالَّذِى فَوْقَهُ ؟! » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا حسنُ بنُ موسى ، حدثنا سلَّامٌ - يعنى ابنَ مِسكينٍ - عن أَبى ظِلالٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّ عَبْدًا فِى جَهَنَّمَ لَيُنَادِى[2] أَلْفَ سَنَةٍ : يَا حَنَّانُ ، يَا مَنَّانُ » . قَالَ : « فَيَقُولُ اللَّهُ لِجِبْرِيلَ : اذْهَبْ فَائْتِنِى بِعَبْدِى هَذَا . فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُنْكَبِّين يَبْكُونَ ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ ، فَيُخْبِرُهُ ، فَيَقُولُ : اذهبْ فَائْتِنِى بِهِ ، فَإِنَّه فِى مَكَانِ كَذَا وَكَذَا . فَيَجِىءُ بِهِ ، فَيُوقِفُه عَلَى رَبِّهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِى ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، شَرَّ مَكَانٍ وَشَرَّ مَقِيلٍ . فَيَقُولُ : رُدُّوا عَبْدِى . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِى مِنْهَا أَنْ تَرُدَّنِى فِيهَا . فَيَقُولُ : دَعُوا عَبْدِى » . انفرَد به أحمدُ .

---

(١) المسند ٣/٢٣٠ (١٣٤٣٥) . قال الهيثمى : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير أبى ظلال ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان . المجمع ١٠/ ٣٨٤.

(٢) فى الأصل ، ح : « ينادى » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، أخبرَنا ثابتٌ وأبو عِمرانَ الجَوْنِيُّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَخْرُجُ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّارِ - قال أبو عِمرانَ : أَرْبَعَةٌ . وقال ثابتٌ : رَجُلانِ - فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا . فَيُنَجِّيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهَا » . وهكذا رَواه مسلمٌ مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، به[2] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[3] : حدَّثنى رِشْدينُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنى ابنُ أَنْعُمٍ ، عن أبى عثمانَ ، أنه [١٢٣ظ] حدَّثه عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ يَشْتَدُّ صِيَاحُهُمَا ، فَقَالَ الربُّ جَلَّ جَلَالُهُ : أَخْرِجُوهُمَا . [4]فَأُخْرِجَا ، فَقَالَ لَهُمَا : لِأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا ؟ قَالَا : فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا . قَالَ : رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَيَنْطَلِقَانِ ، فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَيَقُومُ الآخَرُ ، فَلَا يُلْقِي نَفْسَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ تَعَالَى : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ ، كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ ، إِنِّي أَرْجُوكَ أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا . فَيَقُولُ الرَّبُّ : لَكَ رَجَاؤُكَ . فَيَدْخُلَانِ جَمِيعًا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ »[4] .

وذكَر بلالُ بنُ سعدٍ[5] فى خُطْبَتِه أنَّ اللَّهَ تعالى إذا أمَرهما بالرجوعِ إلى النارِ

---

(١) المسند ٣/٢٨٥ (١٤٠٧٣) .

(٢) مسلم (١٩٢/٣٢١) .

(٣) مسند ابن المبارك (١٢٠) ، والزهد (٤١٠) (زوائد نعيم) . كما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله (٥٩) من طريق ابن المبارك به .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح : « قد تقدم هذا الحديث قبل ذكر أصحاب الأعراف » . تقدم فى ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٥) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله (٦٠) بسنده عن بلال بن سعد ، بنحوه .

يَنْطَلِقُ أحدُهما فى أغْلالِه وسَلاسِلِه حتى يَقْتَحِمَها ، ويَتلكَّأُ الآخَرُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى للأوَّلِ : ما حمَلَك على ما صنَعْتَ ؟ فيَقُولُ : إنى خَبَرْتُ مِن وَبالِ معصيتِك ما لم أكنْ أتعرَّضُ لسَخَطِك ثانيًا . ويقولُ للآخرِ : ما حَمَلَك على أنْ تَلَكَّأْتَ ؟ فيقولُ : حسنُ ظنِّى بكَ إذ أخْرَجتنى مِنَها أن لا تعيدَنى فيها . فيرحمُهما اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، ويُدْخِلُهما الجنةَ .

فصلٌ

إذا خرَج أهلُ المَعاصِى مِن النارِ ، فلم يَبْقَ فيها غيرُ الكافرين ، فإنَّهم لا يَمُوتون فيها ولا يَحْيَوْن ، ولا خُروجَ لهم منها ، ولا مَحيدَ لهم عنها ، بل هم خالدون فيها أبدًا ، وهم الذين حبَسَهم القرآنُ ، وحُكِم عليهم بالخلودِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن : ٢٣] . وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥] . وقال تعالى فى سورةِ « النساءِ » فى آخرِها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٨ ، ١٦٩] .

فهذه ثلاثُ آياتٍ ، فيهنَّ الحكمُ عليهم بالخلودِ فى النَّارِ أبدًا ، ليس لهن رابعةٌ مِثلُهُنَّ فى ذلك . وأمَّا قولُه تعالى : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] . وقولُه : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧] . فقد

تكَلَّم ابنُ جَريرٍ[1] وغيرُه مِن المُفَسِّرين على هذه الآياتِ بكلامٍ يطولُ بسْطُه، وجاءَت آثارٌ عن الصحابةِ غريبةٌ، ووَرَدَت أخبارٌ عجيبةٌ، وللكلامِ على ذلك موضعٌ آخَرُ، ليس هذا مَوْضِعَه. واللَّهُ أعلمُ وأحكمُ وأكرمُ[*].

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ، حدَّثنا ابنُ المباركِ، عن عمرَ بنِ محمدِ بنِ زيدٍ، حدَّثنى أبى، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِى النَّارِ جِىءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ. فَازْدَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

وهكذا رواه البخارىُّ، عن مُعاذِ بنِ أسدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ، به مثلَه[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا غَسَّانُ بنُ الرَّبيعِ، مَوْصِلىٌّ، حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلةَ، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَبْشًا أَغْبَرَ[5]، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيُقَالُ: [6]يَا أَهْلَ[6] النَّارِ. فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ،

---

(١) تفسير الطبرى ١٢/١١٨ - ١٢١. وانظر التفسير ٤/ ٢٨١.

(*) بعده زيادة فى الأصل من الناسخ يتخللها أرقام المخطوط [١٢٤و]، [١٢٤ ظ]، [١٢٥ و]، [١٢٥ظ]، [١٢٦ و]، [١٢٦ ظ].

(٢) المسند ٢/١١٨ (٥٩٩٣).

(٣) البخارى (٦٥٤٨).

(٤) المسند ٢/٤٢٣ (٩٤٦٣). قال الشيخ شعيب: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن. المسند ١٥/ ٢٦٦.

(٥) فى المسند: «أغثر». والأغثر هو الكَدِر اللون، كالأغبرِ والأَرْبَد. النهاية ٣/ ٣٤٢.

(٦ - ٦) فى المسند: «لأهل».

وَيُرَوْنَ أَنْ قَدْ جَاءَ الفَرَجُ ، فَيُذْبَحُ وَيُقَالُ : خُلُودٌ لَا مَوْتَ » . وهذا إسنادٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يزيدُ وابنُ نُمَيْرٍ ، قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « يُؤْتَى بِالْمَوتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا - وَقَالَ يَزِيدُ : أَنْ يَخْرُجُوا[2] مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِى هُمْ فِيهِ فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ رَبَّنَا ، هَذَا الْمَوْتُ . ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ [١٢٧و] النَّارِ . فَيَطَّلِعُونَ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِى هُمْ فِيهِ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ . فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا : خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهِ أَبَدًا » . إسنادُه جيدٌ قوىٌّ على شرطِ الصَّحيحِ ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال البَزَّارُ[3] : حدَّثنا بشرُ بنُ آدمَ ، حدَّثنا نافعُ بنُ خالدٍ الطَّاحىُّ ، حدَّثنا نوحُ بنُ قيسٍ الطاحىُّ ، عن أخيه خالدِ بنِ قيسٍ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُذْبَحُ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ » . ثم قال البَزَّارُ : لا نعلمُه يُروَى عن أنسٍ إلا مِن هذا الوجهِ . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) المسند ٢/٢٦١ (٧٥٣٧) . قال الشيخ شعيب : صحيح ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٢/ ٥٠٩.

(٢) كذا ضبط هذا اللفظ فى إحدى نسخ المسند ، وضبط فى الموضع الأول على صيغة المبنى للمجهول . انظر المسند ١٢/٥٠٨ الحاشية (١) .

(٣) كشف الأستار (٣٥٥٧) . قال الهيثمى : رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط بنحوه ، والبزار ، ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحى وهو ثقة . المجمع ١٠/ ٣٩٥، ٣٩٦.

ذكرُ صفةِ الجنةِ وما فيها مِن النَّعيمِ المقيمِ الدائمِ على الأبدِ، لا يَفْنَى ولا يَضْمَحِلُّ ولا يَبيدُ أبدًا بل كُلّماله فى ازديادٍ وبهاءٍ وحُسْنٍ، نَسْأَلُ اللَّـهَ سبحانَه الجنةَ، ونعوذُ به مِن النارِ

(١) قال تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥]. والمُنْقَطِعُ ولو بعدَ أُلوفٍ من السنين ليس بدائمٍ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤]. والمُنْقَطِعُ يَنْفَدُ، وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]. فأخبَرَ أنَّ الدنيا وما فيها يَنْفَدُ، وما عندَ اللَّهِ باقٍ لا يَنْفَدُ، فلو كان له آخِرٌ لكان يَنْفَدُ كما يَنْفَدُ نعيمُ الدنيا. وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق: ٢٥] أَىْ: غيرُ مقطوعٍ. قاله طائفةٌ مِن المفسِّرين؛ غيرُ مقطوعٍ ولا مَنْقوصٍ، ومنه المَنُونُ، وهو قَطْعُ عُمرِ الإنسانِ، وعن مجاهدٍ: غيرُ محسوبٍ. وهو مِثْلُ الأولِ؛ لأنَّ ما يَنْقَطِعُ مَحْسوبٌ مُقَدَّرٌ، بخلافِ مالا نهايةَ له(١).

ذِكْرُ ما ورَد فى عددِ أبوابِ الجَنَّةِ واتّساعِها وعَظَمةِ جَنّاتِها

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣].

(١ - ١) سقط من: ص.

وقد تقدَّم[1] أنَّ المؤمنين إذا انْتَهَوْا إلى بابِ الجنةِ وجَدوه مُغْلَقًا ، فيَسْتَشْفِعون اللَّه ؛ ليُفْتَحَ لهم ، بمحمدٍ[2] ﷺ ، فيأتى بابَ الجنةِ ثم يُقعْقِعُ[3] حَلْقَةَ البابِ ، فيَقولُ الخازنُ : مَن أنتَ ؟ فيقولُ : « محمدٌ » . فيقولُ : بك أُمِرْتُ أن لا أَفْتَحَ لأحدٍ قبلَك[4] .

وثبَت فى « الصحيحِ » أنه أولُ شافعٍ فى الجنةِ[5] ، وأَولُ مَن يُقَعْقِعُ بابَ الجنةِ[6] ، وسيأْتى فى الحديثِ : « مِفْتاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

وروَى الإمامُ أحمدُ ، ومسلمٌ ، وأَهلُ السننِ[7] ، مِن روايةِ عُقْبةَ بنِ عامرٍ وغيرِه ، عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَه إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ[9] ، حدَّثنا عبدُ

---

(١) تقدم فى ١٩/ ٣١٥.

(٢) فى ص : « فذكر فى حديث الصور أنهم يأتون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يحيد عن ذلك كما تقدم فى الصحاح فى المحشر ثم يأتون رسول اللَّه محمدًا » .

(٣) يقعقع الحلقة : يحرّكها لتصوت . والقعقعة : حكاية حركة الشيء يسمع له صوت . النهاية ٤/ ٨٨.

(٤) بعده فى ص : « فيدخل فيشفع عند الله فى دخول المؤمنين دار الكرامة فيشفعه فيكون هو أول من يدخل الجنة من الأنبياء وأمته أول من يدخلها من الأمم » .

(٥) مسلم (١٩٦/٣٣٠) .

(٦) مسلم (١٩٦/٣٣١) .

(٧) المسند ٤/ ١٤٥، ١٥٣ (١٧٣٥٢، ١٧٤٣١) ، مسلم (٢٣٤/١٧) ، وأبو داود (١٦٩) ، والنسائى (١٤٨) ، وفى الكبرى (١٤١) ، والترمذى (٥٥) ، وابن ماجه (٤٧٠) .

(٨) المسند ٥/٣٣٣ (٢٢٨٧٠) .

(٩) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ١٤٧.

الرحمنِ بنُ إسحاقَ ، عن أبى حازمٍ ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « إنَّ فِى الْجَنَّةِ بَابًا يُدْعَى الرَّيَّانَ ، يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَإِذَا دَخَلُوهُ[1] أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ غَيْرُهُمْ » . قال بِشرٌ[2] : فلَقِيتُ أَبا حازمٍ ، فسأَلْتُه ، فحدَّثنى به ، غيرَ أَنِّى لحديثِ عبدِ الرحمنِ أَحْفَظُ .

وقال الطَّبَرانىُّ[3] : حدَّثنا يحيى بنُ عثمانَ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا أبو غسانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فِى الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ؛ بابٌ مِنْهَا يُسَمَّى الرَّيَّانَ ، لا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » .

وقد رواه البُخارىُّ ، عن [١٢٧ظ] سعيدِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، به[4] . ورواه أيضًا مسلمٌ ، مِن حديثِ سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن أبى حازمٍ سَلَمةَ بنِ دينارٍ ، عن سهلٍ ، به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن حُمَيْدِ بنِ [7]عبدِ الرحمنِ[7] ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[8] مِنْ مَالِهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ دُعِىَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَلِلجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ[9] أَبْوَابٍ ،

---

(١) فى الأصل ، ح : « دخلوا » .
(٢) ليس فى المسند .
(٣) المعجم الكبير ٦/١٨٠ (٥٧٩٥) .
(٤) البخارى (٣٢٥٧) .
(٥) مسلم (١١٥٢/١٦٦) .
(٦) المسند ٢/٢٦٨ (٧٦٢١) .
(٧ - ٧) فى الأصل : « عبد الرزاق » ، وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٧٨.
(٨) قال القاضى : قال الهروى فى تفسير هذا الحديث : قيل : وما زوجان . قال : فرسان أو عبدان أوبعيران . وقال ابن عرفة : كل شىء قرن بصاحبه فهو زوج ... وقيل : يحتمل أن يكون هذا الحديث فى جميع أعمال البر . مسلم بشرح النووى ٧/ ١١٦.
(٩) ليست فى المسند .

فمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ[1] الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ[1] الصِّيَامِ دُعِيَ مِن بَابِ الرَّيَّانِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ[1] الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، [2]وَمَنْ كَانَ مِن أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الْجِهَادِ[2] » . فقال أبو بكرٍ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ما على أَحدٍ مِن ضَرورةٍ دُعِيَ[3] ، مِن أَيِّها دُعِيَ ، فهل يُدْعَى منها كلِّها أحدٌ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نَعَمْ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » .

وأَخْرَجاه فى « الصَّحيحَيْن » مِن حديثِ الزُّهرىِّ به[4] ، ولهما مِن حديثِ شَيْبانَ[5] ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ مثلُه[6] .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ [8]عبدِ اللَّهِ[8] بنِ نميرٍ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، حدَّثنا حَريزُ[9] بنُ عثمانَ ، عن شُرَحْبِيلَ بنِ شُفْعةَ قال : لقِيَنى عُتْبَةُ بنُ عبدٍ السُّلَمىُّ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ[10] إِلَّا تَلَقَّوْه مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ » .

---

(١) فى ص : « باب » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) ليست فى المسند .

(٤) البخارى (١٨٩٧) ، مسلم (١٠٢٧/٨٥) .

(٥) فى ص : « سفيان » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٢.

(٦) البخارى (٢٨٤١) ، مسلم (١٠٢٧/٨٦) .

(٧) المسند ٤/ ١٨٣، ١٨٤ (١٧٦٧٦، ١٧٦٨١) من طريق حريز بن عثمان به . حسن (صحيح الجامع ٥٦٤٨) .

(٨ - ٨) فى ص : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٦٦.

(٩) فى النسخ : « جرير » . والمثبت من المسند ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨.

(١٠) لم يبلغوا الحنث : أى لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجرى عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث وهو الإثم . النهاية ١/ ٤٤٩.

ورواه ابنُ ماجه ، عن ابنِ نُمَيْرٍ أيضًا[1] .

وروَى البَيْهقىُّ[2] مِن حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو ، عن أبى المُثَنَّى الأُمْلُوكىِّ[3] ، أنه سمِع عُتْبَةَ بنَ عبدٍ السُّلَمىَّ ، عن النبىِّ ﷺ ، فى حديثٍ ذكَره فى قتالِ[4] المُخْلِصِ والمذْنِبِ والمنافِقِ ، قال فيه : « وَلِلْجَنَّةِ ، ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، وَإِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلذُّنُوبِ ، وَلَا يَمْحُو النِّفَاقَ » . الحديثَ بطولِه .

وتقَدَّم الحديثُ المتفقُ عليه[5] ، مِن حديثِ أبى زُرْعَةَ ، عن أبى هريرةَ ، فى حديثِ الشَّفاعةِ ، قال فيه : « فَيَقُولُ اللَّهُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلْ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِى سائرِ الأَبْوَابِ . والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ وَمَا بَيْنَ عِضَادَتَيِ الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ ، أَوْ كَما بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[6] ، عن خالدِ بنِ عُمَيْرٍ العَدَوىِّ ، أن عُتْبَةَ بنَ غَزْوانَ خطَبهم ، فقال بعدَ حمْدِ اللَّهِ ، والثَّناءِ عليه : أمَّا بعدُ ، فإن الدنيا قد آذَنَت بصُرْمٍ[7] ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ[8] ، وإنَّما بقِى منها صُبَابةٌ[9] كصُبابةِ الإناءِ يَتَصابُّها

---

(١) ابن ماجه (١٦٠٤) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٠٣) .

(٢) البعث والنشور (٢٥٧) .

(٣) فى النسخ ومصدر التخريج : « المليكى » . والمثبت من تهذيب الكمال ١٣/ ٣٢٩، وقال ابن حبان فى الثقات ٤/ ٣٨٩: وهذا الذى يقال له : المليكى . وهو قول ابن المبارك . وقال البخارى وابن أبى حاتم : وهو وهم . التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٨، والجرح والتعديل ٤/ ٤٦٨، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٨، والأنساب ١/ ٢٠٨.

(٤) بعده فى الأصل ، ح : « فى » .

(٥) تقدم فى ١٩/٤١٧، ٤١٨ .

(٦) مسلم (١٤/٢٩٦٧) .

(٧) الصرم : الانقطاع والانقضاء . النهاية ٣/ ٢٦.

(٨) حذاء : خفيفة سريعة . النهاية ١/ ٣٥٦.

(٩) الصبابة : البقية اليسيرة من الشراب تبقى فى أسفل الإناء . النهاية ٣/٥.

صاحبُها ، وإنكم مُنْتَقِلون منها إلى دارٍ لا زَوالَ لها ، فانْتَقِلوا بخيرِ ما بحَضْرَتِكم ؛ [1] فإنه قد ذُكِر لنا أن الحجرَ يُلْقَى مِن شَفَةِ[2] جَهنمَ ، فيَهْوِى فيها سبعين عامًا لا يُدْرِكُ لها قَعْرًا ، ووالله لَتُمْلَأَنَّ ، أفعَجِبْتُم ؟ ولقد[1] ذُكِر لنا أن ما بينَ مِصْراعَيْن مِن مَصارِيعِ الجنةِ مَسِيرةُ أربعين سنةً ، ولَيَأْتِيَنَّ عليه[3] يومٌ وهو كَظِيظٌ مِن الزِّحامِ ، [4] ولقد رَأَيْتُنى سابعَ سبعةٍ[5] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لنا طعامٌ إلَّا ورقُ الشجرِ ، حتى قَرِحَتْ أشداقُنا ، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بينى وبينَ سعدِ بنِ مالكٍ ، فاتَّزَرْتُ بنصفِها ، واتَّزَر سعدٌ بنصفِها ، فما أصبح اليومَ منّا أحدٌ إلا أصبح أميرًا على مِصْرٍ مِن الأمصارِ ، وإنِّى أعوذُ باللَّهِ أن أكونَ فى نفسى عظيمًا وعند اللَّهِ صغيرًا ، وإنها لم تكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إلَّا تناسَخَتْ ، حتى يكونَ آخرُ عاقبتِها مُلْكًا ، فسَتَخْبُرون وتُجَرِّبون الأمراءَ بعدَنا[4] .

وفى « المسندِ »[6] مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن الجُرَيْرِىِّ ، عن حَكيمِ [١٢٨و] ابنِ مُعاويةَ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « [7] أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ آخِرُهَا[7] وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ، وَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عامًا ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيظٌ » .

ورواه البيهقىُّ ، مِن طريقِ علىِّ بنِ عاصمٍ[8] ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ ، عن حَكيمِ

(١ - ١) فى ص : « فلقد » .

(٢) فى الأصل ، ح : « شفير » .والمثبت من صحيح مسلم .

(٣) فى صحيح مسلم : « عليها » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) بعده فى ح : « شهدن » .

(٦) المسند ٥/٣ (٢٠٠٣٧) . إسناده حسن (المشكاة ٦٢٨٥) .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ح : « أنتم آخر الأمم » .

(٨) فى الأصل : « أبى عاصم » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٥٠٤.

ابنِ معاويةَ ، به[1] ، وقال : « مَسِيرَةُ سَبْعِ سِنِينَ » .

وقال يَعقوبُ بنُ سفيانَ[2] : حدَّثنا الفضلُ بنُ الصَّبَّاحِ أبو العباسِ ، حدَّثنا مَعْنُ بنُ عيسى ، حدَّثنا خالدُ بنُ أبى بكرِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَابُ أُمَّتِى الَّتِى تَدْخُلُ مِنْهُ الْجَنَّةَ عَرْضُهُ مَسِيرَةُ الرَّاكِبِ الْمُجَوِّدِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيُضْغَطُونَ[3] عَلَيْهِ حَتَّى تَكَادَ مَنَاكِبُهُمْ تَزُولُ » .

وقد رواه التِّرمذىُّ مِن حديثِ خالدٍ هذا[4] ، ثم قال : وسأَلْتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ البُخارىَّ عن هذا الحديثِ ، فلم يَعْرِفْه ، وقال : لخالدِ بنِ أبى بكرٍ مَناكيرُ عن سالمٍ .

قال البيهقىُّ[5] : وحديثُ عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ : « أَرْبَعِينَ سَنَةً » . أصَحُّ .

وروَى عبدُ بنُ حُمَيْدٍ فى « مسندِهِ »[6] ، عن الحسنِ بنِ موسى الأَشْيَبِ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن دَرّاجٍ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أَبى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : [7] « إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ فِى الْجَنَّةِ لَمَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

فأمَّا حديثُ لَقِيطِ بنِ عامرٍ[8] ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال[7] : « إِنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ

---

(١) البعث والنشور (٢٦٣) .
(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٢٧) ، عن الفضل بن الصباح عن معن بن عيسى به .
(٣) فى الأصل ، ح : « ليضطغطون » .
(٤) الترمذى (٢٥٤٨). ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٦١).
(٥) البعث والنشور (٢٦٠) .
(٦) المنتخب (٩٢٤) .
(٧ - ٧) سقط من : ص .
(٨) تقدم فى ٣٣٧/٧ .

أَبْوَابٍ ، مَا مِنْهُنَّ[1] بَابَانِ[2] إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عامًا » . [3]وكذلك قال فى بُعْدِ ما بين أبوابِ الجنةِ ، فهو[3] حديثٌ مشهورٌ ، وحمَله بعضُ العلماءِ على بُعْدِ ما بينَ البابِ إلى البابِ الآخَرِ ، لا على ما بينَ المِصْراعَيْنِ [4]اللذَيْن فى بابٍ واحدٍ ، بل البابُ[5] يدورُ فى طولِ الجدارِ كما يدورُ حولَ [6]صُدُورِ البلدِ[6] إلى البابِ الآخرِ ؛ لئلَّا يعارضَ ما تقدَّم[4] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذكَر القُرْطبيُّ[7] وادَّعَى أَنَّ للجنةِ ثلاثةَ عشَرَ بابًا ، ولكن لم يُقِمْ على ذلك دليلًا قويًّا أَكثرَ مِن أَنه قال : ومِمَّا يَدُلُّ على أنها أكثرُ مِن ثمانيةٍ حديثُ عمرَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . وفى آخرِه قال : « فُتِحَ لَهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » . خَرَّجه الترمذىُّ وغيرُه[8] . قال[9] : وروَى الآجُرِّيُّ فى كتابِ « النَّصيحةِ » عن أبى هريرةَ مرفوعًا : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ : بَابُ الضُّحَى . يُنَادِى مُنَادٍ : أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُداوِمُونَ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى ؟ هَذَا بَابُكُمْ فادْخُلُوا » . قال[9] : وقال[10] الترمذىُّ الحكيمُ أبو عبدِ اللَّهِ[10] : أَبوابُ الجنةِ منها بابُ محمدٍ ﷺ وهو بابُ التوبةِ ، وبابُ الصلاةِ ، وبابُ

---

(١) فى ح : « فيها » ، وفى ص : « منها » .
(٢) فى ص : « باب » .
(٣ - ٣) فى ص : « فإنه » .
(٤ - ٤) فى ص : « لئلا يتعارض هذا وما تقدم ، والله أعلم » .
(٥) فى ح : « من الباب » .
(٦ - ٦) كذا فى ح . وفى الأصل : « صور البلد » .
(٧) التذكرة ٢/ ٢٧٣.
(٨) تقدم تخريجه فى ص ٢٥٨.
(٩) التذكره ٢/ ٢٧٢.
(١٠ - ١٠) فى الأصل ، ص : « الحليمى » ، وفى ح : « الحلبى » . والمثبت من التذكرة .

الصومِ ، وبابُ الزكاةِ ، وبابُ الصدقةِ ، وبابُ الحجِّ ، وبابُ العُمْرةِ ، وبابُ الجهادِ ، وبابُ الصِّلَةِ . وزاد غيرُه بابَ الكاظِمِين ، وبابَ الراضِين ، والبابَ الأيمنَ الذى يَدْخُلُ منه الذين لا حِسابَ عليهم . وجعَل القُرْطبىُّ البابَ الذى [1] عَرْضُه مَسِيرةُ [1] ثلاثةِ أيامٍ للراكبِ المُجَوِّدِ - كما وقَع عندَ الترمذىِّ - بابًا ثالثَ عشَرَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ [2] : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ [3] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ [4] أَبى حُسَيْنٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

وفى « صحيحِ البُخارىِّ » قال [5] : وقيل لوَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ : أَليس لا إلهَ إلا اللَّهُ مِفْتاحَ الجنةِ ؟ قال : بلى ، ولكن إن جئتَ بمِفْتاحٍ له أسنانٌ فُتِح لك ، وإلَّا لم يُفْتَحْ لك . يعنى : لابُدَّ أن يَكونَ مع التوحيدِ أعمالٌ صالحةٌ مِن فعلِ الطاعاتِ وتركِ المُحَرَّماتِ . [6] واللَّهُ أعلمُ .

وتقدم [7] فى حديثِ علىٍّ ، قال : يُساقُ الذين اتَّقَوْا رَبَّهم إلى الجنةِ زُمَرًا ، حتى إذا انْتَهَوْا إلى أوَّلِ بابٍ مِن أبوابِها ، وَجَدوا عندَه شجرةً . وذكَر الحديثَ [6] .

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « مسيرته » .

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٤/ ١٣٥٦، من طريق إسماعيل بن عياش ، به .

(٣) فى ص : « عباس » .

(٤) فى الأصل : « عن » . وفى ح رسمت هكذا : « عبن » . وانظر الجرح والتعديل ٥/ ٩٧، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٨٠.

(٥) أخرجه البخارى معلقًا فى باب فى الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، من كتاب الجنائز . فتح البارى ٣/ ١٠٩. وانظر تغليق التعليق ٢/ ٤٥٣.

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) تقدم فى ص ١٠٦ .

[١٢٨ظ] ذِكرُ تَعْدادِ مَحالّ الجنةِ وارتفاعِها واتّساعِها

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦، ٤٧] الآيات إلى آخرِ السورةِ.

وثبَت في «الصحيحين»[(١)] مِن حديثِ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ الصمدِ، [(٢)]عن أبي عِمْرانَ الجَوْنيِّ[(٢)]، عن أَبي بكرِ بنِ أبي[(٣)] موسى الأشْعَريِّ، عن أبيه، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ[(٤)] آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

وروَى البيهقيُّ[(٥)] مِن حديثِ مُؤَمَّلِ بنِ إسماعيلَ، عن حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ، عن ثابتٍ، عن أَبي بكرِ بنِ أبي موسى، عن أبيه، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ لِلسَّابِقِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ وَرِقٍ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ».

وقال البُخاريُّ[(٦)]: حدَّثنا قُتَيْبةُ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، [(٧)]عن حُمَيْدٍ[(٧)]، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أَن أُمَّ حارثةَ أتَت رسولَ اللَّهِ ﷺ وقد هلَك حارثةُ يومَ بدرٍ؛ أصابَه سهمٌ غَرْبٌ[(٨)]، فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، قد عَلِمْتَ موقعَ حارثةَ مِن قلبي،

---

(١) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٨٠، ٧٤٤٤)، مسلم (٢٩٦/١٨٠).
(٢ - ٢) سقط من: ص.
(٣) سقط من: ح، ص.
(٤) لفظُ الصحيحين تقديم جنتي الفضة على جنتي الذهب.
(٥) البعث والنشور (٢٤٢).
(٦) البخاري (٦٥٦٧، ٦٥٦٨).
(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ح.
(٨) غرب: لا يعرف راميه. النهاية ٣/ ٣٥٠.

فإن كان فى الجنةِ لم أَبْكِ عليه ، وإلا سوف تَرَى ما أَصْنَعُ . فقال لها : « أَهَبِلْتِ ؟ أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِىَ ؟ ! إِنَّهَا[1] جِنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّه فى الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى » . وقال : « غَدْوَةٌ[2] فى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، [3]وَلَقَابُ[4] قَوْسِ أَحَدِكُمْ - أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ - [5]مِنَ الْجَنَّةِ[5] خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[3] ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ [6]إِلَى الأَرْضِ[6] لأَضَاءَتَ[7] مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِى الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وفى روايةٍ ، عن قَتادةَ أنَّه قال[8] : « الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُها وَأَفْضَلُهَا » . وقد رواه الطَّبَرانىُّ مِن حديثِ سعيدِ بنِ بَشِيرٍ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن سَمُرَةَ مرفوعًا[9] .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ١٠] . وقال تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٥] . وقال تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

---

(١) فى النسخ : « أم » . والمثبت من صحيح البخارى .
(٢) فى ح : « غزوة » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح .
(٤) فى ص : « قاب » . والمثبت من صحيح البخارى .
(٥ - ٥) سقط من : ص . والمثبت من صحيح البخارى .
(٦ - ٦) فى ح : « فى الأرض » ، وفى ص : « على أهل » .
(٧) فى الأصل ، ح : « لأضاء لها » .
(٨) الترمذى (٣١٧٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٥٣٦) .
(٩) المعجم الكبير ٢٥٨/٧ (٦٨٨٦) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى والبزار باختصار وزاد فيه : « فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس » . وأحد أسانيد الطبرانى رجاله وثقوا ، وفى بعضهم ضعف . مجمع الزوائد ٣٩٨/١٠ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو عامرٍ ، حدَّثنا فُلَيحٌ ، عن هلالِ بنِ عليٍّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَمْرةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، هَاجَرَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فى أَرْضِهِ الَّتِى وُلِدَ فِيهَا » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أَفلا نُخْبِرُ الناسَ ؟ قال : « إِنَّ فى الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لِلْمُجَاهِدِينَ فى سَبِيلِهِ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّه وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ - [2]أَوْ تَفَجَّرُ[2] - أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » . [2]شَكَّ أبو عامرٍ[2] .

ورواه البخارىُّ ، عن إبراهيمَ بنِ المنذرِ ، عن محمدِ بنِ فُلَيحٍ ، عن أبيه بمعناه[3] .

وقال الطَّبَرانىُّ[4] : حدَّثنا علىُّ بنُ [5]عبدِ العزيزِ[5] ، حدَّثنا أبو همّامٍ الدَّلّالُ ، حدَّثنا هشامُ بنُ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « مَنْ صَلَّى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ » - لا أَدرِى ذَكَر زكاةً أم لا ؟ - « كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، هَاجَرَ أَوْ قَعَدَ حَيْثُ وَلَدَتْه أُمُّهُ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَلا أَخْرُجُ فأُوذِنُ[6] الناسَ ؟

---

(١) المسند ٢/٣٣٥ (٨٤٠٠) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح المسند ١٤/١٤٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ح .

(٣) البخارى (٧٤٢٣) .

(٤) المعجم الكبير ٢٠/١٥٧، ١٥٨ (٣٢٧) . قال الهيثمى : رواه البزار وهو من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يسمع منه . المجمع ١/٤٧.

(٥ - ٥) فى ص : « عبد الرحمن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٣٤٨.

(٦) فى النسخ : « فآذن » . والمثبت من المعجم الكبير .

فقال : « لَا ، ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ [1] مِنْهَا مِثْلُ [1] مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْهَا الْفِرْدَوْسُ . [2] وَعَلَيْهَا يَكُونُ الْعَرْشُ ، وَهِيَ أَوْسَطُ شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ [2] » .

وهكذا رواه التِّرمذيُّ ، عن قُتَيْبَةَ وأحمدَ بنِ عَبْدةَ[3] ، عن الدَّرَاوَرْدِيِّ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، به[4] . وأخرجَه ابنُ ماجَه ، عن سُوَيْدٍ ، [١٢٩و] عن حفصِ بنِ مَيْسَرةَ ، عن زيدٍ مُخْتَصَرًا[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عَفّانُ ، حدَّثنا همامٌ ، حدَّثنا زيدُ بنُ أسْلَمَ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ » . وقال عَفّانُ : « كَما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً ، وَمِنْهَا تَخْرُجُ الأَنْهَارُ الأَرْبَعَةُ ، وَالْعَرْشُ مِنْ فَوْقِهَا ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

ورواه الترمذيُّ ، عن أحمدَ بنِ مَنِيعٍ ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ ، عن هَمّامِ بنِ يحيى ، به[7] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) ليست فى الطبرانى . وانظر الترمذى (٢٥٣٠) ، ومجمع الزوائد ١/ ٤٧ .

(٣) فى ح : « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٩٧ .

(٤) الترمذى (٢٥٣٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٥٥) .

(٥) ابن ماجه (٤٣٣١) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٩٧) .

(٦) المسند ٥/ ٣١٦ (٢٢٧٤٧) .

(٧) الترمذى عقب الحديث (٢٥٣١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦٥) .

قلتُ : ولا تكونُ هذه الصفةُ إلا فى المُقَبَّبِ ، فإن أعْلَى القُبَّةِ هو أوْسَطُها ، فالجْنةُ واللَّهُ أعلمُ كذلك .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[1] : حدَّثنا أحمدُ بنُ سِنانٍ ، حدَّثنا يَزيدُ بنُ هارونَ ، أخبرنا شَرِيكٌ ، عن محمدِ بنِ جُحَادةَ ، عن عَطاءٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمائةِ عَامٍ » .

ورواه الترمذىُّ ، عن عباسٍ العَنْبَرىِّ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، فذكَره[2] ، وعندَه : « مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ » . وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[3] .

وقال أبو يَعْلَى[4] : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، حدَّثنا حسنٌ ، عن ابنِ لَهِيعَةَ ، حدَّثنا دَرّاجٌ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ ، لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فى إحْدَاهُنَّ لوَسِعَتْهُمْ » . ورواه الترمذىُّ ، عن قُتَيْبَةَ ، عن ابنِ لَهِيعةَ[5] ، ورواه أحمدُ أيضًا[6] .

---

(١) البعث والنشور لابن أبى داود (٦١) .
(٢) الترمذى (٢٥٢٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٥٤) .
(٣) فى الترمذى : « حسن غريب » . وانظر تحفة الأشراف ١٠/ ٢٦٧.
(٤) مسند أبى يعلى (١٣٩٨) .
(٥) الترمذى (٢٥٣٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٥٥) .
(٦) المسند ٣/ ٢٩ (١١٢٥٤) .

ذكرُ ما يَكُونُ لأَدْنَى أهلِ الجنةِ مَنْزِلَةً وأعْلاهم، مِن اتّساعِ المُلْكِ العَظِيمِ، [1]والنَّعيمِ المُقيمِ[1]

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وقد تقدَّم[2] في [3]حديثِ ابنِ مسعودٍ، في[3] آخِرِ مَنْ يَدْخُلِ الجنَّةَ، [4]أن اللَّهَ[4] يقولُ له: «أَمَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا؟» [1]وكذلك في غيرِه مِن الأحاديثِ الصحيحةِ[1].

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن ثُوَيرٍ[6]؛ هو ابنُ أبي فاختَةَ، عن ابنِ عمرَ، رَفَعَه إلى النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَنَعِيمِه وَخَدَمِهِ وسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ أَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ[7] غُدْوَةً وَعَشِيَّةً». ثُمَّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) تقدم في ص ٧٤.

(٣ - ٣) في ص: «الحديث المتفق عليه من رواية منصور عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في ذكر».

(٤ - ٤) في ص: «من أمته».

(٥) المسند ٢/٦٤ (٥٣١٧). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف جدًّا. المسند ٩/ ٢٢٩.

(٦) في ص: «ثور». وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٢٩.

(٧) في الأصل، ح: «وجه الله».

وقال أيضًا[1] : حدَّثنا أبو مُعاوية ، حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ أَبْجَرَ[2] ، عن ثُوَيْرِ بنِ أبى فاخِتةَ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِى مُلْكِه[3] أَلْفَىْ سَنَةٍ ، يَرَى أَقْصَاهُ كَما يَرَى أَدْنَاهُ ، يَنْظُرُ أَزْوَاجَهُ وَخَدَمَهُ ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » .

ورواه التِّرمذىُّ ، عن [4]عبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، عن[4] شَبابةَ ، عن إسرائيلَ ، عن ثُوَيْرٍ[5] ، به[6] . قال : وقد رُوِى مِن غيرِ وجهٍ ، عن إسرائيلَ ، عن ثُوَيْرٍ ، عن ابنِ عمرَ مرفوعًا . قال : ورواه الثورىُّ[7] ، عن ثُوَيْرٍ[5] ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عمرَ قولَه[8] . قال : ورواه عبدُ الملكِ بنُ أَبْجَرَ ، عن ثُوَيْرٍ[5] ، عن ابنِ عمرَ موقوفًا . كذا قال .

وقد تقدَّم روايةُ أحمدَ بهذه الطريقِ مرفوعًا .

وروَى مسلمٌ والطَّبَرانىُّ[9] - وهذا لفظُه - مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، حدَّثنا مُطَرِّفُ بنُ طَرِيفٍ وعبدُ الملكِ بنُ سعيدِ بنِ أَبْجَرَ ، عن الشعبىِّ ، عن المُغيرةِ

---

(١) المسند ٢/١٣(٤٦٢٣) . قال الشيخ شاكر : إسناده ضعيف جدًّا .
(٢) فى ح : « الحر » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣١٣.
(٣) فى الأصل ، ح : « ملكه » .
(٤ - ٤) فى الأصل ، ح : « عبد الله بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢٤، ١٢/ ٣٤٣.
(٥) فى ص : « ثور » .
(٦) الترمذى (٢٥٥٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٦٤) .
(٧) فى الترمذى : « عبيد الله الأشجعى عن سفيان » .
(٨) بعده فى الترمذى : « ولم يرفعه » .
(٩) مسلم (٣١٢، ٣١٣/١٨٩) ، والمعجم الكبير ٢٠/٤١٢ (٩٨٩) .

ابنِ شُعبةَ - رفَعه ابنُ أبْجَرَ، ولم يَرْفَعْه مُطَرِّفٌ - قال: «قال[1] موسى عليه السلامُ: يا ربِّ، أَخْبِرْنى عن أَدْنى أَهلِ الجنةِ مَنْزِلةً. قال: نعم، هو رجلٌ يَجِيءُ بعدَما نزَل الناسُ منازِلَهم، وأخَذوا أَخَذاتِهم، فيقالُ له: ادْخُلِ[2] الجنةَ. فيقولُ: يا ربِّ، وكيف أَدْخُلُها، وقد نزَل الناسُ مَنازِلَهم، وأَخَذوا أَخَذاتِهم؟ فيقولُ[3]: أَمَا تَرْضَى أَن يَكُونَ لك مثلُ ما كان لمَلِكٍ مِن ملوكِ الدنيا؟ فيقولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فيقولُ: إنَّ لك مثلَه ومثلَه[4] - وعقَد سفيانُ أصابعَه الخمسَ - فيقولُ: رضِيتُ ربِّ[5]. فيقولُ: إن لك هذا وما اشْتَهَتْ نفسُك، ولذَّت عينُك. فيقولُ: رضِيتُ ربِّ. قال موسى: يا ربِّ، فأَخْبِرْنى عن أَعلى أهلِ الجنةِ منزلةً. قال: نعم، أولئك الذين أرَدْتُ، وسأُخْبِرُك عنهم، غرَسْتُ كرامتَهم بيدِى، وخَتَمْتُ عليها، فلم تَرَ عَيْنٌ، ولم تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولم يَخْطُرْ على قلبِ بشرٍ». ومِصْداقُ ذلك فى كتابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾» [السجدة: ١٧].

وثبَت فى «الصحيحين»[6] - واللفظُ لمسلمٍ - مِن حديثِ الأعرجِ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِىَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِى

---

(١) فى الأصل، ح: «قال وقال».

(٢) فى الأصل، ح: «اذهب فادخل».

(٣) بعده فى الأصل: «فيقال اذهب فادخل الجنة فيقول يا رب وكيف أدخلها وقد نزل الناس [١٢٩ظ] منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقول له».

(٤) بعده فى المعجم الكبير: «ومثله».

(٥) ليس فى المعجم الكبير.

(٦) البخارى (٣٢٤٤، ٤٧٧٩)، مسلم (٢، ٣/ ٢٨٢٤،).

كِتَابِ اللَّهِ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثنى أبو[2] صَخْرٍ ، أَنَّ أبا حازمٍ حدَّثه قال : سمِعْتُ سهلَ بنَ سعدٍ يقولُ : شهِدْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وصَف فيه الجنةَ حتى انْتَهَى ، ثم قال فى آخرِ حديثِه : « فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » . ثم قرأ هذه الآيةَ : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة : ١٦، ١٧] . ورواه مسلمٌ ، عن هارونَ بنِ مَعْروفٍ[3] .

ذكرُ غُرَفِ الجنةِ وارْتفاعِها وعِظَمِها ، نَسْأَلُ اللَّهَ مِن فضلِه [4]المبسوطِ على خلقِه فى الدنيا والآخرةِ[4]

قال اللَّهُ تعالى : ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر : ٢٠] . وقال تعالى : ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ : ٣٧] . وقال : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) المسند ٥/٣٣٤ (٢٢٨٧٧) .

(٢) فى الأصل ، ح : « ابن » . وانظر تهذيب الكمال ٧/٣٦٦ .

(٣) مسلم (٥/٢٨٢٥) .

(٤ - ٤) فى ص : « أن يمنحنا إياها من فيض فضله » .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨]. وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

وثبَت فى «الصحيحَيْنِ»[1] - واللفظُ لمسلمٍ - مِن حديثِ مالكٍ، عن صَفْوانَ بنِ سُلَيْم، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَما يَتَرَاءَوْنَ[2] الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ[3] الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، تلك مَنازلُ الأنْبياءِ لا يَبْلُغُها غيرُهم؟ قال: «بَلَى، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».

وفى «الصحيحَيْنِ»[4] أيضًا مِن حديثِ أبى حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِى الْجَنَّةِ كَما تَتَراءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ».

وقال أحمدُ[5]: حدَّثنا فَزارَةُ، أخْبَرنى فُليحٌ، عن هلالٍ - يعنى ابنَ علىٍّ - عن عَطاءٍ، عن أَبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِى

---

(١) البخارى (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١/١١).
(٢) فى صحيح مسلم: «تتراءون».
(٣) فى الأصل، ح: «و».
(٤) البخارى (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠).
(٥) المسند ٣٣٩/٢ (٨٤٥٢). قال الشيخ شعيب: حديث صحيح. المسند ١٤/ ١٧٨.

الْجَنَّةِ كَما تَرَاءَوْنَ - أَوْ تَرَوْنَ - الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ[1] فى الأُفُقِ ، الطالعِ ، فى تَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أُولئك النبيون ؟ قال : « بَلَى ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، وَأَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » . قال الحافظُ الضِّياءُ : وهذا على شرطِ البُخارىِّ .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ عَيَّاشٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ مُطَرِّفٍ ، حدَّثنا أبو حازمٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [١٣٠و] « إِنَّ المتَحَابِّينَ[3] لَتُرَى غُرَفُهُمْ فِى الْجَنَّةِ كَالْكَوْكَبِ الطَّالعِ الشَّرْقىِّ أَوِ الغَرْبىِّ ، فيُقَالُ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَيُقَالُ : هَؤُلَاءِ المُتَحَابُّونَ فِى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » .

وفى حديثِ عَطِيةَ ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا[4] : « إِنَّ أَهْلَ عِلِّيِّينَ[5] لَيَرَاهُمْ مَنْ سِوَاهُمْ كَما تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا[6] » .

---

(١) فى المسند : « الغارب » .

(٢) المسند ٣/٨٧ (١١٨٤٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١٨/ ٣٤٥.

(٣) بعده فى الأصل ، ح : « فى الله » .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٢٧، ٥٠، ٧٢ (١١٢٢٩، ١١٤٨٥، ١١٧٠٨) . كما أخرجه أبو داود (٣٩٨٧) ، والترمذى (٣٦٥٨) ، وابن ماجه (٩٦) . قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره . المسند ١٨/ ٤٧.

(٥) عليون : اسم للسماء السابعة . وقيل : هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ، ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد . وقيل : أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى فى الدار الآخرة . النهاية ٣/ ٢٩٤.

(٦) أنعما : أى زادا وفضلا . يقال : أحسنت إلىَّ وأنعمت : أى زدتَ على الإنعام . وقيل : معناه صارا إلى النعيم ودخلا فيه . النهاية ٥/ ٨٣.

ذِكْرُ أعلى مَنزلةٍ فى الجنةِ

وهى الوسيلةُ[1] ؛ مَقامُ الرسولِ ﷺ

ثبَت فى « صحيحِ البخاريِّ »[2] ، عن علىِّ بنِ عَيَّاشٍ ، عن شُعَيْبِ بنِ أبى حَمزةَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، والصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْه مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذى وَعَدْتَه ، [3]حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى[3] يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] عن محمدِ بنِ سَلَمةَ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن حَيْوَةَ وسعيدِ بنِ أبى أيوبَ[5] ، عن كعبِ بنِ عَلْقَمَةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، أَنَّه سمِع النبىَّ ﷺ يقولُ : « إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ[6] عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا[7] لِىَ الوَسِيلَةَ ، [8]فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِى إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنَ سَأَلَ لِىَ الوَسِيلَةَ[8] حَلَّتْ لَهُ[9] الشَّفَاعَةُ » .

---

(١) بعده فى ص : « فيها » .

(٢) البخارى (٦١٤، ٤٧١٩) .

(٣ - ٣) فى النسخ : « إلا حلت له الشفاعة » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٤) مسلم (١١/٣٨٤) .

(٥) بعده فى صحيح مسلم : « وغيرهما » .

(٦) بعده فى صحيح مسلم : « بها » .

(٧) فى صحيح مسلم : « سلوا الله » .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) فى النسخ : « عليه » . والمثبت من صحيح مسلم .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ ، أخْبَرنا سُفيانُ ، عن ليثٍ ، عن كعبٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَىَّ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لِىَ الوَسِيلةَ » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، وما الوسيلةُ ؟ قال : « أَعْلَى دَرَجَةٍ فى الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ واحِدٌ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ » .

وقال أحمدُ[2] : حدثنا موسى بنُ داودَ ، حدثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن موسى بنِ[3] وَرْدانَ ، سَمِعْتُ أبا سعيدٍ الخدْرىَّ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِى الْوَسِيلَةَ » .

وقال الطَّبرانىُّ[4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ علىٍّ الأبّارُ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ الحرَّانىُّ ، حدثنا موسى بنُ أَعْيَنَ ، عن ابنِ أبى ذئبٍ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ عَطاءٍ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَلُوا اللَّهَ لِىَ الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهَا لِى عَبْدٌ فِى الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ له شَفِيعًا - أَوْ شَهِيدًا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال الطَّبرانىُّ : لم يَرْوِه عن ابنِ أبى ذِئْبٍ إلا موسى بنُ أَعْيَنَ .

ذكرُ بُنْيانِ الجنَّةِ ومِمَّ قُصورُها

قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ وأبو كاملٍ ، قالا : حدَّثنا زُهَيْرٌ ، حدَّثنا

---

(١) المسند ٢/٢٦٥ (٧٥٨٨) . قال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

(٢) المسند ٣/٨٣ (١١٨٠٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة . المسند ١٨/٣٠٦.

(٣) فى ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٦٣.

(٤) المعجم الأوسط (٦٣٧) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه الوليد بن عبد الملك الحرانى وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : مستقيم الحديث إذا روى عن الثقات . قلت : وهذا من روايته عن موسى بن أعين وهو ثقة . مجمع الزوائد ١/ ٣٣٣.

(٥) المسند ٢/٣٠٤ (٨٠٣٠)مطولا . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح بطرقه وشواهده . المسند ١٣/ ٤١٠.

سعدٌ[1] ؛ أبو مُجاهِدٍ الطائىُّ ، حدَّثنا أبو المُدِلَّةِ - مَوْلَى أُمِّ المؤمنينَ - سمِعَ أبا هريرةَ يقولُ : قُلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، إذا رأَيْناك رَقَّتْ قلوبُنا ، وكُنَّا مِن أهلِ الآخِرةِ ، وإذا فارَقْناك أَعْجَبَتْنا الدنيا ، وشَمِمْنا النِّسَاءَ والأولادَ . فقال : « لَوْ تَكُونُونَ - أَو قال : لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ - عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الحَالِ الَّتِى أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِى لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ ، وَلَزَارَتْكُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَىْ يَغْفِرَ لَهُمْ » . قال : قلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، حَدِّثْنا عن الجنةِ ما بِناؤُها ؟ قال : « لَبِنَةُ فِضَّةٍ وَلَبِنَةُ ذَهَبٍ ، ومِلاطُهَا المِسْكُ[2] وَحَصْبَاؤُهَا[3] اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ لَا يَبْأَسُ ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » .

رواه الترمذىُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، عن سَعْدانَ القُبِّىِّ - وكان ثقةً - عن سعدٍ[4] ؛ أبى مُجاهِدٍ الطائىِّ - وكان ثقةً - به[5] ، وقال : حسنٌ .

ووقَعَ تَوْثيقُ هذينِ الرجلَيْنِ فى روايةِ ابنِ ماجه[6] ، وهما مِن رجالِ البخارىِّ .

وقالَ ابنُ أبى الدُّنيا[7] : حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى البَزَّارُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ زِيادٍ

---

(١) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من المسند ، وانظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٦٩.
(٢) بعده فى المسند : « الأذفر » .
(٣) هنا وفيما يأتى فى الأصل : « حصاؤها » .
(٤) بعده فى الأصل : « بن » .
(٥) الحديث الذى أشار إليه المصنف بهذا السند هو حديث : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ...» فى سنن الترمذى (٣٥٩٨) ، وليس فيه موطن الشاهد .
(٦) سنن ابن ماجه (١٧٥٢) .
(٧) صفة الجنة (٢٠) .

الكَلْبيُّ ، حدثنا بِشْرُ[1] بنُ حسينٍ ، عن[2] سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ [١٣٠ظ] ﷺ : « خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ ، لَبِنَةٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ[3] خَضْرَاءَ ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ ، وَحَشِيشُهَا الزَّعْفَرَانُ[4] ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : انْطِقِى . فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَا يُجَاوِرُنِى فِيكِ بَخِيلٌ » . ثمَّ تَلَا رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

وقال أبو بكرِ بنُ مَرْدُويه[5] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، حدَّثنا القاسمُ بنُ المغيرةِ الجَوْهَرِىُّ ، حدَّثنا عثمانُ[6] بنُ سعيدٍ المُرِّىُّ[7] ، حدَّثنا علىُّ بنُ صالحٍ ، عن أبى رَبيعةَ ، يعنى عمرَ[8] بنَ رَبيعةَ ، عن الحسنِ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الجنةِ ، فقال : « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَا لَا يَمُوتُ ، وَيَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ[9] ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، كيفَ بِناؤُها ؟

---

(١) فى النسخ : « يعيش » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٥٥، والكامل لابن عدى ٢/ ٤٤٣.

(٢) فى ص : « بن » .

(٣) فى الأصل ، ح : « زمردة » .

(٤) بعده فى مصدر التخريج : « وترابها العنبر » .

(٥) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ١٣٣ لابن مردويه . وانظر الدر المنثور ١/ ٣٦.

(٦) فى ص : « عفان » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٨٠.

(٧) فى الأصل ، ح : « المدنى » ، وفى ص : « المقرى » . والمثبت من تهذيب الكمال ١٩/ ٣٨٠، وانظر التاريخ الكبير ٦/ ٢٢٤، وثقات ابن حبان ٨/ ٤٥٠.

(٨) فى الأصل ، ح : « عمرو » ، وفى ص : « عثمان » . والمثبت من تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٠٥. وانظر الجرح والتعديل ٦/ ١٠٩.

(٩) فى ح ، ص : « ييأس » .

قال : « لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمِلاطُهَا مِسْكٌ أَذْفَرُ ، وَحصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرْبَتُها الزَّعْفَرَانُ » .

وقال البَزَّارُ[1] : حدَّثنا بِشْرُ بنُ آدمَ ، حدَّثنا يونسُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ العُمَرىُّ ، حدَّثنا عدىُّ بنُ الفضلِ ، حدَّثنا الجُرَيْرىُّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ ، ولَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ ، ومِلاطُهَا الْمِسْكُ ، فَقَالَ لَهَا : تَكَلَّمِى . فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . فَقَالَتِ الملَائِكَةُ : طُوبَاكِ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ » .

وقد رواه البيهقىُّ[2] ، وعندَه : « فَقَالَ اللَّهُ : طُوبَى لَكِ مَنْزِلَ الْمُلُوكِ » . وقد رواه وُهَيْبٌ[3] ، عنِ الجُرَيْرِىِّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ مَرْفُوعًا[4] .

وفى حديثِ داودَ بنِ أبى هِنْدٍ[5] ، عن أنسٍ مرفوعًا : « إِنَّ اللَّهَ بَنَى الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ ، وَحَظَرَهَا عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ وَعَلَى كُلِّ مُدْمِنِ خَمْرٍ سِكِّيرٍ[6] » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[7] : حدَّثنا معاويةُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنا علىُّ بنُ صالحٍ[8] ، عن عمرَ[9] بنِ رَبيعةَ ، عن الحسنِ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قيل : يا رسولَ

---

(١) كشف الأستار (٣٥٠٨) ، وقال الهيثمى : رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ... ورجال الموقوف رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧.

(٢) البعث والنشور (٢٣٦) .

(٣) فى الأصل : « وهب » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/١٦٤ .

(٤) فى ص : « موقوفًا » . والحديث أخرجه البيهقى فى البعث واالنشور (٢٨٨) بسنده عن وهيب به .

(٥) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٢٣٣) ، وشعب الإيمان (٥٥٩٠) ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/٩٥ وقال : غريب من حديث داود عن أنس رضى الله تعالى عنه .

(٦) فى الأصل : « متكبر » .

(٧) المصنف (١٥٨٠٢) .

(٨) فى النسخ : « عاصم » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦٤.

(٩) فى مصدر التخريج : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٠٥، والجرح والتعديل ٦/ ١٠٩.

اللَّهِ ، كيف بِناءُ الجنةِ ؟ قال : « لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، مِلاطُهَا مِسْكٌ أَذْفَرُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ والْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ »[1]

وقال الطَّبَرانيُّ[2] : حدَّثنا أحمدُ بنُ خُلَيْدٍ ، حدَّثنا أَبو اليَمانِ ؛ الحكَمُ بنُ نافعٍ ، حدَّثنا صَفْوانُ بنُ عمرٍو ، عن مُهاجِرِ بنِ مَيْمونٍ ، عن فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنها قالتْ للنبيِّ ﷺ : أَينَ أُمُّنَا خَدِيجةُ ؟ قال : « فِى بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا لَغْوٌ فِيهِ وَلَا نَصَبٌ ، بَيْنَ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرانَ ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ » . قالتْ : أَمِنْ هذا القَصَبِ ؟ قال : « لَا ، مِنَ الْقَصَبِ المَنْظُومِ بِالدُّرِّ واللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ » . قال الطَّبَرانيُّ : لا يُرْوَى عن فاطمةَ إلا بهذا الإسنادِ ، تفرَّد به صَفْوانُ بنُ عمرٍو .

قلتُ : وهو حديثٌ غريبٌ ، ولأوَّلِهِ شاهدٌ فى « الصحيحِ »[3] : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِى أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبٌ فِيهِ ، وَلَا نَصَبٌ » .

قال بعضُ العلماءِ : إنَّما كان بيتُها مِن قَصَبِ اللُّؤْلؤِ ؛ لأنَّها حازَت قَصَبَ السَّبْقِ فى التَّصْديقِ برسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ بعَثه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، كما يَدُلُّ عليه حديثُ أَوَّلِ البِعثةِ[4] ، أَنهَّا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ ؛ حيثُ قالتْ لمَّا أَخْبَرهَا بِمَا رَأَى ، [5]وقال : « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِى[6] »[5] ، قالت : كلَّا واللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبدًا ، إنَّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ ، وتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وتُعِينُ عَلَى

---

(١) بعده فى ص : « الملاط هو الطين الذى يجعل بين الأحجار ليجتمع بعضها إلى بعض » .

(٢) المعجم الأوسط (٤٤٣) ، قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط من طريق مهاجر بن ميمون عنها ، ولم أعرفه ، ولا أظنه سمع منها والله أعلم ، وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٣.

(٣) مسلم (٧١/ ٢٤٣٢، ٧٢/٢٤٣٣) .

(٤) البخارى (٣) ، ومسلم (٢٥٢/١٦٠) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ح .

(٦) فى ص : « عقلى » . والمثبت من الصحيحين .

نَوائِبِ الدَّهْرِ. وأما ذِكْرُ مَرْيَمَ وآسِيةَ فى هذا الحديثِ ففيه إشْعارٌ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَتَزَوَّجُ بهما فى الدارِ الآخِرةِ، وقد حاوَل بعضُهم أَن يَأْخُذَ ذلكَ مِن القرآنِ، مِن قولِهِ فى سورةِ «التَّحْريمِ»: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]. ثم ذُكِرَتْ آسيةُ ومريمُ فى آخِرِ السورةِ. يُرْوَى مثلُ هذا عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ، أَو غيرِه مِن السَّلَفِ[(١)]. واللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[(٢)]: حدَّثَنا علىُّ بنُ المُنْذِرِ الطَّريقىُّ[(٣)]، حدَّثنا[(٤)] ابنُ فُضَيْلٍ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ، عن النُّعمانِ بنِ سعدٍ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا». فقام أعرابىٌّ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، لِمَنْ هِىَ؟ فقال: «لِمَنْ طَيَّبَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ». ورواه التِّرمذىُّ عن علىِّ بنِ حُجْرٍ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ[(٥)]، وقال: غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه[(٦)].

ورَوَى الطَّبَرانىُّ[(٧)] مِن حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، حدَّثنا مُعاويةُ بنُ سلَّامٍ، عن زيدِ[(٨)] بنِ سلَّامٍ، حدَّثنى أَبو سلَّامٍ، حدَّثنى أبو مُعَانِقٍ الأَشْعَرىُّ، حدَّثَنى أَبو

---

(١) التفسير ١٩٣/٨، وانظر الدر المنثور ٦/ ٢٤٤.

(٢) البعث والنشور (٧٤).

(٣) فى الأصل، ح: «الطرايفى». وانظر: تبصير المنتبه ٣/ ٨٧٤، ولب اللباب للسيوطى ٢/ ٩١.

(٤) بعده فى الأصل: «على»، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٩٣.

(٥) سنن الترمذى (٢٥٢٧). حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٠٥١).

(٦) أى حديث عبد الرحمن بن إسحاق. انظر تحفة الأشراف ٧/ ٤٥٣.

(٧) المعجم الكبير ٣٤٢/٣ (٣٤٦٧)، قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٤.

(٨) فى ص: «يزيد».

مالكٍ الأشْعَرِيُّ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال [١٣١و] : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وأَدَامَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

وروَى الطَّبَرانيُّ أيضًا[(١)] ، مِن حديثِ ابنِ وهبٍ ، حدَّثنى حُيَيٌّ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » . قال أبو مالكٍ الأشْعَرِيُّ : لِمَنْ هِىَ يا رَسولَ اللَّهِ ؟ قال : « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . قال الحافظُ الضِّياءُ : هذا عِنْدِى إسنادٌ حسنٌ[(٢)] .

[(٣)]**قلتُ** : وقد رواه الإمامُ أحمدُ ، عن حسنٍ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، حدَّثنى حُيَيٌّ ابنُ عبدِ اللَّهِ المَعَافِرِيُّ فذكَرَ بإسنادِه مثلَهُ[(٤)] ، غيرَ أنه قالَ : فقال أَبو موسى الأشْعَرِيُّ : لِمَن هِىَ يَا رسولَ اللَّهِ ؟ فذكَره ، واللَّهُ أعلمُ[(٣)] .

وقد ورَدَ فى بعضِ الأحاديثِ[(٥)] أنَّ القَصْرَ يَكُونُ مِنْ لُؤْلؤةٍ واحدةٍ ؛ أَبوابُه ومَصارِيعُه وسُقُفُه .

وفى حديثٍ آخَرَ[(٦)] : أَن بعضَ سُقوفِ الجنةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ كالبَرْقِ اللامِعِ ، لولا

---

(١) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٢٧٧) من طريق ابن وهب عن حيى ، به . وعزاه الهيثمى فى المجمع للطبرانى وقال : رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ، وإسناده حسن ، واللفظ له ، وفى رواية أحمد : فقال أبو موسى الأشعرى . مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٤.

(٢) بعده فى ص : « وذكر أبو مالك فيه مما يدل على صحته لأنه قد رواه وإسناد حديثه أيضًا » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المسند ٢/١٧٣ (٦٦١٥) ، قال الشيخ شعيب : حديث حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف . المسند ١١/ ١٨٦.

(٥) انظر البخارى (٤٨٧٩) ، ومسلم (٢٨٣٨/٢٣) ، وسيأتى فى باب : ذكر الخيام فى الجنة .

(٦) انظر تفسير الطبرى (٣٥/٢٤) ، والمصنف لابن أبى شيبة (١٥٨٥١) .

أن اللَّهَ ثَبَّتَ[1] أَبْصارَهم لأَوْشَك أن يَخْطَفَها .

وقال البيهقيُّ[2] : حدَّثنا أَبو الحسينِ[3] بنُ بِشْرانَ ، أنبأنا أَبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ المعروفُ بابنِ السَّمَّاكِ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ[4] محمدِ بنِ منصورٍ ، حدَّثَنا أَبى ، حدَّثناعبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ المؤْمِنِ ، سمِعْتُ محمدَ بنَ واسِعٍ يَذْكُرُ [5]عن الحسنِ[5] ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِغُرَفِ الْجَنَّةِ ؟ » قال : قلْنا : بَلَى ، يا رسولَ اللَّهِ ، بأبينا أَنت وأُمِّنا . قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوْهَرِ كُلِّهِ ، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَّاتِ وَالشَّرَفِ[6] مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ » . قال : قلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ولِمَن هذه الغُرَفُ ؟ قال : « لِمَنْ أَفْشَى السَّلَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وأَدَامَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . قال : قلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، ومَنْ يُطِيقُ ذلك ؟ قال : « أُمَّتِى تُطِيقُ ذَلِكَ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ؛ مَنْ لَقِىَ أَخَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَدْ أَفْشَى السَّلَامَ ، وَمَنْ [١٣١ظ] أَطْعَمَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ حتى يُشْبِعَهُمْ فَقَدْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَقَدْ أَدَامَ الصِّيَامَ ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ الآخِرَةَ وَصَلَّى الغَدَاةَ فِى جَمَاعَةٍ فَقَدْ صَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ؛ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسُ » .

---

(١) فى ح ، ص : « يثبت » .

(٢) البعث والنشور (٢٧٩) .

(٣) فى ص : « الخير » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٥ .

(٤) فى الأصل ، ح : « أبو » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/٤٤٤ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٤/٤٤٣ ، ٢٦/ ٥٧٦.

(٦) فى ص : « الشفوف » ، وفى مصدر التخريج : « السرف » .

ثم قال البيهقيُّ : وهذا الإسنادُ غيرُ قويٍّ ، إلَّا أنه بالإسنادَيْن الأَوَّلَيْن يُقَوِّى بعضُه بعضًا . واللَّهُ أعلمُ . قال : ورُوِى بإسنادٍ آخَرَ عن جابرٍ .

ثم أوْردَه مِن طريقِ عليِّ بنِ حربٍ ، عن حفصِ بنِ عمرَ[(١)] [(٢)] عن عمرِو[(٢)] بنِ قيسٍ المُلَائيِّ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا ، بنحوِه[(٣)] .

وروَى البيهقيُّ[(٤)] ، مِن حديثِ جَسْرِ[(٥)] بنِ فَرْقَدٍ ، عن الحسنِ البَصْرِيِّ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ وأبى هريرةَ[(٦)] قالا : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآيةِ : ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة : ٧٢] . قال : « قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ ، فِى ذَلِكَ الْقَصْرِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ[(٧)] فى كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْراءَ ، فِى كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ[(٧)] سَرِيرًا ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ، عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ العِينِ ، فِى كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مَائِدَةً ، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ ، فِى كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ وَصِيفًا ووَصِيفَةً ، وَيُعْطَى المُؤْمِنُ [(٨)]فِى كُلِّ غَدَاةٍ مِنَ القُوَّةِ[(٨)] مَا يَأْتِى عَلَى ذَلِكَ كُلِّه أَجْمَعَ » .

قلتُ : وهذا الحديثُ غريبٌ ، [(٨)]بل الأَشْبَهُ أَنه مَوْضوعٌ[(٨)] ، وإذَا كانَ الخبرُ ضَعيفًا لم يُمْكِنِ اتِّصالُه ، فإنَّ جسْرًا هذا ضعيفٌ جدًّا ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٠١.

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) البعث والنشور (٢٨٠) .

(٤) المصدر السابق (٢٨١) .

(٥) فى ح : « جعفر » ، وفى ص : « حسن » . وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٥٣٨.

(٦) سقط من : الأصل ، ص .

(٧) سقط من : ص .

(٨ - ٨) سقط من : « ص » .

وقال ابنُ وهبٍ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيهِ قالَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَيُجَاءُ لِلرَّجُلِ الْوَاحِدِ بِالْقَصْرِ مِنَ اللُّؤْلُؤَةِ الْوَاحِدَةِ ، فِى ذَلِكَ الْقَصْرِ سَبْعُونَ غُرْفَةً ، فِى كُلِّ غُرْفَةٍ زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فِى كُلِّ غُرْفَةٍ سَبْعُونَ بَابًا ، يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَابٍ رَائِحَةٌ مِنْ رَائِحَةِ الْجَنَّةِ ، سِوَى الرَّائِحَةِ الَّتِى تَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الآخَرِ » . ثم قرأ قولَه تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية[2] [السجدة : ١٧] .

وذكَر القُرْطبىُّ[3] مِن طريقِ أبى هُدْبةَ ؛ إبراهيمَ بنِ هُدْبَةَ - وهو ذو نُسْخةٍ مَكْذوبةٍ - عن أنسِ بنِ مالكٍ مَرْفوعًا : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِيقُ مِنْ فَوْقِهَا ، وَلَا عِمَادٌ مِنْ تَحْتِهَا » . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، وكيف يَدْخُلُها أَهْلُها ؟ قال : « يَدْخُلُونَهَا أَشْبَاهَ الطَّيْرِ » . قيلَ : يا رسولَ اللَّهِ ، لِمَن هِىَ ؟ قال : « لِأَهْلِ الْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ وَالْبَلْوَى »[4] .

ذِكرُ الخِيامِ فى الجنةِ

قال تعالَى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] .

وثبَت فى « الصحيحينِ »[5] - واللفظُ لمسلمٍ - مِن حديثِ أبى عِمْرانَ الجَوْنِىِّ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى موسى الأشعرىِّ ، عن أبيهِ قال : قال رسولُ اللَّهِ

---

(١) عزاه القرطبى فى التذكرة ٢/٢٨٧ إلى ابن وهب .

(٢) بعده فى ص : « وقد رواه الإمام أحمد عن حسن ، عن أبى لهيعة ، حدثنى حيى بن عبد الله المعافرى . فذكر بإسناده مثله ، غير أنه قال : فقال أبو موسى الأشعرى : لمن هى يارسول الله » .

(٣) التذكرة ٢/ ٢٨٥.

(٤) بعده فى : الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط [١٣٢و] .

(٥) البخارى (٤٨٧٩) ، ومسلم (٢٨٣٨/٢٣) .

ﷺ : « إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِى الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا » . وفى روايةٍ للبُخارىِّ[1] : « ثَلَاثُونَ مِيلًا » ، وصُحِّحَ « سِتُّونَ مِيلًا » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ[3] ، حدَّثنا منصورٌ ، حدَّثنا يوسُفُ بنُ الصباحِ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ قال : الخَيْمةُ مِن دُرَّةٍ مُجَوَّفةٍ ، طُولُها فَرْسَخٌ ،وعرضُها فَرْسَخٌ ، ولها ألفُ بابٍ مِن ذهبٍ ، حَوْلَهُ سُرادَقٌ ، دَوْرُهُ خمسونَ فرسخًا ، يَدْخُلُ عليهِ مِن كلِّ بابٍ مَلَكٌ بهديةٍ مِن عندِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وذلك قولُه تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد : ٢٣] .

وقال ابنُ المُبارَكِ[4] : حدَّثنا همامٌ ، [5]عن قتادةَ[5] ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الخَيْمةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ ، فرسخٌ فى فرسخٍ ، لها أربعةُ آلافِ مِصْراعٍ مِن ذهبٍ .

وقال قتادةُ[6] ، عن خُلَيْدٍ العصرىِّ ، عن أَبى الدَّرْداءِ قال : الخَيْمةُ لُؤلؤةٌ واحدةٌ ، لها سبعونَ بابًا ، كلُّها مِن دُرٍّ[7] .

---

(١) البخارى (٣٢٤٣) .

(٢) صفة الجنة (٣٣٢) .

(٣) فى النسخ : « حفص » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٨٠.

(٤) الزهد لابن المبارك (٢٤٩) (زوائد نعيم) .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٠٣، ٢٣ / ٥٠٥.

(٦) الزهد لابن المبارك (٢٥٠) (زوائد نعيم) ، صفة الجنة لابن أبى الدنيا (٣٢٧) .

(٧) بعده فى الأصل ، ح : زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط [١٣٢ظ] .

ذكرُ تربةِ الجنـةِ

ثبَت فى « الصحيحينِ »[1] مِن حديثِ الزهرىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن أبى ذَرٍّ - فى حديثِ المِعْراجِ - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[2] اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ » .

وقال الإمامُ أَحمدُ[3] : حدَّثنا رَوْحٌ ، حدَّثنا حمّادٌ ، حدَّثنا الجُرَيْرِىُّ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ سأَل ابنَ صائدٍ[4] عن تُرْبةِ الجنةِ ، فقال : دَرْمَكَةٌ بيضاءُ ، مِسْكٌ خالصٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ » . هكذا رواه الإمامُ أحمدُ .

ورواه مسلمٌ ، مِن حديثِ أبى مَسْلَمةَ ، عن أبى نَضْرةَ ، بنحوِه[5] .

وقد رواه مسلمٌ أيضًا[6] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن أبى أُسامةَ ، عن الجريرىِّ ، عن أَبى نَضْرةَ ،عن أبى سعيدٍ ، أَن ابنَ صيّادٍ سأَل النبىَّ ﷺ عن تربةِ الجنةِ فقال : « دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ ، مِسْكٌ خَالِصٌ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن مُجالِدٍ ،

---

(١) البخارى (٣٣٤٢) ، ومسلم (١٦٣/٢٦٣) كلاهما من حديث أبى ذر مطولًا .

(٢) فى ح : « خبايد » . والجنابذ : جمع جُنْبُذَة ، وهى القُبة . النهاية ١/ ٣٠٥.

(٣) المسند ٤/٣ (١١٠١٥) ، قال الشيخ شعيب : رجاله ثقات ، رجال الصحيح . المسند ١٧/ ٣٧.

(٤) فى الأصل : « صياد » ، وقد وردت الأحاديث بالاسمين معًا .

(٥) مسلم (٢٩٢٨/٩٢) .

(٦) مسلم (٢٩٢٨/٩٣) .

(٧) المسند ٣٦١/٣ (١٤٩٢٦) ، قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير مجالد ، ووثقه غير واحد . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٩.

عن الشعْبىِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لليهودِ : « إِنِّى سَائِلُهُمْ[1] عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ ، وَهِىَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ » . فَسَأَلَهُمْ ، فقالوا : هى خُبزةٌ يا أبا القاسمِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الْخُبْزَةُ مِنَ الدَّرْمَكِ » .

وتقَدَّم[2] فى حديثِ أبى هريرةَ وابنِ عمرَ وغيرِهما ، فى بُنيانِ الجنةِ[2] ، أنَّ مِلاطَها المِسْكُ ، وحَصْباءَها اللؤلؤُ والياقوتُ ، وترابَها الزَّعْفَرانُ . والمِلاطُ فى اللغةِ عِبارةٌ عن الطِّينِ الذى يُجْعَلُ بينَ الحَجَرَيْن بينَ سافَيِ[3] البناءِ ، يُمْلَطُ بهِ الحائطُ ، ولعلَّ بعضَ بِقاعِها مسكٌ ، وبعضَها زعفرانٌ ؛ طرائقُ طرائقُ . وهى مع هذه العظمةِ والاتِّساعِ كلُّها كذلك ، واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

وقد تقَدَّم[4] فى « صحيحِ البُخارىِّ » ، عن أَنسٍ ، [١٣٣و] أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وقال أحمدُ[5] : حدثَّنا عبدُ الرزّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن همّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقِيدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » . إسنادُه على شرطِ الشيخَيْن .

وقال ابنُ وَهْبٍ[6] : حدَّثنا عمرُو بنُ الحارثِ ، أَن سليمانَ بنَ حُمَيْدٍ ، حدَّثه أن عامرَ بنَ سعدِ بنِ أبى وقاصٍ - قال سليمانُ : لا أَعْلَمُ إلا أَنه حدَّثنى عن أبيه -

---

(١) فى الأصل : « سائلكم » .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٧٨ وما بعدها .

(٣) الساف : كل عرق من الحائط . والساف فى البناء : كل صف من اللبن . التاج (س و ف) .

(٤) تقدم فى صفحة ٢٦٦ .

(٥) المسند ٣١٥/٢ (٨١٥٢) .

(٦) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٢٠٨/٦ بنحوه . ورواه الترمذى (٢٥٣٨) ، من طريق عامر بن سعد ، به ، بنحوه . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٦١) .

عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: «لَوْ [1]أَنَّ مَا أَقَلَّ ظُفُرٌ[1] مِنَ الجَنَّةِ بَرَزَ إِلَى الدُّنْيَا لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

ذِكرُ أَنْهارِ الجنةِ وأَشْجارِها وثِمارِها

قال اللَّهُ تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣١]. وقال تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البينة: ٨]. وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٥]. وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ، أَنْبَأَنا الجُرَيْرِىُّ[3]، عن حَكيمِ ابنِ مُعاويةَ أبى بَهْزٍ، عن أبيه، قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «فِى الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ».

ورواه الترمذىُّ، عن بُنْدارٍ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ به[4]، وقال: حسنٌ صحيحٌ.

(١ - ١) فى ح: «أن أقل قلامة ظفر»، وفى ص: «أن ما أقل ظهر».

(٢) المسند ٥/٥ (٢٠٠٦٤).

(٣) فى ص: «الحريرى». وهو سعيد بن إياس الجريرى أبو مسعود البصرى. وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٣٨.

(٤) الترمذى (٢٥٧١). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٧٨).

(١) ورواه ابنُ أبى الدنيا ، [١٣٣ظ] عن أبى خيثمةَ ، عن يزيدَ بنِ هارونَ ، به(١)(٢) .

وقال أبو بكرِ بنُ مَرْدُويَه(٣) : حدَّثنا أَحمدُ بنُ محمدِ بنِ عاصمٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ النُّعْمَانِ ، حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا الحارثُ بنُ عُبَيْدٍ أَبو قُدامةَ الإيادىُّ ، حدَّثنا أبو عِمْرانَ الجَوْنىُّ ، عن أَبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : (١) « هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَشْخُبُ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ فى جَوْبَةٍ(٤) ، ثُمَّ تَصَدَّعُ بَعْدُ أَنْهَارًا » .

وقال ابنُ مَرْدُويَه(٥) : حدَّثنا محمدُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ (٦)أبى محمدٍ(٦) يَحْيَى ، حدَّثنا مَهْدىُّ بنُ حَكيمٍ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أَخْبَرَنى الجُرَيْرِىُّ ، عن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ(١) أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أُخْدُودٌ(٧) فِى الْأَرْضِ ، لَا وَاللَّهِ ، إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، حَافَتَاهَا قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ ، وَطِينُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ » . قيل : يا رسولَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) صفة الجنة (٨٣) .

(٣) ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ص ١٨٠ بنفس الإسناد ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٨، وعزاه كلاهما لابن مردويه ،كما أخرجه أحمد فى المسند ٤/٤١٦ (١٩٧٤٦) من طريق الحارث به نحوه مطولا . ضعيف (ضعيف الجامع ٢٦٣٥) .

(٤) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة . وكل مُنْفَتِق بلا بناء جوبة . انظر النهاية ١/ ٣١٠.

(٥) ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ص ١٨١ بنفس الإسناد ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٨، وعزاه كلاهما لابن مردويه ، كما أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٦/ ٢٠٥، من طريق مهدى بن حكيم به .

(٦ - ٦) زيادة من الأصل ليست فى حادى الأرواح . وفى ح : « أبى » .

(٧) فى ح : « حدود » .

اللَّهِ ، وما الأَذْفَرُ ؟ قال : « الَّذِى لا خِلْطَ لَهُ »[1] .

وقد رواه ابنُ أبى الدنيا ، عن يعقوبَ بنِ عُبَيْدٍ ، عن يزيدَ بنِ هارُونَ به[2] ، موقوفًا .

وروَى البيهقىُّ[3] ، [4]عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصَمِّ ، عن الربيعِ بنِ سليمانَ ، عن[4] أسدِ بنِ موسى ، عن ابنِ[5] ثَوْبانَ ، عن عَطاءِ بنِ قُرَّةَ[6] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ضَمْرةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ الْخَمْرَ فِى الْآخِرَةِ فَلْيَتْرُكْهَا فِى الدُّنْيَا ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْسُوَهُ اللَّهُ الْحَرِيرَ فِى الْآخِرَةِ ، فَلْيَتْرُكْهُ فِى الدُّنْيَا . أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ - أَوْ جِبَالِ - الْمِسْكِ ، وَلَوْ كَانَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ حِلْيَةً عُدِلَتْ بِحِلْيَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا ، لَكَانَ مَا يُحَلِّيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ[7] فِى الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ حِلْيَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

ورَوَى مِن طريقِ أَبى مُعاويةَ[8] ، عن الأعمشِ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : أنهارُ الجنةِ تَفَجَّرُ مِن جبلِ مِسْكٍ . قلتُ : وهذا الموقوفُ أَصَحُّ .

---

(١) بعده فى الأصل : « يعنى الخالص » .

(٢) صفة الجنة (٦٩) .

(٣) البعث والنشور (٢٩٢) .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح : « من طريق » .

(٥) فى ص : « أبى » . وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسى ، انظر تهذيب الكمال ١٢/١٧ ، ٤٢٨/٣٤ .

(٦) فى ح : « مرة » . وانظر تهذيب الكمال ١٠١/٢٠ .

(٧) زيادة من مصدر التخريج .

(٨) البعث والنشور (٢٩٣) .

صفةُ الكَوْثَرِ، وهو أشْهَرُ أنهارِ الجنةِ

سقانا اللَّهُ منه بمَنّه وكرمِه

قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

وثبَت فى «صحيحِ مسلمٍ»[(١)] مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ وعلىِّ بنِ مُسْهِرٍ، كلاهما عن المُخْتارِ بنِ فُلْفُلٍ، عن أَنسٍ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ أُنْزِلَت عليه هذه السورةُ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أَعْلَمُ. قال: «هُوَ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ».

وفى «الصحيحَيْن»[(٢)] مِن حديثِ شَيبانَ، عن قتادةَ، عن أَنسٍ، فى حديثِ المِعْراجِ، قال النبىُّ ﷺ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِى أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ».

ورواه أحمدُ، عن ابنِ أبى[(٣)] عَدِىٍّ، عن حُمَيْدٍ، عن أنسٍ به[(٤)]. وفى روايةٍ[(٤)]: «فَضَرَبْتُ بِيَدِى إِلَى مَا يَجْرِى فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ».

---

(١) مسلم (٤٠٠).

(٢) البخارى (٤٩٦٤). ولم نجده فى نسخة صحيح مسلم التى بين أيدينا؛ قال المزى فى تحفة الأشراف: حديث مسلم هذا لم يذكره أبو مسعود، ووجدته ملحقا فى كتاب خلف. وعقَّب ابن حجر فى النكت الظراف قائلًا: أورده الحميدى فى أفراد البخارى. انظر تحفة الأشراف مع النكت الظراف ١/ ٣٣٧.

(٣) سقط من: ص. وهو محمد بن إبراهيم بن أبى عدى السُّلَمى. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٢١، وأطراف المسند ١/ ٣٧٠.

(٤) المسند ٣/١٠٣ (١٢٠٢٧).

ولهذا الحديثِ طرقٌ كثيرةٌ عن أنسٍ وغيرِه مِن الصحابةِ ، وألْفاظٌ مُتعددةٌ .

فقال أحمدُ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن الـمُخْتارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أَنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِى الْـجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ » .

ورَواه مسلمٌ ، عن أبى كُرَيْبٍ ، عن ابنِ فُضَيْلٍ به[2] .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا حمادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ ، فَإِذَا هُوَ نَهَرٌ يَجْرِى[4] عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ ، لَيْسَ مَشْقُوقًا[5] ، فَضَرَبْتُ بِيَدِى إِلَى تُرْبَتِه ، فَإِذَا مِسْكَةٌ ذَفِرَةٌ ، وَإِذَا حَصْبَاؤُهُ[6] اللُّؤْلُؤُ » .

وقال أحمدُ[7] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ الهاشميُّ ، أخْبَرَنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ[8] ابنُ أخى ابنِ شِهابٍ ، عن أبيه ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الكَوْثَرِ ، فقال : « هُوَ نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ فى الْـجَنَّةِ ، تُرَابُهُ مِسْكٌ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، تَرِدُهُ طَيْرٌ[9] أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْـجُزُرِ[10] » . قال : فقال أَبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنها لَناعمةٌ . فقال :

---

(١) المسند ٣/١٠٢ (١٢٠١٣) .

(٢) مسلم (٤٠٠) .

(٣) المسند ٣/١٥٢ (١٢٥٦٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ٢٠/ ١٨.

(٤) بعده فى المسند : « كذا » .

(٥) فى المسند : « مشفوفا » .

(٦) فى المسند : « حصاه » . والحصباء هو الحصا الصغار . النهاية ١/ ٣٩٣.

(٧) المسند ٣/٢٣٦ (١٣٥٠٠) .

(٨) فى النسخ : « شهاب » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٥٤، وأطراف المسند ١/ ٤٢٥.

(٩) فى النسخ : « طاير » . والمثبت من المسند .

(١٠) الجزر : جمع جَزُور ، وهو البعير ، ذكرا كان أو أنثى . النهاية ١/ ٢٦٦.

« آكِلُهَا[1] أَنْعَمُ مِنْهَا » .

وقال الحاكمُ[2] : أَنْبَأَنا الأَصَمُّ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ مُنْقِذٍ ، حدَّثنا إدْرِيسُ بنُ يَحْيَى ، حدَّثنى الفضلُ بنُ الْمُخْتارِ ، [١٣٤و] عن [3]عُبَيدِ اللَّهِ[3] بنِ مَوْهَبٍ ، عن عِصْمَةَ بنِ مالكٍ الخَطْمىِّ[4] ، عن حذيفةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ طَيْرًا أَمْثَالَ البَخَاتِىِّ[5] » . فقال أَبو بكرٍ : إنها لَناعمةٌ يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « أَنْعَمُ مِنْهَا مَنْ يَأْكُلُهَا ، وَأَنْتَ مِمَّنْ يَأْكُلُهَا يَا أَبَا بَكْرٍ » .

ثم رَواه[6] مِن طريقِ سعيدِ بنِ أَبى عَروبةَ ، عن قَتادةَ مُرْسَلًا .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا أبو سَلَمةَ الخُزاعىُّ ، حدَّثنا ليثٌ ، عن يزيدَ ، يعنى ابنَ الهادِ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ أَبى بكرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن الكَوْثَرِ ، فقال : « نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَفِيهِ طَيْرٌ كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ » . فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ تلك [8]الطَّيْرَ ناعمةٌ[8] . فقال : « آكِلُهَا[1] أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ » .

---

(١) فى المسند : « أَكَلَتُها » .

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٥٤) من طريق الحاكم به ، كما أخرجه ابن عدى فى الكامل ٢٠٤١/٦ من طريق إبراهيم بن منقذ به . قال الحافظ العراقى : غريب من حديث حذيفة . تخريج أحاديث الإحياء ٦/ ٢٧٧٠.

(٣ - ٣) فى البعث والنشور : « عبد اللَّه » . وهو عبيد اللَّه - ويقال : عبد اللَّه - بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن موهب القرشى التيمى المدنى . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٨٤- ٨٦.

(٤) فى ح ، والبعث والنشور : « الحطمى » . وانظر لسان الميزان ٤٤٩/٤ ، والإصابة ٤/ ٥٠٤.

(٥) البخاتى : جمال طوال الأعناق . النهاية ١/ ١٠١.

(٦) أى رواه الحاكم من طريق سعيد ، وقد أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٥٥) من طريق الحاكم به .

(٧) المسند ٢٢٠/٣ (١٣٣٣٠) .

(٨ - ٨) فى الأصل : « لناعمة » ، وفى ح : « ناعمة » .

وكذلك رَواه الدَّرَاوَرْدِيُّ ، عن ابنِ أخى ابنِ شِهابٍ ، عن أبيه ، عن أنسٍ به[1] .

روايةُ ابنِ عمرَ

قال أحمدُ[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ حفصٍ ، أَخبرنا وَرْقاءُ ، قال : وقال عطاءٌ ، عن مُحارِبِ بنِ دِثارٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسُول اللَّهِ ﷺ : « الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِى الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْمَاءُ يَجْرِى عَلَى اللُّؤْلُؤِ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ » .

وقد رَواه إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، ومحمدُ بنُ فُضَيْلٍ[3] ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن مُحارِبٍ ، عن ابنِ عمرَ مرفوعًا : « الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِى الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ الذَّهَبُ ، مَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ والْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ - وفى روايةٍ[4] : « أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ » - وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ » .

وأخرجه الترمذىُّ وابنُ ماجه ، مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ[5] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٢٩١) من طريق الدراوردى به ، كما أخرجه الترمذى فى سننه (٢٥٤٢) من طريق ابن أخى ابن شهاب به . حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٦٣) .

(٢) المسند ٢/٦٧ (٥٣٥٥) . قال الشيخ شعيب : حديث قوى وهذا إسناد فيه ضعف . المسند ٩/ ٢٥٧.

(٣) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٣٠/ ٣٢٤، ٣٢٥، من طريق ابن علية وابن فضيل به نحوه ، وليس عنده قوله : « وألين من الزبد » .

(٤) أخرجها ابن جرير فى تفسيره ٣٠/٣٢٠ من طريق عطاء بن السائب به .

(٥) الترمذى (٣٣٦١) ، وابن ماجه (٤٣٣٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٧٧) .

روايةُ ابنِ عباسٍ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا يَعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا هُشَيْمٌ ، حدَّثنا أبو بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه قال فى الكَوْثَرِ : هو الخيرُ[2] الذى أَعْطاه اللَّهُ إياه . [3]قال أَبو بشرٍ : قلتُ لسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ : إن ناسًا يَزْعُمُون أَنه نَهَرٌ فى الجنةِ . فقال سعيدٌ : النهرُ الذى فى الجنةِ مِن الخيرِ[2] الذى أَعْطاه اللَّهُ إياه[3] .

وقد روَى ابنُ جَريرٍ[4] ، عن أَبى كُرَيْبٍ ، حدَّثنا عمرُ بنُ عُبَيْدٍ ، عن عَطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : الكَوْثَرُ نَهَرٌ فى الجنةِ ، حافَتاه ذَهَبٌ وفضةٌ ، يَجْرِى على الياقوتِ والدُّرِّ ، ماؤُه أبيضُ مِن الثلجِ ، وأَحْلَى مِن العسلِ . وكذا روَى العَوْفىُّ ، عن ابنِ عباسٍ[5] .

روايةُ عائشةَ رضِى اللَّهُ عنها

قال البُخاريُّ[6] : حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ الكاهِلىُّ ، حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أَبى إسحاقَ ، عن أَبى عُبَيدةَ ، عن عائشةَ ، رضِى اللَّهُ عنها . قال : سأَلْتُها عن قولِه تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ . قالت : نهرٌ أُعْطِيَه نبيُّكم ﷺ ، شاطِئاه

---

(١) البخارى (٤٩٦٦) .

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « الكثير » .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) تفسير الطبرى ٣٠/ ٣٢٠.

(٥) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٣٠/ ٣٢١، من طريق العوفى به .

(٦) البخارى (٤٩٦٥) .

عليه[1] دُرٌّ مُجَوَّفٌ ، آنيتُه [2]كعددِ النُّجومِ[2] . ثم قال البخاريُّ : وقد رواه زَكَرِيَّاءُ ، وأَبو الأحْوصِ ، ومُطَرِّفٌ ، عن أَبى إسحاقَ .

وقال أبو نُعَيْمٍ الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ[3] : حدَّثنا أبو جعفرٍ الرازىُّ ، حدَّثنا ابنُ أَبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهَدٍ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ . قال : الخيرُ الكثيرُ . وقال أنسُ بنُ مالكٍ[4] : نهرٌ فى الجنةِ . وقالت عائشةُ[5] : هو نهرٌ فى الجنةِ ليس أَحدٌ يُدْخِلُ إصْبَعَيْه فى أُذُنَيْه إلا سَمِع خَرِيرَ ذلك النهرِ .

وروَى ابنُ جَريرٍ[6] ، عن أَبى كُرَيْبٍ ، عن وَكِيعٍ ، عن أَبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن ابنِ أَبى نَجِيحٍ ، عن عائشةَ ، قالت : مَن أَحَبَّ أَن يَسْمَعَ خَرِيرَ الكَوْثرِ ، فلْيَجْعَلْ إصْبَعَيْه فى أُذُنَيْه . وهذا مُنْقَطِعٌ . وقد رواه بعضُهم عن ابنِ أَبى نَجِيحٍ[7] ، [8]عن مجاهدٍ[8] عن رجلٍ ، عنها . قال السُّهَيْلىُّ : وقد رواه الدارَقطنىُّ[9] ، مِن طريقِ مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، عن الشعْبىِّ ، عن مَسْروقٍ ، عن عائشةَ ، عن النبىِّ ﷺ . ومعنى هذا : مَن أَحَبَّ أَن يَسْمَعَ خَرِيرَ الكَوْثَرِ ، أَى نَظِيرَه ، وما يُشْبِهُه ، لا أنه يَسْمَعُه بعينِه ، بل شبَّهَتْ دَوِيَّه كدَوِىِّ ما يَسْمَعُ الإنسانُ إذا وضَع إصْبَعَيْه فى أُذُنَيْه ، واللَّهُ أعلمُ أىَّ شىءٍ أرادت .

---

(١) فى الأصل ، ح : « على » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « كنجوم السماء » .

(٣) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ١٧٩ إلى أبى نعيم .

(٤) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٣٠/ ٣٢١، بسنده عن أنس .

(٥) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٣٠/ ٣٢٠، بسنده عن عائشة .

(٦) تفسير الطبرى ٣٠/ ٣٢١.

(٧) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٣٠/ ٣٢٠، من طريق أبى جعفر الرازى عن ابن أبى نجيح به .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من تفسير الطبرى .

(٩) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الدار قطنى ، كما فى فيض القدير ١/ ٣٢٧. والحديث موضوع (ضعيف الجامع الصغير ٤٥٤) .

ذكرُ نهرِ البَيْذَخِ فِي الجنةِ

قال أحمدُ[1] : حدَّثنا بَهْزٌ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أَنسٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ تُعْجِبُه الرُّؤْيا الحسنةُ ، فربَّما قال : « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ[2] رُؤْيَا ؟ » قال : فإذا رأَى الرجلُ رُؤْيا سأَل عنه ، فإن كان ليس به بأسٌ كان أَعْجَبَ لرُؤْياه إليه . قال : فجاءَت امرأَةٌ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، رَأَيْتُ كأَنى دخَلْتُ[3] الجنةَ ، فسمِعْتُ وَجْبةً ارْتَجَّتْ[4] لها الجنةُ ، فنظَرْتُ فإذا قد جِيءَ بفلانِ ابنِ فلانٍ وفلانِ ابنِ فلانٍ . حتى عدَّت اثنَىْ عشَرَ رجلًا - وقد بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيةً قبلَ ذلك - قالت : فجِيء بهم عليهم [١٣٤ظ] ثيابٌ[5] طُلْسٌ[6] تَشْخُبُ أَوْداجُهم . قالت : فقيل : اذْهَبوا بهم إلى نهرِ البَيْذَخِ - أو قال : إلى نهرِ البَيْدَحِ - قال : فغُمِسوا فيه ، فخرَجوا منه وجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ .

قالت : ثم أُتُوا بَكراسيَّ مِن ذهبٍ ، فقعَدوا عليها ، فأُتِيَ بصَحْفةٍ - أو كلمةً نحوَها - فيها بُسْرَةٌ ، فأكَلوا منها ، فما يَقْلِبُونها لِشِقٍّ إلا أكَلوا مِن فاكهةٍ ما أَرادُوا ، وأكَلْتُ معهم . قال : فجاءَ البَشيرُ مِن تلك السَّرِيةِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، كان مِن أمْرِنا كذا وكذا ، وأُصِيب فلانٌ وفلانٌ . حتى عدَّ الاثنَىْ عشَرَ الذين عدَّتْهم المرأةُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ » . فجاءَت ، فقال :

---

(١) المسند ٣/١٣٥ (١٢٤٠٨) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٩/ ٣٨٠.

(٢) بعده فى الأصل : « الليلة » .

(٣) فى الأصل : « أدخلت » .

(٤) فى حاشية الأصل : « الْتَّجَّتْ » .

(٥) بعده فى ح : « خضر » .

(٦) الطلس : جمع أطلس ، والأطلس : الأسود والوسخ . النهاية ٣/ ١٣٢.

« قُصِّى عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ » . فقصَّت ، فقال : هو كما قالت يا رسولَ اللَّهِ .

نهرُ بارقٍ على بابِ الجنةِ

[1] قال أحمدُ[2] : حدَّثنا يعقوبُ ، حدَّثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن الحارثِ ابنِ فُضَيْلٍ الأنْصارىِّ ، عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ ؛ نَهَرٍ [3] عَلَى بابِ [3] الْجَنَّةِ ، فى قُبَّةٍ خَضْرَاءَ ، يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ [4] رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » [1] .

[1] ذِكرُ ما فى الدُّنيا مِن أنْهارِ الجنةِ [1]

فى حديثِ الإسْراءِ ، فى ذِكْرِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، قال : « فَإِذَا يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهَرَانِ بَاطِنَانِ ، وَنَهَرَانِ ظَاهِرَانِ ، فَالْبَاطِنَانِ فِى الْجَنَّةِ ، وَالظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا [5] » .

وفى « مسندِ أحمدَ » [6] و « صحيحِ مسلمٍ » [7] ، واللفظُ له ، مِن حديثِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ١/١٦٦ (٢٣٩٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن ، ابن إسحاق حسن الحديث ، وباقى رجاله ثقات رجال الصحيح . المسند ٤/ ٢٢٠.

(٣ - ٣) فى المسند : « بباب » .

(٤) فى المسند : « عليهم » .

(٥) البخارى (٣٢٠٧، ٧٥١٧) ، ومسلم (١٦٤) .

(٦) المسند ٢/٢٨٩، ٤٤٠ (٧٨٧٣، ٩٦٧٢) .

(٧) مسلم (٢٨٣٩/٢٦) .

عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن خُبَيْبِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن حفصِ بنِ عاصمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَيْحَانُ وجَيْحَانُ[1] وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ » .

وروَى الحافظُ الضِّياءُ مِن طريقِ عثمانَ بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ سابقٍ[2] ، عن مَسْلَمةَ بنِ عُلَىٍّ الخُشَنىِّ ، عن مُقاتِلِ بنِ حَيَّانَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ : سَيْحُونَ ، وَهُوَ نَهَرُ الْهِنْدِ ، وَجَيْحُونَ ، وَهُوَ نَهَرُ بَلْخَ ، وَدِجْلَةَ وَالفُرَاتَ ، وَهُمَا نَهَرَا الْعِرَاقِ ، وَالنِّيلَ ، وَهُوَ نَهَرُ مِصْرَ ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ ، مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا عَلَى جَنَاحَىْ جِبْرِيلَ ، فَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالَ ، وَأَجْرَاهَا فِى الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ ، مِنْ[3] أَصْنَافِ مَعَايِشِهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المؤمنون : ١٨] . فَإِذَا كانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَرْسَلَ اللَّهُ جِبْرِيلَ ، فَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ ، وَالْعِلْمَ كُلَّهُ ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ، وَتَابُوتَ مُوسَى بِمَا فِيهِ ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارَ الْخَمْسَةَ ، فَرَفَعَ كُلَّ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨] . فَإِذَا رُفِعَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَدْ حُرِمَ أَهْلُهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، بل مُنْكَرٌ ، ومَسْلَمَةُ بنُ عُلَىٍّ ضعيفُ الحديثِ عندَ الأئمةِ[4] .

---

(١) سيحان وجيحان : نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس . النهاية ١/ ٣٢٣.

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٦/ ٢٣١٦، والخطيب فى تاريخه ١/ ٥٧، ٥٨ كلاهما من طريق سعيد بن سابق به .

(٣) فى مصدرى التخريج : « فى » .

(٤) انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٧، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٤٩.

وقد وصَف اللَّهُ سبحانَه عُيونَ الجنةِ بكثرةِ الجَرَيانِ ، وأَن أَهلَ الجنةِ حيث شاءُوا فجَّروها ، أَيِ اسْتَنْبَطُوها ، وفى أَىِّ المَحالِّ أَحَبُّوا نَبَعَتْ لهمُ العُيونُ بفُنونِ المَشارِبِ والمياهِ ، وقد قال ابنُ مسعودٍ : ما فى الجنةِ عينٌ إلا تَنْبُعُ مِن تحتِ جبلٍ مِن مسكٍ .

وروَى الأعمشُ[1] ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن [١٣٥و] مَسْروقٍ ، عن ابن مسعودٍ ، أنه قال : أَنْهارُ الجنةِ تَفَجَّرُ مِن جبلِ مِسْكٍ .

وقد جاء هذا فى حديثٍ مرفوعٍ ، رواه الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه »[2] ، فقال : أنبَأنا الأَصَمُّ ، أنبأنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، حدَّثنا أَسدُ بنُ موسى ، حدَّثنا ابنُ ثَوْبانَ ، عن عطاءِ ابنِ قُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ضَمْرةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَمْرِ فِى الآخِرَةِ فَلْيَتْرُكْهَا فِى الدُّنْيَا ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْسُوَهُ اللَّهُ الْحَرِيرَ فِى الآخِرَةِ فَلْيَتْرُكْهُ فِى الدُّنْيَا ، أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ - أَوْ جِبَالِ - المِسْكِ ، وَلَوْ كَانَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ حِلْيَةً عُدِلَتْ بِحِلْيَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا ، لَكَانَ مَا يُحَلِّيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِى الآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ حِلْيَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

فصـلٌ

فى أشجارِ الجنـةِ

قال اللَّهُ تعالَى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧] . وقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٨] . والأَفْنانُ : الأَغْصانُ ، وقال : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٩٣ .

(٢) لم نجده فى المستدرك ، لكن رواه البيهقى فى البعث (٢٩٢) عن الحاكم به . كما تقدم فى ص ٢٩٣.

[الرحمن: ٦٤] . أىْ مِن كثرةِ رِيِّهما ، واشْتِباكِ أشْجارِهما . وقال تعالى : ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] . أىْ قريبٌ مِن التَّناوُلِ ، وهم على فُرُشِهم . كما قال : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٤] . وقال : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٣] . وقال :﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧- ٣٣] . وقال : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] . وقال : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٢] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[(١)] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا زيادُ بنُ الحسنِ بنِ الفُراتِ القَزّازُ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إلَّا سَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ » .

وكذا رواه الترمذىُّ[(٢)] ، عن أبى سعيدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ الكِنْدىِّ الأَشَجِّ ، وقال : حسنٌ صحيحٌ[(٣)] .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[(٤)] : حدَّثنى حمزةُ بنُ العباسِ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، أخبرَنا ابنُ المُبارَكِ ، أخبرَنا سفيانُ ، عن حمادٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نخلُ الجنةِ جُذوعُها مِن زُمُرُّدٍ أخضرَ ، وكَرَبُها[(٥)] ذهبٌ أحمرُ ، وسَعَفُها كِسْوةٌ لأهلِ الجنةِ ، منها مُقَطَّعاتُهم[(٦)] وحُلَلُهم ، وثمرُها أمثالُ القِلالِ

---

(١) صفة الجنة (٤٨) .

(٢) الترمذى (٢٥٢٥) بنحوه . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٤٩) .

(٣) كذا فى النسخ . وفى سنن الترمذى : « غريب » .

(٤) صفة الجنة (٥١) .

(٥) الكرب : أصل السَّعف ، وقيل : مايبقى من أصوله فى النخلة بعد القطع كالمراقى . النهاية ٤/ ١٦١.

(٦) فى المصدر : « مقاطعهم » والمقطعات : القصار من الثياب . القاموس المحيط (ق ط ع) ، وانظر النهاية ٤/ ٨٢.

والدِّلاءِ، أشدُّ بَياضًا مِن اللبنِ، وَأَحْلَى مِن العسلِ، وأَلْيَنُ مِن الزُّبدِ، ليس فيه عَجَمٌ[1].

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[2]: حدَّثنى إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهرىُّ، حدَّثنا أبو عامرٍ العَقَدىُّ[3]، حدَّثنا زَمْعةُ بنُ صالحٍ، عن سَلَمةَ بنِ وَهرامَ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: الظِّلُّ المَمْدودُ شجرةٌ فى الجنةِ على ساقٍ[4]، قَدْرُ ما يَسِيرُ الراكبُ المُجِدُّ فى ظلِّها مائةَ عامٍ فى كلِّ نَواحيها[5]. قال: فيَخْرُجُ إليها أَهلُ الجنةِ، [6]أهلُ الغُرَفِ وغيرُهم[6]، فيَتَحدَّثون فى ظلِّها، فيَشْتَهِى بعضُهم، ويَذْكُرُ لَهْوَ الدنيا، فيُرْسِلُ اللَّهُ تعالى رِيحًا مِن الجنةِ[7]، فتُحَرِّكُ تلك الشجرةَ بكلِّ لَهْوٍ كان فى الدُّنيا.

وثبَت فى «الصحيحين»[8] مِن روايةِ وُهَيْبٍ، عن أبى حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا». قال[9]: فحدَّثْتُ به النعمانَ بنَ أبى عَيَّاشٍ الزُّرَقىَّ، فقال: حدَّثنى أبو سعيدٍ الخُدْرىُّ، عن النبىِّ ﷺ قال: «إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجوادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا».

---

(١) العجم: النوى. النهاية ٣/ ١٨٧.
(٢) صفة الجنة (٤٥).
(٣) فى ح: «الغفارى». وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٦٤.
(٤) بعده فى الأصل: «واحد».
(٥) فى الأصل: «ناحية من نواحيها».
(٦ - ٦) سقط من: ح.
(٧) فى الأصل: «الدنيا».
(٨) البخارى (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧/٨).
(٩) القائل هو أبو حازم. البخارى (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

وفى « صحيحِ البُخارىِّ »[1] ، مِن حديثِ سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن أَنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ [2] فى قولِه تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[2] [الواقعة : ٣٠] . قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجرةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا » .

وقال أحمدُ[3] : حدثَّنا سُرَيْجٌ[4] ، حدَّثنا فُلَيْحٌ ، عن هلالِ بنِ علىٍّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَمْرةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مَائَةَ سَنَةٍ » . اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ .

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[5] : « لَقَابُ[6] [7]قَوْسٍ أَوْ سَوْطٍ[7] فِى الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ » .

ورواه البخارىُّ[8] ، عن محمدِ بنِ سِنانٍ ، عن فُلَيْحٍ .

ولمسلمٍ[9] مِن طريقِ الأعْرجِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا » .

---

(١) البخارى (٣٢٥١) .

(٢ - ٢) ليس فى المصدر .

(٣) المسند ٤٨٢/٢ (١٠٢٦٤) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٦/ ١٨٠.

(٤) فى النسخ : « شريح » . والمثبت من المصدر ، وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢١٨.

(٥) المسند ٤٨٢/٢ (١٠٢٦٥) ، بنفس إسناد الحديث السابق . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٦/ ١٨١.

(٦) قاب القوس : قدره ، وقيل : ما بين مقبض القوس وسيته - والسية طرف القوس - وقيل : ما بين الوتر والقوس ، وقيل : المراد بالقوس هنا : الذراع الذى يقاس به ، وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع من الجنة . انظر فتح البارى ٦/ ١٤.

(٧ - ٧) فى الأصل : « قوس أحدكم أو موضع سوط » . وفى ح : « قوس أو موضع سوط » .

(٨) البخارى (٣٢٥٢، ٣٢٥٣) ، بنحوه .

(٩) مسلم (٢٨٢٦/٧) .

طريقٌ أُخرَى عن أبى هريرةَ : [1]قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا موسى بنُ داودَ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى يُونُسَ سُليمِ بنِ جُبيرٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ[3] فى ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ ، وَإِنَّ وَرَقَهَا لَيُخَمِّرُ[4] الْجَنَّةَ[5] » .

طريقٌ أُخرَى[1] : قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا حَجَّاجٌ ، حدَّثنا ليثُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنى [١٣٥ظ] سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ المَقْبُرِىُّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن رسول اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ » .

طريقٌ أُخرَى : قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، عن حمادٍ ، عن محمدِ بنِ زِيادٍ ، سمِعتُ أبا هريرةَ قال : سمِعتُ أبا القاسمِ ﷺ يَقولُ : « فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا » .

شَجـرةُ الخُلْدِ

قال الإمام أحمدُ[8] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ وحجاجٌ ، قالا : حدَّثنا شعبةُ ، سمِعْتُ أبا الضَّحاكِ يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « إِنَّ فِى

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المسند ٢/٤٠٤ (٩٢٣٢) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، دون قوله : « وإن ورقها ليخمر الجنة » . المسند ١٥/ ١٣٦.

(٣) بعده فى المسند : « الجواد » .

(٤) يخمِّر : يغطى . انظر النهاية ٢/ ٧٧.

(٥) فى الأصل : « أهل الجنة » .

(٦) المسند ٢/٤٥٢ (٩٨٣١) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين . المسند ١٥/ ٥١٧.

(٧) المسند ٢/٤٦٩ (١٠٠٦٧) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٦/ ٩٣.

(٨) المسند ٢/٤٥٥ (٩٨٧٠) . قال الشيخ شعيب : صحيح دون قوله : « شجرة الخلد » ، وهذا إسناد ضعيف . المسند ١٥/ ٥٣٧.

الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فى ظِلِّهَا سَبْعِينَ - أَوْ مِائَةَ - سَنَة هىَ شَجَرةُ الْخُلْدِ » .

شَجرةُ طُوبَى

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا علىُّ بنُ بَحْرٍ ، حدَّثنا هشامُ بنُ يوسفَ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن يحيَى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن عامرِ بنِ زيدٍ البِكَالىِّ ، أنه سمِع عُتْبَةَ بنَ عبدٍ السُّلَمىَّ يقولُ : جاء أَعْرابىٌّ إلى النبىِّ ﷺ فسأَله عن الحَوْضِ ، وذكَرَ الجنةَ ، فقال الأعرابىُّ : فيها فاكِهةٌ ؟ قال : « نَعَمْ ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى » . فذكَر شيئًا لا أدْرِى ما هو ، قال : أَىَّ شجرِ أرضِنا تُشْبِهُ ؟ قال : « لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ » . ثم قال النبىُّ ﷺ : « أَتَيْتَ الشَّامَ ؟ » قال : لا . قال : « تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ[2] ، تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ ، وَيَنْفَرِشُ أَعْلَاهَا » . قال : ما عِظَمُ أصلِها ؟ قال : « لَوِ ارْتَحَلْتَ جَذَعَةً مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَطْتَ[3] بِأَصْلِهَا ، حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا » . قال : فيها عنبٌ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : فما عِظَمُ العُنْقودِ ؟ قال : « مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ يَطِيرُ[4] ، وَلَا يَفْتُرُ » . قال : فما عِظَمُ الحبةِ ؟ قال : « هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا ؟ » [5]قال : نعم[5] . قال : « فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ ؛ قالَ : اتَّخِذِى لَنَا مِنْهُ دَلْوًا ؟ » قال : نعم . قال الأعْرابىُّ : فإن تلك الحبةَ لَتُشْبِعُنى وأهلَ بيتى ؟ قال : « نَعَمْ ، وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ » .

---

(١) المسند ٤/١٨٣ (١٧٦٧٩) .

(٢) الجوزة : ضرب من العنب . القاموس المحيط (ج و ز) .

(٣) فى مطبوعة المسند : « أحاطت » .

(٤) سقط من : ص ، ومطبوعة المسند . والأبقع : ما خالط بياضه لون آخر . النهاية ١/ ١٤٥ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

وقال حَرْمَلَةُ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وَهْبٍ ، أَخْبَرنى عمرٌو ، أن دَرَّاجًا حدَّثه أن أبا الهَيْثَمِ حدَّثه ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ أن رجلًا قال : يا رسولَ اللَّهِ ، طُوبَى لمَن رآك وآمَن بكَ . قال : « طُوبَى لِمَنْ رَآنِى وَآمَنَ بِى ، وَطوبَى ثُمَّ طُوبَى[2] لِمَنْ آمَنَ بِى وَلَمْ يَرَنِى » . قال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، وما طُوبَى ؟ قال : « شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا » .

سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٣- ١٨] . وذكَرْنا فى « التَّفْسيرِ »[3] أَنَّه غشِيَها نُورُ الربِّ ، جلَّ جَلالُه ، وأنه غشِيَتْها المَلائكةُ مِثْلَ الغِرْبانِ ، يَعْنى كَثْرةً ، وأنه غشِيَها فَراشٌ مِن ذهبٍ ، وغشِيَها أَلْوانٌ متعددةٌ ؛ كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِى مَا هِىَ[4] » ، « مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْعَتَهَا[5] » .

وفى « الصحيحَيْن »[6] عنه ﷺ أنه قال فى حديثِ المِعْراجِ : « ثُمَّ رُفِعَتْ لى سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَإِذَا نَبِقُها مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ٢١٣/١٦ (٧٢٣٠) مختصرًا ، وأخرجه أحمد فى مسنده ٣/ ٧١ (١١٦٩١) من طريق دراج ، به ، واللفظ له . وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، دون قوله : « طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى » . فحسن لغيره . المسند ١٨/ ٢١١.

(٢) بعده فى المسند : « ثم طوبى » .

(٣) التفسير ٧/ ٤٢٩.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخارى (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣/٢٦٣) عن أنس بن مالك ، واللفظ لمسلم .

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٦٢/٢٥٩) عن أنس بن مالك ، بنحوه .

(٦) البخارى (٣٢٠٧، ٣٨٨٧) ، ومسلم (١٦٤) .

الفِيلَةِ ، وَإِذَا يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ ، وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِى الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ » .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى[1] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يحيى بنِ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه[2] ، عن أسْماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، قالت : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وذكَر سِدْرَةَ المُنْتَهَى ، فقال : « يَسِيرُ فِى ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا [3]الرَّاكِبُ مِائَةَ سَنَةٍ » . أَو قال : « يَسْتَظِلُّ فِى ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا[3] مِائَةُ رَاكِبٍ ، فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ ، كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا[4] : حدَّثنى حَمزةُ بنُ العَبَّاسِ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، أخبرَنا صَفْوانُ بنُ عمرٍو ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ ، قال : كان أَصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولون : إن اللَّهَ تعالى لَيَنْفَعُنا بالأعْرابِ ومَسائِلِهم . قال : أَقْبل أعْرابىٌّ يومًا ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، [١٣٦و] ذكَر اللَّهُ تعالى فى الجنةِ شجرةً مُؤْذِيَةً ، وما كنتُ أَرَى فى الجنةِ شجرةً تُؤْذِى صاحبَها ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ومَا هِىَ ؟ » قال : السِّدْرُ ؛ فإن له شَوْكًا مُؤْذِيًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَيْسَ اللَّهُ تعالى يَقُولُ : ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٨] ؟ خَضَدَ اللَّهُ تعالى شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً ، فَإِنَّهَا

---

(١) لم نجده فى مسند أبى يعلى ، وأخرجه الترمذى (٢٥٤١) من طريق يونس بن بكير ، به بنحوه . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٥٨) .

(٢) بعده فى سنن الترمذى : « عن عائشة » ، وهى ليست من السند ، انظر : تحفة الأحوذى ٣/ ٣٢٨، وتحفة الأشراف ١١/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) فى ح ، وحاشية الأصل : « شيبة » . والحديث فى صفة الجنة (١٠٩) .

لَتُنْبِتُ ثَمَرًا تَفَتَّقُ الثَّمَرَةُ مِنْهَا عن اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ [1]لَوْنًا مِنْ طَعَامٍ[1] ، مَا فِيهِ[2] لَوْنٌ يُشْبِهُ الآخَرَ » .

وقد رُوِى هذا الحديثُ مِن وجهٍ آخرَ بلفظٍ آخَرَ ؛ فقال أَبو بكرِ بنُ أبى داودَ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصَفًّى ، حدَّثنا محمدُ بنُ المُبارَكِ ، حدَّثنا يحيى بنُ حمزةَ ، حدَّثنا ثَوْرُ بنُ يزيدَ ، حدَّثنا حَبِيبُ بنُ عُبَيْدٍ ، عن عُتْبَةَ بنِ عبدٍ السُّلَمىِّ قال : كنتُ جَالِسًا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فجاء أعْرابىٌّ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَسْمَعُكَ تَذْكُرُ شجرةً فى الجنةِ لا أَعْلَمُ شجرةً أكثرَ شَوْكًا منها - يعنى الطلحَ - [4]فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [5]خُضِدَ شَوْكُهُ فَجَعَلَ اللَّهُ[5] مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِنْهَا[4] ثَمَرَةً مِثْلَ خُصْوَةِ[6] التَّيْسِ الْمَلْبُودِ ، فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ ، [7]لَا يُشْبِهُ لَوْنٌ آخَرَ[7] » . المَلبُودُ هو الذِى قد تلبَّد صوفُه بعضُه على بعضٍ .

فصـلٌ

روَى الترمذىُّ[8] عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقِيتُ إبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّى السَّلَامَ ،

(١ - ١) فى الأصل : « طعما ولونا » . وفى ح : « طعما » . وفى ص : « لونا » . والمثبت من المصدر .
(٢) فى الأصل ، ص : « فيها » .
(٣) البعث والنشور (٦٩) .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥ - ٥) فى المصدر : « إن الله يجعل » .
(٦) فى المصدر : « خوصة » . والخصوة : لغة فى الخصية . تاج العروس (خ ص ى) .
(٧ - ٧) فى الأصل : « لا يشبهه لون الآخر » . وفى ح ، ص : « لا يشبهه لون » . والمثبت من المصدر .
(٨) الترمذى (٣٤٦٢) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٢٧٥٥) .

وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا : سُبْحَانَ اللَّهِ ، والْحَمْدُ للَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » . [1]ثم قال : حسنٌ غريبٌ ، وفى البابِ [2]عن أبى أيوبَ[2] .

وقد روَى ابنُ ماجه[3] عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ عليه وهو يَغْرِسُ غرسًا ، فقال : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، واللَّهُ أَكْبَرُ[1] ؛ يُغْرَسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ » .

وروَى الترمذىُّ[4] عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ . غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ[5] فِى الْجَنَّةِ » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

فصــلٌ

فى ثِمارِ الجنَّةِ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] . وقال : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] . وقال : ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] . أى : قريبٌ مِن المُتَناوَلِ ، كما قال : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] . وقال : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « أبى هريرة » . والمثبت من المصدر . وانظر تحفة الأحوذى ٤/ ٢٤٩.

(٣) ابن ماجه (٣٨٠٧) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٦٩) .

(٤) الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٧٥٧) .

(٥) فى ص : « شجرة » .

﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧- ٣٣]. أى: لا تَنْقَطِعُ أبدًا فى زمنٍ مِنَ الأزْمَانِ، بل هى مَوْجودةٌ فى كلِّ أوانٍ وزمانٍ، كما قال تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَآ ﴾ [الرعد: ٣٥]. أىْ: لا يسقطُ ورقُ أشجارِها، أى: ليست كالدنيا التى تَأْتِى ثِمارُها فى بعضِ الأزمانِ دون بعضٍ، ويسقطُ أوراقُ أشجارِها فى بعضِ الفُصولِ، وتُفْقَدُ ثمارُها فى وقتٍ آخرَ، وتَكْتَسِى أشْجارُها الأوراقَ فى وقتٍ وتَعْرَى فى آخرَ، بلِ الثمرُ والظلُّ دائمٌ مستمرٌّ، سهلُ التناوُلِ، قريبُ المُجتنَى، كما قال: ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾. أىْ: لا تمتنعُ ممَّن أرادها كيف شاء، وليس دونَها حِجابٌ ولا مانعٌ، بل مَن أرادها فهى موجودةٌ سهلةٌ قريبةٌ، حتى ولو كانتِ الثَّمرةُ فى أَعْلَى الشجرةِ فأرادها المؤمنُ؛ تدلَّت إليه حتى يأخذَها، واقْتَرَبَت منه، وتذلَّلت لديه.

قال أبو إسحاقَ[1]، عن البَرَاء: ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا ﴾. أىْ: أُدْنِيَت حتى يَتناوَلَهاالمؤمنُ وهو نائمٌ. وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٢]. وقال: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥].

وقد سبَق فيما أَوْرَدْناهُ مِن الأحاديثِ أَن تُربةَ الجنةِ مسكٌ وزَعْفرانٌ، وأَن ما فى الجَنةِ شجرةٌ إلَّا ساقُها مِن ذَهَبٍ، [١٣٦ظ] فإذا كانت التربةُ بهذه المثابةِ،

---

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٩/ ٦١، والحاكم فى المستدرك ٢/ ٥١١، بنحوه وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

والأصولُ الثابتةُ فيها من الذهبِ ، فما الظنُّ بما يَتَوَلَّدُ بينهما مِن الثمارِ الرائقةِ النَّضيجةِ الأنيقةِ ، التى [1] ليس فيها عَجَمٌ ، و [1] ليس فى الدنيا منها إلا الأسماءُ ، [2] كما قال ابنُ عباسٍ ، رضى اللَّهُ عنه : ليس فى الدنيا من الجنةِ إلا الأسماءُ [2] .

وإذا كان السِّدْرُ الذى فى الدنيا ، وهو لا يُثْمِرُ إلا ثمرةً ضعيفةً ، وهى النَّبْقُ ، وفيه شَوْكٌ كثيرٌ ، والطلحُ الذى لا يُرادُ منه إلا الظِّلُّ فى الدنيا ؛ يَكُونان فى الجنةِ فى غايةِ كثرةِ الثمارِ وحُسْنِها ، حتى إنَّ الثَّمَرةَ الواحدةَ منها تَتَفَتَّقُ عن سبعين نوعًا مِن الطُّعومِ والألوانِ ، التى لا يُشْبِهُ بعضُها بعضًا - فما الظنُّ بثِمارِ الأشْجارِ التى تَكونُ فى الدنيا حسنةَ الثِّمارِ ، طيِّبةَ الرائحةِ ، سهلةَ التناوُلِ ؛ كالتُّفاحِ والمِشْمِشِ والدُّرَّاقِنِ [3] والنّخلِ [4] والعِنَبِ وغيرِ ذلك ؛ بل ما الظنُّ بأنواعِ الريَاحينِ والأَزاهيرِ ! وبالجملةِ : فيها ما لا عينٌ رَأَت ، ولا أُذُنٌ سَمِعت ، ولا خطَر على قلبِ بشرٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ مِن فضلِه [5] .

وفى « الصحيحَيْن » [6] مِن حديثِ مالكٍ ، عن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى حديثِ صلاةِ الكُسوفِ ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، رأَيْناك تناوَلْتَ شيئًا فى مَقامِك هذا ، ثمّ رأَيْناك تكَعْكَعْتَ [7] . فقال : « إِنِّى رَأَيْتُ - أَوْ : أُرِيتُ - الْجَنَّةَ ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا ، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا » .

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ح . والأثر أخرجه الطبرى فى تفسيره ١/ ١٧٤.

(٣) الدراقن : الخوخ الشامى . اللسان (د ر ق ن) .

(٤) فى الأصل : « الرمان » .

(٥) بعده فى الأصل زيادة يتخللها رقم المخطوط [١٣٧ و] .

(٦) البخارى (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧) واللفظ له .

(٧) تكعكعت أى : تأخرت . فتح البارى ٢/ ٥٤١.

وفى « المسندِ »[1] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرٍ ، فقال : « إِنَّهُ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنُّضْرَةِ ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ لِآتِيَكُمْ بِهِ ، فَحِيلَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ، وَلَوْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ لَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَنْقُصُونَهُ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] من رِوايةِ أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ شاهِدٌ لذلك ، وتقدم فى « المسندِ »[3] عن عُتْبَةَ بنِ عَبْدٍ السُّلَمِىِّ ، أن أَعْرابِيًّا سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الجنَّةِ : فيها عِنَبٌ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : فما عِظَمُ العُنْقُودِ [١٣٧ظ] ؟ قال : « مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ يَطِيرُ[4] ، وَلَا يَفْتُرُ » .

وقال الطَّبَرانىُّ[5] : حدَّثنا مُعاذُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا علىُّ بنُ المَدِينىِّ ، حدَّثنا رَيْحَانُ بنُ سعيدٍ ، عن عَبَّادِ بنِ منصورٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أبى أسْماءَ ، عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ ثَمَرَةً مِنَ الْجَنَّةِ عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى » . قال الحافظُ الضِّياءُ : عَبَّادٌ تكلَّم فيه بعضُ العُلَماءِ[6] .

وقال الطَّبَرانىُّ[7] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ ، حدَّثنا عُقْبةُ بنُ مُكْرَمٍ

---

(١) المسند ٣/٣٥٢ (١٤٨٤٢) .

(٢) مسلم (٩/٩٠٤) .

(٣) تقدم فى صفحة ٣٠٨ .

(٤) سقط من : ح ، ص ، ومطبوعة المسند .

(٥) المعجم الكبير ٢/١٠٠ (١٤٤٩) . وقال الهيثمى : رواه الطبرانى والبزار ، إلا أنه قال : « عيد فى مكانها مثلاها » . ورجال الطبرانى وأحد إسنادى البزار ثقات . المجمع ١٠/ ٤١٤.

(٦) انظر الكلام على عباد فى تهذيب الكمال ١٤/ ١٥٦.

(٧) لم نقف عليه عنده ، وقد رواه البزار عن عقبة بن مكرم ، به بنحوه ، وقال : لا نعلم رفعه إلا ربعى . ثم رواه من طريق أخرى موقوفا على أبى موسى . انظر كشف الأستار ٣/ ١٠٢. وقال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات . المجمع ٨/ ١٩٧.

العَمِّيُّ ، حدَّثنا رِبْعِيُّ بنُ إبراهيمَ ابنُ عُلَيَّةَ ، حدَّثنا عَوْفٌ ، عن قَسَامَةَ بنِ زُهَيْرٍ ، عن أبى مُوسى قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَّمَهُ صَنْعَةَ كُلِّ شَىءٍ ، وَزَوَّدَهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ؛ فَثِمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَغَيَّرُ ، وَتِلْكَ لَا تَغَيَّرُ » .

فصـــلٌ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة : ٢٠، ٢١] .

قال الحسنُ بنُ عَرَفَةَ[(١)] : حدَّثنا خَلَفُ بنُ خَليفةَ ، عن حُمَيْدٍ الأعْرجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارِثِ ، عن ابنِ مَسْعودٍ ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّكَ لَتَنْظُرُ إلَى الطَّيْرِ [(٢)] فِى الْجَنَّةِ [(٢)] فَتَشْتَهِيهِ ، فَيَخِرُّ[(٣)] بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا » .

وفى الترمذىِّ[(٤)] ، وحسَّنه ، عن أنسٍ ، قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الكَوْثَرِ ، فقال : « نَهَرٌ[(٥)] أَعْطَانِيهِ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ » . وقد تقدَّم[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٤٥٢) من طريق الحسن بن عرفة به ، والبزار كما فى كشف الأستار ٤/ ٢٠٠ عن الحسن به ، وقال : لا نعلم رواه إلا ابن مسعود ، ولا له عنه إلا هذا الطريق . وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه حميد بن عطاء الأعرج ، وهو ضعيف . المجمع ١٠/ ٤١٤.

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص . وانظر المصادر السابقة .

(٣) فى كشف الأستار والمجمع : « فيجىء » .

(٤) الترمذى (٢٥٤٢) . حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٦٣) .

(٥) بعده فى الأصل : « فى الجنة » .

(٦) تقدم فى صفحة ٢٩٥ ، ٢٩٦ من رواية الإمام أحمد .

وفى « تفسيرِ الثَّعْلبىِّ »[1] ، عن أَبى الدَّرْداءِ مَرْفوعًا : « إنَّ فِى الْجَنَّةِ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ ، تَصْطَفُّ [2]بَيْنَ يَدَىْ[2] وَلِىِّ اللَّهِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهَا : يَا وَلِىَّ اللَّهِ ، رَعَيْتُ فى مُرُوجِ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَشَرِبْتُ مِنْ عُيُونِ التَّسْنِيمِ ، فَكُلْ مِنِّى . فَلَا [3]يَزَالُ يَفْتَخِرُ[3] بَيْنَ يَدَيْهِ ، حَتَّى يَخْطِرَ عَلَى قَلْبِهِ أَكْلُ أَحَدِهَا ، فَتَخِرُّ[4] بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى أَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَيَأْكُلُ مِنْهُا[5] مَا أَرَادَ ، فَإِذَا شَبِعَ [6]مِنْهَا تَجْتَمِعُ[6] عِظَامُ ذَلِكَ الطَّائِرِ ، الَّذِى أَكَلَهُ ، ثُمَّ يَطِيرُ يَرْعَى فِى الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ » . فقال عمرُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، إنها لَناعمةٌ . فقال : « آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا » . غريبٌ مِن روايةِ أبى الدَّرْداءِ ، واللَّهُ أعلمُ[7] .

ذِكْرُ طعامِ أهلِ الجنةِ ، وأكْلِهم فيها وشُربِهم نَسْأَلُ اللَّهَ مِن فضلِه

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] . وقال : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ٦٢] . وقال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] . وقال : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ [١٣٨ظ] وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة : ٢٠، ٢١] . وقال

---

(١) أورده القرطبى فى التذكرة ٢/٣٢٢. وانظر تفسير القرطبى ١٧/ ٢٠٤.

(٢ - ٢) فى التذكرة : « على يد » .

(٣ - ٣) فى التذكرة : « فلا يزلن يفتخرن » .

(٤) فى النسخ ، والتذكرة : « فيخر » ، والمثبت من تفسير القرطبى .

(٥) فى الأصل ، ص : « منه » .

(٦ - ٦) فى ص ، ومصدر التخريج : « تجمع » .

(٧) بعده فى الأصل زيادة يتخللها رقم المخطوط [١٣٨ و] .

تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي[1] الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [الزخرف: ٧١] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥، ٦] . وقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] . أى : فى صَفاءِ الزُّجاجِ ، وهى من فضةٍ ، وهذا ما لا نَظيرَ له فى الدنيا ، وهى مقدرةٌ على قَدْرِ كفايةِ وليِّ اللَّهِ فى مشرَبِه ، لا تزيدُ ولا تَنْقُصُ ، وهذا يَدُلُّ على الاعْتِناءِ والشَّرفِ . وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥] . أىْ : كلما جاءَهمُ الخَدَمُ بشىءٍ من ثمرِ الجنةِ وغيرِه حسِبوه الذى أُتُوا به قبلَ ذلك ، لمُشابهتِه له فى الظاهرِ ، وهو فى الحقيقةِ خلافُه ، فتَشابَهَتِ الأشْكالُ ، واخْتَلَفتِ الحَقائقُ والطُّعُومُ والرَّوائحُ .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : [3]حدَّثنا حسنٌ[3] ، حدَّثنا سُكينُ[4] بنُ عبدِ العزيزِ ، حدَّثنا الأشْعَثُ الضَّرِيرُ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ ، وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ[5] ، وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ ، وَإِنَّ لَهُ لَثَلاثَمِائَةِ خَادِمٍ ، وَيُغْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ كُلَّ

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص : « تشتهيه » . بإثبات الهاء بعد الياء ... وقرأ الباقون بحذف الهاء على الاختصار . حجة القراءات ص ٦٥٤.

(٢) المسند ٥٣٧/٢ (١٠٩٤٥) ، وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ لضعف شهر بن حوشب ، وسكين بن عبد العزيز فيه كلام . المسند ١٦/ ٥٤٥.

(٣ - ٣) سقط من : ص . وفى ح : « حدثنا حسين » وانظر أطراف المسند ٧/ ٣١٤، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٢٨.

(٤) فى ح : « مسكين » .، وفى ص : « شكر » . وانظر أطراف المسند ٣١٤/٧ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٠٩.

(٥) فى ص : « الثالثة » .

يَوْمٍ بِثَلَاثِمِائَةِ صَحْفَةٍ - ولَا أَعْلَمُهُ إلا قال : مِنْ ذَهَبٍ - فِى كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِى الْأُخْرَى ، وَإِنَّهُ لَيَلَذُّ أَوَّلَهُ كما يَلَذُّ آخِرَهُ ، (١)وَمِنَ الْأَشْرِبَةِ ثَلَاثُمِائَةِ إِنَاءٍ ، وفى كُلِّ إِنَاءٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِى الْآخَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَلَذُّ أَوَّلَهُ ، كَمَا يَلَذُّ آخِرَهُ(١) ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ : يَارَبِّ ، لَوْ أَذِنْتَ لِى لَأَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، وَسَقَيْتُهُمْ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِى شَيْئًا ، وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعَدُها قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو غريبٌ ، وفيه انْقِطاعٌ ، (٢)وله شاهدٌ عن عبادةَ بنِ الصّامتِ .

قال الإمامُ أحمدُ(٣) : ثنا يَعْمَرُ بنُ بِشْرٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، ثنا رِشدينُ(٤) ابنُ سعدٍ ، حدَّثنى أبو هانئٍ الخولانىُّ ، عن(٥) عمرِو بنِ مالكٍ الجَنَبىِّ أن فَضالةَ بنَ عُبيدٍ وعُبادةَ بنَ الصامتِ حدثاهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَفَرَغَ اللَّهُ تَعَالى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَيَبْقَى رَجُلَانِ ، فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى النَّارِ ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمَا ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ تَعَالَى : رُدُّوهُ . فَيَرُدُّونَهُ ، فَيَقُولُ : لِمَ الْتَفَتَّ ؟ قال : كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُدْخِلَنِى الْجَنَّةَ » . قَالَ : « فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ . فَيَقُولُ : لَقَدْ أَعْطَانِى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى لَوْ أَنِّى أَطْعَمْتُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى شَيْئًا » . قال : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا ذكَره يُرى السُّرورُ فى وجهِه . تفرد به أحمدُ(٢) .

(١ - ١) سقط من : ح ، ومطبوعة المسند ، وانظر مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب . الموضع السابق .

(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) المسند ٥/٣٢٩ (٢٢٨٤٥) . قال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم . مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٤.

(٤) فى الأصل : « راشد » . والمثبت من المسند . وانظر أطراف المسند ٢/ ٦٥٤.

(٥) سقط من : الأصل . والمثبت من المسند ، وانظر ما سبق .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدثَّنا أَبو مُعاويةَ ، حدَّثنا الأعْمَشُ ، عن ثُمامةَ بنِ عُقْبةَ ، عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ قال : أتَى النبيَّ ﷺ رجلٌ مِن اليهودِ ، فقال : يا أَبا القاسمِ ، ألستَ تَزْعُمُ أَنَّ أهلَ الجنةِ يَأْكُلون فيها ويَشْرَبون ؟ وقال لأصحابِه : إن أَقَرَّ لى بهذا خصَمْتُه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَلَى ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِى الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ والشَّهْوَةِ والْجِمَاعِ » . قال : فقال اليهوديُّ : فإنَّ الذى يَأْكُلُ ويَشْرَبُ تَكُونُ له الحاجةُ ؟! قال : فقال النبيُّ ﷺ : « حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلَ رِيحِ الْمِسْكِ ، فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ » . ثُمَّ رواه أحمدُ[2] ، عن وَكيعٍ ، عن الأعْمشِ ، عن ثُمامةَ ، سمِعْتُ زيدَ بنَ أرقمَ ، فذكَره .

وقد رواه النسائيُّ[3] ، عن علىِّ بنِ حُجْرٍ ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ ، عن الأعمشِ ، به ، ورواه أبو جعفرٍ الرازِىُّ ، عن الأعمشِ ، فذكَره ، وعندَه : قال اليهوديُّ : فَإِنّ الذى يَأْكُلُ ويَشْرَبُ تَكُونُ له الْحاجةُ ، وليس فى الجنةِ أذًى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِمْ رَشْحًا يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ ، فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ » .

قال الحافظُ الضياءُ : وهذا عندى على شرطِ مسلمٍ ؛ لأنّ ثُمامَةَ ثقةٌ ، وقد صرَّح بسَماعِه مِن زَيدِ بنِ أرقَمَ .

---

(١) المسند ٤/٣٦٧ (١٩٢٨٨) . وقال الهيثمى : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة ، وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد ١٠/٤١٦.

(٢) المسند ٤/٣٧١ (١٩٣٣٣) .

(٣) السنن الكبرى (١١٤٧٨) .

حديثٌ آخرُ فى ذلك عن جابرٍ : قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو[2] مُعاويةَ ، حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ ، وَلَا يَبْزُقُونَ ، طَعَامُهُمْ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ » .

[3]وقد رواه مسلمٌ[4] مِن حديثِ [5]أبى سفيانَ طَلْحةَ بنِ نافِعٍ[5] ، عن جابرٍ ، فذكَره . قالوا : فما بالُ الطعامِ ؟ قال : « جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ[3] يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ » .

وكذا أخْرَجه[6] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، فذكَره ،وقال : « طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرِيحِ[7] الْمِسْكِ ، وَيُلْهَمُونَ [١٣٩و] التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ » .

طريقٌ ثالثةٌ عن جابرٍ : قال أحمدُ[8] : حدَّثنا الحكمُ بنُ نافعٍ [9]حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عياشٍ[9] ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو ، عن ماعزٍ التَّميميِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ : أَيَأْكُلُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « نَعَمْ ،

---

(١) المسند ٣/٣١٦ (١٤٤٤١) .
(٢) سقط من : « ص » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) مسلم (١٨/٢٨٣٥) .
(٥ - ٥) فى ص : « أبى طلحة عن نافع » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٣٨.
(٦) مسلم (٢٠/٢٨٣٥) .
(٧) فى مسلم : « كرشح » .
(٨) المسند ٣/٣٥٤ (١٤٨٥٧) .
(٩ - ٩) ليس فى المسند ، وهو فى مسند الشاميين للطبرانى (١٠١٩) من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن إسماعيل بن عياش عن صفوان ، به . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ١٦٣.

وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ فِيهَا ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَتَنَخَّمُونَ ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ ، وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ » .

طريقٌ رابعةٌ عن جابرٍ : قال البَزَّارُ : حدَّثنا القاسمُ بنُ محمدِ بنِ يحيى المَرْوَزِيُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ جَبَلَةَ ، وهو يُعْرَفُ بعَبْدَانَ ، حدَّثنا أبو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ[1] ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن [2]جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ[2] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ ، [3]يَكُونُ طَعَامُهُمْ وَشَرَابُهُمْ جُشَاءً كَرَشْحِ الْمِسْكِ[3] » . ثُمَّ قال البَزَّارُ : ويُرْوَى هذا عن الأَعمشِ ، عن أبى سُفيانَ ، ولم يَصِحَّ سَماعُه منه ، وسَماعُه مِن أبى صالحٍ صحيحٌ .

أحاديثُ أُخَرُ شَتَّى : قال الحسنُ بنُ عَرَفَةَ[4] : حدَّثنا خَلَفُ بنُ خَليفةَ ، عن حُمَيْدٍ[5] الأعْرَجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال : قال لِى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فَتَشْتَهِيهِ ، فَيَخِرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًّا » .

وقال : [6]الإمامُ أحمدُ[6] : حدثَّنا عبدُ المَلِكِ بنُ عمرٍو ، عن فُلَيْحٍ ، عن هلالِ ابنِ علىٍّ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومًا وهو يُحَدِّثُ ، وعِندَه رجلٌ مِن أَهلِ الباديةِ : « إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ ، عَزَّ

---

(١) فى ح : « اليشكرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤٤.

(٢ - ٢) فى ص : « عبد الله بن جابر » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تقدم فى صفحة ٣١٦ .

(٥) بعده فى ح : « عن » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل . والحديث فى المسند ٢/٥١١ (١٠٦٥٠) . وقال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٦/ ٣٧٦.

وَجَلَّ ، فِي الزَّرْعِ ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ : أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ » . قَالَ : « فَبَذَرَ ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ واسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ » . قَالَ : « فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : دُونَكَ يَا بْنَ آدَمَ ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ » . قال : فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : واللَّهِ ما تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أو أنصارِيًّا ؛ فإنَّهم أصحابُ زَرْعٍ ، فَأَمَّا نَحن فلسنا بأصحابِه . قال : فَضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ . ورواه البُخاريُّ[1] مِن حديثِ أبى عامرٍ العَقَدِيِّ[2] عبدِ الملكِ بنِ عمرٍو ، به .

ذِكْرُ أولِ طعامٍ يَأْكُله أهلُ الجنةِ [3]بعدَ دُخولِهِمُ الجنةَ[3]

روَى الإمامُ أحمدُ[4] عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ[5] ، عن حُمَيْدٍ . وأخْرَجه البُخاريُّ[6] مِن حديثِهِ ، عن أنسٍ ، أَن عبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ - لما قدِم المدينةَ - عن أشياءَ ، منها : وما أولُ طعامٍ يَأْكُله أَهلُ الجنةِ ؟ فقال : « زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ[7] » مِن روايةِ أبى أسْماءَ ، عن ثَوْبانَ ، أن يهوديًّا سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : فما تُحْفَتُهم حينَ يَدْخُلون الجنةَ ؟ قال : « زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ » . قال : فما غِذاؤُهم على إثْرِها ؟ قال : « يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذى يَأْكُلُ

---

(١) البخارى (٢٣٤٨) .

(٢) بعده فى ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٦٤.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المسند ٣/١٨٩ (١٢٩٩٣) .

(٥) فى ص : « علقمة » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٣٧.

(٦) البخارى (٣٣٢٩) .

(٧) مسلم (٣٤/٣١٥) .

مِنْ أَطْرَافِهَا » . قال : فما شَرابُهم عليه ؟ قال : « مِنْ عَيْنٍ تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا » . قال : صدَقْتَ .

وفى « الصحيحَيْن »[1] مِن حديثِ عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً ، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِى السَّفَرِ ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ » . فأتَى رجلٌ مِن اليهودِ ، فقال : بارَكَ الرحمنُ عليك يا أبا القاسمِ ، أَلا [2]أُخْبِرُك بنُزُلِ[2] أَهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ ؟ قال : « بَلَى » . قال : تَكُونُ الأرضُ خُبْزَةً واحدةً يومَ القِيامةِ . ثم قال : أَلا أُخْبِرُك بإدامِهم ؟ قال : « بَلَى » . قال : إدامُهم بَالَامُ ونُونٌ . قال : « ومَا هَذَا ؟ » قال : ثَوْرٌ ونُونٌ يَأْكُلُ مِن زيادةِ[3] كَبِدِهما سبعون ألفًا .

وقال الأعمشُ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ ، عن مَسْروقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، فى قولِه تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ [المطففين : ٢٥، ٢٦] . قال : الرَّحيقُ الخَمْرُ ، مختومٌ يَجِدون عاقبتَها رِيحَ المِسْكِ .

وقال سفيانُ[5] ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ [المطففين : ٢٧] . قال : التسنيم أشرفُ شَرابِ أهلِ الجنةِ ، يَشْرَبُه المُقَرَّبون صِرفًا ، ويُمْزَجُ لأصحابِ اليَمِينِ[6] .

---

(١) البخارى (٦٥٢٠) بنحوه ، ومسلم (٢٧٩٢/٣٠) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى مصدر التخريج : « زائدة » .

(٤) أخرجه البيهقى فى البعث (٣٦١) وابن أبى شيبه فى مصنفه (١٥٩٣٧) ، (١٥٩٣٨) كلاهما من طريق الأعمش به .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٣٥٧/٢ والطبرى ١٠٩/٣٠ كلاهما من طريق عطاء ، به بنحوه .

(٦) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوطة [١٣٩ ظ] .

قلتُ : وقد وصَف اللَّهُ خمرَ الجنةِ بصفاتٍ جميلةٍ حسنةٍ ليست فى خُمورِ الدنيا القذرةِ ، فَذكَر أَنها أَنهارٌ جاريةٌ ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [محمد : ١٥] . فهى أنهارٌ جاريةٌ مُسْتَمَدَّةٌ مِن عيونٍ تَنْبُعُ مِن تحتِ جبالِ المِسْكِ ، وليست مُعْتَصَرةً بأرجلِ الرجالِ الأراذِلِ فى أَسوأِ الأحوالِ ، وذكَر أَنها لذَّةٌ للشارِبِينَ ، وليست كخمرِ الدُّنيا مِن كراهةِ الطعمِ ، وسوءِ الفعلِ فى العقلِ ، ومَغْصِ البطنِ ، وصُداعِ الرأسِ ، فقد نزَّه اللَّهُ أهلَ الجنةِ عن ذلك كلِّه ، ونزَّه خمرَها أن يكونَ فيه شىءٌ من ذلك كما قال تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات : ٤٥- ٤٧] . ﴿ بَيْضَآءَ ﴾ أى : حَسَنَةِ المَنْظَرِ ، ﴿ لَذَّةٍ ﴾ : طيبةِ الطعمِ ، ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ الغَولُ : وَجَعُ البطنِ ، ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ أى : لا تُذْهِبُ عُقولَهم ، وذلك أن المقصودَ مِن الخمر إنما هو اللَّذَّةُ[1] المُطْرِبةُ ، وهى الحالةُ المبهجةُ التى يَحْصُلُ بها سرورُ النفسِ ، وهذا[2] حاصلٌ كاملٌ تامٌّ فى خمرِ الجنةِ ، فأما ذَهابُ العقلِ بحيث يَبْقَى شاربُها كالحيوانِ والمجنونِ ، فهذا نقصٌ إنما يَنْشَأُ عن خَمرِ الدنيا ، فأَما خمرُ الجنةِ فلا تُحْدِثُ لشاربِها شيئًا من هذا وإنما تُحدِثُ السُّرورَ والابْتِهاجَ ، ولهذا قال تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ أى : تُنْزَفُ عقولُهم ، فتَذْهَبُ بالكُلِّيةِ بسببِ شربِها .

وقال فى الآيةِ الأخرى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة : ١٧- ١٩] . أى : لا

---

(١) فى ص : « الشدة » .

(٢) بعده فى ح : « كله وأضعافه » .

تُورِثُ لهم صُداعًا فى رءوسِهم ، ولا تُنزِفُ عقولَهم[1] .

[2]وقال فى الآيةِ الأخرى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[2] . [المطففين : ٢٥ - ٢٨] .

وقد ذكَرْنا فى « التَّفْسيرِ »[3] عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ[4] : إن الجماعةَ مِن أَهلِ الجنةِ لَيَجْتَمِعون على شَرابِهم كما يَجْتَمِعُ أَهلُ الدنيا ، فتَمُرُّ بهم السَّحابةُ ، فتقول : ما تريدون أن أُمطِرَكم فلا يَشاءُون شيئًا إلا أَمْطَرَتْ عليهم ، حتى إن منهم مَن يَقولُ : أَمْطِرِينا كَواعِبَ أَتْرابًا . فتُمْطِرُهم كَواعِبَ أَتْرابًا .

وتقَدَّم[5] أنهم يَجْتَمِعون عندَ شَجَرةِ طُوبَى ، فيَذْكُرون لهوَ الدنيا ، وهو الطَّرَبُ ، فيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا مِن الجنةِ ، فتُحَرِّكُ تلك الشجرةَ بكلِّ لهوٍ كان فى الدُّنيا ، وفى بعضِ الآثارِ[6] : إن الجماعةَ مِن أهلِ الجنةِ ليَجْتازون ، وهم رُكْبانٌ سائرون صفًّا واحدًا ، فلا يَمُرُّون بشجرةٍ مِن أشجارِ الجنَّةِ إلَّا تَنَحَّتْ عن طريقِهم ، [2]لِئلَّا [7]تثلَمَ صفَّهم[7] وتفرِّقَ بينهم[2] وأتحفتْهم مِن ثمرِها . وهذا كلُّه مِن فضلِ اللَّهِ عليهم ورحمتِه بهم ، فله الحمدُ والمنةُ ، وذلك قولُه : ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] .

---

(١) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط [١٤٠ و] .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) التفسير ٨/ ٣٣٢. لكن ذكره المصنف هناك عن أبى أمامة مرفوعًا ، ولم نجده عن ابن مسعود .

(٤) بياض فى ح ، ص .

(٥) تقدم فى صفحة ٣٠٥ .

(٦) يأتى مطولًا صفحة ٤١٥.

(٧ - ٧) سقط من : ص .

والأكوابُ هى الكِيزانُ التى لا عُرَى لها ولا خَراطِيمَ ، والأباريقُ بخلافِها لها عُرًى وخراطيمُ ، والكأسُ هو القَدَحُ فيه الشَّرابُ ، وقال تعالى : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [النبأ: ٣٤] . أَى مَلْأَى مُتْرَعَةً ، ليس فيها نقصٌ ، ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ [النبأ: ٣٥] . أَىْ لا يَصْدُرُ منهم ، على شَرابِهِم ، شىءٌ مِن اللَّغْوِ ، وهو الكلامُ الساقِطُ التافِهُ ، ولا تَكْذِيبٌ لبعضِهم بعضًا ، كما يَصْدُرُ مِن شَرَبَةِ الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [مريم: ٦٢] . وقال : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ [الغاشية: ١١] .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[(١)] ، عن حُذيفةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَشْرَبُوا فِى آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَا تَأْكُلُوا فِى صِحَافِهَا ؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِى الآخِرَةِ »[(٢)] .

ذِكرُ لِباسِ أهلِ الجنةِ فيها وحِلْيتِهم وصفاتِ ثيابِهم

نَسْأَلُ اللَّهَ تعالى من فضله

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ٢١] . وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٣] . وقال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف: ٣١] .

---

(١) البخارى (٥٤٢٦) ، ومسلم (٢٠٦٧/٤) . واللفظ للبخارى .

(٢) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم [١٤٠ ظ ، ١٤١و] .

وثبت فى « الصحيحَيْن »[1] ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ » .

وقال الحسنُ البَصْرىُّ[2] : الحَلْىُ فى الجنةِ على الرجالِ أَحْسَنُ منه على النساءِ .

وقال ابنُ وهبٍ[3] : حدَّثنى ابنُ لَهِيعةَ ، عن عَقيلِ بنِ خالدٍ ، عن الحسنِ ، عن أبى هريرةَ ، أَن أبا أُمامةَ حدَّثه ، أَن رسولَ اللَّهِ ، ﷺ ، حدَّثهم ، وذكَر حَلْىَ أَهلِ الجنةِ قال : « مُسَوَّرُونَ بِالذَّهَبِ ، وَالفِضَّةِ ، مُكَلَّلُونَ بِالدُّرِّ ، عَلَيْهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ مُتَوَاصِلَةٌ ، وَعَلَيْهِمْ تَاجٌ كَتَاجِ الْمُلُوكِ ، شَبَابٌ جُرْدٌ مُكَحَّلُونَ » .

وقال ابنُ أبى الدُّنيا[4] : حدَّثنا أحمدُ بنُ مَنِيعٍ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ موسى ، [5]حدثنا ابنُ لَهيعةَ[5] حدَّثنا يزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن داودَ بنِ عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ ، فبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ[6] ضَوْءَ الشَّمْسِ ، كَما تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا يحيى بنُ إسحاقَ ، أَنْبَأَنا حمَّادُ بنُ سَلمةَ ، عن

---

(١) كذا فى النسخ ، وحادى الأرواح ص ١٩٩. والحديث انفرد بإخراجه مسلم (٢٥٠) وانظر تحفة الأشراف ١٠/ ٨١. قال المصنف فى « التفسير » ٦/ ٥٣٦، ٥٣٧: كما ثبت فى « الصحيح » . وأورد الحديث .

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٢٤) .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٦٧) من طريق ابن وهب به . وانظر حادى الأروح ص ١٩٩.

(٤) صفة الجنة (٢٢٥) .

(٥ - ٥) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٢٨.

(٦) بعده فى المصدر : « ضوءه » .

(٧) المسند ٢/ ٣٦٩ (٨٨١٣) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٤/ ٤٢١.

ثابتٍ ، عن أبى رافعٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمْ ، لَا يَبْأَسُ ولَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ، فِى الْجَنَّةِ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

وأخْرَجَه مُسْلِمٌ[1] مِن حديثِ زُهَيْرِ بنِ حربٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِىٍّ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ إلى قولِه : « لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » .

وقال أحمدُ[2] : حدَّثنا [3]علىُّ بنُ[3] عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا معاذُ بنُ هِشامٍ ، حدَّثنى أبى ، عن قتادةَ ، عن خِلَاسٍ ، عن أبى رافِعٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَن نبىَّ اللَّهِ ﷺ قال : « لِلْمُؤْمِنِ زَوْجَتانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ[4] ثِيَابِهِمَا » .

وقال الطَّبَرانىُّ[5] : حدَّثنا أَحمدُ بنُ يحيى[6] الحُلْوانىُّ ، والحسنُ بنُ علىٍّ الفسوىُّ[7] قالا : حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، حدَّثنا فُضَيْلُ بنُ مَرْزوقٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّىٍّ فِى السَّمَاءِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً ، يُرَى مُخُّ سوقِهما مِنْ وَرَاءِ لُحُومِهِمَا ، وَحُلَلِهِمَا كَمَا يُرَى الشَّرَابُ الأَحْمَرُ فِى الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ » . قال الضِّياءُ : هذا عندى على شرطِ الصَّحيحِ .

---

(١) مسلم (٢٨٣٦) .

(٢) المسند ٢/٣٨٥ (٨٩٨٤) . وقال الشيخ شعيب : إسناده صحيح . المسند ١٤/ ٥٤٥.

(٣ - ٣) سقط من مطبوع المسند . وهو فى المسند تحقيق الشيخ شعيب على الصواب ، وانظر أطراف المسند ٨/ ١١٧.

(٤) فى المسند : « فوق » .

(٥) المعجم الكبير ١٠/١٩٨ (١٠٣٢١) . صحيح بشواهده (السلسلة الصحيحه ١٧٣٦) .

(٦) فى النسخ : « على » . والمثبت من المصدر .

(٧) فى ص : « النسوى » . وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٣٧٢.

وقال أحمدُ[1] : حدَّثنا يونُسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا الخَزْرَجُ بنُ عثمانَ السَّعْدىُّ ، حدَّثنا أَبو أيوبَ ، مولًى لعثمانَ بنِ عفانَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « قِيدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمِثْلِهَا مَعَهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلِها مَعَهَا ، وَلَنَصِيفُ امْرَأَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمِثْلِهَا مَعَهَا » . قال : قلتُ : يا أبا هريرةَ ، وما النَّصِيفُ ؟ قال : الخِمارُ .

قلتُ : الخَزْرَجُ بنُ عثمانَ البَصْرىُّ تكَلَّموا فيه[2] ، ولكن له شاهدٌ فى « الصحيحِ » ، كما تقَدَّم[3] فى « صحيحِ البُخارىِّ » ، عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ وفيه : « وَلَنَصِيفُهَا - يعنى خِمارَها - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وقال حَرْمَلَةُ[4] ، عن ابنِ وهبٍ ، أخبرنا عمرٌو أن دَرَّاجًا أبا السَّمْحِ [١٤١ظ] حدَّثه عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ فِى الْجَنَّةِ لَيَتَّكِئُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِى خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِىءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا الْمَزِيدُ . وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ مِنْ طُوبَى ، فَيُنْفِذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ ساقِها مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وإِنَّ عَلَيْهِمُ[5] التِّيجَانَ ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ

---

(١) المسند ٢/٤٨٣ (١٠٢٧٥) . قال الشيخ شعيب : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن . المسند ١٦/ ١٨٩.

(٢) انظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٤١، وميزان الاعتدال ١/ ٦٥٢.

(٣) تقدم فى صفحة ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٤) أخرجه ابن حبان كما فى الإحسان (٧٣٩٧) من طريق حرملة ، عن ابن وهب به ، بنحوه . كما أخرجه ابن أبى داود فى البعث والنشور (٨٠) من طريق ابن وهب به . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ، دراج ضعيف فى حديثه عن أبى الهيثم .

(٥) فى مصدرى التخريج : « عليهن » .

عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

ورواه أحمدُ[1] عن حسنٍ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن دَرَّاجٍ به بطولِه .

وقال ابنُ وهبٍ[2] : أَخْبَرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن أبى السَّمْحِ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا قولَه : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [فاطر : ٣٣] . فقال : « إِنَّ عَلَيْهِمُ التِّيجَانَ ، إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

وقد روَى الترمذىُّ منه ذكْرَ التيجانِ مِن حديثِ عمرِو بنِ الحارثِ[3] .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[4] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِىٍّ ، عن محمدِ بنِ أبى الوَضَّاحِ ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ ، عن حَنَانِ[5] بنِ خارجةَ السُّلَمىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : جاء رجلٌ إلى النبىِّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنا عن ثِيابِ أَهلِ الجنةِ ؛ خَلْقًا تُخْلَقُ أَم نَسْجًا تُنْسَجُ ؟ فضَحِكَ بعضُ القومِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا » ؟! ثم أَكَبَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم قال : « أَيْنَ السَّائِلُ ؟ » قال : ها[6] هو ذا أَنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « لَا ، بَلْ تَشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ » . ثلاثَ مراتٍ .

ورواه أحمدُ[7] أيضًا : عن أبى كاملٍ ، عن زيادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُلاثةَ القاصِّ

---

(١) المسند ٣/٧٥ (١١٧٣٣) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة ولضعف دراج . المسند ١٨/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه ٢/ ٤٢٦.

(٣) الترمذى (٢٥٦٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٦٨) .

(٤) المسند ٢/٢٢٤ (٧٠٩٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١١/ ٦٦٦.

(٥) فى الأصل ، ح : « حبان » . وانظر أطراف المسند ٤/ ١٣.

(٦) ليست فى المسند .

(٧) المسند ٢/٢٠٣ (٦٨٩٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١١/ ٤٩٠.

أَبى سهلٍ ، عن العَلاءِ بنِ رافعٍ ، عن الفرزدقِ بنِ حَنانٍ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو ابنِ العاصِ ،فذكَر نحوَه .

وفى حديثِ دَرَّاجٍ[2] ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رجلًا قال : يا رسولَ اللَّهِ ، وما طُوبَى ؟ قال : « شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[3] : حدَّثنى محمدُ بنُ إدْريسَ الحَنْظَلىُّ ، حدَّثنا أبو عُتْبَةَ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن سعيدِ بنِ يوسُفَ ، عن يحيى بنِ أَبى كَثيرٍ ، عن أبى سَلَّامٍ الأسودِ ، سمِعْتُ أَبا أُمامةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ، ﷺ قال : « ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلَّا انْطُلِقَ بِهِ إِلَى طُوبَى ، فَتَفَتَّحُ لَهُ أَكْمَامُهَا[4] [5] عن ألوانِ الثيابِ[5] يَأْخُذُ مِنْ أَىِّ ذَلِكَ شَاءَ إِنْ شَاءَ أَبْيَضَ وإن شاءَ أحمرَ ، وَإِنْ شَاءَ أَخْضَرَ ، وَإِنْ شاءَ أَصْفَرَ ، وَإِنْ شَاءَ أَسْوَدَ ، مِثْلَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ ، وَأَرَقُّ ، وَأَحْسنُ » . غريبٌ حسنٌ .

وقال ابنُ أبى الدُّنْيا[6] : حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عبدُ رَبِّه بنُ بارِقٍ الحَنفىُّ ، عن خالِه الزميلِ ، أَنَّه سمِع أباه قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : ما حُلَلُ أهلِ الجنةِ ؟ قال : فيها شجرةٌ فيها ثمرٌ كأنَّه الرمانُ ، فإذا أَراد ولىُّ اللَّهِ كِسْوةً انْحَدَرَت إليه مِن غُصْنِها ، فانْفَلَقت عن سبعين حُلَّةً ، أَلْوانًا بعدَ أَلوانٍ ، ثم تنطبقُ فتَرْجِعُ

---

(١) فى الأصل ، ح ، والمسند : « حيان » . وانظر تعجيل المنفعه ص ٣٣٣، وأطراف المسند ٤/ ٨٠.
(٢) تقدم فى صفحة ٣٠٩.
(٣) صفة الجنة (١٤٩) .
(٤) الأكمام : جمع كم بالكسر ، وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهر . النهاية ٤/ ٢٠٠.
(٥ - ٥) ليس فى : ص ، والمصدر .
(٦) صفة الجنة (١٦٩) .

كما كانت . وتقدَّم عن الثوريِّ[1] ، عن حمَّادٍ ، عن سعيدِبنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : نخلُ الجنةِ جُذوعُها مِن زُمُردٍ أَخضرَ ، وكَرَبُها مِن ذهبٍ أحمرَ ، وسعَفُها كِسْوةٌ لأهلِ الجنةِ ، منها مُقَطَّعاتُهم وحُلَلُهُم .

صفةُ فُرُشِ أهلِ الجنةِ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] .

فإذا كانت البَطائنُ مِن إسْتَبْرَقٍ ، فما الظنُّ بالظَّهائرِ . قاله ابنُ مسعودٍ[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٣٤] .

وروَى أحمدُ والتِّرمذيُّ[3] مِن حديثِ دَرَّاجٍ ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنَّ ارْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ » . ثم قال[4] : غريبٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِنْ حَدِيثِ رِشْدِينَ . يَعْنِى عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن دَرَّاجٍ .

قلتُ : وقد رواه حَرْمَلةُ ، [١٤٢و] عن ابنِ وهبٍ[5] . ثم قال الترمذيُّ[6] : وقال بعضُ أهلِ العلمِ فى تفسيرِ هذا الحديثِ : إن معناه الفُرُشُ فى الدَّرَجاتِ ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٠٤.

(٢) صفة الجنة لابن أبى الدنيا (١٥٨) ، بنحوه . وانظر الدر المنثور ٦/ ١٤٧.

(٣) المسند ٣/ ٧٥ (١١٧٣٧) ، والترمذى (٢٥٤٠) ، (٣٢٩٤) ، واللفظ لأحمد . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٥٧، ٦٤٨) .

(٤) أى : الترمذى .

(٥) أخرجه ابن حبان ١٦/ ٤١٨ (٧٤٠٥) من طريق حرملة به ، قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف .

(٦) الترمذى عقب حديث (٢٥٤٠) .

وبينَ الدَّرَجاتِ كما بينَ السماءِ والأرضِ .

قلتُ : وممَّا يُقَوِّى هذا ما رواه عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[1] ، عن عمرٍو ، عن دَرَّاجٍ عن أبى الهيثمِ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قولِه : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ . قال : « مَا بَيْنَ الفِرَاشَيْنِ[2] كَما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ » . وهذا أَشبهُ أَن يَكونَ محفوظًا .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ ، عن كعبِ الأحْبارِ[3] ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : مَسِيرةُ أَربعين سنةً . يعنى أَن الفُرُشَ فى كلِّ مَحَلٍّ وموطنٍ مَوْجودةٌ مُهَيَّأَةٌ لاحْتِمالِ الاحْتِياجِ إليها فى ذلك الموضعِ ، كما قال تعالى[4] : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٢- ١٦] . أى النَّمارقُ وهى المخادُّ مَصْفوفةٌ [5]فى كلِّ مكانٍ يَليقُ بها ، لاحْتمالِ الاحْتِياجِ إليها فى ذلك المكانِ ، وكذا الزَّرابىُّ ، وهى البُسُطُ الجِيادُ المُفْتَخَرةُ[5] مَبْثوثةٌ هٰهنا ، وهٰهنا فى أَماكنِ المستنزهاتِ مِن الجنةِ ، كما قال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن : ٧٦] والعَباقرىُّ : هى عتاقُ البُسُطِ ، أى جِيادُها وخِيارُها وحِسانُها وهى بُسُطُ الجنةِ لا الدنيا ، وقد خُوطِب العربُ بما هو معروفٌ عندَهم ، وفى الجنةِ ما هو أَحْسَنُ وأجملُ وأبهى وأسنى وأَعظمُ مما فى النُّفوسِ ، وأجلُّ مِن كلِّ صِنْفٍ ونوعٍ مِن أصنافِ المَلاذِّ

---

(١) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٤٢) من طريق ابن وهب ، به .

(٢) فى ح : « المفراشين » . وفى المصدر : « الفرشتين » .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٥٨) من طريق حماد به . وانظر حادى الأرواح ص ٢٠٥ .

(٤) التفسير : ٨/ ٤٠٨ .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

وأجناسِ الأشياءِ كلِّها ، وألذُّ فى المَناظرِ والنفوسِ .

والنَّمارِقُ : جمعَ نُمْرُقةٍ بضمِّ النُّونِ ، وحُكِىَ كسرُها ، وهى الوَسائدُ ، وقيل : المَساندُ . وقد يَعُمُّها اللفظُ ، والزَّرابىُّ : البُسُطُ . والرَّفْرَفُ قيل : رياضُ الجنةِ وما يكونُ على شاطئِ الأنهارِ من النباتِ والأزهارِ . وقيل : ضَرْبٌ مِن الثيابِ . والعَبْقَرِىُّ : جِيادُ البُسُطِ وقيل غيرُ ذلك[1] ، واللَّهُ أعلمُ .

صفةُ الحُورِ العِينِ ، وبناتِ آدمَ وشَرَفِهنَّ وفضْلِهنَّ عليهنَّ ، وكم لكلِّ واحدٍ منهنَّ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٦- ٥٧] . وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٠- ٧٢] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥] . أىْ مِن الحيضِ والنِّفاسِ ، والبولِ والغائطِ ، والبُزاقِ والمُخاطِ ، فلا يَصْدُرُ منهنَّ أذًى أبدًا ، وكذلك طَهُرَت أَخْلاقُهنَّ وألفاظُهنَّ وقلوبُهنَّ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ[3] : حدَّثنا شعبةُ ، حدَّثنا قَتادةُ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ : « فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » . قال : « مِن الحيضِ والنِّفاسِ ، والنَّجاسةِ ، والبُزاقِ » .

---

(١) انظر التفسير : ٧/ ٤٨٤.

(٢) التفسير : ١/ ٩١، ٩٢.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٣) من طريق ابن المبارك به .

وقال أبو الأحوصِ عندَ قولِه : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ . قال : بلَغَنا فى الرِّوايةِ أنَّ سَحابةً مطَرَت مِن العَرْشِ ، فخُلِقْن مِن قَطَراتِ الرحمةِ ، ثم ضُرِب على كلِّ واحدةٍ منهن خَيْمةٌ على شاطئِ الأنهارِ ، وسَعَةُ الخيمةِ أربعون مِيلًا ، وليس لها بابٌ حتى إذا حلَّ ولِيُّ اللَّهِ بالخيْمةِ انْصَدَعَت الخَيْمةُ عن بابٍ ليَعْلَمَ وَلِيُّ اللَّهِ أن أَبْصارَ المخلوقين مِن الملائكةِ والخدَمِ لم تنظرْ إليها ، فهن مقصوراتٌ عن إبصارِ المخلوقين .

وقال تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة : ٢٢- ٢٤] . وقال فى الآيةِ الأخرى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات : ٤٩] . قيل : إنه بَيْضُ النّعامِ المكْنونُ فى الرَّمْلِ ، وهو عندَ العربِ أَحسنُ أنواعِ البَيْضِ . وقيل : المرادُ بالبَيْضِ : اللُّؤْلؤُ قبلَ أن يَبْرُزَ مِن صدفِه . وقال تعالى[1] : ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا [١٤٢ ظ] أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة : ٣٥- ٣٨] . أى : إنا أنْشَأْناهنَّ بعدَ الكِبَرِ والعجزِ والضعفِ فى الدنيا ، فصِرْنَ فى الجنةِ شَبابًا أبْكارًا . ﴿عُرُبًا﴾ : أَىْ مُتَحَبِّباتٍ إلى أزواجِهنَّ . وقيل : المرادُ به الغَنِجَةُ[2] . وقيل : الشَّكِلةُ[3] . والآيةُ تعمُّ هذا كلَّه وأضعافَه . ﴿أَتْرَابًا﴾ أى فى عمرٍ واحدٍ ، لا يَزِدْنَ ولا يَنقُصْنَ بل هنَّ فى سنٍ واحدةٍ .

وقال الطَّبَرانىُّ[4] : حدَّثنا بكرُ بنُ سهلٍ الدِّمْياطىُّ ، حدَّثنا عمرُو بنُ هاشمٍ البَيْروتىُّ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ أبى كريمةَ ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ ، عن الحسنِ ، عن أُمِّه ، عن أُمِّ سَلَمةَ قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أخْبِرْنى عن قولِ اللَّهِ تعالى :

---

(١) التفسير ٨/٩ - ١٣.

(٢) الغنج فى الجارية : تكسُّر وتدلُّل . النهاية ٣/ ٣٨٩.

(٣) المرأة الشكلة : ذات الدَّلِّ . النهاية ٢/ ٤٩٦.

(٤) المعجم الكبير ٢٣/٣٦٧ (٨٧٠) . وقال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدى . المجمع ٧/ ١١٩.

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ . قال : « حُورٌ : بِيضٌ . عِينٌ : ضِخَامُ العُيُونِ ، شُفْرُ[1] الحَوْرَاءِ[2] بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنى عن قولِه : ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ . قال : « صَفَاؤُهُنَّ صَفَاءُ الدُّرِّ الَّذِى فِى الأَصْدَافِ الَّذِى لَمْ تَمَسَّه الأَيْدِى » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أخبرنى عن قولِه : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ . قال : « خَيْرَاتُ الأَخْلَاقِ ، حِسَانُ الوُجُوهِ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنى عن قولِه : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ . قال : « رِقَّتُهُنَّ كرِقَّةِ الجِلْدِ الذى يكونُ فِى دَاخِلِ الْبَيْضَةِ مِمَّا يَلِى القِشْرَةَ ، وَهُوَ الغِرْقِئُ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنى عن قولِه : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ . قال : « هُنَّ اللَّوَاتِى قُبِضْنَ فِى دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ رُمْصًا[3] شُمْطًا ، خَلَقَهُن اللَّهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ، فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى ، عُرُبًا : مُتَعَشِّقَاتٍ مُحَبَّبَاتٍ إِلى أَزْوَاجِهِنَّ ، أَتْرَابًا : عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، نِساءُ الدنيا أَفضلُ ، أم الحُورُ العِينُ ؟ قال : « بَلْ نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، كَفَضْلِ الظهَارةِ عَلَى البِطانَةِ » . قلت : يا رسولَ اللَّهِ ، بماذا ؟ قال : « بِصَلَاتِهِنَّ وَصِيَامِهِنَّ ، وَعِبَادَتِهِنَّ اللَّهَ ، أَلْبَسَ اللَّهُ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ ، وَأَجْسَادَهُنَّ الحَرِيرَ ، بِيضُ الأَلْوَانِ ، خُضْرُ الثِّيَابِ ، صُفْرُ الحَلْى ، مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ ، يَقُلْنَ : نَحْنُ الخَالِدَاتُ ، فَلَا نَمُوتُ ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ ، وَنَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نظعنُ أَبَدًا ، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا ، طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ ، وَكَانَ لَنَا » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، المرأَةُ منا تَتَزَوَّجُ الزوجَيْن ، والثلاثةَ ، والأَربعةَ ، ثم تَمُوتُ ، فتَدْخُلُ الجنةَ . ويَدْخُلُون معها ، مَن يَكُونُ زوجُها ؟ قال : « يَا أُمَّ سَلَمَةَ ، إِنَّهَا تُخَيَّرُ

---

(١) قال ابن الأثير : الشُّفر بالضم ، وقد يفتح حرف جَفْن العين الذى ينبت عليه الشعر . النهاية ٢/ ٤٨٤ .

(٢) فى مصدر التخريج : « الجرداء » .

(٣) الرمضة : المرأة التى تحك فخِذُها فخذَها الأخرى . انظر تاج العروس (رمض) .

فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا فَتَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِى خُلُقًا فِى دَارِ الدُّنْيَا ، فَزَوِّجْنِيهِ . يَا أُمَّ سَلَمَةَ ، ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » .

وقال (١ محمدُ بنُ عثمانَ ١) بنِ أبى شَيْبَةَ : حدَّثنا أحمدُ بنُ طارقٍ ، حدَّثنا مَسْعَدَةُ بنُ الْيَسَعِ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أَبى عَروبةَ ، عن قَتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن عائشةَ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ أَتَتْه عَجوزٌ مِن الأنصارِ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يُدْخِلَنى الجنَّةَ . فقال : « إنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ » . فذهَب رسولُ اللَّهِ ، ﷺ فصلَّى ، ثم رجَع إلى عائشةَ ، فقالت : لقد لقِيَتْ مِن كلمتِك مشقَّةً وشدةً ، فقال : « إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا »(٢) .

وتقدَّم(٣) فى حديثِ الصُّورِ فى صفةِ دُخولِ الْمُؤْمنين الجنَّةَ ، قال : « فَيَدْخُلُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً ؛ سَبْعِينَ مِمَّا يُنْشِئُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، وَثِنْتَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِمَا اللَّهَ فِى الدُّنْيَا ، يَدْخُلُ عَلَى الأُولَى مِنْهُمَا فِى غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ ، عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، مُكَلَّلٍ بِاللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ، وَإِنَّه لَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدِهِ مِنْ صَدْرِهَا ، مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مُخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى السلكِ فِى قَصَبَةِ الْيَاقُوتِ ، كَبِدُهُ لَهَا مِرْآةٌ ، وَكَبِدُهَا لَهُ مِرْآةٌ ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ ، وَلَا يَأْتِيهَا مَرَّةً إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ مَا يَفْتُرُ ذَكَرُهُ ، وَلَا

(١ - ١) فى النسخ : « أبو بكر » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر المعجم الأوسط للطبرانى (٥٥٤١) . وميزان الاعتدال ٣/ ٦٤٢.

(٢) بعده فى ح : « وفى رواية : إنها لا تدخل الجنة وهى عجوز ، إن الله يقول : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارًا عربًا أترابًا ﴾ إنها إنما تدخل الجنة بكرًا عروبًا » .

(٣) تقدم فى ١٩/ ٣٢٠، ٣٢١.

يَشْتَكِى قُبُلُهَا ، إلَّا أَنَّه لَا مَنِىَّ وَلَا مَنِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا[١٤٣و] هُوَ كذلك[1] إذْ نُودِىَ : إنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ ، وَلَا تُمَلُّ ، إلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا . فَيَخْرُجُ فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا فِى الْجَنَّةِ شىءٌ أَحْسَنُ مِنْكَ وَمَا فِى الْجَنَّةِ شَىءٌ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْكَ » . ولهذا الحديثِ شَواهدُ مِن وُجوهٍ كثيرةٍ تقدَّمَت ، وسيأْتى إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ .

وتقدَّم[2] الحديثُ الذى رواه الإمامُ أحمدُ مِن حديثِ أشْعَثَ[3] الضَّريرِ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : « وَإِنَّ لَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَيَأْخُذُ مَقْعَدُهَا قَدْرَ مِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ » .

وقال حَرْمَلةُ[4] ، عن ابنِ وهبٍ ، حدَّثنا عمرٌو ، أن دَرَّاجًا أبا السَّمْحِ حدَّثه ، عن أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِى لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً ، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ ، كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ وَصَنْعَاءَ » .

وأسْنَده أحمدُ عن حسنٍ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن دَرَّاجٍ به[5] . ورواه الترمذىُّ عن سُوَيْدِ بنِ نصرٍ ، عن ابنِ المُبارَكِ ، عن رِشْدِينَ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، فذكَر بإسنادِه نحوَه[6] .

---

(١) فى الأصل ، ح : « عندها » .

(٢) تقدم فى ص ٣٢٥ .

(٣) فى ص : « شعيب » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٧٢.

(٤) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٧٤٠١) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف ؛ رواية دراج عن أبى الهيثم فيها ضعف .

(٥) المسند ٣/٧٦ (١١٧٤١) .

(٦) الترمذى (٢٥٦٢) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين .

وقال محمدُ بنُ جعفرٍ الفِرْيابيُّ[1] : حدَّثنا أَبو أيُّوبَ سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ بنِ أبى مالكٍ ، عن أبيه ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن أبى أُمامةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً ؛ ثِنْتَيْنِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَسَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ مِيرَاثِهِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، لَيْسَ فِيهِنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَلَهَا قُبُلٌ شَهِيٌّ ، وَلَهُ ذَكَرٌ لَا يَنْثَنِى » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا ، والمحفوظُ ما تقدَّم خِلافُه ، وهو اثْنتانِ مِن بناتِ آدمَ ، وَسَبْعُونَ مِن الحورِ العينِ . [2]فاللَّهُ أعلمُ[2] .

وخالدُ بنُ يزيدَ بنِ أَبى مالكٍ هذا تكَلَّم فيه الإمامُ أحمدُ ويحيى بنُ مَعِينٍ وغيرُهما[3] ، وضعَّفوه ، ومثلُه قد يَغْلطُ ولا يُتْقِنُ .

وروَى أحمدُ والترمذىُّ وصحَّحه ، وابنُ ماجه[4] ، مِن حديثِ بَحيرِ بنِ سعدٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن المِقْدادِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لِلشَّهِيدِ عندَ اللَّهِ لَسِتَّ خِصَالٍ ؛ يُغْفَرُ لَهُ عِنْدَ أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ

---

(١) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٢٢٨ ، للفريابى .

(٢ - ٢) فى الأصل : « وسنن ابن ماجه ومن طريق خالد بن مالك عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « ما من أحد يدخله اللَّه الجنة إلا زوجه اللَّه ، عز وجل ، بثنتين وسبعين من الحور العين وسبعين من أهل ميراثه من أهل الدنيا ، ما منهن واحدة إلا ولها قبلى شى وله ذكر لا ينثى » . وآثرنا كتابتها فى الحاشية لما بها من أخطاء عدة فى السند والمتن ، ولكونها مقحمة فى موضعها .

وهذه الرواية عند ابن ماجه على الصواب (٤٣٣٧) عن هشام بن خالد الأزرق ، عن خالد بن يزيد به ، وفيها : « من ميراثه من أهل النار » . وعلق عليها هشام بن خالد : من ميراثه من أهل النار ، يعنى رجالا دخلوا النار ، فورث أهل الجنة نساءهم ، كما ورثت امرأة فرعون .

(٣) أورد الذهبى قول الإمام أحمد فى ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٥. وانظر تاريخ ابن معين ٤/ ٤٢٥، ٤٣٠، وانظر سؤالات الآجرى ٢/ ٢٠٦، وتهذيب الكمال ٨/ ١٩٧، ١٩٨.

(٤) المسند ٤/ ١٣١ (١٧٢٢١) ، والترمذى (١٦٦٣) ، وابن ماجه (٢٧٩٩) . كلهم من طريق بحير ، به .

الْأَكْبَرِ ، ويُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ » .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[1] : حدَّثنى عمرٌو الناقدُ ، ويعقوبُ بنُ إبْراهيمَ الدَّوْرَقىُّ جميعًا ، عن ابنِ عُلَيَّةَ ، واللفظُ ليعقوبَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، حدَّثنا أيوبُ ،عن محمدٍ قال : إمَّا تَفاخَرُوا ، وإمَّا تَذاكَرُوا : الرِّجالُ أَكثرُ فى الجنةِ أَم النِّساءُ ؟ فقال أَبو هريرةَ : أَولم يَقُلْ أبو القاسم ﷺ : « إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّتِى تَلِيهَا عَلَى أَضْوَأِ كَوْكَبٍ دُرِّىٍّ فِى السَّمَاءِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِى الْجَنَّةِ أَعْزَبُ » .

وفى « الصحيحَيْن » مِن روايةِ همامٍ ، عن أبى هريرةَ نحوُه[2] ، فالمرادُ مِن هذا أن هاتين من بناتِ آدمَ ، وله غيرُهما مِن الحُورِ العِينِ ما شاء اللَّهُ ، عز وجل ، كما تقدَّم تفصيلُ ذلك آنِفًا . واللَّهُ أعلمُ[3] .

[4]وهذه الأحاديثُ لا تُعارِضُ ما ثبَت فى « الصحيحَيْن »[5] : « وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّساءَ »[4] . إذ قد يَكُنَّ أَكثرَ أهلِ الجنةِ ، وأكثرَ أهلِ النارِ ، أو قد يكن أكثرَ أهلِ النارِ ثم يَخْرُجُ مَن يَخْرُجُ منهن مِن النارِ بالشَّفاعاتِ ، فيَصِرْنَ إلى الجنةِ ، حتى يَكُنَّ أكثرَ أهلِها . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) مسلم (٢٨٣٤/١٤) .

(٢) البخارى (٣٢٤٥) ، ومسلم (٢٨٣٤/١٧) .

(٣) بعده فى الأصل زيادة من الناسخ يتخللها رقم المخطوط [١٤٣ ظ] .

(٤ - ٤) سقط من الأصل .

(٥) البخارى (٦٤٤٩) ، ومسلم (٢٧٣٧/٩٤) .

وتقدَّم ما رواه أحمدُ[1] ، مِن طريقِ خِلَاسٍ ، عن أبى رافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لِلْمُؤْمِنِ زَوْجَتَانِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهِمَا » .

وفى حديثِ دَرَّاجٍ[2] ، عن أبى الهَيْثم ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا : « إنَّ الرَّجُلَ فِى الْجَنَّةِ لَيَتَّكِئُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِى خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِىءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلامَ وَيَسْأَلُهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا الْمَزِيدُ . وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ[3] مِنْ طُوبَى ، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ ، حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » . ورواه أحمدُ فى « الْمُسْنَدِ »[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا محمدُ بنُ طَلْحةَ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَغَدْوَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، [6] وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ ، أَوْ مَوْضِعُ قِدِّهِ - يعنى سَوْطَه - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوِ اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا ، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »[6] .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٢٩ .

(٢) تقدم فى صفحة ٣٣٠.

(٣) النعمان : الزهر الأحمر . النهاية ٢/ ٤٩٢.

(٤) المسند ٣/٧٥ (١١٧٣٣).

(٥) المسند ٣/١٤١ (١٢٤٥٩) . قال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٩/ ٤٢٥.

(٦ - ٦) سقط من : ح .

ورواه البُخاريُّ[1] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ، وأبى إسْحاقَ، كلاهما عن حُمَيْدٍ، عن أنسٍ، بمثلِه. وقد تقدَّم بتَمامِه فى أولِ صفةِ الجنةِ، وعندَ البُخاريِّ: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

وقال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[2]: حدَّثنا بشرُ بنُ الوليدِ، حدَّثنا سعيدُ بنُ زَرْبِيٍّ، عن عبدِ المَلِكِ الجَوْنيِّ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: لو أَنَّ حَوْراءَ أَخْرَجَت كفَّها بينَ السماءِ والأرضِ لافْتَتَن الخَلائِقُ بحُسْنِها، ولو أخْرَجَت نَصيفَها لكانت الشمسُ عندَ حسنِها[3] مثلَ الفَتِيلةِ فى الشمسِ لا ضوءَ لها، ولو أخْرَجَت وجهَها لأَضاءَ حسنُها ما بينَ السماءِ والأرضِ.

وذكَر ابنُ وهبٍ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ، أنه قال: واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو لو أن امرأةً مِن الحُورِ العينِ أطْلَعَت سِوارَها مِن العرشِ لأَطْفَأ نورُ سِوارِها نورَ الشمسِ والقمرِ، فكيف المُسَوَّرَةُ؟ وإنَّ أخْلَقَ ثَوبٍ تَلْبَسُه لخيرٌ من الدنيا وما فيها، وإنَّ زوجَها عليه مثلُ ما عليها مِن ثيابٍ وحُلِيٍّ. وقال أبو هريرةَ: إنَّ فى الجنةِ حَوْراءَ يُقالُ لها: العَيْناءُ. إذا مشَت مشَى حولَها سبعون ألفَ وصيفٍ، وهى تقولُ: أين الآمِرون بالمعروفِ، والناهون عن المنكرِ. أوْرَدهما القُرْطبيُّ[4].

---

(١) البخارى (٢٧٩٦، ٦٥٦٨).

(٢) عزاه المنذرى فى الترغيب ٤/٥٣٥ إلى ابن أبى الدنيا.

(٣) فى مصدر التخريج: «حسنه».

(٤) التذكرة (١٥٤٨)، (١٥٤٩).

وقال الطَّبَرانيُّ[1] : حدَّثنا أحمدُ [١٤٤و] بنُ رِشْدِينَ ، حدَّثنا [2]عليُّ بنُ[2] الحسنِ بنِ هارونَ الأنصاريُّ ، حدَّثنى الليثُ ابنُ بنتِ الليثِ بنِ أبى سُليمٍ ، حدَّثتنى عائشةُ بنتُ يونسَ امرأةُ الليثِ بنِ أبى سُليمٍ ، عن ليثِ بنِ أبى سُليمٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أبى أمامةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « خُلِقَ الْحُورُ الْعِينُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ » . وهذا حديثٌ غريبٌ .

وقد رُوِى مثلُ هذا عن ابنِ عباسٍ[3] وغيرِه مِن الصَّحابةِ والتابعين[4] [5]من قولِهم[5] . وفى مَراسِيلِ عِكْرمةَ[6] : « إنَّ الحورَ العِينَ لَيَدْعُونَ لأزْواجِهِن وهم فى الدنيا ، يَقُلْنَ : اللهم أَعِنْه على دينِك ، وأَقْبِلْ بقلبِه على طاعتِك ، وبلِّغْه إلينا بعزَّتِك ، يا أرحمَ الراحمين » .

وفى « مسندِ الإمامِ أحمدَ »[7] مِن حديثِ كثيرِ بنِ مُرَّةَ [8]عن معاذٍ[8] مرفوعًا : « لا تُؤْذِى امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِى الدُّنْيَا إلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ : لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ ، فَإِنَّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا » .

---

(١) المعجم الأوسط (٢٩٠) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفى إسنادهما ضعفاء . المجمع ١٠/ ٤١٩.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٩٠) .

(٤) روى عن مجاهد كما فى البعث والنشور (٣٨٩) ، وصفة الجنة لابن أبى الدنيا (٣٠٢) ، وتفسير الطبرى ٢٧/ ١٧٨. وعن عبد الرحمن بن أبى سلمة عند ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٠٣) .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣١١) ، وضعفه المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/ ٥٣٥.

(٧) المسند ٥/ ٢٤٢ (٢٢١٥٤) . صحيح (السلسلة الصحيحة ١٧٣) .

(٨ - ٨) سقط من : ح .

(١) ورواه ابنُ أبى الدنيا(٢) ، عن داودَ بنِ عمرٍو الضبىِّ ، عن إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ ، عن بَحِيرِ بنِ سعدٍ ، عن خالدِ بنِ معدانَ ، عن كثيرِ بنِ مرَّةَ ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذكر الحديثَ(١) . (٣) وفى « معجمِ الطبرانىِّ »(٤) مِن طريقِ موسى الصغيرِ عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن سعيدِ بنِ عامرِ بنِ حِذْيَمٍ أنه تصدَّق بعشرةِ آلافِ درهمٍ فى يومٍ ، فعاتبته امرأتُه فى ذلك ، فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لو أن حَوراءَ أَطْلَعَتْ أُصْبُعًا مِن أصابعِها لوَجَدَ ريحَها كلُّ ذى رُوحٍ » . ثم قال : فأنا أدَعُهُنَّ لكُنَّ ؟! لا واللَّهِ ، لأنتنَّ أحقُّ أن أَدَعَكُنَّ لَهُنَّ .

ومِن حديثِ مالكِ بنِ دينارٍ ، عن شهرٍ ، عن سعيدِ بنِ عامرٍ ، مرفوعًا(٥) : « لو أنَّ امرأةً مِن نساءِ أهلِ الجنةِ أشرَفَت على أهلِ الأرضِ لملأتِ الأرضَ ريحَ مسكٍ ، ولأَذهَبت ضوءَ الشمسِ والقمرِ(٦) »(٣) .

ما ورَد مِن غناءِ الحورِ العينِ فى الجنةِ

روَى الترمذىُّ وغيرُه(٧) مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ، عن النُّعْمانِ بنِ سعدٍ ، عن علىٍّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) صفة الجنة (٣١٠) .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤) المعجم الكبير ٦/٧٢ (٥٥١١) وقال فى المجمع ٣/ ١٢٤ : رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات .

(٥) المعجم الكبير ٦/٧٢ (٥٥١٢) . بنحوه ، مطولًا .

(٦) بعده زيادة فى الأصل من الناسخ يتخللها رقما المخطوطة [١٤٤ ظ] ، [١٤٥ و] .

(٧) الترمذى (٢٥٦٤) ، رواه المروزى فى زوائد الزهد (١٤٨٧) ، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٥٨١٨) ، وعنه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند ١/١٥٦ (١٣٤٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٦٩) .

يُرَفِّعْنَ[1] أَصْوَاتًا لَمْ يَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا[2] يَقُلْنَ : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ » .

قال الترمذيُّ : وفى البابِ عن أبى هريرةَ ، وأبى سعيدٍ ، وأنسٍ ، وحديثُ عليٍّ غريبٌ .

وروَى ابنُ أبى ذِئْبٍ[3] ، عن عونِ بنِ الخطابِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ[4] ، عن ابنِ لأنسِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [5]« إِنَّ الْحُورَ يُغَنِّينَ فِى الْجَنَّةِ : نَحْنُ الجَوَارِ الحِسَانُ ، خُلِقْنَا[6] لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ »[5] .

وقال الطَّبَرانيُّ[7] : حدَّثنا أبو رِفاعةَ عُمارَةُ بنُ وَثِيمَةَ بنِ موسى بنِ الفُراتِ[5] [8]المِصْرِيُّ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ[9] بنِ أبى كثيرٍ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ[8] : « إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ : نَحْنُ الْخَيِّرَاتُ الْحِسَان ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَام ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَان ، وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ : نَحْنُ

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « أصواتهن أو قال » .

(٢) فى مصادر التخريج « مثلها » .

(٣) التاريخ الكبير ١٦/٧ ، وصفة الجنة لابن أبى الدنيا (٢٦٠) ، والبعث والنشور (٤٢٠) . وقال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله وثقوا . مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩.

(٤) فى الأصل ، ح : « نافع » . وانظر الجرح والتعديل ٦/ ٣٨٦.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) فى التاريخ الكبير : « خبئنا » ، وفى صفة الجنة لابن أبى الدنيا : « خبينا » ، وفى البعث والنشور : « حبينا » .

(٧) المعجم الأوسط (٤٩١٤) ، المعجم الصغير ص ٢٥٩، قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩.

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) بعده فى الأصل : « عن » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٨٣.

الْخَالِـدَاتُ فَلَا تَمُتْنَهْ[1] ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا نَخَفْنَهْ[2] ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنَّهْ[3] .

وقال الليثُ بنُ سعدٍ[4] ، عن يَزيدَ[5] بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن[6] الوليدِ بنِ عَبْدَةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لجِبْرِيلَ : « قِفْ بِى عَلَى الْحُورِ الْعِينِ » . فَأَوْقَفَهُ عَلَيْهِنَّ ، فَقَالَ : « مَنْ أَنْتُنَّ » ؟ قُلْنَ : نَحْنُ جَوَارِى قَوْمٍ حَلُّوا فَلَمْ يَظْعَنُوا ، وَشَبُّوا[7] فَلَمْ يَهْرَمُوا ، وَنُقُّوا فَلَمْ يَدْرَنُوا .

وقال القرطبىُّ[8] بعدَما أوْرَد الحديثَ المُتقدمَ فى غِناءِ الحُورِ العينِ : وقالت عائشةُ : إنّ الحورَ العينَ إذا قُلْن هذه المَقالةَ أجابَهن المُؤْمناتُ مِن نساءِ أهلِ الدنيا : نحن المُصَلِّياتُ وما صلَّيْتُنَّ ، ونحنُ الصائماتُ وما صُمْتُنَّ ، ونحن المُتَوَضِّئاتُ وما توَضَّأْتُنَّ ، ونحنُ المُتَصَدِّقاتُ وما تصَدَّقْتُنَّ . قالت عائشةُ : فغلبْنَهنَّ . واللَّهُ أعلمُ .

هكذا ذَكَرَه فى « التَّذْكرةِ » ، ولم يَعْزُه إلى كتابٍ . واللَّهُ أعلمُ .

[9]وروَى ابنُ أبى الدُّنيا عن الزُّهرىِّ[10] : إنَّ فى الجنةِ لَشجرًا [١٤٥ظ][9]

---

(١) فى ح : « يمتنه » .

(٢) فى ح : « يخفنه » .

(٣) فى ح : « يظعنه » . وبعده فى الأصل ، ح : « ونحن الشابات فلا يهرمنه ، ونحن الشاكرات فلا يكفرنه » .

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٠١) . ورواه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٢٣٣.

(٥) فى ح : « زيد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٦) بعده فى صفة الجنة : « عمرو بن » . والمثبت موافق لما فى حادى الأرواح . وقد روى يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد ، وعن الوليد بن عبدة . انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٧) فى مصدر التخريج : « شبعوا » .

(٨) التذكرة ٢/ ٣٠٥.

(٩ - ٩) سقط من : ص .

(١٠) صفة الجنة (٢٦١) .

(١) حَمْلُه اللؤلؤُ والزبرجدُ، تحتَه جَوارٍ ناهداتٌ يتغنَّيْن بالقرآنِ، يقلْنَ: نحنُ الناعماتُ فلا نَبْؤُسُ، ونحنُ الخالداتُ فلا نموتُ، ونحنُ المقيماتُ فلا نَظْعَنُ. فإذا سمِع ذلك الشجرُ صفَق بعضُه بعضًا فأجَبْنَ الجوارىَ. فلا يُدرَى أأصواتُ الجوارى أحسنُ أم أصواتُ تصفيقِ الشجرِ؟! وفى حديثِ خالدِ بنِ يزيدَ[٢]: فى صدرِ إحداهُنَّ مكتوبٌ: أنتَ حِبِّى وأنا حِبُّك، انتهَت نفسِى عندَك، فلا ترَى عيناىَ مثلَك. وعن يحيىَ بنِ أبى كثيرٍ قال[٣]: إنَّ الحُورَ العِينَ يتلقيْنَ أزواجَهن عندَ أبوابِ الجنةِ فيقلْنَ: طالَ ما انتظَرناكم، فنحنُ الراضِياتُ فلا نسخَطُ، والمقيماتُ فلا نظعَنُ، والخالداتُ فلا نموتُ. بأحسنِ أصواتٍ(١).

ذِكْرُ جِماعِ أهلِ الجنةِ لنِسائِهم مِن غيرِ مَنىٍّ ولا أولادٍ إلا إن شاء أحدُهم الولدَ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦].

قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ، وغيرُ واحدٍ[٤]: شُغْلُهم[٥] افتِضاضُ الأبْكارِ. وقال تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤].

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) صفة الجنة (٢٦٢).

(٣) المصدر السابق (٢٦٨).

(٤) تفسير الطبرى ٢٣/١٧، ١٨.

(٥) فى ص: «من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿ فى شغل ﴾ أى بـ».

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[1] : حدَّثنا عِمْرانُ - هو ابنُ داوَرَ[2] القَطَّانُ - عن قَتادةَ ، عن أَنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يُعْطَى الرَّجُلُ[3] فِى الْجَنَّةِ قُوَّةَ[4] كَذَا وَكَذَا مِنَ النِّسَاءِ » . قلتُ[5] : يا رسولَ اللَّهِ ، ويُطِيقُ ذلك ؟ قال : « يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ » . ورَواه التِّرْمذىُّ[6] مِن حديثِ أبى داودَ ، وقال : صحيحٌ غريبٌ .

وروَى الطَّبَرانىُّ[7] مِن حديثِ الحسينِ بنِ علىٍّ الجُعْفىِّ ، عن زائدةَ ، عن هشامِ بنِ حَسَّانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أبى هريرةَ قال : قيل : يا رسولَ اللَّهِ أَنَصِلُ ، وفى رِوايةٍ[8] : هل[9] نُفْضِى [10] فى الجنةِ[10] إلى نِسائِنا ؟ فقال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِى فِى الْغَدَاةِ الوَاحِدَةِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ » . قال الحافظُ الضِّياءُ : هذا عندى على شرطِ الصحيحِ .

وقال البَزَّارُ[11] : حدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زِيادٍ ، عن عُمارةَ بنِ راشدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ : هل يَمَسُّ أهلُ الجنَّةِ أزْواجَهم ؟ فقال : « نَعَمْ ، بِذَكَرٍ لَا يَمَلُّ[12] ، وَشَهْوةٍ لَا تَنْقَطِعُ » .

---

(١) مسند الطيالسى (٢٠١٢) .
(٢) فى النسخ : « داود » . والمثبت من تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٢٨.
(٣) فى مسند الطيالسى : « المؤمن » .
(٤) فى مسند الطيالسى : « مقدار » .
(٥) فى مسند الطيالسى : « قيل » .
(٦) الترمذى (٢٥٣٦) . حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٥٩) .
(٧) المعجم الأوسط (٥٢٦٣) .
(٨) المعجم الأوسط (٧٢٢) .
(٩) ليست فى المصدر .
(١٠ - ١٠) سقط من : ح ، ص .
(١١) كشف الأستار (٣٥٢٤) .
(١٢) بعده فى كشف الأستار : « وفرج لا يحفى » .

ثمَّ قال البَزَّارُ : لا نَعْلَمُ رواه عن عُمارةَ بنِ راشدٍ سِوى عبدِ الرحمنِ بنِ زيادٍ ، وقد كان عبدُ الرحمنِ هذا حسنَ العقلِ ، ولكن وقَع على شيوخٍ مَجاهِيلَ ، فحَدَّث عنهم بأحاديثَ مَناكيرَ ، فضُعِّف حديثُه ، وهذا مما أُنْكِر عليه .

وقال حَرْملةُ[1] ، عن ابنِ وهبٍ : أخْبرَنى عمرُو بنُ الحارثِ ، عن دَرَّاجٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ حُجيرةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قيل له : أنَطَأُ فى الجنةِ ؟ قال : « نَعَمْ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا[2] ، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا » .

وقال الطَّبَرانىُّ[3] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ جابرٍ الفَقيهُ البَغْدادىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الدَّقِيقىُّ الواسطىُّ ، حدَّثنا مُعَلَّى بنُ عبدِ الرحمنِ الواسطىُّ ، حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن عاصمِ بنِ سُليمانَ الأحْولِ ، عن أبى المُتَوَكِّلِ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُذْنَ[4] أَبْكَارًا » . ثم قال : تفرَّد به مُعَلَّى .

وقال الطَّبرانىُّ[5] : حدَّثنا أحمدُ بنُ يحيى الحُلْوانىُّ ، حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ بنِ أبى مالكٍ ، عن أبيه ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن أبى أُمامةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل : أيُجامِعُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « [6]دَحْمًا دَحْمًا[6] ،

---

(١) أخرجه ابن حبان كما فى الإحسان (٧٤٠٢) من طريق حرملة به . وحسن إسناده الشيخ شعيب .

(٢) دحما دحما : هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج . وانتصابه بفعل مضمر ، أى يدحمون دحما ، والتكرير للتأكيد . النهاية ٢/ ١٠٦.

(٣) المعجم الصغير ١/ ٩١. وقال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى فى الصغير ، وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطى وهو كذاب . مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧.

(٤) فى مصدر التخريج : « عادوا » .

(٥) المعجم الكبير ٨/١١٣ (٧٤٧٩) . قال الهيثمى : رواها كلها (فقد ذكر عدة روايات ومنها هذه الرواية والرواية التالية) الطبرانى بأسانيد ورجال بعضها وثقوا على ضعف فى بعضهم . مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٦ ، ٤١٧.

(٦ - ٦) فى المصدر : « دحاما دحاما » .

وَلَكِنْ لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّةَ » . ولما كان المنيُّ يقطَعُ لَذَّةَ الجِماعِ ، والمنيةُ تقطَعُ لذةَ الحياةِ كانا منفيَّيْن عن أهلِ الجنةِ[1] .

وقال الطبرانيُّ[2] : حدَّثنا عبدانُ بنُ أحمدَ ، حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ البَرْقيُّ[3] ، حدثنا عمرُو بنُ أبى سلمةَ ، حدثنا صدقةُ ، عن هاشمِ بنِ زيدٍ ، عن سليمٍ أبى[4] يحيى أنه سمِع أبا أمامةَ يُحَدِّثُ أنه سمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وسُئِل : يتناكَحُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « نعم ، بذَكَرٍ لا يَمَلُّ وَشَهْوَةٍ لَا تَنْقَطِعُ ، دَحْمًا دَحْمًا » .

فَأَمَّا إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ ، أَنْ يُولَدَ له ، كَما كان فِى الدنيا ، وأَحَبَّ الأولادَ ، فقد قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا معاذُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنى أبى ، عن عامرٍ الأحْولِ ، عن أبى الصِّدِّيقِ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِيِّ ، أَن نبيَّ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا اشْتَهَى الْمُؤْمِنُ الْوَلَدَ فِى الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِى سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَما يَشْتَهِى » . وكذا رواه الترمذيُّ وابنُ ماجه جميعًا ، عن محمدِ بنِ بشارٍ ، عن مُعاذِ بنِ هشامٍ ، به[6] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ غريبٌ .

وقال الحافظُ الضِّياءُ المَقْدِسيُّ : وهو عندى على شرطِ مسلمٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رواه الحاكمُ[7] ، عن الأصَمِّ ، عن محمدِ بنِ عيسى ، عن سَلَّامِ بنِ

---

(١) بعده زيادة فى الأصل يتخللها رقم المخطوطة (١٤٦ و) .

(٢) المعجم الكبير ٢٠٢/٨ (٧٧٢١) .

(٣) فى الأصل ، ح : « الرقى » . وانظر تهذيب الكمال ٥٠٣/٢٥ .

(٤) فى الأصل ، ح : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣٤٤/١١ .

(٥) المسند ٩/٣ ، ٨٠ (١١٠٧٨ ، ١١٧٨١) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١١٧/١٧ .

(٦) الترمذى (٢٥٦٣) ، وابن ماجه (٤٣٣٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠٧٧) .

(٧) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٤٤٠) عن الحاكم به .

سليمانَ ، [1]أنبأنا سلَّامٌ الطويلُ[1] ، عن زيدٍ العمِّيِّ ، عن أبى الصِّدِّيقِ الناجىِّ ، [2]به وضعَّفه البيهقىُّ بِمَرَّةٍ .

وقال سفيانُ الثورىُّ[3] عن أبانٍ ، عن أبى الصِّدِّيقِ الناجىِّ[2] عن أبى سعيدٍ قال : قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، أيُولَدُ لأهلِ الجنَّةِ ؟ فإن الولدَ مِن تَمامِ السُّرورِ ؟ فقال : « نَعَمْ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، مَا هُوَ إلَّا كَقَدْرِ مَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَيَكُونُ حَمْلُهُ ، وَرَضَاعُهُ ، وَشَبَابُهُ » . وهذا السِّياقُ يَدُلُّ على أن هذا أمرٌ يَقَعُ لأهلِ الجنةِ ، خِلافًا لما حكاه البُخارىُّ والترمذىُّ ، عن إسحاقَ بنِ راهُويَه[4] ، أن ذلك مَحْمولٌ على أنَّه لو أَراد ذلك كان ، ولكنه لا يُرِيدُه .

ونُقِلَ عن جَماعةٍ مِن التابعين كطاوسٍ ، ومجاهدٍ ، وإبراهيمَ النَّخعىِّ ، وغيرِهم أن الجنةَ لا تَوالُدَ فيها[5] . وهذا صحيحٌ ، وذلك أن جِماعَهم لا يَقْتَضِى ولدًا كما هو الواقعُ فى الدنيا ، فإن الدنيا دارٌ يُرادُ فيها بَقاءُ النَّسْلِ لتَعْمُرَ ، وأما الجنةُ فالمرادُ فيها بَقاءُ اللَّذَّةِ ، ولهذا لا يَكونُ فى جِماعِهم مَنِىٌّ يَقْطَعُ لَذَّةَ جِماعِهم ، ولكن إذا أَحَبَّ أحدُهم الولدَ يقَعُ ذلك كما يُرِيدُ ، قال اللَّهُ تَعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾ [النحل : ٣١] . وقال : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] .

(١ - ١) سقط من : النسخ ، والمثبت من البعث والنشور ، وانظر حادى الأرواح ص ٢٤١ ، وتهذيب الكمال ١٢/ ٢٧٧ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ح .

(٣) أخرجه عبد بن حميد فى المنتخب (٩٣٧) من طريق سفيان به بنحوه . وأخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٧٥) .

(٤) جامع الترمذى عقب حديث (٢٥٦٣) .

(٥) المصدر السابق . وانظر حادى الأرواح ص ٢٤٠ .

ذِكرُ أنَّ أهلَ الجنةِ لا يَموتون فيها لكَمالِ حَياتِهم، بل كلما لهم فى ازْدِيادٍ، مِن قوةِ الشَّبابِ، ونَضْرةِ الوُجوهِ، وحُسْنِ الهَيئةِ، وطِيبِ العيشِ

ولهذا جاء فى بعضِ الأحاديثِ أنهم لا يَنامُون لئلَّا يَشْتَغِلوا به عن المَلاذِّ والمَسَرّاتِ والعيشِ الهَنىءِ الطيِّبِ، (١) ولئلَّا يُشْتغَلَ بالنومِ عن ألذِّ ما فى الجنةِ مِن ذكرِ الربِّ، وحمدِه، [١٤٦ظ] والثناءِ عليه، سبحانَه لا نُحصِى ثناءً عليه، نسألُ اللَّهَ الدرجاتِ العُلَا مِن الجنةِ (١).

قال اللَّهُ تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٦، ٥٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]. أى لا يَخْتارون غيرَها، بل هم أرْغَبُ شىءٍ فيها، فلا يَخْتارون بها بدلًا، ولا عنها تحوُّلًا، وليس يَعْتَرِيهم فيها مَلَلٌ، ولا ضَجَرٌ، كما قد يَسْأَمُ أهلُ الدنيا بعضَ أحْوالِهم (٢) اللذيذةِ، ومساكنَهم الأنيقةَ، وأزواجَهم الحِسانَ، بل أهلُ الجنةِ كما قِيل (٢):

فحلَّت سَوادَ القلبِ لا أنا باغيًا ... سِواها ولا عن حبِّها أَتَحَوَّلُ (٣)

(١ - ١) فى ح، ص: «جعلنا الله منهم بمنه وكرمه».

(٢ - ٢) فى ح، ص: «وإن كانت لذيذة وما أحسن ما قال بعض الشعراء وفصحاء الأدباء»، والبيت للنابغة الجعدى. انظر شعر النابغة الجعدى ص ١٧١.

(٣) فى مصدر التخريج: «متراخيا».

وقد تقدَّم حديثُ ذَبْحِ الموتِ بينَ الجنةِ والنارِ[1] ، وأنَّه يُنادِى مُنادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ ، حدَّثنا حمزةُ ، حدَّثنا أبو إسحاقَ ، عن الأغَرِّ أبى مسلمٍ ، عن أبى هريرةَ وأبى سعيدٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « فَيُنَادَى[3] مَعَ ذَلِكَ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا » . قال : « فَيُنَادَى[4] بِهَذِهِ الأَرْبَعِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ قال : قال الثورىُّ : فحدَّثنى أبو إسحاقَ ، أن الأغَرَّ حدَّثه عن أبى سعيدٍ وأبى هريرةَ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « يُنَادِى مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أبدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أبدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا » . قال[6] : « فذلك قولُه تعالى : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] » . ورواه مسلمٌ ، عن إسحاقَ بنِ راهُويَه وعبدِ بنِ حُمَيْدٍ ، كِلاهما عن عبدِ الرَّزَّاقِ ، بنحوِه[7] .

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٦١.

(٢) المسند : ٣١٩/٢ (٨٢٤١) ، ٣٨/٣ (١١٣٥٠) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٤/ ٩، ١٧/ ٤٣٢.

(٣) بعده فى الأصل ، ح : « المنادى » .

(٤) فى المسند : « يتنادون » ، و« ينادون » .

(٥) المسند ٩٥/٣ (١١٩٢٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ١٨/ ٤٠٠.

(٦) ليست فى المسند .

(٧) مسلم (٢٨٣٧) .

(١) وقال البَزَّارُ(٢) : حدَّثنا الفضلُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ يوسُفَ الفِرْيابيُّ ، عن سُفيانَ ، هو الثَّوْرِيُّ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ قال : قِيل : يا رسولَ اللَّهِ ، هل يَنامُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « لَا ، النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ » . ثم قال البَزَّارُ : لا نَعْلَمُ أحدًا أسْنَدَه عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، إلَّا الثوريَّ ، ولا عنه(٣) سِوى الفِرْيابيِّ . كذا قال(١) .

وقد قال الحافظُ أبو بكرِ بنُ مَرْدُويَه(٤) : حدَّثنا أحمدُ بنُ القاسمِ بنِ صَدَقةَ المِصْرِيُّ ، حدَّثنا المِقْدامُ بنُ داودَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ (٥بنُ محمدِ٥) بنِ المُغِيرةِ ، حدَّثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ، وَأَهْلُ الجَـنَّةِ لَا يَنَامُونَ » .

ورواه الطبرانيُّ(٦) ، مِن حديثِ مُصْعبِ بنِ إبراهيمَ ، عن عِمْرانَ بنِ الربيعِ الكوفيِّ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنْصاريِّ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، قال : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ : أيَنامُ أهلُ الجنَّةِ ؟ فقال : « النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ، وَأَهْلُ الْجَـنَّةِ لَا يَنَامُونَ » .

ورواه البَيْهقيُّ(٧) مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَبَلةَ(٨) بنِ أبى رَوَّادٍ ، عن سفيانَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) كشف الأستار (٣٥١٧) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح . مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٥.

(٣) فى حاشية الأصل ، ح : « وصله » .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨٨١١) ، عن المقدام ، بنحوه ، وأبو نعيم فى الحلية ٧/ ٩٠، عن الطبرانى ، وأحمد بن القاسم ، به . وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٨٧) .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) المعجم الأوسط (٩٢٣) .

(٧) البعث والنشور (٤٨٧) .

(٨) فى ح : « حلية » . وفى المصدر « حبلة » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٣٧.

الثَّوريِّ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، فذكَره .

ثم روَى البَيْهقيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّوريِّ ، عن يونُسَ بنِ محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ زَرْبِيٍّ ، عن نُفيعِ بنِ الحارثِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوْفَى قال : سأَل رجلٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : النومُ مما يُقِرُّ اللَّهُ به أعْيُنَنا فى الدنيا ، [2]أَنَنَامُ فى الجَنَّةِ[2] ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الْمَوْتَ شَرِيكُ النَّوْمِ ، وَلَيْسَ فِى الْجَنَّةِ مَوْتٌ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، فما راحتُهم ؟ قال : « إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا لُغُوبٌ ، كُلُّ أَمْرِهِمْ رَاحَةٌ » . فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] . ضَعيفُ الإسْنادِ[3] .

ذكرُ إحْلالِ الرِّضْوانِ عليهم ، وذلك أفْضلُ ما[4] لَديهم

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ [محمد : ١٥] . وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

---

(١) البعث والنشور (٤٨٩) .

(٢ - ٢) ليست فى : ص ، ومصدر التخريج .

(٣) بعده فى الأصل زيادة يتخللها رقم المخطوط : [١٤٧ و] .

(٤) فى ح ، ص : « مما » .

وروَى مالكُ بنُ أنسٍ[1] ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُونَ : لبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَقُولُ : أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، وَأَىُّ شَىءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِى فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » . وأخْرَجاه فى « الصحِيحَيْن » مِن حديثِ مالكٍ ، به[2] .

وقال البَزَّارُ[3] : حدَّثنا سَلَمَةُ بنُ شَبِيبٍ والفَضْلُ بنُ يَعْقوبَ ، قالا : حدَّثنا الفِرْيابىُّ[4] ، عن سفيانَ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : أَلَا أُعْطِيكُمْ ؟ - قال : أَحْسَبُهُ قَالَ : « أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » - قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، هَلْ[5] شَىءٌ أَفْضَلُ مِمَّا أَعْطَيْتَنَا ؟ قَالَ : رِضْوَانِى أَكْبَرُ » . وهذا الحديثُ على شرطِ البُخارىِّ ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوجهِ[6] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٤٩٠) من طريق مالك بن أنس ، به .

(٢) البخارى (٦٥٤٩، ٧٥١٨) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٣) أخرجه ابن حبان كما فى الإحسان (٧٤٣٩) ، والحاكم ١/ ٨٢، كلاهما من طريق الفريابى ، به ، بنحوه ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٤) فى ص : « الفارابى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٢.

(٥) فى ص : « أى » .

(٦) بعده فى الأصل زيادة يتخللها رقم المخطوط : [١٤٧ ظ] .

ذكْرُ نَظَرِ الربّ تعالى
إلى أهلِ الجنةِ وتَسْلِيمِه عليهم

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨].

وقال أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ ماجه فى كتابِ السُّنةِ مِن «سُننِه»[(١)]: حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الملكِ ابنِ أبى الشَّوارِبِ، حدَّثنا أبو عاصمٍ العَبَّادَانِيُّ، حدَّثنا الفضلُ الرَّقاشيُّ، عن ابنِ المُنْكَدِرِ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا[(٢)] أَهْلُ الْجَنَّةِ فِى نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]. قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَىءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ، وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِى دِيَارِهِمْ».

وقد روَاه البَيْهقيُّ[(٣)] مُطَوَّلًا مِن هذا الوجهِ؛ فقال: أخبرَنا [(٤)]عليُّ بنُ أحمدَ[(٤)] ابنِ عَبْدانَ، حدَّثنا أحمَدُ بنُ عُبَيْدٍ، حدَّثنا الكُدَيْمِيُّ، حدَّثنا يَعْقوبُ بنُ إسماعيلَ أبو يوسفَ السَّلَّالُ، حدَّثنا أبو عاصمٍ العَبَّادانيُّ، عن الفضلِ بنِ عيسى الرقاشيِّ،

---

(١) سنن ابن ماجه (١٨٤). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٣).

(٢) فى الأصل، ح: «بينما».

(٣) البعث والنشور (٤٩٣). قال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، ومدار طرقه كلها على الفضل بن عيسى الرقاشى. قال يحيى: كان رجل سوء. الموضوعات ٣/ ٢٦٢.

(٤ - ٤) فى الأصل، ح: «محمد». وهو خطأ. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٧.

عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ[1]، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلُونِي. قَالُوا: نَسْأَلُكَ الرِّضَا عَنَّا. قَالَ: رِضَايَ[2] أَحَلَّكُمْ دَارِي، وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي، هَذَا أَوَانُهَا، فَسَلُونِي. قالوا: نَسأَلُكَ الزِّيَادَةَ. قَالَ: فَيُؤْتَوْنَ بِنَجَائِبَ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، أَزِمَّتُها زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، وَيَاقُوتٌ أَحْمَرُ، فجاءُوا[3] عَلَيْهَا تَضَعُ حَوَافِرَهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهَا، فَيَأْمُرُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَشْجَارٍ عَلَيْهَا الثِّمَارُ، [4]فَتُتْحِفُهُمْ مِنْ ثِمَارِهَا[4]، فَتَجِيءُ حَوَارٍ[5] مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَهُنَّ يَقُلْنَ: نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ، وَنَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ كِرَامٍ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِكُثْبَانٍ مِنْ مِسْكٍ [6]أَذْفَرَ أَبْيَضَ[6]، [7]فَتُثِيرُهُ عَلَيْهِمْ رِيحٌ[7] يُقَالُ لَهَا: المُثِيرَةُ. حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِمْ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ قَصَبَةُ الْجَنَّةِ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يا رَبَّنَا، قَدْ جَاءَ الْقَوْمُ[8]. فَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِالصَّادِقِينَ، مَرْحَبًا بِالطَّائِعِينَ، [4]مَرْحَبًا بالمُتَّقِينَ[4]. قال: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَتَمَتَّعُونَ بِنُورِ الرَّحْمَنِ حَتَّى[9] لَا يُبْصِرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، [10]ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُوهُمْ إِلَى قُصُورِهِمْ بِالتُّحَفِ. فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ أَبْصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[10]».

---

(١) بعده فى الأصل، ح: «عليهم».

(٢) بعده فى الأصل، ح: «عنكم».

(٣) فى الأصل، ح: «فحملوا».

(٤ - ٤) ليست فى ص، ومصدر التخريج.

(٥) فى ح: «جوار».

(٦ - ٦) فى الأصل، ح: أذفر». وأذفر: طيب الريح. النهاية ٣/ ١٦١.

(٧ - ٧) فى ص، ومصدر التخريج: «فينثر عليهم ريحًا».

(٨) فى الأصل: «أهل النعمة وهم القوم»، وفى ح: «أهل النعمة».

(٩) سقط من: الأصل، ح.

(١٠ - ١٠) ليست فى مصدر التخريج.

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٢] » . ثم قال البَيْهقيُّ : وقد مضَى فى هذا الكتابِ ، فى كِتابِ الرؤيةِ ، ما يؤكِّدُ ما رُوِى فى هذا الحديثِ . واللَّهُ أعلمُ .

وذكَر أبو المَعالى الجُوَيْنىُّ فى الردِّ على السِّجْزِىِّ ، أن الربَّ تعالى إذا كشَف الحِجابَ ، وتجَلَّى لأهلِ الجنةِ تدفَّقَتِ الأنهارُ ، واصْطَفَقَتِ الأشجارُ ، وتَجاوَبَتِ الأطيارُ والسُّرُرُ والغُرُفاتُ وما فيها بالصَّريرِ والتعظيمِ والتسبيحاتِ ، والأعْيُنُ المُتَدَفِّقاتُ بالخَريرِ ، واسْتَرْسَلَتِ الريحُ المُثِيرةُ ، وبَثَّت فى الدُّورِ والقُصورِ المِسْكَ الأذْفَرَ ، والكافورَ ، وغرَّدَتِ [١٤٨و] الطيورُ ، وأشْرَفَتِ الحورُ .

والفضلُ بنُ عيسى ضعيفٌ[1] ، ولكن روَى الضِّياءُ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ مرفوعًا ، مثلَه .

ذِكرُ رُؤيةِ أهلِ الجنةِ ربَّهم ، عزَّ وجلَّ ، فى مثلِ أيامِ الجُمَعِ فى مجتمعٍ لهم مُعَدٍّ لذلك هنالك

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين : ١٥ - ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] . فذكَر عن الفجارِ أنَّهم محجوبون ، وأن الأبرارَ إليه ينظُرون .

---

(١) انظر الكلام عليه فى تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٤٤.

وقد تقدَّم[1] فى حديثِ أبى موسى الأشْعَرىِّ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ». أخرجاه فى «الصحيحَين». وفى حديثِ ابنِ عمرَ[2]: «وَأَعْلَاهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فِى الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ».

وله شاهدٌ فى «الصحيحَيْن»[3] عن جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ مرفوعًا عندَ ذكرِ رؤيةِ المؤمنين ربَّهم، عزَّ وجلَّ، يومَ القيامةِ، كما يَرَوْنَ الشَّمسَ والقمرَ، قال: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

وفى «صحيحِ البُخارىِّ»[4] عن النبىِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا». فأرْشَد هذا السِّياقُ على أن رُؤْيتَه، عزَّ وجلَّ، تقعُ لأهلِ الجنةِ فى مثلِ أوقاتِ العباداتِ، فكأنَّ المُبَرَّزين مِن المقرَّبين الأخْيارِ يَرَوْنَ اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، فى مثلِ طرَفَيِ النهارِ، بكرةً وعَشِيًّا، وهذا مَقامٌ عالٍ، فيَرَوْنَه سبحانه وهم على آرائِكِهم، وسُرُرِهم كما يَرَون القمرَ ليلةَ البدرِ، فيَرَونه أيضًا غيرَ رؤيتِهم إيَّاه فى منازِلِهم فى الجنةِ حيثُ يَجْتَمِعُ أهلُ الجنةِ فى وادٍ أَفْيَحَ - أى مُتَّسِعٍ - مِن مِسْكٍ أبيضَ، فيَجْلِسون فيه على قَدْرِ مَنازِلِهم؛ فمنهم مَن يَجْلِسُ على مَنابِرَ مِن نُورٍ، ومنهم مَن يجلِسُ على مَنابِرَ مِن ذهبٍ، وغيرِ ذلك مِن أنواعِ الجَواهرِ وغيرِها، ثم تُفاضُ

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٦٦.

(٢) تقدم صفحة ٢٧٢.

(٣) البخارى (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤)، مسلم (٦٣٣/٢١١).

(٤) تقدم فى ١٩/ ٤٧٧.

عليهم النِّعَمُ والخِلَعُ ، وتوضَعُ على رءوسِهم التِّيجانُ ، وبينَ أيْدِيهم المَوائِدُ ممَّا لا عينٌ رأَت ، ولا أذنٌ سمِعَت ولا خطَر على قلبِ بشرٍ ، ثم يُطَيَّبون بأنواعِ الطِّيبِ ، ويُخَصُّون بأنواعِ الكراماتِ والتُّحَفِ مما لم يَخْطُرْ على بالِ أحدٍ منهم قبلَ ذلك ، ثم يَتَجَلَّى لهم الحَقُّ سبحانه وتعالى ، ويُخاطِبُهم واحدًا واحدًا ، كما دلَّتْ على ذلك الآياتُ والأحاديثُ ، كما سيأْتِى إيرادُها قريبًا على رغمِ أنوفِ المعتزلةِ وغيرِهم مِمَّن ينكِرُ رؤيتَه سبحانه فى الدارِ الآخرةِ .

وقد حكَى بعضُ العلماءِ خلافًا فى النساءِ[1] : هل يَرَينَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فى الجنةِ ، كما يراه الرجالُ ؟ فقيل : لا يَرَونَه ؛ لأنهنَّ مَقْصوراتٌ فى الخِيامِ ، لا يَبْرُزْنَ[2] منها . وقيل : لنقْصِ عقولِهن ودينِهن ورغبتِهن فى الدنيا . وقيل : بل يَرَونه سبحانه ؛ لأنه لا [١٤٨ظ] مانعَ مِن رؤيتِه فى الخيامِ والقصورِ وغيرِها . والنساءُ إذا دخَلن الجنةَ ذهَب عنهن ما كان يَعْتَرِيهن مِن النقصِ فى الدنيا ، وصِرْنَ أزواجًا مُطَهَّرةً مِن كلِّ أذًى وطِبْنَ أخلاقًا وخَلْقًا ، فلا مانعَ لهنَّ مِن رؤيتِهنَّ لربِّهنَّ ، عزَّ وجلَّ . واللَّهُ سبحانه أعلمُ .

وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٢، ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس : ٥٦] .

وقال النبىُّ ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ، عَزَّ وَجَلَّ ، كَما تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُّونَ فى رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

---

(١) انظر تفصيل هذه المسألة فى مجموع الفتاوى ٦/٤٢٠ - ٤٦٠.

(٢) بعده فى الأصل بياض بمقدار كلمتين ولعله : « ولا يخرجن » .

غُرُوبِهَا فافْعَلُوا »[1] . وهذا عامٌّ فى الرجالِ والنساءِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال بعضُ العلماءِ قولًا ثالثًا ، وهو أنهنَّ يَرَيْن اللَّهَ فى مثلِ أوقاتِ[2] الأعْيادِ ؛ فإنَّه تعالى يَتَجَلَّى لأهلِ الجنةِ فى مثلِ أيامِ الأعْيادِ تجَلِّيًا عامًّا ، فيَرَيْنه فى مثلِ هذه الحالِ فى جملةِ أهلِ الجنةِ . وهذا القولُ يَحْتاجُ إلى دليلٍ خاصٍّ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] . وقد روِى عن جماعةٍ مِن الصحابةِ والتابعين تفسيرُ هذه الزيادةِ بالنَّظرِ إلى وجهِ اللَّهِ[3] ، عزَّ وجلَّ ؛ منهم أبو بكرٍ الصديقُ ، وأبىُّ بنُ كعبٍ ، وكعبُ بنُ عُجْرةَ ، وحذيفةُ ابنُ اليمانِ ، وأبو موسى الأشعرىُّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، رضِى اللَّهُ عنهم .

ومِن التابعين سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبى ليلى ، وعبدُ الرحمنِ بنُ سابطٍ ، والحسنُ ، وقتادةُ ، والضحاكُ ، والسُّدِّىُّ ، وغيرِهم مِن السَّلفِ والخَلَفِ .

وقد روِى حديثُ رؤْيةِ المؤمنين لربِّهم ، عزَّ وجلَّ ، فى الدارِ الآخرةِ عن جماعةٍ مِن الصحابةِ ؛ منهم أبو بكرٍ الصديقُ - وقد تقدَّم[4] حديثُه مطولًا - وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وقد روَى حديثَه يعقوبُ بنُ سفيانَ ، فقال : حدَّثنا محمدُ ابنُ مُصفًّى ، حدَّثنا سويدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، حدَّثنا عمرُو بنُ خالدٍ ، عن زيدِ بنِ علىٍّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرَى أَهْلُ الْجَنَّةِ الرَّبَّ تعالى فِى كُلِّ جُمُعَةٍ » . وذكَر تمامَ

---

(١) تقدم فى ص ٣٦١ .

(٢) فى ح ، ص : « أيام » .

(٣) انظر حادى الأرواح ص ٣١٦ فما بعده .

(٤) تقدم فى صفحة ٢١٨ .

الحديثِ ، وفيه : « فَإِذَا كَشَفَ الْحِجَابَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا نِعْمَةً قَبْلَ ذَلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُه تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ » . ومنهم أُبَيُّ بنُ كعبٍ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، وبريدةُ بنُ الحُصَيبِ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وجريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، وحُذَيفةُ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وسلمانُ الفارسيُّ ، وأبو سعيدٍ سعدُ بنُ مالكِ بنِ سِنَانٍ الخدريُّ ، وصُهَيبُ بنُ سِنانٍ الرُّوميُّ ، وعُبَادةُ بنُ الصَّامتِ ، وأبو أمَامةَ صُدَيُّ بنُ عَجْلانَ البَاهِلِيُّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، وابنُ عمرَ ، وعمارةُ بنُ رُوَيبةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، وأبو موسى عبدُ اللَّهِ بنُ قيسٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، وعَدِيُّ بنُ حاتمٍ ، وعمَّارُ بنُ ياسرٍ ، وأبو رَزينٍ العُقَيليُّ ، وأبو هريرةَ ، ورجلٌ مِن الصحابةِ ، وعائشةُ أمُّ المؤمنين[1] ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

وقد تقدَّم كثيرٌ منها ، وسيأتى بقيَّتُها مِمَّا يليقُ بهذا المقامِ إن شاء اللَّهُ تعالى . وقد قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عفَّانُ ، أنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ البُنَانيِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن صهيبٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هذه الآيةَ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . فقال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نَادَى مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيْدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ . فَيَقُوْلُونَ وَمَا هُوَ ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا ، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَيُزَحْزِحْنَا[3] عَنِ النَّارِ ؟ » قَالَ : « فَيَكْشِفُ لَهُمُ الْحِجَابَ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ » قالَ : « فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ [١٤٩و] شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَلَا أَقَرَّ

---

(١) فى حاشية الأصل : « وقد تكلم على أسانيد هذه الأحاديث وألفاظها العلامة العلم أبو عبد اللَّه محمد ابن قيم الجوزية فى كتابه فى صفة الجنة [حادى الأرواح ص ٢٧٨ فما بعدها] فأجاد وأفاد وأحسن الانتقاد والإيراد رحمه اللَّه » .

(٢) المسند ٣٣٣/٤ (١٨٩٦١) .

(٣) فى ح : « يخرجنا » ، وفى المسند : « يجرنا » .

لِأَعْيُنِهِمْ » . وهكذا رَواه مسلمٌ[1] مِن حديثِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[2] : حدَّثنا أبو بكرٍ الهُذَليُّ[3] ، أخبَرنى أبو تميمةَ الهُجَيميُّ ، قال : سمِعتُ أبا موسى الأشعريَّ يخطُبُ على منبرِ البصرةِ ويقولُ : إنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يومَ القيامةِ مَلَكًا إلى أهلِ الجنةِ ، فيقولُ : يا أهلَ الجنةِ ، هل أنجزَكم اللَّهُ ما وعَدَكم ؟ فينظُرُون ، فَيَرون الحُلِيَّ والحُلَلَ [4]والثمارَ[4] والأنهارَ والأزواجَ المطهرةَ ، فيقولون : نعم ، قد أنجزَنا اللَّهُ ما وعَدَنا . قالوا ذلك ثلاثَ مراتٍ ، فيقولُ : قد بَقِى شىءٌ ؛ إن اللَّهَ يقولُ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . ألَا إنَّ الحسنى الجنةُ ، والزيادةَ النظرُ إلى وجهِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . هكذا ذكَره موقوفًا .

وقد روَى ابنُ جريرٍ[5] وابنُ أبى حاتمٍ[6] حديثَ أبى تميمةَ الهُجَيْميِّ ، عن أبى موسى الأشعريِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادِيًا يُنَادِى أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةً ، الْحُسْنَى الْجَنَّةُ ، والزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ » .

ورَواه ابنُ جريرٍ[7] مِن حديثِ زهيرٍ عَمَّن سمِع أبا العَاليةِ ، حدَّثنا أُبَيُّ بنُ كعبٍ ، أنَّه سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « الْحُسْنَى الْجَنَّةُ ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ » .

---

(١) مسلم (١٨١/٢٩٧) .

(٢) الزهد لابن المبارك (٤١٩) (زوائد نعيم) بنحوه .

(٣) فى الأصل ، ح : « الألهانى » ، وفى ص : « الألقانى » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ١٥٩.

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) تفسير ابن جرير ١١/ ١٠٥.

(٦) تفسير ابن أبى حاتم ١٩٤٥/٦ بنحوه .

(٧) تفسير ابن جرير ١١/ ١٠٧.

ورَواه ابنُ جريرٍ[1] أيضًا عن ابنِ[2] حميدٍ، عن إبراهيمَ بنِ المختارِ، عن ابنِ جريجٍ، عن عطاءٍ عن كعبِ بنِ عُجْرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ، عَزَّ وَجَلَّ».

وقال الحسنُ بنُ عرفةَ[3]: حدَّثنا سَلْمُ[4] بنُ سالمٍ، عن نوحِ بنِ أبى مريمَ، عن ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: سئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن هذه الآيةِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قال: «لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِى الدُّنْيَا الْحُسْنَى، وَهِىَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ». سَلْمٌ وشيخُه نوحُ بنُ أبى مريمَ مُتَكَلَّمٌ[5] فيهما. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ[6] فى كتابِ الجمعةِ مِن «مسندِه»: أخبرَنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ، حدَّثنى موسى بنُ عُبَيدةَ، حدَّثنى أبو الأَزْهرِ معاويةُ بنُ إسحاقَ بنِ طلحةَ، عن [7]عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدِ[7] بنِ عُميرٍ، أنَّه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ: أتَى جبريلُ بمرآةٍ بيضاءَ فيها وَكْتَةٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ؟». فَقَالَ: هَذِهِ الجُمُعَةُ فُضِّلْتَ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُك، فالنَّاسُ لَكُمْ فِيهَا تَبَعٌ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُها

---

(١) تفسير ابن جرير ١١/ ١٠٧.

(٢) فى ح: «أبى» وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٩٧.

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ٩/ ١٤٠ من طريق الحسن بن عرفة به، وقال بعده: وهو خطأ، والصواب عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى ﷺ.

(٤) فى النسخ: «مسلم». والمثبت من المصدر، وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢١.

(٥) انظر الكلام على سلم فى سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢١، والكلام على شيخه نوح بن أبى مريم فى تهذيب الكمال ٣٠/ ٥٧ - ٦١.

(٦) ترتيب مسند الشافعى (٣٧٤) وفى شفاء العى ١/ ٢٧٩: إسناده ضعيف جدًّا.

(٧ - ٧) فى النسخ: «عبيد»، وفى مصدر التخريج: «عبيد الله». والمثبت من تهذيب الكمال ٢٨/ ١٦٠.

مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ ، إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ ، وَهُوَ عِنْدَنَا يَوْمُ الْمَزِيدِ . قال النبىُّ ﷺ : « يَا جِبْرِيلُ ، مَا يَوْمُ الْمَزِيْدِ ؟ » قال : إِنَّ رَبَّكَ اتَّخَذ فى الفِرْدوسِ واديًا أَفْيَحَ فيه كُثُبُ مِسْكٍ ، فإذا كان يومُ الجمعةِ أنزَل اللَّهُ ما شاء مِن ملائِكَتِه[1] وحولَه منابرُ مِن نورٍ ، عليها مقاعدُ للنبيِّين ، وحَفَّ تلك المنابرَ بمنابرَ مِن ذهبٍ مُكَلَّلةٍ بالياقوتِ والزَّبَرْجدِ ، عليها الشُّهَداءُ والصدِّيقون ، فجَلَسوا مِن ورائِهم على تلك الكُثُبِ ، فيقولُ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : أنا ربُّكم قد صَدَقْتُكم وَعدى ، فسَلُونى أُعْطِكم . فيقولون : رَبَّنا نسألُك رِضْوانَك . فيقولُ : قد رَضِيتُ عنكم ، ولكم علىَّ ما تمنَّيْتُم ، ولَدَىَّ مزيدٌ . فهم يُحِبُّون يومَ الجمعةِ لِما يُعْطِيهم فيه ربُّهم مِن الخيرِ ، وهو اليومُ الذى استَوى فيه ربُّكم على العرشِ ، وفيه خَلَق آدَمَ ، وفيه تقومُ الساعةُ .

وقد رَواه البَزَّارُ[2] مِن حديثِ جَهْضَمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى طَيْبَةَ ، عن عثمانَ ابنِ عميرٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَانِى جِبْرِيلُ وَفِى يَدِهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ يَاجِبْرِيلُ ؟ . [١٤٩ظ] قال : هذه الجمعةُ يَعْرِضُها عليك رَبُّك ؛ لِتَكُونَ لك عيدًا ولِقومِك[3] مِن بعدِك ، تكُونُ أنت الأولَ ، وتكونُ اليهودُ والنصارى مِن بعدِك » . قال : « مَا لَنَا فِيهَا ؟ . قال : لكم فيها خيرٌ ، لكم فيها ساعةٌ ، مَن دَعا ربَّه فيها بخيرٍ هو له قِسْمٌ إلا أعطَاه إيَّاه ، أو ليس له بقِسْمٍ إلا ادَّخَر له ما هو أعظمُ منه ، أو تعوَّذ فيها مِن شرٍّ هو عليه مكتوبٌ إلَّا أعاذَه مِن أعظمَ منه » . قال : « قلتُ : مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ ؟ قال : هى الساعةُ تقومُ يومَ الجمعةِ ، وهو سيِّدُ الأيامِ عندَنا ، ونحن ندعوه فى الآخرةِ يومَ

---

(١) بعده فى الأصل ، ح : « ونزل على كرسيه أو قال نزل من عليين على كرسيه وحف حول الكرسى » .
(٢) كشف الأستار (٣٥١٩) . وقال الهيثمى : إسناد البزار فيه خلاف . المجمع ٤٢٢/١٠ .
(٣) فى الأصل ، ح : « لأمتك » .

المزيدِ . قلتُ : وَمَا يَوْمُ الْمَزِيدِ ؟ قال : إن ربَّك اتَّخَذ فى الجنةِ واديًا أفيحَ مِن مسكٍ أبيضَ ، فإذا كان يومُ الجمعةِ نزَل تعالى مِن عِلِّيِّين على كرسِيِّه ، ثم حُفَّ الكرسىُّ بمنابرَ مِن نورٍ ، وجاء النبيُّون حتى يجلِسوا عليها ، ثم حُفَّ المنابرُ بكراسىَّ مِن ذهبٍ ، ثم جاء الصِّدِّيقون والشهداءُ حتى يجلِسوا عليها ، ثم يجىءُ أهلُ الجنةِ حتى يجلِسوا على الكُثُبِ[1] ، فيتَجلَّى لهم ربُّهم ، عزَّ وجلَّ ، حتى ينظُروا إلى وجهِه ، وهو يقولُ : أنا الذى صدَقْتُكم وَعْدى ، وأتْمَمْتُ عليكم نعمَتى ، هذا محلٌّ[2] كرامتى ، فسَلونى . فيسْأَلونه الرِّضَا فيقولُ : رِضائى أحلَّكم دارى وأنالكم كرامتى ، فسَلونى . فيسْأَلونه حتى تنتهىَ رغبتُهم ، فيفتَحُ لهم عندَ ذلك ما لا عينٌ رأَتْ ، ولا أُذنٌ سمِعتْ ، ولا خطَر على قلبِ بشرٍ إلى مقدارِ منصرَفِ الناسِ مِن الجمعةِ ، ثم يصعَدُ تعالى على كرسيِّه ، ويصعَدُ معه الشهداءُ والصدِّيقون - أحسَبُه قال - ويرجِعُ أهلُ الغُرَفِ إلى غُرَفِهم درَّةً بيضاءَ[3] لا قَصْمٌ فيها ولا فَصْمٌ[3] ، أو ياقوتةً حمراءَ ، أو زَبرْجَدةً خضراءَ منها غرفُها وأبوابُها مطَّرِدةً فيها أنهارُها مُتَدلِّيةً فيها ثمارُها ، فيها أزواجُها وخَدَمُها ، فليسوا إلى شىءٍ أحوجَ منهم إلى يومِ الجمعةِ ؛ ليزدادوا فيه كرامةً ، ويزدادوا نظرًا إلى وجهِه تعالى ، ولذلك سمِّى يومَ المزيدِ » .

ثم قال البزارُ : لا نعلَمُ أَحدًا رَواه عن أنسٍ غيرَ عثمانَ بنِ عميرٍ أبى اليقظانِ ، وعثمانَ بنِ صالحٍ .

---

(١) فى المصدر : « الكثيب » .

(٢) فى المصدر : « نحل » .

(٣ - ٣) القصم : كسر الشىء وإبانته ، والفصم : كسره من غير إبانة . النهاية ٤/ ٧٤.

هكذا قال، وقد رُوِّيناه مِن طريقِ زيادِ بنِ خيثمةَ[1]، عن عثمانَ بنِ أبى[2] مسلمٍ، عن أنسٍ، فذكَر الحديثَ بطولِه مثلَ هذا السياقِ، أو نحوَه.

وتقدَّم[3] فى روايةِ الشافعىِّ، عن [4]عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيدِ بنِ عميرٍ[4] عنه، فقد اختَلَف الرواةُ فيه، وكان بعضُهم يدلِّسُه؛ لئلَّا يُعْلَمَ أمْرُه، وذلك لِما يتوهَّمُ مِن ضعْفِه. واللَّهُ أعلمُ.

وقد رَواه أبو يَعْلى الموصلىُّ فى «مسندِه»[5]، عن شيبانَ بنِ فروخَ، عن الصَّعِقِ بنِ حَزْنٍ، عن علىِّ بنِ الحكمِ البُنَانىِّ، عن أنسٍ، فذكَر الحديثَ، فهذه طرقٌ جيدةٌ عن أنسٍ، وهى شاهدةٌ لروايةِ عثمانَ بنِ عميرٍ.

وقد اعتَنى بهذا الحديثِ الدارقطنىُّ، فأورَده مِن طرقٍ، قال الحافظُ الضياءُ: وقد روِى مِن طريقٍ جيدٍ، وهى شاهدةٌ لروايةِ عثمانَ بنِ عميرٍ عن أنسٍ، رَواه الطبرانىُّ[6]، عن أحمدَ بنِ زهيرٍ، عن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ كرامةَ، عن خالدِ بنِ مَخْلَدٍ القَطَوَانىِّ، عن عبدِ السلامِ بنِ حفصٍ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنىِّ، عن أنسٍ، فذكَره.

وقد رَواه غيرُ أنسٍ مِن الصحابةِ، قال البزارُ[7]: حدَّثنا محمدُ بنُ معمرٍ،

---

(١) ذكر هذا الطريق شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى ٦/ ٤١٣.

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من تهذيب الكمال ٩/ ٤٥٧.

(٣) تقدم فى ص ٣٦٦.

(٤ - ٤) فى الأصل، ح: «عبيد بن عمير».

(٥) مسند أبى يعلى (١٤٧٣). قال محققه ٧/ ٢٢٩: إسناده صحيح.

(٦) المعجم الأوسط (٢١٠٥).

(٧) كشف الأستار (٣٥١٨) بنحوه. قال الهيثمى: رواه البزار وفيه القاسم بن مطيب وهو متروك. المجمع ١٠/ ٤٢٢.

وأحمدُ بنُ عمرٍو[1] العُصْفُرِىُّ، قالا: حدَّثنا يَحيى بنُ كثيرٍ العَنْبَرِىُّ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المباركِ، عن القاسمِ بنِ مُطَيَّبٍ، عن الأعمشِ، عن أبى وائلٍ، عن حُذَيفةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِى جِبْرِيلُ» فَذَكَرَ يَوْمَ الْمَزِيدِ. قال: «فَيُوحى اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، إلى حملةِ العرشِ أَن يرفَعوا الحُجُبَ فيما بينَهم وبينَه، فيكونُ أوَّلَ ما يسمَعون منه: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيبِ ولم يرَوْنى، وصدَّقوا رُسُلى واتَّبَعوا أَمرى، سَلُونى فهذا يومُ المزيدِ. فيجتَمِعون على كلمةٍ واحدةٍ: أَنْ رضِينا عنك، فارْضَ عنَّا. فيرجِعُ فى قولِه: يا أهلَ الجنةِ، إنى لو لم أرْضَ عنكم لم أُسْكِنْكم جنَّتى، هذا يومُ المزيدِ، فسلونى. فيجتَمِعون على كَلمةٍ واحدةٍ: أَرِنا وجهَك ياربِّ ننظُرْ إليه. قال: فيَكْشِفُ الحُجُبَ، فيتَجَلَّى لهم، فيَغْشَاهم مِن نورِه ما لولا أنَّ اللَّهَ قضَى أنْ لا يموتوا لاحتَرَقوا، ثم يقالُ لهم: ارجِعُوا إلى منازِلِكم. فيرجِعون إلى منازِلِهم ولهم فى كلِّ سبعةِ أيامٍ يومٌ يتَجَلَّى لهم فيه، وذلك يومُ الجمعةِ».

ذِكْرُ سُوقِ الجنَّةِ

قال الحافظُ أبو بكرِ بنُ أَبى عاصمٍ[2]: حدَّثنا هشامُ بنُ عمّارٍ، حدّثنا عبدُ الحميدِ بنُ حَبيبِ بنِ أبى العِشْرِينَ، عن الأَوْزَاعِىِّ، عن حَسّانَ بنِ عطيةَ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، أنَّه لَقِىَ أَبا هُريرةَ، فقال أبو هريرةَ: أسألُ اللَّهَ أن يَجْمَعَ بيْنِى وبَيْنكَ فى سُوقِ الجنَّةِ، فقال سعيدٌ: أوَفيها سُوقٌ؟ قال: نَعَمْ، أخبرَنى رسولُ

---

(١) فى النسخ: «حفص». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٠.
(٢) السنة (٥٨٥). وقال الشيخ الألباني: إسناده ضعيف.

اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِى مِقْدارِ يَوْمِ الجُمُعَةِ مِن أيّامِ الدُّنْيَا ، فَيَزُورُونَ اللَّهَ فى رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، ومَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، ومَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَمَنابِرُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ - وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ[1] - عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ والْكَافُورِ ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَرَاسِيِّ أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِسًا » .

قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ : فقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنا ؟ قال : « نَعَمْ ، هَلْ تَمَارَونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قلنا : لا . قال : « فَكَذَلِكَ لَا تَمَارَونَ فِى رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَإِنَّهُ لا يَبْقَى فِى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا [2]حَاضَرَهُ رَبُّهُ مُحَاضَرَةً[2] حَتَّى يَقُولَ : يَا فُلَانَ ابنَ فلانٍ ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ فَيُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَراتِهِ [3]فِى الدُّنْيَا[3] ، فَيَقُولُ : بَلَى ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِى ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فبِمَغْفِرَتِى بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ . قال : فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا مِثْلَ رِيحِهِ قَطُّ » . قال : « ثُمَّ يَقُولُ رَبُّنَا ، عَزَّ وَجَلَّ : قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ . قَالَ : فَيَجِدُونَ سُوقًا [١٥٠ظ] قَدْ حَفَّتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ العُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ ، وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ » . قال :

---

(١) الدنيّ والدنيء : الخسيس . قال فى تحفة الأحوذى ٣/ ٣٣٢: أى والحال أنه ليس فى الجنة دونٌ ولا خسيسٌ ، قال الطيبى : وهو تتميم ، صونًا لما يتوهم من قوله : « أدناهم » الدناءة ، والمراد به الأدنى فى المرتبة .

(٢ - ٢) فى السنة لابن أبى عاصم : « خاصره الله مخاصرة » . وفى سنن الترمذى المطبوع (٢٥٤٩) : « حاصره الله محاصرة » . وقال فى تحفة الأحوذى ٣/ ٣٣٢: قال التوربشتى : الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان ... والمعنى : خاطبه الله مخاطبة ، وحاوره محاورة .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ح .

(١ فَيُحْمَلُ لَنَا ١) مَا اشْتَهَيْنَا(٢) لَيْسَ يُبَاعُ وَلَا يُشْتَرَى ، وَفِى ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . قال : فَيُقْبِلُ ذُو البِزَّةِ(٣) الْمُرْتَفِعَةِ ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ - وَمَا فِيهِمْ دَنِىٌّ - فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ ، فَمَا يَنْقَضِى آخِرُ حَدِيثِه حَتَّى يَتَمَثَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا . قال : ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا ، فَتَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا ، فَيَقُلْنَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِحِبِّنَا ، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطِّيبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ . فَنَقُولُ : إِنَّا قَدْ جَالَسْنَا رَبَّنَا الْجَبَّارَ ، عَزَّ وجَلَّ ، ويَحُقُّنَا(٤) أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا » .

وهكذا رواه ابنُ ماجه(٥) ، عن هشامِ بنِ عَمَّارٍ . ورواه التِّرمذىُّ(٦) ، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ ، عن هشامِ بنِ عَمَّارٍ ، ثم قال : غريبٌ لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ .

وقد رواه أبو بكرِ بنُ أبى الدُّنيا(٧) ، عن الحكَمِ بنِ مُوسى ، عن هِقْلِ(٨) بنِ زِيادٍ ، عن الأَوْزاعىِّ ، قال : نُبِّئْتُ أنَّ سعيدَ بنَ المسيَّبِ لَقِىَ أبا هريرةَ ، فذكَره .

وقال مسلمٌ(٩) : حدَّثنا أبو عثمانَ سعيدُ(١٠) بنُ عبدِ الجَبَّارِ البَصْرىُّ ، حدَّثنا

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « فنأخذ منها » .
(٢) بعده فى الأصل : « فيحمل لنا » .
(٣) فى ص : « الثروة » . والبزة : الهيئة . النهاية ١/ ١٢٥.
(٤) فى الأصل : « ويحق لنا » .
(٥) ابن ماجه (٤٣٣٦) .
(٦) الترمذى (٢٥٤٩) .
(٧) صفة الجنة (٢٥٦) .
(٨) فى ص : « المعلى » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٩٢.
(٩) مسلم (٢٨٣٣/١٣) .
(١٠) فى ح : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٥٢٠.

حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ ، فَتَهُبُّ عليهم[1] رِيحُ الشَّمَالِ[2] ، فَتَحْثُو فِى وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِم المِسْكَ[1] ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَرْجِعُونَ إلى أَهْلِهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حَسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا . فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ واللَّهِ لقدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا » .

وهكذا رواه أحمدُ[3] ، عن عفّانَ ، عن حمّادٍ ، وعندَه : « [4]إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَسُوقًا فِيهَا كُثْبَانُ المِسْكِ[4] ، فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْهَا هَبَّتِ الرِّيحُ » . وذكَر تمامَه .

وروَى أبو بكرِ بنُ أبى سَبْرَةَ[5] ، عن عمرَ بنِ[6] عطاءِ بنِ وَرَازٍ[7] ، عن سالمٍ أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أَرْضُ الْجَنَّةِ بَيْضَاءُ ، عَرْصَتُهَا صُخُورُ الْكَافُورِ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمِسْكُ مِثْلَ كُثْبَانِ الرَّمْلِ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مُطَّرِدَةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَتَعَارَفُونَ ، فَيبعثُ اللَّهُ تعالى رِيحَ الرحمةِ ، فتُهَيِّجُ عَلَيْهِمْ رِيحَ الْمِسْكِ ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى زَوْجَتِه ، وَقَدِ ازْدَادَ حُسْنًا[8] وَطِيبًا ، فَتَقُولُ : لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِى وَأَنَا بِكَ مُعْجَبةٌ ، وَأَنَا الْآنَ بِكَ أَشَدُّ إِعْجَابًا » .

---

(١) سقط من : ص . وهى ليست فى مسلم .

(٢) ريح الشمال : هى التى تأتى من دبر القبلة ، قال القاضى : وخص ريح الجنة بالشمال ؛ لأنها ريح المطر عند العرب ، كانت تهب من جهة الشمال ، وبها يأتى سحاب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٧٠، ١٧١.

(٣) المسند ٣/٢٨٤ (١٤٠٦٧) .

(٤ - ٤) هكذا فى النسخ ، وفى المسند : « إن لأهل الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك » .

(٥) فى النسخ : « شيبة » ، والمثبت من صفة الجنة لابن أبى الدنيا (٢٨) . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٦٣.

(٦) فى ح ، ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٦٣.

(٧) فى ح : « بن زرارة » . وفى ص : « بن وراد » . وفى المصدر : « عن عرداة » ، والمثبت هو الصواب ، انظر تهذيب الكمال ١٠/ ١٧٩، ٢١/ ٤٦٣.

(٨) بعده فى الأصل ، ح : « وجمالًا » .

فأما الحديثُ الذى رواه الحافظُ أبو عِيسى التِّرمذىُّ[1] قائلًا : حدَّثنا أحمدُ بنُ مَنِيعٍ وَهَنّادٌ[2] ، قالا : حدَّثنا أبو معاويةَ ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ ، عن النُّعْمانِ بنِ سعدٍ ، عن علىٍّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَسُوقًا مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلَا بَيْعٌ إِلَّا الصُّوَرَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَل فِيهَا » . فإنَّه حديثٌ غريبٌ ، كما ذكَره الترمذىُّ ، ويُحْمَلُ معناه على أن الرِّجالَ إنما يَشْتَهُونَ الدُّخولَ فى مثلِ صورِ الرجالِ ، وكذلك النِّساءُ[3] ، ويَكُونُ مُفَسَّرًا بالحديثِ المتقدِّمِ ، وهوالشكلُ ، والهيئةُ ، والبَشَرةُ ، واللِّباسُ ، كما ذكَرْنا فى حديثِ أبى هريرةَ فى سوقِ الجنةِ : « فَيُقْبِلُ ذُو البِزَّةِ الْمُرْتَفِعَةِ ، فَيَلْقَى مَنْ دُونَهُ ، فَيَرُوعُه مَا عَلَيْهِ [١٥١و] مِنَ اللِّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ ، فَمَا يَنْقَضِى آخِرُ حَدِيثِه حَتَّى يَتَمَثَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّه لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا » .

هذا إنْ كان قد حَفِظ لفظَ الحديثِ ، والظاهرُ أنَّه لم يَحْفَظْ ، فإنَّه قد تفرَّد به عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ بنِ الحارثِ ، وهو أبو شَيْبةَ الواسطىُّ ، ويقالُ : الكوفىُّ . روَى عن أبيه وخَالِه النُّعمانِ بنِ سعدٍ ، والشَّعْبىِّ وغيرِهم ، وعنه جمَاعةٌ منهم حفصُ بنُ غِياثٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، وهُشَيْمٌ[4] .

قال الإمامُ أحمدُ[5] : ليس بشىءٍ ، مُنْكَرُ الحديثِ . وكذَّبه فى روايتِه عن النُّعمانِ بنِ سعدٍ ، عن المغيرةِ بنِ شعبةَ فى أحاديثَ رفَعها .

---

(١) الترمذى (٢٥٥٠) .

(٢) فى ح : « حماد » ، وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣١١، ٣١٢، وتحفة الأشراف ٧/ ٤٣٥.

(٣) بعده فى الأصل : « يشتهون الدخول فى مثل صور النساء والله أعلم » .

(٤) فى ص : « مسلم » ، وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ١٦/٥١٥ - ٥١٨.

(٥) الجرح والتعديل ٥/ ٢١٣.

وكذلك ضعَّفه يحيى بنُ مَعينٍ، ومحمدُ بنُ سعدٍ، ويعقوبُ بنُ سفيانَ، والبخاريُّ، وأبو داودَ، وأبو حاتمٍ، وأبو زُرْعةَ، والنَّسائيُّ، وابنُ خُزَيْمةَ، وابنُ عَدِيٍّ وغيرُهم[1]، وقد اسْتَقْصَيْتُ كلامَهم فيه مفصَّلًا فى «التَّكْميلِ». وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

ومِثلُ هذا الرجلِ لا يُقْبَلُ منه ما تفرَّد به، ولا سِيَّمَا هذا الحديثُ، فإنَّه مُنْكَرٌ جدًّا، وأحسنُ أحوالِه أن يَكونَ سمِع شيئًا، ولم يَفْهَمْه جيدًا، فَعَبَّرَ عنه بعبارةٍ ناقصةٍ، ويَكونُ أصلُ الحديثِ كما ذكَرْنا فى روايةِ بنِ أبى العِشْرينَ الدِّمَشقِيِّ، عن الأوْزاعيِّ، عن حسّانَ بنِ عَطِيةَ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، عن أبى هريرةَ، فى سوقِ الجنةِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد رُوِى من وجهٍ آخرَ غريبٍ، فقال محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَضْرمىُّ الحافظُ، المعروفُ بمُطَيَّنٍ[2]: حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ طَرِيفٍ البَجَلىُّ، حدَّثنا أبى، حدَّثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ، حدَّثنى جابرٌ الجُعْفِىُّ، عن أبى جعفرٍ، عن علىِّ بنِ الحسينِ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن مُجْتَمِعونَ، فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَسُوقًا مَا يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى إِلَّا الصُّورُ، فَمَنْ أَحَبَّ صُورَةً مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ دَخَلَ فِيهَا».

جابرُ بنُ يزيدَ الجُعْفِىُّ ضعيفُ الحديثِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) انظر هذه الأقوال فى تهذيب الكمال ١٦/ ٥١٧، ٥١٨. ماعدا قول ابن عدى، فهو فى الكامل ٤/ ١٦١٢.

(٢) فى ص: «مطر». وانظر نزهة الألباب ٢/ ١٨٤. والحديث فى حادى الأرواح ص ٢٦٢.

ذِكرُ رِيحِ الجنةِ وطِيبِه وانْتِشارِه

حتى إنّه يُشَمُّ مِن سنيـنَ عديدةٍ ومسافةٍ بعيدةٍ

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد : ٤- ٦] . قال بعضُهم : أى طيَّبَها لهم ، من العَرْفِ ؛ وهو الريحُ الطَّيِّبَةُ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ[(١)] : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحكَمِ ، عن مُجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ[(٢)] ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِينَ عَامًا » .

ورواه أَحمدُ[(٣)] ، عن غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ ، وقال : « سَبْعِينَ عَامًا » .

وقال أحمدُ[(٤)] : حدَّثنا وهبُ[(٥)] بنُ جَريرٍ ، حدَّثنا شعبةُ ، عن الحكَمِ ، عن مُجاهدٍ ، قال : أراد فلانٌ أن يُدْعَى جُنادةَ بنَ أبى أُميةَ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ قَدْرِ سَبْعِينَ عَامًا ، أَوْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا » . قال : « وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

---

(١) مسند أبى داود (٢٢٧٤) .

(٢) أى لم يشم ريحها . يقال : راح يَرِيح ، وراح يَراح : إذا وجد رائحة الشئ . النهاية ٢/ ٢٧٢.

(٣) المسند ١٩٤/٢ (٦٨٣٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين. المسند ١١/ ٤٢٧.

(٤) المسند ١٧١/٢ (٦٥٩٢) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط الشيخين. المسند ١١/ ١٦٢.

(٥) فى المسند المطبوع « وهيب » ، وانظر مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب ، الموضع السابق .

وقال البُخاريُّ[1] : حدَّثنا قيسُ بنُ حفصٍ[2] ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ زِيادٍ ، عن الحسنِ بنِ عمرٍو الفُقَيْميِّ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، عن النبيِّ ﷺ قال : « مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » .

وهكذا رواه ابنُ ماجه[3] ، [١٥١ظ] عن أبى كُرَيْبٍ ، عن أبى مُعاويةَ ، عن الحسنِ بنِ عمرٍو ، به .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ محمدٍ - يَعْنى أبا إبراهيمَ المُعَقِّبَ - حدَّثنا مَرْوانُ ، وهو ابنُ مُعاويةَ الفَزَاريُّ ، عن الحسنِ بنِ عمرٍو الفُقَيْميِّ ، (٥عن مجاهدٍ٥) ، عن جُنادَةَ بنِ أبى أميةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » .

(٦رَواه النَّسائيُّ عن عبدِ الرحمنِ بنِ إبراهيمَ دُحَيْمٍ[7] ، عن مَرْوانَ بنِ معاويةَ الفزَارِيِّ ، به[8]٦) .

---

(١) البخارى (٣١٦٦) .

(٢) فى ص : « جعفر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢١.

(٣) سنن ابن ماجه (٢٦٨٦) .

(٤) المسند ٢/١٨٦ (٦٧٤٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح . المسند ١١/ ٣٥٦.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ح ، مطبوعة المسند . وانظر أطراف المسند ٤/ ١٠. حاشية (٤) .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) فى الأصل ، ح : « بن دحيم » . والمثبت من سنن النسائى الموضع التالى ، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٩٥. وقيل : إنه كان يكره هذا اللقب ، وسببه أنه تصغير دَحْمَان ، ودحمان بلسانهم : الخبيث . نزهة الألباب ١/ ٢٥٧.

(٨) السنن الكبرى (٨٧٤٢) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٤٤٢٥) .

(١ ورَواه الطَّبرانيُّ[٢] ، عن مُوسَى (٣ بنِ خَازمٍ[٣] الأصبهانيِّ ، عن محمدِ بنِ بُكَيْرٍ[٤] الحضْرَمِيِّ ، عن مَرْوانَ الفَزارِيِّ ، عن الحسَنِ ، عن مجاهدٍ ، عن جُنادةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ ١) » . هذا لفظُه .

وقال الطبرانيُّ[٥] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عليٍّ الأبَّارُ ، حدَّثنا مُعَلَّلُ بنُ نُفَيْلٍ[٦] ، حدَّثنا عيسى بنُ يُونُسَ ، عن عوفٍ الأعرابيِّ ، عن محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ » .

وقد رَواه أبو داودَ والتِّرمذيُّ مِن حديثِ محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن أبيه ، عن أَبى هريرةَ مرفوعًا[٧] ، وقال : « سَبْعِينَ خَرِيفًا » . وقال : حَسَنٌ صحيحٌ . وقال : وفى البابِ عن أبى بَكْرةَ .

وقال الحافظُ الضياءُ : هو عِندِى على شَرْطِ الصحيحِ ، يَعْنى حديثَ أَبى هريرةَ .

وقال عبدُ الرزّاقِ[٨] ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ ، عن الحسَنِ أو غيرِه ، عن أَبى بَكْرةَ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ١٥٧ إلى الطبرانى .

(٣ - ٣) فى ح : « بن أبى حازم » ، وانظر الإكمال ٢/ ٢٩٠.

(٤) فى الأصل ، ح : « بكر » . وانظر الجرح والتعديل ٧/ ٢١٤.

(٥) المعجم الأوسط (٦٦٧) .

(٦) فى الأصل ، ح : « فضيل » . وانظر الإكمال ٧/ ٣٦٠.

(٧) لم يروه أبو داود عن أبى هريرة بالطريق المذكورة ولا بغيره ، وإنما رواه (٢٧٦٠) من طريق آخر عن أبى بكرة رضى الله عنه بلفظ : « من قتل معاهدًا فى غير كنهه حرَّم الله عليه الجنة » ، وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٥٤، ١٠/ ٢٥١. ورواه الترمذى (١٤٠٣) من طريق ابن عجلان به . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١١٣٢) .

(٨) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/٤٦ (٢٠٤٨٧) عن عبد الرزاق ، به .

قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « رِيحُ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ » .

وقال سعيدُ بنُ أبى عَرُوبةَ ، عن قتادةَ : « خَمْسِمائَةِ عَامٍ »[1] . وكذلك رَواه حمّادُ بنُ سلمةَ ، عن يُونُسَ بنِ عبيدٍ ، عن الحسَنِ[2] .

وروَى الحافظُ أبو نعيمٍ الأصبهانىُّ فى كتابِ « صفةِ الجنَّةِ »[3] ، مِن طريقِ الرَّبيعِ بنِ بدرٍ عُلَيْلَةَ - وهو ضعيفٌ - عن هارونَ بنِ رِئابٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أبى هريرةَ مَرفوعًا : « رَائِحَةُ الجَنَّةِ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ » .

وقال مالكٌ[4] ، عن مُسلِمِ بنِ أبى مريمَ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ؛ أنَّه قال : نساءٌ كاسياتٌ عَارِيَاتٌ ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ .

قال الحافظُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البَرِّ[5] : وقد روَاه عبدُ اللَّهِ بنُ نافعٍ الصائغُ ، عن مالكٍ ، فرفَعه إلى النبىِّ ﷺ .

وقال الطَّبَرانىُّ[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَضْرمىُّ ، حدَّثنا [7]أحمدُ بنُ محمدِ[7] بنِ طَرِيفٍ ، حدَّثنا أبى ، حدَّثنا محمدُ بنُ كَثيرٍ ، حدَّثنى جابرٌ الجُعْفِىُّ ، عن

---

(١) ذكره أبو نعيم فى صفة الجنة عقب حديث (١٩٣) معلّقًا .

(٢) أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٧٤٤) . من طريق حماد بن سلمة به .

(٣) صفة الجنة لأبى نعيم (١٩٤) ، وحلية الأولياء ٣/ ٣٠٧. قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الصغير وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك . مجمع الزوائد ٨/ ١٤٨.

(٤) الموطأ ٢/ ٩١٣.

(٥) التمهيد ١٣/ ٢٠٢.

(٦) المعجم الأوسط (٥٦٦٠) ، مطولا . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفى وكلاهما ضعيف جدًّا . مجمع الزوائد ٨/ ١٤٩.

(٧ - ٧) فى النسخ : « محمد بن أحمد » . والمثبت من المعجم الأوسط . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٠٩.

أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رِيحُ الْـجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ ، وَاللَّهِ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ » .

وثبَت فى « الصحيحين »[1] عن أنسٍ ، أنَّ سعدَ بنَ مُعاذٍ ، مَرَّ بأَنسِ بنِ النَّضْرِ يومَ أُحُدٍ ، فقال : أَين يا سعدُ ، واهًا لرِيحِ الجنةِ ، واللَّهِ إنى لَأَجِدُ رِيحَها دونَ أُحُدٍ . فقاتَل يومَئذٍ حتى قُتِل ، ولم يُعْرَفْ مِن كثرةِ الـجِراحِ ، وما عرَفه إلا أختُه الرُّبَيِّعُ بنتُ النَّضْرِ بِبَنَانِه ، ووُجِد بِه بِضْعٌ وثمانُونَ مِن بينِ ضَرْبَةٍ وطَعْنةٍ ورَمْيَةٍ ، رضِى اللَّهُ عنه .

فقد وجَد أَنسٌ رِيحَ الجنةِ فى الأرضِ وهى فوقَ السَّمواتِ ، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ تَكُونَ قد اقْتَرَبَتْ يَومَئذٍ مِن المؤمنينَ ، واللَّهُ أعلمُ .

ذِكرُ نورِ الجنّةِ وبَهائِها وطِيبِ فِنائِها وحُسنِ منظرِها فى وقتَىْ صباحِها ومسائِها

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٨، ١١٩] . وقال تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٣] .

---

(١) البخارى (٢٨٠٥) ، ومسلم (١٩٠٣/١٤٨) بنحوه .

[١٥٢و] قال ابنُ أبى الدنيا[١] : حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عبدُ ربِّه الحَنَفىُّ ، عن خالِه الزُّمَيْلِ بنِ سِماكٍ ، سمِع أباه يُحَدِّثُ ، أنه لقِى عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ بالمدينةِ بعدَ ما كُفَّ بصرُه ، فقال : يا بنَ عباسٍ ، ما أرضُ الجنةِ ؟ قال : هى مَرْمَرَةٌ بيضاءُ مِنْ فضةٍ كأنها مِرْآةٌ . قلتُ : ما نورُها ؟ قال : أَمَا رأَيْتَ السَّاعةَ التى تَكونُ قبلَ طُلُوعِ الشمسِ ؟ فذلك نورُها ، إلَّا[٢] أنه ليس فيها شمسٌ ولا زَمْهَرِيرٌ . وذكَر باقىَ الحديثِ ، كما تقدَّم[٣] .

وتقدَّم[٤] فى سؤالِ ابنِ صَيَّادٍ عن تُربةِ الجنةِ أنها دَرْمَكَةٌ بَيْضاءُ ، مِسْكٌ أَذْفَرُ .

وقال أحمدُ بنُ منصورٍ الرَّمادىُّ[٥] : حدَّثنا كثيرُ بنُ هشامٍ ، حدَّثنا هشامُ بنُ زيادٍ أبو المِقْدامِ ، عن حَبيبِ بنِ الشَّهيدِ ، عن عَطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ بَيْضَاءَ ، وَأَحَبُّ الزِّىِّ إِلَى اللَّهِ البَيَاضُ ، فَلْيَلْبَسْه أَحْيَاؤُكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهِ مَوْتَاكُمْ » . قال : ثم أمَر برِعاءِ الشاءِ فجُمِعوا ، فقال : « مَنْ كَانَ ذَا غَنَمٍ[٦] سُودٍ فَلْيَخْلِطْ بِهَا بِيضًا » . فجاءَتْه امرأةٌ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى اتَّخَذْتُ غنمًا سُودًا ، فلا أراها تَنْمو[٧] . فقال : « عَفِّرِى » . أَى بَيِّضى ، معناه : اخْلِطِى فيها بِيضًا .

---

(١) صفة الجنة (١٤٧) .

(٢) سقط من : الأصل ، ح .

(٣) فى ص : « سيأتى إن شاء الله » . والحديث تقدم فى ص ٣٣٩، ولكن لم يتقدم بطوله .

(٤) فى ح : « سيأتى » . والحديث تقدم فى ص ٢٨٩.

(٥) فى الأصل ، ح : « الزيادى » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٩٢.

والحديث أخرجه ابن عدى فى الكامل ٢٥٦٥/٧ من طريق كثير بن هشام به . وانظر حادى الأرواح ص ١٣٧ . قال الشيخ الألبانى : موضوع . (السلسلة الضعيفة ٨٠٠) .

(٦) فى الكامل : « عنز » .

(٧) تنمو : تَسْمَن أو تزيد . اللسان (ن م و) .

وقال أبو بكرٍ البزارُ[1] : حدَّثنا أَحمدُ بنُ الفَرَجِ الحِمْصىُّ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدِ بنِ كَثيرٍ الحِمْصىُّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ مُهاجِرٍ ، عن الضَّحَّاكِ المَعافِرىِّ ، عن سليمانَ بنِ موسى ، حدَّثنا كُرَيْبٌ أنه سمِع أسامةَ بنَ زيدٍ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا مُشَمِّرٌ إِلَى الْجَنَّةِ ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ[2] لَهَا ، هِىَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فى مُقَامٍ آبِدٍ ، فِى دَارٍ سَلِيمَةٍ ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ وَحَبْرَةٌ وَنَعْمَةٌ ، فِى مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، نعم ، نحنُ المُشَمِّرُون لها . فقال : « قُولُوا : إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . فقال القومُ : إن شاء اللَّهُ . ثم قال البزَّارُ : لا نعلمُ له طريقًا إلَّا هذا .

وقد روَاه ابنُ ماجه[3] من حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن محمدِ بنِ مهاجرٍ ، بنحوِه . ورواه أبو بكرِ بنُ أبى داودَ[4] ، عن عمرِو بنِ عثمانَ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ مهاجرٍ [5]به ، وروَاه ابنُ أبى الدنيا[6] من طريقِ ابنِ مهاجرٍ[5] .

وَتقدَّم[7] فى الحديثِ الذى روَاه أبو بكرِ بنُ أبى سَبْرةَ[8] ، عن عُمَرَ بنِ عَطَاءِ[9] بنِ وَرَازٍ ، عن سالمٍ أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا : « أَرْضُ الْجَنَّةِ بَيْضَاءُ ، عَرْصَتُهَا صُخُورُ الْكَافُورِ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمِسْكُ مِثْلَ كُثْبَانِ الرَّمْلِ ، فِيهَا

---

(١) عزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/٥١٤ إلى البزار .
(٢) لاخطر : لا عِوَض ولا مثل . النهاية ٢/٤٦ .
(٣) ابن ماجه (٤٣٣٢) . ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٤٦) .
(٤) البعث والنشور (٧١) .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦) صفة الجنة (١) .
(٧) تقدم فى ص ٣٧٣ .
(٨) فى النسخ : « شيبة » . والمثبت من مصدر التخريج ، كما تقدم .
(٩) بعده فى الأصل ، ح : « بن عرادة » . وانظر تهذيب الكمال ٢١/٤٦٣ .

أَنْهَارٌ مُطَّرِدَةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَتَعَارَفُونَ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحَ الرَّحْمَةِ ، فَتُهَيِّجُ عَلَيْهِمْ رِيحَ الْمِسْكِ ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَقَدِ ازْدَادَ حُسْنًا وَطِيبًا » . وذكر الحديثَ .

(١) وروَى الإمامُ أحمدُ من حديثِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، عن النبىِّ ﷺ - وقد تقدَّم[٢] - « لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِى الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (١) »[٣] .

ذِكرُ الأَمْرِ بطلبِ الجنَّةِ وترغيبِ اللَّهِ عبادَه فيها وأمرِهم بالمبادرةِ إليها

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] . وقال : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] . وقال : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [الحديد : ٢١] . وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] . وقال : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٥، ٢٦] .

وقد روَى البخارىُّ[٤] وغيرُه من حديثِ سعيدِ بنِ مِينَاءَ ، عن جابرٍ ، أنَّ مَلائكةً

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) المسند ١/١٦٩ (١٤٤٩) . وقد تقدم فى ص ٢٩٧ من رواية ابن أبى الدنيا .

(٣) بعده فى الأصل زيادة يتخللها رقما مخطوطة الأصل [١٥٢ ظ] ، [١٥٣ و] .

(٤) البخارى (٧٢٨١) ، بنحوه .

جاءُوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو نَائمٌ ، فقال بعضُهم : هُوَ نَائِمٌ . وقال بعضُهم : إنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ . فقالوا : اضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا . فقالوا : مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا ، وَاتَّخَذ فِيهَا مَأْدُبَةً ، وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ . قالوا : فَأَوِّلُوهَا لَهُ يَعْقِلْهَا . فقال بَعْضُهُمْ : إنَّهُ نَائمٌ . وقال بَعْضُهُمْ : إنَّ الْعَيْنَ نَائمَةٌ ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ . فقالوا : الدَّارُ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بينَ النَّاسِ .

وروَى الترمذيُّ[1] هذا الحديثَ ، ولفظُه : خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا ، فقال : « إنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي ، وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اضْرِبْ لَهُ مَثَلًا . فَقَالَ : اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ ، وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ ، إنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ، ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ، ثُمَّ [2]صَنَعَ مَأْدُبَةً[2] ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ ، فَاللَّهُ هُوَ الْمَلِكُ ، وَالدَّارُ الْإِسلامُ ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ رَسُولٌ[3] ، فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الإسلامُ ، وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مِمَّا[4] فِيهَا » . وروَى الترمذيُّ[5] عن ابنِ مسعودٍ نحوَه ، وصحَّحه أيضًا .

وقال حمادُ بنُ سَلَمةَ[6] ، عن ثابتٍ عن أَنَسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ

---

(١) سنن الترمذى (٢٨٦٠) . قال الترمذى : هذا حديث مرسل . ولم يصححه . والحديث ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٥٣٧) .

(٢ - ٢) فى ص : « اتخذ مائدة » . وفى المصدر : « جعل فيها مائدة » .

(٣) بعده فى الأصل : « الله » .

(٤) فى ص ، وسنن الترمذى : « ما » .

(٥) الترمذى (٢٨٦١) . حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٢٩٦) .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢) بسنده عن حماد به .

سَيِّدًا بَنَى دَارًا ، وَاتَّخَذَ مَأْدُبَةً ، وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَرَضِيَ عَنْهُ السَّيِّدُ ، أَلَا وَإِنَّ السَّيِّدَ اللَّهُ ، وَالدَّارَ الْإِسْلَامُ ، والْمَأْدُبَةَ الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ » .

وقال أبو يعلى[1] : حدَّثنا أبو خَيْثمةَ ، حدَّثنا جريرٌ عن يونسَ ، هُو ابنُ خَبَّابٍ ، عن أبي حازمٍ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ : يَا رَبِّ ، إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا قَدِ اسْتَجَارَ مِنِّي فَأَجِرْهُ . وَلَا سَأَلَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ[2] إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ ، إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ » . إسنادُه على شرطِ مسلمٍ .

ورَوَى الترمذيُّ ، والنسائيُّ ، وابنُ ماجه[3] ، عن هَنّادٍ ، عن أبي الأَحْوَصِ ، عن أَبي إسحاقَ ، عن بُرَيْدِ[4] بنِ أبي مريمَ ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَتِ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ . وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ » .

وقال الْحَسَنُ بنُ سُفيانَ[5] : حدثنا الْمُقَدَّمِيُّ ، حدَّثنا عمرُ بنُ عليٍّ ، عن يحيَى ابنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْثِرُوا مَسْأَلَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ ، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنَّهُمَا شَافِعَتَانِ مُشَفَّعَتَانِ ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا

---

(١) مسند أبي يعلى (٦١٩٢) .

(٢) بعده في مصدر التخريج : « في يوم » .

(٣) الترمذي (٢٥٧٢) ، النسائي في الكبرى (٩٩٣٨) ، ابن ماجه (٤٣٤٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٠٧٩) .

(٤) غير واضح بالأصل . وفي ح ، ص ، وسنن النسائي : « يزيد » ، وفي سنن ابن ماجه : « زيد » . والمثبت من سنن الترمذي ز وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٢، وتحفة الأشراف ١/ ٩٩.

(٥) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٧٠) بسنده عن الحسن بن سفيان به . وانظر حادي الأرواح ص ٩٠.

أَكْثَرَ مَسْأَلَةَ الْجَنَّةِ قَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِى [١٥٣ظ] سَأَلَنِيكَ فَأَسْكِنْهُ إِيَّاىَ . وتَقُولُ النَّارُ : يَا رَبِّ ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِى اسْتَعَاذَ بِكَ مِنِّى فَأَعِذْهُ مِنِّى » .

وقال البزارُ[(١)] : حدثنا أحمدُ بنُ عمرِو بنِ عُبَيْدَةَ العُصْفُرِىُّ ، حدثنا يعقوبُ ابنُ إسحاقَ ، حدثنا سليمانُ بنُ مُعاذٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ » . ورواه أبو داودَ[(٢)] مِن حديثِ محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ .

وفى « الترمذىِّ »[(٣)] عن أبى هُريرةَ مرفوعًا : « مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ[(٤)] ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » .

وقال أبو بكرٍ الشافعىُّ[(٥)] ، عن كُلَيبِ بنِ حَزْنٍ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اطْلُبُوا الْجَنَّةَ جُهدَكم ، واهرُبوا مِن النارِ جُهْدَكُمْ ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا ، وَإِنَّ الآخِرَةَ الْيَوْمَ مَحفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ الدُّنيا مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ ، فَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ عَنِ الآخِرَةِ » .

وقال أبو يعلى الموصِلىُّ[(٦)] : حدثنا إسحاقُ بنُ أبى إسرائيلَ ، حدثنا أيوبُ بنُ شَبِيبٍ الصَّنْعانىُّ ، قال : كان فيما عرَضنا على رَباحِ بنِ زَيْدٍ حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل ١١٠٧/٣ من طريق أحمد بن عمرو ، به .

(٢) أبو داود (١٦٧٢) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٣٦٨) .

(٣) الترمذى (٢٤٥٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٩٣) .

(٤) بعده فى ح : « ألا إن سلعة الله غالية » .

(٥) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٩١ إلى أبى بكر الشافعى . كما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٠٠/١٩ (٤٤٩) بسنده عن كليب بن حزن .

(٦) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٩١، وابن حجر فى المطالب العالية (٣٦٣٩) ، كلاهما إلى أبى يعلى . كما أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٤١٧/١ عن إسحاق به ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٦٦) . من طريق أبى يعلى به .

بَحِيرٍ[1] : سَمِعْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يَزِيدَ[2] ، سمعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ ، يقولُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا تَنْسَوُا الْعَظِيمَتَيْنِ » . قلْنا : وما العظِيمتانِ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « الْجَنَّةُ وَالنَّارُ » .

وقال كُلْثُومُ بنُ عِياضٍ القُشَيرِيُّ[3] ، على مِنْبَرِ دِمشْقَ أيامَ هِشامِ بنِ عبدِ الملكِ : مَنْ آثَر اللَّهَ آثرَه اللَّهُ ، فَرَحِم اللَّهُ عبدًا استَعان بنعمتِه على طاعتِه ، ولَم يستَعِنْ بنعمتِه على معصيتِه ؛ فإنَّه لَا يأتِى على صاحبِ الجنَّةِ ساعةٌ إلَّا وَهُو يَزْدادُ فيها صِنْفًا من النعمةِ لم يكنْ يعرفُه ، ولا يأتى على صاحبِ العذابِ ساعةٌ إلا وهو يَسْتَنْكِرُ لشَىءٍ مِن العذابِ لم يكنْ يَعْرِفُه . كان هذا الرجلُ متوَلِّيًا على دِمَشْقَ أيامَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، ثمَّ بَعَثَه إلى غزو بلادِ المَغْرِبِ ، فقُتِل هناك ، رحمه اللَّهُ . أَورَده ابنُ عساكرَ[4] .

ذكرُ أنَّ الجنةَ حُفَّت بالمكارهِ ، وهى الأعمالُ الشاقَّةُ على الأنفُسِ مِن فعلِ الواجباتِ والمستحبَّاتِ وتركِ المحرَّماتِ والصبرِ على المكروهاتِ ، كقولِه[5] : « إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ » . وأنَّ النارَ حُفَّت بالشهَواتِ

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا حسنٌ ، حدثَّنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابتٍ

---

(١) فى الأصل ، ح : « نمير » . والمثبت من مصادر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٣.
(٢) فى الأصل ، ح : « زيد » . والمثبت من مصادر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٦.
(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٥٩٠ (مخطوط) بسنده عن كلثوم .
(٤) المصدر السابق .
(٥) بعض حديث أخرجه مسلم (٢٥١) ، والترمذى (٥١) ، والنسائى (١٤٣) ، وابن ماجه (٤٢٨) ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
(٦) المسند ٣/ ١٥٣ (١٢٥٨١) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم . المسند ٢٠/ ٢٨.

البُنَانيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » . وهكذا روَاه مسلمٌ والترمذيُّ ، مِن حديثِ حمادِ بنِ سلمةَ ، عن ثابتٍ - زاد مسلمٌ[1] : وحُميدٍ - كلاهما عن أنسٍ ، به[2] ، وقال الترمذيُّ : صحيحٌ[3] غريبٌ .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا قُتيبةُ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن أبى الأسودِ ، عن يحيى ابنِ النضرِ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه جيدٌ حسنٌ لما له مِن الشواهدِ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ بِشرٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا أبو سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ[6] أَرْسَلَ جِبْرِيلَ ، قَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا ، وإِلَى مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لأَهْلِهَا . فجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لأَهْلِهَا فِيهَا ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا . فَأَمَرَ بِهَا ، فَحُجِبَتْ بِالمَكَارِهِ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا » . قَالَ : « فَرَجَعَ إِلَيْهَا ، فَإِذَا هِى قَدْ حُجِبَتْ بِالمَكَارِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْخَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . [١٥٤و] قال : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ

---

(١) وكذلك الترمذى .

(٢) مسلم (٢٨٢٢) . والترمذى (٢٥٥٩) .

(٣) سقط من : ح . وعبارة الترمذى فى سننه هكذا : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه صحيح .

(٤) المسند ٢/٣٨٠ (٨٩٣١) . وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . المسند ١٤/٥٠٧ .

(٥) المسند ٢/٣٣٢، ٣٣٣ (٨٣٧٩) . وقال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٤/١٢٦ .

(٦) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

لأَهْلِهَا فِيهَا ، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَرَجَعَ فقال : وَعِزَّتِكَ ، لا يَسْمَعُ بها أَحدٌ فَيَدْخُلَهَا . فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ[1] ، فَرَجَعَ[2] فقال : وعِزَّتِكَ ، لَقَد خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَها » . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه صحيحٌ .

وقال أَحمدُ[3] : حدَّثنا حسينٌ ، حدَّثنا المسعوديُّ ، عن داودَ بنِ يزيدَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الأَجْوَفَانِ ؛ الْفَرْجُ وَالْفَمُ ، وَأَكْثَرُ ما يَلِجُ بِهِ الإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

فصـــلٌ

النارُ حفَّت بالشَّهـواتِ ، وداخلُها كلُّه مَضَرَّاتٌ وعُقُوباتٌ وحَسَراتٌ ، والجنةُ [4]حُفَّت وحُجِبت بالمكارهِ ، وداخلُها أنواعُ المسَرَّاتِ مما[4] لا عينٌ رأَت ، ولا أُذنٌ سمِعت ، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ مِن أصنافِ اللذَّاتِ ، كما أورَدناه فى الآياتِ المُحكَماتِ ، والأحاديثِ الثابتاتِ .

فمِن نعيمِهم المقيمِ ، ولذَّتِهم المستمرَّةِ الطرَبُ الذى لم تسمَعِ الآذانُ بمثلِه ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥] . قال الأوزاعىُّ[5] ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ : هو السماعُ فى الجنةِ .

---

(١) بعده فى الأصل : « فقال اذهب فانظر إليها فوجدها قد حفت بالشهوات » .

(٢) فى ح : « فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء فنظر ثم رجع » .

(٣) المسند ٢/٣٩٢ (٩٠٨٥) . قال الشيخ شعيب : حديث حسن بالمتابعات . المسند ١٥/٤٨ .

(٤ - ٤) فى ص : « محفوفة بالمكاره وفيها ما » .

(٥) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٤١٩) ، من طريق الأوزاعى ، به .

وقد ذكَرنا مارَواه الترمذىُّ[1] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ، عن النعمانِ بنِ سعدٍ، عن علىٍّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ فِى الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ العِينِ، يُرَفِّعْنَ[2] بِأَصْوَاتٍ لم يَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا». وذكَر الحديثَ. قال الترمذىُّ: وفى البابِ عن أبى هريرةَ، وأبى سعيدٍ، وأنسٍ.

قلتُ: وكذا رُوِى مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوفى، وابنِ عمرَ، وأبى أُمامةَ.

حديثُ أبى هريرةَ: قال [١٥٤ظ] جعفرٌ الفِرْيَابىُّ[3]: حدَّثنا سعيدُ[4] بنُ حفصٍ، حدَّثنا محمدُ بنُ سَلَمَةَ، عن أبى عبدِ الرحيمِ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسَةَ، عن المنهالِ بنِ عمرٍو، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ، قال: إنَّ فى الجنةِ نهرًا طُولَ الجنةِ، حافَتاه العَذَارَى قيامٌ مُتَقابِلاتٌ، يُغَنِّينَ بأَصواتٍ يَسْمَعُها الخلائقُ، حتى[5] ما يرَون فى الجنةِ لذَّةً مِثْلَها. قلنا: يا أبا هريرةَ، وما ذاك الغِناءُ؟ قال: [6]إن شاء اللَّهُ التسبيحُ[6]، والتحميدُ، والتقديسُ، وثناءٌ على الربِّ، عزَّ وجلَّ[7].

وروَى أبو نُعَيمٍ فى «صفةِ الجنةِ»[8] مِن طريقِ مَسْلَمةَ[9] بنِ عُلَىٍّ، عن زيدِ بنِ واقدٍ، عن رجلٍ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا: «إنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً جُذُوعُهَا مِنْ

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٤٦.

(٢) بعده فى الأصل، ح: «أصواتهن».

(٣) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٤٢٥)، من طريق جعفر الفريابى، به.

(٤) فى الأصل، ص: «سعد». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٩٠.

(٥) سقط من: الأصل، ح.

(٦ - ٦) فى الأصل، ح: «ثناء على الله عز وجل بالتسبيح».

(٧) بعده فى الأصل: «لا لغو فيه ولا تأثيم».

(٨) صفة الجنة (٤٣٣).

(٩) فى النسخ: «سليم». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٦٧.

ذَهَبٍ ، وفُرُوعُهَا مِن زَبَرْجَدٍ ولُؤْلُؤٍ ، فَتَهُبُّ لَهَا رِيحٌ ، فتَصْطَفِقُ ، فمَا يَسْمَعُ السَّامِعُونَ بِصَوْتِ شَيْءٍ قَطُّ أَلَذَّ مِنْهُ » .

وقد تقدَّم[1] عن ابنِ عباسٍ أنها تُحَرِّكُها الرياحُ ، فتَتَحرَّكُ بصوتِ كلِّ لهوٍ كان فى الدنيا .

[2]**حديثُ أبى سعيدٍ** : قال ابنُ أبى الدنيا[3] : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ سعيدٍ ، ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ [4]الخُدْرىِّ ، عن أبيه[4] قال : حُدِّثتُ أنَّ فى الجنةِ آجامًا[5] مِن قصبٍ مِن ذهبٍ ، حَمْلُها اللؤلؤُ ، فإذا اشتَهَى أهلُ الجنةِ أن يسمَعوا صوتًا حسنًا بعَث اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، على تلك الآجامِ ريحًا ، فتأتِيَهم بكلِّ صوتٍ يشتَهُونه[2] .

حديثُ أنسٍ : قال ابنُ أبى الدنيا[6] : حدَّثنا أبو خَيْثمةَ ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عمرَ ، حدَّثنا ابنُ أبى ذِئبٍ[7] ، عن [8]عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ ، عن أنسٍ[8] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْحُورَ الْعِينَ لَيُغَنِّينَ فِى الجَنَّةِ يَقُلْنَ : نَحْنُ الْحُورُ الحِسَانُ ، خُلِقْنَا لأَزْوَاجٍ كِرَامٍ » .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٠٥.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) صفة الجنة (٢٦٧) .

(٤ - ٤) فى مصدر التخريج : « الحارثى » . وهو الصواب . وسيذكره المصنف على الصواب ، مع توهيمه لما ذُكر هنا فى صفحة ٣٩٤.

(٥) الآجام : جمع أَجَمَة ، وهى الشجر الكثير الملتف . اللسان (أ ج م) .

(٦) صفة الجنة (٢٦٠) ، بنحوه .

(٧) بعده فى النسخ : « عن أبى ذئب » . وهو خطأ . انظر التاريخ الكبير ٥/ ٩٠.

(٨ - ٨) فى مصدر التخريج : « بن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك » . وانظر المصدر السابق .

حديثُ ابنِ أبى أوفَى وهو حديثٌ غريبٌ[1] : قال أبو نُعَيم[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ - مِن أصلِه - حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، حدَّثنا حامدُ بنُ يحيى البَلْخِىُّ ، حدَّثنا يونسُ بنُ محمدٍ المؤدِّبُ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ أبى ثورٍ ، حدَّثنى سعدٌ الطائىُّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن ابنِ أبى أوفَى ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُزَوَّجُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعَةُ آلَافِ بِكْرٍ ، وَثَمَانِيَةُ آلَافِ أَيِّمٍ ، وَمَائَةُ حَوْرَاءَ ، فَيَجْتَمِعْنَ فِى كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، فَيَقُلْنَ بِأَصْوَاتٍ حِسَانٍ لَمْ تَسْمَعِ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا : نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ ، وَنَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ » .

حديثُ ابنِ عمرَ : قال الطبرانىُّ[3] : حدَّثنا أبو رِفَاعةَ عُمَارةُ بنُ وَثِيمَةَ بنِ موسى بنِ الفُراتِ المِصرىُّ[4] ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرِ ابنِ أبى كثيرٍ ، عن زيدِ بنِ أَسلمَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ : نَحْنُ الخَيِّرَاتُ الحِسَانُ ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ . وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ : نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتْنَه ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا نَخَفْنَه ، نَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنَّه » .

حديثُ أبى أُمَامةَ : قال جعفرٌ الفِرْيَابىُّ[5] : حدَّثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ،

---

(١) بعده فى ص : « جدا » .

(٢) صفة الجنة (٣٧٨، ٤٣١) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٤٦.

(٤) فى النسخ : « البصرى » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر وفيات الأعيان ٦/ ١٣.

(٥) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٨/ ١١٣ (٧٤٧٨) . عن جعفر بن محمد الفريابى ، بنحوه . قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه من لم أعرفهم . المجمع ١٠/ ٤١٩.

حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ بنِ أبى مالكٍ، عن أبيه، عن خالدِ بنِ مَعدانَ، عن أبى أُمامةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَرِجْلَيهِ ثِنْتَانِ مِنَ الحُورِ الْعِينِ يُغَنِّيَانِه بِأَحْسَنِ صَوْتٍ سَمِعَه الإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَلَيْسَ بِمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ».

وقال ابنُ وهبٍ[1]: حدَّثنى سعيدُ[2] بنُ أبى أيوبَ، قال: قال رجلٌ مِن قريشٍ لابنِ شهابٍ: هل فى الجنةِ سماعٌ؛ فإنَّه حُبِّبَ إلىَّ السَّماعُ؟ فقال: إى والذى نفسُ ابنِ شهابٍ بيدِه، إن فى الجنةِ لشجرًا حَمْلُه اللؤلؤُ والزَّبَرجدُ، تحتَه جوارٍ ناهِداتٌ يَتَغَنَّيْنَ بالقرآنِ، ويَقُلْنَ: نحنُ النَّاعِماتُ فلا نبأَسُ، ونحنُ الخالِداتُ فلا نموتُ. فإذا سمِع ذلك الشَّجَرُ صفَق بعضُه بعضًا، فأَجَبْنَ[3] الجَوارىَ، فلا يُدْرَى أَصواتُ الجوارِى أَحسنُ أَم أَصْواتُ الشجرِ.

قال ابنُ وهبٍ[4]: وحدَّثنا الليثُ بنُ سعدٍ، عن خالدِ بنِ يزيدَ: أَن الحورَ يُغَنِّينَ أزواجَهن، يَقُلْن: نحن الخَيِّراتُ الحِسَانُ، أَزواجُ شبابٍ كرامٍ، ونحن الخالِداتُ فلا نموتُ، ونحن الناعِماتُ فلا نبْأَسُ، ونحن الراضِياتُ فلا نسخَطُ، ونحن المقيماتُ فلا نظعَنُ. فى صدرِ إحداهنَّ مكتوبٌ: أنتَ حِبِّى وأنا حِبُّك، انتَهتْ نفْسِى عندَك، لم ترَ عيناىَ [١٥٥و] مثلَك.

وقال ابنُ المباركِ[5]: حدَّثنا الأوزاعىُّ، حدَّثنا يَحْيى بنُ أبى كثيرٍ: أن الحورَ العينَ يَتَلَقَّين أَزواجَهُنَّ عندَ أبوابِ الجنةِ، فيَقُلْنَ: طالما انتَظَرنَاكم، نحنُ

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٦١) من طريق ابن وهب، به.

(٢) فى الأصل، ح: «سعد». وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٤٢.

(٣) فى ص: «فأعجبن».

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٦٢) من طريق ابن وهب، به.

(٥) الزهد لابن المبارك (٤٣٥) (زوائد نعيم بن حماد).

الراضياتُ فلا نسخَطُ . فذكَره كما تقدَّم ، وفيه : وتقولُ : أنتَ حِبِّى وأنا حِبُّكَ ، ليس دونَك مَقْصِدٌ ، [1]ولا وراءَك مَعْدِلٌ[1] .

وهذه الآثارُ كلُّها روَاها ابنُ أبى الدنيا وغيرُه ، وفيها نظرٌ .

وقال ابنُ أَبى الدنيا : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ[2] ، حدَّثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ الحارثىُّ ، قال : حُدِّثْتُ أنَّ فى الجنةِ آجامًا مِن قصبٍ مِن ذهبٍ ، حَمْلُها اللؤلؤُ ، فإذا اشتَهى أهلُ الجنةِ أَن يسمَعوا صوتًا حسنًا بعَث اللَّهُ على تلك الآجامِ ريحًا ، فتأتِيهم بكلِّ صوتٍ يَشْتَهونه .

[3]وقد تقدَّم هذا عن أبى سعيدٍ الخُدرىِّ ، وهو وهمٌ . واللَّهُ أعلمُ[3] .

نوعٌ آخَرُ مِن السَّماعِ أعلَى مِن الذى قبلَه

ذكَر حمادُ بنُ سَلَمةَ[4] ، عن ثابتٍ البُنَانىِّ ، وحَجَّاجٍ[5] الأسودِ ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ قال : إنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، يقولُ لملائكتِه : إنَّ عبادى كانوا يحبُّون الصوتَ الحسنَ فى الدنيا ، ويَدَعُونَه مِن أجلى ، فأسْمِعوا عبادِى ، فيأخُذون

(١ - ١) فى الأصل ، ح : « ولا عنك معدل ولاوراءك مطلب » .

(٢) فى الأصل ، ح : « سعد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٧.

(٣ - ٣) سقط من : ص . وقد تقدم هذا فى صفحة ٣٩١. وانظر ما علقنا به هناك .

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٤٤) من طريق حماد بن سلمة ، به .

(٥) بعده فى النسخ : « بن » . والمثبت من مصدر التخريج . وهو حجاج بن أبى زياد الأسود . انظر التاريخ الكبير ٦/ ٣٧٤، والجرح والتعديل ٣/ ١٦٠، والثقات لابن حبان ٦/ ٢٠٢. ووقع فى ميزان الاعتدال ١/ ٤٦٠: حجاج بن الأسود . وقال ابن حجر : إنما هو حجاج بن أبى زياد الأسود . لسان الميزان ٢/ ١٧٥.

بأصواتٍ مِن تهليلٍ وتسبيحٍ وتكبيرٍ لم يسمَعوا بمثلِها قطُّ[1] .

وقال ابنُ أَبى الدنيا[2] : حدَّثنى داودُ بنُ عمرٍو الضَّبِّىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ قال : إذا كان يومُ القيامةِ نادَى منادٍ : أين الذين كانوا يُنَزِّهون أسماعَهم وأنفسَهم عن مجالسِ اللَّهْوِ ، ومزاميرِ الشيطانِ ، أَسْكِنُوهم رِياضَ المِسْكِ . ثم يقولُ للملائكةِ : أَسمِعوهم تمجيدِى وتحميدِى ، [3]وأخبِروهم أنْ لا خَوْفٌ عليهم ، ولا هم يحزَنون[3] .

وقال ابنُ أبى الدنيا[4] : حدَّثنى دَهْثَمُ[5] بنُ الفضلِ القرشىِّ ، حدَّثنا رَوَّادُ[6] ابنُ الجرَّاحِ ، عن الأوزاعىِّ قال : بلَغنى أنَّه ليس مِن خلْقِ اللَّهِ أَحسْنُ صوتًا مِن إسرافيلَ ، فيأمُرُه اللَّهُ فيأخُذُ فى السَّماعِ ، فما يبقَى مَلَكٌ مقرَّبٌ فى السمواتِ إلَّا قطَع عليه صلاتَه ، فيَمْكُثُ بذلك ما شاءَ اللَّهُ أَن يَمْكُثَ ، فيقولُ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : وعزَّتى وجَلالى [١٥٥ظ] ، لو يعلَمُ العبادُ قدْرَ عظَمَتى ما عبَدوا غيرى .

وحدَّثنى[7] محمدُ بنُ الحسينِ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن مالكِ بنِ دينارٍ فى قولِه تعالى : ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص : ٢٥] . قال : إذا كان يومُ القيامةِ أُمِر بمِنبرٍ رفيعٍ ، فَوُضِع فى الجنةِ ،

---

(١) بعده فى الأصل : « ولا ألذ ولا أطيب منها قط » .

(٢) صفة الجنة (٢٦٩) . قال محققه : إسناده صحيح .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) صفة الجنة (٢٦٤) .

(٥) سقط من : ح ، وفى الأصل ، ص : « دهيم » ، وفى حادى الأرواح ص ٢٥٠ : « دحيم » . و المثبت من مصدر التخريج . وهو دهثم بن خلف بن الفضل القرشى الرملى . انظر تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٦.

(٦) فى ح : « داود » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧.

(٧) صفة الجنة (٣٤٣) . وانظر البعث والنشور (٤٢٤) ، وحادى الأرواح ص ٢٥١.

ثم نُودِى : يا داودُ ، مَجِّدْنى بذلك الصوتِ الحسنِ الرخيمِ الذى كنتَ تُمَجِّدُنى به فى دارِ الدنيا . قال : فيَسْتَفْرِغُ[1] صوتُ داودَ [2]نعيمَ أَهلِ الجنةِ[2] ، فذلك قولُه تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ .

نوعٌ آخَرُ أعلَى مِمَّا عدَاه

وهو سماعُهم كلامَ الربِّ ، عزَّ وجلَّ ، إذا خاطَبهم فى المجامعِ التى يجتَمِعُون فيها بينَ يدَيْه سبحانَه ، فيُخاطِبُ كلَّ واحدٍ منهم ، [3]ويذكِّرُهم بأَعمالِه التى سلَفَتْ منه فى الدنيا ، وكذلك إذا تجلَّى لهم جَهرةً ، فسلَّم عليهم[3] ، وقد ذكَرنا ذلك عندَ قولِه تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] . وقد سبَقَ حديثُ جابرٍ فى ذلك[4] ، وهو فى « سننِ ابنِ ماجه » ، وغيرِه .

وقد ذكَر أبو الشيخِ الأَصبهانىُّ[5] ، مِن طريقِ صالحِ بنِ حيَّانَ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ بُرَيدةَ قَال : إنَّ أَهلَ الجنَّةِ يدخُلُون كلَّ يومٍ[6] على الجبَّارِ ، جلَّ جلالُه ، فيَقْرَأُ عليهم القرآنَ ، وقد جلَس كلُّ امرئٍ مجلِسَه الذى هو مجلِسُه على منابرِ الدُّرِّ والياقوتِ والزبرجدِ والذهبِ والزُّمُرُّدِ ، فلم تقَرَّ أعينُهم بشىءٍ ، ولم يسمَعُوا شيئًا قطُّ أَعظمَ ولا أَحسنَ منه ، ثم ينصرِفون إلى رحالِهم [7]بأعينٍ قريرةٍ ، وأعينُهم[7]

---

(١) فى ح ، ص : « يستفرع » . والمثبت موافق المصدر التخريج . ويستفرغ : يسع .

(٢ - ٢) فى المصدر : « جميع نعيم أهل الجنان » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تقدم فى صفحة ٣٥٨.

(٥) عزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٢٥٢ لأبى الشيخ .

(٦) بعده فى المصدر : « مرتين » .

(٧ - ٧) فى المصدر : « ناعمين قريرة أعينهم » .

إلى مثلِها مِن الغدِ مُتطلِّعةٌ[1] .

وروَى أبو نعيمٍ[2] ، مِن حديثِ [3]شُبَّانَ بنِ جِسْرٍ[3] بنِ فرقدٍ السَّبَخيِّ ، عن أبيه ، عن الحسنِ ، عن أبى بَرْزةَ الأسلميِّ مرفوعًا : إنَّ أَهلَ الجنةِ ليَغْدُون فى حُلَّةٍ ، ويروحون فى حلةٍ أخرى كغدوِّ أحدِكم ورواحِه إلى ملِكٍ مِن مُلوكِ الدنيا ، كذلك يغدُون ويروحون إلى ربِّهم ، عزَّ وجلَّ ، وذلك لهم بمقاديرَ ، ومعالمَ يعلَمون تلك الساعةَ التى يأتُون فيها ربَّهم ، عزَّ وجلَّ .

ذكرُ خيلِ الجنةِ

قال الترمذىُّ[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ ، حدَّثنا عاصمُ بنُ علىٍّ ، حدَّثنا المسعودىُّ ، عن علقمةَ بنِ مَرْثَدٍ[5] ، عن سليمانَ بنِ بريدةَ ، عن أبيه ، أنَّ رجلًا سأَل النبىَّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل فى الجنةِ مِن خيلٍ ؟ فقال : « إِنِ اللَّهُ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِى الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ » . قال : وسأله رجلٌ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هل فى الجنةِ مِن إبلٍ ؟ قال : فلم يقُلْ له مثلَ ما قال لصاحبِه ، قال : « إِنْ يُدْخِلْكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ » . ثم رَواه عن سُوَيدٍ ، عن ابنِ

---

(١) ليست فى ص ، ومصدر التخريج .

(٢) صفة الجنة (٣٩٤) . وانظر حادى الأرواح ص ٢٦٣.

(٣ - ٣) فى النسخ : « حسن » . وفى مصدرى التخريج : « شيبان بن جسر » والمثبت من الجرح والتعديل ٢/ ٤٧٦، وانظر الإكمال ٢/ ١٠٠، وميزان الاعتدال ٤٠٣/١ وهو جعفر بن جسر المعروف بشبان .

(٤) الترمذى (٢٥٤٣) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٥٩) .

(٥) فى النسخ : « حريث » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٠٨.

المباركِ ، عن سفيانَ ، عن علقمَةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، مرسلًا[1] ، قال : وهذا أَصحُّ .

وقد روَى أبو نعيمٍ فى « صفةِ الجنةِ »[2] مِن طريقِ علقمةَ بنِ مَرْثَدٍ ، عن يَحيى ابنِ إسحاقَ ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا سُمُوًّا ، وأَوْسَعُهَا مَحَلًّا[3] ، وَفِيهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، وَعَلَيْهَا يُوْضَعُ الْعَرْشُ يَوْمَ القِيَامَةِ » . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى حُبِّبَ إِلَىَّ الْخَيْلُ ، فَهَلْ فِى الْجَنَّةِ خَيْلٌ ؟ قال : « إِى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَخَيْلًا ، وَإِبِلًا [١٥٦و] هَفَّافَةً[4] ، تَزِفُّ بَيْنَ خِلَالِ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، يَتَزَاوَرُونَ عَلَيْهَا حَيْثُ شَاءُوا » .

وقال الترمذىُّ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ سَمُرَةَ الأَحْمَسِىُّ ، حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن واصلِ بنِ السائبِ ، عن أبى سَوْرةَ ، عن أبى أيوبَ قال : أَتَى النبىَّ ﷺ أَعرابىٌّ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى أُحِبُّ الخَيْلَ ، أَفى الجنةِ خيلٌ ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ أُدْخِلْتَ الجَنَّةَ أُتِيتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ ، فَحُمِلْتَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ » . ثم ضعَّف الترمذىُّ هذا الإسنادَ مِن جهةِ أبى سَوْرةَ ابنِ أَخى أبى أيوبَ ، فإنَّه قد ضعَّفه غيرُ واحدٍ ، واستَنْكَر البخارىُّ حديثَه هذا[6] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) ليست فى الترمذى . وانظر تحفة الأحوذى ٣/ ٣٣٠.

(٢) صفة الجنة (٤٢٧ مكرر) . وانظر حادى الأرواح ص ٢٥٤.

(٣) فى مصدرى التخريج : « محلة » .

(٤) هفافة : سريعة السير . انظر النهاية ٥/ ٢٦٦.

(٥) الترمذى (٢٥٤٤) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٤٦٠) .

(٦) الترمذى . عقب الحديث السابق .

وقال القرطبيُّ[1] : وذكَر ابنُ وهبٍ : حدَّثنا ابنُ زيدٍ ، قال الحسنُ البصريُّ : يُذْكَرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : « أَنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِى يَرْكَبُ فِى أَلْفِ أَلْفِ مِنْ خَدَمِهِ مِنَ الْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ ، عَلَى خَيْلٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ ، لَهَا أَجْنِحَةٌ مِنْ ذَهَبٍ »[2] ثم قرأ[2] ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] . قلتُ : فيه انقطاعٌ بينَ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدٍ - وهو ضعيفٌ - وبينَ الحسنِ ، ثم هو مرسَلٌ .

وروَى أبو نعيمٍ[3] ، عن أَبى أيوبَ مرفوعًا : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَزَاوَرُونَ على نَجَائِبَ بِيضٍ كَأَنَّهَا الْيَاقُوتُ ، وَلَيْسَ فِى الْجَنَّةِ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلَّا الْخَيْلُ وَالإِبِلُ » .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ المبارَكِ[4] : حدَّثنا هَمَّامٌ ، عن قتادةَ ، [5]عن أبى أيوبَ[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : فى الجنةِ عِتاقُ[6] الخيلِ وكرامُ النَّجائبِ ، يركَبُها أَهْلُها . وهذه الصيغةُ لا تدُلُّ على حصْرٍ ، كما دلَّ عليه روايةُ أبى نُعَيمٍ فى حديثِ أبى أَيوبَ ، ثم هو مُعَارَضٌ بما رَواه ابنُ ماجه فى « سننِه »[7] عن ابنِ عمرَ ، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الشاةُ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ » . وهذا منكَرٌ أيضًا .

---

(١) التذكرة ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢ - ٢) فى المصدر : « اقرءوا إن شئتم » .

(٣) صفة الجنة (٤٢٠، ٤٢٨) من طريق جابر بن نوح ، عن واصل بن السائب ، عن أبى سورة ، عن أبى أيوب ، به . قال الهيثمى . فيه جابر بن نوح وهو ضعيف . مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٣.

(٤) الزهد لابن المبارك (٢٣١) (زوائد نعيم) . بنحوه .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٦٠.

(٦) عتاق : جمع عتيق ، الكريم الرائع . اللسان (ع ت ق) .

(٧) ابن ماجه (٢٣٠٦) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦٧) .

وفى « مسندِ البَزَّارِ »[1] عن النبىِّ ﷺ قال : « أَحْسِنُوا إِلَى المِعْزَى[2] وَأَمِيطُوا عَنْهَا الأَذَى ، فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ » .

وقال أبو الشيخِ الأصبهانىُّ[3] : حدَّثنا القاسمُ بنُ زكريا ، حدَّثنا سويدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن الحكمِ بنِ أبى خالدٍ ، عن الحسنِ البصرىِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جَاءَتْهُمْ خُيُولٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ ، لَهَا أَجْنِحَةٌ ، لَا تَبُولُ وَلَا تَرُوثُ ، فَقَعَدُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ طَارَتْ بِهِمْ فِى الْجَنَّةِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنْ سُلْطَانِه ، فَيَتَجَلَّى لَهُمُ الْجَبَّارُ تَعَالَى ، فَإِذَا رَأَوْهُ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ الجَبَّارُ تَعَالَى : ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِيَوْمِ عَمَلٍ ، إِنَّمَا هُوَ يَوْمُ نَعِيمٍ[4] وَكَرَامَةٍ . فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ ، فَيُمْطِرُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طِيبًا ، فَيَمرُّونَ بِكُثْبَانِ الْمِسْكِ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَى تِلْكَ الكُثْبَانِ رِيحًا ، فَتَهِيجُهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ ، وَإِنَّهُمْ لَشُعْثٌ غُبْرٌ » .

وقال ابنُ أبى الدنيا[5] : حدَّثنى الفضلُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا جعفرُ بنُ جِسْرٍ[6] ،

---

(١) كشف الأستار (١٣٢٩) . قال البزار : لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا سعيد بن محمد ، ولم يتابع عليه . وقال الهيثمى : رواه البزار وأعله بسعيد بن محمد . ولعله الوراق ، فإن كان هو الوراق فهو ضعيف . مجمع الزوائد ٤/ ٦٦. وسعيد محمد ليس الوراق بل هو سعيد بن محمد الزهرى كما صرح بذلك الخطيب فى تاريخ بغداد ٩/ ١٤٥. والحديث ضعيف (السلسلة الضعيفة ١٨٨٠) .

(٢) فى مصدر التخريج : « الماعز » .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢٩) . والآجرى فى الشريعة ٢/ ١٠٢٨: كلاهما عن سويد بن سعيد ، به . وعزاه ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٢٥٥ إلى أبى الشيخ .

(٤) بعده فى الأصل : « ومزيد » .

(٥) صفة الجنة (٢٤٩) .

والحديث رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ١/ ٢٦٦، ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات ٣/ ٢٥٥، من طريق محمد بن مروان الكوفى ، عن سعد بن طريف ، عن زيد بن على عن أبيه ، عن على بن أبى طالب مرفوعا بنحوه .

(٦) فى النسخ : « بشر » . وفى مصدر التخريج : « حسن » . والتصويب من كتب الرجال . انظرها فى ص ٣٩٧ حاشية (٣) .

حدَّثنا أبى ، عن الحسنِ بنِ علىٍّ ، عن علىٍّ قال : سمِعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَعْلاَهَا حُلَلٌ[1] ، ومِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ[2] مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ ، لاَ تَرُوثُ ، وَلاَ تَبُولُ ، لَهَا أَجْنِحَةٌ ، خَطْوُهَا مَدُّ بَصَرِهَا ، فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ ، فَتَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا ، فَيَقُولُ الَّذِينَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ دَرَجَةً : يَا رَبِّ ، بِمَ بَلَغَ عِبَادُكَ هَذِهِ الْكَرَامَةَ كُلَّها ؟ فَيُقَالُ لهم : كَانُوا يُصَلُّونَ اللَّيلَ وَكُنْتُمْ تَنَامُونَ ، وَكَانُوا يَصُومُونَ وَكُنْتُم تَأْكُلُونَ ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ وَكُنْتُمْ تَبْخَلُونَ ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجْبُنُونَ » .

ذِكرُ تزاوُرِ أهلِ الجنَّةِ بعضِهم بعضًا وتذاكُرِهم أمورًا كانت بينَهم فى الدُّنيا مِن طاعاتٍ وزلاتٍ

قال تعالَى : [١٥٥ظ] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور : ٢٥- ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ الآيات إلى قولِه : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الصافات : ٥٠- ٦٢] .

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من المصدر .

(٢) بعده فى الأصل : « بلجم » .

قال ابنُ أَبى الدُّنيا[1] : حدَّثنا سلمةُ بنُ شبيبٍ ، حدَّثنا سعيدُ[2] بنُ دينارٍ ، عن الربيعِ بنِ[3] صَبِيحٍ ، [4]عن الحسنِ[4] ، عن أنسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، فَيَشْتَاقُ الْإِخْوَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَيَسِيرُ سَرِيرُ هَذَا إِلَى سَرِيرِ هَذَا ، حَتَّى يَجْتَمِعَا جَمِيعًا[5] ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : تَعْلَمُ مَتَى[6] غَفَرَ اللَّهُ لَنَا ؟ فَيَقُولُ صَاحِبُهُ : كُنَّا فِى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَدَعَوْنَا اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَغَفَرَ لَنَا » .

وقال تعالَى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ﴾ الآيات إلى قولِه : ﴿ فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٥٠- ٦١] . وهذا القرينُ يشملُ الإنسىَّ والجنىَّ ، يقولُ : كان يوسوسُ لى بالكفرِ والمعاصِى واستبعادِ أَمرِ المَعَادِ ، فبرحمةِ اللَّهِ ونعمتِه نجَوتُ منه . ثم أمَر أصحابَه أن يَطَّلِعوا معه على النارِ ، [7]لِينظرَ ما حالُ قرينِه ، ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . أى[7] : فى غمراتِها يُعذَّبُ ، فحمِد اللَّهَ تعالَى علَى نجاتِه ممّا قرينُه فيه من العذابِ .

---

(١) بعده فى النسخ : عبد الله . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٧٢. والحديث فى صفة الجنة (٢٤٥) . ورواه البزار كما فى كشف الأستار (٣٥٥٣) عن سلمة بن شبيب ، به بنحوه . قال الهيثمى : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح ، وهما ضعيفان وقد وثقا . مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢١.

(٢) فى ص : « سعد » . وانظر : الجرح والتعديل ٤/ ١٨.

(٣) فى ص : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٨٩.

(٤ - ٤) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٩٥.

(٥) فى المصدر : « فيتكئ ذا ويتكئ ذا » .

(٦) فى المصدر : « بشيء » .

(٧ - ٧) فى ح : « فاطلعوا فرأوه » ، وفى ص : « فرآه » .

ثم قال: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾. أى: معَك فيما أنت فيه من العذابِ. ثم ذكَر الغبطةَ التى هو فيها، وشكر اللَّهَ عليها، فقال: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾. أى: أمَا قد نجَونا من الموتِ والعذابِ بدخولِنا الجنَّةَ؟ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾. وقولُه تعالَى: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ يحتملُ أن يكونَ من تمام مقَالةِ المؤمنِ، ويحتملُ أن يكونَ من كلامِ اللَّهِ، عز وجلَّ، (١) حثًّا لعبادِه على مثلِ هذا الفوزِ، وليتنافسَ المتنافسون فى الفوزِ عنده من النارِ، ودخولِ الجنةِ، لا موتَ فيها (١). ولهذا نظائرُ كثيرةٌ، قد ذكَرناها فى «التفسيرِ».

وذكَرنا فى أوَّلِ «شرحِ البخاريِّ» فى كتابِ الإيمانِ حديثَ حارثةَ (٢) حينَ قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَصْبَحتَ يَا حَارِثَةُ؟» فقال: أَصبَحتُ مؤمنًا حقًّا. قال: «فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» قال: عزَفتْ نفسِى عن الدُّنيا، فأسهَرتُ ليلِى وأظمأتُ نهارِى، وكأنِّى أَنظرُ إلى عرشِ ربِّى بارزًا، وإلى أَهلِ الجنَّةِ يتزاورون فيها، وإلى أَهلِ النارِ يُعذَّبون فيها. فقال ﷺ: «عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ».

وقال سليمانُ بنُ المغيرةِ، عن حميدِ بنِ هلالٍ قال (٣): بلَغنا أَنَّ أهلَ الجنةِ يزورُ الأعلَى الأسفلَ، ولا يزورُ الأسفلُ الأعلَى.

قلت: وهذا يحتملُ معنيَيْن:

أحدُهما: أنَّ صاحبَ المرتبةِ السافِلةِ لا يصلحُ له أنْ يتعدَّاها؛ لأنَّه ليس فيه

(١ - ١) فى ح، ص: «كقوله: وفى ذلك فليتنافس المتنافسون».

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الإيمان (١١٥). قال الألبانى: الحديث معضل... وله طرق أخرى مرسلة، وبعضها موصول.

(٣) الزهد لابن المبارك (٢٣٥) (زيادات نعيم بن حماد).

أهليَّةٌ لذلك .

الثانى : لئلَّا يرَى من النعيمِ فوقَ ما هو فيه ، فيحزنَ لذلك ، وليس فى الجنةِ حُزْنٌ ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد ورَد ما قاله حميدُ بنُ هلالٍ فى حديثٍ مرفوعٍ ، وفيه زيادةٌ على ما قال ؛ فقال الطَّبرانىُّ[(١)] : حدثَّنا الحسينُ[(٢)] بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا [(٣)]سَهْلُ بنُ عثمانَ[(٣)] ، حدَّثنا المُسَيَّبُ بنُ شَرِيكٍ ، عن بِشْرِ بنِ نُمَيْرٍ ، عن القاسمِ ، عن أبى أُمامةَ قال : سُئِـل رسولُ اللَّهِ ﷺ : أَيَتزاوَرُ أهلُ الجنةِ ؟ قال : « يَزُورُ الأَعْلَى الأَسْفَلَ ، وَلَا يَزُورُ الأَسْفَلُ الأَعْلَى إلَّا الَّذِينَ يَتَحابُّونَ فِى اللَّهِ ، [(٤)]عزَّ وَجَلَّ ، فإنَّهُمْ[(٤)] يَأْتُونَ مِنْهَا حَيْثُ شَاءُوا عَلَى النُّوقِ مُحْتَقِبِينَ الحَشَايَا[(٥)] » .

وقال ابنُ أَبى الدنيا[(٦)] : حدَّثنى حمزةُ بنُ العباسِ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، أنا ابنُ المُبارَكِ ، أنا إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، حدَّثنى ثَعْلبةُ بنُ مسلمٍ ، عن أيوبَ بنِ بشيرٍ[(٧)] العِجْلىِّ ، عن شُفَىِّ بنِ ماتعٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزاوَرُون عَلَى المَطايَا والنُّجُبِ[(٨)] ، وأنَّهم يُؤْتَونَ فِى الجَنَّةِ[(٩)]

---

(١) المعجم الكبير ٨/٢٨٦ (٧٩٣٦) بنحوه . وقال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه بشر بن نمير ، وهو متروك . المجمع ١٠/ ٢٧٩.

(٢) فى النسخ : « الحسن » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٧.

(٣ - ٣) فى الأصل : « شريك بن عمان » . وفى ح ، ص : « شريك بن عثمان » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٩٧.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) محتقبين الحشايا : أى يجعلون الفُرُش وراءهم حقيبةً . انظر النهاية ١/٣٩٣ ، ٤١٢.

(٦) صفة الجنة (٢٤٦) .

(٧) فى الأصل ، ح : « بشر » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٥٦.

(٨) فى ص : « البخت » .

(٩) فى صفة الجنة : « يوم الجمعة » .

بِخَيْلٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ ، لا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ ، فيَرْكَبُونها [1] حتَّى يَنْتَهُوا [1] حيثُ شَاءَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فَتَأْتيهم [١٥٧و] مِثْلَ السَّحَابَةِ ، فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أذنٌ سَمِعَتْ ، فَيَقُولُونَ : أَمْطِرِى عَلَيْنَا . فَمَا يَزَالُ الْمَطرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْتَهِىَ ذلك فَوْقَ أَمَانِيهِم ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ ، فتَنسِفُ كُثْبانًا مِن مِسكٍ عن أيْمانِهم وَعَنْ شَمَائِلِهم ، فيَأْخُذُ ذَلكَ المِسْكُ فِى نَوَاصِى خُيُولِهم ، وَفِى مَعارِفِها [2] وَفِى رُءُوسِهِم [3] ، ولكلِّ رجلٍ مِنهم جُمَّةٌ على ما اشْتَهَت نفسُه ، فيتعلَّقُ ذلك المِسْكُ فِى تِلْكَ الجِمامِ ، وفى الخيلِ ، وَفيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الثِّيابِ ، ثم يَنقلِبون حتى يَنتَهوا إلى ما شاء اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فَإِذَا المرأةُ تُنادِى بعضَ أُولئك : يا عبدَ اللَّهِ أَمَا لَكَ فِينَا حَاجَةٌ ؟ فيَقُولُ : [4] مَا أَنْتِ [4] ؟ ومَنْ أَنْتِ ؟ فتَقُولُ : أَنا زَوْجَتُك وحِبُّك . فيَقُولُ : ما كُنْتُ عَلِمْتُ بمكَانِكِ . فَتَقُولُ : أَوَمَا تَعلَمُ أَنَّ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، قَالَ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] . فَيَقُولُ : بَلَى وَرَبِّى . فلَعَلَّهُ يَشْتَغِلُ عَنْهَا بعدَ ذَلِكَ الوَقْتِ [5] أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، لَا يَلْتَفِتُ ولا يَعُودُ ، ما يَشْغَلُه عَنْهَا إلَّا مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النَّعيمِ والكَرامَةِ » . وهذا حديثٌ مُرسَلٌ غريبٌ جدًّا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ المُبارَكِ [6] : حدَّثنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، حدَّثنى [7] ابنُ أَنْعُمٍ [7] ، عن

(١ - ١) فى ص : « إلى حيث ينتهون إلى » . وليست فى مصدر التخريج .

(٢) فى ص : « مفارقها » . والمعارف : الوجوه .

(٣) بعده فى الأصل : « وثيابهم » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى مصدر التخريج : « الموقف مقدار » .

(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٤٧) من طريق ابن المبارك ، به .

(٧ - ٧) فى الأصل : « نعيم عن أنعم » . وفى ح : « أبو نعيم » . وانظر تهذيب الكمال ١٠٢/١٧ .

أبى هريرةَ قال : إن أهلَ الجنةِ ليَتَزاوَرُون على العِيسِ الخُورِ[1] ، عليها رِحالُ المَيْسِ[2] ، تثيرُ[3] مَناسِمُها[4] غبارَ المسكِ ،خِطامُ[5] - أو زِمامُ - أحَدِها خيرٌ مِن[6] الدنيا وما فيها .

وروَى ابنُ أبى الدنيا[7] مِن طريقِ إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ ، عن عمرَ بنِ محمدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، [8]عن أبيه[8] ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ أنه سأَل جبريلَ عن هذا الآيةِ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[9] [الزمر: ٦٨] . قال : هُمُ الشُّهَدَاءُ ، يبعثُهم اللَّهُ مُتَقَلِّدِين أسْيافَهم حولَ عرشِه ، فَأَتَاهُـم[10] ملائكةٌ مِن المَحْشَرِ بنَجائِبَ مِن ياقوتٍ[11] ، أزِمَّتُها الدُّرُّ الأبيَضُ ، برِحالِ الذهبِ ، أعِنَّتُها السُّندسُ والإسْتَبْرَقُ ، ونَمارِقُها[12] مِن الحريرِ ، [13]تَمُدُّ خُطاها[13] مدَّ أبصارِ الرِّجالِ ، يَسِيرُون فى الجنةِ

---

(١) فى الأصل ، ح : « الجون » . والعيس الخور : الإبل الكريمة الرقيقة الحسنة . انظر اللسان والتاج (خ و ر) ، والوسيط (ع ى س) .

(٢) فى الأصل : « الدهب اليس » . وفى ح : « الذهب ليس » . وفى ص : « الميش » . والمثبت من مصدر التخريج . والميس : شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها . النهاية ٤/ ٣٨٠.

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى ح : « منها سمها » . وفى ص : « غياسمها » . ومناسمها : أخفافها . انظر المصدر السابق ٥/ ٥٠.

(٥) بعده فى الأصل ، ح : « أزمتها » .

(٦) بعده فى مصدر التخريج : « حمر » .

(٧) صفة الجنة (٢٤٨) بنحوه .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر : المستدرك ٢/ ٢٥٣، وتهذيب الكمال ٢/ ٥٣٠، ١٠/ ١٣.

(٩) بعده فى المصدر : « من الذين لم يشأ اللَّه أن يصعقوا ؟ » .

(١٠) فى ح : « فأتتهم » . وفى مصدر التخريج : « تتلقاهم » .

(١١) بعده فى الأصل ، ح : « أحمر » .

(١٢) فى مصدر التخريج : « زمامها ألين » .

(١٣ - ١٣) فى ص : « تمد أبصارها » . وفى مصدر التخريج : « من خطامها » .

على خُيُولٍ ، يَقُولُون عندَ طولِ النُّزهةِ : انطَلِقُوا بنا نَنْظُرْ كيفَ يَقضِى اللَّهُ بينَ خلْقِه ؟ [1]يَضحكُ اللَّهُ[1] إليهم ، وإذا ضحِك اللَّهُ سُبحانَه إلى عبدٍ[2] فلا حسابَ عليه .

وقال ابنُ أبى الدنيا[3] : حدثَّنا أبو موسى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ[4] الهَرَوِىُّ ، حدَّثنا القاسمُ بنُ يزيدَ المَوصِلىُّ ، حدَّثنى أبو إلياسَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ علىِّ بنِ الحسينِ (ح)

وروَى أبو نعيمٍ[5] مِن حديثِ المُعافَى بنِ عِمرانَ ، حدَّثنى [6]إدريسُ بنُ سِنانٍ ، عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن محمدِ بنِ علىٍّ ، قال إدريسُ : ثم لقِيتُه[7] فحدَّثنى ، قال[6] : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً ، يُقَالُ لَهَا : طُوبَى . لو سخَّر الجَوَادَ الرَّاكِبُ أَنْ يَسِيرَ فِى ظِلِّهَا لَسَارَ فِيه[8] مِائَةَ عَامٍ ، وَرَقُهَا [9]بُرُودٌ خُضْرٌ[9] ، وَزَهْرُهَا رِيَاطٌ[10] صُفْرٌ ، وَأَقْنَاؤُهَا[11] سُنْدسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ، وَثَمرُهَا حُلَلٌ ، وَصَمْغُهَا زَنْجَبِيلٌ وَعَسَلٌ ، وَبَطْحَاؤُهَا يَاقُوتٌ أَحْمَرُ وَزُمُرُّدٌ أَخْضَرُ ، وَتُرَابُهَا مِسْكٌ ،

(١ - ١) فى ص : « فضحِك » .

(٢) بعده فى مصدر التخريج : « فى موطن » .

(٣) صفة الجنة (٥٤) بنحوه أطول من هذا .

(٤) فى مصدر التخريج : « موسى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٤٦١ .

(٥) صفة الجنة (٤١١) .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) أى محمد بن على .

(٨) فى الأصل ، ح : « فيها » . وفى ص : « فى ظلها » . والمثبت من صفة الجنة لابن أبى الدنيا .

(٩ - ٩) فى ص : « زمرد أخضر » .

(١٠) فى الأصل ، والمصدر : « رياض » .

(١١) فى الأصل ، ح : « أفنانها » .

وَحَشِيشُهَا زَعْفَرَانٌ مُونِعٌ[1] ، وَالأَلَنْجُوجُ[2] يَفُوحُ مِن غَيْرِ وَقُودٍ ، ويَتفجَّرُ مِنْ أَصْلِهَا[3] السَّلْسَبِيلُ والرَّحِيقُ ، وَظِلُّهَا مَجْلِسٌ مِنْ مَجَالِسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْلَفُونَهُ ، وَمُتَحَدَّثٌ لجَمِيعِهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَوْمًا يَتَحَدَّثُونَ فِى ظِلِّهَا إِذْ جَاءَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُودُونَ نَجَائِبَ مِنَ الْيَاقُوتِ قد نُفِخ فِيهَا الروحُ ، مَزْمُومَةً بِسَلَاسِلَ مِنْ ذَهَبٍ ، كَأَنَّ وُجُوهَهَا الْمَصَابِيحُ [4]نَضَارَةً وَحُسْنًا ، وَبَرُها خَزٌّ أَحمرُ ومِرْعِزَّى[5] أَبيضُ مُخْتَلِطان ، لم يَنْظُرِ النَّاظِرُون إلى مثلِها[4] ، عليها رحائلُ ألواحُهَا مِن الدُّرِّ والياقوتِ ، مُفَضَّضَةٌ باللُّؤْلؤ والمَرْجانِ ، صَفَائِحُها مِن الذهبِ الأحمرِ ، مُلَبَّسَةٌ[6] بالْعَبْقَرِىِّ[7] والأُرْجُوانِ ، فأَناخُوا لهم تلك النُّجُبَ ، ثم قالوا لهم : إنَّ ربَّكم عزَّ وجلَّ يُقْرِئُكُمُ السَّلامَ ، ويَسْتَزِيرُكم ؛ لِيَنْظُرَ إليكم وتَنْظُرُوا إليه ، [8]وتُحَيُّونه ، ويُحَيِّيكم[8] ، ويُكَلِّمُكُمْ وتُكَلِّمُونه ، ويَزِيدُكم مِن فَضْلِه ، إنَّه ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وفَضْلٍ عظيمٍ . فيَتَحَوَّلُ كلُّ رجلٍ منهم على[9] راحِلَتِه ، ثم انْطَلَقُوا صَفًّا وَاحِدًا مُعْتَدِلًا ، لا يَفُوتُ شىءٌ مِنه شيئًا ، ولا تَفُوتُ أُذُنُ نَاقَةٍ أُذُنَ[10] صاحِبَتِها[11] ، ولا

---

(١) فى الأصل : « متنوع » ، وفى ح : « منوع » ، وفى ص : « منشع » . والمثبت من صفة الجنة لابن أبى الدنيا . ومونع : اسم فاعل من « أينع » .

(٢) الألنجوج : عود يتبخَّر به . اللسان (ل ج ج) .

(٣) بعده فى ص : « أنهار » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) المرعزى : الزغب الذى تحت شعر العنز . التاج (ر ع ز) .

(٦) فى النسخ : « ملبس » . والمثبت من صفة الجنة لابن أبى الدنيا .

(٧) العبقرى : ضرب من البُسُط . التاج (ع ب ق ر) .

(٨ - ٨) فى ص : « وتجيبوه ويجيبكم » .

(٩) فى ص : « إلى » .

(١٠) سقط من : ح .

(١١) بعده فى ص : « ولا بركة الناقة بركة صاحبتها » .

يَمُرُّون [١٥٧ظ] بشجرةٍ مِن أشجارِ الجنةِ إلَّا أتْحَفَتْهُمْ مِن ثَمَرِها ، ورحَلَتْ[١] لهم عن طَرِيقِهِمْ كَرَاهَةَ أنْ تَثْلَمَ صَفَّهم ، أو تُفَرِّقَ بَيْنَ الرَّجُلِ ورَفِيقِه ، فلمَّا رُفِعُوا[٢] إلى الجَبَّارِ تَعالَى أسْفَر لهم عن وَجْهِهِ الكَرِيمُ ، وتَجَلَّى لهم فى عَظَمَتِه العَظِيمُ ، [٣]فحَيَّاهم بالسَّلامِ[٣] ، فَقَالُوا : ربَّنَا أنتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلامُ ، ولَكَ حَقُّ الجَلَالِ والْإِكْرَامِ . فَقَالَ لهم ربُّهم عزَّ وجلَّ : إنِّى أنا السَّلامُ ومِنِّى السَّلامُ ، ولِى حَقُّ الْجَلَالِ والْإِكْرَامِ ، مَرْحَبًا بعِبادِى الَّذِين حَفِظُوا وَصِيَّتِى ، ورَعَوْا حَقِّى ، وخَافُونِى بالغَيْبِ وكَانُوا مِنِّى على كُلِّ حَالٍ مُشْفِقِين . قالوا : وعِزَّتِك وجَلالِك وعُلُوِّ مَكَانِك ما قَدَرْنَاك حَقَّ قَدْرِك ، [٤]ومَا أدَّيْنَا إلَيْك كُلَّ حَقِّك[٤] ، فَأْذَنْ لنَا فى السُّجُودِ لك . فَقَال لَهُمْ ربُّهُمْ : إنِّى قَدْ وَضَعْتُ عنكم مُؤْنَةَ العِبادَةِ ، وأرَحْتُ لكم أبْدَانَكم ، فَطَالَمَا أنْصَبْتُم لِىَ الأبْدَانَ ، وأَعْنَيْتُم لِىَ الْوُجُوهَ ، فالآنَ أفْضَيْتُم إلى رَوْحِى ورَحْمَتِى وكَرَامَتِى ، فسَلُونِى ما شِئْتُم ، وتَمَنَّوْا علىَّ أُعْطِكم[٥] أمَانِيَّكم ، فَإِنِّى لن أَجْزِيَكُمُ الْيَوْمَ بِقَدْرِ أعْمَالِكم ، ولكنْ بقَدْرِ رَحْمَتِى وفَضْلِى وطَوْلِى وكَرَامَتِى [٦]وعُلُوِّ مَكَانِى وعَظَمَةِ شَأْنِى[٦] . فَمَا يَزَالُون فى [٧]المَسْأَلَةِ و[٧] الأمَانِىِّ والْعَطَايَا والمَوَاهِبِ ، حتى إنَّ المُقَصِّرَ فى أُمْنِيَّتِه ليَتَمَنَّى مِثْلَ جميعِ الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقَها اللَّهُ إلى يومِ أفْنَاهَا ، فقَال لهم رَبُّهُمْ : لقد قَصَّرْتُم فى أمَانِيِّكم ، ورَضِيتُم بدُونِ ما يَحِقُّ لكم ، فقد أَوْجَبْتُ لكم ما سَأَلْتُمْ وتَمَنَّيْتُمْ ، وألْحَقْتُ بكم ذُرِّيَّتَكم ،

---

(١) فى الأصل : « تنحَّت » .
(٢) فى الأصل ، ص : « دفعوا » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤ - ٤) فى الأصل : « وما عبدناك حق عبادتك » .
(٥) فى ح : « أعظم » .
(٦ - ٦) ليست فى : الأصل ، ح .
(٧ - ٧) سقط من : ص .

و[1] زِدتُّكم أضْعَافَ[1] ما قَصَّرَتْ عنه أمَانِيُّكُمْ » . وهذا مُرْسَلٌ ضَعِيفٌ غَرِيبٌ جدًّا ، [2]وفيه ألْفَاظٌ مُنْكَرَةٌ[2] ، وأحْسَنُ أحْوَالِه أنْ يَكُونَ [3]مِن بعضِ كلامِ التابِعين ، أو[3] مِن كَلامِ بعضِ السلفِ ، فوَهِم بَعضُ الرُّوَاةِ فجعَله مَرفوعًا ، وليس كذلك . واللَّهُ أعلمُ[4] .

ذِكرُ أولِ مَن يَدخلُ الجنةَ

[١٥٨و] وهو رسولُ اللَّهِ ﷺ قبلَ الأنبياءِ كلِّهم ثم أمتُه قبلَ الأُمم ، كما ثبَت ذلك فى « صحيحِ مسلمٍ »[5] عن أنسٍ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ » . وعندَه[6] أيضًا عنه : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنِّى آتِى بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ[7] لا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » .

[3]وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدثَّنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدثنا شَريكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن السائبِ بنِ مالكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اطَّلَعْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الأَغْنِياءَ وَالنِّسَاءَ » .

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[9] : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، أنبا هشامٌ[3]

(١ - ١) فى ص : « دونكم » .
(٢ - ٢) سقط من : ح ، ص .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) وبنحو هذا الكلام عقب ابن القيم على الحديث . انظر حادى الأرواح ص ٢٦٥.
(٥) بعده فى ص : « من حديث المختار بن فلفل » . وانظر مسلم (١٩٦/٣٣١) مطولا .
(٦) بعده فى ص : « وعنده من طريق سليمان بن المغيرة عن أنس قال » . وانظر مسلم (١٩٧/٣٣٣) .
(٧) ليس فى مسلم .
(٨) المسند ١٧٣/٢ (٦٦١١) . وقال الشيخ شعيب : صحيح دون قوله : « الأغنياء » . فإنها لم ترد فى الشواهد والمتابعات . المسند ١٨٢/١١ .
(٩) المصنف (١٧٨١٨) .

[1]الدَّسْتُوائيُّ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن عامرٍ العُقَيليِّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عُرِضَ علىَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ مِنْ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؛ فالشَّهِيدُ ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيَالٍ ، وأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ ؛ فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنَ المَالِ[2] لَا يُؤَدِّى حَقَّ اللَّهِ مِنْ مَالِهِ ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ » .

وكذا رَواه أحمدُ[3] ، عن إسماعيلَ ابنِ عُلَيَّةَ ، عن هشامٍ ، وأَخْرجه الترمذىُّ[4] ، مِن حديثِ علىِّ[5] بنِ المُبارِكِ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ .

وفى حديثِ غالبٍ القَطَّانِ[6] ، عن الحسنِ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا وَقَفَ العِبَادُ لِلْحِسَابِ جَاءَ قَومٌ وَاضِعِى[7] سُيُوفِهِمْ عَلَى رِقَابِهِمْ تَقْطُرُ دَمًا ، فَازْدَحَمُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَقِيلَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا[8] : الشُّهَدَاءُ ، كَانُوا أَحْيَاءً يُرْزَقُونَ . ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، فَلْيَدخُلِ الْجَنَّةَ . ثُمَّ نَادى الثَّانِيَةَ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ . قالوا : ومن الذى أَجْرُه[1]

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى المصنف : « مال » .

(٣) المسند ٢/٤٢٥ (٩٤٨٨) . قال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف . المسند ١٥/ ٢٩٧.

(٤) الترمذى (١٦٤٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٧٨) .

(٥) فى الأصل ، ح : « عبد الله » . والمثبت من الترمذى . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ١١١.

(٦) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٠١٩) من طريق غالب القطان . قال الهيثمى : رجاله وثقوا على ضعف يسير فى بعضهم . المجمع ١٠/ ٤١١.

(٧) فى الأصل ، ح : « واضعوا » .

(٨) فى الطبرانى : « قيل » .

(١ عَلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : العَافُونَ عنِ النَّاسِ . ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ . فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلفًا ، فَدَخَلُوا[٢] بِغَيرِ حِسَابٍ » .

وفى حديثِ حبيبِ بنِ أبى ثابتٍ[٣] عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ يومَ القِيامَةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ » . [٤]وثبَت فى « الصحيحَيْن » و« سننِ النَّسائىِّ »[٥] ، واللفظُ له ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ » . الحديث بطُولِه .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[٦] عنه ، عن النبىِّ ﷺ قال : « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » .

وروَى الحافظُ الضِّياءُ[٧] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن عمرَ بنِ الخطابِ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال[٤])[١] :

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الطبرانى : « فدخلوها » .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ١٢/١٩ (١٢٣٤٥) ، والأوسط (٣٠٥٧) ، والصغير ١/١٠٣، والبزار (كشف الأستار ٣١١٤). قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الثلاثة بأسانيد وفى أحدها قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى وغيرهما ، وضعفه يحيى القطان وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار بنحوه ، وإسناده حسن . المجمع ١٠/ ٩٥.

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥) البخارى (٨٩٦، ٣٤٨٦) ، ومسلم (١٩/٨٥٥) ، والنسائى فى الكبرى (١٦٥٣) .

(٦) مسلم (٢٠/٨٥٥) .

(٧) أخرجه ابن عدى فى الكامل ٤/١٤٤٨ من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل ، به .

(١ « إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا ، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى ٢) تَدْخُلَ أُمَّتِى ٢) » .

« سنن (٣) أبى داودَ » مِن حديثِ أبى خالدٍ الدَّالانىِّ ، عن أبى خالدٍ مولى آلِ (٤) جَعْدةَ ، عن أبى هريرةَ ، .... (٥) قال : « أَتَانِى جِبْرِيلُ ، (٦) فَأَخَذَ بِيَدِى ٦) فَأَرَانِى بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِى تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِى » . فقال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ (٦) وَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ مَعَكَ ٦) حتَّى أَنْظُرَ إليه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى » . وتقدم (٧) فى الصحيحِ : « أَدْخِلْ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِن أُمَّتِكَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ (٦) مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ٦) وهم شُركاءُ الناسِ فِى (٨) [١٥٨ظ] سَائِرِ الْأَبْوَابِ » . وقد تقدَّم فى الحديثِ الصحيحِ (٩) : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ دُعِى (١٠ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَلِلْجَنَّةِ ١٠) ثمانيةُ أبوابٍ » . الحديث بطولِه . وفى « الصحيحَيْن » (١١) مِن حديثِ سهلِ بنِ سعدٍ قال : « لِلْجَنَّةِ ١)

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢ - ٢) بياض فى الأصل ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) قبله فى الأصل بياض ، ولعله : « وجاء فى » . وقد رواه أبو داود فى سننه (٤٦٥٢) ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ١٠٠٨) .

(٤) سقط من : الأصل . والمثبت من مصدر التخريج .

(٥) طمس فى الأصل بمقدار كلمتين ، ولعلهما : « عن النبى ﷺ » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) تقدم تخريجه فى ٤١٧/١٩ ، ٤١٨ .

(٨) زيادة مما تقدم .

(٩) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٠ - ١٠) طمس فى الأصل . والمثبت مما تقدم .

(١١) تقدم فى ٢٥٩ .

(١ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، مِنْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ فَإِذَا دَخَلُوا مِنْهُ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ١) » .

بابٌ جامعٌ لأحكامٍ تَتَعَلَّقُ بالجنةِ وأحاديثَ شَتَّى ورَدَت فيها

قال اللَّهُ تعالى : (وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ ذُرِّيَّاتِهِم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ)(٢) [الطور : ٢١] . أى أنَّ اللَّهَ تعالى يَرْفَعُ درجةَ الأولادِ فى الجنةِ إلى درجةِ الآباءِ ، وإن لم يَعْمَلوا بعملِهم ، ولا يَنْقُصُ الآباءَ مِن أعمالِهم حتى يَجْمَعَ بينَهم فى ٣الدرجةِ العاليةِ ليُقِرَّ أعْينَهم باجتماعِهم هم وذرِّيَّاتِهم٣ .

قال الثوريُّ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن اللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُريةَ المؤمنِ فى درجتِه ، وإن كانوا دونَه فى العملِ ليُقِرَّ بهم عينَه . ثم قرأ : (وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ ذُرِّيَّاتِهِم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) . هكذا رواه ابنُ جَريرٍ ، وابنُ أبى حاتمٍ فى « تفسيريهما »(٤) ، عن الثوريِّ موقوفًا . وكذا رواه ابنُ جَريرٍ(٥) ، عن شعبةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ موقوفًا ،

(١ - ١) سقط من : ح ، ص .

(٢) كذا فى النسخ ، وهى قراءة أبى عمرو . انظر حجة القراءات ص ٦٨١.

(٣ - ٣) فى ص : « الجنة التى يستحقها الأبناء بل يرفع الناقص حتى يساويه مع العالى ليجمع بينهم فى الدرجة العالية لتقر أعينهم باجتماعهم وارتفاعهم » .

(٤) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٤/٢٧ ، وأورده السيوطى فى الدر ١١٩/٦ ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم .

(٥) تفسير الطبرى ، الموضع السابق .

ورواه البزَّارُ فى « مُسْنَدِه »[1] وابنُ مَرْدُويَه فى « تفسيرِه »[2] ، مِن حديثِ قيسِ بنِ الربيعِ ، عن عمرٍو ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ . وروايةُ الثورىِّ وشعبةَ أثْبتُ . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى [3]ابنُ أبى حاتمٍ مِن حديثِ[3] الليثِ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى هذه الآيةِ ، قال : هم ذُريةُ المؤمنِ يَمُوتون على الإيمانِ ، فإن كانت مَنازلُ آبائِهم أرْفَعَ مِن منازلِهم أُلْحِقوا بآبائِهم ، ولم يُنْقَصوا مِن أعمالِهم التى [4]عمِلوا شيئًا[4] .

وقال الطَّبَرانىُّ : حدَّثنا [5]محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَضْرَمِىُّ[5] ، حدثَّنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ غَزْوانَ ، حدثَّنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أَظُنُّه عن النبىِّ ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَجَتَك . فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، قَدْ عَمِلْتُ لِى

---

(١) انظره فى كشف الأستار (١٢٦٠) . وقال الهيثمى : رواه البزار ، وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى ، وفيه ضعف .

(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور ١١٩/٦ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٣ - ٣) فى ص : « ابن أبى الدنيا من طريق » . وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٩/٦ إلى ابن أبى حاتم .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ح : « عملوها » .

(٥ - ٥) فى النسخ : « الحسين بن إسحاق التسترى » . والمثبت من المعجم الكبير ، وقد روى الطبرانى هذا الحديث عن اثنين من شيوخه ، ليس فيهما التسترى هذا ، فأخرجه فى الكبير ٤٤٠/١١ (١٢٢٤٨) عن شيخه محمد بن عبد اللَّه الحضرمى ، وفى الصغير ٢٢٩/١ عن شيخه عبد اللَّه بن يزيد بن أبان الدقيقى البغدادى ، كلاهما به . وانظر جامع المسانيد والسنن ١٣/ ٢٥٩- ٢٦٠. وفيه كالمثبت هنا سندًا ومتنًا . قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الصغير والكبير وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف . وقال الألبانى : موضوع . (ضعيف الجامع ٤٨٥) .

وَلَهُمْ . فَيُؤْمَرُ[1] بِإِلْحَاقِهِمْ بِهِ » . وقرأ ابنُ عباسٍ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ ذُرِّيَّـٰتِهِم بِإِيمَـٰنٍ ﴾ الآية .

وقال العَوْفىُّ[2] ، عن ابنِ عباسٍ ، فى هذه الآيةِ : والذين أدْرَك ذُرِّيتُهم الإيمانَ ، فعمِلوا بطاعتى أَلْحَقْتُهم بإيمانِهم إلى الجنةِ ، وأولادُهم الصِّغارُ تُلْحَقُ بهم . وهذا التفسيرُ هو أحدُ أقوالِ العلماءِ فى معنى الذُّريةِ هنا ؛ أهم الصغارُ فقط ، أم يَشْمَلُ الصِّغارَ والكِبارَ أيضًا ، لِقولِه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء : ٣] . وقال : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾[3] [آل عمران : ٣٤] . فأطْلَق الذُّريةَ على الكِبارِ ، كما أطْلَقها على الصِّغارِ ، وتفسيرُ العَوْفىِّ ، عن ابنِ عباسٍ يَشْمَلُهما ، وهو اختيارُ الواحدىِّ وغيرِه[4] ، (٥ وهذا كلُّه إنما هو إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فإن الخيرَ فى يديه ، والخلقُ له والأمرُ له ، وهذا القولُ ٥) مَحْكِىٌّ عن الشعبىِّ ، وأبى مِجْلَزٍ ، وسعيدِ بنِ جبيرٍ ، وإبراهيمَ النَّخَعىِّ ، وقتادةَ ، وأبى صالحٍ ، والرَّبيعِ بنِ أنسٍ[6] . وهذا من فضلِ اللَّهِ ورحمتِه على الأبناءِ ببركةِ عملِ الآباءِ ، فأمَّا فضلُه على الآباءِ ببركةِ دُعاءِ الأبناءِ ، فقد قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا حمادُ بنُ

---

(١) فى الأصل ، ح : « فيأمر الله » .

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره ٢٥/٢٧ من طريق العوفى به ، عن ابن عباس .

(٣) بعده فى ح : ﴿ وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ .

(٤) التفسير الوجيز للواحدى ٣٢٨/٢ ، بهامش كتاب مراح لبيد للنووى ، وتفسير الطبرى ٢٦/٢٧ .

(٥ - ٥) فى ص : « وهو » .

(٦) انظر تفسير المصنف ٤٠٨/٧ ، وقد أورد السيوطى أقوالًا تفيد هذا عن إبراهيم وأبى مجلز ، فالذى عن إبراهيم عزاه إلى هناد وابن المنذر ، والذى عن أبى مجلز عزاه إلى ابن المنذر . الدر المنثور ١١٩/٦ .

(٧) المسند ٥٠٩/٢ (١٠٦١٨) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن من أجل عاصم بن أبى النجود . المسند ٣٥٧/١٦ .

سَلَمةَ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلعَبْدِ الصَّالِحِ فِى الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ ، أَنَّى لِى هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفارِ وَلَدِكَ لَكَ » .

وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، ولم يُخْرِجْه أَحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ ، ولكن له شاهدٌ فى « صحيح مسلم »[1] ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » .

ذكرُ دخُولِ الفُقَراءِ الجنَّةَ قبلَ الأَغْنِياءِ

[١٥٩و] قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثَّنا عفّانُ ، حدَّثنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ » . وأخرَجه الترمذىُّ وابنُ ماجَه[3] من حديثِ محمدِ بنِ عمرٍو . قال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وله طُرُقٌ عن أبى هريرةَ ، [4] فمن ذلك ما روَاه الثورىُّ ، عن محمدِ بنِ زيدٍ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ[4] ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) مسلم (١٦٣١) .

(٢) المسند ٢/٣٤٣ (٨٥٠٢) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن . المسند ١٤/٢٠٨ .

(٣) الترمذى (٢٣٥٣، ٢٣٥٤) ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، حسن صحيح . (صحيح سنن الترمذى ١٩١٩) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٧/٩٩، ١٠٠ من طريق الثورى ، به ، بنحوه مطولا .

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذَلِكَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ». [1]الحديثَ بطولِه[1].

وقال أحمدُ[2]: حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا حَيْوةُ، هو ابنُ شُرَيْحٍ، أخبَرنى أبو هانئٍ أنَّه سمِع أبا عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىَّ، يقولُ: سمِعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عَمرٍو[3]، يقول: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِى إِلَى الْجَنَّةِ - بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا». وكذا روَاه مسلمٌ[4] من حديثِ أبى هانئٍ حُمَيْدِ بنِ هانئٍ، به.

وقال أحمدُ[5]: حدَّثنا حُسَيْنٌ[6]، هو ابنُ محمدٍ، حدَّثنا داودُ[7]، [8]هو ابنُ نافعٍ[8]،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) المسند ٢/١٦٩ (٦٥٧٨).

(٣) فى ح، ص: «عمر». وانظر أطراف المسند ٤/٦٣.

(٤) مسلم (٢٩٧٩).

(٥) المسند ١/٣٠٤ (٢٧٧١) بنحوه. قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف. المسند ٤/٤٩٢.

(٦) فى المسند: «حسن». وكذا هو عند الشيخ شاكر، وهو حسين بن محمد المروذى، وانظر الإكمال ٣/٣٨٦.

(٧) فى الأصل: «رواد». وفى المسند: «دويد». قال ابن حجر: دويد هو داود بن سليمان النصيبى. نزهة الألباب ١/٢٦٩.

(٨ - ٨) ليس فى المسند. وقوله: داود [دويد] هو ابن نافع. فيه نظر، ذلك أن دويد بن نافع الأموى المصرى مولى سعيد ابن عبد الملك بن مروان، روى عنه جماعة من أهل مصر، وهو من السادسة، روى عن عروة والزهرى، والمروذى متأخر من التاسعة، والظاهر عدم روايته عنه بل يروى عن دويد آخر، فقد قال الدارقطنى بعد أن ذكر دويد بن نافع: ودويد لم ينسب يروى عن أبى إسحاق عن زرعة عن عائشة: «الدنيا دار من لا دار له ...». وهو حديث فى المسند عن حسين بن محمد المروذى عن دويد. تهذيب الكمال ٨/٤٩٨، والإكمال ٣/٣٨٦، والمؤتلف ٢/١٠٠٨، ١٠٠٩، والمسند (٢٤٤٦٤) ٦/٧.

والمترجح لدينا أن دويدا هذا هو: دويد بن سليمان (داود بن سليمان النصيبى). فقد قال ابن ماكولا: دويد ابن سليمان حدث عن سلم بن بشير بن حجل وعثمان بن عطاء، وروى عنه حسين بن محمد المروذى. =

عن سَلْمِ[1] بنِ بشيرٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الْتَقَى مُؤْمِنَانِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، مُؤْمِنٌ غَنِيٌّ، وَمُؤْمِنٌ فَقِيرٌ، كَانَا فِي الدُّنْيَا، فَأُدْخِلَ الْفَقِيرُ الْجَنَّةَ، وَحُبِسَ الْغَنِيُّ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُحْبَسَ، ثُمَّ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَلَقِيَهُ الْفَقِيرُ، فَقَالَ: يا أَخِي، مَاذَا حَبَسَكَ؟ وَاللَّهِ لَقَدِ احْتُبِسْتَ حَتَّى خِفْتُ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: أَيْ أَخِي، إِنِّي حُبِسْتُ بَعْدَكَ مَحْبِسًا فَظِيعًا كَرِيهًا، ومَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى سَالَ مِنِّي مِنَ العَرَقِ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ، كُلُّها [2]أَكَلَتْ حَمْضًا[2] لَصَدَرَتْ عَنْهُ رِوَاءً».

وثبت في «الصحيحين»[3] من حديثِ أبي عثمانَ النَّهْدِيِّ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ». وفي «صحيحِ البخاريِّ»[4]، من حديثِ سَلْمِ[5] بنِ زَرِيرٍ، عن أبي رَجاءٍ، عن عمرانَ بنِ

= الإكمال ٣/ ٣٨٦.

وقال ابن حجر: دويد هو داود بن سليمان النصيبي. نزهة الألباب ١/ ٢٦٩.

أما قوله في تعجيل المنفعة ص ١٤٤: سليم بن بشير عن عكرمة وعنه دويد الخراساني مجهول. وفي ص ١٦٢: سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس رفعه: «التقى مؤمنان ...». فذكر الحديث وقال: رواه دويد الخراساني. وما قاله الحسيني في الإكمال: دويد الخراساني عن عمرو بن شعيب وأبي سهل وسلم بن بشير، وعنه علي بن عاصم، مجهول. فيؤخذ منه أن دويدا الخراساني هو دويد بن سليمان النصيبي.

أما ما جاء في الإكمال: دويد بن طارق حدث عن عمرو بن شعيب وعنه علي بن عاصم، نفس من حدث عن الخراساني وحدث عنه الخراساني، فلعله دويد آخر.

(١) في ح، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٤: «مسلم». وفي ص: «سليم» وهو صواب فاسمه سلم وسليم، وانظر أطراف المسند ٣/ ٢٠١، وتعجيل المنفعة ص ١٤٤، ١٥٨، ١٦٢.

(٢ - ٢) في المسند: «آكلة حمض». والحمض: ما مَلُحَ وأمَرَّ من النبات. وهو للإبل كالفاكهة للإنسان وأكله مدعاة لشدة العطش. وانظر التاج (ح م ض)، والنهاية ١/ ٤٤١.

(٣) البخاري (٥١٩٦، ٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦) بنحوه، مطولاً.

(٤) البخاري (٣٢٤١، ٦٤٤٩).

(٥) في ح: «سلمة».

حُصَينٍ مثلُه .

ورواه عبدُ الرزّاقِ[1] ، عن مَعْمرٍ ، عن قتَادَةَ ، عن أبى رجاءٍ عِمْرانَ بنِ مِلْحَانَ ، عن عمرانَ بنِ حُصيْنٍ قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « نَظَرْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَنَظَرْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » .

وروَى مسلمٌ[2] ، عن شيبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن أبى الأشهبِ ، عن أبى رجاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اطَّلَعَ فى النَّارِ ، فرأَى أكثرَ أهْلِها النِّساءَ ، واطَّلَعَ فى الجنَّةِ ، فرَأَى أكْثَرَ أهْلِهَا الفُقراءَ . [3]وقال [4]أحمدُ : ثنا[4] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن السائبِ بنِ مالكٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اطَّلَعْتُ فى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الأَغْنِيَاءَ وَالنِّسَاءَ » . وتقدم مِن حديثِ ابنِ أبى شيبةَ[5] : « عُرِضَ عَلَىَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ....» . إلى آخرِه . وهو فى الذين يحمَدون اللَّهَ فى السَّراءِ والضَّراءِ[6] .... الجامع لأحكامِ الجنةِ[3] .

---

(١) المصنف (٢٠٦١٠) .

(٢) مسلم (٢٧٣٧) .

(٣ - ٣) سقط من : ح ، ص .

(٤ - ٤) طمس فى الأصل . والمثبت من المسند ١٧٣/٢ (٦٦١١) .

(٥) تقدم فى ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٦) بعده طمس فى الأصل بمقدار كلمتين ، ولعلهما : آخر الباب . أو : انتهى الباب . أو شىء كهذا . والله أعلم .

فصلٌ

والجنةُ والنارُ مَوْجُودتان[1] الآنَ، فالجنةُ مُعَدَّةٌ للمُتَّقِين، والنارُ مُعَدَّةٌ للكافرين؛ كما نطَق بذلك القرآنُ العظيمُ، وتَواتَرَت بذلك الأخْبارُ عن رسولِ ربِّ العالمين، وهذا اعْتِقادُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، رَحِمهم اللَّهُ أجمعينَ، المُتَمَسِّكِين بالعُرْوةِ الوُثْقَى، وهى السُّنةُ المُثْلَى إلى قيامِ الساعةِ، خلافًا لمن زعَم أنَّهما لم يُخْلَـقا بعدُ وإنما يُخْلَقان يومَ القيامةِ، وهذا القولُ قاله من لم يَطَّلِعْ على الأحاديثِ المُتَّفَقِ على صحتِها، وإخْراجِها فى «الصحيحَيْن» وغيرِهما مِن كتبِ الإسلامِ المُعْتَمَدةِ المشهورةِ بالأسانيدِ الصحيحةِ والحسَنةِ، مما لا يُمْكِنُ دفعُه ولا ردُّه، لتَواتُرِه واشتِهارِه.

قال اللَّهُ تعـالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفى «الصحيحين»[2] عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ[3] مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا

---

(١) فى حاشية الأصل: «مخلوقتان».

(٢) البخارى (٤٧٨٠)، ومسلم (٣/٢٨٢٤)، واللفظ لمسلم.

(٣) سقط من: الأصل.

خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، دُخْرًا[1]، [2]بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ[2]».

وفى «الصحيحين»[3] مِن حديثِ مالكٍ عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كان مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هذا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَومَ الْقِيَامَةِ».

[١٥٩ظ] وفى «صحيحِ مسلمٍ»[4] عن ابنِ مسعودٍ قال: «أَرْواحُ الشُّهَداءِ فى حَواصِلِ[5] طيرٍ خُضْرٍ، [6]لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ[6]، تَسْرَحُ فِى[7] الْجَنَّةِ حيثُ شاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِى إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ». وذكَر الحديثَ.

ورُوِّينا فى «مسندِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ»[8]، ثنا محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ، عن مالكٍ، عن الزهرىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، عن أبيه، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال: «إِنَّمَا نَسَمَةُ[9] الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِى شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُه».

---

(١) فى مصدرى التخريج: «ذخرا». بالذال المعجمة. قال الحافظ فى الفتح: «دخرًا» بضم الدال المهملة وسكون المعجمة؛ أى جعلت ذلك لهم مدخورًا. فتح البارى ٥١٦/٨، وانظر النهاية ٢/ ١٥٥.

(٢ - ٢) بله ما أطلعكم عليه: دع عنك ما أطلعكم عليه فالذى لم يطلعكم عليه أعظم وكأنه أضرب عنه استقلالًا له فى جنب ما لم يطلع عليه. وقيل: معناه غير. وقيل: معناه كيف. صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٦٦.

(٣) البخارى (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦/٦٥).

(٤) مسلم (١٨٨٧/١٢١) بنحوه.

(٥) فى مسلم: «جوف».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى مسلم: «من».

(٨) المسند ٤٥٥/٣ (١٥٨١٦).

(٩) النسمة: النفس والروح، وكل دابة فيها روح فهى نسمة. النهاية ٥/ ٤٩.

وتقدم[1] الحديثُ المتفقُ على صحتِه مِن طريقِ أبى الزنادِ، عن الأعرجِ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

وذَكَرْنا الحديثَ المرويَّ مِن طريقِ حَمّادِ بنِ سَلَمةَ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا[2]: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا». وكذلك قال فى النارِ.

وكذلك فى الحديثِ الآخرِ[3]: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِى. فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ».

[4]وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[5]: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِى بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ؛ نَفَسٍ فِى الشِّتَاءِ ونَفَسٍ فِى الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ مِنْ بَرْدِهَا، وَجَمِيعِ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِهَا[6]، فَإِذَا كَانَ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ»[4].

وفى «الصحيحين»[7] من طريقِ عبدِ الرزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن همّامٍ، عن أبى هريرةَ - وعند مسلمٍ عن أبى سعيدٍ[8] - قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٨٨.

(٢) تقدم فى الموضع السابق.

(٣) تقدم فى صفحة ٢٨٠، ٢٨١.

(٤ - ٤) زيادة من: ص.

(٥) رواه البخارى (٥٣٧، ٣٢٦٠)، ومسلم (١٨٥، ١٨٦، ٦١٧/١٨٧) كلاهما من حديث أبى هريرة.

(٦) فيحها: سطوع حرها وانتشاره وغليانه. مسلم بشرح النووى ٥/ ١٢٠.

(٧) البخارى (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦/٣٦).

(٨) مسلم (٢٨٤٧).

« تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ . وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : مَا لِى لَا يَدْخُلُنِى إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ[1] وَغِرَّتُهُمْ[2] ؟ فَقَالَ اللَّهُ تعالى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِى أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى ، وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتِ عَذَابِى أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا . فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهَا ، فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ . فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيَنْزَوِى[3] بَعْضُهَا إِلَى بَعْض ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَيُنْشِىءُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا[4] » . لفظ مسلم .

وفى « الصحيحَيْن »[5] عن أنسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا ، وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ . حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ . وَلَا يَزَالُ فِى الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا ، [6]فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ[6] » .

وقد ثبَت فى « الصحيحين »[7] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه رأَى الجنَّةَ والنارَ ليلةَ أُسْرِىَ به[8] .

---

(١) سقطهم : ضعفاؤهم والمتحقرون منهم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٨١ .

(٢) غرة الناس : البُلْهُ الذين لم يُجَرِّبوا الأمور ، فهم قليلو الشر منقادون ، فإن من آثر الخمول وإصلاح نفسه والتزود لِمَعاده ، ونَبَذَ أمور الدنيا فليس غِرًّا فيما قَصَد له ، ولا مذموما بنوعٍ من الذم . النهاية ٣/ ٣٥٥ .

(٣) فى مصدرى التخريج : « فَيُزْوَى » . وتنزوى : تنضم وتنقبض . وانظر النهاية ٢/ ٣٢٠ .

(٤) بعده فى الأصل : « يسكنهم فضول الجنة » .

(٥) البخارى (٧٣٨٤) ، ومسلم (٢٨٤٨/٣٨) ، واللفظ له .

(٦ - ٦) فى ح : « فيلقيهم فيها » .

(٧) البخارى (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣/٢٦٣) .

(٨) بعده فى الأصل زيادة يتخللها رقم المخطوط [١٥٩و] .

[1] فأمَّا ما وقَع فى « صحيحِ البُخارىِّ » عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ : « وَأَنَّهُ تَعَالَى يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ ، فَيُلْقَى فِيهَا ، فَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ » [1] . فقد قال بعضُ الحفَّاظِ[2] : هذا غَلَطٌ مِن بعضِ الرُّواةِ ، وكأنَّه اشْتَبَه عليه ، ودخَل عليه لفظٌ فى لفظٍ ، فنقَل هذا الحكْمَ مِن أهلِ الجنةِ إلى النارِ .

قلتُ : فإن كان محفوظًا فيَحْتَمِلُ أنه تعالى يَمْتَحِنُهم فى العَرَصاتِ ، كما يَمْتَحِنُ غيرَهم ممَّن لم تَقُمْ عليه الحُجَّةُ فى الدنيا ، فمَن عصَى منهم أدْخَله النارَ ، ومَن اسْتَجاب أدْخَله الجنةَ ؛ لقولِه تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] . وقال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٥] .

فصــلٌ

وقد ذكَرْنا فيما سلَف صفةَ أهلِ الجنةِ حالَ دُخولِهم إليها ، وقُدومِهم عليها ، وأنهم يُحَوَّلُ خَلْقُهم إلى طُولِ ستين ذِراعًا فى عرضِ سبعةِ أَذْرُعٍ ، وأنهم يَكُونون جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِين فى سنِّ أبناءِ ثلاثٍ وثلاثين ، وأنهم يُعْرِبُون[3] .

قال أبو بكرِ بنُ أبى الدنيا[4] : حدَّثنى القاسمُ بنُ هاشمٍ ، حدَّثنا صَفْوانُ[5] بنُ

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) انظر منهاج السنة ٣/ ٢٥، وفتح البارى ١٣/ ٤٣٧.

(٣) يعربون أى يتكلمون بلسان عربى . انظر تاج العروس (ع ر ب) .

(٤) صفة الجنة (٢٢٠) . وقال محققه : إسناده مرسل ، هارون على التحقيق لم يسمع من أنس بن مالك .

(٥) بعده فى صفة الجنة : « بن هاشم » . وهو صفوان بن صالح بن صفوان بن دينار الثقفى . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ١٩١.

صالحٍ ، حدَّثنى (١ رَوَّادُ بنُ ١) الجَرَّاحِ العَسْقَلانىُّ ، حدَّثنا الأَوْزاعىُّ ، عن هارونَ [١٦٠ظ] بنِ رِئابٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ ؛ سِتِّينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ ، عَلَى حُسْنِ يُوسُفَ ، وَعَلَى مِيلَادِ عِيسَى (٢ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ ، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ٣ جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ ٣) » .

وروَى داودُ بنُ الحُصَيْنِ (٤) ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لسانُ أهلِ الجنةِ عربىٌّ .

٥ وقال عُقَيْلٌ ، عن الزهرِّى قال : لسانُ أهلِ الجنةِ عربىٌّ ٥ .

وروَى البَيْهقىُّ (٦) مِن طريقين فيهما ضَعْفٌ ، عن أبى كَرِيمَةَ المِقْدامِ بنِ مَعْدِ يكَرِبَ ، رضِى اللَّهُ عنه ، أن رسوَل اللَّهِ ﷺ قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ سِقْطًا (٧ وَلَا هَرِمًا ٨ وَإِنَّمَا الناسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ ٨ إِلَّا بُعِثَ ابْنَ ثَلَاثِينَ سَنَةً - وفى روايةٍ (٩ : ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً - فَإِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَ عَلَى مَسْحَةِ آدَمَ ،

(١ - ١) فى ص : « داود بن » . وفى صفة الجنة : « داود بن أبى » . وهو رواد بن الجراح الشامى أبو داود العسقلانى . انظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧.

(٢) بعده فى الأصل ، ح : « أبناء » .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من صفة الجنة .

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢١٨) من طريق داود بن الحصين به .

(٥ - ٥) زيادة من : الأصل . وقد أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٢١) من طريق عقيل به .

(٦) البعث والنشور (٤٦٥، ٤٦٦) .

(٧) السقط بالكسر والفتح والضم ، والكسرُ أكثرها ، الولد الذى يسقط من بطن أمه قبل تمامه . النهاية ٢/ ٣٧٨.

(٨ - ٨) فى الأصل ، ح : « وغالب الناس يموتون فيما بين ذلك » .

(٩) البعث والنشور (٤٦٥) .

وَصُورَةِ يُوسُفَ ، وَقَلْبِ أَيُّوبَ ، [1] مُرْدًا مُكَحَّلِينَ ، أُولِى أَفانِينَ [1] ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عُظِّمُوا وَفُخِّمُوا كَالْجِبَالِ » . وفى رواية[2] : « حَتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ أَرْبَعِينَ بَاعًا ، وَحَتَّى يَصِيرَ نَابٌ مِنْ أَنْيَابِهِ مِثْلُ أُحُدٍ » .

وثبت[3] أنهم يَأْكُلُون ويَشْرَبون ، ولا يَبُولون ، ولا يَتَغَوَّطون ، إنما يَكُونُ مُنْصَرَفُ طَعَامِهِم أنهم يَعْرَقون ويَتَجَشَّئون كرائحةِ المِسْكِ ، ونفَسُهم تسبيحٌ وتحميدٌ وتَكْبِيرٌ ، وأولُ زُمْرةٍ منهم تدخلُ الجنةَ منهم على صورةِ القمرِ ، ثم الذين يَلُونَهم فى البَهاءِ كأَضْوَأِ كوكبٍ دُرِّىٍّ فى السماءِ ، وأنهم يُجامِعون ولا يُولَدُ لهم ، إلا مَن شاء منهم ، وأنهم لا يَموتون ولا يَنامُون ؛ لكَمالِ حَياتِهم ، وكثرةِ لَذَّاتِهم ، وتَوالى نَعيمِهم ومَسَرَّاتِهم ، وكلما ازْدادُوا خُلودًا ازْدادوا حُسْنًا وجمالًا وشبابًا وقوةً ، وازْدادت لهم الجنةُ حُسْنًا وبَهاءً وطِيبًا وضِياءً ، وكانوا أرْغَبَ شىءٍ فيها وأحْرَصَ عليها ، وكانت عِندَهم أعَزَّ وأغْلَى وألَذَّ وأحْلَى ، كما قال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف : ١٠٨] . [4] وهذا عكسُ حالِ أهلِ الدنيا ، ولو كان أحدُهم فى ألَذِّ عيشٍ[4(5)] .

(١ - ١) هذه العبارة من رواية الحديث (٤٦٥) . وأولو أفانين : ذوو شُعور وجُمَم . والأفانين : جمع أفْنان . والأفنان : جمع فَنَن ، وهو الخَصْلة من الشعر ، تشبيها بغصن الشجرة . النهاية ٣/ ٤٧٦ .

(٢) البعث والنشور (٤٦٥) .

(٣) أخرجه البخارى (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤، ٣٣٢٧) ، ومسلم (٢٨٣٤ - ٢٨٣٦) من حديث أبى هريرة وجابر . وانظر ما تقدم فى صفحة ٣١٧ وما بعدها .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل . وفى ح : « أى لا يسأمون العيش فيها ولا يريدون بها بدلا » .

(٥) مطموس فى الأصل . وأثبتنا ما يتم به السياق .

فصـــلٌ

وأعلى الخلْقِ فى الجنةِ منزلةً رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو أولُ مَن يَدْخُلُها ، وأمتُهُ أولُ الأممِ دخولًا إليها ، وأولُ مَن يَدْخُلُها مِن هذه الأمةِ أبو بكرٍ الصديقُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وتقَدَّم[1] أنَّ هذه الأمةَ يَكُونون فى الجنةِ أكثرَ الأممِ ، وأنهم يَكُونونَ[2] ثُلُثَىْ أهلِ الجنةِ أو شَطْرَهم ، كما تقَدَّمَ[3] : « أهلُ الجنةِ مائةٌ وعشرون صَفًّا ، هذه الأمةُ ثمانون صفًّا منها » .

وفى « المسندِ » ، و « جامعِ التِّرْمذىِّ » ، و « سننِ ابنِ ماجه »[4] ، مِن حديثِ محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى [5]سَلَمةَ ، عن[5] أبى هريرةَ مرفوعًا : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسلمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ » . وإسنادُه على شرطِ مسلمٍ . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ[6] .

وروَى الطَّبَرانىُّ[7] مِن حديثِ الثورىِّ ، عن محمدِ بنِ زيدٍ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا مثلَه .

---

(١) تقدم فى ١٩/٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(٢) فى ح : « قدر » ، وفى ص : « فيها يعدلون » .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٩/٤١٩ (١٠١٢) .

(٤) المسند ٢/٢٩٦ (٧٩٣٣) ، والترمذى (٢٣٥٣، ٢٣٥٤) ، وابن ماجه (٤١٢٢) .

(٥ - ٥) طمس فى : الأصل .

(٦) وقال الشيخ شعيب فى المسند ١٣/ ٣٢٨: حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩١٩) .

(٧) ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ص ١١٥، وعزاه للطبرانى ، وأخرجه كذلك من طريق الطبرانى أبو نعيم فى الحلية ٧/ ٩٩.

وروَى الترمذىُّ[1] مِن طريقِ الأعمشِ، عن عطيةَ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا مثلَه، وحسَّنه، والذى رواه [2] مسلمٌ[3] مِن طريقِ أبى عبدِ[2] الرحمنِ الحُبُلِىِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُون الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [2] إلى الجنَّةِ[2] بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا».

وللترمذىِّ عن جابرِ بنِ [4] عبدِ اللَّهِ مرفوعًا مثلُه، وصحَّحه[5]، وله[4] عن أنسٍ أيضًا نَحوُه، واسْتَغْرَبه[6].

قلتُ: فإن كانَ الأوَّلُ محفوظًا، فيكونُ باعتبارِ دُخولِ أوَّلِ الفُقراءِ وآخرِ الأغْنياءِ، [7] وتكُونُ الأربعونَ خَريفًا باعتبارِ دخولِ آخرِ الفقراءِ وأولِ الأغْنياءِ. واللَّهُ أعلمُ[7].

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[8]، [4] عن إسماعيلَ ابنِ[4] عُلَيَّةَ، وأبو بكرِ بنُ أبى شيبةَ[9]، عن يزيدَ بنِ هارونَ، كلاهما عن هشامٍ الدَّسْتُوائىِّ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ، عن عامرٍ العُقَيْلِىِّ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَ عَلَىَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ».

---

(١) سنن الترمذى (٢٣٥١). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩١٦).
(٢ - ٢) سقط من: النسخ. والمثبت من المصدر.
(٣) مسلم (٢٩٧٩/٣٧).
(٤ - ٤) طمس فى: الأصل.
(٥) سنن الترمذى (٢٣٥٥)، ولكنه قال: هذا حديث حسن.
(٦) المصدر السابق (٢٣٥٢).
(٧ - ٧) سقط من: ص.
(٨) المسند ٤٢٥/٢ (٩٤٨٨) قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف. المسند ٢٩٧/١٥.
(٩) تقدم فى ص ٤١٠.

وذكر الحديثَ كما تقدَّم قريبًا .

ورواه الترمذىُّ[1] مِن طريقِ ابنِ المباركِ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، وقال : حسنٌ . ولم يَذْكرِ الثلاثةَ الذين هم مِن أهلِ النارِ .

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[2] ، من حديثِ عِياضِ بنِ حِمارٍ[3] المُجاشِعىِّ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ، ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ . وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ ، [4]الضَّعِيفُ الَّذِى لَا زَبْرَ لَهُ[5] ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا ، لا يَبْغُونَ[6] أَهْلًا وَلَا مَالًا ، وَالْخَائِنُ الَّذِى لَا يَخْفَى[7] لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ ، [١٦٠و] وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِى إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ » . وذكَر البُخْلَ والْكَذِبَ ، « والشِّنْظِيرُ[8] الفحَّاشُ[9] »[4] .

---

(١) الترمذى (١٦٤٢) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٢٧٨) .

(٢) مسلم (٢٨٦٥/٦٣) بنحوه .

(٣) فى ح ، ص : « حماد » .

(٤ - ٤) بياض فى ص بمقدار أربع كلمات .

(٥) لا زبر له : أى الذى لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغى . النهاية ٢/ ٢٩٣.

(٦) فى صحيح مسلم : « يبتغون » ، وفى شرح النووى : « يتبعون » . والمثبت من الأصل ، ح موافق لما جاء فى حاشية السندى على صحيح مسلم ٨/ ١٥٩.

(٧) لا يخفى : لا يظهر . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٩٩.

(٨) الشنظير بكسر الشين والظاء المعجمتين ، وإسكان النون بينهما ، وفسره فى الحديث بأنه الفحاش ، وهو السيئ الخلق . صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ٢٠٠.

(٩) فى ح : « الفاحش » .

[1]وتقَدَّمَتِ الأحاديثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «اطَّلَعْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ والْأَغْنِيَاءَ».

وتقَدّم الحديثُ الواردُ مِن طريقِ حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ، عن سعيدٍ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»[1].

[2]وثبَت فى «الصحيحَيْن»[3] مِن حديثِ سفيانَ[2] الثَّورىِّ، وشعبةَ، عن مَعْبَدِ بنِ خالدٍ، عن حارثةَ بنِ وهبٍ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ[4] لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[5] مُسْتَكْبِرٍ[6]».

وقال الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثنا علىُّ بنُ إسحاقَ، أخْبَرَنا عبدُ اللَّهِ، أخْبَرَنا موسى بنُ عُلَىِّ بنِ رَباحٍ، سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، عن رسولِ

(١ - ١) سقط من: الأصل. وبياض فى ص، وأثبتها ناسخ (ص) فى نهاية الفصل. وتقدم الحديث الأول فى صفحة ٤١٠، ٤٢٧، ٤٢٨، وتقدم الثانى فى صفحة ٤١٢.

(٢ - ٢) طمس فى: الأصل.

(٣) البخارى (٤٩١٨، ٦٦٥٧)، ومسلم (٤٧ / ٢٨٥٣، ٢٨٥٣/٤٦) كلاهما من طريق سفيان وشعبة على الترتيب.

(٤) متضعف: بفتح العين وكسرها، المشهور الفتح، ولم يذكر الأكثرون غيره، ومعناه: يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله فى الدنيا... . وأما رواية الكسر فمعناها: متواضع متذلل خامل واضع من نفسه. قال القاضى: وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان. صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٨٦، ١٨٧.

(٥) العتل: الجافى الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافى الفظ الغليظ. والجواظ: الجموع المنوع، وقيل: الكثير اللحم المختال فى مشيته. وقيل: القصير البطين. صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٨٨، والنهاية ١/ ٣١٦.

(٦) فى الأصل، ص: «متكبر».

(٧) المسند ٢/٢١٤ (٧٠١٠) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح. المسند ١١/ ٥٨٥.

اللَّهِ ﷺ قال : « أَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ[1] جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ ، جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ » .

وقال الطَّبَرانيُّ[2] : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا أبو هلالٍ الرَّاسِبيُّ ، [3]حدثنا عقبةُ بنُ أبى ثُبَيْتٍ الراسِبيُّ[3] ، عن أبى الجَوْزَاءِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلأَ أُذُنَيْه مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلأَ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ » .

وكذا رواه ابنُ ماجه[4] مِن حديثِ مسلمِ بنِ إبراهيمَ .

وقال القاضى أبو عُبَيدٍ[5] عليُّ بنُ الحسينِ بنِ حَرْبُويَهْ ، [6]حدَّثنا محمدُ بنُ صالحٍ[6] ، حدَّثنا خلفُ بنُ خَليفةَ ، عن أبى هاشمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ النَّبِيُّ فِى الْجَنَّةِ ، وَالصِّدِّيقُ فِى الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِى الْجَنَّةِ ، والرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِى نَاحِيَةِ الْمِصْرِ لَا يَزورُهُ إلَّا للَّهِ فِى الْجَنَّةِ ، وَنِسَاؤُكُمْ [7]مِن أهلِ الْجَنَّةِ[7] العَتُودُ الودودُ الولودُ ، الَّتِى إِذَا غَضِبَ زوجُها أَوْ غَضِبَتْ جَاءَتْ حَتَّى تَضَعَ يَدَهَا فِى يَدِ زَوْجِهَا ،

---

(١) الجعظرى : الفظ الغليظ المتكبر ، وقيل : هو الذى ينتفخ بما ليس عنده ، وفيه قصر . النهاية ١/ ٢٧٦.

(٢) المعجم الكبير ١٢/١٧٠ (١٢٧٨٧) . إسناده حسن، والحديث صحيح (السلسلة الصحيحة ١٧٤٠) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٩١.

(٤) ابن ماجه (٤٢٢٤) .

(٥) أخرجه تمام فى فوائده ، من طريق خلف بن خليفة ، به . الروض البسام (٧٤٧) . وانظر السلسلة الصحيحة (٢٨٧) .

(٦ - ٦) طمس فى : الأصل .

(٧ - ٧) سقط من : ح . وفى الأصل : « من الجنة » .

ثُمَّ تَقُولُ : لَا أَذُوقُ غُمْضًا حَتَّى تَرْضَى » . وروَى النَّسائيُّ بعضَه ، مِن حديثِ خَلَفِ بنِ خَليفةَ ، عن أبى هاشمٍ يحيى بنِ دينارٍ ، به[1] .

فصـلٌ

هذه الأمةُ أكثرُ أهلِ الجنةِ ، وأعْلَاهم منازِلَ ، وأولُ مَن يدخُلُ الجنَّةَ صَدْرُها ، كما قال تعالى فى صفةِ المقرَّبين : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٣، ١٤] . وقال فى صفةِ أهل اليَمينِ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ٣٩، ٤٠] .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[2] : « خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . ثُمَّ يَكُونُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السِّمَنَ أو السَّمَانَةَ ، يَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ » .

وخِيارُ الصَّدْرِ الأولِ الصَّحابةُ ، كما قال ابنُ مسعودٍ[3] : مَن كان منكم [4]مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ[4] بمَن قد مات ، فإنَّ الحىَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ ، أولئك أصحابُ محمدٍ ، أَبَرُّ هذه الأمةِ قُلوبًا ، وأصدقُها ألْسِنَةً ، وأعْمَقُها عِلْمًا ، وأقلُّها تَكَلُّفًا[5] ،

---

(١) النسائى فى الكبرى (٩١٣٩) .

(٢) البخارى (٢٦٥١، ٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣، ٢٥٣٥) .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (١٨١٠) بنحوه ، وذكره شارح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٤٦، كما رواه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٠٥، من قول عبد الله بن عمر .

(٤ - ٤) فى ص : « مقتديا فليقتد » .

(٥) بعده فى الأصل : « وأسخاها يدًا » .

قومٌ اخْتارَهم اللَّهُ لصُحبةِ رسولِه ﷺ ، وإقامَةِ[1] دينِه ، فاعْرِفوا لهم حقَّهُمْ ، واقْتَدُوا بهم ؛ فإنَّهم كانوا على الهُدَى المُسْتقيمِ .

وتقَدَّم[2] أن هذه الأمةَ يَدْخُلُ منهم إلى الجنةِ سبعون ألفًا بغيرِ حسابٍ .

وفى « صحيح مسلم »[3] : « مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا » . وفى روايةِ أحمدَ[4] : « مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ (٥ سَبْعُونَ أَلْفًا » . وهذا ذِكْرُ ٥) أطْرافِ الحديثِ ، وإشارةٌ إلى طُرُقِه وألفاظِهِ .

وفى « الصحيحين »[6] مِن روايةِ حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِى سَوَادٌ عَظِيمٌ (٧ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِى ٧) ، فَقِيلَ لِى : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ . فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِى : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عَذَابٍ » . وفيه : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ[8] ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فقام عُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ . وقد تقدَّمَ هذَا كلُّه .

---

(١) فى ح ، ص : « نصرة » .

(٢) تقدم في صفحة ٥٦ .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٥٧ فما بعدها من رواية أحمد وغيره ، وليست عند مسلم .

(٤) تقدم تخريجها فى صفحة ٥٩ .

(٥ - ٥) طمس فى : الأصل .

(٦) تقدم فى صفحة ٥٦ ، ٥٧ .

(٧ - ٧) سقط من : ح . وفى الأصل : « فظننتها أمتى » .

(٨) فى ح ، ص : « يرقون » .

وقال هشامُ بنُ عمارٍ خطيبُ دمشقَ ، وأبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[1] ، واللفظُ له : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، أخبرَنى محمدُ بنُ زِيادٍ الأَلْهانىُّ ، سمِعْتُ أبا أمامةَ ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « وَعَدَنى رَبِّى أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا عَذَابَ ، [١٦١ظ] وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّى ، عَزَّ وَجَلَّ » .

وكذا رواه أبو بكـــرِ بنُ أبى عاصمٍ[2] ، عن دُحَيْمٍ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، عن صَفْوانَ بنِ عمرٍو ، عن سُلَيْمِ بنِ عامرٍ ، وأبى اليَمانِ عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ لُحَىٍّ الهَوْزَنىِّ ، عن أبى أُمامةَ ، فذكَر مثلَه .

[3]وروَى الطَّبرانىُّ ، مِن حديثِ عامرِ بنِ زيدٍ البِكَالىِّ[2] ، عن عتبةَ بنِ عَبْدٍ السُّلَمِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه[3] . ورواه أيضًا مِن طريقِ أبى أسماءَ الرَّحَبِىِّ ، عن ثَوْبانَ مِثْلَه[4] ، ولم يذكرْ : « ثلاثَ حَثَيَاتٍ » . وله من حديثِ قيسٍ الكِنْدِىِّ[5] ، عن أبى سعيدٍ الأَنْمَارِىِّ مِثْلُهُ ، وذَكَرَ فيهِ : « ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ » . وقد قدَّمْنَا بقيةَ طُرُقِهِ بألفاظِهَا[6] . واللَّهُ سبحانَه أعلمُ .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٤ .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٥ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٦٦ .

(٥) تقدم فى صفحة ٦٧ .

(٦) تقدم فى صفحات ٦٦ - ٦٩ .

فصـــلٌ(*)

فى بيانِ وجودِ الجنةِ والنارِ، وأنهما مخلوقتانِ موجودتانِ، خلافًا لمن زعم خلافَ ذلك

(1) قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]. وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وقال تعالى فى حقِّ آلِ فِرْعونَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] الآية. وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وفى «الصحيحَيْن»، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِىَ الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ كُلَّ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ». ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفى «الصحيحَيْن» مِن حديثِ مالكٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(1).

(*) من هنا زيادة من: ح، ص، إلى آخر الكتاب.

(١ - ١) تقدم بنصه فى ص ٤٢١، ٤٢٢.

[1] وفى « صحيحِ مسلمٍ » عن ابنِ مسعودٍ : « أرْواحُ الشُّهداءِ فى حَواصِلِ طيرٍ خُضْرٍ ، تَسْرَحُ فى الجنةِ حيث شاءَتْ ، ثم تَأْوِى إلى قَنادِيلَ مُعَلَّقةٍ فى العرشِ » . وذكرَ الحديثَ .

ورُوِّينا فى « مسندِ الإمام أحمدَ بنِ حنبلٍ » ، حدَّثنا محمدُ بنُ إدريسَ الشافعىُّ ، عن مالكٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن أبيه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يُعَلَّقُ فِى شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يرْجِعَه اللَّهُ ، إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ » .

وتقدَّم الحديثُ المتفقُ على صحتِهِ ، مِن طريقِ أبى الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

وذكَرْنا الحديثَ المَرْوىَّ مِن طريقِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا » . وكذلكَ قالَ فى النارِ[1] .

وكذلك الحديثُ الآخرُ[2] : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِى . فقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » .

وفى « الصحيحين »[3] عن أبى هريرةَ ، وعند مسلمٍ[4] عن أبى سعيدٍ ، عن

(١ - ١) تقدم بنصه فى ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٨١ ، ٢٨٢ من حديث أنس بن مالك .

(٣) تقدم ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٤) مسلم (٢٨٤٧) .

النبيِّ ﷺ قال : « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ » . الحديث .

وفيهما عن ابنِ عمرَ مرفوعًا[1] : « الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ » .

وفيهما عن أبى ذرٍّ مرفوعًا[2] : « إذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بالصَّلَاةِ[3] ، فإنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ » .

وفى « الصحيحين »[4] عن أبى هريرةَ : « إذَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، [5]وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ[5] » . وقد ذكَرْنا فى حديثِ الإسْراءِ[6] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رأَى الجنةَ والنارَ ليلتَئذٍ ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٣- ١٥] . وقال فى صفةِ سِدْرةِ المُنْتَهَى : « إنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ ونَهْرَانِ بَاطِنَانِ » . وذكَر أن الباطنَيْن فى الجنةِ .

وفى « الصحيحين »[7] : « ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ » .

وفى « صحيحِ البخاريِّ[8] » مِن حديثِ قتادةَ ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ

---

(١) البخارى (٥٧٢٣) ، ومسلم (٢٢٠٩/٧٨) .

(٢) البخارى (٦٢٩) ، ومسلم (٦١٦/١٨٤) كلاهما بنحوه .

(٣) فى ص : « عن الصلاة » ، وقال النووى : هما بمعنى ، و « عن » . تطلق بمعنى الباء ، كما يقال : رميت عن القوس . أى : رميت بها .صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ١١٨.

(٤) البخارى (١٨٩٨، ١٨٩٩) ، ومسلم (١٠٧٩/١) ، واللفظ له .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) تقدم فى صفحة ٤٢٤ .

(٧) تقدم فى صفحة ٢٨٩ .

(٨) فى ص : « مسلم » ، والحديث أخرجه البخارى (٦٥٨١) ، وانظر تحفة الأشراف ١/ ٣٦١.

قال : « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِى الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ[1] الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هذا الْكَوْثَرُ الَّذِى أَعْطَاكَ رَبُّكَ » .

وفى مَناقبِ عمرَ أن النبىَّ ﷺ قال : « [2]دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ جَارِيَةً تَوَضَّأُ عِنْدَ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ[2] لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ » . فبكَى عمرُ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وقال : أوعليكَ أغارُ يا رسولَ اللَّهِ ؟! والحديثُ فى « الصحيحينِ » عن جابرٍ[3] .

وقال عليه السلامُ لبلالٍ[4] : « أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَ نَعْلَيْكَ أَمَامِى ، فَأَخْبِرْنِى بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِى الْإِسْلَامِ » . فقال : ما توَضَّأْتُ إلا وصلَّيْتُ ركعتَيْنِ . الحديث .

وأخْبَر عن الرُّمَيْصَاءِ[5] أنه رآها فى الجنةِ . أخْرَجاه عن جابرٍ[6] .

وأخْبَر فى يومِ صلاةِ الكُسوفِ[7] أنه عُرِضَت عليهِ الجنةُ والنارُ - وفى روايةٍ : دنَت منه الجنةُ والنارُ - وأنه همَّ أن يَأْخُذَ مِن الجنةِ قِطْفًا مِن عنبٍ ، وقال : « لَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا » .

---

(١) فى النسخ : « اللؤلؤ » ، والمثبت من المصدر .

(٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) البخارى (٣٦٧٩) ، ومسلم (٢٣٩٤/٢٠) كلاهما بنحوه .

(٤) البخارى (١١٤٩) ، ومسلم (٢٤٥٨/١٠٨) .

(٥) الرميصاء : هى أم سليم امرأة أبى طلحة ، والرميصاء بالتصغير صفة لها ، لرمص كان بعينها . فتح البارى ٧/ ٤٤ .

(٦) البخارى (٣٦٧٩) ، ومسلم (٢٤٥٦/١٠٥) .

(٧) البخارى (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧/٧) من حديث ابن عباس رضى الله عنه .

وفى « الصحيحين »[1] مِن طريقِ الزُّهرىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَىٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ[2] فِى النَّارِ » .

وقال فى الحديثِ الآخرِ[3] : « وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ[4] » . وقال[5] : « دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِى هِرَّةٍ [6]حَبَسَتْها حتَّى ماتَتْ[6] لَا هِىَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هى تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا تَخْمُشُهَا » . وأخْبَر عن الرجلِ الذى نَحَّى [7]غُصْنَ شَوْكٍ[7] عن طريقِ الناسِ ، قال : « فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَسْتَظِلُّ بِهِ فِى الْجَنَّةِ » . وهو فى « صحيحِ مسلمٍ »[8] عن أبى هريرةَ بلفظٍ آخرَ .

وفى « الصحيحين »[9] عن عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « اطَّلَعْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[10] مِن طريقِ المُخْتارِ بنِ فُلْفُلٍ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ

---

(١) البخارى (٤٦٢٣) ، ومسلم (٢٨٥٦) .

(٢) القصب : المِعَى ، وجمعه أقصاب . وقيل : القصب اسم للأمعاء كلها . وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء . النهاية ٤/ ٦٧.

(٣) أخرجه مسلم (١٠/٩٠٤) من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) المحجن : عصًا مُعَقَّفَةُ الرأس كالصولجان ، والميم زائدة . النهاية ١/ ٣٤٧.

(٥) البخارى (٣٣١٨) ، ومسلم (١٣٣، ١٣٤ /٢٢٤٢) .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) فى ح : « ذلك الغصن الشوك » .

(٨) مسلم (١٦٤/١٩١٤) .

(٩) البخارى (٣٢٤١) واللفظ له ، ومسلم (٢٧٣٨) مقتصرًا على قوله ﷺ : « إن أقل ساكن الجنة النساء » .

(١٠) مسلم (١١٢، ١١٣/٤٢٦) .

كَثِيرًا » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وما رأيتَ ؟ قال : « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ » . وأخْبَرَ[1] أن المُتَوَضِّئَ إذا قالَ بعدَ وُضوئِه : [2]أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسُولُه . فُتِحَتْ[2] له أبْوابُ الجنةِ الثمانيةُ ، يَدْخُلُ مِنْ أيِّها شَاءَ .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[3] مِن حديثِ شعبةَ ، عن عدىٍّ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ قال : لمَّا تُوُفِّى إبراهيمُ [4]ابنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ[4] قال : « إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِى الْجَنَّةِ » .

وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] . والجُمْهورُ على أن هذه الجنةَ جنةُ المأْوَى ، وذهَبَ طائفةٌ آخَرون إلى أنها جنةٌ فى الأرضِ خلَقَها اللَّهُ له ، ثم أخْرَجه منها ، وقد تقدَّمَ ذلك مَبْسوطًا فى هذا الكتابِ فى أولِه فى قصةِ آدمَ[5] .

وقال البيهقىُّ[6] : حدَّثنا الحاكمُ ، حدثنا الأصَمُّ ، حدَّثنا حُمَيدُ بنُ عياشٍ[7] الرَّمْلىُّ ، حدَّثنا مُؤَمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ الرحمنِ الأصْبَهانىِّ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِى جَبَلٍ فِى الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ » . وكذا رواه وَكيعٌ[8] ، عن سفيانَ ، وهو الثورىُّ ، والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا ، وقد

---

(١) الحديث أخرجه بنحوه مسلم (٢٣٤/١٧) من حديث عمر بن الخطاب ، وأحمد ٢٦٥/٣ (١٣٨١٩) ، وابن ماجه (٤٦٩) كلاهما من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٢ - ٢) فى ص : « أنه يفتح » .

(٣) البخارى (١٣٨٢) .

(٤ - ٤) زيادة من النسخ ليست فى المصدر .

(٥) انظر ما تقدم فى ١/ ١٦١، وما بعدها .

(٦) البعث والنشور (٢٣١) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢٨٤/٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٧) فى ص : « عباس » . انظر الجرح والتعديل ٣/ ٢٢٧، وتبصير المنتبه ٣/ ٩٠١.

(٨) المصنف لابن أبى شيبة ٣/ ٣٧٩.

أوْرَدْنا كثيرًا منها بأسانيدِها ومُتونِها فيما تقَدَّم .

فَصْــلٌ

وثبَت فى « صحيحِ مسلمٍ »[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا » . وكذا روَى الترمذىُّ ، مِن حديثِ جابرٍ وصحَّحه ، وأنسٍ واسْتَغْرَبَه ، وللترمذىِّ مِن حديثِ أبى هريرةَ وصحَّحه وأبى سعيدٍ وحسَّنه : « بِنِصْفِ يَوْمٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ » . وقد تقدَّم[2] هذا كلُّه .

قلتُ : [3]فإن كان هذا محفوظًا كما صحَّحه الترمذىُّ[3] ، فيَحْتَمِلُ أنْ يكونَ ذلك باعتبارِ دخولِ أولِ الفُقراءِ وآخرِ الأغْنِياءِ ، وتَكُونُ الأرْبعونَ خَريفًا باعْتبارِ ما بينَ دخولِ آخرِ الفقراءِ وأولِ الأغْنياءِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد أشارَ إلى ذلك القُرْطبىُّ فى « التَّذْكرةِ » حيث قال[4] : وقد يَكُونُ ذلك باخْتلافِ أحْوالِ الفقراءِ والأغْنياءِ . يُشيرُ إلى ما ذكَرْناه .

---

(١) مسلم (٢٩٧٩) .

(٢) تقدم ص : ٤١٧ - ٤٢٠ .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) التذكرة ٢/ ٢٩٦.

فصــلٌ

قال الزُّهْرِىُّ[1] : كلامُ أهلِ الجنَّةِ عربىٌّ . وقال سفيانُ الثورىُّ[2] : بلغَنَا أَنَّ الناسَ يَتَكَلَّمُونَ يومَ القيامةِ بالسُّرْيَانِيَّةِ ، فإذَا دَخَلُوا الجنةَ تَكَلَّمُوا بالعربيةِ .

فصــلٌ

فى المرأَةِ تتزوجُ فى الدنيا بأزواجٍ ثم تدخلُ الجنَّةَ ؛ فلِمَنْ تَكونُ منهم ؟ فذَكَرَ القُرطبىُّ فى « التذكرةِ »[3] من طريقِ ابنِ وهبٍ عن مالكٍ : أَنَّ أَسماءَ بنتَ أبى بكرٍ شَكَتْ زَوْجَهَا الزُّبَيْرَ إلى أَبِيهَا ، فقالَ : يا بُنَيَّةُ ، اصْبِرِى ، فإِنَّ الزبيرَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، ولَعَلَّهُ يَكُونُ زَوْجَكِ فى الجنةِ . قالَ : وَلَقَدْ بلغَنى أَنَّ الرجُلَ إذَا ابْتَكَرَ المرأَةَ تزوجَها فى الجنةِ . قالَ أبو بكرِ بنُ العَرَبِىِّ : هَذَا حديثٌ غريبٌ .

وقد رُوى عن أبِى الدرداءِ ، وحُذَيفةَ بنِ اليَمَانِ[4] ؛ أَنَّ المرأَةَ تَكُونُ لآخرِ أَزْوَاجِهَا فى الدُّنْيَا .

---

(١) صفة الجنة لابن أبى الدنيا (٢١٧، ٢١٩، ٢٢١) ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٤٥) (زوائد نعيم) .

(٢) التذكرة ٣٠٥/٢ (١٥٤٦) .

(٣) التذكرة ٣١٤/٢ (١٥٧١) . وقال محققه : إسناده منقطع .

(٤) التذكرة ٢/ ٣١٤، ٣١٥ (١٥٧٢، ١٥٧٣) ، والبيهقى فى السنن ٧/ ٦٩، ٧٠ من حديث حذيفة رضى الله عنه . وانظر السلسلة الصحيحة (١٢٨١) ٢٧٥/٣ وما بعدها .

وجاءَ أَنَّها تَكُونُ لِأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا . قالَ أبو بكرٍ النَّجَّادُ[1] : حدَّثَنا[2] جعفرُ بنُ محمدِ بنِ شاكرٍ ، [3]حدَّثَنا عبيدُ بنُ إسحاقَ العطَّارُ ، حدثنا سِنَانُ[4][3] بنُ هارونَ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ؛ أنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ قالتْ : يا رسولَ اللَّهِ ، المرأَةُ يَكون لها [3]الزوجانِ فى الدُّنيا[3] فأيُّهُمَا يَكونُ فى الآخرةِ ؟ فقال : « لِأَحْسَنِهِمَا خُلُقًا ، كَانَ مَعَهَا فِى الدُّنْيَا » . ثم قال : « يَا أُمَّ حَبِيبَةَ ، ذَهَبَ [3]حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ » . وقد روِى[3] عن أُمِّ سلمةَ نحوُ هذا[5] . واللَّهُ أعلمُ .

آخِرُ الكتابِ والحمدُ للَّهِ

---

(١) رواه البزار من طريق عبيد بن إسحاق ، به . انظر كشف الأستار (١٩٨٠) . قال الهيثمى : رواه الطبرانى والبزار باختصار ، وفيه عبيد بن إسحاق ، وهو متروك ، وقد رضيه أبو حاتم ، وهو أسوأ أهل الإسناد حالًا . المجمع ٨/ ٢٤.

(٢) بعده فى ص : « محمد بن » .

(٣ - ٣) طمس وبياض فى نسخة : الأصل .

(٤) فى ص : « يسار » ، وفى ح : « سيار » . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٥٥، وقال البزار فى الموضع السابق : لا نعلم رواه عن حميد عن أنس إلا سنان ، وهو كوفى ليس به بأس .

(٥) تقدم الحديث بطوله فى صفحة ٣٣٧ ، ٣٣٨ .